السنة الحادية عشرة العدد ١ كانون الثاني سنة ١٩٠٨

المشرق

التذكار المئوي لوفاة الفم الذهبي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

{هوذا الكاهن العظيم الذي ارضى الله في ايامهِ ووُجد برًّا كاملًا

هو الثناء الطيب الذي استعارتهُ الكنيسة من اقوال ابن سيراخ لتطرئ بهِ كهنتها العظام. الذين انشأ الربّ فيهم مجدًا كثيرًا وابدى على يدهم عظمتهُ بين البشر » اولئك الذين كانوا « رجال اسمٍ وبأسٍ فخلّفوا لهم ذكرًا يُخبر بمدائحهم . اجسامهم دُفنت بالسلام واسماؤهم تحيا مدى الاجيال »

على انَّ بين اولئك الائمة الفطاحل قد برز افرادٌ يتلألأ نورهم في فلك الكنيسة كالكواكب الزُّهر او النيّرات الساطعة التي تشعُّ بضيائها فيقرُّ بها البصر حيثما مال. وقد شبَّههم السيّد المسيح بسرج على مناور يستضيء بهم اولادُ الله ويقتبسون من انوارهم في كل اطوار الحياة. او قل بالحري انهم في عالم الدين بمثابة العناصر التي يستمدُّ منها المرءُ لنموّ جسمهِ وكمال معاشهِ . ولا جرم انَّ القديس يوحنَّا المعروف بفم الذهب في مقدَّمة اولئك الرجال العظام الذين تفتخر الكنيسة بمآثرهم وتستقي من مواردهم لاسيما الكنائس الشرقيَّة التي شحنت طقوسها من اقوالهِ وتعاليمهِ فلا تكاد تقيم رتبةً الَّا تغتني بمعالمهِ وتتقرَّب الى الله بادعيتهِ

فلله درّ الكنيسة الرومانيَّة التي لم تشأ ان تمرَّ عليها السنة ١٩٠٧ وهي تمام المئة الخامسة عشرة لوفاة ذلك الملفان الكبير دون ان تقيم لذكرهِ اعيادًا حافلةً في عاصمة الكثلكة لتشيد بمحامدهِ وتنشر على رؤوس الملإ مفاخرهُ . وقد أعلمتنا اخبار رومة ما

عُقد فيها من الحفلات الشائقة وتُلي من الخطب الرائقة في نوادي الادباء منذ الشهر ايلول الذي فيه كانت وفاة القديس ثمَّ تتابعت هذه مجالي الاكرام والعزّ في الاشهر التالية فزادت بهاء ورونقاً حتى تبلغ غايتها في أواخر كانون الثاني من هذه السنة الجديدة حيث يقع تذكار عيده في الكنيسة اللاتينيَّة

فما احقَّ بالنصارى الشرقيين عموماً والسوريين خصوصاً ان يشاركوا الكنيسة البطرسيَّة بفرائض الشكر وواجبات الاكرام يقدّمونها لذلك العلَم الشهير الذي وُلد في مواطنهم وقدَّس بلادهم باعماله الخطيرة وشرَّفهم بتآليفه الممتازة ومواعظه المسجديَّة. وقد سرّنا انَّا رأينا غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك تأسى بأمّ الكنائس فاقام الرُّتب البهجة واحتفل الحفلات الشهيَّة في الاستانة العليَّة حيث سطع ذلك النور الأنور على كرسيّ القسطنطينيَّة فزيَّنهُ بفضله وفضائله وخلَّد لهُ ذكرًا لا تطمسهُ الدهور

وهذه مراسيم الشكر والامتنان تحدو بنا أن نفتتح سنتنا الجديدة بمقالة نخصُّها بذكر وطنيّنا العظيم ونتيمّن بتدوين اسمهِ في هذه الجلَّة التي وقفناها على مثالهِ لخدمة الدين والعلم

وليست نيَّتنا هنا ان نسرد كل اعمال الذهبيّ الفم فان ذلك يقتضي مجلَّدات ضخمة سبقنا اليها غيرنا من الكتبة وانَّما نكتفي ان نمثل شيئاً زهيدًا من مآثره في اسقفيَّته فنبيّن انهُ كان قدوةً للاحبار وصورةً حيَّة لرعاة الكنيسة

قد اختصر السيّد المسيح لذكره المجد واجبات خدَمة الدين بهذه الآية لمَّا قال في انجيله الطاهر (متى ٥ : ١٩) : « الذي يعمل ويُعلّم ذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » . وقد تقدَّم الربّ وجعل نفسهُ قدوة لرعاة الكنيسة « في جميع الامور التي عملها وعلَّم بها » (اعمال ١ : ١) فوضع كمال الكهنوت في العمل اوَّلاً ثم بالتعليم لأنَّ الكاهن ولاسيما الاسقف الذي هو رأس الكهنة أُقيم راعياً للنفوس ومن شأن الراعي ان يتقدَّم خرافهُ فتمشي هي على آثاره وتقتدي بهِ وتسمع صوتهُ

وقد حقَّق يوحنَّا فم الذهب في نفسهِ هذا الكمال الكهنوتي فكان في كلّ اطوار حياتهِ وبالاخصّ في مدَّة اسقفيتهِ رجلَ عمل وعلم. قلَّما نال فيهُ منهما ما اصابهُ

هو

١ رجل العمل

ظهر يوحنا فم الذهب في عصر كثرت فيه الرجال العظام فكانت الكنيسة بعد المحن والاضطهادات التي صادفتها في القرون الثلاثة الاولى قد انتصرت على اصنام الوثنية فجلست بهمة قسطنطين الكبير على منصة المجد والبهاء كالشمس تبدد السحب الحاجبة لنورها فتبعث باشعتها الساطعة الى اقاصي السماء. فأنى القيت الابصار رأيت جهابذة سموا بفضلهم وزينوا مواطنهم بعلومهم ومآثرهم. فازدهت رومية بعظيم احبارها داماسوس واعتزت ايطالية بامبروسيوس وافتخرت غالية بايلاريوس وتباهت افريقية باوغسطينوس وتشرفت فلسطين بايرونيموس واستنارت مصر باثناسيوس وتغنت الجزيرة باناشيد افرام السرياني كما طربت بلاد بنطوس بقصائد غريغوريوس اللاهوتي واهتزت لتعاليم باسيليوس الالهي. فلم يشأ الله ان تعدم سواحل الشام كوكبًا زاهرًا فجعل حصتها يوحنا الذهبي الفم ليضم نوره الى تلك الثريا النيرة وحبذا النصيب

كان مولد يوحنا في انطاكية نحو السنة ٣٤٤ من اب قائد لجند الرومان اسمه سكندس ووالدة تدعى انتوسة وكان كلاهما مسيحيًا على خلاف ما زعم بعض الكتبة انهما تنصرا بعد ولادة ابنهما. ثم توفي سكندس ولم يبلغ الولد سوى اربع سنوات فعطفت عليه والدته ولم تشأ لها تعزية الاه فترعرع الغلام في حجر امه وما لبث ان احيا فيه شهامة والده الجندي ودماثة اخلاق والدته وذكاء اهل وطنه

فلما رأت انتوسة مخايل النجابة لائحة على محيا ولدها وأنست برغبته الى العلوم سلمته الى ابرع اساتذة وطنه وكانت انطاكية في ذلك العهد ام مدن الشرق تباري اكبر حواضر العالم الروماني بمدارسها وصيت معلميها. فبعد ان اتقن يوحنا قواعد الاعراب ومبادئ الادب تخرج في فن البلاغة على خطيب زمانه المصقع ليبانيوس فاقر له استاذه بعد حين بالسبق على اقرانه. ثم درس الفلسفة على اندراغاثيوس احد ائمة الفلاسفة فاصبح اماماً في كل مشتملاتها. ثم اضاف الى هذه المعارف الدنيوية ما هو اسمى واشرف فتتلمذ لاستاذين فاضلين كزتيريوس وديودورس واخذ عنهما العلوم الدينية النظرية والعملية فوجداه عمًا قليل اهلا لأن يتصدر لارشاد غيره في هذه الفنون كلها

على انَّ يوحنا لم يتفرَّغ لتلك الدروس لغاية بشريَّة ليرتزق منها او ليطلب بها جاهاً وفخراً بل اتخذها ليستعين بها في انتهاج سُبل الكمال فباشر مذ ذاك الحين تلك الاعمال التي سمقت به الى اعلى مراتب القداسة

واوَّل عملٍ صرف اليهِ نظرهُ زهدهُ بالدنيا وملاذّهـا فاقتبل سرّ المعموديَّة على حسب عادة نصارى عصرهِ الذين كانوا يؤخرون عمادهم الى سنّ الشباب او الكهوليَّة ثمَّ انتظم في سلك المترشحين للكهنوت لكنهُ تخوَّف من اعباء تلك الرتبة الساميـة فآثر عليها العيشة النسكيَّة فهجر وطنهُ وودَّع والدتهُ الاسيفة على فراقهِ وفرّ هارباً الى الجبال المجاورة لانطاكية لينقطع لخدمتهِ تعالى في جملة جماهير النساك الذين كانوا تألَّبوا في تلك القفار ليُحدثوا هناك عجائب رهبـان الصعيد ولسقيط. فاندمج في سلكهم واقتبس من انوارهم واستسلم لكل اعمال الزهد وشظف العيش والتقشف التي مارسها سميُّهُ يوحنَّا الصابغ فكان يلبس المسوح الخشنة ويأكل مرَّة في النهار عند المساء قليلاً من الخبز القفار الاسود لا يأدمهُ بغير الملح وينام مراراً على الحضيض ويقسم بقيَّة وقتهِ بين الصلاة الى الله والاشغال اليدويَّة الشاقة

وكأنَّ يوحنا لم يجد في هذه المناسك ما يروي غليلهُ من التقشفات فتوغَّل في البراري وأوى الى مغارة عند مصبّ نهر العاصي فعاش هناك عيشة اقرب الى عيشة الملاك منها الى عيشة البشر فكان يستحرُّ في الصلاة ليلاً مع نهار ويتأمَّل في معاني الاسفار المقدَّسة وهو لا يقتات الَّا بحشائش البرّ بل كاد ينسى أنَّ لهُ جسماً لا يقوى على مثل هذا العنف فأُصيب بعد مدَّة بداء عضال اضطرَّهُ الى ان يعود على رغم منهُ الى وطنـهِ . لأنَّ الله وجدهُ بعد اعتزالهِ عن ضوضـاء العالم وتجرُّدهِ عن كل حطامهِ آلةً اهلة بمجدهِ واناء مختاراً يحمل اسمهُ بازاء الشعوب والملوك فلم يشأ ان يترك هذا النور تحت المكيال

فاقهَ يوحنا من مرضهِ حتى عوَّل ملاتيوس بطريرك انطاكية على ترقيتهِ الى درجة شمَّاس انجيلي فوضع على راسهِ اليدين وخصَّهُ بخدمة المذابح دون أن يعيره سمعاً لامتناعهِ وابائهِ . ثمَّ القى على عاتقهِ شيئاً من اعباء الاسقفيَّة كنظارة اوقاف الكنيسة وتوزيع الصدقات وارشاد الموعوظين ومشاركة الاسقف في خدمة الاسرار الالهيَّة. فقـام بكل هذه المهامّ احسن قيام حتى انَّ ملاتيوس وكل اليهِ السهر على شؤون الرعيَّة في غيبتهِ

لمَّا دُعي الى حضور المجمع القسطنطيني الاوَّل المنعقد سنة ٣٨١ لنفي تعليم مكدونيوس المبتدع في لاهوت الروح القدس

ثمَّ توفي ملاتيوس في القسطنطينية وخلفهُ على كرسيّ انطاكية فلابيانوس الذي عرف عند قدومهِ الى انطاكية ما بذلهُ يوحنَّا من العناية في ضبط الامور وحفظ النظام فلم يتردَّد في ترقيتهِ الى الكهنوت سنة ٣٨٦ ليتخذهُ كمساعد لهُ في كلّ الخدم المقدَّسة من وعظ وتعليم وارشاد واسعاف الفقراء وعيادة المرضى. وكانت في المدينة بقايا عادات مستهجنة وخرافات وثنيَّة ورثها الانطاكيون من عبَدة الاصنام آبائهم فأصلاها القديس حربًا عوانًا حتى استأصلها من قلوبهم. وكذلك سعى السعي الطيب في ردّ الخطأة الى التوبة فأناب على يدهِ منهم عددٌ لا يفي بهِ الاحصاء. وخلاصة القول جعل نفسهُ على مثال بولس الرسول كلًّا للكل حتى يربح الكلّ للمسيح

وقد ظهرت اعمال غيرتهِ الملتهبة وتفانيهِ في سبيل الخير العام سنة ٣٨٧ اذ اوغر الانطاكيون صدر ثاوضوسيوس الكبير لضرائب استثقلوا وطأتها فأبوا وفاءها وأخلد بعضهم الى الفتن وكسروا تمثال الملك فكاد هذا العمل يجلب عليهم الويلات لولا حكمة يوحنا الذي قام وقعد ليطفئ نار غضب الامبراطور ويخلّص المدينة مما تهدَّدها من العقاب الاليم فترأف الله على شعبهِ وصرف عنهُ ضربةً لازبة كانت لو حلّت عليهِ بدَّدت شملهُ وجعلت انطاكية قاعًا صفصفًا. وانَّما كان الفضل الاعظم في ذلك للذهبيّ الفم ولفلابيانوس الاسقف

وكان يوحنَّا انتهز تلك الفرصة ليزرع في قلوب الانطاكيين اغراس الفضائل المسيحية ويسوقهم الى كل المساعي الخيريَّة فاضحت تلك العاصمة قدوةً لغيرها من المدن وبقيت على صلاحها زمنًا طويلًا

بقي يوحنَّا في انطاكية عشر سنوات يكدّ ويجدّ في فلاحة كرم الرب وتقليم اغصانهِ ليزيد جناهُ حتى اتجهت اليهِ انظار الملك اركاديوس بن ثاوضوسيوس واترونب كبير وزرائهِ وجميع آل بلاطهِ ليعهد اليه تدبير الكنيسة القسطنطينية المترملة. وكان هذا الكرسيّ بعد اعتزال غريغوريوس النزينزي ووفاة نكتاريوس خلفهِ اصبح أُلعوبةً بايدي المبتدعين لا يطلبون منه الّا الارباح الخسيسة والمطامع الشخصيَّة فرأى الملك وخاصَّتهُ انَّ ذلك المنصب لا يعود الى شرفهِ وعزّه ما لم يُدعَ اليه راعٍ صالح كامل الصفات قادر على

تذليل المصاعب كيوحنا فم الذهب وما كاد يتلفظ باسمه حتى صرخ الجميع بصوت واحد انهُ « اهل لهذا المقام ليس مثلهُ راعياً لكنيسة القسطنطينية » فارسل الملك من وقتهِ الى عاملهِ في انطاكية ان يوفدهُ الى العاصمة . لكنَّ البطريق فكتور رأى دون انجاز امر سيّده خرق القتاد اذ كان يعلم ما تكنّهُ قلوب الانطاكيين من عواطف الحب والاخلاص نحو يوحنا فلم يجد طريقة اخرى ليقوم بامر الملك وينجو من ثورة الاهلين سوى الاحتيال فاستدعى يوحنا يوماً الى زيارة قبور الشهداء في ظهرانيّ المدينة خارجاً من اسوارها فلبّى دعوتهُ وهو لا يعلم ما كمن لهُ . فما تجاوز القديس باب المدينة حتى نقلهُ بعض الخدَم في عجلةٍ مهيَّأة لذلك واخذوهُ شاء ام أبى الى ساحل البحر واركبوه سفينةً أبحرت من وقتها الى القسطنطينيَّة

حدّثْ ولا حرج عمَّا جرى ليوحنا من الاستقبال الباهر وما أُقيم من الحفلات الشائقة لتنصيبهِ بطريركاً على رومية الجديدة . امَّا اهل انطاكية فاصابهم بفقدهِ من الالم ما لا يفي بهِ وصفُ القلم وانَّما تعزَّوا قليلاً لما نال وطنيُّهم من الحظوى لدى اركاديوس واركان الدولة في حاضرةٍ كانت تُعَدُّ منذ ذاك الحين احدى أمهات المدن وعجائب الدنيا

قبض يوحنا زمام التدبير لرعيَّتهِ بنشاط عظيم متكلاً ليس على نفسهِ بل على الله الذي دعاه الى تلك الرتبة السامية مع أنفتهِ من المناصب الرفيعة والجاه العالميّ وجعل نصب عينيهِ قول الرسول بطرس (في رسالتهِ الاولى ٥ : ٣) انهُ ينبغي على الاسقف ان يكون مثالاً لرعيَّتهِ . بل اراد ان يحيي في نفسهِ صورة الاسقف الكامل كما وصفها بولس الرسول في رسالتهِ الى تيموثاوس الاولى (٣ : ١—٧) وفي رسالتهِ الى تيطس (٥ : ٦—١٠) بان يكون « بلا عيب عاقلاً مهذَّباً غير مُعجب بنفسهِ ولا سريع الغضب ولا ذي حرص على المكسب الخسيس بل مضيفاً للغرباء محبّاً للخير عادلاً تقيّاً عفيفاً ملازماً الكلام الصادق قادراً على التعليم » فهذا كلُّهُ قد مارسهُ يوحنا في منزلتهِ الخطيرة على تمامهِ لم يخلَّ فيهِ بحرف

وقد ابتدأ باصلاح دارهِ الاسقفيَّة مباشراً بنفسهِ فكنت تراهُ يعيش عيشة افقر الرعاة يلبس بزَّة حقيرة ويستنكف من كل فخفخة وعظمة وترف جارياً على موجب سيرتهِ القشفة التي سلكها مدَّة كهنوتهِ في انطاكية . وكان مثالهُ موثّراً في حاشيتهِ الذين اخذوا اخذهُ واتَّسموا بسيماه في كلّ احوالهم . وقد أدى بهِ هذا الاقتصاد في

النفقات الى ان وفّر كنوز الكنيسة التي كان يعدُّها كاموال الله وكنوز الفقراء.

والحقُّ يقال انهُ اعتبر ذوي البأساء والمساكين والعجزة والمرضى كأعزّ اصدقائهِ فشرع يفيض عليهم سوابغ هباتهِ ممَّا اقتصدهُ على نفسهِ واهل بطانتهِ وكان لا يكتفي بذلك بل يزور المنكوبين في منازلهم ويطوف الايتام والارامل ويعود المرضى في المستشفيات فلا يحلّ في مكان الّا كملاك الله يترك فيهِ اثرًا من فضلهِ

ثمَّ صرف عنايتهُ الى اكليروس كنيستهِ وجميع بطريركيَّتهِ الواسعة فتذرَّع بكل الوسائل من لطف وتحريض وزجر وعقاب وكان يكفّ عن الكتابة والكلام او يرعوي الضالّون فيوفّقوا سيرتهم وملابسهم ومآكلهم واعمالهم على مقتضى القوانين الرسوليَّة وترتيبات الجامع ولا يخلّوا بشيء من واجبات خدمتهم . وكان يعلم انَّ صدق قولهِ واستقامة خطتهِ لا ترضي كثيرين ممن استهواهم شيطان الاهواء وخدعهم روح الدنيا وزخرفها الّا انهُ لم يتوقّف لذلك عن القيام باعباء مهنتهِ مفوّضًا بامرهِ الى الله متخذًا لمداواة الاعلّاء انجع الوسائل واصلحها لا يبالي بهيجان العليل على طبيبهِ المحسن اليهِ

ومع ما أفرغ من الوسع في تهذيب رجال الدين جعل ايضًا يهتمّ بالعالميّين ليصلح آدابهم ويقتلع من قلوبهم زؤان الرذائل التي كانت عشّشت في صدور بعضهم فاستغوتهم وحادت بهم عن سواء السبيل

وكان بينهم رجال من وجوه القوم والاغنياء وذوي المراتب العليا وكان يوحنا لا يأنف من تحريضهم وتوبيخهم عند الحاجة لا يأخذ بوجه احد ولا يضحّي الواجب لغاية بشريَّة مع ما كان يتفاقم عليهِ كل يوم من تدبير الامور ومن الاهتمام بالكنائس بل كان يستطيع ان يقول مع الرسول (٢ كورنتس ١١ : ٢٩) : « من يضعف ولا اضعف انا او من يُشكّك ولا احترق انا » . فكانت دعوته الابويَّة ومواعظه الرعويَّة تدوي في قلوب الخطأة فتُلينها وتبدّد ظُلماتها وتعيدها الى ذلك الراعي الصالح فتتوب على يدهِ توبةً نصوحًا وتجري على نصائحهِ الخلاصيَّة

وكأن الله اراد ان يضمّ صوتهُ السماوي الى صوت وليّهِ لردّ بعض المصرّين على آثامهم الى التوبة فحدثت في القسطنطينيَّة عدَّة مصائب ونكبات كادت تنخلع لها قلوب السكان هلعًا منها زلزال عظيم مادت لهُ الارض وهبطت بهِ عدَّة مساكن ومنها اعاصير وانواء طغت بها المياه واندفقت في احياء المدينة كالسيول ومنها المجاعة مُني بها

الوف من الاهلين وكان القديس مع تفانيه في اسعاف المنكوبين يتخذ كل هذه البلايا كعوامل لرد الضالين وتوبيخ الخاطئين وهداية المراطقة الذين ارجع منهم عددًا وافرًا الى حجر الكنيسة

وزاد الله على ذلك أن منح عبده صنع المعجزات والكرامات كشفاء المرضى والعلم بالغيب وقد اخبر المؤرخ سوزومان انَّ امرأة شريرة ارادت ان تنتهك حرمة القربان الاقدس فحوَّل الله الخبز الذي ابدلتهُ منهُ الى حجر لصق بفيها فلم ترَ مناصًا من الاقرار بخطيئتها فباءت بإثمها ثم اخرج القديس الحجر من حنجرتها على مرأى من الشعب

لكنَّ رجل الله لم يكتفِ بحسم الفساد عن رعيتهِ وكسر شوكة الرذائل بل عُني ايضًا برفع لواء الفضيلة وتعزيز روح الدين وتنشيط كل المشروعات الخيريَّة من تربية الايتام واسعاف المعوزين والاخذ بايدي البائسين . وكان يحضُّ المؤمنين على مواترة الاسرار المقدَّسة وملازمة اعمال التُّقى

وما كانت غيرتهُ منحصرة في حدود العاصمة بل كان يستغرق وسعهُ في اصلاح الاقاليم الثمانية والعشرين المنوطة بكرسي القسطنطينيَّة . وكان اذا دعا الامر الى ذلك لا يتردَّد في تجشم الاسفار واقتحام الاخطار لاستدراك الخلل الطارئ على تلك الكنائس كما فعل لمَّا خرج الى افسس وعقد فيها مجمعًا لاصلاح شؤونها الروحيَّة ثمَّ عاد الى كرسيهِ بعد جمع الشتات وتلافي الشرّ

وكان القديس يوجه نظرهُ الى ما وراء تخوم بطريركيته اذا رأى موجبًا للعمل فانهُ كان يعلم بانَّ بعض جهات سوريَّة لا تزال متسكعة في ظلمة الوثنيَّة فارسل الى اهلها مرسلين ينشرون التعاليم المسيحيَّة واستنفد الوسع في هدم هياكل الاصنام التي كانت في فينيقية ولبنان فأُخربت ورجع المشركون الى جادَّة الحقّ

وممَّا امتاز بهِ يوحنا مدَّة رعايتهِ شهامة عظيمة جعلتهُ يضحي النفس والنفيس في سبيل الله والذَّبّ عن حقوق الكنيسة حتى بازاء الاعيان والاشراف . ولمَّا رأى الامبراطورة افدكسيا لا ترعى ذمامًا للضعفاء لم يخفْ أن يُطالبها باداء الواجبات لتعطي لكل ذي حقٍّ حقَّهُ . فاوغرت تلك البسالة صدور اعدائهِ وكانت السبب الاقوى لما حلَّ بهِ من الشدائد التي أودت بحياتهِ

رجل العلم

هذه لمحة عن بعض اعمال يوحنا فم الذهب ألمنا اليها إلماماً خفيفاً لئلا تتجاوز الحدود التي يقتضيها المقام الّا انَّ تلك الاعمال الخطيرة قد عضدها ذلك الحبر الهمام بالعلم الواسع قياماً بامر الربّ القائل (ملاخي ٢ : ٧) : « انَّ شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فيهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاكُ ربّ الجنود » ووفقاً لقول السيّد المسيح السابق ذكرهُ (متى ٥ : ١٩) انَّ العظيم في ملكوت السماوات هو الذي يضيف التعليم الى عملهِ . وذلك امرٌ يصحُّ في كل الكهنة لكنَّهُ في الاساقفة أصدق وأحقّ لأنَّ « الروح القدس اقامهم ليرعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمهِ » (اعمال ٢٠ : ٢٨) فيرشدون المؤمنين ويعدلون بهم عن التعاليم الفاسدة ومن ثمَّ يحتم الرسول على الاسقف ان يكون قادراً على التعليم (تيموثاوس ٢ : ٢) وملازماً الكلام الصادق المختصّ بالقول لكي يقدر ان يعظ بالتعليم الصحيح ويحاجّ المناقضين (تيطس ١ : ٦) فكلّ ذلك كان القديس يوحنا قد ادركه احسن ادراك وبناء عليهِ كان وطّن نفسهُ منذ شبابهِ على كل علوم زمانهِ الدينيَّة والدنيويَّة

وقد تدفَّقت منهُ ينابيع العلم اذ كان بعدُ في انطاكية حتى قبل كهنوته . فمن اعمالهِ الناطقة بفضلهِ تأليفهُ العجيب في الكهنوت الذي لا يزال الى يومنا أصدق مرآة لسيرة الكهنة وسموّ رتبتهم . وقد عقَّب هذه باكورة اعمالهِ بمصنَّف آخر جليل وضعهُ في اطراء الزهد والحياة الرهبانيَّة لمَّا كان في جبال انطاكية في مناسك سيّاحها المتألهين بالروح العائشين كملائكة متقمّصين بالجسد

ولما اضطرَّهُ المرض الى أن يعود الى انطاكية فعُهد اليهِ كشمّاس اوَّلاً ثمَّ ككاهن تعليم الشعب وتسنَّم المنابر لالقاء الوعظ خاض القديس في ميدان جديد كان هو افرس فرسانهِ فنال فيهِ قصبات السبق على كل معاصريه . فكنت تراهُ اذا رقي منبر الخطابة ازدحمت حولهُ الجموع تتلقَّى من فيهِ تعاليم الخلاص برغبةٍ لا مثيل لها فتارةً يجمدون امامهُ كأنَّ على رؤوسهم الطير لئلَّا يفوتهم من شفتيهِ كلمة وتارة يضطربون لقولهِ اضطراب البحر العجاج فينقادون الى كل حركات قلبهِ من أسف على خطاياهم وتوبة الى الله وشوق الى الصلاح وبغض لاهواء العالم وملاذهِ ورحمةٍ لذوي البأساء والمساكين وربما كان الحضور يجهشون بالبكاء فيسيلون العبرات السخينة على آثامهم السابقة ويخرجون من الكنيسة كرجال جددٍ مودّعين لعاداتهم السيّئة ليعيشوا لله

وممَّا زاد ذلك النور توهُّجًا انَّ يوحنا وُجد في انطاكية في ظروف استدعت انتشار لشعَّتهِ في كل النواحي. فهناك كانت الفلاسفة الوثنيون الذين ورثوا من ائمة اليونان آدابهم. وهناك كان علماء اليهود لاتساع متاجر قومهم في انطاكية. وهناك توفَّرت البدع ورسخ قدم اصحابها كمشايعي مرقيون واريوس وانصار مقدونيوس وحزب اونوميوس. فقام يوحنا فم الذهب بازاء تلك الاديان والشيع « مستعدًّا في كل حين للاحتجاج لكلّ من يسألهُ حُجَج الرجاء الذي فيهِ » (١ بطرس ٣: ١٥) فكان يوضح للجميع حقيقة الدين المسيحيّ ويفكّ المشاكل التي تُعرَض عليهِ ويبيّن اوهام المبتدعين وقد ابقى من سموّ بلاغتهِ وخلابة لسانهِ وقوة برهانهِ آثارًا عديدة في كل ما سبق ايرادهُ صبرت على آفات الزمان وهي لم تفقد حتى يومنا هذا شيئًا من محاسنها فتراهُ يدكُّ الاوهام الى الحضيض ويقوّض الاقاويل السفسطيَّة ويبني الحقيقة على صرح شاهق ذي اساس لا يتزعزع

واكثر ما اكسبهُ ذلك اللقب الشريف الذي عُرف بهِ اي الذهبيّ الفم خُطَبُهُ التي القاها بعد ثورة انطاكية اذ كان يتهدَّد وطنهُ غضبُ الامبراطور فتمكَّن القديس مدَّة أيام متوالية من جمع مواطنيهِ في الكنيسة الكبرى فسحرهم بسحر بلاغتهِ الحلال وانعش في قلوبهم الثقة وفتح صدورهم للرجاء وصرف نظارهم الى آمال الآخرة وعقابها الاليم. وقد تحقَّق اليوم لدى العلماء انَّ الخطبة التي لفظها فلابيانوس على مسامع الامبراطور ثاوضوسيوس فاخمد بها غضبهُ انَّما كانت من قلم يوحنا فم الذهب يدلُّ على ذلك انشاؤها وبلاغتها

على انَّ علم القديس يوحنا فم الذهب لاح على مشهد الارض كلها لمَّا سُقف على القسطنطينيَّة فاضحى ثمَّ كالسراج الوهَّاج المرتفع على جبل فاستضاء بهِ العالم الروماني باسرهِ. وكان هناك لا ينطق بخطبة الَّا يتردَّد صداها في اقاصي المملكة لارتياح اهل الاقاليم الى ما يقولهُ ارباب العاصمة ولِما اصابهُ يوحنا من الشهرة المستفيضة تتناقلها الالسنة من الداني الى القاصي

ومن آثارهِ في ذلك المنصب الشريف خطب عديدة في كل معتقدات الدين المسيحيّ كان يلقيها في ايام الاعياد والآحاد فيتقاطر الى استماعهِ نخبة اعيان البلد فتغصّ بهم الكنيسة الكاتدرائيَّة. ومنها شروح وتفاسير على معظم كتب الاسفار المقدَّسة كان

ينطق بها في الحفلات الدينيّة فيكشف معاني الكتاب العويصة ويلحقها بتعاليم ادبيّة يستخلصها من نفس الفصول المشروحة فيجمع بين تنقيه العقل وبعث الارادة على الخير. وامتازت بين شروحه المقالات التي كتبها في تفسير الاناجيل لاسيما انجيل متى وفي شرح الرسائل البولسيّة. وقد اثبت بعض اصحاب القديس انّهم شاهدوا غير مرّة بولس الرسول منحنياً فوق رأسه كأنهُ يُملي عليه تفسير رسائله ويفكّ له رموزها

وكثيرًا ما كان القديس يُلقي خطبهُ ارتجالًا اذا ما مسّت الحاجة الى ذلك فكان كلامهُ البليغ يخرج من قلبه في قالب من الحسن والمتانة يسبي العقول ويسترقها حتّى ان الحضور كانوا يهيجون ويصفّقون له استحسانًا وان منعهم الخطيب عن ذلك غير مرّة. فمن هذه الخطب خطبتهُ في نكبة اوتروب الحصيّ وخطبهُ في اسعاف الفقراء والبائسين لا يقولها الّا يستنزف عبرات السامعين ويستمطر من خزائنهم كنوز البرّات والصدقات الغزيرة التي اعانتهُ على فتح مآوى ومستشفيات خصّ بخدمتها سيّدات شريفات كنّ يساعدنهُ في مشروعاته الخيريّة

ولا نتعرّض هنا لذكر مصنّفات اخرى جليلة كتبها يوحنا مدّة بطريركيّته كما انّنا نضرب الصفح عن رسائل متعدّدة كان ينفذها الى مرؤوسيه واصدقائه ومنها ما هو بمثابة مجلّدات واسعة. فان جدول كتاباته وحدهُ يستغرق عدّة صفحات

فترى مما سبق انّ الذهبي الفم حقّق في نفسه ما قالهُ الربّ عن يوحنا الصابغ سميّه (يوحنا ٥ : ٣٥) انهُ كان هو السراج المرقد المنير فابتهج بنوره اهل القسطنطينيّة. لكنّ ذلك السراج كان لبعض الحسّاد والمعادين بمنزلة النور الباهر الذي لا يستطيع ان ينظر اليه المُشي ومرضى العيون دون ان يتأذوا به وكان هولاء في اوّل امرهم مستخفين لا يبدون حراكاً لكنّهم كانوا يعدّون في الخفية الدسائس لبطريرك القسطنطينيّة ليعدوهُ عن كرسيّه حتى اذا سنحت الفرصة جاهروا له بالعداوة

وقد شاء الله ان يمنح عبدهُ جزاء غيرته واعماله فاتاح له ان يكابد الشدائد في اتمام واجبات رتبته والذود عن حقوق الكنيسة لينال الطوبى التي وعد بها الربّ المضطهدين في سبيل البرّ (متى ٥ : ١١) فاجتمعت عليه كل قوى الجحيم وتحاملت عليه اعداؤهُ حتّى كادوا يسحقونهُ سحقًا وكان من جملة هولاء الاعداء بطاركة وساقفة. فجمعوا مجمعاً حكموا عليه ظلماً وعزلوهُ عن مقامه فلم يجد القديس له ملجأً غير الكنيسة الرومانيّة

لمّ الكنائس فرفع اليها دعواهُ لعلمهِ بان صاحب الكرسيّ الروماني هو امام الاحبار لهُ الحلُّ والعقد على الكنيسة كلها اذ هو نائب السيّد المسيح وخلف بطرس الرسول ليس حكمٌ فوق حكمهِ (١ . وكان الجالس على كرسي رومية حينئذ القديس اينوكنت الاوّل فلم يُخبِ مسعاهُ بل اخذ للوقت بناصر يوحنا وابطل اعمال المجمع المعقود ضدَّهُ على خلاف القوانين وامر باعادة القديس الى مقامهِ وكتب في ذلك الى الامبراطور اركاديوس يتهدَّدهُ بالحرم ان لم يفعل ولا ريب انهُ كان فاز برغبتهِ لولا وفاة يوحنا

وكان القديس بعد حكم المجمع القسطنطينيّ أبعد مرَّة أولى عن كرسيهِ الّا انَّهُ حدثت عند ابتعادهِ آيات وحلت على اعدائهِ مصائب لم يروا النجاة منها الّا باعادة يوحنا الى كرسيهِ مكرَّماً مبجلاً

لكنَّ سخيمة الاشرار لا تُسَلّ من قلوبهم حتى يُهلكوا عدوَّهم ويبرّدوا بموتهِ غليلهم فانَّ اعداء يوحنا رصدوا لهُ الشرّ وما لبثوا ان وجدوا في صدق لهجتهِ وفي تأهُّب غيرتهِ لرفع لواء الدين داعياً جديداً لمعاكستهِ فتواثبوا عليه كالذئاب الخاطفة على الحمل الوديع وتمكَّنوا ثانية من نفيهِ فنُفي سنة ٤٠٤ الى جهات القبادوق ثمّ أُقصي الى بلاد سحيقة فقاسى من الآلام امرَّها ومن الاوجاع اشدَّها واحرَّها وهو مع ذلك يُبدي من الثبات والبسالة ما جعلهُ اشبه براعي الرعاة الذي بذل حياتهُ دون خرافهِ

وكانت خاتمة تلك الحياة الصالحة انَّ القديس مات في مدينة كومانة بعد ان قرَّاه الله في آخرتهِ برؤيا الشهيد باسيليكس الذي بشَّرهُ بالنصر القريب . فانتقل الى دار البقاء في ١٤ ايلول سنة ٤٠٧ . وكانت وفاتهُ بمثابة حبَّة الحنطة التي قال عنها الربّ انها اذا سقطت في الارض وماتت اتت بثمر كثير . فكذلك موت يوحنا الذهبيّ الفم كان كفوز باهر فانَّ اهل كومانة والبلاد المجاورة الذين كان القديس انارهم بنور الحقّ قبل وفاتهِ اقاموا لهُ مأتماً حافلاً وجعلوا يكرّمون قبرهُ إكرامهم لاعظم اولياء الله ثم انتشر خبر موتهِ في المملكة فكان لهذا الخبر رنَّة اسف شقَّت لها القلوب وما لبثت براءة القديس ان اشتهرت في اعين جميع معاصريهِ فزكَّاهُ الكرسي الرسولي تزكيةً تامَّة وحرم الذين كانوا سبب وفاتهِ مهما كانت رتبتهم بل اقرّ اعداء القديس انفسهم

١) راجع في المشرق (٥ : ٧٦ ; ١٢٢) مقالة حضرة الاب اميل ريتر اليسوعي التي هواها : القديس يوحنا فم الذهب ورئاسة بطرس وخلفائهِ على الكنيسة الجامعة

بمعاملتهم السيئة ليوحنا فباؤا بإثمهم وكفّروا عن ذنبهم الّا البعض منهم الذين ماتوا موتًا وحيًا وعُوقبوا بعقاب اليم . ثم نُقل جسم القديس من قبره في كومانة الى القسطنطينيّة بمظاهر جليلة تقاطرت اليها كل سكّان تلك الاصقاع . ثم نُقلت هذه الذخائر الثمينة بعد ردحة من الدهر الى رومية العظمى فجُعلت في كنيسة القديسين بطرس وبولس الفاتيكانيّة بجانب ضريحهما دلالةً على وحدة الشرق والغرب في الايمان والرجاء . وكان يوحنا اعظم ساعٍ لهذه الوحدة فلم يشأ الله ان يفرقهُ في مماتهِ عن هامتي الرُّسل ليكون ضريحهُ ضامنًا اكيدًا لرجوع الخراف الضالّة الى حظيرة المسيح فتصير الرعيّة واحدة كما الراعي هو واحد

حفلة عرس

في عشائر الشركس (١

عرَّبها بتصرُّف الاديب امين افندي مشحور استاذ الفصاحة في كليَّة القديس يوسف

حدَّث احد المرسلين الكاثوليك قال : بعث اليَّ يومًا وانا في طرقات شيخ احدى عشائر الشركس الضاربة في الضواحي يدعوني لحضور حفلة زواج اخيه . وكانت تربطني واياه روابط الصداقة الحميمة والحب المتبادل . فكرهت ان ارفض دعوتهُ واهمَّتني نفسي لما انا عليهِ من الانقطاع عن العالم فتذكرت ما قالهُ احد مشاهير الكتبة : « لا بد للمرسل في تلك الاصقاع من التحبُّب الى العشائر واكتساب مودَّتها ليتمكن من عمل الخير بينها »

فتذمَّمت وركبت وركب اخ لي في الرهبنة له المام بالطبّ وسرنا في ليلة مقمرة الى عشيرة العروس حيث تبتدئ الافراح وبيننا وبينها مسيرة ست ساعات . وكان فصل الخريف قد بدت تباشيرهُ فحسنا بقشعريرة البرد ثم ثارت ريح صرصر فالتحفنا بالفراء واخذنا نتغنى في جوف الليل ونتمتَّع على ضوء القمر برأى جبالٍ تمتد في سفحها غابات صنوبر علت رؤوسها صفرة الخريف بينما كانت افراسنا تلتهم المفاوز تحت قمقمة سياطنا وتنشب سنابكها في الصخور وتصهل فتردّد الاصداء صهيلها

---

(١) اختصرنا هذه النبذة عن مجلّة المباحث

A. Poidebard : *Une noce tcherkesse*, Etudes, 1907, 20 Novembre.

ولم تكن هذه اول اسفارنا في تلك البقعة وبمثل هذه الساعة فكم طفناها على ظهور الجياد نعود مرضى الشركس وجرحاهم . وهم قوم تعوّدوا الحرب دأبهم شنّ الغارات وركوب الضوامر واللعب عليها . هاجروا موطنهم القفقاس على اثر حروبهم المتواصلة مع اهل بلادها فأحلّتهم الدولة العليّة في بر الاناضول فاقاموا بها محافظين على كل عوائدهم وابسنهم ولغتهم يتمشون لهوينا بين مجاوريهم ويدهم على مقبض خناجرهم المحلّاة بالفضة والذهب متمنطقين بالمسدسات وعلى رؤوسهم قلنسوات من الصوف الاسود وعلى جباههم تلوح سمة البسالة والنبل امّا شيخ تلك العشيرة فهو شاب في مقتبل العمر نزيه شريف حاف وقومهُ الّا يبرح صديقًا للمرسلين الكاثوليك رغمًا عن اختلاف الجنسيّة لما لقي من تفانيهم وصدق حبهم . فلم اشأ بردّي لدعوة القوم تنغيص فرحهم سيما وانهم يعدون حضورنا زيادة شرف للعشيرة كلها

ولما بدت طلائع الفجر اشرفنا على القرية واذا هي غارقة في سكون تام . ولم نرَ الّا بعض نساء خرجنَ يستقين فتنحينا الى جانب القرية وطرقنا بيتًا منفردًا لنكون بمعزل عن حلبة الافراح نراقب الحفلة ولا نكون منها فاتزلنا رب البيت على الرحب والسعة . ولا شيء عندهم ارفع من الضيافة واخبرني انّ صديقي اغا العريس أتى منذ ثلاثة ايام مع ثلاثين من فرسان عشيرته ليسيروا في موكب العروس ويقيموا الالعاب والافراح المعتادة .

وما عتمت القرية ان انبعثت من رقادها ودبّت الحركة والحياة بها فاخذت الات الطرب تعزف على ايقاع واحد ونغمة بسيطة يقاطعها بعد طلقات بارود وتصفيق وتهليل

ولما ذاع خبر وصولنا تقاطرت الينا المرضى والجرحى زرافات زرافات فابتدأنا بهم عملًا بالواجب . ثمّ استدعيت صديقًا لي قديمًا اسمهُ اسمعيل اغا فاسررتُ اليه : اني اتيت بوسادة مطرّزة وببندقيّة للصيد بصفة الهدية فتهلّل فرحًا وقال : احسنت كل الاحسان فتلك عادة رؤساء العشائر ان تحمل هدية دلالة على رضاها وهم يحلّونها محلّ الاعتبار . فقر رأي الرؤساء على اقامة سباق خيل تعطى الوسادة للسابق . اما البندقيّة فتهدى الى العريس

وما كان الّا هنيهة حتى انتشر خبر الهدية وكان القوم مجتمعين في الساحة يلعبون

بالسؤال على ابي العروس ليزوّج ابنتهُ شيخهم وهو يتظاهر بالرفض واذا باسمعيل قد طلع عليهم فصاح : سماع يا قوم اتانا حضرة الاب بهديّة سنيّة . فاكبروها وتقدّم عميدهم الى الوسط ورمى بقلنسوتهِ الى الجو علامة طربهِ وانقطع لهذا النبأ مجادلات القوم واذعن ابو العروس للطلب

*

وعند اصيل النهار ابتدأت الالعاب فعلونا شرفة دار تطلّ على الحلبة ومكثنا ساعتين نتمتع بمناظر ومشاهد والعاب تحير العقول خفّةً ولباقة وظرفاً . وكانت منازل القرية متفرقة تمتدّ في سفح جبل عال وامامها سهول واسعة تنتهي الى نهر هو بمثابة حاجز طبيعي لتقص عليهِ الفرسان في السباق

فامتطى للحال عشرون من الشبّان صهوات خيولهم وتقدّمهم فارس بيدهِ علم فلكز جواده وسار كالبرق الخاطف وتبعهُ الفرسان حتى وصلوا الى اكمة تشرف على النهر فانحدروا والحصى تتطاير وتتدحرج وسنابك الخيل ترتق حتى خلنا انهم ساقطون في النهر ورجف لمنظرهم القلب فلم نرَ الّا وقد صعدوا على الضفة المقابلة وعادوا الى الملاحقة والسباق

ثم عقب ذلك العاب فكان الفارس منهم يتمسك بالسرج باليد الواحدة وينقلب فيغير بفرسهِ ورأسهِ مرتفع فويق الارض ورجلاهُ في الهواء وكان الاخر يسير شوطاً بعيداً على جناح السرعة وهو منتصب على ظهر فرسهِ او يضع رجلاً في الركاب ويلوي الاخرى خارجاً ويجري كانهُ جالس على مقعد في الارض لا يهتز ولا يضطرب . ورأينا من لباقتهم ورشاقتهم عجباً فانهم كانوا يمرّون مرور السهم على متون جيادهم فاذا بهم قد انحنوا الى الارض وتلقّفوا بيضاً وُضع على الحضيض ومنهم من كان يُطير البيض شعاعاً برصاصة من مسدساتهم . ونظرت شابين ركضا حتى تحاذيا فحاول الواحد اقتلاع الاخر من سرجهِ واذ لم يفلح تأخر عنهُ فقبض على ذنب حصانهِ عند اصلهِ حتى تمكّن منهُ فقفزه بشدّة ومهارة عجيبة فلوى الحصان والفارس معاً وقذف بهما الى مسافة بضعة امتار الى الوراء رغماً عن سرعتهما

ولما تعب الفرسان خلّفهم الاولاد فركبوا الخيل ودفعوها في الميدان يتسابقون ويلوون اعنتها بخفّة كيفما شاؤوا وارجلهم خارج الركابات لقصرها . وكان بجانبي أحد المشايخ

فابديت لهُ تعجبي فقال: عند ما يبلغ الصبي الرشد عندنا نُركبه فرساً جموحاً فيتشبث بهِ والفرس يطفر ويقفز ويركض محاولاً طرح الفتى عن ظهرهِ. ونداوم على ذلك مدةً. وبين الف صبي لا يُقتل اثنان فلا يبلغ الفتى العاشرة الّا وهو فارس خيّال

وعند المساء اجتمع المدعوون واصطفّوا على شبه دائرة وابتدأت حفلة الرقص. فوقف الشبان من جهة والفتيات من جهة مرتديات بثياب ضافية مطرقات الى الارض ادباً فاشار متقدّم الحفلة الى فتاة فضربت على القيثارة لحناً شركسياً شجياً ثم تقدمت اخرى الى الوسط واخذت تتنقّل في الساحة كانها لا تطأ الثرى وجسمها منتصب لا يهتز وهي تأتي بحركات لطيفة ادبية بذراعيها فقط فدارت حول القوم. والرقص عندهم ان تسير الفتاة بلا اضطراب ولا انزعاج « كما يسيل الماء » وعيناها مطرقتان الى الارض لا ترفعهما ابداً. امّا الفتى فيرفع الرأس بانفة وحميـة ويحرك الذراع الواحدة ويسند الاخرى تارةً على مقبض خنجره وطوراً على خاصرته. فيتتابع الراقصـان ويمشيان القهقرى ويقتربان دون ان يمسّا بعضهما بعضاً. ثم فينضمّ اليهما زوج آخر يفعل فعلهما

وبينما الموسيقى تتابع نغماتها الشجية الرخيـة على ايقاع التصفيق وحركات الراقصين سُمع بغتةً طلق ناري دوى لهُ البيت وتبعهُ تهليل وصيحات. فنظرنا واذا برئيس الحفلة انتهز فرصة مرور احدى الراقصات امامه فاطلق رصاصة امام وجههـا. وهي عادة عندهم وربّما اطلقها بين ارجلها فلا تضطرب الفتاة ولا ترفع الحاظهـا ولا تحرّك جفونها وقد أُخبرت انّ فتاةً جُرحت يوماً في رجلها بلا تعمد فصبرت على الالم وكملت الرقص حتى سال الدم ورآهُ الحاضرون فاثنوا على جلدها واحتملوها خارجاً. وهكذا تتعود النساء مرأى الدماء ومعاناة الشدائد والحرب فيصبحنَ وهنَّ اشد بأساً من الرجال

ولمّا انفرط عقد المجلس وارفضّ الجمع المحتشد آب كلٌّ الى مضجعهِ ونام والاحلام والاشباح تتزاحم في مخيلتهِ

*

اصطبحنا في الغداة نداوي الجرحى والمرضى مـدة بضع ساعات حتى كان الظهر فأُخبرنا ان الموكب اوشك ان يسير لمرافقة العروس فصعدنا على الشرفة المعهودة فرأينا عجلتها عند باب البيت يزينها وشاح ابيض مزركش وحولهـا كوكبة من الفرسان يتحدّثون بجلبة على متون جيادهم. فخرجت العروس وركبت مع رفيقاتهـا العجلة

فسارت بهنّ على نغم الموسيقى ثم عادت ثلاثاً امام باب الدار لتودّع الفتاة مرّة اخيرة بيت ابيها. ثم اخذت الخيل تتابع الجادّة رويداً رويداً فما قطعت شوطاً قصيراً حتى برز لمامها رهط من رجال عشيرتها متلحين بقضبان طوال فانصبّوا على الموكب يضربونهُ قاصدين ايقافه ومنع هجة العروس من المرور فاندفعت واندفع الفرسان تحت الضرب وقد احنوا ظهورهم حتى جاوزوا القوم ثم توقفوا عند مدخل القرية وصاح اهل العشيرة: لن تمرّوا ان لم تكسروا البيض الموضوع على الارض. فاطلق فرسان عشيرة العريس لخيلهم الاعنة وصوّبوا مسدساتهم الى البيض فاطاروها في الهواء

وطلع بعدها الموكب الى السهل وامتدّ في انحائهِ ترفُّ فوقهُ اجنحة السرور والبهجة. والعادة عندهم ان يثأر اهل العروس ممن يأخذونها وذلك بسلبهم قلنسواتهم فكنت تراهم يتتابعون ويتسابقون في الميدان لاختطافها ونظرت فارساً لستلب قلنسوة بعضهم فطاردته اربعة من الفرسان فدار حول القرية واخذ يجوب تلك الوهاد والاكام تارةً يصعد واخرى ينحدر والجنادل تتطاير تحت سنابك جيادهم. ولم تكن ساعة حتى ادركه فارس واوشك ان يقتامه من السرج فاذا بهِ قد انقلب وحصانه على الحضيض فصفّق الجميع استحساناً وهلّلوا للغالب. امّا المغلوب فقفز بخفة واستوى على ظهر حصانه دون ان يصاب بأذى. فركبنا عندئذٍ نحن ايضاً وسرنا بمعزل عن الموكب نراقب كل ما يجري ولا نشارك القوم وبعد ساعة اراد اهل العروس الرجوع الى قريتهم فطلبوا من قبيلة العريس ناقة اخرى فاخذوا منديل العروس ولفّوه ووضعوه على الارض فركض فارس واطلق رصاصتين فخرق المنديل بحذق فصاح الكل: عافاك الله وترجّلوا فتودعوا وتصافحوا وعاد فرسان العروس الى منازلهم

بعد الفراق سكنت الضجة وخفّت الالعاب والحركات فتقدمت العجلة الموكبَ وانضم شمل الفرسان فاتيناهم وسرنا بينهم نتحدّث بهدوء وسكينة وكنّا قد اشرفنا على قمة الجبل الفاصل بين العشيرتين فرأينا الاولى اوشكت ان تغيب تحت جناح العتمة والثانية انفرجت من بين الادغال كلما اقتربنا منها بانت لنا بيوتها المتفرقة كانها قطع حجارة مشكوكة بين الخضرة والاشجار ودوى في الجبال صوت طلقات البارود وسمعنا آخر غوغاء التهليل من بعيد ولم يعد لنا سوى ان ننحدر من قمة الجبل الى سفحه لنحلّ في نادي العريس. وكانت الشمس قد مالت للمغيب فاصفرّت رؤوس الاحراج وامست

قطع الغمام الشاردة في كبد السماء تخططها خطوط حمراء كمدة اللون ولم يُسمع الآخر ماء يجري هناك على تغم واحد يقاطعهُ وقع حوافر الخيل وصهيلها. حينئذٍ طرق اذاننا غناء رخيم شجيّ شقّ الصدور وارتفع في اول ظلمة الليل فشنّف برقّته المسامع وقد جاشت بقلوب هؤلاء الفرسان التذكارات ومرّ بخاطرهم ايامهم السالفة في القفقاس مسقط رأسهم فحيّوها من بعيد

ايا ربوع الوطن ايا ربوع الوطن

ليس حياة وهنا ليس سرور هنا
تبكي دماً أعيننا على ربوع الوطن

وعندما حطّ الموكب عند مدخل القرية استقبلهُ احد المشايخ وطلب من الفرسان نافذة لادخال العروس في عشيرتها الجديدة. واضطروهم ايضاً الى ان يكسروا بيضاً موضوعاً على الحضيض بالرصاص. ثم اطلقوا اعنّة الخيل حتى ادركوا بيت العريس وعليهِ اعلام الزينة تخفق فخرجت اليهم ام العريس وقالت: لمَ اتيتم وما تريدون منّا فلا حاجة لنا بكم. ثم أغلقت الباب فاندفع ستة فرسان وأوثبوا خيلهم فوق صوان الدار فاحتلّوا صحنها وسُمع من داخل طلقات رصاص متتابعة وصراخ. حينئذٍ رأينا رئيس الحفلة ركب قربوس حصانه واسرع الى الباب فنطحهُ جوادهُ براسهِ ففتحهُ ودخل فصاحت بهِ الأم ثانية ما تريد منا فاجاب: اتيناكِ بعروس لابنك. فقالت: لا بأس. انما لا اقبلها ان لم يؤدِّ ابني البكر عن اخيهِ العريس اجازة المرور ثم عادت هي واهل بيتها فصفّت على الحضيض امام الدار بيضاً يكسرهُ الداخلون باطلاق الرصاص

لكنّ جواد مقدّم العشيرة ابى ان يطاوع صاحبه تعباً ووهناً فلم يتمكّن الامير من كسر البيض ضرباً بالرصاص الّا بعد شق النفس. حينئذٍ سلّمت ام العريس لرئيس الحفلة قضيباً لفّت عليهِ القدد الجميلة. واخذت ترمي الى القوم ملبساً وحلويات تشير الى رضاها بالعروس الجديدة في بيتها

فترجل الجميع ودخلوا البيت وابتدأوا بالرقص ثانية توقعهُ الآت الطرب وتصفيق الايدي وغناء لحن شجي رقيق يرددون بهِ حيناً بعد حين لازمةً عن لسان الفتاة تدعى «شكوى العروس»

يا والدتي يا اخوتي قد سرتُ نحو الغربة

يا ما امرّ وحشتي من بعدكم احبتي

كم حملٍ ونعجةٍ عند ابي للسرقةِ
فيا قساة المهجةِ خلّوا سبيل الابنةِ

اصبو الى عشيرتي ومنزلي وروضتي
اصبو الى والدتي ووالدي واخوتي

هذا وقد وفدت سكان القرى المجاورة للعرس فكنت ترى بين الشركس قوماً من الروم والتركمان كل بلبسهِ وزيهِ المختصّ بهِ . فحضرنا الى قاعة الاستقبال فسلّمنا على القوم ثم تركناهم وعدنا الى غرفة منفردة اعدّها لنا رئيس العرس في طرف الرواق تلطّفاً بنا واحتراماً لعوائدنا وآدابنا . وللغرفة باب يؤدي الى الجنينة نخرج اليها كلما شئنا . وكان على الباب عبدٌ شاكي السلاح لا يُدخل علينا الّا الاخصّاء من الاصحاب والاصدقاء وقد هرعوا للسلام علينا والترحيب بنا متذكرين ما بذلناه ولم نزل نبذله في سبيلهم من التفاني وهم يعدّون حضورنا بين ظهرانيهم في تلك الظروف شرفاً لهم . فكنت تراهم يفدون وحداناً وزرافات ووجوههم باسمة ولسان حالهم يقول : نحن غرباء ههنا ولا احد يفتكر بنا ويحترم عوائدنا الّا انتم . اجل فان بين الشركس وبين جيرانهم تفاوتاً في العادات والأزياء والافكار واللغة وخصوصاً في الآداب وهو امر معجب . فاننا في مدة الحفلات لم نسمع كلمة ولم نرَ حركة تخدش جبين العذراء او تأنف منها الخدّرات

ولمّا ارخى الليل جلابيبه الحالكة اوينا الى فراشنا ونحن نسمع مدة بعد اخرى نشيد الشركس الوطني خارجاً من قاعة الرقص يتغلغل بين اشجار الجنينة . فكأن بهِ ارواح ابناء القفقاس ترفّ تحت جناح الظلام وترتفع الى النجوم المتلألئة في كبد السماء

اللازمة

ايا ربوع الوطنِ انتِ اعزّ مسكنِ
نفديكِ بالارواح حبّاً يا ربوع الوطنِ

ليس حياة ومنّا ليس سرور ههنا
نبكي دماً اعيننا على ربوع الوطنِ

تقول ابناء الحمى لمَ ارتحلتم ولمَا
لم تهرقوا دوني الدما عند ورود المحنِ

انتم اعفّاء البنينْ حملكم حملَ الجنينْ
ربيتكم طول السنينْ ارضعتكم من لبني

حتى اذا صرتم رجالْ اشدّ من اسد الدحالْ
أركبتُكم متن الرحال وغبتُ عن اعيني

ألا اسمعوا صوت الجدودْ عظامهم وسط اللحودْ
تئن من هذا الصدودْ وتشتكي من حزني

هجرتموني للدهورْ يا قوم ما هذا الغرورْ
اجاز في شرع الضميرْ ان تكفروا بالمنن

ذنب ثقيل في الذنوبْ غمّتهُ كل الشعوبْ
ومهجتي كادت تذوبْ فرحةً للوطنِ

يا وطنًا لم ننسكا يا وطنًا لم تنسكا
ارواحنا تبقى لكا وجسمنا للكفنِ

*

ولما كان صبح اليوم الثاني اخذنا اهبة السفر لمبارحة العشيرة لعدم امكاننا حضور كل الحفلات التي تقام مدة اسبوع كامل فاستدعينا اسمعيل وطلبنا اليهِ ان يحمل هديتنا الى العريس ويبلغهُ دعاءنا لهُ بالرفاء والبنين. والتمستُ من صديقي الامير ان يتلطف بالسلام على السيدة والدتهِ فاتت ربّة البيت بنفسها الينا وجلست تحدثنا ساعة ثمَّ قالت: كيف اعبّر لكما عما شعاني من السرور لمَّا أنبئتُ انكما غادرتما الليل منزلكما لتحضرا حفلاتنا واعيادنا. اجل كنتُ اعدّكما منذ زمن كاعزّ اولادي فكان تلطفكما هذا مؤيدًا لحبي ولصدق نيتي وظنوني بكم. وكنت اود ان تحضرا حفلةً لا يحضرها الّا الاخصاء والاقرباء حفلة نشر جهاز العروس. ولكن لا بأس فسأقيم من ينوب عنكما

قالت ثمَّ مدّت يدها فصافحناها كعادة الافرنج وشكرنا لها لطفها وانسها واعدنا لها دعاءنا برفاهيتها وهناء العروسين واستأذنّا بالذهاب فشيعتنا وابنها وبعض الاصدقاء. ثمَّ امتطينا الجياد واشرنا اخر لشارة الوداع وسرنا

وبعد بضعة ايام اتى ديرنا احد الامراء يزهو بالملابس المزركشة شاكي السلاح التام متمنطق بالرصاص فاستدعاني قوانيتهُ في قاعة الاستقبال ورحبت بهِ فقال: دونك ايها الاب الجليل ما يهديكه العروسان من جملة ما اهدياه لاعضاء العائلة

فرأيت بعض قطع حيكت بالقصب وحمائل مسدَّس، ومحفظة للساعة مع قدّتها ثمّ كيساً للنقود من الجلد الاسود نقشت عليهِ العروس يدهـا تلطفاً صليباً احمر صغيرًا . فكان يودّي ان ارفض تلك الهدايا كما هو دأبنا لكني خفتُ ان اجرح حاسيات القوم فقبلتها شاكرًا للطف اصحابها

ولم ازل محافظاً على هذا الكيس كذخيرة ثمينة أودعت بها قلوب تلك العشيرة الشريفة كل ما تحتويه من اللطف والنبل والشهامة

اللغة العربية

في طور النشوء والتكوُّن (*

لحضرة الاب انستاس الكرملي

١ً تمهيد

قبل ان نخوض عباب هذا البحث الجليل يحسن بنا ان نعرف شيئين يتعلقان بهذا الموضوع وهما: معنى الطور ومعنى العصر

فالمراد بالطور هنا (وبالفرنسية période) مدَّة من الزمان يغلب فيهـا طوارئ غير طوارئ المدة التي تقدَّمتها . يعني انها المدَّة التي تختلف حالتها وهيئتها عن حالة وهيئة المدَّة التي سبقتها . واما العصر (وبالفرنساوي époque) فهو المدَّة او الدهر الذي يحدث فيهِ عدَّة طوارئ خفيفة الوطء او النتيجة بحيث لا تخرجهُ عن حالتهِ الاصليَّة . فاذا عرفنا ذلك نقول :

تُقسم اللغة العربيَّة الى اربعة أطوار والى اربعة أعصر فاما الاطوار فهي :

(١ً طور النُّشوء والتكوُّن) وهو الطور الذي نشأت فيه اللغـة العربيَّة مع اخواتها الساميَّات في اصل وضعهـا من عُنصُر ثنائيّ الحروف ثمَّ تدرَّج شيئاً فشيئاً فصار ثلاثيًّا ثمَّ رباعيًّا الخ

(٢ً طور النُّشوّ والتلوُّن) وهو طور تباين اللغات واللهجات وتفرُّعها وتفرُّقها

(*) ننشر هذه المقالة كما ارسلها حضرة كاتبها دون ان نبدي فيها رأينا تاركين العهدة فيها لصاحبها الفاضل (المشرق)

وتشتتها وتعدُّدها في الديار العربيَّة. وفي هذا الطور فشا القلب والابدال وان كانا قد نشأا سابقًا الَّا انهما في هذا الطور بانا كل البيان وعمَّا قبائل العرب فاصبحا فيهم من خصائص لغتهم. ثم ظهر النحت الرباعي وفي ما فوقهُ. كما ظهر ايضاً الجمع المكسَّر ولم يكن لهُ وجود في الطور الاول. وهو ايضاً الطور الذي كان فيهِ اقوام الاعراب على ثلاثة اوجهٍ من الاعراب «كل وجهٍ في قبيلةٍ دون أُخرى» ثمَّ حدث فيهِ تغيُّر الحروف وتبدُّلها بعضها من بعض وكثرت انواع الحركات في صدر الكلمة وحشوها

(٣ً طور الانضمام والتجمُّع) وهو طور عهد الجاهليَّة يعني الطور الذي لم يكن فيهِ في بلاد العرب وقبائلها الَّا ستّ لغاتٍ عظمى ترجع اليها سائر لغات ولهجات الديار العربيَّة كلها لكونها فروعاً لها. وتلك اللغات العظمى هي: المُنْتَد والزَّبور والزَّرْقة والحَوِيل والرَّشْق والمُبين أو الفصيح. واتَّخذت فيهِ اوجه الاعراب قاعدة مطَّردةً يجري عليها المتكلمون ويتبع جادَّتها الكلّ أجمعون يعني انهم اتخذوا الضمّ للرفع والفتح للنصب والكسر للخفض والجرّ

(٤ً طور الاسلام والتفرُّع) وهو الطور الذي ظهر فيهِ الاسلام والقرآن فاخذت سائر اللغات بالزوال والاضمحلال وعمَّت فيهِ لغة المبين او الفصيح ونشأت فيهِ اصطلاحات وعبارات وكلمات كانت مجهولة في سابق الاطوار والعصور وهذا الطور يُقسم الى اربعة أعصر وهي:

أ. عصر الخلفاء الراشدين والامويين

ب. عصر العبَّاسيين المهذَّبين

ج. عصر الانحطاط والانحلال

د. عصر النشور والاقبال. وهو عصر النهضة والتجدُّد والإبلال اي عصرنا في زمان الحال

٣ً طور النشوء والتكوّن

ونحن لا نتعرّض هنا الَّا للطور الاول وهو الطور المعروف ايضاً «بعهد ظلمات اللغة» لخفاء اغلب احوالها علينا. هذا ونحن لا نطرق هنا باب بحثٍ مجهول وانما نطرق الباب على طريقة مفصلة تفصيلًا واضحاً جليًّا مستشهدين بكلام الائمة من لغويي العرب

فاذ وثرنا كل ذلك نقول: اول ما نشأ من اللغة صوتٌ ثنائي الحرف ساكن الآخر واغلب مجيء الحرفين صحيحان. وان جاء الثاني عليلًا في بعض الاحايين. وهذا الصوت ليس شيئاً آخر سوى حكاية صوت طبيعي كصراخ وجداني او كهبوب الريح وجريان الماء واصوات الحيوانات الى غير ذلك مما لا يُحصى عدًا. وقد تنبَّه لهذا الامر لغويو العرب في قديم الزمان. فقد جاء في لسان العرب ما هذا نصهُ الجزيل الفوائد والعوائد قال:

«عاجِ عاجِ زجرٌ للناقة. ينوَّن على التنكير ويكسر غير منوَّنٍ على التعريف. قال الازهري: يقال للناقة في الزجر: «عاجِ» بلا تنوين. فان شئت جزمت على توهُّم الوقوف. يُقال: عَجْعَجْتُ بالناقة: اذا قلت لها: «عاجِ عاجِ» قال ابو عُبيد: ويقال للناقة: «عاجِ وجاهِ» بالتنوين. قال الشاعر:

كافيَّ لم ازجُر بعاجٍ نجيبةً ولم ألقَ من شحطٍ خليلًا مصافيا

قال الازهري: قال ابو الهيثم فيما قرأت بخطهِ: «كل صوتٍ تُزجر بهِ الابل فانهُ يخرج مجزوماً [ثنائي الحرف وقد تُمدّ الحركة الاولى لاطالة الصوت فتجعل حرفًا من جنسها] الّا ان يقع [الاخر] في قافيةٍ فيحرك الى الخفض» تقول في زجر البعير: «حَلْ» «حَوْبْ». وفي زجر السبع «هَجْ هَجْ» و«جهْ جهْ» [ويقال بالمدّ] «جاهْ جاهْ» قال: فاذا حكيتَ ذلك قلت للبعير «حوبْ» او «حَوبِ» وقلت للناقة «حَلْ» او «حلِ». وانشد:

اقولُ للناقة قولي للجملْ اقول حوبِ ثم اثنيها بحَلْ

فخفض «حَوْبْ» ونوَّنهُ عند الحاجة الى تنوينهِ. وقال آخر:

قلت لها حَلِ فلم تحلحلِ

وقال آخر: وجملٍ قلتُ لهُ جاهِ جاهْ يا ويلهُ من جملٍ ما اشقاهْ

وقال آخر: سفرتْ فقلتُ لها هج فتبرقعتْ. اه نقلهُ

فيتضح من هذا الكلام الفوائد الاتية:

١ً اول ما وُضع من اللغة كان حكاية الصوت ثنائي الحرف ساكن الاخر وقد يُمدّ لاطالة الصوت فيقال في «عجْ» «عاجِ» وفي «جهْ» «جاه» الخ. وان لم تحكَ جميع اللغات الّا انها تؤخذ من القرائن والقياس . . . .

٢ً ينوَّن الآخر على التنكير. او لكي يسمع الحرف الاخير ولا يخلط بحرف آخر من مخرجهِ او من مخرج قريب منهُ

٣ً قد يُكسر الاخير غير منون على التعريف

واما الشواهد في هذا الصدد فكثيرة في كلام اللغويين وقد اجتزأنا بما تقدَّم

ذكرهُ لان هذا المقام ليس مقام تطويل واطناب بل موطن تذكير وتنبيه لا غير (١

وقد يكون الصوت الذي حكاهُ العرب مثلًا عن الطبيعة لا يوافق ما حكاهُ غيرهم من اصحاب الالسنة وهذا هو موطن الخلاف وسبب تشعُّب اللغات وتفرُّع اللهجات (٢ . فان العرب توهَّموا في القطع مثلًا حكاية « قطْ » ثم زادوا العين زيادة لما

(١ ولا باس من ان نذكر شواهد اخرى في الحاشية . قال ابن فارس في المقاييس في هذا التركيب (مادة د ل ك) : « انَّ لله في كل شيء سرًّا ولطيفةً . وقد تاملت هذا الباب يعني باب الدال مع اللام (وهو ثنائي على ما ترى) من اوله الى آخره فلا تُرى الدال مؤتلفةً مع اللام الّا وهي تدلُّ على حركة ومجيء وذهاب وزوال من مكان الى مكان »

وقال صاحب التاج في مادة (درأ) « والتركيب يدلّ على دفع الشيء . وقال في مادة (م ل ك) : « اعلم ان تقاليب هذه المادة كلها مستعملة وهي م ل ك – و م ك ل – و ك م ل – وك ل م – ول ك م – ول م ك – قال الامام فخر الدين : تقاليبها الستة تُفيد القوة والشدَّة . خمسةٌ منها معتبرة وواحد ضائع يعني ل م ك . قال المصنف في البصائر : وهذا غريب منهُ لان المادة الضائعة عندهُ معتبرة معروفة عند اهل اللغة . ثمَّ ساق النقل عن العباب ما قيل في اللمك قال : فإذن الستةُ مستعملة معطية معنى القوة والشدَّة »

وقال في مادة ن ف د « نقل شيخنا عن الزمخشري في الكشاف انه لو استقرى احدٌ الالفاظ التي فاؤها نون . وعينها فاء لوجدها دالةً على معنى الذهاب والخروج » . وقالهُ غيرهُ

وفي العباب : « العين والراء والضاد تكثر فروعها . وهي مع كثرتها ترجع الى اصل واحد وهو العرض الذي يخالف الطول ومن حقَّق النَّظر ودقَّقهُ علم صحة ذلك »

وممن صدع بهِ البيضاوي في تفسيرهِ المشهور ونصَّ عليهِ في غير موضع من كتابهِ من ذلك ما ذكرهُ عند قولهِ : « ومما رزقناهم ينفقون » قال : وانفق الشيء وانفدهُ اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤهُ نون وعينهُ فاء دالًا على معنى الذهاب والخروج (وهو يوافق كلام الزمخشري ايضًا كما مرَّ بك فوبق هذا) وقال يُعيد ذلك عند قولهِ : « واولئك هم المفلحون » والمفلح بالحاء [والمفلج] بالجيم : الفائز بالمطلوب كانهُ الذي انفتحت لهُ وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركهُ في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفل يدل على الشق والفتح »

قال الشيخ ابراهيم البازجي في هذا الصدد : واليهِ يشير صنع الفيُّومي في المصباح ومن جرى على اصطلاحهِ من اصحاب كُتُب اللغة فانهُ يقول في عنوان كل باب : الالف والباء مثلًا وما يثلثهما . الالف والتاء وما يثلثهما . وهلمَّ جرًّا وعليهِ درج الاعاجم فيما جمعوهُ من كُتُب اللغة كفريتغ ومن حذا حذوهُ فاضم اول ما يبدأون المادة بالمضاعف ثم يأتون على عقبهِ بالثلاثي وما فوقه خلافًا لمن ادَّعى انهُ ابتكر ذلك في أُخريات هذه الايام . » اه وبهِ الكفاية

(٢ عدم اتفاق اصحاب اللغة على محاكاة الفاظهم واصواتهم لما في الطبيعة من الاصوات حاصل من عدم وجود مثل تلك الاصوات في اعضائهم الصوتية بخلاف الاصوات الوجدانية كالهتاف

فائدة نأتي على ذكرها في محلها فقالوا « قطع » . وكذلك توهّم الصكصونيون فقالوا «cut» واما الفرنسيس فقالوا casser والاصل « كَسّ cas » والعرب خصّوها بالكسر . وعلى هذه الصورة يُرى الاختلاف بين لغاتٍ ولغاتٍ حسب التوهّم والتخيل

واذا كان المعنى الذي يُراد لهُ وضع لفظ لا صوت لهُ فانّما انهم يتوهّمون لهُ حكايةً . واما انهم ينقلون لهُ حكاية صوت من الاشياء الخارجيّة فيعيرونها اياهُ . وقد تتّفق جميع اللغات في الوضع وقد لا تتفق . وربما اتفقوا في جنسية الحرف الّا انهم اختلفوا في ترتيبها

فما توهّموا فيهِ الحكاية واتفقوا في وضع حروفهِ كلمة « ضياء » (راجع ما كتبناهُ في المشرق ٣ : ٦٨١) وكلمة « قِطّ » بمعنى الهرّ . فتكاد جميع اللغات تتفق في تسميتهِ بهذه اللفظة « والقَبّ » بمعنى الراس او الرئيس وهو في سائر اللغات caput او يقرب منها . « والقدر » فهو بالفرنسيّة chaudron وبالانكليزية caldron وبالارمية ܩܒܘܪܐ . « وصرّ » بمعنى صرّ الصرّة وغيرها : شدّها والدراهم في الصرّة : وضعها . فيقاربها في اللاتينيّة serare ومنها الفرنسية serrer وامثال ذلك في اللغات كثيرة لا تخفى على الباحث

وربما اتفقوا في وضع جنسية حروفهِ واختلفوا في ترتيبها « كيس » فهو بالانكليزية sack وكذلك بالفرنسيّة sac وكذلك في سائر اللغات فالحروف الاصليّة فيها واحدة الّا انها متقاربة في الالسنة الغربية . ومن هذا القبيل « الورد » فهو باليونانيّة ومشتقاتها ῥόδον و « الارض » فهي بالانكليزية earth وباللاتينيّة terra والاصول واحدة . والراس وبالفارسيّة « سار » او « سرّ » ويراد بهِ الرئيس ايضاً ومنهُ sir بالانكليزيّة . ومن الافعال « لوى » الشيء ليًّا وباليونانيّة ἐπιδεῖν وبالفرنسيّة lier من اللاتينيّة ligare الى آخر ما هناك من الشواهد العديدة

وجميع هذه الالفاظ الثلاثيّة او ما يزيد عليها راجعة الى حرفين في الاصل ان في اللغة العربيّة وان في سائر اللغات الاجنبيّة والحرفان الاصليان هما كما قلناهُ حكاية صوت حقيقي او وهمي

والتعجب والحروف ونحوها فقد اتفقوا في وضعها الّا انهم اختلفوا عند ما ارادوا ان يشتقوا منها الفاظاً فرعيّة كالافعال مثلاً والاسماء

ولم تبقَ اللغة العربيّة واخواتها في هذه الحالة الحرجة بل تدرَّج المتكلمون الى مدّ الصوت اما في الحشو واما في الآخر: فكانوا يمدُّونهُ في الوسط وهو حشو الكلمة اوقلبها عندما كانوا يريدون تأييد اللفظ وطبع معناهُ في الفكر ولذلك تأنوا في النطق واللفظ ليحملوا السامع على ما في فكرهم وكانوا يمدُّونهُ في الآخر او في الطرف عند ما كانوا يريدون الاقتدة والتعبير لا التفكير او التدبير . وكانوا اذا ارادوا طبع الكلمة في القلب وختمها بخاتم البقاء والثبات وآخر عهد الفكر والسماع بها شدَّدوا النطق بها . فاجتمع من ذلك في اول العهد اللغويّ الاجوف والناقص والمضاعف بدون ان يسبق الواحد الاخر بل انهُ وُجدت ثلاثتهم في آنٍ واحد لغايات مختلفة من استلفات الفكر والافادة في التعبير واثبات المعنى في مقرّهِ من القلب (١

ولا بد من اننا نختار مثالاً يكون لنا بمنزلة قياس نقيس عليهِ سائر ما ورد من هذا الباب . فهذه المادة « ف س » او « ف ش » تدلّ على خروج الريح من محلّ محصور او دخول الريح في محل محصور ومن ثمَّ فمادة « فش » هي حكاية هذا الصوت فتفرَّع منهُ عدَّة فروع كلها ترجع في الاصل الى هذا المعنى او ما يضاهيهِ فقالوا:

(فاش) الرجلُ : افتخر وتكبَّر (كأنهُ امتلأ من الريح الكاذبة الوهميّة) ورأى منهُ ما ليس عندهُ . والفيشوشة : الضعف والرخاوة (كما يصيب الوطب اذا خلا من الريح الذي كانت تملأهُ) وعليهِ : فقد مدُّوا مادة ف ش فادخلوا بين الحرفين الالف للغاية التي ذكرناها . وقد قالوا أيضاً :

(فَشَا) خبرُهُ يفشو فُشُوًّا : اذا انتشر وذاع (كانتشار الريح من محصرها) وفشت امور الناس : افترقت . والماشية : سرحت . والفَواشي : ما انتشر من المال كالغنم السائمة والابل وغيرها . ومرجع المعنى واحد . وقالوا :

(فش) الوَطْبَ يفشُّهُ فشًّا : اخرج ما فيهِ من الريح يعني بدَّد ما كان فيه

١) المضاعف والاجوف والناقص في اللغات السامياّت الاخوات لا تتّفق دائمًا مع ما يقابلها لفظًا في العربية من جنس تلك الافعال في كون مضاعفها يقابل المضاعف العربي واجوفها يقابل الاجوف العربي وناقصها يقابل الناقص العربي . والامر وان كان كذلك في الغالب الّا انهُ قد يكون على الخلاف ايضاً فقد يكون الاصل الثاني في السامياّت مضاعفًا وفي العربية اجوف وقد يكون في تلك اجوف وفي لغتنا ناقصاً . وهكذا على التبادل مما يدلُّ على ان هذه الافعال كانت في منشإها ثنائية الاصل ثم تصرَّف بها كلّ قوم على لغتهِ ووضعهِ واصطلاحهِ حسب موطنهِ وميلهِ ومرباهُ

محصورًا) ويقال للغضبان : لأُفَشَّنَّكَ فشَّ الوطب . اي : لأُخرجنَّ غضبك من راسك بان أُبدّدهُ كل مبدَّد

فانك ترى مما تقدَّم الاجوف والناقص والمضاعف ناشئة من اصلٍ واحدٍ ومادةٍ تركيبيّة واحدة . وقد لا ترى الثلاثة مجموعة في مادةٍ واحدة فاماً ينقص عنها الاجوف او الناقص او المضاعف . او ان ينقص اثنان ويبقى واحد منها شاهدًا على ما اندثر او نُسي تدوينهُ في زمن التقييد

ولمَّا وقف الواضعون على هذا السرّ من الوضع سرّ زيادة الحرف على اصول الكلمة انتقلوا من وضع حروف المدّ الى حروف القصر وهي الحروف الصحيحة بمعنى ان كل حرف مقصور على معنى . فلنرجع الى مادة « فش » مثلًا فزادوا في اوله النون فقالوا :

(نفش) القطنَ ونحوهُ ينفُشهُ نَفشًا : شمَّتهُ بالاصابع حتى ينتشر . ونفشتِ الابل والغنم : رعت ليلًا بلا راعٍ فهي نافشة ونفّاش (وقد تقدَّم ان الفواشي من المال ما انتشر منهُ كالغنم السائمة والابل وغيرها) والمعنى متدانٍ متقارب متجاور . ثمَّ انهم اخذوا النون من الاول ووضعوها في الوسط وقالوا :

(فَنَشَ) في الامر تفنيشًا (ولم يُذكر مجرَّده وهو من المندثرات المنقرضات) استرخى . ولا يخلو الاسترخاء من انتشار في الاجزاء

ثمَّ زادوا على هذا الزائد عينًا فقالوا عَفَنْشَتْ لحيتهُ : ضخمت . وقالوا فيها ايضًا عَنْفَشَتْ . وقالوا : انهُ لعَفَنْش اللحية وعُفانِشها اي ضخمها وافرها . ومثلهُ : رجل عَنْفَشُ اللحية وعُنافشها وعَنفَشيشُها اي طويلها كثّها . وقالوا : الخِنْفِشُ حية عظيمة اذا حويتها انتفخ وريدها

واما تذييل مادة « فش » بالنون يعني قولهم « فشن » فلم يُسمع عنهم الّا انهم زادوا على مادة « فش » اللام في الآخر فقالوا :

اتانا فلان (مُفَشِّلًا) لحيتهُ . اي : نافشًا اياها ولاعبًا بها بيدهِ ثم تصرَّفوا بحروف الزيادة من تقديم وتأخير فقالوا : اتانا (مُنفَشلًا) اي (مُفَنْشيًا) والذي في العباب : اتانا (مُنفَشلًا) بلحيتهِ (ومُنفَشيًا) اي (منفشًا) فانظر حرسك الله هذا التفرُّع العجيب والتشعُّب الغريب ممَّا يُوقف الباحث على اسرار جمَّة من اسرار اللغة الغامضة

وقد سمَّينا زيادة الحرف على اول الكلمة « بالتربيج » ويُقابلهُ بالفرنسية

préfixe. وسمّينا زيادتهُ في الطرف او في الآخر « بالتذييل او التطريف » suffixe. وسمّينا زيادتهُ في الاول او في الآخر « بالزوائد القارّة » affixe و « الحشو » هو زيادتهُ « في الوسط »

والقول بان لا يوجد في الالفاظ الثلاثية العربيّة الّا « متوّجات » فقط دون « مذيّلات » خطأ كما ان القول بوجود « مذيّلات » فقط دون « متوّجات » او دون « حشو » وَهم ايضاً. والاصح ان في اللغة ألفاظاً فيها مذيّلات وكلماً فيها متوّجات ومفرداتٍ فيها حشوٌ. ولا اعتبار لما قالهُ بعض المحدثين من اللغويين ما يُخالف هذه الحقيقة الراهنة. ودونك الآن بعض الشواهد. فمثال التتويج:

مادة « د س » فهذا التركيب يدلّ على صوتٍ خفي يُسمع سمعاً دقيقاً كانهُ نفَسٌ يخرج من إطباق الاسنان بعضها على بعض. ومن ثم اتخذوهُ للدلالة على كل شيء فيهِ خفاء او معنى خفاء او ما يشابه الخفاء. كالستر والكتم الخ. فقالوا في اول الوضع: (دَسَّ) الشيء تحت التراب وغيرهِ دسّهُ فيهِ: ادخلهُ ودفنهُ تحتهُ واخفاهُ وزجّهُ

فتوّجوهُ بالجيم وقالوا: (الجادس) الدارس من الآثار (يعني الخفيّ منها الذي قد عفا اثرهُ او يكاد)

وتوّجوهُ بالحاء وقالوا: (حدّس فيهِ) ظنَّ وخمّن. وفي معاني الكلام والامور: توهّم. تقول: بلغني عن فلانٍ امرٌ وانا احدس فيهِ: اي اقولهُ بالظنّ والتوهّم. وتحدّس الاخبارَ: تخبّرها واراد ان يعلمها من حيث لا يُعلَمُ بهِ

وزادوا على المادّة الاصلية الراء فقالوا: (رَدَس بالشيء) ذهب بهِ [خفيةً]

(ومَدَس) مثل (حدّس) ولعلّ الواحد مبدل من الاخر وهو غير بعيد في العربيّة ومثل هذا الابدال كثير الوقوع

وقد تُبدل الدال من بعض الحروف التي تُجانسها مخرجاً فيزداد عدد الالفاظ المتقاربة معنًى من ذلك:

(المُتنطّس) وهو الذي يُدقّق النظر في الامور ويستقصي عملها. و (تنطّس) الاخبارَ: تجسّسها. (والناطِس) الجاسوس. الى آخر ما هناك من الالفاظ التي لا تُحصى مثل (نَدَس) و (حسَّ) و (وسوس) و . . . و . . .

ومن هذا القبيل مادة « زق » وما يقاربها مخرجاً فقالوا: حَزَق وحزك وخَزَق

وخَسَق وأزقَ بمعنى حزم تقريباً وجميع زياداتها ومتوجاتها وقعت في الراس او في الصدر على ما شاهدت

ومن شواهد الحَشيات مادة « ل م » فانهـا حكاية صوت الضرب او وقع شيء على شيء فقالوا: (لَتَمَ) اي ضرب. و (لَثَمَ) أنفَهُ: لكَمهُ. و (لَحَمَ) فلاناً: أضرَّ بهِ ونالهُ بمكروهٍ. و (لَخَمَ) بمعنى لطم. وكذلك (لَدَمَ) فهو بمعناهُ. و (لَكَمَ) فلاناً: ضربهُ باليد مجموعة الاصابع او نكزهُ او دفعهُ

ولمَّا كانت اللام والراء قريبتي المخرج قالوا: (رَتَمَ) فلانٌ الشيء: كسَرهُ او دقَّهُ او هو خاصٌّ بكسر الانف. ومثلهُ (رَثَمَ) انفهُ او فاهُ يرثمهُ: كسرهُ حتى تقطَّر منهُ الدم. و (رَجَمَ) فلانٌ فلاناً: قتَلَهُ ورماهُ بالحجارة. وهذا الاخير هو الاصل في معناهُ وباقي المعاني متفرعة منهُ. و (رَدَمَ) الباب: سدَّهُ كلَّهُ او ثلثهُ. و (رَسَمَتِ) الناقةُ: أثَّرت في الارض. و (رَسَمَ) كَتَبَ وخطَّ. وكذلك (رَشَمَ) و (رَضَمَ) الارض: اثارها للزرع ونحوهِ. و (رَطَمَ) بسلحهِ: رَمى بهِ. و (رَغَمَ) فـلان فلاناً: كرههُ وكسَرهُ وفعل شيئاً على رغمهِ. و (رَقَمَ): كَتَبَ. ولا يخلو من ضرب القلم على الكاغد. و (رَكَمَ) الشيء: جمَعهُ والقى بعضهُ على بعضٍ

وممَّا يُطَّرَدُ على هذا السياق مادة « م ج » فانها تدل على المزج والخلط. فقالوا: مَشَجَ ومَزَجَ ومَشَجَ ومَرَجَ. ومعاني الاربعـة ظاهرة. وقد جاء عن الخامس قولهم: مَرَجَ الامر: شوَّشهُ وضيَّعهُ وخلَّطهُ ولم يُحكمهُ. وليست هذه المادة موجودة في اللغات السامية فقط بل في اللغات الهندية الجرمانية والصقلبيَّة ايضاً. ثم ان تقارب الجيم من القاف والشين ولَّد الفاظاً مختلفة اللغات وممَّا يذكر في هـذا الصدد: مَاشَ ومَذَقَ ومَسَسَ الى آخر ما هناك

الَّا ان الغالب على الاصول العربيَّة وأمهـات الموادّ هو « التذليل او التطريف » والسبب ظاهر وهو لمَّا كان الحرفان الاولان وهما الاصل الثاني يُحاكي كل المحاكاة ما في الطبيعة من الاصوات كان التذليـل من اقل الزوائد القارَّة تأثيرًا على تغيير الاصول فزادوا الحرف المتطرف حفظاً على بقاء حكاية الصوت وإفادة السامع الحرف الاخير من الاصـل الثاني. ولهذا فالشواهد في هذا الموضوع كثيرة عديدة. من ذلك

مادة « ل ك » فانها تُفيد معنى وَقْع شيء على شيء آخر من صوتٍ بَيِّنٍ . ودونك شواهد فيُقال :

(لَكَّهُ) : ضربهُ بجُمْعهِ في قفاهُ او ضربهُ فدفعهُ . وبدلها : لَقَّ عَيْنَهُ : ضربها بيدهِ او براحتهِ

و (لَكَأَهُ) بالسوط : ضربهُ

و (لَاكَ) اللقمةَ : مضغها اهون المضغ وادارها في فمهِ . وبدلها (لَاقَ) يقال : لاقَ عينهُ : ضربها

و (لَكَثَهُ) بالسوط : ضربهُ

و (لَكَحَهُ) : وكزهُ او ضربهُ شيئاً بهِ . وبدلهُ لَقَحَهُ اي ألقاهُ

و (لَكَدَهُ) : ضربهُ بيدهِ او دفعهُ

و (لَكَزَهُ) : ضربهُ بجمع الكفّ اي وكزهُ . وبدلهُ لَقَزَهُ : ضربهُ بالجمع على الصَّدر او في جميع الجسد او اللَّقز واللَّكز يُجمع الكف في العنق والصَّدر

و (لَكَتَهُ) : ضربهُ باليد مجموعة الاصابع او لكزهُ او دفعهُ

و (لَكَضَهُ) : ضربهُ بجُمع الكفّ

و (لَكَتَهُ) العقربُ : لسعتهُ وبدلهُ لَقَعَ الشيء رَمى بهِ . وفلاناً بعينهِ اصابهُ بها . والحيَّةُ فلاناً : لدغتهُ

و (لَكَثَهُ) : ضربهُ بيدهِ

ومن هذا القبيل : نَبَتَ . نَبَعَ . نَبَغَ . نَبَطَ . نَبَرَ . نَبَشَ . نَبَحَ . نَبَذَ . نَبَزَ . والمعنى الاصلي يدلُّ على خروج

ومن ذلك فَلَّ . فَلَجَ . فَلَحَ . فَلَخَ . فَلَذَ . فَلَعَ . فَلَغَ . فَلَقَ . والمعنى الاصلي يدلّ على التجزئة

ومنهُ : فَتَّ . فَتَأَ . فَتَحَ . فَتَرَ الحرُّ . فَتَرَصَ . فَتَغَ . فَتَقَ . فَتَكَ . والمعنى الاصليّ يدلّ على الكسر

ومنهُ : فَثَّ . فَثَأَ . فَثَجَ . فَثَغَ

ومنهُ : فَجَّ . فَجَأَ . فَجَرَ . فَجَسَ . فَجَشَ . فَجَعَ . فَجَمَ . فَجَا

ومنهُ : لَبَتَ . لَبَجَ . لَبَخَ . أَلْبَدَ البعير . لَبَرَ . لَبَسَ عليهِ الامر . لَبَطَ بهِ الارض .

لَبَكَ. لَبَنَ وهذا الباب رحب كثير الشواهد والامثلة

ولا تظن ان مادّة الكلمة تُتوّج فقط او تُحشى او تُطرّف فقد يجتمع امران في المادّة الواحدة كالتتويج مثلاً مع التطريف. او التطريف مع الحشو او غير ذلك. مثال ما نذكرهُ مادة « ل م » فقد تقدّم القول عنها انها حُشيت ببعض الاحرف فانظر الآن كيف ذُيّلت ايضاً فقد قالوا:

(لَمأَ) فلاناً: ضرب عليهِ يدهُ مجاهرةً وسرًّا

و (لَمَدَ) كلَدَمَ يعني لطم والواحد مقلوب الآخر

و (لَمَزَ) ضرب ودفع

و (لَمَصَ) : قَرَصَ

و (لَمَطَ) فلاناً بالرمح: طعنهُ بهِ

و (لَمَعَ) الطائرُ بجناحيهِ: خفق بهما

و (لَمَقَ) عينهُ: ضربها بكفّهِ خاصّةً

و (لَمَكَ) العجين: مَلَكَهُ والواحد مقلوب الآخر. ومعنى ملكهُ أتمم عجنهُ. وهو لا يكون الّا باعادة ضربهِ باليد شيئاً على شيء كما هو المعهود — ومن ثمَّ فقد وقع في هذه المادة الحشو والتذييل

وقد رأيت في مادة « ف ش » التتويج والحشو ولا تريد على هذا القدر إذ الغاية من هذه المقالة ايضاح هذا الخاطر بوجهٍ مختصر لا البسط في الامثلة وتعديد الشواهد لانَّ هذا العمل من مواضيع المؤلفات المطوّلة

٣ هل للنحت وجود في الالفاظ الثلاثيّة العربيّة

قد رأيت كيف نشأت الالفاظ الثنائيّة فصارت ثلاثيّة بواسطة العوامل الثلاثة التتويج والحشو والتطريف وكل هذه الادوات او الزوائد لا تخرج عن حروف الذلاقة او مبدلاتها. والحروف الذُلق ستة وهي ثلاثة ذَوْلَقيّة وهي اللام والراء والنون وثلاثة شفهية وهي الباء والفاء والميم... قال ابن جنّي: وفي هذه الحروف الستة سرٌّ ظريف يُنتفع بهِ في اللغة. وذلك انهُ متى رأيت اسماً رباعيًّا او خماسيًّا غير ذي زوائد فلا بُدَّ فيهِ من حرفٍ من هذه الستة او حرفين. وربما كان ثلاثة. وذلك نحو « جعفر » فيهِ الراء والفاء.. و « قعضب » فيهِ الباء.. و « سلهب » فيهِ اللام والباء.. و « سفرجل »

فيه الفاء والراء واللام. و « قَرَزْدَق » فيه القاف والراء . و « هَمَرْجل » فيه الميم والراء واللام. و « قرطعب » فيه الراء والباء. وهكذا عامّة هـذا الباب. فمتى وجدت كلمة رباعية او خماسيّة معرّاة من بعض هذه الحروف الستة فاقضِ بانهُ دخيـل في كلام العرب وليس منهُ. ولذلك سميت الحروف غير هذه الستة « المُصمتة » اي صمت عنها ان يُبنى منها كلمة رباعية او خماسية معرّاة من حروف الذلاقة ». اه عن التاج

فاذا ثبت لك هذا الامر وتحقّقتهُ انت من استقراء الالفاظ انهتك لك سترُ هذا السرّ الغامض وتحققت ان لا نحت في الالفاظ الثلاثية العربية. وان وقعتَ على ما يشبهُ النحت فهو من قبيل الاتفاق. واذا زعم احدٌ ان للنحت وجودًا في الالفـاظ الثلاثية العربية فحينئذٍ لا مانع من ان نقول بان جميع الالفاظ الثلاثية منحوتة لانهُ لا توجد كلمة من هذه الاصول الّا ولها وجهٌ يُخرَّج عليهِ النحت اذ ان المضاعف الثلاثي عديد المواد وكافٍ بنفسهِ لان يقرّر هذه الخواطر التي لا تخرج عن خواطر وهميّـة يطيب ترددها وتكرارها على المخيّلة

قال الشيخ المرحوم ابراهيم اليازجي ما هذا نصّهُ بحرفهِ :

« اذا استقريت الافعال الثلاثية ورجعت بها الى هذا الاعتبار (اعتبـار القلب والابدال) وجدت منها ما يتنازعهُ اصلان مختلفان يمكن ردّهُ الى كل واحد منهما او الى كليهما على طريق النحت. وهـذا ولا شك من المباحث الغريبة على سمع اللغوي اذ لم يسبق من قال بالنحت في الالفاظ الثلاثية. وانما الذي طوّع لنا الحاجة اليهِ والتصريح بهِ ما نطمع فيهِ بعد تقريرهِ من النتج الكبير الكافل بسدّ كثير من حاجات اللغة في هذا العصر فان وقعنا منهُ على السداد لم تمنع غرابتهُ من تقليب النظر فيهِ وتوسّم وجوه النفع منهُ والّا فلا اقلّ من شفاء الصدر من امر يحك فيهِ وانه من وراء القصد. ونحن نورد في هذا الموضع بعضًا من امثلتهِ على قدر ما يحضر منهـا في خاطرنا الثقيل مع ما نحن فيهِ من ضيق الوقت . . . وذلك نحو قولهم : نبض الماء : اذا سال. فانهُ يصح ان يكون من نضّ بزيادة الباء. او من بضّ بزيادة النون. وكلاهما بمعنى نبض (قلنا : وهذا هو الراي الاصحّ عند جمهور المحققين المحدثين) ويمكن ان يكون من كليهما بان نُوي تركيبهما معًا وجعلهما كلمةً واحدة ثم حُذف احد الحرفين المتماثلين منهما وهو الضاد من نضّ فبقيت النون او من بُضّ فبقيت الباء. وركّب هذا الباقي مع اللفظ الآخر. والفرق بين ان يكون اللفظ منحوتًا او غير منحوت انك قد قدّرت الزائد منتزعًا من لفظ معلوم كما قدّمناهُ فهو نحت. وان قدّرتهُ اتفاقيًا فلا . . ومن ذلك قولهم : بَمَقَهُ . اذا شقّهُ فانهُ يمكن ان يُردّ الى بقّ وعقّ وهما بمعنى بَمَقَ ايضًا . وجاء : انبق السحاب اذا انفجر بالمطر وهو يحتمل ان يكون مما ذُكر او من بعّ وبقّ . او بعّ وعقّ. ومعنى بعّ : صبّ ماءهُ بكثرة. ومثلهُ انبعج السحاب وهو من بعّ وبجّ . والبجّ : الشقّ في انصباب

الماء كثير . . . ومن النكت في هذا الباب قولهم عبّرَ النهرَ اذا قطعهُ فانهُ اشبه ان يكون مأخوذاً من العُباب والبرّ (١ والعُباب : معظم الماء لان العابر يقطع الماء الى البرّ . . . على ان الكثير من هذه الامثلة يمكن ردّهُ الى سلسلة المرقين الاولين (وهو عندنا الاصحّ والاقبل) الّا ان هـذا لا يمنع من جواز ما ذهبنا اليهِ . . . اه (نقلهُ عن الطيب سنة ١٨٨٤–١٨٨٥)

وقال في الضياء (٥ : ٣٥٨)

ومن هذه الالفاظ (الثلاثية) ما لا تجد فيهِ مندوحةً عن النحت والامثلة من ذلك عزيزة يحضرنا منها كلمات قليلة منها لفظ المأج بمعنى الماء الأجاج . فان هـذا لا يكون الّا منحوتاً من ماء وأجاج ثم بنوا منهُ فعلاً فقالوا : مَوَّجَ الماء يُموِّجُ مُوجةً فهو مأج فجاء على حدّ صَعُب صعوبة فهو صَعْب . ومن ذلك الكَبْو وفسروهُ بكتم الربو وأخبر بهِ ان يكون منحوتاً من هـذين اللفظين اي كتم وربو . . . وقالوا طبّب الشراب وزان قدّم اي عالجهُ لطيب وهو كذلك منحوت من عالج وطيّب . . . اه نقلهُ

قلنا امّا نحن فلا نسلّم بالنحت في الالفاظ الثلاثيّة العربيّة الّا في ما شذّ منها وندر مجيئها وانت خبير بان الشاذّ والنادر لا يبنى عليهما حكم ولا تصدق عليهما قاعدة ثمّ انّ جمهور اللغويين الاقدمين انكروا وقوعهُ فيه بصراحة المبنى والمعنى يعني بجلاء العبارة والاشارة . على ان هذا السبب لا يكفي وحدهُ لو لم يضافرهُ عدّة اسباب . ولاسيما لانّ التوسع في العلم والاستقراء لم يوصد بابه في قديم الزمان حتى يتعذّر فتحهُ على الحدثين . فالعلم مُشاع بين الجميع وفي كل زمان ومكان وقد يفتح الله على هذا ما لم يفتحهُ على ذاك . ولذا فنحن لا نعتبر هـذا الكلام حجّة قاطعة لو لم يجتمع معها غيرها من الحجج منها :

٢ انّ للنحت غايةً فاذا بطلت الغاية بطل الوضع للحال . وغاية النحت الجمع بين كلمتين او اكثر للدلالة على « معنى جديد » لا يُوجد الّا في جمع تلك الكلمات او لا لفظ لهُ في السابق يؤدي المعنى المذكور . فاذا كان المعنى المطلوب موجوداً في لفظة سابقة امتنع الوضع لامتناع السبب . فاذا قالوا البسملة مثلاً فهو منحوت من قولك : بسم الله . وهما لفظتان او ثلاث (باعتبار بسم كلمتين) تدل على معنى جديد وهو الجمع بين معنى تلك الالفاظ وليس في سابق اللغة لفظة ترادفها . فاندفعوا بمسيس الحاجة الى

١) لو كان الامر على ما يزعم الكاتب فأحرِ بالعَبر ان تدل على حيوانٍ يعيش في الماء والبرّ معاً كالسلاحف والضفادع مثلاً . والواقع لا يطابق ما في الخاطر . فما ابعد هذا التأويل عن الحقيقة !!!

هذا الوضع . ومثلهُ في العبشمي والعبقسيّ الى غيرهما فللوضع سبب واضح . ولما نَبَضَ فموجود في بضّ وفي نضّ على ما يشهد الكاتب نصهُ . وكذلك بَعَقَهُ فهو بمعنى بَقَّهُ او عَقَّهُ . وانبعج السحاب موجود في انشقّ وانعقّ وانبعّ وان لم يسمع هذا فالقياس يجيزهُ . وقس على هذا كل ما اوردهُ من الامثال فاجميعه اشباهٌ كثيرة ونظائر لا تُعدّ

٣ من البديهي ان اللفظة المنحوتة في العربيّة يجب ان لا توجد بحروفها في اللغات الاخوات الساميّات لاسيما لمّا لا يكون فيها وجود للالفاظ التي نُحتت منها والامر بالعكس في مثل « عَبَرَ » النهر فانهُ موجود في جميع اللغات السامية فضلًا عن اللغات الهندية الجرمانية ولا وجود للعُبَاب في تلك اللغات ففي العبرية עבר وفي الارمية ܥܒܪܐ وفي السنسكريتية « ايري » وفي الفارسية « ابر » و « بر » الى غيرهن من اللغات المختلفة التي يدلّ فيها الاصل « عبر » لمّا على ضفة النهر واما على معنى الاعتلاء او معنى العبور . والظاهر ان « عبر » مأخوذ من « عب » حكاية صوت الاعتلاء ثم ذُيلت المادة بالراء للدلالة على الحركة لان من خصائص هذا الحرف الدلالة على الحركة ومن ثم تواطأ الجميع على وضع هذا اللفظ لاتفاقهم في حكاية الصوت المذكور

ثم اي فائدة من وضع كلمةٍ منحوتةٍ من العباب والبرّ ولها مترادفات عديدة « كجازَ النهر وقطعهُ وشقّهُ » الخ

ولمثل هذا السبب لا نسلّم بنحت « المأج » فهو عندنا من الأج بمعناهُ ثم زيدت الميم في اوّلهِ للدلالة على المائية وتقريرها في الذهن او المأج مأخوذ من المجّ ثم جُوّف وهُمز على ما قرّرنا بعض نواميسهِ وتقرّر البعض الآخر في التالي (١ . واما « الكَبْر » فهو من الكَبّ . يقال كبَّ الشيء : اذا ثقُل وما اكبّ الّا ثقل في النفس . واما « عَطَب » فلا دليل عليهِ انهُ منحوت « عالج وطيّب » فيجوز ان يقول آخرُ انهُ من عطَر وطيّب . او من عطَّر الشراب . او نحو ذلك من الالفاظ التي يستطيع ان يتخيّلها كلّ منّا . وعندنا ان « عطَب » ماخوذ من « ط ب » حكاية صوت عثور الريح الهابّة بشيء تصادمهُ ثم

١) وعندنا ان هذا الراي الاخير هو الارجح ففي العربيّة مجّ الرجل الشرابَ : رمى بهِ ولا يخفى على الباحث ان من يشرب او يذوق الماء الأجاج يمجّهُ للحال اذا ما تحقّق امرهُ . وفي الارمية : ܡܓܘܓ مجّ وتَفِهَ وخَمَّ وفَسِدَ ومَلُخَ ومزّ وأجّ . فاذا كان مأج منحوتًا من ماء واجاج فكيف يوجد عند الارميين ما يُشبههُ وليس عندهم لفظة أجاج . تأمل

انتقل طِيبُ الهواء الى غيره من باب المشابهة . وزادوا العين في الاول للدلالة على الاتساع والاتساع . كما سيجيء تفصيلهُ في محلّهِ في باب خصائص الحروف . وقالوا عطّب كما قالوا عطّر ومادة « ط ب » و « ط ر » تتشابهان في المخرج . لان الباء والراء من حروف الذلاقة . وقس على غير ذلك من الالفاظ

واول من ذهب الى النحت في الثلاثي المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي كما تقدم الاستشهاد بكلامهِ وتابعهُ الكاتب المتفنن جرجي افندي زيدان . قال في « الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية » ص ٤٩ في باب تنوعات الالفاظ ما هذا صورتهُ :

كل من هذا التنوُّعات اما ان يكون حاصلًا من تركُّب اصلين لكل منهما معنًى في نفسهِ أو لا . فاذا كان الاول كان حصولهُ على طرقٍ منها النحت اي ادغام كلمتين فاكثر وجعلها كلمة واحدة وهذا راي بعض اللغويين في الرباعي . وعندي ان لا مانع من اطلاقهِ على الثلاثي ايضًا بدليل وجود افعالٍ ثلاثية قابلة الحل الى اصلين لكل منهما معنًى في نفسهِ منها « قطف » ويفيد القطع والجمع والاصل فيهِ على ما ارى « قَطْ لَفَ » الاولى قطع والثانية جمع وبالاستعمال أُهملت اللام ونُقلت حركتُها الى ما قبلها فصارت قطف » . ثم قال . . . ومثل ذلك كثير في الالفاظ الثلاثية وان استبعد بعض اللغويين هذا التعليل فهو غير مستبعد عند من لهُ شيء من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت . وفضلًا عن ذلك ان من يسلّم بامكان حدوثهِ في الرباعي بان يُنحت من اربع او خمس كلمات كلمة واحدة كقولهم بَسْمَلَ . قال : « بسم الله » . . . لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا في ما تقدم عن لغة عامتنا دليل » اه

قلنا : انهُ فضلًا عما في تحديد النحت على ما اثبتهُ تقصير ففي ما ذكرهُ محلّ نظر . نعم ان في قَطَفَ بمعنى قطع وجمع معنى جديدًا لا يوجد كلهُ لا في قَطَعَ وحده ولا في جَمَعَ وحدهُ وهو الوجه الذي يجيز النحت لكن من يقول ان هذه اللفظة منحوتة من الحرفين المذكورين ولا تكون مثلًا من قَصَّ (اي جمع) وطفَّ (اي دنا) وذلك ان القاطف يجمع الاثمار ويدنيها من الناس . او من قصَّ (الشيء تتبَّعهُ وطلبهُ) وطفَّ (اي رَفَعَ) وهو من عمل القاطف ايضًا الى غير ذلك من التفاسير التي لا حدّ لها . الّا ان الكاتب استطاب ما تخيَّلهُ من التاويل وما يطابق الحال فاثبتهُ بين المقرَّرات

واما امكان حدوثهِ في الرباعي وفي ما زاد على حروفهِ وعدم امكان حدوثهِ في الثلاثي فهو :

١ً قد يكون الامر في هذا ولا يكون في ذاك . وقد تكون القاعدة مثلًا شاملة كلَّ الرباعي وما زاد عليهِ ولا تمسّ الثلاثي . وهذا كثير في قواعد النحو واللغة فقد

تكون القاعدة تطّرد على كذا من الاوزان او الصيغ ولا تتمشّى على تلك. فيكون النّحت في الرباعي من هذا القبيل ولا يصدق على الثلاثي

٢ً لو كان هذا النحت قد حدث من الالفاظ الثنائية التي تخيّلوها فلا ارى مانعاً من اثبات اللفظتين الثنائيتين على حالها وجعلها رباعيّة بعد النحت يعني لو نفرض مثلاً ان من « قشّ وطفّ » قالوا « قطّفَ » فلا أرى عدم تجوّزهم قولهم « قشطّفَ » وفيها من الخفّة ما فيها فضلاً عن اشارة اصليهما الاولين ودفع الفكر اليهما لاول سماع الكلمة. فلا جرم ان جواب المحدثين القائلين بالنحت في الثلاثي هو: ان خفة قطّف اسرع من قشطّفَ وفي هذه من غرابة اللفظ ما لا توجد في تلك. قلنا: اذا كانت قطّفَ اخفّ لفظاً على اللسان واقبلها سماعاً للاذان ففي قشطّفَ من إشارة الاصل وسرعة الفهم الى المطلوب ما لا يوجب معها شرحاً ابداً بخلاف المنحوت من كلمتين بعد ان حُذف منهما شيء فقد يخفى مع نحتهما المعنى المقصود من وضع الكلمة بل وتستلزم تأويلاً او شرحاً او سَبْق فَهْم بخلاف المنحوت الباقي على حاله كما في شقّحطب مثلاً

٣ً في النحت الرباعيّ يُحذف ما كان في الالفاظ الاصليّة من الحروف الذُّلق او الحروف الخفيفة على اللسان او الخفيفة الصوت وتبقى الحروف الفخيمة او المصمتة امّا الحروف الخفيّة الصوت التي تُحذف فهي حروف العلّة والهمز والهاء واللام والراء والنون والباء والفاء والميم. فاذا حفظنا هذه القاعدة نرى ان اغلب الفاظهم المنحوتة لا تجري الّا على هذه القاعدة

٤ً امّا قولهُ « ان في لغة العامّة دليلاً على ذلك ». قلنا: نعم ان فيه لدليلاً على الاختزال الذي هو من قبيل النحت وليس به. وقد انتبه لهُ العرب من قديم الزمان فمنهم من سمّاهُ بالقُطْعة ومنهم من اطلق عليه اسم الغُشْمة والجمهور عرفهُ باسم القَبْض وآخرون سمّوه بالادغام. قال ابن الانباريّ في كتاب اسرار العربيّة (ص ١٦٩): . . . امّا « بَلْعَنبر فاصلهُ بنو العنبر » الّا انهم حذفوا الحرف المعتلّ لسكونهِ وسكون اللام لم يمكنهم الادغام لحركة النون وسكون اللام فحذفوا النون بدلاً من الادغام. ومن ذلك قولهم: « بَلْعَمَ » يريدون: « بني العمّ » قال الشاعر:

اذا غاب عَدْوًا عنك « بَلْعَمَ » لم يكن جليدًا ولم تعطف عليك العَواطِفُ

ومن ذلك قولهم: « عَلْماء » بنو فلان. يريدون: « على الماء ». قال الشاعر:

فَـداةَ طَفَتْ عَلماء بَكْرُ بنُ وائل وعُجنـا صُدُورَ الخَيـل شَطْرَ تميم

يريد « على الماء » (ثمَّ زاد ما يأتي وهو كلام حريّ بان يُكتب بماء الذهب) : وهذا كلهُ ليس بمطَّرد في القياس وانما دعاهم الى ذلك « كثرة الاستعمال وهو من الشاذ الذي لا يُقاس عليهِ » فاعرفهُ تُصِبْ ان شاء الله تعالى . اه

قلتُ ومثل هـذا الادغام كثير في كلامهم كَلْحارث وبَلْقَين وبَلْهَجيم ووَيْلُمّه ولَابَ لكَ (في لا أبا لك) الى غير ذلك من الالفاظ العديدة . وقد عرفهُ اللغويون ايضاً باسم التخفيف (راجع بلقين في مادة ق ي ن في اللسان والتاج)

والّا فان سلّمنا النحت في الثلاثي لكان المنحوت اكثر من غيره ولاسيما اذا اتّبعنا مخيّلتنا في تقوّلاتنا وحينئذٍ لا تمرُّ بنا لفظة الّا وتخيّلنا لها وجهاً من النحت . فقد جاء في دواوين اللغة خَمِجَ اللحم بمعنى فسد . فيكون منحوتاً من خمَّ وخَجَّ او خَمَّ ومَجَّ والمعنى واحد اي فسد فَدَفَعَتْهُ النفس وكرهَتْهُ . وجاء فيها : أَمِجَ العُودُ : جرَى فيهِ الماء فكانهُ مؤلف من أ (خذ) (ا ل) م (ا. بالا) ج (ري) اي انهـا نُحتت من ثلاث كلمات أُخذ من كل واحدة منهن حرفٌ — وجاء فيها ماء خَنْجَرِي وهو الماء الملحُ او الذي لا يبلغ الأجاج وتشربهُ الدواب او الخنجري : المرّ . فكانهُ منحوت من « خمَّ الماء الجاري فمرَّ » اي فسد الماء الجاري فصار مرّاً . ومثل هذا اكثر من ان يُحصى وما ذلك الّا من قبيل متابعة من اشتقَّ اسم الملكة هيلانة من « هي الان » قال ياقوت في ترجمة « حوض هيلانة » : « وقيل انها سميت هيلانة لانّها كانت تكثر من قول : « هي الان » اذا استعجلتْ احداً في شيءٍ تامرهُ بهِ وسُميت هيلانة لذلك » . فاذا كان الامر كذلك هـان علينا كل خطب ولم يَعُدْ اشكال في شيء من الالفاظ

على اننا اذا انكرنا وقوع النحت في الثلاثي (اللهمَّ الّا في الفاظ قليلة كليس مثلاً فانها ولا شك في ذلك منحوتة من « لا أَيِسَ = لا إِيت المانة . وويل فان اصلها وَيْ ل . وأجنَّكَ كذا فانها مؤلفة من « من أجل أنَّك » وغيرها) فلا تكرر وروده في الرباعي وما زاد عليهِ . ومن ثمَّ فانّنا لا نوافق المُغالين في القول بوجود النحت في كثير من الالفاظ الثلاثيّة كما اننا لا نُتابع المستشرقين وصاحب المشرق القائلين (١

١) راجع في المشرق (١ : ١٠٢٦-١٠٣١) مقالتنا في الالفاظ العربيّة المنحوتة حيث اوضحنا رأينا في ذلك وأيّدناهُ بالبرهان ل . ش

« ان النحوت في كلام العرب لا يكاد يَربي على خمسين لفظة » فلقد جمعنا الفاظاً لا يصحُّ تفسيرها الّا بالذهاب الى نحتها . والله من وراء الحقيقة . ومع ذلك فلا يمكن القول ان للنحت طريقة معلومة حتى تُتَّخذ قاعدة للجري عليها ولتأليف ألفاظ جديدة تفي بغايات العصر فلقد أجمع العرب على انَّ النحت غير مطرد القياس بل انما نشأ من كثرة الاستعمال وتحاكّ الالفاظ بعضها ببعض وتفاتّها فيفني فيها الضعيف ويبقى منها القويّ ذلك من تنازع البقاء سُنَّة الله في خلقهِ وفي ما ينتجُ منهُ ويتولد عنهُ

وممَّا يجب ان يُلاحظ في باب النحت ويحتفظ بهِ ان هذا النوع من التركيب حديث الوضع والنشوء في الثلاثي يعني انهُ لم يرد الّا قُبيل الاسلام وليس لهُ وجود في عهد الجاهليَّة الصميم . وهو أمر يلزم الانتباه اليهِ والالتفات الى همتهِ . والنزر القليل الذي ورد يُعدّ كالنادر الشاذّ والنادر الشاذّ كالعدم اذ لا يطَّرد في القياس (لهُ تتمَّة)

اثر يوناني

في خزانة القصر السلطاني (١

لحضرة الدكتور توما هودتش تربل مدرستنا الكليَّة

انَّ في دار السلام من الآثار الكتابيَّة والمخطوطات النفيسة ما لا يزال العلماء يتوقون الى مطالعتهِ . وقد عُنيت الحضرة الشاهانيَّة اداها الله منذ جلوسها المأنوس على عرش الخلافة بتقريب تلك الذخائر الثمينة من طلّابها . فطُبعت بامر الذات العليَّة عدَّة قوائم لمخطوطات الخزائن الكتابيَّة وتعيَّن للكاتب مأمورون يقومون في خدمة العلماء الذين يرغبون في درس تلك الآثار

ومن الخزائن التي كان ارباب العلم يتشوَّقون الى نظر مخطوطاتها خزانة القصر القديم الذي سكنهُ السلاطين العظام الى اواسط القرن المنصرم . وهذا البلاط قد خُصَّ اليوم

(1) Nachrichten des russischen archaeologischen Institutes in Konstantinopel. — SERAILER OKTATEUCHKODEX von Th. Uspenskij. mit einem Album auf 46 Blaettern und 6 Beilagen im Text. — *Sofia* 1907.

(Izvestija russkago archeologiceskago Instituta v. Konstantinopole SEALJSKIJ KODEKS vosmiknizija T. Uspenskij, *Sofija*, 1907)

بالمتاحف والعاديّات وهو يُعرف بطوب قبوسراي. وفيه كانت خزانة غنيّة بالمخطوطات وبقيت تلك المكتبخانة مصونة كالدرة اليتيمة التي لا تُرام لم يدخلها الّا بعض الافراد من علماء الفرنسويين في القرن السابع عشر والثامن عشر بعد أن نالوا في ذلك الرخصة من اصحاب الامر فوجدوا عددًا وافرًا من المخطوطات الثمينة في التركيّة والفارسيّة والعربيّة . وكانت رغبتهم القصوى ان يقفوا على تركة ملوك الروم من المخطوطات اليونانيّة الفريدة ممّا اخذتهُ يد الضياع لكبار الفلاسفة والمؤرخين الاقدمين فوجدوا هناك عددًا وافرًا من تلك الآثار تلطّف السلاطين الكرام باهداء بعضها الى ملوك فرنسة(١

وفي هذه المدّة الاخيرة تفضّلت الذات السلطانيّة فمنحت لبعض العلماء الرخصة بالتفتيش في تلك الخزانة وتدوين قائمة كتبها. فتصفّح تلك المخطوطات العلّامة مردمان (Mordmann) ودزيه (Desier) وميلر (F. Miller) وبعثة الحجر العلميّة ولاسيّما الاستاذ بلاس (Blass) سنة ١٨٨٧ فانهُ نظر فيها نظرًا تامًّا . وكلّهم يثنون على ما في تلك المكتبة من المخطوطات الشرقيّة أمّا المخطوطات اليونانيّة فانّهم لم يجدوا منها الّا قسمًا صغيرًا ومعظمها من التآليف المعروفة المنشورة بالطبع. فارتاب العلماء من ذلك ويغلب ظنّهم على انّ المكتبة القيصريّة اليونانيّة ليست كلها في خزانة طوب قبوسراي ولعلّ كثيرًا من تلك المخطوطات لا يزال مودعًا في أحياء أخرى او في بعض الحجر الداخليّة

وممّا ظهر مؤخرًا من تلك الدفائن الثمينة اثر يونانيّ وقف عليه علماء المكتب الروسيّ في الاستانة العليّة ووصفهُ وصفًا مدققًا العلّامة اوسبنسكيّ (Th. Ouspensky) . ألا وهو كتاب خطّي يحتوي خمسة اسفار موسى يليها سفر القضاة ثمّ يوشع ثمّ راعوث وهو من التآليف المعروفة بالمثمّنة (Octateuques) لاحتوائها على الثمانية الاسفار الاولى من التوراة. وهي كلّها باليونانيّة على حسب النصّ المعروف بالسبعينيّ وقبل تعريفهِ لا بُدّ من تقديم بعض الملحوظات لبيان خواصهِ

١) راجع كتاب العلامة اومون في البعثات الفرنساويّة الى الشرق : H. Omont *Missions archéologiques françaises en Orient aux XVIIe et XVIIIe siècles*. Paris, 1902, pp.251-278, etc.

كان البوزنطيّون منذ اواخر القرن الخامس اعتادوا ان يجمعوا في كتاب واحد بعض اسفار الكتب المقدّسة ثمّ يكتبون على هوامشها ما قالهُ الاباء في شرح كل آية من تلك الاسفار وهم يدعون هذه الجاميع « مجاني الزهور » Ἐκλογαί واوّل من سبق الى ذلك الكاتب پروكوپيوس الغزّي (٤٦٥–٥٢٨) فانهُ جمع تفاسير الآباء على عدّة اسفار من الكتب المقدّسة . واشتهر هذا المجموع الذي نسج على منواله غيرهُ من الكتبة فتوفّرت هذه الجاميع ومنها الى يومنا نسخٌ متعدّدة تختلف فيها الاسفار المنتخبة في الكم والكيف وقد طُبع منها عدد وافر . ومن اخصّ فوائدها انّها تحتوي شروحاً لآباء وكتبة قدماء فُقدت اليوم تفاسيرهم . ثمّ حذت الكنيسة اللاتينيّة حذو الكنيسة اليونانيّة فجعل كتبتها يجمعون ايضاً الاسفار الالهيّة ويضيفون اليها شروح الملافنة والآباء فكثرت في الغرب كما شاعت في الشرق . واللاتينيّون يدعون هذه الجاميع سلاسل كتابيّة (Catenae) نُشر اغلبها بالطبع

فلنعودنّ الآن الى وصف هذه النسخة الجديدة التي اخرجها من مكمنها العلاّمة اوسپنسكيّ فنقول :

اوّلاً انّ المجموع الذي اكتشفهُ الاستاذ الروسيّ يمتاز بقدمهِ فانّ كتابتهُ تدلُّ على انهُ من القرن الثاني عشر . لكنهُ مع قدمهِ يوجد نسخ اقدم منهُ ترتقي الى القرن الحادي عشر

ثانياً ومن مميزات هذا المخطوط وفرة الشروح التي عُلقت على هامشهِ منقولة عن الآباء والمعلمين فلا شكّ ان محبي الآثار الكتابيّة يُقبلون على درسهِ ليقفوا على ما فُقد من اعمال القدماء ومعلّمي الكنيسة ولا يخفى ما يترتّب على ذلك من الشأن والخطر لاسيّما اذا قابلوا بين هذه النسخة والنُسخ المشاكلة لها المعروفة حتى الان

ثالثاً ولهذه النسخة الخطيّة مزيّة أخرى لا تجدها الّا في خمس نسخ مخطوطة غيرها نريد صورها البديعة ذات الالوان الزاهية التي تزينها . أما بقيّة النسخ المصورة فنسختا مكتبة الواتكان ثمّ نسخة دير ڤاتوپيدي على جبل اثوس ثمّ نسخة ازمير واخيراً نسخة مونيخ في بافارية . وصور هذه النسخ كلها متشابهة ما يدلّ على انّها نُقلت عن اصل واحد . وقد أحسن المسيو اوسپنسكي برسم هذه الصور ونشرها بالطبع فاهدانا من كتابهِ نسخةً رائعاً منظرها

رابعاً وتمتاز هذه النسخة بسمة اخرى بيّنها المسيو اوسپنسكي بياناً جليا وهي علاقتها مع سلسلة من جنسها عُني بطبعها اسقف روسي اسمهُ نيقيفورس ثاوطوكيس (١٧٣١—١٨٠٠) فانهُ كان طبع في ليبسيك سنة ١٧٧٢ شروحاً على ثمانية اسفار الكتاب المقدَّس الاولى باليونانيَّة وكان العلماء حتى الآن يجهلون المصادر التي اخذ منها. فالاستاذ اوسپنسكي عارض تأليف نيقيفورس بالنسخة المكتشفة حديثاً فتحقَّق انَّ ذلك الاسقف استند الى هذا المخطوط عينهِ واخذ عنهُ كثيراً من شروحهِ وكان نيقيفورس جاء الاستانة ونزل ضيفاً في الفنار دار بطريركيَّة الروم في عهد صموئيل الثاني من السنة ١٧٦٥ الى ١٧٦٨ وكان من اصدقائهِ هناك المسمَّى غريغوريوس غيكا رئيس تراجمة الباب العالي . فمن المرجَّح انَّ غريغوريوس استعار لنيقيفورس النسخة المخطوطة التي اكتُشفت اليوم فنقل عنها

خامساً وآخرنا يُستفاد من هذه النسخة انَّ في مقدَّمتها بعض معلومات عن قياصرة دولة كومنين (Comnène) . فانَّ في صدرها رسالة باسم ارستاوس الى فيلوكراتيس كان العلماء يعرفونها الَّا انها في هذه النسخة رُويت على صورة غير صورتها المعروفة وذلك بيد اسحاق الملقَّب بصاحب العزَّة (Sebastokrator)

وكان اسحاق هذا قد ولد سنة ١١٩٢ واشتهر كابن للامبراطور الكسيس كومنين (١٠٨١—١١١٨) ثمَّ ادى ليوحنا اخي الامبراطور الكسيس خدماً كثيرة فلقبهُ الكسيس باسم شرف فدعاهُ بصاحب العزَّة لكنَّهُ بعد ذلك عُزل من مرتبتهِ ونُفي فشيَّد ديراً في فردجك على ضفَّة نهر مارتزا على اسم البتول ملجأ العالم (Κοσμοσωτείρα) وقد وجد حضرة الاب پتي (R. P. Petit) الصعودي هناك كتابةً يونانيَّة على اسم اسحاق المذكور

وكذلك قد استدلَّ المسيو اوسپنسكي من درس هذه الرسالة وخواصها اللغويَّة انَّ اسحاق هذا هو الذي جمع بعض طُرف من شعر اوميروس المفقودة (Περὶ τῶν Κατα-λειφθέντων ὑπὸ τοῦ Ὁμήρου) كان العلماء ومن جملتهم العلامة كرومباخر في تاريخ الآداب البرزنطيَّة (Krumbacher; *Geschichte d. byz. Literatur*, 528) ينسبونها الى الامبراطور اسحاق كومنين (١٠٥٧ — ١٠٥٩) فانخدعوا بمشابهة الاسمين

ونسبوا للامبراطور اسحاق ما لا يصحّ الّا في اسحاق هذا الملقّب بصاحب المزّة ابن الكسيس كومنين

فترى ما من الفضل للعلاّمة اوسينسكي بنشر هذا الاثر اليونانيّ وما استخلص منهُ من الفوائد فنقدّم لهُ آيات الشكر على صنعهِ كما انّنا نشكر المكتب الاثري الروسي في الاستانة على اهتمامهِ بهذه الآثار الجليلة وطبعها على نفقتهِ

لمحة

في حوادث العام المنصرم

نظر للاب لويس رترفال اليسوعي

هو التاريخ ترقم ايدي الدهر صفحاتهِ بمدادٍ يختلف حسناً وبهاء مع اختلاف الحوادث فيدوّن تارةً أنباء النصر والفرح وتارةً يخلّد ذكر النكبات والحزن . يُشير اليوم الى ترقٍّ وصعود وغداً ينبئ بتقهقر وهبوط . فيا حبّذا المرء لو اتّخذ تقلّبهُ كعبرةٍ يعتبرها وكعظة يتعظ بها ليوجه الحاظهُ نحو عالم الثبوت والقرار ومنزل افراح لا تشوبها الاكدار

وها نحن نلخّص في بدء هذه السنة الجديدة جملة الامور التي طرأت على ارضنا في العام الماضي فنلحق هذا النظر بما اسلفناهُ في اجزاء المشرق السابقة ليسهل على القارئ الرجوع اليها عند الحاجة

الدولة العلية

انّ الحضرة السلطانيّة اعزّها الله وأيد شوكتها جرت في العام المنصرم جريها في السنين الماضية في كل ما يؤول الى خير العباد وتحسين احوال البلاد بل رأينا فيها مآثر جديدة تستوجب من جميع رعاياها الشكر التامّ تقتضي رفع اكفّ الدعاء الى الملك المنّان بأن يزيد الذات الشاهانيّة عزّاً وفخراً ويثبت العرش الحميديّ على اركان لا يضعضعها الدهر مدى الدوران

فمن اعظم آثار جلالة متبوعنا الاعلى السكك الحديديّة التي تمتدُّ في كل انحاء

الدولة فتوفر اسباب العمران . واوّلها خطّ الحجاز الذي تتقدّم اشغاله بهمّة لا تعرف الملل حتى ناهز العتبة بلوغ الكيلومتر الالف منهُ . والقطارات تسير سيرًا منظّمًا الى مدائن صالح . امّا التسوية الترابيّة فبلغت ١٢٠٠ كيلومترًا . والأنباء البرقيّة تفيد بأنّ الاشغال من جهة المدينة قائمة ايضًا على ساق

ومن الخطوط التي يلوح اليوم عظم شأنها خطّ حيفا الى دمشق فانّهُ فتح للتجارة بابًا واسعًا فنهضت به تلك الجهات من خمولها واجدى للمدينتين منافع لا تُحصى ولاسيّما حيفا التي يزيد ميناها كل يوم حركةً وتقدُّمًا حتى صارت تزاحم بيروت بوفرة السفن التي ترسي عندها هذا فضلًا عن خطوطها التلغرافيّة الثلثة وخصب اراضيها . وتقطع السكّة بلادًا ذات مناظر جميلة فتّانة وهي تتّصل بالخطّ الحجازي . وعلى هذه السكّة سارت آخرًا الى الحجّ سعادة الخاتون والدة حضرة شاه العجم

وكذلك خطّ رياق الى حلب فانّ سوق اعماله في رواج عظيم حتى لم تَعُد عنابر البضائع كافية لإحراز السِّلَع الواردة على الشركة في عدّة محطّات . وترقّي اشغال هذه السكّة اوجب توسيع مينا بيروت . وقد بُوشر بهذا العمل منذ زمن قليل

وممّا سرّتنا بُشراهُ في تذكار جلوس الحضرة العليّة افتتاح اشغال شركة العجلات العثمانية بين حلب وبغداد فتقرّبت بذلك المسافات حتى صارت العجلات تقطعها في ثمانية ايّام وكانت لا تُقطع سابقًا الّا بشهر من الزمان . ففي اليوم المذكور خرجت عجلتان من الزوراء والشهباء قطعتا البوادي متعاكستين وناشرتين على رؤوس الاشهاد مفاخر العرش الحميديّ

وكذلك قد رخّصت الذات السلطانيّة بادخال عجلات الاوتوموبيل في الممالك المحروسة فاسرعت شركتان الى طلب امتياز لتسييرها الواحدة بين القدس وغزّة ويافا ومدينة الخليل والاخرى بين بروسة وضواحيها

امّا خطّ بغداد الحديديّ فانّ اعماله قد خمدت قليلًا في هذا السنة بسبب الازمة الماليّة التي حصلت في انحاء اوربّة . الّا انّ الشركات التي أُنعم عليها بمدّ هذا الخطّ عازمة على مواصلة الشغل بنشاط ولنا ضامن على ذلك المحطّة الفخيمة التي أُقيمت لهذه الغاية في حيدر باشا قريبًا من اسكدار بازاء استنبول

ومن الادلّة الجليلة على سموّ نظر الحضرة السلطانيّة انّها حفظها الله صوّلت على

سدّ باب المجاعة في وجه رعاياها. ولذلك قد عُنيت بسقي مفازة واسعة الارجاء تُدعى ماكري جنوبيّ غربيّ قونية على بُعد مئة كيلومتر منها فعُقد وفاق بين الباب العالي وشركة السكة الحديديّة في الاناضول فحتمت الدولة على الشركة بان تخزن فروع بحيرة باي چاير على طول ١٤٥ كيلومترًا فتشيّد لها احواضًا وخزّانًا وقنيًا لهذه الغاية تستطيع ان تسقي سهولًا متّسعة بائرة يبلغ تكسيرها ٥٤,٠٠٠ هكتار فانّ تلك السهول يمكنها ان تغلّ سنويًا ٢٠,٠٠٠ عجلة من عجلات السكّة الحديديّة. وفي نيّة جلالة السلطان الاعظم ان يجعل تلك الانحاء مستعمرات لمسلمي بلغارية وروسيّة

وما هو اخطر واجلّ من ذلك الترقّي الصناعيّ الذي حصل في باطن الممالك المحروسة فانّ عدّة شركات نالت فرمانات شاهانيّة لمشروعات جليلة وخصوصًا للتنوير بالكهرباء. فالامل معقود ان تُبدل الترامواي الجارية مع الخيل بترامواي كهربائيّة في الاستانة. وعمّا قليل ستفوز بيروت بمثل هذه النعمة كاختها دمشق التي تجري فيها الكهرباء منذ سنة بنيف كما انّها تُنار بالكهرباء. ولا تلبث بيروت ان ترى ذلك في طُرقها واحيائها الى حدود لبنان. وترى مثل هذه الحركة في سلانيك وازمير للترامواي والتنوير الكهربائي

هذا ولا يسعنا ان نسكت عن اثر آخر للحضرة العليّة السلطانيّة الذي يؤمّل منهُ منافع جمّة لهذه البلاد ألا وهو المكتب الصناعي الذي جرى تدشينهُ في رأس بيروت في عيد جلوسها المأنوس ومَنْ زار هذا المكتب تحقّق انهُ أُنشئ بتمام الاهبة وعلى احسن طرز يليق بالغاية المرغوبة ويوافق التمدُّن العصري. وقد بلغ عدد طلبتهِ حتّى الآن نحو ١٥٠ طالبًا

ثمّ افادتنا مراسلات بغداد مؤخرًا انّ المتبوع الاعظم امر باجراء مسابقات لاصائل الخيل تنشيطًا لتربية جياد الخيل وتوفيرًا لعددها وأُضيف الى تلك السباقات العاب اخرى بهجة

ونضرب الصفح عن المناجم وتعدينها فانّ نطاقها يتّسع يومًا بعد يوم نخصّ منها بالذكر معادن هرقلة

ولمّا حدث في بعض انحاء الدولة ارتفاع في اسعار الحنطة اسرعت الحضرة السلطانيّة

فاستدركت الامر لطفاً بالعباد ورحمةً بالبائسين فامرت بمنع اصدار الحبوب الى الخارج وخفض الضرائب على ما يرد منها الى الممالك المحروسة

امّا العلائق الرسميّة مع بقيّة الدول فانها غاية في الولاء والتودُّد. وكانت الحضرة السلطانيّة اوفدت لمؤتمر السلم في لاهاي صاحب الدولة طرخان باشا دلالةً على نواياها السلميّة وارتياحها الى التحابّ والألفة العامّة

ومن شارات هذه العلائق الوداديّة انّ جلالتهُ اوفد الى ايطالية صاحب السعادة سليم باشا ملحسة ليقدّم لجلالة ملك ايطالية الوسامات الشاهانيّة ولتوثيق عُرى الوداد مع قداسة الحبر الاعظم

وكذلك استقبلت الذات السلطانيّة بكل حفاوة الوفد الحبشيّ الذي ارسلهُ النجاشي منليك مع الامير مشاشيا الى دار السلام لتقدمة واجبات الاكرام الى العرش الحميديّ

وممّا اعلن بهِ سيادة المطران غياري الذي تعيَّن في الشهر المنصرم للمقام الكردينالي انهُ وجد في سياحتهِ الاخيرة الى الشرق الشعب الكاثوليكي جميعاً والجمعيّات الرهبانيّة خصوصاً حاصلين على كل مرغوبهم لاقامة فرائضهم الدينيّة وتعزيز مشروعاتهم الخيريّة

ومن التعطّفات الشاهانيّة على لبنان تعيين خلفٍ لمتصرّف الجبل المشير المرحوم مظفر المتوفى في ٢٨ حزيران فوقعت انظار الذات العليّة على صاحب الدولة يوسف فرنكو باشا ابن المرحوم المتصرّف السابق فرنكو باشا الذي كان قدومهُ الى بيروت في ٢٤ تموز وقد باشر منذ وصولهِ باعمال مأموريتهِ السامية بغاية النشاط والحزم والدراية فحاز برضى المتبوع الاعظم وحقّق امانيهُ

الكرسي الرسولي

ستكون هذه السنة من السنين المعدودة في تاريخ الكنيسة ولاسيما في حبريّة البابا بيوس العاشر فانّ نائب المسيح اظهر في تدبير امور الكنيسة درايةً وسعة وحسن نظرٍ سامٍ يُقضى بهما العجب

واوّل ما ينبغي لنا ذكرهُ عنايتهُ بكنيسة فرنسة التي لا تزال معرضةً لاخطار جمة

أثارتها الحكومة لمماكسة الدين وهضم حقوق اصحابه وافتتح السنة برسالة تتدفق حكمة كتبها امام الاحبار مثنياً فيها على طاعة الكاثوليك ومحرضاً لهم على الاتحاد التام مع رؤسائهم الروحيين. فبايعاز قداسته اجتمع اساقفة فرنسة واتفقوا للدفاع عن الدين بازاء اعدائه على عدة بنود عرضوها على الكرسي الرسولي مجاهرين بالخضوع التام لتدابيره. والحق يقال ان الكاثوليك رغماً عما يرونه من سوء المعاملة في امورهم الروحية كسلب اوقافهم وطرد رهبانهم واقفال مدارسهم والغاء رواتب كهنتهم وجدوا في قيادة الحبر الاعظم وارشاداته اعظم مساعد على تنظيم احوالهم وتلافي الشرور التي تنصب عليهم. ولا جرم انهم يفوزون بالغلبة لأن انتصار الباطل لساعة وانتصار الحق الى قيامة الساعة

وجاء ضبط اوراق سفير الكرسي الرسولي السيد مونتانيني على خلاف المعاملات الجارية في كل الدول شاهداً جديداً على مساوئ الحكومة وصدق نيات الكرسي الرسولي واستقامته في المخابرات فضلاً عن كونها لم تكن محتوية لشيء ينتهك حقوق الدولة. اما تصفية اموال الرهبان التي كانت الحكومة اشاعت بانها ستكون مصدراً لارباح طائلة للاهلين فانها على خلاف ذلك سببت خسائر متعددة للبلديات الموكول اليها تصفيتها. وكان الرابحون بعض افراد اشتروا تلك الاموال باثمان زرية لا تفي بنفقات بيعها. وزد على ذلك ما جرى من التلاعب في مساومة تلك الاملاك وفي التصرف بها دون تحقيق

وقد لاحت حكمة الاب الاقدس كضوء النهار في مسألة اخرى ذات خطر عظيم تزيد ضربة على تلك التعاليم المستحدثة التي اشاعها بعض العصريين فحاولوا ان ينقضوا معتقدات الكنيسة الكاثوليكية وينكروا الوحي الالهي وينتصروا للاضاليل الناجمة عن الالحاد والهرطقات الحديثة. فرأى كبير الاحبار ان يضع حداً لاقوال هؤلاء المبتدعين كالدكتور شيل في المانية ولوازي في فرنسة وتيرل في انكلترة فجمع اقاويلهم على شاكلة ٦٥ قضية نهى المجمع المقدس عن تعليمها لما فيها من الضلال. وقد اثبت المشرق (١٠ : ٩١٣ — ٩٢١) جدول تلك القضايا وابدى رأيه في فساد مضامينها

ثم الحق الحبر الاعظم ذلك الحكم ببراءة جليلة ضمنها البحث في مذاهب هؤلاء المحدثين وفي اسانيدها الواهنة التي بنى عليها اصحابها مزاعيمهم الباطلة مع تعريف عواقب

تلك التعاليم الوخيمة. فكان لهذه الرسالة احسن وقع في القارب واسرع الى الاعتراف بصحتها ويقينها كل من لم يستفزهم روح الضلال وشيطان البدع. امّا العُصاة فلم يُجدهم عصيانهم نفعاً فانّ الكرسيّ الرسولي حرم منشوراتهم واوقع بهم القصاصات الكنسية

ولم يكتف البابا بيوس العاشر بقطع دابر الشقاق فانّهُ في هذه السنة نشّط بكتاباتهِ وخطبهِ كثيرًا من المشروعات العمرانيّة والاعمال الخيريّة. فمن ذلك ما اوصى بهِ الكاثوليك بان يجعلوا الصحافة في مقدّمة اسباب الدفاع عن الدين ويتّخذوا الطباعة كآلة فعّالة لنشر التعاليم القويمة. ومنها كتاباتهُ الى المؤتمرات الكاثوليكيّة الفرنساويّة والالمانيّة كمؤتمر الشبيبة الفرنسويّة والجمع القربانيّ ومؤتمر كاثوليك المانية ومؤتمر الرقيق فانّ الحبر الاعظم كتب الى اصحاب هذه المؤتمرات او خطب في مُنشئيها باعثاً لهممهم منشطاً لعزائمهم مشيرًا الى الخطط التي يجب عليهم نهجها. وقد اتّصلت همّتهُ الى ما هو ادقّ واصغر من ذلك الى جمعيّات الشبّان الكاثوليك المتروّضين بالرياضات البدنيّة (راجع المشرق ٩: ٢٨—٣١) والى شركات حماية الحيوانات مع انّ اكثر اعضاء هذه الشركات من البروتستانت

وما هو ارفع من ذلك قدرًا انشاء الحبر الأعظم لمحفل كاثوليكيّ لنشر العلوم وتنشيط المعارف في العالم الكاثوليكيّ فعهد بتشكيل هذا المحفل الى ثلاثة من اعظم كرادلة رومية المشهود لهم بطول الباع وسموّ الادراك فجعلوا مقدّمًا للّجنة المركزيّة المؤرخ الكاثوليكيّ الشهير لويس پاستور. ومن اعضاء اللجنة العاملين الاب هاكن اليسوعي الفلكيّ الاميركيّ الذائع الصيت الذي استقدمهُ الاب الاقدس لادارة مرصد الفاتيكان. وقد اخذت المكاتيب ترد عليهِ من كل الاندية العلميّة طالبةً الانضمام الى هذا المحفل الجديد الذي أسهبت الصحف على اختلاف نزعاتها في بيان فوائدهِ الجمّة

ومع اهتمام بيوس العاشر بكل هذه الاعمال الخطيرة تراهُ لا ينسى رعاية المؤمنين وترقية روح العبادة والتقى في الكنيسة. فانّهُ كرّر غير مرّة رغبتهُ في مواترة المسيحيين للمناولة والمواظبة على الاسرار الحيّة وقد سهّل الامر على المرضى حتى الذين لم يمكنهم الصوم ومنح الغفارين على المتقرّبين وحضّ الرُعاة على اقامة ثلاثيّات استعداديّة لعيد القربان الاقدس

وممّا لا يزال صداهُ يتردَّد على مسامعنا منذ خمسة اشهر ذكر الحفلات العظيمة التي امر البابا بعقدها اكراماً للقديس يوحنا فم الذهب بنسبة تذكار وفاتهِ المئوي . (اطلب المقالة التي في اوَّل هذا العدد من المشرق) .

وكذلك ابتدأت مظاهر الافراح تنتشر في العالم الكاثوليكيّ منذ اليوم ١٨ من شهر ايلول الماضي احتفاء بيوبيل كهنوت قداسة الحبر الاعظم الحبريّ فيُختم برونق عظيم في ١٦ تشرين الثاني من العام المُقبل . ولا شكَّ انَّ الكاثوليك في هذه المدّة لا يدَّخرون وسعهم في اكرام ابي الآباء ورئيس الاحبار وقد اخذ الشرقيُّون يجارون في هذه الحلبة اخوتهم الغربيين كما ثبت للذين اطَّلعوا على رسالة غبطة بطريرك الكلدان يوسف عمانويل الثاني (في البشير في غاية كانون ١)

امَّا علائق الكرسيّ الرسولي مع الدول فهي بالاجمال مرضيَّة مستجادة لا يعكّر أديم سمائها الَّا غمامة امور فرنسة وسُنَنها المجحفة بحقوق الكاثوليك . لكنَّ بيوس العاشر لا يدع فرصةً يجاهر فيها عن مودَّتهِ لفرنسة واشعبها فانَّ قداستهُ تبرَّع بمبلغ مائة الف فرنك لمكتب باريس الكاثوليكيّ لانشاء فرع جديد في تعليمهِ اي تفنيد الاضاليل العصريَّة . وكذلك ادخل في سلك الكرادلة اسقفين فرنسويين وهما السيّد اندزيو رئيس اساقفة مرسيلية والسيد لوسون رئيس اساقفة ريمس اختارهما لهذه الرتبة الاثيلة مع السيّدين غسباري وده لاي الايطاليَّين

قد اشرنا الى حسن العلاقات بين الكرسيّ الرسوليّ والدولة العليَّة ويضاف الى ما سبق قولهُ ما صار للبطريرك الاورشليميّ الجديد غبطة السيد كاسّاي من الاحتفاء من رجال الحكومة السنيَّة عند قدومهِ الى القدس الشريف في آذار الماضي . هذا فضلاً عن شارات العظمة والاكرام التي تظاهرت بها نحو شخصهِ الكريم كلّ الطوائف والاهالين

وكذلك بقيَّة الدول فانَّها مجمعة على تعظيم الدين الكاثوليكيّ متسابقة في اكرام رئيسهِ الاعظم . وقد تبيَّن الامر بجلاء في المؤتمرات الكاثوليكيَّة السابق ذكرها فانَّ الملوك ورؤساء الدول انتهزوا تلك الفرصة لاعلان رضاهم عن تصرُّف الكاثوليك ديناً ودنيا . ويمتاز ملك اسبانية في اجلالهِ للحبر الروماني . وامَّا ولد ابنهُ البكر امير استورية لم يرضَ له غير الاب الاقدس شيئاً في عمادهِ الذي تثبت حفلتهُ في ١٧ ايَّار

وفي روسيَّة تحسَّنت احوال الكاثوليك منذ أعلنت رسميًّا حرّية الاديان فجاهر بالكثلكة ٢٣٠,٠٠٠ من الروثان المتبعين للطقس اليوناني في ابرشيَّة شلم وحدها وكذلك ارتدَّ منهم ٢٠٠٠٠ في بلاد ليثوانية وروسيَّة المعروفة بالبيضاء. وبلغ عدد المرتدّين الى الكثلكة في بقيَّة انحاء روسيَّة ٧٥٠,٠٠٠ بينهم الاعيان والاشراف والكهنة والرهبان. وقد رخصت الدولة الروسيَّة لبعض الرهبانيَّات الكاثوليكيَّة ان تسكن تخومها بعد نفيها منها. فاخذت هذه الجمعيَّات تشيّد اديرةً وتشتغل بالمواعظ والرياضات وكافَّة الاعمال الخيريَّة. وانَّما شاب صفاء هذه الافراح سوء تفاهم بخصوص رئيس اساقفة ثلثا الكاثوليكيّ الذي نُسبت اليه زورًا معاكسة الحكومة لكنَّ الامل معقود بازالة هذه العثرة قريبًا

وفي ايطاليـة ايضًا قد لحظ السياسيُّون انَّهُ حصل بعض التقرُّب بين بلاط الكويرينال والفاتيكان رغمًا عمَّا جرى في رومية من المظاهرات العدائيَّة التي جاهر بها بعض اصحاب الاشغاب. والدليل على ذلك انَّ الجنود الايطاليَّة اخذت سلام الكردينال لورنزلي عند دخوله الى لوك مركز رعايته. وأدلُّ من ذلك انَّ الحكومة الايطاليـة ارسلت مدرَّعة لمشاركة الكاثوليك في الاعياد المقـامة لاكرام القديس فرنسوا ديول وانَّ الكردينال صار لهُ استقبال حافل بهيج. وقد نقلت الجرائد هذين الخبرين وبنت عليهما الاقاويل المختلفة حتى انَّ الامر وصل الى ندوة المندوبين فقـام وزير البحريَّة والمسيو جيوليتي ودافعا عن الحكومة ببلاغة اوجبت ثقة الجميع واستحسانهم

وان تخطَّينا الى الامم التي هي خارج اوربَّة وجدناها مرتبطـة مع الحبر الروماني باواخي الحب والمحاوة. ففي ٢٦ حزيران قبل البابا الوفد القادم من العجم من قبـل الشاه الجديد فسلَّم الحضرة البابويَّة رسالة بخط يد مولاه

ومثلهُ الميكادو لمبراطور اليابان فانهُ ارسل نقابةً يرأسها المسيو اوشيد الى الحبر الاعظم يشكر قداستهُ على تنفيذه السيد اوكونل الى توكيو ليمثل الكرسيّ الرسوليّ فيها

وصار في رومية للوفد الحبشيّ استقبال شائق. وكان هذا تعزيةً عظيمة لقلب الحبر الاعظم لانَّ الامير مشاشيا رئيسها قرأ في المواجهة الخاصَّة التي منحهُ اياهـا البابا عريضةً باسم سيده كان ضمَّنها ارفع الألقاب واشرف الاسماء الدالَّة على اعترافه بالحبر

الروماني كخلف للقديس بطرس هامة الرسل وابٍ لكافة المسيحيين. فاجاب بيوس العاشر على هذا الخطاب بكلام انيق شكر فيهِ امبراطور الحبشة على حسن نيَّاتهِ ومجاملتهِ للمرسلين الكاثوليك في انحاء مملكتهِ

وقد وجد بيوس العاشر في تعزُّز الكثلكة في الولايات المتَّحدة ما ضاعف سرورهُ. ففي هذه السنة نبذ قومٌ من وجهاء الاميركيين الشيع البروتستانية وانضمُّوا الى الدين القويم نخصُّ منهم بالذكر اسقف مقاطعة اوريغون مع امرأتهِ وبنيهِ التسعة. والدكتور مَرْشال (Marschall) رئيس كنيسة اتلنتار. والاستاذ المتضلِّع بالعلوم اليونانية وست (Wisth) احد معلمي كلية كولمبية. والسيد هال (Hall) رئيس شركة الطباعة في شيكاغو. ثمَّ مدير السكك الحديديَّة المنسوبة الى البحر الهادي. ثمَّ ابنة الاميرال وِرْد (Wirde)

وممَّا يستحقّ الذكر انَّ رئيس بلديَّة انديانوبوليس البروتستاني رحَّب باعضاء شركة الاتحاد الكاثوليكيّ لمَّا عقدوا مؤتمرهم الاخير في مدينتهِ وخطب فيهم خطبةً رسميَّة بليغة اوضح فيها باسمهِ وباسم الحكومة عن اعتبارهِ الخاصّ واعتبار ذوي الامر « لتلك الكنيسة التي يحقّ لها ان تتباهى بمبادئها الصحيحة وسموّ قدرها ولرأسها الجليل الذي يستحقّ كلّ اكرام وتبجيل »

ومن دلائل اعتبار حكومة الولايات المتَّحدة للكثلكة انَّها أمرت بأن تُنقَل على نفقتها من فرنسة الى اميركة الف راهبة من راهبات المحبَّة كأنَّها احتجَّت بذلك على ما يلقاهُ اولئك ملائكة الرحمة من العنف والفظاظة من اعداء الدين في وطنهم. وكذلك كاثوليك فيلادلفيا ارسلوا الى الحبر الاعظم رقيماً اقاموا فيهِ الحجَّة على ما اصاب اخوتهم الكاثوليك في فرنسة من الظلم وسوء المعاملة

وفي هذه السنة انشأت لها حكومة بلاد شيلي سفارةً لدى الكرسيّ الرسولي. فصار بها تعويض عن سفارة بوليفية التي أُلغيت بمساعي بعض الاشرار

ولسنا لننسى اجتماع الكاثوليك في اوستراليا في آذار بتصدُّر الكردينال موران رئيس اساقفة سيدني فانَّ الخطباء قد بيَّنوا ما اصابتهُ هناك الكنيسة من التقدُّم العجيب ولاسيما في السنين الاخيرة فانَّ اسم الكاثوليك كاد يكون مجهولًا قبل مئة سنة وهم

اليوم الف الف ومئة الف يسوسهم كردينال ورئيسا لساقفة و١٤ اسقفاً و١٤٠٠ كاهن وقس على ذلك بقية مشروعاتهم وكلها يُقضى منها بالعجب

وكذلك نالت اعمال المرسلين في هذه السنة نموًّا عظيماً في كل اقطار المعمور في الصين واليابان وجهات افريقية وجزيرة مدغسكار وجزائر اوقيانية ولم يقصروا اهتمامهم بالنفوس بل انشأوا ايضاً عدّة منشآت خيريّة كمستشفيات للمرضى والمصابين بداء النُوام ومياتم للفقراء ومآوى للبرص فضلاً عن فتحهم للمدارس العديدة . ومع كثرة عددهم لا يكفون للقيام باعمالهم فيطلبون حصّدة من ربّ الحصاد ليساعدوهم اثابهم الله وكثّر امثالهم (له بقيّة)

كتابات شرقيّة جديدة

مكتوبة على البَرْديّ ومكتشفة في مصر

للاب سبستيان ونترفال اليسوعي مدرّس الاثار الكتابيّة في المكتب الشرقي

استلفتنا انظار القرّاء في بعض اعداد سنتنا المنصرمة (ص ٦٧٣ وما يليها ثمّ ص ٧٦٤) الى ما وُجد حديثاً من الكتابات الآراميّة منها على البردي ومنها على الخزفيّات(١ في جزيرة اليفانتين وفي اسوان . واشرنا هناك الى خطر تلك الاكتشافات وعظم شأنها لمعرفة التاريخ الشرقيّ ولدرس الخطوط الساميّة القديمة مع ما يُستفاد منها لفهم الاسفار المقدّسة ولتأييد صحّتها . وقد ختمنا مقالتنا بأمنيّة ورجاء عاقدين الامل على قرب اكتشاف بعض نصوص من الكتب المقدّسة مكتوبة بالخط الآرامي القديم يرتقي عهدها كبقيّة الكتابات الى القرن الرابع او الخامس قبل المسيح . ولا يخفى ما يترتّب على مثل هذا الاكتشاف من المنافع اذ اقدمُ ما يُعرف اليوم من نصّ الكتاب المقدّس في العبرانيّة لا يتجاوز القرن التاسع او على الاكثر القرن الثامن بعد المسيح

انّ رجاءنا هذا لم يتحقّق بعدُ الّا انّ الاثريين قد توفّقوا الى اكتشافات أخرى من شأنها ان تحيي آمالنا فضلاً عن ان تخمدها . وفي الاسطر التالية شاهد على قولنا . ولا

١) أصلحْ ما ورد في الصفحة ٦٨٢ من التصحيف في السطر الاخير قبل الحاشية فطُبع هناك « كتابة حجريّة » والصواب « خزفيّة » (ostraca)

نشك في انَّ قرّاءنا الكرام يتامّون بانشكر ما نرويهِ لهم نقلًا عن المجلّات العلميَّة الخاصّة التي لا يتيسَّر لهم الحصول عليها

*

ممَّا اثبتنا سابقًا انَّ العلّامة كارمون غانو احد كبار المستشرقين في عهدنا لمَّا بلغهُ نشر الكتابات الآراميَّة التي ابتاعها روبرت موند (Rob. Mond) وجعلها في متحف مصر عرضَ نفسهُ على جماعة الفنون والكتابات في باريس لترسلهُ الى اسوان وضواحيها حيث وُجدتْ تلك الكتابات لعلَّهُ يكتشف آثارًا غيرها من جنسها. فلبَّت الجماعة الى دعوتهِ وافرزت لهُ لهذه الغاية مبلغًا من المال

فأبحر الى مصر ولم يألُ جهدًا في معرفة المكان الذي استُخرجت منهُ تلك الآثار لأنَّ اقوال الباعة كانت ملتبسةً متباينة فبعد التفتيش والتنقيب تحقَّق الاثريُّ المومأ اليهِ بأنَّ تلك الكتابات لم تُكتشف في اسوان لكن في جزيرة اليفانتين كما سبق اليهِ حدسهُ بدرس الكتابات المنشورة حيث تكرَّر اسم تلك الجزيرة المدعوَّة يب (יב) في الآراميَّة وفي اليونانيَّة IHB كما وردت في احدى الكتابات : وكان في الوقت عينهِ اوفدت جمعيَّة العلوم والمتاحف في برلين المسيو اوتّو روبنسوهن (O. Rubensohn) لمراقبة تلك الكتابات والبحث عنها

واليوم قد وقفنا على نتيجة البعثتين الفرنسويَّة والالمانيَّة. اما بعثة المسيو كارمون غانو فانَّ خلاصتها قد طُبعت في نشرة جمعيَّة الكتابات والفنون (Comptes rendus de l'Acad. des. Inscript. 1907, p. 201-203) فدوَّن هناك قرار اعمالهِ ومكتشفاتهِ وقد أطلعنا القرَّاء في وقتهِ (المشرق ١٠ : ٧٦٤) على جملة هذه المقالة. وكان رافق المسيو كارمون غانو في حفرياتهِ تلميذهُ القديم في باريس المسيو كليدا (G. Clédat) احد الاثريين المصريين فاتَّضح لكليهما كما وقف عليهِ ايضًا المسيو روبنسوهن من جهتهِ انَّ الكتابات البرديَّة المبيعة حديثًا استُخرجت من جزيرة اليفانتين ليس من غيرها. ومن ثمَّ قصرا العمل على تلك الجزيرة وتولَّيا الحفر فيها

وكان شغل العَمَلة بادئ بدء شاقًّا عنيفًا لأنَّ جزيرة اليفانتين المعروفة اليوم بجزيرة اسوان صغيرة الارجاء كثيرة الردوم والاطلال ليس فيها شيء يستدعي نظر السائح الَّا اكوام من التحوف المكسَّرة والخزفيَّات وقطع اللبن الجفَّف بالشمس ممَّا لا يؤمل منهُ

كبير منفعة . وفي الجزيرة علاوةً على ذلك قريتان حديثتان تشغلان مكاناً كبيراً منها

على انَّ بعض الآثار كانت تدلُّ على موقع مدينة « يب » في تلك الجزيرة اخصُّها بعض الاخربة التي تُرى في طرفها الجنوبيّ . فبعد البحث الطويل توفّق اخيراً صاحبا الحفريّات الفرنسويّان باكتشاف آثار جليلة اخصُّها تمثالان من الحجر الاسود المانع المعروف بالديوريت (diorite) يرتقيان الى عهد تحوتمس الثالث وعلى كليهما كتابات غاية في الخطر . ثم بقايا معبد قديم كانت تزينهُ مسلّات صغيرة فيهِ مدافن لكبوش من معبودات المصريين كانوا حنَّطوها باعتناء كلّي وجعلوها في نواويس من الحجر المحبَّب الصلب . فكان لهذا الاكتشاف رنّة عظيمة فعدَّهُ العلماء بمثابة اكتشاف ماريت باشا لهيكل سيرابيس في سقّارة حيث وُجدت مدافن ثيران ابيس المقدَّسة فشاع بذلك اسم ماريت في عالم العلم . امَّا الكبش فكان رمز الاله خنوم او خنوب معبود اليفانتين وحيوانهُ الخاصّ بهِ . وسترى قريباً في وصفنا للآثار البرديَّة الجديدة ذكراً لهذا الاله

على انَّ هذه الاكتشافات مهما عظم شأنها لم تكن لتحقق امانيَّ المسيو كارمون غانو الذي كانت غايتهُ قبل كلّ شيء وجود آثار آراميّة . فما كان ظنُّهُ ليخيب في ذلك ايضاً فانهُ بعد البحث توصّل اخيراً الى اكتشاف الدفائن المطلوبة فوقف على ١٢٤ قطعة من الخزفيّات على وجهَيْ اكثرها كتابات في اللغة والقلم الاراميَّين سطَّرها في القرن الخامس قبل المسيح قوم من اليهود المستعمرين في تلك الجزيرة . وقد بيَّنَّا لقرَّائنا في مقالتنا السابقة عن بعض الآثار البرديَّة المكتشفة في مصر انَّ كاتبيها من يهود تلك المستعمرة عينها . فثبت بذلك لدى العلماء انَّ في هذه الجزيرة يؤمَّل اكتشاف آثار اخرى لتلك المستعمرة فان لم يكنْ هيكل الربّ الذي اقامهُ فيها اولئك اليهود او نسخة من توراتهم فعلى الاقلّ كتابات جديدة تزيد علمنا باحوالهم . وكانت نهاية حفريّات المسيو كارمون غانو تلك الدفعة بعد اربعة اشهر تامَّة

امَّا بعثة المسيو روبنسوهن فقد نشر تفاصيلها في الاشهر الاخيرة العلَّامة الشهير ادوار ساخو (Ed. Sachau) احد ائمة مكتب برلين في نشرة جمعيَّتها العلميَّة (١

١) اطلب مقالتهُ في عدد ٢٧ تموز ١٩٠٧

Ed. Sachau : Drei aramaeische Papyrusurkunden aus Elephantine. *Abhandlungen d. koenigl. preuss. Akad. d. Wissenschaft*. 25 *Juillet*, 1907.

مع تعريف ثلاث كتابات آراميَّة مكتشفة في تلك البعثة. وقد تلطَّف جناب الكاتب فارسل الينا منها نسخةً نشكرهُ عليها. وها نحن نقرّر هنا مُجمل محتويات هذه المقالة

يُستفاد منها اوّلًا انَّ الاستاذ روبنسوهن كان قد اجتمع بالمصري الذي باع المسيو موند (Mond) الكتابات البرديَّة السابقة فاعلمهُ موضع اكتشافها ودلَّهُ على نقطة معلومة في جنوبيّ جزيرة اسوان في غربي اخربتها التي هناك حيث المسيو روبنسوهن اكتشف كتابات بَرْديَّة يونانيَّة (شباط ١٩٠٦). ثم عاد المسيو روبنسوهن في السنة التالية واستأنف الحفر في المكان المعيَّن وواتى عملهُ عملَ المسيو كارمون غانو في الوقت ذاتهِ ودون تواطؤ بينهما. وكانت البعثتان تشتغلان لغاية واحدة تتجاريان في العمل لا يفصل الواحدة عن الاخرى الّا بضعة امتار بل اقتربتا حتى لم يفصل بينهما سوى حبل ممدود. امَّا نتيجة البعثة الالمانيَّة فكانت كنتيجة البعثة الفرنسويَّة لانَّها تحقَّقت مثلها بانَّ المستعمرة اليهوديَّة في القرن الخامس قبل المسيح كان مقامها في هذا المكان من الجزيرة كما انَّها عثرت على بعض آثار مكتوبة على البرديّ لها عظيم الشأن

واوَّل هذه الآثار كتابةٌ على قطعة من البردي هي من اكبر الكتابات المكتشفة الى يومنا واتمّها حسنًا وصونًا طولها ٥٠ سنتمترًا في عرض ٣٠ س تتضمَّن ٣٠ سطرًا بقلم بديع فلا تستوجب قراءتها كبير عناء. وهي الكتابة التي توخَّينا تعريبها مع اضافة بعض شروح تاريخيَّة اليها (١ تنقل معظمها عن مقالة الدكتور ساخو

والكتابة البَرْديَّة الثانية هي لحسن الحظّ نسخة أُخرى من الخطوط السابق. يُستفاد منها بعض روايات مهمَّة لاصلاح نصّ الكتابة المذكورة مع اختلافات لغويَّة ذات بال وقد راجعنا هذه الكتابة في ترجمة الكتابة الاولى فاخذنا عنها بعض الفوائد. الّا انَّ هذه النسخة غير كاملة ينقص منها اوَّلها ثمَّ ذهب نحو خُمسها في الهامش

امَّا الكتابة الثالثة فانها قصيرة جدًّا لا تحتوي غير ١١ سطرًا لكنَّها مهمَّةٌ جدًّا لعلاقتها بالكتابتين السابقتين كما سترى

واوَّل هذه الكتابات قد رُسمت صورتها فيسهل مراجعتها لمعرفة صحَّة شرحها.

١) ويقضي علينا ضيق المكان بالاضراب من تصويرها او رسمها بالحرف البرانيّ. وكتابتها مثل كتابة الاثر الذي اثبتاهُ في مقالتنا السابقة. وكذلك النصّ عكم لا يحتاج الى اصلاح

امّا الكتابتان الثانية والثالثة فلم يتناولهما الدكتور ساخو بالتصوير فلا يمكن الرجوع الى الاصل وان كنّا لا نشكّ في امانة المترجم وحسن قراءته

واعلم انّ المسيو روبنسوهن وقف على كتابات اخرى غير السابقة بعضها يونانيّة مكتوبة على البردي والبعض الآخر آراميّ اللهجة كُتب على قطع خزفيّة كبيرة لم يُنشر حتّى الآن بالطبع . امّا الخزفيّات فقد وُجدت على مقربة من معبد الاله خنوم بجوار المكان الذي فيه اكتشف المسيو كلرمون غانو قطعة الخزفيّة التي نوّهنا بها

فتبيّن جليًّا من هذه الاكتشافات المتوالية (اوّلًا) انّ الكتابات التي حصل عليها سابقًا المسيو موند انّما اكتُشفت في هذا المكان عينه . (ثانيًا) انّ من هناك ايضًا صدرت كتابات أُخرى آراميّة خزفيّة نُشرت بالطبع وقيل انّ اصلها من اليفانتين (١ . فلا بُدّ من نسبتها الى المستعمرة اليهوديّة التي كانت مقيمة هناك . (ثالثًا) واخيرًا انّ الكتابة الآراميّة الاولى التي نشرها بالطبع العلّامة اوتنغ (Euting) فوصفناها في المشرق (٦ : ٨٦١) وهي تتضمّن ذكر مدينة « يب » والاله خنوم وما روى كهنته مصدرها من الجزيرة ذاتها ومن المستعمرة عينها (٢ . وكانت تلك الكتابة بيعت في الاقصر ولم يُعرَف مكان اكتشافها . واليوم لا يبقى في اصلها ريب

وخلاصة القول قد ظهرت بهذه المكتشفات العلاقة بين تلك الآثار الآراميّة الجليلة وبرزت الى الوجود صفحة عزيزة من تاريخ بني اسرائيل بعد جلائهم . وما يزيد الامر قدرًا انّ معارفنا عن ذلك العهد كانت اعزّ من بيض الانوق لا نكاد نعلم شيئًا من امر اليهود منذ عهد نحميا وعزرا الى ملك الاسكندر فجاءت هذه الكتابات تسدّ بعض الخلل في ذلك

وها نحن نورد هنا ترجمة الكتابة الاولى بكل ضبط مشيرين الى كلّ سطر منها

---

١) نجد جدول كلّ هذه الدفاتر المنشورة في كتاب الاستاذين كولي وسايس الذي سبق لنا وصفهُ (المشرق ١٠ : ٦٧٣ – ٦٨٢) بقلم العلامة سيمور دي ركشي (Seymour de Ricci)

٢) هذا الاثر كان طُبع اوّلًا في احد مجاميع المكتب العلميّ في فرنسة (Mémoires présentés par divers Savants à l'Acad. des Inscriptions, 1903, t. XI. 2e partie). وهذه الكتابة قد اعاد العلّامة سايس وكولي طبعها مع الاشارة الى ما كتب فيها من المقالات

بالعدد وقد قطعنا بعض الفقرات عن اخواتها زيادةً للايضاح امّا في الاصل فالاسطر لاحقة ببعضها :

(١) الى سيدنا يجوحي (ביגוחי) حاكم جوذا من عبيدك يدونيه وزملائهِ الكهنة الساكنين في حصن يب سلام (٢) فليُفِض عليك ربُّنا إله السماء نعمةً في كلّ حين ويملك من ذوي الحظوى بازاء داريوس (وفي الاصل درويوش דרויהוש) الملك (٣) والاسرة الملكيّة الف مرّة ازيد من الان ويحعلك حياةً طويلة . دمتَ في الهناء والصحّة في كلّ حين

(٤) امّا بعد انّ عبيدك يدونيه وزملاءهُ يعرضون ما يلي : في شهر تموز من السنة ١٤ لداريوس الملك بعد ان ارشم (ארשם) (٥) رحل قادماً الى الملك قد دبّر كهنةُ الاله خنوب (חנוב) الذين في حصن يب مكيدةً مع ويدرنج (ויתרנג) المدير هنا (٦) قاصدين ان يعدموا من حصن « يب » هيكل (אמרה) الله (יהו) المقام فيهِ . ثمّ ان ويدرنج ذاك (٧) اللعين انفذ رسائل الى نَفَين (נפיך) ابنهِ الذي كان قائدًا للجند في حصن اسوان (סוך) قائلًا لهُ : « عليك بالهيكل الذي في يب (٨) الحصن فاهبطوهُ » . وعليهِ اخذ نَفَين قوماً من المصريين وغيرهم من الجند تقدموا الى حصن يب بعدّاتهم (٩) ودخلوا الهيكل المذكور فأهبطوهُ الى الحضيض وحطّموا ما كان فيهِ من العواميد الحجريّة . وكذلك الابواب (١٠) الحجريّة التي كانت سمة في هذا الهيكل وكلّها بالحجارة المنحوتة فانّهم اهبطوها واقتلعوا مصاريعها ورزّاتها (١١) وكانت لتلك المصاريع رزّات من النحاس امّا سقفها كلهُ الذي كان من خشب الأرز وكذلك اخشاب الجدران وبقيّة المحتويات (١٢) احرقوها كلها بالنار . ثمّ نهبوا كلّ آنية الذهب والفضّة وكل ما كان في الهيكل (١٣) واستلكوهُ

منذ ايّام ملوك مصر كان آباؤنا شيّدوا هذا الهيكل في حصن يب وامّا دخل مصر كنبوزي (כנבוזי) (١٤) وجد هذا الهيكل مشيّدًا فأخربت كل هياكل الالهة المصريين اما هذا فلم يمسّهُ قطّ احدٌ بأذى (١٥) فلمّا فعلوا ذلك لبسنا المسوح نحن ونساؤنا واولادنا وعمدنا الى الصوم والصلاة الى الربّ (יהו) اله السماء (١٦) الذي انتقم لنا من هذا الكاب ويدرنج فقرعوا الانلال من رجليهِ (اونُقدت كل الكنوز التي ربحها . وكذلك كل (١٧) الذين اضمروا الشرّ لهذا الهيكل فانّهم قُتلوا جميعهم وفُزنا بهم

وكنّا قبل ذلك حينما كان هذا الشرّ (١٨) لاحقًا بنا ارسلنا عريضةً الى مولانا والى يوحنّان كبير الاحبار وزملائهِ كهنة اورشليم والى اوستان (אוסתן) اخيهِ (١٩) الذي هو (يُدعى) عَنَني (ענני) والى اعيان اليهود فلم يوجّهوا الينا رسالة (اي جواباً) البتّة

وايضاً منذ شهر تموز من السنة ١٤ لداريوس الملك (٢٠) الى يومنا هذا لا نزال لابسين المسوح وصائمين . وقد اضحت نساؤنا كالارامل ولا ندّهن بالزيت (٢١) ولا نشرب خمرًا . ومنذ ذاك الوقت ايضاً الى السنة ١٧ لداريوس الملك لم تُقرَّب تقدمة البتّة لا طعام ولا بخور ولا ذبيحة (٢٢) في هذا الهيكل

---

١) هذه العبارة غريبة مبهمة والمرجّح ان المقصود بها «قد قادوهُ الى الموت»

وعليه فانَّ عيدك يدونيه وزملاءهُ اليهود وكلُّهم اصحاب يب يعرضون ما يأتي (٢٣) ان راق لديك سيدنا ان توجّه قلبك الى هذا الهيكل (فترخص لنا) بان نُعيد بناءهُ لانَّ ذلك لا يُسمح به لنا. تطفَّف على اصحاب (٢٤) نعمتك وعيك الذين هنا في مصر. فاتُرسَلْ اليهم من قبلك رسالة بخصوص هيكل الرب (יהו) (٢٥) ليُستأنف بناؤهُ في حصن يب كمثل ما كان مشيَّدًا في الماضي. فتُقدَّم تقادم الطعام والبخور والذبائح (٢٦) على مذبح الاله الرب (יהו) باسمك ونُصلي لاجلك في كلّ حين نحن ونساؤنا واولادنا واليهود (٢٧) كلهم الذين هنا إن تمكَّن هؤلاء من تكرار بناء الهيكل. وسوف يكون لك حصّة امام الربّ (יהו) اله (٢٨) السماء من كل رجل يقدّم لهُ قربانًا او عرقة من قيمة (١ . . . .) الذهب (٢٩) فقد ارسلنا عنهُ المعلومات سابقًا وكذلك كنَّا كتبنا رسالةً اوضحنا فيها كل الامر باسمنا الى دليه (דליה) والى شلّميه بن سنابط (סנאבלט) حاكم السامرة

(٣٠) ولم يعلم ارشم شيئًا من كل ما جرى لنا

في ٢٠ مرحشوان (מרחשון) السنة ١٧ لداريوس الملك

*

هذا هو الاثر الجليل الذي يقدّرهُ قدرهُ كلّ من يطلع عليه. فانَّ الذي يتصفَّحهُ في نصّه الاصلي يخال لهُ بأنه يقرأ فصلًا من كتاب عزرا او من سفر دانيال للشبه التام بين لغته الارامية وبين لغة ذينك السفرين. وقد حدنا في تعريبنا قليلًا عن ترجمة المسيو ساخو الالمانيّة وسنبين في فرصة أخرى سبب الاختلاف. وانَّما تبعنا في بعض الاشياء اصلاحات المسيو كلرمون غانو وترجيحاته التي دوَّنها على عجلة في نشرته الموسومة بمجموع آثار شرقيّة (Recueil d'Archéologie Orientale, t. VIII, p.128-132)

فممَّا يفيدنا به هذا البردي بنوع قطعيّ انَّ لفظة اجوره (אגורה) التي وردت في آثار روبرت موند (المشرق ١٠: ٦٧٨ — ١٧٩) تدلُّ حقيقةً على هيكل الربّ الذي شيَّدتهُ المستعمرة اليهوديّة المقيمة في جزيرة اسوان. وكان العلماء لا يعرفون قبلًا عهد الهيكل المذكور فاتانا الاثر الجديد بمعلومات في منتهى الاهمّية لتاريخ بني اسرائيل. يؤخذ من السطرين ١٣ و١٤ انَّ هذا الهيكل كان مبنيًا منذ عهد ملوك مصر اعني قبل السنة ٥٢٥ ق م وكان قمبيس غلب فيها بسماتيك الثالث وجعل القطر المصري اقليمًا للفرس. ويا حبَّذا لو علمنا متى قدمت الى اليفانتين العشائر اليهوديّة التي ابتنت لربّ اسرائيل هذا

١) الظاهر انَّ الاصل هنا قد نشوّه فلا نأخذ على نفسنا تعريبهُ

الهيكل أأتت اليها في زمن خراب اورشليم على يد نبوكدنصر اعني نحو سنة ٥٨٨ قبل الميلاد او قبل ذلك العهد بعد افتتاح الاشوريين للسامرة اعني بعد السنة ٧٢٣ والمرجح عندي انَّ قدومهم الى مصر كان في زمن خراب الهيكل نحو سنة ٥٨٨ ولولا ذلك لأتسع صاحب الكتابة الآرامية في ذكر قِدَم هيكل اليفانتين

وما لا ريب فيهِ انَّ في عهد قمبيس لمَّا فتح هذا الملك مصر وسار بجيوشهِ زاحفاً الى جهات الحبشة لم يمسّ هيكل اله اسرائيل على خلاف صنعهِ بهياكل آلهة مصر. وهذا يوافق كل الموافقة مداراة الدولة الفارسيَّة لبني اسرائيل كما اثبتها عزرا في سفرَيهِ. وكلّ يعلم ان كورش سلف قمبيس ومنشئ دولة الفرس القديمة هو الذي رخَّص لليهود الذين جلاهم البابليُّون الى بابل بان يعودوا الى اليهوديَّة ويجدّدوا بناء هيكل اورشليم وقد تمَّ ذلك على عهد داريوس الاول خلف قمبيس في السنة ٥١٥—٥١٦ ق م

فلا بدع اذن انَّ في ذلك الوقت وقبلهُ بسنين كان لبني اسرائيل هيكلان يعبدان فيهما الرب إلههم اعني هيكل اورشليم وهيكل اليفانتين وكان بالطبع هذا الهيكل الآخر منوطاً بهيكل اورشليم حيث كان يقيم كبير الاحبار

وكنَّا وددنا لو نعلم من ايّ عهدٍ كانت تُقدَّم لهذا الهيكل التقادم والذبائح وكلّ العبادات الجارية عند اليهود التي يُشير اليها الأثر الجديد أكان اليهود باشروا بذلك منذ اقامتهم في مصر. والاسفار المقدسة تعلمنا على خلاف ذلك انَّ هذه الرُّتب الدينيَّة كانت مبطلة بين اليهود المجليّين الى بابل وكانت قصوى رغبتهم في الرجوع الى فلسطين ليجدّدوا فيها نواميس الرب الشرعيَّة على مألوف عاداتهم السابقة لجلاء بابل. والغالب على ظننا انَّ يهود اليفانتين لم يبنوا هيكلهم في اوَّل الامر الَّا ليقيموا فيهِ الفرائض الدينيَّة كما في اورشليم فباشروا بذلك منذ عهد ملوك مصر. لا بل نرجح كون بني الجلاء في بابل لم يهملوا رُتبهم الدينيَّة التي ورثوها عن آبائهم ولعلَّهم اتَّخذوا لذلك هيكلاً موقتاً تمّموا فيهِ مراسيم دينهم عند ما كان يتساهل بالامر ملوك بابل. لكنَّ ذلك التساهل لم يُسمح بهِ تماماً قبل عهد الفرس. امَّا في مصر فانَّ بني اسرائيل نالوا من ملوكها الوطنيين الرخصة بتشييد هيكل في اليفانتين ومن المحتمل انَّ ملوك مصر فعلوا ذلك لاسباب سياسيَّة ولا يبعد انَّهم هم الذين دعوهم الى ارض الفراعنة في زمن الحروب ولاسيما حروب البابليين لفلسطين ومصر في عهد نبوكدنصَّر. فان صحَّ

ذلك تأيد ما قلناهُ سابقًا في تاريخ بناء هيكل اليفانتين اعني اوائل القرن السادس قبل المسيح اذ لا يقبل العقل انَّ بني اسرائيل قبلوا دعوة ملوك مصر دون ان يشترطوا عليهم اتمام واجباتهم الدينيَّة علانيةً كما في بلادهم (١. ولكنَّنا نعلم ايضًا انَّ كهنة الآلهة وعامَّة الشعب في مصر لم يكونوا ليرضوا بهذا التساهل الملكي. فكان ثورهم سبب ثورتهم (٢

ومن عجيب ما ورد في كتابتنا الجديدة اسم اله اسرائيل الذي يُدعى غير مرَّةٍ يَهُو اله السماء (מראן אלה שמיא). ولمَّا كان الاثر رسالةً من اليهود الى حاكم الفرس بجوهي فلا غرو انَّ هذا الاسم كان شائعًا عند الفرس معروفًا عندهم. ولعلَّ المصريين من كهنة وعامة لم ينقموا على اليهود الَّا لكونهم كانوا يلقبون إلههم بهذا اللقب الجليل. والخطر من ذلك انَّ هذا الاسم العظيم قد ضمَّنهُ كورش الملك في التقرير الذي كتبهُ لبني اسرائيل لمَّا منحهم الرخصة ليعودوا الى اورشليم ويجدّدوا بناء هيكل اورشليم كما هو مدوَّن في سفر عزرا الاول (١ : ١ — ٤) قال كورش: «جميع ممالك الارض قد اعطانيها الربّ اله السماوات (אלהי השמים) واوصاني بان ابني لهُ بيتًا في اورشليم (٣.» وقد ورد هذا الاسم في القسم الارامي من سفر دانيال (٢ : ١٨—١٩) على الصورة التي تراها في هذا الاثر الجديد. وكان السوريون قد اتَّخذوا هذا الاسم لاحد آلهتهم الاله هدد منذ القرن التاسع قبل المسيح فدعوهُ بعل السماء (בעל שמין) فاراد اليهود ان

١) اعلم انهُ ليس بالامر اليسير (لقلَّة ما لدينا من الآثار القديمة) تحديد زمن مجيء اليهود الى جزيرة اليفانتين أكان ذلك قبل خراب اورشليم او بعد وانَّما افادنا ارميا النبي (ف ٤٣ و ٤٤) انَّ فرقةً من اليهود وكان هؤلاء قد لجأوا الى مصر بعد خراب اورشليم بزمن قليل. وافادنا ايضًا النبيَّان ارميا (٤٦ : ١) واشعيا (١١ : ١١) انَّ بعض اليهود استوطنوا الصعيد والنوبة كما اعلمنا الكاتب ارستاوس (ed. Wendland, 13) انَّ بعض المستعمرين من اليهود قطنوا القطر المصري في عهد بسمَّاتيك الثاني (٥٩٤—٥٨٩ ق م) وانَّ هذا الفرعون استأجرهم في جيشهِ في كبح فتنة الحبشة. فعلى رأيي آخر عهد لمجيء اليهود الى اليفانتين كان سنة ٥٨٩ وذلك ممَّا يُعلِّل تساهل بسمَّاتيك مع هؤلاء الاجراء بان يقيموا لإلههم هيكلًا

٢) وكان العلماء قد ارتأوا هذا الرأي بعد ان نشر الدكتور اوتينغ كتابتهُ الارامية لكنَّ الامر كان مشتبهًا واليوم قد ظهر ظهورًا تامًّا لا يُبقي من بعدهِ ريبًا لاسيَّما انَّ ويدرنج المذكور في اثرنا الجديد ورد ايضًا اسمهُ في الكتابة السابقة

٣) اطلب ايضًا سفر اخبار الايَّام الثاني (٣٦ : ٢٣)

يخصُّوا بهِ الاله الحقيقي دلالةً على انهُ يستحقُّ وحدهُ هذا الاسم سواء كانوا سبقوا الى استعمالهِ او استعاروهُ منهم (لهُ تتمَّة)

رسالة الخُجَنْدي في المَيْل وعَرْض البلد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

هذا اثر جديد من المجموع النفيس الذي وصفناهُ سابقاً (في المشرق ٩: ١٨—٢١) ونقلنا عنهُ عدَّة مقالات فريدة كالرسالة في الآلات المنقسة لارسطس (٩: ٢١—٢٨) والرسالة في الآلة المزمّرة بنفسها لبني موسى (٩: ٤٤٤) والرسالة في المكحلة (١٠: ٨٦). وقد أُعجب المستشرقون بكل هذه الآثار الجليلة القيّمة بعد دفنها وألحوا علينا بان ننشر فصولاً اخرى من ذلك الكتاب الخطير. تلبيةً لسؤلهم ها نحن نورد الأثرين الأرابين منهُ وهما رسالة الشيخ ابي محمود حامد بن الخضر المعروف بالخجندي (١ المتوفى سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٢ م) التي عنوانها تصحيح الميل وعرض البلد. وكان الخجندي من كبار الفلكيين قد اصطنع آلة رصديّة دعاها بالسدس الفخريّ نسبة لفخر الدولة بن بويه ونصبها في الريّ فكان يرصد بها الأميال وعروض البلاد فيعرف ليس فقط درجاتها ودقائقها كما فعل الفلكيّون من قبلهِ بل بلغ الى ضبط الثواني ايضاً وبذلك قدَّم للعلوم الفلكيّة ورقاها ترقيةً تُذكر. وكان العلّامة ايداي سيديلو (٢ في مقالتهِ عن آلات الرصد عند العرب اشار الى آلة الخجندي نقلاً عن ابي الحسن المرّاكشي لكنَّهُ تأسَّف على فقدهِ وصفها وشرحها. فالمقالة التي ننشرها تسدُّ هذا الخلل وهي للخُجَنْدي نفسهِ وليس احد ادرى بها منهُ ولعلَّ هذه الآلة هي التي حسَّنها بعدئذٍ هبة الله ابن الحسين الاصطرلابيّ كما ذكر جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص٢٣٩). وقد سعينا في ضبط هذه النسخة على قدر الاستطاعة فانَّ العثّ قد اكل بعض الفاظها فأعدناها الى اصلها لمَّا امكنَّا ذلك وتركنا الباقي على علّاتهِ ورجاء ان يصلحهُ احد العلماء على نسخة اخرى

---

١) نسبة الى خُجَنْدة مدينة على شاطئ سيحون في ما وراء النهر بينها وبين سمرقند عشرة ايَّام

٢) اطلب مقالتهُ في الآت الرصد عند العرب Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 1re *série*, Paris 1844, Mémoire sur les Instruments astronomiques des Arabes, par M. L. Am. Sédillot, p. 1-229.

امّا الاثر الثاني فهو لفلكيّ آخر ذائع الشهرة وهو ابو الريحان محمّد بن احمد الشهير بالبيروني المتوفّى على رأي ابن ابي اصيبعة (٢ : ٣١) سنة ٤٣٠هـ (١٠٤٨م) وكان من كبار ائمة العلم لهُ في العلوم الفلكيّة قدمٌ راسخة كما تشهد لهُ تآليفهُ التي طُبع منها جانب في انكلترة. والمقالة التي تثبتها هنا لا ذكر لها في جملة مصنّفاته لقصرها وضمها لوصف آلة الخجندي للارّ ذكرهُ تعريفاً للسدس الفخري. والسدس (sextant) آلة تُقاس بها الزاويا وارتفاع الاجرام السماوية وميل البلاد وعرضها ومسافات غيرها. ومعلوم انّ السدس لا يزال حتى يومنا مستعملاً للرصد لاسيّما عند ارباب البحر ترى صورتهُ في حاشية الصفحة (٦٦) وهذه المقالة كان الفلكيّ ابو الحسن نقلها عن البيروني في كتابهِ عن آلات العرب الرصديّة (١ دون ان يشير الى نقله فاصبنا اثبات كلامهِ بحرفهِ بعد اثباتنا لوصف ابي الحسن (في المشرق ٣ : ٩٨٣) ليُصلح منهُ بعض عباراتهِ وليُعرف كلام البيروني الاصليّ لانّهُ كان عاين في مراغة ذلك السدس فوصفهُ وصفاً مدقّقاً فروى ابو الحسن كلامهُ بتغيير خفيف. وقد دللنا في ذيل الجلّة على رواية ابي الحسن تسهيلاً للمقابلة. وفي اثر هذه المقالة جدول اسماء بعض المهندسين الذين عُرفوا في العراق وخراسان وما وراء النهر الحقناهُ بالمقالة تتمّةً للفائدة

واعلم انّ في المقالة الاولى عدّة الفاظ فارسيّة تدلّ على شهور الفرس القدماء فلا بُدّ من التنبيه عليها. وهذه اسماؤها على الترتيب مع زيادة «ماه» اي شهر على كل اسم : ١ فروردين ٢ اردیبشت ٣ خرداذ ٤ تير ٥ مرداذ ٦ شهريور ٧ مهر ٨ آبان ٩ آذر ١٠ دي ١١ بهمن ١٢ اسفندارمذ

امّا الايّام فهم يجعلون اسماً لكل يوم من ايام الشهر كما يأتي ويضيفونها الى «روز» اي يوم : ١ هرمز ٢ بهمن ٣ اردیبشت ٤ شهريور ٥ اسفندارمذ ٦ خرداذ ٧ مرداذ ٨ دى بآذر ٩ آذر ١٠ آبان ١١ خور ١٢ ماه ١٣ تير ١٤ جوش ١٥ دى بمهر ١٦ مهر ١٧ سروش ١٨ رشن ١٩ فروردين ٢٠ جرام ٢١ رام ٢٢ باذ ٢٣ دى بدين ٢٤ دين ٢٥ ارد ٢٦ اشتاذ ٢٧ اسمان ٢٨ زامياذ ٢٩ ارسفند ٣٠ انيران (٢

واعلم ايضاً ان الخجندي في بيان أقيسة اميال البلاد واعراضها وصعود الشمس وهبوطها يأخذ حروف الابجديّة الدالّة على الاعداد مثالهُ يب براد جا البلد ١٣ . وان وجد حروف ثلاثة دلّ الحرف الاوّل على المئات نحو قلب اي ١٣٢ . وان وجدت جميع حروف متتابعة دلّ الاوّل على الدرجات والثاني على الدقائق والثالث الثواني . مثالهُ كد يه ز فمعناه ٢٤ درجة و١٥ دقيقة و٣١ ثانية . لكنّا نبّه القرّاء على انّ بعض هذه الاعداد قد سقطت لتخرّق النسخة الاصليّة وقدمها

ل . ش

١) راجع المقالة ذاتها Ibid., p. 202-204

٢) اطلب الآثار الباقية للبيروني (٤٣-٤٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

(2) رب يسر برحمتك

رسالة ابي محمود حامد بن الخضر الخُجنديّ في تصحيح المَيل وعرض البلد بعد حصول ارتفاعات نصف النهار المحققة عند الانقلابين

الحمد لله الواهب الحقّ المرشد اليه وصلواتهُ على النبيّ محمّد وعلى اهل بيته الطاهرين وسلّم تسليماً

لقد رفع الله بمولانا الامير السيّد الاجلّ وليّ النعم شاهنشاه فخر الدولة وفلك الأمة اطال الله في العزّ بقاءهُ وادام سلطانهُ وعلاءهُ قدرَ العلوم واعزّ بها اهلها فهم على طبقاتهم يشكرون ذلك منهُ بإعمال الفكر وبذل الجهود من الجدّ في اثارة طرق لم يُسبَقوا اليها ولم يُشارَكوا فيها. وقد اقتدى خادمهُ بهم ورصد ببلد الريّ الشمس بآلة قريبة المأخذ عظيمة القَدْر وحقّق بها المَيل وعرض البلد وهو يرصد بدولته العالية سائر الكواكب بما يعملهُ من ذوات الحلق وغيرها من الآلات ليبني على ما يخرج من ذلك الزيجَ الفخريّ الله تعالى يديم ايّامهُ لتكون من تواريخ العدل والفضل بمنّة وسعدٍ طوّلها باسعدَ طالعٍ واصعد جد

رصدنا الشمس بالريّ سنة اربع وثمانين وثلثمائة من تاريخ الهجرة (٩٩٤—٩٩٥ م) وهي سنة ثلاث وستين وثلثمائة من سني يزدجرد (١ بآلة ابتدعتها وهي قوس من دائرة قطرُها ثمانون ذراعاً وسمّيتهُ السدس الفخري اذ هي سدس دائرة نصف النهار وسيأتي ذكرها فيما بعد على التفصيل وذلك بمشهد جماعة من المهرة بهذا العلم المثبتة اسماؤهم في ثبت الارتفاعات فقد امضوا خطوطهم (3) بذلك فيه فوجدنا اكثر ارتفاع الشمس لنصف الخطّ يومين متواليين وهما يوم السبت ويوم الاحد روز هرمز دون در بهمن

١) يريد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك بني ساسان الذي انتصر عليه العرب سنة ٢٠ هـ (٦٤٢ م) في نهاوند فهرب وكانت وفاتهُ سنة ٦٥٢ للمسيح

من ماه تير من السنة المذكورة متطابقين وهو مز يز م فدلّ ذلك على ان حلول الشمس اوّل السرطان كان في الليلة التي صباحها يوم الاحد روز بهمن بين نصف الليل سواء

ثمّ رصدنا الشمس يوم الجمعة روز اسفندار من هذه السنة فوجدنا الارتفاع نصف النهار ل يج له ويوم السبت كانت السماء متغيمة وكذلك يوم الاحد ووجدنا الارتفاع يوم الاثنين روز انيران من ماه آذر نصف النهار ل يج لب ينقص عن ارتفاع يوم الجمعة روز اسفندار من ماه آذر نصف النهار ثلاث ثوانٍ فدلّ ذلك على انّ حلول الشمس اول الجدي كان في الليلة التي صباحها يوم الاحد روز مهر سعيد من ماه آذر قبل نصف الليل بشيء يسير والمدّة التي بين نصف نهار يوم السبت روز هرمز من دين(؟) ماه تير وبين نصف النهار يوم الاحد بهمن منهُ اربع وعشرين ساعة معتدلة فيجب ان نقسمها بنصفين لانّ حلول الشمس اوّل السرطان كان نصف الليل ومعدّلهُ (؟) كان اثنتي عشرة ساعة. وينبغي ان نعرف سير الشمس في هذين الزمانين اللذين عند نقطتي الانقلابين ولم نعرفهُ بالحقيقة لانا لم نعرف موضع الاوج من فلك البروج وما بين المركزين والتعديلات للشمس وغيرها ونحن نجهلها ولم يخبرنا(؟) ان نعرف مسير الشمس في هذين الوقتين من احد الزيجات المتقدّمة لانّ الميل وجدناهُ بهذه الآلة قريباً ممّا وجدهُ من كان قبلنا فكذلك نجد الاوج وما بين المركزين والتعديلات قريباً ممّا وجدوه قبلنا وان وقع التفاوت بينها فانهُ يكون قدرًا يسيرًا جدًّا (4) وخاصّة في هاذين الموضعين من فلك البروج فلا يأتي لهُ في الميل قدر محسوس فعرفنا مسير الشمس في اثنتي عشرة ساعة من اول السرطان من زيج البتّاني فوجدنا مسيرها في هذا الزمان ه كح لو بالتقريب وكذلك المدّة التي بين نصف النهار يوم الجمعة روز اسفندار من ماه آذر وبين نصف نهار يوم الاثنين روز انيران روز اثنتان وسبعون ساعة معتدلة فنصفناها للعلّة التي ذكرناها وكانت ستًّا وثلاثين ساعة ووجدنا سير الشمس في هذه الساعات الا مح بالتقريب. ولأنا وجدنا ارتفاع نصف النهار يوم الاثنين روز انيران من ماه آذر اقلّ من ارتفاع نصف نهار يوم الجمعة روز اسفندار منهُ بثلاث ثوانٍ زدنا على مسير الشمس في هذه الساعة وهو الا مح خمس دقائق فصار ذلك مع الزيادة الو مح لكون ميل هذه الخمس دقائق عن معدّل النهار ج ثوانٍ ويكون ارتفاع النقطة التي بعدها من اوّل الجدي الو مح ؟ نطا الارتفاع يوم الجمعة في هذه الستّ وثلاثين ساعة مع الزيادة

الومح وما بين سير الشمس في هذه لو ساعة مع الزيادة من اوّل الجدي ومسيرها في يب ساعة من اوّل السرطان ح يب فيجب ان ينقص ح يب من الومح ليصير الباقي وهو اكح لو مساوياً للبعد الذي هو من اوّل السرطان وهو البعد من اول الجدي بعد الزيادة على مسير الشمس في المدة المذكورة والنقصان منهُ . ويجب ايضاً ان تعرف ميل هذه الاجزاء المنقوصة وهي ح يب فتجدهُ سه مد لب ل (؟) بالتقريب ويجب ان تنقصهُ من الارتفاعين المتطابقين اللذين هما ل نج له فيبقى ل نج ي ل (؟) وهو ارتفاع النقطة التي بُعدها من اوّل الجدي كبعد النقطة التي بعدها من اول السرطان د كح لو وهو نج ي ل (5) فنسبتهِ اقلّ الارتفاعين المعدَّل . فاذا فعلنا ذلك فقد وجدنا نقطتين من تلك البروج بُعدهما من نقطتي الانقلابَين بعدٌ واحد وهما ه كج ل ووجدنا ارتفاع النقطة التي تلي المنقلب الصيفي عزيزم ووجدنا ارتفاع النقطة التي تلي المنقلب الشتوي ل نج يب ل وهو اقلّ الارتفاعين المعدَّل فاذا نقصنا اقلّ الارتفاعين المعدل من اكثر (؟) وجدنا مز دز ل وهو ما بين الارتفاعين الموجودين فينبغي ان نعرف وترهُ فنجده مز نه لو (؟) وضربناهُ في ٢٥ فكان ٢٨٧ لو دقيقة فنحطهُ ونذكر علتهُ فيما بعد . ثم ننقص القوس التي هي البعد من اوّل السرطان وهي ه كح لو من ٩٥ فيبقى فد لا كد ونعرف جيب هذا الباقي وهو نط نط يح قسنا عليه المحفوظ فنخرج مز يه لا له (؟) فهو وتر ضعف الميل المحقق فقسمناهُ بنصفين فكان كج يز مه قوسناه وكانت قوسهُ كج لب كا وهو الميل الاعظم . ونديرُ لذلك دائرة ابجد ونترضها (؟) در ل ؛ نصف النهار ونخرج قطري اج ب د يتقاطعان على ط على زوايا قائمة ونفرض نقطة ا سمت الراس ونقطة ب الجنوب ونقطة ج سمت الرجل ونقطة د الشمال فيكون خط د ب قطر الافق ويكون قوس ا ب ربع دائرة نصف النهار الجنوبي ووجدنا الارتفاعين المذكورين المتطابقين عند منقلب الصيفي عز يز م ونفرضهُ في الصورة قوس يب ثم وجدنا ارتفاع النقطة التي بعدها من اوّل الجدي كح لو وهو ل يح لب ونفرضهُ في الصورة انصا (؟) قوس يح وهو الارتفاع المعدَّل ونقصنا اقل الارتفاعين من اكثرهما فكان الباقي منهُ دلل وهو قوس رح قسمناها بنصفين على رو نهمل (؟) مه فمن البيّن انّ خط مه هو الفصل المشترك بين دائرة نصف النهار وبين معدَّل النهار (6) ويخرج من نقطتي ر ح خطّي يس حن موازيين لخط مه فهما قطر

الدائرتين الموازيتين لمعدل النهار المشبهين بنقطتي يح من دائرة نصف النهار وبنقطتي ق ر م فلك البروج لان قوس بر ارتفاع نقطة ق وقوس يح ارتفاع نقطة ر من فلك البروج ثم رسم دائرة كلع ونصف دائرة لط ف يتقاطعان على ط وتقطع كل واحدة منهما دائرة ابجد على زوايا قائمة ونصل خطي عهك فهل . فخط عهك هو الفصل المشترك بين دائرة فطل من دائرة ابجد ونصل طه فهو الفصل المشترك بين دائرتي عطك فطل ولان كل واحدة من دائرتي عطك فطل قطعت دائرة ابجد على زوايا قائمة يكون خط طه عمودًا على دائرة ابجد فخط طه عمود على خطي عك فل وكل واحدة من زاويتي طهع قائمة ولكل واحدة من قوسي عط فط ربع دائرة ونفصل من قوسي عط فط قوسي نز عق وكل واحدة منهما بقدر الباقي من نقطتي الانقلابين وهو ه كح لو ونخرج من نقطتي ق ز خطي قص زت عمودين على خطي مه فه ونثبت خط هط على حالتها ونحرك دائرة عطك حتى تقع نقطة ص من خط مه على خط يس وكذلك نحرك دائرة فطل حتى تقع نقطة ت من خط فه على خط حن فاذا اتفق ذلك يصير حينئذ قوس عط ربع دائرة فلك البروج الذي هو من اول السرطان الى آخر السنبلة ويصير قوس فط ربع دائرة فلك البروج الذي هو من اول الجدى الى آخر الحوت ونصل خطوط صت عف عك فخط عف منها مطلوب

فاقول ان خط عف معلوم . ان قوسي عط فط من فلك البروج متساويين (كذا) وكل واحدة من قوسي عط فط ربع دائرة (؟) فيبقى قوسا طن طز متساويين ويكون بُعدا نقطتي ح ي ؟ عن معدل النهار متساويين وهما قوسا م حم باعيانها وبُعدا نقطتي الانقلابين عن معدل النهار ايضًا متساويين وهما قوسا عم نم فيبقى قوسا عي نح متساويين ويخرج وترهما وهما خطا عف يح (؟) المستقيمان فهما متساويان ولأنّ خطي عهك فهل قطرا الدائرة تكون زاوية صي التي يحيط بها خط عه وقوس عي مساوية للزاوية التي يحيط بها خط نه وقوس نح فيبقى زاوية صي التي يحيط بها خطا صع عي المستقيمان مساوية للزاوية التي يحيط بها خطا تف نح المستقيمان وايضًا لانّ القوس عق مساوية لقوس نز يكون خطا صع فت اللذان هما جيبان لها المعكوسان متساويين وقد تبيّن انّ خطي عي حف المستقيمين متساويان يكون كلا خطي صع عي مساويين لكلي خطي تف نح وزاوية صي مساوية لزاوية تنح وقاعدة صي مساوية لقاعدة تح وقد كان

تبيّن انهُ موازٍ لهُ فخطّا صي يح متوازيان متساويان والخطوط التي تميل عن اطراف الخطوط المتساوية المتوازية هي ايضاً متوازية متساوية فخط صت متساوٍ لخط يح وخط يح المستقيم وتر قوس يح فخط صت وتر قوس يح وقوس يح معلومة فخط صت معلوم [وقوس طق معلومة وخط طه جيبها فخط صد معلوم وخط مه هو الجيب ار (؟) . . ثم نسبة مص الى صت كنسبة مع الى عف لتشابه المثلثين وخطوط مص صت مع الثلثة معلومة فضربُ صت في عه مقسوم على مه . . يخرج عف . فخط عف معلوم وهو وتر قوس عف فقوس عف معلومة وهي ضعف الميل الاعظم

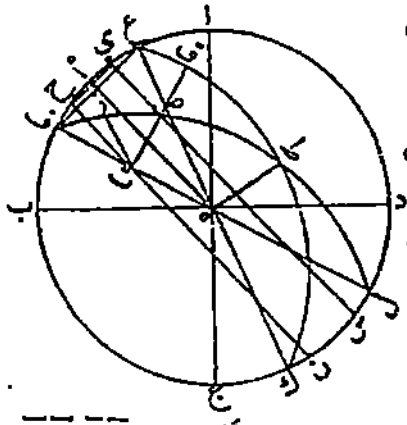

وقد (8) قسمنا بنصفين على م . قوس عم معلوم وهي الميل الاعظم المحقق فضربنا وقسمنا وقوّسنا كما ذكرنا قبل الشكل فخرج الميل الاعظم كج لب كا

واما عرض الري فانّا وجدنا اقل الارتفاعين المعدّل ل يح لب ووجدنا ما بين الارتفاعين نز د ز ل فقسمناهُ نصفين فكان كج لب يح مه زدناهُ على اقل الارتفاعين المعدّل وبلغ ندكه كا يه فهو ارتفاع نقطتي الاعتدالين فنقصناهُ من ٩٠ بقي له لد لح يه وهو عرض المحمّديّة (١ فقد تبين ان جملة الميل كج لب كا في عصرنا هذا (٢ وعرض الري له لد يه

١) المحمديّة حصن الري ٢) وهذه صورة السدس المستعمل اليوم

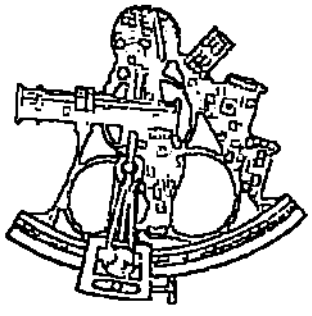

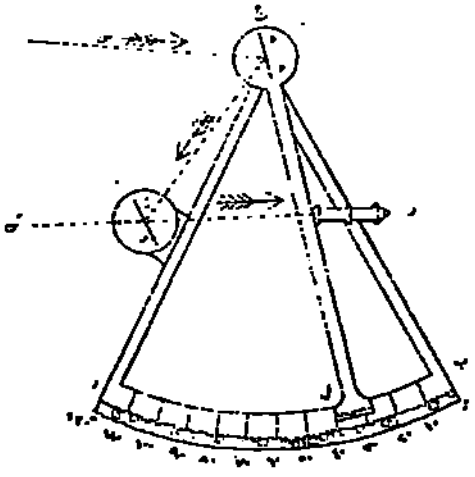

وذلك ما دلَّ عليه الرصد الميمون بالآلة المسمّاة السدس الفخري والحساب المتقن والفرق بين هذه الآلة وغيرها من الآلات انَّ اصحاب الارصاد قد ادركوا بها الميل درجاً ودقائق فقط ونحن أدركنا بهذه الآلة درجاً ودقائق وثواني حتى ادركنا ربدينه (كذا) واحدة . وقد وجدنا الميل الاعظم عند اهل الهند كد درجة وبطلميوس وجده كج يا واصحاب الممتحن وجدوه كج له ونحن وجدناه كج لب كا (9) والتفاوت بين الطرفين من هذه الارصاد المذكورة اعني بين رصد اهل الهند وبين رصدنا نحوٌ من نصف درجة ويمتنع ان يقع هذا الاختلاف بين الآلتين فدلَّ ذلك على انَّ هذا الاختلاف ليس من جهة الآلات لانه لو كان من جهة الآلات لوجب ان يكون وجود هذا الميل زائدًا او ناقصاً لا على النقصان على نسق واحد فلمَّا وجدوهُ على النقصان دلَّ على ان الاختلاف من جهة أخرى وهو انَّ اعظم ميل فلك البروج عن معدَّل النهار غير ثابت . وقد ظنَّ قوم انَّ الميل نقص

وسُئلتُ عن ذلك مرارًا هل يجوز نقصان الميل فقلتُ لهم انَّ ذلك غير ممتنع لانَّ بطلميوس وبعض اصحاب الارصاد ذكروا انَّ الكلّ واحد من كوكبي الزُّهرة وعطارد فلكاً خارج المركز وهو في سطح فلك جوزهر (؟) الكوكب ويميل عن فلك البروج بمقدار ما . ثمَّ ينقص هذا الميل وينطبق الفلك الخارج المركز وفلك البروج ثمَّ تنفتح في جهة أخرى الى غاية الميل ثمَّ ينقص ايضاً وينطبق الفلكان ويعرض هذا الانطباق في السنة الواحدة مرَّتين وكذلك يعرض في افلاك تداوير الكواكب الخمسة المتحيّرة فانَّ الدائرة التي يسير عليها جرم الكوكب تنطبق مع الفلك الخارج المركز وينفتح ايضاً ويعرض هذا الانطباق في الدائرة الواحدة للكوكب على فلك تدويره مرَّتين فان جازت هذه الحركة من جهة الطبيعة لفلك الخارج المركز ولفلك التدوير جازت حركة فلك البروج في زيادة ميله عن مركز النهار ونقصانه منه لأنَّ كلي الامرين انما ندركهما على كرة واحدة وهي كرة الكواكب السبعة والامر فيهما شيء واحد ولا فرق بينهما فان كان احدهما جائزًا فالآخر جائز غير ممتنع (10) الحركة ظاهرة حسّية ان كانت الاخبار المثبتة في كتب اصحاب الارصاد لها حقيقة الّا انّها حركة بطيئة جدًّا

تمت الرسالة والحمد لله ربّ العالمين

(قلنا) يؤخذ من هذه الرسالة امران : (الاوّل) أنَّ الخجندي عرف احدى الطرق الجارية

اليوم في تعيين عرض البلد استناداً الى هذا المبدا بان ميل كل كوكب سار لارتفاع السمت ثم لارتفاع القطب المساوي لعرض بلد المراقبة . والامر (الثاني) انهُ كان اطّلع على اختلاف انحاء فلك البروج الذي كان في زمانه مساوياً ٢٣° ٣٣' ١٨" وهو ينقص ٤٨" كلّ مئة سنة

حكاية الالة المسمّاة السدس الفخري

على ما حكاهُ ابو الريحان (البيروني) ايّدهُ الله بعد ان شاهده

استخرج الاستاذ ايّدهُ الله خطّ نصف النهار وبنى [على جنبتيه (١ حائطين [متوازيَين (٢ لخطّ نصف النهار وبُعد ما بينهما ٧ اذرع وبنى بينهما من جهة الجنوب طاقاً محكم الصنعة وهيّأ في اعلاهُ ثقبةً مقدار قطرها [شبر (٣ وارتفاعها عن سطح الارض [٣٥ ذراعاً (٤ وركب على قطرها حديدةً [متينة (٥ في حفر في الارض على استقامة مسقط غير مركز الثقبة ٢٥ ذراعاً (٦ وركّب على قطرها حديدة متينة فعمل منها سهماً مربعاً مجوّفاً صلباً ممتدّاً غير مائل طولهُ ٤٥ ذراعاً (٧ وركّب في احد طرفيه زرفيناً وعلّقهُ في الحديدة المعترضة على الثقبة فقام السهم مقام نصف قطر الدائرة [ثمّ اديرهُ في الحفرة المحفورة حتّى عمل قوساً من دائرة وكانت سدسها (٨ وركّب فيها ألواحاً ملّسها وسوّاها وصحّحها وألبسها صفائح [شبه القسمة (٩ وقسم هذه القوس [٦٥ قسماً متساوية (١٠ فكانت درجةً وقسم كل دائرة من الدرج التي ظنّ انّها الميل ثلاثمائة وستين قسماً وكان لكل قسم منها ١٥ ثوانٍ ولما بلغت الشمس فلك نصف النهار القت شعاعها من تلك الثقبة [على ثقوب (١١ خطّ نصف النهار [لامتداد (١٢ الشعاع من الشمس على هيئة مخروط كان ما القت من الشعاع على الارض اعظم مقداراً من مقدار

١) رواية ابي الحسن (المشرق ٣ : ٩٨٣) : على جنبيه
٢) ناقصة في رواية ابي الحسن
٣) روى ابو الحسن (ح) : سدس ذراع
٤) ح : عشرون ذراعاً ٥) ح : مبنيّة
٦) ح : ثمّ تحفر في الارض على استقامة مسقط حجر مركز الثقبة عشرين ذراعاً
٧) ح : وتصمد الى ألواح متينة وتصل منها بينهما مربعاً صلباً ممتدّاً غير مائل طوله اربعون ذراعاً ٨) رواية ابي الحسن : ثمّ يدار في الحفرة المحفورة حتى يحصل قوس قدرها سدس دائرة
٩) ح : سالمة للتسمة
١٠) ح : بستين قسماً وهو الصواب ولعلّ الناسخ في كل هذه المقالة غيّر الصفر بعدد ٥ فتأمل
١١) ح : على حوالي ١٢) ح : ولأنّ امتداد

الثقبة] مهيّأ آلة اخرى وهي دائرة قد ركّب (11) فيها قطرين متقاطرين يوافق تقاطع حرفيهما مركز الدائرة وعملها موافقةً لمقدار الشعاع الواقع على الارض (١ فكان اذا قرب (٢ من خطّ نصف النهار] اطبقها عليه وحرّكها بحركته رويدًا رويدًا (٣] حتى يوافي خطّ نصف النهار (٤ فيتحقّق بذلك موقع وسط الشعاع من فلك نصف النهار ويُعرف من ذلك ارتفاع الشمس] في خطّ الزوال (٥] فمن تلك العلقة الى مسقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع (٦ ومنها في الجهة الاخرى الى سطح الارض هو الارتفاع منقوصًا منهُ ٣٥ درجة وهو فضل بين السدس والربع والله الموفق للصواب

(وجاء بعد هذا الفصل جدول اسماء المهندسين العراقيين وغيرهم تثبتهُ هنا لفائدته)

مما وقع من اسماء المهندسين

بالعراق وخراسان وما وراء النهر في الدولة الديلميّة وما يليها

ابو الريحان محمّد بن احمد البيروني ابو نصر منصور بن علي بن عراق مولى امير المؤمنين ابو محمود حامد بن الخضر الخجندي ابو عبيد الضرير الجوزجانيّ ابو سهل ريحان بن رستم الكوهي احمد بن عبد الله حبش ابو الجود محمّد بن الليث ابو عبد الله محمّد بن احمد السبتي ؟ ابو عليّ بن الليث الخرلي ابو الحسن كوشيار بن لبان الجيليّ ابو عليّ الحسن بن الحسين البصري ؟ ابو سعد القس ؟ سهل ابو الحسن ادحور ابن استاذ حمص ؟ ابو سعيد احمد بن محمّد عبد الجليل البحري ابو الوفاء محمّد بن محمد البوزجانيّ الصفاني

---

١) ح : فلذلك ينبغي ان تهيّأ آلة اخرى لتحقيق ذلك وهذه الالة هي دائرة مساوية لمقدار الشعاع الواقع على الارض ويُعمل فيها قطران متقاطعان على زوايا قائمة

٢) ح : فاذا قربت الشمس

٣) ح : اطبقت هذه الدائرة على شعاعها الواقعة على الارض وحُرّكت بحركة الشمس رويدًا رويدًا

٤) ح : حتّى يقع مركزها على خطّ نصف النهار

٥) ح : في نصف النهار

٦) ح : فان من الموضع الذي وافاه مركز هذه الدائرة الى مسقط حجر الثقبة هو تمام الارتفاع والله اعلم . اه

مطبوعات شرقية جديدة

Paul Monceaux: ENQUÊTE SUR L'ÉPIGRAPHIE CHRÉTIENNE D'AFRIQUE. [Extrait des Mémoires présentés par divers Savants à l'Académie des Inscriptions, tome XII, 1re partie]. *Paris, Klincksieck.* 1907. — Prix 7f, 50.

بحث في الكتابات الحجريّة عند قدماء نصارى افريقية

انّ جمعيّة الكتابات والفنون الفرنسويّة أدرجت هذا التأليف في اخر مجاميعها العلميّة دلالةً على اعتبارها لعظم شأنهِ. ولا غرو فانّ المؤلف قد عُرف سابقًا بابحاثهِ عن افريقية وتاريخها القديم ومن تآليفهِ كتاب نفيس وضعهُ « في تاريخ آداب افريقية المسيحية » وقد استحقّ اليوم شكرًا جديدًا من العلماء بجمعهِ في كتاب واحد الكتابات الحجريّة المتفرّقة التي وُجدت منذ بضع سنين على آثار النصارى الاقدمين في بلاد افريقية. ولم يكتفِ بنقلها بل اصلح فيها عدّة اغلاط واضاف اليها تفاصيل جديدة لبيان معانيها وقد صدّر كتابهُ بمقدّمة خطيرة عموميّة في فوائد هذه الكتابات ودلالتها التاريخيّة وما يستنتج منها لمعرفة اصحابها في دينهم ومعاشهم الاهلي وغير ذلك. واكثر هذه الكتابات تصف لنا تقى المسيحيين الافريقيين واكرامهم للرسولين بطرس وبولس وللقديس اسطفانوس وبعض القديسين الشرقيين كيناس الاسكندري ولاسيما الشهداء الوطنيين الذين تكرّرت اسماؤهم في هذه الكتابات فبيّنت بنوع واضح صدق الروايات المكتوبة قديمًا في وصف استشهادهم وفي تراجمهم التي كانت تتلى في الكنائس الحليّة وفي عدد هؤلاء الابطال الذين ضحّوا النفس والنفيس في سبيل دينهم. فنوصي محبّي الآثار المسيحيّة القديمة ان يقتنوا هذا الكتاب فانّهُ اصدق واوسع ما يجدونهُ في معرفة تاريخ افريقية النصرانيّة في القرون الاولى. هذا الى هوادة سعر الكتاب فانّهُ بخس الثمن بالنسبة الى وفرة موادّهِ ومضامينهِ

ر. م

H. B. Walters: THE ART OF THE GREEKS. 112 pl. et 18 figures dans le texte — *Methuen et C°, Londres*, 1906, gr. 8°.

صناعة اليونان وتخوم

اوضح مؤلف هذا الكتاب غايتهُ من وضعهِ في الفصل الاوّل فيقول انهُ قصد بذلك

ان يرشد الطلبة الى معرفة الصناعة اليونانيّة وتقدُّمها في اطوارهـا المختلفة ثمَّ ان يمثل لمحبي الفنون صوراً يفرزون بها خواصّ كلّ اطوار وكلّ انواع الصناعة ثمَّ اخيراً ان يشرح طرائق اليونان واساليبهم الصناعيّة في كل ضرب من ضروب الفنون وفي الموادّ التي كانوا يتخذونها لشغلهم. وهذه الغاية المثلثة قد ادركها المؤلف بوضوح كلامه وحسن شرحه في بيان خواصّ الصناعة عند اليونان. ومن محاسنه تقديمهُ المقدّمات على كل فصل مع خلاصة فوائده ومنها ايضاً عدّة جداول تاريخيّة وجغرافيّة ضمّنها فصول الكتاب وفي آخره فهرس عمومي للموادّ على حروف المعجم. ومن مميزات هذا التأليف بحث كاتبه عن خواصّ كلّ صناعة وطريقتها الفنيّة في استحضار الموادّ وتنظيمها واستخدامها لكل فن وهو بابٌ لم يطرقهُ الكتبة سابقًا في الكتب الصناعيّة المدارسيّة فأحسن الكاتب بفتحه وهو دليل خبير كما يظهر من مطاوي كلامه ومن قائمة الكتب التي راجعها لتصنيفه وان كانت هذه القائمة ليست بكاملة لم تشمل في الغالب الّا الكتب الانكليزيّة. امّا تصاوير الكتاب فوافرة اختارها الكاتب بذوق واشار اليها في اثناء شرحه ليستدلّ بها القارئ على مقصوده. على انَّ صورة ناروس صيداء الشهير المثبتة في الصحيفة ٥١ غير كافية لتعريف مزاياه الفنيّة فكان ينبغي ان يضاف اليها صورة ثانية لبيان محاسنه الخفيّة. وبالاجمال نقول انَّ هذا الكتاب من افضل ما وضع للمدارس في درس الفنون اليونانيّة يستطيع به الدارسون ان يقفوا على تاريخ الفنون الجميلة عند اليونان فيدركون ما كان لهم من الفضل السامي في هـذا المعنى بحيث اضحت اعمالهم قدوةً لكل طالبي المشروعات الصناعيّة الجميلة

الاب ر. موترد

LECONS DE THÉOLOGIE DOGMATIQUE. par L. Labauche, professeur à l'Ecole de Théologie catholique de Paris, I vol. in-8, 1907, *Paris. Blond et Cie.*

دروس اللاهوت النظري

لا تُحصى التآليف التي كُتبت في زماننا عن اللاهوت النظريّ وكثيرٌ منها لا يزال حتى اليوم دارجاً في المدارس الاكليركيّة يُتّخذ كدستور للمترشحين للكهنوت. لكنَّ معظم هذه المصنَّفات مكتوب في اللغة اللاتينية لا ينظر فيه غير ارباب الدين فأحبَّ احد اساتذة مكتب باريس الكاثوليكيّ الاب لابوش ان يصنّف في الفرنسويّة كتاباً لاهوتيًّا يستطيع العالميون ان يستقوا من مناهله فضلًا عن الاكليريكيين. وهو نعم

العمل لأنَّ العاملين في زماننا يخوضون في ميادين العلوم ويكتبون في مجلات عديدة ويسمعون اعتراضات متعدّدة ضد الدين الكاثوليكيّ او يحتاجون الى درس المسائل الاعتقاديّة درساً متعمقاً فلا غنىً لهم من كتاب واسع يقرّب اليهم كلّ الابحاث الدينية. ففي هذا التاليف ما يشفي غليلهم فانهم يجدون فيهِ كل قضية من قضايا الدين مشروحةً ومؤيّدة بالبراهين النقلية المبيّنة لصواب كلّ قضية وردّ الاعتراضات الشائعة فيها. وقد سعى المؤلف في تضمين كتابهِ الابحاث التي يتعاطاها اليوم علماء عصرنا متوخياً في كل بحث لأصدق الاراء واثبتها. ومدار هذا القسم الاوّل على احوال الانسان الثلاثة حالة البرّ الاصلية التي خُلق فيها آدم ثمَّ حالتهُ بعد الخطيئة الاصلية في حالة النعمة الموهوبة لهُ بالاسرار ثمَّ حالتهُ الاخيرة في المجد الذي سينالهُ بالعيشة الصالحة وعمّا قليل ان شاء الله تنتهي بقية الاقسام فيصبح هذا الكتاب منتجعاً ينال من فوائده كلُّ من يريد ان يُتقن معرفة دينهِ ويدافع عن ايمانهِ بازاء الملحدين. ونحن نحضُّ اهل بلادنا الذين يعرفون اللغة الفرنسويّة على اقتناء هذا الكتاب والتروّي في مضامينهِ فيرون كم هو لذيذ ومفيد درس العقائد الدينية

س. ل

L'AU-DELA par Mgr. Wilhelm Schneider évêque de Paderborn. Ouvrage adapté de l'allemand par l'abbé A. Gazagnol, I vol. in-61, *Paris, Bloud et Cie*, 1907.

ما هنالك

هذا عنوان كتابٍ ألّفهُ احد افاضل اساقفة المانية السيد شنيدر بحث فيهِ بحثَ فيلسوف ومؤرخ عمّا يرويهِ العقل والتاريخ عن العالم الآخر فمن حيث كاتبهُ فيلسوفٌ وضع لنتائجهِ مقدّمات عقلية راهنة يستنتج منها ذوو العقول السليمة وجود عالم آخر ينال فيهِ المرء جزاء عن اعمالهِ امّا ثواباً عن حسناتهِ اما عقاباً عن سيئاتهِ. ومن حيث هو مؤرخ استفتى الاجيال السابقة والامم القديمة عن معتقدها في دار البقاء بعد دار الفناء فوجدها لساناً واحداً في هذا القول لا تحيد فيهِ البتّة (اطلب مقالة الاب شرفاليو عن خلود النفس في المشرق ٩: ٤٣٣: ٥١٣) فاضاف اليها صوت الدين قبل المسيح في بني اسرائيل والاسفار المقدّسة ثم بعدهُ في الكنيسة وتواتر تعليمها منذ تجسُّد ابن الله الكلمة ورسلهِ الاطهار الى يومنا. فلا نظنُّ انَّ ملحداً يقرأ هذا الكتاب دون ان تتّضح لهُ انوار الابديّة فتجلي امام عينيهِ وتضمحلّ كلُّ شكوكهِ في الآخرة. فيا ليت احداً من اهل

بلادنا يعرّب هذا الكتاب بترجمته من الفرنسويّة كما نقلهُ اليها من الالمانية الخوري كازانيول فاجاد ل. ش

SAINTE HÉLÈNE, par le P. A.-M. Rouillon O. P., 1 vol. in-12 (Collection «LES SAINTS»). *Paris, Lecoffre, J. Gabalda et Cie*, 1907.

القديسة هيلانة

يحقّ للشرق ان يكرم القديسة هيلانة اكراماً خصوصياً كما يكرمها الغربيّون لانّ فضلها على هذه البلاد معروف فانّ جذب زوجها قسطنس كلور الى محبّة المسيحيين وارتداد ابنها قسطنطين الى دين الحقّ واكتشاف الاماكن المقدّسة التي تمت فيها اسرار الخلاص بميلاد وحياة وموت ابن الله كلّ ذلك ممّا يعود معظم فضلهِ الى هيلانة. وقد احسن كاتب هذه الترجمة بوصفها للقرّاء في رتبها الثلاث كمرأةٍ فاضلة وكامٍ كاملة وكملكة باسلة فاستحقّت من هذه الوجوه الثلثة ان تُعظَّم وتُكرَّم. فنثني على مؤلف هذه الترجمة ونتمنى لكتابهِ رواجاً في بلادنا ايضاً كما راج في اوربّة س. ل

G. Ferrero: Grandeur et décadence de Rome- V, LA RÉPUBLIQUE D'AUGUSTE, traduit de l'italien par M. U. Mengin — *Paris, Plon-Nourrit*. 5e éd., 1907.

ارتقاء رومية وهبوطها: اوّل حكم اوغسطس

يذكر قرّاؤنا الفصل الواسع الذي وضعهُ حضرة الاب موترد (في المشرق ١٠: ٥٤١) عن انطوان وكليوباطرة. وذلك الكتاب كان الجزء الرابع من تاريخ نفيس كتبهُ المؤرخ الايطاليّ الشهير في دولة الرومان من السنة ٣١ الى السنة ١٤ قبل المسيح. وها قد ظهر اليوم المجلّد الخامس من الترجمة الفرنسويّة لهذا الكتاب وهو يحتوي اعمال اوغسطس قيصر منذ انتصارهِ على انطوان في واقعة اكسيوم الى يوم تقلّدهِ الامر بصفة نهائيّة ثابتة كامبراطور مطلق السلطة الى آخر حياتهِ فهذه السنين قضاها اوغسطوس في تقرير حكمهِ وفي اعادة السلام التام لرومية ليُعد بذلك النفوس الى محبّة السلام وظهوره على الارض. فالمسيو فريرو يتتبّع مآثر اوغسطوس في تلك المدّة ويبيّن حسن سياستهِ في تدبير الامور مع اعيان رومية اوّلاً ثمّ مع بقيّة الممالك الرومانيّة الممتدّة الى اقصى العالم المعروف في ذلك الزمان. وقد قسم روايتهُ الى فصول تشمل كلّ تلك الاعمال على طريقة سهلة يأنس اليها القارئ فيطالعها بكل بهجة ولذّة منتقلاً معهُ من طور الى طور

ومن عمل الى آخر دون سأم ولا ملل ويجد نفسهُ كالمسافر الذي تأذّى طويلًا بالسحب والامطار والبروق والرعود فيرى السماء تركن الى الهدوء ثمّ تنقشع الغيوم شيئًا فشيئًا فتعود الشمس الى بهائها وتحيي الطبيعة المكدّرة بالانوار . هذا ما يُقال بالاجمال عن هذا القسم الجديد الذي يشبه اخوتهُ السابقين في كلّ المزايا التي اثنينا عليها . امّا الترجمة فجامعة بين ضبط المعنى وطلاوة الانشاء وهي غاية المرام ل . ش

KARL BEDEKER. Egypte et Soudan. Manuel du voyageur. 3e édit. refondue et mise à jour. 1908. *Leipzig K. Bedeker*. CLXXX-430 pp, avec 37 cartes et plans de villes. 65 plans de temples etc. et 57 vignettes.

دليل مصر والسودان لبيداكر

ادلّة بيداكر الالمانيّة شهيرة تعدّدت طبعاتها وقد بلغ منها دليل مصر والسودان الطبعة السادسة في الاصل الالمانيّ . وها قد صدرت الطبعة الثالثة الفرنسويّة منهُ وهي افضل من الطبعة الثانية لان صاحبها قد استفاد من الاصلاحات التي تحسّنت بها الطبعة الاخيرة فصار بالغًا الحدّ من الضبط والتدقيق وسعة المعلومات ووفرة الاوصاف للامكنة والآثار بحيث يتّخذهُ المسافر في رحلتهِ الى تلك الجهات كدليل امين وعالم معًا . ولا غرو فانّ المسيو ج . شتيندورف (G. Steindorff) اعاد فيهِ النظر للمرّة الثالثة ليجعلهُ كتابًا في نهاية الضبط والحسن وهو الذي ادرج فيهِ كثيرًا من الاوصاف للآثار المصريّة التي ترى في مقدّمة هذا الدليل البالغة صفحاتها ١٨٠ صفحة (١ ولا تسّع هنا في وصف هذا التأليف الذي سبق لنا ذكر طبعتهِ السادسة الالمانيّة ولا يسعنا الّا الثناء على هذه الطبعة الفرنسويّة الجديدة لا يؤخذ عليها غير مآخذ خفيفة لا تقلل شيئًا من محاسنها الجوهريّة اللهمّ الّا في امر آثار الكرنك وبالخصوص وصف هيكل عمون الكبير . فانهُ كان ينبغي على المؤلف ان يصلح الوصف ويغير الرسوم والصور

١) وقد حُذف من هذه المقدّمة الفصل المختصّ بالهندسة العربيّة لفرنتس باشا وجُعل بدلهُ فصل في الصناعة الاسكندريّة للمسيو تاودور شفيدر . امّا الترجمة الفرنسويّة فقد شُعر بان صاحبها المسيو جرج كلام (G. Calame) ليس بفرنسويّ الاصل فكثيرًا ما يترجم العبارة الالمانيّة بحرفها فتكون غريبة غير مألوفة في الفرنسويّة . والاولى ان يترجم هذه التآليف رجال افرنسيّون خبيرون باللغتين س . ر

على مقتضى الحفريات والاكتشافات التي اجراها حديثاً العالمان الفرنسويان ماسبرو ولوغران (Legrain) س . ر

اثر حسن لفقيد الوطن

منسوق بقلم رزق الله نعمة الله عبود

طُبع في المطبعة الادبيّة (سنة ١٩٠٤ ص ٢٨٨)

هو مجموع مراثي وتآبين وترجمة حياة احد ادباء حمص واطبائها النطاسيين الدكتور سليمان افندي الخوري الحمصي. وكنّا قد عرفنا الفقيد واجتمعنا به غير مرّة في حمص واختبرنا بالعيان ما خصّهُ الله من حسن السجايا ولطف الطباع والعلم الواسع فنشكر جامع الكتاب على همّتهِ في تدوين اعمال ذلك الوطنيّ الهمام ليبقى ذكرهُ مطبوعاً في قلوب آلهِ الكرام ومعارفهِ واصحابهِ فيتّخذوه كقدوة حسنة ويقتفوا بآثارهِ ل . ش

هدايا أُرسلت الى مجلّة المشرق

١ الكون والمبدء او الفنون الجميلة والكنيسة نظم المطرفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبيّ . وهي الارجوزة المبتكرة التي وضعها حضرة المنسنيور في الصناعة والعلم والدين قدّمنا صفحات المشرق بقطع مستلحة منها ثمّ طبعها بتمامها في هذا الكرّاس وهي كخلاصة احد اجزاء كتابهِ المسمّى النجوى (في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٠٨ ص ٢٦)

٢ الولد والمدرسة . خطاب أُلقي القاهُ حضرة الاب الملفان برنردس غصن مدير الدروس والتهذيبات في المدرسة الشرقيّة امام اساتذتها وتلامذتها في ١٦ ك١ سنة ١٩٠٧ (ص ١٢)

٣ عواطف الصفا . سبع قصائد في مدح هامة الكنيسة المارونيّة الجليل غبطة البطريرك ماري الياس بطرس الحويك نظمها ورفعها تقدمة بنويّة الخوري بطرس حيقة تهنئة واحتفاء باعياد ارتقاء غبطتهِ الى السدّة البطريركيّة ووداعهِ وعودهِ المبسون من رومية العظمى والاستانة العليّة ونيلهِ الوسام العثماني المرصّع من قبض تعطّفات الذات الشاهانيّة (١٩٠٧ ص ٢٠)

شذرات

سنتنا الجديدة تفضّل جناب الكاتب البارع والشاعر الجيد عيسى افندي اسكندر معلوف فكتب الينا هذه الاسطر ندوّنها شاكرين لفضلهِ:

اهنّئكم بقدوم الاعياد السعيدة بما مرّ وبما هو حاضر وبما سيأتي وتمنّي اياكم خصوصاً بما عزمتم عليهِ من نشر مجلتكم المشرق الغرّاء شهريّة فحققتم بذلك قول شاعرنا:

واذا رأيت من الهلال نموّهُ أيقنتَ أنْ سيصير بدراً كاملا

فلا زلتم تتيرون باشتها الوطن العزيز وآلهُ ولهذا اجترئ الآن عن التطويل بهـذا التاريخ الشعري الذي حضرني الان ومددهُ عشرة ابيات على عدد سني المجلة المحبوبة

في الشرق قد نشأت مجلة مشرقٍ أبحاثها الغرّاء ترفع قدرهُ
والغربُ لم يُحرَم اشعّةَ نورها فغدتْ تصوّر للمشارق قطرهُ
لله درُّ القائمين بها فهم روض البرارة قد قطفنا زهرهُ
أحيوا بها الدين المعلّى مثل ما قتلوا من الجهل الوخيم أضرّهُ
فجنوا من العلم البديع أجلّهُ وجلوا من الادبِ الرفيع أغرّهُ
ولكم خفيٍّ قد تحرّوا كشفهُ ولكم كتابٍ قد تولّوا نشرهُ
قد محّصوا تاريخنا بدرايةٍ حتى اذاعوا بالحقائق ذكرهُ
وبكل موضوع مفيد ارهفوا أقلامهم حتى أرونا سرّهُ
وبقوله (واذا رأيت ...) اشارةٌ قد حقّقت فيها المجلة أمرهُ
فلذا المهنّئ قال في تأريخها جاءت هلالَ الشهر مارت بدرهُ

٤٠٤ ٦٦٦ ١٥٣ ٦٩ ٢١١

سنة ١٩٠٨ م

مثل الحمامة والقرد ارسل الينا حضرة الخوري مارون الخوري غصن هذا المثل وقد عرّبهُ من الافرنسية ونظمهُ رجزاً حسناً. وصاحب المثل احد ادباء الفرنسويين يُدعى المسيو فيلفرانش (Villefranche) صنّف عدّة كتب تاريخية وادبية وامتاز بخدمتهِ النصوح للدين وبدافعتهِ عن الكنيسة وعن راسها المنظور الحبر الاعظم. وقد كتب هـذا المثل ليبيّن لاهل عصرهِ انّ كنيسة المسيح مهما تفاقمت عليها الاضطهادات وتعدّت المحن تبقى في قوتها وعزّها لانها موعودة بالثبات على ابواب الجحيم أمّا اعداؤها فانّهم لا يفلحون بل تذهب ريحهم وتتضعضع قواهم ولو كانوا قياصرة الرومان وابطال الزمان. فمثل الكنيسة مع مناوئيها كمثل الحمامة والقرد وهـاك تحرير الحادثة :

حمامة بيضاء كالثلج النقي حطّت على غصن لدون مورق
يُشرف فوق هوّة مخيفة كانها غيهبة كثيفه
فجاءها قردٌ بعينه قذى يسده فاسٌ وقد نوى الاذى
تسلّق الخبيثُ جذعَ الشجره والحدُ للتذيب اهمى بصره
لمّا دنا من الحمامة ابتدا يضربُ غصناً فوقهُ قد قعدا
فقالت الورقاء يا حطّابُ انظر ففي امرك ذا عجابُ
ألا ترى بانّ هذا العودا إخالهُ سندك الوحيدا
اذا لدوء الحظّ كمّلتَ سقطْ وانت تهوي فوقهُ انت فقطْ
اجابها الغبيُّ كلّا كلّا عن عملي لستُ اعودُ إلّا . . .
فانت غايتي وكلُّ جدّي انالُ حين تهبطينَ قصدي
ألا اعلمي بانّ لي الطهاره تجرحني كأنها عهاره
هديرُك الصبحيُّ قد ارّقني وعن لذيذ النوم قد فرّقني
سهامهُ قد طعنت فؤادي وكوّنت فيه دم الاحقادِ
اوراق ذي الافنان هاتيك التي تخفيك تُلقى الآن وسط الهوّةِ
ثم انثنى يضاعف الشغل بلا كلالةٍ فاترجَ في قعر البلا
فقرقع الغصن وخرّ ساجدا ودهدهَ القردَ الغبيَّ الحاقدا
تدحرج الوغدُ وحالاً صنفّت بخفة ورقاؤنا وحلّقت
فرفع القردُ حزيناً بصره يغشاه ظلُّ الموت مثل الغبره
حينئذٍ أبصرها تطيرُ نحو السما وحبّذا المسيرُ

*

كم مرّةٍ قد مدّت الايادي الى كنيسة المسيح الفادي
فقطّعت اغصانها المفيده وهي التي بجدّهم متصوده
ألا اضربوا يا ايها الاشرارُ وقوموا المدى أيا كفّارُ
وقوّضوا بعزمكم اركانها وقطّعوا بفأسكم اغصانها
لكن ستنظرون في القيامه اجنحة البيعة كالحمامه

العزاء بالصليب — نظم جناب الاديب فليكس افندي فارس هذه القصيدة تحت هذا العنوان فجعلها كأساة في فقد الاعزّاء :

نحنُ تُربٌ يا ربِّ في الارض لكن ليست النفسُ قبضةً من رمادِ
إن يكن جسمُنا جمادًا فليس الـ قلبُ كالجسمِ نُطفةً من جمادِ
قد رضينا يا ربُّ حكمكَ بالمو تِ اقتصاصًا يحلُّ بالاجسادِ
ورضينا العذابَ دون دموع وقبلنا الشقا بدارِ الجهادِ
فجئنا عند الردى وهو يُلقي ظلمةَ السرِّ فوقَ ويلٍ بادِ
ليس فينا شاكٍ من الموت لكن كلنا نشتكي لجرحِ الفوادِ
لا ارى مدنفًا يعارضُ حكمَ الله فالقبرُ مدخلُ الآبادِ
ليس غيرُ الاحياء يبكون لمّا تملك الحيَّ ظلمةُ الالحادِ
فنناء الانسان موتٌ ولكن الفُ موتٍ فناء اهل الودادِ
ما بكى آدمُ لفقد جنانٍ كان فيه يعلو نظامَ الفسادِ
كبكاهُ لفقد هابيلَ لمّا دامَ حيًّا والموتُ طيُّ الفوادِ
اولُ الناسَ لم يرَ الموتَ حتى ذاق بالعيشِ حرقةَ الاولادِ
إنَّ فقدَ الاحبابِ اعظمُ وقعًا من فراق البقا بقلبِ العبادِ
ليسَ موتًا ان يسكنَ المرءُ قبرًا رقدةُ القبرِ نهضةٌ من رقادِ
انّما الموتُ أن نلاقي عزيزًا راحلًا للظلامِ دون معادِ
انما الموتُ أن ترى الأمُّ ابنًا جلّلته اسرّةُ الاعوادِ
أن ترى الاختُ اختها في المنايا فتنادي ومَيْتةٌ مَنْ تنادي
بحنينٍ كالطيرِ يبكي جناحًا كسرتهُ قساوةُ الصيادِ

. . .

يا الهي انزلت حكمك فارفق بنفوسٍ تشقى لحفظ الودادِ
صيّر القلبَ كالجسومِ جمادًا او فخفّف وقعَ السهامِ الحدادِ

. . .

عفوك اللهُ ليس قولي اعتراضًا حكمةُ الخلقِ نقطةٌ في سوادِ
غير اني ارجو العزا لقلوبٍ البسها الاقدارُ ثوب الحدادِ

اطلبُ الحق لا ارى من عزاء غير سرٍّ مضيعٍ للرشادِ
لا ارى للعزاء غير صليبٍ غارقٍ في دموعِ أم الفادي

الرجوم في مرصد الفاتيكان قد اهدى احد مشاهير علماء الطبيعة في فرنسة المركيز دي موزروا (de Montroy) هديَّة ثمينة لقداسة البابا بيوس العاشر في نسبة يوبيله الكهنوتي ألا وهي مجموع من الرجوم اعني الحجارة الواقعة على الارض من الاجرام الفلكيَّة وهذا المجموع يبلغ ١٠٥ اعداد من الحجارة تختلف حجماً وثقلاً وقد اضاف اليها هاديها الفاضل جدولاً لتعريف كلّ حجر مع بيان زمن ومكان سقوطهِ. وسيُجعل هذا المجموع الفريد في المرصد الفاتيكاني

أسئلة واجوبة

س كتب الينا جناب المعلم الفاضل ناصيف افندي الزغزغي ما نصُّهُ : اذا الحقّ سبحانهُ وتعالى حكم على نفس عند وفاتها عشر سنوات مثلاً بالعذاب في المطهر هل يمكن الرجوع بالحكم وتخلص النفس من العذاب في مدَّة اقل

نجاة النفوس المطهريَّة

ج معلوم انَّهُ ليس في الله تعالى تغيير البتَّة كما انَّ احكامهُ ثابتة منذ الازل. لكنَّ الله منذ الازل ايضاً رأى كلَّ ما يكون وما يستطيع ان يحدث فجعل احكامهُ الازليَّة في بعض الامور طبقاً لهذه الطوارئ المنوطة باعمال البشر وذلك لطفٌ منهُ ورحمة. فقدَّر مثلاً انَّ داهيةً تحلّ بانسان ان حاد هذا الانسان عن جادَّة الفضيلة ولا تحلّ به ان عاش في الصلاح والله عالمٌ مع هذا ايَّة الطريقتين يختار الانسان بحرِّيَّتهِ. فحُكم الله لا يتغير مهما صنع هذا الانسان سواء عاش في الصلاح فسلم او ارتطم في الاثم فهلك بالداهية. وكذلك الامر في عذاب المطهر فانَّ الله منذ الازل بعد نظرهِ لاعمال نفس من النفوس انَّها مستحقَّة عقاباً زمنياً بالمطهر لمدَّة عشر سنوات مثلاً يجعل حكمهُ هذا منوطاً بصلوات بعض اوليائهِ او ذبائح كنيستهِ الطاهرة فان أُقيمت تلك الصلوات وقُدِّمت تلك الذبائح قصرت مدَّة العذاب وان لم تُقدَّم بقي حكمهُ. وفي كلّ هذه الامور ومثلها لا يتغيَّر حكمهُ تعالى وانَّما التغيير في المخلوقات التي يمكنها أن تُصلي او لا تُصلي تقدّم تلك الذبائح او لا تقدّمها. والله تعالى عالم بكلّ ما سيفعل يرى كلّ ذلك منذ الازل دون أن تؤثر معرفتهُ السابقة في حرِّيَّة الانسان

س وكتب صديق سافر قريباً الى مصر انهُ لاحظ ليلاً لمَّا كانت السفينة تمخر البحر ضوءاً لامعاً في مقدَّمة السفينة على سطح المياه فسأل عن حقيقة الامر

فسفوريَّة مياه البحر

ج هذا الضوء الخفيف يدعوهُ العلماء بالضوء الفسفوريّ (phosphorescence) وهو إشعاعٌ تستنير بهِ مياه البحر فترى ليلاً عندما تشقُّ السفينة البحر في سيرها. وكان العلماء يجهلون سببهُ سابقاً ويظنُّون انَّ ذلك ينتج من احتكاك الدقائق الملحيَّة التي في البحر فتشعُّ كما يشعُّ الفسفور عند احتكاكهِ وقد اطَّلع العلماء على سبب الامر منذ بضع سنوات فتحقَّقوا انَّ سبب ذلك حيوانات بحريَّة غاية في الدقَّة لا يتجاوز كبر الواحدة منها ربع المليمتر يدعونها « اسرجة الليل » (Noctiluques) وهي تسكن عادةً اعماق البحار الَّا انَّها تصعد في بعض الاوقات على سطح المياه فاذا مسَّتها السفينة بمرورها بينها ضاءت وشعَّت. وربما ظهر شعاعها لبعض طوارئ الجوّ ايضاً كالحرارة وتكاثر الكهربائيَّة او عنصر الاوزون (ozone) في الهواء الى غير ذلك من الاسباب. امَّا عددها فيربي على الوف الالوف والمليارات. فسبحان الخالق

س وسال من مصر الاديب ب. س: ما هي المدينة في الصين التي يدعوها مؤرخو العرب بالخنساء

مدينة الخنساء

ج مرَّ في المشرق (٤: ٤١٠) كلامٌ في هذه المدينة نقلهُ حضرة الاب لامنس عن صبح الاعشى للقلقشندي. والخنساء يدعوها اهل الصين « هنغ تشاو » وهي مدينة ساحليَّة ومركز ولاية تشاكيانغ. وجعلتها الدولة الصينيَّة من سلالة سُنغ التي تملكت من السنة ١١٢٧ للمسيح الى سنة ١٢٧٦ حاضرةً لملكها ودُعيت لذلك باسم « كنغ ساي » اي امّ المدن والعاصمة فصفَّحها مَن رحل اليها من العرب باسم خنساء. وقد زارها الرحَّالة مركو بولو الشهير في اواخر القرن الثالث عشر واتَّسع في وصفها وهو يدعوها « كينساي » (Quinsay) وهذه الرحلة كان اهتمَّ بتنقيحها « كونتوغي » وذيَّلها بحواشٍ واضاف اليها عدَّة فوائد وقدَّمها سنة ١٥٥٤ « للسيِّد لويس غنزاغا تنشيطاً لهُ في دروسهِ الجغرافيَّة والفلكيَّة » ولويس المذكور هو القديس لويس غنزاغا الذي كان عمرهُ لا يتجاوز وقتئذٍ ١٦ سنة ودخل الرهبانية اليسوعيَّة. وفيها توفي بعد ان قضى فيها اقدس حياة وابرَّ عيشة. وقد نُشرت هذه النسخة بعد وفاة القديس في فرنكفورت سنة ١٦١٧ — ١٦١٨ (راجع مجلَّة الابحاث Etudes, 20 Nov. 1907, p. 554) ل. ش

السنة الحادية عشرة العدد ٢ شباط سنة ١٩٠٨

المشرق

رحلة

السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر

خطبة القاها الاب الفرد دوران اليسوعي
مدرّس شرح الاسفار المقدّسة في المكتب الشرقي

سادتي الاجلّاء (*)

يسرني أن اخطب بينكم في امر تصبو اليهِ قلوبكم وتتوق الى معرفتهِ جوارحكم ألا وهو مجي السيّد المسيح الى بلادكم وتقديسهُ لاوطانكم . في رحلةٍ باشرها الى تخوم فينيقية وعمّها بزيارة المدن العشر وانجزها كالوف عادتهِ بعمل الخير وصنع الايات (١

١

يخبرنا الانجيل الشريف بصريح العبارة انّ السيّد المسيح في ايّام بشارتهِ « ذهب الى تخوم صور وصيداء » (ἀπῆλθεν εἰς τὰ ὅρια Τύρου καὶ Σιδῶνος) (مرقس ٧ : ٢٤) ولم تكن تلك الرحلة فقط الى جهات الجليل المجاورة لفينيقية بل دخل فينيقية وتجوّل فيها كما يظهر من كلام القديس متى حيث يقول (١٥ : ٢١) . « انهُ رحل الى جهات صور وصيداء » فانّ النص اليوناني (εἰς τὰ μέρη) يدلُّ على توغلهِ في اصقاع فينيقية

(*) تُليت هذه الخطبة بحضور نيافة القاصد الرسولي السيّد فريديانو جيانّي والسادة اثناسيوس صوايا مطران بيروت على الروم الكاثوليك وبولس بصبوص رئيس اساقفة صيدا وبطرس زغبي رئيس اساقفة قبرص على الموارنة ويوسف الدوماني اسقف طرابلس على الروم الكاثوليك

١) ليست غايتنا في وصف هذه الرحلة ان نجزم قطعياً بوصف كل المراحل التي قطعها السيد المسيح وانّما اردنا فقط الدلالة على وجهة سيرهِ وتبيين طريقهِ على التقريب كما يستفاد من نصوص الاناجيل المقدّسة

وتجوّله في انحائها . وقد صدّر الانجيليّ هذه الآية بلفظة تدلّ على انهُ لم يزر فقط تلك الجهات بل تردّد فيها مدّة من الزمان (ἀνεχώρησεν) معتزلًا فيها لينجو من دسائس اعدائهِ ويبتعد عن البلاد الخاضعة لحكم هيرودس انتيباس الذي كان يتوقع الفرصة الملائمة ليلقي عليهِ الايدي. فذلك ما حملهُ على ان يتجاوز حدود الجليل ويطلب لهُ مأوى في فينيقية لا لكونهِ يخاف اولئك الاعداء بل لكونهِ اراد ان ينتظر الساعة المحدودة من ابيهِ السماوي لانجاز سرّ الفدى . وهذا ما دفعهُ ايضًا الى ان يجيب الهيرودسيين الذين اتوا بعد ذلك ليجسّوا اعمالهُ وينقلوها لسيّدهم (لوقا ١٣ : ٣٢) : « اذهبوا قولوا لهذا الثعلب ها انا أُخرج الشياطين وأُجري الشفاء اليوم وغدًا وفي اليوم الثالث أُكمَّل » كأنهُ يقول لهم : ليس لاحد من البشر ان يمدَّ اليَّ يدًا قبل الساعة المعينة في حكم ابي الذي في السماوات

كم دامت رحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر ؟ ليس الامر معلومًا . وعليهِ لا نوافق بعض الذين كتبوا سيرة المخلص في زعمهم بان الربّ قضى في سياحتهِ المذكورة ستّة اشهر منذ فصح سنتهِ الاخيرة في الربيع الى عيد المظلّات الواقع في الخريف . فانّنا نرى تلك المدّة طويلةً بالنسبة الى مجمل حياة المسيح العلنيّة التي يجاوزها ثلاث سنوات ونصف سنة

بقي تعيين الطريق التي سلكها المسيح . ومما لا شكَّ فيهِ ان المعلم الالهي كان خارجًا من كفر ناحوم التي موقعها على الضفّة الشماليّة من بحر الجليل ولكن في اي وجهة سار ؟ هل مال توًّا الى الغرب كما ظنَّ الكاتب فوار في ترجمة حياة المسيح : (Fouard *Vie de J-C.*, II. 10) ليبلغ بحر الشام على علوّ عكّا ومنها يصعد على الساحل الى صور مارًّا بالرأس الابيض ؟ قال : « وانّما فعل الربُّ ذلك لتجوّله في ارض غريبة حيث لا يستطيع الناس ان ينالوا بسهولة قوتهم اليوميّ امّا البحر فكان الرُّسل الصيّادون يستطيعون ان يلقوا فيهِ شباكهم ويرتزقون بثمرة صيدهم ولذلك ما كان الربّ ليقدر ان يبتعد عن السواحل البحريّة او عن ضفاف الانهار كالاردن والقاسميّة » . لكنَّ هذا كما ترى برهان ضعيف وهو يقتضي القول بان الرسل كانوا حيثما ساروا يحملون معهم شباكهم وقواربهم وهو قول من الغرابة بمكان

والمرجّح عندنا انَّ السيد المسيح وتلاميذهُ اتّجهوا الى صور على خط مستقيم

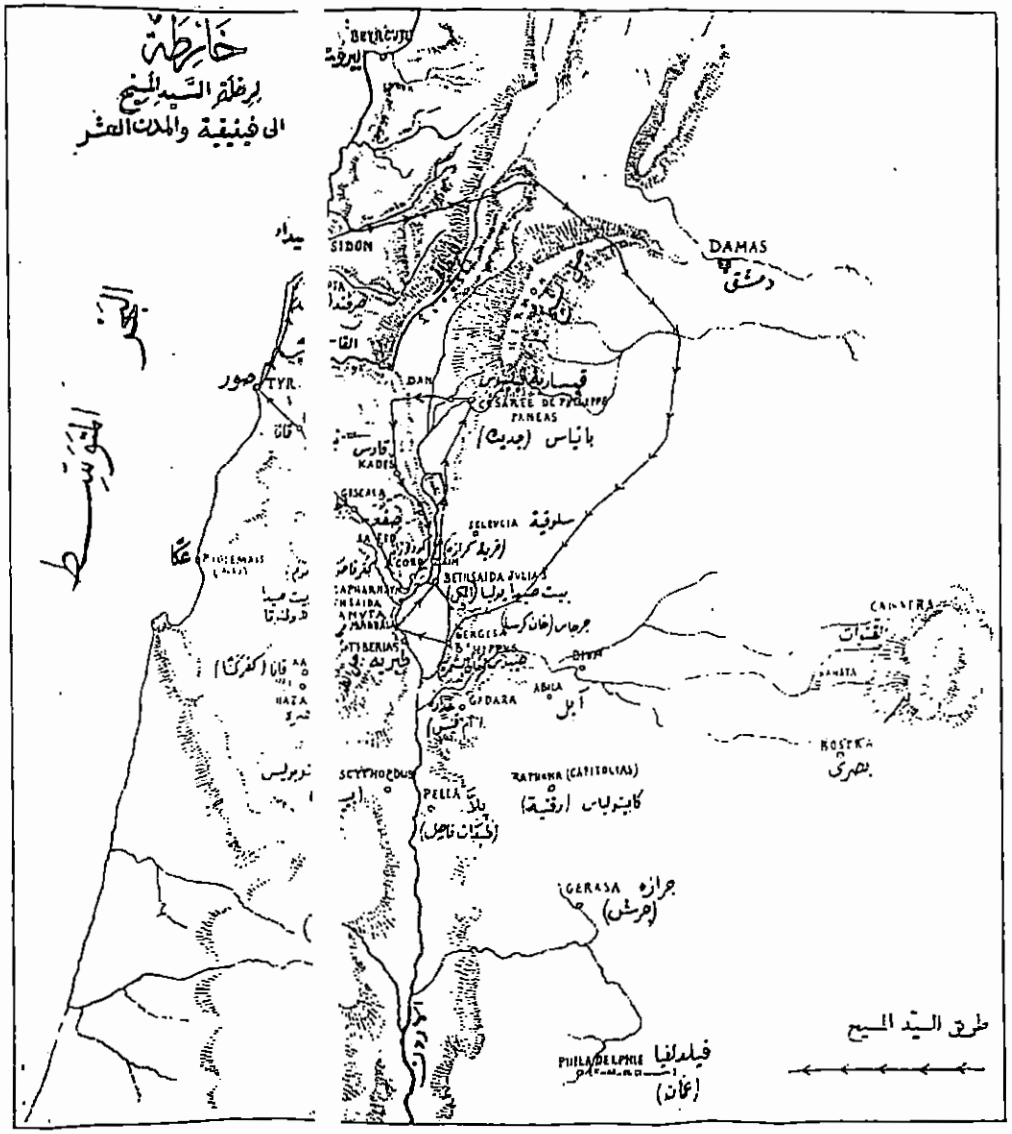
خارطة
برحلة السيد المسيح
الى فينيقية والمدن العشر
البحر المتوسط
صور
TYR
عكا
SIDON
DAMAS
دمشق
قيسارية فيلبس
CAESAREE DE PHILIPPE
PANEAS
بانياس (جديد)
قادس
KADES
سلوقية
SELEUCIA
(تل حزاز)
BETHSAIDA JULIAS
بيت صيدا يوليا (الكل)
جرجاس (خان كرسا)
GERGESA
DION
ABILA
آبل
GADARA
SCYTHOPOLIS
PELLA
بلا
(قبتان فاحل)
RATHBHA (CAPITOLIAS)
كابتولياس (رقيمة)
GERASA
جرازه
(جرش)
PHILADELPHIE
فيلدلفيا
(عمان)
طرق السيد المسيح

فقطعوا بلاد الجليل العليا على سكّة كان الرومان اصطنعوها هناك وكان يسكن تلك الجهات اليهود والوثنيون معاً ولذلك كانت تُدعى بجليل الأمم وهي المعروفة اليوم ببلاد بشارة. وما كان الربّ ليحتاج الى قوتهِ اليومي مع رسلهِ لأنَّ اسمهُ كان فاشاً في تلك النواحي وكثيرون من اهلها كانوا سمعوا تعاليمهُ مع القوم المزدحمين حولهُ عند بحيرة طبريَّة ورأوا معجزاتهِ وآمنوا بهِ فتسارعوا الى دعوتهِ وضيافتهِ عندهم

امَّا مسافة هذه الطريق بين كفرناحوم وصور فليست بطويلة اذ يمكن قطعها بست عشرة ساعة ومن ثمَّ لم يكن من داعٍ كافٍ ليسرع السيّد في رحلتهِ فانَّ هيرودس كان يضعف صوتُ هديره على قدر ما كان السيد المسيح يتقدَّم نحو الشمال واحتلَّ ضيفاً كريماً في المدن التي يسكنها سبطا بني اسرائيل اشير ونفتالي . فزار من مدنهم صفد حيث كان ذكر طوبيا البارّ حيًّا مكرَّماً . ثم جشّ موطن بولس الرسول على رأي القديس ايرونيموس . وكفر برعم مدفن القاضي بارق والنبيّ عبديا . وقانا التي هي على زعم اوسابيوس القيصري القرية التي فيها اجترح المسيح اوَّل معجزاتهِ المذكورة في انجيل يوحنَّا (ف ٢) . على اننا نذكر رأي اوسابيوس دون ان ندافع عن صحتهِ

وكانت بلاد بشارة في ذلك العهد من اخصب بلاد الشام تجاري بلاد الجليل السفلى من بحيرة طبريَّة الى مرج بني عامر في خصبها ووفرة غلّاتها حتى انَّ يوسيفوس المؤرخ كان يدعوها بجنة عدن فيها تمت نبوَّة يعقوب حيث قال عند موتهِ لابنهِ اشير (تك ٤٩ : ٢٠) : « اشير طعامهُ دسم وهو يعطي ملذَّات الملوك » وكان موسى قد اضاف الى ذلك قولهُ (تث ٣٣ : ٢٤) : « يكون اشير بين البنين مرضيًّا عند اخوتهِ وفي الزيت يغمس رجلهُ » ويشهد على تمام هذه النبوَّة ما هناك من غابات الزيتون التي هي ثروة الاهلين

واذ توقَّل السيد المسيح الاكمات التي تُرى عندها تنين وقعت ابصارهُ الالهيَّة على صور وصيداء فتذكر ما جرى في تينك المدينتين من الامور الخطيرة وفكَّر في حضارتهما السابقة وحلف اهاليها وتمام نبوَّتي اشعيا وحزقيال في خرابهما . والحقُّ يقال انَّ صور كانت يومئذٍ اشبه بقفر في وسط المياه لا تكاد تُسمع جلبةُ اهلها وعمَّا قليل سوف تصبح صخور جزيرتها كما يقول حزقيال النبي (٢٦ : ٥) « مبسطاً للشباك في وسط البحر » . امَّا صيدون الكبيرة أمها فكانت في حالة لسوأ ايضاً فكان السيّد

المسيح يبصرها جالسةً على ساحلها كعذراء مهينةٍ مذلّلة يردّد البحر على مسامعها نشيد اشعيا النبي (٢٣ : ٤) حيث يقول: « اخزي يا صيدون فان البحر حصن البحر قد تكلّم قائلًا: اني لم احبل ولم ألد ولم أربِّ فتيانًا ولم أنشئ عذارى »

فكل هذه النبوّات قد تمّت لم يُنقَض منها حرفٌ لكنَّ الربّ تذكّر ايضًا لحتجاجهُ للمدينتين الفينيقيّتين لمّا رجّح خطيئة الجليل على خطيئتهما فقال مخاطبًا كورزانيم وبيت صيدا: « لو صُنع في صور وصيدا ما صُنع فيكما من القوّات لتابتا من قديم بالمسوح والرماد »

وكان مسير السيّد المسيح في تخوم صور وصيدا بين الاهلين الوثنيين مسير راحل ومسافر ليست غايتهُ الدعوة والبشارة لأنَّ اباهُ كان وكّل اليهِ فقط الرسالة « الى الخراف الضالّة من آل اسرائيل » (متى ١٥ : ٢٤) بل كان يسير مستخفيًا « ولم يُرد ان يَعلمَ احد » (مرقس ٧ : ٢٤) لكنَّ الانجيليّ يُردف كلامهُ بقولهِ « فلم يقدر ان يستتر » لانَّ اسمهُ وعجائبهُ كانت شائعة » قبل ذلك بزمان « فذاع خبرهُ في جميع سوريّة » (متى ٤ : ٢٤) وكان « كثير من أدوم وعبر الاردنّ وممن حول صور وصيدا قد سمعوا بما صنع فاتوا اليهِ » (مرقس ٣ : ٨ ولوقا ٦ : ١٧). فلا غرو انَّ الجموع عند مرورهِ في سواحل فينيقية عرفت بمجيئهِ وتقاطرت الى رؤياه

على انَّ الانجيليين لا يخبروننا أدخل يسوع في مدينة صور ام لا . ورأينا انهُ دخلها لأنهُ كان ايسر لهُ في مدينة كصور أن يتوارى عن اعين الناس من ان يستخفي في ضواحي البلاد المكشوفة . لكنّنا كما قلنا لم يقدر السيّد المسيح ان يستتر تمامًا وكيف يا ترى تحتجب الشمس التي تبهر بنورها وتُضرم بحرارتها وكذا السيد المسيح كان لا يجتاز في مكان الّا ويصنع الخير فما كان يمكنهُ ان يبقى مجهولًا

ومن آثارهِ في رحلته تلك شفاؤه لابنة المرأة الكنعانيّة كما اخبر القديسان (متى ف ١٥ ومرقس ٧) ولا بدع انهُ اظهر لها الجفوة والغلظة لا لانكاره عليها شفاء ابنتها بل ليظهر قوّة ايمانها ويثني على ثقتها . قلنا انَّ المرأة كانت كنعانية وهكذا دعاها القديس متى (١٥ : ٢٢) وفقًا للاصطلاح الجاري وقتئذٍ عند اليهود في تسميتهم لاهل سواحل سوريّة وقد زادنا القديس مرقس في اصلها ايضاحًا بقولهِ (٧ : ٢٥) انها « كانت يونانيّة جنسًا من فينيقية سوريّة » (Ἑλληνὶς , Συροφοίνισσα) مشيرًا بذلك الى اختلاط

الاجانب في سواحل الشام. وكان اليونان منذ عهد هيرودوتس يطلقون اسم سوريَّة ليس فقط على فينيقية وضواحي دمشق بل ايضاً على كلّ سهول البقاع فيدعونها بالوادي العظيم وعلى بلاد فلسطين

ولن سأل السائل عن تحديد المكان الذي فيه اجرى المسيح شفاء ابنة الكنعانيَّة لجينا لنَّ الامر ليس بواضح فمن الممكن القول بانَّ ذلك حدث في صور. ولعلَّ الارجح انهُ حصل بين صور وصيدا. وقد جاء في بعض التقاليد لنَّ الربَّ اتمَّ ذلك في صرفند. وليس بمستبعد انَّ اصحاب هذا القول ارادوا معارضتهُ على ما فعل الياَّ النبيّ هناك من المعجزات الباهرة خصوصاً باقامتهِ من الموت ابن ارملة صرفند الوحيد (٣ ملوك ١٧). وقد ورد في المياسر المنسوبة الى القديس قليميس المكتوبة في سوريَّة في القرن الثالث للميلاد لنَّ الكنعانيَّة التي رحمها الربّ بشفاء ابنتها كان اسمها يُستا اي عادلة وكانت ابنتها تُدعى برنيقي

ثمَّ تجاوز السيّد المسيح حدود صور صاعدًا الى صيدا. مجتازًا بها يشهد على ذلك الانجيليّ مرقس بقولهِ (٧ : ٣١): « ثمَّ خرج من تخوم صور ومرَّ في صيدا ». وكأني بكم تسألوني وهل بلغ ابن الله مدينتنا بيروت ؟ قلتُ انَّ الامر لمحتمل وان لم نجد نصًّا صريحًا في ذلك. وممَّا يزيدهُ رجحانًا تقليد محليّ يرتقي على الاقل الى الاجيال المتوسطة (١. ولعلَّ سبب سكوت الانجيليين عن ذكر بيروت انها في ذلك الزمان لم تحرز بعد شيئًا من المفاخر التي نالتها بعد هذا بسنوات قليلة من الابنية الفخيمة التي شيَّدها هيرودس اغريبا والمدرسة الفقهيَّة الشهيرة التي أُقيمت فيها وتقاطر اليها الطلبة من اقاصي العالم الروماني. وعلى كلّ حال أننا نفضل رأي القائلين بمجيء السيّد المسيح الى بيروت على قول بعض الكتبة الذي يزعمون بأنهُ أبحر الى جزيرة قبرس وبلغ الى جبل اثوس

٢

على ايّ طريق رجع المسيح من سواحل فينيقية الى بحر طبريَّة ؟ افادنا عن الامر بعض الافادات البشير مرقس حيث قال (٧ : ٣١) : ومرَّ في صيدا وجاء فيما بين المدن العشر الى بحر الجليل (Καὶ πάλιν ἦλθεν . . . διὰ Σιδῶνος εἰς τὴν θάλασσαν τῆς Γαλιλαίας ἀνὰ μέσον τῶν ὁρίων Δεκαπόλεως)

١) اطلب الحوادث في ذيل تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ١٧)

فاوّل ما يُقتضى بيانهُ ما هو المقصود بالمدن العشر . كان اهل ذلك الزمان يدعون بهذا الاسم مدناً متحالفة من المدن اليونانيَّة الرومانيَّة الواقعة في عبر الاردن في شرقيهِ وشرقي دمشق الى عمّان ومن بصرى شمالاً الى بيسان . التي كانت وحدها في ضفَّة الاردن الغربيَّة . فكان موقع المدن العشر يوافق ما ندعوهُ اليوم بلاد جولان وحوران وقد دخلت هذه المدن العشر في حكم بني حشمناي على عهد اسكندر يانّاوس في مبادئ القرن الثاني قبل المسيح ثمَّ نالت من فضل بمبيوس نحو سنة ٦٤ ان تُدير احوالها بنفسها معتزلة عن حكم فلسطين خاضعةً لعاصمة المملكة الرومانيَّة . ثمَّ غلب عليها العنصر اليوناني وكان اهلها يعتصبون ليردُّوا عنهم غزوات القبائل الساكنة في جوارهم وربما تمكَّنت منهم تلك القبائل حتى مدَّت عليهم سيطرتها واختلطت الحضارة السامية بالتمدن اليوناني . بل كان لتلك القبلة على هذه كما حدث في عهد دولة النبطيين الذين قويت شوكتهم وامتدَّت سلطتهم الى دمشق وكان المالك عليها في عهد المسيح وبولس الرسول الحارث الرابع كما يُستفاد من رسالة بولس الى اهل غلاطية

وكانت محالفة هذه المدن مباشرةً تنحصر في عشر مدن فقط ذكرها بلينيوس الكاتب الروماني في كتاب النبات (Pline, V, 16 (18)) وهي سيتوبوليس (بيسان) وبالّا (طبقات فاهيل) وديون وفيلادلفية (عمّان) وغدارة (ام قيس) ورفنية وقنوات وهيبوس ودمشق ثمَّ انضمَّ اليها غيرها من المدن حتى اصبحت في عهد بطليموس الجغرافي (Tab. IV Asiæ) بعد ذلك بخمسين سنة ثماني عشرة مدينة وهو يستثني منها مدينة رفنية ويجعل بدلاً منها تسع مدن اخصُّها آبل في البتنيَّة والقنوات وكابيتولياس . ولمَّا تولَّى الامر الامبراطور ترايان قسم تلك المدن وجعلها اقليماً ممتازاً رأس عليهِ نائباً من قبلهِ . وكانت تلك البلاد كثيرة الخصب واسعة المراتع تصدر منها الغلَّات الوافرة الى انحاء المملكة وتأتيها محصولات البلاد فتُقام فيها الاسواق التجاريَّة وتزدحم اليها اهل البادية

دعنا الان نعود الى سياحة الخاص . فترى اي طريق انتهجها ليعود من سواحل فينيقية الى بلاد المدن العشر على حدود بادية الشام ؟ قد زعم السيّد لوكاموMgr Le (Camus) في سيرة السيد المسيح انَّهُ لذكرهِ الجد رجع على اعتابه من صيدا الى صور الى الكرمل ثمَّ عدل الى الشرق عن شمالهِ فعبر الاردن على ارتفاع بيسان . وهو على رأينا زعمٌ باطل يخالف نصَّ الكتاب فانَّ الانجيليَّ مرقس صرَّح بان الربَّ « مرَّ في

صيدا وجاء فيما بين تخوم المدن العشر » فيتبادر الى العقل انهُ عطف من حيث وصل الى المدن العشر قاصداً لها على خط مستقيم ليس انهُ كرَّ راجعاً على آثاره . مثال ذلك قولنا عن زيد انهُ رحل من صيداء الى دمشق مارًّا في بيروت فلا يخطر على بال احد ان يجعل طريقهُ على صور ومنها الى بانياس ثمَّ دمشق . وكذلك يقول الكتاب انَّ السيد المسيح اجتاز في وسط المدن العشر (ἀνὰ μέσον Δεκαπόλεως) فلو رجع القهقرى الى الكرمل ودخل منها الى ناحية بحر الجليل لما صدق ذلك لأنَّ المسيح لا يكاد يرى منها غير طرفها بين بيسان وغدارة وهيبوس (اطلب خارطتنا)

فلنقولنَّ اذن انَّ السيّد المسيح بعد زيارتهِ لصيدا عرَّج الى اليمين ومال الى الشرق في وجهة بلاد جولان ومن ثمَّ انهُ قطع جبل لبنان . ولكن في اي مكان فعل ذلك أتبع وادي الليطاني فقطع هذا النهر تحت قامة الشقيف الشهيرة على الجسر المسمَّى اليوم بجسر الخردليّ كما يفعل اهل تلك النواحي ؟ او سار على السكة الرومانيَّة التي كانت تؤدي من بيروت الى دمشق ؟ او بالحري جرى على خطّ مستقيم من صيداء الى البقاع في بعض السُّبُل غير المسلوكة اليوم او ايضاً على طريق جزّين فكلُّ ذلك تخمينات لا نستطيع ان نبتَّ فيها الحكم ولعلَّهُ اختار طرقاً غير مطروقة اذ لم تكن غايتهُ اذ ذاك ان يُعلن بنفسهِ للعالم ويجلب النظر الى شخصهِ الكريم

ومهما كان من امر الطريق التي سلكها المسيح لا بُدَّ أنَّهُ لقي عند وصولهِ الى بلاد البقاع طريقين امكنهُ ان يجري على ايتهما شاء : الواحدة طريقة سهلة وقريبة كان الرومان مدُّوها حول جبل الشيخ الى قيساريَّة فيليبوس اي بانياس . والأخرى كانت تصعد الى الشمال فتبلغ الى راشيا ثمَّ تمرُّ بقطنة . وعلى رأينا انَّ الربَّ اعتزل الطريق المطروقة ليسير في هذه الطريق الاخيرة لقلَّة سابلتها ثمَّ ايضاً لحايدة قيساريَّة التي يذكر الانجيليّ رجوعهُ اليها بعد عودتهِ الى الجليل بزمن قليل . وزد على ذلك انَّ سياق الرواية الانجيليَّة ينطبق اكثر مع هذه الطريق من غيرها

فمن ثمَّ نقول انَّ السيّد المسيح مرَّ على هذه الطريق الشماليَّة التي هي طريق دمشق . ولكنَّ أتُراهُ دخل تلك المدينة الفيحاء ؟ الغالب انهُ لم يدخلها فلو زارها لأبقت زيارتهُ فيها أثرًا ما سواء كان في الانجيل الكريم او في تقليد النصارى الاولين وليس في كليهما دليل على ذلك

وكذلك سكت الانجيليُّون عن تفصيل اخبار السيّد المسيح في اجتيازهِ للمدن العشر. وغاية ما نعلمهُ انهُ رجع الى الجليل من عن شرقيّ بُحيرة جنّاسر مارًا في وسط نواحي كان الشرك يعدُّ اطنابهُ على قسم كبير من اهلها فقدّس الربّ منازلهم وشفى عاهاتهم وزرع في قلوبهم بذور الخلاص التي نمت بينهم بعد صعودهِ نموًّا عجيبًا. وكان سكان المدن العشر يعرفونهُ عزَّ وجلَّ قبل مرورهِ في جهاتهم فجاؤوا غير مرَّة الى الجليل لاستماع كلامهِ وقد صرَّح متى الانجيليّ بذلك (٤ : ٢٥) عند ذكرهِ خطبة المسيح الى الجموع الذين « تبعوهُ من الجليل والمدن العشر واورشليم واليهوديَّة وعبر الاردنّ »

ومن نعمهِ الحديثة نحو اهل تلك البلاد شفاء ذلك المجنون الذي بُلي بشيطان نجس او بالحري بجوقةٍ من الشياطين (مرقس ٥ : ١—٢٠) فطرد السيّد المسيح الابالسة الاشرار وردَّ اليهِ عقلهُ سليمًا ولمَّا سألهُ ذلك الرجل ان يكون معهُ قال لهُ طبيبهُ الالهي : « اذهب الى بيتك الى ذويك وأخبرهم بما صنع الربُّ اليك وبرحمتهِ لك » وقد جرى ذلك في بقعة الجرجاسيين. ومدينتهم جرجاس تُعرف اليوم بخان كرسا. الّا انَّ اسم المدينة قد تصحَّف في نُسخ الاناجيل فجاء في بعضها بدلًا من جرجاس اسم غدارة او جدَر المسماة اليوم بأُم قيس (المشرق ٨ : ٥٤) وروى ايضًا اسم جرازة المعروفة بجرش. قال البشير : « فلما برئ ذلك الرجل من سقمهِ خرج وطفق يُنادي في المدن العشر بما صنع يسوع اليهِ وكان الجميع يتعجبون » (مرقس ٥ : ٢٠)

فلا غرو انَّ اهل تلك المدن ذكروا تلك النعم فتقاطروا الى يسوع لمَّا عرفوا بقدومهِ الى بلادهم فجدَّد بينهم الخوارق والايات منها تلك المعجزة الباهرة التي اجترحها مع اصمَّ اخرس نحَّاه عن الجمع وجعل اصابعهُ في أُذنيهِ ولمس لسانهُ قائلًا : انفتح فانفتح مسماهُ وانحلَّت عقدة لسانهِ وتكلَّم بطلاقة. وكان الربّ امر ذلك الانسان ان لا يخبر بامرهِ احدًا لكنَّ الشكر اطلق لسانهُ ولسان اهلهِ فبشَّروا بشفائهِ في كلّ ناحيةٍ حتى كان الجميع يصرخون : « لقد احسن في كل ما صنع جعل الصمّ يسمعون والبكم ينطقون » (مرقس ٧ : ٣٢—٣٧) وقال متى (١٥ : ٣٠) : « انَّ جموعًا كثيرة دنت اليهِ معهم خرس وعميان وعُرج ومعوَّهون وآخرون كثيرون فطرحوهم عند اقدامهِ فشفاهم . . . . وكانوا يمجدون إله اسرائيل »

وكانت تلك الجموع تتراكم حول المخلص وتزيد يومًا بعد يوم حتى بلغ عددهم

اربعة الاف سوى النساء والصبيان وتبعوهُ مدةً ثلاثة ايام في القفار حتى انفدوا ما اصطحبوهُ معهم من الزاد فتحنن عليهم الربّ « ولم يشاء ان يصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق ». فجدَّد بسببهم آية كان اصطنعها سابقاً مع غيرهم وقاتْ اولئك القوم بسبعة ارغفة وبيسير من السمك. وقد جرت تلك الاية في ضفَّة بحر الجليل الشرقيّة في مكان لم يمكن اليوم تعيينهُ بالتدقيق. ثمَّ صرف الجمع وركب السفينة

٣

فلمَّا عبر البحيرة نزل غربيًّا في تخوم مجدل (متى ١٥ : ٣٩) الى نواحي دَلمانوتا (مرقس ٨ : ١٠) والرأي الغالب عند المفسرين ان مجدل هذه هي قرية مريم المجدليَّة وموقعها على ساحل بحر الجليل شمالي طبريَّة . ولعلَّ دلمانوتا تدلُّ على الغيضة التي فوق مجدل عند الطريق الصاعدة الى قرن حطّين

وما كاد السيّد المسيح يظهر في الجليل بعد عودتهِ من رحلة فينيقية والمدن العشر حتى اقبل اليهِ الفريسيُّون والصدُّوقيُّون ليمتحنوه فاخذوا يدسُّون لهُ الدسائس ويلقون عليهِ الاسئلة ليصطادوهُ بكلمة فزجر الربّ اولئك المرائين بقولهِ (متى ٢٦ : ٢—٤) : « اذا كان المساء قلتم صحوٌ لأنَّ السماء محمرَّة . وبالغداة اليوم مطر لانَّ السماء محمَّرة كالحة . أفتعلمون ان تميّزوا وجه السماء وعلامات الازمنة لا تستطيعون أن تعرفوها »

ولمَّا تحقَّق الربّ ان اعداءهُ لا يزالون يكيدون لهُ المكايد ويطلبون هلاكهُ اراد ثانيةً الابتعاد عن الجليل فانجر من وقتهِ وكرَّ راجعاً الى العبر الى حيث يصبُّ الاردن في البحيرة فنزل وراء النهر قريباً من بيت صيدا يوليا المدعوَّة بهذا الاسم نسبةً الى يوليا ابنة الامبراطور اوغسطوس . وكانت تلك الجهة واقعة في املاك فيليبُّوس رئيس الربع اخي هيرودس انتيباس وكان هذا لا ينوي الشرَّ للمسيح كاخيهِ هيرودس

وهناك قدَّموا اليهِ أعمى (مرقس ٨ : ٢٢—٢٦) فاخرجهُ الى خارج القرية فابرأهُ سرًّا ثمَّ صرفهُ بعد ان اوصاهُ بألَّا يقول لاحدٍ شيئاً عن شفائهِ . وكأنَّ الرجل هذه المرَّة اطاعهُ

ثمَّ واصل الربّ طريقهُ الى الشمال صاعداً على ضفَّة الاردن الشماليَّة الى عيونهِ في خلف جبل الشيخ . وفي عطف هذا الجبل مغارة تُعرف منذ زمن قديم باسم بانيون (Πανεῖον) اي مغارة الإله بان لاختصاصها بعبادة هذا المعبود ومنها اسم بانياس للبلدة

المجاورة لها . وكان اوغسطس قيصر اقطع هذه البلدة مع ما يحدق بها هيرودس الكبير . فلما مات هيرودس وقعت المدينة في حصة فيلبُّوس اصغر اولاده . وقد سعى هذا بترميمها وتحسينها ثمَّ دعاها بقيسارية شكرًا لطيباريوس قيصر المحسن اليه ثمَّ اضافوا اليها اسم فيلبُّوس تمييزًا لها من قيسارية المدينة القديمة الواقعة على ساحل بحر الشام بين يافا والكرمل . وقد استولى الخراب على قيسارية فيلبوس . وفوق بقاياها تقوم اليوم بانياس الحديثة

وكان هذا المكان المنفرد يوافق رغبة السيد المسيح الطالب العزلة ولاسيما انَّ الرومان كانوا اعترفوا لتلك المدينة ببعض حقوقها القديمة فعدُّوها من الملاجئ التي يستطيع ان يلوذ بها من تخوُّف عدوِّهُ . ولنا على ذلك شاهد في نقود المدينة فيُقرأ عليها باليونانية ΠΑΝΕΙΟΝ ΑΣΥΛΟΣ اي « بانياس مدينة الملجأ »

ولا غرو انَّ المسيح نزل في قيسارية ضيفًا موقرًا في بيت امرأة كان شفاها من عاهتها في كفر ناحوم . نريد المرأة المبلوَّة بنزف الدم من اثنتي عشرة سنة (متى ٩ : ٢٠ مرقس ٥ : ٢٥ لوقا ٨ : ٤٠) التي تسرَّبت الى يسوع في وسط الجمع ومسَّت ثوبهُ خفيةً فشفاها الربُّ لاجل ايمانها . فاوسابيوس المؤرخ الكنسيّ اثبت في تاريخهِ (ك ٧ ف ١٧) انَّ تلك المرأة كانت من قيسارية فيلبُّوس وانَّها شكرًا للمخلص اقامت في بستانها تمثالهُ الكريم وزاد تاوفانوس في تاريخهِ انَّ هذا التمثال بقي الى زمن يليانوس الجاحد فأمر هذا بتحطيمهِ

ولا نظنُّ انَّ السيد المسيح اطال المكث في قيسارية فلم يؤثر في قلبه شيءٌ من محاسنها وفخامة ابنيتها وبهجة مناظرها الطبيعية من اشجار باسقة وآكام تتوجها التاوج الغرّاء . وانَّما كانت نفسهُ مفعمةً باكدار الساعة الحاضرة تتوق الى الوحدة والانفراد فكان تارةً يصعد الى مشارف جبل حرمون وتارة يتبطَّن الاودية التي يخصبها الاردنُّ بمياههِ الزلالية ويُنمي فيها الغابات الوارفة الظلال . وربما كان يخلو بنفسهِ عن تلاميذهِ « ليصلي على انفراد » كما اخبر القديس لوقا (٩ : ١٨) ومن البديهيّ انهُ كان يفيض نفسهُ امام ابيهِ السماويّ وكأني بهِ يردّد صلاةً لداود توافق احوالهُ ايَّ موافقة (مز ٤١) : « لماذا تكتئبين يا نفسي وتقلقين فيَّ . . . الهي اذكرك من ارض الاردنّ وجبال حرمون من جبل مِصعر . غمرٌ ينادي غمرًا على صوت خرَّاراتك . جميع تيَّاراتك وامواجك قد جازت عليَّ »

ولمّا انتهى من صلاتهِ ومن مناجاة ابيهِ اراد ان يكشف عن ابصار تلاميذهِ شيئاً من حجاب الغيب بازاء تلك المحاسن الطبيعيّة البديعة في حلف تلك المشارف التي خصّها البشر بعبادة الاصنام لاسيما بعل حرمون. فالقى على رسلهِ سؤالاً لم يكونوا لينتظروهُ قائلاً (متى ١٦: ١٤—٢٠): «من تقول الناس انّ ابن البشر هو؟ فقالوا: قوم يقولون انّك يوحنّا المعمدان وآخرون انك ايليا وآخرون انك ارميا او واحد من الانبياء. فقال لهم يسوع: وانتم من تقولون اني هو؟ فبادر بطرس واعلن بايمانهِ قائلاً: انت المسيح ابن الله الحيّ». وكلّكم سادتي يعلم كيف الربّ جازى ايمان بطرس حيث طوّبهُ بسببهِ واكّد لهُ ان الذي وضع على شفتيهِ ذلك القول ليس هو اللحم والدم وانما هو ابوهُ الذي في السموات ثمّ جعلهُ صفاة كنيسته الثابتة التي لن تقوى عليها قوّات الجحيم ثمّ قلّدهُ الرئاسة التامّة على بيعتهِ بكلام لا يبقي شبهة لكل طالب حقّ قائلاً: «ساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات (١ فكلّ ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكلّ ما حللتهُ على الارض يكون محلولا في السماوات» فيا لله ما اعظم ما نال بطرس وخلفاؤهُ من السلطة السامية. دعونا ايها الكرام نحيي هنا كنيسة المسيح ورأسها المنظور حيث انّ اسمها واسم رأسها سُمّيا لاوّل مرّة في جيرتكم فيحقّ لكم ان تفتخروا بما نالهُ بلادكم من المجد الاثيل بانشاء تلك السلطة الروحيّة العجيبة في ظهرانيكم وليفرح منكم كلّ من حظي بنعمة الوقوف على تلك الصفاة وليضحّ كلّ شيء دون الانفصال عنها لانّ الخلاص موعودٌ لمن يثبت عليها

وبعد هذا العمل الخطير انحدر السيد المسيح مع تلاميذهِ الى وادي الاردن ثمّ سار على ضفّتهِ اليمنى. وفي طريقهِ لقي آثار مدينة دان التي كانت اقصى حدود اسرائيل الشماليّة. ثمّ أدّى بهِ المسير الى بحيرة الحولة فرأى على سواحلها نباتات السدر والبرديّ التي كان ألفها في منفاهُ الى مصر. ثمّ عاد أخيراً الى كفر ناحوم ليواصل هناك بشارتهُ بملكوت السماوات منتظراً بهدوّ وثقة ساعة ضحيّتهِ الاخيرة. لكنّهُ اراد قبل ذلك أن يؤيد ايمان بعض خاصتهِ بتجليهِ على جبل الطور. امّا انا فاقف عند هذا الحد لأن ذلك الحادث لا يدخل في ما توليت وصفهُ من رحلة المسيح الى فينيقية والمدن العشر

١) راجع مقالة حضرة الاب م. شوسّا في معنى هذه العبارة ملكوت السماوات (المشرق ٦: ٨٦٣)

الّا اني لا يمكنني ان اختم كلامي دون ان اشير الى اثمار تلك السياحة الالهيّة فانها لم تنحصر ببعض المعجزات اصطنعها الربّ في اثناء مسيره. كلّا فان المسيح كان حيثما يحلّ يلقي زرعهُ كالزارع النشيط فيزكو الزرع وينمو ويأتي في وقته بثلثين ضعفًا بل بالستين والمئة . وقد تحقّق ذلك خصوصًا في سواحل الشام اذ لم يمرّ عليها بضع سنوات حتى ازدهرت كنائسها وتوفّر مؤمنوها كما يشهد على ذلك كتاب الاعمال في وصف اسفار بولس الرسول الذي كان يرحّب به الاخوة في مدن فينيقية

وكذلك المدن العشر انتشر فيها الدين النصرانيّ فاليها سار القديس بولس وبقي ثلاث سنين بعد ارتدادهِ ثمّ صارت احدى مدنها اي بلّا (طبقات فاهيل) مفزعًا لنصارى اورشليم التجأوا اليها قبل خراب المدينة المقدّسة وتدمير الهيكل على يد طيطوس. وبعد قليل أُنشئت هناك كنائس عامرة تنبئ بتقدّمها الاثار والتآليف القديمة

نعم انهُ حصل لتلك الكنائس محن وبلايا حتى تقهقرت مدّة اجيال متوالية وضعفت انوارها لكنّ زرع ابن الله لا يتلف تمامًا واملنا وطيد بان تلك الكنائس سوف تعود قريبًا ان شاء الله الى حسنها وجمالها ولنا ضمناء على آمالنا الطيبة اولئك الرعاة الصالحون الذين اقامهم عليها الكرسي الرسولي والمرسلون الغيورون الذين يتجوّلون فيها لنشر الانجيل وخصوصًا سيادة القاصد الرسولي الكلي الشرف والجزيل الاحترام. وحضور نيافتهِ هاهنا في هذه الحفلة ينعش رجاءنا ويكفل بقرب حلول امانينا فانّ امام الاحبار قد اقامهُ كنائبهِ على كنائس فينيقية وانحاء دمشق وحوران ليجدد مفاخرها السابقة ويستطر عليها نعم ذلك الراعي العظيم الذي تنازل وقدّسها بمرورهِ في اقطارها. امين اللهمّ امين

دبرا ليبانوس

او دير قديم في الحبشة العليا

لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد

(تتمّة لما سبق في المشرق ١٠ : ٢٧٣)

قبل ان اواصل القراء الكرام بتتمة رواية زيارتي لدبرا ليبانوس استميح حضرة

الاب الفاضل المدقق القس جرجس منش الاذن بشكر حضرته علناً على الملاحظة التي اتاها عن هذا الدير في المشرق (١٠: ٩١١) تتمةً للفائدة. فقد فتحت لي ملاحظة حضرته هذه باباً للبحث عن حقيقة زمن تسمية ديرا ليبانوس بهذا الاسم اذ انَّ ما اثبتهُ في افتتاح مقالتي عن ذلك المنسك (المشرق ١٠: ٧٧٢) كان من باب الحدس والتخمين لا من باب التوكيد كما ذكرت

ظننتُ لن اطلاق هذا الاسم على دير ديرا ليبانوس قريب العهد وقلت انَّ « لعلَّهُ لا يتجاوز مائة سنة ». ورجّح حضرتهُ الظن انهُ سمّي كذلك في الجيل السادس عشر مستشهداً بالقس يعقوب ورفقته الرهبان الاحباش الذين نزلوا جبل لبنان واستوطنوا دير مار يعقوب في اهدن المعروف بعدهم بدير الاحباش الخ . الى ان قال انهُ « من القريب الى الصواب ان فرقة من هؤلاء الرهبان الذين طُردوا من لبنان سنة ١٤٨٨ قفلوا عائدين الى بلادهم وعمّروا الدير السابق الذكر (يريد ديرا ليبانوس) فأُطلق عليهِ او (أطلقوا عليهِ) اسم دير جبل لبنان. اه

فيسرّني ان اعترف اليوم ان ظنّ حضرة الاب جرجس منش كان اقرب الى الصواب من ظنّي وليس الاقرار بالغلط عاراً. على اني بعد التنقيب — وقد ساعدني على هذا التنقيب معرفتي باللغة الحبشيَّة — رأيت انَّ قولينا ظنٌّ وان ظني كان ابعد من ظنّ حضرته. وهاك خلاصة ما استنتجتهُ بدليل الحجج الاتية:

١ ان تسمية دير ديرا ليبانوس بهذا الاسم ترتقي الى عهد تأسيس الدير في الجيل الثالث عشر. فان مؤسسهُ هو الاسقف الحبشي الكاثوليكي الشهير تقلاهيمانوت (١ (ተክለ ሃይማኖት:) — وليس رفقة الراهب يعقوب الذي نزل الشام — وهذا الاسقف سامه ميخائيل البطريرك القبطيّ الثالث والستون عدًّا على كرسي الاسكندريَّة. وقد جاء في تاريخ حياة هذا الاسقف الصالح انهُ مؤسس العيشة النسكيَّة في الحبشة وانهُ بعد عودته الى مدينة « عدّا ابونا » (٢ ترك في هذا الدير سبع تلامذة رهبان سلَّم اليهم قانونه في النسك ورأَّس عليهم رئيساً قانونياً. وقد اقامت الكنيسة الحبشية في

١) اطلب المشرق (٦: ٩١٩)

٢) وسمّى الكلمات « السدة الاسقفيَّة » هي مدينة في بلاد تكره لم تزل آثارها الى اليوم قرب مدينة عدوى وبقطها الانبا بطرس اسقف تكره الحالي

سنكسارها تذكاراً لاكثر هؤلاء الرهبان كما سأذكر وعدتهم من الابرار. وقد ذكر ايضاً ان الاسقف تقلاهيمانوت المشار اليه نُقل جثمانه بعد وفاته الى بلاد الأحرة فأودع كنيسة الدير الذي بناه وذكر السنكسار الحبشي هذا الحادث مسمياً الدير باسم ديرا ليبانوس (ደብረ ፡ ሊባኖስ ፡)

٢ً بدليل ما جاء في السنكسار المذكور عن القديس «كبرا منفس قدوس» (ገብረ ፡ መንፈስ ፡ ቅዱስ ፡) — اي عبد الروح القدس — انه «كان رئيس الرهبان السبعة الذين تركهم القديس تقلاهيمانوت في ديرا ليبانوس» والكنيسة الحبشية تقيم له عيداً في اليوم الخامس من شهر مكابيت — وهو برمهات القبطي — وتجعل له تذكاراً في الخامس من كل شهر اذ هي تعتبره من اكبر قديسيها

٣ً تجعل الكنيسة الحبشيَّة في اليوم الرابع والعشرين من شهر طِرْ — طوبة القبطي — تذكار وفاة الاب «مهرا كرستوس» (መሕረ ፡ ክርስቶስ ፡) — اي نعمة المسيح — «احد رهبان ديرا ليبانوس السبعة تلميذ القديس تقلاهيمانوت

٤ً في اليوم الثالث من شهر طِرْ المذكور يعيّد الاحباش للراهب «ليبانوس متى» (ሊባኖስ ፡ መጥ ፡) . جاء في سيرة حياة هذا الراهب انه «بعد ان عاش مدةً في دير ديرا ليبانوس ذهب واتمَّ بقيَّة حياته النسكيَّة في دير القديس باخوميوس في الصعيد وكان ذلك في عهد القيصر مكسيميانوس»

٥ً جاء في اليوم الثاني من شهر هِدارْ — هاتور القبطي — انه «تذكار وفاة الاب ليبانوس» الذي كان راهباً في دير ديرا ليبانوس في عهد الملك «لاليبلاً» . ومعلوم ان هذا الملك كان كاثوليكياً عاش في نهاية الجيل الثالث عشر واوائل الجيل الرابع عشر. ويدعوه ايضاً الاحباش باسم القديس لويس الحبشي (١

٦ً في اليوم الثالث من شهر ميازيا — برموده القبطي — ذُكر في السنكسار الحبشي لنياح الاب «سَمَرَة حيُون» (ሰመረ ፡ ጽዮን ፡) — اي ثمرة صهيون — «احد المتوحدين السبعة في دير ديرا ليبانوس في عهد رئاسة الاب كبرا منفس قدوس» وهو الانف الذكر

٧ً في الواحد والعشرين من نفس هذا الشهر ميازيا «تذكار نياح الاب حبقوق

١) راجع المشرق (٦ : ٩١٩)

حادي عشر رئيس لدير ديرا ليبانوس المنسوب للقديس تقلاهيمانوت في عهد الاسقف بطرس » وبطرس هذا هو الرابع بعد تقلاهيمانوت في سلسلة اساقفة الحبشة

٨ً في اليوم العشرين من شهر كنبوت — بشنش القبطي — ذكر الاب « بطرا ومنكل » (ጴጥሮ ፡ ወንጌል) — اي صخرة الانجيل — الرئيس السادس عشر لدير ديرا ليبانوس »

٩ً في اليوم التاسع والعشرين من شهر سانيه — بابه القبطي — نقل رفات القديس « عمدا ميكائيل » (ዐምደ ሚካኤል) — اي عامود ميخائيل — الى ديرا ليبانوس في عهد الملك « لبنا دنكل » (ልብነ ፡ ድንግል) — اي بخور العذراء — ومعلوم ان هذا الملك هو من اجداد الامبراطور منليك الثاني الحالي تملك على الحبشة من سنة ١٥٠٨ الى سنة ١٥٤٠ ويعرف ايضاً باسم « أطانا دنكل » (ዕጣነ ፡ ድንግል) اي بخور العذراء ايضاً فان كلمتي « لبن » و « أطان » مترادفتان في اللغة الحبشية. وباسم « وتك سگد » (ወትግ ፡ ሰገደ) — اي سجد السبع » وهو اكثر شهرةً ايضاً باسم داود الثالث

١٠ً في اليوم العشرين من شهر هملي — ابيب القبطي — ذكر التوحدين « تقلا ادوناي » (ተክለ ፡ አዶናይ) — اي غرس ادوناي — وتولد مذهن (ትውልደ ፡ መድኃኔ) — اي ذرية المخلص — تلميذي القديس تقلاهيمانوت من رهبان ديرا ليبانوس السبعة »

١١ً في الثامن والعشرين من شهر هملي نفسه « يناح فلبس اللاهوتي وكبرا مسگل (ክቡረ ፡ መስቀል) — اي عظمة الصليب — من رهبان ديرا ليبانوس السبعة » الموما اليهم

فهذه النصوص كلها تشهد جلياً ويستنتج منها ان دير ديرا ليبانوس دُعي بهذا الاسم منذ عهد تأسيسه. ومما يزيدني توكيداً لما سبقتُ فقلتُ (المشرق ١ : ٧٧٠) « ان الباعث الذي حدا الاحباش في سالف الزمان الى ان يدعوا هذا المكان باسم جبل لبنان هو اولاً تيمناً باسم ذلك الجبل الذي جاء ذكره في نصوص الكتاب الكريم ثمَّ لوجه الشبه بينه وبين جبل الشام من حيث التكوين الطبيعي . . . . الخ » هو ان الاحباش يطلقون على اديرتهم اسماء كتابية وتاريخية كثيرة تيمناً بها. تشهد على ذلك اسماء الاديرة

الاخرى الموجودة او الباقية آثارها الى اليوم في الحبشة كدير « دبرا صيّون » (ደብረ ጽዮን) — اي دير جبل صهيون — ودير « دبرا تابور » (ደብረ ፡ ታቦር) — اي دير جبل تابور — ودير « دبرا برهان » (ደብረ ፡ ብርሃን) — اي دير جبل النور — وهذه الاديرة الثلاثة هي في بلاد الاحرة. كذلك دير « دبرا كرمل » (ደብረ ፡ ክርሜል) — اي دير جبل الكرمل — ودير « دبرا زيت » (ደብረ ፡ ዘይት) اي دير جبل الزيتون — في بلاد تكره وغيرهم كثير

*

فبعد هذه المقدّمة اعود الى مواصلة الكلام عن الدير المبحوث عنهُ فاقول :

منسك دبرا ليبانوس عبارة عن سهل من الارض منخفضٍ محاطٍ تكتنفهُ الجبال قدرتُ مساحتهُ بنحو عشرين هكتارًا من الحضيض مغطًّى كله بغابة كثيفة اشجارها من الفصيلة الراتنجية مع بعض اشجار الزيتون البرّية غير المثمرة . يجتازه من جهته الشرقيّة نهر مزبد المياه سريع الجري وهذه المياه هي التي تسقط اليه من اعلى الجبل شلّالًا كما اشرت فوق هذا. اما الماء المنفجر من قلب الصخر في ذلك المنسك والذي يعتبره الحبش مقدساً فانه ينحدر كالانبوب او كالميزاب فيسقط اوّلًا في جرن من الصخر يحوط بهِ سياج وله مدخل واحد. هناك يستقي الزوار الماء مشرب الامانة فيسقون منهُ المرضى ويملأون الاوعية التي يحملونها الى امكنتهم البعيدة ويقوم على حراسة هذا الجرن راهب شيخ يرتدي وشاحًا من جلد البقر وله كوخ حقير عند مدخل هذا الجرن وهذا الراهب يغمس في كل مرة اصبعهُ في طين تلك الارض ويرسم بهِ على جبهة الزوار صليبًا يحافظون عليهِ اطول ما يستطيعون من الزمان. ثمَّ يسيل الماء المقدَّس من ذاك الجرن فيجري تحت جذوع الاشجار حتى يصبَّ على مقربة من هناك في بركة صغيرة حُفرت بين الصخور بعمق نحو ذراع واحد غير مستوية الدائرة ينزل اليها الزوار ومرضاهم فيغتسلون بها اصطباغ الامانة وعددٌ منهم يُشفون من عاهاتهم كما اشرت. وبعد ذلك يواصل الماء الجري في ارض المنسك فيستقي منهُ النساك ثمَّ يصبُّ اخيرًا في الوادي الكبير الذي ينسكب فيه النهر الشرقي والذي قلتُ انهُ يحدّ المنسك من جهتهِ الجنوبيَّة

يعيش في هذا الدير نحو من ثلاثة آلاف ناسك يسكنون الاكواخ الحقيرة ومغاور الجبل وبين اغصان الاشجار في الحرش. يفترشون كلهم الارض على التراب او يجعلون

تحتهم شيئاً من العشب واوراق الشجر ولا يرتدون بسوى جلود الحيوانات. هؤلاء هم الجماعة النسكيّة التي اسسها الطيب الذكر الاسقف تقلاهيمانوت في الحبشة ناسخاً اياها عن سيرة نساك القديس باخوميوس في بلاد الصعيد. لا يذوقون طعاماً آخر سوى السليق من الحبوب وخبز التقدمة الذي يحضر الى الدير في كل يوم من انحاء كثيرة. اما السليق فانهُ يُطبخ في الدير نفسه ويُشترط ان يقوم الرهبان بعمله وهم ليس فقط لا يخالطون النساء بل انهم ايضاً لا يريدون ان يأكلوا سليقاً طبختهُ ايدي المرأة. وقد قُدم لي من هذا السليق بينما كنت ازور الدير فاكلتهُ وهو خليط من القمح والشعير والعدس والحمص والفول مسلوقاً بالماء لا غير وقلما زيد عليهِ شيء من الملح. وبوجه الاجمال انَّ نساك دير ديرا ليبانوس يتبعون الى اليوم السيرة النسكيّة كما كان يتبعها في سالف الزمان رهبان برّية الصعيد ومصر تباع قوانين آباء الرهبان القديسين انطونيوس وباخوميوس. وفي ثبات اتباع هذا التقشف الصارم الى اليوم عند رهبان ديرا ليبانوس في الحبشة كما كان جارياً في القديم برهانٌ حسيّ ساطع على قول امتناع الرهبان الشرقيين قطعياً عن اكل اللحوم قديماً (١

اما كنيسة الدير فهي حديثة العهد بناها الراس داركه عمّ النجاشي الحالي في مكان الكنيسة القديمة التي يقال ان بها رفات تقلاهيمانوت على ان جلالة الامبراطورة طايتو نشاء هدم هذه الكنيسة ايضاً وانشاء كنيسة حسنة البناء في مكانها لكنَّ الرهبان يضادُّون هذا المشروع مفضلين قدمية كنيستهم. وليس في هذا المعبد شيء يستجلب الابصار ولا آثار تستحق الانتباه او كتابات تاريخية او تصاوير قديمة فهي كبقية كنائس الحبشة مستديرة الشكل تكثر الاخشاب الغليظة في بنائها وحجاب هيكلها حديث التصوير وارضها مفروشة من حصير متين الصنعة محبوك بقصب البامبو يضمُّ الى بعضهِ سيور من جلد البقر وسقفها من الهشيم كسائر ابنية الحبشة. ويقرب هذه الكنيسة معبد آخر يدعونهُ مقام الصليب يُحفظ فيهِ صليب خشبي كبير غليظ الصنعة يعملون بهِ الزياحات والبواعيث في كثير من الاعياد وهم يدّعون انه نزل من السماء في عهد

١) راجع الرسالة الزاخرية التي نشرها حضرة الاب تيموثاوس جق (المشرق ١٠: ٨٢٩ و١٢٩ و١٧١)

تقلاهيانوت وهي خرافة كالتي ذكرناها قبيل هذا اعني قولهم عن ماء الدير انه من نهر الاردن

على ان ما يستوقف الابصار في هذا الدير غير ما ذكرناه عن هول الطبيعة ومناعة المكان هي آثار المدافن القديمة فهناك قبور مكشوفة نُقرت في الصخر واحدها بجنب الاخر وذلك في اسفل الجبل الذي يحدُّ المنسك على طول السهل وعرضه. ولم يزل الاحباش ينقلون الى هذه القبور عظام موتاهم حتى من امكنة كثيرة البعد فيغادرونها في هذه القبور المكشوفة وسط الصندوق الذي حملوها به . ومن نوع هذا الصندوق يعرف الناظر اليه ان كانت العظام المودوعة به نُقلت من محلٍ بعيد ام لا . فصناديق البضاعة الاروبيَّة الحسنة الوضع تنبئ ان ما فيها من الرفات نُقلت من بلاد ليست كثيرة البعد تصل اليها اليوم البضائع الواردة مما وراء البحر كأمارة هرر ومملكة الشوا ومقاطعة تكره وما جاورها . والصناديق المحكمة الصنع الجليَّة الواحها بالغارة تعرّف ان ما تحواه من العظام حُملت من بلاد قريبة فيها الصنائع والتجارة بنوع اخصّ . وصناديق البترول المصلح كسرُها بالواح قُدّت من الاشجار بالقدوم الوطني والمرتبطة اقسامها بالجلود تفيد الناظر اليها ان الرفات المودوعة بها واردة من بلاد متوسطة البعد دخلها التجار القليلون ولكن ليس فيها بعدُ من صناعة كبلاد كودجام وامارة سلاله وبلاد الكوراكي والكافا والشانكلا وغيرها . ومن الصناديق الاوَّلية الحضة وهي كناية عن قطعة واحدة من ساق الشجر الغليظ محفورة بالقدوم الوطني على شبه صندوق ومغطاة بقطعة نظيرها يربطها ببعضها سيور من جلد بلا مسمار ولا مفصلة ولا ما شابه ذلك . او من العظام الموضوعة ضمن ظروف من جلود الحيوانات مع شعرها يعرف الزائر ان هناك رفات اتت من بلاد متوغلة في الداخليَّة ليس فيها شارة من شارات دخول بعض الحضارة . . وهذه الرفات كلها معروضة للناظر لا يغطيها تراب ولا حجر . اما قبور الملوك والامراء فهي كناية عن ابنية كبيرة بعضها من حجر منحوت وهي الحديثة العهد كقبر الراس دارگه وابنه الامير اصفا و وقبر الراس ألولا وقبر ملكة الشوا امرأة النجاشي منليك الاولى وبعضها سقيمة البناء تشبه البيوت الحبشيَّة وهي قبور الملوك والامراء الاقدمين وعلى كل هذه الاثار لا تجد تاريخاً ولا اشارة ولا كتابة يستطاع منها معرفة عهد الدفين وهم يفرقون بين قبر وقبر بالتقليد والله فوق علمهم علم

اللغة العربية

في طور النشوء والتكوّن (تتمة)

لحضرة الاب انستاس الكرملي

كيف تُرد اللفظة الثلاثيّة الى اصلها الثنائيّ

لقد تقرَّر انَّ كل لفظة ثلاثيَّة هي من اصل ثنائيّ الّا ما ندر وشذّ. فيجب علينا الان ان نعلم كيف تُردُّ الكلمة الثلاثيَّة الى اصلها الثنائي. فنقول: قد المعنا الى ان المتروجات والحاشيات او المذيّلات لا تخلو من ان تكون من أحد حروف الذلاقة وهي ل ر ن ب ف م. ومعها حروف العلَّة (و ي ا) والهمزة والهاء. وكلهنَّ من اسهل الحروف واسلسها واذلقها على اللسان تتدمّج في الكلمة وتكسبها قوَّة وحياة نُطق بيّنة. الّا انهُ قد يتّفق ان يكون في اللفظ الثلاثي اكثر من حرفٍ من هذه الحروف المذكورة بل وقد تكون الثلاثة كلها بأسرها مأخوذةً منها. مثل «بَرَمَ» فكيف نهتدي الى الاصل الثنائي الاب

نجيب: تؤخذ اللفظة فينظُر اليها الباحث اللغوي بعين التحقيق فان رأى في الكلمة حرفًا واحدًا من الحروف المشار اليها سهل عليهِ معرفة الاصل. وان راى فيها حرفين او اكثر فحينئذٍ ينظر الى اللفظة من جهة مشابهتها لأقرب صوتٍ طبيعيّ يطابق المعنى وهذا يتوفَّق اليهِ باسرع من الطَّرْف اذا كان يعرف مؤدَّى الكلمة واذا كان يجهلهُ او لم يكن هنالكَ صوت لا في الكلمة ولا في الطبيعة فيطرح حينئذٍ من الكلمة ما كان من حروفها اخفّ واسهل على اللفظ لسهولة دخولهِ وخروجهِ بدون ان يضرّ بتركيبها ضررًا مذكورًا

واذ قد اتضح ما مرَّ بك يحسن بنا الآن ان نذكر شاهدًا على كل حالٍ من هذه الاحوال الثلاثة يعني من وجود حرف او حرفين او ثلاثة من الحروف الزوائد القارَّة في الكلمة. فاذا أردتَ ان تعرف مثلًا الحرفين الاصليين في كلمة «شرق» فانك لا ترى في هذه الثلاثة الّا الرَّاء من حروف الذلاقة ومن ثمَّ كانت هي الزائدة واتضح لك ان الاصل الثنائي هو «ش ق» وشروق الشمس من شقّها اديم الظلام

او حجابهُ واضح وهو للشمس مجاز اذ لا حكاية صوت هناك ولغيره حقيقة لا شبهة فيها

واليك الشاهد الثاني «أكل» ففيه الهمزة واللام معاً وهما من حروف الزيادة القارّة فاي الحرفين هو الزائد الذي أُتي به بعد ان صيغت اللفظة من الحرفين الثنائيين الاصليين؟ — فلا جرم انهُ الهمزة لسلامتها والاصل «ك ل» وهو حكاية صوت المضغ اذا كان في الفم طعام يُسمع صوتهُ من وقع الاسنان بعضها على بعض. ويوافقهُ في اللاتينيَّة «ك م» يعني comedere وقد قلنا غير مرَّة ان الحروف القريبة المخرج تتعاور في ما بينها وتتبادل على سبيل المعاونة والمجاورة

والمثال الثالث «بَرَم» فكلها من حروف الذلاقة فاذا نظرنا من وجهٍ الى حكاية صوت البرم نراها «بر» او «تر» واذا نظرنا من الوجه الآخر الى أضعف الحروف جرساً نراها ولا شك الميم المتطرّفة. ولو لم تكن متطرفة لكانت الباء اضعف منها. ومن ثم يكون الاصل الثاني «بر» واما الاجانب فانهم اشتقوا اللفظة من اصل «تر» فقال اليونان τρέχω وقال اللاتين torquere ووضع الفرنساويون عدة كلم منها: tordre, tresser, tourner وقال الانكليز braid كالعرب وقالوا ايضاً tress كالفرنسيس

وقد تحتمل الكلمة (اذا كان فيها حرفان ذولقيَّان أو اكثر) تأويلين او اكثر. مثال ذلك لفظة «قر» فكل من الميم والراء هو من الاحرف المذكورة فأيهما الاصل وايهما المزيد. قلنا: يُحتمل ان تكون الراء هي المقحمة فتكون اللفظة من مادَّة «ق م» التي يتفرَّع منها القيام وما ضاهاهُ. فيكون معنى القمر هذه السيَّارة التي «تقوم» من الافق سريعاً. وقد تكون الميم هي المُدمَجة فتكون الكلمة من مادة «ق ر» التي يتفرع منها القَرْر وهو قطع الشيء من وسطهِ خرقاً مستديراً كهيئة القمر عند ما يبدو هلالاً. فيكون المعنى تلك السيَّارة التي تبدو مقوَّرة من بين جميع السيَّارات

على ان هذه القاعدة قاعدة حذف الحرف الأذلق لا تكفي وحدها في اغلب الاحايين بل تحتاج الى ان تُضمَّ الى قاعدة ثانية لتتمَّ بها الفائدة وذلك امَّا لخلوّ الكلمة من هذه الحروف بتاتاً. واما لانك اذا حذفت الحرف الأذلق لا تستلذّك الفائدة المنشودة بل تلتزم بان تحذف احياناً الحرف الاذلق نفسهُ وتبقي ما ليس فيهِ اثر الذلاقة. ومن ثمَّ

وجب ان تعرف هذه القاعدة الثانية وهي: اذا اردت مزيد تحقيق وتدقيق في معرفة الاصل الثنائي يحسن بك ان تعارض اللفظة بما يقابلها في اللغات الاخوات وفي اللغات الغريبة. فانّ هذه المعارضة تفتح لك ابواباً تبوح لك باخفى الاسرار وباغمض المسائل وادقها مدبًا

فهذه لفظة « القمر » اذا قابلناها بما يقابلها في الارامية ܣܗܪܐ نرى ان الاصل الثنائي في هذه هو « س ر » ويوافقها في اللاتينية luna والاصل الثنائي فيها « ل ن » والقمر باليونانية σελήνη والاصل الثنائي فيها « س ل » ولليونان لفظة μήνη للدلالة على الهلال والاصل فيه « م ن » واسم القمر بالانكليزية moon والاصل فيه « م ن » فانت ترى ان القاف في العربية هي الزائدة بعد المقابلة فتكون المادة الأمّ هي « م ر » ومنها في العربية « مرّ » فيحتمل ان يكون اصل القمر من « مرّ » لمروره بناحية السماء وعبوره اياها. وقد زيدت القاف لغاية هي خفيّة اليوم عن ابصارنا (١

وكذلك القول في « الشمس » فالحرف الوحيد الاذلي الذي يحسن حذفهُ لمعرفة اصل المادّة هو الميم. لكن لما كانت القاعدة الاولى لا تكفي في ذاتها فلا بُدَّ من الجمع بينها وبين القاعدة الثانية وهي معارضتها باللغات الاجنبيّة الوقوف على الاصل المكين. فاسم هذا النجم باليونانية ἥλιος والاصل الثنائي فيها « ه ل » او « أ ل » وباللاتينية sol والاصل فيها « س ل » وبالانكليزيّة sun والاصل فيها « س ن » وفي اللغات السامية كلها كالعبريّة والارميّة والاشوريّة « شمس أو شمشا » يعني بشينين والاصل هو « ش م » فمن هذه المعارضة يتّضح انهُ لا يحسُنُ بك ان تعتبر الميم هي المقحمة ولو كانت ذلقاء بل السين وان كانت غير ذلقاء لسبب قصور القاعدة الاولى في حدّ ذاتها. واذا كانت مادّة « ش م » او « س م » تدل على الارتفاع (من ذلك: الشَّمم والشُّموخ والشُّرُوذ والسُّمُوّ والسُّرُوك والسُّوق) كان معنى الشمس « النير المرتفع او العالي »

(١) الارجح ان العرب لمّا لاحظوا ما في حرف القاف من المزايا الخاصة به اذا ما وقع في صدر الكلمة توجّوا بها لفظة « مر » فصارت « قمر ». ومن خصائص هذا الحرف اذا وقع في الانف الدلالة على القوة والقدرة والرئاسة والجمع. ومن ثم فيكون محصّل هذه اللفظة « هذه السيارة التي قد اقيمت بمنزلة سلطان الليل بضيائهِ الذي يكسف ضياء سائر الكواكب والنجوم الليلية وقد جمع فيهِ نور الشمس الذي يستمدّهُ منها »

ولا جرم ان درس اللغة العربيّة وتطبيق الفاظها على هاتين القاعدتين مما من ألذّ الدروس وأنوّدها للعقل واطيبها للخاطر وارضاها لهُ . دَعْ عنكَ ما يتكشّف بين يديك من الاسرار الغريبة وتتّضح امامك غوامض كانت الى هذا العهد بعيدة الوصول اليها . والبَسْط في هذا الموضوع يزيد بحثنا جلاء من جهة وثباتاً وقراراً من جهة اخرى

وها نحن نختار الآن اربعة الفاظ ناضين منها ثياب التستّر والتخفّي ومُنضِين اليها ركاب التأثّر والتحقّق وهي اسماء اربعة فصول السنة الربيع والصيف والخريف والشتاء فنقول :

ان المادّة الأم في « الربيع » هو « رع » بعد حذف الباء الذلقاء التي هي اضعف من الراء التي هي اختها في المخرج . ومن « رع » يتفرّع اقرب لفظ اليها وهو رَاعَ الشيء نما وزاد . فيكون الربيع فصل النموّ والزيادة كما هو الواقع . ومن الرّيع تولّد الربيع ومنهُ : ربعت الابل : سرحت في المرعى واكلت كيف شاءت وشربت (وبذلك اي بالاكل والشرب يتوفّق ويتمّ نموُّها)

ولفظة « الصيف » ماخوذة من مادة « ص ف » ومنهُ الصَفو نقيض الكدر . والاجوف والناقص من عهد واحد في التكوُّن لا بل وقد يتعاوران في اغلب الاحيان . فصل الصيف هو فصل صفو الجوّ من كل كدر في الماء والسماء كما هو الواقع في بلاد العرب ولو نشأت اللغة العربيّة في غير تلك الربوع المعهودة بل في البلاد الغربية الشماليّة او الجنوبيّة لسمّوها باسم يدلّ على الحرارة مثلاً أو على غير ذلك

واما لفظة « الخريف » فمادّتها التي استمدّت منها الوجود والاشتقاق هي ولا ريب في ذلك : « خ ف » ومنها : خفّ الشيء : نقيض ثقُل وقَلّ . وسبب تسميته بذلك واضح من ان الاشجار في هذا الفصل تُقطّفُ اثمارها وتسقط اوراقها فتخفّ مما كان عليها من الحمل وثياب الزينة . وقد يكون كلمة الخريف المشتقّة من مادّة « خ ف » إشارة الى الخفاء (لان المضاعف والاجوف والناقص من عهد واحد في التكوُّن وتكاد تكون لغاتٍ عند البعض من العرب ولنا على ذلك شواهد عديدة ليس هذا مقامها) فيكون الخريف قد أُخذ من الخفاء لاستتار قوّة الاشجار ومائيتها في هذا الفصل من السنة

وقد كفانا العلامة جرجي افندي زيدان مؤونة البحث في سبب تسمية الشتاء بهذا الاسم قال جرسهُ الله في تاريخ اللغة العربيَّة ص ١٣ ما هذا نقلُ عبارتهِ « اننا اذا راجعنا هذه المادة في اللغات السامية رأيتَ الاصل في دلالتها: « الشرب » او « الريّ » او « الصبّ » فهي كذلك في العبرانيَّة والسريانيَّة الى اليوم. وقد شقُّوا منها الافعال والاسماء لمعانٍ كثيرة ترجع الى الريّ ونحوهِ — الا فصل الشتاء. فانهم شقُّوا لهُ كلمة من اصل آخر يقرب منهُ لفظاً. ويؤخذ من مرجحات كثيرة انَّ المادَّة الاصليَّة (شتا) كانت تدلّ على الرطوبة او الريّ في اللغة السامية فما تفرَّقت القبائل كما تقدَّم تولَّدت منها المشتقات وتنوَّعت معانيها على مقتضى الاحوال فتولَّد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف لهُ في العربيَّة وأُهمل معنى الشرب والريّ منها. ومع ذلك فلو تدبَّرت مشتقات هذه اللفظة في اخوات العربيَّة لرأيتها تختلف في الواحدة ثمَّ في الاخرى »

فيتحصَّل ممَّا تقدَّم شرحهُ ان فصل الشتاء هو فصل الامطار وشُربِ الأرضين إياها . على ان « شتا » بمعنى رَوَى موجودة في العربيـة ببعض إبدال وهي « سقى » « وشتا » بمعنى « رَوَى » أقدم عهداً من « سقى ». وما هذه الَّا لغة في تلك. وذلك ان قبيلة من العرب كانت تجعل التاء كافاً في اغلب الالفاظ إلَّا تكن في جميعها. وهذا اما لغةٌ مطَّردة عندهم واما لثغة. فامَّا كونها لغةً فتشهد على صحَّة ذلك جملة الفاظ وردت على هذه الوتيرة اي انها وردت بالكاف عند قبيلة وبالتاء عند قبيلةٍ أُخرى. قال في خزانة الادب (في هامش ٤ : ١ : ٩) في شرحهِ لهذا البيت :

يا ابنَ الزُّبَيرِ طالما عَصَيْكا [وطالما عَنَّيْتَنا إليكا
لنَضربنَّ بسيفنا قفيكا]

« قائلهُ راجز من حِمير. كذا في نوادر ابي زيد .... الاستشهاد فيهِ : في قولهِ « عَصَيْكا ». فان اصلهُ « عَصَيْتَ » فابدل الكاف من التاء لانها اختها في الهمس (كذا وعندنا انها لغة او انها لثغة في الاصل ثمَّ انتشرت فصارت لغة. ففي بغداد ابنتان من أقارب متباعدة لا تستطيع الواحدة منهما ان تلفظ الكاف وكل مرة تحتاجان الى ذلك تقلبان الحرف وتجعلانهِ تاء. فتقولان مثلاً : « تالوتلمة ومتان وترت » في : « كال وكلمة ومكان وترك » وكان سُحيم اذا أنشد شعراً قال : « أحسَنْكَ والله » يريد

« أحسنتَ » (١ اه. ولا نشك ان من قال عَصَيْكا بدلًا من « عَصَيْتَ » قال ايضاً: « عَنَيْكَا » الّا انّ الرواة غيّروا حيث لم تفهم القافية (راجع حاشية مشرق ١ : ٧٩١)

ومن الالفاظ الحالية من الضمير والدالّة على هذه اللغة الحكيد والحتد. وهو الاصل. قال الميداني: بالكاف لغة عقيل وبالتاء لغة كلاب (التاج في ح ك د) وعن ابن الاعرابي: امراة عَفْتاء وعَفكاء. ورجل أَفَتَ وأَفَكَ وهو الاخرق (التاج) والإِفْتُ: الإِفك وهو الكذب. ويُقال: أَفَتَهُ عنهُ كأَفَكَهُ: اذا صرفهُ. ووادي لكّة ووادي لتّة من ديار الاندلس (Guadalete) الى غير ذلك من الالفاظ الكثيرة. ثم لمن الكاف صارت قافاً بلغة قبيلة اخرى والشواهد لا تحصى منها: تشيش الافعى وكشيشها والدعكة والدعقة والدقّ والدكّ ودقهُ ودكهُ (راجع ايضاً المزهر ١ : ٢٦٩, ٢٦٢, ٢٦٨, ٢٦٦)

وربّما قُلبت تاء «شتا» قافاً فصارت «سقى» مباشرةً بدون ان تنقل الى الكاف ثمّ الى القاف. ولنا على ذلك ايضاً الفاظ كثيرة مما يشهد انها كانت لغة شائعة في السابق من ذلك: حمار نهّات ونهّاق (عن المزهر ١ : ٢٦٤) والحَتِد والحَقِد (التاج في ح ف د) والمُستَقع والمُستَتَع: (ثمر التنضب) وتبّ الشيء وقبّهُ: قطعهُ. وفي هذه الشواهد ابدال في الصدر والحشو والطرف. وعليه « قَسَقَى » « وشتا » من اصل واحد. وسُمّي الشتاء شتاء لستّه الارضين في عهد الامطار كما مرّ بك شرحهُ

ولولا ضيق المقام وخوف الاطالة لاوردنا لك شيئاً كثيراً من هذا القبيل يأخذ بالالباب وينتج لك موحد الابواب ويثبت لك ان تتبع مفردات اللغة على هذا النحو من احسن أبحاثها على الطلّاب

٥ ترتيب نشوء الافعال بحسب قدمها

لقد أسلفنا القول ان المضاعف الثلاثي هو اول ما نشأ من الافعال من بعد ان توفّق الاولون الى النطق به من الالفاظ العربيّة فلا حاجة الى الاعادة بدون افادة. وتلاهُ في النشوء المضاعف الرباعيّ ويحسن بنا هنا ان نستشهد بكلام الشيخ ابرهيم اليازجي اذ قال (في الطبيب سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥)

١) لاحظ جيداً ان هذه اللغة لغة قلب التاء كافاً كقولهم: احسنك والله هي غير قلب الكاف تاء كقولهم: « الانت » في « الافك » فهما لغتان متناقضتان اصلهما في النشوء لغة في اللسان على ما قدّمنا ذكرها عن هاتين الابنتين البغداديتين في عهدنا هذا

(ليس المضاعف الرباعي) الا تكرار الثاني بصورته كما سبق لنا الالماع اليه لا محوّل عن فَعْلَل المُثَقَّل العين بابدال احد طرفي التضعيف كما هو مذهب كثير من اللغويين. ولا ماخوذ من مضاعفين ثلاثيين كما صرّح به بعض المتصدّين للمباحث اللغويّة حيث زعم ان قولهم: هَزْهَز وحَثْحَث إنْ هو الا هَزَّ هَزَّ وحثَّ حثَّ. واضم لما بنوه كذلك احتاجوا الى التسكين (كذا) وفي هذا التعبير ما لا يخفى. فان مقتضاه جمع الساكنين مرّتين في الكلمة مع بقاء الفعل حينئذٍ على ستّة احرف لا اربعة. ويؤيد ما ذكرناه شواهد من اللغة ذهبوا فيها هذا المذهب في التاليف كقولهم: مأمأتُ المعز وهو حكاية صوتها اذا قالت مَأْ مَأْ وصَهْصَهَ بهم اي اسكتهم. وحقيقته قال لهم: صَهْ صَهْ وكذلك بَسْبَسَهُ اي كفّهُ بقوله بَسْ وبَخْبَخَهُ اي قال لهُ بَخْ بَخْ وبَسْبَسَ بالناقة اذا دعاها بَسْ بَسْ. ومن هذا القبيل قولهم عَنْعَنَ الحديث اذا قال: حدثني فلان عن فلان. وغير ذلك مما لا شبهة في كونه مصوغًا على الوجه المذكور»

قلتُ: وقد يكون المضاعف الرباعي مصوغًا من اصول الاجوف الصحيحة او من الناقص او من المثال وهو مما لم ينبّه اليه احد وان اشاروا اليه. والسبب لان الناقص من اصل المضاعف الثلاثي وكذلك الناقص والمثال كما ألمعنا اليه غير مرّة في تضاعيف هذه المقالة. قال في اللسان في مادّة مصص:

«في حديث مرفوع: القتل في سبيل الله مُمَصْمِصَة» المعنى: ان الشهادة في سبيل الله مطهرة الشهيد من ذنوبه ماحية خطاياهُ كما يُمَصْمِص الاناء الماء اذا رُفرق الماء فيه وحُرِّك حتى يطهر. واصلهُ من «المرص» وهو الغسل. قال ابو منصور: والذي عندي في ذكر الشهيد فتلك مُمَصْمِصة اي مُطَهِّرة غاسلة. وقد تكرّر العرب الحرف واصلهُ مثلٌ ومثا تَخْتَخَ ببعره. واصلهُ من الاناخة. وتَعَظْعَظَ اصلهُ من الوعظ. وخَضْخَضْتُ الاناء واصلهُ من الخوض» اه المقصود من ايراده

قلت انا: ولو كانت مصمص وحيدة المثال لما اعتُمد عليها. والسبب هو انها قد تكون لغة في الضاد. لانهُ يقال مَضْمَضَ الماء في فمه: حرّكهُ بالادارة فيه. ومَضْمَضَ الاناء والثوب وغيرهما: غسلهُ ولغة تحويل الصاد ضادًا وبالعكس لغة شائعة عندهم وحروفها لا تُحصى

ولا تتوهم ان المضاعف الرباعي يوجد في الافعال فقط بل هو موجود ايضًا في الاسماء. قال في التاج ومثلهُ في لسان العرب:

«جاء في الحديث: فاتينا على جُدْجُدٍ مُتَدمن. قيل: جُدجُد بالضم: البئر الكثيرة الماء. قال ابو عُبَيد: وهذا لا يُعرف. انما المعروف الجُدُّ: وهي البئر الجيدة الموضع من الكلإ. قال ابو منصور: وهذا مثل الكُمْكُمَة للكُمّ والرَّفْرَف للرف»

واعلم ان الفائدة المتحصّلة من المضاعف الرباعي غير الفائدة المتحصلة من المضاعف الثلاثي ففي معنى ذلك ضعف بل اضعاف ما في معنى هذا. والرباعي يفيد تكرار مؤدّى الفعل امّا الثلاثي فلا يُفيد الّا وقوعهُ لا غير. وقد اشار الى ذلك لغويو العرب السابقون. قال في اللسان في مادّة صرر:

« صرَّ العصفور: اذا صاح. وصرَّ الجُنْدُب يَصِرُّ وصرَّ الباب يصرُّ وكل صوت يشبهُ ذلك فهو صريرٌ اذا امتدَّ. فاذا كان فيهِ تخفيفٌ وترجيعٌ في اعادةٍ ضُوعف كقولك: صَرْصَرَ الاخْطَبُ صَرْصَرةً كأنهم قدّروا في صوت الجُنْدُب المدَّ. وفي صوت الاخطب الترجيع فحكوهُ على ذلك. وكذلك الصَقْر والبازي »

ومثلهُ قال صاحب التاج. وقال الزبيدي في مادة كبب في شرح « فَكُبْكِبُوا فيها وهُم الغاوُونَ »:

قال اهل اللغة معناهُ: دُهْوِروا. وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنهُ اذا أُلقي يَكُبُّ مرةً بعد مرة حتى يستقرَّ فيها

وهناك مضاعف آخر لم يذكرهُ احد من النحاة او اللغويين. وهو ما نُسمّيهِ بالمضاعف الخماسيّ السُداسيّ فهو ليس بخماسيّ لان عدد اصول حروفهِ ستة وليس بسُداسيّ لان حروفهُ الظاهرة المعدودة خمسة فاطلقنا عليهِ هذه التسمية لنجمع بين الأمرين. وهو ولا ريب فيهِ منحوتٌ من كلمتين متكررتين فخُفّفتا وخُتّتا وجُعلتا في حكم الواحد. مثل قولك شَقْمَق فانهُ مركّب من شِقّ شِقّ. والشِقّ الطويل ومثلهُ الشَمَقْمَق الّا ان الزيادة في الحروف تدل على الزيادة في المعنى على ما اثبتهُ ابن فارس. قال صاحب التاج في ع ن ط:

« العَنْطَطُ: كَسَمْسَم: الطويل من الرجال ومنهم من عمَّ بهِ. قال الجوهريُّ: واصل الكلمة ع ن ط (قلت واصل هذا الاصل: « ع ط »). ومنهُ: الأَعْطُ: الطويل وعاطت العنق: طالت. والبطر من الظباء: الذي يتطاول الى الشجر ليتناول منهُ. وهذه كلها تدلُّك دلالةً فوق دلالة على ان المضاعف الثلاثي والرباعي والخماسي السداسيّ والاجوف والناقص من مَوْرِد واحدٍ) فكُرِّرتْ. وقال الليث: اشتقاقهُ من عنط ولكنهُ أُردف بحرفين في هجوهِ (والاصح أُردف بشبهِ وقُطع راس اول الثاني لاحكام الوصل والجمع بين الاثنين لصحّ النحت واصدار معنى جديدٍ غير معنى الثلاثي) . . . وكذلك يوم عَصَبْصَبٌ بيّن العَصَابة. وفرسٌ قَشَمْشَمٌ بيّن القَشَم ». اه

قلت ومما يُعدّ من هذا الباب جيش عَرَمْرَمٌ منحوت من عُرام عُرام: ورجل حَوَلْول محتال شديد الاحتيال وهو منحوت من حُوَل حُوَل. قال الازهري في شرح هذه اللفظة: « الحَوَلْولةُ: الكيسةُ. وهو ثلاثيّ الاصل أُلحق بالخماسيّ لتكرير بعض

حروفها » اه . والاصل ما اوردنا تعليلهُ . ومثلهُ في قولك عَنشَنَش وهو مأخوذ من العَنَش وهو سَوق الدابة وطردها :

وفي اللغة غير هـذه الالفاظ وقد اجتزأنا بما ذكرنا فراراً من الاطناب على غير جدوى

ومما يستفاد من هذا الموضوع انهُ اذا وُجد مضاعف رُباعي في اللغـة ولم يُذكر في جانبهِ المضاعف الثلاثي يحقُّ لنا ان نحكم ان مدوّني متن اللغـة نسوهُ لانهُ لا يمكن ان ينشأ مضاعف رباعي بدون ان يكون قد سبقهُ الى الوجود المضاعف الثلاثي . وهذه ملاحظة تزيد اللغة مادةً وحقيقةً

وفي عهد نشوء المضاعف ظهر الناقص والاجوف ايضاً لاننـا نرى هولاء الثلاثة مجموعة دائماً في وادٍ واحدٍ وكلها تَرِد موْرِدًا واحدًا وكلها ترجع في المعنى الى مَرَدٍّ واحدٍ . وقد علّلنا سبب ذلك بوجيز الكلام في مشتمل العدد ٢ من هذه المقالة . يعني انهُ من بعد ان برز المضـاعف للوجود تطرّق الراضعون الى تحريك الاخر ومدّ الحركة فنشأ الناقص وكأنهم فعلوا ذلك اولًا في الثنائيات التي لا يتمُّ معناها الّا اذا نُطق بها دفعةً واحدةً فيُخرجها المتكلم لكي يسرع في تأدية ما يجول في خاطرهِ ويعبّر عمّا في ذهنهِ ويتلقّاها السامع باسرع ما يمكنهُ ليقف على مُراد المتكلم ويعمل بمـا يتلقّفهُ او يتلقّنهُ عنهُ . واما الاجوف فنشأ اولًا في الثنائيات التي يدلُّ اوّل حرفيها دلالة بيّنةً على المطلوب او يدلُّ دلالة ظاهرة على ما يليهِ من الحرف . وهكذا نشأ هذان الفرعان من أمٍّ واحدةٍ ودبّا من وكرٍ واحدٍ . وفضلًا عن هذا البرهان العقلي لنـا أدلّة عديدة في ما وصل الينا من الاثمة اللغويّة العديدة . ولا بُدَّ من ان نذكر شيئاً منها :

(لطّ) بالامر : لزمهُ . والشيء بهِ : ألصقهُ . (ولَطَى) الرجل : لزق بالارض . (ولاطَ) الشيء بالشيء : الصقهُ بهِ . ولا وجود في هذه المادة لمضاعف الرباعي . ومن هذا الباب :

(لمّ) الشيء : جمعهُ . (ولَمْلَمَ) الشيء : جمعهُ ايضاً . (ولَمَّا) الشيء يَلمُّوهُ : اخذهُ باجمعهِ (واللِّمُّ) الصلح وهو الجمع بين قُلوب الاعداء وحملهـا على الصلح والسلام . والفعل الثلاثي مفقود . (ويَلَمْلَم) في ياقوت : « ويقال ألَمْلَم والمُلَمْلَم : المجموع . موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات اهل اليمن » اه . ويجتمعون اليهِ من كل صبب

وحُدبٍ من دِيارِهِ وربُوعِهِ — والشواهد كثيرة يجمع شتاتها من يُحبّ الوقوف على اسرار اللغة

ولنا دليل آخر غير دليل الاستقراء الشخصي وغير دليل العقل وهو دليل النقل. قال ابن الاعرابي: ومن العرب من يقلب احد الحرفين المدغمين ياء فيقول في مَرّ: مَيْرٌ وفي زرّ. زيرٌ وهو الدُجة. وفي رزّ: ريزٌ» اه (عن اللسان في مادة زور). وقالوا في انضخّ: انضاخ. وفي انقضّ: انقاض وفي كعّ يكعّ: كاع يكاعُ. وفي زالّ عمره: زال عمرهُ. وفي ضهّ: ضاهاهُ. ومما جاء في هذا الصدد ما اورده التاج في مادة ق ر ي قال:

« قال معاوية بن شكل يذمّ حجل بن نضلة بين يدي النعمان: انهُ مقبل التعلّين متنفخ الساقين. قمر الاليتين. نشّاء بأفراء. فتّال ظباء ببيّاع إماء. فقال لهُ النعمان: اردت ان تذيمهُ فدهتهُ » اه اي اردتَ ان تذمّهُ فدحتهُ

هذا من جهة جعل المضاعف اجوف. وأما ما نقلوا عنهم انهم ينقلونهُ الى الناقص ايضاً فتؤيدهُ شهادة ابي عُبيدة اللغوي الشهير وقد اورد كلامهُ صاحب المزهر (١: ٢٢٥) اذ قال:

قال ابو عبيدة: العرب تنقل حروف المضاعف الى الياء. ومنهُ قولهُ تعالى: « وقد خاب من دساها. » وهو من دسّسْتُ. قولهُ: لم يتسنّه من مسنون وقولهم تسرّيت وتلعّيتُ من اللعاعة. » اه

قلتُ: ومثلهُ. التَسطّي من التَسطُّط. والتَقضّي من التَقضُّض. والتَظنّي من التَظنّن. والتَلبّي من التَلبُّب. والمُسبّي من المُسبّب. والتصدية في التَصدُّد او التَصديد. والمُرَبّي في المُرَبّب. وربّيتُ في ربّبتُ (وهذا الباب مشهور في كُتُب التصريف)

وقد وهم صاحب الالفاظ العربيّة بتسميته هذا الباب بالترخيم (٢ (ص ٥٠ من

---

١) وهذه هي عبارتهُ: « الترخيم اهمال الاسم الاخير من الكلمة تفنّناً في اللفظ كقولهم يا ابا الحكا في يا ابا الحكم. وامثال الترخيم كثيرة في العربيّة. منها قولهم: احتسى في احتسى وتجسّى في تجسّم. » وقد مرّ بك في الحاشية (ص ١٠٤) من مقالتنا ان حذف الاخر من الكلمة يسمّى القبض (وفي كتب اللغة يسمّى ايضاً بالقصر) واذا وقع القبض في المنادى يسمّى ترخيماً. والامثلة كثيرة في كلامهم. واغلب الشواهد التي ذكرها المؤلف ليست من قبيل القبض ولا من قبيل الترخيم بل هو من قبيل الابدال لان المشروط في القبض والترخيم « حذف الحرف فقط » بدون تعويض. فافهمهُ

الطبعة الاولى) اولًا : لان الترخيم « هو حذف آخر الاسم في النـداء خاصَّة » (عن ابن الانباري في كتاب اسرار العربيَّة ص ٩٥) وثانياً : لانهُ بعد أنْ ذكر شاهدًا على الترخيم الحقيقي يعني قولهُ : « يا ابا الحكمَا » في : « يا ابَا الحكم » ذكر امثلة ليست من الترخيم بشيء وانما البعض منها من قبيل المضاعف المجهول ناقصاً كتَجَنَّى وقـال انَّ اصلهُ تجنَّع والاصح تجمَّم . وتعلَّى وتقضَّى الخ والبعض الآخر من قبيل جعل الصحيح ناقصاً كقولهِ : احتسى في احتسب وتجنَّى في تجنَّب وشجـا في شجب . . . الخ مع ان الاصحَّ هو ان الصحيح من اصل ثنائي كما اوردهُ هو ثم زادُوا حرفًا آخر لغاياتٍ مقصودة

هذا فاذا حفظت كل ما اوردناهُ في هذا الباب باب تبادُل المضـاعف والاجوف والناقص الواحد من الاخر ثبت لديك انهُ اذا وُجد بين يديك اجوف بدون مضاعف او ناقص بدون مضاعف عرفت ان المضاعف قد وُئد تدوينهُ او قد تُوصي العهد به او قد أُميت ويحقُّ للقياس اللُّغويّ ان يدوّنهُ بعد ان يبعثهُ من قبر النسيـان او الإهمال او الموت . وهذه ملاحظة لغويَّة عظيمة يَعرف قدرهـا الرفيع من يبحث عن الأُصول اللسانية ويجمع شتاتها المتفرقة بين قبائلهم المختلفة

ونشأ المثال الواويّ واليائي في عهد نشوء الصحيح يعني بعد أمدٍ مديدٍ من تجمُّع اصول اللغة الاولى . والظاهر من مقابلة اللغات الاخوات السـاميـات بعضها مع بعضٍ ان المثال اليائي اقدم وجودًا من المثال الواوي وذلك لان امثلة هذا الاخير في العبريَّة والآراميَّة أندرُ ورودًا من ورود الالفاظ المثاليَّة اليائيَّة ولأنَّ ما كان مثـالًا واويًا في العربيَّة يقابلهُ في اللغتين السابقتين وفي اللغة السامرية والصابئيَّة والحبشية المثـال اليائيُّ فاتَّضح من هذا ان المثال الواويّ العربيّ شاعَ وانتشر في سائر الالفاظ بعد عهد المثال اليائي . ومن الشواهد على ذلك ܝܠܕ (يَلد ويقابلهُ بالحميريَّة وَلَبَ بمعنى جلس) ܝܠܕ وُلِد . ܝܠܕ وَلَوَل ܝܠܕ وَهَبَ . الى آخر الامثلة التي تتفق فيها اللغـات السامية الاخوات وتفترق عنها اللغة العربيَّة وحدها

ولا شك ان الواو او الياء في المثال الواوي من الزوائد القـارَّة اللهم الَّا في الألفاظ التي هي من قبيل المضـاعف والموجود في ثُنائيها الواو في اصل الوضع من مشابهة الصوت فحينئذٍ تكون كل من الواو والياء اصليَّة . ففي وَلَوَل مثلًا الواو فيهـا اصليَّة واما في وعدَ فانها مترجَّة يعني ان الاصل في اللفظة « ع د » لان الواعد يعدُ

اقسام الوقت لانجاز وعده . ووخطهُ الشيبُ من «خ ط» كانهُ رسم كتابةً بيضاء على حاشية سوداء او كأنَّ الشيب كتب احرفاً سوداء (اي ابقى شعراً اسود) على قرطاس ابيض (يعني على الراس الذي قد زاد فيهِ الشيب) وهكذا نقول: وَخَمَ من خمَّ . ووَخَزَ من خزَّ . . . . الخ

واماَّ اللفيف بقسميهِ فالمفروق منهُ اقدم من المقرون ويشبه الناقص في تكوُّنهِ . واما المقرون فانهُ اقرب عهداً ولن كان تكوُّنهُ من قبيل تكوُّن أخيهِ ومن عهدهِ . الَّا انهُ بالنسبة الى الاوَّل هو الثاني وذاك البكرُ عند تصوُّرهِ في داخل الفكر

وكان يجب ان نسكت هنا عن تكوُّن المهموز لأنهُ لم ينشأ في عهد اللغة الاول كسائر اخوتهِ (ما عدا مهموز الاول فانَّهُ قديم النشأة) بل نشأ في الطور الثالث من اطوار اللغة يعني في طور الانضمام والتجمُّع او طور عهد الجاهليَّة يعني في القرن الثامن او السابع قبل المسيح الَّا اننا نتعرَّض للكلام عنهُ مناسبةً للمقام ولأنَّ مقتضى الحال يُوجبهُ . فنقول:

من البديهيّ ان مهموز الفاء نشأ من قديم الزمان لان الالف اذا ما وُضعت في راس الكلمة امَّا من قبيل قلب الاجوف او الناقص بأن نُقلَتْ الفهما الى الاول واماَّ من قبيل ان الالف سهلة الانسلال الى بدء الكلمة وانَّهُ لا يمكن ثبوتها الَّا بان يُتلَفَّظ بها اصبحت تلك الالف همزةً لا محالة . وهذا ما لا مشاحَّة فيهِ ولا نزاع . واللغات الاخوات متَّفقة مع اللغة العربيَّة لتشهد بقدم هذا النوع من المهموز

واماَّ مهموز العين فهو قليل في اللغة الارميَّة وهو اقلّ منها في اللغة العبرية وهذا دليل على انَّ المهموز ليس من اصل هاتين اللغتين وانما قد تطرَّق اليهما من اللغة العربيَّة . واماَّ مهموز اللام فهو أندر وجوداً في الارمية من مهموز العين فيها واغلب ما جاء مهموز اللام في العربيَّة فهو ناقص في الارمية مثل ܩܪܐ (قرأ) ܒܪܐ (بَرَأَ) ܫܢܐ (شنأ) . بل اعجب من هذا انهُ لم يُسمع في الارميَّة مجيء فعل ثلاثيّ مجرَّد مهموز اللام وكل ما ورد من هذا القبيل فهو من المزيدات إلَّا فعلٌ واحدٌ جاء مجرَّداً وهو مع ذلك مهموز اللام يعني فعل ܩܢܐ (قنأ واحمرَّ وتشنَّج وابغض وحقد) وذلك في مراثي ارميا ٥ : ١٠ وهو ولا شك في ذلك منقول عن العرب . لأنَّ العبريين أنفسهم يعتبرونهُ ناقصاً اذ ان

مهموز اللام لا يوجد في لغتهم البتة وعليه فيكون المهموز قد نشأ بين ظهراني قبائل العرب في القرن الثامن او السابع للمسيح ومنهم اتصل بجيرانهم العبريين والارميين. امّا الصابئيّة والحبشيّة والسامريّة فهنّ خاليات من مهموز اللّام والعين. فاحفظ ما مرّ بك تُصِبْ

هذا ما نتوفّق الى العثور عليه اذا ما عارضنا اللغات الاخوات الساميّات بعضها ببعض بعين النقد والاعتبار. وممّا يدعم هذه الحقيقة ما نقلهُ الينا ائمة العرب المحقّقين من الشواهد العديدة التي دوّنوها في كُتُبهم ممّا يدلّنا على ان مهموز العين كان في الاول اجوف. وكان مهموز اللام في السابق ناقصاً. من ذلك ما اوردناهُ في مادة « ل ط » فقد جاء في مهموز العين: لأَطهُ: امرّهُ بامرٍ فألحّ عليهِ. وبسهمٍ اصابهُ بهِ. وبالعصا ضربهُ بهِ. وقالوا في الاجوف: لاطَ في الامر: ألحّ. وفلاناً بعينٍ او بسهمٍ: اصابهُ بهِ. ولاط الانسانَ ضربَهُ. فالمعنى الاصلي والفرعي واحد في المرجح

وذكرنا مادة « ل م » فقالوا في اجوفهِ: اللِيم وهو الصلح. وقد بيّنّا ان الصلح ليس الّا الجمع بين قلوب الاعداء وحملها على الوفاق والسلام . . . ولا جرم ان الثلاثي مفقود ولمّا همزوهُ قالوا: لأَمهُ اصلحهُ. والجرحَ والصدعَ شدّهُ وجمعهُ. (وهو المعنى المتحصل من مادة ل م) مما يحملنا على الظنّ بان الاجوف الثلاثي كان بهذا المعنى ايضاً وقد فُقد او نُسي تقييدهُ

ولما صاغوا الناقص من هذه المادّة قالوا: لأَ الشيء يلئوهُ: اخذهُ بأجمعهِ. ولما همزوه بعد ذلك قالوا: لمأَ الشيءَ: اخذهُ اجمع. فنتج من ذلك وثبت ان الاجوف والناقص هما اللّذان أنتجا مهموز العين واللّام نتاجاً لا يحتمل الريب او التوقّف في الظنّ وانهما سبقا وجود هذين الفرعين سبق الاب للولد في التكوّن والوجود. واذا استقريت جميع موادّ الناقص والاجوف وقابلتها بمعاني موادّ مهموز اللام والعين رأيتها واحدة وحيث لا ذكر لواحدٍ منها يُعتبر منسيًّا او مفقودًا لا غير. وهذا باب آخر يتسع بهِ مجال اللغة وكشف غوامض اسرارها الخفية

وممّا يزيدنا اثباتاً في هذا الراي المكين الذي لا يقبل الزعزعة قولُ الائمة انفسهم وذلك بصريح العبارة . واول كل شيء ان قريشاً وهي أفصح العرب لساناً لم تكن تعرف التبرّأي الهمز وبقيت كذلك الى ظهور الاسلام

فقد جاء «في الحديث: قال رجل للنبيّ صلعم يا نبيء الله. فقال: لا تَنْبِرْ باسمي اي لا تهمز. وفي رواية: فقال: إنّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا نَنْبِرُ». وانبرُ همز الحرف ولم تكن قُرَيْش تهمز في كلامها. ولمّا حجّ المهديُّ قدَمَ الكسائيُّ يُصلّي بالمدينة فهَمَز فانكر اهل المدينة عليه وقالوا: تَنْبِرُ في مسجد رسول الله صلعم بالقرآن» اه بحرفه من اللسان في مادة (نبر)

وهنا محلّ حكاية وقع فيها سوء فهم. فقد جاء في تاج العروس في مادة دفأ ما هذا نقلهُ:

«الادْفاء هو القتل في لغة بعض العرب. وفي الحديث: أُتي بأسير وهو يُرْعَدُ (من البرد) فقال لقوم: اذهبوا به فأَدْفُوهُ. فذهبوا به فقتلوهُ. فوَداهُ رسول الله صلعم (كما في الصحاح. قال ابن الاثير): اراد الادفاء من الدَّفء. وان يُدْفأ بثوب فحسبوهُ بمعنى القتل في لغة اهل اليمن. واراد أَدْفِئوهُ بالهمز. فخفّفهُ (شذوذًا) وتخفيفهُ القياسيُّ ان تجعل الهمزة بين بين لا ان تحذف لانّ الهمز ليس من لغة قُريش. فامّا القتل فيقال فيه أَدفأتُ الجريح ودفأتُهُ ودَافَيْتُهُ: اذا اجهزتَ عليه

وقال صاحب التاج في مادة دأب:

«أَدْأَبَهُ: احوجهُ الى الدؤوب. عن ابن الاعرابي. وانشد:

اذا توافوا آدَبُوا أخام

اراد: «أَدْأَبوا» فخفّف لانهُ لم يكن الهمز لغة الراجز وليس ذلك لضرورة شعر لانهُ لو همز لكان الجزء اتم. اه

فقد اتّضح مما سبق تمثيلهُ ان من العرب من كان لا يهمز البتّة. ومنهم من كان على خلاف ذلك اي انهم كانوا يهمزون ما لا يجب همزهُ. وقد نصّ على ذلك صاحب اللسان في اول حرف الهمزة اذ قال:

ومنها همزة الوقفة في آخر الفعل لغة لبعض دون بعض نحو قولهم للمرأة: «قُولِي» وللرجلين «قُولا» وللجميع: «قُولُوا» واذا وصلوا الكلام لم يهمزوا. ويهمزون «لا» اذا وقفوا عليها. ومنها همزة التوهم كما روى الفرّاء عن بعض العرب انهم يهمزون ما لا همز فيه اذا ضارع المهموز. قال: وسمعتُ امرأةً من فَنِيّ تقول: «رثأتُ» زوجي بابيات. كانها لمّا سمعت رثأت اللبن ذهبت الى ان مرثية الميت منها. قال: ويقولون «لَبَأْتُ» بالحجّ. و«حَلَأْتُ» السويق. فيغلطون. لان حلأتُ يقال في دفع العطشان من الماء. ولبأتُ يذهب بها اللبأ. وقالوا استشأتُ الريح. والصواب: استنشيتُ ذهبوا به الى قولهم نشأ السحابَ. . . قال ابو العباس احمد بن يحيى فيمن همز ما ليس بمهموز:

وكنتُ ارجّي بشر نعمان حائرًا «قَلَوْأَه» باليمنين والانفِ حائرُ

اراد « لوّى » فهمز كما قال : « كمُشترىٍ بالحمد ما لا يَضيرُهُ » . قال ابو العباس : هذه لغة من يهمز ما ليس بمهموز . . . وقال الزجّاج : زعم سيبويه ان من العرب من يخفّف الهمزة ولا يجمع بين الهمزتين وان كانتا من كلمتين . قال : واهل الحجاز لا يحققون واحدةً منهما . . . . قال ابو زيد : اهل الحجاز وهذيل واهل مكة والمدينة لا يتبرون (اي لا يهمزون) . وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذُ من قول تميم الا بالتبر وهم اصحاب التبر . واهل الحجاز اذا اضطرّوا تبروا . (قال) وقال ابو عمر الهذليّ : قد توضّيتُ فلم يهمز وحوّلها ياء . وكذلك ما اشبه هذا من باب الهمز . . . قال (ابو زيد) وسمعتُ رجلًا من بني كلب يقول : هذه دَأبة وهذه امرأة شأبّة . فهمز الالف فيهما وذلك انهُ ثقل عليهِ اسكان الحرفين معاً وان كان الحرف الاخر منهما متحركًا » اه كلامهُ بتقديم وتأخير

نعم ان بعض اللغويين كصاحب ادب الكاتب والمزهر واصلاح المنطق اعتبروا خطأً همز ما لم يُنقل عنهم مهموزًا وتركُ همز ما يجب همزُهُ الّا انّ ذلك تصور منهم لان ما كان لغةً عند قومٍ لا يُعتبر خطأً كما رايت من كلام صاحب لسان العرب وصاحب المزهر نفسهِ . وهذا القدر كفاية في هذا الباب وان اتصل بنا الكلام الى الاسهاب

ومن بعد ان نشأ المضاعف والناقص والأجوف والمثال واللفيف الّا المهموز (الذي نشأ بعد كثير من الزمن) بدا في الوجود الصحيح الثلاثيّ . وقد أسلفنا الكلام عليهِ بالكفاية . واول حروف زيدت على الاصول الثلاثيّة من بعد حروف المدّ يعني حروف العلّة كانت حروف الذلاقة فضلًا عن حروف الزيادة التي لم يزيدوها فقط في الافعال واوزانها ومشتقاتها بل في اصولها ايضًا يعني في صدرها وحشوها وطرفها . فزادت اللغة زيادةً عظيمةً حتى كادت تصبح وبالًا على من يتكلم بها او يحفظها . ودونك الان امثلة الزيادات القارّة من كل حرف من الحروف المذكورة ١ً في الصدر و٢ً في الحشو و٣ً في الطرف مبتدئين بحروف الذلاقة الستة وهي ل ر ن ب ف م

(ل) ١ً لهذَم في هَذَم . لمسَ في مسّ . ولقسهُ : عابهُ . وقسّهُ : آذاهُ بكلامٍ قبيحٍ . ولقِصت نفسهُ كلقست : غثت وخبثت كقزّت بقلب الزاء سيناً

٢ً سلطحَ في سطحَ . سَلحف في سحف لغة في زحف . طلمس الكتاب بمعنى طمسهُ . والثعلب في الثعب وهو مخرج الماء من الحوض وغيرها

٣ً الفعملُ من فَعُم . وخذعَلَ الشيء في خذَعهُ اي قطعهُ . وحدقَلَ اي أدار حدقتهُ في النظر وهو من الحدق . ورعبل اللحم : رعبهُ اي قطعهُ

(ر) ١ً رجسَ الماء: قدّرهُ بالمرجاس. وجسَّ الشيءَ: مسَّهُ بيده. والاخبارَ تفحّصها. والمرجع واحد. ورمَثَ الشيء: مسحهُ بيدهِ. ومثَّ يده: مسحها بشيء. والرُّحامس: الجريءُ الشجاع مشتق من الحماسة

٢ً جَخترش في جَخش وهذه من الجَخش وهو الجفاء. والجحشُ من الجشّ (وموضع جشٌّ: خشن الحجارة). وقرطبة في قطمة. وبرعطَ في بعطَ

٣ً بَحثر في بحث. بَعثر في بعث. سَخفر في سحف مُبدل زحف. قطعرَ في قطع عامية. وشَمخر في شمخ. وفجَّ الشيء. وفجره

(ن) ١ً نَبذر في بذر. ونقضَ بمعنى صوّت كقضَّ. النحرير اصلهُ حِرّير وهو نعات صيغة مبالغة من فعل مزيد وهو حرَّر الكتابَ بمعنى قوَّمهُ وحسَّنهُ

٢ً شَنبَك في شبك. الرَّتر في الرزّ. الانحاص في الاحاص. الخرنابتان في الخرَّابتين. الانجانة في الاجانة. القنشورة كجرنوبة كالقشور

٣ً قطمنَ في قطعَ. وما عليهِ قرطامنة بمعنى ما عليهِ قطعةٌ من ثياب. والمرَيقصانة كالمرَيقصا. لنوع من النبات ساقهُ كساق الرازيانج

(ب) ١ً بجَل من جلَّ. وتبَنجت المرأة: بالغت في التنجُّج والزيادة ظاهرة. وبزمخَ الرجل: زمخَ اي تكبر. وبجذعهُ كخذعهُ: قطعهُ

٢ً الجبرقصة وهي الحرقصة (الناقة الكريمة). وخبرقَ الشيء. كخرقهُ ومثل الاول خربقهُ. ويقال ما عليهِ خربصيصة اي شيء من الحليّ والخرص من الحليّ

٣ً العقرب من العقر (وهو العضّ). وخذعب الشيء. خذعهُ اي قطعهُ. وتسعبَ الشرابُ في تسعَبَ: اذا تمطّط. والدُّعيب في الدُّعابة

(ف) ١ً الفدوكس مثل الدوكس وهو الاسد. وفرتنَ الرجلُ: مشى مشية متقاربة. ورتَك البعيرُ: قارب خطوهُ في رملانهِ. ومؤدَّى فرتخَ كرتخَ

٢ً كنَّ الشيء: ستره وغطّاهُ واخفاهُ. وكفنَ الخبزةَ في الملّة: واراها بها. وكفَتَ الطائر وغيرهُ: اسرع في الطيران والعدو. وكتَّ فلان: قارب الخطو في سرعةٍ

٣ً نشفَ الغدير في نشَّ. وخطرفَ البعير في خطَر (التاج). والخذروف كالخذرة وهو طين يلعب بهِ الصبيان. والخَطرف كالخطير (التاج)

(م) ١ً مخض من خضَّ. وامرخدَّ: استرخى وهو من الرُّخودة وهي اللين

والنعومة. ومَرج الخاتم قلق ورجَّ الشيء: حرَّكهُ فرجَّ هو اي تحرَّك

٢ عَطْمَرَ القوسَ في حطَرَها. جَلْمحهُ في جلحهُ. السَّرْمدَ من السَّرْد (التاج في سرد). جلمَطَ راسهُ في جلطهُ. وقصل الشيء قصلهُ اي كسرهُ

٣ خِضْرم (في خُضار علَم للبحر) والجُلهمة والزُّرقم والشُّهم والشَّدقمُ. والحُلكُم والجِحظم. والسِرطم. والحُلمُ والكَلدم. والصلدمُ. وقرصمَ الشيء: قطعهُ من قرصهُ. وزيادة الميم في الآخر مشهورة قد صرَّح بها جميع اللغويين على الاتفاق (١

ولَّما استحكمت في انفسهم ملكة زيادة احرف الذلاقة على الالفاظ في اي موطنٍ من مواطن اصولها انتقلوا الى زيادة غير هذه الحروف على الاصول الثنائيَّة حتى تجاوزوا الى التصرُّف بجميع حروف المعجم فتوَّجوا بها الثنائيَّات وحشوها وطرَّفوها او ذيَّلوها بموجب اغراضهم. وكنا نودّ ان نذكر شواهد على هذه الحروف المزيدة كما فعلنا في احرف الذلاقة الَّا انَّ هذا يطول وليس هذا الموطن موطنها غير انهُ مـا لا يُدرك جلُّهُ لا يُترك كلهُ بل يُذكر قلَّهُ فدونك بعض الشواهد اثباتاً لرأينا هذا. وهو ولا شك رأي حديث لم يتعرَّض لذكرهِ احد من اللغويين السَّابقين من اقدمين ومحدثين يعني على المذهب الذي نذهب اليهِ ونظنهُ مثلًا للحقيقة وصورةً منقولةً منها بدون ادنى مبالغة. من ذلك:

القُلْبُ كاللبِّ اي شحمة النخلة او اجود خوصها. والقَرْقفة. قال في اللسان: القرقفة الرِعدة وقد قرقفهُ البرد ماخوذ من الإرقاف كرِّرت القاف في اولهـا. اه. والزَّحْتف: الزاحف على استهِ. والقياس من جهة الاشتقـاق ان يكون بفائين من زحف (عن القاموس) وقالوا: زلق واصلهُ: زلَّ. فهذه القاف من اثقل الحروف لفظًا زيدت في الاول وفي القلب وفي الذيل فما القول في سائر الحروف التي هي اخفُّ منها على اللسـان والاذان. ومن هذا القبيل: الحرقصةُ كالرقص ومغطهُ ومعطهُ كمطَّهُ والحنفس والحنفسةُ والحنفساء والحنفساءة بمعنى واحد. والاصل في كل ذلك «ف س» ومنهُ مادَّة «ف س و» فانظر حرسك الله كيف صار الثنائيُّ ثلاثيًا ثم رباعيًا ثم خماسيًا ثم سداسيًا ثم سباعيًا

١) راجع مثلًا ما قالهُ ابن الاثير والازهري وابو حيَّان في زيادة الميم في الآخر (التاج في مادة ج ل ه م)

ثم انظر الى سبب زيادة كلّ حرف جديد على ما تقدّم وتأخر من حرفي أصول هـذه اللفظة فامّ المادة « ف س » متّفقة على هذا المعنى في جميع لغات الدنيا . وزادت العرب الواو وهو من حروف المدّ (يعني حروف العلّة) في مؤخر اللفظـة وفي ذلك اشارة لا تخفى على الباحث ولا يُحتاج الى ان ينبّه عليهـا فضلًا عن ان مضاعفها الرباعي وهو « فـنفـن » لا يخرج عمّا في « فسّ » او « فسو » من المعاني . ثم انظر كيف انهم جعلوا في أنف مادة « ف س » النون اشارة الى اخراج الروح او الريح من مكان محصور وقد اشرنا الى ذلك في صدر هذه المقالة وجميع اللغات تستعمل النون والفاء معًا للدلالة على هذا المؤدّى ومن ذلك في الفرنسيّـة renifler, ronfler, souffle وكذلك في سائر اللغات الارمية والهندية الجرمانيّة وقد اثبتوا النون في أنف المادة (وهي ف س) وفي ذلك من دقيق الاشارة ما فيه اذ ان الانف هو العضو الذي يظهر فيه التنفّس ظهورًا أبين ممّا في غيره من الاعضاء . وان بواسطته تدخل الريح والروح المـادّيّة الى داخل الجسم واذا خرجت من غير مدخلها فانها تخرج تخرج منـهُ . وفي ذلك من الحكمة في وضع هذه الحروف ما لا يمكن ان يُعبّر عنهُ قلم الواصف . ومن بعـد ان تدرّجوا في المادّة ووصلوا في تاليفها بصورة « نفس » وضعوا في راسها الخـاء . وهي حرف الرخاوة والخفّة والخفاء تلميحًا الى ما في هذا الصوت الطبيعي من مدلولات خواصّ الخـاء وتخصيص هذا الامر بهذه الدويبة اجدر من غيرها . فصارت الكلمة خنفس وهو الدويبة الذكر من هذه الدويبات . ثم زادوا على آخرها الهاء للاشارة الى التأنيث . ولمّا مدّوا الكلمة وقالوا « خنفساء » ارادوا زيادة في القدر والكبر في الدويبة . ولما قالوا « خنفسـاءة » بهاء بعد المدّ ارادوا تخصيص الافراد . فهل بعد هذا التبيين المبين من يقول ان الالفاظ وُضعت بدون تدبّر وحكمة ولاسيما اللغة العربيّة التي تألفت اصولها على اصوات منشأها محاكاة الطبيعة . فسبحان خالق الاكوان الذي علم الانسان هذا السحر سحر النطق والبيـان وجعل اللسان ترجمان سرائر الفكر والجنان

ومن هذا الوادي قولهم : كبّار وطوّال وطرمّاح للمفرط الطول وسمعنّـة ونظرنّة للكثيرة التسمّع والتنظّر (عن المزهر ١ : ١٥٧) ومنهُ دحدرهُ من حدّره وكذلك جحدره . وفي الاول زادوا دالًا في الصدر وفي الثاني زادوا جيمًا . وخضرب الماء بمعنى ضرب يعني تحرّك . وقالوا : رجل مصمعدّ اي منتفخ من شحم او ورم والمشعدّ من الجداء الممتلئ

شحماً وكلاهما من مقدّ بدنهُ : اذا سمن وامتلأ . ورجل وشجر مُعجَرد وعجرَد : عريان وهما من التجريد . وتبعثق الماء من الحوض : اذا انكسرت منهُ ناحيـة فخرج منها وهو من البثق ويحتمل ان يكون من الثعب مقلوباً على حدّ قولهم ادرمعَ من دمر : اذا دخل بغير اذنٍ فتكون القاف مزيدة . ومن هذا المورد : ازلغبَ الشعر : اي نبت بعد حلقهِ وهو من الزغب بزيادة اللام . وبلدح : ضرب بنفسهِ الارض وهو مثل بلّد وجاء بمعناهُ بلطح وحسبٌ قدموس اي قديم فزادوا السـين واخرجوهُ على فُعلول . وافرنقعوا اي تفرقوا والعين زائدة والنون للالحاق . والدهاريس : الدواهي من دهرَهم امرٌ اذا نزل بهم مكروهٌ . والقرناس : شبهُ الانف يتقدم من الجبل كأنهُ ماخوذٌ من القرن . والجلخطاء : الارض لا شجر فيها كأنهُ من الجلح . والضبارز : المضبَّر الخلق الموثق فهو من التضبير والزاي زائدة . والقلهبس : المسنُّ من حمر الوحش . وجاء القهب بمعنى الجمـل المسنّ . والقلهزم : القصير الضخم الراس والهزمتين كأنهُ منحوت من كلمة قصير وكلمة اللهزمة . والخندلس : الناقة الكثيرة اللحم المسترخية . ويقال : امرأة خدلة وخدلاء وهي الممتلئـة اعضاؤها لحماً في دقّة عظام . وجاء الخَندلس بجاء مهملة وهو ابدال او تصحيف

ومن هذا الباب تكثير الحروف بتكريرها واكثر مـا يقع ذلك في ذيل الكلم كاتان قيدود من القوَد . ورماد رِمدِد ورِمديد . والطنبوب من الطنب . والعرَندد من العرد . والرِعديد من الرعد . والرعشيش من الرعش . والشعرور من الشعر . والحرجوج من الحرَج . والقعنسس من القعس

وقد تقع هذه الزيادة في صدر الكلم وقلبها من ذلك : جمل قِهقَب من القهب . ومثلهُ القهقَم وهو ابدال . وعجوز شَشليق او شفشليق وهو مبالغة لقولهم شملق اي كبيرة ويقال ايضاً شلمق وهذا قلب ذاك او بالعكس . والقرقس هو القرس اي صغار البعوض . ودَردب بالشيء من دَرِب بهِ . ودهدمهُ من هدمهُ . وما في السماء طحواي لطخ من سحاب ومثلهُ بل اذا بالغوا قالوا طخرة وطخمير وطخرورة فاذا ارادوا نهاية المبالغـة قالوا ما فيها طخمَريرة . (راجع في هذا الباب وهذا المعنى ما كتبهُ الشيخ محمود شكري افندي الالوسي في المشرق ١ : ١٠٢٥ و١٠٢٦)

ولقد تطفل بنا الكلام الى حيث لم يدُرْ في خلدنا . الّا اننا نسرع بايجاد البـاب موقتاً ولو اننا لم نتعرّض الّا الى شيء نزر منهُ مؤجلين هذا البحث الى فرصة أخرى فيه

تذكر: ١ً خصائص الموازين العربيَّة وكيفيَّة نشوئها ٢ً خصائص الصيغ اللغوية ٣ً خصائص الحروف العربيَّة ٤ً خصائص اللغة العربية نفسها ٥ً الحركات المفقودة ٦ً الحروف الشائعة ٧ً منقرضات اللغة التي لم تصل الينا من كام ومبان ومعان وعند ختام هذه الاقسام السبعة العظام يفرغ الكلام عن مجمل نوشئ هذا العهد الذي هو ايضاً عهد الانتظام وعليك السلام

كتابات شرقيَّة جديدة

مكتوبة على البَرْديّ ومكتشفة في مصر

للاب سبستيان رتزفال اليسوعي مدرّس الاثار الكتابيَّة في المكتب الشرقي (تتمَّة)

صدَّرنا مقالتنا السابقة عن الكتابات الارامية الجديدة المكتشفة في مصر بوصف الحفريَّات التي اجراها الفرنسويون والالمان في جزيرة اسوان واكتفينا بترجمة واحدة من الكتابات الثلاث التي نشرها الدكتور ساخو وهي اكبرها ثمَّ الحقناها ببعض الملحوظات في تاريخ مستعمرة اليفانتين اليهوديَّة وفي هيكل الرب (يهو ...) وتعريف عبارة «اله السماء» الموصوف بها اله اسرائيل في تلك الكتابة . وقد بقي علينا بعض الشروح التاريخيَّة على تلك الكتابة الخطيرة مع تعريف الكتابة الثالثة مُعرِبين عن الثانية لانها كما قلنا نسخة الاولى وصورتها

على انَّ في وجود هذه النسخة الثانية لأمرًا يستدعي الالتفات فانه يؤخذ من بقائها انَّ الكهنة اليهود في جزيرة اسوان اصطنعوا من هذه العريضة ثلاث نسخ على الاقل: الاولى ضائعة وهي النسخة المرسلة الى الحاكم الفارسيّ الذي كان يحكم على اليهود ولنا دليل على وجودها في الكتابة الثالثة التي نعرّبها آنفاً وهي تتضمن جواب الحاكم «بجوهي» امَّا النسختان الأُخريان فهما اللتان استخرجهما الالمان في حفريَّات الجزيرة كما سبق

ومن غريب امر هاتين النسختين المكتشفتين انَّ بينهما بعض اختلاف لا يمكن نسبتهُ الى النسَّاخ فقط . والغالب على ظننا انَّ الواحدة منهما هي المسوَّدة التي اصطنعها اصحاب العريضة فنسخها النسَّاخ بعد تحوير بعض الفاظها وأُرسلت الى الحاكم .

فأبقوا تلك المسوَّدة مع نسخة ثانية من العريضة بعد اصلاحها. ولكن أيّة الكتابتين الباقيتين هي الصحيحة وايتها المسوَّدة فالامر مشتبه لا يمكننا الجزم به حالًا ولاسيّما انَّ الواحدة منهما ناقصة سقط منها قسمٌ وانَّ الفرق بين الاصل الصحيح والمسوَّدة يكون زهيدًا لاسيما اذا كان الكتّاب حاذقين بالعمل متقنين للكتابة تكاد مسوَّداتهم تشبه المبيَّضات (١

ومهما كان من الامر يُستفاد من وجود هذه النُّسخ الثلاث انَّ كهنة اليهود في جزيرة اسوان كانوا حريصين على حفظ صور العرائض التي يكتبونها كما ينبئنا الامر بحرصهم على حفظ نُسخ الاسفار المقدَّسة التي كانت تصان في السجلّات الكهنوتيَّة ليس فقط في الزمان الذي نبحث عنهُ ولكن في الاجيال السابقة ايضًا. نعم انَّ الكتبة لم يخلفوا لنا نسخًا من الكتاب الكريم يمكن ان ندعوها بمسوَّدات وانَّما يلوح من مثل هذه الاكتشافات الحديثة سهولة وقوع بعض روايات مختلفة في النُّسخ كالروايات الموجودة مثلًا في الترجمة السبعينيَّة اليونانيَّة الراقية نُسخها الى قرون النصرانيَّة الاولى وفي النُّسخ العبرانيَّة المعروفة بالمشوريَّة التي لا يتجاوز القرن التاسع او العاشر للمسيح. الَّا انَّ تلك الروايات عرضيَّة لا تمسُّ المعنى الجوهريَّ في شيء. كما لا تمسُّهُ النسختان الآراميَّتان المكتشفتان حديثًا والراقيتان الى القرن الخامس قبل المسيح. وهذا ممَّا يقوي آمالنا في اكتشاف نسخة من التوراة او قسم منها فتتَّضح لنا بذلك عناية الله الصمدانيَّة بحفظ الكتب المقدَّسة دون خللٍ جوهريٍّ يفسد نصَّها

وقد مهَّد لنا اكتشاف هذه الاثار البرديَّة سبيلًا الى امل آخر وهو وجود بقايا او اساس الهيكل الذي ابتناهُ اليهود في جزيرة اسوان. وفي متن الكتابة التي نشرناها انَّ الهيكل المذكور تشيَّد في عهد الفراعنة وبقي الى السنة ١٤ من ملك داريوس (٢ وانهُ كان مزدانًا بالعمد يغطيهِ سقف من خشب الارز المجلوب من لبنان بلا شك وانَّ

---

١) ومما كان يمكنهُ ان يساعدنا على حلّ المشكل رسمُ هذه الكتابة الثانية بالفوتوغراف للمقابلة بين خطها وخطّ النسخة الاولى فنعلم أهما لكاتب واحد او لاثنين لكنَّ المسيو ساخو لم يثبت غير رسم الاولى فقط

٢) يريد داريوس الثاني الملقَّب نوثوس الآتي ذكرهُ الملك من سنة ٤٢٤ الى ٤٠٥ قبل المسيح

لهُ سبعة ابواب (١ بمصاريع حجريَّة محكمة النحت ورزَّات من نحاس وانَّ ويدرنج وكهنة الاله ختوم اخربوا كلَّ ذلك في السنة المزبورة. لكنَّ الكتابة عينها تفيدنا بانَّ رسوم الهيكل لم تُمسَّ بأذًى اذ لا تصرّح بأنَّ القوم العُداة اقتلعوا تلك الاساس. ولعلَّ اليهود جدَّدوا بناء هذا الهيكل كما سترى من الكتابة الثالثة قريباً. ومن البديهي ان تجديدهُ لم يكن على غير اساسهِ ورسمهِ القديم. نعم ان هذا الهيكل الثاني قد هُدم ايضاً او خرب بفعل الزمان لكنَّ الارجح انَّ اساسهُ باقية يمكن الوقوف عليها اذا ما واصل اصحاب الحفريَّات شغلهم الى عمقها ولا نظن انَّ اعداء اليهود الوثنيين او اهل الجزيرة بكرور الأيام اقتلعوا تلك الحجارة الاساسيَّة لأبنيتهم الخاصَّة. وان قال قائل وما ادرانا ان تلك الاساس كانت حجارةً وليس آجرًا أجبنا أننا نقضي بالامر ترجيحاً لأنَّ اهل مصر كانوا يشيدون عادةً هياكلهم بالحجارة ويبنون دورهم الخاصَّة وقصور ملوكهم نفسها بالآجر

فيا حبَّذا لو وجد رسم هيكل جزيرة اليفانتين فانَّهُ اذ تشيَّد في عهد ملوك مصر فلا بُدَّ ان يكون رسمهُ على رسم هيكل سليمان وبذلك يُحلُّ مشكلٌ عظيم قد توفَّرت فيها المقالات والتآليف وكثر فيهِ القال والقيل ألا وهو رسم هيكل الاورشليميّ الاوَّل الذي سعى العلماء بتصويرهِ مستندين الى نصّ الاسفار المقدَّسة فتعدَّدت فيهِ الآراء على عدد الكتبة وذهب كل واحد الى مذهبهِ في ذلك

منذ ثلاث سنوات ارتأى العلَّامة بتري (Fl. Petrie) انهُ اكتشف في الحفريَّات التي تولَّاها في تلّ اليهوديَّة قريباً من مصر بقايا الهيكل الذي ابتناهُ اليهود هناك برخصة الملك بطلميوس المعروف بفيلوميطور اي محبّ امهِ وتحت نظارة كبير الاحبار ارنيا. فصرف المسيو بتري همتهُ استناداً الى تلك الآثار ليمثل رسم ذلك الهيكل زاعماً بانهُ صورة مصغَّرة لكنَّها شبيهة كل الشبه لهيكل اورشليم الثاني الذي بناهُ اليهود بعد جلاء بابل. فكان لهذا النبإ صدى استحسان في عالم العلم لولا انَّ البعض منهم لم يقبلوا برأي المسيو بتري وظنُّوا رسمهُ خياليًّا وهميًّا. فان كان لهذا الامر شأنٌ هذا قدرهُ

١) ليس المقصود من هذا الكلام الدلالة على ان الهيكل لم يكن لهُ الَّا سبعة ابواب فقط وانما المراد بهِ ان ويدرنج واصحابهُ حطَّموا هذه الابواب السبعة الكبيرة ليقتلعوا رزَّاتها وينهبوها مع ما نهبوا من الآنية المقدَّسة وغيرها. أمَّا الباقي الذي لم يمكنهم سلبهُ فاحرقوهُ بالنار

فيا ليت شعري ماذا ينالهم من الفرح والابتهاج اذا ما أُتيح لأهل البحث ان يكتشفوا رسم هيكل اليفانتين الذي كان بلا شكّ صورة لهيكل اورشليم الاوّل وبناء سليمان

ولا نظنّ انهُ فات قرّاءنا امرٌ ورد في الكتابة الآرامية التي نشرنا ترجمتها وهو انّ يهود جزيرة اسوان كانوا في حالة من الغنى كافية لأن يستجلبوا من لبنان الارز اللازم لهيكلهم (١. ومما يثبت ايضاً ثروتهم انّ الهيكل المذكور كان مجهّزاً بآنية من الذهب والفضة. ولنا دليل آخر على حسن احوال هذه المستعمرة اليهوديّة في اليفانتين حرصها على صيانة سجلاتها. فان لم تكن لها هناك السيطرة فلا يُنكَر على الاقل انها كانت في مقام وجيه. ولولا رتبتها الممتازة لما امكنها ان ترفع دعواها الى حاكم الفرس وتتظلّم اليهِ من جور كهنة الاله خنوم ومدير المدينة ويدرنج

ومن الابحاث التي يتداول فيها العلماء عن مستعمرة اليهود في اليفانتين أكانوا هناك بصفة فرقة عسكريّة ليدافعوا عن تلك الاماكن أم لا . انهُ ان المقرّر انّ ملوك الفرس كانوا اقاموا او رمّموا حصني اسوان واليفانتين ليردّوا غارات النوبة والحبش عن وادي النيل. ومن الآثار الحديثة المؤيدة لذلك نصبٌ وجد سنة ١٩٠٣ في اسوان اقامهُ احد ضبّاط الفرس وهو اليوم في متحف القاهرة. فعلى هذا النصب المتحطّم كتابة آراميّة (٢ نشرها العلّامة دي ڤوكوي (de Vogüé) مضمونها تقدمة لأحد الالهة الذي تلف اسمهُ . امّا صاحب التقدمة فيلقب نفسهُ بامير العسكر (אמיר חילא) في حصن اسوان كما سبق لنا في وصف تقين بن ويدرنج . وهذا النصب اقدم من كتابتنا البرديّة بنحو خمسين سنة تاريخهُ السنة السابعة لارتحشستا الاوّل الذي ملك من سنة ٤٦٥ الى ٤٢٥ قبل المسيح

وقد اثبتنا السنة الماضية في كلامنا عن المدارج الآراميّة المنسوبة الى موند (المشرق ١٠ : ٦٧٢ — ٦٨٣) انّ اليهود الذين ورد عنهم الكلام في تلك الكتابات أُلحقوا

١) وفي اتخاذهم الارز في تشييد هيكلهم دليلٌ آخر على انهم ارادوا ان يضاهوا في ابتناء مبدهم هيكل سليمان الذي كثر فيهِ خشب الارز كما يفيدنا سفر الملوك الثالث واخبار الأيام الثاني

٢) اطلب تاريخ هذا الاكتشاف وما كُتب فيهِ في الكتاب المعنون (Répertoire d'épigraphie sémitique, I, n° 438)

بفرقة عسكريّة (ص ٦٧٩) من حصن « يب » فمن البديهيّ أن يُقال انّ يهود جزيرة اليفانتين كانوا بصفة مستعمرة عسكريّة. وليس الامر بمستبعد لاسيما اذا تذكّرتَ ما قلناهُ سابقًا عن اصل هؤلاء اليهود وسبب قدومهم الى اليفانتين. على اننا لا نظنّ أن هؤلاء المستعمرين ثبتوا على خطّةٍ لم يألفوها سابقًا وهم احرار لم يقدموا الى مصر الّا بصفة أُجراء فقط. وممّا يدلّ على انهم أَلفوا مستعمرةً مدنيّة او انّهم عادوا الى عيشتهم البيتيّة بعد مدّة وجيزة كونُهم شيّدوا لهم هيكلًا فخيمًا ذا سقف من خشب الارز يقوم بخدمتهِ كهنةٌ عديدون ولهُ الارزاق الدارّة. وعلى كل حال كما قال المسيو كلرمون غانو لا يلزم كون احدٍ منوطًا بفرقة عسكريّة ان يكون هو ايضًا جنديًا وغاية ما يُستفاد من هذا القول انّ الدواوين هي عسكريّة وانّ الامر لها لا لغيرها كما يجري عادةً في البلاد التي تُفتح عنوةً فتكون ادارتها وقتيّةً وفي ايدي الاجانب معًا. وزد على ذلك انهُ حتى اليوم لم يأتِ في الكتابات البرديّة المكتشفة ذكرٌ لاحد اليهود المتجندين لا بصفة جنديّ ولا بصفة ضابط. واغرب من ذلك انهُ يُقال عن احدى نساء يهود اليفانتين انّها منوطةٌ بفرقة حصن « يب » أفيقال انّها كانت من الجند ؟. فنوافق اذن المسيو كلرمون غانو في رأيهِ (RAO, VIII. p. 135-136) حيث يقول بان يهود اليفانتين لم يكونوا بصفة فرقة عسكريّة على الاقلّ في القرن الخامس قبل المسيح او في اواخرهِ وعنهُ الان كلامنا

وقد بقي علينا قبل وصفنا للكتابة الثالثة ان نذكر اسماء الاعلام الواردة في كتابتنا الاولى. وهو امر ذو شأن يفيد الاسفار المقدّسة والتاريخ معًا كما سترى

قلنا انّ داريوس المذكور في هذه الكتابة هو داريوس الثاني المعروف بداريوس نوثوس الذي تولى الامر من السنة ٤٢٤ الى ٤٠٥ ق م وذلك ممّا يلوح من معارضة هذه الكتابة بالكتابة التي نشرها الدكتور اوتنغ حيث وردت عدّة احداث مجانسة لاحداث كتابتنا. لا بل جاء في الكتابتين ذكر الامور نفسها كناواة ويدرنج لليهود (في سنة ١٤ لداريوس) بعد سفر ارشم حاكم الفرس وقتئذٍ. ومن جهة أُخرى قد اثبت المسيو اوتنغ انّ داريوس هذا ليس هو داريوس الاوّل كما انّ المسيو كلرمون غانو في كلامهِ عن كتابة اوتنغ بيّن نقلًا عن المؤرخ كتيزياس ان مرزبان مصر الذي حالف داريوس الثاني بين كليهما وكان يُدعى اركانيس (Ἀρσάμης) وهو اسم مصحّف بدلًا من

اركساميس (Ἀρξάμης) او ارساميس Ἀρσάμης والمراد به أرشم الذي ورد في كتاباتنا الآرامية

واعلم انَّ الكتابة التي نحن في صددها قد كُتبت السنة السابعة عشرة لداريوس اعني سنة ٤٠٨–٤٠٧ ق م. وانَّ هيكل الرب في مصر هُدم على يد ويدرنج والمصريين ثلاث سنوات قبل ذلك اعني سنة ٤١١ — ٤١٠ وبعد سفر اورشليم

ثمَّ انَّ هذه الكتابة موجَّهة الى « بجوهي » حاكم يهوذا الفارسيّ امَّا حاكم السامرة الفارسيّ فكان وقتئذٍ سنابلط (في السطر ٢٩). وكان رئيس الكهنة في اورشليم في عهدهما يوحنان (السطر ١٨). وكلّ هذه الاعلام مذكورة في التاريخ او في الاسفار المقدَّسة . فقد افادنا يوسيفوس في العاديات اليهوديَّة (Ant. Jud., X. 7) انَّ احكام الفرس على بلاد اليهوديَّة في أيام رئيس الكهنوت يوحنَّا (Ἰωάννης) كان يُدعى باغواس (Βαγῶας) (١ ويوحنَّا المذكور على هذه الصورة اليونانيَّة هو نفس « يوحنان » او « يهوحنان » كما روي في كتاباتنا . امَّا اسم الحاكم فلا احد يشكّ في كونهِ « بجوهي » عينهُ المذكور في كتابتنا الَّا ان يوسيفوس يجعلهُ احد قوَّاد ارتحششتا ويُطلق هذا الاسم على ملكين من ملوك الفرس يهمُّنا امرهما: ارتحششتا الاوَّل الملقَّب بطويل اليد كان قبل داريوس الثاني من السنة ٤٦٤ الى ٤٢٤ ق م وارتحششتا الثاني المسمَّى منامون (Mnémon) خلف داريوس من السنة ٤٠٤ الى ٣٥٨ . ولا بدَّ من القول بانَّ « بجوهي » كان عاملًا لداريوس الثاني ولارتحششتا الثاني ليس الاوَّل . ويؤيد ذلك قول يوسيفوس الذي روى (في بعض النسخ) بانَّ بجوهي كان مرزبانًا في عهد ارتحششتا الثاني

واعلم انَّ اسم « بجوهي » قد ورد مرارًا في سفري عزرا ونحميا على صورة « بجواي » (בגוי) وهكذا ضبط اسمهُ الرَّبانيون المعروفون بالمشوريين . امَّا الترجمة اليونانيَّة السبعينيَّة فانَّها اثبتت اسمهُ على صورة اقرب من الاسم المذكور في كتاباتنا « بجوهي » — בגוהי) (Bagoas اعني Βαγοι او Βαγοωαι وفي الترجمة اللاتينيَّة Begoai . هذا ولا ندَّعي بان المسمَّى بهذا الاسم في التوراة هو نفس الحاكم المذكور في كتاباتنا لا بل نرجّح انهُ

١) ويروى ايضًا باجوسيس (Βαγώσης) والاسم واحد كما لا يخفى

ليس به لانَّ « بجواي » المدوَّن اسمهُ في التوراة (نحميا ٧: ١٩) هو احد شيوخ العشائر الذين عادوا من جلاء بابل الى اورشليم مع نحميا (١

أمَّا اسم سنابلط او سنبلَّط فهو ايضاً من اعلام الاسفار المقدَّسة ذكر نحميا في سفره (٢: ١٠ و١٩) رجلًا بهذا الاسم كأحد اعدائهِ الالدَّاء الذين تصدَّوا لهُ في ترميم اسوار اورشليم فلم يفلحوا. ولعلَّ القارئ يسألنا أسنبلَّط المذكور في كتابتنا الآراميَّة هو سنبلَّط المعادي لنحميا. نقول ان الامر ممكن تاريخيًّا لانَّ ترميم اسوار اورشليم نجز سنة ٤٣٣ ق م وتاريخ كتابتنا في السنة ٤٠٨—٤٠٧. ولعلَّهُ كان ايضاً حيًّا في هذه السنة لانَّ كتابتنا موجَّهة كعريضة الى ولديه شاميه ودليه (ص ٥٧) وليس شيء يدلُّ على وفاة والدهما المذكور بحاكم السامرة. وكذلك التوراة تجعل سنابلط سامريًّا ومن اعيان السامرة. أمَّا اسمهُ فهو بابليٌّ محض وبهِ عُرف كمرزبان ملوك الفرس. أمَّا ولداهُ فاسمهما عبرانيٌّ (٢

ويُستفاد ايضاً من هذه الاعلام انَّ اليهود في أيام جلائهم كانوا اتَّخذوا لابنائهم اسماء اعجميَّة استعاروها من البلاد التي جاوا اليها كما رأيت في اسم بجوي الفارسي. وكان معظمهم يتخذون اسمين اسماً عبرانيًّا واسماً اجنبيًّا كما ترى في كتابتنا الآراميَّة التي ورد فيها (اطالب السطرين ١٨ و١٩) اسمان لاحد اليهود من سبط الكهنة وهو اخو يوحنَّان رئيس كهنة اورشليم فانهُ يُدعى باسم اوستان الفارسي وباسم عَنَني العبراني ولعلَّ كثيرين من اليهود فعلوا ذلك مراعاةً للاحوال وتقرُّباً الى الاجانب ليحظوا في

---

١) ولا شكَّ في ان باغواس المذكور في تاريخ يوسيفوس كحاكم يهوذا كان فارسيَّ الاصل والدين والدليل عليهِ انهُ اضطهد اليهود مدَّة سبع سنين وانقل اعناقهم بالضرائب لاجل اثمٍ ارتكبهُ رئيس الكهنة يوحنان المذكور آنفاً وكان قتل اخاه

٢) ولعلَّ احداً يعترض قائلًا ان كان سنابلط حاكم السامرة وهو عدوّ نحميا وبني اسرائيل وفتنهِ فكيف استطاع يهود اليفانتين ان يرسلوا بكتاب الى ولدي احد اعدائهم المبغضين لهم ليوقفوهما على حالتهم الدينيَّة في مصر ويطلبوا منهما ان ينالا لهم الرخصة بترميم هيكلهم هناك. فالجواب عندي انَّ العداوة التي كانت في قلوب السمرة في عهد نحميا كانت خفَّت في تاريخ كتابتنا سنة ٤٠٧—٤٠٨. وتوجيه هذه الكتابة الى ولدي سنابلط مما يؤيِّد صحَّة الكتاب الكريم لانَّ الولدين كانا كما يظهر من اسمهما يهوديين بخلاف ابيهما الذي كان مال الى عادات السمرة

اعينهم او ينالوا عندهم المناصب واعلم ان اخا يوحنّان المذكور لم يُعرف سابقًا . وانّما عُرف اخواهُ يشوع ومنسّا (اطلب سفر نحميا ف ١٢ و١٣ وتاريخ يوسيفوس) فيشوع قتلهُ يوحنّان لأنّ بجوهي الحاكم كان يريد ان يقيمهُ على رئاسة الكهنوت بدلًا منهُ اما منسّا فصار صهرًا لسنابلط (١

فمن الملحوظات السابقة ترى ما لهذه الكتابة الآرامية التي نشرنا ترجمتها من الخطر العظيم . وهذه الكتابة عينها تستدعي ملحوظات أخرى لغوية لا يسعنا الآن ذكرها فنورد ترجمة الكتابة الثالثة وهي تتضمّن جواب بجوهي لطلبة يهود اليفانتين

تعريب الكتابة الآرامية الثالثة

[١] ذكر ما قال لي بجوهي ودليه :

[٢] انهُ يكون لك في مصر كلمة خير [٣] امسام ارشم على مذبح اله [٤] السماء الكائن في « يب » الحصن المبنيّ [٥] من قديم قبل كمبوزي [٦] والذي اعطهُ وبدرنج ذلك الكاب [٧] في سنة ١٤ لداريوس الملك [٨] ليُبنى في مكانهِ كما كان قبلًا [٩] والتقادم من اللوت والبخور ستقدَّم على [١٠] ذلك المذبح كمثل ما كانت قبلًا [١١] تُقدَّم

هذا هو الاثر الثالث المكتوب على البرديّ فانهُ مع قصرهِ غاية في الشأن من حيث التاريخ وعلم الآثار . وفيهِ ترى صورة موجزة لما جرى في ترميم هيكل اورشليم الذي اخربهُ نبوكدنصّر فامر ملوك الفرس بتجديدهِ

ثمّ تتضمّن هذا الكتابة جوابًا شفاهيًا اعطاه بجوهي حاكم الفرس على يهوذا مع دليه احد ابني سنابلط مرزبان السامرة للساعي الذي ارسلهُ يهود اليفانتين ووكلوا اليهِ بان ينقل الى فلسطين الرسالة الاولى التي نشرناها مع الرسالة التي اخبروا بانفاذها الى السامرة . والساعي المذكور لم يوقع اسمهُ تحت الكتابة فلا نعرف شيئًا من احوالهِ . لكنّ

١) ومن هذا يُستدلّ ما قلناهُ في الحاشية السابقة عن خمود البغض بين سنابلط ويهود سبط يهوذا بعد نحميا . والمسيو ساخو (ص ٢٢) ينسب ما يقولهُ يوسيفوس في هذا الصدد الى منطوق آية سفر نحميا (١٣ : ٢٨) حيث ورد قولهُ : « وكان واحد من بني يويادع بن الياشيب الكاهن صهرًا لسنبلّط الحوروني » لكنّ هذه الاية لا تنطبق مع ما ورد في الفصل ١٢ ع ١٠ — ١١ و٢٢ الّا بأن يقال انّ المقصود هنا بلفظة « الولد » ابن الولد

الجواب واضح يوافق كلّ ما كان يطلبهُ اليهود في الرسالة الاولى ولعلّهُ كتب الجواب كما املاهُ عليهِ اصحاب الامر. وكان ينبغي على البريد ان يقدّم هذه الرسالة لارشم مرزبان مصر ومن المحتمل انّ ارشم كان رجع الى مركزهِ في اثناء هذه المخابرات. وما لا شك فيهِ انّ بجوهي ودليه يوجّهان بجوابهما ليس الى اليهود ولكن الى الحاكم الذي كان وحدهُ يستطيع ان يأمر ببناء الهيكل

وقد أودعت هذه الرسالة كبقيّة الرسائل في سجلّات الكهنة في مستعمرة اليفانتين وهي تؤيد آمالنا بوجود آثار هيكل الربّ في تلك الجزيرة. وكما انّ نصّ هذه الكتابة يأمر بتجديد الهيكل في مكان الهيكل المهدوم الذي قدّمنا بانهُ كان على شكل هيكل سليمان فنستطيع ان نعقد الرجاء في وجود رسم هيكل سليمان نفسهِ اذا واصل العلماء حفرهم في جزيرة اسوان

ويسرّنا في الختام ان نبشر القرّاء بان العلامة كلرمون غانو قد استأنف الحفريّات في شهر كانون الاوّل الاخير. ونتمنى ان تُطلعنا المجلّات العلميّة قريباً على نتيجة اتعابهِ (١

لمحة

في حوادث العام المنصرم

نظر للاب لويس رترفال اليسوعي (تتمة)

وان تخطّينا الآن الى ذكر الاحداث التي جرت في سائر الدول مباشرةً بدول اوربّة فاوّل ما ينبغي علينا ايرادهُ كمقدّمة لتلك الماجريات مؤتمر لاهاي الدوليّ الذي سعى جهدهُ في توثيق عُرى السلم والوفاق بين الممالك والشعوب. وكان هذا المؤتمر جامعاً وكلاء ٤٧ دولة وقد طُرحت على مندوبيهِ اهمّ الابحاث وأخطر المسائل كاقامة لجنة تحكيم في المنازعات الدوليّة وتعيين شروط الحرب برّاً وبحراً وتعريف حقوق الدول في البحار وامور اخرى ذات بال كوضع حدود للتسليحات ونفي بعض القذائف الضارّة

١) ونظنّ ان المسيو روبنسوهن عاد ايضاً الى عملهِ كما اخبرنا احد طلبة مكتبنا الشرقي الذي رأى في اليفانتين مؤخّراً (ورشتين) الواحدة في جوار الاخرى

وغير ذلك فكل هذه المباحث الخطيرة وغيرها لمّا تبثّ روح السلم وتحصر ويلات الحروب الّا انّ دون تقييد الدول نفوسهم بقوانين تلك الاجتماعات السلميّة خرط القتاد. فبقيت تلك المباحث غالباً دون حلّ نهائيّ الّا انّ نيّات هذا المؤتمر الصالحة قد أثرت في المجتمعات الأمميّة ومهدت السُبل للتوافق والوئام حقّق الله تلك الاماني واطفأ في القلوب جُذى كلّ خصام وعداء.

١ اوربّة

نذكر حوادث الدول الاوربيّة دولةً دولةً على ترتيب معجم اسمائها:

﴿ اسبانية ﴾ تجري هذه الدولة على طريقة التقدّم والعمران في كل امورها بهمّة ملكها الشاب ذي النشاط العجيب المتزيّن بالمبادي المسيحيّة القويمة. وقد جاءت حوادث مراكش منبئة لاسبانية بما هي عليه من الحاجة الى اسطول يجريّ منظّم وجيش قويّ المراس. نعم ان الاسبان اتّفقوا مع الفرنساويين في فتح البيضاء في ٥ آب أخذاً بناصر مواطنيهم المقتولين. غير انّ قوّاتهم البحريّة والبريّة الحاضرة لا تفي بحاجات مواطنيهم ولذلك قد أُلقيت مسألة عمارة الاسطول وتجديد العُدَد الحربيّة على بحث الندوة غير مرّة فكثر فيها الجدال حتّى فاز وزير الحرب برغائبه وطلب من معامل فرنسة تجهيز مدافع واسلحة من احدث طروزها الممتازة. وممّا زاد اسبانية هذه السنة ترقّياً امران عظيمان الاوّل فوز المحافظين وتشكيل وزارة المسيو مورا التي اصابت ثقة الملك والاهلين. وقد تمّ ذلك في ٢٢ نيسان عقيب افراح أُخرى كانت سبقت الامر بثلاثة ايّام تزيد مولد امير استوريا ولي عهد ملك اسبانية. فدُقّت لذلك البشائر وأُعلن به رسميًّا الى جميع الدول — والامر الثاني تقرّب اسبانية من انكلترة على اثر زواج الملك الفنس باميرة انكليزيّة بينها وبين الملك ادوار السابع وشيجة رحم. وفي ٨ نيسان من السنة التقى الملكان في مدينة قرطاجنة — ومع انّ ذلك الاجتماع كان وداديًّا شخصيًّا قد نتج منهُ نتائج صالحة لاسبانية خصوصاً في مسألة مراكش — وقد ردّ مؤخّراً الملك الفونس وقرينتهُ الزيارة لملك الانكليز فصار لهما استقبال فخم ليس فقط في انكلترة ولكن في فرنسة ايضاً حيث كان مرورهما في عاصمتها. ومنها سارا الى زيارة معبد لورد الشهير بعجائبه فكانا بتقاهما وعبادتهما احسن قدوة لمن وقف على فعلهما. ولاسيما الملكة

التي بعد رجوعها عن الدين البروتستاني اصبحت مثالاً حياً لكل الاعمال الصالحة

ومما لا يسعنا ضرب الصفح عنهُ الحركة العلميَّة التي تشغل العقول في جهات القطر الاسباني تخصُّ بالذكر مدارسها العليا التي تُدرَّس فيها اللغات الشرقيَّة كجريط وبرشلونة وغرناطة فلا غرو انَّ هذه النهضة ستأتينا عمَّا قليل بأثار شهيَّة من نشر المخطوطات القديمة وغيرها . وكذلك الرياضيَّات والعلوم الفلكيَّة فانَّها في تقدُّم متواصل وقد انشأ الاباء اليسوعيون في طرطوشة مرصداً فلكيًّا احرز لهُ منذ اوَّل عهدهِ شهرة واسعة

﴿ اسوج ﴾ أُصيبت اسوج بفاجعة مؤلمة نزيد وفاة ملكها اوسكار الثاني المتوفى في اواسط كانون الاوَّل . وهو رابع ملوك اسوج من ذرِّيَّة برنادوت احد قوَّاد نابليون الاوَّل الذي تولى الامر على تلك البلاد باسم كرلوس الرابع عشر (١٨١٨ — ١٨٤٤) فخلفهُ ابنهُ اوسكار الاول (١٨٤٤—١٨٥٩) ثم ابن اوسكار كرلوس الخامس عشر (١٨٥٩ — ١٨٧٢) ثمَّ اوسكار الثاني اخو كرلوس المذكور وابن اوسكار الاوَّل (١٨٧٢ — ١٩٠٧) فملك ٣٥ سنة فامتاز بسياستهِ وحكمتهِ وحسن اخلاقهِ وكان مع ذلك محبًّا للاداب متضلعاً بالعلوم مُغرىً بكل الفنون الجميلة . ومن آثارهِ الحميدة مؤتمر المستشرقين الذي سعى بجمعهِ في حاضرة مملكتهِ سنة ١٨٨٩ . وقد خلفهُ في الملك يوم وفاتهِ ابنهُ غستاف فتسمَّى باسم غستاف الخامس وهو في الخمسين من عمرهِ

﴿ المانية ﴾ لو اردنا تلخيص ما جرى في المانية العام المنصرم من الامور الجديرة بالذكر لخرجنا عن الحدود التي تحرَّيناها في هذا النظر الاجمالي . وغاية ما يقال عن هذه الدولة العظيمة ان امبراطورها بما طُبع عليهِ من الحزم ومضاء الرأي لا يزال ساعياً في رفع شأنها وتعزيز سلطانها الى ان تقوم في مقدَّمة الدول الاوربيَّة من حيث الاقتصاد والتجارة وقوَّة الجيوش والنقابة البحريَّة فغلب كلَّ معاكسة ونال ما رغبهُ من تخصيص المبالغ الطائلة لتجهيز الدوارع والنسَّافات والطرَّادات الكافلة بفوز بلادهِ في حرب بحريَّة — وفي شهر شباط المنصرم تجدَّدت انتخابات المندوبين فنال حزب الكاثوليك فوزهم المعتاد وبلغت عدد كراسيهم ١٠٥ بينما هبط عدد الديموقراطيين الوسياليت الى ٤٣

ومن المشاكل التي يطلب لها الامبراطور حلًا سلميًا مسألة المقاطعات البولونيَّة الواقعة في مملكته. فغايتهُ ان ينزع عنها كل صبغة وطنيَّتها السابقة ولهذا ارسل المسيو موهلبرج كسفير الى الكرسي الرسولي لازالة هذه العقبة. وكذلك أُصيبت المانية بازمة ماليَّة انعكس صداها الى بعض مشروعاتها فخمدت قليلًا حركتها. وسدًّا لهذا الخلل استقرضت المانية من مصارف فرنسة نقودًا بفائدة معلومة لكنَّها مع ذلك تحاول فتح شعبة لمصرفها الوطني في طهران وعهدت تدبيرهُ الى احد رجالها الخبيرين المسيو غوتمان

وممَّا توقَّفت فيهِ المانية آخرًا رجوع مستعمرتها الافريقيَّة الى السكينة والهدوّ بعد حروبها المتواصلة مع قبائل الهوتنتوت والهريروس وذلك بموت مورنغا زعيم الاعداء. وكانت تلك الحروب قائمة على ساق منذ السنة ١٩٠٣ وقد خسرت فيها المانيـة مبالغ كثيرة وعددًا وافرًا من الجنود

امَّا علاقات المانية مع الدول فودّيَّة. وكان البعض يخافون ان حوادث مراكش تعكّر صفاءها مع فرنسة لكنَّها اعلنت انَّها لا ترغب سوى صيانة حقوقها والقيام بشروط معاهدة الجزيرة. والامل معقود بانَّ السلام يعود قريبًا الى تلك الجهات — وكذلك اوجس البعض خوفًا من خلاف يقع بين المانية وانكلترة بسبب اهتمام الاولى بزيادة اسطولها انَّما ذلك كان كسحابة صيف انقشعت باجتماع ملكي الدولتين مرَّةً اولى في ١٤ آب على قارة اوربة في ولهلمسهوه حيث زار ادوار السابع ابن اختهِ غليوم الثاني ثمَّ مرَّة ثانية اذ ردَّ الامبراطور الزيارة لجلالة خالهِ مع قرينتهِ الكريمة في انكلترة في ١١ الى ١٩ تشرين الثاني. فكانت هذه الزيارة داعيةً لمظاهرات غاية في الوداد بين الدولتين. وكان امبراطور المانية قبل ذلك مكَّن اواخي الصداقة مع ملك دنيمرك فريدريك الثامن في ٣ الى ٦ تموز ثمَّ مع ملك نروج هاكون ثم مع جلالة القيصر نيقولا على دارعة هوهنزولرن في سوينمند في ٣ آب وكان ارباب السياسة يعلقون على هذه الزيارة الاخيرة آمالًا كبرى. امَّا علاقات المانية مع الدولة العليَّة فما من احد يجهل انَّها غاية في الولاء والمجاملة

وممَّا يسرُّنا تدوينهُ على صفحات مجلَّتنا شكر كاثوليك المانية لجلالة غليوم الثاني على ما يظهرهُ من الاكرام والتودُّد للكرسي الرسولي ومن اللطف والتساهل نحو رعاياهُ الكاثوليك الذين يعيشون تحت راية الدين ورعاية اساقفتهم باتحاد عجيب ذلَّل امامهم

كل العقبات وكان مؤتمرهم العمومي هذه السنة في ترتسبورج عقبهُ في متن المؤتمر القربانيّ الذي تصدَّر فيهِ السيّد ڤانوتلي وحضرهُ ٦٠٠٠ كاثوليكيّ

ولا تنسى ما فُجعت بهِ المانية بانفجار مناجم ريدن (Reden) حيث هلك ١٥٤ من الفعلة فاظهر الفرنسويون في هذه النكبة من الشهامة في خلاص المنكوبين ومساعدة عيالهم نخوة عظيمة كما فعل الالمان سابقاً في حادثة كوريار. وقد تعدَّدت في السنة في عدَّة بلاد ملمَّات كهذه وغيرها كأن الله ينبه الاحياء بها على السهر والاستعداد للاخرة في كلّ ساعة

﴿ انكلترَّة ﴾ سُرَّ كلّ اصحاب العقل والبصيرة فضلًا عن ذوي الورع والتديُّن بحبوط نظام التعليم الابتدائي الذي كانت غايتهُ نفي الدين من مدارس الاحداث. وعقيب ذلك رأى دعاة الدين انهُ من الواجب تعزيز روح العبادة في الأُمة فاتَّفق رئيس اساقفة وستمنستر الكاثوليكي مع رئيس اساقفة كنتوربري الانكليكاني وزعيم الكنائس الانكليزيَّة المستقلَّة على توجيه رسالة عامَّة الى كل مرؤوسيهم ليستدعوهم الى تقديس يوم الرب. ومن الوسائل التي اتَّخذها الكاثوليك الانكليز على مثال اخوتهم الالمان عقد مؤتمر سنويّ للنظر في شؤون كنيستهم فكان مجتمع هذه السنة تحت نظارة السيّد الجليل بورن (Mgr Bourne) رئيس اساقفة وستمنستر مهيباً عظيماً عرف بهِ الجميع ما في الكنيسة الكاثوليكيَّة في تلك الدولة الفخيمة من الحيويَّة وعلو المقام على انَّ عدداً من البروتستان لاسيما الوجوه بينهم ينبذون شيعهم ليجاهروا بالدين الكاثوليكيّ . وكانت الجموع تزدحم لاستماع مواعظ الاب ڤون (Vaughan) اليسوعيّ الشهير فيُعجب البروتستان من بلاغتهِ وقوَّة براعتهِ فيكبون اليهِ في اثر كل خطبة ليستفتوهُ في مشاكلهم . وكانت عظاتهُ تُنشر بالطبع في الجرائد يلتذّ بقراءتها جلالة الملك ادورد عينه

لم تنجُ انكلترَّة كبعض الدول المجاورة من الأزمات الماليَّة فتوقَّفت بعض المصارف وزاد الامر ارتباكاً باعتصاب عملة السكك الحديديَّة وكاد الشرّ يستفحل لولا حكمة الوزير لويد (C. Loyd). وقد انتهت السنة بانواء شديدة واعاصير مريعة فطغا نهر التاميز وغمر بمياههِ ضفَّاتهِ كما انَّ البحر هاج وماج فاغرق عدَّة سُفن او اتلفها

وكان همُّ الانكليز في الخارج ان يخمدوا فتنة قبائل الوطنيين في زولولند وقد

قصُّوا جناحها بضبط رأس المتمرّدين المدعو دنيزولو . وكذلك تصدَّوا لبعض اصحاب المشاغب في بنغال وكلكوتا الذين كانوا يجتهدون في احياء روح العصبيَّة

اظهرت انكلترَّة وجلالة ملكها هذه السنة ارتياحها الى السلم مع سائر الدول وقد كانت سياحة الملك ادوار والملكة قرينته في معظم الدول الاوربيَّة ضامناً للسلام العام . فما خلا البلاد التي سبق ذكرها قد تجوَّلا ايضاً في فرنسة وزارا عاصمتها في شهور السنة الاخيرة فتجدَّدت بقدومهما الافراح وتوثَّقت عرى التحاب . ومن مظاهر الولاء بين انكلترة وفرنسة انَّ شركات الشبَّان الرياضيَّة الفرنسويَّة اجتازت مضيق المنش فنزلت في ملاعب كنتربري الواسعة في ٢ تموز وأجرت فيها ضروب التمرينات البدنيَّة والالعاب الرياضيَّة . وكان في صحبة هذه الشركات ادوات الطرب وفرقة عسكريَّة فحدَّث عن تلك مجالي الفرح والبهجة ولا حرج . وكذلك اولمت غرفة التجارة الانكليزيَّة لشقيقتها الافرنسيَّة فتبودلت بين اعضاء الغرفتين اخاب الشكر والمودَّة . ويا ليت هذه المظاهرات الولائيَّة كانت ختمت بمصادقة ندوتي انكلترَّة على فتح نفق المنش بين البلادين الَّا ان الامر قد أرجئ الى زمن لا يعلمهُ الَّا الله

ومن الحوادث السياسيَّة الهامَّة عقد المعاهدة بين انكلترَّة وروسيَّة في ٣١ آب فبموجب هذا الوفاق حُلَّت مشاكل متعدِّدة كانت معترضةً بين الدولتين تحول دون صفاء ودّهما . فاظهرت كلتاهما تساهلاً ازال كلَّ العقبات في طريقهما فمن ذلك انهما اتَّفقتا على تعيين حدودهما في العجم وبلاد الافغان والتبت

اما ملكُ البحار فتأبى انكلترَّة ان تتخلَّى عنهُ ولذلك لا تدَّخر وسعاً في محافظة سيطرتها على المياه . ولما رأت أنَّ المانية حازت قصبة السبق بسرعة بعض سفنها مثل دوتشلاند وقيصر ويلهلم انشأت لها سفناً تباريها في تلك الحلبة كارفانيا مثلاً ثمَّ عادت وجهَّزت لها باخرتين أخريين لوزيتانيا وموريتانيا فقطعتا المسافة بين كنفيتون ونيويرك بظرف اربعة أيام واقلَّ من ٢٠ ساعة بسرعة ٢٤ عقدة في الساعة فسبقتا السفينتين الالمانيَّتين بعشر ساعات — وكذلك تسعى الحكومة الانكليزيَّة في تقوية جيشها البرّي وقد سنَّت لذلك بنوداً ترجو منها بلوغ الغاية المأمولة

﴿ ايطالية ﴾ قلنا انهُ حصل بين هذه الدولة والكرسيّ الرسولي بعض التقرُّب ومع هذا قد حدثت ايضاً امور مكدِّرة استاء منها الكاثوليك واوجبت تأجيل اعياد

يوبيل الحبر الاعظم الكهنوتي . فانتهز اعداء الدين فرصة انتخاب اعضاء الدوائر البلديَّة المعادين لحزب الاكليروس فأتوا بمظاهرات اقلقت راحة الكاثوليك ثمَّ تجدَّدت تلك المشاحنات لمَّا اراد اولئك الرعاع الاحتفال بالسنة المئة لمولد غاريبلدي وبذكر دخول جنود بيامنتي الى رومية في ٢٠ ايلول وبانتخاب تاتان اليهوديّ لرئاسة بلديَّة رومية . فكلّ هذه الحفلات الضاجّة عكّرت صفاء الراحة العموميَّة حتَّى اضطرَّت الحكومة ان تتشدَّد على بعض اهل الشرّ فتقطع دابرهم . ولنا الامل انَّ السلام يستتبّ قريباً وقد سُررنا بانَّ شورى الدولة لم تُصادق على سُنَّة دار الندوة الطالبة نفي التعليم الديني من المدارس

امَّا امور ايطالية الاقتصاديَّة فليس فيها شيء يستحقّ الذكر اللهمَّ الَّا تجديد معاهدتها التجاريَّة مع فرنسة لترويج محصولاتها . ومع هذا لا تزال المهاجرة الى اميركة تتوالى وتتواصل رغماً عمَّا حلَّ بكثيرين من المهاجرين من الازمات في القارَّة الاميركيَّة حتى اضطرَّ كثيرون الى العود الى اوطانهم — وبُليت ايطالية في شهر تموز بازمة عملة السكك الحديديَّة خصوصاً في ميلانو ونواحيها فتضعضعت لذلك احوال التجارة مدَّةً . وعقب الامر في اواخر ايلول والعشر الاوَّل من تشرين امطار عرمرميَّة طغت من جرائها انهار ايطالية الشماليَّة نهر پو ونهر تسين ونهر اديج . وكانت ثائنة الاثافيّ عودة الزلازل الهائلة في كلابرية اوجست بسببها القلوب هلعاً . وقد بلغ عدد الموتى نحو الالف . وكانت الطامَّة العظمى في آخر السنة انفجار بارودخانه بلرمة ذهبت بها ارواح كثيرين من العباد فلبست المدينة بسببها الحداد واقيمت الحفلات الدينيَّة تحت رئاسة الكردينال لوالدو

وممَّا تكدَّرت له الخواطر ايضاً دعوى الوزير القديم نازي ورفيقه لماردو فاكتشفوا ما حصل على يدهما من التلاعب بمال الدولة . وقد أُجلت هذه الدعوى الى وقت غير معلوم تفادياً من اضطراب العقول

وما هو ابهج من ذلك رحلة جلالة ملك ايطالية الى اليونان فصار له في اثينة استقبال شائق في ٨ نيسان وكانت تلك الزيارة مدعاةً لتقرُّب الدولتين . وفي ١٨ منهُ التقى الملكان ادوار وڤكتور عمانويل في غانتًا وكان لجتماعهما غاية في المودَّة

﴿ بلجكة ﴾ استقالت في اواسط نيسان وزارة بلجكة التي كان يترأسها المسيو

دي سمت دي ناير (de Smet de Nayer) وذلك بسبب وضع قانون لشغل المعدّنين فخلفتها وزارة المسيو دي تروز (de Trooz) لكنّ الامر بقي في ايدي المحافظين الكاثوليك والمسيو دي تروز من رجال السياسة المعدودين كان يُعرف بثقابة عقلهِ وحسن تدبيرهِ وايمانهِ الصادق لكنّ الله استأثر بهِ في غرّة السنة الجديدة فمات مأسوفاً عليهِ — ومن المعروف انّ دولة بلجكة مع صغرها في مقدّمة البلاد من حيث وفرة عمرانها وترقيها الدائم في الداخل والخارج معاً . ولبلجكة الشركات المالية المزهرة تتولى اعمالاً خطيرة في عدّة بلاد لاسيما مدّ السكك الحديديّة والترامواي الكهربائيّة . ولنا في سوريّة ادلّة على نشاطها واتساع اعمالها . وما يحقّ لبلجكة ان تفتخر بهِ مشروعاتها الادبيّة على ايدي المرسلين الكاثوليك من نشر الدين وانشاء المدارس وفتح المآوي والمستشفيات والمياتم في اقطار عديدة لاسيما في الهند والكنغو . ومن اعمالهم المشكورة اشهارهم الحرب العوان على عدوى تنشو في اواسط افريقية فتتلف كثيراً من اهلها نريد داء النوام والامل معقود بقرب وجود الدواء الشافي لهذا الداء العياء .

ومن الامور التي تشغل افكار القوم في هذه المملكة مسألة ضمّ الكنغو الى المملكة . فانّ تلك المستعمرة مال خاص بجلالة الملك ليوبلد وهو يريد ان يجعلها من املاك الدولة على شروط معلومة لم يصادق عليها مجلس المندوبين حتى الان لما يرى في تلك الشروط من الاعباء الثقيلة على الدولة والرأي عندهُ ان تُباع تلك المستعمرة لفرنسة جارتها هناك

وقد روت الجرائد في هذه السنة انّ العلاقات بين بلجكة وشقيقتها هولاندة زادت تحسّناً أجدى الدولتين منافع اقتصاديّة جديدة

ومن الاخبار الواردة مؤخّراً تعيين نيافة القاصد الرسولي في الاستانة العليّة السيد تاكشي بورشلي برتبة نائب رسولي في بروكسل . فلا غرو انهُ سيلقى في تلك الحاضرة استقبالاً اهلاً بمقامهِ . والدين في تلك البلاد راسخ القدم عالي المنار . ومن دلائلهِ المستحدثة تلك الكنيسة الفخيمة التي رُضعت حجرتها الاولى في هذه السنة . وهي تشيَّد على اسم قلب يسوع الاقدس وستكون اعظم من كنيسة «منت مارتر» في باريس طولها ١١٠ امتار امّا نفقاتها فتبلغ اثني عشر مليوناً من الفرنكات

﴿ الدانمرك ﴾ سبق ذكر زيارة الامبراطور غليوم الى الاسرة الملكيّة في الدانمرك

وفي اواسط حزيران زار ملكها فردريك الثامن وهو اخو ملك اليونان مع الملكة لويزا قرينته عاصمة باريس فلقي فيها من الحفاوة والاكرام ما يليق بجلالته — ومما يسرنا ذكره تقدُّم الديانة الكاثوليكيَّة في دولة الدانمرك . وفي حاضرتها كوبنهاغ سيُعقد مؤتمر المستشرقين في شهر آب

﴿ روسيَّة ﴾ امتازت السنة المنصرمة بامرين الاوَّل فُرجةٌ نالتها هناك الكنيسة الكاثوليكيَّة كما قدَّمنا . والثاني هدوءُ الخواطر وازالة المشاغب . وكان مجلس الدوما الثانية التي قُدِّم عليها المسيو غولوشين قد أُلغي في ١٦ حزيران . وفي ٢ تشرين الثاني صارت انتخابات الدوما الثالثة التي تُبنى عليها الامال في تسكين كلّ بلبال . وقد قدَّم اعضاؤها لجلالة القيصر عريضة غاية في الوقار

ومن الامور الحربيَّة بالنظر في الخارج معاهدة روسيَّة وانكلترة بخصوص املاك الدولتين في آسية كما مرَّ . وكان سبقها معاهدة أُخرى في ٢٨ تموز بين روسيَّة واليابان اتَّفقتا بموجبها على اربعة امور : ١ً تعريف حقوق كلّ دولة بخصوص صيد الاسماك . ٢ً تجديد عهدتهما التجاريَّة . ٣ً اتفاقهما في مواصلة الخطوط الحديديَّة الروسيَّة واليابانيَّة في منشوريا . ٤ً صيانة املاك الصين على تمامها

امَّا الحرب الروسيَّة مع اليابان فانَّ لها ملحقًا غاية في التأثير بمحاكمة الضبَّاط الذين سلَّموا پور ارثور وخصوصًا الجنرال ستوسل الذي تراكمت عليه الشكايات . والمظنون انه لن ينجو من حكم المجلس العسكريّ عليه لاسيما لاخفائه الرسالة الموجَّهة اليه في پور ارثور وفيها تعيين الجنرال سميرنوف كحاكم على ذلك الحصن

﴿ رومانية ﴾ هذه الدولة الصغيرة جارية ايضًا في معارج الفلاح . وممَّا ينبئ بهمَّتها انشاؤها للشركات البحريَّة ولها الان عدَّة مراكب مجهَّزة على وفق السُّفن المستحدثة التي لا ينقصها شيء من اسباب الرفاهية والسرعة من ذلك سفينتان سريعتا الجري تنتقلان بين كوستنجة والاستانة العليَّة وازمير . وهما مركبان جميلان عليهما جهاز التلغراف الاثيري مع بقيَّة الاختراعات العصريَّة للاسفار — ومن اكبر موارد الثروة لرومانية مناجمها البتروليَّة فانَّ مجموع ما كان يُستخرج منها في السنة ١٨٩٧ كان يبلغ ١١٠,٠٠٠ طنّ وقد بلغ في العام ١٩٠٦ ٨٨٧,٠٠٠ طنّ (١ ومنها تبتاع المانية ما تحتاج اليه من

(١ رومانية اليوم الدولة الرابعة بين الدول المستخرجة للبترول فالاولى الولايات المتَّحدة

البترول بعد تنقيته فاصدرت رومانية اليها بقيمة ٧٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك واصدرت الى فرنسة بقيمة ٣١,٠٠٠,٠٠٠ ف وقد عُقدت آخرًا بين فرنسة ورومانية معاهدة تجاريَّة

﴿ فرنسة ﴾ تأخذنا الحيرة في تسطير ماجريات هذه الدولة في الخارج والداخل في امورها الدينيَّة والمدنيَّة . يعلم الكل في اي حالة حرجة صارت فيها الكنيسة بسبب السُّنن المجحفة التي أُعلنت فيها . وترى مع هذا الاكليروس في كلّ درجاته ولفيف المؤمنين سائرين على خطة صحيحة من الاتحاد والتُّقى وهم عازمون على تضحيـة كل نفيس في سبيل الدين فوجد الحبر الاعظم في سلوكهم ما عزّى قلبهُ في المحن الحاضرة واستدعى ثناءهُ عليهم بازاء العالم في خطابهِ الذي القاهُ في تنصيب الكردينالة الجدد . ومما يمكننا تأكيدهُ بعد مشاهدتهِ العيانيَّة انَّ هذه المحن انعشت في القلوب روح الايمان فضلًا عن كونها لم تمتهُ . فانَّا في العام المنصرم في جمعة الآلام اذ كنَّا في ليون عاصمة فرنسة الثانية اخذ منَّا العجب كلَّ مأخذ اذ عاينَّا كنائسها العديدة غاصَّة بالحضور يتزاحم الناس فيها لاستماع المواعظ ومعاكفة الاسرار بغاية ما يشتهى من التقوى والنظـام

امَّا غيرة الفرنسويين في نشر الدين في الرسالات الاجنبيَّة فلهم فيها السبق على الجميع فانَّ عدد المرسلين الذين ماتوا في السنة المنتهية في البلاد الاجنبيَّة بلغ ١٦٤ فكان الفرنسويون منهم ٨١ مرسلًا . وكذلك فرنسة وحدها تُعطي نصف المبالغ اللازمة لمعاش المرسلين وهي نحو سبعة ملايين من الفرنكات — وما قولنا بزيارات فرنسة الشهيرة . كاورد وباراي لومنيال فانَّ الزوَّار يأتونها زرافات ووحدانًا من كل انحـاء اوربَّة واميركة . وقد جرت في العام الماضي في لورد المعجزات الباهرة المعتـادة التي لا يرى الملحدون انفسهم وجهًا لنكرانها والتي تأسر القلوب في حبّ امّ الاله وتجـذب الكل الى اقدامها حتى الملوك عينهم كما رأينا في امر ملك وملكة اسبانية — وممَّا يدلُّ على انتعاش روح الدين في فرنسة عقد المؤتمرات التي اشرنا اليها منها مؤتمر الشبيبة المسيحيَّة التي شرَّفها قداسة

المتَّحدة كان محصولها من البترول في السنة ١٩٠٦ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ طنّ والثانية رومية استخرجت ٨,٠٠٠,٠٠٠ . والثالثة مستعمرات هولندة الهنديَّة ١,٢٥٠,٠٠٠ . والرابعة رومانية ٨٨٧,٠٠٠

البابا برسالة من يده وجّهها الى المسيو ليرول (Lerolle) رئيس هذه الجمعيّة — وقد سبق المشرق (ص ٤٣٠) فاشار الى رسالة اخرى انفذها يوس العاشر الى مجلّة المباحث الكاثوليكيّة التي منذ خمسين سنة دافعت عن المبادئ السليمة دفاع الابطال فاستحقّت ثناء الكرسي الرسولي

امّا امور فرنسة في الخارج فانها على ما يظهر جارية على احسن حال. كفانا دليلًا على ذلك الزيارات المتوالية لفرنسة التي سبق لنا ذكرها من قبل رؤساء الدول وملوكها. وفي السنة المنصرمة ارادت ايضاً الدولة اليابانيّة ان تتقرّب من فرنسة لتقرّب انكلترة حليفتها منها فحصل في ١٠ حزيران اتّفاق بين وزير الخارجيّة المسيو بيشون وسفير اليابان المسيو كوريزو كانت الغاية منهُ توثيق الامور الآتية في الشرق الاقصى: استقلال الصين ثمّ فتحُ موانيها للتجارة ثمّ صيانة الامور الحاليّة على حالتها. ولا يخفى ما في هذا الوفاق من الضمان لسلام العالم. وفي ٢٤ تمّوز دخل قسم من الاسطول الياباني في مينا برست فحصلت من جرّاء ذلك مظاهرات ولائية بين الدولتين زادت ودادهما وثاقة

هذا ولا حاجة الى تفصيل الامور الجارية بين فرنسة ومراكش فانّ جريدة البشير قد اعلنت ذلك في حينهِ. والامل معقود بقرب انتهاء الحرب ورجوع مياه السلم الى مجاريها بعد استلام القبائل المعادية. وممّا لعب في هذا الحرب دورًا مهمًّا التعراف اللاسلكيّ الذي كان متّصلًا بين مراكش وبرج ايفل في باريس فيوقف الوزراء على كل احوال مراكش ويبلغ القوّاد اوامر الوزراء — وكذلك حلّق في الجوّ منطادان فسارا فوق رؤوس الاعداء واستدلّ ضبّاطهما على احوال المعادين واستكشفوا مكامنهم واطلقوا عليهم القذائف من علٍ

وكان بودّنا ان نضرب الصفح عمّا يجري في فرنسة من الامور المكدّرة المنذرة بتفرّق الكلمة وانتشار الفساد. منها تحامل بعض الافراد على الجيش حتى اضطرّ الجنرالان متسنغر وهاغرون (Metzinger et Hagron) ان يقدّما استعفاءهما. لاسيّما بعد تخفيض مدّة التمرينات العسكريّة سنويًّا ما اوجب المسيو دي فريسينه ان يستقلّ من منصبهِ كمتقدّم على اللجنة العسكريّة. وزاد الطين بلّة باكتشاف خيانة الضابط اولمو (Ullmo) الذي أقرّ بإثمهِ

وكأنّ الله نبّه تلك الدولة العظيمة بمصائب حلّت بها تترى فآلمت القلوب واغضت

الاطراف منها انفجار الدارعة يانا في ١٤ آذار فهلك بهذا المصاب مئة من الجند بينهم الكومندان اديغار (Adigard) والضابط البطل رو (Roux) — وما مرَّ على ذلك ٤٠ يوماً حتى جاءت فاجعة ثانية جدَّدت الاحزان وهدَّدت الاركان ألا وهي حريق مسلحة (ترسخانة) طولون وقد شبَّت النار في امكنة أخرى بحيث لم يشكَّ كثيرون بان ليد اثيمة في ذلك عملاً — ثمَّ توالت بعدها الرزايا كفقدان نسَّافة صدمتها سفينة اخرى فاغرقتها وكانفجار مدفع كبير في بورج اودى بحياة ثمانية من الطوبجيَّة ثم خسارة البالون لاباتري الذي نقلتهُ الرياح العاصفة الى انكلترَّة فتحطَّم وقد مرَّ في المشرق (١٠: ٧٥٦— ٧٥٧) انَّ هذه المركبة الجويَّة فتحت سُبل الجوّ وذلَّلت الصعاب في تسيير المناطيد الهوائيَّة. ثم ازمة الكروم في جنوبيّ فرنسة واخيراً طغيان عدَّة انهار كنهر رون ونهر لوار التي اندفعت مياهها في السهول فعاثت ايَّ عيث وتسرَّبت الى باطن الجبال فكادت تقلعها من آساسها. وزد على ذلك ما بُليت به فرنسة بموت بعض رجالها العظام كالاب مُنسبراي الخطيب الدومنيكيّ الشهير توفي في شهر شباط. والمسيو كازمير باريه رئيس الحكومة الفرنسويَّة سابقاً مات في ١٢ آذار وحضر حفلة جنازته الرئيسان اللذان خلفاهُ لوبه وفاليار. وفي ١٨ منهُ خسرت العلوم الكيموية إمامها المسيو برتار. ويا حبَّذا لو ارعوى منيباً الى ربّهِ قبل وفاتهِ لأجداه علمهُ نفعاً لآخرتهِ. وقد خلفهُ في منصبهِ في محفل فرنسة العلمي المسيو دي لاباران احد كبار العلماء المصريين فضلاً عن كونهِ متحمساً في دينهِ — وفي ٢٠ نيسان فُجعت الآداب الفرنسويَّة بموت كاتب بارع المسيو بيار ڤوليو بكر المرحوم اوجين ڤوليو وابن اخي الشهير لويس ڤوليو. وكان جارياً على آثار ابيهِ وعمهِ في الكتابة فاصاب منها نصيباً حسناً فهُصر غصن حياتهِ الرطيب. وقد خلفهُ في ادارة جريدة الاونيفير الكاثوليكيَّة اخوهُ فرنسوا

فهذه بعض الرزايا التي دهمت فرنسة هذه السنة فالله نسأل ان لا تكون علامات غضب بل آيات تأديب ورحمة منهُ تعالى فتبقى فرنسة كما كانت بكرًا للكنيسة وعضداً لكل مشروع صالح في سبيل الدين والوطن

﴿ نمسة والمجر ﴾ جرت انتخابات مجلس ندوتها في ١٤ أيار فكان الفوز للكاثوليك فلا شكَّ انَّ بذلك سقط ايضاً القانون المطلوب سنُّهُ لينفي الدين من المدارس

ومن اخبار النمسة مواجهة وزيري الخارجيَّة لدولتي النمسة وايطالية وهما البارون دي ايرنتال (d' Erenthal) والمسيو تيتوني (Tittoni) وقع ذلك في ديزيو وقد ظنَّ ارباب السياسة انَّ في اجتماعهما علاقةً مع تجديد المحالفة الثلاثيَّة — وفي هذه السَّنة خمدت نوعاً ثائرة الاحقاد بين نمسة والمجر . والشائع انَّ الشقيقتين عادتا الى الائتلاف والمصالحة بعُهدةٍ صادقت كلتاهما عليها لعشر سنوات

وممَّا تطايرت له القلوب فرحاً في بلاد النمسة بلوغ جلالة الامبراطور فرنسوا جوزيف السنة الستين من ملكه (١٨٤٨ — ١٩٠٨) والثامنة والسبعين من حياته (١٨٣٠) فشمل السرور لفيف رعاياهُ بل تضاعف بعد بُرئهِ من مرضٍ شديد كان أبلَّ منهُ قبل ذلك بزمن قليل . وسوف تقام في كلّ هذه السنة اعياد يوبيليَّة بهيجة يُعلن بها النمسويُّون والمجريُّون حبَّهم الخالص لملكهم

امَّا الحركة الدينيَّة في النمسة فهي في ازدياد ونموّ . ومن الادلَّة البيّنة على ذلك المؤتمر المريمي الذي عُقد في نمسة العليا فجاء كشاهد حيّ على عبادة تلك الدولة للبتول العذراء منذ عهد ملوكها الاوَّلين التدّيين — ثم اجتمع الكاثوليك في مؤتمر آخر مدني وهو السادس للنمسة . وقد حيَّا رئيس بلديَّة فينا المسيو لويغر الكاثوليكيّ هذا المجتمع بخطبه البليغة فأوضح واجبات الكاثوليك في الساعة الحاضرة وضرورة اتفاقهم لمناقضة اعداء الدين والوطن

﴿ هولندة ﴾ سبق لنا ذكر مؤتمر السلم فيها كما اشرنا الى تقرُّبها الى بلجكة ومن المنتظر ان تعقد معاهدة بين الدولتين . وفي مطاوي السنة زار امبراطور المانية وقرينتهُ ملكة هولندة فتبودلت الأنخاب وتوفَّرت المسرَّات — امَّا الملكة وليهلمين فان شعبها مغرًى بحبِّها لحسن سجاياها لا ينقصها لتام رغائبها سوى مولد وليّ لعهدها

ومن الامور الجديرة بالثناء سخاء الهولنديين في المشروعات الخيريَّة فانَّ شركة مار منصور دي بول في هولندة تجمع من المبالغ المصروفة في المبرَّات نحو مليوني فرنك لا يسبقها في ذلك سوى فرنسة التي تزيد حسناتها على المليونين

﴿ اليونان ﴾ ذكرنا زيارة ملك ايطالية لاثينا وابرام حبل الوفاق بين الدولتين بعد انتقاضهِ — وفي كانون الاوَّل الاخير اقترن البرنس جرج ثاني اولاد ملك اليونان

بالاميرة ماري لويزة بونابرت—وفي السنة الماضية ايضاً عمد اليونان الى استجلاب مدافعهم من فرنسة من معمل كروزو لوقوفهم على افضليتها

واعلم انَّ العلم لا يزال موجهاً بابصاره الى بلاد اليونان رجاء اكتشاف شيء من كنوز تلك البلاد الصناعيَّة والادبيَّة . ومن ثمَّ ترى الحفريَّات جاريةً على ساق ونشاط في انحاء مختلفة فلا يمرّ علينا اسبوع دون ان تفيدنا المجلّات عن اتساع ثروة العلم باكتشافات جديدة

٢ آسية

﴿ الصين ﴾ بلغت فيها المجاعة مبلغاً فاجعاً بتلف مزروعات الأرزّ الذي هو طعام معظم اهل تلك البلاد. على انَّ الله يعزّي قلوب المرسلين برجوع الالوف المؤلّفة من المشركين الى جادَّة الحقّ

واعلم انَّ غاية ما يطلبهُ الصينيُّون اليوم أن يكونوا في غنىً عن كل الاجانب وها انهم قد باشروا بسكَّة حديديَّة وطنيَّة محضة في مقاطعة فركيان وفي كنتون—وكذلك اخذت الصين تسعى في تجديد اسلحتها — ومن مرويَّات تلك البلاد عودة البوكسر الى مشاغبهم في ايلول لكنَّ الحكومة الجأتهم الى الفرار

﴿ العجم ﴾ جلس على عرش هذه الدولة شاه جديد اسمهُ محمَّد علي مرزا خلف اباهُ مظفر الدين المتوفى في كانون الثاني فما استلم زمام التدبير حتى ارسل وفداً الى جلالة المتبوع الاعظم يبلغهُ بالامر رسميًّا . وكذلك اوفد الوفود الى بقيَّة رؤساء الدول والملوك — وقد سبق القول عمَّا جرى بين انكلترة وروسيَّة من الوفاق بخصوص حدود العجم

﴿ اليابان ﴾ اصيبت بالمجاعة كالصين جارتها كما انَّها بُليت بازمة مالية على انَّ ذلك لا يمنعها من تقوية اسلحتها وانشاء جهازاتها الحربيَّة كأنها تتوقَّع حرباً قريبة — وفي تموز الاخر حصلت في كورية قلاقل لم تنتهِ الَّا في تشرين الاوَّل بعد ان تشدَّدت الجنود اليابانيَّة على الكوريين فقُتل منهم ٨٠٠ وكان ذلك بعد أن تنزَّل الملك عن حقوق التدبير لامر لابنهِ

وما يشغل الآن افكار السياسيين احوال اليابان والولايات المتحدة وكان سبب

الخلاف اوّلًا إباء الاميركيين في سانفرنسسكو ان يعاملوا شبيبة اليابان معاملة مواطنيهم. ثمّ جاءت مسألة جزائر الفيليبين تتهدّد راحة تلك البلاد وذلك انّ حزبًا من الاميركيين لا يؤمل خيرًا كبيرًا من امتلاك تلك الجزائر لفظاظة اهلها فيطلبون تخليتها. لكنّ حزبًا آخر وهو الأعظم لا يرضى بذلك لأنّ تلك الجزائر تمكّن اصحابها من ملك البحر الهادي فان تخلّى عنها الاميركيّون وقعت في ايدي اليابان واضحوا بذلك سادة كل البحار في الشرق الاقصى وهذا ممّا لا يطيقهُ الاميركيّون ولذلك وجّهوا الى البحر الهادي الاسطول الاميركيّ مع قسم من سفن الاتلنتيك ليجروا هناك مظاهرات باهرة تُعلن بقوّاتهم وتصدّيهم للمعادين. فترى السياسيين يخوضون في حالة الدولتين وما سيؤول اليهِ مستقبلهما ومساعي اليابان تزيد ذلك بتعزيز اسطولها وجيوشها كما انّ بعض اعمال الولايات المتّحدة تُنذر بالشرّ كابعادها مثلًا من سفنها كل العملة اليابانيين وكأمرها الى المسيو تافت (Taft) بالرجوع من سفرتهِ الى اليابان والصين وروسيّة. على انّ لهجة الدولتين الرسميّة لم تكن لتهدّد الراحة العموميّة

امّا تجارة اليابان فهي في ترقٍّ عجيب حتّى انّها صارت تزاحم التجارة الانكليزيّة في الشرق الاقصى واخذ التجّار الانكليز هناك يتأسفون من المعاهدة التجاريّة بين الدولتين

٣ افريقية

﴿ مصر ﴾ في ١١ نيسان استعفى اللورد كرومر وقدم مصر السير ألدون غورست. وممّا أصيب بهِ القطر المصري في السنة المنصرمة الازمة الماليّة التي لا يزال ينوء تحت عبأتها

وممّا سرّ بهِ الاهلون توسيع مدخل المينا في الاسكندريّة لكي تستطيع المراكب الكبيرة ان تدخلهُ بلا عناء. كسفينة هليوبوليس وهي من الطرز الجديد طولها بين ١٧٠ الى ١٨٠ مترًا فانّها تنفذ في المينا وترسو عند الرصيف. وهذه المركب تقطع المسافة بين الاسكندريّة ومرسيلية بثلاثة ايّام ونصف وسرعتها غريبة فتقطع ٢١ عقدة في الساعة وتنفق من الفحم الحجري ٢٠,٠٠٠ طنّ حتى كاد فحمها يوازي محمول سفينة كبيرة

﴿ الحبشة ﴾ معلوم انّ دولة النجاشي في تقدُّم متواصل: وبين الحبشة فئة كبيرة تميل الى المانية ولذلك أوفد منليك وفداً خصوصياً الى برلين يقوده الامير مشاشا. ومع هذا ترى ملك الحبشة مراعياً لحقوق الدول كلها يتحبَّب الى جميعها . وهو ينظر بعين الرضى الى المرسلين الكاثوليك الذين في مملكته وقد اطلق لهم الحرّية لانشاء المدارس ولتعليم الدين لرعاياه — وفي هذه السنة في اواخر تشرين الثاني دُشنت اوّل كنيسة كاثوليكيَّة في اديس ابابا عاصمة المملكة على اسم البتول الطاهرة . فجرت رتب جليلة واعياد شائقة أثرت في كلّ الحضور المتقاطرين من كل فجّ لمعاينة هذه الحفلة التي ترأسها الاب ماري برنرد السفير الرسوليّ هناك

﴿ الترنسفال ﴾ جرت فيها الانتخابات الوطنيَّة فوقع الاختيار على كثير من الهولنديين الاقدمين. وتقلَّد منصب الوزير الاوّل الجنرال بوتا في ٢ آذار

٤ اميركة

﴿ كندة ﴾ وقّعت كندة وفرنسة على عهدة تجاريَّة بين البلدين وتجارة كندة كما لا يخفى متّسعة جداً وقد توفَّرت فيها السكك الحديديَّة الى حدّ غريب

﴿ الولايات المتحدة ﴾ من المحتمل انّ الولايات المتّحدة كانت الاصل الاوّل لتلك الازمات الماليَّة التي دهمت بلاداً شتى فانّ احتكاراتها العظيمة ومقامراتها الخطيرة ومضارباتها الماليَّة تجاوزت كلّ الحدود فهبطت واهبطت معها بيوتاً ماليَّة لا تُحصى في العالمين. وقد تضاعف الشرّ بما جرى هناك منذ شهر تشرين الاوّل من النكبات الصناعيَّة. ومن ثمَّ اعلن الرئيس روزفلت انهُ سيتَّخذ كل الاحتياطات الفعّالة لاستدراك الشرّ. الّا انَّ الامور حتى اليوم لم تتحسن ففي اواخر كانون الاوّل اضطرّ ٧٥,٩٠٠ من المهاجرين الاوربيين ان يعودوا الى بلادهم لعدم وجودهم شغلاً يقوم بأودهم فليتنبه محبّو المهاجرة

وممَّا يشغل الافكار قرب تجديد انتخاب رئيس الولايات المتحدة وروزفلت يأبى الرئاسة ثانيةً

وقد كثرت في اميركة النكبات كما في جهات اوربّة فسقطت الجسورة عند مرور القواطر الحديديَّة وانفجرت الغازات الملتهبة في المناجم. واعظم من هذا انَّ نهراً كبيراً

وهو نهر كولورادو قد خرج من مسيله ولم يَعُد يصبّ في خليج كاليفورنيا فهو يتحدّر بسيوله الجارفة الى بطائح صارت اليوم بحيرة جديدة

﴿ المكسيك ﴾ قد هدمت الزلازل في نيسان مدينتين من ولاياتها

﴿ الجاپانيك ﴾ أصيبت ايضاً عاصمتها كنفستون بزلزال اودى بحياة الفين من اهلها

﴿ اميركة الوسطى ﴾ انتشبت الحرب بين حكومتي هوندوراس ونيكاراغوا ثمّ انتهت بعقد الصلح بينهما

نصير الحقّ وقدوة الخطباء

وهي خلاصة حياة القديس يوحنا الذهبي الفم

نظم جناب الشماس نعمان البستاني بمدرسة الحكمة ببيروت

متى برزت شمسُ البهاء من الخدرِ ... توارت عن العين الكواكبُ في سترِ
تنحّوا اذاً يا صاغةَ القولِ جانباً ... بدا الكوكبُ الشرقيُّ في نورهِ الدُرّي
فسيروا على متن الخيال وعرّجوا ... بانطاكيا الشمّاء مطلعِ ذا البدرِ
سلوا رسمَ صرحِ العدلِ عمّن بهِ ازدهى ... وأضحت بهِ الارجاء آرجةَ الذكرِ
سلوا عن خطيب ردّدَ الدهرُ صوتهُ ... قروناً لقد أربت على الخمس والعشرِ
سلوا عن صفيّ الله ذاك الذي حمى ... ذمارَ الهدى والعدلِ في السرّ والجهرِ
لقد كان للأيتام حصناً ممنّعاً ... وملجاء ملهوفٍ ومنجعَ ذي ضرّ
وهولَ العُتاةِ الغاشمين وصارماً ... يُعالجُ أرداجَ الحُباةِ بالبترِ
تردّى رداء الشرعِ ثمّ انبرى بهِ ... يبدّدُ شملَ البغي بالمنطق التبري
فسلّ من البرهان عضبَ بلاغةٍ ... بهِ فلّ غربَ الافك والبطل والغدرِ
فذاعت مزاياهُ بشرقٍ ومغربٍ ... وضاعت كنفحِ الروض تبسمُ عن زهرِ
ولمّا رأى الجدّ الزمانيّ ضارباً ... قباباً عليهِ قد تعوّذ من كسرِ
فغادرَ اوطاناً ومجداً ومعشراً ... ومالاً ومالَ القلبُ منه الى الفقرِ

فناجى بتلك البيد مولاهُ مصغياً ... لوحيٍ يُميط الغُمض عن مُبهم السرِّ
فقضى دُجنّات الليالي مسهّدًا ... ومِرقمُ ربّ النور في قلبه يجري
فأذخر كنزًا ليس يفنيه سارقٌ ... تجارتهُ ربحٌ وما فيهِ من خسرِ
ولما ارتدى الوسمَ الشريفَ قد انتضى ... حُسام هُدى واراهُ في أكبدِ الكفرِ
فنادتهُ بيزنطا تروم إغاثةً ... فكان جواب المستغيثة من ضرِّ
فحلَّ شفاءً من فؤادٍ رعيّةٍ ... تُفدّيه بالمهجات والمال والعمرِ
وتاهت دلالًا فيهِ أعوادُ منبرٍ ... تصفّقُ ترحابًا وتمرحُ عن فخرِ
فراشَ نبالَ الحق من جعبة النهى ... واوترَ قوسًا نصلُ أسهمها يفري
وقام على أقدامِ إقدام جهبذٍ ... تدرّع بالتقوى وبالفضل والخبرِ
وهبَّ يُفيض الدُّرَّ من بحر علمهِ ... وما من عجابٍ ان اتى الدرُّ من بحرِ
يُزفُّ لكلٍ من لآلئ لفظهِ ... قلائدَ ارشادٍ على مبتغى النحرِ
فطورًا تراهُ في السحابِ كأنّما ... يُحلّقُ بالمعنى على أجنح النسرِ
وتُلفيهِ حينًا آخذًا بتحذُّرٍ ... ليُدرك قلبَ الشعبِ في لفظهِ الفطري
يرى تارةً باب المجاز ذريعةً ... فيترعهُ ان شامَ تسهيل ذي وعرِ
ويسبك احيانًا عقود تمثُّلٍ ... تؤثّر في نفسٍ وترسخ في الفكرِ
وآونةً يحكي اليمامَ وداعةً ... وطورًا على الطغيانِ ينقضُّ كالصقرِ
فلا بدعَ إذ مولاه اعطاهُ مقلدًا ... يزيل بهِ الاشكالَ من موصدٍ عسرِ
اذا أربدَّ أفقٌ وأدلهمّت مسالك ... يشقُّ لها من فكرهِ ساطعَ الفجرِ
لكم وعظةٍ او خطبةٍ أو مؤلفٍ ... تخلّدها الأعصارُ من انفس الذخرِ
لقد كان للأيمان والحقّ ناصرًا ... فما راعه خصمٌ ولا قادحُ الامرِ
يقولُ ولا يخشى تجهُّم غاشمٍ ... فيغري على فضلٍ وينهي عن النُّكرِ
فعنّف ذاتَ الإثم غير محاذرٍ ... من النفي والأهوال والكيدِ والمكرِ
فردَّ من الوزّات خمسًا بخمسةٍ ... فأوجبه المولى نعيمًا الى الدهرِ

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

الفصل الخامس

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٧٠

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

كانت حالة الاداب العربيَّة في هذا الطور الثالث كحالة الحدَث الذي يدخل في شبابهِ ويشعر بقوَّتهِ فيحوّل افكارهُ الى عالم العلم ومنتدى الآداب وهو الى ذلك الحدّ مشغول البال بشواغل الاحداث لا يجد كبير نفع بامور العقل والابحاث العلميَّة والاتساع في آداب اللغة واساليب الكتابة

امَّا ما امتاز بهِ هذا الطور فانشاء الجرائد في الشرق. والظاهر انَّ اوَّل جريدة ظهرت في الممالك المحروسة انَّما كانت في ازمير انشأها المسيو بلاك (Blacque) سنة ١٨٢٥ ودعاها بريد ازمير (Le Courrier de Smyrne) ثمَّ استدعاهُ جلالة السلطان محمود الثاني الى دار السعادة فانشأ فيها جريدة تركيَّة تُدعى « تقويمي وقائع » لكنهُ مات بعد قليل وانشأ السائح الانكليزي شرشل (Churchill) جريدة اخرى سمَّاها « جريدتي حوادث ». امَّا الصحافة العربية فنشأت اوَّلًا في مصر بطبع « الوقائع المصريَّة » التي صدرت سنة ١٨٢٨ على عهد محمَّد علي باشا فظهرت سنين عديدة . وكان ظهورها ثلاث مرَّات في الاسبوع . ثمَّ توفَّرت الجرائد في الممالك المحروسة حتى ان سالنامة سنة ١٢٦٨ (١٨٥١—١٨٥٢) المطبوعة في دار السلام عدَّت منها ١١ جريدة في استانة العلية و ٥ في ازمير و٤ في مصر (Cfr. Journ. As., 1852b, p. 248) في التركية والفرنسويَّة والارمنيَّة واليونانيَّة والعبرانية والعربية. وجاء في مجلة الهلال (٥: ٣٠٠) انَّ رزق الله حسُّون الحلبي انشأ في دار السعادة جريدة عربيَّة وسمَّاها « مرآة الاحوال » والمعلوم انَّ هذه الجريدة كانت تُطبع في لندن. وخلفتها سنة ١٨٥٧ جريدة السلطنة لمحرّرها اسكندر افندي شلهوب. امَّا سوريَّة فكانت اوَّل جرائدها « حديقة الاخبار » انشأها فقيد الاداب المتوفى في العام الماضي خليل افندي الخوري ظهر اوَّل

اعدادها في غرّة كانون الثاني من السنة ١٨٥٨ ولم تزل في الوجود حتّى وفاة منشئها فانطفأ سراج حياتها معهُ. وفي سنة انشاء حديقة الاخبار ظهرت في مرسيلية جريدة « عطارد » كان يديرها المستشرق كرلتي (Carletti)

وأُنشئت في اثر تلك النشرات عدّة جرائد اخصّها الرائد التونسي. وهي جريدة تونس الرسميّة سنة ١٨٦٠. وفيها في تموز انشأ الشيخ احمد فارس الشدياق في الاستانة جريدة الجوائب فبقيت فيها الى السنة ١٨٨٤. وفي ذلك الوقت ايضاً ظهرت في باريس جريدة البرجيس كان يحرّرها سليمان الحرازي التونسي. وعقبها في دمشق جريدة سوريّة الرسميّة ظهرت سنة ١٨٦٥. ثمّ وليها في مصر جريدة وادي النيل سنة ١٨٦٧

وفي تلك الاثناء شرع المرسلون الاميركيّون في بيروت بتحرير جريدة دينيّة دعوها « النشرة الشهريّة » ثمّ ابدلوها في غرّة السنة ١٨٧٠ بالنشرة الاسبوعيّة. فكان ذلك داعياً لنشر جريدة كاثوليكيّة انشأها الآباء اليسوعيّون في السنة نفسها ودعوها « الجمع الفاتيكاني » ثم عقبها « البشير » في اوائل من تلك السنة وكان اوّلاً على قطع المجلّات ثم طُبع على قطع الجرائد ولم يزل في اتساع وتحسين حتى صار كما هو اليوم. ورأت السنة ١٨٧٠ انشاء جرائد ومجلّات اخرى كالزهرة وكانت جريدة اخباريّة عُني بنشرها الاديب يوسف الشلفون والنحلة للقس لويس صابونجي السرياني وكانت ادبيّة وعلميّة والنجاح وكانت اخباريّة سياسيّة انشأها القس المذكور مع يوسف الشلفون ثم صارت ملكاً للمرحوم رزق الله خضرا بشراكة الطبيب الذكي المطران يوسف الدبس. وفي تلك السنة ذاتها انشأ المعلم بطرس البستاني وابنهُ سليم مجلة الجنان وجريدة الجنّة فصار لها رواج

وممّا امتاز بهِ هذا الطور الثالث ايضاً الجمعيات العلمية في الشرق فعُقدت جمعية آسويّة (انجمن دانش) في دار السلام نُشرت قوانينها واسماء اعضائها في المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. VI, 273-285) وكذلك اخذ العلماء المصريّون يضمّون قواهم لنشر الاداب فبهمّتهم طُبعت في بولاق تآليف معتبرة كالاغاني لابي الفرج الاصفهاني وامثال الميداني واحياء علوم الدين للغزّالي والخطط للمقريزي. ولم تخلُ سوريّة من جمعيّات علمية نفعت الآداب بمنشوراتها الحسنة

امّا المدارس فانّها زادت في هذا الطور ترقياً لاسيما مدارس المرسلين الكاثوليك من ذكور واناث ومدارس الاميركان لاسيّما كليّتهم التي علّموا فيها اللغات والعلوم وكانت

الدروس تُلقى فيها اوّلاً بالعربيّة وطبعوا عدّة كتب مدرسيّة في ضروب العلوم كالطبيعيّات والرياضيّات والهيئة والكيميا والجغرافيا ثمّ اتخذوا للتدريس اللغة الانكليزية لتوفّر اسبابها لديهم

وقد أُنشئت في هذا الطور مدارس جديدة اخصّها المكتب العسكري الذي ترقّى بهمّة اصحابه ونال الشهرة في انحاء سوريّة . والمدرسة الوطنيّة التي فتحها بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ في بيروت فجارت في تعاليمها بقيّة مدارس المدينة بمساعي منشئها وولده سليم . وفي السنة ١٨٦٥ انشأ الروم الارثدكس مدرسة الثلاثة الاقمار على طرز المدرسة الوطنيّة . وفي اواخر تلك السنة وضع الطيب الذكر غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك اساسات المدرسة البطريركيّة فذاعت شهرتها واقبل اليها الطلبة من الشام ومصر وقبرس وتخرّج فيها كثيرون من الادباء فنبغوا في المعارف والآداب العربيّة . ولم يلبث السيّد البطريرك ان فتح ايضاً في عين تراز مدرسة اكليركيّة لتهذيب طلبة الكهنوت . ومن المدارس المارونيّة المنشأة في ذلك الوقت مدرستان في عرمون انشأ الواحدة همّام مراد سنة ١٨٦٥ وعُرفت بمدرسة مار نيقولا العريمة والاخرى مدرسة المحبة جدّدها الخوري ميخائيل سباط سنة ١٨٦٧

امّا المطابع فانّها في مدّة العشرين سنةً اصدرت عدداً لا يُحصى من المطبوعات في كل الفنون سواء كان في سوريّة او في مصر والهند . وقد ذكرنا تاريخ معظم هذه المطابع في الشرق وممّا استجدّ من المطابع في هذا الزمان في بيروت المطبعة السوريّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ وقد وصفنا تاريخها وقائمة مطبوعاتها في المشرق (٣ : ٩٩٨) وفي السنة التالية احدث الدكتور ابراهيم النجار مطبعةً عُرفت بعد ذلك بالمطبعة الشرقيّة (المشرق ٣ : ١٠٣٢) . وبعدها بثلاث سنوات نال يوسف الشلفون الرخصة بفتح مطبعة دعاها المطبعة العمومية (المشرق ٣ : ٩٩٩) فنشر فيها عدّة كتب ونشرات وجرائد . ثمّ ظهرت المطبعة الخاصيّة سنة ١٨٦٥ فخدمت الآداب العربيّة نحو ثماني سنوات (المشرق ٣ : ١٠٣٢) وفي السنة نفسها كانت المطبعة السريانيّة التي نُقلت ادواتها بعد قليل الى الشرفة (المشرق ٤ : ٨٩) وكذلك ظهرت وتشذّرت المطبعة الوطنية لجرجس شاهين (المشرق ٤ : ٨٦) . ثمّ انشأ جناب الاديب الفاضل خليل افندي سركيس مطبعة المعارف سنة ١٨٦٧ شركةً مع المعلم بطرس البستاني الى

سنة ١٨٧٤ حيث انشاء المطبعة الادبية. وكان آخر ما انشئ من المطابع في هذا الزمان سنة ١٨٦٩ المطبعة اللبنانية لحنا جرجس الفرزوزي (المشرق ٤: ٨٦ — ٨٧) ومطبعة الجمعية الارثذكسية لجرجس يزبك التي لم تطل مدّتها ولم تتجاوز مطبوعاتها ثلاثة او اربعة كتب دينيّة

وفي هذا الطور نفسه انتشر فنّ الطباعة العربيّة في لبنان وكان قبلها منحصراً في مطبعة مار يوحنّا الصابغ في الشوير امّا مطبعة قزحيا فكانت حروفها سريانيّة واوّل مطابع لبنان في هذا العهد مطبعة بيت الدين كان الساعي بادارتها حنّا بك لسمد الصعب باشر اوّلاً سنة ١٨٥٣ ببعض المطبوعات الحجريّة ثمّ طبع على الحروف سنة ١٨٦٢. ثم ندب المرحوم داود باشا يوسف الشلفون لانشاء مطبعة لتصرفيّة لبنان فأنشئت المطبعة اللبنانيّة سنة ١٨٦٣ تولى تدبيرها ملحم النجّار ثمّ نقلها الى دير القمر سنة ١٨٦٩. وفي المطبعة اللبنانيّة طبعت جريدة لبنان الرسميّة كان يحرّرها حبيب افندي خالد (المشرق ٤: ٤٧٣)

ثمّ ظهرت مطبعة دير طاميش سنة ١٨٥٨ فوق وادي نهر الكلب (المشرق ٤: ٤٧٣) فاشتغلت عشر سنوات. وأنشأ المرحوم رومانوس يمين سنة ١٨٥٩ مطبعة اهدن فشاركهُ في العمل الخوري يوسف الدبس (المشرق ٤: ٤٧٣)

امّا الجهات فظهرت فيها ايضاً مطابع اخرى فانشأ المرحوم حنّا الدوماني سنة ١٨٥٥ في دمشق مطبعة انتقلت بعد ذلك بالشراء الى حنّا الحدّاد ثمّ الى محمّد افندي الحنفي. ثمّ جليت ولاية سوريّة الجليلة سنة ١٨٦٤ مطبعةً نشرت فيها جريدتها الرسميّة «سوريّة» مع عدّة مطبوعات اخرى (المشرق ٤: ٨٧٩) — وانشئت في الموصل سنة ١٨٥٦ مطبعة جليلة بادارة حضرة الاباء الدومنيكان فأدت للدين والعلم والآداب خدماً متعدّدة ولم تزل حتى اليوم جارية على خطّتها (المشرق ٥: ٤٢٢). وفيها انشئت ايضاً المطبعة الكلدانيّة بهمّة احد ابنائها الشمّاس رافائيل مازجيّ سنة ١٨٦٣ (المشرق ٥: ٨٤٠) — وظهرت في كربلاء مطبعة حجريّة سنة ١٨٥٦ طُبعت فيها مقامات الشيخ محمود الالوسي (المشرق ٥: ٨٤٣) ثمّ استحضر الميرزا عبّاس مطبعةً اخرى حجريّة في بغداد فعُرفت بمطبعة كامل التبريزي وطبعت العلوم ببعض المنشورات نحو خمس سنوات (المشرق ٥: ٨٤٣ — ٨٤٤). ثمّ بطلت تلك المطبعة بظهور مطبعة ولاية بغداد سنة

١٨٦٩ فأصدرت جريدة الولاية ومطبوعات غيرها (المشرق ٥: ٨٤٣) — وكذلك حلب فانَّ فنَّ الطباعة تجدَّد فيها في اواسط القرن التاسع عشر. وكان اوَّلاً احد الفرنج المدعو بلقنطي السردينيّ نشر بعض المطبوعات الحجريَّة في الشهباء. منها ديوان الفارض سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) وكتاب المزامير. ثمَّ اهتمَّ الطيّب الاثر المطران يوسف مطر بانشاء مطبعة على الحروف فطُبع فيها منذ السنة ١٨٥٧ الى يومنا نحو ٥٠ كتاباً بين كبير وصغير (المشرق ٣: ٣٥٧—٣٥٨)

أمّا اوربَّة فكانت فيها الدروس الشرقيَّة لاسيما اللغات الساميَّة على خطّتها الشريفة. وكان عدد وافر من تلامذة دي ساسي قد انتشروا في اقطار شتى فبثوا الهمم لدرس آثار الشرق ولغاته واحياء دفائنه فعُقدت جمعيَّات جديدة وأُنشئت المدارس وتوفَّرت المطبوعات والخزائن الكتبيَّة. وكانت فرنسة في مقدَّمة الدول لما كان بينها واقطار الشرق من العلائق والمعاملات وخصوصاً بلاد الجزائر

وممَّا ساعد على توفير اسباب الترقي للآداب العربيَّة في هذا الطور الثالث بين نصارى الشرق خاصَّة بطاركة اجلَّاء محبُّون للعلوم وساعون في تنشيطها بين مرؤوسيهم. فكان يسوس طائفة الروم الكاثوليك الملكيين السيّد الفضال مكسيموس مظلوم الذي مع وفرة اشغاله في تدبير بنيه ابقى لهم من تآليفه او ترجمته نيّفاً وخمسين كتاباً طُبع نحو نصفها في بيروت ورومية والاستانة ومصر وهي في كل ضروب العلوم من لاهوت نظري وادبي وجدل واخبار قديسين وعبادة وطقوس وتاريخ وجغرافية وصرف ونحو وطبيعيَّات. فكان مثال جدٍّ ونشاط لم تخمد همّتهُ الَّا مع خمود انفاسهِ في ١٠ آب سنة ١٨٥٥

وقام على الطائفة المارونيَّة غبطة البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٤ وكان من البارعين في معرفة الانساب والتاريخ الشرقيّ والحقّ القانوني خلَّف من كلّ هذه العلوم آثاراً حسنة

وفي هذه الغضون كان على السريان الكاثوليك البطريرك اغناطيوس بطرس جروه وقد ذكرنا في المشرق (٩: ٦٩٧) ما لهُ من المآثر العلميَّة. ولمَّا دعاهُ الله الى دار الخلود في سنة ١٨٥١ خلفهُ ذلك الرجل الفضال الكثير المبرَّات اغناطيوس انطون السمحيري (١٨٥٣—١٨٦٤) الذي عُني بتهذيب اكليروس طائفتهِ في مدرسة الشرفة وفي

مدرسة غزير ومدرسة البروباغندا في رومية العظمى فخرج من هذه المدرسة رجال افاضل سنذكرهم في تاريخ وفاتهم

أما الارمن الكاثوليك فكان يدبرهم البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن منذ السنة ١٨٤٣ فما كان لينسى تعزيز الآداب في طائفته فاهتمّ في انماء مدرسة بزمّار وتنظيم كهنتها على قوانين خصوصيّة كما انّهُ ارسل الى غزير بعض بني جنسهِ فانجزوا فيها دروسهم ثمّ اشتهروا في خدمة النفوس ولهم تآليف دينيّة. ثمّ قام بتدبير الطائفة الارمنية السيّد انطون حسّون سنة ١٨٦٦ وكان من رجال الفضل والعلم فجرى على مثال سلفهِ في نشر الآداب بين أبناء امّتهِ

وكذلك الكلدان فانّ بطريركهم يوسف اودو (١٨٤٨ — ١٨٧٨) سعى في انماء الآداب في ملّتهِ. وهو الذي انشأ لابناء طائفتهِ مدرسة اكليركيّة في الموصل وارسل احداثاً منهم الى مدارس اخرى فنجحوا

وقد عُرفت الرسالة الاميركيّة في هذا العهد بنشاط عظيم اشتهر بينها الدكتور عالي سميث والدكتور طمسن والدكتور فان ديك فانكبّوا على درس اللغة العربية حتّى اتقنوها. وكان من اثار اجتهادهم ترجمة الكتاب المقدّس باشر فيها سنة ١٨٤٩ الدكتور سميث بمعاونة المعلم بطرس البستاني فعرّب قسماً من كتب موسى ثمّ توفي سنة ١٨٥٧ فقام بتعريبها من بعدهِ الدكتور فان ديك ولم يزل يفرغ في انجاز العمل كتابة جهده حتى انتهى منهُ سنة ١٨٦٤ بمساعدة الشيخ ناصيف اليازجي. ثم طُبع الكتاب سنة ١٨٦٧. ولم تُثبت فيهِ الاسفار المعروفة بالقانونيّة الثانويّة. وصار لهذه الترجمة رواج كبير حتى اتت من بعدها ترجمة الاباء اليسوعيين بمساعدة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ فكانت اضبط نقلاً واشمل موضوعاً وابلغ لساناً واجود طبعاً

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Felix Rosen : Eine deutsche Gesandtschaft in Abessinien. *Veit, Leipzig*, 1907, in-8°, XII-490.

بعثة المانيّة الى بلاد الحبشة

ليست غاية هذا الكتاب وصف الحبشة وتعريف مجمل احوالها وانما المقصود منهُ ذكر رحلةٍ باشرتها بعثة علميّة وسياسيّة معاً وتفاصيل اخبارها في مسيرها وما حدث لها في طريقها. ومؤلف الكتاب كان احد اعضاء هذه الرحلة فلم يصف شيئاً الّا عاينهُ. وكانت طريق هذه البعثة على حواضر الحبشة من جيبوتي الى هرار فأديس ابابا فدبرا مرقس فكوراتو فقندهار فاكوم فعدوى فاسمارو فصوع وزاروا من اقاليمها هرار والشوا وكدجام ودامات والحرة وتغراي والبلاد المتاخمة لبحر قلزم. وقد دخلت البعثة المذكورة تلك الاصقاع كلها فرقبت حيوانها ونباتها واحوال جوّها وعادات اهلها في دينهم ودنياهم وسياستهم وتجارتهم الى غير ذلك ممّا يتوق الى معرفتهِ الاوربيّون ورسموا الصور العديدة فاستفاد من كل ذلك صاحب الكتاب ودوّن خلاصتهُ في تأليفهِ ريثما تُنشر الاشياء بالتفصيل في مجلّدات عديدة يقتبس من انوارها العلماء. ونتمنّى أن يطلعنا قريباً الدكتور فلامنغ (Dr Flemming) على المخطوطات التي عثر عليها في هذه الرحلة واليوم نشكر المسيو روزن الذي سبق فعرّفنا اجمالاً بنتائج البعثة الاب م. شان

A. CRICHTON : Ethiopic Grammar by August Dillmann, 2^d ed. enlarged and improved by Carl Bezold. *London. Williams and Norgate*, 1907, 8°, XXX-581 pages.

اصول اللغة الحبشيّة

ليس في اللغة الحبشيّة غراماطيق اوسع واضبط من تأليف المستشرق اوغست ديلمان في الالمانيّة. فقصد الاديب الانكليزي كرشتون ان يفيد بهِ اهل وطنه كما افادهم بترجمة غراماطيق العلّامة تلدكه الالمانيّ في اللغة السريانيّة. ولم يكتفِ المسيو كرشتون بترجمة بسيطة موافقة للاصل بل زاد عليها فوائد متعدّدة فمن ذلك انّهُ صدّر كلّ فصل بعنوانهِ زيادةً للايضاح ثمّ وفّر الامثلة بعد كل قاعدة وذيّل الكتاب بملحوظات جديدة تؤيد اقوال ديلمان او تصلح بعض آرائهِ. ومن فضلهِ ايضاً انّهُ اشار الى كل المطبوعات

الحديثة التي نُشرت بعد تأليف ديلمان تنويهاً بمضامينها . وكان المنشط على هذا العمل المسيو كرل بتسولد احد أعلام المستشرقين في زماننا وهو يؤمل — وكذلك نشاركهُ في املهِ — بانَّ هذا التأليف الجديد سوف يوسّع نطاق الدروس الحبشيَّة ويقرّب فوائدها ليس فقط من الطلبة الانكليز لكن من كل محبي اللغات الشرقية م . ش .

G. RIVIÈRE : La Terre des Pharaons. *Paris, Schleicher*, 1907, 8°. *Prix* 3f.50.

ارض الفراعنة

نسي صاحب هذا الكاتب ان يعرض لقرّائهِ الغاية التي قصدها من وضع تأليفهِ . وما تحقّقناه بعد المطالعة انَّ العلم لم يكن اليهِ في حاجة ماسَّة . نعم انَّهُ لا يخلو من معلومات عديدة موافقة للتاريخ لكنَّها كلّها معروفة من التآليف السابقة . وقد بخس هذه الامور شيئاً من حقّها اذ خلط فيها مذاهبهُ الوهمية غير المستندة الى الحقائق الوضعيَّة . كنا دليلاً على قولنا انَّهُ جعل منشأ الدين النصرانيّ في ارض الفراعنة لا في اليهوديَّة . وكذلك قد اكتشف اكتشافاً آخر هو في الغرابة بمكان فقد زعم انَّ الاسفار المقدَّسة ليست هي سوى مقتطفات من خزائن كتب الاسكندريَّة ومنف على يد بعض الربّانيين . فترى من هذه الآراء العجيبة ما يستحقُّهُ الكتاب من الاعتبار

م . ش

R. Hartmann: Die geographischen Nachrichten über Palaestina und Syrien in Halil az-Zâhiris زبدة كشف الممالك . Dissert. 1907.

جغرافية فلسطين والشام في كتاب زبدة كشف الممالك

ازهر غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ في القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للمسيح . ولهُ كتاب مفيد في وصف الممالك الاسلاميـة وقد اتّسع خصوصاً في وصف بلاد الشام وفلسطين التي كان لسترطنها مدَّةً . وممَّا اخبرهُ انَّ اباهُ شاهين كان رمّم قبر راحيل على طريق بيت لحم . والعلماء اشاروا غير مرَّة الى تأليفهِ حتى نشرهُ بالطبع سنة ١٨٩٤ الفرنسوي راثاس (Ravaisse) الّا انَّ في هذه الطبعة اغلاطاً كانت تشوّهُ فاراد المسيو هرتمان احد تلامذة العلّامة سيبولد الذي قضى زمناً في مكتب الآثار القديمة الالماني في القدس الشريف أن يُصلح تلك الاغلاط فخصَّ بنقدهِ القسم

المختص بالشام عموماً (١ والقدس خصوصاً اولاً بمقابلة الطبعة الباريسية بنسختي اوكسفرد وبرلين الخطيتين ثمَّ ثانياً بدرس تاريخ وآثار اورشليم على عهد الظاهري فجمع عدة ملحوظات مفيدة واصطلاحات مهمة نشرها في هذا التأليف. وقد وجدنا انهُ مُصيب في معظمها وانهُ لم يدخر وسعهُ في مراجعة كلّ التآليف المساعدة لهُ في العمل ليس الالمانية فقط بل الفرنسوية ايضاً كمجموع الآثار الشرقية للمسيو كارمون غانو. وكذلك بحث في جغرافيي العرب لعلهُ يقف على ما نقلهُ الظاهري عن الكتبة الاقدمين فاستدلّ على مواردهِ لكنهُ لم يمكنهُ الاطلاع على كتاب اوسع صنّفهُ الظاهري ودعاهُ كشف المالك وهو الذي لخصهُ بكتاب زبدة كشف المالك. فنمحض الشكر لمؤلف هذا الكتاب ونتمنى لتأليفهِ رواجاً س. ر

G. MASPERO: L'Archéologie égyptienne. Nouvelle édition entièrement refondue. [BIBLIOTH. DE L'ENSEIGNEMENT DES BEAUX-ARTS]. *Paris, Picard et Kaan*, 1907. 8° 336 *pp.* et 330 *fig. et photographies.*

الآثار القديمة المصرية

كان ظهور هذا الكتاب مرّةً اولى قبل عشرين سنة فانتشر بسرعة غريبة لشهرة كاتبهِ المسيو مسبيرو الاثريّ الفرنسويّ الذي وُلّي اليوم ثانيةً ادارة شؤون العاديات المصرية. وقد كُرّر طبعهُ غير مرّة ليس فقط في الفرنسوية لكنّ في الانكليزية ايضاً حتى بلغ فيها طبعتهُ الخامسة السنة ١٩٠٢. وكان المؤلف في طبعاتهِ الفرنسوية السابقة لا يكاد يُصلح فيهِ الّا النزر القليل وقد رأى اليوم انهُ لا بُدّ لهُ من اعادة النظر فيهِ واصلاحهِ بالتمام وفقاً للاكتشافات المتعددة التي ابرزت الى الوجود عالماً مجهولاً كان قبلاً مدفوناً في اعماق الارض. وهذه الطبعة الجديدة قد اثبت منذ زمن قريب فتصفّحناها لمعرفة خواصها فوجدنا فيها تحسينات عديدة. نعم انّ المؤلف لم يغيّر هيئة كتابهِ وتقاسيمهُ القديمة الّا انهُ قد دقق النظر في كل صفحة من صفحاتهِ فأصلح وصحّح وهذّب وحسّن وقد اختار من التصاوير ادقّها واحدثها. وممّا استغربناهُ انهُ لم يثبت اكتشافات عديدة اتّسمت فيها المجلات والجرائد وكذلك لم يغير رأيهُ في الاهرام والمقصود من بنائها.

١) وكان العلامة روزنمولر نقل هذا القسم الى اللاتينية (Rosenmüller: *Analecta arabica*, III, 1828).

ولعلّ المسيو مسبيرو مع علمهِ الواسع بالعاديّات المصريّة والاكتشافات الحديثة لم يرَ الوقت مناسباً لتدوين محصولات العلم ريثما تخمد اقوال العلماء المتناقضة وتتّضح الامور المبهمة باكتشافات أُخرى تزيل الغموض وتثبت الحقّ . وما لا ريب فيهِ انّ المؤلف الفاضل ضرب صفحاً عن آثار عديدة لانهُ لم يقصد من كتابهِ خلاصةً تشمل كل تاريخ الآثار المصرية كما فعل سبيغلبرغ (Spiegelberg: *Gesch. d. aegyp. Kunst*) بل نرى وصفاً لأهم تلك الآثار الصناعية وأخطرها ليقف عليها محبُّو الفنون الجميلة والعاديّات المصريّة وعلى كلّ حال ستفوز هذه الطبعة الجديدة برواج اعظم من الطبعات السابقة س . ر

AL-BATTANI sive ALBATENII OPUS ASTRONOMICUM. Pars secunda. Versio Tabularum omnium cum Animadversionibus, Glossario, Indicibus a Carolo Alphonso Nallino, *Mediolani, Hoepli*, 1907, XXI-413.

كتاب الزيج الصابئ . الجزء الثاني

أطرينا مرّتين (المشرق ٣ : ٧١٧ و٦ : ١٠٠٤) على خواص هذا الكتاب وعلى محامد صاحبهِ ابي عبد الله محمّد بن سنان بن جابر الحرّانيّ المعروف بالبتّانيّ من علماء الصابئة في القرن العاشر كما أنّنا بيّنّا ما للعلامة الايطالي المستشرق كرل نلّينو من الفضل بطبع هذا السفر الجليل الذي لم يكن يُعرف منهُ سابقاً الّا ترجمة لاتينيّة قديمة سقيمة فطبع لاوّل مرّة في رومية العظمى اصلهُ العربي ثمّ اتبعهُ بعد سنتين بترجمة لاتينية جديدة وكان بقي عليهِ ان يتمّهُ بكتاب ثالث يودعهُ ملحوظات شتى وهو القسم الذي وصل الى يدنا منذ عهد قريب فقلّبناه لاستطلاع فوائده فاذا هو اهل بالتسمين السابقين لا بل يستوجب شكراً اعظم لما يستدعيهِ من النظر الدقيق والابحاث الرياضية الشاقّة المملّة . فننقل الى اللاتينيّة اوّلاً الجداول العديدة التي اضافها البتّاني الى زيجهِ الصابئ منها جداول تاريخية وجداول جغرافية وجداول حساب مساحة المثلثات وجداول الهيئة الكرويّة وجداول حركات الشمس والقمر وكسوفها واختلاف منظرها في الطول والعرض وجداول تعديل السيارات وعروضها وجداول الكواكب واوضاعها . ثمّ عقّبها بحواشي واصطلاحات على النسخة الاصلية وهو شغل شاغل لا يعرفهُ الّا الذي عُني به مع كثرة ما يقع من الاغلاط النسخية التي تشوّه المعنى لاسيما في حساب الجمل اذ تتغيّر

الاقدار بتغيير الحروف. فراجع المسيو نلينو تلك الجداول وبعد ان طبعها كما وجدها في الاصل الحقها بجداول صحيحة كما استنتجها بالحسابات المضبوطة. وزاد على ذلك معجماً للالفاظ الفلكيَّة التي وردت في كتاب البتَّاني مع شرحها وافادات على صحَّة معانيها. فلا يسعنا بعد هذا الوصف الّا ان نكرّر شكرنا للمسيو نلينو وتحريضنا لمحبي العلوم العربية بان يغنوا مكاتبهم بهذا الكنز الفريد الاب م. كولنجت

CAIRO, JERUSALEM, DAMASCUS. Three chief cities of the Egyptian Sultans, by D. S. Margoliouth, with illustrations in colour by W. S. S. Tyrwhitt and additional plates by Reg. Barratt. *London*, *Chatto*, 1907, gr. 8°, 301 pp.

مصر القاهرة — القدس الشريف — دمشق الفيحاء

هو كتاب جليل بل طرفةٌ من طرف صناعتي الطبع والتصوير اهدانا اياهُ الطبَّاع تشاتو بوساطة المؤلف الدكتور مرغوليوث احد ائمة المستشرقين الذين شهدت مجلّتنا غير مرَّة على معرفتهم الواسعة وتآليفهم النفيسة. وهذا الاثر الجديد عملٌ صناعيٌ وادبيٌ فمن حيث الصناعة قد استوفى محاسنهُ انكليزيَّان بارعان بالتصوير وهما المسيو تيروت وبرَّات فاودعاهُ ٦١ صورة منها اربعة اشكال رسمية و٥٧ تصويرًا بالالوان الزاهية الناصعة تمثل ٣٧ منظرًا من مناظر مصر وآثارها و٦ من مشاهد القدس الشريف و١٤ من محاسن دمشق. وكلها مناظر رائعة تأخذ بالابصار ويكاد يحيا بها الجماد. امَّا العمل الادبيّ فهو للدكتور مرغوليوث الذي يصف تلك الاثار المصوَّرة وصفًا مدقَّقًا بقلم يسيلُ رقَّة وانسجامًا. وهذا الكتاب قد جعلهُ الدكتور مرغوليوث كتحفة اهداها صاحبة الفضل كريمة مصطفى فضل باشا. امَّا الطبع والتجليد فهما كما يليق بكتاب كهذا الذي هو من جملة مطبوعات اخرى شبيهة به في خواصّ الطبع والتصاوير ومن شأنهِ أن يأسر قلوب الاوربيين بمحاسن الشرق ويزيد الشرقيين اعتبارًا لمسقط رأسهم س. ر

D. Bernard Maréchaux: Les Litanies du St Nom de Jésus. *Paris*, *Beauchesne*, 1907, in-30, pp, 171.

طلبة اسم يسوع

قال الكتاب عن اسم يسوع (اعمال ٤: ١٢): «ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحًا للناس به ينبغي ان نخلص» وقال القديس بولس (في ٢: ٩). «وهب الله (السيد)

المسيح) اسماً يفوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ». فلمّا عرف المسيحيون شرف هذا الاسم وقوّته التجأوا اليه ودعوه في كل حاجاتهم. ومما وُضع لذلك ابتهالات تُعرف بطلبة اسم يسوع يتلوها اهل التُقى فيربحون الغفرانات الممنوحة لتاليها. فهذه الطلبة قد وضع عليها الاب البندكتي ماريشو شروحاً وارشادات خشوعية تصلح للنفوس التقوية فنوصي بكتابه محبي الكتب الدينية ل. ش

Dr WILHELM LERMANN: **Altgriechische Plastik,** Eine Einführung in die griechische Kunst des archaischen u. gebundenen Stils, mit 80 Textbildern u. 20 farbigen Tafeln. in-4°, *München* 1907, *Beck'sche Verlagsbuchhandlung.*

صناعة النقش عند قدماء اليونان

بلغت النقاشة اليونانية القديمة مبلغاً من الدقّة والحسن لم يبلغها احد من الشعوب بعدهم. فيحتاج كلُّ من يريد التعمّق في هذه الصناعة ان يدرسها متمعناً في آثارهم التي ابقوها من بعدهم. على انّ هذه الآثار قد توفّرت منذ خمسين سنة بالحفريات المتعدّدة التي أجراها ارباب الفحص فصار محبو الفنون الجميلة في حاجة الى كتاب يشمل هذه الآثار الجديدة ويبني عليها قوانين فنّ النقاشة. وهذا ما توخّاهُ صاحب الكتاب الذي نحن في صدده المسيو لرمان لاهل وطنه الالمانيين فانّهُ دقّق النظر في كل نقوش اليونان واستخلص من درسها القوانين التي كان القدماء يحفظونها في رسومهم ونقوشهم وبذلك صحّح عدّة آراء كان الالمان يذهبون اليها مستندين الى احد علمائهم الذين برزوا قبل ١٥٠ سنة في هذا الفنّ وهو العلامة ڤيكلمان (J. J. Wickelmann) وكان بعض المحدثين كبرون (Brunn) وفرتڤنكلر (Furtwaengler) ولانج (Lange) قد اصلحوا شيئاً من اوهام ڤيكلمان بدرس الآثار الّا انّ الدكتور لرمان قد جدّد هذا العلم بابحاثه ووضع له قوانين راهنة استمدّها من فحص الآثار وخصوصاً آثار قلعة اثينا. وأيّد تعاليمهُ هذه بنحو ٨٠ تصويراً رسمها في كتابه بياناً لمقصوده كما فعل في فرنسة العالمان لوشا (Lechat) وبيرو (Perrot) وله فوق ذلك فضل آخر وهو انهُ ضمّن كتابهُ ٣٠ صورة من ابدع النقوش اليونانية الملوّنة التي وجدها في المتاحف وبهذا حفظ صورتها الاصلية قبل فقدها لأنّ الالوان كما لا يخفى تبور بعد مدّة بفعل النور د. م

Hi LEROY. S. J.: Jésus - Christ, sa vie, son temps. Leçons d'Ecriture Sainte prêchées au Gesù de Paris et de Bruxelles. Année 1907. *Beauchesne* 1907, in-12, 360 pp.

مجموع خطب على الكتاب المقدَّس

انَّ حضرة الاب لوروا اليسوعي الذي نزل ضيفاً في كليتنا قبل بضع سنوات من الوعَّاظ المعدودين. وقد شرع منذ السنة ١٨٩٤ في عاصمتي فرنسة وبلجكة يخطب على طريقة قدماء الآباء كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس كرلُّس الاسكندري يضمّنها شروحاً على الاسفار المقدَّسة فيعلّم ويرشد معاً وكانت الجموع تزدحم حول منبره لاستماع هذه المياصر التي بلغ عدد مجلداتها ١٣ كتاباً تجد فيها موادّ لا تُحصى من اعمال وامثال واقوال العهدين القديم والجديد شرحها شرحاً مستوفياً خطابياً من شأنه تنوير الالباب وتحريك العواطف. وربَّما اختار حضرة الواعظ الابحاث الدينيـة العصريَّة التي يتداولها ارباب القلم فمن ذلك المجلد الاخير من عظاته الذي بلغنا مؤخرًا فهو يحتوي على خطب في حقوق الكنيسة والحكومة وفي الاضاليل العصريَّة وفي سلطة الكنيسة لتحديد القضايا التعليميَّة الى غير ذلك من المواضيع التي خطب فيها في العام الماضي ١٩٠٧ . فكفى بوصف هذه المواعظ المستطرفة تنويهاً بفائدتها ليس في فرنسة فقط بل في بلادنا ايضاً حيث اخذت تسري بيننا تلك الاضاليل فيحتاج الكهنة الى تفنيدهـا وهذه الخطب من افضل الموارد التي يمكنهم الاستـداد منها لمنفعة العموم ل.ش

شذرات

الكليَّة الغريغوريَّة هذه الكلية يديرهـا الآباء اليسوعيُّون في رومية يرتقي اصلهـا الى ايَّام غريغوريوس الثالث عشر الذي انشأها وسلَّم ادارتها الى الرهبنة اليسوعيَّة. ولما دخل الايطاليُّون الى رومية ضبطوا المدرسة فانتقل المعلمون الى المدرسة الجرمانيَّة القديمة وأُصيبت المدرسـة ببعض التأخر الَّا انَّ تعليمها لم يزل يزيد شهرةً حتَّى اضحت اليوم من اكبر المدارس الكاثوليكية وارقاها فضلًا واكثرها عددًا مع انَّهُ هناك لا تُلقى غير الدروس العليا من لاهوت وفلسفة وآداب خاصَّة وشرح الاسفار المقدَّسة. وقد وقفنا على لائحة المدرسة في آخر العام الماضي واذا طلبتها يبلغون ١٠٥٠

عدًّا من كل بلاد العالم الكاثوليكي والجمعيات الرهبانية وكثيرًا ما صرَّح الاحبار الرومانيون بسامي رضاهم عن تلك الكلية وتعاليمها . وقد خرج منها العدد العديد من البابوات والكرادلة والاساقفة الذي كانوا منذ ٣٠٠ سنة فخرًا للكنيسة وسندًا لكل الاعمال العظيمة

❊ قِدَم الانسان في اميركة ❊ وجد العلماء في نبرسكا وسكنسين من اعمال اميركة عدَّة رفات من البشر الاقدمين الذين سكنوا اميركة وكانت هذه الجثث في اعماق الارض وطبقاتها السفلى التي يقدِّر علماء الجيولوجية ارتقاءها الى خمسة آلاف سنة قبل المسيح وقد صوَّروا كثيرًا من هذه الرفات التي لا تخالف الهياكل البشريَّة في يومنا شيئًا . امَّا دخول هؤلاء الناس الى اميركة فيقدِّرون انهُ حصل من شمالها في الطور الجليديّ اذ كان بنو آدم يستطيعون ان يدخلوا اليها مجتازين على الجليد من آسية

❊ فسيفساء بره جيك ❊ بره جيك وهي البيرة مدينة على الفرات عندها يقطع النهر المسافرُ الى جهات الرها وديار بكر فهناك وُجد حديثًا اثر جليل يرتقي الى عهد الرومان صُنع في القرن الثالث المسيح وذلك فسيفساء بديعة تمثِّل قيصر الرومان جالسًا على عرشهِ في هيئة الملك يحيط بهِ اثنا عشر اقليمًا من اقاليم رومية على شكل تصاوير رمزيَّة ومن جملتها اقليم غاليا وُجد لاوَّل مرَّة مصوَّرًا على شكل امرأة جليلة على رأسها تاج تزينهُ البروج كما يمثلون الالهة سيال . وهذه الفسيفساء قد نُقلت الى متاحف اوربا يُعرف منها اليوم ٢٧ قطعة في برلين ورومية وبطرسبرج ودرسد

❊ مجلة المشرق والدين ❊ نقلنا في المشرق (١٠ : ٨٦٢) نبذة من خطاب ألقاه جلالة الامبراطور غليوم اطرأ فيهِ روح الدين الى ان قال « لا شيء ادعى الى الالفة والوئام والجمع لتوطيد دعائم الوفق والمحبَّة بين عموم الطبقات من التدرُّع بالدين والتمسُّك باهدابهِ » فرأت مجلة اميركيَّة عُرفت بتبادئها السقيمة ان توجه سهام الملام الى مجلَّتنا لقولنا بان هذا الكلام الجدير بالاعتبار ينفي رأي الذين يدَّعون « ان تقويض اركان الكنيسة وغسل الهيئة الاجتماعية من كل صبغة دينيَّة من اسباب الارتقاء العصريّ » . ثمَّ اخذ صاحبها يانًا لحجَّتهِ يؤيد قولنا ويدعمهُ باوضح برهان من حيث لا يدري فقال « ان الدين يجب ان يُحصَر في المنازل والكنائس ولا يُعلَّم في المدارس لانهُ يملأ الاذهان بالتصوُّرات والخيالات » ثمَّ اردف قولهُ « بانَّ الامبراطور لا يعني وجوب

اتصال الدين بالحكومة ». حتى اتمّ ذلك بقوله انّ الامبراطور رئيس دينيّ ومدني في بلادهِ فلا يصحّ ان يُتّخذ رآيهُ حجّة يُحتجّ بها . . » لانهُ لتوطيد عرشهِ « لم يجد خيرًا من الدين آلة ووسيلة . . . منعًا للشعب ان يميل الى مبادئ حقوق الانسان » فيا لهُ من فيلسوف ضليع بالمبادئ الفلسفية يريد الاحتجاج علينا وفي لفظهِ مناقضة تريد كلامنا حجّة . فيا ليت شعري ان كان الدين كما قال الامبراطور « ادعى الامور الى الألفة والوئام والجمها الى توطيد دعائم الوفق والمحبة فكيف يُحصر الدين في المنزل والمعابد كما يريد هذا الكاتب التحرير ويُنزع من المدارس كأنّ الاحداث والصغار لا يتربّون في المدارس كما يتربّون في المنازل والمعابد وكأنّ العلم الدينيّ لا يُعد من العلوم الاجتماعية كبقية العلوم . واقبح من هذا قولهُ بأنّ الامبراطور لا يعني « وجوب اتصال الدين بالحكومة » وكلامهُ يشمل كلّ شعبهِ ولا يقوم الشعب بلا حكومة . وبلغ الغاية في التناقض حيث قال انّ الامبراطور « لم يجد خيرًا من الدين لتوطيد عرشهِ وان مصلحة عرشهِ وكل عرش مرتبطة ارتباطًا اصليًا بالدين » لعمري اليس هذا هو نفس قولنا . فان كان كلّ عرش مرتبطًا بالدين أفلا ينتج ايضًا من ذلك صحّة قولنا بوجوب اتصال الدين بالحكومة . فيرى كل ذي عقل انّ المشرق « لم يصارع الهواء » كما قالت تلك المجلة وكفى بأقوالها دليلًا على انّنا اصبنا الرمى ولم يبقَ السهم طائشًا

سرعة الحركة في الثانية قد حسب احد الرياضيين حركة المتحركات فوضع لها جدولًا نقتطف منهُ الافادات الآتية . يقطع الماشي اذا مشى مشيًا منظّمًا مترًا في الثانية بمعدّل ٣٦٠٠ متر في الساعة . ويقطع الراكض المسرع ٥ امتار في الثانية . والفارس في شوطهِ ٦ امتار . والريح اللينة ٧ امتار . وقطار السكّة الحديديّة لنقل البضائع ١٢ مترًا . والسفينة التجاريّة ١٣ م . والدرّاجة السريعة ١٥ م ونصف . وحمام الزاجل ٢٢ م . والريح الشديدة ٢٤ م . والاوتوموبيل السريع ٢٨ م . والقطار الجدّ في السرعة (الاكسبرس) ٣٢ م . والاعصار ٤٥ م . والصوت في الهواء يجري بسرعة ٣٣٧ مترًا في الثانية . والرصاصة ٧٠٠ م . وكُرَة المدفع ٩٠٠م . وتبلغ حركة كُرَة الشمس الى ارضنا بسرعة ٣٠٨,٠٠٠ كيلومتر في الثانية . واعظم منها سرعةً تُعرف الكهرباء التي تقطع في الثانية ٤٤٠,٠٠٠ كيلومتر

ثروة فرنسة الزراعيّة تفوق فرنسة على الدول الاوربيّة بثروتها

الزراعيَّة فانَّ محصولاتها تقدَّر بما يساوي ثمانية مليارات من الفرنكات. فانَّها تغلُّ من الحبوب ما يبلغ ثمنهُ ٢,٩٠٥,٢٠٣,٣٩٧ فرنكاً ومن البطاطا والخُضر ٣,١٩١,٧٧٣,٤٩١ ف ومن الكروم والخمور ١,١٥٢,٦٤٢,٩٨٣ ف ومن النباتات الصناعيَّة كالشمندر والقنب والكتَّان ٢٠٤,٨٨١,٠٣٧ ف . ومن الآثار والفواكه ٣٥٥,٤٧٩,٠٢٠ ف ومن نباتات الحدائق واصناف الزهور ٢٦٥,٧٦٢,٥٩٩ ف

السكك الحديديَّة في العالم يبلغ اليوم مجموع اطوال السكك الحديديَّة في العالم مليون كيلومتر والسبق في ذلك لاميركة التي يبلغ طول سككها نحو ٥٠٠,٠٠٠ كيلومتر اي نصف المجموع كلهِ ثم تتبعها اوربَّة التي تبلغ سككها الحديديَّة نحو ٣٧٠,٠٠٠ ك . ثم آسية ٧٥,٠٠ ك . ثم اوستراليا نحو ٣٠,٠٠٠ ك . ثم افريقية ٢٥,٠٠٠ ك

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء البلدة السؤالات الآتية : ١ً يؤخذ من رواية الانجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا انَّ العشاء الربَّاني كان في اورشليم بخلاف رواية يوحنا الذي يجعلهُ في بيت عنيا فايَّة الروايتين هي الصحيحة — ٢ً كيف التوفيق بين قول متَّى (٢٦ : ١٧—١٩) الراوي بان السيِّد المسيح ارسل كافَّة تلاميذهِ لإعداد العشاء السرّي وبين قول مرقس (١٤ : ١٢) « بانهُ ارسل اثنين من تلاميذه » وهما (في لوقا ٢٢ : ٨) « بطرس ويوحنَّا » — ٣ً لقد قال متَّى (٢٦ : ١٨) بان السيِّد المسيح ارسل تلاميذه الى رجل معيَّن (اذهبوا الى فلان) واما مرقس ولوقا فيقولان بانَّ المرسلين الاثنين أُمرا باتباع خادم يلقيانهِ في المدينة حاملاً جرَّة ماء يتبعانهِ واينما يجدان غرفةً معدَّة لهم : فما سبب هذا الاختلاف — ٤ً كذلك يقول لوقا بانَّ السيِّد المسيح قال لبطرس انهُ سينكرهُ بينما هم جميعاً على المائدة يتناولون الطعام واما متَّى ومرقس فيقولان بانهُ قد قال ذلك لبطرس وهم سائرون الى جبل الزيتون فبأي الحالين كان ذلك ؟ — ٥ً وقال متَّى ومرقس بان المسيح ذهب وحدهُ ليصلي قبل تسليمهِ اما لوقا فيقول بانهُ اخذ واحداً من تلاميذهِ فما الباعث لاختلاف الرواية — ٦ً لاي سبب لم يذكر متَّى ومرقس ظهور الملاك للمسيح وقت صلاتهِ في البستان — ٧ً ماذا تعملون من امر انجيل الطفوليَّة وانجيل نيقوديموس فنرجو الافادة

حلّ مشاكل كتابيَّة

ج نجيب على السؤال (الاوَّل) ان جناب السائل لم يُحسن مطالعة انجيل القديس يوحنَّا فانَّ هذا الانجيليّ ذكر في الفصل الثاني عشر عشاء كان في بيت عنيا «قبل الفصح بستَّة أيَّام » وليس هذا العشاء بالعشاء السرّي الذي يذكرهُ الانجيليون الثلاثة

في اورشليم . فانَّ يوحنا تكلَّم عن هذا العشاء الثاني في الفصل الثالث عشر بعد ذكرهِ عدَّة امور جرت بين العشائين مفتتحاً قولهُ بهذه الكلمات « وقبل عيد الفصح » . وان لم يذكر « اورشليم » بلفظ صريح فانهُ اشار اليها في آخر خطبة يسوع الى تلاميذهِ بقولهِ « قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر وادي قدرون » فعبر وادي قدرون يدلُّ على انَّ خروجهُ كان من اورشليم ليس من بيت عنيا . ونجيب على (الثاني) انَّ القديس متَّى لم يقل « ارسل كافَّة تلاميذهِ » لكن « ارسل تلاميذهُ » دون اشارة الى عددهم أهم اثنان او أكثر . امَّا مرقس ولوقا فعيَّنا العدد مضبوطاً . وليس بين الامرين تناقض ألا ترى انَّنا نقول عن رجل « أرسل اهل بيتهِ الى فلان » وان لم يرسل منهم الَّا بعضهم . جوابنا على (الثالث) انهُ ليس ايضاً اختلاف في الروايات فانَّ متى بقولهِ « اذهبوا الى فلان » دلَّ على ربّ المنزل الذي ارسل السيّد المسيح التلميذين اليهِ دون واسطة اي حامل الجرَّة المذكور في مرقس ولوقا وهو الذي قاد التلميذين الى ربّ المنزل . فان رُوي عن رجل انهُ أرسل عبدهُ الى زيد وجاء في رواية أخرى ان العبد أرسل الى عمرو ليقودهُ الى زيد فليس في الكلام اختلاف بل مزيد ايضاح في احدى الروايتين . جوابنا على (الرابع) انَّ لوقا لم يقل بانَّ المسيح تنبأ بالامر لبطرس « بينما هم جميعاً على المائدة يتناولون الطعام » وانَّما ذكر الامر بعد ذكرهِ للعشاء السرّي دون اشارة الى المكان (راجع لوقا ٢٢ : ٣١) . وكذلك لا يؤخذ من كلام متى ومرقس بأنَّ هذه النبوَّة صارت « بعد الخروج » ويكفي ان يُقال في شرح قولهما انَّ الربَّ تكلَّم بذلك « عند خروجهِ » الى جبل الزيتون . قال متى (٢٦ : ٢٤ — ٢٥) : « ثمَّ سبَّحوا وخرجوا الى جبل الزيتون حينئذٍ قال لهم يسوع الخ » فقولهُ « حينئذ » يمكن تأويلهُ بمعنى قولنا « وهم خارجون » — الجواب على (الخامس) انَّ جناب المستفيد وهمَ في سؤالهِ فانَّ الانجيليين الثلاثة متَّفقون في قولهم بانَّ المسيح جاء مع تلاميذهِ الى جبل الزيتون وانفرد عنهم ليصلي لكنَّ متى ومرقس زادا على لوقا قولهما بانهُ لذكره المجد ترك تلاميذه في ضيعة جتسماني واخذ منهم ثلاثة بطرس ويوحنَّا ويعقوب ولمَّا انتهى الى مكان صلاتهِ تباعد عنهم قليلاً نحو رمية حجر فصلَّى . امَّا (السادس) فنجيب عليهِ بان كل واحد من الانجيليين الاربعة ذكروا اموراً اختصَّ بها الفرد منهم دون الآخرين لأنَّ الله اوحى الى كل منهم ما شاء ان يكتبهُ دون غيره — امَّا انجيل الطفولية وانجيل نيقوديموس فسنفرد لهما فصلاً في عدد آخر ل . ش

المشرق

التهنئة بالاسقف الجديد

دوّن المشرق قبل ثلاث سنوات (١٠٩٩:٧ — ١١٠٥) سلسلة رؤساء اساقفة بيروت على الطائفة المارونية الجليلة وسطّر خلاصة اعمالهم الخطيرة وما كان ليظنّ ان سينطق قريباً سراج عمز الطيّب الذكر ذي المآثر المديدة المطران يوسف الدبس وسيزاد على تلك السلسلة الذهبيّة حلقة جديدة لا تنقص عن الحلقات السابقة شيئاً في حسنها وبهائها. وها قد زفّت اليوم ايشيّة بيروت ثوب حدادها ورفلت بزّة الافراح بعد ترمّلها بتعيين سيادة المطران بطرس شبلي لرعاية ابنائها الموارنة. فما كاد يقع عليه الاختيار حتّى تطايرت اليه القلوب وشكر الجميع لغبطة بطريرك الطائفة الكلي الطوبى حسن رأيه وجودة نظره. فنرفع الى مقام الاسقف الجديد التهانئ بهذه الرتبة التي اهّلته لها فضائله السامية ومعارفه الواسعة ونهنّئ رهبانيّتنا التي كان من انجب طلبة مدارسها كما نهنّئ مجلّتنا التي نُقم فيها اسمهُ الكريم غير

مرّة ولكنّنا بالخصوص نهنّئ به اولادهُ الذين سيجدون فيه راعيًا غيورًا يهديهم الى المراعي الطيبة وينكّب بهم عن المتعجات الوخيمة. وكفى باسمه اشارة الى علو همّته وقوّة نفسه فهو بطرس اي صخرةٌ لا تضعضع عزيمتهُ الانواء وهو الشبل فالويل للذئاب التي تترصّد رعيّتهُ لتخطف خرافها فانهُ يضحّي النفس والنفيس لخلاصها. فاعزّهُ الله واطال ايّام رعيّته وبلّغهُ قصوى امانيه وبلّغ به طائفتهُ غايات الخير والصلاح بظل المتبوع الاعظم ل. ش

الاسقف الصالح

تبلغ حكمة الله غايتها بالقوّة وتدبّر كل شيء بالرفق (سفر الحكمة ٨: ١)

تبارك ربُّ الخلق ذو العزّ والقدر ... هو الله يدعو من اراد الى الفخر
وليس ينالُ المرء يومًا كرامةً ... سوى مَن دعاه الله من سابق الدهر
كحبر اتاه صالح باسم ربّه ... يأتمّ في تدبيره منك التدبر
يدبّرُ الملا المولى بلين وشدّةٍ ... فيُنقذ من بحرٍ ويهبط في بحرٍ
يفرّق بالطوفان ابناء آدمٍ ... ويجعل مَن بالفلك يسخرُ بالقعر
يعامل بالغفران والصفح تارةً ... ويحرق ساذومًا ويقسو على مصر
يعاقب شاؤول الذي حقّ ربّهُ ... ويشمل بالاحسان داوود ذا البرّ
كذا حبرنا وافى ليرعى خرافهُ ... برفقٍ واقدامٍ تحتى تعرف والنكر
كشبلٍ لشمشونٍ وقد تمّ لغزهُ ... قويٌّ وعذبٌ يمزج الخلو بالمرّ
فحلوٌ لدى الأبرار مرٌّ على العدى ... عداة التقى والسمّ في السمّ والجمر
هو الدبس لطفًا وهو عون بأسهِ ... فسقيًا لشهم يجمع الدبس في الصبر
ولي مذهب بالوزنتين مقرّرٌ ... فبأسٌ وإن وزنتا تجر حرّ
صلاةٌ وفضلٌ ثم عقلٌ وفطنةٌ ... وعلمٌ فهذه اخمسٌ رابحة العشر
ومَن كان ذا بأسٍ ولم يكُ لبّاً ... فوزنتهُ مدفونةٌ لسفل القعر

يثل ولي الدين إيسوع جالسًا ... باعلى السما وسط الثواني كالبدر
برؤياه يوحنا رآه مجندًا ... تحف به الافهارُ بالعزّ والنصر

على الرأس تاج والعصا بيمينه ... وخاتم حكم والصليب على الصدر
تردّى بثوب الحرّ الارض سابغاً ... ومنطق تدبيره بمنطقة الدر
فشعر كصوف ابيض فوق راسه ... لهيب بعينيه أحرّ من الجمر
وتبعث عيناه ضياء كواكب ... وفي فيه سيف حارم قاطع الظهر
ووجه كشمس الصيف عند اشتدادها ... تضيء بنور اذ تحرّق من حر
ورجل نحاس بالوقيد مسعّر ... وصوت كصوت الماء في السيل اذ يجري
منائرنا سبع باسرار بيعة ... واشرفها تقديسهم في العشا السري
وثوب الحرير السابغ الذيل عفّة ... ومنطقة الدرّ التقى الفائق الحصر
اذا اشتهر الانسان بالطهر والتقى ... يحلّق في جوّ الفضائل كالنسر
ينير عقول الناس كالشمس علمه ... بغيرته ذابت قلوب ذوي المكر
طبيب نفوس ليس يهمل نفسه ... ويصلحها مما يشين وما يزري
له قدم يسعى الى الخير مطلقاً ... ومنطق صدق لا يكلّ من ذعر
يبين لصنع المكرمات سخيّة ... لسان يشق القلب لو قدّ من صخر
فذلك حبر مثله الناس ترتجي ... يقرّب قربانًا عن الاثم والشر
ملاكاً يسمّى في الكتاب وكوكباً ... خروفاً وليثاً راعياً ثقب الفكر
ليسكن ذئباً مع خروف ونعجة ... ويربض جدياً في الحظيرة مع نمر
فيبات لا يطفي سراجاً مدخّناً ... ويظهر في الفوضاء بالصمت والنشر
من القصب المرضوض ليس مكسّراً ... وخادم كل الناس في العسر واليسر
غنيّ بحال الفقر والفقر كسره ... وكالحمل المبرور قد سيق للجزر
كالاسد الزئبال ان مُس شبلهُ ... كنحاس يودي بالعصاة الى القبر
يغار كايليا على الدين غيرة ... فينزل ناراً حرقت شيعة الكفر
فتى صورة الحبر المشابه ربه ... وقدوة احبار سموا في سما النصر
وكم قد بدا في بيعة الله منهمُ ... رجال بدوا في الليل كالانجم الزُهر
وثمّ لترجو لن يتمّ بحبرنا ... كلام الرسول الشهم في السيد الحبر
فيا ايها الاحبار هذا مثالكم ... فكونوا خيار الناس يا سادة العصر

الخوري يوحنا طنوس

اكتشاف اثر فينيقي

للاب سبستيان رتزفال اليسوعي مدرّس الآثار الكتابية في مكتبنا الشرقي

هو أثر جديد ترفُّ الى قرّائنا الشرقيين يقتبسون منهُ ثلاث فوائد: تصويرهُ الصناعي ثمَّ معرفة كتابتهِ القديمة وآخرًا الاطلاع على بعض تاريخ الدين الفينيقي

كنّا نشرنا هذا الاثر لاوّل مرّة منذ بضعة اشهر في مجلّة الكتابات والفنون في باريس (١ وشرحنا على عجلة الكتابة الفينيقيّة المرقومة عليه. فأورى تفسيرنا زناد الافكار وكتب بعض العلماء فيهِ ملحوظاتهم فرأينا ان نعودَ الى هذا البحث في مجلّة المشرق ونزيد كلامنا ايضاحًا. والاثر المذكور هو اليوم في باريس ولا شكَّ انهُ سينتظم في سلك الكتابات السامية (CIS) التي يُنشر هناك مجموعها

شائع من امر هذا الاثر انهُ وُجد في صور او بالحري في نواحي صور. ويؤيد ذلك انهُ شبيه من حيث صورتهِ وكتابتهِ بالآثار المكتشفة سابقًا في تلك الجهات مباشرةً من صور الى البصّة

وقياس الاثر المذكور ٤٧ سنتمترًا في علوهِ الجبالي وهو منحوت في حجر كلسي خشن نكتهُ صلد ويشبه شبه عرش صغير. في جانبيهِ صورتا ابي الهول المصري بجنّحتان وعلى مسند العرش المذكور نصبان متشابهان اثنان تتوازى بجوانبهما وينتهيان في اعلاهما بشكل القوس. وعلى كل نصب صورة بشريّة خفيفة النقر. وفي وجه الاثر بين صورتي ابي الهول وتحت حافة العرش المنقورة على الطرز المصري قد نُقش نبات رمزي على شبه النقوش المصريّة الاشوريّة التي وُجدت سابقًا في ضواحي صور. وفي اسفل العرش صفيحة يستند اليها الاثر كتابة فينيقيّة نُقرت في الحجر نقرًا حسنًا

ومجمل هذا النقش الذي اثبتنا هنا صورتهُ (طالع الصورة ١) غريب في بابهِ يدلّ على حذق في عاملهِ الّا انهُ خالٍ من الدقّة كثير الخلل لا يراعي قوانين الضبط والموازنة. وصورة ابي الهول لم يتقنها المصور وقد تلف رأسها لكنَّ اجنحتها ظاهرة الشكل محكمة

١) اثبت Comptes rendus de l'Acad. des Inscript. et Belles-Lettres, 1907, p. 589.

الصورة ١ عرش الالهة عشترت مع الكتابة الهيروغليفية التي في اسفله

الريش. وفي نصب الشمال كسرٌ لحق بقسمه الاعلى . وعلى رأينا انَّ الأثر غير كامل تلف منهُ ما فوق النصبين كما يظهر بالمقابلة مع اثر آخر يشبههُ وهو كرسيٌّ صغير وقف عليهِ ريتان في لمّ المتد (١ وقطعهُ محفوظة في متحف اللوفر (٢ محطَّمةً الّا انَّ المهندس البارع طوبوا (Thobois) قد سعى في تركيبها على اصلها واثبت صورة عمله في كتاب بعثة فينيقية (Pl. LIII.) فاذا هي غاية في الضبط والاحكام. واذا امعنتَ النظر في مسند هذا الكرسيّ وجدتَ فيهِ كُرَةً مجنَّحة في اعلاه . فلا ريبَ ان ذلك الاثر كان مزدانًا كأثرنا بنصب منحوت في نفس الصخر او بتمثال أحد الآلهة المركوز عليهِ ومثل هذا النقش شائع في العاديات الشرقيَّة . فكثيرًا ما ترى عليها ولاسيما على النصوص الفينيقيَّة صورة احد الآلهة جالسًا على عرش مع صورتي ابي الهول في جانبيهِ. وقد وجد صاحب السعادة حمدي بك في صيداء صورة هيكل صغير على الطرز المصريّ اثبتها في الكتاب الذي ألَّفهُ مع المسيو ت. ريناخ في مدفن صيداء الملكي(٣ وهي تؤيد قولنا بنوع واضح . فانَّ هناك صورتين لابي الهول تريان داخل المعبد ومن مقدمتها تنتشر اجنحتها على شكل مسند لعرش صغير فيهِ مشكاة تمثال بعض الآلهة وفي كل هذه الآثار كان يلعب ابو الهول دورًا ثانويًا استعير من الرموز الاشوريَّة والمقصود بهِ ان يُظلّل ويحرس النبات المقدَّس الذي يصوَّر فيها (٤

وما يجعل لهذا الاثر الجديد شأنًا خصوصيًا انَّك ترى على عرش واحد نصبين يمثل احدهما تمثالًا الهيًا اي الالهة عشتروت والآخر صورة المتعبد لها المتوسل اليها بالكتابة (٥

*

علمٌ بنا الآن بعد وصفنا للأثر نذكر الكتابة التي عليهِ . وهذه الكتابة تامة لم يسقط منها سوى قسم من آخر حرف السطر الاول وقد كنتُ اطلعت عليها قبل تنظيف الحجر من اوساخهِ فرجحت كون الحرف المطموس فيها شينًا فينيقيَّة (=) ثمَّ رجحت كونهُ باء (=) بعد تنظيف الحجر فقرأتُ على هذا النحو:

١) قد دعا ريتان وبعض الشارحين من بعدهِ هذا المكان باسم امّ العوامد . والصواب كما رأينا

٢) اطلب كتاب بعثة فينيقية Mission de Phénicie, p. 787

٣) اطلب Une Nécropole royale à Sidon, p. 45

٤) راجع بعثة فينيقية لريتان (ص ٦٧١) ٥) طابع الصورتين (ص ١٦٨)

לרבתי עשתרת אש בני הקרב
אש לי אנך עבדבעל בן בדבעל

وفسّرتها على هذا النمط :

لربّتي عشترت التي (هي مصوّرة) في الداخل قُرّب
الذي لي (اي صورتي) انا عبدبعل بن بدبعل

... يريد صاحب الكتابة انهُ قرّب للإلهة عشترت المثّلة في داخل الاثر صورتهُ تقرّبًا منها وتعبّدًا لها. على انّ هذا التفسير أدّى بي الى القول بانّ الفعل قرّب ورد هنا شاذًّا على صورة (הקרב) في وزن أفعل على خلاف ما عُرف حتى اليوم من الكتابات الفينيقيّة التي يبتدئ فيها وزن أفعل بالبرد (ה) اي الياء وكانوا يلفظونها كالهمزة المكسورة. فرجّحتُ قراءتي هذه مرّةً. ولما سافر الى باريس حضرة الاب لويس جلابرت وحضر جلسة المكتب العلمي المنعقدة في ٥ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٧ قرأ هناك ما سطّرتهُ بخصوص هذه الكتابة الجديدة مع مقالة اخرى قدّمها حضرتهُ باسمه عن كتابة يونانيّة وُجدت حديثًا في دير الزور

لمّا انا فما لبثتُ ان رحلتُ من بيروت الى فلسطين متوجهًا الى القدس الشريف على طريق السامرة. وانا في السامرة اذ خطرت على بالي الكتابة الفينيقيّة واللفظة المشوهة نمل الباء (ב) فيها شين (שבב) والراء (ר) دال (ד) فتكون اللفظة التي قرأتها « قرب » (קרב) هي في الحقيقة « قدش » (קדש) ومعناها القدس وليست الهاء سوى اداة التعريف في الفينيقيّة . وعليه يكون معنى الكتابة هكذا :

لربّتي عشترت التي في داخل القدس (١
الذي لي (٢ انا عبدبعل بن بدعبل

ولكن ما امكنني اذ ذاك ان ابتّ الامر دون مراجعة رسم الطبع الذي اخذتهُ عن الحجر واتحقّق صحّة هذه القراءة الجديدة التي كانت لاحت لي في اوّل مشاهدتي لذلك الاثر قبل تنظيفهِ . فبقيتُ مرتابًا في تفسيري الذي عرضتهُ على المجمع العلمي مرجّحًا

١) اي في داخل الاثر المقدّس
٢) اي الذي قدّمتهُ لها

لبطلانه لاسيما اني وجدتُ معنىً ثانياً للفظة «هقرب» (הקרב) على افتراض صحتها اذ يمكنها ان تكون اسماً مع اداة التعريف بمعنى القربان والتقدمة .

فلمّا بلغ بي المسير الى القدس الشريف حيث اطلعني البريد على الجرائد والرسالات التي وردت باسمي في مدة سفري علمتُ بان العلامة الاثري الشهير كلرمون غانو لدى سماعه تفسير الكتابة الفينيقية المذكورة اعترض عليها وفسّرها تفسيراً مباينًا لتفسيري فعلى رأيه انّ صاحب الكتابة عبدبست قصد بها «تقدمة هذا العرش لعشترت الساكنة في معبده الخاص» فنقلت الجرائد كلام الاثري المنوّه به واردفته بقولها انّ للسيو كلرمون غانو يرى في هذه الكتابة دليلًا على «حضور عشترت الحقيقي» في معبد عبدبست. لكن هذه الفقرات الواردة في الجرائد لم تُطلعني بالتمام على فكر ذلك المستشرق البارع ولم يمكني وقتئذ ان اكتب له لأعرض عليه رأيي الحديث اذ كان على وشك السفر الى مصر ليواصل حفريات جزيرة اسوان كما ذكرنا في مقالتنا الاخيرة (المشرق ١١: ١٢٦)

فلمّا رجعتُ الى بيروت كان اوّل فكري ان اعيد النظر في رسم الطبع الذي اخذته عن الكتابة الحجريّة فتحقّقت انّ اللفظة المشبوهة يمكن قراءتها كما قلتُ اعني «هقدش» (הקדש) وانّ تفسيري الثاني هو الصحيح وليس من داعٍ يُوجب القول بما ارتآه السيو كلرمون غانو. وكتبتُ في ١٧ تشرين الثاني لأحد اعضاء المجمع العلميّ في باريس اعلمهُ بتفسيري الاخير الذي أعجبهُ لكنهُ لم يعلنهُ في المجمع العلميّ الّا في جلسة ٢٤ كانون الثاني

ومنذ بضعة ايام قد وصل اخيرًا الى يدنا عدد نشرة المكتب العلمي الذي دوّن فيه قول السيو كلرمون غانو (ص ٦٠٦) . فسرّني كون جنابه استدلّ على اللفظة المشبوهة فقرأ كما قرأتُ بعد مراجعة رسمي الخاص «هقدش» (הקדש) بدلًا من هقرب (הקרב) لكنهُ في ما خلا ذلك يوافق تفسيرهُ ما قلناهُ آنفًا عن الجرائد. وهذا تفسيرهُ معرّبًا :

لربّتي لعشترت التي في داخل المقدس
الذي لي (اي الذي يخصني) انا عبدبست بن بدبعل

فاخذ جناب المفسّر لفظة «قدش» بمعناها الشائع في العبرانية في قول التوراة (הקדש

הקדשים) « قدس الاقداس » اي مقدس الهيكل . نستنتج من هذا التفسير ان الإلهة عشترت كانت "حاضرة" حضوراً حقيقياً في داخل معبد (הקדש) عبدبست

ولكنني كما قلت سابقاً لا ارى هذا التفسير موافقاً للواقع للاسباب الآتية :

١ لانَّ الفينيقيين كانوا يطلقون لفظة القدس (קדש) على اي معبد كان . امَّا العبرانيون فالمرجح عندي انهم كانوا يقصدون بلفظتي قُدس الاقداس (קדש הקדשים) معنى مجازياً لا بل اطلقوا كغيرهم لفظة القدس (קדש) على كلّ معبد (١

٢ لا اعرف لقول المسيو كلرمون غانو عن حضور الإلهة عشترت شخصياً داخل معبد عبدبست سنداً يقيناً . نعم انّنا نعلم بان الوثنيين كانوا يجعلون لكل إله من آلهتهم مركزاً حقيقياً سواء كان في التماثيل او في الحجارة او في السماء او في الجحيم ولكن لم نجد اثراً حتى اليوم يثبت كون الوثنيين كانوا يتخذون المعابد لاسيما المعابد الخاصة لمقام احد الآلهة خارجاً عن تمثال او مذبح او حجر ينوب عنه في ذلك المعبد

٣ انَّ لفظة בת (اي في الداخل) تدلُّ دلالةً مادّيةً اوضح على العرش نفسه حيث تُمثَّل صورة عشترت

٤ كذلك لا نوافق جناب المسيو كلرمون غانو في ترجمة אשר לי بمعنى « الذي لي » اي يخصّني . لانَّ عبدبست ما كان محتاجاً الى ايضاح هذا الامر في معبد خصوصيّ اصطنعهُ لبيته . ولو اراد ذلك لألحق بلفظة לי ضمير المتكلم وهو في الفينيقية الياء كبقيّة اللغات السامية فكتبها לי (قدسي) دون زيادة . وعلى رأينا انَّ لهاتين اللفظتين معنى آخر خاصاً بهما في هذا الاثر فيريد بقوله « الذي قدّمتُهُ » او « الذي نصبتهُ » او ايضاً « الذي صنعتهُ » على افتراض ان صاحب الكتابة هو ايضاً صانع الأثر والامر محتمل . وعلى كلّ حال ما كان عبدبست ليصرّح بذكر ملكه للاثر بل وهو معبدهُ الخاصّ كما قال المسيو كلرمون غانو

٥ ولئن قيل بل كان هذا الاثر منصوباً في هيكل عشترت او غيرها لقينا مشكلاً آخر واعظم في شرح المسيو كلرمون غانو لانهُ يلزم القول بان عبدبست قدّم هذا الاثر كنذر للإلهة عشترت في هيكلها مع أنَّ الإلهة ساكنة في معبدهِ

(١) امَّا קדש הקדשים اي مقام القداسة فمن الواضح انهُ يوازي لفظة קדש (القدس) لا غير

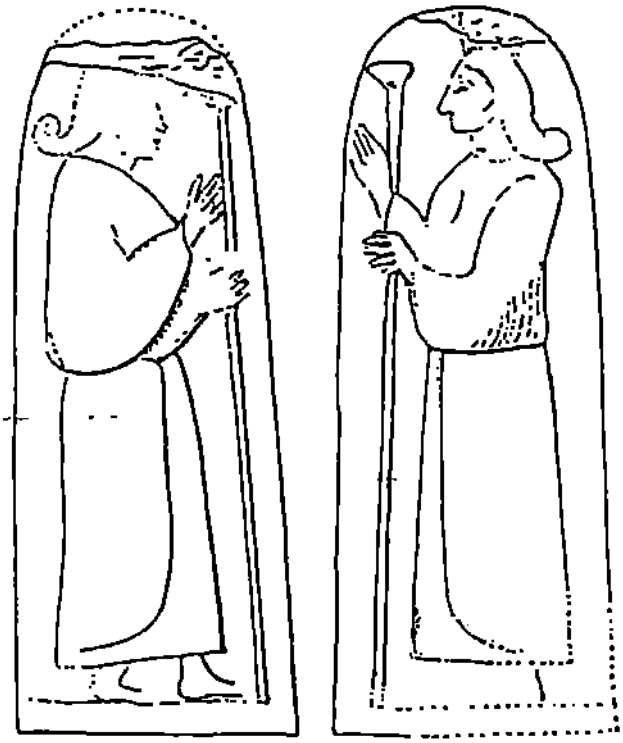

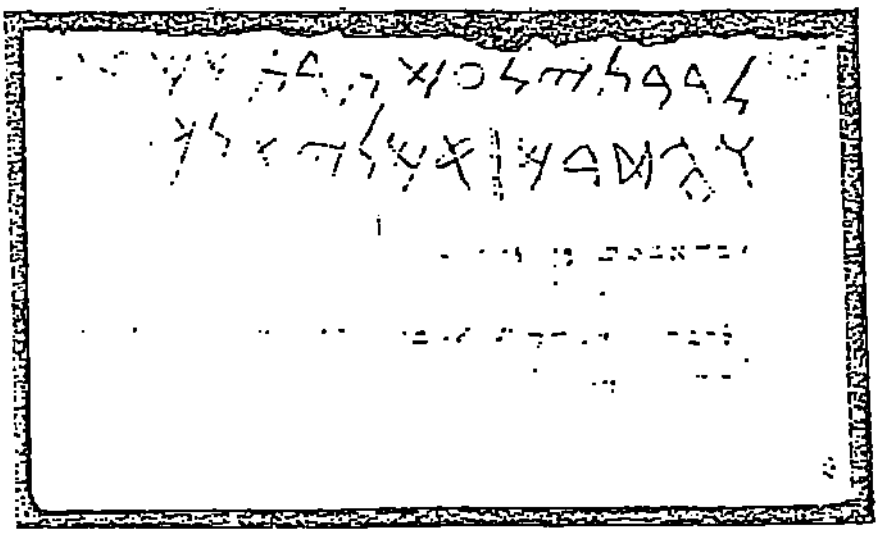

الصورة ٣ رسم النصين مكبرًا مع رسوم الكتابة

الخاص (١. وفي هذا الزعم من مشاكل ما لا يخفى. وهذا ما حمل المسيو غاتو على القول بأنَّ الاثر بقي في معبد عبدبست الخاص وينسب الى الفينيقيين المتأخرين مذهباً دينيًّا جديدًا لم يُعرَفوا به اعني قولهم بوجود الآلهة شخصيًّا في فضاء معابدهم

٦ ولعلَّ للكتابة شرحاً آخر مخالفاً لشرحنا ولشرح جنابه. فانَّ لفظة (لي) في الفينيقيَّة ثلاث معانٍ فمعناها « لي » كما في العربيَّة ثمَّ معناها « له » ثم « لها » فانَّ حرف اليود י يدلُّ على المتكلم والغائب والغائبة على سواء. فمن المحتمل ان يكون معناها « لها » اي لعشترت ومن ثمَّ يكون التأويل:

لربَّتي عشترت التي في القدس
الذي لها . انا عبدبست بن يدبعل

وخلاصة المعنى انَّ عبدبست اهدى لربَّته عشترت هذا القدس اي هذا العرش الذي هو كرسيُّها او الذي اصطُنع لاجلها. فمعنى קדש العرش نفسهُ كما في الشرح المتقدم

وهذا التفسير اعرضهُ على العلماء دون القطع بصحَّته قصدي به ان ابين ما للكتابة من المعاني العديدة التي يمكن القول بها وانَّ رأي المسيو كلرمون غانو لا يجوز التسليم به الَّا اذا انسدَّت بقيَّة الابواب في وجه الشارح لانهُ ينسب كما قلت للفينيقيين رياً دينيًّا غير معهود

وفيما انا اسطِّر هذه المقالة ورد عليَّ كتاب من باريس يفيدني بان الاثري الشهير المسيو فيليب برجه (Ph. Berger) عاد الى ذكر كتابتنا في جمعيَّة باريس العلميَّة وعرض على اعضائهِ شرحاً شبيهاً بشرحنا. هذا ما يغني دون زيادة في الافادة

ذلك ولا نختم مقالتنا دون ذكر اكبر مشكل يمكن ان يُعترض بهِ على تفسيرنا. فلقائل ان يقول ان تفسير الكتابة يستدعي تأخير اسم الاشارة على اسم القدس فيقال « لربَّتي عشترت التي في داخل [هذا] القدس . . . » واسم الاشارة في الفينيقيَّة هو حرف الزاي (ז) يؤخرونهُ على الاسم اعني هنا على (הקדש)

انا نسلم بقوَّة هذا الاعتراض لكنهُ يشمل تفسيرنا وتفسير المسيو كلرمون غانو معاً. ويُستنتج منهُ انَّ الاثر المذكور لم يُجعل في معبد صاحب الكتابة ولكن في موضع آخر اي في بعض الهياكل على خلاف ما اثبتنا

١) وهذا القول يصحّ سواء كان الحذر المذكور في داخل هيكل الالهة او في حرمها لبس في بيت عبدبست

فنجيب على هذا الاعتراض بقولنا انَّ الكتابة كما تُرى اليوم خاليـة من اسم الاشارة فاني فحصتها فحصاً مدقّقاً قبل تنظيفها وبعده فلم اقف على غير ما وصفت في كلامي السابق لكن رأيي الخاص يحملني على القول بانَّ اسم الاشارة سواء كان وحده (ز) او مع اداة التعريف (ههز) كان مرقوماً على الحجر وانما طُمس كما طُمس نصف حرف الشين (ش) في كلمة « مقدش » . ومما يؤيد رأيي انَّ للكتابة في جهة الشمال هامشاً اوسع منهُ في جهة اليمين وهناك مكان كافٍ لزيادة حرف او حرفين : ولا مانع من وضعهما في آخر السطر لأنَّ الفينيقيين في كتاباتهم كانوا عادةً يكتبون السطر السابق دون مبالاة لطول السطر الذي يليه . وعليهِ نظنُّ انَّ الكتابة الاصليَّة كانت تتضمَّن اسم الاشارة اي « هذا القدس »

*

وكنَّا نودُّ ان نتحرَّ هذه العجالة بعض الملحوظات في لغة الفينيقية . استناداً الى الكتابة السابق ذكرها لكننا خوفاً من الاطالة السئمة نؤجل كلامنا في ذلك الى فرصة أخرى بعد ذكر تاريخها وبيان ما لحوظ في احد آراء المسيو كلرمون غانو

اما تاريخ هذا الاثر فانهُ سابق لعهد المسيح بلا مراء . وهو يتراوح بين القرن الثاني والقرن الرابع قبل الميلاد ولعلَّهُ فقط من القرن الثاني لانَّ صورة حرف القاف (ق) فيه حديثة فهي تشبه القاف المرقومة على بعض النقود الفينيقيـة في ارواد التي هي من القرن الثاني (١) . ومن المحتمل ان الاثر اقدم من ذلك يرتقي الى القرن الثالث او الرابع قبل المسيح حتى عهد الاسكندر ذي القرنين

اما ما اردنا ان نستلفت اليه النظر من آراء العلامة كلرمون غانو فهو ما ختم به مقالتهُ في عدد اثرنا الصوري . قال جنابهُ انَّ هذا الأثر جاء مؤيداً لمذهب ذهب اليه سابقاً في العرش والمذبح عند القدماء . وكان حضرة الكاتب اثبت في مجموعه الاثري (RAO, IV, 247) بانَّ الشعوب السامية كغيرها من الامم الوثنيَّة كانت تعتبر في بعض الاوقات العرش الذي هو كرسي احد الآلهة بمثابة المذبح الذي تُقرَّب عليه القرابين لذلك الاله . وربما اعتبروا هذا المذبح الذي كان عرشاً يجلس عليه الاله

١) راجع نبذاً نشرناها في المشرق (٨ : ٢٢) وهو كتابة فينيقية وجدت في جزيرة مالطة (CIS, I. 123) ومنسبة الى اهل صيد

ويُظهر فيه التوأمات لمابديه كنفس الاله فأقاموا للذبح مقام الاله . ومما يدعم هذا الرأي انهم وجدوا في نواحي حلب كتابة مضمونها « للاله مذبح » . فرأى المسيو كلرمون غانو في اثرنا الجديد سنداً جديداً لهذا المذهب

(قلنا) ان صحّ هذا الرأي اعني قيام العرش مقام المذبح فما بال المسيو كلرمون غانو خالفهُ بعض المخالفة اذ جعل حضور الالهة ليس في نفس الاثر لكن في معبد عبديست الخاص . فان كانت الالهة عشترت تتخذ العرش كمذبحها فيكون هذا العرش ايضاً محل مقامها وليس في معبد عبديست الخاص ومن ثمَّ يجب تفسير لفظة « في داخل القدس » (בתוך הקדש) بمعنى وجود الالهة في ضمن الاثر وليس في معبد آخر

هذا ما رأينا تدوينهُ اليوم وسنعود ان شاء الله الى هذا البحث . وكفى بقولنا دليلاً على ما لاثرنا من الخطر لمعرفة الديانة النينيتيَّة وعسى مواطنينا يلقون آثاراً أخرى تزيدنا علماً باحوال هذه البلاد في سالف الاعصار (١

البارون فيكتور فون روزن

المستشرق الروسي العلاّمة الشهير

لجناب الاستاذ الاديب انطون خشاب
مدرّس اللغة العربية الحديثة في كليَّة بطرسبرج الامبراطورية

في صباح النهار الثالث والعشرين من شهر كانون الثاني غربي قد انتقل الى رحمته تعالى المستشرق الروسي الشهير عضو الاكاديميَّة العلمية الامبراطورية الروسية واستاذ اللغة العربية في قسم اللغات الشرقية بكلية بطرسبرج البارون فيكتور فون روزن اثر علَّة لم تمهلهُ الاَّ قليلاً وكان الاحتفال بجنازته في نهار السادس والعشرين في كنيسة الكليَّة الامبراطوريَّة فشيَّعهُ الى مدفنهِ جمٌّ غفير من العلماء واعظم الاعيان

١) قد فحصنا مذكرة سفرنا وهذه المقالة تحت الطبع فوجدنا ان ما رسمناه فيها من الكتابة قبل تنظيفها الكامل يُظهر جليًّا وجود حرف الشين النينيتي في آخر السطر الاول . ولذا قطعنا من دفترنا الصفحة الموجود فيها الرسم المذكور وهو بقلم الرصاص فطبعناه مع باقي التصاوير لزيادة الايضاح (طالع الصورة ٣)

والموظفين وفي مقدمتهم عظمة الغراندوق قسطنطين عم جلالة القيصر الذي هو رئيس الاكاديمية العلمية . وبين الاكاليل العديدة التي وضعت على نعشه كان اكليل من جيل من اساتذة المدرسة الكلية مكتوب عليه بالعربية : « الناس موتى واهل العلم احياء » وبما انه رحمه الله كان ولا شك من اشهر مشاهير عصرنا ويستحق ان يدون اسمه على صفحات التاريخ ليبقى خالداً مدى الايام قد وافيت قراء مجلة المشرق الغراء بخلاصة ترجمة حاله ليطلعوا على ما كان له من الهمة العالية واليد البيضاء في رفع راية العلم ونشر معرفة اللغة العربية والمحبة للشرق في روسية وكافة البلاد الاوروبية

ولد رحمه الله تعالى في سنة ١٨٤٩ في مدينة رول من مقاطعة استلاند من عائلة عريقة بالحسب والوجاهة . وبعد ان تلقن العلوم في المدينة المذكورة في مدرسة الجناز للاشراف (Ritter und Domschule) باشر سنة ١٨٦٦ درس اللغات الشرقية في كلية بطرسبرج وفي سنة ١٨٧٠ اجازته المدرسة المذكورة بنوط ذهبي على تأليف بحث فيه براعة عظيمة عن كتاب شاهنامه اي قصص الملوك للشاعر الفارسي الشهير ابي القاسم فردوسي . وما ابداه في مدة تحصيله العلوم في المدرسة المذكورة من علائم الذكاء الممتاز والنجابة وعلو الهمة والجد في سبيل العلم جعل المدرسة ان تطلب اليه البقاء فيها والدخول في سلك اساتذتها فاجاب الطلب وسافر الى اوروبا ودخل كلية مدينة ليبسيك حيث تتم تحصيل علومه عند العالم المستشرق الشهير الشيخ فليشر وبعد رجوعه الى بطرسبرج سنة ١٨٧٢ ابتدأ معاطاة التدريس في مدرستها الكلية . ومن ثم نال على تأليفه رتبة دكتور في اللغة العربية وانتخبته الاكاديمية الامبراطورية العلمية عضواً عاملاً لها وصار رئيساً للقسم الشرقي في الجمعية الامبراطورية فانشأ مجلتها العلمية وكان مديراً لها الى حين وفاته . ولا استطيع ان اعدد اسماء الجمعيات العلمية في كافة اوروبا التي انتخبه لها عضواً عاملاً وكان بها معتبر الرأي ومسموع الكلمة

اما تآليفه العلمية فهي كثيرة العدد — من اهمها ابحاثه عن الشعر عند العرب في الجاهلية وعن تاريخ يحيى الانطاكي حيث رفع النقاب عن تاريخ بزنطية في الجيل العاشر وعن علاقاتها مع امم الصقالبة وتاريخ حبيب النجي وغيره من التآليف النفيسة وقد اشترك مع بقية العلماء الاوروبيين بطبع تاريخ ابي جعفر الطبري ونشر قوائم الكتب الخطية العربية والفارسية الموجودة في مكاتب روسية وبروسية مع تفصيل البحث عن

البارون ڤيكتور فون روزن

المستشرق الروسي (١٨٤٩ — ١٩٠٨)

كل كتاب فيها . وما لي اعدد تآليفه وهي معروفة عند كل مستشرق في اوروبا ولا يخلو عدد من المجلات العلميَّة الروسيَّة التي لها تعلق بالشرق من مقالة او بحث له اظهر فيه من البراعة وسعة المعارف ما لا يستطاع وصفه

وما كل هذا الا شيء زهيد بالنسبة لكل ما عمله رحمه الله لاجل توسيع نطاق المعارف في روسيَّة من الشرق اذ انه هو وطد فيها درس تاريخ ولغات الشرق على النسق العلمي الاوروبي وكان روحاً لكل المجالس العلمية التي لها تعلق بالشرق وواسطة لتوطيد العلائق الحبيَّة المتواصلة بين الجمعيات العلميَّة والعلماء في اوروبا وروسية فترى الآن ان كل مستشرقي روسية والعدد الاكبر من قناصلها في الشرق هم من تلامذته — وما كان عليه الفقيد من لين العريكة ولطافة الخلق والزهد بالمجد والمال والسعي في صالح الغير جعله محبوباً عند الخاص والعام فلا تجد تاليفاً علمياً لمستشرق روسي الا ومؤلفه يشكر فيه همة ومساعدة هذا الاستاذ الفاضل ولا قنصلاً او ترجماناً درس في كلية بطرسبرج الا ونال مرتبته بسعيه فكانت كرّس حياته للسعي في الصالح العمومي ومنفعة القريب ناسياً نفسهُ وصالحه الشخصي . فلا غرو ان تذكاره سيكون خالداً في قلوب جميع اصدقائه ورفقائه في العلم وتلامذته المنتشرين في كافة الاقطار الشرقية كما قيل :

لمن العلم حيٌّ خالد بعد موته واوصالهُ تحت التراب رميمُ

ومما يؤكد تولعه باللغة العربية وحبه لها ان آخر كلماته قبل مماته كانت بهذه اللغة « الله كريم » فليتغمده الله برحمته ورضوانه

(المشرق) ونحن ايضاً بنان مجلتنا نستطير لضريح الفقيد سجال الرحمة والرضوان جزاء اتعابه في سبيل الآداب . شاكرين لهُ ما ابداهُ من اللطف والمجاملة نحو آباء كليتنا لاسيما بزيارته الثمينة لهم في مباحثهم وتآليفهم نخصّ بالذكر منها نشر ديوان الاخطل الشهير لحضرة الاب انطون صالحاني . فان سعادة البارون رضي بمراجعة مسودات هذا الديوان واصلاحها على الاصل الذي لم يعرف منهُ وتنفذ الا نسخة بطرسبرج واضاف الى اصلاحاته ملحوظات دقيقة كانت تدلُّ على سعة علمه وتضلُّعه باللغات الشرقيَّة رحمهُ الله

تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها

بقلم الاديب توما افندي كيّال

١ التجارة

قد لعبت مدينة صيدا دوراً هاماً في الاجيال الماضية نظراً الى ما حازته من الشهرة الواسعة بتقدم تجارتها وعلاقاتها مع امهات المدن والممالك العديدة فاذا بحثنا عن حالتها في السنين السابقة للتاريخ المسيحي نراها وصلت الى درجة من العمران حسدتها عليها اكبر مدائن المعمورة فكانت محصولاتها التجارية والزراعية تحمل الى مسافات بعيدة على مراكبها الشراعية الذائعة الشهرة وقد بقي لها اهمية تذكر في الاجيال المتوسطة لانها كانت مقصودة من التجار الاوربيين الذين كانوا ينقلون قسماً من منسوجاتها الى بلادهم. وبقيت هذه المدينة محطاً رحال كبار التجار من الاوربيين والوطنيين الى اوائل الجيل الماضي اذ كانت ميناها تقريباً الميناء الوحيدة لبلاد سورية. ومن ذلك الوقت أصيبت ببعض الانحطاط ثم اصبح عنها في حالة من التأخر لم يسبق لها مثيل ولم تنتعش قواها الا من بضع سنوات اي من الوقت الذي فتحت بينها وبين بعض المدن السورية طرق المواصلات ومن تطلع على حالتها الماضية (اي من عشر سنوات الى الان) يرى تقدماً هاماً في حالتها التجارية والزراعية والصناعية

ومما زاد تجارة صيدا نجاحاً تواردُ الاهلين اليها لاسيما القائمقاميات والقصبات المجاورة نظراً الى تقدم تجارتها البحرية والبرية ولاتساع اعمالها بالارباح ولو زهيدة واكرامهم لتجار القرباء ولوجود عمال بها مشتغلين في الصنائع كافة وهذا يتردد الى صيداء لمشترى احتياجاتهم منها سكان قضائها والنباطية وجديدة مرجعيون وحاصبيا وراشيا وقسم من اهالي صور وبلاد بشارة ويقصدها من لبنان اهالي قضاء جزين وقسم معتبر من قائمقامية الشوف ومديرية دير القمر. فاذا كان معدل عدد سكان المحلات التي ذكرناها مائتي الف نسمة فقط بان حينئذ للباحثين عما يلحق مدينة صيداء من الارباح اذا بقيت الحال على تقدمه متواصل في الاشغال التجارية. ومن الجداول الآتية ومقابلتها مع ما عبر من السنين تتضح حقيقة الامر

٢ الصناعة

عادت الصنائع الى صيدا تدريجاً وها انا نراها تتقدم من يوم الى آخر. وقد زادت اقبالاً في عامنا الغابر ١٩٠٧ فاذا بحثنا عن المشتغلين بعمل السفن الشراعية من مواطنينا البارعين وجدنا انهم اتقنوا هذا الفن حتى ان صيدا اصبحت مقصودة من الثغور السورية وخلافها في الاشغال المذكورة وقد تم بها مؤخراً عمل ثلاث سفن شراعية يتراوح محمول الواحدة منها من ١٢٠ الى ١٤٠ طناً اما السفن الصغيرة فقد انجز منها عدد ليس باليسير وكلها غاية في الاتقان والمتانة. اما صناعة القرميد فقد راجت سوقها كثيراً لانهُ فُتح في العام الماضي معمل لصنعه ههنا فاقبل على مشتراه اهالي المدينة والمدن المجاورة وقد زادت رواجاً في المدة الاخيرة صناعة الجلود المهيأة في مدابغ المدينة لانهُ صدر منها قسم كبير الى بيروت وقبرص. واخيراً بان للجميع ان باقي الصنائع كالنجارة والحفر والحدادة قد اصبح اربابها قادرين على اتقانها فلذا يقصدهم كثير من اهالي المدن الكبيرة لعمل ما يحتاجون اليه وقد ازداد في العام المنقضي عدد المشتغلين بالحلويات فاتقنوها. وبالاختصار ان الصنائع على وجه العموم سائرة في مدينتنا في حالة التقدم والازدهار.

٣ الزراعة

خفَّت ولله الحمد في السنة المنصرمة المهاجرة الى الديار الاميركيَّة لان اهالي بلادنا بحثت عن الطرق المؤدية لنجاحها فرأت بأن المهاجرة قد سببت لها اضراراً جمة فلذا عدلت عنها وقام فريق من السكان يحرض الفريق الآخر مشجعاً اياه على الاهتمام بامر الزراعة

امَّا المهاجرة فانهُ لأمر مقرر بأنها اضرَّت بصوالح كثيرين من اهالي بلادنا واتتنا بضربات كثيرة اما فوائدها فهي قليلة جداً ولا تُذكر اذا قابلناها مع الاضرار الناتجة منها. ها ان كثيرين من المهاجرين عادوا في هذه السنين الاخيرة الى اوطانهم حاملين الينا الامراض الوبائيَّة كالسل والامراض الزهرية والجلدية ولم يكتفوا بحملهم ما ذكرنا من الاوبئة حتى اتوا بضربة للمزروعات بحملهم بعض نباتات موبوءة ألا وهي ضربة جديدة للبرتقال هذا ولولا تدارك الحكومة السنية لكان تفاقم امرها وتعاظمت اضرارها. وبالحقيقة ان المهاجرين الذين قصدوا اميركا لم يعد منهم الا النذر القليل

بدراهم جُمعت باتعاب ومشقات سنوات طويلة فلو صرفوا اوقات شبيبتهم الثمينة في وطنهم واشتغلوا بحراثة اراضيهم الخاصة أو بالاجرة لكانوا حصّلوا اكثر مما جمعوهُ هنالك بالذل والعار. هذا فضلاً عن الاضرار الادبيّة المتأتية من المهاجرة فترى الاب يذهب ويترك امرأة واولاداً صغاراً لا معين لهم بعد ان يكون باع او رهن ما ورثهُ عن اجداده فيذهب والامال تسكره رغبة المال تخدعهُ والفقرة تحركهُ الّا انهُ عند وصوله الى تلك الديار يلعن من كان سبباً لتركه وطنهُ وعائلتهُ فيندم ولاتَ ساعة الندم يعيش مغروراً بعد ان يكون ذاق مع اهله لذّة العيش العائليّة فان كان من اصحاب الشفقة يعيش هنالك في التقتير الزائد موفراً بعض دريهمات لعائلته المسكينة المتضورة جوعاً. اما الاعزب فيصل الى بلاد تُعبت فيها الاشراك العديدة لمن يعطي النفس هواها فيعيش عيشة غير مرتّبة يخسر بها دينهُ ودنياه ويعود بعدئذ الى بلاده مريضاً نحيلاً صفر اليدين. اما الذين يموتون هنالك في حالت الشقاء او تنقطع اخبارهم تماماً فهم كثيرون ونرى دائماً الجرائد الاميركيّة والمحليّة ملأى من اخبارهم المحزنة. وان قال قائل: لم ترَ يا هذا زيداً عاد الينا بالوف من الليرات. ولكن بالله قل لي من اي مدينة او قرية هو ذلك المهاجر فبعد ان تكون اوقفتني على حقيقة امره اسرد لك عندئذ اسماء ٥٠ او ٦٠ شخصاً على الاقل من تلك المدينة او القرية عادوا الينا وايديهم فارغة من الدراهم ولم ينالوا في تلك الاقطار الّا ما يكفيهم لسد حاجاتهم الضروريّة امّا مَن بقي منهم هنالك فمات حزناً وقهراً. فالنتيجة ان منافع المهاجرة قليلة جداً امّا اضرارها فمدينة لا تُحصى. والآن فلنعد الى بحثنا الاول

من المعلوم ان اراضي سورية المشهورة منذ القدم بحسن تربتها وكثرة خيراتها قادرة على ان تقوم باود اهاليها وتزيد عنهم بشرط ان يهتموا بامرها ويعتنوا بحراثتها فالارض المفلوحة في جهاتنا والتابعة لمدينتنا تنيف عن ١٧٠,٠٠٠ هكتار والباقية دون فلاحة تزيد على هذه اضعافاً فليتعاون الكل على العمل في الارض لانّ بها حياتهم وسعادتهم ونجاح بلادهم

(البرتقال والحامض) كانت ارساليتهُ الى الخارج اقل من ذي قبل وسبب ذلك متأتٍ من قلة الطلب عليه كالعادة من البلاد الروسية فقد وُضعت ضريبة مبتغطى الصناديق المرسلة الى ثغورها لكن الاهالي عزمت اذ ذاك على تصديره الى داخليّة

ولايتي بيروت والشام فتصرف منهُ كثير باسعار موافقة وعلّهم في المستقبل يعدلون عن ارساله الى الخارج

(التوت) قد كان موسم الشرانق غاية في الاقبال في اتمام الغاير رغماً عن اضرار الصرصر (الجيز) وقد رأينا من مدّة مئات من الصرصر المذكور منتشرة على الطرقات ما بين القرى القريبة من المدينة فاذا لم يتدارك ارباب الزراعة هذا الامر ويتمّ له فتكون حينئذٍ لا سمح الله ضربة قاضية على الملاكين في هذه السنة . وعلى ما ظهر لنا ان البرد الشديد يضرّ به كثيراً وتيبت اغلبهُ لانهُ منذ سقوط الامطار الاخيرة واشتداد البرد اختفى تماماً ولم تعد نرى اثراً له . اما التوت فقد زرعت منهُ الاهالي الوفاً في القرى المجاورة وقد نشطهم على ذلك ارتفاع اثمان الشرانق في الموسم الماضي

(ماء الزهر) استُخرج منهُ اقلّ من العادة وكانت اسعاره مرتفعة نظراً الى قلة الزهر وقد صدر منهُ الى الخارج قسمة جزئية خصوصاً الى بيروت لانهُ استخرج بها كميات كبيرة في معمل الخواجات موريل ومطر وبيع باسعار بخسة الّا ان فرقاً كبيراً بين المستخرج هنا وهناك في الرائحة والطعم والجودة

(التين) صدر منهُ اكثر من العادة الى الاسكندرية ومنها الى بلاد النمسة حيث يستخرجون منهُ مواد سكرية وكحولية

(العسل) كان به نقص مهمّ في هذه السنة لان الاهالي اهملت امر الاعتناء بتربية النحل اما اسعاره فكانت عالية جداً ووجوده نادراً

(الرمان) قد كان هذا الصنف في سنتنا الماضية من احسن السنين اقبالاً وقد زادت ارساليته الى الخارج والداخلية

(الانكدونيا) لم يكن موسمهُ ذا اقبال وقد عدّل تجارفون بانهُ حدث في غلّته نقص ٢٠ في المائة في سنة ١٩٠٧ وسبب ذلك شدة هبوب الارياح في ايام الخريف اي وقت عقده وسقوط البرد قبل قطفه بقليل

(اللحم والسمك) تعالت اسعار اللحم كثيراً فبيع الرطل منهُ باربعة وعشرين غرشاً الامر الذي لم يسبق له مثيل . اما الحكومة المحلية والبلدية فلم يضربا على ايدي الجزّارين بل تركوهم وشأنهم واذا لم يردعهم رادع عن اعتلهم قلنا يوصلون الرطل الى ٣٠ غرشاً . اما الصيادون واصحابهم سماسرة السمك فاقتدوا بمثل الجزارين وحذوا

حذوهم لا بل اخذوا الفوز عليهم فرفعوا اسعار الاسماك الى حد فاحش مدعين بان قلة صيد ارتفاعاً بسعره (كذا)

(الغلاء) قد كانت سنة ١٩٠٧ من السنين الشديدة الغلاء اتولت في الاهالي ضيقاً عظيماً لم تره منذ ٣٠ سنة فارتفعت في اثنائها اسعار الحبوب والماكولات رغماً عن الكميات الكبيرة المخزونة من الحنطة في اهراء بعض الملاكين والتجار ولم تزل الى الان في حواصلهم الا ان الحكومة السنية خففت عن الاهالي شر هذا الضيق فاصدرت اوامرها للطاعة مانعة ارسال الحبوب الى الخارج فهبطت اذ ذاك الاسعار ولم تزل بهبوط متواصل وقد تعالت كذلك اسعار الملبوسات واجور المنازل والدكاكين وبالنتيجة قد عم الغلاء الاصناف كافة

فما تقدم بيان للمطالع اهمية التجارة في مدينة صيدا والاهالي متشوقة لان ترى افتتاح شعبة صغيرة للبنك العثماني في هذا الثغر ترويجاً لمعاملاته التجارية فيا حبذا لو اجيب هذا الطلب اصحاب النهي والامر واوفدوا من قبلهم من يبحث عن هذه المسألة المهمة فلي ظني يجدون حينئذ بان المدينة غاية في الاحتياج الى وجود شعبة بها. فالرجاء من الحكومة السنية ان تعير طلب الاهالي هذا اذناً صاغية فتربح بذلك دعاء الالوف من سكان هذه الجهات المشهورين بطاعتهم وتفانيهم في محبة ولي نعمتهم ومولاهم المعظم حفظ الله ملكه السعيد اجيالاً عديدة بالفخر والاقبال

وها نحن نورد جدول واردات صيداء وصادراتها بياناً لتنشيط :

اهم واردات صيدا سنة ١٩٠٧

كاز	٤٥,٥٠٠	صندوق من روبة
سكر	١٢,٧٠٠	كيس بطريق الاسكندرية
سكر قوالب	٥٠٠	〃 〃 〃
ارز انكليزي	١٥,٠٠٠	〃 〃 〃
〃 رشيدي	٣٤,٠٠٠	قنة من رشيد
بن	٣٨٥	كيساً كبيراً بطريق بيروت
بن حنفي	٧,٥٠٠	كيلو من حنن
منج	٣,٥٠٠,٠٠٠	〃 〃 بندقي
طحين	٣,٧٠٠	كيس من بيروت

حبوب	٥٥,٠٠٠	كيلة من عكا وحيفا
حمص	٨,٩٠٠	حصيرة من الاسكندرية
فول العيد	٢٧,٢٠٠	رطل بطريق الاسكندرية
خشب	١٠,٣٠٠	متر مكعب من بر الاناضول وروسية ورومانية
جلود	٢٥٠	بالة من اوربة بطريق بيروت
أكياس فارغة	٧,٦٠٠	كيس من الهند بطريق اسكندرية
جبن عكاوي	١,٢٠٠	سحارة من عكا وحيفا
جبن تشتوان	٣٥٠	عديلة من ادرنة واستانة
تنباك	١٣,٨٣٧	كيلو من العجم
دخان	١٨,٥٠٠	〃 من الاستانة
بلح	١,١٥٠	تفة بطريق الاسكندرية
كلس وتراب افرنجي	٦,٠٠٠	كيس وبرميل من فرنسة بطريق بيروت
مقددات وحلويات	١,٣٠٠	صندوق بطريق بيروت
اجواخ	١٢٠	بالة 〃 〃
اقمشة قطنية وحرائر	٨٥٠	〃 〃 〃
قزاز رقيشاني	٢٥٠	صندوق 〃 〃
قرميد	٣٠٠,٠٠٠	قرميدة 〃 〃

اهم صادرات صيداء سنة ١٩٠٧

شرنتق	١٠٠,٠٠٠	كيلو الى لبنان
〃	١٦٠,٠٠٠	〃 بطريق صيدا
تبن يابس	٧٥,٠٠٠	〃 الى الاسكندرية
زيت	٥٠,٠٠٠	〃 〃 〃
زيتون	٣٥,٠٠٠	〃 〃 〃
زبيب	١٢,٠٠٠	〃 〃 〃
ماء زهر	٤,٠٠٠	〃 الى سورية ومصر والاستانة
انكدونيا	٢,٥٠٠	سحارة الى بيروت والشام الخ
دخان (تبغ)	٧٨,٠٠٠	اقة من صيدا وصور الى القنطار المصري
دمنق	٩٠٠	قنطار الى بيروت والشام والقطر المصري

موز ارسل منهُ الى بيروت ولبنان ما قيمته ٣,٦٠٠ ليرة

بيض	٦٠٠,٠٠٠	بيضة الى الاسكندرية
〃	٦٠٠,٠٠٠	بيضة من قضاء صيدا وبواسطتها الى بيروت
دجاج	١,٣٠,٠٠٠	طير من صيدا

برتقال وحامض	١٨,٠٠٠	حبة يومياً في وقت الموسم الى بيروت ولبنان وسورية
برتقال وحامض	٥٠,٠٠٠	صندوق الى الاستانة وروسية وانكلترة
سمسم	٢,٠٠٠	اقة الى مصر وعليه طلب كثير من اوروبة
جلود ميتة	٢٥٠	ربطة الى بيروت وقبرص

بيان المراكب التي دخلت ميناء صيداء سنة ١٩٠٧

البخارية		محمولها طن	الشراعية	محمولها طن
عثماني	١٢٧	٥٥,٣٧٩	٨٨١	٩,٧٩١
انكليزي	١٠	١٨,٦٤١	٠	٠
نمساوي	١	٥٣٧	٠	٠
يوناني	٧	٧,٦٤٣	١	٣٩٩
ايطالي	١	١,٢٥٦	٠	٠
مسكوني	٣	٥,٨٤٥	٠	٠
	١٥٣	٦٩,٣٠١	٨٨٢	١٠,١٩٠

تربية دود الحرير

لصاحب العزة المير خليل فؤاد بك الشهابي

(المشرق) قد قرب موسم التزر في سواحل الشام ولبنان فيسرنا ان ننشر القراء بكتاب جامع لاصول هذا الفن صنفه احد فضلاء عمال الدولة السنية برخصة نظارة المعارف الجليلة ونشره في بيروت في المطبعة الاهلية ودعاه « الروض النضير في تربية دود الحرير » وقد جمع في صفحاته الباهرة ١٥٠ عنواناً كل ما يتعلق بهذه الصنعة فبحث في الباب الاول في اوصاف الدودة واحوالها. ثم في الباب الثاني في الخيز والفلاجة (الشرقة). وفي الثالث في الترشة. ويقسم كل باب الى فصول عديدة استوفى فيها جناب المؤلف كل ما يختص بالبزر وخواصه وصيانته من التأثيرات الجوية وتفريخه ثم باطوار حياة الدودة وطعامها من توت وامراضها والتدابير اللازمة لزيادة موسمها كما انه اتسع في تعريف احوال الخيز والترشة وطقسها وفي تقييمها وتركيبها وحلها واوصاف الحرير وتلوينه. فجاء اجود كتاب صنف في العربية في هذا الفن الذي منه يرتزق معظم اهل لبنان. ومما يزيده

اعتباراً انَّ صاحبهُ الاديب اتحفه بالاكتشافات الجديدة التي اخترعها العلماء كباستور وارباب هذه الصناعة لتحسين تربية القزّ وتوفير مادتها . وبياناً لفضل الكتاب قد نقلنا هنا عنهُ احد فصوله الجليلة وهو الفصل الخامس من بابه الاوّل الذي عنوانهُ « الطرق والتدابير العملية الآنة لزيادة الموسم »

قال جنابهُ (ص ٥٨) :

اهمّ شيء لزيادة المحصول تقليل كمّية الدود مع الاعتناء بالتربيـة . وعليه فلاجل الحصول على خمسين اقة من الشرانق عوضاً عن ان يربي نيفاً وعشرين درهماً يمكن الحصول على هذه الكمية بتربية ثمانية دراهم مع العناية وحسن المحافظة

وذلك يتطلّب امرين : اوّلاً سلامة البزر من كل علّة . وثانياً مراعاة التدابير التي اشار اليها ارباب هذا الفن . وهذان الشرطان يتفرّع عنهما موادّ كثيرة . ونحن نبحث في هذا الفصل عن التدابير والقواعد اللازمة للتربية . . وهي

١ المساواة
٢ السعة (ويتفرع عنها تفريق الدود والتخفيف عنه وتربيته على الورق والافصان)
٣ التهوية (ويتفرع عنها كيفية انشاء اماكن التربية) ٤ التغذية
٥ حرارة الجو ٦ اصول وضع الشبح ٧ كمية الدود

(١) المساواة ينبغي ان يكون حجم الدود الموضوع على طبق واحد مساوياً بعضه بعضاً وبعكس ذلك يصير تفاوت بين مواعيد غلاته وتفاته . فبينما يكون قسم منه متمكناً في الغذاء يكون القسم الآخر (الصائم) تحت الورق محجوزاً عنه الهواء ومعرضاً للتلف وهذا مما لا تحمد عواقبهُ . ولذلك اذا صار خلطُ الدود الذي يفرّخ في اوقات مختلفة بعضه مع بعض يتلف اكثرهُ وهو صغير فيجب ان يكون الدود الصغير مساوياً لبعضه بعضاً في السنّ لكي عند تغذيته بصورة منتظمة تحصل المساواة في الحجم ايضاً . وبما انَّ مساواة الدود حجماً من اهمّ دواعي الاقتصاد في المصروف ايضاً فعلى المربي ان يعتني بهذا الامر الخطير وذلك بان يفرق :

(اولاً) بين الدود الذي يفرّخ بساعات مختلفة كما يفرق بين الدود عند خروجه من كل صومة (قنلة) بوضع كل صنف لوحده من الذي يخرج بوقت واحد

(ثانياً) ان يجعل حرارة الجو متساوية في كل قنلة من الخانه ويوزع الورق

بالتساوي كي لا يشعر بعض الدود بزيادة الحرارة فيأكل بزيادة او يكون غذاؤه مبذولاً ينمو جسمه على كلا الحالتين اكثر من الباقي

ثم ان اعطاء الورق للدود بصورة متساوية من اهمّ لوازم التربية فمتى كان الدود صغيراً لا يجوز اعطاؤه الورق صحيحاً بل يجب ان يكون مفروماً فرماً رقيقاً يرش على الدود دفعات متعددة حتى لا يخفّ ويعود الدود غير قادر على اكله

(ثانياً) لا يجوز قطع الغذاء عن الدود عند اول دخوله في الصومة حتى يصوم جميعه وعند اول استفاقة يقطع الغذاء عنه كي لا يتغذّى المستيقظ منه قبل الباقي بحالة الصوم تخلّصاً من عدم المساواة كما تقدّم فيجب ان يكون نصفهُ على الاقل مستيقظاً كي عند اعطائه الغذاء وتنظيف الورق يُنقل وهو بهذه الحالة الى اطباق ثانية ويوضع بمكان لوحده مفروقاً عن الذين لم يزالوا بحال الصومة فيربّوا على حدة. وبهذه الصورة يكون اتسع مكان تربية الدود اكثر من الاوّل فاذا لم يُفعل هكذا وتُرك الدود المستيقظ من الصومة بدون غذاء الى ان يستفيق باقيه يضرّ به الجوع واذا أُعطي الغذاء وهو مع النائم منهُ على طبق واحد تختلّ المساواة ويبقى الدود مزدحماً بعضه فوق بعض مع تقدّمه سنّه

وبما ان مساواة الدود مما يسهّل الخدمة ويقلّل التعب فاذا شاء المربي ان يجمع بين الدود المفرّخ من البزر او المستيقظ من الصومة باوقات مختلفة عليه ان يقلّل الحرارة درجة او درجتين عن الدود المتقدّم ويمنع الغذاء عنه مرّة او مرّتين ويزيد التسخين الحرارة درجة او درجتين والغذاء دفعة او دفعتين فتحصل بذلك المساواة المطلوبة بظرف يومين

ومع ذلك لا يحسن ان يكون جميع الدود الموجود في محل واحد بحجم واحد اذ يصعب على المربي وضع الشيح دفعة واحدة لكل الموجود متى بلغ اشدّه فيلزم ان يكون مقدار الدود المسوي بعضه بعضاً بنسبة مقدار الشيح الذي يتمكن من وضعه الهمس بظرف يوم واحد

والحاصل ان مساواة الدود هي من اهمّ الاسباب الآتية لتوفير مقدار الموسم وللوصول اليها يجب مراعاة الشروط التي ذكرها والمساواة هي اعظم دليل على مهارة المربي

٢ ﴿ السعة ﴾ يجب ان يربّى الدود في محلات فسيحة يتمكن بها من اجراء وظائفه الحيوية بكل سهولة التي هي عبارة عن حركات الاعضاء والتغذي والتنفس وتبديل البشرة (الصوم) ... الخ حفظاً لصحته واتقاء ظهور الامراض به فيُعطى لكل دودة من السعة بقدر مساحة جسمها ثلاث مرات . ولما كان طول الدودة وعرضها مع المساحة التي يسترها جسمها في كل دور من عمرها كما ترى ادناه

مساحة الحل	عرض	طول	
٣ ميلمتر مربع	١ ميلمتر	٣ ميلمتر	حال خروجها من البزر
١٠ «	١,٢٥ «	٨ «	« « « « النفلة الاول
٣٠ «	٢ «	١٥ «	« « « « « الثانية
٩٠ «	٣ «	٢٨ «	« « « « « الثالثة
٢٢٠ «	٥,٠٥ «	٦٠ «	« « « « « الرابعة
٦٠٠ «	٧,٠٥ «	٨٠ «	عند غاية جسامتها

فاذا ضربتَ كل رقم من ارقام المساحة بالعدد ٣ يحصل ما يلزم من اتساع الحل في كل دور من ادوارها واذا كررت ضرب الحاصل بعدد الدود الذي تحتويه العلبة (٢٥ غراماً) وهو من ٣٠,٠٠٠ الى ٣٥,٠٠٠ دودة يتعيّن الاتساع للعلبة الواحدة من بداية التربية لنهايتها

غير انه من المعلوم فنّاً وعملاً ان الدود الذي يربّى في امكن ضيقة لا يؤمن نجاحه ولا يمكن ان يزيد حاصل العلبة منه على ٢٠ كيلو مهما كانت العناية مبذولة في تربيته بالعكس عن الذي يربى منه على سعة فيبلغ محصول شرانقه من ٥٠ كيلو فما فوق ولذلك يقتضي ان يفسح للدود باكثر من احتياجه الفسيولوجي منذ خروجه من البزر الى نهاية عمره فيجعل مساحة الحل للعلبة الواحدة في الدور الاول ٥ امتار مربعة مثلاً وفي الدور الاخير ٣٥ متراً مربعاً على الاقل هذا اذا لم يكن سبب يقتضي بالتفسيح اكثر من ذلك والحاصل يلزم ان تكون سعة الحل هكذا :

متر مربع		متر مربع	
٥	في الدور الاول	٦٠	في دور الرابع
١٠	« الثاني	٦٠:٦٥	« الخامس (اي من الصومة الرابعة الى ان يتسلق الشيح)
٢٠	« الثالث		

(التربية على السقالة) وهذه السعة لا يمكن الحصول عليها بكل محل الا بتربية الدود على سُرُر (سقالات) ذات طبقات عديدة توضع فوق بعضها بعضاً على مسافة ٣٥ : ٤٠ سانتيمترًا او اكثر

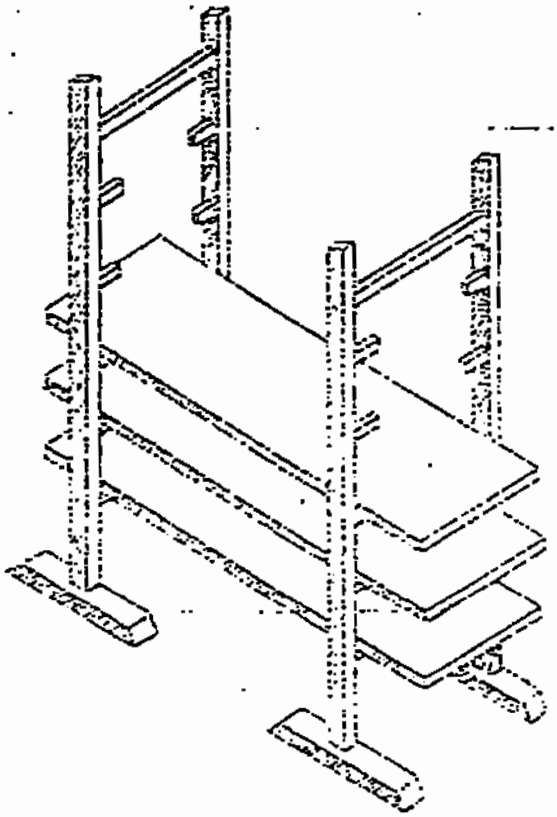

سقالة ذات ست طبقات

ولا يتجاوز عرض الطوالة (الطبق) منها من ٧٥ : ٨٠ سانتمترًا في طول يد الشخص الموكل بتغذية الدود ولا طولها عن مترين ونصف بل مترين و ٤٠ سنتمترًا كي لا يتعسر رفعها وقلبها عند مسيس الحاجة

ويمكن تكثير عدد طبقات السقالات بحسب سعة المحل وارتفاع سقفه فالمحل الذي لا يزيد ارتفاعه عن ٣ : ٤ امتار لا يتحمل اكثر من اربع طبقات على ان الاماكن

المعدّة للتربية خاصة قد تحتوي ١٥ الى ٢٠ طبقة مركوزة على دعائم ثابتة ومتينة وتصنع هذه الطبقات من الشريط الرقيق على شكل الغربال بحيث تُستر بالورق الكثيف عند ما يوضع عليها الدود لمنع سقوط الاوساخ والافرازات من الاعلى للاسفل

(تفريق الدود والتنظيف تحته) والدود الذي يربّى على الوجه المار الذكر يأخذ جسمهُ في النمو يوماً فيوماً فيحتاج في كل زمن من ادوار حياتهِ الى تفريق بعضه عن بعض تخلّصاً من الازدحام الذي يضرُّ فيه وطلباً للسعة وللهواء النقي . وهذه المسئلة يلزم الاعتناء فيها اعتناء خاصاً منذ بداية التفريخ

فعند ما يخرج الدود من البزر يُجمع على قطع ورق التوت وتوضع هذه الاطباق كل واحدة بموازاة الاخرى بأبعاد متساوية بحيث يكون بين الواحدة والاخرى مسافة يجول بها الدود عند ما يُرشّ ورق التوت المفروم على جوانبه من اليمين والشمال وحينئذٍ ترى الدود منتشراً في كل جهة منها وهكذا يجري عند كل يقظة من النوم (اي في كل فترة) بحيث يرفع الدود كما تقدّم آنفاً ويُرشّ على جوانبهِ مفروم ورق التوت

وعند ما يكبر الدود يسهل تفريقهُ جداً بوضع بعض غصينات ذات اوراق على المحل المزدحم فيه الدود من الطبق عند اجتنائه الغذاء ورفعها كلّما تسلق عليها مقدار كافٍ من الدود ووضعها في محل آخر

اكثر مربّي الدود يستعملون لهذه الغاية ولتنظيف تحت الدود اوراق طيال بقدر طبقة السقالة مثقوبة على شكل الغربال وثقبها على حسب سن الدودة ويضعونها فوق الدود الطالب تفريقه او التنظيف تحته ويطرحون ورق التوت عليها فحينئذٍ يصعد الدود من الثقب المار ذكرها ويتسلل الورق وبهذه الصورة يسهل تفريقهُ ونقلهُ كثيراً

فبعد ان يرفع الدود لمحل آخر بقصد التنظيف يُشاهَد بعضه لا يصعد على الورق بل يبقى في ارضه وهو يطيّ الحركة لا يُعدّ بهذه الحالة صالحاً للتربية لاحتمال كونه لا يخلو من بعض الامراض فيلقى به بعيداً عن محل التربية مع بقايا الورق والاوساخ التي تخرج من تحت الدود

وحيث لا يجوز استعمال الاوراق المار ذكرها للتغذية او التنظيف اكثر من مرة واحدة فالبعض لاجل التخلص من كلفة تجديدها في كل سنة اصطنعوا شباكاً من خيطان على

تلك الصورة قابلة للعمل والتطبيق غير ان الدود الذي يرفع بها يتراكم بعضه فوق بعض عند ما يتدلى وسطاً من الشبك فيحصل له ضرر ولذلك يرجح استعمال الورق على تلك الاشباك

(التربية على الاغصان) ثم ان طرز السقالة المار ذكرها يستلزم مشقة في الخدمة وزيادة مصروف حيث يلزم به تجريد الورق الذي يُعطى للدود من الغصن ومواصلة تفريق الدود عن بعضه بعضاً والتنظيف تحته فلاجل الاختصار بالكلفة والمصروف مع جمع الاسباب الآتية لتحسين صحة الدود ونجاح الموسم فكّر البعض في ترجيح تربيته على الاغصان مع التنظيف تحته بسهولة وانتظام كلما لزم الامر واستعملوا لهذه الغاية نوع سقالة اساسها على الطرز المألوف في بلاد ايران المسمى (تيلمبار) حيث يربون الدود ضمن حدائق التوت فيركزون في الارض ٦ : ٨ دعائم خشبية (عواميد) يحددون بها محلاً طولهُ ٦ وعرضهُ ٤ امتار ويشبكونها بعوارض على ارتفاع مترين عن الارض بحيث يتمكن الشخص المربي من الوقوف والتجوّل عليها عند الحاجة ويجعلون سقفها من جذور الجودار (١ بشكل (جملون) على ارتفاع ٥ الى ٦ امتار ثم يشبكون تحت العوارض المذكورة على بعد ٥٠ سنتيمتراً تقريباً سقالة من عوارض اخرى (انظر صورتها ١٨٨)

وعند ما يبلغ الدود الدور الثاني والثالث يرفعونهُ وهو على الاغصان ويضعونه على السقالة المذكورة حيث يصير تغذيته صباحاً ومساء باغصان التوت التي تلقى عليه من يد المربي اثناء تجوّله على العوارض وعلى هذه الصورة ينتشر الدود بين الاغصان فتصبح سعة ٢٤ متراً مربعاً بحكم ١٨ . واما الافرازات والاوساخ فتسقط على الارض رأساً ولا يبقى لزوم للتنظيف تحته ويدوم الحال هكذا الى ان يبلغ ارتفاع العيدان والاوساخ المتراكمة تحت الدود والعوارض التي يمشي عليها المربي فيكون تقرّب زمن وضع الشيح فيوضع هذا وبلاً به خلاء التيلمبار حتى السقف الذي يكون ذاته بمثال الشيح

امّا التربية على هذه الصورة لا تخلو من نواقص مهمة تحول دون نجاح الموسم كما ينبغي حيث لا بد من سقوط مقدار كبير من الدود على الارض وضياعه كما انّ تراكم الاغصان التي تبقى تحت الدود ممّا يمنع جريان الهواء الذي هو اهمّ الامور الضرورية

١) نوع من القمح

لصحة الدود خصوصاً عند ما يقرب حضوره على الشيح ثمّ انه لا يمكن بهذه الاحوال تربية الدود الّا على طبقة واحدة

على انا نرى الاصول التي تتخذها اهل السواحل من هذه الولاية بتربية الدود في خيام مخصوصة تسمى «خمساً» انسب وافضل خصوصاً لامكان اصطناع عدّة طبقات بها على قدر اللزوم

غير ان هذه الطريقة كذلك لا تخلو من شوائب عديدة اهمها بقاء الدود معرّضاً لتأثير كافة العوارض الجوية مع مضرّة الحشرات والهوام البرّيّة في كل وقت فاذا لم يكن طقس الربيع معتدلاً قليل الامطار لا يمكن نجاح الموسم وكثيراً ما تذهب الاتعاب ضحية رداءة الطقس

واحسن طريقة للتربية هي طرز الستالة التي اصطنعها احد ارباب الفن في ايتاليا يدعى (كاواللو) بصورة يمكن بها تربية الدود على الاغصان بدون اقلّ محذور. وهذه الستالة هي عبارة عن عامودين من الخشب حذاء بعضهما بعضاً سعة الواحد عن الاخر ٨٥ سنتيمترًا وآخرين بالسعة المذكورة على بعد ١ متر و٢٠ سنتيمترًا عن الاولين وعلى كل هذه الدعائم الاربعة بكل ٥٠ سنتيمترًا يوضع شنكل من الحديد لاجل حمل العوارض التي تلقى عليه بطول متر واحد وعلى هذه العوارض يطرح عدّة عوارض خشبيّة رقيقة غيرها حذاء بعضها بعضاً بطول ١ متر و٤٠ س (اي حسب ما تقتضيه سعة المكان) يتشكل منها ارض الستالة وبهذه الصورة يمكن تكثير عدد الطبقات على معدل ارتفاع الدعائم (انظر صورتها ص ١٨٨)

وعند ما يخرج الدود من الصومعة الثالثة يوضع على هذه الستالة ويلقى تحت كل طبقة منها شرنشف من الخام لاجل استلقاء الاوساخ ومنع سقوطها من الاعلى للاسفل وحيث انه يوجد فوق كل شنكل على بعد ١٠ سنتيمترات شنكل اخر فلاجل التنظيف تحت الدود عند ما تتراكم الاغصان فوق بعضها حتى يبلغ ارتفاعها حذاء الشناكل الثانية يوضع عليها عوارض اخرى جديدة عرضاً وطولاً على الصورة المار ذكرها فتصبح ستالة بارتفاع ١٠ س عن الاولى ويلقى عليها اغصان التوت فيتلقّفها الدود من الاسفل وأمّا لا يبقى منه شيء على سطح الستالة الاولى تسحب عوارضها السفلى المركوزة على الشناكل فتسقط بما عليها من العوارض الرقيقة وعيدان الاغصان على الخام الموضوع

تحتها فتطرح تلك العيدان والاوساخ خارجاً ثم تنزل الطبقة الجديدة بتمامها وتنتقى على الشكل السفلى وهكذا يستمر الحال الى النهاية

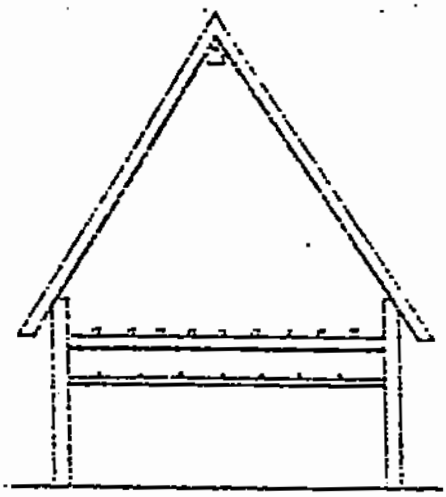

السقالة المدمرة تيلبار

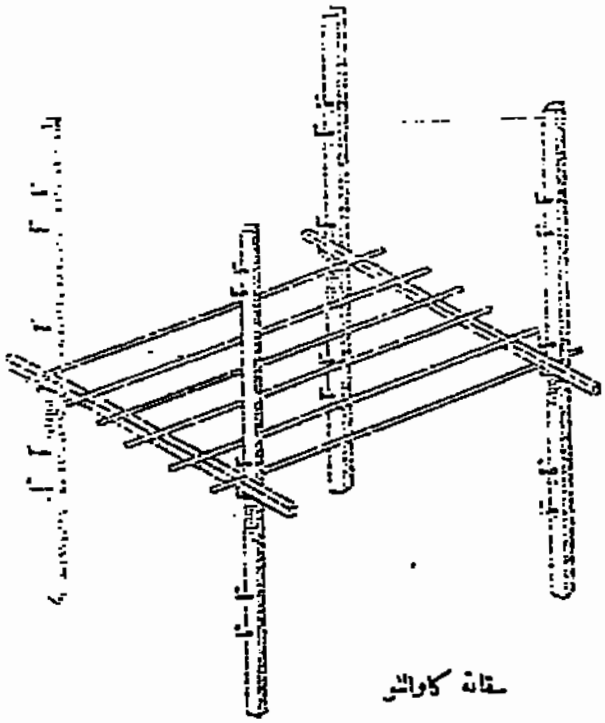

سقالة كاوالتو

وهذه الطريقة للتربية قد اظهر الاختبار انها افضل الطرق المستعملة لانها تجمع بين سعة الحل وتوفير التعب بتجريد الورق من الاغصان فضلاً عن سهولة جريان الهواء بصورة منتظمة وتوفير هذه الاسباب يكون الموسم مكفول النجاح. فترغب الى المربين عموماً ان يتخذوها قاعدة لتربية مواسمهم عليها فيشاهدون من حسن النتيجة ما يقيم كلفة اصطناعها لاول سنة

٣ ﴿ التهوية ﴾ كما ذكرنا في المباحث الاولى ضرورة الهواء في محلات التربية وهذه الضرورة ليست لاجل الحصول على المقدار اللازم من الاوكسيجين لتنفس الدود فقط بل لاجل ازالة حامض الكربون والرطوبة الناشئة عن الابخرة المتصاعدة فيها

وعليه يلزم ان يكون ذلك الهواء جافاً وبالتجربة قد عُرف ان السنين التي يكون الهواء فيها جافاً تكون مواسمها جيدة ولو كانت التربية واقعة في محلات غير مناسبة كالاخورات والمتابن وما شاكلها وهذا السبب الوحيد الذي جعل اهالي القرى يعتقدون عدم الفرق بين اماكن التربية لجهلهم الاسباب الحقيقية وهم لا يعلمون ان اسباب عدم حصولهم على مواسم جيدة في اكثر السنين هي ناشئة عن رداءة تلك الاماكن وعدم مناسبتها نظراً لوجود الرطوبة فيها وان تلك الصدفة التي حصلوا عليها ليست الا من فعل تأثير الهواء الجاف وكل يعلم ان مواسم الجبال والمحلات المرتفعة تكون بصورة دائمة احسن كثيراً من مواسم سواها من المحلات الواطئة والمنخفضة لان هواء الجبال دائماً يكون انشف من سواه

وبعض ارباب الاختبار تصوروا ازالة ما يحصل من الرطوبة بوضع الكلس الحي في اماكن التربية حتى ان البعض منهم توفق لازالة مرض الموسكاردين بواسطة رش الكلس الناعم على الاطباق بعد بلوغ الدود الدور الرابع من حياته. انما هذه الطريقة تحتاج لكلفة ومصروف زائد فترى ان ذلك يتوفر لهم باحراق مقدار من الحطب اليابس في تلك الاماكن في حال عدم كفاية الهواء لتنشيف الرطوبة. ومع كل ذلك فالفن قد توصل لتحسين نتيجة مواسم الحرير في كل المحلات رغماً عن التقلبات الجوية بانشاء اماكن على الاصول الفنية تساعد على تغيير الهواء فيها عند اللزوم مما يكفل للمربي حسن النتيجة

فمن اشهر محلات التربية في العالم هي الاماكن المعتمدة في ايالة «سافن» في فرنسا اذ يشتمل على عدد اشبه بالمغارة ذات منافذ في اعلاها تُفتح كلّما مسّت الحاجة لتجديد الهواء ويوجد بكل زاوية من زوايا البناء العلوي المعدّ لتربية اوجاق عادي من المصطلح عليه في القرى يحرق به الفحم الحجري والجبسين معاً ويحيطانه شبابيك صغيرة مستورة بالورق الخشن عوضاً عن القزاز وسقفهُ مصنوع من الترميد يوضع على التكنة رأساً بدون ميزان كي لا يصعب اندفاع الغازات والرطوبة التي تحصل بالتدريج فضلاً عن وجود عدّة منافذ بالسقف ذاته يمكن فتحها عند اللزوم....

والذي نراه ان اقصر الطرق التي تؤدي الى الغاية المطلوبة من حيث السهولة عدم وضع كمّية من الدود تزيد عن ما تقتضيه سعة المكان فمع هذا الاحتياط لا يبقى محذور من تربية الدود في اي بناء كان بشرط ان يكون به منافذ تُفتح عند اللزوم

هذا ولا ينكر ان لحيطان البناء الخارجية تأثيراً مهماً يختلف باختلاف المواد المبني منها فالآجر والطين يساعدان لنفوذ الهواء جداً بالنظر لكون الهواء يخترق مسامها بسهولة بشرط ان لا يكونا مطليين بالكلس من الخارج التي سعتها عبارة عن ٧٥ متراً مكعباً يتجدد هواؤها بظرف ساعة واحدة في اذا كان الفرق بين هواء والهواء الخارجي مقدار ١٩ فاذا كان ذلك الفرق لا يزيد عن درجة واحدة يكون مقدار ما يجري من الهواء عن سطح كل متر مربع ٢٤٥ ليتراً فاذا وقع المطر عن الحيطان المبنية بالآجر او الطين يقل جريان الهواء منها ولذلك ينبغي عند بناء المكان ان تكون تكنة الترميد بارزة الى الامام مقدار متر من كل جهة للمحافظة على الحيطان من الامطار

٤ ﴿ تغذية ﴾ يجب ان تكون كمية الغذاء التي تعطى للدود بظرف اربعة وعشرين ساعة بنسبة درجة حرارة محلّ التربية وجفافه فبقدر ما يكون الهواء حاراً وجافاً يزداد في عدد العلف وعليه يلزم تغذية الدود الصغير حتى ثاني وثالث دور من حياته ٦ الى ٨ دفعات بكل ٢٤ ساعة ومن الدور الثالث يكفي اربع مرات بشرط ان يكون مقدار الورق كبيراً...

ويرى بكل الاحوال ان على المربي ان يضع نصب عينيه لزوم مقدار ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ كيلو لكل علبة وزنها ٢٥ غراماً لان المائتين كيلو ورق التي تعطى لدود الصغير

في بداية ادواره تعتبر حاصلة من ٤٠٠ كيلو فاذا ضُمَّ اليها ٧٠٠ كيلو التي يصرفها الدود في اخر دور من حياته يتبيَّن ان اللزوم لا يقل من ١٢٠٠ ك

وقد لاحظ (داندولو) المربي الايتاليانى الشهير عدم لزوم اعطاء الدود غذاء طالما انه موجود على الاطباق ورق طري فيجب على صاحب الموسم اذا كان له شركاء بالقسم ان يلاحظ هذا الامر لانه قد جرت عادة الشركاء ان يكثروا من اطعام الدود فوق الاحتياج بقصد اخذ الفضلات (الجزّة) علفاً لحيواناتهم...

(وللمؤلف الاديب هنا باب طويل في الورق وكيفية غرس التوت على الاصول الفنية لتوفيره وفي طرائق تقشير الورق وفي خواصه من طراءة او يبوسة وتمييز صالحه من فاسده وعلى حفظ نظافته لسلامة الدود من الافات اللاحقة به فلم ننقله هنا حذراً من الاطالة)

٥ ﴿ حرارة المحل ﴾ ذكرنا ان الدود يتحمَّل الحر والبرد الشديد بدون ان يحصل له ضرر غير ان انتظام درجة الحرارة بمحلات التربية لها تأثير كبير على صحة الدود واحواله فاذا كانت الحرارة دون ٢٥ س يطول عمر الدود اي تطول المدة التي يصرفها منذ خروجه من البزر حتى نسج الشرنقة فيستوجب زيادة مصروف ما بين اجرة فعلة واثمان ورق يتلف نحته بكثر من المعتاد واذا صادف ظهور عرض بطيء السير كالبيبرين والدود بهذه الحالة يتلف القسم الاكبر منه قبل ان يصل للغاية

هذا والحرارة الزائدة لا توافق ايضاً لانها تضرّ بصحة المربين والعملة الذين يلازمون خدمة الدود بدخولهم وخروجهم سيما في اثناء الليل ثم بصحة الدود ذاته عند وقوع اقل تهاون او تأخير بامر تغذيته وحيث ان الحرارة تعجل في جميع حركات الدود فجرير الشرنقة التي تنسجها الدودة بالعجلة يبقى خشناً ويترك مقداراً وافراً من الفضلات عند حله

ولذلك يُختار الدرجة المتوسطة من الحرارة ان يكن سبب قاض بالتزيد والتنقيص كما لو تأخر نمو ورق التوت من برودة الطقس يلزم تنزيل الدرجة كي تقلّ الحاجة الى الورق او لزم الامر الى اتمام الوقت بسبب من الاسباب

واهم ما يجب الانتباه اليه بهذا الباب هو تغذية الدود بحسب حرارة المحل اي تزيد عدد العلفات او تنقيصه تبعاً لزيادة الحرارة وقلتها...

والآلات المستعملة لاجل ايجاد الحرارة في محلات التربية هي على عدة اشكال

احسنها التي تنشر الهواء حاراً في اماكن التربية تسمى (كالوريفير) لنا هذه الالة تحتاج الى مصروف كبير يتعذر على كل مربي استحضارها وعليه فالاكثر يستغنون عنها باصطناع اوجاقات قروية في زوايا تلك الاماكن والاوفق ان تكون هذه مصنوعة من الآجر بدلاً من اللبن لان الآجر يحمى ويبرد ببطء فلا يخشى من سرعة التغيرات التي تحصل في الطقس وقد يستعمل البعض ايضاً اوجاقات من الحديد وافضلها التي تكون من النوع الصيني فانها تمتاز عن تلك بكونها كالاولى تسخن وتبرد ببطء

والحاصل ان كل انسان يستعمل ما يتمكن من استحضاره والحصول عليه اذا اقتصد ان تكون الدرجة منتظمة للنهاية ...

٦ ﴿اصول وضع الشيح﴾ عند ما يشاهد المربي استعداد الدود للصعود على الشيح يجب عليه حالاً ان يركز الاغصان اللازمة التي لا بد ان يكون استحضرها قبل ذلك الوقت بزمان واحسن الاغصان المستعملة لهذه الغاية هي اغصان (الشيح) ثم (الطيون) ثم (الصنوبر) ثم (السنديان) وكافة اغصان النباتات ذات الاوراق النحيفة اليابسة فتجمع حزماً صغيرة وتركز

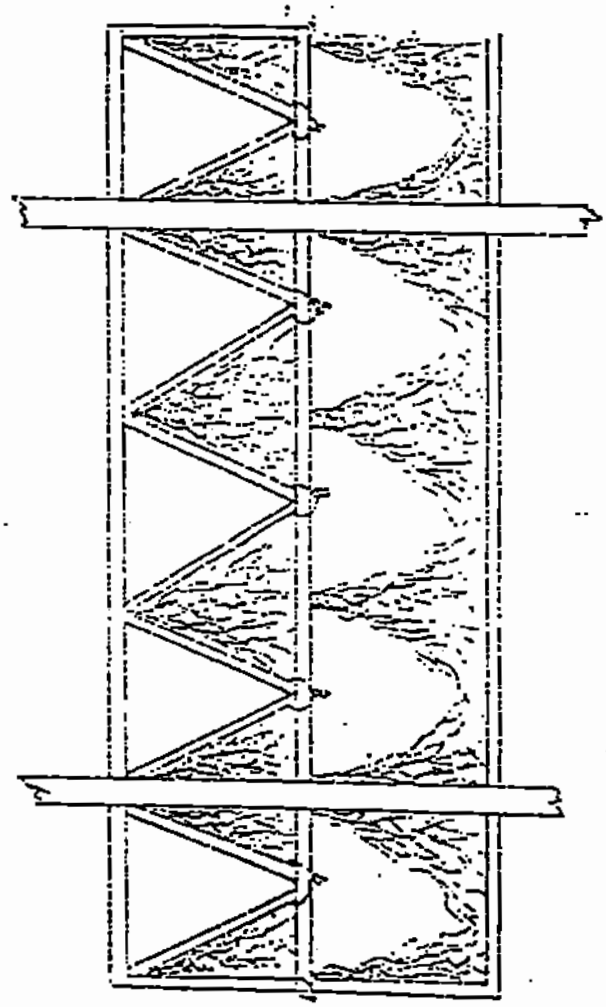

ا الشيح الاعتيادي ب الشيح ذو الشعريات

في جوانب ووسط كل طبقة من طبقات سقالة التربية بحيث يكون جذرها في الاسفل واعلاها في نهاية كل طبقة يبعد ٣٥ : ٤٠ سنتيمترًا بين كل واحدة واخرى حتى يبقى مجال لتغذية الدود الباقي والتنظيف من تحته ويجب الدقة في عدم الضغط عند ربط كل حزمة حتى يبقى محل لسير الدود فيها وعمل شرنقتها

هذا وكثيرًا ما يستدعي الحال لوضع افصان الشيح لكمية كبيرة من الدود في وقت واحد فلا يخلو عندئذٍ من كلفة زائدة وتعب عظيم على المربي اختصره البعض بعمل شعرات من الخشب ذات عارضتين في اعلاها واسفلها بثخن ١٥ ملمترًا مشبوكة على الوجهين بعوارض رقيقة من الخشب بين كل عارضة واخرى مقدار ٢٧ ملمترًا بحيث يصادف محل ارتكاز عوارض الواحدة بمنتصف المسافة الواقعة بين عارضتي الثانية فيتكوّن من معارضة تلك العوارض شقوق مستطيلة الشكل تتمكن الدودة من الدخول اليها ونسج الشرنقة بها . . . .

٧ ﴿ كمّية الدود ﴾ ليست النتيجة الحاصلة من تربية كمّية معلومة من الدود في مكان واحد كالنتيجة الممكن الحصول عليها فيما لو تربّت تلك الكمية في محلّات متعددة فقد عُلم بالتجارب ان تقليل مقدار البزر مع سعة المحل يأتي دائمًا بنتائج حسنة اعني ان العلبة التي تربى بهذه الصورة قلّما ينقص محصولها عن ٥٠ : ٦٠ كيلو مع انه لو كان المقدار كثيرًا لما زاد عن ٢٥ : ٣٠ كيلو واسباب ذلك واضحة لانه اذا كثر ازدحام الدود فتعود الشرائط اللازمة لصحة الدود غير كافية ولا يتمكن المربي من خدمة الدود كالواجب ولا يمكن حفظ نظافة الورق وتجديد الهواء

والحاصل لو امكن دفع كل هذه المحاذير فيبقى محذور لا يمكن ازالته بوجه من الوجوه وهو عدم كفاية حجم الهواء بالنسبة الى مقدار الدود وبعبارة اخرى تراكم الدود بزيادة عن اللزوم وهذا يكون سببًا كافيًا لاشتداد وطأة اي مرض ظهر في الدود على انه مهما كان البزر جيدًا لا بدّ من وجود بعض دودات مريضة بين هكذا كمية كبيرة او اوراق توت غير صالحة او ان جهة من المحل اصبحت عرضة لزيادة الحرارة او جريان الهواء او تأثير الرطوبة وهي الاحوال التي تُعدّ من اهم الاسباب لظهور الامراض فاذا ظهر مرض الفلاشري يتلف اكثر الدود بسرعة مدهشة

ومن جملة محسنات تقليل كمية الدود تقليل الكلفة والمصروف اذ بتلك الحال يمكن

ايصال الدود للدور الثالث او الرابع بخدمة اهل البيت فقط عوضاً عن استخدام عمة بأجورة باهظة نظراً لثقل الخدمة

نعم ان فائدة تربية القليل ربما تكون قليلة بحسب الظاهر انما نشير باتخاذ هذه الطريقة لمن يعطون مواسمهم بالشركة فيكثرون من عدد الشركاء الذين يعطونهم مقداراً بقدر سعة محلهم وبذلك يتمتعون بربح وافر

واذا شئنا ان نضع قاعدة مطردة لاجل الاستفادة الحقيقية من تربية دود الحرير نقول انهُ يلزم انتقاء بزر جيد وتوزيعه على شركاء متعددين مدربين على اصول التربية مع اعطائهم الورق اللازم من الحدائق المختصة بصاحب الموسم وبهذه الصورة لا يقل محصول شرانق العلبة الواحدة عن ٥٠ الى ٦٠ كيلو

الاناجيل القانونيَّة واناجيل الزُّور

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في آخر العدد السابق سؤالاً لاحد أدباء البلدة عن انجيل الطفولية وانجيل نيقوديموس فوعدنا بأننا نفرد لذلك بحثاً خصوصياً . ثمَّ رأينا ان الكلام عن هذين الانجيلين المزورين لا يكون مستوفياً الا بكتابة فصل كامل في الاناجيل القانونيَّة ليعرف القرَّاء ميزاتها وعلوَّ مقامها في كلّ اطوار النصرانيَّة ويكون كتوطئة لكلامنا في الاناجيل المصطنعة التي ابدعها المراطقة غالباً لترويج تعاليمهم الفاسدة

*

ما صعد السيد المسيح الى السماء حتى اخذ المسيحيُّون الاوَّلون في الانضمام تحت رعاية الرسل الكرام وسمعوا شهادتهم في تعاليم الرب واعماله منذ مولده الى موته وقيامته . فذلك كان الانجيل الذي امرهم المسيح ان يكرزوا به في العالم كلهِ هم وخلفاؤهم من بعدهم ولم يأمرهم بتصنيف كتاب خاصّ يدوّنون فيه تلك التعاليم والاعمال . الا انَّ المسيحيّين الاوَّلين أحبُّوا على الحواريين وتباعيهم ان يسطِّروا لهم سيرة الرب وتعاليمهُ ليرجعوا اليها بالنظر ويقرأوها في اجتماعات الدينيَّة ويتَّخذوا مضامينها

كقدوة في حياتهم فكان اوّل من لبّى دعوتهم القديس متى كتب انجيلهُ في اللغة الآرامية المعروفة بالسريانية الفلسطينية الشائعة في ذلك العهد بين اليهود لانهُ وضع انجيلهُ لمن تنصّر منهم في اورشليم واليهودية ثمّ نُقل بعد ذلك بزمن قليل الى اليونانية والسريانية الحديثة وأهمل الاصل الآرامي بعد تفرّق شمل اليهود .

ثم كتب مرقس انجيلهُ من بعد متى وكان مرقس تلميذاً لبطرس حامة الرسل ورفيقهُ في اسفاره فسطّر انجيلهُ كما تلقّنهُ من بطرس معلمهِ باليونانية لمن تنصر من اهل رومية لشيوع اليونانية بينهم . وصنّف الانجيل الثالث لوقا تلميذ بولس الرسول ورفيقهُ في اسفاره ومؤلف كتاب اعمال الرسل . وكان لوقا طبيباً متخرجاً بآداب اليونان خبيراً بالعلوم وكتب انجيلهُ بعد ان تحرّى البحث المدقّق في اعمال السيّد المسيح واقوالهِ اخذها عن اوثق المصادر اعني الرسل واقارب الربّ وكل « الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة » . وهذه الاناجيل الثلاثة سبقت كلها فتح اورشليم على يد طيطس اعني قبل السنة ٧٢ وتدعى بالاناجيل المتوافقة (Synoptiques) لتوافقها في تعداد اعمال السيد المسيح وذكر اقوالهِ ومشابهتها في سياق الروايات وطريقة الكتابة مع اختصاص كلٍّ منها بعدّة امور . وكان آخر من سطّر الانجيل يوحنّا التلميذ الحبيب وضعهُ باليونانية بعد خراب اورشليم للمتنصرين من اليونان في آسية الصغرى وكانت غايتهُ من وضعهِ أن يدوّن ما لم يثبتهُ الانجيليّون الاوّلون ويتصدّى للبدعيّين الذين قاموا في اواخر القرن الاوّل للميلاد وجعلوا يبثّون الاضاليل في عقول المسيحيين (راجع مقالة حضرة الاب دوران عن انجيل القديس يوحنّا في (المشرق ١٠ : ١٠٥٧ — ١٠٦٧)

تلك كانت الاناجيل الاربعة التي كُتبت بالهام من الله على يد الرسل الاطهار وصادقت عليها الكنيسة جمعاء دون تردد وانتشرت منذ ظهورها حتّى في اقاصي العالم المعمور ونُقلت الى لغات كلّ الشعوب المتمدّنة قبل القرن الخامس كما تشهد على ذلك التواريخ الصحيحة .

وممّا يدلّ على انّ هذه الاناجيل كانت منذ اوّل عهدها كما هي اليوم حرص الكنيسة على حفظ نصوصها المنزّلة وضربها على يد كل من حاول تحريف شيء من متونها الجوهرية حتّى انّ اعداء الدين الذين اهتمّوا في العصر السابق بجمع عدد لا يُحصى من النسخ الانجيلية في كل جيل وكل امة وبمعارضة تلك النسخ بعضها على

بعض لم يجدوا بينها اختلافاً يُذكر اللهمَّ الّا في امور عرضيَّة لا دخل لها في معاني الكتاب. وبعد ان افرغوا الوسع في تزييف الاناجيل المقدَّسة وابدال عدة تدهاً اسقاط حرمتها رجعوا يخفّي حنين ويكادون اليوم يسلّمون بكل ما تعلمه الكنيسة في شأن تصنيف الاناجيل المقدَّسة وكتبتها وزمن تاريخها وبراءتها من التحريف لكنهم لا يرضون برواية معجزاتها لأنهم ينكرون كلّ ما يتجاوز طور الطبيعة

ومن البراهين اللامعة التي لا تدع مجالاً للريب في صحّة الاناجيل انَّ الآباء الاولين الذين لدينا قسمٌ كبير من تآليفهم قد استشهدوا بآيات عديدة منها وذلك مباشرةً من القرن الاوَّل في رسالة القديس برنابا وفي رسائل اقليمس تلميذ بطرس والقديس اغناطيوس الانطاكيّ وفي اعمال باپياس تلميذ القديس يوحنا الذي يذكر انجيلي القديسين متى ومرقس باسمهما . ثمَّ القرن الثاني في مصنَّفات القديس ايريناوس الذي يذكر الاناجيل الاربعة ويستشهد في كتبه باكثر من ٤٥٠ آية انجيلية وفي اعمال اقليمس الاسكندري ويوستينوس الشهيد وهرماس ثمَّ اوائل القرن الثالث الى اواسطه في تآليف المعلمين الشهيرين ترتليان واوريجانوس والقديس قبريانوس الشهيد وغيرهم نصوص حرفيَّة مقتبسة من الاناجيل المقدَّسة وقس عليه بقية الآباء الذين ضمَّنوا كلّ اعمالهم نصوصاً مع شروح عليها واشارات متعدِّدة الى اعمال الربّ ومعجزاته الوارد ذكرها في تلك الاسفار حتى لو فُرض انَّ تلك الاناجيل فُقدت اليوم بغتةً لأمكن جمعها واعادتها على حالها من الشواهد المتفرِّقة في مصنَّفات الآباء في القرون الثلاثة الاولى فقط ففي تآليف ترتليان وحده ١٢٥ آية من الاناجيل المقدَّسة

وما هو اجدر بالاعتبار انَّ الاناجيل الاربعة المذكورة وُجدت وحدها في جدول الاسفار المقدَّسة القانونيَّة التي كانت تتبعها الكنيسة الرومانية امّ الكنائس ومعلمتها في مطاوي القرن الثاني (المشرق ١٠ : ١٠٦٢) كما ظهر باكتشاف هذا الجدول منذ سنين قليلة على يد موراطوري (Muratori) — ولمَّا اراد في ذلك القرن طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس أن يسرد حياة السيِّد المسيح لم يرَ طريقةً افضل من نقل آيات الاناجيل الاربعة بحرفها وادماجها بعضها بحيث يحصل من تلك الروايات الاربع قلادة تجمع سياقة السيرة الربانيَّة متتابعةً في مساق سيرة شاملة لخواص الاناجيل الاربعة . وذلك السفر الجليل الذي عرفهُ القديس افرام ونقل عنهُ في القرن الرابع قد وُجدت

نسخةٌ منهُ عربيَّة طُبعت في رومية العظمى قبل عشرين سنة ومنها في مكتبتنا الشرقيَّة اوراق منفرطة تاريخها سنة ٧٣٢ للهجرة ١٣٣٢ للمسيح منقولة من نسخة راقية الى القرن العاشر او التاسع (المشرق ٤: ١٠٠)

وقد صرَّحت الكنيسة بعتدها في هذه الاناجيل الاربعة في مجامعها وابطلت ما سواها. لا يلي ما كانت تأذن بابدال كلمة منها غير فصيحة بما هو افصح منها كما ذكر سوزومان المؤرخ (ك١ ف٢) من احد الاساقفة في مجمع قبرس حيث طلب تغيير لفظة « سرير » في اليونانية في قول المسيح للمخلع (مرقس ٢: ٩) : « احمل سريرك وامضِ » فرأى انَّ تلك اللفظة عاميَّة فتصدَّى الآباء للخطيب وزجروه لطلبهِ تغييرًا في كلام الله . فكفى بذلك دليلًا على عناية رؤساء الكنيسة في صيانة النصوص الانجيليَّة من كلِّ تحريف

*

بعد هذه المقدِّمة نستطيع ان نتخطَّى لذكر الاناجيل المزوَّرة فنقول: جاء في مثل « انَّ لكل شيءٍ آفةً من جنسهِ » وهو مثلٌ يصدق في الاسفار المقدَّسة كما في غيرها من الامور ولعلَّهُ فيها اصدق من سواها لانَّ الباطل يكتسي عادةً بثوب اليقين كما يتزيَّا البهرج بزيِّ الحسن والجمال فان وجد شيئًا ثمينًا تقلَّدهُ لترويج بضاعتهِ السخيفة

وان عدَّدنا الكتب المزيَّفة التي وضعها اصحاب التدليس معارضةً لكتب الالهيَّة المنزلة لأربى عددها على المئات ظهرت في كلِّ قرن من قرون النصرانية ومنها ما وُضع لتقليد اسفار العهد القديم كرؤيا آدم وسفر اخنوخ ووصايا آباء الاسباط الاثني عشر ومزامير سليمان الحكيم ورؤيا اشعيا النبي وسفري عزرا الثالث والرابع وسفري المكابيين الثالث والرابع الى غير ذلك. ومنها ما تأثَّر اصحاب كتبهِ العهد الجديد فادَّعى باسم بعض الحواريين او اتباعهم كبطرس الرسول وبولس وتوما وبرتلماوس ويعقوب. وهذه المصنَّفات اوسع من تقليدات العهد القديم اتخذها اهل البدع غالبًا كوسيلة لنشر اضاليلهم. وقد امتازت بين هذه المؤلَّفات المبرجة « الاناجيل الزور » لاختصاصها بالسيِّد المسيح لذكره المجد وباقاربهِ كأمهِ مريم والدتهِ عليها السلام والقديس يوسف ابيهِ بالتخيلة وباطوار حياة الرب المختلفة كطفولتهِ وشبابهِ وكهولتهِ وتعاليمهِ وموته ونزولهِ الى الجحيم ولشياء

كثيرة تنوط بشخصه الكريم . وها نحن نقتصر بتعريفها اجابةً لطلب الاديب الذي عرض علينا السؤال في انجيلين منها فنقول:

- انَّ الاناجيل الزور قد توفَّرت في قرون النصرانيَّة الاولى. وكانت الكنيسة ترقبها بعين ساهرة لئلَّا يدسَّها اصحابها بين ابنائها المستقيمي الرأي. وكان آباء الكنيسة ينبهون الى ذلك المؤمنين. قال اوريجانوس المعلم في اخر القرن الثاني واوائل الثالث في تفسيره على القديس يوحنَّا: « انَّ لاصحاب البدع عدَّة انجيل امَّا الكنيسة فلا تعرف الَّا اربعة اناجيل فقط » . وقد كرَّر مثل هذا القول غيرهُ من الآباء كالقديسين يوحنَّا فم الذهب وامبروسيوس. وسبقا الى مثل ذلك اوسابيوس القيصريّ الذي شبَّه كنيسة المسيح بمركبة ذات اربعة افواس يُقلّ عليها الانجيليُّون جلالةَ الكلمة الالهيَّة ويطوفون بها في جميع اقطار العالم. امَّا تلك الاناجيل الكاذبة فكان اصحابها ينشرونها سرًّا لئلَّا يردَّ الاباء ومعلمو الكنيسة على المدلسين الذين صنَّفوها ولهذا قد ضاع بعضها بتوالي الاعصار كما يزهق الباطل بظهور الحقيقة. وقد اجتهد كتبة عصرنا بنشر ما تيسَّر من كلّ هذه الاناجيل المزوَّرة وها نحن نعرّفها فردًا فردًا

١ ﴿ انجيل يعقوب ﴾ هو يعقوب الصغير المعروف باخي الرب اي نسيبه ابن كلاوفا واوَّل اسقفة اورشليم. فالايبونيُّون اي اليهود المتنصرون لما عرفوا لهذا الرسول من المقام في بيعة المسيح فضلًا عن قرابته معهُ نسبوا اليه انجيلًا زورًا أشاعوهُ منذ اواسط القرن الثاني فضمَّنوهُ روايات مصنوعة مزجوها ببعض اقوال الاناجيل المقدَّسة مع تقاليد شفاهيَّة كانت شائعة بين النصارى الاوَّلين يجوز اعتبارها كاخبار تاريخيَّة صحيحة دون البتّ بصحَّتها . وقد عرف آباء الكنيسة هذا الانجيل المصنوع منذ ظهوره ولم ينظموهُ البتَّة في سلك الاسفار القانونيَّة او اذا استعاروا منهُ شيئًا فتلوهُ على علَّاته كروايات شائعة في عهدهم. وهذا الانجيل قد كُتب في اليونانية ومنهُ نسخ متعدّدة مخطوطة وطُبع مرارًا في اصله اليوناني ومنقولًا الى لغات شتى. وهو يُقسم الى ٢٥ فصلًا. يبتدئ بذكر نسب يواكيم وحنَّة ابوي العذراء مريم وكيف منحهما الله ابنتهما الطاهرة مريم البتول بعد عقرهما على طريقة عجيبة كما رويناها في المشرق عن بعض الاناشيد العاميَّة القديمة (المشرق ٧: ١٠٨٨) ويلي ذلك خبر طفوليَّة العذراء وتقدمتها الى الهيكل وعيشتها فيه ثمَّ زواجها العجيب مع القديس يوسف بعد ازدهار عصاته بمعجزة باهرة.

وفي اثرها ظهور الملاك لهما مرّتين يبشرها بمولد السيّد المسيح ثمّ ذكر تفاصيل ميلاد الربّ الى مجيء المجوس للسجود ثمّ وقتل اطفال بيت لحم على يد هيرودس. هذا هو انجيل يعقوب الذي انتشر انتشاراً عظيماً في بعض الكنائس الشرقيّة ولما يتضمّنهُ من الاقوال التقويّة عدّهُ البعض كسفر قانونيّ واستشهدوا بهِ الّا انّ الكنيسة منذ القرن الرابع جعلتهُ في مصافّ الكتب المصنوعة

٢ ﴿ انجيل متى في مولد العذراء وطفوليّة المسيح ﴾ نُسب هذا الانجيل زوراً للقديس متّى وفيه روايات متعدّدة منقولة عن انجيل يعقوب السابق ذكرهُ مع زيادات أُخرى اعجب منها كبرنة البتول من الهيكل بعد حبلها العجيب وكعدّة معجزات حصلت للعائلة المقدّسة في سفرها الى مصر منها انحناء النخلة بثمرها الجنيّ امامها ومنها قطعها مسافة ٣٠ يوماً بلمحة عين. واغرب من ذلك قصّة الطفل يسوع في مدرسة الناصرة حيث يعيّر معلميه بشروحهِ لحروف الهجاء. الف باء. ومن عجائبهِ انهُ يصطنع في يوم السبت طيوراً من طين فينفخ فيها فتطير وانهُ يدخل في عرين الأسد فيمنعها عن الأذى بقرب اريحا. وهذا الانجيل في ٤٢ فصلاً كُتب اوّلاً في اللاتينيّة كما يظهر وتاريخهُ بعد القرن السادس للميلاد. طبعهُ اوّلاً العلّامة تيشندرف في كتابهِ الاناجيل المزوّرة (Tischendorf: *Evangelia apocrypha*, p. 115) ومنهُ نسخ مخطوطة متباينة في طولها ومروياتها

٣ ﴿ انجيل ولادة البتول مريم ﴾ هذا الانجيل كُتب ايضاً باللاتينيّة في القرن السادس للمسيح واكثر ما ورد فيهِ من الروايات منقول عن الانجيلين السابقين مع تفاصيل جديدة واختلافات في الظروف. والغالب انّ مصنفهُ احد الكتبة المجهولين وضعهُ رغبةً في بيان بتوليّة العذراء وهو لا يزيد على عشرة فصول تحتوي ما جرى لمريم العذراء منذ ميلادها العجيب الى ظهور الملاك ليوسف بعد حبلها من الروح القدس. وهذا الانجيل طُبع غير مرّة. وقد بعدّد طبعهُ تيشندرف

٤ ﴿ انجيل توما ﴾ قد صار لهذا الانجيل المصنوع شهرة كبيرة ايضاً في القرون الاولى وهو يحتوي اعمال الطفل يسوع من السنة الخامسة من عمرهِ الى سنتهِ الثانية عشرة وفيهِ من العجائب المرويّة عن السيد المسيح ما يزيد على الاناجيل السابقة غرابةً منها عقاب الخطأة واصطناع المعجزات العديدة. وفي نسخ هذا الانجيل اختلاف عظيم

في الفصول والروايات. وصورتهُ في اللاتينيَّة غير صورتهِ في اليونانية كما انَّ النسخ اليونانية غاية في الاختلاف. ولعلَّ هذه النسخ لا توافق النسخ القديمة التي اشار اليها الاباء. وما لا شكَّ فيهِ انَّ البابا جلاسيوس في القرن الخامس نظم هذا الكتاب في سلك الاسفار المزوَّرة وروى عنهُ شيوخهُ بين المانويين. والعلَّامة تيشندروف قد طبع منهُ ثلاث نسخ متباينة نسختين يونانيتين ونسخة لاتينيَّة

٥ ﴿ انجيل الطفولية ﴾ شاع هذا الانجيل في لغتنا العربيَّة. وقد طبعهُ سنة ١٦١٦ في المانية العلامة سَيْك (H. Sike : *Evangelium Infantiæ*, 1697) وترجمهُ الى اللاتينيَّة. وهو اوسع من الجامع السابقة مع ذكر تفاصيل وروايات ومعجزات جديدة وكذلك رقى سحريَّة وامور اخرى لا وجود لها في غيرهِ. والنسخة العربيَّة منقولة كما يُظَنّ عن السريانية وهي لكاتب نسطوري من اواسط القرن الخامس. وكان النساطرة يعتبرون هذا الانجيل ويقرأون فصولاً منهُ في حفلاتهم ثمَّ نُقل الى القبطية فشاع في مصر. وها نحن نذكر من هذا الكتاب فصولاً بحرفها تلبية لطلبة السائل الذي رغب الينا بذلك :

قصَّة المجوس

(الفصل السابع) وكان لمَّا اتَّلد الرب يسوع في بيت لحم يهوذا على عهد ايرودس الملك اذا مجوس وافوا من المشرق الى يروشليم كما تنبَّأ زرادشت وكان معهم القرابين الذهب واللبان والمرّ فسجدوا لهُ وقربوا لهُ قرابينهم حينئذٍ اخذت مريم احد اولادك القمط ودفعتهُ لهم بحسب البركة فقبلوه منها احسن قبول وفي تلك الساعة ظهر لهم ملاك شبه الكوكب الذي كان دليلهم اوَّلاً فمضوا مهتدين بنوره حتى وصلوا بلادهم

(الفصل الثامن) فاجتمعوا اليهم ملوكهم وسادتهم وقالوا لهم : ما الذي رأيتم وفعلتم وكيف مضيتم وعدتم وما الذي استصحبتم. فاظهروا لهم ذلك القماط الذي دفعتهُ لهم مريم فعملوا لذلك عيداً واضرموا ناراً مثل عادتهم وسجدوا لها والقوا ذلك القماط فيها فاخذتهُ النار ومزجتهُ فيها ولما خمدت النار اخرجوا ذلك القماط وهو مثل ما كان اوَّلاً كأن لم تمسهُ النار فبدوا يقبلوه ويضعوه على رؤوسهم وعلى عيونهم وقالوا ان هذا هو الحق بغير شك ان هذا امر عظيم ان لم تقدر النار ان تحرقهُ او تفسده واخذوه وادَّخروه عندهم بالكرامة الجليلة

قصَّة اللصوص

فلما انطلقوا من هناك وصلوا الى ارض مقفرة وسمعوا انها مخيفة ففكر يوسف ومريم ان يجوزوا في تلك الارض ليلاً وبينما هما سايران واذا هم ينظرون في طريقهم لصين ثقيلين ومعهم

جماعة لصوص اصحابهم وهم ايضاً راقدون وكان اسم هؤلاء اللصين الذين صادفوهم طيطوس ودوماكوس فقال طيطوس لدوماكوس: اسألك ان تطلق سبيلهم ليمضوا ولا يعلم بهم اصحابنا فابى دوماكوس ذلك فقال له طيطوس: لك مني اربعين درهماً وخذ هذا رهناً عندك وناوله الصبان الذي على وسطه ليسكت ولا يتكلم. فلما نظرت السيدة مريم هذا اللص قد احسن اليهم قالت له: لرب الملك ينجدك بيمينه ويمحك مغفرة الخطايا. فاجاب الرب يسوع وقال لامه: يا امي بعد ثلثين سنة يصلبوني اليهود في مدينة اورشليم فيصلبون هذين اللصين معي طيطوس عن يميني ودوماكوس عن شمالي وبعد ذلك اليوم يسبقني طيطوس الى الفردوس. قالت: حاشاك يا ولدي من ذلك. ومضوا من هنالك الى مدينة الاصنام فلما قربوا منها انقلبت وصارت رواسي رمل

قصة يهودا الاسخريوطي

وايضاً كان هناك في تلك البلاد امرأة ولها ولد مستحن من الشيطان وكان اسمه يهودا وكان كلما اعتراه ذلك الشيطان كان ينهش كل من دنا اليه وان لم يجد عنده احداً كان ينهش يديه وباقي اعضائه فلما سمعت ام هذا الشقي بخبر مريم وابنها يسوع قامت وحملت يهودا وجاءت الى عند السيدة مريم وكانا يعقوب ويوسى قد حملا الرب يسوع وهو طفل ليلعبوا مع الاطفال. فلما خرجوا من البيت جلسوا والرب يسوع معهم فجاء يهودا المجنون وجلس عن يمين يسوع فاعترضه الشيطان مثل عادته فاراد ان ينهش الرب يسوع فلم يستطع لكنه ضرب ليسوع على جنبه الايمن فبكى الرب يسوع وفي تلك الساعة خرج الشيطان من ذلك الصبي هارباً وهو يشبه الكلب المكلوب. وهذا الصبي الذي ضرب ليسوع وخرج منه الشيطان مثل الكلب هو يهودا الاسخريوطي الذي اسلمه لليهود وفي الجنب الذي ضربه يهودا فيه بعينه طعنوه اليهود بالحربة

قصة يسوع والصبي الميت

(الفصل ٤٤) وفي بعض الايام ايضاً كان الرب يسوع مع الصبيان وهم يلعبون على السطوح فوقع بعض الصبيان الى اسفل ومات لوقته فهربوا الصبيان وبقي الرب يسوع وحده على السطوح فلما حضروا اهل ذلك الصبي قالوا للرب يسوع: انت الذي رميت ابنا من السطوح. فقال لهم: انا ما رميته فانما هم جعلوا يصرخوا قايلين ان ابنا مات وهذا الذي قتله فقال لهم الرب يسوع: لا تشتموا عني ان كنتم لم تصدقوني قالوا نسأل الصبي فهو يظهر الحق. حينئذ نزل الرب يسوع وقام على راس الميت وصرخ بصوت عال: يا زيتون يا زيتون من رماك من السطوح فحينئذ اجابه الميت قائلاً: يا سيدي ما رميتني انت بل فلان الذي رماني. فقال الرب للحاضرين: اسمعوا كلامه. فكل من حضر سبح الله في هذه الاعجوبة

٦ ﴿رواية يوسف النجار﴾ تلحق هذا الكتاب المصنوع بالاناجيل السابقة لان بينه وبينها علاقة. وهو عربي اللهجة يحتوي قصة يوسف خطيب مريم العذراء مع تفاصيل واخبار عديدة منوطة بحياة السيد المسيح والعذراء مريم. وهو في ٢٢ فصلاً على شكل رواية يخبر بها السيد المسيح تلاميذه فيقص عليهم ما جرى ليوسف البار ابيه

بالذخيرة من اوّل حياته الى وفاته الصالحة بين ذراعي يسوع ومريم. وهذا التأليف قد كُتب في مصر اولاً. ومنهُ نسخ قبطيَّة ولاتينيَّة. ولعلَّهُ كُتب اوَّلاً في اليونانيَّة او السريانيَّة في القرن السادس وقد طبعهُ في اصله العربي مع ترجمته الى اللاتينيَّة سنة ١٨٣٢ العلَّامة تيل (Thiel)

٧ ﴿ انجيل نيقوديموس ﴾ انَّ الاناجيل السابقة كلَّها تذكر القسم الاوَّل من حياة المسيح او حياة والدته الطاهرة الى اوَّل بشارة الربّ وصعوده . امَّا انجيل نيقوديموس فانَّهُ مختصٌّ باعمال السيّد المسيح في آخر حياته اعني آلامهُ وموته وقيامتهُ . وهذا الانجيل كما يُعرف اليوم طبعهُ العلَّامة تيشندرف (Apocrypha, 210-432) ويقسم الى قسمين مختلفين فالقسم الاوَّل في ١٦ فصلاً وهو من اقدم الكتب المصنوعة لكنَّهُ لم يُعرف باسم انجيل نيقوديموس بل عُرف باسم « اعمال بيلاطوس » واستشهد بعضاً آباء القرن الثاني والثالث كالقديس يوستينوس الشهيد في دفاعه عن النصرانية (ف ٣٥ و٤٨) وكترتليان في دفاعه (ف٢١) . ومن المحتمل انَّ بيلاطوس بعد موت السيّد المسيح ارسل الى طيباريوس تفاصيل دعوى الربّ وموته كما كانت عادة الولاة في ذلك الزمان لكنَّ العلماء ينكرون ان هذه الاعمال التي لدينا هي لبيلاطوس حقيقةً وهذا القسم مكتوب باليونانيَّة بلغنا على روايتين مختلفتين . امَّا القسم الثاني فالحادي عشر فصلاً وهو يتضمَّن رواية شاهدين يُدعيان لوقيوس وقارينوس يُزعم عنهما انهما قاما عند موت السيّد المسيح . فأخبرا بما جرى نفس الربّ عند نزولهما الى الجحيم اي مقام الاباء في البيبوس . وهذا القسم روايات اخرى في اللاتينيَّة نُشرت ايضاً بالطبع . وهذا الانجيل نُسب الى نيقوديموس لانهُ يُقال في اوَّله ان نيقوديموس سطَّر في العبرانيَّة خبر آلام وموت السيّد المسيح وقتل اعمال بيلاطوس المرسلة الى طيباريوس قيصر . ورواية هذا التأليف تشبه غالباً رواية الاناجيل الاربعة القانونية وتؤيد صحَّة موته وقيامته من بين الاموات كالاناجيل الصحيحة ودونك قريب ما ورد في هذه الاعمال عن موت الربّ :

(الفصل ١١) وفي غير الساعة السادسة من النهار انتشرت ظلمة على جميع الارض الى الساعة التاسعة وانكسفت الشمس وانشق ستر الهيكل الى نصفين من اعلاهُ الى اسفلهِ وعند الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم « ايلي ايلي لما سبقتني » الذي معناهُ « الهي الهي لماذا تركتني » ثم قال يسوع :

« يا ابتاه اني اسلم روحي بين يديك » . واذ قال ذلك اسلم الروح . فلمّا رأى قائد المئة ما جرى مجّد الله قائلاً : حقيقة ان هذا الانسان كان رجلاً باراً . وكل الحضور اضطربوا لدى نظرهم هذه الامور وانصرفوا قارعين صدورهم . ثم اتى قائد المئة واخبر الحاكم بما جرى . فاصابهُ من جرّاء ذلك حزن عظيم وقضوا يومهم بلا اكل ولا شرب . ثمّ دعا بيلاطوس اليهود فقال لهم : « أما رايتم ما حدث » : فاجابوا الحاكم انّ الشمس انكسفت كاذبة . امّا اقارب يسوع فكانوا واقفين من بعد . . .

(الفصل ١٣) فدخل احد الجند على اليهود في مجمعهم وقال : « اذ كنّا ساهرين على قبر يسوع تزلزلت الارض ورأينا ملاك الله قد دحرج القبر وجلس عليه وكان وجههُ يضيء كالبرق وثيابهُ بيضاء كالثلج وبقينا خوفنا كالموتى ثمّ سمعنا الملاك يقول لنسوة اتين الى القبر : لا تخفن فاني اعرف بانكنّ تطلبن يسوع المصلوب . فانهُ قام كما قال . . . قال اليهود (للجند) : « حيٌّ هو الله فانا لا نصدّق مقالكم » فقال الحرّاس : « وكيف تصدقون قولنا وقد رايتم كلّ معجزات يسوع ولم تؤمنوا . لقد صدقتم بقولكم حيٌّ هو الله لانّ الربّ الذي حبستموهُ في القبر حيّ هو بالحقيقة . . . . »

هذه هي الاناجيل المصنوعة التي صبرت على افات الدهر الّا انهُ قد وجدت اناجيل غيرها عديدة ذكرها اباء الكنيسة دون ان يعيروها بالًا فضاعت لقلّة رواجها وها نحن نذكر هنا بعض ما ورد عنها

٨ ﴿ الانجيل الى العبرانيين ﴾ هذا الانجيل الذي عُرف منذ اوائل النصرانيّة انّما كان مكتوبًا بالاراميّة وامّا كان انجيل القديس متّى الاصلي ولكن لمّا انتشرت ترجمتهُ اليونانيّة وتضعضع امر اليهود اصيب هذا الانجيل الارامي بتحريفات شتّى حتى لم تعُد الكنيسة تعتبره البتّة وكان قد وقع منهُ نسخة في ايدي القديس ايرونيموس الذي نقل بعض رواياته في شروحه على الاناجيل القانونيّة . وانّما جمع العلامة هلغنفلد (Hilgenfeld) ما وجد منهُ مفرّقًا في اعمال الاباء

٩ ﴿ انجيل الابيونيين ﴾ كان يحتوي كالانجيل السابق رواية محرّفة لانجيل القديس متّى لكنّهُ كان اكثر منهُ تحريفًا . ذكرهُ ارسابيوس القيصري في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٧) واعلّهُ اراد بهِ انجيل يعقوب المذكور سابقًا

١٠ ﴿ انجيل برنابا ﴾ لا يُعرف من امرهِ الّا اسمهُ . فانّ البابا جيلاسيوس في القرن الخامس نظمهُ بين الاسفار المزوّرة المصنوعة « انجيل برنابا الرسول »

١١ ﴿ انجيل بطرس ﴾ اشار اليه اوريجانوس وارسابيوس القيصري والقديس ايرونيموس . وافادنا تاودوريطوس في كتاب البدع انَّ انجيل بطرس المذكور كان منتشراً بين انصار الشيعة الناصريَّة (Nazaréens) وانهُ كان قريباً من انجيل القديس متَّى الَّا في بعض الامور الموافقة لرأي اليهود المتنصرين

١٢ ﴿ الانجيل الى المصريين ﴾ كان هذا الانجيل ممَّا ابتدعهُ اصحاب الشيع الاسيويَّة المعروفة بالادريَّة (Gnostiques) واستندوا فيه غالباً الى رواية القديس متَّى . وهذا الانجيل ظهر منذ اواخر القرن الاوَّل لأنَّ اقليمس تلميذ بطرس الرسول اشار اليه في رسالتهِ الثانية الى القورنثيين

١٣ ﴿ انجيل الاثني عشر ﴾ دُعي بذلك لورود اسماء التلاميذ الاثني عشر في اوَّلهِ . ولا يُعرَف منهُ غير اسمهِ . وكذا قل عن انجيل فيليبُّس وانجيل تداوس وكلها مذكورة في اعمال الآباء كالاناجيل زور ليس الَّا

١٤ ﴿ انجيل برنابا ﴾ هو احد الاناجيل التي زيَّفها الهراطقة وحرَّمها البابا جيلاسيوس في جملة التآليف المصنوعة سنة ٤٩٤ . الَّا انَّ هذا الانجيل مفقود لا يُعرف منهُ شيء . وفي السنة المنصرمة طُبع في اكسفرد في الطليانيَّة والانكليزيَّة (١ كتاب موسوم باسم انجيل برنابا فاسرعت مجلَّة المنار المصريَّة الى ترجمتهِ الى العربيَّة ظنَّاً منها انَّهُ اكتشاف مهمّ ولو راجعت مقدَّمة الكتاب لتحقَّقت انَّهُ من الكتب المصنوعة الحديثة لا علاقة لهُ مع انجيل برنابا المذكور في حكم البابا جيلاسيوس وانَّ صاحبهُ على ما يظهر راهب ايطالي يُدعى ماريني حرمهُ رؤساؤهُ لسوء سلوكهِ فكتب هذا الانجيل في النصف الثاني من القرن السادس عشر وما النسخة التي وجدت حديثاً سوى النسخة الاصليَّة التي تاريخها سنة ١٥٧٥ . وكان الراهب المذكور أنَّف كتباً اخرى حرمتها الكنيسة فتقدَّم الى وضع هذا الكتاب ونسبهُ الى برنابا احد تلاميذ الرسل . هذا ما يرجحهُ ناشرا هذا الانجيل . وقد اطَّلعنا عليهِ (٢ فاذا هو خلطٌ من الاناجيل الاربعة

---

١) هذا نصهُ THE GOSPEL OF BARNABAS edited and translated from the italian Ms in the imperial Library at Vienna by Lonsdale and Laura Ragg. *Oxford, at the Clarendon Press*, 1907. LXXVI-500

٢) ونشكر العلامة المستشرق المسيو اميدروس (H. F. Amedroz) الذي اهدانا منهُ نسخة

المقدَّسة ومن الاناجيل المزوَّرة التي سبق ذكرها ومن اساطير دينيَّة وتلموذيَّة ومن مزاعم هراطقة القرون الوسطى. وفيهِ آثار ظاهرة من تآليف ايطاليَّة قريبة العهد لاسيما شعر دانتي. وهو في مائتين واثنين وعشرين فصلًا. يلوح من اثناء كل فصولهِ انَّ صاحبهُ ينكر لاهوت السيد المسيح وعقائد الدين المسيحيّ وانَّ غايتهُ نفي كلّ الاسرار والمساواة بين كلّ الاديان وناهيك بذلك دليلًا على حدوثهِ وسوء نية كاتبهِ هذا مع ما فيهِ من الروايات الصبيانية والاقاويل الملفَّقة التي لو اردنا تزييف قسم منها لاقتضى وضع مقالات مطوَّلة بل تآليف واسعة(١).

١٥ ﴿ انجيل يهوذا الاسخريوطيّ ﴾ واغرب من الانجيل السابق انجيل شاع بين هراطقة يُدعَون قائنيّين لانتمائهم الى قاين بن آدم وكانوا يدافعون عن هذا الاثم وعن يهوذا الاسخريوطيّ فوضعوا انجيلًا على اسم هذا الاخير تتويج آرائهم الفاسدة

١٦ ﴿ انجيل يعقوب بن زبدى ﴾ هو تأليف وضعهُ راهب عموس في القرن الثالث عشر ثم وُجد كتابهُ في اسبانية سنة ١٥٩٥ وحرمهُ البابا انوقنت الحادي عشر سنة ١٦٨٢

هذا نظر اجمالي في تلك الاناجيل الزور وهي كما ترى عديدة. مع انَّ لم نذكرها كلها فانَّ الهراطقة الاوَّلين كباسيليدس وفيرنثوس ومرقيون والنتيان كالمبتدعين في القرون الوسطى كالتشاريين والمانويين اتخذوا كلهم اناجيل خاصَّة كانوا ينقحونها كما يشاؤون وينسبونها الى احد الرسل او يدعونها باسماء مبهرجة ليخدعوا بها السذَّج كانجيل الكمال وانجيل الحقّ والانجيل المخفَّى وغير ذلك ممَّا يدلنا على ضرورة كنيسة ساهرة على التعاليم الصادقة والاسفار المنزلة الصحيحة تصونها من كل تحريف وتضرب على يد كلّ مسلّس لا يخجل من دسّ ترهَّات البشر في كلام الله. وقد عرف ذلك القديس اوغسطينوس حيث قال: «لولا شهادة الكنيسة وعلى الاكيد نجوصها على صيانة النصوص الالهيَّة لما آمنتُ بالانجيل»

---

(١) راجع مقالة مختصرة وضعها صاحب المقتطف في هذا الصدد في عدد تشرين الثاني من السنة المنصرمة (ص ٨٧٣ — ٨٧٦)

الترجمة الحرقلية السريانية

لحضرة الاب الفاضل القس جرجس منش الحلبي الماروني

دُعيتُ الى النظر في هذا الاثر السرياني وبيان مزيّته العلميّة فلبّيت الدعوة على وعورة المسلك وقصر باعي في مثل هذا المطلب العسير فتصفحتهُ صفحةً صفحة حتى ألمت بما يتضمّنهُ من التآليف وتعجّلت في ارسال هذه الرسالة الى مجلّة المشرق فيما عرفتهُ منهُ على ما وسعهُ قصر الوقت وسمحت به كثرة اشغالي عسى ان يشاركني القراء الافاضل في اثبات منزلته العالية وخطورة مندرجاته العديدة. ولعلمي بما في نشر مثل هذه الكتب القديمة من جميل الاثر في نفوس المشرقيين والمستشرقين

*

واول ما يراهُ القارئ في هذه المجموعة السريانية البحتة . انما هو رسالة يعقوب الرهاوي في سياسة الكلمة الالهيّة من بدء الخليقة الى نهاية سياسته وفي انذار الانبياء والرسل والملائكة الذين بشّروا به بروح القدس . ويذكر آدم واخنوخ ونوح وملكيزادق وسواه من الآباء وموسى وصموئيل وداود وسليمان واشعياء وغيرهُ من الانبياء ومتى ولوقا ومرقس ويوحنا وما عداهُ من الرسل وديونيسيوس واغناطيوس واثناسيوس وغريغوريوس والذهبي الفم وكيرلس الاسكندري وديسقورس (محامي الامانة القويمة على زعمهم - اي اليعقوبيّة . . .) وساويروس انطيوخيا الانطاكي (عمود الكنيسة . في الكنيسة اليعقوبية . .) ومار فيلكسين المنبجي وما خلا هؤلاء من العلماء والآباء اللائقة . وفي ظني الراجح ان هذه الرسالة الرهاوية انما هي (تاريخة للازمان) الذي ذكرهُ ثقة الصوباوي في قصيدته الشهيرة وتقي السمعاني العثور عليه اذ لا بدَّ من ان يكون فيه ما يكشف الغطاء عن معتقده وقد رأيت نعتهُ ديسقورس بمحامي الايمان وتقيهُ ساويرا بعمود الكنيسة مما لا يبقى معهُ ريب في معتقد الرهاوي اليعقوبي وقد ادركتهُ الوفاة سنة ٧٠٨ على رأي ابن العبري او سنة ٧١٠ على رأي المشمحري

وهناك ميمر مار افرام (— سنة ٣٧٢ او ٣٧٣) في الوحدة السيد المسيح وميمر مار يعقوب السروجي (÷ ٥٣٢) في الخلاص جلّ شأنهُ . وتفسير ساويرا (÷ ٥٣٨ او

٥٤٩)وبركنيا (+ ٩٠٢ او ٩٠٣) لرؤيا حزقيال النبي . وفصل ابن العصلبي (١ في قول داود النبي : ارفعن رؤوسكنّ ايتها الابواب . . . (٢٣ : ٩) وميمر سابا الفاضل القديس (+ ٥٣٠ او ٥٣١) في عناية الله تعالى . ونبذة اوسابيوس القيصري (+ ٣٣٨) المعروفة بقوانين تفسير الانجيل وقد ذكرها ابن العصلبي وابن العبري والصرباوي والسمعاني في مكتبة الشرقية (٣ : ١٨) وشرح الحكيم ابن صليبا لقوانين اوسابيوس السابق ذكرها . وبيان اعداد كل انجيل بالمقابلة على الاناجيل الاخرى لابن العصلبي . ومعارضة فصول الاناجيل بعضها ببعض واظنهُ له ايضاً . وجدول الاعياد المتحوّلة وتفضيل الاناجيل عليها وقوديك (اي فهرس) الاخبار الثار ذكرها . وصورة ايمان اليعاقبة سقطت منها ورقتها الاولى وعُوّض عنها بغيرها بخط حديث . هذا كل ما صدّر به الناسخ او الجامع كتاب الانجيل العزيز من الفصول الذين الفوا في هذا الشأن الخطير اي فحوى الاناجيل او العناية الالهية الخلاصية) على انه وان كان بعض هذه الفصول او المقدمات على الانجيل معروفاً او مطبوعاً ففي البعض الآخر من الخطورة ما لا يخفى على المطالع الكريم

*

ويلي هذه الفصول او المقدمات جزء ثاني يحتوي على انجيل القديس متى وهو مصدّر ببيان اسماء الخلص وكتاه مجموعة من كتب متفرقة . وصلاة فيلكسين المنبجي وموسى بركيفا التي تُتلى عند قراءة الانجيل . ومقدمة تفاسير ابن صليبا على الانجيل . وقراآت الانجيل حسب قوانين اوسابيوس السابقة . وجدول عجائب الخلص وامثاله . وفصل في نسب الخلص على اختلاف الروايات في شأنه . وفصل او مدخل في ادراك معنى مغلق الآيات الكتابية الذي وضعهُ للافئة المؤقتون والمفسرون المتأخرون كما هذّبهُ واصلحهُ حديثاً المغفور له ابن العصلبي والاول انجيل مار متى الرسول . ويليه انجيل مار مرقس وهو موطّأ ايضاً بفصل او اسلوب في فحوى مستغلق الآيات الذي رتّبهُ اللافئة المتقدمون والمفسرون المحققون وعلقوه على الانجيل . والقراآت التي في انجيل مرقس وجدول العجائب والامثال والفصول ونسب الخلص وبعده انجيل مرقس . وفي

١) توفي سنة ١١٧١ على رواية ابن العبري وتعقبهُ السمعاني فقال ان ابن العصلبي لم يمت قبل سنة ١٢٠٧ انظر المكتبة الشرقية (٢ : ١٧٦)

اثناء التفسير المتّفق عليه يذكر ابن الصليبي النساطرة والخلقيدونيين والسريان اليعاقبة وهو شاهد خطير على ان الملكيـة كانوا يُعرَفون بالخلقدونيين الى منتهى القرن الثاني عشر على ما نبّه عليه العلامة السمعاني في مكتبته الشرقية (١: ٥٠٨). ويليه انجيل مار لوقا البشير وعليه فاتحة ايضاً في بيـان الفصول والقراآت والعجائب والامثال كالسابق. ويليه انجيل مار يوحنا الرسول وفي اوله مقدمة ايضاً في الفصول والقراآت التي انفرد بها عن بقية الانجيليين . وجدول العجائب والامثال وذكر الآيات التي تمثل بها المخلص من الانبياء القدماء . وكل انجيل مفصّل الى فصول على معنى الاعياد حسب الطقس اليعقوبي . وعلى هامش كل انجيل تفاسير ضافية لابن الصليبي الذي فسّر الكتاب المقدّس كلّهُ واعتمد فيها على تفاسير يوحنا فم الذهب وكيرلس الاسكندري وموسى بركيفا ويوحنا الداراوي وغير هؤلاء من ائمة المشاهير. وقد اورد العلامة السمعاني فقرًا في مباحث خطيرة من تفاسير ابن الصليبي في المكتبة الشرقية (٢: ١٥٧ وما بعدها) ومن هذه التفاسير نسخ في مكتبة الفاتيكان وغيرها من المكاتب الشرقية والغربية

*

وهذه اسفار العهد الجديد قد عنى توما الحرقلي بنقلها من اللغة اليونانية الى اللغة السريانية فعُرفت بالترجمة الحرقلية (ܗܪܩܠܝܐ) وقد ذكرها المؤلفون السريان ولاسيما اليعاقبة متواترًا وكان اليعاقبة يستعملونها هي والترجمة البسيطة الذائعة في الكنيسة السريانية من عهد الرسل على ما اثبتهُ السمعاني في مكتبته الشرقية (٢: ٢١) ومن هذه الترجمة الحرقلية نسخة في المكتبة الاوغسطينية برومية واخرى في المكتبة الفيرنسية بايطاليا واخرى في المكتبة الملكية بباريس مخطوطة سنة ١٥٠٣ يونانية اي سنة ١٩٢ م (١ وقد ورد في ذيل نسخة مار اوغسطين ما خلاصتهُ : (نُقل كتاب الاناجيل الاربعة المقدسة من اليونانية الى السريانية بدقة كبرى في ايام مار فيلكسين اسقف مدينة منبج وقابلتهُ بثلث نسخ يونانية اذ توما وكان ذلك في دير القديس انطونيوس في مدينة اسكندريّة العظمى . وقد تمت معارضتهُ ونسخهُ في الحل المذكور في سنة ٩٢٧

١) انظر كتاب الترجمات الشرقية (٢: ٣٨٩) للعلامة ونيودوت الفرنسوي

للاسكندر الموافق سنة ٦١٦). ويشاكل هذا ما جاء في خاتمة انجيل يوحنا من النسخة الموصوفة وهذا لفظهُ العربي الحرفي: (ترجمتهُ (؟) من اليوناني الى السرياني سنة ٨١٩ يونانية (سنة ٥٠٨ م) ونُسخ هذا الانجيل سنة ٩٢٣ يونانية (سنة ٦١٦م) بمدينت(؟) الاسكندرية بيد لسقنيا تومه) اه. وخطأ السطر الاخير حديث وفي الاصل كان (بمدينة مرعش) فحكَّ وابدل (بالاسكندرية) فأدى هذا الى جهل الناسخ حيث لم يصر توما الحرقلي اسقف الاسكندرية مطلقاً على ما هو معروف عند كل من له اقل المام بالتاريخ(١).

وبعد هذه الحاشية العربية ثلاث حواشٍ اخرى سريانية هذه خلاصة الاولى منها: (... كتاب الاناجيل الاربعة الذي نُقل من اليونانية الى السريانية اولاً بتعب جزيل بمدينة منبج سنة ٨١٩ للاسكندر المقدوني في ايام المترف فيلكسين اسقف هذه المدينة. وقد عارضتهُ حديثاً باهتمام عظيم الاتوما المسكين في دير الاطرنيين (ܐܠܝܗܘܬܐ) المقدس من مدينة اسكندرية العظمى ...) وهذه الحاشية على ما ترى توافق حاشية نسخة دير مار نوفسطين السابق ذكرها. واما الحاشية الثانية من الاصل فهي خاتمة تفاسير الصليبي ولا فائدة من ايراد شيء منها. والحاشية الثالثة سيأتي ايرادها ان شاء الله تعالى

*

وبعد هذه الاناجيل الجليلة جزء ثالث من المجموعة يشتمل على قراءات الخاش الخلاصي المجموعة من الانجيليين الاربعة كما اثبتها توما الحرقلي وفي هذا دليل على ترقية كتاب الخاش في الكنيسة السريانية الانطاكية الى اقدم الايام. وعلى ميمر مار ايشان اسقف قبرس في الخلاص ودفنتهِ الخلاصية وهو ميمر معروف نقلهُ الى اللغة العربية الخوري يوحنا زنده الحلبي. وعلى قراءة حرقلية اخرى مجموعة من الانجيليين الاربعة. وعلى حثٍّ او تنبيه على حفظ الوصايا المسيحية مقتضب من الكتب الالهية ومن رسالة القديس فيلكسين الى قاطريق التوحد. وصورة لبنن مار فيلكسين المذكور مراراً اسقف منبج. وارتياب القديس فيلكسين في مناهضي السيد المسيح. وميمر مار يعقوب المنفان

١) قد علمت انَّ في كنيسة نيمانية في حمص نسخةً اخرى من الترجمة الحرقلية رسمها قبل سنين بتصوير تشمي المسيو ديلابرت الفرنسوي وهو الان يُعنى بنشرها (المشرق)

(السروجي) في الامانة الحقيقية. ووصايا اخرى مجموعة من الانجيل المقدس. والوصايا الروحية للكهلاء عن بولس الرسول. وتفسير الامانة لمار ديونيسيوس المعروف بابن الصليبي الذي سبق ذكره تكراراً

هذا كل ما مرَّ بي في هذه المجموعة الجليلة فيتحصَّل منهُ عدة امور اخصُّها ثلاثة: الاولى ان في هذه النسخة شاهداً عدلاً على ان السريان قد طاولوا سائر الطوائف المسيحية في ما بذلوهُ من العناية السامية في الكتاب العزيز من مثل ترجمته وشروحه ومقدماته وخواتمه التي يقتضي لها من التعب والعناء ما لا يقدَّر وقد وفَّوا هذا العمل الجليل حقَّهُ وان كدَّر مشرعهُ ما دسَّوه فيه بعض الاحايين من الضلال المذهبي. الثاني ان فيها شاهداً ناهضاً على ان السريان قد اعتادوا ايضاً ان يضمُّوا اسفاراً من الكتاب المقدس الى جلد واحد يعلقون على هوامشه ما قالهُ الاباء من الشروح على التنزيل الكريم مجارين في هذا العمل الخطير البوزنطيين الذين ألفوهُ قبل اللاتينيين في اوائل القرن الخامس على ما شار اليه الاب هودتش في المشرق (١١: ٤٠٠). الثالث ان فيها شاهداً آخر ايضاً على ان السريان قسموا فصول الانجيل من عهد بعيد على مدار السنة بما لا يوصف من الحكمة والذوق مما لا نجدهُ في بقية الطقوس الشرقية والغربية كما قالهُ العلامة يوسف داود السرياني في قصاراهُ (ص ٨٧)

*

والنسخة الموصوفة واقعة في ٦٠٧ صفحات ومخطوطة بحبرين اسود واحمر وناسخها الفاضل متفنن ما شاء بنسخها فكتب رؤوس الفصول بالخط السرياني المعروف بالسطرنجلي وبقية المجموعة بالخط المدوَّر المعروف بالبسيط او اليعقوبي فكتب اسفار العهد الجديد بحرف غليظ والحواشي بحرف دقيق والمقدمات والخاتمات بحرف متوسط. ولا يخفى انهُ من الخط السطرنجلي تولَّد الخط النسطوري والخط الملكي والخط المدوَّر المشترك بين اليعاقبة والموارنة ومن مراجعة هذه النسخة يظهر ان اليعاقبة أقروا هذا الخط قبل القرن الخامس عشر ومن مراجعة صفحات المشرق (٥: ٨٩٤—٨٩٥) يظهر ان الموارنة اعتادوهُ من مبادئ القرن المذكور دون ان يخترعهُ يعقوب الرهاوي كما زعمهُ البعض ولا ابن العبري كما توهمهُ العامَّة ولا تعمَّدهُ الخطاطون كما صار اليه العلامة الدويهي في تاريخهِ الطائفي (ص ١٤٠) والسمعاني في مقالتهِ السريان الناطرة

(ص ٣٧٨) بل ان الخطاطين السريان تدرجوا فيه قليلاً قليلاً لسهولته في الكتابة. وفي النسخة الموصوفة شاهد آخر على ما ذهب اليه العلامة يوسف داود من ان الخط السطرنجلي خصصهُ الخطاطون بعد اهمالهِ بكتابة الانجيل وسائر اسفار الكتاب المقدس والكتابات الرسمية ورؤوس الفصول وعنواناتها وليس هنا محلّ الافاضة في هذا البحث فأدعهُ الى فرصة اخرى ان شاء الله

واما سنة نساخة هذه النسخة فظاهرة من الحاشية الثالثة السابق ذكرها وهذه خلاصة تعريبها: (انتهت كتابة الاناجيل الاربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا في سنة ١٨٨٦ يونانية (سنة ١٥٧٥ م)... وانتهت تفاسير الملافنة القديسين والالهيين من التفسير الذي عُني بتأليفهِ الملفان القديس المدقق مار ديونيسيوس المكنّى بابن الصليبي الملطي مطرويوليط آمد (ديار بكر)... في المغارة التي هي تحت العمود المنقور في الصخرة على جنب كفرا القرية المباركة في طور عابدين من معاملة حصن كيفا..). هذا ما رأيتهُ في هذه المجموعة وصفتهُ بكل سرعة على غاية الاختصار خوفاً من ملل القراء. فيا اني اسأل الله ان يأخذ بيدنا لننشر ما يرضيهِ سبحانهُ ويفيد عبادهُ

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الآداب الاسلاميّة في هذا الطور (١٨٥٠—١٨٧٠)

انحصرت الآداب الاسلاميّة في هذا الطور الثالث اعني من سنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠ في العلوم الدينيّة خاصّةً من صرف ونحو ولغة وبديع وبيان وشعر وادبيّات منثورة. اما التاريخ والعلوم الطبيعيّة والفنية والرياضيّات فانّ التأليف فيها كان نادراً. الّا انّ بعض الادباء كالشيخ الرفاعي الطهطاوي في مصر وسليمان الحرائري في الجزائر عرّبوا عدّة مؤلفات اوربيّة في العلوم المستحدثة والاختراعات الجديدة فكانت تعريبتهم دليلاً على سعة اللغة العربيّة ومرونتها وكفايتها للمعارف العصريّة. فنهج فيرهم منهجهم بعد ذلك لاسيما جماعة الاميركان في بيروت. وها نحن نختصر تاريخ

أدباء المسلمين في هذا الطور بذكر مشاهيرهم بلداً بلداً مباشرة بالشام ثم مصر ثم العراق وبقية البلاد

﴿ ادباء المسلمين في الشام ﴾ نختار منهم اسماء قليلين ونعدّ مصنّفات اكثرهم لا تزال مدفونة في بيوت الخاصّة. فمن نشروا في هذه المدّة بآدابهم السيد مصباح البربير ابن محمّد بن محمّد البربير وجدّه احمد البربير الشاعر الذي ذكرناه في جملة ادباء الطور الاوّل من القرن التاسع عشر. ولد محمّد مصباح سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) واظهر منذ صغره نجابة عظيمة فبعد اتقانه اصول اللغة ومبادئ العلوم على شيوخ بيروت في ايامه كالشيخ عبد الرحمان افندي النحّاس والشيخ عبد الله افندي خليل البيروتي واخيه الشيخ ابراهيم البربير استُخدم في مجلس التحقيق بوظيفة كاتب وكان في شرخ شبابه مولعاً بالشعر فينظم في اوقات الفراغ القصائد الرائقة التي تُعرب عن فضله. وقد وافاه اجله فتعفّن غصن شبابه طرياً في وباء الهواء الاصفر الذي حدث سنة ١٢٧٢ (١٨٦٥م). وله ديوان صغير جمعه شقيقه الاديب عمر البربير فطبعه في مطبعة الاميركانية سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) ودعاه البدر المنير في نظم مصباح البربير. فما نظمه قوله مؤرخاً بناء دار لوالده سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢)

محمّد البربير دارٌ قد زهت ... ونجوم مطلع عزّها حرّاسُها
في باحها كتبَ المؤرخ قُلْ بها ... دارٌ على التقوى أقيم اساسُها

ومن تأليف اقرانه تهنئة بولد ابن عمّه محمّد نجيب ابن احمد البربير سنة ١٢٨٢:

بُشراك احمد قد اتاك نجيب ... حيّيتَ بِرّاً ضوءُ وتحيب
غلبَ الكسي من كل طرف حسنه ... فهو الحبيبُ على ابوه حبيب
قد لاحَ في افق السعادة ساطعاً ... ان غابت الانوارُ ليس يغيب
في مهده كالضيغم مفرداً ... وكذا النجيبُ من الاساد يهيب
الخيزرانُ حباهُ لين غصونه ... لطفاً وتحتضنُه حباه نجيب
نادت علامتُه السعود بوجهه ... يحيى سعيداً انه لأديب

وله مكاتبات مع بعض ادباء زمانه نخصّ منهم بالذكر الشيخ ناصيف اليازجي وكان هذا كتب اليه:

برعتَ وانت في قولٍ وفي عمل ... لفظاً ومعنىً وخطيّاً وإنشاءً
أعطاك ربّك نوراً يستضاء به ... فقد اصاب الذي سمّاك مصباحا

فاجابهُ محمّد مصباح بقوله :

يا من غدا شعرهُ الشعرى فكان لنا قاموسَ فضلٍ ولتخليفٍ ايضاحا
لأنت شمسُ علومٍ حين مطلعها كم أخرجتْ قمراً يزهو ومصباحا

(محمّد ارسلان) ولشهير ايضاً في الشام بآدابه وتآليفه المير محمّد بن المير امين ارسلان وُلد في الشويفات سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨م) وطلب العلوم منذ حداثة سنّه وتعلّم اللغات الاجنبية فضلاً عن اللغات الوطنية . ولمّا بلغ الخمسة عشرة من عمره فوّضت اليه الحكومة العثمانية ادارة الغرب الاسفل فتولّاها تحت نظارة والده حتى مات والدهُ سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) فقام بعمل والده . ثمّ انتقل الى بيروت مع اهل بيته واستوطنها وتفرّغ للتأليف والكتابة وكان مضدّاً لكلّ طالبي الآداب ساعياً في ترويج العلوم يجمع في داره محبّي المعارف . وسنة ١٢٨٥ (١٨٦٤) استدعتهُ الدولة العلية الى الاستانة لتعيد اليه بعض المهامّ لكنّ الموت عاجلهُ عند وصوله فمات بمرض القلب وله من العمر ٣١ سنة وقد ابقى المترجم عدّة تآليف لا تزال مخطوطة منها كتاب في اصول التاريخ وتآليف عدّة في الصرف والنحو والمنطق وكتاب حقائق النعمة في اصول الحكمة والسامرة في المناظرة وتعديل الافكار في تقويم الاشعار وتوجيه الطلاّب في علم الآداب، والتحفة الرشديّة في اللغة التركية الذي نشر بالطبع . وكان بين المير محمّد امين وأدباء زمانه مكاتبات تدلّ على براعته في فنون الآداب . وهو ممن مدحهُ الشيخ ناصيف اليازجي فله في ابيه المير امين وفيه اقوال حسنة فقال في المير امين :

كريمٌ لا يضيعُ لديه حقٌّ فقد سُمّي امينًا بالصوابِ
ونبيلٌ لا في دنيا بنيهِ لغير المال من حفظ الصحابِ
يبيتُ يظلّهم من عاطرٍ منّهُ ويُغني تحتهُ بيتُ الترابِ
ويدركنا نداه حيث كنّا على حال ابتعادٍ واقترابِ
وتُكسبنا مكارمهُ ارتفاعًا كسفرٍ زاد في رتب الحسابِ
فدام نداهُ يفرّجُ كلّ بابٍ ويأتيه الثنا من كل بابِ

ومن حسن اقواله في المير محمّد ما كتبهُ اليه يعزّيه في ابيه بقصيدة كان مطلعها :

ما دام هذا النجمُ يخفقُ غدهُ لا تُنكروا ان تقدمَ يجددُ
لا تُقطعُ الاغصانُ من شجراتنا الّا رأينا غيرها يتولّدُ

هذا الامينُ مضى فقامَ محمَّدٌ خلفاً فنابَ عن الامين محمَّدُ

وختمها بقوله:

خلفٌ كريمٌ أشبهَ السَّلفَ الذي كانتْ له كلُّ الخلائق تَشْهَدُ
ما كان يوجَدُ كالأمين بصره واليومَ مثلُ محمَّدٍ لا يوجدُ

وقد مدحهُ احمد فارس الشدياق بلامية اولها:

انَّ الامير محمَّداً مفضالُ من آلِ رَسْلانَ وهمَّ الآلُ

وقال يصف معارفهُ:

بأنٍ في نظمٍ ونثرٍ قولهُ فصلٌ وحكمٌ لا يليهِ مدالُ
قد ألَّفَ الكُتُبَ التي شهدت بأنْ أصحاب أرسطو عليهِ عيالُ
فاجاد في التاريخ ايَّ اجادةٍ وبكلِّ فنٍّ لم يَفُتْهُ مقالُ

وقال الشاعر المشهور اسعد طراد يعزّيه بوالده بقصيدة هذا مطلعها:

الارضُ تخبر والجماجمُ تشهدُ انَّ ابن آدم فوقها لا يخلدُ

ومنها في مدح الفقيد:

غدت بنو رسلانَ نخبةَ ومن فرط الاسى أمست تقومُ وتقعد
لك يا امين مع القلوب أمانةٌ حزنٌ بها اودعتها لا يُنفَدُ
فارقتَ لبنان الذي مهَّدتهُ عدلاً وكان الظنُّ لا يتمهَّدُ
اضرمتَ ناراً في القلوب كانما نار الفرى بجماك ليست تخمدُ

وممَّن نقدّر وفاتهُ في هذا الوقت الشاعر محمود بن خليل الشهير بالمعلم الدمشقي لهُ في المكتبة الخديوية (٤ : ٣٥٣) ديوان شعر خطَّهُ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) الاديب احمد زكية . وكان صاحب الديوان موجوداً سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨ م)

ولا نشكّ في انهُ اشتهر في هذا الطور من ادباء المسلمين في الشام غير هذين المذكورين الّا انَّ اخبارهم لم تُنشر حتى الان فلم نقف على تراجمهم . وممَّا وقع في ايدينا منذ عهد قريب مجموع فيه قصائد لشعراء بلاد الشام في القرن السابق نظموها في مدح علي بك الاسعد من البيوتات الشريفة في طرابلس فهناك اسماء عدَّة ادباء مرَّ لنا ذكر بعضهم كالشيخ عمر اليافي والسيد احمد البربير والسيد الشيخ عبد اللطيف افندي فتح الله مفتي بيروت وبطرس كرامة والياس اده والبعض الآخر لم نعرف منهم غير

اسمائهم كالشيخ عثمان والشيخ عمر البكري والشيخ مصطفى الكردي والحاج علي ابن السيد البكري والسيد عمر افندي الكيلاني . وكلهم قصائد اجادوا فيها لكننا نعرض عن ذكرها لجهلنا اخبار قائليها

﴿ مصر ﴾ خلّف لنا أدباء المسلمين المصريين مادّة اوسع من اخوتهم في الشام ومما ساعد على حفظها انتشارها بالطبع فسلمت من الضياع . ودونك اسماءهم :

(علي الدرويش) هو السيد علي افندي الدرويش بن حسن بن ابراهيم المصري الشاعر المفلق اصاب في اواسط القرن التاسع عشر شهرة كبيرة في القطر المصري وتقرّب من اصحاب الامر ومن أدباء وطنه فمدحهم وكاتبهم . ولما توفي سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) جمع ديوانه وانوالة النثرية تلميذه مصطفى سلامة النجاري فطبعه على الحجر في مصر في ٤٨٢ صفحة وأرّخه بالإشعار في حميد الأشعار (١٢٧٠) . وها نحن نورد منه بعض امثلة بياناً لفضل قائله . قال مؤرخاً قصر صديقه عرفي افندي

وقصر كالسماء بدا نجوم ... مطالعها السعادة والبدور
على نظاره تبكي عيون ... اذا ابتسمت لوارده زهور
فليس لوافد وافاه ضر ... وقد تندت لمدحته البحور
لئن اضحى لبناه مثون ... فقد شرحت لرؤيته الصدور
يقول الروض اني مستعير ... شذا عرفي ومن عرفي تعير
اذا سارت مواكب كل لطف ... بمن فيها فذاك هو الامير
وحسبك روضة في كل عام ... وفضل بالبنان له يشير
تقاصر من سناه ذو ثناء ... وحسن القصر ما فيه قصور
يقول المؤرخ والاسعاد ارخ ... سعود البيت يا عرفي منير سنة ١٢٥٩

وقال شاكراً :

سررت بنيل قصد من غير موعد ... ولا شيء اشهى من سرور تجدد
سررت بنيله ولكن حزنت من ... قصوري بحق الشكر في فضل سيدي
له الحمد والشكر الذي هو اهله ... وقل له حمدي وشكري ومنشدي
فلو كل عضو فيه عدة ألسن ... لأعجزني شكر الندى المتجدد
وهل انا الا عبد احسان عفوكم ... فاضحى لديه مدحكم كالمبدد
تعودت لولا لطفكم غير عادتي ... وصعب على الانسان ما لم يعود
وزدتم نعيمي نعمة ابدية ... وزدتم مقامي رفعة فوق مقصدي
وكدرتم ظن الحسود بعمقي ... واشهى من الاعدام تكدير حسدي

وحمّلتني ما لا أطيق وجوبهُ فينطق حالي عن لساني المقلّد
وتشهى لروحي عند ترويح فكرها بصورة معناه من حسن التدي
وقلّدني حسنُ الملوك الى المنى واهديتهُ حبّات درّ منضّد
وهل يُهدى للاملاك تاليفُ جوهرٍ وهل عرضٌ يُهدى نور مجرّد
نبا اسعد الله السعيدَ لمنكه ودولته والموكب المتجدد
نقد اشغل الدرويش شكرًا مؤرخًا مليك سعيد النجم خير مسدد

(شهاب الدين) وقد فاق على درويش المذكور شاعر آخر كان يعاصرهُ وهو الاديب الاريب السيّد شهاب الدين محمّد بن اسماعيل وُلد في مكّة سنة ١٢١٨ (١٨٠٣ م) ثمّ قصد مصر فدرس على مشايخها لاسيما شيخي الازهر محمّد العروسي وحسن العطّار فبرع في الكتابة والشعر. ولمّا انشأ الشيخ حسن اوّل جريدة طُبعت في الشرق وهي الوقائع المصريّة سنة ١٨٢٨ اتخذ كمساعد لهُ في انشائها شهاب الدين المذكور ثمّ خلفهُ في ادارتها سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦ م) وجُعل مصححًا لمطبوعات مطبعة بولاق الشهيرة وبقي في مهنتهِ الى السنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ م) وانقطع الى الكتابة والتاليف. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) وقد ابقى السيّد شهاب الدين من تآليفهِ كتاب سفينة الملك وقنية الفلك ضمّنهُ مجموعًا وافيًا من الزجليات والموشحات والاهازيج والموالي التي يتغنّى بها ارباب الفنّ في مجالي الافراح ومعاهد السرور ولمّا اتمّهُ سنة ١٢٥٩ قال في تاريخهِ:

هذي سفينة فنّ بالمنى شُحنتْ والفضلُ في بحرهِ العجّاج اجراها
واذ جرت بالاماني نبو تاريخها سفينةٌ بحر بسر الله مرساها

ثمّ طُبع سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) ديوان شعرهِ في ٣٨٠ صفحة وفيهِ الفضائل الرائقة في كل فنون العروض ومعاني الشعر. فمن نظمهِ قولهُ يصف مزولة انشأها حضرة سلامه افندي المهندس لجامع القلعة لبيان الاوقات والساعات بحساب البروج الاثني عشر

ومُظهرةٍ للوقت ظهرًا وغيرهِ وللبرج ايضًا فهي واحدةُ العصر
سلامةُ منشيءٌ رسمها وحاجها لجامع خيرات تفرّد في مصر

وقال من قصيدة يمدح بطرس بكتي اذ زارهُ يومًا وكان قنصلًا لدولة روسية:

الى ينجلي كالبدر في سندسيّة وهل حلّ في الآفاق بدرٌ بطرس
فتمّ لي الصفوُ الذي كاد حظّهُ يكونُ كحظّي يوم يناسر بغرس
الا وهو تاج تفخر والحسن والها مُشيّد اركان المكرمات المؤسس

جميل السجايا الالمعيّ فطانةً ... رقيق الحواشي ذو الحجى والتفرّس
مشوشٌ طيّاً ضاحك السنّ دائماً ... حليفُ المعاني ذو الجناب المقدّس
بنفس الذكيّ وقد جاء زائراً ... بتشنيف اسماعٍ وتشريف مجلس
يصوغُ لهُ نظمي نفيسَ مدائحٍ ... فتثنيه غايات الكمال بانفس

وقال عن لسان بعض الكاثوليك يمدح كبير مطّيم وكان المذكور التمس منهُ ذلك:

بنا النصارى مربي روح ملتهم ... حامي حمى كلّ شمّاسٍ وقسّيس
شخصٌ ولكن هيولى روحهِ ملكٌ ... وجسمهُ صورة في شكل قديس
اقام وهو وحيد العصر مفردهُ ... دينَ النصارى بتثليثٍ وتفريس
سعى الملوك الى تنبيل راحتهِ ... في البحر والبرّ فوق الفلك والديس
احيا الكنائس جمعاً بعد ما درست ... وشيّد الروح تشييداً بتأسيس
فعظّموا الربّ فيها بالصلاة لهُ ... ومجّدوهُ بتسبيح وتقديس

ولهُ في مديح حنّا البحري من قصيدة:

هو كهفٌ ذو لجأنا اليهِ ... في مخوفٍ منّا نخافُ امتسا
من أتاهُ مستنصراً بجاهِ ... عاد بالنصر بالذي ما تمنّى
كلّما عنّ امر خطب مهمّ ... بك فيما نراهُ منّا استعنّا
يصنع المكرمات سرّاً وجهراً ... وهو في عون من يقول أعنّا
كلّ من قد رآهُ وهو بشوشٌ ... عنهُ ولّت همومهُ واطمأنّا

ولهُ قصيدة طويلة في مدح نصر الله (نصري) الطرابلسي الشاعر الذي مرّ لنا ذكرهُ هنا اوّلها:

لا رعى الله يوم حان وداعي ... انهُ جالبٌ لحيني وداعي
فيهِ قد ازمع الرفاق فراقاً ... واصابت الشتاتُ شمل اجتماعي
وغدا الدمع سائلاً بمجاري ... ونوادي في موقف الابداعِ

الى ان قال:

أترى هل تعودُ ايّامُ أنسي ... وبقرب المزار تحظى رباعي
واذا ما الزمان جاء بنصري ... فبحمدٍ يُجزى وشكرٍ مساعي
هو بحر تُروى المآثر عنهُ ... بل هو البرّ في جميع البقاعِ
روضُ آدابٍ تفيض جناهُ ... قطرُ نشرٍ طيّب الايناعِ

وختمها بقولهِ:

زادك الله جمعةً وكمالاً ... ما ترجّى حسنَ الختامِ الداعي

ونظم الابيات الآتية لتُرسم على سفرة الطعام:

ايُّها السيد الكريم تكرَّمْ ... وتناولْ ما شئت اكلاً شهيّاً
وتفضَّلْ بجبر خاطر من هم ... اتقنوا صُنْعهُ وخذ منهُ شيّاً
وتحدَّث على الطعام وآنس ... واحداً واحداً بشوش المحيّا
واستردم اكلاً وقلْ انَّ هذا ... طابَ نضجاً وصار غضاً طريّا
فهلمُّوا بنا ومدُّوا اليه ... ايدياً بامُها ينالُ الثريّا
ثمَّ قُلْ يا احبَّتي هل لكم في ... بعض شيءٍ من النبيذ المهيّا
ولئن ساغَ شربهُ للتسرّي ... فكلوا واشربوا هنيّاً مريّا
واذا ما اكلت ضيفاً فارغ ... انَّ هذا لرزقنا كلَّ هنيّا (١٢٦٦)

(الشيخ البيجوري) واشهر من السابقين شيخ الاسلام ابراهيم البيجوري. ولد في قرية البيجور بمديرية المنوفية سنة ١١٩٨ (١٧٨٤ م) وطلب العلوم في الازهر مدةً وتتلمذ للشيخين محمد الفضالي وحسن القويسني وغيرهما حتى نبغ بين طلبة الازهر وتفرَّغ للتأليف فوضع كتباً عديدة في التوحيد والفقه والمنطق والتصريف والبيان واشتغل بالتدريس. ثم انتهت اليه رئاسة الازهر قيل ان صاحب الدولة الخديوي عباس باشا كان يحضر دروسهُ في الازهر. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠ م)

(ابراهيم بك مرزوق) ويُلحق بأدباء مصر احد مشاهير كتبتها ابراهيم بك مرزوق. ولد سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٧م) وكان منذ نعومة اظفاره مغرًى بالادب كثير الحفظ من مختار الشعر قيل انهُ كان يحفظ منهُ عشرين الف بيت كما انهُ احرز جملة وافرة من منتخب الفنون العلمية ومأثور الاخبار وكان كثير التصرُّف في فنون الكتابة ويحسن نظم الشعر. ورحل الى بلاد السودان فكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) وقد عُني بجمع قصائده وطبعها الهمام محمد بك سعيد بن جعفر باشا مظهر وقسمها الى سبعة ابواب على حسب معانيها ووسم هذا الديوان «بالدرّ البهي المنسوق بديوان الاديب ابرهيم بك مرزوق». وكان طبعهُ سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) ومما جاء فيه من الحكميات قولهُ:

انَّ الفضيلة في الانام غدت على ... شرف النفوس اشمّ اقوى حجة
فاذا ادَّعيتَ بانَّ اصلك يا فتى ... من سادة الابطال اهل الهمة
أوضح لنا نور الشهامة شيمهم ... وعلى رفيع المجد أحسنَ غيرة
واذا اردت الفخر فاسهر دائباً ... للطالب واهجر لذيذ المهجة

فتكونَ ذا شرفٍ فتلك دلائل دلّت على شرفٍ وكلّ فضائلِ

وقال مستعطفاً لصديق تغير منهُ :

يا مرضاً عجباً حاشاك من قصّ الذمامْ
مولاي ما لك قد بخلتَ عليَّ حتّى بالكلامْ
سلّم عليَّ اذا مررتَ فلا اقلّ من السلامْ

وقال يرثي اسكاروس افندي الباش كاتب القبطيّ :

لا شكّ عندي في فناء الوجودْ فافضلُ السيرةِ خيرُ الوجودْ
والمرء عزيزٌ باعمالهِ فشأنهُ يومَ تُقامُ الحدودْ
وانما طوبى لمن قد قضى دنياهُ بالخير وسعد السعودْ
كالبارع اسكاروسَ في فضلهِ باهي الحجا والجدّ غيظ الحسودْ
فقل لراجي شأوهِ ارخوا يكفي ثرى اسكاروسُ دارَ الخلود (١٨٩٠)

وقد عُرف في مصر غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم في كتب الادباء كالاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم والشيخ مصطفى سلامة وكان كلاهما محرّرًا للوقائع المصريّة في هذا الوقت. مدحهما صاحب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (ص١٢١ و١٢٩) . وكذلك في مصنّفات الشيخ ناصيف اليازجي مراسلات دارت بينهُ وبين ادباء مصر من المسلمين كالشيخ محمّد عاقل افندي كاشف زاده الاسكندريّ والشيخ حمد محمود افندي الاسكندريّ والشيخ عبد الرحمان افندي الزيلعيّ والشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ . ولكنّهم قصائد جيّدة اثبتها الشيخ ناصيف في مجموع شعرهِ لكنّنا لا نعرف من تاريخ اصحابها شيئاً . فممّا روى للشيخ محمّد عاقل قولهُ يصف الهواء الاصفر :

دعانا بوادي النيلِ كالسّيلِ حادثٌ لهُ تذهل الالبابُ حين يحيفُ
دعوهُ بريحٍ اصفرٍ شاعَ ذكرهُ وما هو الّا حيضةٌ وترفُ
بهِ استارت الافكارُ والعقل والنُّهى وكل طبيبٍ شانهُ موصوفُ (كذا)
فلم يبقِ دارًا لم يزُرْها ولم يذرْ جناتًا بهِ ركبُ السرور يطوفُ
شكلنا رجالًا للزمان تندُّمٍ طروسًا وهم للمعضلاتِ سيوفُ
تراهم ليومِ البأس والبأس عُدّةٌ وجاههمُ للقاصدينَ منيفُ
وكم فيهم من اهل زوقٍ وفطنةٍ وفيهم لطيفُ المعنى وظريفُ
لقد أقشبت اقطارُ مصرٍ لفقدهم وكان جم روح الكمال قطيفُ
ذوا وأقلعوا بارح الحزنِ في المشا فليس بديلًا تالدٌ وطريفُ

تشيّمتم عقلي وفكري وفطنتي ولم يبقَ من لبي لديَّ طفيفُ
وناقص امثالي صحيحٌ مضاعفٌ وبهوز حزني اجوف ولنيفُ

وقال يمدح بيروت وادباءها وخصوصاً الشيخ ناصيف اليازجي :

قد قصدتْ بيروت دار العزّة لم تمشِ الآلاء في النقط والمعجم
تريلهم قد شكَّ في اصل داره وصار يقين الامر في طيه ظنّ
مدينة ظرف ما جا غير فاضل بسيم وسيم قد حوى الحُسن والحسنى
تلذُّ لهُ الالبابُ كلَّ مطيّبة عجيبة الاصناف في كل ما هنّا
صغيرهمُ في المجد سيّد غيرهم على انَّ ذاك الغير قدوة من اتى
وما منهم الّا وقد شبَّ طوقهُ بنادي نصيف اليازجيّ وقد أتى
بجيد المعاني وهو للقول حجّةٌ لاهل تقى كم قد اجاد لنا فنّا

ومن اقوال الزيلعي في المدح :

بقيتَ مقامٌ لم تنلهُ الاوائل وحزت كمالاً تبتغيه الافاضلُ
ولستَ براءٍ غير فضلك يرتجي كمٍ مُلمٍّ فيه تدي الصياقلُ
ولولاك لم تدر العلوم بانّها تُجلّ وان قد بانَ منها دلائلُ
يطول لسان الفخر في فضلك الذي نبتَ لهُ ركناً لمرجع شاكلُ
وينصر بالع الدهر عن وصف ماجدٍ له جمعت في المكرمات الفضائلُ
فيا لك من مجدٍ ويا لهُ من يدٍ تطول ذا مُدّت وان حال حائلُ

وقال حمد محمود الفندي من قصيدة متشوقاً الى اهل الفضل في بيروت :

يا اهل بيروت ان لاقيتمُ كبدي فتحوا جدركم من قبلنُ بالحفر
اكادُ من الهوى حرّى وما بردت الّا شربي من الاشواق بالشرر
ودونكم حرّ بني فهو رقيكمُ وارحو ذمام شيخ فيكم على سفر
ملكتموه بالفاظ لم تزرّ وراح من شرّى الالباب بالغرر

وللشيخ حسن بن علي اللثاني الاسكندري يصف ديوان الشيخ ناصيف :

بدائع ما فيها سوى السحر منطقٌ حلالٌ وفي اجناسها لا ادافعُ
اذا جئ فوق الطرس سُمر براعة تصافحهُ الآداب وهي رواكعُ
وان راح ينشي او يكاتب صحبهُ تفرُّ معانيه الحسان قنازعُ
كانَّ صرير السر في روض طرسه غناء حمام وهو بالشعر ساجعُ
تآليفهُ قد فصحت كل اعجم بليغ وكم ولّى بليغٌ ويارعُ
لآلئ من زهر الربيع تناثرت حليناً وفي منظومها السرُّ ذائعُ
لئن فاح في ارض الشآم لذاوه ففي مصرنا منهُ شذا الذكر ضائعُ

(فما تابع)

الكنيسة الشرقية الاورثذكسية

نظر الاب فرنسيس تورنيز اليسوعي

قد توجهت انظار كتبة الغرب الى درس الشرق وكلّ ما يتوط به من تاريخ وآثار وآداب ودين فلا يمرّ علينا يوم واحد دون ان نطّلع على مطبوعات جديدة تميط النقاب عن بعض مجهولات الشرق. وممّا تلقّيناه آخرًا بل افرح كتاب وضعهُ احد نزلاء كليتنا في العام المنصرم وهو نيل أسرة انكليزيّة عريقة في الشرف الدكتور ادريان فرتسكيو كان قصد بلاد الشام لينجز عملهُ فتمّ اليوم نشرهُ طبعًا. وهو بالانكليزيّة وعنوانهُ « الكنيسة الشرقية الاورثذكسيّة * » ولما كان هذا التأليف ذا شأن عظيم لمعرفة احوال الكنائس الشرقيّة في بلادنا اردنا ان نشبع قليلًا في وصفهِ تنويهًا بمحاسنهِ

١ مصنف الكتاب وفائدته

ليس مصنّف هذا الكتاب ممّن يبتسرون الكتابة قبل التروّي والتنقيب الطويل ومعلوم انّ الكلام في الكنيسة اجمالًا يقتضي معارف دينيّة واسعة كاللاهوت النظري والادبي والحقّ القانوني ودرس اعمال الآباء ومجامع. امّا الكلام في الكنيسة الشرقيّة خصوصًا فانهُ يستدعي ما خلا ذلك درس التاريخ الكنسي ونظم كنائس الشرق وطقوسها ومختلف احوالها في داخليا وخارجيا. وقد ادرك ذلك كلّهُ مؤلّف هذا الكتاب فانهُ تخرّج في كل العلوم الدينيّة في كليّة انجلوك من اعمال النسا على اساتذتها البارعين من الرهبانيّة اليسوعية فنال رتبة اللقسان في الفنون المذكورة ثمّ تفرّغ للبحث عن امور الشرق الدينية حتى تقنها ولنا شاهد على همتهِ واتساع معارفهِ في هذا الصدد في المقدّمة التي صدّر بها كتابهُ حيث سرد اسماء المصنّفات المتعدّدة التي راجعها لتأليف هذا السفر الجديد مضيفًا الى كلّ كتاب انتقادًا على مزاياه الخاصة امّا استحسانًا لها وامّا نقدًا لشوائبها. وقد ساعدهُ على مراجعة كتب عديدة معرفتهُ التامّة لمعظم لغات اوربا فتقرّبت اليهِ بذلك مؤلّفات بلاد شتى لمكنهُ اقتباس فوائدها ولاسيما الجلات الشرقية

* وهذا عنوانهُ في الانكليزية THE ORTHODOX EASTERN CHURCH by Adrian Fortescue, Ph. D., D. D. with illustrations by the Author, *London. Catholic Truth Society*, 1907, XXVII-451.

التي اختصت بآثر الشرق واحوال الشرقيين . ولم يكتفِ بتدوين بدول تلك التآليف بل تراهُ في ذيل كلّ صفحة من كتابهِ يشير الى الاسانيد التي يدعم اليها اقوالهُ وان اقتضى الامر ذلك فتُد آراء من سبقهُ بحجج راهنة وادلّة بيّنة . وليست اسانيدهُ كاثوليكية فقط بل ربّما روى عن كتبة الروم الاورثذكس والبلغار والبروتستانت فلا يدع شيئاً مما يؤدي بهِ الى معرفة ما قصد بيانهُ . هذا فضلاً عن درسهِ لكتب الرتب الطقسيّة اليونانيّة على مدار السنة الليتورجية . فناهيك بذلك برهاناً على حسن استعداد المؤلف للكتابة في ما تحرّى تسطيرهُ

على انّ الكاتب الفاضل لم يعتبر كل هذه المصادر السابق ذكرها اعتباراً واحداً بل ميّز بينها على حسب فضل كتبتها وعلمهم وصدق رواياتهم وممّا صرّح بثقتهِ فيهِ كتاب العلّامة هرغنورتر (Hergenroether : *Photius*) في ترجمة البطريرك فوطيوس وهو حقيقةً كتاب جليل لم يدّخر فيهِ صاحبهُ وسعاً في ضبط وتدقيق معلوماتهِ . وكذلك يطرئ كتاب الاستاذ كاتنبوش في تعريف المعتقدات الكنسيّة (Kattenbusch : *Lehrbuch d. vergleich. Konfessionskunde*) وعلى خلاف ذلك فانهُ يحطّ من قدر كتاب الاستاذ نيل في تاريخ الكنيسة الشرقية (G. M. Neale : *History of the Holy eastern Church*) فلا يرى تحته كبير امر

ولا نظن مع هذا انّ المؤلف استوفى في جدولهِ السابق كلّ الكتب التي امكنهُ مراجعتها والتي كان يستطيع ان يستفيد من كبعض تآليف الاب بيرلنغ (Pierling) والاب غاغارين (Gagarin) اليسوعيّين وتآليف الخوري مكسيليان ابن امير السكس في الليتورجيّات الشرقية . وردّ الاب براندي على البطريرك انثيموس السابع وبعض تآليف الاب تديني البرنبي . وتآليف بيتزيبيوس (Pitzipios) في الكنيسة الشرقيّة وكتب اخرى مفيدة

وما يجدر بنا ان نزيدهُ هنا في ذكر صاحب الكتاب انّهُ يُشعر في كل صفحة من صفحات كتابهِ بما يتضمّنهُ قلبهُ من الحب الصادق للكنيسة الشرقية فيعظّم اعمالها ويجلّ قديسيها ويطنب في محامد كتبتها ويسترسل في اوصاف طقوسها وليتورجياتها ويرثي لاوجاعها وبلاياها وغاية ما يتمنّى ان يعيد لها بهاءها القديم ورونقها السابق ويتحاشى كل ما من شانهِ ان يمسّ احساسات اهلها . ولذلك لم يشأ ان يدعوها باسم الكنيسة المنفصلة

بل عنون كتابهُ باسم رضيتَ هي به وهو اسم الكنيسة الشرقية الاورثذكسية قاطعاً النظر عن مطابقته للمسمّى وكلّ الكنائس كما لا يخفى تسمتُ نفسها بالاورثذكسية اي المستقيمة الرأي . وهو يفهم به هنا كلّ الكنائس التي كانت سابقاً تحت حكم الكنيسة البوزنطية او تنتمي اليها في عهدنا وان كانت مستقلة عنها

٢ مواد الكتاب وابحاثهُ

هلمَّ بنا بعد تعريفنا لصاحب هذا التأليف وللمصادر التي اخذ عنها نستقري فصول الكتاب ونتتبع ما اودعهُ فيها من الابحاث.

قد قسم المؤلف كتابهُ الى اربعة اقسام تشمل مجموع المطالب التي تختص بالكنيسة الشرقية الاورثذكسية . ففي القسم الاوّل يبحث عن تاريخها قبل انفصالها عن الكنيسة الرومانية . وفي الثاني يلخّص خبر ذلك الانفصال ويروي اسبابهُ الصحيحة . ثمَّ في القسم الثالث يبيّن ما تقلّبت فيه الكنيسة الاورثذكسية من الاطوار بعد الانفصال . ويختم كتابهُ بقسم رابع خصّهُ بتعريف احوال الكنيسة الشرقية في أيامنا

﴿ القسم الاوّل ﴾ مدارهُ على البطركيات الشرقية واصولها وعددها وترتيبها وامتيازاتها وهو بحث جليل سبق اليه الشرق في سنة الخامسة . فذكر حضرة المؤلف علاقة الكرسيين الانطاكي والاسكندري بالكرسي الاوّل اي الروماني ثمَّ تخلّى الى ذكر الكرسي الاورشليمي الذي نال في القرن الرابع امتيازات خاصة لما جرى في القدس الشريف من الاسرار العظيمة واعقب ذلك بتاريخ الكرسي القسطنطيني الذي لم ينل امتيازات البطركيات الّا بطريقة غير قانونية لما برح اصحابهُ يطمعون في التقدّم ويسمون طاقة جهدهم في سلب الرئاسة زعماً منهم بان القسطنطينية اضحت رومية الجديدة بعد ان جعل فيها القيصر مركز اعمالهم فتحقّ له السيطرة على الكنائس الشرقية لهذا السبب . لكنّ الاحبار الرومانيين لم يزلوا يدافعون عن حقوق الكرسيين الانطاكي والاسكندري ويحتجّون على تناول الكرسي البوزنطي كما فعل خصوصاً القديسان لاون الكبير وغريغوريوس الكبير حتى احوجتهم الظروف بالصفح عن تلك المطامع . وكان مع ذلك كرسي القسطنطينية مقرّاً ورئاسة الحبر الروماني على الكنيسة جمعاء الى عهد فوطيوس كما تثبت عليه البينات الثابتة والشواهد التاريخية المتواصلة ولاسيما اقوال آباء المجامع المسكونية السبعة الاولى . وقد خصّ حضرة الدكتور فصلاً كاملاً في بيان

ذلك استناداً على شهادات الكتبة الاقدمين والمؤرخين المحققين. وقد انهى هذا القسم بفصل افرده لايضاح معتقدات الكنيسة الشرقية في القرون الستة الاولى وفي آدابها وليتورجياتها وفنونها الصناعية لاسيما التصوير والنقش... فهذا القسم كما ترى شامل لاحوال بوزنطية الدينية احسن تكاتب في بيانه ملخصاً مضامينه عن اوثق الكتبة الشرقيين والغربيين

﴿القسم الثاني﴾ يحتوي تاريخ الانفصال بين كنيسة رومية والكرسي البوزنطي وبيان ذلك يقتضي شروحاً وتفاصيل متعددة يصعب ايضاحها بكلام وجيز وقد عرف الدكتور فورتسكيو كيف يوردها بحيث يكون القارئ على بصيرة من الاسباب التي أدّت الى ذلك الانشقاق المشؤوم. وقد بيّن ما تفرّد به فوطيوس من المزايا والصفات وخصوصاً ذكاءه وسعة معارفه التي ابقى منها آثاراً جمة الا انه شوّه تلك السجايا الطيبة بحبّ مفرط للرئاسة وذلك ما كان السبب الاعظم للشرور التي حلّت بالكنيسة البوزنطية فخلعه القديس اغناطيوس البطريرك الشرعي ولم يزل يضطهده حتى اتاه مرغوماً عن كرسيه سنة ٨٥٧ فحدا الامر بالقديس نيقولا الكبير بابا رومية بحرم فوطيوس ثم بجمع هذا ليدافع عن نفسه وسيةً الا بنسبة الفرقة للكنيسة الرومانية قولها بانبثاق روح القدس من الاب والابن معاً

على ان ذلك الانفصال الذي سببه فوطيوس لم يكن نهائياً وقد بيّن مصنف هذا الكتاب بعدة شواهد ان خلاف فوطيوس عادوا الى الوحدة مع الكرسي الرسولي والخضوع لاوامر الاحبار الاعظمين حتى قام ميشال كرولاريوس الذي فصم نهائياً عروة الوحدة. ثم ان الدكتور فورتسكيو ينسب لبعض الغربيين هفوات ارتكبوها عجّلت وقوع ذلك الانفصال الا ان البطريرك كرولاريوس اتى بأعمال لا يمكن تركيبها على الاطلاق فانه ازال اسماء الاحبار الرومانيين من الدبطيخا المقدسة وقتل كثيراً من اللاتين في جهات بطريركيته وبالغ في سوء تصرفه الى حدّ اوجب القياصرة بنيه كما تقدم سلطة فوطيوس على ان وحدة الكنيسة منذ ذلك اليوم أصيبت بضربة لازبة

﴿القسم الثالث﴾ يتضمن اخبار الكنيسة الشرقية الارثذكسية بعد انفصالها في القرن الحادي عشر عن مركز الوحدة. فيفصل ما سعى به كبار الاحبار لرتق الفتق ورد الابنة الشاردة الى امها. وذلك في المجامع المقدسة التي عقدت في مدينة لاري ثم في

مدينة ليون ثمَّ في فيرنسة وكان اوّله في كل هذه المجامع يقصدون الانضمام الى امّ الكنائس ويسعون فيه بعض السعي ثمَّ لا يلبثون ان يعودوا الى إبائهم وتنورهم حتى قُطع امل الانضمام في سنة ١٤٥٣ بفتح الكنيسة الاورثذكسيَّة من النوائب والرزايا. على انَّ الكنيسة الرومانيَّة لم تهمل كرسيّ القديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس يوحنا فم الذهب كما تشهد عليه الرسالات اللاتينية التي لا تزال في الشرق تمهّد الطرق للاتحاد الدينيّ وإبطال اسباب النفور

ومن فصول هذا القسم المفيدة تاريخ المدارس والدروس في البطريركية القسطنطينية وتفصيل مساعي البروتستانت في اجتذاب اصحاب الكرسي البوزنطي الى آرائهم خصوصاً في القرن السابع عشر على عهد كيرلس لوكاريس. ولولا همَّة المرسلين الكاثوليك لغلبت تلك الآراء على كنائس الشرق

﴿ القسم الرابع ﴾ هذا القسم يصف احوال الكنيسة الشرقية الاورثذكسية في عهدنا فيعدّد في فصل اوّل بطريركيتها وكراسيها المستقلَّة التي انفصلت بالتدبير والنظام عن الكرسيّ القسطنطيني كقبرص ثمَّ روسيا (سنة ١٥٨٩) ثمَّ الكرج ثمَّ كرواتيا للمجر وكرانغورا للجبل الاسود (١٧٦٥) ثمَّ كرسي طور سينا الذي عُرف استقلاله رسميًّا سنة ١٧٨٢. ثمَّ كنائس اليونان (١٨٦٠). ثمَّ كرسي هرمنستاد للفلاخ والرومان (١٨٦٤). ثمَّ كرسي البلغار (١٨٧٠). ثمَّ كرسيّ كرانوفتس لبلاد بوكوفين في النمسا (١٨٧٣) ثمَّ كنيسة سربيا (١٨٧٩) ثمَّ كرسي الهرسك والبشناق (١٨٨٠) ثمَّ اخيرًا كنيسة رومانيا (١٨٨٥)

ويلي الفصل السابق عدَّة ابواب اوّلها باب في نظام الكنائس الشرقية الاورثذكسية وخدمة دينها من رأسها البطريرك ومطارنتها واساقفتها وكهنتها ورهبانها الى شمامستها وطلبتها. وفي الباب التالي تعريف بإيمان تلك الكنائس وما يفصلها بينها وبين الكنيسة الرومانية كرئاسة الحبر الاعظم وقضية الانبثاق والاستحالة الجوهرية والمطهر والحبل بريم العذراء بدون الخطيئة الاصلية. ويبدي الكاتب رأيهُ في كل ذلك ولا يرى من المستحيل تذليل تلك العقبات

والباب الثالث يحيط علمًا بالتعريبين بعادات الروم وكلندارهم واعيادهم ورتبهم

وكيهم الطقسية الى ما هناك من الاثاثات من الفنون الصناعية الدينية كبناء الكنائس والتصاوير والموسيقى والآنية القدسية الخ

وقد ختم الكتاب مجاهرًا بأمله في عود تلك الوحدة التي هي زينة الكنيسة وموضوع دعاء السيد المسيح الذي طلب من ابيه ان تكون الحظيرة واحدة والراعي واحدًا

هذا نظر عمومي عن ذلك السفر الجليل الذي احيينا وصفهُ لقرائنا . وغاية ما نرغب ان يُنقل هذا الكتاب الى لغتنا العربية لتقرب فوائدهُ من اهل هذه البلاد ويسعوا جهدهم في تعجيل تلك الوحدة المرغوبة التي يشتاق اليها كل المسيحيين

وكنا نودّ بان نلحق الاسطر السابقة ببعض ملحوظات في هذا الكتاب ونحن نعلم انَّ مؤلفهُ يتقبلها بالشكر ويستفيد منها لطبعة ثانية . لكنَّ ملحوظاتنا هذه في امور عرضيَّة لا تمسّ جوهر الكتاب ولا يسعنا هنا ايرادها لضيق المكان . وانما نكتفي بان نُعلم حضرتهُ عن مجمع الاورشليم المنعقد في تموز انهُ عُقد سنة ٥٠٥ او ٥٠٦ وليس كما كان يزعم الاقدمون سنة ٥٩١ وقد ثبت الآن بأن انفصال الارمن عن الكنيسة على عهد زمي الثاني تمَّ سنة ٥٥٤ . والامير قد تبيَّن بنشر كتاب قديم موسوم بكتاب الرسائل الذي طُبع في تفليس سنة ١٩٠١ . وبالختام نتمنَّى لهذا الكتاب رواجًا وانتشارًا جازى الله مصنفهُ كلَّ خير

مطبوعات شرقية جديدة

Abbé Curtet: La Terre Sainte autrefois par aujourd'hui. *Nouv. édit.*, 1905, Belley, Chaduc. 172 pp., gr. 8° — Suppléments 1907-1908, 32 pp.

الاراضي المقدسة وتعريف قديمها من حديثها

قد زار صاحب هذا الكتاب غير مرَّة بلاد فلسطين فاذهلتهُ امورها وعادات اهاليها فأدرك بالمقابلة ما بينها وبين روايات الكتب المقدسة من التشابه ثمَّ وجد في رحلاته كثيرين من الزوار ملحوظات كملحوظاته الخاصَّة فجمعها واضافها الى ما عاينهُ بنفسه

ونشرها افادةً لمواطنيه الفرنسويين . وقد تصفَّحنا هذا الكتاب فوجدناهُ جامعاً بين اللذيذ والمفيد اهلاً بأن يتَّخذه الزوَّار كدليل في أسفارهم الى الاراضي المقدَّسة . نعم لا يخفى على المؤلف بأنَّ كتابهُ ليس بكامل اذ لم يمكنهُ ان يراجع ما كتبهُ في هذا الصدد علماء المانيـة وانكلترة لكنهُ افرغ كفاية الجهد في تدوين كلّ ما بلغت اليه معرفتهُ فرتَّبهُ احسن ترتيب تسهيلاً للمطالعة فوصف اوَّلاً المسكن ثمَّ المأكل ثمَّ العادات البيتيَّة والآداب الاهلية ثم الزواج ثم الجنازات الى غير ذلك مما تستحبّ معرفتهُ ويؤيد مرويَّات الاسفار المقدَّسة . ولذلك قد نشطهُ الحبر الاعظم بيراءة ثنائيَّة ارسلها اليه على يد نيافة الكردينال مري دلفال كما اثنى عليه غبطة البطريرك الاورشليمي والمؤلف لا يزال يحسّن كتابهُ ويضيف اليه الاضافات المفيدة منها ملحقات قد طبعها حديثاً وعما قليل سيشفعها بملحق ثالث . ونحن ايضاً نشكر حضرة مصنف الكتاب ونحضّ الشرقيين على اقتنائهِ (١ س . ر

G. Robinson Lees: VILLAGE LIFE IN PALESTINE. with 50 illustr. from photogr., New edit. revised. *Longmans*. 1907, X-233 pp. 8°

الحياة الاهلية في فلسطين

يُشبهُ هذا الكتاب التأليف السابق في موادّهِ الّا انهُ في الانكليزيَّة وذاك في الافرنسية . فقد تتبع الكاتب كلّ احوال اهل فلسطين في دينهم ومعاشهم وآدابهم وصناعتهم ومزاعمهم الخرافية فوصفها وصفاً مدقّقاً ليبين ما بينها وبين مرويَّات الكتاب الكريم من العلاقات وقد زاد اوصافهُ حسناً بخمسين تصويراً بديعاً يمثل احوال الشرقيين . ومن فصول الكتاب الذي اجاد فيها الفصل الاوَّل في وصف مدينة فلسطين واقسامها وتعريف تربتها واحوال جوّها وثمَّ فصل حسن في دين اهل فلسطين وعباداتهم ومناسكهم واعيادهم وكذلك خصَّ باباً من كتابهِ بعادات الفلاحين في تلك البلاد في الزراعة ورعية المواشي والصناعات وفي حياتهم البيتيَّة وعاداتهم الاهليَّة في الاسواق والمجتمعات العموميَّة وفي افراحهم واتراحهم . فترى من هذا الوصف ما يحتويهِ الكتاب من المضامين المفيدة . وهنا فليسمح لنا اهل بلادنا بان نستلفت انظارهم الى امر طالما قضينا منهُ

(١ يساوي الكتاب فرنكين ونصف فقط وهو يطلب من صاحبهِ بهذا العنوان
Mr. L'abbé Curret, à Groissiat. par Martignat (AIN). France

العجب وهو حرص الاوربيين على معرفة بلادنا ووصف احوالها فيكتبون فيها الأسفار الواسعة مع كوننا أحرى منهم بوضع هذه المصنَّفات وصاحب البيت أدرى بما فيه من سواه فلو دوَّنا كل ما نعرفهُ من احوال معاشنا وعاداتنا الدينيَّة والمدنيَّة لتلقَّى الاجانب كتب بمزيد الشكر واستدلُّوا بها على ضرائبهم التي ينشدونها وخصوصاً على حقيقة الامور المرويَّة في الكتب المنزلة وتأييد صحَّتها بما يجري اليوم بيننا . س . ر

PHILIPS' SCRIPTURE ATLAS. London, G. Philip and Son. 4°

مجموع خرائط الكتاب المقدس

هو مجموع في ١٦ خارطة لدرس الكتاب المقدَّس . فالخارطة الاولى تمثل الارض التي عرفها الاقدمون ويليها خارطة ثانية في تقسيم الامم ثمَّ ثالثة في مصر وطور سينا ثمَّ بلاد كنعان واسباط اسرائيل ثمَّ صورة تابوت العهد وهيكل اورشليم في اطواره المختلفة ثمَّ خرائط مملكة سليمان ومملكة يهوذا واسرائيل . وبلاد سوريا وفلسطين ثمَّ دولة الفرس واليونان ثم الرومان . والخرائط الاخيرة وُضعت لوصف فلسطين في زمن السيد المسيح ولاسفار القديس بولس هذا مع رسوم لاورشليم سابقاً وحاضراً ولبلاد فلسطين في عهدنا الى حدود نهر الكلب شمالاً واخيراً خارطة في أديان العالم . وهذا المجموع وافٍ بالمقصود اذ وُضع لعموم القرَّاء ليس للعلماء . وخرائطهُ الملوَّنة حسنة تروق النظر الَّا انهُ ينقصها شيء من الوضوح والجلاء . وللكتاب غلاف زهي الالوان يمثل الاهرام وأبا الهول المصري . ولهُ فضل آخر وهو بخس ثمنهِ اذ لا يزيد على نصف شلين فلا غرو انهُ نال بذلك رواجاً عظيماً في كل البلاد س . ر

A. Erman. LA RELIGION ÉGYPTIENNE. Traduction française par C. Vidal. *Paris, Fischbacher*, 1907, in-8°, 355 pp.

الديانة المصريَّة

ألقى المسيو ادولف ارمان في برلين عدَّة خطب في وصف ديانة قدماء المصريين ثمَّ جمعها في كتاب مستقل ونشرها بالطبع فرأى المسيو ڤيدال ان ينقلها من الالمانية الى الفرنسيَّة تعميماً لفائدتها . وهي الترجمة التي أُهديت الى ادارة المشرق . فما قرأتهُ اجمالاً عن هذا الكتاب ان صاحبهُ ممَّن تعمَّقوا في درس الآثار المصريَّة وبعد ان استخلص مضامينها لمعرفة احوال المصريين الدينيَّة في سالف الزمان عرضها في كتابهِ بجلاء ودقَّة

بحيث يستطيع القارئ الوقوف على مبادئ تلك الاديان وجلي معانيها. ومن ثمَّ لا نرضى بما قالهُ المؤلف في مقدمته ناعتاً كتابهُ بالنقص والتقصير. الا اننا كنا وددنا لو زادنا جنابهُ ايضاحاً في امرين معتبرين احدهما معتقد المصريين في الحياة الآتية وخلود النفس والآخر في الفرائض الدينية التي كانت العامة تأتيها م. ش

M. Lepin: CHRISTOLOGIE. Commentaire des Propositions XXVII-XXVIII du Décret du St Office « LAMENTABILI ». *Paris, Beauchesne*, 1908, in-12, 120 pp., *Prix* 1 fr. 25.

التعليم الصحيح في السيد المسيح

بين القضايا التي حرمها الكرسي الرسولي في العام الماضي قضيتان وهما السابعة والعشرون والثامنة والعشرون (المشرق ١٠: ٩٢١) تنفيان لاهوت السيد المسيح فتحفز تردّ على القائلين بهذا الرأي الباطل حضرة الخوري الفرنسوي لوبان الذي اشتهر بعدة تآليف لاهوتية اخصها كتابهُ في السيد المسيح ابن الله (١ فخاض في هذا البحث ثانيةً وخصَّ بلاهوت السيد المسيح كتابهُ الجديد. وقد بيَّن هذه القضية الجوهرية بالبراهين التي شاعت منذ اوائل الكنيسة الى يومنا مستنداً في تأييدها على شهادات الانجيل وعلى معجزات السيد المسيح وعلى تعاليم الآباء بسلسلة متواصلة لم تنقطع حتى اليوم. ومع قوة براهين المؤلف تراهُ يتحاشى كل كلمة تمسُّ الخصامة او تجرح حساسيتهم البتة لعلمهِ بأن الحق يعلو ولا يُعلى الاب ي. ديلنسيغر

St ATHANASE, par F. Cavallera. Paris, Bloud et [illegible] (Collection « *La Pensée chrétienne* »). 1908.

القديس اثناسيوس

انتقل صاحب هذا الكتاب المسيو كافلير من تاريخ انطاكية في تاريخ الاسكندرية فبعد ان وصف الشقاق الانطاكية (المشرق ١٠: ٤٩٩) تحوَّل الى ترجمة حياة القديس اثناسيوس الاسكندري وهي نعم الحلبة تتجارى فيها فرسان الكتابة وقد ركض الكاتب جوادهُ في ذلك الميدان بعد ان أعمل نظرهُ في مآثر رجل الله ودرس كتاباته وراجع ما كتبهُ فيه ائمة عصره. وقد افتتح كتابهُ بمقدمة ضافية بحث فيها الكاتب عن

M. Lepin: JÉSUS, MESSIE et FILS DE DIEU, d'après les Evangiles Synoptiques, 3e éd., *Paris, Letouzey et Ané*, pp. LXXV-[illegible] pp.

ترجمة القديس اثناسيوس وتعاليمه ونفوذه في اهل زمانه ومقاومته لهرطقة آريوس . اما الكتاب فهو مقسوم الى ثلثة اقسام خصّ كل قسم منها لعمل من اعمال القديس اثناسيوس فالقسم الاول يمثل اثناسيوس كبطل شهم يدافع عن حقيقة سرّي الثالوث الاقدس ولاهوت المسيح . والقسم الثاني مختصّ بتعليم اثناسيوس في تجسّد ابن الله . اما القسم الثالث فدارهُ على بقيّة اعمال البطريرك الاسكندريّ وخصوصاً على شروحه للأسفار المقدّسة وعلى عظاته ومياميره وعلى مصنّفاته الادبيّة . وقد اوضح الكاتب الاديب كلّ هذه الاقسام بعبارة سهلة وانشاء رائق فجاء كتابهُ حاوياً لمحاسن المصنّفات التي سبقت في القديس اثناسيوس . فيجدر بالشرقيين ان يزيّنوا به مكاتبهم

Albert Dufourcq : Histoire comparée des religions païennes et de la religion Juive jusqu'au temps d'Alexandre le Grand, *Paris*, in-16, *Bloud et Cie.*, 1908.

الاديان الوثنية وديانة بني اسرائيل الى زمن الاسكندر

قد اضحى منذ سنوات قليلة درس الاديان علماً قائماً بذاته فأُنشئت له المجلّات وندب لتعليمه الاساتذة في الكليّات الّا انّ هذا العلم لا يزال حتى اليوم متضعضعاً غير ثابت الاركان وكثيراً ما يتخذهُ المتحدون كسلاح لمناقضة الدين القويم ومن ثمّ يحتاج الكاثوليك الى تآليف علميّة في هذا المعنى خالية من كل غرض لا ينوي اصحابها غير ايضاح الحقّ واثبات اليقين . وذلك ما نراه العلامة البرت دوفرك الذي وقف نفسهُ لدرس الاديان القديمة والكتاب الذي نحن في صدده احدى ثمرات اجتهاده قد اودعهُ في ستّة فصول ما اتّصلت اليه الاكتشافات الحديثة في اديان الشعوب التي سبقت عهد الاسكندر اعني بها اديان المصريين ثمّ البابليين والآراميين ثمّ اليونان والرومان . وبعد ان عرض ما خُصّت به اديان تلك الامم سواء كانت وحدها او في جملة الديانات الوثنيّة انتقل الى ديانة الشعب الاسرائيلي فدرس خواصّها في حالتيها المختلفتين قبل الشريعة الموسويّة في عهد الآباء الاوّلين ثمّ بعد موسى في ايّام الانبياء الى زمن عزرا ونحميا . ثمّ عارض دين بني اسرائيل باديان الامم الوثنيّة فأظهر ظهوراً تامّاً انّ بين ذلك وهذه كما بين الثريّا والثرى . فعدّد الاختلافات التي تميّز ديانة العبرانيين عن ديانة الشرك من حيث اصلها ومعانيها ومناسكها وطرائق عباداتها ودعم كلّ تقاويله الى نصوص

مأخوذة من آثار تلك الامم ومن الاسفار المقدسة ووافقا بلغاتها واستمدّ ترجمتها من اساتذة تلك اللغات الموثوق بهم . فنشير الى محبي درس الاديان ان يستعينوا بهذا الكتاب ليقفوا على عبادات الشعوب القديمة وخواصها ونقائصها وليوفّوا الدين الاسرائيلي قدره اذ لم يكن دينٌ صحيح دونهُ قبل المسيح ل.ش

الدليل المستبين الى تاريخ وشرائع الروم الملكيين

تأليف جناب الاديب ناصيف بن جرجي ابي زيد اللبناني

طُبع في المطبعة العمومية في مصر (سنة ١٩٠٤ ص ٤٠٧)

يدلّ اسم هذا الكتاب على غاية مؤلفهِ الفاضل فانهُ اراد اوّلاً ان يضع ملخّصاً لتاريخ الروم الملكيين الكاثوليك ثم ثانياً ان يذكر القوانين والاحكام التي يجرون عليها في امورهم الدينيّة والمدنيّة . وقد اوضح ذلك في خمسين فصلاً ما خلا ذيل الكتاب في ثلاثة فصول . ومن تصفّح هذا التأليف تحقّق ما لمؤلفهِ من الاعتبار لطائفتهِ العزيزة اذ يجلّ رؤساءها ويعظّم رتبها ويشيد في محامدها شأن الابن نحو امهِ المحبوبة . وقد جمع في كتابهِ ما اتصلت اليهِ يدهُ من المعلومات التاريخية النادرة لاستمدادها خصوصاً من كتابات الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم والسيد غريغوريوس عطا وجناب يوسف ردهوروتا تفرّد بهِ هذا التأليف الفصول المختصّة باحكام طائفة الروم الكاثوليك في الزواج والمواريث والاوقاف والوراثة والدعاوي الطائفيّة والنظامات التي تقرّرت في الدوائر الملّية مما يحتاج الى معرفتهِ عموم اهل الطائفة في معاملاتهم وسندتهم وتقاريرهم . ومع ثنائنا على صاحب هذا الكتاب نفيد جنابهُ انهُ يحتاج الى تحسين واصلاحات في طبعة ثانية فيحذف منهُ بعض الفصول التي لا علاقة لها بالكتاب كالفصل التاسع والاربعين في اهم حوادث العالم منذ انشائهِ وينقح غيرها كالفصل الثاني في جدول مؤرخي الطائفة فانهُ خلٍ من عدّة وجوه ومراجع تأليف جديدة تحتوي عدّة فوائد عن تاريخ الطائفة قديماً وحديثاً ويضبط امورًا اخرى التي لم تُروَ بتدقيق كبعض اخبار السيد خليل مكسيموس مظلوم واخلافهِ التي لا تنطبق مع حقيقة الواقع وهي مروّية في مجلّة اصدقاء الشرق الافرنسيّة على تمام صحّتها ومثلها ما رُوي عن الطيب الذكر غريغوريوس يوسف (ص ٣٥٦) في المجمع الفاتيكاني فلو اطلع جنابهُ على اعمال

الجمع لما قل تلك الروايات الضعيفة والحق يقال انّ آباء الجمع لم يبخسوا البشّة حقوق الشرقيين . فهذه الشوائب وغيرها تفقد الكتاب شيئاً من محاسنه فاذا ما ازالها جناب المؤلف زاد تأليفهُ حسناً على حسن ل . ش

كتاب الالفاظ الفارسيّة المعرّبة

تأليف السيّد ادّى شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني

(المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ ص ١٩٤)

كان سيادة المطران ادّى شير ابرهينا صليبا نشر سابقاً في المشرق (٣ : ٧٢١) فصلاً مفيداً في الدواعي تغنى اللغة العربيّة ذكر من جملتها الالفاظ الاعجميّة لاسيما الفارسيّة التي توفّرت في اللغة العربيّة . ثم اخذ سيادتهُ من ذلك الحين يخوض عباب هذا البحث فراجع المعاجم اللغويّة وجمع منها نحو الفي لفظة استعارها كتبة العرب فادخلوها في سلك لغتهم ثمّ نظم تلك المفردات عقداً ثميناً على سياق حروف المعجم وخصّ كلّ لفظة بملحوظات جمّة وشواهد حسنة وعارضها باللغات القديمة والحديثة كالسنسكريتيّة والعبرانيّة والسريانيّة والتركيّة والارمنيّة واليونانيّة واللاتينيّة واللغات الاوربية فجاء اوسع كتاب صُنف في هذا الصدد ليس فقط في لغتنا العربيّة ولكن في ما سواها ايضاً . ذلك ولا يخفى ما في هذه الابحاث اللغويّة من المشاكل العديدة التي تتحيّر منها العقول وتتعب لها الاذهان ومن ثمّ لا نشكّ في ان العلماء يعترضون على اشتقاق بعض هذه الالفاظ فلا يسلّمون باصلها الفارسي لاسيّما الامثال الثلاثيّة التي لا ترضى بفارسيتها كخُفّت الصوت وخمّ اللحم وكَسَفَ ابنة الشمس وتَبَّة الطعام وشرب الماء وشبا الفرس وورّب الرجل . وكذلك كثير من الافعال الرباعيّة التي اوردها سيادته فيمكن ردّها الى ثلاثي عربيّ الاصل فلا حاجة الى اشتقاقها من لغة غريبة فتُردّ سَرِيخ مثلاً الى سَبَخ وطَرَّسَ الرجل الى طَسَّ وبَذْرَقَ الى بَذَرَ . ومع امساكنا عن الحكم في هذه الالفاظ وأمثالها لا يسعنا الّا نشكر لسيادة المؤلف على وضع هذا الكتاب الذي يدلّ على وفرة علمه ومعرفته للغات المتعددة وخصوصاً للفارسيّة وبصيرته الثاقبة في الاصول اللغويّة . والكتاب مطبوع لجودة طبع وقد صورت الالفاظ بحروف لغاتها الخاصّة . وفي آخره جداول واسعة حسنة للمفردات المشروحة لغةً لغةً . فنحثّ كلّ المستشرقين على مطالعة هذا السفر الجليل والاقتباس من انوارهِ الساطعة ل . ش

منهل الوراد في علم الانتقاد

تأليف قسطاكي بك الحمصي الحلبي

الجزء الثاني طُبع في مصر سنة ١٩٠٧ (ص ٢٩٦)

وعدنا في كلامنا على الجزء الاوّل من هذا الكتاب (المشرق ١٠: ٨٦١) بأن نعرّف القرّاء بمبادئ حضرة كاتبه البارع في الانتقاد رجاء أن تتّضح لنا تلك المبادئ في الجزء الثاني فنقف على افكار المؤلف برمّتها ونستطيع ابراز الحكم فيها. وها نحن قد اطّلعنا على هذا الجزء المنتظر فلم نجد فيه بعد مراجعته بالتروّي ما يُزيل ريبنا. فعدلنا عن انجاز وعدنا لئلّا نحمل كلام المؤلف على غير معانيه فتكون النتيجة عكس ما نحبّ من افادة طلّاب الادب واظهار فضل التأليف. وما سبب عدولنا كما قلنا سابقاً الّا كوننا لم نتبيّن موضوع الكتاب ولم ندرك بنوع جليّ غاية المؤلف. فان كان حضرته راه وضع قوانين للتفتيش عن الحقيقة — وهو تعريف الانتقاد عنده — فلم نجد هذه القوانين في كتابه ولا عجب اذ الامر مستحيل لان التفتيش عن حقيقة النواميس الطبيعية مثلاً لا يكون كالتفتيش عن حقيقة القضايا الهندسية او غيرها. وان كان مراد المؤلف التكلّم عن الصنوعات الفنيّة او العلميّة فقط وبيان اصول نقدها كما يظهر من بعض فقرات كتابه فلا نخاله اصاب المرمى لأنّ النقد لمّا كان ردّ الصنعة الى اصولها الفنيّة او العلمية لا يتمّ الّا بعد شرح تلك الاصول لتطبيق الصنعة عليها. وخال أنّا لم نجد هذه الاصول ذكرًا في تأليف حضرته. واما الاحكام الكلية التي ذكرها المؤلف واسهب في بسطها فهي من المسلّمات التي لا تكاد تحتاج الى بيان وليست مع ذلك الّا مبادئ صناعة النقد عموماً. وان كان المؤلف توخّى النقد البياني كما يتوهمه القارئ من غزارة المادّة البيانية التي تكاد تشغل كل صفحات الكتاب فيتلك الابحاث خطيرة جدًّا ومذاهب متباينة في اصول الصناعة الادبية كنّا نتوقع من حضرته الالمام بشيء منها فلم نجد لها اثرًا البتة وهي مع كونها مستفيضة عند الفرنج لم تزل مبهمة عندنا. وعلى رأينا الضعيف انّ جنابهُ خدع بلفظة نقد (la critique) التي يُطلقها الاوروبيّون على الابحاث التي غايتها ردّ المصنوعات الى اصولها فظنّ انّ الصناعة واحدة يمكن ان تُوضع لها احكام كلية شاملة

وتكلّ متفرّقاتها فأضعف بذلك قواهُ وترك قارئهُ متضعضعاً متحيراً ولو اكتفى بالنقد البياني لكانت فائدة تأليفه اعظم سيما للطلبة الذين قصد تنعيمهم وكان سدَّ ثلمة واسعة في لغتنا العربيَّة. ولعلَّهُ يفعل في طبعة ثانية من كتابهِ ان شاء الله خ. ا

مدحا بوسعا صحتا

كتاب رغبة الاحداث

تأليف القس اسحق ارملة السرياني

الجزء الثاني طبع في الشرفة (سنة ١٩٠٨ (ص ١٨٢)

وصفنا منذ زمن قريب (في المشرق ١٠: ١٠٥٦) الجزء الاول من هذا الكتاب وبيَّنَّا ما تضمَّنهُ من الفوائد اللغويَّة والادبية. وهذا القسم الثاني ارقى من سلفهِ طوراً فجعلهُ حضرة المؤلف اربعة ابواب فأودع الاوَّل منها حكماً نقل بعضها عن الاسفار المقدَّسة وروى بعضها الآخر عن نسخة كليلة ودمنة السابقة للترجمة العربية. وضمَّن الباب الثاني مقاطيع حسنة من بعض آباء الكنيسة السريانية. وملافنتها كمار افرهط ومار سيدونا وفيلوكسين المنبجي وابن العبري الشهير. وفي الباب الثالث امثال ورموز واحاجي. ويحتوي الباب الاخير حكايات وفكاهات. وهذه الابواب الاربعة كلها بالسريانية والعربية يستفيد منها الطلبة ترجمة السريانية الى العربية والعربية الى السريانية. وفي اثر هذه الابواب قسم آخر ضافي الذيل في ٧٣ صفحة فيه تراجم مختصرة لنحو ٢٠٠ كاتب سرياني قديم وحديث جعلهُ حضرة الكاتب بمثابة تاريخ للاداب السريانية مباشرة بالقديس افرام السرياني الى مشاهير الازمنة المتأخرة من كل الطوائف السريانية الكاثوليكيَّة وغيرها. وقد ختم الكتاب بفصل في المراسلات والفصول الكتابية. وهذا القسم كلهُ بالسريانية دون العربية لافادة الطلبة الذين تقدَّموا في درس اللغة. فترى ما لهذا الكتاب من المزايا الحسنة ولا نشكُّ ان محبي السريانيَّة يقبلون عليه لاتقان لغة اجدادهم الشريفة ل. ش

اطيب المجاني في حياة يوسف كلداني

تأليف القس ميخائيل الخوري الحلبي المتروني (المطبعة الادبية ١٩٠٧ ص ٢٠٦)

قد تعطَّرت سابقاً مجلَّة المشرق (٧: ١٣١) بأريج قداسة الخوري يوسف كلداني

الماروني ندوة الكهنوت اذ سطّر حضرة القس جرجس منش اعماله ومآثره في حلب الشهباء. على انّ اتقياء الحلبيين ولاسيما كهنتهم الافاضل ما كانوا ليكتفوا بتلك الترجمة المختصرة فرغبوا الى حضرة القس الغيور ميخائيل اخرس نسيبه ان يتّسع في رواية اعماله المبرورة ليشفي بروايته غليلهم فجعل حضرته يستقري تلك الآثار بنشاط عظيم قبل ان تأخذها ايدي الضياع فلمّا جمع منها شيئاً كثيراً سرد اوّلاً ترجمة حياة رجل الله بالتفصيل ثمّ شفعها بذكر اخص فضائله وختمها برواية وفاته الصالحة وقد ألحق ذلك بالخطب والتآبين والمراثي التي جادت بها قريحة الادباء في ولي تعالى بعد موته على اختلاف نزعاتهم واديانهم. ولم يشأ حضرة المؤلف ان يكون كتابهُ مجموعاً بسيطاً لأعمال احد الابرار بل اراد ان تكون تلك المآثر كالزرع الجيد في قلوب القرّاء ليمجدوا الله في قديسيه ويستنهجوا سبلهُ الصالحة فزج كلّ فصل بمواعظ مؤثرة من شأنها ان تنير العقول وتهذب الاخلاق. وقد سُررنا برفع حضرته هذا الكتاب الى قداسة الحبر الاعظم فاجابهُ جواباً لطيفاً بواسطة كاتم اسراره الكردينال مري دلّتال الذي طلب من الله ان يجازي حضرة الكاتب خيراً ويزكّي قلبهُ برؤية كهنة غيورين صالحين يحيون في حياتهم اعمال صاحب الترجمة القديس

ل. ش

شذرات

انجيل ملكي سرياني كنا اشرنا الى هذا الانجيل المخطوط سابقاً في المشرق (٥ : ١٠٥—١٠٦) وهو من اوقاف كنيسة الروم الاورثذكس في الحيدنة قريباً من بكفيا واليوم قد أطلع عليه احد افاضل الطائفة جناب الياس افندي حسون فتكثّف من فحصه ملياً. فرأينا ان نصفهُ وصفاً تامّاً لفائدة القرّاء. قياس هذا السفر الجليل ٣٢ سنتمترًا طولاً في عرض ١٨ س وهو مجلّد بخشب وجلد الّا انّ تجليدهُ قد تلف فرغب الينا اصحابهُ بتجليده من جديد على طرز جميل. وعدد صفحات الكتاب ٤٧٥ صفحة تحتوي كل صفحة ٢١ سطراً وهو على عمودين (حقلين) في كل صفحة. وقد خُطّ الكتاب على ورق قطني صفيق جداً يشبه الرقّ بمتانته. امّا مضمونهُ فالاناجيل الطاهرة مقسّمة على كلّ يوم من ايام السنة واعيادها المتنقلة والثابتة على حسب الطقس

اليوناني كالاناجيل المطبوعة في حلب وفي مار يوحنا الشوير. وهو مكتوب بحبر اسود الا فصولهُ فانها بالحبر الاحمر تزيينا بعض النقوش المذهبة. امّا قلمهُ فهو القلم المعروف بالقلم الملكيّ وهو الخطّ المتوسط بين الخطّ الكلداني والسريانيّ يشبه الخطّ السطرنجليّ. امّا نسخهُ فهي السريانيّة وهو منقول من النسخة المعروفة بالبسيطة الشائعة في كلّ الكنائس السريانيّة. ومن مميزاتهِ انّ في اوّلهِ قد صُوِّر صليب بعارضتين منكوس الراس وفي عرض الصورة رسمُ ما يأتي:

ܟܝ ܢܨܚܬ ܠܡܢܬܪܝܢ. ܡܢܘ ܕܟܝ ܢܨܚܬ ܠܢܘܢ ܢܨܚܬ ܠܡܢܬܪܝܢ ܡܢܘ ܕܟܝ

اي « بك نغلب اعداءنا فهذا قد غلب. وباسمك ندوس مبغضينا فهو الغالب ».

وليس في هذا الكتاب من اللغة العربية الّا بعض شروح تتخلّل الفصول لتعريف الازمنة المقدّسة والاناجيل المختصّة بها. امّا تاريخهُ فهو مكتوب في موضعين اوّلًا في الصفحة ٣٦٢ بالسريانيّة بحروف سطرنجيلية كبيرة ثمّ بالعربية

ܟܬܒ ܥܒܕܐ ܕܡܪܝܐ ܡܪܝܡ ܐܡܗ ܕܐܠܗܐ ܕܟܠ ܥܠܡܐ ܕܒܪ ܢܘܢ ܕܟܝ ܢܨܚ ܠܡܢܬܪܝܢ ܡܢ ܢܘ ܕܟܝ ܢܨܚ ܠܢܘ ܡܢ ܢܘ

الجبل) ابن سلامه ابن بطرس حاج من قرية الكفور في جبل لبنان غفر الرب خطاياهُ وخطايا والديه وخطايا كلّ من يقرأ فيهِ ويترحم على كاتبهِ المسكين بشفاعة السيدة ام النور والقديس مار طومطيوس (دومط) والاربعة الانجيليين متى ومرقس ولوقا ويوحنا وعلى كافة الشهداء والقديسين امين

اسأل انا الخاطي انّ كل من يقرأ في هذا الكتاب المبارك ويجد فيهِ زيادة او نقصان يصلحهُ لانّ كل مخلوق ناقص وليس كامل غير الله لاني ضعيف كلّ شيء لهُ الاخر غفر الله خطايانا امين

وفي الصفحة ٤٧٤ صليب بالوان كالصليب المرسوم في اوله بعض اختلاف . وفي عرض الصورة هذه الالفاظ

[illegible]

وتحت الصورة ما نصهُ بخطّ احدث :

هذا الانجيل المبارك وقف على كنيسة الحيدثة في مملكة بيروت وهو من وزنها فكل من غيّره من مكانهِ بسبب بيع او رهنيّة يكون محروم من مجد الله ومن ملايكة القديسين . وتكون السيدة خصمهُ يوم القيامة

وفي اخرهِ بخط آخر :

(كُتب هذا الكتاب) بتاريخ سنة سبعة الاف ومائة (من عشر الاف ؟) تمام (اعني) في هذا الانجيل الشريف المبارك نقل عبد الله واحقرهم اسم بلا فعل باسم عطاالله بن عون المعلوف من قرية الحيدثة وهو (يطلب) ممّن يقرا يدعي لهُ بالمغفرة وكون لهُ تقدير ذلك من الواحد الصادق لمرسي (؟) وحضر هذه الاسطر الاب اخير الخائف من الله الكامل بوصاياه ياسم خوري اسحاق ونسأل الله ان يرحمنا بصلاة يوسف

وفي هذا الوصف كفاية لتعريف هذا الاثر الجليل

أرقليس كتب السيو ديفرجه (Ch. Desvergers) من رومية في تاريخ ٢٦ شباط المنصرم الى جريدة الاونيفير انّ الاثريّ الايطاليّ الشهير السينيور بتريني اكتشف آخرًا كتابة نصرانيّة ذات شأن عظيم وهي على صفيحة من الرخام الاسود مكتوبة باليونانية بخطّ شبيه بالخطوط الواقية الى القرن الاول بعد المسيح . وهذا تعريبها :

Ἐνθάδε κεῖται ὁ μακάριος Ἥρως ἡμῶν τοῦ ἐλεήσαντος τὰς παρανομίας
τὰς ἐμαυτοῦ τῆς ἐμῆς:

هذا تعريبها : « هُنا كان الطوباوي بطرس يغفر لنا الخاطئين خطايانا التي كنّا نقرّ

بها ». فان صحَّ الخبر كان هذا الاثر من اجمل الآثار واعظمها شأناً وسنعود الى ذكره عندما تريدنا المجلات العلميَّة ابتداعاً

تآليف مجهولة للتولوي كتب الينا حضرة القس جرجس منش ما نصُّهُ : « رويتُ في ترجمة الفيلسوف الخوري بطرس التولوي ما أطلعت عليه من آثاره الادبيَّة في جدول مسهب (في المشرق ٦ : ٧٣٥) فاستطيبهُ سيادة قيد الدين والدنيا يوسف الدبس مطران بيروت فرواهُ في كتابه تاريخ سوريا (مج ٨ ص٥٥٣) . على انهُ قد فاتني اذ ذاك ما اسعدني الحظ ان اقف عليه الان من تآليفه المجهولة وهي الكتب الآتية : ١ً النهج القويم لبغية النعيم وهو رسالة مختصرة في الكمال الروحاني . ٢ً كتاب الاياغوجي وهو غير كتابه المعنون بالمنطق الكبير في جزئين . ٣ً ميامره العربيَّة ولم اتحقق منها سوى الميمر الثبت في كتاب الخاش . ٤ً رسالة في القضايا التي يدعي بها الروم على اللاتين سألهُ عنها الروم سنة ١٦٩٧ فاجاب عليها ولكن بايجاز وفي مكتبتي منها نسخة ناقصة من خط تلميذه (يوسف سعد الحلبي الماروني) ويسأل الله في آخرها « ان يديم حياتهُ (ابي التولوي) على علومه التي نزَّة (كذا) البلاد الشرقية وردَّة (كذا) الشعب الى طاعت (كذا) الكنيسة الارثوذكسية » او بالنظم . هذا ولا شك في ان للتولوي تآليف اخرى تكتنفها ظلمات الخفاء ملقاة في زوايا الاهمال وكلها يحل الادباء ان يستمطروا على ثرى هذا النابغة وابل الرحمة والرضوان »

كتاب مخطوط مصوَّر أطلعنا حضرة الخوري نيقولا كرم الرومي الملكي الكاثوليكي في صور على كتاب مخطوط مصوَّر يُحفظ في مطرانية طائفته . وهذا الكتاب طولهُ ٣١ سنتمترًا في عرض ١١ س تبلغ صفحاتهُ ٢٣٦ صفحة وفي الصفحة ١٧ سطرًا . وهو مجلَّد تجليدًا شرقيًّا احمر بنقوش ومكتوب على ورق صفيق مصقول . امَّا تاريخ الكتاب فناقص او بالحري قد قصَّتهُ يدُ مجهولة . على انَّ جنس الورق والخطّ والحبر يسمح بترقيمه الى اواخر القرن السابع عشر . ومن المحتمل انهُ من الكتب التي استنسخها الطيب الذكر اثيموس صيفي مطران صور لكنيسته وكان مغرمًا بالكتب المحكمة الكتابة . اما موضوع الكتاب فيحتوي ليتورجيَّات القديسين الثلثة الاقدار اي القديسين يوحنَّا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس مكتوبة على حقلين باليونانية والعربيَّة بخط جميل مُشرق وبحبر ملوَّن اسود واحمر واخضر ومذهَّب . وفي

مقدمة تتصول حروف يونانية ذات مقدار والوان مختلفة فمنها حروف متوسطة ذهبية ومنها حروف كبيرة على نحو ربع الصفحة بالوان زاهية وتصاوير جميلة في تقاطيعها رموز من الحيوانات كالتنين والحيات والعنقاء والحمام والطيور وبعض التصاوير التقوية كصور السيد المسيح والرسل والملائكة والاسرار. وفي الكتاب ما خلا ذلك صور أخرى اكبر من السابقة وملونة مثلها بالوان بديعة بينها صور اعمال المخلص والعذراء الطاهرة وبعض اولياء الله من الرسل وغيرهم. ولا نعلم من امر مصوّر هذه الصور شيئاً وقد جاء قبلاً في اخر صفحة من الكتاب في نهاية الحقل العربي انه كُتب « بيد يواصاف » وفي ختام الحقل اليوناني باليونانية « بيد دانيال » ومن المحتمل ان احدهما صوّر التصاوير السابق ذكرها

كتابة يونانية مكتشفة في تورش — تورش هي المدينة التي ورد ذكرها في سيرة القديس مارون الناسك. ومن اساقفتها الشهيرين تودوريطوس الكاتب في القرن الخامس. ولما وُجد آخراً هناك من الآثار كتابة يونانية نشرها العلامة كومون (F. Cumont) في نشرة جمعية باريس العلمية في الكتابات والفنون سنة ١٩٠٧ (ص ٤٤٧ — ٤٥٧) وهذه الكتابة على عمود كان بازاء كنيسة القديس ديونيسيوس وفحواها « ان الامبراطور انستاس قد منح كنيسة القديس ديونيسيوس هذا الانعام بان تكون ملجأ للهاربين دون ان يصابوا فيها بأذى ». وقد ظن العلامة « كومون » ان ديونيسيوس المذكور هو القديس ديونيسيوس احد اعضاء مجلس افسس الذي نشره القديس بولس. لكن الاب اليسوعي ديلهاي (H. Delehaye) من جماعة البولنديين يرجح انه شهيد بهذا الاسم كان مكرماً في تورش وضواحيها ورد ذكره في كتاب التاريخ الرهباني لتودوريطوس

اسئلة واجوبة

س — سأل جناب الاديب الياس بودي: ١ كيف تفسّرون اعتقادكم في استحالة الخبز الى جسد المسيح وهل تقبل الاستحالة فيه بعد اكل الخبز ٢ هل تعتقدون ان كل قطعة من الخبز تركى في كنيسة من جسد المسيح ٣ ما رأيكم في الذين يعتقدون ان اكل الخبز وشرب الخمر هو اشارة الى الاتحاد بالمسيح روحياً لا ملائية

استحالة الخبز الى جسد السيد المسيح

ج نجيب على (الاول) أنا نفسر اعتقادنا كما فسرته الكنيسة الكاثوليكية منذ ١٩ جيلاً والبراهين على تواتر تعليمها لا تُحصى فنقول انَّ الاستحالة تتمُّ عند تلاوة الكاهن لكلام الربّ القائل «هذا هو جسدي هذا هو دمي» وذلك بامر منهُ تعالى حيث قال لتلاميذهِ: «اصنعوا ذلك لذكري». نجيب على (الثاني) انَّ جسد ودم السيد المسيح في كل قطعة مهما كانت صغيرة فهو فيها بتمامهِ كما هو في القطعة الكبرى دون اختلاف البتة. وهكذا صنع الربُّ نفسهُ لما اخذ الخبز والخمر وباركهما وامر تلاميذهُ ان يقتسموهما بينهم فالاقسام لم يفقدهما شيئاً من جوهرهما. نجيب على (الثالث) انَّ رأي القائلين بأنَّ اكل الخبز وشرب الخمر هما اشارة الاشتراك مع المسيح روحياً ليس بكافٍ وحدهُ لتعليل كلام السيد المسيح ما لم يُقَلْ انَّ الخبز والخمر يحتويان جسد ودم ابن الله وانَّ المتقرّب يأكل حقيقة جسد ابن الله ويشرب دمهُ كما يستدلُّ من منطوق كلام الربّ «كلوا هذا هو جسدي. اشربوا هذا هو دمي» وكما صرَّح بهِ القديس بولس الرسول وجميع الآباء منذ اول النصرانية ومعتقد كل الكنائس شرقاً وغرباً فضلاً عن جميع الآثار القديمة (المشرق ٤: ٦٧٣)

س وسأل احد ادباء المسلمين ما رأيناً في بعض الكتب المشار اليها في التوراة كحروب الايام (تعدد ٢١: ١٤) وسفر المستقيم (يشوع ١٠: ١٣) وسفر اخبار سليمان (٣ ملوك ١١: ١٤) وسفر اخبار ايام الملك داود (سفر الايام الاول ٢٧: ٢٤) وهل بقي شيء من تلك الاسفار وكيف فقدت وهل يعرف العلماء شيئاً مما كانت تحتويه

اسفار مفقودة من العهد القديم

ج نجيب على هذا السؤال انَّ الكتب المذكورة هنا وغيرها ايضاً مما اشار اليهِ كتبة الاسفار المقدسة كاخبار ملوك يهوذا واخبار ملوك اسرائيل (٣ ملوك ١٤: ١٩—٢٠) وكلام ناثان ونبوَّة احيا الشيلوني ورؤى يعدو الرآءي (اخبار الايام الثاني ٩: ٢٩) قد فُقدت تماماً ولا يُعرَف من امرها غير اسمائها المذكورة في التوراة. اما محتويات تلك الاسفار فالغالب على ظنّ علماء الدين انها كانت تحتوي كثيراً من الاخبار التي في الاسفار الالهيَّة فلمَّا رأى اليهود انَّ زبدتها في كتبهم القانونية اهملوا نسخها حتى فُقدت بتوالي الازمنة. ولا يتّفق العلماء في تعريف علاقتها مع الوحي وهل كانت من الاسفار المنزلة ام لا والمرجح انَّ البعض منها فقط كان موحى بهِ كتبوهُ احياً ن. ش

السنة الحادية عشرة العدد ٤ نيسان سنة ١٩٠٨

المشرق

العلوم في السنة ١٩٠٧

للاب اندراوس روشه اليسوعي

العلوم في ترقٍّ مستديم بهمّة ارباب المعارف وتقرُّب اسباب البحث واتساع دوائر الاعمال وتوفُّر المجلات العلميَّة فلا يسعنا الّا ان نشير الى بعض ما يهمُّ منها قرّاءنا الكرام ليكون عندهم المام بالاكتشافات الجديدة والاختراعات المستحدثة التي اغنت عالم العلم في العام المنصرم

١ علم الهيئة

(كسوف الشمس) حدثت في العام الماضي ظواهر جويَّة معتبرة اهمُّها كسوف الشمس التام الذي وقع في ١٤ كانون الثاني رصده الفلكيون في العجم واواسط آسية واثبتوا مفاعيل الكسوف المختلفة في النبات والحيوان والانسان وتحققوا عدّة مسائل كيماويَّة وطبيعيَّة كالنور والحرارة والكهرباء كما انهم رقبوا القمر والاجرام المجاورة للشمس ورسموا لهذا الحادث عدّة رسوم فوتوغرافيَّة مكّنتهم من درس النيّرين العظيمين اللذين تحيا بهما ارضنا

(عطارد) ومن المظاهر الفلكيَّة المهمّة التي كان يترقبها ارباب الفلك مرور السيَّارة عطارد على الشمس في ١٤ تشرين الثاني وهو مظهر نادر يصعب تعيين وقته بدقّة لعظم ميل عطارد على منطقة البروج. وكان مرور هذه السيَّارة بازاء الشمس قبل هذه السنة بستَّة وعشرين عاماً اعني سنة ١٨٨١ وهو لا يعود ثانية الّا في السنة ١٩١٤ ثم في السنة ١٩٢٤. وعطارد كما لا يخفى اقرب السيَّارات الى الشمس يصدُّنا النور الشمسيّ عن نظرها بالعين المجرَّدة الّا في بعض ايَّام السنة عند طلوع الشمس وغروبها قريباً من الافق. ورصد عطارد في ابَّان مرورها امام الشمس قد اتصل الفلكيّ الفرنسويّ

الشهير لوفاريه (Le Verrier) الى اكتشاف عظيم وبيَّن سبب عدم انتظام حركاتها الفلكيَّة فاثبت انَّ لطارد سرعةً اعظم عند اقترابهِ الجيليّ من الشمس . ومما استفادوهُ من رصد عطارد آخرًا انَّهم تبيَّنوا امورًا كانوا في ريبٍ منها سابقًا اخصُّها ما رصدهُ الخوري مورو (Th. Moreux) في مرصد بورج اعني دائرةً منيرة تُحدق بالسيارة ثم نقطةً ساطعة النور في وسطها يزعم البعض انَّها بركان نار في جرم السيَّارة

وممَّا كثر فيهِ القال والقيل مسألة تُرَع المريخ . وقد بيَّن المشرق سابقًا (٤ : ١٧٣ — ١٧٩) ما لهذه السيَّارة من الخواص الشبيهة بارضنا من حيث منظرها وحالاتها وظواهرها ومما استلفت اليهِ الانظار احد كبار الفلكيين المسيو سكياپارلي الايطاليّ ما دعاهُ بقني المرّيخ او تُرَعهِ وكان المذكور رآها تمتدُّ على مسافات بعيدة وتبلغ الى احواض شبيهة بالبحار . وبقي العلماء مرتابين في امرها وربَّما نسبها البعض الى الوهم والخيلة . وكان غيرهم يرونها على اشكال مختلفة منها مفردة ومنها مزدوجة ولا يعرفون تعليل كلّ ذلك . ففي تموز من السنة المنصرمة لمَّا حصلت مقابلة مرّيخ الاخيرة والسيَّارة اذ ذاك في اوفق احوالها للرصد كان الاستاذ لرّل اعدَّ بعثةً علميَّة من الفلكيين في الولايات المتحدة فسار بصحبتها الى جبال أَنْد شماليّ بلاد شيلي فرصدوا المرّيخ في مقابلتهِ للشمس واخذوا منه الوفاً من الرسوم التصويريَّة بالفوتوغراف وتأكدوا وجود تلك الترع المشبوهة وتحقَّقوا اختلاف صورها وانَّ تلك الترع مسايل لمياه عرمرميَّة تجري فيها عند ذوبان الثلوج . الَّا انَّ الدكتور لرّل قد بالغ في القول اذ زعم بأنَّ تلك الترع من الاعمال الصناعيَّة وانَّ صانعيها سكَّان المريخ فانَّ المظاهر الطبيعيَّة وقوَّة المياه كافية لتعليل تلك الترع دون القول بعمل صناعي البتة . وغاية ما يمكننا قولهُ عن الحياة في المريخ انَّها ممكنة لبشر مثل بني آدم يجدون فيها لوازم المعاش الجوهريَّة من هواء وماء ومعادن وإنْ وُجدت ايضًا بين سيَّارتنا والمرّيخ عدَّة اختلافات تجعل فيها حياة الحيوان عمومًا والانسان خصوصًا كثيرة الاوجاع (اطلب المشرق ٤ : ١٧٧ — ١٧٩)

(مذنَّب دانيال) زارنا هذا المذنَّب في الصيف الماضي وكان اوَّل من رآهُ الاستاذ الاميركيّ دانيال في مدرسة برنستن في العشر الاوَّل من حزيران فدُعي باسمهِ . ثمَّ تقرَّب من كرتنا حتى روي بالعين المجرَّدة وقد رأيناهُ في بيروت مدَّة نحو شهرين كان يلوح مع ذنبهِ البهي شرقًا قبل طلوع الشمس نحو ساعتين (المشرق ١٠ : ٨١٥) .

وقد ظهر غير هذا النجم ثلاث مذنبات اخرى لكنها اصغر منهُ وادقّ فلم يلحظها سوى ارباب الفلك وقد اشتهر برصدها العلّامة الايطاليّ جياكوبيني .

(موت الفلكي جانسن) ممن فُجع بهم علم الفلك في هذا العام بيار جانسن الفرنسويّ توفي في باريس في كانون الاوّل وعمرهُ ٨٣ سنة بعد ان قضى في خدمة العلم نحو خمسين سنة من حياتهِ وقد اشتهر خصوصاً باكتشافاتهِ الطَّيفيَّة . فرصد الشمس وعرَّف كثيراً من احوالها وخصوصاً تركيب غازاتها المتفجرة منها ومعادنها وعناصرها المختلفة . وبمساعيهِ أُنشئ سنة ١٨٩٣ مرصد الجبل الابيض في سويسرة على علو ٤٢١٠ امتار . وهو كذلك اوّل من صعد الجوّ في المراكب الهوائيَّة لرصد الافلاك عموماً والشمس خصوصاً . وما كان يحدث كسوف شمس في بلد الّا تعهد اليهِ الحكومة بان يرصدهُ باسم الدولة الفرنسويَّة

وقد خسرت العلوم الفلكيَّة انيسةً انكليزيَّة تُدعى اغنس كلارك اشتهرت في انكلترة بتآليفها العديدة في النجوم والفلكيَّات اخصُّها تاريخ علم الفلك ثم العلوم الفلكيَّة في القرن التاسع عشر . واشتغلت كالعلّامة جانسن بالتحليل الطيفي والسبكتروسكوب لتعريف المركبات الكيماويَّة والطبيعيَّة واحسنت في بيان تلك الحقائق وتنظيمها واثبات علائقها . كانت وفاتها في ٢٠ كانون الاوّل

٢ الطبيعيَّات

(التلغراف) الالة التلغرافيَّة الشائعة لتدوين الانباء البرقيَّة هي آلة مورس وهي تبلغ لمسافة بعيدة ٤٠٠ كلمة في الساعة . وقد اخترع عالمان افرنسيَّان اسمهما بولاك وفيراغ (Pollak-Virag) آلة سريعة النقل يمكنها ان تدوّن في الساعة امّا خطاً وامّا طبعاً نحو ٥٠,٠٠٠ كلمة . وهذه الالة تنقل الصوت من الباعث الى القابل فتدوّنهُ رأساً بسرعة غريبة

(التصوير التلغرافي) قد سعى الطبيعيون منذ زمن طويل بان ينقلوا الصور الى امكنة سحيقة كما ينقلون الاخبار باهتزازات كهربائيَّة يصطلحون على معانيها . لكنَّهم لم يبلغوا الغاية تماماً الّا في السنة المنصرمة . وقد اصاب المرمى في ذلك عالمان الماني وفرنسويّ في وقت واحد مع بعض اختلاف في الطريقة امّا الالمانيّ فهو الدكتور كورن

(Korn) احد اساتذة كلية مونيخ في باڤارية فانهُ تمكَّن من رسم الصورة الفوتغرافيَّة ونقلها الى مسافة بعيدة وفي زمن قليل فيرسم صورة الشخص في نحو عشر دقائق فقط وبنوع جليّ واضح وقد جاء الدكتور كورن الى باريس فاجرى اختبارات عديدة في بعض نواديها العلميَّة حضرها نخبة الادباء والاعيان ودامت اسبوعاً كاملاً

امَّا اختراعهُ فهو مبني على الخواص الطبيعيَّة التي يمتاز بها عنصر السيلينيوم ولاسيما تأثير الكهربائيَّة فيهِ بفعل النور فانَّ الجرى الكهربائي تختلف فيهِ سرعتهُ على اختلاف نورهِ فيزيد سرعةً على قدر ما يزداد نوره. وآلة التصوير تتركب من قسمين باعث وقابل فالباعث يتألف من اسطوانة زجاجيَّة تُجعل عليها جليدة مصوَّرة تصويرًا ايجابيًا ثمَّ تُدار بفعل الكهرباء في غرفة سوداء كالغرف الفوتغرافيَّة الَّا انَّها تمرُّ في دورانها بازاء كوَّة تنير الصورة فتبعث نورها من الزجاجة الى موشور والموشور يميل بتلك الصورة ويعكسها الى صفيحة من السيلينيوم في اسفل الغرفة السوداء فتُرسم عليها الصورة بواسطة سلك كهربائي رسومًا مختلفة على اختلاف النور الذي اثار اقسامها الغامقة او الفاتحة. امَّا الآلة القابلة فتقرب من الالة الباعثة فانَّ لها غرفة سوداء في وسطها اسطوانة. ولمدسيَّتها ميزان كهربائي يُقاس بهِ مقدار ما يأتيها من النور اللازم لرسم الصورة على صفيحة ثانية من السيلينيوم فاذا جرى الجرى الكهربائيّ في الباعث نقلهُ سلك ممدود منهُ الى القابل يكرّر في القابل كلّ ما حدث في الباعث. ولا بدَّ من توافق حركات الباعث والقابل في وقت واحد ولذلك جهاز خصوصي فاذا انتهى العمل رأيت صورة القابل تشبهُ شبهًا تامًا صورة الباعث على صفيحة السيلينيوم كأنَّها هي

امَّا الآلة الفرنسويَّة فقد اخترعها المسيو ادوار بلين (E. Belin) وهي ايضًا تصوّر الصورة بواسطة عنصر السيلينيوم. الَّا انَّ اصفيحة السيلينيوم هنا أخرى فهي مقسَّمة الى ١٨٠ قسمًا مستقلًّا لا يؤثر القسم الواحد الَّا في القسم المجاور لهُ والمسيو بلين يصور المنظورات الطبيعيَّة والاشخاص رأسًا ولا يحتاج الى صورة سابقة كما يفعل المسيو كورن. فاذا اراد رسم صورة شخص على بُعد ما من بلد الى بلد جعل الباعث في بيروت مثلًا والقابل في الاسكندريَّة فيقع الصورة او الشخص الذي يريد تصويره بازاء الباعث ثمَّ يدير الالة فترسم في موشورها صورة الشخص وتجتاز من الموشور الى الصفيحة المقسَّمة فتنطبع اقسامها على صفيحة السيلينيوم مختلفةً على اختلاف النور المنبعث من صورة

الشخص ومن كل جزء من اجزائها . ثمَّ ينتقل المجرى الكهربائي الى القابل فيولّد هناك في ملفّة مجرًى ثانويًا يجري الى صفيحتين مجهزتين بروؤس مسنّنة قائمة الواحدة بازاء الاخرى وبين الصفيحتين طاحيّة من الورق فاذا جرى المجرى الى الصفيحة الأولى نفذت روؤسها في الورقة فثقبتها ثقبًا خفيفًا وكذلك الصفيحة الثانية . والخروق المذكورة هي تقاطيع الصورة الاصليّة التي ترتسم في الورقة كما تُحفر على الزنك او على الخشب . فاذا كان النور بليغًا كان الثقب اعظم واذا كان خفيفًا كان الثقب ادقّ . ويمكن تنوير تلك الورقة المثقوبة بحيث تظهر صورتها تمامًا وتُرسم على ورق حسّاس . وقد دعا المسيو كورن آلتهُ تليفوتغراف اي الراسم عن بُعد والمسيو بلين تليغرافوسكوب اي المبيّن للصور البعيدة وكلاهما من عجائب الاكتشافات العصريّة فتسمح للاحباب ان يتمتّعوا في اي ساعة ارادوا بصورة بعضهم مهما بعدت بينهم المسافة

(التلغراف الاثيري) انَّ ترقي هذا الاكتشاف يزداد يومًا بعد يوم وممَّا ثبت الان لارباب الطبيعة انَّ قوَّة التموجات الكهربائيّة في بُعد انتشارها تناسب اولًا قوَّة الالة الباعثة اي المحرّك الكهربائي وثانيًا ارتفاع السواري التي تنبعث منها الكهربائيّة في الجوّ . وكانت الغاية التي تبلغ اليها قوَّة هذا التلغراف لا تتجاوز في السنين الماضية الفي كيلومتر واليوم تبلغ الى اربعة آلاف كيلومتر بنيف . وقد جهّز المسيو مركوني في ارلندة معامل محرّكة للكهرباء ذات قوَّة عجيبة ترتفع في سوارٍ شاهقة تبلغ سبعين مترًا ثمَّ تنتشر في الفضاء فتبلغ سواحل كندا . وقد أُنشئت الان محطّات تلغرافيّة بلا سلك لمنفعة العموم تكلّف أُجرة الكلمة ٥٠ سنتيمًا . ولفرنسة منفعة كبيرة في برج أيفل يمكنها اذا شاءت ان تخابر كل سواحل البحر المتوسط وقسمًا من مستعمراتها الافريقيّة كما فعلت مؤخرًا في الحرب المراكشية

(التليفون الاثيري) كما نقلوا بواسطة الكهرباء العلامات والحركات الى أبعاد شاسعة كذلك يكدُّ اليوم العلماء اذهانهم لينقلوا الصوت البشري دون وسيط الى امكنة بعيدة . فالاختبارات جارية مجراها في بلاد شتّى ولا بُدَّ لذوي العزم ان يفوزوا برغوبهم ويسترقوا من الطبيعة هذا السرّ ايضًا . وممن يحقّ لهم الثناء في ذلك المسيو دي فورست (de Forest) الاميركيّ الذي اخترع آلات تنقل الصوت الى مسافة نحو ١٥ كيلومترًا . ولهذه الالة ايضًا باعث وقابل . فالباعث عبارة عن آلة ميكروفون عليها جُليدة

تتحرك بحركة صوت المتكلم فتتولد بحركاتها اهتزازات تقوى بقوس بولسن (Poulsen) الكهربائي ثمَّ تندفع من سارية عالية الى الجوّ وتنتشر حتى تبلغ الى القابل فيسمعا من آلة شبيهة بالباعث. ولا بدَّ من دوزان للالتين لئلا يستترق الاجانب الاصوات المرسلة

ومن عجائب الاختراعات التلغرافيَّة ما اكتشفهُ المسيو د. جونس (M. A. D. Jones) في الولايات المتحدة فقد اخترع آلة تمكّن قواطر السكة الحديدية في طريقها من مخابرة المحطات البعيدة منها. فانهُ يعمد الى مجرى من بخار آلة السكة الحديدية فيجيزهُ في خزانة اودعها بعض المواد الكيموية التي تكهربها ثمَّ يرسلها على اسلاك التلغراف التي في طريقها فتصبح قابلة للانباء التليفونية فيخابر عمَّال المحطات التلغرافيَّة بواسطة التليفون متى شاء.

(المراكب الجويّة) أصبح الهواء ميداناً تتجارى فيهِ طيور من الجماد تطير بلا اجنحة وتكافح كلّ انواء الجوّ حتى كادت تمدُّ سيطرتها على ممالك لم تألفها سابقاً غير النسور وجوارح الطير. وقد ترات كلُّ الدول تتبارى في هذا الميدان وتتسابق لئلّا يأتيها حتفها من علُ فيخيّم فوقها ملاك الموت في حرب مستقبلة وهي لا تستطيع أن تدفع عنها العدوّ بسلاح يردعهُ او بسور يقيها من هجماته. وقد سمت المانية في ذلك المساعي المتواترة فكادت مساعيها تصيب الهدف في السنة المنصرمة على يد تزاپلين (Zepplin) وپرسڤال (Von Parseval) فالاوّل جعل مركبتهُ على شكل اسطواني ينتهي طرفاها على شكل بيضويّ وطول هذه المركبة ١٢٨ متراً وحجمها ١٤,٣٠٠ متر مكعّب. وفي باطن المركبة ١٦ خزانة تشتمل كل خزانة على بالون صغير يُنفخ بغاز الهدروجين وتحت المركبة جهاز كبير طولهُ ٥٦ متراً على طرفيهِ مركبتان فيهما محركان بخاريان تساوي قوَّة كل محرك ٨٥ حصاناً وهما يحركان رفّاسين بسرعة ٨٠٠ دورة في الدقيقة. قيل انَّ هذه المركبة تقطع ١٣ متراً في الثانية — . امَّا الثاني وهو الماجور فون پرسڤال من ضبّاط بافارية فقد اصطنع بالوناً من الحرير المدهون وفي طرفيهِ كُرتان منتفختان تصعدان او تهبطان على قدر انتفاخهما . وحتى الآن لم يُعرف تماماً سرّ تحريكهِ . ويشك البعض في موافقتهِ للحرب. وقد جهّز آخراً الماجور گروس (Gross) مركباً آخر جعلهُ على هيئة اسطوانة تنتهي بنصف كرتين في كل طرف من طرفيهِ نصف كرة ويسهل

تفريغ غازه بسرعة فينتقل على العجلات الى حيث يشاء صاحبهُ وطول هذا البالون ٤٠ متراً وقطرهُ ١٢ متراً . لكنَّ العلماء لا يرون هذه المراكب الالمانية تستوفي كل الشروط اللازمة لحوض المساحات الجويّة

ولم تشاء ايطالية ان تتأخر في هذه الحلبة المائعة فان الكونت ألماريكو داشيو اخترع ايضاً بالوناً على شكل المنزل طولهُ ٣٩ متراً تتوازن حركاتهُ في الجوّ بالماء كالحوض يتقلّص ويمتدّ على اختلاف درجات الحرارة والضغط وهو مصنوع بالكاوتشوك . وقد جهّز آلتهُ بادوات مختلفة منها مسطّحان يرتفع بهما او ينحدر الى اسفل

وقد ذكرت الجرائد انَّ الانكليز ايضاً فازوا بالمقصود وانهم وضعوا لهم مركبة جويّة يحسن تجهيزها للحرب . لكنَّ الامر لا يزال سرّاً دفيناً

ومما لا ينكر انَّ الفرنسويين حتى اليوم في مقدّمة كل المجارين لهم فان مركبتي الكنت دي لاڤو (de la Vaux) وليبودي اي مدينة باريس ولابتري تقطعان في الجوّ المسافات البعيدة وتجريان على طوع ارادة صاحبيهما تصعيداً وتصويباً رغماً عما يحول دونها من الموانع ولذلك قد عوّلت الحكومة الفرنسوية على اتخاذ هذه المراكب لاسيما بالون ليبودي لحروبها وامرت بأن يُصطنع مثلهُ عشرون بالوناً تُجعل في بعض معاقل فرنسة

ومع هذه التحسّنات في المراكب الجويّة ترى بعض ذوي الحزم كسانتوس دومون وديلاغرانج وبلاريو ودوغاي يتزاحمون في اكتشاف ادوات المناسبة للطيران . فلا تكاد ترى عدداً من المجلّات العلميّة خالياً من وصف بعض الآلات الجديدة لذلك . وقد زاد نشاط المكتشفين بجوائز ثمينة وضعها اهل المروءة لمن يقطع اشواطاً معلومة نعماً قليل ستفيدنا الانباء اسماء الذين استحقّوا تلك الجوائز

ومما يُنوط بالمناطيد المقيّدة انَّ واحداً منها بلغ في السنة الماضية من الارتفاع في العلوّ ما لم يُسبق اليهِ . وهذا البالون كانت اطلاقتهُ جمعيّة بلجكيّة من مرصد اوسال قريباً من بروكسل فبلغ بعد ٥٥ دقيقة علوّ ٢٥,١٨٩ متراً وكان مجهّزاً بالآلات الرصديّة التي دوّنت احوال الجوّ بدقة . ولم يبلغ قبل ذلك منطاد آخر مثل هذا العلوّ . وكان السباق قبلهُ لمنطاد ايطالي أُطلق من مدينة باڤي فصعد الى علوّ ٢٣,٨٩٠ متراً . وكذلك في هذه السنة ايضاً قطع احد البالونات في السرعة مسافةً لم يبلغها غيره سابقاً فانَّهُ اجتاز من باريس الى بلاد فنلاند في ٢٠ ساعة فقطع ١٩٥٠ كيلومتراً اعني نحو مئة ك . في الساعة

ونختم هذا الفصل بذكر وفاة احد مشاهير علماء الطبيعة وليم طومسن الذي عُرف باسم اللورد كلفن الانكليزي الذي اشتهر باكتشافاته العلمية فانهُ توفي في كانون الاول وعمرهُ ٨٤ سنة خصَّ معظمها بخدمة العلوم فاحرز لهُ فيها اسماً جليلاً. لاسيما في الابحاث الكهربائية. ومن فضلهِ انهُ مدَّ الاسلاك الكهربائية بين اوربة واميركة ومهَّد كل العقبات التي تحول دون ذلك فاكتشف آلة تدوّن من تلقاء نفسها كلّ العلامات الكهربائية (siphon-recorder) وحسَّن الحكَّ البحريّ (la boussole) فثبَّت حركة ابرتهِ ثمَّ ابدل الابرة الوحيدة بابر متعدّدة قصيرة متساوية المغناطيسية. ومن اكتشافاتهِ ايضاً آلة عجيبة لتعريف ساعات المدّ والجزر في البحار الشمالية. واشتهر بابحاثهِ في تحويل قوَّة الحرارة الميكانيكيَّة وبيَّن انَّ الحرارة احدى هيئات الحركة كما انهُ اثبت كيف يمكن نقل الحرارة الى الكهربائية وما بين الحرارة والكهرباء من العلائق الوثيقة. وقد عُني ايضاً بدرس تركيب الاجساد وتعريف عناصرها الهيولائية الّا انَّ رأيهُ في ذلك لم يُصب الحظوى لدى العلماء وقد عدل هو عنهُ في آخر حياتهِ

٣ الكيميا

(الهواء السيَّال) منذ تمكَّن الطبيعيون من تحويل الهواء الى جسم مائع سيَّال لا يزال الكيميويون يبحثون عن خواصهِ ومنافعهِ. فممَّا اكتشفوه بالتجربة عزل الهواء السيَّال للكهرباء وضمنهُ عن نقلها وتلك خاصيَّة يمكن الانتفاع بها في عدَّة امور اقتصاديَّة. فان وضعت مثلاً الادوات المولّدة او الناقلة للكهرباء في آنية محاطة بالهواء السيَّال بقيت الكهرباء في قوَّتها لا تفقد قسماً من مفعولها بالتشعشع والحرارة المحيطة بها — وممَّا اتخذوا لهُ الهواء السيَّال اقتلاع الحجارة في مقالعها والفحم الحجريّ في مناجمهِ فجعلوا يثقبون الثقوب في الحجارة وبدلاً من نسفها بالبارود يصبّون الهواء السيَّال فاذا حمي بعد زمن قليل في الثقوب تمدَّد ونسف ما حولهُ من الصخور وغيرها كما يفعل البارود وهم يفضلونه لانهُ لا يتقد كالبارود ولهُ فعل منتظم في الاقوم

كما فقدت الطبيعيَّات بموت اللورد كلفن احد ائمتها كذلك رُزئت الكيميا في العام الماضي باحد رجالها المبرزين نريد العلامة برسلين برتلو (M. Berthelot) والحقُّ يقال انَّ هذا الرجل العظيم بلغ العلوم الكيميويَّة اقصى درجات عظمتها بعد منشئيها الاولين

لافوازيار (Lavoisier) ودوماس (Dumas) فهؤلاء العلماء الفرنسويين الثلاثة خطت الكيميا خطوات جبّارية فانَّ الاول جعل الكيميا علماً مجرَّداً عن خرافاته القديمة منظَّماً مبنيًّا على قوانين راهنة مثبتاً لتركيب الاجسام بواسطة التحليل القانوني . ثمَّ قام بعده دوماس فبيَّن انَّ هذه المركبات يمكن استبدال بعض عناصرها بغيرها ووضع مركَّبات اخرى جماديَّة مثلها . امَّا برتلو فجرى الى غاية ابعد منهما فلم يكتفِ بالتحليل والاستبدال بل درس العناصر البسيطة وركَّبها تركيباً مبتكراً فحصل على اجسام جديدة ذات خواصّ عجيبة وركَّب عدَّة مركبات آليَّة ما كان العلماء ليظنُّوا انَّها تُركَّب دون مبدإ الحياة فركَّب البنزين والكافور والحامض الاوكساليك والاسيتيلين . ووضع علماً جديداً يُدعى الترموكيميا بيَّن فيه تحوُّلات الحرارة بالافعال الكيموية ادَّت به الى اكتشافات عظيمة لاسيما تركيب الاجسام المتفجرة بل لم يدع فرعاً من فروع الكيميا دون ان يغنيهُ بعدَّة اكتشافات ولا تكاد اليوم تجد صناعةً لم تنل شيئاً من فضل اختراعاته . نخصّ منها بالذكر الاجسام الدهنية والاصباغ والالوان والمركَّبات العطريَّة . وقد اهتمَّ بالكيمياء النباتيَّة وفتح للزراعة ابواباً جديدة الارباح الطائلة . وقد درس ايضاً الكيميا القديمة عند اليونان والسريان والعرب واستعان ببعض المستشرقين لنشر تآليفهم وترجمتها وهي في عدَّة مجلَّدات . توفي برتلو في اواخر اذار . وكان المذكور مع علمه بالطبيعيَّات قليل الدين على خلاف سلفه دوماس لكنهُ مع هذا كان يعتقد بوجود الاله كما يظهر من بعض اقواله التي رويت عنهُ في المجلات العلميَّة حيث قال : « انَّ البشريَّة قد شعرت في كلّ اطوار وجودها بان وراء كل حسن وجميل كائناً صمداً فيه العزّ والكمال اعني به الله تعالى فهو المركز والكائن الفرد السرّي الغير المدرك الذي يتجه اليه نظام العالم » فعسى برتلو قبل وفاته وجَّه بنظر عقله الى هذا المركز الاسمى لينال به على الحسن والجمال التامّ الذي ضاعت لذهنه منهُ في الحياة بعض الاشعة الخفيفة

وكان سبق الى الآخرة مرسلين برتلو عالمٌ آخر كيموي وفرنسوي مثلهُ وهو الاستاذ هنري مواسان (Moissan) اشتهر خصوصاً بابحاثهِ عن المعادن وهو اوَّل من افرز عنصر الفلوور (fluor) وعنصر الكروم واليود واوَّل من حلَّل هذه العناصر بالجاري الكهربائيَّة فوضع لذلك موقداً كهربائياً مكَّنهُ من استحضار عدَّة عناصر منها كربور الكلسيوم والالماس الصناعي وقد سبق في المشرق (٥ : ١٠٧٣ و٨ : ٧٢٠ و١٠ : ٦٧٠

الخ) انَّ البعض انكروا عليهِ اصطناع الماس وحتى الان لا يزال الامر مشبوهاً . ومن اكتشافاتهِ ايضاً طرائق مجهولة لاستقطار النحاس والذهب وغيرهما . وكل ذلك من الاكتشافات التي وسَّعت نطاق العلوم الطبيعيَّة واستلفتت انظار العلماء الى معرفة بعض خواصّ المادَّة المجهولة . وقد تزوَّد موسّان قبل وفاتهِ بكل الاسرار الدينيَّة

وكما فُجعت الكيميا الفرنسويَّة بهذين العلمين كذلك فقد الانكليزيُّون كيمويًّا شهيرًا جارى برتلر ومواسّان باكتشافاتهِ وهو السير وليم هنري بركين (W. H. Perkin) مات في سادبرج في ١٤ تموز في السبعين من عمرهِ . وقد برَّز خصوصاً في استحضار الموادّ الملوَّنة من الفحم الحجريّ والقطران وهو الذي ركَّب اللون المعروف اليوم بارجوان صور وانشأ مع اهلهِ معملًا لاصطناع تلك الالوان تقصدهُ المحلات التجاريَّة في العالم كلهِ . ومن اكتشافاتهِ استخراجهُ للحوامض العطريَّة وتركيبها وذلك من اخطر اكتشافات عصرنا

وممَّا يتوط بالعلوم الكيمويَّة احتفال الفرنسيّين بالسنة الخمسين لجمعيتهم الكيموية في اواسط ايار وكان علماء اوربة واميركة قد دُعوا الى هذه الحفلة وفيها تُليت الخطب في ترقي الكيميا العجيب منذ نصف قرن وعُدَّدت فوائدها الجمَّة في ضروب اعمال الصناعة والزراعة بل لحفظ الصحَّة وتخفيف وطأة الاسقام البشريَّة

بعد مؤتمر العلماء الاخير لدرس الزلازل في العام الماضي اخذ العلماء في مراصد شتى يضاعفون همتهم في مراقبة الحركات الزلزليَّة للاستدلال على اسبابها وقوانينها ومفاعيلها . ومما ثبت للعلماء من اسبابها ليس فقط ما يحصل في بطن الارض من التقلُّبات في احوال النيران الباطنية لكن ايضاً ما يحدث في خارج كُرتنا من الظواهر كالجاري البحريَّة التي تغيّر شيئاً من موازنة مياه البحر وكالسيول الجارفة وثقل الثلوج على قمم الجبال . وقد تحقَّقوا انَّ الزلازل في الشتاء اكثر منها في الصيف وقد أحصوا معدَّل حركات الزلازل في السنة نحو ٣٠,٠٠٠ هزَّة اغلبها ضعيف لا ينتبه اليه احد امَّا المعتبر منها فيبلغ في السنة نحو الستين . واكثرها يقع في جهات الهند الشرقيَّة اللاحقة بجبال حملايا

الصناعة

انَّ لشغال السكة الحديديَّة التي يمدُّها الانكليز في وسط افريقية من بلاد الكاب الى مصر تتقدَّم بسرعة فانَّ السكَّة تقطع الان نهر زمبيزي على جسور متقنة العمل

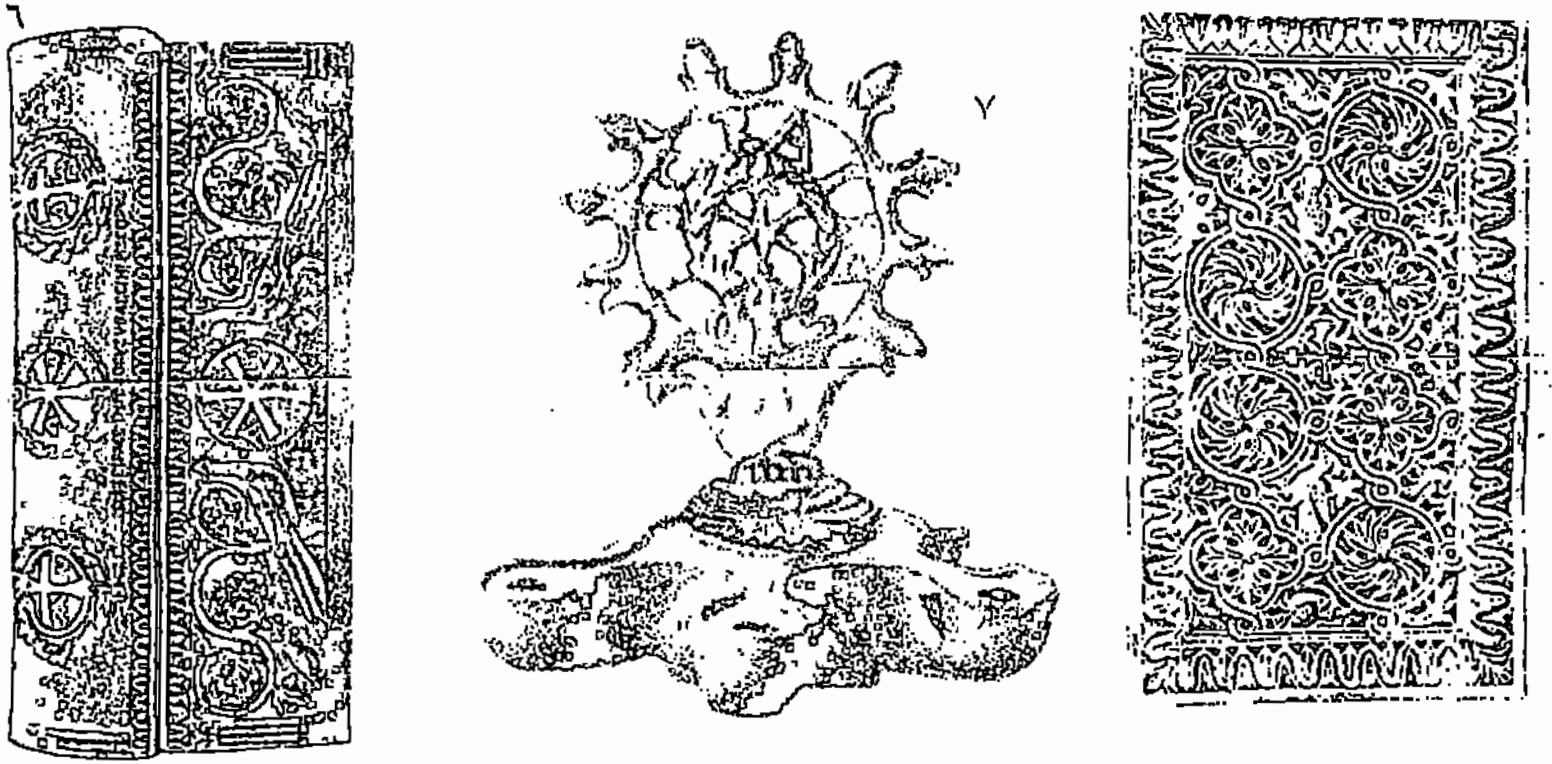

الصورة ٤

١ شعار المسيح على عتبة دار في مرجلية قريباً من الميرة = ٢ و٣ شعار السيد المسيح وصليبهُ كما وردا على عمودين من كنيسة القديس ناوناس في الاسكندرية = ٤ صليب سينغان فو من اعمال الصين = ٥ صليب بنقوش شرقيَّة في راڤانَّة = ٦ شعار السيد المسيح مع تصاوير ونقوش شرقيَّة على ناووس في راڤانَّة = ٧ سراج قديم يعلوهُ شعار السيد المسيح وُجد في ساليناتت من اعمال صقلية

ثمَّ تسير الى الشمال على مسافة ٦٠٠ كيلومتر. وقد اتسعت بواسطة هذه السكَّة اشغال التجارة والصناعة وبُنيت مدن جديدة اخصُّها ليفنستون على ضفَّة نهر زمبزي . وتمرُّ السكَّة في عدَّة جهات غنيَّة بمعادنها فاخذت الشركات الماليَّة تتزاحم في استثمارها منها معادن نحاس وتوتيا ورصاص ولسمة جدًّا في بروكن هيل . وهما قليل ستبلغ السكَّة حدود انكولتو فتزداد حركة معادنها الذهبيَّة التي تضاعفت اعمالها في السنة السابقة لاقتراب السكَّة الحديديَّة من جهاتها

افاد المشرق القرَّاء قبلًا من اتخاذ الاميركيين القساطل الحديديَّة ليصبُّوا فيها غاز البترول في اواسط اميركة بدلًا من نقلها في السكك الحديديَّة وتوفيرًا للنفقات . فمنها قساطل كاليفورنيَّة التي طولها ٨٢ كيلومترًا تجري من محل استخراجها فتبلغ البحر حيث تنقلها مراكب خصوصية الى بلاد شتى . وقد احتذى الروس حذو الاميركيين فوضعوا قنيًّا بين مناجم باكو الى البحر الاسود في مسافة ٨٨٢ كيلومترًا وهم يؤملون بذلك اقتصادًا عظيمًا اذ ينقلون في السنة ١,٨٦٠,٠٠٠ متر مكعب من البترول

وممَّا ابتدعهُ بعض المهندسين بغيةً بالاقتصاد في نقل الفحم الحجريّ أن يوقد الفحم في امكنة تعدينهِ ثمَّ تنقل قوَّتهُ البخاريَّة بالاسلاك الكهربائيَّة كما تحوَّل قوَّة المياه السائلة والشلَّالات الى تحريك الادوات الكهربائيَّة فتنقل الى مسافة بعيدة . وقد بُوشر بهذا العمل في اميركة فزاحموا المحركات الكهربائيَّة المتحرِّكة بالمياه المتحدِّرة

وفي العام الماضي درس كثيرون خواصّ الاثمار ومفاعيلها في الجسم فوجدوا لكثير منها خواصّ صحيَّة تزيد الرغبة في أكلها . فمن ذلك العنب الذي افرد لهُ المشرق سابقًا مقالة خصوصيَّة (٦ : ٧٤٨) فوجدوا صلاحيتهُ لشفاء عدَّة امراض ولاسيما السلّ الرئوي . وكذلك وجدوا انَّ الانكدنيا (المشرق ٨ : ٩٩٨) تناسب كثيرًا امراض الاحشاء فتزيلها او تخففها . وقد اخترع المسيو كوبير قوميسير مقاطعة كاليفورنية في اميركة طريقة جديدة لحفظ الاثمار وذلك ان توضع في علب من الكرتون المطلي بالقار منعًا للهواء ولا يترك فيها الَّا شق صغير للغاية ثمَّ تجعل هذه العلب في اناء كبير من المعدن يستخرج منهُ الهواء ايضًا ويجعل مكانهُ كمية كافية من الازوت ثمَّ تختم العلب بطريقة مخصوصة وتحمل الى اسواق اميركة او اوروبة وقد اختبر المسيو كوبير بنفسهِ هذه الطريقة فرأى ان كثيرًا من الاثمار كالعنب والتين والتفاح والاجاص وغيرها تحفظ

سالمة من كل فساد مدَّة خمسة الى ستة اشهر وتراها عند استخراجها من الطب كأنها قد جُنيت في تلك الساعة عينها

ومن الآلات الصناعيَّة المفيدة التي اخترعت في العام الماضي آلة وضعها المسيو ثلاس (Wallace) لحلب البقر حلباً ميكانيكيًّا. والآلة المذكورة يمكنها ان تحلب اربع بقرات في وقت واحد بنظافة كاملة

٥ الصحة والطب

كل قوى الاطباء في العام الماضي كانت مصروفة الى درس السلّ واسبابهِ وكيفيَّة انتشارهِ واكتشاف الوسائل الفعَّالة للوقاية منهُ وردّ غاراتهِ. ومما قرَّرهُ كبار العلماء في ذلك انَّ الجراثيم المرضيَّة لا تنتشر عادةً بالجهاز التنفسي فانَّ الدكتور كلمت من مكتب باستور في ليل كرَّر الامتحانات المختلفة في عدَّة حيوانات جعلها في اصطبلات كثرت في حولها ميكروبات السلّ وتركها مدَّةً هناك فلم يُصبْ منها الَّا واحد في ثمانية. وعلى خلاف ذلك الجهاز الهضميّ فانَّ ميكروب السلّ اذا ولج منهُ الى المعدة وجد مستنبتاً موافقاً لحياتهِ فينمو ويزداد بعد زمن قليل حتى يعجز الدم عن سدّ باب الرئة في وجههِ واذا بلغ الرئة ضرب فيها اطنابهُ وزحف بخيلهِ ورجلهِ على القلب واصاب منهُ مقتلاً سهلاً. امَّا دخولهُ في الجهاز الهضميّ فيكون بواسطة بعض المآكل الملوَّثة كحليب البقر المساول ولحومها وبعض الموانع التي تمتزج بالريق. واذا كانت الجراثيم الموبوءة منتشرة في الهواء الرطب دخلت في الفم بالتنفس فامتزجت برضاب الفم وبلغت بواسطتهِ الى الجهاز الهضميّ فتمكنت بهِ

ومما تقرَّر ايضاً بالتجربة الصحيحة انَّ الوراثة الدمويَّة لا تعدي فانَّ المولودين من المسلولين ليسوا بمسلولين ضرورةً فقد تبيَّن اليوم انَّ كثيرين ممَّن يلزمهم السلّ مولودون من والدين صحيحي البنيَّة او مصابين بالتدرُّن على حدّ سواء لا بل وجدوا انَّ في بعض الاحيان المولودين من المسلولين قد نالوا شيئاً من المنعة فلا يعمل السلّ فيهم كما في غيرهم. فقد فحصوا فحصاً مدققاً عجولاً اولدتها بقرات مسلولة فلم يجدوا فيها الَّا نادراً اثراً لجراثيم السلّ اربعة فقط في الف. ولعلّ هذه الاربعة مُنيت بالمرض لسكناها في محلّ موبوء ليس بطريقة الوراثة

فنتيجة هذه الابحاث الجديدة انَّهُ يجب الاحتراز من كلّ ماكول التاث بشيء من

الجراثيم التدرُّنيَّة ولاسيما حليب البقر المشبوه وعلى كل حال لا يؤكل الا بعد ان يُغلى مدَّة ربع الساعة غلياناً تامًّا

وكذلك المساكنة ربَّما كانت سبباً لنقل العدوى ليس بطريقة التنفُّس كما سبق بل بطريقة الاستطعام وبنفوذ باشلوس التدرُّن الى المعدة باي نوع كان

أمَّا الدواء الشافي من السلّ فحتى الان لم يوجد نهائيًّا. واحسن علاج بان يعتزل المصاب بالتدرُّن من المكان المربوء ويطلب له مكاناً نظيفاً ذا هواء صافٍ لاسيَّما الامكنة المرتفعة واعالي الجبال . ثمَّ يعتني بطعامهِ فيتَّخذ منهُ ما كان كثير الغذاء كالبيض والزبدة واللحوم . وافضل اللحوم اللحم النيّ كما يؤكل في هذه البلاد في الكبَّة . فالشفاء مع هذا ممكنٌ لا بل قد حظي بهِ كثيرون

ومما يشير اليهِ الاطباء بعد الامتحان ركوب الاوتوموبيل فانَّ السائر فيها يتنسم هواء محيياً فتنشط قواهُ وتزيد قابليتهُ للطعام ويكون نومهُ اطيب وتنمو فيهِ كُرَيَّات الدم الحمراء التي تقوم بازاء باشلوس التدرُّن فتضعفهُ وتقوى عليهِ

وكذلك الاستاذ لانلونغ (Lannelongue) الافرنسيّ جرَّب مصل الحمار في معالجة المتدرِّنين فنال بعض النتائج الحسنة

وقد اكثر ايضاً الاطباء تجاربهم لعلاج السرطان والظاهر انَّهم اصابوا شيئاً من مقصودهم وذلك بواسطة الكهرباء. فان المسيو دي هارت (de Hart) عالج كثيرين ممَّن ايس من شفائهم الاطباء بالمجاري الكهربائيَّة القويَّة والمتواترة. فنحصت لجنة من علماء اكادمية الطب الباريسيَّة السالبة واثنت على اعمالهِ فاخذ الاطباء يحذون حذوهُ

ومما اكتشفهُ ايضاً الدكتور كانَت من مدرسة ليل لمعالجة سم الحيَّات حقن المدوغين بمصل الخيل ممزوجاً بهيبوكلوريت الكلس فان هذا الدواء افضل من الكي ويُحصل على هذا المصل في مكتب باستور في ليل وفي اجزائيَّة بولنك (Poulenc) في باريس . ويجوز ايضاً استعمال هيبوكلوريت الكلس وحدهُ بأن يُحلَّل في الماء بنسبة اثنين في المئة فاذا لُدغ انسان صُبَّ المحلول على الجرح فيزول كل خطر التسمُّم ويخمد الوجع بسرعة

وجد بعض الاطباء الالمان طريقة سهلة لتنظيف المياه الملوثة بالجراثيم المعدية وذلك بواسطة مسحوق من فلورور الفضة (fluorure d'argent) يُلقى في الماء فينظفهُ بسرعة

صَلَبُوت (١ بَلِنْسية او صَلبوت بيروت

حضرة الاب انستاس الكرملي

من يَزُرْ امّ الكنائس في بلنسية من الديار الاسبانيّة يجد على باب البيعة بعض الباعة يبيعون عدة اشياء من العُرُوض التي تبعث في النفوس العابدة شواعر الخشوع والتقى ومن عدادها كُتَيِّب ظريف هذا ملخصهُ :

« بعد خراب اورشليم ظعن تلامذة الفادي آخذين معهم عدّة عُروض تقوية كانوا متعلقين بها . ومن الجملة صلبوت نُقل الى بيروت يُنسب نقشهُ وحفرهُ الى نيقوديمس . وهذا المنحوت هو عبارة عن تمثال يسوع المسيح معلق على خشبة العار

« وفي سنة ٧٦٥ م وقع هذا الصلبوت مُلكًا بيد احد النصارى . ثمّ نسيهُ في الدار التي كان قد ارتحل منها حينما اراد ان يحتلّ دارًا اخرى . ولا جرم ان هذا النسيان وقع بسماح من الرحمان . — فنزل في ذلك المنزل بعد النصراني رجلٌ من اليهود . وما استقرّ فيهِ الّا ورأى الصلبوت المذكور . فاخبر بذلك جماعة الربّانيين في بيروت فقضى هؤلاء ان يُعاد على المصلوب جميع الاهانات التي قاساها في سابق الزمان في عهد آلامهِ . ولما خُزق جنبهُ بالحربة خرج للحال دمٌ وماء بنوع عجيب . وما طار الخبر في انحاء البلدة الّا وتسارع النصارى من كل محلّة ورشّوا من ذلك الدم شيئًا على بعض الزمنى والمرضى فتعافوا للحال باذنهِ تعالى

« ولمّا راى اليهود الشهود هذه الآيات الباهرات طلبوا التنصُّر فعُمّدوا بعد ان تفقّهوا باصول الدين القويم

---

١) الصلبوت عند نصارى العراق لفظة على وزن ملكوت وجبروت ويراد بها « المصلوب العظيم او الاله المصلوب » واغلب ما يخصون هذه اللفظة بها كان من تصاوير الاله المصلوب تصويرًا مجسّمًا ناتئًا ومسمّرًا على خشبة معلقًا بها . وما لم يكن كذلك اطلقوا عليهِ اسم « الصليب » . والقياس يوافق احسن الوفاق لهذا الاصطلاح وذلك ان ما كان على وزن فَعَلُوت المفتوح الاوّل والثاني والمضموم الثالث والساكن الرابع يدلّ على العظمة كقولك : المَلَكوت والجَبَروت والكَهَنوت والرَهَبُوت » اللهم الّا ما كان منقولًا عن الاعجمية المحضة مثل لفظة سَلَكُوت (راجع المشرق ٣ : ٩٢٣) فلا يدخل تحت هذه القاعدة

« لمّا الاسقف فبعد ان تثبّت الوقائع على اقوم وجهٍ واصحّهِ وتحقّق ما حدث اخذ القنينة التي كان فيها شيء من ذلك الدم العجيب ووزّعهُ على بعض الكنائس الشرقيّة ملتمساً من رؤسائها ان يقيموا عيداً تذكاراً لهذا الحادث العجيب يكون في ٩ ت ٢ وان يُحتفل بهذا العيد بكل الاحتفال الذي هو في الامكان. اما الصلبوت فبقي محفوظاً في احدى الكنائس المسمّاة باسم فادي البشر (١.» وقد روى هذا الحادث اثناسيوس اسقف ديار الشام لاباء مجمع نيقيــة الثاني وكان فيهِ ٣٦٧ اسقفاً

« وبقي الصلبوت في بيروت فلما كانت السنة ١٢٦٠ انتُهكت حرمة البيع والكنائس المسيحيّة ومُزّقت الصور وأُلقيت التماثيل في البحر ومن جملتها الصلبوت العجائبي . وفي ذلك العهد طغى الوادي الكبير (Guadaliavar) وهو الذي قد ركبتهُ بلنسية فرأى السكّان متعجبين صلبوتاً طافياً على الماء وعلى طرفي ذراعيهِ نوران عائمان على سطحهِ والصلبوت يصعد مجرى النهر . فلما وصل بازاء جسر الثالوث (وهو من جسور البلدة) وقف الصليب فاسرع بعض شجعان المدينة وألقوا انفسهم في الماء وانتشلوهُ منهُ بحضور جمٍّ غفير لا يحدُّ الطرفُ طرفهُ . والحال تتلوهُ بأُبهة عظيمة الى قصر السيد . ومن جملة ما يلاحَظ فيهِ انهُ مقطوع الذراع اليمنى طويل اللحية وافر الجثّة (وكل ذلك يُرى الى اليوم ايضاً على هذا الوصف) ومن اهمّ ما يستلفت اليهِ الانظار لون الدم الذي يجري من الجنب فكانهُ لم تصبغهُ يد ارضية » اه تلخيصهُ ونحن لا نزيد على هذا الكلام شيئاً (٢

---

١) كتب الاب لويس جلابرت اليسوعي (في المشرق ٧ : ٢٩٣) مقالة حسناء في « اصل صورة المصلوب في الشرق » وهي عبارة عن خلاصة كتاب ألفهُ احد علماء الفرنسيس وهو لويس برجيار يثبت بان صورة المصلوب كما هي شائعة اليوم في كل انحاء المعمور إنما اصلها من الشرق. وخلاصتنا هذه تؤيد تلك المقالة وذلك الكتاب. الّا ان القول بان « صورة المصلوب لم تر مرسومة في جملة تصاوير القرون الاولى الاربعة » يُحمَل على الاغلبية. ووجود صلبوت بلنسية او صلبوت بيروت هو اعظم شاهد على وجودهِ في القرن الاول لا بل وفي صدر معوان كان البعض ينكر هذا الامر فنحن لا نجسر ان ننكره لان التقليد الذي يعتبرهُ اليوم بعض العلماء يؤيّدهُ فريق آخر منهم . ونحن ممّن يسلم بوجود التقليد على ما تفهمهُ الكنيسة الكاثوليكية المقدّسة وعلى الوجه الذي صرّح بهِ قداسة بيوس العاشر في المنشور الاخير من مناشيرهِ السيّارة الذي يشجب فيهِ التعاليم الحديثة

٢) وفي تقليد نصارى بيروت انّ ذلك حدث قريباً من الجامع الذي عند باب ادريس وكان قريباً هناك دير للآباء الفرنسيسكان (المشرق)

وبخصوص موجودات امّ الكتائس في بلنسية كاسٌ يُروى انها الكاس التي شرب بها فادي البشر في عشائهِ السرّي اما كيفية وصولها الى هناك فكانت على الوجه التالي: أرسل هذه الكاس القديس لورنسيوس شماس الجيلي من شمامسة الكنيسة الرومانية الى بيعة هويسكة (١ Huesca من ديار الاندلس. وفي عهد العرب نُقلت الى كنيسة القديس حنا في بنية في جبال البيرنية San Juan de la Pena dans les Pyrénées وفي سنة ١٤٠٠ م وقعت في حوزة مرتينس ملك اراغونة وبعد ذلك احتاج الى دراهم فرهنها في بلدية مدينة بلنسية فقبلتها. ثمّ ان ديوان قانونيّي الكنيسة الامّ في تلك المدينة دفع الى البلدية المبلغ الذي اتفق الطرفان عليهِ ومنذ ذاك الحين دخلت تلك الكاس في ملك الكنيسة المذكورة وهي هناك الى اليوم. وهي توجد في محفظة من فضّة . اما الكاس فهي من عقيق موضوعة في بيت الثياب وكل من يحب من المؤمنين ان يتبرّك بها يستطيع ان ينال ذلك الانعام في الايام والساعات المعيّنة

(المشرق) انّ خبر صورة بيروت مذكور في الاعمال المنسوبة الى القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة الشهير رواهُ مين في مجموع اعمال الاباء اليونان (Migne, PP. GG., XXVIII, 695-724) لكنّ اهل النقد يُجمعون على انّ هذه الرواية ليست للقديس المذكور. والمرجّح انها كُتبت بعده بزمن طويل وانّ كاتبها اثناسيوس احد اساقفة بيروت في القرن السادس (اطلب المشرق ٨: ١٩٦). وممّا يروى في ذلك الخبر ان المعجزة ظهرت في عهد اديودتس (اي عطاء الله) اسقف بيروت الذي لم نجد لاسمهِ ذكرًا بين اساقفة المدينة. وما لا ينكر انّ هذه الرواية كانت شائعةً في القرن الثامن ولما عُقد مجمع نيقية الثاني سنة ٧٨٧ لشذب بدعة الايقونوقلست استشهد الاباء بمعجزة صلبوت بيروت اثباتاً لكرامة الصور وما جرى بواسطتها من العجائب (اطلب مجموع اعمال المجامع (Mansi, XIII : 23-32). وفي السنكسار الروماني ذكر لهذه الاعجوبة في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني. وقد انتشرت رواية الاسقف اثناسيوس ونقلت الى لغات شتى فزيدت فيها تفاصيل مختلفة كما ترى في مجموع مين الذي اثبت

---

١) هويسكة هي «وشقة» عند العرب وقد ذكرها ياقوت في معجمهِ وخرج منها عدة علماء من ابناء العرب

منها اربع روايات متباينة اثنتان باليونانية وهما القديمتان واثنتان لاتينيتان احدث عهداً. وقد عرّب صاحب كتاب مروج الاخبار في تراجم الابرار اصحّ هذه الروايات

هذا ما كنّا نعلمهُ من خبر صورة بيروت . امّا التفاصيل التي نقلها حضرة الاب انستاس عن الكتيب الذي ذكرهُ فلا نعلم ما فيها من الصحة (واوّلها) ما جاء في هذا التاليف عن اصل صورة بيروت وانّها الصليوت الذي نقشهُ نيقوديموس المذكور في انجيل يوحنّا فهو بعيد لانّ الشائع اليوم بانّ الصليوت المنسوب الى نيقوديموس هو في كنيسة لوك الكاتدرائيّة من اعمال تسكانا. وليس بين الروايات الاربع المنقولة في مجموع اعمال الآباء الّا رواية واحدة لاتينية نسبت مصلوب بيروت الى نيقوديموس. وغاية ما ذكرت بقيّة الروايات انّ الصورة كانت معلقة على جدار احد بيوت اهل بيروت فلما استأجر بعض اليهود ذلك البيت بقيت الصورة في محلّها. (وثانيها) ما ذُكر في هذا التاليف عن هيئة الصورة اعني انها كانت صليوتاً مجسّماً . والمرجّح انّ تلك الصورة كانت منقوشة على خشب وليس في رواية اثناسيوس المذكور ما يُشعر بغير ذلك. (وثالثها) ما روي عن انتقال تلك الصورة من بيروت الى بانسية. فانهُ من الامور العجيبة التي لم نسمع بها سابقاً. وقد ذكر صاحب تاريخ بيروت صالح بن يحيى ما يظهر لنا اقرب الى الصحة حيث قال:

ويزعمون ايضاً انهُ كان بكنيسة الفرنج ببيروت قوقة خشب فيها صورة مصوَّرة فضربها بعض اليهود بسكين فصارت تنزف دماً. ونُقلت هذه الصورة الى قسطنطينيّة فمصّروا عليها كنيسة يعظمها الفرنج

ولا نعلم ما اصاب الصورة بعد ذلك. ولعلّها نُقلت في اواخر القرون المتوسطة الى بلاد الفرنج. وعلى كل حال نشكر حضرة الاب انستاس الذي افادنا ما اطّلع عليهِ في كتبهِ ريثما يزيدنا بعض الآثريين علماً في ذلك

هاء التعريف عند العبريين

بقلم حضرة الاب انستاس الكرملي

اداة التعريف عند العبريين هي الهاء فيقولون הארץ اي ارض ويقولون הארצות اي الارض وهكذا في سائر الالفاظ . واما اصلها فقد قال فيهِ الاديب جرجي افندي

زيدان في كتابه الالفاظ العربيّة ص ٦٣ من الطبعة الاولى ما هذا حرفهُ :

«ان « أل » الموصولة والتعريفية من المرجّح عندي كونها مأخوذة عن « ها » بدليل كون هذا المقطع هو وحده اداة التعريف في العبرانية . على ان نحويّي اللغة العبرانية يقولون بوحدة الاصل في « أل » المشار اليها في اللغتين العربية والعبرانية . وبناء على هذا القول زعموا ان الاصل في الاداة العبرانية « هل » قياساً على العربية . وقالوا ان اللام لا تظهر خطّاً وانهُ يُعاض منها لفظاً بتشديد الحرف الاول من الكلمة الملحقة هي بها . فاذا ارادوا تعريف בית « بيت » مثلاً قالوا הבית « هَبَّيت » بالحاق الهاء محرّكة بالفتح في اوله وتشديد الباء . فتعليلاً لمذهبهم يقولون : ان اللام تدغم بالحرف الاوّل ويُعاض عنها بالتشديد . وعندي انهم اصابوا بوحدة اصلهما . ولكنهم ربما لم يصحّ زعمهم بان الاصل في كليهما « هل » او « أل » اذ ان اللام لم تظهر في العبرانية لا لفظاً ولا خطّاً الّا في كلمة واحدة وهي اسم موصول اعني אשר « هَلّزي » وهذه قليلة الورود جدّاً في كتاباتهم . فالارجح عندي انها ماخوذة من العربية اذ انها والاسم الموصول « الذي » شيء واحد لفظاً ومعنى . اما التشديد المرافق لاداة التعريف في العبرانية فربّما قُصد به التأكيد او توضيح الاشارة

« فبناء عليه يرجّح ان الاصل في « ال » العربية « ها » التنبيه كما هو الحال في العبرانية . امّا اللام فقد دخلت عرضاً لاسناد الحركة . واللام كما لا يخفى من الاحرف (ل م ن ر) التي كثيراً ما تدخل في اللفظة اسناداً لحركة او مقطع كما مرّ

« ومن الاثار التي تدلّ على سابق استعمال « أل » للاشارة قولهم : « اليوم » و « الساعة » و « السنة » بمعنى هذا اليوم وهذه السنة وهذه الساعة

قلنا نحن : وهذا يكون من باب الاشتهار والاستغناء من اداة تفسرة الحال كقولك : الحية الحية . يعني هذه الحية . والكتاب . يعني هذا الكتاب . فلا اظنّ ان كلام جرجي افندي مقنع هنا . ثم قال :

«ومن الواضح ان التعريف انما هو ابن الاشارة لان ابسط طريقة لتعريف امر ما يقوم بالاشارة اليه . ويؤيد ذلك ان « ذا » التي هي اسم اشارة كما لا يخفى قد استُعملت ولا تزال تُستعمل للتعريف والموصول في قسم عظيم من اللغات الشرقية فان « ذي » في اللغة البابلية و « ذ » او « د » في اللغة السريانية هي بقية « ذي » البابلية فلم يستعمل بنو طيء « ذو » للموصول عبثاً . وما قولنا « الذي » الّا حجة دامغة على ان الموصول انما هو ابن الاشارة » اه كلام حضرة اللغوي المتفنن

قلنا نحن : لا ننكر على الكاتب المعلّة كون التعريف هو ابن الاشارة او من مورد واحد . فالادلة التي اوردها راهنة لا تحتمل الرد ولاسيما انها بديهيّة او تكاد تكون بديهيّة . الّا اننا لا نسلّم له كون الاداة العبريّة ماخوذة من الاداة العربية فهاتان اللغتان هما اختان فاذا اتفقتا في امر لا يقال ان الواحدة اخذت ذلك الشيء عن اختها

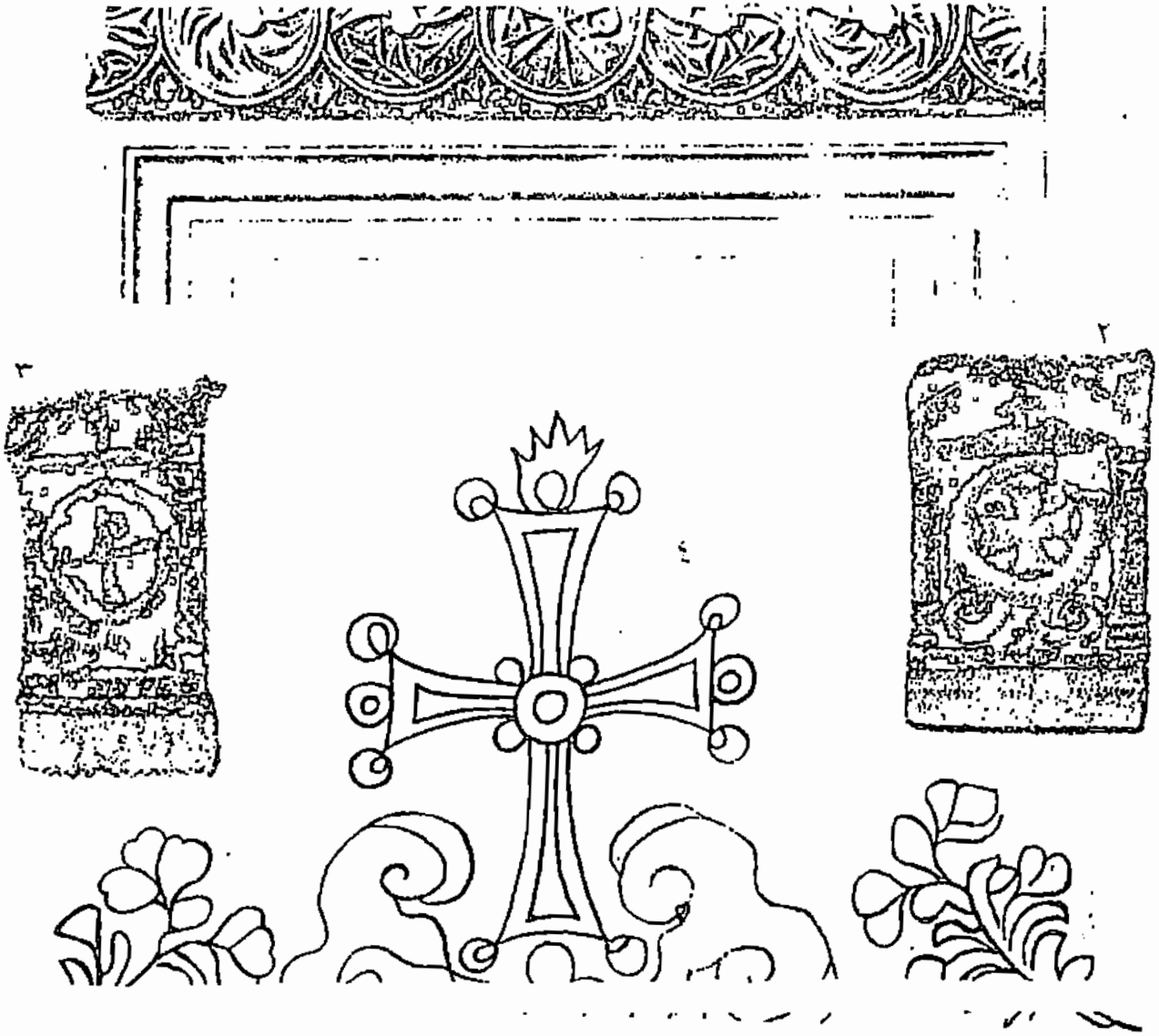

بل انهما نشأتا من « فرع » واحد بل الاصح عندي من « أصل » واحد هو النطق في اوّل وضعه . اللهم الّا ان يكون هناك أدلّة غير ادلّة الاشتراك بمزايا اللغتين العامّة فحينئذٍ يُسلَّم ان الواحدة اخذت لشيء من اختها . — أمّا الامر الثاني الذي تأخذهُ عليه فهو ان اداة الاشارة الاصليّة التي اتّخذت اداة للتعريف كانت الهمزة في العبرية كما في العربيّة فالهمزة اقدم عهدًا من الهاء . ولذا نرى الفاظًا في العبرية يتقدمها حرف الهمزة فاعتبرها العبريّون اصليّة وما هي الّا اداة تعريف لا غير من ذلك : אגוז اي الجوز فالالف او الهمزة في العبرية هي زائدة وما هي الّا اداة التعريف يشهد على تلك الزيادة اللغات العربيّة والمالطيّة والارميّة والفارسيّة الخ . فضلًا عن ان الكلم الزائدة عن ثلاثة احرف تردّ الى هذا الثلاثي والثلاثيّ هو ثنائي في الاصل كما اشرنا اليه غير مرّة . ومن هذه الزيادة للتعريف الالفاظ الاتي تعدادها وهي :

אגם اجمة واصلها من גם و אגור و אגרוף و אדם و אדרת و אהב و אהבול و אבזם و אהבן و אפֹדת و ארבה و אזרח و אגבע

فهذه كلها اصلها بدون همزة او الف وانما ظنوها أصليــة لتقدمها في كلامهم ولحداثة الهاء بالنسبة الى الهمزة فأصّلوها فضلّوا عن سواء السبيل

واما اصل هذه الهمزة فانها ماخوذة من نطق الاطفــال . فهؤلاء اذا ارادوا الاشارة الى شخص او الى شيء كان اول نطقهم : « أ » او « آ » وربّما فخّموهــا فقالوا « ها » . ولذا نرى الفنيقيّين يتخذون الالف أو الهمزة والهاء على التبادل بمعنًى واحد هو معنى التعريف فضلًا عن الهمزة والهاء في اللغات السامية كلها كثيرًا ما تتعاقب في الفاظ جمــة هي اشهر من ان تُذكر . وممّا يُؤيدنا في هــذا القول اي القول ان التعريف والاشارة هما من مورد واحد وانهمــا غريزيان في الانسان منذ طفوليته كون اليونان يستعملون للاشارة والتعريف الفاظًا متشابهة وهي ὁ, ἡ, τό . فالاولى عبارة عن الهمزة المالة . والثانية عن الهمزة او الالف المفخمة . والثالثة عن الالف المفخمة يتقدمها التاء وقد أُدخلت للتفرقة بين المذكر والمؤنث وجعلها للجنس المشترك . ومن ثم يتضح ان الفاظهم للتعريف والاشارة هي كالفاظ العرب والعبريين ولا يقــال مع ذلك انهم اخذوها عن العرب ولا عن العبريين بل اخذوها عن لسان الانســان في اول طور من اطوار حياته وعليه فقد اتفق العرب والعبريون واليونان ومن اخذ عنهم لهجاتهم ان اسم

الاشارة واداة التعريف هي واحدة منقولة عن الطبيعة ليس الا

ولا شك ان العرب كانوا يتخذون اداة التعريف الهمزة من ذلك اسم الاطوريين القديم (راجع المشرق ٦ : ١٩٠) ومعناه الجليون. الا انهم زادوا اللام لتزيين اللفظ. ومن الغريب ان نحاة العرب نسوا مقام الهمزة واهميتها في التعريف وعلقوا كل الاهمية باللام حتى قالوا اغلب الاحايين « لام التعريف » فسبحان الكشاف للسرائر والاسرار. والمبرز لخفايا الابرار والاشرار. ومضمر الاوضار والآصار. الى ان يشاء وبمقدار ما يشاء. انهُ على كل شيء قدير

الفتية التوابون

مقدمة

نقلنا هذه الرواية عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية وهو مجموع قديم يحتوي عدة اخبار اكثرها في الزهد . امّا مؤلف الكتاب فليس مذكور فيه ونغلب انهُ من أدباء القرن الرابع عشر للمسيح. فاخترنا منهُ هذه الرواية لما تحتويه من الفوائد التاريخية لتعريف بعض احوال المدينة في القرن الثاني للهجرة لأنَّ الفتية المذكورين عاشوا في ذلك الزمان وقد وجدنا في كتب التاريخ بعض اسمائهم . امّا الراوي فهو عيسى بن يزيد الشهير بابن داب احد كبار المحدثين في ايام الخلفاء من بني العباس واختص بخدمة المهدي وابنهِ الهادي ومات في ايام هارون الرشيد . وروايتهُ هذه مع فائدتها لا تروي غليلًا اذ لم يُفِدنا صاحبها عن الدواعي التي حملت هؤلاء القوم الى التوبة ومن ثمَّ في توبتهم كما انهُ لم يُبين من اعمالهم الصالحة غير اقتطاعهم عن الملذات . والتوبة كما لا يخفى لا تقوم فقط بالانتهاء عن المحارم بل بعمل المبرّات وملازمة الصلاح ل . ش

ذكر عيسى بن داب ان هؤلاء الفتية كانوا عشرة نفر وهم سليمان بن عمرو القرشي واخوهُ يحيى بن عمرو وهارون بن الحُصَين التميمي واخوه احمد بن الحصين ومحمَّد بن زرعة العبدي واحمد بن محمد اليشكري وبشر بن مطر الازدي وسعيد بن اسماعيل الاسدي ويعقوب بن عبد الكريم الطائي وعبد الله الأنصاري. قال عيسى بن داب : وكان السبب في توبة هؤلاء القوم انهم كانوا في المدينة على امرٍ من الامور التي لا يُحبُّها

الله تعالى. وكان هولاء الفتية العشرة في كل نعمة سابغة لا يأتي عليهم يوم من الايام الّا وهم اشدُّ سروراً واطول حبوراً من يومهم الذي مضى الى ان اراد الله عزَّ وجل هدايتهم الى الخير وان ينقذهم من ظلمة المعاصي الى نور الطاعة

فاوّل من ارتدع منهم ودعتهُ نفسهُ الى التوبة والانابة الى الله يحيى بن عمرو القرشي. فعزم على ذلك وجعل يسرّهُ في نفسهِ ولا يذكر لاخوانهِ شيئاً مما عزم عليهِ. وهو مع ذلك يجالسهم ويحادثهم فبينا هم ذات يوم في شرابهم ولهوهم اذ اخذوا شيئاً من نشائد الاشعار التي قد احدثوها بينهم. فجعل كل واحد منهم يقول شيئاً ويحيى بن عمرو القرشي ساكت لا ينطق بشيءٍ حتى فرغوا من نشيدهم. فاحبَّ ان يلقي اليهم شيئاً مما عزم عليهِ من امر التوبة ونزوعهِ عما هو عليهِ فانشد يقول:

قالت سلوتَ فقلتُ لستُ بجاحدٍ ... آيَ المهيمن ذي الجلال الواحدِ
وساخت ودّكِ من فوادي مثلما ... سُلخ النهارُ من الظلام الراكدِ
قالتْ أعِدْ فالعَوْد عندي احمدٌ ... فأجبتُها هيهات لستُ بعائدِ
اني اخاف عذاب ربٍّ سرمدٍ ... تبدو نصائحهُ فلستُ بيائدِ

(قال) فلما سمع القوم من يحيى بن عمرو هذه الابيات انكروا ذلك منهُ انكاراً شديداً. ثمَّ انهم عذلوهُ وأكثروا من عذلهِ ولومهِ ثم قالوا: يا هذا لقد سمعنا منك شيئاً نخاف ان يكون فيهِ تفريق جماعتنا وتشتيت ألفتنا وانّا لنناشدك الله في ذلك. فتبسم يحيى بن عمرو وحرّك راسه وقال هذه الابيات:

ان في اللهو ما علمتُ سروراً ... لم يُوقِ حوادث الأقدارِ
غير أني تركتُ ذلك خوفاً ... وحذاراً من شرّ نارٍ وعارِ
فأنيبوا الى الالهِ وتوبوا ... كم الى كم تقيمُ في الإصرارِ

(قال) فلما سمع القوم ذلك اقبل اليهِ اخوه سليمان بن عمرو وقال لهُ: والله يا اخي ما عدا جميعُ ما تكلمتَ بهِ سويداء قلبي. ولقد اخذ بمجامع عقلي ولبي. حتى لقد غلب على سمعي وبصري واحال بيني وبين لذّاتي. ولقد علمتُ ان الامر كما ذكرت وان الرغبة فيما رغبت. ثمَّ انشأ سليمان بن عمرو يقول هذه الابيات:

يا من يلوم موفّقاً ... يدعو الى اسعادهِ
انَّ النصيح اذا دعا ... لم يألُ في اجهادهِ
لا تنكروا ما قالهُ ... من بذلهِ لرشادهِ
فلقد اتى بنصيحةٍ ... موصولةٍ بسدادهِ

(قال) فلما سمع القوم كلام سليمان بن عمرو ورأوا ميلهُ الى اخيه جعل بعضهم يقول لبعض هذا ما كنّا نحذر منهُ تفريق الالفة وتكدير صفو العيش فعند الله نحتسب ما نُجنا به منكما

(قال) ثمَّ انصرف القوم عن مجلسهم ذلك وهم مغمومون بامر يحيى واخيه سليمان. فلمَّا كان في الليلة المقبلة اجتمعوا ايضاً وجلسوا فلما اطمأنَّ بهم المجلس اقبل عليهم يحيى بن عمرو فقال لهم: يا اخوتي واخلائي ومن تقرُّ عيني بصلاحهم واجتماع كلمتهم انه قد ينبغي للراقد ان يستيقظ من رقدته ويتخلّى عن غشوته. ومهما شككتم في شيء فلا تشكوا في الموت انه نازل بي وبكم. واسأل الله العصمة والتوفيق والتسديد لي ولكم. ثمَّ انشأ يقول هذه الابيات:

دعوتكمُ للرشدِ والنصح جاهداً ... وما زلتُ للاخوان مذ كنت ناصحا
فان تقبلوا نصحي تنالوا سعادةً ... وتأتوا طريقاً بيّناً القصد واضحا
ومن يترك القصد المنيرَ طريقهُ ... يلاقِ غداً ناراً ليخلد طالحا

ثم اقبل عليهم سليمان بن عمرو فقال: يا اخوتي ومن قد عظمت حقوقهم عليَّ وابيضّت ايديهم عندي انكم قد علمتم ما افترقنا عليه ليلتنا الماضية وما دعاكم اليه اخي يحيى الناصح لكم الشفيق عليكم فان تُجيبوا الى التوبة والنزوع عمَّا انتم عليه فحظّكم اصبتم وللخير أجبتم. وان تقيموا على ما ارى من لعطكم واتباعكم أهواءكم فاني أسألُ الله لكم التوفيق والسلام. ثم أنشأ يقول:

سألت اخي ان يؤلّفَ بيننا ... على الخير كالتأليف في سالف الدهرِ
فقد عشتُ عصراً وعصراً وانتا ... لفي غمرةٍ جهلاً فنهوي ولا ندري
نلجج في بحرٍ سكارى بحيرةٍ ... فحتى متى لسنا نفيق من السكرِ
فتوبوا تنالوا جنّة الخلد انما ... ينال جنان الخلد من كان ذا صبرِ

(قال) فلما سمع بشر بن مطر الازدي مقالة يحيى واخيه سليمان واستحكم قولهم في قلبه اعجبهُ ذلك فقال:

لعمري لئن بعتُ الهديَّة بالعمى ... وآثرتُ غير الحقّ اني لخاسرُ
أأترك حظي بعد اذ انا قادر ... على اخذه والحقُّ فيه بصائرُ
سأجبر نفسي عن هواها وغيّها ... بجبر قويّ العزم والمرءُ صابرُ

(قال) فلما سمع القوم مقالة بشر غمّهم ذلك غمّاً شديداً. ثمَّ اقبل هارون بن

الحصين على اصحابه وقال لهم: انا لله وانا اليه راجعون . ما اعظم الرزيّة بفرقتكم واجلّ المصيبة بتباعدكم والله ما اظنّ هذا الامر مشتتاً جماعتنا مكدّراً طينا صفو عيشنا لان الذي دعوتونا اليه من مزايلة ما نحن فيه لشديد وهو اثبت وارسخ من ان تزيلهُ العظات. ثم افترقوا ليلتهم مغمومين

فلما كان من الليلة الثالثة اجتمعوا فلما اطمأنّ بهم المجلس اقبل عليهم محمّد بن زرعة العبدي فقال: يا اخوتاه اسمعوا مني كلاماً وتدبّروه بقولكم فقد اتيتكم باعجوبة. فقالوا: هات ما بدا لك . قال: اعلموا اني لما فارقتكم الليلة الماضية وسرتُ الى منزلي أرقت أرقاً شديداً حتى اذا كان قبل الصبح اغفيتُ فاذا انا بآتٍ قد اتى في منامي وهو يقول:

يا تاركَ القصد بعد معرفة ... وسالكاً غيرَهُ من الطرقِ
يجي واصحابه على رشدٍ ... كما جلا الليلَ ساطعُ الفلقِ
فلا تكونَنَّ كالمقيم على ... دَحضٍ مُزلٍ اشنى على غرقِ

(قال) فلما سمعت ذلك استيقظت فزعاً مرعوباً حتى كاد الخفقان ان ينزع قلبي. (قال) فاقبل عليه يعقوب بن عبد الكريم الطائيّ فقال: كاني واياك يا اخي والله على امرٍ واحدٍ غير ان الالفاظ مختلفة وذلك لمّا اني قمت من مجلسنا حين افترقنا بالامس وبي من الفرقة والاسف لتشتُّت الشمل ما لا ابلغ وصفهُ حزناً على اخواني لما رأيت من مفارقتهم لنا وتقضهم علينا ما نحن فيه من الألفة والمودّة. اتيت الى منزلي واقمت عامّة ليلتي أدير عيني على الغمض فلا اقدر على ذلك . فبينما انا كذلك بين النائم واليقظان اذ انا بهاتف يقول هذه الابيات:

يا خائضاً في غمرة الجهلِ ... وسائداً عن اوضح السبلِ
لست على شيء فلا تكذبن ... وارجعْ الى التوبة في مهلِ
من قبل يوم معظم هائلٍ ... يُشيب راس المرضع الطفلِ

فلمّا سمعت ذلك استيقظت وما معي شيءٌ من عقلي فهذا والله يا اخوتي ما رأيته. فلما سمع القوم ذلك عجبوا وجعل بعضهم يقول لبعض كيف خُصّ محمد بن زرعه ويعقوب بن عبد الكريم بهؤلاء الهواتف من بيننا هذا سكونٌ لتأبنا

(قال) ثمّ اقبل سعيد بن اسمعيل الاسدي على محمد بن زرعة وهو يقول هذه الابيات:

لولا الذي أحرمتَ من غدرة ما راعك الهاتف اذ يهتفُ
خُصصت بالهاتف من بيننا ما لك في قولك ما تنصفُ
والله ربِّ العرش يا اخوتي فانني مجتهدًا احلفُ
لا خنت مَن اهوى ولا سُمتهُ هجرًا ولا مثلي به يوصفُ

(قال) ثم انشأ هارون بن الحصين التميمي يقول هذه الابيات :

أبالاحلام اسلو عن هواءِ لاقوامٍ اتوا بالمنكراتِ
اتونا يزعمون بانَّ زورًا اتى بنصيحةٍ عند البياتِ
يحضهمُ على هجرٍ وغدرٍ وقطع الحبل منَّا والشتاتِ
فمن يك راغبًا عن وصل الفتى فلست براغب حتى الماتِ

(قال) وتفرق القوم ليلتهم تلك ايضاً وقد وفق الله تعالى منهم خمسة نفر للتوبة وهم يحيى وسليمان وبشر ومحمد ويعقوب وبقي منهم خمسة هارون وعبدالله وسعيد والاحمدان

(قال) وجعل هؤلاء الخمسة الذين تابوا يدعون الى الله ويتضرّعون في ان يردّ قلوب اخوانهم الى ما هم عليهِ من التوبة ويدعوهم اليها فلم يزالوا كذلك الى ان استجاب الله منهم دعاءهم في اخوانهم واقبلوا بقلوبهم الى الطاعة. فكتب كل واحد منهم بابيات من الشعر وارسلها الى اخوانهم التوابين. فلمّا وصلت هذه الابيات من هولاء الخمسة الى اخوانهم فرح الذين سبقوهم الى التوبة واستبشروا واشتدَّ سرورهم ثم ابتهلوا الى الله عزَّ وجل في ان يقوّيَ عزمهم فيما عزموا عليهِ من التوبة فاستجاب الله لهم ذلك

(قال) ثم انهم تواعدوا ان يجتمعوا في مشربة لهم فيكلم بعضهم بعضًا فاجتمعوا في مشربتهم تلك وهي مشربة معروفة بالمدينة يقال لها اليوم مشربة التوبة وكانت تعرَف قبلًا بمشربة الطارين بالمدينة. فلما اجتمعوا هناك اعتنقوا وبكى بعضهم على بعضٍ لطول الفرقة وما كانوا عليهِ من التباعد وحمدوا الله على ما هم عليه من التقوى وسالوه التوفيق والعصمة والثبات

رسالة في الحروف العربية

تمهيد

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة مجموع فيه عدّة مصنّفات لغويّة وادبيّة وفقهيّة منها شعر ونثر لكتبة من ادباء المسلمين مخطوطة باقلام مختلفة وفي ازمنة متباينة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر. اوّلها ارجوزة في الالفاظ المثلّثة الحركات وفي اثرها ارجوزة اخرى في شرح مثلثات قطرب الشهيرة. وبينهما رسالة اقدم خطًّا في الحروف العربية. وهذه الرسالة لا تتجاوز اربع صفحات بخط ناعم جليّ يتراوح عمرها بين مائتي سنة وثلاثمائة سنة. مدارها على الحروف الهجائيّة وما لها من وجوه المعاني. امّا مؤلفها فلم يصرّح باسمهِ ولعلّها لاحد قدماء النحويين لم يمكنّا أن نتحقّقهُ. وغاية ما نعلم انّ بعض اللغويين وضعوا في ذلك تآليف اخذتها يد الضياع منها كتاب الحروف لابن دريد (الفهرست ص ٥٩) وكتاب الحروف لابي عمرو الشيبانيّ (ص ٦٨) وكتاب الهجاء لابي بكر محمّد الجعد (ص ٨٣). وقد بحثنا في مخطوطات المكاتب الاوربيّة فلم نجد من ذلك شيئًا يرشدنا الى ضالتنا وكذلك في كشف الظنون للحاج خليفة لم يُذكر سوى كتابين في الحروف لا علاقة لهما مع هذه الرسالة وهما كتاب الحروف الستة س ص ض ط د ذ للبطليوسيّ وكتاب الحروف والمدد لعبد الرحمان المغربي وللشيخ احمد البونيّ. فمن ثمّ تولّينا طبع هذا الاثر القديم ليسلم من الضياع والامل معقود باحد القرّاء ان يفيدنا عن صاحبهِ. وقد نشرنا الرسالة كما وجدناها مع اصلاح بعض اغلاط للناسخ كانت شوّهت محاسنها. وكذلك جمعنا بين كل وجه من وجوه الحروف المذكورة والمثل المضروب عليهِ لأن المؤلف كان فرق بينهما فهو يعدّد اوّلا معاني الحرف تباعًا ثمّ يُعقبها بالامثال منفردةً. فرأينا ان الاوفق أن يُلحق الشاهد بالمشهود عليهِ زيادةً في الايضاح. ثمّ ذيّلنا المقالة ببعض الفوائد التي اقتبسناها من كتب اللغة تتمّةً لمعاني الحروف واستدراكًا لما فات المؤلف

ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الالف ﴾ في كلام العرب على اثنين وعشرين وجهاً: ١ً الف الأصل في الافعال مثل: أبى يأبى ٢ً الف الوصل مثل الف الامر في اكتُبْ واحضُرْ ٣ً الف الاطلاق مثل الف نصرُوا وكتَبُوا ٤ً الف القطع نحو: أكرِمْ وأنعِمْ ٥ً الف

الضمير مثل الالف في ضَرَبا ويَضربانِ ٦ً الف التثنية كما في: زيدان وعَمْران ٧ً الف الواسطة مثل قولهِ تعالى: آنذرتَهم ٨ً الف التفضيل كقولك: زيد أفضل من عمرو ٩ً الف التعجب نحو: أحسِنْ بزيدٍ ١٠ً الف الاستفهام مثل: أزيدٌ قائم ١١ً الف الإنكار مثل قولهِ تعالى: أتدعون بعلًا ١٢ً الف التقرير مثل قولهِ تعالى: ألستُ بربكم قالوا: بلى ١٣ً الف الاستقبال (اي الف المضارع) مثل الالف في أنصرُ ١٤ً الف النداء في مثل: أزيدُ ١٥ً الف الندبة كقولك: أزيداه ١٦ً الف الاعراب مثل: رأيتُ اخاكَ واكرمتُ اباكَ ١٧ً الف البدل مثل الالف في باعَ وقالَ (وهي مبدلة من الياء والواو) ١٨ً الف الزيادة مثل: أفعَلَ ١٩ً الف التأنيث مثل: دنيا وحمراء ٢٠ً الف الصفة مثل: أحمَر وأصفَر ٢١ً الف جمع التكثير كما في منابر ومساجد ٢٢ً الف جمع الاناث كمسلمات ومؤمنات (١

﴿ الباء ﴾ على خمسة اوجه: ١ً باء الاصل مثل باء كَتَبَ وضَرَبَ ٢ً باء الوصل كقولك: مرَّ زيد بعمرو ٣ً باء البدل عن الميم نحو: سَبَدَ رأسهُ معناهُ سَمَدَ رأسهُ ٤ً باء القسم نحو: باللهِ ٥ً باء الثمن نحو: اشتريتُ بدرهم (٢

---

١) (الالف) ممَّا فات المؤلف في باب الهمزة والالف الوجوه الآتية: ١ً الف التسوية كقولك: سواء عندي أقمتُ ام جلسَا ٢ً الالف المبدلة من نون التوكيد نحو: ولا تعبدِ الشيطان والله فاعبدا اي فاعبدن ٣ً الف الفصل كالالف الفاصلة بين نون الاناث ونون التوكيد نحو: يضربنانِّ ٤ً الف القافية كقول الشاعر:

يا رَبْعُ لو كنتُ دمًا فيك منسكبًا قضيتُ نحبي ولم اقضِ الذي وَجَبَا

٥ً الف لام المعرفة نحو الرَّجل. وقد احصى الثعالبي في كتاب سر العربية معاني اخرى للالف في وزن أفعَل كالحيوة في مثل قولك: أحصَدَ الزرعُ اي حان أنْ يُحصد. وكالوجدان في مثل: أكذَبْتُهُ اي وجدتهُ كذَّابًا. والاتيان كقولك: أحسنَ اي اتى بفعلٍ حَسَن. وممَّا يجب الانتباه اليهِ انَّ المؤلف لم يفرق بين الهمزة والالف وكان الاولى التمييز بينهما. والهمزة تبدل من العين فيُقال: آديتهُ على الامر وأعديتهُ اي قوَّيتهُ وقوم عَبَاديد وأباييد (كتاب الابدال لابن السكيت (ed. Haffner., p. 22)

٢) (الباء) وممَّا يضاف الى وجوه الباء انها تاتي: ١ً زائدة فيقال: اخذ بيدهِ اي اخذ يدهُ وكفى بالله معينًا اي كفى الله وتزاد في خبر ليس نحو: ليس الله بظالم. وبعد فعل التعجب: أحسِنْ بفلان اي ما احسنهُ ٢ً وللباء الجارَّة معانٍ متعدِّدة كالالصاق نحو: مسحت يدي بالارض. والاستعانة نحو: كتبتُ بالقلم. والمصاحبة نحو: اذهب بسلام اي مع سلام ٣ً وتاتي على معاني غيرها من

﴿ التاء ﴾ على سبعة اوجه : ١ً تاء الاصل نحو : ثَبَتَ ٢ً تاء التأنيث مثل : ضربتْ وتضربُ هي ومؤمنةٌ ومؤمنات ٣ً تاء المتكلم مثل ضَرَبْتُ ٤ً تاء المخاطب نحو : انتَ وضربتَ وتضربون ٥ً تاء الضمير في ضَرَبْتُ وضَرَبْتَ وضَرَبَتِ ٦ً تاء الزيادة نحو : افتخر وتفاخر ٧ً تاء البدل من الواو في القَسَم نحو : تالله (١

﴿ الثاء ﴾ تأتي على وجه واحد وهو الاصل نحو : عَبَثَ فالثاء للاصل (٢

﴿ الجيم ﴾ على وجهين : ١ً جيم الاصل نحو : جبل ٢ً جيم البدل من الياء مثل قول الشاعر :

يا ربِّ ان كنتَ قبلتَ حُجَّتِجْ فلا يزالُ شاحِجٌ يأتيكَ بِجْ

اي قبلتَ حجّتي ويأتيك بي (٣

﴿ الحاء ﴾ على وجه واحد حاء الاصل نحو : فَرِحَ (٤

الحروف كمن وعن وفي فتقول : لقيتُ بهِ شرًّا اي منهُ . واسأل بهِ خبيرًا اي عنهُ . وهذه بلدة يسكن بها الناس اي فيها . وحلّت بهِ الداهية اي عليهِ ٤ً وتبدل الباء من الميم كقولك : أربى على الخمسين وأربى . ولون أرْبَد وارْبَد اي أغبر (اطلب كتاب القلب والابدال لابن السكيت (ed. Haffner, p.10) ٥ً وتاتي في كلام العامّة قبل المضارع (اطلب المشرق ٣ : ٤١٥ ; ٤٧٦)

١) (التاء) امكن المؤلف ان يزيد في وجوهها انّها تجعل في افتعل من المثال بدلًا من الواو نحو : أتّخذ . وفي المهموز الفاء بدلًا من الهمزة نحو : أتّخذ . وكذلك تزاد على الاسم والحرف كما تزاد على اوزان الفعل نحو : تَتَفُل من اسماء الشاب وربُّت وثُمَّت في ربَّ وثمَّ

٢) (الثاء) جاء في كتاب القلب والابدال لابن السكيت (ed. Haffner, p. 34) انّ الثاء تُبدل من الفاء وضرب لذلك عدّة امثال كجَدَث وجَدَفَ للقبر . والجفالة والثمالة للردئ من كل شيء . وثَلَغَ راسهُ وفلقهُ اي شدخهُ . وتبدل من تاء افتعل في الثلاثي الذي اوّلهُ ثاء كقولك : اثّار واثّمد واثّى

٣) حكى ابن السكيت في الابدال (ib. 38) عن الأصمعي ان الجيم والكاف تتبادلان نحو : ارنكَّ وارنجَّ . وريح سَيْهَج وسَيْهَك اي شديدة . وسَحَكَهُ كسَحَجَهُ وسَحَقَهُ

٤) (الحاء) ورد في كتاب القلب والابدال لابن السكيت (ed. Haffner, p. 26) : ان الحاء والهاء تتبادلان واتى لذلك بعدّة شواهد كمَدَحَ ومَدَهَ وفَحَل جلدهُ وفَهَل وجَلَحَ راسهُ وجَلَهَ . وهَمَّ وحَمَّ . وكذلك الخاء والهاء (ib. 30) كفاحت الرائحة وفاهت . والمَشِيخ والمَشِيه اي اليابس . وحَسَلهُ وهَسَلهُ اي وذلهُ . ومثلها العين والهاء (ib. 24) كضبعت الخيل وضبهت اي نهضت ورجل عُفاضج وهفاضج اي كثير اللحم . وبعثر المتاع وبهثره اي فرّقهُ

﴿ الحاء ﴾ على وجه واحد خاء الاصل نحو: فَرْخ (١

﴿ الدال ﴾ على وجهين: ١ً دال الاصل نحو: مَدُود ٢ً دال البدل من الذال نحو: ادَّكَرَ (٢

﴿ الذال ﴾ الذال على وجه واحد ذال الاصل نحو: ذَكَرَ (٣

﴿ الراء ﴾ على وجه واحد راء الاصل نحو: ظَهَرَ (٤

﴿ الزاي ﴾ على وجهين: ١ً زاي الاصل نحو غَزَا ٢ً زاي البدل من السين نحو: يَزْدِل ورَزَبَ بمعنى يَسدِل ورَسَبَ (٥

﴿ السين ﴾ على خمسة اوجه: ١ً سين الاصل نحو: حَسَدَ ٢ً سين الطلب نحو اَسْتَزَادَهُ اي طلب منهُ الزيادة ٣ً سين الزيادة نحو: اَستقام ٤ً سين البدل عن الصاد نحو: سَفَقَ الباب كَصَفَقَهُ ٥ً سين سوف نحو: سَتُنْصَرُ معناهُ سوف تُنْصَر (٦

﴿ الشين ﴾ الشين على وجهين: ١ً شين الاصل نحو شَتَلَ ٢ً شين البدل عن الكاف نحو: رأيتُش اي رأيتُكِ (٧

---

١) (الخاء) تتبادل كالخاء مع الهاء (ed. Haffner, 32) كَصَخْدَتْهُ الشمس وصهدَتْهُ. وكَبَخْ بَخْ وبَهْ بَهْ حكاية المتعجب

٢) (الدال) تُبدل من التاء في افتعل من الافعال التي فاؤها دال او ذال او زاي نحو: ادَّقَعَ واذْدَكَرَ وازْدَهَرَ. وتبدل من التاء والذال والزاي في الاصول نحو: مَرَدَ الثوب ومَرَتَهُ ومدَّ في السير ومتَّ (ib. 53-54) والدَّحْدَاح والذحذاح اي القصير وشرَّد وشرَّذ. ودَبَرَ الكتاب وزبره

٣) (الذال) تبدل من التاء فيقال تَلَمْذَم وتَلَمْثَمَ. ومن الدال كما مرَّ

٤) (الراء) تُبدل من اللام فيقال الثَّرة بمعنى الثَّلة اي الدرع ورَجُل وَجِر ووَجِل (ib. 59)

٥) (الزاي) تُبدل ايضاً في الصاد كمزْدغة ومصْدَغة. وبزَقَ وبَصَقَ (ib. 43-44)

٦) لسين استعمل معانٍ اخرى كالوجدان يقال استعظمهُ اي وجدهُ عظيماً. والصيرورة يقال استَنْسَر البُغاث اي صار نسراً. وهي تبدل من عدَّة حروف من الزاي كما مرَّ. ومن الصاد كما نصَّ عليهِ المؤلف. ومن التاء والثاء والشين كقولك: فلان على تُوسِهِ وسوسِهِ اي خلقهِ. وكالوَطْس والوَطْث للضرب الشديد بالخفّ. وجرسٌ من الليل وجرشٌ (ib. 36, 40-41). ويزاد على ذلك سين الكَسْكَسة في لغة قوم يلحقونها بكاف المخاطب

٧) يُزاد على وجوه الشين شين الكَشْكَشة وهي كسين الكَسْكَسة. وقد مرَّ تبادلها مع السين

﴿ الصاد ﴾ على وجه واحد صاد الاصل نحو: صَبَرَ (١

﴿ الضاد ﴾ على وجه واحد ضاد الاصل نحو: ضَرَبَ (٢

﴿ الطاء ﴾ على وجهين: ١ً طاء الاصل نحو: طَهُرَ ٢ً طاء البدل من التاء نحو: أَضْطَرَّ (٣

﴿ الظاء ﴾ على وجه واحد ظاء الاصل نحو: ظَهَرَ (٤

﴿ العين ﴾ على وجهين: ١ً عين الاصل مثل: عُمَر ٢ً وعين البدل عن الهمزة فيقولون: رَعَيْتُ وجهَهُ اي رأيتُ (٥

﴿ الغين ﴾ على وجه واحد غين الاصل نحو: غَفَرَ (٦

﴿ الفاء ﴾ على اربعة وجوه: ١ً فاء الاصل نحو: فَارس ٢ً فاء العطف كقولك دخل المسجد فصلّى ٣ً فاء جواب الشرط نحو: إنْ يأتي فلهُ الشكر ٤ً فاء الجزاء انتني فأُكرِمَك (٧

---

١) تبدل الصاد من الزاي كما مرَّ. ومن الضاد والطاء. كقولك مَصْمَصَ اناءهُ ومَضْمَضَهُ ونَصْنَصَ لسانهُ ونَضْنَضَهُ اذا حرَّكهُ. وقصَّ وقطَّ. وأَمَاصَت الناقة وأَماطت (ed. Haffner 48-49)

٢) تُبدل تاء افتعلَ ضاداً في الافعال البادئة بالصاد نحو: اضَّرَبَ

٣) تتبادل مع الدال نحو: قَطَني ذلك وقَدَني اي كفاني. ومع التاء والطاء نحو: غَلَت وغَلَط وطَّهُ ومدَّهُ. ومع الجيم كَبطَّ الجُرح وبجَّهُ وأَجُم وأَطُم للبيت المرتفع. ومع الصاد كما مرَّ (ib. 46-49)

٤) يجوز قلب تاء افتعل ظاء في الافعال التي اوَّلها ظاء نحو: اظَّلَمَ

٥) العين والهمزة تتبادلان كما روى المؤلف فتقول: يوم عَكّ ويوم اكّ اي شديد الحرّ وموت زُعاف وزؤاف اي عاجل (ib. 22). وكذلك العين والحاء كما مرَّ. والعين والغين كالوَعْل والوَغْل اي الملجأ وبَعْثَرَ المتاع وبَغْثَرَهُ

٦) تأتي الغين بدلاً من العين كما سبق. وبدلاً من الحاء كالخِطْريف والغِطْريف اي الواسع: وغَيَّنَ الثوب وحَيَّنَهُ (ib. 32)

٧) (الفاء) لفاء العطف معانٍ مختلفة كالترتيب نحو: زار الملك فالوزير. والتعقيب نحو: قفا مصر فتنتجها. والسببيَّة نحو: شرب السمَّ فمات. ومن وجوه الفاء كيفاً للمصدر وهي التي بعد النفي والنهي والامر والاستفهام والعرض والتمني فتنصب فعل المضارع نحو: لا تسرق فتُقْتَلَ. وليت لي مالاً فأُعْطيَك. وتكون الفاء زائدة نحو: اخوك فزيدٌ. وقد مرَّ انها تبدل من الثاء. وذكر ابن

﴿ القاف ﴾ على وجه واحد قاف الاصل نحو: قَهَرَ (١

﴿ الكاف ﴾ على خمسة وجوه: ١ً كاف الاصل: نحو كَفَرَ ٢ً كاف الزيادة مثل قولهِ: ليس كمثل الله شيء. ٣ً كاف البدل عن القاف مثل: كَهَرَهُ اي قَهَرَهُ ٤ً كاف الخطاب مثل: ضربكَ وضربكِ ٥ً كاف التشبيه مثل قولهِ تعالى: كسرابٍ بقيعةٍ (٢

﴿ اللام ﴾ على اربعة عشر وجهاً: ١ً لام الاصل مثل: لَيس ٢ً لام الزيادة كعَبْدَل وهو بمعنى العَبْد ٣ً لام الجنس نحو: اشتريتُ الاملاك ٤ً لام التعريف مثل: هذا الرجل ٥ً لام التخصيص نحو: الحمدُ لله ٦ً لام التَّمليك نحو: عبدٌ لعمرٍو ٧ً لام الامر مثل لِيَضْرب ٨ً لام التأكيد كقولهِ تعالى: لأَغلبنَّ انا ورُسُلي ٩ً لام الابتداء نحو: لَزيدٌ خارجٌ ١٠ً لام كي الناصبة: جاء لِيملكَ ١١ً لام العَرْض (كذا دون مثل) ١٢ً لام العلّة نحو: فعلتُهُ لحصول الثواب ١٣ً لام الاستغاثة مع فتحها للمستغاث وكسرها للمستغاث لهُ: يا لَزَيدٍ لِعَمْرو ١٤ً لام التعجُّب نحو: يا لِأَمرٍ غريب ويا لله (٣

الكيت عن الاصمعي (ed. Haffner, 36) إبدالها من الكاف كالحيفة والحيكة للمداوة. وسِلْكان الحجَل وسلقاها اي اولادها

١) (القاف) تُبدل من الجيم كزلفت قدمهُ وزلجت. والبائقة والبائجة اي الداهية. وتُبدل من الكاف كقول: قَشَطَهُ وكَشَطَهُ. واعرابي قُحّ وكُحّ. ولون اقهب واكهب (ib. 37)

٢) (الكاف) تكون لاشارة المتوسط والبعيد كذاك وذلك وتلك. ومن معانيها المرادفة لعَلى نحو: كُنْ كما انت اي على ما انت عليهِ. وقد مرَّ انها تكون بدلاً من الجيم والفاء والقاف

٣) (اللام) قسم النحويون اللام الى ثلاثة اقسام: لام الجرّ ولام الجزم واللام الخالية من العمل. ثمَّ عدَّدوا للام الجرّ معاني مختلفة بلغوها اثنين وعشرين معنى اخصُّها التمليك والتخصيص والتعليل والاستغاثة والتعجب كما ذكر المؤلف. ومن معانيها الاستحقاق نحو: العزّ لله. والصيرورة: للموت ما تلدُ الامهات. وتأتي بمعاني حروفٍ غيرها كمعنى (الى) نحو: ارسل لهُ اي اليه. ومعنى (على) نحو: خرُّوا امامهُ للاذقان اي على الاذقان. ومعنى (في): مضى لسبيلهِ اي في سبيلهِ. ومعنى (من) خرج لوقتهِ اي من وقتهِ. ومعنى (بعد): كتبهُ لثلاثٍ خلون من محرَّم اي بعد ثلاث ليالٍ. وتُدعى لام الوقت او لام التاريخ. ومعنى (عند): صلّى لطلوع الشمس. وتكون للتوكيد وهي الزائدة كقولك: ضرب لزيدٍ اي ضربهُ. ويا بؤسًا للحرب اي يا بؤسها. امّا اللام الجازمة

﴿ الميم ﴾ على اربعة اوجه : ١ً ميم الاصل نحو : رَحِمَ ٢ً ميم الزيادة نحو : منصور ٣ً ميم الجمع مثل : نصرتم ٤ً ميم البدل عن النون نحو : أَيْن وأَيم وهي الحيّة . ويقال : يوم غَيْن كما يقال يوم غَيْم (١

﴿ النون ﴾ على ثمانية اوجه : ١ً نون الاصل نحو : نَصَروا ٢ً نون الزيادة نحو : أَنْقَطِعَ ٣ً نون العرض نحو : ألا أَنصرَنْ ٤ً نون الاستقبال (اي المضارع) نحو : نَنصُرُ ٥ً نون المخبر عن نفسه وعن غيره نحو : دَخَلْنَا ٦ً نون التاكيد : والله لأَفعلنَّ ٧ً نون جمع التأنيث نحو : يَنظُرْنَ ٨ً نون الاعراب (في الافعال الخمسة) نحو : تضربونَ وتضربينَ (٢

﴿ الواو ﴾ على اربعة عشر وجهاً : ١ً واو الاصل نحو : وَعَدَ ٢ً واو الزيادة نحو : عَمرو ٣ً واو العِوَض نحو يُوسر بقلب الياء واوًا ٤ً واو الجمع نحو : مُسْلِمُون ٥ً واو الضمير نحو : كَفَرُوا ٦ً واو العطف نحو : ضربتُ زيدًا وعمرًا ٧ً واو الاستقبال نحو : تَنصُرون ٨ً واو الحال نحو : قَدِمَ وهو يَبكي ٩ً واو القسم

فتتقدّم المضارع المجزوم بمعنى الامر والطلب وتسكّن بعد الفاء والواو وثمّ : فَلْيكتب . امّا اللام الحالية من العمل فلام الابتداء . ولام الخبر الزائدة : زيدٌ لَعاقل . واللام الواقعة في خبر انّ وتكون للتاكيد : انّ الله لَعادل . ولام جواب لو : لو جاء لأَكرمتُهُ . ولام الاشارة للبعيد نحو : ذلك وتلك . وروى ابن السكيت في القلب والابدال (ed. Haffner, 1) انّ اللام تكون بدلًا من النون نحو : هتنت السماء وهَتَلَتْ . وعُلْوان الكتاب وعُنْوانهُ . صَنَّ اللحمُ وصَلَّ . وبدلًا من الدال (ib., 46) نحو : مَعْكُون ومَعْكُود اي محبوس . ومَعَلَهُ ومَعَدَهُ اذا اختلسهُ . وبدلًا من الراء كما مرَّ

١) (الميم) انّ ميم الزيادة تكون اما لصيغة الاوزان كمفعول ومفعال . واما للمبالغة في آخر بعض الاسماء كرجل فُسْحُم اي واسع الصدر . وزُرْقُم اي ازرق . وشَدْقَم اي واسع الشدق . وتتبادل الميم مع الباء كما مرَّ ومع النون كما اشار اليه المؤلف ونصَّ عليه ابن السكيت (ib., 17)

٢) (النون) تكون زيادة النون في اوّل الكلمة كانْخَرْوِيب وهو الثقب . وفي الوسط كنون وزن افعنلل مطاوعة فعلل وكما في قَلَنْسوة . وفي الاخر كضَيْفَن اي الضيف والمتطفل وكَرَعْشَن للذي يرتعش . ومما فات المؤلف من وجوهها نون التنوين بمعانيها كما في رجلٍ وفي قاضٍ وفي يومئذٍ . ونون الوقاية الواقية لآخر الكلمة من الكسر نحو : ضربني واتّبع والنون الزائدة وهي نون الاعراب في الافعال الخمسة ونون المثنّى والجمع السالم نحو : زيدان وزيدون . امّا نون التركيد التي ذكرها المؤلف فتكون امّا مشدّدة كيضربنَّ وامّا خفيفة كيضربَنْ . وأنثاه لغة في أعطاهُ

نحو : والله ١٠ً واو الاشباع نحو: عَلَيْهِمو ١١ً واو الندبة نحو : واعَيني ١٢ً واو ربَّ نحو : ورَجُلٍ كريمٍ زرتُهُ معناهُ رُبَّ رجلٍ ١٣ً واو الفصل نحو: عمرو. فصلًا لها عن عُمَر ١٤ً واو الاعراب نحو: جاء أبوكَ (١

﴿ الهاء ﴾ على ثمانية اوجه: ١ً هاء الاصل نحو : هَرَبَ ٢ً هاء الزيادة نحو : طَلْحَة ٣ً وهاء الضمير نحو : نصرهُ ٤ً هاء التأنيث نحو : قاعدة ٥ً هاء الوقف نحو : رَهْ ٦ً هاء الجمع نحو : قُضاة وكَتَبَة وحجارة وقياصرة ٧ً وهاء المبالغة نحو : رجل عَلَّامَة وداهية وضُحَكَة ٨ً وهاء الاستراحة كقولهِ تعالى : ما أغنى عنّي ماليَه (٢

﴿ اللام الف ﴾ على وجهين: ١ً لام الف الاصل ٢ً لام الف النهي نحو: لا يَنصُرْ

﴿ الياء ﴾ على اثني عشر وجهاً : ١ً ياء الاصل مثل : رَمى يَرْمي ٢ً ياء الزيادة مثل : بَيْطَرَ ٣ً ياء البدل من الواو مثل: سيّد وميّت ٤ً ياء الضمير مثل: تَضربي ٥ً ياء الاستقبال نحو : تَضربينَ ٦ً ياء الاشباع نحو : عليهِ ٧ً ياء الاضافة مثل : غُلامي ٨ً ياء التصغير مثل : قُرَيْرَة ٩ً يا النسبة نحو: بصريّ ١٠ً ياء التثنية نحو : الرجلين ١١ً وياء الجمع نحو : رايتُ المسلمين ١٢ً وياء الاعراب نحو: مررتُ باخيك

تمَّ والله اعلم بالصواب

---

١) (الواو) وتكون الواو ايضاً لاوزان الاسم والفعل كما في جَوْهَر وكَوْثَر وفي وزن إفعوعل كاعدوْدَب . ومن معانيها المعيّة في المفعول معهُ نحو: سرتُ والشّمسَ اي مع الشمس. ومنها واو المصاحبة الناصبة المضارع كالفاء بعد الامر والنهي والاستفهام الخ نحو: لا تَنْهَ عن خُلُق وتأتيَ مثلَهُ. ومن الطوارئ الجارية عليها انّها تُقلَب كما في تُكلان وتُراث اصلهما وُكلان ووُراث (ed. Haffner 62). وتتبادل مع الهمزة نحو : أرَّخ الكتاب وورَّخهُ . وأكَّفتُ الدابّة ووكَّفتها . وآخيتُهُ وواخيتُهُ

٢) (الهاء) وممّا يزاد على قول المؤلف هاء المرّة والنوع كبيتَة وضَربة . وتُبدل الهاء من الهمزة فتقول أرَقتُ الماء وهرقتُهُ . وأيا زيد وهَيَا زيد (ib. 25). وتبدل من الحاء والعاء كما مرَّ

٣) (الياء) تُبدَل الياء من الهمزة نحو: يَلمَعيّ وألمعي وأرَقان ويَرَقان (ib. 54) ومن الجيم كما مرَّ

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

﴿ أدباء المسلمين في العراق ﴾ تذكّر العراق في اواسط القرن التاسع عشر مفاخرهُ السابقة فاراد أن يحييها فنزل في حلبة الآداب وركض فيها جياد الالباب فنال قصبة السبق والغلاب . وها نحن نذكر الذين وقفنا على شيء من اخبارهم نقلًا عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية وبعض المطبوعات النادرة مباشرةً بالالوسيين والسويديين

﴿ الالوسيّون ﴾ هم قوم من فضلاء بغداد احبُّوا العلوم والاداب فاوقفوا نفوسهم لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم . واصلهم من ألوس احدى قرى الفرات ثمَّ انتقلوا الى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال . ولما كانت اواسط القرن التاسع عشر برزَ بينهم أولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبدالله الالوسي . وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم افاويق الأدب وذهبوا في فنونهِ كل مذهب

وارلهم ابو الثناء شهاب الدين السيّد محمود افندي المعروف بالشهاب الألوسي . ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) وهناك توفي في ٥ من ذي القعدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) كلِف بالعلوم منذ حداثة سنهِ وبذل النفس والنفيس في احراز جواهرها حتى انَّ رغبتهُ في طلب المعارف شغلتهُ عن حطام الدنيا وأنستهُ هناء العيش وملاذَّ الحياة وبرزَ بالعلوم الدينية فصار اماماً في التفسير والافتاء . وكان مع ذلك كاتباً بليغًا وخطيباً مصقعًا وفي سنة ١٢٦٢ (١٨٤٥) سافر برفقة عبدي باشا المشير الى الموصل ثم الى ماردين فديار بكر فارزروم فسيواس فالاستانة العليَّة واجتمع حيثما دخل بأعلام العلماء وائمة الادباء . وكانوا يتهافتون اليهِ ليقتبسوا من انوارهِ ويغرفوا من بحارهِ . ثمَّ عاد الى وطنهِ معزَّزًا ممدَّحًا بكل لسان مشمولًا بألطاف الحضرة العليّة السلطانيَّة . وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحهُ الوسام المرصع العالي الشأن . فلما عاد الى وطنهِ سنة ١٢٦٩ انقطع الى التأليف . وفصَّل اخبار رحلتهِ في عدَّة مصنَّفات منها كتابهُ رحلة الشمول في الذهاب الى اسلامبول طُبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعهُ بكتاب نشوة المدام في العود الى بلاد السلام ثمَّ كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والاقامة والاياب ويُدعى ايضًا بنزهة الالباب ضمَّنهُ تراجم الرجال والابحاث العلمية التي جرت بينهُ وبين حضرة السيد

احمد عارف حكمت بك شيخ الاسلام. وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحده في قوّة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل انهُ كان لا يقصر تأليفهُ في اليوم والليلة عن اقلّ من ورقتين كبيرتين. وقد ألف كتباً عديدة في التفسير والفقه والمنطق والادب واللغة كشرح السلّم في المنطق. وكتاب كشف الطرّة عن الغرّة وهو شرح على درّة الغوّاص للحريري. ومن تآليفهِ رسالة في الانسان. ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء. وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها. وكان لهُ شعر قليل الّا انهُ غاية في الرقّة كقولهِ يذكر العراق في غربتهِ:

اهيمُ بآثار العراقِ وذكرهِ ... وتغدو عيوني من مسرّتها تجرى
والثمُ اخفافاً وطنّ ترابهُ ... واكحل اجفاناً بتربتهِ الغبرى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكباً ... غرّاً اذا سارت على ساكني الزورا
وأنشقُ ريح الشرق عند هبوبها ... أداوي بها ما بي وأهجتي الحرّا

وقال في وصف بغداد وفراقهِ لها:

ارضٌ اذا مرّت بها ريحُ الصبا ... حملت من الارجاء مسكاً أذفرا
لا تسمعنّ حديث ارضٍ بعدها ... يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها ... لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيرا
لكنّها ضاقت عليّ برحبها ... لما رايتُ بها الزمان تنكرا

ومن حسن قولهِ وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني:

تتحيّرُ الشعراء ان سمعوا بهِ ... في حسن صنعتهِ وفي تأليفهِ
فكأنّهُ في قربهِ من فهمهم ... ونكولهم في العجز عن توصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ ... ونأى عن الايدي جنى مقطوفهِ

وقال مستغفراً وقد افتتح بهِ كتاب مقاماتهِ:

انا مذنبٌ انا مجرمٌ انا خاطي ... هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنّ ثلاثةً بثلاثةٍ ... وستلقينَ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود. وكان اولادهُ اغصاناً نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في ترجمتهم. واشتهر في زمانهِ اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحمد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة

لسانهِ وخلابة اقوالهِ في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيّة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاتهِ سنة ١٦٨٤ (١٨٦٧) وعمرهُ نحو ثلث وستين سنة

امّا عبد الحمد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّهُ تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيه السيّد محمود الذي اجازهُ في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة بغداد المعروفة بالنجيبيّة ويتقاطر لاستماعه الناس حتى علية القوم وفي مقدّمتهم عليّ رضا باشا والي بغداد ولهُ بعض مصنّفات نثريّة بليغة وقصائد غرّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخهِ العظام اوّلها :

تنوح حمامات اللوى وانوحُ ... واكتمُ سرّي في الهوى وتبوحُ
وتُعجم ان رامت أداء مرامها ... ولي منطق فيما اروم فصيحُ
لها مقلةٌ عند التداني قريرةٌ ... ولي مدمع يوم الفراق سفوحُ

الى ان قال مادحاً :

فتى كلّهُ عفوٌ ولطفٌ وعفّةٌ ... وعن زلّة الشاني الحسود صفوحُ
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينةٌ ... سموحٌ وذو الشان الجليل سموحُ
وفارس فضلٍ لا يجاريهِ عارفٌ ... واتى يجاري العاديات جموحُ
يفوح بأفواه الندى نشر فضلهِ ... كما فاح نشرًا في الخمائل شيحُ
لقد عطّر الارجاء منك فضائلٌ ... فوصفك مسكٌ في الانام يفوحُ

ومن نثرهِ قولهُ يصف الاولياء :

لقد فاز قومٌ عاملوا الله بالاخلاص والصدق ، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع الجُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق ، تحمّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاقّ ، فأزالوا بأنوار شهود جمالهِ عن بصائرهم حجب العوائق الانسانيّة ، وتحمّلوا اذا اذاتهم الورى مرّ المراء والشقاق ، فاماط بعذوبة انسهِ ووصالهِ عن رقاحم وبق العلائق النفسانيّة ، أعرضوا عن الدنيا وأغرضوا في طلب الأخرى حيث علموا بأنّ الأولى والأخرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية . فأنحلوا الاجسام بالصيام والقيام ، لما أنْ حلا لهم شرب صافي المدام . . . فرضوا على نفوسهم التناعة والصبر ، ورضُوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر . وراضوا زكيّ انفسهم عن اقسى جوامحها واعراضها ، ترفّعوا عن الشكوى وتمسكوا بعُرى التقوى ، لانّها الركن الاوفى والسبب الاقوى ، فتجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها . . .

وكانت ولادة السيّد عبد الحمد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياتهُ ولم نقف على سنة وفاتهِ

(السويديون) هم من أسرة فاضلة اصلها من سرّ من رأى او سامرّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها . منهم الشيخ ابو البركات عبد الله السويديّ صاحب

المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة والرحلة المكيّة توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م). ومنهم الشيخ ابو الخير عبد الرحمن زين الدين البغداديّ السويدي ابن ابي البركات كان ذا باع طويل في العلوم الدينية واللسانيّة. ولد سنة ١١٣٤ وتوفي سنة ١٢٠٠ (١٧٢٢ — ١٧٨٦ م) فارّخهُ اخوهُ الشيخ احمد السويدي بقولهِ من ابيات:

وفارقنا فرداً فقلتُ مؤرخاً ابو الخير في ازكى الجنان نزيلُ

وكان الشيخ احمد المذكور اماماً في التصوُّف وقد ردّ على المُلحدين بكتاب سمّاه الصاعقة المحرقة في الردّ على اهل الزندقة. توفي سنة ١٢١٠ وكان مولدهُ سنة ١١٥٣ (١٧٤٠ — ١٧٩٥)

ومن السويديين الشيخ عليّ ابن الشيخ محمد سعيد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) لهُ كتاب في تاريخ بغداد قد رثاهُ شاعر بابيات ختمها بهذا التاريخ:

مذ وُسّد اللحدَ نادانا مؤرخهُ انَّ المدارس تبكي عند فقد علي

ومنهم ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي احد كبار الكتبة في بغداد لهُ مؤلفات جليلة في عدّة فنون منها كتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب الذي نُشر بالطبع وقد مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠: ٥٦٦) وكتاب الجواهر واليواقيت في معرفة القيمة والمواقيت. وكتاب ردّ على الرافضة. ورسالة في الواجب والممكن. ولهُ شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف. كانت وفاتهُ سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠). واشتهر من السويديين في العهد الذي وصلنا اليهِ الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمّد سعيد ابن احمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

واشتهر بالآداب العربيّة في بغداد والعراق غير الالوسيين والسويديين في اواسط القرن التاسع عشر بعض الائمة. وها نحن نذكر منهم الذين ابقوا آثاراً من علمهم طبعاً او خطاً على ترتيب سني وفاتهم

(البيتوشي) هو ابو محمّد عبد الله بن محمّد الكردي البيتوشي من كبار ادباء بلادهِ. ولد في بيتوش من قرى العراق سنة ١١٦١ (١٧٤٨) وجدَّ في طلب العلم ثمَّ قدم بغداد طلباً للمعاش وارتحل منها الى بلدة الأحساء فابتسم لهُ الدهر وحسنت حاله واشتهر صيتهُ وانقطع الى التأليف في الصرف والنحو ونظم كتاب كفاية المعاني وشرحهُ

وذيّل شرح الناكهي على قطر الندى لابن هشام . ولهُ نظم حسن منهُ قولهُ متشوقاً الى وطنهِ :

ألا حيِّ بيتوشاً واكنافها التي ... يكاد يروّي الصاديات سرابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تعاقبي ... واوّل ارضٍ مسَّ جلدي ترابُها
لقد كان لي منها عرينٌ وكان من ... مقاتيّ لها سُحبٌ تكوبُ رِبابُها
ولم تنبُ لي إنْ ينبُ يوماً باهلهِ ... مكانٌ ولم يضقْ عليَّ غرابُها

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨) . وكان الاحقّ بنا ان نذكرهُ في الابواب السابقة فاثبتنا اخبارهُ هنا مع بقيّة افاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) اصلهُ من النجد فسكن البصرة وكان يتردَّد كثيرًا الى بغداد واشتغل بفنون لسان العرب وكان لهُ في اللغة باع طويل والف عدَّة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد ارَّخ فيهِ ما وقع في زمانهِ من الوقائع وسمَّاهُ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود وقد طبع مختصرهُ في بمبي سنة ١٣٠٤ . ومن تآليفهِ منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الاعراب والازهريَّة ومغني اللبيب . ولهُ رسائل ادبيَّة كفاكهة المسامرة وقرَّة الناظر . ونسمات السحر وروضة الفكر . وكانت لهُ شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يُقبل كلامهُ لدى جميع اهاليها . توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤)

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي افندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسي زاده . ذكرهُ في كتابهِ نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على آثارهِ الادبيَّة لكنهُ ذمَّ اخلاقهُ وضيقَ صدرهِ وجهلهُ بمداراة الناس قال :

كان لا يدري مداراة الورى ... ومداراةُ الورى امرٌ مهمّ

وروى لهُ شعرًا حسنًا منهُ :

لئن لم تشاهدني أخافش أعينٍ ... فلي من عيون الفضل شاهد رؤيةِ
وان انكرتني الحاسدون تجاهلاً ... كفاني عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمس الاستواء من السها ... واين زلالٌ من سراب بقيعةِ
وليس الذي في الناس كالحي ميتٌ ... لفضلٍ وافضالٍ فحيٌّ كميتِ

وقوله :

وزمانٍ عدتُ على لياليهِ ... وقصتني قوادمي وجناحي

ودعتني صروفهُ في شتات وعناد وخيبة وتراح
لا لذنب اتيتهُ غير انَّ الـفضل لم نالهُ قرين نجاح
واذا ما الصلاحُ فيكم فسادٌ ففسادي الذي لديكم صلاحي

وكانت وفاتهُ بالطاعون سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧م) وانشد قبل وفاته :

اسفي على فصلٍ قضيتُ ولم أكن ابصرتُ عارفَ حقهِ فيبينُ
ومن العلوم الناهضاتِ ورمزها أملي قضيتُ وللفنون ديونُ
واخذت في كفني علوماً لم اجدْ مستودعاً هي في الدفين دفينُ

(عبد الحمد الموصلي) هو عبد الحمد ابن الشيخ جواد الموصليّ الشهير بابن الصبّاغ احد شعراء العراق الذين شرّفوا تلك الاصقاع بآدابهم وشعرهُ رقيق لكنهُ مفرّق لم يُجمع في ديوان. فمن قولهِ ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة والتزم في كل صدورها واعجازها تاريخاً للسنة المسيحية ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعلهُ تاريخاً هجريًا هذا مطلعهُ :

بعثنا اليكم بنت رمزٍ من الفكرِ دعاها جوى أعطتْ بهِ خالصَ الشعرِ
أمنتم صروع الدهر من قيد حادثٍ شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ
ميامن ترعى بطرساً في كرامة الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ
هديتم بنور الربّ باباً فأرّخوا هو الله لا ما زلّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالة طويلة نظماً ونثرًا افتتحها بقولهِ :

مشتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ مشوقٍ بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنّها من نورها تُعرفُ

وقال الشيخ عبد الحمد يمدح الشيخ ناصيف اليازجيّ من قصيدةٍ :

كبش الكتائب والكتاب وانهُ بالسحر يطحُ هامةَ ابن خروفِ
متوقد الافكار يرشك في الدُّجى يبدو لهُ المستورُ كالمكشوفِ
فطنٌ تخطق بالفصاحة وارتدى جلبابَ علمِ النحو والتصريفِ

الى ان ختمها بقولهِ وفي البيت الاخير تاريخ السنتين الهجرية والمسيحيّة (١٢٦٤ — ١٨٤٨) :

لا زال محفوفًا بحظٍ وافرٍ والحظُّ مثل الخطّ بالتصحيفِ
فيهِ صفا عبد الحميد مؤرخًا ناهيتُ نظمي في مديح نصيفِ

ولهُ تخمساً لقصيدة الشيخ ناصيف المهملة فجعل تخميسهُ مهملاً كقصيدة الشيخ :

عدوّ المرء اولادٌ ومالُ لواسعهم اساودها صلالُ
أحاول طَوْلهم وهو المالُ لاهل الدهر آمالٌ طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

ومنها : مرور العمر مَرّ مَرّ كل حالِ وامرُ الله دمّر كل حالِ
مرورك والهموم دلاه دالِ كرورُ الدهر حوّل كل حالِ
هو الدهرُ الدوام لهُ عالُ

وكانت وفاة الشيخ عبد الحمد ابن الصبّاغ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) فرثاهُ الشيخ اليازجي بقصيدة جميلة استهلّها بقولهِ :

لا عين تثبت في الدنيا ولا اثرُ ما دام يطلع فيهِ الشمس والقمرُ

الى ان قال :

قد كنت انتظرُ البشرى برؤيتهِ فجاءني غير ما قد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهدُ الوصل منهُ فقد رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
أحبُّ شيء لقلبي حين اذكرهُ دمعٌ واطيب شيء عندها السهرُ
هذا الصديق الذي كانت مودّتهُ كالكوثر العذب لا ينالها كدرُ
لا غرو أنْ احزنَ الزوراءَ مصرعهُ فحزنهُ فوق ابنٍ لهُ قدرُ

فاستحسن اهل بغداد هذه المرثية وقرّظها السيد شهاب الدين العلوي بابيات منها :

وافت فمرّت بتأساءٍ وتعزيةٍ عليهما بعد الاحياء مَنْ قُبروا

وارّخها بقولهِ :

أسديتَ سلوة محزونٍ وأرّخهُ اسدى رثاء بهِ السلوان والعبرُ

(عبد الجليل البصري) هو السيد عبد الجليل بن ياسين البصري ينتهي نسبهُ الى علي ابن ابي طالب ولد في البصرة سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) ثمّ ارتحل منها الى الزبارة فسكنها حتى استولى عليها صاحب الدرعيّة ابن السعود فسار الى البحرين وسكن بها الى سنة ١٢٥٩ (١٨١٣ م) ثمّ استوطن الكويت وتوفي هناك سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م).
واشتهر عبد الجليل بالحلم والكرم وكان ذا ادبٍ وعلم كما يشهد عليهما ديوان

شعره الذي طُبع سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣م) في بمبي (ص ٢٨٠). واوّل نظمه ابيات قالها مؤرخاً مولد ابنه عبد الوهّاب سنة ١٢١١ (١٧٩٦)

حمدتُ الله إذ اسدى بفضلٍ ... وآلاء تسامتْ أن تُضاهى
كريمٌ مَنَّ فيمن فيه اضحتْ ... رياضُ القلب مخضرًّا رباها
وطاب العيشُ وانكشفتْ همومٌ ... كذاك النفس متنفيًا مناها
فيا من قد مَنَنتَ بنير منٍّ ... بمن ساد الورى فخرًا وجاها
أدمْ لي فيه مسرورًا دواماً ... وفيه العينُ قرَّ بما كراها
ووَفِّقْهُ لما ترضى وجنِّبْ ... هوى الاهواء واحفظ من غواها
وخيرُ الفالِ قد أرّختُ لابني ... بطلعةِ بشيرِ السعد باها

وقال عن لسان فقير من ابناء السبيل طلب منهُ ابياتاً يرتزق بها:

يا ماجدًا ساد عن فضلٍ وعن كرمٍ ... وهمّةٍ بلغتْ هامَ السماك مُلا
يا من اذا قصد الراجي مكارمَهُ ... نال الاماني وبرًّا وافرًا عجلا
انّا قصدناك والآمالُ واثقةٌ ... بانَّ جودك ينفي فقر من نزلا
جئنا ظماءً وحسنُ الظنّ اوردنا ... الى معاليكَ لا نبغي بها بَدَلا
لقد اضرَّ بنا جَور المُداة وما ... اودى بنا الدهر يا بؤس الذي فعلا
عسرٌ وعُزْبَةُ دارٍ ثم مسكنة ... وذلّةٌ وفراق فاتلٌ وبلا
نشكو الى الله هذا الحال ثم الى ... ندبٍ جوادٍ يفيد القاصدَ الأملا
عسى تصادف من حسناك مرحمةً ... تكون رفدًا لنا اذ نقطعُ السبلا
واغنم بذلك منّا خيرَ أدعيةٍ ... يزفُّها قلبُ عافٍ بات مبتهلا
لا زلت تولي جميلًا كلَّ ذي املٍ ... في رفعةٍ ونعيمٍ دام متّصلا

ولهُ يذمُّ الغيظ:

للغيظ آفاتٌ يضيقُ بها الفتى ... فاذا استطعتَ لهُ دفاعًا فاجهدِ
منها حجاب الذهن عن ادراكهِ ... امرًا تحاولهُ كأن لم يعهدِ
وبهِ يُرى الفَطِنُ اللبيبُ كأنهُ ... مما بهِ المعتوه او كالأبلهِ
وبه الحليم الى الجهالة صائرٌ ... وبعدُ منهُ بهِ مثارُ السؤددِ
وبهِ تسيء لدى الورى اخلاقهُ ... حتى يُقال لهُ لئيمُ المحتدِ
لا يرعوي لصحيح قول نصيحةٍ ... ويرى النصوح كعائبٍ ومفنّدِ
من حبَّ طبَّ بما تناول علمهُ ... واخو النباهة يقتدي بالمرشدِ

وقد سبق لنا حكم السيد عبد الجليل البصري لبطرس كرامة على الشيخ صالح التميمي وروينا ابياتاً من قصيدته في مدح الشاعر النصراني فراجعها

(الشيخ عبد الفتّاح شوّاف زاده) اخذ العلوم الادبيّة عن الشهاب الالوسي حتى صار من اكمل الادباء. صنّف تعليقات على كتب عديدة وقد كتب ترجمة شيخه الالوسيّ في جزئين كبيرين ودعاه حديقة الورود في ترجمة ابي الثناء شهاب الدين محمود وضمّنهُ دقائق ادبيّة ومسائل علميّة. توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥م). واشتهر بعدهُ اخوهُ الشيخ عبد السلام ووضع تصانيف عديدة منها كتاب في المواعظ وانتهى اليهِ علم الفقه والحديث. ولا نعرف سنة وفاتهِ

(السيّد عبد الفتاح السلفيّ) هو الشيخ محمّد امين الشهير بالواعظ. كان ذا خبرة تامّة بالمسائل الشرعيّة ونال من فنّ الادب باوفر نصيب. وكان ماهرًا في انشاء الصكوك ودرّس مدّة في المدرسة الخاتونيّة. وصنّف عدّة مصنّفات كمنهاج الابرار. ونظم التوضيح. وكان لهُ النظم اللطيف منهُ قولهُ في مدح السيّد محمود الالوسيّ مخمسًا:

يا سائلي عن بحر علم قد طما ... بلوعهِ يروي العطاش من الظما
ان قلتَ صف لي من نداك توسّما ... انّ الشهاب ابا الثناء لقد سما
قدرًا على اقرانهِ من أوجهِ

سعد السعود ببابهِ متقاعدًا ... والمشتري برحابهِ متماقدًا
لا تنكرنْ لأنهِ يا جاحدًا ... ما زارني الّا حسبتُ عطاردًا
في الدار أمسى نازلًا من أوجهِ

وتوفي سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) فقال السيّد عبد الغفّار الاخرس فيهِ رثاء ختمهُ بهذا التاريخ:

بكى العلم والمعروف أرّخ كليهما ... بقبر ثوى فيهِ الامين محمّدُ

(السيد محمد سعيد) كان ابوهُ محمد امين الشهير بالمدرّس يعلم في بغداد العلوم اللسانيّة ووضع فيها بعض المصنّفات فلما توفي سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) خلفهُ ابنهُ السيّد محمد وقلد عدّة مناصب كالنيابة والافتاء ثم اتصل وقتي مشغولًا بالتدريس الى سنة وفاتهِ ١٢٧٣ (١٨٥٧م) وتآليفهُ منها نحويّة ومنها شرعية. وصفهُ السيّد نعمان افندي الالوسيّ بقولهِ: «انهُ كان ذا تقوى وديانة وعفّة وصيانة لا يغتابُ احدًا ولا ينمُّ على احد ابدًا

وكان بشع الخطّ حديد المزاج كثير الوسواس عيّ الكلام ... وكان كثير الصدقات على اليتامى والارامل ». ولما مات رثاه السيد عبد الغفار الاخرس بقوله:

في رحمة الله حلّ شيخٌ وجنّةُ دارها الخلودُ
تفيضُ من صدره علومٌ وقد طمى بحرُها المديدُ
ولم يزل ميتاً وحياً من علمه الناسُ تستفيدُ
سار الى ربه غير فانٍ بالعزّ وهو العزيزُ الحميدُ
ومذ توفاهُ قلتُ أرّخ مضى الى ربّه سعيدُ

(عبد الباقي العمري الفاروقيّ) هو اديب العراق عبد الباقي بن سليمان بن احمد العُمَريّ الفاروقيّ الموصلي ولد في الموصل سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) انتهت اليه رئاسة الشعر والادب في وطنه. تغذّى منذ صغره لبان العلم. وانتدبتهُ الحكومة السنية وهو ابن عشرين الى منصب كتخدا ووكيل الوالي فرانق قاسم باشا وعلي باشا الى بغداد وقام باعباء رتبته اتمّ قيام وكذلك سار بالعساكر الشاهنيّة الى قبياتي الزكرت والشمرت في النجف فقصّ جناح الفتنة بينهما بحسن درايته وعاد الى بغداد مقرونًا باليمن والاسعاد ونال الحظوة من الدولة العليّة. ثمّ انقطع الى الكتابة والآداب فشاع نثرهُ الرائق وشعرهُ الفائق فألّف التآليف التي احرز بها قصب السبق في مضمار ادباء العراق وفاز بين فصحائهم بالقدح المعلّى. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) قيل انهُ أرّخ نفسهُ في عام مماتهِ ببيتٍ كُتب على قبره:

بلسانٍ يوحّدُ اللهَ أرّخ ذاقَ كأسَ المنون عبد الباقي

امّا تآليفهُ فكلّها ناطقة بفضله وتوقّد فهمهِ منها ديوان اهمّة الافكار في معاني الابتكار وكتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر وكتاب الباقيات الصالحات وكتاب نزهة الدنيا اودعهُ تراجم بعض رجال الموصل في القرن الثاني عشر والثالث عشر. ولهُ ديوان شعر يسمّى بالترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي طبع مرّة بمطبعة حسن احمد الطوخي سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثم اعاد طبعهُ الشيخ عثمان الموصليّ بعد توسيع ابوابه وتكملته سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ صفحة. وها نحن نذكر بعض نتف من شعره تنوّع بعلوّ مقامهِ في الآداب قال يؤرخ جلوس السلطان عبد العزيز واجاد:

لتلفراف الفضلُ اذ جاءنا يقول بُشراكم بلفظٍ وجيزْ

قد أحرزتْ ملّتكمْ ارّخوا عزًّا بظلّ الله عبد العزيزْ (١٢٧٧)

وقال في التشبيه:

كأنّ ضوء البدر في دجلةَ حين يشرقُ
والموج في اثنائهِ منهُ الباب يحققُ
قراضةٌ من ذهبٍ طفا عليها الزئبقُ

وقال في فتح الدولة العليّة لحصن سيواستبول مع الدولتين الفرنسويّة والانكليزيّة:

اقول للدُّول المنصورِ عسكرُها لا زال عسكرها بالله منصورا
لمّا اتّفقتم على صدق المحبّة في ما بينكم واتحدتم صرتمُ سورا
بسطوة دعتِ الاطوادَ راجفةً دُمرتمُ محصّنات الروس تدميرا
مدافعٌ غطّتِ الدنيا غمامتها فنادرت صبح يوم الحرب ديجورا
افواهُها دلمتْ للنار ألسنةً فقرّرت درس ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من مدًى ولظىً ومن دخان اعاد الكونَ ممطورا
ومن فوارّاتها غيثٌ تراكمُهُ يسحُّ منتظمًا طورًا ومنثورا
أقلّهم فرَّ لمّا فرَّ اكثرهم لكونهِ بات مقتولًا ومأسورا
والسيف غنّى على هاماتهم طربًا حتى حسبناهُ فوق الغصن شحرورا
غادرتمُ البرَّ بحرًا يستفيضُ دمًا والبحرَ برًّا على الأشلاء معبورا
سيوستبولُ التي اعيتْ معاقلُها سخّرتم حصنها أرّختُ تسخيرا

ولهُ مشطرًا ابياتًا منسوبةً لابي نصر الحكيم الفارابي:

(كمّلْ حقيقتك التي لم تكملِ) وعن ارتكاب النقص كُن في معزلِ
وابغِ لنفسك ما ترقّيها بهِ (والجسمَ دعهُ في الحضيض الأسفلِ)
(اتكمّل الفاني وتترك باقيًا) تكميلُهُ أولى بحقّ الأكملِ
فهو الذي لا ينبغي لك تركهُ (هلّا وانتَ بأمرهِ لم تحفلِ)
(فالجسم للنفس النفيسة آلةٌ) تقضي المرام بها إذا لم تكسلِ
ولكم عليها من حقوق للعلا (ما لم تحصّلها بهِ لم تحصلِ)
(يفنى وتبقى دائمًا في غبطةٍ) ان فارقتْهُ ودولة لم تنقلِ
وسعادةٌ ابديةٌ لا تنقضي (او شقوةٌ وندامةٌ لا تنجلي)
(أعطيتَ جسمك خادمًا فخدمتهُ) وأحلّتَ حكم معزّزٍ لمذلّلِ
وجعلتَ من هو فوقهُ من دونهِ (أتُسلّكَ المفضولَ رقَّ الافضلِ)
(شرك كيفَ انتَ في صلاتهِ) قيد الحياة اسير قيدٍ مثقلِ

منهُ وانت به بأيّة حيلة (ما دام يمكنك الخلاصُ فعجّلِ)
(من يستطع بلوغَ اعلى منزلٍ) متدرّجاً فوق السماك الاعزلِ
ويرى الثريا تحت أخمص رجلهِ (ما بالهُ يرضى بأدنى منزلِ)

ولعبد الباقي الفاروقيّ مع ادباء زمانهِ مراسلات لطيفة فمدحوهُ ومدحهم بقصائد لا تُحصى لا يسعنا ذكرها وكثيرٌ منها يتضمّن الطُرَف المستطرفة. ونكتفي بذكر بعض ابيات قالها في تقريظ مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجيّ اوّلها:

غُرَرٌ أمْ دُرَرٌ مكنونةٌ في عُباب البحر بين الصَدَفَيْنْ

الى ان قال:

قد أتتني تتقاضى دَيْنَها فوفتْ للمجد عني كلّ دَيْنْ
بمراياها العقولُ ارتسمتْ فمحتْ عن عين عقلي كل غَيْنْ
وتجلّت صُور العلم بها فجلت عن كل قلبٍ كلّ رَيْنْ
وعلى الاحسان والحسن معاً طُبعت والطبع مشنوقٌ بذَيْنْ
رحتُ من راحةِ معناها ومن روح مبناها حليفُ النشأتَيْنْ
يا لسفرٍ اسفرتْ الفاظُها بين أُفقَيْه سفورَ النيّرَيْنْ
يا لهُ قاموس فضلٍ قد طوى مجمع البحرين بين الدفّتَيْنْ

وكان مدحهُ سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) بقصيدة بائيّة يقول فيها:

أبلى النوى جسدي النحيفُ كأنّني قلمٌ بدا بيدَيْ نصيف الكاتبِ
حبرٌ حلا في حبرهِ قرطاسُهُ كالبدر لمّا لاح فوقَ تراتبِ
فسطورهُ وطروسهُ في حسنها حاكت سماء زُيّنت بكواكبِ

وختمها بقولهِ:

لو قمتُ طول الدهر انشد مدحهُ بين الانام فلم أقم بالواجبِ
وبدمعهِ السُرّيّ آبَ مؤرخاً ترتيب مدحي في نصيفِ الكاتبِ

فقال الشيخ نصيف يجيبهُ بقصيدةٍ من البحر والقافية:

احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعاً وكلاهما للنفس اكبرُ جاذبِ
انتَ الذي نال الكمال موفّقاً من رازقٍ مَن شاء غير محاسبِ
فاذا نظمت فانتَ ابلغ شاعرٍ واذا نثرت فانت افصح خاطبِ
واذا نظرتَ فمن شهابٍ ثاقبٍ واذا فكرت فمن حسامٍ قاضبِ
هذه رسول لي اليك وليتني كنتُ الرسولَ لها بعرض نائبِ

هذا وقد اشرنا سابقاً الى قصيدته الحالية التي عارض بها خالية بطرس كرامة تجدها في ديوانه (ص ٢٤٢—٢٤٣ من الطبعة الجديدة) فدارت بينهما المراسلات بين الشاعرين. وقد هنّأه بطرس كرامة برتبته الكتخداوية بقصيدة مطوّلة يقول فيها:

الشاعر الفرد الذي اهدى لنا دُرَر البحور نُظِمْنَ في الاوراقِ
درٌّ بجيدك ام حباك قلائدًا من شعره العُمَريُّ عبد الباقي
جمع الفصاحة بالبلاغة مثلما قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض اهل الفضل ممّن لم نعلم من احوالهم الّا النزر القليل فنثبت هنا اسماءهم تتمّةً للفائدة فمنهم (الشيخ يحيى المروزيّ العمّادي) اصلهُ من العمّادية من قرى الاكراد قرب الموصل برز في التدريس وصار عليه المعوّل في مذهب الامام ادريس وكان احد مشايخ الشهاب الالوسيّ الذي اثنى على زهده وعلوّ نفسه وخصّهُ ببيتين قيلا في الشافعي:

عليٌّ ثياب لو يُباعُ جميعها بفلسٍ لكان الفلسُ منهنّ اكثرا
وفيهنّ نفسٌ لو تُباع بمثلها نفوسُ الورى كانت اعزّ واكبرا

توفي الشيخ العمّادي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) . ومنهم (الشيخ احمد بن عليّ بن مشرف) كان اصلهُ من نجد فانتقل الى العراق وطار صيتهُ فيها ومات بعد السنة ١٢٥٠ وكان اعمى يحسن نظم الشعر فمن قوله في المدح ما انشد في آل مقرن:

وبما ذكرنا الحيّ من آل مقرنٍ تقبّل وجه الفخر وابتسم الجدُ .
همُ نصروا الاسلام بالبيض والقنا فهم للعدى حتفٌ وهم لهدى جندُ
فطارقة ما إن يُنال فخارهم وممشر صدقٍ فيهم الحدُّ والجدُّ

ومنهم (عبد الغنيّ بن الجميل) هو عبد الغني افندي الشهير بابن جميل . ولد سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) واتقن الفنون العربية واتّسع في سائر العلوم. ورحل مرارًا الى دمشق الشام وصاحب فضلاءها كالشيخ عبد الرحمان الكزبري والشيخ حامد العطّار حتى فوّض اليه رضا باشا افتاء الحنفيّة في بغداد ثم أُصيب ببعض الآفات والبلايا وتوفي ابن جميل سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) وله شعر طيب كلهُ في الحماسة فمن ذلك قولهُ:

أيذهب عمري هكذا بين معشر مجالسهم حاف الكرم حلولهُا

وابقى وحيداً لا ارى ذا مودّةٍ من الناس لا عاش الزمانَ ملولُا
وكيف ارى بغداد للحرّ منزلاً اذا كان مغريّ الادمِ تربُها
فما منزل فيه الداء بمنزلٍ وفي الارض للحرّ الكريم بديلُها

ومنهم (محمّد الاخفش) هو محمّد سعيد افندي البغداديّ الشهير بالاخفش. قرأ على العلّامة الالوسيّ وشرح الالفيّة في النحو للامام السيوطيّ. وكان محبًّا للاداب ولهُ شعر حسن اخذتهُ يدُ التلف وكان كثير المزاح واللطائف توفي سنة نيّف وثمانين بعد المائتين والالف (١٨٦٣). ومنهم الشيخ جمال الدين الكوّاز كان اصلهُ من الحلّة ويرتزق بحرفة الكوازة الّا انهُ كان مشغوفًا بالآداب خفيف الروح حسن المحاضرة. ولهُ شعر كلهُ في الغزليّات وقيل انهُ نظم الشعر قبل البلوغ. توفي في الحلّة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢). ومنهم (الشيخ عيسى البنديجيّ) هو ابو الهدى عيسى افندي صفاء الدين البنديجي اصلهُ من بنديج على حدود بلاد العجم فسكن بغداد ودرس العلوم اللسانية والفقهيّة والادبيّة حتى اشتهر فيها وكان ذا تقوى وصلاح ودرّس زمنًا في مدرسة داود باشا وجُعل رئيس المدرّسين. ومن تآليفهِ كتاب تراجم مُن دُفن في بغداد وضواحيها توفي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧) (لها بقية)

المفريان

باسيليوس اسحق جُبَير الموصليّ

لحضرة الفاضل القس اسحاق ارملة السريانيّ الكاثوليكيّ

من مشاهير طائفتنا السريانيّة الكاثوليكية في القرن السابع عشر مطران موصلي يُعرف باسحق جُبَير كان مع البطريركين الجليلين اندراوس اخيجيان واغناطيوس بطرس من اكبر السعاة في ردّ اليعاقبة الى الوحدة الكاثوليكية

وُلد المفريان باسيليوس اسحق ابن الشماس عبد الحيّ جُبير في مدينة الموصل عام

١٦٢٩ ونشأ منذ حداثته على التقوى والمعارف. وكانت آيات النجابة والوقار مرقومة على جبهته فاخذ يوماً يفكر في الدنيا وامورها وعزم على الزهد فيها . ولما وقع اليه خبر اغناطيوس اندراوس اخيجان بن عبد الغال مربي الماردیني بطريرك الطائفة السريانية الكاثليكية عوّل على القدوم اليه الى حلب ابتغاء مشاهدته ورجاء ان يرسله الى مدرسة يتلقى فيها العلوم الكهنوتية . فلما ظفر به البطريرك وتوسم فيه الذكاء والنباهة بعثه الى رومة فانخرط في سلك تلامذة مدرسة مجمع انتشار الايمان المقدس وانصبّ بكلّ جهده على اقتباس الفضائل الراهنة واحراز العلوم والآداب وتفرّغ خاصّةً لدرس الفلسفة واللاهوت فنبغ فيهما وفي سائر الفنون اللغوية والادبية وحاز قصب السبق على اقرانه حسبما يُستدلّ من السجلات المحفوظة في تلك المدرسة. وكان يتردّد على مدرسة الموارنة ايضاً. وعند انتهاء دروسه قدم الى لبنان فرقّاه سنة ١٦٧٢ اسطفانس بطرس الدويهي بطريرك الموارنة المثلث الرحمات الى الدرجة الكهنوتية (١ واستمرّ لديه سنتين. كان في اثنائهما منصباً على مطالعة الكتب

ثم انطلق الى حلب فارسله البطريرك اندراوس المغبوط الى ديار بكر ليسعى بردّ المنفصلين الى حظيرة البيعة الجامعة

واستمرّ على تلك الحال حتى عام ١٦٧٢ فانتدبه مار اغناطيوس بطرس الرابع خلف اندراوس اخيجان الى حلب واقامهُ مطراناً على ديار بكر وما بين النهرين ودعاه طيشاوس اسحق وبعث به الى رعيته فاخذ يسوسها بما آتاه الرب من الحذق وجاءت اتعابهُ بالثمار النضجة. وكان يقيم القداس في كنيسة الكلدان البطريركية تارة وطوراً في كنيسة اللاتين اذ لم يكن آنئذٍ ثمّ للسريان الكاثوليك كنيسة

وما كادت تستقيم امور تلك الابرشية حتى اججّ عدوّ الخير نيران الحسد في قلوب يعاقبة تلك المدينة فحاولوا ازعاجه رغماً عن سعيه في خيرهم ونجاح امورهم واغاثته لملهوفيهم وسدّه لحاجاتهم بالقول والعمل. واستنجدوا لبلوغ مآربهم مفريانهم اسحق عازر

١) ذكر اسطفانس الدويهي في رسالته الى القسّ بطرس مبارك سنة ١٧٠١ في ١١ ايار ما نصهُ : « وكذلك حضر لعندنا القس اسحق وانا بطرك مكثه عندنا سنتين ورتبتهُ ورسمته ايضاً. وعندما حضر بعده الى عندنا بطرس بطرك السريان ثبت عندنا مدّة بكلّ اعزاز واكرام. ثم بعد المذكورين التجى الينا الخوري نعمة والقس سليمان السريان من جور بطركهم الضال »

فوشي بالكاثوليك وحصل على اوامر بصدّ السريان اليعاقبة عن الكنيسة . فسار الى حلب واختلس كنيستها وأخرج منها البطريرك الكاثوليكي . واكمل مسيره الى ديار بكر وألحق ضرراً جسيماً بالسيد طيمثاوس وطرده . غير ان عملهُ هذا الفظيع لم يكن ليذهب بالمترجم عن الاهتمام بطاقته وطلب النصرة لها والتملص من اعدائها بل شخص الى حلب وتفاوض مع بطريركهِ المطوّب الذكر . ثمَّ توجه الى الاستانة العلية عام ١٦٩٠ واثبت صدق عبودية الكاثوليك للدولة العليـة وان ما يدّعيه اليعاقبـة عليهم افكٌ محض وتعدٍّ . ولما تأكد جلالة السلطان احمد خان الثاني ذلك اظفره بحاجتهِ وأنعم عليهِ في ٢٦ ذي القعدة ١١٠٤ بالفرمان العـالي الشان المـفر عن عزل جرجس الموصلي بطريرك اليعاقبة الدخيل واقامة مار بطرس الرابع كبطريرك شرعي . فعاد المترجم الى حلب منتصراً واستردّ الكنيسة من اليعاقبة . فسرّ البطريرك بطرس غاية السرور ودعا للسيّد طيمثاوس بالخير والفلاح ونوى ان يكافئه على اتعـابهِ الوفيرة فقلده منصب مفريان (١ على الشرق وسمّاه باسيليوس اسحق وفوّض اليه تدبير ابرشية الموصل وما بين النهرين . وهو اول وآخر مفريان لدى السريان الكاثوليك . ويشقّ علينا كون تلك الرتبة الشريفة التي اتت بالمنـافع الجمـة على الطائفة قد أُلغيت في السنودس الذي التأم عام ١٨٨٨ في الشرفة مع انهـا استمرّت نحو ١٢٨٠ سنة (٢ وهي لا توجد عند سائر الطوائف

غير ان مفريان اليعاقبة لم يتمالك ان ينظر البطريرك ومفريانه الجديد مسترخين فلم يكفّ عن الدسائس حتى نفى البطريرك بطرس ومن يلوذ به . فلما اتصل هذا الخبر المشؤوم بالمترجم فرَّ مع بعض الكهنة والشمامسة الى خان التتن بحلب واتوى فيه . فشعر به الاخصام وتتبعوه وهجموا عليه كالذئاب واوثقوه بالحبال وضربوه بالاسواط ضرباً عنيفاً وساقوه

١) للمفريان مقامات اي الجاثليق وعند اللاتين بريمات (Primatus) قوانين خاصة منها ان اساقفته يجب ان يخضعوا له . وانهُ ليس للبطريرك ان يتولج في تدبير ابرشيتهِ إلاَّ يكلّف رسمياً . ومنها ان للمفريان المقام الاول في مجمع المطارنة . وان ينادى باسمهِ في الرتب الكنسية بعد البطريرك . وان رسامة البطريرك دون رضاه غير جائزة . وان الاسقف الذي يربطهِ يُربط من البطريرك ايضاً . الخ (راجع كتاب الهدى لابن العبري باب ٧ ف ١ والمشرق ١ : ٢٦٧-٢٦٨)

٢) ان اول مفريانات اليعاقبة كان احادامه (Ahadahmeh) المفريان الذي قُتل سنة ٥٧٥ وآخرهم هو حادبشابا بن كنده النحلي سنة ١٨٣٢

الى السجن بحال تمزّق الاكباد وبلغت منهم القحة الى ان طلبوا شنقه . لكن المولى القهّار قيّض له قوماً من اصحاب الخير والمروءة فحاموا عنهُ وأطلق سبيله مع ارفاقه . وكان يتجلد على احتمال الاهانات والضربات تأسياً بالرسل الاطهار (اعمال ٥ : ٤١)

ولما تعذّرت عليه الاقامة بحلب ذهب خفيةً الى جزيرة قبرس ريثما تصفو الاحوال . غير ان الهموم والاكدار احاطته من كل جانب لاسيما لسماعه بما جرى لبطريركه البارّ القديس مار اغناطيوس بطرس الرابع وما لاقى من العذابات الفادحة والاشجان المؤلمة مع حاشيته الصالحة حتى فاضت روحه الزكية بيد خالقها سنة ١٧٠٢ في اطنه

وعُهد اليه اذ ذاك تدبير الطائفة السريانية بصفة نائب رسوليّ . فظعن الى دار السعادة سنة ١٧٠٤ واقام في دير المرسلين الكبوشيين ثم جُعل ترجماناً للسفارة الافرنسية سنتين ونصف لم يألُ جهداً في اثنائها بعضد طائفته واعانتها . وكان الموسيو فيريول السفير الفرنسويّ يرسل رومية بشانه ويثني عليه ويعدّد المشاقّ التي نالتهُ من اليعاقبة مفصّلاً لاخباره . ومن جملة ما كتبه قوله : « انّ اسحق مفريان الشرق هو الرجل الفريد ما بين السريان الذي ينبغي الاعتماد عليه لكثرة تعلقه بالديانة الكاثوليكية » . فنتج من ذلك ان وردته في ١٦ آب ١٨٠٤ بوساطة السفير المشار اليه براءة رسوليّة من اقليميس الحادي عشر فيها يسميه بطريركاً انطاكياً للطائفة السريانية ويثني عليه ويحرضهُ على اقتبال تلك الدرجة السامية ايثاراً للخير العام . فلما انتهت اليه البراءة اخذ يستعفي بجامع قواه والحّ ملتمساً التوجه الى رومية . وفي ٢٦ نيسان ١٧٠٦ ودّع السفير شاكراً له حسن التفاته فأصحبه برسالة الى المجمع المقدّس فيها يقول « ان مطران نينوى راغب التوجه الى رومية وقد استمرّ عندي ثلاثين شهراً . وقد كنت اتمنّى ان يقيم لديّ مدّة اطول عسى تاتي فرصة لرسامته بطريركاً على السريان . بيد اني لا ادري سبب سفره الى رومية . لقد تحققتُ في هذا المفريان فضائل جمة وتقى واستحقاقاً (١) »

ولما وصل الى رومية اقام في دير السريان مع السيّد اثناسيوس سفر (٢) الماردينيّ

١) الآثار الخطية للاب انطون رباط اليسوعيّ (جزء ١ ص ١١٧–١٢٣)

٢) ان لاثناسيوس سفر فضلاً عظيماً على الطائفة السريانية . فانهُ بسعيه اقام ديراً على اسم مار افرام برومية . وارسل مبلغاً لتشييد دير مار افرام الرقم بلبنان . وله خدم ومآثر جمة لا يسعنا ان نذكرها الساعة

وفي عهده أسس دير مار افرام عين الزغم في جبل لبنان سنة ١٧٠٩ بواسطة القسوس والرهبان الذين كانوا في اطنه مع مار بطرس الرابع كما قدمنا. وأنشئت فيه مدرسة بادارة القس العلامة الشهير نعمه قذمي الذي تسقّف بعدئذ على دمشق. وكان اثناسيوس سفر اكبر مساعد للمفريان في عمله

واقام المفريان في ذلك الدير غير غافل عن رعاية ابرشيته عن بعد. واهتمّ خاصة بالتصانيف والترجمات حتى آخر حياته ولدى احتضاره استدعى الاب بنيامين الراهب اليسوعي الذي كان سابقاً مطراناً مارونياً واعترف لديه. ووصّى بكل ما ملكته يده لدير السريان والموارنة في رومية ودير مار فرنسيس في القدس الشريف. وفي ١٨ ايار ١٧٢١ انتقل الى جوار ربه ليتلقّى جزاء اتعابه وله من العمر اثنتان وتسعون سنة (١ ودُفنت جثتهُ الكريمة في كنيسة مجمع انتشار الايمان المقدّس. وكان اماماً مشهوداً له بمكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ومقداماً متّصفاً بالغيرة والشهامة وملفاناً خبيراً بانواع العلوم والاداب. وها انا نورد بعض تآليف اطلعنا عليها مما خلّفهُ لعالم العلم

١ً استخرج رحمه الله من اللاتينية الى العربية كتاب الخلاصة اللاهوتية والفلسفية للقديس توما الاكويني في خمسة مجلدات بعبارة فصيحة. وعلى ما نُمي الينا ان منها نسخة في مكتبة دير المخلص للملكيين بقرب صيدا (٢

٢ً نقل سنة ١٧١٥ من اللاتينيّة الى السريانية كتاب الاقتداء بالمسيح لتوما الكمبيدي. ونسخته الاصلية محفوظة في الخزانة الواتكانية. وفي مكتبة الاباء اليسوعيين ببيروت نسخة خطية منه كتبها احد الموارنة. غير ان القس يوسف كبريال الكلداني الفارسيّ لما طبع ذلك الكتاب عام ١٨٥٧ برومية لم يذكر اسم المترجم. ولم يطبع المقدمة السريانية التي صنفها رغماً عن كونها موجودة في كلتا النسختين الخطيتين المنقول عنهما وانما اثبت فقط في آخر الكتاب ما يشهد على انّ باسيليوس جبير هو المترجم حيث قال: ܐܝܟ ܕܐܬ ܫܘܦܪܐ ܕܐܠܗܐ ܕܫܡܫܘܢ

١) راجع السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية لمؤلفه الفيكنت فيليب افندي دي طرّازي

٢) من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني نسخٌ مخطوطة في عين تراز ومكتبة الموارنة في حلب ولعلّها نسخٌ من ترجمة اسحق ابن جبير (المشرق)

ومحصلهم حبمذا واحقلا مدةمسلا خذهمحس » ومؤداه : « هكذا كتب بالسريانية المطران باسيليوس الكائن في دير الاباء الموارنة برومية »

٣ً ترجم فلسفة ارسطو الى العربية

٤ً صنّف كتاباً سماه مدرك النجاة وحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة ضمّنهُ براهين راهنة من الملافنة الشرقيين المقبولين لدى السريان تفنيداً لمعتقد اليعاقبة . وفي المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين ببيروت ومكتبة مدرسة الشرفة الاكليريكيّة نسخة منه ألّفهُ اذ كان مطراناً على آمد اي ديار بكر

٥ً انشأ مائة وخمسين موعظة في كتاب سماه العلل لدفع الملل وفي المكتبة الواتكانية ومكتبة الموارنة بحلب نسخة منهُ

٦ً وضع كتاباً ضمّنهُ السؤال والردّ على اعتراضات كوركيس الاوّل بطريرك اليعاقبة سنة ١٦٩٢ واتى بشهادات من ملافنة السريان خاصة لتأييد المعتقد الكاثوليكي . وفي مكتبة غبطة بطريركنا الجليل اغناطيوس افرام الثاني منهُ نسخة قديمة كاملة . واخرى في مكتبة مدرسة الشرفة

٧ً الف غرماطيقاً سريانياً في عهد استقفيّته على ديار بكر وسماه ܢܗܘܪܐ ܕܡܬܝܠܐ اي نور المبتدئين ومنهُ نسخة في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين في بيروت واخرى في مكتبة مدرسة الشرفة

وكان المفريان الصالح الذكر متضلعاً بالسريانية والعربية والايطالية واللاتينية والتركيّة وغيرها . نفعنا الله سبحانه بصلواته وفضائله وآتانا اوفر الفوائد بعلومه وتآليفه

الصليب في عاديات رومية وسورية

للاب رينه موترد اليسوعي

ابرز قسطنطين الكبير في مدينة ميلانو سنة ٣١٣ مسيحية حكماً ألغيت بموجبه تقارير القياصرة اسلافهِ في حقّ النصارى . فعُرفت النصرانية مذ ذاك الحين كدين قانوني يمكن الجميع الانضواء تحت رايتهِ دون عائق البتة . فدخل حينئذٍ الدين المسيحي

في طور جديد ولاح على رؤوس الاشهاد بعد احتجابهِ في الدياميس مدَّة ثلاثة قرون

وكما ظهرت اذ ذاك النصرانية في جلالها وعزّها كذلك برزت الفنون الجميلة المنوطة بالدين كالنحت والنقش والتصوير بعد ان كانت تتستَّر مستخفيةً في العزلة والخلوة فبدت بكل رونقها في ذلك الوقت

واكثر ما تجلَّت تلك الصنائع بمجالي الفخر وبمظاهر الابهة والجمال انما كان في بلاد سوريَّة حتى اضحت الصناعة النصرانيَّة الشامية شائعة في كلّ اقسام الدولة الرومانية واثَّرت في اعمال الصَّنعة المسيحيين في سائر البلاد. واليوم نكتفي بذكر اثر واحد من تلك الآثار الصناعية اعني الصليب ورموزه في العاديَّات النصرانية القديمة في رومية واقطار الشام. وفي بيان ذلك من الفوائد العلميَّة ما لا يخفى فضلًا عن كون الامر يشهد بايمان اهل تلك الاعصار السالفة وينطق بلسان حالهِ عن مكنونات صدورهم

١

وهنا سؤال نقدّمهُ على بحثنا هذا تمهيدًا لايضاح الامر. يقول السائل: هل عمد المسيحيُّون الاولون في اوائل النصرانية الى ابراز الصليب على صورةٍ هيوليَّة وبشكل محسوس؟ وفي اي زمن باشروا بتمثيله اما نقشًا واما نحتًا؟

وليس هنا كلامنا عن الصلبوت اي صورة المصلوب الذي لم يُمثَّل على الصليب الَّا بعد قرونٍ عديدة ومن اراد الوقوف على صحَّة الامر فعليهِ بمقالة في هذا الصدد سبق حضرة الاب لويس جلابرت فنشرها في المشرق (٧: ٢٩٣ — ٣٠٢) وقد بين انَّ اقدم ما يُعرف من تلك الصور لا يتجاوز القرن السادس وانَّ اخصَّها واشهرها صورة صلب السيد المسيح مُثَّلة على كتاب انجيل خُطَّ سنة ٥٨٦ للميلاد في دير زغبة من بلاد ما بين النهرين. ثمَّ اشار الى آثار غيرها لاحاجة الى تكرار ذكرها. وانما نزيد عليها اثرين جديدين لم يذكرهما حضرتهُ احدهما قطعة من القماش وُجدت في مدافن اخميم تمثل السيد المسيح على صليبهِ. والاخر صفيحة من فضة تُحفظ في پرم (Perm) من اعمال روسية اصطنعها بعض العملة السوريين وكلا الاثرين من القرن السادس للمسيح ايضًا

اما اذا عدلنا عن ذكر الصَّلبوت الى الصليب وحده فان آثارهُ في العاديَّات النصرانية كثيرة منذ القرون الاولى للميلاد دون انقطاع الى زمن مجمع نيقية الثاني حيث اعلن آباء ذلك المجمع بوجوب تأدية الاكرام لصور القديسين وفي مقدَّمتها صور

السيد المسيح وخصوصاً مثال آلامهِ المحيية اعني الصليب الذي جعلهُ آلةً للخلاص فيحقُّ لهُ الاكرام كما يكرّم الجنديُّ رايتهُ التي اعانتهُ على الفوز بالغلبة او يقبّل السيف الذي نجّاهُ من فتك عدوهِ بهِ

لا غرو انَّ المسيحيين منذ قرون النصرانية الاولى رسموا صورة الصليب على ادوات خفيفة النقل يسهل احتجابها من اعين الوثنيين وذلك تبرُّكاً بتلك الرسوم واستدراراً للنعم الالهية من ايدي المخلص الذي اتخذ خشبة العار كسلاحٍ أباد بهِ ملك العدوّ الجهنمي

فمن تلك الآثار فصوص وحجارة كريمة كان النصارى يتختّمون بها تُرى اليوم في متاحف اوربّة فعليها علامة الصليب واضحة ظاهرة وذلك قبل عهد قسطنطين الكبير بسنين عديدة

وقد ورد في اعمال الشهيد السوري القديس بروكوبيوس المستشهد في ايام ديوقلطيانوس قيصر انهُ تقدَّم الى جوهريّ في بيسان في السامرة بان يعمل لهُ صليباً نصفهُ ذهب والنصف الاخر فضة ليحملهُ على صدرهِ (١

الّا انَّ هذه الآثار وغيرها مثلها كانت لبعض الافراد ولا تشهد على شيوع اكرام الصليب شيوعاً كافياً. فلا بُدَّ اذن من البحث عن آثار أخرى عمومية مرسومة على ابنية تعمُّ النصارى

(قلنا) انَّ رسم الصليب في الآثار العمومية أقل منهُ في الاثار الخصوصية والسبب واضح وهو خوف النصارى الاولين من أن تُمتهن علامة الصليب او تُنتهك حرمتها فلذلك قبل عهد قسطنطين الملك لا ترى تلك العلامة واضحةً جليَّة الّا في آثار قليلة اخصُّها دياميس رومية. والدياميس كما هو معلوم كانت اسراباً خفيَّة محفورة تحت مدينة رومية كان يقتلع منها الرومان اولاً حجارةً ومواداً أخرى يتّخذونها لابنيتهم. ولمَّا ظهرت النصرانية وسعى اعداؤها الوثنيون في اضطهاد تبعتها وقتل المتدينين بها لم يجد النصارى وسيلة اجدر بالنجاة من ان يسكنوا تلك الدياميس ويقيموا مناسكهم في دفائنها ثمَّ

(١) اطلب معجم العاديات للارتيق وكتاب برايار عن الصليب
Martigny: *Dict. des Ant. Chr.*, 3° ed., 214; Bréhier: *Les origines du Crucifix dans l'Art*, 21.

وجدوها بعد قليل قد ضاقت مع وسعها عن جمع شملهم فأخذوا يزيدون في حفرها ويوسّعون مسالكها وجعلوها طبقات عديدة ينزلون اليها بسلالم او مراقٍ خفيّة لا يعرفها الّا اصحابها واتّسعوا فيها حتى بلغوا ضواحي رومية . وكانوا يدفنون موتاهم في تلك الدياميس ويتمّمون فيها كل واجبات دياناتهم . وقد حسب بعض المهندسين طول تلك الاسراب فوجدها لا تقل عن ٨٧٦ كيلومترًا وهي لعمري مسافة عظيمة تدلُّ على انتشار النصرانيّة في عاصمة العالم الروماني . وقد بقي من تلك الاسراب قسم كبير لم يفتحهُ حتى الان ارباب الآثار . امّا القسم الذي يُعرف منها فهو كلّهُ كمتحف من العاديات النصرانيّة مشحون بكل اصناف المآثر الدينية . وبين تلك الاثار عدد وافر من رسوم الصليب يمكننا ان نقسمها اقسامًا على اختلاف اصنافها

فمنها صنفٌ يمثل الصليب جهارًا لا يشكُّ ناظرهُ في غاية تصويره اعني اكرام آلة خلاص البشر ويُعرف من تلك التصاوير تقريبًا حتى الان عشرين صورة . منها صورتان تمثلان الصليب المعروف باليوناني ذا الاربعة الاطراف المتساوية + وهو متحم مرةً بين اسمين يونانيّين هكذا : POTINA + EIPHNH . وقد ورد رسم هذا الصليب في احد المدافن على آجرّة مكررًا ثلاث دفعات . ولعلَّ هذا الشكل من الصلبان المربعة هو اقدم صورة لعلامة الخلاص اذ يرتقي عهدهُ الى القرن الثاني (الصورة ١ عدد ١ ص ٢٩٦)

وقد جاءت صورة الصليب على الشكل المعروف باللاتيني ذي العارضة السفلى الطويلة ☩ في آثار اقرب الينا عهدًا في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع . منها صفيحة ضريحيّة وُجدت في مدفن القديسة دوميتيلا فترى على الصفيحة تحت اسم الدفين سعفًا من النخل مع صليب لاتيني (الصورة ١ عدد ٢)

على انَّ هذه الصور الجليّة كما قلنا كانت نادرة كأنَّ النصارى الاوّلين تخوّفوا من عرض الصليب للاهانة اذا اظهروهُ علانيةً . ولعلّهم لم يكثروا من تصوير الصليب في الدياميس لأنَّ الدياميس كانت مدافنهم فآثروا ان يرسموا عليها صورًا غيرها تشعر باتيانهم في الاخرة ورجائهم بالخلود بدلًا من نقش الصليب الذي يذكر بالالام وعذاب الموت

هذا ما يختص بصور الصليب الظاهرة لكل العيان غير المحجوبة تحت ستر الرموز . امّا صورهُ الرمزيّة المشيرة اليهِ باشارات لطيفة خفيّة التي كان يدركها اصحاب المعرفة فقط

فانها اكثر من ان تحصى وكان النصارى يفضلون تلك التصاوير التلميحية على غيرها لانها كانت تثبت ايمانهم دون ان تثير عليهم فتن المشركين وتبعث في قلوبهم البغض والشحناء.

واوّل صورة من هذا الشكل الخفيّ لدى الاجانب مع وضوح معناها للنصارى حرف التاء العبرانيّة. وهذا الحرف الذي يُرسم اليوم هكذا ת كان يرسم في الزمن القديم على هذه الصورة × وشبهها بالصليب ظاهر. وفي سفر حزقيال (٩: ٤ و٦) انَّ الربَّ امرهُ برؤيا بقتل كل مَنْ لم يُرسم على جبهتهِ علامة هذا الحرف. فالنصارى الاولون كانوا يلمحون الى كل ذلك برسم هذا الحرف. وكانوا يرسمونهُ على صورة التاء اليونانية على هذا الشكل T لامتزاجهِ ببقيّة الاحرف اليونانية (الصورة أ عدد ٣) وربما رسموهُ في وسط اسماء الاعلام لئلّا يكتشف احد سرّهم كما ترى في الكتابة الآتية وهي تحتوي على ثلاثة اعلام ديونيسيوس وكيرلُس وايلارا:

ΔΙΟΝΥTCIOY—ΚΥΡΙTΛΛΟΥ—ΙΛΛTPA

ويشهد المعلم ترتوليان في اوائل القرن الثالث على استعمال النصارى لحرف T اليوناني دلالةً على صليب السيد المسيح. ويُحكى عن القديس انطونيوس ابي الرهبان ان رداءهُ كان مزداناً بصورة الصليب على هذا الشكل

ومن الرموز التي تشير الى الصليب واتخذها قدماء النصارى للإشعار بايمانهم ورجائهم بنوع خفيّ المرساة وكان بولس الرسول قد شبه الرجاء المسيحيّ بها (عبر ٦: ١٠) فرسمها المسيحيون الاولون على آثارهم وقبورهم وزادوا على قبضتها عارضةً تمثل الصليب فلم يقف الوثنيون على غايتهم (اطلب الصورة أ عدد ٤)

ومما استعارهُ النصارى الاوّلون من الرموز القديمة للدلالة على صليب ربهم علامةٌ وردت في آثار اليونان والهنود قبل المسيح وهي عبارة عن صليب مربَّع لكلّ عارضة من عوارضه الاربع ملحق فاستعملهُ المسيحيون بين رموزهم الخفية الرامزة عن صليب المسيح (الصورة أ عدد ٥) والاثريون يدعون هذا الصليب بالصليب الجيميّ لانهُ عبارة عن اربعة حروف من الجيم اليونانيّة Γ (croix gammée)

وكذلك استعار نصارى مصر الاولون من ديانة المصريين الاقدمين شكلاً آخر استدلوا بهِ على الصليب المقدّس وذلك عبارة عن صليب ينتهي بعروة ☥ وكان قدماء

المصريين يجعلون هذه الاداة في يد آلهتهم اشارةً الى مصدر الحياة (croix ansée) فاتخذها النصارى المصريون كعلامة الصليب الحي (اطلب الصورة ١ عدد ٦)

الصورة ١

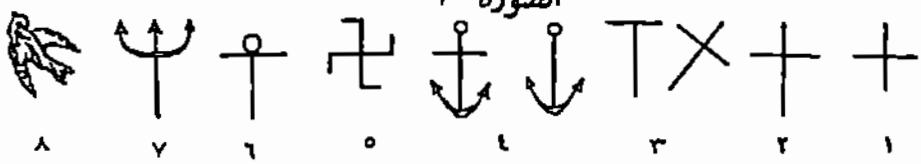

(١) الصليب المعروف باليوناني (٢) الصليب اللاتيني (٣) التاو العبرانيّة القديمة مع التاو اليونانية المشيرتان الى الصليب (٤) المرساة والصليب (٥) رمز الحياة عند المصريين (٦) الصليب المستعار عن الاثار الهنديّة (٧) شوكة اله البحر عند اليونان ورمز الصليب (٨) الطير الباسط لاجنحتهِ كاشارة الى الصليب

وحجبوا ايضاً آية الفداء تحت مظاهر أُخرى كسواري السُّفن فمثلوا الصليب بعوارضها . وممَّا رأيناهُ عند احد وجوه بيروت قالب قديم لاصطناع السُّرج والمصابيح فقد رُسمت عليهِ دائرة على شكل اطار وفي وسط الدائرة سفينة تمخر المياه وتعلو السفينة ساريةٌ مصلَّبة . وكذلك كانوا يتخذون الشوكة المثلثة الاسنان ٣ من رموز اله البحر عند الرومان ليشخّصوا بها الصليب (اطلب الصورة ١ عدد ٧) . او كانوا يرمزون اليهِ بطائر باسط جناحيهِ على شكل الصليب (انظر الصورة ١ عدد ٨) الى غير ذلك من الاشارات الدقيقة التي لم يدرك احد سرَّها غير النصارى

٢

كل ما تقدَّم قد سبق القرن الرابع وظهور الدعوة النصرانيـة بتنصُّر قسطنطين الكبير فان سرَّحنا النظر في عاديات رومية خصوصاً بعد هذا الزمان وجدنا النصارى قد تلطَّفوا في تصوير الصليب فأخرجوا لهُ صوراً على هيئات بهيَّة تأخذ بالنظر

واكثر ما ظهر اذ ذاك الصليب على صورتيهِ اليونانية اي المربَّعة واللاتينيَّة اي المستطيلة . ولا يظنَّن القارئ بان الصليب اليوناني لم يُرسم الَّا في بلاد اليونان واللاتيني الَّا في بلاد الغرب كلَّا فانك تجد صورتيهِ في رومية وفي الآثار اليونانية معاً ورسوم

الكنائس التي شيّدت وقتئذٍ تمثل اما الصليب اليوناني وامّا الصليب اللاتيني على سواء دون فرق بينهما في سائر الاقطار المسيحيَّة

وظهرت حينئذٍ الصلبان المزيَّنة ذات الاشكال الرائقة كالصليب المزدوج ✠ ✠ المعرَّض الاطراف (croix pattée) سواء كان يونانيًا او لاتينيًّا (الصورة ٢ عدد ١ و ٢)

وربَّما رُصّعت تلك الصلبان بالجواهر والحجارة الكريمة (croix gemmée) كالصليب الفاتيكاني الذي هو من الفضة المموَّهة بالذهب تزينهُ الجواهر النفيسة اهداهُ الامبراطور يوستينوس الثاني للحبر الروماني (اطلب صورتهُ في المشرق ٣: ٣٤١). ومثلهُ صليب بالفسيفساء يُرى في حنيَّة كنيسة القديسة بودنسيانة من اقدم كنائس رومية فانَّ المصوّر مثَّل هناك رواق اورشليم السماويَّة وفوق الرواق ابنية المدينة المقدسة يشرف عليها السيّد المسيح ويعلو هامتهُ الالهية صليب مرصَّع

وفي النُصب الذي وجد في بلاد الصين في مدينة سينغان فو وتاريخهُ سنة ٧٣٥ للمسيح قد رُسم صليب من الصلبان المزخرفة (انظر الصورة ٤) مع كتابة صينيَّة وسريانيَّة ضمَّنها الناطرة المرسلون الى تلك البلاد ملخَّص العقيدة النصرانية وهذه الكتابة قد نشرها آخرًا الاب هفره (Havret) اليسوعي مع شرحها وبيان مضامينها ورسوم صورها (راجع المشرق ٧: ١٠٣٥—١٠٤٣)

الصورة ٢

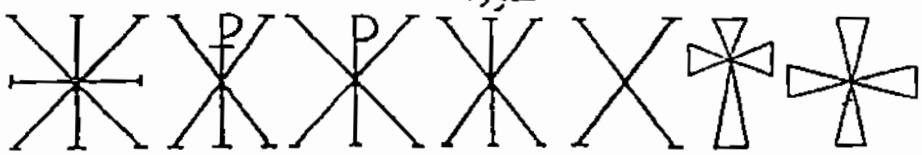

رسوم للصلبان القديمة المزخرفة او المشجَّرة

وممَّا شاع اكثر من كلّ ذلك صليب يعرف بصليب القديس اندراوس (crux decussata) لاستشهاد هذا الرسول على صليب من شكلهِ وهذه صورتهُ X يشبه حرف X اللاتينيَّة وحرف χ اليونانية . ولما كان هذا الحرف اوَّل حروف اسم

المسيح في اليونانية صوَّرهُ النصارى الاوَّلون حتى في القرون السابقة لعهد قسطنطين متوَّجين بالمسيح واسمهِ وصليبهِ معاً وذلك امَّا وحدهُ كما رأيت وامَّا مسبوقاً بحرف الياء اليونانية اوَّل اسم يسوع I على هذه الصورة IX وربَّما ركَّبوا الحرفين تركيباً لطيفاً هكذا ✻ (انظر الصورة ٢ عدد ٣ و ٤ و ٥) وقد عُرفت هذه الصورة باسم المونوغرام (Monogramme du Christ) اي الشعار المشجَّر وكثيرًا ما يُستبدل الحرف الاوسط I بحرف الراء P ثاني اسم المسيح في اليونانية (انظر الصورة ٢ عدد ٦ و ٧). وقد زاد شيوع هذا الشعار مذ أمر قسطنطين برؤيا من الله ان يرقُّ على رايتهِ الحربيَّة المعروفة باللاباروم (labarum) كما تراها في المشرق (٧ : ٧٩٦) . فعمَّ استعمالهُ كلَّ اطراف المعمور فكانوا يتفنَّنون برسمهِ فتارة يرسمونهُ بسيطاً كما شاع عند اهل مصر وسوريَّة وتارةً يجعلونهُ ضمن اكليل او يزينونهُ في طرفيهِ باسعاف النخل او يحيطونهُ باشعة من النور كلُّ ذلك تنويهاً بانتصار السيِّد المسيح على الآلام والموت وظفرهِ بقوَّات الجحيم

وفي اواسط القرن الرابع اخذ اهل رومية يجعلون الشعار المذكور في وسط اوَّل الحروف اليونانية وآخرها اعني A Ω وقد ألمعوا الى آية وردت في سفر رؤيا يوحنا (٢٢ : ١٣) حيث يقول الربّ : «انا الالف والياء البداية والنهاية الاوَّل والاخر» مشيرين بالحرفين المذكورين الى لاهوت المسيح ومجده الابدي معلنين بايمانهم على راس الملا ليس كما كانوا قبلاً متسترين مستخفين (١) . وكثيرًا ما يصوِّرون صورة الربّ قريباً من تلك الرموز وهو ملتحف بالجلال جالس بهيئة السيد تارةً وحدهُ وحيناً مع تلامذتهِ لاسيما بطرس هامة الرسل الذي تراهُ قريباً من معلمهِ ممتازًا عن بقيَّة التلاميذ . وفي بعض هذه التصاوير قد مُثِّل السيد المسيح ورأسهُ متوج بهالة في وسطها صليب وعلى جانبي الصليب حرفا A Ω

✻

دَعنا الآن ننتقل الى آثار الصليب في بلاد سوريَّة خصوصاً فنقول :

انَّ صور الصليب وردت في الصناعة السوريَّة متعدِّدة ذات هيئات مختلفة . فجاء الصليب على صورتهِ المألوفة بسيطاً في بعض الآثار منها نقشٌ منقور في الصخر وجدهُ

(١) اطلب الآثار النصرانية لبيراته Pérraté: *Archéologie chrétienne*, p. 199.

الكنت دي ڤوكويه (١ في قرية دير سنبل يمثل الحمَل المرموز به عن السيد المسيح وعلى مؤخر ظهره صليب مربَّع . وهي صورة فريدة لم يوجد شبهها في محل آخر وانَّما وجدوا في بعض جهات الغرب الحمل الالهيّ مستندًا الى الصليب او مضجعاً عليه

ووجدوا ايضاً الصليب في سوريَّة على هيئة شعار قسطنطين مزيَّناً بحرفي اسم المسيح . من ذلك ناووسان من رصاص اكتشفوهما في صيداء نُقش عليهما الشعار المذكور بسيطاً مع ان الناووسين مزدانان بالتصاوير والرسوم الجميلة (٢ بينها اساريع الجفنة واغصانها ورؤوس ملائكة وآنية شتى بينها كأس يشرب منهُ حمامتان . وهناك حنايا في وسطها الصليب المستعار من حرف اسم المسيح وحول هذا الشعار لفظة يونانية IXΘYC معناها السمكة يُشار بها الى خمسة الفاظ جمعت حروفها الأُولى مشجرة وهي تدلّ على صفات السيد المسيح (ιησοῦς) Ι (ιησοῦς) Σ (ωτήρ) Θ (εοῦ) Υ (υιός) Χ (χριστός) Ι' اي « يسوع المسيح ابن الله المخلّص » (اطلب ما كتبهُ عن هذا في المشرق ٤ : ١٧٤ حضرة الخوري بطرس عزيز)

الَّا انَّ اهل سوريَّة ما كانوا غالبًا ليكتفوا بتمثيل الصليب على صورة بسيطة وانَّما ارادوا ان يحيطوهُ بضروب الحليّ والنقوش المشعرة بتعظيمهم لآية الخلاص فترى في عدَّة تصاوير وُجدت في سوريَّة الوسطى كسرجلة وبتورسة ودانا وبارا الصليب بارزًا في هيئة جليلة فيعرّضون اطراف الصليب ويُحلّون جوانب شعار قسطنطين ويجعلون من جهتيه الحرفين اليونانيين Ω A وكثيرًا ما يزيدون الى هذه التصاوير رموزًا اخرى كصورة نجم واوراق نباتيَّة مثلَّثة الاطراف او يرسمون نقطاً على شكل ثلاثي يشيرون بكل ذلك الى لاهوت السيد المسيح وسرّ الفداء والى الثالوث الاقدس (اطلب المشرق ٨ : ١٢٠ والصورة ٣)

وفي بعض هذه التصاوير السوريَّة قد جُعل الصليب او شعار المسيح في ضمن اكليل او قوس يدلَّان على انتصار الربّ من اعدائهِ ويرقون تحت الصليب ادعيةً بالفوز والنصر كما ترى في احد آثار دير سنبل حيث كُتب تحت الصليب هاتان اللفظتان

---

١) اطلب كتابهُ عن سوريَّة الوسطى De Vogüé : *Syrie Centrale*, pl. 48

٢) اطلب Pérate : fig. 218

TOYTO NIKA اي هذا قد غلب (١ . وتاريخ هذا الاثر سنة ٤٢٠ للمسيح

الصورة ٣

شعار اسم المسيح وصليبه في الصناعة السوريّة القديمة

ومما عهدهُ الصَّنعة السوريون في تصوير الصليب انهم كانوا اذا نقشوهُ على بناء ما زانوهُ بضروب التهاويل واحاطوه بالاسماط المزخرفة والقلائد المزوَّقة وحبلات الكرم وخرصان النخل المحبوكة واوراق الكنكر (acanthe) المتلوّية بينها الطيور الرمزيّة وخصوصاً الطاووس . وقد تلطَّفوا في صنع هذه الزخارف حتى عُرفوا بها واستعارها منهم حُذّاق النقاشين في برّ الاناضول ومصر وبلاد الغرب وقد رسمنا هنا مثالاً لتلك الزين نقلاً عن كتاب الكنت دي ڤوكويه في عاديّات سوريّة الوسطى (٢ اخذ رسمهُ من عتبة باب قديم في قرية موجلية (اطلب الصورة ٤) . وقد وجدوا مثل هذه النقوش في مدينة راڤانّة وهو صليب في جانبيه درابزين مزيَّنة بالاغصان والاكاليل كالآثار السوريّة التي ذكرناها (٣

واكتشفوا في راڤانّة تاووساً تاريخهُ سنة ٦٥٨ يُشبه ايضاً الآثار السوريّة المنمقة . فعلى غطاء التاووس شعار السيد المسيح مثلّثاً وعلى جانبيه طاووسان يوجهان نظرهما الى الشجر القسطنطيني تُحدق بهما اساريع الكرم واغصانهُ . فتقليد صانع هذه النقوش للآثار السوريّة ظاهر . والسوريون كانوا اعتادوا هذه المحبوكات النباتية منذ زمن مديد كما ترى في نقوش هيكل بعلبك الذي تأخذ زخارفهُ الجميلة بالابصار وخصوصاً نقوش الهيكل الصغير فانّها ايضاً تمثل حبلات الكرم واقداحاً وكؤوساً بديعة العمل (٤

١) اطلب Syrie Centrale, pl. 151

٢) Syrie Centrale, pl. 32

٣) اطلب نشرة المراسلات اليونانية (Bull. de Corresp. hell., 1899. p. 264.)

٤) اطلب تأليف الاب غاروشي اليسوعي في تاريخ الصناعة عند قدماء النصارى: Garrucchi: *Storia dell Arte Christiana* V, 491

وقد قلّد هذه الاعمال السوريّة محبُّو الفنون الجميلة حتى اليونان كما تبيَّن الامر في النقوش المكتشفة حديثاً في دلفي

وفي الآثار السوريّة النصرانيّة خواصّ أُخرى امتازت بها وهي الاطارات الهندسية التي ينقشونها حوالَ تصاويرهم فكثيرًا ما يفصلون بين صورة وصورة بعمدٍ وسوار يسندون اليها مثلثات او اقواساً مستديرة. ففي نواريس صيداء مثلاً قد جُعل شعار السيد المسيح ضمن اطار مقوَّس. وربما مثلوا فوق الاقواس اصدافاً بحريّة كما ترى في ابنية بعلبك. ولعلَّ نصارى الشام حذوا في هذه الاطارات حذو العَمَنَة اليهود في فلسطين الذين كانوا ينقشون على مدافنهم مثل هذه النقوش محاطةً باطارات هندسيّة كالسواري والاعمدة تعلوها المثلثات في واجهتها امَّا النصارى فجعلوا تلك الاقاريز حول الصليب المقدَّس او شعار السيّد المسيح زينة لهما

وبين الصور التي رسمناها ترى مثالين لهذه الأُطر يكتفي الواحدُ منهما علامةَ الصليب والثاني شعارَ المسيح وهما على شبه حنايا قائمة على عمد وهذه النقوش المستعارة كما نظن عن الصناعة السوريّة موجودة في كنيسة قديمة في الاسكندريّة كانت على اسم القديس تاوناس منقورة في عواميد الكنيسة (١ (اطلب الصورة ٤). ووجودها هنالك يذكرنا بما كتبهُ روفينوس المؤرخ في اواخر القرن الرابع للمسيح بانَّ نصارى مصر ازالوا من ابنية الوثنيين صورة الاله سيرابيس فجعلوا بدلًا منها صورة الصليب فصوَّرها على ابوابهم وجدرانهم وعمد بيوتهم وعلى رؤوس اكلّتها

وما قالهُ روفينوس عن صور الصليب في مصر يصحُّ قولهُ في انحاء سوريّة حيث لا تكاد ترى بناء قديمًا خاوًا منهُ. فكانوا ينصبونهُ ليس فقط في الهياكل والمعابد لكن ايضاً في الابنية العموميّة ويرسمونهُ على عتبات بيوت الخاصّة وعلى ابوابهم وعلى كل اثاث بيوتهم كالملابس والآنية والسُرُج. كما ترى السراج الذي نقلنا رسمهُ عن بعض عاديات صقلية وفيهِ شعار المسيح مع هذا الدعاء « الشكر لله » (٢ وجعلهُ الملوك حلية لتيجانهم ورسموا صورتهُ في نقودهم وزيَّنوا بهِ صدور خاصتهم

(١ اطلب نشرة جمعية العاديات في الاسكندرية (Bulletin de la Soc. Arch. d'Alexandrie, n° 5)

(٢ في تاريخهِ الكنسي (ك ٢ ف ٢٩)

وكانوا يودُّون خصوصاً ان تستظل رفاتهم في مدافن يزينها الصليب المقدَّس ويحرس بقاياها الى يوم الدينونة وقد ارادوا أنْ تظهر صورة الصليب حتى في رسوم ابنيتهم لاسيما البنايات الدينيَّة فمنذ ابتنى قسطنطين الكبير كنيسة القديسين الرسولين بطرس وبولس على هيئة صليب لتكون مدفناً لجسمه بعد موته اخذ النصارى في كل الاصقاع ولاسيما في سوريَّة يبنون هياكلهم على هذا الشكل تبرُّكاً . ولنا شاهد صدق على كرامة الصليب وشيوع صوره في بلاد سوريَّة بما كتبهُ احد ابنائها العظام القديس يوحنا فم الذهب في العشر الاخير من القرن الرابع في ميمره عن لاهوت السيِّد المسيح وكلامهُ احسن ختام لهذه النبذة قال: « ترى الصليب حيثما سرتَ . فانَّ الملوك ألقوا تيجانهم واتخذوا الصليب رمز موت المخلص حليةً لرؤوسهم كما انهم زانوا به حللهم الملكيَّة وارجوانهم . فان سمعت الصلاة رنَّ في مسمعك اسم الصليب . ان سرت بين الجند نظرت رأية الصليب تتقدَّمهم . الصليب زينة المائدة المقدَّسة الصليب زينة العالم كلهِ فهو يغلب ضوءَ الشمس بانوارهِ الساطعة »

كتابة آرامية

لزكر صاحب حماة ولمش

للاب سبستيان رتزفال اليسوعيّ مدرّس الآثار الكتابية في مكتبنا الشرقي

قد انجز العلَّامة المسيو بونيون قنصل فرنسة سابقاً في بغداد وحلب كتابهُ النفيس الذي ضمَّنهُ ما توفَّق الى اكتشافهِ من الكتابات الساميَّة في سوريَّة والجزيرة وجهات الموصل (٢) . وكان العلماء ينتظرون برغبة هذا التأليف لما بلغهم عن مضامينهِ الجليلة . وقد سرَّحنا فيهِ النظر فوجدناهُ سفراً جليلاً في قسمين من قطع الربع مزيناً برسوم وتصاوير

(١) اطلب Führer u. Schultze: *Die Altchristl. Graebstaetten Siciliens*, p. 289

(٢) هذا عنوانهُ

M. Pognon: Inscriptions Sémitiques de la Syrie, de la Mésopotamie et de la région de Mossoul, Librairie Lecoffre, J. Gabalda et Cie. Prix. 80 francs.

رائعة محتوياً لعدد عظيم من الآثار التي وقف عليها سعادة القنصل في اسفاره الى تلك الجهات اذ كان قنصلاً عاماً لدولته الفخيمة . ومعظم هذه الكتابات باللغة السريانية . وبينها اثنتان بالاشورية واثنتان بالآرامية مكتوبتان بخطٍ يصعب فكّ اسراره وادراك مضمونه (١ . واخيراً كتابة فريدة آرامية ايضاً تاريخها القرن الثامن قبل المسيح وهي على جانب عظيم من الخطر ذُكر في مطاويها اسم الملك برهدد بن حزائيل الذي ورد اسمهُ في الاسفار المقدسة التاريخية فاحببنا أن نُفرد لها مقالةً لقرّاء المشرق لتوقفهم على محتوياتها مؤجلين الكلام عن بقيّة الكتابات الى فرصة اخرى ان شاء الله

كان اكتشاف الاثر الذي رُقمت فيه هذه الكتابة في بعض شهور سنة ١٩٠٣ في مكان ضرب المسيو بونيون صفحاً عن ذكره لاسباب . والاثر الرائع الطالع مكسور فُقدت بعض قطعه . وكان في الاصل نصباً ينيف طوله على مترين فتحطّم وبقي منهُ اربع قطع اذا رُكب بعضها على بعض كانت قريباً من نصف الاثر الاسفل . وكان نصفهُ الاعلى يمثل شخصاً منتصباً متجهاً الى اليمين وقد تلفت صورتهُ الّا شيء من طرف ثوبهِ وبعض آثار قدميهِ . وكان القدمان منتصبان على موطإٍ ثبتت صورتهُ . وفي اسفل ذلك الموطإ الكتابة التي نحن في صددها او بالحري ما بقي منها لأنَّ الكتابة كانت متواصلةً متتابعة على دائرة الصخرة . فالكتابة التي كانت على واجهة الاثر (اطلب رسمها في الشكل الاول) قد بقي منها لحسن الحظ اوّلها البالغ ١٧ سطراً اعني اربعة اخماسها وقد تلف اخرها الذي كان قصيراً . امّا النصوص التي كانت على جهتي الحجر يميناً وشمالاً فقد سلم من كتابة الجهة الشمالية ٢٨ سطراً (اطلب الشكل الثاني) الّا انَّ الاسطر غير تامّة غلب على قسمٍ منها الفساد امّا كتابة اليمين فلم يسلم منها سوى سطر ونصف . وعليهِ فيكون المفقود من كتابة الطرفين نحو ثلثيها

نعم انَّ هذا الخلل ممّا يوجب الاسف لكنّنا رغماً عن ذلك نعتبر هذه الكتابة من جملة الآثار الخطيرة وذلك لاسباب عديدة : (اوّلها) لقدم عهد قلمها لانها مخطوطة بقلم عتيق كقلم الكتابة الآرامية التي ادرجناها سابقاً في المشرق فان شاء القارئ ان يتمرّن على مطالعة مثل هذه الآثار فعليهِ بمراجعة حروفها في جدول الحروف الفينيقية

١) يرتأي المسيو بونيون بان هاتين الكتابتين اقدم عهداً من المسيح وعلى رأيي انهما كُتبتا في عهد الرومان وبعد التاريخ المسيحي والدليل على ذلك شكل النصب الموجود عليهِ الكتابة الصغيرة

الذي نشرناهُ هناك (١. والسبب (الثاني) لعظم شأن تلك الكتابة اذ تحتوي كما قلنا امورًا تاريخية تؤيد أحداث الاسفار المقدَّسة. وزد عليهِ سببًا (ثالثًا) وهو ما يختصّ بلغة تلك الكتابة التي تحتوي آراميَّتها عدَّة خواصّ تقرّبها من اللغة العبرانية. ويضاف الى ذلك سبب (رابع) واخير وهو اشارة الكتابة الى الهٍ وهو الاله بعل شمين او بعل شمانين الموافق لاحد اسماء الله الحسنى اعني اله السماء الوارد ذكرهُ في كتابة جزيرة اسوان التي مرَّ لنا وصفها منذ عهد قريب (راجع الصفحة ٥٩)

فهذه الاسباب الاربعة حدَتْ بنا على تعريف تلك الكتابة وها نحن نعرّبها تعريبًا حرفيًا سطرًا بسطر متعقبين آثار المسيو بونبون في شرحهِ الذي لا نحيد عنهُ الّا في بعض عوارضهِ التي نشير اليها. وممَّا يسهل ترجمة هذا النصّ انَّ حافرهُ قد فصل كل لفظة عن قرينتها بخطٍّ صغير عموديّ (٢. وفي ترجمتنا جعلنا بين معكّفين بعض الالفاظ او اقسامًا من الالفاظ التي تلفت لدلالة القرائن عليها او ترجيحًا لوجودها في الاصل الضائع. امَّا الالفاظ التي وضعناها بين قوسين فهي زيادات منَّا لبيان المعنى ولملاقة الجمل بعضها ببعض

تعريب الكتابة التي على وجهِ الاثر

١) النصب الذي وضعهُ زكر ملك حماة ولمش لأنور [إلهِ اورتبه ؟]
٢) [أ] نا زكر ملك حماة ولمش هكذا (؟) اقول انا: «وبعد» [عاضد]
٣) في بعلشمين وقام معي وملّكني بعلشمين
٤) [قد] اثار وحشد عليَّ برهدد بن حزال ملك آرام.
٥) .. عشر ملكًا (وهم) برهدد وجيشه وبرجش وجيشه
٦) [ملك] قوه وجيشه وملك عمق وجيشه وملك جرجم
٧) [وجيش]ه وملك شأل وج[يش]ه وملك ما. [وجيشه

---

١) اطلب في المشرق (٨: ١٢٨) الجدول الثالث من القسم الاوَّل. وتاريخ ذلك الجدول تقريبًا كتاريخ الكتابة التي نشرها المسيو بونبون. وسيأتي عنها الكلام قريبًا

٢) وقد نسي النقَّاش اثبات هذا الخُطَيط في بعض الاحيان كما انهُ زادهُ ايضًا مرَّات اخرى دون داعٍ الّا انَّ ذلك سهو لا يصعب اصلاحهُ. والرسمان اللذان اثبتناهما هنا قد اخذناهما رأسًا عن الاصل المرسوم بالفوتوغراف واستعنَّا في قراءة بعض الاماكن الصعبة بقراءة المسيو بونبون

٨) .....ب[ة] م[لوك]
٩) [هم] وجيوشهم فوضع هؤلاء الملوك حصاراً بحزر[ك]
١٠) وأعلوا سوراً حول (؟) سور حزرك وعمّقوا خندقاً من خندقها
١١) فرفعتُ يدي الى بعلشمين فاجابني بعلشمين [وتجلّى]
١٢) لي بعلشمين بيد العرّافين وبيد العدّاد[ين فقال
١٣) لي] بعلشمين لا تخف لاني ملّكـ[تك وانا
١٤) اقر] م معك وانا اخلصك من كل [هؤلاء الملوك
١٥) الذين] ضربوا عليك الحصار وقال ل[ي انا انصرك من]
١٦) كل هؤلاء الملوك الذين ضربوا .....
١٧) .... وهذا السور.....

.....

تعريب الكتابة التي عن شمال الاثر

١) .....حزرك ....
٢) .... للمراكب والفرسان
٣) .... ملكها في داخلها و[انا
٤) با]يتُ حزرك واضفتُ
٥) اليها كل ولاية
٦) .... ورسمتُ ملكاً
٧) ...نه [... فلما فرّق]
٨) تُ هؤلاء الاعداء بكل صوب
٩) [بنيتُ هيا كل الآلهة في كل
١٠) [مملكتي فبنيت....
١١) ...وانش و....
١٢) .....هيكل...
١٣) ...ووضعت اما[م أل
١٤) ور] هذا النصب و كل[
١٥) بتُ اثر يديّ [ها
١٦) يو]. من يقرع [اثر
١٧) يدي] زكر ملك حما[ة ول]
١٨) مش بين هذا النصب ومن
١٩) [ي] يقرع هذا النصب بين أ
٢٠) مام ألور ويقلعهُ [من
٢١) مكا]نه او من يمدّ اليه
٢٢) [يدّه]....[ف....
٢٣) الور (؟) وبعل شمين وال
٢٤) [و ركبأل ؟] وشمس وشهر
٢٥) [و.....] وآلهة السماوات
٢٦) [وآلهة] الارض وبعلم
٢٧) .....
٢٨) .....

أما جهة اليمين فلم يبقَ منها كما قلنا الّا الثر القليل وهي ختام الكتابة كلها وقد طُمس هذا الباقي بحيث لا يمكن ان يُقرأ منهُ الّا هذه الالفاظ الثلاثة « اسم زكر واسم... »

هذا ما صبر على آفات الدهر من ذلك الاثر النفيس . فبيانًا لعظم قدره ها نحن نلحقهُ ببعض الملحوظات البديهيّة في مضمونهِ التاريخي وفوائدهِ الجغرافيّة والدينية

يظهر لقارئ هذه الكتابة من اوّل وهلةٍ انَّ صاحبها قصد من تدوينها تخليد ذكر انتصارٍ فاز بهِ زكر ملك حماة على برهدد وحالفيهِ في حصار مدينة حزرك . ففي القسم الاوّل يخبر الملك كيف الاله بعلشمين الذي طلب مشورتهُ على يد كهنتهِ وعرّافيهِ سبق وتنبأ لهُ بالانتصار التامّ على كل اعدائهِ . وكان لهذا القسم الاوّل الذي فُقد منهُ سطر او سطران في أسفل النصب قسمٌ آخر يوازيهِ في الجانب الشمالي حيث الملك كان يروي ما فعلهُ بعد انتصاره فعلى القالب انهُ اخبر بتعيينهِ ملكاً من حزبهِ على المدينة . ثمَّ انهُ يصرّح ببعض اعمالهِ بعد غلبتهِ اذ شيَّد او رمَّم بعض هياكل مملكتهِ . ويردف قولهُ بما يأتي انهُ بنسبة تلك الامور قد اقام هذا النصب للاله ألور ودوَّن فيهِ مآثرهُ . وفي الباقي من قسم هذه الكتابة يتهدَّد الملك زكر بلعنة جميع آلهتهِ كلَّ من يجترئ فينتهك حرمة هذا الاثر او ينزعهُ من امام الاله ألور . وكان لهذا القسم من الكتابة تتمّة في الجانب اليمين لانَّ القدماء في مثل هذه الكتابات كانوا يثنّون عادةً في التهديدات والدعوات التي يدعونها على المنتهكين . ومن المرجّح انَّ الكتابة كانت موقعة في آخرها باسم الملك زكر وباسم الملك الذي اقامهُ كنائبهِ على حزرك

هذا ولو كان المسيو بوزون أطلعنا على المحل الذي فيهِ وُجدت هذه الكتابة لأمكننا ان ندقق بزيادة في بعض ملحوظاتنا الآتية وما لنا الّا ان نعرضها كما خطرت على بالنا . واوّل ما يدور على خلَدنا انَّ النصب كان في مدينة حزرك في هيكل الاله ألور . وحزرك هذه مدينة ورد ذكرها على الاقل مرّةً واحدة في الاية الاولى من الفصل التاسع من نبوة زكريّا والنبي يدعوها باسمها وينذرها بالويلات كمدينة دمشق وهذا ممّا يدل على انَّ حزرك كانت قريبة من الفيحاء وحتى الان لم يتمكن العلماء تحقيق موقعها . وما لا بدع فيهِ انها كانت بين دمشق وحماة لانَّ الآثار الاشوريَّة صرَّحت ايضاً بذكرها مراراً وهي تدلُّ على انَّ موقعها كان في النواحي الشمالية من لبنان وجبل الشيخ (١ ولكن ما دمنا نجهل المحلّ الذي وجدت فيهِ كتابتنا تبقى كل الاراء ضعيفة واهنة ولذلك نعرض الآن راينا بكل تحفظ دون التطرّع بهِ

١) وقد رأى البعض ان لفظة חדרך اي الطريق المذكورة في حزقيال (٤٧ : ١٥) تصحيف لفظة חדרך اي حدرك او حذراك فان صحَّ هذا الراي وليس الامر مقرّر يكون موقع حدرك قريباً من ساحل البحر ولكن في شماليّ لبنان (اطلب المجلة الاسيوية ومعجم الكتاب المقدس لغوتهِ)
(Halévy : JA-1899, 158-160 ; Guthe : *Bibelwoerterbuch*, 276).

ثمَّ انهُ يؤخذ من نصّ الكتابة انها أُقيمت بازاء الاله ألور فنستطيع اذن ان نستنتج من هذا القول بان الشخص الذي كان مصوَّرًا في اعلى النصب انما كان ممثلًا للملك زكر كانهُ يتضرَّع الى إلههِ. امَّا الاله ألور فهذه اوَّل مرَّة على ما أرى ورد ذكرهُ في الآثار. فماذا هو يا تُرى هذا الاسم الغريب أهو اسم سامي او اسم حثّي (١ ؟ انَّ الامر ليس بواضح ولكن من المحتمل انَّ هذا الاسم كلمة بعلشمين يتركب من لفظتين اعني ايل واور فيكون معناهُ اله النور كما انَّ بعلشمين تأويلهُ اله السماوات

واسم هذا الاله قد تكرَّر في كتابتنا فتجدهُ في اوَّل سطر من القسم الاوَّل ثمَّ في السطر ٢٠ من كتابة الجهة الشماليَّة والغالب انهُ مذكور ايضًا في السطر ٢٢ ليس بعد اسم بعلشمين كما ظنَّ المسيو بونيون ولكن قبلهُ على رأيي. وكان بعلشمين عند اهل حماة المشركين معتبرًا كاله الحرب فهو الذي استشارهُ زكر لحصار حزرك وهو الذي نصر الملك على اعدائهِ ولذلك ترى اسمهُ مكرَّرًا في هذا الاثر. على انَّ تقدمة النصب ليست لهُ بل لألور سواء قيل انَّ ألور هو احد ألقاب بعلشمين او انَّ النُّصب أُقيم في هيكل ألور

وممَّا يُستغرب في هذه الكتابة انَّ ملك حماة يروي في السطرين ١ و٢ بان مخالفي برهدد كانوا يُربون على العشرة وهو مع ذلك لا يُسمي منهم غير سبعة ولعلَّهُ يمكن ايضًا ان يزاد عليهم اسمان آخران سقطا من السطر الثامن. فيكونون تسعة فاين البقيَّة. فالجواب على ذلك انهُ من المحتمل انَّ المخالفين لم يحضروا كلُّهم حصار مدينة حزرك فضرب الملك صفحًا عن الغائبين

قلنا انَّ محصَّل هذه الكتابة انتصار ملك حماة واعش على برهدد وأحلافهِ. فلسائل ان يسأل وما هي « لعش » المنوَّه بها ؟ يجيب المسيو بونيون حدسًا بانها حمص ويفترض انها قديمًا دُعيت بهذا الاسم. وعندي انَّ حمص لم تُدعَ في سالف الزمان باسم غير اسمها الحاضر كحماة جارتها. امَّا « لعش » المذكورة فاني لا اعرف البتَّة اين كانت. وعلى كل

١) ورد في الآثار الاشورية اسمُ لمدينة قريبة من جبال الاسكندرونة تدعى أتالور يُظَنّ انها اسم مكان حثّي وبين اسم ألور واتالور شبه ظاهر (اطلب تاريخ الامم الشرقية القديمة لمسبيرو (Maspéro: *Histoire*, III. p. 33; Schrader-Winckler: *K.A.T*³. p. 38) ان الحثّيين خلَّفوا جملة آثار من تذخم ولتهم لاسيما في اعلام مدن سوريَّة وخصوصًا في تل بني مند وهي قدس القديمة جنوبيّ حمص

حال لا ريب في انها كانت من مدن الشام وموقعها شمالي دمشق . وعسى احد ارباب الرحل يكتشفها يوماً في بعض الاخربة المهملة فيستدلّ على اسمها من اهل البادية او رعاة المواشي الذين وحدهم يعرفون تلك الاسماء القديمة . وكأني بالسائل يردف قولهُ بقولهِ : ومن هو « زَكَر » او « زَكِر » الملك الوارد اسمهُ هنا ؟ نجيب ايضاً انهُ من الاعلام المجهولة . امّا اسمهُ فهو سامي بحت كما يظهر بالمقابلة مع اسماء اخرى تتركب منهُ مثل زكريا وزكر بعل وهلم جرّا

هذا وان كنّا نجهل اسم « زكر » فانّنا نعرف حقّ المعرفة « برهدد » المزبور في كتابتنا فانه كان بلا شكّ ابن حزائيل ملك آرام وكانت دمشق من حواضر مملكتهِ . وقد تكرّر اسم برهدد واسم ابيهِ حزائيل في الاسفار المنزلة وفي الآثار المسمارية . ووجود اسمهما في كتابتنا يسمح لنا بتعريف تاريخها بخلاف بقيّة الأعلام التي هي مدوّنة في هذه الكتابة فانها كلها مجهولة . فانّ اسم « برجش » لا يُعرف مطلقاً ولم يذكر صاحب الكتابة البلد الذي كان يملك عليه (١

امّا الملوك الذين ذكرهم بعدهُ فلم يرو اسماءهم وانّما ذكر البلاد التي كانوا يملكون عليها اوّلها « قوه » وهي من الاقطار المذكورة في الآثار الاشوريّة وفي اسفار التوراة (٢ . ثمّ « عمق » وهي بلاد سهليّة في جهات انطاكية . ثم جرجم (٣ التي ورد ذكرها في الآثار الاشوريّة وكان موقعها جنوبي مرعش . ثمّ « شمأل » التي يُعرف موقعها تماماً ولها ذكر في الآثار الاشوريّة وفي الكتابات الآرامية القريبة العهد من كتابتنا التي وجدت في زنجرلي وفي كرجين وهما محلّان اقرب جنوباً الى مرعش من جرجم بينهما مسافة نصف ساعة في عرض عينتاب في جبال امانوس اي اللكّام . امّا الملك الاخير فان اسم بلدهِ قد تلف منهُ بعض حروفهِ (٤

---

١) انّ تركيب اسم برجش كتركيب اسم برهدد فيتألّف من لفظتي « بر » اي ابن و « جش » الذي هو على ما نظنّ اسم إله كما ان هَدَد اسم اله

٢) اطلب الملوك الثالث (١٠ : ٢٨) فدعاها بالعبرانية קוה وفي الترجمة اللاتينية Coa

٣) راجع ما كتبهُ المشرق عن الجراجمة وعاصمتهم جرجومة (٥ : ١١٢٢ و٦ : ٢٠١ و١٠ : ٩٥٦)

٤) انّ حرفيهِ الاولين يظهران ظهوراً جليّاً وهما مم ثمّ لام . والحرف الثالث قريب من حرف الزين لكنّهُ ليس باكيد ويمكن ان يكون حاء فصبح الكلمة « مَلَح » ومن المحتمل ايضاً

وذِكر هؤلاء الملوك وبلادهم مما يبيّن انهم كانوا اشبه بامراء منهم بملوك اذ كانوا لا يحكمون الّا على بلاد صغيرة. وكذلك الملك زكر فانهُ لم يكن من الملوك الكبار رغماً عن انتصاره على كل اولئك المتحالفين. وكذا يُقال ايضاً عن ملك آرام برهدد الذي لم يكن ذا شوكة وبأس اذ غلب زكر عليهِ وعلى احلافهِ بخلاف ابيهِ حزائيل الذي ملك زمناً طويلاً وانتصر مراراً على ملوك اسرائيل ويهوذا واخذ منهم قسماً من بلادهم. وفي السطر العاشر من الكتابة الثانية اسم مدينةٍ تُدعى « افش » يقول زكر انهُ جدَّد بناءها. وحتى الآن لم يُعرف موقعها

امَّا اسماء الآلهة المذكورين في السطر ٢٤ وما يليهِ فانَّها ليست بثابتة. وانما نسلّم بصحَّة اسم ألور امَّا اسماء « ايل وركابيل » فترجح صحَّتهما دون القطع بذلك لسببين اوَّلاً لانَّ عرض الحجر كافٍ لتدوين هذين الاسمين وثانياً لانهما وردا على هذه الصورة في كتابات زنجرلي الآرامية. اما الالهان « شمس وشهر » فهما معروفان شائعان وهما اله الشمس واله القمر بخلاف الاله المذكور بعدهما الذي هو مجهول قطعاً. وبعده الهان آخران لم يدوَّن اسمهما بل يدعيان باسم الهي السماوات والارض. والاسم الاخير بقي منهُ اربعة حروف فاظنُّهُ اما بعله[سق] اي اله الاعماق والجحيم او بعله[لم] اي اله الابد وهو نعتٌ لاحد معبودات تدمر

وباقي الكتابة مطموس لا يمكن ادراك شيء من معانيها. وقد قلنا انَّ تاريخ كتابتنا معروف لأنَّها تحتوي اسم برهدد وكان مُلك برهدد قصيراً فانَّ الجداول الاشوريَّة واخبار التوراة تفيدنا ان برهدد مات قبل الملك يواش الذي ملك من نحو السنة ٨٠٠ الى ٧٨٥ فصحَّ اذن انَّ تاريخ هذا الاثر من اوائل القرن الثامن قبل المسيح وعليهِ اضحت هذه الكتابة اقدم الكتابات الآراميَّة المكتشفة حتى يومنا وصار لها السبق على اقدم كتابات زنجرلي التي يتأخر تاريخها الى بعد الربع الاوَّل من القرن الثامن

مدينة « ملحة » التي وُجد اسمها آخراً على كُرَة من الرخام الاسود في حفريات بلاد اشور وقد اكتشفتها البعثة الالمانية هناك (cf. Mitteilungen d. deutschen Orient-Gesell. n 29, p. 45) ومكتوب على هذه الكرة بالاشورية انَّ سلمناصر بن اشور تربربال اخذ ذلك الاثر من هيكل الاله شير في مَلَحة او مَلَح « مقام حزائيل في بلاد دمشق ». فقراءتنا لهذا العلم على صورة « ملح » توافق نصَّ كتابتنا لأنَّ ملح كانت في دائرة البلاد الخاضعة لحزائيل ابي برهدد. ويسرُّني ان أستلفتَ انظار العلماء الى هذا الاثر الذي يفيد تاريخ بلادنا الشرقية

بقيت علينا مسألة لغة هذه الكتابة وهي كما قلنا الآرامية ولكنَّ آراميتها تتضمَّن خواصَّ لم تُعرف سابقاً الا في العبرانية وفي اللغة الفينيقية شقيقتها اعني خواصَّ كانت تمتاز بها اللغات الكنعانية دون غيرها من اللغات السامية. منها استعمال كاتبها لواو الحال في السطر ١١ مرتين ثم مرةً في السطر ١٥ على الاقل

وعلى رأي المسيو بونيون انَّ آرامية كتابتنا كانت ضعيفة غير فصيحة كثر فيها تأثير اللغات الكنعانية. امَّا انا فعندي لذلك شرح آخر فعلى ظني ان الكتابة لقدمها حفظت قسماً من الخواصَّ المتزجة التي كانت عليها اللغات الآرامية واللغات الكنعانيَّة قبل ان ينفصل بعضها عن بعض. ويؤيد رأيي امرٌ آخر اظهرُ للعيان وهو انَّ في كتابات زنجرلي آثار لغويَّة عربيَّة لا يمكن الشك فيها. فان كان ذلك كذلك ولا يُنكر تأثير العربيَّة في لغة آراميَّة كانت شائعة في شمالي سوريَّة فكم بالاحرى يجب القول بانَّ اللغات التي نشأت وشاعت في بلاد واحدة حفظت شيئاً من لغتها الاصليَّة قبل انفصالها. ولو كان في يدنا آثار عربيَّة ترتقي الى القرن الثامن قبل الميلاد لتحقَّقنا انَّها حاوية ايضاً خواص بعض اللغات التي صارت بعدئذ مستقلة منفردة بنفسها. وفي ما سبق كفاية اذ اننا لا نريد ان نخوض الان في هذا الموضوع الذي يخرجنا عن المقصود. وغاية ما اردنا ان نمتّع القرّاء ببهجة هذا الاكتشاف الجديد الذي حظي به المسيو بونيون

مطبوعات شرقية جديدة

Vigouroux, Bacuez et Brassac: MANUEL BIBLIQUE. T. III. —Nouveau Testament: JÉSUS-CHRIST—Les SS.Evangiles. 12e édition totalement refondue du Manuel de M. Bacuez par M. A. Brassac. *Un vol. in* -12. *pp. XII* - 768., *Paris, Roger et Chernoviz*, 1908.

دستور التعليم الكتابي

للكاهنين الفاضلين ڤيغورو وباكويس كتاب مدرسي ذو شهرة عظيمة لدرس الاسفار المقدَّسة بلغ عدَّة طبعات. وها قد أتتنا طبعتهُ الثانية عشرة قد تولى نشرها الخوري برلساك الذي ينبه القرّاء في مقدَّمة الكتاب انهُ جدَّد هذا التاليف في موادّهِ واساليبهِ وتصاويرهِ حتى لم يكد يُبقي من الطبعات السابقة سوى بعض صفحات قليلة

متفرقة . وليس هذا التنبيه شقشقة كلام فانّا اطلعنا على هذا القسم المختصّ بالعهد الجديد فوجدناهُ يفوق الطبعات الاولى بعدّة تحسينات وممّا سعى بهِ سعياً محمودًا انهُ اعمل فكرتهُ في الابحاث المستحدثة التي استجدّها العلماء فدرسها درساً مدققاً ليأخذ عنها ما يراهُ موافقاً للصواب مقرّرًا بالاكتشافات الصحيحة كما انهُ يفند ما يجدهُ في اقاويل اولئك الكتبة من المزاعم غير المثبتة . وهو في كل ذلك يجري على تعاليم الحبر الروماني في براءاتهِ الاخيرة عن درس الكتب المقدسة . ومن محسّنات الكتاب ترتيبهُ الاصوليّ فان الخوري برلساك صدّره بفصل عموميّ قصير اودعهُ كل الابحاث العموميّة المنوطة بالاسفار الالهيّة كمخطوطات الكتب المقدّسة واللغات التي وُضعت فيها وانتقاد نصوصها الحرفي الى غير ذلك من المضامين العامّة . ثمّ الحقهُ بالمباحث الخصوصية التي تشمل الاناجيل الطاهرة من حيث تاليفها كصحتها والتوافق او التباين الذين بينها ومن حيث مروياتها عن حياة السيد المسيح وتعاليمهِ ومعجزاتهِ . وهو ترتيب قريب المنال جامع لكل الابحاث الكتابيّة رغماً عن صغر حجم الكتاب . ولعلّ اساتذة الكتاب المقدّس يجدون في هذه الخلاصة ايجازًا بالغًا في بيان بعض ابحاثٍ كانت تقتضي توسعًا اعظم فباختصارها اصبحت مبهمة او غير مقرّرة كقول حضرة المؤلف (ص ٣) « ان الترجمة اللاتينيّة القديمة التي يرتقي تاريخها الى السنة ١٥٠ بعد المسيح تقريباً وشاعت في الاقطار الغربيّة كانت دائمًا تتضمّن الكتب الثانويّة » وكقولهِ (ص ١٥) عن مجموع الروايات التي في النسخ المخطوطة أنها « ستكون بمثابة نصّ اقدم من المخطوطات المعروفة حالاً » . وكقولهِ ايضاً (ص ٣٨) عن المسيحيين الاوّلين « ان قوة ذاكرتهم كانت في الغرابة بمكان » . وكقولهِ ايضاً (ص ١٣٢) انهُ « يجوز القول بان الروايات التي يتضمّنها الانجيل الاوّل (اي متى) أُخذت عن رواة كان يوسف (خطيب العذراء) كركز دائرتهم » . فمثل هذه الاقوال وغيرها تقتضي بعض الايضاح لئلّا تكون كألغاز غير مدركة . ومثلها ما كتبهُ حضرة المؤلف عن مسألة كثر فيها آخرًا القال والقيل وهي حقيقة بعض مرويات الكتاب المقدّس (١٢٨ الخ) ايمكن ان يُنسب لها الغلط بحجة كونها منقولة على علّاتها دون الحكم في صحتها . فهذا البحث يقتضي شروحًا مطوّلة وكان الاولى بحضرة الخوري برلساك أن يضرب عنهُ صفحاً من أن يعرضهُ مختصرًا كما فعل — هذا وانّ ملحوظاتنا السابقة لا تشمل كل الكتاب بل هي اخصّ بقسمهِ الاول الذي هو دون القسم الثاني

خطراً . امّا هذا القسم الثاني فوجدنا فصولهُ حسنة جيدة الترتيب محكمة النظام كثير الوضوح كافية الاتساع لا يحتاج المعلم الى غير عرضها على تلامذتهِ وبيان محتوياتها وشرحها . كما انَّ الطلبة نفسهم يسهل عليهم حفظ هذه الدروس ومراجعتها واستثبات مضامينها التي اشار اليها المؤلف في ذيل الكتاب . وممَّا يجدرُ بالثناء ما يحتويهِ هذا التأليف من الافادات عن المصنَّفات الكتابيَّة المنوطة بالكتب المقدَّسة . وكذلك قد احسن المؤلف في بعض الفصول المهمَّة حيث جمع في باب واحد معلومات متفرقة في فصول الاناجيل الاربعة بحيث يعضد بعضها بعضاً ويوضح بعضها بعضاً فتزيد بذلك قوَّتها وتنجلي معانيها . وقد فعل ذلك خصوصاً في الفصل الاوَّل من قسمهِ الثاني الذي عنوانهُ حياة السيد المسيح العلنية . وفي الختام نشكر صاحب هذا التاليف ونتمنى لكتابهِ كل رواج فانهُ لا ينقصهُ الَّا بعض تحسينات ليصير احسن دستور للدروس الكتابيَّة لاب ي . ديلنسيغر

I. BENZINGER : **Hebraeische Archaeologie.** 2te. vollstaend. neubearbeit. Aufl. [« Grundr. d. Theolog. Wissensch. » VI]. 1907. gr 8°, XX — 450 pp. *illustr. Mohr* (*Siebeck*).

العاديات العبرانية

مصنف هذا السفر الجليل هو اليوم نزيل القدس الشريف وقد اشتهر عند العلماء بتآليفهِ في الدروس الكتابيَّة وبالاخصّ في الاثار الفلسطينيَّة . ومن اعمالهِ المشكورة انهُ اصلح دليل بديكر الشهير عن فلسطين وسوريَّة وحسَّنهُ تحسيناً مهمّاً . ولا غرو فانهُ منذ سنين عديدة قد توطَّن فلسطين وعرف خفاياها حقَّ المعرفة . ومن الخدم التي ادَّاها للعلم كتابٌ وضعهُ سنة ١٨٩٣ في العاديَّات العبرانيَّة راجت سوقهُ لمحاسنهِ . وها هوذا اليوم قد اعاد طبعهُ بعد تنقيحهِ وإضافة فوائد جمة اليهِ فطبعهُ على قطع اكبر من السابق حجماً فاهدانا منهُ هذه النسخة القائم بنفقات طبعهِ . ومما يستحقُّ ذكرًا في هذه الطبعة الجديدة وصف العاديَّات العبرانيَّة التي ظهرت من دفائنها في جهات فلسطين بعد الحفريَّات المستجدَّة في تل الحسي حيث كانت قديماً مدينة لكش وفي تلّ زكريَّا وتل جديدة وتل الصافي وتل جزر (ابو شوشه) وتل تعنك وتل المتسلم الى غير ذلك من الحفريات التي قامت بها البعثات العلميَّة فاستخرجت من بطن الارض آثارًا لا تحصى كادت تغير افكار العلماء في قدم الآثار الفلسطينيَّة . فاستخلص المسيو بنتسنغر من تلك الحفريَّات زيادة معلوماتها وزيَّن بها تأليفهُ . نعم انَّ الحفريات المذكورة لم تبلغ بعد منتهاها ولا بدَّ

ان تظهر بعد عاديات كثيرة الا انَّ الآثار المعروفة حتى اليوم من شأنها ان تفتح لارباب البحث مسالك جديدة ينهجونها ويتوسَّلون بها الى معرفة اخبار الاسرائيليين وآثارهم لاسيما انهُ اثبت في كتابهِ صوراً لتلك العاديات تبلغ ٢٥٣ عدًّا. ومع ثنائنا على همة المؤلف لا نرى بدًّا من تنبيه قرَّائنا الكاثوليك الى تطرُّفهِ في بعض الاراء المؤيدة لمذهب البروتستانت ولمزاعم الاباحيين. فعليهم اذن ان يأخذوا حذرهم من احكامهِ. وسنعود الى هذا البحث ونتقد عدَّة اقاويل للمؤلف غير راهنة في مقالة اخرى ان شاء الله

س. ر

GEOGRAPHISCHE MONOGRAPHIEN : LAND U. LEUTE herausg. v. A. Scobel. Palaestina v. Prof. D. H. Guthe *Bielfeld, Velhagen u. Klasing.*, gr. 8°, 142 Photogr. et une carte color. (4 Marks).

فلسطين

تألَّفت في ألمانية جمعية لنشر اوصاف البلدان بلغ مجموع مطبوعاتها حتى الان ٢١ مجلَّداً في تعريف اقطار شتَّى. وكان اعضاؤها قد انتدبوا الاستاذ « غوته » الى وضع كتاب مستقلّ في بلاد فلسطين. فأعطيت القرس باريها لانَّ جناب الاستاذ ممن خصُّوا نظارهم في درس تلك البلاد ومعرفة آثارها وتاريخها وجغرافيتها. وقد انجز جنابهُ هذا العمل فربح بهِ شكر محبي الآثار الشرقية عموماً وفلسطين خصوصاً. وكتابهُ دليل كافٍ لعموم القراء والزوَّار يمكنهم ان يستغنوا بهِ عن التآليف الموسَّعة التي لا يسمح لهم الوقت بمراجعتها. فانَّ المؤلف لخبرتهِ بآثار فلسطين قد انتقى من كل شيء نخبتهُ وزاد على محاسنهِ تصاوير عديدة احسن اختيارها لاسيما الرسوم التي نقلها عن قاعة تصاوير « برنفيس » في بيروت. والكتاب مع فوائده وصورهِ البالغة ١٤٢ صورة متهاود السعر جدًّا فنحض القرَّاء على اقتنائهِ. وسنصف الشرقيين بطيب الخاطر ما نشرتهُ هذه الجمعيَّة من التآليف الجغرافيَّة اذا تلطَّفت وارسلت الينا شيئاً منها

س. ر

KARL BAEDEKER. Griechenland. Handbuch für Reisende. 5te Aufl. mit ein. Panorama von Athen, 15 Kart., 25 Plaen., 5 Grundr. u. 2 Taf. 1908.

دليل بديكر لبلاد اليونان

في رحلتنا الاخيرة قبل سنتين الى بلاد اليونان كنَّا نقلِّب صباح مساء الطبعة الرابعة من دليل بديكر لبلاد اليونان فتحقَّقنا تدقيق اوصافهِ لآثار تلك الاقطار وقدَّرنا قدرهُ

في حسن اساليبه وكثرة فوائده وشموله للمعلومات التامة في الاكتشافات المستحدثة. وما كان ذلك ليدهشنا اذ كنّا نعلم انّ متولي هذا العمل هم من العلماء الأثبات الذين لا يفوتهم شيء من احوال تلك الاصقاع. واليوم قد وقفنا على طبعة الكتاب الخامسة التي وجدناها افضل من الطبعات السابقة من عدّة وجوه زيدت عليها معلومات جديدة وأُضيفت اليها نتيجة الحفريّات والاكتشافات التي جرت الى غاية العام الماضي. وممّا استحسنّاهُ الفصل المختص بمدينة سيارتة والصناعة القديمة. وكذلك قد جُددت رسوم عديدة وأُضيفت خرائط متقنة وفقاً لتقدُّم العلم وترقّي المعارف. فلا يسعنا الّا الثناء على صاحب هذا الدليل. وان سمح لنا ان نعرض عليه مرغوبنا لطبعة مستأنفة طلبنا منهُ ان يتوسّع في وصف اكتشافات اقريطش ومآثرها التي تلهج فيها كل المجلات العلميّة والنشرات الاثريّة. وكذلك نرغب اليه ان يزيد شرحاً من عاديات متحفها ويقابل بين آثارها وآثار متحف أثينة. وذلك خلل نؤمل منهُ سدّهُ قريباً ان شاء الله س. ر

كتاب النبراس

للورتبيد بولس بليط الارمنيّ الكاثوليكيّ

(الجزء الاوّل. طبع في بيروت سنة ١٩٠٧. ص ٢٦١)

لحضرة الورتبيد الخوري بولس بليط فضل سابق في خدمة الكنيسة الكاثوليكيّة وكلّ من عرف كتابهُ الدعامة تحقّق طول باعهِ في اثبات الحقائق الدينية وقوّة برهانهِ في دحض اعتراضات الملحدين. وقد وافانا اليوم حضرتهُ بشاهد جديد على همّتهِ في تأييد المعتقدات الكاثوليكيّة فاضاء العقول بنبراس يسطع نورهُ لكل طالب حقّ. وهذا النبراس عبارة عن عدّة محاورات عرض فيها حضرة المؤلف بعض العقائد الجوهريّة على طريقة مباحثات بين اشخاص معارضين يقوم احدهم مقام الناكر فيجيب على مشاكلهِ شخص آخر ينوب مناب المعلّم وربما تداخل في البحث غير هذين امّا تفكيهاً للسامعين وامّا تأييداً لحجّة احد المتباحثين وهذه الطريقة كما ترى من شأنها ان تبرز القضايا على وجه حيّ وتزيد السامعين رغبةً في ادراك الحقائق وانتباهاً لفضّ المشاكل لاسيما اذا تفنّن الكاتب في مزج الحديث وتمثيل المتباحثين بصفات متباينة فيصوّر كلّاً منهم بخلال يمتاز بها. امّا المحاورات التي في هذا الجزء فهي في امور خمسة في الكنيسة وعلاماتها المميّزة لها. ثمّ في طبيعتي السيّد المسيح الالهية والانسانيّة. ثمّ في انبثاق الروح القدس

من الاب والابن. ثمَّ في الطهر وسعادة القديسين . ثمَّ اخيرًا في رئاسة الاحبار الرومانيين. وقد اودع حضرة الورتيد خلاصة التعليم الكاثوليكيّ في القضايا الخمس التي تدور عليها المحاورات وذلك على نمط قريب المنال سهل الادراك لترسخ البراهين في الذهن دون عناء. فنثني على مؤلف هذا الكتاب ثناء طيباً ونتمنى ان يمتعنا قريباً بجزئه الثاني كما انّنا نحضّ القرّاء على تنوير اذهانهم بضياء هذا النبراس الوهّاج ل-ش

Albert Gayet: La Civilisation Pharaonique. *Paris, Librairie Plon, in*-12, VIII-333.

غذُن القراءة

في مقدمة الكتاب يصرح صاحبهُ بمقصوده منهُ قال « انهُ لم ينو بعمله هذا رواية الأحداث القديمة لانهُ يعتبر الحوادث كأمور ثانويّة عرضيّة وانّما قصد منهُ النظريات ». وليست هذه المرّة الاولى يسعى المسيو غايه بتغليب النظريّات على الامور الواقعيّة بل نهج هذا السبيل في كتاب ابرزهُ قبل ست سنوات في الصناعة القبطيّة. ولسنا نحن لنبغض النظريّات لكنّ النظريات اذا لم تكن مقرّرة مبنيّة على الواقعيّات كثيرًا ما تكون اوهاماً وخيالات لا صحّة لها في التاريخ . وهذا ما يلوح من الكتاب الذي نحن في صدده فانّ صاحبهُ في فصول كثيرة يؤكد امورًا لا يثبت صحّتها بالنصوص والبيّنات الصادقة كما ترى خصوصاً في مزاعمهِ عن معتقدات قدماء المصريين في الآخرة فانّ الذي يعمل نظره بتروٍّ في النصوص الهيروغليفيّة يستنتج منها نتائج مخالفة لآراء المسيو غايه الاب م. شان

كتاب نهمّ المعاملات في الصكوك والاستدعآت

بقلم المحامي القانوني اسعد مخلوف روفائيل اللبناني

طبع في المطبعة الثانية في بيروت (سنة ١٩٠٥ ص ٣٩٠)

للمعاملات المدنيّة والمحاكمات الحقوقيّة قواعد نظاميّة وشروط شرعيّة لا يحسن معرفتها الّا من تعاطاها مدّة وتمرّن فيها على استاذ بارع او استمدّها من كتاب اصولي لبعض المحقّقين والكتبة المدققين ليجري في سواء السبيل وينكب عن دواعي الضلال. فتحقيقًا لهذه الغاية راجع صاحب هذا الكتاب وهو من وكلاء الدعاوي في الثغر افضل الكتب القانونيّة فجمع منها اهمّ ما يلزم لصحّة المعاملات وما يتعلق بها من الصكوك

والاستدعاآت فنظم تلك الشوارد في كتاب جديد المنهج قريب المنال واضح العبارة جعلهُ ثلاثة اجزاء تشمل عقود المعاملات والدعاوي الحقوقيَّة وبعض الدعاوي الجزائيَّة مع بيان كل متعلقاتها وتدوين عدَّة صور ونموذجات من صكوك وسندات واستدعاءات مما يغني المتعاملين عن الالتجاء الى اصحاب الدعاوي. فنشير الى كل من يريد الوقوف على هذه المعاملات وكيفيَّة التصرُّف فيها ان يأخذها عن هذا الكتاب الذي اودعهُ صاحبهُ الاديب خلاصة القوانين الشرعية ل. ش

كتاب الصرف الشامل

تأليف يوسف كامل

طبع في المطبعة الثانية في بمبدا (١٩٠٩ ص٢٨٨)

احسن الكتب المدارسيَّة ما كانت جليَّة المعنى سهلة الادراك مع سعة مادَّتها وكثرة امثلتها. وهذا الكتاب احد التآليف الجامعة لكل هذه الصفات يظهر للمطلع عليهِ بان صاحبهُ ألف التعليم واعتاد تذليل الصعوبات لطلبة اللغة العربيَّة ولا غرو فانهُ مدير مدرسة الثلاثة الاقمار وناظر عام لمدارس الجمعية الخيريَّة الارثوذكسيَّة . وكذلك قد استفاد من التآليف المتعدِّدة التي سبقتهُ لضبط التحديدات والتدقيق في الشروح واضاف الى كل هذه الصفات انهُ ألحق كلَّ فصل بتمرين يلجئ التلميذ الى مراجعة القواعد المشروحة. فنشكر لجناب المؤلف حسن مساعيهِ ونتمنى لكتابه رواجاً في المدارس حتى يجدِّد قريباً طبعهُ ويزيدهُ تنقيحاً واصلاحاً في بعض ابوابهِ ويجرِّدهُ عن بعض الاغلاط الطبعية التي حجبت شيئاً من محاسنهِ ويتقن طبعهُ المادّيّ فيصبح كاملاً كمصنفهِ الاديب اثابه الله ل. ش

المختار من ثمرات الحياة

للحكيم حسني باشا الطويراني

الجزء الاول: عُني بهِ عبد الغني العريسي . (طبع في مصر سنة ١٣٢٥ ص ١١٢)

هذه نخبة من نظم احد شعراء العصر الجيدين حسن حسني باشا الطويراني الذي فقدتهُ الآداب العربيَّة التركيَّة منذ عشر سنوات ولهُ من الآثار في اللغتين نحو المئة منها نثر ومنها شعر واشتغل بادارة عدَّة جرائد ومجلَّات. وسنعود الى ذكره ان شاء الله في مقالتنا عن الاداب العربية في القرن التاسع عشر. وحسبنا الان أن نشكر جناب

الفاضل عبد الغني افندي العريسي همتهُ في جمع هذه الطُرف المستملحة التي تعدُّها من اجنى ثمرات الحياة واطيبها ويحتوي هذا الجزء مختار اقوال الشاعر الحكيم في خمسة ابواب: الحماسة ثم الحكم والموعظة ثمَّ الزمانيَّات ثمَّ المدح ثمَّ المراسلات وما نحن نثبت من هذا المجموع ابياتًا نراها من اجود ما قيل في التربية:

يا والدًا يبتغي خيرًا لمن ولدا هذِّبهُ بومك حتى ترتجيهِ غدا
هذِّبهُ والنفس للآدابِ قابلةٌ فانما فُرَصٌ يحظى بها السُّعَدا
ما احسن العلمَ والاقبال في رجل اذا هما بمعالي خلقهِ اتحدا
لا ترأفنَّ بهِ في كسب محمدة فانما تبتغي من نعمةٍ وُجدا
والطفل كالنبر والآباء صانعهُ فاصنع تبعْ وادّخر خيرًا وان كدا
فان تصوّره كلبًا كان ذاك ولم يصعب عليك اذا صوّرتهُ اسدا

شذرات

موريق وموريقيان — كتب الينا حضرة العلّامة الفاضل القس جرجس منش ما نصهُ: «روى العلامة الدويهي تقليد الموارنة في شأن موريق وموريقيان فارتاب فيهِ جناب رع الدمشقي كما ارتاب فيهِ غيرهُ من قبلهِ فراح يستفتي مجلة المشرق فيهما ويستنزل رأيها في حقيقتهما لعلّها تفيده ما يزيل ريبهُ ويثبت صحّة هذا التقليد فاعترفت على رؤوس الملا بعدم معرفتها بورودهِ في تاريخ قديم متوقعة من قرائها الافادة عن امرهما فافادها البعض بما لم يقنعها لاستنادهِ فيهِ الى غير التاريخ القديم (المشرق ٦ : ٢٤٠ و٢٩٠) فزاد هذا في ريب السائل بلا ريب وكاد يوهن هذا التقليد او يبطلهُ لولا اثر تاريخي ثبّطني عن ايرادهِ شغل شاغل كل هذه المدة حتى اذا سنحت هذه الفرصة بادرتُ الى روايتهِ لاعتقادي ان الحقيقة بنت البحث على تقادم العهد وتراخي الايام وهذا كل ما عرفتهُ

«اني قد شاهدت بعيني نسخة من مزامير داود النبي بالسريانية والعربية مخطوطة بالحرف الملكي ومقسومة على مقتضى الطقس الملكي ايضًا ترتقي الى ما قبل القرن الخامس عشر وهذه النسخة كانت مصونة في مكتبة أسرة الدلّال الملكية الحلبية الكريمة وبحت من غبطة العلامة المفضال اغناطيوس افرام رحماني منذ سنوات قليلة فطالعتُ منها بغيَّ الحاشية الواردة في ذيلها فاذا بها ما مؤداهُ: «انها كُتبت بكنيسة

الشهيد موريق في قرية اميون » فاذا كان موريق هذا غير موريق الدويهي فمن هو يا ترى ؟ ارجو الافادة عنهُ وعن زمانهِ وكيفية استشهادهِ . واذا كان هو اياه على ظني المقرَّر فيجب الاعتراف بصحة اخبار الدويهي الشهير الذي طالما أيدتها الاكتشافات الحديثة كما سأبينهُ في غير هذا الموضع » اه

(المشرق) لا نظنّ انّ موريق المذكور الذي على اسمهِ بُنيت كنيسة اميون هو موريق الذي يذكرهُ بعض الكتبة كقائد جيش للملك قسطنطين الاخرم . وانما كان احد شهداء الكنيسة في عهد الملك مكسميانوس مات في سبيل الايمان مع سبعين آخرين في مدينة افامية من اعمال الشام . وترجمتهُ في اعمال البولنديين في تاريخ ٣ نيسان

حفريات اريحا كلُّ من لهُ إلمام بتاريخ بني اسرائيل وخصوصاً بسفر يشوع بن نون يعلم ما كانت عليهِ اريحا من العز والفخر عند دخول العبرانيين في ارض الميعاد الّا انّ صروف الدهر كانت منذ ألوف من السنين حوّلت تلك المدينة الى قرية حقيرة . وفي العام الماضي اجرى العالمان النمسويّان سلّين ونيمان حفريات في ضواحي البلدة الحاضرة فوجدا انّ المدينة خربت مراراً وتراكمت أخربتها حتى صارت ثلاث طبقات . والاثار التي اكتشفها العالمان المذكوران تتراوح على ما يقال بين السنة ٢٥٠٠ الى ١٣٠٠ سنة ق . م . ومما توفقا الى اكتشافهِ بقايا قلعتين للكنعانيين فوجدوا الاولى على احد التلال السبعة التي كانت اريحا مبنيّة فوقها . وتحققوا انّ تلك القلعة كانت ذات ثلاث طبقات فيها ١٧ معهداً او حُجرة يُصعد اليها بدرج من حجر وكان لها ابراجٌ تحميها . امّا القلعة الثانية فلم يجدوا منها حتى الان غير زاويتها . وكان موقعها على تلّ آخر . وما هو اخطر ما روياهُ عن وقوفهما على آثار اسوار المدينة التي اسقطها الله بمعجزة باهرة امام بني اسرائيل . وهذه الاسوار كالابنية الاشوريّة مبنية بالاجرّ فوق دعائم حجريّة وعرضها لا يقلّ عن ثلاثة امتار . ووجدا وراء السور اساس عدّة بيوت قديمة فيها قسم من اثاثها القديم من جملتها اجاجين للزيت . ومما يستحقّ الذكر عدّة خزفيات بينها قطع منقوشة عليها تصاوير اسود وغزلان وغيرها . ووجدوا بينها بعض حروف عبرانيّة قديمة وهو اكتشاف اثير لمعرفة شيوع اللغة العبرانية واصل قلمها على انّ القطع بصحّة قولهما لا يجوز الّا بعد نشر مكتشفاتهما . وسيعود العالمان النمسويان الى تتمّة هذه الحفريات قريباً

اسئلة واجوبة

س سال من غلبون حضرة الخوري الياس الخوري كم كانت قاعدة السنة التي مات فيها السيد المسيح وباي شهر وباي يوم مات

سنة وشهر ويوم وفاة السيد المسيح

قد كتب حضرة الاب صالحاني في المشرق مقالة مطوّلة في الخمير والفطير واثبت فيها انّ السيد المسيح اكل الفصح في مساء يوم الخميس ١٤ نيسان ومات يوم الجمعة ١٥ منهُ وبيّن ذلك باقوال الانجيليين الثلثة الاوّلين وردّ على الاعتراضات المبنيّة على بعض آيات انجيل يوحنّا. (راجع المشرق ١ : ٧٧ و١٠٨). امّا السنة التي وقع فيها موت الخلاص فانّ الانجيليين لم يعينوها بنوع صريح والرأي الغالب اليوم بين العلماء انّ ذلك قد تمّ اربع سنوات قبل التاريخ الجاري اليوم عند النصارى اعني السنة ٢٩ او ٣٠ من تاريخنا والكنيسة لم تبدِ رأيها في ذلك وانما جرت على التاريخ الحالي منذ اواسط القرن السادس وفقًا لحسابات احد العلماء المسمى ديونيسيوس القصير المتوفى سنة ٥٤٠ دون ان تقطع حكمها في صحّة تاريخه

س وسالنا مستفيد كيف يصحُّ قول السيد المسيح في متى (١٢ : ٤٠) عن دفنهِ حيث شبّه نفسهُ بيونان النبيّ وقال: «مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال». ومعلوم من رواية الانجيل ان السيد المسيح لم يبق في القبر اكثر من ٣٨ ساعة

زمن السيد المسيح في قبره

ج لهذا المشكل جوابان: (الاوّل) مبني على حساب الرومانيين الذي كان في عهد المسيح شائعًا بين اليهود. فان الرومان كانوا يحسبون اليوم كما يحسبهُ الفرنج في ايامنا من نصف الليل الى مثلهِ. وعلى هذا فيكون السيد المسيح بقي في القبر قسمًا من نهار الجمعة وليلتهِ الى نصف الليل وذلك يُحسب يومًا اول. ثمّ من نصف ليلة الجمعة الى نصف ليلة السبت وهو يومٌ ثانٍ كامل. ثمّ من نصف ليلة يوم الاحد الى سحرهِ وهو يومٌ ثالث. فيحصل من ذلك ثلاثة ايام وثلاث ليال وان لم تكن كاملةً — الجواب (الثاني) مبنيّ على حساب اليهود الذين يعدّون يومهم كجميع اهل الشرق من غروب الشمس الى غروبها. وذلك بملاحظة تحديد الربانيين للنهار. جاء في التلمود (شبوت ٢٢ : ١) :

« ان اليوم يتركب من ليل ونهار او من قسم منهما » اخذوا ذلك من اليونان الذين دعوا اليوم كاملًا كان او ناقصاً νυχθήμερον ومعناها « نهار وليل » وعليهِ امكن المسيح على هذا البناء ان يكون في قلب الارض ثلاثة ايّام وثلاث ليالٍ فانَّ دفنهُ كان قبل غروب الشمس في يوم الجمعة وهو قسمٌ من الجمعة يكفي ان يقال عنهُ يوم وليلة على اصطلاح اليونان والرّبّانيين. وكان اليوم الثاني كاملًا الى غروب السبت ثم ليلة الاحد الى صباح الاحد وهو ايضاً يوم وليلة على الاصطلاح المذكور آنفاً وهكذا يصحُّ قول السيد المسيح على الوجهين

س سألنا جناب الصيدليّ مراد افندي بارودي ما نعرف من جغرافيَّة الشريف الادريسيّ وطباعتها

جغرافيَّة الادريسيّ

ج جغرافية الشريف الادريسيّ من اجلّ واتقن ما وضعهُ الغرب في تخطيط البلدان. وكتابهُ مُعنون بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق يُعرف منهُ لربع نُسخ كاملة اثنتان منها قديمتان مزيَّنتان بخوارط عديدة ملوَّنة زاهية الواحدة في مكتبة باريس العمومية. والاخرى في خزانة كتب اوكسفرد. وفي المكتبتين ايضاً نسختان أُخريان كاملتان دون الخوارط. وهذه الجغرافية قد نقلها امبداي جوبار الى الافرنسيَّة عن نسختي باريس. امَّا النص العربيّ فلم يُطبع منهُ الَّا بعض الاقسام كوصف الشام ووصف المغرب ووصف ايطالية. ومن الجغرافية المذكورة مختصر منهُ عدَّة نسخ اشهرها نسخة باريس ولا يُعرف اسم صاحبها. وهذا المختصر قد طُبع اوَّلًا في رومية في مطبعة أُسرة مادسيس سنة ١٥٩٢. وطُبعت على صورتين الاولى في العربيَّة فقط دون ذكر محل الطبع والسنة وعنوانها «نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والافاق» والثانية في العربية مع عنوان لاتيني والتصريح باسم المطبعة وسنة الطبع وهذا المختصر نقلهُ الى اللاتينيَّة العالمان المارونيَّان جبرائيل الصهيوني وحنَّا الحصروني وطبعاهُ في باريس ١٦٢٢

س كتب الينا من صور جناب الاديب رفلي حلاج ان تنيدهُ من صلاة وُجدت في قبر المسيح ينال تاليها انعامات عجيبة في هذا العالم والعالم الاخر

الصلاة الموجودة في القبر المقدَّس

ج ليس لهذه الصلاة اصلٌ البتة وكلُّ ما يُقال في مفاعيلها العجيبة من الخرافات التي يشيعها بعض المشعوذين ليخدعوا بها السذَّج. وقد طبعها بعض اهل المطامع دون رخصة ارباب الدين رغبةً في الارباح الخسيسة فبئس التجارة ل. ش

العدد ٥ — ايار سنة ١٩٠٨

المشرق

يوبيل سيدة لورد

وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

واقتت هذه السنة موسمين جليلين لا يمكننا السكوت عنهما لعظم شأنهما في جانب الدين فانَّ للمسيحيين عموماً وللكاثوليك خصوصاً في كليهما عِبَرًا اذ يعزّزان فيهم روح التُّقى ويبعثان في قلوبهم عواطف الشكر والحبّ لتلك التي طالما غمرتهم ولم تزل بنعمها السابغة وبركاتها الدارّة. فالموسم الاول يوبيل ظهور السيدة البتول الطاهرة في مدينة لورد من اعمال فرنسة قبل خمسين سنة. امَّا الثاني فموسم حديث كان موعدهُ في الثالث من هذا الشهر المبارك شهر ايار المختصّ باكرام ذات العذراء الشريفة بتدشين اوّل تمثال يُنصب في لبنان لشخصها الكريم. فيليق بنا ايضاً ان نقرن صوتنا الضعيف الى اصوات كلّ المتعبدين لوالدة الاله فنكتب هذا الفصل الموجز في ذكر العيدين وبيان خطرهما لتنمو في قلوب اهل الوطن العزيز الثقة بشفاعة العذراء المشفعة فيستلفتوا انظار تلك الامّ الشفوقة ويستمطروا من جودها الخيرات الروحيّة والزمنيّة فتبارك عيالهم وتوفق امورهم وتساعدهم في نوال سعادة الدارين

١ يوبيل سيدة لورد

في ٨ كانون الاوّل من السنة ١٨٥٤ اعلن بيوس التاسع بملء سلطته الروحيّة كنائب السيد المسيح وخلف القديس بطرس هامة الرسل ومعلم الكنيسة الاعلى بأنّ البتول العذراء مريم ابنة القديسين يواكيم وحنّة حُبل بها بلا دنس الخطيّة الجدّيّة التي ورثها الجنس البشري كافّة منذ تجاوز الابوان الاوّلان وصيّة الرب في الفردوس وذلك بنعمة خصوصيّة منهُ تعالى الذي صانها من تلك الوصمة الشائنة لسابق نظره الى استحقاقات ابنه الوحيد السيد المسيح المولود منها

فتهلّل وتنذ العالم الكاثوليكيّ طربًا وصرخ مذعنًا لتعليمه: «قد نطقت رومية وفطقها عين الصواب» . ولا غرو فان هذا القول يوافق بالتمام تعاليم الكنيسة والآباء شرقًا وغربًا منذ عهد الحواريين كما تشهد على ذلك الشهادات المقرّرة في بطون التواريخ وفي الكتب الطقسيّة والآثار الكتابيّة (١

على ان السيدة البتول لم تكتفِ من سموّ عرشها في السماء ان تبتسم لتحيّة اهل الارض وتتقبّل تطويب الشعوب لها بسبب تلك النعمة الفريدة التي خصّها الله بها وحدها بين ابناء آدم بل ارادت ان تصرّح بشكرها للكنيسة وتفتح لاولادها ينابيع جديدة من الخيرات والنعم يستقون من مواردها مياهًا تتجس للحياة الابديّة

في ضحى اليوم الحادي عشر من شباط من السنة ١٨٥٨ وهو الخميس من الجمعة الواقعة قبل الصوم خرجت ثلاث فتيات من اهل مدينة صغيرة تُدعى لورد شهيرة بحصنها القديم في مقاطعة جبال بيرينايي العليا من اعمال فرنسة ليجمعن حطبًا يابسًا على مسافة ربع ساعة من البلدة. وكانت اثنتان منهنّ اختين تُدعيان برنادات ومريم سوبيروس والثالثة ابنة جارهما اسمها حنة أبادي وكانت هذه اكبرهنّ عمرها خمس عشرة سنة. وكانت الصغرى مريم. امّا برنادات الوسطى فكان عمرها اربع عشرة سنة وهي اضعفهنّ بنية والطفهنّ مزاجًا وارقهنّ طبعًا وكان ابواها سلّماها الى بعض الاصحاب في قرية

١) راجع مقالتنا المنونة «عقيدة الحبل بلا دنس في الكنائس الشرقية» في المشرق (٧: ٢٩٥ ٤١١)

قريبة اسمها برتراس ليهتموا بتربيتها فعهد هؤلاء اليها لما كبرت رعية قطيع صغير من الخراف فقضت حياتها في السذاجة والتقى لا تعرف القراءة والكتابة وانما كانت علمت من امها الصلوات العادية فتتلوها بنشاط. وبقيت برنادات في برتراس الى ان حان الوقت لتستعد لمناولتها الاولى فاستدعاها ابواها الى لورد لتحضر شرح التعليم المسيحي في كنيستها. وفي تلك الاثناء بعد اسبوعين من رجوعها خرجت حاطبة كما سبق

يجري قريباً من لورد نهر يُدعى الگاف على ضفتيه قطع الحطب المتكسر الساقط من اشجار الغابات المجاورة فسارت الفتيات الثلاث وجمعن منهُ ما تيسر لهنَّ الى ان اصبن منهُ كميَّة اوفر عند صخور هناك اسمها صخور مسابيال فاسرعت حنَّة ومريم الى قطع جدول مياه متصدعة تجري ثمَّ. وسبقتا برنادات الى جمع حزم الحطب. امَّا هذه فتريَّثت قليلاً واخذت تقلع حذاءها وجواربها لتتبع رفيقتيها. وهي كذلك اذ سمعت على بغتة صوت ريح شديدة مع انَّ السماء كانت في ذلك اليوم رائقة ساكنة الريح فاندهشت الفتاة والتفتت الى الوراء فنظرت شجر الغاب لا تبدي حراكاً فاطمأنَّ بالها وانتهت من خلع نعليها لتقطع الماء. واذا بالريح هبَّت ثانية بشدَّة ونور ساطع تراءى لها فوق رأسها في خلال الصخرة في شبه كوة هناك وكان في وسط النور كأنها ملتحفةٌ به سيِّدةٌ فائقة الجمال في ريعان شبابها تأخذ بمجامع القلوب وعلى محيَّاها تلوح كل امارات العزّ والجلال مع عواطف الرِّقة والحنوّ وكانت متشحة بثوب ابيض كالثلج سابغ الذيل وهي متنطقة بنطاق ازرق مشدود في وسطها يتحدَّر طرفاهُ من امامها. وكان على راسها منديل ابيض ينزل من وراء كتفيها الى ذيل ثوبها وكان على ذراعها الايمن سبحة الوردية ذات الحبوب الفضيَّة اما رجلاها فلم يغطهما الثوب وانما كانت تزينهما وردتان زهيتان بلون ذهبي

حدِّث ولا حرج بما اصاب الفتاة من الهلع والحيرة لدى نظرها لهذا الرأي العجيب اذ شعرت بأن قواها كادت تخور فانحنت جاثيةً وأخرجت من جيبها سبحة الصلاة لتستمد عوناً من الله في هذا الواقع الغريب. وكانت برنادات مع خوفها لا تحيد بنظرها عن تلك السيدة التي كانت تفتن قلبها بمحاسنها الفائقة لكل وصف. امَّا السيدة فكانت تنظر اليها بكل تعطف وحنان وتبتسم لكل حركاتها وتدعوها اليها. فانتعشت بذلك

قوى الفتاة واخذت تصلي بحرارة سبحتها والسيدة امامها حتى مرَّ عليها ربع ساعة. فحينئذٍ توارت الصورة عن عيانها. وبقيت الابنة وحدها عند مسيل الماء فقطعتهُ ولحقت برفيقتيها وهي كلها متطرة بشذا تلك الرؤيا حتى الحّت عليها رفيقتاها بان تخبرهما ما جرى لها ففعلت وبلغ الخبر ابويها فنسبا الامر الى الوهم والتخيل فلم يعيراه بالًا

بعد ثلاثة ايام كان الاحد فاسترخصت الابنة من والدتها بان تعود الى مكان الرؤيا عند صخور مسايال وكانت امها انكرت عليها ذلك غير مرة حتى لبّت اخيرًا الى دعوتها وسمحت لها فرافقها ما خلا اختها مريم وابنة جارتها حنّة بعض لداتها اللواتي سمعن بالحادث العجيب ورغبن في مشاهدة المكان الذي جرت فيهِ الرؤيا فوصلن اليهِ ولم يجدن شيئاً خارق العادة فقالت لهنَّ برنادات : دعنا نتلو سبحة العذراء. فجثون على الحضيض وجعلن يصلّين فبعد برهة قليلة تغيَّر وجه الابنة وشخصت الى المكان حيث رأت السيدة المرَّة الاولى فصرخت: ها هي ذا وانَّها تنظر اليكنَّ. فكانت الفتيات يحدقنَ بابصارهنَّ ولا يرين شيئاً لكنَّهن تحقَّقن بتعسة رفيقتهنَّ المغبوطة واستحررنَ بالصلاة معها. وكانت احدى رفيقاتها أتت بماء مصلى خوفًا من شرّ يصيبهنَّ في المغارة فجعلت الماء بين يدي برنادات واوعزت اليها بان ترش منهُ على الرؤيا قائلة: «ان كنت من عند الله فهلمي» فردَّدتها برنادات وكانت السيدة تنظر الى فعلها بتبسُّم وبهجة وبقيت بازائها تملأ منها ابصارها وتنعم بها قلبها الى ان تمت صلاة الوردية فاحتجبت عن نظرها

انتشر خبر هذا الحادث الثاني في لورد وكان معظم الذين يسمعون بهِ يعتبرونه كفعل صبياني وكنتيجة مخيلة شديدة التأثير فاخذ الناس يتواردون الى بيت الفتاة فيسألونها عمَّا حدث لها فتخبر بالرؤيا بكل سذاجة وتقصُّ بما رأت وكل من يسمعها يقرُّ بصدقها الَّا انَّ اكثرهم كانوا يعزونهُ الى التخيلات. وكانت كلما تذهب الى مغارة مسايال يزداد عدد الذين يتعقَّبون آثارها ليعاينوا ما يجري لها ويقفوا على صحّة قولها فيعودون والسنتهم تلهجُ بتلك الامور الغريبة ولا يدرون كيف يؤلون تلك الاسرار

وفي تلك الاثناء تكرَّرت رؤى السيدة لابنة سوبيروس دفعة ثالثة في ١٨ شباط وهي المرَّة الاولى التي كلَّمت السيدة المجهولة الفتاةَ الأميَّة وقالت لها انها تريد ان تأتي الى المغارة هي مع الجموع الغفيرة مدَّة خمسة عشر يومًا متوالية. ففعلت برنادات ما أُمرت بهِ وأخبرت كل من امكنها بوصاة السيدة

فكان اليوم الاوّل من ذينك الاسبوعين في ١٩ شباط ونهاية الأمد المعيّن في ٤ آذار فكانت الفتاة تذهب الى مغارة مسّابيال وتباشر بالصلاة مع القوم القادمين معها فلا تلبث السيدة ان تتراءى لها كما رأتها سابقاً الّا اليوم ٢٢ من شباط فانّ الابنة لم ترَ شيئاً. وكانت السيدة في كل رؤية من رؤاها ترشد الفتاة فتارة تعلّمها كيف تتلو صلاتها وتارة تأمرها بان تبلّغ الحضور رغبتها في توبتهم وانابتهم الى الله مع تحريضهم للفتاة بان تصلي لاجل الخطأة. وفي ٢٣ شباط قالت لها السيدة بأنها ترغب ان يبني الكهنة هناك كنيسة ويحتفلوا فيها بالطوافات الدينيّة . وفي ٢٥ منهُ دلّتها السيدة على مكان يابس بازاء المغارة وأمرتها ان تشرب من ينبوعهِ وحيث لم يكن هناك ينبوع اخذت الابنة تحفر التراب والرمل باصابعها فنبع ماء عكر جرعت منهُ بعض جرعات ثمّ تبجّس الماء وما كان المساء حتى صار النبع يتدفق وجرت مياههُ الطيبة الى نهر الكاف

وفي اليوم الاخير من الاسبوعين كان عدد الحضور يربي على عشرين الفاً حضروا مع برنادات من لورد والقرى المجاورة. فكرّرت السيدة للفتاة امرها بان تُشيّد هناك كنيسة تجري فيها الطوافات الدينية

وكانت تفاصيل هذه الماجريات بلغت مسامع الكهنوت فكتب الاب بيرامسال خوري مدينة لورد الى اسقفهِ السيد برتران لورنس في مدينة تارب يعلمهُ بحوادث مغارة مسّابيال ويرجوهُ بان يبيّن لهُ الخطة التي ينبغي لهُ الجري عليها . فكان جواب السيد برتران بانهُ يجب على ارباب الدين ان يجروا في ذلك بفطنة كليّة وامر بان لا احد منهم يتظاهر البتة في تنشيط الفتاة وان يمتنعوا عن الاختلاط بالقوم المتردّدين الى المغارة ريثما يصير الفحص القانوني عن تلك الحوادث . والحقّ يقال انّ ارباب الحكومة واعداء الكنيسة نفسهم اثنوا على حكمة الاسقف وفطنة كاهن لورد وبقيّة الاكليروس في اثناء تلك الاحداث. وكان الاكليريكيّون عموماً لا يصدّقون صحتها

امّا السلطة الحاكمة فانّها اضطربت لوقائع لورد ايّ اضطراب لاسيما بعد أن تباحث فيها اعداء الدين وكتبة الجرائد فكانوا كلهم صوتاً واحداً بانّ تلك الرؤى شعوذة وخداع او على الاقل نتيجة امراض دماغيّة او عصبيّة في الفتاة. فأرسل المفوضون لاستنطاق الفتاة من عمّال الحكومة ومن نُطس الاطبّاء ومن علماء الفيسولوجية فألقوا عليها الاسئلة ودسّوا لسذاجتها الدسائس وفحصوا حالتها الصحيّة فكانوا كلّهم يرجعون

خائبين خاسرين اذ لا يجدوا لها فيها غاية بشرية فلم ترغب في المال ولم تحرص على شهرة وهي ابنة امية لا تعرف الّا لهجة بلدها وتصف ما رأت لا تزيد عليهِ حرفاً ولا تؤكد شيئاً مما جهلتهُ بل تجيب بلسان صادق يلوح في كل مشاعرها: لا ادري . اما مزاجها فمع ضعفهِ لم يكن مبلواً بشيءٍ من الاسقام العصبية كما انَّ دماغها كان سليماً لا يُرى في كلامها او حركاتها شيءٌ يدلُّ على هوس او خبال او استهواء ولمتحنها بعضهم بالمواعيد فازدرت بهم والتجأ غيرهم الى الوعيد فوجدوهـا ثبتة القلب صلبة الجنان . وفحص العلماء الماء الذي تبجّس قريباً من صخور مسّابيال بعد ان تحققوا من كل اهل لورد انهُ لم يكن هناك نبع البتة فوجدوا انَّ تركيب الماء كيموياً كتركيب كل المياه الجبليَّة في جبـال بيريناي وانهُ ماء طيب شروب كبقية المياه . وبعد اللتيا والتي لم يجسر عمّال الحكومة من التعرُّض للفتاة ولا للذاهبين الى المغارة اذ كان كل شيءٍ يهدؤ وننظـام لم يحدث مطلقاً امر يكدر الراحة العموميَّة

وعادت برنادات بعد ذلك مراراً الى صخور مسّابيال حيث كانت تجذبها قوَّة دافعة لا تستطيع مقاومتهـا . فظهرت لها السيدة في ثاني يوم عيد الفصح في ٥ نيسان وكان في يد الفتاة شمعة مضيئة بلغ لهيبها اصابعها فلم تشعر البتَّة بالحريق طالما كانت السيدة امامها . واشتهر من ذلك رؤيا يوم عيد البشـارة في ٢٥ آذار من السنة حيث ألحَّت الفتاة على السيدة بان تُعلن لها اسمها وكانت الى ذلك اليوم لم تجترئ لتلقي عليها هذا السؤال . فكان جواب الرؤيا بالافرنسية والابنة لم تفهم من تلك اللغة الّا القليل فكرَّرتهُ كما سمعتهُ دون ان تدرك معنـاهُ . وتعريبهُ : « أنا التي حُبل بها بلا دنس » . قالت ذلك بعد ان ضمَّت يديها على زيّ المصلي ووجَّهت اعينها الى السماء . فلم يبق شك لاحد من الحضور انَّها البتول الطاهرة مريم

والرؤيا الاخيرة التي حصلت عليها برنادات انَّما وقعت في ١٦ تموز يوم عيد سيدة الكرمل ظهرت مريم للفتاة ونظرت اليها مليًّا دون ان تكلّمها ثمَّ احنت لها راسها كانها تودّعها ولم تعد تظهر لها

وكانت في مطاوي تلك الشهور قد ابتدأت المعجزات الباهرة والخوارق العجيبـة تظهر عند صخور مسّابيال فاخذ المرضى يتواردون الى المزار فيشربون من مـاء النبع الجديد ويغتسلون فيهِ فيعود منهم قومٌ بالشفاء التامّ

ثم عادت السلطتان الروحية والمدنيَّة الى البحث عن تلك الامور للاستدلال على صحتها او كذبها. أمّا السلطة الروحيَّة فان الاسقف اختار بعض افراد اكليروسهِ الممتازين بفضلهم وفضيلتهم وألحق بلجنتهم بعض العالمين من اطبـاء وغيرهم فعقدوا لذلك الجلسات المتعددة واستنطقوا الفتاة وكلّ من كان يمكنهُ ان يفيدهم عن امر الرؤى. فطال بحثهم وتروّيهم الى ان كاد يملّ الناس من تدقيقهم وكثرة تفتيشهم عن حوادث عدُّوها اوضح من النور الى أن صرَّح الاسقف لورنس بعد اربع سنوات انَّ الرؤى حقيقة لا ريب فيها

اما السلطة المدنيَّة فقامت وقعدت لتلك الحوادث حتى اهتمَّ لها حاكم مقاطعـة بيريناي المسمى ماسي ووزير الاديان المسيو رولان واصدر بعض العمال امرًا ليمنع الناس من زيارة المكان ومن شرب النبع الجديد غير انَّ كل هذه المناهضـات زادت الامر شيوعاً حتى صار يبحث فيه القاصي والداني وتزايدت رغبة كثيرين في معاينة الحل وكان المرضى يأتون زرافات ووحدانًا من كلّ فجٍّ فيشفون حتى اضطرَّ العامل بالقـاء امره وتحقَّق الحكام بانهم لا يستطيعون مقاومة ارادة تعالى

ومن اعظم ما جرى حينئذٍ من الايات شفاء ولدٍ صغير عمرهُ سنتان كان ابواهُ منذ مولدهِ يبذلان النفس والنفيس لحفظهِ في الحياة الى ان اهملهُ الاطباء آيسين من علاجهِ لسقم بنيتهِ وتراكم الاوجاع عليهِ. ففي احد الايام اذ كان ابوه ينتظر من دقيقةٍ الى أخرى ان يسلم الروح قامت امُّهُ كانهُ لاح لها برقٌ من الرجاء فلفَّت الولد في صدرتها وخرجت مسرعة لا تلوي على شيءٍ فاتجهت نحو المغارة واقتربت من حوض النبع المنبجس حديثًا فحلَّت قماطات الولد امام الحضور وهمَّت بتغطيسه في ذلك الماء الصقيع. فحاول البعض ان يمنعوها وابنها على آخر رمق لئلَّا تقتله بيدها فأبت صارخة: ان مريم العذراء قادرة بان تحيي ولدي. ثمَّ غطست ذلك الطفل في الحوض وابقتهُ ربع ساعة في الماء بينما كانت الصلاة تخرج من لسانها الى البتول كأسهمة النار ثمَّ اخرجتهُ وابوهُ يقول: قد مـات الغلام. لكنَّ الامَّ رجعت الى بيتها بحملها الخفيف واضجعتهُ في سريرهِ وواصلت صلاتها عندهُ فما كان بعد قليل من امر الولد الَّا ان تلوَّن وجههُ بالحمرة وفتح عينيـهِ متبسمًا لأمهِ كانهُ افاق من سبات عميق وقام بتمام الصحة وعاش مذ ذاك الحين بالعافية التامة. وشهد ثلاثة من نُطس الاطباء بان شفاءه لم يُمكن تعليلهُ بسببٍ طبيعيٍّ وان غمس

طفل منازع في ماء جليدي مدة ربع ساعة كان كافياً لقتله قتلاً وحياً . وهذا الحادث الذي جرى ثمانية ايام بعد نبوع الماء في مغارة مسابيال انتشر خبره في كل ناحية كانتشار البرق . وعقبه بعد قليل شفاء شاب يُدعى « هنري بوسكه » كان مصاباً بقرح في ترقوته يسيل منه القيح وايس الاطباء من علاجه فشفي تماماً في ٢٨ نيسان من تلك السنة بعد ان غسل بماء النبع جرحه العياء ففي غد ذلك النهار التحم اللحم ولم يعد يظهر من الجرح الا جابة يابسة بقيت كعلامة محسوسة لشفائه العجيب

فهاتان الآيتان وايات أخرى كثيرة أفحمت المعترضين والناكرين فصار اسم لورد كمستشفى سماوي يقصده ذوو العاهات لينالوا من السيدة العذراء دواء لعللهم على اختلاف اسبابها وضروب مظاهرها

وبعد ان نجز الفحص القانوني عن صحة تلك الرؤيا والمعجزات المتعددة التي ظهرت في تلك الناحية بموجب قرار من الاسقف الحلي السيد لورنس شمّر الاهلون عن ساعد الجد لتحقيق مرغوب العذراء الطاهرة وبناء هيكل عظيم فوق تلك الصخور . فلم يدّخر المؤمنون رسمهم في وضع اثر جليل يُعدّ كآية هندسية في عصرنا . فانتدب الرؤساء ابرع المهندسين ليخططوا لهم رسم كنيسة تنطق في الاجيال التالية عن شكرهم لملكة السماء . فشيدت كنيسة فخيمة لا ينقصها شيء من البهاء والجلال بلغت نفقاتها عدة ملايين من الفرنكات كان يتبرع بها بطيب القلب كلُّ المسيحيين من فرنسة وبقية البلاد حتى اقصاها بعداً

ومن الحفلات البهيجة التي عُقدت في السنة ١٨٦٤ في ٤ نيسان نصبُ تمثال عظيم أُقيم في مغارة لورد حيث ظهرت العذراء . وكان التمثال من الاعمال الصناعية الجميلة على هيئة السيدة كما تراءت لبرنادت وكما استطاعت الفنانة وصفها للنقاش بعد معاينتها مراراً . وكان الحضور الذين قدموا لهذه الرتبة ألوفاً مؤلفة

وفي السنة ١٨٦٦ اتمّ البناة قسم الكنيسة الاسفل الذي كان كسرب يُنزل اليه بالدرج فجرت حفلة شائقة لتدشينه في ثاني يوم العنصرة من السنة ١٨٦٦ واخذ الكهنة منذ ذلك الحين يقيمون فيه الرتب ريثما تنتهي العمارة العليا

وكان التعبُّد لسيدة لورد قد اتسع نطاقاً في تلك الاثناء بما يحدث كل يوم من الآيات العجيبة . نخص منها بالذكر شفاء احد مشاهير الكتبة لسمه هنري لاسار الذي

شفي بغتةً من داء عياء في بصره بعد غسل عينيه بماء لورد. في ١٠ تشرين الاوّل من السنة ١٨٦٢ فاراد بعد تلك النعمة ان يبدي شكره لملكة السماء فسطّر تاريخ سيدة لورد وكل تفاصيل ظهورها . وهو تأليف نفيس كُرّر طبعهُ نيفاً و١٥٠ مرّة ونُقل الى اغلب اللغات الشعوب المتمدّنة

وفي السنة ١٨٧٧ في ثاني يوم من تموز سمح الاب الاقدس الحبر الاعظم بيوس التاسع بوضع اكليل بهي من الحجارة الكريمة على هامة التمثال المنصوب سابقاً. وفي غد ذلك اليوم دُشنت الكنيسة العليا على حسب الطقوس المؤثرة التي تُقام في تكريس اكبر الكنائس. وهاتان الرتبتان قام بهما احد القصاد الرسوليين الموفد من قبل كبير الاحبار مع نيافة كردينال باريس وخمسة وثلاثين مطرانًا او اسقفًا وجم غفير من الشعوب لا يحصى عديدهم

وفي السنة ١٨٨٣ وُضع الحجر الاوّل لكنيسة أُخرى على اسم سيدة الوردية. فجرت اذ ذاك مشاهد تقوية قلّما رأى مثلها الراوون في الاعصار السابقة. وكانت تلك السنة موافقة للعام الخامس والعشرين من ظهور السيدة فقدم الى لورد عدد من الزوّار جاوز المئات من الالوف . ولما انتهت كنيسة الوردية بعد ست سنوات تجدّدت تلك مجالي التقى والعبادة بل زاد رونقها اذ منح عظيم الاحبار تلك الكنيسة امتيازات كنائس رومية الملكيّة. واقام لذكر ظهور العذراء عيدًا سنويًا في ١١ شباط مع نافور خاص لقداسه

على انّ الحفلات السابقة كلها مع عزّها وجلالها ورتبها الشريفة سوف تفوق عليها المظاهرات التي يعدّها الكاثوليك في هذه السنة الواقع فيها اليوبيل الخمسيني لظهور السيدة. وقد باشر الزوّار منذ شهر شباط المنصرم بالسياحات التقويّة الى لورد يقدمون اليها مع رعاتهم من كل اوب ليربحوا الغفارين والنعم التي تبرع بها راس الكنيسة الاعلى بيوس العاشر. فنتمنّى ان يكون لشرقنا العزيز لجنات خصوصية تمثّل بلادنا عند اقدام تلك التي تنبأت بان الشعوب كلها سوف تطوّبها

*

هذه خلاصة اخبار سيدة لورد غير انّ الذي رويناهُ من تاريخ هذا المزار الشريف ليس الّا تمهيدًا الى ما هو اعظم شانًا واجلّ خطورةً فنقول:

ورث القرن التاسع عشر من خلفه الجيل الاسبق روح الزندقة والكفر فكان الطبيعيون بعد الاكتشافات المستحدثة في مواليد الكون الثلاثة قصروا نظرهم الى عالم الطبيعة لا يكادون يسلمون بحقيقة شيء يعلو طور مشاعرهم وادراكهم الحسي. وعليه نظموا اسرار البيعة ومعتقدات الدين في سلك الاوهام لأنَّ حواسهم ما كانت لتدرك مثل هذه التعاليم الفائقة للعقل البشري. وكذلك المعجزات التي ترويها الكتب المنزلة وتراجم اولياء الله لانها تؤيد صحة تلك العقائد وتريح عنها برقع الريب والنكران عدَّها هؤلاء المدَّعون بالعلم أنها كلها نتيجة الخيلات او هي اعمال طبيعيَّة محضة نسبها السذَّج على زعمهم الى اسباب علوية لجهلهم بقوى الطبيعة الخفيَّة كالمغناطيس والكهرباء والسيَّالات اللطيفة

فلما ظهرت العذراء الشريفة في لورد وجرى فيها من الخوارق ما جرى وقف العلم الكاذب حائرًا مرتابًا وكان اوَّل ما فعل لمناهضة تلك الاعمال الفائقة للطبيعة انهُ التجأ الى الهزء والسخرية ظنًّا منه انها شعوذة وليس لابطال الشعوذة كالازدراء بها والاستخفاف بذويها. الَّا انَّ هذا السلاح لم يَقوَ هذه المرَّة على غلبة الحقيقة وكان عدد الشهود الاثبات الذين رأوا وسمعوا واختبروا الامور عن كثب أوفر واصدق من أن تستطيع السخرية نفي شهاداتهم

فلما حبط مسعى هؤلاء المكابرين من هذا الجانب طلبوا لهم بابًا آخر قرعوهُ مؤملين النجاح فاخذوا يقرِّفون الفتاة برنادات تارة ينسبونها واهلها الى الاغراض الخسيسة كالطمع في المال او الرغبة في الشهرة وتارةً يصوِّرونها في اعين الناس كابنة ممنوَّة بالامراض العصبيَّة والتشويش الدماغي الى غير ذلك ممَّا سوَّلهُ لهم بغضهم للامور الفائقة للاطوار الطبيعيَّة

الَّا انَّ هذه التُّهم كلها لم تثبت على التفتيش المدقِّق الذي قامت بهِ الحكومة الحاميَّة فكثيرًا ما امتحنوا الفتاة واهلها بالهبات الماليَّة فلم يقبلوا من ذلك ولا فلسًا وبقوا في عيشتهم الساذجة يتعاطون الفلاحة والطحانة. وكان أبوا الفتاة في مقدمة الذين عارضوها في صحَّة رؤاها ولم يقنعا حتى لاح لهم الامر جليًّا فخافا ان يقاوما ارادة الله اذا ما تعرَّضا لابنتهما. امَّا هذه فانَّ ارباب الدين كاهل الدولة وعمَّالها افرغوا كنانة الجهد في فحص حالتها الادبيَّة ومزاجها الطبيعي واخلاقها واستعانوا لذلك بالاطباء.

وانمة العلوم فكان جوابهم بالاتفاق انَّ الفتاة ذات آداب مشكورة صحيحة المزاج رصينة العقل ابيَّة الخلق . وبعد ان انتهت الرؤى التي عاينتها بين شهري شباط وتموز كانت تأتي الى المغارة كغيرها من الاهلين تصلي مثلهم وتختلط معهم دون ان تطلب لنفسها امتيازًا وبقيت على بساطتها وتقاها ودماثة اخلاقها الى ان بلغت الرابعة والعشرين من سنها فدخلت وقتئذٍ اعني سنة ١٨٦٩ في دير راهبات بنار اللواتي يخدمنَ المرضى في المستشفيات وعاشت بينهنَّ عشر سنوات وهي قدوة حيَّة لكل الفضائل الرهبانيَّة لاسيما التواضع الذي كان يجعلها تستنكف من كل مجد فارغ او جاهٍ زمنيّ . وكانت وفاتها كحياتها بكل هدوءٍ وطمأنينة بالٍ وسذاجة مزوَّدة بكل اسرار الكنيسة وقضت نحبها في ١٦ نيسان ١٨٧٩ في غدوة عيد الفصح حيث الكهنة يترنمون بنشيد التهليل والانتصار كأنَّ الله والسيدة العذراء ارادا ان يشركاها بالافراح السرمدية في يوم فوز ابن الله بالمجد بعد كسره لشوكة الموت . فكانت حياة برنادات ووفاتها جوابًا مسكتًا لكل من تجاسر ونسب اليها شيئًا من الغايات البشريَّة

لكنَّ اعداء الدين اذ راوا هذا الباب الاخر مرصدًا في وجههم لاسيما انَّ نبعًا جديدًا كان تفجَّر في محل لم يُعهد فيه الماء قبلًا وانَّ كثيرين كانوا يجدون فيه الشفاء من عاهاتهم عدلوا عن اقوالهم السابقة الى نسبة العلاجات الى خواص المياه التي زعموا انها ذات مزايا طبيعيَّة عجيبة . وقد اسلفنا انَّ ذلك الكلام رماه اصحابهُ على عواهنه وبان فسادهُ بفحص العلماء الأثبات للمياه كيميًا اذ وجدوها كبقيَّة المياه الجبلية الطيبة الصافية لا تمتاز عنها في شيءٍ البتة . فانَّ العلاج بالماء ينفع في كل البلاد ولكن لا يمكنه في لورد وحدها ان يأتي بتلك المفاعيل الغريبة التي لا نظير لها في بقيَّة انحاء المعمور

فلم يبقَ بعد ذلك لاولئك المتشدقين الَّا أن يلتجئوا الى الاستهواء فزعموا بان تلك العلاجات المذهلة الحيرة التي تجري في لورد انما سببها التأثير العظيم الذي يُصيب المرضى في لورد فتزيد رغبتهم في الشفاء وجهد نفسهم على توال الصحة بجدبان الطبيعة قوى عجيبة تجعلها تغلب الامراض وتبرئ الاسقام . ذلك آخر ما وجدهُ الملحدون لنكران المعجزات ونفي القوى غير المدركة التي تظهر في لورد مفاعيلها الباهرة شاء اعداء الدين لم أبوا . لكنَّ هذا الجواب كالاجوبة السابقة لا يجديهم نفعًا لانَّ الاستهواء مهما عظمت قوَّتهُ لا يعمل الَّا في المصابين ببعض الآلام العصبيَّة ولا يستطيع البتَّة في شفاء كسر

او جرح او يغيّر حالة الاعضاء فيردّ اليها المفقود منها او يفتح دمّلًا او يزيل ورمًا او ينظّف الدم من جراثيمه الفاسدة او يعيد لاعمى بصره ولاصمّ سمعهُ اللهمّ الّا بعد المعالجات الطويلة الشاقة. ويا ليت شعري كيف يعمل الاستهواء في اطفال صغار لا يقوون على فعل عقليّ. وفي لورد ترى كل يوم امراضًا متباينة من كلّ ضروب الاسقام تبرأ بمجرد الصلاة في محل ظهور العذراء او عند الطواف بالقربان الأقدس او بالاغتسال في حوض ماء الينبوع العجيب. وهذه الشفاءات ينالها الناس دون اختلاف في الاعمار كالاطفال والشيوخ والكهول او في الاديان من يهود وبروتستانت وغيرهم او في تباين العناصر والبلاد او اجناس الامراض كما سترى

ومن اغرب ما يرى في لورد ديوان طبي شُكّل منذ السنة ١٨٨٢ لهُ اعضاء من الاطباء الرسميين الذين يعقدون جلسات منظّمة في اوقات معلومة يجرون فيها فحص المرضى الواردين الى المدينة من كل اقطار المسكونة. وهذا الديوان الطبي علنيٌّ يمكن كل من شاء من الاطباء والعلماء من اي بلد او طائفة او دين كان حضور جلساته والتقارير هم نشرة تُطبع فيها نتائج فحص الاطباء وحكمهم في حالة المرضى قبل التجائهم الى البتول في مزارها او الاغتسال بنبعها ثم يفحصون المرضى بعد شفائهم ان حصل الشفاء ويقابلون بين حالتيه من مرض وشفاء دون ان يبدوا حكمًا في المعجزات تاركين ذلك الى السلطة الروحيّة ولا يكتفون به بل يواصلون المخابرات مع المرضى المبرئين مدّة سنين طويلة ليتحققوا انّ الامراض لم تعُد تفتك باصحابها ثانيةً. وهذه النشرة الصحيّة أصبحت اليوم مجموعًا فريدًا في جنسه لا يمكن احدًا ان يطلع على مضامينها الرسمية دون ان يصرخ: انّ اصبع الله هاهنا

قال الخوري برترين في كتابه المعنون بتاريخ انتقادي لحوادث لورد (١: هذا جدول للاطباء الذين حضروا جلسات الديوان الطبيّ والمرضى الذين تقرّر شفاؤهم رسميًا في الخمسة عشرة سنة الاولى بعد تشكيل الديوان المذكور: بلغ عدد الاطباء الذين اختلطوا باعضاء الديوان الطبي في لورد في تلك المدّة ٢٧١٢ طبيبًا منهم ٤٥١ من البلاد الاجنبيّة والباقون فرنسويون: ومن جملة الاطباء ثلاثة من اساتذة مكتب

L'abbé Bertrin: Histoire critique des événements de Lourdes. *Paris, Lecoffre.* 1905

باريس و٢٦ من اساتذة مكاتب فرنسة الاخرى و١٤ من اساتذة مكاتب البلاد الاجنبيَّة و٤٨ من اطبـاء او جرَّاحي المستشفيات العموميَّة و٧٥ من اللاحقين بهؤلاء الاطبَّاء والمساعدين لهم . ولكلهم شهادات صريحة نشروهـا بالطبع اعلنوا فيها بانَّ الدكتور بولساري (Dr Boissarie) رئيس الديوان الطبي في لورد والاطباء المؤزرين له كلهم يجرون في تشخيصهم على طريقـة علميَّة محضة فيجب على كل عاقل ان يقبل شهاداتهم ويقطع النظر في مطالعة كتاباتهم عن كلّ تحمُّس ديني

امَّا عدد المرضى الذين فحصهم هؤلاء الاطباء وتحقَّقوا شفاءهم الرسمي في تلك المدَّة فكان ٢٦٦٢ (هذا فضلًا عن الوفر غيرهم شفوا من اجناس الامراض دون ان يعرضوا نفوسهم على الديوان الطبيّ) فمنهم ٥٧١ برئوا من السلّ والتدرُّن و٣٩٤ من امراض الجهاز الهضميّ و٦٧ من امراض أجهزة دوران الدم و٣٤ من امراض القلب الثقيلة و٩٩ من امراض أجهزة التنفس كالبرسان وذات الجنب و٤١ من ادواء معضلة في الجهاز البوليّ و٣٨٣ من الامراض الدماغية كالجنون وما شاكلهُ و٩٦ من العاهات في الشوكة النخميَّة و٩٥ من اوجاع في الهيكل العظمي ككسر العظام واعوجاجها وفسادهـا و١٢٨ من اوجاع المفاصل و٣١ من الامراض الجلدية و٦٩ من الدماميل القيحيَّة و١٠٧ من امراض الخُدار والنقرس و١٥ من داء السرطان و٢٧ من الجروح المؤيسة و٣٤ من العمى او امراض البصر الخبيثة و٢٨ من الصمم التام

فهذه لعمري قائمة تنطق بلسان حالها عما يجري في مدينـة لورد من القوَّات التي اقرَّ العلم بصحتها حتى يصحُّ القول بان المعجزات الالهيَّة دخلت اليوم في الطور العلمي وهو امر لا نظير لهُ في التاريخ حتى زماننا فقام العلم الصادق يشهد بازاء العلم الكاذب انَّ المعجزات ليست امرًا وهميًّا مبنيًّا على الخيـال والوهم كما كان يزعم بعض ارباب الغايات بل هي حقائق رضيَّة يمكن نظرها حسًّا والبحث عن مفاعيلها المشهودة. وقد قلنا انَّ هذه القائمة لخمس عشرة سنة فقط واليوم قد تضاعفت الشفاءات المقرَّرة بشهادات الاطباء. منذ السنة ١٨٩٧ التي فيها سُردت اللائحة السابق ذكرها. وزد عليهِ انَّ اكثر من نصف المرضى الذي برئوا من اسقامهم لم يرضوا بفحص اللجنة الطبيَّـة فشفوا دون ان يبوحوا بسرّهم. ثم يجب ان يُلحق بكل هؤلاء الذين نالوا الشفاء قبل تشكيل اللجنة الطبيَّة اعني منذ السنة ١٨٥٨ حيث ظهرت البتول الى السنة ١٨٨٢ فيبلغ مجمل

عدد اولئك المعافين من ادوائهم عشرات الالوف. فيا لله ما اقوى هذه البينات للدلالة على صحة الدين وصدق المعجزات وآيات الله في خلقه

وكل ذلك فضلاً عمن شفتهم سيدة لورد خارجاً عن مزارها في كل بلاد الله وعددهم ليس بالقليل. وذلك اما بنعمة ماء نبع لورد الذي يرسل اليهم واما بتعبُّد خاص لبعض تماثيلها كما جرى في كنيسة الرهبان المعروفين بالكرجيين (Géorgiens) في الاستانة العليَّة فانَّ هناك معبداً باسم سيدة لورد حدثت فيه شفايات غريبة لمرضى وزمنى من كل الطوائف والاديان وقد كثرت حتى جمع تاريخها احد العلماء الفرنسويين سنة ١٨٨٦ (١

هذا ولسنا نزعم انَّ كلَّ المرضى الذين يذهبون الى لورد او يتوسلون الى شفاعة مريم العذراء فيها يبرأون. كلَّا ثمَّ كلَّا. فانَّ السيدة البتول تشفي من تشاء ومتى تشاء وكيفما تشاء. وعلمنا ان بعض ذوي العاهات لم ينالوا العلاج من دائهم الَّا بعد الزمن الطويل او بعد زيارة لورد مراراً متعدّدة كأن البتول ارادت ان تزيدهم ايماناً. ومنهم من لم تبرئهم البتَّة رغماً عن ايمانهم الحيّ وثقتهم التامة لعلمها بما هو انسب لنفسهم واجدى نفعاً بخلاصهم فربما كانت صحة الجسد سبباً لهلاك النفس فهؤلاء لم تُجب العذراء الى ملتمسهم بل تعوّضهم من مقصودهم خيراً افضل وأليق بحالهم

والحقّ يقال انَّ سيدة لورد شفت من المبتلين باوجاع النفس وامراض الروح اكثر ممن نجتهم من ادواء الجسد فانَّ في لورد وجد كثيرون من الخطأة والكفرة العتق من ربقة آثامهم والنجاة من اغلال كفرهم حتى اصبحت تلك المدينة اليوم كمستوقد النار يأتي اليه كل من برد قلبهُ يحبّ الارض ليضرمهُ بحب الاخرة وكالمنارة الموضوعة فوق جبل شاهق يستضيء بها المتكعون في ظلمة الاضاليل وكالقلب في جسم المكونة تجري منهُ الدماء الحيية الى اقاصي المعمور لتحيي الشعوب وتجذبهم الى خالقهم الذي لهُ وحدهُ العزّ والثناء الى منتهى الدهور

٢ تدشين تمثال العذراء في لبنان

هو الواقع الثاني الذي قصدنا لستيقاف الابصار اليه وعلاقتهُ مع الامر السابق بيّنة

(١ وهذا اسم الكتاب Notre Dame de Lourdes à Constantinople. *Paris*, 1886

جليّة. قد عُرف لبنان واهلهُ منذ سالف الاعصار بتعبُّدهم الخالص لوالدة الاله التي اتخذوها لهم كشفيعة ومحامية في كل ضيقاتهم حتى كاد يوضع صغارهم حبها مع حليب الامهات. ولو لم نجد شاهداً آخر على قولنا غير المعابد المتعدّدة التي تُكرَّم فيها السيدة البتول في كل انحاء لبنان بل في كل قرية من قراه تحت اسماء وألقاب غاية في الرقة والتفنن كسيدة البرج وسيدة الحصن وسيدة الحقلة وسيدة الزروع وسيدة النجاة وسيدة التلة وسيدة البزاز الخ لكان ذلك دليلاً كافياً على صدق قولنا (١

وقد اعتبرت الكنيسة الجامعة نفسها لبنان كأحد اقداس البتول والمقامات التي ترتاح فيها السيدة الطاهرة الى عبادة المؤمنين. وكأنها رأت بين ذلك الجبل والعذراء الجليلة اشباهاً متعدّدة ذكرتها في كتبها الطقسية وألمح اليها الاباء في كتاباتهم. ولا غرو فان الكنيسة والاباء وجدوا في الاسفار المقدّسة اوصافاً للبنان تنطبق مع كمالات البتول الجيدة فاستعاروها لمديح مريم فتارةً يخصّون باطرائها ما يقولهُ الكتاب في مفاخر لبنان كقول اشعيا (٣٥: ٢): «قد أوتيتِ مجد لبنان» وقوله (٦٠: ١٣): «مجد لبنان يأتي اليكِ» وتارة ينسبون الى فضائلها روائح لبنان العطرية التي يعظمها الروح القدس في سفر نشيد الاناشيد (٤: ١١) ونبوّة هوشع (١٤: ٧) وطوراً يشيدون ببهاء شخصها ويعارضونهُ بجمال زهور لبنان (نحوم ١: ٤) او بنشوة خمره الطيبة (هوشع ١٤: ٨) وآنات يعظّمون قدرتها كقوة السيول المتحدّرة من لبنان (النشيد ٤: ١٥) او كطوده الشامخ الناطح برؤوسه عنان السماء (المزمور ٧١: ١٦) وكثيراً ما كرروا على مثال الاسفار المنزلة ذكر ثلج لبنان (ارميا ١٨: ١٤) وارزه الشهير (المزامير ٢٨: ٥ و٩١: ١٤ وابن سيراخ ٢٤: ١٧ وحزقيال ١٧: ٣) فشبهوا بالاول طهارة البتول وخلوّها من اثر كل دنس وخطإ. وبالثاني عزّها وطيب عرفها وصبرها على الزمان دون فساد حتى دعوها بأرزة لبنان واضحى ذلك كاحد الالقاب المميزة لها

على انَّ هذه المناقب التي قرّبت لبنان من مريم واستعطفت انظار مريم الى لبنان بقيت مكتومة في قلوب اهل ذلك الجبل وفي باطن كتانسهم كما يتجلّى الملك لاهل رعيّته في داخل بلاطه فيتقبّل منهم مظاهر اكرامهم وفرائض تعبُّدهم. على انَّ للملوك مواقف

١) الطلب الكتاب الذي انجز طبعه حديثاً حضرة الاب غودار اليسوعي في مزارات العذراء في لبنان (J. Goudard: *La Sainte Vierge au Liban*)

أخرى يظهرون فيها لشعوبهم علانيةً بل عزهم وشرفهم لا يحجبهم عنهم حاجب يرون اهل بلادهم ويراهم هؤلاء فتتبادل بينهم مجالي الحب وتتواثق عُرى الاتحاد

وممّا وضعهُ المسيحيون لهذه الغاية السامية في بلاد متعدّدة أنّهم اختاروا رؤوس جبالهم ليقيموا في مشارفها تماثيل فخيمة للعذراء ليقع من ثمّ نظرها الوالدي على جميع اطراف البلاد فتصونها من كل المصائب والاضرار. وكان لبنان حتى اليوم خلوًا من تمثال كهذا يكون لهُ كحربة الصاعقة تردّ عنهُ كل الافات والبلايا

فلما كانت السنة ١٩٠٤ وفيها وقع يوبيل العام الخمسين لإعلان قضيّة الحبل بلا دنس رأى غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة الجليلة مار الياس الحويك الكلي الطوبى والجزيل الاحترام ونيافة الطيب الذكر المثلث الرحمات السيد كرلوس دوفال القاصد الرسوليّ على سوريّة ان يخلدا ذكر تلك السنة المباركة باقامة اثر خطير في لبنان ألا وهو تمثال عظيم يقام في مكان مرتفع ويكون هناك كنار على علم يراهُ الناظر حيثما سار

وممن سعوا في اخراج هذا الفكر الصالح الى عالم الوجود حضرة الاب الفاضل الهمام لوسيان كاتين رئيس رسالتنا السوريّة وحضرة الاب بيره كاتب اسرار القصادة الرسوليّة سابقاً ورئيس الرسالة الدومينيكيّة حالًا في بلاد ما بين النهرين فعُقدت لذلك الاجتماعات وتعيّنت لجنة من السيدات الكريمات في البلدة لجمع النفقات الكافية لهذا المشروع. ولا حاجة الى تعداد كل ما ابداهُ الاهلون في بيروت وجهات لبنان من الاريحيّة والحميّة الدينية في بلوغ تلك الغاية الشريفة تاركين لهُ تعالى الذي لا يدع كاس الماء البارد المعطى باسمهِ دون جزاء أن يكافئ بفيض نعمهِ كلَّ من تبرّع بمالهِ لهذا المقصود كثيرًا كان او قليلًا ونحن نعرف انَّ فلس الارملة الفقيرة كثير في عين ذلك الذي يرى القلب قبل الهبة والنيّة قبل العطاء.

وما يمكننا التصريح بهِ انَّ التمثال مع البناية التي هي تحتهُ كلّف نحو خمسين الفًا من الفرنكات جُمع منها النصف من هبات المحسنين في هذه البلاد وتبرعت بالقسم الاخر ايدٍ كريمة طلبت ان تبقى مجهولةً لئلا يُبخس جزاؤها عند الله. أمّا المكان الذي شُيّد فيهِ الاثر فقد قدّمهُ مشاطرةً لهذا العمل المبرور غبطة السيد البطريرك ونيافة القاصد الرسولي

وشخص البتول الطاهرة ليس هو كشخص سيدة لورد وانما هو ممثل لدمية اخرى من دُمى سيدة الجبل بلا دنس فهو على هيئة صورتها التي ظهرت فيها سنة ١٨٣٠ لراهبة المحبة كاترين لابوره في باريس وحوطا هذا الدعاء: « يا مريم البريئة من الخطيئة الاصلية صلي لاجلنا نحن الملتجئين اليك (١) » فتوافق اذن كل الموافقة يوبيل اعلان عقيدة الحبل بلا دنس ويوبيل هذه السنة اذ كان ظهور العذراء الطاهرة في لورد لتأييد تلك العقيدة عينها . وهذا التمثال غاية في الورع والبهاء والجمال تلوح منهُ لوائح العفاف والجلال الملكيّ

وقد سبك هذا التمثال احد معامل فرنسة يتولّاهُ المسيو دورانْ (Durenne) من اقارب فقيد الرسالة اللعازريَّة الطيب الذكر الاب فرنسيس بوتي وقد قام بهذا العلم احسن قيام ورضي في حقهِ بما هو دون قيمتهِ جودًا وكرمًا وقد جعلهُ ١٢ قطعة وثقلهُ ١٤,٠٠٠ كيلو وبلغ محمولهُ مع صناديقهِ عشرين طنًا وهو الذي عُني بارسالهِ الى بيروت فوصلها تامًّا صحيحاً

وكان نقل هذه القطع الثقيلة من المركب الى البرّ يقتضي تعباً شاقًّا الّا انَّ همة مدير المرسى العام المسيو بورگان (Mr Bourgain) ونائبهِ في اشغال المينا المسيو فلامان (Mr Flamand) قويت على كل المصاعب وأُنزلت الصناديق سليمة صحيحة . ولمَّا علم المأسوف عليهِ صاحب الدولة مظفَّر باشا بان التمثال على رصيف بيروت ارسل تلغرافيًّا الى الاستانة العليَّة يطلب من المرجع الاعلى الرخصة بادخالهِ الى لبنان فتلطَّفت الحضرة العليَّة السلطانيَّة حفظها الله واعانت بارادتها السنيَّة بان تجري لذلك كل التسهيلات اللازمة . ثمَّ نُقلت الصناديق الى محطَّة صربا على ثلاثة قطارات ومنها جرَّها على عربات ضخمة عشرون رأساً من الخيل في اواخر تموز من السنة ١٩٠٦

وكان في تلك الاثناء جناب المهندس الفرنسويّ البارع المسيو جيو (Giot) قد وضع رسماً للبناية التي فوقها يُنصب التمثال . وما هذه البناية غير معبد لطيف ذي سعة كافية لنحو مئتي شخص طولهُ ثمانية امتار في مثلها عرضاً ولهُ مدخل سعتهُ خمسة امتار طولًا في مثلها عرضاً . واذا دُهن ونقش وتمت زينتهُ يكون من اجمل معابد لبنان

---

١) راجع في المشرق (٤:١٠٣٩) خبر هذه الرؤيا بتفاصيلها لاحد اساتذة مدرسة عين طورة العامرة

وأدعاها الى العبادة والتقى. وعلو هذا البناء ٢٢ متراً وهو على شكل مخروط وسوف يزيّن خارجهُ بانواع النبات وضروب الازهار فيصبح أنسب موطئ لقدمي العذراء التي تجعل الكنيسة على لسانها قول سفر النشيد (٢:٥) : « أحدقوني بازهار الروض »

وقد تمّ هذا البناء في اوائل السنة الجارية بهمّة الفاضل ابراهيم افندي مخلوف. ثمّ نُصب التمثال فوقهُ فكان علوّ المشهد كلهِ لا يقل عن ٣٧ ذراعاً يُرى على بُعد خمس ساعات . وقد جُعل وجه البتول مائلاً الى جهة بيروت لتبارك تلك المدينة خصوصاً اذ هي مركز الولاية ومرسى لبنان وفيها الممثلون لكل الطوائف المسيحيّة الشرقيّة والغربيّة

ومن يتوقّل الى مقام هذا الاثر الجليل يتحقّق أنّهُ قلما يوجد في انحاء المعمور مكان مثل هذا جامع لكل محاسن الطبيعة فكأن السماء والارض والبحر توافقت في زخرفتهِ وتنميقهِ بالبدائع وقد اجتمعت فيهِ طرائف الاعمال البشريّة مع كل مباهج الكون . فنعم العرش الفخيم لتلك التي ندعوها في صلواتنا « سلطانة السماوات والارض ». وحول هذا العرش السامي لبنان بآكامهِ الخضراء ومناظره الفتانة وثلوجه الغرّاء مع عدد من القرى الزهيّة والاديرة العامرة للموارنة والروم الكاثوليك والمقامات الشريفة للبطاريركيات الشرقية الكاثوليكية كبكركي للموارنة والشرفة للسريان وبزمّار للارمن فتحققت نبوّة البتول بانّ الشعوب كلها تجاهر بتطويبها

امّا حفلة تدشين هذا التمثال والمعبد الذي في اسفلهِ فانّها قد جرت بأبهة وعظمة لا نحاول هنا وصفها لما يقتضيهِ الامر من طول الشرح وانّما نُحيل القرّاء الى ما كتبتهُ في ذلك جميع الجرائد الوطنيّة وفي مقدّمتها جريدتنا البشير فانّ هناك من التفاصيل الشائقة ما يبهج القلب ويفعم الصدر رجاء وحبّاً . وناهيك القول بانّ هذه الحفلات التي لا تبرح من ذاكرة الذين شاهدوها قد ترأسها غبطة السيد البطريرك الذي رأى عند قدمي البتول لبنان كلهُ مجتمعاً معلناً بايمانهِ المستقيم ومعترفاً بفضل السيدة التي حفظتهُ بعينها الساهرة من كل الشرور في طول الاجيال وقد احتفل غبطتهُ بقداس حبري يكتنفهُ سيادة اساقفة طائفتهِ الاجلّاء ثم ألقى خطبة نفيسة في محامد سيّدة لبنان استفزّت لها الارواح وطربت الالباب

وهناك ايضاً قد تصدّر نيافة القاصد الرسولي السامي الشرف السيد فريديانو

تمثال سيّدة لبنان

جيانيني شاكرًا لله على انهُ مكنهُ من مشاهدة هذا الاثر الجليل بعد ان كدَّ وجدَّ في انجاز نيات سلفهِ المبرور فجازاه الله بنظرهِ تامًّا كاملًا مع قربهِ من دار القصادة الرسوليَّة في لبنان حيث تسكب البتول فيض نعمها على نوَّاب الكرسي الرسولي وتقوّيهم على رفع شان الكنيسة الرومانيَّة وتعزيز الدين الكاثوليكي المستقيم في شرقنا العزيز

وقد قام نيافتهُ بتدشين المعبد والتمثال على وفق الرتبة المقرَّرة في الكتب الطقسية فطاف بالمعبد مصليًا ورقي الى اوج المنارة حيث شخصُ البتول فباركهُ ونضحهُ بالماء المصلَّى وطلب الى العذراء ان يكون ذلك المقام معدن نعمة وبركات على كلّ من يؤمهُ زائرًا

وقد كان سيادتهُ سبق وارسل الى الاعتاب الرسولية رسالةً برقية يعلم بها قداسة الحبر الاعظم بالحفلة التي اتفق مع غبطة السيد البطريرك على عقدها في ذروة لبنان. فاجاب نيافة الكردينال ماري دلتال كاتم اسرار قداستهِ بنبا برقيّ انَّ امام الاحبار يشكر ويبارك زعماء تلك الحفلة والاكليروسين اللاتينيّ والشرقي والشعب كلهُ

وكان الكرسيّ الرسولي بايعاز سيادة القاصد تكرَّم بمنح نعمة أُخرى لمقام سيدة لبنان وهي: ١ً غفران كامل على الشروط المعلومة (اي الاعتراف بالخطايا وتناول القربان الاقدس والصلاة على نيات الحبر الاعظم: يربحهُ اوَّلًا كل من يزور معبد سيدة لبنان يوم التدشين وثانيًا الجموع التي تقدم الى زيارة هـذا المقام في ايّ يوم كان من ايام السنة. ٢ً غفران غير كامل سبع سنين وسبع اربعينيات ينالهُ كل زائر يزور المعبد بشواعر التقوى والعبادة وذلك في كل يوم من ايام السنة - فلا نلبث ان شاء الله ان نسمع قريبًا بتوارد اهل لبنان الى هذا المقام الجليـل فيجاهروا بتعبُّدهم المألوف نحو والدة الاله وشفيعة جبلهم المبارك لتفيض عليهم ينابيع نعمها وتصونهم من كل اضرار النفس والجسد. امين اللهمَّ امين

ونختم هذه الاسطر بذكر الكتابة اللاتينيـة التي نُقشت على رخام وجُعلت في جدار داخل المعبد الجديد وهي ملخص ما رويناهُ في الصفحات السابقة:

Cui gloria Libani data est per sæcula
B. M. V. Deiparæ Immaculatæ
Hoc monumentum
L.mo a pontificia definitione anno recurrente
Communi consilio inceptum
Delegatio Apostolica Syriæ
Atque Antiochenus Syro-Maronitarum Patriarchatus
Ad finem feliciter perductum
Ex voto dedicarunt
Solemniterque consecrarunt
Anno Domini MCMVIII
L.mo tum ab apparitionibus ad oppidum Lourdes
Tum ab initio Sanctissimi Patris
Pii Papæ X Sacerdotio.

(تعريبهُ) كرَّست هذا الاثر الديني قصادة سوريَّة الرسولية والبطريركية المارونية الانطاكية بعد اتفاق كاتبيها على المباشرة به وانجازهما له باليمن والسعد. فاوفتاهُ نذرًا لمن أوتيت مجد لبنان الطوباويَّة مريم العذراء والدة الله البريئة من كل عيب في السنة الخمسين من تحديد الحبر الروماني لعقيدة الحبل بلا دنس واحتفلتا بتدشينهِ في السنة المسيحية ١٩٠٨ الرافقة للعام الخمسين من ظهور السيدة في لورد ومن كهنوت الاب الاقدس بيوس العاشر

الى سيدة لبنان

أيا جبل الله الجليل ألا افتخرْ بمريمَ أمّ الربّ مالكةِ القدسِ
اتتكَ بثوبٍ شبه ثلجك طاهرٍ وحسنٍ بلا مثلٍ يفوقُ على الشمسِ
لها عرف فضلٍ فوق زنبقك البهي تعطّر ارواحَ الملائكِ والانسِ
تمدُّ يديها بالهبات لمن يشا فحاشا لأمٍ أن تخيّب ذا البؤسِ
فهيّا بني لبنان أمّوا لذا الحمى تنالوا مُنى الدارَين للجسم والنفسِ

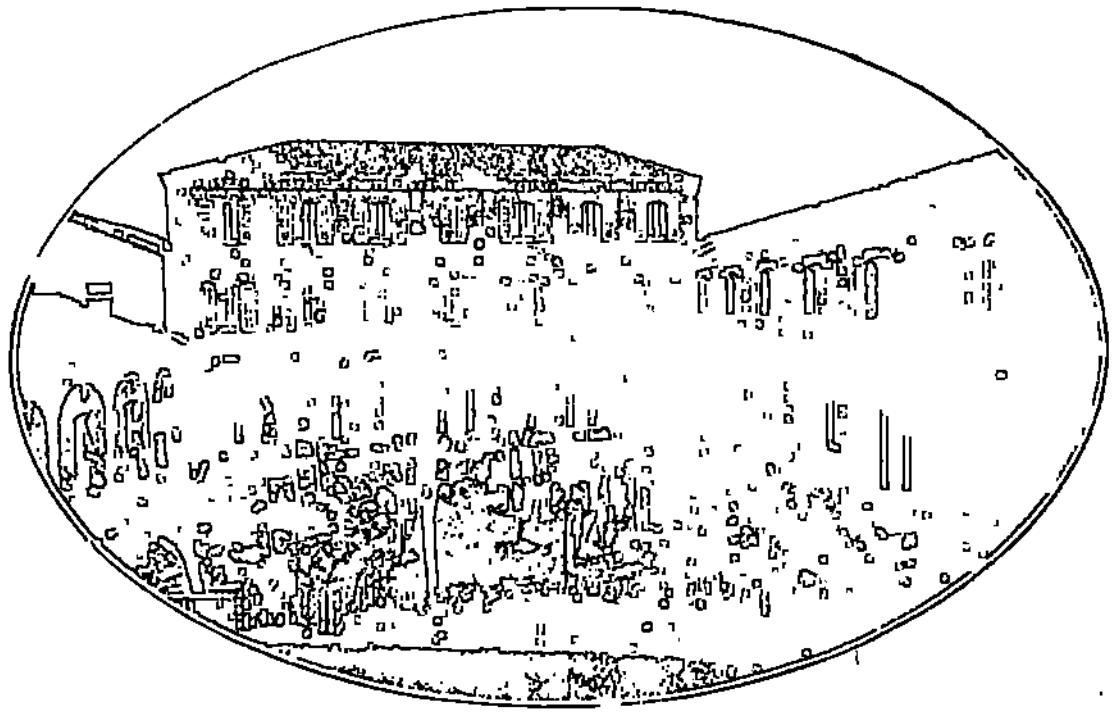

صورة المكتب الطبي الحالي

العرس الفضي للمكتب الفرنسوي الطبي

للاب موريس كولنجت اليسوعي وللدكتور هنري نكر
من اساتذة المكتب الفرنسوي الطبي

دخل مكتبنا الطبيّ الفرنسويّ في العام الخامس والعشرين لانشائهِ . فلم يشأ مديروه الافاضل ان يدعوا هذه الفرصة دون اقامة عيد خصوصيّ يكون في تاريخ هذا المكتب كختام الطور الاوّل من حياتهِ وافتتاح طور جديد لمستقبلهِ على مثال البيوتات الكريمة التي تقيم الأفراح بعد مرور ربع قرن على نشأة أسرها فتدعو ذلك الموسم بالعرس الفضيّ تفاؤلًا ببلوغها الى ما هو اعزّ وأرقّ شأنًا اي العرس الذهبيّ . واوّل ما يحقّ علينا الشكرُ الحميم للمولى الوهّاب الذي في هذه المدّة كلها افاض على هذا العمل سجال فضلهِ وسوابغ نعمهِ فرفّاهُ من حضيضهِ الى المقام الذي اصابهُ اليوم فلا زالت عينهُ اليقظى ترعاهُ ويدهُ القديرة تكلأهُ من مكايد الزمان . ثمّ نرفع الى العرش الحميدي السامي أيّدهُ الله فرائض الاكرام والعرفان بالجميل لما نالهُ المكتب الطبي من ألطاف الحضرة العليّة الشاهانية من الامتيازات التي اعلت قدرهُ وجعلتهُ في مقام ترنو اليهِ الابصار وتطمح اليهِ الامال . جعل الله ايام المتبوع الاعظم في دوائر السعد دائرة وفي افلاك العزّ سائرة ما كرّ زمان وتوالى الملوان . كما أننا نقدّم للحكومة الفرنسويّة واجبات الشكر اذ لم تنفك عن شمول هذا المكتب بنظرها فانّهُ من اكبر الشواهد على فضلها في جهات الشرق يأمنها الله امانيها الطيبة وصانها من كل آفات الدهر

ولا ريب في أنّ الاهلين يحبّون ان يطّلعوا على مجمل اعمال هذا المكتب في مدّة ذلك ربع الجيل ليقفوا على بعض تفاصيل اخباره فيشاركوننا في تأدية الشكر الى صاحب كلّ نعمةٍ واحسان مع رفع اكفّ الدعاء اليهِ تعالى ليديم عليهِ آثار جودهِ اذ انّ هذا المشروع لا غاية لهُ سوى مجدهِ عزّ وجلّ بنفع البلاد وخدمة العباد

*

﴿ تاريخ المكتب ﴾ كان ظهور المكتب الطبي الفرنسويّ في بيروت في

خريف سنة ١٨٨٣ بعد ان اتفق على فتحه حضرة الاب ريمي نورمان رئيس الرسالة السوريّة ووزراء الدولة الفرنسويّة مع مصادقة الدولة العلية . وكان من اكبر السعاة بهذا الامر زعيم الحكومة الفرنسويّة المسيو لاون غمبّاتا ووزراء الخارجيّة سنت هيلار ودوكلار وجول فرّي وغوبله وكلهم معروفون بميلهم الى معاكسة الدين في وطنهم الّا انّهم رأوا في هذا المشروع شرفاً لبلادهم وخدمةً للانسانيّة بتهذيب اطبّاء نطاسيين لا يجهلون شيئاً من اسرار الاكتشافات الحديثة لعلاج المرضى وحفظ الصحة العموميّة

نشأ المكتب الطبيّ صغيراً حقيراً شأن كلّ المواليد الطبيعيّة ولم يعلم الناس ما يكون من امر هذا الطفل الرضيع أيقوى على صروف الدهر ام لا وكان بعض كهّان السوريين لان المولود لا يعيش مع ما يتهدّده من المصائب والآفات وجاهروا بسوء ظنهم فيه وتهكّموا بمنشئيه . لكنّ هؤلاء وجدوا في نائب المسيح قداسة الطيب الذكر ورجل العصر لاون الثالث عشر ما وطد آمالهم فكرّروا أمامهُ كلمة بطرس الى سيّدهِ لمّا امره بصيد الاسماك : « بكلمتك القي الشبكة »

وكان افتتاح المدارس الاولى في بناء لاحق بكليّة القديس يوسف ليس فيه غير حجرتين واسعتين يصل بينهما رواق مسقّف وكان عدد المعلمين اربعة بين يسوعيين ودكاترة عالميين وكان التلامذة تسعة فقط منهم اثنان للصيدلة والبقيّة للطب

امّا رئاسة المكتب فكانت ولم تزل في ايدي آباء الرهبانية اليسوعيّة . على انّ هذه الرئاسة كان يتقلّدها رئيس الرسالة العام او رئيس المدرسة الكليّة . وهم اربعة من السنة ١٨٨٣ الى ١٨٩٥ اعني بهم الاباء يليان هنري وبيار لوفاثر وفرنسوا تيراس واتيان كلاره . واتخذوا لهم منذ السنة الثانية ١٨٨٤ مساعداً باسم كنشليار لتدبير امور المدرسة والعناية بادارتها والاهتمام بكل شؤون اساتذتها وطلبتها . فتولى هذه الرتبة الاباء هيبوليت مرسليه (مرّتين) وادوار دي جيغور ويوسف ارتفاج . ثمّ ضبط ازمّة الرئاسة وتدبير المكتب الطبي معاً حضرة الاب لوسيان كاتين من السنة ١٨٩٥ الى السنة الجارية . ولكل هؤلاء الرؤساء من الآثار الحسنة التي تنطق بفضلهم حتى الان . لكنّ للرئيس الحالي من ذلك ما يفوق على كل ما سبق اليه لسلافة كما تشهد عليه الاعمال العديدة التي قام باعبائها

تلك كانت حبّة الخردل التي زُرعت في العام الاوّل سنة ١٨٨٣ . ومن يعارض

حالتها اليوم بحالتها في تلك السنة وجد انَّ تلك الحبَّة اضحت شجرة باسقة الاغصان وارفة الاظلال تأوي اليها طيور تقبل اليها من كل وجوه السماء فيعرف بهذه المقابلة نموَّها العجيب. على انَّ هذا الترقي ليس هو بعمل يوم واحد وانَّما هو نتيجة خمس وعشرين سنة من كل ضروب الاتعاب ومجموع المساعي ووحدة الهمم المتواصلة التي لم ينقطع منها طرفة عين اصحاب هذا المكتب الطبي

ومما لا يسعنا السكوت عنهُ انَّ قناصل الدولة الفرنسويَّة الفخيمة في الثغر استفرغوا الوسع في تعزيز هذا المشروع وترقيتهِ في معارج الفلاح والتقدُّم مباشرة بالسريّ الامجد المسيو باتريمونيو ثم الوجوه الافاضل دي بيتيفيل ثمَّ غويو ثمَّ سان رينه تيلانديه ثمَّ جوليه ثمَّ سوار ثم بوبر ديكرتور ثمَّ دي سرسه والقنصل الثاني بيان ثمَّ سعادة القنصل الحالي فوك دوبرك. ولكلهم تقارير قدَّموها لوزارة الخارجيَّة في فرنسة تُصرّح بنجاح المكتب الطبي ونتائجهِ المشكورة لخدمة الوطن

وكذلك الوكلاء الذين كانت الدولة الفرنسويَّة تعيّنهم لنظارة المدرسة وبيان احوالها قد اثنوا بصوت واحد على تقدُّم المكتب الطبي وسعوا طاقة جهدهم في توسيع نطاقهِ وتنظيم بعض فروعهِ وتجهيزهِ بكل الادوات للقيام بلوازمهِ لئلَّا ينقص شيئاً عن مكاتب الطب الكبرى في حواضر اوربَّة

وكانت السنون الثلاث الاولى سني درسٍ واجتهاد يسعى المعلمون والطلبة في تحقيق الآمال المبنية عليهم وقلوبهم مع ذلك تتنازعها العوامل المتباينة من نجاح المكتب او حبوطهِ. وكان عدد الاساتذة في السنة الثالثة قد بلغ التسعة . منهم ثلاثة يسوعيُّون والباقون عالميُّون. أمَّا الطلبة فبلغوا ١٠٢٨ خلا ٧ طالبي الصيدلة

وممَّا انهض آمال المكتب في السنة الرابعة انَّ الدولة الفرنسويَّة ارسلت لجنتها لاوَّل مرَّة لفحص التلامذة وكان رئيسها الدكتور ڤيلجان (Villejean) فسُرَّ اعضاء اللجنة ايَّ سرور من نجاح الطلبة ومنحوهم الشهادة الطبيَّة وطلبوا الى الوزارة بان تمنح المكتب امتيازات ونعماً جديدة فاجابت الحكومة الى ملتمسهم وجعلت هيئة التعليم كما في مكاتب اوربَّة العليا وقضت بان تكون الدروس اربع سنوات لكل الطلبة دون تمييز. ومن نعمها انَّها نظَّمت ايضاً الدروس الصيدليَّة وعيَّنت شروطها وادخلتها في سلك المكتب الطبيّ بعد ان كانت ملحقةً بهِ لا يُعلم أتكون اختياريَّةً دون شهادة

رسميَّة ام تُلغى تماماً. وكان الدكتور ريمي (Rémy) رئيس اللجنة الثالثة عضد بكل قوَّته هذا المشروع فقاز به سنة ١٨٨٨

على انَّ الشهادة الطبيَّة الممنوحة من المكتب الفرنسويّ ما كانت لتنفع اصحابها وتجيز لهم مزاولة مهنتهم الَّا بان تُصادق عليها الدولة العليَّة فجرت المخابرات في ذلك بين الدولة العليَّة والحكومة الفرنسوية وبعد امتحانات شتى لم تأتِ بنتيجة مرضيَّة صار القرار بين الدولتين بان كلًّا منهما تُرسل لجنةً من الناحصين كلَّ سنة فتمنح الشهادة لمستحقيها على سواء. فكان هذا الوفاق مدعاةً لشكر الاساتذة والطلبة يعدُّونهُ من اكبر النعم التي خوَّلتهما الحضرة العليَّة السلطانيَّة للمكتب الطبيّ الفرنسويّ. وقد بوشر بهذا النظام لاوَّل مرَّة في ١٥ شباط ١٨٩٩ فتشرَّف المكتب مذ ذاك الحين بزيارة ابرع اساتذة المكتب السلطاني الافخم كاصحاب الدولة مزهر باشا وخير الدين باشا وشاكر باشا ومحمود باشا حقي واصحاب السعادة خيري بك رفعت ومصطفى بك شوقي واسماعيل بك جلال وتوفيق بك واجد وخالد بك وفخري بك ويوسف بك رامي واسعد بك درويش واسماعيل بك وعلي بك. وكان تحضر اللجنتان تستقبلهما عمدة المكتب استقبالًا غاية في البهجة فتصدح الموسيقى بالنشيد الحميدي والنشيد الفرنسويّ واذا تمَّت جلسات الفحص تُعقد حفلة شائقة يتصدَّرها القنصل الفرنسوي فتعلن امام اللجنتين اسماء الذين استحقُّوا الشهادة فتوزَّع عليهم وألسنتهم تلهج بالدعاء للمتبوع الاعظم ولثبات عرش جلالته مخلَّدًا

وها عشر سنوات قد مرَّت على انشاء هذا النظام الذي ازال كل العقبات في سبيل طلبة المكتب الطبي ففتح لهم طريقًا واسعًا لبلوغ امانيهم. ومذ ذاك الحين تقرَّر ايضًا سياق الدروس وزاد إقبال الطلبة على المكتب المذكور فتواردوا اليهِ من كل ولايات الدولة العليَّة لا بل من كل الجهات المجاورة لها كالعجم واليونان ورومانية

ومما اجداهُ نفعًا انشاء مكتب اعدادي منذ سنتين يتهيَّأ فيهِ طلبة الطبّ بالدروس الثانويَّة التي تؤهلهم لاحراز العلوم الطبيَّة كاتقان لغة التدريس اي اللغة الفرنسويَّة ودرس اصول المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعيَّة والرياضيات وكل ما من شأنهِ ان يمهِّد عقول الشبيبة لدرس الطبّ وملحقاتهِ وهذه السنة الثانية لانشاء هذا المكتب الاعدادي الذي نجح نجاحًا جاوز الامال وطلبتهُ هذا العام ٤٠. ومن منافعهِ توحيد قوى التلامذة

وترشيحهم للطب على طريقة متناسبة بعد ان تلقّوا الدروس في مدارس متعددة تختلف اسلوباً ونظاماً ومواد تدريس

﴿ دروس المكتب الطبي ﴾ كان الطبّ قديماً ينحصر في امور قليلة اخصّها: درس الجسم البشريّ ومعرفة ما يعتريه من العاهات ثمّ البحث عن الطرائق العلاجيّة لشفاء تلك العلل. ومنذ توفّق ارباب الطبيعة الى الاكتشافات الجديدة بواسطة الجاهر المكبّرة وبمعرفة العوامل المجهولة سابقاً كالنور والكهرباء وبالوصول الى تركيب الادوية الآليّة وغير الآليّة قد انفتحت للاطباء ابواب جديدة لا نُدحة لهم من قرعها. ودونك اخصّ العلوم التي ينبغي لطلبة الطبابة درسها وقد تعيّن لكلها اساتذة متضلّعون في مكتبنا الطبي

١ (علم الابدان وتركيبها) يقتضي هذا العلم معرفةً تامّة للجسم البشريّ وبنيته وتركيب اعضائه ودرس كل عضو بمفرده وما يتألف منهُ من عظام ولحم وغضاريف وعروق وشرايين الى غير ذلك من العناصر. وهذا العلم يُدعى ايضاً بعلم الاناتوميا او تشريح الاعضاء

٢ (علم تركيب العظام) ويدعى ايستولوجيا هو علم مستجدّ تفرّع من العلم السابق وصار مستقلاً بذاته مذ بيّنت النظّارات المكبّرة مركبات العظام وأليافها وخلاياها الاوليّة وغرّها وعلّلها الطارئة عليها

٣ (علم قيام الحياة) وهو الفيسولوجيا يبحث عن المظاهر الحيويّة التي تُرى في الحيوان عموماً وفي الانسان خصوصاً ويشمل وظائف الاجهزة افراداً واجمالاً في قوام الحياة وحفظها وتنميتها. وهو ايضاً من فروع علم الابدان المستحدثة

٤ (الطبابة) غايتها درس الامراض الباطنة التي تصيب البدن وما يلحق بذلك من تشخيص المرض ومعرفة اسبابه ومفاعيله وطرائق علاجه. وتُعرف بعلم الباثولوجية الذي ينقسم الى علمين الباثولوجية الباطنة والباثولوجيّة الخارجة

٥ (الجراحة) اي معالجة الجروح كانت سابقاً تُضمُّ الى الطبابة وهي اليوم مستقلّة بذاتها لوفرة الوسائل الجديدة لشفاء الجروح واجراء العمليات الخطيرة التي ما كانت لتدور على خلد القدماء

٦ (علم الادوية) وهو ايضاً من فروع علم الطبابة الذي تفرّد عنها بعد

اكتشافات الازمنة الاخيرة ليعلم بهِ خواص كل دواء وطريقة استعمالهِ في الادواء

٧ (علوم النبات والحيوان والجراثيم المدية) العلمان الاوَّلان يفيدان الطبيب من حيث علاقتهما مع الانسان. امَّا العلم الثالث فهو علمٌ مستجدٌ منذ اكتشافات العلَّامة بستور الذي اظهر للاطباء عالماً جديداً لا غنى لهم عن معرفة قاصيهِ ودانيه وقد دُعي هذا العلم بالبكتريولوجيا او علم الميكروبات فيعرِّف تلك الجراثيم الدقيقة التي لا ترى بمجرَّد العين وما لها من العلاقات بالامراض والعُدويات ويبين الوسائل لنفي تلك الجراثيم الوبيئة او مناهضة عملها والاتقاء منها

٨ (علم الصحَّة) هو علم عمليٌّ غايتهُ صيانة البدن من الامراض وتعريف ما ينفع لذلك

٩ (علم الكيميا الطبيَّة) يبحث عن تركيب العناصر الطبيعيَّة وتحليلها من حيث علاقتها مع الجسم والصحَّة

١٠ (علم الطبيعيَّات) للطبيعيَّات علائق متعدِّدة مع الطبِّ لا بُدَّ من درسها. وممَّا أُضيف اليها منذ عشر سنين فقط العلاج بالكهرباء وباشعَّة رنتجن. وهو علم يتَّسع نطاقهُ يوماً بعد آخر

١١ (علم التوليد) غايتهُ الحرص على مبدإ حياة الانسان وعلاج الادواء التي تصيب الوالدات عند مولد اطفالهنَّ

١٢ (علم الصيدلة) هذا العلم مختصٌّ بتركيب الادوية مع قطع النظر عن الامراض واصحابها وهو علم منفرد يختصُّ بهِ بعض الدارسين ممن لا ينوون معالجة المرضى بنفسهم وانَّما يستحضرون ما وصف بهِ الطبيب

فكلُّ هذه العلوم كما ترى لا يمكن الطلبة احرازها الَّا بعد الشغل الطويل وكثرة المطالعة والدرس ويتفرَّع منها فروع أُخرى كعلم امراض العيون واعراض الاذان وعلوم أُخرى ثانويَّة لا نأتي بذكرها. ومن تعداد العلوم السابقة يستدلُّ القرَّاء على ما احتاج اليهِ مكتبنا الطبي من الاتعاب والنفقات لينال اعظم المكاتب الطبيَّة الاوربيَّة. ولما كان للاطباء واجبات وفرائض خصوصيَّة تلزمهم بسبب علاقات مهنتهم بالحياة البشريَّة وبحفظ الهيئة الاجتماعيَّة. عُهد الى احد الاباء القاء الخطب في كل اسبوع على طلبة الطبِّ لشرح الآداب الطبيَّة وما يترتَّب على الطبيب للقيام باعباء وظيفتهِ

خدمةً للانسانيَّة ودفعاً للمضارّ التي تنجم عن سوء معاملته للمرضى والمسقومين

﴿ معاهد المكتب الطبي ﴾ قلنا انَّ اوَّل ما أُنشئ هذا المكتب في سنة ١٨٨٣ لم يكن له غير حجرتين مع مُسقَّف في وسطهما. لكنَّ ترقي الدروس وازدياد عدد الطلبة اضطرَّ اصحابهُ الى ان يشيِّدوا بعد ثلاث سنين بناء كبيراً ذا طابقين أُلحق بالبناء الاوَّل فخُصَّت معاهد كافية بالطبيعيَّات والكيميا والتشريح. وأُفردت في الطابق الاوَّل معاهد أُخرى للمكتبة التي تجمع اليوم نيِّفاً وعشرين الف كتاب طبي ثمَّ للمتحف الطبي الذي عُرضت فيهِ قطعٌ متعدِّدة من الاجهزة الطبيعيَّة والمركبات المصنوعة على هيئة الجسم البشريّ وامثلة الامراض الجلديَّة وامراض العيون والادوات الطبيَّة والجراحيَّة وهياكل الحيوانات المصبَّرة. وهناك ايضاً ديوان واسع تنعقد فيهِ الجلسات الرسميَّة وتُقام فيهِ الامتحانات السنويَّة على جوانبهِ خزانات فيها ٥٠٠ قطرة تحتوي مجاميع لحشائش لبنان ونباتات سوريَّة يبلغ عددها عدَّة الوف جمعها الابوان اليسوعيان فنسان وبوارا مع اربع مجاميع من جنسها اهداها للمكتب جناب الافاضل الدكتور جول روفيه احد اساتذة المدرسة سابقاً والمرحوم المسيو بلانش مدير جمعيَّة سكَّة بيروت الى دمشق والخوري تيلّه (Tillet) من كهنة مدينة ليون والدكتور فيو (Dr Viaux-Grand-Marais). وفي هذا الطابق عينهِ في طرفهِ الشرقيّ معبد خاصّ بالمكتب الطبيّ تُقدَّم فيهِ كل يوم احد الذبيحة الطاهرة يحضرها الاساتذة والطلبة المسيحيون معاً

اما الطابق الاسفل فخصَّ بغرف مختلفة منها غرفتان كبيرتان للمدارس فيهما المقاعد على شكل نصف الدائرة يترقى بعضها فوق البعض. وغُرف أُخرى لادوات العلوم الطبيعيَّة وللمركَّبات الكيموية وللاختبارات الصيدليَّة ودواوين لاستقبال المرضى وفحصهم

وفي السنة ١٨٩٦ شُيدت غرفة كبيرة شرقاً بازاء البناء الاوَّل خُصَّت بتشريح جثث الاموات ودرس تركيب العظام. وخُصَّت الغرفة المبنيَّة لذلك سابقاً للدروس الميكروبيَّة واستنبات الجراثيم الوبيئة وغيرها. وكذلك أُفرز مكان خصوصيّ للاستحمام الكهربائيّ والعلاج بالمجاري الكهربائيَّة ولادوات لشعَّة رنتجن وللتصوير الشمسيّ اللازم لاستثبات بعض الامراض

على انَّ المدارس الطبية تحتاج الى معاهد أُخرى غير المذكورة آنفاً اخصُّها

المستشفيات. وكلٌ يعرف ما للفضل في ذلك لراهبات المحبة اللواتي انشأن في بيروت اوّل مستشفى سنة ١٨٤٨ فدعوهُ مستشفى الرحمة ومن اطّلع على ترجمة رئيستهنّ الاخت المكرّمة جيلاس يدرك ما قاسينَ من ضروب المشقات في انشائهِ وتوسيعهِ وتبليغهِ الى حالته الحاضرة التي تجعلهُ كمستشفيات اوربّة المتقنة. اذ لا ينقصهُ شيءٌ من اسباب الراحة لكل المرضى والسقماء الذين يتواردون اليهِ من مدن الساحل وجهات لبنان على اختلاف الطوائف والاديان فيجدون من التفاني في خدمتهم ما ينسيهم حنان الوالدين

فلمّا أنشئ المكتب الطبيّ التمس اصحابهُ من راهبات المحبة الفاضلات بان يأذنَّ للاساتذة والطلبة معاينة المرضى وفحصهم فاجبنَ الى ذلك بما يُعهد فيهنَّ من اللطف لكل عمل خيري وجهّزن لذلك كل اللوازم لهذه الغاية بحيث يستطيع المتطببون في اوقات ملازمة ان يشخصوا العلل ويدرسوها درساً تاماً ويعدّوا لها العلاجات المناسبة. وهذا القسم العملي من الطبابة هو كتتمّة للدروس النظريّة واقرب طريقة لاتقانها واخراجها الى حيز الفعل وذلك تحت قيادة بعض اساتذتهم البارعين ويساعدهم في هذا المشروع بعض قدماء الطلبة الذين تخرّجوا في المكتب ونالوا شهادة الدكتوريّة

وهناك ايضاً معهد واسع للعمليات الجراحية على موجب كلّ الاكتشافات المستحدثة يجتمع فيهِ تلامذة الطبّ مع زعمائهم فيحضرون العمليات ويتمرّنون على اجرائها كما يرون

وكذلك شُيّدت سنة ١٨٩٨ قريباً من المستشفى دار أُلحقت بهِ وخُصّت بتوليد النساء فسُدَّ بذلك خللٌ عظيم في تعليم طلبة الطبّ الذين تمكّنوا بهذا المنوال من انقاذ عددٍ وافرٍ من الاطفال من مخالب الموت اذ حضروا على الحذق المقتضى لتلك الغاية

أمّا تعليم الصيدلة والكيمياء فلا بُدَّ لها من مختبرات لاستحضار الادوية وتحليلها وتركيبها ولكلا الفنين غرفٌ خاصّة مجهّزة لذلك يروّضهم فيها اساتذتهم على كلّ ذلك

ومما يلحق بتعليم النبات جنينةٌ لاستنبات المواليد الطبية وغيرها يتولى امرها

استاذ علم النبات . وهذه الجنينة اليوم غنية بالنباتات الاهلية والاجنبية يتردَّد اليها التلامذة للدروس النباتية ومعرفة الحشائش الطبية

فترى من هذا النظر الاجمالي انَّ مدرسة الطبّ لا ينقصها شيءٌ من الاجهزة والمعاهد التعليمية لولا انَّها تضيق اليوم بعدد طالبيها . والحقُّ يقال انَّ المكتب لما شُيدت مبانيه ما كان اصحابهُ ليظنُّوا انَّ عدد الدارسين يُربي في السنة على الخمسة عشر وفي كل السنين الاربع على الستين . الَّا انَّ هذا العدد قد زاد اليوم الى ما لم يكن في الحسبان فزاد عليه ضعفين بل ثلاثة اضعاف اذ يبلغ اليوم عدد طلبة المكتب الطبي نيفاً ومائتين . فاضحت تلك المعاهد والغرف ضيِّقة على الدارسين تستدعي ابنية ارحب واوفق بالمرام حقَّق الله الاماني قريباً ان شاء الله

﴿ اساتذة المكتب الطبي ﴾ انَّ شهرة المكاتب المدرسيَّة تقوم خصوصاً باهليَّة معلميها . ومن ثمَّ منذ انشاء مكتبنا الطبي استفرغ اهلهُ الوسع باستحضار اساتذه ماهرين تخرَّجوا في الكليات الاوربيَّة وامتازوا ببراعتهم في فنون الطبابة . وليست غايتنا هنا أن نجاهر بمدح الذين علَّموا في هذه المدرسة فانَّ ذلك امر ثقيل فضلاً عن كون هؤلاء العلماء ليسوا بحريصين على مثل هذا الثناء . اذ لم ينووا بعملهم مدحاً زائلاً بل قصدوا خدمة الدين والعلم معاً . على أنَّنا لا يسعنا السكوت عن ذكر بعض الامور التي دخلت في طور التاريخ وانتشر خبرها عند الخاصّ والعام

انَّ اساتذة المكتب الطبي كلَّهم فرنسيُّون جنساً قسمٌ منها يسوعيُّون يدرِّسون العلوم التي لا تُنافي رتبة الكهنوت كالطبيعيَّات والكيميا الطبيَّة والنبات والامراض الميكروبيَّة والتداوي بالكهرباء وقسمٌ علمانيُّون يلقون دروسهم في بقيَّة فنون الطبّ كالجراحة والامراض الباطنية والخارجية والتوليد والصيدلة

اما اليسوعيُّون الذين درَّسوا في هذا المكتب منذ انشائهِ فاحد عشر . قضى منهم نحبهم الابوان لابن ثنان في ٣ ك ١ سنة ١٨٩٨ وميشال غوتيه في ١٣ ت ٢ سنة ١٩٠٧ وكان الاوَّل رجلاً عالماً بالفلسفة والآثار والهيئة والعلوم الرياضية والطبيعية والنبات علَّم تلك الفنون نحو ثلاثين سنة وله فيها عدَّة تآليف مهمَّة طُبع منها بعضها فقط . وكان الثاني من اساتذة الطبيعيات الممتازين . يذكر اهل بيروت الى يومنا هذا الخطب التي ألقاها مدَّة على وجود المدينة مع اجراء الاختبارات في الاكتشافات المستحدثة

وننظم في سلك الموتى اليسوعيين الذين تولوا ادارة المكتب دون التعليم وكانوا كلهم من الرجال المعدودين علماً وفضلاً وقدرةً على التدبير كالاب بيار لوفاثر المتوفى في ١٢ آذار سنة ١٨٨٨ والاب يوليان هنري (+٣١ تموز ١٨٩٨) واتيان كلاره (+١٦ ت١ ١٩٠١) ويوسف اوتفاج (+ايلول ١٩٠١). وكذلك الاب يوحنا راي (+١٠ شباط ١٩٠٨) الذي كان خطب سنين عديدة في الطلبة وارشدهم الى اتمام واجباتهم الطبية مع رعية الادب المختصّة بمهنتهم

امّا الاحياء فقد بقي منهم ثمانية احدهم الاب بولس سولران حضر افتتاح المكتب سنة ١٨٨٣ وعلّم فيه حتى السنة المنصرمة وقد اقام له تلامذتهُ القدماء والحاليّون حفلةً بهيجة تفنّنوا فيها في ذكر مآثره المتعدّدة ولاسيما عنايتهُ في ترقيتهم وتفانيهُ في تهذيبهم. وقد قضت الاحوال على ثلاثة آخرين بالابتعاد عن بيروت امّا طلباً للصحّة وامّا خدمةً للمكتب الطبي. والباقون يعلّمون بما عُرفوا بهِ من النشاط اقدمهم في التعليم الاب لويس بولوا الذي درس مدّةً في مكتب باستور في باريس ولا يزال يواصل دروسهُ منذ السنة ١٨٩١. ويليهِ الاب موريس كولنجت استاذ الطبيعيات وملحقاتها منذ السنة ١٨٩٥. ومن المعلوم الشائع انّ اليسوعيين لا يطلبون لهم الامتيازات الشرفية الّا انّ الحكومة الفرنسويّة من تلقاء ذاتها قد منحت خمسة منهم وسامات فخريّة تدلُّ على تقديرها لمساعيهم

امّا الاساتذة العاليّون فشيوخهم اليوم اربعة اقدمهم الدكتور هنري نكر الذي انضوى الى معلمي المكتب الطبيّ في ١٠ آذار سنة ١٨٨٥ ثمّ تبعهُ في تشرين الاوّل من السنة الدكتور دي برون. وثالثهم الدكتور هاش جاء بيروت في تشرين الاول من السنة ١٨٨٨. والرابع الدكتور گيكْ ابتدأ تعليمهُ الصيدلة في تشرين الاول من السنة ١٨٩٤. وقد منحت الحكومة الفرنسويّة كلّ هؤلاء المعلمين امتيازات شتى من اوسمة وجوائز شرفية ونظمتهم في سلك دواوينها العلميّة. وكذلك منحهم قداسة الحبر الاعظم بواسطة سيادة القاصد الرسولي وسام القديس غريغوريوس من رتبة كومندور في السنة المنصرمة. ولكلهم تآليف متعدّدة نشروا معظمها في فرنسة ونال الكثير منها انواطاً ذهبية او جوائز أخرى شرفية. والبعض من هذه المطبوعات طُبع في بيروت او نُقل الى العربية.

الدكاترة المساعدون في المستشفى الفرنسوي

كتور ابراهيم نعمة مدوّر الدكتور نعمة مرعي الدكتور الياس الحاج الدكتور الياس جبارة

ومنها ايضاً نصوص طبيّة قديمة نشروها في لغتنا وذيّلوهـا بالحواشي وعلّقوا عليها التعليقات المفيدة

ومن الاسـاتذة الذين دخلوا حديثاً في عداد معلمي المكتب الطبيّ الدكتور كلمت (من السنة ١٩٠٣) والدكتور شابوتان (١٩٠٥) وقد احرز كلاهمـا السمعة الطيبة منذ قدومهما واستوقفا انظار الناس باعمالهما المشكورة وخدمهما المذكورة

ولسنا لننسى في جملة هؤلاء الاساتذة الدكتور جول روفيه الذي حضر افتتـاح المكتب الطبي سنة ١٨٨٣ وخدمهُ ٢٢ سنة بنشاط الى السنة ١٩٠٥ فندبتهُ الحكومة الفرنسويّة الى التعليم في مكتبها الطبي في الجزائر. وامتيازاتهُ الشرّفية وكاباته العلميـة اشهر من أن تحتاج الى تعريف

وممن لا يبرح ذكرهم من قلوب الاحيـاء ثلاثة معلمين توفّاهم الله في منتصف اعمارهم فانتقلوا الى دار البقاء قبل ان يحققوا كلّ الآمال الطبية المبنيـة عليهم وهم الدكتور سينس وكان من عمدة منشئي المكتب (١٨٨٣ — ١٨٨٧) والدكتور بويه (١٨٨٩ — ١٨٩٧) افادنا بكتابهِ الفرنسوي النفيس المعنون « الشروط الصحية الحالية في بيروت وضواحيها » والدكتور دي لابوزدبار (١٨٩٨ — ١٩٠٣) ولهُ ايضاً كتـاب جزيل الفائدة في القوانين الصحية لم يظهر منـهُ الّا قسم واحد. رحم الله هؤلاء الموتى واجزل ثوابهم في دار الخلد. وقد امتاز الاثنان الاخيران بتقاهم وكانت ميتتهم صالحة فخلّفا الاسف في قلوب كل من عرفهما

﴿ تلامذة المكتب الطبي ﴾ يقول المثل العربي انّ من اشبـه اباه ما ظلم. فأطيب ثنـاء نثني بهِ على المكتب الطبيّ واساتذتهِ الافاضل ذكر التلامذة الذين تخرجوا فيهِ على علوم الطبابة

واوّل ما ينبغي تنبيه الافكار اليهِ عدد هؤلاء الطلبـة الذين تواردوا الى مناهلهِ الطبية ليستقوا منها: فانّ تزاحم الورّاد على الماء احسن دليل على عذوبتهِ وطيبهِ. ولو اعتبرنا عدد كلّ الذين دخلوا المكتب ليتلقّوا فيهِ المعارف فانهُ لا يقل عن ٨٢٧ بمعدل ٣٣ في السنة. نعم انّ كل هؤلاء لم ينجحوا في دروسهم او لم يتمموها لاسبـاب شتى لكنّ مجرّد تعدادهم كافٍ للدلالة على رواج العلوم الطبية في هذا المكتب

وان لحظت جنسيّات هؤلاء الطلبة وجدتهم من جنسيات عديدة وناهيك بذلك

شاهدًا على اتفاق الجميع في اعتبار المكتب الطبي . ولا غرو انّ اكثرهم عددًا العثمانيون فمنهم ٤١٧ قدموا من كل انحاء الممالك المحروسة وولاياتها ومنهم ١٧٥ لبنانيون و٨٦ مصريون و ٣٠ فرنسويون و٢٥ يونان و١٨ ايطاليون و١٠ روسيون و ٩ نمسويون و٦ انكليز و٣ اسبانيون واثنان المانيان وواحد من هذه البلاد الثلاث: البرتغال ورومانية والحكومة الفضية. امّا عدد الذين حصلوا على الشهادة النهائية فهو ٢٨٥ للطبّ و٦٧ للصيدلة (اطلب الجدول ص ٣٥٥)

وكذلك اديان الطلبة مختلفة جدًا فالمسلمون ٨٣ والاسرائيليون ٥٥. امّا النصارى غير الكاثوليك فمنهم الروم الارثدكس ١١٨ والارمن الغريغوريون ٤١ والاقباط الارثدكس ٥ والبروتستانت ١. على انّ معظم الطلبة من الكاثوليك اكثرهم الموارنة وعددهم ٢٤٣ ثم الروم الملكيون ١١٠ ثمّ اللاتينيون ٧٢ ثمّ الارمن ٣٨ ثمّ الاقباط ١٢ ثمّ الكلدان ١٠ والسريان ١٠

اما المدارس التي تخرّج فيها هؤلاء التلامذة فهذا جدولها على الترتيب ٢٤٢ طالبًا في مدارس الاباء اليسوعيين ثمّ ١٣٨ في مدارس الاباء اللازاريين ثمّ ٩٥ في المدارس المارونية ثمّ ٦٥ في المدارس العالمية الحرّة ثمّ ٤٧ في مدارس اخوة المدارس المسيحية (الفرار) ثمّ ٣٨ في المدارس الاسرائيلية ثمّ ٣٤ في مدارس الروم الكاثوليك ثمّ ٣٣ في مدارس رهبان مختلفين كالاباء الفرنسيسيين والاباء الافريقيين وغيرهم ثمّ ٣٠ في مدارس علمانية شتى ثمّ ٢١ في مدارس الحكومة المصريّة ثم ١٤ في المدارس الارمنية الغريغوريّة ثم ١٣ في مدارس الروم الارثدكس ثمّ ١١ في بعض المدارس العثمانية ثم ٦ في المدارس البروتستانيـة ثم ٥ في مدارس القبط الارثدكس ثم ٣ في مدارس الارمن الكاثوليك ومثل ذلك في مدارس الحكومة العجمية

هذا مـا يختصّ بعدد التلامذة واصلهم وجنسياتهم والمدارس التي اخذوا فيها مبادئ العلوم وتعريف الذين نالوا الشهادات. وذلك ليس بكافٍ لبيان فضل الطلبـة وتقدّمهم في العلوم فانّ للمدرسة وسائل فعّالة لترقيـة الدروس وتنشيط الدارسين على إحكامها من ذلك سهر اصحـاب المدرسة على آداب الطلبة ومثابرتهم على حضور الدروس في اوقاتها ومنها المناوضات الاسبوعية للتمرّن على الدروس ومراجعتها . ومنها الامتحانات العلنية مرّتين في السنة قبل زمن الموقع وفي غاية حزيران ليتحقّق الاساتذة

نجاح الطالبين فان لم ينجحوا تُقضي عليهم بمراجعة الموادّ التي لم يتقنوها مدّة ستّة اشهر اخرى

ومن اسباب التنشيط المساعدة على ترقي الطلبة الداخلين جلسات اسبوعية يعقدونها في فنون العلوم ويلقون في ذلك خطباً يُجازى اصحابها بانعامات خاصّة اذا ما وُجدت متقنةً واهلاً بالجزاء

وكل هذه الوسائل ووسائل اخرى غيرها تزيد رغبة التلاميذ في طلب العلوم وتنهض بهمهم الى الامور الشريفة. ومما يدلّ على انّ اصحاب المكتب قد اصابوا المرمى انّ معظم هؤلاء الطلبة لم ينالوا فقط الشهادة الطبيّة بل نالوها ايضاً بامتياز مع علامات فخريّة لا تُحصى ربما اندهل بسببها اصحاب اللجنتين العثمانية والفرنسويّة واثنوا من جرّائها على الطلبة واعلنوا بثنائهم في المجلات والجرائد

وزد على ما تقدّم انّ المكتب الطبي بعد انتهاء دروس طلبته لا يهمل امرهم بل يسعى في نجاحهم وفي كافّة شؤونهم ليقوموا بمهنتهم القيام الحسن. ومن الوسائط المؤدية الى هذه الغاية اجتماعات سنويّة يحضرها كلّ من يمكنهُ من التلامذة الاقدمين ويتفاوضون فيها عن كل الشؤون الطبيّة. وفي هذا الشهر عُقد اجتماع من هذا الصنف دعي اليه جميع الدكاترة المتخرجون في المكتب منذ ابتدائه وهو الاجتماع العاشر من جنسه تصدّر فيه كلٌّ من حضرة ملاذ الولاية وسعادة القنصل الفرنسويّ مع عمدة المدرسة. ومنذ سبع سنوات صارت هذه المجتمعات على شكل المؤتمرات العلميّة تتشكل فيها اللجنات وتُقام فيها الابحاث. ويدوَّن كل ذلك في نشرة خصوصية تُطبع سنويًّا.

ولا ندحة هنا من توجيه النظر الى الدكاترة الذين خرجوا من المكتب الطبي لعلّنا نقف على شيء من اعمالهم التي حقّقوا بها آمال مواطنيهم لانّ عند الامتحان يُكرم المرء او يهان

ومما نراهُ بادئ بدء انّ تلامذتنا اليوم قد تفرّقوا تحت كلّ كوكب تجدهم في ثلاث قارات العالم القديم بل في العالم الجديد نفسه فتجدهم في كل جهات الممالك المحروسة ومدنها العامرة لا تكاد تخلو منهم مدينة ذات شأن مباشرةً بدار السلام. وقد عُرف منهم كثيرون بنشاطهم وحذقهم في جزائر اليونان والبحر الاحمر وفي قبرص وفي كريت وفي اقطار العجم وكذلك منهم في اوربّة واميركة بعض الافراد الذين

احرزوا هناك ثقة الاهلين رغماً عن كثرة الاطبّاء فيهما . امّا افريقية فانّ فيها عدداً وافراً من المتخرجين في مكتبنا منهم في تونس وطرابلس الغرب والحبشة وكل جهات مصر والسودان . وقد طلبت الحكومات المحليّة بعضاً منهم لاعتبارها لتهذيبهم العلمي . وقد توفّرت لدينا الرسالات من المراجع الرسميّة التي تثني على اعمال كثيرين منهم وتطنب في تفانيهم في مزاولة مهنتهم حتّى في تمريض الموبوئين . وفي السنة ١٨٩٠ لما ظهر الهواء الاصفر في جهات طرابلس طلب ستة منهم الرخصة من الحكومة السنية ليضحّوا نفوسهم في خدمة المصابين بالعدوى فنالوا غايتهم وعادوا مصحوبين برقيم من أرباب الامر هناك يشيدون على مروّتهم : وكذا فعل غيرهم في يافا ومصر

ويشهد ايضاً على كفايتهم والقيام بمهام وظيفتهم اوسمة وامتيازات شرفية نالها بعضهم من دولتنا العلية وبعضهم من الحكومة الافرنسية وهم عشرة وغيرهم من دولة العجم او حكومة مصر والسودان . وقد افاد البشير غير مرّة ما حظي به جناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد من الانعامات من جلالة ملك الحبش منليك الثاني وهو من نجب تلامذة المكتب الطبي

ومن الشواهد ايضاً على همتهم تآليف طبية نشروها في عدّة لغات نخصّ منها بالذكر ما كتبوه في العربية من فصول ومقالات وكتب مختلفة الحجم والموضوع لجناب الدكاترة خير الله فرج صفير وحبيب الدرعوني وتابوليون ماريني ونجيب اده وامين جميل وعبد الله ميخائيل رعد وفيليب بركات وكامل خوري والفرد خوري وشحاته خزام وغيرهم ايضاً

وقد كان بودّنا في هذه الحفلة ألّا نلقى ليد الموت اثراً في الشبيبة التي نشأت في مكتبنا بيد انّ حكم المنية لا يُردّ وقد دارت كاسها على شفاه كثيرين منهم فجرعوا سمّها الزؤاف . وقد بلغ عدد هؤلاء المرحومين ٣٥ بمعدّل واحد في السنة . وكان ١١ منهم اتمّوا دروسهم ونالوا الشهادة الاخيرة . وممّا يعزينا انّهم كلّهم كانوا من ذوي الورع والتقى فنؤمل لهم الرحمة الواسعة في الاخرة

ونجعل مسك ختامنا الدعاء الى الله بان يكون هذا النصف القرن الجديد الذي يستأنفه المكتب الطبي مقروناً باليمن والسعد لجده تعالى وخير الوطن العزيز

جدول

الطلبة الذين تخرّجوا في المكتب الطبي

من السنة ١٨٨٣ الى ١٩٠٧

الداخلون في		الخارجون مع الشهادة في	
الطبّ	الصيدلة	الطبّ	الصيدلة
١٠	١	—	—
١٣	٣	—	—
٨	٤	—	—
١٧	٧	—	—
١٣	٢	٣	٢
٩	١	٧	٣
١٤	٤	٤	١
١٣	٣	٧	٢
١٤	٠	٦	١
١٥	٤	٧	٠
١٦	٤	٤	٢
٢٤	٥	٨	٢
٢٦	٨	١٠	٠
٢٦	٨	٧	٠
٢٥	١٤	١٠	٢
٢٤	١	١٣	٢
٢٢	١٣	٧	٣
٤٧	١٧	١٧	٧
٤٥	٩	١٦	٦
٤١	١٣	٢٢	٥
٢٨	٦	١٣	٥
٢٩	٧	٣٠	٧
٥٣	١٦	٢٥	٥
٥٠	١٣	٢١	٥
٤٩	٩	٢٠	٧
٦٥٨	١٦٩	٢٨٥	٦٧

السِيْلَى أو السِّلَى او بلاد السَرَق

بقلم حضرة الاب انستاس الكرملي

كل يعلم ما للعلماء الغربيين من الاعتناء بمعرفة الامور الشرقية وما يتعلّق بها من قريب وبعيد اذ لا نرى بحثاً الّا وطرقوا بابهُ ولا فنّاً إلّا ودخلوا رحابهُ . ومن جملة ما شُغفوا بهِ الأُممُ الشرقية الحالية وما كانت عليهِ في سابق وجودها وعزّها ومجدها حتى انهم توصلوا الى معرفة الكثير منها ومن دقائق ما يتعلّق بمعيشتها واحوال داخل بيوتها وهو من الامور العزيزة ما يقدّرها العارف حقّ قدرها

هذا وإذا عرفوا جيلًا من الاجيال الغابرة احبُّوا ان يعرفوا حالتهُ في الايام الحاضرة ليقابلوها قرناً بقرن وعصراً بعصر بعد ان يكونوا قد صرّحوا ان هذه الأُمة تسمّى الامة الفلانية اليوم وهذا الجيل كان معروفاً باسم آخر عند اصحاب اللغة الفلانية . او ان الاسم تصحّف وانتقل بالصورة الفلانية او على الوجه الفلاني . والخلاصة انهم هتكوا أستار أسرار ما كانت تخطر على بال وكشفوا لنا حقائق حيّتنا عزّ اجدادنا واسلافنا حتى اخذت حُميّا الحميّة تدبُّ في عروقنا لنبلغ مبلغهم او على الاقل ان نتشبه بهم

فتشبّهوا ان لم تكونوا مثلهم انّ التشبُّه بالكرام فلاحُ

وممّا تصدّوا للبحث عنهُ والكشف عن غامضهِ السوال عن بلاد السِلّى واهلها . وعن الأمة المعروفة اليوم خلفاً لها . ثمّ ما كان اسم السلى عند الغربيين من الرومان واليونان . ومن اين جاء العرب بهذه اللفظة يعني لفظة السلى . وهل يقابلها لفظة أُخرى عند غير العرب . هذه عدة اسئلة لم يظفروا منها الّا بجواب واحد ولا اظنُّ انّ هذا الجواب يفي بالمقصود كما سترى في محلهِ ان شاء الله تعالى

وقبل ان نبوح بسرّ هذا الغامض لننظر الى اقوال بعض المؤرخين من العرب الاسبقين ونرى ماذا يريدون بالسيلى . قال صاحب تقويم البلدان :

« السِيلى : خارجة عن [الاقليم] الاول الى الجنوب [وهي] من اقصى الصين الشرقي [والاسم] بالسين المهملة والياء المثنّاة التحتية ولام ياء ثانية في الاخر . هكذا وجدناها في الكتب : ويقال سِيلَا (وفي رواية سِلَا) وهي في اعالي الصين من الشرق . وقلما يُسلك اليها في البحر . وهي من جزائر في

بحر الشرق كجزائر الخالدات والسعادة في بحر الغرب لكن هـذه معمورة في خصب وخيرات بخلاف تلك »

وقال في كلامه عن الصين(١ :

« والصين الاقصى ويقال لهُ صينُ الصين (٢ هو غاية العمارة من جهة الشرق وليس وراءه غير البحر المحيط . ومدينتهُ العظمى يُقال لها السيلا واخبارها منقطعة عنّا »

ولم اقف لها على اثر في كتب ابن خرداذبه وابن الفقيـه واليعقوبي ولا في معجم ياقوت الواسع ولا في كتابه مراصد الاطلاع ولا في تاريخ المقدسي . والخلاصة قد بحثت عنها في اغلب كتب اصحاب دواوين البلدان فلم أفُزْ بطائل . والذي أكثر من ذكرها المسعوديُّ في جميع كتبه من ذلك في كتاب التنبيه والاشراق قال :

« واقصى العمران في المشرق : اقصى حدود بلاد الصين والسيلى الى ان ينتهي ذلك الى ردم ياجوج وماجوج »

---

١) في كتابه : المختصر في اخبار البشر . طبع الاستانة ١ : ١٠١ و١٠٢

٢) ان البستاني صاحب دائرة المعارف لم يذكر السلى ولا السيلى في كتابه كما انهُ لم يذكرها بانهٍ من لناتها المختلفة . بيد انهُ ذكر صين الصين لكنهُ اخطأ المعرفة وجاء بما لم يذكره العرب عن صين الصين . واليك نصّ كلامه : « صين الصين . جزيرة على مسافة نحو ستمائة خطوة فقط من شاطئ بنغ تسي كينغ . ويقال لها ايضاً « جبـل الذهب » . وهي مرتفعة الجوانب جداً ومشحونة بالبساتين والبيوت المعدّة للنزهة حتّى كانهُ اجتمع بها صنع الله وصنع البشر فاتحفاهـا بمنظر يأخذ بالالباب ويستلب العقل وهي تُنسب لسلطان الصين وفي السهل الذي باطرافهـا ينمو شجر القطن الغريب الذي يتّخذ منهُ القماش المعروف في اوروبا باسم « تنكين » ولهُ وبرٌ يخرج على ازهاره ولونهُ الاصلي البياض مع الصفرة الضاربة الى الحمرة وهذا اللون يبقى فيه بعـد النزل والنسيج » اه

الّا ان هذا كلهُ لا ينطبق على كلام العرب فان هؤلاء قد ذكروا ان صين الصين ديار واسعة ولها ملوك خادن ملوك الصين والسفر الى تلك الاصقاع يكون برّاً وبحراً الى غير هذه التفاصيل التي لا تشبه التفاصيل التي اوردها صاحب الدائرة . والظاهر ان الذي ساقهُ الى هـذا الوادي وادي تُضَال انهُ طالع في كتب العرب ان بلاد السيلى هي جزيرة وراء بلاد الصين فقـال ما قال . وليسمح لنا القرّاء ان نقول هنا استطراداً ان دائرة المعارف كثيراً ما اهملت ذكر الامم الشرقية النابرة او المنقرضة كالجراجمة والجرامقة والاحامرة والاجامرة والبرجان والداودة والركوسية الى غيرها من الاجيال التي هي بمنزلة عظيمة من الاهمية التاريخية . ونحن نجهل سبب هذا الاهمال الذي يثير لواعج الاسف في النفس . فعسى المتولون اتمام هذا المشروع يتلافون هذا النقصان بالملحق الذي قد صمّموا على ابرازه بعد نهاية هذا الاثر الجليل . حقّق الله النيات والاماني واصدرها الى حيّز الوجود

وقال ايضاً في تعداد الامم :

« والامة السابعة : الصين والسيلي وما اتصل بذلك من مساكن عامور بن يافث بن نوح ملكهم واحد ولغتهم واحدة »

وقال في كتابه مروج الذهب :

« وليس بعد بلاد الصين ما يلي البحر مالكٌ تُعرَفُ . ولا بلادٌ توصفُ . الّا بلاد السيلي وجزائرها . ولم يصل اليها من الغرباء احدٌ من العراق ولا غيره فخرج عنها لصحّة هوائها ورقّة مائها وجودة تربتها ولكثرة خيرها الّا النادرُ من الناس . واهلها مهادنون لاهل الصين وملوكها . والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع . وقد قيل انهم تشعّبوا من وُلْد عامور وسكنوا هنالك على حساب ما ذكرنا من سُكنى اهل الصين في بلادهم » اه المقصود من الاستشهاد به .

وقال في محل آخر من كتابه :

« سيلا (وفي رواية شيلي بالشين المثلثة) بلدة من اواخر بلاد الصين في غاية الطيب لا يُرى بها ذو عاهة من صحة هوائها وعذوبة مائها وطيب تربتها . اهلها احسن الناس صورةً واقلّها امراضاً . وذُكر ان الماء اذا رُشّ في بيوتها تفوح منهُ رائحة العنبر . وهي قليلة الآفات والعلل قليلة الذباب والهوامّ . اذا ابتلّ احد الناس في غيرها ونُقل اليها زالت علّتهُ . قال محمّد بن زكريّا الرازيّ : من دخلها استوطنها ولا يخرج عنها لطيبها ووفور خيراتها وكثرة ذهبها »

وقال ابن رسته :

« ومن دخل من المسلمين بلاداً في آخر الصين تُدعى السيلا (وفي نسخة السلا) بها ذهبٌ كثير استوطنها ولا يخرج عنها بتّةً »

وذكرها ابن خلدون في مقدمته في كلامه عن الاقليم الاول قال :

« يحفّ بها (باعالي بلاد الصين) في هذا البحر (البحر الهندي او الحبشي او بحر الصين) من جنوبها جزائر الواق واق ومن شرقيها جزائر السيلا (وفي النسخة المطبوعة السيلان وهو من غلط النسّاخ)

فما عسى تكون هذه البلاد ؟ فاذا سألنا صاحب شرح المجاني فانهُ نراه يتوقّف في تعيين ما يوافقها اليوم فقد قال (في ٧ : ٨٧) : « بلاد السيلي . نظن انها جزائر الفيليبين » وقال في ص ١١٧ من ذلك المجلد عينه بعد ايراد ما نقلناه من كلام ابي الفداء في تقويم البلدان : لا يبعدُ عن الظن ان هذه الجزائر هي جزائر اليابان . وقيل ان بعض العرب اجازوا الى تلك البلاد وفي بعض الاسفار ما يشير الى ذلك » اه

وامّا الافرنج فقد ذهبوا مذاهب فمنهم من قال انها بلاد اليابان ومنهم من راى انها جزائر الفيليبين الى آخر ما قالوا وتقوّلوا . لكن لا يمكن ان تكون السيلي او

الشيلي او السلى وغيرها من اللغات بلاد اليابان ولا جزائر الفيليبين ولا جزائر سخاليان ولاجاوة ولا ولا ولا . . . . . غيرها من الجزائر الواقعة في غمر البحر . والسبب هو ان السيلي هي شبه جزيرة لا جزيرة . والدليل على ذلك :

١ً ما قالهُ عنها ابو الفداء انهُ « قلما يسلك اليها في البحر » اذن فالاكثر ان يسلك اليها من البر لأن البحر هناك مخطر . والعرب يسمون شبه الجزيرة جزيرة كما هو مشهور فيقولون جزيرة العرب . لا بل وربما لم تكن جزيرة ولا شبه جزيرة بل اذا حاط بالارض نهران او اكثر قالوا انها جزيرة ومنها « الجزيرة او ما بين النهرين » . الى آخر ما هناك من الاسماء المشهور باسم الجزيرة

وعليهِ فلا يصدق هذا الوصف وما يتلوه الا عن جزيرة كورية التي هي بجوار الصين ومما يؤيدنا في هذا الراي

٢ً ان ملوك كورية لا تنقطع هداياها عن ملوك الصين وهم في مهادنة دائمة في سابق الزمان . هكذا نقلهُ العرب في السابق وهكذا ايضاً ينقلهُ الاخباريون من ماضين وعصريين ومن أعراب وأجناب

٣ً وصفَ العرب موقعها في « اعالي الصين من الشرق » وهذا لا يصدق ايضاً الا على بلاد كورية

٤ً وقالوا ايضاً : ان مدينتهُ العظمى اسمها « سيلا » وهي توافق « سيول » من بعض الوجوه ولاسيما اذا فرضنا انهُ وقع فيها تصحيف او تحريف وهو من الامور التي قلما تخلو منها الالفاظ الاعجمية الداخلة في العربية اللهم الا في النادر الذي لا يقاس عليهِ

٥ً يجعل القزويني لغة الصين والسيلي وملوكهما من الامور التي أنزلت منزلةً واحدة . وهذا الامر لا يوافق ايضاً لا لغة اهل الفيليبين ولا لغة اليابان ولا جزيرة سخاليان بخلاف لغة كورية فانها مشابهة كل مشابهة للغة الصين ولاسيما في القديم فانها كانت واحدة في الاصل لان الصينيين هم الذين فقّهوا الكوريين بعلومهم ولغتهم واما الملوك ملوك كورية فانهم ما كانوا يجلسون على عرش مملكتهم الا بإشارة الصينيين او برضاهم كما اثبتهُ اليوم تاريخ المحدثين واسانيدهم . وهذه الامور كلها لا تنطبق على غيرها من الجزر والديار القاصية الا على هذه الجزيرة التي يدور عليها قطب كلامنا

٦ً انَّ العرب سمَّوا بلاد اليابان « جمكوت او جينكر او جمين كو » فليس بعد ذلك حاجة الى تسميتها باسم لا يقرب من هـذه الاسماء الثلاثة اذ شتَّان بين هذه الالفاظ الثلاثة وبين « السيلي »

٧ً منذ ان دخل العرب بلاد الصين دخلوا ايضاً بلاد السيلي بخلاف بلاد يابان فانهم لم يدخلوها الَّا بعد أمد مديد . والذين دخلوا بلاد السيلي قلَّما خرجوا منها لطيب هوائها وعذوبة مائها واعتدال امزجة اهلها . الى غير هذه الاوصاف التي لا تقع الَّا على كورية

٨ً ذكر القزويني ان اهل السيلي فرع من اهل الصين وهذا لا يوافق الَّا اهل كورية ايضاً

والخلاصة ان جميع الاوصاف الارضية والتاريخيَّـة والبلاديَّة لا توافق الَّا بلاد كورية وتقع عليها وقع الحافر على الحافر فلننظر الان الى الشواهد اللغويَّة فنستقريها لنستلَّ منها النتائج القاضية القضاء الاخير والفاصلة الفصل النهائي . فنقول :

١ً ان لاهل العراق نوعاً من الثوب (النسيج) رقيقاً جدًّا يُستشف منهُ ما وراءهُ يسمونهُ « الشَّيلي » وتلفظ Shéléh او Shélé كان يُتَّخذ سابقاً من الحرير الابيض الناعم ويؤتى بهِ من بلادٍ غير بلاد الهند وغير بلاد الصين بل من بلاد الشيلي او السيلي فسُمي باسمها . ثمَّ لما كانت قيمتهُ باهظة جدًّا ابدلوهُ من القطن الفاخر النـاعم فسُمي باسمهِ من باب التقليد كما يُقلَّد شال قشمير مثلاً . ثمَّ زادوهُ حسناً ان طبعوا عليـهِ نقوشاً مختلفة وأعلاماً شتَّى . فسمَّوهُ « شيله بصـة » (الباء اصلها واو والصـاد سين والبصة تساوي الوسمة اي الشيلي او الشيلة الموسومة بالالوان) والبعض يقول شـيرة بصـة او سيرة بصة ويقولون ايضاً اول هاتين الكلمتين بالشين او السين مع الراء ولو لم تكن بعدها كلمة بصة . والحاصل انهم يتلاعبون بها تلاعبهم بالكرة لغرابتها

وهذه الثياب الحريريَّة تُعرف ايضاً باسم « السَّرَه » او « السرق » . والظاهر انها ليست بفارسيَّة ولو صرَّح بها اللغويُّون . نعم ان الفرس يسمون الحرير بكلمة « سَرَه » ايضاً . لكن من يقول لنا انهم لم يأخذوا هـذا اللفظ عن التجَّار الذين كانوا ينقلون هذه الثياب من الشرق الاقصى الى الشرق الادنى . وعلى كل فانا نرى بأن السَّرَق للثياب الحريريَّة مأخوذ من اسم البلاد التي كانت تجلب منها وكثيرًا ما تسمى الاقمشة باسماء

البلاد التي تُصنع فيها . وهو اشهر من ان يُذكر . امّا رأي العرب في اصل كلمة السَّرَق فدونكهُ . قال صاحب التاج :

« السرق : شُقَق الحرير . قال ابو عُبَيد : الابيض . وانشد للعجاج :

ونسجت لوامعُ الحَرُورِ من رقرقان آلها المسجورِ
سبائبًا كسَرَق الحريرِ

او الحرير عامّة . قال ابو عُبيد : اصلها بالفارسيّة « سَرَه » اي جيد فعرّبوهُ كما عُرب بَرَق للحمَل وبلمق للقباء وهما « بره وبلمه » الواحدة جاء اه

وفي اللسان انهُ يقال في سرَق :

« صرَق ايضًا بالصاد . قال : وانشد ابن بريّ للاخطل :

كأنَّ دجاجًا في الدار رقطًا بناتُ الروم في سرَق الحريرِ

وقال آخر [ناسبًا الشعر للاخطل] :

يرفلن في سرَق الحرير وقزوِ يسحبنَ من هدَّابهِ أذيالا اه المقصود منهُ

فاذا عرفنا هذا عرفنا ايضًا ان الحرير يُسمى عند اللاتين sericum وعند اليونان σηρικόν وهي والسرق من اصل واحد . والاجانب يشتقونها من Seres او Σῆρ ويراد بها بلاد السرق او بلاد السيلي والعرب ابدلوا من الراء لامًا كما هو من عادتهم في نقل الالفاظ الاعجميّة فانهم خصُّوا اللفظة الموجودة فيها الراء للحرير والتي فيها اللام للبلاد . واما الارمنيّون فانهم سمّوا الحرير هملؤل (شارا او شرا) . وهي كسَرَق او سَرَه العربية والفارسيّة واليونانية واللاتينيّة من مورد واحد

وقد خفي على الافرنج الى يومنا هذا حقيقة هؤلاء الاقوام الذين سماهم اللاتين Seres واليونان Σῆρες فاصحاب المعاجم فسّروها بالصينيين وهو غلط لان اللاتين سموا هؤلاء Sinenses واليونان Σῖνα فلا يمكن ان يكون السيلي والصينيون شيئًا واحدًا . وامّا اهل التواريخ وكتب البلدان فقد قالوا : ان السيلي هي البلاد التي يؤتى منها السرق او الحرير وهي على ما اوضحوه من أقصى بلاد الشرق المعروفة يومئذٍ . فربما كانت احدى ديار بلاد الهند وربما كانت البلاد المعروفة اليوم ببلاد سيام او صيام او لعلها بلاد هند الصين . والخلاصة انها البلاد التي يؤتى منها الحرير . لكنهم لم يعرفوا على التحقيق الى يومنا هذا ما كانت تلك البلاد . ومما تقدَّم نرى انها بلاد كورية المشهورة بنفاسة حريرها منذ قديم الزمان

لكن كيف تكون السيلي او السَرَق او السَرَه Σῆρ واحدة مع كلمة كورية

وبينهما فرق عظيم. قلنا: ان كلمة «سره» او «سرا» ماخوذة من اسم احدى ولاياتها الثلاث التي يتاخمها الاجانب اكثر من سائر الولايات والتي يكثر فيها احسن انواع الحرير او السرق وهي ولاية «سِنرا» Sinra فسقطت النون كما سقطت من الفاظ كثيرة لانها من حروف الذلاقة وبقي «سرا» فنقلها كل قوم الى لسانهِ ببعض تحريف او تصحيف. كما تقدم الكلام عنها. والاصل واحد

ولا عجب من ان الاقدمين سمّوا كورية باسم «سرا» او «سلي» او «سره» او ما تصحّف من هذه الالفاظ (١ فان كورية نفسها ماخوذة من كلمة «كوراي» وهي اسم ثاني الولايات الثلاث التي تُقسم اليها تلك البلاد. واسم الثالثة «ايكتساي» او «فاكساي» او «فاقزاي» او «فاخزاي». فاشتق منها العرب ايضاً «كلمة» قزّ وخزّ والترك كلمة «إيك او إيك»

واما العبرانيون فانهم سمّوا الحرير «שש» مقطوعة من «ابريشمي» او «ابريسم» او «برشيم» او من «أبيشم» او «ابيشي» لنوع من الحرير وهو ما تساقط منهُ

ومما نستلفت الانظار اليهِ ان الكلمة السريانية ܣܪܝܢܐ ܣܪܝܢܐ (٢ هي نفس كلمة Σῆρες باختلاف في الكتابة وذلك دلالةً على عجمتها في لغة الارمنيين

---

١) يتحصّل من هذه المقالة ان لفظة السيل تختلف حسب الرواية حتى تبلغ احدى وعشرين لغة وهي. السيلي والسلي. والسيلا والسلا. والسيرا والسرا والسيراء. والشيلي والشلي. والشيلا والشلي. والشيرا والشرا. والشيله والسيلة والشيرة والشرة. والسيره والسره. والسرق. والصرق. ما عدا اللغات الاجنبية التي تضرب عنها صفحاً

٢) للعرب كلمة تقابل هذه الالفاظ الارمية وهي السيراء وقد اختلف العلماء في وزنها ومعناها وصيغتها واحسن من فصّل ذلك صاحب التاج قال: السِيَراء كالدِنَباء. ويكن (اي يقال السِيَراء): نوع من البرود. وقيل: هو ثوب مسيّر فيهِ خطوط. تُعمل من القزّ كالسيور. وقال الجوهري هو بُرد فيهِ خطوط صفر. قال النابغة:

صفراء كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غلوائهِ المتأوّدِ

او بخالطهُ حرير. وقيل هي من ثياب اليمن. قلتُ: وهو المشهور الان بالمضفّ (هذا كلهُ كلام التاج) وفي كلامهِ عن الصتّية يقول ايضاً: ... او ثوب يمنيّ يعرف بالمضفّ اليوم يرتدى بهِ. فاي القولين هو الاصح الاسدّ لان المؤلف سمى كل ثوب ياتي من اليمن بالمضف ولذا اطلق عليهِ كلًّا من اسمي السيراء والصتّية مع ان الفرق بين هذين الثوبين ظاهر فان الصتّية تلبس فوق

ولم يقابلها احد من اصحاب المعاجم بالكلمة اللاتينيَّة او اليونانيَّة كما يفعلون ولعلهم استبعدوا موردها من ܣܪܩܐ وليس الامر كما توهموه

ومما نستوقف له أطيار الانظار والافكار اسم دودة الحرير في الارمية ܫܝܪܘܡܐ (صريرقا) فهي عندنا منحوتة من صرق « سرق » (بمعنى الحرير كما تلقناهُ من اللسان) و ܡܐ وهي الدودة والسوسة والبعوضة. فيكون محصل معناها « دودة الحرير » ولما دودة الحرير باللغة الارمنية فاسمها Լիրամ (١ (شيرام) فهي لفظة « شيرا » الارمية بزيادة ميم في الاخر كأنها بمنزلة التميم في سابق اللغات السامية (راجع مقالتنا في اصل التنوين عند العرب وغيرهم)

هذا ما اردنا تبيانهُ في هذا الباب ولا يخفى ما يترتب على معرفة هذه الكلم على اختلاف لغاتها في الالسنة المشهورة من الامور الجغرافية والتاريخيَّة واللغويَّة فضلًا عن معرفة منزلة هذه الاقوام وفضلهم في سابق العصور الخالية ثم في القرون التالية الى هذه السنوات الحالية. ولله الحمد اولًا وآخرًا

(المشرق) روينا هذه المقالة لحضرة مكاتبنا البغدادي الفاضل بحرفها ولا غرو أنَّ العلماء يعيرونها بالًا. لاسيما ان حضرتهُ ليس بأوَّل من ذهب الى هذا المذهب فانَّ العلَّامة المستشرق الهولندي دي خوي (de Goeje) ارتأى هذا الرأي قبل ٢٧ سنة في كتابهِ من آراء قدماء العرب في جزائر اليابان (Arabische Berichten over Japon. Amsterdam, Müller, 1880, p. 3,4) وتبعهُ في رأيهِ العلامة رينو في ترجمتهِ الافرنسية لتقويم البلدان (١٢٤:٣) لكنَّ الامر حتى الآن لم يقرّرهُ العلماء. وفي حجج حضرة الاب انستاس ما هو حدس وتخمين فقط

الثياب من قبيل الرداء بخلاف السيراء فانها من قبيل الثياب التي تكون تحت الرداء وفوق الشعار واهل العراق يسمون اليوم السيراء بالاغباني). وفي الحديث: اهدى اليهِ أكيدر دومة حلَّةً سيراء. قال ابن الاثير: هو نوع من البرود يخالطهُ حرير كالسيراء وهو فعلاء من السير: النمط. قال: هكذا روي على هذه الصفة. قال: وقال بعض المتاخرين: انما هو على الاضافة. واحتجَّ بان سيبويه قال: لم يأتِ فعلاء صفة لكن اسمًا: وشرح السيراء: الحرير الصافي. ومعناه حلة حرير. وفي الحديث: اعطى علياً بردا سيراء وقال: اجعلهُ خمرًا. وفي حديث عمر: رأى حلة سيراء تُباع »

اما الان فبعد النظر في اصل اللفظة اتضح لنا انها من اصل اريّ معرّب وان اصل هذا الاريّ من السره او السلي او من غيرهما مما تصحف من اللفظ الذي ذكرناه والذي ينبع اصلهُ من بلاد كوريه

١) شيرام بمعنى دودة الحرير لفظة ارمنية ومنها لغة ثانية وهي شيراس بسين في الآخر

لاسيّما ان الجغرافيين الأثبات يجعلون مدينة « سره » التي تكلم عنها بطليموس الجغرافي (Sera metropolis) والتي منها يشتقّ اسم الصينيين واسم الحرير عند القدماء قريبة من مدينة سنغانفو (Si-ngan-fou) الحالية وموقع هذه المدينة في الصين وليست في كورية . والله اعلم

وصف آثار كوم الشقافة

بقلم حضرة الخوري لويس ملحة الماروني

في احدى ضواحي الاسكندريّة الكائنة في الجهة الغربية منهـا والمسماة بكوم الشقافة أكمة وأنقاض اكتُشف فيها منذ بضع سنوات بطريق الاتفاق سراديب في قلب الارض وجدوا في داخلها قبوراً عديدة وحُجَراً كثيرة منقورة بالصخر نقراً محكماً وقد تسنّى لنا ان نزور هذه العاديات مراراً فتمكنّا في اثنائها من مشاهدة ما فيها من النواويس والحُجَر والكتابات والنقوش والرسوم والتماثيل . ومن ثم رأينا ان نصف في هذه العجالة لقراء المشرق الاغرّ هذه القبور وصفاً اجمالياً غير متعرضين الان للخوض في عبـاب البحث عن زمن تاريخها وآراء الاثريين فيها الّا فيما يجيء عرضاً في خلال الكلام وهو قليل

ان هذه السراديب هي عبارة عن طبقات ثلاث يركب بعضُها فوق البعض وقد انارتها البلديّة من الداخل بمصابيح كهربائيّة ما عدا الاخير منها فان المياه قد تسرّبت اليها منذ زمن بعيد بسبب انخساف حدث هنـاك للارض تدريجاً كما يذهب اليه علماء الآثار وقد انحدرنا الى هذه السراديب على سُلَّم لولبيّ الشكل لا يقلُّ عدد درجاته عن المئة فوصلنا اولاً الى الطبقة الاولى واذا نحن بحجرة مدوّرة الشكل وفي وسطهـا بئر يعلوها صخر نُقر على شكل قبة وعلى جانب هذه الحجرة الشمالي ترى قاعة فسيحـة الارجاء كان يجتمع فيها على ما قيل اهل الميت لحضور وليمة سنوية كانوا يصنعونها يوم تذكار الاموات عندهم وهي لا تزال على هيئتها الاصليّة . وفي داخلها ثلاثة مراقد من حجر واربع ركائز منقورة في جدران هذه القاعة واليها يستند سقفها وقد شاهدنا هناك كميّة وافرة من شظايا العظام البشريّة والحيوانيّة كالجماجم والفكوك والكعوب والاكارع مع عدّة آنية من الخزف والآجرّ مثل قوارير وجرار مختلفة الشكل

ثمَّ خرجنا من هذه القاعة وانحدرنا على درج يؤدي الى الطبقة الثانية فوصلنا الى حجرة ذات شكل مربع كانت معدَّة للصلاة على الاموات ولهذه الحجرة واجهة مشيدة على عمودين من الطرز المصري القديم يعلوهما نقوش ناتئة بديعة الصنع تستلفت اليها الانظار ثمَّ تقدَّمنا الى الامام واذا بكُوَّتين منقورتين بالجدار الواحدة تجاه الاخرى والصناعة فيهما تقرب من صناعة ابواب قدماء المصريين وفي كل منهما تمثال من الحجر الكلسي احدهما تمثال امرأة والآخر تمثال رجل . لمَّا سحنة هذين التمثالين فلا تدلّ انهما مصريان مع انهما قد اصطُنعا على اسلوب الصناعة المصرية كما يظهر من النظر اليهما بدقة وإمعان . وبعد ان أعملنا النظر في هذه الآثار الجليلة ولجنا الحجرة واول ما وقع بصرنا على جانبي الباب اللذين على كل منهما رسم ثعبان ناتئ قد التوى على نفسه وهذه الحجرة المشار اليها تتضمَّن ثلاثة اضرحة تتشابه شكلاً وصناعة انما تختلف نوعاً عن بعضها فيما يتعلق بزينتها وبالتصاوير التي تعلوها فالضريح الموجود بالوسط منقوش عليه من الخارج رسم ازهار ونقوش بارزة على شكل اكلة متدلية وفي وسطها صورة امرأة راقدة يظن انها المرأة التي أُعدَّ لها هذا الضريح لتُدفن فيه

اما النقوش التي على المدفنين المذكورين آنفاً فهي مؤلفة من عناقيد عنب تنتهي بشرائط محبوكة وفي وسط هذه النقوش ترى رأس فدَّان معلقاً بحلقة اما اغطية هذه الاضرحة الثلاثة فهي مزدانة باطار على دائرها وفيها من الدقَّة في الصَّناعة ما يحمل على العجب والاستغراب بحيث ان النحَّات الذي نحت هذه الاضرحة قد عمد الى وسيلة حسنة تقي اغطيتها من التفتت والتكسُّر فيما لو اضطرَّ الى رفعها لفتح الضريح وهي انه نقر ابواباً في الرواق الذي يكتنف الحجرة التي نحن آخذون بوصفها ثمَّ افرغ داخل هذه الابواب وبذلك استغنى عن ادخال الجثة الى الحجرة غير انهُ بقوا يدخلون بها اليها حيث يضعونها برهة من الزمن قصد الصلوات الاخيرة عليها ثمَّ يودعونها ألحادها من الابواب التي سبق وصفها

لما النقوش التي تعلو تلك الاضرحة فهي غاية في الجمال . فنقوش اللحد الذي في الوسط تمثل الاله اوزيريس متعصباً بالعصابة الملوكيَّة ومنبسطاً على سرير الموت وترى تحت السرير ثلاثة آنية لافراغ احشاء الميت فيها ووراء السرير ترى الاله انوبس (Anubis) اله التحنيط واقفاً وفي يده الشمال جام مجنَّح بجيَّتين ولهذا الجام عروة تشبه الحلقة وعند

راس السرير ترى الاله توت (Tut) اله الكتابة والعلم ممثلاً بصورة انسان الّا رأسهُ فهو بصورة راس الباشق وهو يمسك بيده اليمنى كوبًا وفي اليسرى مخصرة ويقدم للميت المضجع على السرير علامة شبه الصليب ترمز الى الحياة العتيدة وترى تجاه اقدام الميت هوروس (Horus) الـه الشمس منتصبًا بصورة راس باشق ماسكًا بيديه مخصرة واناء وترى ايضاً من يمين الميت كاهنًا متشحًا بجلد فهد فوق ثوب طويل يقدّم جامًا وذرًا من نبات السدر الى الالهة ايزيس المزينة الراس بجمّة مستعارة من الشعر والى شمال الميت يرى كاهن يقرأ امامه صلوات في درج

امّا النقوش التي تعلو الضريح الكائن في جانب الحجرة اليمنى فهي تمثل رجلًا على راسهِ تاج بشكل خوذة وهو محلى الجيد بعقد ومتدثر بثوب يصل الى ما فوق ركبتيه فقط وفي يده اناء يقدم فيـهِ تقدمة للاله ابيس القائم امامه على قاعدة تشبه قاعدة الاسطوانة وترى على صدر هذا الاله رسم هلال بارز ووراءهُ واقفة الالهة ايزيس وفي يدها اليمنى الريشة التي ترمز الى الحقيقة عند المصريين القدماء وهي باسطة اجنحتها دلالة على الحماية. وفي الجهـة الداخلية اليمنى ترى صورتين الواحدة منهما تمثل راس حيوان يشبه كلبًا يعلو راسهُ قرص على شكل هالة والثانية تمثل الهًا بصورة راس انسان على راسه قرص في دائرة مشعّة. وفي الجهة الداخلية الشمالية ترى شخصًا يُظن انهُ احد الفراعنة يقدم تقاديم للميت. امـا النقوش التي فوق الضريح الثالث فهي كالتي تقدّم وصفها وعليهِ لا حاجة الى تكراره هنا

وعلى الجهة اليمنى من مدخل الحجرة ترى الاله انوبيس بصورة جندي رومـاني يمسك بيده اليمنى حجنًا وباليسرى حسامًا. وترى في الجهة الشمالية تمثال الاله تيفون نصفهُ السفلي بصورة تنين وهو متشح ايضًا بلباس جندي روماني

ثم تركنا هذه الحجرة الجميلة ومررنا ثانية بالرواق الكائن امامها وما لبثنـا ان ولجنا السرداب الذي يطوّق الحجرة كما قدمنا. وكان ولوجنا هـذا السرداب من الجهة اليسرى وبعد ان اجتزنا فيهِ بعض خطوات شاهدنا على الجدار مدافن كثـيرة لم يزل القسم الكبير منها مسدودًا بحجارة وعلى اغطية هذه المدافن كتابات يونانية عريقـة في القدم تدلّ على اسم الميت وعمرهِ واكثر هذه المدافن تحتوي ضمنها من ثلاث الى اربع جثث. وفي جدار هذا السرداب طاقات صغيرة تحتوي قوارير من خزف ما زالت باقية

في امكنتها الى اليوم وهي تضمّ رفات الذين آثروا احراق جثثهم على ايداعها اللحد

ثمّ تركنا هذا السرداب وسرنا الى حُجَر مدفنية تؤدي الى حُجَر تشبه الحجرة التي مرّ بك وصفها الّا انها عارية من كل نقش وزخرفة

ثمّ صعدنا على الدرج الكبير واذا نحن ببئر كائنة على جانب الدرج قد استخرج منها الفعلة اثناء الاشتغال في تفريغ مياهها ثلاثة رؤوس من الرخام الناصع البياض وهي معروضة اليوم في المتحف الاسكندري. ثم ولجنا بعد ذلك مسلكاً ضيقاً كلهُ مدافن ادّى بنا الى حجرة صغيرة تتضمّن قبوراً مسدودة عليها بقايا رسوم لا تخلو مشاهدتها من الافادة ومنها دخلنا قاعة كبيرة فيها عدّة مدافن منقورة بنفس جدرانها. وهذه القاعة تُعرف بقاعة كاراكلّا وسبب اطلاق هذا الاسم عليها هو لانهم وجدوا فيها تلك الجماجم والعظام البشريّة والحيوانية التي مرّ بك ذكرها. وقد عزى بعضهم وجود هذه العظام هناك الى المذبحة الشهيرة التي أحدثها كاراكلا احد ملوك الرومان الذي ملك من سنة ٢١١ الى ٢١٧ بعد المسيح وكان هذا الملك سفّاحاً سافكاً للدماء. كما يُعلَم من مطاوي تاريخ حياتهِ وعلّلوا ذلك بقولهم انه لما بلغ الاسكندريين ما سيحدثه كاراكلا هذا فرّ فريق منهم هارباً الى تلك السراديب التي نحن بصددها حيث اختبأوا فيها مع خيلهم الّا ان جنود كاراكلا قد ادركوهم هناك واذاقوهم الموت الزؤام برمي الحجارة

هذا ولا تزال مصلحة الآثار تهتمّ باخراج المياه الباقية في الطبقة الثالثة كما اسلفنا في مقدمة هذه المقالة ولنا الامل ان هذا المسعى الجليل يصادف نجاحاً فيغتنم بذلك محبُّو الآثار فوائد جمة وسنوافي قرّاء المشرق الاغرّ عما يجدّ في تلك السراديب من الاكتشافات الهامّة في مقالة خصوصية ان شاء الله

القديس توما وخلاصته اللاهوتيّة

بقلم حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

هو القديس توما الاكويني نابغة القرن الثالث عشر في الفلسفة واللاهوت اخذ دروسهُ عن البرتوس الكبير فلقبهُ بعض رفاقهِ بالثور الصامت لشدة صمتهِ وعبالتهِ فخالفهُ

استاذهُ فيهِ بقولهِ : ان هذا الثور اذا عاش فسيدوي خوارهُ في المسكونة كلها . فحقَّق القديس تكهُّن استاذهِ فهر وفاق وسار صيتهُ في الآفاق فعُرف بصخرة الكنيسة لا يزعزعها تيار الكفر الجارف ولا تقلقلها عواصف الاهواء الزائفة . وعمود عقائد الكنيسة الذي اعتمدت عليهِ آمنة مطمئنة بعد ان ظنَّها الجهلة قائمة على شفير التلاشي . وبحر الدين الكاثوليكي يناضل عنهُ نضالاً دونهُ نضال المستميت المتهالك فقلَّ شباة خصومهِ العديدين . ومطرقة المبتدعين التي اندقَّت بها رؤوس المبتدعة والملاحدة الشامخة فارتدوا خائبين خاسرين يجرقون الأُدم غيظاً وحنقاً . والاستاذ الملكي الذي شرب زلال المعارف من معين اللاهوت حتى ارتوى عقلهُ منهُ فحلَّق في سماء الطبيعة البشرية . وشمس المدارس بعد ان اشرقت انوار حكمتهِ في اخريات ليالي القرون الوسطى فزقت غياهب الجهالة والضلالة عن سماء المغرب . والعلَّامة بين القديسين بعلومهِ الالهيـة والبشرية التي بزَّ بها اهلَ عصره فرأتهُ الكنيسة في مقدمة لفيف الاباء والعلماء المشاهير والقديسين الجليل بين العلماء وحسبهُ ما قالهُ البابا يوحنا الثاني والعشرون في اثناء تقديسهِ : لا حاجة لهُ الى العجائب لكي يُعدَّ في جملة القديسين من حيث انهُ اجترح من المعجزات بمقدار ما فكك من معضلات المسائل . الى غيرهِ من الاوصاف التي قرظهُ بها الاباء القديسون والعلماء الكاثوليكيون فرواهُ الرواة والمؤرخون الاثبات . ومن العجيب بعد هذا كلهِ ان يضرب صاحب دائرة المعارف عن ترجمتهِ الى ترجمة سميهِ توما الكمبيسي وبين الاثنين من الشهرة والمعرفة العلمية ما لا يجهلهُ احد

وما انا ممن يسرد اعمالهُ وفضائلهُ انما رويت ما ذكرتهُ وما سأذكره على سبيل الاستطراد مقدمة بين يدي ما يأتي من انتشار تعاليمهِ في الغرب والشرق وتعريب خلاصتهِ اللاهوتيَّة الشهيرة فمن شاء مطالعة ترجمتهِ فعليهِ بمروج الاخبار في تراجم الابرار للاب بطرس فرماج اليسوعي فانها كافية وافية بالمرام

في الطريقة الفلسفية الجدلية

لستُ بباحث عن ماهية الفلسفة وموضوعها وعلاقاتها بسائر العلوم الرياضيَّة والطبيعيَّة والتاريخية واللاهوتيَّة ولا بذكر اجزاء الفلسفة المعروفة بعلم المنطق وعلم ما وراء الطبيعة وعلم الادب ولا بمعدد مذاهب فلاسفة اليهود والهنود والفرس والصينيين والمصريين واليونان والرومان ولا بمستقص ما طرأ على الفلسفة من الاطوار متقلبة

بين الزهو تارةً والذبول اخرى فان كل هذا لا يسعهُ صدر مثل هذه المقالة الموجزة وقد وفاهُ حقَّهُ مؤرخو الفلسفة فليراجعهُ طلّابهُ في مظانّهِ ان شاؤوا

انما اقتصر على ما يقتضيهِ البحث ويندمج في مساق الكلام وهو الاسلوب المدرسي المعروف بالطريقة الفلسفية الجدلية التي خلفتْ الطريقة الاخرى الوضعيَّة . وهذا الاسلوب ليس هو الّا اخاء الايمان والعقل وائتلاف نظام الفلسفة بنظام اللاهوت معاً ونظامهُ عند الفلاسفة قائم في تجزئة الموادّ العلميَّة المتنوعة وفي ترتيب اجزاء الموضوع وفي تهيئة قضايا كلٍّ من اجزائهِ (اي الموضوع) وفي إعداد المواد بالنظام المنطقي واخيراً في حدّ وتعريف كل الالفاظ والاشياء المفتقرة الى الحد والتعريف واثبات القضايا المرتاب فيها بالقضايا المؤكدة الواضحة التي لا تفتقر الى بيّنةٍ او برهان (١

اما مشاهير الاسلوب المدرسي فلا يُذكر منهم سوى القديس يوحنا الدمشقي (+ سنة ٧٥٤) والقديس انسلموس (+١١٠٩) وبطرس اللمبردي (+ ١١٦٠) والبرتوس الكبير (+١٢٨٠) والقديس توما الاكويني (+ ١٢٧٤) والقديس بناونتورا التوسكاني (+ ١٢٧٤) ودون يوحنا سكوت (+ ١٣٠٨) وليسوا من الفلاسفة الوضعيين بل هم اساتذة من شأنهم ان يجمعوا الحقائق التي يتوصل العقل البشري الى معرفتها بذاتهِ وينظمها في سلك فلسفي سهل المنال مستندين فيها الى القياس المنطقي الذي هو دعامة الفلسفة الجدلية التي عُرفت عند الخاصّة من ذويها بفلسفة القرون الوسطى

واول من جرى على هذا الاسلوب هو القديس يوحنا الدمشقي كبير فلاسفة العصر المتوسط وكتابهُ المعنون (المقالات المائة) هو مختصر في اللاهوت الاعتقادي رتَّبهُ على نسق فلسفي جامعاً فيهِ ضروب الفصاحة والبلاغة معاً فدُعي بسببهِ ابا الفلاسفة واللاهوتيين المدرسيين

على ان الجلّي في هذه الحلبة انما هو القديس توما المدعو ملاك المدارس الذي

١) يُقسم علم اللاهوت الى طريقتين الطريقة المعروفة بالوضعية (Théologie positive) وغايتها البحث عن حقائق الايمان في الاسفار المقدسة وتقليد الكنيسة المتواتر . والطريقة المدرسية (Théologie scolastique) وجلُّ مقصودها ان تفسّر المعتقدات الموحى بها باظهار حقيقتها وحدودها واسبابها ومناعيها مع العلاقة التي تربط بعضها ببعض و بيان موافقتها للعقل والردّ على حجج مناهضيها ومجمل القول انَّ الطريقة اللاهوتية الوضعية تبحث عن وجود العقائد والمدرسية تسعى في ادراك تلك الحقائق الاعتقاديَّة (المشرق)

طرس على آثار القديس اوغسطين العلامة الشهير. قال الاب مارين دي بواليف اليسوعي في كتابهِ الفلسفي: ان توما كان معدن النظام واوغسطين معدن الاختراع ذاك جمع المواد كداود وهذا شاد البناء. كايمان ذاك كان افلاطونياً مسيحياً بحتاً وهذا كان ارسطوطاليسياً كاثوليكياً قحاً ذاك اختصر وهذّب واكمل افلاطون الذي اصلحهُ ارسطو وهذا اختصر اوغسطين وارسطوطاليس مفتراً ما وضعهُ هذا وشارحاً ما ألّفهُ ذاك وبالنتيجة ان اوغسطين ألّف بين افلاطون وارسطو واما توما فألّف بين الثلاثة جميعاً. وعليهِ قد اصاب العلم كوزان فيما قالهُ عن توما: انهُ اراد ان يكون استاذاً فعزّ نظيره وانفرد بفصاحتهِ فلُقب بشمس المدارس وسما بمضاء اقوالهِ فكُني ببوق الكنيسة واجاد في سمو تعاليمهِ فدُعي الاستاذ الملكي. اجل لا جزالة ولا بهرجة ولا بلاغة لانشائهِ ولكنهُ ذو قوة وايجاز وطلاوة تخلب الالباب. واخطر من هذا ما شهد السيد الخاص بهِ وبخطورة تآليفهِ حيث خاطبهُ وهو جاثٍ ومصلٍّ لدى صورة المصلوب بهذه الالفاظ الالهيّة: «يا توما قد كتبت عني حسناً فما تكون مكافأتك». فاجاب الاستاذ القديس: «ما هي الّا لك وحدك» فما اعظمها شهادة صادق عليها لا مؤرخو عصرهِ فقط بل البابا اقليمس الثامن ايضاً. وسترى في الفصل الآتي ما اصابت تعاليمهُ من الاعتبار والانتشار

ومن اشهر مؤلفاتهِ «الخلاصة اللاهوتيّة» التي بسط فيها المباحث اللاهوتيّة والفلسفيّة والادبية بطريقة القياس المنطقية فبينا هو يتحد فيها الايمان والعقل ويقرن الى الحكمة البشرية الحكمة الالهية السامية ويؤلف بين مبادي الفلسفة واقوال الاباء القديسين المشاهير تراهُ يميّز بين الايمان والعقل ويحمي ذاك ويرقي هذا الى اسمى درجات الطبيعة البشرية. فخلاصتهُ هذه خلاصة الفلسفة التامة. وقد طبعت في جملة مؤلفاتهِ في رومية سنة ١٥٧٠ وسنة ١٥٧١ وطبعت في باريس سنة ١٦٣٦ وما بعدها وطبعت في البندقية سنة ١٧٤٥ وطبعت في بوم من صقلية سنة ١٨٥٧ وما يليها. وقد لخصت هذه الخلاصة وترجمت الى لغات اخرى عدة ترجمات مما لا محل لذكره هنا. ونقلت ايضاً الى اللغة العربية مرات مما ستقف عليه في الفصول التابعة من هذه المقالة ان شاء الله

٢ في انتشار التعاليم التوماوية

وعليهِ أعجب الاحبار العظماء بالقديس توما واجلّوا حكمتهُ البالغة وانزلوها منزلتها العالية وأطروها غاية الاطراء. فشهد اقليمس السادس ونيقولاوس الخامس وبنادكتوس

الثالث عشر وسواهُ من الاحبار بما اولى تعليمهُ الكنيسة الجامعة من عجيب الرونق والبهاء. واعترف البابا بيوس الخامس بان تعليمهُ يخزي البدع ويفنّدها ويبيدها ويقي العالم المعمور باسره من الغوايات الوبائية. وقال ايضاً البابا اقليمس الثاني عشر: ان الكنيسة قد جنت من مصنفاته ثماراً كثيرة فهو خليق بما تؤدّيه الكنيسة من الاجلال لكبار أئمتها من مثل غريغوريوس وامبروسيوس واغسطينوس وايرونيموس

بل تنافس بهِ آباء الجامع المسكونية حتى كأنهم رأوه في مجامع ليون ورونة وفلورنسا في مقدّمة لفيف الآباء فيما يتداولونهُ ويبرمونهُ من الاحكام مفنّداً بعزيمتهِ الناهضة اضاليل المشائين والمبتدعين والبرهانيين الجاحدين. قال الطيّب الاثر البابا لاون الثالث عشر: على ان اعظم ما حُفَّ بهِ من الاجلال وخُصَّ بهِ دون غيره من مشاهير الكاثوليك قد اتاه من آباء المجمع الواتيكاني لمَّا اقاموا على المذبح في بهرة المجمع المقدَّس كتاب القديس توما الاكويني المعروف بخلاصة اللاهوت مفتوحاً الى جانب الصحف المقدَّسة والخطوط الحبرية يرتشفون من منهلهِ زلال الاراء السديدة والنصوص والاسانيد الكريمة

وقد رأى احبار رومية العظمى ان يكون القديس توما بمنزلة دستور واستاذ تتفقّهُ بحكمتهِ المنتديات العلمية والمدارس الكبرى آمنةً من مزالق الزلل وبوادر الخلل قال البابا اوربانس الخامس في اثناء كلامهِ الذي وجههُ الى منتدى طولوز العلمي ما تعريبهُ: « انا نريد بكم ونأمركم بمقتضى رسالتنا هذه ان تتبعوا الطوباوي توما لكونهِ صادقاً وكاثوليكياً بحتاً وان تكبُّوا بكل عزمكم على بسطهِ ». وحذا حذوهُ اينوكنت الثاني عشر في امرهِ المنفذ الى مدرسة لوفان الكلية. وجرى على منهاجهِ بنادكتوس الرابع عشر في امره الذي صيرهُ الى المدرسة الديونسيانية القريبة من غرناطة. وقال اينوكنت السادس وقولهُ فصل الخطاب في اتباع التعاليم التوماوية وهذا حرفهُ: « ان لتعليم القديس توما مزيةً على سائر التعاليم ما خلا الاسفار المنزلة باحكام كلامهِ وضبط تعابيرهِ وصحة قضاياهُ فمن يتمسَّك بهِ يأمن الشرود عن الصراط القويم وما ناقضهُ احد في وقت ما الّا سقط في شبهة الضلال. وأحرِ بهذا القول السامي ان يُكتب بالتبر لا بالحبر على وجه الدهر بياناً لقدر الحكمة التوماوية الباهرة

فاصاخ المغرب الى صوت هداة الكنيسة ومناور حكمتها في مجامعها العامّة واقبل

اهلهُ على ان يتصفحوا تصانيف هذا النابغة الخالد الذكر باجتهاد ليس وراءهُ زيادة لمستزيد بل ان يكبُّوا على دراسة حكمتهِ البالغة وتحصيل تعاليمهِ الرائقة برغبةٍ ليس بعدها مطلع لناظر من مثل سوارس اليسوعي الفيلسوف واللاهوتي الشهير وبسويت الخطيب والفيلسوف الخطير وسواهما من مشاهير الفلاسفة والأئمة اللاهوتيين في الاعصر الغابرة

واوعز واضعو الطرائق الرهبانية الى مقتفي خطتهم ومنتهجي طريقتهم بدراسة المعارف التوماوية وحذروا على ايٍّ منهم الحيد او الزيغ عن جادتها المثلى ولو قيد خطوة من مثل الرهبان الدومينيكيين والرهبان البنادكتيين والرهبان الكرمليين والرهبان الاوغسطينيين والرهبان اليسوعيين الافاضل وسواهم على ما شهدت بهِ كتب قوانينهم وطرائقهم

وكنت ترى اذ ذاك معاهد الادب ومنتديات العلم التي عمرت بالغرب منتشرة في باريس وسلامنك ودواي وطولوز وبادوا وبولونيا ونابولي وكومبرا والقلعة (Alcala) الى اخرى غيرها كثيرة كانت جهة الفلسفة في معضل القضايا بلا معارض وعرى غرض المستفيدين في عويص المشاكل اللاهوتية بلا منازع. وقد كان القديس توما استاذ هذه المعاهد الخطيرة التي دُعيت بكل صواب معاهد الحكمة البشرية وكان استاذتها وطلبتها اجمعون يرتاحون الى تعاليمهِ السامية دون سواهُ ويجمعون على الوقوف عنده والتعويل عليهِ وكفى بهذا دليلًا واضحًا على انتشار الحكمة التوماوية في الغرب بما لم يسبق اليهِ سابق في احد العصور الدارجة (انظر خط البابا لاون الثالث عشر الصادر في ٤ آب سنة ١٨٧٩)

واما في المشرق فلم تُنشر التعاليم التوماوية بين شعوبهِ الا بعد ارتداد الطوائف المنفصلة الى الوحدة الكاثوليكية فاقبلوا على ارتشاف زلال حكمتها الصافية بعد ان ادركوا خطورتها. واول من اعرفهُ منهم انما هو طيموثاوس اسحق مطران آمد (١ السرياني الكاثوليكي الذي استشهد بالقديس توما ونشر آراءهُ بين الشرقيين وتحرَّاهُ

١) هو اسحاق ابن جبير الذي روى ترجمتهُ حضرة الخوري اسحاق ارملة في العدد السابق من المشرق (ص ٢٨٦)

في طريقته المدرسية الجدليَّة في كتابه المعلَّم: مدرك النجاة وحجة الفوز بالحياة (١ انظر منهُ الفصل الـ ١ من الاصحاح الـ ١ في القول عن الاتحاد الاقنومي وامكانه

وبعد ان تلقَّى تلاميذ باقي الشرقيين معارفهم في المدارس الرومانية واول من اعرفهُ منهم العلامة اسطفان الدويهي الذي اكثر من سابقه في الاستناد الى مار توما في كتابه الخطير المسمى بمنارة الاقداس في تفسير القداس . والثاني الفيلسوف الخوري بطرس التولوي الذي جرى على اثار القديس توما وفاق كل متقدميه في الاكثار من الاراء التوماوية في كتابه المعروف باللاهوت النظري في اجزائه الخمسة . وأقف عند هؤلاء العلماء المشاهير خوف ملل القراء الكرام

٣ في تعريب الخلاصة اللاهوتية

على ان هذا السند وتلك الشهادة ليسا هما الَّا ثمدًا من قطر ورشلًا من بحر لا ينقع امج طلَّاب المبادئ الفلسفية والاصول اللاهوتية الجدلية في ذلك العهد الذي كان الاباء والعلماء احوج فيه الى مدافعة مناهضي الدين الكاثوليكي في ارتدادات الطوائف الشرقيَّة المعروفة فشمر اهل المعرفة عن ساعد الجد الى اخراج تلك اللآلئ التوماوية من اصداف العجمة وابرازها مجاوَّة على روَّامها تتهادى في حلَّتها العربية الانيقة . وهانذا اذكر من عرفتهُ من هؤلاء النقلة الافاضل الواحد تلو الآخر ببعض تقديم وتاخير اقتضاهُ المقام

١) لا بد من ادراج فصول الكتاب للتعريف به وهي: الاصحاح الاول في الاتحاد الاقنومي وامكانه . والاصحاح الثاني في خاصة الاتحاد الاقنومي . والاصحاح الثالث في تمام التجسد . والاصحاح الرابع في بيان كيفية صيرورة التجسد . والاصحاح الخامس في كيفية صيرورة التجسد من طرف الطبيعة المأخوذة . الاصحاح السادس ان الكلمة اخذ الطبيعة الانسانية بكل اجزائها الذاتية حقيقيًا . الاصحاح السابع في كيفية اقتران التجسد ونسبته الى حد ذاته . وكل اصحاح منفصل الى فصول وكل فصل مجزأ الى مقاصد . والمؤلف ينتقد فيها النسطورية واليعقوبية والمونوثلية والاريوسية والمرقيونية وسواها من اضاليل الشرق . وممن يستشهد بهم من اللاتين ما خلا القديس اوغسطين القديس توما والمعلم سكوتو . فالظاهر ان المؤلف اخذ شهاداتهم اما بنفسه او بواسطة احد رهبان الفرنجة الفرنسيسيين او الكبوشيين او اليسوعيين . وجزء كبير من هذا الكتاب مورد بادلته وشهادته في كتاب المرآة الوضية او الجلية ليوسف الثاني بطريرك الكلدان وعلى كل يصحُّ قول السمعاني ان الاسناد والشهادات غير مدققة انظر وصف المرآة في مكتبته الشرقية (٣: ٦٠٥)

والنسخة التي بيدي من مخطوطات القرن السابع عشر امتلكها فتح الله بن سفر الشماس السرياني في ٢٥ ايلول سنة ١٧٢١ وخطها ليس بجلي واضح

فنهم الحصروني وهو الاسقف يوحنا بن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبي الحصروني المارونى اخذ دروسهُ عن مدرسة رومية المارونية وفي سنة ١٦٠٣ رقاهُ البطريرك يوسف الرزي الى الاسقفيَّة وبعث بهِ الى رومية في حاجات الطائفة فنهض بعبء بعثهِ بما عهد بهِ من النشاط. وفي سنة ١٦٠٦ انتهى الى حلب قضاء لبعض المهام فحمل الطائفة فيها على متابعة الحساب الغريغوري دون مبالاة بخصمائهِ الذين بذلوا اقصى الجهد في مناهضتهِ فاخفقوا سعياً. وعاد الى رومية فادركتهُ الوفاة فيها سنة ١٦٣٢ ومن آثارهِ الادبيَّة ترجمتهُ للجزء الاول من الخلاصة اللاهوتيَّة ولا ادري ما جرى بها وما هي قيمتها العلمية (انظر ص ١٨٥ و٢٠٣ و٤٠٥ من تاريخ الدويهي)

ومنهم التولوي وهو الخوري بطرس بن بطرس بن اسحق زيتون التولوي والحلبي المارونى ولد بتولا من عمل البترون وتلقى دروسهُ بالمدرسة السابق ذكرها وفي سنة ١٦٨٢ اعلاهُ العلامة البطريرك اسطفان الدويهي الشبير الى درجة الكهنوت وعهد اليهِ مناظرة ارزاق الكرسي البطريركي الى ان ارسلهُ الى خدمة موارنة حلب فاظهر من الهمة في الخدمة في سبيل الله والتربيب ما يخلد لهُ الاحدوثة الطيبة الى ما شاء الله ولقي ربهُ فيها سنة ١٧٤٦. اقرأ ترجمتهُ في المشرق (٦ : ٧٦٩—٧٧٧) ومن تركتهِ العلمية على ما شافهني بهِ حضرة صديقي الفاضل الخوري ق. . . . تعريب الخلاصة اللاهوتية قال انهُ رأى هذا في نسخة مكتبة حلب المارونية الاتي ذكرها التي كانت باقية عند جناب الاديب موسى افندي صفير صاحب مكتبة المعارف فأطربني هذا الخبر الذي جهلتهُ في جدول تآليف التولوي (المشرق ٦ : ٧٧٥) واتيات في رحلتي الاخيرة الى بيروت على طلب هذه النسخة لاعادتها الى المكتبة المذكورة ولكن ما اشدَّ ما كانت خيبتي عند مراجعتها حيث رايتها من تعريب اسحق بن جبير الاتي ذكرهُ والظاهر ان صديقي شبَّه عليهِ اسحق هذا بجد التولوي فظنَّهُ اياهُ وشتَّان بين الاثنين

ومنهم الموصلي وهو المفريان اسحق بن عبد الحي بن جبير الموصلي السرياني(١ ولد بالموصل في الربع الثاني من القرن السابع عشر وتلقى دروسهُ الابتدائيَّة بها وانَّما برومية فغدا ماهراً في السريانيَّة واللاتينيَّة عارفاً بالعربيَّة واعتق الكثلكة في جملة من اعتنقها اذ ذاك فجعلهُ البطريرك اغناطيوس بطرس غريغوريوس الكاثوليكي مفريانًا على الشرق

١) الطلب ترجمتهُ في العدد السابق (٢٨٦—٢٩١)

بعد ارتقائه الى البطريركية في سنة ١٦٧٨ فجعل اسحق مقرّهُ في آمد (دياربكر) يتحمل مناصبة اعدائهِ اليعاقبة لهُ حتى اضطرّوه الى الرحيل فارتحل عنها الى حلب الشهباء وعمرها مدة الى ان استطاع الهرب الى رومية في رفقة يشوع عبد الاحد مطران اورشليم ويوسف سفر مطران ماردين وبعد وفاة بطريركهِ السابق الذكر اختارهُ الكاثوليك بطريركاً في خبر ليس هنا محلهُ (١ وهو اذ ذاك في الاستانة ولا بأس ان ابتسر الخبر فاقول انهُ آثر العزلة على البطريركية وقفل عائداً الى رومية في سنة ١٧٠٦ وقطنها اعواماً متطاولة الى ان استأثرت بهِ رحمة الله في سنة ١٧٢١ . ومن آثاره الادبية (٢ ترجمتهُ الخلاصة اللاهوتيَّة (٣ في اربعة مجلدات ضخمة . المجلد الاول في ٦٨١ صفحة كبيرة ويحتوي على القسم الاول من الاصل اللاتيني وينتهي بالبحث المائة والتاسع عشر : في انتشار الانسان بالنظر الى الجسد . والمجلد الثاني في ٥١٦ص وينطوي على الجزء الاول من القسم الثاني ويختتم بالبحث المائة والرابع عشر : في ان الاستحقاق معادل النعمة الفاعلة . والمجلد الثالث في ٨٧٥ ص ومداره على الجزء الثاني من القسم الثاني وتواليهِ البحث المائة والتاسع والثمانون : في الدخول الى الرهبنة . والمجلد الرابع في ٤٠٩ ص ومضمونهُ القسم الثالث ومصائره البحث التسعون : في اقسام التوبة اجمالاً . وهذه النسخة الكاملة (٤ من خط واحد وقطع واحد خطها كاتبها يعقوب الارمني الاتي ذكرهُ

١) ذكر خبر ارتقائه الى البطريركية في جملة اخبارهِ سيادة الحبر المفضال افرام نقاشة في تاريخهِ للسريان مجلد ٢

٢) اثنى عليهِ العلامة السمعاني وعدّد تآليفهُ في مقالة الدومنيكيين ص ١٧٠ وفي المكتبة الشرقية (٢ : ١٠)

٣) من آثاره غير المعروفة ترجمتهُ عن اللغة اللاتينية (فلسفة ارسطو جميعها) لشارحها (بطرس باريي الباريسي المشهور بين مدرسين (كذا) باريس) ومنها نسخة في مكتبة حلب المارونية تحت عدد ١٩٩ وهي نسخة حسنة تقع في ٦٩٨ ص وكل صفحة ٣٧ سطراً خطّها الشماس يعقوب السابق الذكر . وقد جاء في اخرها ما حكايتهُ : « هذا كتاب الفلسفة قد اخرجهُ الحقير برؤساء الكهنة المفريان اسحق من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربية برومية الكبرى حماها الله في ايام الحبر الاعظم اقليمنطوس ١١ (١٧٠٠–١٧٢١) صانهُ الله اياماً عديدة امين يا سيد » ويليه بخط فرحات : « قد اتتني هذا الكتاب وارتفه على كنيسة مار الياس الحقير في رؤساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب بثمن ٦٣ اسديًّا » وذلك سنة ١٧٢٦ . وأتى عند هذا الوصف الى غير هذا الموضع

٤) في مكاتب حلب مجلدات متفرقة من هذه الترجمة ففي مكتبة الروم الكاثوليك نسخة من

بحبر اسود واحمر وجعل رؤوس الفصول والابحاث بحبر احمر وازرق واصفر وكل مجلد منها مبدوء بعد البسملة بما حرفهُ: « نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه العظيم: المختصر في الالهيات لمار توما الاكويني المعلم اللاتيني » . وفي ظاهر هذه الصفحة ما خلاصتهُ: « ان جرمانوس فرحات قد اوقف هذا الكتاب وقفاً مؤبداً على كنيسة مار الياس في مدينة حلب باعتناء يوسف بن اغوسطين الهندي وفرنسيس بن حنا حصرم في سنة ١٧٢٦ » ويليها بخط جرمانوس نفسهِ ما حكايتهُ: « هذه هي النسخة الاولى (١ المترجمة من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية في مدينة رومية وعليها المعوَّل لانها كاملة الصحة » . وفي آخر كل مجلد يستفاد ما نصهُ الحرفي: « قد اقتنى هذا الكتاب من ماله الحقير في رؤساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب » فابتاع كلًّا من المجلد الاول والثاني بثلاثة وخمسين اسدياً وكلًّا من المجلد الثالث والرابع بثلاثة وسبعين اسدياً فتكون الجملة ٢٥٢ اسدياً والاسدي يساوي غرشاً واحداً تكسيرهُ اذ ذاك على ٥ فرنكات فيكون ثمنها الفاً ومئتين وعشرة فرنكات من النقود الدارجة اليوم

وقد جاء في آخر المجلد الثالث ما روايتهُ الحرفيَّة: « الحمد لله رب العالمين على انعامهِ واحسانه اجمعين والذكر الصالح لوالديه وقديسيه امين . قد تمَّ الكتاب بعون الملك الوهاب في رومية الكبرى (٢ على يد احقر العباد الشماس يعقوب بن بقدسار القسطنطيني ارمني المذهب قاتوليقي العبد (٣ غفر الله لهُ ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات

المجلد الاول وفي مكتبتي الخطية نسخة من المجلد الثالث وفي مكتبة الورتيت الفاضل بولس بليط جزء من المجلد الرابع الى نسخ اخرى في مكاتب الشرق والغرب (اطلب العدد السابق من المشرق ص ٣٩٠ وأضف على ما ذُكر هناك نسخة مصونة في دير الشير للروم الكاثوليك)

١) لا يُعترض على فرحات بترجمة المصروفي السابق ذكرها فالظاهر انها غير مروقة او غير شائعة وبالتالي غير تامة كما مرَّ بك سابقاً

٢) يذهب سيادة الحبر العالم السابق الذكر الى ان ابن جُبير عرَّب الكتاب في الاستانة وفي ظني انهُ عرَّبهُ في رومية او انهُ ابتدأ به في تلك المدينة وانجزه في هذه على ما يظهر من تضاعيف هذه الحاشية

٣) عند ارمن حلب تقليد في ان المعرب ارمني على ما اخبرني به حضرة صديقي العالم الورتيت ب . . . . من الجدلي المشهور حنا مخلاجي رحمهُ الله ولكنهُ لا يُعرف اسمهُ ولا نسختهُ المعربة والظاهر ان التقليد مسنود الى يعقوب السابق الذكر فقام في ظن البعض انهُ المعرِّب وروى الخبر البعض الاخر بلا تدقيق مع انهُ الناسخ فقط

بالمسيح والدين الصحيح في اليوم الثامن من شهر كانون الاول نهار عيد حبل العذراء في بطن امها من شهور سنة ١٧٠٨ مسيحية (١ . فهذا ثاني القسم الثاني من مختصر مار توما الاكويني المعلم الملائكي المتكلم بالالهيات . وهو ما (مما) ترجمهُ من اللغة اللاتينيَّة الى اللغة العربيَّة العبد الضعيف النحيف الحقير في رؤساء الكهنة المفريان اسحق الموصلي ابن المرحوم شماس عبد الحي سرياني البيان قاتوليقي الجنان عفى الله عنهُ وعن والديه . فصار ذلك برفقة اخوتنا الكرام المطران يشوع خادم القدس الشريف واسقف (كذا) سفر لسقف ماردين حرسهما الله وعفى عنهما وعن والديهما اجمعين امين يا معين . حُرِّر في كنيسة السريان داخل روميـة الكبرى » . وبعدها كلمات مكشوطة لا يتبين منها سوى : وقف « الدير المومى اليه » انتهى

وهذا التعريب اول تعاريب الكتاب التامَّة المعروفة واصدق دليـل على جلَد ابن جُبير وجزيل فضلهِ على ابناء جلدتهِ الشرقيين في نشره مثل هذا الكتاب الجدلي الفلسفي واللاهوتي المتقطع النظير . تغمَّد الله معربهُ وناسخهُ ومقتنيهِ بالرحمة والرضوان

٤ في معارضة ترجمة الخلاصة

ولما قضى الله بافضاء الرئاسة الكبرى البطرسيَّة الى داهية البشر البابا لاون الثالث عشر وجَّه طرف عنايتهِ الى انعاش الحكمة الحقَّة بعد خمولهـا فاشار في خطهِ الرسولي الآنف الذكر الى تعليم العقائد الدينية والحقائق الفلسفيَّـة على الطريقة التوماويَّة واعتماد كتابهِ الموصوف فهبَّت مدارس الغرب الى اقتباس فوائده من خلال حكمتهِ البالغة في حين ان ترجمتهُ المار وصفها كانت في الشرق ملقاة في زوايا المكاتب لا يستفيـد منها الخاصة شيئاً فضلاً عن العامَّة . فدفعت عندها النخوة الشرقيَّة سيـادة الجهبذ العلامة المفضال المطران بولس عواد الى ان يصرف منتهى غايتهِ في تعريبها عن الاصل اللاتيني تعريباً جامعاً بين البلاغة والاحكام وابرازها من تحت ملزم الطبع الى عالم القراء ليعلم نفعها الخاص والعام . وهنا لا بدَّ من معارضة ترجمتهِ بالترجمة القديمة ليظهر لك فيها مزية هذه على تلك يسوق اليها مساق المقابلة وان تكن من المقررات الواضحات وضوح الشمس في رابعة النهار . وقد اخترت الفصل الـ ٤ من البحث والقسم الاولين لاختصـارهِ خشية ملل القراء وهو هذا :

١) اي قبل وفاة المعرب بثلاث عشرة سنة

الترجمة الجيرية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

اعتراض اول يقولون ان التعليم المقدس هو علم عملي لكون غاية العلوم العملية هي العمل كقول الحكيم في ب (٢) من الالهيات والتعليم المقدس قد ترتب للعمل كقول يعقوب الرسول صح ١ كونوا فعلة الكلمة لا مستمعيها فقط . فاذاً التعليم المقدس هو علم عملي

ع ب يقولون ان التعليم المقدس ينقسم الى العهد العتيق والجديد والشريعة تتعلق بالعلم النظري فهذا علم عملي فاذاً التعليم المقدس هو علم عملي

فهذا خلف لكون كل علم عملي هو في الاشياء العملية الواجب فعلها للناس كالفقه في اعمال الناس والمعارية في اعمال البناء والتعليم يختص بالله اولياً وافعالهُ تعالى بالحري هم الناس فاذاً التعليم المقدس ليس بعلم عملي بل بالحري نظري

المقصد في ان التكلم بالالهيات المقدس هو علم عملي ونظري بنظام عالٍ لكنهُ نظري اوفر من ان يكون عملياً . الدليل نقول كما مرَّ ان التعليم المقدس اذ يقوم واحداً فيستند الى الامور المتعلقة بالعلوم الحكمية المختلفة بسبب التصوير الصوري فهذا يراعي بامور مختلفة اعني من حيث انها معروفة بالنور الالهي فحقاً ان العلوم الحكمية بعضها نظري وبعضها عملي ولكن التعليم المقدس يتضمن كليهما كما ان الله تعالى يعرف ذاتهُ القدسية ومصنوعاتهِ بعلم واحد لكنهُ نظري اكثر من ان يكون عملياً لكونهِ يبحث خاصةً عن الامور الالهية اوفر من بحثهِ عن الافعال البشرية التي يشتغل بها حسبما يترتب بها الانسان الى معرفة الله الكاملة القائم بها السعادة الابدية

ومن هذا بيان جواب الاعتراضات

الترجمة العوّادية

هل التعليم المقدس هو علم عملي

يتخطى الى الرابع بان يقال يظهر ان التعليم المقدس علم عملي لان غاية العلم العملي العمل كما قال الفيلسوف في الالهيات ك ٢ م ٣ والغرض المقصود من التعليم المقدس هو العمل كقولهِ في يع ١ : ٢٢ (كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين لها فقط) فاذاً التعليم المقدس علم عملي

٢ وايضاً ان التعليم المقدس ينقسم الى شريعة عتيقة وشريعة جديدة . والشريعة من قبيل علم الاخلاق الذي هو علم عملي . فاذاً التعليم المقدس علم عملي

لكن يعارض ذلك ان كل علم عملي يبحث عما قد يمكن ان يعملهُ الانسان كما يبحث علم الاخلاق عن افعال الناس وعلم البناء عن الابنية . والتعليم المقدس يبحث بالاصالة عن الله الذي هو بالاحرى صانع الناس فاذاً ليس علماً عملياً بل نظرياً

والجواب ان يقال ان التعليم المقدس على كونهِ واحداً يعمُّ ما تبحث عنهُ علوم فلسفية متمايزة لانهُ ينظر الى الامور المتمايزة من جهة صورية جامعة اي من حيث هي مدركة بالنور الالهي : فاذاً وان كان النظري من العلوم الفلسفية غيراً والعملي غيراً فالتعليم المقدس مع ذلك شامل لكليهما كما ان الله ايضاً يعلم نفسهُ وآثارهُ بعلم واحد . الّا ان كونهُ نظرياً ارجح على كونهِ عملياً لان بحثهُ عن الامور الالهية آصل منهُ عن الافعال الانسانية التي انما يبحث عنها من حيث ان الانسان يتأدى بها الى معرفة الله التامة القائمة بها السعادة الخالدة

وبذلك يتضح الجواب على ما اعترض بهِ

فمن تتبّع هذين التعريبين دون كدّ ذهن وتصفّح اسلوبهما بلا اعمال روية واعتبر بعضهما ببعض فلا جرم انهُ يرى التعريب القديم حسناً على الجملة ولكنهُ قلق الاسلوب ساذج الانشاء والعبارة فيهِ غير نضيجة بل غير مهذَّبة والمعرّب رحمهُ الله على معرفتهِ بالعربيَّة جرى فيهِ على الاصل اللاتيني الّا ما اشكل عليهِ بيانهُ فافرغهُ في مثل تلك القوالب التي يبدو على اكثرها مسحة العجمة (اي التعريب الحرفي) وابرزهُ في مثل تلك الالفاظ التي لا تخلو من هجنة العامي وهذا احد الادلّة على قلة ضلاعتهِ من مصنفات الحكمة حتى يتخيَّر في التعابير ما تخيره فلاسفة العرب من الالفاظ المنتقاة والمصطلحات الفلسفية المتداولة المشهورة على ما يعرفهُ اهل الذوق السليم(١. على ان هذا لا يغضّ من قدرهِ ولا يحطُّ من فضلهِ فهو السابق في هذه الحلبة الجلّي في هذا الفضل وقد جاء بما وسعهُ ذرعهِ وهل يطالب المرء باكثر مما عندهُ فليس فوق الطاقة مطلب

واذا اعتبر التعريب الحديث وجدهُ اقى ديباجة واخلص الفاظا واكثر تفنناً بل يرى من المتانة والاندماج والانسجام وانقياد الاغراض وانتقاء الالفاظ ما يخيل لهُ في عبارة سيادة المعرب ان هناك جوهرًا صافيًا ونسقًا مطردًا لا يتوقف دونهُ الفكر ولا يعترض بيانهُ لبس ولا اشكال ولو لم يكن لسيادتهِ فيهِ الّا انهُ كساهُ من ديباجة لفظهِ ووشّى بيانهِ ما جعلهُ من الطراز الاول بين المعرَّبات في هذا العصر الزاهر لكفاهُ دليلًا على غزارة فضلهِ ورئاستهِ بين ارباب البلاغة وامراء الانشاء

وقد حسن هذا التعريب الدقيق العزيز النظير في بابهِ وقعًا في العالمين فتبسم لهُ ثغر الابن الاقدس والسادة البطاركة والمطارنة مسرَّةً وارتياحًا وترنمت لهُ معاطف العلماء اللاهوتيين إكبارًا واجلالًا وشرفهُ عظماء الدين والعلم برسائل عديدة اودعوها اطيب الثناء على براعتهِ واجزلوا لهُ فيها من عبارات التنشيط وامر الحبر الاعظم ان يُطبع الجلدان الاولان من تعريبهِ الموصوف على نفقة الكرسي الرسولي. ومن الغريب ان يكون بلديَّهُ الحصروني السابق الى تعريبهِ هذا الاثر الخطير كما ان سيادتهُ حفظهُ الله السابق الى ابرازه الى عالم المطبوعات العربية فجاء من الصالحات الباقيات التي تستنطق لهُ افواه الناطقين بالضاد بالحمد والثناء. فالله نسأل ان يأخذ بيدهِ في متابعتهِ واطرادهِ عودًا على بدء. انهُ اللطيف الكريم

١) نظنُّ ان حضرة كاتب المقالة بالغ في وضعهِ من قدر الترجمة الجبيرية (المشرق)

ذيل

يضطرني الحق الصراح الى ان اعلن على رؤوس الملا ان سيادة المعرب المفضال نشر المجلد الاول من ترجمته سنة ١٨٨٧ قبل ان يقف على الترجمة الجيبرية السابق وصفها بنحو سنتين على ما يشاهد بكل جلاء في وصل استعارته هذه الترجمة المصون في خزانة مكتبة حلب المارونيّة فاقتضى التنبيه دفعاً لظنون من يزعمون بان سيادته طالعها او استعان بها من قبل وان يكن من المعروف المقرر انهُ حفظهُ الله ليس هو ممّن يحومون على مثل هذا الورد

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكننا جمعهُ من تراجم أدباء تلك الجهات

(سليمان الحرازي) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرازي الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) واصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينية في وطنهِ ثمّ تفرّغ لدرس اللغة الفرنسويّة والعلوم الرياضية والطبيعيّات والطب. وعهد اليهِ تدريس الرياضيّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمّ اتخذه باي تونس كاتب ديوانهِ. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيّة وكان يحرر في جريدة عربية هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسماً من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمّ طبعهما على حدة. وممّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد بن محمّد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سمّاه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها « بالقول الحقّ في تحريم البنّ المحرق ». وعرّب الاصول النحويّة للغوي الفرنسويّ لومون (Lhomond). وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيّات والظواهر الجويّة لخّصهُ عن كتب الفرنج وسمّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في

باريس. ولا نعرف تاريخ وفاة الحرازي ولعلّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الّا انّ تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمّد التونسيّ) هو محمّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وتخرّج على شيوخ الازهر في مصر ثمّ سافر الى دارفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ : كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. وقد طبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمّة المستشرق الفرنسوي بارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيّلها بالحواشي . ولما عاد التونسيّ من رحلتهِ خدم الاداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها . توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبّادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبّادو الشريف . كان باحراز الاداب فنال منها نصيباً وافراً. وكانت له ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئاً ممّا سمعهُ قيل انهُ سمع يوماً رسالة افرنسية وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها . وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برّز في الشعر وكان يقولهُ بديهيّاً . ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسيّ فطبعهُ في تونس (١٢٩٣ — ١٢٩٦) . توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمرهِ نحو السنة ١٢٨٥ (١٨٦٨) . وكان بينهُ وبين الكنت رشيد الدحداح صداقة ومراسلات . وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالّة على فضلهِ من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الاسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها:

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ... ومطمح همّتي فخراً وكبرا
وجُود يدي واقدامي وبأسي ... ولا ادعي لباغي العُرف امرا
تلين لمن يمالني قناتي ... وتصلبُ ان يَرُمْ ذو العزّ هَصْرا
واني لا أعدُّ الوفرَ ذُخراً ... ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرا
وما كلُّ الخلال تُذاع بأوْ ... ولا كلُّ المذاع يصحُّ سِرّا
وفي التجريب ما ينفي ارتياباً ... ويصدقُ من بكرٍ منهُ فرّا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوّلهُ :

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) ... لهانت عندك الأخبارُ خُبْرا
ولو اشرفتِ في جنحِ عليهِ ... (وقد لاقى المزنّبرُ اخاكِ بِشرا)
(اذاً لرايتِ ليثاً رام ليثاً) ... وكلٌّ منهما باخيهِ مغرى

يرى كلّ على ثقة اخاهُ (هزبرًا اغلبًا لاقى هزبرا)
(نيفس اذ تقاعس عنهُ مهري) واقبل نحوهُ أذنيهِ ذعرا
فكاد يريهُ فيخال مني (معاذرةً فقلتُ عُقِرتَ مهرا)...

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) ضمّنها عددًا وافرًا من التواريخ تفنّن فيها على طرائق عجيبة. ومن مديحهِ قولهُ في رشيد:

فيا حبرًا لاحت بمرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيت رشيدًا طبق وَسْمك مرشدًا يُجيبًا من كل الامور لك الرشدُ

أدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيّة في هذا الطور مدوّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل الخلّع) هو جبرائيل بن يوسف الخلع ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر وتفقّه في العلوم العربيّة والتركيّة والفارسيّة ثمّ سافر الى مصر وبقي فيها مدّة يتنقّل في دوارين الانشاء في الاسكندريّة ثمّ عاد الى دمشق ومات نحو السنة ١٨٥١. ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمّى الجلستان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي. عرّبهُ تعريبًا متقنًا بالنظم الرائق والنثر المسجّع المنسجم ثمّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق. وهذا مثال من ترجمتهِ (ص ٨٤):

(حكاية) نظرتُ اعرابيًّا في سلقة الجوهرية بالبصرة، وهو يقول: اسمعوا يا ذوي النقد والخبرة، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الحواز، ولم يبقَ معي من معنى الزاد ولا الجاز، فايقنت بالهلاك، وسمحتُ لهُ بالفؤاد اذ ذاك، فبينما انا في البيداء انلظى الضرّ، واذا بي وجدتُ كيسًا مملوءًا بالدرّ، فلا انسى ما علاني من الفرح والسرة، اذ توهّمت ان اجد قمحًا مثليًا في تلك الصرّة، فلمّا تحقّقتُ فيهِ وعاينتُ الدرّ والماس، ذهشتُ من الذمّ الذي لا يبرح عن الفكر بحلول الياس

في يابس اليد ار حرّ الرمال فما لظامئ القلب يُغني الماس والصدَفُ
العادم الزاد اذ حوى بهِ قدمٌ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والخزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدّة الظما، وقد علا عليهِ حرّ البادية وحمى:

يا ليت قبل منيّتي يومًا افوزُ بمُنيتي
ضرًا يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قربتي

(حكاية) كذلك ضلّ في تاع البسيطة بعض السفّار، ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوّة اقتدار،

ما خلا يسرًا من الدراهم قد ادّخره في وسطه ولم ينفقهُ في الضيق ، ولا اهتدى بعد ان طاف كثيرًا الى الطريق ، فهلك بالمشقة ، وسد الشقّة ، فمرَّ عليهِ طائفة من الناس ، فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس ، وخطَّ على التراب من عدم القرطاس :

جميعُ نُضارِ المغربيّ لمن خلا عن الزادِ لا يغنيهِ شيئًا من الضرّ
ومن يحترقْ في القفر فقرًا فانهُ لهُ السلجمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ :

كواكبٌ اشرقتْ تزهو بانوارِ ام لاح لي روضُ ازهارٍ وانوارِ
كلّا بل الألبيُّ اللوذعيُّ بدا منه بدائعُ اسجاعٍ واشعارِ
زهتْ معاني جلستانَ البديعةُ في ما صاغَ من عربيّ اللفظِ للداري
لا غرو أن جاء جبريلُ الكريمُ بها مقروءةً حيثُ يُتلى يعجب القاري
معرَّب عبَّرت عنهُ براعتهُ عبارةٌ اظهرتهُ ايّ اظهارِ
منثورهُ درٌّ في سطورهِ نُظمت نظمًا بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زها حسنهُ بالطبع مبتهجًا أرّختُ ازهى جبيحٌ روضَ ازهارِ

(مارون النقّاش) هو مارون بن الياس بن مخائيل النقّاش ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغات والآداب العربية حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسويّة والايطالية . وجعلتهُ الحكومة السنية باشكاتبًا لدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها . ثمَّ تجوَّل مدّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنّ التمثيل فعرَّب عدّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هذه البلاد . وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا الحامي الشهير قسمًا من رواياتهِ في كتاب سمّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمغفل والحسود حذا فيها مارون حذو الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيرًا من العادات الشرقيّة . وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات ويا ليتها كسدت مع كثرة مضارّها وقلّة من يراعون فيها الآداب الصالحة . ثمَّ سافر مارون النقّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيهِ :

بدرٌ هوى لا بل ذوى غصنٌ وذا مرقدهُ
نقّاشُ علمٍ سيّد العلم ارتضى يسعده
يا رحمة المولى على مارونا تمضدهُ
ويصبُّ هاطل غيثها أرّخ وتغمدهُ

ثم نقل بعد ذلك جسد المرحوم الى بيروت ودفن فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ :

ناديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الامل طرسوسُ لا ناقتي فيها ولا جملي
عوداً كبدرٍ تولاهُ الخسوف لـذا ما قد أرختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقاً للشيخ ناصيف اليازجي يتنـاوبان على الرسالات الوديَّة الادبيَّة منها رسالة وجَّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اوَّلها :

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزل هيهات لا يهدي وقوفك فارسلِ

قال فيها :

يا ايها النحريرُ جهبذُ عصرهِ ما لي ابثُّك علمَ ما لم تجهلِ
انَّ المقدَّم الحكيم افادة كتقدمٍ للشمس ضوءُ المشعلِ
بَعُدَ المزارُ على شوقٍ لم يكن يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقولهِ :

ان كان قد بَعُدَ اللقاء لعلَّةٍ فابعث اليَّ بهنةٍ المتعاللِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ :

وردتْ اليَّ من المقام الافضل غرفي الوشاح من الطراز الاولِ

الى ان قال :

يا من اذا سمح الزمان بنعمةٍ ابقاك نوراً في الظلام لينجلي
كلُّ الرجال اذا مضوا يُرجى لهم بدلٌ سواك فانت بالمُستبدَلِ
جاريتني فقصرتُ دونك همَّةً حتى عجزتُ حقَّ العُذرِ لي
انَّ الضعيف مقيَّداً بلسانهِ مثل الاسير مقيَّداً بالارجلِ

فلمَّا نُعي الى الشيخ صديقهُ بعد اشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه قال في الواحدة :

مات الحبيبُ الذي مات السرورُ بهِ من القلوبِ وعاش الحُزن والضَّرَمُ
قد كنت اشكو بعاد الدار من قدمٍ فحبَّذا اليوم ذاك البعد والقدمُ

ومنها :

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةً وايُّ عيبٍ تراه فيك يُتَّهمُ
فيك التُّقى والنقا والعلم مجتمعٌ والحلم والحزم والاحسانُ والكرمُ
نرثيك بالشعر يا نقَّاشَ بردتهِ والشعرُ يرثيك حتى تنفد الكلمُ

تبكي عليك القوافي والمحابر والـ أقلام والصحفُ والآراء والهممُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ وكلُّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ بالخير في طاعة الرحمان تختتمُ

وقال في المرثاة الثانية:

لا تجزعي يا نفس من حكم الردى ان كان ما لا بُدَّ منهُ ولا فدى
لا خير في هذي الحياة فانَّما تزداد سوءاً كلما طال المدى

ومنها:

والموت يختار النفيس لنفسهِ منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّة مكنونة كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كنزٌ ذخرناه لنا فاغتالهُ لصٌّ المنيَّة خاطفاً متمرِّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبت عن نظرٍ فقد خلَّفت بالتاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طراد بقصيدة طنَّانة اوَّلها:

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحذرا أما تراه يريك العجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غابَ قُلْ في السما تاريخهُ سيُرى فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقَّاش ما خلا رواياتهِ قصائد متفرقة . وفقرات ورسائل جمع اخوهُ قسماً منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علمي العروض والقوافي . ومن اقوالهِ قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اوَّلها:

لسعد سعود من سلفوا حدودُ وسعد سعيدٍ مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيل معترفاً بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفَّيهِ جودُ
فهذا حكمهُ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالاً وبها ازداد مدحاً لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمهِ:

هل هلالٌ هلَّ ام اهلُ الكرمْ نثروا التبر على خط القلمْ

الى ان قال :

اي ابي الروحي ولولا لاني قلتُ مَن يشبهُ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ قلت من فيضانهِ وانا تلميذ ذيّاك العلمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ معدن الحلم وكلّيُّ الهممْ
قد كساني ثوب تعليم بما فتح الله عليهِ وقسمْ
لست انسى جوده حاشا ولم انسَ اياماً تقضّت في نعمْ

وللمرحوم عدّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيراً سنة ١٨٤٢ :

اني هلالٌ قد دنوتُ من الثرى قبل أن أتمَّ فهكذا ربّي امرْ
لكن لعمري لم اغب عن منزلي الّا لاشرق في التمم كما القمرْ
وكما روى النقاش نقش تأرُّخي لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ

ومنها قولهُ مؤرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في افق كرسي انطاكية عجبٌ بدرٌ توارى وبدرٌ فوقَ سدّتهِ
ان غاب ذاك واضاءنا بنيّتهِ فناب هذا واشفانا بنوبتهِ
دعا الاله لذاك المرتضي خلفاً ارّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ

(ابراهيم بك النجار) ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ وتوفي في بيروت سنة ١٨٦٣. كان رجلاً هماماً محبّاً للآداب منذ نعومة اظفاره فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسوي كلوط بك رئيس اطبّاء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمّد علي باشا بان يدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقّى فيها الدروس الطبيّة ونال الشهادة المؤذنة بيراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليّة ودرس على اساتذتها المتطببين وبقي مدّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى عيّنتهُ الدولة العليّة كطبيب اوّل للعساكر الشاهانيّة في مارستان بيروت العسكريّ . وفي سنة ١٨٤٩ تجوّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ « هديّة الاحباب وهداية الطلّاب » في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيّة ثمَّ عادَ الى بيروت ومعهُ ادوات طبيّة فانشأ مطبعتهُ الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر

واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنة ١٢٧٢ — ١٢٧٥=١٨٥٥ — ١٨٥٨) وسمّاهُ مصباح الساري ونزهة القاري قرّظه مفتي زاده السيد محمّد مفتي بيروت بقولهِ:

جزا الله المؤلف كلّ خيرٍ لهذا العقد في جيد الحسانِ
اصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ بافق سما البلاغة والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٨٥ كما ذكرنا سابقاً (المشرق ٤: ٤٧٣). وكان للمترجم شعر قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد:

ملكٌ اضا على الانام بسيمةٍ احيا الزمان بها فاتَ الحُسّدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقةٌ حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تُجحدُ
دانت لباب جلالهِ أُمم الورى فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعدُ
خضع السادُ لحزمهِ وبعزمهِ هزم العدى بالسيف حيث يُجرَّدُ
فاذا الخطوبُ تجسّمت فانلوا لها عبد المجيد فانها تتبدّدُ
واذا تصوّر في الدجنّة ذاتهُ لاح الصباح ونوره يتوقّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيهِ:

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتّسعا كالماء طال عليهِ الورد فانقطعا

ومنها:

قد كان في طبهِ للناس منفعةٌ فاذ اتى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل يبري جراح فؤادٍ بعدهُ انصدعا
صارت الى الله تلك النفس تاركةً جسماً يُرى في تراب الارض مضطجعا
كلٌّ الى اصلهِ قد عادَ منقلباً فانظر هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها من القرن السادس عشر. درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدّة ثمّ انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط وأُقيم بعد ذلك قاضياً على النصارى في لبنان. وقد اشتهر طنوس بمعارفهِ التاريخيّة. وكان كلفاً بتاريخ لبنان فصنّف كتابهُ المسمى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافيّة لبنان ثم في انساب اعيانهِ ثمّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدّة مخطوطات سرد اسماءها في المقدّمة. وهو ادقّ واضبط ما

وضع الى يومنا لاسيما في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعده في تهذيبه وتنقيحه وقفات طبعه المعلم بطرس البستاني . وكان نجازه سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات . وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجرده عن الاغراض كما قال :

خلا تاريخنا من كلّ ميلٍ ومن بين اخبار الزمانِ
وجاء بمون مولانا سديدًا مفيدًا ما لهُ في النفع ثانِ

ولم نعرف سنة وفاة الشيخ طنوس . ومما يُذكر من آثاره ايضًا انهُ كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميّة ولم ينجزه (١

(ابراهيم العوراء) هو ابن المعلم حنا العوراء الرومي الملكي الكاثوليكي ولد في عكّة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرّج بالاداب هو واخوه ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمّد باشا الجزّار ثمّ في ديوان خلفه سليمان باشا . فبرع حنا في الكتابة وضُمّ الى كتاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخاله ابراهيم نخّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) . وكان مغرمًا بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا افتتحهُ بمجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايّام الجزّار ولاسيما في عهد خلفهِ سليمان باشا الى وفاته سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذّبهُ حتى انمّهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي امورًا عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيره روى اكثرها عن ادباء عصره وعن معرفتهِ الخاصة ممّا عاينهُ بنفسهِ فزادت بذلك خطورتهُ . توفي ابراهيم العوراء سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبره :

لا تجزعوا يا بني العوراء واصطبروا لفقد ذخرٍ لكم بالامس قد فُقدا
من فوقهِ احرف التاريخ ناطقةٌ في طاعة الله ابراهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هذه المدّة بين نصارى الشرق بآدابهِ ومعارفهِ اللغويّة . وقد مرّ لهُ في المشرق (٨ : ٧٧٣ : ٨٤٧ الخ) ترجمة مطوّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام . هو ناصيف بن الياس بن حنا

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. IX : 269).

المعلوف. كان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابي يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغة وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابوه الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثم رافق في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي واتمَّ هناك دروسهُ في مدرسة الاباء العازاريين واتقن اللغات التركية واليونانيَّة الحديثة والافرنسية والايطالية حتى امكنهُ ان يصنف عدَّة كتب في كل هذه اللغات (اطلب قائمتها في المشرق ٨: ١٠٤٩) لكنهُ برَّز خصوصاً في التآليف التركيَّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشريفة والامتيازات الخاصة. وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيَّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبُّون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق. توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدَّة ولا غرو انهُ قد فاتنا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عرفوا بآدابهم ولم يصبر على الزمان الَّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمال الجمعية السوريَّة. توفي سنة ١٨٦٩ وقد جمعت في كرَّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي:

قِفْ عند تُربَةِ يوسف الجلخ الذي ما زال يغلبُ دينُهُ دنياهُ
ولذاك نال ختام خيرٍ فائزاً أرّخ برحمةِ ربهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله. ومنهم الشيخ مرعي الدحداح (١٧٨٢—١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء وتنقَّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرِّقة وقد نُشرت سيرة حياتهِ في كرَّاس. قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ:

مضى الشيخ مرعي راحلاً عن ديارنا ولكن غيَّبا في السماء لهُ قصر
واولى بني الدحداح حزناً مخلَّداً يدومُ كما يبقى لهُ عندهم ذكرُ
همامٌ تلقَّى الحادثات بنفسهِ فتمَّ لهُ من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتُ مثواهُ فأرّخ وقل بهِ عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ (لها بيَّنة)

مطبوعات شرقية جديدة

Mechitar's des Meisterarztes aus Her «TROST BEI FIEBERN» übersetzt u. erläutert von Dr. Med. Ernst Seidel. *Leipzig, verlag v. J. A. Barth.* 1908 pp. 300.

السلوان في الحميات

هذا الكتاب لمؤلف ارمني ازهر في القرن الثاني عشر للميلاد يُدعى مكيتار اصلهُ من مدينة هار المدعوَّة اليوم خوي في بلاد العجم وكان طبيباً نطاسياً وحكيماً عالماً بالفلسفة والفلكيَّات. ومن آثاره المخطوطة كتابٌ واسع وضعهُ في الحميات سنة ١١٨٤ جمع فيهِ آراء الاطباء الذين سبقوا عهدهُ من يونان وعرب وعجم ودعاهُ بالسلوان رجاء ان يفيد الاطباء بمضامينهِ فيشفوا مرضاهم من بلاء الحمَّيات. وكان منهُ في مكتبة باريس نسخة مخطوطة تاريخها سنة ١٢٩٤ بقيت في زوايا النسيان حتى استخرجها من مكمنها الاباء المكيتاريون فنشروها بالطبع سنة ١٨٣٢. وقد بيَّن الدكتور وهرام تركوميان احد اطباء الاستانة العليَّة عظم شأن هذا الكتاب بمقالة مطوَّلة انشرها في اكادميَّة العلوم الطبيَّة في باريس سنة ١٨٩٩. واحبَّ الدكتور سيدل مؤخرًا ان يقرب منافع هذا الاثر الى العلماء الاوروبيين. بنقلهِ الى الالمانية وتذييلهِ بالحواشي والملحوظات الضافية. فنحضُّ المتطبين على درس هذا التأليف فانهُ يفيدهم معرفة آراء القدماء في الحمَّيات وطرائقهم المختلفة في معالجتها فانَّ بعض تلك الادوية لا تخلو من المنافع في تطبيب المحمومين حتى في يومنا هذا الاب ت. كورنز

Dr Rauschen. ÉLÉMENTS DE PATROLOGIE ET D'HISTOIRE DES DOGMES. Traduits de l'allemand et adaptés par E.Ricard. *Paris, Roger et Chernoviz.* VIII-365 pp. in-16.

اصول معرفة تآليف الاباء وتاريخ المعتقدات الدينية

قلَّما يجد الدارسون في اللغة الفرنسويَّة كتباً تعليميَّة لدرس تآليف آباء الكنيسة. وكلُّ ما كُتب في هذا الصدد قد عتق او هو اكبر حجماً من ان يستعين بهِ طلبة العلم. وفي اللغة الالمانية كتاب محكم يسدُّ هذا الخلل ألفهُ الدكتور روشن احد اساتذة

كليّة بون الكاثوليكيّة . فطلب الخوري ريكارد من معلمي مدرسة اكس الاكليريكيّة الى المؤلف بان يسمح لهُ بنقل كتابهِ الى الفرنسويّة مع التصرُّف ببعض اجزائهِ وفقاً لذوق الفرنسويين فرخّص لهُ الدكتور في ذلك . وقد اطّلعنا على هذه الترجمة فوجدناها مناسبة للغاية المقصودة اذ هي جامعة لصفات الكتب المدرسية من وضوح وحسن تقسيم الفصول ومراعاة احوال الدارسين في اطالة بعض الاقسام وتلخيص غيرها . وقد تحقّقنا انَّ هذه الصفات زادت رغبة ارباب المدارس في ذلك التاليف فادخلوهُ في جملة كتبهم التعليمية . ولا نشكّ في رواجهِ بين الاكليروس الشرقي ايضاً لاسيما انهُ مع كثرة موادهِ رخيص الثمن يباع بثلاثة فرنكات فقط س . ر

A LITERARY HISTORY OF THE ARABS. By R. A. Nicholson M. A., London, T. Fisher Unwin, 1907, XXX-500 pp.

تاريخ العرب الادبي

ينبئ صاحب هذا الكتاب قرّاءهُ في مقدمتهِ بانَّ غايتهُ من وضعهِ ليست تسطير تاريخ الآداب العربية لانَّ ذلك يقتضي ابحاثاً طويلة ودروساً واسعة لم يفكّر في خوضها وانّما اراد فقط ان يرشد الاوربيين الى بعض الالمام بآداب العرب فيمثّل لهم في كتابهِ افكار كتبهم واساليبهم النثريّة والشعريّة . ولبلوغ هذه الغاية قد قسم كتابهُ الى ثلاثة اطوار واسعة اودع مضامينها في عشرة فصول . فالطور الاوّل مختصّ بعهد الجاهلية يليهِ طور الاداب الاوسط المعدود كعصر العرب الذهبيّ في ايّام العبّاسيين . ثم الطور الثالث وهو الاخير منذ ظهور المغول الى اواخر القرن الخامس عشر للميلاد . وقد المح في كلّ هذه الاطوار ولاسيما الطورين الاولين الى الحركة الادبية بين العرب متتبّعاً اخبار شعرائهم وخطبائهم وفلاسفتهم ولغويّيهم وكتبتهم الدينيين . ولم يتسع في كل ذلك الّا قدر ما رآهُ مناسباً لغايتهِ . وانّما اختار بين شعراء العرب خمسةً ممّن رآهم في الطور الثاني كقدوة زمانهم والمثال الذي على منوالهِ نسج اخلافهم فأعمل النظر في طرائقهم الشعريّة ومعانيها ودرسها درساً خصوصيّاً وهم مطيع بن اياس وابو نوّاس وابو العتاهية والمتنبي وابو العلاء المعرّي . فنقل من كلامهم كُتَفاً وسعى بان يبيّن خواصّهم الكتابية التي حذا الاخرون حذوها . على انّنا مع اقرارنا بفضل المؤلف لم نجدهُ كفوءاً لمثل هذا التاليف وقد يلوح من مطاوي كتابهِ انهُ لم يعرف مصنّفات العرب في اصلها العربي وانما درسها

في كتب بعض المحدثين من الاوربيين كبروكلمان (Brockelmann) عند الالمان وهوارت (Huart) عند الفرنسويين وكذلك راجع بعض المنشورات الحديثة التي تبحث عن آداب الجاهلية اجمالاً فالتقط منها شيئاً من فوائدها دون ان يتعمّق في مضامينها كما انهُ نقل عن تلك الكتب جداولها للمصنفات العربية دون ان يشير الى عدّة تآليف كان حقهُ ان يذكرها وفيها من الفوائد ما لو اطّلع عليه لاستفاد منهُ كثيراً كتأليف الدكتور ثولرس في لغة قريش والطبعة الثانية من كتاب نلدكه في الاصول العربية. وكذلك لا يشير البتة الى الكتابات اليمنية التي ابطلت عدة مزاعم كان الكتبة ينقلونها بلا تروٍّ. وما فاتهُ كتابة نمارة العربية التي وجدها العلّامة دوسو وهي مكتوبة بالحرف النبطي. وكذلك لو اطّلع على رسالات الدكتور كلازر لما نسب ما اكتشفهُ من الآثار اليمنية الى القرن الثامن قبل المسيح. وكان يمكنهُ في كلامهِ عن الاخطل والخنساء ان يأخذ عدّة فوائد من مقالات الاب لامنس الافرنسية في الاول وعن ديوان الثانية المطبوع في مطبعتنا وكأنهُ جهل كل ذلك. وما يُقال اجمالاً انَّ تاريخ العرب الادبيّ لا يمكنهُ ان يحصر في كتاب كمثل هذا وقد رأينا الدكتور برون (Dr Browne) خصّص عدّة مجلّدات لتاريخ الفرس الادبيّ مع انَّ العرب اغنى بآدابهم من العجم بكثير ل. ه

A. Durand S. J. L'ENFANCE DE JÉSUS-CHRIST D'APRÈS LES ÉVANGILES CANONIQUES, suivie d'une étude sur les Frères du Seigneur, in-16, XLI-287 pp., *Paris, Beauchesne et Cie*, 1908.

طفولة السيد المسيح وفقاً للاناجيل القانونية

وضع حضرة الاب الفرد دوران احد اساتذة الدروس الكتابيّة في مكتبنا الشرقي عدّة مقالات في طفولية السيد المسيح ليشرح ما جاء وَرد عنها في الفصول الاولى من انجيلي متى ولوقا ونشرها في مجلّة الدفاع عن العقائد الدينية (Revue pratique d'Apologétique) وها هوذا قد جمع تلك الفصول المتفرقة في كتاب مستقل يسرُّنا ان نُعرف بهِ قرّاء مجلة المشرق. وما كان ليخفى على حضرة المؤلف ما كتبهُ نكرة الوحي في هذه السنين الاخيرة لتخطئة الاناجيل المقدّسة في ما رووهُ عن ميلاد السيد المسيح من العذراء الطاهرة وعن العجائب التي رافقت الاشهر الاولى من ظهوره على الارض. ومن يقرأ كتاب الاب دوران يتحقق انهُ اطلع على كلّ اعتراضات الملحدين

وهو يدونها في تآليفهِ دون خوفٍ ثمَّ يفنِّدها بكل دراية ببراهين لا يرفضها غير الذين يناهضون الدين بغضاً لحقائقهِ ولا يطلبون الحقيقة باستقامة النية. وممَّا اعجبنا في كتاب حضرتهِ انهُ يجمع تلك الاعتراضات ويبيِّن مناقضة بعضها للبعض الاخر بحيث لا يحتاج غالباً لتفنيدها بطريقة اخرى غير معاكستها لبعضها . وبعد تقويض كل تلك المزاعم تراه يوضح تعاليم الاناجيل المقدَّسة مبيناً صدق كاتبيها وبعدهم من كل زور ومكر ثمَّ يثبت توافق التعاليم مع بعضها ومع ما ورد في نبوآت العهد القديم لاسيما بخصوص ميلاد الرب من بتول طاهرة قبل الولادة وبعد الولادة وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب لم يدعْ مسئلةً منوطة بطفولية الرب الَّا استوفى شروحها تماماً — ولهذا التأليف ملحق وهو مقالة واسعة نشرها حضرة الاب في المجلَّة الكتابيَّة عن اخوة الربّ الذين ورد ذكرهم في الانجيل فاثبت بالشواهد النقليَّة والعقليَّة انهُ لا يراد في الانجيل باسم « الاخ » الاخ الشقيق من الاب والامّ بل اولاد الاعمام والاخوال . وهو جوابٌ صادق كان قدماء الاباء منذ قرون النصرانية الاولى قد اجابوا بهِ المراطقة فافحموهم . فاستعاره حضرة الاب من تلك الموارد القديمة وأيدهُ بشواهد جديدة لا تبقي للمرتابين شكاً في الامر . فنثني على رصيفنا الفاضل ونحضُّ محبي الدروس الكتابيـة على مطالعة هذا الكتاب النفيس

الاب ي . ديانسيغر

Mgr. de Beauvais: La liberté intellectuelle après l'Encyclique « Pascendi ». *Paris, Beauchesne,* 1908.

البراءة البابويَّة في الاضاليل العصريَّة وحريَّة الابحاث

زعم بعض اعداء الدين انَّ رسالة البابا في الاضاليل العصريَّة التي مرَّ فيها الكلام سابقاً من شانها أن تعيق الابحاث العلمية فقام احد اساقفة فرنسة وهو اسقف مدينة بوفه في فرنسة مفنداً تلك الشكايات في تأليف صغير نحثُّ قرَّاءنا على مطالعتهِ . فقد بيَّن سيادتهُ انَّ قداسة الحبر الاعظم لم يقصد بهذه الرسالة الَّا شيئاً واحداً ان يمنع ابناء الكنيسة عن الضلال فبفعلهِ هذا هيهات ان يكون اضرَّ العلوم بشيءٍ والاحرى ان يُقال انهُ جعل للعقل البشريّ حدوداً اذا تجاوزها تاه في بيداء الوهم ووجد فيها مضرَّة ليس نفعاً

ن . ل

U. Holzmeister s. j. II COR. III. 17 « DOMINUS AUTEM SPIRITUS EST » Eine exegetische Uebersicht ueber die Geschichte der Erklaerung dieser Stelle. p. X-104, 1908, *Innsbruck, Fel. Rauche.*

شرح الاية « انَّ الربَّ هو روح »

في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل كورنتس (٣ : ١٧) آية هذا منطوقها «انَّ الربَّ هو روح» كثر فيها جدال ناكري الاسرار فانَّهم زعموا انَّ هذه العبارة تنفي تعليم الكنيسة المسيحيَّة في الثالوث الاقدس فيشرحون الاية على هذا المنوال بقولهم : ان لفظة « الرب » (وفي اليونانيَّة ὁ Κύριος) في هذا المكان تدلُّ على المسيح امَّا لفظة الروح فهي في اليونانيَّة معرَّفة ὁ πνεῦμα وبتعريفها دلالة على انَّ المقصود هو الروح القدس فيكون المعنى انَّ الرب اي السيد المسيح هو الروح القدس وهو قول يضادُّ المعتقد المسيحي في تثليث الاقانيم. لكنَّ هؤلاء المتشدقين لو تروَّوا في اقوال الاباء ومفسري الكتاب المقدَّس لتحقَّقوا انَّ سهمهم قد طاش ومساهم قد خاب اذ انَّ لهذا النصّ تفاسير صحيحة مغايرة لتفاسيرهم. ومن جملة هذه الشروح الصوابيَّة شرحٌ الاب اليسوعي اوربان هلستايستر نزيل كليَّتنا في العام الماضي فانَّهُ صنَّف كتابًا كاملًا في بيان معنى هذه الاية الصحيح. فدرس لذلك هذه العبارة درساً مدققًا ليس فقط في منطوقها المنفرد بل في قرائنها ايضًا. وخلاصة شرحهِ انَّ معنى الاية هو هذا : « الله هو الروح القدس » بتقديم المبتدإ على الخبر اي انَّ الروح القدس هو الله . ولتوطيد هذا الشرح درس حضرتهُ المفردات التي تتركب منها تلك الجملة الاسمية وقابلها بكل الاناجيل المقدَّسة التي ورد فيها ذكر الربّ او ذكر الروح فكانت نتيجة بحثهِ انَّ الربَّ (ὁ Κύριος) هنا لا تدلُّ على المسيح بل على الاله الحقيقي الذي يدعوهُ اليهود بيَهْوَه יהוה وقد قدم الرسول الخبر على المبتدا اثباتًا لمعناه. وعليهِ قد استنتج حضرة المؤلف بانَّ هذه الاية لا تجعل السيد المسيح والروح القدس واحدًا بل تثبت كون الروح القدس هو الله كما الاب والابن. وقد تصفحنا ما كتبهُ حضرتهُ في هذا الصدد فوجدنا ادلَّتهُ ثابتة وبراهينهُ مقنعة لاسيما انَّ اباء الكنيسة اليونانية اجمالًا جنحوا الى هذا التفسير. لكنَّنا لا نوافق المؤلف في قبولهِ لشروح أُخرى وردت في هذه الاية وخصوصًا شرح الاباء اللاتينيين حيث قالوا انَّ لفظة الربّ هنا تدل على المسيح وانَّ معنى الاية هو « ان الربَّ اي

المسيح روحٌ هو» كما قالت في توراتنا العربية وهو شرح لا يخلو من الصحة ايضاً وان كان تفسير حضرته ارجح واوفق للاصل اليوناني . . . الاب ي. ديلنسيفر

AUX CATÉCHISTES- PROGRAMME POUR LE TEMPS PRÉSENT, par l'abbé F. Gellé, in-16, 1908, *Paris, G. Beauchesne et Cie*.

دستور مفسري التعليم المسيحي

انَّ رسالة الاب الاقدس بيوس العاشر في التعليم المسيحيّ استوقفت انظار كثيرين فأخذوا يبحثون عن اقرب الوسائل وانفعها لشرح التعليم المسيحيّ. وهـا هوذا كتاب صغير الحجم جمع فيهِ احد افاضل الكهنة الفرنسويين كلّ ملحوظاتهِ الشخصيَّة في كيفية القاء التعليم على الاحداث لينشأوا بمعرفة المعتقدات الدينيّة والفرائض التي يقضي بها الدين عليهم. وقد قسم كتابهُ الى ابواب متعدّدة بيّن فيها كيف يستطيع المتولون لتدريس التعليم المسيحيّ ان يجذبوا الاحداث ويرغّبوهم في ذلك ثمَّ ينتقل الى فصول التعليم فرداً فرداً فيرشد المعلم الى فهم مضامينهِ والطرائق المختلفة التي يمكنهُ ان يستعين بها لتلقين تلك التعاليم وطبعها في عقول الصغار ثمَّ يدلّهُ على المشاكل التي ينبغي لهُ حلّها وعلى كل التسهيلات التي تجديهِ نفعاً في هذه المهنة الجليلة لتهذيب عقول الاحداث بكل آداب الدين منذ نعومة اظفارهم ل. ش

PROVERBES ARABES DE L'ALGÉRIE ET DU MAGHREB recueillis, traduits et commentés par Mohammed Ben Cheneb. T. III, in-8. pp. 324, *Paris, Ernest Leroux*, 1907.

الامثال العربية الشائعة في الجزائر والمغرب

مرَّ لنا وصف القسمين الاولين من هذا المجموع المفيد (المشرق ٨: ٨٦٣ و١٠: ٢٣٤) فتناولنا عليهما ينطبق على هذا القسم الثالث والاخير. وقد دوَّن صاحبهُ الاديب في هذا الجزء الامثال الباقية من حروف المعجم الاخيرة اعني من النون الى الياء (ص١— ٦٦) واضاف اليهِ ملحقاً واسعاً مما فاتهُ في الاقسام السابقة (ص ٦٧ —٣٢٤). وكلُّ هذه الامثال منقولة الى الافرنسيَّة مع ملحوظات شتَّى عليها. وقد لقينا في هذا القسم ايضاً عدَّة اغلاط امَّا في رواية المثل واما في شرحهِ. ولا نشكّ في انَّ صاحبهُ الفاضل يصلحها في طبعةٍ جديدة نتمنى وقوعها قريباً برواج الكتاب ان شاء الله ل. ش

كتاب الفوائد الكبرى في السياحات الصغرى

الجزء الاول سياحة في التيبت ومجاهل اسيا

ترجمة وتأليف حكمت بك شريف الطرابلسي الشابي (المطبعة الادبية ١٣٢٥ ص ١١٦)

انَّ النفس تتوق الى معرفة البلدان السحيقة واخبار اصحاب السياحات فيها. وقد خصَّ حضرة الكاتب المتفنن حكمت بك شريف قلمهُ السيَّال لتسطير تواريخ تلك البلاد كتاريخ سيَّام وتاريخ زنجبار وقد افادنا اليوم باثر جديد اذ باشر بنقل روايات بعض السيَّاح الى الاقطار المجهولة. وهذا الجزء الاوَّل منها يحتوي تفاصيل سياحة في التيبت ومجاهل آسيا نشرتها سابقاً جريدة لسان الحال الغرَّاء. فتفكَّه بها القرَّاء حيناً وها هي اليوم جُمعت في هذا الجزء لئلا تضيع فائدتها فنثني على همة كاتبها ونحضُّ احداث المدارس وكل الراغبين في عجائب الاخبار على اقتنائها ل. ش

منهاج الخشوع في حب يسوع

ترجمة الاب كميل مارون من مرسلي الاخوة الاصاغر

طبع في اورشليم بمطبعة الاباء الفرنسيسيين (سنة ١٩٠٧ ص ٦٦٢)

قام في انكلترَّة في اواسط القرن المنصرم كاهن كاثوليكي شهير يُدعى وليم فابر ولد في الشيعة البروتستانية ثمَّ هداهُ الله بنوع عجيب الى الدين المستقيم فنبذ اضاليل بيعتهِ ودخل في زمرة كهنة الأُوراتوار في لندن فعُرف بينهم بفضلهِ وتُقاهُ وصارت لهُ بين مواطنيهِ شهرة واسعة بمعارفهِ اللاهوتيَّة وقد صنَّف لافادة الانكليز عدة مؤلفات روحية في كل المواضيع الدينية اقبلت عليها النفوس الصالحة بكل رغبة حتى انَّها نُقلت الى معظم اللغات الاوربية. فنشكر اذن همة حضرة الاب الفرنسيسي الفاضل كميل مارون الحلبي على تعريب احد هذه المصنفات وهو كتاب الاب فابر المعنون بالانكليزية (All for Jesus) ولعلَّهُ اجلُّ وانفع تآليفهِ جمع فيهِ بين العلم الراسخ والتقى المؤثر في الارواح. وقد راعى حضرة المعرِّب في نقلهِ مع الامانة في الترجمة احوال الطوائف الشرقية فحذف منهُ ما لم يجد فيهِ فائدة لاهل بلادنا متحرياً في عبارتهِ الوضوح والسذاجة ليكون اوقع في النفوس واجدى نفعاً لخلاصها جازاهُ الله عن عملهِ ومتَّعهُ بوفرة المقبلين على جني اثارهِ الطيبة ل. ش

هديّة المُقل

أثر مصطفى الخزومي العضو في مجلس المعارف الكبير بدار الخلافة العليّة

طبع في المطبعة العلمية في بيروت (سنة ١٩٠٨ ص ٥٥)

هذه فصول متفرّقة صنّفها صاحب السعادة مصطفى بك الخزومي ثمّ جمعها في كتاب واحد. وهي خمسة عشر فصلًا افتتحها بكلام اجمالي في الصحة وشروطها واردفها بفصل في المسكرات ثمّ في القهوة ثمّ في بعض الشؤون البيتيّة والاجتماعية الى ان ختمها بفصلين احدهما في اطباء السوء والآخر في الاعتدال. فنهنئ حضرة الكاتب بعمله ونطلب الى الله ان يجازيهُ عن تعبهِ ل. ش

شذرات

معاهد بغداد العموميّة عند سقوطها الاول — كتب الينا حضرة مراسلنا البغداديّ الاب انستاس الكرملي هذه الرسالة التي نرويها بحرفها الواحد:

«كثيرًا ما بحثتُ في كتب التواريخ عن احصاء يذكر معاهد بغداد في عهد اوجها او قبل سقوطها فلم اظفر الّا بشيء قليل منها وفيه من الغلوّ الفاحش ما يدفع المرء الى ان يرتاب في صحة ما يقرأ. وفي هذه الايام اشتريت كتابًا تاريخيًّا اسمهُ «الدُرّ المكنون في المآثر الماضية من القرون» لمؤلفهِ ياسين العمريّ الموصليّ الحنفيّ. وتنتهي وقائعهُ التاريخية سنة ١٢١٨ هـ (=١٨٠٣–١٨٠٤ م) وفي آخره يقول: «انتهى ما اردنا من جمعهِ نهار الاحد رابع وعشرين من جمادى الاولى على يد جامعهِ الفقير ياسين العمري بن خير الله الخطيب العمري الموصلي غفر الله لهم آمين امين سنة ١٢١٨». فيظهر من ذلك ان النسخة الموجودة بيدنا كُتبت في السنة التي ألّف فيها الكاتب سفرهُ. ومن هذا الكتاب نسخة في لندن وهي النسخة الوحيدة المعروفة في اوربا. وليست غايتنا ان نصف الكتاب نفسهُ بل ان نذكر ما جاء في الصفحة الاخيرة منهُ وفيها فائدة عميمة وهي الضالّة التي كنت انشدها من عدّة سنوات بخصوص معاهد بغداد العامّة عند سقوطها الاول. وها انا اذا انقلها بحرفها حفظًا لها من التلف والبوار واطلاعًا للقرّاء على ما كانت عليهِ بغداد في سابق مجدها وسامق عزّها:

« في بيان جوامع ومساجد وخانقاهات ومدارس ودور حديث وقيسريّات(١) وفنادق وخانات وحمامات ومدارات (هي المطاحن) وبزّازات (هي معاصر الشيرج) ومزمّلات ماء السيل وكنائس اليهود وبيع النصارى وحوانيت وسراديب وبساتين ومغاني ورؤوس الرجال النصارى الذين يؤدّون الجزية ورؤوس الرجال اليهود والذين هم ايضاً يؤدون الجزية والقرى التي هي في شرقي نهر دجلة . والتي هي في غربيّ دجلة في زمن ملوكها الاتابكية وآخرهم لؤلؤ الملك الحكيم الى ان أخربها كفرة التتار عند مجيء المدون هلاكو خان عابد النيران وقتل المستعصم بالله الخليفة العباسي وذرّيته وقتل عامّة سكان مدينة السلام الغربية العظيمة وذلك في عام ٦٦٠ من الهجرة (= ١٢٦١ و١٢٦٢ م)

جوامع خطبة ٣٦ مساجد ٤٠٠٠ خانقاهات ٤٧ مدارس ٣٨ دور الحديث ١٨ قيساريّات ١٢٠ اسواق ٣٦ خانات ٩٨٠ حمّامات ٢١٠ مدارات ٤٢٠٠ بزّازات ١٢٠ معاصر للزيت ٩٩ مزمّلات سيل ١٠٢٥ رحوات الماء ٦٨ الدواليب التي يديرها الماء ١٦ بيع النصارى ٥٦ كنائس اليهود ١٦ حوانيت ٤٨٥١٥ الحوانيت التي يُباع فيها العطريات ١١ قناطر ١٠٦٠ السراديب ١٠٦٠ البساتين في داخل المدينة ٣٦ البساتين في خارج المدينة ٩٥ ابواب المدينة ٩ الجسور ٣ القرى الموجودة في الجانب الشرقي من نهر دجلة ٢٣٠٠٠ القرى الموجودة في الجانب الغربيّ من دجلة ٢٣٠٠ انوال الحياكة التي ينسج فيها الخام والديباج والحرير وغيرها ٧٥٠٠ السفائن ٢٥٠ رجال النصارى الذين يودون الجزية ٤٣٠٠٠ رجال اليهود الذين يودون الجزية ٣٦٠٠٠ اه بحرفه

ولسوء الحظ ان الكاتب لم يذكر اسم الكتاب الذي ورد منهلهُ ولا اسماء الكُتّاب الذين اخذ عنهم هذه الفوائد الجليلة على اننا نظن ان لا مغالاة في هذه الارقام ولعلّ فيها قصوراً بيّناً اذ يذكر مدارسها ٣٨ والبساتين في خارج المدينة ٩٥ فقط والسفائن ٢٥٠ لا غير فلا جرم ان في هذه الاعداد غلطاً . والله اعلم

---

١) القيسريّة بالسين والعامة تقولهُ بالصاد جرياً على هذه القاعدة المشهورة « اذا اجتمعت السين والقاف . او السين والطاء . او السين والغين . او السين والصاد . او السين والعين . او السين والخاء فانت الخيار بها ان شئت سيّتها وان شئت صوّدتها . هذا من جهة اللفظة واما من جهة المعنى فالقيسرية نوع من الخان يكون مسقوفاً في اغلب الاحايين وفيه دكاكين للباعة والتجار وربما كان فيه حجر فوق الدكاكين او في جانب منه يسكنها اصحاب الدكاكين او الباعة او التجار . الّا ان وجود الحجر في القيسريات قليلٌ . وهذا هو وجه الفرق بين الخان والقيسرية . ويقال فيها قيسرية وتجمع على قياسير وقيساريّات وقد وردت في كتب المؤلّفين من ذلك في كتاب المقدسي ص ٧٦ س ١٥ في كلامهِ عن مِنًى قال : بها آبار ومصانع وقياسير وحوانيت حسنة البناء . وذكر العبارة ياقوت فقال بدلاً من قياسير : خانات . وقال ياقوت (في ١ : ١٨٦ س ٣٣) عند كلامهِ عن اربل : « قام بعمارتها (اي بعمارة المدينة الجديدة) وبناء سورها وعمارة اسواقها وقيسارياتها الامير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كوجك »

المعادن في الترنسفال نُشرت لائحة المعادن في بلاد الترنسفال للسنة المنصرمة مباشرةً باوّل تموز من السنة ١٩٠٦ الى مثلهِ في ١٩٠٧ فكانت نتيجتها انَّ المناجم المعدنية كلها في ترقٍّ ونموّ. فانَّ محصول مناجم الذهب بلغ في السنة المذكورة ٦٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك بزيادة ١٠٨,٠٠٠,٠٠٠ على العام السابق. وكذلك مناجم الالماس زاد محصولها على الضعف فانها في السنة ١٩٠٥ — ١٩٠٦ أدّت لأصحابها من الحجارة الكريمة ما يساوي ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ ف فكان في العام المقبل ثمن تلك الحجارة ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ امّا الفضّة فانها قد استُخرج من مناجمها ما تساوي قيمتهُ ٢,٣٠٠,٠٠٠ بزيادة ٦٠٠,٠٠٠ فرنك على العام السابق. وبلغ محصول النحاس مليونًا من الفرنكات بزيادة ٥٢٥,٠٠٠ ف وترقّى محصول القصدير من ١١٠,٠٠٠ ف الى ٧٠٠,٠٠٠ والرصاص من ٦٨,٠٠٠ الى ٥٠٠,٠٠٠

مزامير القديس بوناونتورا لقديس بوناونتورا (+١٢٧٤) المعروف بالمعلم السروفي رياضة تقويّة وعدّة صلوات خشوعية لاكرام مريم البتول الطاهرة منها تسابيح او مزامير مرتّبة على حروف اسم العذراء مريم تبتدئ آيات كل مزمور منها باحد حروف هذا الاسم الكريم على لفظهِ في اللاتينية « ماريا ». فاحبَّ حضرة الشمّاس الفاضل داود صليوا الكلداني الكاثوليكي ان ينظم هذه المزامير بالشعر العربي التماساً لشفاعة العذراء المجيدة. فطلب الينا ان نثبتها في صفحات المشرق. فلبّينا دعوته بطيب القلب في هذا الشهر المريمي المبارك. وقد التزم حضرة الناظم في اوّل كل بيت وروّيه حروف اسم مريم كما في الاصل وهو نوع من البديع العربي يُدعى بمختَم الطرفين او محبوك الطرفين. وقد تجاوز حضرته في نظمهِ بعض الجوازات الشعريّة ليكون اقرب الى نصهِ الاصليّ

المزمور الاوّل (من بحر الطويل)

مدينةُ مولاها تُعظِّمُ مريمُ ... وفي بيعةِ الابكار تسمو وتُكرَمُ
مراحمكِ الغرّاء شاعتْ لدى الورى ... فباركَ اعمالًا أتيتِ المعظَّمُ
مولّاتنا زيحي البلا عن بلادنا ... واشفي لنا سقمًا يسوء ويؤلمُ
ملاكًا بشيرًا ارسليهِ لقاءنا ... يقينا من الاعداء شرًّا فنسلمُ
موقيةً كوني لنا ورحيمةً ... لانَّ رجاء الكونِ أنتِ أمريمُ
منانا اذكرينا واستجيبي بكاءنا ... وريّ زفراتٍ من حمانا تُقدَّمُ
ملكتِ علينا فاشفعي وتضرعي ... ونحّي حجابَ الهمّ عنا تُزنمُ

مراحمكِ العظمى نؤمُّ بضيقنا أنيري لنا قلباً بحقكِ يُفعمُ
مماليككِ الانَ ارحمي لا تي بهم اذا مسهم ضيقٌ وضرٌ يُسوءُ
ملكتِ زمامَ المجد صوني حياتنا ونجي عبيداً من مكارهَ تُبرمُ
مصائبنا تُجلى برافتك التي نؤمّلها سُلوانَ حزنٍ يُختمُ
من الضيق مسحوقي القلوب انشلي كذا بأزر النجا شدّي متونا تُهدّمُ

المزمور الثاني (من بحر البسيط)

اليك ارفعُ مدحاً قد خُصصتِ بهِ فأبهجيني بصوتٍ من حماكِ أتى
انّا نُناديكِ من قلبٍ يضيقُ بنا من طوركِ الاقدس اصغي يُشفَ كلُّ أسى
أقدِم أيا خاطئاً نحو البتول وتبْ ثمَّ اعتنق قدميها تلق خيرَ لسا
أقبل اليها باكرام وحسنِ رجا يا عابداً تحظَ بالاتمام حيث ترى
ايتوا اليها وانتم في شدائدكم يُضيئكم نورها في ظلمةٍ ودُجى
انّا نجونا بها من غيّ طالبنا من يزأرنَ لابتلاع النفسِ منذُ هوى
احفظ وصايا العلي يا شعبهُ أبداً واذكُر اوامرَ مولاةِ السما وكفى
افتح فوادك وافحصهُ بجملتهِ وارفع عقيرة حمدٍ واعترف بغنى
انمِ اتّقد يا هوى قلبي بها شغفاً بالحرّي ردّت عدواً بالهلاك سعى
ازالتِ الحزنَ من جنانِ عابدها وابهجت ابنًا بلينها فنجا
أسجد لمن بكمال الحسن أبدعها وعظّمنْ قدرها ذاك الرفيعَ سنا
الجأ الى عونها تُنقذك مسرعةً من الوباء وطاعونٍ وشرٍ ردى

المزمور الثالث (من بحر البسيط)

رايتُ مريم في الضيقات ملجأنا وقوةً تسحقُ الاعداء والضررا
راعوا كرامتها يا عابديها تكن في عونكم تشفعنْ فيكم لخير مرًا
روحوا اليها الجأوا في وقت كربكمو فانها العتق لا تُبقي ولن تذرًا
رجزَ ابنكِ من عبادكِ اصرفي ابدا وارضي بان تشفعي فيهم بما غبرا
رَي ضعفنا يا بتولًا في تحننكِ وأسرعي ان تزيلي الضيق والخطرا

رعيّةُ ابنك فاذكري مقاصدهم وأسنديهم فهم عبيدك الفقرا
رجوك كيلا شرور الدهر تدهمهم عيني لدى الموت كي نحيا وننتصرا
روّي صدى قلبنا من فيض لذّتك العليا لننسى كروب الدهر والكدرا
رَيْ من تواضعنا ذلًّا ولا تدَعي ان نفرقنْ في البلايا او نرى عُسرا

المزمور الرابع (من بحر البسيط)

يا مريمُ البكرُ اني أستغيث بك من اجل وفر مراحم ابنكِ في يدَيْ
يا مريم البكر نوري من صبايَ لقد خرجتُ نحوك كي لا ضعف يقوى عليّ
يا مريم البكر روحي في يديك لقد اودعتُها وحياتي ناذرًا أصغريّ
يُفاض نورٌ علينا من تحتنك السامي لكي نستنير اليوم في كل شيْ
يا مريم البكر أمَّ الله فيك غدا خلاصُنا فاشفعي فينا فلم نلقَ غيْ
يا مريمُ البكر مضمونَ الصلوة الى ناديكِ ترفعُ فارتضي بنا لا تنيْ
يا مريم الفوزُ والافراحُ أنتِ لنا وسرمدًا مجدنا ينجو بك كلُّ حي

المزمو الخامس (من بحر الطويل)

الى مريم انّا صرخنا بضيقنا فكم لبّتِ الداعي برفقٍ متى جاء
اليها رفعنا النفسَ عند القضا ترى بطلباتها لم تخزَ او نالَ ضرّاء
أهني التي فيها تخلّص آدمٌ عليك سلامُ الله ما كوكبٌ ضاء
الى العرش رقّاها بلحن ملائكٍ نوكلّلها وردًا زنابقَ غرّاء
ألا يا أرحضي مولاتنا كلَّ اثمنا واشفي لنا سقمًا وداويَ أدواء
ألا فرّجي الهمَّ اصرفي كل شدّةٍ ولاشي لنا الاوجاع منها لقد ساء
أما بكِ عنّا يُصرفنْ رجزُ ربنا فأرضيه بالطلبات عنا كما شاء
ألا يا افتحي ابواب برٍ أمامنا فنخبرَ بالايات سرًّا وانباء
ألا أقدمي نحو ابنكِ واشفعي بنا لننجوَ من سوء ونحظى بسرّاء
أما عوننا فيها وفي قوّة اسمها بها كلُّ أمرٍ يستقيم وما فاء
ألا يا انقذي خدّامك من بلابلٍ فيحيوا بأمنٍ فيك اذ لن يروا داء
ألا نحوك كلُّ القبائلَ تسجدنْ ومعهمُ اجواقُ الملائكِ اسواء

اسئلة واجوبة

س سائلنا مستفيد من ادباء البلدة : ١ً من هم الالهة الذين ورد ذكرهم في هذه الاية (خروج ٢٢ : ٩) : كلُّ دعوى جناية في ثور او حمار او شاة او ثوب او كل ضالة يقال فيها « الامر كذا » فالى الآلهة تُرفع الدعوى ومن تحكم الالهة عليهِ يعوضّ صاحبهُ مثلين . ٢ً كيف التوفيق بين اية انجيل يوحنا (١٠ : ٣٠) : « انا والاب واحد » وقولهِ (١٤ : ٢٨) : « الاب هو اعظم مني »

حل مشكلين كتابيين

ج نجيب على (الاوَّل) لنَّ بني اسرائيل كانوا اذا ارادوا الدلالة على الاله الحقيقيّ دعوه باسم يَهوَه اي الكائن كما اوحى الله بهِ الى موسى . وقد استعملوا في اسمهِ الكريم اسماء أخرى كانت شائعة عند بني سام كالاشوريين وغيرهم اخصُّها ايل وألوهيم . ولمَّا كانت الشعوب السامية تشير بهذين الاسمين الى آلهتها الكاذبة لم يأنف الاسرائيليُّون من استعمالهما ايضًا للاصنام . ولئلَّا يقع الالتباس في المعنى عرَّفوهما عند دلالتهم على الاله الحقّ اما باداة التعريف فيقولون الايل (האל) او الالوهيم واما باضافتهِ الى اسم آخر كقولهم « ايل ابراهيم » والوهيم يعقوب او « ايل السماء » او « ايل الخلاص » . وقد جاء اسم الوهيم مجازيًا في آيات متعدّدة من الكتاب المقدَّس كما يظهر من القرائن . فالاية المطلوب شرحها تدلُّ فيها لفظة « الوهيم » على القضاة اذ لا يمكن ان تُرفع الدعاوي الجنائيَّة الى غيرهم . ومثل هذا آياتٌ اخرى بمعناها (راجع سفر الخروج ٢١ : ٦ ثم المزامير ٨١ : ١ و ٦) وهلم جرًّا . ونجيب على (الثاني) انَّ السيد المسيح يستطيع ان يقول دون أدنى تضادّ في قولهِ « انهُ والاب واحد » و « انَّ الآب اعظم منهُ » كما يمكنهُ القول « انا انسان » و « انا اله » وذلك على حسب اعتبارهِ في ذاتهِ احدى طبيعتيهِ اللتين يتألف منهما اقنومهُ الواحد . كما يمكن الانسان ان يقول عن شخصهِ انا روح (اي من حيث نفسي) وانا هيولي (اي من حيث جسدي) ل . ش

س ورد علينا هذا السؤال من غزير فنثبتهُ بحرفهِ : أيجوز لأيّ علم كان ان يرافق الجنازة الى الكنيسة ولاسيَّما اذا منعهُ الاسقف وحرم نشرهُ في الحفلات الدينية

الأعلام في الجنائز

ج لنَّ المجمع المقدس اجاب غير مرَّة على اسئلة كهذه بالسلب . منها جواب لرسلهُ الى اكليروس بادوا في تاريخ ١٤ تموز ١٨٨٧ وتعريبهُ : « لا يُسمح في حفلات

الدين ان يُتَّخذ غير الأعلام الدينية المباركة بالصلوات المدوَّنة في كتاب الطقوس الروماني » — وفي رقيم آخر تاريخهُ ٣ ايلول سنة ١٨٨٧ امر المجمع المقدَّس « بان لا يبارك خادم الدين سوى أعلام الجمعيَّات التي صادقت السلطة الروحية على رسومها وقوانينها ولها مع الدين بعض العلاقة ويجب ان تنقش على تلك الرايات رموز تقويَّة ولا تتضمَّن البتَّة علامة مستكرهة . امَّا ادخال الرايات الى الكنيسة فلا يجوز الَّا اذا كانت لاخويات دينيَّة وباركها الكاهن كما مرَّ »

ومن ثمَّ اذا ما رأى الكاهن في الكنيسة عَلَماً ما لم يُراعِ هذه الشروط عليهِ بتنبيه حامليهِ على إبعاده من الرتب الدينية واخراجهِ من الكنيسة فان اصرَّ اصحابهُ على اثباتهِ في الكنيسة يترتَّب على الكاهن ان يخرج هو منها ويكفَّ عن اجراء الرتبة الدينية ن.م

س سألنا احد الرهبان من الجزائر ما هي الكتب التي طُبعت في العربية عن سيدة لورد
المطبوعات العربيَّة عن سيدة لورد

ج لا نعرف منها غير هذه الكتب الثلاثة : ١ً كتاب النزهة في الورود يمثِّل ظهور السيدة في لورد . عرَّبهُ القس جرجس السرياني (طبع في الموصل سنة ١٨٩٣ ص ٢٦٠) . ٢ً تحفة المغارب في سيِّدة لورد امّ العجائب للعلامة دانيال باربه تعريب القس افرام الديراني (طبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩٤ ص ١٤٣ وهو مزيَّن بالصور) . ٣ً لورد وفتاتها بقلم السيد جرمانوس معقد مطران اللاذقية (طبع في مطبعة الفوائد سنة ١٨٩٦ ص ٩٥)

س وسال من غلبون حضرة الخوري الياس الخوري ١ً هل الجهل النير مقدور الدفع يمنع انفاذ البطلان ٢ً وهل يمنعهُ متى كانت الشريعة لم تقصد بالابطال الَّا معاقبة الجريمة
مفعول الجهل

معلوم انَّ الجهل الذي لا يمكن دفعهُ لا يُبطل مفعول الشريعة من ذاتهِ لما ينتج عن ابطال الشريعة من المفاعيل السيئة . مثال ذلك ان ترتبط امرأة بسرّ الزواج مع رجل وثني وهي لا تعلم بدينهِ فان العقد باطل من ذاتهِ وان كانت بريئة من الخطيئة لجهلها . امَّا اذا كان المقصود بوضع الشريعة معاقبة الجريمة فقط فيبطل مفعول الشريعة اذا كان الانسان يجهلها لأن الجهل التام يمنع الجريمة ل.ش

١ صورة الكتابة التي على وجه الأرض:

٢ صورة الكتابة التي على وجه الأرض الثالثة:

المشرق

معادن الرند الذهبية

والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبية

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

مقدمة

يدعون بالرَّند (the Rand) سلسلة تلك الطبقة الارضية التبرَّية الترنسفالية الممتدة من انحاء بوكسبرغ (Boksburg) (١ شرقاً الى اطراف كروجرسدورب (Krugers-dorp) (٢ غرباً مسافة ستين ميلاً طولاً بعرض تعديلهُ خمسة عشر ميلاً. ففوقها ارتفعت بنايات تلك المعادن البديعة بتركيبها ونظامها التي ادهشت العالم بوفرة غناها واستدرار ذهبها وقامت في ضواحيها المدن العامرة بالسكان واشهرها مدينة جوهنسبورغ التي منذ عشرين سنة لم تكن سوى سهول قاحلة نُصبت فيها عدَّة مضارب حقيرة لم يأمن فيها نازلوها هبوب الارياح وعواصف الامطار وقد اصبحت الان جنَّة فيحاء تضمُّ في بطحائها مايتين وخمسين الف نسمة من السكان ابتنوا لسكناهم القصور الشاهقة والمخازن

١) هي بلدة تبعد زهاء ثلاثين ميلاً من جوهنسبورغ فيها معادن غنية بالفحم الحجري والذهب وفيها بنايات حسنة ودار للحكومة جميلة وبحيرتها هي من اجمل المناظر الطبيعية في الرند يقصدها آل جوهنسبورغ في الاعياد للترهة والراحة وسكانها زهاء ١٧٠٠

٢) واسمها مشتق من اسم الرئيس كروجر تبعد ٢٠ ميلاً عن جوهنسبورغ وهي اهمُّ بلاد الرند الغربي وبها الكنائس الجميلة وسراية للحكومة متقنة البناء والمدرسة وبها غرفة تجارة وبها مقام الجمعية الترنسفالية الزراعية ومناخها جيد للغاية والدواصف وآفة البرَد قليلة الحدوث فيها جدًّا وفيها ايضاً تمثال يرمز الى انتصار البوير على الزنوج سنة ١٨٣٦ تؤمُّه الزوار كل سنة تذكاراً لهذا الحدَث الجليل الذي خلص البيض من الهلاك والدمار

الجميلة والحدائق الغناء واستخدموا لاسفارهم الخيول المطهمة والمركبات المتحركة المعروفة بالاوتوموبيل فضلاً عن البخار والكهرباء (١

*

اما بعد ولما كانت معرفة احوال هذا الرند العجيب تستلفت اليها انظار الادباء والعلماء والتجار والعمال نظراً لاهميته التاريخية والاقتصادية والمالية والتجارية والسياسية والصناعية فضلاً عن المضاربات الطائلة التي تتنازع اسهمها العديدة قد رأيت ان اسطر على صفحات المشرق الاغر لمحة وجيزة عن تاريخه واحواله وكيفية التعدين به الى غير ذلك مما توصلتُ اليه بعد الدرس والتدقيق الطويل والاختبار وعلى الله الاتكال

١ً تاريخ الرند

انهُ لقد اصبح من المقرر والثابت الان ومما لا ريبة فيه ان تعدين الذهب في جنوبي افريقية عريق في القدم كما تثبتهُ الآثار والخرائب الكثيرة فقد تبين من خرائب زيمبابوي (Zimbabuy) (٢ الشهيرة وهندسة جدرانها العادية شارات بينة تدل على علائق ومواصلات تجارية بين ثغر صوفالا (٣ وهو ثغرها الطبيعي ومدينة سبا المذكورة في الكتاب المقدس والقائمة على سواحل جزيرة العرب الجنوبية . وهناك امرٌ خطير قد شغل عقول العلماء طويلاً واثار بينهم الجدال العنيف في اصل هذه البقايا الموجودة في زيمبابوي وغيرها من الخرائب المجاورة أهي من بقايا الفينيقيين السوريين ام من بقايا السابيين العرب واي الشعبين شادها فهذا الامر لا تزال المناقشة قائمة فيه

١) هذه هي التآليف التي استعنا بها لتدوين مقالتنا : ١ً Skinner's : *Mines of Transvaal* ٢ً The New Foster: *Ore and stone Mining* ٣ً رحلة كارل مرخ (Carl Mauché) الى افريقية ٤ً تقارير غرفة المعادن في جوهنسبورغ ٥ً تقارير دائرة المعادن للحكومة الترنسفالية الخ والمجلات *The African World*; *South African*; *S. Africa Mines*

٢) اكتشف هذه الاثار فيليبس G. A. Philips سنة ١٨٦٧ ولكن على ما يظن ان البرتوغاليين كانوا يعرفونها قبل هذا الاكتشاف وهي عبارة عن بنايات ضخمة يظهر منها انها مبنية لاجل الدفاع والحجار المبنية بها هذه البنايات مربعة الشكل وليست مشيدة بالكلس والطين وفيها كان القدماء يعالجون الذهب المستخرج من ضواحيها ويسبكونهُ على النار

٣) هي بلدة قديمة وحقيرة موقعها الان الى جنوبي بلدة بيرا (Beira) على الاوقيانوس الهندي بها عدة اثار قديمة وفي ضواحيها نهر يسمى شذرات النهر

على قدم وساق لا سيما بعد ان وجدوا فيها اثاراً من العبادة الفلّيقية (Phallique) التي يصحُّ انتماؤها الى الشعبين سواء

وقد وُجدت آثار التعدين منتشرة في تلك الانحاء اي على مقربة من زيمبابوي المذكورة انتشاراً عظيماً الى ان بلغ بعض المعادن التي عدَّتها القدماء في جوار الرند وبعض المعادن لا تبعد عنهُ اكثر من مائة ميل وقد احصي من هذه المعادن المكتشفة والمهملة الان ما ينيف عن الالف وخمسمائة معدن

وقد ذهب بعضهم الى ان بلاد المشونالند (Mashonaland) ليست هي سوى بلاد اوفير المذكورة بالتوراة ولكن لا يمكننا المصادقة على هذا الرأي لاسباب يطول ذكرها الان

ومما وُجد مؤخراً في قعر بعض الابار حجر الثأران على شكل فؤوس وحراب وغيرها لاحتياجات الانسان وقد وجد ايضاً منها في قعر بعض المعادن المطمورة وهو امرٌ يدل على سكنى البشر جنوبي افريقية من اقدم الزمن. واما تلك القبائل الوطنيَّة التي كانت قاطنة بين نهري الزمبيز والليمبوبو (Zambese and Limpopo) قبل ان طردها قبائل المتابيلي (Matabele) وتدمّر بلادها فقد تبين ان اصحابها كانوا يحسنون تعدين الذهب والنحاس والحديد في قلب الارض لاصطناع اسلحتهم وكانوا يشيدون حول قراهم اسواراً من حجارة مربعة الشكل يتّقون بها من هجمات اعدائهم

ومما يستدلّ عليه من قياسات وموقع خرائب زيمبابوي ومن قطع الخزف والزجاج وآثار العبادة الفلّيقيَّة بها ووجود صورة العُقاب على احد جدران المعبد وكان عند الاشوريين والفينيقيين رمزاً الى عشتروت او الزهرة إلهة المعادن يظهر بلا شك ان اصحاب تلك الآثار شعب من الشعوب الساميَّة ويستدل على تاريخها من هيئة بنائها واعتقادات بُناتها على انها شُيِّدت قبل العهد الكورانى (Koranine era) اعني العصور السابقة للجيل السادس قبل المسيح

واما هندسة الخرائب في زيمبابوي فانها تشبه غاية الشبه الخرائب والآثار الموجودة حتى ايامنا في سوريَّة حيث احاطت الحصون بالمعابد ومما يُظنّ لا بل يرجَّح على ان المهندسين كانوا من سبا على شاطئ جزيرة العرب الجنوبي والمشهور عن اهلها انهم حاوا الرحلات الزاهرة الطويلة في المحيط الهندي قبل عهد الملك سليمان وبعده وقد تبيَّن

من بعض الاساطين وغيرها من الادوات المستخرجة من حفائر هذه الخرائب حديثًا على ان الذهب كان يُسبك على النار ويُمحص محصًا محكمًا في تلك القاعات المصنوعة لهذه الغاية . وقد يُستدل من تعداد طبقات شذرات الخزف المكسور وغيرها التي تغطي وجه ارض تلك الاماكن على ان شعوبًا كثيرة اخذت عن سالفيها هذه المهنة واشتغلت في تلك المحلات . ومما يدل ايضًا على ان المشتغلين في تلك الحرفة كانوا اجانب غير وطنيين ما يغلب من الخوف الشديد على قلوب الزنوج واهالي البلاد الاصليين حين اقترابهم من تلك الاماكن اذ يظنونها مسكونة بالارواح وقد وُجد هناك كمية وافرة من انواع الادلية والحبال المصنوعة من قشر الشجر والقُنَّب مطمورة تحت الردم بحالة صالحة جيدة

ولم يستخرج ويعالج الذهب في بلاد المشونالند وحدها بل كانت توجد معامل لسبكه في شمالي الترنسفال ايضًا كما تبينهُ الآثار المكتشفة حديثًا في بلاد ناكوالند (Namaqualand) وهي آثار قديمة جدًا

ولما انقرضت مملكة سبا وخسر السابيون بزوالها السيادة البحريَّة وامتلكتها من بعدهم رحالة العرب القدماء المتدة شواطىء بلادهم على سائر جهات البحر الهندي بقيت المواصلات بين بلاد المشونالند وبين بلادهم وبين الثغور الافريقية التي كانوا يؤمّونها متوالية مدة عدة اجيال ولم تزل بعدئذٍ معروفة عند عرب الجزيرة واهل الهند

ولما دار البرتوغاليون دورتهم المشهورة حول راس الرجاء سنة ١٥٠٠ مسيحيَّة وجدوا مستعمرة عربيَّة قائمة على الشواطىء الواقعة بين صوفالا وشمالي بلاد الزنجبار

ومما وجدوهُ مؤخرًا في محل يدعى مومبي (Mombi) على مسافة ستين ميلًا شرقي بولوايو (Bulowayo) حيث تكثر الخرائب والآثار مدفعان برتوغاليَّان احدهما نحاس والآخر حديد فالاول ذو فتيل والثاني يُخشى من فوهتهِ وقد وُجد ايضًا في جملة آثار اخرى ختم احد الرهبان اليسوعيين الخصوصي مع مبخرة وبعض الحلي الكهنوتية الخ

وقد زار افريقية الجنوبية العالم الالماني والجيولوجي الشهير ليوبولد فون بوخ (L. v. Buch) سنة ١٨٤٥ وقال انهُ استدلَّ بعدَّة دلائل على وفرة الذهب في حقولها ولم تطل المدَّة حتى شاع انهُ اكتشف قليلًا من هذا المعدن قرب جوهنسبورغ الحالية سنة ١٨٥٤ ولكن على ما يُقال خشي البوير حينئذٍ عاقبة هذا الاكتشاف

على استقلالهم اذ كانوا نزلوا تلك الناحية منذ زمن قريب فاقاموا الحواجز في وجه طالبي الذهب وطمسوا آثاره

وقد جاب السائح الالماني والمعدني الشهير كارل موخ شمالي الترنسفال ووصف البلاد الواقعة بين نهري اللمبوبو والزمبيز سنة ١٨٦٥ ومما قال في رحلته انهُ توجد دلائل باهرة على وجود معادن ذهبية غنيَّة للغاية في الترنسفال وفي بلاد المتابيلي كما انهُ قال ايضًا ان مقاطعة مالماني (Malmani) في جنوبي افريقية هي اغنى مقاطعة بالمعادن الذهبيَّة لكن زعمهُ هذا الاخير لم يثبت فعلًا. وقد باشر قومٌ بتعدين احد المعادن التي اكتشفها هذا السائح سنة ١٨٦٩ واسمها حقول ذهب التاتي (Tati) لكن النتيجة لم توافق آمال اصحابها

وفي سنة ١٨٧٢ اخذ البعض بتعدين معدن ذهبي موقعهُ الى الشمال الغربي من بلدة ليدنبرغ في مزرعة ارستلين (Ersteling) فاتى عملهم بنتائج حسنة

وفي السنة ذاتها اكتُشف الذهب التبري النهري (Alluvial gold) في مقاطعة كوماتي (Komati) قرب حدود البرتوغاليين الشرقية وفي سنة ١٨٧٥ اكتُشف ذهب مثلهُ في محلّ يقال لهُ دي كاب ڤالي (De Kaap Valley) ولكن اشغال التعدين لم يُباشر بها الّا في سنة ١٨٨٢ فجاءت موافقة للمرغوب

وفي سنة ١٨٨٤ اعلنت الحكومة في جريدتها الرسمية بان دي كاب ڤالي تحتوي على شذور التبر وفتحتها لمن اراد التعدين بها على شرط ان يأخذ الاجازة من الحكومة ويدفع قسمًا زهيدًا من المال. ثم عهدت الى الكشّافين ان ينظروا أيجدون آثار الذهب في غير مقاطعات

وفي سنة ١٨٨٦ اكتشف على المقلع الذهبي المشهور المدعو شبا (Sheba) فاخذ اذ ذاك الطمع في الذهب ومحبة المكسب تدبُّ في عروق من يسمع خبر هذه الاكتشافات واخذت الناس تتوارد زرافات زرافات من جميع انحاء المعمور الى محل التعدين قرب بلدة باربرتون (Barbarton) الى ان بلغ سكان تلك البلدة بعد سنة واحدة ٨٠٠ نفس ولكنهم صادفوا في وجههم من العوائق ما لا تحصى انواعها نظرًا لوعورة المسالك وقلّة الطرق وعدم وجود السكك الحديدية والامراض والحميات الخ ولم تقف المصائب عند هذا الحد بل ان الشركات الاحتيالية التي تألفت على الفور اصاب معظمها

بل قُلْ كلّها الإفلاس فكانت هذه المصيبة الثانية قاضية على ارباب التعدين فأحبطت مساعيهم وايأستهم من النجاح

وحينئذٍ اخذ الناس المجتمعون في باربرتون وكان اكثرهم خبيرين بالتربة الذهبية واكتشافها وتعدينها يتفرقون في اكثر انحاء الترنسفال واكثرهم قدموا الى ضواحي الرند اذ سمعوا بخبر اكتشاف الذهب فيه

وكانت الرند حينئذٍ خاوية خالية ليس يسمع فيها الّا صوت ابن آوى ونعاب الغراب وكان قد قدمها سنة ١٨٨٤ المستر فرد ستروبون (F. Strobbon) وتوصل مع رهطه بعد جهد النفس والتعب المفرط الى اكتشاف منجم الذهب الشهير الان باسم بركت روف (Bauket Ruf) واخذ يعدنهُ على قدر استطاعته لقلة الوسائط لديه وفي سنة ١٨٨٥ اقام فوقهُ طاحونة ذهب صغيرة ذات اربع مطارق تطحن الحجارة المحتوية على الذهب الدقيق . وفي سنة ١٨٨٦ اعلنت الحكومة ان وادي الرند مفتوح للتعدين فاخذت الجماهير تتقاطر اليه

ثم اخذت الاكتشافات تتوالى وبعضها مما ليس لهُ اهميّة كبرى فسنة ١٨٨٥ اكتشف الذهب في سوازي لند (Swaziland) وقبل حلول سنة ١٨٨٧ اكتشف في كنيسنا (Knysna) وبوتشفستروم (Potchefstroom) وكلركسدورب (Klerksdorp) وفي هضاب الزوتبنسبرغ (Zoutpansberg) وفي بلاد الزولو وسنة ١٨٨٩ في بلاد دامارالند (Damaraland) وفي سنة ١٨٩٠ في مقاطعة لورنسو ماركس (Laurenzo Marquez) وفي مقاطعة برنس البرت وفي ناماكوالند (Namaqualand) وسنة ١٨٩٣ في مقاطعة كرادوك (Qradoch) وفي باركلي وست (Barkley West) وسنة ١٨٩٥ في جنوبي مقاطعة كمبلي وفي مقاطعة هيدلبرغ (Heidelberg) في الترنسفال

وقد هيجت الاعمال المعدنية القائمة في بلاد المتابيلي والشونالند طمع المتسوّلين وطلّاب الذهب لكثرة انتشارها في تلك الجهات حتى انّ الحكومة الانكليزية نفسها طمعت بها رجاء ان توازي بغنى معادنها البلاد الترنسفالية ولذا عقدت تلك الدولة مجهودها ونالت ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٨ معاهدات مع ملك المتابيلي المدعو لوبنكولا (Lobengula)

بما يتعهد انهُ لا يعقد ادنى معاهدة مع احدى الدول الاجنبيَّة سوى بريطانيـا العظمى واصبحت بلاده بهذه الواسطة تحت حماية الانكليز . فتألفت الشركات وأُرسل قوم من الروَّاد والمهندسين الى بلاد لونكولا حيث نالوا الامتيازات الجمة وسنة ١٨٨٩ نالت الشركة البريطانيـة لاواسط افريقية امتيازاً من دولتها يخوّلها حقوق التعدين

وفي سنة ١٨٩٠ شيد بعض افراد هذه الشركة معقل سالسبري للدفاع عن انفسهم من تلك الامم المتوحشة القاطنة هناك وردّ غاراتهم ولما استتبَّ لهم الامن اخذوا يتجوَّلون في تلك السهول والاوعار طلباً للذهب

لا يتمّ وصفنا لتعدين الذهب في جنوبي افريقية ما لم نقل كلمة وجيزة عن الذهب النهري (Alluvial gold) المستخرج منهـا فنقول ان اغنى سهل بالذهب النهري في جنوبي افريقية هو بلا شك السهل الواقع في مقاطعة ليدنبرغ (Lydenburg) في الترنسفـال حيث وُجدت قِطعٌ ذهبيَّة (Nugget) يوازي وزن الواحدة منها عدة ليرات ولكن معظم تلك الاملاك الآن في يد الشركات ولم يبقَ منهُ بلا تعدين الَّا النزر القليل

ومما يحسن بنا ذكره هنا هو ان تربة الذهب النهري في جنوبي افريقية تختلف نوعاً ما عن تربة الذهب النهري الموجود في المعمور ففي افريقيـة الجنوبية لا توجد معادن الذهب النهري الَّا في الاماكن المرتفعة التي لم تجرفها السيول واما في اوستراليا وغيرها فلا يوجد الذهب فيها الَّا في الاودية وضمن مجاري الانهر او في التربة الزائحة حديثاً

وامـا مروج الذهب النهري في كنيـنا (Knysna) وبرنس ألبرت فلم تأتِ بنتيجة تُذكر واما اراضي القومبانيَّة المركانية في روديسيا المذكورة آنفاً فان الكاشفين زعموا بانها غنيَّـة بمناجم الذهب وليس لقولهم سندٌ متين اذ ان الذهب النهري الذي وجد بها عدهُ الاقدمون واستنفدتهُ اجيال القرون الوسطى وقد فتحت القومبانية المذكورة معدن « ماوزوي » على سبيل التجربة ولسهولة النجاح به اذ يمكن المعدّن بضربة معول ان يغتني لطول حياته لكن هذه الامتحانات لم تُصب المرمى في جنوبي افريقية حتى ان المشتغل بهـا في هذه القارَّة لم يتوصل بما يستخرجه من الذهب الى تسديد نفقة اشغاله اكثر المرَّات

٢ جيولوجية مقاطعة الرَّند

لمعادن الذهب الرنديَّة قصب السبق على سواها من معادن الذهب في افريقيا الجنوبيَّة لا بل في العمور باسره لوفرة غناها وسعة ثروتها والاقبال على تعدينها ولذا نخصُّ بها المقام الاول في ذكرنا لمعادن افريقيا الجنوبيَّة متلقفين اهمَّ الحوادث والاحصاءات عن تقارير غرفة المعادن في جوهنسبورغ وتبليغات دائرة المعادن الخاصة بالحكومة. ويجب قبل وصفنا لتلك المعادن ان نقدّم عليها لمحة وجيزة لنعرّف تركيب تربتها وترتيب طبقات ارضها مستندين بذلك الى ائمة الجولوجيين واشهر العارفين فنقول:

ان الطبقة السفلى الصخريَّة في جنوبي افريقيا هي من نوع الحجر الحبب (granit) ولكنهُ كثيرًا ما تنفذ من هذه الطبقة نواجذ عديدة تخترق غيرها من الطبقات الارضية الحديثة فتطفو احيانًا على سطح الارض واهمُّ هذه النواجذ هي المساحة الممتدة بين نهري الفال (Val) واللمبوبو وهي التي على منعطفها الجنوبي قائمة بلدة جوهنسبورغ البالغة ٥٧٠٠ قدم فوق سطح البحر واما الطبقة الارضية المحتوية للذهب في مقاطعة الرند فان المياه الكائنة فوق سطح الطبقة الصخريَّة الحبَّية جرفتها الى هنالك اذ كانت هذه الطبقة الصخريَّة أفقية الشكل قديمًا واما هذه التربة التبرية والاراضي المجروفة الى هنالك فهي طبقة رملية مختلطة بحجارة كلسية وهي مختلفة السمك والهيئة ولا يعلم من اين اتت ففي هذه الطبقة توجد طبقات التبر « كالورق المكبوس » مختلطة بنوع من الجصّ والحديد وكرات الرمال المتبلورة

فبعد حلول تلك التربة على سطح الطبقة السفلى الصخريَّة وتراكم عدة الاف من الاقدام فوقها حدث انقلاب في جوف الارض وانفجار رفع تلك الطبقات الافقية الى شكل هرمي ذي زوايا عديدة وقد قذف جوف الارض كذلك عدة حجار بركانية على وجه الارض من الفوهات العديدة مع حمم بركانية كثيفة غطت وجه القشرة الارضية

واما الطبقة السفلى الصخريَّة الحبَّية فحين ارتفاعها كما ذكرنا آنفًا رفعت فوقها الطبقة الرملية الكلسيَّة التي فيها الذهب كما ذكرنا ونظرًا لكثرة الضغط والحرارة وبدلًا من ان تبقى على حالتها الافقية اصبحت كما تُرى الآن بهيئة هرمية الشكل

فخط هذه النتوءات المسنّنة يمتد بكل ترتيب من الشرق الى الغرب على مسافة ستين ميلًا وهو ينحني قليلًا عند طرفيه لكن اكثر اعوجاجهِ يميل الى جهة الجنوب وهو الخط الذي يسميه العلماء وادي الرند

ثم انهُ بعد مرور ذلك الانفجار العظيم اخذ سطح الطبقة التبرّية المذكورة يكتسي بالنبات (وهو الآن المتحول الى فحم الحجري والذي يُكتشف بعض الاحيان مع الذهب) وكذلك كثرت فيهِ الحيوانات الصدفيّة والمستحجرات كما ترى في تلك المناجم ثم انهُ بعد زمن اهبطهُ للطبقات المذكورة ارتفاعٌ ثانٍ جرى بسببهِ تغيير الهيئة القديمة التي احدثها الانقلاب الاول وبسبب هذا الارتفاع تعرّت الطبقة المرتفعة الصخريّة للعيان وانقلبت هيئتها تمامًا

واما الآن فان الطبقات الارضية التي يجري التعدين فيها فهي فوق المقلع الاصلي (Main Reef) وهي منقسمة الى اربعة او خمسة فروع واهمها « المقلع الاصلي » و« المقلع الجنوبي » (South Reef) الذي يختلف سمكهُ من خمسة ابهام الى ستة اقدام واما الاصلي ذاتهُ فطبقته التبرّية ضخمة في جوف الارض وغنية جدًا لكن اكثر نظرًا لعمقه في قاع الارض لم يتمكنوا من تعدينه كما يجب

وقد تُوجد مواضع كثيرة بين كروكسدورب وهيدلبرغ حيث اطراف الطبقة السفلى الصخريّة المتكسرة بارزة للعيان وكان التعدين هناك سهلًا ووافر الارباح ولكن اطراف هذه الطبقات السفلى قد غطتها التربة الحديثة او جُرفت الى محل آخر من جرّاء تلك الانفجارات الارضية البركانية التي حدثت في جوف الارض

٣ تعديل غنى المعادن الرندية

ان من اراد تعديل غنى المعادن الترنسفالية ومدّة تشغيلها الممكنة لا بد لهُ ان يلحظ كل الاحوال المنوطة بهذا الموضوع ومع ذلك فلا يتوصل الّا الى نتيجة حدس وتخمين واما اهمّ هذه القياسات التي يجب ان تبنى عليها الحسابات فهي زاوية الانحدار التي يتبعها العرق الذهبي فان بها تتعلق وفرة تشغيل المعادن

وهذه زاوية الانحدار اذا كانت على مقربة من سطح الارض توازي سبعين درجة انحدارًا او اكثر في بعض المواضع لكن تعديل هذه الزاوية على طول آلاف اقدام من العروق الذهبية لا يزيد عن الست وعشرين درجة انحدارًا ومع ذلك فان هذا الانحدار

لو دام على الدرجة المذكورة لتعذَّر عمَّا قليل تعدين المعادن لكثرة الضغط والحرارة في قلب الارض لكنهُ يخف قليلًا قليلًا بنسبة العمق . ومما يثبت هذا الظن هو انهُ عند حفر الفوهة العظيمة المدعوة بفوهة ڤيكتوريا الى جنوب وادي الرند وقد بلغ عمقها ٤١٠٠ قدم ظهر للعيان ان العروق الذهبية ليست مداومة الانحناء كما غلب الظن وقد جرى هذا الامتحان في عدة محلات على هذا النمط وكانت النتيجة واحدة وقد ثبت ايضاً وتنذر ان عرض العرق الذهبي في ذلك العمق يبلغ اربعة اقدام وبعد الامتحان ظهر ان الطن الواحد منهُ يعطي اوقية وثلاثة ارباع من الذهب واما العرق الذهبي المعروف « بالاصلي » فانهُ اعطى في بعض محلات عشر اواق في كل طن من التربة

ومما يزيد الثقة في غنى معادن الرند الذهبية هو انهُ لما حُفرت فوهة ترفونتين (Turffentein) في تموز سنة ١٩٠١ بلغ عمقها من ٤٨٠٢ الى ٨٥٦٥ قدماً من ابتداء العرق الذهبي على وجه الارض . واما اعمق فوهة حُفرت فهي الى الجنوب الشرقي من جوهنسبورغ وقد بلغ عمقها ٥٥٠٠ قدم وذلك سنة ١٩٠٥

ومما تقرَّر بعد الاختبارات الحديثة ان الحرارة الداخلية في جوف الارض تزيد بالتدريج نظراً للعمق وفي السراديب التي يبلغ عمقها ٨٠٠٠ قدم لا تزيد على ١٠٠ درجة (فاهرنهيت) . ومما يؤخذ كذلك من الاختبار ان السراديب العميقة هي عادةً انشف هواء من غيرها ولا يخشى وجود الماء فيها واما الذهب فيوجد ممتزجاً بالتربة وهو في غاية النعومة حتى انهُ لا يظهر للبصر ولو في اغنى تربة

وقال المستر تيودور ريونرت (H. Reunert) سنة ١٩٠٤ وذلك بعد ان بنى حسابه على طول العرق الذهبي الى ثلاثين ميلًا واستطاعة تعدينهِ على مسافة ميل واحد فقط انحداراً وتعديل سمكهِ الى خمسة اقدام ومحصول ثلث الاوقية من كل طن واحد من التربة ان الذهب الكائن في ارض الرند يعادل ٤٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية

ثم انهُ سنة ١٨٩٥ عدَّل الخواجات هتش وشلمر (Hatch and Chalmer) انهُ من بعد تشغيل المعادن مع كل عروقها تقدَّر قيمتها بـ ٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة

ولكن اذا قدَّرنا ان طول العروق الذهبية خمسون ميلًا بسمك طولهُ خمسة اقدام وانحدار ميل واحد بمعدل الذهب بالطن الواحد على محصول سنة ١٨٩٨ فتناهز قيمة

الرند نحواً من ١,٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ اعني ستة اضعاف الذهب المستخرج من كاليفورنيا بين سنتي ١٨٤٩ و١٨٩٣

وقد اكّد المستر ليونل فيلبس في الوليمة الافريقية التي اقيمت في لندن في تموز سنة ١٩٠٤ انهُ لقد ثبت بان العروق الذهبية تبلغ مسافة ٦١ ميلاً وربع الميل واذا افترض انَّ هذه العروق تنتهي بمسافة اربعة الاف قدم فتكون مساحتها توازي ٤٠٢٠٠ فرضة (claim). فمن هذه القيمة كلها لم يعدَّن ليوم تاريخهِ الّا ٣½ بالماية اعني بما قيمتهُ ٦٥,٦٦٦ ليرة لكل فرضة فتكون قيمة الذهب الموجود في الرند اثنذ ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد قال المستر ج. ا. دني (G. A. Denny) في كتابهِ «معادن الطبقات السفلى في الرند» انهُ كان يطحن شهرياً في سنة ١٩٠٦ ١,٦٨٨,٤١٥ طناً من التربة الحاملة الذهب وهي تعطي ٥٤١,١٣٦ اوقية من الذهب الدقيق الخالص و١١٨,٨٩٠ طناً من الذهب المتزج بالتراب والذي يمكن ان يستخرج منهُ ما يوازي ٢٤٠,٥١٤ اوقية من الذهب الخالص و٢١٠,٠٠٠ طن من غسيل الذهب تعطي ٢١٠,١٠٥ اواق من الذهب الخالص فيكون المجموع ٨١٢,٧٥٦ اوقية من الذهب الخالص توازي قيمتها ٣,٤٥٠,٨٢٨ ليرة استرلينية بتعديل استخراج ٤٠ شلناً وثلاثة ارباع من كل طن مطحون

وهذه الارقام التي اعتنى بضبطها والتدقيق فيها المؤلف هي قريبة جداً للصواب وتعتبر كحجة وقد زاد محصول الرند زيادة عجيبة بين سنتي ١٨٨٧ و١٨٨٩ وذلك لوفرة عدد الطارق المشتغلة في الرند وسهولة التعدين في الطبقة العليا وطحنها. وفي هذه المدة كذلك كثرت المضاربات في سوق بورصات لندن وباريس وبرلين بمحصولات الرند الى حد الجنون

واماً من سنة ١٨٨٩ الى ١٨٩٠ فان ردة الفعل وضيقة الحال في جوهنسبورغ والاحتياج الى ادوات من الطرز الجديد والى طلمبات (مضخات) وإحجام المتمولين عن الاقدام على المشاريع العظيمة جعلت الزيادة قليلة بالنسبة الى ما قبل

ولكن لم يطل الامن والامل ان رجعا الى النفوس وتيسر النجاح لقدوم الآلات الجديدة ورخص الفحم فزاد محصول الترنسفال سنة ١٨٩١ ٤٨ في الماية وسنة ١٨٩٢

٦٦ في المائة وكان قد ظهر لاعين الجميع اهمية هذه المعادن وثباتها ونجاح اكثر مشاريعها وخصوصاً المعادن الكبيرة وقد زاد محصول الذهب المستخرج منها بمعالجتها بالطريقة المعروفة بالكلورين (Chlorine) التي استُبدلت بطريقة أيسر منها وهي طريقة السيانيد (Cyanide) فزادت بذلك سنة ١٩٨٣ ٢٢,٢ بالماية بمحصولاتها و٣٩ ٥/١ بارباحها واما سنة ١٨٩٥ فانها زادت على سنة ١٨٩٣ ٥٤ بالماية بمحصولها وتقريباً ١٠٠ بالماية بارباحها

وفي سنة ١٨٩٨ لم تبقَ شركة واحدة في الترنسفال وخصوصاً في الرند الّا زادت ثروتها حتى ارجعت راس مالها وفرّقت على حاملي اسهمها الارباح الطائلة الفائضة عن احتياجاتها. ثم خمدت تلك الحركة في السنة ١٨٩٩ التي أشهرت بها الحرب بين الترنسفال والانكليز وضُبطت من المعادن بامر الحكومة الترنسفالية مقادير من التبر توازي ١,٩٥٢,٧١١ ليرة

وفي اذار سنة ١٩٠١ اذنت القوة العسكرية الامبراطورية المحتلة وقتئذٍ لبعض القومبانيات ان ترجع الى تشغيل المعادن وقد بلغ عدد المطارق الطاحنة الذهب في كانون الثاني سنة ١٩٠١ ٦٥٣ وفي نيسان سنة ١٩٠٢ ١٦٣٥ وكان محصول الرند في هذه السنة ١,٦٩٠,١٠١ اوقية من الذهب الدقيق استخرجها ٤٥ معدناً مع شغل ٢٩٧٠ مطرقة وقد فرقت في السنة ذاتها ٢٣ قومبانية ارباحاً على حاملي اسهمها تبلغ ٢,٢٤٨,٧١٥ جنيه وقد سهلت الطرائق العلمية باستخراج الذهب مشاكل عديدة واسقطت نفقات الطن الواحد من التربة المعدنية الى ٢٥ شلناً

وسنة ١٩٠٣ اكتُشف على العرق الذهبي المعروف باسم « عرق التتويج » (Coronation Reef) الممتد خمسين ميلاً جنوبي جوهنسبورغ الى شرقي بلدة هيدلبرغ وسنة ١٩٠٤ كان محصول اثنتين وستين قومبانية تشغّل ٥٦٧٠ مطرقة لطحن الذهب ٣,٦٥٨,٢٤١ اوقية من الذهب الدقيق فكان معدل محصول المطرقة ما يناهز خمسة طنات في اليوم الواحد وكان مجموع ارباح ٣٣ قومبانية ٣,٨٥٥,٣١٣ ليرة وكان عدد المعدنين وقتئذٍ اعني في ٣١ آب سنة ١٩٠٤ ١٤,١٧٣ ابيض و١٧٧,٠١٤ زنجياً و٢٠,٣٩٦ صينياً و٢,٣٢٣ هندياً وقوماً سمراً من مستعمرة الكاب

ثم بلغ في سنة ١٩٠٥ عدد شركات التعدين ٦٨ ذات ٧١٩٩ مطرقة طاحنة

وكان محصولها ٤,٧٠٦,٤٨٣ اوقية من الذهب الخالص قيمتها ١٩,٩٩١,٦٥٨ جنيه وقد دفعت القومبانيات ارباحاً الى حاملي اسهمها تُقدَّر بـ ٤,٨٣٢,٤٣٦ جنيه واما عدد المشتغلين في غرة كانون الثاني سنة ١٩٠٦ فكان ١٩,٣٥٥ ابيض و٨١,٠٧٨ زنجياً و١,١١٨ اسمر من مستعمرة الكاب و٤٨٨ هندياً و٤٦,٥١٠ صينياً

٤ استخراج الذهب

عُرفت طرائق جمة لاستخراج الذهب وطحن « الكوارتس » منذ قديم الاجيال لا نذكرها هنا خوفاً من الملل ولكن الطرائق الجديدة هي اقل نفقةً واسهل منالاً من غيرها مع انها لتاريخ هذه الساعة لم تبلغ المنتهى بالتحسين

واما الطريقة المستعملة في الرند فهي على هذا النمط :

تُستخرَج التربة المختلطة بالذهب من الاتفاق العديدة بواسطة الغام الديناميت والجلاطين والمعاول والمجارف ثم تُطارح في عربات حديدية معدَّة لاستقبالها وسائكات على سكك حديدية وهي والحالة هذه على جميع الهيئات والاشكال وتُجلب الى قاعة كبيرة حيث تُكسر كلها الى حجم يقارب الجوزة ثم تنقَّى على طاولات دائرة بواسطة الات مخصوصة وهناك ترى الوفاً من العملة المختصين بهذا الشغل فالحجارة التي لا تمع منها تلقى خارجاً واما الحجارة الحاملة الذهب فتمر تحت مطارق المطحنة التي تشبه كل الشبه مطاحن كالفورنيا حيث تُطحن هذه الحجارة طحناً دقيقاً للغاية

واما مطحنة الذهب فهي مؤلفة من عدة اجران حديديَّة كبيرة ومطارق على شبه الاجران مستطيلة الشكل وفي الغالب يكون وزن المطرقة الواحدة الف ليبرة وهي التي تطحن التربة الحاملة الذهب كما ذكرنا . وفي الرند تستعمل الطريقة الرطبة فان التربة عند طحنها يقذفها جدول من المياه الى « منخل » عدد ثقوب الانش المربع منهُ ١٢٠٠ ثقب على طاولات من النحاس المطليّ بالفضة والزئبق فتمتزج كمية وافرة من الذهب المتدفق على هذه الطاولات ومنها يجري في قساطيل الى براميل كبيرة جداً اشبه منها بمستنقعات بها محلول سيانيد البوطاس (cyanide de l'otassium) فيحصل بهذه الواسطة على اكثر الذهب الباقي في التربة اذ الذهب يذوب في السيانيد واذا توفرت الكمية على تلك الطاولات المذكورة يقشر عنها الذهب ممزوجاً

بالزئبق ثم يُفرز عن الزئبق بالحرارة ويُصنع الذهب قوالب ويُرسل الى اوربا حيث يباع هناك

ومما استفدنا حديثاً ان طريقة التعدين المذكورة اتفاً ستُبدَل بادخال المطحنة المدعوة بمطحنة « الاسطوانة » (Tube - Mill) بان يجري الطحن بمنخل اوسع ثقوباً ثم ان القطع الصخريَّة الكبيرة تطحن في هذه المطحنة فبعد ان يمر دقيق الحجارة والذهب على الواح نحاسية مكهربة يصير اهتزازها قليلاً بهزة ترتيبية في تحلول السيانيد . ومما يقال ان هذه الطريقة تزيد محصول الذهب ٥ بالمئة فضلاً عن اقتصاد عظيم في ثمن الادوات المتخذة لذلك

٥ زيارتي لاحد معادن الرند الذهبية

لا شيء يستلفت النظر في موقع معادن الذهب الرنديَّة التي هي اهم معادن المعمور . فلا ترى امامك الّا كثباناً بيضاء من الحجارة المطحونة طحناً دقيقاً والتي ترتفع كل يوم في الفضاء بما تقذفه فوقها العجلات المتعدّدة من الحجارة التبريَّة المطحونة . ولعمري ان هذه الجبال الاصطناعية تذكّر الانسان بتلك الاعمال العظيمة وتلك الكهوف الهائلة التي حفرتها يد الانسان في امعاء الارض لغاية الحصول على الذهب الوهّاج . وبعد ان تقدمنا قليلاً رأينا امامنا منتصبةً بعلوٍ هائل تلك المداخن العظيمة التي تداوم قذف الدخان الكثيف من فوهاتها العديدة وسمعنا للحال دويًّا عظيماً متواصلاً كصوت مرور السكك الحديديَّة بالقرب منا فسألنا عنه فقيل ان هذا صوت المطارق المتعددة الطاحنة للتربة الذهبيَّة

ولما دخلنا ارض المعدن استلفتت انظارنا لاوّل وهلة قطع الحديد والماكنات المتحطمة الملقاة في جوانبها ورأينا عجلات الحديد الصغيرة تسري فيُسمع لاحتكاكها دويٌّ عظيم وزاد في آذاننا دوي البطاريات فتقدمنا بين تلك الدواليب المتحطمة والجبال البالية والقساطل الصدية وبعض الآلات المطروحة فلم نرَ امامنا الّا بيوتاً كبيرة مبنية من الخشب والحديد ضمنها الآلات المتحركة ورأينا زنوجاً لا يحصى عددهم سائرين من كل الجهات ورأينا كذلك قوماً من البيض بملابسهم الشتيَّة مستعدين للهبوط الى اعماق عدة الاف من الاقدام لاستخراج التبر اذ راينا غيرهم صاعدين من تحت

الارض اثوابهم ملطخة بالوحول والزيوت وعلى وجوههم علامات الاصفرار وفي ايديهم شموع ذاب اكثرها ومما ظهر لنا من سحنتهم انهم بحالة الضنك والتعب

واذ كنا نود ان نعرف كيف يعالج الذهب في كل اطواره عزمنا على الهبوط الى بطن الارض حيث تستخرج التربة الحاملة الذهب فقادنا الدليل الى بيت واطئ الجدران قرب الفوهة التي كان ينبغي لنا الهبوط فيها وهناك ارتدينا بمشمات طويلة لتمنع عنا الرطوبة والمياه ولبسنا في ارجلنا احذية ضخمة لتقينا الوحول وأعطي كل واحد منا ستة شموع فوضعناها في جيوبنا واقتربنا من الفوهة التي أشرفنا على النزول فيها فلما أطللنا عليها رأيناها قاعاً بلا قعر ينبعث منها رائحة تربة متعفنة مع بخارات كادت تغمي علينا واذا « بالقفص » صاعد ينضح المياه من جميع جوانبه يسحبه حبل فولاذي طويل جداً فهذا الحبل يدور على لولب مركب على صقالة فوق الفوهة ومن اعلى بكرة عظيمة تديرها قوة البخار بالهبوط والصعود

وما لبثنا هنيهة حتى سمعنا طرق جرس كهربائي فوق رأسنا يدق ثلاث دقات متوالية وكان الوكيل الواقف على الفوهة ضغط زراً كهربائياً في الغرفة الموازية ليطلب لنا الرخصة في النزول فاتاه الجواب بثلاث طرقات اي بالايجاب. ففتحت ابواب القفص ودخلناه ثم اغلقت الابواب وأقفلت بقطعة من الحديد حتى لا يمكنها الانفتاح حينما القفص يأخذ في الهبوط واذا بالجرس الكهربائي يرن ثانية وحينئذ اخذ القفص بالهبوط فينا في اعماق الارض وتحول النور الى ظلام حالك وكنا نسمع والحالة هذه صوتاً اشبه منه بخرير المياه حين هبوطها في الوادي وكنا نعتقد انا عن قريب نهبط في وسط بركة من المياه فسألنا عن هذه المياه اين تصب فقيل لنا ان هذا الصوت ليس صوت مياه بل صوت مرور دواليب القفص على قضبان الحديد الرطبة فيسمع له هذا الصوت. وللحال رأينا ان نورا برق من ورائنا فعلمنا ان هذا احد السراديب العليا من المعدن وعلمنا ايضاً ان القفص يهبط بسرعة ٥٠ ميلاً بالساعة ولم يكد ينتهي تعجبنا من هذه الحالة حتى وقف القفص بنا امام سرداب طويل منار بالكهرباء نوراً يبهر الانظار ففتحت ابواب القفص وأعانا على الخروج رجل مرتد بمشمع طويل

(التتمة لعدد آخر)

التماثيل والدُّمى في العبادة المسيحية

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ التمثال الجليل الذي نُصب حديثاً على مشارف لبنان لإكرام العذراء الطاهرة يحدو بنا الى وضع مقالة موجزة في توقير المسيحيين للمنحوتات التقويّة التي تمثّل الابرار او اسرار الدين وليس ذلك فقط في الكنائس الغربيّة ولكن في بيع الشرق على اختلاف طقوسها ومنذ القرون الاولى للنصرانيّة فانَّ في بيان الامر فائدةً تاريخيّة لا تُنكر فضلًا عن انّها تُفحم بالدّلائل الراهنة بعض الذين يرون في مثل هذه العبادة غلوًّا وافراطًا بل كادوا يعدّونهُ كبدعة كما كتب احد المتجوّلين في غربي اوربّا اذ دخل كنائسها فرأى فيها التماثيل الدينيّة فكتب سامحهُ الله (اطلب المشرق ٤: ٧٦٢ — ٧٦٥):

وقد أدهشني ما رأيتُهُ في الكنائس التي زُرتها في فرنسة كثرة المنحوتات والتماثيل حتى خُيّل لي انَّ مساجد المسيحيين أصبحت اكثر تربًا لهياكل ديانا واثون. وتذكّرت خلوّ المعابد النصرانيّة البيدة العهد في كلّ من سوريّا ومصر من كل اثر للتماثيل والانصاب فقلتُ لنفسي وما الذي يا تُرى حبّبها لاهالي المغرب هل ذلك لمحض الزينة او لاعتبار افتتهم انَّ التماثيل مدعاة الى التقوى ومزيد الخشوع للمعبود فاذا كان السبب الاخير فقد اصاب الوثنيّون اذًا فيما كانوا يفعلون ويكون النَّهي الالهي عن اتخاذ اقل منحوت في غير محلّهِ استنفر الله (ورد هذا بحرفهِ في الصحفة ١٦ من كتاب « سياحة في غربي اوربّا » بقلم نسيم خلاط سنة ١٩٠١)

ففي هذه الاسطر القليلة جمعَ الكاتب الحجج التي يستند اليها بعض خصوم الدين الكاثوليكيّ لنفي التماثيل ونجس شأنها. فنعقد الامل بانَّ القرّاء يجدون في النبذة التالية ما يدحض هذه الشكاوى ويزكّي العبادة المسيحية عن كل تهمة باطلة وقبل أن نتقفّى آثار القرون السالفة وننقل شواهد المؤرخين لا نرى بُدًّا من توطئة تقدّم فيها للقارئ بعض الملحوظات التي تمهّد الطريق لبيان حجتنا فنقول:

اوّلًا انَّ الانسان من حيث هو مركّب من نفس وجسد لا يستغني عن الاستعانة بالمحسوسات ليترقّى بها من عالم الكون الهيولي الى عالم الغيب الذي يفوق طور المخلوقات. وليست الغاية من وضع الفنون الجميلة للذّة الحواسّ فقط بل هي من أقوى الوسائل للترفّع فوق المادة وللتقرّب الى اللاهوت فترى اصحاب كل الديانات قد تأنّقوا في

بناء المعابد ووضع الرسوم والنقوش وتطريب المسامع بالالحان الموسيقيّة والاصوات الشجيّة ممّا يعظّم المعبود في القلوب ويجرّ الافكار عن الصور الهيوليّة الى استجلاء مجالي الحق سبحانهُ وتعالى وراء سجوف هذا العالم المحسوس

ثانياً ولا يخفى انّ بين الفنون الجميلة فنّين بديعين يجد فيهما المرء صور المخلوقات بشبهٍ ادقّ وتأثيرٍ اعظم في النفوس اذ يكادان يُحييان في اعيننا عالم الغيب ويمثلان كل عواطف الغابرين بحيث يظنّ الناظر الى آثارها انهُ يعيش في صحبة الاحباب الذين انفصلوا عنهُ . ألا وهما فنّا التصوير ونقش المنحوتات . وليس من ينكر صلاح هذين الفنّين (اللهمّ اذا رُوعيت اصولها واستُوفيت شروطها) لرسم التصاوير التقويّة وتمثيل الصور العقليّة على شكل محسوس ما لم ينهَ عنها ناهٍ لأسباب صوابيّة

ثالثاً ولسنا نجهل ان العقل البشريّ لضعفهِ معرّض في بعض الاحايين الى التورّط في العبادة فينسب الى المحسوسات قوّات خفيّة تخرجها من طورها التمثيليّ الى رتبة الحقيقة فيقيم تلك الصورة او ذلك المنحوت مقام المعبود نفسهِ وبدلاً من ان ينتقل من الصورة كما في سُلّم الى المصوَّر فيها ليؤدي لهُ الاكرام الواجب لشخصهِ تراهُ يجعل تلك الصورة المحسوسة او ذلك التمثال المنحوت كصنمٍ أُفرغت فيهِ قوّة الهيّة بل اندمج فيهِ ذلك الشخص البعيد الذي رُسمت صورتهُ . وعلى هذه الطريقة اتّخذ عَبَدة الاصنام صوراً محسوسة لأبطالهم وتماثيل لمشاهيرهم ثمّ بالغوا في تعظيمها وتجاوزوا طور الاكرام الى حدّ الشرك فعبدوها عبادتهم للإله الحقيقي الذي لم يرهُ قطّ بشر

رابعاً ومن المعلوم انّ عبادة الاصنام قبل تاريخ الميلاد اتّسعت نطاقاً حتى كادت تعمّ كل شعوب الارض من ارفعها في معارج التمدّن الى ادناها في المدنيّة ولم ينجُ من خطر الشرك الّا شعب بني اسرائيل وحدهُ وكانت قلّتهُ وتوسّطهُ بين امم المشركين يعرّضانهِ للتوثّن كما ترى ذلك في اسفار العهد القديم التاريخيّة حيث يؤدّب الله شعبهُ لعبادتهِ لأصنام الامم المجاورة ويضربهُ الضربات الفادحة لشطوطهِ عن خدمة ربّهِ الاعظم ولذلك كان اوّل ما تقدّم الربّ في وصاياهُ الى شعبهِ أن لا يعبد غيرهُ إلهاً «ولا يصنع لهُ منحوتاً ولا صورة شيء ممّا في السّماء من فوق ولا ممّا في الارض من اسفل ولا ممّا في المياه من تحت الارض لا يسجد لهنّ ولا يعبدهنّ» (الخروج ٢٠: ٤-٥)

فنفى الله جلَّ جلالهُ ليس فقط كل التماثيل المنحوتة بل كل صورة ايضاً أيةً كانت تمثل كل المخلوقات

خامساً على انَّ امرهُ تعالى لم يتناول تلك التصاوير ليرذلها الَّا مع احتياطٍ واحتفاظ . فنفاها « خوفاً من السجود لها واتخاذها بمثابة المعبودات » لانهُ قال : لا تسجد لهنَّ ولا تعبدهنَّ . امَّا اذا كانت تلك التصاوير او المنحوتات لغير هذه الغاية فتسمو بافكارنا عن الارضيَّات وتذكرنا بالسماويَّات وتقرّبنا من الله ومن اوليائهِ القديسين فليت شعري أفي ذلك خطرٌ ان يعتبرها المرء كصنم او يعبدها كما يعبد خالقهُ ألا ترى انَّ الولد يُكرم صورة والدهِ ويقبلها كما لو كان ابوهُ حاضراً امامهُ وهو يعلم حقَّ العلم انَّ اكرامهُ ليس هو للصورة الهيولية بل يرجع لشخص ابيهِ الكريم فأيّ نصٍّ من الكتاب المقدس يمكن المناظر ان يستشهد بهِ لنفي مثل هذا الاكرام . ولا حرج في كون الصورة او الدُّمية تمثل احد اولياء الله او الانبياء القديسين فان الاكرام يوافق رتبة المصوَّر دون ان يبلغ مقام الحق سبحانهُ وتعالى علوًّا عظيماً

سادساً والدليل على ان موسى كليم الله لم ينفِ الصور والمنحوتات الَّا حسماً للشرك ورعايةً للعبادة الحقيقة بالخالق انَّهُ هو نفسهُ لمَّا مُني بنو اسرائيل بالحيَّات ومات كثير من نفث سمهنَّ اقام في البريَّة حيَّةً من نحاس كانت رمزاً الى صليب الربّ كما صرَّح يوحنَّا الحبيب في انجيلهِ (٣ : ١٤) . وكذلك لمَّا ابتنى بامرهِ تعالى تابوت العهد تقدَّم الى صانعيهِ بان يعملوا فوقهُ منحوتتين من الذهب الخالص وهما كروبان يبسطان فوقهُ اجنحتهما. فقل لي رعاك الله كيف استطاع موسى أنْ يصوّر هذه التماثيل ويجعلها في اقدس مكان من هيكل الربّ ان كان امرهُ تعالى يعمُّ كل التصاوير على اختلاف غاياتها

سابعاً وزد على ذلك انَّ الله عزَّ وجلَّ مع كونهِ روحاً مجرَّداً عن كل جسم قد تراءى غير مرَّة في العهد العتيق للانبياء كاشعيا وحزقيال بزيّ محسوس تارةً كملك مهاب جالس على عرش القضاء وتارةً على شكل شيخ جليل عريق في الأيام وكان الانبياء يخرُّون سُجَّداً امام تلك الرؤى التي كانت لشباهاً فقط فمن ترى يلوم الانبياء على سجودهم لتلك الاشباه والصور وليست غايتهم من فعلهم الَّا السجود للعزَّة الالهيَّة المتجلّية لهم متشحة بتلك الازياء المحسوسة . وان اراد بعض المصوّرين ان يرسم تلك الاشباه بالالوان ويُدوّنها امَّا على الانسجة وامَّا على الخشب وامَّا بنحتها في الرخام

أفيُقال انَّ ذلك الشبه صنمٌ وانَّ الاكرام لتلك الصورة عبادةٌ باطلة اذ المتعبد لها لا ينوي توجيه كرامته الّا لذلك الذي ظهر على هذا الشبه لخلوقه . وكم بالاحرى يسوغ ذلك لمن يمثل صورة الاله المتجسد الذي لبس طبيعتنا وعاش بيننا بصفة ابن البشر. فان المكرم لتلك الصورة يعلم حق العلم ان اكرامهُ ليس لما تتركب منهُ الصورة من دهون او نقوش او الوان او موادّ نسجيَّة او خشبيَّة او حجريَّة بل يقصد بسجوده واكرامه شخص ابن الله نفسه الذي امامهُ تجثو كل ركبة في السماء وعلى الارض وفي الجحيم . وقس عليه بقيَّة الصور والتماثيل

*

هذه بعض ملحوظات قدَّمناها على اثباتنا لكرامة الصور عند المسيحيين سواء كانت منقوشة فقط او كانت منقورة بالنحت او مسبوكةً في المعامل الصناعيَّة بالذهب او الفضة او الحديد اذ ليس من فرق جوهري بين تلك الاشكال والهيئات المختلفة . فهلمَّ بنا الآن نتقصَّى شواهد التاريخ المسيحيّ في اكرام التماثيل فنقول : لما انتشرت الدعوة النصرانيَّة في انحاء العالم وانارت بضيائها عقول الوثنيين لم يأنف اصحابها ايضاً أن يتَّخذوا في نشرها كل الوسائل الحسنة التي كان من شأنها أن تصرف أنظار المتنصِّرين عن مشاهد الوثنيَّة ومناسكها الباطلة وتعدل بهم الى التُّقى والصلاح . ومن ذلك اهتمام الكنيسة بان يتنكَّب ابناؤها عن التصاوير والدُّمى التي كان الوثنيُّون يوقِّرونها في هياكلهم وساحاتهم وشوارعهم وبيوتهم وابرزوها على اشكال شتَّى ليسترقوا افكار الناس ويعظِّموها في اعينهم . فتلافياً لهذا الشرّ المتفاقم سمحت الكنيسة منذ اوَّل النصرانيَّة بعرض الصور التقويَّة على المؤمنين ليكرموها بدلاً من تلك الصور السمجة التي شاعت بين الوثنيين

ولنا على ذلك ادلَّة في بعض التقاليد الراقية الى عهد السيد المسيح ورسله الكرام . فانَّها وان لم تكن قاطعةً راهنةً تنبئ مع ذلك بمعتقد المسيحيين الاوَّلين فمنها المنديل الذي كان يُكرَّم في كنيسة الرها وعليه صورة الربّ قيل انهُ تبارك وتعالى جعل ذلك المنديل على وجهه الالهي فرسم صورتهُ وارسلها الى الابجر صاحب الرها (١ . ومنها منديل فيرونيكة الذي يرقى التقليد الى زمن آلام المسيح اذ مسحت به احدى النساء

(١) اطلب مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٢٨٧

وجه الخلاص وهو صاعد الى الجلجلة ينوء تحت صليبه فارتسمت صورتهُ المباركة على منديلها . ومنها ما يُنسَب الى القديس لوقا الانجيلي من التصاوير لاسيما صورة العذراء الطاهرة المعروفة بهِ والمكرَّمة منذ اجيال عديدة في رومية العظمى

وبانتشار النصرانيَّة على يد تلاميذ السيد المسيح وارباب الدين المسيحيّ انتشر ايضاً اكرام الصور . وناهيك بما وجد منها في دياميس رومية حيث كان النصارى الاولون في القرون الثلاثة الاولى يقيمون فرائض دينهم . فانَّ التصاوير التقويَّة التي تزيّن جدرانها او وُجدت بين آثارها وعلى نواويس المقبورين فيها تبلغ المئين وتملأ مجلَّدات ضخمة . وكذا قل عمَّا اكتُشف من ذلك في دفائن مدن ايطالية وفرنسة وافريقية والاسكندريَّة وغيرها . وبين هذه التصاوير ما يدلُّ على براعة مصوّريها واتقانهم لأُصول الفن ولعلَّهم كانوا زاولوه قبل ان يدينوا بالنصرانيَّة فخصُّوا صنعتهم بخدمة الكنيسة بعد ان تفرَّغوا زمناً لتصوير خرافات الوثنيين

وما يَدلُّ على عموم اكرام الصور في كنائس الشرق قبل القرن الخامس انَّ الامم التي انفصلت عن الكنيسة الرومانيَّة في ذلك العهد كنساطرة الكلدان (اطلب مقالة حضرة الخوري بطرس عزيز في ذلك . المشرق ١٠ : ٨٤٤) ويعاقبة السريان والارمن والاقباط لم يزالوا يكرمون الصور كما ألفوا الامر قبل انفصالهم . ومن المقرَّر انهم لم يُحدثوا ذلك تبعاً لكنيسة رومية التي لم يخضعوا لاوامرها منذ ذلك الزمان

ولنا دليل اعظم منهُ في تصدّي الكنيسة جمعاء لمكايد الايقونوقلست المبتدعين الذين حاولوا نزع الصور وكسرها باغراء الامبراطرة لاون الثالث الايزوري (٧١٧—٧٤١) وقسطنطين الرابع الزبليّ (٧٤١—٧٧٥) ولاون الرابع الخزري (٧٧٥—٧٨٠) فدافع كثيرون من القديسين عن تعليم الكنيسة نخص منهم بالذكر القديس يوحنا الدمشقيّ (١ وتلميذهُ ثاودورس ابو قرَّة وللاوَّل مباحث عديدة في اثبات الحقّ امَّا الثاني فلهُ مقالة مطوَّلة كتبها بالعربيَّة وهي من اجلّ آثار القرن الثامن طُبعت في بونّة سنة ١٨٩٧ . وقد مات كثيرون في ذلك الاضطهاد شهداء ايمانهم وبقي الامر على ذلك الى أن عُقد بمساعي الخير الاعظم والامبراطورة ايريني مجمع في نيقية فشجب الآباء اصحاب تلك البدعة وقرَّروا اكرام الصور فلم يَعُد الخالفون الى مناقضة هذه الحقيقة

١) وقد صرَّح القديس بذكر التماثيل ايضاً في كتابهِ من الايمان المستقيم (ك ٤ ف ١٥)

في كل اقطار الشرق . امَّا الغرب فان تلك البدعة لم تجد لها عضدًا الى القرن السادس عشر حيث ظهر لوتاروس وذووهُ فجروا في محاربة الصور والقون مجرى الايقونوقلست . وترى كثيرين من البروتستنت في عهدنا عادوا الى اكرام التصاوير ونصبوها في هياكلهم دون أن يجدوا في توقيرها اثرًا البتَّة للشرك والوثنيَّة كما زعم بعض اجدادهم .

*

ومن الامور المستغربة انَّ البعض فرقوا بين الصور المنقوشة بالدهون على الالواح او الانسجة والتماثيل المجسَّمة فسمحوا باكرام تلك دون هذه وادَّعوا ان اكرام الدُّمى من البدع المستحدثة وانَّ الكنيسة لم تكرّم في سالف الاجيال مثل هذه التصاوير المنقورة في الصخر او الناتئة الشكل بالحفر او النحت وانَّ الكنيسة الرومانيَّة ابتدعت هذا في القرن العاشر كما زعم جناب الكاتب نسيم خلاط في سياحته (ص ٣٣—٣٤) وقال هناك انهُ لم يجد في متاحف اوربَّا اثرًا للتماثيل الدينيَّة فاستنتج «ان البروز في وجوه الصور الملساء عن مساواة الجسم لم يظهر في الايقونات الَّا في آخر القرن العاشر »

فقبل الجواب على هذا الاعتراض يحسن بنا ان نقول انَّهُ لمقرَّر انَّ عدد التماثيل في قرون الكنيسة الاولى لم يكن وافرًا مستفيضًا لا لكون الكنيسة كانت تعتبر هذا الاكرام كمخالف لوصاياهُ تعالى او خوفًا منها ان يكون هذا التبجيل شبيهًا بعبادة الاصنام لا لعمري وانَّما سببهُ احتراز الكنيسة في قرونها الاولى من كل ما يمكنهُ ان يشكك الطالبين للتنصُّر فيظنُّون انَّ اكرامنا لتلك التماثيل يشبه اكرامهم الباطل سابقًا لتماثيل المتهم . وكان للكنيسة داعٍ آخر يحملها على الاقلال من تلك الدُّمى خوفها من أن تقع في ايدي المغتصبين فيعرّضونها للهزء والسخريَّة . امَّا التصاوير الملونة المنقوشة على الجدران او الانسجة فكان إخفاؤها عن العيان من الامور السهلة فلم يأتها اهانة واحتقار

قلنا انَّ اصطناع التماثيل في اوائل النصرانيَّة كان قليلًا ولا ننكر مع ذلك وجودها كما نبيّنهُ في الاسطر التالية

(اولًا) اخبر ارسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك٧ف ١٨ . مجموع الاباء اليونان لمين مجلَّد ٢٠ ص ٦٧٩) ومثلهُ المؤرخ سوزمان (ك٥ف ٢١ مجموع الاباء مجلَّد ٦٧ ص ١٢٧٩) وغيرهما بانَّ المرأة التي شفاها السيّد المسيح من نزيف الدم (لوقا ٨ : ٤٣) لمَّا رجعت الى وطنها قيساريَّة اقامت تمثالًا للسيّد المسيح جعلتهُ على باب دارها

وصوّرت نفسها امامهُ حين ابرأها من مرضها. قال اوسابيوس أنهُ شاهد ذلك الاثر. واخبر سوزومان بانَّ الوثنيين في أيام يليانوس الجاحد حطَّموا ذلك التمثال لكنَّ النصارى جمعوا قطعهُ وحفظوها باكرام في كنيستهم (١

(ثانياً) في المتحف اللاتراني في رومية دمية صغيرة من الرخام الابيض تمثل صورة السيّد المسيح على صفة الراعي الصالح فهو لابس ثياب الرعيان وعلى جنبيهِ نزاد الراعي وفوق منكبيهِ الخروف الضالّ يمسك بيديهِ قوائمهُ الاربعة . وهو تمثال غاية في البهاء والحسن يُعدُّ من اجمل المنحوتات واحكمها صنعاً وارباب العاديات يُرجعون عهدهُ الى القسم الاوَّل من القرن الثالث (٢ ومن سوء الطالع انَّ هذا التمثال مكسور الساقين (اطلب الشكل الاول)

(ثالثاً) وفي المتحف عينهِ تمثال آخر للراعي الصالح دونهُ صنعاً ودقَّة لكنَّهُ تامٌّ سليم وصورتهُ تخالف صورة التمثال السابق وفي رجليهِ حذاء طويل يبلغ ركبتيهِ . وباحدى يديهِ يمسك عصاة الراعي والمرجح انهُ اقدم من التمثال السابق (٣

(رابعاً) ورد في تاريخ حياة قسطنطين الكبير لاوسابيوس القيصري (٤ انَّ قسطنطين لمَّا ابتنى القسطنطينيَّة زيَّن ساحتها الكبيرة بتماثيل بهيَّة في جملتها تمثال الراعي الصالح وتمثال دانيال النبيّ بين أسدين كما كان في بئر الاسود . وقد وصف الاثريّ الشهير دي روسّي تمثالين آخرين من الراعي الصالح وجدهما في متحف الاستانة الجليل اكتُشف الواحد في دار السلطنة والآخر في بروسة لكنهما من القرن السادس فقط وعلى رأي هذا النابغة انَّ تماثيل الراعي الصالح نُحتت اوَّلاً في بلاد الشرق ومنها انتشرت في جهات الغرب . فيكون اذن السبق للشرق في اصطناع التماثيل الدينيَّة كما في امور اخرى كثيرة

(خامساً) ومن التماثيل الشهيرة التي شاع ذكرها وتُرى اليوم في المتحف اللاتراني

---

١) اطلب تاريخ الاثار النصرانية لدون لوكلار (Dom H. Leclercq : *Manuel d' Archéologie Chrétienne*. II, 248-250)

٢) في التاريخ عينهِ (*ibid*. II. 251-253)

٣) في التاريخ عينهِ (*ib*. II. 254)

٤) اطلب Eusebius : *De Vita Constantini*, L. III. c. 49

تمثال احد كتبة الكنيسة في اواسط القرن الثالث اعني به القديس هيبوليتوس اسقف مدينة بورتو . وهذا التمثال منحوت في الرخام الابيض والقديس جالس على سُدَّة المعلّمين وفي ظهر التمثال جدول تآليف القديس هيبوليتوس باليونانيَّة

(سادساً) ومن التماثيل الشهيرة التي تنبئ باكرام قدماء النصارى لمثل هذه الصور المجسَّمة تمثال هامة الرسل القديس بطرس الذي يرتقي الى القرن الخامس وتردان به كنيسة الواتكان الكبرى . فهذا الاثر من الشبه يمثّل القديس بطرس جالساً يبارك بيمينه ويمسك في شماله المفاتيح الرمزيَّة . وقد رسمنا هذه الصورة في المشرق (٦ : ٥٧٨) في جملة آثار أُخرى جليلة وُجدت في الدياميس وكلُّها تنوّه برئاسة ذلك الرسول على الكنيسة جمعاء (اطلب هناك مقالة حضرة الاب لويس جلابرت) . والمظنون ان هذا الشخص من عمل الوثنيّين فلمَّا تغلب قسطنطين على الدين الوثني أعاد المسيحيون سبكهُ وخصُّوه باكرام كبير الرسل

(سابعاً) وقد وُجد في دياميس رومية سنة ١٧٠٢ تمثال آخر من البرنز صغير الحجم يمثّل بطرس الرسول منتصباً كمعلّم وعلى منكبهِ الايسر صليب الربّ ينتهي طرفهُ الاعلى بالحرف الاوَّل من اسم السيّد المسيح . وقد حُفرت هذه الصورة على عدة آثار نصرانيَّة قديمة (١

(ثامناً) وقد جاء في اعمال القديس غريغوريوس النزينزي الثاولوغس في رسالة كتبها سنة ٣٨٢ انهُ سعى بتشييد كنيسة وزيّنها بالصور والتماثيل (٢

(تاسعاً) في متحف العاديَّات المصون في الاستانة تمثال للعذراء مريم حاملة على ذراعيها الطفل يسوع . وهو موسوم هناك بالعدد ٥٩٠ (راجع وصف عاديَّات هذا المتحف للاثري س. رياخ)

(عاشراً) ومثلهُ تمثال آخر للبتول سابق للقرن السابع وجدهُ الرحَّالة دومون (A. Dumont) في مدينة ميريوفيت من اعمال ثراقية (٣

١) راجع دون لوكلار Dom Leclercq II. 259

٢) راجع نشرة الآثار النصرانية للعلامة دي روسّي Bull. di arch. christ., 1887, p. 148)

٣) راجع مجموع البعثات العلمية القسم السادس المجلد ٢ ص ٧٨٧

(حادي عشر) وفي عاديات كنيسة خلكيس دمية اخرى تمثل العذراء مريم واقفة في هيئة المصلين

(ثاني عشر) وممّا كان يزين كنيسة أيا صوفيا من التصاوير تمثال عظيم للقديسة هيلانة والدة قسطنطين الملك (١ ولا نتعرّض هنا لذكر تماثيل أُخرى كانت منصوبة في الساحات كتمثال قسطنطين الكبير في القسطنطينيّة وتمثال ثاودوسيوس في انطاكية لئلّا نخرج من طور الدين الى الطور المدنيّ وغايتنا أن نصف خصوصاً التماثيل الدينيّة

(ثالث عشر) ومن الاثار العزيزة الوجود تمثال من الرخام منقوش بالالوان الزاهية يمثل القديس بطرس على كرسيّ الرئاسة وفي يده المفاتيح وهو لابس رداء اخضر وعلى الرداء بُردة حمراء. وهذا التمثال يُرى اليوم في سراديب الواتكان تاريخهُ القرن الثالث للمسيح (٢ (انظر العدد الاوّل من الشكل الثاني)

(رابع عشر) وممّا يزيد رأينا في شيوع التماثيل ما يُخبر عن قسطنطين الزبليّ انّهُ لمّا اشهر الحرب على المدافعين عن الصور امر بان تجمع كل التصاوير والتماثيل التي في عاصمة ملكهِ فاحرق الصور واذاب التماثيل ليتّخذ ذهبها وفضّتها لخزائنهِ. وفي ذلك دليل قاطع على انّ الروم في الاستانة كانوا يكرمون الصور على اختلاف اشكالها سواء كانت منقوشة او منحوتة

(خامس عشر) وممّا يضاف الى الادلّة السابقة عدد دَثر من النواويس النصرانيّة القديمة التي تُرى اليوم في معظم متاحف اوربّة وعليها نقوش محفورة وتصاوير ثابتة تمثل اسرار الدين المسيحي واولياء الله والرسل والشهداء. ولولا انّ اولئك النصارى اعتبروا نقرها كشيء حلال يبعث في النفوس روح التُقى لمّا تساهلوا بالامر. فمن تلك الآثار ناووس القديسة هيلانة الذي يُرى اليوم في متحف الفاتيكان وعلى جوانبهِ احداثٌ كتابيّة مستعارة من الانجيل المقدّس. ومنها ناووس بنقوش محفورة وجد في حارة بساماتيا في اسطنبول وهو اليوم في متحف برلين يمثل السيّد المسيح في وسط اثنين من رسلهِ وهو من ابدع الآثار النصرانيّة المكتشفة حتّى الآن — ومنها في المتحف الالماني

١) راجع كتاب بندروي (Banduri : *Imperium Orientale* ,I. 14)

٢) اطلب وصف الآثار الرومانية للاب غريزار اليسوعي (Grisar: *Analecta romana*, I, 627)

في رومية ناووس عليهِ صُور ناتئة ومنقوش بالالوان من القرن الرابع المسيح او الثالث وبين تصاويرهِ صورة الراعي الصالح وصور بعض المسيحيين في هيئة الصلاة. وفي المتحف ذاتهِ قطع منقوشة منقورة في الرخام مدوَّنة تمثل السيّد المسيح في بعض اعمال حياتهِ كوعظهِ على الجبل وتكثيرهِ الخبزات للجموع. وهي آثار من القرن الخامس . ولو شئنا لأمكننا ان نذكر عدداً وافراً من مثل هذه النواويس النصرانيَّة وفي ما قلنا كفاية

(سادس عشر) وكما تعدَّدت النقوش البارزة والتصاوير الناتئة من آثار النصرانيَّة القديمة كذلك تجد في المتاحف عدداً جمًّا من قطع العاج والخواتم والمصاغات واثاث البيوت ممَّا تواصل عهدهُ منذ القرن الثاني الى القرن العاشر . فمن ذلك منبر كنيسة سالونيك الذي سلمت منهُ قطع صالحة وهو من الخشب المنقوش البارز تاريخهُ القرن الخامس للميلاد عليهِ صورة سجود المجوس للمسيح والربُّ بين ذراعي امهِ مريم. ومنها نوط في متحف جينبلي كشك في الاستانة يمثل شلو القديس مرقس بارزاً . وهناك صورة اخرى من الرخام نُقر فيها عماد السيد المسيح وعلى كثير من الحجارة الكريمة قد حُفرت تصاوير نصرانيَّة غاية في الدقَّة بعضها يمثل اسرار حياة المسيح كصلبهِ وموتهِ وقيامتهِ الى غير ذلك. امَّا صَنعة هذه الحجارة فمنهم يونان ومنهم سوريون ومنهم ايطاليُّون — ومثل هذه الآثار خزفيَّات ومصابيح وصحائف بيتيَّة منها ما نُقرت بالحفر ومنها ما هو ناتئ النقش وكلها تحتوي صوراً ورموزاً ومشاهد مختلفة استعارها المصوِّرون من اخبار العهدين القديم والحديث (اطلب الاعداد ٢و٣و٤ من الشكل ٢)

وزد على ذلك نقوداً ومسكوكات نصرانيَّة قديمة ضُربت في كل الممالك الشرقيَّة والغربيَّة وفيها تصاوير دينيَّة شتَّى يطول ايضاحها وتشهد بان القدماء لم يفرقوا بين الصور الملساء والصور البارزة الشكل

(سابع عشر) ولنا شاهد آخر على اتخاذ قدماء النصارى للتماثيل واكرامها في كنائسهم وذلك في الشعر العربي الجاهلي حيث ورد ذكر التماثيل والدُّمى يريدون بها غالباً الصُّور المنحوتة في كنائس النصارى كما ترى. قال الحارث بن خالد المخزومي (كتاب الاغاني ١٥: ١٣٣)

وبشرة كخودٍ مثل تمثال بيعةٍ تظلُّ النصارى حولهُ يوم عيدها

قال في التاج (٨: ١١١) التمثال الشيء المصنوع مشبَّهاً بخلق من خلق الله عزَّ

وجلّ . وقال : التماثيل هي صور الانبياء وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت . وقال عبدالله بن العجلان (اغاني ١٩ : ١٠٢)

غرّاء مثل الهلال صورتها ومثل تمثال صورة الذهب

وأبينُ من ذلك قول عدي بن زيد وقد جعل الدُمية من عاج ووصفها بكونها في المحراب :

كدُمي العاج في المحاريب او كالبيض في الرَوض زهرهُ مستيرُ

ومثله في الوضوح قول النابغة :

او دمية من مَرمر مرفوعة بُنيت بآجرّ تُشادُ وقرمدِ

ومثلهُ لامرئ القيس يذكر تماثيل في موضع لبني طيّ يُدعى سُقف في وادي الساجوم(١

كأنّ دُمى سُقف على ظهر مرمر كما تُزبد الساجوم وشياً مصوّرا

وقد صرّح الاحوص بأنّ الدُمى كانت تجعل في الكنائس (الاغاني ٤ : ٤١)

كأنّ لُبنى صبيرُ غابةٍ او دُميةٌ زُيّنت بالبيع

فهذه بعض شواهد اقتبسناها كلّها من القرون العشرة الاولى للنصرانيّة فعسى نسيم افندي خلاط يقنع بها ويتحقّق انّ الكنيسة الكاثوليكية باكرامها التماثيل والصور البارزة لم تحدث بدعةً وانّما تعقّبت آثار كل القرون السابقة مباشرة من عهد الرُسل الى ايامنا (٢ . وقد رأينا والحمد لله انّ اهل عصرنا من غير الكاثوليك انفسهم شرقاً وغرباً يرون اليوم رأينا ويتّخذون الدُمى والتماثيل التقويّة في معابدهم او مقاماتهم الدينيّة وهيهات ان يكرموها اكرام الوثنيين لاصنامهم وهم اذكى عقلاً وارفع تمدّناً من أن يشربوا العبادة الصحيحة بأرجاس الشرك وفظائع الوثنيّة ومثال ذلك ما رأيناه مراراً في معابد البروتستانت في انكلترّة الذين نصبوا التماثيل واكرموها كما يليق باشخاص القديسين والاولياء . ففي كنيسة القديس بولس وهي امّ الكنائس البروتستانيّة في لندن قد نُصب منذ عشرين سنة تمثال البتول على المذبح الاوسط ومن عن يمينه تمثالا الرسولين بطرس وبولس . وكأنّ جناب نسيم افندي خلاط لم يدخل

١) اطلب شهادة الازرقي في تمثال المسيح والعذراء في الكعبة في الجاهلية (مجاني الادب ٣ : ٢١٧)

٢) وهنا يجدر بنا ان نذكر انّ عدة كنائس قديمة في الغرب لاسيّما في فرنسة تكرّم تماثيل للعذراء مريم منذ اجيال عديدة وهم يضيفونها كلها الى الشرق ويزعمون انّها نُقلت الى بلادهم في القرون الوسطى

تلك الكنيسة ورمى الكلام على عواهنه اذ قال (ص ٥٨) انَّ كنيسة مار بولس في لندن «خلوة من تماثيل القديسين» وكان الأجدر به ان يلوم الانكليز في تحويلهم كنيسة وستمنستر الى متحف اذ زيَّنوها بتماثيل رجالهم الكبار فخلطوا التصاوير الدينيَّة بصور المشاهير من الأمة

وممَّا تقرُّ له انظارنا في بيروت مشاهدتنا لمتبرة الروم الارثذكس في مار متري حيث ترى اكثر المدافن مزدانة بتماثيل من الرخام غاية في الحسن بينها صور القديسين والملائكة والعذراء مريم ومن هذه التماثيل التقويَّة ما نُصب حتى في بيوت الخاصَّة كتمثال القديس نيقولا الذي يُرى في بيت قريب من الناصرة وكذلك رأينا صوراً وصلباناً ناتئة في بعض اديرة وكنائس الملكيين من كاثوليك وارثذكس ولم يعدُّوا ذلك بدعةً

فيحقُّ اذن لكل الطوائف النصرانيَّة أن تفتخر بالتمثال الجديد الذي رُفع فوق لبنان كنار على علم يُستضاء بها او كحربة الصاعقة تردُّ عن اهله البلايا والاضرار بشفاعة البتول الطاهرة التي أُعطي لها مجد لبنان . وفي الختام يسرُّنا ان نشير هنا الى ما نظمهُ حضرة المنسنيور جرجس شلحت في الفنون الجميلة والكنيسة وخصوصاً الى ما كتبهُ في فن النقاشة (المشرق ١٠ : ٩٨٤) حيث بيَّن ما لهذه الصناعة من الوقع في القلوب وكيف قدَّستها الكنيسة للرب باتخاذ التماثيل التقويَّة لتصرف قلوب اولادها الى الكنيسة العلويَّة ومصافّ القديسين في السماء فقال عن المعبد وزينته بالتماثيل فاجاد:

ان لم تَنُم فيهِ التماثيلُ يُرَى ... كالأرض إن حرَّمها اللهُ الورى
او كالسماء بَرَحْنها الشُهُبُ ... او كأس راحٍ لم يَزُرْها المَبَبُ
او سلك تِبرٍ لم يُحلَّ بالدُرَرْ ... او مُزْنَةٍ ضَنَّتْ علينا بالمطر
اجل اذا القصرُ خلا من دُمْيَةٍ ... تخالهُ جوًّا خلا من ديمةٍ
او بقعةً قد ذبلتْ ازهارها ... وخسرت اثمارَها اشجارُها
والمرءُ لا يبشهُ على التُقى ... سوى شبيهٍ لزنبقٍ التقا
وحدجهِ التمثالَ بالأبصارِ ... يُذكرهُ فضائل الابرارِ
يخرّ امام دمية القديس ... مقدِّماً لربِّهِ القدوس
ملتمساً منهُ غفاناً ومدَدْ ... مستشفعاً الى المولى الصَّمَدْ
لكنَّنا لا نعبدُ التمثالا ... كما هذى جهالنا مقالا
بل نتمثَّل بها اصحابا ... مبجِّلين كلَّنا ارباباً

نظر انتقادي في المطبوعات المصرية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

نشرت الجرائد المصريّة اعلانًا وقع لدينا احسن موقع فتلقّيناهُ بالمسرّة والشكر ومفادهُ انّ الاديب محمّد افندي رشدي عزم على ان يصدّر قريبًا مجلّة تسمى « مجلّة طبع الكتب العربيّة » قال جنابهُ ان « موضوعها ان تطبع في كل عدد منها اربع ملازم من اربعة كتب مختلفة المواضيع مما هو موجود بالكتبخانة الخديويّة وذلك تسهيلًا لاقتناء الكتب ومطبعتها (كذا!) » ونسي صاحب الاعلان ان يعلمنا عن ميعاد صدور اعداد المجلة اتكون اسبوعيّة او شهريّة كما انهُ لم يتفضل بتعريف محلات الاشتراك وقيمة بدلهِ

وهذا الخبر من شانهِ ان يبهج الارواح ويثلج صدور الادباء لعلمهم بما تحتويه خزانة الكتب الخديويّة من الكنوز الدفينة التي يتشرّق الى معرفتها ارباب البحث . ولا ندري لايّ سبب يقتصر جناب المتولي لهذا العمل الجليل على مخطوطات الكتبخانة الخديويّة وفي مصر ما خلا تلك الخزانة مكاتب أُخرى غنيّة بآثارها الكتبيّة منها مكتبة الازهر التي أضحت اليوم من المكاتب العمومية يمكن ايًّا كان ان يستقي من مناهلها الطيبة . هذا فضلًا عن خزائن أُخرى للخاصّة لا نظنُّ ان اصحابها يضنّون على محمّد افندي بنقل مضامينها ونشرها

وعلى كلّ حال نتمنى لجناب الاديب ان يباشر بالعمل قريبًا ويقوم بهِ احسن قيام ويداوم على المشروع رغمًا عما يصادفهُ في طريقهِ من العوائق . وان سمح لنا حضرتهُ ابدينا هنا بعض ملحوظاتنا في المطبوعات المصريّة مؤملين ان يعيرها بالًا لئلا تعثر رجلهُ كمن سبقوه الى نشر المطبوعات العربية فنقول :

كلٌّ يعلم ما صارت اليهِ الطباعة العربية في عهد اسماعيل باشا وخلفهِ . فانّ مطبعة بولاق الشهيرة نشرت في زمن قليل عشرات من التآليف الجليلة التي راجت سوقها في انحاء الشرق حتى اصبحت اليوم عزيزة الوجود يكثر طلابها ولا يحصلون عليها الّا بالاسعار الفاحشة . ولا بدع فانّ المتولين لطبعها كانوا من شيوخ الازهر وائمة العلوم الذين شابوا بالانكباب على الدروس وكثرة المطالعة كالشيخ شهاب الدين والشيخ حسن العطّار

والشيخ مصطفى سلامة والشيخ عبد الرحمان الزيلعي وكان اولياء الامر عرفوا ما لهؤلاء المشاهير من الفضل فوكلوا اليهم تصحيح المطبوعات. فنهضوا بأعباء وظيفتهم بدراية ونشاط وكانوا لم يألوا جهداً في تنقيح الكتب ومراجعة المسودات وهو شغل لا يعرف عناءه غير الذين باشروه. فجازاهم الله خيراً على ما فعلوا

هذا ولسنا لننكر انّ مطبوعات بولاق عينها لم تبلغ اذ ذاك الى كمالها الّا انّها كانت قليلة الاغلاط حسنة الضبط. ومما كان يتمنّاه الادباء في ذلك العهد أن يقابل المصححون ما تولوا طبعهُ على نسخ متعددة ويثبتوا رواياتها المختلفة في ذيل المطبوعات بدقّة وتمييز كما يفعل العلماء المحققون

وكذلك كان يرغب أرباب الادب الى اهل الطباعة المصريّة ان يصدّروا كل كتاب بتعريف صاحبهِ وبيان مرتبتهِ من العلم ووصف النسخ الباقية من كتابهِ مع الافادة عن محاسنها ومساويها. وان يضيفوا الى الطبعة الجداول والفهارس التي تقرب الى الادباء الانتفاع بها

ومما كان يأخذهُ العلماء على المطبوعات البولاقية ايضاً انّ اصحابها لم يتقنوا ماديات الطبع من جلاء الحروف والتوسيع بين الاسطر وافراز القطع بعضها عن بعض عند تمييز المعنى حيثما تجد في الكتب الخطيّة الفاظاً بالحبر الاحمر دلالةً على ذلك فترتاح العين بالنظر الى تلك الاشارات. وكانوا يزيدون بلاء على بلاء بطبع كتابين الواحد في النصّ والاخر على الهامش رغبةً في ترويج الكتاب بكثرة موادّهِ وهو بئس الاقتصاد بالدراهم مع ما ينجم عن ذلك من فقد الوقت الثمين للتفتيش على المطلوب

تلك مآخذ اخذوها على مطبوعات بولاق القديمة مع ما اشتهرت بهِ من الضبط والتنقيح كما سبق اليهِ القول. والى ذلك الطور تُنسب عدّة تآليف مُثلت بالطبع كمجمع الأمثال للميداني وخطط المقريزي ونفح الطيب للمقري والصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروزبادي والمصباح للفيومي وتاريخ ابن خلدون وكتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني وشرح مقامات الحريري للشريشي ومفردات ابن البيطار وكليّات ابي البقاء ووفيات الاعيان لابن خلكان واحياء علوم الدين للغزّالي واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير وحياة الحيوان الكبرى للدميري وكشف الظنون للحاج خليفة والعقد الفريد لابن عبد ربهِ شرح ديوان المتنبي للعكبري وخزانة الادب للحموي وكتب

اخرى مفيدة قرّبت الى الدارسين موارد الآداب ومكّنتهم من اقتباس انوار الاقدمين اثاب الله الافاضل الذين كدّوا اذهانهم واسهروا اجفانهم لاستخراج تلك الدفائن من قبورها واحيائها بعد دثورها

هذا ومنذ نحو ثلاثين سنة دخلت مصر في طور جديد فتحسّنت احوالها المادّية وانفتحت في وجوه اهلها ابواب المكاسب ورقيت في معارج الفلاح في زراعتها وتجارتها وصنائعها ونمت مع هذا ايضاً حياتها الادبيّة فتوفّرت المدارس وكثرت المطابع وتعدّدت المطبوعات وانتشرت في كل الانحاء الجرائد والمجلّات وأُنشئت خزائن الكتب العموميّة فكان العلماء يعنون على هذه النهضة الادبيّة آمالًا طيّبة بنشر مآثر القدماء وابرازها على صورة موافقة لترقي الانتقاد في عصرنا فيسير الخلف على آثار السّلف بل يزيدون عليهم فضلًا مع توفّر الوسائل الجديدة الكافلة بالنجاح . لكنّنا لسوء الطالع لسنا نرى هذه الآمال قد تحقّقت اللّهم الّا في بعض المطبوعات التي اجتهد في إصلاحها وضبطها افرادٌ يُشار اليهم بالبنان لفضلهم . فمن تلك الآثار التي تشرفت بها المطبعة الاميريّة خصوصاً معجم ابن منظور الموسوم بلسان العرب الذي قام بتصحيحه الشيخ محمّد الحسيني مع غيره من الائمّة وراجعوا في تنقيحه عدّة تآليف لغويّة مطبوعة ومخطوطة وضبطوه بالشكل الكافي فقلّت اغلاط الكتاب (١ بالنسبة الى غيره من المطبوعات

وممّا أتقن طبعهُ في المطبعة نفسها اثرٌ لغويٌّ جليل تولّى نشرهُ حديثاً بعض فضلاء المصريين وسراتهم نريد كتاب المخصّص لابن سيده في ١٧ جزءاً و٣٠٠٠ صفحة فلم يدّخروا جهدهم الله بالتعب والنصب ليكون الكتاب مثالًا في الصحّة والضبط وكان في مقدّمتهم الشيخان الفاضلان محمّد الشنقيطي وعبد الغني محمود

وكذلك أحسن الشيخ محمود مصطفى في ضبط مطبوع آخر نفيس وهو كتاب سيبويه فجارى بطبعه النسخة الباريزيّة وزاد عليها فضلًا بما اضافهُ اليها من شروح ابي سعيد السيرافيّ وشرح شواهدها للأعلم الشنتمريّ . ولو ختمها بالفهارس الموسّعة لأتى بذلك عملًا خلّد لهُ الذكر الجميل بين الادباء والنحويين . وممّا يستوجب الثناء من

١) قد نشر صاحب مجلّة الضياء المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي بعض هذه الاغلاط التي لم تشوه هذا التأليف الّا في نصوص قليلة

المطبوعات اللغويّة الحديثة التي نُشرت في المطبعة العثمانيّة في القاهرة كتاب النهاية في غريب الحديث والاثر لمجد الدين ابي السعادات الشهير بابن الاثير اخي صاحب تاريخ الكامل . ساهر على ضبط اصله الشيخ عبد العزيز الطهطاوي.

فهذه المطبوعات وغيرها قليل حفظت لدار الطباعة المصريّة حُسن سمعتها لكنك اذا قستها على عدد المطابع المصريّة وكثرة مطبوعاتها وجدتها بعيدة عن المقصود لا تجدي طالبيها نفعًا او تحصر فائدتها في الشيء الزهيد . هذا ولا ننكر انّ الطباعة المصريّة قد تحسّنت مادّياتها منذ نحو عشرين سنة فكادت تشبه باشراق حرفها وجودة طبعها مطبوعات الشام الّا انّ هذه المنفعة ثانويّة بالنسبة الى مضامين تلك التآليف

فمن آفة الطباعة المصريّة اشتغال كثيرين من اصحابها بنشر الروايات الخياليّة والقصص الهزليّة التي ينقلونها في الغالب عن اللغات الاجنبيّة فلا تفيد قرّاءها شيئاً لا من حيث معانيها ولا من حيث عبارتها وانّما هي كسائر الملاعيب التي يتلهى بها الناس ويقتلون الوقت كما يزعمون ولعل هذه الروايات تربي على نصف المطبوعات المصريّة

ومنها انّ عددًا كبيرًا من التآليف العربيّة يصنفها اصحابها المصريون ليعارضوا فيها الاوربيين في فنونهم وآدابهم وطرائقهم الكتابيّة في السياسة والمعارف والصنائع فلا تكاد تروي غلّة ولا تشفي علّة الّا القليل منها التي يُشار اليها بالبنان كترجمة شعر الالياذة لسليمان افندي البستاني

وكذلك الكتب المدرسيّة التي تُطبع في مصر فانّها حتّى الآن لم تبلغ ما بلغته مطبوعات الشام من الاتقان والايضاح وحُسن الاسلوب في ترويض الاذهان الّا البعض منها لسوريين يستوطنون اليوم القطر المصري . وربّما نقل المشتغلون بهذه المطبوعات المدارسيّة ما نشره اهل الشام رغبةً في الربح دون ان يشيروا الى ما سبقهم اليه هؤلاء مثال ذلك كتبنا المدرسيّة التي سعينا بجمعها ونشرها قبل عشرين سنة ولا سيّما مجاني الادب ورقاة المجاني ومقالات علم الادب فانّ بعض المصريين استحسنوها وطبعوا منها قطعًا عديدة وصفحات طويلة بل كتبًا كاملة كما كنّا انتقيناها من كتب الاقدمين متصرّفين فيها بعض التصرّف وفقًا للشؤون المدرسيّة . وكان هؤلاء النسّاخ في غنى عمّا فعلوا مع كثرة الوسائل ووفرة التآليف في كتبخانات مصر

امّا التآليف التي شحذ بها المصريون قرائحهم فخصّوها آخرًا بمواضيع جديدة

وأخرجوها بخارج مستظرفة ليخدموا بها الآداب فقاعتها ليست بمتّسعة لا يصبر منها على صروف الدهر الّا ما لا يُعبأ به كبعض مصنفات علي باشا مبارك وعبدالله فكري باشا وبعض الدواوين الشعريّة لخمسة او ستّة من الشعراء المجيدين وتآليف ادبيّة قليلة كتاريخ التمدّن الاسلامي لجرجي افندي زيدان وحضارة الاسلام للمرحوم جميل مدوّر . ومصنّفات اخرى سوف نذكرها ان شاء الله في مقالتنا عن تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر . وكذلك تآليف قليلة في التاريخ والجغرافية كتاريخ السودان لنعوم بك شقير وتاريخ مصر الحديث لجرجي افندي زيدان والجغرافيّة العموميّة لاسماعيل افندي علي

وقد طُبع غير ذلك في مصر من المآثر الادبيّة في هذا الربع الجيل الاخير كتبًا وددنا لو امكننا تقريظها بالثناء التامّ لولا عيوب فيها ظاهرة تطمس شيئًا من محاسنها اوّلها كتاب تاج العروس الذي مع جزيل فوائده ووفرة موادّه وقع فيه الخلل لنقص لوازم طبعه كاهمال شكل مفرداته وشواهده وعدم الافراز بين متنه وشروحه وقلّة الفواصل بين مظانّه مع اختلاطها فيضيع المفتش قبل البلوغ الى مطلوبه وقتًا ثمينًا كان يمكنهُ توفيرهُ لولا هذا الخلل

ومن المطبوعات التي اجحفها طبعها السيّئ كثيرًا من قدرها كتاب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب للشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي وهو من اجدى المطبوعات المصريّة فائدةً بكثرة موادّه ومضامينه الادبيّة واللغويّة ولذلك احب العلّامة اغناطيوس غويدي الاستاذ الايطالي الشهير ان يسرد لاعلامه فهرسًا ليسهّل على الطالعين تناول شذوره الذهبيّة وبذلك سدّ شيئًا من خلله

وكذلك صنع الاستاذ النسوي والمستشرق الشهير مولر (الذي دعا قصّة بامرئ القيس بن الطحّان) فألحق بفهرس مفيد كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة المطبوع في المطبعة الوهبيّة وبذلك وفّر محاسن هذا السفر الجليل الذي كان حقّهُ ان يُطبع بكل دقّة واحكام

وممّا تاسف ايضًا على سوء طبعه المصري وعدم ضبطه بالشكل الوافي كتاب اساس البلاغة لجار الله ابي قاسم الزمخشري وهو من الكتب الفريدة الذي كان انتفع به العلماء منفعة مضاعفة لو أُحكم طبعهُ

ومثله في الفرائد وسوء الطبع كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي المعروف بابي شامة طُبع في مطبعة وادي النيل فضاعت معهُ جلُّ منافعهِ . وكتاب مثل هذا كان ينبغي لمتولي طبعهِ ان يزينهُ ببعض الشكل ويذيّلهُ بالحواشي ويوفر لهُ المحاسن الطبعية . كما فعل الفرنج الذين طبعوا منهُ قسمهُ الاكبر (Hist. des Croisades, *Hist. Orientaux*, IV, 1-525) ونقلوه الى الفرنسية واضافوا اليهِ التذييلات والفهارس جازاهم الله خيرًا

وقد استحقَّت ادارة الكتبخانة الخديوية شكر العلماء بطبع عدَّة مؤلفات قديمة غاية في النفع كتاريخ مصر لاحمد بن اياس وجزء من كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق وكتاب اسماء البلاد المصرية للامام ابن جيعان وتاريخ الفيوم وبلادهِ لابي عثمان النابلسي الصفدي وقسم من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي ونشرتها بهمَّة مديري مكتبتها المستشرقين كرل ڤولرس وب . مورتس وكلُّها مذيَّل بالفهارس وطبعت قسماً منها بالمطبعة الاهليَّة وقسماً بالمطبعة الاميريَّة (المشرق ١٠ : ٥١٥) لا ينقصها من الكمال الَّا زيادة في حسن الطبع وتعليق الحواشي على بعض مبهماتها . ومثلها في الافادة تاريخ السخاوي المعنون بالتبر المسبوك الذي وقف على طبعهِ وتصحيحهِ الوجيه الاديب احمد زكي بك ويا ليتهُ وجد منهُ نسخةً ثانية للمقابلة واصلاح ما بقي فيهِ من الاغلاط وحشَّاه ببعض الملحوظات وختمهُ بفهرس

وكل هذه المطبوعات طُبعت بالحرف الناعم الدقيق الذي لا تقرّ لهُ العين ولا يأنس بهِ الخاطر . واحسن منها طبعًا وانضر حرفًا كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة الذي طبعهُ محمَّد افندي محمود الرافعي في مطبعة النيل لولا انهُ خالٍ من الحواشي والفهارس المستوفية . وكذلك مطبوعات مجلَّة الهلال فانها جليَّة مشرقة الحرف وقد مرَّ لنا انتقاد على كتاب جليل طُبع في هذه المطبعة ولم تُستوفَ شروط طبعهِ (اطلب المشرق ٨ : ٧٥٧ و٧٨١) وهو كتاب الفرج بعد الشدَّة للقاضي التنوخي . وكذلك انتقدنا على اثر آخر نظر فيهِ وصحَّحهُ محمَّد افندي صادق عنبر فبيَّنَّا ما ينقصهُ من اسباب الكمال (المشرق ١٠ : ١٣)

وقد تألَّفت في مصر شركة لطبع الكتب العربيَّة منذ نحو عشر سنوات فنشرت بعض التآليف القديمة اخصُّها كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة للوزير لسان الدين ابن

الخطيب . أتقن طبعهُ وضبطهُ وكان حقُّهُ ان يُحلَّى بغير ذلك من الحسنات الطبعيَّة اعني الملحوظات التاريخيَّة والفهارس وتشكيل بعض الاعلام

وممن قام بأكثر هذه المرغوبات اسكندر افندي آصاف مدير المطبعة العموميَّة في طبع الاعجاز والايجاز لابن منصور الثعالبي فالتزم تذييلهُ بشروح حسنة والحقهُ بفهرس للاعلام ولو ضبطهُ ببعض الشكل لكان أصاب المرمى .

ومن المطابع المصريَّة التي تحسَّنت في مصر مطبوعاتها مطبعة السعادة ومطبعة الترقي ومطبعة التمدُّن والمطبعة الحسينيَّة ومطبعة التقدُّم وقد وجدنا لكلها بعض المطبوعات التي توازي في نضارتها وجودة ورقها وصورة حروفها احسن المطبوعات الشاميَّة لكنها كلّها ايضاً خلوةٌ من تلك التسهيلات التي يرغب فيها الادباء كالمقابلة على نسخ متعدّدة وتزيينها بالمقدّمات والشروح والفهارس والتدقيق في ضبط الاعلام وهلمَّ جرًّا

وممَّا لا يجوز لنا السكوت عنهُ انَّ كثيرًا من المطبوعات المصريَّة قد نُشرت بعد طبعها السابق في حواضر الفرنج فيعيد المصريُّون طبعها دون أن يشيروا الى طبعاتها الاولى وهم في الغالب يتعقَّبون آثارها وينقلون عنها دون التصريح بفضل السابق لينتفعوا من ارباحها ويسلبوا لانفسهم فخر نشرها . وكثيرًا ما تُنشر هذه الطبعات دون شيءٍ ممَّا يزينها في الطبعات الاوربيَّة من ورق حسن وطبع نظيف وحواشٍ مفيدة وفهارس مقرّبة لتفتيش المطلوب وانَّما غايتها الوحيدة أن يستغني بها الشرقيُّون عن طلب ما هو انفع لهم فيشترونها لبخس اسعارها وهي بئس التجارة

ولدينا اكثر من خمسين تأليفاً من هذه المطبوعات الحديثة التي استجاز اصحابها نشرها على هذه الطريقة دون أن يتكلَّفوا في طبعها ومراجعتها نصبًا وكدًّا بل جرَّدوها كما قلنا عن كثيرٍ من تحسّناتها اقتصادًا في النفقة وتوفيرًا للكسب فمن ذلك كتاب الكامل لابن المبرِّد الذي كان احسن العلَّامة ريت (W. Wright) طبعهُ وضبطهُ على سبع نسخٍ فكرَّرت طبعهُ المطبعة الخيريَّة وادَّعى في آخرهِ ناظر مسوَّداته « انهُ افرغ في تصحيحهِ وتنقيحهِ الجهد وبذل في تحرير ضبوطهِ ما في وسعهِ مشمّرًا عن ساعد الجد فازهر بحول الله يانع ورده وصفا بحمد الله مورد وردهِ » ولم ينسَ المصحح الا التصريح بنقلهِ عن الطبعة الاوربيَّة التي تفوق الطبعة المصريَّة من وجوه متعدّدة

ومثل هذا سيرة صلاح الدين الايوبي للقاضي بهاء الدين بن شدَّاد طُبعت بحرفها

ثاني. ١ تمثال بطرس الرسول من الرخام المتلوّن من القرن الثالث. ٢ و٣ حجران كريمان حُفر
م الراعي الصالح. ٤ صورة من التاج حُفر فيها رسم السيّد المسيح والمرأة التي شفاها من نزيف الدم
ة موسى عند ضربه الصخرة (هذه الرسوم منقولة عن كتاب العاديات النصرانية لدون لوكلار)

عن طبعة ليدن (سنة ١٧٣٢) دون الاشارة الى تلك الطبعة . وكانت قد طُبعت ايضاً في باريس طبعةً منقَّحة مع شروح وفوائد عديدة (Hist. des Croisades. Hist. Orientaux, III, 1-430) فجاء الطابع المصري منصور عبد المتعال ونشر الكتاب عن طبعتهِ الاولى مع اغلاطهِ ودون الانتفاع بشيءٍ من ملحوظاتهِ اللاتينيَّة التي جهل الطابع معانيها لا بل نقل عنها المُلحَق المأخوذ عن تاريخ ابي الفداء دون مراجعتهِ على طبعة الاستانة — ومثلهُ ايضاً كتاب تاريخ ابن الطقطقي المعروف بالفخريّ الذي سبق طبعهُ في المانية وفرنسة فأخذهُ بعض اهل مصر غنيمة باردة باعادة طبعهِ نقلاً عنهما — وكذا فعل قبلهُ طابع رحلة ابن بطوطة بعد ان نشرها في باريس المستشرقان ديفراموري وسانغوينايتي ونقلاها الى الفرنسويَّة وحلَّياها بالحواشي والفهارس فجرَّدها الطابع المصري عن كل هذه الفوائد لينال بها ربحاً خسيساً

وفي هذه المدَّة الاخيرة قد كثرت هذه السرقات لتوفُّر المطابع فصار كل من يجد كتاباً عربيًّا من المطبوعات الاوربيَّة النفيسة تسارع الى طبعهِ كأنَّ الكتاب لمجرَّد كونهِ قديماً صار ملكاً لمن أَمَّل منهُ الربح واملَّ بعض المختلسين يظنُّون انَّ مطبوعات الشرق لا يعرفها الغربيُّون لبعد اصحابها عنهم فلا يقيمون عليهم الحجَّة

وممَّا نُقل في هذا العهد الاخير عن تلك المطبوعات الاوربيَّة كتاب الموشَّى لابي الطيّب محمَّد الوشَّاء طبعهُ في ليدن العلَّامة برونوف فتلقَّفتهُ المطبعة الحسينيَّة وطبعهُ احمد ناجي الجمالي ومحمَّد امين الخانجي منذ سنتين «الطبعة الاولى» (كذا) مع تغيير اسم الكتاب الذي دُعي كتاب «الظرف والظرفاء» قال المتولّي طبعهُ انهُ انتحل لهُ هذا الاسم الجديد «ليطابق مسمَّاه» كأنَّ صاحبهُ لم يدرِ تطبيق الاسم على المسمَّى(؟). ولا حاجة للقول انَّ الكتاب عُرِّي من كل حليهِ الطبيعيَّة كالشكل والروايات والاصلاحات والفهارس بل زيدت فيهِ بعض التصحيفات التي لا تراها في الطبعة الاصليَّة — وكذلك طبع الاديبان المارّ ذكرهما على الطريقة المختصرة ذاتها كتاب المعمرين لابي حاتم السجستاني الذي طبعهُ في مدينة ليدن الاستاذ الشهير غلدتسير (I. Goldziher) — وقد طمحا الى ما فوق ذلك فطبعا معجم البلدان لياقوت الحموي عن نسخة ليبسيك التي عني بنشرها وستنفلد (F. Wüstenfeld) ولم يقتنعا البتَّة من الجلد الضخم الاخير الذي ضمَّنهُ ذلك المستشرق ملحوظات واصلاحات وفهارس تبلغ ١٣٠٠ صفحة كما

انهما لم يقابلا طبعتهما على الطبعة التي ظهرت في العجم التي مع سقمها لا تخلو من بعض الفوائد والروايات المختلفة

ومما كان سعى بنشره استاذان من كلية ليدن العلامة دي غوي (de Goeje) والمأسوف عليه فان فلوتن (Van Vloten) كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة اجاد في طبعه ما شاء الموسيو دي غوي ثم آثار الجاحظ ورسائله منها كتاب البخلاء وكتاب المحاسن والاضداد ورسائل عزيزة الوجود افنى فان فلوتن حياته في جمعها ونشرها فكل هذه الآثار استولى عليها المجتهد محمد افندي امين الخانجي وطبعها «الطبعة الاولى» (كذا) . لكننا نقر مع ذلك بما له من الفضل في طبعه اذ زاد على تلك الرسائل رسالتين لم ينشرهما سابقاً الاستاذ الهولندي . فياليته كان راجعهما مثله على نسخ مختلفة واحكم ضبطها . ويقتضي العدل ايضاً بان نقول ان جريدة «صباح الشرق» كانت سبقت المرحوم فان فلوتن فنشرت احدى رسائل الجاحظ في فضائل الاتراك سنة ١٨٩٨ وصححتها وزينتها بالشكل الكامل . كما اننا لحظنا اختلافات في الروايات بين طبعة مصر وطبعة ليدن من كتاب الشعر والشعراء ما يدل على ان صاحب الطبعة المصرية استعان بنسخة خطية مختلفة وعلى كل حال ان الفرق بين الطبعتين كفرق الثريا والثرى

ونضيف الى السرقات السابقة كتاب عيون الاخبار الذي تولى طبعه الالماني الهمام كرل بروكلمان فما ظهر لعالم الوجود حتى اسرع المصريون الى طبعه فطبعه ايضاً «طبعة اولى» (كذا) على نفقة محمد افندي ابراهيم ادهم . فلله ما اكثر الطبعات الاولى في مصر . ولعل الكتبي مصطفى افندي فهمي نسي ان ينبه في تاريخ الاندلس انها طبعته الاولى والظاهر انه أنف من هذا الكذب لكنه لم يصرح بان هذا الكتاب قد طبعه في ليدن العلامة دوزي سنة ١٨٤٧ وان طبعته هذه منقولة عنه

وكان العلامة الدكتور ديتريصي (F. Dieterici) مولعاً بآثار الفارابي ورسائله الفلسفية فاجتهد في جمعها وطبعها وترجمتها وتذييلها بالحواشي فجاءت طبعته حجة لمن يريد درس مآثر ذلك الفيلسوف الامام فقحم بعض المصريين على هذه المطبوعات فنشروها بحرفها الواحد في مطبعة السعادة ومطبعة النيل وكلها على زعمهم «الطبعة الاولى» وربما زادوا عليها «ان حقوق الطبع محفوظة» اي للمختلس

ومن ظريف ما رأينا من هذه المطبوعات المصرية شرح ديوان ابن الفارض للشيخين البوريني والنابلسي الذي اهتمَّ بطبعهِ الكونت رشيد الدحداح في مرسيلية سنة ١٨٥٣ واجاد في تصحيحهِ وضبطهِ فرأت المطبعة الخيرية ان تختصَّ هذا الاثر بنفسها وطبعتهُ بعد ان غيَّرت مقدمتهُ ونسبتهُ الى « رشيد بن غالب المجتنى » كأنَّ « المجتنى » مرادف للدحداح

ولمَّا كان المثل بالمثل يُذكر نروي هنا ما رأيناهُ مؤخرًا من امر بعض المطبوعات الشاميَّة نريد كتاب مناجاة البلغاء في مسامرة البيغاء الذي افرغ الوسع في ترجمتهِ من التركيَّة جناب القانوني سليم افندي باز وطبعهُ في المطبعة الادبيَّة سنة ١٨٨٢ . ففي السنة الجارية اختلس هذا الكتاب سعيد علي الحصوي الكتبي وطبعهُ بحرفهِ بعد ان غيَّر اسم الكتاب فدعاهُ « نوادر الادباء ومنادمة الظرفاء » وابدل صفحتهُ الاولى وصفحتهُ الاخيرة ليوهم القرَّاء بان الكتاب من تعريبهِ وهكذا غلب الصقر على الباز

هذا ولم نكتب ما سبق لنضعف عزائم ادباء مصر المجتهدين في نشر الآثار القديمة وتقريب مضامينها من العموم بل مراعاةً لحقوق الذين لهم الاسبقيَّة في العمل أنها كفاهم التعب والعناء في خدمة الاداب حتى يسلبوا ايضًا ثمرة اتعابهم ولا يسدُّوا نفقات طبعها . فانَّ في كل البلاد المتمدنة سننًا مرعيَّة لا تسمح بطبع كتاب ألَّفهُ او نشرهُ احد الكتبة الَّا على شروط معلومة . وفي العام الماضي صدرت ارادة سنيَّة للحضرة السلطانيَّة العليَّة تحظر على اهل الطباعة انتهاك حقوق المؤلفين وتقضي بعقاب من يتجاوز في ذلك طورهُ فيا ليت المصريين يجرون على هذه السنَّة

وليس لادباء المصريين حاجة الى هذه الارباح الدنيئة فانَّ عندهم مكاتب غنيَّة بالمخطوطات النفيسة تُرى ماذا يصدُّهم عن الاستقاء من مناهلها . وان رأوا فائدة في تجديد طبعة احد الكتب القديمة فلا بأس من ذلك وانَّما يترتَّب عليهم أن يراجعوهُ على نسخهِ المخطوطة ويستفرغوا الجهد في تنقيحهِ وان يحسنوا طبعهُ المادي ويضيفوا اليهِ ما يزيدهُ رغبةً في اعين الادباء من تعليقات وشرح الالفاظ المبهمة وضبط الاعلام وتدوين الفهارس الواسعة الى غير ذلك ممَّا يكسبهم شكر ارباب العلم ويوفِّر لهم الارباح الهنيئة . أفلا ترى ان الذين جدَّدوا آخرًا طبع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني اكتفوا بنقلهِ عن طبعتهِ الاولى فلم يصلحوا اغلاطها بل وجدنا فيها اغلاطًا جديدة لا اثر لها في

الطبعة الاولى واضافوا اليه القسم الحادي والعشرين دون أن يشيروا الى فضل صاحبه الدكتور برونوف (R. E. Brünnow) الذي قاسى في طبعه المشقّات فطبعوا هذا الجزء دون اثبات رواياته المنقولة عن اثنتي عشرة نسخة مخطوطة وقبيح من ذلك انّهم لم يوفّقوا اعداد الصفحات بين الطبعة الجديدة والقديمة فخسروا واخسروا فوائد الفهارس الجليلة التي وضعها لهذا الكتاب ائمّة من المستشرقين في مطبعة ليدن . فترى من ذلك ما تحرمنا الطبعات المصريّة من الفوائد . فيا ليت هذه الاسطر تبلغ ارباب الطباعة في القطر المصري وتجد عندهم آذان صاغية وقلوباً واعية فيجاروا المستشرقين في طباعتهم المتقنة وتنال منشوراتهم رضى العلماء فيثنوا عليها كما اثنوا على بعض مطبوعاتنا البيروتيّة

كتاب

الرّحل والمنزل

نشره الاب لويس شيخو اليسوعيّ

اقتطفنا هذا الفصل من كتاب سبق لنا في المشرق الاشارة اليه غير مرّة اعني احد مخطوطات مكتبة الملك الظاهر في دمشق الشام وهو مُنون في تلك النسخة بكتاب الجرائم ومنسوب لابي محمّد عبد الله بن مسلمة الشهير بابن قتيبة . على انّ الذين سردوا جدول مصنّفات ابن قتيبة لم يذكروا له كتاباً بهذا الاسم وليس في مخطوطات خزائن الكتب المعروفة نسخة ثانية ترشدنا الى حقيقة الامر . وما لا ينكره احد انّ الكتاب من آثار قدماء اللغويين ومن عجيب الامور انّ معجم لسان العرب وكتاب المخصّص لابن سيده يكادان يذكران معظم مضامين هذا الكتاب متفرّقة في مظانّها وبحرفها الواحد وهما ينسبانها لابي عُبيد المتوفّى سنة ٢٢٤ ه (٨٣٩) والله اعلم . وهذا الفصل الذي نقلناهُ هنا من أجدى ابواب الكتاب نفعاً يتضمّن معظم المفردات التي يستعملها العرب في اسفارهم ومنازلهم تفيدنا كثيراً من عاداتهم وامورهم الاهليّة . والنسخة الدمشقيّة التي نُقلت منها نسخة مكتبتنا الشرقية قديمة العهد طُمست منها بعض فقراتها فأمكننا بمراجعة كتب اللغة أن نروجها بما تستحقّهُ من الضبط الّا الفاظاً قليلة التباسها كما وجدناها دون القطع بصحّتها

(101) بَابُ ٱلرَّحلِ وَٱلآلَةِ وَٱلأَوَانِي فِي ٱلسَّفرِ وَٱلحَضَرِ (١ وَٱلدُّورِ (102) وَٱلبُيُوتِ وَٱلأَخبِيَةِ وَٱلأَبنِيَةِ

أَمَّا حَاجَاتُ (٢ ٱلسَّفَرِ فَإِذَا كَانَ فِي رَحلِ ٱلإِنسَانِ مُحِلَّاتٌ نَزَلَ حَيثُ شَاءَ مُنفَرِدًا عَنِ ٱلنَّاسِ وَهِيَ: ٱلقِربَةُ وَٱلفَأسُ وَٱلقَدَّاحَةُ وَٱلدَّلوُ وَٱلشَّفرَةُ وَٱلقِدرُ مُحِلُّهُ حَيثُ شَاءَ وَإِلَّا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ ٱلنَّاسِ. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هٰذِهِ نُعُوتٌ وَأَسمَاءٌ، وَمِنْ أَدَاتِهِ ٱلمِيزَانُ وَٱلسِّكِّينُ وَحَجَرُ ٱلمِسَنِّ وَٱلمِزَادُ وَٱلأَسقِيَةُ وَٱلقِربُ وَٱلنَّارُ وَأَدَوَاتٌ تُعتَمَلُ فِي ٱلحَفرِ (١ وَٱلرَّحَا وَمَا فِيهَا

فَمِنْ أَدَاةِ ٱلرَّحلِ ٱلغَرضُ وَٱلغَرضَةُ وَٱلتَّصدِيرُ وَٱلسَّفِيفُ فَهُوَ حِزَامُ ٱلرَّحلِ، وَٱلوَضِينُ يَصلُحُ لِلرَّحلِ وَٱلهَودَجِ، وَٱلبِطَانُ لِلقَتَبِ، وَٱلحَقَبُ لِلبَعِيرِ مِمَّا يَلِي ٱلثِّيلَ، وَٱلسِّنَافُ (٣ حَبلٌ يُشَدُّ مِنَ ٱلتَّصدِيرِ إِلَى خَلفٍ، ٱلكِركِرَةِ حَتَّى يَثبُتَ، وَٱلشِّكَالُ أَنْ يُجعَلَ حَبلٌ بَينَ ٱلتَّصدِيرِ وَٱلحَقَبِ وَهُوَ ٱلزِّوَارُ وَجَمعُهُ أَزوِرَةٌ يُشَدُّ تَحتَ ظُلَفَاتِ ٱلرَّحلِ، وَفِيهِ ٱلمَورِكُ وَهُوَ ٱلمَوضِعُ ٱلَّذِي يَثنِي ٱلرَّاكِبُ عَلَيهِ رِجلَهُ، وَٱلوِرَاكُ هُوَ ٱلَّذِي يُلبَسُ ٱلمَورِكَ وَهُوَ مُقَدَّمُ ٱلرَّحلِ. ثُمَّ يُثنَى تَحتَهُ، وَٱلنَّمَقَةُ جِلدَةٌ تُعَلَّقُ عَلَى آخِرَةِ ٱلرَّحلِ وَتُسَمَّى ٱلعَذَبَةَ وَٱلذُّؤَابَةَ، وَٱلثَّلِيلُ (٤ مِسحٌ يُلقَى عَلَى عَجُزِ ٱلبَعِيرِ، وَٱلبَرذَعَةُ هُوَ ٱلحِلسُ

---

١) كذا في الاصل. ولعلّ الصواب: الحَضَر ٢) قد طُمست هذه اللفظة في الاصل

٣) في الاصل: الثناف وهو تصحيف

٤) في الاصل: الليل وهو تصحيف

لِلْبَعِيرِ، وَهُوَ لِذَوَاتِ الْحَافِرِ قِرْطَاطٌ وَقِرْطَانٌ، وَالطِّنْفِسَةُ الَّتِي فَوْقَ الرَّحْلِ تُسَمَّى النَّمِرَقَةَ، وَالْقِتَانُ غِشَاءٌ يَكُونُ لِلرَّحْلِ مِنْ أَدَمٍ، وَالْأَرْبَاضُ حِبَالُ الرَّحْلِ، وَالْحِلَالُ مَتَاعُ الرَّحْلِ

وَيُقَالُ مِنَ الْمَوَاكِبِ سِوَى الرَّحْلِ الْقَتَبُ وَهُوَ الْمَرْكَبُ الَّذِي مِثْلُ أُكُفِ الْبُخَاتِيِّ، وَالْقَتَبُ هُوَ الصَّغِيرُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى قَدْرِ سِنَامِ الْبَعِيرِ، وَالْحَوِيَّةُ كِسَاءٌ يُحْوَى حَوْلَ سِنَامِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يُرْكَبُ، وَالسَّوِيَّةُ كِسَاءٌ مَحْشُوٌّ بِثُمَامٍ أَوْ لِيفٍ (103) وَنَحْوِهِ ثُمَّ يُجْعَلُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ وَإِنَّمَا هُوَ مَرْكَبُ الْإِمَاءِ وَأَهْلِ الْحَاجَةِ، وَالْقَرَبُ مَرْكَبٌ لِلرِّجَالِ بَيْنَ الرَّحْلِ وَالسَّرْجِ، وَالْكِفْلُ مِنْ مَرَاكِبِ الرِّجَالِ كِسَاءٌ يُؤْخَذُ فَيُعْقَدُ طَرَفَاهُ ثُمَّ يُلْقَى مُقَدَّمُهُ عَلَى الْكَاهِلِ وَمُؤَخَّرُهُ عَلَى عَجُزِ الْبَعِيرِ يُقَالُ مِنْهُ قَدِ اكْتَفَلْتُ الْبَعِيرَ، وَالْحِصَارُ حَقِيبَةٌ تُلْقَى عَلَى الْبَعِيرِ وَيُرْفَعُ مُؤَخَّرُهَا فَيُجْعَلُ كَآخِرَةِ الرَّحْلِ وَيُحْشَى مُقَدَّمُهَا فَيَكُونُ كَقَادِمَةِ الرَّحْلِ يُقَالُ قَدِ احْتَصَرْتُ(١ الْبَعِيرَ، الْحَرَجُ مَرْكَبٌ لِلنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ لَيْسَ لَهُ رَأْسٌ، وَالْمِشْجَرُ وَالْمِشْجَرُ لِلنِّسَاءِ دُونَ الْهَوْدَجِ، وَالْكِدْنُ مَا تَوَطَّأَ بِهِ الْمَرْأَةُ هَوْدَجَهَا وَجَمْعُهُ كُدُونٌ، وَالظَّعِينَةُ جَمْعُهَا ظَعَائِنُ وَظُعُنٌ ثُمَّ أَظْعَانٌ وَهِيَ الْهَوَادِجُ كَانَ فِيهَا نِسَاءٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَالْحَمُولَةُ وَالْحُمُولُ وَاحِدُهَا حِمْلٌ وَهِيَ الْهَوَادِجُ أَيْضًا كَانَ فِيهَا نِسَاءٌ أَوْ لَا. وَالْهَوَادِجُ هِيَ مَرَاكِبُ مِثْلُ الْمَحَفَّةِ إِلَّا أَنَّ الْهَوْدَجَ مُقَبَّبٌ وَالْمَحَفَّةَ لَا تُقَبَّبُ، وَالْحِدْجُ مِثْلُ الْمَحَفَّةِ وَجَمْعُهُ أَحْدَاجٌ وَحُدُوجٌ، وَالْوَلِيَّةُ الْبَرْذَعَةُ وَيُقَالُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ تَحْتَ الْبَرْذَعَةِ، وَالْفِسَامُ وِطَاءٌ

١) وفي الاصل: احتضرتُ مُصحَّف

يَكُونُ ٱلْمَشَاجِرِ وَجَمْعُهُ فُوعٌ مِثَالُ فُعْمٍ ، ٱلرَّجَائِزُ مَرَاكِبُ أَصْغَرُ مِنَ ٱلْهَوَادِجِ وَيُقَالُ أَلْفَامُ ٱلْهَوْدَجُ ٱلَّذِي قَدْ وُسِّعَ أَسْفَلُهُ وَمِنْهُ قِيلَ لِلرَّحْلِ (١ مِفْأَمٌ مِثَالُ مِفْعَمٍ ، ٱلْمَشَاجِرُ عِيدَانُ ٱلْهَوْدَجِ وَيُقَالُ مَرَاكِبُ دُونَ ٱلْهَوْدَجِ مَكْشُوفُ ٱلرَّأْسِ . وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا ٱلشِّجَارُ . وَٱلشِّجَارُ أَيْضًا ٱلْخَشَبَةُ ٱلَّتِي تُوضَعُ خَلْفَ ٱلْبَابِ يُقَالُ لَهَا بِٱلْفَارِسِيَّةِ ٱلْمِتْرَسُ . وَكَذٰلِكَ ٱلْخَشَبَةُ ٱلَّتِي يُضَبُّ بِهَا ٱلسَّرِبُ مِنْ تَحْتِ ٱلشِّجَارِ . ٱلْحِلَالُ مَرَاكِبُ ٱلنِّسَاءِ ، وَٱلْمُجَفَّلُ ٱلْمَقْلُوبُ (٢

وَفِي ٱلرَّحْلِ عَظْمُهُ وَهُوَ خَشَبُ ٱلرَّحْلِ بِلَا أَنْسَاعٍ (٣ وَلَا أَدَاةٍ ، وَجِلْبُ ٱلرَّحْلِ عِيدَانُهُ ، وَفِيهِ حِزَامُهُ ، وَٱلْعَرَاصِيفُ خَشَبَتَانِ تُشَدَّانِ بَيْنَ وَاسِطِ ٱلرَّحْلِ وَآخِرَتِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا . وَيُقَالُ ٱلْعَرَاصِيفُ خَشَبٌ تُشَدُّ بِهَا رُؤُوسُ ٱلْأَحْنَاءِ وَتُضَمُّ بِهَا وَفِيهَا ٱلظَّلَّفَاتُ وَهِيَ ٱلْخَشَبَاتُ ٱلْأَرْبَعُ ٱللَّوَاتِي يَكُنَّ عَلَى جَنْبَيِ ٱلْبَعِيرِ ، وَيُقَالُ لِأَعْلَى ٱلظَّلَّفَتَيْنِ مِمَّا يَلِي ٱلْعَرَاقِيَ ٱلْمَصْدَانِ وَأَسْفَلُهُمَا ٱلظَّلَّفَتَانِ وَهُوَ مَا سَفَلَ (٤ مِنَ ٱلْحِنْوَيْنِ ٱلْوَاسِطِ وَٱلْمُؤَخَّرَةِ . وَيُقَالُ لِلْأَدَمِ ٱلَّتِي تُضَمُّ بِهَا (٥ ٱلظَّلَّفَتَانِ وَيُدْخَلُ فِيهِمَا أَكْرَارٌ وَاحِدُهَا كِرٌّ وَٱلْعَرْقُوَتَانِ ٱلْخَشَبَتَانِ ٱللَّتَانِ تَضُمَّانِ مَا بَيْنَ وَاسِطِ ٱلرَّحْلِ وَٱلْمُؤَخَّرَةِ ، وَيُقَالُ لِلْأَدِيمِ ٱلَّذِي يُضَمُّ ٱلْعَرْقُوَتَيْنِ مِنْ أَعْلَاهُمَا وَأَسْفَلِهِمَا صُفَّةٌ ، وَٱلْبِدَادَانِ فِي ٱلْقَتَبِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْكِرِّ فِي ٱلرَّحْلِ غَيْرَ أَنَّ ٱلْبِدَادَيْنِ لَا

---

١) في الاصل : للرَّجل . وهو غلط (راجع المخصَّص لابن سيده ٧ : ١٤٧)

٢) هنا قد وضع في الاصل ما يختصّ بالرَّحى وما فيها ثمّ يعود المؤلف الى الرَّحل وادواته فأخرنا مادّة الرَّحى لئلّا ينقسم الباب . ولعلّ هذا الغلط من غلط النسّاخ

٣) وفي الاصل انساع وهو غلط

٤) صُحّف الاصل بتنتّل (اطلب المخصّص ٧ : ١٤٠)

٥) ويروى : الادم الذي يُضمّ به

يَظْهَرَانِ مِنْ قُدَّامِ الظَّلَفَةِ ، وَيُقَالُ لِأَحْنَاءِ الرَّحْلِ الْقَبَائِلُ . وَيُقَالُ لِلْحَدِيدَةِ الَّتِي فَوْقَ الْمُؤَخَّرَةِ النَّاشِيَةُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ الدَّامِغَةُ ، وَيُقَالُ لِلْحَدِيدَةِ الَّتِي تَضُمُّ مَا بَيْنَ الْقَبِيلَتَيْنِ وَهُمَا الْحِنْوَانِ آهِلَةٌ وَاحِدُهَا هِلَالٌ ، وَيُقَالُ لِلْقِدِّ الَّذِي يَضُمُّ الْعَرْقُوَتَيْنِ الْقِدُّ ، وَيُقَالُ لِلْقِدَّةِ الَّتِي تَضُمُّ الْعَرَاصِيفَ حُنْكَةٌ وَحِنَاكٌ ، وَيُقَالُ لِلْقِدِّ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الْخَشَبُ الْإِسَارُ وَهِيَ الْأُسُرُ ، فَإِنْ كَانَ فِي الرَّحْلِ كَسْرٌ فُرِقِعَ فَاسْمُ تِلْكَ الرُّقْعَةِ الرُّؤْبَةُ (مَهْمُوزٌ) ، وَمِنَ الرِّحَالِ الْقَاتِرُ وَهُوَ الْجَيِّدُ الرُّقُوعِ (١ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ ، وَالْمِعْقَرُ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِوَاقٍ ، وَالْمِلْحَاحُ الَّذِي يَعَضُّ (٢ ، وَالْمِرْكَاحُ (105) الَّذِي يَتَأَخَّرُ فَيَكُونُ مَرْكَبُ الرَّجُلِ فِيهِ عَلَى آخِرَةِ الرَّحْلِ ، وَالذَّنَبَةُ فُرْجَةٌ مَا بَيْنَ دَفَّتَيِ الرَّحْلِ وَالسَّرْجِ وَالْغَبِيطِ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ ، وَالشَّرْخَانِ جَانِبَا الرَّحْلِ

(الرَّحَى وَمَا فِيهَا) اللُّهْوَةُ مَا أَلْقَيْتَ فِي الْحَجَرَيْنِ . يُقَالُ : أَلْهَيْتُ الرَّحَى ، وَالرَّائِدُ الْعُودُ الَّذِي يَقِيضُ عَلَيْهِ الطَّاحِنُ ، وَيُقَالُ : طَحَنْتُ (104) بِالرَّحَى شَزْرًا وَهُوَ الَّذِي يَذْهَبُ بِيَدِهِ عَنْ يَمِينِهِ وَبَتًّا عَنْ يَسَارِهِ ، الثِّفَالُ (٣ الْجِلْدُ الَّذِي يُبْسَطُ تَحْتَ الرَّحَى ، وَالْقُطْبُ الْقَائِمُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ الرَّحَى وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ : قُطْبٌ وَقَطْبٌ وَقِطْبٌ

(الْأَبْنِيَةُ) مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْخِبَاءُ وَهُوَ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ وَلَا يَكُونُ مِنْ شَعَرٍ ، وَالْبَرْجَدُ كِسَاءٌ ضَخْمٌ فِيهِ خُطُوطٌ يَصْلُحُ لِلْخِبَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَالسَّبِيجُ مِسْحٌ مُخَطَّطٌ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ يُسْتَرُ بِهِ وَيُفْتَرَشُ ، وَالْإِرَاضُ بِسَاطٌ

١) وفي مخصص ابن سيده (٧ : ١٤٢) : الرقوع

٢) وعبارة اللسان : الذي يَعضُّ على غارب البعير فيعقرن

٣) قد صُحّف في الاصل بالسّفال

ضَخْمٌ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ، وَالْفَلِيجَةُ شُقَّةٌ مِنْ شُقَقٍ لَا أَدْرِي أَيْنَ يَكُونُ، وَالْكِفَاءُ الشُّقَّةُ الَّتِي تَكُونُ فِي مُؤَخَّرِ الْخِبَاءِ يُقَالُ مِنْهُ أَكْفَأْتُ الْبَيْتَ، الرَّدْحَةُ سُتْرَةٌ فِي مُؤَخَّرِهِ أَيْضًا يُقَالُ مِنْهُ رَدَحْتُ الْبَيْتَ وَأَرْدَحْتُهُ، وَالْحَمَائِرُ حِجَارَةٌ تُنْصَبُ حَوْلَ الْبَيْتِ وَاحِدَتُهَا حِمَارَةٌ، وَرِوَاقُ الْبَيْتِ سَمَاوَتُهُ وَهِيَ الشُّقَّةُ الَّتِي دُونَ الْعُلْيَا، وَالتَّحِيزَةُ طُرَّةٌ تُنْسَجُ ثُمَّ تُخَاطُ عَلَى شَفَةِ الشُّقَّةِ الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ، وَهِيَ الْعَرَقَةُ أَيْضًا، وَالْخُتْرُ أَكْفَةُ الشِّقَاقِ كُلُّ وَاحِدٍ خِتَارٌ، وَالْكِسْرُ الشُّقَّةُ الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ، وَالطَّوَارِفُ مِنَ الْخِبَاءِ مَا رَفَعْتَ مِنْ نَوَاحِيهِ لِيُنْظَرَ إِلَى خَارِجٍ، وَالْجِفَانِ اللَّذَانِ عَلَى الْبَابِ يُقَالُ مِنْهُ بَيْتٌ مُجَفَّفٌ، وَالْإِصَارُ الطُّنُبُ وَجَمْعُهُ أُصُرٌ (وَالْأَيْصَرُ الْخَشِبُ الْمُجْتَمِعُ وَجَمْعُهُ أَيَاصِرُ وَيُقَالُ الْإِصَارُ وَتَدٌ قَصِيرٌ لِلْأَطْنَابِ، وَالْأَزْرَارُ خَشَبَاتٌ يُخْرَزْنَ (١ فِي أَعْلَى شُقَقِ الْخِبَاءِ وَأُصُولُ تِلْكَ الْخَشَبَاتِ فِي الْأَرْضِ، وَالصُّقُوبُ الْعُمُدُ الَّتِي يُعْمَدُ بِهَا الْبَيْتُ وَاحِدُهَا صَقْبٌ، وَالْبُونُ الَّتِي دُونَ ذَلِكَ (106) وَاحِدُهَا بُوَانٌ، وَالْخَوَالِفُ الَّتِي فِي مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ وَاحِدُهَا خَالِفٌ، وَالظَّهَرَةُ مَا فِي الْبَيْتِ مِنَ الْمَتَاعِ وَالثِّيَابِ. وَالَّذِي يُوضَعُ عَلَيْهِ يُقَالُ لَهُ الْمُنْتَجَدُ وَهِيَ أَعْوَادٌ تُرْبَطُ كَالْمِشْجَبِ، وَالنَّضَدُ مَا نُضِدَ مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ قَلِيلَ الْمَتَاعِ قِيلَ: بَيْتٌ بَاهٍ وَمِنْهُ قِيلَ: الْمِعْزَى تُبْهِي وَلَا تُبْنِي وَذَلِكَ أَنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الْبَيْتِ فَتُخَرِّقُهُ وَلَا تَتَّخِذُ (٢ مِنْهُ أَبْنِيَةً إِنَّمَا الْأَبْنِيَةُ مِنَ الصُّوفِ وَالْوَبَرِ. وَيُقَالُ لِذَوَاتِ الصُّوفِ

١) وفي الاصل: تُخرَزْنَ

٢) في الاصل تتجز. راجع المخصص (٦: ١٢)

إنها تُبنى لأنها إن مكّنتك من أصوافها فقد أبنتْ. وقد أبنته بيتاً إذا جعلت له بيتاً. والباهي مثله. ويقال: أبهوا الخيل أي عطّلوها فلا تغزوا عليها. وقد أبهيته وقد أبهى يُبهي. وبيت باهٍ لا شيء فيه. بهي البيتُ بهاءً انخرق، ويقال من الخباء: أخبيتُ إخباءً إذا عملته. وتخبّيتُ أيضاً وخبّيتُ مثله، وإصارُ بيتي إلى إصارِ بيته وهو الطُّنُب، الشُّحوب أعمدةٌ من أعمدة البيت، والمسماكُ عودٌ يكون في الخباء، والبلاقُ الفُسطاطُ، والسِّطاعُ عمودُ البيت، والسُّرادقُ ما أحاط بالبناء، والأواخيُّ الأطنابُ. واحدتها آخيةٌ، ومن البناء وأشباهه المُشيَّدُ المطوَّلُ. والمُشيَّدُ المعمولُ بالشِّيد وهو الجصُّ وكلُّ شيء طليتَ به الحائطَ من بلاطٍ ونحوه. ويقال المَشيدُ بالتخفيف للواحد. قال الله تعالى: وقصرٍ مَشيدٍ. والمُشيَّدةُ للجميع. قال جلّ ذكره: في بروجٍ مُشيَّدةٍ (١)، والبيتُ المُجرَّدُ المُنمَّمُ الذي يُسمّى الكوخَ. والمُجرَّدُ من كلّ شيء المُعوَّجُ (107) ويقال البناءُ الطويلُ، والبيتُ المُعرَّسُ الذي عُمِلَ له عَرْسٌ وهو حائطٌ يُجعل بين حائطي البيت لا يُبلَغُ به أقصاه. ثمّ يُوضَعُ الجائزُ من طرفِ العَرْسِ الداخلِ إلى أقصى البيت ويُسقَفُ البيتُ كلّه وما كان تحت الجائز فهو المُخدَعُ، والجائزُ هو الذي يُسمّى بالفارسيّة التِّير وجمعه جوائزُ وأجوزةٌ وجوزانٌ، والعَتَبةُ أسكُفّةُ الباب، والطَّنَفُ والطُّنُفُ السَّقيفةُ تُشرَعُ فوق الباب، وهي الكُنّةُ وجمعه الكُنّاتُ، وهي السُّدّةُ أيضاً وسُدّةُ المسجد الأعظم ما حوله من الرِّواق، وهي السَّقيفةُ، ويقال السُّدّةُ الباب نفسُه والأوّلُ

(١) هذه الفقرة مرويّة للكسائي في المخصّص (٥: ١٢٢)

أَصَحُّ ، الأَصِيدَةُ كَالْحَظِيرَةِ تُعْمَلُ ، وَالْوَصِيدُ الْفِنَاءُ وَقَدْ أَصَدْتُ الْبَابَ وَوَصَدْتُهُ إِذَا أَطْبَقْتَهُ

وَالسَّافُ فِي الْبِنَاءِ صَفٌّ مِنَ اللَّبِنِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ يُسَمُّونَهُ الْمِدْمَاكَ وَالسَّمِيطُ عِنْدَهُمْ الْقَائِمُ الْآجُرُّ الْقَائِمُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ يُسَمِّيهِ الْفُرْسُ بَرَاسْتَقَ ، وَالْمِلَاطُ هُوَ الطِّينُ الَّذِي يُجْعَلُ بَيْنَ سَافِي الْبِنَاءِ ، وَالْمِطْمَرُ الْخَيْطُ الَّذِي يُقَدَّرُ بِهِ الْبِنَاءُ وَيُسَمَّى الْإِمَامَ . وَالْفُرْسُ يُسَمِّيهِ الشَّزَّ ، وَكُلُّ كُوَّةٍ لَيْسَتْ بِنَافِذَةٍ فِي الْحَائِطِ فَهِيَ مِشْكَاةٌ ، أَفْوَاهُ الْأَزِقَّةِ وَاحِدَتُهَا فُوهَةٌ مِثْلُ خُمْرَةٍ وَلَا يُقَالُ فَمٌ ، وَالْأَوَاسِي الدَّوَارِي وَاحِدَتُهَا آسِيَةٌ مِثَالُ فَاعِلَةٍ ، الدَّوْلَجُ السَّرْبُ ، وَالْبَطْنُ الْمَنْزِلُ وَالطِّنْءُ الرِّيبَةُ وَالدَّاءُ ، وَالْعَقْرُ الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ ، وَالْقَدْنُ وَالْمِجْدَلُ وَالصَّرْحُ وَالْعَقْلُ وَالْمَعْقِلُ كُلُّهُ الْقَصْرُ ، الْعَالَةُ (108) شَيْءٌ شِبْهُ الظُّلَّةِ يُسْتَتَرُ بِهِ مِنَ الْمَطَرِ يُقَالُ : قَدْ عَوَّلْتُ عَالَةً ، الرَّوَافِدُ خَشَبَاتُ السَّقْفِ وَقَالَ:

رَوَافِدُهُ أَكْرَمُ الرَّافِدَاتِ بَخٍ لَكَ بَخٍ لِبَحْرٍ خِضَمِّ

(يُقَالُ فِي « بَخٍ » الْجَزْمُ وَالْخَفْضُ وَالتَّخْفِيفُ وَالتَّشْدِيدُ) ، وَالْإِطَامُ وَالْجَوْسَقُ شِبْهُ (١ الْحِصْنِ ، الْكِلْسُ مِثْلُ الصَّارُوجِ يُبْنَى بِهِ ، وَالْبَلَاطُ الْحِجَارَةُ الْمَفْرُوشَةُ يُقَالُ دَارٌ مُبَلَّطَةٌ ، وَالْجَارُ الصَّارُوجِ ، وَالرَّبْعُ هُوَ الدَّارُ بِعَيْنِهَا حَيْثُ كَانَتْ ، وَالْمَرْتَعُ الْمَنْزِلُ فِي الرَّبِيعِ خَاصَّةً ، وَبَحْرُ الدَّارِ وَسَطُهَا وَعُقْرُهَا أَصْلُهَا فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ . وَأَمَّا أَهْلُ نَجْدٍ فَيَقُولُونَ عَقْرٌ . وَمِنْهُ قِيلَ الْعَقَارُ ، وَالْعَقَارُ الْمَنْزِلُ وَالْأَرْضُ وَالضِّيَاعُ ، وَالْمُنْتَجَعُ الْمَنْزِلُ فِي طَلَبِ الْكَلَإِ ، وَالْمَحْضَرُ الْمَرْجِعُ إِلَى الْمِيَاهِ ، وَالْحِلَالُ جَمَاعَاتُ بُيُوتِ النَّاسِ ، وَمِثْلُهُ

١) في الاصل : بيت الحصن (اطلب المخصص ٥ : ١٣٦)

الْحِوَاءُ ، وَفَنَاءُ الدَّارِ وَبَاحَتُهَا وَصَرْحَتُهَا وَمَسَارِعَتُهَا وَسَاحَتُهَا وَاحِدٌ ، وَكُلُّ جَوْبَةٍ (١ مُنْفَتِقَةٍ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ فَهِيَ عَرْصَةٌ

وَالدَّوَادِي آثَارُ أَرَاجِيحِ الصِّبْيَانِ . الْوَاحِدَةُ دَوْدَاةٌ ، وَالْأَرَاجِيحُ أَنْ تُؤْخَذَ خَشَبَةٌ فَيُوضَعُ وَسَطُهَا عَلَى تَلٍّ ثُمَّ يَجْلِسُ غُلَامَانِ عَلَى طَرَفَيْهَا فَتَمِيلُ بِهِمَا ، وَالزَّحَالِيفُ آثَارُ تَزَاحِيجِ الصِّبْيَانِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلَ . وَاحِدَتُهَا زُحْلُوفَةٌ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْعَالِيَةِ . وَتَمِيمٌ تَقُولُ زَحَالِيقُ ، وَالْكِرْسُ الْأَبْوَالُ وَالْأَبْعَارُ يَتَلَبَّدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَالدِّمْنُ مَا سَوَّدُوا مِنْ آثَارِ الْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ . وَالدِّمْنُ اسْمُ الْجِنْسِ مِثْلُ السِّدْرِ يُقَالُ سِدْرَةٌ وَسِدْرٌ . وَكَذَلِكَ دِمْنَةٌ وَدِمَنٌ لِلْجَمِيعِ وَدِمْنٌ أَيْضًا . وَالدِّمْنُ الْبَعْرُ نَفْسُهُ ، وَالْوَأْلَةُ عَلَى مِثَالِ تَمْرَةٍ أَبْعَارُ الْغَنَمِ (109) وَالْإِبِلِ وَأَبْعَارُهَا جَمِيعًا . يُقَالُ فِيهَا : قَدْ أَوْأَلَ الْمَكَانُ فَهُوَ مُوأِلٌ

وَطَوَارُ الدَّارِ مَا كَانَ مُمْتَدًّا مِنْهَا وَفِيهِ قَوْلُهُمْ : عَدَا طَوْرَهُ . وَلَا أَطُورُ بِهِ أَيْ لَا أَقْرَبُهُ ، وَالطَّلَلُ مَا شَخَصَ مِنْ آثَارِ الدَّارِ ، وَالرَّسْمُ مَا كَانَ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ ، وَالْبَاءَةُ وَالْمَعَانُ وَالْمَغْنَى وَالْمَنْزِلُ ، وَالْمَحَلُّ الَّذِي يَحُلُّ بِهِ النَّاسُ ، وَهُوَ الْأَرَبُ (٢ ، وَالْمَظِنَّةُ الْمَنْزِلُ الْمَعْلَمُ ، وَالْمَشَارِبُ الْغُرَفُ . وَاحِدَتُهَا مَشْرَبَةٌ ، وَالْأَسَ بَقِيَّةُ الرَّمَادِ بَيْنَ الْأَثَافِي ، وَالضَّبْحُ (٣ الرَّمَادُ ، وَالْخِيَمُ عِيدَانٌ تُبْنَى عَلَى الْخِيَمِ ، وَالْآلُ الشَّخْصُ ، وَالْعَنَّةُ حَظِيرَةٌ مِنْ خَشَبٍ تُجْعَلُ لِلْإِبِلِ ، وَالْكَنِيفُ نَحْوُ ذَلِكَ ، وَبَيْضَةُ

١) وفي الاصل « حوبة » وهو تصحيف
٢) قد صُحِّفَ في الاصل بالمَرْق (المخصص ٥ : ١٩١)
٣) كذا في الاصل . وفي مخصص ابن سيدة (١١ : ٣٩) : الذُّبْحُ

الشكل الاول . تمثال الراعي الصالح الذي وجد في الدياميس

ٱلدَّارِ وَسَطُهَا وَبَيْضَةُ ٱلْقَوْمِ وَسَطُهُمْ ، وَٱلْمَبَاءَةُ وَٱلشَّأْوُ (١ ٱلْوَطَنُ ، وَٱلْإِيَادُ ٱلتُّرَابُ يُجْعَلُ حَوْلَ ٱلْحَوْضِ وَٱلْخِبَاءِ

(ٱلْقُدُورُ) وَمِنْ آلَةِ ٱلْمَنَازِلِ ٱلْقُدُورُ . فَمِنْهَا ٱلْوَثِيئَةُ مِثَالُ فَعِيلَةٍ وَهِيَ ٱلْقِدْرُ ٱلْوَاسِعَةُ ، وَمِنْهَا قِدْرٌ جَمَاعٌ وَجَامِعَةٌ وَهِيَ ٱلْعَظِيمَةُ ، وَقِدْرٌ دَسِيمٌ مَطْلِيَّةٌ بِدِمَامٍ ، وَقِدْرٌ أَعْشَارٌ مُتَكَسِّرَةٌ ، وَقِدْرٌ زُوَازِيَةٌ تَضُمُّ ٱلْجَزُورَ ، وَٱلصِّيدَانُ رِمَامُ ٱلْحِجَارَةِ . قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

وَسُودٌ مِنَ ٱلصِّيدَانِ فِيهَا مَذَانِبُ

(يَعْنِي ٱلْمَغَارِفَ) ؛ وَٱلصَّادُ قُدُورُ ٱلصُّفْرِ وَٱلنُّحَاسِ ، وَٱلصَّيْدَاءُ حَجَرٌ أَبْيَضُ تُعْمَلُ مِنْهُ ٱلْبِرَامُ . وَأَكْبَرُ ٱلْبِرَامِ ٱلْجِمَاعُ ، ثُمَّ ٱلَّتِي تَلِيهَا ٱلْمِسْكَلَةُ وَهِيَ ٱلَّتِي يَسْتَخِفُّ ٱلْحَيُّ أَنْ يَطْبُخُوا فِيهَا ٱللَّحْمَ ، وَٱلْمِسْخَنَةُ ٱلَّتِي كَأَنَّهَا تَوْرٌ (٢ ، وَٱلْجِاوَةُ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي تُوضَعُ عَلَيْهِ ٱلْقِدْرُ إِنْ كَانَ جِلْدًا أَوْ خَصَفَةً أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ . وَهِيَ ٱلْجِيَاءُ وَٱلْجِوَاءُ أَيْضًا ، وَٱلْجِمَالُ ٱلْخِرْقَةُ ٱلَّتِي تُنَزَّلُ بِهَا ٱلْقِدْرُ يُقَالُ مِنْهُ : أَجْمَلْتُ ٱلْقِدْرَ إِجْمَالًا إِذَا أَنْزَلْتَهَا (110) بِٱلْجِمَالِ (وَكَذٰلِكَ مِنَ ٱلْجُمْلِ فِي ٱلْعَطِيَّةِ أَجْمَلْتُ لَهُ بِٱلْأَلِفِ وَهِيَ ٱلْجِمَالَةُ مِنَ ٱلشَّيْءِ تَجْعَلُهُ لِلْإِنْسَانِ) ، وَٱلشَّكِيمُ مِنَ ٱلْقِدْرِ عُرَاهَا ، وَٱلسُّخَامُ سَوَادُ ٱلْقِدْرِ . وَمِنْهُ : سَخَّمْتُ وَجْهَهُ (وَأَمَّا ٱلثَّمْرُ ٱلسُّخَامُ فَهُوَ ٱللَّيِّنُ ٱلْحَسَنُ وَلَيْسَ هُوَ مِنَ ٱلسَّوَادِ . وَيُقَالُ لِلْخَمْرِ سُخَامٌ إِذَا كَانَتْ لَيِّنَةً سَلِسَةً) ، ٱلْمِذْبُ ٱلْمِغْرَفَةُ وَهِيَ ٱلْمِقْدَحُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُقْدَحُ بِهِ . وَٱلْقَدْحُ ٱلْغَرْفُ

---

١) وفي الاصل : الشأو وهو تصحيف

٢) التَّوْر إناء صغير يُشرب فيه . وقد صُحّفت لفظة المسخنة في الاصل بالمسحنة

وَمِنْ أَفْعَالِ ٱلْقِدْرِ أَرَتِ ٱلْقِدْرُ تَأْرِي أَرْيًا إِذَا ٱحْتَرَقَتْ وَلَصِقَ بِهَا ٱلشَّيْءُ ، وَمِثْلُهُ شَاطَتِ ٱلْقِدْرُ تَشِيطُ وَأَشَطْتُهُ أَنَا إِشَاطَةً ، وَقَرَرْتُ ٱلْقِدْرَ أَقُرُّهَا إِذَا فَرَّغْتَ مَا فِيهَا مِنَ ٱلطَّبِيخِ ثُمَّ صَبَبْتَ فِيهَا مَاءً بَارِدًا كَيْ لَا تَحْتَرِقَ . وَٱسْمُ ذٰلِكَ ٱلْمَاءِ ٱلْقُرَارَةُ وَٱلْقُرَرَةُ عَنِ ٱلْكِسَائِيِّ . وَرَوَى ٱلْفَرَّاءُ عَنْهُ (١ : هِيَ ٱلْقُرَرَةُ ، كَتَّتِ ٱلْقِدْرُ تَكِتُّ كَتِيتًا إِذَا غَلَتْ وَكَذٰلِكَ ٱلْجَرَّةُ وَغَيْرُهَا ، فَإِذَا حَانَ أَنْ تُدْرِكَ قِيلَ : ضَرَعَتْ تَضْرِيعًا ، وَٱلْحُمَمُ ٱلْفَحْمُ ، وَٱلْعُقْبَةُ ٱلشَّيْءُ مِنَ ٱلْمَرَقِ يَرُدُّهُ مُسْتَعِيرُ ٱلْقِدْرِ إِلَى صَاحِبِهَا ، وَهُوَ ٱلْعَافِي وَٱلْعِفَاوَةُ (٢ ، وَٱئْتَزَّتِ ٱلْقِدْرُ ٱئْتِزَازًا فَهِيَ مُؤْتَزَّةٌ إِذَا ٱشْتَدَّ غَلَيَانُهَا ، وَٱلْقَدِيرُ ٱلطَّبِيخُ

وَمِنَ ٱلْآنِيَةِ ٱلْغُمَرُ وَهُوَ ٱلْقَدَحُ ٱلصَّغِيرُ ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ، ثُمَّ ٱللَّحْنُ أَكْبَرُ مِنْهُ ، ثُمَّ ٱلتَّبْنُ أَكْبَرُهَا ، وَٱلْمِصْحَاةُ إِنَاءٌ مِثْلُ ٱلْقَدَحِ ، وَٱلْقَصْعَةُ ٱلْجَفْنَةُ . وَٱلرِّفْدُ ٱلْقَدَحُ ، وَٱلْمَنْجُوبُ ٱلْوَاسِعُ ٱلْجَوْفِ ، وَإِنَاءٌ طَفَّانُ (٣ وَهُوَ ٱلَّذِي بَلَغَ ٱلْكَيْلُ طَفَافَهُ (111) ، وَجَمَّانُ بَلَغَ نِصْفَهُ ، وَشَطْرَانُ بَلَغَ شَطْرَهُ وَهُوَ ٱلنِّصْفُ ، وَقَرْيَانُ إِذَا قَرُبَ أَنْ يَمْتَلِئَ أَوْ قَرُبَ مِنْهُ ، وَقَمْرَانُ فِي قَعْرِهِ شَيْءٌ ، وَنَهْدَانُ (وَٱلْمُؤَنَّثُ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ فَعْلَى) . وَقَدْ أَجْمَمْتُ ٱلْإِنَاءَ وَأَطْفَفْتُهُ وَأَنْهَدْتُهُ وَأَقْرَبْتُهُ فَهُوَ جَمَّانٌ وَطَفَافَةٌ وَجَمَّةٌ وَطَفَفَةٌ وَقَرَابَةٌ ، وَٱلتَّامُورَةُ ٱلْإِبْرِيقُ ، وَٱلتَّبْنُ أَعْظَمُ ٱلْأَقْدَاحِ يَكَادُ يَرْوِي عِشْرِينَ ، وَٱلصَّحْنُ مُقَارِبٌ ، ثُمَّ ٱلْعُسُّ

---

١) مسخ الناسخ هذه العبارة فكتب : وروى القراءة

٢) وكل هذه الالفاظ مصحفة في الاصل فكتب العقبة والماقي والعفاوة

٣) وفي نسختنا كفّان وهو تصحيف

يَرْوِي الثَّلٰثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ ، ثُمَّ الْقَدَحُ يَرْوِي الرَّجُلَيْنِ وَلَيْسَ لِذٰلِكَ وَقْتٌ ، ثُمَّ الْقَعْبُ يَرْوِي الرَّجُلَ ، ثُمَّ الْغُمَرُ ، وَالنَّاجُودُ كُلُّ إِنَاءٍ يُحْمَلُ فِيهِ الشَّرَابُ فِي جَفْنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالرَّاووقُ الْمِصْفَاةُ ، وَأَعْظَمُ الْقِصَاعِ الْجَفْنَةُ ، ثُمَّ الْقَصْعَةُ تَلِيهَا تَسَعُ الْخَمْسَةَ وَنَحْوَهُمْ ، وَالْمُكَلَّلَةُ تَسَعُ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلٰثَةَ ، ثُمَّ الصَّحِيفَةُ تَسَعُ الرَّجُلَ

ثُمَّ الْمِيزَانُ فِيهِ السَّمْدَانَاتُ وَهِيَ الْعُقَدُ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الْمِيزَانِ ، وَالْكِطَامَةُ وَالْحَلْقَةُ الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا الْخُيُوطُ فِي طَرَفِ الْمِنْجَمِ ، وَيُقَالُ لِمَا يَكْتَنِفُ اللِّسَانَ الْفِيَارَانِ الْوَاحِدُ فِيَارٌ ، وَالْعَذَبَةُ الْخَيْطُ الَّذِي يُرْفَعُ بِهِ الْمِيزَانُ ، وَالْمِنْجَمُ الْحَدِيدَةُ الْمُعْتَرِضَةُ الطَّوِيلَةُ

(أَدَوَاتُ مَا يَعْمَلُ فِي الْحُفْرِ) الْحَدَاةُ الْفَأْسُ ذَاتُ رَأْسَيْنِ وَجَمْعُهَا حَدًا (مَقْصُورٌ) قَالَ « كَالْحَدَا الْوَقِيعِ » أَيِ الْمُحَدَّدِ ، فَإِذَا كَانَ لَهَا رَأْسٌ وَاحِدٌ فَهِيَ فَأْسٌ ، وَهُوَ الْكَرْزَنُ أَيْضًا (وَيُكْسَرُ أَيْضًا الْكِرْزِنُ) وَيُقَالُ الْكِرْزِينُ فَأْسٌ لَيْسَ لَهَا حَدٌّ نَحْوُ الْمِطْرَقَةِ ، وَهُوَ الْكِرْتِيمُ أَيْضًا ، الصَّاقُورُ الْفَأْسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي لَهَا رَأْسٌ وَاحِدٌ دَقِيقٌ يُكْسَرُ بِهِ (112) الْحِجَارَةُ ، الْمِعْوَلُ الْحَدِيدَةُ تُجْعَلُ فِي السَّوْطِ فَيَكُونُ لَهَا غِلَافًا ، الْمِقْلَدُ الْمِنْجَلُ ، وَالْعَلَاةُ السَّنْدَانُ ، وَالْعَتَلَةُ الْيَرَمُ

يُقَالُ مِنْ كَنَسَ الْبَيْتَ : سَفَرْتُ الْبَيْتَ أَسْفُرُهُ سَفْرًا ، وَحُفْتُهُ أَحُوفُهُ حَوْفًا كَنَسْتُهُ . وَالْمِحْوَفَةُ وَالْمِسْفَرَةُ الْمِكْنَسَةُ ، وَإِذَا دَقَقْتَ الْحَبَّ قُلْتَ : أَجْشَشْتُ الْحَبَّ إِجْشَاشًا أَيْ دَقَقْتُهُ . وَالْمِنْجَنَةُ الْمِدَقَّةُ وَجَمْعُهَا مَوَاجِنُ . أَنْشَدَ الْمُفَضَّلُ لِعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ السَّعْدِيِّ (جَاهِلِيٌّ):

رِقَابٌ كَالْمَوَاجِنِ خَاشِعَاتٌ وَأَسْتَاهٌ عَلَى الْأَكْوَارِ كُومُ

(أَيْ كَثِيرَاتُ ٱللَّحْمِ يُقَالُ خَظَا لَحْمُهُ وَبَظَا أَيِ ٱشْتَدَّ)، بَيْزَرُ ٱلْقَصَّارِ ٱلَّذِي يَدُقُّ بِهِ

وَمِنْ أَدَوَاتِ ٱلنَّسَّاجِ ٱلْمِنْوَالُ وَهُوَ ٱلْخَشَبَةُ ٱلَّتِي يَلُفُّ ٱلْحَائِكُ عَلَيْهَا ٱلثَّوْبَ وَهُوَ ٱلنَّوْلُ وَجَمْعُهُ أَنْوَالٌ، وَيُقَالُ لَهَا ٱلْحَفَّةُ، وَٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ ٱلْحَفُّ هُوَ ٱلْمِنْسَجُ وَلَا يُقَالُ ٱلْحَفُّ فِي شَيْءٍ مِنْ هٰذَا، وَٱلْمِخَطُّ ٱلْعُودُ ٱلَّذِي يَخُطُّ ٱلْحَائِكُ بِهِ ٱلثَّوْبَ، ٱلْوَشِيعَةُ ٱلْقَصَبَةُ ٱلَّتِي يَجْعَلُ ٱلنَّسَّاجُ فِيهَا لُحْمَةَ ٱلثَّوْبِ لِلنَّسْجِ

ٱلسِّكِّينُ ٱلْكَبِيرُ يُسَمَّى ٱلصُّلْتَ وَجَمْعُهُ أَصْلَاتٌ، وَٱلرَّمِيضُ ٱلسِّكِّينُ ٱلْحَدِيدُ وَهِيَ ٱلشَّدِيدَةُ ٱلْحَدِّ، وَٱلْجُزَأَةُ نِصَابُ ٱلسِّكِّينِ وَٱلْمِشْرَةُ. وَقَدْ أَجْزَأْتُهَا إِجْزَاءً وَأَنْصَبْتُهَا إِنْصَابًا جَعَلْتُ لَهَا نِصَابًا وَجُزْأَةً وَهُمَا عَجُزُ ٱلسِّكِّينِ، وَأَقْرَبْتُهَا جَعَلْتُ لَهَا قِرَابًا، وَأَغْلَفْتُهَا جَعَلْتُ لَهَا غِلَافًا، وَأَشْعَرْتُهَا جَعَلْتُ لَهَا شَعِيرَةً وَأَقْبَضْتُهَا جَعَلْتُ لَهَا (113) مَقْبِضًا، جَلَزْتُ ٱلسِّكِّينَ وَٱلسَّوْطَ إِذَا حَزَمْتَ مَقْبِضَهُ بِإِهَابِ ٱلْبَعِيرِ. وَٱسْمُ ذٰلِكَ ٱلشَّيْءِ ٱلْجِلَازُ. فَإِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ بِٱلسَّيْفِ قُلْتَ عَلَبْتُهُ أَعْلُبُهُ عَلْبًا، وَٱلسِّيلَانُ فِي ٱلسَّيْفِ وَٱلسِّكِّينِ حَدِيدَتُهُ ٱلَّتِي تَدْخُلُ فِي ٱلنِّصَابِ

وَفِي إِحْدَادِ ٱلْحَدِيدَةِ تَقُولُ: وَقَمْتُ ٱلْحَدِيدَةَ بِٱلْمِقْمَعَةِ أَقِمُهَا وَقْمًا إِذَا حَدَدْتَهَا بَيْنَ حَجَرَيْنِ وَمِثْلُهُ رَمَضْتُهَا، طَرَرْتُهَا أَطُرُّهَا طُرُورًا، وَذَرَبْتُهَا ذَرْبًا فَهِيَ مَذْرُوبَةٌ أَحْدَدْتُهَا، وَٱلْمُدَلَّكُ ٱلْمُحَدَّدُ طَرَفُهُ، وَٱلْمُذَلَّقُ مِثْلُهُ، وَٱلْمُؤَلَّفُ نَحْوُهُ، وَٱلْمُرْهَفُ ٱلْمُرَقَّقُ، وَٱلْمَسْنُونُ ٱلْمُحَدَّدُ وَقَدْ سَنَنْتُهُ، وَٱلْقَرْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَدُّهُ. وَٱلْمِسَنُّ ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي يُسَنُّ عَلَيْهِ وَهُوَ ٱلسِّنَانُ أَيْضًا قَالَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ:

كَحدِّ السِّنانِ القُلَّبِيِّ ٱلْمَحِيضِ

. . وَٱلْخَضَمُ ٱلْمِسَنُ قال :

تَأْتِي خِضَمٌ يُسَقَّى الماءَ عَجَّاجِ

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

المستشرقون الاوربيّون في هذا الطور

(الفرنسويين) بقي السبق في درس اللغات الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليه في سياق تاريخنا للآداب العربيّة . وكان تلامذة العلّامة دي ساسي يمشون على آثار معلمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيّة ويستخرجون من اغوارها اللآلئ الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يوماً بعد آخر ثمناً وفخراً وها نحن نذكر بعض الذين وقفنا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرّقة لم تُجمَع في سفر خاص

فمنهم فلجانس فرينل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٩٥ وانقطع في شبابه الى درس اللغات الشرقيّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدّة وتعيّن هناك بصفة قنصل لدولته . وفي سنة ١٨٥٢ توجّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكّلت بعثة علميّة وكلت فرنسة نظارتها الى فرينل لما عهدت فيهِ من الاهليّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمّتهِ بنشاط مدّة ثلاث سنوات وكانت وفاتهُ في حاضرة العراق سنة ١٨٥٥ وقد خلّف فرينل عدّة آثار تدلُّ على سعة معارفهِ منها ترجمة لاميّة العرب للشنفري ومنها رسائل ولسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهليّة ولهُ ايضاً مقالات أُخرى مفيدة في الكتابات الحميريّة التي وُجدت في جهات اليمن

واشهر منهُ رجلٌ همام وعالم عامل جارى في فضلهِ امام عصره العلامة دي ساسي نُريد بهِ اتيان كاترمار (Et. Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيها الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً . وُلد اتيان في باريس

في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرّج منذ حداثة سنّهِ في العلوم الشرقيّة على دي ساسي الموما اليهِ . واستحقّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظّار المكتبة العمومية ومخطوطاتها الثمينة ثمّ تولّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنّهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيّة والسريانيّة والكلدانيّة والفارسيّة في مدارسها الخاصة فاحرز لهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتّى أضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كلّ العلوم الشرقيّة الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧ . ومن يطّلع على تآليف هذا الرجل المقدام يقضي منهُ العجب لأنّهُ خلّف بعدهُ نيّفاً ومئة كتاب في كلّ ابواب الفنون الشرقيّة وكلّ اللغات الساميّة وغيرها وقد اودع كلّ هذه المصنّفات كنوزاً من المعارف يتحير لها عقل المطالعين . امّا تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منها ترجمتهُ لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية . ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخية وجغرافية مصريّة وتآليف عن النبطيين ومآثرهم . ومن مطبوعاتهِ العربية نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام ومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات متّسعة في جغرافيي العرب وفي مؤرخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلّد ضخم آية في حسن الطبع . وقد ألّف كتباً عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين وجعل القول لم يدع فنّاً الّا صنّف فيهِ كتباً تُعدّ الى يومنا معادن ثمينة غنيّة بمضامينها العلميّة .

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجيره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربيّة والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح المطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور . وتوفّي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعاً في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علّق عليها الحواشي وترجمها . وقد صنّف كتاباً في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نوال دي ڤرجه (Noel des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ

افرنسي في عرب الجاهلية اختصره عن تاريخ معلّمهِ دي بوسفال واضاف اليهِ مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول. وهو من التآليف المفيدة وكان ضليعاً بالمعارف الشرقية يلتجئ اليهِ العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي ثرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. T. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ أيار سنة ١٨٦٧ كان ايضاً من تلامذة دي ساسي وانكبَّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاتهِ وكان احد حفظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيّبة ما شاء. وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولّى تدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحيَّة ثمَّ رُئس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ. وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفهِ لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديَّات الاسلامية. واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويَّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرين عربيين الى الصين تدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزيَّنهُ بالمقدِّمات الاثيرة والحواشي. ولهُ ما خلا ذلك عدَّة مقالات لغويَّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبئ بفضلهِ الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفّي مستشرق ثالث فرنسوي وسويّ الدين وهو سليمان مُنك (S. Munk) وُلد في بلاد بروسيا سنة ١٨٠٣ وتخرَّج بالآداب العبرانية على بعض الربَّانيين في بلدهِ ثمَّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلَّم العربيَّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوَّل مدَّة في القطر المصري مع الوزير كريمو. ثمَّ تفرَّغ للكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليهِ العبرانية. وقد أُصيب في آخر عمرهِ ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة. ولهُ عدَّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخص منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتابات شتَّى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنَّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويَّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضاً في

فلسفة الهنود والعرب . وقد نقل الى الفرنسويّة مقامات الحريري . ومن مصنّفاته ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برنيه (L. J. Bresnier) وُلد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنه فخلفهم في نشاطهم وعلمهم . وقد علّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة اكسبتهُ شكر تلامذته . ومن ثمار اجتهاده عدّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفه شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض وله ابحاث في اللغة العاميّة ومجاميع عربيّة مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمه . ومن آثاره ترجمتهُ للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربية معلّم آخر وهو المعلّم كُنبارل (E. Combarel) نشر ايضاً عدّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربية في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاته

وكذلك عُرف بين المستشرقين العلامة بيرستين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذي ولد في بولونيا واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصّها معجمهُ للغتين العربية والفرنسويّة الذي جُدّد طبعهُ في مصر بعد طبعته الباريزيّة في مجلّدين ضخمين . وقد نقل المصحف الى الفرنسويّة وترجمتهُ معروفة بدقّتها وسلاستها . مات نحو السنة ١٨٧٠

وممن لم نهتدِ الى سنة وفاته من المستشرقين الفرنسويين واشتهر بآثاره العربية المسيو بارُون (A. Perron) نشر تآليف جمّة ونقلها الى الفرنسويّة ففي سنة ١٨٣٢ أَلّف كتاباً في اصول اللغة العربيّة وطبعهُ على الحجر ثمّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمّس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغته ونقل ايضاً كتاب سيف التيجان ورحلة محمّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري لابي بكر ابن بدر في مجلّدين وكتاب ميزان الخضريّة للشعرانيّ في الفقه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة

مجلّدات انتهى من طبعهِ سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلّق عليهِ تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كليمان مولّه (J. J. Clément - Mullet) الذي ادّى للمستشرقين خدماً مشكورة بابحاثهِ عن الزراعة عند العرب ومن آثاره الباقية ترجمتهُ الفرنسويّة لكتاب الفلاحة للشيخ ابي زكريّا يحيى الاشبيلي المعروف بابن العوّام . وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو مولّه في مجلّدين وعلّق عليهِ التعليقات الخطيرة . ولهُ ايضاً في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالات متّسعة في المواليد الطبيعيّة عند العرب واصطلاحاتهم . توفي المسيو مولّه سنة ١٨٧٠

(الالمانيّون) تقدّمت الدروس العربيّة في المانية في هذه المدّة بهمّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيهِ جرج وليلم فريتاغ ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في تشرين الثاني من السنة ١٨٦١ وكان مثالاً للعزم والثبات فكلف بالآداب العربيّة ودرس اللغات الشرقية في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليهِ تعليمها في كلية بونة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كفاية مجهودهِ في نشر المآثر العربيّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلّدات ضخمة اتمّهُ بسبع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها راحة ثمّ اختصر ذلك المعجم . وقد نشر لاوّل مرّة كتاب حماسة ابي تمّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينية . ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حلب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه . وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينية وحشّاها بالحواشي المفيدة . ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كلّ ما كتبهُ العرب عن الامثال . ولهُ كتاب واسع في فنّ العروض بالالمانيّة ومنتخبات شتى بالنثر والنظم وقد بقي اسمهُ الى يومنا هذا بين مواطنيهِ كمثال حيّ للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلّدوا لهم ذكراً طيباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في بروسيا سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريسفالد الشهيرة ثمّ تعشّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليله منها بالدرس

على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقَّن اللغة العربيــة ثمَّ درس التركية والفارسية والارمنية واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشر في بلده منها طرفاً استوقفت انظار اهل وطنه فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغــات الشرقية في غريسفالد وبقي في منصبهِ الى وفاتهِ منقطعاً الى نشر التآليف المهمَّة اخصُّها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينية ثمَّ قسم من شعر الهذيليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلَّداً من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينية وزيَّنهُ بالمقدَّمات والشروح ونشر ايضاً مجلَّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتهـا وطبع معلَّقة عمرو بن كلثوم وذيَّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربية والسنسكريتية والهيروغليفية

وليس دون السابقَيْن همَّةً ونشاطاً واتساعاً في التأليف وطنيُّهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسيك على مشاهير علمائها واخذ عن بعضهم مبادئ اللغات الشرقيَّــة ثمَّ سافر الى ڤينَّا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتهـا الشهيرة ثمَّ تجوَّل في عواصم اوربَّة الى ان احتــلَّ باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلِّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمَّ عاد الى بلادهِ فتولَّى التدريس في معاهدها العلمية مدَّة وصار لهُ نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ بتآليف عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلَّداً منها كتاب كشف الظنون للحاج خلفا في سبعة مجلَّدات ضخمة مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وفهارسهـا الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات ڤينَّا العربية في ثلاثة مجلَّدات ونشر عدَّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو بديع في بابهِ ولهُ تآليف أُخرى في فلاسفة العرب ونُحاتهم ونَقَلتهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم وهو من انفس ما كتبهُ القدماء . وصنَّف تاريخاً موسَّعاً للعرب في ثلاثة مجلَّدات فكل هذه المصنَّفات ممَّا يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعــد من اكبر المستشرقين واغزرهم فضلاً . كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برَّزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبريَّة الالماني فرانتس واپك (Fr. Woepcke) ولد في بلدة قريبــة من ليبسيك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتسبرج ثمَّ رحل الى برلين وتفرَّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلَّمهُ العربية وفتح لهُ باباً لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة

والجبر والهندسة والهيئة فخصّص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر ابن ابراهيم الخيّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام المنطقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيفًا وخمسين مقالة في كلّ الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة وفي المجلّات العلمية في برلين ورومية وباريس و بطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديمًا نقلهُ الى اللغات الاوربية وعلق عليهِ التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان. وكانت ادّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضية عند الهنود وقدماء اليونان وارباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٥ اذار من السنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضاً بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنّف كتاباً في نحو العربية ونشر بعض الآثار القديمة منها قصيدة لصفي الدين الحلّي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق . وكانت شهرتهُ في معرفة السريانية اكثر منها في العربية وقد علّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدّة مطبوعات . توفي في برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست فولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ نحو السنة ١٨٧٠ علّم اللغات الشرقية في كلية غيسن . وقد برّز فولرس خصوصاً في اللغة الفارسية فنشر معجماً فارسيًّا لاتينيًّا يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم وكان عالماً باللغة العربية نشر معلّقتي الحارث بن الحلزة وطرفة مع شروح الزوزني عليهما ونقلهما الى اللاتينية وصنّف ايضاً كتاباً في اصول لغة العرب

ومنهم ايضاً فرنس اوغست ارنلد (F.A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية ولهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليونان في القدس الى لغتهم فجدّدوا طبعها بهمّة استيفان اثناسيادس سنة ١٨٨٥ وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلّقة امرئ القيس

ونقلها الى اللاتينية وذيّلها بالشروح . ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضاً الدكتور جان غدفريد وتشتين (J. G. Wetzstein) أقام مدّة في دمشق بصفة قنصل دولتهِ وعُني بدرس اللغات الشرقيّة وجمع عدّة مخطوطات وصفها وصفاً حسناً وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلتهِ الى جهات حوران وبادية الشام ومن مطبوعاتهِ كتاب مقدّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضاً هنري جوزف فِتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقيّة على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولا سيما دي ساسي وكاترمار ثم درّس اللغات الشرقيّة في كلية فريبورج الكاثوليكية فاصاب لهُ فيها ذكراً طيباً وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اوّل من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيّة ولهُ آثار أُخرى في العلوم الكتابيّة . توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب ڤولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها . ولهُ كتاب دليل السيّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربيّة العاميّة . وقد نقل الى الالمانيّة كتاب كليلة ودمنة وطبع المعلّقات ونقلها ايضاً الى الالمانيّة وبيّن خفايا معانيها . ونشر شيئاً من ديوان ابي الفرج البغاء

ومنهم اخيراً تيودور هاربوكر (Th. Haarbüeker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانيّة كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمّد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٩ . ونشر في العربيّة تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الرّبي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينية

(النمسويّون) لم يبلغ النمسويّون في درس العلوم الشرقيّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلُّم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامر پورغشتال (J. d. Hammer-Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية فينّا لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنّهِ ان يتكلّم بالعربيّة والفارسيّة والتركيّة

ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليَّاتها فتجوَّل في الشام ومصر ودرس احوال البلاد ثم لم يزل يتقلَّب في كلّ المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة . فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيَّة فألَّف عدداً لا يُحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيَّة وتنأَّب عليهِ التأليف في تاريخ الشرق وآدابهِ نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدول العثمانيَّة في ١٨ مجلداً . تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلَّدات ضخمة من عهد الجاهليَّة الى آخر الدولة العباسية ضمَّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب « أيها الولد » للغزَّالي وقلائد الذهب للزمخشري وثانية ابن الفارض ومقالات في موسيقى العرب ونشر قصصاً لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كلّ ديوان المتنبي . وكتب ايضاً تاريخ فارس ودولها وتاريخ الآداب التركيَّة . ونقل عدَّة مصنَّفات فارسيَّة الى لغتهِ وادار المجلَّات الشرقيَّة فاصبح في بلاده محوراً للاداب الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٥٦ . وكان البارون هامر شديد التمسُّك بالدين وكان يقيم صلاتهُ بالعربيَّة وألَّف كتاباً في ذلك . ومجمل القول انهُ يُعدُّ مع بعض مشاهير عصرهِ كمحيي الاداب الشرقيَّة بين الاوربيين

(الهولنديُّون) سبق لنا وصف همتهم في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً . ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صددهِ

اشهرهم تاودور جوينبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سلك خدمة الدين في بلادهِ وكان متضلعاً باللغة العربيَّة متقناً لتاريخ دول الشرق وآدابهم . فعلَّم اللغة العربيَّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٦١ . ومن آثارهِ انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانهِ في مدح سيف الدولة واضاف اليهِ ترجمةً لاتينية ولواحق مختلفة . ونشر ايضاً تاريخاً مخطوطاً للسامرة ونقلهُ الى اللاتينية مع ملحوظات عديدة في اخبار السَّمرة . وكذلك نشر كتاب مراصد الاطلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحمويّ . وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتش (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنهِ فنشروا مجموعاً

دعوه بالشرقيّات (Orientalia) ومن مآثره ايضاً مقالة في الترجمة العربية السامريّة المحفوظة في مخطوطات باريس . وكان لجوينبول ابن تقفّى خطوات والده فاشتهر ايضاً بعلومه الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعده نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ونقلهُ الى اللاتينية وقدَّم عليهِ المقدّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي

ومن معاصري جوينبول الاستاذ تاكو رورْدا (T. Roorda) احد افاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمّة والثبات . باشر سنة ١٨٢٥ منشوراتهِ الشرقية بدرس اخبار ابي العبّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمَّ ألّف كتاباً في قواعد العربيّة وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم . وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاتهِ الشرقية المارّ ذكرها . توفي رورْدا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضاً هندريك ڤايرس (H. F. Weijers) لهُ كتابات حسنة في شرقيات جوينبول المذكورة آنفاً ثمَّ اتّسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيهِ الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيّة بكنوزها الادبية . ولا نعرف سنة وفاة ڤايرس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسّرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالآداب العربيّة . اخصّهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن سنة ١٨٦٤ كان من خدَمة الدين البروتستاني وتخرَّج في كلّية اوكسفرد وكان جلُّ اهتمامهِ باللغة السريانيّة وآدابها . وقد خدم الآداب العربيّة ببعض المصنّفات الدينيّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالة في الكهنوت من كتاب مصباح المرشد ليحيى بن حزير (ويروى جرير) التكريتي . ومن آثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني نجز طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢ . وكان طبع قبل ذلك عهدة عقيدة اهل السنّة لحافظ الدين عبدالله بن احمد النسفيّ وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أُخرى تولّت طبعها في بريطانيا

شركة طبع التآليف الشرقية (Society for the Publication Oriental Textes) نفعت الدروس الشرقية نفعاً جزيلاً . ومما كانت نشرتهُ رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥ : ١٠٠٩) وبهمّة كورتون طُبع ايضاً القسم الاوّل من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمّهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

وممن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيّة بين الانكليز وليم ناسو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدّماً على جمعية بنغال الاسيويّة وورث عن خلفهِ ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربيـة فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكوتا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠٩ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلّقات ومختصر المعاني للتزريني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أخرى اوسعت شهرة تلك المطبعة الهنديّة . فلمّا قام بعدهُ ليس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي وكشاف الزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشّاف اصطلاحات الفنون لمحمّد علي الفاروقي التهانويّ ونخبة الفكر ونزهـة النظر لابن حجر العسقلاني وكان ليس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالمولوي كبير الدين والمولوي عبد الحقّ غلام قـادر وكان ايضـاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سبرنغر (A. Sprenger) الوارد ذكره بعد هذا

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعـهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيّة

(الروسيّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقية خامدةً في روسيّا في اواسط القرن التاسع عشر ثمّ اخذت الاكادمية الملكية تبعث الهمم وتنشّط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيّات العلمية لترويج تلك المقاصد وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيّا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwaldt) معجماً للقرآن وللمعلّقات

في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني ملوك الارض والانبياء. تأليف حمزة الاصفهاني ونقلهُ الى اللاتينية — وفي بطرسبرج نشر الاستاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمهُ الى الروسية ولهُ ايضاً بحث خطير في آثار الاداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلة بطرسبرج العلمية — واهتمَّ الاستاذ اسكندر كريستيانوفتش (Al. Christianowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيَّنها برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣ — وفي هذا الزمان ازهر احد العجم المتنصرين اسكندر قاسم بك الذي علَّم مدَّة اللغات الشرقية في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى. كان يعرف اللغات التتريَّة والفارسيَّة والعربيَّة وقد نشر في كلها تآليف عديدة ولهُ في العربية مختصر الوقفيَّات ورسائل دينية ومقالات لغويَّة وفصول تاريخية في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازنيّ وطبعهُ في المجلَّة الشرقيَّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في المواليد والفلزَّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزيَّة

وكذلك (الاسبانيُّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهم الى درس اللغات الشرقية ولا سيَّما العربية لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهم بعض الشهرة وطنيُّهم كايانكوس (Pasc. de Gayungos) الذي نشر في لندن وبجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلَّدين كبيرين ومنها وصف قصر الحمراء مع بيان آثاره وتفسير كتاباته الحجريَّة وكذلك نشر ترجمة كتاب كليلة ودمنة وتاريخ احمد بن محمد الرازي

اما (الايطاليُّون) فانَّ درس اللغات الشرقية كان عندهم منحصراً في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدَّة من الآثار العربية شيئاً يُذكر اللهمَّ الَّا الكردينال العظيم انجلو ماي (A. Mai) الذي دخل في الرهبانيَّة اليسوعية في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلَّدت لهُ ذكراً في العالم كلِّهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكَّت نصوصها السابقة (Palimpsestes). ولقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكردينالة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية. وقد نشر في

السريانية والعربية ايضاً بعض ما وجدهُ من الآثار النصرانية واثبتهـا في مجموع مطبوعاتهِ . توفي الكردينـال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بدارسهم ومنشوراتهم الآداب العربية . فمن اليسوعيين الاب اسكندر بوركنود (A. Bourquenoud) الذي سبق رينان الى درس آثار الشام ووصفها وصفاً مدققاً مهد الطريق لابحاث رينان الاثرية . توفي الاب بوركنود في تشرين من السنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم الاب فنيك والاب بولس ريكادونا ألفا في العربية ارشادات وكتباً دينية تقوية

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوَّل في انحاء الشام ونظَّم احوال الجمعية الاميركية ووسع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقدَّس وقد انجزهُ من بعده الدكتور ڤان ديك . توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست (H. de Forest) وادورد سالسبوري (Ed. Solisbury) ولكليهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافيـة وعادات ووصف اديان نشراها في المجلَّة الشرقية الاميركانيـة (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلَّات التي تقدَّمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورهـا الثالث من القرن التاسع عشر وبهِ ايضاً ختام القسم الاوَّل من تأليفنا هذا الذي سنجمعهُ ان شاء الله في كتاب مستقلّ ونلحقهُ بفهرس الأدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

من بوردو الى غواياكيل

لجناب الاديب اندراوس كوبا الملوليّ

رغب اليَّ بعض الاصحاب ان اصف لهم رحلتنـا من فرنسا الى بلاد الاكوادور (خط الاستواء) فلبَّيتُ دعوتهم وارسلت الى مجلة المشرق تفاصيل سفرنا ولـتُ

اقصد بها وصفاً علمياً وانما اكتفي بذكر ما حصل لنا منذ خروجنا من مرفأ بويّاك حتّى بلوغنا الى غواياكيل . وبويّاك تبعد عن مدينة بوردو نحو مائة كيلومتر ومنها ركبنا السفينة الى اميركة

وكانت باخرتنا من بواخر شركة الترانستلانتيك الشهيرة تُدعى لافرانس فاقلعت بنا في ٢٧ من شهر تشرين الثاني ثم سارت الى سانتندر في اسبانية فنقلت من مرفاها ٧٠٠ راكب الى كولون ليشتغلوا في حفر برزخ باناما وفي مساء ٢٨ ودّعنا سواحل اوربّة متوجهين الى جزر الانتيل

وكان اليومان الاولان من سفرنا براحة وسلامة الريحُ عليلة والسماء صافي الاديم لكن البحر لا تؤمن مسالمتهُ ولا يُوثق بصفائهِ ففي اليوم الثالث قامت امواجهُ اطوادًا وهبت الارواح وقرس البرد فاصبحت السفينة بمثابة كُرة تتلاعب بها المياه ولم تزل الانواء تحاربنا مدّة ستة أيام كاملة حتى تعطّلت بسببها بعض آلات المركب فهلعت بذلك القلوب واضطرّت السفينة الى الوقوف في ظهر المحيط ٢٢ ساعة لاصلاحها ثم واصلت السير نحو يومين وخفّ البرد وسكنت العاصفة وهدأ روع الركاب وحمدنا الخالق الرحمان الذي نجانا منها وزالت تلك الافكار التي كانت تخالج قلوب الركاب وتحملهم على الندم لسفرهم بهذه الاونة . ولما توسطنا بمنطقة الحرارة وخط الاستواء اخذنا نتاسف على فراقنا منطقة الاعتدال ونتمنّى نسيماً بارداً الى ان وصلنا الى جزيرة غرادلوب . فلما قربت منها الباخرة وشاهدناها اندهلنا متعجبين من حسنها الآخذ بالأبصار فلاحت لنا كانها كلها حديقة غناء

وفي اليوم التاسع من ك٢ دخلنا الى مرفا بنتابيتر مدينتها التجاريّة وهذه المدينة قائمة في منبسط من الارض يكتنفها من جهة الاشجار الباسقة والخضر المبهجة الرائقة ومن جهة اخرى المرفا الحسن الوسيع الامين فان العواصف مهما اشتدت لا تؤثر فيه شيئاً فترى عند مدخلهِ على اليمين واليسار جزرًا صغيرة قامت كمعقل منيع يرد هجمات العواصف عنهُ وعن المدينة

وهذه المدينة هي المركز التجاري للجزيرة يقصدها كل سكان الجزر المجاورة وترسو في مرفاها بواخر الدول الاجنبية الحاملة اليها البضائع وفيها من السكان نحو ٢٠,٠٠٠

وفي العاشر بعد الظهر قام المركب منها الى باس تير (la Basse-Terre) وهي المدينة الثانيــة بالكبر والاولى بالرتبة وفيها يقيم الحاكم الاكبر وهيئة الحكومة الاولية .

وهذه المدينة آخذة بالتقدم والعمران حتى انها اصبحت المركز الوحيد لهــذه الجزيرة فكانت من قبل المدينة العسكريّة وامــا الان فصارت التجاريّة والعسكريّة معاً . وفي سنة ١٨٧٢ وما بعدها فاز الزنوج بالانتخابات والتصويت وتقدّموا تقدماً يُذكر فخاف العنصر الابيض من وخيم العاقبــة فسعوا في اذلال الزنوج وبذلوا النفس والنفيس في معاكستهم ففازوا بامنيتهم ونالوا منهم وحطوا من سلطــة الزنوج لا بل انهم لاشوها تماماً

وفي الثاني عشر قامت بنا الباخرة الى جزيرة ترينيــداد فمررنا على سلسلة الجزر الاتية وهي : سانتا لوسيا وسان مرتين وغرينادا ويليهــا جزر اخرى صغيرة تنتهي الى ترينيداد كانها جزيرة واحدة قد فرقتها تقلبات الزمان وطوارق الحدثان ولا يوجد بين المرتينيك وسانتا لوسيا الّا نحو ٢٠ او ٢٥ ميلاً وهكذا بين سانتا لوسيا وسان مرتين الى ترينداد وهذه الجزر كلّها كانها بستان واحد كما سبق لنا القول . ثم وصلنــا الى ترينيداد عند ظهر الثالث عشر ورست سفينتنا عند احدى مدنها الصغار وكنّا نراها ممتدة عنــد سفح الجبل ثم تتصاعد شيئاً فشيئاً الى منعطفه

وجبلها هذا جبل بركاني كبريتي يقذف الدخان من فوهته مدة من الزمان واهل هذه المدينة لا يخافون غوائله لان فوهتهُ مفتوحة ومن يراها كانهُ يرى روضاً بديعاً لوفرة اشجاره الباسقة الملتفّة . وعند ما يقف الواقف امام المدينة تبتهج عيناه بذلك المشهد الحسن ويود لو اتيح لهُ ان يظل امامهُ لمشاهدة جماله الفتان . وعدد سكان هذه المدينة نحو ١٠,٠٠٠ نفس .

ونحو الساعة التاسعة مساء سارت بنا الباخرة الى المرتينيك وعند الســاعة السادسة ونصف صباحاً بعد مرورنا على جزيرة دومينيك خاصة الانكليز وجهنا الابصار الى راس ذلك الاقرع الذي اهلك اربعين الفاً من النفوس بهرهة وضربة واحدة وسارت اخباره بالبرق الى سائر امصار المعمورة (١ فكنا نرى عن بعد قليلاً من الغمام حوله يتصاعد من فوقه قليل من الدخان فلما صرنا قبالته حيّيناه وجلين متذهلين من ذلك المشهد الكئيب

١) راجع ما كتبناهُ من المقالات الشافية في وصفهِ وقتئذٍ في جريدة البشير

فان جهة الجبل المتجهة نحو البحر لا يرى بها عرق اخضر ولا ورقة شجر بل رماد كالح مكمد ثم وجّهنا ابصارنا الى تلك الحزينة المسكينة فريستهِ التعيسة مدينة سان بيار فاذا هي خربةٌ دمار مكسوة بالرماد كانها لابسة الحداد حزناً على ذلك الجمع العديد الذي بات تحت رمدها

وفي الساعة ٧٫٧ من الحادي عشر دخلنا مدينة فور دي فرانس فأُخبرت بها ان بركانها انفتحت لهُ في اعلاه ست وخمسون فوهة لخروج النار والدخان ويخشى ان يخنس برمتهِ

وسكان هذه المدينة نحو ٢٥٠٠٠ نفس واسواق تجارتها رائجة يقصدها اهل البلاد المجاورة كفنازويلا وكولومبية والجزائر القريبة وفيها مخازن كبيرة حافلة بالبضائع الانكليزيَّة . وجزيرة ترينيداد هي الجزيرة الرابعة بين جزائر انتيلية الكبرى

ثم مخرت السفينة في وجهة بلاد فنازويلا الواقعة شمالي اميركة الجنوبية فوصلنا في ١٤ منهُ الى كارروبانو مدينة صغيرة سكَّانها نحو ٨٠٠٠ وهي قائمة في منبسط من الارض على يمينها وشمالها رأسان داخلان في البحر وهي في وسطهما في لفح جبال تحيط بها . وكاروبانو مدينة تجاريَّة تزدحم في ميناها السفن ومرفأها في مأمن من الانواء لكن الوابورات الكبيرة ترسو بعيداً عن البرّ لقلة عمق الميناء المذكور

وفي اليوم التالي كان موعدنا الغويرا (la Guayra) وهي اعظم مرافئ بلاد فنازويلا واوسعها لا يفوقهُ في تلك الجهات الّا مرفأ فور دي فرانس . وقد بُني على جناح المدينة الايمن جسر على شكل رصيف يدخل في البحر طولهُ ٨٠٠ متر في عرض نحو اربعة امتار وعليهِ تمتدُّ سكَّة حديد لنقل الركاب والبضائع . وفيهِ مرابط للسُّفن مسقَّفة طول كلّ مربط خمسون متراً تقف عندهُ المراكب . وموقع المدينة فوق المرفا من عن يمينهِ . وعلى اليسار سهل واسع فيهِ غابة من شجر النارجيل اي الجوز الهندي واشجارهُ متكاثفة ماتفٌ بعضها ببعض . امَّا الجبال التي تطلُّ عليها فمنظرها مهيب تراها منتصبةً فوقها كحائط شاهق . والمدينة في ظلها وهي قائمة على تلّ في اعلاه قلعة منيعة وراءها قلعة ثانية اعلى منها محجوبة وراء اكمة مرتفعة وبيوت المدينة تترقَّى في اطراف الجبل يركب بعضها على عنق البعض وهي من اشد المدن منعةً واوسعها تجارةً . واكثر تجارتها البن تصدر منهُ ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو ثمَّ الكاكاو . امَّا اهلها فلا

يتجاوزون تسعة آلاف نفس ومنها تسير السكة الحديدية الى كاراكاس عاصمة فنازويلا

ثم اقلعت السفينة من لاغويرا فقطعت بلاد فنازويلا ووصلت في ١٧ منه تخوم كولومبية ونزلنا في مينا سافانيلا الذي وجدناه كمينا الاسكندرونة في استدارته وسعته والجبال تحيط به من كل جهاته . وكان الحر شديدًا لما بلغنا كولومبية فخيل لنا انا في لفحات صيف بلادنا ونحن في كانون . وسافانيلا مدينة صغيرة اهلها نحو ٣٠٠٠ فقط ولها كما في لاغويرا جسر حديدي يمتد من المدينة الى البحر طوله ٢٠٠ متر تقطعه السكة الحديدية ذهابًا وايابًا لنقل الركاب والسلع التجارية

وتجارة سافانيلا زاهرة ومنها تصدر الى البلاد قشرة الكانكينا التي منها يستخرجون الكينا . وكذلك البن والكاوتشوك وبعض المعادن الثمينة . وسافانيلا قريبة من مدينة أخرى ساحلية دعاها الاسبانيون قرطاجنة الهند اشتهرت قديمًا بنخاستها وبيع العبيد فيها . وهناك عاش رسولهم القديس بطرس كلافر اليسوعي الذي نصر منهم اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ وتفانى في خدمتهم نيفًا واربعين سنة

وفي مساء الثامن عشر القت سفينتنا مرساها في كولون (Colon) منتهى رحلتنا في البحر الاتلنتيكي . وربطت عند احد المرابط الثمانية المجهزة في المرفأ فللحال اتى السفينة بعض رجال الحكومة ومعهم طبيب البلدية فجمعوا الركاب وجعلوا يلقحون كل واحد منهم بطعم الجدري مع ان طبيب السفينة كان سبقهم الى ذلك فاجرى لنا تلك العملية قبل قدومنا الى جزيرة گواداوب فزدنا بذلك امنًا من فتكات الجدري

وفي غد ذلك اليوم نزلنا الى المدينة التي لها مرفأ طبيعي كمرفأ سافانيلا لكنه اكبر منه ودائرته نحو ٤٠ او ٥٠ كيلومترًا . امّا المدينة فعلى شاطئ البحر تشبه كل الشبه مدينة بورت سعيد يغلب عليها الابنية الخشبية ومنذ مدة قريبة قد سعى الاميركيون في تحسينها فنتحوا لها شوارع جميلة وابتنوا لها الابنية الحسنة من الحجر او الطوب وهو الآجر . واكثر حوانيتها في ايدي الصينيين . وحول المدينة مستنقعات تفسد هواءها والهمة مبذولة في ازالة فاذا نجز هذا العمل اصبحت المدينة عامرة وتوفرت في مرفإها السفن . وقد جلبوا اليها بالقنيّ مياهًا طيبة تنفع للصحة

وكان سفرنا من كولون بالسكة الحديدية الى باناما والمسافة بينهما ٧٥ كيلومترًا وباناما مدينة قائمة على الاوقيانوس الهادي ومرفأها اشبه بخليج لاتساعه وقد احرزت

لها شهرة عظيمة منذ اتجهت اليها الافكار لحفر الترعة التي ستجمع بين الاوقيانوسين الأتلنتيكي والباسيفيكي . وفيها يقيم حاكم البلاد وعدد سكانها نحو ١٥,٠٠٠ اما اذا حُفرت الترعة فستصبح من الحواضر المهمّة . وهي مدينة قابلة التحسين لكثرة جبالها المجاورة ووفرة الموادّ اللازمة للبناء . والبواخر التي تأتيها ترسو بمحل يُدعى بوكا لانهُ عند مصب نهر الكبير ريوغرنده وهو غربي المدينة على مسافة اربعة كيلومترات منها . والاشغال الآن قائمة فيها على ساق لابتناء رصيف عظيم ترسو عندهُ السفن الواردة ومن هناك مبدأ الترعة التي ينتظر فتحها بعد سبع او ثماني سنين

وعُدنا في باناما وركبنا السفينة لنخوض هذه المرة البحر المحيط المعروف بالهادي وهو حقيق بان يُدعى بهذا الاسم الشريف وقد كانت سفرتنا هذه من اشهى السفرات على بحر صقيل كالمرآة وبازائنا المشاهد الفتّانة وكان مركبنا يسير الهوينا متجهاً الى الجنوب فنبصر من عن شمالنا ذلك الطود الشاهق الذي يُسمّى بالكورديليار الممتدّ على طول سواحل اميركة الجنوبيّة في غربيها

وفي صباح ٢٧ كانون وصلنا الى خليج غواياكيل الذي فيه يصبُّ نهر الاكوادور العظيم المسمّى غواياس وهو في عظمهِ كانهُ النيل المبارك وبقي المركب سائراً طول يومنا الى نحو الساعة الرابعة مساء فبلغنا مصبّ النهر الذي يشبه كل الشبه مصبّ نهر امازون الكبير عند بارا فسارت السفينة بين الجزر المتعددة القائمة عند مصبّ النهر حتّى اوقفتنا عند ضيعة تُدعى بونا فربطت هناك . وفي صباح الثامن والعشرين جاءنا عمّال الحكومة واجروا الكشف الطبيّ ثمّ رخّصوا لنا بالسير في النهر فصعدنا سائرين فيهِ نحو اربع ساعات حتى وصلنا عند الظهر الى غواياكيل التي هي فرضة بلاد خطّ الاستواء وغاية رحلتنا الاميركيّة

تمتدُّ غواياكيل على ضفّة نهرها الغربيّة من عن يمين الداخل اليها وقسم منها قائم في منبسط من الارض والقسم الآخر على سلسلة آكام تبتدئ من النهر ثمّ تتواصل مرتفعة شيئاً فشيئاً حتّى تبلغ الجبال العالية . وغواياكيل اعظم مرافئ الاكوادور واهمّ مراكزها التجاريّة يبلغ سكّانها من خمسين الى ستين الفاً وهم موصوفون بدماثة اخلاقهم ولين طباعهم وتحمّسهم الدينيّ وتناهم وان كان التمدُّن الجديد غيّر شيئاً من عاداتهم القديمة

ومعظم ابنية غواياكيل خشبيّة حتّى كنائسهم . واذا ارادوا تشييد بناء اقاموا له اعمدة ثم يجعلون بين العمودين القصب الهندي كالواح خشب ويطلونهُ بالكلس من الخارج امّا الداخل فيصفحونهُ بصفائح الزنك وهو التوتيا خوفاً من الحريق ويلصقون عليهِ الورق الملوّن . وغواياكيل مدينة حسنة الهندسة لا ينقصها شيء من اسباب التمدُّن تزينها الشوارع الواسعة والاسواق الحافلة والمخازن العامرة . على انهُ تستقع في بعض جهاتها المياه فيحصل من جرّاء ذلك حميات وامراض لا سيما الحمّى الصفراويّة

وقد ظهر في هذه السنة بعض اصابات بالطاعون الدمّلي فارتاعت القلوب وهامت النفوس واخذت الحكومة كل الاحتياطات لمنع تفشّي الداء وتنظيف البلد الّا انّ العدوى انتشرت رغماً عن كلّ الوسائط المتخذة لحصرها حتى غصّت بعد قليل المستشفيات بالمصابين وسرى الداء الى القرى المجاورة . وقد جرّبوا التلقيح بالمصل فقلّما نجح في من عُولجوا بهِ

وممّا سرّنا ان الاهلين اذ شاهدوا الموت بالعيان التجأوا الى الصلاة وممارسة الاسرار وتجدد في القلوب روح العبادة وطاف الكهنة بالقربان المقدّس في الشوارع . وحرّضوا الجميع على التوبة عسى توبتهم تفتح لهم باب الفرج . والحق يقال انهُ لم يبقَ لنا امل الّا فيهِ تعالى ليخلصنا من هذه الآفة ويجعل آخرتنا على سلامة

ومن الاسباب التي تُعزى اليها العدوى انهم وجدوا في المدينة عدداً من الجرذان الميتة ومن المعلوم انّ الطاعون ينشو خصوصاً بواسطتها (اطلب مقالة المشرق في الطاعون ودواعيهِ للاب بولموا اليسوعي ٢ : ٥٣٢)

وتلافياً لشرّها امرت البلديّة في ١٩ من آذار ان تُلقى النار في سوق عتيقة كانت في وسط المدينة مبنيّة بالخشب فيها اربعة صفوف من الدكاكين و٣٠٠ دكّان تُباع فيها الحبوب . وكانت تلك السوق عشّاً للجرذان والفار فأُحرقت برمتها فكان حرقها مشهداً عظيماً ومهرجاناً لاهل البلد

امّا السوريّون في غواياكيل فامورهم حسنة وكلّهم من التجّار المعتبرين لهم فيها ١٨ مخزناً عامراً واعظمها شاناً محل الخواجات فرح اخوان من بيروت

ومن الاجانب المحتلين في غواياكيل الصينيون فانّ اكثر مخازن المدينة ولا سيّما

حوانيت المأكولات والمشروبات في ايديهم وتجد الناس يزدحمون في محلاتهم ويُضرب المثل في هوادة اسعارهم واقتناعهم بالربح القليل

وبلاد الاكوادور تكثر فيها الزلازل وفيها البراكين التي لا تزال تُلقي الحمم وتقذف بالنار والدخان . وربَّما سُمع صوت زمجرتها من الامكنة البعيدة وفي ٢٧ كانون الثاني عند الظهر شعرنا بهزَّات زلزالية خفيفة وكذلك في ١٠ من شهر شباط تكرَّرت تلك الاهتزازات التي احسَّ بها ايضاً اهل كويتو وكويتو عاصمة الاكوادور واهلها نحو مئة الف نفس وفيها مركز الحكومة وهناك اشتهر الرئيس غرسيا مورينو الذي رقَّى بلادهُ في معارج التقدُّم ومات ضحيَّة تفانيه في خدمة وطنهِ وذَوْدِهِ عن حمى الآداب

هذه خلاصة ما حصل لنا في رحلتنا فان شاء الله يجد فيها القرَّاء ما يتكهون بهِ البابهم ويحدو بهم الى ان يذكرونا بالخير

مطبوعات شرقية جديدة

C. M. Kaufman. MANUALE DI ARCHEOLOGIA CRISTIANA .... versione dal Tedesco del Sac. Dott. E. Roccabruna. 250 illustrations. in-8°, *Rome*, *F. Pustet*, 1908.

اصول الدروس الاثريَّة النصرانية

انَّ وفرة الآثار النصرانيَّة التي اكتشفها العلماء في القرن الاخير فتحت باباً جديداً لتعليم اللاهوت اذ يمكن الآن اللاهوتيين ان يثبتوا العقائد الدينيَّة ليس فقط بالنصوص النقليَّة وآيات الكتاب واقوال الآباء والمجامع والبيِّنات العقليَّة لكن بالادلَّة الاثريَّة ايضاً . ولهذا السبب سعى الكاثوليك بوضع التآليف التي تدوِّن اصول هذا العلم الجديد وتوضح وجوههُ المتعدِّدة وتبين ما للآثار القديمة من الخواصّ والمزايا لتوطيد قواعد الدين . وبين هذه التآليف قد امتاز كتابٌ وضعهُ بالالمانيَّة المعلِّم كوفمان لطلبة الكهنوت فشاع في مدارس المانية . وها نحن نقدِّم للشرقيين ترجمتهُ الايطاليَّة التي تقرِّبهُ الى فهم كثيرين منهم . وهي ترجمة غاية في الضبط وقد أُضيفت اليها الاكتشافات الحديثة . ومن الابحاث التي سوف يتلقاها اهل الشرق بالرغبة والشوق « أصل العاديات

النصرانية ، مصدرها روماني كما يزعم البعض او هو بالحري شرقي سبق اليه اهل مصر وآسيا الصغرى ولا سيما اهل الشام . فالمؤلف يُنعم النظر في هذا البحث و يبين ما لكل فريق من الفضل . ومما تثني عليه في هذه الطبعة حسن تصاويرها وجدول التآليف التي كُتبت في هذه الماديات وان وجدنا خللاً في تعريف المطبوعات الخاصة ببلاد الشام . وكذلك أحسن المؤلف في توسيع الفهارس وتعليق بعض الملحقات المفيدة كسلسلة الاحبار الرومانيين وانساب الملوك والرموز الكتابية وقد لحظنا في الكتاب بعض الاغلاط التي فرطت من الكاتب كقوله مثلاً في الصفحة ٣٦ انَّ الكنت دي فوكويه وصف الآثار اللبنانية والصواب انَّ وصفهُ مختص بآثار سورية ليس بلبنان . وكذلك قد نسب سهواً للخوري شابو (ص ٥٢٧) مقالةً وضعها البندكتي دون كبرول

و . م

MANUEL D'ART MUSULMAN. Paris. Alph. Picard. 1907. I. L'architecture. par H. SALADIN. 1 vol. 8°, XXIII-596 pp., 420 illustr.=II. Les arts plastiques et industriels, précédé d'un précis historique des civilisations musulmanes, par G. MIGEON, I vol. 8° LXXXIII-477 pp., 376 illustr.

الصنائع والفنون الاسلامية

هذا كتاب يهمُّ الشرقيين على وجه خاصٍّ لانهُ اوَّل تأليف وُضع الى يومنا في الفنون بين الامم الاسلامية فبكل طيب قلب نصفهُ للشرقيين ليقبلوا على مطالعته . والكتاب في قسمين كبيرين ألَّف كلًّا منهما احد العالمين الفرنسويين سالدان (H. Saladin) وميجون (G. Migeon) . ومدار القسم الاوَّل على الهندسة الاسلامية صنَّفهُ المسيو سالدان بعد ان بعثتهُ دولتهُ غير مرَّة الى الممالك العثمانية فزار مصر والشام وفلسطين وبلاد تونس وصقلية والجزائر فدقَّق النظر في كل الآثار الهندسية التي صبرت حتى اليوم على آفات الدهر ثمَّ درس في كتب الخاصة آثار تركستان والعجم والهند ومراكش والاندلس فاستخلص من كلّ ذلك مجموع الاصول الفنيَّة التي وقف عليها واثبتها في كتابهِ على طريقة علميَّة مبيناً ما تفرَّدت بهِ الهندسة الاسلامية في البلاد المختلفة التي ملكها المسلمون . اما القسم الثاني فقد خُصَّ بالاعمال الفنيَّة والآثار الصناعيَّة ألَّفهُ المسيو ميجون احد نظَّار متحف اللوفر في باريس ومدرِّس

علم الاصول الاثريَّة في القرون الوسطى وقد استعدَّ لهذا التأليف منذ زمن طويل فامعن النظر في المادَّيات الاسلاميَّة التي يحتويها الاوثر ثمَّ تفقَّد المتاحف العربيَّة في كل مظانّها شرقًا وغربًا لا سيما الاستانة العليَّة ومصر . وفي السنة المدرسيَّة ١٩٠٤–١٩٠٥ خصَّ دروسهُ بتلك الآثر الصناعيَّة واملى على الطلبة منها فصولًا استحسنها كل من اطلع عليها فنشطوهُ على توسيعها وطبعها فكتب هذا المجلَّد الثاني الذي نحن بصددهِ . فجاء القسمان متضمّنين لقوانين الفنون الصناعيَّة في جهات الشرق الاسلامي فمنها مآثر دينيَّة كمساجد ومناور ومحاريب ومنها مآثر مدنيَّة كقصور وآنية ومصاغات وليست كل هذه الآثار للمسلمين فقط بل لكل الصَّنعة النصارى والموسويين الذين يعيشون او عاشوا في بلاد المسلمين . والحقُّ يقال ان من يَطَّلع على هذا التاليف لا يتمالك عن العجب مما يجدهُ في مطاويهِ من سعة الموادّ والتفنن في الاوصاف ومعرفة الاصول حتى كاد المؤلفان ان يستنطقا الجماد ليفصح لهما عن افكار الاقدمين وبراعتهم . على انهما لا يزعمان بأنهما استنفدا الموادّ لا بل تراهما يصرّحان بان عملهما هذا انَّما هو كتمهيد وتوطئة لتاليف اوسع واكمل يتمنَّيان ان يقوم بهِ احد بعدهما . ومن خواصّ هذا التاليف في قسميهِ كليهما انَّهُ موضوع على اسلوب مدرسي وتنظيم منَّسق يسهّل الوقوف على مشتملاتهِ . فترى في القسم الاوَّل مقدَّمات عموميَّة عن الهندسة العربيَّة وما بينها وبين الهندسة السابقة من الشبه والتباين في كلّ بلد من البلاد الاسلامية يليها ابواب واسعة في كل اصناف الابنية كالجوامع والقصور والمدافن وغيرها في الاقطار المختلفة مباشرةً بمصر ثمَّ الشام ثمَّ جزيرة العرب ثمَّ المغرب ثمَّ العراق والجزيرة ثمَّ تركية اوربَّة ثمَّ الهند والصين . وكذلك القسم الثاني يحتوي في اوَّلهِ نظرًا عن التمدن الاسلامي اجمالًا وفي اثرهِ ١٤ فصلًا في الفنون المختلفة كالنقش والحفر وشغل الخشب وآنية العاج والجواهر والنقود وادوات النحاس والشبه والاسلحة والخزفيَّات والزجاج الملوَّن بالمينا والحجارة الكريمة والانسجة والطنافس . وقد ختم هذه الفصول بفصل مهمّ بيَّن فيهِ ما استعارهُ الاوربيون من الفنون الشرقية . فترى من هذا النظر انَّ الكتاب فريد في بابه لا غنى عنهُ لمن يبحث عن الآثار الشرقية لاسيما التجار وارباب الصنائع . والمؤلفان كلاهما يتوسَّل الى كل من يطلع على كتابهما بان ينتقد عليهما ويفيدهما عمَّا فاتهما من الوصف ليزيدا الكتاب كمالًا في طبعة ثانية . وهذا ما يحملنا نحن ايضًا على

ان نعرض عليهما بعض ما خطر لبالنا عند تصفُّحنا لتأليفهما . واوّل ذلك انّ المسيو سالدان مع تعريفهِ للهندسة الاسلامية لم يُفدنا شيئاً عن طرائق البناء الشائعة في الشرق وفي تعريفها افادة لا تُنكر . كذلك قد فاتهُ وصف جامع قديم كان يستحقُّ ذكرًا وهو جامع ايا سلوق الواقع قريباً من أفسس كما انهُ لم يثبت صورة جامع ادرنه وهو من اعظم الآثار الدينية في تركيا . اما القسم الثاني فاننا وجدنا المسيو ميجون مقتصرًا في تعريف اصل الفنون في بلاد الاسلام كبيان تأثير الفنّ القبطي في الصناعة الاسلامية المصريّة . ومما فاتهُ ايضاً وصف الآنية الصينية التي تزيّن بلاط السلاطين في ادرنه وغير ذلك من الطرف الصناعية التي تستحق الذكر كالآثار التي جمعها المسيو هردوشيانو وبعض محبي الفنون الشرقية من وجوه اهل دمشق س . ر

ELIE TABET. Dictionnaire Français - Arabe des Termes Juridiques, accompagné des principes du droit français et du droit musulman qui s'y rapportent, 2 vol. 8° lithogr. 1903-1904. *Alger, Lithogr. Ad. Jourdan.*

قاموس الالفاظ الاصطلاحية الملحقة بالرسوم العدلية

كلٌّ يعرف كم يحتاج اصحاب الدعاوى الى قاموس يشمل الالفاظ المختصة بالدعاوى في البلاد التي يختلط فيها القانون الاهلي والاجنبيّ وحيث انتشرت اللغات العربيّة والافرنسيّة كما في الجزائر ومصر والشام فانّ في تدوين تلك الاصطلاحات حاجةً ماسة لئلّا يبقى الناس في ريب من معناها الصحيح . وعليهِ نثني الثناء العاطر على همة الاديب الياس افندي تابت الذي نشر هذا المعجم في الفرنسويّة والعربيّة ليرجع اليهِ ارباب الدعاوى في معاملاتهم . ولكن ساءنا انهُ طبعهُ على الحجر مع انّ الطبع على الحروف افضل لجلائها ونضارتها اما الطبع الحجري فكثيرًا ما يتعب العين ويورث بعض الالتباس في القراءة كما ترى في الصفحة ٦٧٣ من هذا التأليف . وكذلك كان يمكن المؤلف لو طبعهُ بالحروف ان يصغّر حجمهُ ويجمع موادّهُ في صفحات اقل . فنتمنّى لهذا الكتاب رواجاً سريعاً ليجدّد صاحبهُ طبعهُ ويُتقن مادّياتهِ ويزيل بعض الاغلاط التي وقعت فيهِ . وعلى رأينا انّ هذا التأليف سيكون مثالًا لتآليف أخرى شبيهة بهِ ليس فقط في الامور الشرعيّة بل في بقيّة الصنائع والفنون فيجمع اصحاب الهمّة الالفاظ الاصطلاحيّة في كل

فنّ كالطب والرياضيّات والطبيعيّات فيقف ارباب البحث على الاصطلاحات الجارية في كل الاقطار التي شاعت فيها اللغة العربيّة ل . ر

HERMANN L. STRACK: **Hebraeische Grammatik mit Uebungsbuch.** Neunte sorgfaeltig verbesserte und vermehrte Auflage (1907). *München, Beck.*

غراماطيق عبرانيّ مع تمرينات

لم يقصد صاحب هذا الكتاب ان يحلّ كلّ المشاكل اللغويّة التي يجدها الطلبة في درس اللغة العبرانيّة الّا انّ الدارس اذا اتقن محتوياته يستطيع غالبًا ان يدرك معاني الاسفار المقدسة ويتبيّن مبهماتها. وقد تعجّبنا من كثرة مضامينه مع صغر حجمه. ولعلّ الباحث يجد فيه ما لا يجده في التآليف المطوّلة لحسن تنسيقه ووضوح اسلوبه وطريقته العلميّة . وممّا استحسناهُ ان المؤلف عارض جداول الافعال العبرانيّة بالتصريف العربي فانّ في تلك المقابلة لمنًا يميط الستر عن مشكلات عديدة ويبين تركيب الافعال العبرانيّة اما التمرينات التي الحقها المؤلف بكتابه فانّها وافرة متلوّنة كثيرة الفائدة . ويليها بعض شروح على فصول من التوراة يستغني بها الطالب عن التفاسير المطوّلة التي لا حاجة لهُ اليها في اوّل درسه . وكذلك رأينا المعجم العبرانيّ الالمانيّ الذي في آخر الكتاب كافيًا لعموم الطلبة. وقد اقبل على هذا الكتاب ارباب المدارس لكل هذه الصفاة التي ذكرناها فوصل بعد زمن قليل الى طبعته التاسعة فنهني المسيو ستراك على هذا النجاح ونتمنى لهُ المزيد الاب ب . جورن

STANFORD'S NEW OROGRAPHICAL Map of Palestine. Compiled under the Direction of H. J. MACKINDER, Four Sheets: 52 by 62 inches; 4 miles to an inch. 1908.

خارطة فلسطين

انّ جمعيّة فلسطين الانكليزيّة قد اضافت الى خدمها المتعددة في سبيل العلم خدمة جديدة بنشرها هذه الخارطة التي تفوق كل الخوارط السابقة بحسنها وكبرها ودقّتها . ومن خواصها دلالتها على علو الامكنة بالوان زهيّة . وقد احسنت بالخصوص في تمثيل وادي الاردن ووادي مرجعيون ووادي بردى والغوطة ونهر القاسميّة وسواحل فينيقية وانجاد

حوران وموآب ومشارف جلعاد وغور بحيرة لوط كلّ ذلك تراهُ في هذه الخارطة من اوّل وهلة وتقرّ بهِ العين لحسن التنسيق واختلاف الالوان . فنحضُّ الدارسين على اقتنائها فانّها من اجود ما طُبع من هذا الصنف الى يومنا وهي تصلح خصوصاً للمدارس وطلبة العلوم الكتابية س . ر

PROME ET SAMARA. Voyage archéologique en Birmanie et en Mésopotamie par le Général de Beylié, in-4°, 140 pp., 100 fig. et 15 pl., 1907, *Paris. Leroux.*

رحلة الى بلاد برمانيا وبلاد ما بين النهرين

لمحنا في المشرق (١٠ : ٧١٩) الى سفر الجنرال دي بيليه الى برمانية وما بين النهرين وما اكتشفهُ في سفرتهِ من الآثار الجليلة والكتابات القديمة . وها هوذا قد سطّر اخبار رحلتهِ ووصف ما لقيهُ فيها من الابنية القديمة . وجناب الجنرال ممن أولعوا بدرس الهندسة الشرقيّة وقد ألّف سابقاً كتاباً في المسكن البوزنطي فريداً في جنسهِ مرَّ لنا وصفهُ في المشرق (٦ : ٩٥٩) . وسياحتهُ الحديثة انّما كانت غايتها الخصوصية درس فنّ البناء القديم وهندسة العجم والهند الصينية وما يوجد بين تلك الآثار لا سيما الفارسيّة وبين ابنية العرب بعد الاسلام من الارتباط والعلاقة . وقد اسعدهُ الحظ على بيان ذلك بوجه واضح بحيث يمكن اليوم الاثريين ان يتتبّعوا تاريخ الهندسة العربيّة ويثبتوا اصولها . فنهنئ حضرة الجنرال بهذا الاكتشاف الجديد ونشكرهُ على تأليفهِ الذي وجدنا فيهِ اللذّة والافادة معاً س . ر

المُنجد

معجم مدرسيّ للّغة العربيّة

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي (بيروت . المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٠٨ ص ٧٣٧)

هو المعجم الذي كنّا نتوق الى نشرهِ منذ ثلاثين عاماً فتمنّى ان يتفرّغ لهُ احد علماء العربيّة ليسدّ بهِ ثلمةً واسعة في مدارسنا ولقد كان يأخذ منّا العجب كل مأخذ اذ نرى الاحداث يقبلون على مطالعة الآثار الادبيّة في لغتنا وليس في يدهم قاموس

يرشدهم الى شرح الالفاظ اللغويَّة التي يعثرون بها مـا لم يرجعوا الى المعاجم الكبيرة الغالية الثمن الواسعة المواد القليلة المناسبة لحالة الدارسين . فالكتاب الجديـد سوف يتدارك كلّ هذه المناقص لصغر حجمهِ ووضوح طريقتـهِ وقرب الحصول على موادّهِ مع الدلالة على الاصول والمشتقّات وتعدُّد المعاني للفظة الواحدة باصطلاحات معلومة . وهو مع ذلك جامعٌ بحسن تنظيمهِ لمعظم المفردات التي يحتاج اليها الاساتذة انفسهم فضلًا عن الطلبة . وزد على ذلك انهُ المعجم الوحيد الذي يخلو من كلّ لفظـة تخدش وجه آداب الاحداث . ومما تفرَّد بهِ ايضًا هذا الاثر الجديد انـهُ اوَّل معجم عربي تزيَّن بالتصاوير فأودع منها نيفًا و ٤٠٠ صورة تُعين الاحداث على ادراك المعـاني اكثر من الشرح الطويل . وخلاصة القول لا نشك في رواج هذا الكتاب عما قليل في كل مدارس الشام ومصر والعراق والجزائر . والمؤلف يتقبَّـل بالشكر والمنونيَّة كلّ الملحوظات التي من شأنها ان تحسّن طبعاتهِ الآتية . جعل الله حضرتهُ سندًا للآداب ونفع المدارس زمنًا طويلًا بتآليفهِ ل . ش

دروس القراءة

بقلم محيي الدين الخيَّاط . قسمان بالمطبعتين الادبيَّة والاهليَّة (١٣٢٦ ص١٢٨)

هذان الكرّاسان وضعهما جناب الأديب محيي الدين افنـدي الخيَّاط بالتزام محمَّد افندي شاكر ياسين للمدارس الاسلامية لطلبة سنتيها الاولين . وقد افتتح القسم الاول بالفصل المجاني واردفهُ باربعة فصول اخرى أخلاقيّ وفكاهيّ وحكميّ وديني . اما الثاني فاودعهُ فصولًا اوسع مادَّة وارقى مضمونًا في الاخلاق والحيوان والفكاهـة والحكم والدين وضبط كل ذلك بالشكل التـامّ وطبع الكرّاسين بالحرف الاسطنبوليّ الكبير . وعما قليل سيشفعهما بجزء ثالث ان شاء الله ل . ش

شذرات

حفلة اليوبيل البابوي — قرأنا في عدَّة جرائد مصريَّة كالمصوّر والاتحاد المصري والمقطَّم وصف الحفلة الشائقة التي عقدت في مدرسة الاباء اليسوعيين في الاسكندريَّة احتفاء بيوبيل يوس العاشر الكهنوتي . ومما جرى في هذه الحفلة مباراة شعريَّة جُعلت جائزتها للغالب

مجموعة مجلّة المشرق المؤلفة من عشر سنوات مجلّدة تجليداً بديعاً . فقام بعض الشعراء المثقفين وقرأوا ما جادت به قرائحهم . اما الجائزة فقد حكمت اللجنة المعيّنة لفحص القصائد ان الذي استحقها هو جناب الشاب الادب يوسف افندي سوداء احد التلامذة النجباء الذين تخرّجوا في كليّتنا فنمحض التهاني لجناب الشاعر وندوّن هنا قصيدتهُ لتبقى في صفحات المشرق :

برومة عرشٌ دونهُ النجمُ بالعلى ... تألّق نوراً يُخجل النجمُ والبدرا
بقصر تمنى « اللوفر » بعض فخاره ... وما « كبيرتال » الروم يُشبهُ ذا القصرا
منيع ولا جندٌ تصونُ ذمارهُ ... عزيزٌ ولا بيضٌ هناك ولا سمرا
كأنَّ بلادَ الله دائرةٌ وقد ... غدا محور الدنيا برومتنا الكبرى
هو القائكان الأبلقُ الفردُ محورٌ ... تدور حواليهِ مهامُّ الورى طرّا
فيطلع منهُ الحقُّ يرمي أشعّةً ... تزّق ديجور الضلالة والسترا
تربّع فيهِ الشيبُ ذو مهابةٍ ... ضعيفٌ ولكن ضعفهُ يفلقُ الصخرا
تطأطي لهُ الهامَ الملوكُ لأنّها ... رأت قبلها الأيام تحني لهُ الظهرا
تزهّدَ في الدنيا تقىً وتواضعاً ... كما شاء مختاراً بها السجن والاسرا
ولكنما الدنيا أبت زهدهُ بها ... ولم يرضها منهُ تحجُّبهُ طهرا
... كمهرٍ عتيٍّ يقطع اللجم حولهُ ... جموحٌ شرودٌ ينهبُ السهل والوعرا
فلا الزَّردُ المحبوكُ يوهن عزمهُ ... بضغطٍ ولا المهماز ينعرهُ نعرا
تصدّى لهُ ماضي العزيمة فارسٌ ... يروّض أسد البرّ يقتلها ذعرا
وهزّ لهُ السوط الرفيع فراعهُ ... فطاطأ رأساً كان يعلو بهِ كبرا
... كذا كانت الدنيا تهيم بحالكٍ ... من الجهل تهوى البغي والظلم والكفرا
فلا شارعٌ تُرعى شرائعهُ ولا ... مليكٌ عدولٌ يأنف الجور والغدرا
توحّشُ اخلاق وفظُّ عواطفٍ ... وفوضى شعوبٍ تشبه البُهم في الصحرا
الى ان بدا دين المسيح بنورهِ ... فغيّر وجه الارض يستهلُّ الوعرا
فدمّث اخلاقاً ورقّق عواطفاً ... وصيّر عبد الظلم في ارضهِ حرّا
اطاعت ملوك الارض كرسيَّ بطرسٍ ... وجاءت اليهِ تطلبُ النهي والامرا
تصاغر قسطنطين وهو مليكهُ ... وخفّض من غلوائهِ راضخاً جهرا
وروّع أتيلا الصليبُ بنوره ... فعادت جيوش الكفر مدحورةً دحرا

اتى شرلمانٍ بعد ان ملك الدنى وزعزعها برًّا ودوَّخها بحرا
برومةَ يسترضي خليفةَ بطرسٍ وملَّكهُ في الارض ملكًا بهِ أحرى

*

فما قيصرُ الرومان إبَّانَ مجدهِ يقودُ لساحات الوغى عسكرًا مَجرا
وما أنبالٌ وهو يزجي فيالقًا على رومة العظمى ليأخذها قسرا
وما المعجزُ المغوار نبوليون في اعالي سماء الملك من دونهِ الشعرى
يجرُّ على الدنيا ذيول فخارهِ يفرّق تيجانًا ويصطنع الدهرا
ويحصر اوربًا بكفيهِ تائهًا باعلى سماهُ راندًا يشبه النسرا
بأرفعَ شانًا منهُ حين يسوسها شعوبًا بانحاء الورى تعجز الحصرا...
مليك لهُ في العالمين فيالقٌ يسيّرها بحرًا ويُنفذها برًّا
لقد نشرت في الخافقين لواءهُ فساد على الاقطار باللين لا قهرا
تغيَّرت الايام من اعصر خلتْ وظلَّ كما قد كان لا يتبع العصرا
كصخر سما في اليمّ يرفع راسهُ فهاجمهُ التيّار يبغي بهِ شرًّا
تراجعَ ثم استطرد الوثبَ هائجًا ولكن معاذ الله ان يوهن الصخرا
تكسرت الامواج لم تضُرِ الصَّفا وظلَّ الصفا صعب المنال ولا خطرا

*

أمالكَ هذا المجد والفخر والعلى علوت فلم تترك علاء ولا فخرا
أيُوسُ مهلًا بعض هذا العلى فهل تحلّق حتى تبلغ الانجم الزهرا ؟
ظهرتَ بميدان السياسة فارسًا فحزتَ بلا جيش ولا عُدَدٍ نصرا
تلين اذا لانت من الدول القنا وتنقضُ ان تصلبْ قناتُهم صقرا
ولم يُنسك المجد الفقير فانما تعشقتَ قبل المجد والشرفِ الفقرا
اذا ما دعا شرق البلاد اجابهُ دعا غربها والكلُّ من كيدٍ حرّى
ليهنك هذا العيد انك عيدهُ وملك شعوبٍ تستطيلُ لك العمرا
لئن بعدت روما وشطَّ مزارها علينا فان القلب عندك والفكرا
فنحن بارض الشام بالدين مثلنا برومتنا بل قل كما نحن في مصرا

الركيَّة — عاد حضرة الاب انستاس الكرملي الى مسألة الركيَّة في مجلّة انثروبوس (Anthropos, III. f. 556–558) فحاول اثبات رأيهِ ونقض

الادلّة التي استندنا اليها في المشرق (١٠ : ١١٢٠—١١٢٥) لردّ زعمهِ فقرأنا بتأنٍّ ما استأنف بيانهُ ونحن مستعدون ان نسلّم لهُ بالرضى وطيب الخاطر ان وجدنا في نبذتهِ برهاناً واحداً مقنعاً عن وحدة الركوسيَّة او المنوثليَّة . نيسوتا القول لحضرتهِ أننا طلبنا ذلك البرهان في مقالتهِ فلم نعثر عليهِ . فان رأيهُ في الركوسيَّة مبنيٌّ كلُّهُ على دليلين احدهما وهميٌّ والثاني ضعيف فالدليل الوهميّ انَّ اسم ركوس مبدل من « كورس » ولم يأتنا بشاهد على قولهِ غير ما تأوَّلهُ حضرتهُ من نفسهِ فان لم يسند زعمهُ الى بيّنة تاريخية سقطت حجّتهُ . اما الدليل الثاني ففقرة وجدها على مخطوط حديث لكاتب عصري يُدعى السويديّ . وليس هذا الدليل اقوى من السابق ربما نتحقَّق من اين اخذ السويديُّ قولهُ : فيا لله أيُشيَّد بناء متين على مثل هذين الاساسين . اما البراهين الخمسة التي فنَّدنا بها رأي حضرتهِ في الركوسيَّة فباقية بقوَّتها ونحيل اليها القرَّاء فانَّ في مراجعتها اظهر دليل على ما روينا . ولا حاجة الى زيادة في الكلام اذ لا يقبل العقل انَّ رجلاً عربيًّا من اهل البادية كعديّ بن حاتم عرف كورس سنة ٦٢٩ وكورس يومئذٍ اسقف على مدينة مجهولة تُدعى فاسيس موقعها على ساحل البحر الاسود فتشيَّع لهُ قبل أن يعرفهُ احد بزعيم شيعة . وما هو اغرب من ذلك انَّ عديّ مع معرفتهِ لزعيم تلك الشيعة المدعو كورس يقلب اسمهُ ويدعوهُ ركوس . فهذه ظلمات على ظلمات

درس اللاتينية واليونانية لما عُقد مؤتمر المدارس الثاني في لندن في فصل الصيف الماضي ودارت فيهِ الابحاث عن الشؤون المدرسيَّة جرت ايضاً مباحثات في الموادّ التعليمية واللغات القديمة كاليونانية واللاتينية فزعم البعض ان درس تلك اللغات لم يعد نافعاً لاهل العصر والاولى ان تُدرس بدلاً منها اللغات العصريَّة كالانكليزيَّة والفرنسويَّة والالمانية الَّا ان معظم حضور المؤتمر لم يصوّبوا ذلك الرأي وانحازوا الى قول القانوني لِتلتون الذي بيَّن ما في درس اللغات القديمة من الفوائد التهذيبية العظيمة ويسرّنا ان نورد هنا ما كتبتهُ مجلَّة المقتطف في هذا الصدد قالت (٣٢ : ٧٦٤) :

ومن المواضيع الهامَّة التي جرى البحث فيها تعليم اللغات القديمة كاليونانيَّة واللاتينيَّة فقد قرأ القانون لِتلتون رئيس مدرسة يتن مقالة ضافية في هذا الموضوع قال فيها « ان تعليم اللاتينيَّة واليونانيَّة يمرّن قوتي الادراك والاستدلال واما تعليم الفرنسويَّة ونحوها من اللغات الحديثة فلا يمرّن الَّا قوة الذاكرة لان التلميذ لا يقصد الَّا ان يحسن فهم هذه اللغات والتكلم بها . ثم ان الكتب التي

يقرأها طالب اللغة اللاتينيَّة مثل مؤلفات قيصر ولفي وشيشرون وتاشيتوس هي من الطبقة الاولى بين المؤلفات واما الكتب التي يقرأها طالب الفرنسويَّة والالمانيَّة فهي في الغالب قصص من الطبقة العاشرة ». وجرت المذاكرة في هذا الموضوع بعد ذلك فصوَّب الانكليز من اعضاء المؤتمر رأي القانون لنتون

أسئلة وأجوبة

س استفتأنا من الموصل حضرة القس بولس قندلا السريانيّ عن جملة وردة في كتاب المعين الرائق في خلاصة الحقائق المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٩ فقد جاء هناك (ص ٢٥٠) عن لسان الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم ما حرفهُ:

« بموجب قوانين المجمع المسكوني السادس تمتدُّ القرابة الروحيَّة امتداد القرابة الدمويَّة من دون نقصان . وكما تمتد هذه الى الوجه السادس كذلك الروحيَّة »

فطلب السائل اهذا القول صحيح وهل يحقُّ لرعاة النفوس ان يعملوا بهِ دون مراجعة ديوان التفسيحات

مانع القرابة الروحيَّة والقرابة الدمويَّة في سر الزيجة

ج معلوم انَّ في الكنيسة الغربيَّة لا يمتدُّ مانع القرابة الروحية كامتداد القرابة الدمويَّة فانَّ هذه تمتدُّ الى الدرجة الرابعة الموافقة للوجه الثامن عند الشرقيين اما القرابة الروحية فلا تتناول غير الشبين والشبينة وولدهما الروحي ووالديه فيبطل الزواج بين الشبين وابنتهِ الروحية او امّ ابنتهِ وبين الشبينة وابنها الروحي ووالد ابنها . اما الكنائس الشرقية فيختلف نظامها فعلى كل كنيسة ان تجري على حقها القانوني المصادق عليهِ من الكنيسة الرومانية . واليوم ترى اكثر الكنائس تابعةً في الزواج قوانين الكنيسة اللاتينيَّة

س وسألنا احد الكهنة الافاضل في البلدة ما رأينا في ورقة طُبعت ونُشرت عنوانها « صورة الحكم الذي نطق بهِ بيلاطس البنطي والي ولاية الجليل على يسوع الناصري » وتحت هذا العنوان تاريخ الحكم على المسيح والاسباب الداعية الى صلبهِ واسماء الذين تشاوروا عليهِ مع الرسالة الواردة من بوليوس بوستوس والي اليهوديَّة (كذا) الى المحفل الروماني

حكم بيلاطوس البنطي على المسيح

ج هذه الورقة احدى المنشورات العديدة التي وضعها المدلّسون لخداع السذج والربح الخسيس . وهي كلُّها مشحونة بالاغلاط التاريخية التي تُظهر كذب مؤلفها لكل ذي عين فضلًا عن مناقضتها الصريحة لبعض آيات الانجيل ولو اردنا تفنيدها لاقتضى الامر مقالات مطوَّلة فنكتفي بالاشارة ل . ش

السنة الحادية عشرة العدد ٧ تموز سنة ١٩٠٨

المشرق

خصائص الموازين العربيّة واصل كيفيّة نشوئها

لحضرة اللغوي الفاضل الاب انستاس الكرملي .

١ مدخل

هذا بحث لم يتعرّض لهُ من لغويي الأعراب والأغراب سوى العلّامة الباحث جرجي افندي زيدان (١ صاحب كتاب « الالفاظ الكتابيّة والفلسفة اللغويّة » ومع تصدّيه لهذا الموضوع لم يتقصَّ الّا في بضعة موازين تاركاً البقية لمن يُريد الايغال في مَهامهِ هذه المجاهل . على اني كنت قد بدأت بمثل هذه الاشغال منذ مدّة مديدة فلمّا سمعت بكتاب صاحب الهلال استجليتهُ لمزيد التحقق والتثبيت والتبصُّر فرأيتني متّفقاً معهُ في امور ومخالفاً اياهُ في امورٍ ولهذا كلما وقع الحافر على الحافر فاتّفقت الخواطر استشهدتُ بكلام هذا الكاتب الجليل واوردتهُ على ما هو بمنزلة الدليل . وكلما خالفتهُ صرّحت بهِ ايضاً لاستلفات الافكار فاقول :

٢ تمثيل

قد ابنّا في مقالة « اللغة العربية في عهد الظلمات » كيفية نشوء هذا الوزن في اقسام الفعل من صحيح وسالم ومعتلّ على انهُ قد يجيء في بعض الافعال مفتوح العين وفي بعضها مكسورها وفي بعضها مضمومها . فهل لهذا الاختلاف في الحركة اختلاف في المعنى ؟

قلنا : ولا شك في ذلك ؟ امّا مضموم العين فيدلُّ على الغالب (والقاعدة تُطّرد على الغالب كما هو معلوم ومشهور) على لزوم الفعل او على معنى يُلازم صاحب الفعل

١) سبق للمستشرقين ابحاث عديدة في موازين افعال اللغات السامية عموماً واللغة العربية خصوصاً ومن ثمَّ نثبت كلام حضرة مراسلنا كرأيهِ الخاصّ دون ان نجزم بصحتهِ (المشرق)

ملازمةً طويلة يعني مضمومة الأطراف أطراف البدء الى أطراف النهاية او مضمومة الزمان ضمًّا يستلزم مدّة طويلة لحدوثها او للحصول عليها او بعبارة اخرى يستلزم ضمّ قوى الانسان بعضها الى بعض لاتيان الامر ولا سيما اذا كان هذا الامر مما يُعنى صاحبهُ ويُعنتهُ كالاتصاف بالفضائل والمناقب والمزايا الرفيعة ككَرُم ولَطُف وحَسُن . . . صفات لا تجدها الّا في مدلول وزن فَعُلَ المضموم العين . ولذا ضمُّوها (وعين الفعل هي بمنزلة قلبهِ ومركز حياتهِ ومصدر معناهُ) اشارةً الى هذا الامر

وعليهِ لم يجئ فَعُلَ المضموم العين متعدّيًا . وهذا ما اتفقت عليهِ جماهير النحاة والصرفيين قالوا : « ولم يأتِ فَعُلَ بضم العين متعدياً الّا في كلمة واحدة رواها الخليل وهي قولهم : « رُحبَتْكُمُ الدارُ » وحملهُ السعد في شرح العزّيّ على الحذف والايصال اي « رَحُبَتْ بكمُ الدارُ » (عن التاج في رحب) وهو الوجه الاقبل

واما مكسور العين فيدلُّ في الغالب (وان كان يدلُّ احيانًا على غير هذا الغالب) على حدث عابر او وقتيّ او على صفةٍ او حالة لا تثبت فيهِ ثباتاً طويلًا او تقرّ فيهِ قرارًا مكينًا بل تمرّ بهِ مرًّا سريعاً او تمكث بهِ مكثًا وجيزًا . فالكسرة اذن اشارة الى « كِسَرَ » من الوقت والمدة او الى قصرهِ او قصرها وعليهِ قالوا حَسِبَ وفَرِحَ وطَرِبَ ويَئِسَ وسَمِعَ ووَرِمَ الخ

وامّا الفتح فقد ورد في كل ما لم يرد بمعنى فَعُلَ أو فَعِلَ . فاحفظ هذا تُصِبْ ان شاء الله تعالى

٣ أفعَلَ

قال صاحب كتاب « الالفاظ العربية والفلسفة اللغويّة » (ص٣٧) : « ان الاحرف المزادة (اي المزيدة) على الفعل الثلاثي لتكوين صيغ المزيدات هي : الهمزة في أفعل . والالف في فاعل . والتاء في تفعّل وتفاعل . والالف والتاء في افتعل . والالف والنون في انفعل . والالف والسين والتاء في استفعل

« فالالف في « أفعَل » وتكسب الفعل اللازم معنى التعدية يصعب تتبُّعها وربما يستحيل . فأضرب عنها صفحاً » . اه كلام الكاتب اللغوي

قلنا : الامر كما يقول صاحبنا لو حصرنا نظرنا في دائرة اللغة العربية وحدها لكنا اذا عارضناها بسائر دوائر آفاق اللغات الاجنبية هان علينا الخطب ولم يستحل

والحال اي لفظة يستعمل الأغراب في مثل « أجلسَ زيدٌ عمراً » ؟ او بعبارة اخرى : اي لفظة يستعمل الاجانب للدلالة على وزن أفعَل ؟ — قلنا : انهم يستعملون لفظة تعني في لساننا « فعَلَ او عَمِلَ » يعني ان الترك يستعملون في مثل هذا المقام كلمة « ايتمك » والفرس « كردن » واللغات الاوربية او الهندية الجرمانية ما يقابل كلمة « faire » الفرنسية . وعليه فالعرب ايضاً استعملوا في اول تقلهم معنى التعدية لفعل اللازم كلمةً تدل على هذا المعنى ثم انهم قطعوا رأسها مكتفين به واطلقوا سراح الباقي وهذه الكلمة هي « أتى » ولا سيما ان هذه اللفظة ماخوذة من معنى « ات » (واصل الناقص كان على حرفين صحيحين كما المعنا) اليه ويقابلها بالعبرية את وهي اداة لم تزل في قيد الحياة عند العرب بمعنى « ذات » ولا تقع الا مفعولاً بها وهي في السريانية ܐܬ كما لاحظ ذلك صاحب الالفاظ العربية . وكما كتبناه نحن قبل ٨ سنوات في المشرق (٣ : ٣٩٥و٣٩٦) وعليه فأصل قولهم مثلاً : « اجلسَ زيدٌ عمراً » كان : أتى زيدٌ عمرٌ جلسَ او أتى زيدٌ جلسَ عمرٌ ثم اختصروا القول بان جمعوا بين الفعلين آخذين من الاول حرفاً من حروفه لاشتهار تقديره ولكثرة وقوعه وزادوه على الاول من الفعل الثاني فصار افعلَ (١

٤٠ وهَ فَعَّلَ وتَفَعَّلَ

قال جرجي افندي زيدان بخصوص فعَّل (ص ٣٧) مبتدئاً بابداء رايه بقوله : « كما هو الحال (حال توهُّم المبالغة) في تضعيف عين « فعَّل » كما سياتي في محل آخر » . ولم نعثر في كتابه على هذا المحل المذكور (٢ . وعلى كلٍّ فالذي نرتئيه هو : ان عين الفعل لمَّا كانت بمنزلة قلبه ومصدر حياته وعماد المعنى باسره دلَّ تكرارُهُ على افادة الفعل بصيغته او لفظه . واظنُّ ان هذا الوزن هو اول ما نشأ من اوزان الافعال بعد فعَل الثلاثي وفعْلَل المضاعف الرباعي . والذي حداهم الى ذلك هو انهم لما قالوا مثلاً

١) قد كتبنا مقالة في اصل هاء هفعل العبريّ المقابل لأفعل العربي حيث تبيّن انها مقطوعة من احد حروف كلمة הוה وهي العين التي ابدلت من الهاء لاسباب بسطناها هناك

٢) اللهمَّ الا في ص ٢٧ في كلامه عن وزن فاعَلَ اذ يقول : « وربما قُصد بذلك (اي بمدّ حرف فعَلَ حتى يصير فاعَلَ) بادىء بدء نوع من المبالغة لتوهُّم ذهني كما هو الحال في تضعيف عين فعَّل » اه . وهذا التعليل قليل الجدوى وغير مقنع

في « مَرَّ » : مَرْمَرَ اختصروه لشهرتـهِ وقالوا مَرَّرَ ثم نقلوا الوزن الى سائر الافعال الثلاثية . يريدون بذلك تكثير المعنى المدلول عليهِ باللفظ فقولهم « كَسَّر » يُشبه قولك : كَسَرَ الشيء ثمَّ كَسَّرهُ مرارًا يعني انهُ كَسَرهُ اولًا ثم كسَّرهُ ثانيـاً ثم كَسَّرَ هذا المكسور كَسْرًا آخر الخ فصارت الكِسَر كثيرة عديدة

والى المعنى الاول يعني ان اصل مرَّر مثـلًا هو مَرْمَرَ اشار لغويو العرب . لكن بعكس ما اشرنا اليهِ اي انهم جعلوا الاصل « مرَّر » وفرعوا منهُ « مَرْمَرَ » وهو عكس ما توحيهِ الطبيعة الى الانسان وعكس ما يتبادر اليهِ الذهن عندما يريـد ان يتثبَّت محاكاة الطبيعة . قال في التاج :

مرَّرهُ : دحاهُ على وجه الارض كَمَرْمَرَهُ . وقال الازهري : ويُمَرْمِرهُ على وجه الارض اي يدحوهُ واصلهُ يُمَرِّرهُ » . وقال في ب ش ش : « . . . وعن يعقوب : تبشبش بهِ اي آنسهُ وواصلهُ . قال : واصلهُ تبشَّش فابدلوا من الشين الوسطى باء كما قالوا تَجَفْجَفَ لان الجمع بين ثلاث شينات مستثقل » اه

والى المعنى الثاني اي الى اشارة تكثير المعنى المدلول عليـهِ باللفظ ألمعوا بقولهم في مادة ش ي د مثلًا :

« قال ابو عبيد : البناء المشيَّد بالتشديـد : المطوَّل . وقال الكسائي : المَشيد للواحد والمُشيَّد للجميع . حكاهُ ابو عبيد عنهُ . قال ابن سيدة : والكسائي يُجَلُّ عن هذا . [قال] غيرهُ : المَشيد : المعمول بالشيد . قال الله تعالى : « وقصرٍ مَشيد » وقال سبحانهُ : « في بروج مشيَّدة » قال الفرَّاء : يشدَّد ما كان في جمعٍ مثل قولك : مررتُ بثياب مصبَّغة وكباش مذبَّحة فجاز التشديد لان الفعل متفرِّق في جمعٍ فاذا افردتَ الواحد من ذلك فان كان الفعل يتردَّد في الواحد ويكثر جاز فيهِ التشديد والتخفيف مثل قولك : مررت برجل مشجَّج وبثوب مخرَّق . وجاز التشديد لان الفعل قد تردَّد فيهِ وكثر : ويقـال مررتُ بكبش مذبوح ولا تقل مذبَّح فان الذبح لا يتردَّد كتردُّد التخرُّق . وقولهُ : « وقصرٍ مشيد » يجوز فيهِ التشديد لان التشييد بناء والبناء يتطاول ويتردَّد . ويقاس على هذا مـا ورد . وحكى الجوهري ايضاً قول الكسائي في ان المَشيد للواحد والمشيَّد للجميع . وذكر قولهُ تعالى : وقصرٍ مَشيد للواحد وبروج مشيَّدة للجميع . . . (التاج) الى آخر العبارة

قلت : وكأنهم لما قالوا « بروج مشيَّدة » ارادوا قولهم : « وبرجٍ مَشيد وبرجٍ مَشيد وبرج مَشيد مكرَّراتٍ . فلما جمعوا برجاً على بروج جمعوا ايضاً مَشيـدًا في مُشيَّد . وما تَفعَّل الَّا مطاوعة فَعَّلَ والتعليل واحد

٦ و ٧ فاعَلَ وتفاعَلَ

قال جرجي افندي زيدان (في ص٣٧ من كتابه الفلسفة اللغويَّة): « اما الالف في فاعَلَ وتفاعَلَ فقد حصلت بعدَ حركة الفاء . وربَّما قُصد بذلك بادئ بدء نوع من المبالغة لتوهُّم ذهني كما هو الحال في تضعيف عين فعَّل » اه

امَّا رأينا فهو انهم لمـا جعلوا الالف في اول الكلمة بمنزلة اداة تنقل معنى اللازم الى المتعدّي والى متعدٍّ واحد جعلوها من بعد ذلك في الثاني اشارةً الى تعـدية الفعل الى اثنين فاكثر وعلى التبادل وهذا هو اصل معنى المشاركة . ونقول مثل هذا القول في مطاوعته تفاعَلَ . واما معنى هذه التاء في تفعَّل وتفاعل فسيأتي عليهـا الكلام في ما يلي

٨ إفتَعَلَ

قال العلَّامة اللغوي في اصل تاء افتعل ما نستحسن كلامهُ ونوافقهُ فيه كل الموافقة (ص٣٧): « اما « إتْ » في « إفتعلَ » فتدخلانِ على الفعل فتكسبانهِ معنى المطاوعة (كما في تاء تفعَّل وتفاعل) الذي يلمح فيه شيء من معنى المجهول . والمشترك بينهـا جميعها التاء . ولكي نصل الى الحقيقة يقتضي لنا الاستفهام عن اصل هذه التاء وكيف تأتَّت لها هذه الخاصة . وعند البحث والمقابلة باخوات العربيَّة يظهر لنا انها بقيَّة « إت » او ما يماثلها وهي لفظة من الالفاظ المطلقة لم تزل مستعملة في العبرانيَّـة بمعنى « ذات » ولا تقع الَّا مفرداً بها . وهي في السريانيَّة ܐܝܬ « يت » وفي العربيَّة « ذات » مركبة مع « ذا » الاشاريَّة امَّا الاصل وحده فقد فُقد من لغتنا على ما يظهر (١ وهذه اللفظة موجودة في سائر اللغات بمعنى الكون المطلق . . . امَّا المطاوعات الثانية في العبرانية والسريانية فأقدر على تبيين كونها هي اصل المطاوعة في العربية ايضاً اذ انها تُكتَب في كلتيهما ملحقة في اوَّل الفعل ففي السريانية ܐܬܦܥܠ « إتفعَل » بزيادة « إت » المتقدم ذكرها على المجرَّد الثلاثي . وفي العبرانية قُلبت الهمزة هاء (على لغـة مشهورة عند الساميين) فهم يقولون התפעל « هِتْفعَل » فلنا الان « افتعَل » و « إتفعَل » و « هِتْفعَل »

١) بل ولها بقية في العربية وهي كلمة « آية » (راجع مـا كتبناه في المشرق ٣ : ٢٩٥ و ٢٩٦)

بمعنى واحد . وكلها تفيد المطاوعة ونظراً لكون كلّ من « انفعل » و « هتفعل » يقوم مقام « تفعّل وتفاعل وافتعل » يرجّح كل الترجيح ان الاداة المشتركة بينها جميعاً هي « ات » امّا من قبيل مطابقة الدلالة الحاصلة من مجموعة دلالة « إتْ » و « فعَلَ » دلالة افتعل ورفيقاتها فواضح لانهُ قد تقدّم ان هذه الاداة تفيد « الذات » فكأنهم اول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل فقالوا « إتْ قتَل » بمعنى حصول القتل في نفس الفاعل وقد تنوّع معناها بالاستعمال الى المطاوعة التي تقرب جداً من المجهول لانك تقول : « جمعتهُ فاجتمع » وبكثرة الاستعمال تولّد النوعان الآخران

« اما من قبيل وضع التاء بعد الفاء في « افتعل » فيُردّ الى ناموس القلب بسهولة . على ان بعض الناطقين بالضاد وهم كثيرون ينطقون بها كما في السريانية اعني بهم قاطني مصر فانهم يقولون : « إتجمع » في اجتمع . و « إترفت » في ارتفت . والاغرب من ذلك استعمالهم هذه الصيغة بدلاً من انفعل ايضاً فيقولون « إتكسر » بالتاء عوضاً من « إنكسر » بالنون . واتقطع في انقطع . وهذه الامثال كثيرة الورود بينهم بحيث يكاد يقال انهم ابطلوا صيغة انفعل وافتعل وابدلوهما بإتفعل . وكل ذلك من كلام عامتهم » . اه كلامهُ الشائق

٩ إنْفعلَ

قال « ان الالف والنون في انفعل فاماً ان تكون « إتْ » بعد الابدال (قلتُ : وابدال التاء من النون لغة معروفة عندهم سابقاً من ذلك ما جاء في ديوان الادب : كنَفَ بالنون اي عدل . ويقال بالتاء . وفي الصحاح : تغرت القدر تتغر لغة في تغرت تنغر : اذا غلت . وفي المجمل : جرحٌ تغار وتنغار : سال منهُ الدم . والقُتْع والقُنْع : بوق اليهود . والتامور والنامور : الدم) كما سبقت الاشارة لتقارب المعنى بين انفعل وافتعل ولكن الصيغة الاولى لا وجود لها في السريانية فتنوب عنها الثانية (١ او انها بقية « تنس » التي هي بمعنى « إتْ » تماماً وهي في العبرانية والسريانية « تنش » فما المانع

١) ان وزن افعل حيٌّ حتى اليوم في لغة معلولة الارمية . ومعلولة من القرى المجاورة لمدينة دمشق الفيحاء فانهم يقولون مثلاً في سمع بسمع أسمعه أسمعهُ فاحفظهُ

من حصول النحت فيهـا بحيث خسرت حرفيها الاخيرين . ويؤيـد ذلك كون هذه الصيغة في العبرانية هي ܢܬܦܥܠ (نفعل) بمعنى المجهول تماماً فربما قصدوا بها ما قصدوا بسابقتها ولا عبرة في الهمزة الزائدة في انفعل » اه كلام جرجي زيدان ونحن نوافقهُ في الرأيين الّا اننا نرجح الاول على الثاني . ولا سيما لان النحت في غير الثلاثي كثير الوقوع في اول اطوار اللغة العربية فيكون هذا من ذاك

١٠ إستفعلَ

وقال حضرة الكاتب في اصل هذا الوزن ما هذا نصهُ (ص ٣٩) : « استفعل مزادٌ فيها « إست » التي تؤثر في معناها على كيفيات مختلفة تردُّ الى الطلب والميل وعند ذلك يلزمنا البحث عن كيفية حصول هذه الاحرف على هذه الخاصية . وبالمقابلة يلوح لي انها بقية فعل فُقد من العربيـة وحُفظ في السريانية بمعنى مال وهو ܣܛܐ « سطا » (١ حيث قُلبت التاء طاء فهم يقصدون بقولهم « استقتل » مال الى القتل او احب القتل وفي « استغفر » طلب الغفران وقس عليهِ . ومما لا باس من ذكره ان « است » في التركية تُفيد الارادة والطلب والسؤال والرجاء والرغبـة والارتعاب » . اه كلامهُ

ان هذا التعليل مع ما فيهِ من الدقّة لا نستحسنهُ وذلك وان كان في استفعل لغتان في الارمية وهما استفعل واشتفعل بالسين المهملة والشين المثلثة ويوافقهما مجيء ܣܛܦܥܠ و ܫܛܦܥܠ عندهم بمعنى واحد مما يثبت اللغتين في الوزنين فهناك عقبة لا يتسهل لنا رقيها وهي ان للارامين وزنين وهما ܫܦܥܠ واستفعل ففي معنى الاولى اشارة الى طلب الفعل كما في ܫܐܠܬܐ و ܫܐܠܬܐ مثلاً وكثيراً ما يقابلهُ بالعربية وزن استفعل لتأدية معناه (٢ . وأما استفعل ففي معناه طلب الشيء لنفسهِ » مثلاً معنى استغفر : طلب الغفران لنفسهِ : وقس عليهِ غيرهُ . ولذا نرى من الزيادة ان يكون عندهم وزنان بمعنى واحد لن لم يكن هناك فرق بينهما . وعندنا ان استفعل منحوت من ثلاث كلمات

١) قد قلنا غير مرة ان اصل الناقص مضاعف وفي ܣܛܐ لغة ثانيـة وهي ܫܛܐ بالشين والمعنى واحد وبالعربية شطّ فهو غير مفقود كما توهمهُ حضرتهُ

٢) وهو عندنا منحوت من ܫܐܠ « شال » او ܫܐܠ اي سأل . ولهذا يقال في سفعل شفعل ايضاً

وقد أُخذ من كل من الاثنتين الاوليين حرف ثم ضُمّتا الى الكلمة المطلوب نقل معناها . وهذان الحرفان هما « س » من سأل (وهذه اللفظة بالارمية والعبرانية هي بالشين ومن ذلك اللفتان و « ت » او « إت » التي تعني الذات او النفس على ما تقدّم شرحهُ دلالة على المطاوعة . وبالتالي صحّ قولك إستغفرَ بمعنى « طلب الغفران لنفسهِ » ومن ثم يتضح ان معنى سَفعَل غير معنى استَفعل وفي وضعهما فرق في المعنى واللفظ . ومما يزيدنا يقيناً في هذا الراي ويقطع دابر كل ما يمكن ان يقع فيهِ شيء من الريب او الشك ان لكل وزن مزيدٍ فيهِ في الارمية وزناً آخر يقابلهُ للدلالة على المطاوعة على ما بدا لنا . فوزن إتفعَل مطاوع فعَل وإتفعَّل مطاوع فعَّل وتأفعَل مطاوع أفعَل . وعند العرب تفاعَل مطاوع فاعَل

وعلى هذا القياس يكون كلٌّ من إستفعَل وإشتفعَل مطاوع سَفعَل او شفعَل . اما العرب فقالوا في إتفعَل : إفتعَل . وفي إتفعَّل : إنفعَل . وفي تأفعَل : تفعَّل . وعليهِ قالوا : استفعَل مطاوعة لسفعَل الموجود في الارمية كثيراً وفي العربية قليلاً . الّا انهُ غريب الاستعمال او قل الاخرى غير مطّرد الاستعمال . ومن ثم لم يَعُدْ بعد هذه المقابلة البيّنة يعلق شيء من الشك بذهن العاقل الباحث

ولا بد من ان نذكر هنا امثلةً على كل من وزني سفعَل وشفعَل لاثبات قولنا ان هذين الوزنين كانا معروفين في سابق الزمان . من ذلك ١ً سَقلَبهُ فهو من تلبهُ ٢ً سَلفغهُ بمعنى ابتلعهُ من لفَغهُ ٣ً سَلجَهُ في حلقهِ : جرعهُ جرعاً سهلاً . من ملَج الصبيُّ أمهُ : اذا تناول ثديها بادنى فمهِ فرضعها كأن المَسلج يفعل فعل الطفل المالج . ٤ً سَرْوكَ فلان : مشى مشية رديئة او بطيئة من هزال وتعب . وهو ماخوذ من رَبكَ فلان فلاناً : القاهُ في الوحل فمشى مشية رديئة او بطيئة ٥ً يقال : لعنهُ اي طردهُ فسَلعنَ اي عدا شديداً . ومثلهُ : ٦ً سَلغنَ بالغين

ودونك الان شواهد على وزن شفعل : ١ً شَبرق الفرس عدا وَخداً . كأنك تقول برق في عدوه . ٢ً شَعطَ بمعنى غضب هو محرّف « مَعِضَ » بمعناهُ بعد ان وُزن بميزانهِ . ٣ً شَعوَذ وشَعبذ من الشعوذة والشعبذة وهي اخذٌ كالسحر وقد حيّرت علماء اللغة من اقدمين ومحدثين فلم يعجموا عودها ولم يهتدوا الى موردها يقابلها بالارمية ܫܥܘܕ (وتلفظ شَعوذ او شعبذ) ومعناها : استعبد (الشيطانَ مثلاً) واخضعهُ وقهرهُ .

او من حكم (اي خدع وغش) او من أحكم ومعناها سحر ويقابلها بالعربية أعاذ ولا شك ان اصلها كان أعوذ كما في الارمية فأعلوها وقلبوهـا . ولمّا وزنوها على شفعل رجعت الواو الى اصلها لعدم تحرّك ما قبلها فقالو شعوذ . ولما كان بعض الواوات تُلفظ في القديم ثاء مثلثة يعني انها كانت تلفظ بين الواو والباء اجازوا فيها اللفظين وعليه فقول الثعالبي في كتاب « الجنى المحبوب . الملتقط من ثمار القلوب » : « لا اصل لقولهم شعبذ وانما هو بالواو » فكلام لا اصل له . وقد ذكرها الليث واثبتهـا الزمخشري وغيره . ولا سيما قد تكون لغة على ما اوضحناه ولها اشباه ونظائر تعد عشائر عشائر من ذلك : نوّه باسمه ونبّه . الباشق والواشق . وجارية نكباكة ووكواكة . وكبكابة ووكوكاة . البزمة والوزمة . ولو استزادنا احد لزدناه على هذا القدر وبه كفاية على وجود هذه اللغة ٤ شقل الدينار : عيّره . ولا بدع اذا قلنا ان هذه اللفظة جاءتنا على يد اليهود . لانهم يسمون الثقل « شقل » بالشين . وهذا يدل على ان تصرّفهم بالدينار كان من قديم الزمن بايديهم بما ان العرب تلقوا عنهم هذا الاصطلاح بينما كانوا في غنى عنهُ بما انهُ لهم عدة الفاظ تدل على تعيير او معايرة الدينار . لكن هي العوائد تفعل ما لا يفعل سواها . وهذه الكلمة اصبحت لنـا بمنزلة كلمة تاريخية لغوية أخلاقية . وكذلك اختها السابقة يشمّ منها رائحة تاريخية لا تخفى على الباحث الناقد ٥ شمل بمعنى عمّ . يقال شملهم الامر فهو شامل ولا جرم انهُ مأخوذ من ملأ وبالارمية ܫܡܠܐ فاذا صفناها على قالب شفعل قلنا شملأ وبالارمية ܫܡܠܐ بمعناه . والعرب قالت في شملأ : شملى من باب تخفيف الهمز كما هو معروف في لغتهم . ثمّ خففوا هذا المخفف فصار شمل . والّا فشمل العربية لا يقابلها شيء في سائر اللغات الاخوات الساميات الّا هذه المادة وعلى هذا الوزن

ولا تظن ان هذا الوزن خاصّ بالافعال فقط فقد جاء دالّا على صفة مثل قولك « الشصلب » وهو الشديد القوي كالصّلب . وفي بعض الاحيان غلبت على الصفة الاسمية كما في قولك « شيطان » فانهُ ماخوذ من طنّ يطنّ اي ܛܢܐ بالارمية بمعنى غار وحسد وغبط ومال وعنّف يقابلهُ بالعربية « ظنّ » بمعنى اتّهم وقد اختلف اللغويون في اصل هذه اللفظة فمنهم من اشتقها من « شاط » ومنهم من ذهب انها من « شطن » الى آخر ما قالوا وتقوّلوا فيها . والاظهر انها من طنّ المذكورة . ويزيد هذا الرأي

موافقة ما جاء منقولاً عن اصل استدراج هذا الروح الخبيث لابوينا الاولين . فقد روى الآباء الاولون ومعلمو الكنيسة المقدّمون ان سبب ذلك كان انهُ « حسدهما » على سعادتهما « فمال » الى استزلالهما الى الشر فبدأ « يعتف » المرأة على كونها لا تأكل من ثمرة الشجرة التي صارت سبب سقوطها وسقوط زوجها

ولمّا وزنوا « طن » على وزن شفعل زادوا اليـاء للالحاق كما هو معروف في باب الالحاق فقالوا « شيطن » ومن مادة « ط ن » بقي في لغتنا قولنا : « اطنأ الرجل : مال . والطِّنء : الميل بالهوى والريبة وشيء يُتخذ للصيد كالرِّبية (ويُتخذ ذلك من باب الغشّ والخديعة) والفجور . ومثلهُ في مادة « ط ن ي » و « ط ن و »

ولا تقل ان طنَ الارمي مضاعف وطنا او طنى ناقصٌ وشيطان اجوف او صحيح فهذا لا قوة لهُ في علم مشتقّات اللغات بل يُنظر الى مادة الاصلية الثنائية الحرف وهي « ط ن » والباقي يأتي من فضل الله الكريم

والّا فانَّ بني ادم يُسمون الشيطان ܣܛܢܐ (ساطانا) ماخوذة من ܣܛܐ اي مكر وخدع و « وساطانا » عندهم ياتي بمعنى المضادّ ايضاً . وفي كل ذلك اشارة بيّنة الى مادة ܣܛܐ والى قول العرب بأن الطِّنء الميل الى الهوى . اذ لا يخلو الشيطان من مضادَّة الله في كل امر من اموره

١١ و ١٢ إفعل و فعالّ

انَّ حضرة الباحث المستقصي الذي استشهدنا بكلامهِ الشائق مرارًا عديدة لم يتعرَّض لذكر اسباب نشوء سائر الاوزان المزيدة الثلاثية النادرة او القليلة الاستعمال كافعلّ وافعالّ وافعوعل ونحن نتصدى لها هنا تماماً للفائدة فنقول :

اما افعلّ فقد شدَّدوا آخرهُ لانهم لمَّا اعتبروا تشديد قلب الكلمة اشارة الى تكرار اجلّ واهمّ ما فيها يعني مصدر حياتها وهو مبناها ومعناها اعتبروه في آخر الكلمة بمنزلة عارض يعرض لذلك المؤدّي بدون ان يُغيّر شيئاً من جوهره الاصلي على حدّ ما يجري في الجسم الحي فانك ان رأيت في قلب صاحبهِ خللاً كان الداء جللاً والّا فان حدث طارئ على الاطراف كان بمنزلة داء لا يُخاف . وعليهِ فالتشديد في آخر افعلّ يدلُّ على حادث او عارض طرأ على بعض ما يتعلّق بصاحب الفعل . فان زاد هذا العارض سرعة في الزوال زادوه حرفًا آخر سريع الانسلال وهو الالف وذلك قبل

هذا التشديد اشارة الى خفّة هذا العارض الذي جُعل بجانب مدلوله ومن هذا قالوا افعالّ . وقد تنبّه لذلك اقوى العرب من سابق الزمان . قال في تاج العروس : « احمرّ الشيء احمرارًا : اذا لزم لونهُ فلم يتغيّر من حال الى حال : واحمارّ احميرارًا : اذا كان عرضًا حادثًا لا يثبت كقولك : جعل يحمارّ مرّةً ويصفارّ أخرى . » اه المقصود من الاستشهاد به

١٣ إفعالّ

هذا الوزن غريب على الاسماع وتنكرهُ الاطباع ومع ذلك فانهُ اكثر وجودًا من افعالّ الغير المهموز . اما نحاة العرب فاعتبروا ما جاء على هذا الوزن من باب افعالّ وهو على ما عندي وهمٌ فظيع وزلل شنيع

نعم ان الصرفيين والنحاة واللغويين لم يذكروا هذا الوزن لكن هذا غير كافٍ لانكار وجوده . واذا تتبّعتَ الالفاظ واستقريتها شيئًا بعد شيء رأيت « اغلب » ما جاء منها على وزن افعالّ يدلّ على لون او عيب او حلية (فنقول ذلك على الاغلبيّة والّا فقد جاء الثّانّ النبتُ واملاسّ الشيء وغيرهما مما يدلّ على نوع من الحلية كما ترى) اما افعألّ المهموز فانهُ ورد بالمعنى الذي لم يرد فيه الغير المهموز . على انك اذا تتبّعت اقوال النحاة واللغويين في بعض تعليلاتهم شممتَ منها رائحة الضعف واستشففت من ورائها عدم اتفاق الآراء في هذا الصدد قال مثلًا في التاج في مادة اطمأنّ ما هذا نصهُ :

« ذهب سيبويه الى ان اطمأن مقلوب وان اصلهُ من طأمن . وخالفهُ ابو عمرو فرأى ضدّ ذلك . — وقال الشهاب في شرح الشفاء : يُقال فيهِ كاحمارّ ثم « همز » . وقيل : كانت الهمزة قبل الميم فقلبت » . وفي الروض للسهيلي : وزن اطمأنّ « افعلّ » . لان اصل الميم ان تكون بعد الالف لانهُ من تطامن : اذا تطأطأ وانما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل فيكون اخف لفظًا كما قلبوا اشياء في قول الخليل وسيبويه فرارًا من تقارب الهمزتين » اه كلام صاحب التاج

قلت : ان ما ذهب اليه الشهاب . صاحب شرح الشفاء . هو عين الصواب وبه الشفاء . لان جميع هذه الافعال الواردة على وزن إفعألّ المهموز هي من اصل ثلاثي كما ان احمارّ هو من هذا الاصل بعينهِ . وطمأن مشتقّ من الطمن . وهذا وان

كان غير مستعمل في الكلام او غير وارد على اللسان اذ انهُ لا ينبغي وجوده السابق وموتهُ بعد ذلك في الاستعمال . كيف لا وقد ذكرهُ اللغويون في دواوينهم وقد جاء بمعنى المطمئن من الارض يعني بمعنى المنخفض منها . لا بل وقد ذكر السيد المرتضى في نفس مادة طمأن قولهُ : « طمأن ظهرَهُ : طامَنهُ اي حناهُ . وطامَنهُ بغير همز لان الهمزة التي دخلت في « اطمأنَّ » حذاراً لجمع بين الساكنين . » اه . وهذا كلام بيّن على ان اصلهُ ثلاثي بدون نزاع فضلاً عن ان اللغويين يذكرون اغلب ما جاء من هذا الباب في فصل الثلاثي من ذلك مثلاً : اشمأزَّ واصمأَلَّ . ازبأرَّ واغضأَلَّ . اشرأبَّ واخضأَلَّ . اجزأَلَّ وابرأَلَّ الى غير ذلك

ومما يزيدنا ثباتاً في هذا الرأي ويثبتنا كل التثبت بجبالهِ المتينة ما اورده صاحب اللسان في مادة « ق س ن » . وكلامهُ كلهُ دُرٌّ محبوك لا نحبُّ ان نسقط منهُ شيئاً . قال ابن منظور ولله درّه من قائل :

« القسّين : الشيخ القديم . وكذلك الدبر . وانشد :

وهو كمثل البازل القسّين

فاذا اشتقّوا منها فعلاً على مثل افعالّ « هزوا » فقالوا : « اقسأنَّ » . (قال) ابن سيده : وقد اقسأنَّ . وقيل المُقسئنّ : الذي قد انتهى في سنهِ فليس بهِ ضعف كبر ولا قوّة شباب . وقيل : هو الذي في آخر شبابهِ واول كبره [حينما تقع اسنانهُ] وقد اقسأنَّ اقسئناناً : كبر وعيي . وقولهُ :

يا سدَّ الخوص تموّذ مني ان تلكُ لدنًا لينًا فإني
ما شئتَ من أشمط مقسئنّ

قال ابن سيده يكون على احد الوجهين الآخرين . واقسأنَّ الشيء : اشتدَّ . وفيهِ قسأنية والقسأنية من اقسأنَّ الورد وغيره : اذا يبس وعسي واشتدَّ . [قال] ابن الاعرابي : أقسنَّ الرجلُ : اذا صلبت يدهُ على العمل والسقي (كذا بقاف بعد السين ولعلّهُ من غلط الطبع والاصح : السّمي بالميم بمعنى الشغل) واقسأنَّ الليل : اشتدَّ ظلامهُ (٣ وانشد :

بتُّ لها يقظانَ واقسأنّت

---

١) (قلت : ولعلّهُ منحوت من قاف « وقع » وسين ونون « سنّ او أسنان » بمعنى الشيخ الذي « وقعت اسنانهُ »

٢) قلت : وان لم يكن منحوتاً من « وقعت او سقطت اسنانهُ » فهو اذاً من قسا الشيء : اذا صلُب وغلُظ واشتدَّ . يكون ذلك من العمل او من غيره . او لعلّهُ من عسا أبدلت عينهُ من القاف وزيد في اخره النون وقد تزاد في مئات من الالفاظ . ومنهُ عسا الشيخ : كَبِرَ وولّى .

قال الازهريُّ : « هذه الهمزة اجتُلبت لئلّا يجتمع ساكنان . وكان في الاصل : افسانْ يفسانُ » اه كلام ابن منظور . وقال صاحب التاج موردًا عبارة اللسان بحرفها ناقلًا مادة « شمل » ومعناها : « اشمالَّ اشمِلالًا : اذا صار ذا شَمَل . قال :

وبعد انتهاض الشَّيب في كل جانبٍ على لِمَّتي حتى اشمألَّ جميمُها

اراد اشمارَّ فحرَّك الالف لالتقاء الساكنين فانقلبت الهمزة لان الالف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فاذا اضطرُّوا الى تحريكهِ حركوه باقرب الحروف اليهِ »

وبهذا كفاية لمن يريد ان يذعن للحق ويقرَّ بوجود هذا الوزن

اما معنى هذا الباب فهو كمعنى الباب السابق . ومن معاني هذا وذاك : الامتداد والطول والانتشار في المدلول عليهِ اذا لم يكن هناك لون او عيب او حلية . والمدلول بيّن مما يُرى في هذا الوزن من الطول

١٤ إفعوعَلَ

ما هذا الوزن وهل لهُ وجود في سائر اللغات الاخوات ؟ — هذا من اوزان المزيد الثلاثي ولا وجود لهُ في سائر اللغات لا في الارمية ولا في العبريَّة ولا في النبطيـة او الصابئيـة ولا في السامريَّة ولا في الحبشية . الّا انهُ يوجد في السامية الارميـة « إفعلعلَ » (١ وهو ليس الّا فَعلَ مكررًا بآخر حرفيه يعني ان اصلهُ « فعلفعلَ » بيد انهم اجتزأوا بحرفين منهُ ثم ركبوا هذا المنحوت مع الاول فقالوا فعلعلَ (او إفعلعل تخفيفًا للفظ) ثم زادهُ العرب خفة بان قلبوا اللام الاولى واوًا فقالوا فيهِ فعوعل او افعوعل . ومن ثم فهو مضاعف على الحقيقة وخماسيٌّ سداسي يعني انهُ مضاعف لتكرار حروفهِ وخماسي لعدد حروفهِ الخمسة البيّنة وسداسي لان حروفهُ الاصلية ستة ومن الغريب ان هذا الوزن موجود في الاسماء مفقود في الافعال كما في غَطَنطم وغشنشم وشمتمق الخ

ومن ثم فمعنى افعوعل زيادة في معنى فَعَلَ (٢ ولذا اذا قلت احدودب كانك تقول حدب يعني ان حدبتهُ زادت بعد نشوئها . ومثلهُ اعشوشب واحقوقف الخ . وقـد

ومثلهُ عي . وعسا النبات : غلظ ويبس . والبل : اشتدت ظلمتهُ . (يعني ان جميع معاني افسأن تُرى في عسا) وعست يده عسوًا : غلظت من العمل

١) يُقابلهُ بالعبريَّة مِتفَعْلِل ([illegible]) معنى لا معنى . وكذلك مِتفَعْعَل

٢) معنى افعوعل كمعنى فعَّل الا ان ذاك الباب للدلالة على معنى اللزوم وهذه الدلالة على معنى التعدية وكلاهما للتكثير كما يتضح لك ذلك من ادنى تأمل

صرّح بذلك العرب ايضاً . قال في لسان العرب في مادة « ح ل و » ما محصّلهُ : قال الليث : قد احلولَيْت الشيء : اذا استحليتَهُ . وهذا البناء للمبالغة في الامر

١٥ فَعْلَلَ

وُضع هذا الوزن للافعال الرباعية التي لا تُرى فيها حروف الزيادة مرأى بيّناً . او لا تُرى فيها البتة بل يُرى عوضاً عنها حروف زائدة هي حروف الهجاء كلها وكلها قد زيدت على اصول فَعَلَ فصارت رباعية فوقعت تلك الزيادة اماً في صدرها واماً في قلبها واما في ذيلها ومن ثم كان يجب ان توضع لها عدّة اوزان على ما في الموزون اشارة الى موقع الحرف المزيد فيهِ مثلاً كان يجب ان توضع مثل هذه الاوزان : فَفَعَلَ . وفَعْفَلَ وفَعْفَعَ وفَعْلَفَ وفَعْلَلَ وفَعْلَعَ . وفَعْلَلَ وفَعْلَفَ . وفعلل الى آخر ما هناك من الاوزان . الّا انهم اجتزأوا بوزن واحد هرباً من التطويل وإحداث الملل . فمثال فَعْفَعَ او فَعْلَلَ ما جاء من المضاعف الرباعي كزلزلَ ودَمْدَمَ وقلقل الخ . ومثال عفعلَ : دردبَ ودهدمَ ودهدعَ ودهدقَ ودحدرَ وهكذا الى آخر ما هناك من الامثلة . واما فعللَ فلا يجب ان تكون موزوناتهُ الّا مـا كان شبيهاً بجلببَ . وهنالك اوزان سمّوها بالملحقات وعدّوا جَلْبَبَ منها . وجعلوهُ في المقام الاول . والوزن الثاني : فَوْعَلَ كحوقل . والثالث فَعْوَلَ كدهور . والرابع فَيْعَلَ كبيطر . والخامس فَنْعَلَ كجندلَ . ولو أنصفوا لجعلوا هذه الملحقات (وما هي بملحقات عندنا) اكثر مما عدّدنا امثلتـهُ . لان وزن دَحْرَجَ على الحقيقة هو فَعْلَجَ يعني ان الجيم هي الزائدة والاصل فيهِ دَحَرَ . ووزن اقشعرَّ هو افعنلَّ (ولو كان منحوتاً من قفَّ شعرهُ او وقف شعرهُ) لان القاف هي في حكم المزيد هنا

والذي آخذهُ في هذا الصدد على صرفيي العرب ونحاتهم انهم اتخذوا فَعْلَلَ للرباعي حتى للافعال التي ليس فيها الحرفان الاخيران متجانسين كما في دحرج مثلاً . وكان يجب ان يتخذ لذلك وزن فَعْلَمَ بميم في الآخر او فَعْلَنَ بنون بدلاً من الميم لان هذين الحرفين يكثر دخولهما في اواخر الالفاظ من افعال واسماء اكثر من سائر الحروف . وذلك فراراً من اعادة حرفين هما في الميزان وليسا بموجودين في الموزون . اللهمَّ الّا اذا كان الفعل على مثال جلبَبَ فحينئذٍ يُجعل هذا الميزان لهُ

امّا معنى فَعْلَلَ فهو بمعنى فَعَلَ الّا ان زيادة الحرف تدلّ على زيادة في معنى الثلاثي

وهذا المعنى الزائد متّخذ من معنى خاصية الحرف مثلاً اذا زيدت الراء دلّت على الحركة في الغالب . والفاء على الحياة . والشين على الانتشار . والحاء على الاتساع الى آخر ما هناك من خصائص الحروف كما سنذكره ان شاء الله تعالى

١٦ سَفْعَلَ وشَفْعَلَ

في بحثنا عن وزن استفعل ذكرنا هذين الوزنين الغريبين وشرحنا اصل نشوئهما . هذا واغلب الافعال التي وردت في الاصل على هذين الوزنين نُقلت الى استفعل او الى افعلّ ولولا ذلك لكان هذان البابان كثيري الامثلة . اما ما نقلهُ العرب الى افعالّ وهو في الاصل شفعل فمنها اشمخرّ الشيء : طال . وكذلك شمخر بمعنى تكبّر . فكلاهما من مخر بمعنى شقّ . فالذي يطول (في الباب الاول) يشقّ ما يقوم بوجهه او يقف به لانهُ اذا امتدّ لا بد من ان يفعل كذلك . وكذلك المتكبّر في الوزن الثاني

ومما جاء اصلهُ على وزن سفعل بالسين ثمّ نقل الى افعالّ (والاصحّ ان يقال اسفعلّ كما يجب ان يقال في الاول اشفعلّ) : ١ اسمغدّ الرجل : امتلأ غضباً . واسمغدّت اصابعهُ : تورّمت . وهو من مغدّ اي سمن وامتلأ . وقد صُحّف بالعين المهملة فقالوا بمعناه : ٢ اسمعدّ . وقد صُحّف بصورة ثانية وهي ٣ اشمعطّ والمعنى واحد . ٤ وقالوا : اسمطّ العجاج : سطع . واسمعطّ هي نفس كلمة سطع مقلوبة وقد زيد فيها الميم ٥ اسمعلّ ٦ واشمعلّ وكلاهما بمعنى اشرف وجدّ بالمشي وكلاهما ايضاً من معلّ بمعنى اسرع في سيره والمعنى واحد . ٧ اسلغبّ الطائر : شوّك ريشهُ قبل ان يسودّ . وهو ماخوذ من اللّغب وهو الريش الفاسد .

٨ اسلعبّ الطريقُ : كان بيّناً ممتدّاً من لَعَبَ الطريق بمعنى وضح ممتدّاً

هذه الاوزان ومشتقاتها وُفّقنا الى كشفها بمنّه تعالى بدون ان نعثر عليها في كتاب جرجي افندي زيدان ولا في كتاب آخر اذ لم يتعرّض لها احد من العلماء الاقدمين والمحدثين لا من الاعراب ولا من الاغراب

١٧ تَفَعْلَلَ

في وزن فَعْلَلَ بيّنّا ان للرباعي اوزاناً عديدة في الحقيقة الّا انهم اجترأوا بواحد

هرباً من الكثرة. واخذنا على النحاة شيئاً واحداً وهو انهم جعلوا في فعلَل حرفين متشابهين في الاخر وقبل الآخر وكان الاوفق ان يقال « فَعْلَمَ » او « فَعْلَنَ » جرياً على ما ورد من الالفاظ المختتمة باحد هذين الحرفين. واما تَفَعْلَلَ فغير موجود في لغتنا كما هو في العبرية بصورة « تِفَعْلَلَ » و يفيد اللزوم او المطاوعة او ما كان من هذين المعنيين. واما في العربية فان الناطقين بالضاد توسعوا في معناه فجاء في لسانهم لازماً ومتعدياً (١ ولا بدّ من شواهد تمكيناً لصدق ما نزعمهُ ونذهب اليه. من ذلك: ١ً تَبَذَّرَ اي بذَّر. ٢ً تَخَرَّبَ القادح الشجرة مثل خرّبها اي ثقبها. ٣ً تَعَثَّلَ الشيء: جمعهُ من عَثَلَ الشيء: اذا كان كثيراً وغليظاً ضخماً. ٤ً تَعَظَّلَ فلان: حاك في مشيه يمنةً ويسرةً من عظَّلَ. والمعنى ظاهر يُطلب من كتب اللغة. ٥ً تَقَثَّلَ الشيخ: مشى يثير التراب في مشيه ماخوذ من العثر بقلب القاف عيناً والراء لاماً وكلاهما من لغات العرب او لغاتهم. ٦ً تَجَبَّلَ الرجل اسنَّ وهو من الجبل وهو الضخم المسنّ من

١) خامر فكر العرب وجود وزن تفعلل عندهم الّا انهم في الآخر جزموا بعدم وجوده في العربيّة. قال في التاج في مادة « ش و ر » وهو المثال الوحيد الذي نقلهُ اللغويون تعرّضاً لهذا الوزن: « الشوار: ما ابقت الدابة من عافها. وقد تَشَوَّرت تشوّاراً. لانَّ تَفَعْلَلْتُ بناء لا يعرف الّا ان يكون فَعْوَلْتُ فيكون من غير هذا الباب. قال الخليل: سألت ابا الدُقيش عنهُ قلت: تشوار او شوار؟ فقال: تشوار. وزعم انهُ فارسيٌّ ». قال الصاغانيُّ: « هو معرَّب تَشْخوار بزيادة الخاء. » اه المقصود من ايراده. وهو نفس كلام صاحب اللسان ما عدا العبارة: قال الصاغانيُّ . . . والاصح ان الكلمة فارسية وقد تصرَّف بها العرب وعليهِ فتشوَّرت الدابة هنا فَعْلَلَتْ لا تَفَعْلَلَتْ ولا فعوَلت. لانك اذا قلت: تفعلت تكون النون زائدة والحال انها اصلية. ولهذا حُكم عليها انَّها من فَعْلَلَتْ. الّا ان مصحح طبع لسان العرب كتب على هامش مادة « ش و ر » ما هذا نصهُ: « قولهُ لأن تفعلت. . . الخ. هكذا بالاصل. ولعلهُ الّا ان تفعلت. . . » ثم اعلم انَّ نرجس ذكرهُ صاحب القاموس في (رجس) وعيَّن الجوهري زيادة نونهِ. فعلى هذا نرجس زيدُ الشيء: اذا جعل فيهِ النرجس من باب تَفَعْلَل لا فعلل فيكون بناء معروفاً. » اه مصحَّحهُ. — قلنا: ان نون نرجس اصلية وهي كلمة معربة عن الفارسية « نرگس » وذكر صاحب القاموس لهذه الكلمة وهمٌ من اوهامهِ الكثيرة. وكذلك وهم الجوهري في تعيينهِ زيادة نونهِ لان اللغويين قد صرَّحوا غير مرة في دواوينهم ان حروف الكلم الاعجمية او المعربة كلها اصلية لا زيادة فيها (راجع التاج في سنجنيق مثلاً) وعليهِ فالاعتماد على كلمتي تشور ونرجس لا يكفي للاستدلال على وجود تفعلل الّا ان تؤخذ الفاظ عربية محضة كما قلنا حتى يتخذ منها قياس او تُشكَّل منها نتيجة مقنعة

الناس . ٧ تَهَتَّرَ الرجل : تحدَّث بالكذب ماخوذ من الهَتْر ومنهُ المُهَتَّر للمولع بالقول في الشيء . ٨ تَهَرَّجَ المرأة : هرَجها . ٩ تَهَشَّلَ الرجلُ : كبر وهو من الهش يعني سرعة الانكسار بزيادة اللام في الآخر ١٠ تَوَدَّلَ الرجل : اضطرب كبرًا وهو من ودَلَ السقاء : خَضَّهُ ومخضهُ

وهناك غير هذه الافعال وقد ذكرنا ما حضرنا تأييدًا لهذا الراي ومن اراد الزيادة فليبحث عنها في كتب اللغة

١٨ تَفَعْلَلَ

سبب وجود التاء في تفعلل كوجودها في تفعَّل وتفاعل وافتعل فلتُراجع وهنا هي لمطاوعة فَعْلَلَ

١٩ إِفْعَلَلَّ

هذا الوزن في الرباعي ومعناهُ كوزن افعلَّ في الثلاثي وكثرة الحروف تزيد المعنى قوةً وتفننًا . اما الهمزة فهي مجتلبة لفائدة وهي عدم الابتداء بالساكن ولذا تراها موصولة بخلاف همزة أَكْرَمَ فانها مقطوعة . ثم ان همزة ما فوق الرباعي تُحذف في المضارع بدون ان تُبقي اثرًا بعدها لانها اجتُلبت لحاجة فلمَّا تمت الحاجة أُلقيت وطُرحت طرح ما لا ينفع ولا يفيد . بخلاف همزة الرباعي فانها عند حذفها في المضارع تبقي حركة بعدها للدلالة على مكانها الاصلي وهو مما يجب ان ينتبه لهُ

٢٠ إِفْعَنْلَلَ

هذا الوزن في الرباعي كانفعَلَ في الثلاثي من جهة الهمزة والنون يعني انهُ يدل على نوع من المطاوعة والنون تدل على النفس وحينئذٍ يكون المعنى ان فاعِلَ الفعل ينقاد الى ما يُفعل فيهِ من الفعل والعمل او ما يقع عليهِ منهُ ولذا لا يخلو هذا الوزن من معنى اللزوم ابدًا (١

فمثال المطاوعة : حَرْجَمتِ الابل فاحرَنجمت ومثال اللزوم : اقْعَنْسَسَ الرجل . ابرنشقَ الشجر . اقْعَنْجَرَ المطر

١) هذا الوزن في العربية يقابلهُ في الارمنية إفعامل . ومن هذا ترى ان هذا الباب في الارمنية يقابل بابين في العربية افعوعل وافعنلل وهو ما يمكن ان يتحققهُ كل باحث من استقراء الالفاظ في اللغتين الاختين . ولسنا اول من نبَّه على هذا الامر فقد سبقنا اليهِ جماعة من علماء الاعراب والاقراب . ولهذا وجب التنويه اعطاء كل حقهُ

٢١ إفعَوَّلَ

من العجب ان النحاة والصرفيين قد وضعوا وزنًا لأفعال تُعدُّ على الاصابع ولم يضعوا اوزانًا لما جاء على ابواب سفعَل وشفعل وافعألَّ . اما هذا الوزن فما هو الّا من قبيل الملحق المشدَّد ما قبل الآخر واذا يأتي لازمًا ومتعديًا فمثال اللازم : اجلوَّذَ ومثال المتعدي : اعاوَّطَ ومن ثم فليس لهذا التشديد معنى خصوصي بل هو راجع الى معنى المزيدات مزيدات الملحقات لا غير ولهذا السبب عينهِ ليس لهذه الافعال معنى لمجرّدها بل ان معناها محصور في صورتها هذه . فهي اذن ولا شك في ذلك من الادلّة الواضحة على مُلحقيَّتها ليس الّا . اللهمَّ الّا ان يكون مقصورًا من افعوعل وهو غير بعيد ايضًا فتكون الشدَّة عوضًا عن المحذوف

٢٢ إفعَنْلَى

هذا الوزن مطاوع فَعْلى يقول سلقاهُ فاسلَنْقى وهذا وحده يكفيك لان يبنك ان هذه النون هنا هي كنون انفعل وافعنلل

٢٣ إفتَعْلَى

هذا الوزن كالسابق الّا ان النون قد ابدلت في ذاك من التاء في هذا ولا فرق في المعنى فهي بمعنى تاء افتعل وهذان الوزنان الاخيران خاصّان بالملحقات ومع ذلك فانهما قليلا الورود . وكلاهما للمطاوعة واما افعوَّل فلا يرد للمطاوعة ابدًا بل يُعتبر دائمًا من قبيل الملحق المزيد وان لم يصرّح به احد من النحاة او اللغويين

اوزان غريبة تجافى عنها العرب

للارميين وزنان في مزيد الرباعي غير موجودين في العربية بحروفهما وهما إفعَلَعَلَ وافتَعْلَعَلَ . الا ان الاول منهما نقلهُ العرب الى افعوعل كما سبق الكلام عليهِ في محلّهِ او الى افعَنْلل وفعلوا ذلك طلبًا للخفة في اللفظ . واما مطاوع هذا الوزن وهو افتَعْلَعَلَ فلا اثر لهُ البتة وقد تحاشوا عنهُ لثقلهِ . هذا ما اردنا تبيانهُ لافادة المشتغلين بالابحاث العربية النحويَّة واللغويَّة مجاراةً لاهل هذا العصر اهل التحقيق والتدقيق والاستقراء والتتبُّع غير مكتفين بما سمعنا وتعلمنا وتلقينا وتلقنّا . فان اصبنا عاد الفتح والفضل لله وان اخطأنا فليس من العجب ان يُسيء العبدُ فهم مولاه

معادن الرند الذهبية

والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبية (تابع لما سبق)

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

فخرجنا من قفصنا واذا نحن في سرداب او قل مغارة تقطر المياه من كل جهاتها وتسيل على مشعلاتنا جارية من الدعائم المنصوبة في وسط الاسراب لتقيها من الهبوط

ولما اردنا ان نسأل الدليل عن قياس العمق الذي بلغنا اليه بقي صوتنا في الحنجرة كأنا أصبنا بصمم وبعد الجهد الجهيد امكننا ان نسمع صوتنا من يجاورنا فاجابنا اننا بلغنا عمق ٢٠٠٠ قدم وما لبثنا قليلاً حتى خف الهواء على اذاننا فعاد سمعنا كما كان

فاخذنا نسير في ذلك السرداب وارجلنا تغوص في اوحاله ثم ملنا الى الشمال حيث وجدنا مضخة تقذف بالمياه المتجمعة في تلك المصانع فتصعدها بقوة الكهرباء الى علو الفي قدم اعني حتى سطح الارض حيث يتخذونها لشروبهم

ثم استأنفنا السير في نفق هناك فرشت على حضيضه قضبان الحديد لسير العجلات الصغيرة التي تنقل التراب والحجارة وكان النور الكهربائي ينيرنا حتى بلغنا مكاناً مظلماً فلم نر بداً من ايقاد شموعنا وصرنا نجري الواحد خلف الآخر تارة ندوس الاوحال وتارة نمشي في الماء السائل او المتجمع في الحفر حتى بلغنا منفذاً هناك فهبت علينا ريح باردة اطفأت شموعنا فاوقدناها مرة ومرتين حتى اشار الينا الدليل بان نضع الشمعة قريباً من رأسها بين الاصابع فنقيها من الهواء بقبضة الكف

ولم نزل سائرين حتى شعرنا بحرارة قوية ورأينا امامنا فاعلاً صينياً يعتل امامه عجلة فيها التربة المستخرجة من تلك القعور فيدفعها وهو يلهث كالثور . ثم سمعنا صوت ضربات متوالية فاقتربنا واذا بها آلة للحفر منصوبة هناك مع دعائمها المتينة واجهزتها المختلفة وحولها الفعلة الصينيون بايديهم المعاول والمخول لنكش التربة وكسر الحجارة ونقلها

ولما جاوزنا تلك الآلة سمعنا ضربات اخرى كانها المدافع في طلقاتها . فلما اقتربنا اليها علمنا انها آلة نسافة تجري بالهواء المضغوط والهواء يأتيها من قساطل ممتدة من

سطح الارض تدفعهُ آلات قويَّة الى باطن الارض وبقوتـهِ تنفجر الصخور الممتزجة بالذهب وتتكسر وذلك بسرعة غريبة تزيد على تواتر اللغوم العاديَّة عشر دفعات

ثم قفلنا راجعين على الاعقاب مسرورين لخروجنا من هذا المضيق المخيف وبعد العطفات والتعريجات ادَّى بنا السير الى منحدر شبه المزلق ذي سطح واطئ فوجب علينا ان ننطرح على الارض ونهبط منها زحفاً بينما كانت قطع الحجارة والتراب تترجرج من تحت ارجلنا فوصلنا الى فسحة متسعة حيث كان الصينيون يجرفون الحجارة المنسوفة ويضعونها في العجلات لتُنقل الى سطح الارض

ثم اجتزنا بعامل من البيض يأمر على عشرة من الزنوج وهم يشتغلون بتهيئة اللغوم فوقفنا هنيهة لننظر ما يعملون فلمَّا انتهوا من إعداد عدد وافر منهـا أوصلوها بالالة الضاغطة للهواء السابق ذكرها ثم ابتعدوا الى مسافة كافية وتنحينا نحن ايضاً من جهتنا فاخرج حينئذٍ العامل الابيض من وعاء هناك شيئاً من الديناميت وجعلهُ في الالغام ثم اوقد الفتيل فما مرَّ على ايقاده الَّا القليل حتى طرق آذاننا دويٌّ هائل ارتجت لهُ الارض وانطفأت بحركتهِ شموعنا وسقطت قبعة احدنا متطايرة . ولم نُفق من رعبتنا هـذه حتى سمعنا دوياً ثانياً وثالثاً الى عدد معلوم كان العامل يُعلن بهِ بصوت جهور ليتحقَّق ان كل اللغوم قد انفجرت ولا يسمح لاحد بالتقرب ريثما يتمُّ عددها لانَّ في انفجارها خطراً مبيناً على العملة فيقتلون لا محالة اذا ما قربوا منها عند نسفها

ثم تابعنا السير حتى عُدنا الى الفوهة التي انحدرنا منها واذا بالقفص ينتظرنا فتسلقناه صاعدين الى سطح الارض شاكرين الله على سلامتنا . وقد وجدنا نفسنا عند الخروج في حالة تُضحك الثكلى فكان التعب قد اضنك قوانا والعرق يتصبَّب من جبيننا والمياه تسيل على مشمعاتنا وارجلنا متلطخة بالوحول . فاسرعنا الى غسل ايدينـا ووجوهنا فرحين لما لقينا في تلك الزيارة من آثار الاعمال البشريَّة التي تحيِّر العقول

وبينما نحن واقفون عند فوهة المعادن اذا بصناديق حديـديَّة صعدت من اعماق الارض وهي مملوءة بالتربة والحجارة الذهبيَّة فتناولتها الالة المنصوبة وافرغتها في ميزاب مركَّب على الصقالة فتحدَّرت من الميزاب الى عجلات صغيرة تحرِّكها قلوس طويلة من الفولاذ حتى تبلغ الآلة المحطِّمة للحجارة الذهبية . اما التربة الناعمة فتجري بها عجلات أخرى الى معاهد خاصة بها

فدخلنا الى قاعة تحطيم الحجارة فوجدناها كبيرة واسعة فيها قسم يفرزون فيه الحجارة البسيطة عن الحجارة الذهبيَّة يدعونهُ قاعة التفريق (Sorting House) وذلك ان المدنين اذا كسروا الحجارة في بطن المعادن لا يستطيعون لضيق المكان وقلة الوسائط التمييز بين الحجارة العاديَّة والحجارة المعدنيَّة . فاذا نُقلت الى هذه القاعة وهي ملطخة بالاوحال والاوساخ جعلوها في صندوق حديد كثير الثقوب فتُغسل غسلاً محكماً وتظهر اذ ذاك على حقيقة عنصرها ويلقون الحجارة البسيطة عن جانب اما حجارة الذهب فيعرفونها من غيرها بما تحتويه من شبه الكُرى المحبة يضرب بعضها الى السواد و بعضها الى البياض وقسم منها الى الاحمرار يُحدق بها بُقع سوداء . واذا غُسلت الحجارة أجازوها على شقق طويلة من الجلد تدور بين صفوف من الصينيين وهم ينقونها فيلقون ما لا فائدة منهُ بين ارجلهم حيث توجد مآزيب واسعة من حديد تنقل بها الى عجلات في الخارج وتُطرح في امكنة معدَّة لها . امَّا الحجارة الذهبيَّة فانَّها تدور مع شققها حتى تبلغ الى احدى المطاحن فتُكسر قطعاً صغيرة لا يتجاوز كبرها حجم الجوزة ثم تنقلها شقق اخرى من الجلد الى محل ثانٍ فيه المطارق والبطاريَّات فالبطاريَّات تولد الكهربائية وتحرك المطارق التي تسحق الذهب بضربها المتوالية . وهو امرٌ منظر مهيب اذ ترى تلك المطارق الضخمة تهبط من علُ فتهزُّ الارض بطرقاتها وتهتز الجدران بزلزالها وترقص النوافذ بهجيجها . وتحت المطارق مصاطب مستطيلة الشكل يجري فوقها جدول من المياه المكدرة المتغيرة اللون

ثم صعدنا على صقالة تُشرف على تلك المصاطب فنظرنا هناك آلات انفيَّة تديرها البطاريَّات وكل آلة منها تحرك عشر مطارق فتحدث ذلك الضجيج الهائل . ثم انحدرنا فتفحصنا الاجران الفولاذيَّة التي فيها تُطحن الحجارة فتنعم ثم تجوز منها في منخل رفيع ممزوجة بالماء وتسيل على المصاطب كما ذكرنا . وتلك المصاطب ممسوحة بالزئبق فيختلط الذهب بالزئبق فيحمى المزيج على النار ويفصل الزئبق من الذهب بالتقطير فيبقى الذهب وحده وهو حينئذٍ في انقى اطواره

وكان سابقاً قسم من التربة المخلوطة بالذهب لا يمتزج بالزئبق فتقذفهُ المياه خارجاً فلا يكترثون لهُ . اما اليوم فقد وجدوا طريقة لاستخراج ما يبقى في هذه التربة من شذرات الذهب بأن يجرُّوا ذلك المطول بالقساطل والدواليب الى براميل واسعة فتخلط

بسيانيد البوطاسيوم وتبقى من خمسة الى ستة أيام حتى ينحلّ الذهب جيدًا في السيانيد ثم يفتحون في اسفل البرميل مجرى يسيل منهُ الذهب المحلول بالسيانيد الى ابران خشبيَّة ويُمزج بمحلول التوتيا فيرسب الذهب في القعر على شبه حمأة سوداء يحمونها في قطع صغيرة من الخزف ويستخرجون منها الذهب ويلقون ما يبقى في البرلميل والابران على التلال المتكومة خارجًا

و بعد ان استقصينا احوال الذهب في كل اطوار تعدينه واستخراجه ذهبنا الى معمل الحدّادين الذي موقعهُ قرب الفوهة التي نزلنا منها في اعماق الارض فوجدنا هنالك العملة يشتغلون بكل اعمال الحدادة لاصطناع آلات التعدين واصلاحها . وبجوارهم قاعة للنجّارين يهتمون بكل الادوات الخشبيَّة . ثم زرنا قاعة المراجل حيث الآلات العظيمة البهيَّة على الاطراز المستحدثة منها الآلات التي تديرها البطاريَّة لطحن الذهب والآلات الضاغطة للهواء . ورأينا الغرفة التي فيها الآلة البخارية التي تستخرج الاثقال من قعر الارض بواسطة القلوس الفولاذيَّة وكان العامل الموكل بها قائمًا على منضدة عالية وفي يده المفاتيح لتدويرها فاذا سمع دقة الجرس الكهربائي ادارها كما شاء

ثم خرجنا ونحن نقضي العجب مما رأينا من عظمة الاعمال البشريَّة وقفلنا راجعين الى منزلنا . فرأينا على طريقنا بيت وكيل المعدن وهو اشبه بقصر لا ينقصهُ شيء من رفاه المعاش وتحدق به جنة فيحاء جامعة لاصناف الشجر والنبات . ولقينا في مسيرنا دارًا فسيحة الارجاء يسكنها المعدّنون الصينيون وهي تتألف من غرف عديدة كلها على هندام واحد انيقة الشكل في منتهى النظافة . وكان الصينيون جالسين على المائدة لمّا اجتزنا فسمع عن بُعد ضجيجهم وصوت لغطهم وضحكهم والخفر يدورون حولهم . فابتعدنا ونحن نردد عبارات التعجب من كل ما سمعنا ورأينا في تلك الزيارة وندعو للاوطان بشيء من هذا العمران

معادن الذهب في الرند الغربي

هي المناجم الواقعة غربي جوهنسبورغ وتربتها تشبه الشبه التام المناجم التي مرَّ لنا وصفها وبعض علماء الطبقات الارضية يزعمون انها متصلة بها الّا ان الادلَّة حتى الآن لم تثبت هذا الظنّ . وهذه المعادن تعرف بمعادن كلاركسدورب (Klerksdorp)

و پوتشفستروم (Potchefstroom) . ومما تمتاز به هذه المعادن ان تربتها الذهبية متقطعة كثيرة الاعوجاج ذات عطفات علّتها طوارئ الزلازل وانفجارات البراكين . والعروق التي فيها الذهب تمتد الى ما تحت نهر الفال حتى بلاد اورنجة

وكان اكتشاف هذه المناجم سنة ١٨٨٧ فاخذوا في تعدينها وكان الحاصل منها سنة ١٨٩٠ ١٠,٣٥٨ اوقية من الذهب ثمّ زاد محصولها فبلغ سنة ١٨٩٤ ٨٤,٧٨١ اوقية وبعد انتهاء الحرب تألفت اربع شركات لتعدينها فكان محصولها سنة ١٩٠٥ ١١,١٤٦ اوقية

وقرب نهر الفال في الجنوب الشرقي من مقاطعة پوتشفستروم مناجم ذهبيّة دلّ الاختبار ان ذهبها دون ذهب الرند حسناً . لكن هناك عرقاً غنياً بالمعدن يُدعى اردين (Odin Reef) يُستخرج من كل طنّ من تربته اوقيتان من الذهب

معادن مقاطعة دي كاب

في مقاطعة دي كاب (The De Kaap District) معادن ذهبيّة تبلغ مساحتها ثمانمائة ميل مربع . واغناها واشهرها معدن شبا (Sheba) الواقع قرب « بار برتون » كان محصول هذا المعدن سنة ١٩٠٣ ٢٥,٨٥٦ اوقيّة من الذهب استخرجوها من ٩٧,٥٣٢ طنّاً من التربة فيساوي معدّل الطن ٢٥ شلناً ونصف وفي السنة ١٩٠٥ بلغ الحصول ٢٦,١٢٦ اوقية

وكان هناك قبل الحرب احد عشر منجماً بلغ سنة ١٨٩٨ مجموع ذهبها ٨٩,٧٦٠ اوقية ثم استأنفوا تعدين تلك المناجم بعد الحرب فعدنوا منها سنة ١٩٠٣ اربعة استخرجوا منها ٩,٩٣٣ اوقية ذهب ثم صارت المناجم خمسة واتّسعت اعمالها حتى بلغ محصول الذهب منها سنة ١٩٠٤ ٣٣,٨٨٧ اوقية وفي السنة التالية ٤٣,١٣٩

على ان بين معادن الرند ومعادن هذه المقاطعة فرقاً فان معادن دي كاب موجودة في ضمن الجبال ولا يستوجب فتح فوهاتها عناء كبيراً لان الانفاق تُفتح في سفح الجبل على خطّ افقيّ دون عناء كبير واما الرند فانّ معادنهُ تحفر الى اغوار بعيدة يبلغ عمقها احياناً ثمانية آلاف قدم

وكذلك بينهما فرق آخر وهو انّ الذهب في مقاطعة دي كاب شديد الصلابة وعروقهُ ضيقة جداً الّا معدن شبا السابق ذكره

معادن سوازي لند

بعض هذه المعادن واقع على حدود بلاد سوازي لند (Swaziland) كمعدن شتينسدرب (Steinsdorp Gold Fields) الواقع قريباً من باربرتون ومقالعهُ الذهبيَّة وافرة لكنَّ اجناسهُ غير مرضيَّة ولذلك لم تتألف شركات لتعدينهِ مع ان الحكومة اباحت ذلك في السنة ١٩٠٤

وبعضها واقع في داخل سوازي لند فقد فحصوا منها ما كان موقعهُ عند الشمال غربي هذه المقاطعة . وقد اجمع الخبيرون بالطبقات الجيولوجيَّة ان ذهبها وافر جيد وكان محصول هذه المناجم سنة ١٨٩٦ ١,٢٨٨ اوقية ثم بلغ بعد سنتين ٨,٢٥٦ اوقية ولم يستأنف فتح هذه المناجم بعد الحرب الا سنة ١٩٠٤ والهمة مبذولة في توسيع اشغالها لوفرة ذهبها

وهناك ايضاً معادن للفحم الحجري سوف يباشرون باستثمارها اذا ما بانت الى جهتها السكة الحديديَّة

الذهب في بلاد ناتال

مناجم الناتال معروفة شهيرة منذ قديم الزمان لكنَّ ملوك الزنوج الذين كانوا يحكمون فيها وقفوا في وجه طالبي الذهب كحائط منيع فلم يمكنوا احداً من استخراجهِ . فلمَّا انضمَّت بلاد زولولند الى الترنسفال سنة ١٨٨٦ توارد المعدّنون الى تلك الجهات وباشروا في الاشغال لكنَّ محصول الذهب من السنة ١٨٩٢ الى ١٩٠٤ لم يتجاوز ٣٨٣٠ اوقية لأسباب . وقد وجدوا الذهب في جهات عديدة من بلاد ناتال على انَّ كميتهُ القليلة حالت دون ملازمة تعدينهِ

وقد فتحوا ايضاً سنة ١٩٠٤ معدن ملماني (The Malmani Gold Fields) لعرقين ذهبيين وُجدا فيهِ وحتى الان لم يأت الشغل بالاثمار المأمولة

معادن ليدنبرك

معادن ليدنبرك (Lydenburg) مشهورة وانما هي معادن نهريَّة والذهب فيها مختلط بعروق دقيقة من الكوارتز والتعدين هناك قائم على قدم وساق وفيها ما يناهز ١٥٠ مطحنة للذهب . وقد كان محصولها سنة ١٨٩١ ٣٢,٩٠٧ اواق من الذهب

فبلغ بعد غرّ الشغل المتواصل ٧٨,٧٣٧ اوقية في السنة ١٩٠٥ . وهناك وجدوا قطعة عجيبة من الذهب النهري بلغ ثقلها ٢١٥ اوقيّة . وعمّا قريب سيمرّ قريباً من تلك المعادن خطّان حديديّان احدهما من كوماتي بورت الى ليدسدورب والآخر من ماشودودرب الى ليدنبرغ وبهما سوف تترقى اعمال هذه المعادن ويزيد الاقبال عليها

معادن مقاطعة واطربرغ والاقاليم السفلى

معادن واطربرغ (Waterberg) متوسطة بين معادن الرند ونهر ليمبوبو اكتشفت سنة ١٨٨٤ وبوشر بتعدينها سنة ١٨٩٢ ونجحت باعمالها لكننا لم يمكننا ان نحصل على لائحة تفيدنا عن محصولاتها السنويّة

اما البلاد السفلى (Low Country) فمعادنها واقعة في جبال مارشيسون (Marchison) القريبة من جبال دراكنسبرغ (Drakensberg) فيها صخور من الكوارتز مختلطة بالذهب اشهرها معدن كلين ليتابا (Klein Litaba) شمالاً ثم معدن سلاطي (Selati) جنوباً ثم ورديش (Woodbush) غرباً . وكان محصول معدن كلين ليتابا سنة ١٨٩١ ٧,٩٢٦ اوقيّة وكادت هذه الكميّة تتضاعف السنة التالية فبلغت ١٤,٦٩٢ اوقيّة ثم خمدت حركة التعدين إلّا حدث هناك من المناوشات والخصومات بين البيض والزنوج ثم استأنفوا العمل بعد ذلك وهي اليوم جارية ببطء لتزاحم الجمعيّات ولصعوبة المواصلات لكنهُ عن قريب تنجز سكة حديديّة توصل هذه المعادن بمعادن مورسدورب فتتحسن احوالها . وهناك معادن اخرى غنيّة بالفضة والنحاس والحديد والرصاص والزنجفر سوف يتولّى المعدّنون حفرها . وفي تلك الجهة واقع اوّل معدن ذهب عدّتهُ ارباب المال في انترنسفال فحطّم البوير آلاتهِ سنة ١٨٨١ وبقي مهملاً الى السنة ١٩٠٤ حيث استؤنفت فيهِ الاشغال بعد وجود بعض قطع من الذهب النهري في جهاتهِ

معادن تاتي الذهبيّة

امتداد معادن تاتي (Tati) على مساحة ٣٥٠٠ ميل مربّع من الخاء بالابي (Palabye) الى ضواحي بولاوايو (Bulawayo) وهي تابعة لمستعمرة بشوانلند (Buchwanaland) الانكليزيّة . قد اكتشف هذه المعادن الرحّالة كارل موخ سنة ١٨٦٢ بيد انّ الاحوال لم تسمح باستثمارها الّا قليلاً حتى السنة ١٩٠٠ فأنشئ

حينئذٍ معدن دعوهُ « برْميه تاتي موتارك » (premier Tati Monarch) فكان خالص ربحهِ بعد سنة واحدة ١٠,٤٩٠ ليرة انكليزيَّة. وقد أُنشئت معادن اخرى استلفتت اليها الانظار كمدن دورهام بروسبكت (Durham prospect) وونفرد ديفيلوبمان (Winifred Develop^nt)

معادن بلاد روديسيا

هي المناجم الذهبيَّة التي كتب عنها كارل موخ سنة ١٨٦٢ ما تعريبهُ : « هذه حقيقةً مروج ذهبيَّة تاخذ بسعة رمالها ووفرة ذهبها كل ماخذ من ناظرها وقد وقفتُ امامها مبهوتًا متحيرًا بل مفتونًا مسحورًا وقد قدَّرتُ انَّهُ يمكن لألوف من الرجال ان يشتغلوا بتعدينها دون ان يزاحم بعضهم بعضًا » وقد جاء مثل هذه الاقوال لغيره من الكتبة وعليهِ لم تلبث الجمعيَّات ان انعقدت لتحقيق تلك الآمال وتواردت العمَّال لتسميم تلك النبوَّات والتكهُّنات

وممَّا أيَّد آمال المكتشفين ما وجدوهُ في تلك الانحاء من آثار التعدين القديم كما قلنا في فاتحة مقالتنا فانَّك ترى حيثما سرت حفريَّات واسعة تنبئ بأشغال القرون الغابرة كمعدن ميتوبوتا (Metopota) في بلاد المشونالند الغربيَّة فهناك جبل ترى على قمتهِ فوهةً واسعة احتفرها المعدِّنون يبلغ عمقها مائتي قدم وسعة الحفريَّات ينيف على مائتي يرد (واليرد ٩١ سنتمترًا) . وقد حسب احد العلماء ان التربة المستخرجة منهُ تبلغ ٧٨٥,٤٠٠ يرد مربَّع فيكون ثقل التربة الذهبيَّة المستخرجة مليون طنٍّ ونصف طنٍّ

وليست هذه المناجم القديمة غاية في العمق لان معدِّنيها كانوا اذا بلغوا الماء في الحفر كفُّوا عن الشغل وربَّما تظهر المياه على عمق ٤٠ الى مئة يرد . وقد تحقَّقوا ايضًا ان الامكنة التي عدَّنها القدماء كانت غنيَّة بذهبها الى عمق ٥٠٠ قدم بنيف. وقد وُجدت في روديسيا عروق ذهبيَّة كثيرة لكنَّها ليست كمعادن الرند منتظمة الطبقات. واما الذهب النهري فكثير جدًّا لكنَّهُ ليس من الصنف الجيد. وما يبيِّن غنى بلاد روديسيا بالذهب انَّ محصول ذهبها السنوي لو قُسم على سكَّانها البيض لنال كل واحد منهم كميَّة اوفر من غيرها . فانَّ مبلغ الذهب في السنة ١٩٠٤ مثلًا كان لو قُسم بين كل ساكن لاصاب الفرد منهم ٧٤ جنيه وتسعة شلينات اما في اوستراليا فانَّ الذهب لو قُسم بين كلِّ

وطني لما زادت حصّتهُ على ليرتين وتبلغ حصّة الواحد في بلاد الترنسفال ٥٣ ليرة و١٠ شلينات

وقد حُسب محصول الذهب في روديسيا من ٣١ آذار سنة ١٩٠١ الى مثلهِ في العام القابل فكان ٢٣٤,٧٢٠ اوقيّة من الذهب ثمنها ٨٥١,٨٠٧ جنيه ومن ٣١ اذار ١٩٠٤ الى مثلهِ في العام التابع بلغ المجموع ٤٣٨,٨٩٣ اوقيّة ثمنها ١,٥٩٩,١٩٨ جنيه

معادن الذهب في المستعمرة البرتوغاليّة

وقع هذه المعادن الى الشرق قرب حدود بلاد الناكوالند (Namaqualand) وهي غنيّة جداً بالتبر والبلوغ اليها سهل من جهة بلدة تُدعى « ماسي كاسي » واكثرها في الجبال على علوّ شاهق فوق سطح البحر . على اننا لا نعرف من امر هذه المعادن شيئاً لانقطاع اخبارها عنّا منذ عشر سنوات . وانّما سمعنا بان اهل تلك المستعمرة اكتشفوا مقالع جديدة من الذهب في وادي شيزي وفي موزا قرب ديلاكوا باي

نفقات التعدين

معلوم ان اشغال التعدين تقتضي تكاليف ونفقات باهظة تثبط همم الشركات وكثيراً ما تردُّهم عن مباشرة العمل خوفاً مما يتوقعونهُ من المصاريف في تلك المشروعات التي لا تسدُّها الارباح المأمولة . ومن اكبر العوائق في ذلك مشاقّ المواصلات وصعوبة النقل التي كانت تستلزم مالاً طائلاً . وهذه العقبة قد تذللت اليوم بتوفر السكك الحديديّة اذ انخفضت اجور النقل اربعة اخماس ما كانت عليهِ سابقاً . وقد ازدادت هذه الخطوط في روديسيا اكثر منها في بلاد الترنسفال ولذلك توفّرت ايضاً ارباح تلك على هذه

ومن الاسباب الاقتصاديّة في تعدين معادن الذهب وفرة الغابات وكثرة المياه . لان المناجم تحتاج الى الاخشاب والصقالات التي تُقام لدعم السقوف واستحضار آلات خشبيّة عديدة لتشية الاشغال . وكذلك المياه لازمة لري الاراضي المجاورة للمعادن ولتنقية التربة وغسلها . ومن هذا القبيل ايضاً ترى التقدم لمعادن روديسيا التي لديها من الاخشاب والمياه ما يفي بحاجتها فضلاً عن قربها من السكك الحديديّة كما سبق

فانهُ اذا نجزت الخطوط التي انشاؤها في روديسيا اصبح ابعد معادنها عن الخط الحديدي على عشرين ميلاً فقط وهي مسافة لا تُذكر

وقد كانت مع ذلك نفقات التعدين في سنتي ١٩٠٥و١٩٠٦ بمعدل عشرين فرنكاً بنيف قليل على كل طن من التربة المستخرجة بعد طحنها واستخراج ذهبها على الطرائق المذكورة سابقاً . ولعلَّ هذه النفقات ستخفُّ ايضاً في المستقبل

ومن المصاعب التي تحول دون العمل قلَّة المعدّنين فذلك مما يسبب بطئاً في الاشغال وزيادة في النفقات وخصوصاً بعد الحرب الترنسفاليَّة . وقد تحسنت الاحوال في هذه السنين الاخيرة حتى ان معدَّل الفعلة الذين يشتغلون كل شهر في روديسيا يبلغ خمسة عشر الفاً بنيف واكثرهم من الزنوج وهم متفرّقون في نحو ثلاثين معدناً

ومما يفكر فيهِ اليوم ارباب معادن الرند نقل القوة الكهربائية من احد انهار افريقية الجنوبيّة الى المعادن كما يفعل الاميركيون في بلادهم والنيَّة معقودة في وضع البطاريّات الكهربائية على شلّالات فيكتوريا فينقلون قوّتها الى معادن الرند والمسافة بينها ٧٤٥ ميلاً . وقد اجمع المهندسون على ان هذا المشروع يفوز بنجاح باهر الّا ان البعض يرون ان النفقات على انجازه اوفر من ان تسدّها الارباح المأمولة وقد قدَّروا المصاريف على هذا المسعى العظيم بما يربي على اربعة ملايين جنيه فانهم قدَّروا معدَّل المصروف على نقل قوّة حصان بخاري بثلاثين جنيه اما معدَّل القوى البخاريّة التي تستطيع الشلّالات توليدها فهي من ٣٠٠,٠٠٠ الى ٦٠٠,٠٠٠ حصان بخاري وزد على ذلك النفقات اللازمة لحفظ الاسلاك واصلاحها وتنظيفها من كل الآفات التي يُخشى منها من قبائل تلك الجهات

وهذه الاعتبارات لم تثنِ عزائم اصحاب الماليّات وقد تألفت في هذه المدّة الاخيرة شركة لاخراج هذا المشروع الى حيّز العمل فاخذت بنقل الآلات الى الشلّالات . وعمّا قليل ستفيدنا الاخبار عن تفاصيل هذا المشروع العظيم

وفي مقالة أخرى ان شاء الله نأتي بوصف معادن الترنسفال غير الذهبية

المثل بالمثل

للاب ر . س اليسوعي

قال الرب في انجيله الطاهر بالكيل الذي تكيلون للناس يُكال لكم وتُزادون فأن يكيل اذن الانسان لابن جنسه كيلاً حسناً خير له اذ يعود احسانهُ الى نفسه وينجو من عاقبة الشر الناجمة عن كيلة السوء . وهذه رواية خبر حديث تؤيد تعليم السيد المسيح والامر قد جرى في روسيا في اول عهد فتح المحاكم القضائية للعموم

خرجت احدى سيدات بطرسبرج مع زوجها في صباح احد المواسم تخطر في ابهى ملابسها وتجرّ ذيل ثوبها الفاخر الذي لبسته ذلك اليوم لاول مرّة وكانت تكنس به الازقة وتثير غبارها في وجه المارّين

فحدث ان احد الضباط مرّ بتلك الطريق والناس فيها مزدحمون وهو مسرع في سيره ليبلغ محلّ مأموريته قبل الوقت المعين لئلا يقع تحت تبعة النظام فعثرت رجلهُ بثوب السيدة فشقّ طرفهُ غير متعمّد لذلك فساءهُ صنيعهُ واسرع الى السيدة يستميح منها عذراً ويرجو منها ألّا تحمل ذلك على نيّة سيئة لكن السيدة امتعضت من فعله واخذت توبخهُ امام الحضور فعاد الضابط يستغفر منها ويؤكد لها انهُ لم يقصد بفعله سوءاً واراد ان يواصل السير اذ تقدّم اليه زوج السيدة وقد احتدم غيظاً على الضابط فقال : لا يجديك اعتذارك نفعاً فانك بنسا فعلت ولا بدّ من التعويض عن هذه الخسارة

— سيّدي ليس هنا محلّ الغضب فاني رجل مأمور لا يمكنني ان اتأخر دقيقة عن مسيري الى مركز مأموريتي والطريق ضيقة لازدحام السابلة وثوب قرينتك طويل الذنب

— كفّ عن الهزء والسخريّة فاني اطالب ان تؤدي حق الثوب

فاردفت السيدة : نعم انّ هذا الثوب قد كلفني مئتي روبيّة ولم البسهُ قبل اليوم فعليك بدفع قيمته

قال الضابط : اكرّر رجائي ايها السيدان بأن لا تؤخراني عن ميعاد مأموريتي فانه تحت طائلة القوانين العسكريّة ولا يخفى عنكما ان العقاب شديدٌ على المتجندين ان لم

يحضروا في ساعة تقتضيها مهمتهم . اما مطالبة السيدة بحق ثوبها فاظنهُ ضرباً من المداعبة اذ أكدتُ لحضرتها اني لم اشقّ طرف ذيلها على تعمُّد

— كلّا بل انت مسؤول عن قيمة الثوب فعليك بدفعهِ

— دَعاني اذهب الى الدار العسكريّة

— ادِّ حق الثوب واذهب حيثما تشاء

فعلا الاصفرار وجه الضابط وهو لا يدري مـا يفعل وكان بودّه ان يدفع ضعف المال المطلوب ليتخلص من نظر الناس المتجمعين حولهُ الّا انهُ كان فقيرًا لا يملك لمعاشهِ غير اجرة مأموريتهِ التي لا تبلغ في السنة كلها مائتي روبيّه فكيف يدفع هذا المبلغ في يوم واحد

— سيدي لا املك في محفظتي غير روبيّتين فها هما واتركاني اسير في سبيلي

قالت السيدة : هذا تمخل لا طائل تحتهُ فاني لا ارضى الّا بثمن الثوب

وقال رجلها : ها هوذا مركز القضاء فسوف نرى ايوجد لديك المال ام لا

قال هذا ثمَّ دفعا الضابط الى دار القضاء رغمًا عن تكريره الاعتذار لهما . وكان الضابط يستطيع ان يفرّ من ايديهما او يصرعهما لكنهُ ابى ذلك صيانة لشرف الثوب العسكري فمشى معهما وحمرة الخجل تصبغ جبينهُ ودخلوا مجلس القضاء فاشار القاضي اليهم ان ينتظروا حينًا ريثما تأتي نوبتهم فجلسوا وكان الضابط واجمًا مطرقًا الى الارض لا يبدي حراكًا لكن قلبهُ يتقلّب على احرّ من جمر القتاد لا سيما ان الساعة كانت غاصة بالحضور وهم يشخصون اليهِ ويتذهلون من وجوده في هذا المحلّ ولا يشكّون انهُ جنى جناية عظيمة

فبعد ساعة من الزمان حسبها الضابط ردحًا من الدهر انتهت النوبة الى غريميهِ فقاما ورفعا الى القاضي شكواهما ونسبا الى الضابط التعدّي عليهما بخرقهِ ثوب السيدة وختما الكلام بطلب قيمة ثوبها

فالتفت القاضي الى الضابط وطلب منهُ اعندهُ ما يدافع بهِ عن نفسهِ فقال الضابط :

ليس عندي سوى كوني لم اصنع ذلك متعمدًا فاني كنت مسرعًا في السير مضطرًا الى العجلة لئلّا يفوتني ميعاد المامورية ولو الحظ مررت قريبًا من هذه السيدة وطرف

ثوبها يكنس الارض فزقتهُ برجلي على غير قصد ولما قدَّمت لهـا ولزوجها الاعتذار عمَّا فرط مني سهواً لم يقبلا عذري بل أصرَّا على الظنّ بأني فعلت ذلك تعدّياً . فان شاءت السيدة كرَّرت هنا امام الجميع عبارات الاستغفار منهـا فتتحقق اني لم اتو بفعلي هذا ادنى اهانة لشخصها .

وكان الحضور يميلون سمعهم الى هذه الدعوى الغريبة فلما سمعوا كلام الضابط وعرفوا حسن نيتهِ من صدق لهجتـهِ تأثروا من عمل الزوجين وجاهروا باستيائهم من معاملتهما للجندي فاسكتهم القاضي وسأل السيدة أتقبل بهذه القرضية . فاجابت :

كلَّا لا أرضى الَّا بان يدفع لي ثمن ثوبي وهو مائتا روبيَّة

قال القاضي للضابط : ترى اصرار السيدة على مطالبتك بالمال فهل لك ان تدفعهُ

قال الضابط ولسانهُ يتلجلج في الكلام لاضطراره بالاقرار عن عجزه وفقر حاله :

لو كنت حاصلًا على هذا المبلغ لما رآني احد في هذا المقام لكني . . قليل ذات اليد . . . ولا تكاد تفي اجرتي بمعاشي

فقال القاضي للسيدة : سمعتِ عذره فما رأيكِ

فصمتت السيدة وبقي الحضور ساكتين كأنَّ على رؤوسهم الطير وهم لا يشكّون بانَّ السيدة ترثي لحـال الضابط وتطلق سراحهُ . وكان الجندي يودّ لو خسفت بـهِ الارض لينجو ممَّا لحقهُ من الخجل وهو مع ذلك يتجلَّد ما استطاع لكنـهُ كان يتنهد الصعداء من وقت الى اخر اذ كاد الدم يخنقهُ من شدة خجلهِ . فبعـد برهة كرَّر القاضي على السيدة قولهُ :

أترضين بهذا القرض

قالت السيدة : لا ارضى واني اريد حق ثوبي

فضجَّ الحضور وكاد يعجز القاضي عن اخماد ثائرتهم فقال للمرأة : تأملي في عاقبة صنعك فان اصررتِ على طلبك وليس للضابط ما يخلص بهِ نفسهُ حكمت عليهِ بالسجن فخسر رتبتهُ في الجنديَّة دون ان تنالي مطالبك منهُ

فتقرَّب رجل المرأة من زوجتهِ وأسرَّ اليها شيئاً كأنَّهُ يطلب منها بان تتنازل عن عن حقوقها خوفاً من الحضور الذين تنغصوا لهذا المنظر وسلقوها واياه بالسنة حداد . فصرفتهُ عنها قائلة :

لا أرضى او يؤدّي لي بحقي

فقام حينئذٍ القاضي لينفرد بمستشاريه ويتفق معهم على عقاب الجناية اذ صرخ احد الحضور بصوت جهور : انا ادفع المئتي روبية عن الضابط

ثم خرق الصفوف وتقدّم الى صدر المجلس فاذا هو رجل في مقتبل العمر لابس ثياب الاعيان على سحنته امائر الكرم والشهامة فقال للضابط : خذ هذا المال من البارون ب .. واصرفهُ في كربتك

فقال الجندي : سيدي البارون لست لأرضى بقبول هذا المبلغ اذ لا ادري ايمكني اعوّض عنهُ لسعادتك

— هذه هبة محضة لا اطالبك بها وان لم تقبلها بهذه الصفة فتردها متى شئت

ثم مال البارون الى اذن الضابط وكلمهُ همساً بكلمات لم يسمعها غيرهُ فبشَّ لها وجه الجندي كأنهُ فُتح لهُ باب الفرج فتناول المال من يد البارون ثم مدَّه الى السيدة قائلًا :

هاءنذا قد سلَّمتكِ المال أفيبقى لكِ عليَّ شيء

قالت السيدة وقد لاح على محيّاها سمة البسط والعجرفة لظفرها بمطلوبها وتذليلها لغريمها : قد برئتْ ذمتك فما بقي لي عليك حق

قالت هذا وحاولت الخروج الّا ان الضابط تبسم لها وامسكها قائلًا : على رسلكِ سيدتي فانك ان نلت حقك فاني انا لم انلهُ

— واي حق لك عليَّ ؟

— قد ابتعتُ ثوبك بمائتي روبيه كما كلّفك فالثوب اذًا صار ملكي فأريد ان تعطيني مالي

— اني سأفعل وها انا عائدة الى بيتي فارسل لك الثوب الى منزلك اذا دللتني على عنوانهِ

— كلّا ايتها السيدة . فاني اذا ابتعت مالًا قبضتهُ للحال فأرغب اليكِ ان تنزعي الثوب وتعطيني مالي

ما انتهى الضابط من هذا الكلام حتّى رقص الحضور طربًا وصرخوا : نعمًا القول الثوب ملككَ فلك الحق بقبض مالك

فارادت السيدة ان تتصل لكن الضجيج تضاعف ولم يمكن القاضي ان يُسكت الحضور الّا بعد الجهد الجهيد . فعاد الضابط الى طلبهِ من السيدة ان تنزع عنها ثوبها وتعطيهُ صاحبهُ الجديد

فامتقع وجه المرأة وشعرت بانها وقعت في شرك الضابط لما زوجها فقال للجندي :

هذه جسارة وقحة منك كيف تريد ان امرأتي تتجرّد من ثوبها في هذه الساعة امام الحضور

— . . . ليس لي معكَ كلام وانّما الصفقة كانت بيني و بينكِ ايتها السيدة فانكِ اضطررتني على ابتياع ثوبك على الرغم مني فها قد دفعتُ حقّهُ فلم يبقَ الّا ان تنزعيه وتسلّميهِ لي بسرعة لان واجبات وظيفتي لا تسمح لي بالانتظار

فجعل الحضور يفحصون بارجلهم ضحكًا و يقولون : هذا الصواب فكما اقتضت السيدة حق ثوبها سريعًا كذلك يحق للجندي أن يأخذ مالهُ دون تأخر

فقالت السيدة : ليس هنا مجال للهزل فاني أرسل لك الثوب قريباً

قال الضابط : لا تخرجين او تؤدي لي حقي

فكُسر في عضد تلك المرأة واخذت تُلين لهُ القول وتتوسل اليهِ بان يمهلها الى ان تعود الى بيتها . فتعصّب لها الضابط وقال للقاضي :

سيدي اني اطلب من حضرتك باسم القانون الشرعي بأن تُحصّل لي مالي

فقال القاضي : ايتها السيدة ردّي لهُ ثوبهُ

فلما سمعت المرأة هذا القول ترقرق الدمع في مآقيها وقالت : اتريد ان انزع ثوبي واعود عارية الى البيت فأصبح سخريّة للجموع

— هذا امرٌ كان يجب عليك ان تستدركيه قبل مطالبتك بحقهِ امّا الآن فما بقي الّا ان تردّي الثوب الى مشتريه . وها انا اعيّن لك مأمورين يساعدانك في نزعهِ

فلما رأت السيدة ما آلت اليهِ الحال اخرجت من جيبها المنتي روبيّة ورمت بها الى الضابط قائلة : خذ مالك ودعني اذهب الى سبيلي

— كلّا ايتها السيدة . فانّ الثوب يخصّني ولي فيهِ حقّ التصرف كيفما شئت .

وصاحب المال هو الذي يعين سعره فانَّ هذا الثوب يساوي الفي روبيَّة مذ تشرَّف بلبسك اياهُ

فزاد الحضور قهقهةً عند سماعهم لهذا الكلام حتى استقربوا ضحكاً وسُمع لتصفيق ايديهم دويٌّ عظيم. وكاد يُغشى على السيدة ممَّا الَّم بها من العار والفضيحة

فتقرَّب زوجها عندئذٍ الى الضابط وقال لهُ: خذ هذه خمسمائة روبيَّة وها انا ادفع لك صكًّا بالف وخمسمائة روبيَّة اخرى تقبضها من مصرف الدولة. فلمَّا ختم الصك سلَّمهُ الى الضابط وخرج الزوجان يلعنان الثياب الطويلة الاذناب ولابسيها

اما الضابط فقبض الدراهم ولما خرج من المجلس جعل يفرقها على بعض الفقراء هناك فصفق القوم لصنيعهِ استحساناً. ثمَّ تقدم الى البارون وشكر فضلهُ وتوسل اليهِ ان يسترجع مالهُ فأبى هذا واثنى على اريحيَّتهِ وكرم نفسهِ ووعدهُ بان يقرنهُ بابنتهِ الوحيدة. فكان هذا البلاء الذي حلَّ بالضابط مبدأ تقدمهِ في الثروة والشرف

شرح مثلَّثات قطرب

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ

توطئة

القُطرب دويبة حريصة على العمل لا تزال تدبُّ ولا تفتر وبها لقَّب سيبويه اللغوي الشهير تلميذهُ ابا علي محمَّد بن المستنير النحوي وكان يتردَّد اليهِ ليأخذ عنهُ العلوم اللغويَّة فقال لهُ يوماً: ما انت الَّا قطرب. فبقي هذا اللقب على ابي علي الذي اشتهر بين النحاة البصريين وعُدَّ في جملة ائمتهم. توفي قطرب سنة ٢٠٦هـ (٨٢١م) ولهُ عدَّة تصانيف لغويَّة كغريب الحديث وخلق الانسان والاضداد وكتاب فَعَل وأفعَل وغير ذلك ممَّا لم يُنشر اكثرهُ حتى اليوم. قال ابن خلكان في ترجمتهِ: «وهو اول من وضع المثلَّث في اللغة وكتابهُ وان كان صغيراً لكن لهُ فضيلة السبق». ويريدون بالمُثلَّث الالفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعانٍ مختلفة ومثلَّثات قُطرب قد طُبعت في المانية بعناية المستشرق الاستاذ ولمار (L. Vilmar) الذي نشرها سنة ١٨٥٢م في مربورغ وذيَّلها بالشروح اللاتينيَّة وقد صنَّف كثيرون بعد قطرب على مثالها منهم ابو محمَّد عبدالله البطليوسي والشيخ ابو زكريَّا الخطيب التبريزي وسديد الدين المهلَّبي والقزَّاز ابو

عبدالله وغيرهم من القدماء . وقد اشتهر في هذا الباب في الازمنة الاخيرة الطيب الذكر جرمانوس فرحات فوضع كتابهُ المثلَّثات الدريَّة وكذلك الشيخ حسن قويدر الخليلي مؤلف نَيل الارب في مثلَّثات العرب وعبد الهادي نجا الابياري صاحب فتح الاكمام في مثلَّثات الكلام . وفي مكتبتنا الشرقيَّة مجموع في اولهِ قصيدة في ١٣ صفحة مخطوطة سنة ١١٣٢ ه (١٧١٩م) جمع فيها صاحبها نحو ١٤٠ لفظة مثلَّثة شرحها باسماط مربَّعة تختم بقافيَّة النون وقد فُقدت صفحتها الاولى فاذا وجدناها وعرفنا مؤلفها نشرنا الارجوزة بتمامها . ويلي هذه الارجوزة شرح على مثلَّثات قطرب في خمس صفحات خطَّهُ ناسخ الارجوزة المذكورة راسمهُ عبد الرحمان السنهوري الشافعي فاحببنا نشرهُ . وفي الاصل قد كُتبت ابيات قطرب بالحرف الاحمر اما شرحها فقد كُتب بالحرف الاسود وهنا نحن نفرق بين الاصل والشرح بحرفي « ق » و « ش » . وبينهما فرق اخر في عدد التفاعيل وقافية البيت الرابع . وكذلك المقدمة والخاتمة للشارح . وقد وقع في النسخة اغلاط ظاهرة فاصلحناها دون التنبيه عليها اختصاراً

(ص ١٦) بسم الله الرحمن الرحيم

(الشارح) الحمد لله العظيم الباري ... الرازقِ المبينِ الغفَّارِ
ربِّ السماء فالق الاسحارِ ... وخالق الاسماع والابصارِ
وبعد تسليمي على كلِّ نبي ... اشرعُ في مثلَّثاتِ قطرُبِ
ارجوزةً سائغةً في المشربِ ... ترقُ في مسامعِ النظَّارِ
اجعل مفتوحَ الحروفِ اوَّلا ... وبعدهُ المكسور والضمَّ ولا
فلا تكن في نظمها مؤوِّلا ... فهو الذي قد صحَّ في الاخبارِ
(قطرب) يامولعاً بالغضب ... والهجرِ والتحبُّبِ
في جدٍّ واللعبِ ... حبُّك قد برَّح بي
ان دموعي غَمْرُ ... وليس عندي غِمْرُ
يا أيُّهاذا الغُمْرُ ... أقصِرْ عن التشبُّبِ
(ش) يُقال للماء الكثيرِ غَمْرُ ... والحقدُ في الصدر فذاك غِمْرُ
والرجلُ الجاهلُ فهو غُمْرُ ... ان لم يكن حبرًا من الاحبارِ
(ق) بدا وحيًا بالسَّلامْ ... رمى عَذُولي بالسِّلامْ

اشار نحوي بالسَّلامْ وكفّه المُختضبِ (ص١٧)
(ش) تحيّة النـاس هيَ السَّلامُ مُـدوَّرُ الاحجار فالسِّلامُ
عروقُ ظهر الكفّ فالسَّلامُ بل أنمـلٌ تُرانُ بالأظفـارِ
(ق) يَنِمُّ قلبي بالكَلامْ وفي الحشا منـهُ كِلامْ
فسِرتُ في الارض الكُلامْ لكي انالَ مطلبي
(ش) مخاطباتُ النـاس فالكَلامُ واسمُ الجراحات هي الكِلامُ
والارض ذات الوعر فالكُلامُ وليس سهلُ الارض كالاوعارِ
(ق) نُبتُ بارض حَرَّهْ معروفـةٍ بالحِرَّهْ
فقلتُ يا ابن الحُرَّهْ ارثِ لما قـد حلَّ بي
(ش) مسودَّةُ الاحجار ارضٌ حَرَّهْ والعطش الشـديدُ يُدعى حِرَّهْ
والمرأةُ العَفاف فهي الحُرَّهْ محجوبـةُ الوجهِ عن الابصارِ
(ق) جَدَّ الاديمَ حَلْمُ وما بقي لي حِلْمُ
وما هنـابي حُلْمُ مـذ غِبتَ يا معذّبي
(ش) انَّ فـساد الجلد فهو الحَلْمُ ثمَّ احتمالُ الشرّ فهو الحِلْمُ
وما يُرى في النوم فهو الحُلْمُ وذلك اسمٌ للخيال السـاري
(ق) جُهدتُ يومَ السَّبْتِ إذ جاء مُحذَى السِّبتِ
على نبـات السُّبْتِ في المهمَـهِ المستصعبِ
(ش) وآخر الاسبوع فهو السَّبْتُ واحمرُ النعـال فهو السِّبْتُ
والنَّبتُ كالخُطي فهو السُّبتُ ينبت من تتـابع الامطارِ
(ق) خدَّد في يومٍ سَهامْ قلبي بأمثـال السِّهامْ
كالشمس اذ ترمي السِّهامْ بضوئهـا واللهبِ
(ش) الحرُّ اذ يَشتـدُّ فالسِّهامُ والنَّبـل اذ تُراش فالسِّهامُ
لُعابُ ضوء الشمس فالسِّهامُ اذا رمَتْـهُ كشواظِ النَّارِ
(ق) دعوتُ ربي دَعوهْ لمـا أتى بالدَّعوهْ (ص١٨)
فقلتُ عنـدي دُعوهْ ان زُرتمُ في رجَبِ
(ش) وقـلْ الى الله الدُّعاء دَعوهْ مَن يدعُ للغير فهو دِعوهْ

او يَدعُ للطعـام فهو دُعوهْ وتلك من مكارم الأخيارِ
(ق) ذهبتُ نحو الشَّرْبِ ولم أزدْ عن شِرْبِ
فاقلبـوا بالشُّربِ ولم يخـافوا غضبي
(ش) جماعةٌ في شرب خمرٍ شَرْبُ والحظُّ في الماء لكلِّ شِرْبُ
وقسُّ رشفِ الخمر فهو شُربُ يُسيغـهُ بقدرة النهارِ
(ق) رام سلوك الخَرْقِ مع الظريف الخِرْقِ
انَّ بيـان الخُرقِ منـهُ ركوب الشُّعَبِ
(ش) والارضُ مهما اتَّسعت فالخَرْقُ وكاملُ السخاء فهو الخِرْقُ
والجاهلُ الاحمقُ فهو الخُرقُ فاجتنبنَ خلاتـقَ الاشرارِ
(ق) زاد كثيرًا في اللحـا من بعد تقشير اللِّحا
لمَّا رأى شيب اللحى صرَّم حبل السببِ
(ش) ثمَّ مُلاحاة الرجال فاللحـا والعودُ إذ يُقشَر والشعرُ اللِّحا
كذلك العظمانِ سُمِّيا اللحى في الحنك الاسفلِ والعذارِ
(ق) سـار مجدًا في التلا وانجز الشوقَ مِـلا
بلبس رَيْطٍ كالتُّلا فصحتُ يا للعجبِ
(ش) جماعـة الناس الكثير فالتلا ومـا مُلي من الإناء فالمِلا
ملاحف النسا تسمَّى بالتُّلا تـترجم الشخص وهو عارِ
(ق) شكلٌ لـهُ كشكلي يشمـني بالشِّكلِ
وغلَّني بالشُّكلِ في حبـهِ وا حرَّبي
(ش) المثلُ والنظيرُ فهو الشَّكلُ والظُّرف والدلال فهو الشِّكلُ
وجمعُكَ الشِّكالَ فهو الشُّكلُ للخيل ان تُصادُ في المضارِ (ص١٩)
(ق) صـاحبَني وصَرَّهْ في ليلةٍ ذي صِرَّهْ
ومـا بقي في الصُّرَّهْ خردلةٌ من ذهبِ
(ش) وقلَّـة الجمع تسمَّى الصُّرَّهْ وليلـة البرد تسمَّى صِرَّهْ
وكلُّ ما يُعقـدُ فهو الصُّرَّهْ حرزًا على الدرهم والدينارِ
(ق) ضمَّنتـهُ بيت الكلا بالحظِّ مني والكلا

فشحَّ قلبي والكُلى عمداً ولم يرتقبِ
(ش) وطيبُ المرعى يسمّى بالكَلا والحفظُ بالشيء يُسمّى بالكِلا
وكُلية الحيوانِ تجمعُ الكُلى جاء من الأعراب في الآثارِ
(ق) طارَحني بالقَسطِ ولم يزن بالقِسطِ
ففيهِ عَرفُ القُسطِ والعنبرِ المُطيَّبِ
(ش) الجورُ في الاحكام فهو القَسطُ والعدل والاحسان فهو القِسطُ
ثمَّ الذي يباع فهو القُسطُ يفوح طيبُ نشرهِ في النارِ
(ق) عالٍ كريمُ الجَدِّ افعالهُ بالجِدِّ
القيتُهُ بالجِدِّ المُعطَّلِ المضطربِ
(ش) ابو الاب الشفيقُ فهو الجَدُّ نعمْ وضدُّ الهزلِ فهو الجِدُّ
والبئر ان تغزرُ فهي الجُدُّ تُملأ من غمائم الامطارِ
(ق) غنّى وغنّتهُ الجَوارْ بالقرب مني والجِوارْ
فاستمعوا الصوت الجُؤارْ ثمَّ انثنوا بالطربِ
(ش) جاريَةٌ تجمعها جَواري والعهد يدعونهُ بالجِوارِ
وصخبُ صوت يُسمّى بالجُوارِ كما اتى عن صَخبِ اهل النارِ
(ق) قام بتلبي أُمّهْ عند زوال الإمّهْ
فاستمعوا يا أُمّهْ بحقكم ما حلَّ بي
(ش) الشجُّ في الراس يسمّى أُمّهْ والخصبُ والنِّعمة فهي الإمّهْ (ص ٢٠)
وتابعو كلّ نبيٍ أُمّهْ معروفةٌ في سائر الامصارِ
(ق) قولوا لأطيار الحَمامْ يبكينني حتّى الحِمامْ
ألا ترى يا ابن الحُمامْ ما في الهوى من كَربِ
(ش) الطائرُ الساجع فالحَمامُ والموتُ والهلاك فالحِمامُ
ثمَّ اسم شخصٍ رجلٍ حُمامُ تذكرهُ الخنساء في الاشعارِ
(ق) كأنَّ ما بي لَمّهْ مذ شاب شعر اللِّمّهْ
وما بقي لي لُمّهْ وزال عني نَشَبي
(ش) الخوف والجنونُ ايضاً لَمّهْ ووفرة الشعر تسمّى اللِّمّهْ

ثم جماعات الرجال لُثَّهْ تجمّعت من سادةٍ اطهارِ
(ق) لمّا اصاب مَنكبي قفاح طيب المِسْكِ
وكان فيه مُسكي وراحتي من تعبِ
(ش) الجلد والإهاب فهو المَسْكُ والطيب لا يُنكر فهو المِسْكُ
ثمّ الطعام والشرابُ السُّكُ تحيا به النفوس في ذي الدارِ
(ق) بلّت دموعي حَجْري وقلّ فيه حِجْري
لو كنتُ كابنِ الحُجرِ لَضاع مني أدبي
(ش) مقدّم القميص فهو حَجْرُ والعقل في الانسانِ فهو حِجْرُ
ووالد امري القيس فهو حُجْرُ اعني بذاك آكل المرارِ
(ق) ناول بَرْدَ السَّقَطِ من فيه غير السَّقَطِ (كذا)
فلاحَ دمي السُّقْطِ من خدّه كالشُّهبِ
(ش) والثلج اذ ينزلُ فهو السَّقَطُ والزند اذ يُقدح فهو السَّقَطُ
والوَلَد غير التامّ فهو السُّقَطُ فلم يعش بين ذوي الاعمارِ
(ق) هذي علامات الرَّقاقْ فانظر الى اهل الرِّقاقْ
لم ينطقوا بعد الرُّقاق بالصدق او بالكذبِ (ص٢١)
(ش) الارض ذات الرملِ فالرَّقاقُ سبط مجرى الماء فالرِّقاقُ
والخبز ان يرقّ فالرُّقاقُ من خالص البُرّ النقي الحُوّاري
(ق) وجدتُه كالقَمَّهْ في راس هذي القِمَّهْ
مطّرحاً كالقُمَّهْ قلت له احفظ مذهبي
(ش) اكلُ نُقى الخوانِ فهو القَمَّهْ والراسُ والسنامُ فهو القِمَّهْ
كناسة البيت تُسمّى القُمَّهْ فازت بها جاريةُ المختارِ
(ق) لا تركنَنْ للصَّلِ ولا تلُذْ بالصِّلِ
واحذر طعام الصُّلِّ وانهض نهوض المجدبِ
(ش) الصوت والصريرُ فهو الصَّلُّ والحيّة الصغرى فهي الصِلُّ
تغيّر الطعوم فهو الصُّلُّ في اكله يُخشى من البوارِ
(ق) يُسفرُ عن عيني طَلا ووجنةٌ تحكي الطِّلا

وطليــة من الطُّلى اعنــدكم محتجب (كذا)
(ش) وولدُ الظبيــة يُسمّى بالطَّلا والراح ان تُطْبَع تُسمّى بالطِّلا
وجمع اعنــاق الانام فالطُّلى تقودُها ازمّةُ الاقــدار
(ق) دياره قــد عَمَرتْ ونفسهُ قــد عَمِرتْ
وارضــهُ قد عُمِرتْ من بعــد رسم خربِ
(ش) تقولُ في البناء دارٌ عَمَرتْ وامرأةٌ مسنّةٌ قــد عَمِرَتْ
والارضُ بالسكنى واهلٍ عُمِرتْ كذا القرى عند ذوي الاحوارِ
(ق) لمّا رأيتُ هجرهُ وذلّهُ ومطلهُ
نظمت في وصفي لهُ مثلثاً في قطربِ

وبعد هذا درور من بحر اخر للكاتب قال :

تمّ الكتاب بكملهِ (كذا) نعم السرور لصاحبهْ
وعنا الاله بفضلهِ وبجوده عن كاتبهْ

(قال) وكاتب هذين (كذا) النسختين العبد الفقير احمد عبدالرحمن السنهوري الشافعي غفر الله لها ولوالديهما وللمسلمين اجمعين في ٣ ربيع الاول سنة ١١٣٢

عجائب تيبت

نظر للأب لويس شيخو اليسوعي

انبأت اخبار البريد الاخير ان بريطانية العظمى عقدت معاهدةً مع حكومة تيبت تخوّل الانكليز حرّية الاتجار في تلك البلاد . وقد ظنّ ارباب السياسة ان هذه المعاهدة من جملة الاتفاق الحديث الذي جرى بين انكلترّة وروسيّا

ولما كانت بلاد تيبت معدودة حتى يومنا من مجاهل الاقطار رأينا ان نجمع في مقالة منفردة ما تمكّن السياح القليلون من معرفتهِ عن تلك الاصقاع القاصية التي لم يزل اهلها يتحصّنون غاية جهدهم في وجه الاجانب وطالما ردّوهم خائبين إلّا لم يفتكوا بهم ويقطعوا حبل حياتهم . وها نحن نقسم ذلك الى فصول تسهيلًا للمراجعة

﴿ اسم تيبت ﴾ لم يتفق العلماء سابقاً في معنى اسم تيبت وقد أثبت اليوم للعلماء انَّ اصل هذا الاسم مشتقّ من اللغة التيبتيَّة فيدعون بلادهم بود او بوديول ومعناها البلاد العالية او المملكة القديرة ومنها اشتقّ الصينيُّون اسم تلك البلاد فدعوها توفا او توبت فلفظها العرب تُبَّت او تُبَّت وابتدعوا في اصل تسميتها قصَّة غريبة فيزعمون ان احد ملوك حمير وهو تُبَّع الاقرن مرَّ ببلاد تبَّت متوجهاً الى الصين ليغزوها فابتنى في تلك البلاد مدينة عظيمة اسكن فيها ثلاثين الفاً من اصحابهِ فسمَّاها « تُبَّت » عن « تُبَّتَ » فيها من رجالهِ. وهو اشتقاق عجيب لم يذكرهُ غير كتبة العرب (اطلب معجم البلدان لياقوت ١ : ٨١٨ ومروج الذهب للمسعودي ١ : ٣٥١)

﴿ حدود تيبت ﴾ موقع بلاد تيبت في مشارف آسية الوسطى شمالي هندستان وغربي جنوبي بلاد الصين يحدُّها شمالاً وشرقاً تركستان الشرقي او الصينيّ ومقاطعات صينيَّة . اما جهتها الغربيَّة فتحدُّها املاك الانكليز الهنديَّة كبرمانية وعصَّام و بوطان ونيبال وكشمير. وحدودها في جنوبهِ والجنوب الغربي اعظم اطواد الارض اخصُّها جبال حملايا وقراقوروم

﴿ اقسام تيبت ﴾ تُقسم بلاد تيبت الى ثلاثة اقسام: قسم شمالي وقسم جنوبي وقسم شرقي . فالشمالي عبارة عن انجاد عالية تُدعى انجاد خاتشي تكثر فيها البحيرات حتى دُعيت تلك الجهة بتيبت البحيرات . يقوى عليها البرد القارس واليبوسة العظيمة حتى ان الخشب والحجارة تتشقَّق بسببها . وتبَّت الجنوبيَّة تدعى ايضاً بوديول تكثر فيها الاودية وتجري بينها الانهار الزاخرة المياه . اما تبَّت الشرقيَّة المدعوة ايضاً خام فانَّها تشبه بجبالها الشاهقة واغوارها العميقة جبال الالب الاوربيَّة وكاد هذا القسم يكون مجهولاً قبل النصف الاخير من القرن المنصرم . فتيبت كما ترى متَّسعة الارجاء. وقد ذكر المسعودي مساحتها فقال ان طولها ٥٠٠ فرسخ في عرض ٢٣٠ فرسخاً. والجغرافيون المحدثون يحسبون طولها ٢٨٠٠ كيلومتر وعرضها ٩٤٠ ك. فيكون تكسير مساحتها ٢,٦٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع ويلحقون ببلاد تيبت اعمالاً أخرى تدور في دائرتها وتحتكم باحكامها وهي قطر لادلك غرباً الذي يُعرف ايضاً بتيبت الصغيرة وقطر بوطان جنوباً وقطر خورخاتشي شمالاً وهي تؤدي لامرائها الجزية

واهل تيبت يقسمون بلادهم الى اربعة اقاليم : اقليم أوّي الذي فيه موقع حاضرتهم « لاصّا » وفيها مركز ولايتهم وقطب دينهم ومقام احبارهم ومنتدى علومهم وسوق تجارتهم يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠,٠٠٠ وفي هذا الاقليم مدينة جيكاغينكار احفل بلاد تيبت بالسكّان وعددهم مئة الف . ثم اقليم ترانغ عاصمتهُ جيكادزه عدد نفوسها ٣٠,٠٠٠ . ثم اقليم خام واقليم نكاري وبهذا الاقليم الاخير منوطة البلاد الصغيرة التي مرَّ ذكرها

﴿ وصفها الجغرافي ﴾ بلاد تيبت من اعلى الاقطار الارضيَّة وهي بالنسبة الى آسية كسويسرة الى اوربَّة الّا ان علوها يفوق كثيرًا على علوّ بلاد سويسرة فانها ليست فقط محدودة باطواد شاهقة كما سبق بل في داخلها ايضًا عدَّة جبال تتوّجها الثلوج الغرّاء التي لا تذوب عن قمها صيفًا مع شتاء فان بعض هذه الجبال يبلغ قريبًا من ٩٠٠٠ متر فوق سطح البحر اعني ضعف جبل الابيض في سويسرة

وفي تيبت الانهار الكبيرة ذات المياه العرمرميَّة تسيل في اودية مختلفة وتصبّ في ثلاثة بحار متباينة في الاوقيانوس الكبير وفي بحر بنغالي وبحر عُمان ومنها تتولَّد انهار الصين كيانغ تسي كيان وانهار الهند الصينيَّة كناغتشو وجاغبو وبورونغتشو . امَّا اكبر انهار تيبت فنهر ياروتزانغو الذي يجري من الغرب الى الشرق . ومن انهار تلك البلاد ما تجرف مياهها شذور الذهب

وفي تيبت ايضًا بحيرات كبيرة في بعضها الجزائر المحدقة بالمياه اعظمها بحيرة تنسو في شمالي البلاد . ثم في شرقيها بحيرة بوكا التي منها يتولَّد نهر ناغتشو . وبحيرة مافام دالاي في سفح جبال حملايا يعتبرها اهل البلاد كبحيرة مقدَّسة ويحجون اليها من الاماكن النائية وعلى شواطئها اللازورد والبورق . وبحيرة دزام تسو التي تسكن احدى جزائرها امرأةٌ يعظّمها الهنود كاحدى الإلاهات السماوية

وتيبت من البلاد الغنيَّة بالمعادن الثمينة وغيرها فيها الحجارة الكريمة والذهب والفضة والرصاص والزئبق والكبريت . بيد ان اكثر هذه المعادن لم تُستثمَر بعد . اما الغلّات فانها لا تزكو الّا في بعض جهاتها لاسيما بطاحها وبقاعها المستورة بالجبال فهناك يستغلّون كل اصناف المزدرعات كالقمح والشعير الاسود والحمص . ولا ينبت الارزّ في غير المقاطعات الجنوبية . وفي سفح جبالها الغابات الباسقة كالسنديان والصنوبر والشربين

والسرو. واشجارهم المثمرة هي كالاشجار الشائعة في انحاء الشام ولهم اشجار تفرَّدوا بها يتخذون اليافها واوراقها وثمارها لمآكلهم وصناعاتهم. ومن غريب تلك الاشجار شجرة كومبون اي شجرة العشرة الآلاف صورة تُرى مرسومة على اوراقها علامات تُشبه الحروف التيبتيَّة وحتى الان لم يُكتشف سرّ هذه الكتابة والمظنون انَّ الكهنة يرسمونها سرًّا ليخدعوا بها العامَّة

اما الحيوان فان تيبت تأوي خصوصاً الحيوانات الجبليَّة المختصَّة بالبلاد الشديدة البرد كالدِّبة والذئاب . وعندهم الخيل البريَّة الصغيرة الجسم والجواميس المتوسطة الكبر المسماة ياك . ولهم قطعان المواشي التي تطيب لحومها والبانها ويتاجرون باصوافها الناعمة ويصنعون منها الشالات الغالية الثمن. وعندهم صنف من بقر الوحش يدعونهُ سرو يُشبه الرئم وهو وحيد القرن . ومن اشهر حيواناتهم واجداها نفعاً ظباء المسك التي اطنب العرب في وصفها واحسن ما كُتب فيها وصف التاجر العربي سليمان في كتاب سلسلة التواريخ (ص ١١٠ من طبعة باريس) وباشر وصفهُ ببيان فضل المسك التبتي على المسك الصيني قال :

ان الارض التي بها ظباء المسك الصيني والتبت ارض واحدة لا فرق بينهما فأهل الصين يجتذبون ما قرب منهم من الظباء واهل التبت ما قرب منهم واتفاقاً فضل المسك التبتي على الصيني بحالتين انَّ ظبي المسك يكون في حدّ التبت رعيهُ من سنبل الطيب وما يلي ارض الصين منها رعيهُ سائر الحشائش. والحالة الاخرى تَرك اهل التبت النوافج في حالها وغش اهل الصين لما وقع اليهم منها وسلوكهم ايضاً في البحر وما يلحقهم من الانداء. فاذا ترك اهلُ الصين المسك في نوافجهِ وأودعت البراني واستوثق منها ورد ارض العرب كالتبتي في جودتهِ . واجود المسك كلّهِ ما حكَّهُ الظبي على احجار الجبال اذ كان مادةً تصير في سرّتهِ ويجتمع دمًا عبيطًا كاجتماع الدم فيما يعرض من الدمامل فاذا ادرك حكَّهُ واضجره فيفزع الى الحجارة حتى يخرقهُ فيسيل ما فيهِ فاذا خرج منهُ جفَّ واندمل وعادت المادة تجتمع فيهِ كمن ذي قبل. ولتبت رجال يخرجون في طلب هذا ولهم بهِ معرفة فاذا وجدوه التقطوه وجمعوه واودعوه النوافج وحُمل الى ملوكهم وهو غاية المسك اذ كان قد ادرك في نوافجهِ على حيوانهِ وصار لهُ فضل على غيره من المسك كفضل ما يدرك من الثمار في شجره على سائر ما يُنزع منهُ قبل ادراكهِ . وغير هذا من المسك فانما يُصاد بالشرك المنصوب او السهام وربما قُطعت النوافج عن الظبي قبل ادراك المسك فيها. على انهُ اذا قُطع عن ظبائهِ كان كريه الرائحة مدة من المدد حتى جفَّ على الايام الطويلة وكلما جفَّ استحال حتى يصير مسكاً . وظبي المسك كسائر الظباء عندنا في القدّ واللون ودقة القوائم وافتراق الاظلاف وانتصاب القرون وانعطافها ولها نابان دقيقان ابيضان في الفكَّين قائمان في وجهِ الظبي

طول كل واحد منهما مقدار فتر ودونهُ على هيئة ناب الفيل فهو الفرق بينها وبين سائر الظباء

وفي تيبت ايضاً دويبَّة اخرى مسكيَّة عرفها العرب بفارة المسك قال القزويني (ص ٥٢) :

وبها (اي تُبَّت) فارة المسك وهي دويبَّة تُصاد وتُشدّ سرَّتها شدًّا وثيقاً فيجتمع فيها الدم ثم ذبحوها وقوَّروا سرَّتها ودفنوها في وسط الشعير اياماً فيجمد الدم فيها فيصير مسكاً ذكيًّا بعد ما كان نتن الرائحة وهي احسن انواع المسك واعزُّها . وايضاً في بيوتهم جرذان سود لها رائحة المسك ولا يحصل من سرَّتها شيء يُنتفع بهِ

﴿ ما عرفهُ القدماء من احوال تيبت واهلها ﴾ لو جُمعت روايات القدماء عن بلاد تيبت لوجدتها زهيدة عقيمة لا تتجاوز اسطراً قليلة . وفي كتب الصينيين بعض تفاصيل عن العلاقات بين الصين وتبَّت وعن اخبار تلك البلاد واهلها سنذكرها قريباً . وممَّن عرفوا التيبتيين العرب فدخلوا بعض جهاتهم وسمعوا شيئاً من اخبار اهلها فدوَّنوها في كتبهم كما سمعوها من الرواة ولعلَّ هؤلاء بالغوا في وصفها تعظيماً لها قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص٥٢) :

تبت بلاد متاخمة للصين من احدى جهاتهِ وللهند من اخرى مقدار مسافتها مسيرة شهر بها معدن وعمارات كثيرة ولها خواص عجيبة في هوائها ومائها وارضها من سهلها وجبلها ولا تحصى عجائب انهارها وغارها وابارها . وهي بلاد تقوى بها طبيعة الدم فلهذا الغالب على اهلها الفرح والسرور فلا يزال الانسان بها ضاحكاً فرحاً لا يعرض لهُ الهمّ والحزن ولا يكاد يرى بها شيخ حزين او عجوز كئيبة بل الطرب في الشيوخ والكهول والشبان عام حتى يرى ذلك في وجه بهائمهم ايضاً وفي اهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وانواع الرقص حتى ان احدهم لو مات لا يدخل اهلهُ كثير حزن

وللمسعودي (١ : ٣٥٠) كلام مثل هذا واغرب منهُ وهو القائل عن اهل تبَّت واصلهم الحميري :

والغالب عليهم حمير وفيهم بعض التبابعة على حسب ما ذكرنا . . . ولهم حضر وبدو وبواديهم تُرك ولا تُدرك كثرة . . . ولهم تخوم كثير بعضهم على بعض والكلُّ فيهم عامّ وكذلك يظهر من بهائمهم وهذا البلد سُمّي بمن ثبت فيهِ ورُتب بهِ من رجال حمير قبل تُبت لثبوتهم فيهِ . قال دعبل الخزاعي في مدح قحطان :

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سمّوا سمرقندًا بشمّر وهم غرسوا هناك التُّبّتيا

ومن غرائب المرويّات في معجم البلدان (١ : ٨٢٠) قولهُ :

ويقال ان وادي النمل الذي مرَّ بهِ سليمان بن داود (عم) خلف بلاد التبّت وبهِ معدن الكبريت الاحمر قالوا وبالتبّت جبل يقال لهُ جبل السمّ اذا مرَّ بهِ احد تضيق نفسهُ فمنهم من يموت ومنهم من يثقل لسانهُ

﴿ الرحل الاوربيّة الى تيبت ﴾ اوّل من دخل تيبت من الاوربيين احد المرسلين الفرنسيسكان المدعوّ اودريك دي باردينوني (١٢٨٦–١٣٣١) زار الصين والهند في اوائل القرن الرابع عشر وطاف بلاد تيبت داعيًا اهلها الى ديانة المسيح وعمّد منهم عشرين الفًا ورحلتهُ مدوّنة في كتاب اعمال القدّيسين للبولنديين في ١٤ كانون الثاني الواقع فيهِ عيد هذا المرسل القديس . ثم بقيت تلك البلاد مجهولةً الى القرن السابع عشر ففي سنة ١٦٢٤ تمكن احد الآباء اليسوعيين اسمهُ انطون دي اندرادا بعد مشقّات لا يفي بها احصاء من الدخول الى تيبت وكانت غايتهُ ان ينهج لاخوتهِ طريقًا تؤدي بهم من الهند الى الصين اقصر من الطريق البحريّة التي كانت تقتضي السنة والسنتين . فتجوّل في انحاء تيبت ودخل على امرائها ولم يزل يكدّ ويسعى حتى بلغ حدود الصين ولما عاد الى لشبونة سنة ١٦٢٦ كتب اخبار رحلتهِ في اللغة البرتوغاليّة . فرغب الناس في معرفة تلك البلاد العجيبة الّا انهم وجدوا في بلوغ غايتهم عقبات لم يمكنهم تذليلها . وكان الاب دي اندرادا رجع الى الهند ليعود ثانية الى تيبت لكنَّ الهنود دسّوا لهُ الدسائس فدافوا لهُ السمّ وقتلوه

وبقيت تيبت في عزلتها لم يستطع احد من فتح بابها الى السنة ١٦٦١ حيث ساح فيها مرسلان آخران يسوعيّان غروبر ودورفيل مرًّا بتيبت عائدَين من الصين . وفي السنة ١٧١٢ زار تيبت مرسل رابع يسوعي طلياني الاصل اسمهُ هيبوليت دازيدري سافر من دهلي مع الاب مانويل فرار في ٢٣ ايلول سنة ١٧١٤ فدخلا لاهور ثمَّ قطعا مع شقّ النفس جبال كشمير وفي السنة التالية وصلا الى بلاد لاداك الخاضعة لتيبت وجعلا يدرسان لغة التيبتيين ويبحثان عن امورهم ولا سيّما عن دينهم ويشرّاهم بالدين المسيحي فاصغى الشعب الى اقوالهما واستحسنوها . ولما بلغهم ان في وسط البلاد مدينة كانوا يعدّونها كمركز دعوتهم وقطب كل امورهم دينًا ودنيا عزما على السفر اليها ووصلا بعد ستة اشهر الى بلاد لاصّا او حلاصّا ودخلا في عاصمتها المدعوة ايضًا

بهذا الاسم في ١٨ اذار سنة ١٧١٦ وبقي فيها الاب دازيدري الى سنة ١٧٢٧ فوصفها وصفاً متسعاً وتقرَّب من اهلها ودعا منهم قوماً الى الدين المسيحي وكاد ينشئ هناك رسالة ثابتة الَّا ان مجمع انتشار الايمان استدعاهُ الى رومية لامور هامَّة فرجع الى عاصمة الكثلكة ودوَّن كلَّ معلوماتهِ عن بلاد تيبت في كتاب واسع طُبع قسم منهُ. وكان جلب معهُ بعض الكتب التيبتيَّة من جملتها كتابهم الديني الكبير المدعو كنجيار او ساهوران فنقلهُ كلَّهُ الى اللاتينيَّة وهو تأليف ضخم يبلغ ١٠٨ اقسام متسعة

وبعد رجوع اليسوعيين من تيبت وكل مجمع انتشار الايمان الى الآباء الكبوشيين المرسلين في آجرا على حدود تيبت بان يهتموا برسالة تلك البلاد فكانت تحت نظارتهم الَّا انهم لم يستطيعوا ان يقووا على العوائق التي قامت في وجههم الَّا البعض منهم كالاب اورازيو دالَّا پنَّا الذي تجوَّل في تلك البلاد وكتب عنها اموراً غريبة . وفي تلك الاثناء طاف ايضاً في تيبت رحَّالة هولندي اسمهُ ڤان دي پوت وتوطَّن لاصا مدَّة وقد فقد معظم ما كتبهُ عن تلك البلاد الَّا خارطة رسمها تحفظ في مدلبورغ في زيلندة وكان اليسوعيون في الصين بايعاز الامبراطور «كنغ هي» علَّموا كاهنين من كهنة تيبت المدعوَّين لاما بان يرسموا صورة بلادهما فرسمها الكاهنان وهذه الخارطة من ادقّ واضبط ما وُضع حتى اليوم

ولمَّا صارت بلاد الهند تحت حكم الانكليز ارسلوا الى امراء تيبت وفداً ليعقدوا معهم عهداً تجاريًّا سنة ١٨٠٠ وقد اخبر بذلك احد اصحاب هذا الوفد اسمهُ صامويل تورنر ومذ ذاك الحين توجَّهت انظار الانكليز الى بلاد تيبت المتاخمة للهند الانكليزيَّة لكنَّ آمالهم لم تتحقَّق في التقرُّب منها . وفي هذه السنة ذاتها نقل الخوري الروسي هياكنت بوتشيرين وصفاً لبلاد تيبت نقلهُ من اللغة الصينيَّة وكان رأى امراء تيبت في پاكين لمَّا قدموا على ملكها سنة ١٨٠٠ يجدِّدون لهُ مراسيم الخضوع

هذا ملخَّص الرحل الاوربيَّة الى التيبت قبل القرن التاسع عشر وكان كثيرون افرغوا كنانة الجهد لزيارتها فخابت مساعيهم وفي اواسط هذا القرن عزم المرسلون الكاثوليك على فتح رسالة في تلك الجهات ومتَّن كاد يصيب المرمى ويبلغ تلك الغاية مرسلان لعازريَّان وهما الابوان هوك وگابت (Huc et Gabet) بشَّرا بالايمان مدَّة في الصين ثم سافرا مع كاهن تيبتي تنصَّر على يدهما وقضيا في سفرهما سنتين تجشما

في مدتها الاخطار وقاسيا اصناف الاتعاب فوصلا الى حاضرة لاصا واحتلا تلك المدينة وسكناها اربعة اشهر في سنة ١٨٤٦ وكانا ينويان ان يقضيا فيها حياتهما الآن العامل الصيني فيها بامر الامبراطور اضطرهما الى الرجوع الى الصين. وقد كتب الاب هوك تفاصيل رحلته في كتاب خاص نُقل الى كل اللغات الاوربيّة

وفي السنة ١٨٤٨ صارت رسالة تيبت في عهدة مرسلين كاثوليك من جمعيّة الرسالات الاجنبيّة فرحل منهم خمسة كهنة من جهات مختلفة حتى اذا مات بعضهم او رُدُّوا خائبين امكن الآخرين بلوغ غايتهم ففاز احدهم الاب رينو (Renou) واجتمع بارباب الدين عند اهل تيبت وتعلّم لغتهم وألّف معجماً لدرسها وبعد اللتيّا واللتي امكنهُ ان يشتري ارضاً اقام فيها ملتجأً ومستوصفاً فانتشرت اخبارهُ في تيبت وقصده الاهلون من كل صوب ثمَّ لحق به غيرهُ من المرسلين ولم يزالوا يصرفون القوى في توسيع نطاق رسالتهم وفتح منازل غيرها في حدود تيبت حتى تخوّف اصحاب الدين البودي على سلطتهم فهيجوا القوم على المرسلين وقتلوا منهم كثيرين واضطهدوا الذين تبعوهم في دينهم واخربوا كل الابنية التي شيّدوها ١٨٨٧ . وكان بين اولئك المرسلين رجل مقدام تعمّق في درس آداب التبتيين اسمهُ ديغودين (Desgodins) فصنّف كتاباً في وصف تلك البلاد واهلها

لكنَّ الاوربيين رغماً عن كل هذه المشاكل لم يروا بُدّاً من التوغّل في تيبت فعادوا بعد السنة ١٨٩٠ وجهزوا البعثات لتلك البلاد ليفحصوا عن مجاهلها ويستخرجوا دفائنها منهم الفرنسويان دوترويل دورنس (Dutreuil de Rhins) وغرنارد (F. Grenard) اللذان سافرا سنة ١٨٩١ على طريق القبجاق وتركستان وكشمار الى خوطان الى تيبت فقُتل الاوّل وعاد الثاني سالماً فكتب اخبار الرحلة . ومنهم الاميركي روكهيل (M. W. Rockhill) الذي طاف بلاد تيبت ونشر في لندن وفي واشنغتون تفاصيل بعثته

وفي السنين العشر الاخيرة تقدّم الانكليز الى حدود تيبت ليأخذوا بناصر بعض رعاياهم هناك وحدثت حرب الصين مع يابان وزاد النفوذ الانكليزي في تيبت فتعدّدت الرحلات اليها قدخلها ليتلدال (Litteldal) وولبي (Welby) والبرنس هنري دي اورليان والمسيو دي ميلواي (de Millouè) والهندي شندرا داس وغيرهم .

وآخرُ من دخلها روبرت غرتس (R. Geerts) البلجكيّ والذي كان في خدمة والي مقاطعة « كان سو » فرحل في العام ١٩٠٦ الى تيبت ونشر مؤخرًا بعض تفاصيل رحلته في نشرة الدروس الاستعماريّة البلجيكيّة (١

﴿ السكان ﴾ يقدّرون عدد اهل تيبت بنحو خمسة آلاف الف من النفوس . والتيبتيون من العنصر المغولي او التتري . وهم اشدّاء البنية مفتولو الاعصاب صادقو اللهجة أباة الذل ذوو انفة وحميّة كماء الطباع مغاوير في الحروب يصدقون اعداءهم الحملات ولا يهابون الموت . وقد طُبعوا مع هذا على لطف الطباع ودماثة الاخلاق ومن حسن سجاياهم انهم يكرمون وفود الضيف ويعدّونهُ من جملة اهل البيت ولا يضنّون عليهِ بشيء من مقتناهم

والتيبتيون يحبون اللاهي والالعاب ويقضون اوقاتهم في الافراح والمسرّات ويشربون المسكرات ويدمنون على الرقص ولعلّ كتبة العرب نسبوا الى التيبتيين البسط والسرور الدائم لاجل هذا السبب لكنهم بالغوا في قولهم الى حد الغلوّ ونسبوا الامر الى احوال الجو كما مرّ (ص ٥٢٦)

واهل تيبت اذكى عقلًا من بقيّة التتر والمغول وهم يحسنون الصنائع كالنقش ونحت التماثيل وقطع الحجارة الكريمة وسبك المعادن وصياغة الجواهر وحياكة الانسجة واشغال النجارة المتقنة وغير ذلك من الاعمال التي تشهد لهم بالحذق والبراعة . على ان هذه الاشغال الصناعيّة لا يزاولها منهم الّا العامّة امّا الاعيان فيعتبرونها مخلّة بشرفهم وهم يكلّفون نساءهم بالاعمال الشاقّة ولا يكادون يفكرون في غير اليوم الحاضر ليذخروا لعيالهم معاشًا ولاولادهم مالًا

ومن سوء عاداتهم تساهلهم في امور الزواج اذ يتصرّفون في المرأة تصرّفهم في البهيمة العجماء والإضرار عندهم شائع بل ربّما تعدّد الازواج على المرأة الواحدة . واذا مات الرجل دخلت زوجاتهُ في حكم اخيهِ . والطلاق في تيبت لا يُسمح بهِ الّا لاسباب ثقيلة . اما الفجور فهو فاشٍ عندهم لحريّة زائدة في بناتهم وقد بلغ الامر الى حدّ عظيم حتى فرضوا على النساء تلافيًا لهذا الشر بالّا يخرجنَ من بيوتهنّ دون ان

(١ اطلب عدد ايّار الاخير Bulletin de la Société Belge d'études coloniales *Mai* . 1908 . *Bruxelles*.

صورة دير لاما المسمى برتالا الذي يسكنهُ دالي لاما زعيم الدين في التبت

يطلين وجوههنّ بطلاء غَرَوي اسود اللون تشويهاً لمنظرهنّ . وهذه السنّة قد شاعت منذ القرن السابع عشر وهي لم تحسم الداء الّا نوعاً

والتيبتيون قسمان بدو وحضر فاهل البادية يرعون المواشي ويزاولون الحراثة والغزل اما اهل الحضر فيترزّقون بالتجارة . والنساء يتّجرنَ كالرجال . وهم يعرضون مبيعاتهم في الشوارع وليس لهم حوانيت يودعونها عروضهم . وعلى لسواقهم شيوخ او محتسبون يلحظون العيارات والموازين لئلّا يغشوا الزبون . ونقودهم قليلة لا يستعملون منها سوى مسكوك فضي واحد يُضرب في بلاد نيبال . ويتخذون غالباً في متاجرهم قطعاً من الذهب والفضة غير المسكوكة يزنونها ويدفعون ما يساوي السلعة

﴿ لغتهم وعلومهم ﴾ لغة التيبتيين جامعة بين خواصّ اللغات المنفردة المقاطع والتصريفيّة وعلاقتها مع اللغات المنفرلّة اظهر . امّا كتابتهم فاستعاروها من الكتابة الهنديّة القديمة وتتركب احرفها الهجائيّة من ثلاثين حرفاً . ولهم كتب واسعة تتضمن علومهم الدينيّة يلقّنونها المترشحين للمراتب الدينيّة . ولهم مدارس يعلمون فيها صغارهم مبادئ القراءة والكتابة واصول الدين . اما العلوم الخاصّة فلا يعرفون منها الّا القدر القليل كالحساب وشيء من العلوم الفلكيّة لضبط تقويم سنتهم وقليل من الطب والجهل سائد في معظم الشعب والخرافات مطبقة على عقولهم وفي لاصا مدرستان ثانويّتان ومطابع

﴿ حكومتهم ﴾ الهيئة الحاكمة في تيبت تجري غالباً على حسب الدستور الصيني لانّ تيبت من البلاد المنوطة بالصين تؤدي لصاحبها الجزية وللصين حكام في تيبت ينظرون في امور اهلها ويتوسّطون بينهم وبين امبراطور الصين الّا انّ سلطتهم اسميّة لا فعليّة لاتساع بلادهم وصعوبة المواصلات بين الصين وتيبت . وغاية ما يعلنون به خضوعهم ما يوفدونهُ الى ملك الصين من الوفود وقتاً بعد آخر ليقدّموا لهُ بعض الهدايا وتيبت عسكر يبلغ عدده ٦٤٠٠٠ جندي يلبسون الدروع ويتقلّدون السيوف ويتكبّون الاقواس والبندقيّات او يتقلّدون الرماح وفي ايديهم التروس يصوّرون عليها الحيوانات الضارية وعلى رؤوسهم الخُوَذ يزينونها بريش الطواويس او بالعصائب الملوّنة واذا جنى الجاني اثمًا زجوهُ في الحبس وعاقبوه بالمقطرة ريثما ينفذون فيه الحكم . ومن عقوباتهم انّهم كانوا يلقون الائمة مشدودين في مناور تكثر فيها الحيّات والعقارب او

كانوا يسلّمونهم الى قبائل متوحشة تغتذي بلحوم البشر او يقطعون اعضاءهم اربًا اربًا

﴿ تاريخهم ﴾ قد تكتّم الكتبةُ الظلمات في تعريف اصول التبتيين وبيان تاريخهم القديم . ويزعم الصينيون انَّ اهل تيبت كانوا يسكنون الصين قبلهم فلمّا فتح ملوكهم تلك البلاد طردوهم منها فتوغلوا مجاهل تيبت واستوطنوها . اما التيبتيون فلا يعرفون شيئًا من اصلهم ويقول بعضهم انَّ جدَّهم الاوّل كان المًا على القرد فازدوج بجنيَّة واولد التيبتيين . ومما يؤخذ من الكتابات الصينيَّة القديمة ومن بعض تلميحات للجغرافيين الرومانيين واليونان انَّ اهل تيبت كانوا قبائل متفرقة في اوائل تاريخ النصرانيَّة . وقد عدَّد هذه القبائل كاتب صيني من القرن السادس للميلاد ووصف مساكنها وخيامها وعاداتها وهي في الغالب كعادات اهل تيبت في عهدنا كما مرَّ وصفها . وكانت هذه القبائل خمس عشرة على كل قبيلة شيوخ او امراء وبقيت تلك القبائل متفرّقة الكلمة حتى جمعها نحو سنة ٦٣٠ اميرٌ ذو سطوة وبأس اسمهُ سيرونغ او سيرونغ تسان بو فتحالفت القبائل وكان هو ملكها واتخذ لاًصا كرسيًا لملكه وارسل الى الهند وفدًا فاستعار لقومه دياتة الهنود وكتابتهم . ثم قام بعد سيرونغ اولادهُ فوطّدوا دعائم سلطتهم وزادوها اتساعًا وارسلوا السفارات الى البلاد البعيدة لمحالفة اهلها . وقد بلغت تلك السفارات حتى بغداد فحالفوا خلفاءها العباسيين

ثم قوي نفوذ البوذيين في القرن العاشر فشقُّوا عصا الطاعة للامراء التيبتيين ودعوا الناس لنفسهم وصار الحكم في ايدي هؤلاء الكهنة مدَّة . ثمَّ حصل بين الكهنة والامراء مخاصمات وحروب فكان الفوز تارةً لهؤلاء وتارةً لأولئك حتى فتح الصينيون بلاد تيبت ولم يروا لحفظها في ملكهم طريقة اصوب واثبت من ان يمدُّوا عليها ايدي الكهنة ويجعلوا نوّابًا لهم فيها ليؤيّدوا سلطتهم ويكسروا شوكة المتمرّدين عليهم لاسيما بعد ان قبض الامبراطور كيان لنغ سنة ١٧٥١ على امير تيبت وامر بقتله فحصلت تيبت على السلام التام وبقي اهلها في عهدة ارباب الدين

﴿ الدين ﴾ ابقينا هذا الفصل لختام هذه المقالة لان للدين في تيبت احوالًا خاصة تميز تلك البلاد عمَّا سواها

كان الدين الشائع في تيبت الى القرن السادس للميلاد اشبه شيء بدين الصينيين

فكانوا يؤلهون القوّات الطبيعيّة ويسجدون لها وكانوا يخصّون باكرامهم اجدادهم الموتى فيقدّمون لهم التقادم وكان لهم كهنة عرّافون سحرة يلتجئون اليهم في امورهم ويقرّبون على يدهم القرابين والذبائح من المواشي والبشر ايضاً. وبقي الحال على ذلك الى ان دخلت بينهم ديانة بوذا الهنديّة في عهد الملك سيرونغ السابق ذكرهُ لكنها لم تشع عندهم الّا في القرن التاسع للميلاد

اما بوذا المذكور ويدعونهُ ساكياموني فقد اختلفوا في زمن حياتهِ فمنهم من يجعلهُ في القرن السادس قبل المسيح ومنهم من يقرّب عهدهُ الى القرن الثالث اما حياتهُ فلم يكتبها مشايعوه الّا عدة اجيال بعد موتهِ فتراهم ينسبون اليهِ من الاعمال العجيبة الغريبة ما لا يقبلهُ عاقل ولا يرضى بهِ اديب . وترى في روايات البوذيين من التباين والاختلاف ما يضعف الثقة فيها ويولي الريب في صحّتها . وقد تحقق اليوم اصحاب النقد ان الذين كتبوا ترجمة بوذا باشروا ذلك بعد شيوع النصرانيّة فنسبوا اليهِ اشياء نقلوها عن الانجيل او سمعوها من دعاة الدين المسيحي

وقد امتاز بوذا بمناقضة دين البراهمة في الهند فلمّا كان البرهمانيّة جعلوا الشعوب طبقات منها للامر والسيادة اشتقّوا اصلها من آلهتهم وخصوها بامتيازات لا تتناول سواهم ومنها للعمل والصناعة ومنها للذلّ والاستعباد بحيث لا تمتزج طبقة بأخرى ولا تخالطها البتة في كل اطوار الحياة قام بوذا لمساكنة البراهمة ولشاع مذهب الانتشار فجعل الله سبحانهُ وتعالى كمجموع الكون العامّ ممتزجاً بكل المخلوقات وليست المخلوقات سوى ظواهر ذلك الاله العظيم الذي يظهر هنا في شكل الحيوان وهناك في صورة النبات وفي محل آخر في صورة الجماد ويتلوّن بألوانها ويتصف بصفاتها ويتغيّر بكل تغيراتها وذلك مذهب الحلول الذى لا يفرز بين الخالق والمخلوق وبين الله والعباد

ومن تعاليم البوذيّة التقمّص فانّ الحيّ ومنهُ الانسان اذا مات تجدّدت حياتهُ في مخلوق آخر ثم ينتقل الى مخلوق ثالث ورابع الى ما شاء الله . وهم يزعمون ان الانسان اذا زهد في الامور الهيوليّة وتجرّد عن المحسوسات تحوّل آخراً الى وجود الاله بعينهِ فدخل في ذلك الكل العامّ وفقد وجودهُ الخاصّ . فمن ثمّ على الانسان ان يزيد كل

يوم تجرُّدًا وزهدًا حتى تصفو حياتهُ من الهيولي فيعدم كونـه ويتحوَّل الى الكون العمومي الذي هو الله على زعمهم

فهذه خلاصة تعاليم البوذيين لما آدابهم فانَّها مطابقة لها فتراهم يصومون ويصلُّون ويمارسون التقشفات وضروب اعمال الاماتة ويسعون في ترحيض ذنوبهم بالتوبة عنها ويمتنعون من الزواج وغايتهم من كل ذلك ان يشملهم يوماً اللاهوت فيلجوا في كونهِ المنتشر في كل العالم

تلك الديانة البوذيَّة نظريًا وقد اثَّرت تعاليمها وسيرة نسَّاكها وتجرُّدهم في قسم كبير من شعوب الهند وشاعت في انحاء آسية الوسطى وانتشرت في الصين ويابان وسيَّام وسيلان ولا سيما في تيبت . على انَّ في هذه الديانة معايب تحطُّ من قدرها وتقانص تبخس شأنها . فمن ذلك انَّ بوذا واشياعهُ دعوا الناس الى الاخاء والتودُّد لكنهم لم ينفوا شيئاً من فظائع الوثنيَّة فتركوا لكل قوم خرافاتـهِ لا بل زاد بهم عدد اصنامهم فانَّ بوذا وكثيرًا من مشاهير البوذيين يُعبَدون الان بصفة آلهة حقيقيين يقدِّمون لهم الذبائح ويتقرَّبون اليهم بالقرابين . ومنها انهم أبطلوا في قلوب الناس الايمان بالآخرة ويوم الدين اذ يعلِّمون بانَّ الانسان بعد ازمنة غير مقدَّرة سوف يعود الى العنصر الالهي مهما كانت اعمالهُ . وليس الاعمال الصالحة فعل آخر سوى انها تقرِّب المدة لاستحالة الانسان الى اله . وبذلك اطلقوا العنان الى كل شهوات البشر الباطلة

هذا ما يُقال بالاجمال عن الديانة البوذيَّة اما في تيبت فقـد ظهرت في مظهر خصوصي فان لاهلها نظامًا دينيًا شبيهًا بنظام الدين الكاثوليكي وهم يسمُّون عندهم المنقطعين لامور الدين « لاما » يعيشون معتزلين عن العامَّة في شبه الاديرة تحت امرة كبير دينهم المدعو « دالاي لاما »

ولهذا الزعيم سلطة روحيَّة ومدنيَّة ايضًا يطيعهُ اهل تيبت ويحكم فيهم الحكم المطلق وهم يقبلون حكمهُ قبولهم لحكم بوذا ويزعمون انَّ بوذا يتجسد فيهِ ولذلك يجثون امامهُ ساجدين الى الاذقان

وللنساك اللاما درجات كالرهبان عندنا منهم الطلبة ومنهم المبتدئون ومنهم المأذونون بالتعليم الى غير ذلك ممَّا تقلَّدوا فيهِ النصرانيَّة واخذوه عن نصارى الهنـد والصين في قديم الزمان لاسيما النساطرة الذين امتدُّوا في انحاء تلك البلاد . وكذلك عيشتهم

احد كهنة التيبتيين المدعوين لاما في لبسه الرسمي (ع ١) وحوله الادوات التقوية التي ذوقها في هاسكهم كالجرس (٢) وصوان الذخائر (٣) وصور الاله بودا (٤ و ٥) سبحة (٦) والمخصرة (٧) واسطوانة الصلاة (٨)

في الاديرة على مثال الرهبان في النصرانيَّة لكن بينهم وبين الرهبان النصارى فروقاً عظيمة اذ لا يبرزون لله نذراً وليست طاعتهم الّا في امور خارجيَّة قليلة . وليس للفقر الاختياريّ عندهم اثر فانهم يجمعون المال ويصرفونهُ كيف شاؤوا وكل واحد منهم مستقلّ بمالهِ يُتاجر بهِ وينفقهُ في حاجاتهِ دون ان يكترث لحالة الجماعة . وهم يلبسون مع ذلك لبساً واحداً وربَّما كان عددهم في الدير الواحد ثلاثة آلاف واكثر. ولهم اوقات معيَّنة لبعض الصلوات يتلونها على نظام معلوم وينشدون الاناشيد وينفخون بالابواق ويتخذون آلات الطرب ليستعينوا بها في صلواتهم . اما هذه الصلوات فهي ابتهالات وتسابيح وتحريضات على عمل الصلاح واكرام بوذا . وفيها اشياء رمزيَّة لا تُدرك معانيها ولم يتفقوا في شرحها . كصلاتهم للبذر يرددونها معظمين للبذر كنبات الهي يشفي كل الادواء . وقد اتخذوا لصلاتهم اسطوانة يديرونها فتمثل الادعية التقويَّة بعض والابتهالات ويدعون تلك الآلة لسطوانة الصلاة . ولهم امور غريبة اخرى لا يسعنا هنا شرحها

واذا مات احد هؤلاء النسَّاك احرقوا جثتهُ امَّا العامة فانهم يهشمون جثثهم ويدقونها في المدقّ ثم يلقونها للكلاب او للنسور او يرمونها في الانهار . اما رئيسهم الكبير فاذا مات ذهبوا الى احد السحرة ليدلّهم على طفل صغير يحلّ فيهِ روح بوذا ليقيموه في مكان الميت فيطلبون الطفل المذكور ويستدلّون عليهِ بادلَّة يبيّنها لهم الساحر فياخذونهُ ويربونهُ حتى ينشأ ويكبر فيجعلونهُ في رتبة دالاي لاما وفي مقام بوذا وهم يدعونهُ « بوذا الحي » ولهم في كل دير رئيس مثلهُ الّا انَّ الرئيس الذي في لاَصا اكبرهم واعظمهم شأناً وانفذهم سلطاناً وانصارهُ يلبسون اللباس الاحمر بخلاف اولئك الذين يلبس اصحابهم الابيض وفي خارج تيبت يلبسون الاصفر . ودالاي لاما لا يزال محجوباً منقطعاً الى اعمال رتبتهِ السامية واذا خرج حملوه في محفَّة لابساً ثياباً فاخرة وعلى راسهِ تاج كتاج الاساقفة وعلى كتفيهِ شبه الغفارة وفي يده مِخصرة يبارك بها الشعب ويمشي امامهُ صفوف من اللاما رفعاً لقدرهِ . وهذه المظاهر التي شهدها بعض السيَّاح مع ما سمعوا عن تعاليم البوذيين حملت بعض الكتبة على المقابلة بين النصرانيَّة والبوذيَّة وادَّى بهم هذيانهم الى ان يفضلوا البوذيَّة على النصرانيَّة . فلابطال هذا المدَّعى الكاذب يكفينا ان ننقل هنا قول واحد من اكبر علماء زماننا بالديانة

البوذيّة وهو السيّد دي هارلي (de Harlez) قال في مقالة مطوّلة كتبها في هذا الصدد ما تعريبهُ الحرفيّ :

« اني اعدُّ اقوال الذين يقابلون بين البوذيّة والنصرانيّة ضرباً من الهزل واللغط . ان غاية ما تحتويه الديانة البوذيّة بعض الوصايا الادبية والافكار السامية العقيمة . فان اعتبرتَ فلسفتها وجدتها سقيمة سخيفة لا تكاد تخالف فلسفة الماديين والدهريين . وكذلك اخبارها عن اصل الانسان وتكوين العالم فانها اشبه بالهذيان منها بالتعاليم الصادقة . آدابهم مبنيّة على تعليم التقمّص فتعلّم الانسان ان يقضي حياتهُ في الزهد وتشف العيش لا لينال منها يوماً ثواباً عند الله بل ليفقد يوماً شخصيتهُ ويدخل في العدم . يقول البوذيون انهم لا ينكرون وجود الله لكن قولهم كذب محض اذ انَّ الهم ليس هو اله شخصي قائم بذاته وانما هو اسم معنًى يدعونهُ بالشريعة الكلية وليس لهُ حقيقة في الكون ليخلق ويدبّر ويثيب ويعاقب . فاجمع كل كتب البوذيين الدينيّة لا تجد فيها كلها من التعاليم الادبية الصالحة ما يجده النصرانيّ في الصلاة الربية وحدها . فرأيي الخاص ان الفرق بين البوذيّة والنصرانية كالفرق بين السماء والارض وكبعد الثريّا من الثرى »

ولو اردنا لنقلنا هنا اقوالاً لغيره من العلماء حتى الذين لم يدينوا بالنصرانيّة كرينان وستروس وغيرهما وليس كلامهم مخالفاً لرأي السيّد دي هارلي . وبهِ الكفاية

سلسلة مطارنة كرسي حلب

للخوري كبرئيل شارون الروم الكاثوليكي الملكي

حلب من المدن الاوليّة القديمة عرفها البابليون وسموها حَلْبون وكذلك تكرَّر ذكرها في الكتابات الهروغليفيّة على صورة خلبو واسمها العربي مشتقٌّ من هذا الاسم القديم وسماها السلوقيون بيريا على اسم احدى مدن مقدونية . ولمَّا ظهرت الدعوة النصرانية لم تتأخر حلب عن قبول بشارة الخلاص . ولعلها صارت منذ القرون الاولى مركزاً لاساقفة خصوصيين يديرون شؤونها لكن الآثار لم تحفظ لنا ذكر احد منهم قبل عهد قسطنطين الكبير . وها نحن نسرد هنا اسماء الذين وقفنا على بعض اخبارهم

١ (اوستاتيوس) كان اسقفاً على بيريا اي حلب في الربع الاوّل من القرن الرابع فلمَّا عُقد المجمع النيقاوي الاوّل سنة ٣٢٥ اختارهُ آباء المجمع كخلف لبطريرك

انطاكيـة بولينوس (١ وكان اوستاتيوس رجلًا صالحًا قاسى الآلام والعذابات لاجل الايمان في عهد ديوقلطيانوس ودبَّر الكرسي الانطاكي احسن تدبير وقاوم الاريوسيين بكل نشاط حتى نفوه من كرسيهِ ثم عاد اليهِ ورعى شعبهُ مدَّة فثار عليهِ اعداء الدين ونفوه ثانيةً الى ترابانوبوليس وبها كانت وفاتهُ وهو طاعن في السنّ يربي عمره على التسعين

٢ (كيروس) هو خلف اوستاتيوس في كرسي حلب . وقد روى القديس اثناسيوس في دفاعهِ عن نفسهِ (٢ الذي قدَّمهُ لقسطنس الملك انهُ نُفي لاجل الايمان وقد اشار اليهِ ايضًا في رسالتهِ الى السيَّاح (٣

٣ (ملاتيوس الاوَّل) جاء في تاريخ سقراط (ك ٢ ف ٤٤) ان ملاطيوس المذكور كان اسقفًا على سبسطية (سيواس) من اعمال الارمن ثم نُقل من كرسيهِ الى كرسي بيريا في سوريَّا ومنهُ الى كرسي انطاكية بعد ان عُقد مجمع سلوقية (٤ سنة ٣٦١

٤ (اناطوليوس) خلف اناطوليوس هذا ملاطيوسَ السابق ذكره وكان اناطوليوس سابقًا كاهنًا على كلسيس (انجر) في سوريَّا. وأمَّا التأم مجمع انطاكية في عهد ملاطيوس البطريرك حضرهُ سنة ٣٨٠ وامضى الرسالة التي وجَّهها الاباء الى الامبراطور يوفيان (٥

٥ (تاودوطيوس) كان هذا في عهد الامبراطور والنس (٣٦٤—٣٧٨) وذكرهُ القديس باسيليوس كاسقف بيريا واليهِ وجَّه رسالتهُ المرقومة بالعدد ١٨٥ (٦

٦ (اقاقيوس) كان هذا راهبًا فتوسَّل اسابيوس الصُّميصاطي الى الامبراطور والنس بان يندبهُ الى اسقفيَّة بيريا فاجاب الى طلبتهِ (٧ وحضر اقاقيوس المجمع

---

١) راجع تاريخ سوزومان (Sozomène, H. E. I. 2 ; Migne PP. GG., LXVII, 979)

٢) اطلب اعمال الآباء اليونان (PP. GG., XXV, 595)

٣) فيها ايضًا (PP. GG., XXV, 699)

٤) راجع اعمال الآباء اليونان (PP. GG.,LXVII, 355)

٥) راجع تاريخ سقراط (ك ٣ ف ٢٥) واعمال الآباء اليونان (Ibid., 455)

٦) راجع الآباء اليونان (PP. GG. XXXII, 662)

٧) اطلب تاريخ الرهبان لتودوريطس (ف ٢ Migne LXXXII, 1314 وتاريخهُ الكنسي ك ٥ ف ٤)

القسطنطيني الاوّل سنة ٣٨١ وانضمّ الى المعادين للقديس يوحنا فم الذهب (١ ثمّ جنح الى مذهب النساطرة وتوفي في ١١٠ من عمره وقد تكرّر اسمهُ في كتابات اهل زمانهِ كان مولده سنة ٣٢٦ ورقي الى كرسي حلب سنة ٣٧٩ وتوفي سنة ٤٣٦

٧ (ثاوكطيسطوس) خلف هذا اقاقيوس في اسقفيتهِ ولثاودوريطس المؤرخ رسالتان وجّههما اليهِ (٢ . ولما عُقد مجمع انطاكية في عهد البطريرك دومنوس سنة ٤٤٨ للحكم في دعوى ايباس الرهاوي (٣ . ثم وقّع اعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ والرسالة التي وجّهها اساقفة سوريّة الاولى الى الامبراطور لاون في دعوى قتل بروتيريوس بطريرك الاسكندريّة سنة ٤٥٨ (٤

٨ (انطونيوس) اسقف حلب الملكيّ ورد ذكرهُ في تاريخ ديونيسيوس التلمهريّ (٥ في جملة من تفاهم سنة ٥١٨ يوسطينوس الامبراطور لمقاومتهم المجمع الخلقيدوني . وقد اوفد اليهِ ساويرس بطريرك انطاكية الدخيل ثلاث رسائل (٦ . اما وفاتهُ فسبقت ٥٤٣ التي فيها باشر اليعاقبة نظامهم الكنسي (٧

٩ (بطرس) في التقرير ἀναφωνητικὸς الذي كتبهُ ساويرس الانطاكي وارسلهُ الى رؤساء الاديرة في الشرق توقيعات بعض الاساقفة ومن جملتهم بطرس اسقف حلب (٨ . وكذلك يُرى اسمهُ في عداد الاساقفة (٩ الذين سقّفوا على انطاكية ساويرس الدخيل سنة ٥٠٨

---

١) تكرّر ذكرهُ في التاريخين السابقين وفي الجامع (Mansi III, 568) وفي تاريخ سوزومان (ك ٧ ف ٢٧) وفي ترجمة القديس يوحنا فم الذهب لبلّاديوس ٢) وهما الرسالتان ٣٢ و ١٣٦ اطلب اعمال الآباء اليونان (PP. GG., LXXXIII, 1219 et 351)

٣) اطلب اعمال الجامع لمانسي (Mansi VI, 496) ٤) مانسي (Mansi VII, 557)

٥) اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (Assemani, B.O. II, 327) وتاريخ ميخائيل الكبير (ed. Chabot II, 171 ك ٩ ف ١٣)

٦) نجدها في اعمالهِ المصونة في المتحف البريطاني (British Museum, *Fonds Syriaque* N° 692.)

٧) تاريخ ميخائيل الكبير (Michel le Syrien, 244-245)

٨) اطلب قائمة المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني (Wright, *Catal. Mss. Syr.*, II, 970)

٩) قائمة اسمائهم طُبعت آخرًا بصحّة كوفنر (Patrologia Orientalis, II, 319-325)

١٠ (ميناس) او مَنْنوس يُقرأ اسمهُ في عدَّة توقيعات منهـا توقيعهُ سنة ٥٣٦ على رسالة اساقفة المشرق الى البابا اغابيتوس سنة ٥٣٦ يعرضون عليهِ الشكاوى في ساويرس الانطاكي (١ . وفي سنة ٥٤٠ اوفـدهُ الانطاكيون الى كسرى ملك الفرس ليلتمس منهُ بألَّا يحاصر مدينتهم فعـاد خائباً . وفي سنة ٥٨٦ اجتمع في القسطنطينيَّة مجمع تقدَّم فيهِ البطريرك مناس وامضى اعمالهُ بعض الاساقفة ومن جملتهم ميناس المذكور (٢ وعليهِ يكون ميناس ادار كرسي حلب نيفاً وخمسين سنة

١١ (ك١ . . .) اسقف مجهول الاسم ذكرهُ ميخائيل الكبير في تاريخهِ (٣ قال انهُ وقع في حلب سنة ٧٢٦ خصام بين موارنة حلب واصحاب القديس الشهيد مكسيموس الذين يدعوهم المؤرخ مكسيميين وانتهى الخصام بانضمام اسقف الموارنة الى المكسيميين

١٢ (ك٢ . . .) روى ميخائيل الكبير في تاريخهِ ايضاً (٤ ان احد قوَّاد الخليفة المعتصم اسمهُ ابو سعيد قـدم حلب بعد فتح عمورية في رمضان سنة ٢٢٣هـ (٨٤٥م) فلقيهُ اسقف المدينة الخلقيدوني ولم يذكر اسمهُ

١٣ (اغابيوس) لما توفي في طرسوس تاودورس الكولوني بطريرك انطاكيـة في ٢٨ أيار سنة ٩٧٦ سعى مطران حلب المسمى اغابيوس لدى الامبراطور باسيـل الثاني المعروف بالبلغاري بان يقيمهُ في رتبتهِ فاجابـهُ الملك الى سؤلهِ بشرط ان يثبت المدينة تحت حكمهِ ويخلصها من برداس سكلاروس احد اعدائهِ فوعد بذلك واقامهُ والي المدينة المدعو عبيد الله ونائب ميخائيل بورتس رئيس الجيش في كرسيـهِ في ٢٣ كانون الاول سنة ٩٧٧ (٥

١٤ (غريغوريوس) ذكرهُ الخوري ميخائيل بريك في تاريخهِ المخطوط بين نُسخ مكتبة الآباء اليسوعيين الشرقيَّة (وهذه النسخة تخالف النسخة التي طبعهـا في

١) اطلب ماني (Mansi VIII, 920)
٢) ماني (Mansi, IX)
٣) اطلب هذا التاريخ (ج ٢ ص ٤٩٥) (ed. Chabot, II, 495)
٤) اطلب التاريخ عينهُ (ج ٣ ص ٩٦) (Ibid. III, 96)
٥) اطلب كتاب شلومبرجر (Schlumberger: L'Epopée Byzantine, II, 270)

مصر سليم افندي قبعين) قال (ص ١٠٩) : « بعد وفاة يواكيم بن جمعة البطريرك الانطاكي سنة ٧٠٨٤ للعالم (١٥٧٦) اجتمع كل روساء كهنة النورية بدمشق فانتخبوا منهم ثلاثة روساء كهنة وهم غريغوريوس اسقف حلب وميخائيل مطران اوخايبط ويواكيم مطران طرابلس » ثم اخبر كيف انتخبوا بطريركاً ميخائيل مطران اوخايبط سنة ٧٠٨٥ (١٥٧٧م) بايعاز غريغوريوس اسقف حلب وكيف اتخذه ميخائيل كوكيله وألبسهُ صاكون منعماً عليهِ بتلك الشارة

١٥ (مكاريوس) يُعرف بابن خلف ذكرهُ الخوري ميخائيل بريك في اخبار البطريرك يواكيم بن زيادي قال (ص ١١٥ من النسخة الخطيَّة) ان البطريرك المذكور ارسل مكاريوس الى القسطنطينية ليعلم بطريركها باخبار رجل يُدعى بابن الكباب كان خدع النصارى وادَّعى انهُ مطران فشرطن كهنةً وشمامسة زوراً فقام ابن خلف بهذه المهنة ورجع الى حلب . وكان ذلك نحو السنة ١٥٩٠

١٦ (ملاتيوس كرمه) ذكرهُ الخوري بريك (ص ١١٧) في ترجمة البطريرك اثناسيوس الذي اقيم بطريركاً على انطاكية سنة ١٦١١ قال ان اثناسيوس المذكور سار الى القسطنطينية لمحاكمة ملاتيوس مطران حلب وان ملاتيوس لم يرضَ بتأدية المال الذي عليهِ فحبسوه في دمشق واتفقوا على عزلهِ . ثم أُطلق سبيلهُ وجرت بينهُ وبين كيرلُّس الرابع منازعات طويلة لم تنتهِ الَّا بوفاة كيرلُّس لما قتلهُ ابن معن سنة ١٦٣٤ فاجتمع الاساقفة وانتخبوا ملاتيوس مطران حلب سنة ١٦٣٥ بطريركاً على انطاكية ودُعي افتيموس فتولَّى الكرسي ثمانية اشهر وتوفي سنة ١٦٣٦ . وملاتيوس المذكور قد سعى في تعريب الكتب الليتورجيَّة عن اليونانيَّة والسريانيَّة كما تشهد عليهِ عدَّة مخطوطات تصان في مكاتب طائفة الروم الارثدكس في القدس الشريف ودمشق وغيرهما (راجع المشرق ٥ : ١٠٤—١٠٥)

١٧ (ملاتيوس الزعيمي) ويُسمَّى ايضاً ملاتيوس طويل تسقَّف على حلب بعد ملاتيوس كرمه وكان اصلهُ من حماة متزوجاً ورزق اولاداً منهم ابنهُ بولس الذي جمع تآليفهُ . وترهب ملاتيوس في سيق مار سابا ثم اختاره البطريرك افتيموس الصافوري مطراناً لحلب سنة ١٦٣٦ ثم اختاره الاساقفة لكرسي انطاكية بعد وفاة افتيشيوس ودعي مكاريوس سنة ١٦٤٨ ودبَّر الكرسي الى سنة وفاتهِ سنة ١٦٧٢ وطاف مدةً في

انحاء الغرب . وقد ذكر المشرق (٥:٩:١٠٠٠—١١٢٠) تآليفهُ ولاسيما رحلتهُ الى القسطنطينيَّة وبلغارية وروسيَّة وتريفهُ لتعاليم الكلوينيين (٧:٧٦٦) وقد نشر حضرة الاب رباط رسالتهُ الى لويس الرابع عشر

١٨ (مطاروفان) خلف مطروفان ملاتيوس الزعيمي في اسقفيَّة حلب لما صار ملاتيوس بطريركاً وكان ابوه كاهناً يدعى بشارة . وقد ذكر الشماس بولس الزعيمي بعض اخباره في رحلة والده الى روسيَّة ورجوعهِ منها سنة ١٦٥٧ . والمرجَّح انهُ هو الذي اشار اليهِ رئيس اليسوعيين في سوريَّة في رسالتهِ التي كتبها في ١٦ نيسان سنة ١٦٥٣ ونشرها حضرة الاب رباط (١ وكذلك اياه اراد الاب يوسف بسُّون اليسوعي في كتابهِ عن سوريَّة المقدسة (٢

١٩ (جنَّاديوس) دبَّر هذا كرسيَّ حلب في اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر . وقد ورد ذكرهُ في قائمة مخطوطة تحتوي اسماء الكراسي الملكية صنَّفها سنة ١٧٠٠ بطريرك الاسكندريَّة جراسيموس بلَّادلوس (٣ . وفي هذا الوقت لمَّا مات كيرلُّس الرابع وقع اختلاف بين الملكيين فاختار بعضهم كيرلُّس وغيرهم اثناسيوس الرابع ابن دبَّاس وبقي الشقاق حتى رضي اثناسيوس ان يُقيم في حلب ويدبِّر الكرسي موقَّتاً هكذا البطريرك الانطاكي سابقاً

٢٠ (جراسيموس) ثمَّ الحَّ الحلبيُّون على اثناسيوس بان يقيم لهم مطراناً فوقع اختياره سنة ١٧٢١ على الاب جراسيموس من رهبان دير البلمند واحد منشئي الرهبانيَّة الحنَّاويَّة الشوريَّة (٤ . وكان جراسيموس عربيَّاً بالكثلكة . فلمَّا تمكَّن سلبسترس القبرصي من الكرسي البطريركي معاكساً لكيرلُّس السادس طاناس الذي اختاره الكاثوليك في دمشق لم يستطع جراسيموس ان يقوم في وجههِ في حلب فخرج الى المنفى وسار الى جبل اثوس

١) اطلب كتابهُ الآثار الصرانيَّة (A. Rabbath : *Documents Inédits*, I, 56)

٢) Besson: *La Syrie Sainte*. p. 29

٣) اطلب المجلد الثالث من الكتاب Δελτίον τῆς Ἱστορικῆς Ἑταιρείας Ἑλλάδος, III, 474

٤) اطلب تاريخ الرهبانيَّة الشوريَّة في اصداء الشرق (Echos d'Orient, VI, 1903, p. 246)

٢١ (غريغوريوس) اختاره المجمع القسطنطيني الزور (١ سنة ١٧٢٦ لكرسي حلب بعد عزلهم جراسيموس السابق ذكره. وكان غريغوريوس سابقاً اسقفاً على هرقلة (٢ لكنَّ غريغوريوس المذكور لم ينل الحظوى لدى الكاثوليك فانهم لم يزالوا يسعون في تغييره حتى اقاموا لهم اسقفاً آخر وهو مكسيموس حكيم (٣

٢٢ (مكسيموس حكيم) لما سمع جراسيموس بعزل غريغوريوس قام سراً من جبل اثوس حيث كان محبوساً ورجع الى حلب وطلب حقوقهُ على كرسيها الا انَّ الكاثوليك اقنعوهُ بان يتنازل عن حقوقهِ لمكسيموس حكيم فرضي بذلك وكتب الى كيرلُس طاناس يستعفي فسمح لهُ وهو الذي سقَّف مكسيموس حكيم في بعض شهور سنة ١٧٣٢ ومذ ذاك الوقت تمَّ انفصال الكاثوليك عن الروم الارثذكس وتفرَّدوا بالتدبير (٤. امَّا البطريرك القسطنطيني كيرلس الخامس فانهُ ارسل الى حلب اساقفة ليعاكسوا الحزب الكاثوليكيَّ وكان اولهم فيلمون الذي ألحق بهم كل ضروب الهوان وسعى بقتل بعضهم ثم جاء بعدهُ صفرونيوس وكان سابقاً اسقفاً على عكَّا (٥ فتقدم حلب وضيَّق على الكاثوليك ففرَّ من جرَّاء ذلك كثيرون منهم الى جبل لبنان. وبقي مكسيموس حكيم مطراناً على حلب الى السنة ١٧٦٠ وفي ١ آب منها أُقيم ببراءة من الحبر الاعظم اقليمنس الثالث عشر بطريركاً على انطاكية (٦

٢٣ (اغناطيوس جربوع) خلف السيد مكسيموس حكيم في اسقفيَّة حلب وكان رئيساً عاماً على الرهبان الحنَّاويين. وفي تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين للمطران عطا انهُ سُقِّف على حلب سنة ١٧٦١ امَّا تواريخ الرهبنة الشويريَّة فلم تعيِّن السنة. وكانت وفاتهُ في كانون الاوَّل من السنة ١٧٧٦ كما ورد في اخبار الرهبنة المذكورة (ج ٢ ص ٤٢)

---

١) وكان المتقدم على هذا المجمع البطريرك القسطنطيني بايزيوس الثاني الذي ادار الكرسي من سنة ١٧٢٦ الى ١٧٣٢

٢) اطلب آثار دليكانيس (Délicanis) ص ١٨٩–١٩٠ وتاريخ الرهبنة الشويريَّة المخطوط

٣) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, IX, 1906, p. 32-33)

٤) فيها ايضاً (Ibid, p.36)

٥) اطلب دليكانيس (Délicanis, p. 195-200)

٦) اطلب اصداء الشرق (Echos, V, 1902, p. 86)

٢٤ (جرمانوس آدم) كان مولده في حلب ودرس العلوم في رومية العظمى ولمّا عاد الى الشرق اشتهر بنشاطهِ وتآليفهِ فاقيم مطرانًا على عكا ثم نُقل في ١٦ نيسان ١٧٧٧ الى كرسي حلب فدخل الشهباء في أيار من السنة. وكانت وفاتهُ في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٠٩ في زوق ميكائيل. ولهُ تآليف عديدة منها ما ناقض فيهِ تعاليم الكنيسة فأبطلها الكرسي الرسولي وقد خضع آخرًا السيد آدم لحكم الحبر الروماني

٢٥ (مكسيموس مظلوم) بعد النزاع الطويل اختار البطريرك اغابيوس مطر الخوري ميخائيل مظلوم لكرسي حلب في ٦ آب سنة ١٨١٠ وتسمّى مكسيموس لكن الكرسي الرسولي لم يثبت هذا الانتخاب فألغاهُ البابا بيوس السابع سنة ١٨١٥ وكان السيد مكسيموس سبق وقدّم استعفاءه للبطريرك مكاريوس طويل. فاستدعاه المجمع المقدّس الى رومية وسماه البابا اسقفًا على ميراليكيا شرفًا فعُرف بهذا الاسم الى سنة ارتقائهِ الى السدّة البطريركيّة سنة ١٨٣٣

٢٦ (باسيليوس عرقتنجي) رقّاه الحبر الاعظم الى كرسي حلب بدلًا من السيد مكسيموس مظلوم بموجب براءة (١ كتبت في ٣ حزيران سنة ١٨١٦ فسامهُ البطريرك اغناطيوس الخامس قطّان في ١٦ تشرين الاول منها. وكان السيد باسيليوس قبلًا رئيسًا على الرهبنة الشويريّة. فدبّر كرسي حلب الى سنة وفاتهِ. توفي في دير مار ميخائيل قريبًا من الزوق في ٢٩ أيار سنة ١٨٢٣. وفي تلك السنة حصلت نزاعات في الرهبانيّة الشويريّة لم تسمح بتعيين خلفهِ فبقي كرسي حلب ثماني سنين. الّا ان البابا لاون الثاني عشر اقام وكيلًا عليهِ السيد اغناطيوس عجّوري مطران زحلة في ٩ حزيران سنة ١٨٢٦

٢٧ (غريغوريوس شاهيات) لمّا طال تيتّم كنيسة حلب امر البابا غريغوريوس السادس عشر البطريرك اغناطيوس قطّان برقيم تاريخهُ ٢٤ كانون الاول سنة ١٨٣١ بان يختار خلفًا للسيد باسيليوس عرقتنجي (١ فوقعت اصوات الاكليروس والشعب على الخوري بطرس شاهيات من رهبان مار يوحنا الشوير فسيم اسقفًا في دير مار ميخائيل في الزوق سنة ١٨٣٢ وتسمّى غريغوريوس. ورجع الى حلب برخصة الباب العالي وتوفي

١) اطلبها في مجموع مرتينيس (Martinis, IV, p.45)

في ٢٤ آب سنة ١٨٤٣ على رواية السيد غريغوريوس عطا (في تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين ص ١٦)

٢٨ (ديمتري انطاكي) كان من الاكليروس العالمي وكان يُدعى ميخائيل فندبهُ البطريرك مكسيموس مظلوم الى تدبير كرسي حلب في ٢٧ ايلول من السنة ١٨٤٤ وسامهُ السيد مكاريوس السمّان مطران ديار بكر. وفي أيامهُ اضيف الى ابرشية حلب كرسي سلوقية اي السويدية فدُعي اساقفة حلب بروسا اساقفة سلوقية وحلب وكانت وفاتهُ في ٩ تموز سنة ١٨٦٣

٢٩ (بولس حاتم) ولد في حلب في ١٥ كانون الثاني سنة ١٨١١ وسُمي بطرس. ثمَّ رحل الى رومية سنة ١٨٢٨ ودرس في مدرسة انتشار الايمان في رومية. وعند رجوعهِ بقي مدَّة في خدمة المطران اغناطيوس عجوري فسامهُ شماساً سنة ١٨٣٢ ثم كهَّنهُ السيد غريغوريوس شاهيات سنة ١٨٣٥ ودعاه بولس. وفي سنة ١٨٥٠ اتخذه البطريرك مكسيموس مظلوم كوكيلهِ في رومية فبقي فيها سنتين اتمَّ في اثنائها دروسهُ الكهنوتية. وبعد وفاة السيد شاهيات سقفهُ على حلب البطريرك الطيب الذكر اكليمنضوس بحوث في ٢٧ ايلول سنة ١٨٩٣ فدبَّر هذه الرعية بنشاط الى سنة وفاتهِ في ١٠ شباط السنة ١٨٨٥

٣٠ (كيرلُس جحا) كان مولده في حلب في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٨٤٠ ونشأ تحت نظر السيد اثناسيوس تتنجي اسقف طرابلس وصار كاهناً سنة ١٨٦٥ ودعي بطرس. وفي ٣ أيار سنة ١٨٨٥ نصبهُ السيد البطريرك غريغوريوس يوسف رئيس اساقفة على حلب خلفاً للسيد بولس حاتم وسامهُ في دير مار جرجس الشير في مكين. ولمَّا توفي السيد غريغوريوس يوسف تعيَّن كنائب بطريركي وتجدَّدت لهُ هذه النيابة بعد وفاة السيد بطرس جريجيري حتى وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريركي الانطاكي في ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٢. وفي ٢٢ حزيران سنة ١٩٠٣ ارسل اليهِ الحبر الاعظم درع الرئاسة

٣١ (ديمتريوس قاضي) ولد في دمشق سنة ١٨٦١ وانكبَّ في باريس على العلوم الاكليريكية تحت ادارة كهنة سان سولبيس. ولما رقي الى درجة الكهنوت

١) اطلب هذا الرقيم في اعمال مجمع انتشار الايمان (Martinis, V, 29)

تسمى يوسف ثمَّ عاد الى الشرق وتقلَّد عدَّة مناصب منها ادارة المدارس في المدرسة البطريركية في بيروت ثم ترأس على مدرسة طائفته في دمشق ثم عهدت اليه النيابة البطريركية في القدس الشريف وفي باريس وكان احد الذين انتدبهم الكرسي الرسولي لتعيين مواد المجمع المنوي عقده في سنة ١٩٠١ وقد اقيم على كرسي حلب في ٢٣ تشرين الثاني من السنة ١٩٠٣ وسامهُ السيد البطريرك كيرلس جحا في حاضرة الاسكندريَّة ودُعي دمتريوس . متَّع الله رعيتهُ بهمَّتهِ زمنًا طويلًا

آثار تاريخية للسريان

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

بقيت الآثار السريانية اجيالًا عديدة في زوايا النسيان حتى قام جهابذة الأمة المارونية في القرن السابع عشر والثامن عشر وجمعوا منها قسمًا صالحًا من جهات الشام واديرة مصر القديمة . وللمعاعنة في استخراج تلك الدفائن اليد الطولى لاسيما المنسنيور يوسف سمعان السمعاني الذي اودع مكتبتهُ الشرقيَّة كنوزًا ادبيَّة لا تُحصى من كتَبَة السريان فنهج لمن أتوا بعدهُ طرقًا مجهولة سلكوها واصابوا فيها على مثالهِ مجدًا اثيرًا

على انَّ تلك الحركة الاولى التي سبق اليها علماء الموارنة في اوربَّة خمدت من بعدهم الى ان استأنفها المستشرقون في اواسط القرن التاسع عشر ومنذ ذاك الحين لم تزل همَّتهم في ترقٍّ وازدياد فنشروا من المطبوعات السريانية ما يُعدُّ اليوم بالمئات بعد ان كان عددها لا يزيد على العشرات

واكثر ما عُني بنشرهِ العلماء التواريخُ السريانية لاسباب : منها انَّ السريان امتدُّوا في اقطار متسعة كالشام وما بين النهرين والعراق وفارس حتى حدود الهند والمغول والصين فدوَّنوا في تآليفهم اشياء عديدة لا تجد لها اثرًا في غير مصنَّفاتهم . ومنها ايضًا انَّ كتبة السريان سبقوا العرب فوضعوا تواريخ للازمنة التي تقدَّمت النهضة العربية فكتبوا في امور كانوا شهودها اليانعين واخذها عنهم بعد ذلك كتبة العرب . ومنها

ايضاً انهُ فات كتبة اليونان لجهلهم لغة الآراميين أحداث خطيرة لم يطلعوا على تفاصيلها فرووها على علّاتها وربّما جهلوها مطلقاً او ذكروها على غير وجهها الصحيح وفي تواريخ السريان ما يقيم المائل ويرتق الفتق ويسدّ الثلم

ومما نُشر من هذه المصنَّفات التاريخية في النصف القرن الاخير التاريخ المنسوب سهواً ليشوع العمودي في اوائل القرن السادس . وتاريخ الرها . وتاريخ يوحنّا الافسي في اواخر القرن السادس . وتراجم القديسين الشرقيين لهُ . وتاريخ زكريا المنطقي في اواسط القرن عينهِ . وتاريخ الكنيسة لاوسابيوس القيصري في السريانية . وتاريخ الحنفاء لتوما الكاعن اليعقوبي في القرن السابع . وقطع تاريخية مارونية من القرن الثامن وتاريخ البطريرك اليعقوبي ميخائيل الكبير الذي نشرهُ الخوري شابو (J - B. Chabot) . وتاريخ منشئي الاديرة المعروف بكتاب العفة لهُ . والتاريخ الكنسي لابن عبري الذي نشرهُ المنسنيور لامي والمنسنيور ابلوس . وتاريخ الرؤساء لتوما المرغوي الذي سعى بطبعهِ وترجمتهِ المسيو بودج (Budge) وغير ذلك مما ازال القناع عن اخبار السريان واحوال البلاد التي استوطنوها

ولادباء الشرق يدٌ في نشر هذه الآثار التاريخيَّة نخصّ منهم بالذكر غبطة البطريرك الجليل اغناطيوس افرام الثاني رحماني الذي أغري بآثر قدماء السريان فنشر كثيراً منها بينها تاريخ ديني وعالمي لمؤلف سرياني من القرن الثالث عشر طبعهُ في الشرفة . ومنهم حضرة الاب بولس بيجان العازاري الكلداني الذي نشر تاريخ الدول لابن العبري في السريانيَّة . ثم تاريخ رحلة يابالاها الراهب النسطوري الصيني الذي كان تنسَّك وعاش عيشة الرهبان قريباً من بكين تحت نظارة ربّان صوما ثم سافر كلاهما من الصين الى الاراضي المقدسة وفي عودتهِ الى بلادهِ على طريق العراق اختارهُ النساطرة جاثليقاً عليهم فدبَّرهم من السنة ١٢٨١ الى ١٣١٧ وكان اسمهُ سابقاً مرقس فدعي يابالاها الثالث . وهذه الرحلة نقلها الاب شابو الى الفرنسويَّة وعلَّق عليها الحواشي

ومما عني بنشره الشرقيون في السريانية قسم من تاريخ برخدبشابا في اخبار مدارس الرها ونصيبين وساوقية نشره حضرة القس الفنس منكنا الكلداني الموصلي وطبعهُ في مقدمات شعر نرساي الذي مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ٨ : ٦٢١) وهذه القطع تشوّق القرّاء بنشر ذلك التاريخ برمّتهِ لا سيَّما ان مؤلفهُ كان من تلامذة مدرسة نصيبين واحد

كتبة النساطرة المدودين وتسقّف على حلوان في القرن السابع

فمن تعداد التآليف السابقة ترى ان للسريان فضلًا كبيرًا في تسطير اخبار الدول وتدوين احوال الدين والدنيا على ان هذه المآثر ليست سوى قطرة من وبل بالنسبة الى التواريخ المتعدّدة التي ذكرها الكتبة واودت بها ايدي الضياع ومنها ما هو جدير بالاعتبار وحقيق بالذكر يرتقي عهده الى القرن الثامن والسابع بل ربّما بلغ السادس والخامس ولم يقطع العلماء رجاءهم من الوقوف على تلك المصنفات الجليلة

وممّا يضمن لنا تحقيق الآمال آثار نفيسة توفّق الى اكتشافها حضرة الهمام القس الفنس منكنا الكلداني في العراق والجزيرة وباشر في نشرها في مطبعة الآباء الدومنيكان الافاضل في حاضرة الموصل . وها قد نجز الجزء الاوّل من هذه الآثار الخطيرة فاحببنا ان نصف لقرّائنا مضامينها المفيدة وهي عبارة عن ثلاثة مصنفات تاريخية كُتبت بالسريانيّة بين القرن السادس والتاسع تحتوي عدّة معلومات عن اخبار بلاد ما بين النهرين والجزيرة والعراق لاسيما عن تاريخها الديني فأتت بفوائد جديدة لم تُذكر في تآليف سواها

١ تاريخ مشيحازخا

واول هذه الآثار تاريخ كنسي لايالة حَدياب في عهد الدولة الاشكانيّة ثمّ الدولة الساسانيّة ألّفهُ احد كتبة الكلدان اسمهُ مشيحازخا (اي انتصرَ المسيح) وهو كاتب بارع ذكرهُ عبد يشوع الصوباوي في جدوله الشهير لكتبة السريان الاقدمين (١ ولم يذكر لهُ تأليفًا آخر غير تاريخ كنسي موثوق بهِ من اول الدعوة النصرانية الى زمانهِ . ويا ليت عبد يشوع زادنا افادةً بتعريف مشيحازخا المذكور ودلّنا على زمانهِ او بلده او غير ذلك من احوالهِ لكنهُ أضرب عن الامر واكتفى باسمهِ مجرّدًا . وقد ظنّ هوتنغر (Hottinger) في اثاره الشرقيّة ان مشيحازخا اسم لراهب من دير إزلة ذكره توما المرغويّ في كتاب الرؤساء باسم يشوع زخا بل جعل لهُ اسمًا ثالثًا وهو زخا يشوع ذكرهُ ايضًا المرغويّ في تاريخهِ فصار مشيحازخا مثلث الاسم يُدعى تارةً باسمهِ المذكور وتارةً يشوع زخا وحينًا زخا يشوع ولم يأتِ لاثبات قولهِ هذا بدليل آخر غير اتفاق هذه الاسماء بالمعنى وممّا أيّدهُ برأيهِ كون توما المرغوي يذكر تاريخًا ليشوع زخا كما روى

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani, B. O. III', 216)

الصوباوي عن مشيحازخا . وقد اقتنع السمعاني في مكتبته الشرقيَّة (٣: ٢١٦) بهذه الأدلَّة الضعيفة وذهب الى مذهب هوتنغر في توحيد مشيحازخا ويشوع زخا وزخا يشوع وصار هذا القول دارجاً بعده ووافقهُ عليهِ المستشرقان الشهيران رَيت (W. Wright: Syriac Literature p. 130) ودوفال (R. Duval: La Liherature Syriaque, p. 349) اما حضرة الاب منكنا فانَّهُ يخالف هذا الرأي وقد لسند قولهُ الى بيّنات اخصُّها اختلاف زمن هؤلاء الكتبة فمشيحازخا اقدم منهم عهداً كما يؤخذ من بعض مروياتهِ . ومنها انَّ النصوص التي نقلها ترما المرغوي لا توافق النصوص التي وجدها حضرة الاب منكنا

وممَّا استدلَّ عليهِ متولي طبع هذا التاريخ من نفس الكتاب انَّ مشيحازخا سطَّر تاريخهُ بين السنتين ٥٥٠ و٥٦٩ وانهُ كان من بلاد حديايب عارفاً باحوال بلاده حقَّ المعرفة وقد رجَّح انهُ كان درس العلوم في مدرسة نصيبين الجليلة وتتلمذ لكبار اساتذتها النساطرة خصوصاً لمعلمها الشهير ابراهام من بيت ربَّان الذي ادار تلك المدرسة العامرة من السنة ٥٠٩ الى ٥١٩ فبلغها اوج الفخر ومشيحازخا يثني عليهِ اطيب الثناء في تاريخهِ . ويظهر ايضاً من سياق هذا التاريخ ان مشيحا زخا كان من رهبان ملَّتهِ النسطوريَّة . وكان يُحسن الكتابة في لغتهِ فانَّ سريانيَّتهُ بليغة وعبارتهُ منسجمة لطيفة قلَّما تجد فيها الفاظاً دخيلة من اليونانيَّة كما ترى في الكتبة الذين عاشوا بعد عهده

امَّا مضمون تاريخهِ فانهُ كان في الاصل يتناول كل اخبار قرون النصرانيَّة الستة الاولى التي سبقتهُ الَّا ان النسخة التي وقعت في ايدي حضرة القس منكنا ناقصة تالف اوَّلها وآخرها ولولا انَّ اسم المؤرخ كان مكتوباً في ذيل احدى صفحات الكتاب لما امكنهُ ان يعرف صاحبهُ . ولحسن الطالع قد بقي من الكتاب معظمهُ اذ لم يسقط من اوَّلهِ الَّا قسم من مقدمتهِ . اما الآخر فقد ذهب منهُ بعض الصفحات او كرَّاس كامل

ومع ما فُقد من هذا الاثر الثمين نراه من اجلّ المصنَّفات واعظمها شأناً اولاً لسبب بُعد تاليفهِ اذ هو من اقدم التواريخ السريانيَّة ثمَّ لمحتوياتهِ الخطيرة عن امور تلك البلاد كما سترى . وكان النساطرة يعرفون قدره ويحفظونهُ كالدرة اليتيمة . والدليل على ذلك انهم لما ولَّوا هاربين من مواطنهم اذ شنَّت قبيلة الكوكايس الغارة

عليهم قبل ١٥٠ سنة اخذوا هذا الكتاب معهم في جملة عروضهم النفيسة لئلا يقع في حوزة العدوّ ثم تناوبت عليهِ الايدي حتى وصل اخيراً الى ملك حضرة القس منكّنا

ومن مضامينهِ الجليلة اخبار مفصلة عن احوال الدين في بلاد فارس والعراق تبطل مزاعم بعض المحدثين الذين نكروا انتشار الدين المسيحي في تلك الجهات قبل القرن الثالث للمسيح . وليس كلام مشيحازخا تخيُّلاً او حدساً بل تراه يستشهد بتآليف سابقة صبر بعضها على آفات الدهر واخنى الزمان على بعضها الآخر واذا نقل من اولئك الكتبة شيئاً فلم يروهِ على علّاتهِ بل اعمل فيهِ نظر الانتقاد وكذلك تجده يتحاشى في روايتهِ الاطناب والمغالاة في الاوصاف

ويزيدنا ثقةً في كلامهِ انهُ لم يثبت في تاريخهِ بعض تقاليد مشتبهة في اصل الدعوة النصرانيَّة في العراق وفارس تناقلها الكتبة بعد ذلك فزعموا انَّ الرسل او بعض تلامذة المسيح انشأوا كرسيَّ المدائن وخوَّلوه امتيازات خاصَّة . وغاية ما يُمكن استنتاجهُ من هذا التاريخ انَّ احد تبعة الرسل الاوَّلين المسمَّى ادّي بشر بايمان المسيح في الرها والجزيرة والعراق وفارس في اواخر القرن الاول للميلاد وهذا القول يوافق رأي اصدق الكتبة واثبت التقاليد لا يمكن احدًا ان ينكرهُ بتعقُّل . اما ماري وآجي اللذان يجعلهما الكتبة من تلامذة الرسل ويروون عنهما اخباراً عجيبة فلا اثر لذكرهما في هذا التاريخ وكفى بسكوتهِ دليلاً على ضعف تلك التقاليد المشبوهة

ومن اجلّ فوائد هذا الكتاب سلسلة اساقفة حديابب فانَّ مشيحازخا سردها سرداً متناسقاً وذكر اخبار كل اسقف فرداً فرداً مع بيان اصلهِ واعمالهِ وتعريف احوال زمانهِ وتدوين تاريخهِ ومدَّة تدبيره فقد احصى من زمن « فقيدا » اول اساقفة حديابب (من السنة ١٠٤ للمسيح الى السنة ١١٤) الى ختام العشر الاول من القرن السادس وبهِ ينتهي ما سلم من الكتاب عشرين اسقفاً جلسوا على كرسي تلك الحاضرة خلفاً بعد سلف لم تنقطع تلادتهم الَّا مرَّتين بفروغ الكرسي مرَّة اولى ستَّ سنين بعد « فقيدا » (١١٤—١٢٠) ومرَّة ثانية بعد شمشون الاسقف الثاني اثنتي عشرة سنة (١٢٣—١٣٥) فهذه السلسلة الاسقفية غاية في الاعتبار تُعدّ من اصحّ ما بلغنا حتى اليوم من جداول الاساقفة القديمة

ومن فوائد هذا التاريخ ايضاً انهُ يزيل كل ريب وشك في اصل كرسي المدائن

اي قتازيفون وسلوقية الذي جعلهُ بعض الكتبة كرسيًا رسوليًا وبطريركيًا والصحيح ان كرسي حدياب اقدم منهُ ولدَّ المدائن لم تُصبح كرسيًا اسقفيًا الّا في ايام تاسع اساقفة حدياب المسمى شحلوفا (من السنة ٢٥٨ الى ٢٧٣ مسيحيَّة) وذلك ان احد عمّال الملك سابور كان اسمهُ جنزقن استدعى شحلوفا لما رأى فيهِ من الغيرة الى المدائن ليزور من تنصَّر حديثًا من المؤمنين فذهب اليهم شحلوفا وسام لهم كاهنًا ليخدمهم . وبقي الامر كذلك الى عهد خلفهِ « احادابوه » (٢٧٣—٢٩١) الذي سقَّف على المدائن « قفا » او « فافا » وذلك بين السنتين ٢٨٥ و٢٩١ وكانت وفاة « قفا » سنة ٣٢٦ فتكون مدَّة اسقفيتهِ بين ٣٥ الى ٤٩ سنة ليست ٧٩ سنة كما زعم ماري في كتاب المجدل

ومن فوائد تاريخ مشيحازخا ايضًا معلومات مقرَّرة ثابتة في بعض مشاهير السريان من قديسين كالقديس يعقوب اسقف نصيبين والقديس افرام . ومن شهداء كشهداء فارس في عهد سابور وازدشير وبهرام . ومن كتبة وشعراء كنرساي واليشاع الملفانين

وكذلك يستفاد من هذا التاريخ عدَّة فوائد : منها تاريخية لتعريف احوال قدماء الفرس في عهد بني ارشك وبني ساسان فانَّ كثيرًا مما رواه عنهم اليونان والرومان مشوَّش متباين متناقض يصعب التوفيق بين رواياتهِ المتضاربة . ففي تاريخ مشيحازخا ما يميط القناع عن الحقيقة فانَّ هذا المؤلف قد اتسع في وصف بعض اخبارهم من غزوات وحروب وتشييد ابنية وانشاء مشروعات عظيمة

ومنها فوائد جغرافيَّة تفيدنا عن مواقع بعض المدن القديمة والقرى والدساكر التي لا يكاد يُعرف اليوم غير اسمائها

ومنها تفاصيل اخلاقيَّة ودينيَّة تقرّر عادات الفرس وامم العراق والجزيرة مع ما المسيح يدينون بهِ من الاديان كالوثنية والمجوسيَّة

واكثر من ذلك فائدةً ان مشيحازخا يشهد لنا عن معتقدات نصارى عصرهِ ووطنهِ وما ورثوه من التعاليم الصحيحة عن اهل الدعوة النصرانية الاوَّلين كقولهِ (في الصفحة ١٥) عن رئاسة بطرس على الكنيسة « ان الرسل دعوا الامم الى معرفة كانوا واسسوا البيعة وشيَّدوها على صخرة سمعان بطرس غير المتزعزعة »

وكقولهِ عن ثبات الكنيسة على الاضطهادات (ص ٢٣—٢٤) وهو يعدّد

اضطهادات القياصرة مباشرةً بنيرون الذي مثّل بالنصارى ونكّل بهم وقتل في رومية الرسولين الاعظمين فصلب بطرس هامة الرسل منكوس الرأس وقطع رأس بولس. وروى مشيحازخا انّ شجرتين باسقتين نبتتا في مكان موتهما ولم نعلم من اين اخذ هذا الخبر. ثمّ ذكر بعد نيرون دومطيانوس ومصادرتهُ ليوحنّا الحبيب. ثم عدل عن ذكر ترايان الى ذكر مرقس اوراليوس وسبتيموس ساويرس ويُتبع ذلك بوصف الشدائد التي حلّت بنصارى حدياب

ولهُ اقوال حسنة في مدح الصليب ويصف من عادات النصارى في تلك الازمنة ما نراه جارياً حتّى يومنا من الصوم والصلوات والرتب الدينيّة وتعظيم الاساقفة وتزيين الكنائس بالنقوش والصور وذكر المجامع السينودسيّة

هذه بعض الافادات يمكن أدباء الشرق ان يقتبسوها من هذا السفر الجليل الذي لم يكتفِ بنشره حضرة القس منكنا بل ترجمهُ ايضاً الى الافرنسية وذيّلهُ بملحوظات تدلّ على حسن ذوقهِ وسعة معارفهِ وختمهُ بفهرس للاعلام المذكورة فيهِ

٢ تاريخ دير سبريشوع

هو الاثر التاريخي الثاني الذي نشرهُ حضرة القس منكنا ولهُ علاقة مع الاثر السابق بحيث انهُ يتضمن اخبار دير قديم كان مشيداً في بلاد حدياب وكان هذا الدير عظيماً واسعاً تُرى بقاياهُ حتى يومنا هذا قريباً من نهر زاب الكبير على مسافة يوم من اربل في غربيها. ومؤلف هذا الكتاب غير معروف وانّما هو قديم يرتقي تاليفهُ الى القرن التاسع وعلى رأي حضرة القس منكنا انهُ كُتب نحو السنة ٨٢٠ وسبق ما كتبهُ في تاريخ هذا الدير توما المرغوي بين السنتين ٨٣٢ و٨٥٠ وما سطرهُ ايضاً في هذا الصدد يشوعدناح البصري في كتاب العفّة نحو السنة ٩٠٠. وهذا التاليف بالشعر السرياني ذي الاثني عشر مقطعاً وانشاؤه بسيط قد وجد منهُ حضرة متولّي طبعهِ ثلاث نسخ اعتمد على اثنتين منها تاريخُ الواحدة سنة ١٩٢٨ لليونان (١٦١٧م) والثانية سنة ٢٠٩٧ (١٦٩٦م)

اما الكتاب فلا حاجة للاتساع في مضمونهِ ومن خلاصتهِ يستدلّ القرّاء على فوائدهِ التاريخية. فانّ المؤلف المجهول بعد مقدمة حسنة في شرف الرهبانية يذكر دعوة الله لسبريشوع الى الزهد في العالم في اوائل القرن السابع ثم يروي خبر تشييدهِ

لديره الذي عُرف باسمهِ ويعدّد فضائلهُ وفضائل الرهبان الذين تتلمذوا لهُ وما جرى على ايديهم من الكرامات ثم ينتقل الكاتب الى ذكر الثانية الرؤساء الذين خلفوا سبريشوع في تدبير الدير الذي اقامهُ فيترجمهم فردًا فردًا ويطرئ اعمالهم الصالحة وفي روايتهِ اخبار عجيبة فيها مغالاة ظاهرة ومن ثمَّ نرى هذا الكاتب دون المؤرخ السابق في الانتقاد وصحة الرواية كما انَّ لغتهُ لا تبلغ فصاحة سلفهِ . ومع هذا نشكر حضرة القس منكنا على نشر هذا الاثر المفيد وترجمتهِ وتعليق الحواشي على نصهِ

٣ القسم الثاني من تاريخ يوحنا بر فنكايا

هو الاثر الثالث الذي احياه بعد موتهِ حضرة القس منكنا واستخرجهُ من نسختين خطيتين تخص احداهما الخزانة البطريركية الكلدانيَّة الكاثوليكية في الموصل نُقلت عن نسخة قديمة تاريخها سنة ١٢٦٢ . اما يوحنان بر فنكايا فكان من فنكا وهي قرية ليست بعيدة من جزيرة بني عمر على دجلة وقد عُرِفَ السمعاني بهذا الاسم نظنهُ نسبة الى ܦܢܩܐ او ܦܢܩܐ ومعناها صانع الصحاف والفخَّار . وكان يوحنَّان راهبًا وعاش في اواخر القرن السابع فانهُ يذكر السنة ٦٧ للهجرة والطاعون الذي وقع فيها على ايامهِ وبهذا القول يبطل زعم الذين جعلوه من كتبة القرن التاسع وخلطوا بينهُ وبين يوحنا سابا . وقد صنَّف بر فنكايا سبعة تآليف دينيَّة وادبية ولغويَّة على ما روى عبديشوع الصوباوي في جدول الكتبة السريان (B. O. III 1, 189) وقد شتَّت الدهر معظمها فاسعد الحظ القس منكنا على وجود هذا الكتاب ولعلَّهُ اعظمها قدرًا وهو يحتوي تاريخًا عموميًا من اول العالم الى زمان المؤلف وقد قسمهُ الى قسمين يشتمل كلاهما على خمسة عشر ميمرًا فالقسم الاوَّل مختص بالعهد القديم والثاني بالعهد الجديد . وحضرة الاب منكنا لم ينشر الَّا هذا القسم الثاني الذي يبتدئ بالميمر العاشر وينتهي بالميمر الخامس عشر ويتضمن مجمل اعمال السيد المسيح في حياتهِ ومماتهِ وقيامتهِ ثم يروي اعمال الرسل وتعاليمهم بعد صعود الرب ثم ينتقل الى تاريخ الكنيسة من بعدهم الى زمانهِ الَّا انَّ تاريخهُ هذا اشبه بخطب منها بالتاريخ فيمزج رواياتهِ الملحوظات الادبيَّة والاعتبارات التقويَّة على شبه القديس اوغسطينوس في كتابهِ مدينة الله وليست من ثمَّ فائدتهُ التاريخيَّة عظيمةً ولذلك لم ينقل منهُ حضرة القس منكنا الى الافرنسية الَّا الميمر الاخير . وانَّما الحقهُ بالفهارس كما فعل بالكتابين

السابقين . وليوحنان بر فنكايا في اثناء كلامهِ عن المجمع الافسسي شتائم على الآباء الذين حرموا نسطور لا سيما القديس كيرلُس الاسكندري فكشف بهذا القول عن دائهِ النسطوري الكمين في صدره وتراه مع ذلك مصرّحاً بلاهوت المسيح وناسوتهِ بنوع عجيب (في الصفحة ٣٥)

اما لغة المؤلف فهي منقحة تشير الى اقتدار صاحبها بفنون الكلام وبلاغة اللسان وربَّما ادمج كلامهُ بآيات الكتاب المقدَّس على احسن منوال ما يدلُّ على حسن معرفتهِ لهُ . وفي النصوص المنقولة عن الاسفار المقدسة بعض اختلاف عن رواية الترجمة السريانية البسيطة اما لكونهِ ذكر الآيات عن ظاهر القلب فلم يلتزم ايرادها بالحرف واما لانهُ اتبع ترجمة أخرى غير الترجمة البسيطة . وهذا ايضاً مما يلوح في تأليف مشيحازخا السابق ذكره

فنكرر عوداً على بدء شكرنا لحضرة القس منكنا على هذه التحف الادبيَّة ونتمنى ان يُلحقها بالقسم الثاني اخذ الله بيده وبلَّغهُ امانيهُ لمجده تعالى ولفخر الوطن العزيز

مطبوعات بشرية جديدة

F. PRAT s. j. : La Théologie de St Paul. Ire partie, *Paris* *Gabriel Beauchesne et Cie*, 604 pp. in - 8°, Prix 6 francs.

الجزء الاول من لاهوت القديس بولس الرسول

كنا نودّ ان نفرد لهذا الكتاب فصلاً مطولاً ولعلنا نفعل يوماً ان شاء الله اذا تمَّ الجزء الثاني وها نحن نسلف القرَّاء عجالةً في تعريفهِ . والحقّ يقال انهُ تأليف جليل فريد في جنسهِ وهو يبحث عن لاهوت ذلك الرسول الذي أهلهُ الرب ان يُختطف الى الفردوس ويسمع اسراراً لا يحلّ للمرء ان ينطق بها » (الرسالة الثانية الى اهل قورنتس ١٢ : ٤) وهو مع ذلك قد اودع من تلك الاسرار شيئاً كثيراً في رسائلهِ العجيبة . فاراد حضرة الاب فردينند پرا اليسوعي ان يتتبَّع تلك الاركان الخفيَّة ويلتقط من تلك الرسائل تعاليمها اللاهوتيَّة السامية . وقد انجز القسم الاول من هذا المشروع الخطير فجعلهُ كمقدمة لكتابهِ . ففي هذا الجزء قد بحث عن كل احوال

القديس بولس في كل اطوار حياته فوصفهُ احسن وصف في خَلقهِ وخُلقهِ وتربيتهِ وتهذيبهِ الادبي ولغتهِ فعرَّفهُ في حياته قبل دعوتهِ وبعدها وبيَّن ما خُصَّ بهِ بصفة رسول وبصفة معلم وكاتب ومدبّر للكنائس وخلاصة القول لم يدع شيئاً من امور رسول الامم الّا كشف عنهُ القناع وبكل ذلك قد مهّد الطريق لدرس تعاليم ذاك الاناء المختار ليبيّن كيف اوحى الله اليهِ باعظم واسمى اسرارهِ اللاهوتية. وممّا بحث فيهِ ايضاً في هذا الجزء الاسباب والظروف التي حدَتْ بالرسول الى ان يكتب رسائلهُ الى كل كنيسة ليُصلح ويهذب ويرشد ويعلم ويكمّل . وقد اختصر مضامين تلك الرسائل وبيّن سياق معانيها وارتباط تعاليمها واضاف الى كل فصل ملحقات من شأنها ان تعين الدارسين على ادراك فوائدهِ وهو لم يشأ ان يدرجها في سياق الكلام لئلّا يرتبك بها القارئ . وخلاصة القول يمكننا ان نؤكد لمحبي الدروس البولسيَّة انهم يجدون في هذا الكتاب ما لا يجدونهُ في كتب عديدة متفرّقة سواء كان من جهة مضامينهِ او من جهة حسن كتابتهِ وبلاغة عبارتهِ . ولعلّ بعض دارسي الاسفار المقدسة لا يوافقونهُ في كل مذاهبهِ الّا انهم سيقرّون ولا محالة بان المؤلف لم يرو شيئاً الّا بناء على ادلّة ثابتة وحجج راهنة الاب ي . ديلنسيغر

P. AURELIO PALMIERI O. S. A — La Chiesa Russa, le sue odierne condizioni e il suo riformismo dottrinale, in - 8°, pp. XVI-760, *Firenze*, 1908, L. 5.

الكنيسة الروسية

ليس احد بين الكاثوليك يعرف احوال روسيّة الدينيَّة كالاب اوريليو باليساري الراهب الاوغسطيني الذي تعمّق في هذا الدروس واطّلع على الحركة الدينية التي تشغل اليوم كل العقول ووصفها ادقّ وصف في عدّة مقالات كتبها في المجلّات الخاصّة وقد اقرّ الروس انفسهم بحسن نيّتهِ واعتدال خطتهِ ولمّا رحل الى روسيَّة قبل ثلاث سنوات استقبلوه بالترحاب واثنوا على همّتهِ . والكتاب الجديد الذي انجزهُ اليوم في هذا الصدد يحتوي تفاصيل المخابرات والاجتماعات التي جرت في السنين الاربعة الاخيرة للاصلاح الديني في دولة القياصرة . فذكر حضرة المؤلف كيف اجتمع في سنة ١٩٠٥ اثنان وثلاثون كاهناً ورفعوا الى القيصر تقريراً وصفوا فيهِ النكبات

المتعدّدة التي لحقت بالكنيسة الروسيّة ودلّوه على الدواء الشافي لتلك الادواء. فحصل من جرّاء ذلك قالٌ وقيل وتعدّدت الكتابات والرسائل والتآليف للبحث في هذا الامر الهامّ وكان امامهم ان يُعقد مجمع ديني لتلافي تلك الشرور وان يُقام للممالك الروسيّة بطريرك مستقلّ يسعى في النظام الديني وتهذيب الاكليروس العالي واصلاح الرهبان وتدبير الشعب الى غير ذلك من المشروعات الدينية التي تقتضي همة قعساء. وقد دوّن الاب بالماري في كتابه خلاصة تلك الابحاث والكتابات والتقارير التي وضعها الروسيون في هذا الشان وربّما نقل كلامهم بحرفهِ ليطّلع القارئ على افكارهم تماماً ويقف على احوال الكنيسة الروسيّة واحتياجاتها دون ان ينسبهُ احدٌ الى الاغراض الشخصية. فنحض الشرقيين عموماً والارثذكس خصوصاً على النظر في هذا الكتاب وهو مكتوب في لغة اقرب اليهم من اللغة الروسيّة التي لا يعرفها بيننا حتى الان الّا القليلون

الاب ي. فيلوغراسي

MEYERS REISEBUECHER: Turkei, Rumaenien, Serbien, Bulgarien. 7to Aufl. mit 13 Karten, 36 Plaenen u. Grundrissen, 1 Panorama u. 3 Abbild., *Leipzig, Bibliogr. Institute*, 1908.

دليل ماير الى الممالك العثمانية ورومانية وسربيا والبلغار

هذا الدليل معروف بدقّتهِ ووفرة معلوماتهِ حتى انّ دليل بديكر نفسهِ الشهير بمحاسنهِ اضحى متأخّراً عنهُ. ولذلك قد صار لهُ الرواج الكبير وهاهي ذي الطبعة السابعة منهُ التي زاد المؤلف في تحسينها فوصف ما تجدّد في الدولة العليّة من المشروعات العمومية لا سيما السكك الحديديّة المستحدثة وكذلك وسّع المعلومات التي يحتاج اليها المسافر في كل بلد وبالغ في ضبطها. ومما يشغل قسماً كبيراً من هذا التأليف وصف دار السعادة وآثارها وابنيتها ومتاحفها ولا غرو فانّ الاستانة مركز السلطنة العثمانية الفخيمة وقد جمعت في ارجائها محاسن ستة عشر جيلاً. ولكن كنّا وددنا لو اعطى ايضاً غيرها من المدن حقّها من الوصف كجامع السلطان الغازي سليم الثاني في ادرنة فانهُ لم يكدْ يعرّف من احوالهِ شيئاً وهو من اجمل آثار الهندسة الاسلامية. وعلى كل حال يمكننا القول بان هذا الدليل احسن رفيق للمسافرين في جهات آسية الصغرى وبرّ الاناضول والبلاد المجاورة للدولة العليّة

س. ر

E. GALLOIS: **Asie Mineure et Syrie** (Sites et Monuments) *Paris, Guilmoto*, s. d., 244 pp. in - 16.

بر الاناضول والشام

احبَّ المسيو غالوا الاسفار البعيدة فرحل الى بلاد شتى كالهند والهند الصينية ويابان واوقيانية واسبانية والبرتغال وقد اعتاد في عودته منها ان يسطّر ما رآهُ وسمعهُ. وها هو قد اضاف الى كتبه السابقة رحلة جديدة بنشرها الى برّ الاناضول وانحاء الشام وكنا اجتمعنا به يوم زيارته لمدرستنا الكلية كما دوّن ذلك في بعض فصوله. اما كتابهُ هذا فليس هو تأليفاً علمياً وانما هو نظر عمومي ضمّنهُ افادات تاريخية واقتصادية عن الامكنة التي زارها. وقد يعرض هذه الفوائد على نمط بسيط بوضوح وجلاء. فيتصفحهُ القارئ بلذة دون عناء. ولو اثبت فيهِ بعض التصاوير لكان ألذّ وافيد س. ر

G. J. AFEVORK: Guide du voyageur en Abyssinie, 282, pp., 8°, *Rome, C. de Luigi*. 1908.

دليل المسافر الى الحبشة

هذا التأليف الجديد الذي وضعهُ المسيو افيورك سيوّدي للدروس الاحرية خدماً مشكورة لانهُ قد اجاد في اختيار المقاطيع التي اوردها واحسن في تصوير لفظها. ومن خواص الكتاب اسلوبهُ ونظامهُ فانهُ مرتب ترتيباً تدريجياً من حيث تركيب الجمل وتأليف العبارات وهو مع ذلك يدل على احسن نمط لغة الاحباش الدارجة فكتابهُ اذن يفيد العلماء والمسافرين معاً ويمزج النظري بالعملي على احسن نمط الاب م. شاتلا

DOTTORE LUIGI RINALDI: **Le parole italiane derivate dall'arabo.** Studio filologico comparato con glossario. *Napoli, Libreria Detken e Rocholl*, pp. VI - 107, L. 4.

المفردات الايطالية المشتقة من العربية

تلطّف صاحب هذا الكتاب فاهدانا منهُ نسخةً اقبلنا على مطالعتها برغبة. وقد تبيّن لنا انّ المؤلف راجع في تصنيفهِ ما كُتب في هذا الصدد في اللغات اللاتينية كالفرنسوية والاسبانية والبرتغالية واضاف الى ذلك معلوماتهِ الخاصة التي استمدّها من انحاء ايطاليا الجنوبية واهلها وهذا لعمري نعم العمل ويا ليت كثيرين من العلماء يحذون حذوهُ فلو فعلوا لوقفوا على اصول الفاظ متعدّدة واستدلّوا على جملة امور تاريخية

مجهولة . وقد استشهد الدكتور رينالدي غير مرّة بكتاب الاب لامنس الذي عنوانهُ (Remarques sur les mots français dérivés de l'arabe, 1890) وقد فاتهُ ان حضرتهُ نشر بعد ذلك ملحقاً على كتابهِ أصلح فيهِ عدّة اقوال ضعيفة وزاد عليهِ ملحوظات جديدة (١ ومما استدركهُ اصل لفظتي (amiral, assassin) هذا وأنا نوافق المؤلف (ص١٧) في اصل اللفظة الاسبانية (carabo) التي لا تشتق من العربية « قارب » كما زعم البعض بل من اللاتينية (carabus) التي سبقت اللغة العربية واستعملها القديس ايزيدورس الاسباني في تآليفهِ وتجدها ايضاً في اليونانية القديمة κάραβος ومنها اللفظة الحديثة (ص.) κάραβος ومن اغلاط الكتاب الطبعية لفظة buffon بدلاً من bouffon (ص ٣٨) ل . ر

M. J. DE GOEJE: Selections from arabic geographical literature (Semitic Study Series, VIII), *Leiden, Brill*, 1907, X - 114 pp.

منتخبات من التآليف العربيّة الجغرافية

اشرنا سابقاً الى مجموع مُنتخب من كتبة العرب تولّى نشرهُ بعض الاساتذة المستشرقين تحت نظارة المؤلفين الاميركيين غوتهيل (R. Gottheil) وجاستروف (M. Jastrow) وهذه اليوم ثمرة جديدة من تلك الحديقة الفيحاء وهي الثامنة من جنسها قد خُصّت بمنتخبات من جغرافيي العرب : امّا الوكيل بجمعها فهو رجلٌ أدّى من الخدم الطيبة للآداب العربية ما لا يفي بهِ احصاء اعني بهِ الاستاذ دي غوي من ائمة علماء ليدن الذي نشر تاريخ الطبري ومؤلفات جغرافيي العرب فأودع هذا المجموع نخبة من مسالك الممالك للاصطخري ومن الاعلاق لابن رسته والمسالك لابن خرداذبه وصفة جزيرة العرب للهمداني وكتاب البلدان لابن الفقيه ورحلة ابن جبير ومن معجم البلدان لياقوت ومن معرفة الاقاليم للمقدسي ومن عجائب الهند لبزرك بن شهريار فجاء اشبه بقلادة ثمينة كأنها لآلئ فريدة تحلّت بها لبّة الآداب . وفي آخر الكتاب كما في الكتب السابقة معجم عربي انكليزي والماني فلا جرم انّ طلبة المدارس الكلية يقبلون على هذا الكتاب شاكرين لفضل جامعهِ س . ر

١) نُشرت هذه المقالة في مجلّة « Précis historiques » سنة ١٨٩٠ تحت هذا العنوان: Le rôle des langues dans l'étymologie contemporaine

STUDIA SYRIACA. Fasc. II. APOCRYPHI HYPOMNEMATA DOMINI NOSTRI seu ACTA PILATI, Antiqua Versio Syriaca quam nunc primum edidit. latine vertit atque notis illustravit **Ignatius Ephrem II Rahmani** Patriarcha Antioch. Syrorum, 1908, 38 + 24.

نسخة سريانية من اعمال بيلاطوس او انجيل نقوديموس

بين الانجيل الزور التي وصفناها في عدد سابق ذكرنا انجيل نيقوديموس (ص ٢٠٢) المدعو عادةً باعمال بيلاطوس او وصاة الرب و بيّنا مضامينهُ واشرنا الى تاريخهِ القديم وفوائده ونقلنا عنهُ فصلاً في موت المسيح وقيامتهِ. ثم اثبتنا شيئاً عن نسخهِ اليونانية واللاتينية . ولم يكن يُعرف لهذا الانجيل ترجمة سريانية الّا ان غبطة السيد العلّامة المفضال اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان قد وقف على نسختين سريانيتين منهُ وجد الواحدة في مديات يظنّها من القرن الثامن والاخرى في الموصل من القرن الرابع عشر. فطبع هذا الاثر بالحرف الاسطرنجلي مع التطبيق بين روايات النسختين ثم نقلهُ الى اللاتينية لفائدة العلماء . ولغبطتهِ مقدمة نفيسة بيّن فيها خواصّ الترجمة السريانية وقابل بينها و بين النسخة اليونانية الشائعة اليوم فاثبت ان هذه الترجمة السريانية مختلفة عنها وانّها منقولة عن نسخة اخرى يونانيّة اقدم عهداً مفقودة . وكفى بذلك برهاناً على عظم شان هذه الترجمة الجديدة التي تفتح باباً للابحاث التاريخية وتزيد قدر هذا الانجيل الذي مع كونهِ غير قانونيّ يحتوي اشياء كثيرة حسنة تؤيد صحة الاناجيل المقدسة

ل . ش

JOSEPH GOUDARD s. j. Marie au Liban. orné de 700 gravures, *Paris, Bonne Presse,* 5 rue Bayard, 1908. in - 4°. VIII-536, Prix 7 frs. 50

مريم في لبنان

هو اثر جديد بل يتيمة فريدة زيّن بها احد آباء كاثوليكيتنا جيد البتول العذراء في هذه السنة المباركة التي شوهد فيها لاوّل مرّة تمثال السيدة على ربى لبنان فنعم الهدية التي « لم تكُ تصلح الّا لها » كيف لا وهي باكورة ما كُتب عن عبادة العذراء في لبنان وخزانة جامعة من جواهر التقى اكرمها وحديقة زاهية تقرّ العيون ببهاء ازهارها ويلتذّ الذوق بطيب اثمارها ويجمل القول انهُ لا ينقص هذا التأليف شيء من اسباب المحاسن سواء كان من جهة موادّه او من جهة بلاغة كلامهِ كما ان طبعهُ قد أُتقن غاية الاتقان

وحُلي بمئين من التصاوير البديعة . وفي نيتنا ان نفرد لمضامين هذا الكتاب مقالة واسعة ان شاء الله فنكتفي اليوم بهذا الاعلان ل . ش

في زيارة الابرشيَّة

للخوري بولس عويس (طُبع في الاسكندريَّة ص ١١٧)

عاد حضرة الخوري بولس عويس الى نشر تآليفهِ في الحقّ القانونيّ . وهيهات ان نلومهُ عن عملهِ هذا بل نثني عليهِ اطيب الثناء . ونحن نعلم ما يترتب على نشر مثل هذه المصنَّفات من الفوائد الجمة لتهذيب الشعب واصلاح احوال الرعايا واستئصال الخلل الواقع بسبب تهامل بعض خدَمة الدين . لكننا نعرف ايضاً انَّ الكرسي الرسولي كرَّر الامر مراراً عديدة بان لا ينشر احد من الاكليريكيين كتاباً دينيًّا لا سيما قانونيًّا كهذا دون ان يطلع عليهِ رئيس الطائفة او الاسقف المحلي ويسمح بطبعهِ صريحاً . فما اجدر بمن يعلّم غيره الحقوق القانونيـة ان يباشر بممارستها . ومن ثمَّ لا يسعنا الَّا ان نكرّر ما قلناهُ لحضرتهِ في نقدنا على كتابه السابق (المشرق ١٠ : ٢٣٦) : « ونحن مع اثنائنا على هذا التاليف كنَّا وددنا لو صادق عليهِ احد اساقفة الطائفة المارونيَّة لتزيد ثقة القرَّاء بهذه التعاليم » وعلى رأينا ليس بين الاساقفة احد كان سمح لحضرتهِ ذكرهُ في المقدمة (ص ٨) قصة « تبخير بغلة الطران » وغير ذلك من الانتقادات التي يستطيع كل فرد ان يعرضها لاصحاب الامر ولا يليق أن تُنشر على رأس الملأ . اما تشكي حضرتهِ ممَّا كتبنا في المشرق عن تآليفهِ السابق فلا محلَّ لهُ اذ لم نطلب من حضرتـهِ الَّا امرين قد اقرَّ هو بنفسهِ عن صوابهما : الاوَّل ألَّا يطبع كتاباً بدون رخصة رئيسهِ السيد البطريرك او الاسقف وقد قال حضرتهُ في آخر كتابـهِ المجمع الاقليمي انَّهُ مستعد لطبع المقالات التي تُرسل اليهِ في موضوع المجمع اللبناني بشرط « ان يطلب النشر رخصة من رئيسهِ المألوف او من غبطة رئيس الطائفة » والثاني ان يتحاشى بعض الاقوال والانتقادات التي تغضُّ بمقام الرؤساء . وقد اقرَّ بذلك في مقدَّمة الطبعـة الثانية من كتابهِ مجمع الابرشيَّة (ص ٧) حيث قـال انَّ « عبارتهُ تظهر في بعض المحالّ جافية قاسية » فهذا ما انكرنا على حضرتهِ وهو اوَّل من اعترف بهِ . وكذلك لم نتَّهم حضرتهُ بقولنا انهُ الزم الشرقيين بقوانين لا تعنيهم فانَّ هـذا يلوح من عدَّة فصول من تآليفهِ السابق (راجع مثلاً صفحة ٢٦ من كتابهِ مجمع الابرشية) ل . س

شذرات

الدين بعض الوجدان هو اقتراح لجنة الهلال على قرائها كانت عرضتهُ على هذه الصورة

« رأيت اناساً يستغربون بقاء الاديان ويتمنّون زوالها ولو زالت لاختلقوا شيئاً يبدرنهُ لانَّ الدين بعض الوجدان واقوى تعزية لبني الانسان »

فسُررنا بهذا الاقتراح ولم نشك انَّ فئة من افاضل الكتبة يجيبون عليهِ بابيات

ترينُ معانيها ألفاظها وألفاظها زائناتُ المعاني

فاجاب بعضهم بما كان موافقاً للظنّ كطانيوس افندي عبده من الاسكندريَّة فقال واجاد :

زعم الألى ضلّوا السبيلَ بأنّنا بالعلم نستغني عن الاديانِ
لكنهم لو امعنوا وتبصّروا لرأوا جلال فضيلة الايمانِ
فالدينُ للانسان اعظمُ ثروة بل انّهُ جزء من الوجدانِ
والله لو جحد ابنُ آدم ربّهُ لسعى الى استنباط ربٍ ثانِ

وكالدكتور الفاضل شدودي من مصر فكتب :

لا بدَّ للمرء من دين يعوذ بهِ من الشدائد في دنياه والخطرِ
والدين طبعٌ غريزيٌّ فلست ترى الّا القليل بلا دينٍ من البشرِ
وكلُّ قوم وان ضلّت مذاهبهم لهم الهٌ وكل الفرق في الصورِ
ذا يعبدُ الشمس تحيي اشعّتها وذاك يعبدُ اصناماً من الحجرِ
فاعبدْ الهاً برى ذا الكون من عدمٍ واستغفر الله في ليل وفي سحرِ

على ان صوت بعض المنزّهين خرج عن هذه النغمة المشنّفة للآذان كصاحب « صدى النفوس ورجع الصدى » فكتب مقالة مرجعها الى انَّ الدين من الاوهام البشريَّة التي تشغل قلب الانسان وانما هي خيال بلا حقيقة واسم بلا جسم فكان اثبات تلك المقالة في الهلال مشوّهاً لمحاسن اقوال الذين اصغوا الى صوت الحق وألقوا الزندقةَ الحجرَ . وهكذا ترى المجلّات المصريَّة تتقلّب مع الرياح فتدوّن في صفحاتها الآراء المتناقضة فتهدم بالشمال ما ابتنتهُ باليمين . ولو اردنا شاهداً على هذا لوجدناهُ في هذا العدد من المجلّة نفسها . وهناك مقالة عن الجنّ خبط فيها صاحبها س.ع خبط عشواء فنظم في سلك واحد خرافات الامم الهمجية في الجن والعفاريت واعتقاد

العبرانيين والنصارى بالابالسة والشياطين . وقد زيَّفنا قول الملال سابقًا في هذا الصدد (المشرق ١ : ٢٣٨)

التجارة الفرنسويَّة في العام الماضي بلغت الواردات الى فرنسة في العام الماضي ٦,٠٤٧,٦٤٨,٠٠٠ فرنكًا بدلًا من ٥,٦٢٧,١٥١,٠٠٠ في السنة ١٩٠٦ فكانت الزيادة ٤٢٠,٤٩٧,٠٠٠ ف اما الصادرات فبلغ مجموعها سنة ١٩٠٧ ٥,٥٤٢,٠٣٠,٠٠٠ بزيادة ٢٧٥,٣٢٣,٠٠٠ عن العام السابق

مناجم الحديد في العالم نشرت مجلة المعادن الافرنسية لائحة تعدين الحديد في كل العصور فبيَّنت انَّ رواج الحديد قد زاد كثيرًا منذ خمس عشرة سنة حتى تضاعفت محصولاتهُ ففي سنة ١٨٩٠ كان وزن الحديد المستخرج من المعادن يساوي ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ طنٍّ فبلغ بعد عشر سنوات ٤٠ مليونًا وفي السنة ١٩٠٦ تجاوز ٥٩ مليونًا وكان في العام الماضي ٦١ مليونًا اما اغنى البلاد بمناجمها الحديديَّة فالولايات المتَّحدة التي عدَّت من هذا الصنف في السنة المنصرمة ٢٧,٢٨١,٠٠٠ طنٍّ وكان محصولها منهُ سنة ١٨٨٥ اربعة ملايين فقط ثم المانية ١٣,٠١٥,٠٠٠ ثم انكلترة ١٠,٥٠٠,٠٠٠ فترى من ذلك تقدُّم الاشغال في شمالي اميركة وما للحديد من الرواج لكثرة استعماله في كلّ الصنائع

آثار رومانيَّة اكتشف الفرنسويُّون في الاشهر الاولى من هذه السنة آثار مدينة رومانيَّة موقعها على احد عشر كيلومترًا من مدينة صفاقس في بلاد تونس . وهذه المدينة كانت تدعى «ثينا» واشتهرت بتجارتها وتمدُّنها الروماني . وكان الاثريُّون يعرفون مكانها لكنهم لم يتولَّوا حفرها حتَّى الان . ففي هذه السنة مرَّت فرقة من الجنود الفرنسويَّة فاستلفت احد الاثريين انظار ضبَّاطها الى هذا المكان فباشروا بالحفريَّات ولم تلبث مساعيهم أن أتت بالنجاح التامّ اذ وجدوا آثارًا اشبه بآثار بومباي من ابنية وحمَّامات ومدافن وتصاوير مختلفة تحيي في العيون حياة الرومان وعاداتهم وممَّا اكتشفوا اثاثٌ بيتيَّة عجيبة وادوات صناعية من كل صنف . ومن غريب ما وجدوه في حانوت سكَّاف أحذيةٌ في أنعالها قطعٌ من الفلّين وقايةً للارجل من الرطوبة . وهو امرٌ اجراهُ السكَّافون العصريُّون حديثًا وكانوا يظنونهُ اختراعًا وقد سبقهم اليه الرومان منذ الفي سنة . وقد وجدوا ايضًا تصاوير بديعة من الفسيفسا . تمثل كثيرًا

من احوال الرومان وعاداتهم . وممّا وجدوه في بعض المدافن اثار كالتين والجوز والصنوبر وكلها قد استحجرت لطول عهدها . وكذلك اكتشفوا آنية بديعة الصنع من الخزف والزجاج الملون . واكثر هذه الاثار قد نُقل الى صفاقس وبُني لها متحف خصوصي

اسئلة واجوبة

س سأل احد ادباء المدينة : ما السبب لترخيص النصارى بأكل بعض اللحوم كلحم الخنزير بعد ان كان الله نهى عن اكلها في العهد القديم

اكل لحم الخنزير

ج معلوم ان الله عزَّ وجلَّ فرض على بني اسرائيل سُنناً لزمهم الجري بموجبها ريثما يأتي المسيح الموعود الذي كان مزمعاً ان يكمّل الشريعة الموسويَّة ويبطل منها ما كان موقتاً كالختان وبعض النواميس الخاصَّة ومن جملتها اكل بعض اللحوم . وقد تمَّ ذلك فعلاً بمجيء السيد المسيح وبما قالهُ الذكره المجد (متى ١٥ : ١١) « ليس ما يدخل فم الانسان هو الذي ينجس الانسان » فبقوله هذا اباح كلَّ الآكل حتى اللحوم التي كان الله نهى عن اكلها في العهد القديم لأسباب صوابيَّة . وكذلك ورد في خبر رؤيا القديس بطرس (اعمال ١٠ : ١١) انَّهُ أُمر باكل الذبائح دون تمييز بين النجس والطاهر . ولما انعقد المجمع الاورشليمي في عهد الرسل (اعمال ١٥ : ٢٨) اتفق الحواريُّون في ابطال السنن الموسويَّة فلم يفرضوا على المتنصِّرين الامتناع عن لحم الخنزير والحيوانات النجسة . هذا ما يُقال اجمالاً على أننا لا ننكر انَّ لحم الخنزير مضرّ في بعض البلاد كبلادنا الشرقيَّة مثلاً فالفطنة والقوانين الصحية تقتضي الامتناع منهُ الَّا انَّ ذلك ليس بفرض دينيّ على النصارى

س وقد سألنا احد تجار الثغر ما هي السنة المالية ومتى يُباشر بها

السنة المالية

ج السنة المالية تاريخٌ عرضهُ الدفتردار مورالي عثمان بك على السلطان سليم الثالث الغازي اضبط برنامج الدولة السنية فوافق عليه جلالة السلطان بارادة سنيَّة وذلك سنة ١٢٠٤هـ (١٧٨٩م) وهذا التاريخ شمسيّ يبتدئ في اول آذار الشرقي (١٤ آذار الغربي) وقد صار بينهُ وبين التاريخ الهجري اختلاف سنتين . فان السنة المالية حالاً هي ١٣٢٤ امَّا الهجريَّة فهي ١٣٢٦

ل . ش

السنة الحادية عشرة العدد ٨ آب سنة ١٩٠٨

المشرق

السيد اثناسيوس سفر العطار الماردیني

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

لما اوشك نبراس الكنيسة الكاثليكية ان يخبو في الامة السريانية وصارت على شفا الانقراض والاضمحلال اراد الله عزَّ وجلَّ ان يعيد اليها نضارتها السابقة فاقام في اوائل القرن السابع عشر واواخره اناساً شهيرين اجلّاء تنايروا على زيادة مجده وسعوا السعي الحثيث في توسيع نطاقه . وقد اشتهرت بذلك مدينة ماردين خاصّة فان تربتها الصالحة انبتت كماةً ذبّوا عن الدين القويم وكبتوا انصار الضلال فطار ذكرهم في الآفاق واستحقّوا اطيب الثناء واطول الشكر واصبح وطنهم يفاخر بهم ويُتمدح بخصالهم ويباهي بمناقبهم . وانا لنضرب صفحاً عن تعداد القديسين وأئمة العلماء الذين خرجوا منها ونأتي الى ذكر الممتازين بالفضل والفضيلة في اوائل الكثلكة فقط

فقد ورد في اخبار الطائفة الارمنيَّة الكاثوليكية (١ ان السيد ملكون طازباز امام احبارها وشهيد ايمانها ذا المناقب الحسناء والخصال الحميدة هو اوّل من ألقى بذر الكثلكة الارمنيَّة وعكف على سقيه بهمّة لم يعتورها ملل . وعليه قرأ العلوم ستة اعوام ابراهيم ارزيشيان العينتابيّ اوّل بطاركة قيليقية على الارمن الكاثوليك وبواسطته اعتنق الارمن الكثلكة اعتناقاً ثابتاً بعد تردُّدهم . ونالهُ شدائد فادحة ومحن كثيرة . ولشدة حرصه على الايمان البطرسي ابعدهُ اعداؤهُ عن وطنه وبقي منفياً الى ان توفّاه الله عام ١٧١٤

١) المشرق (٣ : ٥٢)

وفي الطائفة الكلدانيَّة العريقة في القدم في تلك البلدة اشتهر القس جبرائيل دمبو (١ القديس الابرّ والبطل المقدام والشهيد العظيم الذي اسس الرهبانيَّة الانطونيَّة الكلدانيَّة ونال من غريغوريوس السادس عشر تثبيتها . وقام منها رجال فضل امتازوا بالتقى وازدانوا بالمعارف . ولم يبرح يتجشم الاتعاب حبًّا بفلاحها وتوطيدها حتى فاز باكليل الشهادة عام ١٨٣٢

اما الذين امتازوا في طائفتنا السريانية بالمناضلة عن الدين الحقّ وبثّ كلمة الله فهم كثيرون: منهم اغناطيوس اندراوس الخيجان الذي أُقيم بطريركًا في ٢٠ آب ١٦٦٢ توجّه من حلب الى بلاد ما بين النهرين حتى وصل الى ماردين وطنهِ فاجتمع اذ ذاك بالمتكلكين نخصّ بالذكر منهم ارسان والشماس سليمان نجلي الخوري سفر والشماس عبد النور وحنا العطّار وسواهم وكانوا يتردَّدون خفيةً الى بيعة الكلدان . وقبل مبارحة البطريرك ماردين رغب ان يرسم لهم قسيساً فانتخبوا الشماس سفر ابن المقدسي حنا العطّار الذي همنا بان ننشر قصتهُ (٢ . وكان آنئذٍ مقيماً في تفليس فوعدوه بارسالهِ اليهِ واشاروا عليهِ ان يعدل عن التوجه الى الموصل فعاد الى حلب وقصّ على المرسلين خبر رحلتهِ واوضح بان الامل وطيد في اكتساب قاطني تلك البلاد الى الديانة الكاثوليكيَّة

اما الشماس سفر صاحب الترجمة ففي سنة ١٦٧٧ اتى الى ماردين وعمرهُ اذ ذاك سبع وثلاثون سنة فارسلهُ الاهالي الى حلب ليقتبل الكهنوت من البطريرك المغبوط الخازن للعهود بيد انهُ لسوء الجدّ لما وصل الى حلب ألفى البطريرك طريح الفراش. وما عتم ان انتقل الى الاخدار السماويَّة بعد أيام معدودة . فتخلَّف الشماس سفر في حلب حتى قام البطريرك بطرس الرابع المذكور في الخير فتوجه الى الاستانة العليَّة ليستردّ الكنيسة من يد عبد المسيح بطريرك اليعاقبة الدخيل

وعام ١٦٧٩ اتى الى حلب السيد فرنسيس بيكات (Fr. Picquet) قاصداً

١) المشرق (٣: ٨٨٦)

٢) اتا نثني الطيب الثناء على سيادة مار افرام نقاشه مطران حلب الجليل الذي تنازل واجاب الى بعض سؤالات التمسناها من سيادته . وهي مدرجة بالضبط والثناء في القسم الثالث من تاريخهِ الكبير

بابل و بلاد الفرس (١ فاتخذ الشماس سفر ترجمانًا له مدَّة اقامتهُ بحلب وعام ١٦٨٢ توجه السيد بيكات الى ابرشيتهِ وترك الشماس سفر ترجمانهُ ينتظر هدايا اويس الرابع عشر ملك فرنسا ليحملها الى صوفي شاه العجم ويترقب قدوم البطريرك المغبوط ليرقيهُ الى الدرجة الكهنوتيَّة

فلمَّا رجع البطريرك غانمًا ظافرًا الى حلب رسمهُ في تلك السنة قسيسًا مع ثلاثة شمامسة كانوا قد قرأوا العلوم في المدرسة الاوربانيَّة وارسلهُ من ساعتهِ الى اصفهان حاملًا الهدايا الى السيد بيكات . واستمرَّ القس الجديد معهُ سنتين ثم آب الى حلب في تموز ١٦٨٤ حاملًا رسائل توصية من السيد المذكور (الذي كان حينئذٍ في همذان) الواحدة الى ملك فرنسا والاخرى الى الاب سيفن في رومة واليك نصها : «اكتب اليك بواسطة القس سفر . أوصِ المجمع المقدَّس ان يحتفي بهِ ويكرم مثواه ويعوّضهُ من النفقات التي انفقها . . اعلم انهُ ربَّان من العلوم الشرقية قدير على القاء الخطب بالعربيَّة والتركيَّة وقد ندب مرارًا الى الاسقفية (٢ »

فلمَّا وصل الى حلب اغتنم الفرصة مار بطرس الرابع ورقاه الى الدرجة الاسقفيَّة ودعاه باسم اثناسيوس سفر ووكل اليهِ رعاية ماردين ونصيبين ونواحيها . ودفع بيده كتاب السوسطاتيقون (٣ واليك نسختهُ بتصرُّف :

اغناطيوس بطرس الضئيل عبد عبيد الربّ يسوع المسيح وبرحمتهِ تعالى السابغة بطريرك الكرسي الانطاكي

نهدي السلام والتحيات والصلوات والبركات الى اولادنا المحبوبين المباركين الكهنة والشمامسة والاراكنة والمشايخ والرجال والنساء والشبان والاطفال الذين هم تحت ظلّ مراحم القدوس مستترون وفي مدينة ماردين العامرة ساكنون اعني الثلاث مراعيث (خورنيَّات) مرعيث الاربعين شهيدًا ومرعيث تمرت شموني ومرعيث مار ميخائيل وسائر القرى اي القصور وقلعة المرأة والمنصوريَّة وبنابيل ودير هليا وكليبيت وقرى مشوق والابراهيمية وما يليها من القرى فلتحرسهم

١) المشرق (٧ : ٨٧٩)

٢) الآثار الحقيقيَّة للاب انطون رباط اليسوعي (جزء ١ ص ١٠٤)

٣) السوسطاتيقون (Συστατικόν) كلمة يونانيَّة تفسيرها رسالة التوصية ويراد بها الكتاب الذي يدفعهُ البطريرك بيد الاسقف الذي يرسمهُ حديثًا دلالة على تأييد الرسامة

العناية الربانيّة وتحفظهم بالملائكة المقرّبين آمين . اما بعد فنتهي الى اماتكم الصادقة بان معلم الاسرار الالهيّة بولس الرسول يهتف قائلًا : « ليس الامر بيد من يشاء ولا بيد من يسعى بل بيد الله المترحم (رومية ٩ : ١٦) الذي من عنده تهبط كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة (يعقوب ١ : ١٧) بوساطة الروح القدس الذي لمّا رآنا مرتبكين في امر انتخاب راعٍ صالح ومدبّر فالح لنتيمهُ على كنش (جماعة) ماردين المبارك التي هي منذ القديم فخر المراعيث وجمال يفتخر كل المؤمنين من اجل ايمان سكّانها وتمرّسهم على حفظ القوانين الرسليّة والنواميس المقدسة والاوامر الانجيلية ألهمنا ان نختار لكم اسقفاً برعاكم فلمحنا شخص ولدنا المبارك الاسقف سفر واتمش خاطرنا بهِ وفاضت محبتنا عليهِ كما فاضت قارورة الطيب بيد صموئيل النبي على داود (١ ملوك ١٦ : ١٣) وترآى لنا ان هذا المنتخب هو مسكن للروح القدس وقد اصطفاه الربّ من حشا امهِ لهذه الخدمة . وانهُ يستحق الرئاسة الكهنوتية بكل صواب من اجل كمالهِ بالمحاسن والاعمال الخيريّة والفضائل المسيحيّة المتنوّعة والعلوم الربانيّة والعاليّة وتفاسير الكتب المقدسة . ولذلك تواترت الاصوات وتوالت لكون دعوتهِ من روح القدس فدُعي مار اثناسيوس ويستحق الاسم كما استحق الدعوة . والآن زعقنا نحن والاساقفة الحاضرون « اكسيوس اكسيوس اكسيوس » يستحق ويستوجب الراعي ورئيس الكهنة مار اثناسيوس . وقد أُعطي السلطة من روح القدس بواسطة حقارتنا مثل الرسل القديسين ان يربط ويحلّ ويحكم ويكرّس قسوساً وشمامسة ورهباناً ويقدّس مذابح وكنائس ويأخذ من الزيجات حقّ القلّاية من مرعث ماردين و ما يليها . فالذي يُربط ويُحرم من هذا الاسقف يكون مربوطاً ومحروماً من الله ومن حقارتنا . وليس لهُ غفران الّا من هذا الاسقف . والذي يبارك عليهِ يقبل البركات من الله والصلوات من ضعفنا

ويجب عليكم ان تفرحوا وتشكروا الله وتحملوا اغصان الشمانين وتستقبلوا هذا الراعي الصالح وتصرخوا قائلين « اكسيوس اكسيوس اكسيوس » مثلما زعقنا نحن والاساقفة في وقت تكليلهِ . واعلموا اننا قد وضعنا كلمتنا في فمهِ فينبغي ان تسمعوا لهُ وتوقروه . وتوسّل اليهِ تعالى ان يكون قدومهُ اليكم باركاً . بهِ يتمّ فرحكم ويضمحلّ حزنكم وتنمو اثماركم وتنجح اعمالكم وتزكو غلاتكم وتُغفر آثامكم وتنمو اطفالكم

ونعلمكم اننا قد وصّينا ولدنا السيد مار اثناسيوس ان يسلك طريق الحق ولا يخترع بدعة او عوائد غير يعيّة بل يسير في طريق الاباء القدماء ولا يطلب من احد شيئاً فوق طاقتهِ . ولا يزدري بطقس الكهنوت ويتمهُ بالبرطيل وعدم الفطنة ونبالغ في الوصيّة بان تزدادوا محبة نحو اسقفكم وتساعدوه في عمارة البيع والاماكن المقدّسة ونسأل الله ان يحرسكم ويحفظ اولادكم ويسكن اموالكم في بحابح الجنان مع ابينا ابراهيم واسحق ويعقوب بشفاعة معدن الطهر والبركات ام النور الاعظم والحياة القديسة مريم العذراء والدة الله ومار قطرس وقولس ولفيف الشهداء والقديسين آمين والمجد لله دائماً

---

١) ههنا يذكر الاسم الجديد الذي لقبهُ بهِ

وذيل السوسطاثيقون بامضائهِ وخطّه ديونوسيوس رزق‌الله امير خان مطران حلب. وفي آخره كتب غبطة البطريرك ما نصهُ : « لما كانت سنة ١٦٨٥ ثبتنا هذا السوسطاثيقون الذي بيد الاب المكرَّم ولدنا العزيز المبارك مار اثناسيوس سفر ابن المرحوم مقدسي حنا على مدينة العامرة ماردين ونصيبين وسائر القرى وزعتنا مع الآباء والكهنة ثلاث مرَّات: « اكسيوس ». والربّ الاله يجعلهُ مباركاً وسعيداً الى ابد الآبدين آمين » . وهذا السوسطاثيقون محفوظ الى اليوم بكل اجلال في مكتبة مدرسة الشرفة

فاخذ الحبر الجديد كتاب تثبيتهِ اسقفاً ويتم باريس قياماً بما عهد اليهِ السيد بيكات في ايصال الرسائل الى ملك فرنسا . فلمَّا حضر امامهُ رابهُ امرهُ وتحيَّر في شأنهِ لانهُ شاهدهُ بزي اسقف مع ان السيد بيكات حرَّر بكونه قسيساً. بيد انهُ وقف على كنه المسألة وتبين انهُ استقف عند اطلاعهِ على السوسطاثيقون البطريركي الذي كان دفعهُ اليهِ مار بطرس الرابع وحينئذٍ هشَّ لهُ واحلَّهُ في بلاطهِ ضيفاً كريماً واعزَّهُ جدًّا ولما عزم على الذهاب الى رومة سلَّمهُ كذلك رسائل توصية الى قداسة البابا انوكنتيوس الثاني عشر بشانهِ وشأن نصارى البلاد الفارسيَّة . فقوبل ايضاً بالاكرام والترحاب

ولما كان اثناسيوس ميَّالاً الى الاسفار موثرًا عيشة النسَّاك والسوَّاح التمس من رئيس المجمع ان يرخص لهُ في الشخوص الى البلاد الهنديَّة ليجمع صدقات تكفيهِ لمساعدة السريان الموزين ولانشاء دير ورهبانية للطائفة في مسقط رأسهِ . وبعد الانتظار الطويل نال الاذن فسافر الى الهند عام ١٦٩١ وأقام خمس سنوات يسعى في قضاء منيتهِ فانجح الله تعالى مساعيه وجمع طائفة من المال قدرها خمسة وثلاثون الف ريال روماني ثم عاد الى رومية غانمًا سالمًا

وفي تلك السنة توجه مار بطرس الرابع الى رومة مع غريغوريوس يشوع مصرشاه الحابي اسقف اورشليم وقصَّا على المترجم ما المَّ بهما وبالسريان الكاثليك من جور اليعاقبة في سوريا وما بين النهرين وبعد ان اجالوا قدح الاستشارة بدا لهم ان بناء الدير في ماردين او في الرها كما كان قد عوَّل عليهِ المترجم غير مناسب. واتفقوا على تشييده في رومة ليكون مدرسة لابناء الملَّة . فاشترى اذ ذاك السيد اثناسيوس بمساعدة

الكردينال بنفيلي محلًا في أكمة اسكولينو وسماه دير مار افرام وابتنى بجانبه كنيسة وسماها باسم « سيدة الصحة » وجعل فيها مذبحين الواحد لمار افرام والآخر لمار يعقوب النصيبيني ووضع لذلك الدير قوانين دقيقة . ودخلهُ عدَّة من الطلبة الذي زيَّنوا الكنيسة السريانية بمآثرهم وفضائلهم . ومن جملة الذين انفردوا فيه نذكر خاصة المفريان باسيليوس اسحق جبير (١ وغريغوريوس يشوع مصرشاه الذكور آنفًا الذي توفي في ١٧ نيسان ١٧١٥ في نهر التيبر . وغريغوريوس جبرائيل فيزون الدمشقي الذي اقيم بعد المترجم نائبًا رسوليًا والسيد غريغوريوس يوسف قدسي مطران اورشليم وغيرهم كثيرين

واستمرَّ ذلك الدير معمورًا مدَّة مائة سنة الى ان استولى نابليون الاول على رومة سنة ١٨٠٨ ومن ثمَّ فلمَّا لحظ ضبطة الحكومة الايطاليَّة . ولم يتوفق رؤساء الطائفة فيما بعد الى استرجاعه واقتناء غيره في رومة . ومع تمادي الزمان تحوَّل الى بيوت يسكنها العوام ودُرست آثارهُ ولم يبقَ منها سوى الكنيسة التي هُدمت عام اول وتحولت الى مدرسة لفحص الامراض

ولم يكتفِ اثناسيوس سفر بذلك بل ساعد كثيرًا الطغمة الاقليرسيَّة التي كانت مع مار بطرس الرابع فمن ذلك انهُ عام ١٧٠٦ كتب اليه العلَّامة مار غريغوريوس نعمة قدسي ولفيف الكهنة الذين كانوا محبوسين في اطنه بدسائس اليعاقبة ان يمدَّ لهم يد المساعدة فأرسل اليهم مبلغًا وافرًا من المال فابتنوا دير مار افرام عين الزغم وسكنوه عائشين فيه عيش الزهَّاد . ولبث ذلك الدير مأهولًا نيِّفًا ومائة وثلاثين سنة اي حتى حرقه وانتهابه الذي جرى عام ١٨٤٠ فنُقل ما بقي فيه من الكتب والاواني الى دير الشرفة

وبعد ان استأثرت رحمة الله بالمفريان اسحق جُبير سنة ١٧٢١ قلَّد الكرسي الرسولي مار اثناسيوس سفر النيابة الرسوليَّة على الطائفة السريانية برمتها . فدبَّرها سبع سنين احسن التدبير وهو مقيم في رومة

وقد عاش هذا الحبر الفاضل ثماني وثمانين سنة أنفقها في الصلاح والارشاد وخدمة الطائفة حتى طواه ضريحهُ في ٤ نيسان ١٧٢٨ ودُفنت جثتهُ الكريمة في كنيسة الدير

١) راجع ترجمتهُ في المشرق (١١ : ٢٨٦)

التي شيّدها ووُضعت فوق قبره صفيحة من المرمر منقوش عليها الشعار الاسقفي والكتابة الآتية باللاتينيّة والحروف السطرنجيّة واليك نصها :

«ܗܐܢܐ ܩܒܪܐ ܕܡܪܝܐ ܣܦܪܐ ܡܛܪܢܐ ܕܡܪܕܝܢ ܕܐܬܪܝܡ ܒܫܘܠܛܢܐ ܕܡܠܟܘܬܗ ܕܐܠܗܐ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܒܥ ܡܐܐ ܘܥܣܪܝܢ ܘܬܡܢܝܐ ܒܢܝܣܢ ܝܘܡ ܐܪܒܥܐ ܒܫܒܬܐ ܕܩܕܝܫܐ ܕܫܪܝܪ ܐܠܗܐ»

وترجمتها «ها هنا مدفون اثناسيوس سفر السرياني اسقف ماردين الكامل بالفضيلة وقد بالرب في ٤ نيسان سنة ١٧٢٨م اراح الله نفسهُ في ملكوته»

وكان رحمهُ الله فاضلًا مجيدًا وكاتبًا مجيدًا وخطيبًا فصيحًا متضلعًا بالسريانية والتركيّة والفارسيّة والعربية والايطالية

ومن مآثره الشريفة الجليلة انهُ بذل لُباب السعي في طبع كتاب القرض اليومي المسمّى الاشحيم لاوّل مرّة وذلك في ايار ١٦٦٦ ليسهّل لكهنة الملة تلاوة القرض اذ كانوا بعدُ تابعين عوائد اليعاقبة في ذلك. وقد ورد في آخره ما نصهُ: «وكان المهتم في لمّ هذا الكتاب وطبعه الحقير في رؤساء الكهنة والاساقفة اثناسيوس سفر اسقف مدينة ماردين . حيث مولده» . ولم تطبع فيه صلاة يوم الاحد بل كان يعوّض عنها بصلاة يوم الاربعاء حتى سنة ١٧٨٧ التي فيها طُبع ثانيةً بهمّة القس الياس بن فتح الله السرياني الامدي ترجمان اللغة السريانية والكلدانية برومة فزاد عليه صلاة يوم الاحد . ثم طُبع ثالثةً برومة ايضًا سنة ١٨٤٤ بعناية مار اغناطيوس بطرس جروه . واخيرًا طُبع عام ١٩٠٢ في المطبعة البطريركيّة في دير الشرفة بسعي مار اغناطيوس افرام الثاني بطريركنا المغبوط

ثم صنّف مار اثناسيوس كتابًا سريانيًا سماه «ܐܘܣܠܐ ܕܡܫܚܐ» اعني طريق التوبة ومنهُ نسختان في مكتبة دير الشرفة . واعتنى كذلك عام ١٧١١ باستكتاب الطقوس اليميّة باسرها ونقّحها واعدّها لتُطبع غير ان كثرة المهامّ شغلتهُ عن ذلك . وكان الناسخ تحت يده القس عبد الاحد بن سفر الرهاوي ابن اخي مار بطرس الرابع الذي كان قاطنًا في ديرنا برومة

وصنّف كتابًا ضمّنهُ اخبار السيد بيكات ورحله الى بلاد الفرس وقد اطّلع مار اغناطيوس افرام رحماني بطريركنا المغبوط على نسخة منهُ في المكتبة الواتيكانية في المصحف العربي عدد ٢٣٢ . ولولا كثرة الاسفار الشاقة التي استغرقت اكثر حياته لخلّف ولا جرم لعالم العلم آثارًا اخرى تذكر . نسألهُ تعالى ان يلبسهُ ثوب العفو والغفران ويضمهُ الى مصاف الصدّيقين والابرار

ونجعل مسك الختام لاخبار هذا الحبر الجليل الشكر الجزيل لجناب القيكنت فيليب افندي دي طرّازي الذي عُني بجمع تواريخ طائفتنا بدقة واتقان اذ اوقفنا على فوائد جمة تتعلق بصاحب الترجمة

اللغة العربيّة والحركات

الاديب داود افندي صليبا الكلداني

هي عنوان مقالة عنّت لي فيما غبر فأفضتُ فيها من الكلام ما تسنّى للقريحة الفيّاء وما حضر وبحثت فيها بحثًا طويلًا مدققًا استقصى شاردها واحاط بواردها الّا ان بعض الموانع حالت دون نشرها وتصدّت لتاخيرها فحملني الامر على ان افرغها في قالب جديد غير قالبها الاوّل وابرزتها الان بحلي يروق للناظر السليم والراي السديد المستقيم على اني لم آتِ منتقدًا ولا منددًا بل ابسط رأيًا ارتأيتهُ وافيض من مورد وردتهُ

من البديهي ومما لا مرية فيه ان اللغة العربيّة كانت منتشرة على افواه القبائل في جميع الانحاء والاصقاع العربيّة وعنها أُخذت وأُثرت وعن افصحها قبيلة الينا نقلت ألا وهي قبيلة قُريش التي بلغتها وُجد القرآن وعلى حكمها بالفصيح ثبت البرهان على ان اهل البحث والتنقيب في اي عصر كان ومن اية فئة كانوا لم يُبقوا حاجةً في نفس يعقوب من ركوب متن الحلّ والعقد وامتطاء صهوة الصافنات الجياد في النقد فيما نقلوه من اعتمادهم على اللغة الفصحى واثباتها من حيث هي حتى افرغوا كنانة الوسع في تقرير الادلّة العديدة وامتحاض الآراء السديدة في شأن هذه اللغة العزيزة الشريفة فكفوا بذلك مَن بعدهم مؤونة العناء في استقصاء ما عنا لك من البحث الطويل فضلًا عن دفع الكلفة والمشقّة عمّن لم يُسعده الحظ بالظفر بناصية الخبرة في اجتياز عقبة هذه الابحاث البعيدة الغور والمنال واستفراغ الجد وتتبّع اقوال واضعي اللغة وباني صَرح تاريخها واستقراء تلك الآراء والمزاولة في ترجيح هذا على ذاك وذاك على ذلك وانتقاء الاصح والاثبت وسبر غور اقوالهم بترجاس العقل الثاقب حتى يتسنّى الظفر بالمرغوب وترسخ المسئلة على اسّ الحقيقة المطلوبة التي لا شبهة وراءها . فعدلتُ الان عن المنازلة في هذا الميدان وملت عن المكافحة فيه الى ما سيستتبّ لي ان شاء الله من الفرص للتفرغ في البحث عنهُ وان كنت مستغنيًا عن نيل قصب السبق في مضمار

وهانه لما اثبتهُ اولئك الافاضل مما لم يبقَ للريب فيهِ مجال ولا للاعتراض مكان. الّا اني اقصد اتمام الفائدة مع اقراري بعجزي وقصر باعي وحرج الزمان والمكان وتبلبل البال بكثرة الاشغال وبالله المستعان

فأنصرف الآن بوجهتي الى ما صُرفت اليهِ عنان الفكر من البحث عن الحركات العربيَّة وما انتهى اليهِ الراي القاصر فيها . فاقول :

لا امتراء في ان هذه السمات التي أُطلق عليها اسم الحركة كانت في بدء امرها نقطاً اخذها ابو الاسود عن السريان على ما سترى وهي من اختراعاتهم كما هو مقرَّر في تدوينهم ويعلمهُ من له اقلّ المام بتاريخ اللغات القديمة ومنهم اخذ العرب وغيرهم الخطّ أيضاً فضلاً عن اللغة ولا مشاحة في ذلك . لانهُ لا يخفى على القارىء اللبيب ان اللغة السريانية (١ اي الارامية (نسبة الى ارام بن سام) كما يعرّفونها هم انفسهم في كتبهم كانت لغة امةٍ عظيمة ممتدَّة رواق المجد والعظمة وظل الشهرة قد أشغلت قسماً كبيراً من ارض اسيا وهي بلاد الشام مع جزائرها والجزيرة والعراق العربي وما جاور هذه الاصقاع الى حدود بلاد فارس شرقاً وبلاد الارمن وبلاد اليونان في اسيا الصغرى شمالاً وحدود بلاد العرب جنوباً . فلها الفضل العظيم على جميع البلاد في اختراعها صناعة الكتابة التي منها تعلمتها سائر الامم . قال بعضهم (وهو الاقرب الى الحقّ) : « فلا جرم اذاً ان العرب قد تعلموا الخط من السريان » . قال احد العلماء المتضلعين في علم التاريخ والمدققين الماهرين في كلامهِ على الخط ومخترعيهِ وانتشاره : « وهكذا يسوغ لنا ان نقول ان السريان ردّوا الكتابة العربيَّة الى الحال الذي كانت فيهِ اول ما تعلم العرب الكتابة من السريان اه »

على ان العرب لمَّا اتخذوا الخط من هذه الامة في مبادئ ظهور الاسلام وانتشارهِ

---

١) لا جرم ان هذه اللغة هي اقدم اللغات السامية لان اللغة السريانية هي لغة ارام الذي لا يبعد عن سام الا جيلاً واحداً . واما غيرها من الامم السامية فتبعد اجيالاً . واما اذا اعتبرنا الجد الثاني اشور او اثور فهو ايضاً ابن لحٍ لسام . ومما هو اشهر من نار على علم ان الامة السريانية بانتشارها الى الاصقاع البعيدة واستيطانها اياها خلّفت اثاراً جليلة سيما مَن تبوأ منها بلاد مصر منذ الازمنة القديمة حيث تركت اثاراً كثيرة سريانية بالكتابات المنقوشة على الاحجار والمسطورة على القرطاس القديم

في نحو المائة الثامنة بعد المسيح لم يأخذوها الّا حروفاً ثم بعد ذلك بزمان اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة الآن عندهم وكذلك فعل العبرانيون وبقي الآراميون دهوراً يكتبون بلا علامات للحركات ولا لتمييز الجمع من المفرد . قال احد المهرة في فنّ التاريخ : « ومما نعجب به ان من طبع الامم السامية المضروب به المثل هو انهم شديدو التمسك بعوائدهم وامورهم واثبات فيها حتى اننا نرى اللغة العربية مثلاً قد مضى عليها دهورٌ واحقاب عظيمة وهي باقية على حالها لم تتغيَّر الّا شيئاً يسيراً لا يُحتفل به بخلاف الامم الاوروباوية اه »

على ان هذا التغيير الذي احدثهُ العرب لو كان مهمّاً كاهمية انتقالهم من الحرف الى الحركة على ما يزعم في بناء الكلمة واعرابها لأصبح شغلاً مما يُحفل بهِ ونُسب الفضل فيهِ اليهم ولكنهم ليسوا في ذلك من الفضل بشيء (اي في استعمالهم الحركة) لأنها ليست من اختراعهم انما الفضل فيهِ للكلدان على ما علمت وستعلم . فالعرب لمَّا تعلموا الخط من الآراميين (كما سبق بيانهُ) لم يتعلموا سوى حروفٍ بسيطة لا غير ولما مضى نصف القرن الاول للهجرة وكان الناس يقرأون القرآن بلا حركات على ما هو مقرر في هذا الباب فاول ما افتقروا اليهِ الحركات واول من رسمها لهم ابو الاسود الدؤليّ كما مرَّ واضع النحو المتوفى سنة ٦٩ هـ فانهُ وضع نقطاً تمتاز بها الكلمات او تعرف بها الحركات وليس كما توهم بعضهم ايضاً انها لتمييز الحروف كالثاء من الثاء وقس عليهِ . مقتبساً ذلك من الكلدان جيرانهِ في العراق . ولنا شاهد لا يُرتشى على ان الكلدان الذين تعلم العرب منهم الخط كانوا ينقطون عوض الحركة كتاب سير النسّاك الاولين لبلاديوس المكتوب على الرقّ سنة ٧٩٧م وهو اقرب الى الخط الكلداني . فان كاتبهُ استعمل الحركة بطريقة النقط كما عند الكلدان . قال احد الادباء الباحثين البارعين في علم التاريخ : « لقد عثرت على مصحف كوفيّ في دار الكتب الخديويّة على هذه الكيفيّة وهو من اقدم مصاحف العالم ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيهِ نقط حمراء اللون فالنقطة فوق الحرف ضمة وتحتهُ كسرة وبين يديهِ فتحة كما وضعها ابو الاسود الدؤلي » اه

ثم جُرَّت تلك النقط ومُطَّت (بعد جعل راس للضمة لئلّا تلتبس بالفتحة) فصارت على ما تُرى الان . وهذا اكبر دليل على صحة ما قلنا وسنقول من هذا القبيل

وعليه فيكون الراي الاكثر احتمالًا ان هذه الحركات من خصوصيات اللغة العربيَّة (ولن كانت نشأتها الاصليـة من الكلدان على ما بيناه قُبيل هذا) لما احدثوا فيها من التغيير . وليس ما يقابلها في غيرها من اللغات الّا نادرًا . وهي ولا جرم تقوم لديهم بوظائفها في بناء مفردات الكلم لا سيما الاعراب الذي لا نظير لهُ في غيرها . ولهذا الاعراب بالحرف عندهم فرع الاعراب بالحركة على ما هو مقرَّر في كتبهم . ولم يُعرف منهم الحرف اصالةً او نيابة في قوام هجاء ما (١ . وعلى هذا لم يكن العرب ليستبدلوا الحرف بالحركة كما يُزعم . على ان غير العرب كالسريان او العبران او غيرهم لم يستعملوا حرفًا او حركة للاعراب كما سترى فضلًا عن ان جميع اولئك الاقوام لم يعرفوا صورةً للاعراب بل ولا اثرٌ لفظيٌّ لهُ عندهم

قال في الغراماطيق السرياني في باب المفعول به : « فترى ان المفعول به قد يكون خاليًا من علامة يُميَّز بها عن الفاعل وانما يُفرَّق بينهما بالقرائن او من المعنى لانهُ ليس في السريانية ما يقوم مقام الاعراب الذي في اللغة العربية » . انتهى بحروفهِ . والّا لتغيرت اواخر المعربات عندهم كما في العربيَّة . ودونك مثالًا على ذلك ܡܪܝܐ ܒܪܝܠܗ ܕܐܒܪܗܡ الرب يرعاني ܡܪܝܐ ܠܒܪܝܠܗ دعوت الرب ܡܪܝܐ ܡܢ ܒܪܝܠܗ طلبت من الرب . فانك ترى لفظة ܒܪܝܠܗ التي تأويلها الرب في كل من المواقع الثلاثة المذكورة قد لزمت حالةً واحدةً ابدًا رفعًا ونصبًا وجرًّا كما في المبني في اللغة العربيـة . ولم يستعملوا حرف العلة مطلقًا كما لم يميّزوا مواقع الاعراب بحرف او حركة ما كما علمت . ولم يُنقل عنهم شيءٌ من ذلك فضلًا عن انهم لم يقرروهُ في كتبهم ولا اثبتوهُ في مدوَّناتهم . على ان العرب لم يفطنوا للقراءة والكتابة الّا من عهد قريب . ولمَّا اخذوا الكتابة من اهلها وضعوا هم الحركات واختاروها على ما سواها لما فيها من الاختصار في الكتابة فضلًا عن أمن اللبس في مواضيع عديدة مختلفة . فكانت لهم اذًا في ما سوى اقامة الهجاء علامات اعراب ايضًا

وعلى كل فلو كان العرب يكتبون كما كتب غيرهم ممن يستعين بالحرف على تقويم هجائهِ عوض الحركة لكان لزمهم ان يكتبوا عوض قامَ مثلًا (قاما) وعوض

١) بدليل انهُ لم يُؤثر عنهم ولا ذُكر لهم ولا في استعمالهم ما يُشار اليهِ

ضَرَبَ (ضارابا) وعوض يَضرِبُ (ياضريبو) مما لا يُؤمن معهُ اللبس في اغلب الحالات (ما عدا الاطالة كما ترى) والّا لكان افضى بهم الامر الى ان يضعوا لكل حرف من الحروف صوراً متعددةً بالنظر الى النطق بهِ في جميع احوالهِ فيكون للباء مثلاً اسمٌ مخصوص في حالة الرفع وآخر في الضم وقس عليهِ سائر الحالات الأُخر (وهم ليسوا في شيء من ذلك) ما عدا ما ان هذا متعذر ومن الصعوبة بمكان ان يؤدي الى وضع أضعاف مما لديهم من الحروف . وهو عينهُ السبب في ما يبلغنا عن كثرة الحروف في بعض اللغات . فلا امتراء اذاً ان العرب لم يستعملوا الحرف في اقامة الهجاء فضلاً عن الاعراب خاصةً

واما ما اعربوه بالحرف كالمثنى والجمع السالم فالارجح لانهم كرهوا ان يجمعوا بين علامتين في موضع واحدٍ من الكلمة وهما علامة التثنية أو الجمع وعلامة الاعراب طلباً للاختصار ومراعاةً للخفة . كما كرهوا اجتماع اعلالين فيهما ايضاً وهو دأبهم في كراهة اجتماع قبيلتين في محلٍّ واحد الّا ما كان من الاستطاعة بمكان . غير انهم اذ رأوا ان كلًّا من العلامتين المشار اليهما يصلح لان يكون علامة اعراب ايضاً استغنوا بهِ في الاعراب عن الحركة الموضوعة لهُ وذلك بطريق النيابة . والّا فان كانوا قد خصُّوها بالاعراب فما هي علامة التثنية والجمع ؟ . فلا جرم انهم قد وضعوها علامةً للتثنية الخ ثم استظهروا بها على مواقع الاعراب ايضاً . ومما هو حجيٌّ بالذكر انهم اختصوا الجمع المذكور بهذا النوع من العلامة والاعراب معاً لكي يُساوي بهِ بين معنى الجمع ولفظهِ . ولهذا كان لا يُستفاد فقط من هذه العلامة (١ الدلالة على معنى الكثرة الذي يدل عليهِ معنى الجمع بل تكثير حروف الكلمة ايضاً بمناسبة دلالتها على الكثرة في المعنى مع ما في لفظ الواو من الاعتبار والفخامة الموافقة لمعنى الجمع وهذا كلهُ لا يُتحصَّل مع الحركة . وبهذا الاعتبار ساوى اللفظُ المعنى . او كأنَّ اللفظ صار دلالةً على المعنى المطلوب من الجمع بكثرة الحروف على كثرة العدد مع فخامة اللفظ وجزالتهِ وبهذا الاعتبار تكون الالف والنون في المثنَّى . بيد ان الالف اقلّ فخامةً من الواو فوُضعت لهُ بهذه المناسبة ايضاً . اي باعتبار كون المثنَّى اقلَّ دلالةً من الجمع فطابق

١) اي الواو مع النون التي سواء كانت عوضاً عن التنوين في المفرد او مقابلة لنون تضربون وهكذا مع الالف في تضربان اللاحقة حرف العلة في مثل تلك المواضع

وفقوا لفظ التثنية والجمع
الاعراب بالحرف اشارة الى
الفعل) في التثنية والجمع
وفرعها ولعلهُ قريب من

تُ لهُ في كتب القوم على
دده من هـذا القبيل .

يـك ذا اعتلا

لما كان شرطاً في اعراب
ا كان منهـا غير مضاف
لى ياء المتكلم قد أعربوه
افًا الى غير الياء المذكورة
اخو ابيك ذا اعتـلا .
ا حالة الاضافـة معتأة
الآخر فادّى ذلك الى

ن اختصاصها بهذا الاعراب
على ان الجري على الاصل
الى نقلها هنا الى الاعراب
لصلي في وقت لم يبقَ منهم
اخرى اثرًا بعد عين ؟ .
او هذه الفصاة منهـا أفلا
ا من لا يثبت على قرار لا

عراب كالمثنى والجمع .
لحركة (الذي هو الفرع)
ليـه . فتجري في سائر
لخ

ما فيها من الاختصار الذي هو ديدنهم
اك اقامة جميع هجاء الكلمة من اولها الى
ة والاختصار على ما ذكر . ألا ترى انهم
كة ولم يرسموها نونًا حذرًا من التطويـل
روق للناظر من رسمه فوق الحرف كتاج

ه كما في قولهم ܒܝܬܟܘܢ ܐܢܐ ܐܙܠ اي
ل على ما سترى . ولم يخصوه بحالة ما رفعًا
في باب الخبر: « والوجه الثاني ان يُقرن الخبر
ܗܘܝܢ بمقتضى ما يكون الخبر من مذكر
ضميرًا اقترنت به لفظة الفصل وقيل للغائب
الك . واما الوجه الاول الذي قبلهُ والثالث
فيهما ان السريان لم يتوخوا باستعمالهم هذا
إ والخبر بل انهُ يقع مواقع أخر من النصب
دة تقطع كل ريب وترفع كل شبهة اعرضنا
عار فيكون هذا الحرف عندهم تارةً ضميرًا
ارادوا به ما يراد بتعلق الظرف اذ كل منهما
ة est الفرنسيَّة في قولك Dieu est bon
فقال : « ولك مع ܐܢܐ او ܗܘܝܢ (
ه غدا اكون في بيتك ܒܒܝܬܟ ܗܘܝܢ

ة وما يُؤوَّل بها من جامد ضميرًا يربطهُ

من فعل ܐܙܠ في ماضيه كان ومن ܐܙܠ و ܐܙ

كونهِ واوًا في الرفع والفًا في النصب وياء في الجرّ . وبيان ذلك ان ذو اصلهُ « ذوي » بدليل قولهم ذويان في التثنية فحُذفت الياء وبقيت الواو حرف اعراب » الى آخر ما هنالك من الاستقصاء مما لم نأتِ على آخرهِ فرارًا من الاطالة اذ ليس الغرض الّا الاجتزاء بالاشارة الى بيان عدل تلك الاسماء عن وضعها من الاعراب بالحركة الى الاعراب بالحرف لتكون لنا حجة وبينةً على دعوانا

ومما أوثر اثباتهُ هنا ايضًا ما كنتُ قد ارتأيتهُ منذ امدٍ غير قريب ولعلي لستُ ببعيد فيهِ عن الصواب . وهو انّهم اعربوا هذه الاسماء بالحرف في حالة الاضافة الى غير ياء المتكلم جبرًا لما فاتها من موازنة الثلاثي من الاسماء عند حذفهم احد اصولها اعتباطًا (الذي هو آخرها) بدليل انهم لم يعربوا مفردًا سواها اعرابها ثمّ لم يعاملوهُ معاملتها من مثل هذا الحذف ولكي يُساووا بينها وبين ما عاملوهُ معاملتها من الحذف ولم يعربوه هذا الاعراب مثلها كيد ودَم مثلًا ردُّوها الى مثل اعرابهِ بالحركة عند قطعها عن الاضافة او اضافتها الى الياء فتأمّل

واكثر مما يُستفاد من وضعهم الالف للمثنى والواو للجمع علاوة على ما سبق لنا من البيان . انهُ لما كانت الالف قد استوفت حقها من الشيوع (اسمًا وحرفًا) في مثنى الاسماء والافعال فضلًا عن مشاركتها الواو في الدلالة على الجمعيّة كما في الجمع المؤنث السالم الذي هو احطُّ قدرًا من جمع الذكور (لان التأنيث فرع التذكير) لما في الواو من الجزالة والفخامة وما في الالف من الرقّة واللطافة اعطوا الواو (ضميرًا او حرفًا) حقها من الجمعية للذكور في الافعال والاسماء ولهذا ترى حيثما كانت الالف ضميرًا للمثنّى مذكرًا كانت الواو ضميرًا لجمعهِ مذكرًا (وهذا يشمل الفعل والجمع السالم) ليس الّا

ومما يناسب هذا المقام قول بعض المحققين : « ان لسان العرب يتفرّع منهُ فروع كثيرة كما انهُ يتفرع من غيره من اللغات الشرقيّة كالسريان والعبران الخ » اقول نعم ان هذا لحقيق ولا يتنازع فيهِ اثنان . وحيث كانت اللغة العربيّة متفرعة منهما (بل من السريانيّة على التحقيق لا التخمين) وهما تستعملان السمات في اقامة المجاء لا الحروف . فالعرب حافظوا على ما اخذوه وتعلموه منهما . فباولى حجة (بل بديهي) ان يقال ان العرب قد اصطلحوا على الحركات في قوام هجاء مفرداتهم آخذين ذلك عما أخذت لغتهم عنهُ ولمّا ارادوا اظهار اعرابهم لم يخرجوا عن حدّ تلك العلامات ولم

يتحرّوا سواها لما يُرى من سهولة مأخذها مع ما فيها من الاختصار الذي هو ديدنهم واس فصاحتهم ودعامة بلاغتهم فيجري اذ ذاك اقامة جميع هجاء الكلمة من اولها الى آخرها مع اعرابها على سَنَن واحد من السهولة والاختصار على ما ذكر . ألا ترى انهم اقتصروا على نون التنوين بتكرار رسم الحركة ولم يرسموها نونًا حذرًا من التطويل والثقل ورعايةً لأمن اللبس ايضًا . مع ما يروق للناظر من رسمه فوق الحرف كتاج واكليل سيما ما يُرى من هيئة تنوين الرفع

واما ما يُرى من استعمال السريان ܗܘܐ كما في قولهم ܐܠܗܐ ܥܕܠܐ ܗܘܐ اي الله عادل هو فهو بمثابة ضمير او حرف فصل على ما سترى . ولم يخصوه بحالة ما رفعًا كان او غيرهُ . قال في الغراماطيق السرياني في باب الخبر: « والوجه الثاني ان يُقرن الخبر باحد الفاظ الفصل وهي ܗܘܐ ܗܢܘܢ ܗܢܝܢ بمقتضى ما يكون الخبر من مذكر ومؤنث مفردًا او جمعًا . واذا كان المبتدا ضميرًا اقترنت به لفظة الفصل وقيل للغائب ܗܘܝܗ بدل ܗܘܐ ܗܘܐ الى اخر ما هنالك . واما الوجه الاول الذي قبلهُ والثالث الذي بعدهُ فيثبت لنا من الاستقراء فيهما ان السريان لم يتوخوا باستعمالهم هذا الفعل وان شئت قل لفظ الفصل بين المبتدإ والخبر بل انهُ يقع مواقع أُخر من النصب والجرّ ايضًا » . وأورد على ذلك امثلة عديدة تقطع كل ريب وترفع كل شبهة اعرضنا عن ايرادها كما هو دأبنا في طلب الاختصار فيكون هذا الحرف عندهم تارةً ضميرًا وطورًا رابطًا وليس بعلامة اعراب (وربّما ارادوا به ما يراد بتعلق الظرف اذ كل منها يدل على كونٍ عام) وهو اشبه شيء بلفظة est الفرنسيَّة في قولك Dieu est bon وقس عليهِ . ثم استتلى هذا المؤلف كلامهُ فقال : « ولك مع ܗܘܐ او ܗܢܘܢ (٢ وجه آخر نحو ܠܡܚܪ ܢܗܘܐ ܕܡܫܝܚܐ غدًا اكون في بيتك ܢܗܘܐ ܒܒܝܬܟ ܕܡܬܝ ܢܗܘܐ ܩܝܡܬܐ متى تكون القيامة » انتهى

وعلى كلٍّ ألمْ يُجعل العرب الخبر الصفة وما يُؤوَّل بها من جامد ضميرًا يربطهُ

---

١) هذا يشمل الفعل والجمع السالم

٢) ومن قواعدهم انهم يسقطون الهاء من فعل ܗܘܐ في ماضيه كاوس ܗܘܐ و ܗܘ اذا اتصلت في اللفظ بما قبلها

بالمبتدإ . او لم يستعملوا ضمير الفصل الذي يسمونهُ ضمير عماد او حرف عماد ايضاً . فعليهِ اذاً سواء كان الضمير بارزاً او مستتراً ليس هو عند العرب في شيء من علامة للاعراب كما لم يكن عند غيرهم ايضاً

ولولا ان قد طال بنا من الكلام المجال وتخشى الملل لأتينا على آخر ما لدينا من البراهين والادلّة العديدة مصداق ما اوردنا من الرأي . ومع هذا نؤثر وصد هذا الباب دون ان نتحف القرّاء الكرام بما يكون كشذرة في هذه القلادة التي اضحى عقدها يتلألأ في نحور خود الجلاء على ترائب الحقيقة فنقول:

قال في القراماطيق المذكور في باب البحث عن الكتابة : « ان العرب تعلموا الكتابة من السريان واتخذوا منهم القلم السرياني وهو الذي الى الان يستعملونهُ الخ » . وقال في باب استنباط الحركات : « ويتضح جليًّا مما سبق انهُ نحو السنة الالف ومئة للميلاد لا الاراميون (اي السريان الشرقيون) ولا الغربيون (اي السريان الغربيون) ولا اليهود ولا العرب ولا سائر الامم لم يكونوا يستعملون في كتابتهم علامات للحركات ولا كان عندهم اسماء للحركات الخ » . حتى ان العرب لما اتخذوا الخط من السريان لم ياخذوا الّا حروفًا (اي حروف الهجاء) ثم بعد ذلك اخترعوا هم العلامات للحركات المستعملة عندهم الان . فكان القارئون يحركون من بالهم الحروف المكتوبة كما يفعل العرب اليوم في اغلب كتبهم . واليونان واللاتين اذ رأوا ان القلم السرياني لا يحوي علامات للحركات خصّصوا احرف العلّة من القلم السرياني علامات لثلاث حركات وزادوا عليها ثلثة احرف حلقيّة لا توجد في لغتهم فجعلوها لحركات اخرى واقتدى بهم جميع الذين اخترعوا اقلامًا جديدة في الازمان التابعة كالارمن والقبط والصقالبة والروسيين

« وفي القرن السابع للمسيح حاول يعقوب الرهاوي الذي اشتهر في الملة السريانيّة اليعقوبيّة ان يُدخل هذه الطريقة اليونانيّة في الكتابة السريانيّة لانهُ في ذلك الزمان لم يكن بعدُ قد استُنبطت الحركات في اللغة السريانيّة فاخترع علامات للفتاح والزلام وسائر الحركات السريانيّة لتُكتب مع الحرف في كتابة الكلمات ولكن هذه الطريقة لم يسلكها احدٌ من بعدهِ ومثلها نشأت ماتت (١) » . انتهى بحرفهِ . هذا وحسبنا في كل

(١) وما يمكننا ان نقول ان هذا يعقوب او غيره عرف ان السريان كانوا يقيسون الهجاء

ذلك وما وصل الينا منهم ويُستفاد من تحقيقاتهم ما هو مقرَّر في كتبهم ونصُّوا عليه في باب تقسيم علامات الاعراب ان الحرف قد استُعمل بطريق النيابة عن الحركة الموضوعة اصالة لاقامة المجاء ثم لاظهار الاعراب ولا يُسمع خلافهُ . . . وكفى

ومما يليق بنا ان نجعلهُ كختام لهذه العجالة شهادة لا تقبل الرياء اتى بها العلامة العامل المحقق والجهبذ اللغوي المدقق حضرة الاب انستاس الكرملي المحترم في مقالتهِ الرنانة المدرجة في مجلة المشرق الاغرّ في الصفحة الثانية والعشرين من الجزء الاول لسنة ١٩٠٨ التي عنوانها « اللغة العربيَّة » في طور النشوء والتكوُّن . قال حضرتهُ في الطور الثاني : « وهو الطور الذي كان فيهِ اقوام الاعراب على ثلثة اوجه في قبيلة دون اخرى ثم حدث فيهِ تغيُّر الحروف وتبدُّلها بعضها من بعض وكثرت انواع الحركات في صدر الكلمة وحشوها » . ثم قال : « وفي الطور الثالث وهو طور الانضمام والتجمع الخ . . يعني الطور الذي لم يكن فيهِ في بلاد العرب وقبائلها الا ست لغات عظمى الخ . واتخذت فيهِ اوجه الاعراب قاعدة مطردة يجري عليها المتكلمون ويتبع جادتها الكل اجمعون . يعني انهم اتخذوا الضم للرفع والفتح للنصب والكسر للخفض والجزّ (؟) طور الاسلام والتفرُّغ وهو الطور الذي ظهر فيهِ الاسلام والقرآن فاخذت سائر اللغات بالزوال والاضمحلال وعمت فيهِ لغة المبين او الفصيح ونشأت فيهِ اصطلاحات وعبارات كانت مجهولة في سياق الاطوار الخ »

بالحرف لما تكلف مؤونة اتحاف بعض العلامات اليونانية لاقامة هجائهِ ولا نسبها له بل لا جرم كان الاحرى بهِ ان يعيد اليهم ما كان لهم منها الى اصلها ويرجعها الى ما كانت عليهِ من رونقها الاصلي ولاحتجَّ بها عليهم وردَّهم الى ما عدلوا عنهُ وزاغوا فيهِ عن سواء السبيل في ما وُضعت عليهِ لغتهم ورد بضاعتهم اليهم . وهكذا القول في العرب في اقامة الحجة عليهم لمخالفتهم سنن ما اخذوا عنهُ . وعلى كلٍّ فكفى بقول هذا المؤلف من الحجة السديدة والبرهان القاطع ما اتى بالبينة السافرة على ان العرب في جميع اطوارهم لم يقدروا ان يفرضوا الفرض في شيء من ذلك . ألا تراهم نبَّهوا على الحركة المعبر بها عن التنوين واوضحوا سرَّها ولم ينفلوا عن الف الاطلاق وكشفوا عن حقيقة الزيادات ما . م . نَّ اللاحقة الضمائر واطالوا البحث في اقسام التنوين وانواعهِ ومواضعهِ وناقشوا في شأن الالف اللاحقة ضمير المؤنثة الغائبة . الى غير ذلك ممَّا لم يأتِ الاستقصاء فيهِ بطائل فائدة فما الذي منعهم هنا عن ان يغضُّوا النظر عن مثل هذا الامر المهمّ الذي لا يخلو من فائدة طائلة بل حجة قاطعة تقطع كل نزاع وتكفي مؤونة البحث وتوصد الباب امام كل اعتراض ومسئلة

فاقول بوجيز العبارة . لا يمكن ان يكون مفاد كلامه ان العرب كانوا يحركون بالحرف عوض الحركة ثم عدلوا عنهُ اليها في اي طور كان من اطوار اللغة المذكورة . ولا يُشعر بانهم قد تواطأوا على الحركة (بدليل قوله : في قبيلة دون اخرى) بمكان الحرف فيما جاء من بعدُ فلو كان ذلك منهم فلا بدَّ من ان يُشام وميض برقه او يكون لهُ اثرٌ ما في احدى تلك اللغات التي ذكرها لدى احدى تلك القبائل . لانهُ لا جرم كانت احداهنَّ تنكره او تخالف فيه آراء اختها شأن الامم في تباين الاراء واستصواب رأي دون آخر فداومت على السير في خطتها الاولى . سيما لما يوجد من الثقل والصعوبة في الانتقال والتأب من حالة الى غيرها في بدء الامر . على ان المحافظة على القديم شان للعرب وذمَّة تكاد لا تخفرها حتى في الازياء فكيف في الاراء

(المشرق) اثبتنا هذه المقالة في الحركات العربية واصلها دون ان نجزم بصحة آرائها . ونحن نعلم انَّ فئة من العلماء لا يوافقون صاحبها على اقواله لاسيما في اصل الخطّ العربيّ واشتقاق اللغة العربية من السريانية والعبرانية فانَّ المستشرقين في ذلك آراء مستحدثة اتَّسموا فيها . الَّا ان الحقيقة بنت البحث وفي معرفة المزاعم المتباينة افادة

نخبة ثانية

من كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نشرها وذيلها بالملحوظات المفيدة الدكتور بيار گيك استاذ الصيدلة في المكتب الطبي الافرنسي

توطئة

ما في القرّاء مقالتنا التي اثبتناها العام الماضي في المشرق (١٠ : ٩٦١ و١٠٧٩) عن كتاب غاية في الحسن والافادة عنوانهُ (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) عرَّفنا مؤلفهُ ومضامينهُ ونقلنا عنهُ عدة منتخبات استحسنها اهل الذوق وطلبة الاثار القديمة . ومن فصول هذا التأليف المستطرفة ثلاثة ابواب اشرنا الى محتوياتها الفريدة (١٠ : ٨٢) تبحث عن الصيادلة والعقاقير ثمَّ الاشربة والمعاجين ثمَّ العطر والعطارين وما يدلّس به اصحاب هذه الصناعات مبيعاتهم ويخدعون الناس بها

وكنا وعدنا بنشرها عند سنوح الفرصة . ولمّا عُقد مؤتمر اطباء مكتبنا الطبي في أيار الماضي احبّ الدكتور گيك ان يقدّم قسماً من هذه الفصول لرصفائه وينقلهُ لهم الى الافرنسيّة ويحشيه بالحواشي ونحن ننتهز هذه الفرصة لنشر تلك الابواب مع تبويب الملحوظات التي علّقها الدكتور المومأ اليه على باب الصيادلة والعقاقير ل . ش

(ص ٦٢) الباب الثامن والثلاثون

في الصيادلة والعقاقير

ينبغي ان يُعرف عليهم عريفًا ثقة عارفًا بمعيشتهم لأن العقاقير نحو ثلاثة آلاف عقّار ولها اشباهٌ وامثلة تقاربها وتدانيها في الصورة وتنافيها وتبعد عنها في المزاج والمنفعة . فينبغي ان يعدل بما يُشترى منها الى مَن قد نُصب لذلك قبل استعمالها فاذا تبيّن ما هو ذهب الشكّ فيه وفي استعماله فتكون النفس اليه قابلة والى نحوه ساكنة

والذي وجب على مؤلف هذا الكتاب ذكر ما يؤدّي اليه من غش بعض هذه الادوية وهو يقسم بالله العظيم على مَن يعرف شيئًا من غش الصيدلة وغيرها من سائر الاشياء المغشوشة مَن وقف على كتابنا هذا ان يُنبّه في آخر كتابنا هذا . وان امكنهُ التنبيه على معرفة استخراج غشه فليذكرهُ راجيًا بذلك ثواب الله عزّ وجل . فينبغي للمحتسب ان يُباشرهم ويخوّفهم ويعظّمهم وينهرهم بالعقوبة والتعزير وليعتبر عليهم عقاقيرهم في كل اسبوع

فمن غشوشهم المشهورة انهم يغشّوا (يغشون) الافيون المصري بسياف (بشياف) الاميثا وينشوهُ (ويغشّونهُ) ايضًا بعصارة ورق الخس البري وينشوهُ (ويغشونهُ) ايضًا بالصمغ . وعلامة غشه اذا أُذيب الماء ظهرت له رائحة كرائحة الزعفران ان كان مغشوشًا بالاميثا وان كان رائحتهُ ضعيفة فهو (مغشوش) بالخس . والذي هو مرّ صافي اللون ضعيف القوّة فهو مغشوش بالصمغ (١

---

١) يُستحضر الافيون المصري من عصارة سِنف الخشخاش الاسود (Papaver somniferum L. var. nigrum) وكان اجود اصنافهِ يُستجلب من الصعيد وربّما دُعي لذلك بالشراب الصعيدي (Sirop thébaïque) وقد اخبرنا بلينيوس الطبيعي (ك ٢٠ ف ١٨) ان المدلّسين كانوا يغشونهُ منذ الزمن القديم . وفي كتاب رحلة عبد اللطيف البغدادي حيث وصف الامور المشاهدة بمصر ذكر تزوير الافيون الصعيديّ . اما اليوم فان الافيون لا يُتاجر بهِ والمعروف منه جنسٌ دون

وقد يغشون الراوند بنبتة يُقال لها راوند الدواب (١ تنبت بالشام وعلامة غشه ان الراوند الذي لا رائحة له ويكون خفيفاً هو الجيد واقواهُ الذي يسلم من السوس.

الافيون القديم لانهم لا يحسنون استعمالهُ. وقد شاع استعمال الافيون في انحاء الشرق حيث يتنعّم به الحشاشون ولا يزالون . اما الشياف فهو نوع من الادوية كثير اليوم استعمالهُ . وكانوا قديماً يجعلونهُ على حجم نواة التمر ويتخذونهُ على طرائق مختلفة . وفي كتاش ابن سيرابيون من كتبة القرن التاسع كما في اقراباذينات اخرى انّ للشياف عملين الاول كدواء صلب مُسهل والثاني كدواء للعيون وقد شاع الآن هذا المعنى الاخير . امّا استعمالهُ قاعم كانوا يحكّونهُ على حجر ثم يذوبون المحكوك منهُ بقليل من الماء او عصار نباتي ويتخذونهُ كحلاً للعيون . وهكذا يستعمل اهل مصر الترتيا الحمراء (oxydule de cuivre) قاعم يحكّونها على قطع خزفيّة وينقعونها بماء قليل حتى تُصبح كسحوق دقيق . واشهر الشيافات القديمة شياف الماميثا قاعم كانوا يعمدون الى عصارة الحشخاش القرنيّ (Glaucium corniculatum Curt.) ثم يجففونهُ في الشمس حتى يغلظ ويتخذونهُ على شكل نوى صغيرة وكانوا يدخلونهُ على هذه الصفة في معظم اشكال الكحول

اما الخسّ الذي يشير اليهِ المؤلف فهو الخسّ البرّي (Lactuca virosa L., Thridax agria de Dioscoride) قال ديوسقوريدس (ك٣ف١٢٠) : «الخسّ البرّي مرّ وقعلهُ كالحشخاش وبعضهم يدخلهُ في تركيب الميكوني» والميكوني (Mecomium) خلاصة الحشخاش المستخرجة من ورقهِ وسنونهِ معاً . وقد دعا الاطباء مركّب الحشخاش والخسّ البرّي لكتوكاريوم (lactucarium) . وعلى رأينا انّ في العبارة الاخيرة من نصّ الكتاب تشويشاً والصواب ان يقال : «وان كانت رائحتهُ ضعيفة وكان مرّاً كان مغشوش بالخسّ . وان كان صافي اللون ضعيف المرّة فهو مغشوش بالصبر»

(١ يجهل العلماء حقيقة هذا النبات وكان ايضاً يُعرف بالراوند الشامي . ولشمس الرياسة ابن جميع من كتبة القرن الثاني عشر في مصر كتابٌ في الراوند نُسب سهواً لابن البيطار وفيهِ يقول عن الراوند الشامي ما نصهُ : «هذا الصنف يُجلب الينا من نواحي عُمّان من ارض الشام وهي عروق خشبيّة طوال مستديرة في غلظ الاصبع واكثر الى الصلابة ما هي ظاهرهُ اغبر اللون كمدهُ ومكسّرهُ املس تعلوهُ صفرة مشوبة بيسير من الزرقة» . وكان راوند الدواب ايضاً يُدعى بالراوند التركي . اما نسبتهُ الى الدواب فلأنّ البياطرة كانوا يعالجون به اكباد الدواب . فمن المحتمل اذن انّ هذا الصنف كان أدوَن جنساً . ولكني متأكد انّ راوند الدواب غير الريباس (Rheum Ribas L.) وان كان معنى الريباس في الفارسيّة الراوند . واصل الريباس من الشام ايضاً . وقد ذكر ابن جميع في كتابهِ اربعة اصناف من الراوند نسبها الى بلادها الاصليّة صنفان منها قديمان وهما الراوند الصيني والراوند الزنجي ثم صنف حديث وهو التركي او العجمي والرابع الراوند الشامي . والاصناف الثلاثة الاولى كانت كلها تُجلب من الصين ولكن من طرق شتى

واذا نُقع كان في لونهِ صفرةٌ وما خالف هذا اللون والصفة كان مغشوشاً بما ذكرناهُ

والجيّد من الإثمد ما كان لنباتهِ بريقاً (بريقٌ) وكان ذا صفاء صالح وهو نقي من الوسخ سريع التفتيت (١ . وقد يغشون الطباشير بالعظام المحرقة ومعرفة ذلك في غشها انها اذا طُرحت في الماء رسبت العظام وطفا الطباشير (٢

وقد يغشون التمر هندي بلحم الاجاص . وقد يغشون الاجاص (٣ بعكر الزيت ومرائر البقر في وقت طبخهِ . ومعرفة غشهِ اذا طُرح منهُ شيء في النار فان الاجاص (٣ يلتهب ثم انهُ اذا اطفيتهُ بعد الالتهاب يصير لهُ رغوة كلون الدم . وايضاً فان الجيّد منهُ اسود ويُرى داخلهُ ياقوتيّ اللون وما لا يلتهب وما لا يرغي يكون مغشوشاً بما ذكرنا (٤

---

١) هذا الوصف للاثمد (stibine, sulfure d'antimoine) منقول عن ديوسقوريدس (لـ٥ ف٤٩) . وقد ذكر اطباء العرب اربعة ضروب من الاثمد يدعونها الكحل والبُرود والذرور والشياف . والثلاثة الاولى كانت تُستعمل مسحوقة . وقد مرّ ذكر الشياف . وكان يتخذون للكحل ميلاً او يدخلونهُ بالاصبع اما الصنفان الاخران فكانوا ينفخون بهما . ثم شاع استعمال الكحل حتى اتخذوه كمرادف للاثمد وجاء ذكرهُ في الآثار القديمة . فمن ذلك ما جاء في سفر الملوك الرابع (٩ : ٣٠) عن ايزابل انها جعلت الكحل في اعينها لمّا دخل ياهو مدينتها . وقد بيّنتُ سابقاً انّ اهل مصر والشام كانوا يبدلون الاثمد بكبريت الرصاص (galène) الا انّ مسحوقهُ ليس باسود فيضيفون اليهِ سناجاً وقد أيّد رأي المسيو بلانـد (Mr Balland) ناظر الصيادلة في الجزائر

٢) الطباشير يتركّب من مواد صوانية يفرزها في كمونهِ نوعُ الخيزران المعروف بالبمبو (Bambusa arundinacea Wild.) وكانوا يتخذونها ايضاً بحرق الخيزران المذكور وجمع رماده الذي يحتوي ٧٠ في المئة من الصوّان . امّا لغشهِ فانهم كانوا يتخذون من عظام راس الغنم قطعاً ثم يحرقونها . وقد خلط البعض بين الطباشير وعصارة قصب السكّر . وكذلك الطباشير في لغة اهل الشام يُراد بها اليوم كربونات الكلس (craie)

٣) كذا في الاصل والصواب «يغشون الحضض» (suc de lycium) كما في مفردات ابن بيطار (٢ : ٢٤)

٤) يراد بالحضض اشجار شوكيّة يتخذون عصارتها في ادويتهم . ويرتأي العلماء المحدثون انها واحدٌ من النباتات الآتية (Lycium afrum, L. mediterraneum L., Rhamnus paliurus L.) وكذلك ارتأى العلّامة روال (Royle) ان الحضض الهندي هو العصارة بربارس (Rusout)

وقد يغشون القُسط باصول الرانيش (الراسن) ومعرفة غشهِ ان القسط لهُ رائحة اذا وُضع على اللسان يكون لهُ طعم الرانس (الراسن) بخلاف ذلك (١ (ص٦٣)

وقد يغشون زُغب السنبل بزغب القلقاس ومعرفة غشهِ انهُ اذا وُضع في الفم يحرق والسنبل المصحون ينمش . وليزيد في وزنهِ بالانمد يُرش عليهِ (٢ . وكذلك السك مسك (المسَّك) المدقوق (٣

وقد يغشون المصطكا بصمغ الاجل (٤ . ومنهم من يغش المقل (٥ بالصمغ القوي ومعرفة غشهِ ان الهندي يكون لهُ رائحة ظاهرة اذا دُخر بهِ وليس فيهِ مرارة . والافيتمون الاقريطشي يغشونهُ بالشامي وقد يغشونهُ بزغب البسباسج (٦

---

١) القُسط (costus) عرق شجرة تنبت في اعالي جبال جلايا في الهند كانوا ينحتون منهُ مركَّباً يُدعى « Auklandia costus Falconer » . وهو ثلاثة ضروب القسط الهندي وفيهِ الكلام والقسط الاسود واصلهُ من الصين والقسط الاحمر الثقيل واليوم يجهل الاطباء تركيب هذين الصنفين الاخيرين . أمّا الراسن (Jamée) فهو النبات المسمّى بلسان العلم (Helcanum)

٢) النرد الهندي (Spicanard) اصول نبات ينبت في بلاد بيال يتخذونها مع اوراقها الاصليَّة ويدعونها بلسان العلم « Valeriana Jatamansi D. C. » وهذا النبات ذو رائحة عطريَّة كالمسك أُغرم بها الناس منذ القدم . وربَّما خلطوا بينها وبين اصول اخرى سنبليَّة كسنبل هوك (Ferula Sumbul Hook) وفاريانا سلتيكا (Valeriana celtica L.) التي كانوا يجنونها في فرنسة

٣) المسك معجون من الراسك والمسك . اما الراسك فكانوا يركّبونهُ من بصر الثور وقشر الرمّان وجوز الدفلى وانزروت والعسل واقاويه مختلفة عطريَّة . ومثلهُ الغالية وكان يدعونها بالمسك فيدعونها غالية المسك ويترلونها منزلة المسك وهذا المركَّب وهو دواء عاقل للطبيعة

٤) الاجل (gomme de Sabine) صمغ شجرة كالعرعر وجاء في نسخة البيروني التي نشرها بهرناور (Behrnauer) : صمغ الاباء وفي نسخة ليبسك الخطيَّة : صمغ الاهل . وكلاهما تصحيف . ويوافق قول المؤلف ما ذكره ديوسقوريدس عن غشّ المصطكى حيث قال انَّها تُغشّ بصمغ الصنوبر

٥) المُقل صمغ شجرة البشام (Balsamodendron africanum Arn.) وهو نوعان العربي والهندي واجودهُ العربي اما الهندي فكان يُتخذ من نباتات عطريَّة غير الشام . واما غشّ المقل كما ذكرهُ المؤلف فهو مستعار من ديوسقوريدس (ك ١ ف ٦٨) . وما يدعوه المؤلف بالصمغ القوي هو المقل العربي النقي اليابس

٦) الافيتمون لفظهُ في اليونانية «Ἐπίθυμον» ويكتبهُ العرب ايضاً افتيمون هو نوع من الكشوث (Cuscuta Epithymum Murr.) وينبت حول الصعتر . وكان اجودهُ يُجلب من

ومنهم من يغش المحمودة بلبن اليتوع المجتّد ومعرفتها انك تضعها على اللسان فان قرصك فهي مغشوشة . ومنهم من يغشها بنشارة القرون ياخذونهُ ويعجنونهُ بماء الصمغ ويعملونهُ كهيئة المحمودة . ومنهم من يغشها بدقيق الباقلّاء ودقيق الحمّص ومعرفة ذلك أن الخالصة صافية اللون مثل الغري والمغشوشة بخلاف ذلك (١

وقد يغشون المرّ بالصمغ المنقوع بالماء وصفة غشهِ ان الخالص يكون خفيفاً ولونهُ واحداً او اذا كُسر ظهر منهُ اشياء مثل الاظافر ملساء بشبه الحصل وتكون لهُ رائحة طيبة وما كان ثقيلاً لونهُ لون الزفت فلا خير فيهِ (٢

ومنهم من يغش قشور شجر اللبان بقشور شجر الصنوبر ومعرفة غشهِ ان يُلقى في النار فان التهب وفاحت لهُ رائحة فهو خالص وان كان بالضد (ص ٦٥) فهو مغشوش (٣.

ومنهم من يغش المرزنجوش ببزر الخندقوق

وقد يغشون الشمع بالشحم (شحم) المعز وبالقلفونية وقد يذرّون فيهِ عند سبكهِ دقيق الباقلاء والرمل الناعم والكحل الاسود المسحوق ثم انهُ يجعل ذلك ببطانة الشمع ثم

افريطش ويتّخذونهُ كسهل . والافثيمون السوري كان دون الافريطشي ولهذا الصنف المدعو (Epithymbron) . اما البسابع (Polypode) فهو اصل شجرة يدعونها بوليبوديون يتّخذها حتى يومنا اهل البادية كدواء مسهل

١) المحمودة وتدعى سقسريا نبات في اصولهِ رطوبة يجمعونها ويجففونها . امّا اليتوع (Euphorbe) فانواع وربما ارادوا باليتوع النباتات التي يسيل منها شبه اللبن . ومنهُ صنف يُدعى بابن المغرب (Euphorbia resinifera Berg.) وليس هو المقصود هنا . وهذه الغشوش التي ذكرها المؤلف هنا يسهل نوم الوقوف عليهِ الّا ان في عهدهِ كان تحليل المركبات وافرازها صعباً

٢) المرّ صمغ يستخرج من شجرة البشام (Balsamodendron) او شجرة اخرى صمغيّة يدعونها (Commiphora Berg.) وهذا الشجر ينبت على جانبي بحر القلزم وخصوصاً في الصومال . وقد عُرف المرّ منذ الزمن القديم وكان القدماء يعتبرونهُ كاثمن المحصولات بمثابة اللبان . ثمّ اتخذهُ الاطباء للمعالجة وكانوا يستقطرونهُ لهذه الغاية فيتخذون خلاصتهُ كدواء

٣) اللُبان او الكندر صمغ يستخرج من اشجار تنبت في جنوبي جزيرة العرب وفي بلاد الصومال يدعونها (Boswellia) وخصوصاً النوع المسمّى (Boswellia Carterii Bird.) وقد سبق القدماء الى معرفة اللبان قبل المرّ ثمّ شاع ذكرهما على سواء وكانوا ايضاً يتّخذون من اللبان خلاصتهُ بالتقطير : وهنا قد تعمد المؤلف من اللبان قشرهُ خصوصاً . ونقل ما كتب عن ديوسقوريدس (ك ١ ف ٧٠)

يغمسها بعد ذلك في الشمع الخالص ومعرفة غشه انك اذا اشعلت الشمعة ظهر فيها ذلك (١ .

وقد يغشون الزنجار بالقلقند والرخام ومعرفة غشه انك تبلّ ابهامك وتمسحهُ فيه ثم تدلك بها السبابة فان نعم وصار كالزبد فهو خالص وان ابيضّ وتحبّب فهو مغشوش . وايضاً يُترك منهُ بين الاسنان فان وجدتهُ كالرمل فهو مغشوش بالرخام . وايضاً تُحمى صفيحة في النار ثم تذرهُ عليها فان احمرّ فهو مغشوش بالقلقند وان اسودّ فهو خالص (٢

وفئة يختارون من الاهليلج الاسود اهليلجاً وهو اصفر ويبيعونهُ مع الكابلي (٣ وقد يرشون بالماء الجاوشير وياتونهُ في الاكياس عند بيعهِ فيزيد لهم كل رطل نصفاً (٤ ومنهم ما يأخذ اللكّ (٥ ويُسيلهُ على النار ويخلط معهُ الآجرّ المسحوق والقرة ثم

---

١) قصد هنا المؤلف الشمع العسلي المتّخذ للانارة . وكان اهل التدليس يأخذون منهُ كمية فيخلطونها بمواد اخرى لتزيد ثقلاً ثمّ يغمسون فيها الفتائل ويحجبون غشهم بان يغمسوا ذلك الشمع المدلّس بشمع آخر صافٍ فما كان يمكن الاطلاع على غشهِ الّا باذابة الشمع . والمؤلف يدعو بطانة القسم المغشوش

٢) الزنجار (verdet) جسمٌ مركّب من الحامض الخلّي والنحاس مع اختلاف في صفاتهِ واستحضارهُ بان يجعل النحاس في الخل وكان القدماء يضيفون اليهِ شبّ البوطاس والملح او البول . واذا كان الزاج اخضر فأُحرق كان رمادهُ احمر اما اذا كانت خضرتهُ خفيفة فرمادهُ اسود والقلقند هو الزاج الاخضر (sulfate de protoxyde de fer)

٣) الاهليلج ثمرة اشجار مختلفة الجنس . وكان القدماء يعدون منهُ خمسة انواع الاهليلج والاصفر والاسود الهندي ويكون صغيراً والاسود الكابلي وهو كبير والمشف الدقاق المعروف بالصيني . ويختلف الاهليلج لوناً وحجماً على حسب اجناسهِ ونضجهِ وكل اصنافهِ مُسهلة . ومن الاسود صنف يُعرف باسم هندي شجرة (؟) يباع في اسواق بيروت

٤) لا يعرفون حق الان تركيب الجاوشير (Opoponax) الذي ذكرهُ القدماء . والمظنون انهُ نوع من الصمغ الراتينجي (Opoponax Cheironium Koch.) اما الجاوشير الذي يستعملهُ المحدثون فهو صمغ راتينجي يستخرجونهُ من شجرة اسمها (Gommifera Kafal Engl.) ومنها يتخذون دهناً يدخل في كثير من المركبات الطبيّة . ويزعم البعض ان الجاوشير هو المرّ الذي يتكلّم عنهُ القدماء

٥) اللك راتينج دودة تدعى في لسان العلم (Tychardia Lacca R. Blanchard) وتأوي الى نوع من التين (Ficus Lecifera Roxb.) او الى النوع المسمى (Ficus religiosa) وعلى العنّاب في الهند ومدغسكار . واللك الاصلي يكون كمداً غاربا الى الحمرة . اما دم الاخوين

يخلطهُ ويعقدهُ ويبسط اقراصاً ويكسرهُ بعد جفافهِ ويبيعهُ على انهُ دم الاخوين

ومنهم من يدقُّ الكحك دقاً جريشاً ثم يجعل فيهِ شيئاً من الجاوشير على النار في عسل النحل ويلقي فيهِ شيئاً من الزعفران فاذا أغلي وألقي فيهِ الكحك وحرَّكهُ الى ان يشتدَّ ثمَّ يعملهُ اقراصاً اذا برد ويكسرهُ ويخلط معهُ الجاوشير فلا يظهر فيهِ

واما جميع الادهان الطيبة وغيرها فانهم يغشونها بدهن الخلّ وهو السيرج بعد ان يُغلى على النار ويطرح فيهِ قلب الجوز وقلب اللوز مرضوضاً ليزيل رائحتهُ وطعمهُ ثم يمزجها بالادهان (١

ومنهم من يأخذ نوى المشمش فيستخرج دهنهُ ويخلطهُ بالسيرج ويبيعهُ كانهُ دهن لوز (٢. ومنهم من يغش دهن البلسان بدهن السوسان ومعرفة غشهِ ان تقطر منهُ شيئاً على خرقة صوف ثم يُغسل فان زال منها ولم يؤثر فهو خالص وان اثَّر فهو مغشوش. وعلامة دهن البلسان الخالص ان تُغمس فيهِ سنبلة وتشعلها فان شعلت فهو خالص واذا قُطر على اللبن جمد للوقت. وايضاً ان الخالص منهُ اذا قُطر في الماء الحارّ فيصير في قوام اللبن والمغشوش (ص ٦٨) يطفو مثل الزيت ويصير كواكب على وجه الماء (٣

(sang-dragon) فراتينج احمر يتكوَّن على نوع من النخل الهندي اسمهُ روتنج (Rotang) ويسميهِ العلماء (Calamus Draco Willd.) وقد زعم البعض ان ما سماه ديوسقوريدس زنجفرًا (Kinnabaris) هو هو دم الاخوين الا انَّ الزنجفر مركَّب معدني شبيه بحجر الصرف (Hématite) اما دم الاخوين الذي كان يتخذهُ اطباء العرب فنوع من الراتينج كانوا يجلبونهُ من سقطرة في بحر القلزم ولعلَّهُ كان يستخرج من شجرة عندمية (Dracena)

(١) ليست كل الدهون العطريَّة ارواحاً فانَّ منها ما كان يتَّخذ من النبات فيعطرونهُ. وهذه الدهون تُدعى اليوم دهوناً قديمة. الَّا انَّهم كانوا يعرفون ايضاً ان يستحضروا الارواح العطريَّة. ودونك طريقتهم فانهم يمرثون في الزيت ما يريدون استخراج عطرهِ ثم يغلون المريث على النار ممزوجاً بالماء والزيت زمناً طويلاً حتَّى تتبخَّر كلّ رطوبتهِ. وكانوا يمتحنون تبخُّر مائهِ بان يغمسوا فيهِ قطعة من القطن ثم يحرقونها فاذا كان يُسمع لحريقها ازيز عرفوا انهُ لم يجفَّ. ثم كانوا يخلطون البزور الدهنيَّة مع العطور ثم يستخرجون الدهن العطري عَصْراً. او كانوا يمتحنون تلك البزور في الماء فكان الزيت يطفو على وجه الماء. وهكذا كان استحضارهم لروح البنفسج ولروح الورد الخ. وكان ديوسقوريدس معلّمهم في هذه الصنعة يزيد على خليط الزيت والعطور شيئاً من الخمر

(٢) وهذا التزوير شائع حتى يومنا. فما اشبه الاولاد بالاجداد

(٣) البلسان (Baume de Judée, B. de Gilead.) كان يستخرج من شجيرات

وقد يخلطوا (يخلطون) دهن العراق بدهن الشام اعني الورد والبنفسج وهذا تدليس (١

وقد اعرضت عن اشياء كثيرة مخافة من تعليمها وانما ذكرت ما قد اشتهر غشهُ بين الناس ويتعاطاه كثير منهم وقد امسكتُ عن اشياء كثيرة قد ذكرها يعقوب ابن اسحق الكندي في رسالتهِ المعروفة بكيميا الطبائع فرحم الله من وقع بيده ذلك الكتاب فمزّقهُ

الباب التاسع والثلاثون

في الاشربة والمعاجين

وما يضاف الى ذلك اعلم وفّقك الله انهُ لما كانت المعاجين والاشربة والاقراص والسفوفات والادوية المركبة انما يقف على معرفتها ويتيقّن مصلحتها من حضر عملها ومشاهدة خلطها وعجنها فيجب ان يكون ذلك قبل تركيبهِ بحضور من جُهل عرفاً على مثلهم حتى تزول الظنة وترتفع الشبهة فان لم يمكنهُ حضور جميع ذلك عُيّنت الحوانيج

بطيّة (Balsamodendron Gileadense Kuntk.) او (B. Opobalsamum Kunth) وغيرها مما ينبت في بادية العرب. وكان في بستان الطرية قرب عين شمس في مصر منها اشجار ذكرها قديماً السيّاح (اطلب المشرق ٩: ١٠٨٧) والبلسان دهن مائع لونهُ اشقر واذا مضى مدة انقسم الى قسمين فالقسم الاعلى سيّال شفّاف والادنى كثيف عابط. وكان المستعمل منهُ القسم الاعلى ويسمّونهُ زيت البلسان. وافاد عبد اللطيف البغدادي انّ القسم المائع كان مختصاً بالسلطان وقد وصف الكاتب المذكور طريقة المصريين في استخراجهِ من الشجرة بقرع قشرها وشدخها وجمع لتاها ودفن قنانيها في الارض وعرضها في الشمس وقطف الدهن الطافي. وكانوا يستحضرون ايضاً دهناً آخر اقلّ ثمناً يديمونهُ في التجارة ويتّخذونهُ بإغلاء اصول البلسان واوراقهِ في الماء وقطف طفاوتهِ

١) الدهون المذكورة هنا يتعاطاها الصيادلة في سلك الدهون القديمة. وكان اهل العراق يعدّون منها اجناساً فاخرة. وهذه وصفة نستعيرها من كتاب الحاوي في علم التداوي لنجم الدين الشيرازيّ الذي نشرنا منهُ فصولاً وترجمناها الى الافرنسية. قال في وصف دهن البنفسج (ص ١٦٦):

(صنعتهُ) أن يؤخذ السمسم المقشّر او اللوز الحلو المقشّر الدّهن ويُجعل في كيس صفيق من الكرباس ويتّخذ الكيس اوّلاً بالند ويُطرح عليهِ اللوز او السمسم بعد ان تُشقّ كلّ لوزة بنصفين وليكن من كلّ عشرة اسناء من اللوز خمسة ارطال من البنفسج المقطف الى اربعة ارطال ويُطرح عليهِ البنفسج بالتدويج في كلّ ثلاثة ايّام رطل ويُشدّ رأس الكيس ويُترك فيهِ البنفسج الى ان يجفّ فاذا استحكم جفافهُ يُطحن ويستخرج دهنهُ

وحملها الشرابيُّ (ص ٦٩) الى مجلس العريف في طبق او غيره ليشاهدها ويعدّ عقاقيرها ويقابل منها مَن يعوّل عليها . اما شابور (١ او غيرهُ ويخلطها بعد المقابلة بيده ويعضي بها صاحبها ويركبها (٢

ويتقي الله ان لا يركّبها بعسل قصب ولا بقطارة فانهم يركبون المعاجين اشياء من عسل قصب يأخذون منهُ عشرة ارطال يغسلونهُ ويقلمون نيسهُ حتى يصفو سوادهُ ويُرش عليهِ مقدار ثلاث اواق لبن حليب حتى يصفو وتطيب رائحتهُ ثم انهُ يسحق لهُ وزن درهمين اسفيداج الفرانس في اوقية خل خمر حاذق يغليها في القدر وهي تغلى ثم يصلح منهُ ما شاء من الاشربة والمعاجين . فينبغي ان يراعى ذلك عنهم ويُستحلفون ان لا يفعلوهُ ولا يأمروا احدًا بفعلهِ لهم وهو لا بدّ لهُ مما يرجع في الاشربة الى السواد في المعاجين وتظهر رائحة الخل فيهِ ويغيّر ايضًا يؤخذ منهُ قليل ويحلّ بالماء في وسط الراحة فان العسل يبيّض مثل الفانيد ومتى تطاولت مدة الاشربة فحمضت او غلت لم يكن لصاحبها ان يردّها الى الطبخ ثانيًا لفساد مزاجها وانحرافهِ (ص ٧٠) ولا يذكي احد منهم حلاوتهُ بغير ماء الورد ولا يجعل فيهِ مسكًا ولا كافورًا

وسبيل شراب البنفسج ان يكون مكرّرًا فانهُ سريع التغيير وشراب الورد مثلهُ ايضًا ان يكون مكرّرًا لانهُ انقى وانفع للمعدة والسكنجبيل البزوري والسنباذج يكونان بخل خمر . واذا رأيت السكنجبيل الى السواد لونهُ فهو كما ذكرناهُ من العسل القصب او معمول من القند . وكذلك المعاجين اذا أذيبت في البراني ينبغي ان يراعى ذلك ولا يعمل شيء من سائر الاشربة والسويقات وغيرها الّا على النسج من كتاب سابورا (١ وغيرهِ بعسل النحل والمعاجين والاشربة من السكر الابيض . وكذلك السفوفات وكذلك الاقراص يعني تركيبها على ما نصّهُ الفلاسفة . وشراب العناب يقوّي بكثرة العنّاب فيهِ لانهُ يزاد لطفيهِ الدم (٣ . ولا يعجن الورد بالمراسيني من السكر

١) شابورا او سابورا كما كتبهُ المؤلف في ذيل هذه الصفحة احد الصيادلة الذين كتبوا في المعاجين والاشربة وجيّدها . على اننا لم نجد اسمهُ في فهرس طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة وانما هو سابور بن سهل المطبّب النصراني صاحب الاقرابادين المعوّل عليهِ في البيمارستانات . توفي سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م)

٢) راجع المجلة الاسيوية الفرنسوية (J. A., 1861, p. 16-17)

٣) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب : ليبرّد لطيفهُ الدم

العراق بدهن الشام اعني الورد والبنفسج وهذا تدليس (١
، كثيرة مخافة من تعليمها وانما ذكرت ما قد اشتهر غشهُ
منهم وقد امسكتُ عن اشياء كثيرة قد ذكرها يعقوب
لتهِ المعروفة بكيميا الطبائخ فرحم الله من وقع بيده ذلك

الباب التاسع والثلاثون

في الاشربة والمعاجين

علم وفّقك الله انهُ لما كانت المعاجين والاشربة والاقراص
ة انما يقف على معرفتها ويتيقّن مصلحتهـا من حضر عملها
ب ان يكون ذلك قبل تركيبهِ بحضور من جُعل عريفاً على
تنع الشبهة فان لم يمكنهُ حضور جميع ذلك عُيّنت الحوانج

(B. Opobalsamum Kunth) او (Balsamodendron Gil
رب . وكان في بستان الطرية قرب عين شمس في مصر منها اشجار
المشرق ٩ : ١٠٨٧) والبلسان دهن مائع لونهُ اشقر واذا بقي مدة
، سيّال شفّاف والادنى كثيف عايظ . وكان المستعمل منهُ القسم
. وافاد عبد اللطيف البغدادي انَّ القسم المائع كان مختصاً بالسلطان وقد
المسربين في استخراجهِ من الشجرة بترع قشرتها وشدخها وجمع لتاما
ها في الشمس وقطف الدهن الطافي . وكانوا يستحضرون ايضاً دهناً
رة ويتّخذونهُ بإغلاء اصول البلسان واوراقهِ في الماء وقطف طداوتهِ
هذا ينظمها الصيادلة في سلك الدهون القديمة . وكان اهل العراق
هذه وصفة نشيرها من كتاب الحاوي في علم التداوي لنجم الدين
فصولاً وترجمناها الى الافرنسية . قال في وصف دهن البنفسج

سم المقشّر او اللوز الحلو المقشّر الدّهن ويُجعل في كيس صفيق من
ا بالند ويُطرح عليهِ اللوز او السمسم بعد ان تُشقّ كلّ لوزة بنصفين
من اللوز خمسة ارطال من البنفسج المقطف الى اربعة ارطال ويُطرح
لّ ثلاثة ايّام رطال ويُشدّ رأس الكيس ويُترك فيهِ البنفسج الى ان
حن ويستخرج دهنهُ

يتحرّوا سواها لما يُرى من سهولة
راس فصاحتهم ودعامة بلاغتهم و
آخرها مع اعرابها على سَنن واحد
اقتصروا على نون التنوين بتكرار
والثقل ورعايةً لأمن اللبس ايضاً
وا كايل سيا ما يُرى من هيئة ت
واما ما يُرى من استعمال
الله عادل هو فهو بمثابة ضمير او
كان او غيرهُ . قال في الغراماطيق
باحد الناظ الفصل وهي ܗܘܐ ه
ومؤنث مفرداً او جمعاً . واذا
ܗܘܝܗ ܗܘ ܗܘ يدل ܗܘ ܗܘ الى
الذي بعدهُ فيثبت لنا من ا
الفصل وان شئت قل لفظ الفصل
والجزء ايضاً » . وأورد على ذلك
عن ايرادها كما هو دأبنا في ط
وطوراً رابطاً وليس بعلامة اعرا
يدل على كونٍ عام) وهو اشبه
وقس عليه . ثم استتلى هذا المؤلف
وجه آخر نحو ܠܡܬܝ ܗܘܝܗ
ܒܩܝܡܬܐ متى تكون القيامة
وعلى كلّ ألمّ يُحتمل العر

١) هذا يشمل الفعل والجـ
٢) ومن قواعدهم انهم يـ
اذا اتصلت في اللفظ بما قبلها

وابلغ ما يدلّ على النوافج وقوارير المسك ان تفتحها وتلمّها كالمستحسن لها فان طلع الى فيك من المسك حدّة كالنار فالمسك فحلٌ لا غش فيه وان كان بخلاف ذلك فهو مغشوش. وقد يُلقى على المسك الجيد التيبتي دم الاخوين او دم الغزلان او دم الجداء الثقيل وقد يُسحق المسك ويُحشى في مصارينها وتُشدّ بخيوط صغار على قدر العنبر ويجفف على الحبال في الظل ويُشق عنهُ ويُعبّى مع غيره في القوارير . ومنهُ ما يغش بالكبود المحروقة المسحوقة. وقد يطرح في المسك حب رصاص على مقدار الخردل مصبوغة بالمداد فلا تبين الّا عند السحق (ص ٧٣)

وينبغي ان يعتبر ايضاً جميع ذلك الذي ذكرناهُ من غشوش المسك وهو ان تطرح في فيك منهُ شيئاً وتتفل على بعض الملابس البيض وتنفضهُ فان انتفض ولم يصبغ فلا غش فيه من سائر ما ذكرنا وان صبغ ولم ينتفض فهو مغشوش

وغشوش العنبر خمسة فمنهُ ما يعمل من زبد البحر والصمغ الاسود والشعر الابيض والصندروس وسنبل الطيب ويخدم ويُعمل منهُ عنبر . ومنهُ ما يعمل من زبد البحر والصندروس والعود والسنبل . وربما خُلط معهُ بعر الظبا ويُخدم ويُدق ويدفن في زبل الخيل سبعة ايام ويُخلط معهُ مثلهُ عنبر خالصٌ وربما عُمل منهُ تماثيل وصور وقلائد وغير ذلك ومنهُ ما فُعل من المسك الجيد والصمغ والعنبر ويباع قلايد وتماثيل

وجماجم العنبر قد تُطلى بالصندروس فيجب ان يُحذف رؤسها حتى يعلم سلامتها منهُ ومن غيره وربما حُفرت والقي فيها القطع الرصاص واذا حذف راسها نظر ايضاً الى داخلها. والصندروس ايضاً اذا كان عليها منهُ شيء. فانهُ يغيب اذا حُذف وان كانت معيوبة بما ذكرنا ايضاً نظر ولم يُخف

والكافور ايضاً يعمل منهُ سبعة اصناف (ص ٧٤) مغشوشة . فمنهُ ما يُعمل من الرخام وتحاتة الخرّاطين بمثله كافور معجون بماء الصمغ الابيض بحر (كذا) على الغرابيل. ومنهُ ما يعمل ايضاً من حجارة النشادر تُكسر صغاراً ويخلط به . ومنهُ ما يعمل ايضاً من ذريرة غير مفتوقة وجبس قلار (؟) غير مشوي وصمغ ابيض ومثل الجميع كافور. ويعمل ايضاً من خشب الخروع ويعمل ايضاً من الارز المدبّر فان عُمل تماثيل وقلائد جُعل في كل خمسة مثاقيل من الارز مثقال واحد كافور خالص المبيع فمثقال بمثقال . ومنهُ ما يعمل ايضاً من نوى البلح المنحوت يُدقّ حتى يصير مثل الزبد ويُخلط

بمثله كافور ويُعجن بماء الكافور وجميع ما غشه يبان في الماء والنار لانهُ اذا طرح في الماء فغرق كان مغشوشاً واذا عام فهو جيد لا غشَّ فيه. وكذلك اذا أُلقي قطعة خزف او جام على النار وجعل عليها شيء من الكافور وكان جيداً طار ولم يمكث وان كان شيء مما ذكرنا احترق وصار رماداً

وكذلك الزعفران غير المطحون يُغش باشياء كثيرة فمنها ان ينثر لحوم (ص٧٥) صدور الدجاج وكذلك لحوم البقر بعد سلقها وتنثر بالملح وتُقدَّد فاذا قُددت تصبغ بماء الزعفران وتخلط في الزعفران . ومعرفة غش ذلك ان تنقعهُ في الخل فان الخل يتقلص ويبان غشهُ واذا وُجد عند مذاقهُ حلواً فهو قليل الصبغ فقد ثُقِّل وغُش بالقند . والمطحون منهُ اذا أُلقي في اناء من زجاج فيهِ ماء فرسا منهُ شيئاً (شيء) فهو مغشوش بدم الاخوين فيأخذ ما رسا ويمزجهُ بخل ويحركهُ فانهُ يصبغ روحهُ ويحمرّ . وقد يغش بالنشا المطحون ومعرفتهُ ان تبلّ منهُ قليلاً على النار فانهُ يتدبق ويتعقد

وغش العود ان يأخذ الصندل قشراً مُطرّاً يُبرى بهِ العود ويقع في مطبوخ الكرم العتيق شهراً يغيّر عليهِ بعد كل ثلاثة أيام وينشف ويخلط في العود فلا يشك انهُ عود فيُعتبر بالنار قد يُغلى فيباع مُطرّاً مدرج (كذا)

وغش اللبان فانهُ يعمل من دهن حب القطن ويعمل فيهِ دهن حب الشمش ويعبق بشيء من المسك التبتي الجيد الافاوي ويعمل من الزيت الانفاق ويُعبّق ويطرح فيهِ اطراف الآس الاخضر فيجيء منهُ خضرة تقارب البان (ص ٧٦) وغش ماء الكافور ويعمل من عقد خشب الصنوبر وقشور الكندر ويصعد فلا يشك انهُ خالص . ومعرفة غشهِ انهُ اذا قُطر في خرقة بيضاء وغُسل منها فخرج فهو مغشوش وان طبع فهو كما ذكرنا من عقد الخشب والقشور

وغش الحلب المعجون المؤلف بالادهان يغشهُ العطارون باللوز المرّ المقشّر من قشريهِ ايضاً . ويُغش ايضاً بنوى المشمش ويُغش بنوى الخوخ المقشر ويخلط معهُ مثل نصفهِ حلب ومنهم من يأخذ كُسب السمسم فيجففهُ ويسحقهُ ويعجنهُ مع الحلب ويبخرهُ ويبيعهُ . وقد يخلطهُ قوم من العطارين بالنشا ويبيعونهُ فينبغي ان يعتبر عليهم ذلك ويحلفوا بما لا كفاءة لهم منهُ

وقد يُغش الزعفران ايضاً بالاكثوب (؟) المصبوغ بالبقم بعد ان يقطع نظير شعير الزعفران ويخلط معهُ نشأ مصبوغ ويُذرّ عليهِ سكر مسحوق في ليفة ويلصقهُ ويخلط عليهِ الزعفران ويعبّى في السلال . ويعملون ايضاً سكرًا من نبات الحلبة منقوعًا في خمر عتيق قد اذيب فيهِ قليل كركم منخول من زعفران اياماً معلومة ويبيت في الظل فلا يشك الذي يراهُ انهُ زعفران ويخلط في السلال ويباع . وهذا الزعفران الشعر وغيرهُ بلون الشعر فاذا اردت معرفتهُ خذ من وسط السأة فانهُ يبين لك الغش والعيب ويطحن هذا الزعفران المغشوش بعينهِ . وربما خلط معهُ وزن جلنار ملتوت بشيريج . وقد يُغش بازجاج المطحون ايضاً . وقد يستحلّ قوم منهم ان يخلطهُ بابوا مليح (؟) النصف منهُ والنصف زعفران ويبيعهُ على المسافرين . وقد يستحلّ اقوام من باعة الزعفران ايضاً ان يقيم قرطاساً في وسط البرنية يجعلهُ وعلى جانبها خاوتًا مغشوشًا والجانب الاخر خاوتًا جيداً ويدفع عن كل انسان منها على قدر معرفتهِ ورايهِ فيهِ

ويُغش العود ايضاً من قشور خشب يقال لهُ الابليق ويجيء شبه العود الّا انهُ يُبرى كما يُبرى العود وينقع في ماء مدبر بالمسك الجيد والورد الصحيح والكافور اياماً كثيرة ويُخرج منهُ وينشف ويدرج ويُباع . وتُغش الغوالي وقد تعمل غالية اصلها قطران مصعد مدبر بالقرعة الى ان يذهب نتنهُ ورائحتهُ ثم يجعل على كل مثقالين منهُ مثقال مسك جيد ومثقال عود طيب ومثقال مسك تبيتي او صعيدي (ص ٧٨) ومثقال لادن مسيول على النار ونصف مثقال عنبر وثلاث مثاقيل دهن بانٍ مديني بارد

وربما عُمل بغير عنبر فيجيء طيبهُ عجيبةً وغالبهُ من نخاتة الرخام والدحور والشادروان مدبره (؟) ويحمل على جسد كل مثقال منها ما قد ذكرناهُ من الطيب فيما تقدّم يعمل جسدها من قلب الفستق . ويجيء عجيبة ايضاً اذا حمل على جسدها الطيب كما ذكرنا وقد يغشون الغوالي ايضاً بدون هذا يعمل اصلها من المرداشنج المدبر وغالية اصل جسمها الاقليجة وغالية اصل جسمها من الومباي وغالية اصل جسمها من الوز القسطالي الصغار وغالية اصل جسمها من صمغ الشادروان وعيدانه ويحمل على جسدهِ هذه الغوالي لكل مثقالين منها وزن دانق مسك جيد وحبّة مسك . واكثر من يعمل هذا الذين يجلسون على الطريق ممن لا دين لهُ وكذلك من لا لهُ دين من العطارين ولا يخافون من الاستخفاف بهم

فينبغي ان يراعى ذلك بمباشرة العريف حتى لا يكون شيء منهُ ويذرهم ويخوّفهم فمن تخطّى الى شيء مما ذكرناهُ أدّب وأُشهر واذا اردت ان تسحق (ص ٧٩) العنبر تستعملهُ فيما شئت بلا نار فخذ بلاطة رخام وضعها على الثلج فاذا صارت باردة مثل الثلج وتكون قد فرصتَ العنبر صغارًا فضعهُ على البلاطة فانهُ يبرد ويجفّ ثم اسحقه فانه ينسحق كالكحل واستعمله فيما شئت في الوقت والاعادة الى صفتهِ اذا حُمّي فانه دهن فلا يرجع بعدها البلاطة بل على النار

معادن الترنسفال غير الذهبيّة

بقلم اسكندر افندي طحيني احد طلبة السنة الثالثة في المكتب الهندسي في جوهنسبورغ

لا يتمّ وصفنا لمعادن الترنسفال الذهبيّة اذا لم نأتِ على ذكر بقيّة المعادن الموجودة في الترنسفال لاهميتها كالماس ولدخول بعضها في تعدين الذهب كالفحم

١ الماس

تعدين الماس في جنوبي افريقية يدخل اكثرهُ تحت ادارة تلك القومبانيّة الالماسيّة المشهورة المعروفة بقومبانية دي بير (De Beer) التي يشتغل لحسابها عدد لا يُحصى من الرجال. وفي استحضار الماس كما في غيرهِ من المعادن في جنوبي افريقية اشغال شاقة كتكسير الحجارة الزرقاء في قلب الارض ونقلها الى وجه الارض ومعالجاتها العديدة حتى تصير اخيرًا الماسًا نظيفًا يُعرض على ارباب التجارة ويأخذ بالالباب لحاسنهِ وبهائهِ ويقوم بهذه الاشغال الزنوج تحت ادارة البيض واما هؤلاء الزنوج فعند دخولهم الى المعدن يشترط عليهم بانهُ لا تكون مدّة شغلهم فيهِ اقل من ثلاثة اشهر وفي طول هذه المدة لا يجوز لاي منهم بالخروج من دائرة المعدن المحاطة بالاسلاك الحديديّة وتقوم القومبانيّة بتقديم حصات الاكل لهم وكل ما يلزمهم لمعيشتهم من المأوى والملبس الخ

واما هؤلاء البيض الذين تُناط بهم ملاحظة الزنوج وتنقية الماس كما قدّمنا فقد شيدت لهم القومبانيّة بلدة جميلة لاجل سكناهم وسكنى عيالهم فمن احب السكن فيها اقام والّا فلهُ الحريّة بان يقيم حيث يشاء وادارة هذه القومبانيّة بايدي رجال دهاة

محنكين بالامور طالما لعربوا للعالم بحسن درايتهم ومهارتهم انهم يعرفون من اين تؤكل الكتف

وسنة ١٨٩٥ اقيمت ماكنات جدد على اخر طرز لاجل طحن الحجارة الزرقاء الشديدة الصلابة وفي سنة ١٩٠٠ و ١٩٠١ كانت ارباح القومبانيَّة المذكورة ٤٠ بالماية دون راس مالها وقد بيع من الالماس في هذه السنة المذكورة ما تبلغ قيمتهُ ٤,٦٢٨,٨٤٥ جنيهاً. وفي سنة ١٩٠٥ بلغت قيمتهُ ٤,٨٠٢,٨٤٤ جنيهاً وقد كانت الارباح الموزعة على حاملي الاسهم ٤٠ بالماية ايضاً

واما اكلاف التعدين فتبلغ كل سنة زهاء ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ولعلَّ هذه النفقات تخفض بما تنويه القومبانيَّة من الاصلاحات وتحسين طرائق التعدين. وكان العامل من الزنوج يأخذ ٤ ليرات انكليزيَّة شهريًّا واما الابيض فست ليرات انكليزيَّة كل اسبوع وكان في سنة ١٩٠٦ عدد الزنوج المشتغلين في القومبانيَّة ١٧,٢٦٠ وعدد البيض ٣١٩٢ واما في المدة الاخيرة فان القومبانيَّة قد خفضت من عدد الزنوج خمسة الاف ومن البيض ١٠٢٠ نظرًا لوجود الازمة الالماسية في العالم (١

الماس المعدنيّ

﴿ معدن البرميه (Premier D. M.) ﴾ موقع هذا المعدن الى شرقي بريطوريا واول ارسالية أُرسلت منهُ الى لندن كانت في ٣٠ تموز سنة ١٩٠٣ وكانت قيمتها ٣٣ الف قيراط من اجود انواع الماس وقد استخرج منهُ بمدَّة الخمسة اشهر بعد هذا التاريخ الماس بقيمة ٩٠,٠٠٠ جنيه انكليزيَّة لكن الستين بالماية من صافي هذه الارباح هي ضريبة للحكومة الترنسفاليَّة وفي ٢٦ ك ٢ سنة ١٩٠٥ وجد بهِ اكبر جوهرة في العالم ووزنها ٣٠٢١٧ قيراطاً وحجمها ٤ انش طولًا بعرض ٢٧ انش بسمك ١٧ انش وعلى ما يقال انها من افخر اجواد الجواهر (٢

وقد اكتشف معدن ماس قرب كريكوالند وست (Criqua Land West) وقرب كلوكسدورب وقرب كريستيانا وتوجد منهُ آثار عديدة في بلاد الزباديلي

١) واذا اردت زيادة ايضاح من الالماس فراجع مقالتنا السابقة في المشرق (٦ : ٨٦٥)

٢) راجع مقالتنا عنها في المشرق (٨ : ٢٨٥) وقد صوّرت هناك على كبر ما الطبيعيّ

(Zebédili) شمالي بريطوريا وكذلك في مقاطعة واطربرغ وفي عدة مواضع غيرها وفي روديسيا ومستعمرة الاورنج

وقد قال المستر باونت (Beunet H. Brough) ان محصول العالم من الالماس حتى سنة ١٩٠٢ كان ٨٣٠ مليون قيراط او ١٧ طنًا بالتقريب فمن هذا العدد ٦٨ مليون قيراط استُخرجت من جنوبي افريقية ثم تأتي بعدها البرازيل ١٥ مليون قيراط ثم تأتي بعدها بورنيو و بلاد الهند بمعدل ٣٠٠,٠٠٠ قيراط

الماس النهري

يوجد الماس النهري على ضفاف نهر الفال بطول تعديله ٧٠ ميلًا قرب كمبرلي ومما يقال ان خمسة الاف عامل يشتغلون هناك

واما محصول هذا الماس سنة ١٨٩٠ فكان ٢٨,١٢٨ قيراطًا بقيمة ٧٩,٢٣١ ليرة انكليزيَّة بمعدَّل ٩٠ ليرة لكل عامل واما سنة ١٩٠٥ فكانت معدَّل اجرة العُمَّال ٧٨ ليرة لكل عامل وسنة ١٩٠٥ وجدت اثار عديدة لهذا الماس في روديسيا

٢ معادن الفحم

ان معادن الترنسفال وحدها انتقت من الفحم سنة ١٩٠٣ ١,١٣٧,٢٥٤ طنًا يقدَّر ثمنها بـ ٨١٥,٣٥٠ جنيهًا . وأحرق من نوع « الكوك » المستخرج من الفحم وهو يعطي حرارة قويَّة جدًّا ما يبلغ ثمنهُ ٢٠,٠٧٦ جنيهًا

والفحم المعدني في الترنسفال كثير واكثرهُ في البلاد العالية عن سطح البحر بعض الارتفاع و يقدرون مساحة هذه الاراضي الحاملة الفحم ٥٦,٠٠٠ ميل مربَّع واكثر معادن الفحم المكتشفة يبلغ العرق الفحمي فيها من ١٠ اقدام الى ٥٠ قدمًا سمكًا

لكنهُ في بعض الانحاء يوجد الفحم المعدنيّ مختلطًا بعنصر الدوليريط (Dolérite) فيتلف ولولا وجود الدوليريط هذا في بعض الحالّ لكانت جهات جنوبي افريقية اغنى بلاد الله من هذا القبيل

ويُستخدم هذا الفحم المستخرج لاجل الوقود في مستعمرة الكاب وناتال واكثر الفحم المستخرج من الترنسفال يُستخدم لتعدين الذهب ولو توقفت شركات الفحم فيها الى اصطناع نوع جيد من الكوك لاجل تصفية الذهب لزادت ايضًا مقطوعيَّته

واما الفحم المستخرج من ناتال فيباع اكثرهُ للبواخر التجاريَّة وغيرها القادمة الى ثغور البلاد كما ان الحكومة في ناتال تقدّم كل سنة للاسطول البريطاني ١٢ الف طنّ منهُ

—الفحم في مستعمرة الكاب— يوجد الفحم في هذه المستعمرة قرب بلدة مولطينو (Molteno) واندوي (Indwe) بكثرة ويتّصل بهذه المعادن فرع من السكة الحديديَّة الشرقيَّة طوله ٦٦ ميلًا ولكن معادن الفحم في مستعمرة الكاب ليست من الصنف الجيد فان انواعها احط جميع انواع الفحم في جنوبي افريقية . وقد كان محصول هذه المعادن سنة ١٩٠٥ ١٦٤,١١٢ طنًا بقيمة ١٣٦,٩٣٨ ليرة انكليزيَّة

وقد توجد ايضًا معادن الفحم في كالا (Cala) وقرب ماكلير (Maclear) وقرب كرادوك (Cradock) وقرب بوفور وست (Beaufort West) في جبال الكارو (Karroo) الشهيرة والامتحان لم يطلعهم حتى اليوم على نوع هذا الفحم أهو من الجنس الجيد ام لا ولكن يؤمل العارفون وجود مستودعات جيدة جدًا من هذا الفحم تحت الطبقات الارضيَّة التي يتكون منها الكارو

—الفحم في ناتال — اكتشف الفحم في ناتال سنة ١٨٣٩ واهمّ واغنى هذه المناطق موجودة ما بين بلدتي نيوكاستل (Newcastle) وايلندسلخت (Elandslaagt) واما المعادن المكتشفة في اوترخت (Utrecht) وفريهيد (Vrijheid) فلم تعدّن حتى الآن وقد تبتاع البواخر من ثغر دوربان بقيمة ١٥ شلينًا ونصف الطن الواحد من هذا الفحم

وكان محصول الفحم سنة ١٩٠٥ : ١,١٢٩,٤٠٠ طنّ واما في بلاد الزولولند فيوجد معدن للفحم يمتدّ الى ٢٥ ميلًا من جون سنطا لوسيا (Santa Lucia) وسمك العرق الفحمي فيه ٣٢ قدمًا وهو من افخر واجود اجناس الفحم

—الفحم في مستعمرة الاورنج— لم يُعدَّن في هذه البلاد الّا القليل من معادن الفحم الكثيرة في تلك البقعة واهم المواضع المكتشف به هذا الفحم هو على مقربة من بلومفنتين (Bloemfontein) ١٢ ميلًا الى الشمال الشرقي وقرب كرونستاد (Kroon-staad) وهيلبرون (Heilbron) وقرب بلدة فليجوان دريفت (Vljuins Drift) واما محصول الفحم فيها فكان سنة ١٩٠٥ ١٧,٩٢٦ طنًا

— الفحم في الترنسفال — ان بلاد الرند التي فيها بلا مشاحة اغنى معادن الذهب المكتشفة في العالم لما كانت بلغت هذا الشأن من الاهمية والعظمة لولا وجود معادن الفحم على مقربة منها فان في معادن الرند الشرقيَّة طبقة الفحم الحجري تعلو فوق طبقة الذهب ويستخرج المعدنان من النفق الواحد فلا يخفى على القارئ اللبيب كم يكون هذا الاتفاق العجيب مهمًّا في بلاد مثل الترنسفال حيث لا توجد مجاري مياه طبيعيَّة لتوليد القوة الكهربائية لتشغيل المعادن والمعوَّل عليهِ الآن بالتعدين هو الفحم وحده

وقد انفقت معادن الفحم سنة ١٩٠٥ ١,٤٧٤,٤٢٨ طنًّا من الفحم بثمن ١٣ شلينًا وتسعة بنسات ونصف الطن الواحد بمعدَّل شلين وتسعة بنسات لكل طن من التربة الذهبيَّة المستخرجة

واما المعادن الفحمية المهمة فهي معادن براكپان (Brakpan) وميدلبرغ (Middelburg) وهيدلبرغ (Heidelburg)

وتوجد كذلك معادن الفحم في جنوبي جوهنسبورغ قرب فرنيخن (Vereeniging) ومنها يُستجلب الوقود لخدمة السكك الحديديَّة الترنسفالية . وكذلك يوجد الفحم بكثرة قرب واطرفال (Waterval) الى شمالي بريطوريا . ومن محاسن هذا المعدن الوحيد انهم لمَّا حفروا فيهِ اول حفرة لاستخراج الفحم وجدوا بين طبقات الفحم عرقًا من اغنى العروق الذهبيَّة المكتشفة لحد الان يعطي اكثر من احدى عشرة اوقية من الذهب في كل طن واحد من التربة . وقد يوجد الفحم ايضًا في بطرسبرغ . واما محصول الفحم في الترنسفال فكان سنة ١٨٩٥ ١,١٥٢,٢٠٦ طنًّا فبلغ سنة ١٩٠٥ ٢,٥٣٩,٧٠٦ طنات بيعت بنحو ٨٤٣,٤٠٠ جنيه

— الفحم في سوازي لند — اكثر انواع الفحم الموجود في هذه المقاطعة هو من نوع الانطراسيت (anthracite) وقد اكتُشف اكثرهُ في البلاد المرتفعة قليلًا عن سطح البحر وسوف تمدَّن هذه المناجم على طريقة نظاميَّة عند تتمَّة السكة الحديديَّة اليها

— الفحم في باسوتولند (Basoutoland) — يظن العلماء ان الفحم موجود بكثرة في هذه المقاطعة لكنَّهم لحدَّ الآن لم يستخرجوا منهُ شيئًا

— الفحم في بشوانالند — اكثر معادن هذه الناحية ليس فحمها من النوع الجيد وليس من وراء تعدينها ارباح تذكر

— الفحم في روديسيا وبلاد شركة اواسط افريقية الجنوبية — معادن الفحم في هذه البلاد عديدة جداً وغنيَّة الى حدٍّ يصعب تصوّره فعلى جانبي نهر الزمبيز يوجد الفحم بكثرة غريبة وقد قال المستر ڤان ناس (V. Ness) ان نوع الكوك الموجود في هذه المقاطعة صالح كل الصلاح لاجل تسييل الفضة والذهب وقال المستر بنكستون (Pingstone) ان الفحم الموجود في هذه المقاطعة يفوق جميع انواع واصناف الفحم الموجودة في الترنسفال

واما اهم المعادن الفحميَّة في تلك الناحية فهي معادن وانكي الواقعة على مسافة ٢٠٠ ميل شمالي بولوايو وطبقات الفحم الموجودة فيه يقال ان سمكها ١٨ قدماً وتمتدّ مسافة عشرة اميال وانها توازي ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ من انقى انواع الفحم ومما زاد هذه المعادن شهرة هي طريق السكة الحديديَّة المارّة بها الى شلالات ڤيكتوريا وقد كان محصولها سنة ١٩٠٥ ١٧,١٩١ طنّاً من الفحم

وقد يوجد كذلك معدن يدعى (Sengue) يُروى عنهُ انهُ من اغنى المعادن الفحميَّة المكتشفة ايضاً

— الفحم في بلاد الزمبيز — توجد مستودعات غنيَّة للغاية في هذه المقاطعة والتعدين قائم بها على قدم وساق واهمّ معادنها الى مسافة عشرين ميلاً الى شمالي بلدة تاتي (Tati) كذلك يوجد مستودعات ارضيَّة للفحم قرب شلالات مرشيسون وقرب نهر شيره (Shiré) وكذلك بين شيره والزمبيز على بعد خمسين ميلاً من جبال شيره العالية وكذلك الى الشمال الغربي من بحيرة نياسّا (Nyassa)

٣ معادن الفضة

ان العارفين بتركيب الطبقات الارضية قد استدلُّوا على وجود معادن الفضة في كل جهات افريقية الجنوبيَّة من نواحي بُرت اليزابت الى بلاد قبائل المتابيلي ومن كاثينية الى ناتال . الّا ان تعدين هذا المعدن محصور في بعض الانحاء وخصوصاً قرب پريطوريا وقرب زيروست (Zeirust) وتعرف معادنها بمعادن ماريكو (Marico) التي يستخرج من تربتها نحو ٦٠ اوقيَّة من الفضة في الطن الواحد . ومن المعلوم ان معادن الفضة يُحتاج الى تعدينها كميَّة وافرة من الفحم لتصفية المعدن وتسييله . وفي الترنسفال

« الكوك » وافرٌ جدًا ومن ثمَّ لا شيء يعوق العملة عن توسيع نطاق تعدين تلك المناجم

وقد ثبت اليوم انَّ القدماء عدَّنوا مناجم الفضة في مستعمرة الكاب شمالي كاب تاون في الجهة الموازية لجزيرة برمونا (Pomona) وكذلك قد شاع آخرًا انهُ وجدت معادن فضيَّة في بلدة اوتافي (Otavi) في بلاد الجرمن الغربيَّة وفي معاملة ماشونالند وجدت كميَّات وافرة من الفضة مختلطة بمعادنها الذهبيَّة فاستخرجوا من الفضة سنة ١٩٠٦ ٢١٦,٦٢٤ اوقية

٤ معادن النحاس

اكتُشف النحاس في جنوبي افريقية في القرن السابع عشر والمعدن المكتشف وقتئذٍ هو اول معدن عدَّنه قوم بيض البشرة وقد أُرسل منهُ الى اوروبا سنة ١٨٥٢ احد عشر طنًّا واما الان فان المحصول السنوي يربو على الاربعين طنًّا

واهم معادن النحاس تخصُّ قومبانيات محدودة وهذه المعادن في مستعمرة الكاب وهي واقعة على مسافة ١٩ ميلًا بين برت نولوط وكاب تون وكذلك توجد معادن مهمَّة في ناماكوالند وفي مستعمرة الجرمن الغربيَّة

وقد كان وارد النحاس في مستعمرة الكاب سنة ١٩٠٥ ١٩,٥٥٠ طنًّا بثمن ٣٠,٠٦٩ جنيهاً وقد اكتُشف الان على اثار من معادن النحاس القديمة التي كان يقوم بتعديلها الوطنيون على ضفاف الليمبوبو وفي مستعمرة الالمان الغربية ودمارالند (Dam-araland) ويسعون الان بتعدين مناجم غاية في الغنى في بلاد روديسيا الشرقية تعطي الى ٥٤ بالماية من النحاس وقد اكتُشف ايضًا على معادن قديمة من هذا المعدن يبلغ عمقها من ١٠ الى ٥٠٠ قدم وجدوا بها معدات تعدين النحاس بكاملها مع الاتاتين المعدة لتسييل النحاس وقد توجد مستودعات ارضية نحاسيَّة الى جهتي ضفاف الزمبيز وفي مقاطعة فيكتوريا في روديسيا وفي اودية جبال مرشيسون في الترنسفال وقرب فرنسيستون وقرب بلدة فريهيد (Vrijheid)

٥ معادن الرصاص

معادن الرصاص كثيرة قرب ماريكو في الترنسفال حتى انهم استخرجوا في يوم

واحد اربعة طنات منهُ وقد استدلوا على وجود الرصاص في اكثر انحاء افريقيا الجنوبيَّة وهو يوجد مرارًا مختلطاً بالذهب كما ترى في جبال ماشونالند وقد يكون وقتئذٍ على شكل القصدير المتبلور

واما في روديسيا فبلغ وزن الرصاص المستخرج سنة ١٩٠٦ ١,٣٣٤ طنًا وقد اكتشف مؤخرًا على مستودعات من الرصاص غنية جدًا الى الشمال الغربي من روديسيا

٦ معادن التوتيا

توجد معادن التوتيا في مقاطعة مالماني واطر بورغ (Waterborg) غربي الترنسفال وكما هو معروف ان هذا المعدن يستخدم لافراز الذهب عن سيانيد دي بوطاسيوم فيصير من وراء تعدينهِ هنا توفير عظيم لتعدين الذهب ولذلك قد اقبلوا على استخراجهِ وقد اكتشف ايضاً على التوتيا في روديسيا الشمالية

٧ معادن التنك

اكتشف التنك بوفرة في بلاد السوازي لند الى ستين ميلًا شرقي بحيرة كريتي (Ghrissie) ومستودعاتهُ بين صخور صلبة ويقال ان الطن من التربة يعطي من ٢٠ الى ٣٠ لبرة من المعدن المخلوط او ٢١ لبرة من التنك الصافي . واما معادن مبابان (Mbeban) التنكية فيقال ان محصولها سنة ١٩٠٦ زاد على ٢٢٠ طنًا . وقد وجدت ايضاً مستودعات التنك قرب كراهامستون (Grahamstown)

وقد اكتشف مؤخرًا على معادن غنيَّة جدًا من هذا المعدن الى مسافة ١٦٥ ميلًا قرب كاب تون وقد استخرج منها سنة ١٩٠٥ ٤٨ طنًا من التنك

٨ معادن الحديد

وقف علماء الجيولوجيا على مستودعات حديديَّة في مستعمرة الكاب والاورنج والناتال والترنسفال وروديسيا ومقاطعة الشركة الانكليزية لاواسط افريقية لكنها الى هذه الغاية لم يعدن منها شيء . وقد تقرَّر الآن ان الحديد كان يعدن في هذه البلاد من اقدم الزمن وقد توجد اثار هذه المعادن في ماشونالند والاماتين التي كان الحديد يسيل فيها كانت على مثال امرأة وقد تكلم عنها المستر تيودور بنت (Th. Bent) وغيرهُ من السيَّاح

ومما يقال ان الحديد المكتشف قرب دندو (Dundu) في مستعمرة ناتال هو من اجود انواع الحديد في العمور

ومما يستحق الذكر هنا ان الزنوج الوطنيين لا يزالون الى يومنا هذا يستخرجون الحديد من قلب الارض ومنهُ يتخذون اسلحتهم وسهامهم

وقد توجد قرب شلالات ڤيكتوريا مستودعات فحم وحديد غنية للغاية ومما يعتقد به ويؤكد انهُ في المستقبل يكون لجنوبي افريقيا شأن عظيم بتصدير قضبان الحديد الفولاذية وغيرها من المصنوعات الحديدية

٩ معادن الزئبق

يوجد هذا المعدن في الترنسفال وماريكو والى الغرب وقرب باربرتون والى الشرق ويقال انهُ موجود ايضاً بضواحي كاب تون ونواحي كريكوالند الغربيَّة ومعلوم ان هذا المعدن يستعمل لتعدين الذهب في الترنسفال وتساوي الزجاجة الواحدة منهُ من ١٠ الى ١٢ ليرة انكليزيَّة

١٠ الملح

توجد احواض الملح في كل مستعمرات افريقية الجنوبيَّة واما اعظمها شأناً فقرب ويتنهاي وقد كان محصولها السنة الماضية ١٠٠,٠٠٠ كيل. كذلك للملاحات كراروك ومسالسبري وبلومفونتين وبورت اليزبت وبرادسدروب وكبرلي وبيكتبرغ شأن في استخراج الملح وملحها من اجود انواع الملح المنقى

١١ الفحم الحجري والبلمباجين

برشر من مدَّة بتعدين منجم من هذا الصنف في جبال اينجالي في ناتال واما سمك طبقة هذا المعدن فتربو على ٥٠ قدماً وقد اكتُشفت ايضاً مستودعات اخرى من هذا المعدن كما في جنوبي افريقية ويرجو العاملون نجاحاً عظيماً ومستقبلاً باهراً من وراء هذا الصنف ويستعمل اكثرهُ لطلاء الماكنات صيانة لها من احتكاكها المتواصل وصوناً لها من التحطيم

هذه اخصّ المعادن التي في بلاد الترنسفال. وهناك عناصر اخرى ثمينة لا يسعنا وصفها ونكتفي هنا بالاشارة اليها تتمة للفائدة. فمنها الاثمد (antimoine) يوجد

منهُ كميّات وافرة فيُرى تارةً منفردًا كما في مقاطعة دي كلب وتارةً مختلطاً لمًا بالذهب ومنهُ معدن في جبال مورشدن . وامّا بالفضة ومعدنهُ في جبال زوطبنبرغ (Zoutpanberg) وفي تلك الجبال ايضاً معدن الميكا (mica)

ومنها معدن الطلق (asbeste) وهو معدن لا تعمل فيهِ النار . وقد اكتشفوا منهُ عدّة معادن في بلاد اورنج والترنسفال . اشهرها معدن واطربرغ (Waterberg) وكلها تعدّن بالنجاح . وفي سنة ١٩٠٦ وجدوا منهُ منجماً غنيًّا شرقي مدينة كارولينا . ويباع الطنّ منهُ بنحو عشرين جنيهاً

ومنها الكبريت فانَّ منهُ مستودعات كثيرة اشهرها معادن تولي (Tuli)

ومما وقف الجيولوجيون على حقيقتهِ وفرة الازيات المعدنية في جنوبي افريقيــة . وسيُصبح لها شأن كبير بلا محالة . وقد باشروا منذ بضع سنين استخراج زيت البترول وتشكّلت لذلك عدّة شركات ربحت ارباحاً طائلة باستثمارها

امّا مقالع الحجارة فمنها اشكال شتى في انحاء البلاد كالحجارة الكلسيّة والحجر السّاقيّ وانواع الرخام والصلصال الفاخر الذي يصطنعون منهُ الآنية الخزفية والكاولين الذي يصلح لعمل الآنية الصينيّة

ومما يستحقُّ الذكر ايضاً المياه المعدنيّة التي تنبع في جهات افريقيــة الجنوبيّة ويعرف الاهلون خواصّها فيستحثّون بها وحتى الآن لم يشع ذكرهــا بين اطباء اوربّا وهي تجاري بمنافعها الحمامات الشهيرة

وفي جنوبيّ افريقية ذلك السرقين الذي يُعــدّ من افخر اجناس السّماد اعني بهِ الكواتو (guano) الذي سُمّي بذلك لكثرتهِ في جزيرة كواتو على شطوط مستعمرة الكاب وهو زبل الطيور ينفع الزراعة نفعاً عظيماً والمزارعون يقبلون عليهِ ايّ اقبال . وقد استُخرج منهُ سنة ١٩٠١ ٢٧٧٣ طنًّا وبيع الطنّ الواحد بست ليرات

وكذلك توفّقوا الى اكتشاف النترات او ملح البارود في جبــال دوورنبرغ (Doorn-Berge) وفي ماشونالند وفي جبال كاريكاري وتعدينهُ لا يستوجب عناء كبيرًا وارباحهُ كثيرة فانَّ كل طنٍّ منهُ يباع بثمانية عشر جنيهاً

وزد على ما تقدّم معادن اخرى لم يُعدّن منها حتى اليوم الّا النزر القليل كالشبّ والالومينيوم والزرنيخ والبــوث وسولفات الباريوم والمغنيسيا والمنكانيز والنيكل

والبلاتين والعناصر المشعّة كالاورانيوم وكثير من الحجارة الكريمة كالياقوت والزمرّد واللازورد والعقيق والبشب وغير ذلك

هذا ما رأينا تسطيره بعد العناء الطويل افادةً لابناء الوطن الاعزّا وغاية ما نرغب ان تدبّ فيهم الغيرة والحميّة لاستخراج ما تحتويه بلادنا الشامية من المعادن او على الاقل رجاء ان يضاعفوا الهمم في تحسين زراعة بلادنا وهي الثروة الثابتة التي تُغني البلاد وتشمل بالمنافع عموماً وهي بذلك تفوق ثروة المعادن التي لا ينتفع منها الّا بعض الافراد واصحاب الشركات الماليّة . وفّقنا الله الى ما به الخير والنفع وهو السميع المجيب

الزراعة في العراق

بقلم يوسف رزق الله غنيمة البغدادي

من الامور المقرّرة التي لا يشوبها ريب البتّة ولا يختلف فيها اثنان هو ان توسيع نطاق غنى البلاد وازدياد ثروة الاوطان قائم بترقية الزراعة وتقدُّم الصناعة وامتداد التجارة . وللزراعة المقام الاول بين غيرها من جواذب الذهب ومستلات التقدم والعمران فيها تكثر الارزاق وتتوفر اسباب الراحة والهناء فتجري الانهار لبنًا وتفيض عسلًا وتعطي الاراضي الغلّات الوافرة فيجني الغارس الخيرات والبركات ويحصد الزارع ثمرة اتعابه ويشبع الاهلون حامدين شاكرين وما زاد عن حاجاتهم من حاصلات زراعتهم يصدّرونهُ الى غيرها من البلاد فتعوّض بالاصفر الرنان والابيض الفتّان وعلى هذا المبدأ يجوز ان يقال ان الزراعة كنز لا يعرف النفاد وبحر زاخر لا ينضب ماء غنائهِ والأمة التي تسكن اخصب ارض هي عندي من الامم الواثقة في بحبوحة الرغد والطمأنينة وان شاءت لامكنها ان تجري شوطاً بعيدًا في الالفة

ان العراق قد دخل اليوم في طورٍ جديد نظرًا الى اهميةِ مركزهِ اذ انَّ مسألة القطار الحديدي البغدادي قد نبّهت الافكار لدرس مستقبلهِ السعيد ووجهت الخواطر والانظار الى استطلاع دواعي ثروتهِ الزراعيّة فكتبت النبذ الكثيرة في المجلّات والصحف

الّا ان اغلبها لا تشفي العليل ولا تروي الغليل لانها أُخذت نقلًا عن القال والقيل وليس الخبر كالعيان اما هذه الاسطر فقد كتبت بعد الوقوف على اهم المصادر القديمة والحديثة العربيَّة والاوربيَّة وتطبيقها على الحالة الحاضرة . وقبل الخوض في البحث لا ارى بدًّا من تحديد العراق وما يُراد بهذا اللفظ . وقد ذهب مؤلفو العرب مذاهب شتى في تحديده . قال بعضهم : العراق الطور والجزيرة والعبر واوصلهُ غيرهم الى البحرين . امَّا المدائني فارتأى انهُ يمتد من هيت الى الصين ويشمل السند والهند والريّ وخراسان وسجستان وطبرستان الى الديلم والجبال وقال غيرهم : العراق اوَّلهُ شرقي دجلة والعلث على حد طسوج بُزُرجسابور وهي قرية تناوح حربى . وقوفة على العلويَّة وفي غربي دجلة حربى ثم يمتدّ الى آخر اعمال البصرة من جزيرة عبّادان وكانت تعرف سابقًا بميسان . والعراق هو السواد ايضًا . كل هذه الحدود وغيرها لا تغني اليوم بالمرغوب في هذا البحث الزراعي فرايت الاجدر بان اقتصر في هذه المقالة على ولايتين من ولايات الممالك المحروسة العثمانية وهما ولاية بغداد والبصرة وما تحتويان من السناجق والاقضية والنواحي وعليه فيحد العراق شمالًا ولاية الموصل وجنوبًا خليج فارس وجنوبًا غربًا الصحراء الشامية وشرقًا العجم وغربًا متصرفية دير الزور ومساحة هاتين الولايتين تبلغ نحو ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربع

وقد عرفت هذه البقعة منذ القرون المتناهية في القدم وأزهر فيها اوَّل تمدُّن اي التمدن البابلي وقد ذهب قدماء المؤرخين الى ان فيها خُبِّز اول خبز . وبيروس الكاهن الكلداني يطرى اطراء لا مزيد عليه صلاحية هذه الارجاء لزراعة الحبوب ووافقهُ على رايه جمهور العلماء المتأخرين وفي سنة ١٨٠٧ عثر الرحالة اوليفيه (Olivier) في مسيل غير صالح للزراعة على حنطة وشعير قد نبتا عفوًا اي دون زراعة كما اوجدتهما الطبيعة في طورهما الاول وقد عثر بعدهُ غير واحد من العلماء على مثل هذه الحبوب فلعمر الحق ان هذا لشاهد ساطع على خصب السواد . ولم تصر مركزًا ومحطًا لرحال الاقوام والامم المختلفة الّا لما خصتها الطبيعة بارفى نصيب من جودة المناخ وخصب الارضين وريها وقد حكم الجغرافيُّ البارع روكلو (E. Reclus) بهذه المسئلة بفكر صائب اذ قال : ليس من ارض وافق فيها هيئة ارضها حظوظ اهلها من جهة السعادة والبؤس مثل هذه البقعة فان هذه بالحقيقة قد ظهرت هناك ظهور الشمس في

رابعة النهار اه . اي نعم لولا خصب هذه البلاد وريها لكانت صحراء قفرًا جرداء لا يسكنها بشرٌ ولا يحلُّ بها شعبٌ من الشعوب وكما ان سبب حياة مصر هو النيل كذلك العراق فان سبب حياته هو دجلة والفرات . ولكن اين خصب مصر من خصب وطننا فشتّان ما بين الثريّا والثرى فحدّث عن ريهِ ولا حرج ويوافقني على قولي هذا السيّاح القدماء وكتبة العرب والزرّاعون الذين وطئوا هذه البلاد لا بل الاراضي واسماؤها شاهدٌ ناطق على ذلك . ورد في رحلة هيرودوت (١ : ع١٩٢) الكلام الآتي: وتسمي عند (البابليين) الزروع جدًّا حتى لا تضاهيها ارضٌ مخصبة بكل اقطار العالم فان الحبوب تعطي مائتي ضعف وعند الانيال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف . . . وورق الشعير بعرض اربع اصابع اما الذرة والسمسم فلا اذكر عظم خصبهما ونمو جذوعهما لانني اعلم يقينًا ان كل من لا يعرف تلك الاقطار لا يصدقني ولذلك ضربت صفحًا عن ذكرها . وجاء في معجم البلدان : العراق اعدل ارض الله هواء واصحها مزاجًا وماء اه . وكان الفرس يسمون العراق دِل ايرانشهر ويشبهونهُ بالقلب وسائر الدنيا بالبدن وسمّى العرب العراق سوادًا لانهم لما اقبلوا اليهِ ورأوا من بعيد اراضيهِ مغشاة بالزروع والنخيل كانهُ بقعة سوداء لقّبوه بالسواد . وجاء في مادة فلوجة : قرية من قرى بغداد وهي الارض المصلحة للزرع وكذلك اسم الانبار اي الاهراء فانهُ يدل على خصب الارض هناك . فهذه كلها وغيرها من الادلة والشواهد على خصب العراق ليست بشيء بازاء ما نشاهدهُ عيانًا من خصب الارضين رغمًا عن جهل الفلّاح العراقي واتخاذهُ الادوات السقيمة من النمط العريق في القدم واستعمالهُ الطرائق الزراعية التي يُرقى استنباطها الى الالوف من السنين وهذا ما اذهل المهندس الزراعي الشهير المستر ولكوكس بعد ان درس العراق الزراعي درسًا جديًّا

ان الغنى الزراعي يتأتى من حسن التربة والري والمناخ وكيفية تدبير الفلّاح هذه الامور واتخاذهُ الوسائط الفعّالة لتحسين الزراعة وقصدي ان اتكلّم عنها كلها في هذه العجالة راجيًا غض النظر عن الزلل واصلاح موقع الخلل والعفو من شيم الكرام

— تربة العراق — نظرًا لوقع العراق الجغرافي فان طولهُ شرقي باريس من ٤٠ ، ٣٨° الى ٣٠ ، ٤٦° وعرضهُ من ٥° ، ٣٥° الى ٣٠° وارضهُ مكونة جيولوجيا من تراكم طماء النهرين دجلة والفرات المتصل ولهذا تراها سهلة لا جبل فيها ولا ارتفاع يذكر الا جبل

حرين الذي يمتد في مركز سنجق بغداد من الشمال الغربي الى الشمال الشرقي ثم يدخل في ولاية بغداد وعرضهُ نحو ٥ كيلومترات فقط . هذا وان اغلب اراضي العراق صالحة للزرع وهي ذات حصوبة وريع يضرب بهما المثل لان تربتها جيدة وغنيـة بالمواد الكيماوية لتغذية النبات وتقسم على النسبة الآتية تقريباً

١٠/٥ اراض صلصالية رملية وهي جميع مزارع القمح والذرة والسمسم والحدائق والبساتين

١٠/٢ اراض طرّوية نسبة الى الطرا (humus) وهي البطائح ومزارع الارز ومنابت السوس وغيرها

١٠/١ اراض رملية نقية

١٠/١ اراض صلصالية نقيَّة من هذه الاراضي تتخـذ مقالع الصلصال لعمل الآجر

١٠/١ اراض صخريَّة وهي اطراف هيت والفلوجة اذ تكثر مقـالع الجص والكلس والغضار

هذا نظر عام وتقسيم تخميني في اراضي العراق يظهر منهُ بنوع كافٍ مواد تربتها ولهـا في فيض النهرين دجلة والفرات اعظم نصيب من تجديد قوتها وتعويض المواد التي تنقدها كل سنة بتغذية النبات والمزروعات فالنهران في ابان الفيض يخرجان معهما من السواحل والضفاف جذوع الاشجار ونفـاية المزدرعات وجثث الحيوانات وفضلات اوساخ المدن واقذار القرى ثم تمر مياههما على اراض معدنية متوفرة المواد الكيماويَّة من الازوت والحامض الفسفوري والحديد والبوطاس والحامض الكبريتي وغيرهـا فتحمل منها للاراضي احسن هبة وتكسوها بالغرّيل ولقـد وهم المسيو مالت برون (Malti Brun) صاحب كتاب الجغرافية اذ انكر على دجلة والفرات الطما . فان ميـاههما تكون في زمن الفيض صافية تكن في ابان الفيض تتكدر اعتكاراً كلياً حتى تبـاين للناظر بلون يضرب الى الحمرة . والفيض موسمهُ الربيع من منتصف شباط الى اواخر ايار فتطفح المياه على الاراضي وترويها وتغشيها بغشاوة يختلف ثخنها حسب اختـلاف الاراضي وتتراوح بين الـ ١٠ س الى ٥٠ س والفيض اذا كان معتدلاً يفيد فائدة عظيمة ولكن قد يتجاوز حد الاعتدال ويهدم الاسداد ويغرق المزدرعات فتصبح تلك النعمة

نقمة على الزراعة العراقيّة وذلك منذ عهد البابليين الى يومنا هـذا . وفي الفيض نظرٌ آخر وهو ان الغرَيل الذي تحملهُ المياه معها تتراكم عند فوهة الانهر وفي داخلها فتطمرها وعلى هذا الوجه اندرست الانهر التي احتفرها البـابليون واليونان والفرس والمسلمون وطمست محاسنها بعد ان كانت تحمل الى البراري المقفرة مياه دجلة والفرات وترويها

— مناخ العراق — انهُ ملائم جدًّا لاغلب الاصناف النباتية لاسيما الفصائل التي تنبت في البلاد المعتدلة والحارة وجانب من نباتات البلاد الباردة ايضًا . فميزان الحرارة يهبط في تلب الشتاء الى ٦° تحت الصفر وهذا البرد لا يدوم الّا ايامًا قلائل تعد على الاصابع وربَّما لا يحدث في كل عام . اما في رمضـاء الحار فيصعد الى ٤٠° من المقياس المئوي الّا ان ميزان الاعتدال يتراوح بين ٢٥ درجة و ٣٠ درجة والهواء نقي وجافٌ في اغلب النواحي الّا انهُ في مدينة البصرة وضواحيها وفي بعض المستنقعات يكثر سقوط الندى والطل ليلًا . والمطر يبتدئ بالسقوط في اوائل تشرين الثاني وينتهي في منتصف أيار غير انهُ في اغلب السنوات لا تكون كميته كافية لسقي المزدرعات التي تبعد عن الانهر . ففي سنة ١٩٠٣ سقط ٣,٧ انش وسنة ١٩٠٤ — ٤,٩٦ وفي ١٩٠٥—٣,١٩ وفي ١٩٠٧ — ٤,٦٥ . وهذا المقياس مأخوذ عن دفتر القنصليـة الانكليزيّة في بغداد . ولا اعلم كيف ذهب هيرودوت الى انَّ في بلاد آشور لا تمطر السماء ابدًا فالظاهر انهُ زار هذه الاقطار في الصيف اذ لا اثر للمطر عندنا

— ري العراق — ان ماء دجلة والفرات هو اعظم سبب لري العراق والقائم بديمومة خصبه والباعث الى غلته لا بل هو علّة ازدهاره وكينونة حياته . يخرج نهر دجلة قرب معـادن سوان واهم مصدر لهُ هواوج گول ثم يجتمع اليهِ نهر آخر يدعى عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد (اي ديار بكر) . وفي مسيره تارةً يقترب من الفرات وطورًا يبتعـد عنهُ وعند ما يمرّ بديار بكر تصب فيهِ مياه دجلة الشرقيـة ثم الزاب الاكبر والزاب الاصغر ودجلة يدخـل في حدود ولاية بغداد ١٥ كيلومترًا في شمالي تكريت ويجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي فيمرّ بدورا وسامرًا ثم على تسع كيلومترات وانت منحدر من بغداد يصب فيهِ نهر ديالة ثم يمرّ بالمدائن وكوت الامارة والعمارة فالقرنة وهناك يمازج الفرات . ودجلة منذ دخوله في خطة العراق حتى اجتماعه بالفرات يقطع نحو ٦٣٠ كيلومترًا

امّا الفرات فمخرجه من قرب مصدر دجلة عند معادن سوان كما سبق القول عنهُ قبيل هذا. ثم يصب فيهِ قسمٌ من مياه بحيرة صغيرة كولجك وتنحدر فيهِ الامطار والتلمات التي تقوم شاخصة على ضفتيه وينضم اليهِ نهر مراد وقبل ان يغادر الارجاء الجبلية تصب فيهِ بعض الانهر التي تجتمع في قمة الخطة العظيمة التي يخطها في غربي سلسلة طورس ومن هذه الانهر : الطوكمه صو ويصبّ فيهِ في اعالي جبل طورس الساجور ونهر البلخ قرب اورفا والخابور الذي يرد من طور عبدين والفرات يدخل الخطة العراقية في غربي بغداد نحو ٤٠ كيلو مترًا في غربي عانه فيمرّ بالحديثة وبغداديّة وهيت والفلوجة والسيب والحلّة والديوانية والملوم والناصريّة وسوق الشيوخ وقرنة ومن اوّل مروره بديار العراق حتى القرنة يقطع نحو ٦٦٥ كيلومترًا امّا شط العرب فطوله نحو ١٥٠ كيلومترًا

ثم ان دجلة والفرات لم يزالا يغيّران سيرهما تارةً في جهةٍ وطورًا في غيرها وذلك امّا من تلقاء ذاتهما واغلب ما يكون في ابان الفيض وامّا طوعًا لاشغال البشر كالاعمال التي باشر بها نبوخذنصر وقورش والاسكندر الكبير لا بل هيرودوت يخبرنا بان نيتوكريس ملكة بابل احتفرت ترعًا في اعالي بابل وبواسطتها تحوّل نهر الفرات الذي كان يدفع مياهه فيها على خطٍ مستقيم وصار جريه متلويًا بحيث انهُ اضحى يمرّ ثلاثًا بقرية اردريكة . وجاء في معجم البلدان في مادة شهرباذان : الفرات تحوّل عنها فاضمحلّت مزدرعاتها وخربت . ودجلة ايضًا قد غيّر مجراه مرّات كثيرة نقرأ في مادة جوخا في ذلك الكتاب نفسه . . . لم يكن في بغداد مثل كورة جوخا كان خراجها ثمانين الف الف درهم حتى صرفت دجلة عنها فخربت وسعًا لمثل هذه الامور كانت قد بنت الملكة سميرامس في عهدها سدًّا عظيمًا على نهر الفرات . ولو اردت الاطالة في هذا الصدد لخرجت عن موضوعي الزراعي ولكن اكتفي بهذا الوشل القليل لان نفس هذا التغيير يشاهد الى يومنا هذا

ان الامم المختلفة والاجيال المتعددة التي نزلت العراق منذ العهد العهيد والزمن القديم الى عصرنا الحاضر قد اعتنت في امر الري والسقي على درجات متفاوتة من الاتقان والترتيب على تفاوت حضارتها واختلاف مدنيتها وكل طور من اطوار الممالك المندرسة قد خلف لنا بعض الآثار التي تنبئ باهتمام تلك المملكة بالري وسقي

المزدرعات . هذه مملكة الكلدان المنقرضة فان ملوكها قد اعتنوا بكريّ الانهر (كذا ندعو الجداول والقنيّ التي احتفرتها ايدي البشر طبقاً لما سمّتها العرب في العراق وكانوا ولا يزالون يدعون دجلة والفرات الشطّ بمعنى النهر الكبير) فان حمورابي الملك البعيد الصيت (١٦٦٥ — ١٧١٠ ق م) كرى انهراً كثيرة ومنها نهر حمورابي وغيره وفرّق مياهها على شُعب ثانويّة وجعلها تسقي اراضي جرداء فحولتها الى غياض فيحاء وجنّات غرّاء . . . وكان جلّ اهتمام هذا الملك احتفار الانهر وشقّ الترع بحيث كان كتبة زمانه يؤرخون كتاباتهم بتاريخ حفر نهر او شق ترعة وكذا قل عن خلفه شمشو الوتا (١٦١٠—١٦٤٥ ق م) فانهُ كرى نهراً كبيراً للسقي دعاه نكّاب نحسي ثم احتفر ايضاً اسوردانيل ورمان نيرار الثاني (٨٨٩ — ٩٣٠ ق م) انهراً كثيرة واصلحا الاسداد التي كان قد اتلفها الفيض

وبعد الكلدان جاء الفرس فاذُوا ايضاً الخدم المشكورة في الري فانهم احتفروا نهر وان او نهر كسرى الذي به زهت الزراعة وبُنيت الضياع على جانبيه وكان مبتداه قرب حلوان وربّما سمّاه السريان تأثرا ايضاً وكان سبب خرابه على ما رواه ياقوت اشتغال الناس بالمحاربات في ايام السلاجقة

ومنها نهر زاور ونهر شيلي ونهر المرأة حفرهُ اردشير الاصغر وفي ايامهم كان نهر سورا ونهر الملك الذي يُنسب احتفاره الى الاسكندر الكبير وكان موقعه بعد نهر عيسى وكان عليه ٣٥٠ قرية على عدد ايام السنة . ومن مياه العراق البطاغ وهي مستنقعات او اراضٍ كان يغمرها الماء في اسفل العراق بين البصرة والكوفة وسببها ان دجلة انبثق في ايام قباذ فيروز بثقاً كبيراً بقرب كسكر فاغفل امره حتى غلب ماءهُ وغرّق كثيراً من الارضين العامرة كانت تليه وتقرب منهُ فلمّا وُلّي انو شروان العادل امر بذلك الماء فزُحم بالسنيات حتى عاد بعض تلك الارضين العامرة . ثم خلفه ابنه ابرديز وفي ايامه زاد الفرات ورجعت الحالة على اولها . ولما نزل المسلمون السواد بذلوا الجد والجهد في انهاض الزراعة لا بل ادخلوها في عصرها الذهبي فنافت ايامها الغابرة . وفي عهد عمر بن الخطاب حُفر نهر الابلة وكان مبداه من نهر الأبّانة والابّانة خور في دجلة العوراء سمّاهُ المسلمون بعد الجاهلية الجزارة ومن بعده حذا الخلفاء حذوه وكثرت تشعبات دجلة والفرات ومن بعضها : نهر معقل ونهر الاسارة ونهر عمرو ونهر ام حبيب

ونهر ام عمير ونهر طاحة ونهر حميدة ونهر بشار ونهر الصلاء ونهر المكحول ونهر الارحاء ونهر ابي الخضيب (وهو لا يزال معروفاً بهذا الاسم) ونهر ابي الاسد ونهر الدير. هذه كانت في اطراف البصرة وفي البصرة نفسها. ونهر ماري بين بغداد والنعمانية وكان مخرجه من الفرات ونهر النيل في سواد الكوفة حفرهُ الحجاج بن يوسف وهو الذي حفر ايضاً نهر الصين والزابي. ونهر ذراع كان بالعراق. ونهر القاطول حفره الرشيد في سُرَّ من راى

وقد ورد في مقدمة تاريخ بغداد لابي بكر ابن الخطيب اسماء الانهار الموجودة في الزوراء في عهد المؤلف وذكرها ايضاً قبله ابن سرابيون واليعقوبي فنقتطف منهم الفوائد الآتية: من اهم انهار دار السلام نهرا عيسى والدجيل ومنهما يتشعب انهار ثانوية تتخرق المحال والدور فتسقي الارضين. وكان مأخذ نهر عيسى من الفرات ويمرّ بفروز شابور وهي الانبار وعلى ضفافه القرى والضياع وعند المحوّل كانت تتفرع منهُ الانهار التي تتسرب الى مدينة بغداد ثمَّ بقرية الياسرية والرومية وقنطرة الرمّان فيصب في دجلة اسفل قصر عيسى وآثار هذا النهر لا تزال ظاهرة الى يومنا وتعرف بالمسعودي ويقال ان عدد الانهار التي كانت تتفرع منهُ بلغت نحو ٦٠٠ نذكر بعضها: نهر الصراة وكان يسقي ضياع بادوريا وبساتينها (ومنهُ يتفرع نهر خندق طاهر). وكرخايا احتفره عيسى عمّ الخليفة جعفر المنصور في عهد تأسيس بغداد ومن كرخايا كان يتفرع انهار كثيرة تنبث في ضياع كانت على جانبيه منها نهر الدجاج ونهر الكبير ونهر قطيفة الكلاب ونهر طابق الخ. اما الدجيل فكان مأخذهُ من دجلة ويتفرع منهُ انهار كثيرة منها: نهر بطاطيا اوله كان في اسفل فوهة دجيل بستة فراسخ فيجيء الى بغداد فيمر على عبّارة قنطرة باب الانبار والى شارع الكبش فيتقطع ويتفرع منهُ انهار كثيرة تسقي الحربية وما حاذاها من الارضين ثم نهر بوطر ونهر بيل الخ

ولم يعتنِ العباسيون بحفر الانهار فقط للري بل كانوا يرقون المياه الى العلو بواسطة اعمال هندسية مائية ومن امثال ذلك ان عضد الدولة زرع لهُ بستاناً واراد ان يسقيه اولاً بالدواليب ولما علم ان تلك الوسيلة لا تفي بالمرغوب اتخذ مهندسي عصره فحصروا المياه على نسق هندسي فصارت تسقي البساتين بدون آلة. هذه لمحة وجيزة في اعتناء الشعوب القديمة في امر الري اقتصرت على ذكرها لضيق المكان لان اغلب الانهر

ان لم ارد ان اقول كلها قد عفت رسوم آثارها ودخلت في خبر كان وذلك لرسوب غرَيل دجلة والفرات عند افواه الانهر واشتغال الناس بالمحاربات ولاسيما في عهد هولاكو والعجم

اما اليوم فاخذت الزراعة تتردّى بجلباب عزها وتتقدّم رويدًا رويدًا تحت ظل الدولة العليّة العثمانية . واليك اسماء الانهار التي تتشعب من الانهار الكبيرة كدجلة والفرات وديالة : من الفرات من جانبه الايسر نهر الكنعانية وعليه قرية الصقلاوية ويصب في دجلة الى جنوبي بغداد ونهر الرضوانيّة مأخذهُ جنوبي فاوجة وينتهي عند مزار الست زبيدة ونهر المحمودية ونهر اسكندر ونهر المسيب ونهر الحاويل من أيام هارون الرشيد . ونهر الشاه كُريَ في عهد الشاه عباس الكبير . ومن طريق اليمين نهر الحسين احتفرهُ السلطان سليمان الاول مدّة اقامته في بغداد سنة ٩٤٢هـ (١٥٤٤م) موقعهُ بين المسيب وكربلا في منتصف الطريق تقريباً . وبعدهُ نهر الهندية قبل ان احتفارهُ كان على يد احد الهنود الاغنياء ونهر ابي نديم الخ ولولا خوفي من ان اورث الملل في نفس القراء لانهالت اسماء الانهار الموجودة على مسامعهم انهيال السيل لانَّ في سنجق الحلة وحده يعد اكثر من ستين نهرًا يأخذ من الفرات ويقطع تلك الاصقاع طولًا وعرضًا

ومن دجلة من الجانب الايسر يتفرع نهر التحويطة ومن الجانب الايمن نهر دجيل والسماكية ونهر مشري والاحجلة الذي مصدرهُ قرب العمارة . ونهر الداجه . ونهر الحي يخرج من دجلة قرب كوت الامارة ويمر بكوت الحي ويجتمع بنهر أم الجنّال . ونهر أم الجنّال من دجلة ايضاً في ٢٠ كيلومترًا من غربي الامارة ويجتمع بالفرات على ١٠ كيلومترات في شرقي سوق الشيوخ . ومن ديالة يخرج نهر دلتاوه والخالص ونهر بلدرز والهارونية ومبروت ونهر شروان وخريسان . ومن انهار العراق نهر الغظ في مندلي (وهي بندنجين) ونهر الوند في خانقين ومأخذهما من جبال العجم . ونهر الكلال الذي يسقي بدرة وجصّان . وفي البصرة انهر كثيرة تتشعب من شط العرب اخصها المهجران وحمدان ولوسغان والعشار والحوزة والسراجي ونهر خوز وكتيبان ونهر جاسم الخ

هذا كلهُ ليس بشيء من جهة الخدم والمنافع الجمة التي تقدر ان تفيد انهار العراق لو بذل الاهلون الهمة في تصليح بعض الانهر القديمة كنهروان واصلاح الاسداد

وتخطيط انهر جديدة كثيرة لا سيما بين دجلة والفرات وانشاء مخازن لحفظ المياه عند الفيض فتتوزع على الارضين في وقت هبوط المياه وهذه واسطة ايضاً تحفظ الارضين من الغرق عند الفيض فان زراعة العراق تتحسن وتتقدَّم عشرين ضعفاً عمَّا هي الآن وهذا كلام لا القيه على عواهنه بل يثبتهُ واقع الحال . وكثيرًا ما وقفت على دجلة آسفاً على الملايين من المترات المكعبة من المياه التي تنحدر بسرعة عجيبة وتصب في لجج البحر دون ان يُنتفع بها . فيا اسفاه على مياه دجلة والفرات العذبة التي تغنت بها الشعراء تذهب جزافًا وتختلط بمياه البحر المالحة !!

ان الارضين التي تزرع على ضفاف دجلة والفرات تكون غالبًا عالية لا تصلها المياه عندما تكون في حدّ الاعتدال ولهذا اتخذ سكان بابل الآلات والادوات باكرًا لسقي المزارع وقد استعملت لسقي جنات بابل المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع التي ابتناها نبوكد نصر وقد غُرست فيها الاشجار والاوراد النادرة وكان موقعها على رأي الموسيو اپرت (Oppert) في تل عمران اليوم . وقد وصف هذه الآلات الجغرافي استرابون وذكرها هيرودوت في رحلتهِ ايضاً وهي اكدد . وما ادراكم ما اكدد ! آلة في غاية البساطة : يُرفع قائمتان على النهر يختلف علوهما بين المترين والثلاثة الامتار يجمع بينهما بخشبة معترضة ويركب على القائمتين بكرة من خشب التوت ويلقى عليها حبل وبالطرف الواحد من الحبل يشد راس الدلو واما الطرف الآخر من الحبل فيشد بحيوان . ثم تربط الدلو من اسفلها بقد من الاديم . فيمر القد من الاديم على بكرة صغيرة مركوزة على علو بضع سنتيمترات من الارض ويجتمع جانبهُ الآخر بالدابة ايضاً . والدابة يصعدها الرجل وينزلها في ميدان يُحفر في الارض يوازي بعد الماء عن الارض فاذا كان الرجل والدابة الى آخر الميدان صعدت الدلو ممتلئة ماء وصبت في حوض . والداوب المستعملة لهذه الغاية فهي البراذي (الكُدْش) والثيران وكلُّ دابة مع قائدها تشتغل اربع ساعات متوالية وهذا ما سموه بالمدة . ويعرف الفلّاح الوقت بالمزاول فاذا حان الوقت نادى رفيقهُ الذي تجي نوبته وهو لا يغلط ابدًا في الوقت ولتحقيق ذلك نظرت لهذه الغاية وضبطت الوقت في ساعتي فكان الوقت دائماً مدققاً

وفي البصرة يوجد طريقة اخرى لسقي الارضين وهي الاستقاء بالسلة او بالدلو

وهذا ما يُسمّى بالشادوف عند اهل مصر وبالمترقة عند قدماء العرب . ويلزم الفلّاح صبر القديس يوحنّا الصغير من سياح مصر لبلوغ اربه لان السلّة لا تستقي كل مرّة اكثر من لترين او ثلاثة لترات . وقد دخلت حديثاً النواعير الخشبيّة والحديديّة والمحركات التي تتحرّك بالبترول فبلغ عددها نحو ٤٠ محركاً وهي طريقة اقتصاديّة توفر مصاريف جمة الّا ان العائق عن انتشارها ارتفاع اسعارها فان اصحاب الاملاك اغلبهم ضعيفو الحال وليسوا من المثرين

ولاهل العراق واسطة يقدرون ان يستعينوا بها لسقي الارضين وهي ان تتألف بينهم شركة ويجلبون محركات منتقلة تركّب في السفن فتمر السفينة من محل الى محل آخر عندما يراد سقيه . وفي ابان الفيض العالي المصطلح عليه بالحيال في العراق يصل الماء الى جميع الاراضي بدون استثناء وذلك توًا من النهر بواسطة انهر محفورة لهذه الغاية بدون عناء ولا تعب

ومن المزروعات السنويّة ما هو عذي وهو الزرع الذي لا يسقيه الّا المطر ونحن العراقيين نسميه بالدّيم . وهناك نوع آخر من الزرع لا يسقى ابدًا بل يستمدّ ماءهُ من ارض دخلها السيل مدة طويلة فترك هناك غريلًا يبقى رطباً مدّة مديدة فيبذر زرعاً يوافق تلك الارض وينتفع بماء قليل كالسمسم والهرطمان والذرة ونحوها ويسمون هذا بالكبس ويلفظونهُ (الچبسي) ويقولون اكباسيّ (الچباسي) وفي البصرة اذا صعد الماء عند المد دخل المزدرعات وغيطان النخل فسقاها واذا جزر نزل عنها بعد ان يكون قد افادها كل الفائدة

— ادوات الزراعة — اي محراث وادوات يستعملها الفلّاح العراقي لحرث الاراضي وقلبها وحصاد زرعهِ ودرسهِ ؟ هذا امرٌ سهل الجواب عليهِ لانحصار دائرتهِ وقلّة مواده وضعف عدّتهِ . فان الادوات التي تتخذها ايدي الفلاحين العراقيين في غاية البساطة وبطيئة العمل جدًّا يرتقي تاريخ وجودها الى الفي سنة وهي اثر من الآثار التي تنبئ باستمساك الشرقيين بعاداتهم القديمة وميلهم الى الالتصاق والتقيد بقيودها وان كانت تربطهم وتعيقهم عن الجري في مضمار التقدم والنزول في ميدان المسابقة

المحراث : خفيف الثقل بسيط التركيب مؤلف من خشب وقطعة حديد او ربّما كان كلهُ من خشب يسحب على الارض بيد الانسان او يسحبهُ حيوان او حيوانان ويمرّ

مراراً كثيرة على الارض الواحدة حتى يتمكن من حرثها ولولا هشاشة التربة العراقيّة لما قوي عليها هذا الحراث ولكن اين بطاءة من سرعة الاعمال التي تقضيها المحارث الحديثة الاختراع المتقنة الصنعة التي تتحرك بالبخار على النمط الجديد

دوس الحنطة : لذلك ثلاث طرائق الاولى ان تُهرس بالمهراس وهو خشبة تضرب بها الحنطة فيفصل الحب من السنبل . والثانية ان تكوَّم كوماً وفي نصفها يركز مرجاس وبالمرجاس تربط بغلة فتسحق الحنطة برجلها وبعده تذرّى الحنطة بالهواء بمذراة من خشب فيسقط القش بجانب والحب على البيدر الّا انّ ارقى هذه الوسائط وارتبها نوعاً وهو المعوَّل عليه اليوم في العراق هي دوسها بالجرجر والجرجر اشهر من ان يوصف ويسمّى في لغة الافرنج (Rouleau à dépiquage) فلتشاهد صورتهُ في معاجمهم وهي تقوم مقام الوصف

المرّازة — وهي مؤلفة من دائرة بلسان رفيعة من خشب مغروسة براس عودة وبها حبل فيتقابل عليها شخصان الواحد بازاء الآخر فالواحد يدفعها في قلب الارض والثاني يسحبها بالحبل الى الامام وتستخدم هذه الآلة لحرث الاراضي الهشة

المسحاة — لحفر الاراضي وقلع الاشجار وغرسها

المنجل — لقطف المزروعات وحصاد الحنطة والشعير وهذا معروف فلا يحتاج الى وصف واصف . اه

— الفلاحون — من هم الفلاحون العراقيون والزراعون وفي اي مدرسة درسوا ؟ هم من عشائر الاعراب . منبثون في اطراف العراق تلذُّ لهم العيشة المتجولة وسكناهم تحت الخيام المصنوعة من شعر المعزى وكل قبيلة لها شيخ معروف من الحكومة العثمانيّة ويتفاخرون بالغزوات ويتباهون باعمال الرجوليّة يقضون ايامهم في كرّ وفر وظعن متواصل فلا يقرّ لهم قرار ولهذا ترى القرى قليلة في العراق فلا يبلغ عدُّها الستين . ولا يخفى الاديب الاريب ان القرى هي التي تجهز للمدن الرجال وتساعد على تقدم الزراعة تقدماً عظيماً فياليت اهل البدو كانوا يتعودن عيشة القرى ويستوطنون في مركز معلوم ويلهون نفوسهم بالزراعة ويتخذونها دأبهم وديدنهم فلو فعلوا لافادوا العراق بوجودهم اكبر فائدة الّا انهم في القرى ونواحي الولايات يسكنون في بيوت حقيرة من الطين ويجهلون القراءة والكتابة ومعلوماتهم الزراعية مقتصرة على الاختبارات المستطيلة

وما يتوارثهُ الخلف عن السلف ولم تصلهم بعد منافع الدروس الزراعيَّة القانونيَّة كما أنها لم تحدث ادنى تغيير في كيفية الزراعة العراقية

وقد جاء الى الزوراء بعض دارسي فن الزراعة مرتين او ثلاثاً ولكنهم لم ينجحوا في طرائقهم وذلك لاسباب نوردها لكي يطلع عليها من لهُ رغبة في درس هذا الفرع الجليل من الفنون ولا تنكسر همتهُ. فالسبب الاوَّل هو ان بعضهم كان من المحدثين في هذا الفرع ولم يحصل منهُ الَّا المعلومات النزرة . والثاني لانهم ارادوا زراعة بعض الفصائل النباتية في هذه النواحي كما تُزرع في غير جهات بغض النظر عن اختلاف الاقاليم والمناخ والتربة . والثالث لكونهم لم يطابقوا دروسهم على اختبارات الاهلين التي لها اعظم شأن في هذا المقام . وعندي ان ارض العراق في اطراف سامرّا والحلة وكوت الامارة والعمارة هي احسن موقع لانشاء المدارس الزراعيَّة اولًا لجودة التربة ثانياً لرخص عيشة التلامذة هناك . ولو تبرَّع احد المتمولين واسس في وطننا مدرسة زراعيَّة في احدى النواحي التي ذكرتها سابقاً لافاد الزراعة العراقيَّة اعظم فائدة وخدم وطنهُ احسن خدمة . هذا فضلًا عن الارباح التي تعود عليهِ من مشروعه هذا . ولا يقتضي لذلك اكثر من ثلاثين الف ليرة لشراء اراضي للزراعة وبناء مدرسة ولوازم الدرس وادوات الزراعة فانا لمتأكد ان هذا المبلغ سيعطي فائدة ١٢ بالماية سنويًا فمن لا يرضى بهذه التجارة التي هي كلها صفقة ربح لهُ من وجهتين ماديَّة وادبيَّة ويكون اهلًا لشكر الاهلين

*

بعد ما سرَّحنا النظر في ما مرَّ من المعلومات حسبما اقتضى المقام لنقولنَّ كلمة عن جباية العراق الزراعي سابقاً واليوم . كانت الدولة الساسانية تأخذ من حاصلات العراق ما يتسنَّى لها من الرسوم متناسبة ولا يجوز لاصحاب الاملاك والمزروعات ان يتمتعوا باثمار اتعابهم قبل ان تؤخذ منهم الضرائب غير ان فيساذ بن فيروز لم يستحسن هذا النمط بل غيرهُ . وفي ايام كسرى انو شروان كانت الاكاسرة تضرب على العراق الضرائب كما يأتي : على كل جريب (عبارة عن ٣٦٠٠ ذراع مربع) قفيزاً ودرهماً وهي عبارة عن ١٢½ بالمائة ثم على الكرم ١٠ دراهم وعلى النخيل ٨ وعلى القصب ٦ وعلى الرطبة والشعير درهمين . وبقي السواد عامرًا الى انقراض الراشدين وفي عهد بني أميَّة كانت الاراضي تضرب بالضرائب وان بقيت بورًا بلا زرع

وقد ابطل المنصور هـذه السنّة وامر ابنهُ المهدي ان يؤخذ نصف الغلة من الاراضي التي تسقى سيحاً بلا تعب. والثلث من الارض التي تسقى بالدوالي. والربع من الارض التي تسقى بالدواليب. اما اليوم فتؤخذ الرسوم الميرية حسب ملك الاراضي المزروعة وكيفية سقيها ونوع المزروعات. ولايضاح ذلك نقول ان اراضي العراق نظراً لملكيتها تقسم الى اراض ميرية وهي الراجعة الى الحكومة العثمانية ونسبتها الى جميع الاراضي المزروعة ١٠٠/٢٠ تقريباً واراض سنية وتقدر ١٠٠/٢٠ واراض وقفية وهي المحبوسة لاعمال البر وتبلغ ١٠٠/١٢ واراض للاهالي وتقدر ١٠٠/٤٨ . اما المزروعات فتقسم الى صيفية وشتوية فالصيفية تشتمل على الذرة والسمسم والعدس والماش الخ . والشتوية تشتمل على الحنطة والشعير الخ . اما نظراً للسقي فتقسم الى الاقسام التالية : البكرة وهي التي تسقى بالكرود والآلات المستحدثة. والديمي وهو الزرع الذي يسقى سيحاً بمياه المطر . والجبس وهو الذي يزرع على الغدران ومياه المطر . والنهري وهو الذي يسقى بالانهار التي تتشعب من دجلة والفرات

ان الاراضي الميرية والسنية والوقفية تعطي بالكراء ما لها من الحقوق لاحد الاهالي وهذا ما يصطلح عليه بالمقاطعة ولاجل استيفاء حقوق ملكيـة الارض او الرسوم من الاعشار والاخماس تعين فئة من اهل العرف والوجدان فتقـدر كمية الحاصلات وعليه تؤخذ من اصحابها الرسوم والضرائب. اما البساتين التي تسقى بالانهر فتضرب بالخمس من حاصلاتها والبكرة بالعشر

(بعض فوائد زراعيّة) الزَبد — هو ذراع يصطلح عليه اهل العراق وطولهُ بطول المسحاء

الفدّان — قطعة من الارض يزرع فيها ٥٠٠ اقة حنطة او ٧٠٠ اقة شعير

الجريب — ارض فيها مئة نخلة

هذا وان سمحت لي الظروف والفرص سأشفع هذه المقالة بنبذة عن الفصائل النباتيـة في العراق وتكون تتمة لهذه الاسطر. ان شاء الله

تاريخ دمشق لابن القلانسي

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

في سنتنا السادسة (المشرق ٦: ٤٦٦ و ٦٤٩) ذكرنا ترجمة احد جهابذة كتبة العرب اعني ابا الحسن هلال الصابئ وعدَّدنا هناك تآليفهُ البديعة لا سيما تاريخ الوزراء الذي توفَّق المستشرق الانكليزي العلَّامة هـ. ف. اميدروس (H. F. Amedroz) الى اكتشاف قسم كبير منهُ نشرهُ قبل خمسة اعوام في مطبعتنا فبينا ما لهذا الكتاب من المحاسن العديدة والخواص الفريدة لفظاً ومعنًى

وقد ذكرنا هناك لهلال الصابئ تاريخاً آخر جعلهُ كاتبهُ الفاضل كملحق لتاريخ خالهِ ابي الحسن ثابت بن سنان بن قرَّة . وكان ابن قرَّة كتب تاريخاً وصف فيهِ الوقائع التي جرت في زمانهِ من السنة ٢٩٥ الى وفاتهِ ٣٦٣ (٩٠٧—٩٧٣) فذيَّلهُ هلال بتاريخ آخر واضاف اليهِ حوادث السنين التابعة الى آواخر سنة ٤٤٧ . والتاريخان كلاهما ضائع الَّا ما حظي السيو اميدروس باكتشافهِ من تاريخ هلال وهو وصف حوادث اربع سنوات من ٣٨٩هـ الى ٣٩٣ فألحقهُ بتاريخ الوزراء الذي ذكرناهُ آنفاً وهو عبارة عن ١١٦ صفحة مشحونة بالفوائد

ولتاريخ هلال المذكور ذيلٌ ثانٍ أقدم على كتابتهِ احد أُدباء دمشق في القرن السادس للهجرة يُعرف بابن القلانسي وهو تأليف جليل عرفهُ قدماء المؤرخين العرب فاشاروا اليهِ ونقلوا عنهُ الَّا ان نسخهُ قد طمسها الدهر فاضحت اعزَّ من بيض الانوق . وحتَّى اليوم لم يعرف منها ارباب البحث سوى نسخة وحيدة تُصان في خزانة المخطوطات الشرقيَّة في مكتبة اكسفرد المعروفة بالبدليَّة وهي موسومة بالعدد ١٢٥ (Bodl. Hunt. 125) وهي نسخة قديمة تاريخ كتابتها سنة ٦٢٩هـ (١٢٣٢م) يبلغ عدد صفائحها ١٨٨ وفي كل صفحة ٣٢ سطراً . فهي النسخة التي تعمَّد نشرها العلَّامة اميدروس وقد انجزها آخراً في مطبعتنا الكاثوليكية . ولمَّا كان هذا الاثر من اجلّ الذخائر التاريخيَّة احببنا ان نتَّسع برصفهِ لبيان خطرهِ وعلوّ مقامهِ فنذكر اوَّلاً صاحب

التاريخ ثم ننتقل الى وصف الكتاب ومضامينهِ الشائقة . وفي كلامنا نعوّل خصوصاً على ما اثبتهُ جناب المتولي لطبع هذا التأليف وقد كفى بمقدمتهِ مؤونة التفتيش المملّ واغنانا عن المطالعات الشاقّة حفظهُ الله وجعلهُ سنداً للآداب

١ مؤلف التاريخ

لا نعرف الّا الشيء اليسير عن ابن القلانسيّ فمَن عرّضوا بذكرهِ ابو عبد الله محمّد بن احمد الذهبي في كتابهِ تاريخ الاسلام قال في تاريخ ٥٥٥ ما حرفهُ مستنداً الى تاريخ دمشق لابن عساكر (ص ٢٠٣ من نسخة اكسفرد):

حمزة بن اسد بن عليّ بن محمّد ابو يعلى التميميّ الدمشقيّ العميد ابن القلانسيّ الكاتب حدّث عن سهل بن بشر وحامد بن يوسف التنّيسيّ . قال الحافظ ابن عساكر: سمع منهُ بعض اصحابنا ولم اسمع منهُ . (قال) وكان اديباً كاتباً تولّى رئاسة دمشق مرّتين . وكان يُكتَب لهُ في سماعهِ ابو العلاء المسلم بن القلانسيّ . فذكر انهُ هو وانهُ كذلك كان يسمّى وقد صنّف تاريخاً للحوادث من بعد سنة اربعين واربعمائة الى حين وفاتهِ . وقرأتُ من شعرهِ:

يا نفسي لا تجزعي من شدّةٍ عرضتْ وأيتني من اله الخلق بالفَرَجِ
كم شدّةٍ عظمت ثم انجلت ومضتْ من بعد تأثيرها بالمال والمُهَجِ

توفي في ربيع الاوّل . قلتُ روى عنهُ ابن مصري ومكرم بن ابي صقر وجماعة وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحُمدت ولايتهُ وتوفي في عشر التسعين

وذكرهُ ايضاً جمال الدين ابو المحاسن يوسف الشهير بابن تغري بردي في كتابهِ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قال (ص ١٤٠ من نسخة لندن):

يُعرف بابن القلانسيّ كان فاضلاً اديباً مترسّلاً جمع تاريخ دمشق وسمّاهُ الذيل وذكر في اوّلهِ طُرَفاً من اخبار المصريين وبعض حوادث السنين وقد نقلنا عنهُ نبذهُ في هذا الكتاب وكانت وفاتهُ بدمشق في يوم الجمعة سابع شهر ربيع الاوّل ودفن يوم السبت بقاسيون . فمن شعرهِ في الصبر:

اياكَ تقنطُ عند كلّ شديدةٍ فشدائدُ الايّامِ سوفَ تهونُ
وانظرْ اوائل كلّ امرٍ حادثٍ ابداً فما هو كائنٌ سيكونُ

هذا غاية ما وجدهُ العلّامة اميدروس من احوال الكاتب . ومنهُ يُتخذ انّ ابن القلانسيّ كان دمشقي الاصل ومن وجوه وطنهِ حيث تولّى رئاسة دمشق مرّتين

وناهيك بهذه الرتبة شرفاً ورفعة ويظهر انَّ اسرتهُ كانت من بيوتات الفيحاء وقد ذكرها الذهبيّ في جملة العيال الكريمة الساكنة دمشق في رأس القرن الثامن عند قدوم التتر . ومما يدلُّ على علوّ مقام المؤلف المحدّثون الذين اخذ عنهم والذين رووا عنهُ وكلهم من الرجال المعدودين . وكذلك شهرتهُ بصفة كاتب ومؤرخ قد نوَّه بها الكاتبان السابق ذكرهما كما انهما اشارا الى جودة شعره بما رويا لهُ من الابيات . وابن القلانسي عُمّر طويلاً اذ جعل الحافظ الذهبي وفاتهُ في « عشر التسعين » وذلك في ٧ من ربيع الاوَّل من السنة ٥٥٥ الموافقة لاوائل نيسان ١١٦٠ م . وقاسيون الذي فيهِ دُفن ابن القلانسي هو الجبل المشرف على دمشق فيهِ قبور كثيرين من مشاهير تلك الحاضرة

٣ تعريف الكتاب

سبق القول بانَّ هذا الكتاب دُعي بذيل تاريخ دمشق لانَّ صاحبهُ روى الاخبار التي جرت من سنة وفاة هلال الصابئ ٤٤٨ الى سنة ٥٥٥ التي فيها توفي ابن القلانسي . على انَّ النسخة المحفوظة في اكسفرد تجدي العلماء نفعاً آخر وذلك انَّها تحوي خلاصة تاريخ هلال الصابي من السنة ٣٦٣ الى ٤٤٨ وقد قلنا انَّ هذا التأليف اخذتهُ يد الضياع فسدَّت هذه الخلاصة خللاً كبيراً وهي مع اختصارها تحتوي على تفاصيل عديدة لا تقلُّ عن ٨٦ صفحة من صفحات مجلّة المشرق وحرفها وانما سقط فقط من اوَّلها ثلاثة اوراق فيها المقدمة وبعض اخبار السنة ٣٦٣ وقد اعتاضنا من ذلك جناب القائم بنشر هذا الكتاب بما وجدهُ من كلام الصابي في كتاب مرآة الزمان لسبط بن الجوزي حيث ذكر مفتتح تاريخ الصابي ونقل عنهُ ذكرهُ للقرامطة ودخولهم الى دمشق فكاد يتمُّ بذلك ملخص تاريخ الصابي .

وليس من غايتنا ان نتسع هنا في ذكر هذه الخلاصة الهلاليَّة وهي توافق ما نعرفهُ للصابي من حسن السبك وانسجام الكلام وسياق الرواية وفصاحة الالفاظ دون تعقد ولا تصنُّع شأن الكتبة البلغاء . وتراهُ لا يسرد الاخبار على طريقة واحدة كما يفعل غيرهُ من اصحاب التاريخ بل يذكر الامور بتعريف اسبابها والتفنن في ايضاح ظروفها وبيان نتائجها بحيث لا ينتهي القارئ من قراءة فصل الَّا وقد عرف الامر الموصوف حق معرفتهِ دون اجهاد فكرهِ واعنات ذهنهِ

وقد زاد جناب الفاضل اميدروس على طبع هذا القسم فوائد اخرى جمة بما نقله عن ابن الازرقيّ الفارقيّ وعن سبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي ممّا يؤيد اقوال الهلال الصابي او هو منقول عنهُ بالحرف او ملخَّص تلخيصاً وقد نشر تلك الاضافات في ذيل الكتاب بحرف ناعم

ومن لجود ما يحويهِ هذا القسم شرح اخبار الدولة الفاطميَّة منذ دخول المعزّ لدين الله الى أيام الظاهر لاعزاز الله . وهناك تفاصيل عديدة في امور الشام ومصر واحوال اهلها وتقليد نوّابها وعمّالها لا تكاد تجدها في غير هذا الكتاب . ومع انَّ ابن القلانسي قد اختصر كتاب هلال قد احسن في انتقاء الروايات وتدوين الاخبار بذوق سليم ونظر صائب . ولولا ضيق المكان لنقلنا من هذا القسم فصولًا تُطلع القراء على عظم شأن تاريخ الصابي وفوائده الجمّة ودقائقهِ الملذَّة كذكره للرجال وتعريفهِ لقبائل العرب الشاميَّة ووصفهِ لامكنة لم يسبق لغيره ذكرها من ضواحي الشام كقارا ويبرود ومعلولا والتبنة وصيدنايا والمرّة وتلفيتا وكذكر ابنيـة دمشق واسماء احيائها وابنيتها وبعض كنائس النصارى التي كانت في ذلك العهد . وممّا ورد من ذلك وصف كنيسة القيامة في بيت المقدس وتعظيم النصارى لها قبل حريقها سنة ٣٩٨ (١٠٠٨) قال :

هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تُعظمها النصارى افضل تعظيم تحجّ اليها عند فصحهم من كل البلاد وربَّما صار اليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متنكّرين ويحملون اليها الاموال الجمَّة والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والصلبان والاواني من الذهب والفضَّة وقد اجتمع فيها من ذلك عن قديم الزمان وحديثه الشيء العظيم قدر ما اختلفة اصنافهِ فاذا حضروا يوم الفصح فيها واظهروا مطرانهم ونصبوا صلبانهم واقاموا صلواتهم ونواميسهم فهذا الذي يدخل في عقولهم ويوقع الشبهة في قلوبهم ويعلقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن البلسان والته ومن طبيعتهِ حدوث النار فيهِ مع دهن الزنبق ولهُ ضياء ساطع وازهار لامع يحتالون بحيلة يساوونها بين كل قنديل وما يليه حديدًا مسدودًا كهيئة الخيط مُتصلًا من واحد الى الاخر ويطلونهُ بدهن البلسان طلياً يخفونهُ من الابصار حتى يسري الخيط الى جميع القناديل فاذا صلوا وحان وقت النزول فُتح باب المذبح وعندهم ان عهد عيسى عليهِ السلام فيهِ وانهُ عُرج به الى السماء منهُ ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من انفاس الخلق الكثير ما يحمي منهُ الموضع ويتوصل بعض القوّام الى ان يقرب النار من الخيط فيعلق بهِ وينتقل بين القناديل من واحد الى واحد ويشمل الكل ويقدرهُ من يشاهد ذلك ان النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل

فلننتقلنَّ الآن الى القسم الثاني الذي هو من انشاء ابن القلانسيّ وقد لحم روايتهُ برواية هلال الصابئ حتى جعلهما كرواية واحدة الّا انهُ نبَّه على ذلك باشارة لطيفة حيث قال في وصف ولاية الامير المؤيد حيدرة ابن مفلح قال (ص ٨٥):

تسلَّم الولاية في سنة ٤٤٣ يأمر فيها وينهي على عادة الولاة واستقامت لهُ امور الولاية على ما يؤثرهُ ويهواه واحسن السيرة في العسكرية والرعية فحُمدت طريقتهُ وارتُضيت ايالتهُ واستمرَّت عليهِ الايام في الولاية الى سنة ٤٤٨ التي بُني هذا الذيل عليها وعادت سياقة الحوادث منها

واوَّل ما يجب التنبيه اليهِ انَّ هذا الذيل يُدعى بذيل تاريخ دمشق مع انَّ هلال الصابئ لم يخصَّ تاريخهُ بدمشق واتَّسع في الاخبار عن الدول الاسلامية في زمانهِ الّا انَّ ابن القلانسي كما يظهر لم ينتقِ من تاريخ الصابئ سوى الامور التي تنوط بالشام ولاسيما بحاضرتها الفيحاء والجهات المجاورة لها ولذلك دعا بذيلهِ ذيل تاريخ دمشق. الّا انَّ هذا الاسم على طريقة التغليب ايضاً لان ابن القلانسي في هذا التاريخ قد اورد اموراً عديدة جرت في مصر والجزيرة والعراق وفارس لكنَّهُ يتَّسع في حوادث الشام وخصوصاً دمشق اكثر من سواها

وممَّا يستحق الذكر في شأن هذا التاريخ انَّ ابن القلانسي لم يجتهد فقط في مواصلة اخبار الصابئ بل جرى ايضاً على طريقتهِ في تنسيق الروايات وشرح الاحوال. وأعجب من ذلك احتذاؤهُ بانشاء الهلال الصابئ حتى ان الذي يقرأ القسمين ويقابل بينهما في اسلوب الكتابة يظنهما لكاتب واحد سواء كان في ايضاح المعاني وبلاغتها او في طريقة التعبير وسلاسة الانشاء كأنَّ الكاتبين شقَّا من نبعة واحدة. فكأنَّ ابن القلانسي استحسن كتابة سلفهِ فتصيَّرهُ وصارا كالفرقدين للمتأمل

وما خلا ذلك ترى بين الكاتبين شبهاً آخر وهو انَّهما يتَّسعان في الاخبار ويزيدان في تفاصيل الشروح على قدر تقرُّب الحوادث من عهدهما فانَّ ابن القلانسي كهلال الصابئ عاشا زمناً طويلاً فهذا اربى على الثمانين وذاك بلغ التسعين فعاين كلاهما ردحاً من الدهر الامور التي جرت في ايامهِ وتقصَّى اخبارها وافاض في شرحها على خلاف الحوادث التي سبقت زمان كل كاتب. الّا انَّ في ذلك فضلاً للصابئ فانهُ كان كثير

الاطلاع من أسرة عُرفت بآدابها فنشأ على علوم اجداده. ويدلُّ على تقدُّمهِ التآليف العجيبة التي سردنا اسماءها في المشرق (٦ : ٤٦٨) اما ابن القلانسي فانّنا لا نعرف لهُ غير هذا الكتاب المعنون بذيل تاريخ دمشق

وما قلناهُ عن تشابه المؤرخين في الصفات والكتابة يصدق ايضاً في صحة الروايات والتحرّي في شرح الاحداث ولذلك ترى الكتبة الذين عاشوا بعدهما يحبون الاستشهاد بهما ويثقون بروايتهما كل الثقة كسبط بن الجوزي السابق ذكرهُ وابي شامة صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين وكحافظ الذهبي. وربّما نقلوا عنهما دون التصريح باسمهما كما فعل ابن الاثير فانهُ اثبت في تاريخهِ الكامل قطعاً مختلفة عن ابن القلانسي ولم يذكرهُ باسمهِ الّا مرّة في ذكره اتمّ قبور الآباء ابراهيم واسحاق ويعقوب في مدينة الخليل

اما مضامين تاريخ ابن القلانسي فهي تشمل اخبار الدول التي ملكت في مصر والشام والجزيرة في القرن الخامس والسادس للهجرة كالدولة الفاطميّة والدولة الزنكيّة والدولة الايوبيّة . فقد وصف المؤلف احسن وصف الملوك الذين ضبطوا زمام الامر في تلك المدّة كزنكي وخصوصاً نور الدين محمود ابنهُ مع ما جرى على يدهِ من الفتوحات وقد اتّبع في ذكر اعمال امراء دمشق وعمّالهم معرّفاً لكل واحد منهم مبيّناً ما تولوه من المآثر وقاموا بهِ من المشروعات في أيام امرتهم . وهو مع ذلك يتبع على قدر طاقتهِ سياق السنين وما حدث فيها في نواحي الشرق من حروب وفتوحات ووفيات المشاهير الى غير ذلك من الوقائع التي يرتاح الادباء الى معرفتها

ومن الحوادث التي انبسط المؤلف في شرحها الظواهر الجوّية والزلازل فانّها تكرّرت في ذلك الزمان وخربت بسببها البلاد وارتعبت لاهوالها قلوب العباد فمن ذلك ما حكاهُ في تاريخ سنة ٥٤٧ قال (ص٣١٨)

وفي ليلة الثلثاء الثاني والعشرين من المحرّم من اواخر نيسان ارسل الله تعالى غيثاً هطّالاً مجلّلاً بالرعود والبروق المتتابعة ما زادت معهُ مياه بَرَدَى زيادةً وافرةً وتصندل لون مائها بسايل الاودية والجبال وانتفعت بهِ زراعات السقي والبعول نفعاً ظاهراً

وفي النصف من شهر ايار من صفر سنة ٤٧ كان من زمجرة الرعود وتتابع البروق والامطار في عدّة جهات ما زادت بهِ الانهار وسالت معهُ شعاب الجبال والاودية . وفي وقت العصر من يوم الاحد الثاني والعشرين من ايّار والعشرين من صفر من السنة نشأت غمامة برعود مجلجلة هائلة

متتابعة لا تفتر مُزعجة ثم اخذت بوابل هطّال جودٍ بالمطر الى اخر النهار ثم اقبلت بَرَدى بالليل بالسيل الزائد المتغير اللون بماء الجبال المختلف بحيث اقصمت الاشجار والسواقي والجباري واحمرّت اماكنها وصادفت طرحات الزرع والكُداسة فغيّرت الشعير وصفّرته وسكنت بقدرة الله ونُفع من نشأها ثم حضر من شاهد هذا العارض وحكى انهُ كان من البرد الكبار ما حدثهُ بحيث افسد من المواشي الكثير وهدم بعض دور النوطة وصار الماء في الحقول راكدًا وسائحًا بالاشجار المقدمة وحكى الحاكي ان هذا لم يُر مثلهُ في الازمان

وفي السنة ذاتها حدث ما اخبر به (ص ٣٢٤) :

وحدث في هذه الايام من تتابع الامطار في الاماكن والثلوج في الجبال والاعمال البقاعية ما لم يُرَ مثلهُ ثم ذاب الثلج وسالت بمائهِ الاودية والشعاب وساح على الارض كالسيل الجارف وامتلأت بهِ الانهار والتقت الشطط وافسد ما مرَّ بهِ من الاراضي المنخفضة ووصل المدّ الى بردى وما قرُب منها ورأى من كثرتهِ وعظمهِ وتغير لونهُ ما اكثر التعجب منهُ والاستعظام لهُ فسبحان مالك الملك منزل الغيث من بعد القنوط انهُ على كل شيء قدير

وقال في وصفهِ تغير الماء والهواء (ص ٣١٩) :

وفي العشر الاول من شوال من السنة (٤٧) الموافق للعشر الاول من تشرين الثاني تغير الماء والهواء في دمشق وعرض لاهلها الحمّى والسُعال بحيث عمَّ الخاص والعام والشيوخ والشباب والاطفال بحيث وقع الزحام على حوانيت العطّارين لتحصيل المثلي . وحكى الحاكي ان بعض العطارين احصى ما باعهُ في يوم فكان ثلاثماية وثمانين صنة والسالم منهُ والمعافى الاكثر وما يقيم هذا المرض بالانسان اكثر من الاسبوع ودونهُ ويمضي من قضى اجلهُ وضعف امر المغسلين والحفارين واحتيج اليهم لكثرة الموتى

ولهُ في الزلازل اشياء كثيرة منها قالهُ في صفة الزلازل التي وقعت سنة ٥٥١ ما نصهُ (ص ٣٣٤)

شرح الزلازل الحادثة في هذه السنة المباركة وما يليها

في ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٥١ الموافق لليوم السابع والعشرين من ايلول في الساعة الثانية منها وافت زلزلة عظيمة رجفت بها الارض ثلاث او اربع مرّات ثم سكنت بقدرة من حركها وسكّنها سبحانهُ وتعالى من مليك قادر قاهر ثم وان بعد ذلك ليلة الاربعاء الثاني وعشرين من شعبان المذكور زلزلة وجاءت قبلها و بعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعد ذلك ثلث دوخ بحيث أُحصينَ ست مرّات وفي ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في اوّل النهار وآخرهُ ثم سكنت بقدرة محركها سبحانهُ وتعالى

وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة وانهدام برج من ابراج القلعة

بهذه الزلازل الهائلة (١) وذكر ان الذي احصى عدّدهُ منها تقدير الاربعين على ما حكى والله تعالى اعلم . وما عرف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصر الخالية وفي يوم الاربعاء التاسع وعشرين من الشهر بعينه (شعبان) وافت زلزلة تتلو ما تقدّم ذكرهُ اخر النهار وجاءت في الليل ثانية في اخره ثم وافى في يوم الاثنين اوّل شهر رمضان من السنة زلزلة مروّعة للقلوب وعاودت ثانية وثالثة ثم وافى بعد ذلك في يوم الثلاثاء ثالثةً ثلث زلازل احداهنَّ في اوّله هائلة والثانية والثالثة دون الاولى واخرى في وقت الظهر مشاكلة لهنَّ ووافى بعد ذلك اخرى هائلة ايقظت النيام وروّعت القلوب انتصاف الليل فسبحان القادر على ذلك ثم وافى بعد ذلك في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة زلزلة عظيمة هائلة اعظم ممّا سبق ولما كان عند الصباح من الليلة المذكورة وافت اخرى دونها وتلا ما تقدّم في ليلة السبت اولها وجاءت اخرى آخرها ثم تلا ذلك في يوم الاثنين زلزلة هائلة وتلا ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في الثلث الاوّل منها زلزلة عظيمة مُزعجة وفي غداة يوم الاحد ثاني شوال من السنة تالي ما تقدّم ذكرهُ وافت زلزلة اعظم ممّا تقدّم روّعت الناس وازعجتهم وفي يوم الخميس سابع شوال المذكور وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاحد الثالث عشر منهُ وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاثنين تلوهِ وافت زلزلة اخرى مثلها ثم اخرى بعدها دونها ثم ثالثة ثم رابعة . . .

والخطر من ذلك ما رواهُ عن الصليبيين وزحفاتهم من السنة ٤٩٦ الى السنة ٥٠٥ (١١٠٣ــ١١٥٥) فوصف احوالهم في خروجهم من بلادهم ومسيرهم الى القسطنطينية فايقونية فانطاكية فمراحل الشام حتى بلغوا القدس الشريف ودخلوهُ واحتلّوا غيرهُ من البلاد. ولمّا كانت هذه الاوصاف عن شاهد عياني زاد شأنها ولذلك سوف ينظم تاريخ ابن القلانسيّ في جملة مؤرخي الحروب الصليبيّة الذي طُبع منهُ عدّة مجلّدات منها ثلاثة مجلدات من مؤرخي العرب (Recueil des Historiens des Croisades, *Historiens Orientaux*) وكنّا وددنا ان نثبت هنا شيئًا من تلك الاخبار لولا ضيق المكان

ونختم هذه الامثلة وكلامنا عن ابن القلانسي بتكرار شكرنا لجناب المستشرق الفاضل اميدروس على احيائهِ هذا الاثر المدفون ويستحقُّ شكرًا مضاعفًا على ما اضافهُ اليهِ من المحسنات بالتذييلات المفيدة والفهارس الواسعة لأعلام الرجال والامكنة هذا فضلًا عن مقدّمات جليلة في الانكليزيّة شرح فيها لمواطنيهِ كل ما يتعلق بهذا التأليف ومحتوياتهِ صفحةً صفحةً . فجازاهُ الله كل خير

(١) وفي الاصل : المباركة

مطبوعات شرقية جديدة

D. C. HESSELING. Essai sur la civilisation byzantine. Traduct. française avec préface par **G. Schlumberger.** *Paris, Alph. Picard*, 1907, VII-381 pp., in-16.

التمدُّن البوزنطي

هذا الكتاب قد ألَّفهُ صاحبهُ المسيو هسلنغ احد اساتذة ليدن باللغة الهولندية ونظمهُ في مجموع تآليف اخرى متشابهة بهِ عنوانهُ « اجدادنا العقليُّون - ابحاث في تاريخ تمدُّننا » فما كان لاصحاب هذا المجموع ان ينسوا التمدُّن البوزنطي . والحقّ يُقال انَّ مصنِّف الكتاب قد قام بعملهِ احسن قيام فاودع كتابهُ كل ما من شأنهِ ان يُعرِّف اجمالًا حالة التمدُّن وتاريخهُ في ايَّام ملوك الروم فترى في هذا التأليف نظرًا عموميًّا يوضح خواصَّ التمدُّن البوزنطي على طريقة منظَّمة واضحة . واذا ابدى المؤلف حكمهُ في الامور اصاب الهدف دون تطرُّف ومبالغة . وكثيرًا ما يستشهد باقوال قدماء الكتبة وشواهدهُ كلها مفيدة مع ما في بعضها من الطول . ومن ثمَّ قد احسن العلَّامة شلومبرجر وهو من المولعين بالدروس البوزنطية اذ نقل هذا الكتاب الى اللغة الافرنسيَّة ليضيفهُ الى التآليف المتعدِّدة التي كتبها العلماء الفرنسويُّون في هذا الصدد وفائدتهُ للعموم اكثر منها للخاصَّة لأنَّ القرَّاء يجدون في صفحاتهِ القليلة ما لا يستطيعون جمعهُ من تآليف متعدِّدة . وهذا الكتاب يفيد الشرقيين افادة عظيمة اذ يوقفهم على اصول التمدُّن البوزنطي الذي شمل مواطنهم واثَّر في كل صنائعهم وفنونهم س . ر

REALENCYKLOPADIE 3 HERZOG - HAUCK. XX Bnd : Toorenenbergen - Wamwas. 1908. *Hinrichs.*

دائرة العلوم البروتستانية

قد كاد ينجز هذا العمل العظيم الذي كرَّرنا مرارًا وصف اقسامهِ السابقة وهذا المجلد هو العشرون من المجموع وهو يحتوي كالمجلدات الماضية بل اكثر منها عددًا دثرًا من تراجم الكتبة لا سيما البروتستانت . وفي هذه التراجم من الفوائد التاريخيَّة

ما لا يخفى . ومن الموادّ التي استحسنّاها فصل واسع خصّهُ العلّامة غوته (Guthe) لوصف بلاد الصفا المعروفة بتراكونيتيس (TRACHONITIS) ثمّ فصل آخر للعلّامة بروشن (Preuschen) في تعريف والنتان احد المراطقة الادريين وكذلك تثني على بعض مقالات كتابيّة اثريّة من قلم الاساتذة اورلّي وكوتش (Kautsch) وتسانيفرنده (Tsehnpfund) . وعمّا قريب ان شاء الله تنتهي هذه الدائرة بصدور القسم الحادي والعشرين . ورجاؤنا ان يُلحق بها اصحابها الزيادات والاصلاحات التي اشرنا اليها نحن في مقالتنا السابقة او نرّه بها الكتبة الذين انتقدوا على اقسامها المفردة س . ر

P. C. SCHMIDT. S. V. D. Les sons du langage et leur représentation dans un alphabet linguistique général. Traduit en fançais par le Dr P. J. Hermes O. M. I (Tirage à part de l'ANTHROPOS.) pp. 126 in - 4°. *Salzbourg* 1907.

اصوات النطق وتمثيلها بكتابة عموميّة

قد وضع هذا الكتاب حضرة الاب شميد مدير المجلّة الاجتماعيّة المعنونة بالانسان (Anthropos) وغايتهُ من وضعهِ ان يحدّد علميًا قوانين الاصوات البشريّة العموميّة ليتمكن بها اصحاب الاسفار والرحل كما المرسلون ان يدوّنوا بكل تدقيق على طريقة موافقة لتلك الاصول كل اصوات لغات الشعوب الذين يحلّون بينهم . وقد صدّر ذلك بمقدّمة مسهبة بحث فيها عن الطرائق التي اتخذها العلماء الى يومنا لتمثيل تلك اللهجات المختلفة فبيّن انها والعلم الصحيح على طرفي نقيض . ثم الحق ذلك باسلوب جديد ابتدعهُ وفقًا للقوانين العموميّة التي اجمع العلماء على صحّتها وقد جعل هذا الاسلوب قريب المنال وعلى غاية ما امكن من البساطة ليستطيع المسافرون والمرسلون في كل اقطار العالم ان يجروا على مقتضاهُ . وقد فحصنا هذه الطريقة المستحدثة لرسم اصوات اللغات فتحققنا ان لصاحبها معارف عجيبة واسعة في هذا العلم الجديد الذي لم ينتبه اليهِ العلماء قبل القرن المنصرم . ولعلّ بعض القرّاء يجدون في جدولهِ (المثبت في الصفحات ١٢٣—١٢٦ من كتابهِ) صعوبة لكثرة الرسوم الاصطلاحيّة التي اتّخذها الّا انّ ذلك من الضرورات اذ يشمل كما قلنا اصوات جميع اللغات المعروفة في المعمور واذا اراد الكاتب ان يسير بموجبها كفاهُ لكل لغة قسم صغير منها . ومع اقرارنا بفضل هذه الطريقة كنّا وددنا لو وافق بين كل حرفٍ من حروفهِ الاصطلاحيّة وحروف اللغات الشائعة كالافرنسية

والالمانيَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة واليونانيَّة الحديثة والعربية لانَّ مثل هذه المقابلة تصوّر في مخيّلة القارئ الاصوات المجهولة وتقرّبها الى سمعهِ . وعلى كل حال أنا نثني على همة حضرة الاب شميد ونتمنَّى ان يروج كتابهُ بين كل المتجوّلين في البلاد الغربيَّة ولا سيما المرسلين ليتخذوه كدستور عمومي لتمثيل اللغات التي يسمعونها ويفيدوا حضرة المؤلف ما يرونهُ مخلًّا في طريقتهِ ليصلحها فتشيع قريباً بين كل العلماء

الاب بولس جوون

LES GRANDS HOMMES DE L'EGLISE AU XIXe SIECLE: LE P. DE RAVIGNAN. par G. Ledos, 1908. pp. 174. *Paris. Librairie des SS. Pères.*

ترجمة الاب دي رافينيان

الاب دي رافينيان يسوعيٌّ شهير اضحى في اواسط القرن المنصرم مع بعض كبار الرجال قُطب الكنائس وسندها في باريس . ولما تشكَّلت جمعيَّة كاثوليكية لنشر تراجم مشاهير القرن التاسع عشر ما كان اعضاؤها لينسوا ذلك الراهب القدام الذي شرَّف منبر الخطابة في اكبر كنائس باريس مع معاصرهِ لاكردار الدومنيكيّ . امَّا مؤلف هذه الترجمة فهو كاتب بارع اشتهر بتراجم اخرى اقبل عليها القراء لتفننها وحسن انشائها وانسجام عبارتها كترجمة الاب لاكردار السابق ذكرهُ وترجمة القديسة جرترودة فضلًا عن كونهِ احد نظار المكتبة العمومية في باريس لا يفوتهُ شيء من مضامينها ومن ثمَّ لم يُقدم على كتابة هذه الترجمة الجديدة الَّا بعد مراجعة كل ما كُتب عن الاب دي رافينيان واطلاعه على كل تآليفهِ المطبوعة المخطوطة . وقد تصفحنا هذا الكتاب بشوق ورغبة فرأينا كاتبهُ اشبه بمصوّر بارع رسم صورة صاحب الترجمة بامانةٍ ودقة في كل اطوار حياتهِ اوَّلًا اذ كان في العالم كمحامي الدعاوى ثمَّ في الرهبنة كراهب بسيط ثم كمعلم وواعظ ومرشد وكاتب وقد مزج في كل اوصافهِ روايات شهية تزيد القارئ اعتبارًا لذلك الرجل العظيم وربَّما نقل اشياء من اقوالهِ وكتاباتهِ ورسائلهِ فجعلها في سياق اخبارهِ كالفصوص الثمينة في خواتمها . فنشكر المؤلف على هذا الاثر الجديد من قلمهِ السيَّال ونثني على همتهِ في وصف المترجم فانَّهُ بتسطير اعمال احد مشاهير اليسوعيين

قد دافع عن الرهبانية اليسوعية برمّتها اذ لم يكن الاب دي راڤينيـان سوى ثمرة من تلك الدوحة الباسقة التي لا تزال تبهج كنيسة المسيح بثمارها الصالحة

الاب ف . تورنيز

ETUDES BIBLIQUES. - COUTUMES AU PAYS DE MOAB, par le **P. Antonin Jaussen**, des Frères Prêcheurs. *Paris. Libr. V. Lecoffre, J. Gabalda et Cie*, 1908, pp. XIII - 440.

دروس كتابيّة — عادات قبائل العرب في بلاد موآب

قد اكثر الكتبة وارباب الاسفار من وصف احوال القبائل العربيّة الساكنة في انحاء فلسطين وشمالي جزيرة العرب الّا ان اوصافهم ناقصة في بعض الامور ومخطئة في غيرها فلذلك اراد حضرة الاب جوسن من الرهبانيّة الدومنيكية ان يعود الى هذا البحث فينقّح ما يحتاج الى تصحيح ويكمل ما كان ناقصاً . ولادراك هذه الغاية لم يدّخر وسعاً وتجشم الاتعاب وتردّد مراراً الى تلك القبائل وسكن بينها وعاش عيشتها الشظفة واطّلع على كلّ اسرار حياتها . وكان في اثناء ذلك يدوّن كل ملحوظاته ويلقي على ضيوفه الاسئلة ليوقفوه على جميع عاداتهم واحوالهم المختلفة . فكل تلك الملحوظات المفيدة لدرس حياة البادية قد جمعها واثبتها في هذا الكتاب ليقف عليها محبّو الاخبار وطلبة الاسفار المقدسة . وقد خصّ بدروسه بلاد موآب لقربها من مواطن بني اسرائيل قبل ان تمتدّ اليها الخطوط الحديديّة وتفقد شيئاً من عوائدها الاصلية باختلاطها مع الاجانب . فكتابهُ اذاً كلهُ فوائد عدل المؤلف عن زخرف الكلام ليثبت كل ما نظر وسمع بسذاجة وتدقيق مفصّلاً لكل امور اهل البادية متحايداً عن كل تنسيق وتنظيم كالمرآة المصوّرة للرسوم دون زيادة او نقصان . ولذلك تزيد رغبة القارئ لهذه الصفحات الشائقة والروايات الصادقة . وان سمح لنا حضرة المؤلف ابدينا لهُ بعض الملحوظات التي خطرت على بالنا عند قراءة كتابه النفيس . لم يفرق المؤلف بين تمثيل الياء المشدّدة والياء البسيطة اذ يصوّرهما على حد سواء بصورة i فلا يعلم القارئ ما المراد بلفظة Sâbieh مثلاً (ص٢٦٣) أيُريد بها صابيَة او صابيَّة وقس عليه — وفي الصفحة ٢٧٢ قد قلبت اللفظة سهواً فكتبت « كة مير » والصواب « ميركة » — والمطر الثرياوي الذي

ورد ذكرهُ (ص٣٢٣) هو نسبة الى الثريّا كما قال حضرتهُ بعدئذٍ (ص٣٧٥–٣٧٦) فالاولى اذن ان تُترجم الى الفرنسويّة هكذا La Pluie des Pléiades بدلًا من La Pluie abondante. ومما يحسن الاشارة اليهِ في الحاشية الثانية من الصفحة ٣٥٣ ان العامة في بلاد الشام يستعملون «قطش» بمعنى «قطع» لاسيما قطع الاعضاء. فيقولون للاقطع «اقطش» وهلمَّ جرًّا — وقد زعم هناك ان bayader (بيادر) لفظة مفردة والصواب انها جمع لبيدر — وكذلك نظن ان لفظة «نمس» ص ٣٨٤ المضادَّة لسعد انَّما هي تليين لفظة «نحس» بالحاء. الاب لويس رتوقال

JAC. VAN OINNEKER: Principes de Linguistique psychologique - Essai de synthèse. (Bibliothèque de philosophie expérimentale, t. IX) pp. 552, in - 8°. 1907. *Leipzig, Harrassowitz.*

الاصول اللغوية في نسبتها الى نواميس طبيعة النفس

هو كتاب فريد في بابهِ غريب في معناهُ صنَّفهُ احد الآباء اليسوعيين الهولنديين بحث فيهِ عن مسئلة من ادقّ المسائل والطفها اعني عن النواميس الطبيعيَّة التي بموجبها وضع البشر لغاتهم سواء كان في تصريف الفاظها او في تركيب معانيها. وهو مبحث فلسفي يقتضي معرفة تامَّة لقوى الانسان العقلية ولاميالهِ النفسية وخواصهِ النطقية ثم يُلجيء ايضاً صاحبهُ الى درس واسع لعدد وافر من لغات الامم. والاب فان اوناكر مؤلف الكتاب لم يتريَّث في كل ذلك بل أقبل بعض اتقان مبادىء الفلسفة الطبيعية على درس معظم اللغات الهندواوربية واضاف اليها الالمام باللغات الساميَّة ولغات الشرق الاقصى. فقابل اصول تلك اللغات على نواميس الطبيعة ولا سيما القوى النفسية التي دقَّق فيها المحدثون نظرهم واطَّلعوا بعد الاختبارات الجمة على اسرارها المكنونة فاستخلص من هذه المعارضة اصولًا عمومية جعلها كمبادئ لهذا العلم الجديد الذي يفتح للعقل البشري مجالًا واسعاً لمعرفة طبائع البشر ويدلُّ العلماء على ما اودعهُ الخالق في قوَّة النطق من الخصائص العجيبة لتمثيل المعاني المكنونة في صدر الانسان. فمن هذا النظر العمومي يستطيع القرَّاء ان يعرفوا ما لصاحب هذا الكتاب من الفضل في نهجهِ تلك المجاهل واستخراجهِ تلك الدفائن التي لم يسبقهُ اليها الَّا بعض الافراد

وكان اكثرهم اشاروا اليها اشارة خفيفة فتوسّع فيها حضرة الاب بنوع عجيب
الاب بولس جرون

SAINT AMBROISE. par P. de Labriolle Professeur de littérature latine à l'Université de Fribourg (Suisse). 1 vol. grand in-16 de la collection *Pensée chrétienne*. Prix: 3 fr. 50, *Blond et Cie*, éditeurs, *Paris*, VI.

القديس امبروسيوس

القديس امبروسيوس اسقف ميلانو احد آباء الكنيسة اللاتينية الذين رفعوا شأن الدين ونشروا لواء الفضيلة في بلاد الغرب فاستحقّ أن يُنظَم بين مشاهير الرجال الذين شرّفوا الانسانية . فالمسيو دي لابريول احد اساتذة كلية فريبورغ كتب هذه الترجمة ليوضح رتبة ذلك القديس وما احرز لهُ من الفضل في خدمة الدنيا والدين وذلك من اربعة وجوه: الوجه الاول من حيث سياستهِ مع ملوك عصره فانهُ مدَّة نيّف وعشرين سنة خدم الملوك غراسيان ووالنتنيان وثاودوسيوس الكبير فاضحى لهم امامًا ودليلًا ومرشدًا في اعمالهم الخطيرة . والوجه الثاني من حيث كان مفسرًا للكتب المقدسة كما تشهد لهُ الكتابات التي بلغتنا . والوجه الثالث من حيث تعاليمهِ الأخلاقية التي برز فيها بين اهل زمانهِ . واخيرًا من حيث عظاتهِ وتآليفهِ اللاهوتية . فقد فحص المؤلف كل هذه الوجوه وبيَّن ما للقديس امبروسيوس فيها من الفضل مستندًا الى اوثق المصادر وكثيرًا ما يلخّص كتابات القديس او يترجم منها نخبًا مستظرفة ليثبت بذلك ما قصد بيانهُ في كل باب من الابواب السابق ذكرها . وقد اضاف الى تلك الفصول فصلًا خصوصيًا في تعريف ليتورجية القديس امبروسيوس ونقل قسمًا مما كتبهُ في الرتب الكنسية فجاء الكتاب وافيًا بالمرام متعدّد الفوائد والاوصاف ر . ش

DAREMBERG - SAGLIO - POTTIER. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines. 41e fascicule (RADIVS-SACRIFICIVM). *Paris*, *Hachette*, 1908.

الجزء الثاني والاربعون من معجم العاديات اليونانية والرومانية

هو المعجم العظيم الذي باشر بهِ بعض العلماء الفرنسويين منذ نحو عشر سنوات فضمنوهُ خلاصة المعارف البشريّة في عاديات اليونان والرومان وقد سبق لنا وصف

اقسامه السابقة وبيان عظم خطره وفوائده الجمة . وهذا القسم الجديد يناهز ختام العمل اذ يحتوي الموادّ التي بها نهاية حرف R واوّل حرف S فلا يبقى كما ترى الّا الحروف الاخيرة واكثرها قليل الموادّ . ولو اردنا انتقاد هذا المعجم تفصيلًا لما كفت المقالات المطوّلة وانما نقول اجمالًا انّ هذا القسم كالاقسام المتقدّمة في حسن اختيار موادّه وتنظيمها وشرحها . وكل مقالة لاحد مشاهير العلماء الذي يغني اسمهُ عن الاطناب في معارفه . وبين المقالات التي رقت في عيننا الفصول التي عنوانها REGNUM, REX, ROMANORUM RESPUBLICA نقلًا عن كتابات احد ائمة العلوم القديمة المرحوم فوستل دي كولنج (Fustel de Coulanges) صاحب الكتاب الشهير المعنون بالمدينة القديمة (La Cité antique) ومنها مقالة العلّامة كومنت (Cumont) في سابازيوس (SABAZIOS) ومقالة العلّامة هيلد (Hild) في منشئي الدولة الرومانية رومولوس وريموس (ROMULUS et REMUS) ومقالة لوكريفان (Ch. Lécrivain) في الاثاث والمقتنيات (RES) ومقالة المسيو لوغران (Ch. E. Legrand) في الكهنة (SACERDOS) ومقالة بديعة للمسيو بوتيار احد مديري هذا المعجم في الشباك (RETE et RHYTON) ومقالة المسيو توتان (Toutain) في الدين والرتب الدينية (RELIGIO et RITUS) واخيرًا مقالة للمسيو دوريني (S. Dorigny) معنونة (RES RUSTICA) بحث فيها اوفى وادقّ بحث عن زراعة القدماء والفلاحة وكل ما يتوط بهما

س . ر

P. THOMSEN: Systematische Bibliographie der Palaestina-Literatur. I Band. 1895-1901. *Leipzig. R. Haupt*. XVI - 203 pp. 8°.

قائمة التآليف الفلسطينية

لمّا أنشئت مجلّة الجمعية الالمانية الفلسطينية اخذ كتبتها على نفسهم ان يدرجوا في اعدادها قائمة المطبوعات التي تبحث عن الآثار الفلسطينية فأدّت بذلك خدماً مشكورة للعلماء اذ كانوا يجدون في صفحاتها جدولًا وافيًا لمنشورات الكتبة عن العلوم الفلسطينية وداومت على ذلك عدّة سنين حتّى السنة ١٨٩٤—١٨٩٥ فرأت ان تلك المطبوعات ووفرتها سواء كانت كتبًا او مقالات مفردة أتمت الى حدّ بالغ حتّى لم يكد

يفي بها الاحصاء وتشملها صفحات المجلّة فكفّت من العمل وقد كان ذلك خسراناً عظيماً وخللاً في جانب الآداب كان يتمنّى ارباب البحث ان يُستدرك قريباً . وها ان الدكتور تومسن (P. Thomsen [1]) قد تلافى هذا النقص وألّف كتاباً مستقلاً اودعهُ قائمة المصنّفات الفلسطينية مباشرةً من السنة ١٨٩٤ الى السنة الحالية وقد أنجز القسم الاوّل منهُ وهو يتناول اسماء تلك التآليف حتى السنة ١٩٠٤ وليس هذا العمل بأمر سهل وانما قام بعبئهِ المؤلف اذ هو من العلماء المعدودين . وقد راجع لتصنيفهِ ٣٥٠ كتاباً كُتبت في كل اللغات وكل البلاد فدوّن اسماءها ورتّبها على اقسام معلومة وابواب مختلفة تسهيلاً لارباب البحث وزاد على ذلك فهرساً مطولاً جملهُ على ترتيب حروف المعجم . ولولا ضيق المكان كنّا عرضنا على المؤلف اصلاحات وزيادات على مصنفهِ الجليل ولعل غيرنا ينوب عنّا في ذلك وعلى كل حال نشكر جنابهُ على تدوينهِ المقالات التي ادرجناها في المشرق عن فلسطين وشؤونها مثنياً على كتبتها وان شاء الله يتحفنا قريباً بالقسم التالي

س . ر

MARIE DANS L'EGLISE ANTÉNICÉENNE par E. Neubert. Paris, V. Lecoffre et J. Gabalda, 1908, in-12. pp. XV-283.

مريم العذراء في الاثار الكنسيّة السابقة للمجمع النيقاوي

ان الكتبة الكنسيين الاولين قلّما تعرّضوا لذكر العذراء مريم اللهمّ الّا في معرض كلامهم عن ابنها الالهي كلّما شاؤوا الدفاع عن طبيعتهِ الالهية والبشريّة في اقنومهِ الوحيد بازاء الهراطقة فكانوا اذ ذاك يصرّحون عن اعتقادهم بان مريم العذراء والدة الاله . فبيانًا لذلك عمد حضرة الاب نوبرت الى تعريف تلك البدع وايضاح اقوال اصحابها ليستخلص منها معتقد الآباء الذين زيّفوا اقوالهم ونقضوا مزاعمهم لانّ الضدّ بالضدّ يظهر . فالكتاب اذن مفيد لدارسي اعمال الآباء واللاهوتيين معًا اذ يجدون فيهِ عدّة نصوص وشواهد بيّنة تؤيد المذهب الكاثوليكي في عظم رتبة البتول الطاهرة وامومتها الالهيّة . وممّا كنّا وددنا اتساع المؤلف في بيانهِ بحثهُ في اصل دستور الايمان المدعوّ بالروماني فانّ هذا الامر يقتضي لخطرهِ ايضاحًا اوسع . وكذلك وجدنا بعض التناقض بين قول المؤلف في الصفحة ١٠٣ حيث قال بان عقيدة بتوليّة العذراء في

ولادة المسيح سبقت عقيدة لاهوت الربّ و بين قوله في الصفحة ١١٨ وفيها يقول ان لاهوت المسيح علّل ايضاً شيوع عقيدة بتولية مريم . وقد الحق الاب نوبرت هذا القسم النظري من كتابه بقسم آخر تاريخي بيّن فيه عبادة المؤمنين الاولين للبتول الطاهرة وتعظيمهم لشخصها الكريم والتجاءهم الى شفاعتها فنقل كلّ ما وجده عن ذلك في تآليف الآباء والمصنفات غير القانونية والآثار والرتب الكنسيّة . نعم ان تلك الشواهد لو اعتُبرت مفردةً ليست مهمّة لكنها بوفرتها تثبت شيوع عبادة النصارى القدماء للسيدة . فنثني على هذا التأليف ونحضّ الشرقيين على النظر فيه لكثرة فوائده وتحاشي صاحبه من كل جدال وخصام مكتفياً بكشف الحقيقة وتأييدها الاب ب . كنتاكيس

البلغة

في شذور اللغة

وهي عشر مقالات لغويّة لائمة كتبة العرب ظهر معظمها في مجلة المشرق وألحقت بفهارس نشرها الدكتور اوغست هفنر والاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٨ عدد صفحاته ١٨٠ يُباع بفرنكين

Dix anciens traités de Philologie arabe

منذ نُشرت المعاجم العربية كالصحاح والقاموس ولسان العرب أهمل الادباء غالباً تلك الرسائل اللغويّة التي كان ائمة العرب الاقدمون صنّفوها مفردةً فاودعوا كلًّا منها الفاظاً في باب معلوم كالسلاح والانسان والابل وغير ذلك من المعاني الخاصّة . وانّما اضربوا عنها لصعوبة التفتيش فيها والوقوف على مظانّها . بيد انّ اللغويين الحديثين لمّا ارادوا البحث عن اصول اللغة وكيفيّة جمعها عادوا الى تلك الآثار المنسيّة واستخرجوها من دفائنها ونشروها بالطبع وتبيّنوا المنافع الجمّة التي يمكن الحصول عليها بدرسها والتقاط فرائدها . وذلك ما حدا بنا ايضاً ان ندوّن في المشرق بعض تلك الآثار اللغويّة التي طلب الينا نشرها حضرة الدكتور اوغست هفنر نزيل كليتنا سابقاً او توفّقنا نحن الى اكتشافها في خزائن الكتب الشرقيّة وغيرها فما لبثنا ان وجدنا في محبي العربيّة

ارتياحاً الى مثل هذه المنشورات بل توسّلوا الينا بان نجمع تلك الرسائل في كتاب خاصّ ليقرب الانتفاع بها فاستصوبنا ملتمسهم وأعدنا طبع تلك الآثار بعد تصحيح ما وقع فيها من الاغلاط الطبعيّة وضبط حواشيها المدرجة في اذيالها. بل زدنا على كل رسالة فهارس لغويّة مرتبة على حروف المعجم. فجاء هذا المجموع واسع المادّة كامل الاهبة لا ينقصهُ شيء من المحسّنات الطبعيّة وهو يبتدئ بثلاثة كتب تُنسب الى الاصمعيّ اي كتاب الدارات ثمّ النبات والشجر ثمّ النخل والكرم ويليها كتاب المطر لابي زيد وكتاب الرَّحل والمنزل لابن قتيبة او بالحري لابي عُبيد وكتابان في اللبإ واللبن لهما. ويُختم المجموع بثلاث رسائل اقرب الينا عهداً الاولى في المؤنّثات السماعيّة والثانية في الحروف العربيّة والاخيرة في شرح المثلثات القطربيّة شعراً. وقد قدّمنا على كل رسالة نبذة وجيزة لتعريف صاحبها ومضمونها والنسخ التي استندنا اليها. ولمّا وافق ختام هذا المجموع افتتاح مؤتمر المستشرقين في عاصمة نروج سرّنا ان نقدّم لناديهم العلميّ هذه التحفة ولا شك انّهم يقدّرونها قدرها لوفرة فوائدها وعلوّ مقام اصحابها الاقدمين ل . ش

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي. الجزء الاوّل من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠ مع ثلاثة فهارس طبع في المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ عدد صفحاته ١٢٦. يُباع بفرنك ونصف

La Littérature arabe au XIXe siècle, 1re partie.

من عجيب امور اللغة العربيّة انك لا تجد حتى اليوم تاريخاً لآدابها مع وفرة كتبها وتعدُّد مصنفاتها في كل ابواب العلوم واتساع دائرة نفوذها الى حدود الهند والصين ومجاهل افريقة وسواحل اوربا وقد احسّ بهذا النقص فئة من المستشرقين الحدثين في فرنسة والمانية وانكلترة وروسيا وايطالية فارادوا نوعاً سدّ هذا الخلل ببعض التآليف التي اودعوها اوصاف العلوم العربيّة وتراجم اصحابها وقائمة كتبهم التي

صنفوها . على ان تلك التآليف مع فوائدها ليست سوى بواكير اعمال اوسع واكمل لا نزال اليها في حاجة ماسّة فنتمنّى ان تتألف فرقة من الادباء تقوم بهذا المشروع الجليل فتتبع آثار اللغة العربية في كل اطوارها مباشرةً بعهد الجاهلية وبين القبائل المتفرقة في انحاء الجزيرة ثمَّ تدوّن نشأة تلك اللغة وما طرأ عليها من الطوارىء في اوائل الاسلام وفي زمن الخلافتين الاموية والعبّاسية مع وصف الاسباب التي زادتها انتشاراً كفتح المدارس وانشاء المكاتب وترادي العلوم وتنشيط الملوك . ثم تعرّف ائمة الكتبة والذين اشتهروا في كل زمن وكل بلد واختصوا بكل صنف من العلوم . وتذكر خمود تلك الآداب في القرون الاخيرة مبيّنةً لعللها ومعاولاتها ثم تختم ذلك بفصل مطوّل عن النهضة الادبية التي حدثت في القرن الاخير . فلا غروَ ان كتاباً مثل هذا يتهافت عليه الادباء ويتخذونهُ كدستور دروسهم واساس ابحاثهم . وذلك ما حدا بنا ان نكتب في المشرق فصولاً في الآداب العربية في القرن الاخير رجاء ان تمهد الطريق لمن يتوخّى ذلك التاريخ الذي يتوق اليه المستشرقون . فلمّا انسنا في جمهور القرّاء اقبالاً على مطالعتها وطلبوا الينا جمعها في كتاب مستقلّ تسهيلاً لمراجعتها لبّينا الى ملتمسهم وطبعنا على حدة القسم الاوّل الذي يتناول تاريخ الاداب العربية من غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٧٠ وسوف نردفهُ قريباً ان شاء الله بقسمهِ الثاني . هذا ونحن نعلم حق العلم انهُ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب التي أردنا وصفها والادباء الذين قصدنا تعريفهم وما كنا لنجترئ على مباشرة هذا العمل لولا خوفنا بان يتلف القليل مما جمعناه عن آداب القرن المنصرم فتأخذه ايدي الضياع واملنا الوطيد بأن يتلافى غيرنا ما يجدونهُ في هذا المجموع من الخلل بابراز ما عندهم من الذخائر المصونة والكنوز المدفونة . وقد ختمنا هذا الجزء بفهارس المواد واعلام الادباء الشرقيين والمستشرقين الذين مرَّ ذكرهم في مطاوي الكتاب لتتم بها الفائدة وتزيد العائدة . ان شاء الله

ل . ش

شذرات

لغز مطلوب حلّهُ عرض علينا المسيو مسنيون احد المستشرقين الفرنسويين الذي يهتمّ الآن بوضع كتاب في أبي مغيث الحلّاج ان ننشر في المشرق

لغزاً وقف عليهِ في ترجمة هذا الخارجيّ وهو لم يهتدِ الى حلّهِ لعلّ احد القرّاء يهتدي اليهِ ولو بذكر اللفظة فقط بدون نظم ابيات وهو هذا:

يا غافلاً لجهالة عن ثاني ... هلاّ عرفتَ حقيقتي وبياني
وعبارة فيه ستة احرف ... من بينها حرفان معجمان
حرفان اصلي وآخر شكلهُ ... في المعجم منسوبٌ الى ايمانِ
فاذا بدا راس الحروف امامها ... حرف يقوم مقام حرف ثاني
ابصرتني بمكان موسى نائماً ... في النور فوق الطور حين تراني

خرافات بعض الملحدين — اثبتنا في العدد السابق (ص ٥٦١) اقتراح الهلال على قرّائهِ بان يبيّنوا ضرورة الدين في الوجدان اذ لولاهُ يبتدع الانسان لهُ ديناً باطلاً. فذكرنا هذا الاقتراح بما كتبهُ احد ادباء عصرنا في هذا المعنى حيث قال: لا بُدَّ للانسان من دين صحيح او باطل فان نبذ الدين القويم رجع في عقلهِ الباطل وان تقرَّر الدين المستقيم زهق الباطل. ولو سمح لنا المكان لنقلنا هنا كثيراً من الخرافات الصبيانية التي شاعت بين الملحدين الذين نكروا وجود الاله وعقائد الوحي الراهنة المبنيَّة على اثبت البراهين واقوى الادلَّة متقادين لبعض المزاعم الواهنة التي لا يقبلها العقل ويتجنبها الذوق السليم فترى هذا لا يتجاسر ان يسافر يوم الجمعة اذ يُعدّ السفر فيهِ نحساً. وذاك لا يجلس على مائدة يكون دُعاتها ١٣. كان الزنديقان الفرنسويّان ديدرو ودالمبرت يرتعبان من تأثير العين ورصود المشعوذين. وكان الملحد هوبس الانكليزي يُذعر ممّا يطرأ عليهِ من الأحلام. وكان ملك بروسية فردريك الكبير اذا رأى اسياخ الاكل والملاعق على المائدة مصلّبة استطار لنظرها خوفاً. وكان فولتار ترتعد فرائصهُ اذا سمع صوت الرعد فيستتر تحت قبة الاجراس. وكان اسكندر دوماس الرواية يزاول فتح الفأل ويرى لتقاطيع الكفّ اسراراً. واتخذت جرج سند الكاتبة الشهيرة لها الهاً اخترعتهُ مخيلتها ودعتهُ كرامبو وكانت تسجد لهُ مرتعبة امامهُ. وكان زولا القصّاص ينسب للاعداد قوَّة غريبة فيجمعها او يطرحها او يضربها او يقسمها ولا يتصرَّف بالعمل الّا اذا وافقت ظنهُ. وكان اذا خرج من دارهِ قدَّم الرجل اليسرى على اليمنى لزعمهِ انَّ لليسرى فعلاً صالحاً بخلاف اليمنى. وهذه الخرافات التي كان هؤلاء المدّعين بالعلم يعتقدونها لم يبنوها كما ترى على غير اوهامهم فكأن الله كما يقول القديس بولس (رومية ٢ : ٢١) يعاقب هؤلاء جحدة اللاهوت وحقائق الدين بأن

يسلمهم الى اهواء قلبهم والى رأيهم المرذول حتى يعملوا ما لا يليق ويعتقدوا ما لا يقطع عقل انسان

السكك الحديدية في اوربة سنة ١٩٠٧ نشرت وزارة الصنائع والفنون في فرنسة جدول السكك الحديدية في اوربة وقابلت بين حالتها في العام ١٩٠٧ والعام السابق فنذكر هنا البلاد على نظام ترقيها. اما الاقيسة فعلى حساب الكيلومتر:

اسماء البلاد	خطوطها سنة ١٩٠٦	خطوطها سنة ١٩٠٧	زيادتها
روسيا وفنلندة	٥٥,٠٠٦	٥٦,٦٧٠	١,٦٦٤
النمسا والمجر	٤١,٩١٨	٤١,٣٣٧	١,٣٠١
المانية	٥٦,٤٧٧	٥٧,٣٧٦	٨٩٩
فرنسة	٤٦,٤٦٦	٤٧,١٤٢	٦٧٦
اسوج	١٢,٦٨٤	١٣,١٦٥	٤٨١
بريطانية العظمى	٣٦,٧٦	٣٧,١٠٧	٣٤٧
بلجيكا	٧,٢٣٨	٧,٤٩٥	٢٣٧
اسبانية	١٤,٤٣٠	١٤,٦٤٩	٢١٩
دانيمرك	٣,٢٨٨	٣,٤٣٤	١٤٦
ايطالية	١٦,٢٨٤	١٦,٤٢٠	١٣٦
برتغال	٢,٥٧١	٢,٦٣٧	٦٦
سويسرا	٤,٣٨٩	٤,٣٤٢	٥٣
رومانية	٣,١٧٩	٣,٢١٠	٣١
هولندة	٣,٠٣٠	٣,٠٥٤	٢٤

اما بقية البلاد التي لم نذكرها فلم يزيدوا على خطوطها السابقة شيئاً

وفاة فلكي يسوعي نقل هنا الاسطر التي عرّبتها مجلّة المقتطف (ص ٥٤٢) عن جريدة ناتشر العلمية وفيها خبر رزيّة عظيمة اصابت العلوم الفلكية بوفاة احد مشاهير الفلكيين في الهند وهو الاب لافونت اليسوعي البلجكي قالت:

نعت اخبار الهند الاب اوجين لافونت العالم الطبيعي وهو في الحادية والسبعين من عمره كان استاذاً للعلوم الطبيعيّة في مدرسة سنت زفير الكليّة بكلكتا ثمّ جعل رئيساً لها وبسعيه جمعت تلك المدرسة احسن الآلات التي تُوضَّح بها الحقائق العلميّة. ولقد كان من اشهر الاساتذة في التعليم ونشر الحقائق العلميّة وبقي ثلاثين سنة عضواً في مدرسة كالكتا الجامعة وكان لهُ المقام الارفع في الدوائر العلمية وفي عيون اعيان الهند وبسعيه تمكن الدكتور «ماهندرا لال سركار» من انشاء المجمع الهندي لترقية العلوم. وسيبقى اسمهُ مقروناً بالتعليم والتبجيل كأول روّاد التعليم العلمي

في بلاد بنغالا وفقدهُ خسارة كبيرة على تلك البلاد ولا سيما في هذا الزمن الذي يراد ان يوضع فيهِ التعليم هناك على اسس علميَّة

اصغر مكتبة في العالم — من مرويَّات البشير ان المسيو سالومونى مهندس مناجم اليامونت تمكن من جمع مكتبة يبلغ عدد مجلَّداتها ١٥٠٠ كتاب في مواضيع مختلفة لكنها كلها مكتوبة بخطوط غاية في الدقة او مصغرة بالفوتوغراف بحيث يمكن صاحبها ان يحملها بتمامها في محفظة سفر اعتياديَّة فيأخذ مكتبتهُ معهُ حيثما سار. ومن كتب هذه الخزانة الغريبة ترجمة الياذة هوميروس الى الشعر الايطالي التي لا يزيد طولها عن الربع المجيدي وتس عليهِ سائر المجلَّدات . واكثر هذه الكتب من هولندة

ثمن احدى صور المصور رافائيل — افادت اخبار رومية انَّ المسيو مورغان الثري الاميركي الشهير قد ابتاع صورة العذراء مريم من صنع رافائيل المصوِّر الايطالي الشهير في القرن السادس عشر فدفع في حقها ٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك وسيزيِّن بها قصر ألدوبرَنديني الذي اشتراهُ مؤخرًا في رومية

معامل الورق — ان انتشار المطابع وتوفر المطبوعات ولا سيما الجرائد يستدعي توسيع صناعة الورق وانشاء معامل جديدة لاستحضارهِ . وغاية ما كان يُنفَق منهُ قبل عشرين سنة كان لا يكاد يتجاوز ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو وفي السنة المنصرمة كاد يبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو تتخذ الولايات المتحدة في اشغالها ومطبوعاتها نحو نصف هذا المقدار ثم يليها المانية ثم انكلترة ثم فرنسة ثم النمسة ثم ايطالية

أسئلة وأجوبة

س عاد جناب الفاضل مراد افندي الباروي وطلب منَّا زيادة ايضاح في مختصر جغرافيَّة الادريسي المعروفة بنزهة المشتاق ومُخترق الآفاق وما يوجد بين المختصر المطبوع في رومية من العلاقة مع المختصر الذي ذكرهُ صاحب كشف الظنون اذ قال « والمعروف انهُ اختصره بعضهم »

مختصر نزهة المشتاق للادريسي

ج نجيب على هذا السؤال ان المستشرقين الذين وصفوا كتاب الادريسي ومخطوطاتهِ الكاملة او المختصرة لم يزيدوا بيانًا على ما اثبتناه سابقًا في جوابنا الاوَّل لجناب المستفيد (ص ٣٢٠) واذ لم نطَّلع نحن عيانًا على هذه المخطوطات فلا يمكننا ان

همزة تليناً فظنّوه قرا ألي. وتريد على ذلك ان تقليد هذه الاسرة في حلب يوافق على كتابة الاسم بالعين قراعلي لا قرالي. والله اعلم

س وسأل الاديب وهبي افندي غاري ما هي الروايات الادبيّة التي يمكن تشخيصها في المدارس او الجمعيّات الخيريّة

الروايات التشخيصيّة الادبيّة

ج قد توفّر منذ عشر سنوات عدد الروايات التشخيصيّة المطبوعة ولا سيما في مصر الّا انّ اكثرها غرامية لا تصلح للمدارس وللجمعيات الادبية . ومما يحسن تمثيلهُ في المدارس الروايات الاتية الماخوذة عن الكتب المقدسة او تاريخ الكنيسة كمأساة ايوب الصديق للاديب المعلم الياس لطف الله (طُبعت في القدس) . ورواية الابن الضال لهُ (طبعت في الاسكندريّة) . ورواية داود الملك للخوري بطرس البستاني (طبعت في بيروت) ورواية حكمة سليمان جمعها القس افرام الديراني (طبعت في مطبعتنا) . ورواية الحارث شعريّة لخليل افندي طنوس باخوس (طبعت في بيروت) . ورواية استشهاد مار ترسيسوس للمعلم سليم افندي حسُون (في الموصل بمطبعة الدمنيكان) . ورواية لطيف وخوشابا ترجمة نعوم افندي فتح الله سخّار (في الموصل) . والمثل الاريحي في استشهاد الفتى المسيحي للخوري ميخائيل الوف (في مطبعتنا) . ورواية السعادة في الشهادة للمعلم ميخائيل غفريل (في مطبعتنا) . والدرّة الفريدة في افدوكيا الشهيدة . لهُ لمدارس الاناث (طبعت في الحدث) . ورواية القديس لويس غنزاغا للاديب يوسف افندي شبلي ابو سليمان (في مطبعتنا) . ورواية وديعة الايمان في ضواحي لبنان لهُ (في مطبعتنا) . ومن الروايات التاريخية التي يحسن ايضاً تشخيصها في المدارس رواية الفراد الكبير بقلم شبلي افندي ملّاط (في بعبدا) . ورواية الذخيرة من ترجمته (في بيروت) . ورواية رومانوس امبراطور الشرق بقلم عقل البشعلاني ويوسف البجاني (في بيروت) . ورواية ابدالونيم ملك صيدون للاديب يوسف افندي شبلي ابي سليمان . ورواية الفارس الاسود للمرحوم نجيب حبيقه (في بعبدا) . ورواية كريستوف كولومب (في الاسكندرية) . هذا وقد ترجم بعض الكتبة عدة روايات افرنسية لكورنيل وراسين وغيرهما من الشعراء كالسيد وبريطانيكوس وعتليا وميروبا واوديب الّا ان تشخيصها يقتضي بعض التنقيح لدخول النساء فيها

ل . ش

والفرض الكنائسي . ولمّا توفي الجر قام بعدهُ ابنهُ المدعو سلطان فجرى على صناعتهِ وعمَّم الطباعة الارمنية ل . ش

س وسأل حضرة الاب انستاس الكرملي عن اصل ومعنى الالفاظ المعرَّبة الاتية : « المنتيَّة . البارمنتي . اللاطية . الكوكوليون . الانالابون . وكلمة جسكالا »

اصل بعض الالفاظ الاعجميَّة

ج المنتيَّة (μανδύη) رداء طول يلبسهُ الاساقفة في الرتب الكنسيَّة . والبارمنتي (παραμανδύας) ثوب رهباني يُلبس فوق المنتيَّة . والكوكوليون (من اللاتينيَّة cucullum ومنها اليونانية κουκούλλιον) هو غطاء يُجعل على الراس كالاسكيم . والانالابون (ἀναλάβος) ثوب ذو لفتين يُجعلان على الصدر وعلى الظهر ويُدخَل الراس في وسطهما يوافق ما يدعوهُ المحدثون باسم (Scapulaire) . امَّا جسكالا فهو اسم مدينة في الجليل تُعرف اليوم باسم الجشّ امَّا اصل الكلمة فلا نعلمهُ ولعلَّهُ تصحيف « جش قامة » اي قلعة جشّ كما يقولون « روم كالا » يريدون قامة الروم

س وسأل من طرابلس صاحب الفضل حكمت افندي شريف ما هي اصح كتابة لاسم عبدالله الماروني الحلبي مطران بيروت ومؤسس الرهبانيَّة اللبنانية الذي نشرنا ترجمتهُ في المشرق (١٠ : ٦٢٥) للاب توما البودي اهو قراألي بالهمزة بعد الالف المهملة او قراعلي بالعين لأننا تردَّدنا في كتابة هذا الاسم

المطران عبدالله قراعلي

ج سبق حضرة الاب انطون رباط فاجاب على هذا السؤال في الحاشية الرابعة من الصفحة ٦٢٦ من المشرق (السنة العاشرة) حيث قال انَّ النسخة التي نشرها المتضمنة سيرة حياة المترجم والمكتوبة من تلميذه البودي روت اسمهُ بالعين (قراعلي) وقد وافقهُ بذلك معاصروه . امَّا المحدثون فقد رووا اسمهُ بالهمز (قراألي) كأنهم اشتقوهُ من التركية « قرا ال » او « قرا اللي » اي اليد السوداء او الاسود اليد . ولعل الاسم الاوَّل اصح لان اهل زمانهِ اعرف باسمهِ من المحدثين فيكون معنى الاسم « علي الاسود » . وفي برنامج الاديب الهمام يوسف افندي خطار غانم (ص١٢٣) ان الاسم مكتوب على ضريح المترجم « قرا ألي » سنة ١٧٤٢ لكنَّ هذا لا يزيل المشكل اذ لم نعرف متى أُثبتت تلك الكتابة على الضريح افي سنة الموت او بعد ذلك بزمان . ومن المحتمل ان يكون اصل الاسم بالعين ثمَّ جعلوه همزةً على دأب الذين يلفظون العين

همزة تليناً فظنّوه قرا ألي. وتزيد على ذلك ان تقليد هذه الاسرة في حلب يوافق على كتابة الاسم بالعين قراعلي لا قرالي. والله اعلم

س وسأل الاديب وهبي افندي تماري ما هي الروايات الادبيّة التي يمكن تشخيصها في المدارس او الجمعيّات الخيريّة

الروايات التشخيصيّة الادبيّة

ج قد توفّر منذ عشر سنوات عدد الروايات التشخيصيّة المطبوعة ولا سيما في مصر الّا انّ اكثرها غرامية لا تصلح للمدارس والجمعيات الادبية . ومما يحسن تمثيلهُ في المدارس الروايات الاتية المأخوذة عن الكتب المقدسة او تاريخ الكنيسة كمأساة ايوب الصديق للاديب المعلم الياس لطف الله (طُبعت في القدس) . ورواية الابن الضال لهُ (طبعت في الاسكندريّة) . ورواية داود الملك للخوري بطرس البستاني (طبعت في بيروت) ورواية حكمة سليمان جمعها القس افرام الديراني (طبعت في مطبعتنا) . ورواية الحارث شعريّة لخليل افندي طنوس باخوس (طبعت في بيروت) . ورواية استشهاد مار ترسيوس للمعلم سليم افندي حسّون (في الموصل بمطبعة الدمشكان) . ورواية لطيف وخوشابا ترجمة نعوم افندي فتح الله سخّار (في الموصل) . والمثل الاريحي في استشهاد الفتى المسيحي للخوري ميخائيل الوف (في مطبعتنا) . ورواية السعادة في الشهادة للمعلم ميخائيل غفريل (في مطبعتنا) . والدرّة الفريدة في افدوكيا الشهيدة . لهُ لمدارس الاناث (طبعت في الحدث) . ورواية القديس لويس غنزاغا للاديب يوسف افندي شبلي ابو سليمان (في مطبعتنا) . ورواية وديعة الايمان في ضواحي لبنان لهُ (في مطبعتنا) . ومن الروايات التاريخية التي يحسن ايضاً تشخيصها في المدارس رواية الفراد الكبير بقلم شبلي افندي ملّاط (في بعبدا) . ورواية الذخيرة من ترجمته (في بيروت) . ورواية رومانوس امبراطور الشرق بقلم عقل البشعلاني ويوسف البجاني (في بيروت) . ورواية ابدالونيم ملك صيدون للاديب يوسف افندي شبلي ابي سليمان . ورواية الفارس الاسود للمرحوم نجيب حبيقه (في بعبدا) . ورواية كريستوف كولومب (في الاسكندرية) . هذا وقد ترجم بعض الكتبة عدة روايات افرنسية لكورنيل وراسين وغيرهما من الشعراء كالسيد وبريطانيكوس وعتليا وميروبا واوديب الّا ان تشخيصها يقتضي بعض التنقيح لدخول النساء فيها

ل . ش

المشرق

الحكومة الدستورية

ان الرابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٠٨ الذي منح فيه جلالة السلطان رعاياه حكومة دستورية على مثال الحكومات الاوربية لجدير بان يعدّ من اهم تواريخ الامة العثمانية. فبعد ان كانت متربّعة في مقامها لا تكاد تريم بينما الكل في سير حثيث. ثابتةً على تقاليدها القديمة لا تحب نسخ شيء منها بينما الكل في تغيّر وانقلاب. عزمت هي ايضاً على النهوض من مقرها ومباراة الدول الاوربية في سيرها واحوالها المدنيّة والسياسيّة. وقد تلقى الجميع من وطنيين واجانب في داخل البلاد وفي الخارج ولاسيما في الدوائر السياسية هذا الحادث الخطير بمزيد الفرح والارتياح لانهم يتنسمون منهُ خيراً عميماً. ولنا الأمل ان الاحكام الجديدة اذا رسخت فيما بيننا. وطابقتها الاعمال بكل صدق وامانة. ولبثت حقوق الباري عزَّ وجلَّ. رأس كل صلاح واصل كل تمدن حقيقي. مرعيةً من الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس. ضمنت للوطن الامن والعدالة. وانعشت في النفوس روح النشاط والاقدام على المشروعات المفيدة. واعادت الثقة لذوي الثروة في اوربا فامدونا باموالهم وساعدونا على استثمار خيراتنا. واوقفت حركة المهاجرة المشؤومة التي حرمت بلادنا انشط اولادها. وسهّلت على ذوي الامور حلّ المشاكل السياسية التي طالما عكرت صفاء علاقاتنا مع الدول الاجنبيّة الى غير ذلك من المنافع التي يطول شرحها الآن. وفّق الله المساعي وحقّق الاماني

ولما كان القانون الاساسي الذي وُضع سنة ١٨٧٦ ثم اوقف العمل به حتى اواخر تموز المنصرم والخط الهمايوني الصادر في غرة هذا الشهر يُعتبران كقاعدة النظام الجديد احببنا نشرهما ليسهل على الكل مطالعتهما والرجوع اليهما عند الحاجة

القانون الاساسي

وزيري سمير المعالي مدحت باشا

ان التدنيات العارضة منذ ازمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيمة في ادارة الامور الداخلية اكثر مما نشأ من الغوائل الخارجية ومن ميل الاسباب الكافلة امنية التبعة من حكومتهم المتبوعة الى الانحطاط . فلذا كان والدي الماجد المرحوم عبد الحميد خان اعان مقدمة للاصلاحات خط التنظيمات الذي منح فيه للعموم الامن على نفوسهم واموالهم واعراضهم وناموسهم كما يوافق احكام الشرع الشريف المقدسة . فما عشناه للان ضمن دائرة الامن . وما وُفقنا به اليوم بوضع واعلان هذا القانون الاساسي الذي هو ثمرة الآراء والافكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الامنية ما هو الا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية . فلذلك اردد خاصةً في هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار اليه وموفقيته واصفهُ بعنوان محيي الدولة . ولا ريب بانهُ لو كان الاوان الذي تأسست فيه التنظيمات المذكورة موافقاً لاستعداد زماننا هذا والجاآته لكان المرحوم المشار اليه اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي الذي نشرناه الآن واجراه . ولكن جناب الحق عاق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة بالتمام سعادة حال ملتنا وعوقيا لعهد سلطتنا . فنقدم بناء على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم . على ان التغييرات التي وقعت بالطبع في احوال داخلية دولتنا العلية والترسمات التي حصلت في مناسباتها الخارجية اوصلت عدم كفاءة شكل ادارة الحكومة لدرجة البداهة . ولما كان اقصى مقاصدنا الخيرية ازالة الاسباب المانعة للان الاستفادة الواجبة من ثروة ملكنا وملتنا الطبيعية ومن قابليتهما الفطرية وتقدم صنوف التبعة في طرق الترقي بالتعاون والاتحاد اقتضى لاجل الوصول الى هذا المقصد ان تتخذ الحكومة قاعدة سالمة ومنتظمة وهذا ايضاً يتوقف على تأمين هذه الفوائد وتقريرها بمعنى ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الحركات غير المشروعة اعني بها منع وكر الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي او الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم

من نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء. ذلك حق ومنفعة جريان بالهيئة الاجتماعية المدنية. ولما كان ربط القوانين والمصالح العمومية بقاعدتي المشورة والمشروطية المشروعتين والثابت خيرهما مما تحتاج اليه هذه الاصول اوعزنا في خطنا الذي اذعنا به جلوسنا عن لزوم ترتيب مجلس عمومي. وبما ان القانون الاساسي الذي اقتضى تنظيمه في هذا المطلب قد ترتب بالمذاكرة في الجمعية المخصوصة التي تعينت مركبة من متحيزي الوزراء وصدور العلماء ومن سائر رجال ومأموري دولتنا العلية وجرى عليه التصديق في مجلس وكلائنا بعد امعان نظر التدقيق وكانت المواد المندرجة فيه انما هي متعلقة بحقوق الخلافة الاسلامية الكبرى والسلطنة العثمانية العظمى وحرية العثمانيين ومساواتهم وصلاحية الوكلاء والمأمورين ومسؤوليتهم وبما للمجلس العمومي من حق الوقوف وباستقلال المحاكم الكامل وبصحة الموازنة المالية وبالمحافظة على مركز الحقوق في ادارة الولايات واتخاذ اصول توسيع المأذونية وكان جميع ما ذكر مطابقاً لاحكام الشرع الشريف ولاحتياج الملك والملة وقابليتهما في يومنا هذا وكانت اخص آمالنا في مطالب سعادة العامة وترقياتها مساعدة لهذا الفكر الخيري وموافقة له فاستناداً على عون الله وامداد روحانية رسول الله قد قبلنا هذا القانون الاساسي وارسلنا به لطرفكم بعد ان صادقنا عليه فبادروا لاعلانه في جميع انحاء الممالك العثمانية واطرافها ليكون دستوراً للعمل الى ما شاء الله وباشروا باجراء احكامه منذ اليوم متخذين اسرع التدابير لتنظيم ما تقرر فيه وتسطر من النظامات والقوانين كما هو مطلوبنا القطعي ونسأل جناب الحق المتعال ان يجعل مساعي المجتهدين في سعادة حال ملكنا وملتنا مظهراً للتوفيق في كل الاعمال

في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣

﴿ في ممالك الدولة العثمانية ﴾

المادة ١ ان الدولة العثمانية تحتوي على الممالك والقطع الحاضرة وعلى الايالات الممتازة وجميعها جسم واحد لا يمكن تفريقه او تجزيئه بوقت من الاوقات او بسبب من الاسباب

٢ ان مدينة استانبول هي عاصمة الدولة العثمانية ومقرها وهذه المدينة غير معفاة او ممتازة عما سواها من جميع البلاد العثمانية

٣ ان السلطنة السنية العثمانية الحائزة على الخلافة الكبرى الاسلامية تكون لاكبر اولاد سلالة آل عثمان بحسب الاصول القديمة

٤ ان حضرة السلطان حسب الخلافة هو الحامي لدين الاسلام وهو مالك جميع التبعة العثمانية وسلطانها

٥ ان نفس ذات الحضرة السلطانية هي مقدسة وغير مسئولة

٦ ان حقوق حرية سلالة آل عثمان واموالهم واملاكهم الذاتية وتخصيصاتهم المالية ما دامت الحياة جميعها تحت التكافل العمومي

٧ ان عزل الوكلاء ونصبهم وتوجيه المناصب والرتب واعطاء النياشين وتوجيهات الايالات الممتازة توفيقًا لشروط امتيازهم وضرب المسكوكات وذكر اسمه في الخطب وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية واعلان الحرب والصلح والتأسيس على القوة البحرية والبرية واجراء الحركات العسكرية والاحكام الشرعية والقانونية وتنظيم النظامات المتعلقة بمعاملات دوائر الادارة وتخفيف المجازاة القانونية او العفو عنها وعقد المجلس العمومي او فضه وتعطيله وفسخ هيئة المبعوثان لدى الاقتضاء على شروط انتخاب الاعضاء مجددًا ذلك جميعه من حقوق الحضرة السلطانية المقدسة

﴿ في حقوق تبعة الدولة العثمانية العمومية ﴾

٨ يطلق اسم عثماني بدون استثناء على كافة افراد التبعة العثمانية من اي دين ومذهب كانوا وهذه الصفة العثمانية تضاع او تستحصل على مقتضى الاحوال المعينة قانونيًا

٩ العثمانيون باجمعهم يملكون حريتهم الشخصية ومكلفون بان لا يتسلطوا على حقوق حرية الآخرين

١٠ تصان الحرية الشخصية من كافة انواع التعرض ولا يجازى احد تحت اي حجة كانت خارجًا عن الصور والاسباب المعينة في القانون

١١ ان دين الدولة العثمانية هو دين الاسلام فمع المحافظة على هذا الاساس تكون حرية جميع الاديان المعروفة في الممالك العثمانية وكافة الامتيازات الممنوحة الى الجماعات المختلفة تحت حماية الدولة على شرط ان لا تخل براحة الخلق ولا بالآداب العمومية

١٢ تكون المطبوعات مطلقة في دائرة القانون

١٣ التبعة العثمانية ماذونة ان تشكل ضمن دائرة النظام والقانون كل انواع الشركات لاجل التجارة والصنعة والفلاحة

١٤ اذا رأى احد التبعة العثمانيـة او عدة اشخاص منهم قضية متعلقة بهم او بالعموم مخالفة للقوانين والنظامات يحق لهم ان يقدموا بخصوصهـا عرضحال لمرجعها ويحق لهم كذلك ان يقدموا للمجلس العمومي عرضحـال ممضيًا منهم بصفة مدعين وان يشتكوا من افعال المأمورين

١٥ امر التدريس يكون مطلقًا وكل عثماني مأذون بالتدريس خصوصيًا كان او عموميًا على شرط اتباع القانون المعين

١٦ توضع جميع المكاتب تحت نظارة الدولة ويجب التثبت في الاسباب التي تجعل التربية العثمانية على نسق واحد في الاتحاد والانتظـام ولا يقع خلل في اصول التعليم المتعلق بامور معتقدات الملل المختلفة

١٧ يكون كافة العثمانيين متساوين في حقوق المملكة ووظائفها امام القانون فيما عدا الاحوال المذهبية والدينية

١٨ يشترط في مطلب استخدام التبعـة العثمانية في خدمات الدولة ان يعرفوا اللسان التركي الذي هو لسان الدولة الرسمي

١٩ تقبل عموم التبعة في مأموريات الدولة ويستخدمون فيما يناسب منهـا بحسب اهليتهم ولياقتهم

٢٠ تطرح التكاليف المقررة وتتوزع على التبعة بنسبة اقتدار كل فرد منهم توفيقًا لنظاماتها المخصوصة

٢١ يكون كل فرد امينًا على ماله وعلى ملكه المتصرف فيه تصرفًا اصوليًا ولا يؤخذ من احد الملك الذي في تصرفه ما لم يثبت لزومه للمنافع العمومية وما لم يدفع له ما يساويه من الثمن نقدًا على موجب القانون

٢٢ يصان مسكن كل فرد في الممالك العثمانية ومنزله من التعرض وليس وسع الحكومة ان تدخل جبرًا الى مسكن احد او منزله بسبب من الاسبـاب فيما عدا الاحوال التي يعينها القانون

٢٣ على موجب حكم قانون اصول المحاكمة المقرر وضعه لا يجبر احد البتة على الذهاب الى محكمة غير المحكمة المنسوب اليها قانونياً

٢٤ السخرة والمصادرة والجريمة ممنوعات ويستثنى من ذلك التكاليف والاحوال التي تعين اصولياً في اثناء المحاربة

٢٥ لا يؤخذ من احد بارة الفرد تحت اسم ويركو ورسومات او تحت اي اسم آخر من غير ان يكون ذلك مستنداً على قانون

٢٦ التعذيب وكل انواع الاذية ممنوع بالكلية بالوجه القطعي

﴿ في وكلاء الدولة ﴾

٢٧ يحال مسند الصدارة والمشيخة الاسلامية الى من تأتمنهم الحضرة السلطانية وتجري كذلك مأمورية كافة الوكلاء بموجب الارادة السنية

٢٨ يعقد مجلس الوكلاء تحت رئاسة الصدر الاعظم وهذا المجلس هو مرجع الامور الداخلية والخارجية وما يحتاج من قرار مذاكرته للاستئذان يجري بالارادة السلطانية

٢٩ كل من الوكلاء يُجري على وفق الاصول كل ما يكون داخلاً تحت مأذونيته من الامور العائدة لدائرته. وما كان خارجاً عنها يعرض على الصدر الاعظم فيجري الصدر مقتضى ما يكون منها غير محتاج للمذاكرة او يستأذن عنهُ من الحضرة السلطانيَّة والذي يحتاج الى المذاكرة يعرضهُ على مذاكرة مجلس الوكلاء ويجري مقتضاه على موجب الارادة السنية. اما انواع هذه المصالح ودرجاتها فتعين بنظام مخصوص

٣٠ وكلاء الدولة مسؤولون عن الاحوال والاجراآت المتعلقة بمأموريتهم

٣١ اذا أورد احد اعضاء المبعوثان او عدة منهم شكاية على احد الوكلاء توجب عليه المسؤولية من قبيل بعض الاحوال الداخلة ضمن دائرة وظيفة هيئة المبعوثان يرسل رئيس الهيئة تقرير الشكاية المتقدم لهُ في ظرف ثلاثة ايام الى الشعبة المأمورة بالتدقيق على ما يماثل هذه المواد لتنظر هل نظام هيئة المبعوثان الداخلي يوجب تحويلها الى الهيئة او لا . وبعد ان تجري الشعبة التحقيقات اللازمة وتستحصل من المشتكى عليه الايضاحات الكافلة يتلى لدى هيئة المبعوثان قرارها الذي يترتب باكثرية

الآراء بلزوم التذكر على الشكاية . واذا مست الحاجة تستدعي الهيئة ذلك الذات المشتكى عليه وتسمع منهُ رأساً او من وكيله الايضاحات التي يوردها في هذا الباب ومتى قر القرار بالاكثرية المطلقة من ثلثي الاعضاء الموجودين على قبول الشكاية تقدم مضبطة طلب المحاكمة الى مقام الصدارة فيقدمها الصدر للعرض وتحال الكيفية الى الديوان العالي بعد تعلق الارادة السنية عليها

٣٢ ان اصول محاكمة المتهمين من الوكلاء ستعين بنظام مخصوص

٣٣ لا فرق بين الوكلاء وسائر افراد العثمانيين في كل انواع الدعاوي المتعلقة بانفسهم خاصة خارجاً عن مأموريتهم . اما محاكمة ما شاكل هذه الدعاوي والخصومات فتجري في المحاكم العمومية المنوط بها رؤيتها

٣٤ يسقط من الوكالة كل الوكلاء الذين يقر قرار دائرة الاتهام في الديوان العالي على كونهم متهمين وذلك الى ان تتبرأ ذمتهم

٣٥ اذا اصر الوكلاء على احد المواد المختلف عليها بينهم وبين هيئة المبعوثان وكرر المبعوثان رفضها قطعياً باكثرية الآراء المشفوعة بتفصيل الاسباب الموجبة لرفضها فيكون حينئذٍ بيد اقتدار الحضرة السلطانية تبديل الوكلاء او فسخ هيئة المبعوثان على شرط تجديد انتخابها في المدة القانونية

٣٦ اذا ظهر في بعض ازمنة انعقاد المجلس العمومي واجتماعه ضرورة مهمة لوقاية الدولة من خطر او الامن العام من خلل في وقت غير مساعد على جلب المجلس المذكور وجمعه لاجل التذاكر في القانون الذي يرى لزوم لوضعه في تلك النازلة . فما تعطيه الوكلاء حينئذٍ من القرارات التي لا تغاير احكام القانون الاساسي تعتبر موقتاً بموجب الارادة السنية في قوة حكم القانون وذلك الى ان تجتمع هيئة المبعوثان وتعطي قراراً بخصوصها

٣٧ كل من الوكلاء يستطيع متى اراد ان يحضر في الهيئتين او ان يوجد بها بالوكالة عنهُ احد رؤساء مأموري معيتهِ ولهُ حق التقدم على الاعضاء في ايراد النطق

٣٨ اذا قر قرار هيئة المبعوثان بالاكثرية ان يستدعي لحضوره احد الوكلاء للاستيضاح عن مادة ففي وسع الوزير المدعى ان يذهب الى الهيئة بالذات او يرسل

احد رؤساء مأموري معيته ليجاوب عما يسأل عنهُ وفي وسعهِ ايضاً ان يؤخر الجواب اذا وجد لزوماً على شرط ان تكون مسؤولية التأخير عليهِ

﴿ في المأمورين ﴾

٣٩ جميع المأمورين ينتخبون للمأموريات التي يكونون اهلاً لها على وفق الشروط التي سيتعين نظامها والمأمورين المنتخبين على هذا الوجه لا يعزلوا او يبدلوا ما لم يتحقق قانونياً الحال الموجب عزلهم او ما لم يستعفوا من تلقاء انفسهم او ما لم يرَ لدى الدولة سبب ضروري لعزلهم . اما من كان منهم مستقيماً وحسن السلوك وانفصل عن مأموريته لسبب مقتضى لدى الدولة فلهُ حق بالترقي او بالتقاعد [illegible] معزوليته حسبما يتعين في نظام هذا المطلب المخصوص

٤٠ سيتعين نظام مخصوص لوظائف كل مأمورية على حدتها وكل مأمور مسؤول ضمن دائرة وظيفته

٤١ كل مأمور ملزوم باحترام آمره واطاعته ضمن الدائرة التي يعينها القانون اما اطاعته للآمر في الامور المخالفة للقانون لا تكون مداراً لتخليصه من المسؤولية

﴿ في المجلس العمومي ﴾

٤٢ المجلس العمومي يحتوي على هيئتين احداهما تدعى هيئة الاعيان والثانية هيئة المبعوثان

٤٣ اجتماع هيئتي المجلس العمومي في كل سنة يكون في بداية تشرين الثاني والمجلس المذكور يفتتح او يغلق بموجب الارادة السنية وغلقه يكون في بداية مارت ولا تعقد احدى هاتين الهيئتين في زمان تكون بهِ الاخرى غير مجتمعة

٤٤ للحضرة السلطانية ان تفتتح المجلس العمومي قبل وقته اذا وجد لدى الدولة لزوم لذلك وان تنقص مدة الاجتماع المعينة او تزيدها وتمدها

٤٥ يتم افتتاح المجلس العمومي بحضور الحضرة السلطانية بالذات او بالوكالة بحضور الصدر الاعظم ووكلاء الدولة واعضاء الهيئتين معاً ويتلى في ذلك اليوم نطق سلطاني متعلق باحوال داخلية الدولة ومناسباتها الخارجية في ظرف السنة الجارية وفيما يجب اتخاذه من التشبثات والتدابير في السنة الآتية

٤٦ في اول يوم افتتاح المجلس يحلف بحضور الصدر الاعظم كل من الذوات المنتخبين او المنصوبين اعضاء المجلس العمومي بان يكون صادقاً للحضرة السلطانية ولوطنه وان يراعي احكام القانون الاساسي والوظيفة المودعة لعهدته وان يجتنب كل ما يخالف ذلك ومن لم يحضر في ذلك اليوم من الاعضاء يحلف على الوجه المشروح عند اجتماع الهيئة بمعرفة رئيس هيئته

٤٧ اعضاء المجلس العمومي يكونون احراراً في آرائهم ومطالباتهم ولا يكون احد منهم تحت قيد تعليمات ووعد ووعيد ولا يتهم البتة من قبيل الآراء التي يعطيها ولا من جهة المطالعات التي يبينها في اثناء مذاكرات المجلس اذا لم تقع منهُ في جميع ذلك حركة مخالفة لنظام المجلس الداخلي . فاذا وقع يعامل بحكم النظام المذكور

٤٨ اذا احد اعضاء المجلس العمومي اتهم بالخيانة او بالتصدي لالغاء القانون الاساسي او نقضه او احدى تهم الارتكاب وتقرر اتهامه بثلثي الاكثرية المطلقة من هيئة الاعضاء الموجودين في الدائرة المنسوب اليها او حكم عليه بجزاء موجب لحبسه او نفيه قانونياً تسقط عنهُ صفة العضوية اما محاكمة هذه الافعال ومجازاتها فتجريها المحكمة المنوط بها ذلك

٤٩ لكل فرد من اعضاء المجلس العمومي ان يعطي رايه بالذات او يجتنب عن اعطاء رايه في رد تلك المادة الواقع عليها التذاكر او في قبولها

٥٠ لا يمكن لاحد ان يكون عضواً في الهيئتين معاً في وقت واحد

٥١ لا يبادر للمذاكرة في كلتا الهيئتي المجلس العمومي ما لم تكن الاعضاء المرتبة في كل منها زائدة واحداً بالعدد عن النصف وكافة المذاكرات تتقرر بالاكثرية المطلقة من الاعضاء الموجودين خلا تلك الخصوصات التي يشترط تقريرها باكثرية الثلثين ويعتبر راي الرئيس رايين عند تساوي الآراء

٥٢ اذا احد قدم لاحدى هيئتي المجلس العمومي عرضحال في دعوى متعلقة بشخصه وتبين انهُ لم يراجع في ذلك مأموري الدولة العائدة لهم تلك الدعوى او لم يراجع المرجع التابع لهُ اولئك المأمورون فعرضحاله يرد

٥٣ التكليف بتنظيم قانون جديد او بتعديل احد القوانين الموجودة منوط بهيئة وكلاء الدولة ويحق لهيئة الاعيان وهيئة المبعوثان ان تستدعيا بتنظيم قانون لاجل

المواد الموجودة في دائرة وظائفهم المعينة او بتعديل احد القوانين الموجودة وحينئذٍ يستأذن عنها اولًا من الحضرة العلية السلطانية بواسطة مقام الصدارة ومتى تعلقت الارادة السنية بحال الى شورى الدولة تنظيم لوائحها على مقتضى الايضاحات والتفصيلات التي تعطى من الدوائر المتعلق بها ذلك

٥٤ لوائح القوانين التي تنتظم بالمذاكرة في شورى الدولة بعد ان يجرى عليها التدقيق والقبول في هيئة المبعوثان ثم في هيئة الاعيان تكون دستورًا للعمل اذا تعلقت الارادة السنية باجراء احكامها ولائحة القانون المردودة من احدى الهيئتين ردًّا قطعيًا لا يتكرر وضعها في مرقع المذاكرة في المدة الاجتماعية بتلك السنة

٥٥ لا يعتبر احد القوانين مقبولًا ما لم تقرأ لائحته بندًا فبندًا في هيئة المبعوثان ثم في هيئة الاعيان ويعطى على كل بند على حدته رأي ويقر عليه القرار باكثرية الآراء ثم يقر القرار بعد ذلك على مجموع هيئتها تكرارًا بالاكثرية

٥٦ على الهيئتين ان لا تقبلا احدًا يأتي اليهما بالاصالة عن نفسه او بالوكالة عن جماعة لاجل افادة مادة من المواد ولا تسمعا افادته اذا لم يكن من الوكلاء او من موكليهم او من نفس اعضاء الهيئتين او من احد المأمورين المدعو رسمًا بالحضور اليهما

٥٧ مذاكرات الهيئتين تكون باللغة التركية واللوائح المقتضى اجراء المذاكرة عليها تطبع صورها وتتوزع على الاعضاء قبل يوم المذاكرة

٥٨ الاراء التي تعطيها الهيئتان تكون بتعيين الاسماء او باشارات مخصوصة او بالراي الخفي . اما اجراء اصول الراي الخفي فيتوقف اعطاء قراره على اكثرية آراء الاعضاء الموجودين

٥٩ ان انضباط داخلية كل هيئة على حدتها محصور برئيسها

﴿ في هيئة الاعيان ﴾

٦٠ لا يتجاوز عدد اعضاء هيئة الاعيان ورئيسها نهاية ما يكون ثلث مقدار هيئة المبعوثان . وتوظيفهم هو منوط راسًا بالحضرة العلية السلطانية

٦١ لا يمكن ان يكون عضوًا في هيئة الاعيان الا من كان بالاقل بالغًا سن

٤٦ في اول يوم افتتاح المجلس يحلف بحضور الصدر الاعظم كل من الذوات المنتخبين او المنصوبين اعضاء المجلس العمومي بان يكون صادقاً للحضرة السلطانية ولوطنه وان يراعي احكام القانون الاساسي والوظيفة المودعة لعهدته وان يجتنب كل ما يخالف ذلك ومن لم يحضر في ذلك اليوم من الاعضاء يحلف على الوجه المشروح عند اجتماع الهيئة بمعرفة رئيس هيئته

٤٧ اعضاء المجلس العمومي يكونون احراراً في آرائهم ومطالباتهم ولا يكون احد منهم تحت قيد تعليمات ووعد ووعيد ولا يتهم البتة من قبيل الآراء التي يعطيها ولا من جهة المطالبات التي يبينها في اثناء مذاكرات المجلس اذا لم تقع منهُ في جميع ذلك حركة مخالفة لنظام المجلس الداخلي . فاذا وقع يعامل بحكم النظام المذكور

٤٨ اذا احد اعضاء المجلس العمومي اتهم بالخيانة او بالتصدي لالغاء القانون الاساسي او نقضه او احدى تهم الارتكاب وتقرر اتهامه بثلثي الاكثرية المطلقة من هيئة الاعضاء الموجودين في الدائرة المنسوب اليها او حكم عليه بجزاء موجب لحبسه او نفيه قانونياً تسقط عنهُ صفة العضوية اما محاكمة هذه الافعال ومجازاتها فتجريها المحكمة المنوط بها ذلك

٤٩ لكل فرد من اعضاء المجلس العمومي ان يعطي رايه بالذات او يجتنب عن اعطاء رايه في رد تلك المادة الواقع عليها التذاكر او في قبولها

٥٠ لا يمكن لاحد ان يكون عضواً في الهيئتين معاً في وقت واحد

٥١ لا يبادر للمذاكرة في كلتا الهيئتي المجلس العمومي ما لم تكن الاعضاء المرتبة في كل منها زائدة واحداً بالعدد عن النصف وكافة المذاكرات تتقرر بالاكثرية المطلقة من الاعضاء الموجودين خلا تلك الخصوصات التي يشترط تقريرها باكثرية الثلثين ويعتبر راي الرئيس رايين عند تساوي الآراء

٥٢ اذا احد قدم لاحدى هيئتي المجلس العمومي عرضحال في دعوى متعلقة بشخصه وتبين انهُ لم يراجع في ذلك مأموري الدولة العائدة لهم تلك الدعوى او لم يراجع المرجع التابع لهُ اولئك المأمورون فعرضحاله يرد

٥٣ التكليف بتنظيم قانون جديد او بتعديل احد القوانين الموجودة منوط بهيئة وكلاء الدولة ويحق لهيئة الاعيان وهيئة المبعوثان ان تستدعيا بتنظيم قانون لاجل

واحد من المأمورين فلهُ الخيار في قبولها ورفضها ولكن اذا قبلها ينفصل عن مأموريته

٦٨ ان الذين لا يجوز انتخابهم لهيئة المبعوثان هم اولًا الذين ليسوا من تبعة الدولة العلية ثانيًا الحائزون موقتًا بموجب النظام المخصوص امتياز الخدمة الاجنبية ثالثًا الذين لا يعرفون اللغة التركية رابعًا الذين لم يكملوا سن الثلاثين خامسًا من كان في خدمة احد حين الانتخاب سادسًا من كان محكومًا عليه بالافلاس ولم يعد اعتباره سابعًا من اشتهر بسوء الاحوال ثامنًا من حكم عليه بالحجر ولم يتمكن من رفعه تاسعًا الساقط من حقوق المدنية عاشرًا المدعون التابعية الاجنبية فهؤلاء لا يمكن ان يكونوا اعضاء في هيئة المبعوثان ويشترط في الانتخابات التي تجري بعد اربع سنين على من يلزم ان يكون مبعوثًا ان يقرأ اللغة التركية وان يكتب بها ايضًا على قدر الامكان

٦٩ ان انتخاب المبعوثان العمومي يجري مرة واحدة في كل اربع سنين ومدة مامورية كل مبعوث عبارة عن اربع سنين وانما يجوز تكرار انتخابه

٧٠ يبتدأ بانتخاب المبعوثان العمومي اقلما يكون باربعة اشهر قبل تشرين الثاني الذي هو مبدا اجتماع الهيئة

٧١ كل عضو من هيئة المبعوثان لا يعتبر وكيلًا عن الدائرة التي انتخبتهُ وانما يكون في حكم وكيل عموم العثمانيين

٧٢ المنتخبون يلتزمون بانتخاب المبعوثان من اهالي دائرة الولاية المنسوبين اليها

٧٣ اذا فسخت هيئة المبعوثان وتفرقت بالارادة السنية يبتدا بانتخاب عموم المبعوثان مجددًا على وجه ان يجتمعوا في مدة لا تتجاوز ستة اشهر بعد الفسخ

٧٤ اذا مات احد اعضاء هيئة المبعوثان او وقع في احد الاسباب المشروعة الحجرية او لم يداوم على المجلس مدة طويلة او استعفى او سقط من الاعضاوية لمحكومية او لقبوله مامورية فينتخب لمحله خلافه حسب الاصول بحيث يلحق الاجتماع الآتي

٧٥ ان الاعضاء التي تنتخب لتحل في مقام الاعضاء المنحلين من العضوية تكون ماموريتهم حتى الانتخاب العمومي الآتي

٧٦ يعطى من الخزينة عشرون الف قرش لكل من المبعوثان عن كل اجتماع

سنوي ويعطى له كذلك مصاريف الذهاب والاياب حكم المامور الذي يكون معاشه خمسة آلاف غرش شهرياً توفيقاً لنظام ماموري الملكية

٧٧ ينتخب من طرف الهيئة ثلاثة انفار لرئاسة هيئة المبعوثان وثلاثة انفار لكل من الرئاسة الثانية والثالثة مجموع ذلك تسع ذوات فيعرضون على الحضرة السلطانية فيترجح احدهم بالارادة السنية السلطانية للرئاسة واثنان منهم كذلك لوكالتي الرئاسة وتجري ماموريتهم

٧٨ مذاكرات هيئة المبعوثان تكون علانية ولكن اذا وقع التكليف من جانب الوكلاء او من طرف خمس عشرة ذاتاً من هيئة المبعوثان على ان تكون المذاكرات خفية على احدى المواد المهمة فيخلى محل هيئة الاجتماع من الحاضرين فيه دون الاعضاء وتتراجع حينئذ الآراء في رد هذا التكليف او قبوله

٧٩ لا يحاكم احد الاعضاء او يوقف في مدة اجتماع هيئة المبعوثان ما لم يعط قرار من الهيئة باكثرية الآراء على سبب كاف لاتهامه او يقبض عليه في حال اجراء الجناية او الجنحة او عقيب اجراء ذلك

٨٠ ان هيئة المبعوثان تتذاكر على اوانع القوانين المحولة لها ولها ان تقبل من ذلك المواد المتعلقة بالامور المالية والقانون الاساسي او ترفضها او تعدلها وبعد ان يجري التدقيق بالتفصيل في هيئة المبعوثان على المصارف العمومية حسبما هو موضح في قانون الموازنة يعطى القرار على مقدارها مع الوكلاء ثم يتعين كذلك مع الوكلاء سوية كمية وكيفية ما يقابل ذلك من الواردات وصورة توزيعها وتداركها

﴿ في المحاكم ﴾

٨١ لا يعزل القضاة المنتخبون توفيقاً للاصول المخصوصة المنصوبون من طرف الدولة بموجب براءة شريفة بايديهم وانما يقبل استعفاؤهم . اما ترقيات هؤلاء الحكام ومسلكهم وتبديل ماموريتهم وتقاعدهم او عزلهم لجرم محكوم به عليهم ذلك جميعه تابع لحكم قانونه المخصوص وهذا القانون يوضح الاوصاف المطلوبة من القضاة ومن ماموري المحاكم

٨٢ كل انواع المحاكمات تجري علانية في المحاكم ويؤذن بنشر الاعلامات

دائماً وانما تستطيع المحكمة ان تجري المحاكمة خفياً بناء على الاسباب المصرحة في قانونها

٨٣ يستطيع كل شخص ان يستعمل بحضور المحكمة كل ما يراه لازماً من الوسائط المشروعة لمحافظة حقوقه

٨٤ لا يمكن للمحكمة باي حجة كانت ان تمتنع عن رؤية الدعوى الداخلة ضمن دائرة وظيفتها. وبعد ان يكون ابتدئ بفحص الدعوى او بما لزم من التحقيقات الاولية لا يجوز كذلك تعطيلها او تعويقها ما لم يكف المدعي يده. اما في الدعاوي الجزائية في مطلب الحقوق العائدة للحكومة فالدعوى تستمر في مجراها على وفق النظام

٨٥ كل دعوى تنظر في المحكمة المتعلقة بها . اما الدعاوي الواقعة بين الحكومة والاشخاص فترى في المحاكم العمومية

٨٦ المحاكم معتوقة من كل انواع المداخلات

٨٧ الدعاوي الشرعية ترى في المحاكم الشرعية والنظامية في المحاكم النظامية

٨٨ ان صنوف المحاكم ودرجات وظائفهم وصلاحيتهم وتقسيماتها وتوظيف الحكام جميعه مستند الى القوانين

٨٩ لا يجوز البتة ان يتشكل خارجاً عن المحاكم العمومية محكمة فوق العادة او قومسيون يكون في وسعهما النظر في بعض مواد مخصوصة والحكم عليها وانما يجوز فقط تعيين المولى والتحكيم كما هو معين بالقانون

٩٠ لا يمكن لاحد الحكام حال كونه بصفة الحاكمية ان يجمع في عهدته كذلك مامورية اخرى ذات معاش من الدولة

٩١ يعين مدعون عموميون مامورون بالمحاماة عن حقوق العامة في الامور الجزائية وتتعين وظائفهم ودرجاتهم بقانون

﴿ في الديوان العالي ﴾

٩٢ الديوان العالي يركب من ثلاثين عضواً عشرة منهم من هيئة الاعيان وعشرة من شورى الدولة وعشرة يفرزون بالقرعة من رؤساء واعضاء محكمتي التمييز والاستئناف ويعقد هذا الديوان في دائرة هيئة الاعيان بالارادة السنية عند اللزوم

ووظيفته انما هي محاكمة الوكلاء ورؤساء محكمة التمييز واعضائها ومحاكمة كل من اعتدى على ذات الحضرة السلطانية وعلى حقوقها وكل من تصدى لالقاء الدولة في خطر

٩٣ يقسم الديوان العالي الى دائرتين احداهما الدائرة الاتهامية والثانية ديوان الحكم فاعضاء الدائرة الاتهامية تسعة منهم ثلاثة من هيئة الاعيان وثلاثة من ديوان التمييز والاستئناف وثلاثة من اعضاء شورى الدولة وجميعهم ينتخبون بالقرعة من الاعضاء الذين يؤخذون للديوان العالي

٩٤ ان هذه الدائرة تعطي القرار باكثرية الثلثين في اتهام الذوات المشتكى عليهم او عدمه والموجودون في الدائرة الاتهامية لا يوجدون في ديوان الحكم

٩٥ ان ديوان الحكم تكون اعضاؤه سبعة من هيئة الاعيان وسبعة من ديوان التمييز والاستئناف وسبعة من رؤساء شورى الدولة واعضائها فيكون مركباً اذاً من واحد وعشرين نفراً من اعضاء الديوان العالي . والاعضاء المرتبة كما ذكر يحكمون باكثرية الثلثين قطعياً وتطبيقاً للقوانين الموضوعة على الدواعي التي قر قرار الدائرة الاتهامية على محاكمتها وحكمهم غير قابل الاستئناف والتمييز

﴿ في امور المالية ﴾

٩٦ لا يمكن وضع احد تكاليف الدولة وتوزيعه واستحصاله ما لم يتعين بقانون

٩٧ ان ميزانية (بودجه) الدولة هي قانون مبين بالتقريب وارداتها ومصارفاتها وهو القانون المستند عليه بوضع تكاليف الدولة وتوزيعها وتحصيلها

٩٨ ان البودجه اعني قانون الموازنة العمومية يقبل في المجلس العمومي بعد التدقيق عليه مادة فمادة والجداول المربوطة به الجامعة لمفردات الواردات والمصارفات المخمنة تنقسم الى اقسام وفصول ومواد متعددة توفيقاً لانموذجها المتعين نظاماً والمذاكرات عليها تجري فصلاً فصلاً

٩٩ ان لائحة قانون الموازنة العمومية تعطى لهيئة المبعوثان عقب فتح المجلس العمومي ليمكن وضعه في موقع الاجراء قبل دخول السنة المتعلق بها

١٠٠ لا يجوز صرف مال من اموال الدولة خارجاً عن الموازنة ما لم يتعين بقانون مخصوص

١٠١ اذا تحقق لزوم قويّ لاختيار مصاريف خارجة عن الموازنة لاسباب مجبرة فوق العادة في الوقت الذي لا يكون فيه المجلس العمومي منعقداً يجوز تدارك المبلغ اللازم لتسوية ذلك المصروف وصرفهُ بعد عرضه على الحضرة السلطانية والاستئذان وصدور الارادة السنية بخصوصه على وجه ان تكون مسؤولية ذلك على هيئة الوكلاء وانهم يعطون لائحة القانون المتعلقة به الى المجلس العمومي عقب فتحه

١٠٢ ان حكم قانون الموازنة هو عن سنة واحدة ولا يجري حكمه خارجاً عن تلك السنة وانما اذا فسخ مجلس المبعوثان لبعض احوال خارقة العادة قبل ان يقرر الموازنة فوكلاء الدولة اذاً يمدون جريان احكام موازنة السنة السابقة لحد اجتماع مجلس المبعوثان الآتي وذلك بقرار تتعلق عليه الارادة السنية على وجه ان حكم القرار لا يتجاوز السنة الواحدة

١٠٣ ان قانون المحاسبة القطعية يبين صحة المبالغ المتحصلة من واردات تلك السنة ومقدار الصرفيات الواقعة لمصاريفها ويكون شكله وتقسيماته مطابقين بالتمام لقانون الموازنة العمومية

١٠٤ تعطى لائحة قانون المحاسبة القطعية الى المجلس العمومي بعد اربع سنين نهاية ما يكون من اعتبار ختام السنة المتعلقة بها

١٠٥ يترتب ديوان محاسبات لرؤية محاسبات مأموري قبض اموال الدولة وصرفها والتدقيق على محاسبات السنة التي تنظمها الدائر على وجه ان الديوان المذكور يعرض على هيئة المبعوثان مرة في السنة خلاصة تدقيقاته ونتيجة مطالعاته بتقرير مخصوص وعليه ايضاً ان يعرض على الحضرة السلطانية مرة في كل ثلاثة اشهر تقريراً عن احوال المالية بواسطة رئاسة الوكلاء

١٠٦ تتركب اعضاء ديوان المحاسبات من اثني عشر شخصاً وينصب كل

منهم بالارادة السنية ويستمرّ في ماموريته ما دامت الحياة ولا يفصل عنها ما لم تصادق هيئة المبعوثان بالاكثرية على لزوم عزله

١٠٧ تتعين اوصاف اعضاء ديوان المحاسبات وتفصيل وظائفهم وصورة استعفائهم او تبديلهم او ترقيهم او تقاعدهم وكيفية تشكيل اقلامهم وترتيبها بنظام مخصوص

﴿ في الولايات ﴾

١٠٨ تأسس اصول ادارة الولايات على قاعدة توسيع دائرة المأذونية وتفريق الوظائف وتعيين درجاتها بنظام مخصوص

١٠٩ توسع بقانون مخصوص صورة انتخاب اعضاء مجالس الادارة في مراكز الولايات والالوية والقضاوات وانتخاب اعضاء المجلس العمومي الذي يجتمع مرة واحدة في السنة في مركز كل ولاية على حدتها

١١٠ تبين وظائف اعضاء المجلس العمومية في الولايات بقانون مخصوص يوضع لها ويشتمل كذلك على المذاكرات في مطلب تنظيم الطرق والمعابر وتشكيل صناديق الاعتبار وتسهيل الصنائع والتجارة والفلاحة وما يجري مجراها من الامور النافعة وعلى ما يتعلق ايضاً بانتشار المعارف والتربية التي تعود منفعتهما على العموم ويحتوي على ما لهذه المجالس من الصلاحية بعرض الاشتكا للمقامات والمواقع الذي يقتضي تبليغ الشكايات لها عند ما يرى ما يخالف احكام القوانين والنظامات الموضوعة في مطلب صورة توزيع التكاليف والمرتبات الاميرية واستحصالها وفي مطلب سائر المعاملات وذلك لقصد سد الخلل واصلاحه

١١١ يكون في كل قضا لكل ملة على حدتها مجلس جماعة للنظارة على صرف اموال الوصية للموصى لهم على ما هو محرر في الوصايا على وجه ان تصرف حاصلات المسقفات والمستغلات والنقود الموقوفة الى المشروط لهم والى الخيرات والمبرات وفاقاً لشرط الوقفية والتعامل القديم وللنظارة كذلك على صورة ادارة اموال الايتام توفيقاً لنظامها المخصوص وهذه المجالس تتركب من افراد منتخبين من كل ملة على

حدة على مقتضى النظامات المخصوصة التي تترتب في هذا المطلب وعلى هاته المجالس ان تعترف بان مرجعها انما هو حكوماتها المحلية ومجالس الولايات العمومية

١١٢ تدار الامور البلدية في دار السعادة والمحلات الخارجة عنها بواسطة مجالس الدوائر البلدية التي تترتب بالانتخاب وصورة تشكيل هذه الدوائر ووظائفها وكيفية انتخاب اعضائها سيتعين بقانون مخصوص

في مواد شتى

١١٣ اذا شهد امارات وآثار تزيد ظهور اختلال في احدى جهات الممالك فيحق للحكومة السنية والحالة هذه ان تعلن موقتاً ومخصوصاً « الادارة العرفية » في ذلك المحل والادارة العرفية انما هي تعطيل القوانين والنظامات الملكية موقتاً . والمحل الذي يوضع تحت الادارة العرفية تتعين صورة ادارته بنظام مخصوص . ومن ثبت عليهم بتحقيقات ادارة الضابطة الموثوقة بانهم اخلوا بامنية الحكومة يكون اخراجهم من الممالك المحروسة وتبعيدهم عنها منحصراً بيد اقتدار الحضرة السلطانية

١١٤ افراد العثمانيين مجبورون على تحصيل المرتبة الاولى من المعارف وستعين درجات ذلك وفروعه بنظام مخصوص

١١٥ لا تعطل البتة مادة من مواد القانون الاساسي ولا تسقط من الاجراء باي حجة او سبب كان

١١٦ اذا شهد لزوم صحيح قطعي حسب ايجاب الوقت والحال لتغيير بعض مواد القانون الاساسي وتعديلها يجوز تعديلها على الشروط الآتية وهي : اولاً ان يقع التكليف المتعلق بالتعديل من هيئة الوكلاء او من هيئة الاعيان او من هيئة المبعوثان ثانياً ان يقبل التكليف المذكور في هيئة المبعوثان باكثرية الثلثين ثم يصادق على قبوله من هيئة الاعيان ايضاً باكثرية الثلثين فمتى تم ذلك وتعلقت على هذا المركز الارادة السنية تصير حينئذٍ تلك التعديلات دستوراً للعمل . اما المادة الواقع التكليف على تعديلها من القانون الاساسي فتستمر مرعية الاجراء من غير ان تفقد قوتها وحكمها الى ان تتم المذاكرات اللازمة بتعديلها وتتعلق بخصوصها الارادة السنية

١١٧ اذا لزم الامر لتغيير مادة قانونية وكانت متعلقة بالارادة الملكية يناط

تعين معناها بشورى الدولة . اما اذا كانت من متعلقات هذا القانون الاساسي فتعين معناها منوط بهيئة الاعيان

١١٨ ان النظامات والتعامل والعادات الموجودة الان دستوراً للعمل تستمر مرعية الاجراء ما دامت لا تلغى او تعدل بالقوانين والنظامات التي توضع في المستقبل

١١٩ ان احكام التعليمات الموقتة المتعلقة بالمجلس العمومي المؤرخة في ١٠ شوال سنة ١٢٩٣ تجري فقط لختام مدة انعقاد المجلس العمومي الذي يجتمع في المرة الاولى ولا يكون حكمها جاريًا بعد ذلك

الخط الهمايوني

اهم حادث جرى بعد نشر القانون الاساسي هو صدور الخط الهمايوني فانهُ اعلان النظام الدستوري وضمانة من الحضرة السلطانية بحفظهِ وتنفيذهِ

في اوَّل الجاري أُقيمت حفلة حافلة لم يسبق لها مثيل في الاستانة فاحتشدت الجماهير الغفيرة حتى كانت كالبناء المرصوص من الباب العالي الى بنجه كبو وعند الساعة السادسة اقبل على الباب العالي حضرة دولتلو المشير نوري باشا حاملًا الخط وكان بمعيته حاشية من القصر السلطاني وقدامه خيالان فاستقبله كبار الموظفين ببزاتهم الرسمية وأخذت سلامه فرقة من الجند ثم صدحت الموسيقى بالنشيد الحميدي وتوجه نوري باشا الى القاعة الكبرى حيث سلم الخط الهمايوني الى صاحب الفخامة والدولة الصدر الاعظم فقبله ثم سلمهُ الى مستشار الصدارة العظمى دولتلو محمد علي باشا ليقرأه على مسامع تلك الجماهير الغفيرة فقرأهُ وهذا نصهُ : (البشير)

نص الخط الهمايوني

وزيري المفخم سعيد باشا

مما لا يحتاج الى بيان انهُ منذ تأسست سلطنتنا السنية رتع عموم اصناف الرعية في بحبوحة الامن والراحة

على انهُ طرأت بعد ذلك ظروف حالت دون حفظ حرمة الحقوق العمومية كما هو واجب .

فاصدر ساكن الجنان والدي السلطان عبد المجيد خط كلخانه الهمايوني وفيه ضمانة الحرية الشخصية وحقوق كل فرد من افراد الرعية والقواعد الاساسية لادارة البلاد

وفي فرمان الاصلاحات الذي اصدره سنة ١٢٧٢ نظم ادارة البلاد حسب مطالب ذلك الوقت ووثق روابط الاتحاد بين افراد الرعية على اختلاف الطبقات والاديان

ومنذ اعلان التنظيمات الى حين ارتقائنا الى عرش اجدادنا ظهر من تقدم تربية الشعب ضرورة الاستعاضة عن طريقة ادارة البلاد بالحكم على الطريقة الدستورية

فاعلنا من تلقاء نفسنا القانون الاساسي ومع ذلك فالمنفعة الشخصية تغلبت على المنفعة العمومية وزاد طلب الغاء الدستور الى ان كان عهد وزارة صفوت باشا فتقرر الغاء الدستور

ومنذ ذاك الحين الى اليوم اظهرت الحوادث التي جرت مجرى الراي العام ان البلاد جديرة بحكومة نيابية

فاصدرنا ارادتنا باعادة القانون الاساسي وانفاذ كل احكامه وجمع مجلس المبعوثان كل سنة

وابلغت ارادتنا هذه الى جميع الولايات وممالكنا السنية

وقد اعلنت امس لسفراء الدول والوكلاء السياسيين لدى اثناء المقابلات انهُ من الان فصاعدًا لا تمس طرق انفاذ الدستور لظرف ما او لسبب من الاسباب لان من جل رغائبي ضمانة نفع البلاد والسلطنة وانجاح كل المصالح التي تتعلق بها . وذلك لا ينال الّا بتغيير قوة القوانين الى قوة منظمة

فانا اعلن بهذا الخط الذي اوقع عليهِ ان ارادتي الصادرة بانفاذ القانون الاساسي والقاضية بجمع مجلس المبعوثان كل سنة هي ارادة نافذة نهائية

وازيد على ذلك انهُ وان كانت القوانين النافذة الان في ممالكي المحروسة تساوي بين اصناف رعيتي حرّية كل فرد وحقوقه وانهُ لا يجب التفريق بينهم في الحقوق وانهُ يجب ان يتمتعوا جميعاً بالعدالة على حد المساواة . الّا انهُ منذ مدة خولفت رغائبنا في

بعض اجزاء السلطنة باهمال انفاذ القوانين

وان تكن هناك ايضاً نظامات خصوصيّة تحدد اختصاص كل ادارة عموميّة وادارة خصوصيّة الّا انّ هذه النظامات خولفت فنتج عن ذلك ضرر للجميع

فمن الضروري اذن اتخاذ الوسائل العاجلة اللازمة لمعالجة هذه الحالة وضمانة الحقوق العمومية وتسيير الادارة على الاصول الآتية:

١ ان جميع افراد الرعايا من اية طبقة كانوا من طبقات الشعب يتمتعون بالحرية الشخصية وكلهم سواء امام القانون من حيث الحقوق والواجبات

٢ لا يجوز القاء القبض على فرد من افراد الرعية او سجنه او اخذ اقواله او معاقبته بوجه من الوجوه الّا بحكم القوانين السارية

٣ لا يجوز تأليف محكمة غير اعتيادية بشكل من الاشكال او اسم من الاسماء ولا تأليف قوميسيون او هيأة فوق العادة ولا يجوز طلب شخص امام هيأة الّا امام المحاكم

٤ لا يجوز مس حرمة المنازل والمساكن الّا في الظروف المستثناة في القانون نصاً ولا يجوز لاحد دخول منزل شخص او وضع منزله تحت المراقبة

٥ لا يجوز للبوليس او غيره من الموظفين على اختلاف وظائفهم اتهام شخص على خلاف ما يقضي به النظام

٦ يتمتع جميع رعايانا بحرية السفر الى اي بلاد شاؤا سواء كان للتجارة او للنزهة وكل واحد حرّ في عقد الاجتماعات وتوثيق عرى المواصلات مع من شاء

٧ لا تخضع الجرائد من الان فصاعداً للمراقبة ولا يجوز ايقاف الرسائل والكتب والمطبوعات في البوسطة . ومخالفات الجرائد تحكم فيها المحاكم

٨ التعليم والتربية حران

٩ لا يجوز تعيين شخص في وظيفة لا يقبلها ما عدا رجال العسكرية . ولا يجب على العمال الخضوع لاوامر يتلقونها وهي مخالفة للقوانين السارية ولكل مستخدم الحرية التامة بان يستعفي من الخدمة متى شاء فهم اذاً مسؤولون عن وظائفهم

١٠ يعين الصدر الاعظم الوزراء ويقدم لنا اسماءهم لنوافق عليها ما عدا تعيين

شيخ الاسلام وناظر الحربية وناظر البحرية (١) . وللصدر الاعظم تعيين السفراء والوكلاء والقناصل والولاة واعضاء الشورى بالاتفاق مع ناظر الداخلية وناظر الخارجية ورئيس الشورى . اما اختيار الموظفين الدواوين والمصالح والولايات وتغييرهم ومكافاتهم والانعام عليهم بالرتب والنياشين فيكون بقرار من رؤسائهم يقدم للصدر الاعظم ليصدق عليه

١١ لا يجوز للمستخدمين والموظفين ان يخاطبوا رؤساءهم الّا بواسطة من هم فوقهم ولا يجوز الحياد عن هذه الطريقة . ولا يجوز اصدار امر الى مرؤوس الّا من رئيسه الملتصق به وكل امر يصدر من موظف ليس تحت رئاسته مباشرة لا يقبل

١٢ من اختصاص الصدارة العظمى المعاقبة عن الهفوات التي ترتكب في اختيار المأمورين وتغييرهم . ومن اختصاصها السهر لاخذ الوسائل الاستعاضة عن العمال الذين يظهر عجزهم عن القيام بوظائفهم او يرتكبون اموراً مغايرة في تلك الوظائف

١٣ ان ميزانية الحكومة من دخل ونفقة عادة وفوق العادة تنشر بنصها في اوّل كل سنة مالية . وتنشر ايضاً ميزانية كل مصلحة وميزانية كل ولاية على حدة وتضم الى الميزانية العمومية

١٤ تعد مشروعات قوانين جديدة لتغيير وتعديل واصلاح نظامات كل مصلحة لتعرض على مجلس المبعوثان الذي يجتمع قريباً

١٥ ان جيشي الشاهاني هو عنصر قوة السلطنة فقد عزمت عزماً اكيداً على ان اضمن نجاحه واتم تسليحه وعدده . وقد اصدرت بذلك الاوامر اللازمة الى نظارة الحربية

فمن ارادتي الشاهانية ان تؤلفوا الوزارة الجديدة وتعرضوا اسماءها عليّ للموافقة على تأليفها وان تبذلوا مع زملائكم الجهد لانفاذ الاحكام الواردة في خطتنا هذا حتى تسير الارادة على طريقة منتظمة واسأل الله ان يوفقكم وينجحكم

في ٤ رجب ١٣٢٦ الامضاء الشاهاني

---

(١) الغيت هذه المادة فيما يختص بتعيين شيخ الاسلام وناظري الحربية والبحرية لانها منافية للقانون الاساسي

العذراء مريم في لبنان

للاب ي. ي. اليسوعي

ذكر المشرق في صفحته ٥٥٨ من السنة الجارية التأليف الجليل الذي اتحفهُ الوطن الاب يوسف غودار اليسوعي ووعد ان يفرد لهُ مقالة واسعة نظراً لاهميته وها اننا اليوم نفي بوعدنا فنقول:

لكل قطر فضيلة يمتاز بها عمّا سواه ويفاخر بها من باراه . وهي تارةً مجد الحروب وصولة السيوف . واخرى براعة الاقلام وبلاغة الكلام . وطوراً هي الغنى والمال وطوراً العلم والصناعة الى ما شاكل ذلك . وان لبناننا العزيز لم يُستثنَ من هذا الحكم فاذا عدّدت المفاخر يوماً فما اولاه ان يتباهى بما حازه منها

يفتخر لبنان اولاً بجمال الطبيعة الذي زينه به الله وقد طالما شادت بذكره الاجيال فقد مدحه الكتاب المقدسة في العهد العتيق اكثر من ستين مرة . وكانت ثلوجه وعطوره وارزه وعاود الشامخ وخصب تربته ومياهه الصافية الباردة ومناخه المعتدل تجعله في اعين بني اسرائيل اجمل صقع في الدنيا . والحق يقال ان لبنان كان اوانئذٍ مغشى بغابات الارز والسنديان حتى قال مار ايرونيموس في احدى رسائله : ما من مكان اعلى واكثر احراجاً واكثفها من لبنان . وقد قال كاتب روماني آخر اميانوس مرشلينوس عن السواحل اللبنانيّة : انها بلاد في غاية الحسن والملاحة . وقد اثرت محاسن لبنان في قلوب المسافرين والسياح في كل الاجيال . قال احدهم وهو الفيكنت دي مرشلوس في كتابه عن الشرق (١٨٢٠) : اني افضل لبنان وظلاله وصخوره واديارهِ على كل ما رأيت وشاهدت في اوربة

يفتخر لبنان ايضاً بتاريخ اجياله والمنصرمة يكاد يرتقي الى مهد الانسانيّة . فقد طار في الآفاق ذكر المدن الفينيقيّة كصور وصيدون وبيروت وجبيل وطرابلس وارواد التي حكمت بين ايدي اهلها تجارة العالم اجمع واشتملت بمستعمراتها على سواحل البحر المتوسط قاطبةً . وشهدت الاصقاع الشاميّة مواقع الفاتحين العظام الذين تنازعوا ملك العالم المتمدن منذ الاجيال الاولى فكانت ولم تزل مطمح ابصار الامم لانها طريق

البلاد الاسيرية الوسطى وباب التجارة الهندية . هذا فضلاً عن الرجال العظام الذين نشأوا في لبنان وكانوا لهُ مجدًا مؤبدًا

ولكن هذه المحاسن دون مجد آخر يفوقها ويفضلها ألا وهو تمسك لبنان بدين المسيح وامانته في خدمته . فقد كان ملجأً للمسيحيين في أيام الشدَّة ولولاه لما بقيت النصرانية زاهرة في الاصقاع الشاميَّة . فأكرم بشعبه شعباً حافظ مدى الاجيال مع ما داهمهُ من الاهوال على حبه للمسيح . فلعمر الحق ان هذه الامانة لمجدًا لا يضاهيهِ مجد وفخرًا لا يفوقهُ فخر . وان اصل هذا المجد وسبب هذا الفخر العذراء مريم

ان مريم ولبنان لاسمان بل لموضوعان جمعهما الكتاب المقدس في قلبنا . فمن منا لم يحفظ الاقوال البديعة الطافحة منهما الليتورجيات المقدسة حيث يرد لبنان كموضوع تشابيه تجلى بها محاسن العذراء مريم : « هلمي معي من لبنان ايتها العروس » (١ . « اني ارتفعت كالارز في لبنان الخ » (٢

قال القديس ايرونيمس (٣ : « لبنان معناه البياض فبكل صواب شبهت بهِ العذراء مريم لان فضائلها جعلت نقاوتها انصع من الثلج » . وقال آخر (٤ : « ان مريم لجديرة بان تشبه بلبنان لانها جبل الله ذاك الجبل الذي نُحت منهُ حجر الزاوية اعني بهِ المسيح »

ولم يتشرف مكان غير لبنان بان يكون موضوعاً للتشابيه التي يبين بها الروح محاسن البتول امنا وان في هذه الميزة لسبباً كافيًا ليفاخر لبنان ما سواه من الاصقاع . ومع ذلك يحق لهُ ان يدَّعي مجدًا اعظم . فمن اول نشوء العبادة لمريم في الساحل الفينيقي لم يزل اسم مريم العذراء ام الله في لبنان على افواه ابنائهِ في كل احوالهم صلاة يستطرون بها النعم . وتعزية يسكنون بها لوعة الاحزان . ونشيد عزّ يقدسون بهِ أيام الانتصار . فكأن اللبناني اراد ان يشكر للعذراء الشرف الذي خولتهُ أياه باتخاذها لبنان جبلًا لها فاحب ان يحفظ في قلبه عبادتها حيَّةً زاهرة كإرث مجيد ويظهر تلك العبادة

١) نشيد الاناشيد (٤ : ٨)
٢) ابن سيراخ (٢٤ : ١٧)
٣) طالع تفسيره لنشيد الاناشيد (ص ٣٤٤)
٤) وهو متى كاتا كوزين في شرحه لنشيد الاناشيد (ص ٩٤٣)

بتشييد المعابد المتعددة على اسمها واقامة الاحتفالات القلبية اكراماً لها . وبالاختصار يمكن القول ان العذراء كانت له كل شيء.

كانت له طبيباً وقاضياً ومحامياً. قضى زمناً طويلاً معتزلاً عن العالم في اوديته العميقة وعلى قمه البعيدة المنال بين الدير والكنيسة قشفاً في معيشته فقيراً مضطهداً. فمال بكل قواه الى العذراء مريم يتوقع منها كل خير . فطلب منها الخلاص الابدي والخير الزمني . العافية والانتصار وقوت اليوم . وكما ان الامطار نحتت صخوره نحتاً وصورتها صوراً مختلفة هكذا العبادة لمريم صورت نفس اللبناني وجعلت له « خلقاً مريماً » اعني ميلاً الى العذراء شديداً اصبح غريزياً تبدو مظاهره في كل احواله عفواً بلا قسر ولا تصنع

وقد انتبه لهذا الامر السياح والمرسلون فدوّنوه مراراً في كتاباتهم حتى رينان نفسه مدة اقامته في الشرق بعد سنة ١٨٦٠ . فقد اعتبره كاعظم حاجز في وجه البروتستانية . قال : « ان عبادة العذراء متأصلة في قلوب كل اللبنانيين وهي التي تحبط مساعي البروتستانت فيما بينهم فانهم يتساهلون بكل الامور ويسلمون بها ولكنهم اذا دعوتهم الى ترك التعبد للعذراء شعروا برباط لا تقوى عليه عزائمهم . يقيدهم ويمنعهم » (١

هذا ما حدا بالاب مرتين المرسل اليسوعي الشهير من اربعين سنة الى جمع شذرات عديدة فيما يتعلق بحب اللبنانيين لمريم بينما كان يعنى بتأليف تاريخ لبنان . ولكن مجموعه بقي منسياً في مكتبة كلية القديس يوسف حتى اكتشف عليه في سنة ١٨٩٨ الاب يوسف غودار فهمّ ان يجعله قاعدة لتأليف جديد كامل شامل

وما كان يخلو العمل من الصعوبات لان الاب كان في عزمه ان يتخذ المبادئ العلمية الحديثة اساساً لابحاثه ولم يكن مع ذلك بين يديه من التآليف سوى بعض فقرات منثورة في كتب متعددة . ولكنهُ لم يتنطل من النجاح . فأخذ في التجوال في لبنان وسورية بصحبة الاب جيرار دي مرتنبري فزار كل نواحيها مرتين الاولى في سنة ١٨٩٨ والثانية سنة ١٩٠٢ ليجمع ما يتسنى له من المعلومات ويفحص بذاته الاماكن التي عزم على وصفها وهو مع ذلك يتصفح في اثناء اسفاره كل ما نالتهُ يداه من الكتب

١) طالع البعثة النينقية (ص ٢١٦)

والمخطوطات ويزيد عليها كل ما استفاده من المرسلين وثقات اللبنانيين . فكانت نتيجة هذه الاتعاب والابحاث مؤلفاً جليلاً بالافرنسيَّة في ٥٥٠ صفحة مع القطع الكبير تزينه اكثر من ٧٠٠ صورة كلها او اغلبها نشرت لاوَّل مرَّة طُبع في معامل (La Bonne Presse) في باريس بحرف جلي مشرق والحق يقال ان تلك المطبعة الشهيرة لم تنشر احسن منهُ تأليفاً ولا ابدع صنعة وهو مع ذلك لا يساوي سوى سبعة فرنكات ونصفاً

امَّا اذا اردت معرفة الطريقة التي اتبعها الاب غودار في تأليفه فيكفينا القول ان كتابه عبارة عن حديث زائر يصف الاماكن التي حج اليها . وقد راقت في عينه هذه الخطة اوَّلاً لانها كثيرًا ما كانت تطابق عواطف قلبه التقوية . وثانيًا لانها كانت تسمح لهُ ان ينظم ما يلتقطه من الدرر المرميَّة في سلك الحوادث التاريخيَّة والاوصاف الجغرافيَّة بنوع ان يتمكن القارئ من الاطلاع على عبادة اللبنانيين للعذراء اطلاعًا حسيًّا حيًّا كأنهُ يشاهدها عيانًا

وفي الواقع ان مظاهر الحياة تملأ صفحات الكتاب فان انشاء المؤلف وبراعته في الوصف . وتفننه في طرق القص . وابداعه الاستعارات والتشابيه الانيقة وفقت حضرته الى احياء ما دثر من الرسوم السابقة وتشخيص ما يحدث من الامور الجارية يوميًّا في قرانا . فما احلى مصاحبته في سفره . تارة يهبط في اودية لبنان العميقة واخرى يتسلق قممه الشاهقة . يحج الى المعابد الكبيرة في المدن ولا ينسى المزار الحقير في القرى الحقيرة . تراه يعاين كل شيء . يفحص ويسأل ويصغي . يستنشد الشعراء اللبنانيين لا يستحقر حقيرًا ولا يستجهل اميًّا . يدون التفاصيل الدقيقة عن الكنائس ويستنسخ ما ورد منها في المخطوطات والسجلات . ويصف الحركات واللهجات وبكلمة كل ما من شأنه تمثيل نفس اللبناني تمثيلاً ناطقًا

وما يُعجبنا منهُ فضلاً عن عواطفه التقوية ولهجته السارة ومعارفه الواسعة في التاريخ والجغرافية وظرفه ولطف مزاحه . حبه بل قل شغفه وكلفه بالبلاد التي يصفها . فكم من مرة تشعر عند وصفه لمعبد حقير او شهوده زيارة تقوية انهُ استعبر متأثرًا لما ظهر لهُ من بساطة اللبنانيين وتقواهم وتعلقهم بسيدتهم . ولذلك لا تشعر بالتعب ابدًا من مرافقته في سياحته . واليك مختصر كتابه قسمًا قسمًا لتقف على الكنوز التي يحويها وتشتاق الى التمتع بها

ففي القسم الاوّل الذي عنوانه « على حدود صور وصيدا » يذكر المؤلف مزارات الناصرة وخاصةً كنيسة سيدة الكرمل « المنتصرة » ثم يمرّ على عكا ومنها يؤمّ صور حيث أُنشئت اول كنيسة عظمى مكرسة للعذراء يثبتها التاريخ بنوع اكيد (سنة ٣١٤) ومن صور يتوجه الى صيدا ويصف في طريقه سيدة عبرا وسيدة درب السين ويذكر خبر ترميمها العجيب بمساعي احد المشايخ المتاولة. ثم يستوقفنا ملياً عند سيدة المنطرة وهو مزار الروم الكاثوليك. ويختم كتابه بذكر بدائع اخوية على اسم العذراء كانت زاهرة في صيدا في القرن السابع عشر

امّا القسم الثاني فمداره على جبات لبنان المتيم فيها الدروز وفيه يطلعنا الاب اولا على اصل الدروز ويصف اخلاقهم وطباعهم. وليس الكلام في مثل هذه المواضيع فضولياً لانهُ لا يمكن وصف الدور المهم الذي اتخذتهُ لها العذراء مريم في لبنان الّا بتعريف تاريخ لبنان وطباع اهله. ثم تجد في هذا القسم كلاماً في عدّة معابد مثل سيدة الخلدة وسيدة النجاة عند النبي يونس وسيدة الوادي بالقرب من جزين الخ. ولكن المؤلف يتوسع في وصف ثلاثة اماكن خصوصاً وهي سيدة المخلص وكان لها نصيب وافر في النهضة الكاثوليكيّة في الجيل الثامن عشر ثم سيدة بسري وخاصةً سيدة التلة في دير القمر. وهو مزار شهير للموارنة يدير شؤونه الرهبان الحلبيون على احسن ما يرام ويحج اليه حتى اليوم اللبنانيون من كل ناحية

القسم الثالث موضوعه المتن وكسروان. يسافر بنا المؤلف من بيروت ولكن قبل ان يترك المدينة يشخص امامنا مشهداً بديعاً مشهد شابين قديسين ورد ذكرهما في اخبار الجيل السادس للمسيح. ثم تتلاقى بصحبته الجبال وتزور سيدة النجاة في بكفيا ومنها نهبط الى بيت شباب لزيارة سيدة الغابه وفي اثنائها نسمع حديث الامير حيدر ابي اللمع وكان من اخص عبيد العذراء مريم. ثم بعد ذلك نتوغل في مضايق نهر الكلب ونسلم على سيدة طاميش وسيدة اللويزة ونرتقي الى المشارف الكسروانية التي سماها المؤلف « واحة البطاركة » وبكل صواب لان اليها التجأ البطاركة في أيام المحن. فبطريرك الارمن الى سيدة بزمار وبطريرك السريان الى سيدة الشرفة وبطاركة الموارنة الى سيدة بكركي فيصف المؤلف كل هذه الكنائس التي انتصبت بينها سيدة لبنان على قاعدتها العالية في حريصا ثم سيدة البزاز في حارة صخر وسيدة الابراج في غزير.

وقد كان لها أيام عزّ في عهد المشايخ الحبيشيّة . وسيدة الحقلة في غابة فوق دلبتا . وبعدها يصعد بنا الكاتب الجرد فتزور واياه سيدة حراجل في ميروبا وسيدة الكفور وسيدة الشقيف في الفتوح

يستهل المؤلف القسم الرابع واسمهُ « ارض تموز » بوصف عبادة الاله تموز ثم يبين كيف دحرت العذراء مريم الوثنيّة واقامت في كل مكان بدلًا من مناسكها الرجسة معابد تكرم فيها ام الطهارة والقداسة . ويخص بالذكر ناحيتين ناحية مدرسة مار يوحنا مارون وناحية نهر ابراهيم حيث تعدّدت المعابد الصغيرة ولها الاحاديث الملذة . منها سيدة البئر المشرفة على وادي نهر ابراهيم وسيدة غشريا تحت بحشوش في موقع طبيعي بديع سميت العذراء فيه « ام العجائب »

وبعد ذلك نتزل الى جبيل حيث نجد عدّة كنائس للعذراء منها « سيدة البرابة » يحج اليها الزوّار بكثرة حتى اليوم . ونسير على سيف البحر حتى بترون وفيها سيدة البحر ومن هناك نعكف على الجبل ونرتقي فيه ونزور دير ميفوق . وفي زيارتنا نسمع حديث دير سيدة أيليج مقرّ البطاركة الموارنة قديمًا . ثم ينتهي هذا القسم الرابع بخبر مقابلة حبيسين معتزلين بالقرب من السيدة

في القسم الخامس ينتقل بنا المؤلف الى لبنان الاعلى وقد سماه « بلاد الرهبان » ولا عجب من هذا الاسم لان الناحية كثيرة الاديرة ولاسيما الحابس في وادي القاديشا . امّا ابتداء هذه الرحلة فمن طرابلس حيث نجد سيدة الحارة وسيدة النعمة وقد نقلت صورتها العجائبيّة الى كنيسة الفرنسيسكان التي في القاهرة في حي الموسكي . ثم من طرابلس نصعد الى سطح الجبل الذي عليه زغرتا . هناك كنيسة كبيرة للعذراء جرت بسببها مواقع شتى ابلى فيها اهل زغرتا وادّخروا لهم سمعة طيبة بشجاعتهم وقوتهم . ومنها نرتقي الى مشارف الجبة ونتمتع برأى محاسنها الفتّانة . لان الاب يصفها وقلبه طافح اعجابًا . وبعد اخذ نصيب من الراحة في دير قزحيا البديع الموقع نصل الى الاماكن التي اشتهرت في تواريخ الموارنة . فهناك سيدة حوقا وسيدة قنوبين مقر البطاركة . اكرم مزار للعذراء في تلك الناحية . ثم سيدة الحصن في اعلى بلدة اهدن . وقد سماها الاهارون « رمح اهدن » لانهم ينسبون اليها انتصاراتهم على اليعاقبة والمتاولة . واخيرًا تحت ظلال الارز تنتحي امام التي نسميها في الطلبة ارزة لبنان فان لها هناك مصلّى صغيرًا

بعد الجبة جبل النصيرية . وهو موضوع القسم السادس من الكتاب وفي اول فصل منه بحث مطوّل في كنيسة سيدة طرطوس التي طارت شهرتها في الافاق الاوربيّة على عهد الصليبيين وهي الآن جامع . وفي آخر القسم وصف سيدة الحصن بنيت قديماً بترب حصن في ايام الصليبيين وتمتهـا الآباء اليسوعيون . وفي خلال الزيارتين يقص علينا الكاتب طرفاً واقاصيص مذكية عن العذراء التقطهـا من افواه اهالي تلك الجبال

ها قد وصلنا في القسم السابع الى حمص فبعد مسير طويل جنوباً نجمع في اثنائه كل ما تسنى لنا جمعه من اخبار وتقاليد قديمة يقف بنا المؤلف في رأس بعلبك في دير قديم جداً للروم الملكيين تكرم فيه سيدة الميلاد . ثم يسير بنا الى بعلبك ويشرح لنا اخبارها العجيبة وما كان فيها لعبادة العذراء من الآثار المسيحيّة ومن بعلبك نستأنف المسير معترضين السهل الى دير الاحمر . هناك المازون بنوا معبداً حسناً للسيدة في بشوات ومن دير الاحمر نتوجه جنوباً الى القرزل وزحلة حيث تكرم سيدة النجاة للروم الكاثوليك وأخيراً الى تعنايل حيث اقام الآباء اليسوعيون كنيسة بديعة لسيدة التعزية . امّا الصورة المكرمة في تعنايل فقد كانت اولاً في طورينو ثم اخذهـا المرسلون الى الجزائر ومنها شرفت البقاع واستقرت فيه

بقي على الكاتب ان يصف لنا البقعة الدمشقية وما تحويه من الآثار المريميّة وقد عني بهذا الوصف في آخر هذا القسم واسهب في الكلام عن مار يوحنا الدمشقي الذي اشتهر بحبه للعذراء والحماة عن حقوقها وفضائلها . وختم القسم بل وزياراته كلها بزيارة سيدة صيدنايا التي تغني شهرتها عن ذكر محاسنها

امّا القسم الثامن والاخير فهو عبارة عن نظر عام في عبادة الشرقيين للعذراء وكل متعلقاتها . فان المؤلف يبحث فيه عن ميزات هذه العبادة وخواصهـا وذلك في مظاهرها من كنائس ومعابد وطقوس وزيارات واحاديث وتماثيل وكل ما يعرّفها حق المعرفة . وفي الختام يعرب المؤلف عن وطيد رجائه في شفاعة البتول وحمايتها للبلاد بالغت في اكرامها

هذا هو المؤلّف الجليل الذي اتحفهُ حضرة الاب غودار قرّاءنا الشرقيين فبعد مطالعته يشعر القارئ انهُ طاف بلاداً تغللتها العذراء مريم واحتضنتها من كل وجه . وما احسن

ما قالهُ في هـذا المعنى (ص ٧٤ و٤٩٤): « ان العذراء مريم كانت كمحور دارت حوله الوقائع والحوادث التي شهدها اهل لبنان وقد كانت اكثر حروبه حروباً دينيَّة... ويتأكد الباحث ان جملة معابد لا لها اهميَّة بالظاهر هي للنواحي التي فيها بمنزلة القلب للجسم البشري. يزورها اللبناني ويتعلق بهـا بكل عروق قلبه كما تتأصل الشجرة في شقوق الصخور رويداً رويداً ولكن بقوة لا تُقهر » . وتزيد على ذلك ان من طـالع الكتاب يحصِّل فوائد جمة عن تاريخ لبنان

ونختم قائلين انهُ ينبعث من هذا التأليف شعاع نور منعش. نور الرجاء والثقـة في مستقبل بلادنا. فان التي حفظت للبنـان ايمانه وجامعته فيما مضى ستحفظهما لهُ في المستقبل مع ما طرأ وسوف يطرأ عليهما من عوامل الخراب. ويحسن بنا ان نذكر هنا ما قالهُ يوماً غبطة بطريرك الموارنة في اثناء زيارة جمعت كل افراد كليتنا: « ان الزوابع الهائلة تتهدَّدنا غير ان العذراء التي حمت لبنان سوف تحميه ثانيةً . وكما ان للجنود في ظلمات المعامع شعاراً يعرفون به اصحابهم ويحذرون به مكايد العدو كذلك ان لنا نحن ايضاً شعاراً ورجاء وهو العذراء مريم »

وقد فطن لهذا الامر كل الذين سعوا ولا يزالون يسعون في خير لبنان من مرسلين ومحسنين. فانهم لا يقدمون على عمل الا بظل حماية العذراء. لما تألفت شركة فرنساوية في سنة ١٨٤٦ لاعانة مسيحيي لبنان باشرت اعمالها في ٢ شباط بتكريسهـا للعذراء مريم في كنيستها الباريسيَّة المعروفة بسيدة النصر الامة المارونيَّة. وقد ثبَّت التكريس البابا بيوس التاسع بعد ذلك بسنتين. وكأني بلبنان قد اراد ان يخلد ذكر حبه للعذراء وحماية العذراء لهُ في اثر فخيم باقامته لسلطانته المحبوبة تمثالاً يبلغ مع قاعدته ٣١ متراً فاذا ما رآه المسافر عن بعد عرف ان العذراء وضعت رجليها الطاهرة على قمم لبنـان وتملكتها وان من وطئ ارضه دخل تحت سلطانها وحمايتها

هذا وقد احببنا ان نشفع مقالتنا في هذا التأليف الجليل ببعض مقتطفاته (١ تتمة للفائدة وتفكيهاً للقرَّاء

---

١) وهي تعريب جميل افندي خوري تلميذ كليتنا سابقاً

وصف كسروان وذكر شيء من اخباره (١٧٠–١٧٤)

هو اشبه بحصن حصين من الحجر الاصم. من ناحيته الشرقيّة انتصب صنين كسور طبيعي يدافع عنهُ . ومن جهتيه الشماليّة والجنوبيّة حفر له نهر ابراهيم ونهر الكلب خندقين هائلين لا مجاز لهما. ومن وجهته البحريّة حماه خط ابراج شاهقة شرفاء اقامتها لهُ الجبال. ودعاها اسطرابون « السأم الجبلي ». وفي داخل المربع الذي حدَّدناه من الاودية العميقة والجبال المتشبكة ما حمل احد الرسلين على القول: « ان منظرها لمخيف حتى انهُ يجعل في القلب بغض الخطيئة وحب السماء ». وكفى ببعض المدافع اذا نصبت في اعلى هذه الشرفات حتى تقاوم عسكرًا جرّارًا

امّا تاريخ البلاد فظاهرها يحدّث بها كما ان ملامح الرجل تخبر بما في صدره. فهيئة كسروان هيئة جبّار شديد الجبلة. مشبوح العظام مُندَب الوجه تدل على انهُ صاحب حرب وصراع. والحق يقال انهُ لكذلك. فمن أيام مَرَدة الجيل السابع حتى العصاة الذين احتاروه بعد الصليبيين لم يزل كسروان همًّا ومفزعة لاعدائه... وقد اضطر سلاطين مصر ان يرسلوا بعثتين ويزحفوا اليهِ بخمسين الف مقاتل من المماليك ليتمكنوا من احتلاله وتذليل سكّانه وكان مع ذلك خوف المصريين من النبّالة اللبنانيين فائق الحدّ حتى اضطر قوّادهم على المناداة بخنق كل جنديّ يرتد الى الوراء هربًا. وقد توالت المواقع الهائلة مدّة احد عشر يومًا لان اللبنانيين كانوا يدافعون عن ارضهم شبرًا شبرًا. فكان المصريون يهاجمون كل تلّة ورابية وكل شقّ في الجبل للاستيلاء على البلاد ولم يستقط ذلك الجبّار العنيد الّا في سنة ١٣٠٦. وقُلِّد التركمان حراسته (١ فتيقنوا ان الراحة لا تستتب لهم في كسروان الّا اذا سالموا السكّان فأمّنوهم واراحوهم وبينما كان المتاولة لا ينفكون عن غزو الموارنة في شماليّ لبنان ولا يدعون لهم لذّة عيش كان الكسرواتيون في امن وسلام. فاضحت بلادهم ملجأ المضطهدين. ومأوى الهاربين. وما عتمت ان اكتست صخورهم الجرداء خضرة ونضارة. وامتدت على رؤوس جبالهم القرى والمزارع الآهلة

---

١) طالع تأليف دي كاترمير في السلاطين المماليك. الجزء الثاني: حوادث سنة ٧٠٤ هـ

نعم لم تشرق بعد على المسيحي شمس الحرّية التامّة . فان الماروني بقي بعد ذلك عبدًا لا حقوق له مرعيّة وفلاحًا ضعيفًا يئن تحت الحمل في مسكنه الحقير ولا يسمع له صوت . ولكن ذلك كان فجر الحرّية واول طلوعها . ولم يكن غير قليل حتى بزغت عليه انوارها ودقت ساعة الخلاص . فتملص الكسروانيون من ايدي ظالميهم واعتقوا باقي اخوتهم اللبنانيين فدعي لذلك كسروان « سيف لبنان »

في اواخر الجيل السادس عشر استجار بعض الموارنة في بلونة اميران من الدروز بعد قتل ابيهما الامير قرقماز معن في قلعة نيحا المشهورة بشقيف تيرون . وكان هذا الماروني ابراهيم بن سركيس الخازن . والاميران فخر الدين الشهير واخاه يونس . وكان في تلك الأيام أيام بلابل واضطراب ان حملة او غزوة تخضع ولاية واخرى تسترجعها في الغد

كان فخر الدين خطيبًا بليغًا ورجلًا مقدامًا جريئًا . خدمهُ السعد فاسترد بمساعدة متقذيه الموارنة ولايات ابيه ووسع نطاقها ثم تملك على كسروان واحتل بيروت واخضع لامره بلاد الجليل وزحف بجنوده حتى جبال حوران البركانية . ولكن نجمه أفل سريعًا فتوارى وتغلب عليه اعداؤهُ والجأوهُ الى الهرب الى ايطاليا . وهناك لاذ بآل مديسيس وزار بولس الخامس . ثم في سنة ١٦١٧ ظهر في عكّا . بغتةً وكسر جيش اعدائه واحتل سوريّة من دمشق الى بحيرة لوط ومن طرابلس الى القدس الشريف فقدم له الطاعة كل المشايخ والامراء وقبائل العرب ودعوه « سلطان البرّ »

وكان تعلقه عظيمًا باريس الثالث عشر وبمملكته حتى انهُ كان يحسب نفسه من جنس الفرنج . فرمم كنيسة الناصرة وغيرها من المعابد . وعقد معاهدات تجاريّة وشيّد خانًا لتجار الفرنسيس في صيداء . واستحضر من فلورنسا جماعة من مشاهير ارباب الفنون . . .

ولم يكن لينسى من احسن اليه في بآونة ولا الدينَ الذي الهم ذويه المحبة للقريب والاغاثة للملهوف وكان سبب نجاته . فانتشل الخوازنة من ايدي الخمول وجعلهم له عمّالًا فاخذ بنو الخازن يتقدمون في سبل الشرف والمجد مع ذاك الرجل العظيم الذي لاذ بحمايتهم . وقد اختار الرب منهم قسيسين اتقياء . ولبنان بطاركة عظامًا . وفرنسا قناصل والباوات امراء رومانيين . وكما ان نعمتهم صدرت عن فعل خير بقيت كلها لفعل الخير

قال بعض المعاصرين: « وكانت عيشة الموارنة حتى تلك الأيام شقيّة. لا يأكلون خبزهم الّا مبتلًا بدموعهم. لا نصيب لهم سوى الضرب والقيود والسجن وفقد الحرية » (١. فاخذ بنو الخازن يناصر اخوتهم بكل همة ونشاط...

وكانوا قد جاؤوا من شماليّ لبنان فيمن جاء منهُ هربًا من جور المتاولة فتحصنوا في كسروان وساعدهم الدروز على محاربة اعدائهم فطردوهم من كسروان فاصبح « قلب الطائفة المارونيّة وملجأ العبيد الآبقين من المدن فيهِ يجدون الامن والراحة » (٢

قال بعض سيّاح القرن الثامن عشر (٣ : « ان البلاد الكسروانيّة ملجأ كل المسيحيين. فترى فيها كثيرًا من الاديرة وعددًا عديدًا من الرهبان والراهبات. وكل الكنائس لها قبب واجراس. والديانة فيها حرّة كما في بلادنا الفرنساويّة... وذلك لان سكانها وكلهم من الموارنة رجال حرب وبطش. حكامهم اربعة من مشايخ آل الخازن. لهم سطوة وصولة وفي وسعهم ان يسلحوا ثلاثة آلاف مقاتل فاذا انضموا الى امير الدروز تمكنوا من مقاومة باشا صيداء »

وزد على ذلك مجدًا اعظم من مجد الحروب. فقلما تجد في ذلك العصر عمل خير او مشروعًا مفيدًا الّا وللخازنة فيهِ اليد الطولى. فكم من بائس انقذوه وعاثر اقالوه ومظلوم حصلوا لهُ حقوقه. حتى ان احدهم وهو الشيخ الشهير ابو نوفل كان يقول: « اني حامل في قلبي النصارى كلهم فلا يجرحهم احد الّا ويجرحني »

وقد كان للعذراء مريم قسم وافر من تبرعات هذه الاسرة الكريمة فساعدتهم على اعلاء شان المسيحيين في كسروان. فان كثيرًا من الصور والاديرة والكنائس التي على اسم السيدة مؤرخة من ذلك العهد

بقي علينا في الختام ان نتمنى لتأليف الاب غودار معرّبًا يقرّب من الشرقيين مناله ويعمم فوائده

---

١) طالع كتاب بسون (Besson) في سورية والارض المقدسة (ص ٨٠)

٢) من رسالة دي بوالثاش (de Poislevache) في ١٥ تشرين الاول سنة ١٦٩٨

٣) وهو غرانجه (Granger) — عن مخطوطات وزارة الخارجية في باريس ٣٢٢ و٢٧٥

خادم امين

رواية افرنسية عربها بعض الصرف الاديب بشاره خليل الخوري احد تلامذة كليتنا

كانت جبال القفقاز في اوائل القرن التاسع عشر مستقلةً بعد وان كانت الاراضي المحيطة بها من كل جانب خاضعة لحكم الروس. وكان سكان تلك الجبال ينقسمون الى قبائل متعدّدة مختلفة اللغات والعوائد والصوالح لا جامعة بينهم سوى شراسة الاخلاق وحب الغزو والاستقلال . وكانت قبيلة الجنكز اكثرهم عددًا واشدّهم بأسًا. رجالها حسان الشكل اقوياء القلب متوقدو الذهن. غير انهم يحبون السلب والنهب . لا يرأفون بمخلوق ولا ينعطفون على ملهوف . ولا يزالون يشنون الغارات على العساكر الروسية المقيمة على « الخط ». لان الدولة المسكوبية كانت قد فتحت طريقًا في تلك الجبال وبين تلك القبائل المتوحشة لتصل بها اقاليمها الاوربية واملاكها الاسيوية. واقامت على حراستها جنودًا يسكنون قليعات قريبة بعضها من بعض تتسلسل على شكل « خط » متقطع حتى بلاد الكرج. ومع ذلك لم يكن المسافرون ليجترئوا على قطع المسافات الفاصلة بينها ان لم تصحبهم بعض الجنود فكانت فرقة من المدفعية يدعمها عددٌ عديد من خيالة « القوزاق » ترافق المسافرين مرتين في كل اسبوع وتحمل بريد الحكومة. وكان قائد الجنود القائمين باعباء هذه الخدمة مقيمًا في قليعة مشيدة على مدخل الجبال اصبحت مع تمادي الزمن مدينةً آهلة بالسكان واسمها قلادي قفقاز اي مالكة القفقاز سميت بذلك لمناعة موقعها

فاتفق يومًا ان الماجور كسكنبو من الاي ڤولوجدا قُلّد الامر على قلعة تُرس في مضائق القفقاز وكان شريفًا من اسرة رومية الاصل شجاعًا مقدامًا لا يبالي بخطر. فقصد مركزه ولم يكن معهُ غير خمسين فارسًا وكان قد اعلن امره ونشر سره قبل انجازه. فما علم به الجنكز حتى جمعوا قواهم وخرجوا يسدون في وجهه الطريق. فكمن لهُ منهم سبعمائة فارس وفاجأوه على مسافة يسيرة من مدينة مُزدُك (١ فلمّا رأى القائد ان الرجوع على الاعقاب اصبح من المحال وان لا نجاة الّا بالقتال امر فرسانه

١) وهي مدينة على نهر التيرك (Terek) في سفح جبال القفقاز شمالاً

فنزلوا من جيادهم واخذوا يصدون هجمات العدو وهم يتوقعون النجدة من قلعة لم تكن بعيدة منهم . ولم يكن لهم بالنجاة ضمانًا لان القفقازيين يعجزون عن مقاتلة جنود منظمة وان كان افرادهم شديدي البأس . الّا انَّ عددهم الوافر ورصاصهم الصائب مكّناهم يومئذٍ من الفوز والانتصار . فبعد قتال عنيف قتلوا من الروس ما يربي على نصف عددهم ولبث الباقون متحصنين وراء جثث خيولهم يطلقون طلقاتهم الاخيرة . فعندما صاح الجنكز : سلّموا الينا القائد والّا هلكتم عن آخركم شرّ هلاك . فتقدم حينئذٍ القائد كسكتبو ودفع بنفسه الى الاعداء ضنًّا بحياة جنوده الباقين فما ظفر به القفقازيون حتى اقبلت النجدة المنتظرة . فلما رأوها ولّوا مسرعين باسيرهم لان غايتهم انما كانت الانتفاع منهُ وطلب مبلغ عظيم فدًى عنهُ

وكان إيفان خادم القائد متخلفًا عن الجنود في وقت الموقعة مختبئًا في مغارة ومعهُ بغل عليهِ ثقل سيده . فلما انتهى القتال لقيه العساكر الروس فاخبروه بما كان من امر الماجور فعزم للحال على اللحاق بهِ ومشاركته الأسر وتوجه ببغلهِ الى الجنكز يقتفي آثار خيولهم . ولما كاد ظلام الليل يخفيها صادفه رجل منهم متخلف عن اصحابه فذهب بهِ اليهم

فلا تسأل عما خالج قلب كسكتبو من الفرح لما رآه من كرم اخلاق خادمه الامين الذي اتى يقاسمه الشقاء والعناء . أمّا الجنكز فاخذوا ما كان مع ايفان وتقاسموه ولم يتركوا للقائد سوى عود كان بين الاثقال فردوه على صاحبه استهزاء . واراد كسكتبو ان يرمية فمنعه خادمه وقال : لا تيأس سيدي فان اله الروس عظيم(١ وان صالح هؤلاء اللصوص ان يبقوك ولا يلحقوا بك شرًّا فتصبّر

وبعد مضي بضع ساعات عزم الجنكز على استئناف السير . غير ان رجلًا منهم قدم عليهم وانذرهم ان الروس يواصلون الزحف الى الامام وانهُ يرجح ان جنود باقي القلع ستشاركهم في مطاردة الجنكز . فتشاور رؤساؤهم وكان جل اهتمامهم اخفاء محلتهم ليحافظوا على اسيرهم ويبعدوا عن قراهم عساكر الاعداء وينجوا من انتقامهم . فتشتت شملهم وذهبوا طرائق وابقوا لحراسة الاسيرين عشرة رجال من المشاة ولبث

١) وهو مثل سائر فيما بين الروس يقولونه في ساعة الخطر

مئة من الفرسان متجمعين ثم ساروا في وجهة مخالفة لوجهة كسكنبو وحراسه . وترعوا من رجل كسكنبو جزمته المسمرة خشية ان تفضحهم آثارها واضطروه وخادمه ان يمشيا حفاة الارجل ولكن المسير بين الشوك وعلى الصخور ادمى رجلي القائد واضناه حتى رأى اللصوص ان يُرجعوا اليه حذاءه ليتمكن من مواصلة الهرب معهم

ولما وصلوا الى قرية من قراهم ظهر لهم ان الاسير اعيا حتى انهم خافوا على حياته . وكان الغم قد اضناه وهزله اكثر من تعب المشي فرفقوا به واراحوه واركبوه فرساً غير انهم اخذوا يتنقلون به من قرية الى قرية ومن واد الى واد حتى تخفى اثاره على الروس . وربما ربطوا عينيه بعصابة مدة المسير ليتعذر عليه اطلاع اصحابه على مقامه . وكانوا يحسنون معاملته طول المسير ويقدمون له ما احتاج اليه من الطعام . ويأذنون له بالراحة ما شاء . غير ان هذه المعاملة لم تدم فما وصلوا الى القرية البعيدة التي اختاروها ليحبسوه فيها حتى اذاقوه من انواع النكال امرّها . فكبلوه بالحديد وغلوا يديه ورجليه وعنقه بسلاسل ثقيلة . امّا إيفان فكانت قيوده اخف تسمح له بالقيام بخدمة سيده

فقضى القائد على تلك الحال اياماً كان فيها عرضة للاهانات والشتائم فكان كل ما اشرق النهار دخل عليه احد الجنكز العارفين باللغة الروسية والحّ عليه ان يكتب الى اصحابه ويحرضهم على دفع ديته وقيمتها عشرة الاف روبل . وكان القائد المسكين عاجزاً عن دفع هذا المبلغ . الّا انهُ لما الحّوا عليه وعد الترجمان بتلبية طلبهم فخرج هذا من عنده ولبث اياماً لم يرجع الى الاسير . وكانهم انتهزوا فرصة هذه الايام ليزيدوا في تعذيبه فقطعوا عنهُ الاكل وترعوا من تحته البساط الذي كان جالساً عليهِ والوسادة التي كان يتكئ عليها لينام . ولما رجع الرجل المذكور اسرّ الى القائد انهم عازمون على قتله فراراً من المصاريف الباهظة التي كانوا يتكبدونها بسببه ان لم يُلبِّ الروس طلبه . وانما كانت غايتهم من معاملتهم هذه القاسية اجبار القائد على طلب الدية بالحاح . فكتب كسكنبو كما ارادوا وترجم الرجل الكتاب لرؤساء القبيلة فرضوا به واخذوا على انفسهم ان يرسلوه الى قائد الجنود الروسية فتحسنت منذ ذاك حالة الاسير ولم يبقَ مقيَّداً الّا بسلسلة واحدة . وكان سجّان كسكنبو شيخاً اسمهُ ابراهام له من العمر ستون عاماً . وكان طويل القامة ذا منظر مخيف يدل على ما طبع عليهِ من

القساوة والفظاظة وقد اختاروه سجاناً لما عهدوه فيه من البغض والحنق على الروس اذ قتلوا له ولدين في الحرب

وكان في بيت ابراها المذكور ارملة احد ولديه لها غلام حديث السن وكانت هي ايضاً على جانب عظيم من قساوة القلب وشراسة الطباع . فحدّث عما كابده القائد المسكين من الالم بين ذلك القوم ولا حرج . غير ان لطف الصبي وما كان يظهره من عواطف الشفقة خفف وطأة مصابه . فقد كان الغلام كلف بالسجين حتى ان التهديدات لم تقوَ على منعه من مؤانسته كلما سنحت له فرصة . وكان قد سماه بلفظة « قنياق » ومعناها عندهم الصديق والضيف فاخذ يقاسمه سراً كل ما نالته يداه من الثمار ولما مُنع القائد القوت حنّ الولد عليه فكان يحتال حتى يأتيه بما يأكل من خبز وفاكهة

مضت الاشهر بعد ارسال الكتاب دون حدوث امر ما وكان إيثان في اثنائها توصل الى استعطاف خاطر المرأة والشيخ او بالاحرى الى اجبارهم على التعلق به لمعرفته تهيئ المآكل والمشارب اللذيذة . ولكي تزداد ثقتهما به اكثر من التهريج فكان يبدع كل يوم حيلة ليضحك اصحابه وكان ابراها يطرب كل الطرب حينما كان ايثان يرقص رقصة القوزاق . فجعل كلما زاره بعض سكان القرية حلّ قيود ايثان وامره بالرقص فيلبي طلبه بطيبة خاطر ويزيد على حركات الرقص قفزات غريبة يستنبطها كل مرة ليضحك الزائرين. وما زال على تلك الحال حتى نال الاذن بالتجول في القرية مطلق الحرية . وكان اذا طاف بين البيوت لحقه الاولاد وهو يطربهم بلطيف مداعبته وظريف حركاته ولما كان يعرف اللغة المغولية لم يصعب عليه تعلم لغة القوم وكانت قريبة منها

اما الماجور فكان يضطر هو ايضاً ان يضرب بالعود ليطرب الاعلاج الذين كان بينهم وكانوا في اول الامر يفكون اغلال يده اليمنى ليتمكن من الضرب ولكن المرأة لاحظت بعد ذلك ان السجين اذا اراد التسلي ضرب بالعود احياناً وهو مقيّد . فاخذوا يجبرونه على الدق دون حل قيوده . فاصبح العود مدعاة للعذاب . وما كان يعلم اذ ذاك ان آلته ستكون يوماً وسيلة تساعده على نجاته من الاسر

تلك النجاة كانت موضوع افكار الاسيرين وجل رغائبهما . فما اكثر ما خطر لهما من الحيل لبلوغ مأربهما فضاقت عنها ذرعاً لشدة سهر الجنكز عليهما فكانوا في اول الامر يقيمون على باب الحبس خفيراً كل ليلة . ثم تراخوا عن الحفارة فكانت المرأة

وصغيرهـا يرقدان في غرفة بالقرب من غرفة الروسيين ولا يبقى مع الاسيرين سوى ابراهما وفي جيبه مفاتيح القيود يحفظها ويتيقظ لادنى حركة. وكانت عيشة القائد تزداد شقاء ومرارة من يوم الى يوم ولما لم يرد جواب على كتاباته المتكررة حنق الجنكز عليه وجعلوا يردون اليه يقذفونهُ بالشتائم ويذرونهُ بأليم العذاب او يمنعونه عن الاكل حتى ان ابراهما ضرب حفيده يوماً ضرباً مبرحاً لانهُ جاد على السجين ببعض الاثمار اليابسة

وكان الكل مع ذلك يثقون بكسكنبو ثقةً عمياء ويستشيرونه ويجعلونه حكماً فيما بينهم اذا اختلفوا. واليك بعض ما رفعوه اليه من الدعاوي الغريبة

سلّم بعض سكّان القرية خمسة روبلات الى رفيق لهُ كان مسافراً الى قرية اخرى وطلب اليه ان يدفعها الى رجل منها. فمات برذون المسافر في الطريق فرأى ان لهُ حقاً بحفظ الخمسة الروبلات تعويضاً عن الخسارة التي لحقت به. فلم يوافق هذا الحكم الغريب صاحب المال فما رجع المسافر الى القرية حتى علا القال والقيل بين الخصمين. فحشد كل واحد منهما اقاربه واصحابه وكادت الحال تفضي بهم الى القتال لو لم يتلافَ عقالهم الشرّ ويحملوهم على تحكيم السجين في المسألة. فأخرج من بيته وأصعد على السطح. وكان الخصوم واقفين بانتظاره فلما رأوه عمّ الجمع سكوت عظيم كأن على رؤوسهم الطير. فأعجب به من قاضٍ مقيد واخصام مسلحين بالطبنجات والخناجر قاموا يترافعون امامه ويتوقعون منهُ حكماً قاطعاً لا مردّ عليه

فبذل كسكنبو جهده في اقناع صاحب الفرس فلم تنجع حججه فيه فاراد على الاقل ان ينتقم للعدل انتقاماً يسيراً ويضحك الحاضرين من المدّعي. فقال لهُ: أعجب منك يا رجل أُتراك لو كلفك صاحبك بحمل السلام الى غريمه بدلاً من الخمسة الروبلات أما كان مات فرسك؟ فاجاب العائد: لعله كان ذلك. فقال القائد: فما كنت فعلت والحالة هذه بالتحية؟ أما كنت تضطر الى الاكتفاء بها تعويضاً عن خسارتك؟ فأحكمُ اذن ان ترجع المال الى صاحبه وتكتفي بقبول التحية والسلام منهُ»

فما تُرجم القضاء حتى استغرب الحضور ضحكاً وضجوا استحساناً لما رأوه من حكمة ضاهت حكمة سليمان واقرّ المحكوم عليه بعدل الحكم وقال: كنت عالماً ان الحكم يكون عليّ ان ترافعنا امام هذا السجين اللعين

ولكنّ الثقة التي ابداها اللصوص لسجينهم لم تكن لتخفف شقاء حالته. مضت

عليه سنة ولم يرد اليه جواب على رسالاته ولما كان في تلك البرهة محروماً حتى من ضروريات المعيشة وهنت قواه وضعفت صحته واخذ اليأس يستولي عليه. امّا إيفان فان ابراهاك يوماً اغلاله فجعل الخادم يغدو ويروح في القرية بلا معارض فتعجب كسكنبو من امره وسأله عن سبب ذلك الانقلاب. فاجابه ايفان مولاي قد خالجني فكر منذ ايام اريد ان استشيرك عليه. سمح لي ان اغيّر جنسيتي المسكوبية وانضم الى اهل القبيلة فاصبح كواحد منهم. قال كسكنبو: هل اعتراك جنون. قال ايفان: لا وحقك يا سيدي لست بمجنون وانما في عملي هذا وسيلة لخلاصنا فان كبير القوم اكّد انهم اذا ما اوثقتُ عرى الاخاء معهم وصرتُ جنكزيًا لا يعودون يقيدونني فأصبح حرًّا واتمكن من مساعدتك وخدمتك. ولعلي انجيك يوماً واياي من هؤلاء الاوغاد فاعود اذ ذاك الى جنسيتي ولا اظنّ ان احداً من مواطنيّ يلومني. فتحيّر القائد من امره ولم يدرِ ما يقول. أينكر على خادمه عملاً كان يحسبه خيانة لوطنه ام يأذن له باستعمال حيلة ربما آلت الى خلاص كليهما. فلما رأى ايفان سيده متردداً قال له: سيدي لست بقادر على طاعتك فلا سبيل الآن الى اخفاء امري وقد كان بودي كتمانه فاني جنكزيّ من يوم فكّت اغلالي واسمي قربات فلا بأس في ذلك. فاني حرّ وساحررك ان شاء الله

والحق يقال ان الجنكز وفوا لايفان بما وعدوه به فاطلقوا له الحرية التامة الّا انهم بعد ذلك خافوا ان يهرب من بينهم ويرجع الى الروس ويعلمهم بمكانهم فيجتاح الروس بلادهم وينتقمون منهم شرّ انتقام. وكانوا يلعنون ساعة دخول ايفان في مؤاخاتهم. فما عتم ان تغيّروا عليه وظهرت للعيان دلائل انقلابهم وايفان يطلب سبب ذلك ولا يجد. فبينما يضرب اخماساً لاسداس اذ جاء اليه بعض الشبان ربطتهم واياه عرى الصداقة فسألوه ان يرافقهم في غزوة ازمعوا عليها. وكان في نيتهم ان يعبروا نهر التِرك (Terek) ويسلبوا متاع تجار قاصدين مدينة مُزْدُك فاجابهم ايفان الى سؤلهم بلا تردد وقد طالما فكر في طريقة اقتناء بعض الاسلحة فظنها الفرصة الملائمة. ثم كان يرى في رجوعه الى مولاه بعد الغزوة برهاناً مقنعاً ينفعهم من كان يظنه خائناً. فقاتح كسكنبو في الامر فانكر القائد رأيه. فتناساه الخادم حتى ظن القائد انهُ عدل عن عزمه غير انهُ لما افاق يوماً من رقاده لم يجد ايفان فعرف انهُ تركهُ ليلاً وسار في اصحابه للغزوة المذكورة

وقد كان يجب عليهِ ان يحذر من غدر الجنكز وهم اكثر النـاس خبثاً ودهاء ويستغرب كيف يستصحبون في مقاتلة الروس روسيًا وان اخاً لهم . وانما قصدوا في ذلك قتل ايفان مواربةً لان دخوله فيما بينهم كان يوجب عليهم مراعاة حقوق الاخاء ظاهرًا . فرأوا ان يتحفظوا عليهِ في المسير ثم يقتلوه في القتال ويوهموا ان الاعداء قتلوه . الّا ان الحوادث اتت بما لم يكن في الحسبان . فبينما كانوا في المرصاد يتوقعون مرور القافلة اذ هجمت عليهم كركبة من القوزاق واضطرتهم الى الرجوع على الاعقاب فأنساهم عظم الخطر مكيدتهم وعبروا النهر ثانيةً مسرعين لا يبالون الّا بانقـاذ انفسهم من ايدي الاعداء

وكان النهر قويًا كثير المياه فكبا فرس احد الجنكز وهو عابر فجرته الامواج وكادت تودي بهِ لولا ان ايفان البطل اقتحم المياه بفرسه وانتشل الفارس من الغرق غير مبالٍ بحياته وانزله على الشاطئ سالمًا . الّا ان الروس عرفوا ايفان من بزته العسكرية فصاحوا بهِ : يا للخائن وصوبوا عليهِ نيران بنادقهم فدافع عن نفسه مدافعـة الابطال وعاد بعد ما ابلى احسن بلاء وخدم القبيلة خير خدمة

ولم يتوصـل مع ذلك الى استمالة قلوب الجميع غير ان الجنكري الذي خلصه احضه الوداد واتخـذه لهُ اخاً يدافع عنهُ بالنفس والنفيس امّا الباقون فازدادوا تحفظًا منهُ لما رأوه من شجاعته ولم يعودوا يعتبرونه كهرج يعجز عن اقتحام الاخطـار واتيان الامور العظام . ثم لمّا كانوا يعاودون النظر في حوادث الغزوة المشؤومة كانوا يتعجبون من وجود الروس بالقرب منهم فيظنون ان ايفـان يراسلهم ويطلعهم على اخبارهم فرابهم ذلك من ايفان وزادهم حذرًا منهُ وسهرًا عليهِ حتى ان ابراها نفسه خاف ان يحتال وينكّ اغلال سيده فنعهُ من محادثته مليًا وجعل يضربه اذا عصى امره

غير ان ايفان والقائد استنبطا حيلة مكّنتهمـا من التحادث دون ان يرتاب ابراها بهما . فكانا اذا ارادا التكلم بشؤونهما امامه يتغنيان بالحان روسية جريًا لعادتهمـا فيأخذ الماجور عوده ويضرب ويغني ما بدا لهُ ويضمّن الغناء الكلام الذي يريد تبليغه صاحبه والاستفهام عنهُ . فيجيبهُ ايفان على اللحن ذاته ويفيده والماجور يضرب على العود كانهُ يوقع عليهِ غناء بسيطًا . ولما كانا اعتادا قبلًا هذه الطريقـة في الغناء لم يفطن احد لحيلتهما . ومع ذلك لم يلتجئا اليها الّا فيما ندر

*

بعد مضي ثلاثة اشهر على الحوادث السابقة شعر ايثان بحركة غير مألوفة في الضيعة فقد كان ورد اليها بعض البغال محملة بارودًا ثم جعل الرجال ينظفون الاسلحة ويهيئون الخرطوش فعرف ان بعض القبائل المجاورة انخرطت تحت لواء الروسيين ورُخصت لهم ببناء حصن في اراضيها وان اصحابه عزموا على استئصال شأفتها وابادة العساكر الروسيين قاطبةً . وبعد ايام قلائل لما خرج ايثان من بيته صباحًا الفى الديار خالية فارقها كل من لهُ طاقة على حمل السلاح فاخذ يتجوَّل في انحائها فزاده ذلك يقينًا بما كان رآه من قلة ثقة الجنكز به . فكان الشيوخ يبتعدون عنهُ وينفرون من محادثته وتجرأ صبي وقال لهُ ان اباه يريد قتله . فرجع الخادم كئيبًا مهمومًا

وانهُ لكذلك اذ رأى على سطح احد البيوت امرأة تومئ اليهِ أن ابتعدْ وهي تشير الى وجهة البلاد الروسية . وكانت المرأة اخت الجنكزي الذي خلصه ايثان

ولما رجع الى البيت رأى ابراها يتفقد اغلال كسكنبو كانهُ يريد ان يتحقق متانتها ومعهُ رجل آخر ابقاه القوم لان الحمّى انهكت قواه واعجزتهُ عن اللحاق باصحابه فجعلوه مساعدًا لابراها على حراسة السجين . فلم يظهر ايثان تعجبه من ذلك . الّا ان الحالة اصبحت حرجة لانهُ ان كان غياب الرجال من القرية يسهل الفرار فزيادة السهر على الاسيرين تزيده صعوبة . ثم كان الخادم موقنًا ان مرته قريب لا مناص منهُ لان الجنكز سوف يرجعون بصفقة خاسر فيقتلونه حتمًا فلم يبقَ لهُ سوى الاختيار بين احد الامرين . فاما ان ينجو بنفسه ويترك سيده واما ان يخلصه بلا ابطاء . ولكن الخادم الامين كان يفضل احتمال الف ميتة ولا يترك سيده

وكان كسكنبو يئس من النجاة فوقع في حالة من الحيرة تشبه الجنون فكان يلازم الصمت لا ينبس ببنت شفة . اما ايثان فكان في فرح اعظم من ذي قبل يهيئ الطعام باعتناء فائق وهو يترنم بالحان روسية يضمنها اقوالًا يوجهها الى سيده لينشطه :

جاء الوقت المنتظر هَيْ ليلي هَيْ ليلي وقت بهِ نخلص ان غرت هَيْ ليلي هَيْ ليلي
غدًا نسير هي ليلي هي ليلي على طريق بلدة جميلة هي ليلي هي ليلي
تشجع سيدي ان اله الروس عظيم

اما كسكنبو فكان يجهل مقاصد خادمه وكان ينظر الى الحياة والموت بعين

واحدة فاجاب : افعل ما بدا لك واصمت . وعند المساء طلب الرجل المريض الانصراف لعارض طرأ عليه فلم يُمانع لان ايثان كان قد طيّب خاطر ابراها وهدأ روعه بمداعبته ومازحته . وليزيل كل اثر الارتياب من نفس السجان انفرد عاجلاً في آخر الغرفة واطرح على سرير من خشب وتناوم وهو ينتظر ان يغلب النعاس على السجان فينام . ولكن ابراها كان قد عزم على السهر طول الليل فصرف المرأة وابنها الى الغرفة المجاورة واغلق عليهما الباب واتى وجلس على كرسي بازاء سجينه

وكان ايثان يتأمل كل شيء من الزاوية التي كان فيها فكان يرى كلما التهبت النار فأساً معلقة على الحائط امامه تتلألأ . ثم لاحظ ان النعاس غلب على ابراها فمال برأسه . فظن ايثان ان قد اتت ساعة النجاة فانتصب فأحسّ به السجان وانتهره وسأله عن سبب قيامه فلم يجبه ايثان ولكنه اقترب من النار وهو يتثاءب كأنهُ مستيقظ من سبات عميق . وشعر ابراها ان النعاس يثقل اجفانه فامر كسكنبو ان يضرب على على عوده ليطيّر النوم من عينيه . وكان القائد يمانعه فقدم لهُ ايثان العود وقال لهُ اضرب يا مولاي فان لي معك كلاماً . فاخذ القائد العود وشدّ اوتاره ثم اخذا في الغناء وتبادلا هذا الحديث الهائل :

كسكنبو — هي ليلي هي ليلي ماذا تريد ان تقول ؟ احذر (وكانا يقطعان محادثتهما بادوار الاهزوجة الروسية الآتية) :

الأسى يقتلني يا ربوع الوطن الأسى يقتلني يا ربوع الوطن
لا تلي همما لا تعزي وهنا قد بكت اعيننا من فراق الوطن

ايثان — هل ترى هذه الفأس ؟ لا تنظر اليها . هي ليلي هي ليلي . لأشقنّ بها رأس هذا الكلب . هي ليلي هي ليلي

دمعنا احرقنا فجلسنا زمنا ذاكرين الوطنا يا لبعد الوطن

كسكنبو — ما يجدينا قتله نفعاً . هي ليلي هي ليلي . كيف اهرب وانا مكبل بالحديد

عين ماء سكبت في امان وبكت وهي عجماء شكت من فراق الوطن

ايثان — مفتاح الاغلال في جيب اللص

سكّني يا مقلتي خفني من لوعتي سوف تجلى غمتي في ربوع الوطن

كـكنبو — ستصيح المرأة فتفضحنا

غريبي تطرجم لوعتي تفرحهم ليتني أشرهم يا فراق الوطن

ايثان — دع الاقدار تجري . الست مائتاً ؟ هي ليلي هي ليلي . جوعاً وشقاء

وطني لم تنسكا وطني لم تنسكا روحنا تبقى لكما جسنا للكفن

ولما رأيا السجان يعيرهما سمعه ضاعفا الصياح والهلهلة وقوي ضرب القائد على العود وقال الخادم لسيده : اضرب لحن القوزاق لارقص واقترب من الفأس لا تخف اقتر قتراً شديداً . قال كـكنبو : لك ما تشاء . فلعلَّ هذا العذاب قريب الزوال . قال هـذا ثم التفت واخذ يضرب اللحن المطلوب فطفق ايثان يرقص ويصيح . وجعـل القائد كلما اقترب الراقص من الفأس خفق قلبهُ قلقاً لان الآلة المطلوبة وان كانت في خزانـة لا لاباب لها غير انها بعيدة المنال لا تكاد يد ايثان تصل اليها . الا ان الخادم انتهز فرصة مناسبة وانتشل الفأس من محلها ووضعها على الارض في ظل جسم ابراها ولما وقع نظر السجان عليهِ كان ايثان قد ابتعد وهو يرقص

طال الرقص حتى اعيا كـكنبو وظن ان ايثان لن يقدم على العمل او انهُ لا يرى الوقت مناسباً فرفع اليهِ بصره فرآه قد اخذ الفأس واقترب من اللص ليقتلهُ فارتعـدت فرائصهُ وارتعشت يداه وسقط العود من يده . وفي اثنائها تقدَّم ابراها من النار ورمى فيها عوداً يابساً فتأججت واضاءت الغرفة ثم التفت ورجع الى مكانهِ . فلو تمم ايثان حينئذ مقصده لصارعهُ السجان وطرح الصوت وهذا ما كان الخادم النبيه على حذر منهُ . فلما رأى من اضطراب القائد ما كان ورأى السجان ينتصب وضع الفأس خلف كرسيهِ واستأنف الرقص وصاح بسيده اضرب على العود والموت الازرق مـا حلَّ بك ؟ فرجع القائد الى النقر ولم ينتبه السجان الى ما جرى وجلس ثانية غير انهُ امرهما ان يكفـا عن الغناء ويرقدا . فتقدم ايثان واخذ بيت العود ووضعهُ على المدخنة وتناولهُ القائـد العود فلم يتناولهُ الا انهُ عمد الى الفأس وضرب بها السجان على ام راسهِ ضربة هائلة اودت بهِ ولم يتأوه فسقط ميتاً وراسه في النار فاحترقت لحيتهِ فجرَّه ايثان وغطاه ببساط

وكان الاسيران منصتين ليعرفـا ان كانت المرأة متيقظة . واذا بهـا وقد اعجبها السكوت الذي ولي الرقص والغناء قد فتحت باب غرفتها واقبلت عليهما وقالت : ما لكما

ومن اين هذه الرائحة رائحة ريش محروق . وكانت النار قد كادت تنطفئ . فرفع ايفان فأسهُ على المرأة ليضربها فحولت رأسها فأتت الضربة في صدرهـا فصاحت وسقطت فانثنى عليهـا ايفان فما وصلت الشقية الى اقدام كـكنبو حتى فارقتهـا روحها . فارتاع القائد من مقتل لم يكن في الحسبان . اما ايفان فتوجه الى غرفة الصبي فوقف امامه الماجور وقال لهُ : الى اين تذهب يا لئيم ؟ اوَ تقدم على قتل ولد لم أرَ منـهُ غير اللطف والوداد . والله لئن كان خلاصي بقتلهِ فلتهلكنَّ اذا رجعنا الى روسيا ولم تجدك امانتك وخدمتك نفعاً . قال ايفان : في روسيا تفعل ما بدا لك اما هنا فلا بدَّ من تتميم مقاصدي . فجمع الماجور قواه ومسك ايفان بثيابهِ كأنهُ يريد منعهُ من المرور وقال : ان قتلتهُ او مسـت شعرة من راسهِ سلَّمت نفسي الى ايدي الجنكز فتصبح قساوتك بلا جدوى . فقال ايفان وهو رافع فأسهُ المتقطرة دماً : الى ايـدي الجنكز . والله لا ياخذونك حيًّا . لاقتلنَّهم واقتلنَّك واياي قبل حلول هذا الامر . فان الولد قـادر على اهلاكنا اذا صرخ وفي الحال التي انت فيها لا طاقة لك بردّ اضعف النسوة عنك . قال كـكنبو : قف ياغليظ الكبد فلتقتلني قبل ارتكاب هذا الاثم الفظيع . ولكنـهُ لم يقوَ على مسك الخادم من شدة ضعفهِ وثقل قيوده فدفعهُ ايفان وتملص منهُ فسقط القائد المسكين على الحضيض وكاد يغشى عليهِ من الدهشة والغم . وبينما كان يحاول الوقوف كان يصيح : بالله عليكَ يا ايفان إلَّا رحمت هذا البريء . ثم لما ثابت اليهِ قواه اسرع الى اغاثة الولد فما بلغ الباب حتى التقى بايفان راجعاً وقد اتم قصده . فاندفع الماجور يؤنبهُ ثانياً عنيفاً فاجابهُ ايفـان : مولاي قد تم الامر فلا تدع الوقت يذهب سدى ولا ترفع صوتك . قد جرى ما جرى فلا سبيل الان الى الرجوع الى الوراء . ومن هذه السـاعة الى ان نتجو كل رجل يعارضني فهو مائت وكل من دخل علينا فهو مقتول لا محالة رجلًا كان او امرأة او صبياً . عدوًّا ام صديقاً . واخذ ايفان اذ ذاك يطلب مفـاتيح الاغلال فلم يجدها لا في جيب السجان ولا مع المرأة ولا في الاماكن التي ظن انها مخبأة فيها والقائد مع ذلك يتوجع ويتحسر غير مبالٍ بموقفهِ الحرج والخادم يقول لهُ : اولى بك ان تتوجع على فقد مفتاح القيود . مالك تبكي على مثـل هؤلاء الاوغاد الذين عذبوك خمسة عشر شهراً ؟ قد ارادوا قتلنا فقتلتهم فما عليَّ ؟ ليت الجحيم يبتلعهم جميعاً

ولما لم يجد ايفان مفتاح القيود فكر في كسرها والَّا اصبحت المذبحة التي ذبحها

بلا فائدة. فاخذ الفاس وتوصل الى فك الحلقة التي حول المعصم واما الحلقة التي حول الرجل فلم يستطع فكها وخاف ان يجرح مولاه ان شدّ عليها بكل قواه . وكان الليل قد مضى منهُ شطر عظيم فاضحى موقفهما خطرًا حرجًا. فعزما على السفر دون تاخر فعلّق ايفان قيد الماجور بنطاقهِ حتى لا يعيقهُ. ووضع في كيس قطعة خاروف من بقايا عشاء البارحة. وتسلح بخنجر السجان وطبنجتهِ. والبس الماجور فروته ثم خرجا يهدو. فطافا حول البيت لئلّا يلتقيا باحد ثم سارا في طريق الجبل تاركين الطريق المؤدية الى مزدك لعلمهما بان الجنكز سيطاردونهما من تلك الجهة. فسارا باقي الليل في الجبال ولما طلع الفجر دخلا غابة كانت في رأس الجبل فسترتهما عن العيون. وكان شهر شباط قد كسا الارض ثلجًا وكان الثلج في الليل وحتى الظهر جامدًا فاستطاعا المشي عليهِ بلا صعوبة غير ان اشعة الشمس ليّنتهُ فجعل المسافران يغرقان فيهِ كلما خطوا خطوة. فتعسر المسير وبطؤ . وعند الظهر وصلا الى وادٍ عميق جرى في قعره جدول ماء على ضفته سبيل مطروق ينبيء ان المكان آهل . فعزما على الوقوف حتى يجنهما الليل خوفًا من الجنكز واراحة للماجور فلجأا الى بعض الصخور التي كانت هناك بين الثلوج فقطع ايفان اغصان صنوبر وجعلها فراشًا انطرح القائد عليهِ ليستريح. ثم جعل يتفقد المكان ليعرف وجهتهما فرأى ان لا مخرج من ذلك الوادي الا بسلوك حافة الجدول المطروقة لان جبالًا شاهقة كانت تكتنفهُ ولا منفذ فيها سوى ذلك الطريق

وكاد الليل ينتصف وقد تجمد الثلج فنزلا في الوادي وكانا قد اشملا الاغصان حتى يتدفأا ويهيئا طعامًا كانا اليهِ في حاجة ماسة . فأكلا وشربا ماء الثلج ممزوجًا بجرعة من العرق ثم عبرا الوادي ولحسن الطالع لم يصادفا احدًا فيهِ واخذا يسيران على ضفة النهر في المضيق بين الجبال الشامخة وهما يسرعان خيفة ان يفضح امرهما ولم يخرجا منهُ الا عند الساعة التاسعة صباحًا وعندها شخص لهما عن بعد من وراء قمم جبال متداخلة في بعضها وقليلة الارتفاع برّ روسيا الفسيح الارجاء كانهُ بحر متباعد. ولا تسلْ عما خالج فؤاد الماجور من الفرح امام ذاك المنظر . روسيا روسيا تلك اللفظة الوحيدة التي خرجت من فيهِ . ثم جلس المسافران ياخذان من الراحة نصيبهما ويمتعان العين بمشهد الوطن العزيز ويفرحان بالخلاص القريب . غير ان رجاء السعادة كان يمتزج في صدر القائد بذكر الفاجعة الهائلة التي شهدها وكانت قيوده وثيابهُ المتلطخة دمًا لا تزال تجدده. فاخذ

ينظر الى غاية السفر ويقدّر مصاعبهُ ومشقة المسافة التي كان يلزمهُ ان يقطعها والحديد في رجله وساقاه مورّمتان من التعب. فأنساه هذا الفكر الفرح الذي شعر بهِ ورفيقهُ لدى مشاهدتهما ارض الوطن وزاد في عذابهِ عطش شديد. فنزل ايثان الى الماء وكان قريباً لياتيه بما يروي غليله . فوجد عليهِ جسراً مركباً من شجرتين ورأى من بعد بيتاً منفرداً فقصده واذا بهِ مسكن للجنكز يأوونهُ في الصيف. فسرّ الخادم الامين من هذا الاكتشاف ورجع الى سيده وانتشلهُ من بحر الافكار الذي كان غارقاً فيهِ واوصلهُ الى الملجإ وجعل هو ينتش على « المخزن »

ان اكثر سكان القفقاز اقرب حال من اهل البداوة يَنزون ويُنزَون وينتقلون من مكان الى مكان ولهذا يحفرون بالقرب من منازلهم سراديب يخزنون فيها مؤنهم ومتاعهم وهذه السراديب على شكل الابار يسدّونها بخشبة او حجر كبير ويغشونها بالتراب ويجعلونها في اماكن لا عشب فيها لئلّا ينبت عليها عشب يختلف لونهُ عما حوله فيعرف السرّ . وقد يتمكن عساكر الروس من الاطلاع عليهِ مع ما يتخذهُ الجنكز من الاحتياطات فانهم يضربون الارض بقضب بنادقهم حول البيت فيعرفون الحفر من دويّ الضربات. فتوصل ايثان الى اكتشاف مخزن البيت فوجد فيهِ بعض سنابل الذرة وعدداً من اواني المطبخ فأوقد ناراً ووضع عليها اللحم الذي معهُ وشوى ايضاً الذرة وكان قد وجد ايضاً بندقاً فاتى بهِ فبعد ما اكل القائد تمكن ايثان من كسر الغل الذي كان مقيداً بهِ بعدُ. فاستراح ونام نوماً هنيئاً ولم يستيقظ الّا عند العتمة. ولكنهُ لما اراد المسير تعذر عليهِ المشي لان رجلاه تورمتا وتصلبتا حتى انهُ لم يستطع تحريكهما الا بعناء ووجع مؤلم ومع ذلك كان لا بدّ لهُ من السير . فاتكأ على خادمهِ ومشى حزيناً وموقناً انهُ لن يبلغ الغاية المقصودة. غير ان حرارة المشي خففت من اوجاعهِ فمضى الليل كلهُ بين مسير ووقوف وطالما رمى بنفسهِ على الارض وطلب الى رفيقهِ ان يتركهُ وحده . اما ايثان فلم يكتفِ بتشجيع القائد بل كان يحملهُ او يجره جرّاً . وبقيا على هذه الحالة حتى وصلا الى مجاز عسر عليهما عبوره. فوقفا حائرين يتساءلان اينتظران النهار ام يواصلان المسير فلما رأيا ان في انتظار النهار تأخيراً لا يُعوَّض عزما على المرور مع ما وراء ذلك من خطر التدهور. ولكن الخادم اراد ان يرتاد المكان قبل مرور سيده فاخذ ينزل وكسكبو ينتظر على حافة الصخر في اضطراب لا يوصف . فكان الليل مظلماً وكان

يسمع خرير الماء يجري في الوادي تحت رجليه ودوي الحجارة تتدحرج تحت اقدام خادمه فتسقط في النهر وتُهلم القائد بعمق الهاوية. ففي تلك الساعة الحزنة تذكر امهُ وكانت قد باركتهُ قبل سفره فانعش ذكرها فؤاده وشعر بعاطفة الرجاء تنبئهُ عن قرب الملتقى فصاح: رباه باركتني فاجعل بركتها خلاصي. فما انتهى من صلاته الحارة حتى رجع ايفان واعلمهُ ان النقب ليس من الوعورة في الدرجة التي توهماها فنزلا بين الصخور حتى وصلا الى صخر ضيق ومنحنٍ نحو الهاوية وعليه بساط من الثلج زلق ففتح ايفان بفأسه طريقًا في الثلج. ثم رسما اشارة الصليب وخطا كسكتبو وهو يقول: ان مُتُّ فلا يكونن موتي عن ضعف العزيمة. لقد اوهنتها الامراض ولكني لامشينَّ الآن ما قدَّرني الله. وقطعا المزلقة دون عناء زائد. ولستأنفا المسير. وكانت الطرق قد تسهلت وتحسنت وخلت من الثلج ولم يلاقيا احدًا حتى طلوع الفجر. فلاح لهما حينئذٍ عن بعد رجلان فتسطحا على الارض حتى يتواريا عن اعينهما

خرجا من تلك الجبال فاصبحت الاراضي جرداء لا غابة تكسوها بل ولا شجرة تنبت فيها الا على شواطئ الانهر الكبيرة وهو امر يقضي بالعجب لخصب التربة في تلك الاماكن. وكان المسافران يسيران على ضفة نهر الصونجا وكان لا بُدَّ من قطعه حتى يتمكنا من الوصول الى مزدك. وانهما ليطلبان لهما مخاضة اذ رأيا فارسًا يقصدهما فلجأا الى شاطئ النهر واختبأا وسحب ايفان خنجره ودفع الى سيده طبنجته وانما قصدهما المدافعة عن نفسهما اذا تعرَّض لهما الفارس. فلمَّا اقترب منهما عرفا انهُ غلام يناهز الثالثة عشرة من عمره. فهجم عليه ايفان ومسكهُ من عنقه ولوى به فجندلهُ على الارض فاراد ان يدافع عن نفسه ولكنهُ لما رأى الماجور يقصده وبيده الطبنجة ركن الى الفرار وكان الفرس بلا سرج وفي فمه رسن يقوم مقام اللجام. فاستعان المسافران به ليقطعا النهر وكان ذلك من حسن طالعهما لانهما لولاه لما استطاعا ان يعبراه. فركباه وخاضا في المياه وقد كادت تجر الفرس بشدة سيلها غير انهما وصلا سالمين الى الشاطئ الثاني واذا بعالٍ واقف لا يستطيع الفرس ان يصل اليه فنزلا ليخففا عنهُ وجعل ايفان يسحبهُ بعنف ليصعده على الارض فانقطع الرسن وجرَّت المياه الفرس فاختبط وحاول الطلوع فلم يقدر فغرق. فأُثِّر فيهما فقدانه غير انهما اطمئنَّا بالًا لما فكَّرا ان ما من احد

يستطيع اللحاق بهما فقصدا هضاباً عليها صخور متفرقة ليختبئا فيها حتى الليل وياخذا نصيباً من الراحة

ولما قدَّرا المسافة التي قطعاها عرفا حدساً ان منازل الجنكز الموالين للروس غير بعيدة غير ان الاتكال على هؤلاء القوم ضرب من الجنون اذ لا يؤمن غدرهم وعلاوة على ذلك كان كسكنبو في حالة من الضعف تمنعهُ من بلوغ نهر الترك بلا مساعدة. وكان قد نفد ما لديهما من الطعام فقضيا النهار في سكوت افصح من الكلام لا يجسران على مبادلة افكارهما وعواطفهما . وعند المساء رأى القائد خادمه يعضّ اصبعه وهو يتأوَّه كأنهُ يتندم

فتعجب من علائم اليأس التي ابداها ايثان لاول مرة منذ سفرهما فسألهُ عن سبب ذلك فقال ايثان : مولاي اتيت غلطاً عظيماً . فقال الماجور : سامحك الله . ورسم على صدره اشارة الصليب . فاردف ايثان: قد نسيت يا سيدي ان اخذ الغدَّارة المعلقة في غرفة الصبي . ولكن لم يسنح هذا الفكر في خاطري فان نوحك وبكاءك منعاني من التبصر في الامر . . اراك تهزأ . امري انها لاحسن غدارة كانت في القرية كلها ولكنت اهديتها لاول من لقيناه من الجنكز لنستميلهُ ونجعلهُ لنا صديقاً . فاني لا ادري كيف يمكننا ان نكمل طريقنا في الحال التي انت فيها

واذ ذاك تغيرت السماء وجعلت ريح روسيا الباردة تعصف وبرد دقيق ينزل عليهما فسافرا عند المساء وهما لا يدريان ايهما اولى ان يمرَّا ببعض القرى او يبتعدا عنها . وفي اخر الليل طرأ عليهما عارض تعذر معهُ قطع المسافة الطويلة التي كانت باقية عليهما لو ابتعدا عن الاماكن المأهولة . فبينما كانا يقطعان على الجليد المغطى بالثلج خندقاً صغيراً انكسر الجليد وسقطا في الماء حتى الركبتين فتبللت ثياب الماجور . وكان القر شديداً والارض كلها مغطاة بالبرد الدقيق فمشى كسكنبو على هذه الحالة ربع ساعة ثم وقف ورمى بنفسهِ على الارض خائر العزيمة يائساً من الوصول ورأى انهُ من القساوة الوحشية ابقاء ايثان معهُ وهو قادر على النجاة فقال لهُ : يا ايثان . يشهد الله اني الى الان لم آلُ جهداً في استعمال اسباب النجاة التي مددتها لي وقد اصبحت الان بلا جدوى لاني عاجز عن الاستعانة بها . فاذهب الى « الخط » يا عزيزي وارجع الى الايك هذا امري . وقل لخلاني ورؤساني انك تركتني هنا مطعماً للغربان واني اتمنى لهم

نصيباً خيرًا من نصيبي. ولكن قبل ان تتركني تذكر قسمك اذ كنت تسبح في دم اعدائنا . حلفت ان لا تسمح للجنكز ان يمسكوني حيًا . فبرّ بقسمك . قال هذا وامتد على الارض وتغطى بفروته . فاجابهُ ايثان : لدينا بعد وسيلة وهي ان ندخل على احد الجنكز ونسترضيه بالمواعيد فان غدر بنا لم يعد علينا لوم. فاجهد النفس في الوصول الى المساكن. ولما رأى سيده صامتاً قال : ان الاولى ان اذهب وحدي واحاول استمالة بعض الجنكز فان نجح مسعاي رجعت واياه لاخذك وان لم ينجح وهلكت فدونك الطبنجة. فاخرج كسكنبو يده من تحت الفروة واخذها. فغشاه ايثان ببعض الاعشاب لئلّا يراه احد واستعد للمضي فناداه كسكنبو : يا ايثان اسمع طلبتي الاخيرة. ان عبرت نهر التِرك والتقيت بأمي دوني . . . فقاطعهُ ايثان قائلًا : مولاي سنجتمع في النهار ان شاء الله ولن متّ انت فلا امك تراني ابدًا ولا أمي . قال هذا وسار حثيثاً

وبعد ساعة رأى قريتين او ثلاثًا عن بعد ثلاثة اميال تقريباً وكان قصده ان يجد بيتًا منفردًا ليدخله دون ان يراه احد فيجعل صاحبه رهين مواعيده. فرأى دخانًا متصاعدًا فوق بيت وجده كما يشتهيه . فركض اليه ودخل. فوجد صاحب المنزل جالساً يرقع خفًا له فقال : اني اتيت لاعرض عليك مكسب مئتي روبل واطلب منك حاجة. سمعت بلا شك بما حدث للماجور كسكنبو سجين سكان الجبال فانا خلصتهُ وهربت به خفية وهو الآن مريض بالقرب منك وفي قبضتك. فان ارجعتهُ الى اعدائه شكروا لك فعلك ولم يجازوك. وان اردت ان تنقذه وتضيفه ثلاثة ايام فقط ذهبتُ الى منزلك واتيت اليك بالقيمة المذكورة فداء عنهُ . امّا إن ابديت حراكًا لتنادي فلاقتلنّك لا محالة. فأجب والّا . . . قال هذا واستلّ خنجره

فاقتنع لهجة ايثان الجنكزي ولكنها لم تخفه. فدفع الخف من يده وقال بكل سكينة : يا شاب ان في نطاقي مديةً ايضًا. وليست مديتك لترهبني. فلو دخلت عليّ مسالمًا لما فكرت ابدًا بتسليم رجل وطأ عتبة بيتي. امّا الان فلا اعدك بشيء. فاجلس وقل حاجتك. ففهم ايثان ان صاحبه من ذوي المروءة. فاغمد خنجره وجلس واعاد ما عرضه عليه اولًا. فقال لهُ الجنكزي : وما يضمن لي انك تفي بوعدك. قال ايثان : أودعك الماجور نفسه رهينة صدقي. أو تظن اني ذقت امرّ العذاب خمسة عشر شهرًا واني اتيت بسيدي اليك لاتركه . قال الرجل : قد صدقتك. لكن المال قليل فضاعفهُ. اجاب ايثان

ولمَ لا تطلب عشرة اضعاف ؟ ليس في الطلب عنـاء . انما انا رجل افي اذا وعدت . وعدتك بمئتي روبل لا غير لاني قادر على ادائها . اوترضى ان اخدعك لن وعدتك باكثر من ذلك . قال الجنكزي : قبلت فاذهب وارجع وحدك بعد ثلاثة أيام . قال ايثان : بعد ثلاثة أيام ارجع وحدي هـذا وعدي . وانت اقسم لي ان الماجور ضيفك . قال : اقسمت انك ضيفي والماجور ايضاً من الساعة . فتصافحا وركضا وجاءا بالماجور وقد كاد يموت برداً وجوعاً

امّا ايثان فلم يذهب الى منزلك بل الى مدينـة اخرى اقرب منها كان قد علم ان فيها عسكر كثيف فجمع بلا عنـاء المبلغ المطلوب فان بعض القوزاق كانوا في الموقعة التي أسر فيها الماجور فجمعوا المال بذلين وسافر ايثان بالدراهم في اليوم المعين ليخلص سيده غير ان ميرالاي الحصن لم يأذن لهُ بالرجوع وحده خوفاً لن يغدر به الاعداء ثانيةً . فاصحبهُ بعض الكماة خلافاً للعهد الذي كان اعطاه الجنكزي . وقد كاد هذا التحفظ الزائد يودي بحياة كسكنبو . لان صاحب البيت لما رأى عن بعد رماح الفرسان الروس ظن الظنون وحسب الخادم خائناً فحمـل القائد على سطح بيته وربطهُ بعامود ووقف امامه مصوباً اليهِ غدارته وصاح بايثان حين اقترب منهُ : والله لئن خطوتم خطوة لأقتلنَّ القائد فلديَّ من الرصاص ما يكفي لقتل خمسين رجلاً والخائن الذي يقودهم

فصاح ايثان مذعوراً خائفاً على سيده . لم نخنـك ولم نغدر بك . الزموني بالرجوع مصاحباً وقد اتيت بالمئتي الروبل وفت لك بالوعد

فاجاب الجنكزي فليبتعد العسكر والّا اطلقت النار . فطلب ايثان الى الضابط ان يبتعد ثم رجع وحده الى صاحبه ولكنهُ لم يسمح لهُ بالتقرب منـهُ لشدَّة خوفه فالزمه ان يعدَّ المال عن بعد وينصرف . فنزل وقبضه ورجع الى السطح . فاطرح على اقدام كسكنبو وطلب منـهُ العذر على معاملته القاسية وقد اضطر اليها صيانةً لحياته . فاجابهُ الماجور : لست بذاكر سوى اني ضيفك وانك لم تنكث العهد ولكن فك قيودي قبل الاستغفـار مني . غير ان الجنكزي لمَّا رأى ايثان راجعاً قفز عن السطح وغاب كالبرق

وفي اليوم عينه اوصل ايثان سيده الى ما بين اصحابه وقد طالما يئسوا من الالتقاء بهِ . فحدّث عن فرح العبد الامين وفخره ولا حرج

المدارس والهيئة الاجتماعيَّة

للاب خليل اده اليسوعي

قيل ان احداث اليوم رجال الغد ونعم القول لان الرجال لا تخلق رجالًا انما تصير رجالًا بالتعليم والتهذيب. ولذلك يمكن القول ايضًا: ان طالب اليوم وطنيّ الغد. وكما تكون المدرسة كذلك تكون الهيئة الاجتماعيَّة لان المرء يستعد لخدمة الوطن في المدرسة. فاذا فسدت المدرسة والتربية فسدت الهيئة الاجتماعيَّة واذا حسنت كان الامل وطيدًا في حسن احوال المملكة ونجاحها. ولذلك يسرنا ان نرى الادباء مقبلين على المباحث التعليميَّة والتهذيبية. لكنَّا نخشى ان تسوقهم الآراء السائرة في بعض المؤلفات او على ألسنة بعض الخطباء الى حيث لا يريدون. فان بعض الكتبة او المتكلمين لمَّا رأوا كثرة المذاهب في بلادنا وما بينها من التنافر والتزاحم وكانوا يرغبون في توحيد الكلمة خيرًا للبلاد وصيانة للوطن ظنوا ان السبيل الى ذلك انما في التعليم او التهذيب اللاديني اعني الذي ليس للدين فيه تداخل وربَّما انقادوا الى هذا القول بمطالعة تآليف اوربيَّة لم يتوصلوا الى تمييز غثها من سمينها. فلو ساد هذا القول لكان ضربة قاضية على البلاد ولأصبح الدواء شرًّا من الداء. ولآل مسعى هؤلاء القوم الى هلاك ما يريدون احياءه وهدم ما يريدون بناءه اعني به الوطن. لان الوطن بلا دين لا يقوم والوطنيَّة لا تنبت في ارض لم يُحيها الدين او إن نبتت لم تأتِ بالثمار اليانعة التي يشتهيها كل محب لخير بلاده. وعليه اذا اردنا ان ينشأ احداثنا على حب الوطن الصادق فلا بدَّ من تهذيب عقولهم وقلوبهم على مبادئ الدين الصحيحة. لانها وحدها تضمن لنا صدق الوطنيَّة وثباتها وقوتها ولا عجب لان الدين وحده يعلم الانسان واجباته كلها تعليمًا كاملًا فعَّالًا ثابتًا لا يضعف نوره ولا يحتجب ولا ينطفئ مهما ادلهمَّت الظلمات وعصفت العواصف. وهو وحده ايضًا يقوي العزائم ويمكنها من انجاز ما يقتضيه خير الوطن ولو اشتدت عليها الاحوال ولو استوجبت بذل الاموال وتضحية الارواح

هذا ما اردنا ايضاحه لمواطنينا لئلَّا ينخدعوا بظواهر الحقيقة فينقادوا الى الباطل مع ما في الصدور من سالم النيات وشريف النزعات فيؤدي بهم الضلال الى خراب البلاد لا الى عمرانها

*

نقول اولاً ان الدين وحده يعلمنا واجباتنا للوطن تعليماً كاملاً فعّالاً ثابتاً

امّا انهُ يعلمنا ما يقتضيه منّا الوطن فلا يكاد يحتاج الى برهان لان الدين يعلمنا ما يجب علينا لله مؤسس الهيئة الاجتماعيّة وللناس اعضاء هذه الهيئة فان عرفنا هذه الواجبات حق المعرفة عرفنا كل ما يقتضيه منّا الوطن لان الوطن ليس سوى هيئة اجتماعيّة مستقلة مالكة على ارض معينة تدير شؤونها كما تشاء. يقول لنا الدين: « لا يكن لك اله غير الله. اياه وحده تعبد وله تسجد. كن خاضعاً للسلطة الشرعيّة لان السلطة من الله. ولا تنسَ ان الله اولى بان يُطاع من الناس ». ففي هذه الوصايا صورة الواجبات للسلطة المدنيــة . خضوع واكرام مهما كان الرئيس لان الخضوع والاكرام واجبان لممثل الله. خضوع بلا تذلل لان الخضوع لا يؤدى لانسان بل لله في شخص الانسان. خضوع ممزوج باستقلال الضمير. محدود بحقوق الله عزّ وجل بحيث لا يعود جائزاً او واجباً اذا خرق الرئيس حرمة الشريعة الالهيّة طبيعيّة كانت او وضعيّة. لان الرئيس اذا امر ما يخالف وصايا الله لا تحق لهُ الطاعة من مرؤوسيه لان امره لا يصدر حينئذٍ عن السلطة التي خولهُ الله اياها بل عن ارادته الذاتية. وارادة الانسان مهما كانت لا قوة لها لالزام احد اذ الله وحده مصدر القوة الالزامية التي في الواجب. فما اشرف هذا الخضوع الذي يأمر به الدين. فاذا تمّ جمع بنوع عجيب بين الرأس والاعضاء . بين الرئيس والمرؤوسين. وهو امر لا بدّ منهُ لحياة الهيئة الاجتماعيّة كما انهُ ضروريّ لحياة الجسم البشري

يقول لنا الدين: « اكرم اباك وامك. لا تقتل. لا تزنِ. لا تسرق. لا تشهد بالزور. لا تشتهِ امرأة قريبك ولا مقتنى غيرك. احبب قريبك كنفسك. وكل ما تريد ان يفعل الناس بك فافعله انت بهم ». ففي هذه الوصايا لائحة واجبات الانسان لقريبه اي لكل انسان سواه. فاذا روعيت تم نظام الهيئة الاجتماعية واتحاد اعضائها فيما بينهم لان في حفظ هذه الوصايا قوام العائلة. وصدق المعاملة. والوفاء بالعهود. وطهارة النفس. وصحة الجسد. ونشاط الهمّة. وحماشاة الحسد. واجتناب الطمع المضر. وحب الاحسان والغيرة على مصالح الغير وهلمّ جرّاً . فهذه الفضائل هي لعمري كلها فضائل اجتماعية اذا توفرت في الجسم الادبي كان صحيحاً قويّاً كاملاً عاملاً بما تستوجبه منهُ طبيعته . قادراً

على بلوغ غايته وهي السعادة في هذه الدنيا على ما رتبهُ وقسمهُ لهُ الله . هـذا ما بينهُ موضحاً العالم الاقتصادي الشهير لي بلاي (Le Play)

كان ذاك الرجل العظيم في اول امره مبتعداً عن الديانة غير انهُ كان ميالاً الى عمل الخير ومنفعة مواطنيه . فاخذ يبحث في الوسائل الفعّالة لتنظيم الهيئـة الاجتماعية واصلاحها فتوصل بطريقة علميَّة الى اكتشاف في غاية من البساطـة وهو ان اساس الاجتماع البشري واصل رقيه في مدارج العمران حفظُ وصايا الله . فلا يقوم بناء خارجاً عن هذا الاساس ولا تحيا جمعيَّة بشريَّة ان لم تسرِ اليها الحياة من هذا الاصل . وكان هذا الاكتشاف سبب رجوعه الى ديانة عرف فائدتها العظمى وضرورتها القصوى . فاذا كانت وصايا الله قانون الوطنيَّة الصادقة افما صحَّ ان الدين يعلمنا ما يجب علينا للوطن

ولا تكتفي الديانة بتعليم كل ما هو واجب تتميمه لعمران الوطن بل تسعى كل السعي لابعاد العقبات التي تحول دونه . ما هو عدو الوطنيَّـة الالدّ ؟ لا شك انهُ حب الذات المفرط او الانانية لانهُ يحملنا على ايثار صالحنا الخصوصي على الصالح العمومي في كل ظرف ومكان ويجعل همنا الوحيد وشغلنا الشاغل توفير اسباب الراحة والرفاهية غير مبالين بخير القريب . فهذا الخطأ الفاحش والسم القاتل لكل عاطفة وطنية قد نبذه الدين ورذلهُ ما استطاع فان الكل يعرفون ان اساس الكمال الكفر بالذات اعني مقاومة حب الذات المفرط لانهُ عدو لكل فضيلة وبالتالي للوطنيَّـة . فترى ان في الدين نوراً باهراً يضيء في ذلك المقول ويهديها على محجة واضحة الى اسمى درجات الوطنيَّة

وهذا النور هو ثابت لا تستطيع ظلمات الشهوات اطفاءهُ لانهُ صادر لا عن ارادة الانسـان ولا عن حكمته القاصرة لكنهُ منبعث من كلام الله الذي لا يزول وان زالت الارض والسماء . كتب موسى النبي هـذا القانون قانون الوطنيَّة الصادقة على لوحي الشريعة لمَّا كان يكلم الله في طور سيناء . وهـذان اللوحان لم تمحهما يد وان حاول كسرهما اعداء الدين منذ الوف اعوام . فهما باقيان وكلام الله باقٍ فيهما او بالحري هو الآن مطبوع في القلوب باحرف ناريَّة لن تنالها يد الكفر ابداً

وهـذا النور لطيف جاذب يحلى في العين والقلب كنور الكواكب في ليلة صافية فانها تضيء فوق رؤوسنا وتستميل اليها قلوبنا كأن بينها وبيننا علاقة سريَّة . وعلى هذا المثال تجد التعليم الديني . ليس تعليماً فلسفياً مجرداً يرضي العقل ولا يبلغ القلب انما هو

تعليم مياني فيهِ قوة جاذبة خفية . يكفي تشخيصه للنفس الطاهرة المجردة عن الغايات لائمة حتى تميل اليهِ بكل قواهـا . ولا عجب لان من خلق الانسان هو الذي نطق بالوصايا ليكون لهُ فيها صلاحه فجعل بينه وبينها علاقة روحية وميـلًا طبيعيًا ليدركها ويمشي بموجبها وهو مع ذلك مطلق الاختيار كما انهُ جعل في كل حيوان غرائز طبيعيَّة تحملهُ الى كل ما فيهِ خيره

ورب معترض يقول : « لا ننكر ان الوصايا قانون الوطنيَّة الصادقة والمدنيَّة الصحيحة ولكنَّنا يمكننا ان نعلّم مضمونها دون التجاء الى الديانة » . تلك لعمري امنيَّـة طالما عُلّل بها الملحدون انفسهم وانفس من يصغون اليهم وقد شقوا الروح لبلوغهـا فرجعوا بصفقة خاسر ولا بدع فان من طلب المحال رجع بما رجع بهِ حنين . لان الوصايا الادبيَّة لا تنفصل عن واضعها وهو الله عزَّ وجلَّ والَّا لما كان لهـا قوة الزاميَّة ولخرجت عن ان تكون واجبة وقد بيَّن المشرق ذلك مطولًا (السنة ٧ : ٨٣٤) فطالعهُ

وعليهِ فعبثًا تقول للولد اكرم اباك وامك ان لم تردف وتقل : هـذا امر الله . والَّا اجابك الولد ان كان فيهِ روح الانتقـاد السائد الآن : ولِمَ اكرم ابي وامي . فان كانا علَّة وجودي فمتى طلبت اليهما ان يوجداني . وان احسنا اليَّ فإن انا رأيت اكرامهما غير موافق لصالحي او لذتي الآن فمن يجبرني . وقس عليهِ باقي الوصـايا . وقد جاء الاختبار مؤيدًا لصحة مقالنا . هذا التعليم في فرنسا . فقد ارادت الشيعة القابضة على زمام الاحكام نزع الصبغة الدينيَّة عنهُ وهي تدَّعي مع ذلك المحافظة على الآداب لعلمها بان الهيئـة الاجتماعية اذا فسدت الآداب تتلاشى وتصبح في حالة الهمجيَّة . فما كانت نتيجة نزع التعليم الديني من المدارس العموميَّـة سوى ازدياد الجرائم بين الاحداث بنوع هائل . واليك بعض الاعداد مأخوذة عن لوائح وزارة العدلية فانها افصح من الخطب المسهبة

في سنة ١٨٤٠ كان عدد المجرمين الذين عرفهم بين السادسة عشرة والحادية والعشرين ٨٠٠٠ فاصبح في سنة ١٨٩٢ اي عشر سنين بعد انشاء المدارس اللادينيـة يتراوح بين ٣٠,٠٠٠ و ٣٢,٠٠٠ واكثر وذلك بدون حدوث زيادة تذكر في عدد الفتيان

في سنة ١٨٨٢ سنة انشاء المدارس الكفرية كان عدد المجرمين الاحداث ممن لم يبلغوا بعد الحادية والعشرين ١٦,٠٠٠ فاصبح عشر سنين بعدها ٦١,٠٠٠

في سنة ١٨٧٥ كان عدد المتحرين من الفتيان الذين بين السادسة عشرة والحادية والعشرين ١٦٨ فاصبح ٥٢٩ في سنة ١٨٩٦ و ٧٨١ في سنة ١٩٠٠ . وبين الاولاد الذين دون السادسـة

عشرة كان معدل الانتحارات ٢٥ في سنة ١٨٧٥ فاضحى ٧٨ في سنة ١٨٩٦ و١٢٠ في سنة ١٩٠٠

فهذه الارقام ناطقة لا تحتاج الى تذييل . تشهد ان الجرائم بين الاحداث ازدادت اربعة او خمسة اضعاف عمّا كانت من يوم انشاء المدارس الكفريّة ولولا خوف الاطالة لجئنا بكلام القضاة والمحامين والوزراء ومديري السجون والكل يقرون بهذه الزيادة ويعترفون ان سببها سوء التربية والتهذيب في المدارس

وبما اننا نتكلم عن الوطنيّة خصوصاً يحسن بنا ان نبين بالاختبار ما آلت اليه هذه الفضيلة عند اصحاب التعليم الكفري . لمّا حاول جول فري وبول بوت واصحابهما طرد الله من المدارس سنة ١٨٨٢ قالوا ان الوطنيّة تنوب منابه وانها العقيدة الوحيدة التي تجمع قلوب كل الفرنسيس وتوحد الامة . فاجابتهم الحوادث وكان جوابها « اللاوطنيّة » فان الكل يعرفون النهضة الاثيمة التي تسعى الى ملاشاة الوطنيّة في فرنسا . وان اصحابها وحاملي لوائها ارباب العلم وكبار المعلمين ممن كلفتهم الدولة بتهذيب الاولاد . فقد نزعوا عنهم ربقة التعليم الديني فآلت بهم سفسطتهم الى انكار الوطن والوطنيّة حتى قال احد زعمائهم هرفه (Hervé) انهُ يود لو يرمي راية فرنسا على مزبلة وليس هذا شأن بعض الافراد فانهم الوف هذه افكارهم قالوا (في مجلة التعليم الابتدائي ١٩٠٤) يخاطبون وزير المعارف انهم ٣٠,٠٠٠ وانهم غداً يصبحون ٨٠,٠٠٠ ولا نستغرب امر هذه النهضة لان التاريخ ينبئنا ان ترك الله يهوي بصاحبه الى ادنى دركات الضلال ومن اراد زيادة ايضاح فعليه بتاريخ الفلسفة يجد من الحماقات انواعاً والواناً

اذاً لا يمكن الاستغناء عن الديانة لتعليم الاحداث واجباتهم الوطن تعليماً كافياً فالديانة وحدها كما قلنا تحيي الوطنيّة وتقيها من لفحات الاضاليل وتحميها من حملات اللاوطنيين . وهناك فئة اخرى لا تريد الاستغناء عن الدين في التعليم والتهذيب ولكنها تريد فصلهما بحيث يكون الدين على قولهم معتزلاً في معابده ولازماً الحيادة لا يتداخل في التعليم بل يترك للمعلم مطلق الحرية ليثقف عقل الولد كيفما شاء . هذا مذهب حاول اعداء الدين نشره في اول امرهم لمّا كانوا بعدُ ضعفاء يخافون المجاهرة بفاسد مقاصدهم وشرّ غاياتهم . ولكن الكنيسة كانت ساهرة فعرفت المكيدة ونبهت اليها خواطر ابنائها ورذلت المدارس المسماة « حيادية » (neutres) لادّعائها الحيادة في امر الدين .

والسبب في ذلك ظاهر لان عزل الدين عن التهذيب مستحيل . فكيف يمكن الاستاذ ان يشرح شعراً او خطاباً او حادثاً تاريخياً او ان يصلح فرضاً من فروض تلامذته دون ان يميّز الخطأ من الصواب والباطل من الحق . فاذا فعل فلا مندوحة عن مبادئ او اصول ادبيّة يستند اليها لبيان الحقيقة ودحض الباطل . امّا هذه المبادئ فلا تخلو ان تكون امّا مطابقة للدين او منافية لهُ ولا ثالث في الادبيات او في الاوليات الفلسفية فلا يخرج التعليم اذاً من ان يكون موافقاً للدين او معادياً لهُ . واذا اراد المهذب ان يروض اخلاق تلامذته فبأي الوسائل يتذرع ؟ كيف يبين للولد خطأه وكيف يحثه على اصلاحه ؟ فقد قلنا ان الادبيات لا تنفصل عن الدين والّا فقدت قوتها وباتت مضعضعة لا اساس لها ولا اصل . فان كانت مبادئ ادبياته مطابقة للدين ومستندة اليه كان التهذيب دينيًّا والّا كان معادياً . فترى ان التعليم والتهذيب لا يكون الّا دينيًّا او معادياً للدين . وامّا لزوم الحيادة فيه فذاك اكذب من الآل واخدع من السراب

ولقد أتت الحوادث مطابقة للمبادئ هنا ايضاً ففي فرنسا مثلاً كل المدارس التي زعمت في اول امرها انها حيادية اضحت الآن كفريّة

لمّا حذفت من لوائح التعليم واجبات الانسان لله سنة ١٨٩٤ نشر احد زعماء التعليم وهو اليوم مدير مدرسة المعلمين في مقاطعة السين في مجلة التعليم الابتدائي (٢٥ تشرين الاول ١٨٩٤) مقالة جاء فيها : « من لا يؤمن بالله لا يستطيع ان يعلم ما هو الله . والحال اين المعلمون والمعلمات الذين يؤمنون اليوم ايماناً صادقاً ثابتاً ؟ يمكن القول دون مبالغة ان المدارس العموميّة منذ ١٨٨٢ هي مدارس بلا دين ولا يُستثنى من هذا الحكم الّا عدد قليل منها » فاذا كانت هذه الحالة في سنة ١٨٩٤ فما عساها تكون اليوم

وقد اقر اصحاب التدريس ان المدارس الحيادية غير ممكنة . قال المسيو بومبار وهو من كبار موظفي المعارف : « لا يمكن ترجمة او شرح صفحة من ديموستين او تاسيت او بسكال دون الانحياز الى حزب من الاحزاب . فلا يمكن لزوم الحيادة بين الحق والباطل ولا بد لساقة الشعب ان يبوحوا بمعتقدهم ويوضحوا الطريق التي يمشون عليها »

فالكل اذاً مجمعون ان المدرسة لا يمكن ان تلزم الحيادة في امور الدين وعليه ان لم

تكن مرّاخية للدين فهي بلا شك معادية لهُ . ولمّا كان الدين واجباً للوطنيّة الصادقة فالمدارس الدينية واجبة لبثّ مبادئها وتعليم اصولها

*

لا يتم برهاننا الّا اذا بيّنّا ان الديانة وحدها تمكن العزائم من تتميم الواجبات للقريب وللوطن

ان معرفة الواجب ولو كانت كاملة لا تكفي لتحمل الانسان على العمل به . ذلك حقيقة راهنة نختبر صحتها كل يوم فكم من عقل صائب يدرك الامور وهو مع ذلك واهي القوى يذوي ولا ينجز يعزم على العمل ولا يأتي عليه . وذلك لان قوى الانسان مختلفة فالعقل غير الارادة والارادة غير القوة الفاعلة . ولا بد من هذه كلها للعمل . وعليه اذا استنار العقل فقط بقي الانسان في مكانه لا يتحرك للعمل ولذلك لا افهم كيف يزعم بعض الكتبة ان العلم كافٍ لممارسة كل خير وصلاح

فاذا كان الامر كذلك أفتجد النفس في الدين قوة لتتميم ما يدلها عليه العقل ؟ لا ريب في ذلك

اولًا ان الدين يجذب قلب الولد لتتميم واجباته بزرعه فيه حب الله ومخافته ورجاء نواله . ولا مشاحة ان الحب والخوف والرجاء من اشد العوامل الطبيعية التي تتنازع القلب البشري وتديره في كل حركاته وسكناته . فكم بالحري ان كانت فائقة الطبيعة اي ان كان موضوعها الله ابانا ودّيانا وجزاءنا فهي بلا شك تقوى على دفع هجمات الاميال السيئة وكبح جماح الشهوات الرديئة وحمل النفس على الفضيلة . ولا اعتبار لقول من يدّعي ان خوف الله والرجاء بنعمائه مما يحط بشأن الانسان لان الانسان ليس ملاكاً انما هو حيوان ناطق وبما انهُ حيوان يشارك الحيوان في طبيعته فيحتاج الى خوف ورجاء ليسير على محجة الفضيلة سيرًا دائمًا بلا توانٍ ولا التواء فان كلمة الكتاب المقدس لم تزل ولن تزال عين الصواب : رأس الحكمة مخافة الله . فاذا زدت على المخافة والرجاء حبّ الله اصبت من الولد كل ما تريد من الصلاح لان الحب لاسيما حبّ الله قادر على كل شيء .

ثم اذا بلغ الولد وهاجت فيه الاميال السيئة احتاج الى اسعاف اعظم وقوة اقدر لان الميل الى الدنايا يضعف الهمة ويوهن القوى . فتقدم لهُ الديانة وسائل فعّالة كالصلاة

وباقي الاعمال التقويّة . فاذا تسلح بها الحدث انتصر على اعدائه وقام بواجباته مهما اشتدت عليه التجارب . هذا ما نشاهده يومياً في مدارسنا فانا نرى في الولد والشاب التقيين استعداداً لبذل كل نفيس عند الحاجة للقيام بما يطلبهُ الله . والعكس بالعكس فان من اهمل هذه الوسائل وهنت قواه وعجز عن اتمام اسهل واجباته . وان طلبت شاهداً آخر فعليك بالتأمل في المشروعات الخيريّة العظيمة الموجودة في الدنيا . من يقوم باعبائها ؟ اصحاب الدين من رجال ونساء وشبان وفتيات . قوم تركوا ملاذّ الدنيا وراحتها ليخدموا الفقير والعليل والجاهل والعاجز وكل مضروب بالعاهات . أتعرف آفة لم يبذلوا وسعهم في ازالتها او تخفيف وطأتها ؟ هـذا الاب داميان حبس نفسه مع البرص اعواماً حتى اصيب بدائهم ومات بعد ما اكل الدود اعضاءه واماتها امام عينيه . هؤلاء المرسلون يذهبون الى الاصقاع الافريقية ليمدنوا المتوحشين في اقاليم معدل العمر فيها للاوربي ثلاث او اربع سنوات . وامثال هؤلاء كثيرون نراهم حتى في مدينتنا . أتعرف خدمة للهيئة الاجتماعيّة والوطن اعظم منهم وانفع ؟ فمن قواهم ؟ من مكنهم من هـذه الاعمال السامية التي لم تعرفها الوثنية ؟ اسألهم يجيبوك بصوت واحد ان الديانة وحدها الهمتهم وهي وحدهـا قوتهم ولولاها لما استطاعوا امراً . فاذا مكّنت الديانة الانسان من الاعمال السامية الكاملة أفما تقوى على الاعمال البسيطة المفروضة على العموم ؟

وان اردت زيادة فقابل بين ذوي الدين وذوي الكفر . اين فضائل هؤلاء الشخصيّة؟ اين اعمالهم المبرورة ؟ اين تضحية الذات ؟ اجل يكتبون المقالات الرنانة في حب الانسانية وضرورة التعاضد وربّما دفعوا شيئاً من المال ان كانوا من اهـل الثروة . واما ملاذهم واما راحتهم واما حياتهم فهيهات ان يضحوها في منفعة القريب وخدمته

ثبت اذاً ان الديانة وحدها امّ الوطنيّة الصادقة فمن اراد بث هذه العاطفة الشريفة وحفظها وانماءها فعليه بتربية الاحداث تربية دينية . ومن اهملها وادّعى انهُ دين فقد ضل الطريق السواء . ويودنا لولا الاطالة ان نورد هنـا اقوال العلماء وآية الكتاب ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن تبصر . وعليه لا يسعنـا الّا التحسر حينما نرى صاحب كراسة حديثة طبعت في الاسكندرية يقترح على مواطنيه لائحة الاصلاحات التي يراها ضرورية ويسهب في الكلام عن التعليم والتهذيب ويغفل امر الدين كأنهُ امر عرضي بل ينسى اسم الله سبحانهُ فانهُ لم يذكره سوى مرة واحدة وذلك عرضاً ليحث

كل ابناء الوطن على نبذ المسائل الدينيَّة ظهريًّا ليهتموا بتعزيز الوطن وهو لعمري وهم وخيم العاقبة اذ حياة الوطن بحياة الدين

*

ولعلَّ القارئ يعجب من مقالنا وينسبه الى المبالغة ويقول: كيف يصح ان لا يكون وطنية صادقة خارجة عن الدين ونحن نرى كثيرين صادقي الوطنيَّة لا دين لهم.

لو اجبنا اننا لم نتكلم حتى الآن الَّا بوجه العموم عمَّا من شأنه احياء الوطنيَّة الصادقة وانمائها ولم ننفِ وجود الوطنيَّة في افراد لا دين لهم لكان جوابنا كافيًا لردّ كل ما يضعف قوَّة برهاننا اذ الاعتراض لا يمس جوهر الحقيقة التي اردنا اثباتها. غير اننا لا نرضى بهذا الجواب السلبي بل نحب النظر في نفس الاعتراض لنرى ان كان فيه للصواب نصيب

فنقول اولًا ان كثيرين يوهمون باقوالهم وبعض اعمالهم انهم مطبوعون على الوطنيَّة الصادقة وهم ليسوا عليها بشيء. لان الاقوال والاعمال لا تنسب الى الوطنيَّة الصادقة الَّا اذا كانت صادرة عن فضيلة باطنة تحمل الانسان على العمل حبًّا بالوطن لا غير. فانهُ من الممكن اتيان بعض الاعمال المفيدة ظاهرًا للوطن وهي صادرة عن الطمع في المنصب الاول او حب المجد الباطل او الرغبة في الشهرة او التشفي من الذين اساؤوا الى غير ذلك من العواطف الدنيئة. هذا كاتب يسطر في الجرائد اقوالًا طافحة بعواطف الوطنيَّة يبرق ويرعد ويستنزل صواعق السماء على اللئام الذين يخونون الوطن فتقول: هذا وطني صادق اللهجة. ولكنك اذا فحصت عنهُ وجدت انهُ اجنبي ليس فيهِ من الوطنية ذرة وانما في صدره حزازات يخفيها تحت لواء الوطنيَّة والوطنيَّة منها براء. وامثال هذا كثيرون كشف التاريخ النقاب عن سرائرهم فنفى عنهم الوطنية التي كانوا تزيَّوا بها ليغرّوا معاصريهم. وعليهِ لا يمكننا ان نحكم بصدق وطنيَّة الرجل الكافر الَّا اذا اطلعنا على اسراره. فترى من هذه الملاحظة البسيطة ان الذين يستشهد بهم المعترض ليسوا كثيرين كما يتوهم بل افرادًا قلائل

نقول ثانيًا ان هؤلاء الافراد القلائل الذين يمكن اثبات وطنيتهم الصادقة مع كونهم خلعوا عنهم ربقة الدين يوهمون ان وطنيتهم مستقلة عن الدين وليست كذلك فانَّ من تأمل امرهم رأى ان مظاهر الوطنيَّة منهم وان صادقة انما هي بقايا الدين لم

ينسخها بعد تقادم العهد به. فان الفضائل التي مارسوها قبل كفرهم ام على الاقل التي مارسها اباؤهم واجدادهم الدينون ابقت في النفوس عوائد ارثيَّة حسنة واخلاقاً حميدة تثبت وان زال مصدرها كأنوار تلك الكواكب الشاسعة البعد التي يبقى نورها وقد زالت عن عالمنا لبعد فلكها الرائع . فيظن الانسان ان تلك فضائل اكتسابية وانما هي غرائز ارثية لا فضل لصاحبها فيها تمحى آثارها بعد جيل او جيلين

نقول ثالثاً انهُ وان وجدت الوطنيَّة في بعض الافراد ممن رزقتهم الطبيعة سجايا فريدة دون ان يكون فيها للدين نصيب الّا ان الدين واجب لانماء الوطنيَّة وكمالها . لان الوطنيَّة الصادقة التي نتكلم عنها ليست فقط عاطفة حب طبيعي الارض التي وُجدنا فيها واستنشقنا هواءها وامتعنا اول لحاظنا بمحاسنها . وليست فقط ميلاً حسياً الى اهلنا واقاربنا وذوي جنسنا يدفعنا الى الحماية عنهم والذب عن حقوقهم فان هذه هي العصبية بالذات . بل هي فضيلة تحملنا على كل ما من شأنه منفعة الوطن واعلاء كلمته . بل قل هي مجموع الفضائل التي موضوعها المعيشة الاجتماعيَّة . الوطنية الصادقة الكاملة تحمل رب البيت على تربية اولاده كما يجب وتدبير عائلته بحكمة مبتعداً عن الشح الذميم والترف المخنث لان بالعائلة قوام الجمعية البشريَّة فليس وطنياً صادقاً ذاك الذي يرمي اولاده في ميتم ليطلق لشهواته العنان كما فعل جان جاك روسو ابو السوسياليسم . الوطنيَّة الصادقة تحمل المرء على مراعاة احكام الزواج المقدسة لان فيها قوة النسل وبالنسل قوة الوطن وثباته . الوطنيَّة الصادقة تحمل المرء على تضحية صالحه الخاص في طلب المناصب اذا اقتضى خير الوطن تسليمها الى من هو اجدر . وقس عليه . فممارسة جميع هذه الفضائل في كل آن وحين لامر صعب يعجز عنهُ من لا يؤمن بالله ايماناً قوياً ولو زيَّنتهُ الطبيعة بالمحامد والسجايا الطيبة . فثبت اذاً ان الديانة ضرورية لاحياء الوطنية الصادقة ليس فقط لعموم الشعب بل للمتفردين بحسن سجاياهم . وذلك كما قلنا لان هذه الفضيلة سامية لا ينالها من لم يتق الله

وعليه اذا كان الدين زاهراً كانت الوطنية متاصلة في القلوب صادقة واذا كان الدين في انحطاط كانت الوطنية في انحطاط ايضاً يشهد بذلك التاريخ القديم والحديث امَّا القديم فظاهر لان الوطن والدين قبل المسيح كانا شيئاً واحداً . فمن دافع عن وطنه دافع عن دينه . امَّا بعد المسيح فان الدين والوطن وان امتازا الّا انهما بقيا سائرين يداً في

يد حتى الجيل الثامن عشر جيل الكفر وجيل الانحطاط ايضاً باجماع الكل . فأخذت الوطنيَّة تضعف . ولا اريد برهاناً على ذلك سوى عواطف زعماء الفلسفة المادية للدين كفولتير وروسو وديدرو وهلمّ جرّاً فان هذه العصابة وان افرنسية كانت تكاتب ملك بروسيا وتهنئهُ على انتصاراته على فرنسا . امَّا زعماء الثورة سفكة الدماء فاننا نجل الوطنية عن ان ننسبها اليهم وقد كان اكثرهم اجانب . انما استعانوا بوطنيَّة الشعب وقد كان دينًا بعدُ لتحصيل مآربهم . امَّا في الجيل التاسع عشر والعشرين فقد بلغ الكفر حدًّا لم يبلغهُ قبلًا فزهت بين ذويه وازدهرت تلك الشيعة الاثيمة شيعة اللاوطنيَّة وهي من نتائج التعليم الكفري

افيرتاب بعد ذلك القارئ في صحة القضية التي احببنا اثباتها ؟

*

ولكن المعترض يلح علينا : اراك من اهل التعصب ولا خير في التعصب سوى خراب الوطن فالعصر عصر تساهل وعلينا ان نجاري العصر والَّا كنَّا من المتأخرين . مهلًا يا هذا فان كلمة تكفي لدحض زعمك

ان الابهام في المسائل المهمة من اعظم الوسائل التي يتذرع بها اعداء الدين ليصطادوا البسطاء والسذَّج اي السواد الاعظم من كل امة . فانهم يستعينون بالفاظ ذات معانٍ لا يفسرونها ابدًا فبينا القرَّاء او السامعون يحملونها على معنى يحملها قائلوها على معنى آخر فتنتشر وتنتشر معها مبادئ فاسدة تصبح في ايدي المحركين آلة قوية لاحداث الشغب وزرع الفساد . من هذه الالفاظ لفظة التعصب وعكسها التساهل . فانك تجد المقالات المطولة في ضرر التعصب وضرورة التساهل فالتعصب اصل كل شر والتساهل منبع كل صلاح وخير . واذا طلبت تعريفًا واضحًا لهاتين اللفظتين لم تجده . فعلينا اذًا ان نكشف عنهُ النقاب قبل الجواب على الاعتراض

للتساهل معنيان على الأقل . الاول هو التساهل مع الاشخاص وهو احتمال من كان على رأي مخالف لرأينا سيما في امور الدين ومعاملته بالرفق والمحبة مع ما بيننا من التباين في العقيدة . فان كان هذا المراد من التساهل فليس هو امرًا مستحدثًا لانهُ مما

يعلمنا الدين فان هذا التساهل واجب على كل مسيحي سيما في بلاد كثرت مذاهبها ولولاه لتعذر الائتلاف وزال الاتحاد الذي لا تقوم المملكة بدونه

وهناك معنى ثانٍ في اصطلاح جملة من الكتبة اللادينيين. يريدون بالتساهل التساهل في المبدإ والعقيدة بحيث يعتبرون الاديان كلها سواء فعلى زعمهم يجب على كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية ان يُنزل ديانة صاحبه المنزلة التي يُحلّ فيها دياته. وان بقي هو على دينه ولم يعتنق دين صاحبه فانما ذلك لانهُ وُلد فيهِ ليس الّا. وكما ان المرء لا يغير جنسيته كذلك لا يغير دينه. وكما ان الفرق بين الجنسيات لا طائل تحته كذلك الفرق بين الاديان . فهذا التساهل الذي يرغب البعض في رفع لوائه بيننا لا يمكننا التسليم بهِ مطلقاً لانهُ جحودٌ بالعمل لكل دين وابطال بالفعل لكل عقيدة . ولا عجب لانهُ لو كانت كل الاديان متساوية فلا يكون تساويها الّا في الفساد. وذلك لان في الاديان عقائد متناقضة فلو كانت كلها سواء للزم ان تكون كلها صحيحة او كلها فاسدة فلا يمكن ان تكون كلها صحيحة لان الحق لا تناقض فيهِ فبقي اذاً ان تكون كلها فاسدة ولذلك رذلت الكنيسة هذا التساهل مراراً بل رذلهُ كل موحد وكل فيلسوف اهلٍ لهذا الاسم

فبعد هذه المقدمات نرجع الى اعتراض صاحبنا فنجيبه: نعم ان التربية الدينية تنافي التساهل في المبدإ والعقيدة. هذا لا ينكره مؤمن. غير انهُ ينكر ان هذا التساهل ضروري لوحدة الوطن وارتقائهِ في سلّم العمران. فان التساهل مع الاشخاص كافٍ لبلوغ هذه الغاية. وذلك لان الغاية التي تتوخاها الديانة هي غير الغاية التي لاجلها اولًا جُعلت الهيئة المدنية. فالاولى تهيّ للانفس وسائل الخلاص الابدي. والثانية اسباب الخير الزمني. تلك تساعده على بلوغ السعادة الابدية. وهذه على بلوغ السعادة الزمنية. وعليهِ امكن توحد الديانة وتعدد الممالك وكذلك يمكن توحد المملكة مع تعدد الاديان ولا نريد القول ان توحد الدين في المملكة ليس من الاسباب القوية لتوثيق عرى الاتحاد حتى في الامور الزمنية ولكنا نقول ان هذه الوحدة ليست من الضرورة في درجة لا يستطاع الاستغناء عنها. ولنا فيما نشاهده حولنا برهان آخر على صحة قولنا فاننا نرى عدة ممالك تعد في مقدمة الشعوب في المدنية قد كثرت فيها المذاهب ولم يدّعِ فيها احدٌ ان من ضروريات وجودها التساهل في الدين. هذه مثلًا

المانيا وانكلترا والولايات المتحدة فانكل يعلمون ان الكثلكة فيها زاهرة زاهية ومع ذلك لم يحُلْ تمسك الكاثوليك بايمانهم وتعصبهم لديهم دون وطنيتهم ولم يمنعهم من ان يكونوا من أعظم اعوان النجاح في بلادهم . بل رأينا الملوك والرؤساء يشهدون لهم قولًا وفعلًا بصدق وطنيتهم . فاذا تجاسر احد وطعن فيها اقتصت منهُ المحاكم كما جرى للاب ڤون الواعظ الشهير منذ بضع سنين . فقد كانت احدى الجرائد البروتستانية طعنت فيه وسمّتهُ خائنًا لزعمها انهُ كاهن كاثوليكي . فرفع الاب دعواه الى المحاكم فحكمت على اصحاب الجريدة بالقصاص الصارم

فلا داعي البتة الى مسح الصبغة الدينية عن التهذيب والتعليم بل من الواجب تقوية العواطف الدينية في القلوب لاسيما الآن وقد اطلقت لنا الحرية المدنية والسياسية لان الاحكام السابقة وان كانت تقيد حريتنا وتثبط همتنا وتمنعها من الاقدام على امور فيها صلاحنا وصلاح البلاد الّا انها كانت ايضًا كسور يحمي النفس من تعديات اهوائها واميالها الفاسدة وكهنان يكبح جموح النفس الأمّارة بالسوء . امّا الآن وقد هُدم هذا السور الخارجي فلا بُدّ من حاجز باطني يوقف الحرية عند حدودها لئلّا تتعداها وتأتي بما يخل بالنظام العام وخير الوطن . وان هذا السور الداخلي الذي يمنع شرود النفس هو الدين فانهُ ينبه المرء على الخطأ ويزجره ويرشده الى الحق ويستحثه على اتباعه كما قلنا . فاذا كان الدين ضروريًا للانسان في كل احواله فهو اشد ضرورة في حكم الحرية

وعليهِ يحق لنا ان نكرر في الختام ما قلناه في الافتتاح واثبتناه بالبرهان ان ليس حياة للوطن الّا بالدين وبالتربية الدينية . وقد صدق بلوترخس الوثني اذ قال : « انهُ لأسهل على الانسان بناء مدينة في الهواء من بناء مدينة بلا دين » وليس قولهُ سوى صدى الحكمة الازلية اذ قالت (المزمور ١٢٦ : ١ و ٢) : « ان لم يبنِ الربُّ البيتَ فباطلًا يتعب البنّاؤون . وان لم يحرس الربُّ المدينة فباطلًا يسهر الحارس »

اصول البلاغة عند العرب

للاب خليل ادّه اليسوعي

لعلّ القارئ يحسب ان الظروف غير موافقة للبحث في المواضيع الادبية كالبلاغة واصولها. فالناس الى البلاغة العمليّة احوج منهم الى البلاغة النظرية . والى قعقعات الابواق اشدّ ارتياحاً منهم الى نفثات الاقلام. ولكنّ عذرنا ان كان لا بُدَّ من الاعتذار في الظروف عينها. فاننا في جيل تقلّب واقتداء . وهدم وبناء. ولا جرم فان الامم الاوربية جرت في المدنية شوطاً بعيداً فسبقتنا وجنت من نشاطها ثماراً شهيّة حسدناها عليها. فأخذنا على انفسنا مباراتها ومتابعة آثارها لعلّنا نبلغ مبلغها . فشرعنا نتعلم علومها ونتلقن فنونها ونهتدي بشرائعها ونتخلق باخلاقها كما اننا نتزيّا بازيائها . ولكن في الاقتداء الاعمى لخطراً . فليس كل ما عندنا غثّاً فننسخهُ ولا كل ما عندها سميناً فنطابهُ . وعليهِ فاننا في حاجة الى التبصر والتمييز لنرى ما هو صالح فنبقيه وما هو فاسد فننفيه. وما هو ناقص فنستعيره. تلك سنّة الترقي الحقيقي التي ينبغي مراعاتها عموماً وفي الآداب خصوصاً

ولذلك لم نجد الكلام في اصول البلاغة عندنا فضولياً فان صناعة الكلام اكثر الصناعات انفعالاً وتأثّراً اذا طرأت التغييرات على احوال البلاد. ولا عجب فان الاداب مرآة الحياة وصورتها. فيجب البحث فيها حتى نرى ان كانت اصولها ملائمة لمقتضى حالنا كافية لاغراض الكتابة والخطابة في عصرنا . ولمّا كانت البلاغة عند الاوربيين مطابقة للاحوال الحاضرة مناسبة لنزعات « النفس العصريّة » اصبحت المقابلة بين اصول البلاغة عندنا واصولها عندهم اقرب طريق واوضح سبيل الى بلوغ غايتنا

ثم ان في درس الاصول منافع جمّة. فانهُ اولاً يكفينا مؤونة المطالعة المملّة والنظر المدمن في مصنفات عديدة . لان البيانيين لم يهتدوا الى الاصول التي وضعوها الّا بعد تصفح المؤلفات والفحص المدقق وقد اودعوا نتيجة استقرائهم في القواعد التي رسموها فنستفيد في درسها من عنائهم وتعبهم ولا نشاركهم فيهِ

وهناك فائدة ثانية من درس الاصول فانهُ يؤمّنا من العثرات في تأويل ما ألّف

سلفاؤنا والانتقاد عليه. فربّما نسبنا الى الذوق العربي ما هو خلوٌ منهُ . يدفعنا الى ذلك تقادم العهد بالمؤلفات الادبيّة وجهلنا لاحوال بلادنا في القرون الماضية . واما اذا استندنا الى واضعي الاصول وهم من ائمة الكلام الذين يُشهد لهم بحسن الذوق وسلامة الطبع — اللهمّ بين معاصريهم — امنّا الزلل وسلمنا من الخطأ في الحكم

والفائدة الثالثة ان معرفة الاصول تهدينا الى معرفة المصنفات ذاتها لان الاصول انما هي احكام كليّة استُخلصت من مؤلفات أئمة الشعر والنثر فهي كصفوتها وزبدتها فمن حصّلها حصّل شيئاً من الصنعة نفسها . سيما وان المبادئ تؤيّد بالامثال . والامثال منتخبة من درر الاقوال فمن التقطها التقط شيئاً من كنوز البلاغة وعرف مما في يده قيمة ما في خزائنه . هذا في المؤلفات التي سبقت وضع الاصول . واما التي اتت بعدها فالاصول هي ايضاً مفتاح كنوزها لان ارباب الصناعة النثرية والشعرية لما انتشرت كتب الاصول واشتهرت وراجت احكامها في عالم الطلاب ورائدي البلاغة اقبلوا عليها هم ايضاً واتخذوها لهم قاعدة فنسجوا على منوالها وألّفوا على مثالها

فترى كيف تتناول معرفة الاصول مصنفات الذين اتوا بعد عصر واضعيها كما انها تفيدنا علماً بمصنفات الاعصر السابقة . فليس اذن درسنا للاصول خالياً من المنفعة لمعرفة المؤلفات فانهُ كما ترى مفتاح اسرارها

*

من اراد الاطلاع على مبادئ البلاغة عند العرب المتأخرين فعليه بمطالعة اي كتاب مدرسيّ كان . مثلاً كتاب دروس البلاغة الشائع في المدارس المصرية او كتاب عقد الجمان للشيخ ناصيف اليازجي او غيرهما . لان كل هذه الكتب على نمط واحد لا تختلف اختلافاً جوهريًا فهي كلها على مذهب السكاكي وقد اصبح اماماً في الدروس الادبية بتأليفه كتابه الشهير « مفتاح العلوم » . فاتّبعه كل الذين اتوا بعده واتخذوا كتابه اساساً لابحاثهم فشرحوهُ وتوسّعوا فيه ولخصوه وذيّلوه وعلقوا عليه الحواشي ولم يزيدوا على اصوله شيئاً يذكر فكأن قرائح العلماء بعده اي من الجيل الثالث عشر الى أيامنا قد جمدت . فان تكلمنا عن كتاب دروس البلاغة او غيره فليس مرادنا انتقاد المؤلفات المدرسية انما قصدنا البحث في المذهب العلمي الذي تنتمي اليه تلك المصنفات وهو كما قلنا مذهب السكاكي ومَن شايعه من العلماء كالتفتازاني والشيرازي وغيرهما

قسموا علوم البلاغة الى ثلاثة اقسام علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع . امّا علم المعاني فموضوعه التراكيب النحوية من حيث مطابقتها لمقتضى الحال وغرضه افادة الطالب قوةَ التراكيب النحوية وكيفية استعمالها بحسب ما تقتضيه منهُ الظروف . فيبحث في الاسناد والخبر والانشاء والذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والاطلاق والتقييد والقصر والوصل والفصل والايجاز والاطناب والمساواة الخ . وكل هذه الابواب الّا النزر القليل منها عائدة الى درس النحو وبيان لطيف معانيه وكشف دقيق مبانيه وهي في اللغات الاجنبية من متعلقات علم الفرامطيق وهو اوسع من علمي النحو والصرف عندنا

فليس اذًا علم المعاني علمًا يُعرف بهِ ما يجب استعماله من المعاني بمقتضى المواضيع المقترحة على المنشىء شأن الكتب الاجنبية التي تبتدئ بوصف المعاني وذكر مميزاتها . انما هو علم محصور يقتصر على معاني التراكيب العربية لا غير والغرض منهُ وضع كل تركيب في موضعه على ما تقتضيه حاجة المتكلم والسامع . فهو كما ترى تتمّة للنحو

ثم يليه علم البيان . وقد اجترأوا فيهِ بالبحث عن التشبيه والمجاز وانواعه والكناية وعرّفوه بانهُ علم يُعرف بهِ ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليهِ بعد مراعاة مقتضى الحال . وتحقيق ذلك ان المعنى البسيط مثل كثرة الكرم ربّما احتاج البليغ الى نسبته الى شخص باوجه تتفاوت في الوضوح مع لزوم الدلالة على المعنى . فيستعين بالتشبيه تارةً ويقول مثلاً : زيد كالبحر في الكرم . واخرى بالاستعارة كقولك : وردت بحرًا وتقديرك زيدًا وهو كريم كالبحر . وطورًا بانواع المجاز المرسل كما في زيدٌ طلق اليدين بالمعروف . او بالكناية مثل : زيد كثير الرماد وهلم جرًّا . فهذه طرق مختلفة تدلّ على معنى واحد وهو نسبة الكرم لزيد غير ان وضوح هذه النسبة متفاوت الدرجات في الامثلة المذكورة فهو ظاهر جدًّا في التشبيه واخفى في الكناية . وانما تستعمل وجهًا دون الآخر بموجب داعي الحال ومقتضى الظروف

وممّا ينبغي التنبيه اليهِ هنا ان المراد بالمعنى في التعريف السابق هو المعنى المجرَّد . والمقصود من المعنى المجرَّد المعنى المنفصل عن موضوعه والذي يذكر من مدلوله الصفات العامّة التي تنطبق على كل افراد جنسه كقولك : رجل وكرم وعلم وهلمَّ جرًّا . والّا لما امكنك القول في الامثال المذكورة ان المعنى واحد وانما الاختلاف في طرق الدلالة

عليه. لانك اذا اعتبرت المعنى المراد من كل واحد من التعابير السابقة وتأملتهُ برمّته وجب القول بانهُ يختلف باختلاف التعبير. ففي قولك زيدٌ كثير الكرم افدت صورة ذهنية مجردة لا غير. اما بقولك زيد كالبحر في الكرم فأفدت معنى الكرم ليس مجردًا بل مقيدًا بصورة خيالية هي البحر. وقس عليه

امّا علم البديع وهو القسم الثالث من فن البلاغة فقد عرفهُ الحاج خليفة واحسن حيث قال (في كتاب كشف الظنون. الجزء الثاني من طبعة فلوجل. الصفحة ٣١):

« هو علم يعرف بهِ وجوه تفيد الحسن في الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدلالة على المرام. . ومرتبة هذا العلم بعد مرتبة علمَي المعاني والبيان حتى ان بعضهم لم يجعله علمًا على حدة وجعله ذيلًا لهما. لكنّ تأخر رتبته لا يمنع كونه مستقلًّا . . . واما منفعته فاظهار رونق الكلام حتى يلج الأُذُن بغير إذن. ويتعلق بالقلب من غير كد. وانما دوّنوا هذا العلم لانه الاصل وان كان الحسن الذاتي وكان المعاني والبيان مما يكفي في تحصيله لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي ايضًا لان الحسناء اذا عُرّيت من المزيّنات ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها. . ثم ان وجوه التحسين الزائد إمّا راجعة الى تحسين المعنى اصالةً وان كان لا يخلو من تحسين اللفظ تبعًا. واما راجعة الى تحسين اللفظ كذلك. فالاولى تسمى معنوية والثانية لفظية. وهذا الفن ذكره اهل البيان في آخر علم البيان الّا ان المتأخرين زادوا عليهِ شيئًا كثيرًا ونظموا فيهِ قصائد والّفوا كتبًا . . . » (١)

فكلام الحاج خليفة واضح لا يحتاج الى تفسير. نفهم منهُ ماهية البديع ونسبته الى المعاني والبيان. ومن اعتبار هذه العلوم الثلاثة يتضح لنا كيف تصوّر علماء الاصول البيانية حسن الكلام. فان البليغ على مذهبهم يعمد الى المعنى المجرد ويجملهُ في قالب يطابق ما تقتضيه منهُ الحاجة ثم يوضحهُ او يخفيه يصرّح به او يعرّض على ما تستوجبه الظروف باستعمال انواع التشبيه والاستعارة والمجاز او الكناية. فاذا حصل كل ذلك كان الكلام حسنًا الّا ان هذا الحسن وان جوهريًا يحتاج بعد الى زينة تزيد في رونقه وتعيره حسنًا عرضيًا. فيلتجئ حينئذٍ الشاعر او الناثر الى علم البديع وينتقي من محسناته المعنوية او اللفظية ما يراه مناسبًا لكلامه. فاذا تمّ العمل تمت الصنعة وكانت من البلاغة في مكان. فالمعنى المعتبر عند البيانيين يظهر لنا كانهُ روح وطرق البيان كالجسم لهُ واشكال البديع كانواع الحليّ. هذا على مذهب السكاكي ملخص الاصول التي يجب مراعاتها لتحصل في نفس طالبها ملكة البلاغة. ويمكننا وصفها بكلمة فنقول انها

(١) اول من الّف في البديع ابن المعتز وضع ١٧ شكلًا منهُ ثم زاد عليهِ المتأخرون حتى بلغوا من الاشكال البديعية ١٨٠ نوعًا

صناعة حسن التعبير عما في الضمير. وذلك لا شك مفاد اللفظتين اللتين تطلقان عليها اعني الفصاحة والبلاغة. فانهما مهما تأولوهما لا يخرجان عن ان يفيدا معنى التعبير التام. والمراد بالتعبير ليس فقط سبك المعنى في قالب من الالفاظ يناسبه بل هو ايضاً كما مرّ بك ايجاد الصورة البيانية التي يحسن اتخاذها لتصوير المعنى المجرّد تصويراً خيالياً. ثم تزيين تلك الصورة بانواع الحليّ ليظهر رونقها وبعد ذلك كله تجز الصورة كاملة بواسطة الالفاظ. فالتعبير اذاً تصوير خياليّ للمعنى المجرّد ثم تصوير لفظي. فمادّة فنّ البلاغة عند العرب هي المعاني المجردة وعمله الخاص حسن التعبير عنها والاصول موضوعة لاجل ذلك الغرض لا غير. والمعاني المجردة على قولهم مشتركة بين الناس لا تختص بواحد دون الآخر. اما كيفية التصرف بها وايرادها باساليب متنوعة فراجعة الى البليغ مختصة به واليك امثالاً تجديك علماً بطريقتهم

اذا اردت تعزية رجل على موت احد احبائه فعليك اولاً ان تتذكر المعاني الشائعة التي تستعمل في مثل هذا المقام مثلاً: ان خيار الناس يموتون قبل غيرهم. ان الموت امر طبيعي للانسان. صالح الانسان بعد موته. الموت لا يمنعهُ شيء. الخ. هذه المعاني ينبه اليها الذكاء الغريزي او الاكتسابي وحسن الذوق فلا دخل فيها لعلم البلاغة عندهم

ثم بعد انتقاء المعاني التي تراها ملائمة يجب تصويرها في ذهنك تصويراً خيالياً يخرجها عن هيئتها المجردة ويوليها جسماً محسوساً حياً. لانك ان اكتفيت بالتعبير عن المعاني المذكورة باساليبها المبتذلة لم يكن لكلامك مسحة البلاغة. فعليك اذاً ان تحيلها في مخيلتك لتحليها بالصفات المطلوبة ويمكنك حينئذٍ الاستعانة باصول البلاغة

فاعمد اذاً الى المعنى الاول وهو ان خيار الناس يموتون قبل غيرهم فان كنت قوي الطبع في الصناعة تمثلت الناس كأنهم الخيل الجياد في حلبة السباق يتراكضون الى الغاية وهي الموت فيسبق منهم من كان افضلهم. هذا هو التصوير الخيالي الذي تساعدك الاصول على رسمه رسماً حسناً. فاذا تمّ التصوير الخيالي فابرزه باللالفاظ واستعن باللغة والوزن واصول الفصاحة وقل كما قال ابن النبيه يرثي ولد الناصر احمد امير المؤمنين (١):

الناسُ للموتِ كخيلِ الطِّرادْ فالسابقُ السابقُ منها الجوادْ

١) طالع المعاني ٥ ص ٢٤٣

وان كان هذا المعنى غالباً على عقلك واحببت اعادته فلا بأس ولكن أجله ثانيةً في مخيلتك لعلّك تعيره حياةً ثانيةً بصورة مختلفة عن الاولى. وذلك مثلاً ان تتصور الله كملك عظيم جلس لرعاياه كما كان يفعل الخلفاء قديماً واخذ يستدعي اليه ويستدني منهُ من رآه بين عباده حائزاً الصفات المحمودة. فاذا تهيأ لك ذلك عمدت الى اللفظ وعبّرت عما تصورت وانت تستعين في كلا العملين باصول البلاغة. فتقول مع الشاعر:

واقفٌ لا يدعو الى داره الّا من استصلح من ذي الفسادْ

ويمكنك ايضاً ان لم تكتفِ بالبيتين ان تنظم بيتاً ثالثاً تستنفد ما في صدرك من قوة التعبير للمعنى الواحد فتعمل به كما عملت اولاً وثانياً وتقول:

والموتُ نقّادٌ على كفّهِ جواهرٌ يختار منها الجيادْ

واذا انتهيت من هذا المعنى فاطلب الثاني وهو ان الموت امر طبيعي للانسان وتصرف به كما تصرفت بالاول وقلْ كما قال ابن النبيه:

والمرء كالظلّ ولا بُدَّ ان يزول ذاك الظل بعد امتدادْ

وقس عليه. هذا في الحكم التي هي اقوال مجردة من طبعها. واليك الآن امثالاً مأخوذة عن المشاهدات تبيّن لك كيف يجردون المعاني من موضوعاتها ثم يعالجونها بالبيان والبديع على ما مرَّ بك

هذا فرس: ارادوا وصفه. فما العمل؟ يعمدون الى المعاني الشائعة التي تصف محاسن الخيل ثم يجتهدون في التعبير عنها باساليب شائقة رائقة. فان كان المقصود مثلاً وصف الفرس بالسواد والتحجيل والبياض في الجبهة وهي كلها صفات مجردة عن موضوعاتها لا تختص بفرس دون آخر لم يكتفوا بالقول ان الفرس ادهم محجل اغرّ لان هذه المعاني مبتذلة يقوى عليها العالم والجاهل. ولكنهم يقولون كما قال المعرّي (١:

صاغ النهار حجولهُ فكأنما قطعت لهُ الظلماء ثوبَ الادهمِ

او كما قال ابن نباتة السعدي (٢:

يختال منهُ على اغرّ محجّل ماء الدياجي قطرةٌ من مائهِ
فكأنما اطم الصباح جبينه فاقتصّ منهُ فخاض في احشائهِ

١) اطلب الجزء الاول من شرح التنوير (ص٧٦)
٢) المجاني ٥: ٣١٠

وكذلك ان قلت من فرس انه ابلق لم تأتِ جَلَلًا. ولكن المعنى يصبح على زعمهم بليغًا واللفظ فصيحًا اذا قلت (١ :

وابلقَ اعطى الليلَ نصفَ اهابه وغار عليهِ الصبح فاحتبس النصفا

او انشدت مع ابي تمام (٢ :

مسودُّ شطرٍ مثل ما اسودُّ الدجى مبيضُّ شطرٍ كابيضاض المهرق

ولم اذكر هذه الابيات لاني استحسنها بل لأُفهم القارئ ما هو دور البلاغة في عرف المتأخرين من البيانيين وأستشهد بالامثال على صحة ما قدمتهُ

ولنا ايضًا شاهد آخر في طريقة المقابلة بين الشعراء والمعارضة بين اشعارهم الشائعة في كتب البيان او مقالات اصحاب النقد. فانهم اذا ارادوا الترجيح بين الشعراء اخذوا معنى من المعاني وذكروا ما قاله فيه شاعر وعارضوه بما قال فيه ايضًا شاعر آخر. وما ذلك الّا لانَّ مدار البلاغة في اعتبارهم على حسن سبك المعاني المجردة في صورة من البديع جديدة وقالب من الالفاظ يلائمها. وإنْ هذا سوى فنّ التعبير كما قلنا. ولا بُدَّ من مقابلة اصوله باصول الصناعة عند الفرنج لتزداد حقيقته وضوحًا

*

في كل صنعة ادبيةٍ كانت او فنيَّةٍ يجب مراعاة ثلاثة اشياء: اولًا الموضوع. وثانيًا تصوير الموضوع في نفس الصانع. وثالثًا ابراز الصورة بقالب الالفاظ او الانغام او ما قابلها في باقي الصناعات بحسب طبيعتها

فالموضوع ما يراد تمثيله في الصنعة فيكون امَّا ذاتًا او صفةً. وامَّا خُلقًا او حالًا. وامَّا كلامًا او عاطفة. وبالاختصار هو كل موجود حقيقةً او ممكن الوجود فهو الله وصفاته عزَّ وجل. والانسان وقواه وافكاره وعواطفه واعماله. والطبيعة جماء من جماد ونبات وحيوان. هي الحوادث وصروفها. والحقائق وضروبها. والممكنات وتشعباتها التي لا نهاية وراءها. هذا موضوع الفنون عند الفرنج وهو واسع كما ترى. والغرض منها تمثيل ذاك العالم عالم الحقيقة وعالم الخيال تمثيلًا محسوسًا فان في ذلك لذَّة لطيفة شريفة

١) اطلب ثمرات الاوراق للحموي ص ٢٨٢

٢) الجاني ٥ : ٢١٠

نسميها اللذة او العاطفة الشعرية (l'émotion esthétique). فترى من اول وهلة عظم الفرق بين تصوُّر الفرنج لفن الكلام وتصوُّر العرب. فان مادة البلاغة عند الفرنج التي يشتغل بها صاحب الصناعة ليصوّر فيها الحسن البياني هي الموضوعات والاشياء نفسها. اما عند العرب فمادة البلاغة وما يعمدون اليه اولًا ليعالجوه ويصوغوا منهُ كلامهم هي المعاني المنتزعة من الموضوعات (١

صاحب الصناعة الفرنجية يرتاح الى معاينة الموضوعات ورسمها رسماً يخال لهُ انهُ يرى فيهِ محاسنها وبدائعها او حقيقتها. واما صاحب الصناعة العربيَّة فيلتذّ بالتأمل في المعاني المجردة المبتذلة ليجد هيئة جديدة يصورها فيها ويبرزها كانها مبتكرة. ذاك يطرب لشعرية الاشياء حتى انهُ لو امكنه إشعار الغير بها من غير استعمال الاشكال البديعة لفعل. واما هذا فلا يهتمُّ كثيرًا بشعريَّة الاشياء انما يطرب لشعرية التعبير اي حسن الدلالة على المعاني. واليك مثلًا على ذلك:

يعرف الادباء ابيات كُثَيِّر عزَّة فهي مذكورة في كل كتب البيان:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسَّح بالاركان مَن هو ماسحُ
وشُدَّت على حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطيّ الاباطحُ

هذه الابيات يستحسنها كل ذي ذوق سليم ومع ذلك ترى البيانيين في حيرة من امرهم لا يدرون كيف يبرهنون عن اوجه حسنها. فقال بعضهم ان حسن هذه الابيات في حسن الفاظها. وقال آخرون بل في رشاقة التعبير. وقال غيرهم بل في جودة المعاني. وربما غلب التطبُّع فريقًا منهم فانكروها وقالوا ليس في معناها من فائدة. وما سبب هذا الاختلاف بين النقادين الّا لانهم على مذهبهم لا ينظرون الّا في المعاني المجردة وطرق التعبير فالمعاني هنا بسيطة جدًا والتعبير خالٍ من التنميق والزخرف ومع ذلك

١) والفرق بين الموضوعات والمعاني المنتزعة منها ظاهر لكل من لهُ بعض الالمام بعلم الفلسفة. وهو الفرق الموجود بين الشيء عينه والعلامة التي تدلّ عليهِ. مثلًا بين معنى الشجرة عمومًا والشجرة الفلانية فان مدلول لفظة الشجرة محصور في الصفات الجوهرية التي تفصل جنس الشجر عن باقي النبات وبالاحرى عن الجمادات والحيوانات. واما الشجرة الفلانية ففيها تلك الصفات الكلية التي تدل عليها لفظة الشجرة وجملة صفات اخر خصوصية. فالحقيقة اذًا اوسع جدًا من المعنى

ينبئهم الطبع السليم انها في غاية الجودة ولذلك تراهم حائرين ذاهبين في الحكم مذاهب. وعلى رأينا انهم لو لم يشتغلوا بالمعاني عن موضوعاتها ولو كان اساس البلاغة عندهم معاينة الموضوعات والاهتمام في تمثيلها كما هو شائع عند اصحاب الصناعة الفرنجية لما وقعوا في بهمة من امرهم. لان المسألة في غاية السهولة وذلك ان في هيئة الاسفار عندنا قبل العربات والقطارات البخارية سيما في الرجوع الى الاوطان بعد غيبة طويلة وقطع مسافة شاقة والسلامة من الاخطار لمحةً شعريَّة لا تفوت صاحب الذوق السليم. وقد اثرت في قلب شاعرنا فاحبَّ ان يمثلها في ابياته ففعل ولم يحتج الى غريب المعاني ولا الى انيق الالفاظ فأتت ابياته في غاية الحسن ممثلة لما اراد. فنسلم اذاً ان المعاني مبتذلة والالفاظ اكثرها بسيط غير اننا نقول ان الموضوع جميل وان تمثيله حسن جداً وان كانت اسباب التمثيل اعني المعاني والالفاظ بسيطة. لان البلاغة ليست في المعنى والتعبير فقط انما هي قبل كل شيء في الموضوع والتمثيل. هذه طريقة الاحتجاج على مذهب الفرنج. فقد اتضح لك على ظننا ما قلناه في الفرق بين مزاولة الموضوع ومزاولة المعاني. بين جعل الاشياء مبدأ الصناعة وترك التقدم فيها للمعاني. وقد اسهبنا في الكلام عنهُ لانهُ على رأينا اهمّ فاصل بين اصول البلاغة المدرسية عند العرب واصولها عند الفرنج ومنهُ تتشعب باقي الفروق (لها بقية)

سلطة البابا الزمنيَّة

اقترح علينا الياس مخائيل افندي صليبا من سبرنفيلد ماس في الولايات المتحدة السؤال الآتي ما الذي اوجب الحكم الزمني للبابا؟ فاحببنا التوسع في الجواب لما في الموضوع من الفائدة

يمكنُا ان نحمل السؤال المطروح علينا على معنيين. الاول: كيف صارت الممالك التي كانت للكنيسة قبل السنة ١٨٧٠ الى ايدي الباباوات. او كيف كان ابتداء المملكة البابوية وما هي الحقوق الشرعية الدولية التي تستند اليها؟ والثاني هذا تحريره: أيوجد سبب شرعي مأخوذ عن قوانين الكنيسة الهيةً كانت ام بشريَّة يثبت السلطان الزمني للبابا

اما السؤال الاول فهو من ابحاث التاريخ نكتفي اليوم بالالمام به في معرض كلامنا عن السؤال الثاني ولعلنا نرجع اليه مرّة اخرى وعلى كل حال فهو دون الآخر اهميّةً اذ ما من رجل عالم في التاريخ ينكر شرعيّة تملُّك البابا زمنيًا. فعلينا اذًا بالمعنى الثاني لانهُ كان ولم يزل موضوع الخصام بين الكنيسة ومَن نزعوا منها حقوقها الزمنيّة. وقبل الجواب لا بُدَّ من تقديم بعض قضايا الايمان لتكون كاساس لما نقوله

نؤمن اولًا ان الكنيسة جمعيّة كاملة اسسها السيد المسيح ابن الله المتجسد لتساعد البشر على بلوغ غايتهم القصوى اعني بها الخلاص الابدي فانهُ من الحقائق الموحاة ان السيد المسيح لم يترك تلاميذه ولا الذين يؤمنون به مخيّرين في اختيار الطريقة التي يريدونها لممارسة الديانة التي لقّنهم مبادئها بل رسم حتمًا ان يكون كل المؤمنين به اعضاء جمعيّة واحدة كاملة مستقلة بذاتها سمّاها الكنيسة او مملكة الله على الارض. وهذه الجمعيّة ليست جمعيّة ارواح بل هي جمعية مؤلفة من بشر وان كانت غايتها روحيـة. فيحق لها اذًا كل ما هو ضروري لقوام الجمعيّات البشرية. ثم ان هذه الجمعية مستقلة اعني غير متعلقة بسلطان ما خارج عنها في الامور التي من دائرتها لان كل ما تربطهُ او تحلهُ على الارض يكون مربوطًا او محلولًا في السماء (متى ١٧: ١٨) فليس اذًا لاحد غير الله ان يربط او يحلّ ما تربطهُ الكنيسة او تحلهُ في امور الايمان والآداب

ونؤمن ايضًا ان هذه السلطة الكاملة سلطة الحلّ والربط التي في الكنيسة قد سلّمها الربّ بنوع خصوصي لراعٍ واحد هو رأس الكنيسة المنظور حين قال لبطرس وفي شخصه لخلفائه: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها «ولك» اعطي مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما «حللتهُ» على الارض يكون محلولًا في السماء وكل ما «ربطتهُ» على الارض يكون مربوطًا في السماء (متى ١٦: ١٨ و١٩) ثم: صلّيت من «اجلكَ» لئلّا ينقص ايمانك وانت متى رجعت «فثبّت» اخوتك (لوقا ٢٢: ٣٢) واخيرًا: ارعَ خرافي. ارعَ غنمي (يوحنا ٢١: ١٦ و١٧)

ونؤمن ثالثًا ان خلفاء مار بطرس هم الاحبار الرومانيون كما اثبته التقليد المتواصل في الكنيستين الشرقية والغربية وخصوصًا المجمع الفلورنتيني المسكوني والمجمع الفاتيكاني. فبموجب ايماننا يكون للبابا ملء السلطة في امور الدين ومتعلقاتها لا يحق

لاحد ان يعارضه في احكامه حينما يرعى ويسوس الكنيسة جمعاء. ولا يجوز لاحد من المسيحيين ان يستقلّ بنفسه في امور الدين ولو ملكاً فان الملوك خاضعة لسلطان البابا الروحي كسائر ابناء الكنيسة. يمكنهُ ان ينبههم على خطاياهم كما ينبّه الاب ابنه. واذا سنّوا قانوناً منافياً للدين لهُ حقّ ان ينظر فيهِ ويبطله ان رآه ضاراً لخير الانفس. واذا اتوا امراً منكراً لهُ حق ان يؤنّبهم بل ويفصلهم عن شركة الكنيسة. ولا يُعتبر قول من يزعم ان في الملك او الرئيس شخصين شخص السلطان وشخص المسيحي فبموجب كونه سلطاناً هو مستقل بذاته لا يعارضه في احكامه وشرائعه احد. وبما انهُ مسيحي هو خاضع للبابا. ان في هذا القول سفسطة محضة لان الانسان شخص واحد مسؤول امام الله عن اعماله العمومية والخصوصية. غير مُعفىً من مراعاة قاعدة الآداب في عمل من اعماله الصادرة عن معرفة واختيار. مُطالب بتأدية الحساب عن احكامه السياسية كما يؤديه عن اعماله الذاتية بل باولى حجة لان الشر اذا صدر عن الرئيس بما انهُ رئيس كان اعمّ واعظم. وبما ان قاعدة الآداب التي يجب اتباعها منوطة بالكنيسة ورئيسها فالملك ملزوم بالخضوع للكنيسة ورئيسها والامتثال لاحكامها حتى في سنّ الشرائع ليس اصالةً بل تبعاً اعني من وجه مطابقتها لقواعد الدين او منافاتها لها. وقد حافظت الكنيسة على هذه الحقوق التي خوّلها اياها مؤسسها الالهي. وقاومت ما استطاعت كل من اراد نقضها يشهد التاريخ على ثباتها ووحدة تعليمها في هذا الشأن. فما من احد مبّن لهم المام بالتاريخ يجهل مثلاً كيف حرم القديس امبروسيوس الملك تاودوسيوس الكبير ومنعهُ الدخول الى الكنيسة امام الشعب كله لان الملك كان قد حكم على سكان مدينة تسالونيكي بالقتل بلا تمييز بين مجرم وبريء وذلك لانهم كانوا قد عصوه وحطموا تماثيله. فاطاع الملك حكم الاسقف واقرّ فعلاً وهو في اوج العظمة بسلطة الكنيسة حتى على الملوك في امور الدين. وكذلك فعل الشهيد القديس بايلاس بفيليب العربي قيصر رومة على ما رواه القديس يوحنا فم الذهب

فمن وجود السلطة الروحية التامة المستقلة في شخص البابا على كل المسيحيين دون استثناء احد منهم ولو ملكاً نستنتج وجوب الاستقلال الزمني لهُ ايضاً وهي القضية الثانية التي تقدّمها. وذلك لان الذي لهُ حقّ بان ينظر في الاحكام الصادرة عليهِ من اي شخص كان وفي اي مادة كانت ويزيّفها ويبطلها اذا رآه مناسباً لا يمكن ان يكون

خاضعاً ولا في المدنيات للذي تصدر عنهُ تلك الاحكام . لان ابطال الحكم او القضاء لا يجوز الّا لمن لهُ الرئاسة على الحاكم او القاضي

والحال اذا اصدر ملك من الملوك المسيحيين حكماً على البابا وان في المدنيات يحق للبابا بما ان في يده ملء السلطة الروحية على كل ابناء الكنيسة ان ينظر في ذلك الحكم ليرى ان كان مطابقاً للاحكام الالهية طبيعيةً كانت ام وضعيةً . ويبطله ان كان منافياً لها او مضرًّا بصالح الكنيسة وخير الانفس او واضعاً من شأن رأس الكنيسة الاعلى وهلمَّ جرًّا

فلا يستطيع اذًا البابا ان يكون خاضعاً حتى في المدنيات لملك من الملوك . فان استقلاله الزمني تابع لازم لاستقلال سلطانه الروحي . وقد ادرك الملك قسطنطين هذه الحقيقة من يوم تنصره فترك رومة واتخذ غيرها قاعدة لهُ في ايطاليا ليطلق الحريّة التامة للبابا ويرعى لهُ حرمة الرئاسة العامة على الكنيسة . والحق يقال ان المسيحي الذي فيه روح الديانة يفهم على البديهة ان من اللائق ان يكون رأس الكنيسة مستقلًّا بذاته حتى في الامور المدنية لا يخضع لاحد . وذلك لان البابا ابو المسيحيين كافة أفيجوز ان يخضع الاب لبنيه ؟ على البابا ان يرعى المسيحيين وملوكهم على اختلاف مللهم واحوالهم ويرشدهم الى ما فيه صلاحهم وينبههم ويعلمهم ويؤنبهم ويقضي فيما بينهم دون ان يمنعه احدٌ . أفيمكنهُ ذلك لو كان تحت حكم دولة من الدول ؟ أما تعترضه تلك الدولة في اعماله ؟ أيقبل رعايا الدول المعادية لدولته احكامه ؟ أما يظنون انها صادرة عن روح التعصب للمملكة التي ينتمي اليها ؟ يجب ان تكون الرئاسة في الكنيسة ثابتة لا تتغيَّر مع الأيام وتقلبات الحوادث . أفتكون ثابتة لو كان ثباتها منوطاً بارادة الحكام المدنيين ؟ يجب ان يكون لامام الاحبار ونائب المسيح على الارض الاكرام اللائق بمقامه الرفيع سيما وان الشعب لا يحكم الّا بالظواهر . أفيحظى بهذا الاكرام لو كان تحت أمر ملك من الملوك ؟ أفما تحط كرامته لو سيق الى المحاكم كباقي الناس ؟ فليحكم المسيحي

فاذا ثبت ان استقلال البابا الزمني واجب فلا بُدَّ من وسيلة فعَّالة تضمن لهُ ذلك الاستقلال . وإن هي سوى الحكم الزمني فهي الطريقة الوحيدة التي وجدوها حتى الآن كافلة للبابا حريته المدنية وبواسطة حريته المدنية حريته الروحية لسياسة الكنيسة . وفي

الواقع كلما فقد البابا لا اقول حكمه الزمني بل ظواهر الاستقلال المدني كان ذلك سبباً لشرور لا تحصى يكفينا الآن الاستشهاد بحوادث الشقاق الغربي الذي دام نحو نصف قرن وكان مجلبة لشرور عديدة. فما كان سببه سوى اقامة الباباوات في فرنسا وان كانوا في ولاية خاضعة لحكمهم. وقد انتبه لهذا الامر ارباب السياسة حتى الذين اضطهدوا البابا وارادوا اذلاله مثل نابوليون الاول. واليك ما قالهُ هذا الرجل العظيم في اول امره اذ لم تشملهُ بعد خمرة انتصاراته الغريبة:

« ان البابا مقيم خارجاً عن باريس. ذاك حسن. ليس هو في مدريد ولا في ڤينا ولذلك نرضى بسلطته الروحية. وكذلك يقول الناس في ڤينا ومدريد. اتظنون ان النمساويين او الاسبانيين يقبلون احكام البابا لو كان في باريس؟ فيسرُّنا جداً ان يقيم البابا خارجاً عنا ولا يقيم عند اخصامنا. وان يقيم في رومة المدينة القدمى بعيداً عن ايدي سلاطين المانيا وملوك فرنسا واسبانيا لا يرجح الميزان بين الملوك الكاثوليك بميل قليلاً نحو القوي، ويستوي للحال منتصباً اذا اراد القوي الظلمَ: « هذا صنع الاجيال ونعم الصنيع فانهُ خير ما يمكن استنباطه وانفع ما يمكن ايجاده لخير الانفس وحسن رعايتها » (١

ليت قائل هذا الكلام المسجدي لم ينسَه في آخر امره لكان كفى الكنيسة ونفسه شروراً عظيمةً. وعلى كل حال فان ذكاءه الفائق وبعد نظره في امور السياسة بيَّنا لهُ ان البابا يتعذر عليهِ القيام بواجباته ان لم يكن ملكاً مستقلاً

وليست ضرورة حكمه الزمني من اللزوم في درجة استقلاله الروحي واستقلاله المدني فان هذين الاستقلالين مما رسمهُ الله اما اصالةً او تبعاً كما قلنا فلا يمكن نسخهما البتة. واما السلطة الزمنية فضرورتها ادبيَّة من حيث انهُ لو امكن وجود واسطة اخرى للمحافظة على استقلال البابا حق المحافظة لكان في وسع الكنيسة ان تتخذها دون الحكم الزمني. ولكن العناية الالهية الساهرة على خير الكنيسة لم تهيِّ. لها حتى الآن طريقة اخرى. فهي التي دبَّرت الاحوال وتقلبات الايام رويداً رويداً منذ عهد قسطنطين حتى افضت الى انشاء مملكة مستقلَّة يسوسها البابا وذلك في عهد الكارلوفنجيين

(١ طالع تيار (Thiers, Histoire du Consulat et de l'Empire—Du Concordat)

وبمساعدتهم . ولذلك لم يزل البابوات يطالبون بحقوق حكمهم الزمني لا حبًّا بالترفع كما ينسبه اليهم ظلماً من كان قصير الرأي جاهلًا بالتاريخ وباصول الدين بل ضنًّا باستقلالهم الروحي لخير الانفس وحسن تدبير الكنيسة الكاثوليكيَّة جمعاء ش . ا

مطبوعات شرقية جديدة

عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمائة فاكثر

تأليف جميل بك العظم محاسب المعارف في بيروت (بالمطبعة الاهلية سنة ١٣٢٦ ص ٢٤٤)

يذكر القرّاء مقالةً مستجادة نشرها في المشرق (٢ : ١٩٢) جناب الامير شكيب ارسلان في اتساع التأليف في الاسلام فبيَّن ما كان لقدماء الكتبة المسلمين من طول الباع في الكتابة حتى انَّ بعضهم بلغت بهم الهمَّة الى تصنيف مئين من المؤلفات بين قصيرة ومطوَّلة . وقد احبَّ احد افاضل الادباء في الثغر جناب الكاتب البارع جميل بك العظم محاسب المعارف أن يتَّسع في هذا الباب ويباشر بتأليف كتاب مستقل ذكر فيه تراجم الذين عثر لهم على خمسين مؤلفًا فمائة فاكثر وقد برز القسم الاول من هذا الاثر الجليل وهو يحتوي اسماء خمسين كاتبًا ممَّن استحقُّوا بوفرة تآليفهم أن يُنظموا في هذا الكتاب مع تدوين جدول كتبهم فترى ما لهذا التأليف من الفوائد الجمَّة لاسيما اذا تلتهُ قريبًا ان شاء الله الاجزاء التابعة له المتممة لفوائده . ومع ما في هذا التأليف من الجدوى الطائلة كنَّا وددنا لو اتقن المؤلف تقسيمهُ فجعلهُ على اسلوب تاريخي مباشرًا بالأقدم الاقدم ومنتقلًا الى الاوسط فالاحدث وترى على خلاف ذلك اسماء المشاهير مختلطة دون ترتيب ظاهر فابتدأ بالامام الغزَّالي ثم ذكر السيد مصطفى البكري من المحدثين ثم عاد الى ارسطو والحقهُ بجالينوس ثم انكفأ راجعًا الى ابقراط . وكان الاولى لو ذُكر كل كاتب على سياق الزمان . وترى كذلك انهُ كان الاجدر بالمصنِّف ان يقتصر على كتبة العرب دون ذكر اليونان لانَّ ذكر الاجانب يؤدي به الى مجاهل يتحيَّر بها . وممَّا كان يزيد الكتاب فائدةً ان لا يكتفي المؤلف بسرد المصنفات التي وضعها كل كاتب بل يذكر ما يُعرف منها حتى يومنا وما نُشر بالطبع فانَّ مثل هذه الافادات تحمل الادباء

على طلب العزيز من التآليف واحياء دفائنها. وعلى كل حال نثني على همّة المؤلف ونتمنّى لكتابه رواجاً بين العلماء شرقاً وغرباً ل. ش

Autour de la question sociale et scolaire en Syrie, par K. T. Khairallah. *Alexandrie*, 1908, pp. 68.

المسئلة الاجتماعية والمدرسية

قد طابق ظهور هذا الكتاب في الاسكندريّة مع التقلّبات التي حدثت مؤخّراً في الدولة العثمانية . وغاية المؤلف ان يبيّن ما هي عليه سوريّة من الحاجة الى الاصلاحات في الهيئة الاجتماعية وفي المدارس. وقد اصاب المؤلف في بعض اقواله لكنّهُ خلط الغثّ بالسمين والبخس بالثمين فرمى الكلام على عواهنه في امور شتى لم يحسن معرفتها وكأنهُ اراد في عدّة اشياء ان يجعل سوريّة شبيهة باوربّة كأنّ اوربّة بلغت اوج الكمال ولكل بلد كما لا يخفى احوالهُ وعاداتهُ التي لا تصلح لسواه فاذا تقلّدها غيره خُدع وضلّ. ومن اكبر نواقص الكتاب انّ صاحبهُ ضرب الصفح عن الدين في ذكر الاصلاحات التي يقترحها . وكفى بذلك خللاً اذ شيّد المهندس البناء ونسي الاساس ل. ش

شذرات

مجلة الكلمة كنّا نشرنا مقالتنا في المدارس والهيئة الاجتماعية لمّا بلغنا العدد ١٦ من مجلة الكلمة. فقرأنا منها صفحتين في تهذيب الاولاد في فرنسا (ص ٣٢٥—٣٢٧) وسررنا لما رأيناه من التفات سيادة الكاتب الى خطر المدارس الكفريّة وتحذير قرّائهِ من شرّها. فبعد ان ذكر تكاثر الجرائم منذ انشاء المدارس بلا دين قال:

« اذا كان الشعب الافرنسي وهو من اعظم شعوب الارض تقدماً في العلوم والمعارف يكاد معظمه ينغمس في الجرائم والرذائل ويتعرّى من حلية الادب والفضائل بسبب اجتهاد رؤسائه المدنيين في اكراهه على الكفر وقلة الدين فماذا عسى يصير بحالة شعبنا السوري الادبية وهو اقل علماً ومعرفة من الافرنسي بدرجات عديدة لو انتشرت فيما بين افراده تلك المبادئ السقيمة والتعاليم السيئة التي ينقلها اليهِ بعض كتّاب سوريّين عن الكتبة الافرنسيّين وغيرهم من الكتبة الاوربيين والاميركيين المشهورين بالكفر والعداء للدين . ومع ذلك فان بعض جرائدنا ومجلاتنا العربية يسمون هؤلاء الكتبة وامثالهم بالكتبة العصريين والافاضل المصلحين »

فنعم القول لولا الغلو الظاهر في نسبة الجرائم الى معظم الشعب الافرنسي تقريباً. ولكن ساءنا ما طالعناه قبل هذه الاسطر في الصفحة ٣٢٥ فقد ورد فيها عن اصحاب السطوة في فرنسا: « انهم عمدوا الى سياسة لا تقل استبدادًا بأبناء الشعب عن سياسة اغناطيوس لويلا واتباعه » ففي هذا القول من التشنيع في حق قديس عظيم مجّد كنيسة الله غربًا وشرقًا وعمّت اعماله المبرورة المسكونة قاطبةً حتى شهد لهُ بالفضل السامي علماء البروتستانت انفسهم ما لا يستطيع انكاره احد. فاين قرأ سيادة الكاتب ان اغناطيوس استبدَّ بابناء الشعب وهو الذي ضحّى مجد هذه الدنيا ليخدم ابناء الشعب؟ افيمكنهُ ان يذكر سطرًا واحدًا بل كلمة واحدة من ترجمة القديس او من كتاباته يُستشفّ منها ولو عن بعد ما يقذفهُ بهِ سيادته؟ وعندنا ان سيادة الكاتب نقل هذا القول جزافًا دون ان يتروّى فيهِ ولو درى لعلم انهُ من الاكاذيب الشائعة التي تتداولها « الكتبة المشهورون بالكفر والعداء للدين ». وبذلك نقض اساس بنيانه الذي اراد تشييده بالمدافعة عن الدين

امّا ما قالهُ عن أتباع اغناطيوس فلا نستاء منهُ ولا نتعجب. فليس التلميذ افضل من معلمه. ولكن بودنا لو طالع سيادته غير كتب الكفرة والمعادين للدين ويكفينا ان يقرأ كتب البروتستانت المحققين الثقات مثل الكتاب الحديث الذي عنوانه « بيلاطس » فقد فحص فيهِ صاحبه وهو الاستاذ نويمان (Neumann) من علماء البروتستانت عن كل التهم التي يقذف بها اعداء الكنيسة الرهبنة اليسوعية وبعد البحث المدقق ختم كتابهُ بهذه الآية الواردة في الانجيل عن لسان بيلاطوس مزكيًا للمسيح: « لم اجد فيهِ علّة ». وقد كان ايضًا بوسع سيادته بما انهُ في اميركا ان يستطلع اخبار تلك البلاد شمالًا وجنوبًا ليعلم كيف انتشر فيها التمدن الاوربي لكان رأى من اعمال اليسوعيين عجائب في تفانيهم لخير البرابرة والقبائل الهمجية. تشهد بها التماثيل التي اقامتها الحكومات لبعض افرادهم. ثم لو كان سيادته عارفًا باحوال لبنان وسوريّة من زهاء ٧٥ سنة فضلًا عن الاجيال الثلاثة السابقة لكان تحقق بعينه انهُ لا اصل البتة للتهمة التي قلها. افيمكنهُ ان يذكر لنا متى استبدَّ ابناء اغناطيوس بابناء الشعب في سوريّة ولبنان خاصةً؟ لعلّنا نطّلع على ما نجهلهُ. لاننا لا نعلم حتى الآن سوى ان ابناء اغناطيوس ضحّوا في سبيل ابناء الشعب السوري اموالهم وارواحهم ودماءهم. ما لم

يسمّ سيادته اجتهاد اليسوعيين في تعليم ابناء الشعب اصول الدين استبداداً - فان كان هـذا استبدادهم فنعم الاستبداد فانهُ اقوى دعائم النجاح والترقي ولا شك في ان سيادته يشاركنا فيهِ ويكون من اشدّ انصـاره وهو كاتب المقالة في شرور التهذيب الكفري - فلمَ يحمل اذاً سيادته على ابناء اغناطيوس وهم من اعوانه في نشر التعليم والآداب خ ١٠

اسئلة واجوبة

س سأل ف . ط . احد ادباء البلدة ١ً ما هي اسماء السلاطين والملوك الذين يذكر التاريخ قديماً وحديثاً انَّ مدَّة حكمهم تجاوزت الخمسين سنة فصاعداً مع تاريخ سني جلوسهم ووفاتهم — ٢ً بعد سقوط مملكة الافرنج الصليبيَّة هـل بقي البطاركة اللاتينيون يتسلسلون في الكرسي الانطاكي وابن يمكن الوقوف على اسماء الذين منهم تعاقبوا على هذا الكرسي خارجاً عن مدينة انطاكية حتى الزمان الحاضر — ٣ً ما معنى لفظة ذبتيخا التي تستعملها بعض الكنائس الشرقية في القداس وما هو اصل وضعها

اسماء السلاطين والملوك — بطاركة اللاتين في انطاكية — لفظة ذبتيخا

ج نجيب على (الاوَّل) ان سرد أسماء الملوك الذين تولَّوا الامر خمسين سنة لا يتمُّ بالتدقيق الَّا بعد البحث الطويل ومراجعة تواريخ كل الامم فالاولى ان نحيل السائل الى التآليف المطوَّلة لئلَّا يكون الجواب مخلًّا . ونجيب على (الثاني) انَّ البطريركية اللاتينيَّة على انطاكية كان ابتداؤها في سنة ١٠٩٨ بعد فتح الصليبيين لانطاكية بجلوس برنردس الوالنسي على كرسيها . وخلفهُ البطاركة متسلسلين الى ان استولى ملوك مصر المسلمون على تلك العاصمة . ومن بعد فتوح المدينـة صارت بطريركيَّة اللاتين على انطاكية شرفيَّةً واصحابها يقيمون غالباً في رومية . امَّا اسماؤهم وسنو جلوسهم فقد ضبطها العلَّامة ماس لاتري (Mas Latrie) في مجلَّة الشرق اللاتيني في اعداد سنة ١٨٩٤ . نجيب على (الثالث) ان لفظة ذبتيخا يونانيَّة (διπτυχα) معناها المضاعف طيُّها ارادوا بهـا السجلَّات المطويَّة التي كانوا يكتبون فيها اسماء الولاة والبطاركة والاساقفة ليحفظوها او يذكروها في الصلوات الكنسيَّة ل . ش

السنة الحادية عشرة العدد ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٠٨

المشرق

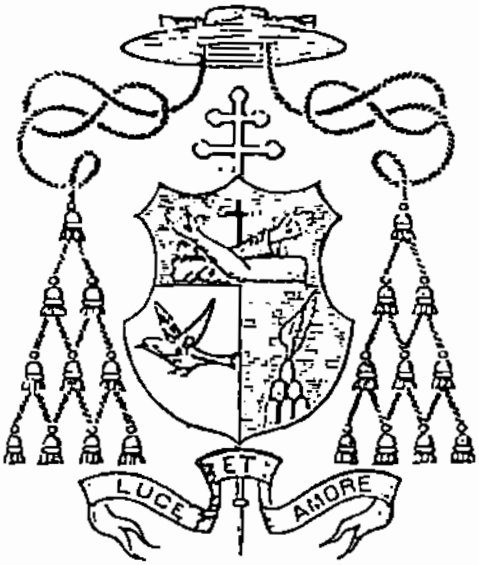

رسالة رعائية في الحكومة الدستورية

لسيادة القاصد الرسولي

الاخ فريديانو جيانيني

والنائب الرسولي على حلب والقاصد الرسولي على سورية

الى اعزائنا الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابتنا الرسولية سلام وطمأنينة وعزاء بالرب

ايها الاخوة الاعزاء

ان الحوادث الجارية بسرعة غريبة على مرأى منا توجب علينا ان نوجه كلمة صادقة مخلصة الى اعواننا الاعزاء وابنائنا الاحباء في هذه النيابة الرسولية

قد يكون من يزعم ان صبغة هذه الحوادث السياسية الداخلية لا تسوغ لاجنبي

مثلنا ان يطرق باب البحث فيها اذ ان الدول الاوربيـة الكبرى نفسها قد نظرت بعين الدهشة والاعجاب الى هذا الانقلاب السريع الذي جرى في السلطنة العثمانية وارتأت وجوب العدول اقله الان عن كل مداخلة في شؤون تركيا الداخليـة ولزوم موقف الانتظار الولائي تجاه المساعي التي تبذلها في سبيل نهضتها الوطنية. اما يكون الاجدر بنا ان نحذو نحن ايضاً هـذا الحذو ونتمسك بخطة التحفظ والرصانة التي نهجتها الدول الكبرى ؟

وبالحقيقـة ان ليس من قصدنا التداخـل بحوادث السلطنة السياسية الحاضرة فاننا قـد تجنبنا ذلك منذ البدء ووطنا العزم على لزوم هذه الخطة في المستقبل ايضاً واننا لنأنف من سلب الشعوب الوطنية فخرها في سعيهـا بنفسها وبمعزل عن كل مداخلة خارجية في احياء وطنها

وفضلاً عن ذلك ان وظيفة نيابتنا الرسولية هي من طبعها روحية بحتة وتحظر علينا الخوض في غمرات المنافسات السياسيـة التي تختص طبعاً بالنظام المادي. فمن واجباتنا نحن ان نصرف الهمة الى خلاص النفوس الابدي وندع لغيرنا العناية بامور السلطنة السياسية والاهتمام بدعـة وغبطة الشعوب الزمنية. يروى عن الخليفة الشهير الملك الكامل انهُ اراد يوماً ان يتحف مؤسس الرهبانية السيرافية بهدايا ثمينة من ذهب وفضة فأجابـه الفقير فرنسيس: « اني لم آت الشرق سعياً وراء الخيرات المادية بل انما اتيته رغبة في خلاص النفوس » ونحن نفتخر باننا نقتفي آثار ابينا المعظم بتضحية قوانا في هذه البلاد حباً بالنفوس الموكولة الى عنايتنا وسعياً في سبيل خيرها الروحي

غير اننا نرى ان هذا لا يصدّنا عن الاهتمام ايضاً بنجاح البلاد المادي لاننا وان كنا اجانب نظراً لاصلنا فلسنا باجانب نظراً لمحبتنا لهـذه البـلاد التي اعتبرناها كوطننا الثاني مذ شاء قداسة الحبر الاعظم ان ينفذنا اليها لنمثله في خدمة النفوس ولهذا لا يسوغ لاحد ان يصوّب الينا سهام اللوم اذا ما اعلنّا صادق استحساننا للنهضة الوطنية في السلطنة العثمانية وتوسلنا الى الله ليبارك وينجح المساعي المشكورة التي يبذلها بنيّة صالحة مخلصة وغاية مستقيمة حميدة اولئك الذين يسعون وراء هذه الغاية النبيلة

ومن جهة اخرى نرتئي بصواب انهُ لما كنا مكلفين بامر النفوس كان من واجباتنا ان نسمع صوتنا في الوقت الحاضر لانهُ يندر ان لم نقل يمتنع حدوث انقلاب سياسي وان شرعياً دون ان يصدر عنهُ بعض الاضطراب الادبي الكثير الخطر للنفوس. والحال في ذلك حال المطر بعد القيظ الطويل فالناس يرجونه ويتوقعونه لاحياء للارض الظمآنة وارواء ظليل الحيوانات العطشانة غير ان السماء حينذاك قلّما تسكب مطرها رذاذاً بل تهطله مدراراً مصحوباً بقصف الصواعق القتّالة وهبوب الارياح العاصفة الشديدة التي تجتاح مع الاغصان اليابسة المضرة النباتات الخضراء اليافعة ذات الثمار اليانعة . وهكذا شأن الانقلابات السياسية حتى الشرعية منها فانها تتحوّل بسهولة الى مضرة الاشخاص والنظامات المقدسة اذا تخطت حدود العدالة واللياقة لانها تصرف اذ ذاك كثيراً من النفوس الحرة عن الطريق القويمة فتميل بها عمداً او سهواً فتتأدب مع كل ريح تعليم كقول الرسول (افسس ٤: ١٤) وذلك لما تعمل في رؤوس القوم نشوة الحرية التي لم يعهدوها من قبل وينفسح المجال في الخطب والصحف للتعاليم والمبادئ الغريبة التي لم يتوخَّ ذووها فيها الا ميل الجمهور

فمن كان مكلفاً بامر النفوس لا يمكنهُ ان يقف وقفة المتجرد تجاه هذه الاخطار والا عرّض نفسه لان يهتف يوماً متأسفاً مع نبي اسرائيل: «ويل لي لاني سكتّ» (اشعيا ٦: ٥) وتعلمون قصة عالي حبر الشعب المختار وقاضيه الذي مع علمهِ بفساد ولديه وبالاخطار التي تتهدد بيته والامة جمعاء من جراء ذلك لم يجسر ان يخاطبهم بكلمة تنبيه او تحذير ولهذا انزل الله بهِ العتاب الشديد ففي يوم واحد أُخبر بانهزام شعبهِ من امام العدو بقتل ولديهِ ولدى سماعه ذلك سقط على الارض ومات للحال وذهب ليعطي حساباً امام منبر الله عن تهاونه الاثيم

لا ايها الابناء الاعزاء لا نستطيع السكوت ولا نرضاه بل نحيّي فرحين ومبتهجين اشعة الحرية التي سطعت في هذه البلاد ونرفع الادعية الحارة ملتمسين النهضة الحقيقية الراهنة لوطننا هذا الثاني الكثير الاعزاز لدينا سواء كان لجهة ماضيه او لجهة ما

نرجوه منهُ في المستقبل. ومما يوطد فينا هـذا الرجاء ما شاهدناه من الاتفاق العجيب الذي أبرمت مواثيقه بنوع غير منتظر بـين السلطان والشعب ثم ما كان من بث شواعر الاخاء التي تبادلها كل سكان السلطنة دون فرق في الجنس والمذهب واخيراً حدوث هذا الانقلاب بالهدو والسكينة دون اضطراب ولا اراقة دم كما جرى في انقلابات الامم الاخرى السياسية وكان لها وصمة عار مؤبد. لكن رجاءنا لا يخلو من الخوف لان من يحب يخاف دائماً ونحن نحبكم ايهـا الابناء الاعزاء ولهذا لا نطمئن لخوفنا عليكم ونشعر بحاجة ماسة الى ان نوجـه اليكم كلمة مخلصة صادقة لنهج لكم سبيلاً تسيرون فيهِ حفظاً لنفوسكم من اخطار الزمن الحاضر

***

واولاً نريد ان تعلموا العلم اليقين وتعتقدوا ان الكنيسة في تعليمها لا تؤثر ولا تفضل هيئة من هيئات الحكومات المتنوعة على الاخرى. فالكنيسة الكاثوليكية تحترم وتأمر كل ابنائها ان يحترموا ويطيعوا السلطة الزمنية التي تعمل على خير الشعب الحقيقي ولا فرق عندها في ان تكون هذه السلطة بهيأة امارة او جمهورية او ملكية مقيدة او مطلقة. هذا ما علمهُ السعيد الذكر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر برسالتهِ العامـة (Immortale Dei) بتاريخ ١ ت ٢ سنة ١٨٨٥ فبعد ان بسط بحكمة ساميـة مبادئ الفلسفة المسيحية الاساسية المتعلقة بتنظيم الحكومات صرّح بان لا هاتـه المبادئ ولا القوانين المتسلسلة عنها « تسوغ رفض هيئـة اية كانت من هيئات الحكومات المتنوعة لان ليس في هذه الهيئات ما يناقض التعليم الكاثوليكي ولانها اذا استعملت بالحكمة والعدالة امكنهـا ان تضمن النجاح العام »

لا يمكن ان تكون طريقة الحكم واحدة عنـد كل الشعوب وذلك لما بين الامم من تنوع الاجناس واختلاف العادات والتقاليد التي تقضي بايثار هيئـة من هيئات الحكومات على غيرها

ان طريقـة التعصب والثورة البالغة حـد الافراط في الظلم والاستبداد وان تسترت وراء حجب الحرية الكاذبة هي وحدها تعمل على الزام الشعب بحكومة معينة

دون مراعاة اخلاقه وتاريخه وعاداته الجديرة بالاعتبار اما الكنيسة الكاثوليكية فترذل وتمقت هذا الظلم لانها وان كان لديها مبادئها في حسن ادارة الهيئة المدنية فهي تعلمنا بفم لاون الثالث عشر عينه « ان المبادئ بتجسمها في الحوادث تتخذ شكلاً عرضياً مخصصاً بالمكان الذي تطبقت فيه وبعبارة اخرى انهُ وان كانت كل هيئة من الهيئات السياسية حسنة بذاتها ويمكن استخدامها لادارة شؤون الشعوب فمع ذلك لا توجد عملياً الهيئة الواحدة نفسها عند كل الشعوب بل ان لكل شعب حكومة بهيئة خاصة وهذه الهيئة تتأتى عن مجموع الظروف التاريخية او الوطنية البشرية التي تعطي الامة شرائعها التقليدية حتى والاساسية وبهذه تتعين هيأة الحكومة الخاصة » (لاون الثالث عشر في رسالته الى اكليروس فرنسة ١٦ شباط ١٨٩٢)

وعلاوة على ذلك يمكن للشعب الواحد في مواقيت مختلفة ان ينتقل حسب الظروف من هيئة سياسية الى غيرها اذا اقتضى ذلك الصالح العام. لان حياة الشعوب من هذا القبيل تشبه حياة الافراد فالولد في صغره يكون بوصاية والديه وتحت ادارتهما وتدبيرهما وخاضعاً لهما في كل شيء لعجزه عن ان ينتقل بنفسه من محل الى آخر. لكنهُ كلما تقدم في السن أنس من نفسه الاستطاعة على القيام بحاجاته ومن ثم يضعف افتقاره الى والديه رويداً رويداً. ثم متى بلغ اشدّه وجنى الحكمة ثمرة الاختبار تيسر لهُ القيام بنفسه باعباء الاعمال والاستقلال بها وكان ذلك مدعاة لفرح وغبطة والديه انفسهما. هكذا حال الامم فان لزمها عند نشأتها وفي اول عهدها حكومة مطلقة فلا ينتج عن ذلك انها لا تستطيع عند استيفائها حظها من البلوغ ان تترق وتسعى الى حكومة حرة تمهد سبيل الرقي والنجاح لقواها ومنازعها الخاصة ولهذا صرح لاون الثالث عشر في رسالته (Immortale Dei) المذكورة اعلاه بانهُ « ان لوحظ الامر بذاته لا يمكن ان ينكر على الشعب حق تدخله بتنظيم الحكومة بل ان هذا التداخل عينه قد يكون في بعض الظروف ومع بعض الشرائع مفيداً للسكان بل وفرضاً واجباً عليهم ايضاً »

ان ما يولي الامة خيراً او يسومها ضيراً ليس بحصر القول هيئة الحكومة بل

هو سلوك القابضين على ازمة الاحكام وبالاحرى الشرائع التي يسنّونها للشعب « ان بين الشرائع والسلطة السياسية وهيئتها لبوناً عظيماً فقد يحدث ان تكون الشرائع جائرة ممقوتة في حكومة منظمة على احسن هيئة وبالعكس يمكن لحكومة ذات هيئة غير كاملة ان تكون شرائعها في غاية الجودة... لان الشرائع ليست الا عمل الناس المقلدين السلطة والمتولين فعلاً ادارة شؤون الامة. وعليه تكون حالة الشرائع اوفر تعلقاً بحالة هؤلاء الناس منها بهيئة الحكومة اي انها تكون حسنة او رديئة حسبما يكون المشترعون من ذوي المبادئ الصحيحة الصالحة او الشريرة الفاسدة ومن المتدربين بالحكمة السياسية او من المنقادين الى الاهواء » (لاون الثالث عشر الى اكليروس فرنسة ١٦ شباط ١٨٩٢)

وبناء على ذلك قد حقّ للكنيسة الكاثوليكية ان لا تؤثر هيئة من هيئات الحكومات على اخرى فهذه الخطة تسمح لها بان تعيش وتنمو في كل مكان وزمان وبان ترتبط بالعلاقات الحسنة مع الحكومات المطلقة والدستورية والجمهورية على السواء. ونحن لا نحرم الفائدة من خطة امنا الكنيسة التي تقف وقفة الحياد تجاه الهيئات المتنوعة التي يمكن ان تأخذها حكومة البلاد التي تسكنها. تلك لعمر الحق حرية ثمينة يروق لنا ان نستخدمها لنرحب بهيئة الحكومة الجديدة التي تنظمت في تركيا بفضل ما تمّ من الاتفاق العجيب بين السلطان والشعب ولنرفع الادعية لتكون الحكومة الجديدة فاتحة عصر جديد يبسط رواق السلم والنجاح على شعوب السلطنة كلها

لكنهُ لكي لا يخيب رجاؤنا هذا ينبغي على المكلفين بتطبيق الاعمال على قواعد الدستور من وزراء واعيان ونواب ان يحرصوا على المبادئ الاساسية الموطدة للهيئة المدنية. لان الجور والظلم اعظم آفات السلم والنجاح العام يمكنهما لسوء الحظ ان ينتشرا حتى في الحكومة الحرة وذلك اذا ما اساء ذوو الامر التصرف بالسلطة وخوّلوا رغائبهم الخاصة قوة الشرائع خلافاً لمبادئ العدالة. ان الله منشئ الهيئة البشرية هو ايضاً مصدر السلطة العمومية كما قال الرسول: « لا سلطان الا من الله »

(رومية ١٣ : ١) ولهذا مهما كانت هيئة النظام السياسي على الحكام ان يتمثلوا الله دائماً امامهم ويقتدوا بـه ويتخذوه مثالاً سامياً وقاعدة لاعمالهم. وبالتالي عليهم ان ينصفوا في حكمهم مراعين الخير العام ومتذكرين على الدوام بان لا سلطـة للانسان على امثاله الا بمقـدار ما يقتضيه الصالح العام (لاون الثالث عشر في رسالتـه Immortale Dei) واما ان اساؤوا استعمال السلطة واستخدموها للضغط على الشعب والتضييق عليه او على فئة صغيرة منهُ فان الله يناقشهم حساباً مدققاً عن ذلك لان « ارباب القوة بقوة يُفحصون » (الحكمة ٦ : ٧)

ومن هـذا كله يمكن لاعواننا الاعزاء ولابنائنا الاحباء في هذه النيابة الرسولية ان يروا جلياً اننا وان رحّبنا باخلاص بالحكومة الجديدة فلا نرتئي مع ذلك ان هيئة حكومة جديدة مهما كانت حسنة تكفي وحدها لتضمن للشعب السلام والنجاح. فان كل خير حقيقي مصدره الجودة الجوهرية اي الله فيجب علينا ان نبتهل بحرارة الى سيد الامم والشعوب الاعلى القابض بيده على قلوب البشر ليتنازل ويحوّل بنعمته الى خير الشعب هذا الانقلاب العجيب الذي جرى في حكومة السلطنة العثمانيـة بان يلهم الحكام الحب الحقيقي المخلص للخير العـام

***

وليُسمح لنا هنا ان نبحث في الحكومة الجديدة من حيث الحرية التي تنعم بها على كل السكان

ان الحرية على ما حدّدها دانت اليغياري اشهر شعراء النصرانية هي اعظم منحة جادت بها العوارف الربانية على الانسان. لانهُ بها اصبح مسلطاً على اعماله ممتازاً عن الاشياء عالماً بحقوقه وواجباته قابلاً للمدح او للذم وللثواب او للعقـاب وعبثاً حاول الماديّون في ايامنا ان يعودوا الى نشر الاضاليل القديمة ويسلبونا هذه الميزة والمنحـة الشريفة منحة الارادة الحرة التي قد أيدتهـا الفلسفة المسيحية طبقاً لمبادئ الضمير المسلم بها

لكن شأن الحرية شأن سائر الاشياء حتى خيرها واقدسها في انهُ يمكن التصرف

بها بحكمة او اساءة استعمالها بنوع يؤسف له . وهذا ما حمل لاون الثالث عشر على القول بصواب بانهُ « عن حسن او سوء فهم معنى الحرية تنتج اعظم الخيرات او اكبر الشرور لان الانسان بقوة هذه العطية الطبيعية الثمينة يمكنهُ ان يستنير بنور العقل المستقيم ويعمل الخير الادبي ويسلك طريقاً تؤدي بهِ الى غايته . كما انهُ يمكنهُ ايضاً لسوء الحظ ان ينهج خطة معاكسة اذ يُغرّ بالخيرات الخداعة وظواهرها الكاذبة فيشوّش النظام ويطوّح بنفسه في هلاك اختياري» (الرسالة العامة في الحرية البشرية)

ومن نكد الطالع ان قد انضم الى الاخطار الناجمة عن طبيعة الحرية نفسها سقطة ابوينا الاولين التي جرحت ارادتنا جرحاً بليغاً كقول المجمع التريدنتيني بجعلها ميّالة الى الشر . ولا ينكر ان مخلصنا الالهي السيد المسيح بتجديده الطبيعة البشرية واعادتها الى سابق منزلتها يشعر ارادتنا بقوة مفاعيل وساطته الالهية اذ يقويها بنعمته وبرجاء السعادة السامية على مقاومة الاميال الشريرة . لكن الفداء لم يلاشِ كل نتائج السقطة الاصلية ولهذا يحدث غالباً حتى اليوم بعد مرور تسعة عشر جيلاً على النصرانية ان الانسان لتأصل الاميال الشريرة في النفس البشرية يستخدم حريته لعمل الشر اكثر مما يستعملها لعمل الخير

وعن هذا نجمت ضرورة سنّ الشرائع ووضع العقابات تهديداً لمن يخرقها . وهذه الشرائع منها الهية ومنها بشرية فالالهية ما صدرت عن الله مباشرة والبشرية ما اعلنتها السلطة الدينية او المدنية الشرعية

وهذه الشرائع التي ترمي الى صدّ الشر ومنعه تضع الحدود لحريتنا ولا يحق لنا البتة ان نتظلم من ذلك . لان حرية فعل الشر انما هي رذيلة وليست بمزية طبيعتنا وكبحها بلجم الشرائع يعد خدمة جلّى في جانب الافراد كما في جانب الهيئة الاجتماعية كلها . ومما تقدم يتوضح ان السلطة المدنية التي خصصناها بالكلام هنا لما كانت غايتها تخويل الهيئة الاجتماعية حسن الحال المادي كان اقل ما تفعله بلوغاً الى هذه الغاية ان تسن الشرائع التي وان قصرت حريتنا وقيّدتها فانما تفعل لخير الافراد والعموم معاً وتتوصل هكذا الى توكيد الراحة العمومية غايتها الوحيدة . لانهُ لا يمكن ثبات

الهيئة البشرية بدون سلطة وشرائع بل ان جنسنا بدونهـا يباد ولا محالة بفوضى هائلة. والسلطة العمومية مهما كانت هيئتها السياسية ومهما كانت درجتها من الحرية تضطر بقوة الاشياء الى ان تضع حداً لحرية الافراد بواسطة الشرائع

ورب قائل يقول: اذاً ما معنى ما يردده القوم في المنتديات والشوارع من ان شمس الحرية قد بزغت في افق نواحينا اذا كانت الحكومة الجديدة التي تنظمت حديثاً في بلادنا لم تولنـا شيئاً من الحرية ؟

ايها الاعزاء ان الشريعة شيء واستبداد القابضين على ازمة السلطة العمومية شيء آخر. فالشريعة الحقة تسن للخير العام وتقييدها للحرية لا يعد اساءة للانسان بل بالعكس منة تمهد لهُ السبيل الى بلوغ غايته بحفظه من مساوئ الفوضى الجالبة للدمار. واما ارادة الحكام الذين هم كسائر الناس عرضة للزلل واتباع الاهواء فانهـا لا تنطبق دائماً على العقل السليم بل ربما كانت احياناً جائرة ومعاكسة للخير الخصوصي والعام. ومن ثمَّ يكون الخضوع للشريعة ضمانة للخير العام وليس فيهِ ما يذل الانسان لكنهُ يشرفهُ ويضمن لهُ استعمال الحرية المرتبة في كل ما لا يلحق ضرراً ولا اذية بالصوالح العموميـة الحقة. بيد ان الطاعة المطلقة العمياء لرغائب الحكام انما هي عبودية محضة تقضي على الحرية الشرعية وتهضم الحقوق وتدوس كرامة الطبيعة البشرية الجديرة بالاحترام

والحال ان الحكومة الجديدة تنزع السلطة الاستبدادية من الحكام ولا تعترف الا بسلطة الشريعة القاضيـة بالمساواة بين الجميع ولهذا حقَّ ان تدعى الحكومة الجديدة حكومة حرة لانها اذا ما استثنينا ما تأمر بهِ الشريعة حفظاً للصالح العـام تترك للقوم مـلء الحرية في حركاتهم وسكناتهم والاعتناء بشؤونهم كما يرتؤون وصرف همهم ومساعيهم الى ما يرون فيهِ الصلاح وبالنتيجة قد قامت حكومـة حرة مقام الحكومة الاستبدادية ضمن نطاق الشريعة. واذا لاحظنا الامر من الوجهـة السياسية رأينا انهُ لم يبقَ عبيد ولا اسياد بل مواطنون احرار متساوون امام الحكومة في الحقوق والواجبات مهما كانت رتبتهم ومنزلتهم في الهيئة الاجتماعية

فقد حقّ لكم اذاً ايها الابناء الاعزاء ان تفرحوا وتغتبطوا باعلان الحكومة الجديدة التي سوّلت لكم ان تستعملوا في حدود اللياقة هذه العطية الطبيعية الثمينة نعني بها الحرية

لكنما الحرية اسمحوا لنا بهذا التشبيه هي كالخمر التي ان اقتصد الانسان في شربها اولتهُ القوة والنشاط وان افرط اضرتهُ واذتهُ . فالحكومة الدستورية الحرة تفرض في الشعب حصافة الرأي ورصانته ومن ثم لا يمكنها حتى وفي بعض الاحيان لا يلزمها ان تبتّ وتقطع كل شيء بسلطتها . لان الامر قد لا يكون من متعلقاتها ولان هذه الخطة تعرقل سير المساعي الافرادية العائدة بجزيل الفائدة على الصالح العام . ولهذا على الناس في مثل هذه الحكومة ان يدبروا شؤونهم بذواتهم في ظروف عديدة باستعمالهم الحرية استعمالاً معقولاً . واما ان عدلوا عن ذلك الى اساءة التصرف بالحرية فانهم يلحقون الضرر بنفوسهم وبالاخرين ايضاً . واذا تمادوا في اثارة القلاقل والاضطرابات عملوا على تقويض اركان الحكومة الجديدة واقامة القديمة مقامها ولا تكون تلك المرة الاولى التي مهّد بها التطرف بالحرية سبل العودة للاستبداد

ولا نطيل البحث هنا في كل ما تخول الحكومة الجديدة الاهلين من انواع الحرية كحرية الدين وحرية التعليم وحرية القول وحرية الصحافة . لانهُ اذا نظرنا في الامر نظراً عملياً ولاحظنا احوال السلطنة العثمانية الخاصة لا يسعنا الّا الابتهاج بمنح هذه الحريات لثقتنا بان اعواننا وابناءنا الاعزاء في هذه النيابة الرسولية يستخدمونها كما يليق في سبيل مجد الله الاعظم وخلاص النفوس وزيادة انتشار التمدن الحقيقي وخير الشعب العام

غير انهُ يتولّانا بعض الخوف نظراً لحرية القول والصحافة فان التزم فيها جانب الاعتدال كما يخلق باناس حصيفي الراي ووطنيين جديرين بحكومة حرة كانت هذه الحرية ايضاً حسنة النتائج جزيلة الفوائد لفسحها لنا مجالاً للمجاهرة بالدفاع عن الحقيقة وخصوصاً عن حقائق ديانتنا المقدسة ولتنوير الحكومة بتنبيه خاطرها الى ما ينبغي ازالته من المساوئ وما يقتضي احداثه من الاصلاحات سعياً وراء المصلحة العمومية

لكن كلامنا ليس عن هذه بل عن تلك الحرية التي تنوي القول بسهولة وتدفعها الى تجاوز الحدود في انتقاد الاشخاص والنظامات والى ايضاح وعرض افكار جائرة مغالىً فيها ورغائب انتقامات شخصية وتشفيات ذميمة وذلك بظواهر غيرة كاذبة على الخير العام

ان المسؤولية لعظيمة جدًا على من كلف نفسه الاصلاح بواسطة الصحافة اذ انهُ ما من شيء اعظم منها تأثيرًا في جمهور القراء وحملهم على الخير او الشر لان معظمهم لا يستطيع ان يرتئي رأياً من نفسهِ ولهذا ترونهم مستعدين لقبول الاراء والمبادئ الاشدّ فسادًا لسهولة تسربها اليهم. قد قال بعضهم ملمحًا الى الهيئة الاجتماعية الاوربية القديمة ان الصحافة العمومية وخصوصاً الجرائد هي في ايامنا بمثابة الفئة الرابعة من ممثلي الامة واما نحن فنرتئي انهُ في حكومة دستورية حقة تكون الصحافة الفئة الاولى لانها هي التي تدرب الراي العام الوافر الحول والطول في العصر الحاضر

لهذا تحتم على الكاتب لزوم جانب الحكمة والفطنة ليس فقط بان يمتنع عن نشر وتأييد بعض الاراء المهلكة التي اذا ما عُرضت على العموم كانت بمثابة مشاعل متقدة تطرح في مخزن بارود. بل عليهِ فوق ذلك ان يعتدل الاعتدال كله في انتقاد الاشخاص والنظامات ويعنى غاية جهده بالتفريق والتمييز بين هذه وتلك لئلا يتجنى بنسبته نقائص او ذنوب فريق الى الفريق الاخر. ومن بين النظامات عليهِ ان يحترم خاصة الدين اساس الهيئة المدنية الوحيد الذي ينبغي ان يظل محفوظ الكرامة ومعزز الشأن رغماً عما يمكن وجوده لسوء الحظ من الامور الذميمة في سيرة الاكليروس. ومن هذه الحيثية لا ينبغي التساهل في تصديق كل التهم التي لا تصدر غالباً عن حب الخير المجرد بل عن رغبة مس الدين نفسه بشخص خدامه

ثم ان النزعة القوية التي تتولى الكاتب اليوم على اثر طلوع فجر الحكومة الدستورية انما هي تقريع رجال الحكومة الماضية وتشديد النكير عليهم وما تلك الا نتيجة ضغط تقادمَ عهده يسهل ادراكها حتى والتسامح بها الى حد معلوم. لكنهُ

ما من احد الا يسلّم بان التشفي بالساقطين ليس من شيم النفس الكريمة والتاريخ نفسهُ يروي لنا حيناً قول البطل الفلورنتي بيروشيو ماراماالدو : « قتلت رجلاً ميتاً » ومن جهة اخرى ينبغي الاعتقاد بان الحكومة السابقة لم تخلُ من رجال جديرين بالاعتبار لم يلحقوا اذية باحد وعلاوة على ذلك ان للذنبين انفسهم لهم في الظروف ما يخفف جسامة ذنوبهم اذ ان معظمها تأتى عن المراكز التي تقلبوا فيها

واخيرًا لا نحرض الكتبة فقط بل وعموم ابنائنا الاعزاء ايضاً في هذه النيابة الرسولية على ان لا يسيئوا استعمال الحرية الجديدة بانضمامهم الى الجمعيات السرية المرذولة من الدين والعقل السليم لانها تكبلهم بقيودها السرية وتحرمهم الحرية الحقيقية اعز الكنوز واثمنها. فان الرجل المرتبط بجمعية سرية ليس برجل بل انهُ عبد في قبضة رؤسائه وهو لا يشعر. وبما اننا الان في عصر الحرية ويتسنى اعلان كل الاراء الصالحة الحرة ونيل كل الرغائب المحلة فما الغاية من كتم هذه الجمعيات السرية امرها ؟ فلا فائدة ترجى من السر ان كانت غايتها حميدة . ولهذا بعد ما نرى كل ما تبذلهُ من العناية في سبيل بقائها سرية يسوغ لنا الحكم بانها تنوي نيات منكرة يرذلها كل ذي فضل وصلاح. فالسيد المسيح قد اراد ان نكون ابناء النور: «لتكونوا ابناء النور» (يو ١٢ : ٣٦) انبذوا الظلمات اذاً. انبذوا اسرار الشيع المنكرة. لكم الحرية في ان تؤلفوا الشركات وتشكلوا الجمعيات للدفاع عن مصالحكم لكن فليكن ذلك ظاهرًا وواضحاً للجميع كما يفعل الوطنيون الاحرار الذين لا يرون حاجة الى اخفاء اعمالهم وستر مقاصدهم. كونوا اذاً ابناء النور وحينئذ تكون جمعياتكم التي نستمطر عليها البركات الربانية من الان آنئذ لنجاح وطنكم الارضي وتمهد لكم السبيل لنيل السعادة الابدية في الوطن السماوي

***

والان نوجه كلامنا اليكم ايها الاعوان الاعزاء والمرسلون الاحباء في هذه النيابة الرسولية

واولاً نرغب اليكم ان تقرأوا وتشرحوا للشعب هذه الرسالة الرعائية وان تبذلوا

جهدكم في نشرهـا ليقف الجميع على افكارنا ورغائبنا في ما يتعلق بالخطة الواجب اتخاذهـا تجاه الحكومة الجديدة التي تيمّنت بها السلطنة العثمانية

ان النظام الجديد يفسح امامنا مجالاً رحباً حرًّا لعملنا الانجيلي فلنستخدمهُ لمجد الله وخلاص النفوس

من عهد غير بعيد اي من تاريخ ٤ آب الماضي اغتنم قداسة ابينا البابا بيوس العاشر فرصة يوبيله الكهنوتي الخمسيني فوجـه الى الاكليروس الكاثوليكي رسالة تحريضية شائقة بيَّن فيها قداسته بعناية ابوية وحكمة رسولية الفضائل التي يجب على خدمة المذبح ان يتحلَّوا بها ليمكنهم ان يتمموا بنوع لائق المهـام الموكولة الى عنايتهم. وقـد جاءت هذه الرسالة الحبرية في غاية المناسبة للزمن الحاضر لتنعش فينا روح التقوى والغيرة ولتصيرنا فعـلة قادرين على العمل في كرم الرب اذ توفّر فينا كل مقتضيات الازمنة الحديثة. فلنتمم الفكرة اذًا في هـذا الكلام السامي ذي القوة المنيرة للعقل والمضرمة للقلب

اننا نعرفكم حق المعرفـة ايهـا الاعوان الاعزاء ولا نرى من حاجة الى زيادة التحريض غير اننا نرى من الواجب علينـا ان ننقل لكم بعض فقرات من الكلام الذهبي الذي وجههُ قداسة ابينا البابا بيوس العاشر منـذ سنوات قليلة الى اكليروس ايطاليا لما في هذا الكلام من المناسبة لهذه الانحاء في الحوادث الحاضرة: « ان الكاهن المرتفع على سائر الناس لتتميم مهمته التي تقلدها من الله عليـهِ ان يترفع ايضًا عن كل المصالح البشرية وكل التحزبات وكل فئات الهيئة الاجتماعية. فيدان عمله الكنيسة حيث هو سفير الله ونائبه يعلم الحقيقة وينذر بها ويعلّم مع احترام حقوق الله احترام حقوق كل المخلوقات وبعمله هذا لا يعرّض نفسه للمقاومة ولا يظهر انهُ متحزب يعضد البعض ويناهض الاخرين. ولكي يتحاشى بعض الاميال والاغراض او لكي لا يثير في مواضيع عديدة الخواطر الساخطة ولا يتهوّر في خطر تلبيس الحقيقة او كتمها ويقصر في واجباتهِ في كلتا الحالتين. فضلًا عن انهُ في البحث عن الامور المادية يمكنهُ ان يتورّط في التزامات مضرة بشخصهِ وبشرف درجتهِ (رسالته بتـاريخ ١١ حزيران

١٩٠٥) ونعم القول. لان الكاهن لما كان ملتزماً بخدمته نحو الناس قاطبة ودون استثناء وجب عليه ان لا يكون ذا حزب بابتعاده وترفعه عن كل الاحزاب. وهذه هي الواسطة الوحيدة لمنع انشاء الاحزاب المناهضة للاكليروس التي تتحول دائماً الى احزاب مناهضة للدين. ان منزلة الكهنوت في غاية الرفعة والشرف وانهُ لإثم حقيقي ورزية جسيمة الحط من شأنها وحصرها في حدود حزب ضيقة وبالتالي نزع الكهنوت سمته السامية القائمة بالعناية العامة الشاملة لكل الناس. فينبغي ان محبة المسيح الشاملة التي كانت تحث الرسول هي نفسها تضرم قلوبنا الكهنوتية وتحملنا على بسط ذراعينا لعموم ابنائنا دون استثناء. وبقطع النظر عن الاحزاب التي تقسمهم وهكذا يمكننا ان نردد هتاف الرسول القائل: « ان محبة المسيح تحثنا » (٢ كور ٥: ١٤) دون ان يتسنى لاحد تكذيبنا

بينما نكتب هذه السطور نرى من نوافذ مقرنا الصيفي في جبل لبنان تمثال العذراء الطاهرة الجميل العظيم نراها ظافرة منتصبة على هذا الاثر الفخم الذي اتفقت على تشييده القصادة الرسولية في سورية والبطريركية المارونية وكان الاحتفال بتدشينه يوم الاحد الواقع في ٣ ايار من السنة الحاضرة. وان سالفنا المأسوف عليه السيد دوفال السعيد الذكر لما فكر في هذا المشروع أمل ان السيدة العذراء اذا كُرِّمت بنوع خصوصي في بلاد سورية ظللت هذه الانحاء بظل حمايتها الخصوصية ونحن الذين أوتينا شرف انجاز هذا المشروع العظيم فبوجودنا تجاه هذه الحوادث التي جرت في السلطنة العثمانية بعد حفلة التدشين بزمان قليل نضع كل رجائنا في سيدة لبنان الطاهرة ونسألها ان تجعل هذه الحوادث آلة لتمجيد الله وديانته وان تمنّ على الشعب بان يجد فيها مزيد الرقي والنجاح الان ومدى الابد امين

وفيما نحن نستعين بصلواتكم نمنحكم البركة جميعاً ايها الاعوان الاعزاء والابناء الاحباء باسم الاب والابن والروح القدس

صدر عن كرسينا في حريصا (جبل لبنان) في ٨ ايلول ١٩٠٨ عيد ميلاد العذراء مريم

† الاخ فريديانو جيانيني

موتمران علميان

للاب لويس شيخو اليسوعي

رجعنا والحمد لله من موتمري برلين وكوبنهاغ اللذين دُعيت الى حضورهما رسمياً مدرستنا الكلية فاوفد الرؤساء حضرة الاب هنري لامنس والفقير كاتب هذه الاسطر لتمثل كلية القديس يوسف في هذين المجمعين العلميين. فقمنا بهذه المهمة بما امكننا من النشاط تلبيةً لدعوة مَن القينا في ايديهم زمام امرنا وكأنّا بقرّائنا الادباء يرغبون الينا بان نصف لهم سفرنا الى تلك الانحاء القاصية ونفيدهم عمّا جرى في الموتمرين من الابحاث العلميّة ليقفوا على احوالهما وينتفعوا من نتائجهما ويحذوا حذوهما بانشاء النوادي العلميّة وعقد الجمعيّات لتنشيط المعارف العمومية

رحلتنا الى الموتمرين

كان موعد الموتمر الاول الذي قُضي علينا بحضوره في العشر الاوّل من آب فسافرنا من بيروت في مساء ٢١ تموز راكبين باخرة لشركة المساجري الافرنسيّة تُدعى اكواتور فكانت رحلتنا في مثل هذا الفصل مدعاة للهناء بصفاء اديم السماء وهدوّ تيّار البحر فبلغنا مرسيلية في ٢٩ من الشهر بعد ان ارسينا مرّتين في بورت سعيد والاسكندريّة فتحققنا ما صارت اليه هاتان المدينتان من الحضارة والترقي منذ ابصرناهما آخر مرّة قبل عشر سنوات. لولا انّ احوال التجارة أُصيبت مؤخّرًا بضربة لازبة في كل القطر المصريّ فكادت تُلحق بالدقماء كثيرين من اهلها واصحاب ثروتها وانما الامل معقود بانقشاع هذه السحابة. فعسى ان تكون هذه الازمة عبرةً لحمّى المضاربات وزاجرًا لطالبي الارباح السريعة دون كدّ وعناء فيعلمون انّ الغنى الثابت لا يُنال الّا بالمساعي الطيّبة والمعاملات المخمرة بالتروي والمتاجرات المعقولة

اتّسعت مرسيلية منذ زمن قريب حتى اتّصلت ابنيتها بابنية خمس من القرى المجاورة التي نُظمت في سلكها فاصبحت بذلك المدينة الثانية لفرنسة من حيث عدد سكانها. امّا ميناها فهو مصدر ثروتها يردهُ او يصدر منهُ نحو ستة ملايين طنّ من

السلع والمال المشحون في كل عام ومع سعة هذه التجارة البحريَّة تغلبها باريس بتجارة نهرها الذي تربي مشحوناتهُ من العاصمة واليها على عشرة ملايين من الطنَّات

ووافق وصولنا الى مرسيلية فتوح معرض الكهرباء فيها فأُقيم لذلك معاهد فسيحة نُظمت فيها انواع الآلات على اختلاف اشكالها وصنوف فوائدها فيأخذ تنظيمها بمجامع القلوب ويندهش الناظر اليها لاسيما في الليل اذ تمتدُّ اروقة الظلمة فتلوح تلك الآلات بمظاهر نوريَّة عجيبة من اكلَّة واقواس وصور زهور وحيوانات وأبنية تتَّقد كلها كشعلة من النار بالالوان الزاهية والنقوش البهية الرائعة ما يحقِّق فراسة بعض القائلين عن القرن العشرين انهُ سيُدعى بعصر الكهرباء

ونحن في مرسيلية بلغتنا الانباء تترى في ما جرى في الاستانة العليَّة من الانقلاب السياسيّ بصدور الارادة السنيَّة لكل الرعايا العثمانيين باستعادة القانون الاساسيّ ومجلس الأمَّة المعروف بمجلس المبعوثان فوقع لدينا هذا الخبر موقعاً طيِّباً وشكرنا الله على هذه المنَّة وطلبنا اليهِ من صميم الفؤاد بأن يجعل هذه الامور فاتحةً لعصر جديد تنمو بهِ صوالح البلاد وتزيد الالفة والترقي بين العباد

ووجدنا ليون لا تزال تتقدم على سواها بحرائرها ومنسوجاتها ومعاملها العديدة. وقد توقلنا الى مزارها الشهير الذي يُشرف على البلد والمختص بأكرام العذراء الطاهرة وهو من اكبر معابد فرنسة المستحدثة. شيَّدهُ المسيو بوسان احد المهندسين البارعين على رسم مستطرف لوفاء نذر الاهلين بعد الحرب السبعينية. وقد صرف في بنائهِ نيفاً وعشرين مليوناً من الفرنكات تبرَّع بها المحسنون من الكاثوليك بيد سخيَّة وهو لا يزال ساعياً في اتمام العمل وزخرفتهِ ونقشهِ ليصبح آيةً هندسية بين البنايات العصريَّة

قطعنا باريس ولم نتريَّث بها وهي في هذا الفصل من السنة اهدى منها في بقية فصول العام لخروج كثير من اهاليها الى الاصطياف في ضواحي البلد وكذلك مجلسا الأمَّة يبطلان عن الاعمال كما انَّ المدارس والنوادي العلميَّة تُقفل ويخلد اصحابها الى الراحة والسكينة وكان رئيس الجمهوريَّة قد خرج الى سياحتهِ في البلاد الشمالية فزار دنيمرك واسوج ونروج وروسيَّة والجرائد ملأى من تفاصيل رحلتهِ السياسية واجتماعهِ بملوك الشمال

وفي ٢ آب مررنا ببلاد بلجكة فشاهدنا بها قطراً صغير المساحة الَّا انهُ واسع

التجارة بلبغ الصناعة كثير الثروة بلغتهُ حكومتهُ الكاثوليكية منذ ربع قرن الغاية في النجاح واسباب التقدُّم حتى صار في مقدَّمة البلاد المتمدنة لا ينقصهُ شيء من محاسن الدين ومرافق الدنيا

امَّا عاصمتها بروكسل فعلى ترقٍ مستديم. كنَّا قبل ثلاث سنوات زرنا ضاحيةً منها خاليةً من السكن كانت لشبه بالبريَّة واليوم اضحت عامرة بالسكَّان تسير اليها قواطر الكهرباء وتمتدُّ فيها الحدائق الغنَّاء. وهناك شُيِّدت مدرسة كبيرة للآباء اليسوعيين البلجكيين جمعت كل المحسنات الهندسيَّة التي توافق المعاهد التهذيبية حتى صار الزوَّار يقصدونها من انكلترَّة وفرنسة ليطلعوا على تنظيمها ويجارونها في طريقتها الهندسيَّة. وفي هذه المدرسة تسكن جمعيَّة البولنديين الذين يشتغلون منذ ثلثمائة سنة بجمع اعمال القديسين ونشرها وانتقادها (اطلب المشرق ٨: ٤٨٤)

وكان الشغل الشاغل لحكومة بلجكة عند مرورنا فيها انها مسألة الكونغو التي اراد جلالة الملك ليوبلد ان يضمَّها الى مملكتهِ بعد ان كانت ملكهُ الخاصّ وذلك تحت شروط اشترطها على الشعب البلجكيّ وجدها بعضهم ثقيلة على كاهل الدولة

كان مسيرنا من بلجكة الى المانية على طريق هولندة وهي شقيقة بلجكة مدَّة اجيال عديدة واليوم وصيفتها وقرينتها في الاعمال النافعة. واتَّفق انَّنا اجتزنا في انحائها في يوم مولد ملكة البلاد ولهذين فاقام الاهلون الافراح واجتمعوا في النوادي والمنتزهات وزيَّنوا الشوارع. وكان البروتستانت والكاثوليك قلباً واحداً في هذه المظاهرات يلهجون جميعاً بحامد صاحبة العيد. وممَّا لحظنا في كاثوليك هولندة تحمُّسهم الدينيّ فكنَّا نراهم يتقاطرون الى المعابد ويتلون السبحة في طريقهم دون حياء بشري ويؤدُّون للاكليروس كلّ شارات الاكرام والوقار حتى ان الكاهن في طريقهِ مشغول في ردّ السلام على كل من يلقاهُ. اما الحكومة فانَّها تعدُّهم من اصدق رعاياها واشدّهم غيرةً على صوالح البلاد

دخلنا التخوم الالمانية في ٤ آب على طريق «آخن» التي يدعوها الفرنج إكس لاشابال من اقدم حواضر المانية المشهورة في ايَّام كارلس الكبير ملك فرنسة وفيها كان كرسيّ مملكتهِ وقد ترى فيها حتى يومنا آثار راقية الى زمانهِ سُررنا بزيارتها. ثم واصلنا السير قاصدين كولونية. فمررنا بمقاطعات يَغلب عليها السكان الكاثوليك. وللدين في هذه

الولايات الشأن العظيم والسهم الأوفى . وكان الكاثوليك قبل وصولنا بأيام قد انجزوا مؤتمرهم السنوي بروتق لم يسبق له مثيل قبلاً . قيل انّ عدد الفئة الذين مشوا في موكب المؤتمر آخر يوم منهُ أناف على ستين الفاً حضروا الى دوسلدرف من كل جهات المانية فاذهلوا بايمانهم الحيّ كل من رآهم

ودخلنا في مساء ذلك اليوم مدينة كولونية فنزلنا اليها منتظرين بضع ساعات قطار برلين فسمح لنا هذا التأخير بان نزور البلدة وبعض آثارها العجيبة اخصّها كنيستها الكاتدرائية التي تجمع فيها كل محاسن الهندسة الكنسية من الطرز المعروف بالغوطي ومن رآها بنقوشها وزخارفها لا يكاد يصدّق أنها مبنية بالحجارة وانما يحسبها تخاريم من الورق المقوّى تفنّنت فيه ايدي الصنعة . وواجهة هذا البناء العجيب مزدانة بمئين من التماثيل المقدّسة التي تسحر اللبّ ببدائعها . وفي اعلاها برجان مخروطان تخترق حرباتهما الجوّ على علوّ ١٥٠ متراً . وداخل هذه الكنيسة يناسب خارجها بمحاسنه من حيث السعة والنقوش والبراعة الهندسية . هذا فضلاً عن ما في الكنيسة من الذخائر الثمينة كقبور الملوك المجوس الثلاثة وعصاة القديس بطرس الرعائية وسيف الملك كرلوس الكبير وآنية للتقديس ثمينة جداً . وفي كولونية ابنية أخرى شهيرة كمتحفها الغنيّ بالآثار النصرانية القديمة وآثار الفنون الجميلة وكمعبدها المختصّ بذكر القديسة اورسلا والشهيدات رفيقاتها اللواتي قتلهنّ البرابرة في سبيل الايمان فقُبرت اجسادهنّ في هذا المشهد

وعُدنا الى ركوب القطار مساء فقضينا صُلب ليلتنا في السفر حتى اذا اسفر الصباح نزلنا في محطة برلين

لم تكُ هذه العاصمة قبل القرن الثامن عشر سوى مدينة صغيرة لم يبلغ عدد سكّانها مئة الف نفس فاتّخذها فردريك الكبير (١٧٤٠–١٧٨٦) حاضرة لمملكة بروسيا وشيّد فيها الابنية الفخيمة ودعا اليها العلماء وارباب التجارة والصناعة ولم تزل منذ ذلك الحين تتصعد في سلّم الترقي لاسيما في اواسط القرن السابق . وقد بلغت اوج العزّ والفخر بعد الحرب السبعينية لمّا جعلها الامبراطور غليوم الاوّل (١٨٦١–١٨٦٨) رأس المملكة الالمانية واجدها من المحاسن ما يحقّ لمثلها من امهات المدن . فتراها اليوم تجاري باريس ولندن بقصورها ومعاهدها العمومية الفخيمة ومبانيها الباسقة ومعابدها المستحدثة مع تجهيزها بكل الاختراعات الجديدة وتزيينها بالمكاتب العديدة والمتاحف

الفريدة وآثار الامم القديمة من البابليين الى العرب. وعدد اهلها اليوم على موجب الاحصاء الذي تمَّ في شهر اذار من السنة الجارية ٢,١٠١,٩٣٣ يَغلب عليهم الدين البروتستاني مع شيعهِ المتعدّدة ومن بعدهم الكاثوليك الذين يَنيفون على ربع المليون ثمَّ اليهود وهم فيها مئة الف. ويكثر الاجانب والغرباء في برلين فانَّ عددهم في السنة المنصرمة زاد على مليون بينهم ٨٩٠ من رعايا الدولة العلية. وموقع المدينة على نهر سبراي الذي تسير فيهِ السفن

مؤتمر برلين

كان هذا المؤتمر الاوَّل مختصاً بالدروس التاريخيــة على مختلف موادّها وتباين ازمنتها وهو الثاني من جنسهِ. وكان المؤتمر الاوَّل قد عُقد في رومية قبل خمس سنوات فأتى بنتائج حسنة ثم اتفق اصحابهُ بان يعقدوهُ ثانيــةً في عاصمة الالمان ليتَّسع بذلك نطاق العلوم التاريخية وجعل علماء المانية مذ ذاك الحين يعدُّون اللوازم لهذه الغاية. والحقُّ يقال انهم لم يألوا جهداً في بلوغ منيتهم واصابوا الغرض فكان عدد الذين لبَّوا دعوتهم كاد يبلغ الالف عدًّا قدموا الى برلين من كل انحاء اوربَّة بل من اميركة وآسيــة وافريقية

﴿ تنظيم المؤتمر ﴾ مذ تقرَّر اختيار برلين لمقــام المؤتمر التاريخي تشكَّل لتنظيمهِ لجنةٌ من كبار علماء كليَّتنا لينظروا في كل مقتضيات هذه الحفلة الدوليــة وطبعوا لذلك نشرات ارسلوهــا الى جميع الدول والى الكليّات والمدارس الجامعة يدعون عمدتها الى حضور المؤتمر فكان كلُّ من يُجيب الى هذه الدعوة يُعلن برغوبه الى كاتب اسرار اللجنة ويدفع مبلغاً قليلاً لا يتجاوز عشرين مركاً اي ليرة المانيــة تؤهلهُ لقبول كل المطبوعات المختصة بالمؤتمر. ويحقُّ لكل من اراد من العلماء المدعوّين ان يلقي خطاباً في بعض المواضيع التاريخية بشرط ان يخابر بذلك اصحاب اللجنة ليكونوا على بصيرة

ولمَّا كانت ابواب التاريخ متعدّدة يصعب استيفاء مضامينها في جمعية واحدة قسم اصحاب اللجنة التدبيريَّة المعارف التاريخية الى فروع مختلفة يرجع اليها العلماء على حسب ابحاثها. فكان فرعٌ للتاريخ القديم وتاريخ اليونان والرومــان وفرع لتاريخ القرون

الوسطى وتاريخ الازمنة الاخيرة . ومن الاقسام التي خصوها بالنظر تاريخ الشرق وتاريخ الدول الاسلامية . وكان العلماء الذين طلبوا الانضواء الى هذا القسم الاخير اكثر من سواهم لما يترتب على تاريخ الشرق من الخطر وعظم الشأن

﴿ مقدمات المؤتمر ﴾ لم تدخر بلدية برلين وسعاً في تهيئة الأندية التي يحتاج اليها اصحاب المؤتمر لاجتماعاتهم العلمية فخصت لذلك ارحب معاهدها وابدعها اعني دار الندوة الالمانية ومنتدى مجلس الاعيان . وفي تلك الدار الدواوين الفسيحة المزدانة بالنقوش البهية والحُجَر الواسعة والمكاتب والمطاعم . وبقربها مباني أُخرى ذات الغرف المتسعة الارجاء افردتها كلها لاشغال المؤتمر

واقامت لجنة التدبير في خدمة المؤتمرين فئات خاصة تسعى في صوالحهم وتفيدهم كلَّ ما يحتاجون اليه مدة اقامتهم في المدينة كتعريف منازل برلين ومشاهدها . وكانت فئة أُخرى مختصة ببريدهم ومكاتباتهم ونقل الاخبار بينهم اما بالتلغراف واما بالتليفون . وكذلك عينت اللجنة افراداً من اهل برلين رصدتهم لخدمة كل جنس من الوافدين وميَّزتهم بالعلامات الخاصة على حسب لغاتهم

وفي اليوم السابق لافتتاح المؤتمر اخذ الوفود يتواردون من كل فجٍّ وأوب الى المدينة . وكانوا يأتون دار الندوة حيث ترحب بهم اللجنات الخاصة وتدوّن اسماءهم وعنوان سكنهم في برلين ثم توزع عليهم نشرات المؤتمر في اربع لغات اي الالمانية والانكليزية والافرنسية والايطالية فتبين لهم كلَّ ما يلزمهم معرفته من امور المؤتمر وجلساته . وكانت تتحف ايضاً كل وافدٍ بدليل واسع يتضمن كلَّ اوصاف برلين مع خارطة بديعة ترسم جميع احيائها ومبانيها . وهذا الكتاب قد صنَّفتهُ اللجنة لفائدة اهل المؤتمر . وكانت تضيف الى ذلك شارةً محفورة تمثل إلهة الحكمة فتعطيها لكل عضو ليستاز بها ويعرفهُ رصفاؤهُ والمأمورون جميعاً فلا يعوقوهُ في دخوله وخروجه ويساعدوهُ في كلّ مهامّ المؤتمر

وفي مساء ذلك النهار نحو الساعة الثامنة استدعت بلدية برلين كلَّ افراد المؤتمر على اختلاف الجنسيات لتتلو عليهم آيات الترحاب ويتعرَّف بعضهم بالبعض الآخر تسهيلاً لاشغال المؤتمر . فلمَّا انتظم سلكهم قام رئيس البلدية وافتتح كلامهُ بالسلام على الوافدين معرباً عمَّا نالته برلين من الشرف بقدوم هؤلاء العلماء الذين تفتخر بهم دولهم

ويرنعون في بلادهم لواء المعارف والآداب. ثم ابرز رسالةً اتخذها الامبراطور غليوم تلغرافياً لاصحاب المؤتمر يشكرهم على مجيئهم الى حاضرة مملكته ويتأسف على كون الاشغال لم تمكّنهُ من استقبالهم بنفسه لتجوّله في انحاء بلاده. وأُديرت على الحضور المرطبات والحلويات. ثم خُتمت هذه الحفلة نحو الساعة الحادية عشرة

وفي ضحى اليوم الثاني الواقع في ٦ آب عُقدت الجلسة الاولى الافتتاحيَّة العامَّة تصدَّرت فيها العمدة البرلينيَّة وقام خطباؤها كلٌّ على نوبته فتكلموا في غاية المؤتمر وفوائده وما يترتَّب على انعقاده من تعزيز الدروس التاريخيَّة الى غير ذلك من المواضيع الشريفة وكانوا يرحبون بممثلي الدول الاجنبيَّة ويُطرئون همَّة اصحابها. ثم قام هؤلاء المندوبون واجاب كلٌّ منهم بلسانه شاكراً باسم دولته ومبدياً الرجاء بان يكون هذا المؤتمر باعثاً جديداً على رفع شأن درس التاريخ ورابطاً وثيقاً بين العلماء

وبعد نجاز الخطب اختارت اللجنة الالمانيَّة علماء اجانب مشهوداً لهم في بلادهم ليرأسوا حفلات المؤتمر العموميَّة وتنازلوا لهم عن التقدُّم في الجلسات العموميَّة. وبذلك ظهر الاخاء والمساواة بين جميع انصار العلم.. وكذلك الحفلات الخصوصيَّة لكل فرع من التاريخ كان يتصدَّر فيها مع علماء الالمان غيرهم من رصفائهم الاجانب لا يلحظون في اختيارهم سوى الاهليَّة والعلم

﴿ مباحث المؤتمر ﴾ هذا المجال واسع لا يمكننا استيفاء اقسامه في هذه المقالة . وقد بلغت الابحاث التي خاض فيها المؤتمرون فوق المئة نذكر هنا بعضها للافادة

كان للتاريخ القديم في هذا المؤتمر مقام ممتاز فخطب العلَّامة البلجيكي فرنتز كومون (F. Cumont) في تاريخ دين البابليين وعلاقاته مع السيَّارات السبع . وخطب العلَّامة ماسبرو (G. Maspero) في آثار مصر التاريخيَّة ومساعي العلماء الاوربيين في انقاذها من عبث المفسدين. وخطب ايضاً في تاريخ مصر القديم الأثريُّ الانكليزي غرنفل (B. P. Grenfell) فوصف اكتشافات البرديّ في الفيُّوم . وكذلك العلامة رَيسنر (G. Reisner) من علماء كمبردج في امريكا وصف الدافن الملكيَّة من السلالة الرابعة المكتشفة في مصر . وتلاهُ العلامة الالماني بورخرت (L. Borchardt) تزيل مصر فافاض في ذكر الدافن الملكية من السلالة المصريَّة الخامسة التي وقفت عليها البعثة الالمانية في بوصير . واتَّسع لوغرين (Legrain) العلامة الفرنسويّ في

اكتشافات كرنك العجيبة التي سبق الشرق فوصفها في سنته الثامنة . وتكلّم المعلم الارلندي ماهافي (S. P. Mahaffy) عن اميرات مصر وملكاتها القديمات . امّا الاستاذ غونكل (H. Gunkel) من غيشن فانهُ قابل بين الآثار المصريّة وروايات الكتب المقدسة ليبين ما بينهما من التوافق

ومن المقالات المنوطة بالتاريخ العبرانيّ والاراضي المقدّسة مقالة المعلّم الانكليزي وليم دافيس (T. W. Davies) في مشروعات اليهود الدينيّة بعد رجوعهم من بابل ومقالة المعلّم النمساوي سلّين (E. Sellin) في حفريّات اريحا والآثار الكنعانيّة التي ترفّق الى اكتشافها

وتعدّدت الخطب في تاريخ اليونان وتاريخ الرومان قبل ميلاد المسيح فكان بعضها في اكتشافات البعثات العلميّة وبعضها في مسائل خاصّة بافراد من علماء اليونان كارخيميدس وغيره ومنها في المستعمرات اليونانيّة . ومنها ايضاً في تاريخ الاترسكيين الذين خلفهم الرومان . وفي الفنون اليونانيّة والرومانيّة

امّا التاريخ بعد المسيح فانّ الابحاث فيهِ تنوّعت فمنها ما كان دينيًّا ومنها ما كان مدنيًّا ومنها ما يتناول عموم البلاد ومنها ما يختصّ ببلد واحد او امّة واحدة او شخص واحد وذلك سواء في القرون الاولى او القرون الوسطى او الاجيال المتأخرة لانّ التاريخ يعمّ كل هذه المواد . وقد ألحق البعض بهذه العلوم التاريخيّة مباحث أُخرى كتاريخ الفنون والآداب والهندسة واخبار الرسوم والشرائع وتاريخ اللغات والعلوم الطبيعيّة وغير ذلك مما لا ينحصر في حيّز التاريخ لكنهُ يربط بهِ نوعاً فمن المقالات التي استلفتت الابصار مقالة السريّ وليم رماي (W. Ramsay) في النظام الكنسيّ في بلاد آسية الصغرى من حدود القرن الرابع الى الحادي عشر مستنداً الى الآثار التي اكتُشفت في كل الجهات . وكل يعلم ما للخطيب من الفضل في تلك الحفريّات وانهُ مكتشف ضريح القديس ابرقيوس المزيّن بكتابة تُعدّ من اخطر الآثار النصرانية . ومنها خطبة الالمانيّ لوفس (F. Loofs) من كليّة هال في مجمع سردقة سنة ٣٤٣ . ومنها فصل حسن للايطالي ريكوبونو (S. Riccobono) في رسوم الملك يستنيان وتأثير النصرانيّة فيها . وكذلك بيّن الاستاذ الهولندي بيبر (F. Pijper) من كليّة ليدن فضل الكنيسة في إبطال الرقّ في القرون المتوسطة

اما تاريخ الشرق والاسلام فاخصّ ما سمعناه خطاب للبرنس الايطالي كايتاني (L. Caetani) في اصول التاريخ الاسلاميّ . وكان لكلام الخطيب الوقع الحسن لانهُ ممَّن برَّزوا في هذا البحث وقد اشتهر بتاريخهِ الايطاليّ عن ظهور الاسلام وانتشارهِ وهو اوسع كتاب وُضع في هذا الصدد . وخطب العلَّامة بكر (C.H.Becker) من اساتذة هيدلبرغ البارعين في اقتصاد العرب المالي في بداءة الفتح المصري . ومن الخطب التي استجادها الحضور خطبة افرنسية لحضرة الاب لامنس في خلافة ابي بكر وعمر بعد وفاة صاحب الدعوة العربية . وقد انتهزنا نحن فرصة تقدمة بعض مطبوعات كليتنا لاهل المؤتمر لنبيّن ما للسوريين من الهمّة في نشر الآثار التاريخيَّة . وهو بحث سنعود اليهِ ان شاء الله في بعض اعداد مجلَّتنا

فمن هذا النظر الاجمالي يرى القرَّاء ما نجم عن هذا المؤتمر من الفوائد وما جرى فيهِ من الابحاث المهمَّة وكنَّا وددنا لو ارسلت دولتنا العليَّة والحكومة المصريَّة مَن يمثلهما في هذا الاجتماع العلميّ ليستقوا من مواردهِ ويقتبسوا من انوارهِ ويبعثوا بين مواطنيهم روح الغيرة في مجاراة علماء اوربَّة . وكفى بهذه الاجتماعات الدوليَّة نفعًا انَّ كبار العلماء واساتذة الدول المتفرّقين يتقربون الى بعضهم وتتبادل افكارهم والنور كما قيل ينبعث باحتكاك العقول

ولم تشأ اللجنة التنظيميَّة أن يتفرَّغ العلماء لابحاثهم دون أن يأخذوا نصيبًا من الراحة فتفنَّنت لتجعل لهم سكنى برلين لذيذةً مفيدة فتارةً كانت تجمعهم للأدب يأنسون بها في جملة الاصحاب وافاضل الجلساء وتارةً كانت تدعوهم الى زيارة متاحفها وآثارها وتقيم في خدمتهم من يكون لهم دليلًا عريفًا . وحينًا كانت تُعدّ لهم السكك الحديدية ليزوروا ضواحي المدينة وخصوصًا القصور الملكيَّة في بُسْتدام (Postdam) . ومما زرناهُ متحف القيصر فردريك لاسيما القسم الشرقيّ منهُ وهناك عاديَّات نقلوها من كل انحاء الشرق من نقوش وادوات وحليّ وطنافس واسلحة تشعر كلُّها بترقي الشرقيين في التمدُّن في الاجيال السالفة . وفي هذا المتحف خصوصًا واجهة قصر المشتّى وهو البناء العجيب الذي اقامهُ كما يرجّح بنو اميَّة على طرف بادية الشام فاتحف بهِ جلالة السلطان عبد الحميد قيصر الالمان فنُقلت حجارهُ الى برلين وشُيّدت كما كانت في البادية . وقد اخذنا العجب من عظمة هذا الاثر وهندستهِ الجميلة ونقوشهِ الرائعة التي تمثل ضروب النبات

والحيوان واعمال اهل البادية (راجع المشرق ١: ٥٧٧ و ١٠: ٥٧٨) . وفيه ايضاً قسم مختص بالآثار البوزنطيَّة القديمة تكثر فيه التصاوير والنقوش والمنحوتات والمنسوجات واعمال النسفاء والطُرَف الصناعية العجيبة. ومعظم هذه الآثار دينيٌّ محض اتخذهُ البوزنطيون لعبادتهم. وقد لحظنا في جملة هذه الآثار تصاوير حفريَّة وتماثيل مجسَّمة بالخشب والحديد والرخام ما فيه دليل لامع على انَّ البوزنطيين لم يعتبروا اكرام التماثيل والدُمى مخالفاً للعبادة المسيحية (راجع مقالتنا في هذا الشأن ص ٤٣٠)

ومما نُقل حديثاً الى برلين عاديَّات غاية في الحسن اكتشفتها البعثة الالمانية في تركستان قريباً من تخوم الصين وقد وصفها العلَّامة البرلينيّ فون لوكوك (A. von Lecoq) بخطبة القاها في مؤتمرَيْ برلين وكوبنهاغ وابرز صورها بالنور الكهربائيّ فانذهل الجميع لتقدُّم الصناعة والفنون في تلك البلاد القاصية في الاجيال السالفة. وكان من جملة هذه الآثار كتابات اسطرنجيليَّة ترتقي الى القرن السابع للمسيح تنبئ بانتشار النصرانية في تلك الجهات. وقد وُجدت هناك ايضاً بقايا من الشيعة المانويَّة وكتاباتها وتعاليمها هذا فضلاً عن آثار التتر والمغول وقبائل الترك القديمة التي لم يُعرف من احوالها سابقاً الَّا الشيء القليل

مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغ

انتهى المؤتمر الاوَّل الذي حضرنا جلساته في مساء الاربعاء الواقع في ١٢ آب فودَّعنا المعارف والاحباب وتحفَّزنا للسفر الى عاصمة الدنيمرك حيث كان موعد المؤتمر الثاني بعد يومين

ركبنا القطار صباح الخميس من برلين ومعنا نحو عشرين من علمائها رافقونا ليحضروا مؤتمر كوبنهاغ. والسكَّة الحديديَّة تقطع المسافة بين المدينتين بنحو ١٠ ساعات فيسير القطار شمالي المانية بين البحيرات والسهول في مقاطعة مكلنبرغ. وهذه المقاطعة قليلة الخير وتربتها لا تصلح للزراعة وكذلك مدنها العامرة ليست هناك بعديدة اخصُّها لوبك والمدن الواقعة على سواحل بحر البلتيك مثل كونسبرغ ودنتسيغ وستاتين وقد ارتفع قدر هذه المدن واتَّسعت تجارتها بعد فتح قناة كيل بين بحر الشمال وبحر البلتيك . وفي ظهيرة النهار بلغ بنا القطار الى روستك وهي على شاطئ البحر بازاء بلاد الدنيمرك يفصل بينهما البلتيك بمسافة نحو اربعين كيلومترًا كان يقطعها الركاب في السفن. واليوم

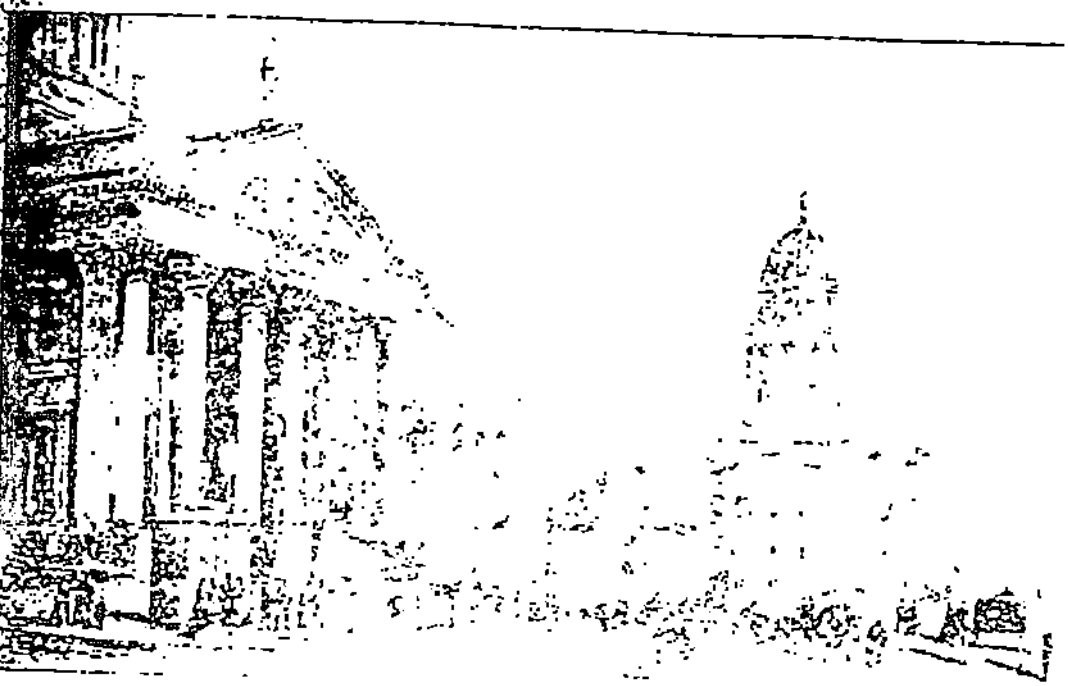

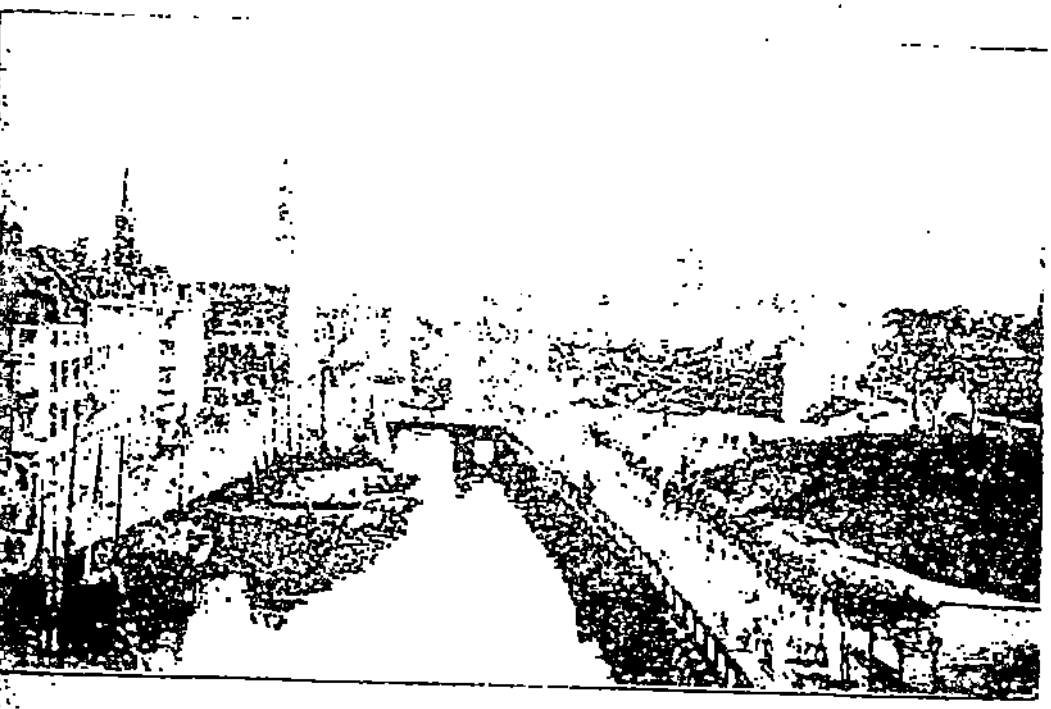

صورة كوبنهاج عاصمة الدنيمرك وبحرها

قد اخترعوا طريقةً جديدةً لنقل الركاب فانَّ القطار الحديدي اذا بلغ ساحل البحر يجري منهُ الى السفينة مع ركابهِ فتنقل السفينة القطارَ الحديدي برمَّتهِ فاذا بلغت السفينة بلاد الدنيمرك خرج القطار ببخاره من السفينة الى البرّ وواصل سيره . وفي هذه الطريقة اقتصاد كبير للوقت وللمصاريف . وقد اخذت شركات السكك الحديديَّة تجري على هذا المنوال في امكنة اخرى كما رأينا بين ايطالية وصقلية مركبًا ناقلًا لقواطر السكَّة الحديديَّة بينهما . وقد اتَّفقت مؤخرًا دولتا فرنسة وانكلترة على العمل بذلك في مضيق المَنْش لنفع البلادين

بلاد الدنيمرك متألفة من عدَّة جزائر او ارخبيل ومن شبه جزيرة فالبحار تحدق بها من اكثر جهاتها وتجعل هواءها معتدلًا مع وقوعها بين الدرجة ٥٣ و٥٧ من العرض الشمالي وسكَّانها اليوم نحو ٢,٣٠٠,٠٠٠ وكانوا يبلغون ثلاثة ملايين بنيِّف قبل ان تستولي بروسيا سنة ١٨٦٤ على ثلاث مقاطعات كبيرة من بلادها وقد أحفظ ذلك الدنيمركيين وهم لا يزالون حتى اليوم يسرُّون العداوة للالمانيين وينفرون عنهم ويجاهرون بمثالبهم

وبلاد الدنيمرك زاهية عامرة وتربتها حسنة تكثر فيها المنتجات والمواشي الراعية والاحراج الواسعة . اما اهليها فطباعهم دمثة وهم فرحون يحبُّون الاعمال الشريفة ويسعون في ترقية بلادهم ومع انكبابهم على الاشغال تراهم رزينين ملازمين السكينة والصمت لا تكاد تسمع صوتهم في الشوارع . ولغة اهل الدنيمرك من فروع اللغات الجرمانية تشبه اللغة الاسوجيَّة والنروجيَّة وهم يدرسونها ويعدلون عن غيرها الَّا الفرنسويَّة فانَّهم يتعلمونها في مدارسهم ويفضلونها على اللغة الالمانيَّة . وفي مؤتمر المستشرقين اختار الدنيمركيون اللغة الافرنسيَّة كاللغة الرسمية مع الرخصة للعلماء بان يتكلَّموا بلغتهم الاصلية اذا شاؤوا

كوبنهاغ عاصمة الدنيمرك قائمة على الطرف الشرقي من جزيرة كبيرة تدعى سيلند بازاء بلاد اسوج التي تُرى سواحلها على بعد نحو نصف الساعة . وهي من اجمل مدن اوربَّة الحديثة فيها الابنية الشاهقة والاسواق الرائجة والساحات المتسعة والبيوت العامرة لا ينقصها شيء من اسباب التمدن العصريّ . واذا مررت بشوارعها وأيتها رحبة يزيد عرضها على خمسين مترًا تسير فيهِ السابلة والدرَّاجات والعربات والاوتوموبيل والترامواي ولكل صنف طريقهُ الخاصّ بهِ لئلَّا يحدث بينهم ازدحام . والدرَّاجات في كوبنهاغ اوفر منها في

باريس ولندن ترى راكبيها بالمئين لا يختلف في ذلك ذكورهم واناثهم حتى سمعتُ احد رفقتي يقول انَّ كوبنهاغ احقّ من غيرها بان تدعى مدينة الدرّاجات. وقد نمت كوبنهاغ في نصف هذا القرن الاخير حتى بلغ عدد سكانها ٤٢٦,٥٠٠ ومع ضواحيها ٥١٤,٠٠٠ وفيها مقام الملك الذي هو اليوم فردريك الثامن. امّا الدين الوطني فالبروتستانية منذ عهد الاصلاح اللوتراني الموهوم. وقد اقرّت الدولة بحريّة الاديان منذ نحو خمسين سنة فاخذت الكثلكة تسترجع حقوقها السابقة وهي التي اوات بلاد دنيمرك قديماً من سوابغ النعم ما تنطق به تواريخهم. والكنيسة الرومانية تكرّم بعض ملوكهم بصفة قدّيسين وليست كوبنهاغ عاصمتهم سوى اثر احد الاساقفة الكاثوليك اسمهُ ابشالوم ابتناها سنة ١١٦٧ وجعلها حصناً حصيناً في وجه القرصان والغزاة. وترى اليوم تمثالهُ على واجهة المجلس البلديّ في زيّ الاسقف على رأسهِ التاج وفي يمينهِ العصاة الرعويّة

القينا عصا الترحال في كوبنهاغ في اصيل النهار وكان الآباء اليسوعيّون المقيمون في المدينة اسرعوا لاستقبالنا فانزلونا في مدرستهم وتحفّوا بنا شأن الاخوة باخوتهم. ولآباء رهبانيّتنا في كوبنهاغ مدرستان عامرتان الواحدة على اسم القديس اندراوس وهي اقدم في رَبض المدينة على مسافة ساعة منها يقصدها الشبان العديدون لطلب العلوم العالية. والثانية في قلب المدينة وهي احدث عهداً ستصبح قريباً من اخطر المدارس واعظمها شأناً والحكومة مع كونها بروتستانية اعربت غير مرّة عن رضاها بتعليم المدرستين وخوّلت اصحابها الامتيازات الشرفيّة

وما لبثنا بعد ساعة من الراحة ان دُعينا الى مجلس البلديّة حيث اعدَّ ارباب الحكومة وعمدة كليّة كوبنهاغ ردهة كبيرة لاستقبال وفد هذا المؤتمر الثاني فتُليت آيات الترحيب وتلا رئيس الكليّة نبأً برقيًّا ارسلهُ جلالة الملك للعلماء المستشرقين وكان حينئذٍ بعيداً عن عاصمتهِ فلمّا عاد اليها بعد ثلاثة ايام حضر بشخصهِ احدى جلسات المحفل العلميّ ووجّه الخطاب الى كلٍّ من ممثلي الدول الاجنبية. والملك رجل دمث الاخلاق لَيّن الجانب يؤانس كلّ من يقترب منهُ. وقد رأيناهُ يوماً مع كريمتهِ في باب حديقة يمرّ بهِ الناس فيسلمون عليهِ ويرد على جميعهم السلام كأنهُ واحد منهم. وهو لم يملك الّا منذ سنتين وقد خلف اباه كرستيان التاسع الذي طالت مدتهُ ٤٣ سنة

*

قلنا انَّ هذا المؤتمر الثاني هو مؤتمر المستشرقين اعني انهُ خُصَّ بالمباحث الشرقيـة على اختلاف انواعها ولغاتها . وهو الخامس عشر من جنسهِ اذ يُعقـد كل سنتين او ثلاث سنوات، وكانت حفلتهُ الاولى في باريس سنة ١٨٧٣ ثمَّ عُقد بعـد ذلك في معظم حواضر اوربَّة كلندن وبرلين وليدن وفينة وستوكهلم . وكانت حفلتهُ الاخيرة في مدينة الجزائر . وتشهد الاعمال التي نُشرت من هذه المجتمعات العلمية ما نجم عنها من الفوائد للآداب الشرقية عموماً والعربيَّة خصوصاً

لا نُطيل الكلام في وصف هذا المؤتمر فانَّ ترتيبهُ كان كترتيب المؤتمر السـابق الَّا انَّ موادَّه كانت الشرقيَّات ولما كانت الشرقيات متَّسعة تشمل بلاداً شتى كالصين واليابان والعراق ومصر وفارس والشام ولغات مختلفة كاللغات السـاميَّة واللغات الايرانيَّة والتتريَّة والهندوجرمانيَّة أُفرد لتلك البلاد وتلك اللغات محافل خاصَّة كما جرى في برلين للتاريخ . وكان لكلٍّ من اصحاب المؤتمر شعار خاصّ ايضاً يُعرفون بـهِ ويخوّلهم عدة امامات كالسير مجاناً في الترامواي والدخول في المتاحف والمعاهد الخاصـة لا يرى احد شارة المؤتمرين على صدر عالمٍ الَّا ورأى نفسهُ مشرَّفاً بخدمتـهِ . حتى ان الاهلين اعدُّوا ايَّام المؤتمر كأيام عيد وطنيّ فدعوهم الى زيارة مآثرهم واثاروا لاكرامهم حديقة واسعة تدعى بحديقة تيفولي اقاموا فيها الالعاب النارية وعزفوا فيها المعازف الطربة ثم ختموا تلك المظاهرات الولائيَّة بمأدبة فاخرة توفَّرت فيها المسرَّات وشربوا انخاب ممثلي كل الدول ودقُّوا الحانهم الوطنيَّة

اما اشغال المؤتمر فانَّ مدارها كان على كل احوال الشرق من آثار وتاريخ ولغـة وآداب وهي لو جمعت لأتت على اربعة او خمسة مجلدات ضخمة لا يسعنا سوى ذكر بعضها ممَّا يفيد بلادنا . فمن ذلك عدَّة خطب ألقاها المستشرقون في العاديَّات العبرانيَّة وتاريخ بني اسرائيل اخصها لستاني كوك (St. A. Cook) من اساتذة كمبردج في حفريَّات فلسطين والتاريخ الاسرائيليّ ثمَّ مقالة في هيكل جزيرة اسوان وآثارها المكتشفـة حديثاً (اطلب المشرق ١٠ : ٦٧٣ و١١ : ٥١) للدكتور باريرا مندس H. Pereira) Mendez) من نيويرك . ومنها مقالة في العلوم الفلكيَّة والرياضيَّة عنـد الاشوريين للاب اليسوعي الالماني كوغلر (F. X. Kugler) . وخطب يسوعيّ آخر نزيل كليتنـا البيروتيَّة سابقاً الاب مرك في آثار كتابيَّة ارمنيَّة قديمة . وخطب العلامة الفرنسوي هوارت

(Cl. Huart) في مقامات ابن ناقية من كتبة القرن الحادي عشر وتكلّم الاستاذ لمبروس (Sp. Lambros) من كليّة اثينة في المكاتبات التي تداولها السلطان بايزيد والاحبار الرومانيون . وبحث الاثيني كارولديس (P. Carolidis) في اقدم مسجد صلّى فيه المسلمون في القسطنطينيّة . وكان موضوع كلام الاثري الفرنسوي ماسينيون (L. Massignon) عن مقابر المسلمين في بغداد وما طرأ عليها من التغييرات . وخطب حضرة الاب لامنس في البادية والحيرة لدى بني اميّة واستطرد الى ذكر القصور التي تُرى حتى اليوم في بادية الشام لاسيما قصر مشتّى الشهير فرّجح كونهُ من آثار الامويين . وستثبت هذه الخطبة في صفحات المشرق . وقد اتّخذ الفقير كاتب هذه الاسطر كادة خطابه في المؤتمر الآثار الكتابيّة في التآليف الاسلاميّة كالتوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى وما عرف منها الكتبة المسلمون فاثبتوه في مصنفاتهم وانتقد هذه المنقولات واشار الى اصلها

ومن المسائل الجليلة التي عُرضت في هذا المؤتمر فاستوقفت انظار اصحابه مسئلتان خطيرتان : الاولى مسئلة مُعجم عربيّ جامع يسدُّ خلل المعجمات السابقة يكون مبناهُ على التآليف العربيّة ويوضع على اسلوب علميّ كالقواميس المستحدثة مع بيان معاني الالفاظ الاصليّة والفرعيّة والمجازيّة وتعريف اشتقاق بعضها من بعض . وكان الخطيب المتكلم في هذا الموضوع مدير المجلة الاسيويّة الالمانية الدكتور فيشر (A. Fischer) فعيّن المؤتمر لجنةً للنظر في هذا الامر ووجود الطريقة العمليّة للقيام بالمشروع . امّا الثانية فتختص بالآثار البنائية والكتابات التاريخيّة التي على المساجد والقبور والابنية والقصور لتُجمع فتُنشر اقساماً على حسب المدن والبلاد . وقد تكلّم في هذا الصدد العلامة السويسري فان بركم (M. v. Berchem) الذي نشر اربعة اجزاء من هذه الاثريّات الاسلاميّة . وهو ساعٍ في مواصلة العمل وقد طلب من كلّ محبي الآثار العربيّة ان يؤازروه في هذا المشروع العظيم

وكان ختام هذا المؤتمر في ٢٠ آب فكرّرت عمدة كوبنهاغ شكرها للعلماء الذين شرفوا مدينتهم بعقد هذا المجمع العلميّ في عاصمتهم . ثم اتفق المؤتمرون على ان يتخذوا اثينة بعد سنتين كمقام المؤتمر السادس عشر . وياليتهم يختارون دفعةً أُخرى بلادنا كمنتدى جمعيتهم العلميّة لينعش حضورهم بيننا الدروس الشرقيّة ويعلّموا مواطنينا الجدّ والنشاط

في احياء الآثار الدفينة . وقد قفلنا راجعين من الدنيرك ثاني يوم بعد نهاية المؤتمر على طريق همبورغ فنقلتنا سفينة المانيَّة الى مدينة كيل فعاينَّا ذلك الرسى العجيب الذي فيه يُقيم الاسطول الالماني ورأينا القناة الحديثة التي تجمع بين بحر البلتيك وبحر الشمال وكان فتحها كبدإ عصر جديد للبحريَّة الالمانيَّة

ولم يمرّ علينا يومان حتى رجعنا الى باريس ومنها الى مرسيلية فمصر فالاسكندريَّة فبيروت ولم نقض في هذه الرحلة سوى شهر ونصف فكانت لسرعة تنقُّلنا في البلاد اشبه بحلم يتخايل للنائم فيصبح واذا بحلمه قد توارى لم يبقَ لهُ منهُ سوى الذكر او كبرق لمع فبهر نورهُ البصر لمعةً ثم انمحى فصار اثرًا بعد عين فسبحان الباقي الذي وحدهُ لا يعمل فيه النهار مدى الادهار

كتاب نُخَب الذخائر
في احوال الجواهر

عُني بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

ان بين العلوم الطبيعيَّة فرعًا يفرده العلماء للبحث عن الجواهر والحجار الكريمة وقد عرف القدماء هذا العلم منذ القرون السالفة في كل الامم وقد اتسع فيه اليونان كارسطو وديوسقوريدس ثم الرومان كبلينيوس الطبيعي وكذلك العرب من بعدهم عُنوا بهذا العلم لمنافعه الجمة . امَّا غايتهُ فقد عرَّفها الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون حيث قال (٢ : ٦٢٦) : «علم الجواهر علم يُبحث فيه عن كيفيَّة الجواهر المعدنيَّة : البريَّة كالالماس واللعل والياقوت والفيروزج . والبحريَّة كالدرّ والمرجان وغير ذلك ومعرفة جيِّدها من رديئها بعلامات تخصّ (تختصّ) بكل نوع منها ومعرفة احوال كلّ منها وغايتهُ وغرضهُ ظاهر» . والعرب في هذا الباب بعض المصنَّفات قد ضاع اكثرها الّا كتابًا شاع بينهم وهو كتاب ازهار الافكار في جواهر الحجار صنَّفهُ ابو العبَّاس احمد بن يوسف التيفاشي الشهير بالتيفاشي المتوفى سنة ٦٥١هـ (١٢٥٣م) ومن هذا التاليف نسخٌ عديدة في خزائن الكتب الشرقيَّة وقد نشرهُ بالطبع العلامة الايطاليّ انطونيو راناري (A. Raineri) في فيرنسة سنة ١٨١٨ ونقلهُ الى الايطاليَّة ثم قام المستشرق الفرنسي كليمان مولّه (Cl.-Mullet) فنقلهُ الى الافرنسيَّة وزاد عليه ملحوظات شتى في المجلَّة الاسيويَّة (J.A., 6e Série, XI, 1-81 etc) استعارها من كتاب الاحجار لارسطو ترجمة لوقا بن سرافيون وكتاب سرّ

الاسرار في معرفة الجواهر والاحجار. وكتاب كنز التجار في معرفة الاحجار وغير ذلك من المخطوطات المصونة في مكتبة باريس

ومما اتحفنا به آخراً حضرة الاب انستاس الكرملي الفاضل كتاب نفيس استنسخهُ في بغداد على نسخة قديمة يظنُّها بيد المؤلف او بيد احد معاصريهِ طولها ١٨ سنتيمتراً ونصف في عرض ١٣س ومبنى الكتاب على الحجارة الكريمة وهو يُدعى « كتاب نُخب الذخائر في احوال الجواهر » وتُعرف منهُ نسخة اخرى مخطوطة في المكتبة الخديويَّة (٧ : ٣١٤) وذكرهُ الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون (٦ : ١٢٤) قال من صاحبهِ انهُ « لخّص فيهِ كلام المتقدّمين والمتأخرين بين الحكماء في ذكر الجواهر النفيسة واصنافها وصفاتها ومعادنها المعروفة وقيمتها المشهورة وخواصّها ومنافعها » . اما المؤلف فلا نعرف من امره الا القليل واسمهُ شمس الدين ابو عبدالله محمَّد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الشهير بابن الاكفاني . كان مولدهُ في سنجار واشتغل بالطب في مصر وكان موتهُ بالطاعون سنة ٧٤٩ (١٣٤٨) ولهُ تآليف جليلة محفوظة في الكتبخانة الخديوية وغيرها منها كشف الرَّين في احوال العين. وغنية اللبيب في غيبة الطبيب. وغاية القصد في صناعة الفصد . والنظر والتحقيق في تقليب الرقيق . وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى الواحد البارئ محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الحمد لله كفاء افضالهِ والصلاة على سيدنا محمد وآلهِ

(وبعد) فهذا كتاب لخَّصت فيهِ خلاصة كلام الاقدمين والمتأخرين من الحكماء المعتبرين في ذكر الجواهر النفيسة باصنافها وصفاتها ومعادنها المعروفة . وقيمتها المشهورة المألوفة . وخواصّها ومنافعها باوضح لفظٍ واصحّ معنًى ووسمتهُ « بنخب الذخائر في احوال الجواهر » وجانبتُ فيهِ الاطناب . وميَّزتُ فيهِ القشر عن اللباب . والله اسأل ان ينفع بهِ بمحمدٍ وآلهِ

﴿ القول على الياقوت (١ ﴾ اصنافهُ اربعة : الاحمر وهو اعلاها رتبةً واغلاها

١) قد اتَّسع كليمان مولّه في وصف الياقوت (J. A., 1868¹. 30 - 64) وما قالهُ الشرقيُّون فيهِ وفي اجناسهِ المختلفة وقولهُ في ذلك يُعَدُّ حجَّة وقد بيَّن هناك ان العرب ارادوا بالياقوت حجارًا كريمة غالية الثمن كثيرة الانواع توافق ما يدعوهُ العلماء الاوربيون باسم كورندون (corindon) وهم يطلقون عليهِ اسماء اخرى على اختلاف الوانهِ فيدعون الاحمر منهُ

قيمةً . والاصفر والازرق والابيض . وللاحمر سبع مراتب اعلاها الرُّماني ثم البَهرماني ثم الأُرجواني ثم اللَّحمي ثم البنفسجي ثم الجُلّناريّ ثم الوردي

فالرُّماني هو الشبيه بحب الرمّان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء . ويوجد لونه بان يُقطَّر على صفيحة فضة مجلاة قطرة دم قرمز اعني من عرق ضارب . فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرُّمّانيّ

والبهرماني يشبّه بلون البهرمان وهو الصبغ الخالص الحاصل عن المصفر دون زردج (١ ومن الجوهريين من يفضّل البهرماني على الرماني والتفضيل انما هو بشدة الصبغ وكثرة المائية والشعاع . ومنهم من يقول هما شيء واحد وانّما اهل العراق يقولون بهرماني واهل خراسان يقولون رمّاني فالخلاف لفظي

والارجواني ايضاً شديد الحمرة . وقيل : كان الارجوانيّ لباس قياصرة الروم وكان محظوراً عن السوقة الى زمن الاسكندر فانهُ اقتضى رأيهُ ان لا يختصّ الملك بلباس يُعرف بهِ فيُقصَدُ . ومنهم من يسمّي الارجواني الجَرْيَ بالجيم تشبيهاً لهُ بالجمر المتّقد وصحّفهُ بعضهم بالحَمْريّ وكأن الحمري هو البنفسجي

واما اللحمي فهو دون الارجواني في الحمرة يشبه ماء اللحم الطريّ الذي لم يَشُبْهُ مِلحٌ . والبنفسجي يشوبهُ كُمْتةٌ تخرجهُ عن خالص الحمرة وهو لون البَنَفْش المعروف بالماذُبْنيّ . واما الجُلّناري فيَشُوبهُ بعض صفرة . والورديّ يشوبهُ بياض وهو اوّل طبقات الاحمر . واجود هذه الالوان كلها ما توفّر صبغهُ وماؤهُ وشعاعهُ وخلا عن التمش وعن الحَرْمليّات وهي حجارة تختلط بهِ وعن الرَّتم وهو وسخٌ فيهِ شبه الطين . وعن الثَّفَث وهو كالصدع في الزجاجة اذا صُدمت يمنع نفوذ الضياء والاشفاف . وهذا قد يكون اصلياً وقد يكون عارضاً . ومن عيوبهِ ايضاً اختلاف الصبغ فيشبه البُلقة ومنها غمامةٌ بيضاء صدفيةٌ تتصل ببعض سطوحهِ فان لم تكن عائرة (غائرة) ذهبت بالحك

والارجواني (saphir rouge, thélesie, rubis,) والرُّماني والجُلّناري (grenadin) والحمريّ (escarboucle) والاسماغونيّ (améthyste oriental) والاصفر (saphir oriental) والابيض (topaze oriental) (saphir d'eau) . مأ اسم الياقوت فقد اشتقّهُ العرب من لفظة يونانية (ὑάκινθος) التي تطلق اليوم على جنس آخر من الحجارة الكريمة

١) البهرمان بالفارسية المُصفر (safran) والزَّردج ماء المُصفر

واذا خالط الحمرةَ لونٌ غيرها يزول بالحمي بالنار بتدريج وتبقى الحمرة خالصة ولا يثبت على النار غيرُها ومتى زالت الحمرة بالحمي فليس بياقوت

ومعدن الياقوت بجبل يسمَّى الرَّاهون (١ في جزيرة سرنديب. وفي سيلان ومكران معدن الياقوت الاصفر والازرق وتحت جبل البرق معدن الياقوت الاحمر. والياقوت أصلَبُ الجواهر ولا يخدُشهُ منها الَّا الماس ولا ينجلي بخشب العُشَر (٢ الرَّطب وانَّما يُسوَّى بالسَّنباذج (٣ ويُجلى على صفيحة نحاس بالجزع المكلَّس والماء. وهو اشدّ الجواهر صقالًا واكثرها ماء وشعاعُهُ في الليل في ضوء الشمع احمر وشعاع البلخش ونحوهِ ابيضُ

وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلثة آلاف دينار. واما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمتهِ ان الجيّد منهُ اذا كان وزن طسُّوج يساوي خمسة دنانير وضعفهُ عشرين دينارًا وسدسُ مثقال ثلثين دينارًا وثلثُ مثقال مائة وعشرين دينارًا ونصف مثقال اربعمائة دينار والمثقالُ بالف دينار والمثقال ونصف بالفي دينار هذا ما تقرَّر في ايَّام المأمون مع كثرة الجوهر في ذلك الزمان. والمثقال من البهرماني بثمانِ مائة دينار ومن الارجواني بخمس مائة دينار ومن الجلناري بمائتي دينار ومن اللحمي بمائة دينار. والبنفسجي يقاربُهُ. والوردي دون ذلك. وكان في خزانة الامير يمين الدولة ياقوتةٌ شكلها شكل حبَّة العنب وزنها اثنا عشر مثقالًا قُوِّمت بعشرين الف دينار. وكان للمقتدر فصٌّ (فصٌّ) يسمَّى ورقة الآس لانهُ كان على شكلها وزنهُ مثقالانِ الَّا شعيرتانِ اشتراهُ بستين الف درهم

واما في هذا الزمان فان قيمة الياقوت وسائر الجواهر زادت كثيرًا. واما الياقوت الاصفر فاعلاهُ ما يقارب الجلناري وبعدهُ المشمشي وبعدهُ الأُترُجي وبعدهُ التبنيّ. وبلغت قيمة الاصفر الجيّد المثقال مائة دينار. واما الازرق ويسمَّى الاكهب فاعلاه الكحلي ثم النيلي ثم اللازوردي ثم السماني وكان في القديم قيمة الجيد من الازرق عشرة دنانير المثقال، وما زاد فتزداد قيمتهُ باضعاف ذلك. واما الابيض فانهُ يُحمل

١) الراهون من جبال سيلان وقد دعاهُ ابو الفداء في تقويم البلدان الرَّهون وقد صحَّف في الادريسيّ بالرهوق. والشرقيون يزعمون انَّ آدم نزل عليهِ بعد خروجهِ من الفردوس وانَّ اثر قدمهِ يُرى حتَّى اليوم ولذلك شاع ايضًا اسمهُ عند الفرنج بقمَّة آدم (Pic d'Adam)

٢) العُشَر شجرة تدعى باسم العلم (asclepias gigantea)

٣) السنباذج حجر سنّ يُعرف عند الفرنج باسم (émeri)

من سرنديب ويكون رزيناً بارداً في الفم واجوده البلّوري الكثير الماء وهو اقلّ قيمة من سائرها

قال ارسطوطاليس (١ انّ مزاج سائر اليواقيت حارّ يابس واذا عُلّق شيء من اي اصنافهِ كان على انسان اكسبهُ مهابة في اعين الناس وسهّل عليهِ قضاء حوائجهِ ودفع عنهُ شرّ الطاعون. وقال ابن سينا: انّ خاصتهُ في التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم عظيمة وشهد جمع من القدماء انهُ اذا أُمسكَ في الفم فرح القلب. وقال الغافقي وغيرهُ انهُ ينفع نفث الدم ويمنع جمودهُ تعليقاً. وقال ابن زهر: انّ شرب سحيقهِ ينفع الجذام وان التختّم بهِ يدفع حدوث الصرع. وقال ابن وحشيّة: من علق عليهِ الياقوت الابيض اتسع رزقهُ وسهل تصرفهُ في المعاش

وفي زماننا هذا حجر نفيس يُعرف بعين الهرّ (٢ لشبههِ اياها كأنّ فيها زيبق (زئبقاً) يتحرّك يتغالى فيهِ الملوك والامراء ويقال انهُ من اصناف اليواقيت ويظهر من معادنها. وقيمتهُ اذا كان فائقاً وزنهُ نحو نصف مثقال الفُ درهم فما فوقها. ويقال انهُ اصح وقاية لعين المجدور

﴿ القول على البَلَخش ﴾ ويسمّى الأَلل بالفارسيّة (٣ وهو جوهر احمر شفّاف مُشفٍ صافي يضاهي فائق الياقوت في اللون والرونق ويتخلّف عنهُ في الصلابة حتى يحتكّ بالمصادمات فيحتاج الى الجلاء بالمرقشيثا (٤ الذهبيّة وهو افضل ما جُلي بهِ هذا الجوهر ومنهُ ما يشبه الياقوت البهرماني ويُعرف بالياذكيّ هو اعلاها واغلاها

وكان يُباع في ايام بني بُويه بقيمة الياقوت حتى عرفوهُ فنزل عن تلك القيمة وقُرّر ان يباع بالدرهم دون المثقال تفرقةً بينهُ وبين الياقوت. ومنهُ ما يميل الى البياض

---

١) هذه الخواصّ التي يذكرها المؤلف هنا ثم في الفصول الآتية عن ارسطو وبعض الاطبّاء والطبيعيين مبنيّة على توهّمات باطلة لا صحّة لها

٢) عين الهرّ نوع من الكوارتز يُدعى عند العلماء (astérie) او (quartz chatoyant) اطلب المجلّة الاسيويّة (JA. 1868[1], 139)

٣) البلخش او اللّل يسمّى عند الجوهريين الاوربيين (rubis balais) او (spinelle,) JA. 1868[1], 109)

٤) المرقشيثا (marcassite) معدن مركّب من الحديد والكبريت وقليل من الزرنيخ والفضّة والذهب

ومنهُ ما يميل الى البنفسجيّة وهما دون الاول ومعدنهُ بالمشرق على مسيرة ثلثة أيام من بَدَخشان وهي لهُ كالباب ومنهُ ما يوجد في غُلَفٍ شفّافة ومنهُ ما يوجد بغير غلاف وشوهد منهُ ما يزيد وزنهُ على المائة درهم وكانت قيمتهُ في القديم عن كل درهم عشرين ديناراً وربّما زاد عن ذلك وليس لهذا الجوهر منفعةٌ كالياقوت بل يُشترى لحسنه

﴿ القول على اليجاديّ (١ ﴾ ويعرف بالبنفش هو حجر يشبه الياقوت بعض الشبه الّا انهُ لا يضيء غالباً حتى يُفلَق من تحتهِ بالحفر ليشفّ عن البطائن وشبّهَ ارسطوطاليس لونهُ بنارٍ يشوبها دخان . ومنهُ ما يُجلب من سَرَنديب وهو ارفع طبقاته ويعرف بالذَّنبي ومنهُ ما يجلب من بدخشان ومنهُ ما يجلب من بلاد المغرب ويُعرف بالقَرْوي ومنهُ ما يجلب من بلاد إفرنجة ومنهُ صنف يشوبه صفرة خلوقيّة ويُعرف بالاسبادِشت (٢ ويوجد في الخراسانيّ منهُ ما يكون وزنهُ نصف منٍّ . امّا السَّرَنديبيّ فانهُ لا يتجاوز مقدار الياقوت بكثير وزنٍ . وقيل ان الجيّد منهُ يلتقط زَغَبَ الريش المنتوف ويبلغ قيمة الدرهم منهُ ديناراً واحداً . وقال ارسطوطاليس : ان من تختّم بوزن عشرين شعيرة منهُ لم يرَ في منامهِ احلاماً ردّيّة ومن أدمَنَ النَّظر اليهِ نقص نور عينيه . وقال ابن ابي الاشعث : لبسهُ يورث الخيلاء ويحرّك الشَّبق . واما الاسبادشت فانهُ يقطع الرعاف ونزف الدم تعليقاً اذا كان وزنهُ نصف مثقال فما فوقهُ

﴿ القول على الماس (٣ ﴾ هو جوهر يشبه الياقوت في الرزانة والصلابة وعدم الانفعال عن الحديد وقهره لغيرهِ من الاحجار وهو شفّاف فيهِ ادنى بَريق ويوجد فيهِ الابيض والزيتيّ والاصفر والاحمر والاخضر والازرق والاسود والفضي والحديدي . واشكال الماس كلها مضرّسة مخروطيّة ومثلثات من غير صنعةٍ . والهند تفضّل منهُ الابيض والاصفر بسبب ما يظهر منهما من الشعاع الاحمر الشبيه بقوس قُزَح اذا اقيما في مقابلة

---

١) يسمّي الفرنج اليجاديّ (grenat) والبنفش (hyacinthe) او (zircon) وهم يفرقون بينهما (اطلب المجلّة الاسيويّة JA. 1868 [1], 117 et 120)

٢) وقد ضبطهُ كليمان مولّه بالباء والذال اسبازشت (sorte de zircon jaune)

٣) اطلب الفصل الذي خصّهُ كليمان مولّه لدرس الماس عند العرب في المجلّة الاسيويّة (JA. 1868 [1], 127-139)

عين الشمس. ولما اهل العراق وخراسان فلا يفرقون بين الوانهِ لانهم انما يستعملونهُ في ثقب الجواهر خاصّةً ومعدنهُ بقرب معدن الياقوت ولهُ معدن بقرب غزنة ومعدن بقلدونية من بلاد الروم ولونهُ كلون النوشادر ومعدن باليمن وهو حديديّ اللون ومعدن بقبرس وهو فضي اللون ونحو. ومن غريب حال الماس انهُ اذا طُرق بمطرقةٍ على سندان نكا فيهما ولا ينكسر واذا لُفَّ في صفيحة أُسرُبَ وضُرب انكسر وغالب ما يوجد منهُ قطعاً (قطعٌ) صغيرة بقدر الفافل ونحوه. وكان قيمة هذه قديماً المثقال بمائتي دينار. وما كان بقدر البندقة او قاربهُ فيكون قيمتهُ من ثلثمائة دينار الى خمس مائة دينار

وحكى نصر الجوهري ان معزّ الدولة بن بُويه الديلميّ اهدى الى اخيهِ ركن الدولة من الماس فصًّا وزنهُ ثلثة مثاقيل ولم يُسمع باعظم منهُ (١. واخبرني السيد الشريف ناصر الدين الزمرديّ انهُ رأى عند السلطان قُطب الدين ملك الهند من الماس الجيّد الجليل القدر شيئاً كثيرًا جدًّا ولعلّهم لا يسمحون بخروج جيّدهِ من ارضهم لانهم يتيامنون بهِ

قال ارسطوطاليس الماس بارد يابس في الرابعة يُثقَبُ بهِ الياقوت وسائر الاحجار الصلبة ومتى كان في مجرى البول حصاة فتلصق حبّة من هذا الحجر في حديدة كالقاطير ثم يُدخل في القضيب لتماسّ الحصاة فتُفتّتها. ولا ينبغي ان يُدخل في الفم فانهُ يكسر الاسنان وان ابتُلع منهُ شيء. ربّما قتل

﴿ القول على الدرّ واللؤلؤ (٢ ﴾ الحيوان الذي يتولد فيهِ اللؤلؤ هو بعض الاصداف وهو دقيق القوائم لزج ينفتح بارادةٍ منهُ وينضمّ كذلك ويمشي اسرابًا ويزدحم على المرعى. واختلفوا في تولُّدهِ في هذا الصدف فمنهم من قال انهُ يتكوّن فيهِ كما يتكون البيض في الحيوان البيّاض. ذكر ذلك جمعٌ من المحققين وقيل بل يطلع الى سطح البحر في شهر نيسان وينفتح الصدف ويتلقّى المطر فينعقد حبًّا. ذكرهُ نصر الجوهري وكثير من الناس

١) راجع في المشرق (٦: ٨٦٥ و٨: ٢٨٥) مقالتين للاديب اسكندر افندي طحيني في قطع الماس الشهيرة بكبرها

٢) للؤلؤ اسم آخر ايضاً عند العرب فهم يدعونهُ الجوهر قال التيفاشيّ: والجوهر اسم عامّ للاحجار المعدنيّة ثم خصوهُ باللؤلؤ لفضلهِ عليها. والدرّة اذا ثُقبت لتنظم في قلادة دُعيت جمانة او شذرة وان لم تُثقب فهي الجريدة. راجع المجلّة الاسيويّة (JA. 1868', 16-17)

واقول عند التدقيق لا تضادّ بين القولين والجواز ان يكون تكوُّن اللؤلؤ في صدفه كتكوُّن البيض ويكون قطر نيسان لهُ بمثابة النطفة (١. وقال الكندي: ان موضع اللؤلؤ من هذا الحيوان داخل الصدف وما كان منهُ مما يلي الفم والاذن فهو الجيّد منهُ. وقالوا انّ الحب الكبير انما يتكون في طُلُومهِ ويزداد بالتفاف القشور عليهِ والدليل على ذلك انهُ يوجد طبقات والداخلة منها شبيهة بالخارجة وكأنها تشابه باطن الصدف ولهُ مغاصات مشهورة في البحر الاخضر (٢. ويوجد في مجازات بين تلك المغاص وبين تلك السواحل. ومن المغاصات المشهورة مغاص أوال بالبحرين ومغاص دَهلك والسرّين ومغاص الشَّرَجة باليمن (٣ ومغاص القُلزُم بجوار جبل الطور ومغاص غبّ سرّنديب ومغاص سُفالة الزنج ومغاص أُسقطرة. وقد يتفق في بعض المغاصات مانع من الغوص كالحيوانات المؤذية التي في مغاص القُلزُم ولهذا يدهن الغواصون عند الغوص ابدانهم بالميعة السائلة لان الهوامّ البحريّة لا تقربها

ويختلف اللؤلؤ باختلاف المغاصات من جهة تربة المكان وغذاء الحيوان كما تغلب الرصاصيّة على اللآلىء القُلزميّة والدهلكيّة والوقت الذي يُغاص فيهِ هو من اوّل نيسان الرومي الى اخر شهر ايلول. وفي ما عدا هذه المدة يسافر هذا الحيوان من السواحل ويُاتجج. ويختلف اللؤلؤ بالمقدار فمنهُ الكبار والصغار وما بين ذلك واعظم ما وجد منهُ اليتيمة التي كانت عند عبد الملك بن مروان ذُكر انها كان وزنها ثلثة مثاقيل وكانت مع ذلك حائزة لجميع صفات الحسن مدحرجة نقيّة رطبة رائقة ولذلك سميت اليتيمة ولم يذكر عنها قيمة لكن ذكر الاخوان الرازيّان انهما شاهدا في خزانة الامير بين الدولة حبّة ذات قاعدة وزنها مثقالان وثلث وانها قُوّمت بثلثين الف دينار. ويختلف اللؤلؤ ايضاً في شكلهِ فمنهُ المدحرج ويُعرف بالعيون واذا كثرت استدارتهُ وماؤه سُمي نجماً. ومنهُ المستطيل الزيتوني ومنهُ الغلامي وهو المستدير القاعدة المحدّد الرأس كانهُ

١) هذه المزاعم في اصل تكوُّن اللؤلؤ تناقلها الكتبة القدماء عن اليونان. واليوم قد ثبت ان اللؤلؤ من افرازات بعض الحيوانات الصدفيّة يكون اوّلاً مائعاً ثم يجمد ويتصلّب ويتكيّف بلون ابيض فضّي

٢) يريد بالبحر الاخضر بحر الهند المجاور للبحر الاحمر

٣) ذكر الادريسي في جغرافيّته مغاصات بحر فارس بين عمان والبحرين وجملها خمسة سُحار ودمار وسقط وخرك وجلفر

مخروط ومنهُ الفلكي المفرطح ومنهُ الفوفليّ واللوزي والشعيري ومنهُ المضرَّس وهو أدوَنُها شكلاً

ويختلف اللؤلؤ ايضاً في لونهِ فمنهُ النقي البياض ومنهُ الرصاصي ومنهُ العاجيّ وصفرتهُ غالباً في حساب المرض لهُ واذا زاد وطال زمانهُ اسودّ . واللؤلؤ سريع التغيُّر لانهُ حيوانيّ بخلاف الجواهر المعدنيَّة فان اعمارها لا تفي بتغيُّر اكثرها ويُثقب هذا الجب لانهُ يزداد بحسن التأليف في النظم حسناً ورونقاً وقيمةً وانما يُثقب بالماس فلذلك لم يستعمل الاطباء في الادوية الّا البكر غير المثقوب والقيمة عن الدرّ في القديم النجم اذا كان وزنهُ مثقالاً كانت قيمتهُ الف دينار واذا كان وزنهُ ثلثي مثقالٍ كانت قيمتهُ خمسمائة دينار واذا كان وزنهُ نصف مثقال كانت قيمتهُ مائتي دينار واذا كان وزنهُ ثلث مثقال كانت قيمتهُ خمسين ديناراً . واذا كان وزنهُ ربع مثقال كانت قيمتهُ عشرين ديناراً . واذا كان وزنهُ سدس مثقال كانت قيمتهُ خمسة دنانير . وثمن مثقال قيمتهُ ثلثة دنانير . ونصف سدس مثقال قيمتهُ دينار واحد

والغلامي بالنصف من قيمة النجم وما عداهما بالنصف من قيمة الغلامي واما ما زاد على مثقال فيزاد لكل قيراطٍ في الوزن مائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقال ونصف ثم يزاد لكل دانق في الوزن خمسمائة دينار في الثمن الى ان يبلغ مثقالين وما زاد عليهِ يتضاعف قيمتهُ . واما الآن فالقيمة على قياس الجواهر متضاعفة لكثرة الرغبات من ملوك العصر في اقتناء الجواهر النفيسة . واما صغاره فبالدرهم يُقوَّم

وخاصيَّة اللؤلؤ المنفعة من خفقان القلب وتوحُّشهِ ويجلو العين ويزيد في الباه ويقطع نزف الدم وشربتهُ درهم والمحلول منهُ يُذهب البهق والبرص والكلف والنمش طلاء ويبرئ الصداع والشقيقة سعوطاً وصفة حلّهِ ان يُسحق ويُعجن بماء حُماض الاترج ويعلق في دنٍ فيهِ خلٌ بحيث يرتقي اليهِ بُخار الخل فانهُ ينحلّ في ثلثة اسابيع وهو يابس في الدرجة الثانية بارد في الاولى وقيل حارّ فيها لطيف جداً

قال نصر الجوهري : اذا ذهب ماء اللؤلؤ وكدر فينبغي ان يودع اليهِ مشروحهُ وتلفّ الالية في عجين مختمر ويجعل في كوز ويحمى عليهِ فاذا خرج دُهن بالكافور . وقال ابو الريحان البيروني : ان ما كان تغيره من قبل الطيب فيجعل في قدح مطيَّن فيهِ صابون ونورة غير مطفية جزآن متساويان ويصبّ عليهِ ماء عذب وخلّ حميزٌ ويُغلى في

نار لينة ولا تزال ترفع رغوة الصابون وترمي بها الى ان تنقطع و يصفو الماء في القدح وبعد ذلك يُخرج اللؤلؤ ويُغسل وان كان التغير في أديمهِ الى السواد فيُنقع في لبن التين اربعين يوماً ثم يُنقل الى قدح فيهِ محلبٌ وكافور وخروع اجزاء سواء ويوضع على نار فحم مقدار ساعتين بدون نفخ عليها ثمَّ يُنحّى. وان كان السواد في باطنهِ طُلي بشمع وجُعل في قدح مع حُمّاض الاترج ويُبدَّل عليهِ كل ثلثة أيام وتُدام خضخضتهُ حتى يبيضَّ. وان كان في اديمهِ صفرة تُنقع في لبن التين اربعين يوماً ثم يُنقل الى قدح فيهِ قلي وصابون وبورق بالسويّة ويُغمل فيهِ كما يغمل بالاسود. وان كانت الصفرة في داخلهِ جُعل في محلب رسم وكافور متساوية الاجزاء مدقوقة ثم يُلفّ فوقها عجين وتوضع في مغرفة حديد وتُغمر بدهن الاكارع وتُغلى غليتين ثم تُخرَج . وان كان احمر أُغلي في لبن حليب ثم طُلي بأُشنان فارسيّ وشبّ يماني وكافور اجزاء متساوية تُدقّ ناعماً وتُعجن بلبن حليب ويخبز في التنور. وان كان رصاصياً تُنقع في حُمّاض الاترج ثلثة ايام ثم يُغسل بماء البيض ويُحفظ من الريح بالقطن. وذكر غيرها في تبييض الفاسد ان يُلقى في خلّ ثقيف مع حبتين تنكار (١ وقيراط نوشادر وحبّة بورق وثلث حبات قلي مسحوقة ويُغلى في مغرفة حديد ثم ترفع المغرفة عن النار وتوضع في ماء بارد ويُدلك فيهِ بملح اندراني مسحوق ناعم ثم يُغسل بماء عذب ولا يبعد ان هذا العمل ينزع عنهُ قشره الاعلى او بعضهُ والتجربة خطر

﴿ القول في الزمرُّد (٢ ﴾ الخضرة تعمّ أصنافهُ كلها وافضلهُ ما كان مشبع الخضرة ذا رونق وشعاع لا يشوبهُ سواد ولا صفرة ولا غش ولا حرمليّات ولا عروق بيض ولا تفوث وليس يكاد يخلص عنها ودونهُ الريحاني الشبيهُ بورق الآس الرطب ودونهُ السِّلقي الشبيه بورق السلق الطري واهل الهند والصين تفضّل الريحاني منهُ وترغب فيهِ واهل المغرب يرغبون لما كان مشبع الخضرة وان كان قليل الماء ويزداد رونقاً اذا دُهن بزيت بزر الكتّان واذا تُرك بدون دهن يذهب ماؤُه ويمتحن بالعقيق المحدد فان خدشهُ فهو من اشباه الزمرُّد. ومعدنهُ بفتح جبل قرشنده من ارض البُجاة

١) التنكار مركّب من الصودا والبورات (tenkal, soude boratée)

٢) اطلب الفصل الذي خصّهُ المستشرق كليمان مولّه في هذا المعدن (راجع المجلّة الاسيويّة (JA., l. c. 64)

بصعيد مصر الاعلى واكثر ما يظهر منهُ خرز مستطيلة ذات خمسة اسطحة ويُسمّى اقصابا وثقبهُ يشينهُ بعكس اللؤلؤ وظهر في زماننا هذا من هذا المعدن قِطَع لم يُسمع بمثلها في العظم ما يقارب زنة منٍ ونحو ذلك والمشهور ان الدهنج يكدّر الزمرّد اذا ملّسهُ (مسّهُ) ويُذهب روقهُ وهو الآن بدون القيمة التي كانت في القديم بخلاف سائر الجواهر وما ذلك الّا لكثرتهِ . فانَّ ابا الريحان البيروني حكى ان زنة نصف مثقال من الجيد منهُ يساوي الف دينار وقيل انَّ منهُ صنف (صنفاً) يُعرف بالذُّبابي لانهُ يُشبه الذباب الطاووسيَّة التي تكون في المروج وانَّ من خاصيَّة هذا الصنف ان الافاعي اذا نظرتهُ تسيل اعينها . وانا الى الان لم ارَ هذا الصنف ولكنني امتحنت الريحانيّ والسلقي في هذا الامر فلم يصحّ ولا تغيَّرت اعين الافاعي وخاصيَّة الزمرّد النفع من السموم المشروبة ونهش الافاعي ولذع العقارب يؤخذ من سحيقهِ تسع شعيرات ويحد شاربهُ في بدنهِ وجعاً عظيماً وانحلالاً في قوتهِ ثم يفيق وقد انتفع ويوقف الجذام في ابتدائهِ ويقطع الاسهال المزمن ونفث الدم شرباً وتعليقاً ويقوّي المعدة وينفع الصرع تعليقاً وامساكه في الفم يقوّي الاسنان والمعدة . وان عُلّق على فخذ الطارقة اسرعت الولادة وادمان النظر اليهِ يجلو البصر ويحدّهُ وطبعهُ بارد يابس

﴿ القول على الزبرجد (١ ﴾ هو صنف واحد فستقي اللون شفّاف لكنهُ سريع الانطفاء لرخاوتهِ وقيل ان معدنهُ بالقرب من معدن الزمرّد ولكنّهُ مجهول في زماننا هذا ومع ذلك فقيمتهُ نحو قيمة البنفش وطبعهُ حارّ يابس وتقرب منافعهُ من منافع الزمرّد ويدفع شرّ العين

﴿ القول على الفيروزج (٢ ﴾ معنى اسمهِ بالفارسيَّة النصر ولذلك يُسمّى حجر الغلبة ويسمى ايضاً حجر العين لان حاملهُ يدفع عنهُ شرّها والمشهور عنهُ انهُ يدفع الصواعق وهو حجر ازرق اصلب من اللّازورد يُجلب من اعمال نيسابور وكلّما كان ارطب فهو اجود والمختار منهُ ما كان من المعدن الازهري والبوسحاقي لانهُ مُشبَع اللون صقيل

---

١) الزبرجد يوافق الصنف المعروف باسم بريل (Beryl) (راجع المجلة الاسيويَّة JA. 1868', 67)

٢) الفيروزج (بالفرنسويَّة turquoise) مشتق من الفارسيَّة فيروزه (راجع المجلة الاسيويَّة JA. l. c., 150)

مشرق ثم اللبنيّ المعروف بشيرقام ثم الاسماعيلي الفسيق. قال ابو الريحان: اعظم ما وُجد من الفيروزج وزن مائة درهم ولم يوجد من الخالص منهُ غير المختلط بشيء غيره الّا وزن خمسة دراهم وبلغت قيمتهُ مائة دينار. قال الكنديُّ: وقد كرهه قوم بسبب تغيّره بالصحو والغيم والرياح وتصفير الروائح الطيبة له واذهاب الحمّام لمائهِ واماتتهِ بالزيت. وكما انهُ يموت بالزيت فانهُ يحيا بالشحم اولأليّة يعالج بان يجعل في ايدي القصّابين

قال ابن زهر: ان الملوك تعظم هذا الحجر لانهُ يدفع القتل عن صاحبه ولم يرَ في يد قتيل قطّ ولا في يد غريق واذا شُرب منهُ نفع لذعة العقرب. وقال الغافقيُّ: انهُ بارد يابس. وقال ديسقوريدس: انهُ يقبض نتوّ الحدقة وينفع بثرها ويجمع حجب العين المنحرفة ويجلو الغشاوة. قال ارسطوطاليس: انهُ ينقص من هيبة حاملهِ. وذكر هرمس انهُ اذا نُقش عليهِ صورة طائر في فمهِ سمكة وجُعل في خاتم وتحتهُ شيء من خصى الثعلب ويكون القمر وعطارد في النور فان حاملهُ يقوى على الجماع وتزداد شهوتهُ له. وقال ابن ابي الاشعب: انهُ يقوّي القلب الّا انهُ دون الياقوت ووجدتُ نقلًا عن بعض الاطباء انهُ اقوى في تقوية النفس من سائر الاحجار

﴿ القول في البلّور (١) ﴾ يُجلب من خزائن الزنج ومن كشمير ومن نواحي بدخشان ولهُ معدن ببدليس ومعدن بارمينية ويجلب ايضًا من سرنديب ومن بلاد افرنجة ومن الغرب الاقصى ومنهُ ما يُلتقط من البوادي وقيمتهُ بحسب ما يُعمل منهُ من الاواني وحسن صنعتها. ووُجد منهُ قطعة زنتها مائتي (مائتا) رطل بالعراقي وافضلهُ المستنبط من بطن الارض ويكون ساطع البياض كثير المائية وزنًا صلبًا بحيث يقدح منهُ النار ويخدش كثيرًا من الجواهر بخلاف الملتقط من ظاهر الارض. ومن خاصيتهِ ان من علّقهُ عليهِ لم يرَ منامًا يفزعه ورأى احلامًا حسنة ويُسقى منه مثقال بلبن الاتن لاصحاب السلّ فينفعهم وينفع الرعشة تعليقًا

---

١) البلّور نوع من الزجاج الّا انهُ اصلب والفرنج يدعونهُ (quartz hyalin, cristal) (اطلب المجلة الاسيوية JA. 1868, 230)

﴿ القول على الجَمَز (١ ﴾ ويقال جَمَشت هو حجر يشبه الياقوت البنفسجي واعلاه ما غلت عليهِ الوردية ومعدنه بقرية الصفراء بالحجاز ويوجد مفشى ببياض كالثلج على وجهه حمرة ووُجد منهُ قدر الرطل واكثر. ينفع وجع المعدة تعليقاً والشرب بآنيتهِ يُبطىء بالسكر وقيمتهُ رخيصة

﴿ القول على الدَّهْنج (٢ ﴾ هو حجر رخو شديد الخضرة تلوح فيهِ زنجارية وفيهِ خطوط سود دقاق جداً وربما شابهُ حمرة خفيَّة ومنهُ طاووسي ومنهُ موشى وقيل انهُ يصفو بصفاء الجوّ ويكدر بكدورتهِ ومنهُ فرندي وهو افضل اصنافهِ ومنهُ هندي ومنهُ كرماني وخراساني ومنهُ كُرْكي ومنهُ مغربي. والهند ترى انهُ ضربٌ من التوتيا ويكون رخواً وقت اخراجه من معدنهِ ثم يزداد صلابة. وقال ارسطوطاليس : ان شرب منهُ شارب السمّ نفعهُ وان شرب منهُ من غير سمّ كان سمّاً وقد وثق عامة الناس من الفرندي انهُ يجلو بياض العين جلاء حسناً

﴿ القول على اليَشَب (٣ ﴾ ويقال يَشَم منهُ مجلوب من بلاد الترك من ناحية خُتَن (٤ والوانهُ ابيض واصفر وزيتي وهو افضلها ومنهُ مستخرج من واديين يسمى احدهما قاش ويستخرج منهُ ابيض فائق ويسمى الآخر واقاش والمستخرج منهُ كدر. وربما خرج منه شيء اسود ولا يوصل الى معدنهِ وانما السيل يخرجه والقطع الكبار للسلك والصغار للرعيَّة. والترك واهل الصين تتخذ منهُ مناطق وحلية للسيوف والسروج حرصاً على الغلبة. وزعموا انهُ يدفع الصواعق وجُرِّب من الاصفر والزيتي انهُ ينفع وجع المعدة تعليقاً عليها وينفع اوجاع الاحشاء.

---

١) الجَمَز ويقال جَمَشت وجمشت هو المدعوّ عند الاوربيين باسم (améthyste) (اطلب المجلة الاسيوية ib., 185)

٢) الدَّهْنج من الفارسيَّة دَهْنَه يعرفهُ الفرنج باسم ملاشيت (malachite) (اطلب المجلة الاسيوية ib., 185)

٣) اليشب ويقال يَشب ويَشف نوع من الحجارة الكريمة يُدعى بالفرنسويَّة (jaspe) ويشبهُ اليَشَم المدعوّ عندهم jade وقد جمع هنا المؤلف بينهما (اطلب المجلة الاسيوية ib., 222 et 226)

٤) خُتَن مدينة من بلاد ما وراء النهر من بلاد تركستان

﴿ القول على الفاذزهر (١ ﴾ ويقال بازهر ومنهُ معدني ومنهُ حيواني والمعدني منهُ ابيض واصفر واخضر واغبر ومنكّت وهو افضلها ومعادنهُ بالهند والصين والخالص منهُ اذا أُلقي من سحالتهِ شيء في لبن حليب جمّده ويعرق في الشمس وهو نافع من جميع السموم ومقدار ما يشرب منهُ اثنا عشر شعيرة فيخرج السم بالعرق من الجسد واذا وُضع على لسع العقرب والزنبور نفع نفعاً بيّناً واذا نُثرت سحالتهُ على موضع اللسع اجتذبت السمّ منهُ وجُرّب انهُ اذا نقش في فصّ منهُ صورة عقرب والقمر في العقرب في احد اوتاد الطالع ورُكّب على خاتم ذهب وطُبع بهِ والقمر في العقرب على درهمين كندر ممضوغ فانهُ يشفي من لسعة العقرب شرباً . واما الحيواني من البازهر فانهُ يتولد في مرائر بعض الايائل بارض شنكاره من جبال شيراز كما يتولد حجر البقر في مرائرها واكثره بلوطيُّ الشكل لونهُ من الخضرة والغبرة ويتراكم طبقات بعضها فوق بعض في المسنّ من هذا الحيوان حتى يبلغ زنة الباوطة منهُ عشرة مثاقيل مع خفتهِ وهو جوهر شريف يقاوم سائر السموم شرباً اذ شُرب منهُ من دانق الى نصف درهم يُنحل على المسنّ بالماء القراح وسحالتهُ الخالص بيضاء وربما تميل الى حمرة خفيّة والمغشوش منهُ سحالتهُ تميل الى خضرة او صفرة واذا تقدّم انسان باستعمالهِ على الاحتياط وشرب منهُ في اربعين يوماً متوالية كل يوم وزن دانق لم يضرّه ما يَرِد على بدنهِ من السموم وينفع المجذومين نفعاً بليغاً ويجلو بياض العين والكلف والنمش جلاء وحيّاً ويحلّل مَغَل الدوابّ واسر بولها سريعاً

﴿ القول على الخرْتوت (٢ ﴾ ويقال ختو قال ابو الريحان البيروني : هو حيواني يقال انهُ يؤخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض خرْخيز وقيل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيهِ عند الترك واهل الصين يزعمون انهُ يعرق اذا قُرب من طعام مسموم . قال الاخوان الرازيان : خيره المقرب الضارب

---

١) الفاذزهر ويقال بادزهر وبازهر وبتزهر (bézoard) ومعناهُ بالفارسية ضدّ السمّ معدن شهير عند العرب ينسبون اليهِ قوّةً في ابطال السمّ (اطلب المجلة الاسيوية 143-150 ,ib.) . واليوم لا يعتبرهُ الاطباء والعلماء المحدثون في شيء من ذلك

٢ لم نجد ذكرًا للخرتوت في كتاب التيفاشيّ . ويؤخذ من وصفهِ هنا انهُ من الحجارة التي نُسبت اليها الامور الغريبة غير الراهنة

من الصفرة الى الحمرة ثم المشمشي ثم الضارب الى الكهربة وكان في القديم ما كان وزنهُ مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً وجُرّب مع دخان بخور انهُ ينفع البواسير نفعاً بليغاً

وليكن هذا آخر هذا الكلام في هذا الكتاب واقتصرت على ذكر هذه الجواهر لانها النفيسة التي تذخرها الملوك والاكابر وتتحلى بها الغواني ومنافعها جليلة ولم أطل فيه القول بكيفيَّة تولُّدها لعدم الفائدة في ذلك ولا ذكرت ما يُلحق بها مثل المرجان والسَّبج ونحوها لنزول رتبتها من هذه الجواهر النفيسة (١

وقد آن ختم الكتاب بحمد الله تعالى والصلوة على نبيهِ محمد سيد المرسلين وآلهِ وصحبهِ الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل

البادية والحيرة في عهد بني اميَّة

خطبة القاها حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي في مؤتمر المستشرقين في كوبنهاغن

من أمعن النظر في اوَّل تاريخ الاسلام يأخذه العجب من حالة العرب بعد الفتح عند احتلالهم البلاد المصَّرة فانَّهم رأوا فيها انفسهم كالغريب الذي اعتاد سكنى وطنهِ فلا يطيق العيشة في غيرها. وكذلك العرب فانَّ مدن الشام مع سعتها ضاقت عليهم بعد توطُّنهم في البوادي يتجوَّلون فيها كيف شاؤوا وكانَّ عمر بن الخطاب شعر بما لقيهُ العرب من الجهد والعناء في سكنى المدن فاراد ان ينشيء لهم في العراق على طرف الصحراء دساكر يقطنونها ليعتادوا التمصير والعيشة المدنيَّة تدريجاً كما يؤخذ من روايات فتوح البلدان للبلاذري. وليس البصرتان في العراق اي البصرة والكوفة كما الفسطاط في مصر سوى مقامات كهذه متوسطة بين الحضر والبدو

والحق يقال انَّ العرب الاوَّلين بعد خروجهم من مواطنهم البدويَّة واحتلالهم الامصار كانوا يميلون الى البادية. ويحنُّون الى نوقها ليرتووا من ألبانها وذلك ما كانوا

١) هذه هي الجواهر التي وصفها المؤلف وفي اوصافهِ افادات لم تجدها في كتاب التيفاشي. على انَّ التيفاشي ذكر ايضاً حجارة سكت عنها صاحبنا اخصها العقيق والجزع والمناطيس واللازورد والمرجان والسنباذج والسَّبج

يدعونهُ بالعيمة اي شهوة اللبن وأن لا يصبر عنهُ الانسان. وقد جاء في الحديث النبويّ انهُ كان يتعوَّذ من العيمة (١ فكانت العيمة كالداء المعروف في أيامنا بداء الوطن (nostalgie). ولنا على ذلك شواهد عديدة. ومما يروى عن الشاعر الصحابيّ نابغة الجعدي (٢ انهُ بعد ما قضى اعواماً في المدينة الحَّ على عثمان بان يرخّص لهُ في الرجوع الى قومه «ليلحق بابله ويشرب ألبانها» فقال لهُ عثمان: اتعرّباً بعد الهجرة يا ابا ليلى ليس ذلك من الصواب. لكنَّ الجعديّ زاد الحاحاً في طلبهِ لما كان يجده من المشقة في الحضر حتى انهُ كان «مُنكراً لنفسهِ» لا يكاد يعرف فيها شدَّتها السابقة (٣. ففي انكار عثمان على النابغة فعلهُ نظرٌ لانَّ الخليفة كان يجد في شوق العرب الى باديتهم خطراً على الدولة اذ انَّهم ارجعوا الى مضاربهم لعدلوا عن ضبط الامصار وأنفوا الجهاد فيقوى عليهم اعداؤهم ويسترجعون منهم الامصار التي فتحوها بعد الحروب الطويلة والمشقّات المضنية. فلافاةً لهذا الخطر امر الخلفاء الراشدون بألّا يُدفع العطاء لغير المهاجرين. وفي صحيح البخاري (٤: ١٨٥) انَّ الحجّاج اخذ على بعض الصحابيين في زمانهِ اعتزالهم عن المدن. وكذلك في أيام محمّد كان الصحابيون اذا سألوهُ الرجوع الى البادية لم يرخّص لهم بذلك الّا لبعض المرضى منهم (٤ حتى انَّ الكتبة الاوّلين كانوا يفرقون بين العرب والمهاجرين فيدعون ساكني المدن بالمهاجرين وسكّنة البادية بالعرب ومنهُ قول القطاميّ في اتفاق العرب على تسويد ربيعة:

فليس من الاحياء الّا مسوّدٌ ربيعةَ اعرابيّهُ ومهاجرُهُ

ولنا في تفضيل العرب للبادية على الحضر عدّة شواهد في تاريخ النهضة الاسلاميّة فمن ذلك ان بني كلب لمّا طردتهم قيس من مفاوز السماوة والجأتهم الى سكنى سواحل الشام كانوا يعدُّون نفوسهم هناك كالمنفيين يتوقون الى مواطنهم البدويّة. قال زفر ابن الحرث:

---

١) راجع كتاب تصحيف المحدّثين من مخطوطات المكتبة الخديويّة.

٢) اطلب كتاب الاغاني (٤: ١٢١)

٣) ومن الشواهد المثبتة لذلك قول عمر: انَّ العرب لا يصلحها الّا ما يصلح الابل (البلاذري ص ٢٧٦)

٤) اطلب صحيح البخاري (٤: ٢١٧) وصحيح مسلم (٢: ٩٢)

يا كلبُ قد كلِبَ الزمانُ عليكمُ واصابكم في عذابٌ مرسلُ
انَّ السماوة لا سماوةَ فالحقي بالنور فالافحاصُ بئسَ الموئلُ
نجنوب عكًّا فالسواحل انَّها ارضٌ تذوبُ بها اللقاحُ وتمزلُ

وكانت هذه القبائل تُعدُّ واحةَ دومة الجندل الغنّاء وعاصمة الشام نفسها لقربها من الغوطة كمنازل وبيئة تنهك حُمّياتها قواهم. قال الاخطل:

كرهنَ ذباب دومةَ اذ غناها غداة تثار للموتى القبورُ

وقال: « فلو كنت مصحوبًا بدومة مدنفًا . . . »

وقد جرى مثل ذلك للصحابيين الذين هاجروا الى المدينة فسكنوها مع محمّد وتأذّوا من هوائها. وكذلك السارية التي نزلت في سواد العراق بعد الفتح الاسلامي كما روى البلاذري (ص ٢٧٥ و ٢٧٦) قال: « فاصابهم البعوض فكتب سعد الى عمر يعلمهُ انَّ الناس قد بُعضوا وتأذّوا بذلك. فكتب اليه عمر: انَّ العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الّا ما يُصلح الابل »

ومن عجيب الامور انَّ اعراب البادية حتى يومنا هذا لا يُطيقون سكنى الامصار فاذ احتلّوها تأذّوا من توطّنها كما شهد الرحّالون عن عرب شبه جزيرة سينا وغيرها. ولو استفتاهم احد في ذلك لأمكنهم ان يجيبوا كما اجاب ابن ميّادة للخليفة الوليد (الاغاني ٢ : ١٠٩) : « لنا باصحاب عيون يأكلنا بها البعوض ويأخذنا بها الحميات ». فكأنَّ اهل البادية منذ ذاك الحين شعروا بما اكتشفهُ العلم في زماننا بانَّ البعوض اكبر ناقل للحُميات وهذه الحوام تكثر حيثما تتوفّر المزدرعات وتستنقع المياه. وذلك ما كان يحدو بملوك الحيرة ان يربّوا اولادهم في اواسط جزيرة العرب بعيدًا عن المدن المعمّرة ليسلموا من مساوئ الاوبئة . وكذلك الاكاسرة كانوا يسلّمون ولاة عهدهم الى اللخميين ليتخرّجوا في آداب اهل الوبر في تصورهم التي ابتنوها على طرف البادية كالخورنق والسدير وغيرهما من القصور اتّخذها اصحاب الشام كأمثلة حذوا حذوها فبنوا قصر المشتّى وشيّد بنو امية تلك الابنية الشاهقة التي ظهرت آثارها مؤخّرًا. لانَّ غاية ما كان الاعراب يخافونهُ سكنى الريف كما روى الجاحظ عن بعضهم في كتاب الحيوان (٤ : ٨٣) :

فاياكُ والريفَ لا تقربنّهُ فانهُ لديهِ الموتُ والحتم قاضيا

ولما جعل مُعاوية كرسيّ ملكهِ في الفيحاء وترتّب على الامويين ان يتخذوها « كالمنبر الغربي » لم يزالوا يحنّون الى مفاوز البادية ولعلّهم لم يسكنوها مطلقاً لولا بيعة الخلافة . وفي واقع الحال لا ترى من بني اميّة احدًا اطال الاقامة في دمشق الّا معاوية وعبد الملك . امّا الآخرون فكانوا يأتون السكنى فيها فيُسرعون الى البيداء ولاسيما الوليد بن يزيد قال ابن عبد ربّه (٢ : ٣٥١) : « لم يدخل مدينة من مدائن الشام حتى قُتل ولم يزل يتنقّل ويتصيّد »

وكان الامويّون يقصدون البادية ايضاً ليحافظوا على فصاحة العربيّة فلا يفسد لسانهم برطانة اهل المدن . وقد اختبر عبد الملك الامر بابنهِ الوليد فانّ ابن عبد ربّهِ روى عنهُ (٢ : ٣٣٣) : « انهُ تراخى في تأديب ولدهِ فكان لحّاناً . وقال عبد الملك : اضرّنا في الوليد حبّنا لهُ فلم نوجّههُ الى البادية » . ولمّا خلف الوليد اباهُ لم يشأ ان يكون ابنهُ رَوْح مثلهُ فأنزلهُ بين القبائل . (قال) « فنشأ في البادية فكأنّهُ اعرابيّ » . وعلى هذا المنوال صارت البادية كمدرسة الامراء . وبالاجمال يمكن القول بان الطبع الغريزيّ والوراثة الجدّيّة كانا يحملان العرب على الرجوع الى منشاهم فيخرجون الى البادية غاية امكانهم وذلك في الشام كما في العراق وفي مصر كما في الحجاز . فانّ عبد العزيز اتّخذ لهُ في مصر باديةً فجعلها في حلوان وكذا كان يفعل العلويّون في الحجاز بخروجهم الى المساكن البدويّة .

*

تلك كانت عادة العرب في اوّل ظهور الاسلام فانّهم كانوا اذا شعروا بقدوم الشتاء يتوغّلون في جهات الجنوب طلباً لحرارة الشمس . وذلك انّ شيوخ القبائل عند اشتداد القيظ واستيلاء الجدب على البادية كانوا يقتربون من الريف ويطلبون منتجعاً لرعية مواشيهم عند مياه معلومة . فاذا جاء الربيع واكتست الارض بزخارفها بعد هطل الامطار عدلوا عن الحضارة الى الكلإ في مواطنهم فوجدوا فيها ما يكفل بارزاقهم ويقوم بمعاش ابلهم فيطلقون سراحها فتسمن ولا تحتاج الى ورد المياه وتكثر البانها فيقتات منها اصحابها فضلاً عمّا يلقون اذ ذاك من الكمأة واحرار البقول . اما اشرافهم فكانوا ينتظرون نهاية الامطار فيرحلون الى البرّيّة ويدعون ذلك التبدّي فيقضون بقيّة سنتهم في الصحاري

فلمّا استوى الامويّون على سدّة الخلافة في دمشق انتسوا باهل جلدتهم فاتّخذ كلّ منهم لهُ بادية او مصيفاً يعتزلون فيهِ عن ضوضاء المدن وكان اقارب الخلفاء يأتسون بمثلهم قال الطبري في تاريخهِ: «كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدّون (وفي الاصل يتبذون وهو تصحيف) ويهربون من الطاعون فينزلون البرّية» وفي الاغاني (٦: ١١٣): «خرج يزيد ابن عبد الملك الى قرين (والصواب فُدَين) مبتدئاً (والصواب متبدّياً)»

اما النواحي التي كانوا يحلّون فيها فكانت غالباً في بادية الشام او ما كان بجوارها. فانّ معاوية كان يشتو بالضِنّبرة في الاردن مقابل لعقبة (١ وكذلك عبد الملك سكن الضّبرة مدّة. الّا ان اكثر الامويين اتّخذوا لهم منازل في بادية الشام كما روى صاحب الاغاني والطبري وابن عساكر فانّ هؤلاء المؤرخين وغيرهم ايضاً لا يكادون يذكرون خليفةً منهم الّا ذكروا ايضاً تبدّيهُ. فان يزيد بن معاوية كان يقضي معظم سنتهُ في حوّارين (٢. وسكن ابنهُ خالد في البادية في قصر فُدَين حيث كان ايضاً سعيد احد اقاربهِ. وكان عبد الملك بعد رجوعهِ من الضِنّبرة يقضي شهر اذار في الجابية وكان لهُ منتزه آخر في دومة الجندل. وكان خلفاء عبد الملك مواظبين على التبدّي الّا عُمَر بن عبد العزيز الذي سكن بلدة خُناصرة

اما منزل الخلفاء في البادية فكان يختلف فمنهم من كان يكتفي بضرب الخيم والسكن في المضارب كما اخبر اسحق بن زياد (الاغاني ٢: ٣٥) عن هشام بن عبد الملك انهُ «وجده نازلًا في قاع صحصح في سرادق من حبرة وفي السرادق فسطاط فيهِ اربعة افرشة من خزّ احمر». لكنّ تلك المنازل انما كانت موقتة فلم يرضَ بها الخلفاء فآثروا بناء الدور الرحبة والقصور الجميلة. والمرجّح ان بعضهم لم يعمدوا الى ابنية جديدة واكتفوا بان اصلحوا ما وجدوه من الابنية القديمة في طرف البادية حيث كانت تخوم الرومان لا سيما ان تلك المباني كانت قريبة من المياه مجاورة للمراعي تمرّ عليها القوافل ذاهبةً وآئبةً فلمّا تولّى بنو امية امر الشام عادوا فرمّموا تلك البنايات وسكنوها

١) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٤١٦)
٢) اطلب المشرق (٩: ٩٥٦)

فمن المواضع التي نزلها الامويون المقوَّر وهو حصن بالبلقاء سكنهُ يزيد بن عبدالملك وكان رمَّمهُ وزيَّنهُ فجعلهُ من القصور الجميلة فلمّا ملك بنو العبَّاس وأبادوا آثار الامويين اخربوا في جملتها قصر المقوَّر . قال ابو نخيلة يمدح بني العبَّاس :

وأمست الآبارُ دارًا تُعمَرُ وخُرِّبت من الشآم أدوُرُ
حمصٌ وباب التين والمقوَّرُ ودُمِّرت بعد امتناع تدمرُ

واستقرَّ الوليد بن يزيد في « قسطل » موضع قرب البلقاء من ارض الشام وخلفهُ فيهِ عمهُ العبَّاس . وكان الوليد يستوطن ايضاً الزيزاء من قرى البلقاء وقصر الازرق في البرِّية كما روى صاحب كتاب العيون والحدائق (ص ١٢٠) اما قُرين التي ورد ذكرها في الاغاني (٦ : ١١٣) كمنزل من منازل الامويين فليست هي المقوَّر كما زعم الدكتور موسيل (Quseir Amra , 158) والاصح انها تصحيف فُدَين بتخفيف الياء وقد رواها صاحب معجم البلدان (٣ : ٨٥٨) بالياء المشدَّدة وال التعريف . وفُدَين هذه قصر قريب من حصن الازرق كان اولاد الخليفة عثمان يسكنونهُ وبقي في ايديهم الى زمن بني العبَّاس (راجع كتاب العيون والحدائق ص ١١٨)

ولا يسعنا هنا ان نسكت عن امر رواه الدكتور موسيل في وصفهِ انصير عمرة وبلاد موآب (ص ١٥٧) وقد قال هناك انَّ هذه القصور القديمة التي توفَّق الى اكتشاف بعضها عُرفت ايضاً باسم الحيرة ويسند قولهُ الى بعض نصوص الطبري (٢ : ١٧٩٥) حيث يروي المؤلف بان عبد العزيز لمَّا قام من دمشق ليقتل الوليد « عسكرَ بالحيرة » فزعم الدكتور موسيل انَّ الحيرة هنا يراد بها القصر او منزل الجند لكنَّ الكاتب لم يطَّلع على رواية اخرى اضبط من هذه الرواية وهي « الجيزة » كما رواها صاحب العيون والحدائق . وقد افادني جناب الدكتور مورتس ناظر الكتبخانة الخديوية ان الترك يدعون اليوم قصر الزيزاء بالجيزة غير اني لا ارى بُدًّا من الفرق بين الزيزاء والجيزة لانَّ الزيزاء من الاعلام القديمة التي لا يمكن القول في تصحيفها . ثمَّ انَّ قرية الزيزاء كانت بعيدة عن طريق عبد العزيز في خروجه على الوليد والمرجح انهُ سار بجندهِ على الطريق الرومانيَّة التي تمتدُّ من بُصرى الى الازرق (١ لقصرها واستقامة

١) اطلب بحث العلامة دوسو (R. Dussaud : *Mission* , 76)

مسيرها . وفي هذه الطريق بين بصرى وادرعات موضع (١ اسمهُ الجيزة فتكون هذه الرواية هي الصحيحة دون غيرها

ومع ما قلناه من تصحيف الجيزة بالحيرة لسنا لننكر انَّ رأي الدكتور موسيل قريب الى الصواب اعني اطلاق اسم الحيرة على منازل البادية حتى بعد عهد الامويين . ويقرّب هذا الرأي كون العرب دعوا الحيرة والكوفة بالحيرتين (ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٧٥ وتاج العروس ٣ : ١٦٦) . وكذلك ترى بين اعلام الامكنة الواقعة في العراق في حكم اللخميين عدّة مواضع عُرفت باسم الحيرة ذكرها الكتبة (اطلب مادّة الحيرة في ياقوت وتاج العروس)

ويؤيد ايضاً هذا الرأي استعمال العرب للفظة الحَيْر اطلقوها على الحمى ومحلّة الجيش . وفي معجم البلدان (٢ : ٣٧٥) « ان الحيرَة الحَيْر المبنيّ » وافادنا ايضاً ياقوت ان الخليفة المتوكل دعا قصراً بناهُ في سرّ من رأى باسم الحَيْر . وفي تاريخ تاوفانوس انَّ العرب لما ساروا الى محاربة الروم كانوا نازلين في مكان دعاه Hpav يوافق لفظهُ لفظ الحَيْر وهو يجعلهُ في انحاء فلسطين . ومن المحتمل ان هذا الاسم يدلّ فقط على مقام محصَّن ليس على مكان معلوم

ويزيد على هذا القول اثباتاً ما رواه المستشرق العلّامة نلدك في كتابهِ عن ملوك غسّان (Ghassaniden Fürsten, 47-49) قال : ان رؤساء قبائل غسّان كانوا يسكنون في احياء قسمٌ منها ثابت بالبناء والمدر وقسم آخر غير ثابت من جنس المضارب والخيم كانوا ينقلونهُ من مكان الى آخر للدفاع عن التخوم وحراستها . وكانوا يدعون تلك الاحياء باسم سرياني ܚܝܪܬܐ قال ومنها اشتق العرب اسم « الحيرة » . وما كانت البادية عند بني امية الّا احياء كهذه تصلح للسكنى ويسهل التنقل منها . ومما اشتهر عند الغسانيين من ذلك محلّة الجابية التي كانت جامعة بين صفات المحلّات والمدن وبين خواص الحضارة والبرّية ولذلك كان العرب يفضّلونها . وفيها نزلت الجيوش الاسلاميّة قبل واقعة اليرموك وهناك خطب عُمر بن الخطاب خطبتهُ المشهورة . وباب الجابية بدمشق منسوب الى هذا الموضع (ياقوت ٢ : ٣)

١) راجع الكتاب عينهُ (38 ; il ;) والمجلة الفلسطينية (Schumacher , ZDPV XX , 135)

فلنعودنَّ الان الى كلامنا عن بادية الامويين. فانهم لمَّا احتلُّوا تلك المباني التي سبقهم الى تشييدها الروم زادوها جمالًا بما الحقوا بها من المقاصير وزيَّنوها بالزخارف والمحسَّنات فاتخذوا الحمَّامات وجعلوا فيها الاحواض وشيَّدوا لها المشارب والمظلات وازدانوا المعاهد بالنقوش والتصاوير كما تُرى في قُصير عمرة. ولم يدعوا شيئاً من طيب المعاش وهناء السكن الا عمدوا اليهِ. فاضحت تلك المنازل كالقصور التي تصلح للملوك ومما يدل على شهرة تلك المقامات ان بني العباس حاولوا هدم آثارها لئلا تبقى كشاهد على عظمة الامويين وذلك ما فعلوا خصوصاً بقصر المقوَّر كما سبق القول

ومن راجع كتاب الاغاني لابي الفرج واعتبر اوصافهُ للبادية يتحقق بان منازل الامويين لم تكن ثمَّ منفردةً بل كان يحدق بها عدَّة ابنية لاحقة بها منها بيوت ودور كدار الضيفان وبيت الحرس. ولا يبعد انهم اتخذوا ايضاً محلات للجند والخيل. ومجمل القول انَّ البادية كانت كمعسكرة فيها المضارب والمباني ومنازل الجند ومساكن حاشية الامير واهلهِ. وكان الخليفة يقضي هناك ايَّامهُ في الدعة والسكينة بين اصحابهِ ويعيش بلا تكلف. فانَّ كتاب الاغاني يقول عن سليمان بن عبدالملك (٤ : ٦١) انهُ «كان في بادية لهُ يسير على ظهر سطح» وان الوليد بن يزيد استقبل قوماً في دار اواسعة وتمدَّد احد جلسائهِ بان يرمي بهِ منكساً من فوق القصر (اغاني ٦ : ١١٤و١٧ : ٩٩). وقد ذكر في محلٍّ آخر انهُ «كان على بناء كان بناهُ في عسكرهِ يُشرف بهِ» وقد جاء ايضاً في وصف ابنيتهِ ذكر الرواق وذكر دار الضيافة وكل ذلك مما يثبت انَّ ابنية الخلفاء في البادية كانت واسعة وأهلًا بالملوك ويُخبر عن يزيد بن عبد الملك انهُ ابتنى الابنية حول قصر المقوَّر وكان لهُ في البرِّيَّة عدَّة قصور يتنقَّل اليها ويتصيد كالزيزاء وقُدَين والازرق والاغدف والنجراء وقصر الابيض في الرحبة وابانر (ليس ابانر كما تصحَّف في الاغاني ٢ : ١٠٨). وزد على هذه الامكنة عدَّة قصور وقف عليها الدكتور موسيل في سياحتهِ الى مؤاب وكلها كما يظهر كانت في بوادي الخلفاء يرافق وصفها ما ذكره صاحب الاغاني في نصوصه

وقد بقي علينا ذكر قصر آخر كثر فيهِ القال والقيل في هذه السنين الاخيرة نريد قصر المشتَّى اطلب المشرق ١ : ٤٨١و١٠ : ٥٧٧) الذي موقعهُ في وسط القصور السابق ذكرها وهي تحدق بهِ كحلقة الدائرة ولا غروَ ان الخلفاء الامويين كانوا يعرفون مكانهُ حق

المرفة اذ كانوا يتجوّلون في براديهم ويتنقلون بين قصورهم لا سيما يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد. فيا تُرى اليس هو الاجدر بالقول انّ هذا البناء العجيب احد آثارهم الجليلة. فانّ الامويين كانوا يحبون البناء وتشييد القصور الشاهقة أفلا يسوغ لنا القول بأنهم اقاموا لباديتهم قصرًا كالمشتّى. وليس هذا بالمستبعد مع ما نعلم خصوصًا من اخلاق بعضهم كيزيد والوليد المذكورين وكان كلاهما يحبّ الملاهي وبذخ العيش وقد اخبر العينيّ في عقد الجمان عن يزيد انهُ قصد ان يبني في البرّية قصرًا ليعيش فيهِ مع جاريتهِ حبابة. ولعلهُ فعل ومن المحتمل ان يكون القصر المنويّ هو المشتّى. وانما حال دون اتمامه ما فُجيء بهِ يزيد من موت حبابة عشيقتهِ ولم يلبث ان قُتل هو ايضاً بعدها. امّا ما نجز من هذا القصر الجليل فهو آية هندسيّة تأخذ بمجامع القلوب وكل من يرى نقوشهُ البديعة في متحف برلين يقرّ لبُناتهِ بحسن الذوق والقدرة على الاعمال الاثيرة

انّ مسألة قصر المشتّى من المسائل العويصة التي ما كنّا لنجترىء ان نخوض عبابها ونحن نعلم اختلاف آراء الكتبة فيها الّا ان بحثنا في البادية على عهد الامويين لم يسمح لنا بالسكوت عنها. امّا قولنا في اصلها الاموي فليس هو حكمًا باتًّا وانما هو رأي عرضناهُ في مجلّة المشرق سنة ١٩٠٧ في عددها الصادر في اوّل تموز في اثناء كلامنا عن تأليف الدكتور موسيل في مواب ونواحيها. وغاية ما نرغب ان يعود العلماء الى هذا البحث ويعتبروا ما قدّمناه من الشواهد المنقولة عن كتبة العرب فلعلّهم يجدون فيها دلائل جديدة تثبت نسبة هذا البناء الفخيم للدولة الامويّة وتزيل الشبهات التي تحجب الحقيقة عن العيان. ان شاء الله

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الفصل الأوَّل

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

جرينا شوطاً اوَّل في عدَّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدَّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٧٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدَّةً ريثما نجمع قوانا فنواصل الجري في هذا الميدان وهو لعمري مجال جديد يتسع امامنا فتوفَّر ركبانهُ وتنمو فتفوت الاحصاء فرسانهُ. ولولا ثقتنا بلطف القرَّاء واملنا بغضّهم النظر عن قصورنا لكففنا القلم واوقفنا اليراع لئلَّا يشرد بنا عن سواء السبيل. فنستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يمدّ الينا الادباء يد الاسعاف وينبهوا فكرنا الى ما نسهو عن ذكره ويصلحوا ما يرونهُ مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام. ان شاء الله

كانت السنة ١٨٧٠ مفتتح طور جديد في تاريخ نهضة الآداب العربيَّة فانَّ في تلك السنة جرت امورٌ خطيرة قلبت بطناً لظهر احوال الدول الاوربيَّة فكان لها فعل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سِنَتها فانَّ دويَّ الحرب السبعينيَّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادت عليها مسامعهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سدًّا لخللهم ومنجاةً من خمولهم. وكان السلام سائدًا والامن متوطدًا في الممالك المحروسة لا شيء يعوق رعاياها عن ترويج الآداب وانفاق سوقها لا سيما سوريَّة ولبنان فان الدعة والسكينة كانت قد مدَّت عليها رواقها بعد نكبة السنة ١٨٦٠ واخذت الشبيبة تترعرع وهمّها الاعظم الترقي في معارج التمدن

وعُقد في ذلك العام المجمع الواتيكاني وفيه رأى ارباب الدين الشرقيون ترقي اخوتهم الغربيين في العلوم فاحبوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف. وقد ساعدهم في تحقيق امانيهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذه البلاد فأخذوا يجدّون ويسعون بما عُرفوا به من علو الهمم ليبثوا في الاحداث الغيرة على احراز المعارف. وكذلك المرسلون الاميركان فانهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبان بذور المعارف والعلوم المستجدة. ويا حبذا لو اقتصروا على هذه الغاية الشريفة ولم يتخذوا العلم وسيلة لتقويض المبادئ الصحيحة ومناواة الدين القويم

ومما خُصّ به هذا الطور الذي نحن في صدده انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها مثيل في الزمن السابق اخصّها الكليّة الاميركيّة التي خرجت في ذلك الوقت من قماطات مهدها فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور فان ديك في تأليف او تعريب قسم كبير من الكتب العلميّة قدوةً بالشيخ الطهطاوي بمصر ففتحت ترجمتها باباً جديداً طرقهُ الشرقيون لاحراز العلوم العصريّة. وكانت المطبعة الاميركيّة تذلّل لهم الصعاب في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عهداً طويلاً كاساس التعليم في الكليّة الاميركيّة وبعض المدارس الوطنيّة حتى بعد قصورها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنةً بعد سنة فبقيت على نقصها حتى اضطرّت عمدة المدرسة الاميركيّة الى استئناف التدريس باللغة الانكليزيّة

وكان النجاح الذي فاز به اصحاب الكليّة الاميركيّة باعثاً للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا ابناء ملتهم من الاضاليل البروتستانيّة. وكان اليسوعيون اوّل من تحفّز لمناهضتهم فعزّزوا مدارسهم الثانويّة في غزير وبيروت وصيداء ثم جعلوا يطلبون ما هو انجع وسيلة لبلوغ اربهم بانشاء كليّة في بيروت تباري كليّة الاميركان وتقدّم لابناء الشرق مناهل العلوم صافيةً من كل رنق يكدّرها. فما لبثت بعد اربع سنوات ان تشيّدت ابنية كليتنا الكاثوليكيّة ونُقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧٤ فنالت من كرم الكرسيّ الرسوليّ كل انعامات الكليّات بمنح شهادات العلوم الدينيّة لمستحقيها كما انّ الدولة الفرنسويّة اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسة لذويها

وفي سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيّون جريدتهم البشير لمناضلة النشرة الاسبوعيّة فصار لها رواج كبير ولم تزل تكبر وتتحسن حيناً تلو حين. وها قد مرّ عليها اليوم ٣٨

سنة وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكيَّة باسرهم

وفي هذه المدَّة ايضاً ترقَّت المطبعة الكاثوليكيَّة بهمَّة رئيسها الهمام الاب امبرواز مونو الذي لم يشأ ان تتخلَّف عن المطبعة الاميركيَّة في شيء. فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهَّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانهِ الطيب الذكر الاخ الياس ماري الى عواصم اوربَّة ليدرس فنَّ الطباعة على احذق الطبَّاعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقيَّة في مطبعتنا ومطابع البلدة. وكذلك تعلَّم غيره من رهباننا فنَّ الحفر وسبك الحروف واصطناع امهاتها فاغنوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربيَّة والسريانيَّة وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينيَّة والعلميَّة التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتنا وكان اجودها حرفاً واتقنها طبعاً الكتاب المقدس في ثلاثة مجلَّدات مزيناً بالتصاوير والنقوش وكان الآباء المرسلون لم يدَّخروا وسعاً في تعريبهِ عن اللغتين الاصليَّتين العبرانيَّة واليونانية ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي. ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكيَّة يعتنون بالكتب المدرسيَّة وكانت قبلهم عزيزة جداً لا يصل اليها الاحداث الَّا بعد شقّ النفس فتوفَّرت الكتب التعليميَّة وزادت بذلك مدارس الشرق ترقياً ونجاحاً

وكانت بنيَّة الرسالات اللاتينية تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فاللعازريون كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة. وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتحوا مدرسة ثانويَّة في حلب علَّموا فيها اللغات واصول الآداب

ولم تتأخر الطوائف الشرقيَّة في هذه الحلبة. فانهُ تعيَّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على الموارنة بعد الطيِّب الذكر طوبيَّا عون احد رجال العلم والعمل السيِّد المبرور يوسف الدبس فافرغ الوسع في ترقية ابناء رعيتهِ في معارج التمدُّن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٤ مدرسة الحكمة الشهيرة التي نمت فروعها وبسقت افنانها ويمت ثمارها الى يومنا هذا وكثير من المتخرجين فيها يتقلَّدون الآن المناصب الجليلة ويخدمون وطنهم بنشاط عظيم. ومن مساعيهِ الطيبة لتوسيع نطاق الآداب مطبعتهُ العموميَّة الكاثوليكيَّة التي

اشتراها من يوسف الشلفون شركةً مع رزق‌الله خضرا فنشر فيها مجموعاً ولسماً من المطبوعات الدينيَّة والادبيَّة والمدرسيَّة منها قسم كبير من قلمهِ

وفي هذه المدة ثبت قدم جمعيَّة المرسلين اللبنانيين التي أسسها المطران يوحنا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت تزداد عدداً وفضلاً بهمَّة منشئها الفاضل

اما الروم الكاثوليك فانَّ مدرستهم البطريركيَّة بلغت في هذه الآونة اوج عزّها بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها. وكان جلّ اهتمامها اتقان اللغة العربيَّة بفروعها. وعُني السيد البطريرك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أخرى لابناء طائفتهِ في دمشق فسلَّم ادارتها لكهنة افاضل احكموا تدبيرها

وفي هذا الطور أُنشئت مطابع جديدة كالطبعيَّة السليميَّة لسليم افندي مدوَّر ومطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثدكس ومطبعة جمعيَّة الفنون. وقد ظهرت في كل هذه المطابع تآليف متعدِّدة نشرنا في المشرق اسماءها. وكذلك الجرائد والمجلَّات فقد أُنشئ منها ما راجت سوقهُ وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حرّيتهم لا يعيقهم في نشر المطبوعات عائق المراقبة. والجرائد تروي الاخبار كما تشاء لا يُعترَضُ عليها الَّا اذا خرجت عن طورها وتعدَّت حدودها. وقد سبق لنا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلم بطرس البستاني وعهد بتحريرها الى ابنهِ سليم سنة ١٨٧٠ وفيها باشر بجريدتين الواحدة اسبوعيَّة وهي الجنَّة والثانية يوميَّة دعاها الجنينة وهذه الاخيرة لم تطل مدَّتها. امَّا الأُوليان فاشتغلتا خمس عشرة سنة فاكسبتا الاسرة البستانيَّة شهرة بفضولها. وقد أُنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القبَّاني فخدمت مصالح الأمَّة الاسلاميَّة بلا ملل الى عامنا الحاضر: وبعدها بسنتين شرع الادباء شاهين ابكاريوس ويعقوب صرُّوف وفارس نمر من تلامذة الكليَّة الاميركيَّة ينشرون مجلَّة علميَّة صناعية زراعية دعوها المقتطف واودعوها كثيراً من المقالات العلميَّة وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان نُزعت عن الجرائد حرّيتها فانتقل محرّروها الى مصر وجروا فيها على خطَّتهم الحرَّة الى هذه السنة وهي الثالثة والثلاثون من اوَّل ظهورها. وفي هذه المجلة من المنافع ما لا يُنكر لولا انَّ كتبتها صوَّبوا غير مرَّة سهامهم للتعاليم الدينيَّة والفلسفيَّة ونسبوا الى العلم ما هو بريءٌ منهُ كما بيَّنَّا لهم الامر احياناً عديدة في جريدة البشير ومجلة المشرق

امّا في بلاد الشرق خارجاً عن الشام فانَّ الآداب العربيَّة فيها لم تَخطُ خطوةً كبيرة في هذه السنين العشر فلا نرى لها من المنشآت ما يستحقُّ الذكر. وانَّما كانت المطابع المصريَّة وخصوصاً مطبعة بولاق تواصل اشغالها فتنشر من التآليف القديمة ما كان يحبّب الى الادباء درس اللغة واحراز فوائدها. وكذلك الاستانة العلية فان صاحب الجوائب الذي مرَّ لنا ذكرهُ نشر في مطبعته قسماً حسناً من التآليف العربية القديمة كديوان البحتريّ وادب الدنيا والدين وبعض مصنَّفات الثعالبي. ومثلهُ الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الموصل فانهُ نشر هناك فضلاً عن الكتب الدينية عدَّة تآليف حسنة عزَّزت في القلوب محبة الآثار العربيَّة

وفي هذا الطور أُصيبت الآداب العربية ببعض التأخر في الاصقاع الاوربية لما حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية. لكن هذه الحال لم تَدُمْ مدَّةً طويلة لانَّ الامور بعد زمنٍ اخذت في السكون والهدو وعاد العلماء الى دروسهم بل اتَّسع نطاقها فامتدَّت في المانية وانكلترَّة وأُنشئت كليات جديدة كان للغة العربية فيها الحظة المشكورة. وقد أُنشئت جمعيَّات شرقية في ايطالية والنمسة بعثت همم اهلها على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية. وكانت المطابع الاوربية تغني كل يوم لغتنا بمطبوعات يخرجها المستشرقون من دفائنها ويحيونها بعد موتها نخصّ منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندة التي ابرزت قسماً كبيراً من اجود تآليف قدماء العرب

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارقى شأناً عند النصارى منها عند المسلمين وانَّما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد تعاطوا الفنون الادبية من شعر ونثر وخلَّفوا منها آثاراً طيِّبة وها نحن نذكرهم على سياق سني وفاتهم تنويهاً بفضلهم

(رفاعة بك الطهطاوي) كان رفاعة بك من اشراف طهطا من مدن الصعيد ويرتقي نسبهُ الى فاطمة الزهراء. ولما وُلد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان الدهر اخنى على اسرته فذاق في حداثته مرائر العيش ثم انتقل بعد وفاة والده الى القاهرة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر وطلب العلوم برغبة حتى روي منها واحبَّهُ اساتذته لاجتهادهِ وقدَّموهُ. ولما خبرهُ الى محمد علي باشا امام الدولة الخديويَّة

فأرسلهُ مع غيرهِ من الشبان الى فرنسة ليتلقَّوا فيها العلوم الاوربية فدرس اللغة الفرنسوية حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف الغربية ما استلفت اليهِ الانظار ونقل كتاباً افرنسياً وسمهُ « بقلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » فكان ذلك داعياً لترقيهِ في الاعمال فقلَّده محمد علي وظيفة الترجمة في المكتب الطبّي الذي انشأهُ في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فنقل الى العربية عدَّة تآليف افرنجيَّة مستحدثة ثم عرَّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسيَّة وغيرها. وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندبهُ صاحب مصر الى رئاسة مدرسة الالسن الاجنبية التي عُرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تدبيرها حتى بلغ عدد تلامذتها ٢٥٠ . فجازاهُ الخديوي بمنحهِ رتبة قائمقام ثم رتبة اميرآلاي وأرسل مدَّةً الى الخرطوم لنظارة مدرستها وتولَّى نظارة المدرسة الحربية في مصر. ولم يزل يتقلَّب في المناصب وادارة المدارس والتعليم والكتابة . وكان رفاعة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة. وهو الذي باشر انشاء اوَّل جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) . وتولَّى في آخر حياتهِ ادارة جريدة روضة المدارس. ولرفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضها من تآليفهِ كرحلتهِ الى باريس ومباهج الالباب المصرية وكتاب تاريخ مصر الحديث واكثرها من ترجمتهِ كجغرافية ملطبرون واخبار تلماك وهندسة ساسير ورسائل طبيَّة ولهُ غير ذلك من التآليف والمقالات والمنظومات التي لم يُطبع منها الَّا القليل. وقد رأيناه كثير التصرُّف في ترجمة كتبهِ الَّا انهُ سبق اهل وطنهِ بتعريب التآليف الغربية فنال فضلاً بتقدُّمهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرثاهُ الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها:

ألا ما لطرف المجد دامٍ ودامعُ على وجنة الايام هامٍ وهامعُ

الى ان قال مشيراً الى فهمي افندي نجل المتوفَّى :

وكادت تميدُ الارضُ لو لم يكن بها لهُ خلفٌ يحيي المآثر بارعُ

(عبد الغفَّار الاخرس) هو السيد عبد الغفار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير شعراء العراق. كان مولده في الموصل بعد السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثمَّ نشأ في بغداد واتخذها موطناً وسكن جانب الكرخ وقرأ على الشيخ الالوسي كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازة ثمَّ درس العلوم العقليَّة والفنون العربيَّة فاتقنها وتعاطى فنَّ الشعر فاجاد بهِ كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب المسك الاذفر قال عنهُ انَّ اليهِ كانت النهاية في

دقة الشعر ولطافته وحلاوته وعذوبته. وكان مع ذلك في لسانه تلعثم وثقل فدُعي بالاخرس لسببه. قيل انهُ في شبابهِ كتب الى داود باشا والي العراق ابياتاً يسألهُ فيها ان يأمر بمعالجة لسانهِ قائلاً:

انَّ اياديك منك سابقةٌ علَّ قدماً في سالف الحُقُبِ
هذا لساني يعوقهُ ثقلٌ وذاك مندي من اعظم النُّوَبِ
فلو تسببتَ في معالجتي لَنلتَ اجرًا بذلك السببِ
وليس لي حرفةٌ سوى ادبٍ جمٍّ ونظم القريض والخطبِ
من بعد داودَ لا حُرمتُ منَّى نقلت قد مضت دولةُ الادبِ

فارسلهُ الوالي الى بعض اطباء الهند فقال لهُ: انا اعالج لسانك بدواء امَّا ان ينطلق وامَّا ان يُلحقك بمن مضى من سالف الجدود. فأبى ولم يرضَ بدوائهِ وقال: لا ابيع كلّي ببعضي. وكرَّ راجعاً الى بغداد. وكان يتردَّد الى البصرة لما عرف في اهلها من السخاء ومحبة الغرباء ولهُ مدائح في اكثر اعيانها وفضلائها وبها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانهِ وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي. وكان لهُ شعر كثير متفرق جمعهُ احمد عزَّت باشا العمري بعد وفاة صاحبهِ وقد طُبع هذا الديوان في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م). فمن شعره قولهُ يصف سفره من البصرة الى بغداد على سفينة بخاريَّة:

قد ركبنا بمركب الدخانِ وبلغنا به اقاصي الاماني
حيث دارت افلاكهُ واستدارت فهي مثل الافلاك بالدورانِ
ثمَّ سرنا والطير يحدنا بالامس لأسراعنا على الطيرانِ
يخفق البحر رهبةً حين يجري والذي فيهِ كائنٌ في امانِ
كلَّما ابعد البخارُ بمرى قرَّب السيرُ بُعدَ كلِّ مكانِ
أتقنت صُنعَهُ فطانةُ قومٍ وصفوهم بدقَّة الاذهانِ
ما اراها بالفكر الَّا اناساً بقيت من بقيَّة اليونانِ
ابرزوا بالعقول كل عجيبٍ ما وجدناهُ في قديم الزمانِ
وبنوا للعلى مباني علاءٍ عاجزٌ عنها صاحب الايوانِ
فلهم (١ في الزمانِ علمٌ وفخرٌ ومقامٌ يعلو على كيوانِ

وقد نظم السيد الاخرس قصائد عديدة في مدح عبد الباقي افندي الفاروقي. ورثاه بعد موتهِ بقصيدة اوَّلها:

١) وفي الاصل: فهموا وهو تصحيف. وكذلك قد تصحَّف البيت الخامس فاصلحناه

مالي اودّع كل يومٍ صاحباً اذ لا تلاقي بعد طول فراقِ
وأصارم الاحبابَ لا من جفوةٍ بي ولا متعرّضاً لشقاقِ
فارقتُهم ومدامعي منهلّةٌ وجوانحي للبين في احراقِ

الى ان قال:

فارقتُ اذكى العالمينَ قريحةً واجلّها فضلاً على الاطلاقِ
وفقدتُ مستنَدَ الرجال اذا روت عنهُ الثقاتُ مكارمَ الاخلاقِ
قد كان منتجعي وشرعةُ منهلي ومناطُ فخري وارتياد نباقي
كانت لهُ الايدي بطوّقني بما منّاً هي الاطواقُ في الاعناقِ

وختمها بقوله:

رزءٌ أصيب به العراق فأرّخوا رزء العراق بموت عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودّعاً بعض الكرام اسمهُ يوسف:

مولاي قد حان الوداع وقد عزمتُ على المسيرِ
كم زرتُ حضرتك التي ما زلتُ منها في حبورِ
ورجعت عنك بنائلٍ غمرٍ وبالخير الكثيرِ
والله يعلمُ انني عن شكر فضلك في قصورِ
يا مفرداً في عصره بالفضل معدومَ النظيرِ
يا يوسفَ البدر الذي يسمو على البدر المنيرِ
ما لي بغيرك حاجةٌ كفى المطيرَ عن الحقيرِ
وسواك يا مولاي لا والله يخطرُ في ضميري
ما كل ورّادٍ يفو زُ بمورد العذب النميرِ
لا زلتَ اهلاً للجميل مدى الليالي والشهورِ

ومما لم نجدهُ في ديوانهِ تخميسٌ لابيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائرٍ:

ألا قطع الرحمن كلّ مقاطعٍ مضرّ بما يقضي به غير نافعِ
وراضٍ بظلمٍ طامعٍ غير قانعٍ وقاضٍ يجور ما لهُ من مُضارعِ
على انهُ بالسيف اقطعُ من ماضٍ
فكم قد جنى في حكمهِ من جنايةٍ وقد راح في غيٍّ لهُ وضلالةٍ
فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ قضى ومضى لكن الى كلّ غايةٍ
من الخزي لا يحظى بها ابداً قاضٍ
بُلينا بقاضٍ جائرٍ غير عادلٍ يجورُ بحكمٍ قاصرٍ غير طائلِ
ومن اعظم البلوى بلاءٌ بجاهلٍ يقولونَ يقضي قلتُ لكن بباطلِ
وقالوا يقصُّ الحقَّ قلتُ بمقراضِ

(الحاج عمر الانسيّ) ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويها والعراق بآخرسها كانت بيروت تأنس بانسيّها الحاج عمر سليل اسرة شريفة اشتهر لقبها بالصقعان. وُلد الانسيّ سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) في بيروت واخذ العلوم من الشيخين محمّد الحوت وعبد الله خالد وقد قلّدتهُ الحكومة السنيّة عدّة مناصب كنظارة النفوس في لبنان وعضويّة مجلس ادارة بيروت ومديريّة حيفاء ونيابة صور وبقاع العزيز تقلّب فيها كلها واظهر فيها دراية وعفّة نفس وعلوّ همّة. وكانت وفاته في وطنهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م). وقد وصفهُ مَن عرفهُ بحسن المعشر وانس المحضر والصدق والاستقامة. وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم ولهُ مصنّفات منها ديوان شعرهِ الموسوم بالمورد العذب طُبع في بيروت سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) بهمّة نجلهِ السيّد عبد الرحمن افندي. وقد كان بينهُ وبين الشيخ ناصيف اليازجي مكاتبات. ومما مدحهُ بهِ الشيخ قولهُ من ابياتٍ:

واذا اردتَ قصيدةً نبّه لها عُمَرًا ونَمْ
الشاعرُ العربيّ ذو السفُرَدِ التي سَبَتِ العَجَمْ
في المكرمات لهُ يدٌ والى الصواب لهُ قدَمْ
ولهُ مناقبُ لا تُنا لُ كأنها صيدُ الحَرَمْ

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر. قال في التقى:

عليكَ بتقوى الله والصدقِ انّما نجاةُ الفتى يا صاح بالصدقِ والتُّقى
وقسْ حال ابناء الزمان بضدّهِ ترَ الفرق ما بين السعادةِ والشقا

وقال في الزهد:

رغبتُ عن الدنيا وزُخرفِ اهلها وقلتُ لنفسي انّما العيشُ في الأُخرى
فدعني وزهدي في الحُطامِ فانّني ارى الزهدَ في الدنيا هو الراحة الكبرى

ومن ظريف هجوهِ ما قالهُ في غلام قهوجيّ يُدعى هلالًا:

تسمّ الهلالُ القهوجيّ لأنهُ قد قطّعَ الاقباسَ من اقباسهِ
هذا الهلالُ هو الهلاكُ وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في راسهِ

وقال يهجو ثقيلًا كان لا يزال يذكر ذنوبهُ:

شكا ثِقل الذنوب لنا ثقيلٌ فقلتُ لهُ اسمعْ لبديع قولي
ثلاث بالتناسب فيك خُصّت فلم توجد بغيرك من مثيلِ
ذنوبك مثل روحك ضمن جسمٍ ثقيلٍ في ثقيلٍ في ثقيلِ

ومن رثائهِ قولهُ في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١ من ابيات :

فقدنا اديباً كان طرس يراعهِ اذا خطَّ سطراً نال من خطهِ شطرا
اخا شيم قد اعجزتْ عن مديحها لساني فاسى لا يُطيق لها شكرا
وما كنتُ يا مارونُ قبلك زاعماً بانَّ الثرى من اعيني يحجبُ البدرا ...
فكم لك في الاداب لطفُ شمائلٍ اذا ما نشرنا ذكرها فحت نشرا
وكم لك من ابيات شعر حريةٍ جا أن تُحلّي جيدَها النادةُ العذرا
ألا يا بني النقّاش لا يحزنكم بكاً وسّع الاجفان او ضيّق الصدرا
أرى الدهر لما قسّم الحزنَ خصَّنا بتسعة اعشارٍ وحمّلكم عشرا ...
فآسف لو كان التأسّف نافعاً عليهِ ولكنَّ التناء لهُ اجرى (لهُ بقية)

حيّة فوق سرير

تعريب احد طلبة كليتنا

قرأنا في مجلّة افرنسيّة الخبر الآتي بقلم رحّالة افرنسي يدعى هنري كوسان دخل الهند في السنة ١٨٨٩ وتجوّل فيها مدّة مع قرينتهِ مرغريت وولديه جورج وعمرهُ سبع سنين وحنّة التي لم يتجاوز سنّها تسعة اشهر

قال وصلنا بعد سفر طويل الى مدراس ثمَّ توغلنا في البلاد الداخليّة حتى بلغنا قرية تدعى متاني يسكنها الهنود وفيها المزارع والغابات وكان السفر قد انهك قوانا فطلبت اليَّ امرأتي مرغريت أن نقضي هناك اسبوعاً لتشتدَّ قوانا فنواصل بعدها طريقنا. فاستحسنتُ رأيها ودخلنا بستاناً فطلبنا من صاحبهِ ان يفرد لنا قسماً من بيتهِ نأوي اليهِ أياماً وندفع لهُ اجرتهُ فعرض علينا بيتاً صغيراً مجاوراً لبستانهِ تكتنفهُ حديقة فيها كثير من اشجار الهند الباسقة ورضي بان نبيت فيهِ ما شئنا لا يزعجنا في المكان غريب. فقبلنا بالسكنى واحتللنا الدار

فبتنا هناك ثلاثة ايام في العزلة والانفراد لكننا كنّا نسمع اصوات الهنود المزعجة فنظنّ أنهم يريدون لنا سوءاً فنبقى في حذر منهم. ومع خوفنا من اذاهم كنّا متمتعين بسعادة ناتجة عن السكينة وجودة الصحة مع سهولة حصولنا في الحديقة على ما يسدّ احتياجنا للمعاش من بقول وخضر واثمار جنيّة. وكنا نقضي ساعات النهار في الحديقة

نستظلّ تحت اشجارها ونغتسل بمياهها ونجتني اثمارها فتنتعش ارواحنا وتثوب قوانا

ففي عصر اليوم الخامس اذ كنت ادور في البستان وعلى كتفي بندقيّة لأتصيّد بعض الطيور الجاثمة على افنان الشجر ومرغريت جالسة على طرف الحديقة وبازائها سرير كانت ابنتنا الصغيرة نائمة فيه وجورج يعدو بين الزهور ويجمع منها طاقة ليهديها امّهُ اذ سمعت فجأة امرأتي تدعوني اليها بصوت مرتجف يدلُّ على انها مصابة بهول هائل فالتفتُّ اليها وقد احاق بي الوجس والاضطراب. فرايتها قد امتُقع لونها وهي تمدُّ اليَّ يديها كأنها تطلب النجدة. فدنوتُ منها وطرحت عني البندقيّة لاسندها بذراعيَّ . فاطبقت عينيها وارتجفت اعضاؤها ثم اغمي عليها فسقطت على الحضيض

فغلب على ظني في اوّل الامر انَّ قومًا من الهنود دخلوا المنزل قصد النهب والسرقة او عدوًّا استخفى في الحديقة بغية الاذى وكانت الافكار تتناوبني وتزيدني همًّا وغمًّا. لكنني تجلّدت وسكّنت هواجسي وزجرت نفسي على خورها ثم اخذت انظر الى ما حولي فلم اشعر بشيء مكدّر. وكان ابني جورج مهتمًّا بتنظيم طاقة زهوره وكان كلبنا دوغ نائمًا عند باب البيت لا يوجس حراكًا. فبقيت متحيرًا في امري وامرأتي لا تزال مغشيًّا عليها فاسرعتُ الى ما هو اهمّ واخطر وجئت بشيء من الماء فنفحت به وجهها ففتحت عينيها ونظرت الى جهة مهد ابنتها فساد عليها الاضطراب ثانية وصرخت بصوت منقطع كاد الجزع يخنقهُ: انظر مهد ابنتنا . . . حيّة. فتقدّمت الى ناحية السرير وكان يسترهُ عن نظري شجيرات ملتفة حولهُ. واذا بمنظر كاد يجمد لهُ دمي في عروقي. رأيت حيّة طويلة سوداء اللون في ضخم الساعد قد التف قسمها الاسفل على قوائم السرير وارتفع قسمها الآخر على مهد الفتاة فاسندت راسها الى صدر حنّة وكانت هذه مكشوفة الوجه مطلقة اليدين غائصة في نومها الهادئ. وكذلك الحيّة ما كانت تبدي حراكًا كأنها توسّدت الفتاة واتخذت جسمها الناعم كفراش وثير

فحدّث عمّا جرى لي من الهواجس لدى هذا المرأى ولا حرج فصرتُ كمن أُصيب بمسّ في عقله فقفَّ شعر رأسي وارتجفت فرائصي وسال على جبيني عرق بارد فكدت اغيب عن الصواب. الّا اني نظرتُ امرأتي قامت واقتربت مني وقد اخذ منها الهلع كل مأخذ فخفت ان تتأثر باضطرابي فيزيد جزعها. فاشرتُ اليها أن: قفي في مكانك ولا تتحركي. فاطاعت امري

فبقيت اتفرس في هـذا المنظر المخيف وفي موقف ابنتي الحرج وقلت في نفسي : يا لله كيف تنجو الفتاة من نفثات هذه الافعى الخبيثة فلعلّها تستيقظ قريباً فتتحرك فتلسعها الحيّة وتودي بحياتها . فكنت اتقلّب على اجرٍ من جمر القتاد . وخطر ببالي عدة وسائط اتوسّل بها لخلاص ابنتي لكنّ في اتخاذها عقبات ومخاطر . فكيف اقتلها دون ان يثور ثائرها وتؤذي الطفلة كيفما شاءت وهي رابضة على جسمها . وفكّرت في اناء حليب اجعلهُ قريباً من المهد تشمّ الحيّة رائحتهُ فتنساب اليهِ وتنجو الفتاة . ولكن انّى الحصول على الحليب في قرية لا اعرف احدًا من اهلها وليس تحت يدي خادم ارسلهُ لاستحضاره مع مسيس الحاجة وقرب الخطر . وكانت كل هـذه الافكار تتنازعني ونظري شاخص الى السرير لا يحيد عنهُ بل كنت اضبط صوت انفاسي لئلّا يبعث الفتاة او الحيّة من رقادهما

بقيت وامرأتي على ذلك دقائق حسبتها اجيالًا ثم اشرت الى مرغريت ان ائتيني بالبندقيّة . فأتت بها مرتعبة وابتعدت عن المكان لئلا تنظر ما يضاعف اهوالها فاحقت بابنها جورج . فشكرت الله على ابتعادها اذ كان قربها مني يهدّ عزيمتي ويكسر عضدي

ثمّ اخذتُ رصاصة ووضعتها في البندقيّة ووقفتُ للحيّة بالمرصاد لأُصيب منها مقتلًا . فرَّ عليّ في هذه الحالة نصف الساعة ذقتُ فيها الموت الوانًا . وكانت عيناي تتحوّلان من الفتاة الى الحيّة ومن الحيّة الى الفتاة واعارض سكينة ابنتي ودَعَتها وثغرها الباسم بشناعة ذلك الحيوان الخبيث وويلاته المهلكة . فكانت تلك المقابلة تهيج كل عواطفي الابويّة فأشعر بنفسي كأني مصاب بدوار او لعبت في رأسي نشوة الراح

وأنا كذلك اذ رأيت التائمتين قد استيقظتا في وقت واحد وسمعت صوت بكاء الفتاة فكاد قلبي ينفطر واعددتُ بندقيّتي وتربّصت في مكاني . فكأنّ الحيّة شعرت بحركاتي فرفعت راسها وحملقت اليّ بعينيها واذا هما تتقدان كجمرتي نار وكانت تمدّ لسانها الطويل ثم تخطفهُ بسرعة البرق كأنها تتحفّز للشرّ . فقلت في نفسي : قد حان وقت العمل . فصوّبت البندقية نحوها فحطّت براسها نحو الفتاة كأنها تفتك بها فنُخب قلبي واستُطير لبي واصاب يدي نوع من الشلل وخفت ان اطلقتُ البندقية أن اقتل ابنتي بدلًا من الحية او معها

اما حنَّة الصغيرة فانها لم تدرك ما احدق بها من المخاطر فرفعت يديها الصغيرتين الى الحية كأنها تريد ان تُلاعبها فلم اتمالك عند هذا المنظر من ان اصرخ: ربي ترحَّم على كريمتي. فكأن هذا الصوت ارعب الحية وامال رأسها من الطفلة لتصرف اليَّ غيظها فاخذت تُميل راسها نحو اليمين ونحو الشمال وتصوب اليَّ بعينيها وتنفخ بعنقها

فعرفت ان الخطب قد اشتدَّ وانهُ لا مناص لي وللفتاة من دهائها فرفعت بنظري الى الله مستمدًّا منهُ العون وشعرت كأنَّ قوة كهربائية سرتْ في عظامي فصوَّبت ثانية بندقيتي الى الحية وشددت الزناد واطلقت الرصاص عليها. فانتشر الدخان واخفاها والفتاة عن عيني لكني سمعت بكاء الطفلة وطرق آذاني حفيف الحيَّة مسرعة بين اوراق العشب الى وكرها. فهجمت نحو ابنتي وانا على آخر رمق وسقطت بقرب سريرها بين حيٍّ وميت. واسرعت امرأتي وابني جورج فركضا الى جهتي. فقمتُ للحال لأرى ما حلَّ بالفتاة فاذا هي صحيحة سالمة فاخذتها وسلَّمتها الى والدتها التي أهطلت الدموع فرحًا بعد جزعها ويأسها

ثمَّ اخذتُ اتتبع طريق الحيَّة لئلا تحدث بنا سوءًا فلم اجد لها اثرًا الَّا اني رأيت في اصل شجرة ثقبًا فقلت لعلها دخلت في هذا الثقب فاطلقت فيهِ الرصاص. وبعد هنيهة سمعتُ ابني جورج يصرخ فركضت اليهِ فرأيت ليس بعيدًا منهُ حيَّة ضخمة تتلوَّى وتسير سيرًا بطيئًا لكنَّ علائم السخط تلوح من حركاتها. فلمَّا رأتني عرفت عدوَّها فحاولت ان تثب عليَّ لكنَّ قواها كانت خائرة فلم تستطع ان تلحق في سوءٍ فشججتُ راسها بطرف بندقيتي. ثمَّ قستها واذا بطولها خمس اذرع بنيف وهي من جنس الحيَّات الخبيثة التي تهلك في الهند مئين من السكان. ولم تشأ امرأتي ان تبقى في ذلك المكان الى آخر الاسبوع بل رغبت اليَّ ان نبتعد عنهُ سريعًا فخرجنا مواصلين لسفرنا

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ من الالفاظ لسحرًا ! قد اعتاد البشر في كل اجيالهم أن يستروا تحت حجاب بعض الالفاظ جواهر من المعاني فلا يكاد يسمعها السامع حتى تثير في قلبهِ عواطف متباينة واهواء متناقضة تعمل فيهِ عمل الكهرباء في اهتزاز الاجسام والبرق في اختطاف الابصار. وليس أمة من الامم الَّا اختارت لها بعض هذه الالفاظ اتخذتها كشعار يُعرَف بهِ ابناؤها او كاواء يستظلّ تحت طيّاتهِ اصحابها . وترى على خلاف ذلك كلماتٍ تودّ الامم ان تنفيها من معاجمها فاذا ما طرقت آذان مبغضيها بعثت فيهم الحقد واثارت في قلوبهم الشحناء واصبحت كالشرارة في البارود تلتهمهُ التهامًا

على انَّ كثيرًا من هذه الالفاظ مما ينخدع بهِ الجمهور لاختلاف باطنهِ عن ظاهرهِ او بالحري لتباين اوصافهِ فهو كابي قلمون « على كل لونٍ يكون » او كالدينار الحريري

اصفر ذي وجهين كالنافق يبدو بوصفين لدين الرادق

فربَّ كلمة من هذا الصنف تستّر بها ذوو الغايات فأضمروا الشرَّ في شبهة الخير ودسّوا السم في الدسم. والتاريخ مشحون بذكر الحروب والخصامات التي انتشبت بسبب هذه الالفاظ الخدّاعة. واليوم مذ أُطلق العنان للخطباء وعادت الجرائد الى استقلالها قد توفّرت هذه الكلمات فلا تسمع خطابًا الَّا تتكرّر فيهِ مثل هذه الالفاظ ولا تقرأ فصلًا لم تنتقهُ هذه الكلمات السحريّة. على انَّ العاقل لا يقنع بالشبهات كما انَّ الصرّاف ينتقد الدراهم لئلّا يبدل الصحيح منها بالزائف. ومن ثمَّ رأينا ان نفرد لبعض هذه الالفاظ المشتبهة فصولًا لنسبرها بمعيار العقل ونعرضها على محكّ الانتقاد فنعرف معانيها الصوابيّة وننبذ سوء مفهومها. عملًا بتعليم الرسول المصطفى الذي حرّض مرارًا تلميذيهِ تيطس وتيموتاوس بان يلازما الكلام الصادق الصحيح (تيطس ١ : ٢٩ تيموتاوس ١ : ١٣) ويجتنبا الكلام العالي الملتبس (١ تيموتاوس ٢ : ١٦) وامرهما ان يناشدا المؤمنين امام الرب أن لا يتماحكوا بالكلام (٢ : ١٤) ارشدنا الله الى كل صواب ويقين

١ً الحرّية

كنّا أمس لا نتجاسر بلفظ اسم الحرّية واذا ورد اسمها في كتابة بل في اثر قديم اضطرّنا المراقب سامحهُ الله بالضرب على الكلمة فنحتار في امرنا ولا ندري بأيّة لفظة نسدّ مسدّها . فكم اختلف اليوم عن الامس وهاك الحرّية اصبحت الان سلافة العموم وكوثر الجمهور كاد يعرفها الصغير قبل التهجي باسم والديهِ وينتشي ريحها الشاب فيسكر من عبيرها ويرتشفها الشيخ فيعود الى شبابهِ . هي الشعار الذي يعلو حديقة مدينتنا وبهِ دُعيت حديقة الحرّية . وهي القطب الذي تدور على محورهِ كل افكار القوم

فمن اين يا تُرى الحرّية هذه القوة أفعليها مبنى كل سعادة الانسان او هي الخير الاعظم الذي ليس وراءهُ خير فتنفي كل الشدائد وتشفي كل الاوجاع . او ليس وراء هذا المنظر الوسيم مخبر وخيم . ولعلّ اصحاب الغايات لا ينادون بالحرّية الّا لترويج اغراضهم الشخصيّة وامتهان كل من لا يوافقهم على مآربهم فيترقّون خصومهم بحجة الحرّية وتصبح الحرّية آلة الاستعباد

يعلم الله انّنا لسنا ممن يشنأ الحرّية . ولو فعلنا لأتينا بذلك اثمًا فظيعًا في حق الخالق وفكرنا آيات الكتب المنزلة وناقضنا تعاليم الكنيسة لا بل اقترفنا جرمًا بازاء الطبيعة والعقل السليم

من المعلوم ان الله خلق الانسان على شبههِ وصورتهِ اعني انهُ خصّهُ بالعقل والتمييز ليدرك الامور ويفرز بين خيرها وشرها . لكنّ هذه الهبة الشريفة لا تبلغ كمالها الّا بحرّية الارادة بحيث تتنزّه الارادة البشريّة ليس فقط عن كل اقتسار خارجي يضغطها بل عن كل دافع باطني يضطرّها في اعمالها اضطرارًا ما وينزع عنها ميلها الى اختيار ما تشاء . فالحرّية اذًا من اعظم مواهب الخالق للطبيعة البشريّة الناطقة

وزد على ذلك انهُ تعالى ما انجز خلق الابوين الاولين حتى اوصاهما بطاعتهِ وقضى عليهما بامر لازب تهدّدهما بالعقاب ان تجاوزاهُ ولولا حرّيتهما في اتمام سنّتهِ تعالى او نقضها لكان حكمهُ جائرًا وعقابهُ لهما بعد خطيئتهما ظلمًا اذ يكون اوصاهما بما لا مناص لهما عن فعلهِ . والقول بذلك كفر محض . وكذا يقال عن وصاياهُ تعالى لبني اسرائيل لا

بل عن كل السُّنن الطبيعيَّة التي يعرفها البشر كافَّةً بمجرَّد نور عقلهم. فانها لا تقع تحت طائل الجزاء والعقاب الّا على افتراض حرِّية الانسان

وقد صرَّح الرب بما منحهُ من الحرِّية للبشر في كلامهِ الى قاين لمَّا سقط وجههُ وحسد اخاه لقبول تقدمتهِ (تكوين ٤: ٥—٧) فقال له الربُّ: «لِمَ شقَّ عليك ولِمَ سقط وجهك ألا انك ان احسنتَ تنال وان لم تُحسن فعند الباب خطيئة رابضة واليك انقياد لشواقها وانت تسود عليها». فهذه الآية تبيِّن علانيةً ان بواعث الخطيئة في الانسان منقادة الى امره يمكنه ان يسود عليها كما يستطيع ان يُحسن بعملهِ فينال عنه الجزاء

وفي الكتاب آيات عديدة تثبت هذه الحرِّية ففي تثنية الاشتراع (٣٠: ١١—١٨) يعلن الله لشعبهِ انَّ رسومه التي فرضها عليهِ ليست بعيدة منه او صعبة المنال لا في السماء ولا وراء البحار ثم يردف قائلًا: «بل الكلمة قريبة منك جدًّا في فيك وفي قلبك فتعمل بها. انظر. قد جعلت اليوم بين يديك الحياة والخير والموت والشر... فان حفظت وصايا ربك تحيا.. وان زاغ قلبك تهلك هلاكًا». ومثل هذا في الاسفار المقدسة كثير. ومن اصرح ما ورد في ذلك قوله تعالى في سفر ابن سيراخ (١٥: ١٤—١٦): الربُّ صنع الانسان في البدء وتركه في يد اختياره واضاف الى ذلك وصاياه واوامرهُ فان شئت حفظت الوصايا ووفَّيت مرضاته. وعرض لك النار والماء. تمدُّ يدك الى ما شئت. الحياة والموت امام الانسان فما اعجبه يُعطى له» وهو كلام لا يُبقي شبهة في الحرِّية البشريَّة. وفي هذا السفر عينه (٣١: ١٠) يقول الله الطوبى للرجل الصالح البار الذي «قدر ان يتعدَّى فلم يتعدَّ وان يصنع الشرَّ فلم يصنع»

وكما اتضحت آيات الكتاب في حرِّية الانسان فكذلك الكنيسة منذ عهد الرسل الى يومنا لم تزل تدافع عن تلك الحرِّية على مثال السيد المسيح الذي جعل الدخول الى الحياة الابديَّة منوطًا بمشيئة الانسان بان يحفظ الوصايا (متى ١٩: ١٧) قال القديس اوغسطينوس في شرحهِ للآيات السابقة: «في هذه النصوص الكتابيَّة شواهد لامعة على ان الانسان أُعطي حرِّية الارادة». وقد نفى في كتابهِ الى فوسطوس كلَّ اقتسار في ارادة الانسان وانكر قول الجبريَّة سواء كان بحكم النجوم او بتقدير سابق لمشيئة الله. وفي كتابهِ الى المانوي فليكس يقول: «لكلِّ انسان في مشيئتهِ استطاعةٌ على ان

يختار الامور الصالحة فيصبح شجرة صالحة او يختار السيئات فيضحي شجرة فاسدة ».
وقال القديس يوحنا فم الذهب لسان الكنائس الشرقية في شرح سفر التكوين: «لانَّ الله جعل الخير والشر الفضيلة والرذيلة في حكم الارادة البشريَّة فلذلك يتهدَّد الخطأة بالعذاب ويعد الاخيار بالثواب »

ولا يخالف تعليمُ المجامعَ معتقد الآباء كفى لاثباتهِ القانون الذي وضعه المجمع التريدنتيني لرذل الاضاليل البروتستانية: « مَنْ قال بان حريَّة الانسان بعد خطيئة آدم قد فُقدت وتلفت . . . فليكن مُبسلًا ومحرومًا »

ويوافق العقل هذه المقولات اذ يبيّن صريحًا ان الحريَّة من اخصّ هبات الله للحي الناطق وانَّ بدونها لا تقوم الشرائع ولا تثبت الهيئة الاجتماعية . فليت شعري كيف يأمر المشترع بصنع الشيء او ينهى عن العمل به ثم يجازي المخالفين لولا علمهُ اليقين بانَّ المأمورين قادرون على اتمام اوامره

ولا نطيل الكلام في بيان هذه القضية مع وضوحها وقد مرَّ في المشرق (٧ : ٣٧٦) فصل جليل لاحد فلاسفة النصارى بولس الراهب اسقف صيداء بسط فيهِ الكلام عن هذا الموضوع فليراجع

تلك هي الجوهرة الكريمة وذلك هو الكنز الثمين الذي خصَّ بهِ الخالق كلَّ عاقل ليفوز بغايتهِ القصوى . وكما انهُ تعالى منح الافراد تلك الهبة السامية اراد ايضًا ان تزدان بها الاجتماعات البشرية فتسعى وراء ما يلائم خيرها ويزيد في عمرانها وتضمُّ قواها في تعزيز جانبها وادراك غايتها ونفي كل ما يضرّ بصوالحها . فحريَّة الشعوب ملازمة لحريَّة الافراد . ويحقُّ للامم ان تدافع عن حرمة حريَّتها المدنية والسياسية كما يجدر بالافراد ان يحموا ذمار حريَّتهم ويذبوا عن حقيقتها

*

فهيهات اذن ان ننكر الحريَّة او نبخس من حقوقها ونحن ابناء تلك الكنيسة التي قامت في وجه العالم الوثني لابطال رقّ العبوديَّة ونفي ذلك العار العظيم الذي شوَّه وجه الانسانية مدَّة نيف وثلاثة آلاف سنة حتى كان القسم الاكبر من البشر اضحى مستعبدًا لمن كانوا يُدعون وحدهم باحرار . وقد وضع الرسول منذ اوَّل النصرانية مبادئ المساواة والاخاء بين كل ابناء الايمان حيث قال (غلاطية ٣ : ٢٨) : « ليس

يهوديٌّ ولا يونانيّ ليس عبدٌ ولا حرّ . . . لانكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع ». وقال (كولسي ٣ : ١١) : « والبسوا الانسان الجديد الذي يتجدّد للمعرفة على صورة خالقهِ حيث ليس يوناني ولا يهودي ولا ختان ولا قُلف ولا اعجميّ ولا اسكوتي ولا عبد ولا حرّ بل المسيح هو كلّ شيء وفي الجميع »

ولكن قلْ لي ناشدتك الله أفيلزم من كون الانسان حرًّا ان تسوّغ لهُ هذه الحرية ان يفعل ما بدا لهُ ويتفوّه بكل ما خطر على بالهِ ولا يعترض لهُ احد في حركاتهِ وسكناتهِ مهما كانت اعماله ذميمة شأن البهائم العجماء وضواري السباع التي لا يردعها رادعٌ في حملاتها وشأن السيل الزحاف الذي يندفع من علٍ فلا يقوم في وجههِ حاجز ويأتي بالمعاطب والمهالك . كلّا ثم كلا فانَّ الذي يفهم على هذه الصورة معنى الحرّية لفي غلط مبين

ثبت لك ممّا مرَّ انَّ الحرّية في الانسان هي قوة في ارادتهِ بها يستطيع ان يقبل على عمل او يمتنع عنهُ وان يقدم على امرٍ او خلافه ويختار بين الخيرات ما شاء اختياره . لكنَّ الارادة في الانسان قوّة عمياء تميل بهِ الى اشياء مختلفة يمكنها ان تضرَّه ولا تنفعهُ فاذا تهافتت اليها دون روّية وادراك ربّما عثرت بما فيهِ هلاكها وسقطت في مهواةٍ لا نجاة لها منها على مثال الاعمى الذي يسقط في الحفرة . فلا بدَّ اذن للارادة البشريّة من دليل يقودها ومرشد يتقدمها وهذا الدليل هو رائد العقل جعله الله في الانسان بمثابة المصباح ليستضيء بهِ قبل ان يترك ارادته تتسارع الى ما فيه عطبهُ

فترى ان ارادة الانسان مقيَّدة بالعقل خاضعة لحكمه ومن ثم يجب ايضاً القول بانَّ حريّة المرء مقيدة اذ الحرّية من صفات الارادة الجوهريّة ومتى خالفت الارادةُ حكمَ العقل واستعملت حرّية اختيارها في طلب شهواتها بمعزل عنه تعدَّت طورها وافسدت حريّتها كما لو اتّخذ المرء سلاحاً وُضع للدفاع وقتل العدوّ ليقتل بهِ نفسهُ او يهلك بعض اصدقائه وذلك سوء استعمال الحرّية الذي ليس هو في الانسان من الكمالات بل هو نقصٌ وخللٌ متعلّق بمشيئة المرء ما دام في هذه الحياة . فان استسلمت الارادة لهذا النقص زلت عن رتبتها وتلطخت بالاثم . ومن اقترف الاثم فقدَ الحرّية وفقاً لقول السيد المسيح لليهود (يو ٨ : ٣٤) : انَّ من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة

فان كان الامر كذلك ولا بدَّ للارادة من استشارة العقل قبل استعمال حرّيتها

لئلا تتهوَّر في لجّة الاثم وتقع تحت رقّ العبوديّة فدعنا نستفتي العقل عن تخوم الارادة ونستطلعه عن حدود الحريّة فلا بدع انه يفيدنا عن الامر ويبيّن لنا جليًّا الى اين تبلغ الارادة ومتى يجوز لها بان تطلق لحريّتها العمل دون ان يلحق بها الاثم

اوّل ما يحكم به العقل انّ الانسان مخلوق وله خالق يتولّى امره ويطالبه باعماله ليثيبه على حسناته او يقتصّ منه لسيئاته. فمن هذا الوجه تتقيّد حريّة المخلوق وتترتّب عليه واجبات لبارئه لا مناص له منها فيعبده تعالى ويتمّم وصاياه ويتقاد لوحيه اذا ثبت الوحي لانبيائه. فان استعمل الانسان حريّته لمكابرة الحق ومخالفة سلطانه الاعلى سبحانه وتعالى اجتنى اثمًا وصارت له حريّته وبالًا

ثم يفيدنا العقل اذا طلبنا مشورته انّ الانسان خُلق لينتظم في سلك الهيئة الاجتماعية فيكون عضوًا من اعضاء ذلك المجتمع الادبيّ وبما انّ المجتمع البشري يتألّف من رؤساء ومرؤوسين ومن امراء ومأمورين فيلزم كلّ انسان ان يحفظ سُنن ذلك الجسم العظيم ولا يتعدّى شرائع العمران البشريّ فيقوم بواجبات مقامه في بيته اوّلًا من حيث هو صاحب عائلة او هو مولود او مستخدم. ثم في وطنه في اي منصب كان فيعيش على مقتضى واجبات الملك اذا كان ملكًا والمملوك اذا كان مملوكًا متمّمًا لفرائض مهنته ووظيفته قائمًا بشرائع بلاده والترتيبات الموضوعة بالحكمة البشريّة. والمفروضة من اصحاب الامر الشرعيين على حسب النظام المدنيّ ووفقًا للشريعة الازليّة التي كتبها الله في القلوب لانّ كل سلطة من الله كما يعلمنا الرسول وكل من يقاوم السلطان انّما يُعاند ترتيب الله (رومية ١٣ : ١)

ثم يرشدنا العقل ايضًا الى اكرام الذين يضبطون السلطة حتى انّ الرسول (١ف ٦ : ٥) يطلب منّا الطاعة للسادة الجسديين كطاعتهم للمسيح. وان كان يحقّ على الانسان الطاعة للسلطان المدنيّ فكم بالحريّ ينبغي له الخضوع للسلطان الدينيّ الذي يمثّل السلطة الالهيّة على نوع اخصّ وهو اجدر بان يُسمّى ظلّ الله على الارض. وكل هذه الواجبات يقف عليها الانسان بمشاورة عقله فتتقيّد حريّته من كل هذه الوجوه

ويكشف لنا العقل الصائب بان حريّتنا مقيّدة ايضًا بازاء قريبنا فانّ كل البشر قد وُهبوا الحريّة مثلنا فلا يجوز لنا ان نحصر حريّتهم او ننقصها طمعًا في توسيع حريّتنا اذ يبيّن لنا العقل هذا المبدأ الاوّلي: لا تفعل بغيرك ما لم تشاء ان يفعل بك غيرك

فكلّ هذه الحقائق وغيرها مما يتبادر الى العقل بديهيًا عند التبصر والتفكير تُثبت علانيةً بان الحرّية الانسانيّة لا تتناول غير امور معلومة لا تخرج عن دائرة الشريعة الصمدانيّة والشرائع البشريّة المبنيّة على تلك الشريعة العليا الازليّة . امّا الحريّات التي تمنحها بعض الدول او تجاهر بها دساتير بعض الامم كحريّة الفكر وحريّة القول وحريّة الاديان وحريّة المطابع فانّها كلها لاحقة بالمبادئ التي سبق ذكرها والتي يقضي بصوابها العقل السليم فان خالفت تلك المبادئ انقلبت فوائدها الى مضرّات وبيلة واستحقت ان تُدعى استرقاقًا وعبوديّة بدلًا من الحريّة وليس لدولة سلطانٍ او دستور ان يتسامح بها اذ لا تقوى شريعة بشريّة على شريعة الله

فخذ مثلًا حريّة القول . افيجوز بعد منح الدستور ان يتشدّق كل مهذار بما يدور في خلده فيطعن زيدًا ويكشف عيوب عمرو ويستخفّ بالسلطان وينتقد على اصحاب الامر دون سبب كافٍ ويسلق بلسانه الحادّ ارباب الدين ويطرئ المخلدين الى اثارة الفتن كأنّ الغيبة والنميمة والافتراء وثلب الاعراض لم تَعُد من الجرائم التي يُسأل عنها الانسان وكأن الدستور الغى من جملة المحظورات اكرام السلطان واعتبار ممثلي الدولة وتوقير خدّمة الدين والطاعة لاوامرهم في ضمن دائرة سلطتهم . لا لعمري انّ الدستور لم يُلغِ شيئًا من ذلك ولم يمكنهُ الغاؤه مهما شاء لانّ ذلك ليس بوسعهِ ولا بسلطة بشر

وما قلناهُ عن حريّة القول يُقال ايضًا عن حريّة المطابع فانّ لاصحاب المطابع ان ينشروا كل ما فيهِ فائدة للجمهور وللخير العام او الخاصّ على شرط ان يراعوا المبادئ المذكورة فلا يخدشوا في شيء وجه الآداب ولا يبخسوا حقوق الدين ولا يتهموا السلطة الحاكمة فان وجدوا في ارباب الحكم ظلمًا او قصورًا نبّهوا اليهِ بما امكنهم من الاعتدال او رفعوا الامر الى المراجع العليا ليُصلَح . امّا رؤساء الدين فان مقامهم يستدعي اعتبارًا اعظم لانهم آباؤنا الروحيون فيفوقون على آباء الطبيعة كما تفوق الروح على الجسد واذ لا يجوز للولد الطبيعي ان ينتهك حرمة والدهِ فيستحقّ لعنة كنعان فكذلك يجني جناية عظيمة الكاتب النصرانيّ الذي يندّد برؤسائهِ الروحيين ويبخس من قدرهم وينكر لهم الطاعة وبذلك يعصي اللهَ نفسه الذي قال (لوقا ١٠ : ١٦) انّ السامع منهم يسمع منهُ تعالى والذي يحتقرهم يحتقرهُ . وهو الذي اوصى بفعل

ما يقولهُ الكتبة والفريسيون رغماً عن سوء اعمالهم لانهم جالسون على كرسيّ موسى (متى ٢٣: ٢)

اما حريّة الفكر وحريّة الاديان فلا يراد بهما ان للانسان ان يطلق لافكاره العنان فينوي الكفر والزندقة والالحاد او انهُ يسوغ لهُ بان يتبع ايّ دين شاء دون تورٍّ حتى الشرك وعبادة الاصنام والمجوسيّة وانّما المقصود بهما ان الحكومة تقصر همّها بالامور المدنيّة ولا تتداخل بما يختصّ بذمة الانسان ودينه وانما تحمي ذوي الاديان على سواء تاركة لهم المسؤوليّة في تديُّنهم سواء كان هذا الدين باطلًا او مستقيماً على شرط ان كلًّا منهم يلزم دينه دون مناوأة دين غيره وإن رأى ان دينه ليس بالدين الصحيح فلا تتعرّض له السلطة المدنيّة ان ابدله بعد الفحص والتفتيش بدين آخر يراهُ الدين اليقين

فهذه هي الحريّة الصحيحة المبنية على شهادة العقل وعلى المبادئ الثابتة والاساس المتين وكلّ ما يقوّض هذه الاركان انما هو مكر وخداع ليس لهُ من الحريّة غير اسمها وزيّها دون جسمها وحقيقتها. بل قل انّ ذلك استعباد ورقّ على مثال اولئك الذين بكّتهم الروح القدس على لسان اشعيا النبي قائلًا (٥: ١٠—١٢): «الويل للذين يجرّون الاثم بحبال الباطل... الجاعلين الظلمة نوراً والنور ظلمة الجاعلين المرّ حلواً والحلو مرّاً». فهذا الويل يحلّ بلا شكّ باولئك المتمسكين الذين لا يرون في منح الحريّة الّا مجالًا لخلع العذار وترويج اهوائهم الباطلة وتنكيس كلّ من يتجاسر على مقاومة جموحهم وقحتهم. امّا الحريّة فهي تتبرّأ منهم وتعدّهم من الدّ اعدائها لانهم يرتكبون كلّ محظور ومحروم وينسبون ذلك الى الحريّة كاذبين

يروي تاريخ فرنسة عن امرأة شهيرة تُدعى مدام رولان (Mme Rolland) انّها لعبت في أيّام الثورة الفرنسويّة دوراً مهمًّا وكانت من اشدّ انصار الثائرين تخطب وتكتب باسم الحريّة لتهيّج القلوب وتلقي فيها البغض والشحناء على ملك فرنسة لويس السادس عشر حتى قتلهُ رعاياهُ ثم لم تزل مدام رولان تجمح في غلوائها وتحرّض على تقويض دعائم السلطة حتى تآمر عليها بعض اصحاب الثورة وقبضوا عليها وحكموا بقطع رأسها فحملوها الى منقع الدم فلمّا مرّت بساحة من ساحات باريس حيث نُصب تمثالٌ للحريّة التفتت اليها صارخةً: «يا حريّة يا حريّة كم وكم من الآثام يرتكبها الناس باسمكِ»

فيا ليتنا لا نرى قريباً مثل هذه السينات يجترحها غوغاء القوم فينسبونها زوراً الى الحرّية. فانهُ ليس حرّية صحيحة خارجاً عن الدين والآداب وكل حرّية سواها جورٌ وخلاعة مهما كذب الكاذبون الذين لا يحجزهم في ركوب اهوائهم تقىً ولا يردعهم عن الآثام نهىً ولا مراء انهم سيُجرّحون يوماً كمدام رولان بعديتهم ويعود كيدهم في نحرهم

مطبوعات شرقية جديدة

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH DE BEYROUTH, MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE. *Beyrouth. Impr. Catholique,* 1906-1908, vols I-III. pp. 377, 423 et 477.

طُرف لاساتذة المكتب الشرقي في كليّة القديس يوسف

هذه المرّة الاولى نذكر فيها هذه الطُرَف التي همّ بنشرها اساتذة المكتب الشرقي اللاحق بكليتنا. وليس لسكوتنا سبب غير ما اسكت الضفدع:

قالت الضفدع قولاً فسّرتهُ الحكماء
في فمٍ ماءٍ وهل ينسطق من في فيهِ ماء

هذه الطرف عبارة عن ثلاثة مجلدات كبيرة الحجم تحتوي ٢٥ مقالة في العلوم الشرقية كالتاريخ الدينيّ والمدني والجغرافية والآثار والعاديات والابحاث اللغويّة في العبرانية والقبطية والعربية وغير ذلك من المواضيع الخطيرة التي يرتاح اليها العلماء لاسيما في الاقطار الغربية وكلهم قد تلقّوها بالترحاب واثنوا على اصحابها. ولا نشك في انّ اهل بلادنا يقبلون عليها ايضاً اذا ما اطّلعوا على مضامينها المفيدة لمعرفة احوال الشرق وعادياته. وهذا جدول مقالات الجزء الاخير ندوّنهُ هنا كمثال على ابحاث هذه الطرف: ١ً كتاب النَّغم لابي عبيد. نشرهُ الاب بويج اليسوعي ٢ً مباحث في تاريخ خلافة معاوية (تابع) للاب هـ. لامنس. ٣ً والي فينيقية الروماني ايليوس ستاتورتس من السنة ٢٩٣ الى ٣٠٥. للاب ل. جلابرت. ٤ً ملحوظات لغويّة في اللغة العبرانية للاب براس جرون. ٥ً المزامير ذات الادوار. للاب هـ. رَيمان. ٦ً سياحة الدكتور ب. مورتس في جهات عيون موسى وبلاد العرب (مصوّر). ٧ً كتابات يونانية ولاتينية في آسية الصغرى (بنطس والقبادوق وقيليقية). للابرين

جرفانيون وجلابرت الينوعيين. وكل هذه المقالات مكتوبة على الطريقة العلمية الجارية بين كبار الكتبة مع تعليقات وشروح وتفاسير تجاهها في جملة التآليف المبتكرة التي لا يسع العلماء جهلها او الاضراب عنها. ومعظمها في مواضيع لم يسبق المؤلفين احدٌ الى البحث فيها. مثال ذلك اكتشاف الاب جلابرت لوالٍ روماني مجهول تولّى الامر على عهد القياصرة ديوقلسيانوس ومكسيميانوس وقسطنس استنادًا الى كتابتين جديدتين. وكذا قُلْ عن بقية المقالات التي في هذا القسم بل في الاقسام الثلاثة كلها كما اقرَّ به العلماء الذين قرَّظوا هذا المجموع م. شان

ETUDES SUR LE RÈGNE DU CALIFE OMAYYADE MO'AWIA 1er, par le P. H. Lammens s. j., *Beyrouth. Impr. Catholique*, 1908, pp. 448+XXXII.

مباحث تاريخية في خلافة معاوية

ليس بعد عمر بن الخطّاب رجل كمعاوية وطّد اركان الخلافة ومثّل في شخصه صفات ملوك العرب. فلبيان الامر كان حضرة الاب هنري لامنس ألقى في المكتب الشرقي خطباً متوالية حضرها ادباء بيروت بكل رغبة. ثمَّ عنَّ للخطيب ان يجمع تلك الدروس فينشرها في طُرَف المكتب الشرقي السابق ذكرها فظهرت في اجزائها الثلاثة الاولى. ثم طُبعت على حدة في كتاب ضخم تبلغ صفحاته ٤٤٨ ما خلا فهارسهُ الواسعة. وهذا التأليف اوسع وادقّ ما كُتب الى يومنا عن اوّل خلفاء بني امية وقد استعان الكاتب الفاضل في تأليفه بتواريخ عديدة طُبع قسمٌ منها والقسم الآخر لا يزال مخطوطاً وفي ذيل الصفحات الاسانيد التي ركن اليها لاثبات آرائه الجديدة المستطرفة في تعريف ذلك الامام الجليل ووصف اخلاقه وآدابه وسياسته مع اهله ومواطنيه من المسلمين والرعايا. وهذا الكتاب يستحقُّ ان يُنقل الى العربية ولعلّنا نعرّب منهُ بعض فصوله تنويهاً بفوائده وفضل مؤلفه ل. ش

Dialoghi Italiani Arabi per il padre Ambr. Iammin Scebabi. *Beyrouth*. Tip, *Cath.*, 1908, pp. 400.

محاورات ايطالية عربية للقس امبروسيوس يمين الشبابي (المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٨ ص ٤٠٠)

كان للغة الايطاليَّة في بلادنا مقام رفيع قبل انتشار اللغة الافرنسيَّة وهي لم تفقد الان مع ذلك اهميَّتها لنفوذ ايطاليا في الشرق ولاحتياج التجار اليها في معاملاتهم وهذا

الكتاب يحتوي من التمارين والمخاطبات وجداول المفردات ما يضمن للطلبة تعلم اللغة الايطاليانيَّة بوقت قريب على شرط ان يكون الدارس قدَّم عليه درس صرف اللغة ونحوها . وقد تفنن صاحب التأليف بوضع هذه المخاطبات فاودعها كثيرًا من المباحثات التي تدور بين الناس في كل ظروف الحياة حتى اصبح نافعًا للكبار فضلًا عن احداث المدارس . والكتاب مطبوع بحرف جميل وعلى ورق صفيق نحض محبي اللغة الايطاليانيَّة من اهل الوطن على اقتنائه ل . ش

Petit résumé d'histoire à l'usage des écoles d'Orient par J. Méchélany. HISTOIRE DE LA GRÈCE. 1re *partie, Zahlé.* 1907, pp. 60.

مختصر تاريخ اليونان بالافرنسية

طُبع هذا الكتاب بالافرنسية في مطبعة المدرسة الشرقية في زحلة وهو يحتوي بالسؤال والجواب خلاصة التاريخ اليوناني في احد عشر فصلًا منذ نشأة الدول اليونانية الى أيام المسيح . وهو مختصر مفيد للمدارس الابتدائية فقط ل . ش

العبادة الحقيقية لمريم البتول الأمّ الالهية

تأليف الطوباوي لويس دي مونفور . عرَّبهُ الاب ادوار سلزاني اليسوعي

طُبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٨ (ص ١٧٢)

الطوباوي لويس دي مونفور قديس عظيم وكاتب بليغ معًا . اشتهر في اعمال فرنسة بقداسته في اواخر القرن السابع عشر واهدى بعظاته الى التربية عددًا لا يُحصى من الخطأة . وله عدَّة تآليف تقويَّة انار بها العقول وألان القلوب . من جملتها هذا الكتاب في العبادة الى العذراء الطاهرة . فبعد ان عرَّب حضرة الاب ادوار سلزاني كتاب القديس الفنس دي ليغوري الذي عنونه « بالطريق المستقيم الى حب يسوع القويم » اراد ان يجعل هذا الكتاب كملحق للكتاب السابق لئلا يفصل الامّ عن ولدها وقد احسن باختياره لهذا المصنَّف الجليل الذي يتضمن في فصول قليلة لباب التعبُّد الى مريم البتول مع بيان ضرورة هذه العبادة وصفاتها وفوائدها ومفاعيلها مع الطرائق المرشدة الى ممارستها فنشكر حضرة المعرِّب ونطلب من البتول ان تجازيهُ خيرًا على فعلهِ وتنفع بكتابهِ النفوس البارَّة ل . ش

تأثري في لورد

للاديب يوسف ابي كرم البرمائي (مطبعة الاجتهاد ١٩٠٨ ص ٢٨)

كتبنا في احد اعدادنا السابقة فصلاً في لورد وتاريخها وعجائبها بنسبة اليوبيل الخمسيني لظهورها في تلك البلدة المباركة. وقد جرت بعد ذلك حفلات عظيمة اهتزّ لها العالم الكاثوليكي طرباً وكانت الجموع الوفاً وربوات ومئات الوف تتوالى حاجّةً الى ذلك المزار الشريف لتنال من نعم سلطانة السماء نصيباً. اما العجائب التي تجترحها صاحبة المكان في كلّ سنة فقد ضاعفتها في هذا العام نحو البائسين الملتجئين الى حماها فكأن لورد اضحت اليوم مستشفى لكل مرضى الخافقين واسعدنا الحظ بان نجتمع ببعض الذين حضروا تلك المظاهرات فكانوا كلهم ألسنة ناطقة بفضل العذراء ومعجزاتها التي شاهدوا منها بالعيان عدداً وافراً من عرج وكُسحاء مشوا وعميان نظروا ومزمنين أيس منهم الاطباء برئوا تماماً. ولم تعدم بلادنا السوريّة من الزوار الذين ذهبوا الى لورد ورجعوا ليشهدوا بما عاينوا. ولم يكتفِ جناب يوسف افندي ابي كرم بان يؤدي لمواطنيه هذه الشهادة الشفاهيّة بل احبّ ان يدوّنها على صفحات كراسة نشرها بعد رجوعه من لورد وضمّنها اخبار رحلته الى ذلك المقام الشريف مع العجائب التي جرت فيه. وقد ختمها بقصيدة مطلعها

بلُرْدٍ قد تركتُ القلبَ لمّا بكت عيني مودّعةً رباها

وختمها بقوله:

سلامٌ من فتًى يبغي مساناً بلُرْدٍ لا حياةً في سواها
سأذكر حسنها ما دمت حيّاً واذكر لُرْد ما هبّت صباها

الشاديات: نبذة اولى من التواريخ

نظم حضرة الخوري اسطفان ضوء خادم البترون

طُبع في المطبعة الشرقية في لبنان (١٩٠٧ ص ٣٢)

هي باكورة منظومات حضرة المؤلف ضمّنها التواريخ الشعريّة التي قالها من السنة ١٨٩٥ الى السنة ١٩٠٧ وهي تربي على ستين تاريخاً وقد رفعها تقدمة اكرام لصاحب السعادة حبيب باشا دي السعد رئيس مجلس ادارة لبنان سابقاً. وكلّها من الشعر الرائق

تتضمّن نكتاً ظريفة تزيدها حسناً وتطبع في ذهن القرّاء الحوادث المشيرة اليها ل.ش

كتاب منهج السلوك في سياسة الملوك

للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله (طُبع في مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٣٢٦ ص ١٤٠)

هذا الكتاب من التآليف الادبيّة التي وُضعت لارشاد الملوك في تدبير الامور وحسن السياسة للرعيّة وطبقات اهل المملكة قسمهُ صاحبهُ الى عشرون باباً في وصف آداب الملوك وشيمهم الكريمة وقد اودعهُ من الحكم والنوادر والمواعظ والحكايات قسماً كبيراً متحاشياً فيهِ الايجاز المخلّ والاطالة المملّة. وكنا وددنا لو صدَّر الكتاب جناب المتولّين لطبعهِ احمد زكي ابي شادي ومحمد رشدي افندي الخبير بمقدمة يفيداننا بها شيئاً عن نسخة الكتاب وهي كما يظهر وحيدة من جنسها ليس منها نسخة ثانية معروفة. ثم يزيدان تعريفاً بالمؤلف فانَّ اسمهُ «عبد الرحمن بن عبد الله» لا يجدينا علماً باصلهِ وفضلهِ وبقيّة اخباره. ويظهر مع ذلك انهُ من كبار ادباء زمانهِ ولولاه لما اقدم على رفع كتابهِ للملك الناصر صلاح الدين بن يوسف الايوبي كما روى في فاتحة تأليفهِ فانَّ هذه المقدّمات لا غنى عنها اليوم قياماً بحقوق فنّ الانتقاد. امّا طبع الكتاب فيقتضيهِ ايضاً بعض التحسين فانَّ حبره قليل وورقهُ ليس بحسن وقد بقي في المتن اغلاط لم تُصلح ولعلها كذلك في الاصل فكان ينبغي التنبيه عليهِ. فمن ذلك ما جاء من ابيات في خصال الطير

سماسة ديك ثمَّ رأفة دجاجةٍ وحرسةُ كركيٍّ وحذرة زاغب

فنظنّ انَّ «زاغب» تصحيف «ناعب» وهو الغراب كما يظهر من الشرح السابق للابيات. وبعدهُ: «وحملة خنزيرٍ وقب غدنفر» والصواب: «قلب غضنفر». وقد ورد في الصفحة ٣٥ هذا البيت

فالصبر اولى ما اعتصمتَ بهِ ونم حوشا جوانب الصدر

والشطر الثاني مصحف لا يُستخرج له معنى. وكذلك قد تصحّف مرارًا اسم معزّة النعمان في الصفحتين ٩٦و٩٧ فرُويت «معزّة». فهذه الملحوظات لم نثبتها هنا

---

١) وعبد الرحمان المذكور هو عبد الرحمان الشيزري الذي ذكرناه في المشرق (١٠: ٩٦٤) المتوفّى سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م)

لزراء بقدر الكتاب ولكن رغبةً في تحسين المطبوعات المصريَّة التي لم تزل في الغالب سقيمة قليلة الضبط والاتقان ل.ش

رسائل البلغاء

نُشرت في مجلَّة المقتبس تباعاً (في المطبعة الظاهر في مصر سنة ١٣٢٦–١٩٠٨ ص ١٠٠)

ان الفاضل صاحب مجلَّة المقتبس احد ادباء الاسلام القليلين الذين أُولعوا بنشر آثار كتبة العرب الاقدمين في مصر فلا يخلو عدد من مجلَّته دون طرفة منها جازاهُ الله عن فعاله خيراً وثاب الذين يؤازرونهُ في هذا العمل الجليل ولاسيما صاحب الهمَّة والعلم الشيخ طاهر الجزائري. ومما نشرهُ تباعاً في المقتبس رسائل ونتف وحكم لكاتبين مبرّزين شرَّفا الآداب في زمانهما وهما عبدالله بن مقفَّع وعبد الحميد بن يحيى الكاتب وكلاهما قد عاش في صدر الاسلام في القرن الثاني منهُ ويغني اسمهما عن اطراء فضلهما. ثم جمع هذه المنشورات فطبعها على حدة تقريباً لفوائدها وتسهيلاً لمراجعتها. ويا ليتها تُطبع طبعاً اجدر بمحاسنها فتُقدَّم عليها بعض المقدَّمات لبيان خطرها وتصدَّر بترجمة كاتبيها الافضلين ثم يُختار لها حرفٌ كبيرٌ مُشرق محلَّى ببعض التشكيل. فلا جرم انَّ ارباب المدارس يتَّخذونها كدستور الكتابة ومثال حسن البلاغة. فان شاء الله تردان بهذه المحسنات في طبعة ثانية ل.ش

شذرات

مكتبة باريس العمومية هي اقدم مكاتب اوربَّة بعد مكتبة رومية الواتيكانيَّة. واغناها بالمطبوعات التي تبلغ نيفاً و ١,٥٠٠,٠٠٠ كتاب. يقصدها العلماء من كل البلاد وقد أُحصي العام الماضي عدد الذين دخلوا المكتبة فكان ١٩٩,٨٠٣ اعني بمعدَّل ٥٥٠ في اليوم. امَّا عدد الكتب التي طلبوها للمطالعة فبلغ ٦١٠,٦٧٩ وذلك فضلاً عن المخطوطات التي طالعوا منها نحو ١٧,٠٠٠

تآليف جديدة في الحسبة مرَّ لنا في المشرق (١٠: ٩١١) ذكر الحسبة عند العرب مع تعريف حقيقتها والتآليف التي وضعوها في ذلك ثم وصفنا كتاباً نفيساً للمرحوم فقيد الآداب سليم افندي شحاده نقلنا عنهُ فصولاً (المشرق ١٠: ١٠٧٩ و١١: ٥٨٠). ومما افادتنا مؤخَّراً مجلة المقتبس الغرَّا اكتشاف بعض المخطوطات

في هذا الصدد. وقد قال صاحبها (ص ٥٤١ من المجلد الثالث): « ان العرب ألّفوا ما يربي على عشرين كتاباً منها » ولم يذكر اسماءها. ثم اردف ان البحث اظفره باربعة منها وصفها في ذيل تلك الصفحة وصفاً مختصراً. فمنها كتابان دعاهما باسم واحد « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » احدهما لعبد الرحمن الشيزري (وصفناه في المشرق ١٠: ٩٦١) والآخر لم يُفدنا عنهُ غير كونهِ لمؤلف من اهل القرن الثامن. والكتاب الثالث دعاهُ بالحسبة وروى انهُ « لعمر بن محمّد بن عوض الشامي من مخطوطات مكتبة احمد تيمور بك من علماء القاهرة وقع في ١٣٤ ورقة من الحجم الوسط ... تمّ سنة ١١٧١ » ولا نعلم أيدلّ هذا التاريخ على سنة نسخهِ او سنة تأليفهِ كما أننا لم نقف على خواصّهِ وابوابهِ وعلاقتهِ بالكتابين السابقين. امّا الكتاب الرابع فهو الذي نبّه عليهِ صاحب المقتبس كلامهُ وقال انهُ « لمحمّد ابن محمّد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي » ولم يذكر زمانهُ. ورواية الاسم « بابن الاخوة » افضل من روايتنا « بابن الاحوه » التي تصحّف بها الاسم في نسخة اكسفرد. أمّا اسم الكتاب فلم يذكرهُ في المقتبس وهو مذكور في نسخة اكسفرد دعاهُ كتاب « معالم القربة في احكام الحسبة » وقد قابلنا بين ما نشرهُ المقتبس منهُ وما نقلناهُ عن نسخة المرحوم سليم شحاده فاذا بين الكتابين شبه عظيم في اكثر الابواب اخذتنا الحيرة في توافقهما. فيا ليت كان جناب صاحب المقتبس اوقفنا على سبب هذا التوافق. ولعلّ احد الكتابين ناسخ عن الآخر وهو سرٌّ لا بدّ من كشفهِ

أسئلة واجوبة

س سأل من رومية الطلب حضرة الخوري جرجس السبلاني: ١ هل تُعرف الدار التي سكنتها مريم العذراء مع يوحنا الحبيب بعد صعود ابنها الى السماء في القدس الشريف ٢ في اي دار حلّ الروح القدس على التلاميذ

دار يوحنا الحبيب والعذراء مريم في القدس — محل حلول الروح القدس على التلاميذ

ج يروي التقليد انّ السيدة البتول بعد صعود ابنها عاشت مع يوحنا الحبيب في القدس الشريف في دار قريبة من العلّية الصهيونيّة. وهذا التقليد قديم مدوّن في بعض الكتب غير القانونية ونقلهُ الآباء كالقديس مودسطوس اسقف اورشليم († ٦٣٤) ويوحنا موسكوس († ٦٢٠) والقديس صفرونيوس (٦٢٤—٦٣٨) وكثيرون غيرهم من بعدهم. وفي تلك الدار توفيت العذراء على الرأي المرجّح. ومكان هذه الدار

معروف وبه تبرّعت الحضرة السلطانيّة فاهدتهُ للدولة الالمانيّة واهداهُ القيصر للالمان الكاثوليك فاقاموا هناك كنيسة جميلة يتمُّ بها البندكتيون. اما الدار التي حلَّ بها الروح القدس على التلاميذ فالعليّة الصهيونيّة كما روى القديس لوقا في اعمال الرسل (١:١٣) ومكانها معروف كانت فيه كنيسة قديمة بناها النصارى الاولون واخبر عنها القديس ايفانيوس ان الملك ادريان لم يخربها سنة ١٣٥ لما اخرب اورشليم . وبقي ذكر هذا المكان محفوظاً الى عهدنا الاب ماريوس شان

س سألنا من طرابلس جناب الكاتب البليغ حكمت افندي شريف ان نسرد لهُ اسماء الامراء الصليبيين الذين تولّوا الامر في طرابلس الشام من السنة ١١٠٩ الى ١٢٨٩ مسيحية

اسماء امراء الصليبيين في طرابلس

ج هذه اسماؤهم كما وردت في تواريخ الصليبيين الفرنجية : ١ً اولهم برتران ابن الكنت ريموند دي سان جيل وفاتح طرابلس ١١٠٩—١١١٢ = ٢ً ابنهُ بنس ١١١٢—١١٣٦ = ٣ً ريمند الاوّل ابن بنس ١١٣٦—١١٥٢ = ٤ً ريمند الثاني المعروف بالصغير ابنهُ ١١٥٢—١١٨٧ = ٥ً بكرهُ ريمند الثالث ١١٨٧—١٢٠٠ = ٦ً اخوهُ بوهيمند الرابع جمع بين امرتي انطاكية وطرابلس ١٢٠١—١٢٣٢ ونازعهُ في ملك طرابلس ريمندُ روبان ابن ريمند الثالث ١٢٠١—١٢٢٢ = ٧ً بوهيمند الخامس امير انطاكية وطرابلس ابن بوهيمند الرابع ١٢٣٣—١٢٥١ = ٨ً ابنهُ بوهيمند السادس ١٢٥١—١٢٧٤ = ٩ً ابنهُ بوهيمند السابع ١٢٧٤ الى ١٣ نيسان من السنة ١٢٨٧ وفيها فتح السلطان قلاون مدينة طرابلس واخرج منها الفرنج. وكانت وفاة بوهيمند في ١٩ تشرين الاوّل من تلك السنة

س سأل الاديب يوسف افندي النلبوني متى أنشئت الجمعيّة الماسونيّة

تاريخ الجمعيّة الماسونيّة

ج يدّعي الماسون ان اصل جمعيّتهم يرتقي الى ايام سليمان وحيرام ملك صور على عهد بناء هيكل اورشليم وهي مدّعيات خرافيّة لا سند لها والمعروف انّ الماسونية كما هي اليوم باسرارها ومعاكستها للسلطتين الدينيّة والمدنيّة ترتقي الى العشر الثاني من القرن الثامن عشر ومنذ ظهورها قد حذّر الاحبار الرومانيّون من شرّها ونهوا المؤمنين عن الدخول فيها ل.ش

قداسة

حبر الاحبار ورأس الكنيسة المنظور

البابا يوس العاشر

المشرق

يرفع فرائض التهاني البنوية الى اعتاب الحضرة البابوية

قداسة البابا بيوس العاشر

إمام الاحبار وخليفة هامة الرسل ونائب المسيح على الارض

بفرصة يوبليه الكهنوتي والاسقفي

اليوبيل الاسقفي
١٨٨٤–١٩٠٨

اليوبيل الكهنوتي
١٨٥٨–١٩٠٨

يوبيلا الحبر الاعظم الكهنوتي والاسقفي

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٨ نال قداسة الحبر الاعظم رتبة الكهنوت الشريفة فيكون مرَّ عليهِ كاهنًا خمسون سنةً وادرك ما يُعرَف اليوم بالعرس الذهبي. ثم انَّ قداستهُ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ رُقّي الى درجةٍ أسمى شأنًا اعني رتبة الاسقفية التي تُعدّ في الكنيسة كمال الكهنوت وتخوّل المتقلّد بها الحقّ لرعاية بيعة الله التي اقتناها المسيح بدمهِ (اعمال ٢٠: ٢٨) فبلغ منها اليوم خمسًا وعشرين سنة وذلك العرس الفضي. فلم يسَع الكاثوليك أن يضربوا الصفح عن تذكارين جليلين كهذين دون ان يتسارعوا الى اقدام كبير احبارهم ويرنوا بالنظر الى شمس فلكهم ومنارهم ليقدّموا لسامي عرشهِ فرائض الاكرام ويترجموا لهُ عن شواعر اخلاصهم البنوي ويستمدُّوا من ضيائهِ نورًا جديدًا ليسيروا في ظلمات هذا العالم فيسلموا من مهاوي الضلال ولا يتيهوا في مغاوي الفساد او يعثروا في سبيلهم بمعاثر الريب والشكوك. وما لنا في هذا الموسم العظيم الّا ان نضيف صوتنا الضعيف الى اصوات الثلثمائة مليونًا من الكاثوليك المرتفعة من اربع خوافق العالم الى ابي المراحم ومصدر كل الهبات والنعم طالبين منهُ من صميم الفؤاد بان يؤيد النائب عنهُ في ارضنا بيمينهِ القادرة ويصونهُ بعينهِ الساهرة ويسبغ عليهِ ظلّ انعامهِ في هذا العيد ويمتعنا بعد مدّة بافراح يوبيلهِ البابوي كسالفهِ السعيد

﴿ ١ الكاهن ﴾

انَّ للدول وللرجال العظام شعارًا يُعرف بهم ويُعرفون به قد اختاروهُ ليكون منبهًا لافكارهم وباعثًا لهممهم فكأنهُ الغاية التي يرمون اليها والنور الذي يستضيئون به فاذا حقّقوهُ بالفعل كان اجمل ثناء على حُسن سلوكهم وصدق نيّاتهم. وليوس العاشر امام الاحبار شعارٌ فاخر استعارهُ من كلام بولس الرسول الى اهل افسس (١: ٣—١٠) حيث وصف للمؤمنين غاية سرّ الفداء التي هي «تجديد كل شيء في

المسيح » فما دعا الله حبرنا الجليل الى رئاسة الكنيسة جمعاء الّا وجاهر بهذا الشعار وجعلهُ فحوى براءتهِ الاولى الى لفيف رعاياهُ

ولا غرو فان نظرنا الى حياة صاحب اليوبيل واستقرينا اعمالهُ رأيناهُ جاريًا في نور هذا المبدأ الشريف ليس فقط منذ جلوسهِ المأنوس على الاريكة البابويَّة ولكن منذ تجلّى لهُ الله يوم قبولهِ نعمة الكهنوت فادرك من حينهِ سموّ تلك الدعوة وعرف حقّ المعرفة انَّ الكاهن قبل كلّ رجلُ الله ورجل النفوس فلم يَعُد مستقلًّا بنفسهِ بل اصبح آلةً لمجدهِ تعالى فيحيي كلّ موات بحياة المسيح ويصلح كلّ فساد بقوَّة المسيح ليكون المسيح كلًّا في الكل (كو ٣: ١١) لان كل شيء هو منهُ وبهِ واليهِ (رو ١١: ٣٦) لهُ المجد على مدى الدهور

قضى الكاهن يوسف سارتو ربع قرنٍ في تتمَّة واجبات الكهنوت كان كل يومٍ من تلك الاحقاب تحقيقًا لشعارهِ السابق ذكرهُ. فخدم اوَّلًا النفوس في قرية حقيرة تُدعى تُنبولو كان معظم اهلها من اصحاب الصنائع والفلاحة فما كان يأبى ان يمتزج بهم بل كان يؤانسهم ويلاطفهم ويتحفَّى لهم ويستطلع كلّ اخبارهم ليقف على حاجاتهم ويسدَّها ما امكنهُ فاكتسب بانسهِ ثقتهم ولم يفتهُ شيء من اسرار حياتهم حتى عرف خيرهم وشرَّهم وذاق حلوهم ومرَّهم وصار اخبر الناس باحوال العَمَلة وأحنكهم بالأبحاث الاجتماعية واعرفهم باوهام الاشتراكيين وترهَّات الفوضويين التي كتب فيها بعدئذٍ كتابة رجل ثاقب الفكر سامي المدارك واسع الباع

وممَّا عُني بهِ في السنوات الاولى من كهنوتهِ تعليم الشعب وتهذيبهُ بالآداب المسيحيَّة لعلمهِ بقول النبيّ (ملاخي ٢: ٧): « بانَّ شفتي الكاهن تحفظان العلم ومن فمهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاك ربّ الجنود ». فلم يسعهُ ان يكون ملحًا تفهًا لا يُصلح ارض القلوب او مصباحًا يُحجَب ضوؤهُ تحت المكيال. فكان كل يوم احد او عيد يرقى منبر الخطابة ليرشد المؤمنين ويدعوهم الى كل المبرَّات وصالح الاعمال. وكان في اوَّل امرهِ يحبُّ زخرف الكلام والتأنُّق في العبارات لكنَّهُ عدل عن ذلك بمشورة احد الكهنة الافاضل فصار يفضّل سذاجة الانجيل على الحكمة البشريَّة وعلى كل براعة في الالفاظ فتحقَّق بالاختبار قول الرسول (عبر ٤: ١٢): « انَّ كلام الله هو حيّ عامل امضى من كل سيف ذي حدَّين نافذ حتى مفرق النفس والروح » فيستغني عن البلاغة البشريَّة

وكانَّ الله اراد مذ ذاك الحين ان يوطّن نفس كاهنه على علاج كل الاسقام فانتشب في تلك الاثناء الحرب بين دولتي ايطالية والنمسة ودُعي اخوهُ الى الجندية فلم تلبث الجرحى أن تُرسل الى كل المستشفيات ليقوم بمداواتهم اصحاب الفضل. وما كان يوسف سرتو ليتأخر عن هذا عمل الرحمة بل كان يتردّد على المستشفيات ليؤدي لاولئك البائسين كل الخدم الروحية والجسدية التي في طاقته دون تمييز بين جرحى الايطاليين والنمسويين فيتفانى على حدٍ سوى في سبيل الجميع ليكسبهم جميعاً للمسيح. وقد واظب على تلك الخطة معتزلاً في تصرُّفهِ للامور السياسيَّة داعياً الى الله بان يمد رواق السلام على وطنهِ الى ان انتهت الحرب بدخول بلاد البندقيَّة في حوزة ايطالية سنة ١٨٥٩

وبلغ راعيَ الابرشية اسقف تراثية ما خصَّ بهِ يوسف سرتو من المزايا الطيبة والفضائل الكهنوتيَّة السامية فدعاهُ سنة ١٨٦٧ الى تدبير رعيَّة اعظم من تمبولو وهي بلدة سلزانو من اعمال البندقيَّة لعلمهِ بتجرُّدهِ عن كل غاية بشريَّة في خدمة النفوس في مدينة كانت سابقاً تحت حكم النمسويين. فقُضي على الكاهن البارّ ان ينفصل عن ابنائهِ في تمبولو مع شقّ النفس وباشر بكل غيرة ونشاط واجباتهِ في مأموريَّتهِ الجديدة مستشعراً بشعارهِ المعتاد أن يجدّد كل شيء في المسيح. وكانت اوَّل كلمة تلفَّظ بها امام اهل سلزانو المقبلين للسلام عليهِ: « انني ساكون رجل الكلّ وخاصَّة الجميع بلا استثناء »

وكذا كان في الحقيقة مدَّة السبع السنين التي قضاها في سلزانو. فانَّ اهل البلدة كانوا لسانًا واحدًا في الثناء على نزاهتهِ وزهدهِ وخدمتهِ للكلّ دون مراعاة الاشخاص او محاباة الوجوه. وكان قلبهُ الابوي يحدو بهِ الى تفضيل الفقراء والمساكين والمرضى والمهملين وكان لا يردّ مستعطياً حتى انَّهُ غير مرَّة احتارت اختاهُ في البيت ماذا تُعدّان لقوتهِ اليوميّ اذ كان يتصدَّق بكل ما تقع عليهِ يدهُ من دراهم واثاث وطعام. ففي احد الأيام اهداهُ رجلٌ من ابناء رعيَّتهِ لفصل الشتاء حطباً ليصطلي به فما مرَّ عليه ثلاثة أيام حتى وزَّعهُ كلَّهُ على ذوي البأساء وبقي طول الشتاء يُكابد شدَّة البرد. وفي يوم آخر ضمن الخاتم الذي كان يتختَّم به خوارنة سلزانو ايذانًا برتبتهم لوفاء دين استدانهُ لمساعدة الفقراء

وكان تعطفهُ على المرضى اعظم وارقّ فيضعف مع الضعفاء قدوةً بالرسول (٢ قور ١١: ٢٩) . وكان لا يتريث في عيادتهم اذ يبلغهُ ابتلاؤهم بالمرض فيزورهم ويعزّيهم ولا ينفصل عنهم حتى يزوّدهم بالاسرار ويمدّ اليهم يد المساعدة . وكثيرًا ما كان يخرج اليهم في آناء الليل في ايّام البرد القارس . وكان في البلدة مستشفى لذوي العاهات كان يخصص لخدمة مرضاهُ قسمًا كبيرًا من وقته وماله . ولمّا حاول بعض ذوي المطامع أن يضبطوا اوقافهُ دافع بنفسه عن حقوق المستشفى لم تأخذهُ في دفاعه لومة لائم او مهابة ظالم

وكان سرتو مع رعاية النفوس لا ينسى خدمة الربّ وما يتوط بكرامة بيته . فانهُ اسرع الى اصلاح كنيسته وترميمها فنرشها بالرخام وزيّنها بالآثار الجميل واقتنى لها الآنية المقدّسة لخدمة الهيكل ونقش على جدرانها التصاوير البديعة الممثلة لاعمال القديس الرسول برتلماوس الذي كانت الكنيسة على اسمه . واعدّ ارغنًا رخيم النغمات يوقع على اصوات ارباب الغناء الكنسيّ في الحفلات الدينيّة . وكان لا يضنّ بالنفس والنفيس لزيادة رونق الاعياد وتنشيط روح الدين في رعيّته فأنشأ الجمعيّات التقويّة كالاخويّات والشركات الصالحة لاكرام القربان الاقدس وتعميم شركة الورديّة وعبادة درب الصليب . امّا المواعظ والرياضات السنويّة فكان يباشرها في اوقاتها فيتقاطر الى استماع تعاليمه الخلاصيّة الغرباء فضلًا عن اهل رعيّته لبلاغة كلامهِ

وكان اهتمامهُ بالاحداث عجيبًا فيجمعهم ويلقنهم مبادئ الدين وقد ابتنى لهم قاعة كبيرة تسعهم على كثرتهم . وكذلك المهاجرون الى البلاد القاصية كان يهتمّ بتسفيرهم ويوصي بهم ارباب الدين في الاقطار الاجنبيّة ليكونوا في مأمن من الاخطار والبلايا عند وصولهم ولا يلحق بايمانهم ضرر

وفي سنة ١٨٧٥ تفقّد اسقف تراقية السيد تسينالي مدينة سلزانو ورأى عيانًا ما اصطنعهُ راعيها الفاضل من الاعمال الاثيرة . فظنّ ان رجلًا كيوسف سرتو لا يصلح الّا لكنيسته الكاتدرائيّة ليكون لهُ كمساعد ومستشار في تدبير ابرشيّته فجعلهُ قانونيًا على بيعته وناظرًا على اعمال كنيسته

ما عتّم السيد تسينالي أن ادرك قيمة الكنز الذي حصل عليهِ فلم يدع امرًا خطيرًا الّا وكلّ بهِ القانونيّ سرتو . واوّل ما عهد اليهِ رئاسة مدرستهِ الكهنوتيّة

ليكون للمترشحين لدرجة الكهنوت قدوةً حيَّة ومثالًا لجميع الفضائل. فكدَّ الرئيس الجديد ذهنهُ وسهر عينهُ في القيام بهذه المهمَّة ليؤازر كنيسة الله بكهنة صالحين يجمعون بين العلم والتقى وهما جناحا الكاهن بهما يحلّق الى اعالي السماء ويرقى معهُ النفوس الموكول اليهِ تدبيرها

وكان مع هذا يبسط عنايتهُ الى كل المشروعات الخيريَّة من تربية الاحداث وتهذيب الشبيبة وتقديس العيال المسيحية. وكان في سلزانو انشأ جمعيَّةً للشبَّان يلقي عليهم خطباً لاهوتية وفلسفيَّة واجتماعيَّة. يباحثونهُ فيها ويعرضون عليهِ المشاكل ليحلَّها فأتت باثمار جمَّة. فرأى في تراقيسة ان يستأنف هذه الخطب ويدعو اليها جمهور الشبَّان فأتوها حتى ضاقت بهم الغُرَف الفسيحة

وكان لا يأبى ان يخدم الاجانب ايضاً من غير دينهِ فمن ذلك انهُ لبَّى دعوة اسرة موسويَّة من تراقيسة وعلَّم اولادها الآداب الايطالية رغماً عن اشغالهِ العديدة. فعرفت لهُ تلك العائلة حسن فضلهِ واثنت على همَّتهِ القعساء.

امَّا اسقفهُ فكان يزداد كل يوم اعتباراً لشخصه وفي سنة ١٨٧٨ خرج لزيارة الابرشيَّة فرافقهُ قانونيُّهُ في هذه المهنة وكان كلاهما لا يدَّخران وسعاً في العمل حتى ان الاسقف أُصيب بثالج واضطرَّ الخوري سرتو ان ينوب عنهُ في تدبير الامور فسُرَّ الجميع بحسن سياستهِ ولين عريكتهِ ولمَّا استأثر الله بالاسقف بعد مدَّة عُقدت الخناصر على توليتهِ النيابة الاسقفيَّة ريثما يتعيَّن لسالف الميت خلف

وبعد اشهر قُلد السيد كلينارى شؤون اسقفيَّة تراقيسة سنة ١٨٨٠ فما كان منهُ الَّا ان اثنى على ادارة نائبهِ لأحوال الابرشيَّة واثبتهُ في مقامهِ وكان يرجع الى رأيهِ في كل مذاهبهِ. ولو كان الله اعلمهُ بالغيب لعلم انَّ نائبهُ هذا سوف يكسوهُ يوماً بالارجوان ويشرّفهُ بمنصب الكرادلة. ولمَّا زار الاسقف في العام القابل الاعتاب الرسوليَّة رافقهُ في زيارتهِ نائبهُ العزيز فقدَّمهُ للحبر الاعظم لاون الثالث عشر فتلطَّف بهِ امَّا الكاهن الوضيع فلم يخطر ببالهِ انهُ هو المندوب ليخلف لاون في رتبتهِ الرفيعة ويجلس على هذا العرش السامي الذي كان منطرحاً عند اقدامهِ فسبحان الذي يُنهض المسكين من التراب ليرفعهُ فوق عظماء الارض

لم تطل مدّة اسقفيّة السيد كليفاري في مدينة ترانيسة فانتدبهُ الحبر الاعظم سنة ١٨٨٢ الى كرسي بادوا واقام بدلًا منهُ احد اساتذة مدرسة ترانيسة السيد ابولونيو وكان هذا يعرف حقّ المعرفة النائب الاسقفي سرتو فسلّم اليهِ مقاليد التدبير في انحاء ابرشيّتهِ لعلمهِ بانهُ اذا عُني بامر دبّرهُ من احسن وجوههِ . فبقي النائب سائرًا على خطّتهِ ممتّعًا برضى الرؤساء والمرؤوسين اذ دخل عليهِ السيد ابولونيو في صباح احد الأيام على فجأة وسلّمهُ براءة الحبر الاعظم التي تفوّض الى عهدتهِ اسقفيّة منتوا. فبقي النائب واجمًا لا يحير جوابًا. وكأنّ الرتبة الاسقفية ظهرت لهُ في جلالها وشرفها فأنف ان يتكأّد اعباءها وتخوّف مسئوليّتها امام الديّان الرهيب فترامى على كرسي امامهُ واندفع يبكي ويتوسّل الى اسقفهِ بان يُبعد عنهُ هذه الكأس ويطلب من الحبر الروماني بان يختار من هو اولى بهذا المقام. لكنّ البراءة البابويّة كانت قد أُعلنت وكان حكم البابا قاطعًا فلم يمكن الاسقف ابولونيو ان يسكّن جأشهُ الّا انهُ عرض عليه مثال الرب الذي احبّ البشر وجعل نفسهُ مطيعًا حتى الموت وموت الصليب. فنصت البنيس لهذا الكلام واتّخذهُ كدليل على ارادتهِ تعالى

٢ الاسقف

الاسقف في الكنيسة بمنزلة الاب في البيت والرئيس في الجماعة والوالي في المدينة يرعى بيعة الله ويرشد ابناءها من كهنة واكليريكيين وعالميين فيقودهم في طريق الخلاص ويزيّن نفوسهم بالفضائل ويصونهم عن الاضاليل والآراء الفاسدة ويسهر عليهم سهر من سيحاسبهُ الله عن كل واحد منهم. وذلك ما كان يُرهب الخوري سرتو عند انتخابهِ لكرسي منتوا ويرعد فرائصهُ لاسيما انّ اهل منتوا كانوا وقعوا من بضع سنين في أشراك الفوضويين الذين اسعروا في قلوبهم المطامع واثاروا الفتن وحجبوا عن القلوب انوار الدين. الّا انّ البابا لاون لم يوجّه اختيارهُ الى النائب الاسقفي سرتو الّا لعلمهِ بمقدرتهِ . ولمّا رآه بعد سيامتهِ عند أقدامهِ باركهُ قائلًا: « ان كان اهل منتوا لا يحبّون راعيهم الجديد فذلك دليل على انهم لا يستطيعون ان يحبوا احدًا لانّ السيد سرتو احبّ الاساقفة واكثرهم لطفًا ودماثة » ثم صرفهُ الى ابرشيّتهِ ليصطاد نفوسها في الشبكة الرسولية

خرج السيد سرتو من رومية وهو يردّد قول بطرس للمسيح: « بكلمتك ألقي الشباك ». وكان منذ تقرّر انتخابهُ لاسقفيّة منتوا جعل تحت نظره شعارهُ المعروف بان يجدّد كل شيء في المسيح. وقد اودع ذلك رسالتهُ الاولى التي وجّهها الى المجلس الملّي في منتوا بقوله: « ستلقون في الموفود اليكم كاهنًا لواؤهُ لواء السلام وشريعتهُ شريعة الحبّ. انّ راعيكم الجديد فقير بالارضيّات لكنّهُ غنيٌّ بالقلب. لا يأتيكم سوى غاية واحدة ليخلّص نفوسكم ويجعل كل رعاياهُ اسرةً واحدة كلّها احباب واخوان »

والحق يقال ان الاسقف ما كاد يدخل مدينتهُ حتى جذب اليه كل خراف رعيّته فان غنى قلبه كان مفتاحه الى قلوبهم فنال به ما لا يُنال بغنى الذهب والمال وربح الكل للمسيح واتّخذ لهُ في الاسقفيّة كقدوة حياته مثال القديس كارلس بورومايوس. ولمّا رأى الحقل الموكول لحراثته واسعًا كثر فيه الشوك والزوان باشر باصلاح ما وجده أمسّ واحوج اعني سيرة الكهنة ورجال الدين لعلمه بانّ الاكليريكيين كرآة ينظر الشعب فيهم الخير والشرّ فيقتدي بهم فاختار لتدبير الرعايا رجالًا رآهم اهلًا لهذه المهنة الشريفة وجعل لهذه المناصب الاكليريكيّة سباقات يمنحها المترشّحين على حسب استحقاقهم وعلومهم

وكذلك رقّى الدروس في المدارس الاكليريكيّة واضاف اليها العلوم العصريّة التي لا ندحة للكهنة من الالمام بها. وكان يتردّد حينًا بعد آخر على المدارس فيراقب تعليم المعلمين ويتحقّق نجاح التلامذة وكثيرًا ما كان يفحصهم جهارًا باللغات والعلوم الدينيّة والدنيويّة فيندهش الجميع من سعة معارفه. وفي بعض السنين توفي على بغتة معلم اللاهوت الادبيّ ولم يجد استاذًا مستعدًّا لمواصلة تعليمه فتولّى الامر بنفسه مع وفرة اشغاله واعرب عن طول باعه في هذا العلم ذي المشاكل والعقبات

ثم اخذ يزور الابرشيّة في اوقات متقاربة ليبعث همم الرعاة والمؤمنين معًا ولم يأنف ان يلقي العظات حتى في القرى الحقيرة بل كان اذا زار كنيسة يجلس في كرسي التوبة ليحلّ الذين يقصدونه للاقرار بخطاياهم فزاد بمثله هذا اقبال المؤمنين على الاسرار ونشاط الكهنة في اتمام واجباتهم

ثم أعقب السيد سرتو اصلاح اكليروسه باصلاح لفيف المؤمنين طائفةً طائفة وطبقةً طبقة شأن البستانيّ الحاذق الذي يسيل مياه الحوض الى كل مزدرعاته. وكان لهذه

الغاية يوفر الوسائل الدينيَّة ويؤسس الجمعيَّات التقويَّة وينشئ الشركات الخيريَّة. وكان يتقرَّب الى اعداء الدين نفسهم حتى يكسبهم للسيرة الصالحة. وقد مات غير واحد منهم بعد ان اناب الى الله عن يده

ومن الاعمال العظيمة التي قام بها السيد سرتو (سنة ١٨٨٦) الاحتفال بالمئة الثامنة لموت القديس انسلموس الذي كان بشَّر في ابرشية منتوا (سنة ١٨٩١) ثم حفلات المئة الثالثة لوفاة القديس لويس دي غنزاغا اليسوعي المولود قريباً من منتوا وكان اجداده تولَّوا امرة هذه الولاية فانَّ الاعياد البهيجة التي جرت في هذين الموسمين بثت في النفوس روح التقوى وازالت عن قلوب كثيرة غشاوة آثامها

وكانت الاقطار الاوربية قد سبقت ايطالية في عقد المؤتمرات الاجتماعية للنظر في امور العملة وصيانة حقوقهم وعلاج ادوائهم فانبرى السيد سرتو لهذا العمل في وطنه وبهمَّته اجتمع سنة ١٨٩٠ اعضاء المؤتمر من كل انحاء ايطالية في مدينة بلاسنسة فخاضوا في كل المسائل الاجتماعيَّة التي تشغل اليوم افكار الدول واتخذوا ما رأوهُ انسب من الاحتياطات الاقتصاديَّة والتحويرات الماشية لتخفيف وطأة الفقر عن العملة وتحسين احوالهم ومنع الازمات والاعتصابات التي تريدهم شقاء ومضرَّات

كان الاسقف سرتو قضى في منتوا تسع سنوات في اعمال شريفة كان يقدّرها الناس قدرها مع كونهِ يسعى جهدهُ في اخفائها تواضعاً. وكان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر قد عرف فضلهُ السامي وهو ينتظر فرصةً ليعلن باعتبارهِ لشخصهِ وبثقتهِ في رويَّتهِ فجاءت تلك الفرصة لمَّا توفي بطريرك البندقيَّة السيد دي اغوسطينيس فلم يجد الحبر الاعظم من يدعوهُ الى هذه الرتبة الشريفة احقّ شأناً من اسقف منتوا لكنَّهُ لم يشأ مع هذا ان يحرم اهل ابرشيَّتهِ من تدبيرهِ لعلمهِ بانَّ الجميع كباراً وصغاراً يتمعضون كأبٍ لفقده فترك لهُ تدبير اسقفيَّة منتوا الى سنتين ريثما يقوم بادارتها من هو كفؤ لمواصلة الاعمال الجليلة التي انشأها. وقد اضاف الاب الاقدس الى هذه النعمة الاولى نعمة ثانية فنظم البطريرك الجديد في سلك امراء الكنيسة وكرادلة البلاط الروماني في اواسط حزيران من السنة ١٨٩٣

*

ليس هنا المكان لنطرئ مفاخر البندقية ونعدّد اوصافها كفاها فخرًا انها مدّة اجيالٍ متوالية كانت ربّة البحر تزاحم بتجارتها البحريّة كل تجارات الدول الاوربية. ولها امجادٌ الدينية ارفع شأنًا واجلّ قدرًا من محاسنها المدنيــة فانها تشرّفت ببشارة الانجيلي مرقس تلميذ بطرس ونالت من كرسي هامة الرســل الرتبة البطريركية منذ قرون عديدة. وقد شرّف هذا المقام كثيرون من افاضــل الرجال اشهرهم القديس لورنسيوس جستنياني في القرن الخامس عشر فانّ اسمــهُ لا يزال الى عهدنا حيًّا في البندقية يباركهُ كل من يذكر فضائلهُ العجيبة

اقتدى يوسف سرتو في اسقفيّتــهِ بكرلوس بورومـاوس فانتسى في البندقيّة بامثال سلفه لورنسيوس ليحيي فضلهُ بين اهل بطريركيتهِ. ولم تبقَ هــذه الرغبة مترويةً في قلبهِ بل لاحت في عيون الجمهور منذ الأيام الاولى بعد تنصيبهِ وكان يتشبّه بشفيعهِ خصوصًا في اعمال الرحمــة نحو البائسين والمرضى والفقراء. وقد وجدوهُ يومًا كالقديس لورنسيوس حاملًا في ظلمة الليل فراشًا لبعض المساكين بلغــهُ انهُ في اسوإ حالة في احد اكواخ المدينة. فما لبث ان شــاع فضل البطريرك واشتهر تفانيهِ نحو المعوزين حتى عرف الجميــع انّ الحبر الجديد احد رجال الله فاخذوا يساعــدونهُ في مشاريعهِ الخيريّة ويجارونهُ في مبرّاتهِ. وكان اعداء الدين قسهم لم يتجاسروا ان يرشقوهُ بطاعنهم خوفًا من الجمهور لئلّا ينسبوهم الى الكذب

وكانت الحكومة الحلية لا تزال الى عهــدهِ معاديةً للدين ولأربابه وما كان الكردينال سرتو ليضحي ذرّةً من حقوق الكنيسة لإرضاء خاطرها لكنّهُ كان يظهر في كل حين مراعاتهُ لقوانين البلاد ويتحايد كل ما يخرجهُ عن دائرته الدينيــة ويحرّض الجميع على العيشــة الولانية والاتحاد في المشروعات الآئلة الى ترقي الوطن وتحسين احوالهِ ماديًّا وادبيًّا حتى اثنت الحكومة على همّتهِ واخذت تعضدهُ في مساعيه الخيريّة ودعتهُ الى بعض الاحتفالات ليرأسهــا كممثل الكنيسة فتولّى بركة سفينة جديدة جُرّت الى البحر بعد ان كرّسها الكردينال بصلوات الكنيسة في حفلة عظيمة

وهو الذي جدّد عادةً كانت أُلغيت منذ سنين مديدة وهي بركة القربان تُعطى

سنويًا لمياه البحر بحضور كل اهل المدينة برونق بهي بعد ان يُطاف بالقربان الاقدس بالانوار والشموع وطاقات الزهور والترنم بالتسابيح التقويّة حتى يبلغ الموكب الى محل يشرف على ساحل البحر فيباركهُ البطريرك ويبارك كل القوارب المزدانة بالرايات التي تزدحم فوقهُ

وما اكتفى بهذا بل اراد في السنة ١٨٩٧ ان يجعل البندقية كعرش لربّ القربان تتقاطر الى اكرامه الشعوب المسيحية من كل اقطار العالم فانَّ المظاهرات الجليلة التي حدثت آخرًا في مدينة لندن سبق الكردينال سرتو واجراها وقتئذٍ في مدينته البطريركية فعقد اللجنات واستدعى كل اكليروسهِ القانونيّ والعاليّ وقسَّم بينهم الاشغال لإعداد مؤتمر قربانيّ يبقى ذكرهُ على صفحات التاريخ على مدى الازمان. فبعد التأهبات اللائقة وجد الكردينال البندقية مستعدّة لهذه الاعياد الحافلة فافتتح المؤتمر في ٨ آب في وسط جماهير جمهرة اقبلت من اقاصي البلاد لحضور تلك الحفلات الفخيمة الآخذة بمجامع القلوب. وقد حضر هذا المؤتمر اربعة كرادلة و ٢٨ اسقفًا وعدد لا يحصى من كهنة ومؤمنين من بلاد وطوائف مختلفة وتواصلت الاعياد والطوافات والجلسات الادبية اربعة ايام متوالية اصبحت فيها البندقية صدًى لحامد إله القربان وعجائبه. وكان الكردينال سرتو قد انشأ في ردهات واسعة وقاعات فسيحة معرضًا جامعًا لكلّ اصناف الآثار الدينية المختصَّة بالقربان الاقدس من حلي ومصاغات وجواهر وآنية ثمينة وتصاوير وحلل كهنوتية فكنت ترى الالوف من الزوار يتناوبون الى منظر هذه الكنوز ويقضون العجب من محاسنها

وكان الكردينال مدَّة السنين العشر التي جلس فيها على كرسي البندقية قد اضحى كنفس كل المشروعات الجليلة وكل الاعمال الخطيرة فلا تكاد تجد اليوم في تلك الحاضرة مشروعًا الّا ولهُ فيهِ يدٌ فانَّهُ اهتمَّ كما في تراقية وفي منتوا في اصلاح مدرستهِ الاكليريكية وترقية تلامذتها في معارج النجاح بل صرف نظرهُ الى كل مدارس المدينة ليراقب فيها التعليم الدينيّ وتهذيب الاحداث على سُنن الآداب

ولمَّا رأى الاخطار الناجمة عن الجرائد الكفريَّة المناقضة للآداب لم يعرف الراحة حتى انشأ جرائد كاثوليكية تقوم في وجهها فتنلح الحديد بالحديد وتُبطل باجوبتها اضاليل الملحدين فجعل بذلك الجرائد انصارًا للدين والآداب. وبهذه الطريقة

نشط حزب المحافظين وعرف الكاثوليك قوتهم وضعف اعدائهم فلم يزالوا يزيدون عددًا وفضلًا في مدافعتهم عن عقائدهم حتى تمكنوا في السنة ١٨٩٥ ان يدخلوا في مجلس البلدية عددًا وافرًا من نصرائهم فرجحت بذلك الاعمال النافعة للبلاد وتعزز روح الدين وزهق الباطل

فكل هذه المآثر واعمال أخرى عديدة لا يسمح لنا ضيق صفحات المشرق بتعدادها جعلت حياة الكردينال سرتو في اعين المعاصرين كشبه صرح شاهق يستدعي له تاجًا يزينهُ فيصبح تامّ المحاسن مستوفي البهاء والرونق وما كان يعرف احد غير الله ما عسى ان يكون ذلك التاج لمثل هذا البناء. واسرار الله لا يدركها بشر

*

في ٢٣ نيسان من السنة ١٩٠٣ هبط في البندقية برج قديم يُعَدّ من آيات البناء علوهُ ٢٨ مترًا كان يزين كنيستها الكاتدرائية المشيَّدة على اسم القديس مرقس الانجيليّ. فكان لهذا الحادث دويٌّ عظيم ورنّة حزن في قلوب كلّ البندقيين الّا انّ تحمسهم الديني لم يسمح لهم بان يتركوا على الحضيض آثار بنائهم الشامخ وما مرّ عليهم ثلاثة اشهر حتى جمعوا النفقات لاستئناف ذلك البرج الفريد. وكان الكردينال سرتو يتقدّم الجميع في هذا العمل كما في سائر الاعمال الشريفة فدعتهُ الحكومة رسميًا لوضع الحجر الاوّل لهذا الأثر الجديد ففعل في حفلة افاضت الجرائد في وصف جلالها ومحاسنها فكان هذا العمل خاتمة مآثره في البندقية

وفي تلك السنة عينها هبط في رومية بعد الصرح البندقي ببضعة اسابيع برج آخر اشرف واشمخ من السابق برج حيّ اقامهُ الله لانارة الشعوب لاون الثالث عشر اكبر رجال عصرهِ. فما كانت الكنيسة لترضى بتيتمها فتألّبت زعماؤها واستدعت لادارة سفينة بطرس ذاك الربّان الذي وطّن نفسهُ على اهوال البحر في البندقيّة عند اقدام مرقس تلميذ بطرس ليكون هو البرج الحيّ الذي ما كان البرج البندقي سوى رمزهِ وصورتهِ

وهاك اليوم قد مرّ على هذين البرجين ستّ سنوات. وقد كاد البرج الاوّل يبلغ ذروتهُ فيتشمّخ بهِ البندقيّون الى ما شاء الله والى ما تصبر عليهِ آفات الدهر. امّا الثاني

فأملنا ان يعلو سنين عديدة بعد فيبلغ سني بطرس كسلفيه السابقين. وعلى كل حال انَّ ما رأيناهُ من محاسن هذا البرج الفخيم حتى هذه الساعة يكفي ليجتذب اليهِ كل الامم ويدلَّ الشعوب على ذلك الجبل الذي فيهِ خلاصهم. قال النبيّ (ميخا ٤: ١—٣): «ويكون في آخر الأيام انَّ جبل بيت الرب يوجد في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري اليهِ الشعوب ويتطلق امم كثيرون ويقولون هلمُّوا نصعد الى جبل الرب وبيت إله يعقوب وهو يعلمنا طرقهُ فنسلك في سبيلهِ... فيحكم بين الشعوب الكثيرين ويقضي للامم الاقوياء»

على هذا الجبل العالي قد وُضع صرح بيوس العاشر وقد حقَّق كاسلافهِ في شخصهِ كل ما تنبَّأ عليهِ ميخا في هذه الآية العجيبة. قُل ناشدتك الله اي شعب لم يتطلق اليهِ في سائر جهات المعمور ليس فقط من الامم الكاثوليكية بل من كل القبائل والنحل فقد دخل الواتيكان لزيارة بيوس العاشر ملوكٌ بروتستانت كملك انكلترة وامبراطور المانية وشقيقيها وملوكٌ روم كملك اليونان واتتهُ وفود الدولة العليـة ونروج والصين واليابان وكورية والحبشة. اليهِ احتكم الخصوم حتى اصحاب الممالك والدول. وهو الذي قضى للامم الاقوياء. وبرآتهُ الرسولية مفعمة بالتعاليم الصادقة التي بها يعلّم الناس ان يسلكوا في سبل الرب فانهُ منذ تبوّئهِ للسدَّة الرسولية قد حرَّر خمس عشرة رسالة عموميَّة لكل البطاركة والاساقفة والمؤمنين في العالم كلهِ ليتمّم وصيَّة الربّ الموجَّهة اليهِ في شخص النبيّ (ارميا ١: ١٠) حيث قال: «اني قد اقمتك في الامم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس» فكم من جراثيم الضلال استأصلها من حقل الكنيسة وكم من اركان البطل والفساد نقضها وابادها. وكم غرسَ في حديقة البيعة من اشجار مثمرة وكم شيَّد من الابنية العامرة

فانهُ بصفة كونهِ اسقف رومية الخاصّ باشر بتدبير كل امورها الروحيـة كي لا يفوت حتى الصغير من ابنائهِ شيء من الصلاح فواجه كهنة الرعايا ويلّغهم وصاياهُ ولم يزل يهتمّ بشؤونهم بعناية عجيبة ليكون المؤمنون في حاضرة الكثلكة قدوة لغيرهم في بقيَّة المعمور

ولكون البابا بيوس رئيس اساقفة سواد رومية وملحقاتها وجَّه عنايتهُ الى هذا

القسم من حظيرتهِ واهتمَّ بهِ اهتمامهُ برومية نفسها ووكل الى الكردينال نائبهِ بان يزورها باسمهِ ويتلافى امورها ويعرض عليهِ كل لوازمها الروحية والزمنيَّة

ومن حيث هو جاثليق ايطالية لم يدع شيئاً مما رآهُ لائقاً لانماء روح الدين في جاثليقيَّتهِ ولهُ الى اساقفة ايطالية المناشير المفعمة براً وغيرة لتهذيب الاكليروس ولتلقين المؤمنين بالمبادئ الدينية ولمناصبة الشيع السريَّة ولتوحيد عمل الكاثوليك مع اساقفتهم . وكان بيوس العاشر مع فقرهِ اوَّل من بادر الى مساعدة المصابين بالزلازل في جبال كلابرية وصرف المبالغ الطائلة في ترميم كنائسها المتداعية

وكبطريرك الاقطار الغربية لم يبرح عن فكرهِ بلد من تلك البلاد دانيها وقاصيها وليس بوسعنا ان نعدّد هنا دلائل عنايتهِ الى فرنسة والمانية والنمسة وانكلترة وروسية وبلجكة وهولندة والدنيمرك واسوج ونروج . فانَّ المشرق ذكر شيئاً من ذلك في نظرهِ السنويّ العامّ عن اهم الحوادث الجارية في اوربَّة

لكنَّ بيوس العاشر هو فوق كل ذلك ابو المؤمنين ورئيس الكهنوت وامام الاحبار وخليفة بطرس الرسول ونائب المسيح فانَّ عنايتهُ لا يمكنها ان تنحصر في زمن او مكان واحد بل تشمل كل كنائس العالم كالشمس ترسل اشعَّتها على كل الاقطار وليس من يتوارى عن حرّها ونورها . ولو اردنا هنا اثبات اعمال حبرنا من هذا القبيل لتوفَّرت الادلَّة واتَّسع المجال وقد ألمَّ المشرق بذلك ايضاً في وصف حوادث كل عام وحسبنا ان نذكر هنا اصلاحهُ للغناء الكنسيّ واوامرهُ في شرح التعليم المسيحيّ في كل اسبوع وتنشيطهُ للمواظبة على الاسرار المقدَّسة لاسيما التناول المتواتر وتشذيبهُ للاضاليل العصريَّة وغير ذلك مما لم يبرح عن ذكرى قرَّائنا

ونحن احقر ابناء قداستهِ لا يمكننا ان ننسى ما خصَّ بهِ رسالتنا السوريَّة وكليَّتنا اذ بارك اعمالها في سبيل الله وخدمة الكنيسة من تعليم وتهذيب وتأليف وقد بلَّغنا هذا الانعام برقيم شريف من يد كاتم اسرار دولته ثم كرَّر بركتهُ ثانياً وثالثاً بعبارات طافحة من الحبّ الابويّ لحضرة الاب لوسيان كاتين رئيس كليَّتنا لمَّا تشرَّف بالمثول امام عرش قداستهِ في حزيران الماضي

امَّا كنائسنا الشرقية فقد نالت اوفى حصَّة من اهتمام قداستهِ كما اعلن بالامر بطاركة طوائفنا الاجلَّاء بمناشيرهم . ولا يزال صدى الحفلات البهيجة التي اقيمت

في هذا العام تذكاراً للمئة الخامسة عشرة من وفاة فخر الكنيسة الشرقية يوحنا فم الذهب يتردَّد على مسامعنا. وقد تنازل كبير الاحبار ان يشارك الكنيسة اليونانية بالتقديس فخوَّل ابناءها شرفاً قدَّروهُ قدرهُ

فيا لله ما اعلى مقام الكنيسة الرومانية التي يمجدها الله باحبار لا يُشقُّ لهم غُبار ويقصر عن ادراك شأوهم كل سيَّار. ولا غرو فانَّ هامتهم يزينها ذلك التاج المثلَّث الذي يرمز الى ملء سلطتهم كقضاة الارض وائمة الدين ونوَّاب الله في عالمهِ. فلتحيَ كنيسة الله وليحيَ رأسها المنظور ولتُسرع الى حظيرة المسيح الخراف الضالَّة لتكون قريباً ان شاء الله رعيَّة واحدة وراعٍ واحد

صدى المشرق

تُرفعُ الى ركن الكنيسة البابا بيوس العاشر

تهنئةً بيوبيلهِ الذهبيّ

من نظم الملبَّم الفاضل يوسف افندي الفاخوري احد اساتذة كليَّتنا

يُحيّيكَ آلُ الشرق يا نائبَ الربِّ ... بعيدك عن ودٍّ تلظَّى بهِ لُبّي
تحيّيكَ اجدادٌ يرطّبُ تُربها ... رضاك عن الشرق البعيد عن الرُّعب
تحيّيكَ آباءٌ أبوا كلَّ مذهبٍ ... يناهضُ شرع الله في العُجم والعُربِ
تحيّيكَ ابناءٌ على الحقِّ قد سروا ... وما كان منهم خائف اللوم والعتبِ
يحيّيكَ لبنانٌ ومن ضمَّ ارضهُ ... وما انبتت غرساً يحنُّ الى السُّحبِ
وتلثمُ اقداماً وطئتَ بها الثرى ... فباركتهُ فاعتزَّ تيهاً على الشُّهبِ
لانَّ بكَ الدين الصحيح ممنَّعٌ ... وإيماننا حيٌّ يصانُ من العطبِ
تذودُ عن الرب المهيمن راعياً ... تفدّي بنيه باذلاً مهجة القلبِ
كذا بطرس قد كان قبلك هادياً ... وقبلك احبارٌ تفانوا بذا الحبِّ

فانتَ امامٌ لا امام يفوقهُ تنفّذُ ما يقضي حجاكَ يدُ الربِّ
تذلُّ ملوكُ الارض عندكَ هيبةً وتبجيلَ عرشٍ لم يثلّ مدى الحقبِ
وتأتيكَ اربابُ العلوم بخشيةٍ فتغنمُ منكَ النصحَ عفواً بلا نُصبِ
بقولكَ لم تخطأ وذلكَ عصمةٌ ومن قبلكَ النوابُ كانوا بذا الارب
اذا صالَ ما بين القبائل موجعٌ وليس لهُ عند العوالم من طبِّ
اتوكَ وقد سادَ القنوطُ وراءهم فتبدي لهم رأياً احدَّ من العضبِ
وتخضعُ من ضلَّ السبيل بكلمةٍ يكونُ لها وقعٌ اشدّ من الضربِ
وان يبدُ ضغنٌ بين شعبٍ وامةٍ ويسطُ بهِ حزبٌ يسودُ على حزبِ
فتأبى عليهِ ان يصول بحكمةٍ سليمانُ لم يحصَلْ عليها من الربِّ
هناءٌ بلا جدٍّ ورغدٌ بلا عنا ورفدٌ بلا ظلمٍ ينالُ ولا غصبِ
وانكَ حلالُ المظالم عادلٌ سلامٌ وامنٌ للبلادِ وللشعبِ
خدمتَ الملا خمسين عاماً قد انقضت بكهنوتكَ المحيي الموات من الترب
سعيتَ لنا بالخير تهدي نفوسنا وقد مرّتها وُشدًا ترفّعَ عن سلبِ
لذاكَ نرى مجدَ الكنيسةِ ناضراً وخيرٍ بنيها دائم الهطل والسكبِ
أيا صخرة الدين المحصّن قومهُ تهاديكَ اشواقاً تدور على قُطبِ
وتهدي اليكَ التهنئات وانها من الودِّ باقاتٌ تُزفُّ على رحبِ
هنيئاً لكَ العيد المقيم لنا المنا هنيئاً لعصرٍ شامَ نورك عن قُربِ
فرومةُ تسمو كلَّ قطرٍ بربّها ومن حقّها تعلو بذا المجدِ والعجبِ
فيوبيلُكَ الميمون ابهر بدرَها ونوّر ارض الله في الشرقِ والغربِ
فلا زلتَ والدينَ الجليل معزّزاً تديل لنا خصباً من القحط والجدبِ
وتقطعُ اعواماً وتسلكُ غيرها تُوالي سنوكَ الغرُّ عقباً على عقبِ

بيوس العاشر ومرصد الفاتيكان

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

في سنتنا السادسة من المشرق (ص ١٥) زيّفنا مزاعم احدى المجلّات المصريّة التي نسبت زوراً الى الكنيسة تقصيرها في تدريس علم الهيئة والنجوم وفي وضع المؤلفات الفلكيّة. ولو اردنا لاستقرينا اسماء الاحبار الاعظمين فتتبّعناهم فرداً فرداً منذ اجيال متعدّدة واثبتنا ما لكلٍّ منهم من الفضل في النهضة العلميّة عموماً وفي تعزيز العلوم الفلكيّة خصوصاً. وانّما نجتزئ بمثال الحبر الاعظم الحالي الذي زعم البعض عندما دُعي الى الخلافة البطرسيّة انهُ ليس من رجال العلم فلا يعير العلوم بالاً

بنى اولئك الكتبة قولهم على الحدس والوهم ولو عرفوا تفاصيل حياة الكردينال سرتو لما تجاسروا ان يفوهوا بمثل هذا الكلام. ولنا برهان لامع لتأييد قولنا في المرصد البابويّ الذي جعلهُ من اخصّ مراصد اوربّة واغناها بالآلات الفلكية

أُنشئ المرصد الفاتيكاني في القرن السادس عشر لمّا اصلح البابا غريغوريوس الثالث عشر الحساب السنويّ المنسوب اليهِ فعهد البابا الى احد الرهبان الدومنيكيين اسمهُ اغناطيوس دنتي ان يرصد دوران الشمس ويضبط حركاتها تلافياً لكل غلط في الحساب فامتثل الامر وابتنى برجاً عالياً جعل عليهِ بنكاماً كان ظلّه يدلُّ على حركات الشمس فعُرف ذلك البرج بالبرج الغريغوريّ وزيد فيهِ بعض التحسينات في أيام خلفائهِ وجُهّز بآلات جديدة. لكنّ موقع هذا المرصد في ظلّ قبّة كنيسة مار بطرس لم يكن موافقاً لرصد الكواكب فنال الاب بسكوفتش الفلكي اليسوعي ان ينقل رصودهُ الى محل آخر فاتّخذ لها سطوح كنيسة القديس اغناطيوس عند مدرسة اليسوعيين الكبرى الشهيرة بالمدرسة الرومانية فجهّز هناك الآلات الفلكيّة واجرى الرصود بكل دقّة حتى صار لهذا المعهد العلمي شهرة واسعة في كل انحاء اوربّة. والتآليف العديدة التي وضعها ذلك النابغة تشهد الى يومنا على طول باعه ووفرة معارفه

ثم خلفهُ اليسوعيون في ادارة مرصد المدرسة الرومانية وزادوا في تحسينه وبلّغوهُ مقاماً قلّما بلغتهُ المراصد الدولية نفسها لاسيما في عهد الاب انجلو سكّي (اطلب المشرق

٦ : ٩٦١ – ٩٧٠) نسيج وحده في العلوم الفلكية الى ان استولت الحكومة الايطالية على هذا المرصد بعد وفاة الاب سكي المذكور (سنة ١٨٧٨)

امّا المرصد البابوي في حدائق الفاتيكان فلم يُهمل بانشاء مرصد المدرسة الرومانية وانّما خُصّ بفروع أُخرى من العلوم الفلكية غير رصد الافلاك وخصوصاً برصد الظواهر الجوّيّة كالحرارة والبرد وثقل الهواء واليبوسة والرطوبة والمطر والصحو فاكسبهُ السيّد فيليبو جيلي (F. Gilii) صيتاً عظيماً من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٢١ فلمّا مات بقي هذا المرصد خاملاً لشهرة المرصد الروماني

لكنّ سقوط مرصد اليسوعيين في ايدي الايطاليين استلفت انظار الكرسي الرسولي الى مرصد الفاتيكان القديم فنوى البابا لاون الثالث عشر باحيائهِ . فلمّا كانت السنة ١٨٨٧ التي بها جرت حفلات اليوبيل الكهنوتي لذلك الحبر الجليل تصرّح البابا عن نيّتهِ للعالم الكاثوليكي بتجديد المرصد المذكور فاسرع الكاثوليك وتبرّعوا بمبالغ طائلة لتجهيز ذلك معهد العلم بالادوات المناسبة لهُ . فعيّن الاب الاقدس لادارة المرصد فلكيّاً شهيراً من الرهبنة البرنبيّة يدعى دَنْزا فرمّم البناء القديم واعدّ كل المعاهد والقاعات لتنظيم الادوات . وجعل في تلك الغرف الواسعة مكتبةً كبيرة للتآليف الفلكيّة ثم رتّب فيها المتاحف المختصّة بالفلكيّات وجهّزها بتجهيزات أُخرى موافقة للمشروع

ولمّا كان موقع المرصد القديم لا يكشف على كل جوانب السماء خصّ البابا لاون برجاً آخر كان شيّدهُ احد اسلافه البابا لاون الرابع (٨٤٧—٨٥٥) لردّ غارات العرب عن المدينة المقدّسة علوُّهُ خمسة وعشرون متراً وقطرهُ في اسفلهِ ١٧ متراً فنظّم فيهِ الاب دَنْزا آلاته الفلكية كالربع والسدس ونظّارة العبور ونظّارة الهاجرة والآلات المجهرة والمقاييس المختلفة لحركات الشمس والكواكب والسيّارات والزلازل الارضية وغير ذلك من الادوات المستحدثة التي رقّت العلوم الفلكية الى درجة رفيعة وألحقها بكل الادوات الفوتغرافية لرسم الكواكب والبروج والسيارات . ولمّا عرض الفرنسويون على مراصد اوربّة الكبيرة بان تتّفق على رصد اقسام من كواكب السماء لرسم خارطة سماويّة كاملة نال المرصد الفاتيكاني حصّتهُ من هذا العمل الخطير واستجلب الاب دنزا نظّارة للعبور ذات ثلاث شبحيّات من ابدع الآلات الرصديّة وباشر بالعمل الذي لا يتمّ الّا بعد سنين عديدة واشغال شاقّة اذ لا يقلّ عدد الكواكب المنظورة عن مئة الف

فيقتضي رسمها بدقّة وضبط وجلاء ليمكن الفلكيين كلهم الرجوع اليها في مراصدهم. ولو لم ينل المرصد الفاتيكاني غير هذا الشرف الوحيد لكفاهُ فخرًا في خدمة العلوم الفلكية . لكنَّ عمدتهُ اخذت تنشر مع ذلك نشرات علمية تبادلها مع نشرات المعاهد الدولية في كل ضروب العلوم الفلكيَّة

ثم جلس بيوس العاشر على الاريكة البطرسية فكانت همّتهُ في خدمة المعارف كهمّة اسلافه ومن آثاره اللجنة التي شكّلها في رومية لتنشيط العلوم ومساعدة العلماء الكاثوليك في كل اصقاع المعمور . ولما توفّي مدير المرصد الفلكيّ الاب دَنزا استدعى الحبر الاعظم من اسبانية احد رهبان القديس اوغسطينوس اسمهُ رودريكس لمواصلة اعمال الاب دنزا تحت نظارة السيد مافي رئيس اساقفة بيزة ومدير مجلّة العلوم الرياضية والطبيعيَّة لكنَّ الاب رودريكس اضطُرَّ بعد قليل ان يعود الى اسبانية فلم يجد الحبر الاعظم اجدر بهذا المنصب من احد ائمّة العلوم الفلكية في أيامنا وهو الاب ي. ج. هاغن (J. G. Hagen) مدير مرصد اليسوعيين في جرجتون من الولايات المتحدة الذي اكتشف الاكتشافات العديدة وألّف التآليف الفريدة

فما تسلّم الاب هاغن نظارة المرصد الفاتيكاني حتى تعهّد مع السيد مافي كل مكاتب واجهزة المرصد الفاتيكاني وعاينا نقصهُ ثمَّ عرضا على بيوس العاشر اصلاحات وتحسينات جمّة لئلّا يتخلّف هذا المقام العلمي عن بقية المراصد الدولية

وكان اوّل ما يحتاج اليه المرصد صرحًا ثالثًا في مكان معتزل عن ضوضاء المدينة يصلح لرصد الافلاك ويُجهَّز بنظارات جديدة. فاجاب الحبر الاعظم الى ملتمسهما وافرد للمرصد قصرًا في اعلى حدائق الفاتيكان يُشبه الصرح اللاوني السابق ذكرهُ وكان البابا لاون الثالث عشر ينتقل اليه لارتفاع طبقاته في اشتداد حرارة القيظ من تموز الى تشرين ترويحًا للبال . اما بيوس العاشر فأخلى ذلك المصيف لخدمة العلم وقد دُعي هذا البرج اجلالًا للمتبرع به برج بيوس العاشر

ثم انَّ الرئيس العامّ على الآباء اليسوعيين في رومية اهدى امام الاحبار نظّارةً فلكيَّة موافقة لرصود هذا البرج الثالث وهي تدوّن من تلقاء ذاتها حركات الفلك وترسمها بالفوتغراف والنظّارة من معمل مرتس (Mertz) الشهير في مونيخ . وقد ركّبت هذه النظّارة تركيبًا محكمًا بحيث لا تؤثّر فيها حركات الارض

وفي الطابق الاسفل قاعة كبيرة جعلها البابا متحفاً لمجموعين فريدين في جنسهما احدهما مجموع المعادن الذي اهداهُ البارون الفرنسويّ مورروا دي ڤاري (Mauroy de Varry) الى قداسة البابا لاون الثالث عشر وفيه قطع عزيزة الوجود من معادن كثيرة مع ما اضافهُ اليه عالمان بلجيكيّان من كليّة لوڤان بحيث اصبح هذا المجموع المعدني من اغنى المجاميع المعروفة في أيامنا. أما المجموع الثاني فهو اعزُّ واغرب من السابق وهو مجموع رجوم اي حجارة تساقطت من الجوّ والافلاك على ارضنا ولهذه الحجارة خواصّ شتى يُقبل على درسها العلماء لمعرفة تركيب الاجرام الفلكيّة. وستُجعل مجاميع أخرى علمية ثمينة في هذا المتحف عند نجاز تنظيمه

ومن المعلوم انَّ اشغال المرصد الفلكي لا يتمُّ بسهولة اذا تفرّقت الادوات وتقسمت في امكنة متباعدة عن بعضها وابتعد العمّال والمستخدمون فاستدراكاً لهذا النقص أُفرغ القصر الفريغوري من كل تجهيزاته الفلكية التي نُقلت الى البرجين الحديثين ثم فُتح بينهما معبر تسهيلاً للمواصلات ومُدَّت بينهما الاسلاك التليفونية والكهربائية حتى اصبحا كمرصد واحد تجري فيه كل الاعمال على وتيرة واحدة وبكل ضبط وتدقيق دون انقطاع عن العمل آناء الليل واطراف النهار

ومما جاد به كرم بيوس العاشر ابتناء قبة كبيرة زجاجية مجاورة لغرفة الرصود لاجراء كل التصاوير الفلكية واستحضارها. وكان للاون الثالث عشر حجرة خاصة قريباً من هناك كان عُني بنقشها نقشاً بديعاً يمثل البروج والكواكب فجعلها بيوس العاشر مكتباً للمدير ولعمدته. وقد ندب الاب هاغن الى مساعدته احد اخوته الرهبان اليسوعيين الهولنديين اسمهُ ستَيْن (Stein) يستعين به لمراقبة الافلاك مع الاب لايس (Laïs) من الجمعيَّة الاوراتوريَّة

والحبر الروماني يعتبر هذا العمل كاحد مفاخر ملكه فكثيراً ما يزور المرصد ويأنس باصحابه ويهتمُّ بكل حاجاتهم ولوازمهم لكي يصبح هذا البناء صرحاً علمياً اهلاً بالكنيسة ناصرة الدين والعلم معاً منذ اول النصرانية. وقد امر قداستهُ آخراً ان يُبنى للنظّارة الفلكية الكبرى قبّة عالية ليديرها وكلاؤها كيف شاؤوا في كل وجوه السماء. فقد زار هذا المرقب الفلكي احد مشاهير علماء عصرنا في المانية فقال وهو بروتستانيُّ النحلة: « قد كذب الذين ينسبون الى الكنيسة الرومانية قلّة عنايتها بالعلوم

فانَّ المرصد الفاتيكاني شاهد عياني على ما يبذلهُ البابا الحالي في جانب العلم الفلكي ومن يتصفَّح سجلات الفاتيكان يتحقَّق انَّ الاحبار الرومانيين نشروا في كل الآونة رايات العلوم وتقدَّموا بها الشعوب الاوربية »

إرْعَ خرافي إرْعَ نعاجي

(يوحنا ٢١ : ١٥–١٨)

درس لاهوتي للاب يوسف ديلنسفر مدرّس الاسفار المقدَّسة في كليَّة القديس يوسف

ليس في حياة السيد المسيح ساعةٌ اجلّ واخطر من ساعة وقوفهِ بين تلاميذهِ على مقربة من بحيرة جنَّاسر عند تلك المغاور المنقورة في الصخور الشاهقة المشرفة على قيسارية فيلبُّس حيث كانت تنتصب اصنام الامم كأنَّها باسطةٌ ملكها الجائر على ارض الميعاد بل على كل انحاء المعمور

فهناكَ وقف عند تلك المناظر المهيبة واراد المقابلة بين ملك الجحيم المتقوّض الزائل وملكهِ الناشئ الثابت الى الابد . فسأل اوَّلاً تلاميذهُ عما يقول فيهِ البشر ولمَّا اوقفوهُ على آرائهم وجَّه اليهم بالسؤال عينهُ وطلب منهم ان يكشفوا رأيهم في شخصه الكريم فبادر الى الجواب سمعان بطرس معترفاً بكونهِ هو المسيح ابن الله الحيّ . وكل مسيحي يعلم كيف طوَّب المسيح لسمعان بن يونا ونسب كلامهُ ليس للحم والدم . بل لابيه الذي في السماوات واردف قولهُ بذلك الوعد العجيب الذي ما كان ليخطر في قلب بشر قائلاً : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما حللتهُ على الارض يكون محلولاً في السماوات وكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماوات » (متى ١٦)

ذلك هو وعد السيد المسيح وعدٌ صريحٌ علنيٌّ امام اثني عشر شاهداً لا يشوبهُ ريب ولا يقيّدهُ حصر لا بل ينطبق مع سوابق أخرى ولواحق رواها الانجيليُّون تثبت هذا الوعد وتؤيدهُ منها قول الرب لبطرس في اوَّل دخوله عليه (يوحنا ١ : ٤٢) : « انت سمعان بن يونا انت تُدعى كيفا الذي تفسيرهُ الصفاة » . وقولهُ لسمعان ايضاً (لوقا ٥ :

١٠) : « لا تخفْ لأنك من الآن تكون صائدًا للناس » . وتأكيد المسيح لهُ (لو ٢٢ : ٣٢–٣٣) : « انهُ تجاهُ من غربلة الشيطان بصلاته لاجله لئلّا ينقص ايمانهُ بل يثبت اخوتهُ » . وكذلك كرامة الرب لهُ اذ اعتبرهُ كنفسهِ واعطاهُ ما يفي بهِ حقَّ الجباية عن كليهما دون بقيَّة التلاميذ لمَّا امرهُ ان يصطاد سمكةً يجد في فيها استارًا (متى ١٧ : ٢٤ –٢٧) . فليس لعمري في الانجيل الطاهر ما ينقض وعد الرب او يريبهُ او يضعفهُ البتة

فليت شعري أنسي المسيح وعدهُ او بقي اسمًا دون جسم او لفظًا فارغًا دون معنًى ؟ معاذ الله ان ننسب الى السيد المسيح الحنث بوعدهِ فانَّ مواعيد الله ثابتة الى الابد ولو سقط منها حرفٌ واحد للحقت بجلاله وصمة النقص تعالى الله عمَّا يقولهُ الكافرون

فمتى اذن قام السيد المسيح بوعدهِ ؟ واين الادلة على انَّ تلك المواعيد خرجت الى حيّز العمل ؟ أكان ذلك سرًّا او علانيةً ؟ أصرَّح به تصريحًا او سترهُ تحت حجاب المجاز والتلميح ؟ انَّ الجواب على ذلك في الفصل الاخير من انجيل يوحنا الحبيب حيث يُعلن جهارًا بانَّ شهادتهُ شهادة عين ويتَّخذ الله كشاهد على صحة قوله

ففي ذلك الفصل ذكر الانجيلي كيف تبع بطرسَ اخوتهُ لما قصد الصيد في بحيرة طبريَّة ثم ذكر حضور الرب بينهم عند الصبح ومعرفتهم لهُ بعد صيدهم العجيب وتنازلهُ لمشاركتهم في غذائهم حتى قال (يو ٢١ : ١٥–١٧) : « فبعد ما تغدَّوا قال يسوع لسمعان بطرس : يا سمعان بن يونا اتحبُّني اكثر من هؤلاء . فقال لهُ : نعم يا رب انت تعلم اني احبك . قال لهُ : ارعَ خرافي . قال لهُ ثانيةً : يا سمعان بن يونا اتحبني . قال لهُ : نعم يا رب انت تعلم اني احبك . قال لهُ : ارعَ نعاجي . قال لهُ ثالثةً : يا سمعان بن يونا اتحبني . فحزن بطرس لانهُ قال لهُ ثالثة أتحبني . فقال لهُ : يا رب انت تعلم كل شيء وانت تعلم اني احبك . فقال لهُ : ارعَ غنمي »

فهذه الآية المجيدة قد لاحت في سماء الكنيسة كالنجم اللامع والبدر الساطع فاستضاء بنورها كل طالب حقٍّ لم تُغشَ قلبهُ غشاوة الاهواء . وكثيرًا ما سعى اصحاب السفسطة ان يطمسوا نورها او يحجبوها بسُحب الاوهام فذهبت مساعيهم سُدًى وما افادت غاراتهم الّا ان يتبيَّن كل عاقل خالٍ من الاغراض ما فيها من القوَّة الالهية التي لا تهدُّ ركنها قوَّة بشريَّة أيَّةً كانت

قدعنا نعرض هذه الآية على محكّ الانتقاد ونسبرها بميسار الروية فنبيّن جوهرها الصافي وعنصرها الشريف ثم نستفتي لاستجلاء حقيقة معناها ما كتبهُ آباء الكنيسة لاسيما الشرقيين على اختلاف بلادهم ولغاتهم وازمنتهم ونعقّب ذلك بشهادة الطقوس والرُتب الكنسيَّة والآثار الدينية التي تفسّر هذه الآية وتوضحها باجلى بيان واقوى برهان وتثبت كلّها بلسان واحد انَّ المسيح خوَّل الرسول بطرس السلطة التامَّة على بيعتهِ ليسوسها ويدبّرها ويرعاها كالراعي لخرافهِ والرئيس لمرؤوسيهِ

١ شرح الآية في منطوقها وقرائنها

انَّ الآية التي اوردناها بحرفها الواحد لا تكاد تدع مجالًا للسفسطة والوهم الَّا انَّ نورها يفقد اتقادًا اذا ما لحظتَ دقائقها واعتبرت قرائنها

اولًا لا شكَّ في انَّ السيد المسيح يخاطب بطرس في هذه الآية كما فعل في آية الوعد السابق ذكرها ويخاطبهُ وحدهُ مميّزًا لهُ عن سائر رُسُلهِ اذ يسألهُ عن محبتهِ لشخصه الكريم فوق محبة بقية التلاميذ

ثانيًا ينادي الرب بطرس باسمهِ الخاصّ وباسم ابيه : « يا سمعان بن يونا » كما ناداهُ عند وعدهِ بالرئاسة وكما ناداهُ اولًا لما غيَّر اسمهُ سمعان بكيفا . وفي هذه الآيات الثلاث اشارة واضحة الى انهُ اراد ان يخوّلهُ نعمةً خاصَّة بهِ لا يقاسمهُ بها غيرهُ ألا وهي نعمة السلطان على كنيستهِ كما يظهر بمقابلة هذه الآيات بعضها

ثالثًا ومما يدلُّ على انَّ تقليد المسيح لبطرس الرعاية على كنيستهِ انَّما هو تقليد شخصيّ انَّهُ يكرّرهُ ثلاثًا كما كرَّر بطرس ثلاثًا اقرارهُ بمحبّتهِ . واقرار بطرس كما لا يخفى انَّما كان عن نفسه لا عن اخوته الرسل وان لم يصرّح بذلك تواضعًا بعد سقوطه لئلَّا يفضّل نفسهُ على احد كما فعل فيفشل لكنَّ كلامهُ يشعر بانَّ محبتهُ ليست دون محبَّة غيرهِ . فجزاء لاعترافه بمحبته الشخصية يمنحهُ الرب ايضًا هبةً شخصيَّة اي السلطان المطلق على رعيَّته

رابعًا ويظهر الامر بوضوح اعظم اذا اعتبرت سؤال السيد المسيح لبطرس فمن يا تُرى يتجاسر ان يقول بانَّ الرب عند استعلامهِ عن محبَّة تلميذهِ انَّما سألهُ عن محبة لفيف الرسل وفي الآية ما ينفي ذلك تمامًا وكفى بحزن بطرس على تكرار الرب عليهِ

السؤال عن محبته اذ ظنَّ بانَّ الرب شكَّ في صدق قوله حتى انَّ بطرس استشهد بمعرفة المسيح لكل شيء وبعلمه الالهي. فان كان الامر كذلك والسؤال لبطرس دون غيره أفما كان يجب ايضاً ان يكون الجواب لشخصه دون غيره من الرسل ولولا ذلك لما كانت نسبة وتلاحم بين قول المسيح وقول تلميذه اذ يبوءُ بمحبَّته الشخصية ويُعطى إنعاماً يعمُّ الجميع

خامساً ويستدلّ من هذه الآية ايضاً انَّ السيد المسيح جعل تحت قيادة بطرس كل قطيعه دون استثناء. لانهُ سلَّمهُ غنمهُ وسلَّمهُ خرافهُ ونعاجهُ وفي النصّ اليوناني ثلاثة الفاظ تشمل كل ما يتألف منهُ القطيع اعني الخراف والنعاج والحملان صغيرةً وكبيرة بحيث لا يستطيع احدٌ من المؤمنين ان يخرج عن سلطة بطرس ما لم يرضَ ان يكون خارجاً عن قطيع المسيح

فهذه الملحوظات تتبادر الى فهم كل من يطالع هذا النص خالياً من كل غرض شخصيّ. والبروتستانت انفسهم الذين عادةً ينكرون الحجج التي يستند اليها الكاثوليك في تأييد قضيَّة رئاسة بطرس لا يمكنهم عند شرح هذا المحل الَّا الاقرار بمعتقدهم. قال احد زعمائهم الاستاذ هولتسمان (Holtzmann:*Hand Comment.*, IV,227): « لا يمكن أن تُفهم هذه الآية في يوحنا عن سلطة مشتركة بين بطرس وبقية الرسل لانَّ هذا الكلام كلّهُ شخصي فالمسيح يُعيد الى بطرس ملء السلطة التي خوَّلهُ اياها في انجيل متى (١٦: ١٨—١٩) حيث جعلهُ صخرة البيعة ». ثم يستشهد باقوال البروتستانت فضلاً عن الكاثوليك الذين ارتأوا هذا الرأي كهستنبرغ Hengstenberg وفايس (Weiss). ويردف الكاتب قولهُ هذا بما تعريبهُ: « في آية يوحنا يظهر جلياً بان المسيح يقلّد بطرس ليس فقط شرف الرسالة لكن ايضاً الرعية العامَّة على كل خراف المسيح »

وان قال قائل قد خصَّ المسيح بطرس بسؤاله عن محبته ثلاثاً ليمكّنهُ فقط من الوفاء عن نكرانه المثلَّث في وقت الآلام وليس المقصود من ذلك تقليد سلطة ما

نردّ على هذا الاعتراض من وجوه متعدّدة: (اولاً) انَّ بطرس كان نال الغفران عن خطيئته حالاً بعد سقوطه لمَّا نظر اليه الرب في بيت قيافا فخرج من الدار وبكى بكاء مرًّا. ثم ارسل السيد المسيح النساء الصالحات ليبشرنَ الرسل بقيامته ولاسيما

بطرس لا بل ظهر لهُ خصوصاً بعد قيامته كما يصرّح به لوقا (٢٤ : ٣٤) . ولما ظهر الرب في العلّيَّة لجميع الرسل كان شمالهم سلامهُ واعطاهم الروح القدس وكل ذلك يدلُّ على انَّ بطرس كان عاد الى نعمة ربّه وصُفح نكرانهُ . (ثانياً) لو كان المسيح لم يقصد من سؤاله الى رسوله سوى المسامحة عن اثمه لكان اكتفى بان يسألهُ فقط من محبّته لهُ دون ان يطلب منهُ أيجبهُ اكثر من بقيَّة الرسل ثم كان قابل جواب بطرس بالسكوت . والحال نرى المسيح يردف كل جواب من فم بطرس بمجازاة واضحة وتخويل نعمةٍ سنيَّة وهي رعية الخراف ورعية النعاج التي لم نجد لها شبيهاً في كلامه الى بقية الرسل

وقد يعترض البعض على الحجَّة التي يستمدُّها الكاثوليك من قول المسيح لبطرس « إرعَ خرافي » بزعمهم ان رعاية الخراف انَّما تدلّ هنا فقط على الارشاد واعطاء المشورة والتحذير كما يفعل الاخ باخيه والصديق بصديقه وانَّ اللفظة اليونانية ποιμαίνειν التي في آية يوحنا لا يُقصَد بها غير المشورة والارشاد والتهذيب امَّا السلطة الممنوحة لبطرس فكالسلطة المعطاة للرسل لمَّا قال لهم الرب في متى (١٨ : ١٨) : « مهما حللتم على الارض يكون محلولاً في السماوات الخ » وكقولهِ لهم بعد قيامتهِ (يوحنا ٢٠ : ٢١ — ٢٣) : « كما ارسلني الآب انا ارسلكم . . . اقبلوا الروح القدس . الذين تغفرون لهم خطاياهم تكون مغفورة لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » . وخلاصة القول ليس لبطرس شيء يميّزهُ عن اخوته غير كونه الاوَّل بالشرف ليس الَّا

نجيب على هذا المشكل (اوَّلاً) ان بطرس من حيث كان احد رسل المسيح قد نال كل ما نالوهُ من النعم اجمالاً . وليس العكس بالعكس فانهُ اصاب من الامتيازات ما لم يُصبهُ احد منهم . ويظهر ذلك من مواعيد المسيح الخصوصية لهُ في متى (١٦ : ١٨ — ١٩) حيث اكّد لهُ انهُ يجعلهُ صخرةً يبني عليها بيعتهُ وانهُ يعطيهِ مفاتيح ملكوت السماوات وهذا لم يَعِدْ بهِ غيرهُ من التلاميذ وان شركهم بنعمة حلّ الخطايا او ربطها . نجيب (ثانياً) ان هذه المواعيد ليست امتيازات شرفية فقط بل تنبئ بمنح سلطة حقيقيَّة في التعليم والتدبير كسلطة الاب على ابنائهِ والرئيس على مرؤوسيهِ . وهو امرٌ يتضح لكل معتبر لاقوال السيد المسيح واعمالهِ فتميزهُ المتواتر لبطرس بين بقيَّة تلاميذهِ لا يمكن تعليلهُ الَّا بالسلطة التي اعطاها لهذا الرسول . وقد عرف ذلك الرسل

اخوتهُ فتراهم بعد صعود الرب لا يقدمون على عمل الّا تحت رئاسته فهو المتقدّم في عليّة صهيون وهو المتولي لانتخاب خلف ليوداس وهو المدافع عن حرمة التلاميذ امام اليهود وهو الواقف بازاء رؤساء الكهنة في مجمعهم وهو المدبّر لتقسيم الحسنات بين المؤمنين وهو المعاقب للمرائين اصحاب الكذب والخداع كحنانيا وسفيرة وهو الذي يحرم سيمون الساحر على يده تجري المعجزات في الهيكل وخارجاً عنهُ حتى انَّ ظلّهُ يشفي المرضى هو الذي يبشر الامم قبل غيره ويتفقّد شؤون المؤمنين ويمنحهم الروح القدس في السامرة وغيرها هو المتصدّر في مجمع اورشليم. فيا لله ايستطيع ان يقول احد انَّ كلّ هذه الاعمال لا تدلُّ على سلطة حقيقيّة او يقول انَّ بطرس ادّعى بهذه السلطة متعدّياً في ذلك حقوقهُ طمعاً في الرئاسة دون ان يحتجَّ عليه احد من التلاميذ ويوقفهُ عند طوره. نجيب (ثالثاً) انهُ لا يصحّ قول الزاعمين بانَّ لفظة الرعاية في آية يوحنا «ارعَ خرافي» لا تدلُّ على السلطة فانَّ اللفظة اليونانية ποιμαίνειν في الاسفار المقدسة تقابل اللفظة العبرانية רעה وهذه الكلمة الموافقة للعربية «رعى» تدلُّ في الكتاب المقدَّس على ملء السلطة وكمال الامر ولو شئنا لأتينا بالشواهد العديدة المثبتة لقولنا. مثالهُ قول اسباط اسرائيل لداود بعد موت شاول (٢ ملوك ٥ : ٢) : «اذ كان شاول علينا ملكاً امس فما قبل كنت انت تخرج وتدخل اسرائيل وقد قال لك الرب انت ترعى (תרעה ποιμανεῖς) شعبي اسرائيل» فالرعاية والملك هنا كما ترى شيء واحد. ومثلهُ في اشعيا (٤٤ : ٢٨) قول الرب لكورش ملك فارس: «انا القائل لكورش انت راعيّ (רעי) انت متمّم كل ما اشاء» فبديهيٌّ انَّ كورش كان متولياً سلطةً حقيقيةً ولم يُقِمهُ الله فقط لرتبة شرفيّة فالمقصود اذن من قوله انت راعيّ اي انت المقلَّد السلطة باسمي. والآيات كهذه عديدة (كسفر العدد ٢٧ : ١٦ و٢ ملوك ٧ : ٧ و ٢٤ : ١٧ الخ) لا بل تجد في الاسفار الالهيّة لفظة الرعاية مكرَّرة الدلالة على سلطانهِ تعالى المطلق في المخلوقات. كقول الملك داود في الزبور (٢٢ : ١—٤) يصف تدبير الله وعنايتهُ: «الربُّ راعيَّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ خصبة يقبلني ومياه الراحة يوردني يردُّ نفسي ويهديني الى سُبُل البرّ الخ» وكقوله ايضاً (٧٨ : ٥٢) : «سيَّر الرب شعبهُ كالغنم وساقهم مثل القطيع في البريّة وهداهم في طمأنينة فلم يرتاعوا... وادخلهم تخوم قدسهِ... وطرد من وجوههم الامم». فمن لا يرى في هذه الآيات الامرة والسياسة

والقيادة والتدبير وكلُّ ذلك قد رمز اليهِ بالرعية فكيف يقال انَّ المسيح لم يمنح رسولهُ بطرس غير شرف عرضيّ بقوله لهُ « ارعَ خرافي »

ولو طلب منَّا المعترض زيادة برهان لبيَّنا لهُ الامر من وجه آخر اعني رتبة المسيح نفسهِ التي اتَّفق العهدان القديم والحديث على وصفها بصورة الرعاية للأغنام. امَّا العهد القديم فقول حزقيال في الفصل ٣٤ وكلُّهُ من درر الكلام في المقابلة بين رعاة اسرائيل المنافقين والراعي المرسل لخلاص شعبهِ الى ان يقول ولله درُّهُ من قول:

« هكذا قال السيد الرب هاءنذا انشد غنمي وافتقدها انا كما يتفقد الراعي قطيعهُ يوم يكون في وسط غنمهِ المتشتتة كذلك افتقد انا غنمي وأُنقذُها من جميع المواضع التي شُتِّتت فيها يوم الغمام والضباب وأُخرجها من بين الشعوب واجمعها من الاراضي وآتي بها الى ارضها وارعاها على جبال اسرائيل وفي الاودية وفي جميع مساكن الارض. في مرعى صالح ارعاها وفي جبال اسرائيل العالية تكون حظيرتها. هناك تربض في حظيرة صالحة وترعى في مرعى دسم على جبال اسرائيل. انا ارعى غنمي واربضها يقول السيد الرب فأطلب المفقودة واردُّ الشاردة واجبرُ المكسورة وأُقوي الضعيفة واحفظُ السمينة والقويَّة وارعاها بعدلٍ »

وليس اقلَّ منهُ وضوحًا ولا ادنى شأنًا في العهد الجديد كلام السيد المسيح عن نفسهِ حيث يقول (يو ١٠: ١١—١٧): « انا الراعي الصالح. الراعي الصالح يبذل نفسهُ عن الخراف... انا اعرف خاصَّتي وخاصَّتي تعرفني كما انَّ الآب يعرفني وانا اعرف الآب وابذل نفسي عن الخراف ولي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة فينبغي ان آتي بها ايضًا وستسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد »

فهذه الرعاية سلطة حقيقيَّة تامَّة تلقاها السيد المسيح من ابيهِ تشمل الامم والشعوب كلها فيرعاها بالرحمة والحنوّ إنْ انقادت الى صوتهِ ويرعاها بقضيب من حديد (مزمور ٢) ان ابت الخضوع. ولمَّا كان هذا الراعي لا يبقى على الارض منظورًا وكانت رعيَّتهُ من البشر المنظورين اقتضى الامر ان يعهد بتدبير رعيَّتهِ الى من ينوب عنهُ فبقولهِ لبطرس « ارعَ خرافي » اقامهُ نائبهُ في رعاية هذه الاغنام الناطقة وجعل في يدهِ قيادتها ليرعاها في المراعي الخصبة ويبعدها عن المتجمات الوخيمة ويردَّ عنها

غارات الذئاب الكاسرة الى غير ذلك مما لا يقوم بغير سلطة تامة وتدبير تام وتعليم صادق معصوم من الضلال

وليست الرعاية كناية عن السلطة في الاسفار المقدسة وحدها او عند بني اسرائيل فقط فان آداب الامم كلها قد ألفت تشبيه السلطة والامر والرئاسة برعية القطعان فانَّ اليونان وهم اعلم من غيرهم بمعاني الكلام قد كرَّروا ذلك في قصائدهم ألا ترى اوميروس الشاعر في كتاب الالياذة (ك ١ بيت ٢٦٣) يدعو ملوك اليونان المجتمعين لحرب « رُعاة الامم » (ποιμένες λαῶν) ومثل ذلك في شعر سوفوقليس واوريبيدس كثير. وقد شاع هذا الاصطلاح قبل اليونان عند الاشوريين. فقد جاء مثلاً في صفيحة وُصفت فيها اعمال الملك سرغون الاول عن لسان صاحب الاثر انهُ « حبيب الآلهة والراعي مختار الالهين اشور ومردوخ » ومثل ذلك في صفيحة تجلت فلاسر الاول: « انهُ هو الذي دعاهُ اشور الاله الاعظم ليرعى بلادهُ بكل استقامة » فكل هذه الشواهد لا تبقي ريباً في معنى قول المسيح لبطرس « ارعَ خرافي » اعني انهُ هو الراعي الكبير الذي اقامهُ الآب وارسلهُ الى العالم ليرعى الامم قد اتخذ من يمثلهُ في هذه الوظيفة في اعين البشر بينما هو يحتجب عن العيان ويقوم بهذه الرعاية في السماء بنوع غير منظور ويرشد بالهامهِ ونعته الراعي المنظور الذي ينوب عنهُ في الارض

ولا يقولنَّ قائل « انَّنا نسلم بان بطرس قد أُعطي بقوَّة هذه الآية ملء السلطان على الكنيسة ولكن لا تثبت هذه الآية انَّ ذلك الامتياز يتناول الاحبار الرومانيين » فانَّ هذا الرأي باطل لا اسَّ لهُ. وذلك لانَّ القطيع الذي انشأهُ المسيح ليس هو قطيعاً زائلاً او جماعة زمنيَّة بل هو جسمٌ ادبيٌّ يبقى الى منتهى الاجيال كما صرَّح بهِ السيد المسيح لتلاميذهِ مراراً متوالية. فلا بُدَّ لهُ اذن من راعٍ في كل آونة وجودهِ الى آخر ساعة من كيانهِ. وبطرس من حيث هو شخص خاصٌّ كاحد افراد البشر لا يعيش الى الابد فلا بُدَّ اذن من القول بانَّ بطرس لم يُمنح نعمة الرعاية ليباشرها بنفسهِ فقط بل نالها كرأس سلسلة ترتبط حلقاتها دون انفصام كما ينال احد الملوك سلطاناً على أمة فيبسط عليها ملكهُ هو اوَّلاً ثم خلفاؤهُ من بعدهِ سواء كانوا اولادهُ او ولاة عهدهِ او ورثة ملكهِ على طريقة شرعيَّة جرى عليها الاتفاق

وكذلك يؤخذ من كلام المسيح الى بطرس انَّهُ اساس بناء الكنيسة الحيّ يجمع

كلمتها ويبعد عنها كل ما يضعضع اركانها او يفرّق بنيانهـا ابدًا وكذلك لا يتمُّ الّا بدوام ذلك الاساس الادبيّ الحيّ . فيترتّب على ذلك ان الاسـاس ليس هو منوطاً بشخص معروف بل بمقام ذلك الشخص وبرتبتهِ ليبقى البنيان على مدى الدوران طالما تبقى الرتبة ويتولّى امرها انسان

٢ الآثار اليعبيّة القديمة

افادنا القسم الاوّل حقيقـة الرئاسة البطرسية من فحوى كلام الرب الى رسوله ومن امرهِ لهُ بان يرعى خرافهُ . بقي علينا أن نبحث عن رأي الكنيسة في معنى هذه الآية أنيتّفق الآباء في تفسيرها كما فسّرناها وهل تنطبق على ذلك المجامع المقدّسة وطقوس الكنيسة على اختلافها . فان كان الامر كما روينا وثبت ان التقليـد الرسولي يجد في قوله تعالى « ارعَ خرافي » سندًا لسلطة بطرس وخلفائهِ على الكنيسـة صحصح الحقّ ولم يبق في الامر ريب

انّ آباء الكنيسة سواء كان في مياسرهم او في تفاسيرهم على انجيل يوحنّا ذكروا الآية التي نحن في صددها وليس بينهم واحد يخالف الشرح الذي قدّمنـاهُ بل كلهم الغربيين والشرقيين يذهبون الى انّ المسيح بموجب هذه الكلمات قلّد بطرس السلطة التامّة على كنيستهِ في التعليم والتدبير ولا حاجة بان نتّسع في ذكر اقوال آباء الكنيسة اللاتينيّة الذين صرّحوا بالامر تصريحًا ينفي كل شكّ . قال القديس اوغسطينوس في ردّهِ على فرستوس (Migne: PP. LL., XLII, 445) : « قد أُقيم بطرس راعياً على الكنيسة كما أُقيم موسى رئيساً على جماعة اليهود » . ومن المعلوم انّ رئاسة موسى على شعب الله لم تكن رئاسة شرف فقط بل سلطـة قضاء وتدبير وتعليم فلا بُدَّ اذن من التسليم بانّ رئاسة بطرس كانت مثلها .

ومن ابدع ما قيل في ذلك ما كتبهُ القديس برنردس الى تلميذهِ البابا اوجانيوس الثاني وقد جمع في قوله كثيرًا من اقوال الاباء قبلهُ : « انت من انت ؟ انت الكاهن العظيم والحبر الاعظم انت إمام الاساقفة ووريث الرسل . انت الراعي الاوّل كهابيل . انت ربّان السفينة كنوح وابو الاباء كابراهيم . رتبتُك كرتبة ملكيصادق ومقامـك كمقام هارون . لك رئاسة موسى الكليم وقضـاء صموئيل وسلطان بطرس ومسحةُ

المسيح . انت الذي قُلدت مفاتيح السماء ووُكلتْ اليك الاغنام الناطقة . نعم انَّ غيرك قد أُقيموا ايضاً لحجابة الملكوت ولرعاية القطيع الكنسيّ لكنَّ درجتك ارفع واوسع من درجتهم . قد عُهد اليهم كل واحد بقطيع خاصّ امَّا انت فقد عُهد اليك وحدك بان ترعى الجميع ليس الغنم فقط بل الرعاة ايضاً لأنك راعي الرعاة ولك وحدك الرب قال دون غيرك من الاساقفة والرسل قولاً شاملاً مطلقاً : « ان احببتني يا بطرس فارعَ خرافي » فلم يقل ارعَ خراف بلدٍ ما او امَّة ما او مملكة ما بل خرافي دون تقسيم ولا افراز ولا حصر » فنعم القول وحبَّذا القائل

وليس لآباء الكنيسة الشرقيَّة رأي مخالف للرأي السابق فاسمع قول يوحنَّا الذهبي الفم في ميمره الثامن والثمانين على يوحنا (Migne. PP. GG, LIX. 478-9) فهناك كلام مستفيض لهذا الخطب المنوَّه عن رئاسة بطرس . نقلنا خلاصتهُ في المشرق (٥ : ١٣٤) وممَّا قال ما تعريبهُ : « ما للرب قال لبطرس « ارعَ خرافي » وضرب الصفح عن بقيَّة الرسل ؟ ليس ذلك الَّا لانَّ بطرس كان رسول المسيح المصطفى ولسان التلامذة ورأس الفئة الرسوليَّة . . . وانَّما يقول لهُ : « ان كنت تحبني كن رئيساً على اخوتك وبيّن صدق محبَّتك نحوي بحسن تدبيرهم وابذل عن غنمي نفساً قلتَ لي انك تحبها فدايَ » . فمن لا يرى انَّ الذهبيَّ الفم فهم مثلنا انَّ رعاية الخراف هي رئاسة حقيقيَّة وسلطة ثابتة حتى على الرسل والتلاميذ

وليس هذا الميمر الوحيد الذي اكَّد فيهِ فمُ الذهب رعاية بطرس وخلفائهِ على الكنيسة جمعاء . فانَّهُ في ميمرهِ الحادي والخمسين على متى في شرح مثل العشرة الآلاف وزنة وفي ميمرهِ السابع والخمسين عليهِ في بيان قول المسيح الى بطرس « انت الصخرة » يعود الى ذكر ما نالهُ هامة الرسل من السلطان لرعية قطيع كنيستهِ

ومثل القمر القسطنطيني كذلك القمر القيصريّ باسيليوس (Migne, PP. GG. XXXI, 1408) يؤكد سلطة بطرس الرعائيَّة على كنيسة المسيح . ففي رسومهِ الرهبانية الفصل الثاني العدد الرابع يذكر ما يجب على الرهبان من الطاعة لرئيسهم « الذي يمثل لهم شخص المسيح ذاك المتوسط بين الله والبشر ليخلص الذين يخضعون لوصاياه » ثم يردف قولهُ بما تعريبهُ : « وقد تعلَّمنا هذا من السيد المسيح نفسه الذي اقام من بعدهِ بطرس راعياً لكنيسته حيث قال لهُ : « يا بطرس اتحبُّني اكثر من هؤلاء ؟

ارعَ خرافي » . فاوضح باسيليوس بهذه الشهادة انَّ بطرس تولَّى كنيسة المسيح من بعده بقوَّة هذه الآية ولم يستثنِ من رئاسته على الكنيسة احدًا

ومثلهما صراحةً وبيانًا معاصرهما كيرلس الاورشليميّ في كتاب المعتقدات (Migne, *ib.*, XXX, 407, 855, 998) الذي يشير غير مرَّة الى رئاسة بطرس العموميَّة لانَّ الرب امره برعية اغنامه الناطقة (τὰ νοητὰ πρόβατα) ويذكر توبتهُ بعد خطيئتهِ فيقول انهُ لم يفقد شيئًا من امتيازاتهِ بل صار هامة الرسل العليا ورئيسهم الاوَّل (ὁ κορυφαιότατος καὶ πρωτοστάτης τῶν ἀποστόλων) وحاجب الملكوت السماوي (τῆς βασιλείας τῶν οὐρανῶν κλειδοῦχος)

ومن معاصري هؤلاء الآباء في القرن الرابع ابيفانيوس اسقف قبرس الذي في كتاب الهرطقات (الهرطقة ٥٩) يُنهض همَّة الخطأة ويحضُّهم على الانابة الى الله ويعرض عليهم مثال هامة الرسل الذي استحقَّ بعد توبته « ان يكون اساسًا للكنيسة من كل وجه » (ἐφ' ᾧ οἰκοδόμητο ἡ Ἐκκλησία κατὰ πάντα τρόπον) ثم ذكر كلام الرب الى بطرس في حياته ثم كلامهُ لهُ بعد قيامته بيانًا لهذه الرئاسة الكليَّة (Migne, PP. GG., XLI, 1030)

وجاء في اعمال القديس استيريوس الاماسيّ (Migne, XL, 282) في خطبته عن الرسولين بطرس وبولس : « انَّ المخلص اذ اراد بتجسُّده ان يقدّس الجنس البشري اوصى بكنيسته المنبثَّة في كل جهات المعمور لبطرس كوديعة خاصَّة وكوراثة اذ سألهُ ثلاثًا أتحبُّني . ولمَّا رأى المسيح انَّ تلميذهُ اجاب بنشاط على سؤاله الثلاث سلَّم اليه ايضًا ثلاثًا تدبير العالم وجعلهُ راعيًا واحدًا على رعيَّة واحدة (ὡς μίαν ἀγέλην εἷς ποιμένα) لمَّا اسمعهُ هذه الكلمات « ارعَ خرافي » . وكاد يرفع الى مقامه الرفيع تلميذه الامين اذ جعلهُ ابًا وراعيًا ومعلِّمًا للذين كانوا مقبلين الى الايمان » . وهذا الكلام اوضح من ان يحتاج الى تفسير وقد ردَّدهُ القديس في هذه الخطبة على وجوه متنوعة تُزيل كلَّ الشبهات في بيان مقصوده

وثاودوريطس اسقف قورش خطبة في المحبة الالهيَّة والمحبة البشريَّة كلُّها محاسن بنى قسمًا منها على قول بطرس مجيبًا على سؤال ربِّهِ « اتحبُّني اكثر من هؤلاء » وعلى قولهِ تعالى لهُ : « ارعَ خرافي » (Migne, LXXXII, 1507) لا يمكننا ان ننقل

عنهـا غير فقرات قليلة. قال من لسان الرب : « ان كنت تُحبّني يا بطرس فاعلم اني لست في حاجة الى شيء او الى احد ولكن أقبلُ منـك كأنهُ لنفسي كل ما تظهره من العناية في رعاية اغنامي. فكلُّ ما وجدتهُ فيَّ نحوك من التدبير والحبّ فاعلن به نحو رفقتك وارعهُم كما لرعاك واملك عليهم كما املك عليك. بهذا تفي بشكرك لي... فكن لهم سنداً وشدّد ازرهم وقوّم مياههم وانهض ضعفهم... والحق يقال انَّ بطرس قد اضحى ركناً للايمان غير متزعزع وكان دليلاً امينًا للعالم كله فنمهُ من الضلال بقوّة كلمة الرب القائل لهُ : « ارعَ خرافي »

ولولا خوفنا من ملل القرّاء لأتينا بشهادات عديدة غير السابقة كتاوفيلكتس في شرحه على يوحنّا (Migne, CXXIV, 310) وافتيميوس من كتبة القرن التاسع في تفسير هذا الفصل عينه (Migne, CXXIX, 1495). وهذه شواهد لبعض كتبة الكنيسة السريانية. قال ثاودورس المصيصي (ed. Chabot, p. 407) في آية يوحنا المذكورة انَّ الرب بقوله لبطرس اوّلاً « ارعَ حملاني » (ܪܥܝ ܠܐܪܚܐ) سلّمهُ كلَّ المؤمنين به ليسند ايمانهم ويثبت ضعفهم لانَّ ايمانهم ليس بثابت. ثم قال لهُ بعد اعترافه الثاني بمحبّته « ارعَ خرافي » (ܪܥܝ ܠܥܢܐ) فاراد انهُ يسلّمهُ ايضاً الكاملين كالرسل والرعاة والكهنة ليخضعوا لهُ. ثم بعد سؤاله الثالث ايّاه قال له : « ارعَ نعاجي » (ܪܥܝ ܠܥܢܐ) حتى يدلَّ بذلك على انه يسلمه كل الخلائق الناطقة حتى اضعفها كالنساء الضعيفات من بتولات طاهرات ومقيّدات بالزواج فانَّ الرب لم يستثنِ احداً من سلطة بطرس لا من الخاصّة ولا العامّة بل جعله رئيساً على الجميع مطلقاً »

وقال ايضاً اسقف الانبار امام الناطرة في زمانهِ في القرن العاشر : « قد صار بطرس اساس الايمان وهامة الرسل اخوتهِ وبناء الكنيسة المقدّسة وقد فاز بهذه الامور الثلثة اذ نال مقاليد العلويّات والسفليّات اعني السماء والارض وملكهما دلالةً على سلطتهِ المثلثة وقد أُعطي ايضاً رعاية القطيع الناطق في كل اقسامهِ النعاج والخراف والكباش وفقاً لامر الرب »

ومثلهُ ابو الفرج البغدادي المعروف بابن الطيّب النسطوري : « يريد المسيح بالحملان والكباش والنعاج جميع اصناف المؤمنين من الرجال والنساء. فقال لشمعون ان كنت تحبّني المحبّة التامّة الكاملة فأفِدْ مواهبي وعطاياي وعلمي وذخائر سنّتي

للمؤمنين بي. وهذه وصيّتي اليك بخلاف كل وصيّة ان تفيد الناس كافّة علم الحقّ وسنن البشارة الانجيليّة الموصلة لهم الى الملكوت السماويّ »... ثم قال ايضاً: « ارعَ لي » هو بمعنى كن نائباً عني ويقول « كباشي وخرافي ونماجي » يعني كافّة المؤمنين والمؤمنات الرأس منهم والوسط والدون »

فنقف عند هذا الحدّ لئلّا نورث قرّاءنا الملل بوفرة الشهادات التي ترمي كلّها الى غرض واحد ومعنًى واحد اعني الرئاسة التامّة على الكنيسة في كل رتبها وطبقاتها

على أنّنا لا نستطيع ان نضرب صفحاً عن شواهد أخرى تؤيد هذه القضيّة وقد اعتاد اللاهوتيون ان يتّخذوها في بيان المعتقدات كحجّة قاطعة تؤيد الصلوات الطقسيّة فانّ هذه الصلوات تتضمّن لباب تعاليم الرسل واقوال الآباء. وهي في الموضوع الذي يشغلنا عديدة جدًّا نكتفي بالقليل منها خوفًا من الاسهاب

فمما جاء في الليتورجيّة النسطوريّة وهي كما لا يخفى من اقدم الليتورجيّات المعروفة في عهدنا اذ يرقيها العلماء الاثبات الى قرون النصرانيّة الاولى قولهم في صلوات عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس:

« طوباك يا سمعان بن يونا هامة الرسل وبكرهم فانّ سيّدك قد اصطفاك واعطاك مقاليد المنازل العلويّة لتفتح بابها للمرتدّين. قال لك الرب ثلاثاً: ارعَ خرافي ارعَ نماجي ارعَ كباشي التي افتديتُها بدمي فاني جاعلك قيّماً على ملكوت السماوات. فتولّ الامور ودبّرها بحكمة كتيرمان عاقل ووزّع بفطنة كنوزي الروحيّة... ارعَ واحفظ الخراف المندّيّة بالصليب بتيقّظ واجتهاد ومحبّة وكمال وصدق صُنها من الذئاب الخاطفة ومن ابناء الضلال بالقوّة التي أُعطيتها من الروح القدس »

. وورد في الليتورجيّة المسكوبيّة عدّة نصوص تبيّن صريحًا رئاسة بطرس على الكنيسة كلها حتى الرسل. وقد جمع هذه الشواهد الراهب البرنبيّ الشهير الاب تنديني (Tondini) فننقل عنهُ هذه الشهادة وحدها (ص ٢٣) الواردة في فرض عيد الرسولين بطرس وبولس: « انّك يا بطرس قد ائتُمنت رعاية قطيع المسيح لكونك الافضل والاعظم (ὡς παναρίστατος)... انت راعي جميع الرسل بالحقّ المعطى لك من الله »

والكنيسة اليونانيّة في هذا المعتقد لا تخالف غيرها من الكنائس بل تعدّدت في

طقوسها الاوصاف المنبئة برئاسة هامة الرسل حتى لو جُمعت لتألّف منها كتاب واسع. امّا نعتها لهُ بالراعي الكنيسة ولكلّ المؤمنين دون اختلاف بين رئيس ومرؤوس بين رسول وموعوظ بين راعٍ وقطيع فاكثر من ان يُحصى. (راجع مثلاً مجموع تسابيح الكنيسة اليونانية للكردينال بترا (J. B. Pitra: *Hymnographie grecque*)

ولدينا شاهد آخر على معتقد الكنيسة واستنادها على كلمة الرب لنسبة الرئاسة العظمى لبطرس في الآثار القديمة والعاديات النصرانيّة التي تتراوح بين القرن الثاني والسادس للمسيح. لكنّ المشرق قد سبق الى وصف تلك الآثار في مقالة جميلة للاب جلابرت نُشرت في اعداد السنة السادسة (ص ٥٧٦—٥٨٥) فلتُراجع

فكل صواب اذن قد حكمت الكنيسة في مجامعها مرارًا بانّ بطرس بقوّة الآية المرويّة في يوحنّا قد قُلد من السلطان على الكنيسة وجميع ابنائها وكذلك خلفاء بطرس من بعده على كرسيّه الرومانيّ. قال المجمع الفلورنتيني بعد اتحاد الكنيستين اللاتينيّة واليونانيّة: «نحكم بانّ للكرسي الرسوليّ المقدّس وللحبر الرومانيّ التقدّم على جميع الاساقفة في معمور الارض وهو خليفة الطوباويّ بطرس هامة الرسل ونائب المسيح الحقيقي ورأس الكنيسة كلها وابو المسيحيين اجمعين ومعلمهم وبان السيد المسيح اعطاهُ في شخص الطوباوي بطرس سلطانًا مطلقًا عامًا لرعاية الكنيسة وتدبيرها وسياستها جميعها كما هو مذكور في اعمال المجامع وفي القوانين المقدّسة

فلا يبقى لنا في ختام فصلنا هذا الّا ان نشكر السيّد المسيح ربّ الارباب ومالك الملوك الذي لم يترك كنيستهُ كجسم بلا راس وكداز بلا ربّ بيت وسفينة بلا ربّان ودولة بلا ملك. فيا لله ماذا كان حلّ بالكنيسة لو أُهملت الى تدبير رؤوس متعدّدين ورُعاة مستقلّين لا يضمّ كلمتهم رأس واحد ولا يجمع شتاتهم راعٍ فرد. نعم انّنا نعلم انّ السيّد المسيح هو رأس الكنيسة الاعلى واساسها الاول قد وعد بانهُ يحييها ويدبّرها بعنايته الى منتهى الدهور الّا انهُ انشأ جماعة بشريّة منظورة تتصرّف في اعمالها ومشروعاتها وادارة امورها بين البشر المنظورين وتناهضها القوّات المنظورة لتصدّها عن غايتها اي خلاص النفوس فاقتضى الامر أن يكون لها ما عدا الراعي غير المنظور راعٍ منظور قد عرفناهُ من الانجيل الطاهر واتّفقت الآباء والكنائس الحاضّة والآثار القديمة في الدلالة عليه اعني بطرس الرسول. وليس بطرس في هذا الامتياز

شخصاً منفرداً بل ممثلاً لمن يجلسون بعده على كرسيهِ الروماني اذ الرعيّة محتاجة الى راعٍ يدبّرها بعد مماتهِ وليس راعٍ آخر غير خلفائهِ من بعدهِ . واسم هذا الراعي الجليل في يومنا هذا بيوس العاشر وكل من وقف على اعمالهِ منذ جلوسهِ على كرسي الخلافة البطرسيّة يقرّ علناً بانهُ افضل خلف لأفضل سلف لا يزال بهِ بطرس حيًّا في الكنيسة . متّعنا الله برعايتهِ سنين طويلة وقادنا على يدهِ الى المراعي الخصبة ثم الى جنان الخلد امين اللهمَّ امين

تحيّة من الارز

في اليوبيل البابوي الكهنوتي الخمسيني

للاخ ب . ب . الراهب الماروني اللبناني

يا ارز مالك فوق السحب مرتفعا ... كأن رأسكَ في الجوزاء قد طمعا
بسطت اغصانك الخضراء عن جزلٍ ... والشمس من نورها حاكت لها الخلعا
والريحُ غنّت على عيدانها طربًا ... وصوت تنغيمها في الغرب قد سُمعا
يفوح من أرَج الاغصان اذ رقصت ... نشرٌ ذكيُّ الشذا من قبلُ ما سطعا
مالك فوق ذرى لبنان في غيرٍ ... عهدي بمثلك لا يستحسن البدعا ؟
—أهدي السلام الى رأس الكنيسة من ... ضياء يوبيله في الجو قد امعا
تزهو احتفاء بهِ الاكوان قاطبةً ... ويلهج الغرب في ذكراهُ مندفعا
هل يبقى لبناننا في الصمت معتزلاً ... ومن مشارقهِ نزر الهدى طلعا ؟
—يأبى بنو شرقنا الّا مشاركةً ... م الغرب بعيدِ أبٍ في حبهِ طُبعا
حبرٌ عظيمٌ على كرسيّ بطرس قد ... بدا ومن حولهِ الاحبارُ قد جمعا
تعنو الرؤوس ازاء العرش خاضعةً ... لنائب الله مَن كلٌّ لهُ خضعا
اقامهُ الله رأساً في كنيستهِ ... يرعى الرعايا ويغذي قومهُ الورعا
يدعو الخراف بصوتٍ طاب مسمعهُ ... فصوتهُ باتّباع الحق قد صدعا
إنّا مطيعون هذا الرأس عن قدمٍ ... نعاهد النفسَ ان تبقى لهُ تبعا

تعوّد الخير والاحسان عن صغرٍ مع اللبان حليبَ البرّ قد رضعا
في النائبات يُرى بالحزم معتصماً وفي الرزايا بدرع الصبر مدرعا
شعارهُ قد بدت للناظرين بهِ سفينة الله في بحرٍ قد ارتفعا
ها نحن في وسط يمٍّ ثار ثائرهُ فوق السفينة والربّان ما هجعا
طمّت على جنبها الامواج تقذفها وقد هلعنا سوى الربّان ما هلعا
بل ظلّ كالصخرة الصلداء منتصباً يصارع الموج لا يهابهُ فزعا
من اسكت البحر في تيّارهِ قدماً لا شك يُسكتهُ ان عجّ مندفعا
يا بحر صهْ وانكسر يا موجُ منخفضاً وطأطئ الرأس كن للحبر متضعا
لامر بيُوس من قال المسيح لهُ : « انت الصفا حصنها قد عزّ مرتفعا
« جيش الجحيم اليها لم يجد سبلاً بل يرجع القهقرى ان حاول الطمعا »
قالوا قضى الاسد الضرغام وانكسرت بهِ الكنيسة [illegible] البدعا
فاين لاون اين اليوم سطوتهُ ويلٌ لاشباله ان سيفنا لمعا
بل ويلكم يا عداة الدين فارتدعوا من غيّكم ان خير النصح ما ردعا
نصحتكم يا أصيحابي ألا انتصحوا فغيركم طاش سهماً والتوى جزعا
أما قرأتمُ : « اني كائنٌ معكم طول المدى لا تخافوا فادفعوا الهلعا »
أتبتغون قتال الله ويلكمُ من قاتل الله خاب السعي واضرعا
رغبتمُ ان تدكّوا ركن بيعتهِ قد كان ما رمتمُ يا قوم ممتنعا
هلّا دريتم بان الله يحرسها وتحت اقدامها قد ذلّل الشيعا
وقام بيُوس في الاكوان يرأسها يحمي حماها يرد الذئب والسبعا
سعدتِ يا رومة العظمى وسدت على كل الكنائس قومي فاخري اليعا
قومي ارفعي الرأس باليوبيل معجبةً فانّ رأسكِ يبقى الدهر مرتفعا
وفاخري الكون يوم العيد وافتخري برأس دين صحيحٍ ما شكا وجعا
فحسبكِ الفخر في الدنيا ببيُوس اذ الفيتِ فيهِ مجال الفخر متسعا

رسالة

في الخوف من الموت وحقيقتهِ وحال النفس بعدهُ

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين المخطوطات العربيَّة التي دخلت منذ عهد قريب في خزانة كتب باريس العمومية (Bibl. Nationale, Mss. Arabes, n° 4946) مجموع نفيس صغير الحجم يبلغ عدد صحائفهِ ٨٧. [illegible] العدد ٤٩٤٦ [illegible] ذكرًا في تاتمة المخطوطات المطبوعة التي لا يتجاوز عدد موسوماتها ٤٦٦٥. وليس لهذا الكتاب تاريخ معلوم وانما هو من القرن الخامس عشر كما يدلُّ عليهِ ورقهُ العتيق وحبرهُ. وقد اتقن الناسخ خطهُ واحسن ضبطهُ. امَّا مضمونهُ فجمع مقالات قديمة في الحكمة والرياضيَّات وتحريك الاثقال منها مقالة بديعة في القرسطون اي الميزان لثابت بن قرَّة ننشرها قريبًا ان شاء الله. ومن افضل محتويات هذا المجموع رسالة فلسفيَّة فريدة في بابها نسخناها في رحلتنا الحديثة الى باريس اسمها « رسالة في الخوف من الموت وحقيقتهِ وحال النفس بعدهُ » قصد بها صاحبها بيان الاسباب التي تحمل الانسان على الخوف من الموت ثم البحث عن الادوية التي يمكنهُ ان يداوي بها نفسهُ من هذا الداء. امَّا مؤلف الرسالة فمسلمٌ كما يظهر من فاتحة الرسالة وقد راجعنا مؤلَّفات مشاهير فلاسفة المسلمين كالشيخ الرئيس ابن سينا ويعقوب الكندي وابي نصر الفارابي وابي الريحان البيروني والامامَيْن الرازيين لعلَّنا نجد في تآليفهم ذكرًا لهذه الرسالة فخاب املنا لكنَّنا لا نشك بانَّها لاحد قدماء ارباب الحكمة وكفى دليلًا على ذلك قدم الكتاب وحسن طريقة الكاتب في تنسيق براهينهِ واثبات حجَّتهِ والظاهر انَّ المؤلف كان من اهل القرن الخامس لما يذكرهُ في رسالتهِ من الزمان بينهُ وبين عليّ بن ابي طالب اعني اربعمائة سنة. ونحن نقدِّم هذا الاثر لقرَّائنا في اوَّل الشهر المخصَّص بذكر الموتى ليروا انَّ الخوف من الموت من الأدواء التي يستطيع الانسان ان يشفيها بحكمة العقل فما نولك بنعمة الدين القويم الذي يعلِّم المسيحي بان هذه الحياة دار بلغة وممر للاخرة أُعطيها الانسان ليجاهد في سبيل البرّ ويكتسب رضوان خالقهِ بحسن سلوكهِ فيثيبهُ الله عن اعمالهِ الصالحة في العالم الباقي وان لم يفعل حقَّ لهُ الخوف من الديَّان العادل الذي يطالبهُ عن سيِّئاتهِ ولا يدع آثامهُ دون عقاب فان سار المرء بموجب هذه التعاليم وسلك طريق البرّ وحاد عن الاثم أمن خوف الموت وربَّما رغب فيهِ كالرسول (فل ١ : ٢٣) الذي كان يودّ انحلال جسده ليحظى بالمسيح. ارشدنا الله الى حفظ وصاياه ونوال جزائهِ

(74ᵛ) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواتهُ على محمَّد وآله الطاهرين

لمَّا كان اعظم ما يلحق الانسان من الخوف هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عامًّا وهو مع عمومهِ اشدّ وابلغ من جميع المخاوف وجبَ ان اقول: انَّ الخوف من الموت ليس يعرض الَّا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين تصير نفسهُ. او لأنهُ يظنّ اذا انحلَّ وبطل تركيبهُ فقد انحلَّ ذاتهُ وبطلت نفسهُ بطلان عدم ودثور وانَّ العالم سيبقى بعدهُ كان هو موجودًا او ليس هو موجودًا كما يظنُّهُ مَنْ جهلَ بقاء النفس وكيفيَّة معادها. او لأنهُ يظنّ انَّ للموت ألمًا عظيمًا غير الامراض التي ربَّما تقدَّمتهُ وادَّت اليهِ وكان سبب حلوله. او لأنهُ يعتقد عقوبةً تحلُّ بهِ بعد الموت. او لأنهُ متحيّر لا يدري الى ايّ شيْ يقدم بعد الموت. او لأنهُ يأسف على ما يتخلَّفهُ من المال والقينات. وهذه كلها ظنون (75ᵛ) باطلة لا حقيقة لها

امَّا مَن جهل الموت ولم يدرِ ما هو فانا أُبيّن لهُ انَّ الموت ليس بشيْ اكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الاعضاء التي مجموعها يسمَّى بدنًا كما يترك الصانع مثلًا استعمال آلاتهِ. فانَّ النفس جوهر غير جسمانيّ وليست عرضًا وانها غير فاسدة وهذا البيان يحتاج الى علوم تتقدَّمهُ وذلك مبيَّن مشروح في موضعهِ. فاذا فارق هذا الجوهرُ البدنَ بقي البقاء الذي يخصُّهُ ونقيَ من كدر الطبيعة وسَعِدَ السعادة التامَّة. ولا سبيل الى فنائهِ وعدمهِ فانَّ الجوهر لا يفنى من حيث جوهرهِ ولا تبطل ذاتهُ وانَّما تبطلُ الاعراض والخواصّ والنسب والاضافات التي بينهُ وبين الاجسام باضدادها. فامَّا الجوهر فلا ضدَّ لهُ وكلُّ شيْ يفسدُ فانَّما يفسد من ضدّهِ وانت ان تأملت الجوهر الجسمانيّ الذي هو اخسُّ من ذلك الجوهر الكريم واستقرا (واستقرأتَ) حالهُ وجدتهُ غير فانٍ ولا يتلاشى من حيث هو جوهر وانَّما يستحيل بعضهُ الى بعض (75ᵛ) فيبطل خواص شيْ شيْ منهُ واعراضهُ. فامَّا الجوهر نفسهُ فهو باقٍ ولا سبيل الى عدمهِ وبطلانهِ.

الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالةً ولا تغيُّرًا في ذاتهِ وانّما يقبل كمالاتهِ وتمام صورتهِ فكيف يُتوهَّم فيهِ العدم والتلاشي

وامّا من يخاف الموت لأنهُ لا يعلم الى اين تصير نفسهُ او لأنهُ يظنّ انَّ بدنهُ اذا انحلَّ وبطل تركيبهُ فقد انحلَّ ذاتهُ وبطلت نفسهُ وجهل بقاء النفس وكيفيَّة المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما يجهل ما ينبغي ان يعلمهُ فالجهلُ اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف. وهذا الجهل هو الذي حمل الحكماء على طلب العلم والتعب فيهِ وتركوا لاجلهِ لذّات الجسم وراحات البدن واختاروا عليهِ النصَب والسهر ورأوا انَّ الراحة الحقيقيَّة التي يُستراحُ بها من الجهل هي الراحة بالحقيقة وانَّ التعب الحقيقي هو تعب الجهل لانهُ مرضٌ مُزمن للنفس والبرء منهُ خلاصٌ لها وراحة سرمديَّة ولذَّة ابديَّة. فلمَّا تيقَّن الحكماء ذلك واستبصروا بهِ (76') وهجموا على حقيقتهِ ووصلوا الى الرَّوح والراحة هانت عليهم امور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظمهُ الجمهور من المال والثروة واللذَّات الخسيسة والمطالب التي تؤدي اليها اذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم اذا وُجدت عظيمة الغموم اذ فُقدت فاقتصروا فيها على المقدار الضروري في الحياة وتسلَّوا من فضول العيش التي فيها ما ذكرتُ من العيوب وما لم اذكرهُ ولأنها مع ذلك بلا نهاية. وذلك انَّ الانسان اذا بلغ منها الى غاية تداعت الى غاية اخرى من غير وقوف على حدّ ولا انتهاء الى أمد وهذا هو الموت لا مخافة منهُ والحرصُ عليهِ هو الحرص على الزائل والشغل بهِ هو الشغل بالباطل. ولذلك جزم الحكماء بانَّ الموت موتان موت إرادي وموت طبيعيّ وكذلك الحياة حياتان ارادية وطبيعيَّة وعنَوا بالموت الارادي اماتة الشهوات وترك التعرُّض لها وعنَوا بالحياة الارادية ما يسعى لها الانسان في الحياة الدنيا من المآكل والمشارب (76') والشهوات وبالحياة الطبيعيَّة بقاء النفس السرمدي في الغبطة الابديَّة بما يستفيدهُ من العلوم وبرآتهِ من الجهل ولذلك وصَّى افلاطون الحكيم طالب الحكمة بان قال لهُ: مُتْ بالارادة تحيَ بالطبيعة

على انَّ من خاف الموت الطبيعي من الانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجُوهُ (١

١) في قول المؤلف هنا نظرٌ فانهُ (اوَّلًا) يجعل حدَّ الانسان «حيٌّ ناطقٌ مائتٌ» والفلاسفة يحدُّونهُ «حيٌّ ناطقٌ» امّا المائت فلا يدخل في جنسهِ وفصلهِ وان كان الموت من خواصّهِ

وذلك انَّ هذا الموت هو تمام حدّ الانسان لانهُ حيّ ناطق مائت فالموت تمامهُ وكمالهُ وبهِ يصير الى أُفقهِ الاعلى . ومن علم انَّ كل شيءٍ مركّب من حدّهِ وحدّهُ مركّب من جنسهِ وفصلهِ وانَّ جنس الانسان هو الحيّ وفصولهُ هو الناطق والمائت علم انهُ مستحيلٌ الى جنسهِ وفصولهِ لانَّ كل مركّب لا محالة يستحيل الى شيءٍ الشيءُ الذي منهُ تركب فمَنْ أجهلُ مَن (ممَّن) يخاف تمام ذاتهِ ومَنْ اسوأ حالاً ممَّن يظنُّ انَّ فناءهُ بحياتهِ ونقصانهُ بتمامهِ . وذلك انَّ الناقص اذا خاف ان يتمّ فقد حلَّ من نفسهِ على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كلَّ ما (77r) يتمّمهُ ويكمّلهُ ويشرّفهُ ويُعلي منزلتهُ ويحلُّ رباطهُ من الوجه الذي يأمن بهِ الوقوع في الأسر لا من الوجه الذي يشدُّ وثاقهُ ويزيدهُ تركيباً وتعقيداً ويثق ان الجوهر الشريف الالهي اذا تخلّص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاصَ نقاءٍ وصفوٍ لا خلاصَ مزاجٍ وكدرٍ فقد سعدَ وعاد الى ملكوتهِ وقرب من بارئهِ وفاز بجوار رب العالمين وخالطهُ بين الارواح الطيّبة من اشكالهِ واشباههِ ونجا من اضدادهِ واغيارهِ . ومن هاهنا تعلم انَّ من فارقت نفسهُ بدنهُ وهي مشتاقة اليهِ مشفقة عليهِ خائفة من فراقهِ فهي في غاية الشقاء والالم من ذاتها وجوهرها سالكة الى ابعد جهاتها من مستقرّها طالبة قرارها ولا قرار لها

أمّا ما يُظنّ انَّ للموت ألماً عظيماً غير ألم الامراض التي ربّما تقدّمتهُ وادّت اليهِ

الطبيعيّة . (ثانياً) ليس بصحيح انَّ بالموت تمام الانسان وكمالهُ لانَّ الانسان يخالف الارواح المجرّدة التي لم تُخلَق لترتبط باجساد هيولية ولها حياة خاصّة بها . امّا الانسان فانَّ نفسهُ لا تنال معارفها تامّاً من المعلومات ولكن بتوسّط الحواس التي تشاهد المنظورات المحسوسة وتنقلها للنفس فالنفس تجرّدها عن الهيولي لتدرك جواهرها . فاذا مات الانسان وبطلت الحواسّ فقدت النفس آلتها لمعرفة المحسوسات . فمن هذا القبيل الموت نقص للانسان ليس بكمال . (ثالثاً) تفيدنا الاسفار المقدّسة انَّ الموت انّما دخل العالم كعقاب الخطيئة وليس العقاب كمالاً . (رابعاً) لا ننكر انَّ النفس الروحانيّة يمكنها ان تحيا دون الجسد الهيولي الّا ان النفس بافتراق جسدها تصبح في حالة مخالفة لكيانها الطبيعي اذ تعيش دون رفيقها الذي خُلق لاجلها وخُلقت لاجلهِ فلا تزال تحنُّ الى مركّبها الاصليّ . (خامساً) تتّفق كل الاديان على حقيقة البعث وقيامة الاجساد في يوم الدين . فلو كان الموت كمالاً لكان اولى بالانسان ان لا تُبعث الاجساد فتبقى النفس في كمالها وهو قول باطل . على انّنا نعلم انَّ اجسادنا ستقوم في حالة المجد فلا تعوق النفس عن حياتها الالهيّة وتنال هي ايضاً نصيبها من سعادة النفس

فقد ظنَّ ظنًّا كاذبًا لانَّ الالم انَّما يكون للحيّ والحي هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذي ليس فيهِ اثر النفس فانهُ لا يألم ولا يحسّ فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن (77ᵛ) لا ألم لهُ لانَّ البدن انما كان يألم ويحسّ بالنفس وحصول اثرها فيهِ فاذا صار جسمًا لا اثر فيهِ للنفس فلا حسَّ لهُ ولا ألم فقد تبيَّن انَّ الموت حال للبدن غير محسوس ولا مؤلم فانهُ كان يحسّ ويألم بهِ

واما من خاف الموت لاجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب انَّما يكون على شيءٍ باقٍ منهُ بعد الموت فهو لا محالة يعترف بذنوبهِ وافعال سيئة يستحقّ عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو اذن خائف من ذنوبهِ لا من الموت ومن خاف عقوبتهُ على ذنبٍ وجب عليهِ ان يحترز ذلك الذنب ويجتنبهُ والافعال الرديئة التي تسمَّى ذنوبًا انَّما تصدر عن هيئات رديئة والافعال الرديئة التي هي النفس هي الرذائل التي احصيناها وذكرنا اضدادها من الفضائل فاذن الخائف من الموت على هذه الوجوه وهذه الجملة هو جاهل ما ينبغي ان يخاف منهُ وخائف مما لا اثر لهُ (78ᵛ) ولا خوف منهُ. وعلاج الجهل العلمُ ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك طريقًا مستقيمًا الى غرض افضى اليهِ لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهو حال المستيقن في دينهِ المستكمل بحكمتهِ

واما من زعم انهُ ليس يخاف الموت وانَّما يحزن على ما يتخلَّفهُ من اهل وولد ومال وتأسف على ما لا يفوتهُ من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان يُبيَّن لهُ انَّ الخوف لاجل ألم ومكروه على ما لا يجدي عليهِ الخوف طائلًا وانَّ الانسان من جملة الامور الكائنة وكل كائن فاسد لا محالة فمن احبَّ ان لا يفسد فقد احبَّ ان لا يكون ومن احبَّ ان لا يكون فقد احبَّ فساد ذاتهِ وكانهُ يحبُّ ان يفسد وان لا يفسد ويحبّ ان يكون وألَّا يكون وهذا محال

وايضًا لو جاز ان يبقى الانسان لبقي من كان قبلنا ولو بقي الناس على ما هم عليهِ من التناسل ولم يموتوا لمَا وسعتهم الارض وانت تتبيَّن ذلك مما اقول. ترى لو انَّ رجلًا واحدًا (78ᵛ) ممَّن كان منذ اربعمائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحيا اولادهُ موجودين كامير المؤمنين عليّ رضيَ الله تعالى

عنه . ثم ولد له اولاد ولاولادهِ اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا فانك تجد اكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك ان نقيتهم (بقيتهم) الآن مع ما اصابهم من الموت والقتل اكثر من مائة الف رجل . واحسبْ كلَّ من في العصر كذلك فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة . ثم امسح بسيط الارض فانهُ محدود معروف المساحة لتعلم انَّ الارض لا تسعهم قياماً متراصين فكيف قعوداً او متفرّقين ولا يبقى موضع لعمارةٍ تفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد وذلك في مدَّة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتدَّ الزمان

فهذه حال من يتمنَّى الحياة الابديَّة ويكره الموت ويظنّ ان ذلك ممكن من الجهل . فاذن الحكمة البالغة والعدل المبسوط بالتدبير (79ᵃ) الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنهُ وهو غاية الجود الذي ليس وراءهُ غاية فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جودهِ وعطائهِ فالموت اذن ليس بردًى وانما الردى هو الخوف منهُ فانَّ الذي يخاف منهُ هو الجاهل بهِ وبذاتهِ وحقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن . وفي هذه المفارقة ليس فساد للنفس وانَّما هو فساد التركيب فاما جوهر النفس الذي هو ذات الانسان ولبُّه وخالصته فهو باقٍ وليس بجسم فلزم فيه ما لزم في الاجسام بل لا يلزم شيءٌ من اعراض الاجسام اي لا يتزاحم في المكان لانهُ لا يحتاج الى مكان ولا يحرص على البقاء الزماني لاستغنائهِ عن الزمان وانَّما استفاد هذا الجوهرُ بالحواس والاجسام كمالًا فاذا كمل بها ثم تخلَّص منها صار الى عالمه الشريف القريب الى بارئهِ ومنشئه عزَّ وجل والرجل الذي يتصدَّق عن اخيه الميت ويقضي عنهُ الدين يسعد بذلك الميت وذلك انَّ النفس ان كانت واحدًا كما زعم (79ᵇ) جماعة (١ فالمتصدق نفسهُ وتلك الاخرى وسائرُها شيء واحد وان كانت غير واحدة فلا يفضل المتصدّق ذلك الفضل الَّا بمشاكلة تلك النفس وعلى هذا ايضاً شُبّه بشيء واحد والسلام

تمَّت الرسالة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعدهُ وآله وصحبه وسلَّم

١) هذا زعم باطل قال بهِ بعض الفلاسفة القدماء والقول الصحيح انَّ النفوس مع وحدة الطبيعة البشريَّة تتفرَّد في كل انسان وتسعد او تشقى باعمالها لا باعمال غيرها

اصول البلاغة عند العرب

للاب خليل اده اليسوعي (تابع)

بيّنا في عدد سابق الفرق الاساسي الفاصل بين اصول البلاغة عند المتأخرين من العرب واصولها عند الفرنج وان هؤلاء يعتبرون قبل كل شيء الموضوعات نفسها ليمثلوها خير تمثيل واولئك ينظرون الى المعاني المجرّدة ليعبّروا عنها افصح تعبير. وقد ادّى هذا الاختلاف في المبدإ الى فروق اخرى نذكر هنا اهمّها

لمّا كانت مادة البلاغة عند الفرنج الموضوعات نفسها وكانت الموضوعات لا نهاية لها اصبح مجال الصناعة البيانية عندهم متّسعاً جدًّا لانهُ يتناول كل الاشياء وكل الحقائق. حتى العلوم يمكن ادخالها في دائرة البلاغة اذا عرف الكاتب التصرف بها (١

ثم ان الاشياء متنوعة جدًّا فلزم ان تكون رسومها وتماثيلها الفنيّة كثيرة الانواع ايضاً ولما كانت الصناعة الفرنجية تتوخى ايضاً تلك الرسوم المتنوعة افضى بها الامر الى تعداد فنونها ووضع قوانين مختصة بكل منها ففرقت بين الرواية والمثل والوصف والخطبة والمقالة العلميّة والتاريخ والرسالة والمأساة والهزلة والملحمة وهلمّ جرًّا

امّا المتأخرون من البيانيّين عندنا فعلى خلاف ذلك لانهم لمّا جعلوا مادّة فن البيان المعاني المجرّدة فقط وغايته حسن التعبير عنها حصروه وضيّقوا مجاله لان المعاني المجرّدة كليّات هي من طبعها قليلة. مثال ذلك المعاني الشائعة في المديح او الهجاء او الرثاء. فان احببتَ ان تعدّها وجدتها لا تربي على عدد الانامل بكثير. وما يزيد في حصرها ايضاً ان المعاني المجرّدة لا تصلح كلها للبروز في الصورة البيانية التي جعلوها غاية الصناعة. كيف يمكنك مثلاً انشاء كتاب في التاريخ يكون لهُ مسحة البلاغة المقصودة من الصناعة كما عرّفها البيانيون ان كنت لا تنزع الّا الى استعارة تستنبطها او تشبيه تنتقيهُ او شكل بديعي تبتكره؟ او كيف يمكنك اجلاء المحاسن الطبيعيّة التي تفيدنا

(١) وقد برز في هذا الفنّ كثيرون منهم ريبان فان الكل يشهدون الآن ان فضل هذا الكاتب ليس في سمو مداركه وصدق معارفه العلميّة بل في بديع الصورة البيانية التي ابرز فيها الاكتشافات العلميّة

عنها العلوم ان كان هناك التكلّم بالمجاز والكناية وما شاكلها من انواع البيان او البديع حين يكون استعمال المعاني الحقيقيّة من شروط الوضوح والتدقيق ؟ فإمّا ان تجتنب هذه المواضيع ولا تتعرض لها البتة وإمّا اذا بحثت فيها ووفّيتها حقها من البيان والتدقيق ان لا تعتبرها من المؤلفات البيانيّة . ولا مخرج لك الّا من احد هذين البابين . ولذلك ترى البيانيين قد حصروا البلاغة في بعض ابواب تصلح لاستعمال البديع كالمدح والهجاء والرثاء والفخر وما شاكلها ولم يجعلوا منها فنّ التاريخ . وكذلك لم يعدّدوا فنون البلاغة طبقًا لمبدئهم الاساسي . لان تميز الفنون وتبويبها لا ندحة عنهما اذا كان الغرض من الصناعة البيانيّة تمثيل الاشياء على تنوع اصنافها . وامّا اذا كان الغرض منها التعبير عن المعاني المجرّدة فلا يبقى للتفصيل محل . لان ايراد المعنى الواحد باساليب بيانية وبديعية مشترك بين كل الفنون البيانيّة الممكنة . فلا فرق مثلًا بين الاستعارة في مقام المدح وبينها في مقام الهجاء . فان اختلفت مادّتها فلا تختلف صورتها وشروط حسنها وهو الوجه المعوّل عليه في وضع الاصول . فترى اذًا ان تصور البيانيين للبلاغة اوجب عليهم حصر اصولها واغناهم عن تبويب فنونها

*

الاصل الثاني الذي ذكرناه وقلنا بوجوب مراعاته في الصنعة هو طريقة تصوير الموضوعات في نفس الصانع (l'artiste) لان الاشياء لا تخرج في الصنعة كما هي في الحقيقة بل كما هي في نفس المؤلف . فالنفس كمرآة تنعكس فيها الانوار المنبعثة من الموضوعات فتمثلها فيها . فاذا كشفت النفسُ القناع عن تلك الصورة وابرزتها للعيان ادرك المشاهد بواسطتها حقيقة الاشياء الممثّلة . الّا ان الفرق عظيم بين المرآة المادّية والنفس البشريّة وبين انطباع الاشياء في تلك وتمثلها في هذه . فان الاشياء الخارجيّة تنطبع في المرآة المادية كما هي بشرط ان تكون في دائرتها فلا تختلف المعرفة الناشئة من معاينة الاشياء رأسًا والمعرفة الحاصلة من مشاهدة صورتها . وامّا تمثّل الموضوعات في النفس البشريّة فليس كذلك فانهُ كثيرًا ما يختلف باختلاف قوى النفس والعوامل الطارئة عليها والاغراض التي تقصدها

اما اختلافها باختلاف قوى النفس فظاهر . فليس البشر كلهم سواء في قوّة النظر

والمعاينة. فهذا يرى في مشاهدات الاحوال ما لا يراه ذاك. يجد المصور البارع في ابسط الاشياء عالماً لا يفطن له من ليس له المام بهذا الفنّ وكذا قل من الشاعر والكاتب. كان الشاعر الفرنسوي الشهير لافونتين (La Fontaine) يقضي ساعات طوالاً غائصاً في تأمل حركات النمل مفتوناً بما يراه من عجائبها بينما الفلاح الذي يراها يومياً لا يلتفت اليها طرفة عين اذ لا يرى فيها ما يستحق الالتفات. وذلك لان دقّة النظر ولطف الحسّ ورقّة الشعور في الصانع تمدّه لادراك ما لا يدركهُ غيره كما ان حدّة البصر تكشف للناظر ما يخفى على من لم يُرزقها

ثم ان العوامل العرضية الطارئة على النفس تغيّر اوجه انفعالاتها وبالتالي صور الاشياء التي تنطبع على صفحاتها فرب منظر واحد يثير الفرح في قلب انسان والحزن في قلب غيره. بل ربّما اثار الحزن تارةً والفرح اخرى في قلب الرجل الواحد كما نختبرهُ يومياً. فالفرح يزداد فرحاً والحزين حزناً امام مشهد طبيعي جميل كأن ذاك يرى من الطبيعة وقد زهت محاسنها صديقاً يشاركه في سروره وهذا يرى منها عدواً يشمت من مصابه. وعليه اصابت فارعة اخت الوليد بن طريف اذ اقبلت على الشجر تشكو نضارته حين أُصيبت باخيها:

ايا شجرَ الخابور مالكَ مورقاً كأنّك لم تجزع على ابن طريفِ

وليس الامر كذلك في الحقيقة كما لا يخفى. الّا أننا من طبعنا ننسب الى المخلوقات في حركاتها وسكناتها ما يطابق عواطفنا. وان هذا الميل فينا يغيّر رسم الموضوعات في النفس. وكذا قل عن الغاية التي يقصدها الصانع في صنعته فانها تغيّر وجهة الصورة التي تطبعها الامور في نفسه. هذا رجلٌ متهم بجناية فان خصمه ومحاميه ينظران الى التهمة ذاتها ولكن شتان بين نظر هذا ونظر ذاك. هذا ينظر الى الحوادث لينفي منها ما يؤثم صاحبه وذاك ليطلب منها ما يوجب الحكم والقضاء عليه. فترى مما قلنا ان الاشياء ان كان لها وقع في النفوس فللنفوس عليها تأثير وردّ فعل يغيّر تمثيل الموضوعات فلا بدّ من استلفات خواطر الكتّاب الى ذلك ليقفوا عليه ويجروا في مؤلفاتهم على احكامه. وان الاصول العربيّة خلوٌ من ذلك والسبب واحد وهو ان هذه الاعتبارات هي عندهم مما وراء الصناعة اذ الصناعة لا تهتم الّا بابراز المعاني المصوّرة للاشياء بعد تولّدها في الذهن بقالب البيان والالفاظ

وهناك مسألة اخرى مهمة جداً نشأت ايضاً عن ضروب التمثيل للموضوعات وطرقها. قلنا ان العوامل الطارئة على النفس والاغراض التي تتوخاها تؤثر في تمثيل الاشياء ذواتاً كانت ام احوالاً. أفليس ذاك نقصاً وخللاً؟ أليس حسن الصنعة قائماً بتمثيل الموضوعات تمثيلاً كاملاً كتمثيل المحسوسات بالفوتوغرافية؟ تلك مسألة اساسية في الفنون وقد تعددت المذاهب في طرق حلها. فقال قوم ان كمال الصنعة في محاكاة الطبيعة بكل ما فيها. وذهب اخرون الى ان المحاكاة ينبغي ان تقتصر على اهم ما في الموضوعات واغفال الباقي وان انتقاء ما يحسن تمثيله من اول شروط الصناعة. وهو مذهب اليونان وكل من ينتمي اليهم وهو المذهب الصحيح اتبعه اصحاب الذوق السليم في كل عصر وقطر. ولكن اصحابه يتفرعون ايضاً. فريق منهم يستحسن محاكاة الطبيعة كما هي دون زيادة عليها ولا نقصان واخر يرى وجوب تحسين الطبيعة واختيار اجود ما يكون في كل جنس وصنف. وعليه اذا وصفوا شخصاً او امراً او حالاً زادوا في الوصف ما يجتمع الموصوف من غير ان يخرجهُ من حيّز الممكن. واحبّ بعضهم اطلاق العنان لخيلتهم ورأوا ان الصنعة الجيدة في تمثيل كل ما عنّ لهم وراق في عينهم. وربّما ذهب اخرون الى اعتبار الموضوعات كرموز تدلّ على معانٍ خفيّة وكالسنة ناطقة تعبّر عن اسرار سامية لا يدركها سوى الشاعر فاجتهدوا في تصويرها لا لذاتها بل لبيان مدلولاتها

ولم نذكر هذه المذاهب لأننا نريد تمام وصفها بل لننبه القارئ الشرقي الذي ليس لهُ علمٌ كافٍ بآداب الفرنج على ما عندهم من المباحث الخطيرة في العلوم البيانية. وإن هذه الابحاث التي من شأنها تعيين النسبة الموجودة بين الاشياء وصورها النفسانية لا وجود لها عند المتأخرين من بياني العرب ولا عجب لانهم حصروا فن البلاغة في حسن التصوير للمعاني لا للاشياء مع فصاحة التعبير عنها فلا يبقى بين البيان المصوّر واللسان المعبّر محلٌّ لتحقيق النسبة بين الاشياء والمعاني

ثم بعد ما يتصور الصانع موضوعه في الذهن يحتاج اذا اراد ابرازه في قالب الكلام الى تقسيمه وتجزئته وتنظيم تلك الاقسام والنظر في علاقاتها ونسبها وايفاء كل منها حقها فيقدّم ما يجب تقديمه ويؤخر ما يجب تأخيره ويطنب او يوجز ويعرّض او يصرّح او يكني الى ما شاكل ذلك مما يشير اليه الذوق السليم. ولا يتهيأ ذلك للكاتب

او الخطيب الّا بعد العناء وذلك لان العقل على بساطة جوهره وروحانيته يدرك الامور بطريقة تناسب طبيعته . فربّما اكتفى بلمحة حتى يرى كل ما في موضوع فهمه . ولكنهُ اذا اراد اخراجه الى حيّز المحسوسات وتكوينه في جسم هيولي من الخيال والالفاظ اضطرَّ الى تفصيل مرئياته وتحديدها وتمييزها ومراعاة انسابها لان الاشياء المادّية مجزأة لا يمكن وصفها دون وصف اجزائها . وهناك التعب وشقّ النفس لا يقدّره الّا من عاناه وقد شبهوه باوجاع المخاض . فلتخفيف وطأته على الصانع وضع الفرنج في كتب البلاغة اصولًا هي مفيدة جدًّا بل ضروريّة لتخريج الاحداث في اول امرهم وان كان يمكنهم الاستغناء عنها بعد طول الارتياض ومزاولة فن التأليف . امّا عند المتأخرين من علماء البيان العربي فقد أُهملت ولا عجب لان الفنّ عندهم لا يبدأ دوره الّا بعد الذي ذكرناه من التفصيل والتنسيق اعني عند ما يجب التعبير عن المعاني المصوّرة لأجزاء الموضوعات واقسامها المحدودة . فترى مما سبق انَّ فنّ التعبير اخر فصل من فصول ثلاثة تدور عليها الصنعة الفنية وانَّ المتأخرين من علماء البيان عند العرب اجترأوا به واعتنوا بوضع اصوله ضاربين صفحًا عن الفصلين الاولين وان كانا ارفع مكانًا منهُ واوعر مسلكًا

*

بيّنّا موضوع الصناعة عند العرب وحدّدنا دائرتها على مذهب السكاكي ومَن شايعه الى ايّامنا كما فهمناه من مطالعة مؤلفاتهم فيبقى علينا ان نبدي ما نراه في هذه الطريقة المدرسية لان غايتنا من هذه المقالة عمليّة وهي البحث ان كانت الاصول البيانيّة القديمة كافية وافية باغراض الادب في عصرٍ انقلبت فيهِ احوال المدنيّة والحضارة التي كانت الصناعة القديمة صورتها ولسان حالها

واول ما يتحتَّم علينا النظر فيهِ المبدأ الذي اتخذه البيانيون اساسًا لصناعتهم . فهل يحسن بارباب البيان ان يجعلوا محور قوانينهم المعاني المجردة . بل هل صدقوا النظر لمَّا ظنوا ان البلاغة كلها انما هي « قلب مفكرٍ وبيان مصوّر ولسان معبر » ؟ هل يمكننا ان نستصوب تصورهم للبلاغة وللدور الذي عينوه لها لمَّا حصروه في كسو المعاني المجردة وشاحًا خياليًّا او سبكها في قالب حسي ؟ لا اعمري رسيب ذلك ظاهر بعد الذي قدمناه من شروط الصناعة الحقيقيّة . لان المعاني بوجه الاجمال انَّما هي دلائل الاشياء

فكل فائدتها صادرة عن علاقاتها مع مدلولاتها وحسن تصويرها لها. والحال ان المعاني المجردة المنتزعة عن الذوات لا تفيد من الاشياء سوى احوال كليّة تنطبق على كل افراد اجناسها وانواعها لا تختص بواحدٍ دون غيره. فاذا اكتفى معلم البيان بمعالجة هذه الكليّات دون الموضوعات افسد عقل الولد لانهُ لا يريه الاشياء الّا بواسطة صور ناقصة. فتقتصر معرفة الولد على بعض الاوجه يظنها كاملة فيحكم بموجبها فيكون حكمه جزافاً. وبعبارة اخرى: من اقتصر في معارفه على تحصيل المعاني الكليّة عاش في عالم وهميّ خيالي لان الكليّات لا حقيقة لها في عالم الوجود. ومن ثمَّ فاتته فوائد لا تحصى ولاسيما عادة الاعتبار والمعاينة التي هي اساس العلوم والمعارف العصريّة كلها. ولا شك في ان القرّاء اختبروا غير مرّة صحة قولنا. فمن منهم لم يلاقِ متأدبين على المبادئ القديمة يتقلبون بين احوالنا الحاضرة كالحيارى لا يفهمون منها شيئاً ولا يدرون كيف يتصرفون فيها وليس ذلك الّا لانهم اجترأوا بالمعاني المودعة في بطون الكتب والدفاتر وكلها ترتقي الى الف سنة على الاقل وجعلوا همّهم الوحيد وشغلهم الشاغل نظمها في كلام عذب ثملوا من حلاوته فذهلوا عن المشاهدات وحقائقها. أليس عادة المولدين من وصف الدمن والطلول التي لم يعرفوها الّا من مطالعة الشعراء المتقدمين من نتائج هذه الطريقة؟ فلو عرفوا ان الصناعة الحسنة انما تكون في وصف الحقيقة وان اساسها الاعتبار صدق النظر لضحكوا من انفسهم وعرفوا بطلان ارصافهم

يظن كثيرون ان علم البيان انما غايته اتحاف الطالب قوالب يسبك فيها افكاره عند الحاجة. ذاك لعمري وهم يبخس صناعة البلاغة حقها ورفيع مقامها لانها تصبح كآلة فارغة لا خير فيها. انما الصناعة البيانيّة صناعة شريفة تهذب كل قوى النفس وتمام الانسان حسن تصوير الاشياء ولاسيما اخلاقه وانفعالاته ووجداناته ونسبها مع العالم الظاهر والعالم الخفي. ولذلك تقتضي معرفة الاخلاق فضلاً عن الالمام بباقي المعارف ومن هذا يتضح لك ان الاقتصار على المعاني المجردة لا يجديك النفع الذي يحق لك ان تجتنيه من الأدب

ثم حصر البلاغة في التعبير يحرم الطالب فائدة عظيمة يجدها في الاصول الفرنجيّة اريد بها حسن التنسيق واجادة النظام والترتيب في سياق الافكار والعواطف. لا يجهل احد ان الرومان ملكوا العالم بقوّة النظام الذي جعلوه في كل فروع الهيئة الاجتماعيّة

من جندية ومالية وادارة وعدلية فمكنهم من قهر العالم والتغلب عليه . وما كانت تلك القوّة العجيبة في اعمالهم الّا لكونها في نفوسهم ولم تبلغ تلك الدرجة العليا من النفاذ الّا لانّهم روّضوا انفسهم وعزّزوا فيها الملكة الغريزيّة التي كان اودعها فيها الخالق . ولن خير الوسائل الى بلوغ هذه الغاية ان لم اقل الوسيلة الوحيدة هي تعويد عقول الناشئة لزوم النظام والترتيب في افكارهم . فاذا صحّ ذلك تحقّقتَ بلا شك انّ الكتب المدرسيّة العربيّة في البلاغة عاجزة عن بلوغ هذه الغاية الشريفة فهي اذًا ناقصة من هذا القبيل

اخيرًا حصر البلاغة في فن التعبير اعظم مدعاة للتصنّع والتكلف واشدّ اسباب الانحطاط للآداب العربيّة . والبرهان على ذلك واضح لان المعاني كما قلنا وكما شهد كثيرون من البيانيين قليلة فلا يمكن التصرف بها الى ما شاء الله فان لذلك حدًّا معلومًا وغورًا قريبًا . نعم انّ كتّاب العرب بعدوا هذا الحد وغيّروا المجال الى غاية لا غاية وراءها وهذا فضلهم . غير انهُ من الثابت ان هذا الميدان محدود وان من اراد ان يبدع فيه اضطر الى ركوب الغريب المكروه وهو الذي يتحققهُ كل متأمل في آداب المتأخرين فاذا وصلت الصناعة الى التنافس بالتعابير الغريبة فثمّ انّها ماتت لانّها تصبح جسمًا بلا روح

ثم في اعلاء شأن التعبير وحصر البلاغة فيه مفسدة اخرى . يظن المنشئ ان استعمال البيان والبديع لكل معنى من ضروريات البلاغة حتى ان الكلام لا يُعدّ بليغًا اذا كان عاريًا منها . هذا الذي حمل احد الادباء المتقدمين على ترجمة الالياذة الى قول استغربناه في اول الامر وهو ان اقوال الالياذة ليست شعريّة . ولكنّا الآن لا نستغرب انتقاد هذا الاديب لانهُ مطابق كل المطابقة للمبادئ التي تلقّنها من كتب الاصول البيانيّة عن وجوب الاشكال البيانيّة والبديعيّة في كل بيت من الشعر وكل فقرة من النثر . غير ان هذا الوهم فاسد لان الكلام قد يكون بليغًا مثيرًا للعاطفة الشعريّة « مخيّلًا » ولا يكون فيه من البديع والبيان الّا القليل مثل الالياذة . فالكل يحكمون لها بسموّ المنزلة في الشعر ومن مميّزاتها السذاجة في التعبير . واذا اردت شاهدًا آخر قريبًا منك خذ سفر التوراة وتصفّح رواية يوسف او اقرأ مثل الابن الشاطر في انجيل لوقا ثمّ احكم

هذا في الابحاث التي تركها البيانيون والاساس الذي وضعوه لقواعد البلاغة .

ولئن هذه القواعد نفسها ان اعتبرناها الآن خالية من الشوائب . لا اتكلم عن علم المعاني لانهُ كما قلت ملحق بعلم النحو اكثر مما هو فرع لفنّ البلاغة فالكلام اذًا عن البيان والبديع . امّا البيان فعندنا انهم ليسوا بعصيين اذ لا يعتبرون لهُ فائدة سوى تفاوت الوضوح في استعمال طرقه المختلفة . لان التشبيه والاستعارة وانواع المجاز والكناية ليس الغرض منها الايضاح او الاخفاء انّما الغرض منها كسو المعاني الروحية جسمًا خياليًا اذا عُرض على القارئ او السامع ولج نفسه من باب مخيّلته واثر فيها تأثيرًا شديدًا وذلك لان الانسان ليس روحًا مجردًا يكتفي بالمعاني المجردة انّما هو روح في جسد اعني روحًا ذا قوى مشتركة بين الروح والجسم وهي المخيّلة والحس فاذا رمت من نفس سامعك انفعالًا شديدًا فاجعل كلامك مؤثرًا في كل قواه الروحية والحسية والمشتركة ولذلك ان زدت على الصور البيانيّة عذوبة الالفاظ وايقاع الاوزان كان الكلام — وهو الشعر — بالغًا النهاية في اسباب التأثير . وكذلك لا نستصوب اعتبارهم للبديع اذ جعلوه حلية للكلام لا تزيده الّا حسنًا عرضيًا يُستغنى عنهُ . خذ البديع المعنوي مثلًا وقل لي كيف يمكنك الاستغناء عن جملة من اشكاله مثل الهتاف وتجاهل العارف والاستفهام الخ اذا كانت الحاجة تدعوك الى استعمالها . كيف يمكنك ترك الهتاف ان اختلجت في صدرك العواطف واضطرمت نيران الاهواء ؟ أما ترى ان الهتاف امر طبيعي لا شكل صناعي ؟ وكذا قل عن باقي الاشكال

امّا البديع اللفظي فلا اهميّة لهُ الّا الذي ذكرناه آنفًا عن مقبول الالفاظ والاوزان ولذلك ينبغي ان لا يقدم عليهِ الكاتب او الخطيب عمدًا والّا وقع في هوّة التصنع والتكلف واشتغل بالواسطة عن الغاية ولذلك كان الاكثار من تعديد اصنافه في المؤلفات بدعةً للمغالاة في استعمالها ومعثرة في سبيل المتأدبين الاحداث .

غير ان العيب الفاحش سواء كان في البيان او البديع انّما هو تعداد الاشكال البيانية او البديعيّة وتقسيمها وتفصيلها وتحليلها الى ما لا نهاية وراءهُ . فقل لي ناشدتك الله ما الفائدة من كل هذه الاشكال ؟ أتظن ان الشاب اذا فهمها كلها اصبح قادرًا على التأليف ؟ لا لعمري . انهُ يعجز عن دقة في النظر واستعداد للفلسفة لا عن مقدرة على البلاغة لان الصناعة مجموع قوانين تساعد على العمل ليس الّا . والحال كيف يمكنك ان تعي في صدرك مائة او مائة وخمسين نوعًا وتميزها ولا تخلط بينها ؟ وهَبْك

حفظتها اتظن انك تستطيع ان تنتبه الى وضع كل منها في مكانه وتشتغل مع ذلك بالمعاني ؟ ذلك من المحال وان فعلت كان كلامك تافهاً ليس فيهِ من البلاغة مسحة كما تراه في كل البديعيات. والصواب في ذلك ان ترشد المنشئ الى بعض الاصول القلائل وتعلمه اذا اراد النظم ان يستعين بكل قواه العقلية والخيالية والحسيَّة فيخرج الكلام محلًّى بانواع البيان والبديع عفواً بلا تعمُّد ولا تصنع. وان قلت ان تعداد اشكال البيان يشحذ القرائح اجبنا ان ذلك لو صحَّ كان مقبولًا في سالف الاعصر حيث كانت البضاعة العلميَّة قليلة والوقت موفوراً ولكنهُ في زماننا خسارة وقت ثمين لا محالة

هذا ما نراه في اصول البلاغة المدرسية عند العرب استخرجناه من كتب البيانيين ولم نعتبر تأثيره في مؤلفات الشعراء والخطباء تاركين هذا البحث لمقالة اخرى. ويهمنا قبل ذلك مقابلة بين المذهب المدرسي الذي بحثنا عنهُ ومذاهب المتقدمين من البيانيين كابن قتيبة وابي الهلال العسكري وابن رشيق وعبد القاهر الجرجاني والرازي وابن الاثير الذين وصلت الينا مؤلفاتهم. فان ساعدتنا الظروف وصفناها ان شاء الله

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

مشاهير المسلمين (تابع)

(الالوسيَّان عبد الله وعبد الباقي) وفي هذه المدة قضى اثنان من الالوسيين نحبهما في العراق. وهما ابنا السيد العلَّامة شهاب محمود افندي الالوسي الذي سبق لنا تعريف فضلهِ (المشرق ١١: ٢٧٣) اعني عبد الله وعبد الباقي. فالسيد عبد الله بهاء الدين افندي ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) وقال السيد عبد الغفَّار الاخرس مؤرخاً لمولدهِ:

لينبك يا نحريرَ اهل زمانهِ ويا كاملًا عنهُ غدا الطرفُ قاصرا

بطفلٍ ذكيّ قد اتاك وانما يضاهيك بالاخلاق سرًّا وظاهرا
وبشّرتني فيه فقلتُ مؤرخًا بمولد عبد الله نلتَ البشائرا

فلمّا ترعرع اخذ العلوم عن والده الى ان أُصيب بوفاته وهو اذ ذاك ابن اثنتين وعشرين سنة فجزع لموته وكاد لحزنه يلحق بابيه. ثم انكبَّ على الدرس واجتمع ببعض افاضل وطنه فما لبث ان فاقهم واقبل على التدريس فحصل به على شهرة واسعة وانتظم في سلك اهل الطريقة النقشبندية. ثم بُلي بانواع الاسقام فخرج من وطنه قاصدًا الاستانة العليّة لكنَّ اشقياء العربان نهبوا اثقاله فعاد الى بغداد صفر اليدين. وفي آخر امره تولّى القضاء في البصرة فاكرمهُ اهلها وعرفوا قدرهُ لولا انهُ تأذّى بحمّياتها القتّالة فخرج منها بعد سنتين ولسان حاله ينشد مع معاصره الشيخ صالح التميمي:

ومتى تسيرُ ركائبي من بلدةٍ ابدًا اقام فنازلًا بفنائها
لا ترتجي بين شمالها ربحها وقبولها ودُبورها وصبائها
ما ان تحرّكت الغصونُ بارضها الّا تحرّك في الجسوم اذاها
اشجارها خضرٌ واوجهُ اهلها صُفرٌ كما كشفُ السقام بياها
لولا قضاء الله حتمٌ واجبٌ أبتِ المروءة ان ادوسَ ثراها

فما وصل الى بغداد حتى مات بعد أيّام ١٢٩١ (١٨٧٤) ولهُ من العمر ٤٣ سنة وكان السيّد عبد الله كثير التديّن ليّن الجانب محبًّا للفقراء لا يأنف من مخالطتهم وقد امتاز بحسن نثره وجزالة تعبيره. ومن تآليفه رسائل ومقالات مفيدة وشروح في علمي المنطق والبيان وألّف كتاب الواضح في النحو وكتابًا في آداب الصوفيّة

امّا اخوهُ فهو السيّد سعد الدين عبد الباقي وقع مولدهُ سنة ١٢٥٠ فأرخهُ الشاعر عبد الحميد الاطرقجي:

طربًا بمن سرَّ الورى ميلادهُ وسرى نسيمُ اللطفِ في الآفاقِ
يا سادتي بشراكمُ فيمن بدا متخلّقًا بمكارم الاخلاقِ
فردًا أتى وبهِ اسّتمتُ مؤرخًا ثمَّ السرورُ لكم بعبد الباقي

اخذ عن والده كأخيه ثمَّ عن الشيخ عيسى البنديجيّ وزار الحجاز وتولّى القضاء في كركوك مركز ولاية شهرزور ثم في مركز ولاية بتليس وسافر الى دار السعادة ولهُ عدّة مصنّفات اخصّها القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي واوضح منهج في مناسك

الحجّ الذي طُبع في مصر واسعد كتاب في فصل الخطاب وغير ذلك ممّا يشهد له برسوخ القدم في المعارف. توفي في مصر سنة ١٢٩٨ (١٨٨١)

(ابو النصر عليّ) واشتهر في مصر في هذه الحقبة الاديب المصري ابو النصر عليّ ولد في متظلوط وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠—١٨٨١) نظم الشعر في مقتبل الشباب واصبح من فرسان ميدانهِ فنما خبرهُ الى خديوي مصر اسماعيل باشا فقدّمهُ واجازهُ ولابي النصر عدّة قصائد غرّاء فيهِ وفي امراء الدولة الخديويّة وقد رافق اسماعيل باشا لمّا رحل الى الاستانة ثم مدح بعدهُ الحضرة التوفيقيّة. ولابي النصر ديوان كبير طُبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ ضمّنهُ اقوالًا منتخبة في كل ابواب البلاغة ومعاني الشعر فممّا استحسناهُ قولهُ في الخمر وقد نحا في وصفهِ طريقة الصوفيين:

بنتُ كرمٍ دونها بنتُ الكرام وهي بكرٌ زفّها ساقي المدام
شمسُ راحٍ في اصطباحٍ اشرقت في سماء الكاس كالبدر التمام
كم تجلّى كأسُها عن لؤلؤٍ من حُبابٍ كالدراري في انتظام
انّ لي عنها حديثًا سرّهُ لا يُضاهَى وهي لي اقصى المرام
لو درى اهلُ التقى اسرارها لسقوا ابناءهم قبل الفطام
لا تسلني عن معانيها وسَلْ عن حُلاها وسناها باحتشام
قال صِفها قلتُ دَعني انّما صورةٌ كالجسم عندي والسلام
قال زدني قلتُ ما المسئول عنها بادرى منها يا هذا الغلام
قال قل في كرمها مخلوقةٌ ترهةٌ للناس من سامٍ وحام
ما رآها عابدٌ الّا انثنى عن سجودٍ وركوعٍ وقيام
راحةُ الارواحِ في اقداحها انبأتنا انّما تُبري السقام

وهي طويلة. ومن حسن شعرهِ قولهُ يصف سفر الحضرة التوفيقيّة الى الصعيد سنة ١٢٨٧:

زار في موكبٍ كعقد اللآلي فازدهى بالقدوم صفو الليالي

الى ان قال:

فازدهى رونقُ الصعيد جمالًا وتملّت ارجاؤهُ بالجلالِ
وروى النيلُ من رُواهُ حديثًا يشرحُ الصدر شرحهُ في المقالِ
حيث دُقّت بالشاطئين طبولٌ والاهالي تفوقُ عدّ الرمالِ
وتلاقوا بضُمّرٍ سابقاتٍ فترى الليث فوق ظهر النزالِ

وتوالوا في سيرهم فاضاءت حليةُ البيض بين سُمر العوالي
وجميعُ البلادِ ابدت سرورًا ناشراتٍ أعلامها بابتهالِ
حلَّ في منيةِ المصيب فسُرَّت وتقوّى سلطانُها بالكمالِ
زار في منفلوط بيت امير زادَهُ رفعةً بحسن احتفالِ
وباسيوط لا تسَلْ حين وافى عن بلوغ المنى وقبضِ السوالِ
وبمُدن الصعيد ما زال برقى بدرُ تشريفهِ بلطفِ انتقالِ
نسألُ الله عصمةً ونجاحًا وبقاء لهُ وحسنَ مآلِ
وثنائي عليهِ اوّل فرضٍ والوفا بالثناء فرضُ عالِ

ومن اقوالهِ يعاتب دهرهُ :

إلامَ تصوّبُ الاوهامُ غيًّا وتنشرُ ما طواهُ الرشدُ طيًّا
وفيمَ تقودُنا الأطماعُ طوعًا الى ما يُغضب الحرَّ الابيًّا
وحتّامَ التشوّقُ للمعالي وما مرَّ الشجاعُ السمهريًّا
أبعد الحقّ تُنتظَر الاماني ويُفرَضُ ميت الآمالِ حيًّا
اذا كنّا مع الاحياء موتى فيا تلحقُ الاموات هيًّا
شربتُ من الأسى عَلَلًا ونَهَلًا فزدتُ صدًى وما ألفيتُ ريًّا
وكم جبتُ المهامهَ كي ألاقي بُنتَجي جوادًا او تقيًّا
فذاك اراهُ محتالًا فجورًا وهذا قصدهُ يدعى وليًّا
كأنَّ ذوي التُّقى ماتوا جميعًا وان الله لم يخلق سخيًّا
وكم طنتُ البسيطة لاختيارٍ فلم ارَ في الورى خلًّا وفيًّا
فمُدَّ عاذلي عذري والّا فقُلْ ما شئتَ واهجرني مليًّا
ألم ترَ ان للدهر اجتراء على من ظنَّهُ فطنًا ذكيًّا
يجرّعهُ على مُضَضٍ كؤوسًا ويكتبهُ بلا سببٍ شقيًّا
وربَّ جهالةٍ افضت لعزٍّ وعلمٍ اورث الذلَّ الرديًّا
وكم من ماجدٍ عانى خطوبًا ومن شكوى الزمان غدا بريًّا
فلا تعجب وُقيت السوءَ وانظرْ تجدْ ربَّ البلاغةِ سيمَ عيًّا
ومَنْ في الناس ليس لهُ خلاقٌ يقابلُ بالمهابةِ اذ يحيًّا
فكنْ رجلًا لهُ في الارض رجلٌ وهامةُ عزّهِ فوقَ الثريّا
فاني لستُ مبتغيًا حياةً تُبذَل صُبحَ افكاري مسيًّا
ولا ارضى مسالمةً بضيمٍ أيرضى الضيمَ من يُدعَى مريًّا
سأركبُ ضامرًا وامزُّ رمحًا واغمد في الرؤوس المشرفيًّا
واخترقُ الصفوف ولا أبالي اذ مدَّ الحِمامُ يدًا اليًّا

ولابي النصر رحلتان الى القسطنطينيّة كانت الاولى في ايّام السلطان عبد المجيد

موفدًا من محمّد عليّ الكبير وانشد حينئذٍ شيخ الاسلام قولهُ يمدح القسطنطينيّة :

وكنّا نرى مصر السعيدة جنّةً ونحسبُها دون البلاد هي العليا
فلمّا رأت دارَ الخلافة عينا علمنا يقينًا انّما لمي الدنيا

وكانت رحلته الثانية مع الخديوي اسماعيل باشا وصادف دخولهما الاستانة يوم جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) فقال ابو النصر يمدح الحضرة السلطانيّة بقصيدة مطلعها :

تبسّمتِ الازهارُ عن لؤلؤ القطرِ فتاح شذاها في الحدائق كالعطرِ

ومنها في مدح السلطان :

افادَ العلى جاهًا وعزًّا مؤبّدًا وألبسها من مجده حلل الفخرِ
وابدى لأعلام التقدّم مظهرًا بيوماكهُ ملو على دولِ الدهرِ
واحيا لاحياء العُلى كلّ دارسٍ فاضحت قلاع النصر باسمة الثغرِ
وجدّد في عهد قريبٍ بواخرًا بها قوّةُ الاسلام محكمةُ الامرِ
برونقها تكسو الفخار مهابةً وتعلو بها حازت على الانجمِ الزُّهرِ
لهُ من رجال الحرب جيشٌ عرمرمٌ لهم هِمَمٌ في الفتك بالبيض والسمرِ
مدافعهم شمُّ الانوفِ على العدى تخرُّ لها شمُّ الجبالِ من الصخرِ
واسيافُهم في السِّلْمِ يخلو صيامُها متى جُرّدت مالت الى القطر بالنحرِ

وختمها بهذا التاريخ :

وما انا في البُشرى اقولُ مؤرّخًا جلوسُكَ عيدُ الدهر ام ليلة القدرِ

(محمود صفوت) ومن معاصري ابي النصر علي وطنيُّهُ محمودُ افندي صفوت بن مصطفى اغا الزيلع الشهير بالساعاتي ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وبها توفي سنة وفاة ابي النصر ١٢٩٨ (١٨٨١) لزم الآداب واشتهر بنظمهِ ونثرهِ حتى عُدَّ فيها من المقدّمين. وتوجّه الى الحجاز ودخل على امير مكة فاكرم مثواهُ وابقاهُ عندهُ مدّةً ثم عاد الى وطنهِ وفيهِ قضى بقيّة حياتهِ. ولمحمود افندي صفوت ديوان شعر مخطوط في الكتبخانة الخديويّة لم يُنشر بالطبع . فمن ذلك قولهُ يفتخرُ :

ولم الزمانُ واهلهُ بعداوتي انَّ الكرام لها اللئامُ عداهُ
أقحطُ قدري الحادثاتُ وهمّتي من دونها المرّيخُ والجوزاهُ
هيهات تهضمُ جانبي وعزائمي مثل البواتر دأبُها الامضاهُ
صبرًا على كيد الزمان فانّما يبدو الصباحُ وتنجلي الظلماهُ

ولهُ في رثاء عالم:

بكت عيون العلا وقطّعت الرُّتَبُ ... ومزّقت شملها من حزنها الكُتُبُ
ونكّست رأسها الاقلامُ باكيةً ... على القراطيس لمّا ناحت الخطبُ
وكيف لا وسماء العلم كنت بها ... بدرًا تامًّا فحالت دونك الحجبُ
يا شمسَ فضلٍ فدتك الشهبُ قاطبةً ... اذ عنك لا انجمٌ تُغني ولا شهبُ
لمّا اصابك لا قوسٌ ولا وترٌ ... سهم المنيّة كاد الكون ينقلبُ
ما حيلةُ العبد والاقدارُ جاريةٌ ... العمرُ يوهَبُ والاقدار تنتهبُ

(صالح مجدي بك) وفي السنة ذاتها ١٢٩٨ (١٨٨١) توفي أديب آخر من نوابغ كتبة مصر السيّد صالح مجدي بك. ولد في ابي رجوان من مديريّة الجيزة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وبعد ان تلقّى مبادئ العلوم العربيّة ودرس اللغة الفرنسويّة الحقه استاذهُ رفاعة بك الطهطاوي بقلم الترجمة ثم عهد اليه تدريس اللغتين العربيّة والفرنسويّة في المدرسة الهندسيّة الخديويّة وعهدوا اليه تعريب كتب علميّة للفرنج فعرّب منها عددًا وافرًا في رسم الامكنة والطبقات الجيولوجيّة والميكانيكيّات والحساب والجبر والهندسة والفلكيّات والفنون الحربيّة كبناء الحصون ورمي القنابل الى ان تولى رئاسة الترجمة وجماعة اسماعيل باشا في المعيّة السنيّة وولّاهُ مناصب أُخرى وكان آخر ما عُهد اليه قضاء القاهرة فلزمهُ الى وفاته. وكان صالح بك يحسن الانشاء وفنون الكتابة وقد نشر مقالات عديدة اجتماعيّة وسياسيّة وادبيّة في جرائد مصر كروضة المدارس والوقائع المصريّة. واشتغل بتأليف مطول لتاريخ مصر مع علي باشا المبارك ولهُ ديوان شعر واسع طُبع في بولاق سنة ١٣١٢

ومن شعر السيد صالح بك مجدي قولهُ سنة ١٢٨٩ يهنّئ جناب الخديوي اسمعيل باشا عند رجوعهِ من الاستانة:

مع النصر وافى مَن عليهِ المعوَّلُ ... ومن هو في ايّامهِ الترْكُ اوّلُ
ومن هو للاوطان والملك والملا ... ملاذٌ وحصنٌ لا يُرامُ وموئلُ
ومن تملأ الدنيا مهابتُهُ التي ... بها الاسدُ في آجامها تتجدّلُ
ومن فاض من يمناهُ ماء سماحةٍ ... فأحيا بلادًا اهلها قد تولّوا
ومن شاد اركان المعالي جميعةً ... يقصّرُ عن ادراكها متطوّلُ
وقد جاءت البشرى بذاك فزيّنت ... لمقدمهِ مصرٌ وفازَ المؤمّلُ
وانثنت على دار الخلافة عندما ... رأتهُ بها يعلو وشانيهِ يسفلُ

فمش ما نشا في دولةٍ انت ربّها ويبدك فيها من قديم مؤثّلُ
وقد نلتَ في يوم القدوم مؤرّخاً الى مصر اسمعيل بالبشر مقبلُ

وقال من قصيدة يهنئهُ بها في اوّل العام:

بالبشر في مصرَ لاحت غرّةُ العامِ ترهو بنورِ مليكٍ للحمى حامي
ترهو بنورِ مليكٍ غيثُ راحتهِ في الكون طول المدى بين الورى هامي
هو المُدَيْوُ الذي اوطانهُ نشرت للفضل في مصرهِ مطويَّ أعلامِ
وللتمدُّن مدَّت باعها والى اوج العلى سارعت من غير احجامِ
فيا لهُ من حكيمٍ بالعلاج عما ما كان في جسمها من فرط اسقامِ

ولهُ في حسين باشا ناظر المعارف والاوقاف والاشغال العموميّة:

لجنابك العالي ثلاثُ مصالحٍ نُظمتْ بسطّى عسجدٍ ولُجَيْنِ
واضاء منك جبينُها برئاسةٍ اعمالُها منشورةُ العلَمَيْنِ
وغت بها بركاتُ اوقافٍ ورت مصرًا وقد فاضت على الحرمَيْنِ
وبحزمك الاشغالُ زاد نجاحها ونجازُها في السهل والجبلَيْنِ
ولك المعارف غرّدت ابناؤها بمدائح الاجداد والابوَيْنِ
وبديعُ نظمٍ كامل في كاملٍ من مخلصٍ بالقاب والشفتَيْنِ
من مخلص لك في الثناء بدولةٍ اضحيت فيها حائزَ الشرفَيْنِ

وختمها بهذا التاريخ:

والجد في علياك قال مؤرخاً زمنُ المعارف مُشرقٌ بحُسَيْنِ (١٢٨٩)

(ابو السعود افندي) ومن مشاهير ادباء مصر في ذلك الوقت ابو السعود افندي عبد الله المصري ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) في دهشور قرب الجيزة ودرس في المدرسة الكلّية التي انشأها محمّد علي باشا في القاهرة فبرع بين اقرانهِ . ثم ندبتهُ الحكومة الى نظارة اعمالها فكان في وقت الفراغ يواصل دروسهُ ويعكف على التأليف شعرًا ونثرًا. وحرّر مدّة في جريدة وادي النيل وكاتب أدباء زمانهِ . ونقل بعض كتب الفرنج الى العربيّة . ومن تآليفهِ كتاب منحة اهل العصر بمنتقى تاريخ مصر نظم فيهِ مجمل حوادث تاريخ مصر للجبرتيّ ووضع تاريخًا لفرنسة الحقهُ بتاريخ ولاة مصر من اوّل الاسلام دعاهُ بنظم اللآلي. وباشر بترجمة تاريخ عامّ مطوّل وسمهُ بالدرس التامّ في التاريخ العامّ طُبع منهُ قسمٌ سنة ١٢٨٩ . وكان ابو السعود

شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان شعر طُبع في القاهرة اودعهُ كثيرًا من الشعر كالمديح والمراثي والفراقيّات . ونبغ في المنظومات المولّدة كالواليا والموشّحات . ولهُ ارجوزة نظم فيها سيرة محمّد علي باشا كثيرة الفوائد بلغة المقاصد تبلغ عشرة آلاف بيت . ولهُ غير ذلك ممّا تفنّن فيهِ وسبق آل عصرهِ توفي ابو السعود افندي في ربيع الاوّل سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨) . وقد رثاهُ احد شعراء وطنهِ بقصيدةٍ قال في مطلعها :

خُلق الهبوطُ مع الصعودْ ومع القيامِ بدا القعودْ

الى ان قال :

ليس البكاء لسادةٍ ابدت لغربها السدود
لكنّهُ لمّا قضى ربُّ القريضِ ابو السعودْ
من لم يجدْهُ بدمعهِ فكأنّما نقض العهودْ
فهو الحريُّ بان تذو بَ عليهِ بالاسفِ الكبودْ
بحرٌ تدفّق ماؤهُ لكنّهُ عذبُ الورودْ
بقريحةٍ سالت على ارجائها سَيْلَ العهودْ
كم انتجتْ نُجَبًا لهُ فكأنّما الامُّ الوَلودْ
ابدًا توقّدُ بالذكا و فليس يعروها خمودْ
نشبتْ مخالبها المنيّةُ فيهِ وهو من الاسودْ
لا غروَ ان صعدَ السما . بين الملائكة السجودْ
فبناتُ نعشٍ قد حملنَ سريرهُ لمن الشهودْ

(الحاج حسين بيهم) وفي آخر هذه الحقبة في صفر من سنة ١٢٩٨ (٢٤ ك الثاني ١٨٨١) فقدت الآداب احد اركانها في بيروت وهو الحاج حسين ابن السيد عمر بيهم كان والدهُ عمر من اعيان المدينة وادبائها رثاهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة وفاتهِ ١٢٧٦ (١٨٥٩) بقصيدة مطلعها :

زُرْ تربةً في الحمى يا ايّها المطرُ وقُلْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

ومنها :

في شخصهِ الدين والدنيا قد اجتمعا وذاك يندرُ ان تحظى بهِ البشرُ

ولد حسين ابنهُ سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) ونشأ حريصًا على تحصيل مسائل العلم وفنون الادب فاخذ عن علماء مدّتهِ كالشيخ محمّد الحوت والشيخ عبد الله خالد . وبعد ان تعاطى التجارة زمنًا يسيرًا انقطع الى العلم ونال بهِ شهرةً ثم نظم الشعر فصارت لهُ

به ملكة راسخة بحيث كان يقوله ارتجالًا في الحافل ويخرجهُ على صور مبتكرة تطرب لهُ الاسماع. وقد ولّتهُ الحكومة عدّة مناصب كنظارة الخارجيّة ورئاسة الاحكام العدليّة ثم أُعيدت اليهِ الخارجيّة فقال في ذلك:

انَّ الفؤاد لهُ في الملك معرفةٌ فالخارجيّةُ لم تترك نظارتَهُ
لذاك سلطاننا المنصور ردَّ لهُ مع حسن انظارهِ ارّخ بضاعتَهُ

ولمّا وُضع القانون الاساسيّ وفُتح للمرّة الاولى مجلس النوّاب انتخبهُ مواطنوهُ ليمثّلهم فيهِ فحضر في الاستانة جلساتهِ ثم عاد الى وطنهِ واعتزل المأموريّات وانقطع الى الآداب. وكان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الاخلاق عالي الهمّة محبوبًا عند الجميع. وكان احد اعضاء جمعيّة العلوم السوريّة المُنشأة في بيروت ولمّا توفي رئيسها الاوّل الامير محمّد ارسلان عهدوا اليهِ رئاستها. وكان للحاج حسين نظمٌ رشيق مطبوع قد بقي منهُ القليل ومن آثارهِ رواية ادبيّة وطنيّة مُثّلت مرارًا وقرّظها الادباء. ومن شعرهِ قولهُ في تاريخ جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٧:

خلافة الاسلام قد اصبحت ترهو افتخارًا بالمليك العزيز
وملّة الايمان ارّخها ثابت بشاهنشاه عبد العزيز

وقال مؤرّخًا انشاء التلغراف في بيروت:

لله درُّ السلك قد ادهشت عقولنا لمَّا على الجوّ ساق
فأعجب الكون بتاريخهِ شبيهُ برقٍ او شبيه البُراق (١٢٧٧)

وقال مشطّرًا:

اذا العنايةُ لاحظتك عيونُها وحباكها من فضلهِ الرحمانُ
ناداك طائرُ يُمنها وسعودها ثمَّ فالخاوف كلهنَّ امانُ
واصطدْ بها العنقاء فهي حبالةٌ واملك بها النجباء فهي سنانُ
واصعد بها العلياء فهي معارجٌ واقتدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

وقال يهنّئ حضرة كامل باشا بمستشاريّة الداخليّة سنة ١٢٩٦

حينما أعوز المالكَ اصلا حٌ وسُدَّت عن وارديهِ المناهلْ
وفّق الله للوظائف قومًا ملكوا من ذرى الكمال المنازلْ
فتفاءلْ بالخيرِ صاحِ وأرّخْ مستشارًا امسى محمّدٌ كاملْ

وممّا رُثي بهِ الحاج حسين افندي يهم قول ابي الحسن الكستيّ:

فراقُكَ صعبٌ يا حسين احتمالهُ وبعدك رَكْبُ الانس شالت رحالهُ
رحلتَ الى دار البقاء مكرَّمًا ومثلكَ مولى للنعيم مآلهُ
ولكن تركت القوم تبكي عيونهم عليك بدمعٍ كالسيول انهمالهُ
وليس لنا من بعد فقدك حيلةٌ سوى الحزنِ او صبرٍ يزُلُّ نضالهُ
حويتَ خصالًا جلَّ في الناس قدرُها وما كلّ انسانٍ يجلُّ خصالهُ
عفافٌ ومعروفٌ وعلمٌ ورقّةٌ وفضلٌ ومجدٌ قلَّ فينا مثالهُ

ومن جيّد شعرهِ قولهُ يعزّي صديقًا بفقد مالهِ :

لقد غمّنا والله والصحبَ كلَّهم مصابٌ دهاكم بالقضا حكم قادرِ
كانَّ شرارًا منهُ طار لارضنا فاحرق احشاء الورى بالتطايُرِ
ولكنّنا قلنا مقالةَ عاقلٍ يسلّم للباري بكل المظاهرِ
اذا سلمتَ هامُ الرجالِ من الردى فما المالُ الّا مثل قصّ الاظافرِ
فكن مثل ظنّ الناس فيك مقابلًا لذا الخطب بالصبر الجميل المصادرِ
ولا تأسفن اذ ضاع مالٌ ومقتنى فربُّكَ يا ذا الحزم اعظمُ جابرِ
وانَّ حياة المرء رأسُ لمالهِ سلامتهُ تعلو جميع الخسائرِ

(محمّد اكنسوس) ومنّن رُزنت بهِ الآداب في هذا الوقت في بلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي توفي في بلدهِ مرّاكش سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) وقد عُرف المذكور بسعة معارفه لاسيما التاريخيّة والادبيّة ولهُ التاريخ المسمّى كتاب الجيش وقصائد عديدة في مشاهير بلادهِ من ذلك قولهُ يرثي سلطان مرّاكش المولى عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) :

هذي الحياةُ شبيهةُ الاحلامِ ما الناسُ ان حقّقتَ غيرُ نيامِ

ومنها :

لو كان ينجو من رداها مالكٌ في كثرةِ الانصار والخدّامِ
لنجا امير المؤمنين ومن غدا اعلى ملوك الارض نجل هشامِ
خير السلاطين الذين تقدّموا في الغرب او في الشرق او في الشامِ
يا مالكًا كانت لنا ايّامهُ ظلًّا ظليلًا دائمَ الاتمامِ
لا ضيّر انك قد رحلتَ ميتًا دار الهناء وجنّة الاكرامِ
فلك الرضى فانعم بما أعطيتَهُ ولك الهناء بنيل كل مرامِ

وقال يصف خروج السلطان المولى حسن على اعداء دولتهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) :

عصفتَ عليهم بالبأسِ تُرجي كتائب كالسحابِ اذا تلوحُ

فالقيتَ الجرانَ على ذراهم بجيش كلّهم بطلٌ مشيحُ
فجاء العفو منك وهم ثلاثٌ اسيرٌ او كسيرٌ او ذبيحُ
وقد قُسمتْ بلادهمُ بعدلٍ وذوروهمُ كما قُسمَ الوطيحُ
فلا تحلم بان الجرح يُكوى طريًّا بالمحاور او يقيحُ
ابا زيدٍ اذا تُبقي عليهم بصفحٍ ربّما ندم الصفوحُ

ولهُ يصف بستانًا للوزير ابي عبد الله محمّد ابن ادريس :

يا منزلًا قد خصّصتْهُ سعادةٌ واستبدلتهُ انعمًا من أبؤسِ
اصبحتَ مأوى للوزير محمّدٍ نجل الادارسةِ الكرام الغرسِ
انسانُ عين الكون من لبست به رُتب العلى اجمى واصبح ملبسِ
يا ايّها البحر الذي من فيضهِ كلّ الاماني والغنى للسفاسِ
يحنيك ذا القصرُ الذي اشأتهُ بالسعد في عام انشراح الانفسِ
لا زلتَ تشرق من مطالع سعده كالبدر يظهر من خلال الحندسِ
والدهر يخدم جانبيك ويحتمي بجلالك العالي الاعزّ الاقدسِ (له بقيّة)

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٢ المساواة

قرّبنا من شفتيك كأس الحريّة فذقت حلوها ومُرّها وعرفت انّ خمارها ربّما مُزجت بخمرها والعاقل من تتبّع خيرها وتجنّب شرّها. فدعنا الآن نحصي لفظة ثانية بنار الانتقاد لم نعهدها سابقًا في افواه الشرقيين فدارت اليوم على ألسنة الناس فكادوا يشاون من طيب عبيرها. تلك كلمة « المساواة » يردفونها بلفظة الحريّة ويبنون عليها آمال سعادتهم الارضيّة

فما قولنا بالمساواة ؟

لا مرية انّ البشر من حيث طبيعتهم متساوون يكوّنهم الله اجنّةً ثم يخرجهم من قبور احشاء أمهاتهم بالعري والضعف وينشأون بين الاوجاع الى ان يبلغوا سنّ الحداثة ثم الشباب ثم الكهولة ثم تأخذ قواهم بالانحطاط وتحدق بهم بلايا الشيخوخة

ثم الهرم حتى يعيدهم الموت الى التراب الذي منهُ صوَّرهم الخالق . تلك المساواة البشريَّة لا يختلف فيها السيّد وعبدهُ والملك ومملوكهُ . سأل الاسكندر ناسكاً رآهُ مكبًّا على قبرين مفتوحين وجمجمتين يابستين ماذا يصنع امام تلك الرمم . فاجابهُ الناسك : افحص هذه العظام لعلّي اعرف ما امتاز بهِ السيّد عن العبد والسلطان عن المملوك فلم اجد بينها فرقًا . فهذه المساواة الاولى لكل امرء ان يفتخر بها ان شاء فلا يمانعهُ احد ولا يعارضهُ معارض . قال عليّ بن ابي طالب :

الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهُ آدمٌ والامُّ حوَّاء
فان يكن لهمُ من اصلهم شرفٌ يفاخرون بهِ فالطين والماء

ولنا فوق هذه المساواة مساواة أُخرى تلحق بمساواة الطبيعة وتكملها وهي مساواة كل البشر في اسباب الحياة الجوهريَّة . لان الله اذ خلق الانسان وجعلهُ احد اعضاء الهيئة الاجتماعيَّة اراد لهُ ما تقوم بهِ حياتهُ ولا غنى للانسان عنها من الهواء والنور وبلغة الطعام اليومي والكسوة الضروريَّة وفي ذلك يتساوى كل بني آدم ولا يحقّ لأحد ان يحرم اخاهُ من هذه الضروريَّات التي بها قوام الحياة

ويتساوى ايضاً كل البشر بازاء الشريعة سواء كانت الهيئة او بشريَّة . فانَّ الشريعة التي تحابي الوجوه وترجّح الغنيّ على الفقير وتنتصر للشريف على المشروف وتهضم حقوق البعض لتغلّب حقوق البعض الآخر ليست بشريعة بل هي جورٌ وعدوان . فحاشا الله بشريعتهِ ان يقضي بميزانين ويجور في حكمهِ ذرَّةً واحدة . امَّا الشرائع البشريَّة فان حادت عن القسط والعدل بطل فعلها وعدمها خيرٌ من وجودها . فالمساواة من هذا القبيل لازمة لازبة ويحقّ لكل انسان ان يطالب بها ويدافع عنها

كلُّ هذه وجوه المساويات مبنيَّة على حقوق الطبيعة وسُنن العدل اذا هضمها الانسان أثم وشوَّش النظام الذي وضعهُ الخالق في الهيئة الاجتماعية على انَّ المجتمع البشريّ ليبلغ غايتهُ وهي عمران الشعوب وسعادة الافراد يحتاج الى المساواة المدنية

فالمساواة المدنية تعتبر كلّ افراد الدولة متساوين في الفرائض والواجبات والحقوق مع قطع النظر عن اجناسهم واحسابهم واديانهم فلا تعتبر الّا نسبتهم الى خدمة العموم فتخوّلهم الانعامات نفسها والامتيازات عينها على مقتضى اهليَّتهم وعلى حسب

ما يُجدون العموم نفعاً بمعاملاتهم . فسواء كان الانسان غنيًّا او فقيرًا شريفًا او مشروفًا تابعاً لدين دون آخر مع مراعاته لقوانين البلاد وقيامه بكل واجباته الشرعيَّة فالشريعة تساوي بين الجميع ولا تفضّل الواحد على الآخر . وانَّما العدل يقتضي انَّ الذي يخوَّل حقوقًا ممتازةً يُطالب ايضًا بفرائض مناسبة لتلك الحقوق . ألا ترى مثلًا في بلاد الانكليز انَّ اعيان الدولة مع ما ينالون من الحقوق والامتيازات يقومون ايضاً باعباء المملكة ويلتزمون أداء ضرائب ومكوس لا تترتَّب على غيرهم

ونُلحق بهذه ابواب المساويات مساواة الفضل التي علَّمها الدين المسيحيّ ونشر اعلامها في كلّ انحاء المعمور . وذلك انَّ السيّد المسيح رأى المظالم التي عمَّت الأمم وقلبت ظهرًا لبطن طبقات الناس حتى انَّ الاستبداد والكبرياء بأنَّما يقسم من البشر ان يعتبر القسم الآخر كعبيد وخدَم ليس لهم من الحقوق شيء سوى أن يكدّوا لمنفعة غيرهم ويضخّوا نفوسهم لمطامعهم . فاراد لدكء السجود ان يُعيد للانسان شرفهُ ويمحو من جبهتهِ سمة الذلّ التي وسمهُ بها الظالمون وذلك بتعليمهِ للبشر التواضع والخضوع وقد باشر تعليمهُ بالعمل فانهُ اذ كان السيد والرب جعل نفسهُ كالعبد والخادم . قال لتلاميذه عزَّ وجلَّ (لوقا ٢٢ : ٢٧) : « مَن أكبر المتكئ او الذي يخدم أليس المتكئ فانا في وسطكم كالذي يخدم » . أجل انهُ أنزل نفسهُ منزلة الخدم حتى انهُ غسل ارجل رسلهِ وتواضع امامهم وهو الذي « اذ كان في صورة الله لم يكن يعتدُّ مساواتهُ لله اختلاساً اخذ صورة العبد ووضع نفسهُ حتى الموت وموت الصليب »

وقد حرَّض تلاميذهُ مرارًا على مجانبة الترفع وطلب التذلُّل واذ سمعهم يومًا يتباحثون في أيُّهم يُحسب الاكبر بكَّتهم على ذلك قائلًا (متى ٢٠ : ٢٧) : « قد علمتم ان اراكنة الامم يسودونهم وعظماءهم يتسلطون عليهم واما انتم فلا يكون فيكم هكذا ولكن من اراد ان يكون فيكم اوَّل فليكن لكم عبدًا » فهذه التعاليم وغيرها مثلها غيَّرت وجه العالم الوثني المليء جورًا وعسفًا فظهرت في الكنيسة مبادئ المساواة الصحيحة التي ادهشت العالم ولا تزال تدهشهُ الى يومنا هذا فكم من الاشراف وارباب الثروة واهل الترف والعزّ كفروا بكلّ ملاذّ الدنيا فصاروا عبيدًا لاخوتهم يتفانون في خدمتهم فيعالجون امراضهم ويرشدون جهالهم ويربُّون صغارهم ويُعنَون بعجزتهم ولا يدعون عملًا شاقًّا الَّا قاسوهُ في سبيل الله ومحبَّة اخوتهم

تلك المساواة الانجيليَّة التي جعلت الوفاً من البشر اشبه بملائكة الله لا يطلبون كالرسول (روم ٩ : ٢) الَّا ان يكونوا مبسلين من اجل اخوتهم

*

فصَّلنا ما يُراد بالمساواة الصحيحة ومتى يجوز للمرء ان يطالب بها ويتمنَّاها غير انَّ بعض اهل الفتن واصحاب المشاغب لا يرضون بما تقدَّم فيجعلون كُنه المساواة في نفي كل سلطة وكل تبايُن واختلاف بين طبقات البشر يزعمون ان لكلّ الناس حقًّا واحدًا في المال والغنى والشرف والسلطة ليس بينهم رئيس ولا مرؤوس ولا شريف ولا مشروف حتى لو شاء احد الناس ان يطلب السلطة لنفسهِ او يمدُّ يدَهُ الى مقتنى قريبهِ لحقَّ لهُ ذلك لأن المساواة الطبيعيَّة على قولهم تسمح بذلك. هو المبدأ المجحف بكل سلطة الناقض لاركان كل دولة الرافع لأعلام كل ثورة وفتنة

قُلْ لي ناشدتك اذا ضربتَ الصفح عمَّا سبق لنا من بيان وجوه المساواة الشرعية اين ترى للمساواة اثرًا. يولد المرء في كوخ الفقراء كما يولد في بلاط الملوك ينشأ في بلاد وافرة الخصب واسعة الثروة كما ينشأ في القفار والبراري ليس لهُ الَّا ما لا يكاد يقوم بأودهِ. فاين المساواة بين هذه المواليد. وايُّ انسان يستطيع ان يؤاخذ خالقهُ على فقرهِ ويُقرِّعهُ على تفضيل غيرهِ عليهِ ؟

ثم يترعرع هذا الطفل الصغير وينمو يومًا فيومًا وهو تحت حكم والديهِ لا يرى بُدًّا من اكرامهما وطاعتهما والامتثال لاوامرهما. فان اساء عاقبوهُ وان عقَّ ادَّبوه. فمن يزعم رعاك الله ان الوالدين يتعدَّيان طورهما وانَّ للولد حقوقًا متساوية فيستطيع ان يخلع نيرهما ويخلد الى العصيان بحقّ المساواة. انتزع المساواة عن الوالد حقوقهُ او تُبطل عن الولد واجباتهِ لعلَّة وجودهِ؟ وكذا قُلْ عن الرجل والمرأة في البيت أليس للرجل الرئاسة في بيتهِ والتقدُّم على امرأتهِ فليس ثَمَّ مساواة

وكما ترى عدم المساواة في العائلة تجدها كذلك في احوال المرء وصفاتهِ واخلاقهِ وسائر امورهِ. فيكون زيد عاقلًا وعمرو جاهلًا. يكون ذاك صحيح البنيَّة وهذا سقيمًا ممنوًّا بالامراض. يُعرَف ذاك بتوقُّد عقلهِ وسعة فهمهِ وهذا بقلَّة إدراكهِ. الاوَّل محظوظ ينجح بكل مساعيهِ والثاني سيّئ البخت لا يرى في ما يباشرهُ خيرًا. وُلد الاوَّل من اسرةٍ عريقة في الشرف خدم اصحابُها الدولة فترقَّوا الى اعلى المناصب ومولد الثاني

من عائلة خاملة الذكر لا حسب لها ولا نسب. فاين يا ترى الله المساواة في كل ذلك الا ان يعتب المرء على خالقه ويدعي امامهُ بأنَّ له حقوقاً بخسها الله فظلمهُ فيها. لكنهُ تعالى يجيبهُ على لسان رسولهِ (رو ٩: ٢٠): « ترى من انت أيها الانسان المجاوب لله أفلعلَّ الجبلة تقول لجابلها لِمَ صنعتني هكذا. أليس للخزَّاف سلطان على الطين فيصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وإناء آخر للهوان » . او يقول لهُ كما قال ربّ البيت للفعلة الذين تذمَّروا عليهِ اذ أعطى اجرةً متساوية للذين لم يشتغلوا كشغلهم (متى ٢٠: ١٣—١٤): « يا صاح ما ظلمتك. ألم اكن على دينار شارطتك خذ ما لك وامضِ فاني اريد ان أعطي هذا الآخر مثلك أليس لي ان افعل بمالي ما اريد ام عينك شريرة لأني انا صالح » . فليس للمرء ان يُطالب ربَّهُ بحقوق اذ ان كلَّ ما ينالهُ العبد هو من فضلهِ تعالى فينبغي لهُ ان يشكرهُ سواء اعطى كثيرًا ام قليلًا. كما قال الصيَّاد:

سُبحان ربّي يُعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

او كما قال سندباد الحمَّال:

فكم من سيد بلا شقوةٍ يُنعَّم في خير فيءٍ وظلّ
واصبحتُ في تعبٍ زائدٍ وأمري عجيبٌ وقد زاد حملي
وكلّ الخلائق من نطفةٍ انا مثل هذا وهذا كمثلي
ولكنَّ شتّان ما بيننا وشتّانَ ما بين خمرٍ وخلّ
ولست اقول عليك افتراء فانت حكيم حكمتَ بعدلِ

ثم ان الانسان بمجرَّد مولدهِ في زمن من الازمنة وبلد من البلاد يجد نفسهُ عضوًا من اعضاء جسم ادبيّ عظيم فيهِ الكبير والصغير والشريف والذليل والرأس والمرؤوس أفيستطيع هذا الانسان بحق المساواة ان يطمح ببصرهِ الى مقام من يفوقونهُ رتبةً ويتوسَّل بكل الوسائل ليهبطهم عن منازلهم ويتولَّى هو مناصبهم. فلو تغلَّبت مثل هذه المطامع على شعب لتفاقمت فيهِ الشرور وانتشر الفساد وسادت الفوضى واضحت السكنى مع الوحوش افضل من مساكنة البشر

فترى ان المساواة التامَّة من الامور المستحيلة التي تنافي كل النظام الطبيعيّ والادبيّ. فان اعتبرت الطبيعة في كل اطوارها وجدت فيها من اختلاف الانواع وتعدُّد الاصناف وتوفُّر الاشكال ما يأخذ بمجامع الابصار ويذهل العقول النيّرة ويجتذب

القلوب الى صانعها العظيم . لا بل خذ ما شئتَ من افراد الجنس الواحد فترى بينها بعض الاختلاف ما يزيدك عجباً بمكوّنها . أترأيت ورقةً من اوراق الشجر شبيهة بغيرها شبهاً تاماً ؟ هذه وجوه الوف وملايين من البشر وكلُّها تختلف بعض الاختلاف امّا في اللون وامّا في تقاطيع الهيئة وامّا في الحجم . وليس هذا نقصاً بل كمالاً يُبيْ بغنى الخالق الذي يخرج مخلوقاته كيفما شاء ولا يستحيل عليه امر من الامور . ولما تأمّل الحكماء هذه الاشكال التي لا يفي بها احصاء في المخلوقات اتّفقوا على ان يحدّدوا الجمال الطبيعيّ « نظام المتنوّعات » يريدون انَّ الجمال لا يتمّ في كائنٍ ما الّا اذا جمع بين النظام واختلاف الاقسام . مثال ذلك الجسم البشري الذي جمع في تركيبه كل شروط الجمال . قال الرسول بولس في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (١٢—١٤—٢٥) يصف بنية الجسد وارتباط اقسامه ونظام اعضائه : « انَّ الجسد ليس عضواً واحداً بل اعضاء كثيرة فان قالت الرجل لأني لستُ يداً لستُ من الجسد أفلذلك ليست من الجسد . لو كان الجسد كلّهُ عيناً اين كان السمع ولو كان كلّهُ سمعاً اين كان الشمّ . والحال انَّ الله قد وضع الاعضاء كلّاً منها في الجسد كيف شاء . ولو كانت كلّها عضواً واحداً اين كان الجسد . والحال انَّ الاعضاء كثيرة والجسد واحد فلا تستطيع العين ان تقول لليد لا حاجة لي اليك ولا الرأس للرجلين لا حاجة لي اليكما بل ما يُحسب الاضعف من اعضاء الجسد هو ما تكون الضرورة اليه اشدّ . وما نحسبهُ الاحقر من الجسم هو ما نشملهُ باعظم الكرامة وما يقبح منّا لهُ اعظم الاحترام . امّا ما يجملُ منّا فلا يحتاج الى شيء لكنَّ الله مزج الجسد حتى يخصَّ العضو الناقص بكرامة اعظم لئلّا يكون في الجسد شقاق بل يكون للاعضاء اهتمام واحد بعضها ببعض فاذا تألّم عضوٌ تألّم معهُ سائر الاعضاء واذا أُكرم عضو فرح معهُ سائر الاعضاء »

فللّهِ درُّهُ من وصف يصحُّ في جسم الجمعيّة البشريّة الادبيّ اكثر منهُ بالابدان . وكما انَّ الحياة لا تثبت في الجسم اذا غلب عليه الشقاق وابى كل عضو ان يقوم بوظيفته الخاصّة فكذلك وبالاحرى الجسم الادبيّ فانهُ ينتقض كل نظامه اذا سمت الاعضاء بطلب المساواة واراد الصغير ان يحُلَّ محلَّ الكبير . فان الله تبارك وتعالى بنى الهيئة الاجتماعيّة على اختلاف اعضائها فأعطى كل واحد ما يستفيد منهُ لمنفعته الخاصّة ولفائدة كل الجسم فترى هذا شديد البنية تامّ العافية الّا انهُ فقير بالمال لاصق بالدقماء

وذاك واسع الثروة كثير الجدوى لكنهُ مفتقر الى عَمَلة يساعدونهُ في استثمار مقتنياته. هذا بطل صنديد ورجل بأس ومراس لكنهُ قليل السياسة والتدبير وذاك عاقل حكيم لولا انهُ منهوك القوى مهزول الجسم. وكذا قُلْ عن كل احوال البشر في كافّة امورهم فليس بينهم واحد يستغني عن اخيهِ فلو تساوى البشر في امورهم كلها من صحّة ومال وقوّة وادراك لتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعيّة وعاش كل انسان منفردًا بنفسهِ واضحت عيشتهُ كعيشة الحيوان او ادنى منها لأن البهائم نفسها تتعاضد وتتساعد لادراك غايتها وردّ عدوّها عنها (١

فما قولك بعد هذا بالذين ينادون بالمساواة ؟ ألا ترى انهم يسعون في طلب المحال. فانهُ من المحال ان تجعل المساواة في الجمعيّة الاهليّة كما سبق. من المحال ان تُتَّخذ المساواة في العيشة الاجتماعيّة اذ يختلف الناس في اهوائهم وصفاتهم واعمالهم وتربيتهم وانسابهم. فهَبْ ان ملكًا من الملوك يجمع يومًا كل رعاياهُ ويعطي كل فرد منهم بالمساواة قسمًا من املاك الدولة ومقتنياتها أفتدوم هذه المساواة يومًا واحدًا ألا ترى انَّ مواصلة المعاملات ومزاولة الاشغال بعد زمن قليل تُزيل تلك المساواة فيرجع هذا على ذاك امَّا بفطنتهِ وامَّا بصفاتهِ الرابحة وامَّا بهمّتهِ وعنايتهِ فيفقد هذا ما حظي من المال بكسلهِ وسوء تصرُّفهِ ويُصاب ذاك بجسمهِ او بعقلهِ فيخسر كل مقتناه. وخلاصة القول انهُ لا يمرُّ على هذا التساوي أيام قلائل حتى تعود الثروة كما كانت سابقًا متوفّرة في ايدي البعض زهيدة في ايدي البعض الآخر

ومن المحال ان يدَّعي البعض بالمساواة في الحقوق دون مراعاة طبقات الناس واهليّتهم واستعدادهم لها. أفيُعامل الامير كعاملة المأمور او يقام العالم النحرير مقام الجاهل المركّب. أليس للأُسَر الشريفة التي خدمت الوطن مدّة اجيال متوالية خدمًا عديدة انعاماتٌ وامتيازات لا تُعطى للعيال الحديثة التاريخ. او يُنزَّل الامام والكاهن والاسقف منزلة السوقة والعامّة. ألا يمتاز القائد الظافر باعداء وطنهِ عن الجندي الجبان. فلو زعم احد انَّ كلَّ هؤلاء متساوون بالحقوق لكذب وشهد على كذبهِ كلُّ من لم يختلَّ بعقلهِ

(١) راجع مقالة حضرة المنسنيور يوسف العلم في تباين الحظوظ بين الناس فانها من ابدع ما كتب في هذا الموضوع (المشرق ٥ : ٧٦٢)

ومن المحال ان تكون المساواة في السياسة . فانَّ سياسة البلاد على ايّ صورة برزت لا يمكنها ان تكون متساوية بين كل اهل الدولة . فان كان نظام الدولة ملكيًا مطلقًا فالامر واضح . وان كان ملكيًا دستوريًا او كان جمهوريًا فقط فالمساواة لا تصلح الّا على شروط وذلك باختيار اعضاء لمجلس المبعوثين . امّا هذا الاختيار فلا بُدَّ ايضًا من تقييده بقواعد تجعلهُ مفيدًا لصوالح الجمهور نافعًا لنجاح الوطن . ويتمّ الامر اذا جُعلت لبعض المختارين امتيازات فوق سواهم على حسب ثروتهم او املاكهم او مراتبهم وعلى قدر ما يدفعون للحكومة من الضرائب والمال الاميريّ فانَّ مثل هؤلاء احرى بالانتخاب واحرص على اختيار مبعوثين جديرين بحفظ النظام وإصلاح البلاد من الصعاليك الذين يبيعون اصواتهم لكل مشترٍ ولا يهمُّهم أتجري الاحوال منتظمةً ام لا . وعلى كلّ حال لا يخفى على كل ذي عقل مصيب انَّ صوت رجل همام ذي عقل راجح وعلم واسع وفضل سامٍ يفضل على صوت رجل خسيس جاهل خالٍ من كل فضل ومكرمة وهذا ما لحظتهُ بعض الدول في انتخابات مبعوثيها كبلجيكة مثلًا التي تخوّل بعض المختارين امتيازات حسب مقامهم او اشغالهم النافعة للوطن

هذا نظر اجملناهُ في المساواة انبيّن للقرّاء ما وراء هذه اللفظة من المعاني الملتبسة فان حصرتها ضمن دائرة العقل والحكمة صحَّ معناها امّا اذا اطلقتَ عليها من المعاني ما يردُّهُ الذوق السليم والحكم الصائب وتنفيه الطبيعة المستقيمة اصبحتْ وبالًا وكان شرُّها عظيمًا . والعاقل من رضي بما قسم الله لهُ من الخير وسعى قدر استطاعته في استثمار الوزنة التي تكرَّم بها عليهِ الخالق فان ضاعفها بالمتاجرة الشرعية والّا انتظر بصبر يوم المساواة العظيم الذي فيهِ يجازي الرب كلًّا على اعمالهِ فيطلب كثيرًا ممَّن أُعطي الكثير وقليلًا ممَّن أُعطي القليل . فطوبى للعبد الذي يجدهُ سيّدهُ ساهرًا على مالهِ امينًا في خدمته فيقيمهُ على جميع ما هو لهُ (لوقا ١٢ : ٤٤)

مطبوعات شرقية جديدة

XPYCOCTOMIKA: Studi e Ricerche intorno A S. Giovanni Crisostomo a cura del comitato per il XV° Centenario della sua morte 407-1907. fasc. I, gr. in-8, pp. 242 *Pustet*, 1908.

ابحاث في اعمال القديس يوحنا فم الذهب بنسبة يوبيلو المئوي

انَّ الاعياد الحافلة التي أُقيمت في رومية العظمى بنسبة المئة الخامسة عشرة لوفاة الذهبيّ الفم لم تنحصر في مظاهرات جليلة اتحدت فيها الكنيستان الرومانية والشرقية بل كانت ايضًا مبعثًا جديدًا للهمم فاخذ ارباب البحث يدرسون حياة ذلك الرجل العظيم الذي ارسل على الكنيسة بزمانهِ ضياء ساطعة لم تزل اشعّتها تنتشر في كل انحاء المعمور الى يومنا هذا. فوجدوا كثيرًا من اعمالهِ وتآليفهِ مدفونةً في زوايا النسيان ومن ثمَّ عوَّلوا على احيائها ومن جملة ما باشروا من ذلك مجموعٌ دعوهُ بالخريزوستوميات اي ابحاث منوطة بالقديس يوحنا فم الذهب طبعوها في امّ المدائن الكاثوليكية. وقد تلقَّينا بغاية البهجة القسم الاوَّل من هذا المشروع الجليل وهو مطبوع اجود طبع في مطبعة انتشار الايمان المقدَّس بحروف جميلة يونانية ولاتينية ومسكوبية وارمنيَّة. امَّا الابحاث التي يتضمَّنها هذا القسم فكلُّها اثيرة خطيرة اوَّلها مقالة في الدور الادبيّ الذي لعبهُ يوحنا فم الذهب في عهدهِ. ومنها بحث مبتكر في علاقات القديس يوحنا مع فيلسوف زمانهِ ليبانيوس الشهير. وممَّا يستحقُّ ذكرًا خصوصيًّا ثلاثة ابحاث في اعمال يوحنا فم الذهب الباقية في المخطوطات العربيَّة والمخطوطات الارمنية والمخطوطات المسكوبيَّة. ولعلَّنا نعود الى البحث الاوَّل فنعرّبهُ في المشرق وهو لحضرة مكاتبنا الفاضل الخوري قسطنطين باشا. فيرى القرَّاء ما في هذا الاثر الجديد من الفوائد فنحثُّ كلَّ الشرقيين على درسهِ

ل. ش

LES FIANÇAILLES ET LE MARIAGE: DISCIPLINE ACTUELLE. Décret « *Ne temere* » et récentes décisions du Saint-Siège, par le P. L. Choupin s. j., *Paris, G. Beauchesne et Cie*, 165 pp. in-16, 1908.

الخطبة والزواج وقوانين الكنيسة فيهما

انَّ قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر اصدر في ٢ آب سنة ١٩٠٧ براءة ذات

شأن مطلعها بقوله (Ne temere) ومدارها على شروط عقد الخطبة والزواج عند الكاثوليك وقد تلافى في هذه البراءة عدّة امور كانت تعرّض الدعاوي الزواجيّة لمشاكل معضلة ووضع قوانين جديدة تزيل هذه المعضلات فأمر انّ الخطبة القانونية تجري على هذه الصورة بان يضع الخطيبان قرارًا على خطبتهما يمضيانه باسمهما بحضور خوري الرعيّة او الرؤساء المرخّصين او بحضور شاهدين على الاقلّ. فان نقص احد هذه الشروط عُدّت الخطبة باطلة خالية من كل فعل. اما الزواج فكان المجمع التريدنتينيّ وضع له بعض قوانين لثبات علانيته لولاها كان يُحسب الزواج باطلًا غير شرعيّ. وكانت تلك القوانين لا تشمل غير البلاد التي أُعلنت فيها رسميًا. والبراءة الجديدة قد وضعت اليوم سننًا عموميّة تشمل كلّ البلاد والطوائف الكاثوليكيّة (الّا الشرقيّة) وهي توضح عدّة امور مبهمة وشبهات متعدّدة نشأت منذ عهد المجمع التريدنتينيّ الى يومنا الحاضر. وما برزت هذه البراءة حتى اسرع اللاهوتيون الى تفسيرها وبيان تقاريرها والبحث عن كل احكامها. الّا انّ اوضح واضبط ما جاء في ذلك كتاب صغير الحجم ألّفهُ احد اساتذة اللاهوت الادبيّ الاب لوسيان شوبين اليسوعي استقرى فيه كل المسائل المنوطة بهذه البراءة فشرحها شرحًا مستوفيًا مبنيًا على مبادئ الحقّ القانونيّ وفتاوى المجمع المقدّس. فنحض كل من تهمّهُ هذه الابحاث القانونيّة من كهنة الشرق على مطالعة الكتاب ليعلموا ما قرّرتهُ البراءة المستحدثة

الاب ب. پيرون

Dr LEOPOLD FONCK, S. J. – WISSENSCHAFTLICHES ARBEITEN. Beitraege zur Methodik der akademischen Studiums. *Innsbruck, F. Rauch,* 1908. XIX-340 pp. in-8, *Prix* 2, 25.

تنظيم الدروس العلمية في المدارس الكليّة

في حواضر اوربّة مدارس علميّة وكليّات يتردّد اليها الشبان لاستماع الدروس التي يلقيها بعض الاساتذة على طريقة نظريّة اكثر منها علمية. فاذا اكتفى الحضور بتلقّي تلك الدروس بقيت فائدتها قليلة منحصرة فلا بُدّ للطالب ان يُلحق تعليم المعلّم بدرسهِ الخاصّ. وليس للطلبة ما يرشدهم الى تنظيم تلك الدروس فعمد احد اساتذة كليّة انسبروك سابقًا والمدرسة الرومانية حالًا الاب لاوبلد فنك اليسوعي تزيل مدرستنا قبل

بضع سنوات الى وضع كتاب جليل الفائدة كثير العائدة جمع فيه كلّ ما يحتاج اليه طالب الكليّات من المعلومات للاستفادة من دروسه في تلك المدارس . والكتاب في ٢٨ فصلًا يتضمّن كلّ فصل قسماً من المعلومات التي تختصّ بصنفٍ صنفٍ من العلوم كالآداب والآثار القديمة والتاريخ فيبحث عن مؤلفيها ونُسخها ومطبوعاتها وكيف يُنتفَع منها . وفي هذا الكتاب ابحاث عن خزائن الكتب والمجلّات التي تساعد الطالب على تهذيب عقله . وفيه كلام عن الاساليب والطرائق العلميـة لاحراز المعارف بوقت قريب وامور عديدة توفّر على الطلبة وقتهم الثمين فيجدونها في هـذا الكتاب دون غيره . وهو حريٌّ بأن يُدعى دليل الطلبة لاحراز المعارف الاب ي . ديلفسنر

Notice sur les Manuscrits syriaques conservés dans les Bibliothèques : 1° du Patriarcat Chaldéen de Mossoul - 2° de l'Evêché Chaldéen de Mardin, par Mgr. ADDAI SCHER, 38 et 36 pp., *Paris, H. Champion,* 1908.

قائمة المخطوطات السريانية في مكتبتي موصل وماردين للكلدان

معلوم لدى القرّاء كم يعتني الاوربيون في ضبط قوائم مكاتبهم لاسيما خزائن المخطوطات فانّهم يحكمونها ايّ احكام فيصفون كلّ كتاب وصفاً مدقّقاً ليعرف الطالع ما يحتويه كلّ سفر ولا يفوتهُ شيء من التعليقات المفيدة لاوصافه . وقد سرّنا انّ بعض الشرقيين يتّخذون هذه الطريقة عينها لوصف ما عندهم من الكنوز الادبية . ولا غرو ان السيد ادي صليبا ابراهيما رئيس اساقفة كركوك ممّن يستحقون ذكرًا خصوصيًا وثناء طيّبًا في ذلك فانّ سيادتهُ كان سبق ووصف في المجلة الاسيويّة الباريسية سنة ١٩٠٦ مخطوطات دير سيدة الزروع القريب من القوش (وعددها ١٥٣) ثم اردف ذلك في السنة التالية بوصف مخطوطات الدار الاسقفية في ديار بكر (في عدد ١٥٩) واليوم قد اتحفنا السيّد الموما اليه بكرّاسين آخرين يحتويان وصف مخطوطات المكتبة البطريركية الكلدانية في الموصل (وعددها ١١١) ثم وصف مخطوطات المكتبة الاسقفية الكلدانية في ماردين (وعددها ١٠٤) وسيادة الكاتب يصف كلّ كتاب بتعريف اقيسته وعدد صفحاته واسطره وقدمه وتاريخ نسخه ثم يبيّن كل اوصافه وخواصّه . واذا كان الكتاب فريدًا في جنسه زاد في تعريفه الايضاحات اللازمة واشار الى

التآليف التي تكلّمت عنهُ . فيا حبذا لو حذا حذو سيادتهِ اصحابُ الهمم في كل طوائفنا الشرقيــة فيدرجون في المجلّات جداول مخطوطاتهم ويصفون وصفاً وافياً ما يعرفونهُ من الاسفار المصونة في المقامات البطريركية والاسقفيــة وفي الاديرة وكذلك المكاتب الاسلامية اللاحقة بالمدارس والجوامع في الاستانة العليــة ودمشق وحلب وبغداد والموصل فانَّ تلك الكنوز لا تفيد غالباً الّا المتّ فلا يُعرف من امرها شيء. او اذا طُبعت قوائمها كانت تلك القوائم قليلة الجدوى اذ تقتصر غالباً على اسم الكتاب ومؤلفهِ دون تعريف احوالهِ وخواصهِ . فيا لهُ ما الفائدة من المكاتب التي يضنّ عليهــا اصحابها على الطالعين فتبقى محجورةً يرعاها الــوس ل.ش

كتاب المنتخبات العربيَّة

لجامعَيْهِ محمَّد حسن محمود وامين افندي عُمَر

(طُبع في مصر سنة ١٣٢٥ ص ٢٢٤)

راقتنا طريقة جامعَي هذه المنتخبات فانهما اختارا طرَفاً من نظم او نثر منة من كتبة العرب مباشرةً بعهد الجاهليَّة فاوائل الاسلام فزمن الخلافتين الامويَّة والعبَّاسيَّة حتى الازمنة المتأخرة يُختم الكتاب ببعض منظومات او فقرات للمنشئين العصريين لاسيما المصريين . وقد أُلحقت باسم كل كاتب او شاعر رُوي عنهُ نُتَفٌ من اخبارهِ في ثلاثة او اربعة اسطر مع ذكر سنة وفاتهِ ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد لارشاد الاحداث . فنشكر الاديبين اللذين قاما بهذا العمل ونتمنَّى بكتابيهما رواجاً في المدارس . على انَّ هــذا المجموع تزيد فوائدهُ اذا ضُبطت منتخباتهُ بالشكل الكامل او على الاقل بتشكيل المبهم منهُ . وكذلك تحتاج الفوائد التاريخيَّة المقدَّمــة على اسم كل كاتب الى مراجعة واصلاح فانَّ تاريخ وفيات اهل الجاهلية مثلاً ليس غالباً بصحيح . وكذلك في اخبار شعراء الاسلام ما يخالف الواقع فانَّ يحيى البرمكيّ مثلاً (ص٧٦) لم يكن وزيراً للمنصور . وقد تعجبنا ممَّا جاء في ترجمة حسَّان بن ثابت (ص ٥٢) انهُ « عاش ستين سنة في الاسلام » بعــد ان جُعلت وفاتهُ سنة ٥٤ للهجرة فايّ القولين اصحّ ومزاعم أُخرى كهذه تحتاج الى تحقيق ل.ش

دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف

طُبع في المطبعة الشمانيَّة سنة ١٩٠٧–١٩٠٨ (ص ٧٤٦)

نشكر الشكر الجسيم مؤلف هذا الكتاب الذي أدنى من افواهنا قطوفاً جمعها من حديقة غنَّاء واسعة الارجاء غنيَّة بازهارها شهيَّة باثمارها ألا وهي حديقة اسرته الفاضلة بني المعلوف الذين تتبَّع اصولهم وفروعهم وتعقَّب افرادهم وجموعهم حتى اخرج لهم تاريخاً ثابت الاركان بل بنى لهم صرحاً شاهق البنيان. وقد اخذنا العجب مما بلغت اليه يد المؤلف من المعلومات الرائقة لم يثبطهُ من تحصيلها بُعد منالها فلم يدع طريقاً الَّا سلكهُ ولا باباً الَّا طرقهُ كما يُرى من الحواشي التي ذيَّل بها كتابهُ ومن جدول التآليف التي راجعها لتصنيف مؤلَّفهِ. وقد رأينا اسم مجلَّة المشرق مذكوراً بالثناء في اماكن عديدة فنشكر حضرة الكاتب على ثقتهِ بمقولاتنا. وخلاصة القول انَّنا نعتبر هذا الكتاب من انفع وابدع التآليف الوطنية اذ تفيد مطالعتهُ ليس فقط اخبار بني المعلوف بل يُهتدى بهِ ايضاً الى آثار عديدة من تاريخ لبنان اجمالاً وحوران خصوصاً لانَّ جناب المؤلف يرقي اصل الاسرة المعلوفيــة الى تلك البلاد فيفتتح كتابهُ بذكر تاريخها واقسامها وآثارها والشعوب التي توالت في ملكها. ولعلَّ البعض يجدون في هذه الفصول نوعاً من الاستطراد وضرباً من الفضول الَّا انَّ ذلك مما يصدق فيهِ المثل السائر « زيادة الخير خير ». وليس مقصودنا من ثنائنا على هــذا التأليف الجليل أننا نوافق المؤلف في كل آرائهِ لاسيما ترقيــة اصل بني المعلوف الى ملوك غسَّان ونحن نعلم انَّ جنابهُ لم يرو ذلك الَّا كتقاليد خاصَّة تناقلها الابناء عن الاجداد لا يمكن استنادها الى اثر كتابي يوثق بهِ. وكفى المؤلف فخراً انَّهُ تمكَّن من جمع شتات اخبار تلك العائلة التي كاد لا يُحصى عددها فروى ما روى عن كل افرادها منــذ نيِّف وثلثمائة سنة جازاهُ الله خيراً. ونحن نتمنَّى انَّ جنابهُ يواصل دروسهُ التاريخيَّة ويمدنا قريباً ان شاء الله بما هو اوسع فائدة واعمّ نفعاً بما وعدنا بهِ من « الاخبــار المرويَّة في أُسر لبنان وسوريَّة »

ل. ش

شهادات الكنيسة السريانية المارونية الصادعة
بوجود جسد المخلّص ودمهِ حقيقةً في سرّ الاوخارستية

بقلم الاخوين المونسنيور بطرس حبيقه والقس يوسف حبيقه الراهب اللبناني

طُبع في المطبعة اللبانية في بعبدا سنة ١٩٠٨ (ص ١١٢)

بنسبة يوبيل قداسة الحبر الاعظم الكهنوتيّ وانعقاد المجمع القربانيّ في لندن رفع المؤلفان المذكوران هذا الاثر الى معالي الكرسيّ الرسولي ونيافة الكردينال فانوتللي . وهو كجاميعها السابقة يحتوي شهادات الكتب الطقسيّة المعلنة بايمان الكنيسة السريانيّة في حقيقة سرّ القربان الالهيّ . وهذه الشهادات قد أُثبتت بالسريانية ونُقلت الى العربيّة وهي كثيرة تنيف على الخمسمائة وكفى بها تفنيدًا للهراطقة المحدثين الذين نكروا هذه الحقيقة الجوهريّة التي تصدع بثبوتها كلّ الآثار الدينية منذ اوائل النصرانية . وكان الاجدر بأثر كهذا ان يُتقن طبعهُ ويتّخذ لهُ اجود الاوراق . فيسوءنا انّا وجدناهُ على خلاف ذلك ل . ش

مجالي الغرر لكتّاب القرن التاسع عشر

المجلد الاوّل من القسم الشعري جمعهُ الاديب يوسف افندي صفير

طُبع في المطبعة الشمانية في بعبدا سنة ١٩٠٤ (ص ٢٤٨)

سبق جناب جامع هذا الكتاب فقدّم عليهِ جزئين اودعهما منتخبات نثريّة لكتبة العصر مرّ لنا تقدمها (المشرق ١ : ٤٧٧ و ٨ : ١١٠٦) وها هوذا الجلد الاوّل من القسم الشعري فيهِ نحو مائة قطعة من اقوال شعراء العصر في مواضيع مختلفة في كل فنون الشعر من وصف ومديح ورثاء وحماسة وبيان احوال وسنوح خواطر الى غير ذلك ما يتوق اليهِ القرّاء لاسيما الشرقيين . ومن حسنات الكتاب عدّة مواضيع عصريّة ووقائع وطنيّة يُسرُّ بها القرّاء لاسيما الاحداث منهم كالقطار الحديدي ووصف لبنان والكهربائيّة والبخار والسيكارة والنارجيلة وقلب الام ومناظرة السيف والبخار . وفي كثير من هذه المنتخبات نفَسٌ شعريّ يدلُّ على قريحة صادقة وشواعر لطيفة فنشكر

جناب الاديب الساعي بجمع هذه الطرائف ونتمنى لكتابهِ رواجاً ولولا شيء من الغزليات كان الكتاب عنها في غنى لحضنا ارباب المدارس على اقتنائهِ ووضعهِ في ايدي طلبتهم

ل . ش

مفتاح القراءة

لمؤلفهِ رشيد الشرتوني . طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٠٩ (ص ٢٣)

هذا الكرّاس مما وضعهُ الاستاذ المرحوم رشيد الشرتوني مدّةً قبل وفاتهِ فتأخر الى اليوم طبعهُ لتمام ما أُودعهُ من التصاوير . وهو عبارة عن ثلاثين صفحةً في ثمانية عشر درساً يصدرُ كلّ درس برسم تنشيطاً لخواطر الاحداث وفي الدرس قسمٌ للقراءة يليهِ قسمان آخران الكتابة ثم للحساب لانَّ الاختبار قد دلَّ المعلّمين « على انَّ الصغير اذا زاول الخطَّ من اوَّل امرهِ تسهل عليهِ ادراك القراءة بفرصة اقرب فضلاً عن انَّ انتقالهُ من القراءة الى الحساب مما يروّح نفسهُ ويجدّد نشاطهُ » فكفى بهذه الاسطر دليلاً على فوائد الكتاب

مصباح الرشد في عجائب لُرْد

تعريب الخوري بطرس مراد (طُبع في القاهرة سنة ١٩٠٨ ص ٢٣)

هذا الكتيب قد وضعهُ في الافرنسية الخوري برترين اثبت فيهِ ما جرى في مدينة لرد من التجلّيات العجيبة لمّا ظهرت العذراء الطاهرة للفتاة برنديت كما فصّلنا ذلك سابقاً في المشرق (ص ٣٢١) وقد عرّبهُ حضرة الخوري بطرس مراد الماروني تذكاراً للاعياد اليوبيلية التي أُقيمت في هذا العام الخمسيني لتلك الحوادث الغريبة التي لا يستطيع ان يتأمّلها العاقل دون ان يقرّ بسلطان الدين فيصرخ « هذه اصبع الله »

ل . ش

Calendrier d'al-Machriq

تقويم المشرق لسنة ١٩٠٩

هذه السنة العاشرة منذ صدور تقويم المشرق فلا نطيل الكلام في وصفهِ والكل يعلمون ما امتاز بهِ من زاهي الالوان وحسن النقوش ولطيف الحجم والفوائد التي يتضمّنها . ومن خواصّهِ في هذا العام الجديد انهُ يمثّل لبنان واشجارهُ الباسقة يعلوها

تمثال السيدة المقام حديثاً قرب حريصا مشرفاً على ساحل جونية. وفي مقدمة كل شهر افادات عمومية عن احواله. وفي ذيل كل يوم من أيام السنة حوادث تاريخية تشمل اخبار كل الامم القديمة مباشرةً من تكوين العالم الى عهد المسيح. الا الآحاد والاعياد فانَّ في ذيل اوراقها آيات منقولة عن فصول الانجيل المختصَّة بأيامها

هدايا

أرسلت الى ادارة المشرق

١ كتاب جامع الحجج الراهنة. تأليف السيّد اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان الكاثوليك (ص ٥٤٤)

٢ تعريب رواية اتالا للبيكونت شاتوبريان بقلم فرح انطون صاحب الجامعة. (نيويورك ١٩٠٨ ص ٤٨)

٣ حدائق الظاهر. مجلة تاريخية ادبية اجتماعية لصاحبيها احمد زكي ابو شادي ومحمود عبَّاس. المجلد الاوَّل. العدد الاول. يوم الحساب. (مطبعة الظاهر بالقاهرة ص ٢٢٤)

٤ كتاب مؤنس الجلَّاس بمفاخر العبَّاس. وهي قصائد نظمها الارشمندريتي ايليَّا ديب المنتخب لطرانيَّة صور وصيدا فرفعها الى معالي الحضرة الخديويَّة. (طُبعت في مصر ١٩٠٨ ص ١٩)

٥ برنامج المكتبة الاهلية: لصاحبيها احمد حسن طباره ومحمد جمال (ص ٩٦)

٦ يوم في كرم. بقلم شكري الخوري. (طُبعت في سان باولو ١٩٠٨ ص ٢٢)

٧ رسالة انكليزيَّة في الوحدة الاسلامية Pan-Islamism, by Shaikh Mushir Hosain Kidwai, *London, Luzac and Co*, 1908, pp. 76.

٨ مبادئ الهجاء الفرنسويَّة للاديب ايوب صائغ Nouvel Abcédaire français, par Ayoub J. Saïegh, *Zahlé*, 1908, pp. 88.

شذرات

زيادة اوجاع المرضى في الليل وسبب ذلك ارسل الينا من حلب الدكتور النطاسي تابوليون مارديني الاسطر التالية فنثبتها لافادة القرَّاء: معلوم ان اغلب المرضى ان لم نقل جميعهم يشعرون عند دخول الليل بزيادة في اوجاعهم وتفاقم في آلامهم فتراهم يتململون ويهيجون وتتضاعف قوَّة الحمَّى ويعصي عليهم النوم كأنَّ نوبة المرض تتجدَّد في تلك الاثناء. فما هو يا تُرى سبب هذه اللوائح المزعجة؟ نقول انَّ سببين خصوصاً يخفِّفان اوجاع المريض في النهار. الأوَّل: الأدوية التي يصفها الاطبَّاء.

غالبًا في النهار دون الليل امّا لزعمهم انها انجع للمريض واما لاسباب اخرى ثانويّة كالعادة وسهولة استعمالها في النهار. والثاني الاشعة الشمسيّة التي خصّها الخالق بفعل مسكّن وملين. وقد اثبت ذلك كثير من الاطباء بالاختبار لاسيما الدكتور روتشيش (Dr Rothschich) الذي جرّب الاشعّة الزرقاء لاخماد الحكّة الرحميّة ولازالة الصّداع فجاءت امتحاناتهُ مثبتة للامر باجلى بيان. كذلك قد ثبت للعلماء انّ للأشعّة الزرقاء قوةً في قتل الجراثيم المرضيّة فانّ الدكتور فنسن (Dr Finsen) تمكّن من معالجة السرطان بعرضهِ على تلك الاشعة. ومما لحظ العلماء ان جراثيم الهيضة والطاعون اذا وقعت عليها اشعّة الشمس أبطلت عدواها وكذا الاوجاع الزهريّة فان الاشعة الزرقاء تخمدها كما تسكّن اوجاع السرطان وتخفف في النهار حمّى الامراض التدرّنيّة التي تقوى في ساعات الليل. ومن ملحوظاتهم ان بثور الجدري المعرضة لاشعة الشمس تيبس بزمن قليل. وقد دخلت المعالجة بنور الشمس في طور التقدم والانتشار بهمّة بعض الاطباء العصريين الذين نالوا بواسطتها من النتائج ما فاق آمالهم. وان سألت كيف تعمل اشعة الشمس في الجسم البشري فتشفي ما يطرأ على آليّاتهِ من الجروح. اجبنا ان اشعّة الشمس تنفذ في جلد الانسان بل تلج عظامه نفسها. ومن هذه الاشعة ما تمتصّهُ وشيجة الجلد المشتبكة ونسيجهُ المتلاحم فبقي للمرضى في الليل ان يواظبوا على استعمال الادوية التي في غيبة اشعة الشمس لا تكفّ عن عملها فتلطّف اوجاعهم الليليّة نوعًا. وقد سبق الدكتور هوكلار (Dr Huclard) الى استعمال سليسيلات الصودا ليس في النهار فقط بل في الليل ايضًا لتخفيف وطأة الروماتسم الحادّ فنجح بعمله ولعلّ معالجات اخرى ليليّة لغير ذلك من العلل تأتي بالشفاء المأمول. فنشير على الاطباء بتجربتها

الحفريّات الحثّية نبّهنا القرّاء سابقًا الى خطر الاكتشافات العجيبة التي توصّل اليها علماء الالمان في برّ الاناضول حيث وجد العلّامة ونكلر آثارًا لا يُحصى عددها ترتقي الى عهد الحثّيين احد الشعوب القديمة التي لعبت في سواحل بحرنا المتوسّط وشمالي سوريّة دورًا معتبرًا. وكانت تلك الاكتشافات قد أُجريت في موقع حاضرة الحثّيين القديمة عند المكان المعروف اليوم باسم بوغازكوي. والامل معقود لدى العلماء بان يحلّوا قريبًا لغز كتابة تلك الأمّة العاديّة فاذا وقفوا على اسرارها

ارشدتنا الى عدّة معلومات عن اخبار بلادنا في القرون الموافقة لعهد بني اسرائيل وزمن دخولهم ارض الميعاد وأيام قُضاتهم وملوكهم لانَّ عدد الكتابات الحثية المعروفة يبلغ الثمين عدًا وفيها من الاحداث التاريخيّة ما تدلُّ عليهِ التصاوير المكتشفة مع الكتابات. وهذه العاديّات الاثيرة حدت باحد اعيان المانيــة المسيو موهلبرغ الى ان يتبرَّع بمبلغ واسع من المال لمباشرة حفريّات اخرى في ايوك الواقعــة على مسافة بضع ساعات من شمالي بوغازكوي وقد وقفنا على نتيجة هــذه الحفريّات الجديدة فاذا هي في حسنها ووفرتهــا كحفريّات بوغازكوي. وقد نشر مكربدي بك ناظر الحفريّات باسم المتحف السلطاني لائحة اشغال الالمانيين هنــاك مع صور الآثار التي اخرجوها من دفائنها فاطّلعنا على هذه المكتشفات بسرور وتضاعف أملنا في كشف الستار عن معاني كل هذه الآثار

﴿ الهواء الاصفر وعلاجهُ ﴾ قلقت العقول في اوربّة لانتشار الهواء الاصفر في بطرسبرج. فانَّ عدد المصابين مدَّة شهرين تجاوز العشرين الفًا مات منهم نحو نصفهم. فاخذت الدول المجاورة لروسية الاحتياطات اللازمة لمناصبة الداء وحجزهِ. وممَّا عرفهُ العلماء في زماننا انَّ باشأوس الهواء الاصفر من الميكروبات التي يسهل الظفر بها ومما يقتُلها الحرُّ اذا بلغ ٦٠ درجة فوق الصفر. وكذلك الادوية المضــادَّة للعفونات فانَّها تفتك بميكروب الهواء الاصفر وتفنيه. الَّا انَّ انتشــار الداء يتمُّ بكل سهولة فالطاعون ينتشر بواسطة الفيران امَّا الهواء الاصفر فبواسطــة الانسان المصاب بهِ وبكل الاثاث والثياب التي مسَّها ذاك المعديّ بالمرض. وربَّما وُضعت تلك الثياب بالماء لتُغسل فينتقل الميكروب بواسطة الماء الى الاصحّاء. فلذلك ترى الدول الاوربية مراقبة للثغور المسكوبية لتقوم في وجه العدوى وتمنع فشوّها

﴿ حلّ لغز ﴾ طلب المشرق في العدد الثــامن من السنة الجارية (ص ٦٣١) حلّ لغز وجدهُ المستشرق المسيو مسنيون في ابيــات رويت لابي المغيث الحلّاج وحيث لم ارَ احدًا حلّ هذا اللغز ابديتُ رأيي فان اصاب كان بهِ افادةٌ للسائل فعلى ما ارى ان اللغز يقول في ابياته انهُ ليس من غير المؤمنين بل ايمانهُ عظيم كايمان موسى حينما كلَّمهُ الربّ من فوق الطور. وعليهِ فتكون العبارة اللغز بها هي « ايمان » من ستة احرف لان الكسرة بمقام حرف. والحرفان المعجومان هما اليــاء والنون. وقولهُ

« وحرفان اصلي » هما اليـاء والميم « وحرف آخر معجم » هو النون « يَمَنٌ » منسوب الى « يمي » يعني اصلهُ من اليمن ابراهيم يوسف مسابكي

اقدم الآثار الخطيَّة هي صفيحـة من البردي عثر عليها في حفريَّاتهِ المصريَّة احد المهندسين الفرنسويين اسمهُ بريس (Prisse) فاهداها المكتبة العموميَّة في باريس وتاريخها قريب من ٧٠٠٠ سنة . امَّا مضمونهـا فحِكَمٌ تهذيبيَّة وتعاليم ادبيَّة وفي اثنائهـا اشارة الى ناظر خزانة الكتب في مصر وذلك ما يدلُّ على انتشار فنّ الكتابة في ارض الفراعنة

اثر تاريخيّ عن المسيح طبع يوسف افندي كرمي من الزقازيق في مطبعة جالتي بالاسكندريَّة ورقة صفيقة حلَّاها بالنقوش والذهب وضمَّنها اثرًا غاية في الحسن والاعتبار لولا انهُ كاذب . والاثر المذكور كما زعم المتولّي لطبعهِ رسالة من « بوليوس التيوس والي اليهوديَّة الى المجلس الروماني » يخبرهُ عن ظهور المسيح ومعجزاتهِ في اورشليم . وليس هذا الاثر المزعوم سوى الرسالة التي بحثنا عنها في المشرق (٩ : ٤٣٩ — ٤٤٣) وبيَّنَّا كل ما اودعت من الخرافات . وهـذه النسخة الجديدة زادت على التي زيَّفناها اغلاطًا عديدة يطول بيانها اخصّها انها تنسب الرسالة الى رجل مجهول تدعوهُ بوليوس التيوس وتلقّبهُ بوالي اليهوديَّة . فلا ينخدع البسطاء بهذه الكتابات المزوَّرة

أسئلة واجوبة

س سأل جناب الدكتور اسكندر افندي الخجار عن لفظة « مهوب » أهي قياسيَّة او شاذة او مغلوطة في بعض تراجم المزامير حيث ورد : « انَّ الله مَهُوب جدًّا في مؤامرة القديسين ومخوف عند جميع الذين حولهُ » فبقي صاحب جريدة الوفاء متحيّرًا في جوابهِ وألقى السؤال على مَنْ يمكنهُ الجواب

مَهيب ام مَهُوب

ج ليست لفظة « مهوب » لا شذوذًا ولا غلطًا وانَّما هي قياسيَّـة لانَّ اصل « هاب » يائي وواويّ معًا وان غلب اليائي على الواويّ وقلَّ استعمال هـذا حتَّى كاد يُعدُّ مماتًا او لغةً . وانَّما بقي منهُ اسم مفعولـهِ الدالّ على اصله . ولذلك ترى اصحاب المعاجم يذكرون « هاب » في مادة ه و ب كما يذكرونها في ه ي ب

س وسأل حضرة القسّ انطون الرشاوي: ما هي الغفرانات الممنوحة لمن يحضر الذبيحة الالهيّة أصحيح ما ورد في بعض الكتب انّ الذي يحضرها يربح غفرانًا ٣٨٠٠ سنة ؟

حضور الذبيحة المقدّسة والغفارين الممنوحة على ذلك

ج نقل فرّاري في مكتبته (Prompta Bibliotheca) انّ الذي يحضر الذبيحة المقدسة يمكنهُ ان يربح غفرانًا يبلغ ٣٠,٨٠٠ سنة (ليس فقط ٣٨٠٠) الّا ان هذا قول جزاف لا صحّة لهُ والدليل على ذلك ان المجمع المقدّس لم يروِ في كتاب الغفارين المطبوع في رومية برخصته لا بل أجاب على من سألهُ عن صحّته ان هذه الغفارين غير ثابتة. والكنيسة حتّى الآن لم تمنح غفرانًا على مجرّد حضور القدّاس الالهي لما تحتويه الذبيحة المقدّسة من النعم السابغة والكنوز الروحيّة التي لا تحتاج الى انعامات غيرها

س وسُئلنا عن الكتاب المطبوع في رومية المدعوّ كتاب الارشاد لسائر الملل وهل هو

كتاب الارشاد

ج هذا الكتاب ألّفهُ الكردينال بلوكا (Beluca) المتوفى سنة ١٧٤٥ وعرّبهُ القس تاوفيلوس فارس الحلبي من الرهبان الشويريين. وطبعه الكردينال برومية على نفقته ليوزّع مجانًا على الشرقيين. ولم يرد ان يُذكر اسمهُ فيهِ اصلًا فلهذا من يقرأ هذا الكتاب لا يعرف من ألّفهُ ولا من طبعهُ ولا من عرّبهُ ولا في اي سنة طُبع

س وسأل من عين تراز حضرة الخرطوفيلاكس الانطاكي الخوري يوسف ابراهيم هنا عن صحة تعريب آية القديس بولس الى اهل رومية (٦ : ١٢) كما وردت في نسختنا: «إذًن لا تملك الخطيئة في اجسادكم المائتة حتّى تطيعوا شهواتهِ» فسأل حضرتهُ أليس الصواب «جسدكم المائت»

تعريب آية بولس الى الرومانيين (٦ : ١٢)

ج نعم انّ الصواب وضع المفرد بدلًا من الجمع والدليل عليهِ ضمير المفرد في «شهواتهِ» العائد الى الجسد. وهكذا جاءت رواية النسخ القديمة كلها فالاصل اليوناني يروي (ἐν τῷ θνητῷ ὑμῶν σώματι) والترجمة السريانيّة (ܒܦܓܪܟܘܢ ܡܝܬܐ) واللاتينيّة (in corpore vestro mortali) فلا شكّ انّ ثمّت سهوًا فاسرعنا الى اصلاحهِ شاكرين الى حضرة الكاتب المستلفت انظارنا الى الخلل ل. ش

المشرق

أثر عربي نفيس

نشره حضرة الاب انستاس الكرملي

توطئة

مما افادنا نشر القانون الدستوري الاخير ما بشّرت به جرائد الاستانة من فتح خزائن الكتب الخطيّة التي كانت مصونة في جوامع دار السعادة لا ينتفع من كنوزها الّا بعض الافراد لصعوبة الوصول اليها. وهي امنيّة طالما تاق اليها الادباء واخذت جمعية الاتحاد والترقي في تحقيقها فعلاً. فيا ليت كل هذه المكاتب المتفرّقة تُجمع في دار واسعة وتُنظَّم على مثال الدور الكتبيّة في الحواضر الاوروبيّة وتصطنع لها القوائم المضبوطة وتُقام لها السُّمّال الامناء لخدمة طلبة العلم فتزيد بذلك اسواق الآداب رواجاً وترقى البلاد في معارج المدنية والتقدُّم

ومما توفّق حضرة الاب انستاس الكرملي الى اكتشافه في سياحته الاخيرة الى حاضرة السلطنة في اواخر تشرين الاوّل من السنة الجارية كتاب نفيس في الزهد هذا عنوانهُ: « كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال. لقطب أئمة اليقين وحجّة محجّة المؤمنين وعمدة الدين المكين وسيّد ائمة المتقدّمين والمتأخرين وسند المتنسكين والمتزهدين الوَرع التقي الناجي اللّسِن في الدنيا والدين ابي الخير نمر بن جابر المتكال بن عائد بن جاهل بن فائك بن عدي بن عمار الطائي رحمهُ الله وجعل الجنّة مأواه واجزل ثوابهُ مولاه »

امّا مؤلف الكتاب فقد بحثنا عنهُ في ما لدينا من التواريخ المطبوعة والمخطوطة فلم نجد لهُ ذكرًا الّا انهُ يستفاد من حاشية للناسخ في آخر الكتاب انهُ « ولد في السنة الاولى من المنتصف الثاني من المائة الثانية من هجرة النبي صلعم في ارض الشراة » وانهُ « دخل بلادًا كثيرة من ديار الشام ولاسيّما غزّة ولُدّ وعكّا وحيفا وجبل الكرمل والقدس الشريف والاردن وما جاورهُ » وانهُ اجتمع بالنصارى ورهبانهم « وكان يُحسن اللغة الرومية حتى انهُ كان يتكلّم بها كانهُ واحد من ابنائها وكان ايضاً قد تعلّم شيئاً من اللغة الجرمقانية . . . وكان جدّهُ عائدٌ نصرانيًا ثم اسلم تقرّبًا من الامويين. ولمّا دخل في السنة الخمسين من عمره اعتزل الناس في جوار دمشق الفيحاء وبعد ان كتب هذا السفر الجليل بيده الكريمة اهداهُ الى الجامع الاموي تبرُّكًا

وتناولاً وتوفّاه الله في خلوته في السنة الاخيرة من الربع الاوّل من المائة الثالثة من الهجرة النبويّة وعمره خمس وسبعون سنة »

واسم ناسخ الكتاب الذي اتانا بهذه الفوائد « عبد الله بن احمد بن محمّد بن حامد بن جواد ابن مطر النعماني » ذكر انهُ نسخ الكتاب في السنة العاشرة لوفاة المؤلف

والكتاب عبارة عن ٢٥٠ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطرًا دقيقًا ل . ش

وهذه فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو وحده الهادي الحكيم العليم

(١) الحمد لله الذي جعل الحقّ علمًا يهتدي به كلُّ سالك ساهر . من هادٍ ومهديٍ ومستهدٍ . واقام الزهد غرضًا يؤمّهُ كل تاجرٍ حاضر . بل كل بادٍ ومُتبدٍ ومستبدٍ . الذي يهدي بنوره من يشاء . ويُضلّ من يشاء . وما يهدي ربُّك الّا بذلك النور الذي لا يعرف شروقًا ولا غروبًا ولا صباحًا ولا عشاء . فسبحانهُ من إلهٍ ينجي المؤمنين بما ينفثهُ في براطن الصدور . ويهلك الضالّين بما يمسكهُ عليهم من فيض حوض آلائهِ الشكور . نحمدهُ حمدًا لا يعرف الملل . ولا ينالهُ الكلل . على ما آتى نبيّنا ضلعهم من المنّ العظيم . والفضل العميم . اذ جعلهُ خاتم الانبياء . واتمّ الاولياء . وانطقهُ بالكلم الجوامع اللوامع . والحجج الدواقع القوامع

ويلي هذه الفاتحة كلام جميل للمؤلف يذكر فيهِ ما صار اليهِ اهل عصرهِ من الآراء والبدع والتمزّق والتمزّق فبعث لما اعتلّ من الاجسام عمّا يشفي ما بها من الادواء والاسقام فوجد ان تلك العلل

« ترجع في المآب . الى حبّ الدنيا وما يتلألأ فيها من الآل والسراب . والطمع في جمع حطامها . بل عظامها ورغامها . والتفاخر بما فيها من الجواذب الكواذب . والخوادع القواذع . وبيّنت ان احسن دواء . لهذا الداء العياء . ان يُحارب العدوّ بعدوّهِ . محاربةَ عشاء النهار لغُدُوّهِ . وان هذا الدواء هو الزهد في الدنيا . واعتبار كل ما فيها في دركات الوجود الدنيا . فيكون في احتقارهِ الفوز والحياة والنجاة . وفي اعتبارهِ

العوز والممات والمهولة . ولهذا سميت كتابي كتاب العروج في درج الكمال . والخروج من درك الضلال . واظن ان الاسم يطابق المسمّى . ومن يطلع على كتابي باسره لا يرى الّا الحقّ ولا يعثر فيه على شيء من المعمّى

« وهذا الزهد واجب الإدخال . في مثل هذه الاحوال . وبدونه لا يتمّ شيء . بل يزداد الغيّ . كيف لا وقد وقع مثل هذا الواقع الجليل . في عهد قوم اسرئيل . ومثله في اوّل الايام . من عهد عيسى عليه السلام . فأصلح هذا الفتق . او هذا الشق . بهذا الرّتق . او على هذا الوجه من الحقّ »

الى ان قال في خاتمة مقدّمته :

كتبتُ هذا السِفر وقسمتُه الى ستّ قلاع . وبنيتُ في كل قلعة اربعة أبراج مناع . وبنيتُ ما تحصّن في كل قلعة من الضلال . وما يجب ان يُذخر في كلّ برج من ابراجه ابراج القتال . لنسف ما جاوره من تلك المصانع بل تلك الجبال . القائمة كلها على جرف الفناء والزوال . ثم ختمتُ كل هذه الابواب . بذيل هو خاتمة الكتاب . بل لُبّ اللُباب . وذكرتُ فيه تاريخ الزهد في سابق الاحقاب . تأييدًا لما اوردتُه في تلافيف تأليفي . واثباتًا لما سردتُه في تضاعيف تصنيفي . وكلّه طبقًا لما شاهدتُه مشاهدة عيان . او سمعتُه سماع الآذان . او اكتسبتُه اكتسابًا من بعض الرهبان . او تلقيتُه تلقيًا عن اهل التُقى والايمان . وكفى لي بهذا البيان شاهدًا على ما في النيّة والجنان . فاقول وما اتكالي الّا عليه وهو الرحيم الرحمان . . .

وهذا هو الذيل الذي اشار اليه المؤلف في كتابه وهو جدير بأن يُرقم كلّه باحرف ذهبيّة

ذيل الكتاب . وهو خلاصة جميع الأبواب

(الصفحة 239) الموسوم بلُبّ اللباب

ان الزهد في الدنيا قديم العهد بين الناس وهو ينشأ في كل آدمي عاقل حكيم بصير بموارد الامور ومصادرها ومصايرها . لان الحكيم المتوقّد الفؤاد اذا ما اعتبر أنّ كل ما في هذا الكون زائل او على وشك الزوال لا يعود قلبه يعلق به اذ لا بُدّ له من مفارقته اياه فيبدأ من ذاك الحين ان يُخرج من قلبه ما لا بُدّ ان يخرج منه يومًا

عفوًا بدون اجر او ثواب. فيكسب بهذه المنقبة اعظم الفضل يوم الحساب. هذا اصل الزهد على ما اراهُ وهو اقرب الى الصواب

(240) واني لأتصور ان اوّل من زهد في الدنيا هابيل القتيل. ثم ادريس النبي الجليل. ثم جاءت بعدهما طوائف لا تحصى من كل قبيل. فيهم الصلحاء والعبّاد. والنسّاك والزهّاد. في جميع بلاد الله من سهل ووادٍ وجبل. وفي جميع الاديان والفِرَق والملل. الّا ان الذي شاع ذكرهُ في الآفاق. وذاع امرهُ بين اهل الوفاق والشقاق. هو اوّل الأبدال. ومن يأتي من بعدهِ على تتالي الاجيال. محتذيًا ذلك المثال. نبي الله العظيم. الخضر الياس الحيّ عليهِ الصلاة والسلام. والناس تلفظ اسمهُ كانهُ معرّف بأل وتنبر الف القلب وتتوهم ان الموت اقرَّ لهُ بالياس من اخذ روحهِ فسُمّي «اليأس». ومنهم من يدعي ان «الياس» مقلوب «الآس» وهو نبات لا يزال غضَّ الخضرة وسُمّي هذا النبي صلعم باسمهِ لاخضرار عودِ حياتهِ. واعتدال طول قناتهِ. بدون ان يفعل عليهِ البلى ادنى فعل. ومن العلماء الائمة من يذهب الى ان اللفظة عابريّة الاصل لا يُعرف معناها على التحقيق (١. والله اعلم بالصواب

هذا وكان الخضرُ اول من ذكرهُ التنزيل العزيز انهُ اعتزل الخلق واختلى. فصام وصلّى. وطوى ايامهُ قانتًا يعبد ربّهُ ومولاهُ. موحّدًا اياهُ. لا يعرف آخر سواهُ. فلمّا اشتهر امرهُ بين سكّان تلك الديار. اقبل اليهِ جماعة من قوم اسرئيل يتلمذون لهُ ويتلقّونَ عنهُ اصول الاعتكاف والاعتزال. واقامة شعائر الدين المبين. حتى اصبح عددهم عديدًا. وامرهم مذكورًا. ولما ارتفع الخضر الى اعلى العنان الى حيث لا يُدرى قام خلفًا لهُ البديل الثاني وهو اليَسَع (٢. ولامهُ ليست بلام العهدة على الارجح لا بل على الاصحّ. وانّما هي اصليّة عابرية غير عابرة ولا غابرة. بخلاف ما ذهب اليهِ العوام (241) من هذه اللام. اذ يعتبرونها زائدة زائلة وان اصل الاسم هو «يَسَع» ولما كان هذانِ النبيّانِ من اعظم الانبياء. ومقدّمي الأبدال الاجلّاء. نُحت لهما تمثالانِ من الحجارة ورُضعا في بيت الله وَضَعهما لهما رهبان النصارى قبل الاسلام بكثير (٣. والذين اقاموهما

١) اللفظة مركّبة من كلمتين عبرانيّتين معناها الله هو الله

٢) كذا يدعو العرب النبي اليشاع ٣) راجع ما كتبهُ الازرقيّ في تاريخهِ اخبار مكّة (ص ١١٠) عن وجود صور الانبياء والملائكة في الكعبة قبل الاسلام

لما كانوا من محبي الخضر وثنائهِ اليسع وكانوا قد انتشروا في السابق في جزيرة العرب من جهة طور سينا والشراة الى مكّة شرفها الله

وما زال هؤلاء العباد مشهورين في بني اسرئيل متعاقبين متتالين حتى اتّصلوا بنا لعهدنا هذا او نحن اتّصلنا بهم وهم اليوم على دين عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام. والخلف ينقل عن السلف كل ما كان من جوهر الدين ونشوء هذا الصراط الصراط المبين. والأبدال لا ينقطع وجودهم البتة من الارض لاحتياج اهلها اليهم وان كان اهلها يجهلون هذا الامر وذلك بتدبير منهُ تعالى وبتقدير حكمتهِ الواسعة على حدّ احتياج الارض للماء او الارض لنور السماء

ولمّا كنتُ قد اختلفت الى اولئك الاقوام الصالحين المتألهين. مدّة عدّة سنين. وتفقدت ما في تلك الديار. من عجيب الآثار. وسمعتُ اشياء تفيد القارئ ولو كان من شرّ الاشرار. اذ توقفهُ على امور جمّة هي بمنزلة اغرب الأسرار. احببتُ ان اورد هنا ما سمعتهُ منهم بلسانهم الرومي. وهو لسان العالم منهم والامي. وقد وُفّقت الى تلقّفهِ بسرعةٍ لسهولتهِ وعذوبتهِ وسلاسة الفاظهِ. ومنهم من يُحسن اللغة الجرمقانية . وهي اللغة المعروفة ايضاً باسم السوريانية . وهي من اول لغات الخلق (242) والبعض يسمونها اللغة الأَرْمَانِيَّة

واذ قد افصحتُ عن مورد علمي. ومصدر فهمي اقول: روى لي احدهم قال: ان اصلنا يرتقي صُعُدًا الى الخضر عليهِ السلام وان اصل اقامتنا هو الموطن الذي اقام فيه مدّة طويلة امامنا الاعظم. نبيّنا صلعم. المذكور بألسنة جميع الامم. يعني على جبل الكرمل في كهفٍ هناك يُزار. ومن تلك المغارة او من ذلك الجبل انتشرنا انتشار الجراد. في كل صقع ووادٍ. وفي كل ربع ونادٍ. وذلك اننا لما كثرنا ظعن بعض اجدادنا الاقدمين. متخيّرين الامكنة المجاورة للمياه العذبة او لمياه المعين. لاحتياجهم اليها في كل حين. ولذا توانا مبثوثين بين العباد. بث الجراد. في جميع هذه البلاد. طولًا وعرضًا شرقًا وغربًا في كل سهل وجبل ووادٍ. ومن المواطن العزيزة علينا . والمكرّمة بيننا. موطن لم يغادرهُ اصحابنا البتة وهي مُوَيْهَةٌ تعرف بعين الخضر تبضُّ الماء بضًّا واقعة في غربي الجبل الميمون والبعض يسمونها « عين الياس »

وقد شاهدت بنفسي مشاهدة عيان صوامع وعرازيل وكهوفًا على الجبل ونواحيهِ

بل وفي جميع الديار المجاورة لهُ يسكنها كلها اقوام قُوَّام وصلحاء صُوَّام يشهد لهم بالقُربات والطاعات غير ان طائفة من هذه المساكن قد اخربها اعداؤهم وقوَّضوها وهم نصارى ايضًا. بيد انهم يرجعون الى فرقةٍ تناوئهم في كل امرٍ وكأني سمعتهم(١ يسمونهم الارارسة او الاريسة او الاريسية او اسماً آخر يكاد يكون احد هذه الاسماء. والجانب الآخر دمَّرهُ بعض جهلاء العرب او غزاة (243) اهل البادية من اهل العيث والعبث. الَّا ان كثيرًا منها لا يزال قائمًا عامرًا آهلًا بالزُّهَّاد والعُبَّاد. وهم اناس من افقر خلق الله لا يملكون شيئاً سوى ما عليهم من الثياب الأسمال الرثة. ودأبهم ذكر الله عزَّ وجلَّ. طاوين ايامهم في الصوم والحوى مواصلين الصلاة بالصلاة آناء الليل واطراف النهار. قوم هُجَّد لا يهجعون يتناوبون تسبيح رب الكون وسيماؤهم على وجوههم يستشعرون المسوح بألوانها الاصلية ولا يصبغونها بشيء من الاصباغ الصناعية. واغلب ما يتخذون تلك المسوح من شعر المعز او من وبر الابل على هيئة دُرَّاعةٍ. ويقوم من تلك الدراعة قبعٌ يغطون به رؤوسهم في اوقات الصلاة وآناء الدعاء. والدراعة ايدٍ واسعة فضفاضة تشبه فم القربة او فم الراوية. ويشدُّون على اوساطهم مناطق يقطعونها من جلود الدواب. وفي ايام الشتاء وايام المناسك والمشاعر التي يقيمونها جماعاتٍ جماعاتٍ وزرافات زرافات وذلك بموجب السنن القديمة التي تلقَّوها عمَّن تقدَّم منهم من آبائهم وشيوخهم يتدثرون برداء يتخذونهُ اما من جلد المعز والغنم بشعرهِ واما من صوف خشن يشبه كل الشبه برودنا اليمانية. ولهم يوم يجتمعون فيهِ من كل حدب وصوب وصيب بمنزلة يوم العيد عندهم او يوم الحجّ الاعظم فيأتون مغارة مجاورة لصهوة الجبل الميمون وهناك يسجدون ويُصلُّون ويُدَمدِمون. وقد سمعتُ من يقول ان الخضر كان قد اختلى سابقًا في هذه المغارة واختفى فيها ايام شدَّد عليهِ آحاب وعزابل (٢ من اهل الجور والعيث والفساد

(244) واما طعامهم فهم لا يأكلون شيئاً من ذوات الحياة يعني انهم لا يأكلون لحم حيوان او طائر او سمكة او دابَّة بريَّة كانت او بحريَّة ما خلا الجراد اذا وقع في ايديهم. وانما اكلهم ما تخرجهُ الارض التي يحرثونها من الحشائش والانبتة

١) يريد اهل البدع والمرطقات
٢) يريد ايزابل امرأة آحاب

واحرار البقول واثمار الاشجار وخبز الشعير وربما اكلوا خبز البُرّ ايضاً. وهم لا يتزوجون بل يجرون مجرى الخضر الياس واليسع خليفتهِ ويوحنا الحصور عليهم الصلاة والسلام ويشون معاشهم . وفيهم طائفة لهم نساء الّا انهم لا يقربونهنّ اذ يعتزلونهنّ عند تنسكهم وهم في الاغلب حفاة صيفاً شتاء . ومنهم من ينتعل النعال . وكلهم لا يشربون مسكراً بل الماء القراح الجاري . ومنهم من لا يذوق لُماظة ولا ينفبون نفبة الّا مرّة واحدة في اليوم . وربّما فعلوا ذلك كل يومين او كل ثلاثة ايام . وكل منهم يجري في امر الصلاة والصوم واليقظة والنوم والاكل والشراب الى ما ضارع هذه الابواب على طريقة توافق عمرهُ وبنيتهُ ومزاجهُ ورغبتهُ في الامعان في الزهد الاقصى على ما يقضي بهِ احد زعمائهم الشيوخ المتنسكين . ولم أرَ جماعة منهم تجري كلها على طريقةٍ واحدة او نسقٍ واحد

وهم يُرسلون جُمَّتهم ارسالاً . بل يعفونها اعفاء . واذا فاضت وفرتُهم جزُّوها جزّاً او أحفوها احفاء او عقصوها عقصاً من ورائهم كلٌّ على ما يُحبّ وتشتهيهِ نفسهُ ويشير عليهِ دليلهُ . ولم ارَ فيهم احداً قد مرَّ عليهِ الموسى او غير المقصّين . وقد سمعت ممّن يساكنهم ويتردّد اليهم انهم كانوا في الاصل جماعاتٍ وطوائف مختلفة تجمعوا من صفوة كل فرقةٍ صالحةٍ من فِرق قوم اسرئيل الناجية . وذلك ان اليهود لعنهم الله تعالى واخزاهم لمّا (245) اخذوا يبتعدون عنهُ عزّ وجلّ في عهد الخضر عليهِ السلام رأى فريق منهم ان يعتزلوا عوامّهم الذين ضلّوا سواء السبيل هائمين على وجوههم في كل وادٍ وقاموا بائنين عنهم متأثرين النبي العظيم صلى الله عليهِ وسلّم مصلين صائمين متكفين متعبّدين متنسكين متألهين متبعين مناسك الدين المبين يعني الدين الحنيف دين ابرهيم الخليل صلعم . ذلك الدين الذي لم يبقَ على سننهِ في ذلك العهد الّا الخضر عليهِ السلام وبعض من اتّبع الحقّ والهدى ولم يحدْ عن سواء السبيل فورد موارد الرّدى

ثم لمّا تمادى بهم الزمان وتعاقب عليهم الملوان اختلف بعضهم عن بعضٍ في كيفية تأدية شعائر الدين فانقسموا طوائف . ثم تناقص عدد اصحاب بعض هذه الفرق والشعب تناقصاً اضعفهم شيئاً بعد شيء حتى الجأهم الى ان عادوا فتآخوا وتضامّوا ما بينهم وقد بقي مع ذلك يختلف بعضهم عن بعض في امور عارضة عرضية ليست ذات

شانٍ في امر جوهر الدين . ومن غريب امرهم انهم كلهم يزعمون ان الخضر عليه السلام رأسهم وامامهم وسيّدهم وزعيمهم . ولهذا كانوا يُسمون انفسهم في بدء امرهم « بني الخضر » كما تقول نحن « بني طيّء وبني تَغلِب وبني يَشكُر »

ثم انضمَّ اليهم بعد ردحٍ من الدهر قوم آخرون أصحاب فضل ظاهر بين ظهرانَيْ قومهم اسمهم « الرحابيّون او الرُحّاب او الرُحبان » فصُحّفت الكلمة بصورة « رهّاب ورهبان » (١ . وهؤلاء كانوا يقيمون في ضواحي القرى (246) وبعض الجبال وقلّما . فزال عن الأوّلين اسم « بني الخضر » لان شهرة هؤلاء ابتلعت شهرة اولئك فعرفوا كلهم بالاسم الثاني لاشتهار أمر الآخرين بفضائلهم وفضيلتهم بين الناس اجمعين

ثم ظهر في مُدُن بني اسرئيل قوم آخرون يُعرفون « بالأساة او الأسائية » ولعلهم سُمُّوا بهذا الاسم لان بعض المرضى والزمنى كانت تختلف اليهم فيصلّون على رؤوسهم او يقرأون عليهم بعض سُور التورية وآياتها فيزول عنهم الداء باذنهِ تعالى . وذكر لي بعض العارفين باحوالهم ممّن اثق بروايتهِ أنهم يُسمَّون في بعض ديار بني اسرئيل باسم « الحيدة » يعني الطائفة المحسودة لان كثيرين من الناس يحسدونهم على طريقتهم هذه النسكية ولا يجودون بانفسهم لتأثرهم

ومن الفرق المنضمّة الى ما تقدّم ذكرهُ « طائفة المغتسلة او المستحمّة » وهم اقوام يقيمون على الانهار والمياه الجارية يكثرون من الاستحمام والاغتسال يقيناً منهم ان الوضوء للاعضاء الخارجة يدفع الى المحافظة على النظافة الباطنة وهي لها بمنزلة الاشارة او الذِكرى

وهذه الفرق المختلفة لمّا تضامّت وتناصرت اتّحدت فاصبحت فرقةً واحدةً عظيمة النفوذ في آل اسرئيل بل هائلةً وكانت تكره كل الكراهية بل تناصب كل المناصبة فرقتين اخريين وهما فرقة واحدة من جهة محاربتهما اضرّتهما اسم احداها « الفرقة الصدوقة » واسم الثانية « الفرقة الكذوبة » وهي الفرقة التي يسمّي اصحابُها انفسهم « الفرقة الفريزة » يعني المفرَزة كانهم قد افرزوا انفسهم عن سائر الناس وسوادهم واعتزلوهم كِبرًا منهم وخيلاء . ولهذا وقعت منافرة بين هاتين الطائفتين

١) يشتقُّ اللغويّون اسم الرهبان من الرهبة اي خوف الله ولعلَّ هذا الاشتقاق اصحّ واصدق

المتعاديتين بين الجماعة القيّمة وهي الطائفة الاولى القويمة الناجية (247) وبين الجماعة الحائدة الضالّة الهالكة وهي الطائفة الثانية فظعن كثير من اصحاب الحقّ المبين الى الديار المصريّة تخلّصاً من اعدائهم وحبًّا بالمحافظة على اصول دينهم فنشروا ثمّ آراءهم وفلسفتهم الدينية فتبعهم قومٌ لا يُحصى عددهم من اليهود وغير اليهود. ولمّا قتل الحواريّون النصرانيّة اليها كان هؤلاء الناس من اوّل الذين دانوا بها. لان هذا الدين كان موافقًا لآرائهم ومنشطًا لها. ولهذا كان اول ظهور الزُهد والنسك في النصرانية في تلك الرُبوع ثم انتشر منها الى سائر الاقطار النصرانيّة مبتدئًا في عودته بديار الشام على ايدي هؤلاء المتألهين الزُهّاد المصريين محلًّا وموطنًا. والروم لغةً وامةً. واليهود اصلًا ومنشأً. كل ذلك من باب الاغلبية والّا فكان فيهم غير اليهود. وعلى هذا الوجه اصلح الزُهد ما افسدهُ حبُّ الدنيا ولهوها. اذ كلما ادخل الحرصُ على الدنيا شيئًا من الشقاق والشرّ والفساد طردهُ التُقى وجاء بالوفاق والبرّ والرشاد. حتى انهُ لم ينقطع الصلاح والخير من آل اسرئيل ابدًا. ومن ثمّ لم يهمل الله عزّ وجلّ أمّتهُ المصطفاة من بين جميع الامم بل وقاها من شَرَك الشِرك وضرّهِ مع انها كانت في اجل موضع من مواضعهِ

الى ان جاء عيسى عم فدفع القلوب الى اتمّ الزُهد وأكملهِ وحبّبهُ الى الجميع لانهُ ما كان يرى في هذا الامر صعوبةً او وعورةً اذ انهُ قد اعتاد مشاهدة النسّاك على جبل الكرمل وفي جوار الاردن حينما كان يختلف اليهم في صُبوّتهِ مع امّهِ مريم عم فكان يجدهم على جانب عظيم من الفرح والبشاشة مع ما كانوا عليهِ من شظف العيش وخشونتهِ وقلة عددهم بعد مهاجرة اخوانهم ولم يرَ مثل هذا السرور في فرقتي الصدوقة والكذوبة. فاذا علمت هذا ثبت لك ان النصرانية كانت يومئذٍ من اجلّ الاديان اذ دعت الجميع الى الزهد في الدنيا واحتقار ما فيها من الطيّبات الزائلات والسعي وراء الطيّبات الباقيات الخالدات. ولهذا انشأت في قلوب اصحابها قوّةً قذفتهم (248) الى أبعدِ مرمًى من الفضيلة فقام فيهم عددٌ لا يُحصى من اعظم الرهبان والنسّاك والمتألهين الذين يعيش بينهم الأبدال المقرّبون من ذي العزّ والجلال فلولا ما فيها من هؤلاء العُبّاد لحلّ في دين عيسى عم شرُّ الفساد

لا جرم انّ الفِرَق والبدَع ظهرت فيهِ لكنّها لم تضرّهُ ولم تؤذهِ بل قوّةً زادتهُ

واولتهُ عظمةً وأمدّتهُ منفعةً وخولتهُ رهبةً وأيّدتهُ فشوًّا وانتشارًا. لاسيما لانَّ من هؤلاء النسّاك من كانوا يبذلون كل ما في وسعهم للمحافظة على اصول دينهم ولم يضنوا باجود ما عندهم وانفسهِ. ولم يظنّوا ان في الكون امرًا يُضاهي اجرًا مثل عقد الدين وبثهِ في العالمين. ومن ثم فانهم لم ينظروا ابدًا الى حُطام الدنيا وزُخرُفها ولهوها.... حفظنا الله ووفقنا الى السداد في البدء والمعاد. اللهمَّ امين. يا ارحم الراحمين. ومجيب ادعية عبيدهِ المترحمين

الطبّ في الحبشة

للصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد

١ نظر عامّ

شأن الاحباش في صناعة الطب شأن كل البلاد الاولية التي لم تدخل بعد في مجرى تمدن بقيّة الامصار فيتعاطى هذا الفنّ رجال مشعوذون يلحق بهم المنجمون والبصّارون ومفتشو البخت وامثالهم اخصّهم اهالي مدينة گوندَر وهم امهر الاطبّاء في عرف الاحباش. امّا سكّان مملكة الشوا فاطباؤهم انكالا. وقد انتلف هؤلاء المشعوذون مداواة بعض الامراض الشائعة في هذه الانحاء كالزهري مثلًا حتى اضحى بعضهم خبيرين بالداء يعرفون مجرى هذه العاهة بكل دقّة. امّا كيفية تطبيبهم فليست من الغرابة بشيء. فلا نجدهم لاحظوا ملاحظةً ام استعملوا علاجًا خفي سرّه على غيرهم فالعرب في زمن الجاهلية كانوا ارقى في الطبابة من الاحباش في يومنا وهم اليوم يستعملون نظير العرب الدالك والحجامات والفصادة وقد زادوا في هذه السنين الاخيرة شيئًا اخذوه عن الافرنج وهو استعمال الزئبق ويودور البوتاسيوم. والحبشي وان طبيبًا يجهل معرفة تركيب جسد الانسان فان تشريح الجثث ممنوع في الحبشة كانهُ بدعة في الدين ولذلك هم يفترضون وجود بعض الاعضاء او الشريانات في الانسان بالمشابهة مع ما ماثلها في جسد الحيوان لوجه الشبه الناتج من وظيفتها فيهِ

٢ً تقسيم الامراض

يقسم الاطباء الاحباش ما يعرفونهُ من الامراض الشائعة عندهم الى اقسام وقد تخطَّوا في هذا التقسيم الى ان جعلوا اسماء مختلفة لمرض واحد تختلف اشارتهُ بحسب اختلاف طوره كالزهري فانهم يدعونهُ «كيطَين» في ابتداء العلَّة واذا ازمن وظهرت لهُ اعراض اخرى ثانوية سمَّوه «وردي». كذلك الحمى فاسمها «متش» اذا تسببت عن ضربة و«وبا» وهي الملارية و«تقوسات» وهي الناتجة عن عسر هضم او تكوّن صديد في قرحة او خراجة او ما شاكل ذلك. امَّا الامراض الاكثر شيوعاً في بلاد الحبش فهي الجلدية ويقسمها اطبَّاء الحبش الى قسمين فيجعلون الحمراء والجدري والجرب في القسم الاول. والجذام والبرص والزهري في الثاني. وما خفي عنهم كنهه نسبوه الى العين والارواح كفقد الذاكرة في الحمى والهذيان وكبعض الامراض التي يحصل منها رعدة في الجسم او اندفاع دم من الحلق او تشنج في الاعصاب او نحو ذلك. وقد يكرهون مثل هؤلاء المرضى على تجرع كمية جسيمة من الماء نحو اربعة او خمسة ليترات في ساعة واحدة فيضيعون بذلك مفاعيل الامانة بالماء المقدَّس ويقضي بذلك المدنف نحبه لنزارة ما اودع في امعائه من كمية السائل

واكثر ما يفشو اليوم بين الاحباش وما يعدّ ضربةً على هذه البلاد منهما عاهتان كبيرتان: الزهري والبرص او الجذام وهما المرضان اللذان لم يدعا بيتاً الَّا ودخلاهُ ولا عائلة الَّا وابتلياها وهما الداءان اللذان ضُرب بهما الملك والمبارك والسادة والعبيد

٣ً مرض الزهري

اذا قلت ان نصف اهل هذه البلاد قد غلب عليها داء الزهري قد لا اكون بلغت النسبة الحقيقية بتمامها. وممَّا يؤسف لهُ ان هذا الداء بامتداد متواصل في كل يوم وما ذلك الَّا لكون الحكومة جاهلة لا تتَّخذ احتياطاً لتمنع سريان الداء كما وان الاهلين لا يكادون يعيرونهُ بالًا فيفتك بهم فتكاً ذريعاً ويصيب فتيانهم منذ حداثة سنهم. وقد رأيت بعض الاحباش يشربون محلول يودور البوتاسيوم اياماً معلومة في كل شهر على مدى حياتهم احتياطاً دون ان يظهر عليهم لوائح المرض

وقد اعتاد هؤلاء القوم ان لا يفرقوا بين مرض وآخر من امراض الاعضاء الجنسيَّة فجميعها عندهم انواع من الزهري اللهمَّ الَّا البلانوراجيا (تقيح المجرى البولي)

واذا سئل علماؤهم — ان صحَّ ان ندعوهم علماء لانَّ العالم عندهم من أحسن القراءة وكتابة الرسائل — كيف كان اصل هذا المرض في الحبشة . اجابوك كلهم انهُ مرض منقول اذ لا ذكر لهُ في الكتب القديمة . فيدعي بعضهم انهُ جاءهم في الاصل من مصر عن طريق النيل . ويقول الآخرون بل اصلهُ من الافرنج . وقوم يقولون ان العرب النخاسين والتجار اتوهم في الاصل بهذه العدوى والله اعلم . على ان السببين الاولين قد يمكن ان يثبتا معًا . امَّا الثالث فيصعب تصديقه لان الجهات التي اختلف فيها العرب اكثر من اختلاطهم بالاحباش لم يظهر فيها هذا الداء الَّا عقيب خضوعها للحبش وتكاثر الاحباش فيها كبلاد هرر وولو وجمَّا وغيرها من بلاد المسلمين

ثم ان المتطببين الوطنيين يؤكدون ان قوَّة العدوى بهذا الداء قد ضعفت كثيرًا عن الاول ويقولون انهُ في البدء لم يكن رجل يستطيع ان يمسَّ بصاق احد المبتلين الَّا ويسري اليهِ الداء . اما اليوم فيستطيع الانسان ان يأكل ويشرب مع المريض ولا خوف عليهِ . على ان هذا الكلام فيهِ نظر ملحوظ اذا اعتبرنا ان ولوج جراثيم الامراض لها طرق معلومة لا تستطيع السير بسواها . فنعدُّ قولهم جُزافًا ليس بعلميّ وكثيرًا ما يتهوَّرون في التهلكة لقلَّة فطنتهم يشهد على ذلك اشتداد الازمة المرضية عندهم في هاته الايام وايلادهم البنين المرضى بالوراثة وبعضهم باحوال واشباه غريبة يعرف كنهها الاطبَّاء .

٤ مرض البرص

قد يزيد عدد من ابتُلي بالبرص عن المبتلين بالزهري وقد شوهدت آثار هذا المرض في الحبشة في كل آن ومكان . اينما حللت . وحيثما توجهت ترى على الطرقات اناسًا امتلأت وجوههم بالادران وسقطت اصابع ايديهم وارجلهم وتكوَّن على اجسادهم لُمع بيضاء تظهر جليًّا لسواد بشرتهم . هؤلاء هم البُرص لا يتَّقي احد من الاهلين مخالطتهم ولا يخشون العدوى ولا يأنفون من مرآهم حتى ولا يؤمنون بانتقال هذا الداء منهم الَّا بالوراثة فيدخلونهم الى بيوتهم ويطعمونهم على موائدهم . وقد رأيتُ

منهم الكثيرين وسط اسوار القصر الامبراطوري يشاركون الجنود والضباط في الاكل على الموائد العمومية التي تمتد في الاعياد. واذا اراد سيد حبشي ان يوزع الصدقة جمع في بيته البرص وغيرهم من البائسين فيطعمهم الخبز ويسقيهم الخمرة حتى يخرجوا من هنالك كلهم سكارى. واذا مرض احد هؤلاء الرؤساء دُعي الى بيته البُرص والعميان فمكثوا في بيته يأكلون ويشربون ويسكرون الى ان يشفى المريض او يموت. واذا مات احدهم أُقيمت كذلك الموائد مدة اربعين يوماً ما دامت المناحات والمدعوون الى هذه الموائد هم البُرص والعميان الفقراء.

وقد رأيت الكثيرين من ذوي هذه العاهة يطلبون الصدقة بين البيوت ومنهم من يغنّون الاناشيد. والاغرب ما شاهدتهُ في العاصمة اديس ابابا نفسها حيث كثير من البُرص يركبون الخيل المعقورة مع نسائهم واولادهم ويذهبون هكذا من محلّة الى محلة ينشدون الاناشيد ويتسوّلون خصوصاً ايام الاحاد والاعياد الكبيرة عند بزوغ الفجر

هذا وقد شرع آباء الرسالة الكاثوليكية في هرر منذ اكثر من ست سنين بتخفيف هذه المصيبة عن ذويها ففتحوا مستوصفاً جمعوا اليه نيفاً ومائة ابرص. لكن ضيق ذات يدهم لم يمكّنهم من فتح غيره في الامكنة الاخرى وليس لهم من يساعدهم في صنيعهم هذا الخيري

ومما سمعتهُ هنا حكاية شهيرة في الحبشة عن النجاشي تاودورس الذي اراد استئصال هذا الداء من بلاده. قيل انهُ انف يوماً مرأى البُرص اذ كثر عددهم عند قصره وحول مضاربه وعلى حافة طريقه حيثما تجوّل فقصد ان يمحو اثر هذا الداء. فامر ان تبنى محلات واسعة من الخشب والهشيم فبُنيت ثم اصدر امراً يدعو فيه عموم البُرص في مملكته الى مائدة ذُبحت لهم فيها الابقار والاغنام فحضر اليها الالوف من ذوي هذه العاهة الموجودين في بلاد تكره حيث كانت قاعدة ذاك النجاشي واذ امتلأت هذه المحلّات كلها وأكل المدعوّون وشربوا وسكروا امر فأُوصدت عليهم الابواب وأُشعلت بهم البيوت. قيل انهُ قد هلك في ذاك اليوم ستة آلاف ابرص في تلك الوليمة وكان النجاشي ينظر الى المحرقة الهائلة بعين السرور قائلاً: «من اليوم لن يقال لي اني املك على شعب منتن»

لعمري انَّ هذه الحكاية غريبة بل جريمة شنيعة! على ان من قرأ تاريخ حياة

تاودورس ذاك النجاشي المتوحش لا يصعب عليه تصديق هذه الرواية التي تقشعر منها الابدان

٥ً الدودة الوحيدة

من علم ان الاحباش يتلذذون باللحم النيّ وهو عندهم طعام وطني يأكلهُ كلّ يوم وفي كل وقعة من النهار كلّ من استطاع ذلك وسمحت لهُ ذات يده لا يتعجّب اذا قيل لهُ ان لا حبشي الّا ويضيف في امعائه الدودة الوحيدة على طول حياته. لهذا جرت عادة عموميّة عند الاحباش فكل حبشي يتجرّع الدواء الطارد مرّةً في كل شهرين بلا انقطاع وهو يفضّل ان تأوي اليه الدودة الوحيدة بل تبلغ العشرات من ان ينتهي عن اكل اللحم النيّ. وانّما العناية الالهية جعلت لهم الدواء بقرب الداء فيتخذون لذلك دواء يستخرجونهُ من شجرة يسمّونها الكوسو (Kousso) تنبت في بلادهم فلا يكلفهم الدواء ثمناً غالياً

وقد جعل بعض المثرين منهم يستبدلون الكوسو بحبوب خلاصة السرخس الذكر او بالبلتارين (pelletérine) التي يأتيهم بها بعض التجار الافرنج الّا ان قلّة المال لا تسمح لكثيرين بابتياع هذه العقارات الغالية الثمن

٦ً الجراحة

يذهل الاحباش اذا ما رأوا عمليّة جراحيّة يجريها امامهم احد الجراحين الافرنج وهم لا يزالون يذكرون اعمال جمعية الصليب الاحمر الروسية وقد اتى جرّاحوها بالمعجزات الجراحية امامهم عند ما جاءوا الى الحبشة عقيب حرب الاريتره. ويروون الى اليوم بكل اعجاب عملية فتح الجمجمة صنعها امامهم منذ نيف وعشر سنوات الدكتور دي كرفاليت احد اطبّاء البحرية الفرنساوية الذي كان وقتئذٍ يصحب احدى البعثات العلمية في هذه الاقطار

غير ان المتطببين الوطنيين قلّما عمدوا الى الجراحة وهم يُحيلون العمل في مسيس الحاجة الى المجبّرين والحجّامين الذين تراهم في المدينة يدورون الاسواق حاملين عدّتهم واجهزتهم الجراحية ومُجمّلها قرنان صغيران لاجل الحجامة وبعض الابر الغليظة وقليل من

شمع العسل وسكين قاطع او اثنان . وهؤلاء المجبرون والحجامون هم في الغالب قليلو الجسارة لان الحكومة لا ترحم الذين يقدمون منهم على عمليات تؤدي الى سوء العقبى . على اني نظرت من عامة الناس وخصوصاً من الجنود قوماً يجبرون الكسر بمهارة ولباقة ويشدّونه بالرباطات ومنهم من يحاول اكثر من ذلك في اوقات الضرورة القصوى فلا تعدم غيرتهم نتيجة النجاح

حكي عن النجاشي منليك انهُ قُدّم اليه يوماً عند عودته من حرب الاريتره رجل قد انتفخ بطنه لرصاصة كانت اصابته دون ان تقطع الامعاء وخرجت من الناحية الاخرى فتكوّن الصديد في الغشاء الشحمي ولم يعد ينتظر غير الموت لينجو من آلامه . فلما راه الامبراطور على هذه الحالة اخذ قضيب بندقية كانت ملقاة امامه وانفذها في جرح الرجل حتى اخرجها من موضع خروج الرصاصة فنفذت للوقت كمية كبيرة من الصديد وبرئ الرجل . وهنا مجال القول ان جلالته له صيت طبيب ماهر في الحبشة وقد سمعتهُ يوماً يقول اذ كان يحضر فتح خراجة لاحد خدامه الاخصاء في القصر انهُ كان هو طبيباً في عهد لم يكن بعد قد حضر الاطباء الافرنج الى هذه البلاد

وفيما خلا ذلك فان عموم الاحباش اذا جُرح احدهم خاطوا لهُ جراحهُ بكل ما امكنهم من السرعة . واذا وجدوا في محلّ تعذّر عليهم فيه وجود الابرة والخيط جمعوا الشوك من البرية وحلموا به الجرح حتى يتوصلوا الى ضمه وخياطته . واذا لم ينقطع نزيف الدم لطخوا عليه لبخةً مؤلفة من رماد التبغ واوراق بعض النباتات البرية ثم جعلوا فوق ذلك كمية من الطين اللزج وشدّوا الجرح بوثاق من القماش فينقطع النزيف . وعندما يُحكم على احد بقطع احد اعضائه (وهذه العادة الوحشية لم تزل جارية في هذه البلاد) يغمسون العضو الباقي بعد القطع في الماء الحارّ فينقطع الدم . وقد ذهبت يوماً في اديس ابابا لاستحم في الماء المعدني الحارّ حيث بنى عليه احد الارمن حماماً فاذا بالجند يجرّون سارقاً حُكم عليه بقطع يده . واذ دنوا به من مجرى الماء الحارّ الخارج من الحمام شدوا ساعده بوثاق ثم اتى احدهم بسكين غليظة فقطع بها دائر المفصل واخذ كفّ المنكود الحظ بيده فخلعه عن مفصله بلمحة البصر ثم غمس الساعد المقطوع في الماء الحارّ . وقد اقشعرّ بدني من هذا المنظر الفظيع واعتراني الدواخ فأظلم النور في عيني لكنّ المجرم كان ينظر الى يده وهي تُقطع ولا يصرخ ولا يستجير ولم تسقط

دمعة واحدة من عينيه كانهُ جماد والحقُّ يقال انَّ هؤلاء القوم اقسى من الجماد

٧ً التوليد

اذا احسَّت المرأة الحبشية بقرب ساعتها دعت اليها اقاربها او جاراتها ليساعدوها في الولادة والفقيرات او العبدات منهنَّ يلدن بلا مساعد. وقد تقوم اليوم مقام القوابل نساء متقدمات بالسنّ مارسنَ التوليد بالاختبار ولكن قلَّ من دعاهنَّ من الاحباش الّا نساء ذوي اليسر. واذا ولدت امرأة سمعت حول دارها طلقات متعددة من البنادق فيهرع الاهلون والجيران لتهنئة الاب والاقرباء. امَّا الام والطفل فيكونان وراء الستار خوفًا من العين!

وبعد الولادة بثمانية ايام الى خمسة عشر يومًا يُحتفل بتطهير الطفل لان الاحباش كالأقباط يُختنون اولًا ثم يُعمَّدون

٨ً العقاقير الطبيَّة

ليس اقرباذين الاحباش طويلًا ولا العقاقير فيه متعددة الاجناس والمتطببون يحملون الدواء الى المريض سرًّا وعندهم ان استعمال الدواء بالسرّ ضامن لحسن مفعوله. واول هذه العقاقير واهمّها هي العسل والسمن فالعسل يُستعمل في تركيب بعض المعاجين والمساحيق النباتية والسمن دواء بذاته يستعملهُ المتطببون لشفاء امراض كثيرة فهو المقيّ والمسهل والدهون والفروك وغير ذلك واذا اضفتَ الى ما ذُكر الكوسو بانواعه ومسحوقًا نباتيًا يدّعون انهُ يشفي من الكلَب ومسحوقًا آخر يتنشقونهُ في الانف اذا اصابهم الزكام وزد على ذلك الكتابات والرقي والحرعبلات ودهن بعض الاشجار بالسمن فتكون عرفت الاقرباذين الحبشي باجمعه. وقد ابتدأوا اليوم باستعمال بعض الادوية الافرنجية فهم الآن يعرفون اليودوفرم والكينا ويودور البوتاسيوم والعشبة المغربيَّة (السلسابريليا) وحبوب السرخس الذكر.

وبالختام لا يسعني السكوت عن المياه المعدنية الموجودة في محلات مختلفة في هذه الاقطار وقد عرف الحبش مفاعيلها من قديم الزمان فيستحمُّون بها ويبرأون وخصوصًا المبتلون منهم بوجع المفاصل او بالجرب على انهم اخترعوا الخرافات ايضًا في وصف هذه

المياه فمنها عندهم ما يأتي من بحيرة طبرية ومنها ما يزعمون أن القديس جاورجيوس غرس فيها رمحهُ الى غير ذلك من الحكايات الفرية. وقد نظرت منها نبعًا لا يبعد كثيرًا عن هرر يقال لهُ ماء ارتو فوجدتهُ شديد النفع لشفاء الامراض العصبية

الدرّة النفيسة في مآثر الكنيسة

بقلم حضرة الخوري رفائيل البستاني من اساتذة مدرسة الحكمة العامرة نظمها بفرصة يوبيل قداسة الحبر الاعظم فنشرناها في هذا العدد الاخير كسلك ختام سننا وواسطة قلادة المجلّة

أطلقْ يراعًا للقريض ونضّدِ ... عِقْدَ البلاغة من شذور العسجدِ
حُلْ في متون الفكر وأثنِ عِنانهُ ... وأدِرْ لحاظك في العصور وأنشدِ
وأسرحْ مُجيلًا طرفَ طرفِكَ ثمَّ قِفْ ... واستشهدِ الدهرينَ قرنًا تشهدِ
ألفانِ من خُطبا السنينَ تدفّقت ... دُرَرًا فأيُّ مزيّةٍ للمنشدِ
فتصفَّحِ الايّامَ أنّى جئتَها ... وافتكَّ بالخبر اليقين المسندِ
أضحت لِرقّك المبايعُ رَحْبَةً ... فَسِرِ الحثيثَ وردْ غيرَ المورِدِ
وفرَتْ لديك مآثرٌ بيعيّةٌ ... شمّاء اسمى من مقال معدّدِ
أتضيقُ ذرعًا في مديح كنيسةٍ ... غصَّ الفضاء بدرّها المتنضّدِ
قُلِ الكنيسةُ إن تَرُمْ تعريفها ... هي ما بناهُ الله فوق الجلمدِ
هي صوتُ ربّكَ هاتفٌ بعبادهِ ... يدعو الشعوبَ لكل فضلٍ امجدِ
ورسولُ سلمٍ للممالك كلّها ... وشهابُ رشدٍ مَن يشأ فليهتدِ
أمُّ اليتيم وللحزين عزاؤهُ ... شمس الضليلِ ومنجعٌ للمجتدي
ذُخرُ الفقير وللبغاة مؤنّبٌ ... حصنُ الضعيف مقوّمُ المتأوّدِ
ينبوعُ كلِّ تمدُّنٍ وتقدّمٍ ... واساس فضلٍ في العباد مشيّدِ
وهي الشكيمُ لكل عَقلٍ جامحٍ ... ولكل شعبٍ ثائرٍ متمرّدِ
فتحت ذراعيها لمظلوم كما ... وقفت لعاتٍ ظالمٍ بالمرصدِ
نشلتْ بني الانسان من وهد الثرى ... فسما بساطع نورها المتوقّدِ

تعليمها أولى الانامَ سعادةً وسلامةً وأيادَ نيرَ تعبُّدِ
تبغي السلام ولا تراعي جانباً في الحقّ او تخشى سهام منددِ
كم مرّةٍ حقنت دماء القوم اذ فلّت بحكمتها شفار مهنّدِ
ووقتْ عبادَ الله صولةَ غاشمٍ بمجنّ تدبيرٍ وفطنة مرشدِ
كم اصلحت بين الملوك وهذّبت شعباً واولت منّةً لم تجحدِ
افعالها في صيغتين تصرّفت امرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن ردي
قد قيل سرّ الغرس في اثماره فثمارها راقت وطابت للصدي
فابا البنون بكل صنعٍ فضلهم يزهو كروض حلّها قطرٌ ندي
من عالمٍ ومعلّمٍ ومدبّرٍ ومهذّبٍ او مرسلٍ او مرفدِ
جابوا البلاد مشارقاً ومغاربا يدعونَ للمجد الصحيح الاوكدِ
قد طوّقوا جيدَ الانام فعاملا غُرَرًا تروح بها الرُواةُ وتغتدي
كم من يدٍ بيضاء اسدَوها وكم من صُنعٍ برٍّ بالثناء مخلّدِ
حيثُ التفتَّ ترى سنيَّ فعالهم من ملجإٍ او معلّمٍ او معبدِ
ما هالهم ثبجُ البحار ولا ثنى عزماً لهم نصَبٌ وهولُ الفدفدِ
يتهافتون لفعل كل مبرّةٍ وجميل صنعٍ كالعطاش الوُرّدِ
هذا بجود بنفسهِ ونفيسهِ هذا بعلمٍ او بروحٍ او يدِ
غرسوا الحقائق في البلاد وقد نمت اذ قد سقوها من دم مستشهدِ
وحموا حماها من رعاة ابالسٍ بحصين برهان منيع اوطدِ
ما راعهم قطُّ اضطهادُ عدائهم فالله درّعهم بسامي الموعدِ
« فاذا اضطُهدتم فافرحوا فأجوركم هي في ديار ابي نعيمٍ سرمدي »
« اني اصطفيتُك يا صفا فارعَ الحرا فَ وذبَّ عنها كلَّ صولة معتدِ »
« ولقد أقمتك حارساً لحظيرتي واليك ألقي آمناً بالمقلدِ »
« ابواب قوّات الجحيم اقلُّ من ابلاغ غايات العدى والحسّدِ »
عبثاً يريش بنو الظلام نبالهم بتحامُلٍ وتوعّدٍ وتهدّدِ
نسجوا على نول التخرّص والخنى جلبابَ بغيٍ وافتراء اسودِ
لا بدع ان مجَّ المريضُ الشهدَ او عابت شعاعَ الشمس مُقلةُ ارمدِ

أيُحاول الجهالُ دكَّ كنيسةٍ قد شُيِّدت في متن صخرٍ أصلدِ
عشرون جيلًا قد مضت وتصرَّمتْ وحُسام آل جهنَّمٍ لم يُغمدِ
إنَّا لنعلمُ حالها ومآلها فالأمسِ ينبئنا بأخبار الغدِ
كم مرَّةٍ قد كرَّروا حملاتهم ثمَّ انثنوا خزيًا بوجهٍ اكمدِ
تلك السفينةُ ربُّها ربَّانُها أيروعها هولُ الخضمِّ المزبدِ
كفَّ الاله تدير «دفَّتها» فلا تخشى تحطُّم مُبرقٍ او مُرعدِ
«أنا معكمُ للمنتهى قال المسيحُ م لرسلهِ ونصيركم بتأيُّدي»
«لا تحزنوا لا تجزعوا لا تقنطوا فتثبَّتوا وثقوا بدون تردُّدِ»
فالله من عرش السماء يسوسها وبكفِّ نائبهِ متينُ المِقودِ
ألقى زمامَ شؤونها في يومنا اعظمِ شأنٍ ذي مكارم اوحدِ
حبرٌ تفرَّد بالشهامة والتقى وسموِّ ادراكٍ وأنفةِ أصيدِ
ماضي العزيمة حازم ثبت الجنا نِ أصيل رأيٍ للصواب مسدَّدِ
ما قال «امَّا بعدُ» الَّا فنَّدت اقوالهُ الطغيانَ كلَّ مفنَّدِ
يجلو قتامَ المشكلاتِ وان دجت بشهاب فكرٍ زندهُ لم يُصلدِ
يرعى الرعيَّةَ بالاناءة والنهى وعيونهُ عن نجحها لم ترقدِ
يا أيُّها الحبر الجليل مقامهُ الله حسبك فازدري بالعُنَّدِ
ابناؤكَ الأمناء فوق تعدُّدٍ كلٌّ سناءك بالحشاشة يفتدي
فدعِ الأعِنَّة رفعةً وتكرُّمًا فالنُّبلُ يقضي بامتهان معربدِ
واقبلْ قلائدَ قد نظمتُ بسلكها دُررًا اتتني من خلالك سيِّدي
فسبكتُها طربًا لزعمي أنَّني ادركتُ أُمنيَّتي وقصوى مقصدي
فبهتُّ عند نهايتي إذ قد أرى بعد الختام كأنني لم ابتدِ...

ترجمة عربيَّة قديمة

من الانجيـــل الطاهر

بقلم الاديب يوسف افنـدي اليان سركيس

١ تعريف صاحب الترجمة

بينما نحن نتمتع باستنشاق الهواء الصـافي في ربوع لبنان تردَّدنا بعض الايام الى دير الشرفة في جبل كسروان وتصفَّحنا مخطوطاته القديمة التي بينها عدَّة آثار نفيسة. ويا ليت بقيَّة الاديرة في لبنان تُنظِّم خزائن كتبها القديمة وتفتح ابوابها لطلبة العلم فكانت تخدم بذلك الآداب خدمة تُذكر فتشكر

وفيما نقلّب كنوز مكتبة الشرفة المذكورة اطَّلعنـا على نسخة قديمة جدًّا من الانجيل الطاهر (١ رتَّبها وزاد عليهـا قليلًا من الشروحات في بعض المواطن احد علماء النـاطرة الشهيرين وهو « يشوعياب بن ملكون » الذي لم نعهد ان احد المستشرقين نسب اليه هذا الاثر النفيس. وقد رأينا في المكتبة السمعانية مع ترجمة هذا الكاتب الشهير شرح مؤلفاته فاخذنا منها ما يأتي:

قال العلَّامة يوسف سمعان السمعاني في الجزء ٣ من مكتبتـه (ص ٢٩٥) ما تعريبهُ:

« يشوعياب (٢ بن ملكون مطران صوبا اي نصيبين له مسائل غرماطيقية سريانية ورسائل وسواها وقد سامهُ بابالاهـا الثاني البطريرك الذي كان قد دبَّر سابقًا كنيسة صوبا اي نصيبين. وكانت سيامته في سنة ١٥٠١ يونانية الموافقة لسنة ١١٩٠ المسيحية وهو ذاته رسم سبريشوع ابن اخي بابالاها وخليفته في الكرسي البطريركي بعد ذلك باثنتين وثلاثين سنة اعني السنة اليونانية ١٥٣٣ (١٢٢٢م) . . . وتوفي يشوعياب في ايام سبريشوع آخر المعروف بابن المسيح البغدادي

---

١) تكلَّم المشرق (٩:٦٩٧) عن النسخ العربية القديمة من الانجيـل الطاهر وقال في آخر مقالته (ص ١٠٨): « لا نشك في وجود نسخ أُخر عند الخاصة . . . وفي بعض الاديرة والكنائس فنستنهض همة الادباء ليفيدونا عنها ما استطاعوا . . . » اه. فتينا نابي دعوته ونفيدهُ عن نسخة جليلة لم يذكرها في مقالته » (٢ والاول ان يُكتب هذا الاسم يشوعيهب ومعناهُ في السريانيَّة « يسوع اعطى » وكان اصلهُ من دنيسر على بعد فرسخين من ماردين (المشرق)

بعد ان اختار لتدبير كرسي نصيبين مشيحا الذي رُقّي بعدئذٍ الى البطريركيّة سنة ١٥٦٨ (١٢٥٧م) كما روى عمرو بن متّى »

هذا كل ما كتبهُ العلّامة يوسف سمعان السمعاني في ترجمة مار يشوعياب بن ملكون. ثم اخذ يعدّد تآليفهُ وينتقدها فذكر اولًا كتابهُ الموضوع في المسائل الغرماطيقيّة او مسائل نحويّة في اللغة السريانيّة وقال ان لهُ ميامر ورسائل وعونيثات (مدائح كنسيّة) ثم كتاب عربي في امانة السريان المشارقة كتب في اوله:

« امانة يعتقدها النصارى السريانيون المشارقة من انشاء الاب القديس ايشوعياب مطران نصيبين المعروف بابن ملكون قدّس الله نفسه وطهر روحهُ ورزقنا بركة صلوته امين »

ولهُ رسائل عربيّة ايضًا ورد في مطاويها انهُ كان مطرانًا على نصيبين وارمينية وبين رسائله مديح امانة النساطرة ضد البطريرك اغناطيوس اليعقوبي

اما تأليفهُ الذي هو اكثر شهرة من الجميع وقد وصفهُ السمعاني مطوّلًا في الجزء الثالث من مكتبته فهو: « كتاب البرهان على صحيح الايمان » موجود نسخة منهُ في الخزانة الواتيكانيّة تحت عدد ٤٩ وهو يتضمّن ردًّا على الملكيّة واليعقوبيّة لاثبات مذهب ملّة النسطوريّة. وفي هذا الكتاب نفسه يذكر الطائفة المارونيّة (١

هذا وليشوعياب بن ملكون أثر لم يذكرهُ السمعاني في مكتبته ولعلّهُ جهلهُ كما لم يعرفهُ غيره من العلماء. ولم نجد ذكرًا لهذا الكتاب في الخزائن الاوربيّة (٢

٢ وصف الكتاب وذكر بعض نُبَذ منهُ

هو كتاب قديم قد حرص عليهِ اصحابهُ وصانوهُ بكل اهتمام وهو مكتوب بقلم سلس مُشرق وقد جُلِّد جلدًا قديمًا وقياس ورقهِ ٢٥ سنتيترًا في طولهِ و١٧ س في عرضهِ يبلغ عدد اوراقه ١٣٨ وفي كل صفحة منهُ ١٧ سطرًا. يبتدئ هكذا:

---

١) راجع كتاب جامع الحجج الراهنة للمطران اقليمس داود (ص ٢٤١ من النسخة المطبوعة سنة ١٩٠٨) ٢) وسترى في الملحق ان عبد يشوع الصوباوي ذكرهُ في مقدّمته. وكذلك ليشوعياب بن ملكون خطب كنسيّة مسجّعة طُبع بعضها في الموصل في جملة التراجيم السنيّة للاعياد المارانيّة لاليًا الثالث المعروف بابي الحليم (ص ١٥٠ و ١٦٠) (المشرق)

بسم الله الرحمن الرحيم

« كتاب الانجيل الطاهر مفصلًا فصولًا تقرى في الروازين (١ الواقعة في دابرة السنة على ترتيب الدير الاعلى (٢ ويعرف الان بالطخس الموصلي »

ثم وضع لكل احد وعيد وتذكار انجيلًا خصوصيًا لا يقلّ الواحد منهُ عن ثلاث صفحات وعلى هامش الكتاب سطّر « عنيثهُ » اي لحنهُ او اغنيتهُ. وقد ابتدأ من الاحد الاول من السبار (٣ فقال:

« الانجيل الطاهر لسيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح من بشارة لوقا الرسول يقول:

« لمّا امّ كثيرون من المترجمين كاصحاب سيمون ان يكتبوا قصص الامور المسيحية التي نحن السليحون بها عارفون. على ما سلّم الينا تقليد الاثني عشر الذين كانوا من الاول مشاهدين السيد المسيح وخدماً لكلمة عامة. رأيت انا ايضاً لمّا كنت قريباً جميع وشدة حرصي من جميعهم ان اكتب لك كل شيء منها على كنهه ورتبته ايها السيد المحب لله تأويل. لتعلم حقيقة الكلمات التي تعلّمتها وآمنت بها. وذلك انهُ كان في ايام هيرودس الملك على اليهود كاهن واحد اسمهُ زكريّا من خدمة آل ابيا (٤ وهي فرقة رئيس من بني لاوي. وكان لهُ امرأة من بنات هارون وكان اسمها اليشبع. وكانا كلاهما صديقين بارين امام الله تعالى. وباوامره كلها سايرين عاملين. وكانا في عدل الرب كاملين غير ملامين. الخ »

هذا جزء من انجيل الاحد الاول من السبار نقلناهُ على علّاته. ثم نقلنا انجيلًا آخر برمّته وهو انجيل « يوم عيد ميلاد سيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح بالجسد من آل داود من انجيل لوقا الرسول ». قال:

« وفي تلك الايام بعد ميلاد يوحنا المعمذان بستّة اشهر خرج الامر من اغسطس قيصر الملك الروي على اليهود ان يكتب جميع شعب ملكه وولايته لاخذ الجزية ولرد كل انسان الى وطنه.

---

١) الروازين من كلمة سريانية رازين راز ومعناها الاسرار المقدّسة او رتبة القداس

٢) الدير الاعلى هو الدير المعروف باسم مار كوركيس وموقعه بالقرب من الموصل ورد وصفهُ في مراصد الاطلاع (١ : ٤٢٣) هكذا: « دير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرف ويقال انهُ ليس للنصارى دير مثلهُ لما فيه من اناجيلهم ومتعبداتهم. . . »

٣) السبّار صُبّارا هي البشارة وتطلق هذه الكلمة على الزمن الكنسيّ المعروف بالمجيء

٤) كتب في الهامش: « آبيا جدّ زكريا من نسل قنحاس »

وهذه الكتابة الاولى كانت في ولاية قورينوس الوالي بسوريا وهي بلاد الشام لان كل والٍ أحصى ولايته. واخذ كل انسان في الانطلاق الى مدينته ليكتتب بها. والسرّ الالهي في ذلك ليعود يوسف بمريم الى بيت لحم فيولد السيد المسيح بها. فتمّ نبوة ميخا النبي في ذلك. وكان أصعد يوسف ايضاً من ناصرة مدينة الجليل الى ارض اليهود الى مدينة داود المدعوة بيت لحم لانهُ كان من بيت داود ومن قبيلته مع مريم خطيبته وهي حامل اذ ذاك ليكتتب هناك. وفي حال كونهما هناك كملت ايامها لتلد فولدت ابنها البكر وبها بكر من امه بالجسد ومن الآب بحلول الروح ومن القيامة بما لم يعاوده الموت ومن الله بالشرف التام. ودرجته في قمط والتفهُ في مغاف اذ كان سرّ جسده علف الحياة لحيوانية الانسان الباطنة لانهُ لم يكن لها هناك مكان لائق لتمهيده بالمنزل الذي حلّا فيه. وكان هناك رُعاة اغنام بالقرب من الموضع الذي نزلا فيه وكانوا يحرسون هزيع الليل بالنوبة على مراعيهم. واذا ملك الله قد اتى عليهم ومجد الرب اشرق عليهم باستنارة عقولهم لهاء الملك ففرقوا فرقاً عظيماً جداً لمكان الغمر والتهيل وهجوم الملك عنهم وعدم الفهم بمشاهدة الرؤيا. فقال لهم الملك: لا تخافوا لاني مبشركم بفرحة عظيمة تكون مسرتها العالم باسره فانهُ قد ولد لكم اليوم مخلص وهو الرب المسيح في مدينة داود وهذه الدلالة لكم فيه انكم تجدون طفلاً ملفوفاً في قمط موضوعاً في مغاف. وفي الحال بغتةً شوهد مع الملك كثيرون من اجناد السماء ليحقق شرف الولادة وخدمة المولود اذ يمجدون الله تسبيحاً ويقولون التسبيح لله في العُلى كما يحقّ لعلوّ عظمته وعلى الارض السلام بشارةً بزوال الخوف الكائن بمعصية آدم ووقوع الامن من الخطيئة للمؤمنين والرجاء الصالح لابناء البشر بحلول اتحاد اللاهوتي بهم والنعم السمائية المعدّة لهم. ولما انطلقت الملائكة من عندهم الى السماء تكلّم الرعاة بعضهم مع الآخر او بعض قايلين: هلم ننطلق الى بيت لحم. فتأمل هذه الكلمة التي حدثت حسبما اعلمنا الرب. واتوا بسرعة وحرص فوجدوا مريم ويوسف والطفل موضوعاً في المغاف. ولمّا شاهدوا ذلك بثوا وذاعوا الكلمة التي خوطبوا بها في معنى الصبي وكل الذين سمعوا الخبر تعجبوا ممّا خوطبوا به من الرعاة. فاما السيدة مريم فكانت تحفظ جميع هذه الاقاويل وتفهمها في قلبها فتجدها متفقة الى قول الملاك المبشر لها وقول زكريا لما تنبأ ونطق بعد ارتتاجه عند وجود يحيى وقول الشيخ عند سماعها سلامها وارتجاج جنينها وقول الرعاة هاهنا. ورجع اولايك الرعاة وهم يمجدون الله ويهللون تسبيحاً على جميع ما شاهدوه وسمعوه حسبما خوطبوا به »

فترى من هذا المثال انّ يشوعياب عرّب فصل لوقا ببعض التصرّف وادمج فيه شروحاً وجيزة افادةً للسامعين. وهكذا فعل بقيّة الفصول الانجيليّة الى آخرها وهو الانجيل المرتّب للاحد الرابع من تقديس البيعة من بشارة متى الرسول حيث يقول:

« ولما كان المترلة (١) مجتمعين سألهم السيد المخلص وقال: ماذا تقولون في المسيح ابن من هو... الخ »

---

(١) هم الفريسيون

وفي آخر ورقة من الكتاب ما حرفهُ وهو مكتوب بالمداد الاحمر:

« تمت فصول الانجيل (التي) تقرئ في اوقات الصلوات على ما رُتب بالدير الاعلى وهو الطخر الموصلي وذلك مما اصلح في نقله ورتبهُ ووشحهُ ولمّعهُ بشرح نكتهِ وما غمض من معانيهِ باختصار ليقضي للسامعين و يخف على القارئين الاب القديس الفاضل المطران المعظم مار ايسوع باب ابن ملكون من اهل دنيسر نيح الله روحه وحرسنا بشفاعته وبشفاعة الطاهره العذرى مارت مريم وبصلوات السليحين وجميع القديسين امين »

ويليهِ بالمداد الاسود:

« ووقع الافراغ منهُ في سنة الف وخمساية واربع واربعين يونانية يعني هجرية سنة ستماية واحدى وثلاثين (١٢٣٣م) والحمد لله دائماً سرمداً على نعمائه الى ابد الابدين والى دهر الداهرين امين. وذلك بيد العبد الخاطي الراجي رحمة من الله وغفران برعيتا الخاطور (؟) في خدمة البيع المقدسة العالية المشيدة مار قرياقوس بالقرية المعروفة بك داري في بلد بازبدى والحمد لله رب العالمين »

وفي ظهر الورقة الاخيرة التي اشرنا اليها آنفاً ما صورتهُ

« هذا كتاب الانجيل برسم الخزانة العامرة للرئيس الاجل المحترم السيد الذ . . . المرتضى المختار المؤمن هرمز من القرية المذكورة حرسهُ الله تعالى وتقد . . . وايده لقرائهِ واعتراف معانيه ولزوم بصلاة البتول الطا . . . العذرى مارت مريم وبشفاعة جميع القديسين امين »

ومن جملة ما رأيناه في هذا الكتاب من الاعياد والتذكارات ما يأتي:

١ لذكران الشاهد الفاضل مجيب الدعوات مار كيوركيس الواقع في الرابع والعشرين من شهر نيسان . من انجيل متى الرسول
٢ لذكران الربان هرمزد . اقرأ قريان الاحد الاول من سابوع مار موسى
٣ قريان السجدة في القنطيقسطي . من انجيل يوحنا الرسول
٤ يوم الثلثا من شبّت شي (١) من انجيل لوقا الرسول . قال في اوله: « ومن بعد ذلك اثنان من تلاميذ السيد المخلص في ذلك اليوم اي يوم احد القيامة كانا ماضيين الى قرية تدعى عماوس . وهي بالبعد من اورشليم نحو ستين غلوة والغلوة سبع الميل والميل ثلث الفرسخ . الخ
٥ الجمعة الثانية من الدنح وهي ذكران قطروس وفولوس من انجيل متى الرسول

ومن ترتيب الاناجيل يتضح ترتيب الاعياد كلها عند النساطرة في القرن الثالث عشر للمسيح ومن جملة اعيادهم: ذكران ملافنة اليونان وذكران ملافنة السريان ومار فثيون الخ . . .

---

(١) وهي السبة التابعة لاحد القيامة وفيهِ ذكر مضي السيد الى قرية عماوس

وقد استدللنا من بعض اوراق مضافة الى الكتاب ان بعض الكهنة كانوا يفتتحون قراءة فصول الاناجيل بخطبة وجيزة او مقدّمة . واليك صورة واحدة منها نقلناها من هذه الاوراق التي هي مكتوبة بخطٍ يختلف عن كتابة الانجيل لكنها لا تقلّ قدماً عن الاولى

« التسبيح لله دائماً ابدي . ان اول ما رُنّمت به غرر الطروس . واجلى ما نُقشت به فطر النفوس . والذّ ما نصتت لهُ الاسماع . وجنى منهُ المؤمنون ثمر الانتفاع . ما اورده مختصر البشارة المسيحية . والمقتصر على ايراد الاشارات السليحية . جالي نُسكت الاقاصيص . ومشيد الحقايق من شمون المخصيص . ذو العبارات الانيقة . والاختصاصات الدقيقة . البادي في بشارتهِ بذكر التبوه . والهادي الى اشرف الخلايق الامة المدعوه . مظهر الدرر المنويه . من جلال الصدفة الشمونيه . المرتفع من كدر الهيولانيات بالطافه والصفا . والمرتضع علوم الروحانيات من شمون الصفا . التلميذ المبين والعذب المعين جالب الدر الثمين . من مرقوش البشير احد السبعين يبشر ويقول . . . »

ويلي هذه المقدّمة خطب أُخرى مثلها على شكل المقدّمات التي صنّفها ابو الخليم ونُشرت في آخر خطبهِ السابق ذكرها

مُلحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

بينما كنّا ساعين في نشر المقالة السابقة اتانا عدد تشرين الثاني وهو الحادي عشر من السنة الجارية من مجلّة المقتطف . ومن مضامينه فصلٌ للمنشئ الاديب امين افندي ظاهر خير الله نقلهُ عن « ترجمة قديمة من الانجيل » ظفر بها في احد اديرة لبنان وطلب من المقتطف رأيهُ فيها . فاثبتت المجلة الفصل المذكور دون ان تُبدي في الترجمة رأياً الّا انّها اصلحت غلطاً تاريخيًّا للناسخ . فرأينا أن نُفيد السائل عمّا طلب

فنقول : انّ صاحب هذه الترجمة للاناجيل المقدّسة هو عبد يشوع الصوباوي احد مشاهير كتبة النساطرة في اواخر القرن الثالث عشر اسمهُ عبد يشوع بر بريخا سُقف اولًا على مدينة سنجار وبيت عربايا سنة ١٢٨٥ ثم نُقل الى كرسي نصيبين وبلاد ارمينية

سنة ١٢٩٠ فساس اهل ملّته في الجزيرة واطراف ارمينية الى سنة وفاته ١٣١٨ وله من التآليف السريانيّة والعربيّة ما وصفهُ في قائمة ألّفها نظماً وعدَّد فيها مصنّفات السريان السابقين لعهده وقد طبعت هذه القائمة مراراً لجليل فوائدها (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ٣: ٣٢٥—٣٥٠) وكثير من تآليف عبد يشوع قد اخذتها ايدي الضياع ومنها ما نُشر بالطبع كدستور الشرائع الكنسيّة وكتاب الدرّ الثمين وكتاب فردوس عدن

امّا ترجمتهُ للاناجيل المقدّسة بالعربيّة فقد سبق لنا ذكرها في مقالتنا المعنونة «نسخ عربيّة للاناجيل المقدّسة قديمة في المشرق» (راجع المشرق ٤: ٩٧—١٠٩) وقلنا هناك (ص ١٠٨) انَّ ترجمة عبد يشوع لا تستحقُّ اعتباراً لانَّ صاحبها لم يراعِ في تعريبها امانة الترجمة وضبط المعنى بل حسن الالفاظ وزخرف السجع. فتراهُ يبني كلَّ فصل من فصول الانجيل على تسجيع خاصّ فيجري عليهِ الى آخره. وفي ذلك كما لا يخفى من التصنُّع والفضول ما يطمس محاسن الانجيل ويشوّه سذاجة كلام الله التي تؤثر في النفوس اكثر من كل براعة بشريّة. وقد اثبتنا مثالاً من هذه الترجمة في مجموع ادبيّ طبعناهُ للكليّات الاوربيّة (ص ١٩٤)

والنسخة التي في مكتبتنا من هذه الترجمة منسوخة عن نسخة قديمة وجدناها عند احد افاضل السوريين المهاجرين الى لندن اسكندر افندي صيفي وهي تحتوي الفصول الانجيليّة على غير ترتيبها الاصليّ فنُظّمت وفقاً للآحاد والاعياد السنويّة في الكنيسة الكلدانيّة مباشرةً بآحاد السيّار الموافقة لزمن المجيء كنسخة دير الشرفة السابق ذكرها

وافضل ما تحتويهِ هذه الترجمة مقدّمتها التي أثبتها المقتطف في صفحاتهِ وفيها يذكر المعرّب ما حدا بهِ الى تعريبهِ بلغة فصحى واشار الى ترجمات أُخرى سبق اليها الفاطرة قبلهُ كترجمة ابي الفرج المعروف بابن الطيّب الكاتب الشهير. وذكر ايضاً ترجمة يشوعيهب وهو (يشوعياب) التي تقدَّم الكلام فيها في مقالة الاديب يوسف افندي اليان سركيس واثنى على هاتين الترجمتين قائلاً عن مؤلفيهما انَّهما «قصدا التفهيم بالالفاظ السوادج فاعتمدا اسهل المخارج» ثم اشار الى ترجمة ثالثة لم نعرف حتى الآن من امرها شيئاً وهي «للشيخ ابن داود يشوع» ولعلَّ الصواب «داد يشوع» أخذ عليهِ بعض المآخذ وقال عنهُ انهُ «مع كونهِ ادَّعى البلاغة في نقلهِ وأبان عن فصاحتهِ وفضلهِ فانهُ

خلط جُمل الكلمات وقلقل مباني الآيات وغيَّر الاسماء تعريباً وبدَّل الالقاب تغريباً وذلك من افظع الخطإ والاجتراء واشنع البدع والافتراء فما اجازتهُ الشريعة وما قرئ على منابر البيعة » ثم اردف القول بذكر ترجمته التي لم نستحسن نحن طريقتها لما ادخلهُ فيها من الحشو لتسجيع قرائنها

وهذه الترجمة المسجعة قد نقحها الاديب الماروني ابو المواهب يعقوب ابن نعمة الدبسي الطرابلسي في اواخر القرن السابع عشر فاخرجها على قالب جديد. ومن كتابه نسخة في مكتبتنا الشرقية وصفناها في المشرق (٤ : ١٠٨) وها نحن نورد هنا قطعة من تعريب الصوباوي وتحرير ترجمته للدبسي ليتمكَّن القرَّاء من المقابلة بينهما

ترجمة عبد يشوع الصوباوي

(متى ٥ : ١–١٠)

فلمَّا رأى المخلص جموعاً كثرت رقي الى الطور. واذ جلس وهو قريب. فجاه التلاميذ متقربين منهُ في الحضور. ففتح فاه وجعل يعلّمهم ويقول في الحكم المأثور : الطوبى للمساكين بالروح والضمير. فلهم ملك السماء معدٌّ ومذخور. الطوبى للمحزونين فالباقية لهم في السرور. الطوبى للمتواضعين فلهم ان يرثوا الارض والنعيم مصير. الطوبى للسغبى والظمأى الى العدالة فانهم سوف ينالون شبعاً وريّاً عند وفاء الاجور. الطوبى للرحماء الواسعي الصدور. فانهُ عليهم تحلّ الرحمة في اليوم الاخير. الطوبى للطاهرين قلوباً صفوها بلا تكدير. فيعرفون الله بالعقل المستنير. الطوبى لصانعي الصلح والسلم لذوي النفور. انهم يدعون ابناء الله مالك السماء الخطير. والطوبى لكم متى استهجنكم وكادكم اهل الغرور. وقالوا فيكم كلَّ لفظ سوء من اجلي بالكذب والزور. فحينئذٍ ابتهجوا واكثروا الحبور. فاجركم في السماء موفور

اصلاح الدبسي

فلمَّا رأى يسوع جموعاً كثرت رقي الى الطور واذ جلس فجاهُ تلاميذهُ ففتح فاهُ وجعل يُعلّمهم قائلاً : الطوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات . الطوبى للمحزونين فانهم يسرُّون . الطوبى للمتواضعين فانهم يرثون الارض . الطوبى للسغبى والظمأى الى العدالة فسوف ينالون شبعاً . الطوبى للرحماء فانهم عليهم تحلُّ الرحمة . الطوبى للطاهرين قلوباً فانهم يعاينون الله . الطوبى لصانعي السلامة انهم يدعون ابناء الله . الطوبى للذين اضطُهدوا من اجل العدالة فانهم ملك السماء. والطوبى لكم متى ما استهجنكم الناس واضطهدوكم وقالوا فيكم كلَّ لفظ قبيح كاذبين من اجلي . فحينئذٍ ابتهجوا واكثروا الحبور . فاجركم في السماء موفور

عاقبة الطمع الندامة

رواية معرَّبة عن الافرنسية بتصرُّف

في غاية كانون الثاني من السنة ١٨٤٦ كنت ترى في مستشفى المجانين في باريس شيخاً ناهز الثمانين من عمره مضطجعاً على فراش الموت وكان في ساعة احتضاره يذكر ثروته الواسعة ويرفع يديهِ الى الحضور كأنهُ يُريهم ما في كيسهِ من الدراهم ويضحك لهم كأنهُ يمرح في بحبوحة العزّ ويتقلَّب على سرير السلطنة

وان سألت عن اسم المذكور وسرّ احوالهِ أجبناك انَّهُ يُعرف بسيمون السكَّاف قضى سنيهِ الأولى في رَتق النعال واصلاح الاحذية ثمَّ أُصيب بمسيس في عقلهِ فأُدخل في دار المجانين منذ سنة ١٨١٦ . امَّا جنونهُ فكان من الصنف الهادي فلا يناوي احداً ولا يأتي بأذًى بل كان يجد في مسّ عقلهِ لذَّة وبهجة فاذا غاب عن صوابهِ ظنَّ حالهُ اغنى من قارون فتمتَّع برخاء العيش واكل الطيّب وشرب المريّ وتبختر في مشيهِ عجباً وكل ذلك اضغاث احلام بل رثيَ من الجنون مُني بهِ قبل ثلاثين سنة

وكان الاطبَّاء يشخِّصون مرضهُ ويدرسون كافَّة احوالهِ لعلَّهم يتوفَّقون الى ان يعيدوا اليهِ رشدهُ فكانوا بعلاجهم يلطِّفون داءهُ وربَّما اتَّصلوا الى ان يبدِّدوا اوهامهُ حتى يكاد يعرف حقيقة حالهِ فيصيبهُ اذ ذاك من الالم واليأس ما يكدّر معاشهُ ويرتق كأس حياتهِ فيتوسَّل الى الاطباء ان لا يسعوا في معالجتهِ لانهُ راضٍ بحالهِ فيدعهُ الأساة ولا تلبث نوبة المرض تستولي عليهِ

وكأنك تقول ايها القارئ العزيز: ليس معلول بلا علَّة فكيف حلَّ ذلك الداء العياء بهذا المسكين فاطفأ نور عقلهِ واولجهُ في عالم الترهات

دونك السرّ الخفي والخبر الحقيق - كان سيمون في حداثتهِ تعلَّم اصول السكافة عند احد ارباب هذه المهنة ولمَّا لم يجد في هذه الصنعة ما يقوم بارد حياتهِ واصبح لا يملك شروى نقير انضمَّ الى الثورة الفرنسويَّة التي ظهرت في تلك الاثناء وصار ربيبها وشُغف بمبادئها ورأى انَّ في صحبة الثائرين والمناداة معهم بالحرِّيَّة والمساواة والاخاء اقرب وسيلة الى جمع المال وتحسين الحال. بيد انَّ مطامع رفقتهِ لم تقلّ عن مطامعهِ

الشخصية وبعد اللتيا والتي حصل على قطعة من الارض في ضواحي باريس على ربوة مطلة على المدينة يمتدُّ فوقها اليوم حيّ تروكاديرو احفل احياء باريس في عهدنا لكنّها وقتئذٍ كانت خاليةً من السكّان لا يأوي اليها الّا بعض اهل الحرف والصعاليك

وكان في تلك الارض دار صغيرة او كوخ حقير فنضّد فيه سيمون ادوات صنعته في طابقه الاسفل وجعل لاهله الطابق الاعلى ورجع الى السكافة التي كان اهملها في ايام الثورة لينال من شغله خبزهُ اليومي. فما مرَّ عليه بضعة اسابيع حتى اقبل عليه الزبون وتوفَّر عليه الشغل الذي اكسبهُ دراهم مكّنتهُ من تأثيث دكانه فجهّزهُ ببعض الكراسي من القش وزيّن جدرانهُ بتصاوير ملوّنة زهيدة الثمن خشبة العمل. وبعد ذلك بسنتين جمع من الدراهم ما كفاهُ لاقتناء عرصة مجاورة لداره فجعلها كجنينة واتّخذ لها سياجاً من الشوك. فكان يزرع فيها في اوقات الفراغ شيئاً من الخضر يضيفهُ الى طعامه وطعام اهله

فصار سيمون منذ عاد الى حرفته يقضي ايّامهُ بالراحة والسلام ويكتفي بما قدَّر لهُ بختهُ من الرزق لمعاشه ومعاش عائلته على انَّ صاحبنا كان في ايّام اندماجه باهل الثورة سمع كلامهم السفسطيّ واخذ مبادئهم الفاسدة فبقيت جذورها متأصلةً في نفسه لاسيما انهُ كان اهمل واجبات دينه فلم يجد في تعاليم الدين دواء لدائه. ومن سوء حظه انَّ بعض زعماء الفتن كانوا زوَّدوهُ بكتب جان جاك روسو وفلتار وكندرسه فكان يقرأها حيناً بعد حين ليبعث في قلبه خواطر الكفر ويشحذ شفرة الحقد والبغض لكل سلطة شرعية ويؤجج نار المطامع لمنفعة اهل الثورة. فكانت تلك الاهواء تتنازع قلبهُ وتهيّج سواكن عواطفه فيطمح بنظره الى الترفّع ويرغب في التبجّح

وفي تلك الاثناء قام على فرنسة ذلك العاهل الشهير بل السلطان الجبّار نابوليون الاوّل ففتح الفتوحات وقهر الممالك حتى طبّق اسمهُ الخافق المعمور. فكان سيمون يسمع اخبارهُ ويطالع بكل رغبة تفاصيل فتوحاته فتزيد مطامعهُ في الدنيا وغناها ورفعتها وتلوح لهُ بوارق الامل ليخرج من خموله ويحصل على ما يؤهلهُ للمناصب الشريفة والرتب المنيفة لاسيما انهُ رأى نابوليون في اوّل نهضته وخدم معهُ في الجندية في فرقة واحدة. فكان يظنّ انهُ لو جدَّ مثلهُ لوجد

فكانت تلك الافكار تغلب على قلب السكاف حتى لم يمكنهُ ان يحصرها في

نفسهِ بل كان يردّدها على مسامع بعض الصنّعة والمحترفين مثلهُ فاخذ هؤلاء يجتمعون عنده فيهوّسونهُ طمعاً في دراهمهِ ثم يسوقونهُ الى الحانات ليبتاع لهم خمراً على نفقتهِ فيشربون نخبهُ ويتمنّون لهُ تحقيق آمالهِ

*

في اواسط حزيران من السنة ١٨١١ كان نابوليون عاد الى باريس حاضرة مملكتهِ ظافراً ممجّداً اذ كادت كل دول اوربّة تعنو لسلطتهِ وتخرُّ امامهُ على الاقدام. وكانت الامبراطورة ماري لويزة قرينتهُ اولدت لهُ ابناً بنى عليهِ كل آمالهِ فدعاهُ ملك رومية

ثم نوى اكراماً للمولود الجديد ان يُشيّد لهُ قصراً فاخماً يكون اهلاً بجلالهِ فدعا بالمهندسين وصرّح لهم عن نيّتهِ وعهد اليهم ان يختاروا لذلك الاثر موقعاً مناسباً لهُ ولا يدّخروا وسعاً في ان يجعلوا البناء طرفةً من طُرَف الزمان

فما مرَّ على المهندسين أيّام قلائل حتى طافوا كل انحاء باريس وتفقّدوا احياءها فلم يجدوا مقاماً اجدر بالاثر المقصود من الربوة التي عليها كانت دار سيمون السكّاف فعرضوا الامر على نابوليون وساروا في خدمتهِ الى المكان ليعاينهُ بنفسهِ ويصادق على اختيارهم. فلمّا رقي الأكمة ورأى المنظر الجميل الذي تمتدُّ اليهِ الابصار على اطراف باريس من ميدان الجنود المسمّى « شان دي مارس » الى منزل العجزة الذي اقامهُ لويس الرابع عشر لجرحى الحروب وعجزة الجيش. فسُحر بذلك المشهد الفتّان وصادق على اختيار المكان ليقع بصر ابنهِ الصغير اذا ترعرع على امّ المدائن فيعرف منذ نعومة اظفارهِ ما ينتظرهُ يوماً من عزّ السلطة وسموّ المقام

وفي غد ذلك اليوم جاءت فئة من المهندسين الى المحلّ المعيّن وشرعوا في اخذ رسمهِ طولاً وعرضاً وقاسوا جوانبهُ ونصبوا الرايات الخضراء دلالةً على وجهة البناء ونواحيهِ وكانت دار سيمون داخلةً في حيّز القصر المنويّ . فاستبشر السكّاف بتلك الاعلام وأمّل منها خيراً

فجاءهُ بعد يومين امرٌ من حاكم مدينة باريس بأن يذهب الى مجلس البلديّة. فلبّى الامر مسرعاً ودخل على الحاكم الذي اعلمهُ بأنَّ جلالة الامبراطور قد عوّل على تشييد قصر لوليّ عهدهِ في المكان المجاور لدارهِ. وانهُ يريد ان يبتاع منهُ تلك الدار الحقيرة بثمن خمسة آلاف فرنك وهي عشرة اضعاف ما تكلّف في شرائها (لاسيما ان الدراهم

في ذلك العهد كانت تساوي ضعفي ثمنها اليوم) فكاد سيمون يطير فرحاً لهذا النبأ لكنهُ كتم سرورهُ عن الحاكم واكتفى بقولهِ انهُ راضٍ بتلك الصفقة وسوف يوقع على صكّ البيع في اليوم التالي

ثم خرج من المجلس وهو ثمل من فرحه بالمال الموعود وجعل يتنقّل على رفقتهِ الضّعة ويخبرهم بثروتهِ ويتغطرس امامهم ويتجبّر ويرى نفسهُ عما قليل سيّد عصره فكان رفقة سيمون يهنئونهُ بحسن حظهِ وسعد بختهِ حتى التفت اليهِ احدهم وقال :

لو كنتُ أباك لما رضيتُ بثمن خمسة آلاف فرنك بل طلبت عشرين الفاً . ألا ترى انَّ الامبراطور لا يمكنهُ ان يستغني عن حاوتك ليقيم قصراً لابنهِ

سمع سيمون هذا القول فنفذ في ذهنهِ وعاد الى دارهِ وهو يردّد بلسانهِ : « عشرين الف فرنك ! » نعم اني سأحصل على هذا المبلغ . ثمَّ انطرح على فراشهِ والذهب يبرق في عينيهِ فلم تكتحلا بسهاد وبقي ليلتهُ يتململ على فراشهِ ويكرّر قولهُ : « لا ارضى الّا بعشرين الف فرنك »

وفي ضُحى اليوم التالي عاد سيمون الى المجلس حيث كان في انتظارهِ كبير المهندسين ليُمضي صكّ البيع . لكنهُ اعلن بصوتٍ جهوري انه لا يقبل بالثمن الموعود بل يطلب عشرين الف فرنك

فلمّا سمع المهندس كلامه طردهُ من امامهِ وأعلم الحاكم بطمع السكّاف فكاد عُمّال نابوليون يتميّزون غيظاً عليهِ لكنّهم صبروا أياماً رجاء ان يرعوي . فلم يفعل . فرأى اصحاب الامر اخيراً ان يوافقوا سيمون على مطلوبهِ لاحتياجهم للمكان فارسلوا اليهِ الدراهم وطلبوا منهُ ان يوقّع على الحجّة

فعرف السكّاف من رجوعهم اليهِ انّهم لا يستغنون عن كوخهِ فردّهم قائلاً : قد طلبتُ عشرين الف فرنك فلم تؤدّوها لي بسرعة فانا لا ارضى الآن الّا بضعف هذا الثمن

فاستاء المهندسون من عمل الرجل اي استياء وعزموا على تحوير رسم البناء ليتجوا من عنت ذلك الطمّيع وباشروا بالعمل ووضعوا الاساس

امّا سيمون فلم يقطع الامل وكان يترقّب المشروع رجاء ان يحصل على مرغوبهِ وهكذا جرى بعد ثلاثة اشهر اذ رأى ارباب العمل انَّ ملك السكّاف يشوّه القصر

ويتزع عنهُ شيئاً من هندامهِ فعادوا الى صاحب الكوخ وطلبوا منهُ الدار بالثمن الذي طلبهُ اعني اربعين الفاً

الّا انَّ شيطان الطمع استفزَّ الرجل وأعمى بصرهُ فزاد في ثمن البيت لعلمهِ بأنهم يحتاجون اليهِ ولو طلب القناطير المقنطرة لما رفضوها عليهِ فأجابهم انهُ لم يعد يرضى باربعين الفاً. فارادوا ان يبيّنوا لهُ سوء فعلهِ وفحش مطامعهِ فلم يسمع لهم حتى بعد ان زادوا لهُ عشرة آلاف فرنك أخرى فقدَّموا لهُ خمسين الفاً بدل ارض ما كان احد يدفع لهُ فيها مائتي فرنك

فلمَّا ايسوا من اقناعهِ تركوهُ وذهبوا الى الامبراطور واخبروهُ بما جرى لهم مع ذاك السكّاف وكانوا كتموا عنهُ الامر قبلاً. فتنمَّر الامبراطور غضباً وكاد يرسل شرطاً ليوقفوهُ ويزجّوه في السجن الّا انهُ اخمد غضبهُ بعد هنيهةٍ ثم قال:

اني لأُوثر ان يُبنى القصر في محلٍّ آخر من ان اطاوع هذا الصعلوك فاذهبوا ولا تعودوا تذكرون لي اسمهُ فدعُوهُ يذهب الى لعنة الله وشيّدوا القصر كيفما شئتم

فبلغ الخبر سيمون فلم يضطرب لذلك بل كان يطوف حول البناء صباح مساء ثم يفرك يديهِ قائلاً: ان داري تساوي خمسين الفاً ولا بُدَّ ان احصل منها فوق هذا المبلغ

فمضت الأيام وكان البناء لا يزال يعلو في عنان السماء وسيمون لا يزال ينتظر بُناة القصر ان يأتوهُ ويؤدوا لهُ ما طلب منهم من المال. وكان عند اصحابهِ يفتخر بعملهِ ويُعد نفسهُ كاعظم اغنياء باريس. بل كنت تراهُ يتهامل في شغلهِ بل يخجل من اصطناع الاحذية واصلاح النعال وهو غني عندهُ من المال خمسون الفاً

فعلى ذلك القياس كان يقضي قسماً من الاسبوع في الملاهي ويساقر المسكرات ويدعو اليها رفقتهُ وكان اذا طلبوا منهُ دفع حقّها يدوّنها في الدفاتر على حساب ثمن بيتهِ بل اخذ يفكّر في تشييد منزل عظيم يسكنهُ واهلهُ ويعيش فيهِ بالرخاء وخفض العيش. فبقي على هذه الحال نحو خمسة اشهر وديونهُ تزداد وليس احد من المهندسين يراجعهُ في اشتراء ارضهِ

*

وفي اثناء ذلك استعرت الحرب الروسيَّة فسار نابوليون بجيوشهِ الجرّارة وأبطلت

اعمال البناء في غيبته اقتصاداً بالمال. فجرى للامبراطور ما جرى من النصرة التي صبتها الكسرة. وما لبث ان اضطرّتهُ الدول الى التنازل عن الملك

فكان سيمون السكّاف يتتبّع تلك الحوادث الخطيرة وكلُّ فكرهِ في بيع دارهِ للامبراطور ليُدخلها في بناء القصر المشيَّد لابنهِ. فلمَّا عرف ما صارت اليهِ امور فرنسة من التقهقر شعر بانَّ احوالهُ ايضاً اخذت بالانقلاب وكوكبهُ بالاحتجاب فسار في احد الأيام الى حاكم باريس باسم الامبراطور وقال لهُ: اني قد فكَّرتُ في امر داري التي طلبها مني المهندسون فانّي راضٍ بالثمن الذي عرضوهُ عليَّ اعني خمسين الف فرنك»

وكان الحاكم الذي دخل اليهِ سيمون غير العامل الاوَّل الذي عرفهُ سابقاً فسمع خطابهُ وهو لا يدري من الامر شيئاً فاجابهُ انَّ احوال الامبراطور لم تعد تسمح لهُ بمواصلة العمل ولا بُدَّ من انتظارهِ ريثما تنتظم الامور ويعود السلام

فكان لهذا الكلام اسوأ وقع على قلب السكّاف فعاد الى بيتهِ بخفَّي حنين. ثم انثنى بعد ذلك باسبوعين راجعاً الى مواجهة الحاكم فلم يرض باستقبالهِ. فأخذ يكتب المعاريض ويكرّر المطاليب فلا احد يجيبهُ عنها فصار يعضّ البنان ندماً على ما فاتهُ من الفرصة. لكنَّهُ تجلَّد صابراً لبلائهِ الى أن سمع يوماً صوت المدافع تدوي في باريس فأُخبر بان نابوليون كرَّ راجعاً من جزيرة إلبه وضبط ثانيةً ازمَّة التدبير

فعاد الى السكّاف أملهُ وانتعش قلبهُ وظنَّ انهُ يحظى عمَّا قليل بالمبلغ الموعود وبعد ثلاثة ايَّام اسرع الى حاكم جديد ولّاهُ نابوليون على المدينة وأكَّد لهُ انهُ مستعدٌّ ان يهب دارهُ للامبراطور حتى بلا ثمن لو اراد. فطيَّب الحاكم قلبهُ ووعدهُ خيراً وقال لهُ انَّ نابوليون سوف ينجز بناء القصر قريباً وسيعطيهِ في حقّ الدار ستين الفاً بل وثمانين ايضاً ان شاء الله. فكان لكلام الحاكم تأثير عظيم في قلب سيمون كاد يغيب لهُ عن الحواسّ فخرج يصرخ بملء فيهِ: «فليحيَ الامبراطور»

وكانت الأيام التالية لهذه المواجهة احلى في جنانهِ من شهد العسل لا يبرح من فكرهِ ذكر الثمانين الفاً فبنى عليها الآمال الطيّبة وحسبها في كيسهِ لا محالة فكنت تراهُ ينفخ نفسهُ ويعامل رفقتهُ كأحد الذوات ويعدّد ما لهُ من المآثر الى ان اكتشف لأجداده اعمالاً خطيرة في التاريخ. وكان يذهب الى ثكنة العسكر فيختلط بالجُند

ويشدّد عزائمهم على خدمة الامبراطور وتضحية نفوسهم لنصرتهِ. فكانوا يضحكون منهُ ويقتنصون دريهماتهِ ليشربوا نخب نابوليون

على انَّ عودة الامبراطور الى باريس لم تكن الّا سحابة صيف وما عثّت الدول الاوربيَّة المتحالفة ان سارت بخيلها ورجالها الى محاربة نابوليون فغلبتهُ عند قرية ڤاترلو في بلجكة واوردت جيوشهُ موارد لا صَدَر لها . فاضطرَّ ذلك الجبَّار الى ان يستسلم لاعدائهِ فارسلتهُ انكلترَّة اسيرًا الى جزيرة بعيدة تُدعى سانت هيلانة وعادت سلالة بوربون الى تدبير الامور في فرنسة

فكل هذه الاخبار توالت على مسامع السكّاف سيمون فاورثتهُ اوّلًا الهموم واكسفت بالهُ ولمَّا رأى انهُ لم يعُد لكسرهِ جبر هُدَّ ركنهُ وفُتَّ عضدهُ وكان يطيل النظر الى ابنية القصر لعلَّ ملك فرنسة الجديد يُنجزها فيحتلّها هو او يُسكنها بعضًا من اسرتهِ فكان لا يرى فيها صافرًا حتى اخذ العشب ينبت في عرصاتها

فعزم على ان يواجه اصحاب الدوائر فيعرض عليهم دارهُ ليبتاعوها وأكّد لهم انهُ يكتفي بخمسين الفًا . فما ادّى ذلك الى نتيجة ثم عاد ثانيةً وثالثةً وخفض المبلغ الى اربعين الفًا ثم الى ثلاثين فكان جواب العمال ان الحكومة ليست في حاجة اليها . فظنَّ انهُ اذا انقص تلك القيمة الى عشرين الفًا ينال المرغوب فضاعت اتعابُهُ سدًى حتى انهُ لم ينل الثمن الاوّل الذي كان حاكم باريس تبرَّع بهِ عليهِ اي خمسة آلاف فرنك

وكانت الديون في تلك المدَّة قد تفاقمت وثقلت على اعناقهِ فلم يعرف كيف ينجو من غرمائهِ . امَّا السكافة فكان أهملها منذ سنتين أملًا بما ينتظرهُ من الربح المضمون فلم تعُد يداهُ تطاوعانهِ على الشغل فضلًا عن انقطاع الزبائن عنهُ . فغلب عليهِ وعلى عائلتهِ ضنك العيش فمدَّ يدَهُ الى رفقتهِ فابتعدوا عنهُ حتى اظلمت الدنيا في عينيهِ ولم يرَ وجهًا للخلاص من بؤسهِ الّا بان يبيع الدار وما يلحق بها مع ادوات حرفتهِ بمئة وخمسين فرنكًا ثم توارى عن العيان لئلَّا يشعر بهِ غرماؤهُ فيزجّوهُ في الحبس ليؤدّي ما عليهِ من المال

عاش ذلك المنكود الحظّ هو واهلهُ بثمن دارهِ عدَّة اشهر انكد عيشةٍ . وكان اذا سدل الليل استارهُ يقوم مستخفيًا فيأتي الى نواحي حانوتهِ فيطوف حول قصر ملك رومية فيتذكر الثروة التي كادت تُسعد حياتهُ فيتأسّف ويتلهّف لكن لات حين ندامة

وفي صباح احد أيام شباط من السنة ١٨١٦ وجد الشرط عند حلف اكمة تروكاديرو رجلاً رثّ الهيئة ممتقع اللون مُلقًى على الحضيض دون حراك فظنّوهُ ميتاً الّا انهم رأوهُ بعد قليل يتحرّك ثم رأوا بعينيهِ وطلب اين قصرهُ ثم غلب عليهِ الهذيان فكان يخبط ويخلط ويذكر ما لهُ من الغنى الواسع. فعرف الشرط بانهُ مُصاب بشعوره فنقلوهُ الى مستشفى المجانين. وعرفهُ بعض النظّار فأعلموا الاطبّاء بحالهِ. فجعلهُ هؤلاء عبرةً لابحاثهم ودقّقوا النظر في جنونهِ طول مدّة اقامتهِ في ذلك المأوى اعني الى سنة وفاتهِ في كانون ٢ من السنة ١٨٤٦ فبنوا عليهِ ملحوظات شتى

(قلنا) انّ اطبّاء الروح كانوا احرى بدرس هذا الداء في ذلك المصاب المنوّه بهِ فيبيّنوا لمن ابتُلي بالطمع ما يناله من الوجع. فبهذا البيّن قد صحّ قول الحكيم: من لم يقنع بالقليل لم يكتفِ بالكثير. ونعم ما قال الشاعر:

افادتني القناعةُ كلَّ خيرٍ وما عزَّ أعزُّ من القناعهْ
فأجعلُها لنفسيَ رأس مالٍ وآخذُ بعدها التقوى بضاعهْ

مؤتمران دينيّان في عاصمة الانكليز

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان استحقّ عصرنا بان يُدعى عصر العلوم والمعارف فيحقّ لهُ ايضاً بان يُسمّى بعهد المؤتمرات. لانّ اهل زماننا قد ادركوا بالاختبار انّ الاعمال العظيمة لا تقوم الّا بالاتحاد وبجمع القوى. وليس اتحاد الّا بالتقرّب وتبادل الافكار. وهذا ما قصدهُ ارباب الدُّول واصحاب العمل بعقد المؤتمرات ان يضمّوا انوار العقول الى بعضها فتتمهّد بذلك الامور وتنكشف الشبهات وتزيل المشاكل

وقد تعدّدت هذه المؤتمرات الى حدّ بالغ فمنها للسياسة ومنها للعلوم ومنها للمشروعات الخيريّة. ولو سردنا ما عُقد منها في هذا العام وحدهُ لأنافت على العشرين مؤتمرًا وقد ذكرنا منها في المشرق (ص ٧٣٧) اخبار مؤتمرين توفّقنا الى حضورهما فبيّنا ما نجم عنهما من الفوائد لتقدّم العلوم التاريخيّة والآداب الشرقيّة

ومما استوقف ابصار ذوي العبرة في السنة الجارية مؤتمران دينيان عُقدا في عاصمة الممالك البريطانيَّة وصار لكليهما شهرة واسعة فلم تكد تخلو جريدة مهمَّة من ذكرهما وايضاح شأنهما وتفصيل اعمالهما. واوَّل هذين المؤتمرين قام به الاكليروس الانكليكاني في اواسط حزيران للبحث في شؤون الكنائس البروتستانيَّة الانكليزيَّة. واما الثاني فكان مؤتمرًا كاثوليكيًّا وأحد المؤتمرات القربانيَّة العموميَّة التي يُدعى اليها الكاثوليك من كل البلاد للمفاوضة في الامور المنوطة باعظم اسرار الدين المسيحي اعني سرّ القربان الاقدس قطب الحياة الروحيَّة في كنيسة المسيح ومركز دائرتها. فقد رأينا ان نلخِّص هنا اخبار المؤتمرين ليقف الشرقيون على نتائجهما ويروا بالمقابلة ما تقصده كل كنيسة من هذه الاجتماعات وما تستفيدهُ لخير الرعايا وترقي العمران وانماء روح الدين

١ . مؤتمر الانكليكان

هذا اول مؤتمر عام أُقيم في لندن للنظر في الشؤون الدينيَّة واحوال الكنائس الانكليكانيَّة. وقد كان زعماء الدين قبل ذلك عقدوا مجتمعات مذهبيَّة لا يحضرها غير الاكليروس البروتستاني دون العالميين. وآخر اجتماع جرى من هذا الصنف انما جرى سنة ١٨٨٨ في قصر لمبث (Lambeth) حضرهُ ١٤٥ اسقفًا مع السيِّدات نسائهم

فبعد عشرين سنةً افتُتح هذا المؤتمر للكنائس الانكليكانية في ١٥ حزيران في كنيسة وَستمنستر الكاتدرائيَّة بحضور سبعة آلاف من المندوبين الذين قدموا من كل انحاء البلاد الانكليزيَّة ليشتركوا في اعماله. والمندوبون منهم اكليريكيُّون ومنهم عالميون ومنهم رجال ومنهم نساء وهم يمثلون بلادًا عديدة وشيعًا متفرِّقة لا يجمعها في الآداب الدينيَّة والمعتقدات الَّا مجرَّد الاسم حتى انَّ كثيرين منهم لم يرضوا ولا باسم المؤتمر. فلم يصادقوا على تسميتهِ بمؤتمر الانكليكان او الكنائس الانكليكانيَّة

وكانت الدولة الانكليزيَّة اوفدت من قبلها رأس وزرائها المستر أسكيث (Asquith) فقام في الجلسة الافتتاحيَّة ورحَّب بالوفود ثم ذكَّرهم بما يُبنى على مجتمعهم من الآمال الطيِّبة ليزيلوا الشرور التي تنقض اركان الهيئة الاجتماعيَّة ويرشدوا الناس الى الوسائل التي تؤدي بهم الى الاتحاد والترقي. ولا غرو انَّ للدين قدرةً على ذلك تفوق على غيرهِ وتضمن لهُ بالنجاح

وفي غد ذلك اليوم باشر المندوبون بالعمل وكانوا قسموا تسهيلاً للابحاث وفود المؤتمر الى سبعة اقسام عُهد الى كل قسم منها مباحث خصوصيَّة ترجع الى اربعة ابواب وهي: ١ً المعتقدات الدينيَّة في الكنيسة. ٢ً النظام الكنسي والآداب الكنسيَّة. ٣ً الكنيسة والهيئة الاجتماعيَّة. ٤ً الكنيسة بازاء الملل والاديان. وها نحن نلخّص هنا بعض الابحاث التي دارت بين المؤتمرين في تلك المواد من ١٦ حزيران الى ٢٤ منهُ

١ (المعتقدات الدينيَّة) يعلم الكاثوليك ان الاعتقادات الدينيَّة عند البروتستانت تختلف اختلافاً عظيماً اذ ليس عندهم من يحدّد القضايا كما في الكنيسة الكاثوليكيَّة ويرذل الضلال ويقرّر ما ظهرت موافقتهُ لتعليم الاسفار المقدَّسة والتقليد الرسولي. ومن ثم تزداد كلَّ يوم الاحزاب الدينيَّة وتتباين العقائد ايَّ تباين بين البروتستانت. وعليهِ لم يجسر اصحاب هذا القسم من المؤتمر ان يخوضوا كثيراً في الابحاث الاعتقاديَّة لا بل ودُّوا لو نُفيت من لائحة المؤتمر لئلَّا تكون حجر عثرة بينهم. بيد انَّ البعض ألحُّوا على رصفائهم حتى سمحوا لهم بالمداولة في الوحي وفي الاسفار المقدَّسة. فنزل في هذا الميدان فئة من العلماء الانكليكان بعضهم اميريكيون وبعضهم انكليز فدافع رئيس كهنة كنتربري واس (Wace) عن صحَّة الوحي والاسفار المنزلة ووافقهُ على رأيهِ القانونيّ سنداي (Sanday) من اساتذة اكسفرد لكنَّ فئة أُخرى اسرعت لنقض اقوال السابقين كالاساتذة كنَّات (Kennett) وبركت (Burkitt) من كمبردج. وبرناي (Burney) من اكسفرد فانكروا الوحي وانزلوا الكتب المقدَّسة منزلة التآليف البشريَّة القابلة للغلط. فحمي وطيس الجدال بين الفريقين. وكانت نتيجة النزاع انَّ اسقف كلكوتا المتقدّم في هذا النادي سمح لكلّ منهُ ان يدافع عن رأيهِ كما يشاء. فكان لهذا الحكم اسوأ وقع في قلوب البروتستانت الذين يعدّون التوراة مُنزلة ويعتبرون اقوالها من كلام الله الذي لا ريب فيهِ. وناهيك بهذا الجدال مثلاً عن تعدُّد الآراء وتناقضها في الكنيسة الانكليكانية فيُسمح لواحد ان يثبت ما ينكرهُ الآخر ليس فقط في بعض الأغراض والمسائل الثانويَّة ولكن في الامور الجوهريَّة والابحاث الاساسيَّة كالوحي وصحَّة الاسفار الالهيَّة

٢ (النظام الكنسيّ والآداب الكنسيَّة) كان لهذا الفرع مجال واسع اذ تيطت بهِ ابحاث متعدّدة. فمن جملة المباحث التي عُني بفحصها الحضور مسألة المدارس

الاكليريكيَّة وتهذيب المترشحين للكهنوت الانكليكاني سواء كان في انكلترَّة او في الممالك الاجنبيَّة . وقد تأسَّف الكثيرون على قلَّة الذين يطلبون الدعوة الاكليريكية بنزاهة حبًّا بالخير العمومي ليس لغايات شخصيَّة . ثم بحثوا لهذا الداء دواء لعلَّهم يجدوا سدًّا للخلل وخصوصاً في الرسالات الاجنبيَّة حيث لا يجدون غير الأجراء . فظنُّوا ان الامر يمكن تلافيهِ بزيادة اهتمام في تعليم المرشحين لخدمة الدين . لكنَّهم لم يتفقوا على طرائق هـذا التعليم أيكون دينيًّا محضًا او يكون علميًّا او مختلطاً وما هي التعاليم الدينيَّة التي ينبغي تلقينها هؤلاء الطلبة ليعلموها المؤمنين فتضاربت الآراء دون نتيجة

ومن المسائل التي تعود الى النظام الكنسيّ وبحث فيها المؤتمرون مسألة الاسقفيَّة هل للاساقفة في الكنيسة رتبةٌ لازمة لازبة انشأها السيّد المسيح او هي رتبة ثانويَّة يمكن المؤمنين ان يستغنوا عنها . فقرئت رسالة لاحد علماء كمبردج المعدودين الاستاذ غواتكين (Gwatkin) بيَّن فيها ما يرتئيهِ بعض علماء الانكليكان في شأن الاسقفيَّة الذين ينكرون ان المسيح انشأ هذه الدرجة ويندّدون باساقفة انكلترَّة وسيرتهم العالميَّة ويدعونهم عمَّالاً للدولة ليس للمسيح . وكان هـذا القول داعياً لجدال عنيف بين الجمهور فمنهم من قرَّرهُ ومنهم من انكرهُ . وقال بعضهم اذا صحَّ هذا القول ألغيت بسببهِ الدَّرجات الكنسيَّة من الكنيسة الانكليكانيَّة واصبحت هـذه الكنيسة كمثل شيع اخرى من البروتستانت . امَّا نتيجة البحث فبقيت مبهمةً لم يمكن لرؤساء المجمع ان يحدّدوا فيها شيئاً

وقد وقع بين المندوبين خلاف آخر بخصوص اتحادهم مع الشيع البروتستانيَّة غير الانكليكانيَّة كاللوترانية مثلاً والكلوينيَّة فقام شعبٌ منهم يدافعون عن فصل الكنيسة الانكليكانيَّة عمَّا سواها لان خواصَّها كما زعموا مخالفة لخواصّ تلك الكنائس فاكليروسها وطقوسها وتعاليمها تفترز عن تلك الكنائس فلا تحسن ان تمتزج بها . لكنَّ قسماً آخر من اهل المؤتمر لم يوافقوا هؤلاء وفنَّدوا مزاعمهم وكان من جملتهم اسقف جبل طارق الذي أثبت ان كنيسة المسيح لا يمكنها ان تنحصر في امَّة واحدة بل تشمل كل البلاد التي راجت فيها مبادئ الاصلاح البروتستاني رغماً عن الاختلافات التي طرأت على احوال الكنيسة وتعاليمها في تلك البلاد

ومن المطاليب التي عُرضت على اصحاب هذا القسم التعليميّ مطلبٌ آخر احبَّ

كثيرون لو ضُرب عنهُ الصفح لئلّا يضحي عقبةً في سبيل انصار الدين. فسألت فئة من اعضاء المؤتمر ان تُحدَّد المعتقدات الجوهريَّة التي يجب على أتباع الكنيسة الانكليكانيَّة ان يؤمنوا بها والعقائد الثانويَّة التي يمكن الاعضاء عنها بل يجوز جحودها دون ان يُفرز القائلون بها عن جسم الكنيسة. فكان هذا المبحث كبركان ثار انفجر وكاد يلتهم كل شيء فيشتّت شمل المجتمعين. فمنهم من كان يزعم انَّ المسيح لم يحتم على تلاميذه معتقدًا صريحًا وانَّما يطلب فقط الايمان بشخصه الكريم ليس الّا. ومنهم من ارتأى انَّ العقائد ليست من جوهر الايمان وانَّما الاعمال الصالحة هي التي تقرّبنا الى المسيح. وذهب غيرهم انَّ الكتاب المقدَّس هو القاعدة الوحيدة للايمان دون تعليم آخر. وطلب غيرهم انَّ يوسّع ذلك النطاق ويُدخل في الجوهريّات مع الكتاب المقدَّس دستور الايمان والاسرار والنظام الكنسيّ. وناصب هؤلاء قوم آخرون اكثرهم اميركيّون فرأوا انَّ هذه لمن النوافل المستعارة من الكنيسة الرومانيَّة ومن ثم لا يقبلون بها. فتشعَّبت الآراء وعلا الضجيج وخاف الاساقفة الحضور ان ترتبك الامور ويختلط الحابل بالنابل فسعوا باصلاح ذات البين ولم يتّفقوا على نتيجة

وقام بعض المندوبين ممَّن ينكرون لزوم الدرجات الكنسيَّة فطلبوا تعزيز سلطة العاملين في تدبير الكنيسة ونظر اوقافها والاهتمام بكل زمنيّاتها حتى اذا فصلت الكنيسة عن الحكومة في مجلس الدولة بقيت الكنيسة ثابتةً بمساعدة العاملين. ولم يكتفِ البعض بذلك بل طلبوا التصويت للعاملين في انتخاب الاكليروس ولاسيما تعيين الاساقفة. وزاد قوم من ممثلي الحكومة على هذه الاقتراحات بأن يُقام من قبل الدولة بعض العاملين ليتفقَّدوا اعمال خدمة الكنيسة ويصلحوها. فلم يرضَ بهذه المطاليب معظم الاكليريكيين لئلّا تستعبد الحكومة ارباب الدين كما يجري الامر في روسيَّة.

وممَّا الحَّ عليه بعض الحضور انشاء جمعيَّات نسائيَّة لبعض المشروعات واطرأوا في مديح «الشمّاسات» و«الاخوات» اللواتي يساعدن في المساعي الخيريَّة كالمستشفيات والمياتم وتعليم الفتيات وطلبوا ان يُزاد في عددهنَّ وذكروا الراهبات الكاثوليكيات وما يؤدينَ من الخدم لكنيستهنَّ. فكان لكلامه الوقع المحمود. لكنَّهُ نسي انَّ زعماء الشيعة البروتستانيَّة في انكلترَّة مثل كنغر وكرومويل ألغوا كلَّ الرهبانيَّات بغضًا بالكنيسة الكاثوليكيَّة وهم اليوم يقرّون بمنافعها ويحذون بالكاثوليك في تجديدها.

فيا لها من كنائس تتأوّن كأبي قلمون فتعظّم اليوم ما رذلتهُ امس

ومن المساعي المشكورة التي نالت رضى اصحاب المؤتمر بخصوص الآداب الكنسيّة تصويبهم سهام اللوم نحو الطّلاق واتّفق كثيرون على ان لا يحضروا باسم الكنيسة اكليل الذين طلّقوا نساءهم مهما قرّرهُ من هذا القبيل القانون المدنيّ لأنهم رأوا في الطلاق بابًا واسعًا لشتات العيال وانقطاع حبل المجتمع الانسانيّ . وقد انتصب خطيبًا احد المندوبين الاميركيين فدافع عن كرامة الزواج وقبّح تصرُّف الذين يجعلون حدودًا للنّسل البشري استنكافًا من واجبات التربية

وكذلك صادق معظم المؤتمرين على مشروع حسن وهو عيالة العَجَزة من الاكليريكيين في شيخوختهم اذ لا يليق بالشعب ان يهمل الذين خدموا نفوسهم وقاموا بمصالحهم الدينيّة

٣ (الكنيسة والهيئة الاجتماعيّة) لم يجد المؤتمر الانكليكاني في هذا الباب المشاكل التي لقيها في تحديد المعتقدات وتنظيم الآداب الكنسيّة وعليهِ لقيت ابحاث هذا الفريق قبولًا واستحسانًا . واوّل هذه الابحاث التي خاضوا فيها تهذيب الشبيبة فان العدد الاوفر من المؤتمرين قرّر المحافظة على التعليم الديني « اذ لولاهُ لنُسف اساس المدنيّة نسفًا وعاد الشعب بعد سنين قليلة الى الهمجيّة وعيشة المتوحشين » . وهو لعمري كلام حريّ بالاعتبار نطلب من بعض جهّال بلادنا ان يتأملوهُ قبل ان يدرجوا في الجرائد الوطنيّة مقالات في نفي الدين من المدارس

ونثني ايضًا كل الثناء على مساعي هذا المؤتمر الانكليكاني في بحثهِ عن احوال الفَعَلة لصيانة حقوقهم ونفي الظلم عنهم والسعي بالتوفيق بينهم وبين ارباب المعامل او وُلاة الاشغال واتّخاذ الوسائل لمنع الاعتصابات ولمساعدة العملة في ضيقهم واسقامهم

وقد أقام أفراد من المندوبين الحجّة على بعض قوانين الدولة التي لم تجعل حدًا لمطامع فئة من الاغنياء الذين يحتكرون الاموال احتكارًا فظيعًا بينما ترى الالوف المؤلفة من الفقراء يموتون جوعًا . وبيانًا لذلك قدّم المستر سترربل (Summerbell) جدول تقسيم الثروة في انكلترّة فاوضح انّ عدد اهل بريطانية العظمى يبلغ ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ بينهم ٢٠,٠٠٠,١٠٠ في حالة الفقر يعيشون من شغلهم اليومي و ١٢,٠٠٠,٠٠٠ في الفقر المدقع تودي بهم المجاعة . فلا بُدَّ للدولة من وضع سُنن

عادلة لاستدراك هـذا النقص فيكون بعض التوازن بين الطبقات العليا والطبقات السُّفلى . وكذلك قد ازداد عدد الفعلة الذين لا يجدون شغلًا يرتزقون منهُ فبلغ ألفَ الفٍ . فان بقي هؤلاء على هـذه الحالة ماتوا وعيالهم جوعًا او اخلدوا الى الثورات والفتن والاعتصابات . وهو داء يستدعي دواء عاجلًا قبل ان ينقطع الرجاء من شفائهِ

ثم قام بعض الخطباء وطلبوا ان يسعى اهل المؤتمر في ابطـال المراهنات التي تجري في مراهج الخيل لأنهـا اصبحت خطرًا على المهنة الاجتماعيَّة وهي من اقبح المقامرات ولا يزال عدد المراهنين في ازدياد متواصل حتى بلغوا ثلاثين الفًا . واحتجَّ غيرهم على مبيع الافيون والمشروبات الروحيَّة في المستعمرات الانكليزيَّة وخصوصًا في الهنـد لانَّ هذه المتاجرة عارٌ على امَّة متمدِّنة من شأنها ان تسعى في تأديب رعاياها وتبعث بهم الى الترقي والاصلاح

فكلّ هذه الابحاث الاجتماعيَّة والخطب العمرانيَّة قد شرَّفت مؤتمر الانكليكان وما ينقصها الَّا ان تخرج الى عالم الوجود وحيز العمل

٤ (الكنيسة الانكليكانيَّة بازاء بقيَّة الاديان) انَّ الكنيسة الانكليكانيَّة قبل مائة سنة كانت منحصرةً ضمن حدودها الطبيعيَّة لا تطلب الخروج منها الَّا انَّها رأت كنيسة رومية تسعى في توسيع نطاقها وتُرسل الى اقاصي العالم ابناءها ليدعوا الى النصرانيَّة الامم الوثنيَّة والطوائف المنفصلة فنجحت ايَّ نجاح . فعوَّلت الرسالات البروتستانيَّة على مجاراتها في هذا الميدان واخذت مذ ذاك الحين تنتشر وتمتدّ وتناصب الرسالات الكاثوليكيَّة وتصرف التناطير المقنطرة لتنفيذ رغائبهـا واغاء أتباعها . لكنَّ مساعيها لم تأتِ بالنتيجة المأمولة كما اقرَّ بذلك اصحابها بخلاف الرسالات الكاثوليكيَّة التي تزدهر حيثما يُنشئها المرسلون . ومن ثمَّ تباحث اصحاب مؤتمر لندن في الوسائل لاستدراك الخلل بانشاء المدارس في بلاد الوثنيين ونشر الآداب الانجيليَّـة بينهم . وممَّا صادقوا عليهِ ان يسعى المرسلون الانكليكان بتربية احداث من الوطنيّين وتهذيبهم وتقليدهم الكهنوت والاسقفيَّة نفسهما ليجتذبوا مواطنيهم الى الانجيل

ووجَّه الانكليكان نظرهم الى كنائس النصرانيـة المنفصلة عن رومية كالروم والنساطرة واليعاقبة لعلَّهم يقفون على وسائل للتقرُّب منها . ومعلوم انَّ اساقفة البروتستانت الانكليز اوفدوا غير مرَّة وفودًا الى الفنار ليوثقوا بينهم وبين الروم عُرى التودُّد لكنَّ

تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح. ولمّا عاد المؤتمرون الى النظر في هذا الامر قام اللورد هاليفاكس وبيّن للحضور انّ التقرّب من رومية الزم وأحوج لكنيسة انكلترّة من سواها لحسن نظام الكنيسة الرومانيّة ونفوذ كلمتها وارتباط كل اقسامها برأسها الحبر الاعظم. ثم اوضح لاهل المؤتمر انّ كثيرين من الانكليكان يتوهّمون في جانب رومية اوهاماً لا حقيقة لها فاذا تقرّبوا منها ربّما زالت تلك المخاوف الباطلة وتحقّقوا انّ تعاليم الكاثوليك ليست كما يتخيّلونها. فبالتقرّب ومبادلة الافكار تنكشف تلك الاوهام ولا يبقى داعٍ للنفور والخصام. حقّق الله تلك الاماني

هذه خلاصة اعمال مؤتمر لندن الذي خُتم بحفلة عظيمة في كنيسة مار بولس في ٢٤ حزيران وفي الختام قدّم الاساقفة لوائح الحسنات التي تبرّع بها رعاياهم للمشروعات الدينيّة وكتبوا في ذلك صكوكاً وضعوها على هيكل الكنيسة الكبير فكان مجموعها ٣٣٣,٢٠٨ جنيه اعني ٨,٣٣٠,٢٠٠ فرنك. وناهيك بكرم المحسنين دليلاً على تعلّقهم بالدين ورغبتهم في تعزيز شؤون كنيستهم

وكانت عاقبة هذا المؤتمر انهُ بيّن لكل ذي عين ما في كنيسة انكلترّة من جراثيم الشقاق والانحلال كيف لا وهي جسم بلا رأس لا يقرّ لايمان ابنائها قرار ويذهبون المذاهب المتباينة في التعليم والمعتقدات والاسرار والكتب المقدّسة وقد قال السيّد المسيح (مرقس ٣: ٢٥): «كل بيت ينقسم على نفسهِ لا يمكنهُ ان يثبت»

هذا وكان بودّنا ان نلحق بذكر المؤتمر وصف مجتمع اساقفة الانكليكان الذي لا يحضرهُ غيرهم جعلوهُ كتتمّة للمؤتمر السابق وبحثوا فيهِ عن الامور الدينيّة التي تداول فيها اهلهُ ليقرّروا ما يجب قبولهُ وما ينبغي رفضهُ. وكان عدد الاساقفة المجتمعين ٢٤٢ عقدوا جلساتهم في قصر لمبث. وقد اطّلعنا على اعمال هذا المجمع فاذا هي تتحايد غاية امكانها البحث عن المعتقدات وتقرير الجوهريّات وتثبت الادبيّات كما جرى في المؤتمر فلا نرى حاجة الى التكرار

٢ً المؤتمر القربانيّ

لم يمرّ على هذا المجتمع الانكليكانيّ ثلاثة اشهر حتى عُقد مجتمع آخر كاثوليكي في حاضرة بريطانية العظمى ألا وهو المجمع القربانيّ

في سنة ١٨٨١ فكّر قوم من مشاهير الافرنسيين ذوي الدين المكين والغيرة الملتهبة في اقامة مؤتمر عمومي يُدعى اليه علماء الكاثوليك من الاكليروس والعالمين ليتداولوا في المباحث المختصّة بسرّ اسرار الكنيسة وركنها الثابت ومركز حياتها في هذه الدار الفانية فجرى ذلك المؤتمر الاوّل في مدينة ليل من اعمال فرنسة بحفلة حافلة توارد اليها نخبة من ائمّة الكاثوليك

ومذ ذاك الحين قد تتابعت تلك الاجتماعات في حواضر اوربّة . ويذكر القرّاء المؤتمر الذي عُقد في القدس الشريف سنة ١٨٩٢ وما جرى فيه من الاحتفالات الجليلة التي تصدّر فيها الكردينال لنجنيو واحدقت به البطاركة والاساقفة الشرقيون والغربيون فكان لتلك المظاهر احسن وقع في القلوب

وهذه المؤتمرات تتكرّر سنةً بعد سنة . فكان المؤتمر الثامن عشر في العام المنصرم في مدينة مِنْس تقاطر اليه المؤمنون من كلّ الانحاء ورحّبت بلديّة تلك الحاضرة بالمؤتمرين وساعدتهم في كل اعمالهم حتى كان ذلك المجتمع من اخطر واعظم المجالي الدينيّة في هذه السنين الاخيرة

ولمّا نجز ذلك الاحتشاد وبحث اربابهُ عن المكان المناسب للاجتماع التالي ارسل رئيس اساقفة وستمنستر الكاثوليكي السيد بورن (Bourne) الى اللجنة التي تتولّى تدبير هذه المؤتمرات واشار الى لندن كاجدر مكان لعقد المجمع القرباني في سنة ١٩٠٨

اخذ العجب كل من سمع بمقصود السيد بورن وخاف البعض من ان تحول دون مجتمع ديني كهذا عقبات كؤودة ومشاكل جمّة في امّ المدائن البروتستانيّة التي منها نُفي سرّ القربان في اواخر القرن السادس عشر واصبحت تقدمة الذبيحة الطاهرة من اعظم الجنايات يُعاقبها زعماء الاصلاح الانكليكانيّ بالقتل والشنق ولا يزال ملوك انكلترة يوم تتويجهم يقسمون قسماً منافياً لهذا المعتقد بغضاً في كنيسة رومية. فيا تُرى لو عاد الكاثوليك وجدّدوا علانيةً في ظهراني المدينة الاحتفالات بتعظيم الافخارستيا أفلا يتصدّى لهم المتعصّبون للاضاليل البروتستانية . وما ادراك انّهم لا يثيرون الفتن على الكثلكة فيصبح المؤتمر داعياً للمظاهرات العدائية

لكنّ الكاثوليك الانكليز قرّروا ملتمسهم واكّدوا للجميع انهُ لا يحصل من هذا المؤتمر الّا كلّ خير لانّ حرّية الاديان في لندن لا تسمح لاحد من العادين أن يأتي

مما يكدّر خواطر اتباع الكنيسة الرومانية وعددهم في المدينة يُربي على ثلثمائة الف

ولمّا بلغ مسامع الحبر الاعظم ما اتّفق عليه سراة الانكليز وعمدة المجمع القرباني بارك مشروعهم وعيّن احد كبار امراء الكنيسة الكردينال ڤانوتلي بان يمثّلهُ في تلك الاعياد الجليلة وآزرهُ ببراءة اودعها ارقّ العبارات وألطفها في مديح بريطانية العظمى

كان موعد المجمع القرباني في ٩ ايلول فاستعدَّ لهُ كاثوليك الانكليز استعدادًا اهلًا بمقامهم وغيرتهم . وعيّنوا لحفلات العيد كنيسة وستمنستر الكاثوليكية التي نجز بناؤها منذ زمن قريب وتُعدّ من آيات البناء العصري (اطلب وصفها وصورتها في المشرق ٥ : ٨٧٧—٨٧٨)

فما حان الوقت المعهود حتى توارد الى العاصمة الانكليزيّة مع عدد لا يُحصى من اعيان الكاثوليك من كل الدول الاوربية خمسمائة من الكهنة و٦٦ اسقفًا و١١ مطرانًا وخمسة كرادلة يتقدّمهم القاصد الرسولي نيافة الكردينال ڤانوتلي . وقد اتوا كلّهم بزّاتهم الاكليريكيّة دون ان يلبسوا لبس العالميين كما هو جارٍ حتى اليوم عند الاكليروس الكاثوليكي الاجنبيّ المتوجّه الى انكلترّة

ولا نتعرّض لوصف الاستقبال الفخيم الذي صار لممثّل الكرسيّ الرسوليّ عند وصوله الى محطّة لندن وهي المرّة الاولى منذ ثلثمائة سنة قبل قدم النائب البابويّ ارض انكلترّة . فكانت الجماهير المجتمعة تزدحم امام المحطّة وتتسارع الى الشوارع والساحات المجاورة تخالهم في تسابقهم الامواج المتلاطمة وكلهم عيون شاخصة الى انوار مطالع نيافة القاصد . فلمّا ظهر علت اصوات الهتاف والترحيب فسُمع لها دويٌّ مهيب

وحضر الاساقفة ووجوه الشعب ورؤساء الجمعيّات الكاثوليكيّة وفي مقدّمتهم جاثليق انكلترّة والدوق دي نورفلك زعيم الكاثوليك الانكليز فرحّبوا بممثّل قداسة البابا وساروا كلهم به بموكب عظيم بعد ان شكرهم الكردينال على استقبالهم الولاني وذكر لهم ما عهد اليه امام الاحبار من الوكالة ليرأس باسمه هذا المجمع الدينيّ في بلاد تُعدّ اليوم بلاد الحريّة والصدق والتساهل . فصرخ الوف من الحضور « ليعش البابا ليعش صاحب النيافة » . وقد بلغت فخامة ذلك الاستقبال الى حدّ من البهاء والعظمة الى ان قال كثيرون : « انّ الملك نفسهُ لم يرَ قط مثل هذا الاستقبال »

وفي غد ذلك النهار افتُتحت جلسات المجمع في الكنيسة الكاتدرائية فاقام رئيس اساقفة باريس قداساً حبرياً غاية في الابهة مع ايقاع الارغن وأنغام الجوقات الموسيقية المنظَّمة. وكان كل يوم من أيام المجتمع يقيم الذبيحة احد الكرادلة او احد زعماء الطوائف الشرقيَّة بياناً لاتحاد الجميع في الايمان مع اختلاف الطقوس والرتب الكنسية

امَّا المواضيع التي تُليت فيها خطب الخطباء ودار عليها محور كلام المتباحثين فكانت كلها ترمي الى غرض واحد السرّ العجيب الذي وضعهُ ابن الله ليكون هو نفسهُ بلاهوتهِ وناسوتهِ تحت احجاب الخبز والخمر رفيقاً للبشر في منفاهم وقوتاً لنفوسهم وذبيحة عن آثامهم. فمنهم من اعتبر سرّ القربان في ذاتهِ ومنهم من وصفهُ في مفاعيلهِ وذكر بعضهم انتشار عبادتهِ في انكلترة قبل ظهور البدعة البروتستانيَّة وبيَّن غيرهم الشواهد الطقسيَّة والآثار الكتابيَّة والاعمال الهندسيَّة في الشرق والغرب دلالةً على ايمان قدماء النصارى بهذا السرّ . واعلن الفيكونت لنداف (Llandaff) انَّ قسَم ملوك انكلترة يوم تتويجهم ضدَّ الافخارستيا ينافي معتقد الانكليز منذ دخول النصرانيَّة بينهم فضلاً عن كونهِ شتماً واهانة لأخاص تبعة الدولة. وقد بلغت الخطب والمقالات التي تُليت في هذا المجمع القرباني نحو الثمانين أتمّها اكبر علماء الكنيسة الكاثوليكية وكان عدد وافر من الاكليروس البروتستاني وزعماء الشيع البروتستانية يحضرون هذه الحفلات فيخرجون وألسنتهم تترطَّب بالمديح على نظام الكاثوليك واتفاقهم في المعتقدات وسعة مداركهم وعمق ايمانهم ويثنون على كل ما رأوا وسمعوا. ولا غرو انَّ مثل هذه الحفلات كخميرة في قلوب اولئك الاخوة المنفصلين لا تزال تعمل في قلوبهم حتى تستنير اذهانهم بنور الحقّ. ولذلك ترى كل سنة بل كل اسبوع قوماً من علماء البروتستانت واكليروسهم ينبذون التعاليم البروتستانية ليرتدُّوا الى حظيرة الكنيسة المبنيَّة على الصخرة البطرسيَّة .

وتشكَّلت ايضاً بعض لجنات كانت غايتها العمل اكثر منها العلم فبحثوا عن اقرب الوسائل لنشر العبادة نحو السرّ القربانيّ وعن التناول المتواتر وعن الشركات القربانيَّة وتهذيب الاحداث الذين يخدمون الرتب الدينيَّة . وخطب الدكتور دوره من ليل في طوافات القربان الاقدس في المدن وعدَّد الدكتور بواساري المعجزات

العديدة التي تحدث كل سنة في لورد عند الترييح بسرّ القربان حيث تتوفّر العجائب كما كانت تجري في عهد المسيح لمّا كان ابن الله يشفي كلّ العاهات ويعالج كلّ الاسقام

وكل هذه الخطب علميّة كانت او عمليّة كان يحضرها الوفٌ من السامعين وكانت تُلقى خارجاً عن الكنيسة في اكبر معاهد لندن مثل « البرت هال » او « كاكستن هال » وكانت مع سعتها تضيق عن عدد الوافدين الذين كانوا يبلغون الى حد عشرة آلاف فاذا ظهر النائب البابويّ ضجّت تلك الاندية باصوات الهاتفين فرحاً واجلالاً. وكان بعض الكاثوليك يبكون لفرحهم ويقولون : « زه كم اختلفت الامور في لندن منذ نصف قرن. قبل خمسين سنة ما كنّا نمرّ في شوارع المدينة الّا تتناوبنا الاهانات لاجل ديننا واليوم نرى الكنيسة الكاثوليكية ممجّدة معظّمة في قلعة البروتستانتيّة وحصنها »

*

وقد خُتمت هذه الاجتماعات بحفلتين جليلتين قد عملتا في النفوس عملاً لا يمحوه منها كرور الأيام

فالحفلة الاولى خُصّت بتلامذة المدارس الكاثوليكيّة وكان عددهم عشرين الفاً اوفدهم رفقتهم من كل جهات انكلترّة وسكوتيا وارلندة لينوبوا عنهم في تقدمة فرائض الاكرام للقاصد الرسولي. فلمّا كان يوم السبت ١٢ ايلول مشى اولئك الاحداث بترتيب ونظام في شوارع لندن. ولكل قسم منهم شاراتهُ ولبسهُ الخاصّ وفوق رؤوسهم تخفق الرايات والاعلام الدينيّة والمدنيّة . وكان هؤلاء الصغار من كل طبقات الأمة بينهم اولاد الاغنياء بملابسهم الفاخرة والفقراء بأسمالهم ليكون فقرهم دليلاً للناظرين على عناية الكنيسة باهل الثروة والبائسين على حدّ سواء. وتلقيناً للفقراء بأن لا يخجلوا من فقرهم الذي لا يصدّهم من التقرّب الى ابن الله في سرّ محبّته وهو آثر الفقر على الغنى والى نوّابه على الارض المردّدين لقوله : الطوبى للمساكين

وكان هؤلاء الاحداث يسيرون وهم يترنّمون بالاغاني التقويّة لاكرام القربان الاقدس فكان كلّ من يشاهدهم في مسيرهم يقفون ويتعجّبون من هذا المنظر الغريب الذي قلّما رأوا مثلهُ في عاصمة انكلترّة. وكان القاصد الرسولي واقفاً فوق شرفات الدار الاسقفيّة فمرّ الصغار امامهُ وحيّوهُ بهتافات التهليل والسرور وكان نيافة

الكردينال يردّ لهم السلام ويباركهم بحنوّ ولطف ابويّ فلم يتمالك السابلة من ذرف الدموع لدى هذا المشهد المؤثر

ثم دخل ذلك الجمهور من الاطفال في كنيسة وستمنستر فقام جاثليق اراندة الكردينال لوك (Logue) فألقى عليهم خطبة مناسبة لسنهم اهتزّت لها ارواحهم وطربت قلوبهم فأجابوهُ شاكرين باصوات مفعمة بعبارات الحبّ والرقّة . وكان لتلك الحفلة اي وقع في نفوس كل الحضور وزاد اماهم في ترقي الكثلكة في كل جهات انكلترّة لحسن تربية شبيبتها ونشوئهم على اصول الدين والتُقى

امّا الحفلة الثانية فكان موعدها اليوم التالي اي الاحد الواقع في ١٣ ايلول في عصر النهار. وكان ارباب المجمع نشروا في لائحتهم انهُ يصير في ذلك اليوم طوافٌ عمومي يحمل فيه النائب البابويّ القربان الاقدس في شوارع لندن . وكان الكاثوليك ينتظرون ذلك اليوم بفروغ الصبر ليعلنوا بايمانهم الحيّ بازاء اخوتهم المنفصلين. غير انّ بعض المتطرّفين من البروتستانت اظهروا استياءهم من هذا الطواف الذي اعدّوهُ كلامة لنزوعهم عن ديانة اجدادهم فطلبوا من الكاثوليك باسان بعض الجرائد ان يكفّوا عن طوافهم. لكنّ رؤساء المؤتمر لم يجدوا داعياً لتغيير ما دوّنوهُ في لائحتهم اذ تعهّدوا انهُ لا يحصل من ذلك البتة تشويش الراحة العمومية لاسيما ان حريّة الاديان تسمح لكل الشيع بالطوافات المذهبيّة

فلم يقنع اولئك المتعصبون بهذا الجواب ولم يزالوا يسعون لدى كبير الوزراء المستر أسكيث فكتب الى عمدة المؤتمر يطلب منهما رسمياً بالعدول عن التطواف بالقربان فأعلن رئيس الساقفة وستمنستر بهذا الحكم لكاثوليك لندن في مجتمع خاصّ دُعوا اليه. فكان لهذا النبإ في قلوبهم اسوأ تأثير ولولا الكردينال بورن وامرهُ لهم بالطاعة والسكون لكانوا خرجوا الى دار النسدرة وطالبوا بحقوقهم من رئيس الوزارة وكان عددهم عشرة آلاف

على انّ نيافة الكردينال لم يُرد يحرم الكاثوليك من مظاهرة أُخرى لا بأس منها فاتّفق مع رؤساء المجمع القربانيّ بان يتمّ الطواف في وقتهِ دون القربان الاقدس وانّما تُمنح بركة القربان من باب الكنيسة من مصطبتها الخارجة

فمنذ ظهر الاحد اخذت الجماهير تتألب الوفاً الوفاً وربوات ربوات بازاء الدار

الاستفيَّة وبقوا كلّهم ينتظرون الحفلة ثلاث ساعات متواليات لم يسأمهم الملل ولم يضعف عزيمتهم الكلل وكانوا في اثناء ذلك يتغنّون باغانيهم التقويَّة التي تعلّموها في حداثتهم وكان كثيرون غيرهم يزيّنون بيوتهم حيثما يمرّ الموكب. فلمّا ازفت الساعة سارت تلك الجموع بصفوف متواصلة متتالية متزاحمة وعلى وجوههم امارات التحمّس والتقى كأنهم ماشون في طواف القربان. وكان الصليب يتقدّم القوم وفي اثره فتيان باللباس الرسمي

وتبعت الجموع كل الشركات الخيريَّة واعضاء الشركات الصناعية وكان لكل مقاطعة ومدينة وفودها مع أعلامها وشاراتها كما انهُ يتقدّم كلّ رعيَّةٍ كاهنها بثيابه الاكليريكيَّة . وقد بلغت المسافة التي كانت تشغلها تلك الجموع المتراصّة نحو الكيلومترين ما خلا الذين اتوا لمجرّد الفرجة

وكانت العيون شاخصةً الى موكب الاكليريكيين من شمامسة وكهنة واساقفة ورؤساء اساقفة بيزاتهم الخاصّة بمقامهم وكان بينهم ممثلو الكليّات الكاثوليكيّة ورؤساء الرهبانيّات العامّون بتيجانهم الذهبيَّة. وكان هناك مكان خاصّ للمندوبين من الكاثوليك في ندوتي الدولة الانكليزيَّة اعني مجلس الشيوخ ومجلس العموم وانضمّ اليهم اثنان من المجلس الافرنسي

وكان نيافة الكردينال فانوتلي يسير في اثر القوم تحدق به حاشيتهُ وعلى جانبيه الكرادلة الخمسة. وقد أُحصي عدد الماشين في هذا التطواف فقالت جريدة التيمس انهُ بلغ الثلاثمائة الفًا وقد زعمت جرائد اخرى انهُ لم يقل عن نصف المليون. ومع كثرة هذه الجموع وعدد تلك الجماهير المتراكمة لم يحصل ما يكدّر الخواطر . وكان الشرط يسيرون على جانبي الموكب ليحافظوا على النظام

وكذلك حشود البروتستانت فكانوا على طرفي التطواف يتزاحمون ليعاينوا هذه المظاهرات ولم يبدُ منهم ما يدلّ على عداء او مناوأة الّا في مكان واحد فاسرع الشرط وامسكوا المعادين

ولمّا بلغ الموكب الى الكنيسة دخل منهم من امكنهُ الدخول ثم أُقيمت الرُّتب فبارك القاصد الرسولي بالقربان الاقدس كل الحضور ثمّ خرج فطاف بهِ حول الكنيسة وعرضهُ لاكرام الشعب الواقف خارجاً بعد أن صدح الالوف منهم بترنيمة السجود وتسبحة الشكر

كتب مراسل الفيغارو واصفاً لهذا الطواف فقال: « لم ارَ في حياتي جماهير كهذه الجماهير ولا وقع لحظي على مظاهرات مثل هذه للظاهرات ولا اظنني مبالغاً اذا قلت انَّ عدد المتألبين حول الكنيسة وفي جوارها يناهز الخمسمائة الف بل يُربي عليها »

وقالت الستندرد الانكليزيَّة: « لم يسبق لانكلترَّة البروتستانيَّة ان رأت قطّ مشاهد وطقوساً تحاكي المشهد والطقس اللذين تجليا لاعينها يوم الاحد في حفلة ختام المجمع القربانيّ وكانا من الترتيب والنظام والرونق والأُبهة بمكان ليس بعدهُ غاية لمتطلب » . ثم زادت الجريدة متأسفةً على اهمال الطواف بالقربان فقالت: « ومن المعلوم انَّ الظروف قضت بتحوير لائحة هذا الاحتفال وترك ما كان اولاهُ ابهةً اعظم ومع ذلك قد كان رونقهُ بديعاً وتأثيرهُ عظيماً »

هذه لمحة في تلك الحفلات الشائقة التي اقامها الكاثوليك في لندن في اواسط ايلول الاخير وكلُّ من حضرها قد افاض في وصف عظمتها . وكتب أحد اعلام الفرنسويين في مجلَّة المباحث انهُ عدَّ هذا المؤتمر كتعويض علنيّ لكلّ الاهانات والشتائم التي نفثت بها افواهُ المبتدعين وأقلام المتشايعين منذ انفصال انكلترَّة عن كنيسة رومية ضدَّ القربان المقدس

وكان ارباب المجمع اجلالاً لهذا السرّ الالهيّ وتكفيراً عن الاثام التي ارتكبها المراطقة في حقّهِ عرضوهُ في معبدٍ خاصّ تأنَّقوا في زينتهِ لسجود المؤمنين فكانوا يتواردون ليلاً مع نهار دون انقطاع البتَّة لاكرامهِ وتبجيلهِ . ومن غريب الاتفاق الذي رأى فيهِ جميع المؤتمرين اصبع الله انَّ الجوهرة المقدَّسة جُعلت في صوانٍ بديع الصُّنع غالي الثمن مرصَّع بالحجارة الكريمة كان هنريكوس الثامن ملك انكلترَّة تقدَّم باصطناعهِ الى احذق الصاغة في لندن فلمَّا انجزوهُ قدَّموهُ للملك وهو يومئذٍ لم يعقّ امَّهُ البيعة الكاثوليكية فاهداهُ كنيسة السيدة في تورناي من اعمال بلجكة بعد فتحهِ لهذه المدينة . فبقيت هذه الذخيرة الثمينة في خزانة تلك الكنيسة الى يومنا فاراد رئيسها الحالي ان يعيرها للجنة المؤتمر ليُعرض فيها القربان الاقدس ويُكرم علانيةً كأن الله اراد ان يكون ذلك الصوان شاهداً على جحود هنريكوس لايمانهِ المقدَّس ورابطاً جديداً بين بريطانية المعروفة قديماً بارض القديسين وانكلترَّة الجديدة العائدة الى المعتقدات الرومانية

كما ورثتها من مبشِّرها الاوَّل اوغسطين رئيس اساقفة كنتربري وتلميذ البابا غريغوريوس الكبير رسول الانكليز

الالفاظ السحريَّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٣ الاخاء

ما أحلى اسم الاخ على لسان من عرف المؤاخاة وعاش في رفقة الصديق الصدوق الذي يُنزل نفس صاحبهِ بمنزلة نفسهِ فلا يدَّخر وسعًا في خدمتهِ والإفراج عن بلائهِ ومدّ ايدي المساعدة اليهِ في كل حاجاتهِ حتى يضحّي النفس والنفيس في سبيل صالحهِ. فقد شبَّه الكتاب الكريم الاخوين اللذين يعيشان في مثل هذا الوفاق بمدينة حصينة لا يقوى عليها العدوّ. او قل بالحري انهما جسمان في نفس واحدة كما وصف سفر الملوك صداقة داود ويوناتان حيث قال عن هذا (١ ملوك ١٨: ١) انَّ نفس يوناتان تعلَّقت بنفس داود واحبَّهُ يوناتان كنفسهِ. وقال عن ذاك (٢ ملوك ١: ٢٦) انهُ احبَّ يوناتان كحبّ الامّ لابنها الوحيد

ذلك هو الاخاء الذي وضع الخالق اساسهُ في قلوب البشر لمَّا استلَّ الامّ الاولى من ضلع آدم ثمَّ جعل الابوين الاوَّلين جذرًا تتفرَّع منهُ الاسرة الاولى ثم العشيرة ثم القبيلة ثم الأُمَّة ثم الشعوب كلّهم. فكفى بذكر الانسان لاصلهِ ليسعى في مؤاخاة قريبهِ وملازمة ابناء جنسهِ. قد قال الشاعر الروماني تيرنسيوس بيتًا من الشعر يردّدهُ كلّ من يشاء مناصفة البشر:

انا انسانٌ انا وجميعُ ما يهمُّ بني جنسي اعدُّهُ من نفسي

على انَّ هذا النظام الاوَّل الذي كان الله انشأهُ لم يبقَ على اصلهِ فانَّ عدوّ جنسنا لم يُطق ذاك الوفاق « وهو من البدء قتَّال الناس » (يوحنا ٨: ٤٤) فسعى بفصل ما جمعهُ الله من اوَّل العالم فغلَّب في قلب الانسان حبَّ الذات على حبّ القريب ونفث في

صدر قاين الحقد والشحناء حتى لودى بحياة شقيقه. وكذا فعل في بني يعقوب لما اوغر قلوبهم على يوسف اخيهم. وفي ايسلك وفي ابيشالوم وغيرهم

وان كان الامر على هذا المنوال في شعب الله المختار فما قولك في بقيّة الامم حيث درست من القلوب وصاياهُ تعالى فانَّ شيطان البغض والعداوة مدَّ عليهم سيطرتهُ حتى انَّ تاريخهم ليس هو الَّا سياق اخبار ضغائنهم وحروبهم فالتهم القويُّ الضعيفَ واستعبد الغالبُ المغلوبَ واصبح معظم بني البشر في حوزة بعض المقتدرين تصرَّفوا بهم تصرُّف الاعراض يبيعونهم كالسِّلَع ويجرون فيهم حكماً مطلقاً لا يستثنون منهُ حكم الموت

تصفَّح تواريخ القدماء بل تأمَّل شرائع كبار المشترعين كليكرغوس وسولون وافلاطون وارسطو تجدهم لا يحسبون لكلّ ضعيف حساباً فانَّ الطفل والمرأة والعبد والغريب من نفاية الهيئة الاجتماعية لا يصيبون من الحظوظ والخيرات سوى ما لا بدَّ منهُ ليخدموا مصالح الرجل كأنهم في يدهِ آلةٌ يستخدمها لاهوائهِ

وكما تجبَّر الافراد في قومهم كذلك ترفَّعت الشعوب وتشامخت على سواها حتى كادت تجعل جنسها من طينةٍ خاصَّة وعنصر مختار. أفلا ترى كيف كان اليونانيّ يدعو بقيَّة الشعوب برابرةً او همجاً. ومثلهُ الروماني كان يعدّ امَّتهُ في الفضل والشرف فوق جميع امم الارض حتى ارقاهم في سلَّم المدنيَّة كالفرس والكلدان والمصريين فكان يمنح كل الامتيازات للروماني او المتجنِّس بالجنسيَّة الرومانيَّة امَّا ما سواهم فكانوا اجانب واعلاجاً لا يستحقُّون الاعتبار. وكان اليهوديّ يسلق من ليسوا بيهود باسم «الغويم» (גוים) اي الطوائف الغريبة. ومثلهم العرب كانوا ينبزون باسم العجم كل ما خالف جنسهم

فيا لله ما ابعد كلّ هؤلاء المتغطرسين عن روح المؤاخاة وشرائع الحبّ وعواطف الألفة. ولن بحثت عن سبب هذا الانقلاب الذي حدث في المجتمع الانسانيّ كشف لك الرسول المصطفى سبب الداء حيث وصف آثام الوثنيَّة وفظائع المشركين ونسب الامر الى الجور والكبرياء وجحود الخالق فقال (رومية ١: ٢٢—١٠): «زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركهُ الفساد بشبه صورة انسان.. فلذلك أسلمهم الله الى شهوات قلوبهم... وبما انهم لم يؤثروا ان يستمرّوا على معرفة

الله اسلمهم الله الى رأيٍ مرذول حتى يعملوا ما لا يليق بمتلئين من كل اثم وشر وزنى وبخل وخبث مغمسين حسدًا وقتلًا وخصامًا ومكرًا واساءةً نمّامين مغتابين ممقوتين من الله شتّامين متكبّرين مفتخرين عاقّين للوالدين لا ودّ لهم ولا عهد ولا رحمة » فمعظم هذه الآثام كما ترى تبطل الاخاء وتهضم حقوق القريب

وليس هذا الوصف ضربًا من المبالغة والغلوّ فان الآثار التاريخيـة التي أبقتها لنا الامم المختلفة تشهد على صحّتها وتؤيدها بما لا يُنكر من الشواهـد . ولا غرو فانّ المؤاخاة لا ترسخ في ذهن البشر الّا اذا كانت مبنيّة على مبدإٍ ثابت وحكم واجب ألا وهو حبُّ الله والعمـل بأوامره عزّ وجلّ فانزع حبّ الله من قلب الانسان فماذا يا تُرى يبقى من المؤاخاة وحبّ القريب؟ لا شيء البتّة . لانّ الانسان قد طُبع على حبّ نفسه فان وجد ما يقوم بازاء هذا الحبّ الذاتيّ او يعاكسهُ او ينقصهُ فمن وقته يتحامل عليه تحامل العدوّ على عدوّه والاسد على فريسته حتى انّ الرومان كانوا ارسلوا هـذا المثـل بينهم : « انّ الانسان كالذئب لبني جنسه » (homo homini lupus) يشيرون الى عادة الذئاب التي تجتمع على المصاب منها بجرح او ضربة فتأكلهُ

ولا يقولنّ احد انّ الانسان عاقل ذو فهم وادراك فلا يشاء ان يفعـل بالغير ما لا يريد ان يفعل بهِ غيرهُ . نعم انّ هـذا المبدأ صحيح يدركهُ الانسان بمجرّد فهمهِ الّا انّ للانسان جواذب مخالفة للعقل تنازعهُ وتكدّر صفاء عقلـهِ وقد قال العرب « انّ الهواء يعمي ويصمّ » فاذا لم يشعر الانسان برادع يردعـهُ وبولى قدير يقهرهُ استسلم لتلك الاهواء ولسكت صوت العقل وضحّى صوالح الغير لمنافعهِ الذاتيّة

ألا ترى ما حدث بالثورة الفرنسويّة التي نادى اصحابهـا اوّلًا بتلك الالفاظ السحريّة التي نحن في صددها اعني « الحريّة والمساواة والاخاء » فانّهـا اذ حادت عن اصول الدين ونبذت معرفة الله وسجدت لإلهـة العقل ما لبثت ان انجرت سيولًا من الدماء فخاضت بها واذهلت بفظائعها العالم المتمدّن بل الشعوب الهمجيّة نفسها . فانّ انصار الثورة لم يكتفوا بقتل الذين لم يوافقوهم على آرائهم وخالفوا تعاليمهم كالكهنة والاشراف بل صوّبوا سهامهم بعضهم الى بعض وكان كل من يفوز منهم اليوم يُسرع الى قتل رفقتهِ امس حتى صارت فرنسة منقعًا من الدم واسعًا

امّا اذا مكّنتَ في القلوب اساس الدين وخوف الله وحبّهُ فانّ المؤاخاة بين البشر

تلحق به وتنجم عنهُ كما تنبت الزهرة من كمّها والثمرة من شجرتها. وقد صرّح الله تبارك وتعالى بهذا الامر في الشريعة الموسويّة فانهُ بعد ان حتم على بني اسرائيل بان يعبدوا الرب إلههم ويحبّوهُ من كل قوى نفوسهم اوصاهم ان «يحبّوا قريبهم كنفسهم» (احبار ١٨: ١٩) وما لا ينكر انَّ الوصايا العشر كلّها ترجع الى هاتين الوصيّتين اعني حبّ الله وحبّ القريب وذلك ما قرّرهُ السيد المسيح في انجيله الطاهر لمّا سألهُ احد علماء الناموس عن اعظم الوصايا (متى ٢٢: ٣٩) فاجابهُ قائلًا: «احبب الربّ إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك هذه هي الوصيّة العظمى والاولى. والثانية التي تشبهها أحبب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كلّهُ والانبياء». فبيّن بذلك ما يوجد من العلاقة بين تينك الوصيتين او قُلْ بالاحرى انهما وصيّة واحدة كما ذهب اليهِ القديس اوغسطينوس اعني وصيّة محبة الله التي منها يتفرّع حبُّ القريب لانَّ من يحبُّ الله يحبُّ ما لله واي شيء اقرب الى الله من مخلوقاتهِ الناطقة التي برأها على صورتهِ ومثالهِ. وقد قال القديس في محلّ آخر: «أحبب الله وافعل ما شئت» يشير بذلك الى انَّ حبَّ الله يشمل حبَّ القريب ايضًا

*

ولمّا انتقض حبل الدين في العهد القديم وتضعضعت معهُ اسباب المؤاخاة صرخت الشعوب الى الله ليرسل مسيحهُ ويجبر ذاك الوهي المتوسع قائلة مع النبي اشعيا (٤٥: ٨): «اقطري أيتها السماوات من فوق ولتمطر الغيوم الصدّيق. لتنفتح الارض ولتثمر الخلاص ولتنبت البرّ» فلبّى الله دعوتها وترحّم على دانيها العياء وارسل ابنهُ الوحيد ليحسمهُ ويشفيهُ

ليس في الانجيل المقدّس حقيقة راهنة ثابتة الاركان واضحة البيان كحقيقة الاخاء البشريّ اعلن بها السيد المسيح بعبارات تسيل رقّةً وبنى عليها دعائم لا يمكن نقضها. واوّل ما طبع الرب في قلوب تلامذتهِ وردّدهُ على مسامع الجموع المتقاطرة الى استماع كلامه انَّهم ابناء لبٍ واحد وانَّهم اخوة وذلك بعد ما حذّرهم من كبرياء الفرّيسيين ومرائيهم قائلًا (متى ٢٣: ٨—٩): «امّا انتم فلا تُدعوا معلّمين فانَّ معلّمكم واحد وانتم جميعًا اخوة. ولا تدعوا لكم ابًا على الارض فانَّ اباكم واحد وهو الذي في السماوات» وكثيرًا ما كان يلقّنهم هذه الحقائق ولمّا علّمهم الصلاة الربيّة افتتحها

بالدعاء الى ابيهم السماوي قائلًا : « ابانا الذي في السماوات » بل جعل ذلك الأب كمثالهم في الكمال قائلًا (متى ٥ : ٤٨) : « كونوا كاملين كما انَّ اباكم السماوي هو كامل ». وكذلك طلب منهم الّا يقصروا محبَّتهم الى اصدقائهم بل يبسطونها الى اعدائهم ايضًا فيعتبرونهم كاخوةٍ قائلًا (متى ٥ : ٤٤) : « احبُّوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلُّوا لاجل من يعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانهُ يطلع شمسهُ على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والطالحين »

وهذه الابوَّة الالهية التي ينتسب اليها الانسان انَّما استحقَّها لهُ السيد المسيح بحلولهِ في ارضنا وبلبسه طبيعتنا . ولمَّا كان هو ابنًا لله بالجوهر اراد ان نشاركهُ ببنوَّتهِ فجعلنا اولادًا بالذخيرة لابيهِ السماوي . ولذلك قد يُسمّى نفسهُ بكرًا لاخوتهِ البشر كما قال الرسول في رسالتهِ الى اهل رومية (٨ : ٢٩) عن دعوة المختارين انَّهُ تعالى « سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكرًا بين اخوة كثيرين » وقال في رسالتهِ الى اهل كولسّي (١ : ١٣) عن السيد المسيح « انهُ صورة الله الغير المنظور وبكر كلّ خلق »

فبهذه البكورة الشريفة صار عظمًا من عظامنا ولحمًا من لحمنا لانهُ « اذ قد اشترك الابناء في الدم واللحم اشترك هو كذلك . . . فصار شبيهًا باخوتهِ في كل شيء » (عبر ٢ : ١٤—١٧) لم يستثنِ من شبههِ « الّا الخطيئة » (عبر ٤ : ١٥) . ولهذا لم يستحِ ان يدعو الابرار اخوة (عبر ٢ : ١١) وقد جاء في الانجيل الطاهر (متى ١٢ : ٤٩—٥٠) انهُ سمَّى التلاميذ اخوتهُ ثم عمَّم هذا الاسم لكل الصالحين لمَّا اردف قائلًا : « لانَّ كلّ من يعمل مشيئة ابي الذي في السماوات هو اخي واختي وامي » . وقد دعاهم بهذا الاسم لمَّا قام من بين الاموات بعد ان تمجَّدت طبيعتهُ البشريَّة واكتست بخواصّ الارواح النورانيَّة وذلك لمَّا ظهر لمريم المجدليَّة وامرها قائلًا (يوحنا ٢٠ : ١٧) : « امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم »

فيا ليت شعري أكان يمكن ابن الله ان يبني الاخاء بين البشر على ركن اوطد من هذا فانهُ اوقع ثمَّة موقع العروة الوثقى بين ابناء الله فلم يَعُد احد يستطيع ان ينبذ مؤاخاة قريبهِ الّا بنبذهِ إخاء السيّد المسيح . ولذلك تراهُ يكرّر على مسامع تلاميذهِ وصيَّة المحبة بينهم حتى جعلها وصيَّتهُ الخاصَّة فقال لهم (يوحنا ١٣ : ٣٤) :

« اني أُعطيكم وصية جديدة ان يحبّ بعضكم بعضاً وان يكون حبكم كما احببتكم انا» ولمّا بلغ حبُّ السيّد الى انهُ ضحّى نفسهُ لاجل اخوتهِ فرض عليهم ايضاً ان يحذوا حذوهُ في تضحية نفوسهم في سبيل القريب . قال الرسول يوحنا في رسالتهِ الاولى (٣:١٤—١٧): « قد علمنا انّا انتقلنا من الموت الى الحياة لأنا نحبُّ الاخوة ومن لا يحبُّ اخاهُ فانهُ يبقى في الموت . وكل من يبغض اخاهُ فهو قاتل وتعلمون ان كل قاتل ليست لهُ حياةٌ ابديّة تحلُّ فيهِ . بهذا قد عرفنا المحبة انَّ ذاك (اي المسيح) قد بذل نفسهُ من اجلنا فيجب علينا ان نبذل نفوسنا من اجل الاخوة »

لا مراء انَّ المسيحيين الاوّلين حفظوا هذه الوصاة ولزموا المؤاخاة بينهم في كل آن حتى كانت محبتهم دليلاً عليهم فاذا رآهم غيرهم هتفوا : « ما اعظم مودّة هؤلاء بعضهم لبعض » . وكانت تلك المحبة تتناول كل البائسين على اختلاف اجناسهم واديانهم يرون في الجميع صورة الخالق فيمدُّون اليهم يد المساعدة ويحسنون اليهم في حاجاتهم

وقد ورثت الكنيسة الكاثوليكية تلك فريضة المحبة من سيّدها وقدّيسيها فلم تزل في كل آن معروفة بنشر التودُّد والمؤاخاة بين كل الشعوب وبملازمة كل اعمال الرحمة نحو المنكوبين فايُّ بلاء لم تسدّهُ او ايّ داء لم تعالجهُ او اي فساد لم تصلحهُ . فكفى شاهداً على همّتها تلك الطوائف الرهبانية التي تصرف عنايتها في تربية الصغار واهتمامها بالايتام وتمريض المرضى وخدمة البُرص والمجانين والموبوئين والعَجَزة يقوم بحاجاتهم قوم من الرهبان والراهبات ضحّوا في سبيل تربيتهم كلّ ملاذ الحياة وكافّة الآمال الزمنيّة من جاه وغنى ومراتب عملاً بقولهِ تعالى (متى ٢٥ : ٤٠) : « كل ما فعلتموهُ باحد اخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموهُ »

هذه المؤاخاة الصحيحة التي لا تكتفي ببعض الكلمات الفارغة بل تظهر في العمل وتتبيَّن في قضاء الحاجات وتفضيل الخير العامّ على المنافع الخاصّة وتسعى في جمع القلوب واصلاح ذات البين

وقد امتدّت تلك اصول الاخاء المبنيّة على قواعد الدين المسيحيّ الى الحكومات المدنية ولاسيما دول القرون الوسطى فلانت بها الاخلاق وائتلفت القلوب وزال الاستبداد ونشأت في الاجيال الاخيرة الدول الكاثوليكية التي نشرت أعلام العدل وخفّفت

اعباء السلطة المطلقة فشعرت الرعيـة بقواها وعرفت فضل الاتحاد فألّفت الجمعيّات وشكّلت الشركات التجاريّة والصناعيّة والفنيّة فنهضت بذلك الامم من خمولها وترقّت احوالهـا وزادت ثروتها. ولولا انّ اصحاب الثورة تعرّضوا لتلك الاصلاحات وغلّبوا الفوضى وقلبوا الامور ظهرًا لبطن لتوطّدت اركان الهيئـة الاجتماعية واصبحت كل دولة كعائلة تعيش كل افرادها بالالفة والاخاء

والدول المتمدّنة في عهدنا ترمي الى هذه الغاية المرغوبة وتسعى في تحقيق هـذه الامنية . وقد وضعت لتوطيـد روح الاخاء العام عدّة وسائط كالمؤتمرات الدولية والمفاوضـات العموميّة ومجالس التحكيم وغير ذلك ممّا يقرّب القلوب ويزيل النفور ويبطل المنازعات

وكانت بعض الدول قد تأخرت نوعًا في مجاراة اهـل التمدّن العصري كروسيّة والعجم ودولتنا العلية

الّا انّ الريح التي هبّت في البلاد الاوربية ونسفت الظلم والاستبداد نفخت ايضًا في بلاد الشرق فروّحت الارواح وانعشت النفوس فيا ليتها لا تتجاوز طور الانصاف وحدود الحكمة فتُبيد فقط جراثيم البغض وتفكّ رقبة الاستعباد وتبطل المظالم الفاشية في العباد. فتنجبر القلوب من اصداعها وتكلّم من جروحها وتشفى من اوجاعها

لعمري لو تروّى العقلاء من اهـل الطوائف الذين لهم النفوذ في مللهم لوجدوا اسباب الوفاق اوفر من دواعي الشقاق فضـلًا عمّا ينجم عنها من الفوائد للعموم. ألا ترى ان الذين وُلدوا في تخوم واحدة ونشأوا في تربة واحـدة واستنشقوا هواء وطن واحد واندمجت افكارهم بمفاوضة السنتهم الوطنيّة وسعوا وراء مصالح متشابهة هم احرى بالاتفاق واجدر بالمؤاخاة. ولقد كفانا شتاتنا السابق وتفرّق كلمتنا في ما مضى فانّ هـذه الضغائن كادت تطمس معالمنا وتمحو آثارنا لأن كل بيت ينقسم على نفسه يخرب كما يقول الربّ فلنمدّنّ بعضنا الى بعض ايدي المصافحة ونضمّنّ القوى بالاتحاد فلا نلبث انّ نرى بلادنا تعود الى ازدهارهـا وعمرانها فتُصبح جامعةً بين خصب التربة وشمل الامان بفضل الاخاء بين اهل الاوطان ونردّد آية النبي داود (في الزبور ١٣٢ : ١) : « ما أطيب وما ألذّ ان يسكن الاخوة معًا »

التبريد الصناعيّ

لاحد اساتذة كليتنا

لو قلنا لقرّائنا الشرقيين انّ في هذا العام عُقد مؤتمر خصوصي للبحث في التبريد الصناعيّ لظنّهم نسبوا قولنا الى المزح والفكاهة . وما الامر مع ذلك الّا عين الحقيقة . فانّ ارباب الصناعة اتّفقوا على فتح هذا المؤتمر في باريس فاجتمعوا من اليوم الخامس الى الثاني عشر من تشرين الاوّل وتداولوا في الابحاث المنوطة بالتبريد الصناعيّ

وكأني بك تقاطع كلامي فتقول وما الفائدة من هذه الاجتماعات الفضوليّة ؟ أليس البرد مبدأ كل الشرور كما اثبت القدماء ؟ او لا ترى الطبيعة تهرم وتموت اذا ضرب البرد اطنابهُ في فصل الشتاء ؟

أجل انّ ذلك كلّهُ لمعلوم بيد انهُ لا يُنكر ايضاً انّ الله جعل في البرد منافع يُمكن الانسان ان يقتبسها لسدّ حاجاته وتوفير اسباب معاشهِ بل هنائهِ ورفاهيتهِ . وقد ادرك الامر بعض ادباء العرب فوجدوا الشتاء محاسن افاضوا فيها كطول الليل الذي جعلهُ الله سكناً للانسان وبرد الماء مادّة حياته وانقطاع الهوامّ واجتماع شمل المتفرّقين والخلود الى الراحة . ومدح بعض الدهاقين الشتاء فقال : « آكل فيهِ ما جمعت . واستمتع بما ادّخرت . واي شيء احسن من كانوني في كانون ومن لبس الخزّ والسمّور والقعود في الطوارم مع الاحباب . وتناول الدرّاج والكباب . والاستظهار على البرد بالشراب والشرب على الثلج بثلج الصدور »

الّا انّ العلماء وجدوا في البرد منافع أخرى اعظم ممّا تبادر اليهِ فكر العرب اعني حفظ المآكل من الفساد ونقلها في طراءتها من البلاد القاصية الى غيرها فتستطيع لاقطار الخالية منها ان تنتفع بها وتتقوّت منها

عرف القدماء بالاختبار انّ البرد يصون الاقوات من الوخومة ولذلك كانوا يعرضون اللحوم على الهواء ليلًا ويحفرون لها المطامير . وكان الرومان يصطنعون لهم سراديب

عميقة يطمرونها بثلج ينقلونه من جبال الالب ويجعلون فيها الاطعمة التي يريدون ادّخارها للصيف

غير انَّ تلك الوسائط بقيت منحصرةً قليلة الانتشار كثيرة النفقات لا ينتفع بها الّا بعض الذوات حتى القرون المتأخرة التي استنبط فيها ارباب العلم مقاييس الحرارة والبرد واثبتوا بقوانين راهنة تجليد بعض العناصر وعرفوا ما ينتج من اختلاط المركّبات من سقوط درجات الحرارة . ففي سنة ١٦٦٢ نشر العلّامة بائل (R. Bayle) كتاباً اشار فيهِ الى مزيجات من الاجسام تصلح للتبريد . وتمكّن بعدهُ بثلاث سنوات استاذ مكتب باريس العلّامة فيليب لاهير (Ph. Lahire) من تجليد الماء بواسطة ملح النوشادر

ثم جاء القرن الثامن عشر فاكتشف في اثنائهِ عالمان من الانكليز وليم كولن (W. Cullen) ونارن (Nairne) طريقتين جديدتين لتجليد الماء فجلّدهُ الاوّل في الآلة المفرّغة للهواء والثاني في اناء مقفل جعل فيهِ الحامض السلفوريك فكان الحامضُ يمتصُّ ما تبخّر من الماء فتهبط درجة الحرارة ويتجلّد الماء سريعاً

الّا انَّ الدروس لتبريد الاجسام لم تبلغ قط مبلغها في القرن الاخير فانَّ فارادي لحظ في ابحاثهِ عن تغيير حالة الاجسام سنة ١٨٢٣ انَّ غاز الامونياك اذا كان سائلاً يُهبط الحرارة الى درجة بالغة . ومنذ ذاك الحين دخلت آلة التبريد في طور جديد وجعل اصحاب المعامل والتجار يطلبون وسيلةً قريبة المنال لتوليد البرد الصناعي ولاستخدامهِ في لوازم الصناعة والحاجات البيتيّة

وممّن نالوا في ذلك بعض الشهرة جون غوري (J. Gorrie) الذي اصطنع سنة ١٨٤٥ آلة كانت تجلّد الماء بضغط الهواء الجوّيّ فكان يبرّد بعض حُجَر المرضى في المستشفيات ويستحضر كميّة من الجليد الصناعيّ . وجاراهُ في المانية وفرنسة وتدنهوس ونيس (Nice) فأدّت بهما ابحاثهما الى وضع ادوات ضاغطة لتجليد الماء وحفظ البقول والسمن والفواكه في اواني مبرّدة صناعيًّا . الّا انَّ هذه الاجهزة كانت تكلّف كُلفاً باهظة لحاجتها الى ادوات محرّكة غالية الثمن

وكان اوّل من اصاب المرمى في ذلك الفرنسويّ فردينند كارّه (F. Carré) سنة ١٨٥٧ فانهُ استحضر آلات تجليديّة بناها على مبدإ امتصاص الابخرة بواسطة

الاثير السولفوريك . ثم عدل عنهُ بعد قليل لسرعة انفجاره وأخطاره واستبدلهُ بالنرشادر . فكانت هذه الآلة التبريديَّة جامعة لكل الشروط الاقتصاديَّة والعمليَّة . وساعدهُ في مشروعهِ احد رصفائهِ شارل تاليه (C. Tellier) فحسَّن آلتهُ وبلَّغها حالة الكمال واخذ كلاهما يشتغل بتبريد الاطعمة . وممَّا اختبراهُ بالتجربة انهُ يُمكن حفظ الاسماك ولحوم الحيوانات مدَّةً طويلة في ادوات مجلدة ونقلها الى بلاد شاسعة دون ان يصيبها شيء من الفساد

وقد تعرَّض لتاليهِ قوم من المعاكسين فلم يستطع ان يفوز بمناصبتهم لهُ ثم انتشبت الحرب بين فرنسة والمانية فصرف الناس همَّتهم لما هو امسّ واحوج فبقيت اختبارات كارّه وتاليه مُهملةً لا يعيرها الجمهور بالهم الى ان عاد لفرنسة سلامها وجدَّدت نهضتها الصناعية والتجاريَّة . فكرَّر العلَّامة تاليه اختباراتهِ وأقنع بعض التجار الى تعمير سُفن مبرَّدة جهَّزها باحواض تجليديَّة لنقل الاسماك من خليج هودسن واللحوم من باراغاي الى فرنسة . فعرض لهذه البعثات عوارض حالت دون نجاحها التامّ لكنَّ التجار عادوا الى اختباراتهم فأتت بالنتائج المرغوبة وكان بعض هذه السُّفن كافية لنقل مئتي الف كيلو من السمك الطريّ . ثم ابتنوا في مرسيليسة ورُوان خزائن لحفظ السمك الوارد مجلَّدًا ريثما يوزعونهُ على الطالبين

فممَّا سبق ترى انَّ الفضل الاعظم في تجهيز الادوات المبرَّدة واستخدامها للمنافع العموميَّة عائد الى علماء فرنسة وتجارها . لكنَّ الحكومة بقيت الى هذه الازمنة الاخيرة غير راضية باعمال اولئك التجار بل وضعت بعض التقارير المثبطة لمساعيهم لأسباب لا يسعنا هنا تبيانها فأسرعت المانية وانكلترَّة والولايات المتَّحدة الى مباراة الفرنسويين في هذه المتاجرة ونالت بها الارباح الطائلة فأنشئت في هذه الدول جمعيات جعلت لها حكوماتها امتيازات خاصَّة فجهَّزت السُّفن والقطارات والمخازن التجليديَّة لنقل السلع ولاسيما المآكل كالخضر والبيض واللحوم والأسماك الى كل جهات البلاد باثمان متهاودة

ففي سنة ١٨٨٠ نقلت السفن الانكليزيَّة الى ليفربول من اميركة الجنوبية لحوم ٤٠٠ بقرة واليوم يبلغ عدد ما يُرسل منها في العام ١٠,٠٠٠,٠٠٠ بقرة . واخذت اميركة الشمالية تحذو حذو شقيقتها فزادت مراعيها ووفَّرت عدد مواشيها وهي اليوم تربح منها مالًا وافرًا . وكذلك تفعل اوسترالية المشهورة بوفرة قطعانها وافريقية الغربية

وبلاد الكاب وبعض جهات الهند والشرق الاقصى فكلّ هـذه الاقطار تُرسل الى اوربّة محصولات املاكها بواسطة الادوات المبرّدة

وقد حسب سنة ١٩٠٣ احد كبار الاقتصاديين ما في عنابر الولايات المتّحدة من السلع المحفوظة بالتجليد لتُنقل الى بلاد شتى فاذا هي تساوي ستّة ملايين متر مكعّب تخصّ ستمائة شركة ويبلغ ثمنها مليارًا من الفرنكات . امّا مجموع ما في العالمين من هذه المحصولات فلا يقلّ ثمنهُ عن عشرة مليارات

فترى ممّا سبق انّ الذين ألّفوا مؤخرًا في باريس مؤتمر التبريد لم يقدموا على العمل لاسباب خفيفة او بغيةً في اغراض شخصية محصورة في منافع بلد واحد او جمعيّات قليلة . وناهيك بجدول الابحاث التي تداول فيها المؤتمرون دليلًا على عظم شأنها ووفرة فوائدها . فانّها كانت مقسومة اربعة اقسام عُهد بكل قسم منها الى بعض الحضور ليتفاوضوا فيهِ ويبدوا فيهِ رأيهم

فبحث اصحاب القسم الاوّل عن التبريد نظريًا وما لهُ من المفاعيل الطبيعية والكيموية والحيويّة وما ينجم عنهُ من المنافع والمضارّ . وفحص قوم من الكيمويين الموادّ المبرّدة وصلاحيّتها للصحّة فوجدوا انّها تصلح للاكل كبقيّة الاقوات غير المبرّدة لا ينقصها شيءٌ من خواصّ المآكل الطيّبة

ونظر اهل القسم الثاني في ادوات التجليد والاجهزة الجاري استعمالها في بلاد مختلفة للمقابلة بينها وتعريف فوائدها وتفضيل بعضها على بعض . وكذلك امعنوا النظر في الطرائق الشائعة اليوم للتبريد لبيان خواصّها ومنافعها كضغط الغازات الممكن تسييلها وضغط الهواء او تفريغهِ بالآلة المفرّغة . وكذلك امتصاص الابخرة وغير ذلك ممّا اخترعهُ ارباب الطبيعة في هـذه السنين الاخيرة ولاسيما آلة الاستاذ لندهِ (راجع المشرق ١ : ١١٢١) لتحويل الهواء الى مائع سيّال . وممّا تداول فيهِ اصحاب هذا القسم اتّخاذ مقياس واحد في كل الدول لضبط درجات البرد . وكذلك تباحثوا في المخازن والاحواض التجليديّة وافضل الطرائق لتهيئتها

وعهدوا الى اعضاء القسمين الثالث والرابع بدرس التجليد بالنسبة الى الاغذية واصناف الاقوات ثم بنسبتهِ الى الحرَف والصنائع وها نحن نعدّد هنا بعض ما اتّصلت اليهِ صنعة التبريد من الفوائد المختلفة

١ حفظ اللحوم والاسماك وطيور الصيد ونقلها الى الامكنة السحيقة (كما جرى مؤخرًا في بيروت) بحيث أصبحت بذلك عدَّة بلاد تأمن المجاعة . وذلك مفيد خاصةً لتموين الجيوش وقت الحرب وفي السلم بالطعـين النظيف واللحم الطيّب وكذلك يصلح التبريد لصيانة الناس من المجاعة وقت حصار مدنهم بنفس هذه الوسائط

٢ سلامة السمن والبيض من الفساد الى زمن غير محدَّد ونقلهما الى البلاد البعيدة

٣ حفظ الحليب وصيانتهُ من الميكروبات والجراثيم الضارَّة وكلّهـا يقتلها البرد او يمنع انتشارها . وقد طلب اهل المؤتمر انَّ الحليب في المستشفيات يُحفظ دائمًا تجلـدًا وكذلك اللحم ليسلم كلاهما من الوخومة

٤ حفظ الزهور في نضارتها مدَّة طويلة ونقلهـا من بلد الى بلد . وكذلك منع الأكمة عن الازدهار الى وقت معلوم لتزدهر في بعض فصول السنة كما يشاء اصحابها

٥ منع اختمار المشروبات وصيانتها من التقلُّبات الجوِّيَّة

٦ اصطناع المشروبات المجلَّدة والزلابيَّات وغيرها

٧ اتّخاذ التجليد في عدَّة صنائع لاسيما في تعدين المعادن وحفر الآبار واستخراج البرافين وبعض الدهون

٨ تبريد الامكنة وقت الصيف في الحرّ الشديد بادوات مبرّدة تجعل في البيوت وغيرها وتحفظ الهواء في درجة مناسبة من الحرارة

٩ منع البارود من الفسـاد . وقد اثبت بعض المؤتمرين انهُ كان يمكن تلافي الاضرار الجسيمة التي حصلت في هذه الاعوام الاخيرة في عدَّة سفن حربيـة لانفجار بارودها لو حُفظ البارود في آنية مبرّدة اصطناعيًا

فكلّ هذه الفوائد وغيرها قد استوقفت ابصار اهل المؤتمر وتحقَّق الجمهور صحّتها لما سمعوا الخطباء يتباحثون فيها وكانت نتيجة هـذا المؤتمر انَّ التبريد اصبح في عهدنا من اعظم الوسائل لترقي التجارة وخدمة الصنائع يجوز نظمـهُ في سلك الاكتشافات الخطيرة التي يفتخر بها عصرنا كالبخار والكهرباء . وتل القوَّة المائيَّة لتحريك الادوات ولذلك طلبوا من وزراء الدول أن توضع لهـذه الصناعة قوانين وتسهيلات لتعميم فوائدها . فسبحان المولى الكريم الذي مكَّن الانسان من تذليـل قوَّة جديدة لترويج منافعهِ بعد ان كان سابقًا لا يكاد يعرف غير مضارّها

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

مشاهير المسلمين (تابع)

هذا ما امكننا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هذا العشر وهو برضٌ من عدّ ولا نشكّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء. الّا انّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نتفاً قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينها الّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

ومنّن اطّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرّر مدّة في الاسكندريّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس ففوّضتهُ حكومتها أن يحرّر جريدتها الرسميّة المدعوّة بالرائد التونسيّ مع منشئها منصور افندي كرلتي. فاشتغل بذلك مدّةً منذ السنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) وكان ذا باع في الانشاء ولهُ نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشا بقصيدة مطلعها:

آلاؤكَ الغرُّ او آثارُك الغررُ زها بها في الزمان الجيدُ والطُّرَرُ

ومنها:

الله ملجأنا اذ ليس يفجأنا شرُّ الخطوب وخيرُ الدين لي وَزَرُ
حبرٌ لهُ همّةٌ اعلى وارفع من هامِ الثريّا ومجدٌ ليس ينحصرُ
وسيرةٌ سرّت الدنيا بشائرُها وضمّخ الكونَ عرفاً مسكُها الذفرُ
لا زال كهفاً لمن يأوي بساحتهِ في ظلّهِ تسعد الآمال والوطرُ
وكعبةٌ وزراء الفضل انجمُها ترهو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيراً لباي تونس فاشتهر بحسن سياستهِ وتدبيره

للامور. وكان كاتباً بارعاً ألّف كتاباً دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥. وهو اجود كتاب وضعهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العبَّاس احمد بن ابي ضياف والشيوخ ابو عبد الله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمَّد الصادق ثابت وابو راشد يونس العروسي ومصطفى رضوان ومحمَّد بن الحسن التطواني وقد قرأنا لكلهم فصولاً في الادب الّا انَّ اخبارهم منقطعة عنَّا

ومنَّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصدده السيّد عبد الرحمان النحاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب مسجَّعة قرَّظها الشعراء ومما قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب:

انشا لنا الخطب التي الفاظُها قد اعربت في السمع لحن مثاني
نِقَرٌ غدت حُلي المسامع مثلما اغنت فتيز الفضل بالاحسانِ
اذنت لآلي لفظها بولوجها في سمع الآذان قبل إذانِ

وللسيّد عبد الرحمان قصائد متفرّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير:

لقد ضاء مصباحُ مشكاة عصرهِ رفاق بحسن الذكر نشر الشمائلِ
فتى من بني البربير حاز براعةً وكان بنظم الشعر اوّل قائلِ
بهِ طاب اهل المجد فرعاً وقد سما مقاماً على هام البدور الكواملِ
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنَّ قدرهُ كبيرٌ بانواع العلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمَّد الموقّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريَّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

فهُ هاتيك الصفات فاضا جمت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أتظنُّ كلَّ مهنَّدٍ في غمدهِ ماضٍ وكلَّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنَّك بالمجال فانَّهُ ما كلُّ من سلَّ الحسامَ بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهارهُ عطَّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرهُ ملحٌ أُجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ

هذا هو الفخر الذي شرفت بهِ ابناء دوحتهِ لبعد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيّ كاتبَ ايضاً الشيخ ناصيف فمدح الشيخ آدابه وشعرهُ فقال:

يا أيها الحسنُ المصونُ طالعُهُ احسنتَ حتّى ملأت السّمعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلَّ قافيةٍ قد شبّبت بمعاني حسنها الشعرا
يعزُّك الشعرُ انشاداً فنحن بهِ نغوصُ في البحر حتى نجتني الدررا

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليل العزازيّ ونظم القصائد فمدحهُ محرّر الجوائب بقولهِ:

ألم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيُسكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من امسى غليلاً وتشفي كل من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقاً. ولهُ آثار شعريّة لم تُجمع حتى الآن. مدحهُ منشئ الجوائب غيرَ مرّة لوفرة آدابهِ. واخبارهُ مجهولة لدينا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنّفون التآليف المختلفة وينظمون القصائد ويمثلون الروايات التشخيصيّة ويعقدون الجمعيّات الادبيّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضة استوقفت الابصار وبعثت في القلوب رغبة الترقي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوّل من يتحتّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها في العام الماضي بوفاة المرحوم الشيخ ابراهيم نجلهِ. وها نحن نلخّص اخبارهم جميعاً لائتلاف الموضوع وفراراً من التكرار. اصل هذا البيت من روم حمص. ثم نمت اسرتهم وتفرّعت الى عدّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عمّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر

بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ . وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أسر أخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت . وكان عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيباً درس الطبّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ . وكان مع ذلك محبًّا للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائل التعليم في ذلك الوقت قليلة . وتعلّم الشعر فنظم بعض القصائد التي لغنتها ايدي الضياع . ومما روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقس حنانيًا منير صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها :

عش بالهنا والخير والرضوان يا من عُنيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعتهُ فوجدتهُ نظماً فريداً ما لهُ من ثانِ

وكان مولد ناصيف ابنهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابي ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرصَ على اتقانها ما امكنهُ فنال منها نصيباً حسناً . ثم درس الطبّ على والدهِ ووضع فيهِ ارجوزةً سمّاها الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم لم تُنشر بالطبع . ودرس ايضاً فنّ الموسيقى ووعى كثيرًا من اصولها ودقائقها . وكان مغرى بالتاريخ مواظباً على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا انطبعت فيها مرّةً

لكنَّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغاً عجيباً قيل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولَّد لا يخلّ فيها بحرف . وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيّة بخط جميل لشبه بالقلم الفارسيّ

ومما امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانهُ نبغ فيهِ على ما روي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفوًا على البديهة ويأتي بكل معنًى بليغ . وكان في اوّل امرهِ ينظم المغنّى والقرّاديات تفكُّهاً . وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه

ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس اده وقولا الترك وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتصل بهؤلاء الادباء فقرَّبوهُ من الامير الذي اتخذهُ كاتبًا لاسرارهِ ورفع شأنهُ. وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منها رائيَّتهُ التي قالها مهنئًا لهُ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واولها:

جنبك جنبك هذا النصرُ والظفرُ فانعَمْ اذن انت لا فلتعمر البشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة. فلمَّا كُفَّت يد الامير عن تدبير لبنان سنة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين سنةً الاخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيتهِ والى التدريس ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة. وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليهِ عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضها فطبعوها في مجلَّاتهم. وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتناوبون بينهم القصائد والرسائل. ومن فضل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة السوريَّة لترقية الآداب ورفع منار العلوم. وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في بلاد الشام كقطب العلوم العربية وشرعة المعارف الوطنيَّة

واشتغل ايضًا مع اصحاب الرسالة الاميركيَّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغاني الدينية واستفادوا منهُ ايضًا في تعريب الاسفار المقدَّسة التي نشروها في مطبعتهم

امَّا تآليف الشيخ ناصيف فكلُّها مشهورةٌ سردنا اسماءها في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ الشُّون المعروفة بجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريَّة طُبعت مرارًا في المطبعة الاميركية ثم في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو. وجوف الفرا والحزانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما. وكتاب عقد الجمان في البيان مع ملحق في العروض. ولهُ شرح على المتنبي اتمَّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العرف الطيِّب في شرح ديوان ابي الطيِّب. وشعرهُ متفرِّق في ثلاثة دواوين كتاب نفحة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القرين. وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية

في الحدث وفي المطبعة الادبيّة مصحّحاً بقلم نجلهِ المذكور. والمأمول ان ينجز قريباً هذا العمل ويضيف الى المجموع ما لم يزل مخطوطاً او شارداً من القصائد

وشعر الشيخ ناصيف يجمع بين الرقّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر. وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قوماً من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في ايامهِ ولهُ التواريخ المتعدّدة التي زان بها قبورهم او علّقها على الآثار البنائيّة والكنائس وغيرها. فمن مديحهِ قولهُ من قصيدة غرّاء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمَّن كل شطر منها تاريخاً لسنة ١٢٨٣:

قالَ الاله علينا ارجُ طالعهِ ... قد فاق فوق جهات الأفق كالعَلَمِ
في خلقهِ عجبٌ في عزمهِ طربٌ ... واحانهُ سُحبٌ يَمطرن بالكرمِ
امين ربّ الورى في الكون مؤتمنٌ ... على العباد لحقّ العهد والذمَمِ
قد درَّ بني عثمانَ من صدقوا ... بطيب حملٍ ووضع حافلِ التيَمِ
بنوا لنا برج سعدٍ رُسّلُ طلعتهِ ... تدعو الأنام الى اعياد شكرهِ
بابُ السعادةِ باب النصر ساكنهُ ... كهفُ المطالب من حاماهُ لم يُضَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات:

من قال انَّ الدهر ليس يعودُ ... هذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابليون بعد زوالهِ ... فكأنَّ ذلك يومهُ الموعودُ
يا من يقول لرمّةٍ في لحدهِ ... انَّ السعيد كما علمتِ سعيدُ
هذا خليفتهُ الذي احيا الورى ... احياكِ حتّى اخضرَّ منكِ العودُ
لا تُنفقِ الدنيا لفقد عزيزها ... ما دام يخلفُ تبّتها المولودُ
تتجدّد الاشخاص فيها مثلما ... يُفرَى القضيبُ فينبتُ الاملودُ

ولهُ في مديح الملكة فيكتوريا من قصيدة:

اليوم قامت فتاةُ الملك بارزةً ... وقام من قبلها اسلافُها الاوّلُ
فرعُ الاصول التي مرَّت وجمعتها ... انَّ الثمار من الاغصان تُجتَذَلُ
يُستحسن الملك فيها والخضوع لها ... وليس يحسنُ فيها الجبن والبَخَلُ
باهى الرجالَ نساء الدهر وافتخروا ... حتّى اتت فأصاب المدّعي الخَجَلُ
اذا صفا لكِ نور الشمس في فلكٍ ... فما الذي تفرقُ الجوزاء والحَمَلُ
في قلبها خاتم التقوى وفي يدها ... من خاتم الملك ما يجري به المَثَلُ

قد التقى الدينُ والدنيا بساحتها كما التقى الكُحل في الاجفانِ والكَحلُ

ولهُ قصائد أُخرى في مدح الخديويين اصحاب مصر ابراهيم باشا وسعيد باشا واسمعيل باشا. وكثيرًا ما كان يجمع في هذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيَّة الصعبة المرتقى الدالَّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيَّة والمعنويَّة لكنَّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قومٍ من شعراء القرون المتأخرة. ومن هذا القبيل بديعيَّتهُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اوَّلها:

عاج المتيَّم بالاطلال في العلَم فأبرع الدمع في استهلالهِ الدرم

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منها امثلة. ولهُ من قصيدة يرثي بها الطيِّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم:

ركنٌ هوى في دار مصر اوشكت منهُ رُبى لبنان ان تتعطَّرا
نسجت بهِ الاسكندريَّةُ هيبةً فكأنَّ فوق سريرهِ الاسكندرا
يا أيها الطود الذي عبثت بهِ ايدي المنون فال عاول العُرى
غدرت بك الايام مظلومًا كما تُدعى فالفت في التراب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير واجاد:

أستودعُ الله في طيّ الضريح فتًى كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا
كنَّا نؤمل ان نجني لهُ ثمرًا فخيَّب الدهرُ منَّا ذلك الاملا
خان الزمان لهُ عهد الصبا وبغى عليهِ داعي المنايا اذ اتى عجلا
قد أيبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ غشي وقد نكست رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حُلّي فوق تربتهِ كما حللتِ على نعشٍ بهِ حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر ما نظم قبل شهر من وفاتهِ ولم يتمّ رثاءهُ لحزنهِ:

ذهبَ الحبيب فيا حشاشتي ذوبي اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
رَبَّيتهُ للبَيْن حتَّى جاءهُ في جنحِ ليلٍ خاطفًا كالذيبِ
يا أيها الامُّ الحزينةُ أجملي صبرًا فانَّ الصبرَ خير طبيب
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي ندبًا عليهِ يليقُ بالمندوبِ
هذا هو النصن الرطيبُ اصابهُ سهم القضاء فات غيرَ رطيبِ
من للكتابة والحسابة بعدهُ ولصحَّة التدبير والتدريبِ
لا استحي ان قلتُ قلَّ نظيرهُ بين الرجال فلستُ غيرَ مصيبِ

والمرء يطلقُ في الكلام لسانهُ ان كان لا يخشى من التكذيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ اسقي ثراهُ بدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ وعبّةٌ هدي لانّك قد حويتَ حبيبي

ومن تعازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ:

يا باثع الصبر لا تُشفقْ على الشاري فدرهمُ الصبر يسوى (كذا) الف دينارِ
لا شيء كالصبر يشفي قلب صاحبهِ ولا حوى مثلهُ حانوت عطّارِ
هذا الذي تحمد الاحزانَ جرعتهُ كبارد الماء يطفي حدّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقي (كذا) في سلامتهِ حتّى يُبدّل اعسارٌ بايسارِ
يا من حزنت لفقد المال انك قد خُلقتَ عارٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امس ذاك المالُ مكتسبًا يأتي غدًا من بديع اللطف جبّارِ

ومن زهريّاتهِ قولهُ:

مرَّ النسيم على الرياض مسلّما سحرًا فردَّ هزارها مترنّما
احنى اليهِ الزهرُ مفرق رأسهِ ادبًا ولو ملك الكلام تكلّما
يا حبّذا ماء الغدير وشيهُ تعطيهِ دينارًا فيُقلب درهما
عمت الرياحُ بهِ كتابةَ بعضها فتخاصمت من فوقهِ فتهشّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ لثقيل:

كفَّ عنّي لا ابا لكْ قد تبيّنّا مُحالكْ
ومرفناك والّا فتى نعرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عصرٌ حاملًا فيهِ ملالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ كاد منهُ يتهالكْ
سترى النادمَ منّا وسيُ الله نالكْ

وقال في بخيل:

قد قال قومٌ انَّ خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ من ذاقهُ يومًا ليعرف طعمهُ

ومن حكمهِ المأثورة:

اني لقد جرّبتُ اخلاقَ الورى حتّى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي نجا من ذمّهِ يدخلُ في ذمّ الملا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما احبَّهُ فهو الى النفس انتمى
يعرف كلٌّ حالهُ فيما مضى الّا الذي كان دنيًا فارتقى

وكلُّ علمٍ يدرك المرءُ سوى عرفانِ قدر نفسهِ كما اقتضى
وكلُّ من لا خير منهُ يُرتجى ان عاش او مات على حدٍّ سوا

ومما برّز فيه قولهُ في الدين المسيحي:

نحنُ النصارى آلُ عيسى المنتمي حسبَ التأنُّس للبتولةِ مريم
وهو الإلهُ ابنُ الإلهِ وروحهُ ثلثةٌ في واحدٍ لم تُقسَم
للآب لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحتَ تقنُّم
كالشمسِ يظهرُ جرمها بشعاعها وبحرّها والكلّ شمسٌ فاعلم
والله يشهدُ هكذا بالحقّ في سفرِ لتوراةِ الكليمِ مُسلَّم
عن آدمٍ قد قال «صارَ كواحدٍ منّا» بلفظ الجمعِ من ذاك الفم
خلقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستخدَم
لكن عصاهُ بزلّةٍ لا تنمحي الّا بإرسال ابنه المتجسّم
فأتى وخلّصهُ وخلّص نسلَهُ ذاك المخلّصُ من عذابِ جهنّم

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياته:

شهدت عجائبهُ لهُ في عصره قدرى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهم
ولما عليهِ أدلّةٌ قطعيّةٌ عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكّم
قد جاء لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا فرسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدرهم
يأوي المنارةَ مثل راعي الضأنِ لا راعي الممالكِ في السريرِ الاعظم
وهو ابن يوسف لا ابن قيصرَ عندهم يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرم
فاتاهُ من شعبِ اليهود جماعةٌ كانوا على الدين التليد الاقدم
وتباعدوا من قومهم بمذلّةٍ يأبون كلَّ كرامةٍ وتنعّم
قالوا هو ابن الله جهرًا والعدى من حولهم مثل الذئاب الحُوَّم
والناسُ بين عواذلٍ وعواذرٍ لهمُ وبين مُحلِّلٍ ومُحرِّم
ما غرّكم يا قومُ فيهِ أسيفهُ ام جاهُهُ ام مالهُ في الانعُم
هو ساحرٌ يُطغي فقالوا لم نجدْ من ساحرٍ يُحيي الرميمَ بطلسم
كانت رجالُ الغرب تحيي ميتًا بصلاتها ودعائها المتقدّم
وتراهُ يُحيي الماتتين بامرهِ فهو الاله ومن تشكّك يندم
ولئن هُمُ انخدعوا لنفثاتهم فقد ضعُفت عقولهمُ كمن لم يحلُم
فترى بما خدعوا البلاد ومن بها من عالمٍ يُفتي ومن متعلّم
فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقّ وجهُ الحقّ غير ملثّم

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالج نصفيّ تحمّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله. ومما طُبع لهُ من التآليف في اوربّة رسالتهُ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيّة وعلّق

عليها الحواشي الاستاذ مهرن (Mehren) وطبعها في ليبسيك. وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيَّة رسالة مطوَّلة في احوال لبنان وسكَّانهِ وامرائهِ واديان اهلهِ لا نشكُّ انها لهُ وان لم يُذكَر فيها اسمهُ. وهذه الرسالة نقلها الى الالمانية العلَّامة فليشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG. VI, 98, 388) ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثة عشرة (ص ٥١٣ و ٥٦٦) ونسبتها الى اندراوس صوصه (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

La Province de Bagdad : son passé, son présent, son avenir, avec des notes sur le chemin de fer de Bagdad et une étude sur les tribus nomades de la Mésopotamie par **Habib K. Chiha.** *Le Caire*, 1908, VI - 337.

ولاية بغداد

هذا اوَّل كتاب صنَّفهُ احد الشرقيين في اللغة الافرنسيَّة عن ولاية بغداد يصحُّ في موَّلفهِ المثل انَّ صاحب الدار ادرى بما فيها. ولا عجب فانَّ جناب حبيب افندي شيحا استوطن بغداد منذ حداثتهِ وتقلَّب في دوائرها واختلط باهلها وحظي عند قناصل الدول المتنصِّين فيها وتردَّد على القبائل المجاورة لها. وها هوذا قد جمع في هذا الكتاب ما عاينهُ واختبرهُ وسمعهُ عن ولاية بغداد في كل احوالها التاريخيَّة مباشرةً باصالها على عهد الخليفة العبَّاسي ابي جعفر المنصور الى زماننا الحاضر. ثم الجغرافية ثم الصناعية والتجاريَّة ثم الاثريَّة كوصف الآثار القديمة المكتشفة في العراق والآثار المستحدثة من مزارات ومشاهد ومساجد وابنية خطيرة يليها نظرٌ في العادات الجارية عند اهلها المسلمين والنصارى واليهود ثم ابحاث مختلفة اقتصادية في تعريف سككها ومواصلاتها البرِّيَّة والنهريَّة مع البلاد التي تقرب منها كجزيرة العرب وبلاد الشام والعجم اضاف اليها وصفاً للسكة الحديديَّة البغداديَّة التي نال امتيازها الالمان. وقد ختم هذا القسم بلمحةٍ في القنصليَّات الاجنبيَّة في دار السلام. وللكتاب ملحقٌ غاية في النفاسة عن القبائل العربية التي تسكن العراق وما بين النهرين ضمَّنهُ كل ما يجبُ القرَّاء معرفتهُ عن اهل البادية من مساكن وانساب وتقاسيم وتدبير وغزو وعادات اهليَّة شتى في

الولادة والزواج والجنازات والغناء والموسيقى والعلاجات. ولم ينسَ قرّاء المشرق فصلاً حسناً اثبتهُ جناب المؤلف في سنتنا الاولى (ص ٦٨٤ و ٩٤٢) عن البيطرة عند الاعراب يدلُّ على ما تكاتبهِ من البراعة في وصف احوال العرب المحدثين. فترى من هذا النظر الاجمالي ما للكتاب من المزايا والخواصّ الطيّبة. هذا ولولا ضيق المكان لكنّا عرضنا على المؤلف بعض الملحوظات رغبةً في تحسين كتابهِ في طبعةٍ ثانية ولعلّنا نفعل في وقتٍ آخر او يقوم بذلك احد مكاتبينا البغداديين ان شاء الله ليصير هذا التأليف مرجعاً يُستند اليهِ في كلّ امور بغداد ل. ش

ELENCO bibliografico delle accademie, società, istituti scientifici, direzioni di periodici, ecc., corrispondenti con la Reale Accademia dei Lincei. e Indici delle loro pubblicazioni pervenute all'Accademia sino a dicembre 1907. *Roma*, 1908, VII-421.

قائمة المطبوعات والمنشورات العلمية التي وردت لمكتب لنشاي في رومية

لمكتب لينشاي في رومية شهرة عظيمة فانهُ بمثابة مكتب باريس العلميّ ترد عليهِ المجلّات والمنشورات العلميّة من كل انحاء المعمور امّا بصفة هدايا وامّا مبادلةً بمطبوعاتهِ العلميّة. فاحبّ ناظر خزانة هذا المكتب جناب الاستاذ غابرنيلي (Gabrieli) ان يدوّن في كتاب خاصّ كلّ هذه الواردات فاصطنع قائمة مدقّقة تبلغ ٤٢١ صفحة ضمّنها اسماء تلك المنشورات. ولهذه القائمة فائدة عظيمة لاصحاب المكاتب ليعرفوا ما يُنشر في العالم من المجلّات العلميّة واللغويّة وبينها المنشورات الشرقية التي تهمّ بلادنا. فنشكر جامع الكتاب على شغلهِ ونحضّ الكتبيّين على اقتنائهِ ل. ش

GÉOGRAPHIE DE L'EMPIRE OTTOMAN par J. Dupont *Paris, Poussielgue*, 1907.

جغرافية الممالك العثمانية

كان المسيو ڤيتال كوينه (V. Cuinet) ألّف كتاباً واسعاً في اربع مجلّدات وصف فيهِ الممالك المحروسة وصفاً وافياً ثم الحقهُ بكتابٍ آخر في وصف بلاد الشام خصوصاً فاصاب هذا التأليف الحظوى لدى محبّي الآثار الشرقيّة رغماً عما وقع فيهِ من الاغلاط المتعدّدة. الّا انّ ارباب المدارس كانوا يودّون لو اختصر احد اصحاب الهمّة هذا الكتاب لافادة الاحداث. فقام بهذا المشروع احد المعلمين الفرنسويين المسيو دوبون فوضع هذا المختصر على طريقة تعليميّة موافقة لشؤون المدارس وقسمهُ ثلاثة اقسام

فضمَّن القسم الاوَّل اوصافًا عموميَّة لتحديد الممالك المحروسة واقسامها وتعريف اهلها ونظامها. ويحث في القسم الثاني عن بلادها وولاياتها وسناجقها ومدنها وما يتوطد بها من المعلومات المفيدة لجغرافيتها واديان اهلها وعددهم وتجارتهم وزراعتهم. امَّا القسم الثالث ففيه نظر مفيد في مقام بلاد تركيا الاقتصاديّ ومحصولاتها ومعاملاتها التجاريَّة مع الدول وفي آخر الكتاب فهرس واسع مع ملخَّص مضامينه. وقد عرض صاحب هذا التأليف مسوَّداته على معلَّمي الجغرافية في كليَّتنا حضرة الاب لامنس والاب دائيه وشكرهما في المقدِّمة على مساعدتها لهُ في ضبط معلوماته واصلاحها. ونحن نحضُّ كلَّ مدارسنا السوريَّة ان تتخذ هذا التأليف كدستور تعليمها الجغرافي فلا تجد احسن منهُ وان دخل فيهِ بعض اغلاط ثانويَّة لا تتعرَّض لها هنا خوفًا من الاطالة المملَّة ل. ش

LE RITE BYZANTIN dans les Patriarcats melkites Alexandrie - Antioche - Jérusalem, par le P. Cyrille Charon, *Rome*, 1908, XIII-244.

الطقس البوزنطي في البطركيَّات الملكيَّة

هو الكتاب الذي كنَّا نتمنَّى نشرهُ منذ زمن طويل قد وضعهُ على احسن اسلوب واوفى مرغوب حضرة الخوري كيرلُّس شارون الرومي الملكي الكاثوليكيّ. وقد جعل حضرتهُ هذا التأليف كذكرٍ للاعياد الثامنة التي أُقيمت في رومية العظمى لتذكار المائة الخامسة عشرة لوفاة الذهبيّ الفم ونظمهُ في سلك المنشورات التي باشر العلماء في طبعها بهذه النسبة (اطلب المجلَّة ص ٨٧١). امَّا مضمون هذا الكتاب النفيس فتاريخ مختصر لدخول الطقس البوزنطي في البطريركات الاسكندريَّة والانطاكيَّة والاورشليميَّة وذلك في نواحي القرن الثاني عشر بعد ان أُلغيت الطقوس السابقة التي كانت تلك الكنائس تنجز بها الاسرار المقدَّسة وفقًا لتقاليدها الخاصَّة الموروثة عن الرسل وآباء الكنيسة. ثم يلي هذا القسم نظرٌ في شيوع الطقوس البوزنطيَّة واستعمالها في البطريركيَّات المرقومة باللغة السريانية اوَّلًا ثم بالعربية. اما اللغة السريانية فقد اثبت حضرتهُ انَّها كانت اللغة المتغلِّبة على الكنيسة الملكيَّة لاسيما الانطاكية وسرد لاثبات زعمهِ اسماء المخطوطات السريانية الملكية التي وقف عليها وهي لا تقلّ عن مئتي كتاب مختلف تجدها في كلّ المكاتب العمومية في حواضر اوربَّة وغيرها. ثم انتقل

حضرتهُ الى وصف الكتب الطقسية العربية ووصفها وصفاً وافياً سواء كانت خطيَّة او مطبوعة وبيَّن ما للمطبوعة منها من الخواصّ والمحاسن والمعايب منتقدًا عليها انتقادًا معتدلًا مع بيان تواريخها ومضامينها وكمالها او خللها. ثم انتقل حضرتهُ الى قسم أخير ضمَّنهُ عدَّة ملحوظات في العادات الطقسية الجارية اليوم في كنائس الملكيين لتعريف ما استُحدث منها. وفي هذا القسم بحث عن البصلتيكا والغناء الكنسي وبعض الرتب الخاصَّة. وفيهِ ايضاً معجم للالفاظ اليونانية المستعملة عند الملكيين. وقد ختمهُ بتدوين ما سنح لحضرتهِ من الخواطر في اصلاح بعض العادات وتلافي بعض النواقص ليُصبح الطقس الملكي في اتمّ كمالهِ. فنهنئ حضرة المؤلف ونؤمل ان كتابهُ يُشيع قريباً فتتداولهُ ايدي كل محبّي الطقس اليوناني ولاسيما الاكليروس الملكي ل. ش

Le MARTYROLOGE DE RABBAN SLIBA édité, traduit et annoté par le P. Paul Peeters s. j., (*Extrait des Analecta Bollandiana*).

كلندار ربَّان صليبا

ربَّان صليبا كاتب يعقوبي كان في اواخر القرن الثالث عشر فألف كلندارًا ضمَّنهُ اعياد الكنيسة السريانية ولم يسلم من هذا الاثر غير نسخة وحيدة كان العلَّامة يوسف السمعاني نشرها على علَّاتها في فهرست كتب المكتبة الواتيكانية ونقلها الى اللاتينية دون الانتقاد الواجب. فعاد حضرة الاب بولس بيترس اليسوعي من جمعية البولنديين الشهيرة واخذ رسم النسخة الاصلية ودرسها درساً مدقَّقاً فطبعها واصلح كثيراً من اغلاطها بالتابة مع منشورات اخرى وعلَّق عليها ملحوظات غاية في الافادة تنبئ بعلم واسع ومطالعات لا تُحصى ثم نقلها الى اللاتينية فجاء تأليفهُ موافقاً لما تعهدهُ في البولنديين من التدقيق والتحقيق والقدم الراسخة في كل العلوم الدينية. فلا نشكّ بأنَّ محبّي الآثار السريانية يبادرون الى اقتنائهِ ل. ش

مفتاح الفلاح في تقديس الارواح

ترجمهُ حضرة الاب كيل مارون احد مرسلي الاخوة الاصاغر

طُبع في اورشليم بمطبعة الارض المقدَّسة للآباء الفرنسيسيين (سنة ١٩٠٨ ص ٤٥٢)

بعد ان اتحفنا حضرة المعرَّب بكتاب منهاج الخشوع في حبّ يسوع الذي مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١١: ٣٩٥) ها هوذا عقَّبهُ بتعريب كتاب آخر ليس دون السابق في

حسن مضامينهِ وضبط ترجمتهِ وجودة طبعهِ دعاهُ بمفتاح الفلاح في تقديس الارواح نقلهُ من الافرنسية لكنَّهُ ضنَّ علينا باسم صاحبهِ. وهو كتاب صغير الحجم كثير الجدوى في اربعة اقسام ونحو ثمانين فصلًا في كل ابواب الحياة الروحيــة. والفصول قصيرة الَّا انها غاية في التقى تؤثر في القلب اكثر منها في العقل وغايتها بعث النفوس على الصلاح والاعمال التقويَّة وممارسة الكمال المسيحي وفقاً لاحوال عصرنا الحاضر. فنحضُّ كل محبّي الحياة الروحية ان يتَّخذوا هذا الكتاب كرشد امين للسير في طريق الخلاص

ل. ش

سيرة حنَّة درك البكر المكرَّمة

تأليف الاب ڤرنيــه الراهب اليسوعيّ

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآبا اليسوعيين (سنة ١٩٠٨ ص ١٤٠)

المكرَّمة حنَّة درك فتاة امَّية كان عمرها ثماني عشرة سنة لا غير لمَّا انتدبها الله بطرقٍ عجيبة الى خلاص فرنسة من اعدائها وكان الانكليز قد انقضُّوا على مدنهــا انقضاض النسور الكاسرة وكادوا يلتهمونها التهاماً لولا هذه الابنة التي اجتمعت بملك فرنسة كرلوس السابع وشدَّدت عزائمهُ وسارت بجنودهِ لملاقاة العدوّ فكسرتهُ كسرات متواليــة ووطَّدت اركان المملكة الفرنسويَّة الَّا ان الله سمح بان تسقط في ايدي المعادين بعد سنتين فحكموا عليها بالموت ظلماً. فرضيت بهــذا الحكم الجائر وماتت ميتة الابرار. والحقُّ يقال انَّ حنَّة درك لم تكن فقط فتاة شديدة البأس قامت بما عهدهُ الله اليها قيام الابطــال بل كانت ايضاً قدّيسة ممتازة بفضائلها لاسيما التقى والعفاف والزهد بالدنيا والفرار من كل مجد باطل والثقــة التامَّة بالله وحدهُ ولهذا السبب قد عوَّلت الكنيسة على اكرامها وادراج اسمها في سجلّ اولياء الله. وسيتم ذلك قريباً. وكان ينقصنا في العربية كتاب يصف اعمال تلك الفتــاة الشهمة التي ظهرت في هذه القرون الاخيرة كآيةٍ من آياتهِ تعالى لخلاص امَّة عُرفت بابنة الكنيسة البكر. وهــذا الخلل قد سدَّهُ حضرة الاب ڤرنيه المرسل اليسوعي بوضع كتابٍ جمع فيهِ كل ما يروق الاحداث من اوصاف الوقائع الحربية والمآثر الحماسيَّة والاعمــال التقويَّة ما يبعث في قلوب الشبَّان روح الدين وحب الوطن معاً. فجاء تأليفهُ من افضــل ما يُجازى به طلبة المدارس الذكور والاناث على حدّ سواء.

ل. ش

شذرات

استدراك عن رسالتين كتب لنا من عين شمس بضواحي القاهرة في تاريخ ١٦ نوفمبر جناب الوجيه الفاضل احمد باشا تيمور ما حرفهُ :

لمشرقكم الاغرّ فضلٌ على الناطقين بالضاد لا ينكرهُ الّا مكابر ولو لم يكن لهُ الّا نظم ما انتثر من رسائل البلغاء والحكماء المتقدّمين لكفاه . وقد راقني من فرائد هذا السلك دُرّتان احداهما نظم مثلث قطرب نُشرت في العدد السابع . والاخرى رسالة في دفع الخوف من الموت نشرت في العدد الاخير وكلتاهما غُفلٌ من اسم مؤلفهما فرأيت ان اذكر ما اعرفهُ عنهما اتماماً للفائدة فاقول :

امّا الرسالة فهي للرئيس ابن سينا سبق طبعها مع ثلاث رسائل أُخرى من تأليفه في ليدن سنة ١٨٩٣ الاولى في العشق والثانية في ماهية الصلاة والثالثة في معنى الزيارة والرابعة هذه الرسالة . وقد عارضتها على التي بالمشرق فاذا هي هي

وامّا المثلث فقد نشرتم منهُ منظومتين احداهما شرح للاخرى وأوردتموهما ممزوجتين كما وجدتموهما في النسخة المخطوطة فاحسنتم كل الاحسان في تأدية الامانة حقّها . والمشهور عن منظومة المتن التي اوّلها (يا مولعاً بالغضب) انها لقطرب نفسه كما يؤخذ من كشف الظنون وذكر انّ لسديد الدين عبد الوهّاب بن الحسين شرحاً عليها وهو قول لا يخلو من نظر فقد وقعت لي نسخة من شرح لها منسوب لابراهيم اللّخميّ يؤخذ من خطبته ان النظم لسديد الدين المذكور فلعلّ قطرباً وضعها نثراً فنظمها سديد الدين كما نظمها غيره ويؤيد هذا الزعم قوله في ختامها :

لمّا رأيتُ ذلّهُ وهجرهُ ومَطْلَهُ
نظمتُ في وصفي لهُ مثلثاً لقطربِ

وهي دلالة صريحة على ان الناظم غير قطرب . ووقعت لي نسخة اخرى من هذا الشرح منسوباً لسديد الدين نفسه ولا اظنّهُ الّا من عبث الناسخ رأى الشرح غُفلاً من اسم مؤلفه ووجد في خطبته قبل ذكر النظم « قال الوزير سديد الدين عبد الوهّاب الخ » فخلط هذا الخلط . على اني وقفت على شرح آخر لهذه المنظومة اسمهُ « النظم المطرب لمثلثات قطرب » استشهد مؤلفه على كل كلمة ببيت من كلام العرب وذيّلهُ بنظم

الفاظ استدركها على الاصل الّا انّ الناسخ اكتفى من الذيل بشرح الالفاظ دون النظم ويستفاد من خطبته ان الناظم غير قطرب ايضاً . هذا ما يتعلّق بهذه المنظومة واما شرحها المنثور بالمشرق الذي اوّلهُ :

الحمد لله العظيم الباري الرازق المحسن الغفّار

فهو للعلّامة ابن البارزي الحموي وعندي منهُ نسختان لا تخلوان من التحريف . وحيث قد استرسلنا في الكلام على هذا المثلث وشروحه فلا بأس من ذكر ما اجتمع منها بين مخطوطات مكتبتي . فمنها غير ما تقدّم نسختان من شرح منظوم لابراهيم الازهري اوّلهُ :

الحمد لله الذي هدانا لملّة الاسلام واجتبانا
بجاهِ وجودهِ اصطفانا لفضل توحيدهِ فلا نبالي

ثم أتى بعد ذلك في غالب الابيات بنظم ابن البارزي مغيّراً قافية الشطر الرابع فقط ولا ادري ايّهما سرق من الآخر

ومنها تشطير للنظم الاوّل لشمس الدين القادري جعلهُ كالشرح يقول فيهِ :

يا مولىً بالغضب اراك عني معرضا
بالهجر والتجنّب بعد الوصال والرضا
حبّك قد برّح بي يا مَنْ غدا يلعب بي
في جدّهِ واللّعبِ

وجرى على هذا السياق الى آخره . ومنها نظم لهذا المثلث مجرد عن الشرح للشيخ عبد العزيز الديريني اوّلهُ :

اذا عاينت سُبْلَ الحب غمرا وقد مُلِئَتْ بك الاعداء غمرا
فلا تكُ صاحبي في اللهو غُمرا وسرْ عنّا ودعْ زيدًا وعمْرا

ويعقب كلّ مربّع حلٌّ لالفاظهِ انتهى . وقد اشرتم الى نظم آخر مربّع مختوم بقافية النون ورقتهُ الاولى مفقودة ولولاها لنشرتموه فان صدق ظني فهو مثلث الشيخ موسى القليبيّ المسمّى « التحفة القليبيّة في بعض المثلثات اللغويّة » وطريقته فيهِ انهُ رتّبهُ على حروف المعجم واورد في كل حرف خمسة الفاظ واني ذاكر لكم ختامهُ حتى اذا طابق ما عندكم نسخت لكم المفقود لتنشروه افادة لقرّاء المجلة وهو :

ثم الصلاة والسلام الدائمُ على نبي شأنُهُ المراحمُ
وآلهِ الأعرابُ والاعاجمُ ما ذامت الاشياء بالرحمنِ

هذا وقد بقي شيء استميحكم في ذكره وان خرج عن موضوعنا وهو انكاركم على مؤلف المنتخبات العربية قوله ان حسّان بن ثابت عاش في الاسلام ستين سنة مع انَّ وفاته كانت سنة ٥٤ وانما سرى لكم هذا الانكار لاعتباركم السنة الهجريَّة تاريخًا لاوَّل ظهور الدعوة النبويَّة ولو اعتبرتموها تاريخًا للهجرة كما هو الواقع ما استنكرتم هذا القول والله اعلم

(المشرق) نشكر جناب مكاتبنا على ما تفضَّل بهِ من الافادات فنقول انَّا وجدنا الرسالة المنسوبة الى الشيخ الرئيس كما اشار حضرتهُ في ذاك المجموع المبتمّ بطبعهِ احد كبار المستشرقين وصديقنا المأسوف عليه الاستاذ مهرن الذي عرَّب اسمه بميكائيل ابن يحيى الطحَّان. ولم يخطر على بالنا عند طبع الرسالة ان نراجع هذا المجموع الذي ذهلنا عنهُ ومن غريب امر هذه الرسالة انَّ الاستاذ مهرن وجدها في نسختين غير النسخة التي وقفنا عليها في باريس الواحدة منهما في مكتبة ليدن في هولندة وهي كنسختنا تخلو من اسم مؤلفها وعنوانها « رسالة في دفع الغمّ من الموت ». امَّا النسخة الثانية فوجدها في المتحف الآسيويّ في بطرسبرج مصدَّرة بما نصُّه « رسالة للشيخ الرئيس في عدم الخوف من الموت » ثم يبتدئ بالرسالة دون فاتحة . وكنَّا راجعنا في تاريخ الحكماء للقفطيّ وفي طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة جدول مصنَّفات ابن سينا فلم نجد للرسالة المزبورة ذكرًا . واغربُ من ذلك انَّ الرسالة مدرجة في جملة فصول كتاب تهذيب الاخلاق لاحمد بن محمَّد الشهير بابن مسكويه المطبوع غير مرَّة في مصر . ففي المقالة السابعة من الكتاب وهي الاخيرة ذكر المؤلف علاج امراض النفس الغالبة عليها كالحزن والخوف ثم عقَّب ذكر الخوف المطلق بذكر الخوف من الموت هكذا (ص ١١٩ من طبعة سنة ١٢٩٨) : « هذه جملة الكلام على الخوف المطلق . ولمَّا كان اعظم ما يلحق الانسان منهُ هو خوف الموت وكان هذا الخوف عامًا الخ » . فعلى هذا البناء يكون المرجَّح نسبة الرسالة لابن مسكويه لا سيَّما انَّ نسختنا ونسخة ليدن تسكتان عن اسم المؤلف . ولنا برهان آخر على انَّ صاحب الرسالة هو ابن مسكويه وهو خلوّ فصاله من الخاتمة التي زيَّنا رأيها في وحدة النفوس

(اطلب في المشرق حاشية ص٨٤٤) . وقد قابلنا بين نسخة باريس والنسختين المطبوعتين في مصر وفي ليدن فوجدنا بينها عدة روايات متباينة الا ان اكثرها غير جوهري

اما ما افاد جناب المكاتب عن شرح مثلثات قطرب فانه منا عليه الشكر وسنعود اليه ان شاء الله لأننا قد وجدنا في مكتبة برلين نسختين جديدتين مضبوطتين من شرح المثلثات القطربية غير ما رويناه

اما ملحوظنا على ما قال صاحب المنتخبات العربية في حسان بن ثابت فحملناه على تاريخ سنة الهجرة لا على زمن اسلام حسان . على ان تاريخ حسان كما يظهر لا يوثق به ولا يثق في روايته الكتبة اضعفه (اطلب الاغاني واسد الغابة لابن الاثير)

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء الدمشقيين ما هي الآثار الخطية التي وقف عليها علماء الالمان في قبة الجامع الاموي في دمشق

الآثار المكتشفة في قبة الجامع الاموي

ج قبل عشرين سنة بينف رحلنا الى دمشق لنبحث عما فيها من الآثار الخطية وكنا سمعنا بان في القبة التي في صحن دار الجامع الاموي مخطوطات قديمة فتحفينا في السؤال عنها فلم يستطع احد ان يفيدنا من امرها شيئاً بل كان جواب اكثر الذين سألناهم عن القضية ان القبة لا تحتوي غير الصكوك والحجج المختصة بالجامع الاموي . الا ان علماء الالمان لم يكتفوا بذلك ونالوا من كرم جلالة السلطان ان يدخلوا القبة ويفحصوا ما فيها فدخلها البارون فون سودن (von Soden) والدكتور ڤيولت (Violet) فوجدا عدداً لا يُحصى من المخطوطات اكثرها على الرقوق فسعيا بضبطها ومعرفة مضامينها ورسم صورها . وبقي الدكتور ڤيولت اشهراً متوالية يشتغل بذلك . فما اكتشفه قطع متعددة من الاسفار المقدسة من العهدين القديم والجديد باللغة الآرامية الفلسطينية التي بها تكلم السيد المسيح بينها فصول انجيلية ورسائل لبولس الرسول . واكتشف ايضاً عدداً وافراً من الكتابات اليونانية مضمونها صلوات كنسية ورتب طقسية وشذرات كتابية وادبيات دينية وقصص رهبانية وكان في جملتها مزامير عربية مكتوبة بالحرف اليوناني ووجد ايضاً مقاطيع شعرية لاوميروس وكانت هذه

الكتابات اليونانيَّة بخطوط بديعة وبعضها مزدانة بنقوش وقسمٌ من هذه الرقوق حُفَّت كتابتها اليونانيَّة فكُتب فوقها كتابات عربيَّة او سريانيَّة . ومن محتويات القبَّة ايضاً كراريس واوراق متفرّقة بالقبطيَّة والكرجيَّة والارمنيَّة معظمها يشتمل على فقرات من الاسفار المقدَّسة تفيد العلماء للمعارضة على النُّسخ القديمة . واخطر منها شأناً آثار عبرانيَّة وسامريَّة تتضمَّن نسخاً من بعض كتب التوراة وتقاويم لاعياد السامريين وصلوات طقسيَّة تُتلى في الجوامع اليهوديَّة وصكوكاً شتَّى للبيع والاوقاف وعهوداً زواجيَّة . وبينها ايضاً مقاطيع لاتينيَّة وفرنسويَّة قديمة مع قصائد شعريَّة يرتقي عهدها الى الصليبيين وكان بعضٌ منها ملطَّخاً بالدماء مما يدلُّ على انَّها أُخذت في معامع الحروب . وممَّا يُسرّ باكتشافه محبُّو الآثار النصرانيَّة نسخة انجيليَّة يونانيَّة يرقونها الى القرن الرابع وقطع من دياطسّارون طاطيانوس (اطلب المشرق ٤ : ١٠٠) ومن اقوال الربّ التي تنسب الى القديس بابياس تلميذ يوحنَّا الحبيب . وغير ذلك ممَّا لا يسعنا تعداده . وقسمٌ كبير من هذه الآثار قد اهدتهُ الحضرة السلطانيَّة الى الدولة الالمانيَّة فنُقل الى برلين وبذلك نجت تلك الكتابات من ايدي الضياع وآفات التَّلف كالعثّ والرطوبة التي كادت تفنيها

س وسأل من سبرنغفيلد ماس بالولايات المتَّحدة الاديب الياس ميخائيل صليبا ما هي اسماء التلاميذ الاثنين والسبعين الذين اوفدهم الربّ للرسالة كما ذكر لوقا البشير (١٠ : ١)

اسماء التلاميذ الاثنين والسبعين

ج لا يُعرف شيء ثابت من امر هؤلاء التلاميذ . واوَّل جدول سردهُ الكتبة الكنسيُّون لاسمائهم يرتقي الى القرن الخامس ينسب لكاتب سريانيّ اسمهُ عبديا . ثمَّ جاء دوروثاوس في القرن السابع ودوَّن جدولاً آخر شاع من بعده في بعض التآليف . الَّا انَّ هذه الروايات كلَّها لا سند لها . وقد اثبت حضرة الاب اطون رباط في ستَّة اعداد من السنة الثالثة من مجلَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة (ص ٤٧١ الخ) ما وجدهُ في هذا الصدد فليُراجع . وكذلك المنسنيور دوشان (Mgr. Duschesne) والعلَّامة بمشتارك (Baumstark) كتبا في ذلك مقالات انتقاديَّة نشرها الاوَّل في مجموعة اعمال المؤتمرات الكاثوليكيَّة والثاني في مجلَّة الشرق المسيحي (Oriens Christianus) وألَّف مؤخَّراً الدكتور شرمان (Th. Schermann) كتاباً واسعاً في هذا الشأن طبعهُ في ليبسيك

ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الحادية عشرة من مجلّة المشرق ١٩٠٨

العدد ١ (كانون الثاني) التذكار المئويّ لوفاة الفمّ الذهبيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ (١-١٢) = حفلة عرس في عشائر الشركس للاب انطون بوادبار اليسوعيّ تعريب امين افندي مشحور (١٣-٢٠) = اللغة العربية في طور النشوء والتكوّن للاب انستاس الكرمليّ (٢١-٢٨ ; ٣ : ١١-١١٨) = اثر يونانيّ في خزانة القصر السلطانيّ للدكتور توما هودتش (٢٨-٤٢) = لمحة في حوادث العام المنصرم للاب لويس رنزفال اليسوعي (٤٢-٥١ ; ٣ : ١٢٦-١٤٢) = كتابات شرقيّة جديدة مكتوبة على البرديّ ومكتشفة في مصر للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ (٥١-٦٠ ; ٣ : ١١٨-١٢٦) = رسالة المجنديّ في النيل وعرض البلد بلبها رسالة للبيروني في السدس الدخري نشرها الاب ل. شيخو (٦٠-٦٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠-٧٥) ثم شذرات (٧٥-٧٦) ثم اسئلة واجوبة (٧٩-٨٠) وكذلك في آخر كل اعداد السنة

العدد ٢ (شباط) رحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر للاب الفرد دوران اليسوعي (٨١-٩٢) = ديرا لبانوس او دير قديم في الحبشة العليا للسيد لي الاديب عبد الله افندي مخائيل رعد (تابع) (٩٣-٩٨) = نصير الحقّ وقدوة الخطباء قصيدة للشمّاس نعمان البستاني (١٤٣-١٤٢) = الآداب العربيّة في القرن التاسع للاب ل. شيخو (تابع) ١٤٤-١٤٩ ; ٣ : ٢١١-٢٢٠ ; ٤ : ٢٧٣-٢٨٦ ; ٥ : ٢٧٩-٢٨٨ ; ٦ : ٤٥٢-٤٦٥ ; ١٠ : ٧٧٤-٧٨٣ ; ١١ : ٨٥٢-٨٦٣ ; ١٢ : ٩٤٤-٩٥٢)

العدد ٣ (اذار) التهنئة بالاسقف الجديد السيد بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت على الموارنة (١٦١-١٦٣) = الاسقف الصالح قصيدة للخوري يوحنا طنوس (١٦٣-١٦٤) = اكتشاف اثر فينيقي للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ (١٦٤-١٧١) = البارون فيكتور فرن روزن المستشرق الروسيّ للاستاذ انطون خشّاب (١٧١-١٧٣) = تجارة صيداء وزراعتها وصناعتها للاديب توما افندي كيّال (١٧٤-١٨٠) = تربية دود الحرير للامير محمّد فؤاد بك الشهابي (١٨٠-١٩٤) = الاناجيل القانونية واناجيل الزور للاب ل. شيخو (١٩٤-٢٠٥) = الترجمة الحرفيّة السريانية للقس جرجس منش (٢٠٦-٢١١) = الكنيسة الشرقية الاورثذكسيّة للاب فرنسيس تورنيز اليسوعيّ (٢٢١-٢٢٦) = انجيل ملكي سرياني للاب ل. شيخو (٢٢٥-٢٢٧)

العدد ٤ (نيسان) العلوم في السنة ١٩٠٧ للاب اندراوس روشه اليسوعيّ (٢٤١-٢٥٢) = صلبوت بَلِنسية او صلبوت بيروت للاب انستاس الكرملي (٢٥٤-٢٥٧) = هاء التعريف عند البربريين. لهُ (٢٥٧-٢٦٠) = الفتية التوّابون. رواية عربيّة نشرها الاب لويس شيخو (٢٦٠-٢٦١) = رسالة في الحروف العربيّة. من نشره (٢٦٥-٢٧٢) = المفريان باسيليوس اسحق جبّير الموصلي. للقس اسحاق ارملة السريانيّ (٢٨٦-٢٩١) = الصليب في عاديات

رومية وسورية للاب ريه موترد اليسوعي (٢٩١ – ٣٠٢)= كتابة آرامية لزكر صاحب حماة ولمش. للاب سبستيان رتزفال اليسوعي (٣٠٣ – ٣١٠)

العدد ٥ (ايار) بويل سيدة لورد وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان للاب لويس شيخو (٣٢١ – ٣٤٠)= العرس الفضي للمكتب الفرنسوي الطبي للاب موريس كولنجت اليسوعي والدكتور هنري نكر (٣٤١ – ٣٥٤)= السيلي او السلي او بلاد السرق للاب انستاس الكرملي (٣٥٥ – ٣٦٣) = وصف آثار كوم الشقافة للخوري بولس ملحة المارونيّ (٣٦٣ – ٣٦٦)=القديس توما اللاهوتيّ وخلاصته اللاهوتيّة للقس جرجس منش المارونيّ (٣٦٦ – ٣٧٩)= معاهد بغداد العلميّة عند سقوطها الاول. اثر قديم نشره الاب انستاس الكرملي (٣٩٦ – ٣٩٧)= مزامير القديس بوناونتورا بالشعر للشماس داود صليوا الكلداني (٣٩٨ – ٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) معادن الرند الذهبيّة والتعدين في الترنسفال وافريقية الجنوبيّة للاديب اسكندري افندي طحيني (٤٠٢ – ٤١٧ ; ٧ : ٥٠١ – ٥١٠)= التماثيل والذنى في العبادة المسيحيّة للاب لويس شيخو (٤١٨ – ٤٣٩)= نظر انتقاديّ في المطبوعات المصريّة. لهُ (٤٣٠ – ٤٤٠)=كتاب الرحل والمنزل المنسوب لابن قتيبة. نشره الاب ل. شيخو (٤٤٠ – ٤٥٣) = من بوردو الى غرايا كل الاديب المدراوس افندي كوبا الملوليّ (٤٦٥ – ٤٧٢)= قصيدة في الحبر الاعظم يوس العاشر للاديب يوسف افندي سودا (٤٧٨ – ٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) خصائص الموازين العربيّة واصل كيفيّة نشوئها للاب انستاس الكرملي (٤٨٣ – ٥٠٠)= المثل بالمثل للاب رفائيل اليسوعيّ (٥١١ – ٥١٦)= شرح مثلثات قطرب. نشرها الاب ل. شيخو (٥١٦ – ٥٢٢)= عجائب تيت. لهُ (٥٢٢ – ٥٣٦)= سلسلة مطارنة كرسيّ حلب للخوري كيرلس شارون الروميّ الكاثوليكيّ الملكيّ (٥٣٦ – ٥٤٥) = آثار تاريخيّة للسريان. للاب ل. شيخو (٥٤٥ – ٥٥٣)

العدد ٨ (آب) السيد اثناسيوس سفر العطار الماردينيّ للقس اسحاق ارملة السريانيّ (٥٦٣ – ٥٧٠) = اللغة العربيّة والحركات للاب انستاس الكرملي (٥٧٠ – ٥٨٠) = نخبة ثانية من كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة. نشرها وذيّلها بالملحوظات الدكتور بيار كيك (٥٨٠ – ٥٩٤)= معادن الترنسفال غير الذهبيّة. للاديب اسكندر افندي طحيني (٥٩٤ – ٦٠٤)= الزراعة في العراق للاديب يوسف افندي رزق الله غنيمة البغدادي (٦٠٤ – ٦١٧)= تاريخ دمشق لابن القلانسيّ. للاب ل. شيخو (٦١٨ – ٦٢٥) = لغز مطلوب حلّهُ (٦٢٦ ; ١١ : ٨٨٠)

العدد ٩ (ايلول) الحكومة الدستوريّة والقانون الاساسيّ (٦٤١ – ٦٦١)= الخطّ الحمايوني (٦٦١ – ٦٦٤)= العذراء مريم في لبنان للاب ي. ي اليسوعيّ (٦٦٥ – ٦٧٥)= خادم امين رواية افرنسيّة عربها الاديب بشاره خليل الخوري (٦٧٦ – ٦٩٢)= المدارس والهيئة الاجتماعيّة للاب خليل ادّه اليسوعي (٦٩٣ – ٧٠٥) = اصول البلاغة عند العرب لهُ (٧٠٦ – ٧١٤ ; ١١ : ٨٤٥ – ٨٥٣) = سلطة البابا الزمنيّة للاب ش. ا اليسوعيّ (٧١٤ – ٧١٩) = عبلّة الكاملة والقديس اغناطيوس لويولا. للاب خليل ادّه اليسوعي (٧٢٠ – ٧٢٢)

العدد ١٠ (تشرين الاول) رسالة رعائيّة في الحكومة الدستوريّة لسيادة القاصد الرسولي

الاخ فريديانو جيانيني (٧٢٢–٧٢٦) = مؤتمران علميان للاب ل. شيخو (٧٢٧–٧٥١) = كتاب نخب الذخائر في احوال الجواهر لمحمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الشهير بابن الاكفاني (٧٥١–٧٦٥) = البادية والحيرة في مهد بني امية للاب هنري لامنس اليسوعي (٧٦٥–٧٧٣) = حية فوق سرير. تعريب احد طلبة كليتنا (٧٨٣–٧٨٦) = الالفاظ السحرية. نظر للاب ل. شيخو اليسوعي: ١ً الحرية (٧٨٧–٧٩٥؛ ٢ً المساواة ١١: ٨٦٣ – ٨٧٠؛ ٣ً الاخاء ١٢: ٩٢٢–٩٣٨)

العدد ١١ (تشرين الثاني) يوبيلا الحبر الاعظم الكنوتي والاسقفي للاب ل. شيخو (٨٠٢–٨١٧) = صدى المشرق قصيدة للاديب يوسف افندي الفاخوري (٨١٧–٨١٨) = بيوس العاشر ومرصد الفاتيكان. للاب لويس شيخو (٨١٩ – ٨٢٢) = ارعَ خرافي ارعَ نعاجي درس لاهوتي للاب يوسف ديلنيغر اليسوعي (٨٢٢–٨٢٧) = غبة من الارز قصيدة للاخ ب. ب الراهب الماروني (٨٢٧–٨٢٨) = رسالة في الخوف من الموت وحقيقته وحال النفس بعده لاحد فلاسفة المسلمين نشرها الاب ل. شيخو (٨٢٩–٨٤٤؛ ١٢: ٩٥٦)

العدد ١٢ (كانون الاول) اثر عربي نفيس في قدماء الرهبان نشره الاب انستاس الكرملي (٨٨٣–٨٩٣) = الطب في الحبشة للصيدلي عبدالله افندي ميخائيل رعد (٨٩٣–٨٩٩) = الدرة النفيسة في آثار الكنيسة للخوري رفائيل البستاني الماروني (٨٩٩–٩٠١) = ترجمة عربية من الانجيل الطاهر ليشوعياب بن ملكون للاديب يوسف افندي اليان سركيس (٩٠٢ – ٩٠٧) ملحق للاب ل. شيخو (٩٠٧–٩٠٩) = عاقبة الطمع الندامة. رواية معربة عن الفرنسية (٩١٠–٩١٧) = مؤتمران دينيان في عاصمة الانكليز للاب ل. شيخو (٩١٧– ٩٢٢) = التبريد الصناعي لاحد اساتذة كليتنا (٩٢٩–٩٤٣)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن الاكفاني: كتابه نخب الذخائر في احوال الجواهر ٧٥١

اذه (الاب خليل اليسوعي) الحكومة الدستورية ٦٤٣ = العذراء مريم في لبنان ٦٦٥ = المدارس والهيئة الاجتماعية ٦٩٣ = اصول البلاغة عند العرب ٧٠٦ , ٨٤٥ = سلطة البابا الزمنية ٧١٤ = مجلة الكلمة والقديس اغناطيوس لويلا ٧٣٠ = وصفه لبعض المطبوعات ٢٢٤

ارملة (القس اسحاق السرياني) المفريان باسيليوس اسحق جبير الموصلي ٢٨٦ = السيد اثناسيوس سفر العطار الماردينى ٥٦٣

انستاس (الاب الكرملي) اللغة العربية في طور النشوء والتكوين ٢١؛ ٩٩ = صابوت بلغية او صابوت بيروت ٢٥٤ = هباء التعريف عند العبريين ٢٥٧ = السيلي او السيلى او بلاد الشرق ٢٥٥ = نشره لأثر قديم في معاهد بغداد العمومية عند سقوطها الاول ٢٩٦ = خصائص الموازين العربية واصل

كيفيّة نشوئها ٤٨٢ = اثر مرقيّ نفيس عن قدماء الرهبان ٨٨٢
ب . ب (الاخ الراهب المارونيّ) تحيّة من الارز (قصيدة) ٨٣٧
البستاني (الشمّاس سمعان والقس رفائيل) نصير الحقّ وقدوة الخطباء (قصيدة) ١٤٢ = الذرّة النفيسة في مآثر الكنيسة (قصيدة) ٨٩٩
بوادبار (الاب انطون اليسوعي) حفلة عرس في عشائر الشركس ١٢
بيرون (الاب ب . اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٨٧٢
البيروني رسالتهُ في السدس الفخري ٦٨
تورنيز (الاب فرنسيس اليسوعي) الكنيسة الشرقيّة الاورثذكسيّة ٢٢١ = وصفهُ لبعض المطبوعات ٦٢٩
تيمور (احمد باشا) استدراك عن رسالتين ٩٥٨
جوون (الاب بولس اليسوعيّ) وصفهُ لبعض المطبوعات ٤٧٦ ، ٦٢٨ ، ٦٣١
جيانيتي (سيادة القاصد الرسولي فريديانو) رسالتهُ الرعائيّة في الحكومة الدستوريّة ٧٢٢
الحجنديّ رسالتهُ في الميل وعرض البلد ٦٠
خشّاب (الاديب انطون افندي) البارون فيكتور فون روزن المستشرق الروسيّ ١٧١
الخوري (الاديب بشاره خليل) خادم امين (رواية معرّبة) ٦٧٦
دوران (الاب الفرد اليسوعي) رحلة السيّد المسيح الى فينيقية والمدن العشر ٨١
ديلتسبغر (الاب يوسف اليسوعي) درس لاهوتيّ في آية الانجيل ارعَ خرافي ارعَ نعاجي ٨٢٣ = وصفهُ لبعض المطبوعات ٢٢٩ ، ٣١٢ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٥٥٤ ، ٨٧٢
رعد (الصيدليّ عبدالله افندي ميخائيل) دير لبانوس او دير قدم في الحبشة العليا . (تابع) ٩٢ = الطب في الحبشة ٨٩٣
رترفال (الاب سبستيان اليسوعيّ) كتابات شرقيّة جديدة مكتوبة على البرديّ ومكتشفة في مصر ٥١ ; ١١٨ اكتشاف اثر فينيقي ١٦٤ = كتابة آراميّة لزكر صاحب حماة ولش ٢٠٢ = وصفهُ لبعض المطبوعات ٧٤ ، ١٥٠ – ١٥٢ ، ٢٢٧ – ٢٢٨ ، ٢١٢ – ٢١٤ ، ٢٩٠ ، ٤٧٥ ، ٥٥٦ – ٥٥٧ ، ٦٢٦ – ٦٢٢
رترفال (الاب لويس اليسوعيّ) لمحة في حوادث العام المنصرم ٤٢ ، ١٢٦ وصفهُ لبعض المطبوعات ٤٧٦ ، ٥٥٧ ، ٦٢٠
روثه (الاب اندراوس اليسوعي) العلوم في السنة ١٩٠٧ ٢٤١
سودا (الاديب يوسف افندي) قصيدتهُ في المبر الاعظم بيوس العاشر ٤٧٨
شارون (الخوري كيرلّس الروسي الكاثوليكيّ) سلسلة مطارنة كرسي حلب على الملكيين ٥٢٦
شان (الاب ماريوس) وصفهُ لبعض المطبوعات ١٥٠ – ١٥١ ، ٢١٥ ، ٥٥٦ ، ٧٩٦
شيخو (الاب لويس اليسوعيّ) التذكار المئويّ لوفاة الفم الذهبيّ ١ = نشرهُ لرسالة الحجنديّ في الميل وعرض البلد ٦٠ = الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ١٤٤ ; ٢١١ ; ٢٧٢ ; ٢٧٩ ; ٤٥٢ ; ٧٧٤ ; ٨٥٢ ; ٩٤٤ = خطبهُ لسيادة المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت ١٦١ = مجلّة المشرق والدين ١٥٧ = الاناجيل القانونيّة واناجيل الزور ١٩٤ = انجيل ملكي سريانيّ ٢٢٥ = كتاب مخطوط مصوّر للروم الملكيين ٢٢٨ = نشرهُ لرواية الفتية التوّابين ٢٦٠ = نشرهُ لرسالة في الحروف العربيّة ٢٦٥ = موريق وموريقيان ٢١٨ = يوبيل سيّدة لورد وتدشين تمثال مريم العذراء في لبنان ٣٢١ = التماثيل والدُمى

في العبادة المسيحيَّة ٤١٨ = نظر انتقاديّ
في المطبوعات المصريَّة ٤٣٠ = نشرهُ لكتاب
الرحل والمنزل المنسوب لابن قتيبة ٤٤٠ =
المثل بالمثل (رواية) ٥١١ = نشرهُ لشرح
مثلَّثات قطرب ٥١٦ = عجائب بلاد تيبت
٥٢٢ = آثار تاريخيَّة للربان ٥٤٥ =
تاريخ دمشق لابن القلانسيّ ٦١٨ = خرافات
بعض الملحدين ٦٢٧ = مؤتمران عليان في برلين
وكوبنهاغ ٧٢٧ = حيَّة فوق سرير (رواية)
٧٨٢ = الالفاظ السحريَّة: ١ً الحرّيَّة ٧٨٧.
٢ً المساواة ٨٦٣ . ٣ً الاخاء ٩٢٣ = تآليف
جديدة في الحبشة ٨٠٠ = يوبيلا الحبر
الاعظم الكهنوتيّ والاسقفيّ ٨٠٣ = بيوس
العاشر ومرصد الفاتيكان ٨١٩ = نشرهُ لرسالة
احد فلاسفة المسلمين في الخوف من الموت
وحقيقته وحال النفس بعدهُ ٨٣٩ = ملحق
في ترجمة الانجيل لمبد يشوع الصوباويّ ٩٠٧ =
عاقبة الطمع الندامة (رواية) ٩١٠ = مؤتمران
دينيَّان في عاصمة الانكليز ٩١٧ = البريد
الصناعيّ ٩٢٩ ولهُ شذرات واوصاف كتبيَّة
واجوبة وتعريبات في كل عدد من اعداد
المشرق
صليوا (الشمَّاس داود الكلدانيّ) نظم مزامير
القديس برناردوس ٣٩٨ = اللغة العربيَّة
والحركات ٥٧٠
طحيني (الاديب اسكندر افندي) معادن الرند
الذهبيَّة والتعدين في الترنسفال وافريقيَّة
الجنوبيَّة ٤٠٣ ; ٥٠١ = معادن الترنسفال
غير الذهبيَّة ٥٩٤
طنُّوس (الخوري يوحنَّا الماروني) الاسقف
الصالح (قصيدة) ١٦٢
فصن (الخوري مارون) نظمهُ لمثل ٧٦
غنيمه (الاديب يوسف افندي رزق الله) الزراعة
في العراق ٦٠٤
الفاخوري (الاديب يوسف افندي) صدى المشرق
(قصيدة) ٨١٧
فارس (الاديب فليكس افندي) العزاء بالصليب
قصيدة ٧٨
فيلوغرافيّ (الاب يوسف اليسوعيّ) وصفهُ
لبعض المطبوعات ٥٥٥
كتناكيس (الاب ب . اليسوعيّ) وصفهُ
لبعض المطبوعات ٦٣٤
كربا (الاديب اندراوس افندي) من بوردو
الى غرايا كيل ٤٥٢
كورنر (الاب ثيوودو) وصفهُ لبعض المطبوعات
٢٨٩
كولنجت (الاب موريس اليسوعيّ) الدرس
الفنيّ للمكتب الفرنسوي الطبيّ ٣٤١ = وصفهُ
لبعض المطبوعات ١٥٤
گبك (الدكتور بيار) نشرهُ لنخبة ثانية من
كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة مع حواشٍ
٥٨٠
كيَّال (الاديب توما افندي) تجارة صيداء
وزراعتها وصناعتها ١٧٤
لامنس (الاب هنري اليسوعيّ) البادية والحيرة
في عهد بني اميَّة ٧٦٥
ليان (يوسف افندي سركيس) ترجمة عربيَّة
قديمة من الانجيل الطاهر ليشوعياب بن ملكون
٩٠٣
ماريني (الدكتور نابوليون) زيادة اوجاع
المرضى في الليل وسبب ذلك ٨٧٨
محمَّد فؤاد بك الشهابيّ (الامير) تربية دود
الحرير ١٨٠
مسابكي (الاديب ابراهيم يوسف) حلَّةُ للنز ٨٨٠
المطوف (الاديب عيسى افندي اسكندر) قصيدتهُ
في غيبة المشرق ٧٦

مشحور (الاديب امين افندي) تعريبهُ لمقالة حفلة عرس في عشائر الشركس ١٢ .
ملحه (الخوري لويس المارونيّ) وصف آثار كرم الشقافة ٣٦٣
منش (القس جرجس المارونيّ) الترجمة الحرفيّة السريانيّة ٢٠٦ = تآليف مجهولة لشولوي ٢٢٨ = رسالتهُ في موريق وموريقيان ٢١٧ = القديس توما اللاهوتيّ وخلاصتهُ اللاهوتيّة ٢٦٦
موترد (الاب رينه اليسوعيّ) الصليب في عاديات روية وسوريّة ٢٩١ لهُ وصف مطبوعات ٧٠, ٧١, ٤٧٣
نكر (الدكتور هنري) العرس النفسي للمكتب الفرنسويّ الطبيّ ٢٤١
هردتش (الدكتور توما) اثر يوناني في خزانة القصر السلطانيّ ٢٨

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الحادية عشرة من المشرق

الكتب العربيّة والسريانيّة والارمنيّة الخ

ابن القلانسيّ (حمزة) ذيل تاريخ دمشق (٦١٨)
ابو زيد (ناصيف ابن جرجس اللبناني) الدليل المستبين الى تاريخ وشرائع الروم الملكيين (٢٢١)
ابو شادي (احمد زكيّ) ومحمّد رشدي كتاب منهج السلوك في سياسة الملوك للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله (٧١٩)
ابو شادي (احمد زكيّ) ومحمود عبّاس: حدائق الظاهر (٨٧٨)
ابو كرم (الاديب يوسف البرمّاني) تأثري في لورد (٧٩٨)
اخرس (القسّ ميخائيل الحلبي) اطيب المجاني في حياة يوسف كلداني (٢٢٤)
ارملة (القس اسحاق السرياني) كتاب رغبة الاحداث بالسريانية (٢٢٤)
بليط (الورتيت بولس الارمني الكاثوليكي) كتاب الدبراس (٢١٤)
تقويم المشرق لسنة ١٩٠٩ (٨٧٧)
حيقة (المنسنيور بطرس) عواطف الصفا (٧٥)
— (الشقيقان المنسنيور بطرس والقس يوسف) شهادات الكنيسة السريانية المارونية في سرّ الافخارستية (٨٧٦)
الحمصي (قسطاكي بك الحلبي) منهل الورّاد في علم الانتقاد. الجزء الثاني (٢٢٣)
الخوري (شكري افندي) يومٌ في كرم (٨٧٨)
الخياط (محي الدين افندي) دروس القراءة (٤٧٨)
داود (السيّد اقليس يوسف) كتاب جامع الحجج الراهنة (٨٧٨)
ديب (الارشيدريّ ايليّا) مؤنس الجلاّس بفاخر العبّاس (٨٧٨)
سلزاني (الاب ادوار اليسوعيّ) العبادة الحقيقيّة لمريم لبتول الامّ الالهيّة (٧٩٧)
الشرتوني (المرحوم رشيد) مفتاح القراءة (٨٧٧)
شريف (حكمت بك) كتاب الفوائد الكبرى في السياحات الصغرى (٢٩٥)

شلحت (المنسنيور جرجس) الكون والمعيد (٧٥)
شيخو (الاب لويس اليسوعيّ) البلغة في شذور اللغة عشر (٦٣٤) مقالات لغويّة لائمّة كتبة العرب (٦٣٥)
— الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (٦٣٥)
شير (السيّد ادّي رئيس اساقفة سعرد الكلدانيّ) كتاب الالفاظ الفارسيّة المعرّبة (٢٣٣)
صفير (يوسف افندي) مجالي الغرر لكتّاب القرن التاسع عشر (٨٧٦)
ضوّ (الخوري اسطفان) الشاديات : بذة اولى من التواريخ (٧٩٨)
الطرابلسيّ (الحكيم حسني باشا) المختار من ثمرات الحياة (٢١٦)
عبود (رزق الله نعمة الله) اثر حسن لفقيد الوطن (٧٥)
العظم (جميل بك محاسب المعارف) عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فاثنة فأكثر (٧١٦)
عويس (الخوري بولس المارونيّ) في زيارة الابرشيّة (٥٥٨)
غصن (الاب برنردس) الولد والمدرسة (٧٥)
فؤاد بك (الامير محمّد الشهابيّ) الروض النضير في تربية دود الحرير (١٨٠)
قربه (الاب اليسوعي) سيرة حنّة دوك البكر المكرّمة (١٥٧)
كامل (الاديب يوسف) كتاب الصرف الشامل (٢١٦)
كرد علي (محمّد افندي) والشيخ طاهر الجزائريّ : رسائل ابلغاء (٨٠٠)
مارون (الاب كميل) منهاج الخشوع في حبّ يسوع (٢٩٥)
— مفتاح الفلاح في تقديس الارواح (١٥٦)
محمّد حسن محمود وامين افندي عمر : كتاب المنتخبات العربيّة (٨٧٤)
المخزوميّ (مصطفى افندي) هديّة المُقَل (٢١٦)
مخلوف (القاونيّ اسعد روفائيل اللبنانيّ) كتاب اهمّ المعاملات في الصكوك والاستدعاءات (٢١٥)
مراد (الخوري بطرس) مصباح الرشد في عجائب لُرد (٨٧٧)
المعلوف (الاب لويس اليسوعيّ) : المُنجد . معجم مدرسيّ للّغة العربيّة (٤٧٧)
— (عيسى افندي اسكندر) دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (٨٧٥)
منكنا (القس الفنس الكلداني الموصلي) ثلاثة اثار سريانيّة : تاريخ مشيحازخا — وتاريخ دير سبرشوع — وتاريخ يوحنّا برفكايا (٥٤٧ — ٥٥٢)
هفنر (الدكتور اوغست) البلغة في شذور اللغة (٦٣٤)

مطبوعات اوربيّة

Afework (G. J.): Guide du voyageur en Abyssinie (556)
Amedroz (H. F.): History of Damascus by Ibn al-Qalānisi (618)
Baedeker (Karl): Egypte et Soudan, 3e éd. (74)
— Griechenland. 5e Aufl. (313)
Beauvais (Mgr de): La liberté intellectuelle après l'Encyclique « Pascendi » (392)
Benzinger (I.): Hebraische Archaeologie, 2e Aufl. (312)
Beylié (Général de): Prome et Samara (477)

Cavallera (F.) : S. Athanase (229)
Charon (P. Cyrille): Le rite byzantin dans les patriarcats melkites (955)
Chenob (Mohammed ben) : Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb, t. III (394)
Chiha (Habib K.) : La Province de Bagdad (953)
Choupin (P. L. s. j.) : Les Fiançailles et le Mariage. Discipline actuelle (871)
Collangettes (P. M. s. j.) : La Faculté française de Médecine (341)
Crichton (A.) : Ethiopic Grammar by August Dillemann (150)
Curtet (l'abbé) : La Terre Sainte autrefois par aujourd'hui (223)
Daremberg - Saglio - Pottier. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, fasc. 41 (631)
Dufourcq (Alb.) : Histoire comparée des religions païennes et de la religion juive jusqu'à Alexandre (230)
Dupont (J.) : Géographie de l'Empire Ottoman (954)
Durand (Alfred s. j.) : L'Enfance de Jésus-Christ d'après les Evangiles Canoniques (391)
Erman (A.) : La religion égyptienne (228)
Ferrero (G.) : Grandeur et décadence de Rome — V. La République (73)
Fonck (Dr Leopold s. j.) : Wissenschaftliches Arbeiten (872)
Fortescue (Dr Adrian D. D.) : The Orthodox Church (221)
Gabrieli (G.) : Elenco bibliografico (954)
Gallois (E.) : Asie Mineure et Syrie (556)
Gayet (Albert) : La Civilisation Pharaonique (315)
Gellé (l'abbé F.) : Aux Catéchistes (394)
Gemelen (Jac. Van. s. j.) : Principes de linguistique psychologique (630)
Geeje (M. J. de) : Selections from arabic geographical literature (557)
Goudard (Joseph s. j.) : Marie au Liban (558)
Guthe (D. H.) : Geographische Monographien : Palaestina (313)
Hartmann (R.) : Die geographischen Nachrichten über Palaestina and Syrien in Halil az-Zâhiri (151)
Hesseling (D. C.) : Essai sur la civilisation byzantine (626)
Holzmeister (U., s. j.) : II Cor. III. 17 «Dominus autem Spiritus est» Eine exegetische Uebersicht (393)
Jaussen (P. Ant. O. P.) : Etudes Bibliques : Coutumes arabes au pays de Moab (629)
Kaufman (C. M.) : Manuale di Archeologia Cristiana (472)
Khairallah (K. T.) : Autour de la question sociale (720)
ΧΡΥΣΟΣΤΟΜΙΚΑ : Studi e Ricerche intorno A. S. Giovanni Crisostomo, fasc. I (871)
Labauche (L.) : Leçons de Théologie dogmatique (71)
Labriolle (P. de) : Saint Ambroise (631)
Lammens (P. H., s. j.) : Etudes sur le Règne du Calife Omeiyade Mo'âwia Ier (796)
Ledos (G.) : Les grands hommes de l'Eglise au XIX siècle. Le P. de Ravignan (628)
Lees (G. Robinson) : Village Life in Palestine (227)
Lepin (M.) : Christologie (229)
Lermann (Dr Wil.) : Altgriechische Plastik (155)
Leroy (H., s. j.) : Jésus-Christ, sa vie, son temps (156)
Lonsdale and Laura Ragg : The Gospel of Barnabas (204)
Mackinder (H. J.) : Stanfords new orographical Map of Palestine (476)
Maréchaux (D. B.) : Les Litanies du St Nom de Jésus (154)
Margoliouth (D. S.) : Cairo, Jerusalem, Damascus (154)
Maspéro (G.) : L'Archéologie égyptienne, nouv. éd. (152)
Méchélany (J.) : Histoire de la Grèce (797)
Mélanges de la Faculté Orientale, I-III (793)
Meyers Reisebuecher : Turkei, Rumaenien, Serbien, Bulgarien. 7e Aufl. (555)
Migeon (G.) : Manuel d'Art Musulman, 2 vols. (473)
Monceaux (Paul) : Enquête sur l'Epigraphie chrétienne (70)
Nallino (C. A.) : Al-Battani opus astronomicum, *pars II* (153)
Neubert (E.) : Marie dans l'Eglise anténicéenne (633)
Nicholson (R. A.) : A Literary History of the Arabs (390)
Palmieri (P. Aurelio O. S. A.) : La Chiesa Russa (554)

Peeters (P. Paul s. j.) Le Martyrologe de Rabban Sliba (956)
Philip's Scripture Atlas (228)
Pognon (M.): Inscriptions Sémitiques de la Syrie, de la Mésopotamie et de la région de Mossoul (302)
Prat (Ferd., s. j.): La Théologie de S' Paul (553)
Rahmani (Dom. Ignatius Ephrem II): Studia Syriaca. Fasc. II. Apocryphi Hypomnemata Dei Nisen Acta Pilati (558)
Rauschen (Dr): Eléments de Patrologie et d'Histoire des Dogmes (389)
Realencyklopaedie Herzog - Hauck, XX. (626)
Rinaldi (Dot. Luigi): Le parole italiane derivate dell'arabo (556)
Rivière (G.): La terre des Pharaons (151)
Rosen (Felix): Eine deutsche Gesandschaft in Abessinien (150)
Rouillon (P. A.-M.): Sainte Hélène (73)
Sachau (Ed.): Drei aramaeische Papyrusurkunden aus Elephantine (53)
Scebabi (Ambr. Iammin): Dialoghi Italiani Arabi (796)
Scher (Mgr. Addai): Catalogues des Bibliothèques chaldéennes de Mossoul et de Mardin (873)
Schmidt (P. C.): Les sons du langage et leur représentation dans un alphabet général (627)
Schneider (Mgr. Wilhelm): L'Andalû (72)
Seidel (Dr Ernst): Mechitar's Trost bei Fiebern (389)
Strack (Hermann L.): Hebraeische Grammatik mit Uebungsbuch (476)
Tabet (Elie): Dictionnaire Français-Arabe des Termes Juridiques (475)
Thomson (P.): Systematische Bibliographie der Palaestina - Literatur 1895 - 1901 (632)
Uspenskij (Th.): Serailer Oktateuchkodex (38)
Vigouroux, Bacuez et Brassac: Manuel Biblique, t. III, Nouveau Testament (310)
Walters (H. B.): The art of the Greeks (70)

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

١ آثار رومانيّة في تونس ٥٦١ آثار قبّة الجامع الاموي في دمشق ٩٦١ آثار كاذبة ٢٢٠ ; ٤٨٢ ; ٨٨١ آثار كوم الشقافة في الاسكندريّة ٣٦٢ الآثار المخطوطة واقدم ما يُعرف منها ٨٨١ اثر ديني يوناني في رومية ٢٢٧ اثر عربيّ نفيس ٨٨٢-٨٦٣ اثر فينيقيّ اكتشافهُ وشرحهُ ١٦٤
الآداب العربية في القرن التاسع عشر ١٤٤ ; ٢١١ ; ٢٧٢ ; ٢٧٩ ; ٤٥٢ ; ٧٧٤ ; ٨٥٢ ; ١٤٤
آية وام الحوادث فيها ١٢٩
آية الربّ « ارع خرافي ارع تماجي » وشرحها ٨٢٢
ابن الجنيل (عبد الغني الشاعر) ٢٨٥
ابن سينا (الشيخ الرئيس) ونسبة رسالة قديمة اليه ٩٥٨ ; ٩٦٠
ابن الصبّاغ (عبد الحميد الموصلي) ٢٧٨
ابن قتيبة: كتاب الرَّحل والمنزل المنسوب اليه ٤٤٠
ابن الفلاني وتاريخهُ ٦١٨
ابن مسكويه ورسالتهُ في دفع الخوف من الموت ٩٦٠
ابو السعود افندي الكاتب ٨٥٩
ابو عُبَيد كتابهُ الرَّحل والمنزل ٤٤٠
ابو النصر عليّ الشاعر ٨٥٥
الاثمار طريقة جديدة لحفظها ٢٥١

اثناسيوس سفر (السيد العطار الماريني) ٥٦٣
الاخاء (نظر فلسفي في الاخاء) ١٢٣
الاخرس (السيد عبد الغفار) ٧٧٩
الادريسي وجغرافيتهُ ٢٢٠ ; ٦٢٩
ارسلان (الامير محمد) ٢١٣
الارمن وتاريخ الطباعة عندهم ٦٤٠
اريحا وحفرياتها وآثارها ٢١٨
اسبانية سنة ١٩٠٧ ١٢٧
الاسانة: اثر يوناني في خزائنها ٣٨
استدراك عن رسالتين ٩٥٨
اسوج وملكها الجديد ١٢٨
الاشربة والمعاجين ومنشوشاتها ٥٨٨
اصغر مكتبة في العالم ٦٣٩
الأعلام والرايات في الجنائز ٤٠١
افريقية: نظر في بعض احوالها ١٤٠ افريقية الجنوبية ومعادنها ٤٠٢ ; ٥٠١ ; ٥٩٤
اكنسوس (محمد المغربي) ٨٦٢
الاكوادور وبلادها ٤٧٠—٤٧٢
الفاظ اعجمية واصلها ٦٤١ ; ٧٢٢
الالفاظ السحرية ٧٨٧ الحرية ٧٨٨ المساواة ٨٦٢ الاخاء ١٢٣
الله تعالى واحكامهُ ٧٩
المانية واحوالها في السنة ١٩٠٧ ١٢٨
الانوسيون في بغداد ٢١٣ ; ٨٥٣
اليفانتين او جزيرة اسوان: كتاباتها الآرامية ٥١ ; ١١٨
امية: البادية والحيرة في عهد دولة بني امية ٧٦٥
اميركة وبعض ما جرى فيها ١٤١ آثار قديمة للانسان فيها ١٥٧
انتقاد المطبوعات المصرية ٤٣٠—٤٠٤
انجيل — الاناجيل القانونية واناجيل الزور ١١٤
انجيل الطفولية ١٦٠ ; ٢٠٠ انجيل نيقوديموس ١٦٠ ; ٢٠٢ انجيل برنابا ٢٠٤ الانجيل الى البراهمين ٢٠٣ الى المصريين ٢٠٤ انجيل ملكي مرياني ٢٢٥ الانجيل المقدس وتمريبهُ ليشوعياب بن ملكون ٢٠٣ لعبد يشوع الصوباوي ٩٠٧
الانسي (الحاج عمر) ٧٨٣
انطاكية وسلسلة بطاركتها اللاتينيين ٧٢٢
الانكدنيا وصلاحيتها لبعض الامراض ٢٥١
انكلترة في العام المنصرم ١٣٠
اوربا وماجرياتها في العام ١٩٠٧ ١٢٧
الاورثدكسية كتاب جديد في الكنيسة الاورثدكسية ٢٢١
ايطالية والكثلكة ٤٩ احوالها في العام الماضي ١٣١
* ب * البابا بيوس العاشر (اطلب بيوس)
البابا وسلطتهُ الزمنية ٧١٤
البابوية ومقامها (قصيدتان) ٤٧٩ ; ٨٩٩
البازهر وحجرهُ ٧٦٤
البادية والحيرة في عهد بني امية ٧٦٥
باناما ٤٦٩—٤٧٠
بتورسة وعادياتها النصرانية ٢٦٩
البجادي وجوهرهُ ٧٥٦
بجوهي الحاكم الفارسي على يهوذا ١٢٣
البحر فسفورية مياهه ٨١
برتلو (الكيموي الفرنسوي مرسلين) ٢٤٨
برقنكايا (يوحنا) وتاريخهُ ٥٥٢
بركين (السير وليم الكيموي الانكليزي) ٢٥٠
برلين ومؤتمرها التاريخي ٧٤١
برنابا الانجيل المنسوب اليه ٢٠٤
بروجيك والنساء المكتشفة فيها ١٥٧
برهدد ملك آرام ٢٠٨
بطرس والانجيل المرسوم باسمه ٢٠٤ سلطتهُ المائة على الكنيسة ٨٢٣
بغداد ومعاهدها العمومية عند سقوطها الاول ٢٩٦

البلاغة واصولها عند العرب ٧٠٦ ; ٨٤٥
بلجكة سنة ١٩٠٧ ١٢٢
بلنسية والصلبوت المكرّم فيها ٢٥٤
بنو امية وتبذّجم ٧٦٥
بونافنتورا (القديس) ومزاميره المريّة ٢٩٨
البيتوشي (ابو محمد الكردي) ٢٧٦
البيجوري (الشيخ ابراهيم) ٢١٨
بيروت: آدابها في اواسط القرن التاسع عشر ١٤٥ ; ٧٧٤ اسقفها الجديد ١٦١ قصيدة في خنتو ١٦٢ صلبوتها ٢٥٤
بيلاطوس وحكمهُ على السيد المسيح ٤٨٢
بيهم (الحاج حسين) ٨٦٠
بيوس العاشر ويوبيلهُ ٤٨ قصيدة في يوبيله ٤٧٩ يوبيلا بيوس العاشر الكهنوتي والاسقفي ٨٠٢ بيوس العاشر ومرصد الفاتيكان ٨١٩
* ت * التبريد الصناعي ٩٢٩–٩٤٢
تحية من الارز (قصيدة) ٨٢٧
الترجمة الحرفيّة السريانية ٢٠٦
الترنسفال وانتخابات مندوبيها ١٤١ لائحة معادنها ومحصولاتها ٢٩٨ معادنها الذهبية وغيرها ٤٠٢ ; ٥٠١ ; ٥٩٤
تقلاهيمانوت الاسقف الحبشي الكاثوليكي ٩٢
تلاميذ الرب الاثنان والسبعون ٩٦٢
التلغراف آلة تلغرافية جديدة ٢٤٢ التصوير التلغرافي ٢٤٢–٢٤٣ التلغراف الايثيري ٢٤٥
التليفون الايثيري ٢٤٥
التماثيل والدُّمى في العبادة المسيحيّة ٤١٨
التوراة: اكتشاف نسخة يونانية من بعض اسفارها ٢٨ التوراة السريانية وترجمتها الحرفية ٢٠٦
التولوي (الخوري بطرس الفيلسوف) وبعض تآليف مجهولة لهُ ٢٢٨
توما الرسول والانجيل المنسوب اليهِ ١٩٩
توما اللاهوتي القديس وخلاصتهُ اللاهوتية ٢٦٦
تونس وآثارها الرومانية ٥٦١
تيت وعجائبها ٥٢٢ جغرافيتها وآثارها ٥٢٣ الرحل اليها ٥٢٦ سكّانها ٥٢٠ تاريخها ودينها ٥٢٢
* ج * الجامع الاموي وآثارهُ ٩٦١
جانسن الفلكي الفرنسوي ٢٤٣
جُبَير (المفريان ايليوس اسحق) ٢٨٦ تعريبهُ لخلاصة مار توما اللاهوتية ٢٧٦
الجرائد في تركيا وتاريخها ١٤٤
الجَهْل في بطل الشريعة ٤٠٢
الجواهر: رسالة قديمة في اشكالها وخواصّها ٧٥١
* ح * الحبش الوفد الحبشي في الاستانة ٤٥ في روبة ٤٩ امور الحبشة سنة ١٩٠٧ ١٤٠ الطب في الحبشة ٨٩٢
الحثيون وآثارهم ٨٧٩
الحجاز: سكّتهُ الحديدية ٤٢
الحديد ومناجمهُ في العالم ٥٦١ معادنهُ في جنوبي افريقية ٦٠١
الحرائري (سليمان التونسي) ٢٧٩
الحركة وسرعة انتقالها ١٥٨
الحركات في اللغة العربية ٥٧٠
الحروف العربيّة ورسالة فيها ٢٦٥
الحريّة (نظر فلسفي في الحريّة) ٧٨٨
الحسبة: نخبة من كتاب في الحسبة ٥٨٠
الحفريات الحثيّة ٨٧٩
الحكومة الدستوريّة وقانونها ٦٤٢ رسالة رعائية في الحكومة الدستوريّة ٧٢٢
حلب: سلسلة مطارنتها الملكيين ٥٢٦
الحلّاج ولغزهُ ٦٢٦ ; ٨٨٠
الحمامة والقرد (مثل منظوم) ٧٦
حماة ملكها زكر وكتابتهُ ٢٠٣–٢١٠
حيّة فوق سرير (رواية) ٧٨٢
الحيات وعلاج الملدوغين بسمّها ٢٥٢

* خ * خادم امين (رواية سرّية) ٦٧٦
خرافات الملحدين ٦٢٧
الخطّ الهمايوني السلطاني ٦٦١
الخلاصة اللاهوتية للقديس توما اللاهوتي ٢٦٦
الخنزير وأكل لحمه شرعاً وصحّةً ٥٦٢
الخنساء (موقع هذه المدينة) ٨٠
* د * دانا ودير سنبل وعادياتها ٢٩٩
الدانمرك سنة ١٩٠٧ ١٣٢
دبرا ليانوس سياحة الى هذا الدير في الحبش ٩٢
الدحداح (الشيخ مرعي) ٢٨٨
الدرّة النفيسة في مآثر الكنيسة (قصيدة) ٨٩٦
الدرويش (السيد علي الشاعر) ٢١٥
الدستور والحكومة الدستوريّة ٦٤٢
دمشق وتاريخها لابن القلانسي ٦١٨ آثار جامع دمشق الاموي ٩٦١
الدُّمى المقدّسة وأكرامها ٤١٨
دود الحرير وتربيتهُ ١٨٠
الدولة العلية وحوادثها في السنة ١٩٠٧ ٤٢ قانونها الدستوري ٦٤٥
دير سبريشوع وتاريخهُ ٥٥١
الدين بعض الوجدان ٥٦٠
* ر * رافائيل المصوّر وفن احدى صوره ٦٢٩
الرجوم في مرصد الفاتيكان ٧٩
رحلة السيد المسيح الى فينيقية ٨١
رحلة الى شمالي اوربّة ٧٢٧
رحلة من بوردو الى غواياكيل ٤٦٤
رسالة في الحروف من الموت وحقيقته وحال النفس بعدهُ لاحد فلاسفة الملحدين ٨٢٩ ; ٩٥٨ ; ٩٦٠
رسالة في الحروف العربيّة ٢٦٥
رفاعة بك الطهطاوي ٧٧٨
الركوسية: عود على بدء ٤٨٠
الرند ومعادنهُ الذهبية ٤٠٢ ; ٥٠١
الرهبان واحوالهم قديماً ٨٨٧–٨٩٢
روايات: الفتية الترّابون ٢٦٠ المثل بالمثل ٥١١ خادم امين ٦٧٦ حيلة فوق سرير ٧٨٣ عاقبة الطمع الندامة ٩١٠
الروايات التشخيصية المطبوعة ٦٤٣
روديسيا وذهبها ٥٠٨
روزن (البارون فيكتور فون روزن) ١٧١
روسيّة والكثلكة ٤٩ روسيّة في سنة ١٩٠٧ ١٣٤
رومانية سنة ١٩٠٧ ١٣٤
رومية محفلها العلميّ الكاثوليكيّ ٤٧ عاديات الصليب فيها ٢٩١
الرئاسة البطرسيّة وآية الربّ: «ارعَ خرافي ارعَ نعاجي» ٨٢٢
* ز * الزراعة في العراق ٦٠٤
الزمرُّد وخواصّهُ ٧٦٠
الزلازل ومؤثرها ٢٥٠
الزهد واثر قديم في تاريخهِ ٨٨٢
الزواج ومانع القرابة الروحيّة ٤٨٢
زيدان (جرجي افندي) وكتابهُ في الالفاظ العربيّة والفلسفة اللغويّة ٤٨٢ — ٤٩٠
* س * سبريشوع تاريخ ديره ٥٥١
السدس الفخريّ ورسالة البيروني فيهِ ٦٨
سرجلّة وعادياتها النصرانيّة ٢٩٩
السرطان وعلاجهُ ٢٥٢
السرّق (موقع هذه البلاد) ٢٥٥
السريان: آثار تاريخيّة للسريان ٥٤٥
سفر (السيد اثناسيوس العطّار الارديني) ٥٦٢
السكك الحديديّة في العالم ١٥٩ في الممالك المحروسة ٤٣ في اوربّة سنة ١٩٠٧ ٦٢٨
سلطة البابا الزمنيّة ٧١٤
السلفيّ (السيّد عبد الفتّاح) ٢٨١

السلّ وعلاجهُ ٢٥٢
سنابلط حاكم السامرة الفارسيّ ١٢٢ — ١٢٤
السنة المالية العثمانيّة ٥٦٢
سوريّة والصليب في عادياتها ٢٩١
السويديّون في العراق ٢٧٥
السّبلي او السّبّلي او بلاد السرق ٢٥٥
* ش * شبلي (سيادة المطران بطرس) ١٦١ — ١٦٣
الشدياق (الشيخ طنّوس) ٢٨٦
الشركس : حفلة عرس في عشائرهم ١٢
شهاب الدين المصريّ الشاعر ٢١٦
* ص * الصحّة والدروس الصحيّة سنة ١٩٠٧ ٢٥٢
صدى المشرق (قصيدة) ٨١٧
صلبوت بلنسية او صلبوت بيروت ٢٥٤
الصليب والعزاء به (قصيدة) ٧٨
الصليب في عاديات رومية وسوريّة ٢٩١
الصليبيّون وامراؤهم في طرابلس ٨٠٢
الصناعة وترقّيها في عام ١٩٠٧ ٢٥٠
صهيون وعايتهُ ٨٠٣
صور وصيداء ورحلة السيّد المسيح اليها ٨٢ — ٨٥
الصيادلة وغشوشهم ٥٨١
صيداء مرور السيّد المسيح فيها ٨٢ تجارتها وصناعتها وزراعتها ١٧٤ عادياتها النصرانيّة ٢٩١
الصين سنة ١٩٠٧ ١٢٩
* ط * الطبّ وترقّيه سنة ١٩٧٠ ٢٥٢
الطبّ في الحبشة ٨٩٢
طرابلس : الامراء الصليبيّون فيها ٨٠٢
* ع * عاقبة الطمع الذامة (رواية) ٩١٠
العام المنصرم واهمّ حوادثهِ ٤٢ ; ١٢٦
عبد الباقي العمري الفاروقي ٢٨٢
عبد الجليل البصري الشاعر ٢٧٦
عبد يشوع الصوباويّ وتعريبهُ للانجيل ١٠٧
عجائب تيت ٥٢٢
العجم والشاه الجديد ١٢٩
العراق وزراعتها ٦٠٤
العرب واصول البلاغة عندهم ٧٠٦ ; ٨٤٥
العربيّة (اطلب اللغة العربيّة)
العربيّة وتاريخ آدابها في القرن التاسع عشر (اطلب الآداب)
العرس الغنيّ للمكتب الفرنسوي الطبيّ ٢٤١
العصريّون واضاليلهم ٤٦
عطارد السيّارة ٢٤١
العطّارون وغشوشهم ٥٦٠
العقاقير وغشوشها ٥٨١
العلوم في السنة ١٩٠٧ ٢٤١
العنب وخواصّهُ الصحيّة ٢٥١
العهد القديم والاسفار المفقودة منهُ ٣٤٠
العوراء (ابراهيم) ٢٨٧
* غ * غليوم الثاني وخطبتهُ في وجوب الدين ١٥٧
غوايا كيل واوصافها ٤٧٠
غودار (الاب يوسف) انتقاد كتابهِ العذراء مريم في لبنان ٦٦٥
* ف * الفاتيكان الرجوم في مرصد الفاتيكان ٢٩ بيوس العاشر ومرصد الفاتيكان ٨١٦
الفازهر او الازهر ٧٦٤
الفاروقيّ (عبد الباقيّ الشاعر) ٢٨٢
الفتية التوّابون (رواية تاريخيّة) ٣٦٠
الفحم ومعادنهُ في افريقية الجنوبيّة ٥٩٦ الفحم الحجريّ فيها ٦٠٢
فرنسة والكرسيّ الرسولي ٤٥ — ٤٦ احوالها سنة ١٩٠٧ ١٢٥ تجارتها ٥٦١
فسفوريّة مياه البحر ٨٠

الفضّة ومعادنها في جنوبيّ افريقية ٥٩٩
فنازويلا ٤٦٨
الفيروزج وتعريفهُ ٧٦١
فيكتور ڤون روزن المستشرق الروسيّ ١٧١
فينيقية : سياحة السيّد المسيح فيها ٨١ اكتشاف اثر فينيقيّ وشرحهُ ١٦٤
* ق * القانون الاساسيّ في الدولة العثمانيّة ٦٤٥
قبّادو (السيّد محمود ابو الثناء) ٢٨٠
القبر المقدّس والصلاة المكتشفة فيهِ ٢٣٠
القداس والقربان الممنوحة لمن يحضرهُ ٨٨٣
قراعلي (المطران عبدالله) ضبط اسمهِ ٦٤١
القربان الاقدس والاستحالة فيهِ ٢٣٩ — ٢٤٠
قطرب : شرح مثلّثاتهُ ٥١٦
قفقاز (اسير قفقاز او خادم امين) ٦٧٦
قورش : كتابة يونانيّة نصرانيّة فيها ٢٣٩
قيساريّة فيليبس : موقعها وما جرى للمسيح فيها ٨٩ — ٩١
* ك * الكاثوليك في تركيا ٤٥ في روسيّة وايطاليا ويابان ٤٩ في الولايات المتّحدة واوستراليا ٥٠ في المانية ١٣٩
كتاب الارشاد ومؤلفهُ ٨٨٣
كتاب الرّحل والمنزل ٤٤٠ — ٤٥٣
كتاب نخب الذخائر في احوال الجواهر ٧٥١
الكرسيّ الرسوليّ واحوالهُ في السنة ١٩٠٧ ٤٥
كسروان ورصفهُ ٦٧٣
كلارك (اغنس الفلكيّة الانكليزيّة) ٢٤٣
كلفن (اللورد الانكليزيّ والعلّامة والطبيعيّ) ٢٤٨
الكلمة : ردّ على هذه المجلّة ٧٣٠
الكلّيّة الغريغوريّة في رومية ١٥٦
الكنيسة ومآثرها (قصيدة) ٨٩٩
الكنيسة الشرقيّة الاورثدكسيّة ٢٢١
كوبنهاغ ومؤتمر المستشرقين فيها ٧٤٦
كولمبية ٤٦٩
كوم الشقافة وآثارها في الاسكندريّة ٢٦٣
الكيميا في السنة ١٩٠٧ ٢٤٨
* ل * اللؤلؤ ورصفهُ ٧٥٧
اللاتينيّة واليونانيّة ودرسهما ٤٨١
اللاتينيّون وسلسلة بطاركتهم الانطاكيين ٧٢٢
لافونت (الاب اليسوعيّ الفلكيّ) ٦٢٨
لبنان : تدشين تمثال العذراء في اعاليهِ ٢٢١ ; ٢٢٤
العذراء مريم في لبنان ٦٦٥
اللغة الآراميّة : كتابات على البردي منها وُجدت في مصر ٥١ ; ١١٨ كتابة آراميّة لزكر صاحب حماة ولمش ٣٠٢
اللغة الارمنيّة وتاريخ طباعتها ٦٤٠
اللغة السريانيّة وترجمتها الحرفيّة ٣٠٦
اللغة العبرانيّة والتعريف فيها ٣٥٧
اللغة العربيّة : مقالة في طور نشوئها ٣١ ; ٩٩
رسالة في حروفها ٣٦٥ خصائص موازينها ٤٨٣
اصل حركاتها ٥٧٠
اصول البلاغة العربيّة ٧٠٦ ; ٨٤٥
لندن : مؤتمر الانكليكان فيها ٦١٨ المجمع القربانيّ للكاثوليك ٩٣٤
لورد (بربيل ظهور السيّدة فيها) ٣٣١ مطبوعات من سيّدة لورد ٤٠٣ ; ٧٩٨
* م * مؤتمران علميّان في برلين وكوبنهاغ ٧٢٧ مؤتمران دينيان في عاصمة الانكليز ٦١٧
الماس ومعادنهُ في الترنسفال ٥٩٤ — ٥٩٦ ضروبهُ وخواصّهُ ٧٥٦
الماسون وتاريخ نشأتهم ٨٠٣
متّى : الانجيل المنسوب اليهِ في ولادة العذراء ١٩٩

اثل بالمثل (رواية) ٥١١
مثلثات قطرب وشرحها ٥١٦
مجدي بن صالح الشاعر ٨٥٨
محمود صفوت الشاعر ٨٥٧
المحفل العلمي الكاثوليكي في رومية ٤٧
مخطوطات : انجيل ملكي سرياني ٢٢٥ كتاب
لبتورجيات مصوّر ٢٢٨
المخلّع (جبرائيل الدمشقي) ٢٨١
المدارس والهيئة الاجتماعية ٦٩٢
المدن العشر وتجوّل السيّد المسيح فيها ٨١
المدنّب دانيال ٢٤٢
المراكب الحربية واصنافها الجديدة ٤٦٢ —
المرتينك ٤٦٧
المريخ ونوع هذه السيارة ٢٤٢
مرزوق (ابرهيم بك الشاعر) ٢١٨
المرضى وزيادة اوجاعهم يلاً ٨٧٨
مريم العذراء : انجيل ولادتها ١٩٩ يوبيل ظهورها
في لورد وتدشين تمثالها في لبنان ٢٢٢ مريم
العذراء في لبنان ٦٦٥ مزامير القديس
بوناوتورا المريمية ٢٨٧ مريم العذراء ودار
يوسف الحبيب في القدس ٨٠١
المساواة (نظر فلسفي في المساواة) ٨٦٢
المستشرقون في اواسط القرن التاسع عشر ٤٥٣
الفرنسويون ٤٥٣ الالمانيون ٤٥٦ النمسويون
٤٦٠ الهولنديون ٤٦١ الانكليز ٤٦٢
الروسيون ٤٦٣ الاسبانيون والايطاليون ٤٦٤
الاميركيون ٤٦٥
المسلمون والادباء بينهم في اواسط القرن التاسع
عشر ٢١١ ; ٢٧٣ ; ٢٧٩ ; ٧٧٨ ; ٨٥٣ ;
٩٤٤
المسيح (السيّد) ورحلته الى فينيقية والمدن العشر
٨١ سنة وشهر ويوم وفاته ٣١٩ الزمن الذي
قضاه في قبره ٢١٩ اثر مصنوع فيه ٨٨١
المسيحيون واكرامهم للتماثيل والدمى المقدسة
٤١٨ ادباء المسيحيين في القرن التاسع عشر
٢٨١ ; ٩٤٦
مشاكل كتابية وحلها ١٥٩ ; ٤٠١ ; ٨٨٣
مشاكل لغوية ٨٨١
مشيخازخا وتاريخه ٥٤٧ — ٥٥١
مصر سنة ١٩٠٧ ١٤٠ كتابات شرقية مكتشفة في
مصر مكتوبة على البردي ٥١ ; ١١٨ نظر
انتقادي في مطبوعات مصر العربية ٤٣٠
المطبوعات المصرية وانتقادها ٤٣٠
المطر : نجاة النفوس المطهرية ٧٩
المطاحين والاشربة المشوشة ٥١١
معادن الرند الذهبية ٤٠٣ ; ٥١ تاريخ الرند
واكتشاف معادنه ٤٠٤ جيولوجيته وتعدينه
٤١٠
المعاوف (ناصيف) ٨٢٧
المعربان باسيليوس اسحق جبير (اطلب
جبير)
المكتب الفرنسوي الطبي وعرسه الفضي ٢٤١
مكتبة باريس العمومية ٨٠٠ اصغر مكتبة في
العالم ٦٣٩
ملح او ملاحة وموقعها القديم ٣٠٨ — ٣٠٩
الملحدون وخرافاتهم ٦٢٧
الملكيون : انجيل سرياني ملكي ٢٢٥
المندسون في عهد الدولة الديلمية ٦٩
الموازين العربية واصل كيفية نشوئها ٤٨٣
مواسان (الكيموي الفرنسوي هنري) ٢٤٩
الموت ورسالة في الخوف منه وحقيقته وحال
النفس بعده ٨٢٩
موريق وموريقيان ٢١٧ — ٢١٨
الموصلي (الشيخ عبد الحميد) ٢٧٨ (الشيخ
علاء الدين) ٢٧٧
الميل وعرض البلد رسالة فيهما للخجندي ٦٠

* ن * ناتال الذهب فيها ٥٠٦
نامير اليازجيّ (الشيخ واسرتهُ) ٩٤٦
النجار (ابرهيم بك) ٢٨٦
النحاس ومعادنهُ في جنوبي افريقية ٦٠٠
النصارى والآداب العربيّة بينهم في اواسط القرن التاسع عشر ٢٨١ ؛ ٩٤٦
النفائس (مارون) ٢٨٢
نمبة والمنجر واحوالهما سنة ١٩٠٧ ١٢٧
نهاية الرتبة في طلب الحسبة : نخبة ثانية منهُ ٥٨٠
نيقوديموس والانجيل المنسوب اليهِ ٢٠٢
* ه * هاء التعريف في العبرانيّة ٢٥٦
الهواء الاصفر وعلاجهُ ٨١٠
الهواء السيّال وخواصّهُ ٢٤١
هولندة في العالم المتصرم ١٢٨
الهيئة والمظاهر الجويّة في السنة ١٩٠٧ ٤١
الهيئة الاجتماعيّة والمدارس ٦٢٣
هيكل جزيرة اسوان لقدماء اليهود ١١٩ هيكل تلّ اليهوديّة ١٢٠
* و * الورق ومعاملهُ في العالم ٦٢٩
الوائلي (الشيخ عثمان) ٢٧٧
الولايات المتحدة وما جرى فيها سنة ١٩٠٧ ١٤١
* ي * اليابان سنة ١٩٠٧ ١٢٩
اليازجي (الشيخ ابراهيم) تفنيد بعض مزاعمهِ اللغويّة ٢٢ — ٢٦
— (الشيخ ناصيف وبنوهُ) ١٤٦
اليسوعيّون رحلهم الى بلاد تيبت ٥٢٧ وفاة يسوعيّ فلكي ٦٢٨
يشوعاب بن ملكون وتعريبهُ للانجيل ٩٠٢
الياقوت واصنافهُ وخواصّهُ ٧٥٢
يعقوب الرسول : الانجيل المنسوب اليهِ ١٩٨
يعقوب بن زبدى وانجيلهُ ٢٠٥
اليهود في جزيرة اسوان في القرن السادس قبل المسيح ١١٨ ؛ ٦٠
يوبيلا الحبر الاعظم الكهنوتيّ والاسقفيّ ٨٠٢ — ٨١٧ قصيدتان في تهنئتهِ : صدى الشرق ٨١٧ وتحيّة من الارز ٨٢٧
يوحنان رئيس الكهنة على اليهود ١٢٣
يوحنّا الحبيب ودارهُ في القدس ٨٠١
يوحنّا فم الذهب : تذكار المئة الخامسة عشرة لوفاتهِ ١ — ١٢ قصيدة في مآثرهِ ١٤٢
اليونانيّة : اثر يونانيّ في القصر السلطاني ٢٨ درس اليونانيّة ٤٨١ كتابة يونانيّة مكتشفة في نورش ٢٢٩

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٤ السطر ١٩ « اهلة » صوابهُ « إهلّا » = ٦ : ٤ « خرق القتاد » ص « خرط القتاد » — ١٦ « ينبغي على الاسقف » ص « للاسقف » = ٧ : ٢٠ « الرمويّة » ص « الراعويّة » = ٩ : ٢ « ألمّنا اليها » ص « أملنا » = ١١ : ٥ « يُلي » ص « يُلي » — ١١ « مأوى » ص « مآوٍ » = ١٤ : ١٢ « حلية الافراح » ص « جلبة » = ١٦ : ١٢ « ثمّ فينضمّ » ص « ثمّ ينضمّ » — ٢٢ « اصطبحنا » ص « أصبحنا » = ٢٤ : ١١ و ١٢ « السنة » ص « السنّة » = ٢٩ : ٢١ و ٢٢ « التذليل » ص « التذبيل » = ٣١ : ١٢ « المجيد » ص « المجين » = ٣٢ : ٢٦ « قد قدّرت » ص « ان قدّرت » ٣٧ : ١٢ « خمجزي » ص « خمجرى » = ٣٨ : ٩

السنة الثانية عشرة العدد ١ كانون الثاني ٣٠ ١٩٠٩

المشرق

التفات سامٍ في رأس العام

رفعت ادارتا البشير والمشرق الى اعتاب الكرسي الرسولي تهانئهما بمناسبة يوبيل امام الاحبار بيوس العاشر وقدمتا ثلاث نسخ من العددين اللذين خصّتاهما لهذا الموسم المأنوس واحدة لقداسته واثنتين لكلٍّ من نيافة الكردينالين مري دلفال كاتب اسرار الحضرة البابوية وايرونيموس غوتي رئيس مجمع انتشار الايمان . فتنازل الحبر الاعظم وبلّغ الادارتين بركتهُ الرسولية مع رقيم شريف بالفرنسوية مُمضى بيد وزير دولته . هذا تعريبهُ :

ايها الاب المحترم

ان الاب الاقدس قد تقبّل بكل ارتياح ورضى الرسالة التي رفعتها ادارة جريدة البشير وادارة مجلة المشرق الى مقامهِ السامي بمناسبة يوبيله الكهنوتي . وقد كلّفني قداسته بالشكر لكم على تهانئكم وادعيتكم وعواطف خضوعكم واكرامكم

وانّ قداستهُ يطلب من الاله القدير ان يزيد في نجاح الاعمال التي تقومون بها في الشرق لخلاص الانفس والدفاع عن حقوق الكنيسة المقدسة . وبكل رضى يمنحكم البركة الرسولية دلالة على سروره وانعطافه الابوي نحوكم

وتقبّلوا ايها الاب المحترم شكري لما اهديتموه اليّ من اعداد صحيفتيكم مع عواطف إخلاصي بالرب ر . كردينال مري دلفال

فنشكر لابي المؤمنين سمو التفاته الى مساعينا الضعيفة واستبشرنا بهذه النعمة في رأس عامنا الجديد . ونحن ننتهز هذه الفرصة لنجاهر بطاعتنا التامة لكل تعاليم نائب المسيح على الارض واعتصامنا بركنه الذي لا يتزعزع ما كرّ الملوان وتعاقب الجديدان

امّا نيافة الكردينال غوتي فكان جوابهُ باسمهِ في الايطاليَّة كما تعريبهُ :

ايها الآباء المحترمون

بكل سرور تقبلت من ابويتكم عددي جريدة البشير ومجلة المشرق اللذين في حكم البنوي نحو الحبر الاعظم قد ابرزتموهما في حلَّة بهية بمناسبة يوبيل قداسته الكهنوتي

وانني اشكر لكم عواطفكم الرقيقة واعتبر هديتكم عزيزة جدًّا فضلًا عن انها تذكّرني بالخير العظيم الذي تفعلونه بين تلك الشعوب بواسطة الصحافة الصالحة . وبما ان اكثر الموانع التي تعيق انتشار ديانتنا المقدَّسة فيما بين المبتدعين والغير المؤمنين تسببه لا شك التآليف والنشرات الفاسدة فانتم تستحقُّون كل ثناء لانكم لا تألون جهدًا في ان تستعملوا لصلاح الهيئة الاجتماعية والدفاع عن الكنيسة المقدَّسة عين الاسلحة التي يستعملها الاعداء لمناصبتها

وانا ابتهل الى الرب القدير كي يشدّد ازركم في هذا العمل الشريف ولاسيما للتغلب على المصاعب التي تحول دون بلوغ الغاية الحميدة التي تتوخونها واطلب من جوده تعالى ان يشملكم بأسمى بركاته التي ارجوها من كل قلبي لكم واستدرّها على الاعمال التي تتحمَّلون اعباءها بكل غيرة ونشاط

المخلص لحضرتكم

الكردينال غوتي

رئيس مجمع انتشار الايمان

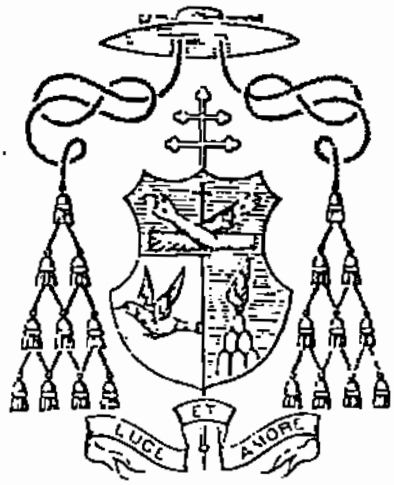

لمحة تاريخية في القصادة الرسولية في سوريا

للاب لويس شيخو اليسوعي

يسرّنا ان نفتتح هذه السنة الجديدة من مجلة المشرق بتقدمة واجبات التهاني لسيادة قاصدنا الرسولي فريديانو جنيني الجزيل الشرف والفائق الاحترام لبلوغه السنة الخامسة والعشرين من كهنوته المقدس. فهذا ربعُ قرن قضاه سيادتهُ في كلّ اعمال الصلاح من تعليم وارشاد وتوزيع اسرار وتأليف ورئاسة وانشاء مشروعات خيريّة استحقّ لها شكر الكنيسة وجميع ابنائها وخصوصاً اولئك الذين نالوا سهماً من تلك المبرّات والنعم. فننتهز نحن ايضاً هذه الفرصة لنبدي لسيادته ما تكنّهُ صدورنا من سامي الاجلال والحبّ البنوي لشخصه الكريم ونلتمس من ابي المراحم ان يكافئ هذا الحبر الجليل عن مساعيه الصالحة لمجد الكنيسة ولخير وطننا العزيز وينسئ في اجله ليواصل اعماله المبرورة ويعزّز بين الشرقيين سلطة الكرسيّ الرسوليّ الذي هو يمثّلهُ فيرى الخراف كلّها في حظيرة الراعي المُقام من الربّ لتدبيرها وقيادتها الى غايتها القصوى

وقد رأينا بمناسبة هذا الموسم الشريف ان نلخّص على صفحات المشرق تاريخ

القصادة الرسولية في سورية ونقسم هذه المقالة الى قسمين نذكر في اولها آثار القصاد الرسوليين الذين وجّههم الاحبار الرومانيّون الى هذه البلاد في امور موقّتة منذ الزمن القديم . ونخصّ القسم الثاني بتاريخ ممثلي الكرسيّ الرسوليّ منذ انشاء القصادة المنظّمة في اواسط القرن الثامن عشر

١ القصّاد الرسوليّون الموقّتون

قد عرف نوّابُ السيّد المسيح وخلفاء بطرس هامة الرسل انّ رعايتهم العامّة لكلّ الكنائس تستدعي التفاتهم الى كلّ قطر من الاقطار الخاضعة لسلطانهم السامي . الّا انّ هذه العناية العموميّة لا يمكنها ان تشمل الكنائس البعيدة ما لم يُفوّض أمرها الى رؤساء محلّيين يخصّونها بهمّتهم ويتوسّطون بينها وبين زعيمها الاكبر ورأسها الاوّل فيبلّغون اولئك الرُعاة المتفرّقين اوامرهُ ونواهيهُ وبواسطتهم تمتدّ عنايتهُ العليا الى رعاياهم

وليس هذا القول حدساً وتخميناً فانّ لدينا عدّة رسائل للاحبار الرومانيين ترتقي الى قرون النصرانيّة الأولى اوفدوها الى بعض اصحاب الكراسيّ الحقيقة يتّلدونهم فيها النظارة على الكنائس القريبة منهم وعلى الاساقفة المجاورين لهم لينظروا شؤونهم ويحكموا في دعاويهم ويرشدوا ضالّيهم الى غير ذلك من حقوق السلطة كانوا يجعلونها في حوزتهم ليساعدوهم في اعباء رئاستهم ويشاركوهم في تدبير الحراف الناطقة الموكولة الى همّتهم

ومن المعلوم انّ اصحاب الكراسيّ الممتازة في امّهات المدن الشرقيّة كانوا يُخوّلون مثل هذه السلطة فضلًا عن سواهم لمقامهم الرفيع في حواضر البلاد اخصّهم صاحب الكرسيّ الانطاكيّ الذي كان انشأهُ بطرس الرسول بعينهِ وصاحب الكرسي الاسكندريّ الذي اقامهُ على يد تلميذهِ مرقس ثمّ اصحاب الكراسيّ الرسوليّة كقسّالونيقية وكورنثس وافسس والقيساريّة ثم بعد مجمع نيقية صاحب كرسيّ القدس الشريف وصاحب كرسيّ القسطنطينيّة . فكلّ هؤلاء كانوا ينالون في بعض الاحيان اما بوجه ثابت مستديم او بوجهٍ موقّت من رؤساء الاحبار ان يمثلوهم في الجهات التي لا يستطيعون نظارتها بأنفسهم . وكان الناظر الرسولي على بلاد الشام خاصّةً

مدبر كرسي انطاكية كما تشهد عليه المناشير البابوية الموجهة الى بطاركة هذا الكرسي في اجيال مختلفة نخص منها رسائل القديس غريغوريوس الكبير كما بينا ذلك في ترجمة حياته (في المشرق ٧: ٩٩٥ — ٩٩٧)

ثم فشت في انحاء الشرق البدع والاضاليل وامتدت العدوى حتى الى بعض اصحاب الكراسي الاولية ولاسيما انطاكية والاسكندرية وذلك خصوصاً من القرن السادس الى القرن الثامن فكان ائمة الاحبار يضطرون الى ان ينتدبوا لنظارة الكنائس كقصادهم بعض الاساقفة ممن يعرفون صحة ايمانهم وغيرتهم على العقائد الارثوذكسية. فمن ذلك ما يرويه التاريخ بعد انتشار بدعة المشيئة الواحدة في الشرق عن البابا القديس مرتينوس الاول (٦٤٩—٦٥٤) بانهُ سلَّم النيابة الرسولية في بلاد الشام الى يوحنا صاحب كرسي فيلادلفية المعروفة بعمان في حدود بادية الشام. بقي رسالة الحبر الروماني (١) «انهُ يمنحهُ من نعمة الكرسي الرسولي وبقوة السلطان الذي أُعطيهُ بطرس الرسول ان يتولى باسمهِ تدبير كافة الامور الدينية في انحاء الشرق وان يقيم في كل المدن الخاضعة لكرسي انطاكية وكرسي اورشليم اساقفة وكهنة وشمامسة» وكتب البابا الى اساقفة الشرق يعلمهم بما قلَّدهُ لاسقف عمان من السلطة

وفي عهد الصليبيين لما أُقيم على انطاكية بطاركة لاتينيون كان الاحبار الاعظمون يعهدون اليهم بالقصادة الرسولية في امهات الشام غالباً. فبقي الامر على ذلك الى نهاية الحروب الصليبية ولم يبق في الشرق من الاكليروس اللاتيني الا الرهبان الفرنسيسيون فاليهم كان الباباوات يفوضون النيابة عنهم لدى الشرقيين وأقدم ما وجدنا منهم الاب توما دي نوفارا (Thomas de Novare) عينهُ البابا اقليمس السادس سنة ١٣٤٢ كقاصد في جهات الشرق (٢. وممن ذكرهم التاريخ من القصاد الرسوليين في اواسط القرن الخامس عشر الموفدين من الاحبار العظماء الى بلاد الشام فرا جوان رئيس الرهبان الصغار في بيروت (٣ ارسلهُ البطريرك يوحنا الجاجي الى البابا

---

١) اطلب كتاب الشرق المسيحي للوكيان (Lequien: *Oriens Christianus*, II, 632)

٢) اطلب النشرة الفرنسية S' François et la Terre-Sainte, VI, 150 وتاريخ رنغ (Wadding, an. 1342)

٣) راجع تاريخ الموارنة للدويهي (١٢٥—١٢٧)

اوجين الرابع سنة ١٤٣٨ فحضر المجمع الفلورنتيّ باسم الموارنة ثمّ عاد بصفة قاصد موقّت الى لبنان وكان الحبر الاعظم سلّم اليه درع الرئاسة ليحملهُ الى السيّد البطريرك ومنحهُ على يدهِ انعامات وامتيازات اخرى

وفي اثناء ذلك كان امام الاحبار قلّد ناثانائيل رئيس اساقفة قبرس الروميّ الملكيّ سلطة النيابة باسمهِ الى البطاركة الانطاكي والاسكندريّ والاورشليميّ ليدعوهم الى الاتّحاد بالكنيسة الرومانيّة والمصادقة على قوانين مجمع فلورنسة (١ . وكان دخول ناثانائيل لدى البطريرك دوروثاوس الانطاكيّ في دمشق سنة ١٤٤١

وفي السنة ١٤٤٢ اتّخذ اوجانيوس الرابع كقاصد رسوليّ الى الموارنة فرا انطوني من طروية (Antonio da Troja) (٢ ليعلن بينهم باعمال المجمع الفلورنتيّ ويهتمّ بشؤون اللبنانيين الروحيّة . وفي الوقت نفسهِ كان فرا البرتوس القدسيّ موفدًا بصفة قاصد ايضاً الى بطريرك الاقباط يوحنّا وملك الحبشة داود فقام بمهمّتهِ احسن قيام كما تشهد عليهِ الرسائل التي كتبها البطريرك والنجاشي الى الاب الاقدس . ودخل المذكور ايضاً على بطريرك الروم فيلوثاوس (٣

ومن قصّاد البابا اوجانيوس ايضاً اندراوس رئيس كهنة قبرس أرسلهُ الى الشرق سنة ١٤٤٥ ليحرّض الروم والارمن واليعاقبة على الخضوع لمجمع فلورنسة والاتّحاد بالكرسيّ الرومانيّ

﴿ فرا غريغون ﴾ وفي القسم الثاني من هذا القرن الخامس عشر اشتهر في سوريّة بين الموارنة احد رهبان القديس فرنسيس المدعو فرا غريغون (Fra Gryphon) وقد سبق حضرة الاب هنري لامنس فبيّن ما كان لهذا الرجل العظيم من الايادي البيض في لبنان . (اطلب السنة الاولى للشرق ١١ ; ٥٦ ; ١٢٣ : ١٤٥) فانّهُ خدم اهل الجبل بكل اعمال الرسالة كراهب ثمّ كاسقف وقاصد رسوليّ الى سنة وفاتهِ (١٤٧٥) . وفي تواريخ الرهبان الفرنسيسيّين انهُ صار بطريركاً وسام عدّة اساقفة على الشام (٤

١) راجع تاريخ اخرّي سلاطين الروم (٨١–٦٥)

٢) تاريخ الدويهيّ (١٢٧) ٣) تاريخ اخرى سلاطين الروم (ص ٨٤)

٤) اطلب النشرة الفرنسيّة (S' François et la Terre Sainte, VI, 242)

﴿ فرا اريوستي ﴾ جاء في تاريخ الرهبانيّة الفرنسيسيّة (١ ان الحبر الاعظم بولس الثاني (١٤٦٤—١٤٧١) ابرز براءة لرئيس الاراضي المقدسة منحهُ فيها السلطة ليرسل الى لبنان احد رهبانهِ بصفة قاصد رسولي. ففي سنة ١٤٧٦ أُوفد الاب اسكندر اريوستي (Al. Ariosti)

﴿ فرا سوريانو ﴾ وما لبث ان خلفهُ راهب آخر من الطائفة الفرنسيسيّة وهو فرنسيس سوريانو (F. Suriano). فهذا استوطن سنين طويلة في القطر السوري وتعيَّن سنة ١٤٨٠ كرئيس لدير رهبانيّتهِ في بيروت ثمَّ قُلد الرئاسة العامّة على الاراضي المقدَّسة دفعتين سنة ١٤٩٣ و ١٥١٢. وفي السنة ١٥١٥ وكل اليهِ الطيّب الذكر البابا لاون العاشر منصب قاصد رسوليّ لدى الموارنة ولدى بطريركهم شمعون الحدثي. وقد كتب فرا سوريانو تفاصيل رحلتهِ واعمالهِ في كتابٍ نشرهُ حديثاً الاب غولوبوفتش في ميلانو سنة ١٩٠٠ في اللغة الايطاليّة (٢

ومن مرويّات الدويهيّ في تاريخ الموارنة (ص ١٥٧) ان البابا اقليمس السابع ارسل سنة ١٥٢٦ الاب برنردين ارطون من رهبان القديس فرنسيس الصغار الى بلاد الشرق ليزور من قبلهِ بطاريرك الموارنة موسى المكاري وطائفتهُ ثم جرجس ملك الارمن تمكيناً للاتحاد المنعقد في فلورنسة واعطاهُ السلطان المطلق في امر الزواج والحلّ من جميع الخطايا ومَنْح الغفارين وعقد المجامع في بلاد الارمن والموارنة

ولا نعلم احداً قُلد بعد الراهب المذكور رتبة قاصد رسوليّ الى السنة ١٥٦٩ وفيها ارسل البابا القديس بيوس الخامس رئيس الاراضي المقدَّسة فرا جيان فرنسيسكو دارسينيانو (٣ بصفة قاصد الى لبنان. وبمروره في انقوسية من جزيرة قبرس فتح السلطان

---

١) اطلب تاريخ ودنغ (Wadding, an. 1476) ثم النشرة الفرنسيسيّة (St. François et la Terre-Sainte, VI, 291)

٢) وهذا اسم كتابه H. Golubovich: *Il trattato di Terra Santa e dell'Oriente di fr. Fr. Suriano* اطلب ايضاً مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, VII, 99-102) وتاريخ الدويهي (ص ١٢٦) ثم تاريخ رؤساء الاراضي المقدَّسة Golubovich: *Serie Cronol. dei Rev. Superiori di Terra Santa*, (p. 35, 34)

٣) تاريخ رؤساء الاراضي المقدسة (Serie Cronol., p. 58)

سليم المدينة وبيع الرهبان كعبيد وفي جملتهم القاصد الرسولي الذي بيع في صقلية وأطلق هناك سراحهُ فعاد الى اورشليم وكانت وفاتهُ سنة ١٥٨٠ في ايطالية

﴿ الاب يوحنا اليانو اليسوعي ﴾ وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر تقلد كثيرون من الآباء اليسوعيين اعمال القصادة في الشرق فتولّوها مرّة أولى سنة ١٥٦١ اذ ارسل البابا بيوس الرابع الاب خرستوفورس رودريكس والاب يوحنا (جان باطشتا) اليانو الى بطرك القبط جبرائيل المنشاوي (١٥٢٦ — ١٥٦٩) ليدعواهُ الى الاتحاد بالكنيسة الرومانيّة . وقد نشر حضرة الاب انطون رباط (١ اخبار هذه البعثة في الصفحة ١٩٥ من مجموع آثار الكنائس الشرقيّة الذي مرّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠ : ٧٤٥) . وعقب هذه البعثة وفدٌ ثانٍ الى سورية والى الموارنة خصوصاً وتمّ الامر سنة ١٥٧٧ في عهد غريغوريوس الثالث عشر على يد قاصده الرسولي الاب يوحنّا اليانو وكان هذا اسرائيليًّا متنصّرًا عالمًا باللغات الشرقيّة . فقدم القاصد المذكور بصحبة المطران جرجس البسلوقيتي الى لبنان ومعهما الاب توما راجيو فاجتمع المرسلان بالبطريرك ميخائيل الرزّي واوثقا روابط الاتحاد بين الكرسيّ الرسوليّ والأمة المارونيّة وزارا نواحي لبنان وتفقّدا شؤون الطائفة وأجريا الاصلاحات اللازمة . وعادا الى رومية العظمى بعد ان زارا بطريرك الروم الانطاكي في دمشق وعرّج الاب اليانو على القاهرة . وكان من نتائج هذه الزيارة انّ البابا غريغوريوس الثالث عشر أدخل عدّة تلامذة من الموارنة في مدارس رومية . ثمّ كثر عددهم حتّى انشأ لهم مدرسة خصوصيّة سنة ١٥٨٥ وحبس عليها الاوقاف وسلّم البابا سكستوس الخامس تدبيرها الى الآباء اليسوعيين فاعتنوا بادارتها الى سنة الغاء رهبانيّتهم ١٧٧٣

وفي السنة ١٥٧٨ عاد الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر وارسل ثانيةً بصفة قاصد الاب يوحنا اليانو المذكور وبمعيته الاب يوحنّا (جوان) بروتو وامرهما بان يعقدا مجمعاً في لبنان لتنظيم امور الطائفة المارونيّة وتثبيت الايمان . فعُقد المجمع في اواسط شهر آب من السنة ١٥٨٠ بحضور البطريرك ميخائيل الرزّي وجميع اساقفة الطائفة

---

١) اطلب P. Rabbath: *Documents inédits pour servir à l'histoire du Xme en Orient*, I, 195. وراجع ايضاً تاريخ الدويهي (ص ١٧٦)

وكانوا ستة . وهو المجمع المارونى الاول الذي نشر حضرة الاب رباط اعمالـهُ في الترجمة اللاتينيَّة (١ . وبقي الاب اليانو في لبنان مدَّة للنظر في شؤون الطائفـة . وفي اثناء ذلك توفي البطريرك ميخائيل الرزي فحضر القاصد حفلة جنازتهِ ثم انتخاب خلفهِ واخيهِ سركيس الرزي ١٥٨١ وكانت عودتهُ الى رومية على طريق مصر بعد ان زار بطريرك الاقباط . وكانت وفاة الاب اليانو سنة ١٥٨٩

﴿ ليونردو دي ابيلا ﴾ وفي السنة ١٥٨٣ اختار البابا غريغوريوس الثالث عشر رجلاً مضطلعاً بالعلوم الشرقيَّة اسمهُ ليونردو دي ابيلا وسامهُ اسقفاً شرفيًّا على صيداء وارسلهُ كقاصد رسولي الى بطاركة اليعاقبة والارمن والكلدان والروم اذ كان بلغهُ انهم يريدون الانضمام الى الكنيسة الرومانيَّـة وسار بصحبة القاصد ثلاثة من الرهبان اليسوعيين وهم الآباء لاونردوس سَنْت انجلو ويوحنَّا اليانو وفرنسيس سَكْسو (٢ . فطافوا بلاد الشرق وواجهوا البطاركة وفاوضوهم في امر الاتحاد وفقـاً للمجمع الفلورنتي فاجاب بعضهم وانكر الآخرون . وقد كتب القاصد الرسولي خبر رحلتهِ لما كرَّ راجعاً الى رومية وطُبعت الرحلة بالايطاليَّة سنة ١٧٦٤ ثم نقلها الى الافرنسيَّة البارون دفريل (Baron A. d'Avril) ونشرها في مجلَّة الشرق المسيحي (٣ وقـد نشر الاب رباط رسالة روم طرابلس الى البابا غريغوريوس الثالث عشر بعد انْ مرَّ بينهم القاصد المذكور (المشرق ٩ : ٣٥٧)

﴿ الاب دنديني ﴾ آخر من وُلي اعمال القصادة في هذا القرن الاب جرونيمو دنديني اليسوعي جاء الى لبنان بامر الكرسي الرسولي سنة ١٥٩٦ وزار البطريرك يوسف الرزي ابن اخي البطريرك سركيس وخلفـهُ ونقَّب عن احوال الموارنة واستدرك ما رآهُ مخلًّا وقد كتب سِفر رحلتهِ في الايطاليَّة فنشرهُ في رومية سنة ١٦٠٥ ونقلـهُ الى الافرنسيَّة العلَّامة ريشرد سيمون واضاف اليهِ ملحوظات عديدة . وكان الاب فابيوس برونو في رفقة الاب دنديني وقـد نشر الاب رباط وصاة الاب كلاوديوس اكوافيفا الرئيس العام على الرهبنيَّة اليسوعيَّة اليهما قبل سفرهما (ص ١٧٠ من مجموعهِ)

١) اطلب الكتاب السابق (Documents, 140-169)

٢) فيهِ ايضاً (Documents, 206) ومجلَّة المشرق (٦ : ٣٥٦)

٣) اطلب مجلَّة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient Chrétien, III, 200 et 328)

ثمَّ دخل القرن السابع عشر ولم يؤلَّف الكرسيّ الرسوليّ فيه القصادة الى احد وكان وقتئذٍ عدد الرهبان اللاتين قد كثر في الشرق فدخل بلاد الشام في العشر الثاني والثالث من القرن المذكور رهبان يسوعيُّون وكبوشيُّون وكرمليُّون فاتَّفقوا في حراثة كرم الربّ وافرغوا المجهود في تنمية ابناء الكنيسة فبارك الربّ اعمالهم ونشأت بهمّتهم الطوائف الكاثوليكيَّة من روم كاثوليك وارمن وكلدان وسريان وكان المرسلون وسطاً بين رأس الكنيسة وبين الشرقيين فلم تقضِ الحاجة بإرسال قصَّاد رسوليين الى سوريَّة

وفي القرن الثامن عشر أُنشئت الرهبانيَّات المارونيَّة والملكيَّة والارمنيَّة وتنظَّمت الطوائف الكاثوليكيَّة بعد انقسامها عن الطوائف غير الخاضعة للكرسيّ الرسوليّ كالروم الكاثوليك والكلدان والارمن والسريان فنجم عن ذلك شؤون عديدة ومشاكل متنوّعة اقتضى حلُّها توجيهَ قصَّاد رسوليين فوَّض اليهم الاحبار الرومانيُّون العناية بامرها ليبحثوا عنها ويحكموا فيها او يعرضوا الامر للكرسيّ الرسوليّ ليجري الحكم النهائيّ

﴿ فرديندس الكرملي ولورنسيوس الفرنسيسيّ وجبرائيل حوَّاء ﴾ هؤلاء الثلثة اختارهم البابا اقليمس الحادي عشر في عهد البطريرك الماروني يعقوب عوَّاد الحصروني. فثبَّتهُ الحبر الاعظم على يد احد الرهبان الكرمليين الاب فرديندس سنة ١٧٠٦. ثمَّ اجتمع قوم من الاساقفة والشعب واقالوا البطريرك عن رتبتهِ. فوكل البابا الى رئيس الآباء الفرنسيسيين العام لورنسيوس (Lorenzo Cozza da S. Lorenzo) مراجعة الدعوى فاعاد القاصد البطريركَ الى كرسيهِ بعد تزكيتهِ ممَّا نُسب اليهِ من التهم وقرَّر الحبر الاعظم هذا الحكم ببراءة تاريخها ١٨ ايلول سنة ١٧١٣. ثمَّ ارسل البابا بعدها بسبع سنوات القس جبرائيل حوَّاء الراهب الحلبيّ لتثبيت البطريرك السابق ذكرهُ وحلّ الذين وقعوا بسببه تحت طائلة العقوبات الكنسيَّة وذلك ببراءتين تاريخهما ١ شباط سنة ١٧٢١ و ١٢ آذار منها (١

(١) اطلب مجموع تقارير الكرسي الرسولي وجمعية انتشار الايمان (Bull. Pontif. de Prop. Fide. T. II. p. 414) ثم (Documents, 594) وكتاب التختيكون للمجيبي (ص ٢٢٦–٢٢٧)

﴿ الاب دوروثاوس ﴾ واوّل من ورد ذكرهُ بعد هؤلاء الاب دوروثاوس (Dorothée de la Ste Trinité) الرسل الكبوشي في صيداء وجّه اليه البابا بنادكتوس الثالث عشر منصب القصادة الرسوليّة ببراءةٍ تاريخها ١٣ آب سنة ١٧٢٩ ليثبت على كرسيّ انطاكية البطريرك كيرلُس ثاناس بعد ان يتحقّق صحّة ايمانهِ ويطلب منهُ المحافظة على الطقس اليونانيّ دون تغيير فيهِ البتّة (١ فعقد القاصد مجمعاً في دير المخلّص في ٢٥ نيسان سنة ١٧٣٠ فتمّ كلّ شيء على مرغوب الحبر الاعظم واعلن البطريرك بايمانهِ فأُثبت في منصبهِ وترتّبت في ذلك المجمع عدّة قوانين صادق عليها لفيف الاساقفة مع القاصد الرسوليّ

﴿ السيّد عمانويل ﴾ وفي السنة ١٧٤٤ زاد الكرسيّ الرسوليّ على الانعام السابق فارسل البابا بنادكتوس الرابع عشر قاصداً الى الروم الملكيين السيّد عمانويل (Emmanuel de St Albert) استقف بغداد والراهب الكرملي ومعهُ الپاليوم اي درع الرئاسة المعروف بالاموفوري مع منشور من قداسة الحبر الروماني يحضّ فيهِ السيّد البطريرك على حفظ الطقوس اليونانيّة (٢ . وكان البابا المذكور قد وكل ايضاً الى قاصدهِ بفحص دعوى الرهبان الشويريين والراهبات المتعبّدات في دير البشارة في الزوق وهي دعوى مرتبكة لم تنتهِ الّا بعد سنتين في ٧ آذار ١٧٤٦ اذ ابرز البابا بنادكتوس منشوراً حكم للرهبان الشويريين بان يتولّوا تدبير الدير وراهباتهِ (١

﴿ يوسف السمعاني ﴾ وفي السنة ١٧٣٦ عُقد في دير سيّدة لويزة المجمع اللبناني الذي فيهِ تقرّرت امور الطائفة المارونيّة باتّفاق السيّد البطريرك يوسف ضرغام الخازن واساقفة الموارنة والمرسلين اللاتينيين ودعي اليهِ ايضاً بطريرك الارمن الكاثوليك وثلاثة مطارنة ارمن وسريان مع رؤساء الرهبان والمشايخ . وكان الكرسي الرسولي قد عيّن لينوب عنهُ بصفة قاصد مفوّض المنسنيور يوسف السمعاني الطائر الشهرة بصفّاتهِ الجليلة وآزرهُ البابا اقليمس الثاني عشر ببراءة التقليد . فنجز العمل ثم طُبعت اعمال المجمع في اللاتينية برومية . امّا الترجمة العربيّة فطبعت بعد ذلك في مطبعة الشوير

١) وفي تاريخ دير رومية تافيجيلّا للخوري قسطنطين طراباسي الحلبي انّ الذي فُوّض اليه نقل الپاليوم للبطريرك هو يوحنّا اميرني والصحيح ما روينا عن منشورات البولّاريوم

٢) اطلب منشورات مجمع البروبندا (Martinis, III,561-562)

سنة ١٧٨٨ وهي لم توافق النصّ اللاتيني تماماً لخلاف وقع بين السيد البطريرك والقاصد الرسولي . وفي طبعة اعمال المجمع الجديدة قد ضُبطت الترجمة على اصلها اللاتيني بالتدقيق (راجع المشرق ٤ : ٤٨١)

﴿ يعقوب دا لوكا ﴾ وفي السنة ١٧٤٢ بلغ الكرسي الرسولي انهُ وقع في الطائفة المارونية نزاع لسبب اختيار بطريركين معاً وهما المطران الياس محاسب وطوبيًا الخازن فابطل البابا بنادكتوس الرابع عشر انتخابهما واقام بدلًا منهما سمعان عواد مطران دمشق وعيّن من قبلهِ قاصدًا الاب يعقوب دا لوكا (G. da Lucca) رئيس الرهبان الفرنسيسيين في القدس الشريف لانفاذ اوامره وقدم القاصد الى لبنان وعقد مجمعاً سنة ١٧٤٣ في دير الآباء الفرنسيسيين في حريصا واعلن بالبراءة الرسولية امام الاكليروس واعيان الطائفة . فخضع الجميع لاوامر الكرسي الرسولي (١

﴿ الاب دسيديريو ﴾ في اواسط القرن الثامن عشر حصل في حلب اختلاف بين طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك فبلّغ البعض الكرسي الرسولي بان الروم في الشام مزّقوا صور القديس مارون وكانت الشكاية غير صحيحة فعيّن البابا بنادكتوس الرابع عشر قاصدًا خصوصيًا ليفحص عن الامر وهو الراهب الفرنسيسي دازيره او دسيديريو (٢ (Desiderio da Carabasciana) رئيس الاراضي المقدسة سابقاً فنقّب عن القضيّة واصلح ذات البين وانتهى الخصام ببراءة للحبر الاعظم (Inter cætera) في ٢٨ ايلول سنة ١٧٥٣ اثبت فيها قداسة مار مارون الناسك التي لا ينكرها احد من الروم الملكيين (اطلب المشرق ٤ : ٤٢٧)

ومنّ فوّض اليهم البابا بنادكتوس الرابع عشر سلطة القصّاد الرسوليين ارسانيوس عبد الاحد الحلبيّ مطران بعلبك (٣ ليثبت باسمهِ طوبيًا الخازن المنتخب بطريركًا لطائفتهِ وتاريخ رقيم البابا ٢٧ آذار ١٧٥٧

﴿ الاب بسطيا ﴾ واسمهُ لويجي (Luigi da Bastia) كان هذا رئيساً

١) اطلب تاريخ رؤساء الاراضي المقدّسة (Serie Cronol., 99)

٢) وفي تاريخ الموارنة للسيد يوسف الدبس (ص ١٦) انّ اسمهُ إيدوروس والصواب كما رويناه

٣) اطلب سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للدويهي (الطبعة الثانية ص ٥١)

عاماً على الرهبان الفرنسيسيين في القدس الشريف. فانتدبهُ البابا اقليمس الثالث عشر سنة ١٧٦٨ بصفة قاصد لحسم ما وقع من الاختلاف بين الرهبان الموارنة الحلبيين والبلديين. فلبّى الرئيس المذكور دعوة الاب الاقدس واجتمع بالبطريرك يوسف اسطفان ورئيس الرهبانيّتين في دير حريصا في ٨ ك ١ وبعد فحص الدعوى مدقّقاً أُعطيت كل رهبانيّة حقّها وأُثبتت القسمة بينهما

﴿ الاب دومينيك لانصا ﴾ ويُدعى عبد الاحد دي لانسانس (Dominique de Lanca *ou* Lanceis) وكان مرسلاً رسولياً من الرهبانيّة الدومنيكانية في الموصل واصلهُ من طورينو. فلمّا توفي البطريرك كيرلس ثاناس سنة ١٧٧٠ تولّى البطريركية بوصاة منهُ ابن اختهِ الراهب المخلصي اغناتيوس جوهر خلافاً للقوانين البيعيّة. فلم يرضَ الاساقفة بذلك ورفعوا الدعوى الى الحبر الاعظم اقليمس الثالث عشر الذي كتب الى الاب دومينيك لانصا وعهد اليه رتبة القاصد لتلافي الحال فقدم القاصد الى لبنان وبعد الفحص المدقّق ابطل بامر البابا سلطة اغناتيوس واقام بدلاً منهُ مطران حلب السيّد مكسيموس حكيم المنتخب شرعياً. فامتعض اغناتيوس جوهر من هذا الحكم وتحزّب على البطريرك القانوني حتى حرمهُ الحبر الاعظم. وبقي الامر في خصام ونزاع زمناً طويلاً وابدى القاصد من الهمّة والغيرة ما يستحقّ كلّ ثناء. وجمع في دير القمر وزوق ميكائيل مجمعين لمعالجة الداء. واقناع البطريرك الدخيل بالخضوع. ولم تخمد تلك الفتن حتّى تاب اغناطيوس جوهر فسُقف على كرسيّ صيدا ثمّ وقع عليه الانتخاب للبطريركيّة سنة ١٧٨٨ بعد وفاة ثاودوسيوس دهّان ودعي اثناسيوس فصادق عليه الحبر الاعظم بيوس السادس. وتولّى البطريركيّة الى وفاته سنة ١٧٩٤

وفي أيّام البطريرك ثاودوسيوس دهّان ارسل اقليمس الثالث عشر السيد بطرس كارافياري (Pierre Caravieri) اسقف آتوس كزائر وقاصد رسوليّ ليفحص عن دعوى الرهبان الشويريين الذين عرضوا الى رومية بعض الشكاوى على البطريرك ثاودوسيوس وعلى اسقف بيروت اغناطيوس صرّوف. فحكم القاصد في تلك الدعوى واصلح بين الفريقين

وفي أيّام البطريرك الماروني يوسف اسطفان (١٧٦٦ — ١٧٩٣) جرى في لبنان عدّة امور ألجأت الكرسيّ الرسوليّ بان يُرسل الى الشام قصّاداً رسوليين ليبحثوا عن

تلك الدعاوى وفكّوا المشاكل . ومن جملة هذه الامور ما جرى بين السيّد البطريرك والاساقفة من الاختلاف في تدبير الابرشيّات وتحديد المشور فارسل البابا سنة ١٧٧٤ الرئيس الفرنسيسي ڤاليانو (Valeriano Bellandi da Prato) لاجراء الاصلاحات اللازمة (١ . ومنها مشكلات جرت بين السيّد البطريرك يوسف اسطفان والرهبان اللبنانيّين أقيم لفضّها الراهب بطرس دي موريتّا (Petro da Moretta) من رهبان القديس فرنسيس ارسلهُ البابا بيوس السادس سنة ١٧٧٧ وقد وردت في ذلك تقارير القصّاد الرسوليين في مجموع اعمال جمعيّة انتشار الايمان (٢

وفي عهد هذا البطريرك حدثت امور الراهبة حنّة عجيمي الشهيرة باسم الراهبة هنديّة ولم يزل امرها يتفاقم حتى خُدع بها البطريرك يوسف اسطفان . وكانت هذه حضرت من حلب وانشأت اخويّة على اسم قلب يسوع اتّخذتها كاحبولة لزرع المعتقدات الباطلة فتكرّرت عليها الشكاوى الى الكرسي الرسولي فارسل البابا بيوس السادس بطرس دي موريتّا ثانيةً وبعد ان تحقّق صحّة القضايا ألغى البابا تلك الاخويّة وامر بابعاد السيّد البطريرك الى دير الكرمل لحاماته عنها فتمّ ذلك سنة ١٧٧٩ . ثمّ اقام القاصد في لبنان عدّة سنوات وعقد في اثنائها سنة ١٧٨٠ مجمعاً طائفيًّا حضرهُ الاساقفة مع النائب البطريركي المطران ميخائيل حرب الخازن

وفي السنة ١٧٨٧ في اواسط كانون الاوّل ارسل البابا بيوس السادس مطران حلب جرمانوس آدم كقاصد رسولي وآزرهُ بسلطته ليصلح امور الطائفة المارونيّة ويزيل ما وقع فيها من الاضطراب بسبب الحوادث السابق ذكرها (٣

٢ القصادة الرسوليّة المنظّمة

انّ الذين سبق ذكرهم تقلّدوا اعمال القصادة في الشام في ازمنة مختلفة ولتدبير

١) مجموع منشورات البروبندا (App. ad Bullarium, II, 284) ثم تاريخ سلسلة البطاركة (١٣٠) وتاريخ رؤساء الاراضي المقدّسة (١٠٤)

٢) اطلب (App. ad Bull., II, 279-287) وقد نُقلت هذه التقارير الى العربية في تاريخ سلسلة البطاركة (ص ١٣٦–١٤١)

٣) اطلب منشورات المجمع المقدّس (Bullarium Pontif. de Prop. Fide, IV, 208)

امور خصوصية موقتة فكانوا اذا انجزوا تلك المهام كفت ايديهم عن سواها وانتهت مأموريتهم . على انّ الكرسيّ الرسوليّ رأى ما في هذا التقليد الموقت من المشقة والعناء وكثرة النفقات فعزم على تولية القصادة الى اشخاص معلومين يقيمون في الشام ويتولون اعمال النيابة الرسولية بنوع متواصل فيخضع لهم المرسلون اللاتينيون ثمّ يتوسطون بصفة قصّاد بين الطوائف الشرقية والسدّة الرسولية . وقد تمّ ذلك على عهد الحبر الاعظم اقليميس الثالث عشر سنة ١٧٦٢ . الّا ان سلطة القاصد الرسوليّ لم تحدّد وقتئذٍ فنجم عن ذلك بعض الاختلاف بينهُ وبين الرئيس العام على الاراضي المقدسة الذي كان مقدّمًا تدبير اللاتين في انحاء الشام . ثمّ استدرك المجمع المقدس هذا الخلل فجعل الرئاسة العليا على المرسلين والمؤمنين اللاتين للنائب الرسوليّ في سورية وفلسطين والاناضول وقبرص وجزيرة العرب ومصر على عهد السيد غندلفي

وفي السنة ١٨١٨ رأى الحبر الرومانيّ بيوس السابع ان اشغال القصادة السورية متسعة جدًّا ففصل عنها بلاد الاناضول واقام عليها رئيس اساقفة جعل مركزهُ في ازمير . وفي السنة ١٨٣٨ اقام غريغوريوس السادس عشر نائبًا رسوليًّا على جزيرة العرب ومصر ففصلهما عن النيابة الرسولية الشامية . ولمّا كانت السنة ١٨٤٨ جدّد البابا بيوس التاسع البطريركية الاورشليمية على اللاتين واضاف اليها جزيرة قبرص فانحصرت سلطة النائب الرسوليّ في حدود قيليقية وبلاد الشام وبقيت على ذلك الى يومنا

١ ﴿ الاب ارنلد بوصو ﴾ هو اوّل قاصد رسوليّ قلّدهُ الحبر الروماني رتبة قاصد ثابت على بلاد سورية . ولد ارنلد بوصو (Arnaud Bossu) في ٢٤ تشرين الاوّل سنة ١٧١٣ في بلوقان من قرى فرنسة ودخل في جمعية المرسلين المازريين في ٧ ايار سنة ١٧٣٣ . وفي السنة ١٧٤٦ أُرسل الى بلاد الجزائر كنائب رسوليّ فاشتغل فيها وفي انحاء تونس اثنتي عشرة سنة بغيرة لم تعرف الملل بالوعظ والارشاد وخدمة المطمورين والأسرى وأدّى لفرنسة وللكرسيّ الرسوليّ في تلك الجهات خدمًا مشكورة منها انهُ خلّص من الاسر الموسيو لامار (Lemaire) قنصل فرنسة في الجزائر . ثمّ استدعاهُ رؤساؤه الى باريس لادارة المبتدئين الطالبين الترهّب فبقي في وظيفته اربع سنوات

وفي السنة ١٧٦٢ لمّا اراد البابا اقليميس الثالث عشر اقامة نائب خصوصي

الكرسي الرسولي في سورية وجه النظر الى الاب بوصو بايعاز الكردينال سيبنالي الذي كان اختبر مراراً قداستهُ وحنكتهُ في تدبير الامور. وسلّمهُ امام الاحبار ثلاث براءات قلّدهُ في الاولى النيابة الرسولية على حلب وعلى البطريركية الانطاكية واورشليم ولدى الموارنة والارمن. ومنحهُ في الثانية السلطة لسرّ التثبيت. وفي الثالثة فوّض اليهِ الامام بالبركة الرسولية والغفران الكامل في ساعة الموت. وكان البابا يريد ان يسقف الاب بوصو لولا انّ القاصد المتواضع توسّل اليهِ بان يبقى في درجة الكهنوت ليمكنهُ ممارسة اعمال الرسالة والرياضات الروحية والتعليم كبقيّة الموسلين فلبّى الاب الاقدس دعوتهُ. وما لبث الاب بوصو ان أبحر الى الشام واخذ في مباشرة اعمال وظيفتهِ بنشاط وغيرة وكانت سكناهُ عادةً في دير الآباء اليسوعيين في عين طورا وبقي في الشام الى السنة ١٧٧٤ التي فيها عاد الى باريس فتوفّاهُ الله وأنابهُ عن اعمالهِ المبرورة التي خلّدت لهُ ذكراً صالحاً (١. ومن خدمهِ المشكورة انهُ أطلع رومية على حقيقة امر اغناتيوس جوهر ومناوأتهُ للبطريرك الشرعي تاوضوسيوس دهان فنال للبطريرك درع الرئاسة وكفّ يد الدخيل. وقد تكرّر ذكر هذا القاصد واعمالهِ في تاريخ دير رومية تأفيجلّا للخوري قسطنطين طرابلسي الحلبي (ص ١١٣—١٣٥ من نسختنا) وهو يلومهُ في اشياء لم تثبت صحّتها والظاهر انّ القس حنّا عجيمي خدعهُ بدسائسهِ ووشى بهِ الى الباشا حاكم صيداء الذي قبض عليهِ ولم يطلقهُ الّا بعد أن دفع لهُ اربعين كيساً من المال

٢ ﴿ جرمانوس الخازن ﴾ لم يتعيّن خلفٌ للقاصد الرسولي بوصو بعد وفاتهِ لما كانت عليهِ في تلك الايام احوال رومية من الاضطراب. والمؤرخون لم يذكروا بعدهُ قاصداً الّا السيد لويس غندلفي. الّا انّ الآثار المارونية تجعل بينهما قاصداً السيد جرمانوس الخازن مطران دمشق ابن اخي البطريرك طوبيّا الخازن (اطلب المشرق ٧: ٧٥٢) فيقولون انّ الكرسي الرسولي عيّنهُ قاصداً رسولياً ثابتاً في سورية فتولّى اعمال القصادة من السنة ١٧٩٤ الى سنة وفاتهِ ١٨٠٦. وقد اثبت ذلك حضرة الخوري منصور طنّوس في كتاب المقاطعة الكسروانية (ص ٢٢٥) برسالة من البابا بيوس

---

١) نقلنا ما سبق من الافادات في السيد القاصد ارنلد بوصو عن رسالة حضرة الاب اللازري يوسف حلوان نشكرهُ على ما افاد

السابع الى الامير بشير الشهابي يعلمهُ بتعيين السيّد غندلفي افتتحها بالسلام واهداء البركة الرسوليّة وعقّبها بما نصهُ : « انهُ اذ كان بهذا القرب قد توفي الاخ المحترم جرمانوس خازن الذي كان أُقيم زائرًا رسوليًّا في نواحيكم فالتزامات خدمتنا الرسولية اقتضت ان نقيم عوضهُ رجلًا آخر ملائمًا . . . » . امّا اعمال هـذا القاصد الثاني فلم نقف على شيء منها

٣ ﴿ السيّد غندلفي ﴾ هو السيّد لويس غندلفي (L. Gandolfi) وكان اصلهُ من بلاد ايطالية من معاملة بيامنتي ولد في مُندوفي وقدم مع المرسلين اللعازريين الاوّلين الذين ارسلهم الكرسيّ الرسوليّ ليخلفوا الرهبان اليسوعيين بعد الغاء رهبانيّتهم . وجاء اوّلًا الى ازمير سنة ١٧٨٢ وبقي فيها الى السنة ١٧٩٦ حيث أُرسل الى سوريّة فسكن عين طورا وقلّد رئاستها . واعرب عن فضل سامٍ كما روى حضرة الاب يوسف عاوان في مقالتهِ عن مدرسة عين طورة (المشرق ٣ : ٥٤٦) . ومنّا يدلّ على ما احرز لهُ في سوريّة من الاعتبار انّ الامير بشير الكبير اتّخذهُ مدبّرًا ومرشدًا لنفسهِ ومثقّفًا لاولادهِ ولعلّ الحبر الاعظم اقدم على تعيينهِ لتدبير شؤون القصادة بايعاز الامير المذكور واليهِ وجّه البابا كما رأيت الرسالة المعلنة بتقليدهِ وفيها يقول قداستهُ للامير : « نوصيك بهذا الزائر بكل اجتهادنا ولا ريب عندنا بانهُ سيكون عزيزًا لديك لاجل فضائله ولاجل توصيتنا بهِ » وتاريخ هذه الرسالة ١٨ نيسان سنة ١٨٠٧ وبذلك دليل على ان السيّد غندلفي تعيّن في تلك السنة كزائر رسولي للموارنة فقط (١ ثمّ وُلّد وظيفة القصادة الرسوليّة مع النيابة على حلب في ٢٧ تموز سنة ١٨١٦ وكانت سيامتهُ اسقفًا على ايقوسية (Icosium) شرفًا سنة ١٨١٧ وقام باعمال القصادة احسن قيام الى سنة وفاتهِ في ٢٥ آب سنة ١٨٢٥

وللسيّد غندلفي مآثر متعدّدة في ايّام قصادتهِ اطرأها القنصل الفرنسويّ غويس في كتابهِ « بيروت ولبنان » (H. Guys : *Beyrouth et le Liban.* II, 201) وكان السيّد المذكور حضر مجمع الروم الكاثوليك في دير القرقفة سنة ١٨٠٦ وامضى اعمالهُ التي طُبعت في الشوير سنة ١٨١٠ الّا انّ الكرسيّ الرسولي زيّف اعمال هذا

١) اطلب منشورات البروبندا (Bull. Pontif. IV, 347)

المجمع وحرم الكتاب سنة ١٨٣٥ والظاهر انّ القاصد الرسولي لم ينتبه الى ما دسّه جرمانوس آدم من الاضاليل في تعاليمه (١. وهذا القاصد عينهُ حضر في ١٣ نيسان سنة ١٨١٨ مجمع دير اللويزة مع السيّد البطريرك يوحنّا الحلو وفيه تقرّر فصل الرهبان عن الراهبات في الديورة ووُضعت اصول تدبير الكرسيّ البطريركي وتعيّنت كراسي ثابتة لكل مطارنة الابرشيّات . وقد ثبّت البابا بيوس السابع اعمال هذا المجمع في ٢٥ أيار سنة ١٨١٩. وبهمّة السيد غندلفي نفى الكرسي الرسولي تعاليم بعض المبتدعين بخصوص سرّ الافخارستيّا ونكران الاستحالة بقوّة الكلمات الربّانيّة (٢

٤ ﴿ السيّد لوزانّا ﴾ وهو السيّد يوحنّا بطرس لوزانّا (G.P.Losanna) خلف السيد غندلفي في نيابة حلب والقصادة الرسوليّة على سورية وكان اسقفًا على ابيدوس (Abydos) شرفًا . وكان هذا القاصد من اسرة معتبرة في ايطاليا وكان ذا علم واسع في اللاهوت مجمّلًا بالآداب الحسنة والسجايا الطيّبة (٣ . وبقي في وظيفته الى سنة ١٨٣٣ فدعاهُ الاب الاقدس غريغوريوس السادس عشر الى ايطالية وفوّض اليه تدبير كرسيّ بيالا (Biéla) في بلاد بيامنتي فحقّق اماني الحبر الاعظم بحسن سياسته وسعة فضله وكانت وفاتهُ نحو السنة ١٨٥٠. ومن مشروعاته في ايّام قصادته انّهُ ابتاع للقصادة ملكًا شرقيّ زوق ميكائيل في المحلّ المسمّى بالتراب قريبًا من مدرسة عين طورا فبنى دارًا جعلها مقامًا للقصّاد الرسوليين . وهذه الدار بقيت الى عهد السيد لودوفيكو بيانفي فباعها للخواجا اسعد عوّاد وعمّر بدلًا منها دار القصادة في حريصة. وسكن السيّد لوزانّا مدّة في حلب كرسيّ نيابته وفحص دعوى السيّد بولس اروتين اسقف حلب الماروني الذي امر البابا البطريرك يوسف حبيش بان يُستدعى الى لبنان ويوقف عن ادارة كرسيّ حلب (٤ . وعلى عهد هذا القاصد رجع اليسوعيّون الى سوريّة مع السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم وهم الآباء مبارك بلانشه (Benoit Planchet) وبولس ريكادونّا (P. Riccadonna) والاخ الطبيب هنس

---

١) اطلب مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, V, 335 et 347)

٢) وقد طُبع مرسوم المجمع المقدّس في هذا الامر في الشوير سنة ١٨١٢

٣) اطلب كتاب القنصل غريس (H. Guys: *Beyrouth et le Liban*, II, 200-201)

٤) اطلب منشورات البروبندا (Bullarium, Pontif. V, 73)

(Henze) . وقد ذهبوا الى حلب لمواجهة القاصد الرسولي وهو هناك سنة ١٨٣٢

٥ ﴿ السيّد اوفرني ﴾ كان السيّد يوحنا المعمدان اوفرني (J.B.Auvergne) فرنسويّ الجنس من اعضاء احدى جمعيّات المرسلين في وطنهِ . قيل انهُ أتى رومية وحضر حفلاتها الدينيّة فيزهُ لورعهِ وتفاه البابا غريغوريوس السادس عشر فاقامهُ نائباً رسولياً على حلب وقاصداً في سوريّة بدل السيّد لوزانا سنة ١٨٣٢ وكان يُدعى برنيس اساقفة قونية شرفاً . فاسرع وجاء الى الشام ليتولّى امور القصادة . وما وصل الى لبنان حتّى استدعى المرسلين اللاتين الى دير عين طورا وباشروا جميعاً رياضةً روحيّة خرجوا منها مضطرمين غيرةً لخلاص النفوس واخذ السيّد اوفرني يتجوّل في انحاء القصادة ويلقي المواعظ والارشادات . وكان يرافقهُ الطيب الذكر الخوري ارسانيوس الفاخوري في اسفارهِ ويتولّى معهُ الارشاد ويعرّب كتاباتهِ (اطلب المشرق ٣ : ٦٠٦) كما فعل في ايّام سلفهِ . ولدينا المناشير التي ألّفها السيّد اوفرني وترجمها الخوري ارسانيوس فخمسة منها مطبوعة في مطبعة دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير وواحدة في طور سينا سنة ١٨٣٥ بعد ان زار الاماكنة المقدّسة حتى بلغ الطور . ومن اعماله المشكورة ايعازهُ الى الآباء اللعازريين بان يفتحوا مدرستهم الشهيرة في عين طورا . وفي ايلول من السنة المذكورة امر الاب الاقدس غريغوريوس السادس عشر السيّد اوفرني بان يذهب الى بلاد ما بين النهرين فيزور فيها الكلدان الكاثوليك نيابة عن الكرسيّ الرسوليّ (١) . فاجاب الى دعوة الحبر الاعظم وسار الى تلك الجهات القاصية ولمّا وصل الى حلب كتب رسالة الى مرؤوسي قصادتهِ طبعها في الشهباء تاريخها ١ شباط سنة ١٨٣٦ : ثمّ توجّه في اوائل الربيع الى ديار بكر وكان يرافقهُ في سفره كاتب اسرارهِ الاب غينوار (Guinoir) وكان الطاعون وقتئذٍ متفشياً في تلك الاقطار فما وصل الزائر الى ديار بكر حتى اصابهُ الوباء فتوفّي مأسوفاً عليهِ من كلّ من عرفهُ . وبعد ايّامٍ مات بالداء كاتب اسرارهِ . وكان القاصد لمّا قربت وفاتهُ طلب ان تُنقل جثّتهُ الى لبنان وتُدفن في غزير في ساحة كنيسة مار فرنسيس حيث كان اعطى سابقاً رياضةً أتت باثمار غزيرة . وقبرهُ مع قبر كاتبهِ لا يزالان حتى اليوم مكرّمين في البلدة والكلّ يذكرون فضائلهما . وقد حضر القنصل غويس حفلة

(١) منشورات البروبندا (Bull. Pontif., V. 127)

نقل الجثتين في حلب وذكر ما جرى فيها من المظاهرات واثنى على القاصد المتنيح اطيب الثناء (١

٦ ﴿ السيّد فازيو ﴾ هو انجلو فازيو (A. di Fazzio delle Pianelle) كان من الرهبانية الفرنسيسية فخوّلهُ الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر خلافة السيّد اوثرني سنة ١٨٣٦ وسمّاهُ اسقفاً شرفياً على تيبازا (Tipaza) ولمّا احتلّ دار القصادة في عين طورا وجدها حقيرة صغيرة فاهتمّ باصلاحها وتوسيعها . وقد ذكر القنصل الفرنسويّ غويس غيرتهُ العظيمة وتوقّد ذهنهِ وحنكتهُ في التدبير (٢ لولا انّ مدّتهُ لم تطل فانّ الحبر الاعظم بعد سنتين اختارهُ لبطريركية القسطنطينية لكنّ الموت عاجلهُ هناك فاستأثر الله بهِ سنة ١٨٤٠

٧ ﴿ السيّد ڤيلارديل ﴾ هو السيّد فرنسيس ڤيلارديل (F. Villardel) من رهبان القديس فرنسيس وكان اسبانياً قدم لبنان في حزيران من السنة ١٨٤١ كنائب اسقفي على حلب وقاصد رسوليّ على سورية وسُقف على فيليبي (Philippi) شرفاً وبقي في وظيفتهِ ١٢ سنة فتوفي في بيروت سنة ١٨٥٢ . وبعد تعيينهِ لنصبهِ بزمن قليل أرسل الى الموصل كرائر رسوليّ واجتمع ببطريرك الكلدان يوحنّا هرمز واجرى معهُ عدّة اصلاحات لترتيب الابرشيّات والرهبانيّة الهرمزيّة والطقوس الدينيّة . وعاش السيّد ڤيلارديل في ايّام فتن واضطرابات حصلت في لبنان بين الاهلين والشيوخ فاهتمّ ان يُصلح ذات البين (٣ فلم يستطع ومن ثمّ احبّ ان يبقى معتزلاً عن الامور عائشاً عيشة النسّاك في دار قصادتهِ في عين طورا وهناك زارهُ السيّد ميسلين (Mislin) في رحلتهِ الاولى الى الاراضي المقدّسة (٤ وقد ذكر عنهُ انهُ رجل واسع المعارف كثير التقى متشدّداً على الذين لم يقوموا بواجباتهم . وروى ان السيّد ڤالركا كان كاتب اسرارهِ قبل ان يُرقّى الى بطريركيّة اورشليم . وخلفهُ في هذه المهنة الشماس فيليبس عبده

---

١) راجع كتابه في بيروت ولبنان (Beyrouth et le Liban, II, 201-202) اطلب ايضاً كتاب المقاطعة الكسروانية (ص ٢٦٨) ٢) كتاب بيروت ولبنان (Id. 200) وقد ذكرهُ البطريرك مكسيموس مظلوم في رسالتهِ التي نعى بها اخويّة قلب يسوع في حلب ٢٥ آب ١٨٣٨ ٣) المقاطعة الكسروانية (ص ٢٠٥)

٤) اطلب رحلته (Mislin: *Les Saints Lieux*, 3e ed, I, 492)

الدمشقي . وبهمّة هذا القاصد الفاضل طُبع كتاب طريقة علم لاجل البروتستانت طبعهُ على نفقتهِ في الشوير سنة ١٨٤٣ . وهو الذي سعى بجلب راهبات القديس يوسف الى بيروت لتعليم الفتيات . وكان منشطاً لاعمال المرسلين اليسوعيين فأثبت جمعيّة راهبات قلب يسوع والراهبات المرميات والكفاريين وتبرّع بمبلغ كبير لبناء كنيسة بكفيا ولهُ غير ذلك من الاعمال المشكورة اجزل الله ثوابهُ

٨ ﴿ السيّد برونوني ﴾ اصل السيّد بولس برونوني (P. Brunoni) من أسرة شريفة في لوغو (Lugo) من مقاطعة رومانية في ايطالية وانّما ولد في افقوسية في ١ حزيران سنة ١٨٠٧ وانتظم في سلك كهنة قبرس ولمّا عهد البابا بيوس التاسع الى السيّد ڤالركا بطريركيّة اورشليم اختار لهُ بصفة كاتب لاسراره بولس برونوني سنة ١٨٤٨ وبقي في تلك المهنة الى ان استدعاهُ الحبر الاعظم الى رومية بعد وفاة السيّد ڤيلارديل ليخلفهُ في نيابة حلب وقصادة سوريّة . فسُقف على تارون (Taron) شرفًا بوضع يد الكردينال فرتوني وكيل المجمع المقدّس في ١٣ تموز سنة ١٨٥٣ . وبقي في منصبهِ الى ٢٣ ت ٢ سنة ١٨٥٨ حيث اقامهُ الحبر الاعظم نائبًا بطريركيًا على القسطنطينيّة . ومن اعمالهِ انهُ ترأس مجمع بكركي للموارنة الذي عُقد بامر البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٦ لاجراء تهذيبات ورسومات مختلفة معظمها منوط بالاكليروس والرهبان . وفي السنة عينها حضر انتخاب السيّد اكليمنضوس بحوث كخلف للسيد البطريرك مكسيموس مظلوم وادرج الحساب الغربيّ باتفاق مع البطريرك الجديد فنجم عن ذلك مخاصمات ومنازعات اوجبت البطريرك ان يستعفي من رتبتهِ . وللسيد برونوني كتاب في بيان صحّة الحساب الغريغوري (دليل المستفيد على التصحيح الجديد) طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة وبهمّتهِ ايضًا طُبع في باريس لافادة الشرقيين كتاب العابد المسيحي وكانت وفاة السيد برونوني في رومية في ٢١ كانون الثاني سنة ١٨٧٧ وكان البابا جعلهُ بطريركًا شرفيًا على انطاكية

٩ ﴿ السيد ڤالركا ﴾ هو يوسف ڤالركا (Valerga) ولد في لوانو (Loano) قريباً من جنوة في ٩ نيسان سنة ١٨١٣ فبعد الدروس الكهنوتية التي برع فيها دخل في خدمة مجمع انتشار الايمان بصفة ترجمان ثم حملتهُ الغيرة على طلب الرسالات فجاء سوريّة مع القاصد الرسولي ڤيلارديل وساعدهُ في تتمّة وظيفتهِ ولمّا رأى القاصد نفسهُ

عاجزًا عن زيارة رعيّته استنابهُ مع الاب اليسوعي بولس ريكادونا للقيام بهذه المهمّة. ثم رحل الى الموصل وخدم النفوس مع الآباء الدومنيكان الى السنة ١٨٤٧ فاحرز لهُ شكر كل نصارى العراق. وكان السيد تريوش (Trioche) يعدُّهُ كذراعهِ اليمنى في كل اعمالهِ ومن همّتهِ انهُ دافع ببسالة عن مرؤوسيهِ حتى انهُ جُرح مرّتين في سبيلهم وهو يردّ غارات اعدائهم. وفي ٤ تشرين الاوّل من السنة ١٨٤٧ جعلهُ البابا بيوس التاسع اول بطريرك على اللاتين في القدس الشريف وقد سامهُ اسقفًا بيدهِ فقضى المنتخب بقيّة حياتهِ في هذا المنصب الجليل الى يوم وفاتهِ في ٢ كانون الاوّل من السنة ١٨٧٢. ولمّا انتدب الحبر الاعظم سيادة القاصد بولس برونوني الى كرسي القسطنطينيّة سنة ١٨٥٨ وكل بيوس التاسع الى السيد ڤالركا اعمال القصادة السوريّة فقام باعباء الرتبتين قيامًا اوجب الثناء العمومي على حكمتهِ وسائر فضائلهِ وكان من اعظم السعاة في مساعدة المنكوبين بعد حوادث سنة ١٨٦٠. ومن خدمهِ للطوائف الشرقيّة انهُ اخمد ثائرة القلوب بعد ان تنزّل الطيّب الذكر السيّد اكليمنضوس مجوث عن البطريركيّة ووقع الاختيار على خلفهِ السيّد غريغوريوس يوسف سنة ١٨٦٤. وكذا فعل مع الارمن في انتخاب السيّد انطون بطرس حسون سنة ١٨٦٦. ولهُ من الاعمال الشريفة ما لا يسعنا هنا ذكرهُ وقد جاء ذلك مسطّرًا في تفاصيل حياتهِ المنشورة بالطبع

١٠ ﴿ السيّد ميلاني ﴾ تعيّن بعد وفاة المجور يوسف ڤالركا لقصادة سوريّة السيّد ساروفيم ميلاني (S. Milani) وشُنّف على تراجانوبولي شرفًا في ٢٣ كانون ١ سنة ١٨٧٤ لكنّهُ لم يضبط عنان التدبير اذ نُقل في السنة عينها الى كرسي بنتريمولي (Pontremoli) في ايطالية. وكان مولد المذكور في كزّارة سنة ١٨١٩ ودخل الرهبانيّة الفرنسيسيّة وترأس على الاراضي المقدّسة من السنة ١٨٦٣ الى ١٨٧٣

١١ ﴿ السيد پياڤي ﴾ هو السيد لودوڤيكو پياڤي (L. Piavi) ولد المذكور في راڤنّة في ١٧ آذار سنة ١٨٣٣ وبعد دروسهِ الاوليّة خدم وطنهُ بالجنديّة في اواخر سنة ١٨٤٨ ثم تجنّد لله بعد سنتين في رهبانيّة مار فرنسيس وبعد ان رقي درجة الكهنوت في ٢٢ ك ١ سنة ١٨٥٥ قصد بلاد الشرق وتعلّم العربيّة في دير حريصا. ثم أُرسل الى حلب سنة ١٨٥٧ فعلّم في مدرستها وعُني بامور رعيّة اللاتين ثم ترأس على اخوتهِ هنالك سنة ١٨٦١ فأعرب في كل سلوكهِ عن سياسة وحزم يذكرهما مرؤوسوهُ الى

يومنا. ومن مآثره تعريبهُ لكتاب السيد دي سيفور ردًّا على مشاكل الملحدين طبعهُ في القدس الشريف. وفي السنة ١٨٧٣ لمَّا عدل الكرسي الرسولي عن توجيه السيد ميلاني عيَّن مجمع انتشار الايمان الاب لودوفيكو كوكيل رسولي لقصادة سوريَّة وبقي في هذه الرتبة سنتين عُهدت اليهِ في اثنائهما نظارة الاقباط الكاثوليك فنجح مسعاهُ ونال رضى الكرسي الرسولي الذي وكل اليهِ نيابة حلب وقصادة القطر الشامي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٧٣ وسيم اسقفًا شرفيًّا على سيونيا (Siunia) ولا حاجة لأن نطيل الكلام عمَّا ابداهُ هذا السيد من النشاط والغيرة في تنشئة واجباتهِ واعمالهُ لا تزال الى اليوم مطبوعة في ذاكرة كل من عرفهُ. ولمَّا توفي السيد منصور براكو في ١٩ حزيران سنة ١٨٨٩ اختارهُ البابا لاون الثالث عشر لكرسي اورشليم البطريركي في ٢٨ آب فشرَّف ذلك المقام بمناقبهِ خمس عشرة سنة وكانت وفاتهُ في ٢٤ ك ٢ سنة ١٩٠٥

١٢ ﴿ السيد غودنسيو ﴾ هو غودنسيو بونفيلي (G. Bonfigli) ولد في ماتيليكه (Metelica) من اعمال ايطالية في ٦ اذار سنة ١٨٣١ وانتظم في سلك رهبان مار فرنسيس في ١٧ آب ١٨٤٦ وبعد نجاز دروسهِ تكهَّن في ١٧ ك ١ سنة ١٨٥٢ ثم تولَّى تدريس الفلسفة. وكان مجيئهُ الى سوريَّة في ت٢ سنة ١٨٥٨ فانكبَّ على درس العربيَّة حتى اتقنها وصنَّف في اصولها كتابًا طُبع في اورشليم ثم باشر في حلب اعمال الرسالة وترأس على مدرستها حتى انتخب رئيسًا عامًّا على اديار الاراضي المقدسة سنة ١٨٧٤ وتولَّى مهام وظيفتهِ ستَّ سنين وفي نهايتها اقيم معاونًا لقصادة سوريَّة وسيم اسقفًا شرفيًّا على كاسيا (Cassia) في ١٩ آب من السنة ١٨٨١ ولمَّا نُقل السيد بياني الى كرسي اورشليم تعيَّن خلفًا لهُ في قصادة سوريَّة في غاية ك ١ سنة ١٨٨٩ فدبَّرها بما اشتهر فيهِ من الحكمة والفطنة ودماثة الاخلاق حتى وجَّه اليهِ البابا لاون الثالث عشر قصادة القطر المصري ونيابتهُ الرسوليَّة في ١٩ آب سنة ١٨٩٦ فاختلب كل القلوب بتقاهُ ولطفهِ ومن آثارهِ انهُ تصدَّر في مجمع الاقباط الكاثوليك سنة ١٨٩٨. ولمَّا تمَّ مرور خمسين سنة على كهنوتهِ أُقيمت حفلات بهيجة اظهر فيها المصريُّون امتنانهم لراعيهم المحبوب في اواخر سنة ١٩٠٣. وكانت وفاتهُ بعدها باشهر في ١٤ نيسان من السنة ١٩٠٤

١٣ ﴿ السيد دوفال ﴾ هو بطرس غونزالس كرلوس دوفال (C.Duval)

كان مولده في تول من اعمال فرنسة في ١٠ آب سنة ١٨٣٣ ثم زهد في الدنيا صغيرًا ودخل في رهبانية القديس دومنيك ولما اتمّ دروسهُ الكهنوتيّة طلب ان يخدم النفوس في رسالات الشرق فأُرسل الى بلاد ما بين النهرين فقضى نحو اربعين سنة في الوصل كراهب ومرسل ورئيس عام وترك في كلّ تلك الاحوال مآثر عديدة تنطق بفضله حتى الآن كالمدارس للصبية والفتيات والمآوى والمستوصفات وتجهيز المطبعة وانشاء مدرسة اكليريكيّة للسريان والكلدان الكاثوليك . وكان تعيينهُ لقصادة سوريّة في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ وسيم في ٢٢ كانون ١ وجُعل رئيس اساقفة بترا شرفًا واعرب في تدبير الامور عن حسن روية وغيرة رسوليّة لم تبرح آثارهما حيّة في قلوب الجميع . ولو لم يُبقِ من اعماله غير التمثال الذي اقامهُ في روابي لبنان لكفاهُ فخرًا . توفي السيد دوفال في سلخ تموز سنة ١٩٠٤

١٤ ﴿ السيد جياننيني ﴾ هو سيادة قاصدنا الجزيل الاحترام فريديانو جياننيني (Giannini) الذي يرعانا منذ اربع سنوات بسامي تدبيره ولما كانت جريدة البشير قد اتّسعت في ذكر مآثره الجمّة في عددها الصادر في ٢١ كانون ١ نكتفي بأن نحيل القرّاء اليها ولا نذكر هنا لفائدة التاريخ غير ما يُرجَع اليه من الحوادث العامّة . ولد سيادتهُ في بوتزانو (Pozzano) من ابرشية لوكا في ١٦ حزيران ١٨٦١ وبعد انكبابه على الدروس الاولى والثانويّة انحاز الى الرهبانيّة السيرافية في سنة ١٨٧٦ ثمّ انقطع مدّة الى الدروس الفلسفيّة واللاهوتيّة فبرع فيها كما امتاز في آداب اللغة الايطاليّة وقد تولّى تدريس معظم هذه العلوم ولهُ فيها المصنّفات الجليلة . وقد قدّرتهُ رهبانيّتهُ حقّ قدره اذ دعتهُ الى رئاسة احد اقاليمها سنة ١٨٩٨ ثمّ الى رئاسة الاراضي المقدّسة العامّة في ك ٢ سنة ١٩٠٠ . وفي ٢٧ ك ٢ سنة ١٩٠٥ حظيت بلادنا بنعمة ترقيته الى نيابة حلب وقصادة سوريّة مع لقب رئيس اساقفة سرّه (Serre) شرفًا . حفظهُ الله لنا بعينهِ الساهرة ومتّعنا بفضائله وحسن تدبيره سنين عديدة امين

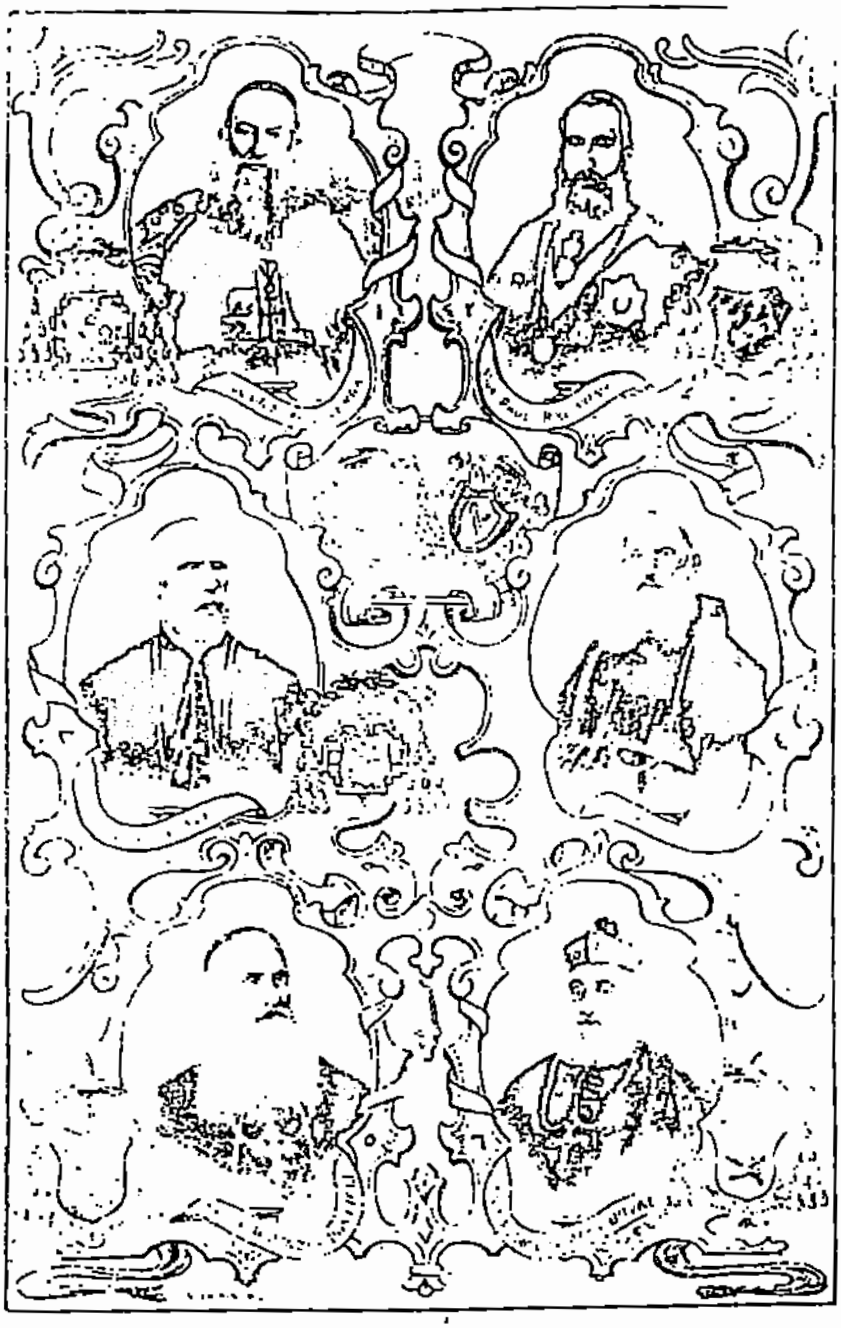

سادة القضاد الرسوليين على سورية من السنة ١٨٥٠ الى ١٩٠٤

١ يوسف قالرگا ٢ بولس برونوني ٣ لودوفيكو بياقي ٤ ساروفيم ميلاني
٥ غودفسيو بتغيلي ٦ كرلوس دوقال

عوائد الحبش

للصيدلي القانوني ميخائيل افندي عبد الله رعد

١ً الهيئة والطبع

انَّ شعب الاحباش يتألف من ١٢ الى ١٥ مليوناً من المسيحيين وهم متفرّقون في كل انحاء جبال الحبشة ويرقون اصلهم الى بني سام. امّا العائلة المالكة اليوم فتفتخر خصوصاً بانَّ سلالتها تتصل بسليمان الحكيم وملكة سبا (راجع المشرق ١٥ت١ سنة ١٩٠٣) فالحبشيّ الاصلي الذي لم يختلط دمهُ بدم العبيد يختلف كل الاختلاف عن عبيد السودان فهو ليس باسود اللون وانما لون بشرته زيتونيّ او احمر نحاسيّ وهذا اللون يتنوّع كتنوّع الاصل والفصيلة وامتزاج الدم ونوع المعيشة وغير ذلك من العوامل فترى الاسمر والضارب الى الحمرة والزيتونيّ والاسود. وكثيرٌ منهم وخصوصاً النساء يبعد شبههم عن العبيد بملاسة الشعور ورخافة الشفاه وجمال الملامح. فالفتى والفتاة من الاحباش ليسا بشنيعي الهيئة في حداثة سنهما ولكن لا يتم التعب ونوع المعيشة ان يغيّرا تلك الهيئة فيظهر عليهما بعد ذلك عدم انتظام في الاعضاء وشناعة في الخلقة

والاحباش القرويّون حريصون على حفظ انسابهم ويقال ان عندما يزوّجون اولادهم يتحقّق كل من الطرفين نسب الخطيب والخطيبة الى الجدّ الرابع على الاقل ولكن سكان المدن قلّما يراعون مسألة النسب وخصوصاً الاكابر منهم وقد تجد العظماء والامراء يتزوجون بفتيات فُتنوا بحسنهنّ فلم يشدّدوا البحث عن الاصل والفصل وكم من اولئك الجلائل لسنَ في الاصل سوى غنائم حرب او سبايا غزوات فاصبحنَ بعد ذلك اميرات ساميات. وقد أُتيح لي نظر بعض الاميرات واصلهنَّ من قبائل الكوراكي فهنَّ يعشنَ مخدّرات في بيوت اركان الدولة الذين يبالغون في اكرامهنَّ لانهنَّ منظومات في سلك حاشية جلالة الامبراطورة بينما بنو جلدتهنَّ من رجال هذه القبائل يعيشون كالوحوش لا يستر عريهم الّا بعض الاسمال البالية او جلود الغنم وقد لا يذوقون من القوت سوى الحنص اليابس تراهم يقضمونهُ في الطريق كالبغال. على ان تلك الاميرات سواء كنَّ حبشيّات الاصل ام سبايا الغزوات والحروب كانهنَّ جميلات الهيئة لطيفات

اللامع ويستطاع القول اجمالًا ان الاحباش يقدّرون جمال المرء بقدر ما يكون لون بشرته فاتحًا وبقدر ما يقرب من الابيض. واذا قالوا فلانة حمراء عنوا بذلك انها جميلة واذا قالوا عنها انها سوداء اشاروا به الى كونها قبيحة شنعاء.

*

كل حبشي على الاطلاق خامل كسلان ومن اتّخذ صناعة فهو عندهم بنوع الاجمال ساقط دنيء ومن ارتزق بمهنة متعبة كالحدّادين والبنّائين والفعلة ونحو ذلك فيُحسبون من السفلة. وقد تأصّلت البطالة في طبائع الاحباش وهي ام الرذائل فتراهم يقضون سحابة نهارهم واقسام لياليهم في معاقرة الخمور وفساد الآداب والمشاجرات والمخاصمات والمماحكات والدسائس والمرافعات. واذا دخل حبشي معك بحديث لا تجد لحديثه من نهاية او من جدوى ويلذّ لهُ حديث الكايد والحيل فتبرق عيناهُ من حين الى حين فيظن الناظر اليه ان استنارة عينيه تدل على حذق عندهُ او مهارة وليس الامر كذلك. ومن عاش بينهم زمنًا ولو يسيرًا ودرس شيئًا من اطباعهم قلما ينخدع بمثل هذه الظواهر. ومما يزيد في الطنبور نغمة ان الحبشي معجب بنفسه متعجرف الى حد التوحش وهو مع ذلك جندي لا يخلو من البسالة وتروق في عينيه المظاهرات. فترى الجندي الحبشي — وكلهم مبدئيًا جنود — يقاسي الحرّ والبرد والتعب بسهولة غريبة فتراهُ يستطيع الذهاب مشيًا على الاقدام بلا زاد ولا اثقال نحو الستين والثمانين كيلو مترًا في اليوم وذلك خمسة او ستة ايام متوالية وهو شديد القناعة يكتفيه قليل من الحبوب المشويّة على النار وجرعة ماء بيد انهُ اذا وجد الطعام واللحم النيء على الخصوص قد يقضي نهاره من الصباح الى المساء اكلًا وشربًا بلا انقطاع ولا قياس. وكما انهُ يقاسي الجوع والعطش فهو يحتمل ايضًا الآلام بكل صبر وشجاعة فيسلّم يدهُ او رجلهُ للقطع وانفهُ للجدع او يسير الى المشنقة ولا يبالي ودون ان يظهر عليه اشارات اليأس

سمعت يومًا انّ احد الضباط حُكم عليه بالاعدام لارتكابه جريمة قتل وسُلّم كالعادة المرعية في الحبشة الى اهل القتيل كي يُعدموه بالسيف. واذ بلغوا به الى مكان الاعدام قال لهُ اخو القتيل وهو يستلّ سيفهُ ليقتلهُ:

هل انت خائف

– كلّا لست بخائف منك لان ايديَّ مغلولة ولا استطيع شيئاً ولو كنت واياك في غير هـذا المكان لجرى الامر على خلاف ما نحن . اعلم ان اخاك هو الذي كان يرتجف مني خوفاً عندما اعدمتهُ الحياة

٣ً اللباس والزينة

ثوب الحبشي بسيط اوّلي فهو يلبس سروالًا واسع الدقاريز في اعلاه ضيّق الارجل في اسفلهِ وقميصاً طويلًا الى الركبة ضيق الاكمام . وكلا الثوبين يُعمل من القماش القطني الابيض البسيط والرجل عادةً يخيطهما بيده . ثم يرتدي فوق ذلك برداء ابيض اشبه بالازار يلتفّ بهِ كما كان يتّزر الروم والرومان في سالف الاعصار . واذا كان فصل الشتاء والقرّ اتشح فوق ذلك ببُرنس غليظ النسج يحيكهِ الاحباش انفسهم من صوف الغنم الاسود وهو يشبه كثيرًا وشاح الرعاة الاكراد المعروف في لغة الشام باللبّاد او الكوبان وهو يسيرٌ مكشوف الرأس حافي الرجلين ولا يلبس الاحذية الّا من اصابه جذام او مرض كريه . والاغنياء منهم يلفّون رأسهم بمنديل من الشاش الابيض الرقيق وقد درج اليوم اتّخاذ القبعة عند التزر اليسير . واذا كان الحبشي في سفر او خرج من بلدهِ لفّ حقويه بزنار من الشاش ثم تمنطق فوقهُ بمنطقة من الجلد . وهو زنار الخرطوش ثم شكّ مسدّسهُ وحمل بندقيتهُ وسار

هذا هو لباس الحبشي يلبسهُ على السواء (الّا في بعض أيام الاعياد والاحتفالات السنويّة) الكبير والصغير والغني والفقير . على ان الامراء وذوي المناصب الرفيعة يختلفون عمّا سواهم بلبس بُرنس من الحرير مطرّز الاطراف والقبعة . امّا الاعياد والاحتفالات فالمتقدّمون منهم بالوظائف يلبسون فيها قميصاً من الانسجة الحريريّة يخامهُ عليهم عادةً الملك او الامراء . ومن ابتاع قميصاً حريريًا ولبسهُ دون ان يُخلع عليهِ في البدء او يستأذن بهِ رئيسه الاعلى فيؤخذ منهُ القميص وتُغلّ وجلاه بالحديد . وفوق هذا القميص يلبسون رداء من جلد الاسد او النمر وقد يقوم مقامه وشاح من المخمل المطرّز الّا انهُ اقل شأناً من الجلود ولو كان اكثر رونقاً

ويجب على كل مسيحي ان يعلّق في عنقه سلكاً رفيعاً اسود اللون او ازرقهُ والبعض يربطون في هذا السلك صليباً من الفضة او الحديد وغيرهم يزيدون فوق الصليب

حلقةً وحكمًا للاذن وقلمًا من رصاص او تمائم وكتابات ليردُّوا سوء العين كما يزعمون او غير ذلك من الخزعبلات. امّا النساء فيلبسنَ سروالًا عريضًا تشدُّ رجلاه عند الركبة وفستانًا مرحرحًا هو نوع من القميص ضيق الاكمام وربّما طرّزت تلك الاكمام وفتحة الصدر بخيوط من الحرير الازرق. والفتيات منهنَّ وهنَّ الاميرات ونسوة ذوي المناصب يلبسنَ الاساور الفضيَّة الغليظة في ايديهنَّ والخلاخل في ارجلهنَّ ويتشحنَ بالبرنس الحريري كرجالهنَّ

والاحباش غالبًا تذرون في بيوتهم وملابسهم ومآكلهم والفلّاح منهم اذا ابتاع ثوبًا جديدًا غسله اوّلًا بالسمن ثم نشره بالشمس من اربعة الى ثمانية أيام وعاد فلبسهُ وهو لا يغسلهُ حتى يتقطّع ويسقط. على ان سكّان المدن وخصوصًا الموظفون والذين دخلوا في خدمة الافرنج او عاملوهم كالباعة والدلالين فهؤلاء وان لم يغيّروا عاداتهم القذرة في بيوتهم ومآكلهم الّا انهم اضحوا اليوم احرص على غسل لباسهم ويحبون التظاهر في أيام الاحاد والاعياد على الاخص بثوب نظيف ابيض وذلك اذا سمحت لهم ذات يدهم فمكّنتهم من شراء الصابون

واذا مات احدهم لبس عليه اقاربه وذووه الحداد وما ثوب الحداد عندهم الّا اللباس القذر المقطع. واذا كان الميت من الاسرة المالكة او من الامراء الرؤوس او من حكام المقاطعات او الامارات رأيت الاحباش كلهم مرتدين باثياب القذرة البالية وبعضهم يصبغون اثيابهم بصبغة وسخة

*

الاحباش يجزّون شعور رؤوسهم لا يختلف في ذلك رجالهم ونساؤهم والبعض منهم يحلقونها بالموسى او بقطعة من الزجاج وصغارهم يتركون لهم اكاليلًا من الشعر على دائرة رؤوسهم ثم يحلقون لهم الوسط. والبعض يجعلون لهم ناصيةً طويلة بدل الاكليل المستدير. والذين اشتهروا بالفروسية كقاتلي الاسد والفيل فهؤلاء يرخون شعور رؤوسهم مسترسلةً وربّما اهملوها متشعثةً منتصبة ويضعون الحلق في آذانهم. وبعض النساء يربينَ شعورهنَّ ويضفرنها ضفائر رفيعة ثم يطلينها بالسمن مع مساحيق بعض النباتات العطريّة. امّا في اوقات الحداد فحلق شعر الرأس ضربة لازب الرجال والنساء على حدٍّ سواء

٣ المساكن

مساكن الاحباش كلها كناية عن اكواخ حقيرة مستديرة الشكل تُصنع من الاخشاب او اغصان الشجر او القصب يضمُّونها الى بعضها بالحبال او بالالياف و يطلونها من داخل ومن خارج بالطين ثم يجعلون فوقها سقفاً من الهشيم هو كناية عن غطاء هرمي يحكمونه بالاعشاب اليابسة حبكاً دقيقاً حتى لا تعود تخرقه مياه الشتاء بالرغم عن غزارة الامطار التي تهطل سيولاً في هذه الاقطار الافريقية . واذا كان صاحب البيت ذا يسر او كان من الرؤساء او من الحكام بنى بيته مستطيل الشكل لكنه يجعله مستدير الطرفين او بالحري بيضاوي الشكل فان الاحباش لا يعرفون صنع الزوايا في جدران بيوتهم . وهم لا يعملون لبيوتهم ابواباً تغلق ولا نوافذ بل يسترون المدخل في الليل بشيء من الاغصان وفي المحلات الكثيرة السكان يقوم مقام الباب ستارة من الحصير . ففي مثل هذا الكوخ ينام الحبشي ويجلس ويأكل ويشرب ويطبخ ويخبز وتبيت معهُ بهائمه ومواشيه ولذلك كثرت امراض العيون عند الاحباش وخصوصاً الاغشية فوق البؤبؤ وما ذلك الّا لطول مكثهم وسط الدخان . اما العظماء فبيوتهم واسعة العرصة وهي على شكل صيرة او زريبة يحيط بها سياج من الاشواك وفي وسطها عددٌ من الاكواخ السابق وصفها منها للطبخ ومنها للخبز ومنها لمبيت البهائم ومنها للعبيد ومنها لاجتماع الخدام والعبيد في الولائم وكوخ لمبيت سيد البيت مع امرأته و بناه وحضانه العزيزين

واذا دخلتَ الى داخل هذه المساكن لا تجد شيئاً مما اعتدنا عليه من ضروريات المعيشة فهنالك قطعة حصير او جلد مبسوط على الحضيض وهو الفراش ثم بعض اثياب معلقةً او منضَّدة في حفيظة او في كيس وطبق قش وهو السفرة وجاق النار و بعض الآنية الفخّارية وقصعة من الخشب لسكب الطعام وجرة ماء وقدحان مصنوعان من قرون البقر وقرن ضخم او اثنان فيهما البوزا وهما عادةً يعلّقان على الجدار . واذا كان البيت مسكن احد الاكابر يفرشونهُ بالعشب اليابس والقش وفي صدره سرير من الخشب محبوك بسيور من الجلد وعليه سجادة ومخدّتان للتوكؤ هذا مجلس السيد وفراش نومه وامام هذا المقعد بساطٌ من الصوف او اثنان لجلوس الضيوف . وفوقه ترى معلقاً

على الجدار بندقية السيد وحربته وترسه وسيفه وكتاب المزامير في محفظة من الجلد. والامراء تعوّدوا اليوم بعض المدنية فتجد في بيوتهم الاسرّة الحديدية والسجاد النفيس والاواني المرصّعة بالفضة والمحلّاة بالذهب والانسجة المزركشة والكراسي والمقاعد واكثر ذلك هدايا من الاجانب

وقد ابتدأ اليوم بعض هؤلاء الامراء والعظماء ببناء بيوت بل هي قصور على الهندسة الحديثة الافرنجية مغطّاة بالصفائح او بالقرميد. ولكن لم تزل مثل هذه البيوت تُعدّ على الاصابع ولا يستعملها عادةً اربابها الامراء الّا عند استقبال ضيف ذي مقام او احد الافرنج اما هم فيسكنون اكواخهم على جانب هذه القصور. حتى ان النجاشي منليك نفسه لم يسكن قصره الفخيم الّا من سنين قلائل ولانهُ اضطرّ الى ذلك بحكم الترقي لكثرة مداخلته اليوم مع الاوروبيين ومواصلة زيارات السفراء والقناصل له. وجلالته في مقدمة الاحباش الذين اعجبهم التمدّن العصري فخطوا الخطوة الكبيرة نحوه

الاغذية والولائم

غذاء الاحباش خبز فطير مصنوع من دقيق الحبوب واكثرها الذُرة والقمح ونوع يُدعى بلسانهم «تِلف» حبّه دقيق كالسمسم وخبزه فيه طعم من الحموضة وهو يعرفهم افخر انواع الخبز. والحبش يعجنون الدقيق بالماء بلا ملح وهم يجعلونه رخواً ثم يصبّونه اقراصاً رقيقة على صفائح من فخار او من حديد تُعرف في بلادنا بالساج. وفي الاعياد يعملون نوعاً من خبز القمح يضيفون في عجينه بعض النباتات العطرية ثم يجعلونه كتلاً ويلفّونه بعروق الموز ويخبزونه بعد ذلك في وسط صاجين يُحميان بنار خفيفة

اما الطبخ فغير متنوّع الالوان يضيفون الى جميعه كميات كبيرة من البسباس الاحمر. وانواع هذا الطبخ ما عدا المرق ثريد جامد مركب من البسباس ودقيق الحمص او الفول او العدس مع شيء من السمن والبصل. وما عدا ذلك فهم يأكلون اللبن الجامد واللحم المقلي والحبوب اليابسة نيئةً او محمّصةً على النار او مسلوقةً بالماء. اما اللحوم فيأكلون البقر والغنم والمعزي ويأكلون لحمها نيئاً على الخصوص ومن الطيور الدجاج ومن الطرائد بعضها كالغزال والايل وفرس الماء واما الخنزير وبقية الطرائد مجنحةً كانت

ام من ذوات الاربع فلا يذوقونها . وهم لا يذوقون ايضاً من الخضر الّا قليلاً من نوع كرنب برّي مخصوص يدعى كرنب البقر ومن الفواكه سوى الموز والكبّاد والليمون الحامض وما سوى ذلك فمن زرع خضرةً او فاكهةً باعها للافرنج

واذا جلس الحبشي لتناول الطعام تربّع على الارض امام طبق من القش عليه ارغفة الخبز مطبقٌ بعضها فوق البعض والثريد مسكوب على الرغيف الاعلى فيقطع الآكل الخبز باصابعه ويغمسه بالحساء ويأكل . واذا كان مع الطعام شيء من اللحم المقلي او المسلوق قُطّع إربًا ونُثر على الخبز امامه . ثم يأتي عبدٌ حاملاً فخذ بقر او غنم نيئًا فيأخذ المتكيّ سكينًا ويقطع منه ما شاء ويلتهمه بشراهة . ثم يقدّم اليه قدح من القرن او من الحديد يسع لترًا على الاقل فيه سكنجبين من العسل او بوزا من الشعير فيشرب وقد لا يرتوي الّا بعد ان يكون شرب خماسًا او سداسًا . والثري منهم تجلس بجانبه جارية او خادم يحضر له اللقم ويدخلها في فيه . واذا قُدّم اليه الشراب جُعل وسط قارورة كروية البطن ولها رقبة رفيعة . وقد تُلفّ هذه القارورة بمنديل من الحرير اذا كان رب البيت من الامراء او من ذوي المناصب الرفيعة

وفي الولائم العمومية التي تُعدّ سُفرها في الاعياد عند الملك او الامراء فيجعل الخبز المغموس بالحساء على سفر مستطيلة واطئة تُعمل عادةً من القصب المحبوك بالسيور . وقد درج اليوم في بيت الملك استعمالها من الخشب لانّ القصب سريع التكسّر . فيجلس الناس حولها متربعين على الارض او على العشب اليابس المفروش وهنالك رجال مشمري السواعد يحملون الخبز فيغمسونه في الحساء ويجعلون فوقه الثريد واللحم المطبوخ ويقدمونه للآكلين . وغيرهم وهم السقاة يقدمون البوزا والسكنجبين وخدام آخرون يقدمون اللحم النيّ وغيرهم يتقبلون الاقداح الفارغة فيملؤنها من البراميل . وقد اعتاضوا في بيت الملك عن البراميل بانابيب حديدية يجري فيها السكنجبين في ايام الاعياد كالماء . وهناك ايضًا رجالٌ في ايديهم العصي الطوال يُخرجون الفوج الذي انتهى من الاكل والشرب ويُدخلون غيره ممّن هم وقوف على الباب . وقد يحدو بهم الجدال الى الضرب بقساوة فيقوم الخصام ويعلو الصراخ وتتكسر الرؤوس وتسيل الدماء ولا عجب اذا كان الحجّاب والخدام والسقاة والناس كلهم سكارى لا يعلمون ما هم فاعلون

الجمعيَّة المشرقية في بيروت

بقلم الاديب يوسف افندي اليان سركيس

اتحفنا الاب مدير المشرق بتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ولقد اجاد وافاد فيما نقلهُ من الحوادث والاخبار التي تدلّ على النهضة العلميَّة العربيَّة في سائر الاقطار لاسيما في الديار السوريَّة وما بُذل فيها من الكدّ والعناء في سبيل ارتقاء العلوم والمعارف

ولمَّا كان الاب المذكور قد طلب ان تنبّهُ افكارهُ الى ما سها عن ذكره رأينا من الواجب ان نخبرهُ عن اثر حميد خلَّفهُ لنا اهل الادب في مدينتنا بيروت من زمن غير بعيد الا وهو تأسيسهم جمعية ادبية علمية ضوت اليها نخبةٌ من نخبة الادباء واجلّهم منهم من لم تزل تردد اسماءهم ألسن البيروتيين وسنأتي على ذكر اكثرهم وقد لُقِّبت بالجمعيَّة المشرقيَّة كما قرأنا اسمها في سجلّ وقائعها الذي وصل الينا. والاعجب من ذلك ان هذه الجمعيَّة تأسست والتأمت في دير الآباء اليسوعيين ودامت جلساتها متوالية اكثر من سنتين وكانت زاهرة نامية يديرها احد آباء هذه الرهبانية التي اشتهرت بحب العلوم ونشرها في العصور في كل آن. ولا ندري كيف فات صاحب مقالة الآداب معرفة هذا الاثر الذي هو نقطة مهمَّة في تاريخ المعارف في هذه المدينة التي ما زال العلم بها منتشرًا تحت ظلّ اللواء العثماني

وانا لنأسف كل الاسف على ان سجلّ الوقائع الذي بيدنا غير كامل فلا نقدر ان نصف اعمال هذه الجمعيَّة وصفًا وافيًا مفصلًا الا انَّ ما بقي فيه هو كافٍ ليعلمنا كم كان لهذا المشروع الحميد من القدر والشأن. وناهيك من امر صيته ما قرأناهُ في احدى جلساتها ان احد علماء القرن التاسع عشر سليل السماعنة المشهورين بالعلم والفضل وهو الاب العالم يوسف السمعاني الماروني قد طلب ان يكون عضوًا مكاتبًا لهذه الجمعيَّة وسيأتيك نبذة من الرسالة التي وجّهها اليه اعضاء الجمعية ملتمسين طلبهُ ومتشكرين لهُ مع التماسهم منهُ بان يمدّهم بمعارفه وسعة علومه

امَّا الجمعيَّة فكان منشأها في سنة ١٨٥٠ وعُقدت الجلسة الاولى في دير الآباء

القاصد الرسولي

السيد فريديانو جيانيني

اليسوعيين في ١٧ من شهر كانون الثاني كما هو مسطَّر في سجلّها المسمّى « تقويم الوقائع » واليك ما كُتب فيه على علّاته :

اجتمعت الجمعية المشرقية في بيروت في ١٧ كانون ثاني في الساعة واحدة بعد الغروب وقرّرت في جلسة قانونية البنود الآتية التي قد نجدّدت ايضاً في جلسة ١٠ اذار الاعتيادية :

اولاً ان غاية اعضاء هذه الجمعية هي الاستفادة والافادة ما امكنهم الى الغير بواسطة مشاركة الاعضاء بعضها الى بعض في العمل المقصود وحضور جملة اعضاء الذين تأييداً لمواظبتهم الجلسات يعدون الجمعية بالحضور او بالاعلام عن المانع اذا وجد

ثانياً انهُ اذا لم يفوا هذا العهد يلتزموا لاعطاء صندوق الجمعية غروش ١ لاول مرّة

ثالثاً المباشر الجمعية يتولى المحافظة على توفية العهد المذكور « ٢ لثاني مرّة

وكان فيها اعضاء اجانب منهم الدكتور سوكه الشهير . امّا معظمهم فكانوا من الوطنيين ولم نجد جدول اسمائهم وجرت اكثر مباحثاتهم باللغة العربية

واليك فقرات من اوّل خطاب افتتاحي القاه على « جمهور الجمعية المفيدة » احد اعضائها الخواجا نقولا منسا في ١ شباط من سنة ٨٥٠ . قال

ان القضايا التي يقتضي ان نصرف بها حياتنا باستحقاق هي ثلاثة : الله والطبيعة وذواتنا ولذلك يجب ان يكون الانسان جيد التصرف في مواهب الفطنة المعطية لهُ من الباري كي يمجدهُ تعالى ثم يحسن سلوكه مع قريبهِ واخيراً يفهم الواجب عليه عمله نحو ذاته . فبالضرورة قد جاز لنا ان ندخل في التربية العامّة علم القراءة . الكتابة . القياسات . معرفة الفلك . المخلوقات . ورسم الكرة . خطوط البلاد . تواريخها القديمة والحديثة . اخلاق سكانها كي نستقي من موارد العقلاء ونتجنب مسالك الجهلاء . . .

ثم افاض في الكلام عن العلوم وفوائدها الى ان قال مبيناً غاية الجمعية وبعض قوانينها وذكر الآباء اليسوعيين المهتمين بانشائها فقال :

ومن المعلوم ان القصد في المنافع التي تحصل ان شاء الله ليس فقط ان تعمّ ذواتنا بل ايضاً الخارجين عنها ولهذا روى ان تلقب بالجمعية الشرقية المفيدة والحالة هذه لا يُمنع احد عن الدخول اليها فضلاً عمّا يجب على كل من الاعضاء ان يعتني بالمناسبة في ايراد ما سوف يقرّر في كل جلسة عند اخلائه اذ ان بذلك تصل الى بلوغ الارب واما التكلم حين الجلسة فان حسن يكون منوطاً في نفس الاعضاء دون غيرهم . وقد وجدتُ موافقاً ان يكون افتتاح جمعيتنا في المحاورة عن سوريّا وما يتعلّق بها من التواريخ والاطباع حيث ينبغي اولاً ان يكون عندنا حقّ المعرفة في بلادنا ولا يقال : اصرفوا وقتهم في مطالعة الفنون وهم من حال بلادهم جاهلون . ولندي حمداً الى المراحم الالهية التي الهمت حضرات الآباء المحترمين ان يكونوا مساعدين لنا في العمل كونهم اعدّوا محلاً في نفس ديرهم العامر لاجل استقبال من اراد الانضمام الى هذه

الشركة . ثم اتخذوها كرماً في الكتب النافعة ولم يزالوا مستعدين في تقدم ما يلزم رويداً حسبما يقضيه الامر بالمستقبل . فلا ريب انهم قد اصابوا بهذا الصنيع سبباً لاجل وقاية من يصبو الى الارتقا في درجة العلوم من الوقوع في خلل جمعيات اخر ليس هذه غايتها بل متطوية على خلاف مباني مكنونة في عقول مدبرها والله هو اعلم . حتى ان مثل ذلك لا يجد سبيلاً الى الاعتذار عن عدم الدخول في المحل المأمون . هذا وقد ترى ان الآباء المشار اليهم فهم مغدون يهذبون جم الكفاية لاجل تنوير الذوات في المواضيع المبهمة التي يعجزوا عن ادراك معانيها ويعبر الاستثناء عن تلك الجمعيات التي اذا زلّ بها العالم زل بزلته العالم . ومن كون ان لغة رئيس هذه الجمعية هي فرنساوية والاعضاء الجالسون منهم من هو كفوًا للمفهومية بها ومنهم من ليس هو كذلك ومنهم من لا يدركها اصلاً فالاصوب ان لا تحدد المحاورة في هذه اللغة فقط بل وبالعربية ايضاً وهكذا باستعمال عاتين اللغتين نستبين الواحدة على الاخرى . فنسأله تعالى ان يمنّ في نجاح مقاصد هذه الشركة الراجحة الى مجده وخير الجمهور كي تنبت اغراساً ذات اوراق حسنة يستظل تحتها كثيرون وتجري منها اثاراً لذيذة يتندي منها الموضون انهُ على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

ولم يذكر صاحب الخطاب اسم اليسوعيين صريحاً بل دعاهم الآباء المحترمين . على اننا سنرى اسمهم واسم مدير الجمعية ورئيسها في محل آخر

وخطب في هذا النادي الخواجا داود برتران في ٢٢ من شباط سنة ١٨٥٠ يوم الجمعة مساء وذلك في علم الفلك والكواكب والاجرام السماوية . ومما قالهُ في فاتحة الخطاب بعد الحمدلة ما يأتي :

يلزمنا ايضاً ان نقدم جميعنا واجبات المعروف والجميل لحضرات رؤساء هذه الجمعية الفخيمة التي بواسطة همتهم العظيمة وغيرتهم الجسيمة قد انتشت هذه الجمعية جذه المدينة لمنفعة الجمهور باكتساب العلوم والفنون . فبحمده تعالى اننا لحاصلون على كامل الوسائط الضرورية والمفيدة لاجل الحصول على هذه الغاية الحميدة . فنروم انهُ بواسطة همة الرئيس المحترم وبقية اعضاء هذه الجمعية المكرمين . يمكننا الحصول على جملة كتب مفيدة كانت عربية ام افرنجية . سيما حيث وجود مطبعة الحجر (١) يمكننا ايضاً بواسطتها طبع بعض اشياء ضرورية لافادة ارباب الجمعية . . .

وقبل ان يتكلم الخطيب عن الفلك قال :

أن الديار العربية كانت في الزمن القديم ام العلوم ومعدن الحكمة وكان فيها ما لا يحصى من المدارس والعلماء المحققين والمتبحرين في جميع العلوم المتداولة والمنقولة الخ

---

(١) هي في الغالب مطبعة الحجر للآباء اليسوعيين التي طبع فيها بعض الكتب النادرة الوجود (المشرق ٣ : ٧٠٦)

ثم ذكر انتقال العلوم الى الافرنج بدخولها اليها من بلاد الاندلس ثم تقهقرها في البلاد العربية فقال :

فلنجدّ الان في طلب المعارف في الكتب المفيدة ونكشف ما كان للان محجوباً عن بصيرتنا وهكذا بمجرد المطالعة على ما نجهلهُ . واتقان ما نعرفهُ . نصدّر الحكم على ما كان خاطئاً . ونرجحه على ما كان صائباً . . . الخ

وكثيرًا ما خطب في هذا النادي باللغة الفرنساوية الدكتور سوكه الشهير في بلادنا السوريّة بسعة معارفه وتضلعه في العلوم والطب خاصةً . وكان المترجم لهذه الخطب المرحوم نعمة الله قيقانو الذي صيته في جبل لبنان وبيروت اشهر من نار على علم . وقد عرّب بعضها ايضاً داود برتران

وقد حال دون اجتماع الاعضاء في هذا النادي مانعٌ لم يذكرهُ لنا تقويم الوقائع وذلك مدة شهرين ونصف يستدلّ على ذلك من خطبة القاها الخواجا نعمة الله قيقانو في الثالث عشر من شهر آب سنة ١٨٥٠ فافتتحها بكلام ينشط به همة الاعضاء ويحثهم على المثابرة في السعي وعدم الملل لكل ما يؤول الى نجاح الجمعيّة . ومما قالهُ :

ان الامر الذي يذهلني و يخجلني مما اننا نرى الذين لا فائدة وربح لهم خصوصي من ذلك يجتهدون في قيام ونجاح هذه الجمعية بما لا يحدّ ومَنْ هم هؤلاء هم حضرات الاباء اليسوعيين الذين هم اساس هذه النيرة وجناب السنيور سوكه الذي نراه لا يمل ولا يضجر من ان يفيض علينا من ينبوع حذاقته وعلمه في كل جمعية باذلاً جهده وتاعباً فكره لكي يفيدنا من علومه . . . الخ

وقال ايضاً ان الغم شمله لما اجمع عليه الاعضاء بعد المداولة بان يكفّوا عن الاجتماع مدة شهرين ونصف من الان . لاسباب معلومة لا حاجة لذكرها ولكن علّل نفسهُ بالرجوع بعد هذه المدة باكثر نشاطٍ وهمة

ولبثت هذه الجمعيّة نامية الى سنة ١٨٥٢ كما جاء في سجلّها :

اجتمعت الجمعية الشرقية في بيروت ليلة الخميس الساعة واحدة بعد الغروب الواقع في ١٦ كانون ثاني سنة ١٨٥٢ وباثناء ذلك وقع الانتخاب من اثنى وعشرون صوتاً وسمي رئيس واحد ابراهيم افندي . ونايبان فرنسيس مسك ومارون نقاش . وماونين ثلثة حنا ابي صعب وجبرايل ابيلا وايوب ثابت . وقد تم ذلك برضى كافة الاعضاء صح

وذكر ايضاً في المحل نفسه :

ثم من بعد ثمانية ايام انعقدت جلسة وجا صار انتخاب الخواجه ابراهيم مشاقه معاوناً عوضاً

عن الخواجه مارون نقاش كونه استعفى عن قبول هذه الوظيفة لزيادة اشغاله وهذا الانتخاب كله تمّ بصوتٍ حيّ من كامل اعضاء الجمعيـة . ثم صار ايضاً انتخاب يوسف كميد ونقولا منسا بوظيفة كاتبي الاسرار والخواجه ابراهيم باخوس امين الصندوق والخواجه درويش اتيان امين المكتبة وقد صار القرار بهذه الجلسة اولاً في ان الحضور الى الجمعية يكون في كل سبتٍ دفعةً واحدة وذلك نهار الخميس مساء من بعد الغروب بنصف ساعة تبتدي الجلسة وتستمر حسبما يقتضيه الامر من الزمن . والجمعية تكون اماً مقفولة ويجتمع بها الاعضاء فقط دون غيرهم واماً مفتوحة ويجتمع بها الاعضاء وخلافهم ايضاً فالمقفولة تتم بها الجلسات الاعتيادية في كل سبتٍ والمفتوحة تصير دفعةً واحدة في الشهر لا غير

وفي الصفحة الثانية من سجل الوقائع ذُكرت « اسماء الاعضاء الذين دخلوا مجدداً في الجمعيّة المشرقية وذلك سنة ١٨٥٢ » وهم :

ابراهيم افندي	فرنسيس مسك	ابراهيم مشاقه	حنا ابو صعب	رزق الله خضرا
يوسف النجار	ايوب ثابت	ظاهر الشدياق	مخايل كميد	جبرايل ابيلا
ابراهيم باخوس	انطون جاهل	فرنسيس مطر	مخايل مطر	اسعد الجميل
حبيب اليازجي	نعوم نصرالله	حبيب موصلي	ايوب ابيلا	طنوس الشدياق
انطون واكيم	حنا عوره	يعقوب ثابت		

امّا الكتاب الذي ارسلهُ الاعضاء الى حضرة الاب الخوري يوسف السمعاني الماروني جواباً على رقيمه الذي به يطلب ان يكون عضواً بالمكاتبة لهذه الجمعية فلم نرَ لهُ تاريخاً ولم يذكر فيهِ اسم المدينة التي أُرسل اليها وقد ألحقوه بملخص اعمال الجمعيّة منذ نشأتها ومنهُ علمنا اسم رئيس الجمعية ومديرها وقد اظهر الاعضاء شعائر الفرح العظيم الذي شملهم حينما ورد اليهم طلب الاب المذكور فافتتحت الرسالة هكذا :

نعرض ان افراحنا نشدت طرباً مدائح السرور . ورقصت قلوبنا ضمن احشائنا فرحاً وحبور . كل منّا متوال بما قلبه حواه . غير ناظر الى ما نراه . دارت علينا كؤوس الاشتياق . فجمدت ابصار احدنا بالاخر بلا ارتجاف

ومما كتبوه ايضاً :

انكم تعلمون ان غاية جمعيتنا ليست الّا لخير العام . غير منطوية على غايات خصوصيـة . ولا قصدنا بهذا ارباحاً ذاتية الّا زيادة التمدن لنا وللغير كما هو الامل باعانة واسعاف الاعضاء ذوي الخبرة بهذا العمل

طالبين التوضيح عمّا يلزم ان نشتغلوا بهِ للافادة . فها مرسلين لكم طيه مختصر عملنا بلا نقص ولا زيادة . منهُ تطلعون على ما جنيناه من الاثمار . وتعلمون ما هو اللازم لتتميمهِ وخاصةً تواريخ

هذه الديار. متأملين ان تشرق علينا وقتًا بعد وقت انوار علمكم المرتضى . . . الخ

١ً افتتح الخطاب باول اجتماع رئيس الجمعية جناب الشيخ الياس الدحداح متكلمًا عن تواريخ سورية اذ انها الموضوع الاوجب للتكلم بهِ . . . الخ

٢ً الخواجا نقولا منسا كاتب الاسرار افتتح خطابًا مبرهنًا عن فوائد هذه الجمعية

٣ً ثم الخواجا نقولا المذكور باجتماع اخر اخذ باديًا بتواريخ سورية منذ الطوفان وقسمها الى عشرة اقسام اي مدات الخ

٤ً الخواجا راجي اده احد الاعضاء تبع الخطاب شارحًا عن الوقائع التي حصلت بشمال سوريَّة في وادي العاصي بناحية حلب متقدمًا البراهين والشروحات الاكثر استدلالًا من الكتاب المقدس واكثرها من سفر القضاة ومن سفر يشوع الخ

٥ً الخواجا الياس غانم من الاعضاء تبع المقال من ذلك العهد الى حينما مُسح شاؤل ملكًا على اسرائيل ومن بعد ذلك داود وجميع وقائعهِ وحوادثهِ وباي جهات كانت واوقاتها مفصلًا وكيف بنى اورشليم واتحد مع ملك صور وحارب هدد عزار ملك سوريا ذلك الحرب الشهير العظيم وكيف انتصر عليهِ حتى تملك دمشق واستعبدها واخذ الاسلحة والاواني الذهبية والفضية من بطاح وباروث قال : « وهذه الاخيرة زعم بعض المؤرخين انها بيروتنا والاصح انها غيرها لان الفينيقيين ما كانوا تحت ولاية هدد عزار الخ »

٦ً الخواجا جبرائيل شراباتي من الاعضاء تكلم عن حكم سليمان

٧ً الخواجا راجي اده اخذ الخطاب عن حكومة يوشافاط ملك يهوذا الخ

هذه نهاية ما صار بهِ التكلم عن التواريخ باختصار . وما يختص بالعلوم :

١ً الخواجا داود برتران احد كتبة الجمعية اورد خطابًا مستطيلًا عن الاجرام الفلكية

٢ً الخواجا نعمة الله قيقانو تكلم باللغة العربية عمَّا كان اوردهُ جناب الدكتور سوكه باللغة الفرنساوية عن بعض تأثيرات طبيعية مثل قوة الجذب وغيرها الخ

٣ً الخواجا داود برتران شرح ايضًا خطاب الدكتور سوكه عن الهواء خاصة وانهُ ذو ثقل وليس بجسم بسيط الخ

٤ً الخواجا قيقانو شرح مقالة الدكتور المشار اليهِ عن البالون اي القبة الهوائية الخ

٥ً الخواجا نقولا منسا برهن عن جسم الماء الخ

هذا ملخص اكثر عملنا كتابةً باختصار كلي تاركين اقاويل كثيرة وان كان يفيد ذكرها حذرًا من الاسهاب واما جميع ما صار التكلم بهِ لسانًا من حضرة مدير جمعيتنا الاب روكس ميزنير (١ ذاك الذي اغنانا بشروحاتهِ ذات الافادة بنوع اخص بما تتعلق بهِ التواريخ فما ذكرنا منهُ شيئًا اذ انهُ مستطيل جدًا

---

١) هكذا صُحّف اسم الاب هنري دي برونيار (Henry de Prunières) المرسل اليسوعي الشهير بعلومهِ وقداستهِ

الى هنا بلغ سجلّ الوقائع لهذه الجمعية العلمية التي نشأت ونمت في مدينة بيروت وقد بان لنا من وقائعها حرص الآباء اليسوعيين على نشر المعارف والعلوم في بلادنا ولا يجهل احد ما صرفت هذه الرهبانية من الجد والكد في سبيل نشر العلوم الى يومنا وكلّ ذلك من شأنه ان يحرض ابناء الوطن على الاقتداء بمثلهم. فاذا كان البيروتيون اقاموا ناديًا للعلم والتضلع في المعارف في سنة ١٨٥٠ بوقت لم تكن تحوي بيروت سوى مطبعة واحدة من حجر او اكثر أفلا تستفزّهم الغيرة الآن وقد اتسع نطاق العلم واصبحت عندنا المطابع تُعد بالمئات والكتب بالآلاف لتأسيس نادٍ علمي وخزانة كتب اسوةً بخزانة الكتب الخديويّة وبسائر البلاد الافرنجية. ونحن نعلم انهُ في اوربة لا تخلو مدينة مهما كانت صغيرة لا تحوي اقله خزانة للكتب يطالع فيها اهل الادب ويستعينون بها على توسيع علومهم ومعارفهم. هذا ما خلا الجمعيّات العلميّة التي لا تُعد ولا تُحصى وقد اخبرني احد اولادي الذي تجوّل في بلاد سويسرة ان بعض البلاد التي لا يزيد سكانها عن ٣٠ او ٤٠ الف نسمة فيها خزائن كتب لا يقل عددها عن المائة الف او المائتي الف مجلد. فتأمل

مُلحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

نشكر غاية الشكر همّة محرّر المقالة السابقة الذي أطلعنا على أثر من آثار أدباء بيروت في اواسط القرن السابق - وهو بلا مراء حريٌّ بالذكر اذ يطلعنا على اهتمام الكاثوليك باحراز المعارف وتقديرهم لها حقّ قدرها - وفيه ايضًا دليل ساطع على انّ المرسلين اليسوعيين منذ رجوعهم الى القطر السوريّ في العشر الرابع من القرن التاسع عشر لم يفصلوا العلم عن الدين بل جمعوا بينهما كالاخوين الشقيقين وكفرسي رهان اجروهما في حلبة التمدُّن - امّا عجب جناب الكاتب من انّ اثرًا مثل هذا قريبًا منّا قد فاتنا في مقالتنا عن الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر فانّما هو بيّنة جديدة على انّ المرسلين كثيرًا ما انشأوا المشاريع الخيريّة والعلميّة وسكتوا عنها في كتاباتهم

أنفةً من الجاه العالميّ ولولا بعض الاشارات في تآليف معاصريهم لجهلنا تلك الاعمال تماماً. فمن ذلك ما وجدنا في المجلّات العلميّة عن بعض آباء رهبانيّتنا في القرن التاسع عشر منهم الاب منصور ريلّو (Ryllo) الذي سبق العلماء في كشفهِ عن آثار الاشوريين وارسل من العراق الى اوربّة قبل روبنصون آجُرّات عليها الكتابات المسماريّة وكذلك كان من اوّل الذين وصفوا الكتابات الاشوريّة التي تُرى عند مضيق نهر الكلب. ومنهم الاب لويس فنيك وكان مالطيًا وقد أتقن العربيّة حتى نظم فيها القصائد. ومنهم الاب اسكندر بوركنود السويسريّ الذي ساعد رينان في ابحاثهِ عن فينيقيّة ثمّ ردّ عليهِ في بعض مزاعمهِ الكفريّة التي نسبها زورًا الى العلم

امّا الاب اليسوعيّ الذي نوّهُ بهِ صاحب وقائع الجمعيّة المشرقيّة والمدعو هناك روكس مونيير انّما هو الاب هنري دي برونيار (H. de Prunières) اصلهُ من عائلة عريقة بالشرف وكان مولدهُ في مدينة ڤالنسة من اعمال فرنسة في ٢٧ شباط ١٨٢١. ودخل في الرهبنة اليسوعيّة في ٢٤ ايلول سنة ١٨٤٠ وبعد أن مكّن في قلبهِ الفضائل الرهبانيّة انكبّ على الدروس الدينيّة والعاليّة فبلغ فيها مبلغًا بعيدًا وكذلك تعلّم عدّة لغات حتى عرف منها اربع عشرة. وفي السنة ١٨٤٩ طلب أن يخدم النفوس في الرسالات فابحر الى بيروت وبوصولهِ اليها عكف على درس العربيّة حتى امكنهُ بعد قليل ان يستعين بها في الوعظ والتأليف واشتغل مدّة في مطبعتنا وعُني بنشر بعض مطبوعاتها الدينيّة. وكان باشر بتأليف تاريخ عامّ كتب منهُ عدّة ملازم وعاجلهُ الموت قبل اتمامهِ. وترأس الاب دي برونيار على ديري صيداء ودير القمر. وكان في صيداء في سنة حوادث ١٨٦٠ ولمّا بلغهُ ما صار حولها من المذابح خرج لمساعدة المصابين وكان ينقل على اكتافهِ الموتى ليواريهم اللحد. وكانت اشغالهُ المتراكمة انهكت قواهُ حتى امرهُ الرؤساء بان يعود الى فرنسة ليعالج صحّتهُ لكنّ الموت لم يمهلهُ فيها طويلًا فتوفّي في ٢٣ نيسان سنة ١٨٧٢ في ڤالنسة وطنهِ

امّا الجمعيّة المشرقيّة التي انشأها في بيروت فلم نسمع بها سابقًا ولا نعرف كم من مدّةٍ عاشت. والظاهر من جدول اسماء اعضائها انّها كانت تتألّف من نخبة ادباء بيروت ممّن لا تزال آثارهم تنطق بفضلهم ومرّ لنا ذكر بعضهم كارون النقّاش وابراهيم افندي النجّار وطنّوس الشدياق وسنأتي بذكر غيرهم ان شاء الله. وليست هذه الجمعيّة

اوّل جمعيّة ادبيّة تشكّلت في بيروت وقد كانت سبقتها جمعيّة أُخرى تدعى الجمعيّة السوريّة سعى بانشائها المرسلون الاميركيّون ولاسيما عالي سميث في السنة ١٨٤٧ والشاهد على ذلك انّ الدكتور سميث أرسل الى الجمعيّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG.II,378-388) كتاباً يفيدهم عن انشاء الجمعيّة السوريّة وقد دُوّن هناك دستور تلك الجمعيّة في خمسة عشر بنداً مع وصف المكتبة التي أُفردت لاعضائها (ص ٣٨٢) وكان « مجموعها ٧٥٦ كتاباً منها خطّ عربيّ وتركيّ ٥٢٧ ومنها طبع في لغات مختلفة ٢٢٩ ومن هذه الجملة ٢٤٢ هبة و ٥٤١ قد اشتراها لهذه المكتبة الخواجا نعمة الله ثابت بسبعة الاف غرش ودفع من ثمنها جانباً وقد ورد ليده اسعافاً من بعض احبّاء الجمعيّة لاجل هذا الشراء وعلى الخصوص جناب الكرنال شرشل (Churchill) الذي قدّم ٢٢٠٠ غرشاً من ذلك » ثمّ وصف الكاتب مواضيعها فقال « انّ منها ١٢٩ كتاباً في الفقه و ٥٧ في اعراب القرآن وتفسيره و ٧٣ في الصرف والنحو و ٢٣ في الحديث و ٢٧ في علم الحقيقة والآداب وشيء من الانشاء و ٣١ في المنطق و ١٢ في البيان و ٢٠ في الشعر و ٢٤ في الطبّ وما يتّصل به و ٩ في الحساب والهندسة و ٨ في علم النجوم و ٦٤ في مختلفات شتّى و ١١ باللغة التركيّة » وفي آخر هذا الدستور بعد وصف المكتبة اسماء العمدة الخصوصيّة المؤلفة من الاديبين طنّوس الجدّاد وناصيف اليازجيّ في ١١ ك ٢ ١٨٤٨

ثمّ في السنة التالية عاد الدكتور سميث فكتب في تاريخ ٢٤ ك ١ ١٨٤٩ الى الجمعيّة الاسيويّة (ZDMG . V , 96) بان الجمعيّة السوريّة في بيروت جارية على طريقة منتظمة وانّها عقدت جلساتها في كلّ اسبوعين مرّة . وفي آخر هذه الرسالة كتاب للشيخ ناصيف اليازجيّ يصف فيه المقامات التي صنّفها ويروي منها مقالة العقيقيّة ويعرضها على المستشرقين ليطبعوها

هذا كلّ ما عرفناهُ من امر الجمعيّة السوريّة في تلك السنين الاولى لانشائها . والظاهر انّ الاب هنري دي پرونيار مع أُدباء الكاثوليك لم ينشئوا جمعيّتهم المشرقيّة الّا اقتداء بالجمعيّة السوريّة لينكبوا بالكاثوليك عن الاضاليل البروتستانيّة

امّا الجمعيّة السوريّة فلعلّها أُبطلت مدّة او لم تُعقد جلساتها الّا في اوقات متباعدة . وقد ذكرنا في الجزء الاوّل من كتاب الآداب العربيّة (ص ٧١) استئنافها

سنة ١٨٥٢ ثم تنظيمها سنة ١٨٦٨ . الا انَّ حياة كلّ هذه الجمعيّات وغيرها ايضاً من بعدها كانت قصيرةً لاسيّما بعد اشتداد المراقبة على الجمعيّات العلميّة والمطبوعات . واليوم اذ أُعلن الدستور وتقرَّرت حرّية المطابع فنتمنّى ان تتألف جمعيّة اثبت حياةً واغزر فائدةً والله السميع المجيب

نخبة

من امثال القس حنانيّا المنيّر

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني

ذكر المشرق (٤ : ٩٦٩) في ترجمة المرحوم القس حنانيا المنيّر الزوقي الحناوي ان لهُ نحو اربعة آلاف مثل من امثال لبنان والشام وذكر ندرتها . وبعد التنقيب توفقت الى نخبة منها بعضها فصيح والآخر مولَّد ومنها ما هو من الكتب المنزلة او الاحاديث والحكم ونحوها فاقتطفت منها ما ارسلتهُ الى مجلتكم المشهورة بمباحثها الشرقية لتنشروها حفظاً لها من الضياع وابقيتها بعبارتها المكتوبة بها باللغة العاميّة ورأيت عنوانها هكذا : « مختصر فاكهات البستان لنزهة الخواطر والاذهان من ديوان الخوري حنانيا المنير الراهب الحناوي رحمهُ الله » . وكان وقوفي عليها في شهر اذار سنة ١٩٠٥ ولا بأس ان أُلمَّ بفائدة الامثال قبل الدخول في الموضوع فاقول :

قال ابن المقفَّع : اذا جُعل الكلام مثلاً كان اوضح للمنطق وآنق للسمع واوسع لشعوب الحديث . وقال ابراهيم النظَّام : في المثل اربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة . ومعلوم ان العامّة امثالاً كثيرة متداولة هي نتيجة اختباراتهم ومرآة اخلاقهم وعاداتهم وليس ذلك من خواصّ اللغة العربيّة بل من خواصّ جميع لغات العمور وفي المثل من التبصرة والذكرى ما فيهِ على حدّ قول شاعرنا العربي :

ما أنتَ الّا مثلٌ سائرٌ يعرفهُ الجاهلُ والخابر

وها أنذا اشرع باقتطاف هذه العجالة من امثال القس حنانيا المذكور مرتبة على

عناوينها الاصليَّة مع تداخلها احيانًا حسب ما وجدتها معنيًا بتفسير ما اشكل منها والاشارة الى الروايات الحاضرة لبعضها وهي:

الشغل

الذي ما له شغيلات يعيّر رطيلات (١ = شغل الليل بالويل (٢ = الشغل عبادة ثانية لهُ اجر واجرة = اشتغل بالطين وكُل منهُ = اشتغل بمصريَّة (٣ وحاسب البطَّال = شغل ساعة ولا همّ سنة = كل حركة فيها بركة = كل شي بالامل الّا الرزق بالعمل = من عجبه الكري (٤ اصبح ممارس = وقت الغنايم كان السبع نايم = من حضر السوق باع واشترى = قال: لا تعطي الكري لابي. قال: لا لك ولا لابوك. قال: شرط بالحقلة (٥ ولا قتال على البيدر = الذي ما يجي من القلب عنايته صعبة = الفاعل الجيد عند العصر يبان (٦ = الفاعل النجس اقلّ من موته = بكينا حتى عمينا ومشينا حتى حفينا حتى حصلنا عليه = رحمة الله على من عمل عمله واتقنه ولو كان سخرة = الأجر على قدر التعب = الاعمال بالكمال (٧ = ما بيشكر (٨ السوق الّا من ربح = الصنعة بلا استاد (٩ يدركها الفساد = الذي بيده صنعة مالك قلعة = التعب وسخ

---

١) شُغَيْلات تصغير شُغْلة وتستعملها العامَّة بمعنى الصنعة. وعيَّر امتحن الاوزان. ورُطيلات جمع رُطيل تصغير رطل. والمعنى ان من ليس لهُ عنده شغل يعاير الاوزان

٢) الويل حلول الشرّ والعامَّة تريد به عدم الاتقان

٣) المصريَّة اسم للبارة في عرف العامة وجمعها مصاري ومصريات يقولون. فلان عنده مصاري ومصريات اي غنيّ. واصل الكلمة من النقود المضروبة بمصر

٤) الكريّ بلغة العامة الكراء اي اجرة المستأجر. وعجبه بمعنى اعجبَه

٥) الحقلة عند العامة وقت الحصاد. وقولهُ «لابوك» من تصرُّفات العامة في الاعراب بالحرف وهو كثير عندهم

٦) اي العامل النشيط يظهر نشاطه عند العصر بعد ما يتعب ويكلّ

٧) ويروى بالإكمال وهو أولى

٨) زيادة الباء قبل الفعل المضارع كثيرة في لغة العامة (راجع المشرق ٣: ٤١٥؛ ٤٧٧؛ ٥٥٨)

٩) استاذ يريد استاذ بالذال المعجمة وتتصرَّف العامة بالذال كثيرًا فمنهم من يدغمها في لام التعريف فيقول اللّي في الذي او يحذفونها مثل هيك في هكذا أو يبدلونها دالًا مثل دلّ في ذلّ وغير ذلك

اغسله بيروح = لا تعب الا تعب القلب = الذي له زلعوم بيلتزم يقوم = من لا يعمل عمل لا يأكل ما أكل = اكل ومرعى وقلّة صنعة = كثير النطّ (١ قليل الصيد = من اكل وبان عليه لا اسف عليه = اشتغل بالقصوص حتى يجي الطيّار (٢

الصبر

مصايب الدهر اكثر من نبات الارض = سلّم امورك لرب السما تسلم = ان انصفك الدهر يوم معك ويوم عليك = الله مع الضعيف حتى يعتبر القوي = لا يغلب الايام الا من صبر = الصبر مفتاح الفرج = من صبر نال ومن لجّ كفر = من جرّب المجرّب كان عقله مخرّب = الذي بيعاشر الارواح (٣ لا يكون نوّاح = الحرّ حرّ ولو مسّهُ الضرّ = صاحب الحافر (٤ كافر = من عود لعمود يفرجها الرب المعبود = اذا خرب البيت لا اسف على الكوايز (٥ = ما بعد الضيق الا الفرج = الذي ما بيحط التسعة ما بيلاقي العشرة = ما بعد الصبر الا القبر = اصرف ما بالجيب ياتيك ما بالغيب = اصبر على الحصرم تاكله عنب = من كثرت شهواته دامت مسرّاته = ما بعد القلّة الا الشحادة وما بعد الشحادة الا الموت

---

١) النطّ بمعنى القفز والمشي بسرعة

٢) يظهر ان هذا من امثال النسّاجين أو المطرّزين كان شائعاً في زوق قرية جامع الامثال المشهورة بنسجها الى اليوم. والقصوص يراد به الخيوط القصيرة والطيّار الخيوط الملفوفة على آلة من قصب تسمّى الطيّارة تتّخذ للفّ الخيوط وهي شائعة عندهم الى يومنا

٣) المشهور في هذا المثل (الذي بيعاشر الملاح لا يكون نوّاح) والمعنى انهُ يجب ان يتّقي من مالهِ ولا يبكي كلما دفع درهماً – ومعنى المثل الاصلي في المتن على ما ظهر لنا: ان من تاجر بالارواح كالغنم والماعز والبقر لا يجب ان يبكي كلما فقد منها شيء. لانها معرّضة للموت

٤) كنى بصاحب الحافر عن المكاري لانهُ يمشي مع الدوابّ فيكون غالباً فظ الطبع قاسيه

٥) الكُوارة عند المولّدين وتستعملها العامة كثيراً وهي من طين على شكل معلوم اشبه بجاية النبيذ لها فم ضيّق تُتّخذ لخزن الحنطة والطحين ونحوهما ولعلها مأخوذة من كوارة النحل اي خليّتها وتشبيهها لمشابهتها اياها

الخبر والهم والغمّ والاكل

خبر وضو قمر لا تشتري (١ = ياتيك بالاخبار من لا تسأله (٢ = الشكوى لغير الله مذلّة (مذلّة) = سلّى الهم بالزبيبه (٣ = الصفا درهم والهم قنطار وداهية تنكب من الجمل الثقيل = العشير النكد يا ما (٤ يفوتـه من الايام الطيّبة = اذا كثرت همومك نم وخليها = ايش ما عطاك عمّك خذ منهُ = الشعرة من الخنزير (٥ مكسب = يضرّ المعدة ولا ينفع الاعدا = ان صار لك ابن ضرف (٦ اغرف غرف = تغدَّ فيه قبل مـا يتعشى فيك = درّة (٧ موجودة ولا درّة مفقودة = كُلها عجراء ولا ياكلها غيرك مستوية (٨ = اشتهينا الدجاجة اكلناهـا بريشها = عصفور بيدك ولا كركي طائر (٩ = عصفور كفل زرزور والاثنان طائران = العصفور يتفلّى (١٠ والصياد يتقلّى = كل غداك من بركته قبل ما غيرك يكرته (١١ ويخليك بحسرته = كل غداك من اقربه قبل ما غيرك يعتربه (١٢ = لا تخلّي للوراث الّا ورق الكراث (١٣

---

١) والمشهور برواية هذا المثل اليوم قولهم (خبر وضو قمر لا تشتري آخر مصيره بيان) اي لا تشتر خبر ولا ضوء القمر لانهما ينكشفان اخيراً وتظهر حقيقة وهمهما

٢) كأنهُ من قول الشاعر : (ويأتيك بالاخبار من لم تزوّدِ)

٣) ويقال مثلهُ اليوم (يسلّي الحسّى بقشور البطّيخ)

٤) تستعمل العامة يا ما بمعنى كثيراً ما او طالما ونحوهما

٥) ويروى (من القرد)

٦) ابن الفرف عند العامـة هو الابن الذي يعفّف في الظرف اي جاد الحيوان المسلوخ المدبوغ ويسمّى اللبنة المقطوعة ايضاً

٧) تصحيف (ذرّة) وهي الشيء الدقيق فأبدلت على عادتهم كما مرّ

٨) العجراء في كلام العامة مؤنث اعجر بمعنى الشعر النير الناضج . والشعر الناضج يقال لهُ في عرفهم ايضاً المستوي

٩) والمشهور بهذا المثل اليوم (عصفور بيدك ولا عشرة على الشجرة)

١٠) تفلّي العصفور اذا احتكّ ينقر منقاره بين ريشه

١١) تقول العامة كرتَ الشيء من الوعاء اي رماهُ ومعناهُ هنا الالتهام

١٢) لم نفهم مرادهُ من قوله يقربه والاظهر انهُ بمعنى يلتهمه ايضاً

١٣) الكرّات نبات برّي اشبه بالثوم ويضرب به المثل في كثرته

= اللي بياخذ مالك خذ روحه (١ = لا تفكر لها مدبر = الواحد تعب ما ذاقه والآخر كبر مشداقه (٢

البرطيل

برطل تبرطع (٣ = اطعم التم (٤ تستحي العين = البرطيل يحل شاش القاضي = قال: اذكر الجانات. قال: أما شيء يقد الارض قد. اجا الطبل غطى على النايات = الذي ما يطعم التسعة ما ياكل العشرة = متى كان القاضي راضي بيعرض الشهور

الخبز

أعطِ خبزك للخباز ولو اكل نصفه = خبزك مخبوز وموتك (٥ بالكوز = خبز شعير وموية بير من اين العافية بتصير = خبز شعير بلا منخل من اين العافية تدخل = اذا كان غداك خبز وزيتون الشبع متى يكون = قال: خبزنا اكبر من خبزكم. قال: كذبونا برغيف = رغيف برغيف ولا يبات جارك جوعان = خبزنا حنطة وخبزكم حنطة وليش (٦ الخلطة

العلم

الجاهل يتعلم من كيسه والعاقل من كيس غيره = اذا ما مت ما شفت من مات = من لم يكن لنفسه واعظ كلت عنهُ المواعظ = بتعلم الحزينة البكا = العلم بالشيء ولا الجهل به = الذي ما يربي صغير ما يلاقي كبير = العلم من صغر كالنقش

١) ومن امثال العامة بهذا المعنى لهجتنا (المال عوض الروح).
٢) المشداق عند العامة بمعنى الشدق وهو طفطفة الفم من باطن الخدين وهما شدقان
٣) البرطيل بمعنى الرشوة واصلهُ الحجر المستطيل . وبرطع اي مرح وتكبّر
٤) التم عند العامة تحريف الفم
٥) الموكي عند العامة تصفير الماء وقد عمّ استعمالها عندهم عوض المكبّر
٦) ليش منحوتة عند العامة من لأيّ شيء وهي قديمة الاستعمال ومثلها موش اي ما هو شيء وقديش اي قدر اي شيء . وما عليش ايّ ما عليه شيء

بالحجر = بعد ها (١ الكَبْرة جبَّة حمرا = عند ما كبر وشاب حطّوه (٢ بالكتّاب = ما يعرف كوعه من بوعه = من معرفته بالفحم بيسلّم على الجوهرجية (٣ = ما يعرف الحارة من ام نصر الدين = يعزّي وما يعرف من مات = الكل عند العرب صابون = قال: دري ولّا ما دري. قال: دري وطنّش (٤ = الذي يعرف يعرف والذي ما يعرف يقول كفّ (٥ عدس = نحس تعرفه ولا جيد تتعرف عليه

بلدك

اهلك ولا تهلك = زوان بلدك ولا قمح الغريب (٦ = المجنون ما له غير اهله = ما بيحنّ عالعود (٧ غير قشره = منه (٨ وفيه بارك الله فيه = الغربة كربة ولو كان سيل (٩ والسوال ذل ولو على السبيل = ما بيتولّع بالشجرة غير قرع منها = لولا يكون الوطن قتّال لكانت بلاد السوْ خراب = اقرب الناس اليك اعطفهم عليك = القتال بين الاهل والحسد بين الجيران

الجار

جارك القريب خير من اخيك (١٠ البعيد = دار الجار ولو جار = من اعلم بحالك

---

١) بعد ها الكَبْرة اي بعد هذه الكبرة وهي كبر السنّ . والمعنى انهُ لا يليق بالشيخ ان يلبس الجبة الحمراء لانها من ملابس الصبيان والشبّان

٢) تقول العامة حطّهُ بالمدرسة ونحوها اي ادخله

٣) والمعنى انهُ يتعرّف بالانسان لأقل علاقة لهُ معه

٤) ولّا تحريف وإلّا . وطنّش تستعملها العامة بمعنى تغاضى وتغافل

٥) كفّ عدس معناهُ هنا حفنة عدس اي ملء الكفّ

٦) ويقال ايضاً هكذا (زوان بلدك ولا قمح الصليبي)

٧) عالعود اي على العود وهو كثير في كلام العرب القدماء ولاسيما في الشعر

٨) تقول العامة (منّه) في مِنْهُ فتشدّد النون

٩) هكذا رأيت هذه الكلمة في النسخة الاصلية وعندي انها محرّف (ميل)

١٠) ويُروى لهجتنا هكذا (خير من خيّك البعيد) وهي محرّف أُخيّك تصغير اخ ومثلها بيّك تصغير أب

ربك وجارك (١ = اذا كان جارك بخير أنت بخير = اذا حلق جارك بلّ انت فما بعد جارك الّا انت = يا جاري أنت بدارك وأنا في داري = سكّر (٢ بابك وآمن جارك = الجار لهُ على الجار حق يلتزم بوفاه = راح جارك عمر ديارك = اقول لك يا كنّة حتى تسمعي يا جارة = اسأل عن الجار قبل الدار = الذي بيروح شيّه بيتهم خيّه (٣

الشبيه والمرافقة

الذي ما بيسافر معك لا يحمّل معك = الذي ما يبيت ما بيصطاد = ما ترافقنا حتى توفقنا = خيار المرافقة الموافقة = يا أرامل يا بنات عيّروا المتزوّجات = ما تعيّرني الّا تجيّرني = يا مثلنا تعالوا لعندنا = صاحت لي وابقت لك والدهر وفّق بيننا = نظر جنّي في زعرور قال : ما لهذه الفاكهة الّا هذا الناطور = وضعت القنفذة يدها على اولادها فقالت . كلّكم شرك بشرك = اجت نسمة هوا خلّت الكل سوا (٤ = تدحرجت الوقيّة (٥ صاروا الكل سويّة = شبيه الشكل منجذب اليه = كل شيء على بابه بيشبه اصحابه = كل ولف على ولفه لفي (٦ = الدبّان (٧ بيعرف دقن بيّاع الدبس

(لها بقيّة)

---

١) ويروى (من أعرف بدارك غير ربّك وجارك)

٢) تقول العامة سكّر الباب اي أغلقه وآلة الاغلاق عندهم تسمّى السُكّرة وهي على شكل صليب من خشب لها مفتاح خشبي باسنان حديدية

٣) اي من فقد ماله أغم اخاهُ . ويروح عند العامة بمعنى يفقد

٤) ويروى لهدنا هكذا (الكل بالهوا سوا)

٥) الوقيّة تحريف الاوقية

٦) الولف عامية بمعنى الالف والرفيق . ولفي ايضاً بمعنى اتحد معه ورافقه

٧) الدبّان عند العامة بمعنى الذباب

الدين والدنيا في عام ١٩٠٨

نظر اجمالي للاب لويس رتزفال اليسوعي

هو الانسان ابنُ يومهِ اذا أُصيب برزء استعظمهُ حتى عدَّهُ من اعظم الارزاء. فليس كبَرْد شتائهِ قرّ ولا كحرّ صيفهِ قيظ . وكذلك السنون فانهُ يرى في كلّ سنةٍ تمرُّ عليهِ احداثاً يحسبها غلبت السنين السابقة خطراً وشأناً . فاذا انتهى ذاك العام ودخل في احوالٍ جديدة ذات بال سها عمَّا مضى وشُغل خاطرهُ بالحوادث الطارئة عليهِ بحيث يصحُّ قول سليمان الحكيم : ليس شيء جديد تحت الشمس

على انَّ القرَّاء في آخر السنة المنصرمة احقّ بان يصرخوا كم جرى في هذا العام من الامور الغريبة التي ليس لها سابق او نظير فأيَّة سنةٍ رأت ما رأيناهُ في السنة الماضية . فكم حدث فيها من عظائم الامور والتقلُّبات التي لم نعهدها من ذي قبل حتى كاد محور السياسة العموميَّة يخرج عن قطبهِ

ففي اوَّل سنة ١٩٠٨ كانت عدَّة امور تحت البحث فلا يُعرف ما ينتج عنها من الطوارئ . فكان ارباب السياسة ينتظرون بفروغ الصبر ما ستؤول اليهِ منازعات الولايات المتَّحدة واليابان وضغائن اليابان والصين وخلاف المانية وفرنسة . فكلّ هذه الاجزيات كانت تعكّر مياه السلام وتصدّ صفاء القلوب . وبقيت الاحوال على ذلك الى اواسط السنة الجارية حيث سُمع في الاستانة العليَّة صوتٌ بلغ صداهُ اقاصي الدنيا ففي ٢٥ تموز دخلت تركيَّة في طور جديد لم يخطر لاحد على بال فأضحى حكمها دستوريًّا بعد ان كان مطلقًا وضبطت عنان تدبيرها جمعيَّة الاتحاد والترقي يسندها ارباب الجيش والضبَّاط . فخبر عمَّا لقي هذا الانقلاب من الحظوى لدى العثمانيين ولا حرج فثلجت بهِ نفوسهم وطربت اليابهم فاستقبلوه بالمظاهرات والافراح كما يتلقَّى العبد خبر تحريرهِ والاسير نبأ فكّ اغلالهِ

على انَّ هذه المسرَّات لم تلبث ان كدَّرت صفاءها مطامع الدول المجاورة فانَّ البلغار انتهزوا هذه الفرصة ليعلنوا باستقلالهم واليونان طمحوا بنظرهم الى كريت فنظموها في سلك مملكتهم وقطعت النمسا الروابط الاخيرة التي كانت توصل بلاد

السلطنة العثمانية بولايات البشنق والهرسك . فنظرت اوربا الى هذه الحوادث نظر المتعجب المندهش ولعلّ الحيرة ستؤدّي بها الى ما هو اعظم وارهب . واذا انتشبت الحرب فهيهات ان يعود السيف الى غمده دون ان تجري الدماء سيولًا ويتغيّر مركز التوازن الاوربي

أجلْ ان هذه الامور الجليلة تدعو العقلاء الى التروّي والاستبصار في احوال السنة المنصرمة الّا انّ ابناء الكنيسة يجدون فيها ايضًا ما يبهج ارواحهم ويؤيّد آمالهم الطيّبة فانها والحقّ يقال كانت لهم سنةً سعيدة انتعش بسببها في قلوبهم حبّ الكنيسة وحبّ البتول الطاهرة فاما حبّ الكنيسة فأسمرهُ يوبيلا قداسة الحبر الاعظم الكهنوتيّ والاسقفيّ (راجع المشرق ١١ : ٨٠٣ — ٨١٧) فاهتزّ العالم الكاثوليكيّ طربًا لهذا الموسم الجليل . واما حبُّ العذراء مريم فلم يكن وقعهُ في القلوب أضعف واخفّ لما أُقيم في لورد من الحفلات البهيجة بمناسبة السنة الخمسين لظهور امّ الله في تلك البُقعة المختارة فكان ظهورها دليلًا جديدًا على انعطافها وحبّها الوالديّة لابناء جنسنا . فيا حبّذا هذا المنظر الشائق الذي يسرّنا ان نقرّ فيه الابصار قبل ان ننتقل الى ذكر اهمّ الحوادث الجارية في العام الماضي . فانّ شخص العذراء الكريم يلوح لنا كشارة السلام وقوس قزح الاطمئنان في افق السياسة المتلبّد

١ الدينيّات في عام ١٩٠٨

في سنة ١٨٥٤ أعلن الطيب الذكر بيوس التاسع قضيّة حبل العذراء مريم البريئ من وصمة الخطيئة الجدّيّة . فما مرّ على ذلك اربع سنوات حتى انحدرت سلطانة السماء من سموّ عرشها لتؤيّد تعليم الحبر الرومانيّ فتراءت للفتاة برندات ولمّا سألتها هذه عن اسمها اجابتها مبتسمةً : «أنا التي حُبل بها بلا دنس» ومن وقتها اظهرت من المعجزات الباهرة والآيات المتعدّدة ما اسكت كلّ المنتقدين وأفحم كلّ الملحدين (اطلب المشرق ١١ : ٣٢١ — ٣٣٤)

ومن عجيب مظاهر العناية الصمدانيّة انّ في تلك السنة ١٨٥٨ عينها قد اصطفت لها البتول رجلًا اسمهُ كاسم خطيبها الجليل يشبهُ يوسف النجّار باصلهِ وكان اهلهُ عَمَلة خيّاطين (Joseph Sarto) فنال المذكور نعمة الكهنوت بضع اسابيع بعد

الظهور الاخير الذي فيه تراءت مريم لأمتها برندات . فمذ ذاك الحين لم تزل والدة الربّ تقود عبدها وتوشحهُ شيئاً فشيئاً الى اسمى المراتب الدينيَّة بصفة كاهن رعيَّة ثمَّ في الدرجة الاسقفيَّة ثمَّ في الرتبة البطريركيَّة ومنصب الكرادلة حتى اجلسهُ الروح القدس على عرش السلطة البابويَّة كخلف لحبرَين جليلين ملأا الاسماع والقلوب بشريف اعمالهما. فهذا الرَّجل المختار اعدَّتهُ البتول ليكون كخطيبها قيّماً على بيت الله وسلطاناً على جميع مقتناه فنهضت بهِ من التراب لتجلسهُ مع عظماء شعب الله. ولعمري اذا وجهتَ النظر الى اعمالهِ منذ يوم تبوأ كرسيّ بطرس وجدتهُ أهلاً بخلفائهِ العظام مجيداً في كلّ مشروعاتهِ يجمع كارباب السياسة المبرّزين بين الشدَّة واللين معتمداً في اعمالهِ لا على أنوار الفطنة البشريَّة بل على سُنن الحكمة الالهيَّة. فترى فيهِ اليوم اعظم قوَّة ادبيَّة على الارض واكمل مثال لرأس الكنيسة غير المنظور الذي ليس لملكهِ انتهاء. ومن ثمَّ قد تسابق ابناء البيعة بل رؤساء الدول انفسهم ليقدّموا لذاتهِ الكريمة فرائض التهاني بيوبيلهِ الكهنوتيّ

وكما عظَّمهُ الله في هذه السنة في اعين البشر وأعانت البتول مفاخرهُ بازاء العالم كذلك هو اشار بتناقبها واشهر محامدها وذلك مرَّةً أولى في السنة ١٩٠٤ لمَّا اقام حفلات يوبيل عقيدة الحبل بلا الدنس الخمسينيّ (اطلب المشرق ٧ : ٣٩٣) وقد عاد في السنة المحرمة وفتح كنوز البيعة الروحيَّة لزوَّار لورد ولكل المؤمنين الذين يكرمون العذراء البريئة من الخطإ الاصليّ فوافقت هذه الحفلات يوبيل الحبر الاعظم الكهنوتيّ ويوبيلهُ الاسقفي فكان هذا الاتفاق بيّنةً صادقة على ما بين رأس الكنيسة وسلطانة البيعة المقدَّسة من الروابط البنويَّة والحماية الوالديَّة

وما يقال بالاجمال انَّ اعياد لوردَ اليوبيليَّة كانت كانتصار باهر لشفيعة العيد وللكنيسة المقدَّسة وجرى افتتاحها في مساء اليوم العاشر من شباط فكان غد ذلك النهار يوماً مشهوداً حضر حفلاته الشائقة اربعون الفاً من المؤمنين الذين تألَّبوا من كلّ اقطار اوربَّة بل ومن مصر ومن سوريَّة وكان يتصدَّر في هذه الحفلات الكردينال لوكو (Lecot) الوفد من قداسة الحبر الاعظم مع اثني عشر اسقفاً. ثمَّ تكرَّرت تلك المظاهرات التقويَّة في ٢٥ آذار وهو اليوم الذي صرَّحت فيهِ العذراء باسمها الكريم للفتاة برندات انَّها «التي حُبل بها بلا دنس» وكان المتولّي رياسة هذا العيد

رئيس اساقفة ڤيترب والقاصد الرسولي سابقاً في الاستانة السيد غراسلي . امّا ختام هذه المواسم البهيجة فوقع في ١٦ تموز ذكرًا لرؤيا البتول الدفعة الاخيرة ابرندات . وقد فاقت تلك الحفلة على الحفلات السابقة وكان يرأسها خمسة عشر اسقفاً يتقدّمهم الكردينال لوكو وعدد لا يُحصى من الزوّار بينهم زوّار فرنسة الذين كانوا ستّين الفاً . وكأنّ السيّدة العذراء لم تشاء أنّ يغلبها اهل الارض بالكرم والحبّ فحصل في ذلك اليوم وحده عدّة معجزات قرّر الاطبّاء النطاسيّون صحّتها بعد الفحص المدقّق . وقد عاد كلّ من حضروا تلك الاعياد والسنتهم تترطّب بالثناء على امّ الله التي أحيت في لورد معجزات ابنها على الارض بشفاء كلّ اجناس الامراض والاسقام التي اعيت عن علاجها الوسائل البشريّة والأدوية المادّيّة

وبينما كانت تُقام هذه الاعياد في لورد ويحتفل العالم الكاثوليكيّ بيوبيل الحبر الروماني جرت في رومية العظمى مواسم أخرى لا يُرَى لها شبيه في العالم كلّه اذ هي تنطق بلسان حالها عن وحدة الكنيسة الكاثوليكيّة في اختلاف الطقوس فانّ في هذه السنة وقع تذكار المئة الخامسة عشرة لوفاة القديس يوحنّا فم الذهب (المشرق ١١ : ١) فاحتفلت امّ المدائن باعياد خارقة العادة ظهرت فيها الطقوس الشرقيّة بكلّ بهائها لا سيّما في العشر الثاني من شباط . ففي ١٢ منه أُقيمت رُتَب جليلة فاحتفل غبطة السيّد البطريرك كيرلّوس جحا بالقداس الالهيّ وفقًا للليتورجيّة صاحب العيد وكان يساعده عدد من الاساقفة الروم الملكيين والبلغار والروتان واراد الحبر الاعظم ان يشاطرهم في هذه الرتبة فتلا معهم باليونانيّة قسمًا من صلواتهم . فكان لفعله تأثير عظيم في قلوب الحضور . وبمناسبة هذه الاعياد تألّفت لجنة لنشر مقالات وكتابات شتّى في الذهبيّ الفم (Χρυσοστομικά) ظهر منها بعض الاقسام (المشرق ١١ : ٨٧١)

ومن الحفلات الدينيّة البهيجة التي جرت ايضًا في رومية في السنة المنصرمة تطويب بعض اولياء الله نخصّ منهم بالذكر الراهبة المكرّمة السيّدة بارات (Mme S. Barat) منشئة راهبات قلب يسوع في فرنسة وقد حضر هذه الحفلة ثلثون الفًا من الزوّار

امّا زيارات الكاثوليك الى امّ المدائن فكان لها في السنة الماضية من الرونق والأبهة ما زادها اعتبارًا فكان السيّاح يأتون الوفًا وربوات ليواجهوا سجين الڤاتيكان ويؤججوا في قلوبهم بقربه نار غيرتهم . وكانت هذه الزيارات متواصلة لا تنقطع

تناوبت فيها كلّ الدول تخصّ منهـا زيارة الفرنسويين في ٢٣ و٢٤ أيار بثّ امامهم الاب الاقدس ما يكنّهُ قلبهُ من عواطف الحبّ نحو فرنسة رغماً عن خطّـة حكومتهم العدائيّة. ومنها استقبالهُ للزوّار الانكليز والالمان في ٢٥ ت ١ يتقدّمهم الكردينالان بورن (Bourne) وفيشر (Fischer) فأثنى قداستهُ على همّـة الالمان وتحمّسهم الديني واتّحادهم وذكر مؤتمرهم السنوي الكاثوليكيّ في دوسلدورف حيث اجتمع نيّف وستّون الفاً من الفَعَلة فساروا في موكب عظيم أذهل كلّ من رآهُ او سمع به. أمّا الانكليز فنأهم الحبر الاعظم عن مؤتمرهم القربانيّ الذي وصف المشرق (١١: ٩٢٤) مظاهراتهِ الفخيمة في عاصمة الممالك المتّحدة وكان الكردينال فانوتلّي يتصدّر نيابةً عن قداستهِ تلك الحفلات التي اهتزّ لها طربًا العالم الكاثوليكيّ ولم تأنف احدى جرائد البروتستانت الكبيرة ان تنعتها «باعظم حادثٍ دينيّ جرى في انكلترة منذ عهد الاصلاح». وقد دعا بيوس العاشر هذا المؤتمر انتصاراً للكنيسة الكاثوليكيّة

أجل انّ الكنيسة الكاثوليكيّـة لا تزال منتصرةً حتى في الاضطهادات التي يثيرها عليها اعداؤها. ألا ترى فرنسة مثلاً حيث الكفر هاج وماج حتى انـهُ حرم في نيسان الكنيسة من اوقافها ونزع من ايديها ما حبـهُ عليهـا المؤمنون للصلاة على نفوسهم. فانّ كلّ هذه المحن كانت للكاثوليك كالبوتقة التي يُمحص بنارها الذّهب ليزيد صفاء. فترى اليوم اساقفة فرنسة أطوع لأوامر الحبر الروماني من بنائهم يتناصرون ويتضافرون في كسر شوكة الالحاد ورفع منار الايمان وارشاد الضالّين. وقـد سمت الحكومـة بأن تفرّق كاستهم ملتجئة الى المداهنة والخداع كما فعلت في شهر أيار بوضع سُنّةٍ كاذبة دعتهـا «سُنّة الاشتراكات الاكليروسيّة» لتسدّ بها سيطرتها على الكنيسة كما اقرّ بذلك اصحابها وأنانت به الجرائد البروتستانتيّة عينها حتى انّ خمسين من اعيان البروتستانت طلبوا من الوزير بريان (Briand) المدافع عن تلك السنّة الظالمة بان يكفّ عنها لجورهـا في حقّ الكاثوليك. أمّا ابو المؤمنين فكان سبق وكشف عن دسائسها وحذّر الاساقفة من كيدهـا فاسرع رُعاة فرنسة الى رذلها وعرف الاشرار انّ نواياهم ذهبت ادراج الرياح

ومن نتائج معاداة الحكومة الفرنسويّة للكنيسة النهضة الدينيّة التي تُرى الآن في انحاء تلك الدولة. فانّ الكاثوليك عرفوا ما في الاتّحاد من القوّة فأخذوا يؤلّفون

الشركات وينفون الضغائن السابقة بين زعمائهم ويوفّرون الوسائل للمدافعة عن حقوقهم المهضومة وللذبّ عن ذمار الدين. وقد اتت كلّ هذه المساعي بثمارها الطيّبة. وانما ظهرت قوّة الكاثوليك خصوصاً في الحفلات الشائقة التي اقاموها في مدينتي اورليان وباريس لاكرام حنّة درك الفتاة الشهمة التي انتدبها الله فاعتقت فرنسة من نير اعدائها في اوائل القرن الخامس عشر (المشرق ١١ : ٩٥٧) فتمّت تلك المظاهرات بما لا يفي بوصفهِ اللسان من البهاء التامّ والتحمّس العظيم . وكان اصحاب الجمعيّات الماسونيّة اضمروا السوء للكاثوليك فطلبوا ان ينظموهم في عداد المؤتمرين لكنّهم رُدّوا خائبين. ومما زاد هذه المراسم ما بلغ المؤمنين بأن الحبر الاعظم رضي بحكم المجمع المقدّس في سموّ فضائل حنّة درك وصحّة معجزاتها فعوّل على ادراج اسمها في سجلّ الابرار في ١٨ نيسان القادم . فشكر الفرنسويّون لقداسة بيوس العاشر انعطافهُ نحوهم وتلطّفهُ في اكرام قديسيهم كما فعل بالمكرّمتين حنّة درك والسيّدة بارات المذكورتين ثم أثبت ايضاً قداسة راهبةٍ أُخرى فرنسويّة اسمها مريم الجدلية بوستال (Postel) وسمح باكرام الشهداء المقتولين في قوصنصين والتنكين الذين تقدّمهم للموت في سبيل الايمان الفرنسويّان السيّد كوينو (Cuénot) والكاهن تاوفيل ڤينار (Th.Vénard)

ولولا ضيق المقام لاتّسعنا في امور كثيرة غيرها تنبئ بنهضة الدين في فرنسة. وناهيك بالحفلة العظيمة التي أُقيمت في باريس عند موت رئيس اساقفتها الكردينال ريشار المتوفّي في ٢٨ ك ٢ ١٩٠٨ فكانت جنازتهُ فوزاً للدين حضرها ٥٢ حبراً بينهم الكرادلة ورؤساء الاساقفة والاساقفة وكأنّ باريس كلّها في ذلك اليوم قامت وقعدت لتبجيل رئيسها الديني

وقد جرت حفلة اخرى مثلها عند وفاة الكردينال ماتيو احد اعضاء جمعيّة العلوم الفرنسويّة ومن اشراف الاحبار الفرنسويين. والمذكور بعد ان حضر المجمع القربانيّ في لندن بقي هناك لعمليّة جراحيّة كان قضى بها الاطباء لشفائهِ . فانتكس بعدها واستأثر بهِ الله في ٢٥ ت ١ فبالغ الانكليز في اكرام المرحوم واقيم لراحة نفسهِ جنّاز حافل في كنيسة الآباء اليسوعيين . ثمّ نُقلت الجثّة الى فرنسة الى مدينتهِ نانسي حيث اوراهُ الرمس كردينالان و٢٠ مطرانًا او اسقفًا و٤٠٠ كاهن وكثيرون من العلماء والاعيان

فتعدَّدت عليه الحسرات. كما عمَّ الاسف مؤخرًا لوفاة الكردينال لركو (Lecot) الذي مات فجأة في شامبري في ١٩ ك ١ وكان مولدهُ في ١٨٣١ امَّا الاعمال الخيريَّة في فرنسة فانها زاهية نامية فانَّ الفرنسويين اليوم يقومون وحدهم بأود كلّ اكليروسهم فيعوّضونهُ عمَّا سلبتهُ الحكومة من الاوقاف او ابطلتهُ من الجرايات ثمَّ يدفعون الملايين من المال لتهذيب اولادهم في مدارس كاثوليكيَّة كلُّها على نفقتهم . ومن الدلائل الواضحة على اريحيَّة الفرنسويين وجودهم انَّهم يتقدَّمون الجميع في مشاريع الاحسان والغيرة الدينيَّة كجمعيَّة مار منصور دي بول مثلًا فانَّهم يدفعون لها اكثر من مليونَي فرنك بمقابلة ١٦ مليونًا يتصدَّق بهِ المحسنون في العالم كلهِ . وكذلك قد تبرَّعوا لشركة انتشار الايمان بنيّف وثلاثة ملايين اعني قريبًا من نصف ما يُجتمع في كلّ البلاد لهذه الغاية

وممَّا يزيد املنا في قيامة فرنسة وفوز انصار الدين فيها انَّ السيدات الفرنسويَّات قد اعتصبن وألَّفن جمعيَّة تزداد يومًا بعد يوم عددًا ونفوذًا . وكان في هذه السنة اجتماعهنَّ في ليون حافلًا فخطب فيهنَّ الكردينال كوليه رئيس اساقفة المدينة واثنى على غيرتهنَّ في سبيل الدين والوطن

وان حوَّلنا النظر الى ايطالية وجدنا هناك حربًا عوانًا بين الكاثوليك واعدائهم . فانَّ اصحاب الجمعيَّات السرّيَّة وفي مقدَّمتهم اليهوديّ ناتان رئيس بلديَّة رومية وزعيم الماسون كانوا اجمعوا على معارضة انصار الدين وكانوا ضمُّوا قواهم خصوصًا لنفي الدين في المدارس المحليَّة والغاء قانون كازاتي (loi Casati) في التعليم الدينيّ . وجرى في ذلك مفاوضات ومنازعات عقدها المبعوث بيسولاتي (Bissolati) في الجلسة المنعقدة في ١٥ شباط الَّا انَّ الكاثوليك لم يحجموا عن الجهاد فدافعوا عن حقوق الدين احسن مدافعة حتى فازوا بالظفر وقرَّر المجلس باكثريَّة عظيمة حفظ التعليم الديني فخزي المنافقون في ٢٧ منهُ . وبعد هذا الواقع بشهر واحد عقد الكاثوليك مؤتمرًا حافلًا في جنوة كان مدارهُ على تهذيب الشعب وتربية الاحداث على الاصول الدينيَّة . وبقيت السنة ميمونة سعيدة لايطاليا حتى كدَّر صفاء سمائها الزلزال الهائل الذي لا تزال انباؤهُ الفاجعة تدوي في قلوبنا لما اصاب تلك الجهات ولاسيَّما مدينتي مسينة وراجيو من الدمار والبلاء (راجع المقالة التي خصَّها المشرق بهذا الخطب الجليل في هذا العدد)

انتصر الكاثوليك في انتخابات فينّة البلديّة ايّ انتصار أمّا رئيس البلديّة فهو الدكتور لويغر (Lueger) الخطيب الشهير واحد زعماء الكاثوليك الذي نال عددًا من الاصوات اوفر من السابق

لا يزال الدين الكاثوليكيّ في انكلترّة رافعًا ألويتهُ . وممّا عُرض آخرًا على مجلس الأمّة إلغاء بعض القوانين التي سُنّت في العهد السابق ضدّ الكاثوليك وابطال ما في القَسَم الملكي مجحفًا بالدين المستقيم فنال هذا الاقتراح رضى المندوبين للمرّة الاولى . وكذلك استرجع المستر اسكيث (Asquith) القانون الذي عرضهُ على مجلس العموم بخصوص التعليم الدينيّ في المدارس لمّا رأى انّ الكاثوليك والانكليكان اتّفقوا على مناصبته

قد مرّ لنا آنفًا ذكر المؤتمر الكاثوليكي في المانية حيث جانبُ الدين لا يزال مرعيًا

امّا روسيّة فانّ علاقاتها في هذه السنة مع الكرسيّ كانت غاية في الوداد . فزار الغرندوق ڤلاديمير عمّ القيصر قداسة الحبر الاعظم وكذلك جلالة نيقولا الثاني فانّهُ تلطّف بمناسبة يوبيل الحضرة البابويّة ان يُرسل لامام الاحبار رقيمًا بيدهِ — والأمل معقود في انّ الكاثوليك ينالون قريبًا في تلك المملكة الحرّيّة التامّة فيعضدون الحكومة في مشروعاتها ولاسيّما في توطيد اركان السلام ومناصبة ارباب الفتن

سبق البشير والمشرق (١١ : ٧٤٨) فذكرا ما اولتهُ الدنيمرك للكاثوليك من الحرّيّة وكيف انتظمت الاستفيات في تلك البلاد وعادت اليها الجمعيّات الرهبانيّة فجدّدت فيها كل الاعمال الخيريّة والمشروعات الطيّبة

الحزب الكاثوليكيّ في بلجيكة كان هو الفائز في الانتخابات التي جرت في العام الماضي . وان كان قد فقد كرسيين في مجلس الأمّة فانّهُ استعاض عنهما بمثلهما في مجلس الاعيان . وقد عيّن الكرسيّ الرسوليّ للنيابة الرسوليّة في بروكسل سيادة القاصد الرسوليّ سابقًا في الاستانة العليّة المنسنيور تاكشي . اما هولندة فانّها جارية في سبيل الترقّي والدينُ فيها عالي المنار والكاثوليك لا يتجاوزون هناك ثلث السكّان لكنّهم اتقياء نشطاء كرماء في اعمال الخير وهم بعد فرنسة المتقدّمون بين الدول بكثرة صدقاتهم . فانّهم في السنة ١٩٠٧ قدّموا لشركة مار منصور الخيريّة ١,٩٣٠,٠٠٠ فرنك فكادوا يجارون فرنسة نفسها بسخائها

ولسنا لننسى المملكة الكاثوليكية اسبانية الشريفة فانها منذ بضع سنوات قد افاقت من سِنتها فسارت وراء ملكها النشيط في كلّ سُبُل الارتقاء والتقدُّم . وان خصصنا بنظرنا الدين وجدنا في القنس الثالث عشر مثالًا للتقى فانهُ في العام المنصرم اراد ان يعرب عن اخلاص حبّهِ للكرسيّ الرسوليّ فانشأ في عاصمتهِ وفي كلّ انحاء بلادهِ اعيادًا حافلة بنسبة اليوبيل البابويّ . وكذلك قامت الافراح والمظاهرات الدينيَّة في كلّ انحاء اسبانية تذكارًا للحرب الدينيَّة التي أصلتها تلك البلاد قبل مئة سنة ضدّ الثورة الفرنسويَّة وزعيمها نابوليون . وسار الملك الى برشلونة ثمَّ الى سرقسطة والشعوب تتزاحم على طريقهِ وكانت اوَّل زيارة زارها هناك للسيّدة البتول في مزارها دال بيلار (del Pilar) الذي يعظّمهُ كلّ الاسبانيين . امَّا المسائل التي كان تتفاوض فيها الدولة الاسبانيَّة مع الكرسيّ الرسوليّ فقد انتهت برضى الدولتين وعقبه سفر الكردينال رمبُولا الى مجريط — والبرتوغال جارة اسبانية واهلها شاخصون بنظرهم الى ملكهم الجديد ولهم واضعون عليهِ كلّ آمالهم

امَّا الممالك المجروسة فانَّنا بعد اعلان الدستور وتقرير حرّيَّة المذاهب نؤمّل للدين المستقيم نموًّا وازدهارًا وهو املٌ وطيد نبنيهِ على ثقتنا بسيّدة لبنان التي نُصب في العام الماضي تمثالها على مشارف حريصا فوافق تمجيدُها حلَّ رِبقتنا من العبوديَّة الظاهرة . فجاء ذلك كرمز عن فكّها لعبوديَّة النفوس التي هي اسوأ الاسترقاق . وقد عرف رؤساؤنا الروحيّون ما في هذه الحوادث الجديدة من عظم الشأن فصرَّحوا بخطرها وكفى بمنشور سيادة القاصد الرسوليّ في الدستور والحرّيَّة دليلًا على حسن نظرهم

*

دَعْنا الآن نحلّق في الفضاء فنعبر الاوقيانوس ونحطّ في اميركة لنعتبر ما حدث من الوقائع الدينيَّة في العام المنتهي ولنباشرنَّ بالاقطار الشماليَّة فنجد أوَّلًا بلاد كندا فانَّها أقامت في السنة ١٩٠٨ اعيادًا غاية في البهاء ذكرًا للمئة الثالثة لبناء عاصمتها الاولى كيبك على يد الفرنسويّ شامبلان (Champlain) وكان للدين في هذه المواسم السهم الأوفى . وكان الحبر الاعظم سبق في ٤ أيار فأنهى الى الكاثوليك في تلك البلاد تهانئهُ وبارك اعمالهم وشكرهم على دينهم وتقاهم وبعث هممهم للسير على آثار اجدادهم . وكان موعد العيد في اواخر تموز . وفي ٢٦ منهُ اجتمع خمسمائة الف من

الكنديين في ضواحي كيبك في سهول ابراهيم التي فيها مات ميتة الابطال الجنرال الفرنسوي مُنتكلم (Montcalm) سنة ١٧٥٩ فقدَّم هناك السيِّد باجين (Bégin) رئيس اساقفة كيبك الذبيحة الالهيَّة فبلغ التحمُّس الديني في قلوب الحضور اقصى مبلغهِ في تلك المظاهرة التي لم يسبق لها مثيل في اميركة الشمالية

وإن انحدرنا من ثمَّ الى الولايات المتَّحدة رأينا الدين فيها معزَّزًا والفضل في ذلك لاساقفة تلك البلاد ولمؤمنيها الصادقين . وكذلك يشكر الكاثوليك حسن معاملة الحكومة نحوهم . فانَّ الرئيس السابق روزفلت لم يدع فرصة لاطراء الكاثوليك والثناء على اعمالهم وخلوص خدمتهم للوطن . وقد سبق الشرق واخبر عن لطفهِ اذ حضر قبل سنتين مناظرة لاهوتيَّة دعاهُ اليها الآباء اليسوعيُّون فجاهر بمدح الرهبان . وخلفهُ الرئيس تافت جارٍ على وتيرتهِ في اعتبار الدين الكاثوليكيِّ ولهُ في الامر سوابق فانَّهُ اذ كان حاكمًا في جزائر فيليبين عجم عود المرسلين واختبر نفوذهم في تهذيب اهل تلك البلاد وبواسطتهِ تمَّت على رضى الفريقين المخابرات بين واشنغتون والواتيكان بخصوص الاكليروس في تلك الجهات ومما كتبهُ اذ ذاك ما يستحقُّ أن يُرقم بحروف الذهب فتأمَّلهُ كلُّ ارباب الدول قال ولله درُّهُ من قول : « لستُ من ابناء الكنيسة الكاثوليكيَّة الَّا انَّهُ ما من احد يشاهد اعمالها في بلاد فيليبين دون أن تضطرَّهُ الحقيقة الى الاقرار بفضل ذويها في الخير العظيم الذي يعملونهُ . وانا اعدُّ من افجع النكبات ما حلَّ بتلك البلاد من هدم الكنائس الكاثوليكيَّة . نعم انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي اقوى مؤيد للسلم ولها اليد الطولى في توثيق اسباب الالفة العموميَّة واستتباب الامن فعلى الحكومة ان ابتغت الحفظ على صوالحها ان تؤيد الكنيسة المذكورة وتأخذ بناصرها . وعندي انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة اعظم وسيلة واقوى عامل على تنصير العالم »

أفيذهل احد بعد ذلك ان تأتي الكنيسة الكاثوليكيَّة باثمارها الطيِّبة في العالم الجديد . فانَّ الاحصاء الاخير يبلغ عددُ الكاثوليك في الولايات المتَّحدة ١٦,٠٠٠,٠٠٠ منهم ألفا الفٍ في نويرك وحدها . واخبار تلك البلاد كثيرًا ما تروي اهتداء البروتستانت الى الدين المستقيم وليس الرعاع منهم بل افضلهم واكثرهم تهذيبًا . من ذلك ما ورد آخرًا عن السير غارواي (Garwey) رئيس الكنيسة الاسقفيَّة في

فيلادلفيا انهُ طلب الانحياز الى الحظيرة البطرسيَّة مع رعيَّتهِ كلّها

ومن الشواهد على ترقّي الكثلكة في الولايات المتّحدة انَّ في البحريَّة الاميركيَّة ٦٠٠٠ من الكاثوليك وهو عدد وافر بالنسبة الى مجموع البحّارة الذين لا يتجاوزون ١٦٠٠٠ . ولهم كهنة يهتمُّون بشؤونهم وقد اخبر رئيسهم في رسالة انَّ الاسطول الاميركيّ ارسى في ريوجانيرو في ١٩ كانون الثاني وكان عيد القديس سبستيان شفيع المدينة فنزل الملّاحون الكاثوليك وعددهم ٨٠٠ الى البرّ وشاركوا الاهلين بالعيد فتضاعفت بذلك الافراح واشتدَّ ازر الدين

ومنها ايضاً انَّ الكاثوليك باشروا بطبع دائرة علميَّة واسعة في ١٥ جلدًا ضخماً مع رسوم وصور يكتب فصولها جلّة العلماء . وقد أهدى مدير العمل السيّد كندي (Kennedy) الجلد الاوَّل منها لقداسة الحبر الاعظم في كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٧ وفيهِ دليل واضح على انَّ الكاثوليك يجلّون كلّ العلوم ولا يأنفون الّا من الضلال وحدهُ

مدَّ السلام رواقهُ على المكسيك والدين هناك في عزّ ورفعة وقد افادتنا الأنباء مؤخّرًا عن اهتداء احد دعاة الشيع البروتستانيَّة واركانها المعدودين . فكان لاستنارتهِ بضياء الايمان احسن وقع في القارب

عادت حكومة بوليفيا واستأنفت العلاقات مع الكرسيّ الرسوليّ بعد قطعها زمنًا والفضل في ذلك للنائب الرسوليّ الذي اوفدهُ الحبر الاعظم الى تلك الدولة

وعدتنا الصين باعلان الدستور بعد ثماني سنوات فلا ريب انَّ الديانة ينالها من ذلك حصَّة لتوسيع نطاقها بين تلك الامم المتكلّسة في ظلمة الشرك

امَّا اليابان فانَّ اهلها رغمًا عن نفورهم من الاجانب يقدّرون المرسلين الكاثوليك قدرهم . والمأمول انَّ اليسوعيين الذين دخلوا تلك البلاد بعد نفيهم عنها مدَّة مائتي سنة يباشرون قريبًا بانشاء مدرسة كلّيَّة في توكيو وفقًا لرغائب الحبر الرومانيّ . وممَّا دلَّ على تقرُّب ودّي من الكنيسة الكاثوليكيَّة ان جلالة الميكادو اهدى عدَّة اوسمة وشارات شرفيَّة لكثيرين من حاشية البلاط الواتيكانيّ

فهذا النظر الاجمالي عن الديانات في انحاء العالم كافٍ ليبرهن للقرّاء الكرام عن سموّ مقام كنيسة المسيح في المعمور

وقد ضربنا الصفح عن ذكر مآثر متعددة لقداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر انفةً من الاطالة المملة كتصديه للاضاليل العصرية واطفائه لجمرها بحرم أنصارها ولاسيما الكاهن لوازي وكدفاعه عن حقوق الكرسي الرسولي واحتجاجه على الحكومة الفرنسوية لسلبها اوقاف الموتى وكرسالته العامة الى الكهنة في كل العالم ليحيي فيهم روح دعوتهم السامية. وقد مرَّ للمشرق (١١ : ٨٠٣) ذكر بعض هذه المآثر في مقالته عن يوبيل قداسة البابا الكهنوتي فعليك بالمراجعة (التتمة لعدد آخر)

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الادباء النصارى (تابع)

قيل لنَّ من اشبه اباهُ ما ظلم. وقد صدق المثل تماماً في اولاد الشيخ ناصيف اليازجي فانهم تعقَّبوا كلهم آثار والدهم. وكان اكبرهم الشيخ حبيب ولد في ١٥ شباط سنة ١٨٣٣ ولمَّا ترعرع وجد اباهُ كهلاً تامَّ القوَّة كامل العقل مولعاً بالآداب فدرس عليه كلَّ الفنون العربية. ثمَّ مال الى اللغات الاجنبية فأتقن الفرنسوية حتى برع فيها وتعلَّم غيرها كالايطالية والانكليزية واليونانية والتركية. وكان يتردد على المرسلين اليسوعيين في بيروت ويستفيد منهم. وتجد اسمهُ في قائمة الادباء المنتظمين في الجمعية المشرقية التي انشأوها سنة ١٨٥٠ واكتشف بعض آثارها جناب مكاتبنا يوسف افندي اليان سركيس (ص ٣٢) ثم تفرَّغ للكتابة وعرَّب بعض التآليف الاجنبية منها قصَّة غادليدة برتزويك. ومنها ايضاً قصَّة تلماك التي ألَّفها فنيلون فاجاد في تعريبها الَّا انَّها لم تطبع وقد طُبعت في مصر ترجمة أخرى دونها حسناً. ومن

تآليفهِ ايضاً كتاب اللامعة في شرح الجامعة فسَّر فيهِ الارجوزة التي ألّفها والدهُ في علم العروض والقوافي وكان اسمها الجامعة وقد طُبع الكتاب سنة ١٨٦٩ في المطبعة الوطنيَّة. وكان الشيخ حبيب عاقلاً لبيباً رياضيًّا وقد اشتغل بالتجارة في آخر عمرهِ وكان في شبابهِ يحبُّ الشعر ولهُ بعض منظومات منها رثاؤهُ للطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم بقصيدة اوَّلها :

يسرُّ المرء اقبالُ الليالي ويخشى انَّ ذاك الزوال

ومنها : دعِ الدنيا الغرور وكُنْ مجدًّا كعبد الشرق في طلب الكمالِ
هو المظلومُ حين دعى بتاجٍ لهُ واعتاض أكفانًا بوالي
لقد ضُربت بهِ الامثالُ لمَّا غدا بين الرُّعاة بلا مثالِ

الى ان قال :

وفي الإسكندريَّة دُكَّ طودٌ فام تنفكَّ فاقدةَ الجبالِ
ثوى في تُربها بدرٌ منيرٌ فقد حسدتهُ افئدةُ الرجالِ
رئيسٌ كان في دنياهُ بحرًا فكانت تُجتنَى منهُ اللآلي
لقد ارضى الالهَ بكل امرٍ وارضى الناس في حسن المآلِ
فعاش كما نؤرخهُ سعيدًا وفي الدارَين قد بلغ المعالي

وكانت وفاة الشيخ حبيب كهلاً قبل والدهِ بخمسة اسابيع في سلخ السنة ١٨٧٠. وكما عاجلت المنون بكر الشيخ ناصيف كذلك قطفت ابنهُ الشيخ خليل غضًّا زاهيًا في تمام شبابهِ وعزّ قوَّتهِ . ولد هذا في السنة ١٨٥٦ وأخذ الآداب العربيَّة عن ابيهِ واخوتهِ فرضعها مع الحليب ولمَّا نشأ دخل الكليَّة الاميركانيَّة ودرس فيها العلوم . وفي ١٨٨١ رحل الى مصر وزار بعض اعيانها وانشأ مجلَّة مرآة الشرق الَّا انَّ الثورة العربيَّة الجأتهُ الى الرجوع الى وطنهِ فعلَّم مدَّة اللغة العربيَّة في المدرستين البطريركيَّة والاميركانيَّة حتَّى أُصيب بصدرهِ فكفَّ عن التعليم ولم يزل يطلب علاجًا لوجعهِ حتى غلبهُ الداء فمات في الحدث في ٢٣ ك٢ سنة ١٨٨٩ ودُفن في بيروت. وكان الشيخ خليل متوقّد الذهن ذا قلم سيَّال وقد غلب عليهِ الشعر. ومن خدمهِ للآداب طبعتهُ لكتاب كليلة ودمنة مضبوطًا بالشكل مع شرح الغريب من الفاظهِ . وهذه الطبعة كما الطبعات الشرقيَّة كلّها في الشام ومصر والهند مبنيَّة على طبعة العلَّامة دي ساسي

لا تخالفها الّا في بعض العرضيّات بخلاف النسخة التي وقفنا عليها فنشرناها في مطبعتنا سنة ١٩٠٥ وهي اقدم نسخة مؤرخة لهذا الكتاب تخالف الطبعات السابقة مع موافقتها لترجمة ابن المقفع الاصليّة. ومن آثار الشيخ خليل النثريّة كتاب في انشاء الرسائل وكتاب في الصحيح بين العامّي والفصيح وكلاهما لم يزل مخطوطاً غير تام

امّا خلفة الشيخ خليل اليازجيّ الشعريّة فهي اوّلاً روايتهُ « المروءة والوفاء » نظم فيها وفاء حنظلة الطائيّ بوعدهِ بعد قدومهِ على النعمان يوم بؤسهِ وضمان شريك لهُ في غيبتهِ ليصلح امور بيتهِ ويرجع الى القتل ثمّ تنصُّر النعمان لنظرهِ مروءة حنظلة. وهو حادث تاريخي معروف بنى عليهِ الشيخ خليل روايتهُ لكنّهُ طمس محاسنها بما اودعها من الادوار العشقيّة المملّة التي تُنسي سامعها الواقع التاريخيّ الاصليّ فيضيع الجوهر بزخرف الاعراض الباطلة

ومن خلفتهِ ايضاً مجموع منظوماتهِ الذي عنونهُ بنسمات الاوراق فطبعهُ بالقاهرة سنة ١٨٨٨ في ١٦٢ صفحة نروي منها بعض القطع تبياناً لفضلهِ وجودة قريحتهِ. فمن مديحهِ قولهُ في عبدالله فكري باشا ناظر المعارف في مصر:

الجاهُ عندك نالَ أكمل جاهِ فهناكَ نورٌ فوق نورِ زاهِ
والفخر منك كُسي بأبهى حلّةٍ وعليك منهُ كلُّ ثوبٍ باهِ
نالت مسامعنا من أسمكَ لذّةً فغدت محسّدةً من الافواهِ

حتى قال وتجاوز الحدّ في الغلوّ:

ولئن يكُ فيكَ الثنا متناهياً فاعذر فضلكَ ليس بالمتناهي
تُرّهت عن شبهٍ فنبني شاعراً متنزّهاً في الشعر عن اشباهِ
ولأنت ذاك ومن لنا ببدائعٍ لك آمراتٍ للقريض نواهِ
فلقد أتاني الشعر يثني عطفهُ ويقول اني عبدُ عبدِ اخيهِ

ومن تهانئهِ قولهُ يهنّئ المطران ملاتيوس فكّاك باسقفيّة بيروت:

حبّذا ما بهِ لنا الدهرُ جادا من سرورٍ بهِ فككنا الحدادا
حبّذا ما أنالنا من صلاحٍ مخجلاً من نفى اليهِ الفسادا
قد حبانا بسيّدٍ ليس يدعو نا عبيداً وانّما اولادا
سيّدٌ شاد في المعالي صروحاً قام فيهنّ راقياً حيث سادا
ربُّ حزمٍ فكّاكُ عُضلةٍ من كلّ امرٍ تدبّراً وسدادا

خيرُ راعٍ يرعى الرعيّة لا تخشى م لديهِ حملاً ضاً الآسادا
يملأ العين بهجةً حينما يبدو م ويملا آذاننا ارشادا

وختمها بقولهِ :

ايّها السيّد الكريم الذي ليس م يفيهِ الثناء مهما تمادى
ان مدحناك نالنا المدحُ ايضاً كالصدى راجعاً الى من نادى
بك يسمو فخارنا فاذا ازدد تَ فخاراً ففخرنا قد زادا
فاذا كان في الثناء قصورٌ فعلينا قصورُنا قد عادا

وله من قصيدة في احد قناصل فرنسة لما زار المدرسة البطريركيّة :

هذا رسولُ الدولة العظمى التي هي دوحُ مجدٍ وهو من اغصانهِ
دوحٌ سقاهُ الفضلُ اعذبَ مائهِ فحرت مياه العزّ في عيدانهِ
طابت مغارسهُ فاثمرت المُنى وشذا المعارفِ فاح من بستانهِ
اهلاً بزائرنا الكريم فانّهُ اهلٌ ليترلهُ العَلى بجنانهِ
لا يُدعَ ضيفاً في حمانا انّهُ في بيتهِ منهُ وفي اوطانهِ

ومن اوصافهِ قولهُ في القاهرة يذكر لبنان :

قف فوق رابيةٍ من طور لبنانِ وقُل سلامٌ على ارضٍ وسكّانِ
ارضٌ اذا ما سقاها الغيثُ كاد بها ان يستحيل الى درٍّ ومرجانِ
يا اهل لبنانَ ما لبنانكمُ جبلٌ لكنّهُ قمّةُ العلياء والشانِ
فيهِ المشائرُ اصحابُ المفاخر أر بابُ المآثر من مجدٍ وعرفانِ
امارةٌ قد سمت فيهِ ومشيخةٌ نشت اصولها من عهد ازمانِ
ملجا الوباء وملجا الحرّ يقصدهُ مصابُ هذين من قاصٍ ومن دانِ
وملجأُ المبتلى من كل ذي سقمٍ بطيبِ ماءٍ واهواء وجيران

وقال في الختام :

هذا هو الوطن المحبوب اذكرهُ وما انا بمراعٍ حُبَّ اوطان

وقال مؤرخاً ميلاد ابنهِ حبيب سنة ١٨٨٤

نجلٌ بهِ جاد الميمن حيث قد حيّتْ وطابت انفسٌ وقلوبُ
لمّا بتاريخٍ حبيبَ سميتُهُ قالت الحبيبُ الى الخليلِ حبيبُ

ثم توفي الطفل في السنة التالية فقال :

وضيف زارنا ومضى قريباً وما كادت تُعَدُّ لهُ شهورُ
تركتَ مؤرَّخاً بالويل حزني كبيرًا ايّما الطفلُ الصغيرُ

وبقي من بعد الشيخ خليل شقيقهُ الشيخ ابراهيم رافعاً أعلام اللغة والادب مواصلًا لاعمال أسرتهِ الكريمة بين العرب مزيّنًا للصحائف بمقالاتهِ في صنوف المعارف. ولد الشيخ ابراهيم في بيروت في ٢ آذار من السنة ١٨٤٧ فاستروح روح الآداب منذ حداثة سنهِ بقرب والدهِ عمدة البلغاء في وقتهِ فاستقى من منهلهِ وخاض في ميدانهِ وجعل يمارس الكتابة حتى برع في النثر والنظم. واستأنف حينئذٍ أدباء بيروت الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة فانتظم في سلكها والقى فيها الخطب وانشد القصائد ثمَّ حرَّر مدَّةً جريدة النجاح. ولمَّا عمد الآباء اليسوعيّون الى تعريب الاسفار المقدَّسة من اصلها العبرانيّ واليونانيّ رأوا انَّ امانة التعريب لا تفي بالمرام إنْ لم يُعطَ المعرِّب حقَّهُ من الفصاحة والبلاغة بتنقيح العبارة وسبك الكلام وكان اذ ذاك صيت الشيخ ابراهيم نال بعض الشهرة فدعوا بهِ الى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معهُ في العمل وكان الاب اوغسطين روده الذي درس العربيَّة في الجزائر وعلَّم العارم الكتابيَّة في فرنسة ينقل الكتب المقدَّسة فصلًا فصلًا وآيةً آيةً بعد مراجعة تفاسير الآباء والمعلمين والترجمات الشرقيَّة العديدة منها ثلاث ترجمات عربيَّة. فاذا اتمَّ عملهُ نظر فيهِ الشيخ نظرًا مدقّقًا فعرض على المعرِّب ملحوظاتهِ ثم تفاوض كلاهما الى أن يثبتا على رأي واحد فيدوّنانهِ بالكتابة ثمَّ يعرضان شغلهما على اربعة اساتذة من الآباء المتضلّعين بالعلوم الدينيَّة ومعرفة اللغات الشرقيَّة فلا يُطبع شيء الّا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة

واشتغل الشيخ ابراهيم في تنقيح التوراة العربيَّة نحو تسع سنوات في غزير وبيروت. وقد علَّم سنين طويلة في المدرسة البطريركيَّة فتخرَّج عليهِ كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف. وفي السنة ١٨٨٤ اتَّفق مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على نشر مجلَّة الطبيب فكان الشيخ ابراهيم يحرِّر فصولها اللغويَّة والادبيَّة. ثمَّ انفرط عقد وصلتهم بعد سنةٍ وانتقل الشيخ ابراهيم الى مصر حيث أبرز اوَّلًا مجلَّة البيان في آذار من السنة ١٨٩٧ ثمَّ ابدلهُ بمجلَّة الضياء التي انشأها ثماني سنوات الى تاريخ وفاتهِ في ٢٨ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٦. فتفقدت بهِ الآداب العربيَّة احد أنصارها المعدودين

وليس من حاجة هنا ان نعرّف صفات الرجل مع قرب عهده بيننا وممّا اشتهر به حسن ذوقه في الكتابة وانسجام كلامه فيظهر لقارئه كأنهُ المرآة الصقيلة او الماء الزلال فكان لا يزال يردّد النظر في ما كتب وينقحهُ مرارًا حتى يخرجهُ كالبرد القشيب والحسيلة الناعمة. وكان عارفًا باللغة معرفة واسعة كما تدلُّ عليه بعض مؤلفاته اخصّها «نجعة الرائد في المترادف والمتوارد» في جزءين على طريقة كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمان الهمذانيّ. ومنها اختصارهُ او شرحهُ لبعض تآليف والده كمختصر نار القرى ومختصر الجمانة وشرح ديوان المتنبيّ المسمّى بالعرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيب وكذلك تصحيحهُ وتهذيبهُ لعبارة بعض كتب الادباء كتاريخ بابل واشور للمرحوم جميل مدوّر ونفح الازهار في منتخبات الاشعار لجامعه المرحوم شاكر البتلوني ودليل الهائم في صناعة الناثر والناظم لهُ. وكانت مطبعتنا وكلت الى الشيخ ابراهيم وضع معجم للُّغة العربيّة فاشتغل فيه زمنًا طويلًا ثمَّ اهمله فانتدبت حينئذٍ جناب اللغوي الشيخ سعيد الشرتوني الى وضع كتابه اقرب الموارد بدلًا منهُ ثمَّ عاد الشيخ ابراهيم الى عمله مرارًا واتمَّ منهُ قسمًا لكنَّهُ مات ولم يمثلهُ للطبع. وكان الشيخ كما هو معروف قليل الصحّة بطيء الشغل ومجلّة الضياء تستنفد همّتهُ فلا تسمح لهُ بمداومة عمل سواهُ

ومن آثاره اللغويّة عدّة مقالات مطوّلة وانتقادات لسانيّة كالاماليّ اللغويّة ولغة الجرائد واغلاط العرب واغلاط المولّدين واللغة والعصر ونقد لسان العرب وغير ذلك ممّا اصاب في بعضه واخطأ في البعض الآخر فتصدّى لهُ كثيرون من الكتبة فقامت بينهُ وبينهم الجدالات الطويلة وكان الشيخ «كثير الاباء ظاهر الانفة الى حدّ الترفّع» كما قال في ترجمته صاحب الهلال (١٥: ٢٦٧) فأدّى به طبعهُ الى كتابة فصول ما كنّا لننتظرها من مثله اطلق فيها العنان لاهوائه وانتهك في بعضها حقوق الدين وارباب ساحة الله

وللشيخ ايضًا قصائد متفرّقة ومنظومات رشيقة لم تُجمع حتى اليوم. روى بعضها جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف في ترجمة حياته التي نشرها في المقتطف. ومن اقدم ما وجدنا لهُ من القصائد ما انشدهُ في الجمعيّة السوريّة في اوائل سنة ١٨٦٨ وهي منظومة حماسيّة ذكر فيها العرب فقال في اوّلها :

سلامٌ ايها العَرَبُ الكرامُ وجادَ ربوعَ قطركمُ الغمامُ
لقد ذكر الزمان لكم عهودًا مضت قِدَمًا فلم يضع الذمامُ

ثمَّ قال في وصف مجالس العلم :

مجالسُ للعلوم غدت منارًا بهِ لنياهب الجهل انصرامُ
جلاها كلُّ أبلج أريحيٍّ تقرُّ لهُ البلاغةُ والكلامُ
تُجرِّدُ من اياديهِ المواضي وتُرسِلُ من لواحظهِ السهامُ
رجالٌ في انتشار الفضل جدُّوا وفي حبِّ العلوم صبوا وهاموا
تلاعبت الحميّةُ في نُهاهم كما لعبت بشاربها المدامُ
تهزُّ الاريحيّةُ كلَّ يومٍ عطاطفهم كما اهتزَّ الحمامُ
هُمُ الشهُبُ المطيرةُ فوق ارضٍ يلوح لنوءهم فيها غمامُ
غمامٌ قد تخلَّلهُ بروقٌ يصافحها الرجاء متى تُشامُ
جهابذةٌ يقوم الفرد منهم بما امليا بهِ الجيش اللهامُ

ومن ابياتهِ الحماسيّة فيها قولهُ عن العرب :

وما العَرَبُ الكرام سوى نصالٍ لها في اجفنِ العُليا مقامُ . . .
لعمرك نحن مصدر كل فضلٍ وعن آثارنا اخذ الانامُ
ونحن أولُو المآثر من قديمٍ وان جحدت مآثرنا الثامُ
فقد علمَ العراق لنا قديمًا اياديَ ليس تنكرها الشآمُ
وفي ارض الحجاز لنا فروضٌ يسيل لها الى اليمن اسجامُ
وفوق الأندلُوس لنا بنودٌ لهامات النجوم بها اعتصامُ
وسلْ في الغرب من آثار فخرٍ لها في جبهة الزمن ارتسامُ
ولسنا القائمين بذكر هذا وليس لنا بمروتهِ اعتصامُ
ولكنَّا سنجهدُ في المعالي الى أن يستقيمَ لها قوامُ

ومن محاسن نظمهِ ما كتبهُ في المجموع الذي خُصَّ بمدح كريستوف كولمب في السنة المئويّة لتذكار موتهِ :

أبغى خريستوفُ الشهير لنفسهِ ذكرًا على الايام ليس يبيدُ
رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ ولهُ من الصمم الجسام جنودُ
قد زاد هذي الارضَ ارضًا مثلها ليديهِ ألتي كترها المرصودُ
برزت اليهِ من الغيوب كأنَّها خَلْقٌ سوى الخَلْق القديم جديدُ
فكأنَّهُ اذ حلَّ فيها آدمٌ وكأنَّها فردوسهُ المعهودُ

وقال يشكو تقلُّب الأيام من قصيدة :

كأني بالبلاد تنوحُ حزنًا وقد اودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارزُ في لبنان شجوًا وتندبُ بعد ذاك العزِّ صورُ
وتدمرُ في دمارٍ مستمرٍّ وما سكانها الّا النمورُ
واضحت بعلبكُ وليسَ فيها سوى خُرَبٍ لعظمتها تشيرُ
فلو درتِ البلاد بها عراها لكادت من تألمها تغورُ

ومن لطيف قولهِ في مدح سموّ الخديوي عبّاس :

همامٌ تولّى الامر وهو على شفا فشيَّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلّد اعباء الرئاسةِ امردًا وقد عرفتهُ قبل ذلك مُوفعا
فكانت لهُ امًّا وكان لها ابًا عدتهُ وربّاها وقد نشأا معا

ولهُ تاريخ في الطبيب يوسف الجلخ المتوفّى سنة ١٨٦٩ :

هذا الطبيب الذي من بعد مصرعهِ ابلى القلوبَ بآلامٍ وتعذيبِ
اجرى عيون بني الجلخ الكرامِ لهُ بكل دمعٍ من الاجفانِ مصبوبِ
فقفْ على تربهِ واهتف بمرحمةٍ عليهِ غبطًا من تلك المحاريبِ
وقل ليوسف أرّخ طيَّ مضجعهِ أبدتَ في كلّ قلبٍ حزنَ يعقوبِ

ويعجبنا قوله في ساعة دقّاقة :

ومحصيةٍ أعمارنا كلّما أنقضت لنا ساعةٌ دقّت لها جرسُ المازنِ
فيا بنت هذا الدهرِ سرتِ مسيرَهُ فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

ومثلهُ حسنًا قولهُ في عود طربهِ :

وعودٍ صنا الندمانُ قدمًا بظلّهِ وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ
تشقّقهُ طيرُ الاراكةِ اخضرًا وحنَّ عليهِ ويشهُ وهو يابسُ

ورأى قلعة بعلبكَ فذكر قدرة الرحمان بقولهِ :

يا بعلبكُ غريبةَ الازمانِ والعهد والصنّاع والبنانِ
لم تُبلكِ الايّام في حدثانها الّا لتُظهر قدرة الرحمانِ

ويا ليت قلمهُ لم يرقم غير هذه المعاني البليغة ويسرنا ذكر قصائد وكراريس ظهرت غفلًا من اسم مؤلّفها وقد صرّحت الجرائد اليوم بانّها من انشائهِ كقصيدتهِ

السينيَّة التي نشرها سليم افندي سركيس في كتابه سرّ عملكة . وقد تجاسر حتى قال فيها عن ارباب الاديان :

ما هم رجالُ الله فيكم بل همُ القوم الابالسْ
يمشون بين ظهورهم تحت الطيالس والقلانس

ومثلها شقيقتها البائيَّة التي مطلعها :

تنبَّهوا واستفيقوا أيها العربُ فقد طمى الخطبُ حتَّى فاضتِ الرُّكبُ

وفي هذه القصائد والمنشورات مطاعن في الدين وتهييج الخواطر على السلطة الشرعيَّة ما كان الشيخ في غنًى عنهُ صوناً لعرضهِ ولشرف اسمهِ

ونختم هذا الفصل بذكر آخر فرعٍ من الدوحة اليازجيَّة من اولاد الشيخ ناصيف وهي السيّدة وردة ابنتهُ التي لا تزال حيَّة نسمي ان يكون عبيرها عطرًا كاسمها لا يمتزج بأرجها شيء من الريح العصريَّة الذفرة وقد نمت وردة اليازجي بين الادباء فورثت عنهم الادب ولها ديوان صغير دعتهُ بحديقة الورد افتتحتهُ بابيات وجَّهتها الى وردة بنت المعلّم نقولا الترك اوّلها :

يا وردة الترك اني وردةُ العربِ فينا قد وجدنا اقرب النسبِ

ولا نزيد على هذا التلميح لنقوم بوعدنا انَّنا لا نتعرَّض لذكر الاحياء . (لهُ بقيَّة)

فاجعة مسينة

للابوين اليسوعيَّين يوحنَّا روش ودوريفال

هو مثلٌ شائعٌ بين اللاتين انَّ البلايا في الأعقاب كخُمات العقارب في الأذناب . كانت السَّنة المنصرمة مع ما جرى في مطاويها من التقلُّبات وطرأ من الملمَّات تُعدّ بالاجمال من الاعوام السعيدة التي رحم فيها المولى عبادهُ وخفَّف عنهم وطأة نكباتهِ . ونحن كذلك ننتظر ختام السنة لنتيامن بالعام الجديد اذ انتشر في البلد خبر مشؤوم ما كدنا نصدّقهُ لولا انَّ الاخبار تناصرت والانباء البرقيَّة توالت تزيل كلَّ ريب وتُشير بخراب مسينة والقرى المجاورة لها من جزيرة صقلّية كما انَّها اعلمت بدمار

مدينة راجيو الواقعة في ايطالية بازاء مسينة ومذ ذاك اليوم الى يومنا الحاضر تتابعت الاخبار وزادتنا ايضاحاً عن عظم المصاب ثم جاءت باثرها الجرائد تصف البلاء وصفاً تقشعرّ له الابدان وترتعد لهوله الفرائص. فانّ مدينة مسينة الشهيرة اضحت تلالاً من الردوم والانقاض فسقطت بيوتها وابنيتها وتقوّضت قصورها وسقطت كنيستها الكاتدرائيّة المعدودة من البنايات الهندسيّة الجميلة وذهبت منتدياتها العموميّة كالمدارس وثكنات الجيش والمستشفيات فهلك اهلها. وبعد ان كانت مسينة مدينة تجاريّة زاهرة العمران حافلةً بالسكّان يبلغ عدد اهلها ٢٠٠,٠٠٠ من النفوس لم يسلم منها الّا عشرون الف نفس. وليس الاحياء في حالة ارضى من الاموات فانّ الذعر قد استولى عليهم حتى مُسّ كثيرون بشعورهم. وكان غيرهم مجهودين منهوكين ذاقوا الموت الواناً لما قاسوهُ من الاوجاع والاخطار. وكان بعضهم قد اخذ الجوع منهم كلّ مأخذ يطوفون بين اخربة المدينة ليسندوا رمقهم ويسدّوا جوعهم وكانوا اذا وجدوا شيئاً من القوت انقضّوا عليه كالطيور الكاسرة وتضاربوا بالمدى والسكاكين لينتشلوهُ من ايدي رفقتهم

امّا راجيو او رَيّة كما دعاها قدماء العرب فانّها كادت تطمس معالمها وتدخل كلّها في خبر كان فانّ ما بقي من ابنيتها لا يتجاوز عدد البنان. وقد أُصيبت ايضاً قرى متعدّدة ومزارع من ضواحيها في جهات كلابرية حيث كانت حدثت سنة ١٩٠٥ تلك الزلازل التي اقفرت البلاد وشتّتت شمل السكّان

امّا اسباب كلّ هذه الويلات فزلازل هائلة حدثت في صباح يوم الاثنين ٢٨ كانون الاوّل لم تدم الّا نصف دقيقة لكنّها قلبت تلك الانحاء ظهراً لبطن لشدّة هزّاتها. فتداعت الابنية وسقطت ساحقةً تحتها كلّ نسمة من الأحياء. وكأنّ ذلك لم يكفِ ليخلع القلوب هلعاً فانّ البحر ارتفع من اعماقه فبلغت امواجهُ علوّ ثلاثين قدماً فانصبّ كالسيول الجارفة او بالحري كالطوفان العرمرميّ على مسينة فحوّلها الى قاع صفصف والى اكوام من الاخربة والاطلال. فلم تلبث جثث الموتى ان تطفو فوق المياه فتنبعث منها الرائحة الكريهة وكان بضع مئين نجوا في مطامير البلدة وسراديبها فعلت اصوات نحيبهم وعويلهم فكانت تتفتّت لها الاكباد

هذه لمحة وجيزة ووصف ضعيف لما جرى في مسينة وكان لهذه النكبات اصداء

من الحزن في قلوب كلّ من لم تمت فيهم شواعر الانسانيّة فتسارعت كلّ الامم والمحسنين الى ارسال المؤن والحسنات لاسعاف المنكوبين . ولا نظنّ انّ اهل الخير في بلادنا يضنّون بمالهم وللكاثوليك منهم أسوةٌ برئيس الاحبار الذي مع قلّة ذات يده تبرّع بمئة الف فرنك وامر الاساقفة في كلّ البلاد بان يجمعوا ما امكنهم من المال لينفق في سبيل البؤساء المساكين والله لا يضيع اجر المحسنين

امّا ما تصير اليه مسينة وراجيو بعد هذا المصاب أفيعود الايطاليّون الى بنائهما كما نووا ام يجعلونهما في موقع آخر على مسافة من موقعهما السابق او يُعدَل عنهما تماماً فالامر حتّى الآن في اسرار الغيب التي لا يعلمها الّا الله . امّا نحن فقد تسوقنا هذه الأحداث الى أن نعرّف قرّاءنا بتلك الانحاء فتزيدهم معرفتها اعتباراً لها وترحّماً على اهلها فنقول :

ما مرّ علينا سوى اربعة اشهر مذ ركبنا البحر في مرسيلية قاصدين الشرق ففي غدوة اليوم الثاني قطعنا بوغاز اجاسيو بين قورسقة وسردينية ثمّ واجهنا ايطالية عن بعد فملنا الى الجنوب محاذين لرومة ثمّ لنابلي وبركانها ويزوف حتى اقتربنا في صباح اليوم الثالث من سواحل كلابرية وصقلية فدخلنا في خليج أدّى بنا بعد ساعة الى مضيق هو بوغاز مسينة فسرنا بين ايطالية وصقلية وتراءت لنا من الجانبين مشاهد فتّانة كانت تأخذ بمجامع القلب وتخلب بحسنها النظر فكنّا نرى راجيو من عن شمالنا مكتسية باثواب الجمال تزدهي بابنيتها الحديثة البنيان ويُشرف عليها من الزوارع والدساكر ما يصحّ فيه قول الشاعر :

لاحت تراها بين خضرة أيكها كالدرّ بين زبرجد مكنون

امّا مسينة فكانت تتدفّق بساكنها متراصّةً بينها الابنية الفخمة والمتنزهات العموميّة والآثار القديمة الراقية الى ايّام العرب والنرمند والاسبانيين لاسيّما كنيستها الكاتدرائيّة العجيبة الراقية الى القرن العاشر الغنيّة بآثارها الدينيّة من صور لمشاهير المصوّرين وقسيفساء واواني فاخرة من عمل حذّاق الصّنعة . وهيهات ان يكون احدٌ من ركّاب السفينة يفكّر في ما ستؤول اليه بعد ربع سنة كلّ هذه المفاخر اعني كثباناً من الأنقاض والاخربة

ولو كنّا تروّينا واستفتينا التاريخ بل لو اعتبرنا فقط ما كان يكتنفنا من المظاهر

لعرفنا انَّ تلك الجهات عرضةٌ لآفات الدهر . فانَّ راجيو الايطاليـة كانت خربت غير مرَّة في توالي الاجيـال وخصوصاً سنة ١٧٨٣ فدُمرت اوحى دمار . وكنَّا نرى مشارف كلابرية حيث تعدَّدت الويلات في كرّ الدهور بل قريباً من عهدنا سنة ١٩٠٥ اذ تشتَّت شمل السكَّان بعد ان اتلفت الزلازل كثيراً من القرى . امَّا صقلّية فانَّ بركانها اتنا كان منتصباً في اقاصي أفقنا نعاين في قمّتهِ اكليلاً من الدخان المنبعث من البركان . بل كان امامنا دليل أقرب على فعـل كوارث الحدثان ألا وهو البوغاز الذي كنَّا فيهِ جارين تقلُّنا في وسطهِ اجنحة البُخار . فانَّ علم طبقات الارض قد اثبت اليوم بالحجج القاطعة انَّ صقلّية لم تكن سابقاً جزيرةً وانَّما كانت شبه جزيرة ملتصقة بايطالية فدهمتها الزلازل وشقَّت بينهما وحصل ذلك البرزخ الفاصل اليوم بين البلدين. وقد جاء الزلزال الجديد كوقع الحافر على الحافر او بالحري كثالثة الاثافيّ او الطامَّة العظمى

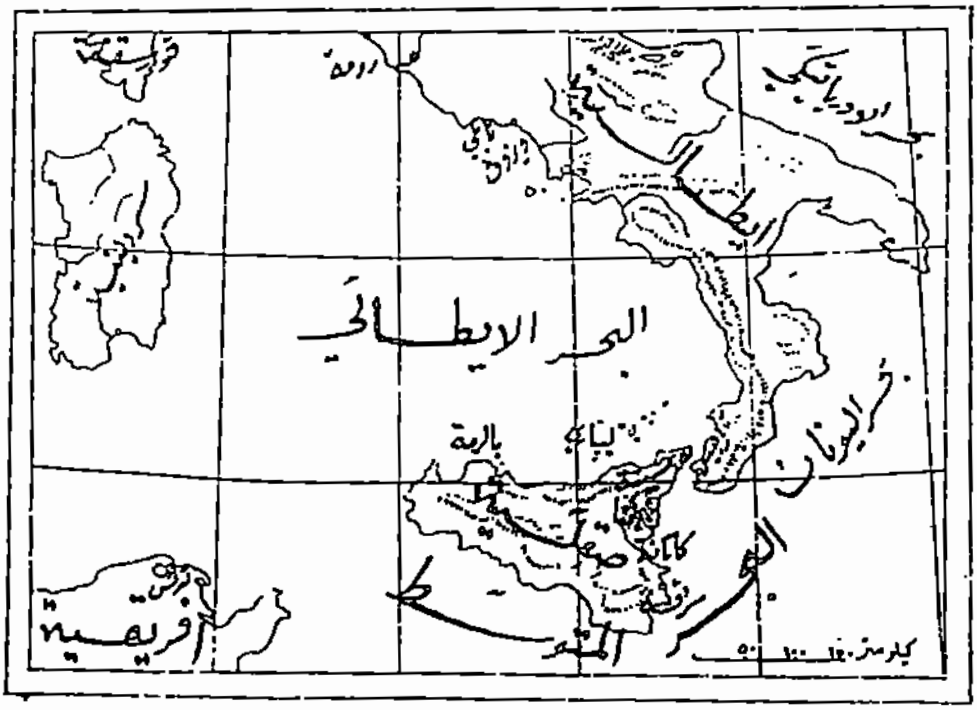

خارطة صقلّية و بوغاز مسّينة

ان سألت عن تاريخ مسينة المنطرحة اليوم في قبرها المسجّاة في اكفانها قلنا انّ تاريخها يمزج بتاريخ صقلّية وكان مشيّدوها قرصان البحر من اليونان فسكنوها وبقت ولاية اليونان عليها وعلى صقلّية حتى خلفهم في ملكها القرطجنيون ثمّ فتحها الرومان ثم انتزعتها من ايديهم قبائل اوندالة والقوط. وفي ايّام يستنيان الملك استولى عليها البوزنطيّون الى عهد المأمون الخليفة العبّاسيّ ففتحها العرب وصار امرها الى سلالة منهم عُرفوا ببني الاغلب ثم انتقلت الى دولة الفاطميين. ولمّا كان القرن الحادي عشر زحف النرمنديون على صقلّية وملكوها نحو مئتي سنة فصارت الى عهدة ملوك اراغونة حتى تولّى عليها ملوك بوربون. وكان آخر ما طرأ عليها انّها صارت الى ملوك نابولي فخرجت من حكمهم سنة ١٨٦١ وضُمّت الى ايطالية

وكانت مسينة في كلّ هذه الاطوار المختلفة تنال حظّها من ترقّي البلاد او تقهقرها. وكانت في الغالب هي المدينة الثانية لصقلّية بعد بالرمة وكان موقعها عند مضيق صقلّية يزيدها شأنًا فتحفل بالتجار المتقاطرين اليها. امّا تربة مسينة فكثيرة الخصب وافرة الغلّات كمعظم جزيرة صقلّية وقد وصف مسينة الرحّالة ابن جُبَير سنة ٥٧٨ (١١٨٣ م) فقال:

هذه المدينة موسم تجّار الكفّار. ومقصد جواري البحر من جميع الاقطار. كثيرة الارفاق برخاء الاسعار... اسواقها نافقة حفيلة. وارزاقها واسعة بارغاد العيش كفيلة. لا تزال بها ليالك ونهارك في امان. وان كنت غريب الوجه واليد واللسان. مستندة الى جبال قد انتظمت حضيضها وخنادقها والبحر يعترض امامها في الجهة الجنوبية منها. ومرساها اعجب مراسي البلاد البحريّة لانّ المراكب الكبار تدنو فيه من البرّ حتى تكاد تمسّه... وذلك لافراط عمق البحر فيها وهو زقاق معترض بينها وبين الارض الكبيرة بمقدار ثلاثة اميال ويقابلها منه بلدة تُعرَف برّيّة وهي عمالة كبيرة. وهذه المدينة مسينة رأس جزيرة صقلّية وهي كثيرة المدن والمعاثر والضياع وقسيتها يطول. وطول هذه الجزيرة صقلّية سبعة ايّام وعرضها مسيرة خمسة ايّام وبها جبل البُركان المذكور وهو يأتزر بالسُّحب لافراط سموّه ويتمّ بالثلج شتاء وصيفًا دائمًا. وخصب هذه الجزيرة اكثر من ان يوصف وكفى بانّها ابنة الاندلس في سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة مشحونة بالارزاق على اختلافها مملوءة بانواع الفواكه واصنافها. لكنّها معمورة بعَبَدة الصلبان يعشون في مناكبها ويرتعون في اكنافها. والمسلمون معهم على املاكهم وضياعهم قد حسّنوا السيرة في استعمالهم واصطناعهم...

فناهيك بهذا الوصف تنويهًا بعظم شأن مسينة في الزمن القديم وقد كانت في

عهدنا اغنى ثروة وارفع قدراً . أما جبل البركان الذي اشار اليه ابن جبير فهو جبل اتنا الذي يبلغ ارتفاعهُ ٣,٣١٣ متراً وقد انفجرت فوهتهُ نيفاً ومئة مرة فرمى بالحجارة ودفع من بطنهِ الجُمَم والموادّ الملتهبة التي بلغت في بعض الاحيان الى اماكن بعيدة على مسافة مئة كيلومتر

أما رية (او راجيو) التي ذكرها ابن جبير وسبق لنا ذكر خرابها فانها كانت من كبار المدن الساحلية الايطالية يبلغ عدد اهلها نحو خمسين الفاً وفيها المدارس الكبيرة وهي كرسيّ لرئيس اساقفة . وكانت في حسن موقعها وخصبها تجاري مسينة وصيفتها الا انّ معاطف جبالها صخرية جرداء في بعض الامكنة لا تأتي بثمر

وفي الخليج المجاور غرباً لمسينة ورية عدّة جزائر تدعى بجزائر ليباري تكثر فيها الزلازل وهناك بركان آخر لا يزال متقداً والنيران تلتهب فوق هامتهِ وهو بركان ستروميولي يرى ركّاب البحر دخانهُ نهاراً ولهيب نارهِ ليلاً

أما اهل مسينة وراجيو فتاوح في تقاطيع سحنتهم مميّزات كلّ العناصر والاجناس التي استوطنت تلك الانحاء ولا غرو ان بينهم بقايا من اليونان والروم والعرب والنرمند والاسبانيين . وقد دخل بينهم في الاجيال المتأخرة عدد وافر من الارناؤوط من سكّان البانية وبينهم قوم يتكلّمون الى اليوم بلغتهم الاصلية . ولغة اهل مسينة ورية في أيامنا هي الايطالية الّا انّ اليونانية بقيت شائعة بينهم الى القرون الوسطى بل صبرت على صروف الزمان في بعض الامكنة المنقطعة الى القرن السادس عشر . واسم مسينة مشتقّ من احدى المستعمرات اليونانية التي حطّت فيها عصا الترحال وكان لسبيم مسّانيين واصلهم من مسّانية في بلاد اليونان

هذه بعض الافادات قدّمناها لقرّائنا كعجالة وكان قسم كبير من المجلّة قد تمّ طبعهُ لمّا بلغتنا اخبار الزلازل . وكنّا اضفنا الى هذه الاسطر بعض الايضاحات في نواميس الزلازل وسيرها لولا انّ حضرة الاب كولنجت سبقنا الى ذلك في كلامهِ عن فاجعة سان فرنسسكو فنحيل قرّاءنا الى مقالتهِ المعنونة «البراكين والزلازل» (في المشرق ٩ : ٤٨٣ — ٤٩٣)

مطبوعات شرقية جديدة

عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ـ

بقلم جناب ممثل ولاية بيروت في مجلس المبعوثين سليمان افندي البستاني

طُبع في مطبعة الاخبار سنة ١٩٠٨ (ص ٢٠٤)

اتحفنا جناب ممثل مدينتنا في مجلس المبعوثين بهذا الكتاب قبل سفره الى الاستانة ليكون كاسمهِ عبرة وذكرى فوصف فيهِ احوال بلادنا قبل الدستور واشار الى ما ستؤول اليهِ من بعدهِ. فتصفَّحناهُ بكل طيب خاطرٍ لما يتضمَّنهُ من الابحاث التي يتوق الى معرفتها كل عثماني محبّ لوطنهِ. وزادتنا اقبالًا على مطالعتهِ رغبتنا في الوقوف على مبادئ الكاتب الاديب الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة. فاذا الكتاب تاريخي اكثر منهُ نظري فلم يرتو بهِ غلياننا. ولا حرَج لانهُ يتعسَّر على ممثلي الأمة بعد طور الانقلاب ان يختاروا لهم خطَّة سياسية مقرَّرة ولا نستي خطَّة سياسية الانتهاء الى الدستور والكل في ذلك على سواء لأننا لا نظنّ ان عاقلًا يرغب في احياء ما مضى ومات. على انَّنا نستطيع القول اجمالًا انَّ حضرة الكاتب معتدل المذهب فاذا شكا الاستبداد صرَّح بانهُ لا يقصد كل حكم مطلق بل « الحكم المطلق الذي اباح الموبقات واستباح المحرَّمات » (ص ١٨) واذا اطرأ حرِّيَّة الصحافة والتأليف حصرها في « ما لا يفضي الى مثل الفوضى التي استحكمت بين بعض جرائد مصر لسنين مضت » (ص ٣٣) وابدى رجاءهُ بانَّ « نشوة السرور لا تأخذ الكتبة فيتخطَّوا جادَّة اليقظة والاعتدال لئلَّا يختلط النفع بالضرّ والخير بالشرّ » (ص ٤٦) واذا ذكر التعصب ميَّز بين التعصُّب الذي « ليس بالخلَّة المذمومة والتعصُّب الذميم الذي يدفع الى كراهة ابناء غير دينك وجنسك » (ص ٩٠) الى غير ذلك ممَّا يدلّ على اعتدال حضرة الكاتب في الرأي وسدادهِ في الحكم. وكذا يُقال في كلامهِ عن تعليم الاجانب. فاعترف بجزيل فضلهم لكنَّهُ أردف قولهُ بما لا يسعنا التسليم بهِ فكتب (ص ٣٨): « انَّ فيها (اي المدارس الاجنبيَّة) ثلمةً متَّسعة لا يمكن سدُّها الَّا بتغيير الاحكام فمَن من

ارباب تلك المدارس على فضله يهتمّ ببثّ روح الوطنيّة بين تلامذته ... » فهذا القول يستدعي بحثاً طويلاً لا يسمح لنا ضيق المقام بان نخوض في عبابه لكنّ في الاسطر التالية ما يُزيل الشكّ ويوضح الحقّ فنقول : لا ننكر انّ المدارس الاجنبيّة لم تبثّ روح الوطنيّة بثّاً تامّاً كما يشتهيه كلّ محبّ للوطن. لكنّ عذرها واضح فكيف يُبثّ روح الوطنيّة في صدور مَن لا وطن لهم ؟ وهل كان للمسيحيّ السوريّ وطن قبل الدستور ؟ فكانت هذه المجلّة وغيرها من الجرائد المسيحيّة اذا ذكرت اسم الوطن ضرب عليه المراقب تنبيهاً لكتبتها على انّ هذه البلاد ليست وطنهم. بل هل كان للمسلم العربيّ وطن ؟ ومرادنا بالوطن والوطنيّة ليس المعنى اللغوي او الاصطلاحيّ القديم بل المعنى الحديث الشائع بين الامم الحرّة . فان قصّرت المدارس الاجنبيّة عن بثّ روح الوطنيّة فلا ملامة عليها ولو فعلت لأثارت عليها الخواطر . ولا نرى من هذا القبيل فضلاً للمدارس الوطنيّة على الاجنبيّة كما يتّضح لكل معتبر لشؤون البلاد . ولا عجب في الامر فانّ العذر واحد — وزد على ذلك ان المدارس الاجنبيّة التي نعرفها وهي الكاثوليكيّة قد مهّدت السبيل ما استطاعت لمن يريد بثّ روح الوطنيّة مع ما كان يحول دون ذلك من العوائق فيما مضى . فمن المعلوم انّ الملل في بلادنا تقوم للسوريين مقام الوطن فينتصر كلّ سوريّ اليه كما ينتصر الاوربيّ لوطنه . وكثيراً ما يكون هذا التعصّب الملّي ذميماً او مفرطاً فلمّا تقاطرت الى مدارس المرسلين الفرنسويين أحداث كل الطوائف وامتزجت اعضاء الملل في دائرة واحدة وتخرّج الطلبة على مبادئ شريفة نبذوا التعصّب الملّي الذميم واعتبروا بقية التلامذة من غير ملّتهم كاخوة واصحاب فكان اجتماعهم غير مفيد الوطنيّة — ثم انّ المدارس الكاثوليكيّة الفرنسويّة خدمت الوطن خدمةً نصوحاً بحسن تربية الشبّان والتربية كما لا يخفى اساس الوطنيّة كما بيّنّا ذلك في مقالتنا عن المدارس والهيئة الاجتماعيّة (المشرق ١١ : ٦٩٣) . امّا الآن وقد اصبح لنا وطن فانّ رؤساء مدارسنا يتسابقون في زرع حبّه في قلوب شبّانهم لانّ اولئك الرؤساء كلهم من الكاثوليك وهم يعلمون حقّ العلم انّ الكاثوليكيّ مع اعتصامه بحبل الدين يجعل حبّ وطنه من ايمانه . فيكون فرنسويّاً في فرنسة والمانيّاً في المانية وانكليزيّاً في انكلترّة وكذلك يكون عثمانيّاً في الدولة العثمانية ولو طلب احدٌ شاهداً على قولنا ذكرنا له الخطبة البليغة التي ألقاها في رأس العام الجديد

حضرة رئيس مدرستنا الكلية الاب كاتين وقد اضرمت حبَّ الوطن في قلوب كل سامعيها ولا نتذكَّر خطبة لاحد العثمانيين بلغت مبلغها من التحمس وقد ختمها بهذه الالفاظ العسجديَّة: « واذا رام عدوّ ان يلطّخ بُرْد السلطنة بوصمة العار فرجائي ان تكونوا في مقدَّمة مَن يمتشق الحسام لردّ كيده ولتكونن دماؤكم خير غسل تطهّرونه به . . . واذا تصفَّحنا بعد ثلاثين عاماً صفحات الشرف التي يخلّدها التاريخ فأملي لطيد يا ابناء كليّتنا ان نرى اسماء تلامذة القديس يوسف في صدر لائحة الابطال الذين ضحّوا حياتهم في سبيل وطنهم » هذه اصداء ضعيفة من اقوال الخطيب. امّا لهجته فكانت تخلب قلوب الحضور وتهتزّ لها الارواح وتقابلها ضجّات الاستحسان وتصفيق الايدي المتطاول. فامري انَّ في اقوال الخطيب وإعجاب التلامذة أحسن ردّ على الاعتراض السابق الاب خليل اده

LA THÉOLOGIE DE BELLARMIN par J. de la Servière s. j. (BIBLIOTHÈQUE DE THÉOLOGIE HISTORIQUE). *Paris, G. Beauchesne et Cie*, 1908, XXVII-764.

لاهوت الكردينال بلرمينوس

انَّ الكردينال بلرمينوس اليسوعيّ قام في القرن السادس عشر بازاء الاضاليل البروتستانيَّة كمجاهد باسل وكفارس بهمة لم يكترث لهجمات اعدائه ولم يزل يناوبهم القتال مرَّة بعد مرَّة حتى شاع صيتهُ في كلّ انحاء اوربَّة بل صار اسمهُ مرادفاً للحزب الكاثوليكيّ بل صار كتبة البروتستانت يدعون بلرمينيًّا كلَّ من لم يوافقهم على آرائهم الكاذبة . وكان الناس اذا نشر بلرمينوس كتاباً يتهافتون عليهِ كالجياع على القصاع فاضطرَّ المبتدعون الى مصادرة كلّ من وجدوا عندهُ نسخةً من تآليفهِ . ومع ما مرَّ على بلرمينوس من الزمن لم تعتق كتبهُ وتعاليمهُ في الغالب باقية في كلّ قوَّتها لا تكاد تجد في براهينهِ العقليَّة والنقليَّة الَّا اشياء قليلة تحتاج الى بعض التحوير. مع انَّهُ لم يدع في عهدهِ صنفاً من المباحث الدينيَّة الَّا خاض فيهِ وأيدهُ بالحجج الراهنة وقرَّره بالبينات اللامعة فانَّهُ كتب في معظم المعتقدات الكنسيَّة كالتوحيد والتثليث والتجسُّد وسرّ الفدى والكنيسة والحبر الروماني والايمان والعصمة والحريَّة والتبرير والكهنوت والرهبانيَّات ولهُ في كلّ ذلك الحكم الفصل والرأي السديد . ولا يبعد

انَّ الكنيسة يوماً تنظم هذا الكاتب المفلق في عداد ملافنتها الكبار. فكلّ هذه الصفات العجيبة والمزايا الفريدة قد بيَّنها حضرة الاب دي لاسرفيار اليسوعيّ في كتاب ضخم خصّهُ بدرس كتب بلرمينوس اللاهوتيّة فبحث عن مضامينها وخواصها واساليبها وطرائقها الجداليَّة ومناقبها الكتابيَّة حتى أضحى كتابهُ احسن دليل لمن يشاء الوقوف على أعمال ذلك الكردينال وتقديرهُ حقّ قدره . وقد طُبع هذا الكتاب في مجموع مكتبة اللاهوت التاريخيَّة التي مدارها على مصنَّفات قدماء اللاهوتيين. فنثني على همّة المؤلف ونتمنَّى لكتابهِ رواجاً الاب ف . ترونيز

General Bulletin of the Manila University of Santo Tomas 1908-1909 founded 1612, *Manila*, 1908, (p. 420)

كليَّة مانيلة في جزائر فيليبين

ذُكر في مقالة الدين والدنيا في عام ١٩٠٨ ما فاه بهِ رئيس الولايات المتَّحدة المسيو تافت اذ كان حاكماً في فيليبين في الكنيسة الكاثوليكيَّة وعظم نفوذها (ص ٤٧) وهاءنذا بشاهد جديد على اعمالها في سبيل العلم والتمدُّن . ألا وهي لائحة مدرسة كليَّة فتحها حضرة الآباء الدومنيكيين في مانيلة سنة ١٦١٢ فكادت اليوم تبلغ المئة الثالثة من انشائها وهذه اللائحة عبارة عن كتاب كبير يحتوي تاريخ الكليَّة المذكورة ثم نظام دروسها والعلوم التي تعلَّمها من لاهوت وفلسفة وآداب ولغات شرقيَّة قديمة وتاريخ وفقه وطبّ وصيدلة وعلوم طبيعيَّة ثمَّ اسماء اساتذتها وجدول الذين تخرَّجوا فيها والطلبة الذين نالوا فيها الشهادات المؤذنة بكفايتهم الى غير ذلك مما يشيد للمتولين تدبير الكليَّة بسموّ المدارك والهمَّة البعيدة . لا زالت الكثلكة في كلّ انحاء المعمور سنداً لكل عمل شريف ومشروع عظيم ل . ش

هدايا أرسلت الى ادارة المشرق

١ كتاب العرب قبل الاسلام تأليف جرجي افندي زيدان منشئ الهلال . الجزء الاول (١٩٠٨ ص ٢٥٥) وسنفرد لهُ مقالة ان شاء الله عند قيام الجزء الثاني

٢ بيوس العاشر : صلاحهُ وسلامة قلبهِ . صورة الخطاب الذي القاهُ الاديب نجيب افندي غرغور في حفلة اليوبيل البابويّ التي اقامها حضرات الآباء اليسوعيين في ٣ مايو سنة ١٩٠٨ في الاسكندريَّة (ص ٣١)

٣ منشور عمومي وجّهه غبطة السيّد الجليل مار يوسف عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى عموم الطائفة الكلدانية بمناسبة دخول السنة الجديدة ١٩٠٩

٤ الى اعتاب قداسة الحبر الاعظم مار بيوس العاشر في اثناء يوبيلهِ الكهنوتي الزاهر عريضة الخضوع والحبّ والثناء من مطلّبي وطلبة مكتب الاباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٨

٥ الماجيات والكمايات وفي اي منها نحن الآن . خطبة للدكتور كامل سليمان الخوري عيسى تلاها في نادي الحريّة في حمص في ٢٤ ت ١ ١٩٠٨ (ص ٣٢)

٦ مفكرة صادر للسنة ١٩٠٩ تصدر سنويًا من ادارة المطبعة العلميّة لصاحبها الاديب يوسف افندي صادر في ٢٨٠ صفحة

٧ مطبوخ المكتبة العصرية المعروف بمطبوخ الارمن لسنة ١٩٠٩ (ص ٦٤)

٨ مجلات جديدة : ١ المنتقد مجلة عمرانية اجتماعية انتقادية فكاهية تصدر مرتين في الشهر (صفحاتها ٣٢) لمنشئها ومحررها محمد افندي باشر ولمديرها كمال افندي بكداش . في بيروت . ٢ المباحث مجلة علمية ادبية سياسية فكاهية تصدر مرتين في الشهر (ص ٤٨) لمنشئها الاديبين جرجي وصموئيل بني في طرابلس الشام . ٣ روضة المعارف مجلة علميّة ادبيّة تاريخيّة فكاهية اخبارية تصدر مرتين في الشهر (ص ٢٤) لرئيس تحريرها الاستاذ عبد الرحمان افندي سلام وصاحب امتيازها ومديرها السيّد محمد بن الفبابي . ٤ النفائس مجموعة لطائف وفكاهات تصدر مرّة في الاسبوع لمنشئها خليل افندي بيدس (ص ١٦) في حيفا

شذرات

الجامعة المصريّة هي المدرسة العالية التي سعى بانشائها ادباء المصريين على طريقة الكليات الاوربيّة تحت رعاية الحضرة الخديويّة ورئاسة الشرف لسمو الامير وليّ العهد . وقد صار افتتاحها في ١٥ دسمبر الاخير بسراي المرحوم خيري باشا في شارع القصر العيني تجاه سراي الاسماعيليّة . اما دروس الجامعة في هذه السنة فمدارها على المواد الخمس الآتية . (اوّلاً) محاضرات على الحضارة الاسلاميّة يلقيها الاستاذ احمد زكي بك . (ثانياً) محاضرات على الحضارة القديمة في مصر والشرق لغاية ظهور الاسلام يتولّاها الاستاذ احمد كمال بك . (ثالثاً ورابعاً) محاضرات على الآداب واللغتين الانكليزيّة للاستاذ المستر ملر (Miller) والفرنسويّة للاستاذ المسيو بوفيليه (Pauphilet) . (خامساً) محاضرات باللغة العربيّة او الفرنساويّة على ادبيّات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوربا وخصوصاً بايطاليا للاستاذ السنيور اغناسيو غويدي (Guidi) . وهذه الدروس

تقام مرّةً في الاسبوع في ساعات المساء وهي تدوم ساعةً واحدة ويليها ربع ساعة لمذاكرة الاستاذ مع الطلبة فيما يشكل عليهم او يرغبون زيادة التعريف فيه . أمّا الطلبة الذين تقبلهم الجامعة لحضور دروسها فعلى نوعين منهم منتسبون ومنهم مستمعون متطوّعون ولكلهم شروط معلومة ورسوم مقرّرة . وتُعطى اجازات وشهادات لمن يحضر تلك الدروس ويقدّم بعض الامتحانات عنها فترى من هذه اللائحة انّ دروس الجامعة المصريّة تُشبه في الغالب نظام مدرستنا الشرقيّة ودروسها ونحن نتمنّى للجامعة كلّ توفيق ونجاح

مورسطس صاحب الارغن — يذكر القرّاء الرسالة الفريدة التي نشرناها في السنة ١٩٠٦ (المشرق ٩ : ١٨—٢٨) عن الآلة او الارغن الذي يذهب صوتهُ ستين ميلًا واتّخذهُ مورسطس . فكان لنشر هذا الاثر وقعٌ حسن في اعين المستشرقين لا سيما الذين منهم يبحثون عن الصنائع القديمة والحرَف المندثرة . وقد نقل جناب البارون كارا دي ڤو (Bon Carra de Vaux) هذه الرسالة الى الفرنسويّة في مجلّة الدروس اليونانيّة (Revue des Etudes Grecques XX , 1908 p. 332—340) وقد بيّن هناك انّ هذه الآلة هي ارغن مائي (Orgue *hydraulis*) كالارغن الذي ورد ذكرهُ في تأليف فيلون البوزنطيّ ووصفهُ ايرون الاسكندري وفيتروف الرومانيّ . امّا مورسطس صاحب الآلة المذكورة فكنّا بحثنا عنهُ لمّا نشرنا المقالة فلم نجد لهُ ذكرًا عند اليونان وانّما وقفنا على اسمهِ في بعض كتب العرب كالفهرست لابن النديم وكتاب الحكماء لابن القفطيّ وفي تاريخ ابي الفداء فدوّنّا نصوصهم . وقد ورد هناك اسمهُ على صور شتى وكلّهم يتّفقون بقولهم انّ مورسطس هذا كان يونانيًا وهم يشعرون بانّهُ كان من قدماء اليونان الّا انّ المستشرق فقيد العلوم الشرقيّة مؤخرًا الاستاذ هرتويك درنبرغ (H. Derenbourg) اذ ذكر مقالة المشرق في مجلّة الموسيقيّة الباريسيّة ذهب الى انّ مورسطس هذا كان احد البوزنطيين من اهل القرن الثامن ولم يأتِ لتأييد قولهِ بحجة مقنعة الّا ما ورد في المقالة عن لسان معرّبها (ص ٢١—٢٢) انّهُ اتّخذ « لملك افرنجة الداخلة » آلةً وصفها هناك . بيد انّ هذا القول ليس بمقنع والظاهر انّهُ للمعرّب وليس لمورسطس . وقد ظنّ كاتب آخر المسيو كرومباخر (Krumbacher, R A O,VII, 1905, p.375) انّ اسم مورسطس

تصحيف مودستس (Modestus) وانهُ من عملة البوزنطيين في ايام ملوك الروم. امَّا البارون كارا دي ڤو فانَّهُ يزعم ان مورسطس هذا عاش في القرن الثاني قبل المسيح وانَّهُ كان يونانيَّ الجنس وصديقًا لفيلون البوزنطيّ الذي اهداهُ بعض تآليفهِ وذكر اسمهُ في مقدَّمتها. الَّا ان اسمهُ قد تصحَّف على وجوه متعدِّدة والصواب « ارسطوس » او « ارسطون » تقدَّم عليهِ فيلون ضمير المتكلِّم بمعنى « ياصديقي ارسطون » (Mâriston) فظن المعرّبون ان اسمهُ مارسطس او مورسطس. ثم يرتأي جناب الكاتب ان الرسالة التي دوَّنَّاها في المشرق ليست هي لمورسطس بل لفيلون البوزنطي وانَّ العنوان اليوناني الاصل كان يدلّ على انَّها تقدمة منهُ لمورسطس صديقهِ. وهو رأي قريب للصواب نعرضهُ هنا دون القطع بهِ واعلم ان الرسالات الثلث التي نشرناها في المشرق في الارغن نقلًا عن نسخة بيروت المصونة في خزانة مدرسة ثلاثة اقمار موجودة في نسخة اخرى خطيَّة في خزانة كتب اغيا صوفيا في القسطنطينيَّة تحت العدد ٢٧٧٥ وقد سعينا جهدنا في نسخها فلم نتوصَّل اليها فان شاء الله بعد اعلان الدستور ننال الرخصة لاستنساخها

كلمة على الكلمة لسنا ممَّن يحبُّ الجدال مع علمنا بانَّ المجادلة كثيرًا ما تفضي الى نفور القلوب وتصدُّع الالفة ونحن اليوم في حاجة ماسَّة الى الاتفاق والتودُّد كما بيَّنَّا في مقالتنا عن الاخاء (المشرق ١١ : ٩٣٢) . على انهُ لا يسعنا السكوت عما يُنسَب الينا زورًا . فمن ذلك انَّ مجلَّة الكلمة في احد اعداد سنتها المنصرمة صوَّبت سهمها الى رهبانيَّتنا ومنشئها العظيم بين اولياء الله القديس اغناطيوس دي لويلا فاحتججنا على قولها في المشرق (١١ : ٧٢٠) وطلبنا منها برهانًا على صحَّة زعمها فاجابت في عددها الثاني والعشرين (ص ٤٥١) بمقالة تحت عنوان طبعتهُ باكبر حروفها « الرهبنة اليسوعيَّة ومجلة المشرق » لم تأتِ فيها لاثبات حجَّتها الَّا كونها نقلت ما كتبتهُ في حقّ اليسوعيين عن مجلَّة روسيَّة كأنَّها بذلك تبرَّأت من تبعتها. وزادت في الطين بلَّة اذ اردفت قولها بانَّ استبداد اليسوعيين امرٌ معلوم « ليس فقط بابناء الشعب بل برؤساء الشعب ايضًا من مدنيين وروحيين » وأتت برهانًا على ذلك نفي بعض الدول لهذه الرهبنة وابطالها على يد البابا اكليمس الرابع عشر. ونسيت انَّ الدُّول التي نفت الرهبانية اليسوعيَّة لم تنفها الَّا عند ابتعادها من الدين وبمساعي اكبر الزنادقة والملحدين وما عادت احدى تلك الدول الى دينها حتى تسارعت الى اعادة اليسوعيين

ليساعدوها في توطيد المبادي الدينيـة ونشر الآداب وهكذا فعلت بعض الممالك غير الكاثوليكية ايضاً وكفى دليلاً على ذلك ان كاترينا ملكة روسيَّة وبولس الثاني ابنهـا وفردريكس الكبير ملك بروسية دافعوا عنها رغماً عن ڤولتير الكافر وجان جاك روسو وديدرو وغيرهم من اعداء الدين. اما اشارتهُ الى ابطـال اليسوعيين على يد الحبر الاعظم اكليمس الرابع عشر فكلٌّ يعلم انَّ هذا البابا لم يقدم على ذلك الاَّ خوفاً من تهديدات الممالك المتعصبة على اليسوعيين بمكايد الملحدين ولو لم يكن الامر كذلك لما اسرع الباباوات عند فوزهم بالحرِّية فاحيوا الرهبانيَّة اليسوعية واعادوهـا الى مقامها السابق بل زادوها رفعةً وشرفاً. راجع مجموع شهادات ثلاثين من الاحبار الرومانيين في مدح الرهبانية اليسوعية جمعها جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس سنة ١٨٨٧ وفيها من الادلَّة ما يُلقم الحجر كل اعداء الرهبانيَّة اليسوعية

اسئلة واجوبة

س سئلنا هل اكتشف العلماء طريقة لاصطناع الياقوت

الياقوت الصناعي

ج نعم قد بلغ الكيميويون بواسطة التنور الكهربائي الذي اكتشفهُ موايسان ان يصطنعوا الياقوت الاحمر (rubis) منذ ثلاث سنوات . وفي هذه السنـة امكنهم اصطناع اللازورد (saphir oriental)

س سأل احد الادباء : هل قبل الرسل الحواريّون معمودية الماء وهل تعمدت العذراء مريم والدة السيِّد المسيح

معموديَّة الحواريين والعذراء

ج لدينا نصٌّ صريح على معموديَّة الرسل بالروح القدس في كتاب الاعمال (١ : ٥) امَّا معموديَّتهم بالماء فانَّما يُستدلّ عليهـا من قول الربّ لنيقوديموس (يوحنا ٣ : ٥) : « الحقّ اقول لك ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت الله » وهو قول يعمّ الجميع دون استثناء وان امكن المسيح أن يسامحهم بذلك ويعفوهم بمجرَّد ارادتهِ الالهية . امَّا البتول العذراء مريم فانَّهـا لم تكن محتاجة الى المعموديَّة اذ وُلدت في حالة البرّ متزَّهةً من الخطيئة الاصلية ولعلَّها اعتمدت احتـذاء بالربّ الذي اعتمد بمعموديَّة يوحنا تواضعاً . وليس في التقليد ما ينفي الريب في ذلك ل . ش

المشرق

الحماسة الدستورية

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

غنيٌّ عن البيان انَّ اجود الشعر ما اختمرت به مشاعر قائله . لانَّ الكلام اذا ما تأثرت منهُ النفس وانطبع في اعماق القلب تكاد الطبيعة تقذف به عفواً دون تصنُّع ولا تمثل البتَّة . وان سبكتهُ وعرضتهُ على محكّ الانتقاد وجدتهُ مصوغاً بابلغ المعاني مفرغاً في اجود قالب من اللفظ والتعبير

على انهُ بين ضروب المنظومات ليس ما يفضلُ في ذلك الشعر الحماسي لانهُ يعبّر عن اشرف ما في قلب الانسان من العواطف ويترجم عمَّا يكنهُ صدرهُ من الخواطر السنيَّة والهمم السامية التي تنكبهُ عن الدنايا وتسمو به الى المعالي فيذكر ما لاسلافهِ من المفاخر ويتوق الى مفارضتهم بالمآثر ويناصب كل ما يحول دونهُ من العوائق في ادراك غايتهِ الجليلة حتى انهُ يضحي في سبيلها كل نفيس ونفيس

وان تصفَّحتَ تواريخ الامم الغابرة ووقفت على آدابهم وجدتهم في الحماسيَّات اشعر منهم في سواها من فنون الشعر وهم يقدّمون تلك المنظومات الحماسيَّة على غيرها ويكرّرونها في مفاوضاتهم ويتغنَّون بها في اناشيدهم ويلقّنونها صغارهم حتى تصبح كقسم من حياتهم الاجتماعيَّة وعمرانهم . فهذه الالياذة لهوميروس بين اليونان ونشيد إنياذه لورجيليوس بين الرومان وشاهنامه للفردوسي بين الفرس فانها كلّها منظومات حماسيَّة تذكّر كل قوم بمفاخرهِ وتبعث في قلوب ذويهِ شواعر الحميَّة والتحمُّس

ولم يخرج العرب عن هذا الحكم وان كانت منظوماتهم الحماسيَّة قصيرةً لا

تتجاوز ابيات القصائد . وقد عُني بعض الائمة بتأليف تلك الآثار او نُخب منها اودعوها في مجاميع عُرفت بالحماسات كحماسة تمّام التي استفاضت شهرتها وحماسة البحتري التي نحن اليوم ساعون بنشرها وحماسة البصريين وحماسة الخالديين وغير ذلك مما يشهد للعرب القدماء بالنخوة والاباء

ولمّا أُعلن في اواسط الصيف المنصرم بالحكومة الدستورية وفُكّت الاغلال التي كانت تنوء تحتها نفوس العثمانيين باستبداد السلطة الحاكمة سابقاً نشطت الارواح وانطلقت الالسن وجادت قرائح الشعراء بغررها الطيّبة وقد نُظم من ذلك الوقت الى الآن من القصائد ما لو جُمع لأربى على كل المجاميع الحماسيّة السابقة . ولما كان لهذه الاقوال شأن عظيم في تاريخ الآداب العصرية رأينا ان نُعمل فيها النظر احيالاً ونستوقف ابصار الادباء لئلا يندثر ذكرها وتطمس معالمها

وكان اوّل ما شعر به العثمانيون يوم الاعلان بالدستور الجذل والاغتباط فسرّي عنهم همّهم وثلج بالبشرى صدرهم واستهل قلم الشعراء بوصف فرحهم . فقال الشاعر الوطنيّ جناب الامير شكيب ارسلان في مطلع قصيدة غرّاء :

ألا يا بني عثمانَ حكمُ بشرى لقد جاد ربُّ العرش بالنعمة الكبرى
وقد فزتمُ ذا اليوم بالغاية التي عليها رجالٌ قد قضوا دونكم قهرا
اطالت عليكم بغتةً شُرّد المنى تحقّق بعث الله مع عمرو اليُسرى
انت وحجابُ اليأس قد حال دونها كما يشعر الديّانُ من سكن القبرا
فمن غير وعدٍ بذّل الله حاكم لضحي لكم رحمى ونندو لكم ذكرى
ويعلم انّ الله لا ربَّ غيره وليس سواهُ يملك النفع والضرّا
اراد تلافي الشرق من عثراته فأنقى عليه من عنايته سترا

وانشد اخوه الاديب احمد عادل ارسلان معارضاً حالة البلاد بالعبث والتشور :

هذه الحياةُ فاين العُدم والعَدَمُ وذا الضياء فاين الظُلم والظُلَمُ
لقد جلاها عن الاسلام ذو شُطَب ويفعلُ السيفُ ما لا يفعلُ القلمُ
يا بنيةً لم تزل في العمر نطلبها لا اليأسُ يقعدنا عنها ولا السأمُ
قد بشّرتنا بها الانباء ناقلةً أمرَ الخليفة نعم الآمرُ الحَكَمُ
احيا بها امّةً كادت عزائمها الى حضيضٍ من الاعياء تنهدمُ

واجاد في وصف تقلّب الاحوال جناب الاديب يوسف حيدر :

مضى عصرٌ وذا عصرٌ جديدُ به صرنا نقيد ونستفيدُ

وقد ولى زمانُ البؤس عنا واقبل نحونا زمن سعيدُ
بدأنا واختطنا ثم عُدنا تبارك ربنا المبدي المعيدُ
كذاك الله يفعل في البرايا فيخفض ثم يرفع من يُريدُ
لحقًّا ان ذا عصرٌ حميدٌ وحقًّا انَّ هذا اليوم عيدُ

وكما تباشروا بالنجاة وهنّأ بعضهم بعضاً بنيل الاماني كذلك صرفوا نظرهم الى الجيش العثماني وضبّاطه البسلاء الذين بفضلهم حصل هذا الانقلاب العظيم فشكروهم واطرأوا حزمهم ودعوا لهم بالفوز والنصر . فقال جناب الشاعر المطبوع محيي الدين افندي الخياط :

بني الشرق هل إلّا الحدادُ القواضبُ سوى وهل الّا الجيادُ الشوازبُ
بنيتم وأعلمتم وشيدتم فسُدتم ألا هكذا تُبنى العلى والمراتبُ
سلوا سحب الأنباء هل غير ما روت عن الجيش اروى الشرقَ والشرقَ ناضبُ
سرت نبأةٌ من جانب الجيش قد دوت مشارقنا اعترت لها والمغاربُ
مضت حقبةٌ يا شرقُ والقوم تُزعُ الى المآرب الغربي والكلُّ راقبُ
فرُحماك يا شرقُ لا تذلُ وأتئد فقد فزت بالدستور والدهر شاغبُ
ووالله ما ندري أأحلامُ نائمٍ أأنت بنا ام انت يا دهرُ لاعبُ

وقال الكاتب الاديب نجيب افندي مصوّر يحيّي الجنود البسلاء :

حياكمُ المولى واسعد دولةً وحمى هلالاً في سماها يسطعُ
يا قادة الافكار والارواح في قلم يدٌ وفي حسام يقطعُ
علّمتمونا كيف نحيا امةً كادت تموت وصوتها لا يسمعُ
علّمتمونا الاتحاد ولم نكن نرضى به بل في سواه نطمعُ
وأريتمونا انَّ فيكمُ مجدنا والى حماكم في الشدائد نفزعُ
يا جُند عثمانَ السلامُ عليكمُ فلقد دوت بكمُ الجهاتُ الاربعُ

وقال الشاعر المجيد شبلي بك ملّاط يطنب في مديحهم ويخصُّ منهم زعماءهم وانصار تركيا الفتاة من ابيات :

ومشت جنودُ الترك فامتزّت لها م الدنيا وضجَّ المسلمون وكبّروا
وتعاهدوا ان ينقذوا الوطن الذي بالجور منهُ الجوُّ اشمتُ اغبرُ
فتقدّموا والله ناصرهم وقد فازوا وكان النارُ ان يتأخّروا
فلتحيَ تركيا الفتاةُ وردّدوا عاش ابنُ تركيا وعاش العسكرُ

حملت الى الترك الحياة وانهم لولا الفتاة وقومها لم ينشروا
خرجوا من الاكفان وانتفضوا كما ينتفض الجسد الذي يتحرر

وقال جناب الشاعر المفلق عبد الله افندي البستاني في الموضوع:

يا رعى الله مجد كل همام شاد بالسيف المجد للعسكرية
هل يوازي الآساد غير بازي من حمى حوزة العلى بالحمية
لا يباريهم في الصراعة الا صادق الباس أنور الالمعية
بنيا الاحرار في كل قطر شرفا لا يزول بالمترفية
حاربا الترك في الوغى وبرا مثل سمعين انفذا في الرمية
لم يتبيا على المفاضلة لكن ربط الجأش للقلوب الحرية
واستبانا مستأسدين بشبلا كالدواهي بالنجدة العالية
فاستجر الجنود طرا وذابا حر نور عاتج الحرية . . .
اي مجد يبلي جيوش كمجد كاد يفني ما بعا ضحية
انجدا الامة المحيطة بالم بنابي المرهفات شكر العرية
لا تزالون بالصوارم سورا يدفع الهول عن بني سورية

واكثر الشعراء في قصائدهم يعودون بالنظر الى الاحوال السابقة ويعددون ما أمّ بالاوطان من النكبات وما دهم اهاليها من الشدائد لاستبداد العمّال وترفع ذوي الامر فيعارضون بتلك الاحوال السيئة ما اصابوه اليوم بتغير الامور عاقدين الرجاء بانتظام الاحكام. فمن احسن في هذا الباب جناب الدكتور نقولا فيّاض حيث قال:

يا بني عثمان انتم امة اصبحت موضوع اعجاب الامم
سيد العدل تاريخا لكم طبع المجد به منذ القدم
في حمى جيش عزيز باسل وامام الشدة كشاف العمم
ضرب الظلم بسيف قاطع شق منه النور اكباد الظلم

*

صيح بالترك فكانت صيحة أيقظت من ضجعة الموت الهمم
وسرى للعرش منها هزة نفضت يلدز من ذاك الصمم
فعرا الشرق انقلاب مدهش لو غنيناه في الاحلام لم . . .
ورأينا دولة الماضي وقد كتب الموت عليها لا رحم

وقال الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله:

يا أيها الناس حيّوا ذلك العلما ... وسبّحوا مانح الحرّية الأسما
وقبّلوا البندقيّات التي فضلت ... اقلامنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهروا عصبة الاحرار انهم ... اتوا بما اعجز الابطال والهمما
هيّا افتحوا يا بني عثمان اعينكم ... تدفّق النورُ حتّى بدّد الظلما
تزيّنوا بجديد من ثيابكمُ ... او فاخلعوا ذلك الثوب الذي قدما . .
وادعوا لمن بعث الدستور من جدث ... بكت عليه عيون العالمين دما
فقد حرمناه ظلماً وانقضى زمنٌ ... عليه حتّى حسبناهُ غدا عدما
واليوم جرّد سيف الحقّ صاحبهُ ... وهاجم الظلمَ حتّى فرّ منهزما
تعانق الشيخُ والقسيسُ واصطحبا ... من بعد ما افترقا ضدّين واختصما
تعانقا في حمى الدستور واتّحدا ... ورفرفت راية التوحيد فوقهما . . .

ومثلها اجاد الاديب طانيوس افندي عبده في مخمسه حيث قال .

ذلك اليوم يوم لنا افتخارا ... وشبحنا بأنفسنا استكبارا
يوم بات الظلام فينا نهارا ... يوم كنّا نرى الجمع سكرى
لا بخمر بل من حميا الحميّة

قد رأينا الاتراك اهل الحماسة ... أدهشوا الارض بالدهاء والسياسة
واستنالوا الى مقام الرئاسة ... فقضوا بأربا اطالوا التعاسة
دون ان يسفكوا دماء زكيّة

ورأينا بيروت ترقص فيها ... وبيهما يعادون فيها
بعد ان كانت النجاة فيها ... لمذى اصبحت كأنّ ذويها
اخوة بالسلام والمدنيّة

ورأينا القلوب قبل الايادي ... نزعت للسلام والاتحاد
فغدا الآن كلّ حرّ ينادي ... يا لقومي نفسي فداء بلادي
فلتكن واحداً جموع الرعيّة

يا بني قومنا اذا ما ظفرتمْ ... فبذاك الجيش المظفّر فزتمْ
وبفضل الاحرار ما قد علمتمْ ... فاذكروا الفضل واعجبوا ما حييتمْ
بجلال الحميّة التركيّة

ومن الشعراء من ذكر اعمال الاستبداد التي تركت في النفوس اسوأ عاقبة فرثى بعضهم الاحرارَ الذين ذهبوا ضحيّة مروّتهم وظلم الحكّام فقدوا بدمائهم ارواح اخلاقهم . قال صاحب العزّة سعيد بك شقير :

احرارُ تركيّة اغضتْ وطنّا ... كم سبلغُ شأوًا دونهُ السحبُ

فكم صبرتم على ضيم ألمّ بكم ... وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموتُ يحصدكم ... فما رجعتم وما خارت لكم رُكَبُ
ما مات من بطلٍ الّا انبرى بطلٌ ... للعيش مفتقرٌ في الموت مرتغبُ
في الدردنيل وفي البوسفور أعظمكم ... منها بقايا عليها المجدُ مكتئبُ
علّمتم الشرق والاقطار قاطبةً ... انّ العظيم لديه تصغرُ النُّوَبُ
ولا تنالُ المنى والمرءُ مقتصدٌ ... في بيته حزعًا انّ المنى تعبُ
ماتوا فعشنا واحيوا بعدهم وطنًا ... فكلُّ ما نحنُ فيه بعضُ ما وهبوا
ولم تمُتْ روحهم بل دبَّ ثائرُها ... في من أتى بعدهم كالنار تلتهبُ

وكذا استدرّ العبرات على ضريح المرتى في سبيل الدستور جناب اسعد افندي ماجم:

اذكروهم في كلّ سفحٍ ووادِ ... اعصمٍ حرّروا رقابَ العبادِ
سدّدوا سامدوا واي جوادٍ ... اذكروا كلّ حادمٍ للبلادِ
من ثرى غمرٍ الى البسفاي
رفرفي فوقهم ايا روح مدّحتْ ... انتِ مَنْ في هذا السبيل تنحّتْ
عن عناها لولا الردى ما تنحّتْ ... تلك اعلامُها وما اليومَ صحّتْ
سد عشرين حجّةً وثماني
يا شهيدًا لم يمسِ غير الوفاء ... وطبيبًا ارداهُ وصفُ الدواء
لمريضٍ ما رام بلّ الشفاء ... حولك الآن عسكرُ الشهداء
ولارواحكم تابقُ التهاني
واذكروا ذلك الامير العظيما ... اي صاح الدين الشريفَ الحكيما
انهُ غادر الغنى والنعيما ... حيثما كان سيّدًا محدوما
وتلاشى في خدمة الاوطان

ومنهم من عدّد مساوئ الجواسيس وقبّح اعمالهم الاثيمة. قال جناب عبد الله افندي البستاني:

بؤسًا لأيامٍ علينا سوّدت ... دُهمَ الليالي والنفوسُ جوارِ
ايامَ ابناء المهانة عُزّزوا ... وبنو المهانة خبّسوا بصغارِ
فغدا البيونُ على الضمائر غرّةً ... غدوَ الجوادِ بحلبة المضمارِ
واستأنسوا في ظلّ اذيال الدجى ... فاستوحشوا بطالع الاقمارِ
واستثقلوا لذّاتهم بأذاتهم ... وتنعّموا بتبرّم الاعمارِ
يتجسّسون من الفنائس طرفةً ... كانت لأنفاس النسيم تباري

ولكم تواروا ان يمسّوا بالأذى كلَّ امرئٍ بنهاهُ زَنْدٌ وارِ
يتجرّءون على البرئ جنايةً مع انّهُ مسّا جنوهُ عارِ
فكأنَّ من اخلاقهم صلد الصفا ونفوسهم فُطرت من الديناري

وغيرهم رشقوا بألسنة حداد جنايات المرتشين من العُمّال . فمن ذلك قول الشاعر الفكه اسعد افندي رستم يصف دخولهُ بيروت بعد عودتهِ من اميركة :

ودخلتُ بيروت الحبيبة تائقاً للأهل بعد تشوّقٍ وتمسّر
فأتى اليَّ مفتشاً مأمورها قال افتح الصندوقَ قلتُ لهُ اصبر
فعزتهُ ووضعتُ في يدهِ خمسديناً فقال الشكرُ يا «حضرتلي»
لفتْ حصاتُ عليهِ عمّاً وكم لفتْ ما أعطي سذل الاصفر
هذه البلاد فقيرةٌ فأعدْ ما فيها الهوا والماء والحسن النظري
ارضٌ على فقرائها ساد لنا لا يستريحُ ما سوى الرجل السري
ما دامت الحكّامُ فيها ترتئي ينحو ما الخاطي ولا يسعو البري
لا شغل للساعي الجدّ ما ولا ربحٌ هناك لبائعٍ او مشتري
الجيشُ عربانٌ وطالب حوزهُ خالٍ ومن سنتين لم يقبض «كري»
وطنٌ تعرّبَ اهلهُ وسيندي بعد القليل وليس فيهِ «دوري»
لا بدع ان سئموه مسقط رأسا فروّوسنا سقطت به نقوشي
لكنْ هذي الحال زالت واتحت وتغيّرت حالاً واي تغيّر

وتفكّه آخرون بمراقبي الصحافة والمطبوعات . فقال شيخ الشعراء المصريين شوقي بك :

لنا رقيبٌ كان ما أثقلهُ الحمدُ لله الذي رحّلهُ
لو ابتلى اللهُ بهِ عاشقاً مات بهِ لا بالهوى والولهْ
لو دام الصحف ودامت لهُ لم تنجُ منهُ الصحفُ المنزلهْ
اذا رأى الباطلَ غالى بهِ وان بدا الحقُّ لهُ أبطلهْ
لو خال «باسم الله» في مصحفٍ تُغضب «تمبيناً» عما البسلهْ
وعزّة الله بلا «عزّت» لا تنفعُ القاري ولا خردلهْ
جرائدُ الترك على عهدهِ كانت بلا شأنٍ ولا منزلهْ
ان تذكر الخنجر لفظاً تُصبْ من شدّة الذعر بهِ مقتلهْ
وان تصفْ قنبلةً لم تنمْ من هول ذكرى حادثِ القنبلهْ

ومثلهُ في حسنهِ قول جناب عبد الله افندي البستاني في حرّية اليراع :

سرّ الضمير بمادة الافكار فأنالها ما جلّ من اسرار
قد كنتُ ذا وله زمانَ ظننتُها وردتْ حياضَ حمامها بديارى
يا طالما شاء اليراعُ بكاءها فارتاع حاجبي دمعو المدرار
ولشدّ ما استوقدتُ صدري بعدها بأبى يذيبُ جوامدَ الاحجار
كم عذتُ بالباري فخالوا انّني كفّ بمن هو اليراعة بار
لم اذكر الشعرى فخافة انّني في الناس الفظ احرف الاشعار
أيدين لي حرّ الكلام ومقولى عبدُ الرقيب يشدّه بإسار
ان قلتُ وا « حرّيا » توهم انّني اسعرتُ نار « الحرب » بالنار
ومن الخطوب الدُّهم اني قائلٌ نلتُ « المراد » ومنتهى الاوطار
ان مُنشد يا واهب النفس اهدني سل « الرشاد » ولا يطلك عثاري
او هاتفٌ ناديت بالنجة الذرى المجد « يا وابي » رفيع ، ر
سكم كتاب كان طُعم بصيرتي قد اعمرتْه اصابع طعم الاثار
فاذا انحدرتُ الى الثارة خاطري حطرت عليّ بلستي ببدار
لكن سخن أسى وقلبي من أذى شرر قد اصالوا على الاحرار

وزاد على فكاهة الشعراء السابقين اصحاب الشعر العامي المعروفين بالقوّالة فنظموا في الاحوال الجديدة القرّاديات والمعنّى ومنظومات شتى نختار منها ما رأيناه جديرًا بالذكر لحسن ذوقه وجودة سبكه وتفنن قائليه . فمن ذلك مخمّس للقوّال الشهير خليل سمعان فرح الدقالي الشحروري (اطلب المشرق ٥ : ٩٥٨ و ١٠ : ٩٥٥) دعاه « صوت الحرّية » فقال في جملته :

صوت البري من قاع موسفور العميق لمّا وصل فه من أقوم طريق
المجد ظلّل حزب تركيا الفتاة وانتصر عهد الحديد على العتيق

المجد ظلّل حزب تركيا الفتاة والروح لسنها بعد ذاك المات
والرب اوهبها علا ونصر وحياة من بعد ما كانت حزينه باتسه
والظالم راح بتخنقها خنيق

من بعد ما كانت حزينه باتسه ومظلمه بقيود ضمن المحبسه
طلت علينا من مناستر لابسه ثوبًا ظاهر من طيه نور ونار
وحامله منشور دستور الوثيق

ثوبًا ظاهر من طيه نور ونار وحامله منشور ابهى من النهار
من فوق جبال مقدونيا لما انتشر سلونيك احرارها قالوا السلام
على فتاة فيها النجاة من كل ضيق

سلونيك احرارها قالوا السلام على فتاة منها اتلد عصر السلام
والنور في سطنبول ساد على الظلام والرب على البوسفور طل من السما
يسمع ندا من كان في قاعر غريق . . .

حينئذ حن المكون من سماه والتفت في كل من يبغي رضاه
وسار الطيبي يقر بوجود الاله والبري في عطف خالقه انثنى
والظالم اصبح مسجرو للحريق

والبري في عطف خالقه انثنى والظالم بالانصاف والحق اندلى
في قوة ب عظيم الشب بال

وحاراه في لطف قوله وصيغة القول يوس الهدي القرآن فنظم القرآدية الآتية :

كت [illegible]

ندى عسكر السلطان كل [illegible] الخوان [illegible] شرى السعادة
بطلق الحرية

كلهم سوى بالحقوق وصار الظلم بالزوق والخاين اصبح مخنوق
واموالهم المسلوبة

صاروا الجراسيس السود [illegible] رحمه ظلام قرود اسلام ونصارى ويهود
صاروا [illegible] سوية

صاروا الخوان واحباب من [illegible] ويشاب وما بقي احد يهاب
من [illegible] الحرية

يا ما يتموا اطفال ويا ما كثروا الارامل ويا ما نهبوا اموال
ودمروا حقوق الرعية

مادام كل الاولاد [illegible] يا جراد ليطف ملك البلاد
[illegible] صارت عربية

لما لعب دور الشر نشبها نيارى والنور الله ينصر العسكر
وتمها كل الجندية

تمها تركيا الفتاة لولاها كنا امرات وكانت كل المطبوعات
بالزوايا مخفية . . .

يا عالم متنا وعشنا ورب السما انعشنا ما عاد عدا يدفشنا
بالنظمة البوسفورية

ما عدنا نخشى الظلام وصرنا نطلق الاقلام ما من مراقب يتحكم
وبغيم الجرنالجية

كان مزيّر « للاحوال » ومقطّع « للسان الحال » وكان مؤخر « للاقبال »
« والنشره الاسبوعيه »

رثّى بقلب « الشمرات » « والبشير » كل الحسرات « بيروت » تبكي بالانات
وتقول يا حسره عليّه

من ريحه انطفى « المصباح » وانتنت كل الارياح « والنار » عانوره ناح
ناره صارت مطفيه

من جوره عا « المحبه » رثّى بقلبها غبّه زالت عن قلبها الكربه
وحمدت رب البريّه

ولاحد مهاجري اميركة قصيد في هذا المعنى وهو القوّال جرجس افندي عبد الله معارف :

الاحرار عمّال يرحموا عابلادنا كل منهم كان بالغربه اسير
كانوا اسارى الذ اقلامهم من هولها شابوا الطفالى بالسرير
لا تظن الشعب خامل بالنام مثلما بفكرك وقايم للشخير
في النادي كل شيء بتوحد وما احد نال المالي بالجمير
عندك بلبنان كل شهم بتفتخر فيو البلاد واليو بالاصبع تشير
ظلم الحكومه نصب منّ بيجبره ان يكون ذليل وجبان وحقير
حيث لو تلفظ بكلمه واحده بيسركلوه وبينشروا عقه نشير
كام مرّه فتّشوا نسمن البيوت عشرين مرّه يفتّشوا مبوم القصير
عاشان ورقه او جريده عادنه للكبير بيلقطوا ثم الصغير
ويرفعوا قرارات عليها يصادقوا القاضي والقائمقام ثم المدير
ذاك الزمان الحمد لله قد مضى والظلم مات وعمره اصبح دثير

ومما نظمهُ في جونية ارتجالًا القوّال ناصيف مخايل مراد العرموني قولهُ بعد مطالع القصيدة :

يا اسلام وسبحه اسمعوا لي . هذا القضيه اهل الارض بطول وعرض
يقولوا تحيا الحريّه

(الردّة) يا اهالي كسروان صيحوا معي بفرد لسان فليحيَ آل عثمان
ركن الدوله العليه

اهل الارض بطول وعرض يقولوا تحيا الحريّه فليحيا نازي وانور
والجيوش الشاهانيه

اهل الارض بكاملها من اولها لآخرها تركيا الله يسرها
بجاه رب البريه
بطل روح الاستبداد نادوها بكل البلاد زمان الماضي ما بينعاد
الظلم نجومه مخفيه
مات الظلم وتلاشى الناس غنت بماشا الله يدم انور باشا
ابو الامه القويه

ما شا الله مدينة بيروت ونصارها ومسلمين شبا مكتف مسوط وكل البشر فرحانين
فيها ما عاد حدا يموت لا نقواس ولا بكين ولا يسمع فيها طرح صوت
السطا والاشرفيه

وما اكتفى شعراؤنا بتزييف ما مضى وكشف القناع عن سيئات الاشرار بل استبشروا في وصف الهناء الحاضر والامان الشامل واطلقوا العنان للآمال الطيبة في الخلاص الدائم واستقامة العوج فمدحوا العدل وعظّموا الاخاء وأثنوا على المساواة فكادوا يسقوننا كؤس السعادة فشل بسلافة الاجيال الذهبية. قال صاحب العزّة سعيد بك شقير يخاطب الجند العثماني:

اليوم نفرح احرارًا بفضلكمُ تندو وفي ولا همٌّ ولا نصبُ
قد أطلق الحرُّ من سجن أعين به وعاد للوطن المحبوب مغترب
فلا جواسيس تمشي من وشايتهم ولا جرائد تأتينا فترتعب
وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا وان جلسنا فلا جاسوس يرتقب
ننامُ في الليل لا الاحلام تقلقنا ونصبحُ الصبح لا خوفٌ ولا رهبُ
كم بين حالٍ اتتنا كلها طربٌ وبين حالٍ عدتنا كلها رهبُ

وقال اسعد افندي رستم:

يا معشر القرّاء سرّوا وافرحوا بشرى تطيبُ بها قلوب العشر
من ذا يصدّق اننا في نعمةٍ كبرى هنا من بعد ويلٍ اكبر
فالعدل قد شمل الجميع بظلّهِ والناسُ بين مؤمّلٍ ومكبّر
لمّا رأى الاحرارُ انّ الظلم لم يعمل في الورى فعل الهواء الاصفر
هذا تضيعُ حقوقهُ ويُسامُ ذا خسفًا وذا يقضي بطعنة خنجر
منحوا الرعايا سؤلهم فتخلّصوا من كل مأمورٍ يجورُ ويفتري
والخائنون تشتّتوا فتطهّرت اوطاننا من شرّ ذاك العنصر
ولقد غدت اولياء امورنا حتى ليندر ان يقولوا «سـ . . . ر»
وخلاصة الاقوال يا قرّاءنا حوّ السياسة راق بعد تكدّر

ولقد اقيمُ اليوم مجلس امّـةٍ يقضي ويفتي عن هدًى وتبصّرِ
وعلى التظلّم صار يجسر كلُّ من قبلًا طبيـو مخافةً لم يجسرِ

حتى ختمها بقوله :

تحيا المساواة التي لا فرق ما بين ابنِ سرسقَ عندها والسنكري

وهذه الشواعر يجاهر بها العثمانيّون على اختلاف ولاياتهم وتباين نزعاتهم تسمعها من الحدباء والزوراء كما يتغنّى بها اهل الشهباء والفيحاء . قال السيّد عبد القادر العباديّ البغداديّ :

تولّى زمانٌ كنّا فيـهِ نُحقَّرُ واقبـل عصرٌ صرنا فيهِ نوقَّرُ
ولاحت بافق الدستـور عدالةٌ جا قد غدا وجهُ السيطنةِ يزهرُ
ألا انّ عصرًا جاء بالعدل مشرقًا هو العصرُ لا عصرٌ من الظلم اغبرُ
رعى الله عصرًا فيهِ لحرّ راحةٌ يقولُ فلا يخشى الامامَ ويظهرُ
يبيتُ قريرَ العين غير مفكّرٍ بما كان قبل اليوم فيهِ مفكّرُ

وقال الشيخ معروف افندي الرصافيّ :

أكرمْ بعصرٍ حبانا بالمساواةِ وخصّنـا بالتهـاني والمسرّاتِ
عصرٌ بهِ الحرُّ مأمونٌ ومحترمٌ وكان يرمى بانواعِ الضلالاتِ
عصرٌ بهِ العـدل وافانا بنشرتهِ والدامُ ولّى باصحاب الدناءاتِ
عصرٌ بهِ قد تآخينا فليس ترى بعـد الاخاء طريقًا للعداواتِ
عصرٌ بهِ قد امنّا كلّ عاتيـةٍ من عصبة الشرّ ابناء السفاهاتِ
اللهُ اكبرُ هذا العزُّ فابتكروا خير الدعاء الى ربّ السماواتِ

وقال في دمشق الاديب محمّد شاكر ياسين :

قُلْ ولا تخشَ ملامًا او ملَلْ ان نجمَ الحيفِ والخوفِ أفَلْ

الى ان قال :

فتهنّأ ايّها الشرقُ وقُلْ بلغ الشرقُ غايات الأمـلْ
بلغ الشرقُ ما يأملـهُ والى العلياء بالجدّ وصَلْ
ايها الشرقُ قد بُلّغتَ ما كنتَ ترجوهُ فهل ثمّ خلَلْ
قل لمن عاب الذي بُلّغتـهُ انّ طيب الورد مؤذٍ بالجُعَلْ
فانبذ البغضاء والحقد ودَعْ كلّ ما فيهِ فسـادٌ وزَغَلْ
كنتَ لا تملك امرًا ثم قد صرتَ ذا امرٍ فلا تخشَ الزلَلْ
صرتَ حرًّا ضمنَ قانونٍ بهِ كلّ ما يأملُهُ الشرقُ حصَلْ

كلّ من في الشرق اخوانٌ فلا فرقَ بين الخلق من كلّ الشمالْ
واذا رمت افتخارًا فافتخر بالذي تأتيه من خير العملْ
قُلْ ان كان ظلومًا غاشمًا اعتدلْ او فاعتزلْ فالعدلُ حلْ

ولم يشاؤوا ان تنحصر تلك النعم في الرجال وحدهم بل دافعوا عن حقوق المرأة ايضًا وطالبوا تهذيبها وتحريرها. فقال حضرة الشاعر خليل افندي بطرس حلوه :

أطلقوا روحها أنيروا نُهاها قد كفاكم إذلالها وكفاها
هي لبست من دونكم ان يكُ م الله كما قيل منكم قد براها
ان تكونوا من الورى قد نسيتم فلقد كان ضلالكم مشاها
أجهلتم ان الاضالع بالاجلاص م تحيي قلوبكم في حماها
فافتحوا عقلها ألا حرروها نحن نحيي اذا موت سماها
هل نسيتم ايام كنتم على الند بي وكانت تخدمكم بجاها
هي مفتاح دنيا وعلاء فارفعوها وأكرموا مثواها
ليس احلى من قلب امرأة فضلى تندي في طريقنا حداها

لكنهم عرفوا انّ هذا التغيير لا يأتي بنتيجة الّا اذا ثبت على اصول راسخة ودعائم وطيدة لا سيما الاتحاد. قال جناب أيوب افندي ثابت يامن الانقسام :

قائل انه كلّ من رام شيئًا بالخير وعاشق الوطنيّة
قسمتنا يدُ المفاسد دهرًا فانقسمنا فكان ذلك ليّة
يا لقومي ان تُقسموا لا فلاحٌ انما تفلحون بالمصلحة
ان ضحكنا فلنضحكن كفرد او بكينا فموا لباشر سوية

وبيّن الاديب بشير الفوردي في التقدّم التونسي فضل الاتحاد بقوله :

ليس يُرجى لامّة من فلاح غير ان هبّ كلّهم فردَ هبّة
شمراء الزمان كم نبّهتنا منها وكم خطيب بخطبة
انّ كسر العصاة سهلٌ ولكن كسرة عشر مستحيل صعبة
نحن ان ظلّ جمعنا في شتات ليس يُرجى لحالنا من نابة
من رمى بالدواء وهو عليلٌ كيف تقوى على شفاء الأطبّة

وكذا يحرّض جناب الشاعر نعوم بك شقير على التعاضد :

بني امّي اسودَ البرّ هبّوا فموتُ اليوم او نحيا سوية
حذار فتنةً نسعى الينا فتركها مطامعُ اشبه
حرامٌ أن تُراقَ لنا دماءٌ بزكّاةٌ وارواحٌ بريّه
ليعضدَ بعضُنا بعضًا ونبني امانينا على أسس قويّه

ففي ضمّ القلوب الخيرُ بادٍ وفي تمزيقها شرُّ البليّة
وُقيتم كلَّ نازلةٍ وكربٍ وأعلى شأنكم ربُّ البريّة

هذه بعض الشذور الذهبيّة والاقوال الدريّة (١ نظمناها على شبه عقد يزدان به جيد الآداب العصريّة ولعمري انّها لجديرة بالاسم الذي حلّيناها به فدعوناها « بالحماسة الدستوريّة » اذ كلها ترمي الى غرض واحد اي الدستور الذي حظي به العثمانيّون فحسبوهُ كنهاية عالم عتيق كما زندهُ وتضعضع ركنهُ وكدفتتح عهد جديد اشرقت بهجتهُ وتلألأت غرّتهُ فكأني بهم يردّدون جميعاً بلسان واحد قول نعوم بك شقير :

لتهجر بيننا الأحقادُ حتى نُقرَّ العدل والدستور فينا
من الدستور لا نرضى بديلاً ولو طُحنت انامالنا طحينا

فكلُّ هذه الاقوال وغيرها ايضاً مما يطول ذكرهُ تعرب عن رغبة الامة في خلع نير العبوديّة وعن ارتياحها الى الامن والسلام والوفاق والانضمام . وهي عواطف شريفة لا ينبذها الّا الذين يودّون الضغط على النفوس ويريدون ترويج نيّاتهم السيئة وغاياتهم الشخصيّة

ولو كان الذين قرضوا القريض ونظموا القصائد اكتفوا بان يترجموا عن هذه العواطف الشريفة لأثنى عليهم كلّ عاقل وشكر احساساتهم اللطيفة واطنب على رغبتهم في الخير العامّ ونقل اقوالهم المسجديّة في كل ناد ورواها على رؤوس الاشهاد وقد يسرّنا انّ بعض هؤلاء الناظمين تجاوزوا الحدود ومالوا الى التطرّف

فمن تلك المبالغات التي لا يرضى بها العقل ويستقبحها شرع الامم المتمدّنة والهمجيّة ما نبذ بعضهم لمبدإ الرئاسة . لا بأس ان تكون الرئاسة مقيّدة لئلّا تستبدّ ولكن اين هذا من مبدأ اهل الفوضى الذين لا يرضون برئيس ولا سلطان فيعرّضون العمران البشري لكل الآفات وضروب النكبات . وعليه لا يسعنا المصادقة على ما قالهُ في اميركة جرجس افندي عبد الله معارف في جوابه على الاديب اسعد افندي جرجس مارون وهو يدّعي انهُ من المتأخرين لمدافعته عن الرئاسة :

دافعت يا ابن الذكا بدون اقتدار عن الرياسة مع انّها اصل الخراب
بها حكيت وقلت عندي بتعذر حيلك من الجيل العتيق بتنحب

(١ لا جرم انهُ فاتنا شيء كثير من القصائد الدستوريّة التي لم تبلغ الى يدنا او بلغتنا بعد كتابة هذا الفصل . ولعلّنا نعود اليها ونجمع منها نبذة ثانية اذا توفّرت لدينا المادّة

ثم يعدّد مساوئ البعض حاملاً على المجموع ذنب الافراد فيقول سامحهُ الله :

جبهة السوداء ودقون الكبار خربوا الجبل حتى نتن فيه الذراب
رجال الحكومة كلهم كانوا غبر ما بهم غير بطنهم مثل الدباب

فيا لله أهكذا يُعرَف فضل مئين من الذوات من اساقفة وكهنة وشيوخ الذين سعوا في اجيال الظلم في الدفاع عن حقوق المظلومين ومساعدة البائسين . وهل نال اليوم الشعبُ كل رغائبه لتشدّق بعض اهل الثورة كما قال :

والجرائد اظهرت افكارها بتقدّمهم صار جرنال الصغير !!
وانتقد في كلّ لمحة قائد ما بقا يهمّه مليك ولا وزير

واساء بعض الشعراء ايضاً اذ نادوا بالمساواة ليس فقط في الحقوق والعدل ولكن بالرتب ايضاً وتباين الطبقات (راجع مقالتنا في المساواة في المشرق ١١ : ٨٦٣) فلا يرضون لا بسيّد ولا امير ولا بعالم ولا غنيّ . وقد احسن جناب الاديب الحلبيّ ويكتور خياط اذ انحى عليهم بقوله :

عظمَ الخطبُ واعترانا البلاء ودهتنا المصيبةُ الدهماء
وُبلينا من الزمان بقوم هم بما يفعلونهُ اغبياء
زعموا انّ في المساوي التساوي فبنوا كيفما احبّوا وشاؤوا
واستباحوا المحرّمات ونادوا تلك حرّيةٌ وهذا اخاء
كلّنا اليوم سيّدٌ وامير كلّنا اليوم في الملى أكفّاء
ليس فينا علامةٌ بتباهى بعلوم بل كلّنا علماء

أيها الناسُ قد ضللتم سبيلاً وخبطتم كأنّكم عشواء
ما التساوي ان تستوي ادنياء ومراءٌ او ظلمةٌ وضياء
ما التساوي ان يساوى الجبلُ والنملُ وتلو المناصبَ السفهاء
واذا استنسر البغاثُ بقفرٍ قلّ تاركُ البلادِ العقاء
فدعوا الفصل للحكيم وقولوا الحقّ للعاقلين يا جهلاء
ليس من ينكر المساواة حكماً أنّما نحن في الحقوق سواء

ومنهم من اطرأوا حرّية المطابع الى حدٍّ فاحش فجعلوا الطعن بالاشخاص ديناً وشتم الكرام ديدناً . وعليه قد اصاب الاديب جرجي افندي نخله سعد في تنديده بالصحافة السيئة بقوله :

كثرت عندنا الجرائد حتى اوشكت ان تُناهز الشرينا
وكثيرٌ يسعى لنيل امتيازٍ فكأنّ الموجود لا يكفينا . . .

ازعجوا القارئين في كل يوم بمواضيع ملّها القارئونا
ثم ظنّوا حرّية القول ان م يتّخذوا الطعن والوقيعة دينا
ما ارى في جرائد العصر الّا مغلطات تُخطّ حيناً فحينا
نغمٌ واحدٌ يعادُ علينا قد شجنا من سمعه وروينا
ليت شعري كم يبحثون بامر ليس يدرون غثّه والسمينا
أيعم بعلم السياسة والفقه وعلم الجغرافيا والفنونا . . .
ليس يكفي ان ندرس الصرف م والنحو وندري التحريك والتسكينا
انّ فن التحرير اصعبُ ما ظنّ بعضٌ وقد اساء الظنونا

واسوأ من هؤلاء اولئك الذين توسّلوا بالدستور فاستباحوا في شعرهم ذمار الدين وانتهكوا حماهُ وبخسوا حقوق ممثليه. فترى هذا ينسب الى الدين كلّ الشرور واسباب التأخر والدينُ كما لا يخفى يأمر بالاخاء والتحاب (راجع مقالتنا عن الاخاء في المشرق ١١ : ٩٣٢). وذاك يزري بالخطباء ويتهمهم حتى انهُ آثار عليه خواطر الجموع. وغيره يدّعي انّ الدين لا دخل لهُ في العمران وانهُ من المسائل العرضيّة:

حلّ قيدي وشيخكم في جدالي واحكِ لي في المسائل الجوهريّة

وان ذكر الذين حُكم عليهم بالظلم في وقت الاستبداد تعجّب انهم لم يُكرّموا كآلهة مثل السيّد المسيح (زه زه):

مات عيسى فأنّبته الوفُ وألوفٌ ماتوا وراحوا ضحيّة !!!

ويجعل آخر كلّ الاديان متساوية كلها صحيحة والله موجدها على اختلافها:

أولا تدري انّ ربّك يُعبَدُ بجميع الاديان اذ يتجسّدُ
ذاك يدعو عيسى وهذا محمّدُ انّ فيه في التباين مقصدُ
فاشكروا الله موجد الاديانِ

فعلى هذا القول يكون الله موجد دين الهنود والصين والاصنام الرجسة وكل الطواغيت والله تعالى عمّا يقوله الكافرون مقصدٌ بتباين هذه الاديان. فليت شعري أيوجد كفر اعظم من هذا. فننشدكم الله ايها الشعراء صونوا قوافيكم من كل امتهان ولا تبتذلوا موهبةً جاد بها عليكم المنّان. بل اشحذوها لمدح كل جميل. وترّهوها عن كل قبيح ذليل. فكل ما يشين الاقلام سوف يجد الانسان تبعتهُ في آخر الايام. كما قيل:

فارغب لكفّيك ان تخطّ بناها خيراً تخلّفهُ بدارِ غرورِ
فجميعُ فعل المرء يلقاهُ غداً عند التقاء كتابه المنشورِ

عوائد الحبش

للصيدلي القانوني ميخائيل افندي عبد الله رعد (تابع لما سبق)

٥ الاماثر والظواهر والسلام

اذا كان الحبشي من ذوي المكانة في قومه قلّما يخرج من بيته ماشياً بل يخرج راكباً بغلاً وتتبعه حاشيته وغلمانه وعبيده واكثرهم يركضون وراء دابته حاملين البنادق على اكتافهم وعلى مقربة منهُ يجري غلام يحمل بندقيـة السيد وترسه وسط غلاف من القماش الاحمر المعروف بالجاوي . وهكذا تُعرف اهمية الحبشي من كثرة عدد الحاشية التي تتبعه وليس من رتبتـه — فقد يكون ذو الرتبة الوضيعة اكثر اهمية من ذي الرتبة الرفيعة على حسب ثقة الملك او الامير به — وهكذا النساء فانهنّ على حسب اهمية ازواجهنّ يخرجنَ راكبات بغـلاً وحولهنّ الغلمان والعبدات وبعض من الرجال المسلحين بالبنادق

قد المنا فوق هـذا الى ان الحبشي لا يلبس حذاء في رجليه ولذلك ترى على سروج الدواب حلقات من حديد بدل الركابات يلقي فيهـا ابهامه فقط ويهمز الدابة بساقيه على الدوام فيجريها جري الرهاوين

امّا السلام عندهم ففيه كثير من التصنّع والظواهر فهم يحيّون بعضهم بعضاً بالانحناء ويخرّون سُجّدًا على الارض امام الملوك والامراء والرؤساء ولا ينادي احدهم الآخر الّا بقوله : يا سيد . واذا كان بينهمـا من قرابة او صداقة او معرفة دعاه اخاه والاخ الحقيقي يدعو اخاه « اخي ابن امي » . وعبارات التحية عندهم قصيرة التركيب مع كثرتها تشهد على فقر اللغة الحبشية وقلة تثقيف آلها فيقولون : كيف انت ؟ كيف صحتك ؟ كيف قضيت الايام ؟ كيف قضيت الليل ؟ كيف النهار ؟ كيف اصبحت ؟ كيف اضحيت ؟ كيف امسيت ؟ كيف قضيت الصيف ؟ كيف قضيت الشتاء ؟ كيف ابوك ؟ كيف امك ؟ كيف امرأتك ؟ كيف اولادك ؟ كيف الدواب ؟ كيف المقتنى ؟ الخ . الى ما لا نهاية له . وعلى كل من هـذه السؤالات يجيب الخاطب بانحناء الرأس والظهر قائلاً : بخير يُحمد الله . واذا حان الوداع قبّل احدهما الآخر على شفتيه ثم انحنى

كلاهما وقبّل الواحد ركبة الآخر قائلين: كن بخير. فليحفظك الله. فليجمعنا بخير. ويجيب بعضهما على بعض: آمين ثم يفترقان. ولمّا تحية العبد لمولاه وتحية الرعية لملكها او لاميرها فهي السجود الى الارض بلا كلام. والذي يكون منهم ارقى من سواه ومتقربًا من مولاه يُسمح له بتقبيل رجليه. وتحية الوضيع للرفيع هي الانحناء او السجود على حسب الدرجات والنطق بهذه العبارة: فليعطكَ الله صحةً. او عمرًا. فيجيب السيّد بنعم حاجبه: كيف اصبحت؟ فيخرّ العبد او الخادم ساجدًا وهو الجواب

ولهم ازياء في لبس الوشاح فهم يتشحون به على هيئات لها معانٍ وآدابٌ مختصّة بها. ففي الحالة الاعتيادية يتغطّى الحبشي بوشاحه على طول قامته ثم يردّ اطرافه على كتفه الشمال وقد يغطي به احيانًا رقبته ويجعل طرفه فوق انفه ولكنهُ اذا كان بحضرة سيده أتزر بوشاحه وردّ طرفه على كتفه اليمين وهي عندهم اشارة الاحترام

واذا جاء الحبشي زائرًا يدخل راكبًا بغله الى امام المسكن ولكنّ حاشيتهُ يبقون بهائمهم خارج منطقة الزريبة والخدام والغلمان لا يدخلون البتة وهذه ايضًا من علامات الاحترام

٦ الزمان والاعمار

الاحباش اكثر من سواهم من الشعوب المتأخرة في المدنية لا يعرفون للوقت قيمة والعجلة عندهم اسم لغير مسمّى فلا يعملون اليوم ما يستطيعون عمله في الغد وسيّان عندهم أتي العمل عاجلًا او آجلًا حتى ان لغتهم نفسها ليس فيها اشارة ولا اداة تدلّان على المستقبل او تفرقان بينه وبين الحاضر في تصريف الافعال. لذلك تقدّم بلادهم نحو التمدّن وان محسوسًا انما يجري ببطء وسكون فقد جُبلوا على البطء في كل اعمالهم حتى ان الغريب ييأس من جمودهم في بادئ امره الّا انهُ لا يعتم ان يعتادهُ فلا يقنط من الحصول على مبتغاه عاجلًا كان ام آجلًا

امّا حساب الزمان عندهم فانهم يتبعون السنة المصريّة وهي تتألف من اثني عشر شهرًا كل شهر منها عدد ايامه ثلاثون يومًا يعقبهم في آخر السنة شهر صغير عدد ايامه خمسة ايام فقط وهي المعروفة في مصر بايام النسيء يزاد عليها يوم سادس مرّة في كل اربع سنين وهي السنة الكبيسة. وهم ينسبون السنين اربعَ اربع الى الانجيليين

الاربعة وعام القديس لوقا هو العام الكبيس عدد شهر نسيئه ستة ايام . وسنفرد للكلندار الحبشي مقالة مخصوصة ان شاء الله

قلما يكترث الحبش لمرقة اعمارهم واذا سألت مستفهماً عن عمره اجابك : « ومن اين اعرف ذلك ؟ اسأل امي التي ولدتني فلا بدّ انها تعرف » . او اذا كان ارقى درجة قال لك : « امي قالت لي انها ولدتني عند ما حارب الملك يوحنس الدراويش » او « عند ما ذهب الرأس مكونين لاخضاع بلاد العبيد » او « لمّا اخذ منليك هرر » او « لما ذهب منليك ليحارب الطليان » ونحو ذلك من الحوادث التاريخية في بلادهم . فبدرس تاريخهم تستطيع ان تحسب اعمارهم

٧ الزواج والمرأة

الحبش وان نصارى قلما يتزوجون طبق الاصول المرعية في الزواج المسيحي . زواجهم اذا تمّ قانونياً لا يقبل الانحلال على الاطلاق وكنيستهم بذلك تتّبع التقاليد المستقيمة التي ورثتها عن كنيسة الاسكندرية قبل دخول البدعة اليعقوبية فيها . وقد يتطرفون الى اكثر من ذلك حتى يمنعوا اقتران احد الزوجين بعد موت قرينه . ولكنّنا نرى مع الاسف ان قلّ من تزوّج على هذه الصورة وهم في الغالب يتزوجون زواجاً مدنياً يقوم باتفاق الفريقين واقرارهما بهذا الرضى امام الشهود وبحضرة القاضي . وهذا النوع من الزواج يسوغ فيه الطلاق في ايّ ساعة ولأي حجّة كانت . وعند الافتراق يقتسم الزوجان ما عندهما من الامتعة والاواني والمال متناصفين مع قطع النظر عن الجاني وكيفيّة جنايته . امّا الاولاد فالذكور يأخذهم الرجال والبنات تأخذهنّ الامهات

وقد يتزوّج الكثيرون من عامة الناس نوعاً ثالثاً من الزواج يقوم بان يتّفق الرجل مع امرأة على راتب شهري او سنوي وله ان يطلق سبيلها متى شاء فيدفع لها المستحق من اجرتها لا غير

فللّبيب غنى عن البيان انّ الاتحاد على هاتين الصورتين الاخيرتين ليس على الثبات من شيء . ولا هو مبني على اساس وطيد فينتج عنهما تعميم الفساد في العوائد وفي الدين ولا يُستطاع فيهما تربية الاولاد على الاطلاق هذا عدا ما ينجم عنهما من المشاجرات واطلاق العنان للشهوات وتعميم الشرّ والرذيلة في البلاد والسير بهما الى التوغل في

التوحش بدل الاقتراب من التمدن. وهذا من الاسباب الرئيسيَّة التي تحول بين الحبشة وسرعة تمدّنهم. والاكليروس مع كثرة عدده لا يستطيع ان يغيّر هذه العادة اولاً لانهُ جاهل بل قُلْ انَّ اجهل الناس في الاحباش الكهنة ثم لتوغّل الشعب في ظلام الجهل واطلاقه الاعنَّة للفساد فلا يصغون لقول الناصح ولا يفقهون ثمرة النصح. نعم ان بعض الكبار منهم يتزوجون الزواج الكنسي لكنَّهم جروا بموجبهِ لان الظروف اجبرتهم عليهِ امَّا هم فلا يدرون ماهيته ولا يعرفون كنهه فتجد بيوتهم ملأى من النساء غير الشرعيات والخادمات والإماء. ولهم اولاد من كلهنَّ وجميع هؤلاء الاولاد شرعيون بعين الهيئة الحاكمة لا يختلف ابن الأمة عن ابن الحرَّة اذا كانا لأب واحد لا في إرث ولا في غير ذلك من الحقوق. فهذا الامبراطور منليك نفسه ابن الملك هايلا ملكوت فانَّهُ من غير امرأته الشرعية اذ لم يكن لهُ منها ولد. وهذا وليّ عهده الامير ياسو ابن ابنته ابوه الراس ميكائيل الذي لم يتزوج قط بابنة منليك زواجاً شرعياً حتى ولا مدنياً. وهذه الامبراطورة طايتو متزوجة بمنليك زواجاً غير شرعيّ بعد ان كانت زوجةً للراس وَلدي وهو الى اليوم حيّ يُرزق. وقد شاع ان زواج هذا العاهل أُعطي صبغةً شرعيَّةً كنسية في هذه الايام الاخيرة ولكنَّ هذا زيادة في التقبيح وليس عذراً فان الراس ولدي حيّ مغضوب عليهِ معزول من وظيفته. فمن هو الاسقف الذي بارك هذا الزواج تزلفاً او سمح بعقده ؟ . . . نقف عند هذا الحدّ حتى لا يزلق بنا القلم فنكشف الستار ونبين الشنار عن كل ما عرفناه وسمعناه منذ ان وطئنا هذه الاقطار التي بحدّ ذاتها هي جنَّة وخصوصاً في قلب افريقيـة ولكن لم يسعنا الاغضاء عن هذا القليل انتصاراً للحقّ وردّاً لحملات بعض الكتبة الافرنج الذين كتبوا ولم يزالوا يكتبون المقالات الطوال عن الحبشة فيعتون هذه العوائد بالطبيعية ويزعمون انهُ يجب اتباعها في كل مكان وبالتمدّن ال[illegible] ولو وقفوا عند هذا [illegible]
على المذهب الكاثوليكي الذي يعدّ ذلك من المنكرات [illegible]
استعملت نفوذها وقوّتها عضداً لتعاليمها ونصائحها [illegible]
الشرور. نعم ان الكنيسة الحبشيَّة نفسها قبل تكلمها [illegible]
وامرآتها الذين يطلقون العنان لمثل هذا الفساد و[illegible]
مثالاً للشعب فيصعب استئصال الشرّ منهُ لا استبداداً

هذه سيرة الاعيـان فما عسانا نقول عن الشعب وحالته وكيف نصف الرذائل التي هو منغمس فيها ؟...

امّا المرأة وحالتها فهي ساقطة مستعبدة في بيت زوجهـا ما خلا بعض الاميرات والشاذّ لا يقاس عليه بل ان الاميرات انفسهنّ وان محترمات مبجّلات في عين الغريب الّا انهنّ عبدات امام ازواجهنّ في معيشتهنّ الداخليّة. وبنوع الاجمال انّ على المرأة في الشعب القيام بمهمات البيت فهي تطحن الحبوب وتعجن وتخبز وتأتي بالماء وبالوقيـد من الخارج على ظهرهـا وتطبخ وتهيئ الاطعمة وتحضّر البوزا وقلما ترقد ليلها من غير ان يجرّد زوجها عليها عصاه فيضربها ضرباً قاسياً بلا شفقة لاي حجة كانت وقد تكون حجتهُ وهميّةً صوّرتهـا له حالة السكر ولا حرج عليه امام الناس والحكومة. وهي فوق ذلك تذهب الى السوق لشراء الضروريات وتغتسل القطن لحياكة ثوبها وثوب رجلها. امّا الغسيل والخياطة فهما عمل الرجل

وقد يعلّم بعض الكبار لبناته القراءة كما يعلّم اولاده الصبيان الّا ان ذلك نادر جدًّا والنساء اللاتي يعرفن قليلًا من القراءة لا يتجاوزن عدد الاصابع في مجموع اخواتهن الحبشة

٨ العائلات والاسماء

مما تقدم من تبيان سوء روابط الزواج يظهر جليًّا للقارئ الكريم ان من المستحيل ان تُضبط روابط العائلات والانساب وان يُفرق بينها باسماء معروفة. لذلك لا يُعرف الحبشي الّا باسمه الخاصّ ولا يجمع بينه وبين ابيه واخيه وابن عمه مثلًا اسمٌ عامّ يختص بالعائلة وهو ما ندعوه باللقب. فالحبشي هو فلان لا غير والنزر القليـل منهم يُعرف بفلان بن فلان لا فلان الفلانيّ

الّا ان لاكثرهم اسمين اسمٌ بالمعمودية او بالنصرانيـة واسمٌ آخر يُعرفون به وبعضهم يُعرفون فقط باسم المعموديّة واخصهم الرقيق. فاسماء المعمودية دينية محضـة مأخوذة عن اسماء الجلالة واسماء القديسين الشهداء وهم يضيفونهـا الى «عبد» و «ابن» و «قوة» و «نعمة» و «سلاح» و «غرسة» و «عمود» وما ضاهاها. مثال ذلك: گبرا ازگهار (عبد الله) ولدا ميكائيل (ابن ميخائيل) هايلا مريم (قوة مريم)

تقلا هيمانوت (غرسة الايمان) سهلا سلاسيه (نعمة الثالوث) عمدا كرستوس (عمود المسيح) وقس على ذلك ما جرى مجراه . امّا الاسماء المتعارفة فهي مختلفة الانواع والتراكيب فمنها اسماء ومنها افعال ومنها جمل ومنها اصوات صراخ الى غير ذلك . مثلاً : منايك (مَن معادلي) مكونين (القاضي) دسْتا (الفرح) مَسفِن (الامير) فرْدا (حكَمَ) أبيا (أزهر) وندمْ آكانيو (وجدتُ اخاً) زَودي (تاجي) گبره (خادمي) گبرو (خادمهُ) تغري (المهول) أشوا لول (لؤلؤ الرمل) گيتا هون (كنْ سيداً) إشْ بله (قل لي نعم) طنف يأهم (لن يكون لك ذرّية) الى غير ذلك مما يضحك الثكلى . وللاناث ايضاً نفس هذه الاسماء على صورة التأنيث

على ان اعضاء العائلة المالكة اليوم وانسباءهم المعروفين بذرّية هايلا سلاسيه (جد النجاشي الحالي مالك الشرا) يعدّون نفوسهم من الاشراف في الحبشة لا لاستيلائهم على السلطة فقط بل لادّعائهم انهم من سلالة سليمان الحكيم ابن داود النبي . فيقولون — وهي خرافة يتزلّونها في الحبشة مكان الصحة التي لا ريب فيها — ان ميكادي ملكة سبا عند ما ذهبت الى اورشليم اتخذها سليمان الحكيم له امرأة وولدت ابناً هو منليك الاول (راجع المشرق ٦ : ٩١٥) . ولمّا شبّ منليك هذا ارسلهُ ابوه الحكيم الى الحبشة مصحوباً باثني عشر قائداً يثلون الاثني عشر سبط اسرائيل وبعدد عظيم من الجنود والحاشية فاتى وضبط زمام الملك وجعل عاصمته مدينة اكسوم . ولما استتبّ له الامن سنّى القواد رتبته امراء وقسم بينهم المملكة إمرات يحكمونها تحت سيادته . لكنّ ظروف الزمان وكرور الايام ونكبات الحروب غيّرت هذا التقسيم وقلبتهُ مرات عديدة ولم يزل يتقلّب ويتغيّر ويتقسّم الى اليوم . الى آخر ما هناك من الحكاية ! . . . فهم يدّعون اليوم ان منليك الثاني الحالي هو وعائلته من سلالة منليك الاول ابن سليمان . ولا عجب فقد تأصلت هذه الخرافة في الحبشة منذ عهد بعيد وادّعى جميع ملوك الحبشة وامبراطرتها نفس الادعاء واتخذوا لنفوسهم نفس النسب مع انهُ مما لا يختلف به اثنان من المؤرخين ان هؤلاء الملوك لم يكونوا كلهم من اصل واحد . والله اعلم . وقد دعا الافرنج هذه العائلة بالسليمانية لادّعائها بهذا النسب الّا ان اعضاءها لا يلقّبون بهذا اللقب بل هم يتفاخرون فقط بكونهم من ذرّية سهلا سلاسيه

هذا نظر اجمالي عن عوائد الحبش وهو الاخير الذي نسطرهُ في هذا الاقليم .

وسنلحقهُ بايضاح احوال الهيئة الاجتماعية والحكومة في الحبشة وذلك بعد عودتنا الى الوطن العزيز ان شاء الله

نخبـــة

من امثـال القس حنانيًا المنير

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني (تابع)

معاملات

ما لهذه الكنيسة الخربانة الّا هذا الخادم الاعمى (١ = ما لهذه الدنّة الوخمة الّا هالرهم النجس = من ساواك لنفسه ما ظلمك أو من عاملك بسوات (بمثل) نفسه ما ظلمك = الظلم بالمساواة عدل = ظلم بالسويّة عدل بالرعيّة = اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك = من ذكرني بعظمته كنت عنده عظيم = الوردة تنا بتشبع لكنها تطيّب المنافس (٢ = من رادك ريده ومن طلب بعدك زيده (٣ = من سأف لا يستوحش = من سأف السبت رأى الاحد قدامه = يا ما لستّي (٤ عند سيدي = الدهر مكافاة = الذي ياكل هالأكلات يبقع هالوقعات (٥ = اخذ التار بما هو عار (٦ = الذي ياكل حلوتها ياكل مرّتها = كما تراني يا جميل اراك = من استحى من شي يضره ما اكتمل عقله = الذي يدقّ الباب يسمع الجواب = من يزق بكتفك

---

١) ويروى اليوم هكذا (الكنيسة خربانة وخادمها اعمى)

٢) المنافس يزيد جا هنا (الأنوف او (الانواء)

٣) رادك بمعنى ارادك . واثبت عين الاجوف في الامر حسب عادة العامة

٤) العامة تستعمل ستّي بمعنى سيدتي

٥) ويروى عندنا اليوم هكذا (اللي ياكل هالأكلات بيموت بهالموتات)

٦) ويروى لهجتنا (اخذ التار ما هو معيار) والتار بخفّف التار بالتاء المثلثة والمعيار بمعنى العار عند العامة

ابزق بدقنه (١ = كثير على نابك كل الناس تستهابك (٢ = الحيط الواطي كل الناس بتنزّه (٣ = لا تعرض بضاعتك بتكسد (٤ = عزّ نفسك تجدها هينها تهان = ضربني وبكى سبقني واشتكى = الضرب لمن سبق = تحركش (٥ بالحمّى حتى تجيه البردية = مفتاح الشرّ كلمة ومفتاح البطن لقمة = اضرب وعتق الجرح وآخر الدنيا للصلح = ما يقطع بالشجرة الّا فرع منها = دود الجبن منه وفيه = الذي بيمد يده للدراخيش (٦ بتعضه الحيّات

الاعرج والاقرع والاعور

شنيعه وبيتها بعيد وعرجا ودرب بيتها بيزلق = قال: صبّحك بالخير يا اقرع. قال: هذا باب الشرّ = اقرع ودقنه طويلة. قال: بيمه على بيمه = اقرع لا تجاكره واعور لا تناكره (٧ = القرعا تتجاهى (٨ بشعر بنت خالتها = بتبان القرعا من ام الشعر = ما هو من خبرتي بقدر ما دخل على قرعتي (٩ = لا تقول طاسة في بيت الاقرع (١٠ = من اين ما ضربت الاقرع بيجري دمه = قالت لها: بكره تعي بكير (١١. قالت لها: على فرشتك هالناعمة ؟ = قرعا وبتنام بالنصف = اقرع وياكل حلاوة. قال: بنلوسه = هذا

---

١) ويروى (الي بيبزق بكفي بيبزق بوجهه) وبزق محرف بصق

٢) استهابه عند العامة اي خاف منه

٣) فزّ عند العامة بمعنى قفز ووثب وعندي انها محرّفة عن تمز. والحيط بمعنى الجدار عند العامة وهو محرف حائط

٤) ويروى اليوم (الي بيعرض بضاعته بتكسد)

٥) تحركش محرّف تحرّش به اي تعرّض لهُ

٦) يريد بها هنا العقرب

٧) جاكرهُ عند العامة بمعنى اغاظهُ واغضبهُ. وناكرهُ عندهم بمعنى جادلهُ

٨) ويروى عندنا الآن هكذا (القرعا بتتكنّى بشعر بنت خالتها) وتتجاهى تطلب الجاه وتفتخر

٩) تستعمل العامة القرعة بمعنى الرأس الاقرع مطلقاً. ومعناهُ ان معرفتي ليست من ذكائي ولكن من اختباري ومعاركتي للايام

١٠) لما في الشبه بينهما فيغضب الاقرع

١١) بكرة عند العامة بمعنى غداً وبكير باكر

الاقرع عمري ما جرته = جبت الاقرع حتى يسجمني (١ كشف قرعته وفزّعني = حرت يا اقرع من اين اجرك = يطيلع من الحافي نعل ومن الاقرع شعر

الصنعة

قالوا لليهود: حطّوا خرّاجين (٢. قالوا: قوي (٣ دين سميك حتى نسأف عليه = قالوا للقاق: ليش بتسرق الصابون. قال: الأذى طبع = قالوا للسلطعون (السرطان): ليش بتمشي على جنب. قال: شب ويليق لهُ = قالوا للبغل: من ابوك. قال: انا خالي الحصان = قالوا للخياط: بدك تسافر. وضع ابرته في قاووقه وقال: يا الله (٤ = قالوا للوتد: علامك داخل في الحيط. قال: من الدق الذي لاحقني = قالوا للديب: بدهم يرعوك الغنم صار يبكي قال: غيرتهم بتضرّ عيني = قالوا للزعرور: من فرعنك. قال: ما أحد ردّني

الجمل

قالوا للجمل: ما هو كارك. قال: بدق بالقصب (٥. قالوا: باين على صبيعك الرفاع وتك (فك) الخيّق = الجمل لو بيشوف حردبته (٦ كان بيوقع بيكسر رقبته = قال: عد جمال ابوك. قال: واحد بارك وواحد واقف = الذي لهُ بالجمل اذنهُ بينوخه للارض = جمل موضع جمل يبرك = جمل بدرهم ودرهم ما فيه = بيبلع الجمل ويغص بالبعوضة = الجمل يفكر والجمّال بغيره = يا ما كسّر هالجمل بطيخ = مثل الجمل بيعض الشندابي (نبات شائك يأكلهُ) وعينه بالاخرى = الجمل اذا بار حمله

---

١) سجّع تصحيف شجّع

٢) الخرّاج الذي يجمع الخراج كالمشّار الذي يجمع المشر

٣) قوي عند العامة بمعنى كثير

٤) القاووق شبه طربوش طويل يلبس على الراس ويكون غالباً من الصوف. وتقول العامة (يا الله) عند الابتداء بعمل

٥) الكار عند العامة بمعنى المهنة. ودق القصب عندهم النفخ في المزمار والشبابة وغيرهما. والصبيع جمع اصبع عندهم وكانوا يعرف اصابيع

٦) حردبة الجمل سنامه

قنطار = قال: شفت الجمل. قال: ولا الجمّال = كل الجمال بتمارك الّا جملك بارك

الكلاب

قالوا للكلاب: اركضوا وعوّوا. قالوا: ما بتقدر (١ تعمل كارّين سوا = الكلب الذي ما بيروح للصيد الّا بالشباق بنس منه ومن صيده (٢ = قالوا للكلب: كم حجر تاكل باليوم. قال: بتقدر ما بشوف زعران = الكلب اذا طاف برّين وبحرين ما يزداد الّا نجاسة = أمّن الكلب على الجواهر ولا تأمنهُ على كسرة خبز = اشبع كلبك يحمي دارك . جوّع قطتك تاكل فارك = الكلب كلب ولو طوّقته بالذهب = الذي يمتاز الكلب بيسنيه الحاج كلبون (٣ = ما زاد على القلب الّا ذنب الكلب = كل الكلاب احسن من حيمور = حطوا ذنب الكلب اربعين سنة في القالب رجع اعوج (٤ = كلاب اولاد كلاب = كلب ينبح معك ولا ينبح عليك = الكلب الحايم ولا السبع النايم (٥ = خلّف الكلب (ويقال القرد) جرو طلع ألعن من ابوه = دلّت دلّت حتى اجا الكلب لتّها (٦ = كلب الامير امير = كلب داير ولا سبع مربوط = اذا عضّك الكلب انت بتعضّ الكلب = ما ضاعت العصا بالكلب = ربّ كلبك يعقر جنبك = الجنازة حافلة والميت كلب

العين

العين التي شافت وشهدت حالّ قاموسا = العين ما بتحبّ أعلى منها = العين ما

---

١) مرّ معنا ان العامة تزيد باء قبل الفعل المضارع واذا وقع بعد هذه الباء نونًا لفظوا الباء ميمًا فقالوا متقدر في بتقدر

٢) وروايته عند عامتنا اليوم هي (الكلب اللي ما بيروح عالصيد بلا قالوعة بلاه وبلا صيده) والشباق والقالوعة بمعنى الرباط. و بلاه اي بدونه

٣) وروايته الحالية عندنا (اللي ماوز الكلب بيقول لهُ صبّحك بالخير يا سيّدي)

٤) وروايته عندنا (دنب الكلب ما بيتقوّم ولو حطوه مائة سنة بالقالب)

٥) وهو اشبه بالمثل الشهير (كلب حي خير من اسد ميت)

٦) دلّت اي ذلت من الذل. ولتّ الكلب الماء ونحوهُ اذا شربه بلسانه والفصيح ولغ ولعلّ لتّ محرف ولغ

بترتفع فوق الحاجب = العين ما بتقاوم مخرز = العين بصيرة واليد قصيرة = ما هو حسد لكن ضيقة عين = الذي عينك فيه يد غيرك فيه = شيل من ديله (ذيله) واعصب لهُ عينه (١ = يا حاجبه يا عينيه قال: على المقتل باين = عند عازتي اليها دبّلت عينيها = يا عيني هُوني ومثل الناس كوني = كرامة عين تكرم مرج عيون = ماذا يطلب الاعمى قال: جوز (٢ عيون = عيني فيه وتفوه (٣ عايه = هذه عينك ولا استعرتها

كثير الغلبة

اللي بيسأل عمّا لا يعنيه بيسمع ما لا يرضيه = الذي بيسمع ما لا يطيق بيتكلم ما لا يليق (٤ = من أحب ان يُطاع فلا يأمر بما لا يُستطاع (٥ = الحية أبا بتترك (٦ بتعض ذنبها = كثرة الشدّ بترخي = الحبل بين مجنونين بينقطع = الذي ما بيجي معك تعال معه = راسك ما هو معك طوطحه (٧ = الذي ما بيستحي استحي انت عنهُ = الذي ما هو في ايدك بيكيدك = اليد التي ما بتقدر تعضها بوسها = لا تنام بين القبور ولا تشوف منامات (ويقال ولا تشم ريحة الجيّة) = ابعد عن الشرّ وغنّ لهُ = العب وحدك ولا تغلط = لا تقاوم من قال فعل = بيقول يا ارض اشتدّي ما حدا قدّي (٨ = لا تعادي البطّال بيعملك شغله = كل العداوات الّا عداوة البطن = كل العداوات لا تشغل بها ظنك الّا من عاداك في فنّك = الف عدوّ برّا الدار ولا عدوّ جوّا الباب = العدوّ ما بيصير صاحب = الأسى ما بينسى = من عاش بعد عدوّه ولو ساعة بلغ مناه = لا بد ما تفرح الحزينة ولتو (ولو) بعزا (٩ جارتها = عدوّتي مغسلتي وامها

---

١) ومعناهُ قول عامتنا اليوم (من دنبه خنافه). والخناق المتوّد وقولهم (من دهنه سقي لهُ)

٢) تستعمل العامة كلمة جوز بمعنى (زوج)

٣) محرّف كلمة تُفّ تقال عندهم عدم الاستحسان

٤) وروايته عند عامتنا الآن هي (حمّل النفس شي ما تطيق بيظهر منها شي ما يليق)

٥) وهو من المثل المشهور: اذا اردت ان تُطاع فسل ما يستطاع)

٦) بتترك اي (لما تضايق) ٧) طوطحهُ بمعنى نكّسهُ

٨) حدا مقلوب أحد. وقدّي بمعنى قدري ومثلي وغيرهما

٩) العزا عند العامة والحلّ بمعنى المأتم اي الاجتماع لندب الميت

الصبّابة = وعد بلا وفا عداوة بلا سبب = اوعدتني وابعدتني = وعد الكريم عليه دين = ما فيه عرس بلا قرص (١ = يا ملائكة الله لا تآذونا ولا بتآذيكم = بلحس مسني وبنام متهني (٢ = جا الدبور (٣ يلحس المسنّ = بجديد كرفس (٤ ولا اهينك يا نفس = فلّاح مكفي (٥ سلطان مخفي = امّا بسراجين وشمه واما على العتمة جمعة (٦ = من ترك شي عاش بلاه = قلة الرزق نياحة = الشبعان بيفتّ للجيعان فتّا بطي = لا مال يأخذهُ السلطان ولا عقل يأخذه الشيطان = الذي ما لهُ شي ما بيروح لهُ شي

البخل

البخيل ياكل من كيسه والخير (الكريم) ياكل من كيس غيره = البخيل يطعم من بخله الّا كبير البطن = الرزق الخسيس لابليس = قطامة الخاناتي (يقال مصريّة الخاناتي) بتضيّع حمار المكاري (٧ = الطمع ضرّ ما نفع = كل قليل الحصيّة (اي الكسلان) فيلسوف (او قاض) = ارو عذوك ولا تروِ بخلك (٨ = اصرف ما في الجيب يجيك ما في النيب = يا طالبه كله يا خاسره كله = يا مسترخص اللحم عند المرقه تندم = طالب الزرد وقع بالنقص = احيِ مالك بمالك = الذي بتجمعه بالمكاش بتروحه بالرفش (٩ = كسبناهُ بالدبس خسرناهُ بالطحينة (١٠ = الذي بيحسب مونة القطة بتاكل النار دينيه (اذنيه) = ايما اقل عقل الذي زرع السطح ام الذي

---

١) اي لا يصير فرح بدون كدر
٢) اي أقنع بما عندي فاضاً . والمسنّ حجر الشحذ المعروف
٣) الدبور محرّف الزنبور
٤) الجديد قطعة من النقود كل قسمة منها تساوي بارة . والكرفس نبات معروف
٥) اي فلّاح شبعان
٦) العتمة بمعنى الظلمة وجمعة عند العامة بمعنى اسبوع
٧) ويروى عند عامتنا (مصريّة الخان ووّحت بثل المكاري)
٨) إروي عند العامة بمعنى ار من رأى
٩) المكاش المحول . والرفش المجرفة
١٠) الطحينة سائل خاثر يؤخذ من عصير السمسم ونحوه للطبخ

حط البذار (١ = واحد من حيله وآخر من خيره = واحد بكتنه وواحد بماله = كبر المنافس (٢ قطع نصيب = بتشوف قبة بتخمن مزار (٣ = الدنيا مع الواقف ولو كان بقل (لها بقية)

سياحة في سويسرة

لشاب الاديب جرجي بن يوسف اليان مركيس احد طلبة الهندسة في كلية لوزان

ودّعنا سنتنا المدرسيّة ودخلنا في أيام العطلة الصيفيّة فحان لنا ان نأخذ بعد اتعابنا نصيباً من الراحة. وكانت افكاري موجّهة الى شقيقي انطوان وهو في تونس الغرب انتظر منهُ رقيماً يدعوني بهِ اليهِ لتقضي معاً هذه الشهور الراحة. وانا غائص في هذه الافكار اذ اتاني في ليلة ١١ آب نبأ برقي يفيدني انَّ اخي وصل مرسيلية وسيكون عندي بعد يومين. فحدّث عن فرحي بقدوم الحبيب ولا حرج اذ ليس اشهى على قلب المرء في غربتهِ من اجتماع شملهِ مع اهل تربتهِ. فصرفت واخي يوماً عددتهُ من اطيب أيام حياتي. ثم اتفقنا على ان نتجوّل في انحاء سويسرة فنشبع ابصارنا بمشاهدها الفتّانة وآثارها الخطيرة التي تتقاطر السيّاح الى معاينتها في هذا الفصل من السنة وباشرنا بمدينة لوزانَ التي كنت احسن معرفةً بها فاردتُ ان اعرض محاسنها على اخي فأصبح لهُ فيها دليلاً وهي تستحقُّ شرف التقدُّم

لوزانة حاضرة احدى مقاطعات سويسرة وهي مقاطعة ڤود (Vaud) المعدودة من اجمل وابهى ايالات سويسرة بل من كل بلاد اوربّة فانَّ موقعها على منعطف حوض بحيرة التوسط بين مقاطعتي نيوشاتل وجنيفة تُشرف عليها شرقاً جبال الالب وغرباً تنتابها قمم جبال جُورا وفي جنوبها وادٍ عجيب كثير الاشجار غزير المياه تتوفَّر في المناظر طبيعيّة الخلابة للابصار. امّا حاضرة هذه العاملة لوزانة فانّها احدى كبار

(رى لهدنا (ام الذي استلّهُ)

(منافس بمعنى كبير النفس

(رى لهد (بحر قبّة وبيعمّر مزار)

مدن سويسرة على ضفة بحيرة جنيفة التي تدعى ايضاً بحيرة ليمان تحدق بها الدساكر والجولسق والرياض والخمائل والكروم وتختلف فيها الحزون والبطون وتجري فيها جداول المياه واليها تتوارد السيّاح زرافات زرافات في اشهر الربيع والصيف يعدونها كجنّة الاقطار الاوربيّة . وبيوت المدينة على عدّة آكام وربى تمرّ بينها ثلاثة شوارع كبيرة لا يقطعها السابلة الّا بطاوع او نزول دائمين واهلها اليوم نيف وخمسون الفاً واللغة الغالبة عليهم هي الفرنسويّة الّا انّ كثرة الاجانب المتردّدين اليها وتوسّطها في البلاد تضطرهم الى درس اللغات الشائعة في اوربّة كالالمانيّة والانكليزيّة والايطاليّة وفي لوزانّة كليّة شهيرة عظيمة الشان يبلغ عدد الطلبة المتأهبين لحضور دروسها ١٣٠٠ طالب يتبلون اليها من كل أوب وصوب ليدرسوا فيها خصوصاً الطبّ والفقه والهندسة ولاساتذتها سمعة مستفيضة في انحاء اوربّة

وكان اول ما زرناهُ ابنية تلك الكليّة وهي مشيّدة على احدى اكمات المدينة فقصدناها مارّين على جسر بُني بين جبلين . والكليّة عبارة عن بناء فخيم في واجهته مدخل يروق العين بهندسته فرقينا درجهُ ووصلنا الى قاعتين كبيرتين يلقي فيهما الاساتذة دروسهم تسع كل منها ٣٠٠ تلميذ . وخرجنا منهما الى باحة فسيحة تزينها اجناس الزهور على هندام جميل وفي وسط الحديقة بركة تترقرق مياهها في صفاء الدمعة . ويحيط بالباحة قناطر تستند الى عواميد من الرخام السثاقي مسقوفة بالزجاج لا يمالك الداخل من العجب بحسنها . ومن شمال القناطر دار التحف فيها مجاميع من الرسوم والنقوش والتصاوير لابرع الصنعة واشهر المصوّرين تمتاز بينها مناظر الطبيعة كالجبال والغابات والمواشي الراعية تحسبها حيّة لدقّة صنعها . وهناك التماثيل في كل هيئاتها منظومة بذوق وحذق منها بالرخام ومنها بالجصّ او بالمواد المعدنيّة . ومن عن يمين القناطر خزانة كتب عامرة لا يقلّ عددها عن ٢٢٠,٠٠٠ . وفي هذه الكليّة متاحف اخرى للنبات والحيوان وعلم طبقات الارض لكنّ العملة كانوا يشتغلون في تنظيمها فلم نستطع ان نزورها

وفوق هذه الكليّة على ذروة الاكمة الكنيسة الكاتدرائية التي ابتناها الكاثوليك في سالف الاعصار وضبطها البروتستانت وهي اليوم في ايديهم وهذه الكنيسة من الابنية الجليلة لها قبّة جرس يُرقى الى اعلاها بنحو ٢٥٠ مرقاة وهناك سطحٌ علوهُ ٦٠

متراً صعدنا فوقهُ فسرَّحنا النظر على كل اطراف المدينة فلاحت لنا كلّ ابنيتها وآثارها وكل تقاسيمها بل كنّا ننظر بساتين المدينة . ومزارعها مع بحيرة ليمان الرائقة الحسن التي ترتسم في مياهها صور الآكام المجاورة كأنها المرآة الصقيلة . وكذلك كان نظرنا يرتفع الى عنان السماء فيشاهد تقاطيع جبل جورا والقرى التي تستند الى مماطفه . وفي داخل هذه الكنيسة ضرائح اساقفة المدينة الاقدمين من الكاثوليك فتذكّرنا ما كان لهم من الايادي البيض والمشروعات الصالحة التي لم يزل التاريخ مدوّناً لها

ثم انحدرنا من سفح المدينة لنزور مجلسها البلدي ولم يَدُر على خلدنا انّ معاهده مقفلة في ايام العطلة فاكتفينا بان نجول في الحديقة العمومية التي امام تلك البناية ونعاين تمثالاً رائعاً للبطل السويسري غليوم تال نُصب فوق دار الحكومة

وبعد الغداء سرنا الى اوشي (Ochy) وهي على ساحل البحيرة يعتبرها اهل لوزانة كفرضة مدينتهم وكانت سابقاً بعيدة عنها لكنّ المدينة لم تزل تتّسع حتى كادت تتّصل ابنيتها . ولرسى اوشي رصيف عريض طوله ٣٠٠ متر تحيط به عن طرفيه الجنائن والاشجار وقد أُعدّت هناك مقاعد يجلس عليها المتنزّهون بازاء البُحيرة تمتدّ ابصارهم الى تخوم فرنسة ومدينة اثيان فيقضون الساعات والعيون لا تملّ من مراقبة الطبيعة ومشاهدها الساحرة

وكان على ساحل البحيرة سفينة حان وقت سيرها وقد ركبها الناس افواجاً مزدحمة وقصدهم ترويح البال في قرية وَاوَي (Vevey) . فما لبث الرُّبان ان آذن بالرحيل فحللنا اجنحة البخار وسرنا موازين لساحل البحيرة والعيون شاخصة الى ما هناك من اعمال الخالق . واجتزنا عدّة قرى حتى بلغنا بعد ساعة الى وَاوَي حيث تتّسع البحيرة فيبلغ عرضها ١٣ كيلومتراً

فنزلنا في تلك البلدة ليس لنشاهد آثارها وهي خاوية منها لكن لنتوغّل من هناك في جبل عالٍ يقصدهُ السيّاح من اقاصي البلاد ويدعونهُ جبل بلرين او جبل الحاج علوهُ ٨٥٠ متراً فوق لوزانة يعاينون في قمّته منظراً فريداً في جنسهِ جامعاً لمحاسن طبيعيّة شتى قلّما يرونها مجتمعةً في مكان واحد . والرقيّ اليهِ شديد عسرٌ وكان السيّاح لاسيّما الانكليز منهم يتناخرون في صعودهِ لما يحفّ بالراقي من المخاطر اما اليوم فقد جُهّزت لهُ سكّة حديديّة تعرف بالسكّة السلسليّة (funiculaire) تجري صعوداً وهبوطاً بموازنة الاثقال فتقطع المسافة بين سفح الجبل وقمّته في ٢٦ دقيقة . ويا ليت اللبنانيين يتّخذون

سككاً مثلها في بعض انحاء جبالهم وخصوصاً من جونية الى حريصا او غسطا فيوقفون على نفوسهم زمناً طويلاً ونفقات باهظة ويصبح لبنان موردًا للثروة قريباً من المصطافين ينزلون من الجبل الى بيروت او يصعدون منها الى الجبل بساعة واحدة دون عناء

فبعد برهة من الزمان دخلنا قطار السكّة واذا بجرس كهربائي اخذ يدقّ اشارةً الى اوان السفر . فجعل القطار يصعد رويدًا رويدًا مرتفعاً على منعطف تلك الجبال العالية ونحن ننظر من نوافذ الزجاج الروزي البديعة التي زانت بها يدُ الخالق تلك الاصقاع . وكانت تلك المناظر تزيد حسناً وغرابة على قدر ارتفاعنا وتشغلنا عن التفكير في ميل السكّة وسيرها على منعطف الجبال فلو قطعت سلاسلها لأودت بحياتنا لا محالة فمرّ علينا ثلث ساعة ونحن لا نزال نتوغّل في تلك الشارف وكنّا نشعر بهواء الجبال الصافي الذي ينعش قوانا ويلطّف حرارة صيفنا حتى وقفت السكّة عند حدّها

فنزلنا في المحطّة ثم واصلنا السير ماشين فتقينا هناك من الغابات والاودية وجداول المياه ما كان ينسينا اجمل مناظر لبنان . وكان الثلج لا يزال كاسياً بثوبه اليقق آكاماً عديدة فتجوّلنا فيها وقضينا العجب من محاسنها . واهل لوزانّة قد زادوا على رونق الطبيعة . وجهّزوا تلك الامكنة بما يشوّق السيّاح الى رؤيتها فمهّدوا الطرق ومدّوا الجسور والمآبر وابتنوا بعض المنازل لفصل الصيف فيجد فيها المسافرون ما يحتاجون من المشروبات وخلاصة الكلام انّ تلك الانجاد الجديرة بما يثني عليها السيّاح من الاوصاف الشائقة فلا تبرح من ذكرنا طالما حيينا . ورجعنا في مساء ذلك النهار الى لوزانّة منحدرين بقطارنا السابق ذكره وكانت الشمس عند عودتنا على ظهر السفينة تضرب باشعّتها قبل غروبها قمم جبال الالب فتصبغها بالوانها القرمزيّة ثم الورديّة ثم الصفراء ما كان يأخذ بمجامع القلوب ويدهش له كل الابصار

وكان اليوم التالي واقعاً في ١٥ آب وهو يوم عيد انتقال العذراء الى السماء فقضيناه بالمدينة واكتفينا باتمام فرائضنا الدينية في كنيسة قريبة من منزلنا . وقد سُرّ اخي من عبادة السويسريين الكاثوليك الذين يُعرفون بشدّة اعتصامهم بحبل الدين وقد جاهدوا في سبيل ايمانهم جهادًا مشكورًا حتى اضطرّوا الحكومة الى ان تمنحهم الحريّة التامّة وترعى حقوقهم بعد ان هضمتها زمناً طويلاً

وكان ذلك اليوم يوم السبت وفيه تُقام سوقٌ حافلة يتوارد اليها الاهلون من كلّ

القرى والمزارع المجاورة. وهناك ساحة كبيرة تراها في ذلك اليوم غاصّة بالباعة يعرضون فيها كل غلّات البلاد ومحصولاتها ومواشيها لكلّ صنف منها مقام مألوف يقصده الالوف من الزبائن

وفي صباح الاحد في ١٦ آب نهضنا من النوم باكرًا وتأهبنا لسفر اسبوعين نقضيهما في السياحة . وكنّا قطعنا لنا تذاكر تخوّل لنا حقوق التجوال حيثما شئنا في انحاء سويسرة في سككها الحديديّة وسائر سفنها وذلك بثمن بخس لا يتجاوز قدره ٤٠ فرنكًا فركبنا الباخرة في ارشي فأقلّتنا بنصف ساعة الى اڤيان (Evian) وهي مدينة فرنسويّة واقعة على حدود البلادين. واڤيان مدينة شهيرة بحمّاماتها المعدنيّة يقصدها كثير من ذوي العاهات لاسيما ارباب الثروة ووجوه القوم

وكان وصولنا الى اڤيان الساعة التاسعة والاجراس تقرع فتدعو المؤمنين لحضور القدّاس فكنّا من المجيبين لدعوتها فدخلنا الكنيسة حيث كان احتشد الناس من كل رتبة ومقام فغصّت بهم الكنيسة مع رحبها حتى تعسّر علينا وجود مكان لنا . امّا المدينة فكثيرة الفنادق حسنة الابنية لكنّنا لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر

وبعد الظهر عدنا فركبنا السفينة وسرنا موازين للاملاك الفرنسويّة حتى بلغنا قرية مونرو (Montreux) وهي بلدة صغيرة تشبه اڤيان بمنازلها الكبيرة ويكثر فيها في الشتاء وقع الثلج ويتّخذون لهم الاحواض الجليديّة فيزلجون عليها بالمزالج الحديديّة (patins) ويقصدها القوم لهذه الغاية

ثم توجّهنا يوم الاثنين الى مدينة فريبورغ وهي على مسافة ساعة ونصف بالقطار الحديديّ . وفريبورغ هذه احدى حواضر سويسرة وبها دُعيت احدى مقاطعات ذلك القطر والكاثوليك يعتبرونها كعاصمة ديانتهم في سويسرة . فبلغناها في ضحى النهار . وعند نزولنا من القطار رأينا اسقف المدينة منحدرًا منهُ يصحبهُ احد كهنتهِ وسار كلاهما ماشيًا الى الدار الاسقفيّة فتعجبنا من بساطة ذلك الحبر وحيادهِ عن كل فخفخة وجاه عالميّ

فريبورغ تُقسم الى قسمين المدينة العليا والمدينة السفلى فقصدنا هذه الاخيرة وتجوّلنا في احيائها وزرنا منتزهاتها وفي وسطها يتخلّل نهر يُدعى سارين (Sarine) على حافتيهِ الاشجار والحدائق . امّا المدينة العليا فرقمها فوق ربوة مرتفعة وكل الطرق التي

تؤدي اليها كثيرة الانحدار يُصعد اليها بالمراقي العديدة ومن فوقها يكشف الناظر على بلاد واسعة كثيرة المحاسن الطبيعيَّة

ومن عجائب فريبورغ كنيستها الكاتدرائيَّة التي تُعَدّ من الآثار الهندسيَّة الفخيمة يُرقَّى عهدها الى القرن الثاني عشر ومن خواصها ارغنها الشهير المعدود بين تحف الآلات الصناعيَّة . انشأهُ لويس موزو سنة ١٨٣٩ وكان اكبر ارغن يُعرف في العالم حتى اصطنع اليسوعيُّون ارغنهم في كنيسة سان فرنسيسكو فنافق عليه الَّا انَّ الزلازل التي حدثت في تلك المدينة اتلفت ارغنها فعاد للارغن السويسري مقامه الاوَّل وقد تبلغ ابواقهُ ٧٨٠٠ بوق وكل نحتي الادوات الموسيقيَّة اذا مرُّوا بفريبورغ عدُّوا زيارتهُ كفرض واجب وفي الكنيسة موسيقي حاذق يدقُّ للزوَّار اذا بلغ عددهم ستَّة ودفع لهُ كل زائر فرنكًا أجرة تعبهِ . وكنَّا نحن يومئذٍ ٣٠٠ زائر فشنَّف آذاننا بانغام هذه الآلة العجيبة التي تمثل كل اصوات الطبيعة احسن تمثيل وتهيّج كل العواطف في قلوب سامعيها فكنَّا نظنّ عند سماع نغماتهِ تارةً انَّ اجواقًا من الموسيقيين يعزفون على ضروب من آلات الطرب في اقاصي المدينة وتارةً انَّ الرعود تدوي فوق رؤوسنا فترتجّ لها اطراف الكنيسة . وكان آخر ما اسمعنا صوتًا رخيمًا للغاية فحسبنا انهُ صوتٌ بشريٌّ لاحدى السيدات تنشد نشيدًا تقويًا طربت لهُ كل مشاعرنا . فخرجنا من تلك الكنيسة وكلُّنا ألسنة تنطق في مدح مفاخرها

وفريبورغ كما سبق مركز الكثلكة في سويسرة اشتهر فيها كثيرون من مشاهير الافاضل . وفي احدى كنائسها قبر رسولها الطوباويّ كانيسيوس اليسوعي الذي في القسم الثاني من القرن السادس عشر شرَّف باعمالهِ وتآليفهِ وفضائلهِ السامية بلاد المانية والنمسة وسويسرة وتصدَّى للبراطقة في تلك البلاد فاستحقَّ ان يدعى رسولها . وكانت وفاتهُ في فريبورغ فاتَّخذهُ اهلها كشفيعهم . ولما كانت السنة ١٨٩٧ وهي المئة الثالثة لموتهِ حجَّت الى قبرهِ الألوف المؤلفة من نواحي اوربَّة حتى اناف عددهم على ٣٠٠,٠٠٠ وعُقدت حفلات عظيمة اطرأ فيها الكاثوليك محامد شفيعهم وعدَّدوا اعمالهُ الجبَّاريَّة في خدمة بلادهم وتنشَّطوا على مثالهِ لكل الاعمال الخيريَّة في سبيل الدين

ثم طفنا البلدة متنقلين من اسفلها الى اعلاها ومررنا على جسريها العجيبين وهما من اعمال الصناعة الناخرة الدالَّة على ذكاء مهندسها . والجسر الواحد طولهُ ٢٣٠ مترًا في

عرض ٦٠ وهو ممدود فوق وادي سارين وموثق بثلاث سلاسل ضخمة وكنّا نشعر ونحن نقطعهُ بارتجاجهِ واهتزازهِ الّا انهُ غاية في المكانة . امّا الجسر الثاني فقد اصطنعهُ الفرنسويون سنة ١٨٦٠ واصلحوهُ سنة ١٨٧٤ وهو اقصر من السابق لكنّهُ اعلى منهُ فانهُ يرتفع فوق الوادي على علوّ ٧٤ مترًا فيرى المجتاز عليهِ المُشاة في الوادي صغارًا جدًّا ويشاهد كل مدينة فريبورغ مع بعض اسوارها القديمة المحيطة بها

وفي فريبورغ دار تُحف تشتمل على عاديّات ثمينة عزيزة الوجود فتفقّدناها بشوق وكان الدليل يرافقنا ويشرح لنا ما تحتويهِ كل قاعة من النوادر . واغنى ما في هذه الدار عاديّاتها السابقة لعهد التاريخ من طور الظرّان اذ كان الانسان لم يتّخذ بعد الحديد والمعادن فيصطنع اثاثهُ واسلحتهُ من الصوّان والعظام وغيرهما وكذلك المستحجرات من النبات والاصداف فانها كثيرة مختلفة الاجناس غريبة الهيئات . هذا فضلًا عن هياكل حيوانيّة لبهائم قد فقد اليوم جنسها ووُجدت عظامها فركّبت على صورها القديمة على ادقّ منوال

وفي اصيل النهار ودّعنا فريبورغ وركبنا القطار متوجهين الى عاصمة كل المقاطعات السويسرية اعني برن ولا تبعد بالسكة الحديدية عن فريبورغ سوى نصف الساعة وفيها تقيم الهيئة الحاكمة وعمدة الجمهوريّة السويسريّة ورجال دولتها ورئيسها المسيو مولار . امّا عدد سكّانها فلا يزيدون عن ٦٧,٠٠٠ نفس

وجدنا برن مدينةً واسعة الشوارع غاية في النظافة وكنّا اذا خطونا بعض الخطوات وجدنا سُبل الماء يعارها التماثيل والمنحوتات الجميلة . وبرن كفريبورغ مبنيّة على آكام مرتفعة تمتدّ بينها الجسور لكنّ جسورها ليست معلّقة بالسلاسل ولها نهرٌ يمرّ بها اسمهُ آر (Aar) يتكوّن منهُ في مسيرهِ بُحيرتان جميلتا المنظر بُحيرة بريَنْز (Brienz) وتول (Thul) وفي وسط المدينة ساحة واسعة يزدحم فيها الناس لاسيما في ساعات الفراغ فيسرّحون انظارهم على مجرى النهر الذي ينصبّ قريبًا منهم بمياههِ الزاخرة على هيئة مهيبة وتعلو فوق رؤوسهم جبال الالب الشاهقة المدعوّة باسم بلدهم الالب البرنيّة (Alpes Bernoises) . وبازاء هذه الساحة ايضًا دار الحكومة وهي فخيمة فاخرة على ابوابها شعار بلاد سويسرة وشارات مقاطعاتها كلّها بالقسيفساء والحجارة الملوّنة

ويلي دار الحكومة شوارع يؤدي الى احواض وبرك عديدة فاجتزنا بهِ وسرنا الى

خارج المدينة حيث رأينا صيرًا واسعًا تُربّى فيه الأدباب الحيّة ولها خدَم يقومون بحاجاتها. امّا اعتناء البرنيّين بالدببة فلانّ شعار مدينتهم هو الدبّ وكانوا في القرون السالفة يصطادونها في جبالهم بين الثلوج الغرّاء التي تعلو فوق اطوادهم ويتخذون بلحمها. واليوم ترى صورة الدبّ مرسومة على ابوابهم وعلى قبعاتهم وملابسهم وعلى ازياء حكومتهم. ولتلك الادباب الحيّة حُفر تُقيم فيها وحولها درابزينات من حديد يتزاحم عليها الناس ليشاهدوا تلك الضواري وهم يلقون لها المأكولات فتثب عليها وتتلقّفها بحركات مضحكة

وبتنا تلك الليلة في برن ولمّا كان رأد الضحى في اليوم التالي ركبنا السكّة قاصدين السفر الى تون (Thun) وكان ذلك اليوم سوقًا لاهل برن تقاطر اليها القرويّون من كل فجّ ليبيعوا محصولاتهم ويبتاعوا بدلًا منها ما يحتاجون اليه من امور المعاش. وبعد ساعتين وصلنا الى محطّة شرزلبزن ونزلنا الباخرة التي عبرت بنا في بحيرة تون وهي بحيرة صقيلة المياه كالسجنجل تكتنفها الاعشاب والاشجار والخضر فتنعكس صورها في المياه. وامامها التلال والجبال التي منها ما تكسوه الثلوج المخلّدة بشملتها البيضاء. وكنّا نمرّ من حين الى آخر بازاء شلّالات تتساقط مياهها من اعالي الجبال فتطاير من حولها كالضجّة الكبيرة وترسم كل الوان قوس قزح وهي من ابهى مشاهد الطبيعة. ثم عدنا بعد ذلك الى السكّة الحديدية حتى وصلنا الى بحيرة برينتز وهي كبحيرة تون في مناظرها البديعة. وليس في سويسرة ابدع من هاتين البحيرتين ومن بحيرة لوسرن وفي فصل الصيف ترى السيّاح يتناوبون في زيارتها جماعات جماعات لا يكاد يخلو منهم يوم واحد

وفي بحيرة برينتز هذه تصبّ شلّالة شهيرة وهي شلّالة كيزباخ وهناك قرية تدعى بهذا الاسم ومياهها تتدفّق في بحيرة من علوّ ٣٠٠ متر وقد مثّلنا بمنظرها الابصار ونحن على ظهر السفينة والشمس تضرب عليها اشعّتها الذهبيّة. امّا في ظلام الليل فقد جهّز لها الاهلون اجهزة كهربائيّة اذا اوقدوها صبغت المياه بالوان زاهية لا يفي بحسنها وصف والغرباء في رحلهم يطنبون في جمالها

ونزلنا في قرية برينتز فنقلتنا سكّة حديديّة ضيّقة الاسلاك مسنّنة كسكّة لبنان فمررنا بين جبال واودية عميقة ونحن نسمع خرير المياه من كل جانب والانهار والجداول تخترق تلك الامكنة فتارة نطرب لرقرقتها وحينًا تصبّ مزبدة وصوتها كصوت الرعد

تتحدَّر من رؤوس الجبال. وهـذا المضيق تتناوب فيهِ المشاهد البهيَّة نرى على مدى البصر مناظر تسحر اللبَّ وتحيك في القلب وكان القطار يسير الهوينا فيسمح لنا بمعاينة تلك الرؤى الفتَّانة منها عدَّة بحيرات صغيرة وغابات وخمائل ومناجع القطعان فما كان لسانا يفتأ عن الشكر للخالق الذي نعَّمنا بهذه المحاسن

وكان وصولنا الى لوسرن (Lucerne) الساعة ٧ ونصف مساء يوم الثلثاء وهي حاضرة مقاطعة تدعى بها وموقعها على نهر روس (Reuss) الذي يقسمها الى قسمين يجمع بينهما جسران عظيمان. والنهر يخرج هناك من البحيرة بجلبة شديدة فيتحدَّر منها وينصبّ في نهر آر. امَّا البحيرة فتدعى ايضاً بحيرة لوسرن او بحيرة المقاطعات الاربع وهي مستطيلة تدخل مياهها في الاراضي والصخور فتتكوَّن منها الخلجان والرؤوس الصخريَّة بهيئات غريبة. وضواحي المدينة كثيرة الخصب جيدة التربة تتوفَّر فيها المراعي والبساتين والكروم

امَّا المدينة فمتوسطة الكبر واهلها لا يتجاوزون ٣٧٠٠٠ نفس لكنَّها انزه واجمل مدينة في كل مقاطعات سويسرة ليس فقط لحسن موقعها ووفرة مشاهدها الطبيعيَّة لكن ايضاً لمنازلها الفخيمة وبناياتها اللطيفة ولزخرف اهليها في الملابس والازياء المختلفة وفي مساء كل يوم تتألف فئات من الفتيان فيتناشدون الاغاني الوطنيَّة ويعزفون بالآلات الموسيقيَّة الى اواسط الليل

وتجوَّلنا في شوارع المدينة فرأينا فيها الناس كأنَّهم في يوم عيد تظهر في ملابسهم وحركاتهم امارات الفرح والنشاط. واكثرهم يسيرون الى الشارع المجاور للبحيرة فتبعناهم واذا هناك فسحة واسعة على جانبيها اشجار الكستنا الوارفة الاغصان تظلل تلك الباحة وبين الشجر جوقات الموسيقيين يعزفون بآلات الطرب. ومن تلك الساحة كنَّا نرى الجبال التي تحفّ بالمدينة اخصّها جبل يدعونهُ جبل بيلاطوس كثير الصخور صعب المرتقى يصعدون اليهِ بسكة حديديَّة سلسليَّة وعلى قمَّة الجبل مسارج للانوار يوقدونها اذا خيَّم الظلام على الارض وتتألَّق ضياؤها مشعَّة فترى عن بعد. وكانت القوارب البخاريَّة والسفن الصغيرة تتنقَّل بين الشواطئ وفيها الانوار الملوَّنة لكلّ سفينة نورها لتمتاز بهِ عن اختها. وكان مبيتنا تلك الليلة في منزل احد الاهلين في حجرة من طابقهِ الرابع اذ تعسَّر علينا وجود مكان فارغ في فنادق المدينة لكثرة الاجانب فيها

هيئنا صباح الاربعاء من الفراش لنتجوّل في انحاء المدينة لئلّا يفوتنا شيء من طُرَفها قبل فراقها. فممّا يستحقّ الذكر بعد مشاهدها الطبيعيّة صورة تمثال عظيم نُحت في الصخر يمثّل اسدًا ضخمًا نفذ فيه رمحُ صيّادٍ فصرعهُ وكاد يصرم حبل حياتهِ على انّ الاسد يجاهد بما بقي فيهِ من القوّة ويتلوّى ويزأر فيتأثّر الناظر لشدّة سطوتهِ وهول نظرهِ وانحلال قواهُ بفقد دمهِ. وامام الاسد شعار ملوك فرنسة زهرة السوسن دلالةً على سقوط آل بربون في سويسرة. وثم المرموز عنهم بهذا الاسد الهائل الذي طولهُ سبعة امتار وهو قائم في وسط كهف فسيح. وحول هذا التمثال مقاعد يجلس عليها الناس ليتأملوا دمية الحيوان (التتمة لعدد آخر)

قصة القديس ديونيسيوس الاريوباغي

ورسالتهُ الى ابولوفانيس

للاب بولس بترس اليسوعي من جماعة البولنديين

يعرف القرّاء ما رواهُ كتاب اعمال الرسل (١٧: ١٦—٣٤) عن بشارة القديس بولس الرسول في اثينا وتنصّر ديونيسيوس الاريوباغي على يدهِ مع امرأة تُدعى دامريس وآخرين معهما. فهذا غاية ما افادنا التاريخ الصحيح عن ذلك الرجل الشهير الذي كان يعتبرهُ قدماء الكتبة اليونان كاوّل اسقف لاثينا

على انّ الدلّسيين لم يكتفوا بهذه الرواية بل اصطنعوا باسمهِ عدّة تآليف اعلنوا بها لاوّل مرّة في المجمع الذي عقدهُ يستنيان الملك في القسطنطينيّة سنة ٥٣١ وقيل ٥٣٣ لاقناع اهل بدعة الطبيعة الواحدة من اشياع ساويروس الانطاكيّ. فاستشهد المبتدعون لتأييد ضلالهم باقوال نسبوها لديونيسيوس الاريوباغي. فللحال تصدّى لهم الآباء الكاثوليك وفي مقدّمتهم لاونسيوس البوزنطيّ وانكروا صحّة تلك الشواهد المزوّرة. لكنّ انصار البدعة المنوفيسيّة لم يكتفوا لاحتجاج الكاثوليك واخذوا في توفير نسخها فانتشرت تلك التآليف المصنوعة في جهات شتى على يدهم والمرجّح اليوم انّهم هم الذين الّفوها. ثم نقلوها الى السريانيّة اليعقوبي سرجيوس الراسعيني المتوفى سنة ٥٣٦

فزادت شهرتها واتسعت حتى خُدع بها الكاثوليك انفسهم واقبلوا على درسها ونسبوا ما فيها من الاقوال الشاذة لتدليس المبتدعين لكنَّ جوهرها اثبتوهُ للقديس ديونيسيوس. ومنهم القديس مكسيموس الشهيد الذي شرح تلك التآليف. اما اليوم فانَّ اهل الانتقاد اتفقوا على انها مصنوعة لاسيما الاب يوسف ستغلماير (J. Stiglmayr) اليسوعي الذي اثبت بالحجج الراهنة والبينات الواضحة انَّ تلك الاعمال وهي عبارة عن مقالات ورسائل لاهوتية انما وُضعت في اوائل القرن السادس ونُسبت زوراً الى القديس ديونيسيوس الاريوباغي المذكور في سفر اعمال الرسل. والكتبة لم يتفقوا حتى الآن في تحديد هذه التآليف وعددها وبحوصيا الاصلية التي وضعها الدجالون

وفي جملة تلك الرسائل المصنوعة الرسالة السابعة التي يقال انَّ ديونيسيوس وجهها الى القديس بوليكربوس اسقف ازمير (١) وفيها يذكرهُ بما جرى من الظواهر عند موت المسيح وكيف لاحظ كلاهما اذ كانا في هليوبوليس انكساف الشمس بتوسط القمر بينها وبين الارض وذلك على طريقة مخالفة لنواميس الطبيعة المألوفة وفي غير وقت القران ويحضُّ ديونيسيوسُ القديسَ بوليكربوس على ان يستند الى هذه المعجزة الباهرة ليفحم ابولوفانيس الفيلسوف الوثني وغيرهُ من المشركين الناكرين لحقيقة النصرانية

هذا ما رُوي في مجموع اعمال القديس ديونيسيوس السابقة للقرن التاسع. وفي اوائل هذا القرن ظهر في باريس راهب اسمهُ هيلدوين (Hilduin) أُقيم رئيساً على دير القديس ديونيسيوس في ضواحي عاصمة فرنسة فزعم انَّ ديرهُ يُنسب للقديس ديونيسيوس الاريوباغيّ وانَّ تلميذ بولس الرسول قدم باريس وبشّر فيها الايمان ومات شهيداً بقطع رأسه. وخلط بين ديونيسيوس المذكور وديونيسيوس آخر كان يكرمهُ اهل باريس منذ زمن قديم استشهد مع رفيقيه القديسين الوتاريوس وروستيقيوس. ثمَّ جعل الراهب هيلدوين يدرس الاعمال اليونانية المنسوبة لديونيسيوس الاريوباغي ويدافع عن صحتها وينقلها الى اللاتينية تعظيماً لشأن ديره. فشاعت على هذه الطريقة في اوربة اعمال القديس ديونيسيوس المزعومة كما انتشرت رواية استشهاد الاريوباغيّ في باريس. واعجب من ذلك انَّ اليونان

(١) اطلب اعمال آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. III, 1077-1083)

الذين كانوا قبل ذلك يجعلون ديونيسيوس كاوّل اساقفة اثينة ويروون وفاتهُ فيها ابدلوا تقليدهم الصحيح برواية هلدوين الكاذبة واشاعوا هذه القصّة في كتاباتهم واخصُّهم ميتافرست صاحب تراجم القديسين في القرن العاشر

ومن الاقاصيص الفريّة التي اثبتها هلدوين في مروياته عن القديس ديونيسيوس الاريوباغي رسالةٌ عنوانها « من ديونيسيوس الاريوباغي الى ابولوفانيس الفيلسوف » (Migne, PP. GG., III, 1119) بعد تنصّره يذكرهُ بعدّة اشياء من جملتها كسوف الشمس الذي رآهُ كلاهما اذ كانا في هيليوبوليس ولديونيسيوس من العمر وقتئذٍ نحو ٢٥ سنة. فهذه الرسالة باللغة اللاتينيّة رواها هلدوين ولم يعرف اصحاب النقد من اين نقلها. واليوم قد تعدّدت الدلائل على انّ هلدوين هو نفسهُ اختلق هذه الرسالة لكنهُ اخذ معانيها من رواية يونانيّة اشاعها بعض المدلسين على لسان ديونيسيوس الاريوباغي يذكر فيها قصّتهُ واخبار تنصّره. وتلك الرواية المصنوعة قد اخذتها يدُ الضياع في اصلها اليونانيّ لكنها نُقلت الى لغات أُخرى كما سترى

وفي خزانة المخطوطات السريانيّة في لندن نسخة خطّيّة موسومة بالعدد ١٢١٥،١ تحتوي ترجمة اعمال القديس الاريوباغيّ تاريخ خطّها سنة ٨٠٤ للميلاد وروايتها منسوبة الى احد كتبة اليعاقبة في القرن الثامن يدعى فوقاس الرهاويّ. الّا انّ الناسخ ألحق برواية فوقاس في الصفحة ١٧٣ خبر الرؤيا التي عاينها ديونيسيوس عند وفاة المخلّص في هليوبوليس مدينة مصر (Cat. de Wright, 496) وكذلك ورد هذا الخبر في نسخة أُخرى سريانيّة من المتحف البريطاني تحت العدد ١٤٦٤،٥ (Wright, p. 1113) فيقال انّ رؤيا ديونيسيوس جرت في مصر (ܒܡܨܪܝܢ ܕܗܘܬ ܠܗ)

فانّ الناسخ باثباتهِ لهذا اللحق بعد الرؤيات عن فوقاس الرهاويّ قد اشار الى انّ هذا الكاتب لم يعرفها في القرن الثامن كما انّ القديس مكسيموس الشهيد شارح ديونيسيوس الاريوباغي لم يلمح اليها مطلقًا في القرن السابع ولا ريب في انهُ يوجد علاقة ظاهرة بين هذه الرواية السريانيّة التي لم تُنشر بالطبع حتى الآن وبين روايتين أُخريين سنذكرهما آنفًا كما يتّضح من عنوانها ومن مطلعها واوّلها هكذا: « ܐܢܐ ܕܐܝܬ ܒܗ ܡܠܬܐ ܕܚܟܡܬܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܝܬ ܒܗ ܚܟܡܬܐ ܕܡܫܝܚܐ ، اي « انا يا محبّي تعليم الحكمة

الذي نُذرتُ لأكون منذ احشاء امي قربانًا لرئيس الشياطين »

ثم ظهرت سنة ١٩٠٠ ترجمة ثانية من قصّة ديونيسيوس الاريوباغي في اللغة القبطية نشرها مستشرق روسيّ يُدعى اوسكار فون لام (١ في نشرة المكتب العلميّ في بطرسبرج باللغة القبطيّة . وهذه الرواية كالقصّة (السريانيّة) على شبه ميسر ينطق به ديونيسيوس ويخبر بتنصّره بعد ما شاهدهُ من المعجزات عند موت المخلّص . وقد اتقن العلّامة فون لام طبع هذه الاثر القبطيّ واحاطهُ بملحوظات عديدة وانتقادات شتّى يشكره عليها كلّ محبّي اللغة القبطيّة والآثار اليمنيّة . وان قابلتها بالرواية السريانيّة المارّ ذكرها وجدتها هي هي لا تخالفها سوى في بعض اعراضها . وممّا يجدر بالنظر انّ ديونيسيوس في هذه الرواية القبطيّة يجعل رؤياهُ ليس في هليوبوليس مدينة مصر لكن في مدينة يدعوها ⲙⲉⲗⲓⲛⲁ (بملياخ) فلم يكتشف السبر فون لام سرّ هذا المسمّى وما هو حقيقةً سوى رواية قبطيّة لاسم بعلبكّ فانّهُ وجد في اليونانيّة هليوبوليس فعدل عن مدينة عين شمس في مصر المدعوّة هليوبوليس وفكّر في مدينة بعلبكّ الشاميّة التي تُعرف بالاسم عينهِ في اليونانيّة

وفي هذه الرواية القبطيّة ذاتها دليل على بدعة اليعاقبة الذين كما سبق لنا القول اصطنعوا اعمال القديس ديونيسيوس . فانّ في جملة الكلام المنسوب الى ديونيسيوس يقول الراوي انّ تلك المعجزات ولاسيّما كسوف الشمس انّما جرت « لسبب الاله الذي صُلب (٢ » ⲛⲓⲧⲁⲧⲥⲱⲙⲉ ⲉⲧⲃⲉ ⲡⲛⲟⲩⲧⲉ ⲛⲓⲧⲁⲥⲧⲁⲣⲟⲩ ⲙ̀ⲙⲟⲥ

وهذه العبارة كما لا يخفى هي شعار البدعة التوثيليّة ومذهب القائلين بتألّم اللاهوت (Théopaschites) كيوحنّا مكسنسيوس والرهبان المدعوّين بالاستوثيين الذين اثاروا في الكنيسة برأيهم الكاذب وذلك في نفس الزمان الذي ظهرت فيهِ اعمال القديس ديونيسيوس الموهومة

وبينما نحن نقلّب مخطوطات المكتبة الشرقيّة في كليّة القديس يوسف في بيروت وقفنا على كتاب عددهُ ١١٢ وهو يحتوي على سير بعض القديسين المخطوطة بالعربيّة

١) اطلب Von Lemm, Bulletin de l'Acad. Imp. des Sciences de St-Pétersbourg, sér. V, t. XII (1900) p. 267-306

٢) في التأليف السابق (ص ٢٧٠)

منذ نحو ٢٠٠ سنة منقولة عن روايات يونانية قديمة . وفي الصفحة ٢٠٨ من هذا المجموع « سيرة ابونا (كذا) ديونيسيوس الاروباجيتوس اسقف اثينا » فتصفحناها واذا فيها ذكر الخبر المروي في السريانية والقبطية عن سبب تنصر القديس ديونيسيوس ادرجهُ الراوي في سيرته وهو يبتدئ هكذا (fol. 104v) :

اعلموا ايها الاخوة المباركين والشعب المختارين انَّ العقل يتوق ويشتاق الى اظهار فضيلة الحكماء القديمين وحرص اللسان ان يلفظ بنفض (بعض) ما يكون من فضائلهم فسأل الرب معطي الحكمة للحكماء ان يرشدنا الى كشف (كشف) بعض فضائل هذا اعني ديونيسيوس القديس وعلمه (؟) الله .

ثمَّ يردف الكاتب كلامهُ بذكر بدء الكون وسيرة البشر الاولين وعبادتهم وصنائعهم ويتوسع في ذلك حتى يصل الى سيرة ديونيسيوس فيقول عن اصله ما حرفهُ : (fol. 108r)

ويجب عليَّ ان اهتمَّ بما قصدت ولا اشتغل بكثرة الكلام عمَّا طلبتهُ . وذلك عند ما اخبرتُ بمعرفة والد هذا الرجل الحسن الحكمة والاقتدار عمَّا بحكمته وعلومه . واني عبرتُ الى اثينا فعرفتُ انهُ رجلاً شريف زائد في الحكمة على اهل زمانهِ وانهُ في ذلك الوقت مدبر (fol.108v) البلد ومقدَّم عند جميع الرؤساء والحكماء واسمهُ كان سقراط

ثمَّ يذكر الراوي انهُ وُلد لسقراط هذا ابن دعاهُ ديونيسيوس وخرَّجهُ بالعلوم كما يليق برجل يُدعى سقراط وانَّ الولد برع في كلِّ العلوم حتى تولَّى رئاسة كهنة الاصنام لانهُ كان قد نذر به للآلهة قبل مولده . وبعد هذه الاوصاف ينتقل الراوي الى ذكر تنصر ديونيسيوس لكنَّهُ لا يرضى بان يخبر بها هو بنفسهِ بل يطلب من ديونيسيوس ان يرويها هو قائلاً :

واما الآن اخبر فاقول (fol. 109r) ادنو الآن ايها الحكيم وخبّرنا حقيقة امرك وما جرى بعد حصولك في بيوت الاصنام

فيلبي ديونيسيوس دعوتهُ ويروي ما جرى لهُ على هذه الصورة :

قال القديس الحكيم ديونيسيوس : افهموا ايها السامعين لاصف لكم حسن الحكمة لحبيبها . وذلك اني تدرعت في معرفتها زماناً ما . ولاجل شتى لها قاومت بها جميع الحكماء . دعتني الحكمة فاجبتها وانها انجدبت مني وفي بعض الاعيان دخل اريوس باغوس الى بيت الالهة ولاجل انهُ هو كان اركون الشباطين دخل الى بيت الالهة ليفتقد البيت وخدمة الكهنة لها . ولمَّا نظر الى اعتناي وحسن

خدمتي عند ذلك ادعاني وسألني عن اسمي وعن والدي. فاخبرته اني من اثينا ابن سقراط المعروف واني قد نذرتُ للالهة. امر كهنة الاصنام بالاهتمام بي وان يسلموني (يسلموني) جميع صنوف الحكمة. فسلموني الى ديوكراطس رئيس الفلاسفة فاجهد نفسه في تعليمي. وعرفت مدخل الحكمة ومخرجها وعرفت ما في اسفل والعلو معرفةً (fol. 109v) بينة وعرفت مبلغ النجوم والساعات. . . وبلغت ايضاً الى الغاية في سفر الاسطرونوميا وكنت اقرّي باقتدار بين الحكماء وعبرت الحكمة مراتب الفلاسفة

ففي بعض الايام خرج من الاركون ان يُبنى في اثينا بيت كبير للحكيم اريوس باغوس. فلما بني وتم (ثم) اجتمعوا اهل اثينا ليقربوا ذبائحهم وكان مكتوب على بعض الدكك التي برسم الذبائح «الاله الخفي هو رب الالهة». فلما دخل اريوس باغوس الى بيت الالهة امر ان يحملني رئيس القضاة ولما تحققوا ذلك اهل اثينا فرحوا بي فرحاً عظيماً. وفي بعض الاوقات اجتمعوا اهل مدينة (fol. 110r) اعني بعلبك واصطبوا الصنم المسمى مرانيون ودفروا عنقه فارتج البلد بسببه فاشفقوا على الكاهن الذي رماه وكتبوا الى اثينا بسببه. فلما وقف اريوس باغوس على تلك الامر امر الاركون ان ينفذوني الى مدينة الشمس لافصل ما جرى من امر الصنم. فمضيت مثل ما امرت الى المدينة الشمس فاضطرب البلد لقدومي واجتمعوا كافة البلد وجميع الرؤساء من المدن والقرى المحيطة بها واتهم وردوا لاجل الحكومة وشاهدتها (كذا) التي انا مزمع هناك احكمها. ثم اني امرتهم ان يزينوا الاسواق وان يجتمعوا في الغد الى مجلس الحكم. فبكروا كافتهم واني جلست على الكرسي الذهبي وكافة الرؤسا والاكابر والكهنة والاساكفة والفلاسفة قيام ولم آمر احد منهم بالجلوس وذلك ليكونوا متيقظين في خدمة الالهة. ثم اني اظهرت احكام الحق بناموس مستقوم كما يجب على الحاكم العادل. فلما كانت الساعة (fol. 110v) السادسة والشمس في وسط الدرجة واعين الكل ناظرة اليّ كيف افصل الحكم. وكان ذلك الوقت تألم السيد المسيح اذ الارض قد تزلزلت كلها بغتة واظلمت الشمس والاصنام كلها تساقطت وتكسرت. واقامت ثلثة ساعات. فلما انكشفت الظلمة سجدوا الكهنة وكافة الرؤساء وجماعة الحاضرين لديّ وسألوني عمّا حدث في العالم. عند ذلك اخذت سفر الاعداد وجزتُ في طريق الشمس وابواب الضو واشرفت على كافة البروج فلم اجد سبب ذلك التغيير. . . (fol. 111r) . . عند ذلك تحيّرت وخفتني الحيرة عن احد سبب اضطراب الاستقصات. وكانت الافرن (؟) تكدني وتثاقل فكري فاستغثت (فاستغثت) بالحكمة لتدلني وترفقني على الحقايق فاجابت وقالت لي: ان هذا السبب الذي تطلبه ايها الحكيم ليس هو في العلو ولا في العمق فاجهد نفسك بطلبه ان كنت حكيم واجتاز في سفر الافلاك فانك تجد حاجتك. عند ذلك امرت تلميذي سقلابيوس ان يحضر في سفر الافلاك وهو الاسطرونوميا واقبلت واعبر الارض (fol. 111v) بين يدي فاذا اني قد رايت رجلاً وهو مصلوبٌ في وسط الارض وهو معلق على خشبة فوق راسه لوح مكتوب فيه خفياً ان هذا الاله الخفي نزل الى الارض سرًّا وظهر من عذراء متجسد وهو خالق كافة البرايا المنظورة والغير منظورة. وصالبه من افراط جهلهم مايوه بغير معرفة. فلما نظرت الى ذلك وددت يدي الى ثوبي فشققتهُ. فلما نظروا الكهنة والحكماء الحاضرين مني هكذا الفعل تحيّروا ثم انهم دنوا مني وسألوني بان اعرفهم ما هو هذا الامر العظيم الذي حدث في العالم

مثل هذه الحوادث فاوحيت اليهم بيدي ان لا يتكلم احد شيئاً وقلت وانا باهت: اهتموا ايها الحكماء ولا ترتابنَّ افكاركم لان الحق قد ظهر فلم نتعب يا قوم بالباطل الاله الخفي عن العالم قد نزل الى الارض باختياره وتجسد وصلبوه اهل خاصته وهم لا يعلمون لاجل طغيانهم في تانسه ومن (fol.112') اجل هذه الجهة اظلم النور وامتزت الارض وتغيرت الاستقصات ثم اني عند ذلك ورخت اليوم والساعة والوقت والشهر والسنة واحتفظت به ليعرف في الدهور الاتية

وبعد ذلك الوقت باربعة عشر سنة ورد الرسول بولص المكرَّم ليكرز في اثينا. لما سمعوا كرازته اختبط البلد وذلك انهُ كان يقام باقتدار ويخبر بالصليب فاجتمعوا كافة الناس والرؤساء واتوا اليَّ قائلين ان انسان غريب قد ورد الى مدينتنا وهو رجل مشبه ولهُ منظر وقد بان لنا من كلامه انهُ من اهل الحكمة والفلسفة وقد ادهش الناس من كلامه ومناداته وانهُ يذكر علم ليس نعرفهُ وهو معجز وذلك انهُ يكرز لنا بالاله مصلوب ويستجديا اليه والى عبادته ويبعدنا عن الذبايح والقرابين. ولاجل ذلك وردنا عليك لكي تدبر بنا ما يقتضي رايك. فلما عرفوني ذلك امرتهم ان يكثروا المادبين وليجتمعوا الناس كافة وجاءت (fol. 112') انا في اعلا المراتب على الاذان وامرت الحكماء وجميع الفلاسفة والكهنة واكابر الدولة الجلوس. ثم اني انفذت واستحضرت بولص وامرت بان لا يتكلم احد من الناس. فلما دخل امرتهُ بالكلام وانهُ يظهر كلام كرازته فابتدا هذا المختار بالروح القدس باقتدار وحرارة بلا فزع وبغير جزع وقال: اني اراكم يا اهل اثينا افضل من جميع الامم بعبادة الشياطين وفي بعض اجتيازي على بعض البيوت والدكك رايت مكتوباً «الاله الخفي» وهو الذي اكرز لكم وهو الذي تسجدون لهُ ولا تعلمون وانا اشتهي ان تعرفوه بالحقيقة وهو الذي . . . صعد على الصليب واحتمل الالام بجسده لخلاص العالم وخلص بني البشر من عبادة الشياطين وتالمه تالمت الاستقصات. اظلمت الشمس وتزلزلت (fol. 113') الارض وتشققت الصخور وسقطت الاصنام وتكسرت. فلما ذكر الصليب والاستقصات ذكرتُ ما جرى وانا في مدينة الشمس فامرت تلميذي سقلابيوس الذي كان معي في مدينة الشمس بان يحضر لي ذلك التذكار من ذلك الوقت. فلما احضره لي فتحته وقراته لدى كافة الرؤساء وسألت القديس بولص عن الوقت واليوم والشهر والسنة وفي اي برج كانت الشمس وفي كم درجة وكم كان في الهلال فقالها فخرج قوله كما كان معي في ذلك التاريخ فتحققت ان المصلوب هو الاله المبدع لكل المخلوقات. فلما سمعت ذلك ما تمالكتُ ذاتي بل اعترفت وامنت بالامانة واعتمدت من يد القديس بولص انا وجميع اهل اثينا وانهُ اضاف اليَّ الكهنوت فشكرت الله الذي اهداني بالحكمة الى معرفة الحق واعطاني ايضاً بالحكمة سلطان الامانة . . .

فمن اطلع على هذه الرواية وجد حالاً ما بينها وبين النصَّين (السرياني) والقبطي من التشابه وجزم ايضاً بانها مثلهما منقولة عن اصل يوناني لوفرة الفاظها المعرَّبة من اليونانية. امَّا تاريخ ذلك الاصل اليوناني المفقود فقد قلنا انهُ متأخر عن زمن القديس مكسيموس الشهيد وعن فوقاس الرهاوي اعني بعد القرن السابع واواسط الثامن

لكنهُ سبق الربع الاوَّل من القرن التاسع لوجود ترجمة سريانيَّة منهُ تاريخها ٨٠٤

ولعلَّ سائلًا يسألنا الآن وهل يوجد علاقة بين رسالة الراهب هلدوين المرسلة الى ابولوفانس والرواية اليونانيَّة التي عنها صدرت الروايات المذكورة في (السريانيَّة) والقبطيَّة والعربيَّة ؟ الجواب على ذلك انَّ العلاقة بينهما واضحة لكنَّنا نرتأي (اوَّلًا) مع معظم الكتبة حتى المدافعين عن صحَّة اعمال ديونيسيوس بانَّ هذه الرسالة زور ليست صحيحة. ونرى (ثانيًا) مع بعض ارباب الانتقاد الذي ينكرون صحَّة تآليف ديونيسيوس الاريوباغي بانَّ مصطنع هذه الرسالة هو غير المزوِّر لبقيَّة اعمال ديونيسيوس. ونرى (ثالثًا) انَّ الرسالة الى ابولوفانس ليست منقولة من اصل يونانيّ ضائع (١ لما يوجد من التوافق بين احدى عبارات هذه الرسالة وشروح القديس مكسيموس على اعمال ديونيسيوس اعني تاريخ حياة القديس ديونيسيوس المذكورة في الرسالة الى ابولوفانس وفي الشروح المذكورة فانَّ كليهما يقول انَّ ديونيسيوس لمَّا عاين كسوف الشمس العجيب عند وفاة المخلِّص كان عمرهُ نحو خمس وعشرين سنة (٢ الَّا انَّ هذا ليس بكافٍ لأن نجزم بانَّ القديس مكسيموس عرف رسالة ديونيسيوس الى ابولوفانيس اذ لو عرفها لأشار في رسالته الى بوليكريوس الى ما فيها من التفاصيل عن الظواهر التي حدثت في موت المسيح. هذا فضلًا عن ادلة أُخرى نضرب عنها صفحًا لما تحتاج من الايضاحات المسهبة

وعندنا انَّ الرسالة التي رواها الراهب هلدوين عن لسان ديونيسيوس الى الفيلسوف ابولوفانيس بعد تنصُّره ليست نقط مختلقة بل هي من تصنيف هلدوين نفسه وذلك للاسباب الآتية: (اوَّلًا) لانَّ هلدوين كاتب لا يُوثق به وقد روى غير ذلك من النصوص التي يتَّفق علماء زماننا في نبذها ونسبتها لهُ. (ثانيًا) لأن هذه الرسالة لم يعرفها احد قبلهُ من الكتبة المتعدِّدين الذين اهتمُّوا منذ القرن السادس الى

---

١) اطلب مجموع الآباء اليونان لمين Balth. Corderius s. j. ap. Migne, PP. GG. III, 1121-1122 note 64

٢) هكذا ورد النصّ في شروح القديس مكسيموس Maximi Scholia, Migne, PP. GG. IV, 573: Ὑποθώμεθα (var. ὑποθῶμεν) δὲ τὸν θεῖον Διονύσιον ὅτε τὰ ἐπὶ τῷ σταυρῷ τοῦ Κυρίου εἶδον εἶναι κἀ ἔτον, ἅτε οἶμαι ἔτι ἀναγινώσκοντα

التاسع بدرس اعمال ديونيسيوس . ولم يشيروا اليها البتّة . (ثالثًا) لأنّ في هذه الرسالة عدّة اشارات الى الرواية اليونانيّة التي منها نُقل خبر رؤيا ديونيسيوس وبقيت آثارها في الروايات الثلث (السريانية) والقبطيّة والعربيّة التي وصفناها فلا غرو انّ هلدوين اطّلع على تفاصيل هذه الرؤيا وجمع بينها وبين الرسالة الى بوليكربوس المنسوبة الى القديس ديونيسيوس فاصطنع منهما الرسالة التي زعم انّها وجّهت الى ابولوفانس . وممّا يحقّ له النظر انه ذُكر في الروايتين العربيّة والقبطيّة المنقولتين عن اليونانيّة انّ ديونيسيوس دوّن بالكتابة ما لحظهُ عن كسوف الشمس وان سبب تنظّره انّما كان ما وجدهُ من الموافقة بين ملحوظاته عن الشمس وما سمعهُ من بولس عن موت المسيح وقيامته . وهذه الرواية منقولة بصورتها في ترجمة حياة ديونيسيوس التي اتى بها هلدوين في اللاتينيّة (١ فهذا التوافق في الرواية وغير ذلك من الادلّة التي لا يسعنا هنا تفصيلها ترجّح قولنا بانّ واضع تلك الرسالة هو هلدوين ليس غيرهُ لانّ مثل هذا التوافق في الرواية يدلّ على نقل احد النقلة . وليس لدينا حجّة لنسبة هذا العمل الى مدلس آخر سبق هلدوين سواء كان يونانيًا او لاتينيًا فوضع هذه الرسالة الى ابولوفانيس . ولو وجدت نسخة شرقيّة تروي تاريخ حياة ديونيسيوس اي سنّ ٢٥ سنة يوم رصدهِ للشمس في هليوبوليس لأضحى الامر راهنًا لا ريب فيهِ البتّة (٢

---

١) اطلب مجموع اعمال الآباء اللاتين : Migne, PP. LL. CVI, 36 (Hilduinus : Vita S. Dionysii) : Cum diem annumque annotassem et tempus illud cum eo quod Paulus annuntiaverat signis conclamantibus, concordare sensissem, tum et veritati manus dedi et me falsitatis nexibus expediui نترى انّ هذا الكلام انّما هو تفصيل مسهب لما ورد في الرسالة الى بوليكربوس . واعلم انّ الشكار الارمنيّ الذي نقل هذه الرواية عن اصل يونانيّ لا يذكر كما في الروايات الاخر انّ ديونيسيوس دوّن رصده لكسوف الشمس ووضعهُ في سجلات اثينا وهناك يقال فقط انّ اهل اثينا اقاموا لسبب هذه الحوادث هيكلًا للاله المجهول الذي ذكرهُ القديس بولس في خطابهِ لهم ا[*զոմն ոչ ասացեալ կռապկոյին բարձեալ մի անծանաւոր Աստուծոյ և զպակոյին ի վերայ [illegible] անծանաւորին Աստուծոյ և բարձեալ* (Haismavourkh, ed. 2°, 1730, p. 104 ; cf. p. 99)

٢) وقد علمنا بالمسرّة انّ احد المستشرقين العلّامة كوغنر (M. - A Kugener) سينشر

فترى انَّ الترجمة العربيَّة افادتنا لتزييف بعض مرويات هلدوين . الّا انَّ في القسم الثاني من هذه الترجمة تفاصيل عن حياة القديس ديونيسيوس ورحلته الى فرنسة واستشهاده على عهد دومطيانوس القيصر الروماني ما اخترعهُ هلدوين ثمَّ شاع في الشرق بعد شيوعه في الغرب ونقلهُ الشرقيّون دون تروٍّ . وبين هذه التفاصيل انَّ القديس ديونيسيوس وصل الى « مدينة باريسية » (fol. 119v) وانَّ الحاكم قضى عليه بقطع الرأس مع رفيقيه الوثاريوس وروستيقوس فلمّا قطع السيف هامتهُ حمل القديس تلك الهامة بين يديه وسار بها الى بيت امرأة تدعى قاطولة (fol. 119v) التي اسرعت لدفن الشهداء . قال :

ووضعت قاطولة السيدة اجسام الشهداء في بيت من البيوت الطيّبة لثلثة ايام سلمت من تشرين الثاني ولم تزل الجانب حسنها ولدغا (كذا) تعبض من اجسام الشهداء بغزارة عين من العيون الجارية مثل ربنا والاهنا الخ (fol. 120)

فكلّ هذه التفاصيل الاخيرة هي من اختراع هلدوين الراهب في القرن التاسع امتدَّت من الغرب الى الشرق حتى بلغت ناقل هذه الترجمة العربيَّة . وقد جرت بين العلماء في ذلك مجادلات عنيفة فكانوا بين مصدّق ومكذّب حتّى قام الاب اليسوعي كورنيليوس دي بي (de Bie) من جماعة البولنديين (Acta Sanctor., Octobr. t. IV. p.753 - 767) فاثبت بالبراهين اللامعة انَّ هذا التقليد عن استشهاد القديس ديونيسيوس الاريوباغي في باريس لا صحّة لهُ وانَّ الشواهد القديمة للكنيسة اليونانيَّة تبيّن وفاة القديس في اثينة وهو اسقف عليها فكان حكمهُ فصلاً وبهِ بطلت تلك الاقاصيص التي اختلقها هلدوين . ويوافق تقليد الكنائس الشرقيَّة تقليد الكنيسة اليونانيَّة . وفي فكرنا ان نجمع قريباً تلك الروايات فتزيد الامر ايضاحاً

عمّا قيل في مجلة الشرق المسيحي ترجمتين سريانيّتين للقديس ديونيسيوس مرويّتين عن لسان
cf. F. Cumont. Comptes rendus de l'Ac. des. Inscript. et Belles Lettres

الدين والدنيا في عام ١٩٠٨

نظر اجمالي للاب لويس رترفال اليسوعي (تابع لما سبق)

٢ العالميات في عام ١٩٠٨

كما امتازت سنة ١٩٠٨ بأحداثها الدينية كذلك اصابت في عالم السياسة مقاماً خاصاً وما لا يختلف فيه اثنان انَّ العام المنصرم كان مبدأ طور جديد في سياسة الدول. حينما ألقينا النظر وجدنا الامم الكبرى في غليان وحركة وكأن بزعمائها يطلبون لشفرتهم حزاً وخطتهم مجازاً يسلكون فيه فتارةً يشيرون الى الحرب وتارة نستروح من كلامهم رائحة السلم وحيناً يصرفون الهمة الى المعاهدات الدولية. فماذا يكون من هذا القيل والقال فالله اعلم به لانَّ لهُ وحدهُ عزَّ وجل التدبير وليس للانسان سوى الحدس والتفكير. أما نحن فلا يسعنا سوى تدوين اهمّ الاحداث التي جرت في العام الماضي

وما يقال عن السنة ١٩٠٨ اجمالاً انها افتُتحت على طالع مشؤوم فان الازمة المالية في اميركة كانت ضربت اسواق العالم العظمى ضربةً اليمة. وانَّما نكايتها في القطر المصريّ كانت اشدّ واوجع حتى انَّ حالة مصر المالية الى الآن لم تزل في حيص بيص وارتباك. امَّا اميركة فانَّ القوانين الصارمة التي وضعها الرئيس روزفلت صدّاً للاحتكارات والمضاربات المالية اعادت للمعاملات التجارية بعض الثبات والثقة

وكذلك بلاد اليابان كان ينوء عاتقها تحت ثقل ازمةٍ اقتصاديَّة بالغة وهي مع ذلك لا تعلم كيف تنتهي مسألة المهاجرين من ابنائها الى اميركة. الَّا انَّ هذه الأزمة قد حُلَّت على طريقة لم تكن في الحسبان كما سترى. امَّا الازمة المالية فتلافتها الدولة اليابانيَّة اذ باشرت بعدَّة مشروعات من شأنها ان تأخذ بناصر الاقتصاد الوطني وتمنع دنمةً ثانية وقوع النكبة التي أُصيبت بها في اثر حربها مع روسيا. واخصُّ هذه التدابير التي استعانت بها تُقللها لبرنامج حربها بانقاص التسليحات. وبفعلها هذا قد قدَّمت لارباب الامر مثالاً محموداً وقدوةً صالحة يتمنَّى العقلاء لو اقتست به الدول الاوربيَّة. وقد فعلت انكلترَّة فعلها بخفضها لمبالغ ميزانيتها منذ ثلاث سنوات حتى بلغ اقتصادها في

هذه المدة مليارًا من الفرنكات ومع هذا فانَّ مجلس الأمة لا يشاء البتة ان تفقد انكلترة سيطرتها على البحار

وهنا امرٌ آخر يجدر بنا ذكرهُ في مقدمة كلامنا عن وقائع السنة ١٩٠٨ وذلك هو العلاقة بين ثروة الدول وسياستها. فهذه دولة اليابان فانَّها في اوائل السنة ١٩٠٨ كانت تبرق وترعد والكلّ ينتظرون ثورتها في ساحة الوغى لمحاربة الولايات المتحدة. فما مرَّ عليها الشهر حتى خمدت جمرتها وسكنت ثورتها وتصافحت الدولتان وتعاهدتا. والسياسيون مجمعون على انَّ اليابان لم تعمد الى هذا التغيير الّا خوفًا من تهوّرها في ورطة تبيد ماليتها وتمحقها. والدليل على ذلك ما باشرته من الاصلاحات في تعديل ميزانيتها

وكذا يقال عن المانية. فانَّ امبراطورها غليوم الثاني في مطاوي السنة المنصرمة ازعج العالم بخطبه الحماسيَّة التي كان يُشتمُّ منها رائحة البارود ولعلَّهُ لم يكن ليكتفي بالقول بل وحدَّث بجيوشه لمحاربة الفرنسويين لولا علمهُ بثروة فرنسة التي تفوق على مالية الالمان

ولكن دعنا الآن من هذه الاعتبارات وهيَّا بنا نلخص الماجريات السياسيَّة في السنة المنقضية

ترجع احوال السياسة في السنة ١٩٠٨ الى ثلاثة امور شغلت الدول دون سواها. الاوَّل أحداث مراكش والثاني انقلاب الهيئة الحاكمة في تركيا. والثالث خصام اليابان مع اميركة ومع الصين. ونحن نباشر بهذا الامر الاخير لننتهي من ذكر الشرق الاقصى

اما اختلاف اليابان مع اميركة والصين فانَّ معاداة اميركة لليابانيين ظهرت منذ بضع سنين فانَّ الولايات المتحدة ولاسيما اهل جزائر هوايي والفليبين وسواحل الاوقيانوس الهادئ وسان فرنسيسكو كانوا يشكون المزاحمة اليابانيَّة في بلادهم وينسبونهم الى الترفُّع والعتوّ اذ يطلبون المساواة بالحقوق مع الوطنيين في كلّ الدوائر العموميَّة والامتيازات الاهليَّة من تجارة وبحريَّة وتهذيب رسمي في المدارس ومن ثمَّ كان الاميركيُّون يلحُّون على ارباب الامر بان يسنُّوا قانونًا ينفي المهاجرين اليابانيين من تلك الامتيازات. فجرى في ذلك بين الدولتين عدَّة مفاوضات كانت تزيد حدَّةً يومًا بعد آخر حتى توقَّع الناس انتشاب الحرب لاسيَّما بعد ان انحر الاسطول الاميركيّ في وجهة الاوقيانوس الهادئ. وكان الرئيس روزفلت أشعر بنيَّتهِ العدائيَّة منذ شهر تشرين

الاوّل من السنة ١٩٠٧ حيث قال : « لا تنتصر امّةٌ الّا اذا ضربت ضربةً قويّة ولا نستطيع ان نضرب الّا بحريّتنا » . فلما سار الاسطول الاميركيّ قاصداً الاوقيانوس الهادئ في نيسان اجمع السياسيّون على انّ الحرب لا مناصَ منها

وليس هنا المقام لتفصيل اخبار تلك الرحلة وسير الاسطول الاميركيّ . والامر المقرّر انّ اليابان بعد التهديد والوعيد اخذت تلطّف كلامها بل ابدلتهُ تماماً حتى جعلتهُ ولائيًّا ولمّا وصل الاسطول الاميركيّ الى سواحل اليابان لم تُطلَق المدافع الّا للمظاهرات الحبيّة . وكانت اليابان هي المتقدّمة في طريق التساهل والتوادّ والمظنون انّها لم تفعل ذلك الّا صونًا لماليّتها وتثبيتاً للاصلاحات الاقتصاديّة التي قرّرتها . ولعلّها غيّرت خطّتها ايضاً لما حدث بينها وبين الصين من النزاع . وعلى كلّ حال انّ اليابانيين لم يدّخروا وسعاً في حسن استقبال السُّفن الاميركيّة حتى غلب على ظنّ الدوائر السياسيّة بانّهُ عُقدت معاهدة بين الدولتين . فلما وصل الاسطول الى مرسى يوكوهاما في ٥ تشرين الاوّل رحّب اهل اليابان بالامريكيّين وزيّنوا المدينة لاكرامهم بالانوار وقضى الاتصار وانزلوا الاميرال سيارّي وعمدة ضبّاطهِ في بلاط شيا الامبراطوريّ واقلّوهم في العجلات الملكيّة وتشدّدوا على كلّ من ينطق في حقّ الاجانب بكلمة سوء . كما انّهم اسرعوا ترضيةً لخواطر الاميركيين في ان يعدلوا بالمهاجرين عن السير الى الولايات المتحدة بل الى جزائر هوايي نفسها . واليوم قد هبط عدد المهاجرين الى اميركة بنسبة اربعة اخماسه في السنين الماضية رغماً عن ازدياد المواليد في اليابان الى نصف مليون في السنة

امّا النزاع بين اليابان والصين فلم ينتهِ حتى الآن . وكان سببهُ ضبط الصينيّين في ٥ شباط ١٩٠٨ لباخرة يابانيّة تدعى تاتسو مارو وجدوا فيها اسلحةً مهرّبة . فاحتدم اليابانيّون غيظاً وارسلوا اسطولاً مركّباً من ستّ دوارع ليطالب بالسفينة المستصفاة فدخل مرسى آموي في ٢٥ آذار وارسل الى ذوي الامر البلاغ الاخير فاضطرّ الصينيّون بردّ السفينة لكنّهم ادركوا ثأرهم من اعدائهم بمصادرة بضائعهم ونهبوا مخازن الصينيين المحتوية على سلع يابانيّة ومذ ذاك الحين قد جاهر اهل الصين على رؤوس الملإ بعداهم الوطنيّ « الصين للصينيين » . والحال بين الدولتين لا تزال حرجةً وقد كثرت بينهما الحوادث المكدّرة والدعاوى الاختلافيّة في ثغور البلاد في منشورية وكورية .

وقد زاد تحمّس الصينيين منذ بشّر ولاة الصين باعلان دستور نظاميّ للاهالي وذلك بعد وفاة ابن السماء الامبراطور كوانغ سي الذي ولد في ٢ آب من السنة ١٨٧٢ وكان يتولّى الملك منذ السنة ١٨٨٩ الّا انّ الضابطة لعنان الامر كانت خالتهُ الامبراطورة تسوهي التي كان مولدها سنة ١٨٣٤ وقد وقعت وفاتها يوم وفاة الامبراطور. امّا الملك الجديد فهو ولدٌ عمرهُ سبع سنوات فقط. ولا بدع انّ ذلك ممّا يزيد الامور خطرًا وارتباكًا مع كثرة الاحزاب السياسيّة في الصين

دَعنا نعود الى اوربّة على طريق الهند فنلتمح الى ما جرى هناك. يظهر انّ الهنود يستثقلون النير البريطانيّ فيحاولون خلعهُ عن رقابهم وقد استنجدوا لهذه الغاية بالافغان ففي ٥ من شهر ايار حصلت مناوشات بين الجنود الانكليزيّة والجيش الافغانيّ الذي جاء لناصرة المتمرّدين. وقد دحر الانكليز عسكر الافغان لكنّهم اصيبوا بخسائر تُذكَر. وممّا يدلّ على اضمحلال عقال الفتن في الهند قتل الاهالي في كالكوتا نائب الحاكم في اقليم بنغال السير اندرو فرازر في ٧ تشرين الثاني. وقد افادت أنباء أخرى انّ الفتن تمتدّ في جهات غيرها. وكذلك حصلت في بباي اعتصابات اقلقت الحكومة في اواسط تموز. وزد على هذه النكبات فيضانًا كبيرًا اردى بحياة خمسين الفًا من البشر جرى هناك في غرّة تشرين الاوّل

٢ ﴿ حوادث مرّاكش ﴾ بدت الحرب المرّاكشيّة ضئيلةً وكان البعض يرتأون انّ البعثة الفرنسويّة هناك لا تتجاوز مظاهرةً عسكريّة فتتمّ بعد اسابيع قليلة. لكنّ الامر لم يزل يتفاقم حتى قامت الحرب على ساق. وكان افتتاح القتال في ١٤ كانون الاوّل سنة ١٩٠٧ وفي ١٥ منهُ جرت واقعة في عين صفا فجُرح ١٣ جنديًا فرنسويًا. وفي ٢٢ ثار اهل فاس ونهبوا المخازن. وفي ٢٧ اقامت الحكومة الفرنسويّة لقيادة الجيش الجنرال داماد (d'Amade) بدلًا من الجنرال درود (Drude) ابن احد اللبنانيين نزيل مرّاكش كان ابوهُ تركهُ صغيرًا في تلك البلاد فربّتهُ راهبات المحبّة وتجنّس بالجنسيّة الفرنسويّة. وفي ١١ كانون الثاني عُزل السلطان عبد العزيز واقيم عوضًا عنهُ اخوهُ مولاي حفيد. فتحضّر السلطان الجديد لمحاربة الفرنسويين ونادى بالجهاد في ١٦ منهُ واعلن بسلطتهِ في مكناس بعد يومين

ومذ ذاك الحين تعددت الوقائع الحربيّة بين مولاي حفيد والفرنسويين فجرت

في شباط اربع معارك خسر فيها الفرنسويون نحو خمسين من القتلى وجرح نحو المئة. وحدث في اثنائهِ انفجاران على سفينتين راسيتين في طنجة ومزاغان وهما جان درك وديكرت جرح بهما عشرون جنديًا. وكذلك تراكمت الثلوج على فرقة الضابط ايتران (Etrang) وساورتها الانواء. فتقدت ٣٤ من رجالها

وكان الجنرال داماد في اثناء ذلك قد استولى على ستات وتأهب لوقائع جديدة. فاستأنف العدوّ في ٢٩ اذار القتال الذي انجلى عن ٩ قتلى و ١٢ جريحًا. وفي ١٦ نيسان باغت مولاي حسّان الفرنسويين في مصلّبة فقتل منهم ٢٨ وجرح مئة. وكانت آخر وقيعة في ١٣ أيار في اني ذنيب قتل فيها ١٣ فرنسويًا منهم ٣ ضباط وجرح ٦٣ نفرًا وفي اثر ذلك هدأت الاحوال نوعًا

وكان مولاي حفيد قد اكتسب شهرةً في اعين قومهِ لقيامهِ بازاء الفرنسويين فزاد نفوذهُ وعظم شأنهُ. وفي ٩ من حزيران دخل بأبهة ورونق فاس مدينة مراكش المقدّسة. وفي ١٤ منهُ أُعلن بهِ رسميًا كسلطان في القصر. وما لبث ان اوفد نوّابًا من قبلهِ الى الدول الاوربيّة ليستطلع طلبها الّا انّ فرنسة لم تقبل الوفد المراكشي بخلاف المانية

ومذ ذاك الحين دخلت المسألة المراكشيّة في طور جديد فانّ المانية التي كانت صادقت على معاهدة الجزيرة واقرّت بحقوق فرنسة في تقويم الميل واصلاح الخلل عدلت عن خطّتها ورأت في نهضة مولاي حفيد عقبةً كؤودًا في طريق فرنسة عدوّتها فجعلت تعضدهُ وتشدّد ازرهُ حتى بلغ الامر بغليوم الثاني أن يطلب من الفرنسويين أن يعدلوا عن السلطان الشرعيّ عبد العزيز ويعترفوا لاخيهِ بالولاية. فاخذ العجب كثيرين من مندوبي المجلس الفرنسويّ وجاهروا بمناهضة تلك الدسائس في جلسة ١٨ حزيران الّا انّ العدد الاعظم بينهم فضّلوا مجاملة امبراطور المانية بل لاموا في ٣ تموز الجنرال داماد لاستيلائهِ على ازمنور وبقيت فرنسة مع هذا مواليةً لعبد العزيز

وفي غضون ذلك تغيّرت الاحوال السياسيّة في تركيا فشُغلت بها الخواطر عن المسألة المراكشيّة التي خمدت مدّةً حتى أجج نارها الامبراطور الالمانيّ بخطبهِ التي اذهلت اهل بلادهِ انفسهم. وعاد الاخوان عبد العزيز ومولاي حفيد الى حربهما فدارت رحاها على عبد العزيز في ٢١ منهُ فولّى هاربًا. اما مولاي حفيد فدخل طنجة

وأعلن بسلطته فيها وفي ٢٣ منهُ انبأ بها الدول الاوربيَّة. ولمَّا كانت اواخر ايلول لحَّت المانية على فرنسة بان تعترف لمولاي حفيد بالسلطنة لأن ولايتهُ كما زعمت ضروريَّة لاستتباب السلام

وكان الامر على وشك النجاز اذ وردت اخبار من البيضاء بان الشُّرط الفرنسويين اوقفوا ميموتًا المانيًا كان يسعى بتهريب جند الفرقة الاجنبيَّة ولاسيَّما الالمان منهم. فاستاء الفرنسويون من هذا العمل اي استياء وحبسوا الآبقين ولمَّا طلبت المانية بان يُفرَج عنهم أبت فرنسة ذلك كما انَّها لم ترضَ بان تبسط لها العذر عن فعلها بل أثابت الجنرال داماد على حُسن تدبيره ورقَّتهُ الى رتبة فريق. فتوتَّرت الاحوال وزادت حرجًا حتى خيف ان تنشب الحرب بين الدولتين في اوائل الخريف وطالت المفاوضات بين وزير الخارجيَّة في فرنسة المسيو بيشون وسفير المانية في باريس المسيو رادولين حتى رضيت المانية على بغتة بان تُعرض المسألة على مؤتمر التحكيم في لاهاي (١) فالحال سكنت تلك الحركة الغريبة واصبح الناس في انتظار عقد المؤتمر

ولن سألت ما الذي حمل بعاهل المانية الى استبدال خطتهِ وطلبهِ التحكيم بعد تقررهِ عنهُ أجبنا انَّ اهل المانية تضايقوا من سلوك الامبراطور وتدخلهِ في المسألة المراكشيَّة حتى لم يعودوا يوافقونهُ وكبيرَ وزرائهِ الكنت دي بولوف على عملها لاسيَّما انَّ اخبار الحرب التي كانت تتناقلها الجرائد كانت تؤثر اسوأ تأثير في مالية المانية. فاخذوا يلقون الامبراطور بالسنة حداد في الصحافة وفي دار الندوة حتى أنهم طالبوا بان اعلان الحرب لا يُفوَّض به الامبراطور وحدهُ بل يُجعَل من امتيازات مجلس العموم وكذلك رغبوا الى الامبراطور بان يكون كنشليارهُ لسان الدولة باجمعها وليس كاتبًا مجرَّدًا لاسرار الملك وممثلهُ هو فقط

وكان لالمانية دواعٍ أُخر تحدو بها الى الحيادة عن الحرب فلا تتهوَّر بها دون تروٍّ وذلك انَّ اوربَّة دخلت في طور سياسيّ جديد جعلها منفردةً عن بقيَّة الدول لا يعضدها سوى النمسة شقيقتها في لغتها الالمانيَّة

(١) انَّ مجلس التحكيم الدولي الذي انتهى في العام المنصرم دام ١٢٧ يومًا وقد افادت احدى الجرائد انَّ نفقات ذلك المؤتمر بلغت ١٥ مليونًا من الفرنكات منها ٥ ملايين في حق التلغرافات المتبادلة. فيا لهُ ما اعظم هذه المبالغ بالنسبة الى قلَّة ما نتج عن ذلك الاجتماع من الفوائد!

ولا بُدَّ هنا لادراك الامر من نظر اجماليّ في السياسة الدوليّة ولا بأس ان تخطّينا بهِ الى ذكر الحادث الثالث الكبير الذي جرى في السنة الماضية فنقول:

انَّ المانية وانكلترَّة في الساعة الحاضرة على قاب قوسين من الخلاف والنزاع رغماً عن الزيارات المتبادلة التي جرت بين ادوارد السابع وغليوم الثاني اي الخال وابن اختهِ ورغماً عن الانتخاب الودّيّة التي شربها كلّ من الامبراطورين لاكرام الآخر. امّا سبب هذا النفور فتجارة الدولتين وكلّ يعلم انَّ انكلترَّة كانت سابقاً فائزة بقصبة السباق في تجارة العالم وخصوصاً في الشرق الاقصى . فيا تُرى أتغضّ الممالك البريطانيّة نظرها عن تقدّم المانية التجاري ومزاحمتها لتجارتها في اسواق الدنيا. فهذا هو المشكل الكبير او بالحريّ المشكل الوحيد الذي يشغل كلّ الافكار في انكلترَّة

كلّا انَّ وراء ذلك مشكلاً ثانياً صرّح بهِ آخرًا اللورد روبرتس في مجلس العموم وانّما هو ملحق بالمشكل السابق. معلومٌ انَّ بريطانية العظمى لا تبتغي فقط السباق في الاوقيانوس الهادئ لكنّها تريد قبل كلّ شيء صيانة ارضها وحفظ بلادها من كلّ عداء . ولكن كيف يَسعها الاطمئنان وراحة البال اذا ما رأت المانية وفقاً لمرغوبها تزيد كلّ يوم عدد سُفُنها دون ان تجاريها في العمل فتُنمي هي ايضاً عدد دوارعها بل عدد جنودها برًّا. ويلجئها الامر ايضاً الى سنّ الخدمة العسكريّة على رعاياها ليقوى جيشها البرّي على ردّ كلّ هجوم عن جزيرتها. فترى انَّ هواجس انكلترَّة لا تخلو من سند . وناهيك بهِ داعياً يسوق الانكليز على مناصبة السياسة الالمانيّة

وقد حدث غير ذلك من الامور التي زادت في تكدير الخواطر . وذلك انَّ جريدة التيمس في عددها الصادر في ٥ آذار اكّدت بانَّ الامبراطور غليوم الثاني كتب رقيماً بخط يدهِ لوزير البحريّة اللورد تويدموث (Tweedmouth) يحاول فيهِ تحوير برنامج البحريّة الانكليزيّة . فجرى لهذا السبب في مجلس العموم مشاجرات عنيفة في جلسة التاسع من الشهر. ولم يجد الوزير وسيلةً ليبرئ نفسهُ الّا قولهُ بان الرسالة لم تكن رسميّةً فلا يُكترث لها

فكلّ هذه الامور كان من شأنها ان تكدّر صفاء العلاقات بين الدولتين. والمرجّح انَّ اجتماع غليوم الثاني وادوارد السابع في ١١ و ١٢ آب لم تكن لهُ غاية أخرى سوى جبر الصدع واصلاح ذات البين . لكنَّ ارباب السياسة رأوا في زيارة

سابقة ادّاها ملك انكلترة واسرته لقيصر الروس واهله في رڤيل (Revel) ما هو اعظم شأناً من مفاوضة ادوارد السابع وغليوم الثاني لأن في هذا التقرّب من القرابة ما يستوقف الابصار. وكان المقصود من هذه المواجهة الملوكيّة ليس فقط اتّفاق الدولتين على عدم التداخل في حوادث العجم بل إعداد محالفة انكليزيّة فرنسويّة روسيّة. ومذ ذاك الوقت لم تزل روابط البلاد الثلاثة تزيد وثاقةً. وقد ظهر الامر خصوصاً في حرج المسألة المراكشيّة في شهر تشرين الاوّل

فكلّ هذه الحوادث تنبئ بأفكار الانكليز وسبب حذرهم من المانية. ويُضاف اليها استعراض الملك لقوّات الدولة البحريّة وذلك في ١٦ تموز بضعة ايام قبل مواجهته للامبراطور غليوم وكان عدد السفن المستعرضة بالغاً الى عدد ٣٥٠ سفينة

امّا تودُّد الانكليز لفرنسة فانّهُ في هذه السنة بلغ شأوهُ من اللطف والولاء. ففي ١٤ أيار كان افتتاح مؤتمر انكليزي وفرنسويّ في لندن قرّب الأمّتين وصار في اثره استقبال شائق للرئيس فاليار عدّهُ السياسيّون كانتصار بهيّ وبنوا عليه الآمال الطيّبة لتوطيد السلام

فماذا يا ترى يبقى بعد تقرُّب هذه الدُّول العظيمة اعني فرنسة وروسيّة وانكلترة من المحالفة الثلاثية التي كانت سابقاً تتهدّد السلام العامّ. فانّ ايطالية حليفة المانية والنمسة قد ضعفت علائقها مع تينك الدولتين ولا تزال تصرف بنظرها الى انكلترة لانّ صوالحها التجاريّة وبحريّتها مرتبطة ايّ ارتباط بصوالح تلك الدولة. وكذلك قد اخذت ايطالية تميل الى روسيّة كما تشهد عليه ايضاحات وزيرها تيتوني في شهر آذار. وجاءت بعد ذلك مجاهرة النمسة باستيلائها على الهرسك والبشناق فكان فعلها هذا ضربةً لازبة على محالفة الايطاليين للنمسة. وقد حصلت وتنذر مظاهرات عدائيّة في جهات ايطالية ضدّ النمسويين لم تخمد حتى الآن ثائرتها. وزد على ذلك ما اثار عمل النمسة من الضغينة والشحناء في قلوب الدول الصقليبيّة كالصرب والجبل الاسود بل في صدور بعض اهل بلادها ايضاً كالتشاك والبوهيميين والسلوفان فحصلت فتن عديدة ضدّ الحكومة والجنسيّة الالمانيّة لم تقو الدولة على كبحها الّا بالجهد الجهيد

وكانت المانية في اثناء هذه الفتن لا تزال تظهر مدافعتها عن حليفتها النمسة الّا انّ مجاملتها هذه قد هيّجت عليها الخواطر وجعلت الدولتين منفردتين بازاء بقيّة الدول

لا يعضدهما احد في سياستهما . وسوف يعلمنا المستقبل ما ستؤول اليه الاحوال . وان لمكن اهل مؤتمر لاهاي ان يعيدوا مياه السلام الى مجاريها سوف يفضون مشكلاً صعباً ويربحون شكر جميع محبي السلام

٣ ﴿ الدستور العثماني ﴾ ها قد بلغ بنا الكلام الى الحادث الثالث العظيم الذي جرى في بحر السنة المنتهية ألا وهو الدستور الممنوح للدولة العليَّة . فان تحت هذا الامر طائلاً كبيرًا وشأناً خطيرًا لا يهمُّ فقط رعايا الممالك المحروسة بل الدول الاوربيَّة كلها اللهمَّ ألا بعض الدول الصغرى كالبرتغال والدول الشمالية

لمَّا نشرت الجرائد لاوَّل مرَّة في ٢٤ تموز خبر انقلاب الاحوال في تركيا ودقَّت البشائر في انحاء الولايات بالنظام الدستوري لم يكد الناس يصدقون الخبر بل ظنَّ كثيرون انَّ تلك الانباء من الاراجيف والدسائس ليُخدَع بها السُذَّج ويُصطاد في شباكها المنتمون الى تركيا الفتاة . الَّا انَّ الامور ظهرت بعد قليل ظهور الشمس في رائعة النهار فبلغ الفرح بين العموم مبلغهُ وتطايرت القلوب بهجةً وسرورًا

ثمَّ تساءل الجمهور كيف تحوَّلت الامور بغتةً وجرى هذا التغيير العجيب الذي لم يكن احد لينتظر وقوعهُ ولاسيَّما دون ثورة ومن غير ان تُسفك الدماء كما حدثت الثورة الفرنسويَّة سنة ١٧٨٩ . هل يا ترى يكون مفعول بلا فاعل ومعلول بلا علَّة ؟

اجل انَّ لهذه الثورة دواعي علَّتها كباقي الاحوال السياسيَّة التي لم تحدث دون اسباب تسوق اليها . فمن المعلوم المقرَّر انَّ هذه الحركة نشأت في مكدونية وكانت الاخبار تأتينا حينًا بعد حين فتفيدنا انَّ الجيش هنالك في اضطراب وشغب . فاخذ انصار تركيا الفتاة ينتهزون الفرصة ليقوّوا شركتهم باستنادهم الى العسكر ولم يزالوا يجدُّون في الامر حتى اكتسبوا الفيلق الثالث كلهُ الذي به كانت تُناط امور مكدونية وكذا جرى مع الفيلق الثاني الذي اتفق آثار جند مكدونية بل اتَّسع نطاق الحركة العسكريَّة حتى كاد يعمُّ كلَّ انحاء الدولة في اوائل سنة ١٩٠٨ . وكان في منستير جمعيَّة سريَّة ضابطة لعنان التدبير ترسل اوامرها الى سائر الولايات واخذت تعضدها في العمل قوَّات الارناووط واليونان والبلغار والفلاخ بعد ان كانت في هرج ومرج يلتهم بعضها بعضًا . امَّا رئيس تلك الجمعيَّة ولسانها فكان الضابط السنّي نيازي واصلهُ من رسنه . فوجَّه الى اهل اوكريدا والى الشعب التركي خطبتين حماسيَّتين شيَّعتا باسمه

بين كلّ اهل تركيا. وقد عضده في مشروعه ضابط آخر يُدعى انور ففي ٢٣ تموز ارسل الى جريدة المانيّة كبيرة (Neue freie Presse) كتاباً يدعو فيه كلّ العثمانيين على اختلاف عناصرهم ليحتفلوا بذلك اليوم كاوّل يوم حرّيتهم وهو قد امضى كتابه هكذا « انور المشير من اعضاء جمعيّة الاتحاد والترقّي العثمانيّة »

وفي ٢٤ تموز جرت في ادرنه ومنستير فتنةٌ صرّح فيها الجند باستيائهم من القوّاد العاضدين للحكومة كشمسي باشا وهدايت باشا وصادق باشا. وكذلك حدثت في اليمن وبرّ الاناضول وولاية ارضروم ثورات اخرى اتت كلّها بثمرها فقلبت النظام العتيق والجأت جلالة السلطان الى العدول عن حكمه المطلق. ففي ٢٣ تموز قدّم الصدر الاعظم استعفاءه وتولّى منصبهُ سعيد باشا. وفي ٢٤ منهُ اعلن السلطان عبد الحميد بالنظام الدستوريّ الذي كان سابقاً منحهُ سنة ١٨٧٦ بل اقسم على القرآن علانية بامانته للدستور وبوفائه حقوقهُ تماماً. واقسم بعده سماحة شيخ الاسلام واعيان الدولة المدنيّون والعسكريّون. وكانت الأيام التالية لهذا الاعلان أيام اعياد بهيجة أُقيمت الافراح وأُنيرت الانوار وسارت المواكب بالرايات والموسيقى في المدن والقرى الّا بعض الامكنة التي لم ترضَ بهذا التغيير. لكنّ اكثر العثمانيين اطلقوا العنان لسرورهم وتراءوا في هيئة امم ميّتة انبعثت من قبورها فنالت حياةً جديدة. ولا حاجة أن نكرّر هنا تفاصيل تلك الحفلات الشائقة التي بلغت غاية الحفاوة لاسيّما في بيروت ولبنان (١

وما خمد لظى هذا التحمّس حتى ترجّحت افكار العثمانيين الى تعيين المندوبين ليُرسَلوا الى مجلس المبعوثان. وكانت الوزارة في اثناء ذلك قدّمت استعفاءها فتشكّلت بدلاً منها وزارة جديدة رئيسها كامل باشا في ٥ آب. ثمّ تواردت الاخبار من ولاية ديار بكر بانّ الجيوش الحميديّة اخلدت الى العصيان وانّ زعيمها ابراهيم باشا يأبى معرفة الحكم الدستوريّ. فأُرسلت لمحاربته جنودٌ منظّمة تعقّبت آثاره وقاتلته اوحى قتال حتى ظفرت بالحميديين وقتلت ابراهيم باشا واحد ابنائه — وكذلك عصى في اليمن

١) انّ اهل لبنان اظهروا بعد اعلان الدستور من شارات الفرح والبهجة ما قلّ نظر مثلهِ في غير انحاء الدولة. لكنّهم بعد هدوء هذه الثورة الاولى من فرحهم ارتأوا انّ الافضل لهم ان يقنعوا بما يمنحهم نظام لبنان الدوليّ منذ سنة ١٨٦٠ من الامتيازات والانعامات تعدلوا عن متابعة الحكم الدستوريّ

راتب باشا مشير العساكر اليمنيَّة فدارت عليه الدوائر وقُبض عليه فأُرسل كأسير الى الاستانة (Etudes, 20 *Janvier* 1909, p. 199)

وفي يوم الخميس ١٧ كانون الاوَّل كان افتتاح دار الندوة في عاصمة المملكة بحضور ١٥٠ مندوباً من المبعوثين وممثلي كلّ الدول فتُلي على مسامعهم خطاب الحضرة السلطانيَّة وكان جلالتهُ حاضراً تلك الحفلة في مقام أُفرز لهُ . وفي ذلك اليوم جرت مجالي الافراح في كلّ انحاء الدولة

على انَّ تلك الافراح الدستوريَّة لم تبقَ في صفائها زمناً طويلاً . فما كادت جمعيَّة الاتحاد والترقي تُعلن بالدستور حتى غامت سماء السياسة الدوليَّة . ثمَّ سُمعت وراء السحاب زمجرة الحرب . ففي ٥ تشرين الاوَّل اعلن الامير فرديننذ في ترنوفو عاصمة البلغار القديمة استقلال بلغاريا واتَّخذ لنفسهِ لقب القيصر ثمَّ ارسل رقيماً بيدهِ الى السلطان عبد الحميد ليبلّغهُ الامر رسمياً . وكلٌّ يعرف جواب الدولة العليَّة وما جرى من المقاولات بين البلادين حتى كادت تستعر بينهما نار الحرب . ثم بعد ان اوشكت الامور ان تصطلح بقبول بلغاريا ان تدفع لتركيا مالاً معلوماً يبلغ خمسة ملايين ليرة (خصمت منها روسيا دين تركيا لها) عاد النفور

وبعد الاعلان البلغاري بيومين ضمَّت النمسة الى بلادها ولايتي الهرسك والبشناق . فتصدَّت لها الدولة العثمانية واحتجَّت عليها مع دولتي الصرب والجبل الاسود لما في هذا العمل من الاجحاف بحقوق بلادها . وكانت ثالثة الاثافي بعد ذينك الحادثين انتباء جزيرة كريد لدولة اليونان في ٨ من الشهر عينهِ

فاصبحت هذه الحوادث داعياً لاصطكاك الدول الاوربيَّة والمنافرات المتواترة بينها . فانَّ الدولة المسكوبيَّة لم ترضَ بعمل النمسة لاسيما بعد سفر وليّ عهد الصرب الى روسيَّة لكنَّ النمسة جاهرت باستيائها من جارتها وتلوَّمت منها . امَّا المانية فانها غالباً تعضد النمسة وان لم تصرّح بنيَّتها تماماً . ولما قدم المسيو اسفولسكي الى برلين في ٢٩ تشرين الاوَّل لتسوية الامر رجع خائباً تزاد الخرق اتساعاً . وكانت العناصر المخالفة للنمسة تقوم وتقعد في مناواة الدولة النمسويَّة وعلى الخصوص الايطاليون والصقالبة . وتحفَّزت الصرب والجبل الاسود للقتال وارسلتا جنودهما على حدود النمسة فاسرعت النمسة واوفدت الى تلك الثغور جيشاً خامرهُ الهلع اظنّهِ بانَّ العدوّ احدق بهِ

فولي هارباً وعُزل من جرّاء ذلك قائدان. وزاد في الطين بلّة انّ المدن التركيّة صادرت البضائع النمسويّة فالحقت بتجارتها خسائر عظيمة وبقيت مطالبات النمسة دون جدوى. امّا انكلترة فراغبةٌ في الصلح وساعية في عقد مؤتمر لاصلاح ذات البين الّا ان النمسة لا ترضى بهِ ما لم تكفّ تركيّا عن مقاطعتها واعلنت مع هذا بانّها لن ترجع عمّا سلف من امر الهرسك والبشناق. فترى من كل هذه الارتباكات انّ السياسة اليوم ملتوية معضلة لا نعلم ماذا يكنّ لنا الغد فالغد من اسرار العلم وما لا يرتاب فيهِ احد انّ دولتين قائمتان الآن بناصر دولتنا العليّة وهما فرنسة وانكلترة وعليها تتّكل الممالك المحروسة لحلّ المسألة الشرقيّة كما انّها التمست منها رجالًا اكفاء لتنظيم بحريتها واصلاح ماليتها

وهذه الوقائع المستحدثة قد أنست بخطرها ما جرى بين الباب العالي وفرنسة من الخلاف بخصوص معادن هرقلة (١٦ أيار) ومظاهرات ايطالية البحريّة بسبب الراهب الايطالي الذي قُتل في طرابلس الغرب (٢٠ نيسان) وثورة اهل جزيرة ساموس على حاكمها من قبل الدولة العليّة

٤ لمحة في احوال بقيّة الدُّول

وبينما نشاهد تركيّا تحاول النهضة من خمولها وتجدّد شبابها نماين دولة العجم تناصب طالبي الدستور في تخومها. فانّ الشاه مُصرّ غاية استطاعتهِ على رفض الحكم الدستوريّ فراشَ بفعلهِ جناح الفتنة التي تفاقمت الى حدّ بليغ وقد قام في وجههِ الرأي العام من وجوه الدولة وارباب الدين وكذلك ناهضتهُ الصحافة الحرّة الوطنيّة والاجنبيّة معًا حتى فُقد الامان في طهران عاصمة الدولة وقدّم سفراء الدول احتجاجهم للمرجع الاعلى. وفي ٢٩ شباط ألقى الثائرون قنبلتين على الشاه فنجا منهما لكنهما ذهبتا بحياة كثيرين من حاشيتهِ. ومع هذا لم يستسلم الشاه الى ارادة الجمهور. ولا يعلم احد الى ما ستؤول الامور. ومن المقرّر انّ مقاطعة اذربيجان وحاضرتها تبريز كادت تخرج من حكم العجم. فانّ الشاه اوفد لمحاربتها فرقةً من جنود الروس المحالفين يقودهم الكولونل اوتشاكوف فاطلق القنابل على المدينة والتحم القتال بين اهلها والجنود الموفدة وكثر الهرج والمرج حتى ظنّ البعض انّ روسيّة عزمت على التوسّط في العجم. امّا

روسيَّة فقد صرَّحت لانكلترَّة بأنَّها لا تتداخل في تلك البلاد طالما لا يُصاب ذووها بأذًى وقد الحَّت كلتاهما على الشاه بان يتسامح لرعاياه بالحكم الدستوري . لكنَّ الشاه حتى الآن لا يعيرها اذنًا صاغية

وقد حلَّت الثورة بممالك أُخرى فكانت الضربة قاضيةً على حياة اصحابها فمن ذلك المكيدة الفاجعة التي دهمت في اواخر كانون الثاني ملك البرتغال دون كرلوس . ففي ٢٨ نشر الحزب الجمهوري اعلانات مهيِّجة ضدَّ الملك في اسبونة . وفي ٢٩ حصل في المدينة مشاجرات دمويَّة . ولم تلبث الانباء البرقيَّة ان نعت ملك البرتغال وابنهُ البكر اللذين قُتلا قتلًا وحيًّا في سلخ الشهر عينه

وقد اصابت اميركة سهمها من هذه الفتن . فان جمهوريَّة هايتي في غليان منذ شهر آذار والاهلون هناك يناوئون الاجانب ويعادونهم اشدَّ العداء . وكذلك ثارت الثوائر في بلاد مكسيك في غاية حزيران وفي الهند الصينيَّة ضدَّ الحكومة الفرنسويَّة وفي جهات هندوراس . وتلحق بهذه الأحداث انقطاع العلائق بين فنازويلة والولايات المتَّحدة (٢٤ تموز) وبينها مؤخرًا وبين هولندة التي تخر سفنها الآن بحر الانتيل لتوقيف المراكب الفنازويليَّة . وكان رئيس تلك البلاد الشَّي كسترو قد هيَّج عليه خواطر الدول بصلفه وعنجهيَّته واوري زناد الضغن على الاجانب واليوم قد قُلب هذا الرئيس عن منصبه وهو لا يزال يكيد المكايد ليعود الى رتبته السابقة رغمًا عن مساوئه العديدة

*

(انكلترَّة والمانية) سبق لنا الكلام عنهما ونضيف هنا الى قولنا انَّ في العام الماضي حدث عدَّة حركات فوضويَّة في المانيَّة تكدَّرت لها الخواطر . ففي ١١ كانون الثاني جرت في برلين مظاهرات عنيفة من الاشتراكيين ومن جملة طلباتهم ان يُعطَى للجميع حقّ التصويت . وفي اثرها عُقدت في الرشتاغ جلسة تعنَّف فيها بعض اعداء الحكومة عليها حتى أضحى مقام الكنشلار المسيو دي بيلوف حرجًا جدًّا . وكأنَّ اصحاب هذا الهيجان كانوا اتَّفقوا مع رصفائهم في بلاد شتى ففي اواخر الشهر ذاته حصلت في لندن وفي هنغارية حركات ثوريَّة كمثل المانية . بل ترى النساء انفسهن

اخذنَ يسعينَ بنوال حقّ الانتخاب وقد احتفلن لذلك بالحفلات العديدة والقين الخطب لتأييد مبتغاهنّ ولعلهنّ يدركن غايتهنّ

(بلجكة) توفي فيها فجأة رئيس وزارتها المسيو دي تروس (de Trooz) في غرّة السنة ١٩٠٨ وبعد اسبوع أُقيم مكانهُ في رئاسة الوزارة المسيو دي شولارت (de Schollaert). وهو رجل ذو دين وخبرة محنّك بالتدبير — وفي ٥ آذار أمضى الملك ليوبلد قرار تنزّله عن ملك الكنغو لمملكة البلجيك ثمّ قدّم صكّ عهده لمجلس الدولة الذي بعد المفاوضات الطويلة صادق عليهِ ثمّ رضي بحكمهِ مجلس الاعيان في ٩ ايلول وعلى هذه الصورة انتهت مسألة الكنغو التي كانت بلغت منذ سنة حدود التوتّر وكثيرًا ما اضحت سببًا للمشاجرات وزواجر الخطب. ومنذ تنازل الملك عن حقوقهِ لدولتهِ اخذ اهل بلجكة يعيدون بالًا تلك المستعمرة التي صوّب اليها اعداؤهم سهام الملام وقرّعوهم بسببها تقريعًا فاحشًا كما انهم نسبوا زورًا للمرسلين الكاثوليك اعمالًا لم يأتوها البتّة وذلك كلّهُ لغايات دنيئة لينتزعوا مستعمرة الكنغو من ايدي اهل بلجكة الكاثوليك. وقد افادنا الثقة بانّ الحركة الصناعيّة في بلجكة نمت نموًّا عجيبًا منذ استملك الملك ليوبلد على الكنغو حتى اضحت تلك الدولة في مقدّمة كلّ الدول بصناعتها ومعاملها وبالخصوص بانشائها لشركات الترواي والسكك الحديديّة في كلّ انحاء المعمور. وكانت عين انكلترة طامحة لتلك البلاد لوقوعها في طريقها بين السودان وجنوبي افريقية لكنّها زهدت عنها مرغومةً

(فرنسة) انّ احوال فرنسة أتي خالٍ من عدّة وجوه. فانّ السُّنَن السيئة التي يشترعها المبعوثون كثيرًا ما تبخس حقوق الدين وتزيد الاحوال السابقة تفاقمًا. ولا بدع انّ النكبات التواترة التي ابتلى بها الله هذه الدولة من علامات غضبهِ عليها لابتعادها عنهُ في حياتها العموميّة. فمن الرزايا التي دهمتها في السنة المنصرمة عدّة خطوب نابتها في بحريّتها كما اشرنا الى ذلك في كلامنا عن مراكش يُضاف اليها حريق طولون في ٢٣ ك ٢ الذي بهِ تلف قسمٌ من الذخائر البحريّة. فكل هذه الدواهي أدّت الى استعفاء وزير البحريّة المسيو تومسون في ٢٠ تشرين الاوّل بعد المداولات العنيفة في دار الندوة. وزد على ذلك انّ اميرال اسطول البحر المتوسّط المسيو جرمينه (Germiney) عُزل من رتبتهِ لاعلانهِ بما صارت اليهِ البحريّة الفرنسويّة من التقهقر

والتأخر في تجهيز اسلحتها . امّا الجيوش البرّيّة فقد تكرّرت فيها حوادث التشغب والعصيان التي يحرّض عليها قوم من الفوضويين المضادّين للجنديّة . وقد مرّ بك ما حدث من ذلك في البيضاء.

وفي ٢٠ شباط افتُتحت دعوى الضابط اليهودي اولو الخائن لوطنهِ بما اباحهُ من اسرار الجنديّة . فحُكم عليهِ بان يُخلَع عن رتبتهِ ويُجرَّد من بزّتهِ العسكريّة ثمّ يُحبس الى نهاية حياتهِ في جزيرة الشيطان . ولمّا استأنف دعواهُ لم تقبل الحكومة احتجاجهُ بل انفذت فيهِ الحكم في ٢٣ أيار فكان لهذا المثل اثر طيّب في الجيش . على انّ الحكومة لم تلبث ان تطمس معالم هذا الفعل الحسن بفعل آخر اثيم وهو امرُها بنقل رفات ذلك الكاتب النجس اميل زولا الى البنتيون مدفن مشاهير فرنسة وزولا كما هو معلوم كان المدافع عن الخائن اليهودي دريفوس . فعوّلت الوزارة على تنفيذ هذا الامر في ٢٢ آذار الّا انّ كلّ النفوس الأبيّة ومحبّي الوطن ناصبوا هذا الحكم مناصبة الابطال فانتظر ارباب الامر شهر حزيران لنقل تلك الرفات سرًّا . الّا انّ هذه الحفلة وان سرّيّة اثارت في قارب كثيرين شواعر الأنفة والنخوة حتى انّ احد الوطنيين الاحرار المسمّى غريغوري اطلق سلاحهُ على دريفوس اذ رآهُ ماشيًا في تلك الحفلة

ومن الآفات التي دهمت فرنسة نقصٌ في تجارتها بلغ في تموز اي نصف السنة ١٣٦ مليونًا من الفرنكات للواردات و١٧٥ للصادرات . وكذلك حصلت عدّة إفلاسات اخصّها عجز محلّ روشات (Rochette) الذي ناهز ٨٠ مليونًا وحريق مكتب الاسلاك التليفونيّة في ٢٠ ايلول . ولم تختصّ فرنسة وحدها بهذه الازمات الماليّة فانّ دولًا أخرى أصيبت بمثل مصائبها لاسيّما في اشغال المعادن والمناجم كالمانيسة وانكلترّة وروسيّة وبلاد ترنسفال . فيا حبّذا لو تدارك أولو التدبير هذه البلايا التي توالت على ماليّة البلاد فاحلّت بها اضرارًا لا تُحصى

وتلحق بهذه النواجع التي رُزئت بها فرنسة فقدها لبعض ائمّتها وغرّة بلادها منهم العلّامة المبرّز بالعلوم الجيولوجيّة المسيو دي لاپاران (de Lapparent) كاتب اسرار اكادمية العلوم واحد اساتذة المكتب الكاثوليكيّ في باريس . وتآليفهُ العديدة تُعدّ حجّةً يُستند اليها ويوثق بها وكان المذكور مثالًا حيًّا لاتفاق العلم والدين في خدمة

الوطن . كانت وفاتهُ في ١ أيار . وبعد زمن قليل أُصيبت العلوم الطبيعيَّة بملاءة آخر كان تعيَّن كخلف للمسيو دي لاباران في اكادمية باريس وهو هنري بكريل (H.Becquerel) الشهير باكتشافاتهِ المتعدّدة عن خواص النور واشعَّة الراديوم والعناصر المشعَّة . وفي ٢٩ منهُ جرى لفرنسة رزء ثالث بوفاة شيخ شعرائها فرنسوا كوبه (Fr.Coppée) الذي مات ميتةً صالحةً بعد احتمالهِ بالصبر الجميل لمضض الاوجاع في مرضهِ الاخير وهذا الشاعر كثيرًا ما دافع بقصائدهِ الرنَّانة عن الدين وآلهِ . ومن اموات العام الماضي ذوي الشهرة السير هنري كمبل بنرمان (Sr H. Campbell Bannerman) احد ارباب السياسة الانكليزيَّة توفي في ٢٢ نيسان في ٧٢ من سنهِ

(النمسة) ومن الاحداث السارَّة التي قشعت شيئاً من الغيوم المتلبدة فوق هامة النمسة العيد الالماسي لامبراطورها فرنسوا جوزيف اقامتهُ ذكرًا لبارغهِ السنة الستين من ملكهِ (١٨٤٨ — ١٩٠٨) فعمَّت الافراح كلَّ انحاء الدولة . وكان بدء الحفلات الرسميَّة في ١٢ حزيران في عاصمة الملك . وفي ١٨ آب يوم تتويج الامبراطور بلغت المظاهرات اقصى مبلغها وكانت الجموع تتزاحم في طريق زعيم المملكة حتى كانت تُرى كالبناء المرصوص حتى قُتل البعض من كثرة الازدحام

(الولايات المتَّحدة) كانت اميركة الشماليَّة في حركة واضطراب تنتظر خلفًا لرئيسها روزفلت الذي كانت انتهت مدَّة رئاستهِ . فكانت نتيجة الانتخابات العموميَّة تولية المسيو تافت (Taft) في ٣ تشرين الثاني وتعيَّن كنائبهِ المسيو شرمان (Sherman) والرئيس الجديد صديق المسيو روزفلت واحد انصارهِ لا يكاد يخالفهُ في خطَّتهِ السياسيَّة . والامل معقود بتقدّم الولايات المتَّحدة في عهدهِ

هذا وكان بودّنا ان نلحق نظرنا السياسيَّ بلمحة عامَّة عن ترقّي العلوم في السنة ١٩٠٨ الا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الطول الممل فرجاؤنا من ادارة المجلَّة ان تفرد لهذا الامر بابًا خاصًّا في بعض اعدادها كعادتها المألوفة حينًا بعد حين

على انَّا لا نقدر ان نسكت عن مؤتمرين علميَّين عُقدا في اواسط الصيف في شهر آب اوَّلهما مؤتمر الدروس التاريخيَّة الذي يُعقد كلَّ خمس سنوات فعُقد السنة الماضية في برلين . ثمَّ مؤتمر المستشرقين الذي جرى بعدهُ بيومين في كوبنهاغ حاضرة دنيمرك .

لكنّ المشرق سبق ودوّن تفاصيلهما في عدده الصادر في تشرين الاوّل عن لسان احد الوفدين من قبل مكتبنا الشرقيّ فأغنانا عن المراجعة

وليسمح لنا القرّاء بان ننتهي من هذا النظر الاجمالي بكلمة نجعلها كمسك ختامه. لا غرو ان المطّلعين على الماجريات العديدة التي استوقفنا عندها الانظار يردّدون قول سفر الجامعة (٣: ١١) انّ الله قضى على ارضه التحوُّل والتغيير ولا غرو فانّ الممالك دُوَلٌ كاسمها افلا يحقّ بالانسان أن يرفع بنظره الى ما دار اعلى واسمى من هذه الارضيّات لتقلّبها وزوالها فيوطّد آماله في دار القرار لدى ذلك الربّ العظيم الذي يضبط كلّ الدول في قبضته وله في تصرُّفها الحكم الاخير. فاذا قرّت النفس في هذا المركز الثابت استرت لديها احوال الدنيا فلمحتها بنظر هادئ وعين قريرة لأنها تعرف ان لا شيء يجري في عالم الزوال بغير علمه تعالى وهو يدبّر كل الامور لمجده ولخير مختاريه. وان أحدرت النفس نظرها من تلك المشارق العليا الى الارض رأت في وسطها قبّة تحلّق في الهواء كالنسر المرتفع ألا وهي قبّة كنيسة بطرس هامة الرسل في الفاتيكان فهذه قبّة السلام يسكن بجوارها شيخ وقور يمثّل ملك الدهور ورب الارباب. فمن جرى تحت رايته امن الضلال ومن سمع منه اصاب الامان لأنّه هو سفير الله السلام الذي عند مولده صرخت الملائكة: المجد لله في العلاء وعلى الارض السلام لمن فيه المسرّة

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٤ً التمدُّن

التمدُّن احدى الالفاظ التي تتلاعب اليوم بالعقول وتفتن بها الالباب. تكرّرها المنشورات العامة ويردّدها الخطباء وتتلقفها الافواه. فكأنّ في ايرادها غنى عن كل ايضاح وتبيان. وان سألت الذين ينطقون بهذه اللفظة السحريّة ان يوضحوا لك معناها ويعرّفوا فحواها اجابوك بازدراء ما الحاجة الى تعريف ما يدركه الجميع وكادوا يقرّفونك

بجواب تلميذي عمواس للسيد المسيح لمّا سالهما عن الكلام الذي يتحاوران به (لوقا ٢٤ : ١٨) : « افأنت وحدك غريب في اورشليم » كيف لا تعلم ما هو التمدّن . وأن الحتّ عليهم وتحفّيت في السؤال رأيتهم يتلجلجون و يرتابون فيأتون بالاجوبة المتناقضة التي لا يُعبأ بها ولعلّهم ينتهون بنسبتك الى الجهل والغباوة وينظمونك في سلك المتأخرين وذوي الروح العتيق

ولأن هؤلاء « المتنوّرين » لم يستطيعوا ان يأتونا بكلام وافٍ ولا جواب شافٍ دَعْنا نسبر غور هذه اللفظة الدارجة على ألسنة الجموع فنستشفّ ما وراءها من الاسرار المكنونة والكنوز المدفونة

*

التمدّن لفظة لم تردَ في كلام قدماء العرب في الجاهلية ولعلّهم لم يعرفوها لرضاهم بعيشة البادية . فكانوا اذا قصدوا المدن لم يتلبّثوا فيها الّا ريثما يقضون اشغالهم فيسرعون الى التبدّي لأنهم كانوا يرون نفوسهم اذا ما احتلّوا المدن المعمّرة بمثابة السمك في الهواء والطير في الماء . وقد سبق حضرة الاب لامنس في مقالته عن البادية والحيرة (في المشرق ١١ : ٧٦٥) فبيّن ما اصاب العرب من البلاء بعد الفتح الاسلاميّ لسكناهم في المدن وكم احتاج الخلفاء الراشدون الى ان يشتدّوا عليهم لئلّا يعودوا الى بدوهم فيتركون المدن خاليةً معرّضةً لغارات العدوّ . وكان اذا ندّ احد اهل البادية بخشونة العيش وسكناهم في الصحاري مع الوحوش اجابوا مع النعمان بن المنذر على كسرى انهم آثروا العيشة البدويّة لعزّهم ونخوتهم فجعلوا حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجُنّتهم السيوف وعدّتهم الصبر على خلاف غيرهم من الامم الذين جعلوا عزّهم في الحجارة والطين اي البيوت والقصور

ولكن ما لنا والجاهليّة فانّ التمدّن اليوم اشهر من نار على علَم ولا بُدّ انّ واضع هذه اللفظة وان مولّدةً جعلها اسماً لمسمّى شريف . فالتمدّن من حيث اللفظ الدخول في المدن والاقامة فيها كما يقال تبدّى الحَضَري اذا اقام في البادية . امّا المعنى الاصطلاحيّ فالمراد به لاوّل وهلة الاقتداء باهل المدن والتزيّي بأزيائهم والتخلّق بأخلاقهم والاقتصاص بآثارهم

فما هي رعاك الله تلك السجايا التي خُصّ بها اهل المدن حتى تفاخروا بها على من

سواهم . ليس الجواب على هذا بامر سهل فانَّ كثيرين يظنُّون انَّ صفات التمدُّن تنحصر في بعض ظواهر الانس والتأدُّب في الحياة الاجتماعيَّة اصطلح عليها اهل المدن في معاملاتهم اليوميَّة كأكلهم وشربهم ولبسهم ومبيتهم واستقبال بعضهم لبعض الى غير ذلك من العادات التي ألفها اهل المدن. ونحن لا ننكر انَّها تدخل في خواصّ التمدُّن لأنَّ سكَّان المدن بوفرة عددهم وتباين غايتهم واحتياج بعضهم الى البعض الآخر وتضافرهم في الاشغال وطول ائتلافهم على شؤونهم واخلاقهم قد يصبحون ألين عريكة وادمث اخلاقًا فتكرم شمائلهم وتشرف شيمهم ولكن ليس على هذا يتوقَّف التمدُّن وربَّما كانت ظواهر الانس في القرى ارقّ والطف منها في المدن لاسيما انَّ القرويين لسذاجتهم اسلم طويَّة واخلص نيَّةً واصدق لهجةً فلا يتراءون بما ليس فيهم ولا يعرفون التأنُّق الكاذب والمداهنات الخادعة

ومنهم من يجعل التمدُّن في حرِّية الفكر وحرِّية السلوك وحرِّية القول والبراع فيستسلم الانسان الى كلّ اهوائهِ ويستبدُّ بآرائهِ ويطلق لشهواته العنان في نبذ كلّ حاجز او سلطة تعوقهُ في رغائبه . فينقاد لما يُفسد الاخلاق وينتهك حرمة الآداب ويقتحم عُرى الشرائع ويسوّغ لنفسهِ ما لا يحلّلهُ الدين او الضمير فهذا هو على زعمهم التمدُّن يبثون عليهِ مبادئهم السيِّئة ويصوّبون بسهامهم الى من لا يوافقهم على مذهبهم

فلعمري ان كان هذا هو ما يدعونهُ تمدُّنًا فانَّ الهمجيَّة تُفضَّل عليهِ لأن الهمج اذا ما أتوا افعالًا قبيحة واجترحوا الآثام وارتكبوا المحظورات انَّما يُعذرون لجهلهم وانشوتهم على الاخلاق الشرسة وانطباعهم على الملكات السيِّئة . امَّا المتمدِّنون الذين انكشف الباطل عن بصائرهم وحصحص لهم الحقّ ورضوا افاويق الأدب فاي عُذر يُقبل لهم اذا طمسوا نور عقلهم ونقضوا اركان الهيئة الاجتماعيَّة المبنيَّة على العدل والصلاح ومراعاة السُّنَن الألفيَّة والشرائع المدنيَّة وطاعة الانسان لربِّهِ ولرؤسائهِ واحترامهِ لنفسهِ والقيام بحقوق قريبهِ

وليس بأقلّ من هؤلاء شططًا وضلالًا الذين يجعلون مناقضةً بين الدين والتمدُّن فيذهبون انَّ التمدُّن يقوم بالفضائل الطبيعيَّة والصفات الألفيَّة الرضيَّة بيد انَّهم يفرزون عنها الدين كأنَّ التمدُّن يمكنهُ ان يثبت بلا تديُّن فيجهلون انهما كاخوين شقيقين او بالاحرى كالنفس والجسم لا ينفصلان الَّا لعطبهما . وانَّ المستقيم اذا

تأصّل في القلب اثر المدنيّة لا محالة. امّا التمدّن فانهُ يزهق اذا ما فارقهُ الدين فيُصبح كالجثّة الهامدة التي لا تلبث ان تنحلّ وتفسد بانفصال النفس عنها .

فكلّ هذه الاوهام التي غلبت على عقول بعض المحدثين في عصرنا قد صوّرت التمدّن في مخيّلتهم على غير صوابه فيتحتّم علينا ان نبيّن حقيقتهُ واقسامهُ وشروطهُ لئلّا ينخدع اهل بلادنا ببهرجة هذا الاسم ويحملونهُ على غير معناهُ فنقول:

انّ التمدّن تعريب لاسم شاع عند الغربيين منذ اجيال عديدة (civilisation) يوافقهُ عند العرب اسم الحضارة ولفظ العمران. واوّل من استعمل هذه اللفظة بين العرب كتبة القرون المتأخرة من اهل الاندلس كابن خلدون في مقدّمته والمقري في نفح الطيب. ثم تواتر استعمالها حتى دخلت اليوم في اللغة. فمعناها اللفظي قد اتّضح لك في ما سبق بل وقفت على معناها الاصطلاحي القريب. فبقي ان نعرّفها تعريفاً تامّاً مستوفياً لمعناها الشائع اليوم بين اهل النظر

يُحَدّ التمدّن بمجموع النظامات المدنيّة والسياسيّة والدينيّة التي تستعين بها الامم لبلوغ غايتها في خدمة هيئتها الاجتماعيّة وخدمة افرادها المادّيّة والادبيّة

وليس التمدّن سوى احدى خواصّ الطبيعة البشريّة التي انشأها الله لتعيش بالالفة فتقوى بالاجتماع وتسدّ حاجاتها بضمّ القوى وتقرّب اليها وسائل المعاش بتقسيم الاعمال وتردّ عنها ما يتهدّدها من الآفات وتنمو وتترقّى في الكمال. وقد كذب الذين زعموا بان البشر كلّهم ابتدأوا بالعيشة البدويّة فكانوا يعيشون على شبه الوحوش في الغابات والكهوف . على انّنا نسلّم بانّ العيشة الالفيّة اختلفت درجاتها وتنوّعت على حسب البلاد وطوارئ الزمان فانّ البشر الاوّلين كانوا اذا احتلّوا ارضاً جديدة وهم قليلو العدد يحتاجون الى القوت القريب بصيد الوحوش واكل الاثمار والبقول. ويتّخذون من الكسوة ابسطها واخشنها كجلود الحيوان. ويبنون من المساكن اقلّها مؤونةً وشغلاً كالاكواخ وربّما اتّخذوا الكهوف الطبيعيّة والمغاور اذ هي تغنيهم عن غيرها وتستّرهم من الضواري التي كانت في اطوار العالم الاولى اعظم اجساماً واشدّ قوّةً واكثر عدداً منها في يومنا كما تدلّ عليهِ هياكلها المكتشفة في عهدنا. وكذلك كانت احوال كرتنا في تقلّب وتحوّل وقشرة الارض اذ ذاك ارقّ واسرع تخرّقاً فتتوالى الزلازل وتنفجر النيران الداخليّة من البراكين ويكثر طغيان المياه وتشتدّ الانواء. فكلّ

هذه الاحوال كانت تضطرّ طوائف من الناس الاوّلين الى احوال من المعاش اقرب الى البداوة منها الى الحضارة

على انّ ذلك لم يعمّ البشر اجمعين فانّ منهم من احتلّوا بلاداً خصبة متوفّرة الخيرات كثيرة المرافق يغلب عليها اعتدال الشتاء والصيف كوادي دجلة والفرات وكوادي النيل . فانّ اهل تلك البلاد اسرعوا الى توفير وسائل الالفة فمصّروا الامصار وابتنوا المدن والمنازل الرحبة والقصور الشاهقة التي اكتشف عليها الاثريّون بالحفريّات المتعدّدة منذ خمسين سنة وهي تُرقّى الى اطوار البشر الاولى وليست آثارها الهندسيّة والصناعيّة دون آثارنا بل يأخذ العجب من دقّتها وحسن صنعها الذين يزورون المتاحف الاثريّة وفيها من تلك البقايا اشياء كثيرة قد فقد اليوم سرّ اصطناعها

وان القينا النظر الى تلك الامم العظيمة التي قامت في سالف الاجيال كالبابليين والعيلاميين والكلدان والمصريين والصينيين والفرس واليونان والرومان وجدنا لهم تمدّناً واسعاً تشهد عليه تواريخهم وآثارهم التي صبرت على آفات الدهر . فلا يسعنا الّا أن نقرّ لهم بالحضارة والعمران

نعم انّ تمدّن تلك الامم الغابرة لم يشبه تمدّننا الحالي بيد انّا لا نستطيع ان نقيس نظاماتها بنظاماتنا لاسيّما انّ التمدّن العصريّ من حيث مبادئه الادبيّة قد تشرّب اصول الدين النصرانيّ شاء ام أبى وهذه الاصول كما لا يخفى كانت الشعوب القديمة تجهلها فلمّا شاعت بين الامم المتأخرين اجمع اصحاب الرأي السديد على ترجيح تمدّنها لكنّ الفضل ليس للهيئة الاجتماعيّة الحديثة وانّما هو للدين الذي منهُ استعارت هذه المبادئ الشريفة فجرت عليها واملّ بعض هذه الامم نسيت فضل الكنيسة مربّيتها كما يفعل الاحداث الذين يلطمون ظئرهم باليدين بعد ان رضعوا حليبها

فاذ انكشفت لك حقيقة التمدّن وتباين طبقاته بين الامم يسوغ لنا بان ندخل في قلب المسألة ونبيّن بايّ شيء يقوم التمدّن بوجه الاجمال فنفرز بين البلاد المتمدّنة وغيرها

انّهُ لمن المقرّر الاكيد انّ المجموع العمرانيّ لا يثبت الّا بثلثة امور اذا اختلّ منها واحد تضعضع وتلاشى . فالامر الاوّل هناء عيش المرء في حياته المادّيّة والادبيّة . والثاني حسن مواصلاته مع ابناء جلدته . والثالث حظوته بنظام سياسي لائق

وتدبير موافق . فاذا كان انسان متمتعاً في بلدهِ بهذه الاشياء الثلثة عُدَّ بلدهُ متمدناً . ويكون التمدُّن ارقى او احطّ على قدر ما تتوفَّر هذه الامور او تنقص . فالامر الاوَّل يؤكد لهُ الهناء في عيشتهِ الفرديَّة . والثاني في عيشتهِ الاهليَّة والاجتماعيَّة . والثالث في عيشتهِ السياسيَّة والوطنيَّة

فالشرط الاوَّل للتمدُّن ان يجد الانسان ما يسدّ كلّ حاجاتهِ . ففي الانسان جسدٌ يحتاج الى ان ينشأ وينمو ويقوى ويردّ عنهُ الاضرار والآفات وكلّ ذلك لا يتمّ الَّا بتوفُّر اسباب المعاش من قوت وملابس وسُكنى وهذه المرافق المادّيَّة لا تُدرك الَّا بقوَّة حاكمة تنشط الاشغال وتوسّع نطاق الحرف والصنائع وتنهض بالزراعة من خمولها وتوفّر وسائل المواصلات لإنفاق المحصولات او استجلابها . ثمَّ للانسان عقلٌ غريزيّ اذا لم يثقفهُ بقي قليل الادراك لا ينتفع بهِ الَّا في اشياء زهيدة . وان هذَّبهُ ووسّع مداركهُ احرز بهِ منافع جمَّة . وذلك لا يُنال الَّا بانشاء المدارس والتعليم وضروب المكاتب للفنون الجميلة . وللانسان نفسٌ ناطقة شريفة قابلة للفضائل والأخلاق الحميدة والاميال الصالحة التي بها يزيد كمالهُ . فلا بُدَّ لهُ من إمامٍ يرشدهُ ورئيس يهذّبهُ فيجرّدهُ عن ملكاتهِ المنحرفة ويزرع في قلبهِ العادات الحسنة . وكلّ ذلك مما لا يفوز بهِ الانسان الَّا بدين يهديهِ الى الصلاح ويردّهُ عن القبيح

والشرط الثاني للتمدُّن انَّما يتوقَّف على المواصلات التي تجمع اهل كلّ بلدٍ بعضهم مع بعض . لأنَّ الانسان من حيث هو عضوٌ من اعضاء الهيئة الاجتماعيَّة يرتبط بقريبهِ كما يرتبط قريبهُ بهِ فهو كحلقة من تلك السلسلة العظيمة التي لا تسقط احدى حلقاتها الَّا بانفصام السلسلة وانقراطها . ومن هذا القبيل يعيش المرء عيشة بيتيَّة تربطهُ باهل بيتهِ من والدين واخوة وزوجة واولاد . ويعيش عيشة مدنيَّة مع اهل بلدتهِ فيخدمهم ويخدمونهُ ويعاملهم ويعاملونهُ . ولا بُدَّ لكلّ ذلك من سلطة حاكمة ترعى الحقوق وتجري بالعدل والانصاف ولا تحابي بالوجوه وتأخذ بناصر المظلوم على الظالم ليقوم كلّ انسان بواجباتهِ المفروضة عليهِ ولا يتعدَّى على حقوق جارهِ . وكذلك في المجتمع البشري من أُصيب بآفة في جسدهِ او مالهِ فلا يمكنهُ ان يقوم بحاجتهِ فمنهم المرضى والعجزة واليتامى والفقراء فيقتضي لكلّ هؤلاء مساعدون يُعنَون بحاجاتهم . فيعيّن الرؤساء مَنْ يهتمّ بامرهم لئلَّا تودي بحياتهم آفات الدهر

والشرط الثالث للتمدُّن أن يأمن اهل بلدٍ على صفاء عيشتهم من اهل بلدٍ آخر فيسدُّون ثغوره ويجاوزن لهُ الحامية في وجه اعدائهِ ثم ينظمون لهُ النظامات العمومية والمشروعات الوطنية ويرتبون لكل ذلك المالية الكافية فتُجبى الاموال وتوزَّع على مقتضى الحاجات. وذلك كلهُ لا يستغني عن هيئة تدبيرية من رئيس ومرؤوس وامير ومأمور مهما اختلفت الهيئة الحاكمة من سلطنة او ملك او مشيخة او جمهورية. وبذلك تقوم العيشة السياسية التي تجمع كل افراد الوطن فتجعلهم جسماً واحداً ادبياً مستقلاً بذاتهِ كافياً لنفسهِ ممتازاً عن غيرهِ

فهذه هي شروط التمدُّن الصحيح فان اردت ان تعرف اي بلدٍ من البلاد يتمتَّع بهِ او يخلو منهُ فانظر أهو حاصل على هذه الشروط التي وصفناها ام لا وتكون درجة تمدُّنهِ على قدر حصولهِ عليها ورسوخ قدمهِ فيها

والحق يقال ان الدول النصرانية الاوربية قد جرت بموجب هذه الشروط اكثر من سواها وفي هذا سرّ نجاحها وتقدمها فانها بنظاماتها وسُنَنها وشرائعها قد ضمنت للافراد الحياة الهنيئة بحيث يجدون على وجه الاجمال سعادتهم المادية والادبية في المشروعات المدنية التي سنَّتها تلك الامم سواء كانت لقوام معاشهم او لتهذيب عقولهم بانشاء المدارس لاصناف العلوم وضروب الفنون او لتثقيف طباعهم واصلاح نفوسهم بمساعدة ارباب الدين وكذلك عرفت تلك الدول أن تؤلف بين طبقات الناس وتؤدي لكل ذي حقٍّ حقوقهُ فتساوي بين الصغير والكبير وتنتصر للضعيف على القوي ولا تسهو عن المكروبين وتقيم للمرضى مستشفيات عامة وللصغار مياتم وللعجزة مآوى وللفقراء ملاجئ. كما انها بدساتيرها وقوانينها تفكر بتعزيز جانب الوطن ورفع شانهِ والذب عن حقوقهِ وتوفير ماليتهِ وتوسيع نطاق اعمالهِ التجارية والزراعية والاستعمارية

امَّا مصدر هذا التمدُّن الحديث الذي رفع باوربة الى هذه الرتبة السامية فهو بلا مراء الدين المسيحي كما يقرّ بهِ كلّ المتزهين عن الاغراض. وان تعقَّبتَ الشروط الثلاثة التي سبق لنا ذكرها وجدت انَّ للكنيسة في تحقيقها السهم الاعظم. فانَّ الكنيسة بمشروعاتها الاهلية والمدنية والادبية هذَّبت الدول الاوربية وبلَّغتها اوج فخرها بعد ان عطفت عليها في مهدها كالأمّ الرحوم وسهرت على شبابها

فخذ مثلاً العيشة المادية فلا يستطيع احدٌ ان ينكر انَّ الكنيسة برهبانياتها منذ

القرن الخامس قد طوّقت اوربّة مننًا لا يفي بها شكر فانّ الجمعيّات الرهبانيّة وجدت قبائل البرابرة قد انقضّت على تلك البلاد انقضاض الكواسر لا تعيش الّا من الغزوات والصيد فاخذت تعلّمها ضروب الصناعة ولاسيما الحراثة حتى انّ رهبانها كادوا يحرثون اربعة اخماس اوربّة كلّها وكانوا هم يعيشون عيشةً قشفة يرضون باليسير الزهيد ويقضون معظم سنتهم صوماً فيرزّعون على الفقراء والبائسين ما تغلّ الاراضي المستقيّة بعرق جبينهم. وكان الناس يقبلون الى اديرتهم ويسكنون بجوارهم ويتعلّمون منهم شغل الزراعة والبناء فيعمّرون المساكن ويعمّرون الامصار. ولو اردنا ان نعدّد المدن الاوربيّة التي ينتمي اصلها الى الجمعيّات الرهبانيّة لاضاف جدولها على عدة صفحات

وكان من هذه الجمعيّات الرهبانيّة طوائف تختصّ بفنّ البناء وغيرها بعدّ الجسور على الانهار ومنها ما كان يهتمّ بالصنائع الميكانيكيّة او بنسخ الكتب ولولا الرهبان لفقد العدد الاوفر من آثار حكمة اليونان واعمال الرومان كما تشهد على ذلك خزائن الكتب الاوربيّة

وان اعتبرت حياة الانسان العقليّة والعلوم وجدت انّ الكنيسة وحدها نجّت المعارف البشريّة من غرقها لمّا زحفت برابرة الشمال على اوربّة فصانتها في اديرتها وجعلت كل دير منها معهدًا للعلوم والفنون الجميلة فكانت تُقبل اليها الطلبة افواجًا. ولمّا هدأت الحروب وعاد السلام الى الدول في القرون الوسطى انشأت الكنيسة في ايطالية وانكلترّة والمانية وفرنسة تلك الكليات التي تخرّج فيها كل مشاهير العلماء في تلك الاعصار. وكانت عدّة رهبانيّات جعلت التعليم وتهذيب الشبيبة من اخصّ فرائضها كالرهبانية البندكتية والرهبانية الدومنيكية والرهبانية الفرنسيسيّة ومن بعدها الرهبانية اليسوعية. ولا نجد علمًا من العلوم البشرية الّا ولابناء الكنيسة فيه مئون من التآليف وقد سبق لنا في المشرق (٦ : ١٥) ردًّا على مجلّة مصريّة مقالة « في الكنيسة والعلوم الفلكية » فقس عليها بقية العلوم. وكلّ ذلك قبل انشاء الدول لمدارسها الوطنية بزمن طويل

امّا حياة الانسان الادبيّة فلا نظنّ احدًا ينكر علينا انّ ما يمتاز به التمدّن العصريّ من جهة الآداب انّما استقاه كلّهُ من تعاليم الكنيسة حتى قال الفيلسوف البروتستاني گيزو (Guizot) ان التمدّن الفرنسويّ كلّهُ الذي فاق على تمدّن بقيّة

الامم انما كان عمل الاساقفة وهم الذين اصطنعوا فرنسة كما تصطنع النحل خلاياها . ويا ليت بعض الدول تبالغ اليوم في اقتباسها عن الدين مبادئهُ فانّها لو فعلت لزادت في سعادة رعاياها وأمنت هي المشاغب والفوضى وكل الاخطار التي تتهدَّد المجتمع البشريّ بتناقص الدين لانَّ التمدّن الصحيح يقوم بالآداب اكثر منهُ بوفرة الاسباب الماديَّة او بترقي العلوم نفسها . ولا أدب بلا دين . فان شئت ان تعرف الدرجة التي بلغها احد البلاد في سلّم التمدّن فانظر الى آدابهِ ودينهِ وان رأيت الآداب فيهِ قد تقهقرت وحبل الدين في انتقاض فتحقَّق انَّ تمدّنهُ في هبوط وسوف يعود قريباً الى الهمجيَّة . ويسرّنا ان نختم هذا الفصل الوجيز بنقل ما كتبهُ في هذا الصدد احد مشاهير وطننا المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف حيث قال وفي قولهِ تأييدٌ لكلامنا السابق :

هو مقرَّر انَّ الدين ليس هو التمدُّن . . . ولكن ان لم يكن هو التمدُّن فهو مبدأ التمدُّن فنهُ ومن الواجبات التي يفرضها والغاية التي يبيّنها للحياة البشريَّة والنسبة التي يضعها بين الاجناس والرتب والشعوب وبالاختصار من تعليمهِ الادبيّ تنبجس ينابيع النظامات والاخلاق اكثر مما سواه

ثم قابل بين تمدّن الشعوب القديمة التي كانت قبل المسيح والشعوب المسيحيَّة التي أنشئت وفقاً لانجيلهِ المقدَّس فقال :

وبالاختصار فكلّ التمدُّنات التي كانت قبل المسيح تتشابه بهذا اي بانَّها تنكر المساواة الاصلية في الناس . واليهود انفسهم الذين كان عندهم مستودع الحقائق الادبية والدينية لم يكونوا يقبلون المساواة الّا في دائرة ضيقة تجعلها عديمة الجدوى . امَّا اساس الادب الديني الان فأخوَّة الناس جميعاً الذين خالقهم واحد وهو الله وابوهم واحد ونفوسهم متساوية وهم اعضاء عائلة واحدة متفرّقون . وهذا هو حاجزٌ لا يُخرَق قائمٌ بين التمدُّن القديم والتمدّن الحديث الذي ينبوعهُ الانجيل والذي نجاسهُ كلّهُ قد ثبت لسرعة تقل متيقنة الاخاء الديني من الكنيسة التي علَّمت بهِ الى المملكة التي تحرسهُ وتعضدهُ فهذا هو عاقبة مبادئ التمدُّن التي سادت وتسود الى الآن بين الناس

فيا حبَّذا لو ادرك اهل بلادنا هذه القضايا فلا ينخدعوا بظواهر التمدُّن وقشرتهِ دون لبّهِ وحقيقتهِ . فهيهات ان نُدعى متمدّنين باستعارتنا من الاجانب مجازفةً بعض عاداتهم السيئة كالازياء (المودات) والمراقص والمراسح الخلاعيَّة والروايات البذيَّة والمضاربات التجاريَّة فكلّ ذلك والتمدُّن على طرفي نقيض . وقد وضع السيد المسيح الاساس الاوَّل للتمدُّن بقولهِ عزَّ من قائل (متى ٦ : ٣٣) : « اطلبوا اولًا ملكوت الله وبرَّهُ وهذا كلّهُ يزاد لكم »

مطبوعات شرقية جديدة

STUDIA SYRIACA, fasc. III: Vetusta Documenta Liturgica primo edidit, latine vertit, notis illustravit IGNATIUS EPHRAEM II RAHMANI PATRIARCHA ANTIOCHENUS SYRORUM. *Typis patriarchalibus in Seminario Scharfensi de Monte Libano,* 1908 pp. VIII-98-٨

آثار طقسية قديمة في السريانية

هو مجموع نفيس اودعهُ غبطة السيد الجليل اغناطيوس افرام الثاني الرحماني البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك خمسةً من الآثار السريانية القديمة. ونحن نتكلم عنها في عكس ترتيبها لنجعل اولها سلك ختامنا. فنقول: انَّ الأثر الخامس يحتوي اربع قطع صغيرة من ميامر (λόγοι ἐπιθρόνοι) ساويرس الانطاكي زعيم البدعة اليعقوبية فيها افادات طقسيَّة وتاريخيَّة خطيرة شوَّقتنا الى نشر باقيها الموجود في مخطوطات الفاتيكان. امَّا الأثر الرابع فيشتمل على رسالة لانثيموس بطريرك القسطنطينيَّة الى يعقوب البرادعي لكنَّي مرتاب في صحَّتها لأنَّ انثيموس كان جالساً على كرسي القسطنطينيَّة سنة ٥٣٦ وفي هذا التاريخ ما كان لاحد من بطاركة القسطنطينية ان يكتب كتاباً للبرادعي وهو اذ ذاك راهبٌ خامل الذكر في دير فسأتا فيُعنونهُ بقوله: «الى حبيبنا يعقوب اسقف الرها». ثمَّ في موضوع الرسالة ما يزيدنا شكاً في حقيقتها فانَّ انثيموس يوصي يعقوب بان يُحسن اختيار المرشَّحين للاسقفيَّة ويختبرهم بحرص واعتناء. ثم ينذد بالذين يُسرعون في تسقيف المرشَّحين مع قلَّة اهليَّتهم لهذه الرتبة السامية. فمحتوى الرسالة لا ينطبق مع حالة البرادعي: فلو صحَّت لاقتضى ان يكون تاريخها بعد ذلك بسنين اعني بعد سنة ٥٤٣ اذ سُقف البرادعي بحماية الامبراطورة تيودورا واخذ يتجوَّل في سوريَّة الوسطى ويطلب كهنةً من شيعته ليرسمهم اساقفة بدلاً من اولئك الذين تشدَّد عليهم الامبراطور يستنيان وتناهم. فلا بُدَّ ان تكون هذه الرسالة مصنوعة او تكون موجَّهة الى غير البرادعي. امَّا الاثران الثاني والثالث فدارهما على مواضيع تهذيبيَّة وطقسيَّة وكان فحواهما معروفاً في السابق الَّا أنهما مفيدان لبيان القوانين الشرقيَّة لاسيما اذا أمكن تعريف زمن تأليفهما

بقي علينا الأثر الاول الذي اخرناهُ لخطرهِ وهو يتضمَّن صورة رتبة كنسيَّة كان يتَّخذها ارباب الطقس اليوناني لتنصيب اساقفتهم . وهذا الأثر منقول عن كتاب مخطوط بالسريانيَّة وُجد في مديات في جبل طور عابدين ويُرقَّى عهدهُ الى القرن الثامن او التاسع . وكتابة هذه الرتبة بالسريانيَّة دليل على انَّ الكنيسة اليونانيَّة كانت تستعمل اللغة السريانية في طقوسها منذ ذلك العهد كما بيَّنهُ غبطة السيِّد البطريرك في مقدَّمتهِ على هذا الأثر الجليل وفيهِ تأييد لما كتبتهُ مرارًا مجلة المشرق في صددهِ وقد اوضحهُ مؤخَّرًا حضرة الاب كيرلس شارون الرومي الكاثوليكيّ الملكيّ بأخذهِ الحجج واسطع البيِّنات (اطلب المشرق ١١ : ٩٦٠) . وفي رأس الأثر الجديد الذي نتكلَّم عنهُ هذا العنوان : (ܩܪܝܢܐ ܕܬܪܝܢ ܩܠܝܪܝܩܝܢ ܘܣܘܪܝܝܐ) اي "يُقرأ الكتابان اليونانيّ والسريانيّ" . ويزيد هذا المجموع حسنًا ما حتى يحتوي على ختام مخطوطين سريانيين وجدهما غبطتهُ في ثينًا عند احد محبّي الآثار الشرقيَّة تاريخ اوَّلهما سنة ٧٢٣ م والثاني ١٠٥٦ وفي ختام الاوَّل ذكر لكنيسة الروم الملكيين في الرها مع اسماء كلّ خدمتها اي مطرانها وكهنتها وشمامستها . وهي فائدة جليلة لمعرفة تاريخ الملكيين في تلك الحاضرة في اوائل القرن الثامن . امَّا ختام الكتاب الثاني وهو ايضًا للملكيين فيهِ ترجمة التريودي الى السريانيَّة فيشير الى دير على اسم القديس جرجس كان للملكيين في ضواحي انطاكية في محلّها الشهير المسمَّى دَفنة والى كنيسة لهم كانت في الجبل الاسود (ܛܘܪܐ) على اسم الشهيد بندليمون

الاب ب . بيترس

دليل بيروت (تقويم الاقبال) اثر السيِّد عبد الباسط الانسيّ

طُبع بمطبعة جريدة الاقبال في بيروت للسنة الهجرية ١٣٢٧ (ص ٢٢٤)

كان الاخوان الشقيقان امين افندي الخوري والمرحوم خليل صاحب المكتبة الادبيَّة نشرا قبل ٢٠ سنة دليلًا لبيروت تحت اسم الجامعة اودعاهُ معلومات متعدِّدة عن بيروت واهلها وامكنتها وصنائعها واشغالها ثم بطل هذا الدليل بعد بضع سنوات . وها قد استأنف العمل جناب السيِّد عبد الباسط افندي الانسيّ بل وسَّعهُ وضمَّنهُ عددًا وافرًا من ضروب الفوائد التي يحتاج اليها البيروتيُّون على اختلاف طوائفهم من تاريخ

الشهور والاعياد ونظام الدولة العثمانيَّة واحكامها وولاياتها وخصوصاً ولاية بيروت ودوائرها وشركاتها ومعاهدها الدينيَّة وسككها ومدارسها ومعابدها وتجارها وصناعها الى غير ذلك ممَّا يستغرق جدولهُ عدَّة صفحات. فجاء كتاباً غاية في النفع لا يستغني عنهُ البيروتيُّون والغرباء الذين يقصدون مدينتهم. ولا غرو ان يقع في كتاب مثل هذا بعض الاغلاط واملنا وطيد بانَّ صاحبهُ الاديب يصلحها في السنة القادمة فمن ذلك أنَّ عيد الاربعين (ص ٢٣) جُعل في ٩ آذار يوم الاثنين للطوائف الشرقيَّة وفي ٩ اذار ايضاً يوم الثلثاء (؟) للطوائف الغربية. وكذلك وُضع وقوع عيد البشارة في ٢٥ اذار الاربعاء للطوائف الشرقيَّة وفي ٢٥ آذار ايضاً الخميس (؟) للغربيين وقس عليهما اعياداً اخرى وكل يعرف انَّ بين التاريخ الغربيّ والشرقيّ ١٣ يوماً. وممَّا لا يتطبق مع الترقي العلميّ في عصرنا الجدول الذي اثبتهُ جناب المؤلف (ص ٥٥) للحروف الابجديَّة وتعبير الرؤيا عليها. وقد فاتهُ من امور الكاثوليك اشياء كثيرة ننسى في جدول اساقفة الروم الكاثوليك رئيس اساقفة حلب. وفي الكنائس كنيستي الآباء اللعازريين واليسوعيين. وفي المدارس مدارس اليسوعيين في الرميلة ورأس بيروت ومدارس الاخوة المريميين ومدارس راهبات المحبَّة وراهبات مار يوسف والعائلة المقدَّسة وقلبي يسوع ومريم واعمال خيريَّة عديدة كميتام ومستوصفات. هذه بعض ملحوظات اوردناها اجابةً الى ملتمس صاحب الكتاب في مقدمته ل. ش

كتاب دليل الفردوس

مواعظ انشأها وجمعها الخوري افرام ابيض خادم طائفة السريان الكاثوليك بمصر

الجزء الرابع. طُبع بمطبعة التوفيق في مصر سنة ١٩٠٨ (ص ٤٨٠)

هذا دليل آخر لا يهدي قارئهُ الى معرفة بلد في دار الفناء بل يرشدهُ الى مقام اسمى واشرف في دار البقاء. فرحباً بهِ وسهلاً وقد سبق المشرق (١٠: ١٨٨) وعرَّف الرائد الثقة الذي اوقف نفسهُ لهذا العمل المبرور ولم يكتفِ حضرة المؤلف بالقاء الارشادات والدلالة على الفردوس شفاهاً بل احبَّ تدوين مواعظهِ لتبقى كدليل حي ثابت لكلّ من يرغب في السير الى فردوس الابرار. وهذا الجزء الرابع من تلك الخطب البليغة التي ألَّفها خطيبنا العصريّ فضمَّنها كثيراً من المواضيع التي يجبُ

الشرقيّون استماعها لانطباقها على المباحث الجارية على ألسنة اهل العصر فيسمعونها في نوادي الادباء او يقرأونها في الجرائد السيّارة وربّما اختلط فيها الغثّ والسمين والاصيل والهجين فلا يعلمون وجه الصواب وفي هذه الخطب ما يزيل ارتيابهم بحججهِ الراهنة وبيناتهِ الواضحة التي ينقلها حينًا عن الاسفار المنزلة وحينًا عن تقليد الآباء الاوّلين وتارةً يدعمها بتعليم احبار الكنيسة وتارةً يثبتها بتقارير المجامع المسكونية . وفي كل حال يؤيد هذه البراهين بالادلّة العقليّة او يبيّن على الاقلّ في شرحهِ للاسرار الالهيّة التي تفوق طور الادراك ان العقل لا يمكنهُ إنقاضها بعد ثبوت الوحي بها ومن ثم يردّ اعتراضات الناكرين اصحّتها في بلادنا . فنشكر اذن حضرة المؤلف على هذا الاثر الجديد ونتمنّى ان يستدلّ كثيرون بتأليفهِ على طريق الفردوس ل . ش

رحلة الحبشة

تأليف صادق باشا المؤيد العظم . وتعريب رفيق بك العظم وحقّي بك العظم
طُبع بمطبعة الجريدة في مصر سنة ١٣٢٦ – ١٩٠٨ (ص و + ٢٢٥)

هذه رحلة حديثة باشرها في ربيع السنة المنصرمة صاحب الدولة صادق باشا المؤيد العظم فريق اوّل بالجيش العثماني امتثالًا لامر جلالة السلطان عبد الحميد ليوصل كتابهُ الهمايونيّ الى جلالة منليك الثاني نجاشي الحبشة . فرأى جناب المندوب في هذه الرحلة فرصة مناسبة لتدوين اخبار سفرتهِ فكتب يومًا بعد يوم ما جرى لهُ فيها ووضع بالتركية سفرًا واسعًا نفيسًا اسرع الى تعريبهِ اديبان من اسرتهِ الكريمة . ولم يجترئ جناب الرحّالة بوصف سفرهِ وما لحظهُ في طريقهِ لكنّهُ وسّع نطاق عملهِ فضمّنهُ كلّ ما تلذّ القارئ معرفتهُ من احوال الحبشة كجغرافية البلاد وتاريخها ولغتها وآدابها وشرائعها وافاض في وصف النجاشي واسرتهِ وحاشيتهِ وعاصمتهِ اديس آبابا . ولولا انّ مكاتبنا الاديب الصيدليّ القانونيّ عبدالله افندي ميشال وعد سبق الى نشر فصول عديدة عن الحبشة في المشرق لنقلنا من الكتاب بعض مرويّاتهِ التي تنطبق تمامًا مع ما اخبر بهِ جناب المكاتب . وفي آخر الكتاب ترجمة بعض مشاهير الاحباش اوّلهم « لقمان الحبشي » وكان الاولى ضرب الصفح عن مثل هذا الرجل الذي لا يُعرف من اخباره شيء مقرّر . وهذا التأليف على وجه الاجمال حقيقٌ بان تردان بهِ مكاتب الخاصّة فتحضّ الادباء على اقتنائهِ ل . ش

شذرات

منارة الدين اقترح احد الاصحاب على الشيخ احمد افندي تقي الدين المحامي القانوني مقالةً في الدين يختمها بتهنئة قداسة البابا بيوس العاشر بيوبيله الكهنوتي فقال جنابهُ :

الدين ما جعل السلام شعارا ... وأقال فينا كبوةً وعثارا
وأزاح عن وجه الحقيقة برقعاً ... واقام في وجه الضلال ستارا
تتباين الآراء في ترعاته ... والكلُّ يعبد واحداً قهّارا (١
رفعوا لهُ فوق الثراء معابداً ... والى الثريا قبةً ومزارا
ومن البريّة مَن تخازر طرفهُ ... فرأى الحياة حرارةً وبخارا
فأعوذ مما يزعمون وليتهم ... نهجوا الصواب وجانبوا الأوزارا
فالله حقٌّ والشريعةُ نورهُ ... ومن استنار يُبلغ الاوطارا
والدين في هذا الوجود منارة ... وَسط الدجنّةِ توسل الانوارا

بحر العالم

والكونُ بحرٌ والخليقة رحلٌ ... ركبوا الحوادث وابتغوا اسفارا
يتساجلون ولا يقرُّ قرارهم ... أرأيت للبحر المحيط قرارا
يتشوّفون الى الثغور وفيهم ... حَسَرٌ بنى دون الثغور جدارا
يَردون انجار الوجود وحسبُهم ... بأباجه لا ينقعون أُوارا
فالمدُّ آمال نوتّر قوسنا ... والجزر يأس يقطع الاوتارا

سفينة الحياة

انَّ الحياة سفينةٌ مخرتْ بنا ... نحو المنى وأقلّت الاعمارا
تنساب في صدر العُباب كأنها ... بين الخنافل ينشد الاوكارا
تقتادها الاهواء وهي عواصف ... وتديرها الالبابُ وهي سكارى
فمن الهوى ما لا يردُّ جماحها ... ومن الحجى ما يدفع التيّارا
فالعُرب قد ركبوا المطيَّ الى الهدى ... والعُجم قادوا مركباً وقطارا

(١) الترهات المذاهب فبعضها صحيح وبعضها باطل كما لا يخفى وان كان الاله واحداً (المشرق)

لبسوا الدجى فالبعض آنس جمرةً فمشى اليها طائعاً مختارا
والبعض خاض اليمَّ يطلب نجمةً يلقى بها نوراً فصادف قارا
والبعض تاهَ عن الصراط وقد غوى وكذاك يشردُ من يخوض بحارا
فالخيرُ ينشد للنفوس سعادةً والشرُّ يسدل دونها استارا
والنفس كالمرآة تحسُن إن صفت او كُدِّرت فجمالها يتوارى

ثغر الحياة

يا وارداً ثغر الحياة وثغرها ساقٍ يُدير على الانام بوارا
هل في الكؤوس ثمالةٌ تروي الظما فتسوغها وتغالب الاقدارا
هيهات وصلٌ والسعادة ظبيةٌ ان زدتها قرباً تزدك نفارا
لكن بصدري جنةٌ وجهنم أوَ لم ترَ النيران والانهارا
فاذا صدقتُ ارى بنفسي جنةً واذا كذبتُ ارى بنفسي نارا
والدين ما زرع الضمير وجاده غيثُ الصواب فأنبت الابرارا

التهنئة والتخلص

والقائمون بامره عُصَب التقى الطالبون الى السعادة دارا
اللابسون على المسيح حدادَهم اللابسون من السلام دثارا
ورئيسُهم في صدر رومة خادرٌ كالليث يحمل للصلاح منارا
يرعى خراف مسيحه بعصا الهدى ويبارك الابرار والاطهارا
ويمدُّهم بكماله فكأنهُ شمسٌ تمدُّ بنورها الاقمارا
فاهنأ بيوبيلٍ توشح تاجه ذهباً وفاخر ان رضيتَ فخارا
نثرتْ بلدتك الليالي فضةً ونظمتَ في جيد الزمان نضارا
فاجعل شعارك رحمةً ومودةً فالدين ما جعل السلام شعارا

امبراطور المانية واليسوعيون — قد منح آخراً الامبراطور غليوم الثاني وسام النسر الاحمر لاحد الآباء اليسوعيين وهو الاب فردريك مولّر شكراً له على الخدم الروحيّة والادبيّة التي يؤديها للالمان في انقرس منذ ثلاثين سنة

البطريركية القسطنطينية — نقل عن مجلة الكلمة ١٩٠٩ ص ٣٢ هذا الفصل المفيد بحرفهِ قالت: «اذا تمَّ استقلال بلغاريا واتحاد البوسنه والهرسك بالنمسا واتحاد جزيرة كريت باليونان خسرت البطريركية القسطنطينية ثاني عشرة ابرشية. وذلك اولاً

لان في بلغاريا خمس ابرشيات يونانية تابعة للبطريركية القسطنطينية . وهذه الابرشيات وان تكن أقفلت موقتاً بسبب ثورة البلغار ضد اليونان في بلغاريا سنة ١٩٠٦ الّا ان اليونان لم يقطعوا الامل من اعادتها بتحسين العلائق بينهم وبين حكومة الامارة البلغارية . اما الان وقد اعلنت بلغاريا نفسها مملكة مستقلة كمملكة اليونان فالبلغار لا يسمحون بفتح ابرشيات يونانية في مملكتهم كما ان اليونان لا يسمحون بفتح ابرشيات بلغارية في مملكتهم . ثانياً في مقاطعتي البوسنه والهرسك توجد اربع ابرشيات ارثوذكسية كبيرة جداً تابعة للبطريركية القسطنطينية بالاسم فقط لان البطريركية كانت مجبورة منذ احتلال النمسا هاتين المقاطعتين على اثر الحرب الروسية التركية ان تثبت المطارنة الذين تنتخبهم حكومة النمسا وهذه تنقد البطريركية القسطنطينية مبلغاً معلوماً من المال مقابل ذلك التثبيت . اما الآن وقد ألحقت النمسا هاتين المقاطعتين باملاكها فاما انها تلحق تلك الابرشيات الاربع الارثوذكسية باحدى الكنائس الثلاث الارثوذكسية المستقلة الموجودة في مملكتها واما انها وهو الاغلب تجعلها كنيسة رابعة ارثوذكسية مستقلة عملاً بمبدإها السياسي « قسّم تملك » ! وكيفما فعلت الحكومة النمساوية فان البطريركية القسطنطينية ستفقد هذه الابرشيات الاربع العظيمة لا محالة . وثالثاً توجد في جزيرة كريت تسع ابرشيات كانت تابعة للبطريركية القسطنطينية بالاسم ايضاً لانها منذ ما صارت كريت شبه امارة في سنة ١٩٠٠ قد تألف من اساقفتها التسعة مجمع يرأسه احدهم باسم ميتروبوليت هيراكليه تحت سيطرة البطريركية القسطنطينية . اما الان وقد اعلنت كريت اتحادها بالمملكة اليونانية فان ابرشياتها التسع هذه ستخرج نهائياً من تحت سيطرة البطريركية القسطنطينية وتصير تحت سلطة المجمع المقدس في اثينا عاصمة اليونان وذلك بالتمام كما جرى بابرشيات الجزر الايونية على اثر اتحادها بالمملكة اليونانية في سنة ١٨٦٦ وبابرشيات مقاطعتي ايبيروس وتسّاليا عقيب الحاقهما بالمملكة اليونانية في سنة ١٨٨١ — . اما عدد الارثوذكسيين الموجودين في هذه الابرشيات الثماني عشرة التي ستخسرها البطريركية القسطنطينية فينيف على مليون نفس منهم نحو سبعين الفاً في بلغاريا ونحو ثماني مئة الف في البوسنه والهرسك ونحو مئتي الف في كريت » . (قلنا) ومن هذا ترى ما آلت اليه تلك البطريركية التي كانت تمنعت نفسها بالمسكونية بعد انفصالها عن رومة !!

اسئلة واجوبة

س سألنا من دير الاحمر حضرة الخوري بطرس قزح عن تعليل حركة السيّارات التي ترى سائرةً من المشرق الى المغرب ثم يراها الناظر عائدة في سيرها من الغرب الى الشرق

حركة السيّارات

ج معلوم انَّ السيّارات اجرام تستمدُّ نورها من الشمس وتدور حولها في مدّات مختلفة على حسب تفاوت عِظَمها وبعدها عن الشمس. ومنها سيّارات سُفلى تدور بين الارض والشمس ومنها عليا تدور حول الشمس والارض. امّا حركتها فعلى نوعين حركة واقعية صحيحة وحركة ظاهرة للعين فالحركة الواقعية هي الحركة الدائرية او بالاحرى الاهليلجيّة التي لا تختلف كثيرًا عن الدوائر. ولو كان الناظر الى السيّارات واقفًا في مركز الشمس لرآها كلّها تدور حولهُ كما نرى نحن قمرنا وهذه الحركة الحقيقية تكون من غرب الشمس الى شرقها. اما الحركة الظاهرية فهي التي يلحظها الناظر من الارض فانهُ يرى السيّارات تارةً شرقيَّ الشمس حتى اذا بلغت زوايا معلومة تثبت مدّة في امكنتها ثم تعود الى غربي الشمس وهلم جرًّا. وامّا سبب ذلك فالرجوع ارضنا بالنسبة اليها والى الشمس ولاختلاف مدّات حركاتها. فاعتبر مثلًا في الشكل الاوّل الشمس في ش وفلك الارض ض ض١ فان افترضنا الارض ساكنة في ض والسيّارة ا جاريةً الى ا١ بحركتها الصحيحة فانَّ الناظر اليها في ض يرى صورتها عند بلوغها الى ا١ مرسومةً في السماء في ك ثم تجري السيارة من ا١ الى ا٢ ثم الى ا٣ فالناظر اذا بلغت ا٢ يراها في سطح السماء عند ك١ فيتوهم انّها عادت على اعقابها فسارت سيرًا متقهقرًا. ثم تعود السيارة فتسير من ا٣ الى ا ثم ا٤ حتى ا١ فيراها في ك وبحسب انّها سارت سيرها سريًا من ك١ الى ك وهلمَّ جرًّا. وفي الشكل الثاني نرى على خلاف ذلك الارض بين الشمس ش والسيارة ا فلنعتبر الارض جاريةً ولنفترض السيارة ساكنة فان سارت الارض من ض الى ض١ رأى الناظر السيارة ا صورتها في ب١ واذا دارت الارض الى ض٢ ثم الى ض٣ رأى صورتها في ب٣ كأنّها رجعت التهقرى

الاب بماسون

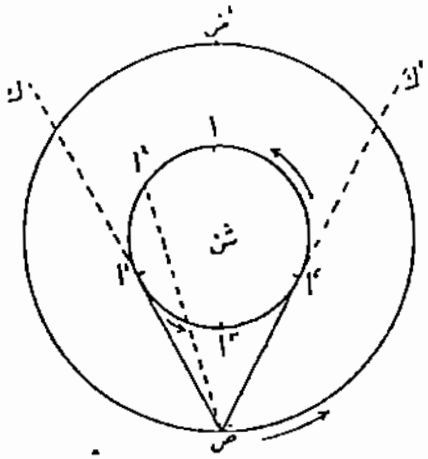

الشكل الاوّل

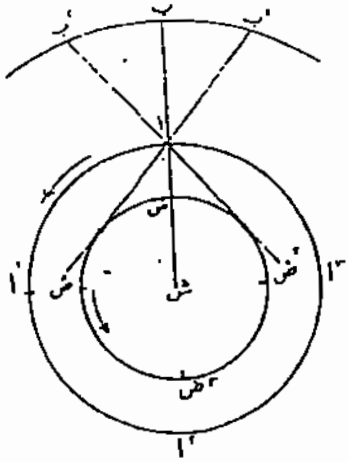

الشكل الثاني

المشرق

ديوان السموءل

عني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين الآثار التي توفق حضرة الهمام الاب انستاس الكرملي فحصل عليها آخرًا في دمشق مجموع نفيس قديم الخطّ يرتقي تاريخ كتابتهِ الى السنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م) طولهُ ٢١ سنتمترًا في عرض ١٦ س كان يتألف في الاصل من ١٥٠ صحيفة او ٣٠٠ صفحة وفي كل صفحة ١٥ سطرًا بخطّ نسخيّ غاية في الاتقان والجلاء. امّا محتوياتهُ فكانت ادبيَّة ولغويَّة على هذا الترتيب: ١ً كتاب الهمز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاريّ. ٢ً كتاب تحقيق الهمز لهُ (فقد معظمهُ). ٣ً كتاب فضائل الكلاب رواية ابي القسم عليّ بن الحسن التنوخيّ. ٤ً كتاب تفضيل الاتراك على سائر الاجيال. ٥ً ديوان المُزَرِّد رواية ابن السكيت. ٦ً ديوان السموءل بن عادياء. وكأن الوراق بانع هذا الكتاب وجد في تقسيمهِ افادةً ماليَّة فافرد كلّ قسم وجلّده على حدتهِ ليزيد بهِ ربحهُ. والدليل على انهُ كان مجموعًا واحدًا خطّهُ المتشابه وورقهُ وقطعهُ ورقوم صفحاتهِ المتتابعة ثم اجازة بخطّ الحسن بن محمّد الشهير بالصغّاني في آخر كل قسم من اقسامهِ. واليوم قد اخترنا من هذا المجموع ديوان السموءل لنزيّن بهِ صفحات المجلة لعلمنا بارتياح الأدباء الى هذا الاثر الجليل الذي كان يظنُّهُ المستشرقون مفقودًا. على انَّ الحاج خليفة كان وقف على نسخةٍ منهُ فذكرهُ في كشف الظنون (ed. Flügel, III, 282) وهذا الديوان صغير الحجم صفحاتهُ ٣٨ بحرف مشرق وابياتهُ بحرف أشرق واغلظ وها نحن ندوّن موادّه في هذا العدد تمامًا. وقد عارضهُ على الاصل اللغويّ الصغّاني كما سبق

امّا السموءل فلا نعرف من ترجمته سوى القدر القليل فاسمهُ السَّمَوْءل يُشعر باصل عبرانيّ كصَمُويل وقد جاء ايضاً في العربيّة في صورة سَمَويل كجِبْريل . وللسموءل في العربيّة معاني مختلفة فهو طائر يكنّى ابا براء وهو ايضاً الظِلّ وذباب الخلّ والسريع قاله في التاج (٧ : ٣٨٢) . وقد دُعي بهِ غير شاعرنا وبهِ عُرف فَخُذ من كعب بن عمرو مزيقيا. وقد اختلفوا في نسبهِ فقالوا (الاغاني ١٩ : ٩٨) : انهُ السموءل بن عادياء كما في رواية كتابنا . وقالوا بل ابن غريض بن عادياء (الاغاني ١٩ : ١٠٠) . وفي امثال الميدانيّ (٢ : ٢٧٦) : انهُ السموءل بن حيّان بن عادياء . وفي التاج (٧ : ٣٨٢) : السموءل بن اوفى بن عادياء . واختلفوا في نسب عادياء فقالوا : عادياء بن حباء . وقالوا : عادياء بن رفاعة بن جفنة ورقّوهُ الى ملوك الحيرة الى عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء (الاغاني ١٩ : ٩٨) . وروى في معاهد التنصيص (١ : ١٣١) : انهُ من ولد الكاهن بن (كذا) هُرون بن عمران . وقالوا عن قبيلتهِ انهُ كان غسّانيًّا . ويقول غيرهم بل كانت أُمّهُ من غسّان . وامّا دينهُ فقالوا انهُ كان يهوديًّا . وقد بيّنّا في المشرق (٩ : ٦٧٤—٦٧٥) انّ في الامر نظرًا اوّلًا لان السموءل يُنسَب الى غسّان وغسّان كما اثبتنا (المشرق ١٠ : ٥١٩ و ٥٥٤) كانت تدين بالنصرانية . ثم جاء في رواية قصيدتهِ اللامية التي أُرسلت الينا من الموصل (المشرق ٩ : ٦٧٥) ذكر السيّد المسيح فقال :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامل

فكفى بهذا القول اذا صحّ دليلًا على تديُّنهِ بالنصرانيّة . وفي ديواننا هذا يدعوهُ يهوديًّا وليس قولهُ مقنعًا ولاسيما ان الراوي ذكر لهُ بيتًا ورد فيهِ ذكر بعض الحواريين فقال :

وسلبتُ والحواريُّ يحيى ومُتّى يوسف كأنّي وَلِبتُ

فقولهُ « الحواريّ يحيى » ثم ذكرهُ « مُتّى » يدلّان على تلميذين من تلامذة المسيح يريد الانجيليين يوحنا ومتّى . والمحتمل انّ يوسف هو يوسف المذكور في انجيل متى (١٣ : ٥٥) كاحد اخوة الربّ فكلّ ذلك يزيدنا ارتيابًا في يهوديّتهِ ويقينًا في نصرانيّتهِ . وليس قول الشارح على هذا البيت سديدًا اذ استنتج من قولهِ « والحواريّ يحيى » ان السموءل كان يهوديًّا وكان الاحقّ بهِ ان يقول ان في هذا اشارة الى نصرانيّتهِ اذ ليس ليهودي ان يذكر في شعره احد الحواريين اي تلامذة السيّد المسيح . ولعلّ

فصل الخطاب في هذا ان يقال انَّ السموءل كان من احدى تلك الشيع الجامعة بين عادات اليهود وعقائد النصرانيَّة (sectes judéo - chrétiennes) التي عبرت الاردنَّ وقت حصار الروم لاورشليم فسكنت في بلاد العرب وكانت لغتها الارامية الفلسطينيَّة ثم اختلطت بالعرب وغلبت عليها لُغتهم . والله اعلم

وان تخطينا الى اخبار السموءل فجمعنا كلَّ ما يُروى عنهُ في كتب الادباء لم نجد من احواله غير ما يأتي : انهُ كان من يثرب (اغاني ٦ : ٨١) وكان صاحب تيماء التي عُرفت لاجل ذلك بتيماء اليهودي (معجم البلدان لياقوت ١ : ٩٠٧) وكان يشرف على تيماء حصنهُ الابلق ويسمَّى الابلق الفرد . قال القزويني في آثار البلاد (ص ٤٨) سُمّي بذلك « لانهُ كان في بنائهِ بياض وحمرة وهو بين الحجاز والشام » . وقد زعم الاعشى انَّ الابلق من بناء سليمان بن داود حيث قال (ياقوت ١ : ٩٦) :

ولا عاديا لم يَنجُ الموتَ مالُهُ ... ووِرْدٌ بنيـاء اليهوديِّ أبلَقُ
بناهُ سليمانُ بن داوودَ حقبةً ... لهُ أرجٌ عالٍ وطيٌّ مُوثَّقُ
بوازي كُبَيْداتِ السماء ودونهُ ... بلاطٌ ودارات وكاسٌ وخندقُ
لهُ درمكٌ في رأسهِ ومشاربٌ ... ومسكٌ وريحانٌ وراحٌ مصفَّقُ
وسورٌ كأمثال الذُّرى ومناصفٌ ... وقِدْرٌ وطاباقٌ وصاعٌ ودَيْسَقُ
فذاك ولم يعجز من الموت رُتبةً ... ولكن اتاه الموت ولا يتأبَّقُ

وكانت العرب تنزلُ بالسموءل فيضيفها وتمتار في حصنهِ ويقيم هناك سوقًا (معاهد التنصيص ١ : ١٣١) . واليهِ التجأ امرؤ القيس فأودعهُ دروعهُ واسلحتهُ قبل ان يرحل الى القيصر في قصَّة شهيرة رواها في اوَّل ديوانهِ وعلَّلت عند العرب المثل السائر : « اوفى من السموءل » (راجع الاغاني ٦ : ٨٠ و ٨٢ و ١٩ : ٩٩ ثم امثال الميداني ٢ : ٢٧٦) ويُؤخذ من هذه الروايات كلّها انَّ السموءل عاش في القسم الثاني من القرن السادس . ولم تُعرف سنة وفاتهِ . وكان للسموءل ابن اسمهُ الشريح وأياهُ مدح الاعشى بابياتهِ الرائيَّة المذكورة في مقدِّمة الديوان . وجاء في البيت الاخير منهُ ذكر ولدين آخرين حَوْط ومنذر لا نعرف من امرهما شيئًا والظاهر انَّ حوطاً هو قتيل الحارث بن ابي شمر . ويُعرف لهُ اخ اسمهُ شُعَيه ويروى شُعَبه وسمَّاهُ في معاهد التنصيص « سعيدًا » . ولعلَّ كل ذلك تصحيف والاصحّ كما روى في الاصمعيَّات (ص ٢٠) شُعْبة

اما الديوان الذي نعنى اليوم بنشرهِ فجامعهُ ابو عبد الله نفطويه واسمهُ ابراهيم بن

محمد كان احد مشاهير الرواة اخذ عن ثعلب والمبرّد كان مولده سنة ٢٤٤ ووفاته سنة ٣٢٣ (٨٥٨–٩٣٥ م) وقد ذكره صاحب الفهرست (ص ٨١–٨٢) واورد اسماء تآليفه. وكذلك السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ص ١٨٧) ولم يذكر كلاهما روايته لشعر السموءل

(1) شعر السَّمَوْءَل بن عَادِيَاء

صنعة ابي عبد الله بن خَطَّوَيه

(2) بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوّة الّا بهِ

قال ابو عبد الله محمّد بن عرفة الازديُّ: كان السموءل بن عادياء الغسانيُّ يهوديًا وكان عظيم الخطر في قومهِ وضربت بهِ العرب المثل فقالوا: اوفى من السموءل. قال دِعْبل بن عليّ الخزاعي:

وما مثل السموءل في تراثٍ ألا ميتاتَ قد قطعَ القرينا

وكان من وفائهِ انَّ امرءَ القيس بن حُجر لمَّا خرج الى قيصر يستنجدهُ على بني أسد بن خزيمة اودعهُ مائة درع. فلمَّا هلك امرؤ القيس بلغ الحرث بن ابي شمر الغسانيَّ خبر الدروع فأتى السموءل في جيش فتحصَّن منهُ السموءل واخذ الحرث ابنًا لهُ وقد رجع من الصيد فقال لهُ: اني قد اسرتُ ابنك فادفع اليَّ الدروع والّا ضربتُ عنقهُ. فأبى السموءل ان يدفع اليهِ الدروع فقرَّب الحرث الغلام فضرب عنقهُ. فقال في ذلك السموءل:

وفيتُ بأدرُعِ الكنديِّ إنّي اذا ما ذمَّ اقوامٌ وفَيتُ
بنى لي عاديا حصنًا حصينًا وماءً كلَّما شئتُ استقيتُ
وقالوا انهُ كنزٌ رغيبٌ فلا واللهِ أغدر ما مَشيتُ

(1) هذه الاعداد تدلُّ على صفحات الكتاب وكانت صحائفهُ في المجموع من ١٤٠ الى ١٥٩

(3) وقال في ذلك اعشى بني ثعلبة وكان الاعشى هجا رجلاً من كلب فقال:

بنو الشُّهُرِ الحرام فلستَ منهم ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا من رهطِ حيّان (* بن فُرْطٍ ولا من رَهْطِ حسّانَ بن زَيْدِ

فقال الكلبيّ: وما عليَّ من ذلك انا اشرف من هؤلاء. ثم سار شعر الاعشى هذا في الناس حتى سبّوا به الكلبيّ. ثم انّ الاعشى سافر وقد كان الكلبيّ انذر دمَهُ فغزا الكلبيُّ في جيشٍ فاغار على قوم فيهم الاعشى فاخذهُ اسيرًا وهو لا يعرف الاعشى. فسأل الاعشى من كان في يده ان يبعث به الى شُرَيح بن السموءل وكان شُرَيح في حصن ابيه وهو الابلق فلما صار اليه عرّفه نفسهُ فقال الاعشى:

شُرَيحُ لا تتركنّي بعد ما غلقت حبالُك اليوم بعد الله اظماري
قد حلتُ ما بين يانقيا الى عدنٍ وطال في العجم تكراري وتسياري (١
فكان اكرمهم عبدًا واوثقهم عقدًا فبوك بعرفٍ غير إنكارِ
كالليث ما استطرده جاد وابلُهُ وفي الخزاعز كالمستأسد الضاري (٢
كن كالسموءل اذ طاف الهمامُ به في جحفلٍ كسوادِ الليل جرّارِ (٣
اذ سامهُ خطّتَيْ خسفٍ فقال له قُلْ ما بدا لك اني سامعٌ حارِ
فقال عدرٌ وثكلٌ انت بينهما فاختر وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكّ غير جبيدٍ ثم قال له اقتُل اسيرك اني مانعٌ جاري
وسوف يُعقبُني ان ظفرتَ به ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذات أطهارِ (٤

*) وروى في الاغاني (٨: ٨٢): جبّار

[الشروح لفطويه في اصل الكتاب بعد كل بيت]

١) قولهُ «تكراري» يعني ذهابي ومجيئي. ويقال: كرَّ في طريقه اذا رجع (4) فيه فاما قولهُ تبارك وتعالى «ثم رددنا لكم الكرَّ عليهم» فمعناهُ جعلنا لكم الرجعة عليهم. ومنهُ قول رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه يوم حنين حين انهزموا ثم رجعوا فقالوا: نحن الفرّارون. فقال لهم: انتم الكرّارون الكرّارون اي رجعتم

٢) قولهُ «جاد وابلهُ» قال الفرّاء: الوابل المطر العظيم القَطْر. يقال: وبَلَت السماء تَبِلُ وَبْلًا. ويقال: وابِل ووَبِل مثل صاحب وصَحْب وراكب ورَكْب

٣) قال ابو عمرو: الهُمام الملك سُمّي بذلك لانهُ اذا همَّ بامرٍ فعلهُ. والجحفل الجيش الكثير وكذلك الجرّار وكانت العرب (5) في الجاهليّة اذا قاد الرجلُ منهم الف مقاتل سمّوهُ جرّارًا

٤) قولهُ «بيض» يعني نساء بيضًا. وقولهُ «ذات أطهار» فيه معنيان احدهما انهنَّ نساء لا

فاختار أدراعهُ أن لا يُسَبَّ بها ولم يكن عَهدهُ يوماً بجزّارِ (6)
بالابلق الفرد في تيماء منزلهُ حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدّارِ

فقال شيخ للكلبي: هبني هذا الاسير الذي صار الى رحلي. فقال: هو لك. فاطلقهُ شُرَيح وقال لهُ: أقِمْ عندي فاني احبوك وأكرمك وأحسن اليك. فقال: ان كنت تريد ان تُتمّ معروفك عندي وان تُهنئني الصنيعة فاحملني على ناقةٍ ناجيةٍ برَحلها وأداتها. فاستوى عليها من وقتهِ ومضى. فبلغ الكلبيَّ خبرهُ وانهُ هو الاعشى فبعث في طلبهِ فلم يقدر عليه وقال لرسلهِ: ان لقيتموهُ فأعلموهُ اني أحبوهُ وأنيلهُ. فلم يقع في يدهِ

١ وقال السموءل يهجو عادياء (من الطويل)

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ (١
وَإِنْ هُوَ (٢ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ (7)
تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ (٣ وَجَارُ ٱلْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

يحضنَ ويطهرنَ واذا زال الحيض زال الحبل. ويروى انَّ عائشة قالت: ما انت لامرأةٍ خمسون سنة فحاضت بعد ذلك. والمعنى الآخر: ذاتُ اطهار اي نقيّات بريّات من الريبة والفجور

١) جاء في خلال اسطر الكتاب بخط غير خطّ الاصل ما نصّهُ: الرداء هاهنا مستعار من الفعل اراد اي عمل عملهُ بعد تجنّب اللؤم كان حسناً. واللؤم اسم الخصال بريد البُخل واختيار ما تتّقيه المروءة والصبر على الدنيّة ودناءة النفس والاباء. يقول الشاعر: اذا لم يتدنس الرجل باكتساب اللؤم واعتياده فاي لباس لبسهُ بعد ذلك يكون حسناً جميلاً. و« اذا » في قوله « اذا المرء » يفيد معنى الجزاء. والفاء في قوله « فكلّ » مع مدخوله جوابهُ ويَدنس من دَنِس دنساً وتدنّس تدنّساً اذا تكلّفهُ (من شرح الامام المرزوقي للحماسة)

٢) وفي خلال الاسطر: اذا المرء ح

٣) العزيز المنيع وقولهم اعزّك الله اي جعلك الله عزيزاً منيعاً لا تُذلّ ولا يُنال منك. والعَزاز الارض الغليظة العالية وينال عزّهُ يعزّهُ اي غلبهُ ومنهُ قولهُ تبارك وتعالى: وعزّني في الخطاب

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا ... شَبَابٌ تَسَامَى (١ لِلْعُلَى وَكُهُولُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِلُّهُ ... مُنِيفٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ (٢
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ ... إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ (٣
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا تَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ... إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ (٤
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا ... وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ (٥
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا ... وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ تَسِيلُ (٦
وَمَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ فِي فِرَاشِهِ ... وَلَا طُلَّ يَوْمًا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ (٧
سَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا ... إِنَابٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُولُ (٨

١) في خلال الاسطر : اراد تتسامى

٢) قولهُ « منيف » اي عالٍ على ما سواه ومنهُ سُمّي عبد مناف (8) ومنهُ قولهم « نيّف وعشرون » اي زيادة

٣) قولهُ « رسا » اي ثبت ومنهُ سُمّيت الجبالُ الراسيات . ويقال : ارساهُ الله فرسا . ومنهُ قولهُ : والجبال ارساها

٤) يقول : نصبر على الحرب ولا نرى القتل سبّة اي عارًا انّما السبّة عندنا في الفرار

٥) يقول : تألفُ أنفسنا هين علينا اذا خفنا ان نُعيّر الفرار كما قال قيس بن الخطيم (9) :

واتّي في الحرب العوان موكّلٌ ... بإقدام نفسٍ لا اريدُ بقاها

٦) الظُّبات جمع ظُبَة وهي طرف حدّ السيف

٧) يقول : لا نموت في فُرُشنا لانّنا اصحاب حرب ومنايا الكرام في القتل . قال زُهَير :

وان يُقتلوا فيُشتفى من دمائهم ... وكانوا قديمًا في منايامُ القتلُ

وقولهُ « وما طُلَّ منّا حيث كان قتيلُ » يقال طُلَّ دمُهُ وأُهدر اذا ذهب باطلًا ولم يُدرَك بثاره

٨) سِرُّ القوم خيارهم يقال : انهُ من سِرّ قومهِ ومن صُلبتهم ومن صميمهم ومن لُبابهم . قال جرير :

نُجُبٌ من السرّ التيقِ فما جا ... فوق التجائب شدقمٌ وجديلُ

وزعم الفرّاء انّ قول الله تبارك وتعالى « ولكن لا تواعدوهنّ سرًّا » . قال : السرّ النكاح . وقال جرير :

ضيّعتُ بلوى الذنائب نسوةً ... للحارثيّ فباشرا الاسرارا

(10) عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا لِوَقْتٍ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولُ (١
فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ (٢
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي قَدِيمِنَا لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ (11)
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ (٣
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَيُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ (٤
سَلِي إِنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ وَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ (12)
وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ (٥
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى قَامَ سَيِّدٌ قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ (٦
وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَمَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ (٧ (13)

١) (هذا البيت لم يُرْوَ في الأصل وقد كُتب في هامش الكتاب)

٢) المزن السحاب الابيض واحدتهُ مُزْنَةٌ. والكهام السيف غير القاطع وكذلك الدّدان فاذا قيل للرجل كهام بالذمّ فانّما هو كالسيف غير القاطع

٣) يوم الكريهة يوم القتال. والقراع والمُقارعة المجالدة. يقال: تَقَارَعَ القومُ اذا تجالدوا بالسيوف. وقولهُ «فلول» يعني كسورًا لكثرة الضرب بها

٤) يقال نَصَلَ السيف ونَصَلَهُ. قال الفرّاء: يقال غمدتُ السيف اغمدهُ. والقبيل النيرة. قال الله تبارك وتعالى في ذكر الشيطان: انهُ يريكم (براكم) هو وقبيلهُ من حيث لا ترونهم. ويقال: قبيلةٌ وتُجمع القبيلة القبائل والقبيل والقُبُل

٥) قال الفرّاء: يقال نكرتهُ وأنكرتهُ. وقد جاء بهما القرآن قولهُ: «نكرهم وأوجس منهم خيفة». وقولهُ: «قوم مُنكرون»

٦) يقول: لسنا كمن اذا مات سيّدهم بقوا بلا سيّد ولكن يسود العقب بعد العقب كما قال اوس بن حجر:

اذا مُقرَمٌ منّا ذوا حدّ نابهِ تخطّ فينا نابُ آخر مُقرَمِ

٧) يقول: لا تُطفأ نارنا اذا اتانا ضيف ليخفى عنهُ مكاننا. ومثلهُ قال النجاشيّ في مرثية الحسين بن عليّ صلواتُ الله عليهِ:

كانت اذا شُبَّت لهُ نارهُ يرفعها بالسند القابلِ
كيما يراها بائسٌ مُرملٌ او فردُ حيٍّ ليس بالآهلِ

وكما قال الحطيئة:

(14) ٢ وقال السموءل ايضاً (من الخفيف)

نُطفَةٌ ما مُنِيتُ يَوْمَ مُنِيتُ أُمِرَتْ أَمْرَهَا وَفِيهَا بُرِيتُ (١
كَنَّهَا اللهُ فِي مَكَانٍ خَفِيٍّ وَخَفِيٌّ مَكَانُهَا لَوْ خَفِيتُ (٢ (15)
مَيْتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ثُمَّ حَيِيتُ وَحَيَاتِي رَهْنٌ بِأَنْ سَأَمُوتُ
إِنَّ حِلْمِي إِذَا تَغَيَّبَ عَنِّي فَاعْلَمِي أَنَّنِي كَبِيرًا رُزِيتُ (٣
ضَيِّقُ الصَّدْرِ بِالْأَمَانَةِ لَا م يُفْجِعُ فَقْرِي أَمَانَتِي مَا بَقِيتُ (٤
رُبَّ شَتْمٍ سَمِعْتُهُ فَتَصَامَمْ تُ وَغَيٍّ تَرَكْتُهُ فَكُفِيتُ (٥ (16)

ونعم الحيّ حيّ بني كليب اذا ما أوقدوا نوق اليفاع

وقال ابو عبد الله: وهذا كثير وندّه قول الاخطل في هجائه لبني كلب:

قومٌ اذا استنبح الاضيافَ كلبهمُ قالوا لأمهم بولي على النار

والطارق من اتى ليلاً ولا يقال لمن اتى بالنهار طارق وبهذا سُمّي النجمُ طارقاً لانهُ يأتي ليلاً. واما قول هند ابنة عتبة: «نحن بناتُ طارق» اي نحن بناتُ النجم كرماً. وقولهُ: «وما دمنا في الثارلين تزيلُ» التزيل ماءا الضيف وهو الذويُ ايضاً. قال ذو الرمّة:

فقلتُ لها لا بل هموم تضيّفتْ نوئيك والظلماء مُرْخى سدولها

١) قولهُ: «نُطفة ما مُنيتُ» من المنيّ من قول الله جلّ وعزّ: «أفرأيتم ما تُمنون». قال الفرّاء: مَنَى الرجل من المنيّ وكذلك أمنى. وقولها أُمِرَتْ أمرها اي امرها الله ان تكون علقةً ثم مضغةً ثم تكون عظاماً ثم تُكسى لحماً كما اخبر الله. وقولهُ: «وفيها بُريتُ» اي خُلقتُ من برأ الله الخلق. قال ابو عبيدة: العرب تدع الهمزة في ثلثة اسماء اصلها الهمز البريّة وهي من بَرَأ الله الخلق والذريّة وهي من ذرأهم والنبوّة وهي من نبأهُ الله. قال ابو عبيدة: ومن الخابية وهي خبأتُ. وقال احمد بن يحيى: والرويّة جرت في كلامهم بغير همز وهي من رؤأتُ في الامر

٢) قال الفرّاء: يقال اكننتُ الشيء في نفسي ومنهُ قول الله جلّ وعزّ: «وأكننتم في انفسكم» وكننتهُ جعلتهُ في كنّ وهو مكنون ومنهُ قولهُ: بيضٌ مكنون

٣) يقول: اذا غاب عني حلمي رُزيتُ امراً عظيماً

٤) يقول: اذا افتقرتُ لم أخُن امانتي للفقر ولكنّي اصبر على اداء الامانة على كل حال

٥) يقول: تصاممتُ من من شتمني كأنني لم اسمع حلماً وتترّهاً. قال الآخر:

اصمُّ عن الخنى ان قيل يوماً وفي غير الخنى ألفى سميعا

لَيْتَ شِعْرِي وَأَشْعُرَنْ إِذَا مَا قَرَّبُوهَا مَنْشُورَةً وَدُعِيتُ (١
أَلِيَ ٱلْفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُو سِبْتُ إِنِّي عَلَى ٱلْحِسَابِ مُقِيتُ (٢
وَأَتَانِي ٱلْيَقِينُ أَنِّي إِذَا مُتُّ م وَإِنْ رَمَّ أَعْظُمِي مَبْعُوثُ (٣ (17)
هَلْ أَقُولَنَّ إِذْ تَدَارَكَ ذَنْبِي وَتَذَكَّى عَلَيَّ أَنِّي نَهِيتُ
أَبِفَضْلٍ مِنَ ٱلْمَلِيكِ وَنُعْمَى أَمْ بِذَنْبٍ قَدَّمْتُهُ فَجُزِيتُ
يَنْفَعُ ٱلطِّيبُ ٱلْقَلِيلُ مِنَ ٱلرِّزْ قِ وَلَا يَنْفَعُ ٱلْكَثِيرُ ٱلْخَبِيثُ
فَٱجْعَلِ ٱلرِّزْقَ فِي ٱلْحَلَالِ مِنَ ٱلْكَسْبِ وَبِرًّا سَرِيرَتِي مَا خَبِيثُ
وَأَتَتْنِي ٱلْأَنْبَاءُ عَنْ مُلْكِ دَاوُو دَ فَقَرَّتْ عَيْنِي بِهِ وَرَضِيتُ (18)
وَسُلَيْمَنَ وَٱلْحَوَارِيِّ يَحْيَى وَمَتَى يُوسُفَ كَأَنِّي وَلِيتُ (٤
وَبَقَايَا ٱلْأَسْبَاطِ أَسْبَاطِ يَعْقُو بَ دِرَاسُ ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلتَّابُوتُ (٥
وَٱنْفِلَاقُ ٱلْأَمْوَاجِ طُورَيْنِ عَنْ مُو سَى وَبَعْدُ ٱلْمَلِكُ ٱلطَّالُوتُ (٦

---

١) يعني بقوله « قربوها منشورة » كُتُبَ عملهِ كما قال الله تبارك وتعالى : « وكلَّ انسان الزمناه طائرهُ في عنقهِ ونُخرج لهُ يوم القيامة كتاباً يلقاهُ منشوراً »

٢) قولهُ « مقيت » اي مقتدر ومنهُ قولهُ تبارك وتعالى : « وكان الله على كلّ شيء مقيتاً » اي مقتدراً

٣) قولهُ « رمَّ اعظمي » اي بَلِيَتْ . و يقال للعظم البالي رُمَّةٌ وجمعها رِمَمٌ . وقولهُ : « مبعوث » اي مبعوث (ومثلهُ بعد هذا « خبيث » اي خبيث) وهذه لغة طيّ . وقال الجرمي : ليس في لغة اليهود ثاء وانما يقلبونها تاء

٤) انما قال « والحواريّ يحيى » ولم يقل عيسى لانهُ يهودي لا يؤمن بعيسى صلوات الله عليهِ (راجع المقدّمة)

٥) (في الاصل : التورية) . قال : سمعتُ احمد بن يحيى يقول التَّوْرية تَفْعِلَة من وَرَيْتُ النار وهو من التَّوْرية

٦) وانفلاق الامواج يعني انفلاق البحر لموسى عليهِ السلام حين نجّاه الله وقومهُ من فرعون وآلهِ . وفي الخبر ان موسى صلّى الله عليهِ اتى البحر وهو هائج فضربهُ بعصاهُ وقال (19) : إيهاً ابا خالدٍ . فانفلق فرَّ هو وقومهُ فلمَّا جاء فرعون وقومهُ ليلحقوهم التأم عليهم البحر فغرّقهم .

وَمُصَابُ الإِفْرِيسِ حِينَ عَصَى اللهَ م وَإِذْ صَابَ حَيْنُهُ الجَالُوتُ
لَيْسَ يُعْطَى القَوِيُّ فَضْلاً مِنَ الرِّزْ قِ وَلَا يُحْرَمُ الضَّعِيفُ الشَّخِيتُ (١
بَلْ لِكُلٍّ مِنْ رِزْقِهِ مَا قَضَى اللهُ م وَإِنْ حَزَّ أَنْفَهُ المُسْتَمِيتُ (20)

٣ وقال السموأل ايضاً (من المتقارب)

أَبَالأَبْلَقِ الفَرْدِ بَيْتِي بِهِ وَبَيْتُ المَطِيرِ سِوَى الأَبْلَقِ (٢
بِبَلْقَعَةٍ أُثْبِتَتْ حُفْرَةً ذِرَاعَيْنِ فِي أَرْبَعٍ خَيْسَقِ (٣
فَلَا أَدْفَعُ الضَّيْفَ عَنْ رِزْقِهِ لَدَيَّ إِذَا نَزَلَ لَمْ يُرْزَقِ (٤ (21)
وَفِي البَيْتِ ضَخْمَاءُ مَمْلُوءَةٌ وَجَفْنٌ عَلَى مَجْمَعٍ مُدْهَقِ (٥

حدثنا محمد بن شاذان قال: حدثنا محمد بن سابق قال: حدثنا اسرائيل عن ابي يحيى عن مجاهد في قوله «واترك البحر رهواً» اي جبلاً. والطور الجبل

١) الشَّخِيت والشَّخْت الدقيق قال ذو الرمة:

شَخْتُ المَزَافِرَةِ مِثْلُ البَيْتِ سَائِرُهُ مِنَ المُسُوحِ يَغُذُّ شَوْقَبٌ خَشِبُ

٢) الابلق حصن كان ينزله السموأل. في ذلك يقول الاعشى:

بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

٣) قوله «ببلقعة» يعني بصحراء خالية وانما يعني قبره. وقوله «خَيْسَق» اي على مقدار المدفون يوافقه ذلك

٤) يقال للرجل والمرأة ضَيْف والجمع اضياف. قال الله تبارك وتعالى: ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه. ويقال: ضَيْف وضُيوف وضِيفان. ويقال: أَضَفْتُ الرجل اذا انزلته وتاتني تزل عليّ وكذلك ضِفْتُهُ نزلت عليه

٥) قوله «وفي البيت ضخماء مملوءة» يعني قدراً اسودا (كذا) والمجمع الزقّ الذي يرشح ويسيل ويقال: همعت عينه هموعاً اذا سال دمعها. قال جرير:

ونحن صدعنا هامة ابن عمرّق فلا زفّت ثالث البيون الهوامع

وقوله مُدْهق يعني مملوءة وكذلك مُدْأق. يقال: أدهقت الاناء وادأقته اذا ملأته. ومنه قوله تعالى: وكأساً دهاقاً. ويروى عن انه سُئل عن قوله «وكأساً دهاقاً». فقال: دَم دَم. يعني مملوءة بالفارسية

(22) أَبَيْتُ ٱلَّذِي قَدْ أَتَى عَادِيَا وَحَيًّا مِنَ ٱلْخَلْقِ ٱلْأَرْوَقِ (١

٤ وقال السموءل ايضاً (من الكامل)

أَصْبَحْتُ أَفْنِي عَادِيًا وَبَقِيتُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَتِي وَأَمُوتُ (٢ (23)

وَلَقَدْ لَبِسْتُ عَلَى ٱلزَّمَانِ جَدِيدَهُ وَلَبِسْتُ إِخْوَانَ ٱلصِّبَى فَبَلِيتُ (٣
غَلَبَ ٱلْعَزَا عَمَّنْ أَرَى فَتَبِعْتُهُ وَخُدِعْتُ عَمَّا فِي يَدِي فَأُسِيتُ (٤
وَمَسَالِكٍ (٥ يَسَّرْتُهَا فَتَرَكْتُهَا وَمَوَاعِظٍ عَلَّمْتُهَا فَنَسِيتُ (24)

---

١) قولهُ من الخلق الاروق بني الدالي. ويقال: هؤلاء رُوق قومهم اي عظماؤهم وكرماؤهم. ويقال: لخير من عامر الرَّوقان والرَّوق عند العرب ان تبيع الشيء ثم تريد على ثمنهِ وتشتري من جنسهِ. والرَّوق الاعجاب. يقال: راقني بروقي اي اعجبني. قال القطامي:

صريعُ غوانٍ راقهنَّ ورُقنهُ لدُنْ شَبَّ حتى شاب سُودُ الذوائبِ

ويقال للقرن الرَّوق. ويقال: رَوْق الشباب ورَيْقهُ ورَبْقهُ اولهُ. قال البعيث:

مدحنا لها رَوْق الشباب فعارضت جناب الصبي من كانم الدرّ اعجما

وكذلك يقال لاول المطر رَيْقهُ

٢) الحُشاشة بقيَّة النفس. يُقال: أفاتَ حُشاشتهِ وأفلت بجريضهِ وافلت بجُريعة الذقن (وافلت بذمائهِ). قال ابو ذؤيب:

فأبدهنَّ حتوفهنَّ فهاربٌ بذمائهِ وبارك مُتجعجعُ

٣) يقول كنتُ صبياً اصحب اخوان الصبي فلبستُ جديد الدهر فأبلاني ذلك

٤) يقول غلب العزاء عمَّن ذهب وبقي وخُدعتُ عما في يدي فأيتُ عليهِ اي حزنتُ عليهِ. يقال: اسيَ يأسى اسًى مقصور. ومنهُ قولهُ تبارك وتعالى: فلا تأسَ على القوم الفاسقين. اي لا تحزن عليهم

٥) قولهُ «مسالك» اي ربَّ مسالك مذاهب من الصواب. يَسَّرتها هيَّأتها. يقال: يسَّرته لهذا الامر اي هيَّأتهُ لهُ. ومنهُ قولهُ: «فسنيسّرهُ للعُسرى». قال الفرَّاء: ليس في العُسرى تيسير انما معناهُ فسنهيّئهُ. قال جرير:

فما يسَّرتْ عند الحفاظ مُجاشعٌ كريماً ولا من غاية المجد دانيا

قال الفرَّاء: يُقال يسَّرت الغنم اذا ولدت. وانشدني محمد بن الجهم عن الفرَّاء:

هما سيّدانا يزعمانِ وانما يسودانا ان يسَّرت غنماهما

٥ وقال السموأل ايضاً (من الكامل)

إِسْلَمْ سَلِمْتَ وَلَا سَلِيمَ عَلَى ٱلْبِلَى فَبِيَ ٱلرِّجَالُ ذَوُو ٱلْقُوَى فَفَنِيتُ (١
كَيْفَ ٱلسَّلَامَةُ إِنْ أَرَدْتَ سَلَامَةً وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُنِي وَلَسْتُ أَمُوتُ (25)
وَأَقِيلُ حَيْثُ أَرَى فَلَا أَخْفَى لَهُ وَمَدَى فَلَا يَبْغِي بِحَيْثُ أَبِيتُ
مَيْتًا خُلِقْتُ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَيْئًا يَمُوتُ فَمُتُّ حَيْثُ حَيِيتُ (٢
وَأَمُوتُ أُخْرَى بَعْدَهَا وَلَأَعْلَمَا (٣ إِنْ كَانَ يَنْفَعُ أَنَّنِي سَأَمُوتُ

٦ وقال ايضاً (من الوافر)

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ ٱلْخُبَيْتُ إِلَى ٱلْإِحْرَامِ لَيْسَ بِهِنَّ بَيْتُ (٤
أَعَاذِلَتَيَّ قَوْلَكُمَا عَصَيْتُ إِلَيْكُمَا إِنْ رَشَدْتُ وَإِنْ غَوَيْتُ
بَنِي لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا وَعَيْنًا كُلَّمَا شِئْتُ ٱسْتَقَيْتُ
طِمِرًّا تَزْلَقُ ٱلْعِقْبَانُ عَنْهُ إِذَا مَا خَامَنِي شَيْءٌ أَبَيْتُ (٥
وَأَوْصَى عَادِيًا جَدِّي بِأَنْ لَا تُضَيِّعَ يَا سَمَوْأَلُ مَا بَنَيْتُ (27)

١) قوله «إسلم» دعاء ثم رجع فقال: «ولا سليم على البلى» اي البلى لا يسلم عليه شيء حتى يبليه. وقوله: «فبي الرجال ذوو القوى ففنيت». يقول: كانوا شبانًا فلما قووا فنيت لانني بسن

٢) يقول انما خلقت للموت فكان كوني سبب موتي. ومثله قول اعرابية مات ابنها فقيل لها: ما كان سبب موته. قالت: كونه

٣) يريد: (لأعلمن)

٤) الخبيت تصغير خبت وهو ما اطمأن من الارض ومنه (26) إخبات الرجل وهو في الطمأنينة والتواضع

٥) الطمر المشرف وهو هاهنا من نعت الحصن. وقوله: «تزلق العقبان عنه» للملوسة والاستواء كما قال الاعشى:

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الظافر

وَبَيْتٍ قَدْ بَنَيْتُ بِغَيْرِ طِينٍ ... وَلَا خَشَبٍ وَمَجْدٍ قَدْ أَتَيْتُ (١
وَجَيْشٍ فِي دُجَى الظَّلْمَاءِ مَجْرٍ ... يَؤُمُّ بِلَادَ مَلْكٍ قَدْ هَدَيْتُ (٢
وَذَنْبٍ قَدْ عَفَوْتُ لِغَيْرِ بَاعٍ ... وَلَا وَاعٍ وَعَنْهُ قَدْ عَفَوْتُ (٣
فَإِنْ أَهْلِكْ فَقَدْ أَبْلَيْتُ عُذْرًا ... وَقَضَّيْتُ اللُّبَانَةَ وَاشْتَفَيْتُ
وَأَصْرِفُ عَنْ قَوَارِصَ تَجْتَدِينِي ... وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ بِهَا جَزَيْتُ (٤
فَأَحْمِي الْجَارَ فِي الْجُلَّى فَيُمْسِي ... عَزِيزًا لَا يُرَامُ إِذَا حَمَيْتُ (٥
وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي ... إِذَا مَا ذُمَّ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ (٦

---

١) يعني بيت الشرف ويقال بيت الشعر وسمعت من ينشد هذا البيت يعني بيت الشعر:

وبيتٍ ليس من وَبَرٍ وطينٍ ... على ظهر المطيَّة قد بَنَيْتُ

٢) المجر من الجيش الكثير العدد. يقال: مَجَرَتِ الشاة وامتجرت اذا عظم بطنها عن الحَبَل. وفي الحديث نُهيَ عن بيع المَجْرة والمضامين والملاقيح وحَبَل الحَبَلة. فاما المضامين فما في أصلاب الذكور والملاقيح ما في بطون الإناث وحبل الحَبَلة ان يُباع ولد الناقة قبل ان تلد ويلد ولدها وهذا من نوع الجاهلية. وقوله: «يؤمُّ» يعني يقصد. ومَلْك يعني ملكًا. قال الفرّاء: مَلْك باسكان الميم لغة في ربيعة. وقوله: «قد هديت» يعني من الهداية (28)

٣) قال الفرّاء: يقال بَاءَ بِذنبه. ومنهُ قول الآخر:

وإسالي بني بغير ذنبٍ ... جَنَوْناه ولا بدمٍ يُراقُ

٤) القوارص الكلمات المكروهة. وقال الفرزدق:

قوارصُ تأتيني وتحتقرونها ... وقد يملأ القطرُ الإناء فيفعمُ

وقوله «تجتديني» اي تسبني. يقال: اجتداهُ وجَدَّبه اذا عابهُ. ومنهُ حديث سلمان: جدب لنا عُمَرُ بنُ الخطّاب السَّمَر بعد عشاء الآخرة. يعني عابهُ

٥) الجُلَّى الامر الجليل. يقال: امرٌ اجلّ وقصّة جُلَّى وكذلك امرٌ أَمَرُّ وخَصْلَة مُرَّى. ومنهُ قول عبد الله بن مسعود في الرجل يبخل بماله حتّى اذا حضرتهُ الوفاة اوصى فأسرف في وصيّته: أضَنَّا في الحياة وسَرَفًا بعد الموت فتلك المُرَّيان

٦) يقال: وَفَى وأوفى. وقال الفرّاء: وفى لغة قريش واهل الحجاز وفى. (واوفى) لغة تميم وانشد:

اما ابنُ طَوْقٍ فقد أوفى بذمّتهِ ... كما وفى بقلاص النجم حاديها

وَقَالُوا إِنَّهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ فَلَا وَاللهِ أَغْدِرُ مَا مَشَيْتُ (١ (29)
وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ جَبَا عُنَيْسٌ إِلَى بَعْضِ الْبُيُوتِ لَقَدْ صَبَوْتُ
وَقُبَّةِ حَاصِنٍ أَدْخَلْتُ رَأْسِي وَمِعْصَمَهَا الْمُوَشَّمَ قَدْ لَوَيْتُ (٢
وَدَاهِيَةٍ يَظَلُّ النَّاسُ مِنْهَا قِيَامًا بِالْمَحَارِفِ قَدْ كَفَيْتُ (٣

٧ وقال ايضاً (من المنسرح)

لَمْ يَقْضِ مِنْ حَاجَةِ الصِّبَا أَرَبًا وَقَدْ شَآكَ الشَّبَابُ إِذْ ذَهَبَا (٤
وَعَاوَدَ الْقَلْبَ بَعْدَ صِحَّتِهِ سُقْمٌ فَلَاقَى مِنَ الْهَوَى تَعَبَا
إِنَّ لَنَا فَخْمَةً مُلَمْلَمَةً تَقْرِي الْعَدُوَّ السِّمَامَ وَالْأَلَبَا (٥

---

١) المعنى : فلا والله لا اغدر . فترك « لا » لأنَّ المعنى يدلُّ عليها

٢) المعصم موضع السوار والموشَّم عليه اثر الحُمْرَة وكان هذا زينة نساء الجاهليَّة نهى عنهُ رسول الله صلى الله عليه وآله

٣) المحارف الاميال واحدها مِحْرَف وهو المسبار يقدَّر به الشجَّةُ والجُرح ثم يعالج . قال أوس بن حُجْر:

كما زلَّ عن رأس الشجيج المَحارِفُ

(30) قال الاخطل:

اهوى ابو حنشٍ طعنًا فأسأرهُ فوهاء نجلاء تُعيي كلَّ مِسبارِ

يعني طعنة فوهاء واسعة الفم ونجلاء واسعة الشقّ وانما هذا مثل الداهية وانَّما عظيمة لا يُعرف مقدارها كالجُرح والشجَّة لا يُعرف مقدارهما فيُسبران ومن هذا قولهم : وقد سبرتُ ما عنده اي عرفتُ مقداره

٤) الارب الحاجة وكذلك المأربة وهي المآرب . ومنهُ قول الله جلَّ وعزَّ : « ولي فيها مآرب أُخرى » . وقولهُ : « شآكَ الشباب » اي فاتكَ . يقال : شآهُ اي سبقهُ وشآه فاتهُ . وسمعت احمد بن يحيى يقول : شآني الشيء اعجبني وانشد :

مرَّ الحمولُ فما شأوْنَكَ نظرةً ولقد اراك تُشاء للاظعانِ (31)

٥) قولهُ : « انَّ لنا فخمةً » يعني كتيبةً عظيمة . وقولهُ « ململمةً » يعني مجتمعاً بعضها الى بعض . وقولهُ : « تقري العدوَّ سهاماً » اي تجعل لهُ مكان القرى السمّ وانما يعني القتل

رَجْرَاجَةٌ عَضَّلَ ٱلْفَضَاءُ بِهَا خَيْلًا وَرَجْلًا وَمَنْصِبًا عَجَبَا (١
أَكْنَافُهَا كُلُّ فَارِسٍ بَطَلٍ أَغْلَبَ كَٱللَّيْثِ عَادِيًا حَرِبَا (٢
فِي كَفِّهِ مُرْهَفُ ٱلْغِرَارِ إِذَا أَهْوَى بِهِ مِنْ كَرِيهَةٍ رَسَبَا (٣
أَعَدَّ لِلْحَرْبِ كُلَّ سَابِغَةٍ فَضْفَاضَةٍ كَٱلْغَدِيرِ وَٱلْيَلَبَا (٤ (33)
وَٱلسُّمْرَ مَطْرُورَةً مُثَقَّفَةً وَٱلْبِيضَ تَزْهَى تَخَالُهَا شُهُبَا (٥
يَا قَيْسُ إِنَّ ٱلْأَحْسَابَ أَحْرَزَهَا مَنْ كَانَ يَغْشَى ٱلذَّوَائِبَ ٱلْقُضُبَا (٦

---

١) قولهُ « رجراجة » اي كثيرة الحركة . وقولهُ « عضل الفضاء بها » اي ضاق بها السعة كما قال اوس بن حُجر :

ترى الارض منّا بالفضاء مريضةً مُعَضِّلَةً منّا بجيشٍ عرمرمِ

ويقال عضّلت المرأة اذا شبّ ولدُها في بطنها فعسر مخرجهُ . ومنهُ قول عمر بن الخطّاب : اعضل بي اهل الكوفة لا يرضون عن (33) والٍ ولا يرضى عنهم والٍ . وقولهُ : « ومنصبًا » المنصب الاصل وكذلك المحتد والمعمر

٢) قولهُ « اكنافها » يعني الكتيبة واكنافها جوانبها واحدها كَنَف . وقولهُ : « بطل » يعني شجاعًا تبطل الخيل فيهِ . وقولهُ « اغلب » يعني غليظًا . والحَرِب المتهيّج . تقول : حرِبْتُهُ فتحرّب ومنهُ قول جرير :

اني اذا الشاعرُ المغرور حرّبني جار لنجر على مرّان مَرْموسِ

٣) قولهُ « مرهف الغرار » يعني سيفًا . والمرهف المحدَّد . وغرار السيف حدُّهُ . وقولهُ : « رَسَبا » اي لم يَثبُتْ

٤) قولهُ « سابغة » هي الطويلة التامّة في الدروع . وكذلك الفضفاضة . وقولهُ « كالمدير » شبّه الدروع في صفائها بغدير الماء كما قال جرير :

ترى تحت المحامل سابغاتٍ كنسج الريح تطّردُ الحبابا

واليَلَب جلود يُعمل منها شيء يُلبس تحت الدروع ويقال هي قلانس من جلود

٥) السُّمْر يعني الرماح قال الاصمعي : انما توصف الرماح بالسُّمْر لأنَّ الرماح اذا تركت مكانها حتى تجفّ ثم قُمّت كانت سُمْرًا وكان ذلك اجود لها . ومثقّفة مقوّمة . والبيض يعني السيوف . وقولهُ : « تخالها شهبًا » جمع شهاب وهي الكواكب يقول تبرق كأنّها كواكب

٦) يقول انما يُحرزُ الاحساب مَنْ ضارب بالسيف واغشى (33) الذوائب . والقُضب جمع قَضيب وهو السيف

مَنْ غَادَرَ السَّيِّدَ السِّبْطَرَ لَدَى م الْمَعْرَكِ عَمْرًا مُخَضَّبًا تَرِبَا (١
جَاشَ مِنَ الْكَاهِنَيْنِ إِذْ بَرَزُوا أَمْوَاجَ بَحْرٍ تُقَمِّصُ الْحَدَبَا (٢
لِنَصْرِكُمْ وَالسُّيُوفُ تَطْلُبُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَأَمْعَنُوا هَرَبَا (٣
وَأَنْتَ فِي الْبَيْتِ إِذْ يُحَمُّ لَكَ م الْمَاءُ وَتَدْعُو قِتَالَنَا لَعِبَا (٤

٨ وقال السموأل ايضاً (من الطويل)

رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا يَسُدُّ فُقُورَهُمْ قِرَانَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ (٥
فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمِ سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخَرَ مُعْزَبِ (٦

---

١) قولهُ « غادر السيّد » اي تركهُ ومنهُ قول الله تبارك وتعالى : « لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً الّا احصيها (احصاها) ». والسبطرّ العظيم والامير . والمعرك موضع القتال . يقال : اعترك القوم وتعاركوا وبهذا سُمّيت المعركة . قال : وسألتُ اعرابيًّا من كلاب فقلتُ : ما اسمك . قال : مُعارك . فقلتُ : تعارك . قال : اي والله . فقلتُ : بيدك ام بلسانك . فقال : بهما والله كليهما . ثم قلت لاخ لهُ معهُ : ما اسمك . فقال : اشيب . فقلتُ : أسِنّةٌ ام صفة . قال : بل سِنّة

٢) الكاهنان من قُرَيظة . وقولهُ « جاش » يعني هاج . وقولهُ « بحرٌ » يريد (34) كثرة المقاتلة والخيل . والحَدَب امواج الماء واعاليه وكذلك الحَدَب من الارض ما علا . قال الله جلّ وعزّ : وهم في كل حدب ينسلون . ومنهُ قول الآخر :

منحتُ بلادَها النظرات حتّى تعرّض دونها حدَبٌ وقُورُ

وقولهُ تقمّص اي يردّ ومن هذا قماص الدابّة وهو ترجيعها . وقُماص وقِماص جميعاً

٣) الامان المبالغة يقول : بالغوا في الحرب

٤) قولهُ « يُحَمُّ لك » اي يُسخَّن والحميم الماء الحارّ ربع سُمّي الحمّام وبهذا سُمّي المحموم . وقولهُ : « تدعو قتالنا لعباً » اي تسمّيه لهلك (35)

٥) يقول : لا يَسُدُّ فقرَهُم ان يسقيهم اللّبن في الأقداح . والقَعب القَدَح الصغير . وقولهُ : « مشعّب » يعني مُصلَح يقال : شَعَبتُ الاناء وشعّبتُهُ

٦) قولهُ « اريحا » اي رُدّا الابل من المَرعى الى مُراحها لينحرها لهم وقولهُ « سأجعل بيتي مثلَ آخر معزب » اي اني اخليه من الابل انحرها للضيوف ومن يسألني حتّى اكون مثل الرجل المُعزب وهو الذي تباعدت عنهُ ابله . يقال « رجل مِعزابة » اذا تباعد في الرعي . ويقال عَزَب خيرُهُ وعَزَب لبُّهُ يَعزُبُ ويَعزِبُ اي بَعُدَ

٩ وقال السموءل ايضاً (من الطويل)

لرجل من ملوك كندة يعتذر اليهِ ويبلغهُ عنهُ انهُ شتمهُ فقال (36)

إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَامَنِي صَدِيقِي وَحُزَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ
وَكَفَّنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا فِي ثِيَابِهِ وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ عَدُوِّيَ قَاتِلُ (١

ثم (والصواب: تمّ) شعر السموءل بن عاديا اليهودي من صنعة ابرهيم بن محمّد ابن عرفة الازديّ المعروف بنفطويهِ وذلك سحرة الاربعاء ثاني ذي الحجّة من شهور سنة تسع واربعين وستمائة من الهجرة النبويّة والحمد لله اوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا حمدًا مباركًا طيّبًا كما هو اهلهُ ومستحقهُ وصلاتهُ على خير بريّتهِ سيّدنا ومولانا محمّد النبي وآله وسلّم (38)

وجاء على الهامش بخط الصغاني

بلغ العراض على الاصل المنتسخ منهُ وكتب الملتجي الى حرز الله تعالى الحسن ابن محمّد الحسن الصغاني جعلهُ الله ثقة لا تلحقهُ استرابة ولا ينتسب اليهِ معابة في ذي الحجّة من شهور سنة تسع واربعين وستمائة حامدًا ومصلّيًا

(حاشية) ولنا على هذا الديوان روايات وزيادات وملحوظات ننشرها في طبعة منفردة نعدّها للمستشرقين

---

١) حَوْط ومنذر ابناهُ يقول ان كان ما بُلّغتهُ عني حقًّا فأنزل الله في ما ذكرت كما قال مَلك بن الحرث الاشتر:

بقّيت وفري وانحرفت عن العُلى ولقيت اضيافي بوجهٍ عبوسْ
ان لم اشُنَّ على ابن حرب غارةً لم تخلُ يومًا من ضابٍ نفوسْ
خيلًا دراكًا كالسّمالى شزّبًا تعدو ببيضٍ في الكريهةِ شوسْ (37)
حمي الحديد عليهم فكأنّهُ لمعان برقٍ او بريق شموسْ

السُّكَّر

للاب يوسف مونجين اليسوعي

انَّ ازمة السكَّر في مصر في العام الماضي ثم مصادرة السكَّر السوي في انحاء الدولة العلية بعد اعلان الدستور استوقفتا نظر السوريين في تجارة السكَّر وما يترتَّب عليها من الصوالح وينجم عنها من الارباح وفكَّر بعضهم في انشاء معمل للسكَّر ليستغني بهِ الاهلون عن السكر الذي يستوردونهُ من الخارج فرأينا ان نتقدَّم لقرَّاء المشرق بحثاً في هذا الامر نلخِّص فيهِ ما يتداولهُ العلماء والتجَّار معاً من هذا القبيل

﴿ السكَّر واسمهُ ﴾ السكَّر لفظة دخيلة في العربية استعارها العرب من الفارسيَّة شكَر ومعناها فيها العصير الحلو والمرجَّح انَّ الفرس نقلوها من لغة الهند لشيوع السكَّر عندهم قبل العجم. ويقال للسكَّر في السنسكريتيَّة « سَرْكار » ومنها اليونانيَّة (σάκχαρ) في كتب جالينوس ومثلها اسم السكَّر في كل اللغات الاوربيَّة. وقد عرف العرب السكر منذ زمن قديم فورد اسمهُ في الحديث فقالوا عن الكوثر وهو نهر في الجنة على زعمهم انَّ ماءهُ احلى من السكَّر. وجاء في رجز قديم قولهُ:

يكونُ بعد المَسْرِ والتزَّرِ في فمٍ مثلُ عصيرِ السُّكَّرِ

﴿ تعريفهُ ﴾ يدعو الكيميويُّون سُكَّرًا خلاصات نباتيَّة حلوة قابلة للاختمار فتتحوَّل الى كحول وحامض كربونيك. وهو امَّا طبيعيٌّ وامَّا صناعيٌّ فالطبيعيُّ ما وُجد في المركَّبات الآليـة كجذور نباتات عديدة وفي كل الاثمار الحلوة. امَّا الصناعيُّ فما استُخرج صناعيًّا من تلك العناصر فجُدِّدت عصارتهُ. ويُعرف هذا المركَّب الجامد بالسكر العادي وكلامنا في هذه المقالة عنهُ دون سواه من الموادِّ السكَّريَّة التي توجد في كثير من العناصر الطبيعيَّة الَّا انَّ تجسيدها يصعب كمائيَّة العنب وعصارة الاثمار والغلوكوز

السكَّر العاديُّ مركَّب جامد ملحيُّ الشكل يتبلور على هيئة موشورات ثقلهُ النوعيُّ ١,٦ لا يفسدهُ الهواء وهو يتركَّب من ثلاثة عناصر اوليَّة وهي اثنا عشر

قسماً من الكربون واحد عشر قسماً من الاكسيجين ومثلهُ من الهدروجين . والسكَّر اذا حُكَّ بجسم صلب او كُسر في الظلمة شعَّ كالاجسام الفسفوريَّة . واذا جُعل في الماء البارد ذاب منهُ على قدر ضعفي ثقل الماء وقلَّ ما يذوب في الكحول . واذا أُحمي السكَّر الى درجة ١٦٠ صار مائعاً واذا زيد في احمائهِ تبخَّر ماؤهُ وتحوَّل الى مادَّة سكَّريَّة لا تذوب تدعى كاميل (Caramel)

﴿ تاريخهُ ﴾ سبق انَّ السكَّر كثير في الطبيعة . ومع وفرتهِ بقي البشر اجيالاً عديدة لا يعلمون كيف يستخرجونهُ من النباتات المحتوية عليهِ ليتخذوهُ لحاجاتهم ويدوفوهُ باطعمتهم . وكان اليونان والرومان اذا ارادوا تحلية طعام او ثمار دانوها بالعسل وكذا كان فعلهم بالحلويات والجوارشات والقطائف فانهم لم يعرفوا غير العسل ليُحلوا بهِ طعمها لا بل بقوا على ذلك زمناً طويلاً بعد اكتشاف السكَّر لقلَّتهِ وارتفاع ثمنهِ

أمَّا الذين توفَّقوا اوَّلاً الى استحضار السكَّر فانَّ التاريخ لم يصن لنا اسماءهم ألا انهُ من الاكيد المقرَّر انَّ امم الشرق الاقصى كأهل الصين والهند سبقوا غيرهم من الشعوب الى استعمالهِ . روى العلَّامة دي همبولد (de Humboldt) انهُ وقف على آنية صينيَّة عريقة في القدم عليها تصاوير تمثل قوماً يستحضرون السكَّر على طرائقهم الدارجة عندهم في ذلك الزمان فيستخرجونهُ امَّا على صورة تباورات تختلف في حجمها وامَّا على هيئة رُبّ اي طلاء خاثر . ولم يكن سُكَّرهم صافياً ممحَّصاً كسكَّرنا الَّا انهُ كان يصلح لحاجاتهم فينالون منهُ غايتهم

وبقي السكَّر سرّاً من اسرار الصناعة الشرقيَّة الى عهد الاسكندر . ففي زمن فتوحات ذي القرنين انجلت للغربيين خفايا الشرق ورأى اليونان اهل الهند يستخرجون السكَّر من قصبهِ فعرفوا فوائدهُ واخذ المصريُّون والفينيقيُّون معاً يتاجرون بهِ وينقلونهُ في جملة السلع التي يجلبونها من الهند . وقد ورد ذكر السكَّر في تآليف اليونان والرومان في اوائل تاريخ الميلاد كديوسقوريدس وبلينيوس الطبيعيّ وجالينوس فدعوهُ باسمهِ او سمَّوهُ بالملح الهنديّ

لكنَّ السكَّر بقي منحصراً مدَّة قرون عديدة في الصيدليَّات يبيعونهُ بالدرهم لندرتهِ لانَّ الغربيين لم يعتنوا بزراعة السكر . ثم جاء العرب ففتحوا الهند ونقلوا الى بلادهم في العراق وما بين النهرين وسوريَّة وقبرس ومصر ذلك النبات الثمين واعتنوا

بتجميد السكَّر . وفي عهد الصليبيين أدخل ذاك القصب صقلية وايطالية وبقيَّة البلاد الاوربيَّة . ولمَّا اكتُشفت اميركة اسرع الاسبان والبرتغاليُّون فزرعوهُ في جزائر كناري والبرازيل وجرى مجراهم الانكليز والفرنسويُّون في مستعمراتهم الاميركيَّة فزكا زرعهُ وأتى بغلَّات عجيبة

وكان اهل اوربَّة تعلَّموا افراز السكَّر وتجميدهُ من الشرقيين الَّا انَّ ذاك السكر لم يكن صافياً ممحَّصاً فجعل ارباب الصناعة يطلبون طريقةً لتمحيصهِ ولم يزالوا يجهدون النفس في الامر حتى ادرك الغاية المطاربة احد البندقيين سنة ١٤٧٠ ومذ ذاك الحين صار البنادقة واهل مالطة وقبرس ورودس يزاحمون الشرقيين في تجارة السكر فتهاودت اسعارهُ وعمَّ استعمالهُ في كل الجهات وكانت انكلترَّة في مقدَّمة الدول التي تتاجر بهِ امَّا فرنسة فاستمدَّت منها مقطوعيَّتها اوَّلًا ثم استحضرتهُ من مستعمراتها الى أيَّام نابوليون الكبير . فلما قامت الحرب على ساق بين الممالك البريطانيَّة والامبراطور الفرنسويّ خمدت تجارة السكر نوعاً وارتفعت اسعارهُ فأخذ نابوليون يسعى في ايجاد طريقة لسدّ الخلل فما لبث السعد ان احظاهُ بالمرام

كان في اواسط القرن الثامن عشر احد علماء الالمان المدعو مركراف (Marggraf) حلَّل جذور الشَّمندر وهو البنجر فتحقَّق انها تحتوي عصيرًا حارًّا كعصير قصب السكر فأنشأوا بعض المعامل لاستحضار السكر الصناعي من هذا النبات فأتت مساعيهم بالنجاح لكنَّ امور المانية السياسية في اواخر القرن الثامن عشر وفي مفتتح القرن التالي ارخت الهمم فكادت تلك المعامل تتلف اذ علم نابوليون بامرها فتقدَّم الى وزير الزراعة بان يخصَّ ٣٢٠٠٠ هكتار من الاملاك بزراعة الشمندر ثم وسَّع نطاقها وخرَّج قوماً لاستثمارها وساعدهُ في ذلك الكيموي بنيامين ديليسار (Delessert) فنجح العمل ايَّ نجاح حتى بلغ عدد معامل السكر عند هبوط نابوليون سنة ١٨١٤ نيفاً و ٣٩٠ معملًا وكان محصول الشمندر لا يقلّ عن ٣,٥٠٠,٠٠٠ كيلو . وكان السكر المستخرج من الشمندر في طعمهِ وحسنهِ لا ينقص في شيء عن السكر القصبيّ ولاسيما بعد الاكتشافات المتوالية التي توفَّق اليها بعض الكيمويين الفرنسويين كديروم (Derome) وشبتال (Chaptal) وپايان (Payen) وغيرهم الذين لم يزالوا

يحسنون صناعة سكر الشمندر حتى بلغوها الكمال فناصبت سكر القصب وأنست تجارتهُ واغنت فرنسة بثروة واسعة

﴿ صناعة السكر ﴾ السكر يُستخرج اليوم من قصب السكر (قصب المصّ) ومن جذور الشمندر كما سبق الّا انَّ طرائق استخراجهِ تختلف في كلٍّ من الصنفين

(السكر القصبيّ) لا نرى حاجةً في وصف قصب السكر مع شيوعهِ في هذه البلاد وقد سبق جناب مكاتبنا الاديب ميشال افندي سماحة ففصَّل في المشرق (١٠: ٦٥٦—٦٦٢) ما يختصّ باصول زراعتهِ فاغنانا عن المراجعة . وقصب السكر اغنى كل النباتات بالسكر وافقرها بالموادّ الغريبة فهو يحتوي نحو ١٨ الى ٢٠ جزءًا في المئة من السكر بالنسبة الى ثقل عصيرهِ

اما استخراج سكرهِ فيكون هكذا : عند ما تبلغ القصبة نضوجها بعد سنةٍ من زراعتها الى سنة وثلاثة اشهر يكون طولها من ثلاثة الى اربعة امتار وقطرها من ٣ الى ١٠ سنتمترات وتتساقط اوراقها و يزهر رأسها فتُقطع قريباً من جذرها ثم يُقطع رأسها فيُجعل الباقي تحت اسطوانات تدور فوقها وتضغطها حتى تستخرج نحو ٧٠ في المئة مما تحتويهِ من العصارة وتصبُّ تلك العصارة بالتوالي في خمسة مراجل من النحاس تُصفَّى فيها تدريجًا ففي المرجل الاوَّل يجمعون شيئًا من الكلس فينظِّف العصارة من موادّها الزلالية لئلَّا تختمر فيتركب الكلس مع الزلال و يرسب في المرجل امَّا العصارة فتُغلى وتطفو وتسيل الى المرجل الثاني ثمَّ الثالث فيزيدون غَلْيهُ حتى تتمَّ تصفيتهُ ويخلص من عناصرهِ الاجنبيَّة . اما المرجل الرابع فيتركون فيهِ العصارة تنعقد فتصبح كالرُّبّ فاذا رأوا طبخهُ كافيًا وانعقادهُ مُرضيًا يصبُّونهُ في مرجل خامس ليجمد فيهِ تمامًا فيصلب بعد ٢٤ ساعة ويصير على شبه التباورات المتحيّة ويكون اذ ذاك مصفرَّ اللون فاتح الصفرة . ومن الناس من يتَّخذهُ على هذه الصورة قبل تصفيتهِ

(سكر الشمندر) يقتلعون الشمندر او البنجر عند نضجهِ ويقطعون اوراقهُ ورأس جذرهِ البارز فوق الارض فانَّ تلك الاجزاء لا تحتوي سكرًا . ثم يغسلون الاصول الباقية في الماء و يجمعونها بعد ذلك في اسطوانة مسنَّنة يديرونها فتقطِّع تلك الاصول وتنقعها حتى تُضحي على شبه عصيدة ثم يجعلون العصيدة في اكياس يعبّون بعضها فوق بعض

ويضغطونها في مكبس ماني حتى تخرج عصارتها تماماً فما بقي من الاقراص تأكلهُ المواشي واما العصارة فيصفُّونها كما صفَّوا عصارة القصب السكري بان يجعلوا فيها كميَّة من الكلس فيمتزج الكلس بالموادّ الغريبة ويرسب في قعر المرجل وتطفو العصارة ثم يكرّرون ذلك الى ان يصفو العصير السكري ثم يجرونهُ الى براميل واسعة حيث جعلوا مسحوقاً من الفحم الحيواني المركب من العظام المحرقة فيمتصّ المسحوق الموادّ الملوّنة ويسيل من تلك البراميل على شبه رُبّ فاتح اللون فيطبخون ذلك الرُب ثم يجمدونهُ بالتبخير فيصير على شبه حبوب ناعمة متبلورة ذات لون اصفر

﴿ تمحيص السكر ﴾ قلنا انَّ السكر سواء كان استخراجهُ من القصب او من الشمندر يكون على شكل حبوب ناعمة مصفرَّة اللون وتعليل هذه الصفرة الموادّ الغريبة التي بقيت في السكر كشيء من الاملاح الكلسيَّة والبوتاسا والصودا والمغنيسيا وبعض نفايات آلية وقليل من الرمل والتراب فهذه الاجسام تنفي عن السكر شيئاً من طعمهِ الطيّب ويكون طعم السكر القصبي ذا حموضة خفيفة وفي سكر الشمندر بعض قلويَّة وكل ذلك يزول بالتمحيص بحيث يُصبح ابيض نقيًّا مجرَّدًا عن كل مادَّة اجنبيَّة

امَّا التمحيص فدونك وصفهُ : يعمدون الى السكر غير المنقَّى فيجعلونهُ في خلقين ثم يصبُّون فوقهُ ماء على قدر ٣٠ في المئة من ثقلهِ ثم يسخّنون الماء ويحركون فيهِ السكر فاذا حمي المزيج سكبوا فوقهُ من ٣ الى ٥ في المئة مسحوق الفحم الحيواني فيخلطونهُ بهِ الى ان يبلغ المحلول درجة الغليان . فحينئذٍ يكبُّون فيهِ ليترًا او ليترَين من دم الثور لمئة ليتر من المحلول فانَّ في هذا الدم زلالًا اذا ما انعقد بقوَّة الحرارة اجتذب اليهِ كل الموادّ الاجنبيَّة التي تطفو فوق المزيج على شكل رغوة فيصفو المحلول سريعاً بذلك ويجوز ان يُبدل دم الثور بموادّ منظّفة مثلهُ . اما مسحوق الفحم الحيواني فانهُ يمتصّ الموادّ الملوّنة للسكر مع العناصر الملحيَّة التي فيهِ وترتفع رغوتهُ السوداء على وجه المحلول

وبعد هذه العمليَّات يُجرون المزيج المصفّى فوق طبقة من الفحم الحيواني المنعَّم فيتخلَّلهُ ويزيد بذلك تمحيصاً ثم يطبخونهُ ثانيًا الى درجة معلومة ليجمد ويتبلور ثم يجعلونهُ في قوالب من الشكل المخروط رأسها متعكس فيهِ ثقب ذو صمامة . فبعد

يومين تُنزَع الصماصة ويسكبون على اقراص السكر نقيعاً آخر من السكر المشبع الذي ينفذ في الاقراص دون ان يحلّلها لكنّهُ يصفّيها من كل ما بقي فيها من الجراثيم والنفايات الغريبة ويكرّرون العمل مراراً ثم يتركون الاقراص في الهواء حتى يسيل منها المائع المسكوب وتجفّ تماماً ثم يعرضونها على النار في آنية مقفلة تُحمى الى الدرجة ٥٠ ليتمّ بذلك تجفيفها فتتراصّ ولا تتفتّت فتصلح للمبيع . ولا يختلف سكر القند عن السكر الاعتيادي الّا في استحضاره فانّهم يتّخذون عصير السكر فيبالغون في طبخه ويجمّدونهُ تجميداً بطيئاً ويتركونهُ أياماً في اوعية مقفلة يبلّغون حرارتها الى الدرجة ٣٦ فيتبلور السكر تبلوراً ضخماً وهو القند

فكلّ هذه العمليّات تقتضي اهتماماً وعناء كبيرًا وقد وصفناها بالاجمال لا يستدعي تفصيلها من الايضاحات والشروح الطويلة وفي بعض البلاد طرائق مستجدّة في اصطناع السكر لم يمكنّا ان نتعرّض لها . وللكيميويين في كل سنة اصلاحات وتحسينات في هذا الصدد امّا طلباً لجودة السكر واما بغيةً في توفيره وتهويد اسعاره

﴿ تجارة السكر ﴾ ان تجارة السكر تلعب اليوم دورًا مهمًّا في ماليّة الدول بل يصحّ القول انّها غلبت بقيّة المحصولات برواجها ووفرة ارباحها حتى انّ كثيرًا من الدول تجد في تجارتها كنوزًا ماليّة تساعدها على تعديل ميزانيتها (١ . فلذلك قد انتقلت باعة السكر بالضرائب دون ان تنزل تحتها عواتقهم لما ينالون بواسطتها من الارباح . لكنّ تلك الدول نفسها تخفّف تلك الضرائب اذا ما بيع السكر خارجاً عن تخومها لمزاحمة التجارة الاجنبيّة فترى مثلاً التجار الفرنسويين والالمان الذين يبيعون الكبار من السكر بفرنك اذا اصدروهُ الى البلاد الاجنبيّة باعوهُ بربُع تلك القيمة . فبلغ غاية الدول ان تزيد سوق هذه التجارة رواجاً وتستدرّ منها المكاسب الطائلة . ومن ثم ترى محصول السكر يزداد سنةً بعد سنة حتى بلغ اليوم مبلغاً لا يكاد يصدّقهُ القارئ

١) راجع ما كتبتهُ في هذا الصدد مجلّتا العالمين (Revue des deux Mondes, 1897, t. 140) والمراسل (Correspondant, 1902, p. 206) ومثلهما مجلة الابحاث الدولية والاستعماريّة (Quest. diplom. et colon., 1907) وقد اخذنا شيئاً من معلوماتنا عن هذه المنشورات

لولا ثبوتهُ باضبط الحسابات. ولدينا جداول مدقّقة لمحصولات السكر الدولية في السنة ١٩٠٦ فنستند اليها ولا بُدَّ ان تكون هذه الارقام قد زادت وارتفعت في السنتين الاخيرتين

فما يقال بالاجمال ان تجارة السكر منذ السنة ١٨٧٠ الى يومنا زادت ستَّة اضعاف فانَّ مجموع ما كانت الدول تصطنع منهُ في معاملها آنئذٍ كان يبلغ ٢,٦٠٠,٠٠٠ طن اعني مليارين و ٦٠٠ مليون كيلو وفي السنة ١٩٠٦ بلغ المحصول ١١,٣٧٢,٠٠٠ طن. فمن هذا المبلغ لاوربَّة الحصَّة الاوفى فانَّ معاملها اصطنعت منهُ ٦,٣٤٥,٠٠٠ طن والباقي قد صدر من بقيَّة القارات فبلغ ٥,٠٢٧,٠٠٠ طن

وان اعتبرت الدول الاوربيَّة وعارضتها ببعضها وجدت السبق لالمانية في اصطناع السكر فانَّها في السنة ١٩٠٦ استخرجت منهُ ٢,١١٥,٠٠٠ طن بزيادة ٥٠٠ مليون على العام السابق. وتليها النمسة التي استحضرت ١,٣٢٥,٠٠ طن بزيادة ٤٤,٠٠٠ طن على السنة ١٩٠٥. وكانت الثالثة في هذا السباق دولة روسيَّة فبلغ مجموع سكرها ١,٠٠٧,٠٠٠ طن بزيادة ٨٦,٠٠٠ طن عن عام ١٩٠٥ وكانت فرنسة الرابعة فاصطنعت ٩٤٠,٠٠٠ طن بزيادة ٣٢٥,٠٠٠ على عامها السابق. وتبعتها بلجكة (٣١٧,٠٠٠ طن) ثم هولندة (١٨٩,٠٠٠ طن)

امَّا البلاد الخارجة عن اوربَّة فتصدَّرت بينها جزيرة كوبا التي بلغ سكرها ١,٣٠٠,٠٠٠ طن فهي الثالثة في العالم بوفرة سكرها بعد المانية والنمسة. ثم جزائر جاوة ثم تقاربها بوفرة سكرها الذي ناهز سنة ١٩٠٦ مليونًا من الطنَّات. يليها جزيرة هاواي (٣٧٠,٠٠٠) ثم البرازيل (٢٧٥,٠٠٠). امَّا معامل مصر فانَّها قبل ازمة السكر اصطنعت ٦٥,٠٠٠ طن

وان سألت اي دولة تتقدم على سواها في استعمال السكر اجبنا انَّها انكلترَّة التي ليس في بلادها معامل لاستحضاره فانَّ معدَّل ما يأكلهُ الانكليزيّ من السكر في السنة لا يقلّ عن ٤٤ كيلو ويليهِ الاميركيّ الذي يقطع منهُ ٣٠ كيلو ثم السويسري ٢٤ ك ثم الدنيركي ٢٣ ك ثم الهولندي (٢٠ ك) ثم الاسوجيّ (١٨ ك) وهلمَّ جرًّا. على انَّ هذه الارقام تختلف كل سنة على حسب ما ترتفع اسعار السكر او تنقص. مثال ذلك فرنسة التي كانت جعلت ضريبة السكر ٦٤ فرنكًا على كل

مئة كيلو فانها في السنة ١٩٠٣ اهبطت جبايتهُ الى ٢٥ فرنكاً فقط فازدادت للحال قطعيتهُ

واعلم انَّ بلاداً كثيرة ليست في حاجة الى السكر كغيرها لما تجدهُ من الثمار الطيبة في جهاتها. فانَّ بلاد الشرق عموماً واصقاع اوربَّة الجنوبيَّة تستغني بذلك عن السكر الصناعي لانَّ الطبيعة قد خزنت هناك مقادير عظيمة من سكرها اللذيذ في كل اصناف الاشجار المثمرة فيجنيها اصحابها ويستدُّون منها سكراً اشهى طعماً وألذ حلاوةً. فيُقتضى عليهم ان يشكروا الخالق عن تلك المنَّة الجزيلة التي حُرمتها اجمالاً البلاد الشماليَّة

ومع هذا فانَّنا نرغب لو سعى اهل بلادنا في انشاء معامل يجارون فيها الاوربيين لاصطناع السكر ولاسيما انَّ تربة هذه البلاد تغلُّ لهم بوفرة القصب والشمندر اللذين منهما يُستَمدّ غالباً السكر الصناعي

المختار في كشف الاسرار

نظر الاب اريس شيخو اليسوعي

وصفنا قبل سنتين كتاباً عجيباً في بابهِ استوقف تعريفهُ نظر القرَّاء. فاخذهم العجب من ذكاء صاحبهِ زيد كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة (المشرق ١٠: ١١١ و ١٠٧٦ و ١١: ٥٨٠) لابن بسَّام فذكرنا نُتَفاً من ابوابهِ في حِيَل المدلِّسين وضروب غشهم في المعاملات او البايعات. وقد وقع الينا حديثاً مخطوط آخر لهُ علاقة مع التأليف السابق بيع قبل شهرين في بيروت فيما بيع من مكتبة المرحوم الاديب جبرا دلَّال الحلبي اسمهُ «المختار في كشف الاسرار» يحتوي اموراً كثيرة من اسرار النصَّابين ومكايد المدلِّسين فأحببنا نقل شيء من مضامينهِ لقرَّائنا تفكهةً للألباب وتحذيراً لهم من خدائع المكَّارين

(مؤلف الكتاب) يدعى صاحب هذا الكتاب في صدر تأليفهِ زين الدين عبد الرحيم ابن ابي بكر الدمشقي الشهير بالجوبري. وقد دعاهُ الحاج خليفة في كشف

الظنون (ed. Flügel, V. 438) الشيخ الامام عبد الرحمان بن ابي بكر وسمّاهُ في محلٍّ آخر (Ibid. V: 202) « الامام الاوحد عبد الرحيم بن عمر الدمشقي الحرّاني » فعلى هذا البناء يكون اصلهُ من دمشق او بالحري من جوبر احدى قرى دمشق . ثم انتقل الى حرّان في ما بين النهرين . ولا نعرف شيئاً من بقيّة اخباره مع تحرّينا في هذا الامر والتفتيش البالغ . الّا انَّ في كتابهِ هذا اشاراتٍ تفيدنا عنهُ بعض الافادات فيؤخذ من مقدّمتهِ انهُ كان مدّةً في خدمة السلطان مسعود بن محمود بن محمّد بن قرا ارسلان احد ملوك بني أرتق وصاحب آمد (معجم البلدان لياقوت ١ : ٦٨) في اوائل القرن الثالث عشر للمسيح . وقد ذكر في فصول كتابهِ بلادًا كثيرة تجوّل فيها فكان في حرّان سنة ٦١٣ (١٢١٦ م) وفي قونية في بلاد الروم سنة ٦١٦ (١٢١٩) وفي هندبار (ص ٥١ من نسختنا) والبلاد الهنديّة (ص ٦٤) وفي جدّة والحجاز (٧٣ و٧٥) ويذكر اصحابًا لهُ اجتمع بهم كالشيخ قطب الدين الحلبي واعظ الديار المصريّة (ص ٣٩) والشيخ سليمان المغربي في الحجاز (ص ٢١) . ويظهر انهُ عاش الى السنة ٦٢٩ (١٢٣٢ م) لانهُ ذكر وفاة رجلٍ ادّعى الكرامات في ايّام الملك الكامل وتوفي في تلك السنة (ص ١٩)

امّا معارف الجوبري وآدابهُ فانّها تظهر ممّا قدّمهُ على كتابهِ من مطالعة كتب الحكماء الاقدمين في الحِيَل والطلسمات والاسرار الخفيّة والرموز ذكر منها قسماً صالحاً ثم تخطّى الى ذكر العلماء المتأخرين كابن سينا وابن وحشيّة وجابر والخوارزميّ وغيرهم مع عدّة تآليف في فنون النواميس كحيَل بني موسى (اطلب المشرق ٩ : ٤٤٤) وكتاب ابن شُهَيد المسمّى كشف الدكّ . وايضاح الشكّ وغير ذلك من كتب الرمل والتنجيم مما يبلغ المئين عدًّا ليطّلع على تلك الاسرار فيكشفها . وفي كل ذلك ما يُشعر بذكاء المؤلف وسعة مداركهِ . وقد ألّف في هذه الفنون كتباً ذكر منها في مقدّمتهِ كتاب الصراط المستقيم في علم الروحانيّة وصناعة التنجيم (ورد اسمهُ في كشف الظنون ٤ : ١٠٢) وكتاباً على اصول علم الرمل وفروعهِ . فناهيك بهذه الافادات علماً بمقدرة المؤلف وطول باعهِ بفنون عصرهِ

(تعريف الكتاب) النسخة التي وقعت الى يدنا من هذا الكتاب حديثة الخط كُتبت بقلم عاديّ سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) صفحاتها ١٥٥ وفي كل صفحة ٢١

سطرًا واسم الكتاب في اوّله على هـذه الصورة « كتاب الدرّ المختار في كشف الاسرار » لكنّهُ دعاهُ في الختام « كتاب الكنز المختار في كشف الاسرار » وكذلك اختلف الحاج خليفـة في تسميتهِ فدعاهُ في باب الكاف (ed. Flügel, V: 202) كشف اسرار المحتالين ونواميس الحيّالين. ثم ابدل اسمهُ بعد ذلك فوسمهُ بالمختار في كشف الاسرار وهتك الاستار في علم الحيَل وهـذا الاسم اقرب الى الاسم الاصلي الذي في مقدّمة الكتاب « كتاب المختار في كشف الاسرار » ومنـهُ عدّة نُسخ في خزائن كتب اوربّة كباريس (Cat. des Mss. arabes de Paris, p. 736) وبرلين (V: 85-88) وليدن (III: 175) وفينّة (II: 501-3) وقد اتّسع مصنّفو جداول تلك المخطوطات الاوربيّة في وصفهِ ولاسيما اهلورت (W. Ahlwardt) واصف مخطوطات برلين وفلوغل (Flügel) صاحب جدول مخطوطات فينّـة فأثبتوا اقسامهُ وفصولهُ ملتمعين بخطر الكتاب واهميتهِ. وقد كان سبق هؤلاء العلّامة الهولندي الاستاذ دي غوي (de Goeje) سنة ١٨٦٦ فكتب في هذا التأليف فصلًا واسعًا في المجلة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG, XX, 485-515) واثبت مقدّمتهُ ونقل عنهُ بعض قطع تنويهًا بشأنهِ. ثم وقفنا منهُ على نسخة سقيمة طُبعت في مصر قبل عشر سنوات وكأنها خلاصتهُ لا تكاد تتجاوز نصفهُ فرأينا العود احمـد الى بيان مضامينهِ وقطف بعض منتخباتهِ. والكتاب يتضمّن ثلاثين فصلًا وكل فصل يحتوي على عدّة ابواب. والنسخ تختلف في ترتيب الفصول وعدد الابواب. وقد وصف الحاج خليفة هذا الكتاب بما حرفهُ (٥ : ٤٣٨) : « المختار في كشف الاسرار للشيخ الامام عبـد الرحمن (عبد الرحيم) بن ابي بكر الجوبري مشتمل على ٣٠ فصلًا ومنها ما يشتمل على ابواب وعدّة الفصول والابواب ٢٦٦ . . . وهو كتاب غريب ليس لهُ نظـير في بابهِ اخذ على ما قالهُ مؤلفهُ في اوّلهِ من ينبوع الحكمة والاسفار الخمسة وكتب الاوائل والاواخر من نحو الف وثلثمائة كتاب فهتك اسرار الكاذبين وكشف عورات المدّعين من كل قوم » وقد عاد الحاج خليفة الى ذكر هذا الكتاب في مواضع اخرى من كتابهِ وخصوصاً في باب الحيَل الساسانيّة

منتخبات من الكتاب

افتتح المؤلف كتابهُ بمكر الذين ادَّعوا النبوَّة فاتَّخذوا لاثبات دعوتهم ضروب الحيَل. ومنَّن ذكرهم رَجُلٌ يعرف باسحاق الاخرس ظهر في اوَّل الخلافة العبَّاسيـة ادَّعى النبوَّة وتبعهُ خلقٌ كثير وملك الى البصرة وعمـان اقام عشر سنين في اصفهان ساكتًا كأنهُ اخرس حتى اذا كانت احدى الليـالي صرخ صرخةً ازعجت الناس فاتوهُ واذا هو منتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت اطرب ما يكون ونغمة الذّ من النسيم ثمَّ قصَّ على الناس الاقاصيص العجيبة فصدَّقوهُ وتبعوهُ واستفحل امرهُ حتى اذعن لهُ اهـل البصرة وانتشر ملكهُ الى عمان. قال المؤلف: «ولم يزل كذلك حتى قُتل ولهُ شريعة بعمان الى يومنا هذا»

ثم ذكر رجلًا يسمَّى ابا سعيـد اللحياني (ويروى: اللحاني والجيَّاني والجنابي) القرمطي ظهر سنـة ٢٥٢ هـ (٨٧٤ م) وادَّعى النبوَّة وملك هجَر والبحرين وعمان ونهب وسبى وكان مع ذلك مريضًا قد بطل شقُّه الايسر (ويروى: الايمن) وكان اعرف الناس بنواميس افلاطون ودُعي بالقرمطي باسم رجل انتمى اليهِ ابو سعيـد وقالوا بل نسبةً لقرية قومطونه كان خرج منها. وقال فيهِ شاعرهُ القبطي الشيباني قصيدة طويلة منها قولهُ:

فمن لدى الوحي مكتوبٌ صحائفهُ منظَّم بكلام الله تنظيـا
ومن بهِ الارض قد شدَّت مراكزها لولاهُ اصبح وجه الارض مظلوما

ذُبح ابو سعيد في الحمَّام سنة ٣٠٠ (٩١٣ م) وخلَّف عقبًا ونسـلًا عُرفوا من بعدهِ بالسادة

واعجب منهـا ما ذكرهُ الجوبريّ (ص ٨) عن رجل ظهر في مدينة تنيس في مصر على عهد المعزّ (ويروى: المعتزّ) اسمهُ فارس بن يحيى السـاباطيّ قال: «سلك مسلك عيسى بن مريم واحيا الموتى وابرأ الابرص والاجذم والاعمى وبنى لهُ صومعة في البلد على البحر وهي باقية الى يومنـا». ثم حاول المؤلف ان يبيّن شعوذة الرجل باصطناعهِ تلك المعجزات بيد انَّ شروحهُ لم تقنعنا فيزعم مثـلًا انهُ اقام ميتًا على هذه الطريقة (ص ٨) قال:

وذلك انهُ كان فيلسوفاً فاخذ من كفن ذلك الميت الذي اراد ان يحييهُ جزء١ ومن حب النارجيل جزء١ ومن الجندبادستر جزء١ ثم جعلها فتيلة وارقدها قدام اهل ذلك الميت الذي قد أخذ من كفنهِ فخُيل لهم انَّ ميتهم قد قام من قبرهِ يمزق اكفانهُ وهو على هيئتهِ فسألوهُ عما ارادوا فخُيّل لهم انهُ يخاطبهم بما يسألونهُ عنهُ فحارت فيهِ الافكار

وهو شرح غامض لا يبيح بالسرّ وكان الاولى بالمؤلف ان ينكر موت الانسان . وكذلك اراد ان يبيّن كيف السمك كان يطلع من البحر ويقبّل اقدامهُ فزعم انهُ « كان يلطّخ اقدامهُ بمعجون من السرقين والباذروج وحبّ القثاء مع دهن الياسمين فيمشي على ساحل البحر فيطلع السمك على رائحة الدواء ويلحس اقدامهُ . وهو ايضاً شرح لا يفي بالمرام ولا نظنّ انَّ السمك يخرج من مائهِ اذا اشتمَّ معجوناً كهذا . ومثلهُ الشرح الذي اردفهُ المؤلف ليكشف سرّ الرجل بشنانهِ البُرص فانهُ من الغرابة بمكان اذ زعم انهُ كان يأخذ اصول الكرفس ونعنع الماء ويدفنها في الزبل حتى يتولّد منها دود ابيض كان يلطّخ بهِ الناس فيظهر في جلدهم البرص ثم يزيلهُ بالشيطرج الهندي المطليّ بالخلّ الحاذق . فانَّ مثل هذه الشعوذات لا تخفى على الناس

ومثلهُ ايضاً ما اخبر عن راعٍ يهوديّ ظهر في جهات طبريَّة وادَّعى انهُ موسى وانهُ اتخذ لهُ عصاً كان يسوق بها السباع والوحوش كما يسوق الغنم وانهُ كان يلقيها على الارض فتجري على مثال الثعبان فاذا كان الحرّ شديداً القى العصا « فاذا حميت سمت مثل الثعبان ولسانها يلعب » . وهو تفسير غريب لا يُقنع احداً . ولعلَّ ذلك الراعي كان ساحراً كسحرة فرعون الذين اصطنعوا مثل هذه الاعمال بقوَّة الشيطان فانَّ السحر لا يُنكر وكفى دليلاً على وجودهِ ما تنقلهُ الجرائد عن السبريتيم وعالم الاموات

ثم روى المؤلف انَّ بعض هؤلاء النصَّابين تمكَّنوا بتركيبات ركّبوها وتدخينات اصعدوها من ان يكدّروا صفاء الجوّ ويحجبوا ضوء الشمس فاظهروا النجوم نهاراً . وكذلك اخبر عن رجل في ايَّام المأمون اسمهُ عبد الله بن ميمون « كان في سواد الكوفة وارى الناس الخاريق من النارنجيَّات ثم اراهم انشقاق القمر فاخرق عقولهم بدخان اصعدهُ من رأس جمل ومخ سنَّور وبعض الحشائش » . ولا نعلم ما في ذلك من الصحة

ويلي هذا الفصل فصلٌ آخر يشبهُ اودعهُ الكاتب اخبار المدَّعين المشيخة ممَّن يتظاهرون بالصلاح والكرامات وإنْ هم الّا دجالون كذبة . وقد جعلهم المؤلف طبقات وقد ابتدأ بذكر الحسين بن منصور الحلّاج قال (ص ١١):

كان ظهر ببغداد سنة ٣٠٨ وكان يدعو الناس الى عبادة الله فوشوا به الى عليّ بن عيسى الوزير فاحضرهُ وضربهُ الف عصاً ثم فصَّل اعضاءهُ وقيل انهُ لم يتأوَّه وكان كلَّما قُدَّ منهُ عضو يقول:

وحرمة الودّ الذي لم يكُنْ يطمع في افساده الدهرُ
ما نالني عند نزول البلا جهدٌ ولا مسَّني الضرُّ
ما قُدَّ لي عضوٌ ولا مفصلٌ الّا وفيهِ لكمُ ذكرُ

على انَّ المؤلف لم يبيّن في ذكر الحلّاج في ايّ شيء ركب الشطط . وقد بلغنا انَّ احد المستشرقين المدعوّ لويس مسينيون (Mr L. Massignon) ألف كتاباً يكشف فيهِ القناع عن اخبار هذا الرجل وتعاليمه

ثم ذكر اعمال بعض المشايخ يخدعون بها السذَّج منها دخولهم في النار بعد ان دهنوا جسدهم بدهن ضفدع مسلوق اضافوا اليهِ شيئاً من البارود المسمَّى بالثلجي فلا تعود النار تضرّهم . ويلطخون بهذا الدواء اصابعهم ثم يغمسونها بالنفط ثم يشعلونها كما يشتعل الشمع ولا يزالون يرقصون واصابعهم تشعل حتى يضجّ الخلق ثم يدنو الرجل من الشمعة فيشعلها ويطفئ اصابعهُ . وبعضهم يتَّخذون قرعاً من اللبد الاحمر الطالقاني يجعلها على اصابعهِ ثم يسقيها بالنفط ويشعلها فلا يضرُّه . وبعضهم يأخذ الطلق المحارب يُضيف اليهِ مغرة مدنيَّة وحشيشة الخطم مع الكبرة الخضراء .

وذكر بعد هذا شيوخاً يُظهرون الثمار في غير اوقاتها بان ينضجوها على طرائق شتى او يؤخروا زمن انضاجها فيأتون بها في غير فصولها . واخبر عن رجل يقال لهُ المقصود ظهر في دولة الملك العادل ابي بكر بن أيوب في دمشق « فادَّعى المشيخة وكان يظهر الثمار في اوقات لا يمكن ان توجد فيها فلمَّا استفحل امرهُ ادَّعى النبوَّة وانهُ عيسى ابن مريم فربط جماعة من كبار البلد ومن جملتهم اهل سوق المرجلين واهل المزّة وكفرسوسه . فلمَّا كثر الهرج فيهِ طاب ظاهر البلد وترل بمكان يعرف بالصفصاف . فقيل لهم بنو الصفصاف وهو امرٌ مشهور بدمشق »

ثم روى عن بعضهم انَّهم كانوا « يقيمون اربعين يوماً واكثر لا يأكلون ولا

يشربون ويدّعون انّ طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وانّ الله تعالى يبعث لهم من طعام الجنّة » وقد زعم المؤلف انّهم كانوا « يرورن عطشهم بسفوف من بزر الحبّة الحمقاء المسحوق المنقوع بالخلّ . او بسفوف آخر من كبد غزال عطشان مجفّف ومسحوق فاذا استنّهُ لا تطلب تنسهُ الماء » والله اعلم . واخبر قصة رجل يدعى أبا الفتح الواسطي فعل ذلك على بحر الاسكندريّة في زمانهِ سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) فاختبره صاحب البلدة عزّ الدين بلبان وحبسهُ في داره ستة اشهر فبقي تلك المدّة لا يشرب فبنى لهُ عزّ الدين زاوية وبها مات سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) . وذكر سفوفات أخرى لسدّ جوعهم

ثم قال (ص ١٩) : « ومنهم اخزاهم الله من يُنبع الماء من بين اصابعهِ وذلك انّهم يأخذون الحصا الفراني ويخلطون معهُ حصا البارود الثلجيّ ثم يجعلهُ الشيخ السوّ في يدهِ ويشغل الناس ساعةً بالحديث فيقطر الماء من بين اصابعهِ فيذهل القوم ويتوهمون فيهِ الصلاح وهو بضدّ ذلك »

ثم ذكر الذين « يجمعون عددًا من الدود المعروف بالطيبوثة (اليراع او الحباحب) وهي التي تسرج بالليل في أيّام الربيع ثم يجعلونها في خرقة شعر رفيعة ويربطونها في جبينهم وطرفها تحت العمامة فيظهر نور عظيم يذهل العقول »

ثم انتقل الى ذكر « المشايخ الذين يأكلون الحشيش وهو من اعظم المسكرات فيجترحون المحظورات وينتهكون المحارم وقد جعل هؤلاء كراماتهم أكل النار والحيّات » قال ذلك ولم يكشف سرّ هذا العمل

وفي الفصل الثالث (ص ٢٨) تكلّم في اسرار كذّبة الوعّاظ الذين يتخذون الوعظ احبولةً لطامعهم وغاياتهم السخيفة كابي زيد السروجي في المقامات الحريريّة . قال الجوبريّ :

انّ صناعة هذه الطائفة هي اجلّ الصنائع وهي اعلى مرتبة بني ساسان (يريد ارباب الخدع والمكر) . . . ومن دهائهم انّهم يصعدون المنبر بخشوع وسكينة فاذا شرعوا في الكلام وذكروا اهوال يوم القيامة وما اعدّ الله تعالى فيها للمجرمين يبكون بدموعٍ أحرّ من الجمر فاذا ارادوا ذلك يأخذون المنديل يسحقونهُ ثم ينقعونه في الملّ يومًا وليلة ثم يسقون بهِ المنديل الذي يمسحون بهِ وجوههم ويتركونهُ حتى يجفّ فاذا جفّ اخذهُ في كمّهِ فاذا حصل على المنبر واورد اهوال الآخرة مسح وجهه بذلك المنديل فتنزل دموعه مثل المطر

ثم ذكر اتخاذهم نساءهم لغشّ الجمهور يتفقون معهنّ كما فعل السروجيّ

بعجوزهِ السعلاة كشصٌ ليصطاد بها هدايا الناس. ومما رواهُ المؤلف عن صديق لهُ كان في الديار المصرية اسمهُ قطب الدين « وكان من اظرف اهل زمانهِ واشدّهم خلاعة وكان معتكفاً على شرب الخمر » انهُ راهنهُ بان يأكل ويشرب الخمر على المنبر ويلعب بالطنبور. وفعل كلّ ذلك بحيل سروجيّة يطول وصفها دون ان يشعر الجمهور بخداعهِ

وقد خصَّ المؤلف فصلاً (١ ليكشف فيهِ بعض حيَل نسبها للرهبان الّا انَّ اكثر ما اوردهُ رواهُ عن سمع ليس عن عيان ولا يتطبق مع التاريخ الصحيح فمن ذلك ذكرهُ لدير الصنم قال (ص ١٢٠) : « وفيهِ صنم من حديد واقف في قبّة بين الهواء والفضاء لا يسقط الى الارض ولا يرتفع الى فوق ولا يميل يميناً ولا شمالاً وقد ارتبط عليهِ الناس من الزنج والروم واليونان وجميع اجناس النصارى وهذا الصنم من صنعة الحكيم بلينيوس ». قال الجوبري ذلك وبيَّن سرّ وضع الصنم بتركيب قطع من المغناطيس محكمة التركيب والموازنة. (قلنا) لم يُعرف للنصارى دير يُدعى دير الصَّنم ومن المعلوم ان بلينيوس الحكيم كان وثنيًا فلم يمكن النصارى ان يكرموا صنماً من صنعهِ فضلاً عن انَّ التاريخ لم يذكر لبلينيوس اثرًا كهذا. وزد على ذلك انَّ خبر هذا الصنم العجيب قد رواهُ القزويني في آثار البلاد (ص ٦٣) عن اهل سومناة المشركين في الهند ونقلناهُ عنهُ في مجاني الادب (٣ : ٢٤١)

ومما نسبهُ الجوبري الى خدعة الرهبان زيتٌ يسيل بصنعة خفيَّة في كنيسة صيدنايا امام صورة العذراء يتخذهُ الزوار للبركة في يوم عيدها. (قلنا) انَّنا زرنا دير صيدنايا وكنيستها (اطلب المشرق ٩ : ١٠٥٠) ولم نسمع بخبر هذا الزيت وخدعة الناس بهِ. كما انَّنا روينا قصَّة ايقونتهِ القديمة (المشرق ٨ : ٤٦١) وليس فيها اثرٌ لهذا الخبر سوى ما ذكرهُ الراوي انهُ ظهر عليها شبه عرقٍ لمَّا وضعوها في مكانها. امَّا الزيت فيأخذهُ الزوَّار من عدَّة قناديل تُوقد هناك ليلاً مع نهار على طول ايَّام السنة

وذكر ايضًا الجوبري الانوار التي توقد يوم سبت النور في كنيسة القيامة في القدس وبيَّن انَّ في ايقادها شعوذةً. ثم سعى في كشف السرّ. (قلنا) انَّ سرّ هذا النور قريب للادراك يوقد على طريقة طبيعيَّة كما يقرُّ بهِ عقلاء الروم انفسهم فضلاً عن سواهم. ولعلَّ الذين اتَّخذوا ذلك اوَّلاً انَّما اتخذوهُ كرتبة كنسيَّة محضة جارية في كل

١) هذا الفصل هو الرابع في نسخ كثيرة وهو الرابع والعشرون من نسختنا

الطوائف النصرانيَّة ثم زعم بعض الجهَّال انَّهُ نور سماويّ ووجد اهل الطامع في هـذا الاعتقاد ربحًا فأجروا الرتبة سرًّا. وقد اثبت السيّد الاسقف الارثذكسيّ رفائيل هواويني في مجلة الكلمة (٤ : ٣٨٤ و ٤٠٤ و ٤٧٨) ثلث مقالات في هـذا الصدد وختم قوله بانَّ ليس ثَمَّ اعجوبة بل ذلك احتفال كنسيّ ورمز فقط يُشار بهِ الى نور الايمان وقد اقترح (ص ٤٩٦) على الاكليروس الاورشليميّ بان يجروا بعض التغيير والتبديل في طريقة اتمام تلك الرتبة لئلَّا يُخدع بها السذَّج فقال ما حرفه :

ان هذا ممكن بل ضروري ايضًا وذلك بان يُلغى منهـا امر خلع البطريرك ملابسه الحبريَّة ودخوله وحدهُ الى داخل القبر المقدس واقفال الباب وراءهُ ولاسيَّما امر اختلائهِ ضمن القبر مدة غير معلومة من الزمان قد تطول في بعض السنين ثُلث ساعة او اكثر. فان جميع هذه الامور ممَّا يوهم للناظرين كون البطريرك انما دخل الى القبر كي « يأتي بمعجزة » فيُنزل « كاليليا النبي » نارًا من السماء على فتيل الشمع الذي بيدهِ. فبدلًا اذن من هـذه كلّها نرى ان الأولى لدى الله والناس ان يدخل البطريرك الى القبر بملابسه الحبريَّة بدون تاج ولا عكَّاز وبدون ان تُغلَق ابواب القبر وراءهُ وبعد ان يسجد ويصلّي امام السيّد ينير فتيل الشمع من نور القنديل المقدس ويخرج حالًا الى امام الشعب ويهتف نحوهم قائلًا: « هلمُّوا خذوا نورًا مقدسًا من القبر المقدس » فيتقدم الاساقفة فبقيَّة الاكليروس بحسب درجاتهم ويشعلون شموعهم ثم هؤلاء يشعلون شموع الشعب بكل ترتيب ونظام ووقار واحترام »

فنعم القول ويا ليتهُ يجري قريبًا بالعمل ليزول شكوك البعض في انَّ الاكليروس الارثذكسيّ بعمله يوهم الناس بانَّ هناك معجزةً حيث لا معجزة البتَّة

(البقيَّة لعدد آخر)

الأبدال

لحضرة الاب انستاس الكرملي

قد تكرَّر اسم الأبدال في كتب العرب وعلى الأخصّ في كتب الحديث واهل الطريقة من الصوفيين وغيرهم فاحببنا ان نفرد لذكرهم فصلًا نجمع فيهِ ما كتبهُ العرب في شأنهم مع نقد كلامهم

١ً تعريف الأبدال

ما الأبدال ؟ احسن تعريفٍ جواباً على هـذا السؤال هو اقدمهُ عهداً. قال ابن الاثير في النهـاية: « [ورد] في حديث عليّ رضه : الابدال بالشام هم الاولياء والعُبّاد . هذا هو احسن واقدم واصـدق ما جاء عن هؤلاء الناس. وما مضت برهة حتى جاء اللغويون واصحـاب الاشتقاق والتفريع والتفريق فاخترعوا التعاريف وفسّروا الاحاديث تفاسير غريبة واوّلوهـا تآويل جاءت كالتهاويل. فافترقت الآراء فرقاً في هؤلاء الصلحاء. ويا ليت لو قنعوا بما جاء في الحديث وبما اوّلهُ اثبت الايمـة قدماً في الوقوف على علوم العرب اعني بهِ الامام عليّ بن ابي طالب لكان بذلك غنى عن تبايُن الآراء وتعدُّد الاقوال. فلقد زاد صاحب النهاية نفسهُ على كلام امير المسلمين ما نصُّـهُ: « الواحِد بِدْلٌ كحِنْطٍ واحمالٍ. وبَدَلٌ كجَمَلٍ وأجمال. سُمّوا بذلك لانهم كلما مات واحدٌ منهم أُبدِلَ بآخر » اه

ففي هذا الكلام نظران اولاً قولهُ : « الواحِدُ بِدْل كحِنْط وأحمال وبَدَل كجَمَلٍ وأجمال. ولم يذكر غير هذين المفردَيْن . ففي هذا الاقتصار تقصيرٌ ونقصٌ وإخلال. فالذي عليهِ اغلب مشاهير جماهير اللغويين واصحاب الحديث واخبار الانبياء والاولياء والسير النبويّة ان مفرد الأبدال بَديل مثل شريف واشراف. وإنْ ذهبوا الى انهُ قد يكون مفردُهُ ايضاً وزان حِنْط وجَمَل فهذا لا يمنع ذاك. ومن جملة ادلّتهم على قولهم هذا الذي ظهر انهُ الاصح مجيءُ البُدَلاء جمعاً بمعنى الأبدال فيكون ابدالاً من قبيـل شريف وأشراف وشرفاء. وفي دواوين اللغة امثلة لا تحصى من هذا الوزان وجماعهِ

هذا ولا تتصور ان ابن الاثير هو اول من ذهب الى هذا الرأي. فقد سبقهُ اليهِ غير واحدٍ. فعلى مجراهُ جرى صاحب القاموس وتاج العروس ولسـان العرب والصحاح وابن دُرَيد وابن السكيت وغيرهم. امّا الآخرون فلم يزيدوا شيئاً على مـا جاء في كلام الاقدمين ومن هؤلاء الطيبيُّ في شرح المشكاة: « الأبدال بالشـام. والنجباء بمصر والعصائب بالعراق (١ : وهم الاولياء والعُبّاد » اه وكذلك سكت عن اصـل

(١) وفي التاج: روى ابن شميل بسندهِ حديثاً عن عليّ كرّم الله وجههُ انهُ قال: «الأبدال بالشام. والنُجَباء بمصر. والعصائب بالعراق ». اه

اشتقاق هذه اللفظة من مشهور معنى مادّة الـ « بدل » ابن شميل والزمخشري (١ وغيرهما حاذين في ذلك حذو عليّ بن ابي طالب

واما النظر الثاني في كلام ابن الاثير فهو في قوله : « سُمُّوا بذلك لانهم كلّما مات واحدٌ منهم أُبدِلَ بآخر (٢ » . فهذا كلام محمول على ظاهر لفظ الابدال دون حقيقته فلا يشفي غليلاً . والدليل ان جميع اصحاب الاخبار لم يتفقوا على عددهم كما ستراهُ دُوَيْنَ هذا وفي محلّه . فلا بُدَّ من وجود وجه آخر لتخصيص هؤلاء الاقوام الفضلاء بهذه التسمية وتمييزهم بها عمّن سواهم

٢ً معنى لفظة الأبدال

أصحُّ رأيٍ عندنا ان الأبدال جمع بديل . وبديل هذه من مادةٍ مفقود معناها في العربيّة بهذه الحروف الثلاثة « ب د ل » وموجود في سائر اخوات لغتنا هذه الشريفة . وهي فيهنَّ بمعنى انقطع وبان واعتزل الناس من (בדל) فيكون معنى البديل : المنقطع (عن الدنيا الى عبادة الله) والبائن (عن الناس) والمعتزل (اياهم) والمنفرد (عنهم إرضاءً لوجهه الكريم) فحينئذٍ « وحينئذٍ لا غير » يكون البدلاء بمعنى الاوليا . والعباد والصلحاء والنسّاك الى ما يضاهي هذه المعاني

واذا كانت مادة « ب د ل » مفقودة بهذا المعنى في لغتنا فهي موجودة فيها ببعض ابدالٍ بصورة « ب ت ل » ومنهُ البَتْل : القَطْع . وتبتَّل الى الله : انقطع اليه وانفرد لهُ في طاعته وافردها لهُ . وفي اللسان : التبتُّل الانقطاع عن الدنيا الى الله تعالى . وكذلك

١) في اساس البلاغة : « وهو من الابدال اي من الزُهّاد » . ولم يزد على القدر

٢) وفي سفينة الراغب (ص ١٠٧) : « قال الشيخ (نصير بن الفتح) انما سُمُّوا أبدالاً لانَّهم بدل من الانبياء والصدّيقين والشهداء الذين هم اصحاب رسول الله صلعم من المهاجرين السابقين الاوّلين والانصار في ان يصرف الله بهم العذاب عن اهل الارض بعصيانهم » . انتهى المُراد من ايراده

وفي كتاب المعتقد لليافعي : « انما سُمّي الابدال ابدالاً لانَّهم اذا غابوا تُبْدَلُ في مكانهم صورٌ روحانية تخلفهم » . وبني على ذلك ما حُكي عن الشيخ مفرج الدمامل انهُ رآهُ بعض اصحابه يوم عَرَفَة بعرَفة ورآهُ آخر في مكانهِ من زاويته بدمامل . الى آخر الحكاية

التبتيل يقال للعابد اذا ترك كل شيء واقبل على العبادة : قد تبتَّل اي قطع كل شيء الّا امرَ الله وطاعتهُ . وقال ابو اسحاق: وتبتَّل اليهِ اي انقطع اليهِ في العبادة » اه عن التاج وغيرهِ

ولا نعلم كيف فُقِد معنى مادَّة « ب د ل » وبقي كلُّهُ محصوراً في « ب ت ل » الّا ان يكون من آثار لغة بعضهم . وتلك اللغة كانت شائعة ذائعة عند كثيرين منهم يبدلون فيها الدال من التاء (راجع مقالاتنا اللغوية في المشرق في مواضع شتى منهُ) . والّا لا يُفهَم هذا الابدال الغريب المخالف لاوضاع سائر ما جاء في اللغات الاخوات

او لعلَّهم فعلوا ذلك حينما اماتوا لفظة « بتيل » فخصُّوا تلك بالاناث وهذه بالذكور وان لم تكن هذه بمعنى الاوَّل بجميع دقائق معناها . والدليل على قولنا هذا ان كلمة « بتيل » ومثالها : « بتول » وهي الشيرى و « بتيلة » لم تجيء في كلام العرب الفصحاء الاقدمين منهم الّا للمؤنث (١

واما اذا ارادوا ان يصفوا الرجل بالتبتُّل اتخذوا لفظة أخرى وقالوا : « الحَصُور » ومنهُ قولهم : « يوحنا الحصور » كما نسميه نحن النصارى « يوحنا المعمدان » او قالوا : « الصَّرُور » وفيها لغات وهي : « صَرُورة بالهاء [وان كانت للمذكر] . وصَرارة كسحابة وصارورة كقارورة وصارور بغير هاء . وصَروري وصاروري وكلاهما بياء النسب [وان ليس في المعنى نسبة] . وصارُورا . كماشورا . والمشهور من كل ذلك : صَرُور وصَرُورة . وفي الحديث : « لا صَرورة في الاسلام » وفسرهُ ابو عُبَيد بانهُ التبتُّل وترك النكاح فجلهُ اسماً للحدث يقول : « ليس ينبغي لاحدٍ ان يقول لا اتزوَّج . يقول : ليس هذا من

---

١) واما المتأخرون ولاسيما نحن النصارى فقد استعملناها ايضاً للمذكر . فقد سمَّينا مثلاً يوحنا الحبيب : « يوحنا البتول » ايضاً . وهو مناف لاستعمال العرب . لانهم قد يعبرون وزناً او صيغةً بمعنى من المعاني فلا يعودون يتجاوزونهُ . وان كان القياس يجيزهُ لهم ويبيحهُ ولهذا قالوا في هذا الصدد : « ما كلُّ ما يُقاس يُقال » لان القياسيَّ قسمان : قياسي مطَّرد وقياسي سماعي . وليس هنا محل ذكرهما . ومن القياسي السماعي وزنا فعيل وفعول . ومنهما هذان الحرفان بَتيل وبتول . والسماع حجة على من لا يحفظ حجة كما صرَّح بهِ صاحب التاج في عدَّة مواطن من كتابهِ . وفي القياسيَّات السماعية صيغة المبالغة وافعل التفضيل وغيرها . وهذا الامر مشهور عندهم وقد عقد لهُ النحاة اللغويون ابواباً مذكورة في كتبهم فاطلبها في مظانها تُصِبْ ان شاء الله تعالى

أخلاق المسلمين وهذا فعل الرهبان. وهو معروف في كلام العرب ومنهُ قول النابغة:

لو انَّها عرضت لاشمط راهب عبد الإله صَرورة متعبِّدِ

يعني الراهب الذي قد ترك النساء....» اه عن التاج

٣ مرادفات الابدال ومحل وجودهم

جاء في «كتاب الخبر الدال. على وجود القُطب والأوتاد والنجباء والأبدال» لجلال الدين السيوطي (ومنهُ نسخة خطيَّة في خزانة كتب الملك الظاهر في دمشق الشام) ص ٧ «ان عليّ بن ابي طالب قال: الابدال من الشام. والنُجباء من اهل مصر. والاخيار من اهل العراق». وقال في ص ٨ نحو الآخر: «عن النبي صلعم قال: لن دعامة أُمتي عُصَبُ اليمن. وابدال الشام». وقال في ص ١٨: «مسكن النقباء المغرب. ومسكن النجباء مصر. ومسكن الأبدال الشام. والأخيار سيَّاحون في الارض. والعُمَّد في زوايا الارض. ومسكن الغَوث مكة» اه

وفي مجموعة رسائل ابن عابدين (ج ٢ ص ٢٧٠ من طبعة الاستانة) ما يُقارب هذا الكلام. وكذلك في سائر الرسائل التي ورد فيها ذكر الأبدال يُضاف اليها ما اثبتنا في المشرق (١١: ٨٦١) سابقاً فليُراجع

٤ عدد الأبدال

لم تتَّفق اقوال النقلة والمحدثين والكتبة في عدد الابدال فقد قال السيوطي في الخبر الدال (ص ٧ من نسخة المكتبة الظاهريَّة) بعد ايراد اسماء اصحاب الاسانيد الواحد بعد الآخر: «البُدَلاء اربعون رجلًا. اثنان وعشرون بالشام. وثمانية عشر بالعراق. كلَّما مات منهم واحد ابدل الله مكانهُ آخر. فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة». ثم نقل حديثًا آخر (ص ٨) وعَنْعَنَهُ حتى اوصلهُ الى صاحب الشريعة فقال: «قال رسول الله صلعم: الأبدال اربعون رجلًا واربعون امرأة. اخرجهُ الديلمي في مسند الفردوس. ونقل حديثًا ثالثًا واوردهُ (ص ٩) فقال: «الابدال بالشام وهم ثلاثون رجلًا على منهاج ابرهيم كلَّما مات رجل ابدل الله مكانهُ آخر. والعُصَب [جمع

عُصْبَة] بالعراق اربعون رجلاً كلما مات رجل ابدل الله مكانهُ آخر. عشرون منهم على اجتهاد عيسى بن مريم وعشرون منهم قد أوتوا مزامير آل داود . حديث عبادة بن الصامت ». ثم جاء (في ص ١٠) بحديث رابع فقال: « قال رسول الله صلعم: الابدال في أُمتي ثلاثون بهم تقوم الارض وبهم تُمطَرُون وبهم تُنصرون » اه. وقال (في ص ١٢): قال رسول الله صلعم: ان لله عزَّ وجلَّ في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عم. ولله في الخلق اربعون قلوبهم على قلب موسى عم. ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابرهيم عم. ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عم. ولله في الخلق واحد قلبهُ على قلب اسرافيل. فاذا مات الواحد ابدل الله من الثلاثة. واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانهُ الخمسة . واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانهُ من السبعة. واذا مات من السبعة ابدل الله مكانهُ من الاربعين. واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانهُ من الثلاثمائة. واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانهُ من العامة. فبهم يُحيي ويُميت. ويُمطِرُ ويُنبت. ويدفع البلاء. قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يُحيي ويُميت؟ قال: لانهم يسألون الله إكثار الأُمم فيكثرون. ويدعون على الجبابرة فيُقصَمون. ويَستَسقون فيُسقَون. ويسألون فتنبت لهم الارض. ويدعون فيرفع بهم انواع البلاء . اخرجهُ ابن عساكر » اه

وقال (في ص ١٧) : « أثر عن الحسن : اخرج ابن عساكر عن الحسن البصريّ قال: لن تخلو الارض من سبعين صدّيقًا وهم الابدال. لا يهلك منهم رجل الّا اخلف مكانهُ مثلهُ. اربعون بالشام. وثلاثون من سائر الارض » اه

وقال في تالك الصفحة: « أثر عن قتادة: اخرج ابن عساكر عن قتادة قال: لن تخلو الارض من اربعين بهم ينبات الناس وبهم يُنصرون وبهم يُرزَقُون . كلّما مات منهم احد ابدل الله مكانهُ رجلًا. قال قتادة: والله اني لارجو ان يكون الحسن منهم » اه

وقال: « أثر عن شهر: اخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تَبقَ الّا وفيها اربعة عشر يدفع الله بهم عن اهل الارض ويخرج بركتها الّا زَمَنَ ابرهيم كان وحدهُ » اه

وقال: « أثر عن ابي الزاهريّة ومن بعده (ص ١٨): اخرج ابن عساكر عن ابي

الزاهرية قال: الابدال ثلاثون رجلًا بالشام. بهم تُجارُون. وبهم تُرزَقون. اذا مات منهم رجل ابدل الله مكانهُ. واخرج عن الفضل بن فُضالة قال: الابدال بالشام: في حمص خمسة وعشرون رجلًا. وفي دمشق ثلاثة عشر. وبيسان اثنان [فيكون عددهم على هذا القول اربعين]. واخرج عن ابن يحيى الحشني قال: بدمشق سبعة عشر نفساً وبيسان اربعة. [= ٢١]. واخرج ابن ابي خثيمة وابن عساكر عن ابن شودب قال: الأبدال سبعون فستُّون بالشام وعشرة بسائر الارض. واخرجا من طريق عثمان بن عطاء عن ابيهِ قال: الابدال اربعون انسانًا. قلتُ لهُ: اربعون رجلًا ؟ — قال: لا تقل اربعون رجلًا. ولكن قُلْ: اربعون. ولعلَّ فيهم نساء. واخرج ابن عساكر من طريق احمد بن ابي الحواريّ قال: سمعتُ ابا سليمان يقول: الأبدال بالشام. والنجباء بمصر. والعُصَبُ باليمن. والاخيار بالعراق. واخرج هو والخطيب من طريق عبد الله بن محمَّد العبسي قال: سمعت الكتّانيَّ يقول: النقباء ثلاثمائة. والنجباء سبعون. والبدلاء اربعون. والاخيار سبعة. والعمد اربعة. والغوث واحد. فسكن النقباء المغرب. ومسكن النجباء مصر. ومسكن الابدال الشام. والاخيار سيَّاحون في الارض. والعمد في زوايا الارض. ومسكن الغوث: مكة. فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء. ثم النجباء. ثم الابدال. ثم الاخيار. ثم العمد. فان أُجيبوا والّا ابتهل الغوث فلا تتمّ مسئلةٌ حتى تُجابُ » اه

واذا اردنا ان نتتبّع سائر الاقوال فهذا يطول بنا. وقد اجتزأنا بما ذكرنا إشارة الى ان الاقوال في عدد الابدال مما لم يتّفق عليهِ اهل النقل والتحقيق. وبذلك كفاية. على اننا لا يجوز لنا ان نجوز هذا الباب ما لم نذكر حديثًا ينقلهُ اغلب اصحاب الطرائق والمحدّثين وهو هذا نقلًا عن السيوطي في الكتاب المذكور (ص ١٩ — ٢٠): « . . . عن ابي عمر النصيبي قال: خرجت اطلب مسئلةً من مصقلة بالشام [مصقلة باسم : زاهد] وكان يقال انهُ من الابدال. فلقيتهُ بوادي الاردن فقال لي: ألا اخبرك بشيء رأيتهُ اليوم في هذا الوادي ؟ فقلتُ: بلى. قال: دخلتُ فاذا انا بشيخ يُصلّي الى شجرة. فألقيَ في رَوْعي انهُ الياس. فدنوت منهُ فسلّمت عليهِ فردَّ عليَّ. فقلتُ: من انت يرحمك الله ؟ قال: انا الياس النبي. قلت: يا نبيَّ الله هل في الارض اليوم من الابدال احدٌ. قال:

نعم هم ستّون رجلًا : منهم خمسون فيما بين العريش الى الفرات . ومنهم ثلاثة بالمصيصة . وواحد بانطاكية . وسائر العشرة في سائر امصار العرب » اه

٥ً الابدال الاقدمون والابدال المسلمون

الابدال على ما يتبيَّن من ثقة المسلمين طائفتان : طائفة كانت قبل الاسلام . وطائفة بعد الاسلام . امَّا انهُ وُجد ابدال قبل الاسلام فهذا ممَّا لا ينكرهُ احدٌ من علماء المسلمين . ومن الادلَّة على هذه الحقيقة :

١ً انهم يعتبرون الخليل البديل الوحيد في عهدهِ الى آخر تلك الاقوال فراجعها في كتاب الخبر الدالّ للسيوطيّ (١

٢ً ان نبيّ المسلمين ذكر الابدال وان منهم من في ديار الشام ومنهم في مصر وجماعة في العراق وطائفة في بلاد العرب مع انهُ لم يكن يومئذٍ الاسلام منتشرًا في تلك الربوع والآفاق فوجب اذًا وجودهم قبل ذلك العهد . وهذا ممَّا لا يُمارَى فيهِ

وامَّا وجودهم بعد الاسلام فيتَّضح ممَّا نقلهُ المحدّثون في كتبهم . فقد جاء في الحديث نقلًا عن ابن ابي الدنيا في كتاب السخاء : « حدَّثنا اسماعيل بن ابرهيم بن بسَّام : حدثنا صالح المرّيّ عن الحسن : ان رسول الله صلعم قال : ان بدلاء أُمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة انفسهم » . اه

١) واجتماع لفظة الابدال مع كلمة الياس كثير الورود في كُتُب المسلمين ممَّا يدل قدم هذا الرأي وان الخضر الياس واسمهم . فممَّن ذكر ذلك غير السيوطيّ جماعة المتصوّفة وطائفة من كتبة التاريخ المحقّقين منهم مثلًا الترمانيّ فقد قال في كلامهِ عن الياس النبي : « ورُوي (اي عن نبيّ المسلمين) ان الابدال يجتمعون بهِ (اي بالياس) » (راجع المشرق ١١ : ٨٦) . وجاء في كتاب خطّي محفوظ في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت في الورقة الثالثة والخمسين في الفصل الثامن والعشرين في كلام المؤلف عن الانبياء : « . . . وذلك قولهُ تعالى في القرآن : ان اسمعيل واليسع وذا الكفل كلٌّ من الاخيار » وقد بيَّن في أثناء كلامهِ ان المراد بالاخيار ما ذكرناهُ سابقًا عن السيوطيّ اي الابدال . وفي كتاب العرائس للثعلبي : « قلتُ (اي الراوي الذي رأى الياس النبي في الاردن على ما رواهُ الثعلبي) : كم الأبدال ؟ قال : ستُّون . . . » اه فانَّنا نرى من هذا الكلام ان الرجل يسأل النبي عن الابدال ممَّا يدل على ان لالياس نسبةً تُذكر مع الابدال اذ قد وجدنا ان حيثما يُذكر الابدال يُذكر ايضًا الياس والخضر وبالعكس ايضًا

وهذا كلام يُشعر بان البدلاء غير المسلمين يدخلون الجنة بكثرة صلاتهم وصيامهم وانهم مشهورون بهاتين المزيّتين

« وعن ابي هريرة قال : دخلتُ على النبيّ صلعم فقال لي : يا ابا هريرة . يدخل عليّ من هذا الباب الساعة رجلٌ من احد السبعة الذين يدفع الله عن اهل الارض بهم . فاذا حَبشيٌّ قد طلع من ذلك الباب أقرع اجدع على راسه جرّة من ماء . فقال رسول الله صلعم : يا أبا هريرة : هو هذا . وقال رسول الله صلعم ثلاث مرّات : « مرحباً بيسار » وكان يرشّ المسجد ويكنسهُ . [وكان] غلاماً للمغيرة بن شعبة » . اه نقلهُ بحرفهِ عن كتاب الخبر الدالّ (ص ١٥)

وقال الطبراني في « الاوسط » : « عن انس . قال رسول الله صلعم : لن تخلو الارض من اربعين رجلاً مثل خليل الرحمان فيهم تُسقَون وبهم تُنصرون . ما مات منهم احدٌ الّا ابدل الله مكانهُ آخر . قال عبادة : لسنا نشكُّ ان الحسن منهم » اه (يريد بالحسن الحسن بن عليّ بن ابي طالب)

« وعن ابن منبه قال : رأيتُ رسول الله صلعم في المنام . فقلتُ لهُ : يا رسول الله اين بُدلاء امّتك ؟ فأومأ بيده نحو الشام . قلتُ : يا رسول الله أما بالعراق منهم احدٌ ؟ قال : بَلَى . محمّد بن واسع وحسّان بن ابي سنان . ومالك بن دينار . والذي يمشي في الناس بمثل زُهد ابي ذرّ في زمانهِ » . اه عن الخبر الدال (ص ٢٢) بحرفهِ

وفي كفاية المتقد لليافعي (ص ٢٣) : « عن بعض اصحاب الشيخ عبد القادر رضه قال : خرج الشيخ عبد القادر من دارهِ ليلةً فناولتهُ إبريقاً فلم يأخذهُ . وقصد باب المدرسة فانفتح لهُ الباب فخرج وخرجتُ معهُ . ثم عاد الباب مُغلقاً . ومشى غير بعيد فاذا نحن في بلدٍ لا اعرفهُ . فدخل فيهِ مكاناً شبيهاً بالرباط . واذا فيهِ ستّة نفر . فبادروا الى السلام عليهِ والتجأتُ الى ساريةٍ هناك وسمعتُ من جانب ذلك المكان أنيناً . فلم يلبث الّا يسيراً حتى سكن الأنين . ودخل رجل وذهب الى الجهة التي سمعت منها الأنين . ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقهِ . ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب وجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليهِ الشيخ الشهادتين وقصّ شعر رأسهِ وشاربهِ وألبسهُ طاقيّةً وسمّاهُ « محمّداً » . وقال لاولئك النفر : قد امرتُ ان يكون هذا بدلاً عن الميت . قالوا : سمعاً وطاعةً . ثم خرج الشيخ وتركهم . وخرجتُ خلفهُ ومشينا غير بعيد

فاذا نحن عند باب بغداد . فانفتح كاوّل مرّة . ثم اتى المدرسة فانفتح لهُ بابها ودخل دارهُ فلمّا كان الغدّ اقسمت عليهِ ان يبين لي ما رأيتهُ . قال : امّا البلد فتهاوَند . وامّا الستّة فهم الأبدال . وصاحب الأنين سابعهم كان مريضاً . فلمّا حضرت وفاتهُ جئت احضرهُ . ولما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً فابو العبّاس الخضر عليهِ السلام ذهب بهِ ليتولّى امرهُ . وامّا الرجل الذي اخذت عليهِ الشهادتين فرجل من اهل القسطنطينيّة كان نصرانيًا وامرتُ ان يكون بدلًا عن المتوفّى فأُتي بهِ فأسلم على يديَّ وهو الآن منهم » اه بحرفهِ

ومثل هذه الحكايات كثير في كتبهم من تحويل الالفاظ عن اصل وَضعها ونقلها الى اوضاع أُخرى حديثة . فمن كان يظنُّ ان المراد بالخضر ابو العباس ؟ . ومع ذلك فالنص واضح لا إشكال ولا وهم في قراءتهِ (١

٦ صفات الابدال المسلمين

قال سهل بن عبد الله : « صارت الابدال ابدالًا باربعةٍ : قلّة الكلام . وقلّة الطعام . وقلّة المنام . واعتزال الانام » . واخرج ابو نعيم في الحليـة عن بشر بن الحارث انهُ سئل عن التوكّل فقال : « اضطرابٌ بلا سكون : رجل يضطرب وقلبهُ ساكن الى الله لا الى عملهِ . وسكون بلا اضطراب : رجل ساكن الى الله بلا حركة وهو عزيز وهو من صفات الأبدال » اه

وأخرج (ابو نعيم المذكور) عن معروف الكرخي قال : « من قال كل يوم عشر

---

(١) وقد عرّف الصوفيةُ الابدال غير ما عرّفهم الاقدمون من الحفّاظ والمحدّثين والرواة فقد نقل السيّد الجرجاني عن كتبهم ما هذا حرفهُ : « البدلاء هم سبعة رجال مَنْ سافر من موضع وترك جسدًا على صورتهِ حيًّا بحياتهِ ظاهرًا باعمال اصلهِ بحيث لا يعرفُ احدٌ انهُ فُقد . وذلك هو البدل لا غير وهو في تلبّسهِ بالاجساد والصُوَر على صورتهِ على ابرهيم عم » . اه وقد عرّفهم محيي الدين بن العربي ما يشبهُ هذا التعريف . ولفظة الابدال يعرفها اليوم مسلمو بلاد فارس والهند وتركستان . وهؤلاء كلهم يجهلون مفردها تمام الجهل . فيسمون الواحد « أبدالًا » كما يسمون الجماعة منهم « أبدالًا » ايضاً . وصوفيـة فارس يسمّون الابدال باسم فارسي آخر وهو « ديوانه خُدا » اي : « مجنون الله » ويطلقونهُ على كل مجذوبٍ من اولئك المجاذيب الذين يجولون الطُرُق بالعري التام . والترك يزيدون على ما تقدّم ذكرهُ من الالفاظ كلمتين وهما : « آتا » و « طورلاق »

مرّات: « اللهمّ اصلح امة محمد. اللهمّ فرّج عن امة محمد. اللهمّ ارحم امة محمّد » كُتب من الابدال. واخرج عن ابي عبد الله البناجيّ قال: ان أحببتم ان تكونوا ابدالًا فأحبّوا ما شاء الله. ومن احبّ ما شاء الله لم يزل به من مقادير الله شيء الّا احبّهُ » اه

وفي كتاب سُنن الصوفيّة في حديث سلسلة الى صاحب الشريعة الاسلامية قال: « قال رسول الله صلعم: ثلاثٌ من كنّ فيه فهو من الأبدال الذين بهم قوامُ الدُنيا واصلُها الرضى بالقضاء. والصبر عن محارم الله. والغضب في ذات الله ». اه

فالأبدال على هذين القولين الاخيرين كثيرون لا يُعدّون ولا يُحصَون

وقال ابن ابي الدنيا: « لمّا ذهبت النبوة وكانوا « اوتاد الارض » اخلف الله مكانهم اربعين رجلًا من امة محمّد صلعم يقال لهم الأبدال. لا يموت الرجل منهم حتى يُنشئ الله مكانهُ آخر يخلفهُ. وهم اوتاد الارض. قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين ابرهيم لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحسن التخشّع ولا بحسن الحلية. ولكن بصدق الورع وحسن النيّة وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله بصبر وجبر ولبّ حليم وتواضع في غير مذلّة. لا يلعنون احدًا ولا يؤذون احدًا. ولا يتطاولون على من كان تحتهم. ولا يحقرونهُ ولا يحسدون احدًا فوقهم. ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين. لا يُحبّون لدنيا ولا يُحبّون لدنيا. ليسوا اليوم في وحشة وغدًا في غفلة » اه

خلاصة القول

يظهر ممّا سبق من الشواهد والاقوال المتباينة انّ الابدال قومٌ من الصالحين الزهّاد في العالم سبق عهدهم الاسلام بزمن طويل حتى زمن بني اسرائيل ثم تتابعوا الى زمن الاسلام. وقد تبعوا الانبياء في اجتهادهم وزهدهم لاسيما النبي ايليا. ومنهم من كانوا على طريقة السيّد المسيح وهم عندنا النسّاك والرهبان الذين عرفهم العرب حقّ المعرفة وكثيرًا ما ذكروهم في اشعارهم واخبارهم

الالفاظ السحرية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ التساهل

من بلايا الصحافة الحديثة انها ادرجت في معجمها الفاظاً تعظُم في النفوس ارهابُها او تستشفُّ العقول من ورائها الاهوال فاذا اراد العاقل ان ينتقد معانيها ويعرّف حقيقتها وجد نفسهُ مخدوعاً بالظواهر مستسلماً للخياليّات الباطلة على مثال الذين يسيرون في الليل الدامس او في مجاهل البلاد فانهم اذا لاح لهم سواد او شبَح عن بعد ظنُّوهُ عدوًّا واوجس قلبهم فزعًا فاخذوا منهم حذرهُ. فاذا قربوا منهُ ظهرت لهم اشباح بلا ارواح فضحكوا من روعهم

ومما يكرّرهُ اليوم كتبتنا في اكثر الجرائد انَّ روح العصر يقضي بالتساهل وينفي التعصُّب. فاذا رأوا احدًا يحافظ على مبدإ شرعي او يلزم قوانين البلاد او يدافع عن نظام السلطة او يستمسك بعُرى البرّ والصلاح نبزوهُ بلقب المتعصّب. وعلى عكس ذلك ينسبون الى التساهل من رأوهُ ساعيًا في مجاملة الناس حريصًا على مسايرتهم مضحيًا للحظوى برضاهم كل مبدإ وفريضة

وتبلغ جلّبة هؤلاء الكتبة حدودها القصوى اذا رأوا قومًا مستعصمين بحبل التُّقى يغلّبون دينهم على دنياهم ويدافعون عنهُ دفاعهم عن النفس والنفيس فيرون انَّ ذلك عين التعصُّب وينسبون فاعلهم الى مغالاة عمياء في الدين

وان عادوا بالنظر الى القرون السابقة صرخوا بالويل والثبور وكرّروا تكرارهم للحقائق الراهنة انَّ الشرور والمفاسد والفتن والغارات التي حصلت في البلاد انما كان سببها التعصُّب للدين فادرجوا اقوالهم في الصحف اليوميَّة ودسُّوها في خطبهم وصمّموا بتكرارها المسامع حتى توهّم قوم انَّ في مزاعمهم الصحّة وفي اقوالهم اليقين

فمن ثم ينبغي ان نتقدّم رائد الفكر في البحث عن صادق الامر فيبرح الخفاء ويحصحص الحقّ ويزهق الباطل

ولنباشرنَّ الكلام بتحديد الالفاظ وتعريف معانيها فانَّ اللبس والشبهة كثيرًا ما يحصلان من سوء التفاهم لعدم التدقيق في ضبط الالفاظ وحقيقة معانيها فنقول:

التساهل في اللغة التلاين والتسامح وليس في الكلمة بهذا المعنى ما ينفرنا ويوجب قلقنا فانَّهُ من المعلوم الواضح انَّ خشونة الطبع وشراسة الاخلاق وشكاسة الجانب لمما يأنف منهُ الذوق السليم ويمجُّهُ روح الالفة. فانَّ التمدُّن في كل اطواره قد قضى بلين العريكة وسماحة الاخلاق ودماثة الطباع وحميد السجايا وبالانس واللطف في المعاملات والتغاضي عن نقائص العباد. والدين في ذلك اوَّل المعلِّمين فترى الكتب المنزلة مشحونة بالوصايا والحكم التي تأمر بحلاوة الطباع وسعة الجانب والصفح عن الذنوب فان طالعت امثال سليمان ومزامير داود وحكم يشوع بن سيراخ لا تكاد تجد فصلًا يخلو من الوصاة بالتؤدة وطول الاناة وحسن المعاملة للقريب والصبر على جناياتهِ والغفران لمساوئهِ

وقد زاد العهد الجديد بيانًا في ذلك اذ اوصى السيِّد المسيح تلاميذهُ بان يكونوا ودعاء كالحمام (متى ١٠: ١٦) وطوَّب الودعاء ووعدهم ملك القلوب ووراثة الارض (متى ٥: ٤) بل جعل نفسهُ مثالًا للوداعة بقولهِ لهم (متى ١١: ٢٩): تعلَّموا مني اني وديع ومتواضع القلب. وقد ذكر الانجيل عدَّة احداث تثبت أُنسهُ وتساهلهُ حتى انهُ كان يأكل مع الخطأة والعشارين ويأنس بمحادثة الصغار ويزجر الذين يبعدونهم عنهُ. وبلغ بهِ لينهُ ان دعا التلميذ الذي خانهُ حبيبًا لهُ (متى ٢٦: ٥٠) وصلَّى لاجل اعدائهِ واستماح لهم عذرًا لما صلبوهُ بقولهِ انهم لا يدرون ما يعملون (لوقا ٢٣: ٣٤)

فان كان هذا هو المقصود بالتساهل فانهُ ليس من مكتشفات العصر الاخير وقد عرفهُ الناس منذ القرون السابقة

ولعلَّ رُسل التساهل لا يكتفون بهذا ويطلبون ما فوق ذلك وهو ان يعيش اصحاب الاديان بالتآخي والتحاب يتَّبع كل منهم دينهُ على ما يراهُ الاصحَّ والاصوب في ضميرهِ ويتعاضدون بالاعمال النافعة لانجاح الوطن ورفع شأنهِ فلا بأس ونحن نوافقهم على ذلك ايضًا. فان الاديان على اختلاف نزعاتها وتباين مذاهبها اللهمَّ اذا ارادت ان تجري على مقتضى المبادئ الصحيحة لا ترضى بتهر الذين لا يوافقونها على ترك دينهم وقبول تعاليمها. اذ لا قهر في الدين وقد جرت الديانة المسيحيَّة على هذا المبدإ في كل

اطوار حياتها فانَّ منشئها لم يَدعُ البشر اليهِ بالسيف والاغتصاب لكن بطريقة الاقناع مثبتاً لدينهِ بالمعجزات التي شهد لها اعداؤه فضلًا عن ذويهِ وارسل تلامذته للدعوة ليس كجنود يفتحون البلاد بل كحملان بين الذئاب يبشّرونهم بالخلاص ويحتملون اذاهم ويقاسون صنوف العذابات حتى الموت الاحمر في سبيل نجاتهم فيعدّون نفوسهم سعداء اذا ماتوا شهداء دينهم لعلمهم بانَّ حبَّة الحنطة لا تأتي بثمر ما لم تهبط في الارض فتموت وتجد في موتها حياةً وزكاء (يوحنا ١٢ : ٢٤) . ولعمري من كانت سيرته على هذه الخطّة نهيهات ان ينتصب قريبهُ او يقهرهُ في معتقدهِ

ثم ان السيّد المسيح تقدّم تلاميذه في هذه الخطّة فمن كونهِ لم يُرسل الّا للخراف الضالّة من بني اسرائيل (متى ١٦ : ٢٤) لم يقصر فضلهُ على بني جلدتهِ بل رحم الكنعانيّة الوثنيّة فشفى ابنتها (مرقس ٧ : ٢٦) وابرأ غلام قائد المئة المشرك (متى ٥—١٢) ولم يأنف كاليهود من مناوضة السامريّة وقومها (يوحنا ٤) . فانَّ هذه الاعمال وغيرها تدلُّ على تساهل ومجاملة . وقد ادّى بهِ تسامحهُ الى ان دعا تلميذهُ الخائن بصاحب وطلب من ابيهِ ان يغفر للجلّادين الذين صلبوهُ

ونرى مثل هذا التساهل في رُسل المسيح فانَّهم ربّما كرّروا عليهم في رسائلهم الوصاة بمؤانسة الوثنيين والصبر على ظلمهم . فتارةً يأمرونهم بالخضوع للسلطة البشريّة التي كانت وقتئذٍ في ايدي الرومان (عبر ١٣ : ١٧) ويجعلون مصدر تلك السلطة من الله (روم ١٣ : ١) فيتقدّمون اليهم بان يطيعوا رؤساءهم للمسيح (افس ٦ : ٥) . وتارةً يحثّون المتزوّجين بالزواج اذا كانوا من المؤمنين بان يعيشوا مع ازواجهم غير المؤمنين بالحب والوفاق دون ان يفرضوا عليهم الانفصال عنهم لعدم ايمانهم (١ كور ف ٧) وكذلك سمحوا لهم باكل اللحوم التي كان الباعة يقرّبونها لاصنامهم ما لم يكن ثمَّ سببٌ للشكوك فيمتنعون عنها (كور ف ٨)

وجرت الكنيسة على هذه السُّنن في كرور الدهور فانك لو راجعت كل صفحة من صفحات تاريخها لرأيت عجائب من آيات لطفها وحبّها الوالدي ليس نحو ابنائها فقط بل نحو كل الامم المتسكعة في ظلمات الشرك التائهة في بيداء الضلال فلم تزل تعطف عليها وتتفانى في خدمتها حتى كسرت شباة همجيّتها وروّضت اخلاق بنيها وأحنت رؤوسهم لتعاليم الانجيل

وكثيراً ما وجدت الكنيسة في طريقها شعوباً قاوموا دعوة رسلها فلا نجد اثراً في كتابات احبارها او في قوانين مجامعها ما يشير الى تحريضها على محاربتهم ما لم يسبقوا فينشبوا ابناءها الحرب او يتعدّوا على حقوقها كما فعلت أيام الصليبيين بعد ان احرق الفاطميّون كنيسة القيامة في القدس الشريف (اطلب تاريخ القلانسي ص ٦٧—٦٨)

ولنا على تساهل الكنيسة مع اهل الاديان المخالفة لدينها امثلة عديدة فانّها بعد تنصُّر قسطنطين وذريّته لم تطلب من الملوك المرتدّين الى دينها بان يغصبوا رعاياهم على اتّباع النصرانيّة في العالم الروماني بل واصلت مساعيها في دعوتهم بطريقة سلميّة على يد دُعاتها ومبشّريها الصالحين. وكذا فعلت في كل بلد من البلاد التي دخلتها كفرنسة على عهد كلوفيس وانكلترة واسبانية في زمن غريغوريوس الكبير (المشرق ٧: ١٨٧—١٩٨) والمانية على يد القديس بونيفاسيوس فانّ فتوحات الكنيسة كانت دائماً سلميّة حيثما حلّت وقد شهد بتساهل تبعة المسيح من قال عنهم: «وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوهُ رأفةً ورحمةً»

ومن الشواهد على اناة الكنيسة مع المخالفين لدينها معاملتها الحسنة لالدّ اعدائها وهم اليهود فانّ للاحبار الرومانيين في عدّة رسائل ومناشير اوفدوها الى الملوك والاساقفة ينهونهم عن سوء معاملة المرسويين وكان هؤلاء بلاد كثيرة اوغروا صدور الاهلين برباهم الفاحش واحتكارهم للمال والغلات ويفتكهم خفيةً بمدن المسيحيين وبتآمرهم عليهم مع اعدائهم وبيعهم لهم كالرقيق. فمع كل ذلك لم يشأ الباباوات ان يُساء اليهم الصنيع بل يُعاملوا بالعدل كبقيّة الناس مع اتّخاذ الوسائل الكافية لتلافي شرورهم. وهكذا صنع نوّاب المسيح في رومية العظمى نفسها أيام سيطرتهم اذ جعلوا لليهود في املاكهم مأمناً من مناوئيهم وافردوا لهم احياء لسكناهم. وقد اقرّ اليهود بفضل الاحبار الرومانيين وشكروا لهم غير مرّة حسن صُنعهم

وما فعلهُ الباباوات في امّ المدائن مع اليهود قد فعلهُ كثير من الملوك النصارى مع المسلمين في عدّة جهات. فانّ صكوكاً كثيرة تدلُّ على انّ الصليبيين الفرنج لمّا استولوا على سواحل الشام وبيت المقدس أحلّوا في تخومهم المسلمين وتركوا لهم كل حرّية في اتّباع دينهم واقطعوا لهم الاقطاعات كما اورد في تاريخ بيروت صالح بن يحيى (ص ٨٣

و ٩٨) بل اتخذوا فرقة مع الاتراك المتطوعين في جيشهم كما بيّن ذلك في تآليفه العلامة شلومبرجر (Schlumberger) .

وقد اورد ابن جبير في رحلته ما كان لملوك صقلية من التسامح والتساهل مع مسلمي تلك الجزيرة . فمن قوله عن مسلمي بلارمة (ص ٣٢٤) :

وفيها سُكنى المضريين من المسلمين ولهم فيها المساجد . والاسواق المختصة بهم في الارباض كثير . وسائر المسلمين بضياعها وجميع قراها وسائر مدنها كسرقوسة وغيرها لكنّ المدينة الكبيرة التي هي مسكن ملكها غليام اكبرها واحفلها وبعدها سيّنة . . . وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين . . . وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن اليهم في احواله والمهمّ من اشغاله حتى انّ الناظر في مطبخته رجلٌ من المسلمين ولهُ جماعة من العبيد السود المسلمين وعليهم قائد منهم ووزراؤهُ وحجّابهُ الفتيان ولهُ منهم جملة كبيرة هم اهل دولته والمرتسمون بخاصّته وعليهم يلوح رونق مملكته . . . واما فتيانه الذين هم عيون دولته راهل عمالته في ملكه فهم مسلمون ما منهم الّا من يصوم الاشهر تطوّعًا وتأجّرًا ويتصدّق تقرّبًا من الله وترلّفًا ويفتك الاسرى ويربّي الاصاغر منهم ويزوّجهم ويحسن اليهم ويفعل الخير ما استطاع وهذا كله صنع من الله عزّ وجلّ لمسلمي هذه الجزيرة وسرّ من اسرار اعتناء الله بهم

ومثلهُ فعل ووجار مالك صقلية الذي اتّخذ كثيرًا من المسلمين في اشغاله منهم الشريف الادريسي عهد اليه التجوّل في البلاد لتصنيف كتابه في وصف البلدان

وقد اقتفت بامثال هؤلاء الامم النصرانيّة الحديثة كالانكليز في الهند والفرنسويين في الجزائر والالمان في زنجبار والهولنديين في جاوة . وبالغت الحكومة الفرنسويّة في تساهلها مع اهل الجزائر حتى ابتنت لهم جوامع لصلاتهم

وانّا لنعلم انّ بعض الدول المسيحيّة لم تجز هذا التساهل في القرون الغابرة الّا انّ تلك الخطّة انّما علّتها غالبًا الاحوال السياسيّة وليس كلامنا هنا عن السياسة لانّ مبادئها غير مبادئ الدين . قال ابو الريحان محمّد الشهير بالبيروني في كتابه عن الهند (ص ٢٨٠ من طبعة لندن) :

انّ النصرانيّة مبنيّة على الخير وكفّ الشرّ من ترك القتل اصلًا ورمي القصاص خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الاخرى والدعاء للمدو بالخير والصلوات عليه وهي لعمري سيرة فاضلة ولكنّ اهل الدنيا ليسوا بفلاسفة كلّهم وانّما اكثرهم جُهّال ضُلّال لا يقوّمهم غير السيف والسوط ومذ تنصّر قسطنطينوس المظفّر لم يستريح كلاهما من الحركة فبغيرهما لا تتمّ السياسة

فترى ممّا سبق انّ النصرانيّة لا تنفي التساهل ولا تُعامل فقط جميع البشر بالرفق

والتؤدة تكنّها ايضاً تترك لهم حريّتهم في لزوم اديانهم ولا تجبرهم البتّة على التدين بدينها. الّا انّ المولعين بالتساهل لا يقفون عند هذا الحدّ ويطلبون من كلّ مسيحي ان يعتبر دينهُ كدين غيرهِ فلا يفضّل ديناً على آخر لانّ الاديان على قول هؤلاء مذاهب وآراء والمذاهب والآراء متساوية في الرجحان والصواب فليس للانسان حقّ بان يدّعي لديهِ الصحّة واليقين فما ادراهُ ان يكون دينهُ هو الصحيح المستقيم دون غيرهِ. فانهُ ان فعل أبدى اغراقًا وغلوًّا في الدين ونسب الى دينهِ الكمال وليس الكامل غير الله عزّ وجلّ

ثم يردفون بذلك قولهم: كم تعاقب من المذاهب في العالم وتوالت الآراء الدينية وتتابعت العقائد فاين الآن تلك المعتقدات فانّها كلها قد تلاشت وذهبت ادراج الرياح فيا ذهب من الارهام. هذا ما زعمهُ هؤلاء المتشدّقون وربّما رموا بالتعصّب من رأى الصحّة في معتقدهِ. وما التعصّب عندهم الّا التمسّك باهداب الدين والتشبّث باصولهِ وتفضيلهُ على كل غير سواهُ

دعنا ننظر في هذا الامر مليًّا ونمحص مزاعم هؤلاء المخرقين فننظر أيجوز للمسيحي ان يبلغ في التساهل هذا المبلغ

*

ظهر على ارضنا في بعض انحاء اليهوديّة قبل تسعة عشر قرنًا رجلٌ كانت تنتظرهُ الشعوب وتستدعيهِ الامم بملء الشوق والرجاء لتجد فيهِ الخلاص من تبعة آثامها وكان بين هذه الشعوب ملّة اختارها الله لتمهيد الطريق لمجيئهِ وتُعدّ القارب لاستقبالهِ. وهي تُعلن سلفًا في كتبها القديمة عن كل صفاتهِ في مولدهِ ونشأتهِ وحياتهِ ومماتهِ بل تاريخ ظهورهِ بادق الحسابات واضبطها وتدعوهُ المسيح

فذلك الرجل العجيب ظهر في موعد انتظارهِ وحقّق بشخصهِ حرفًا بحرف كلّ ما كُتب عنهُ لم يترك منهُ ذرّةً وادّعى باللاهوت واثبت دعوتهُ بارضح الآيات واصدق البيّنات فاقام الموتى واعطى النور للعميان والسمع للصُمّ والنطق للخرس وطهّر البُرص وحكم على قوّات الطبيعة فأطاعتهُ. ثم سبق وأعلم بموتهِ وقيامتهِ برؤى متعدّدة وفي امكنة وازمنة مختلفة وامام اشخاص متعدّدين بلغ عددهم في بعض الاوقات خمسمائة رجل ظهر لهم وخاطبهم وأكل معهم وبكّتهم على قلّة ايمانهم ثم صعد الى السماء امامهم

فهذا الرسول العظيم والمعلّم الكبير لمّن تلاميذه تعاليم المسيح « ليست هي له بل للاب الذي ارسله » (يوحنا ٧ : ١٦) تعاليم ثابتة « يزول السماوات والارض وهي هي لا تزول » (متى ٢٤ : ٣٥) وقد حتم على رسله لتأييدها ان يقاسوا كلّ المحن والشدائد بل يعدّوا نفوسهم سعداء اذا عيّروهم وشتموهم وقالوا فيهم كل كلمة سوء واسلموهم الى كل العذابات ويؤثروا الموت بكل غصصه وآلامه على نكران شيء منها لئلا ينكرهم هو الربّ يوم الدين امام ابيه الذي في السماوات (متى ١٠ : ٣٢). فيا ليت شعري ايمكن المسيحي بعد ذلك ان يتساهل بالعقائد فيضحي منها شيئاً او يتصرّف بها كتصرّفه بالآراء التي لا تتجاوز الاحتمال والرجوح

ولا يختلف تعليم الحواريين بهذا الخصوص عن تعليم سيّدهم. وناهيك بقول بولس الرسول الى اهل غلاطية حجّة دامغة لا تبقي في الامر ريباً قال ولله درّهُ من قول يجب على المتساهلين بالدينيّات ان يتبرّوهُ ويمعنوا فيه النظر (غلاطية ١ : ٦—١٠) : « اني لمتعجب كيف تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر (وان لم يكن انجيلٌ آخر) لكنّ قوماً يبلبلونكم ويريدون ان يقلبوا انجيل المسيح. ولكن ان بشّرناكم بهِ فليكن مبسلاً. كما قلنا سابقاً اقول الآن ايضاً ان بشّركم احد بخلاف ما تلقّيتم فليكن مبسلاً. ألعلّي أستعطف الناس ام الله. أأطلب ان أرضي الناس. اني لو كنت بعدُ أرضي الناس لما كنت عبداً للمسيح . . . وأعلمكم أيها الاخوة انّ الانجيل الذي بُشّر به على يدي ليس بحسب الانسان لاني لم اتسلّمهُ او اتعلّمهُ من انسان بل بوحي يسوع المسيح »

وقد اتّسع الاناء المصطفى في رسالتهِ الى العبرانيين عن حقيقة الايمان وشروطه وخواصّهِ فبيّن انّ الانسان لا يمكنهُ ان يرضي الله دون الايمان وانّ الايمان وُضع في مقدّمة الدين كاساسهِ غير المتزعزع. على ان هذا الايمان ليس بايمان اعمى دون ادراك سابق ومعرفة متقدّمة بل يجب على المؤمن ان يتحقّق بعقلهِ انّ الله عزّ وجلّ قد اختار احد اوليائهِ ليبلّغهُ بواسطتهِ امراً من اوامرهِ وانّ هذا الوليّ اثبت رسالتهُ بمعجزات صادقة لا ريب فيها. وينبغي على المؤمن ايضاً بعد ان تبيّن صدق النبيّ ان يتأكد انّ الله اوحى اليهِ بتلك الحقيقة التي يبلّغهُ اياها فان ظهر له الامران على وجه جليّ تحتّم عليهِ الايمان وان لم يدرك كلّ معاني ذلك الوحي ولم يفهم كُنه الحقيقة التي بلّغها

وقد تبيَّن للمسيحي كل ذلك سواء بلغتهُ قضايا الوحي على يد السيد المسيح او على يد رسلهِ الاطهار بالحجج الراهنة التي يُمكن الوقوف عليها بشواهد التاريخ واعمال الوسطاء بينهُ وبين الله اذ اثبتوا رسالتهم بالمعجزات الواضحة المتعدّدة وضحّوا نفوسهم بطيب الخاطر لبيان صدقهم وقد قال بَسكال الفيلسوف: « اني لمؤمنٌ بدين يبذل ذووهُ نفوسهم للموت تأييدًا لصحّتهِ » وليست هذه شهادة الدم في النصرانيَّة لبعض الافراد بل أدّاها بملء الفرح ألوف وربوات والوف الوفٍ من البشر من رجال ونساء واطفال وفتيات سقوا بدمائهم كلَّ بلد من بلاد المعمور واعلنوا بشهادتهم في كل جيل من الاجيال دون انقطاع منذ ايام الرسل الى يومنا هذا كما جرى في هذه الاحقاب الاخيرة في الصين وتونكين وانام وبلاد اوغندا وجزائر الاوقيانوس

فان كان الامر على هذا المنوال فقُلْ لي ناشدتك الله أيستطيع المسيحيّ ان يتساهل بحقائق دينهِ الموحاة فيختار منها ما يروق لهُ وينبذ ما لم يَرُضَ بهِ . وهل تُعَدُّ الكنيسة مخطئةً متجاوزة طورَها اذا حافظت على وديعة الايمان تصونها كما يُصان اثمن المتاع وافخر الكنوز فتردَّ من حاول سلبها او تغيير شيء منها بكلام الرُّسل في مجمع اليهود لمَّا الحَّ عليهم رؤساء الكهنة والشيوخ بان يكفُّوا عن تبشير الانجيل (اعمال ٤: ١٩): « أحكموا انتم . ما العدل امام الله ان نسمع لكم لم نسمع لله فانَّا لا نقدر ان لا نتكلَّم بما عاينَّا وسمعنا » . فهذا القول الشريف قد كرَّرتهُ الكنيسة منذ اول النصرانيَّة وقرَّرتهُ في مجامعها وأيدتهُ بتعاليمها المتواصلة وتقاليدها المتوالية لم تهمل منهُ شيئًا البتَّة

وليس كلامنا هنا عن بعض الآراء الحرَّة او التعاليم الثانويَّة التي لم تقطع الكنيسة بصحَّتها لعدم وجود الادلَّة الكافية على اثباتها وذهب العلماء في بيانها مذاهب بل عن العقائد الجوهريَّة التي وردت صريحًا في الاسفار المقدَّسة او استخلصتها الكنيسة من تعاليم الرسل والتقاليد الراقية الى عهدهم . فانَّ هذه المعتقدات باقية بقاء الحقائق التي لا يطرأ عليها تغيير او يشينها تبديل

وكذلك في الكنيسة عدَّة امور منوطة بالعمليَّات والتهذيبات فُوِّض الى رؤسائها الحكم فيها من صوم وصلوات وطقوس وتدابير شرعيَّة لا تمسُّ جوهر الاسرار فلا بأس اذا الكنيسة تصرَّفت فيها على حسب الازمنة والامكنة وظروف الاشخاص وطوارئ

الاحوال . فانَّ هذا التساهل قد جرت به الكنيسة في عهدنا خصوصاً لما رأت فيه من المقتضيات الموافقة للشؤون الحاضرة

وان قال قائل لنَّ في تمسك الكنيسة بعقائدها غلوًّا في الدين وتعصُّباً ذميماً انكرنا ذلك كل الانكار واثبتنا قولنا بالبرهان . نرى في العلم قضايا ثابتة لا يشكُّ فيها الَّا الجاهل بها أفينسب احدٌ الى التعصُّب العلماء القائلين بها او يُثني على تساهل النبيّ الذي يتسامح بها لعدم ادراكه لها . أو ليست حقائق الدين اشرف واثبت من قضايا العلم اذ الموحي بها هو الله عزَّ وجلَّ الذي لا يَخدَع ولا ينخدع

وان اعترض المعترض قائلًا بانَّ حقائق الدين لا يمكن العقل ان يتصل الى اثباتها بخلاف العلميَّات . أجبنا كم من القضايا العلميَّة التي لا يستطيع المرء ان يثبتها بنفسه وانَّما يقبلها من العلماء واثقاً بعلمهم أفعلمُ الله لا يفوق كل معارف الحكماء ؟ أوَ لا يستحقّ سبحانهُ وتعالى ان يوثق بكلامه ؟

ولعلَّ المعترض يقول بانَّ العلميَّات يمكن ادراكها بالدرس والنظر أمَّا اسرار الدين فلا تُنال بها . جوابنا انَّ في العلوم الطبيعيَّة نفسها اسراراً عجيبة يقرّ العلماء بجهل اسبابها وشرح صفاتها مع إجماعهم على صحَّتها أفليس للمؤمن ان يُذعن لاسرار الدين وان جهل وجوه صحَّتها . فايّ عالم من العلماء قد وقف على كنه المادَّة ومركَّباتها وعناصرها الاوَّليَّة ؟ ومن منهم ادرك سرّ القوى الطبيعيَّة والشياء لا تُحصى يرون معاولاتها بالعيان ويجهلون حقائقها . بل كم من الامور القريبة المنال تفوتهم فلا يسعهم انكارها ولا يتردَّد احد منهم في تصديقها والعمل بها . افيمتنع العالم عن الاكل لانهُ لا يعلم كيف يستحيل الطعام الى جسمه ؟ او ينكر النوم لانَّ العلماء حتى يومنا لم يحسنوا بيان اسراره ؟ مَن منَّا رأى الاسكندر او عاين مدينة بابل ؟ ولا احد ينكر ذلك لشهادة التاريخ الصادق في هذه المرويَّات . فكيف يُلام المؤمن اذا وثق باقوال من لا يُنكر عليهم بالالهيَّات كالسيّد المسيح والانبياء والرسل الاطهار وقد اصطفاهم الله لتبليغ اوامره للبشر وأيدهم بقوَّةٍ من لدنهِ فان ردَّ المؤمن شهادة هؤلاء الشهود ألا يقترف اثماً كبيراً ؟ فكم بالحري يجب عليه اذا قبل شهادتهم وصدَّق اقوالهم ألَّا يرجع عن صنيعه ويرتدّ عن ايمانه

وهذا ما حمل الكنيسة على مناصبتها المراطقة ومعارضتها الذين يقاومون تعليم

الخلاص ولها اسوةٌ في ذلك في رسلها انفسهم فانَّ بطرس هامة الرسل تصدَّى لسيمون الساحر (اعمال ف ٨) وابسلَهُ اذ اراد يتَّخذ الدين وسيلةً لارباح خسيسة. وهكذا فعل بولس الرسول مع عليما الساحر (اعمال ١٣: ٨) لمَّا حاول ان يتعرَّض لبشارة الرسول فقال له: «يا ممتلئاً من كل مكر وخبث يا ابن ابليس يا عدوَّ كلّ برّ ألا تزال تعوّج سبل الرب المستقيمة. فالآن ها ان يد الرب عليك فتكون اعمى لا تبصر الشمس الى حين».

ومثلهما يوحنا الحبيب المعروف برقَّة طباعهِ فانهُ في رسالتهِ الثانية (يو ١: ٩—١١) يحتم على المؤمنين بان يبتعدوا عمَّن يضلّهم عن تعليم المسيح فقال: «كل من تعدَّى ولم يثبت على تعليم المسيح فليس الله له... فمن اتاكم ولم يأتِ بهذا التعليم فلا تقبلوهُ في البيت ولا تقولوا له سلامٌ فانهُ من قال له سلام فقد اشترك في اعمالهِ الشرّيرة». وروى القديس ايريناوس (في كتاب البدع ٣) واوسابيوس القيصري في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٨ وك ٤: ١٤) انَّ الرسول الحبيب دخل يوماً مع بعض تلاميذه حمَّاماً في افسس ليستحمَّ اذ لمح فيه كيرنثوس زعيم المبتدعين فمن وقتهِ همَّ بالخروج قائلاً: «لا يسوغ لنا ان نبقى وهذا الرجل معاً تحت سقف واحد لئلاَّ يهبط علينا السقف بسببهِ».

وكذلك بوليكربوس تلميذ يوحنَّا الحبيب وخلفهُ في رعاية المؤمنين فانهُ على ما روى القديس ايرونيموس التقى يوماً وهو في رومية بمرقيون المبتدع فسألهُ مرقيون ألا يعرفهُ اجاب القديس: «نعم اني اعرفك كبكر الشيطان».

فلعمري من يتعرَّف هؤلاء الرسل والابرار بالتعصُّب الذميم ولم يفعلوا ما فعلوا الَّا لعلمهم بانَّ موهبة الايمان اعظم المواهب يجب على المرء ان يدافع عن حرمتها دفاعهُ عن اثمن الجواهر واعظم الكنوز. وكان لهم اسوةٌ بمعلّمهم الالهيّ الذي مع جزيل لطفهِ وطول اناتهِ لم يملك نفسهُ عن تقريع رؤساء الفريسيين وإبطالهم لوصايا الله بسُنَنهم البشريَّة الفارغة (متى ٢٣: ١٤—٢٦)

وقد اقتصَّت الكنيسة آثار منشئها وتأسَّت بامثالهِ الالهيَّة فانَّها وهي الامُّ الواسعة صدراً المفعمة حنوًّا ورقَّة كانت اذا رأت انَّ وسائل اللطف والاقناع لا تأتي بنتيجة في اصلاح ابنائها العُصاة تلتجئ على رغم منها الى وسائل اشدّ عملاً والى ادوية انجع فعلاً فتحرم من شركتها اولئك المتمرّدين او تسلّمهم للمحاكم المدنيَّة لتأديبهم لعلمها بانَّ الصرامة في وقتها خير واحسان

وانّنا لنعلم انّ اعداء الدين قد بادروا بالويلات لتشدُّد الكنيسة على بعض المارقين وعظّموا الامر واستفظعوا العمل ولفّقوا الاحاديث الكاذبة والروايات المختلقة التي ابتدعها البغض والهوى الاعمى ولنا في ذلك فصل ننشرهُ ان شاء الله في احد اعداد المجلة الآتية

وما نقولهُ هنا بالاجمال انّ الكنيسة بلغت الغاية القصوى من التساهل والتسامح الّا في امور الايمان لعلمها بانّ الايمان في يدها وديعة لا يمكنها ان تتصرّف بهِ كيف تشاء فتحفظهُ بكل حرص وعناية وتردّ عنهُ كل غارات الخصوم لا يأخذها في ذلك لومة لائم . فان المسيح وكل اليها حراسة قطيعه لتقودهُ الى المراعي الصالحة وتبعدهُ عن المناجع الوخيمة فان كرّت الذئاب على القطيع فمن الواجب اللازب بان تحول دونها والخراف وتردّ الضواري خاسئة خائبة . وهي هي الموكول اليها بيت اسرائيل فاقامها الربُّ عليهِ كما انتدب ارميا سابقاً حيث قال (١ : ١٠) : « انظر اني اقمتك اليوم على الامم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس » فمن كانت هذه دعوتهُ هيهات ان يسوغ لهُ التهاون في اتمام مهمتهِ ليتساهل فيها على هواه فان فعل وجب فيهِ قول الرب : « من اهمل شيئاً من هذه التعاليم ولو زهيدةً عُدَّ صغيراً في ملكوت السماوات »

اسحق مطران نينوى

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

اتحفنا حضرة القس بولس بيجان المرسل اللعازري الجزيل الفضل بكتاب وسمهُ مؤلفه الشهير مار اسحق مطران نينوى بالطريقة الرهبانية (ܐܝܣܚܩ ܡܛܪܢܐ) وقد صدّرهُ بمقدمة منطوية على اخبار المؤلف والنظر في مصنّفاته . فمع اطرائنا همّة الناشر الجليل واقرارنا بصنيعه المستوجب الشكران ودعائنا الى العزّة الالهيّة كي تأخذ بيمينهِ وتطيل في ايامه خدمةً للدين والعلم ونشر آثار السلف وددنا ان نسطّر على صفحات المشرق الاغرّ شيئاً من اخبار المؤلف الذي شرّف وطنهُ بمصنّفاتهِ الاثيرة

واعلم انّ من الكتبة الاوّلين من خال اسحق هذا ارثذكسيًّا بالاستناد الى تآليفه الحالية (على رأيهم) مما يعيّن العقيدة الكاثوليكيّة الراهنة ومنهم من زعم بانهُ كان

يعقوبي النحلة لوفرة اعتبار اليعاقبة لهُ وثنائهم عليهِ وايراد كلامه في كتاباتهم . بيد ان ما نشرهُ غبطة بطريركنا العلّامة مار اغناطيوس افرام الثاني في الجزء الاوّل من مجانيه السريانيّة (ܚܕܝܬܐ ص ٣٣) المنقولة الى اللاتينيّة قد فكّ ذلك المشكل اذ صرّح جليًّا بانهُ كان نسطوريًّا قحًّا وذلك لقيامه وقعوده في ما بين النساطرة وارتسامه مطرانًا بيد بطريركهم . والحكم الفصل في ذلك ما جاء في كتاب مؤسسي الاديار (ص ٥٠٨ من الاب بيجان) ليشوع دناح مطران البصرة حيث وردت قصّة المؤلف الصحيحة وهي تخالف ما رواهُ سابقًا العلّامة السمعاني نقلاً عن كاتب يعقوبي ليس بثقةٍ (المكتبة الشرقيّة ١ : ٤٤٤) . قال يشوع دناح ما ملخّصهُ :

وُلد اسحق في اوائل القرن السابع في مدينة باليمن تدعى باقطرا كانت معمورة بالنساطرة خاضعةً لمطران الفرس . ولما بلغ اشدّه انقطع الى دير في تلك البلاد وتوشّح بالاسكيم الرهباني . وفي اثناء اقامتهِ رحل جورجيس جاثليق بطريرك النسطور (٦٦٠—٦٨٠) الى تلك النواحي فاستصحب اسحق الى بلاد ارام وعلى اثر وفاة موسى مطران نينوى سامهُ في دير باعابا (١ مطرانًا كخلفٍ لهُ ولم يكد يمرّ عليهِ خمسة شهور حتى استقال من رعاية الابرشيّة بين يدي ذانا مطران حديثاب فخلفهُ في الكرسي المطران سبريشوع . اما اسحق فانصرف الى جبل ماتوت في بلاد الاهواز وانخرط في سلك الرهبان ثم اقبل الى دير ربّان شابور واقام بهِ حتى لقي حتفه بشيخوخة صالحة . وكان قبل وفاته قد ابتلاه الربّ ببصره فصار يتلو على الرهبان تصانيفه وكانوا يلقّبونه بديديمس الثاني (٢ لخاسه واتضاعه وبشاشته وورعه وتضلّعه بالكتب الالهيّة والاسرار البيعيّة . ولم يكن يأكل في الاسبوع سوى ثلاثة ارغفة من الخبز ممزوجة بقليل من البقول

١) باعابا مدينة شهيرة واقعة وراء جبل القاف في بلاد الموصل وفيها دير قديم جليل على اسم مار يعقوب يعرف بدير باعابا

٢) كان ديديمس راهبًا بالاسكندريّة في القرن الرابع وابتلاه الرب بالعمى وهو ذو اربع سنوات . لكنهُ تعالى كان افاض عليهِ عقلًا راجحًا وذهنًا ثاقبًا حتى انهُ كان يفسّر العهدين كلمةً كلمةً . وكان متضلعًا بالحقائق الدينية خبيرًا بترجمات الاناجيل وبصلاته قُضي على يوليانس الجاحد (بستان الاباء ص ٢٦ طبع الاب بيجان)

والّف اسحق خمسة كتب (١ مشهورة حتى اليوم كما شهد مار يوصاداق في رسالة رقمها الى بُشير تلميذهِ في دير مار شابور فقال ما نصهُ : «شكرت لله اعتناءك بارسال تآليف مار اسحق النينويّ اليّ واني لعالم بانك في حياتك قد حصلت على مقاليد الملكوت لانك ملأت ديرنا علوماً مفعمةً حياةً . على انّنا مقرّون باننا تلامذة مار اسحق مطران نينوى » . ثم اردف قولهُ : « ان تآليف مار اسحق اضحت لي اكبر عضدٍ وساوان » . امّا عبد يشوع الصوباويّ فقد عزا اليهِ سبعةَ مجلّدات (٢ في السيرة الروحية وفي الاسرار المقدّسة وفي الاحكام والسياسة

هذا اصدق ما رُوي عن اسحق النينوي . امّا الكتاب الجديد فهو منطوٍ على ٢٢٨ صفحة تلاها الناشر الهمام عن ثماني نسخ اجلّها واشهرها نسخة ماردين المرقومة على الرقّ سنة ١٢٣٥ م في قريتي واطو وطياري من بلاد كردستان وقد كنّا نحن الواسطة في استجلابهِ من وطننا عام اوّل . ولهجة مار اسحق شبيهة بلهجة القديس يعقوب افرهاط والقديس سهدونا وتوما المرجي يجاوزنها من الطبقة الوسطى وقد تنمّقت بالالفاظ المنسجمة والعبارات السلسة والمعاني الدقيقة الممزوجة بآيات الكتاب العزيز وهي مع ذلك خالية من التعقيد والكلمات الغريبة التي اعتاد مؤلفو النساطرة المتأخرون ان يحشوا بها تآليفهم ولم نصادف سوى خمس او ست كلمات دخيلة في المؤلف برمّتهِ . وقد نسق بعض الفصول على منوال سفر امثال سليمان والجامعة وابن سيراخ كما يتضح من الميمر الرابع والفصول ٤٥ و٤٦ و ٥٠ وحذراً من ان يملّ القارئ قد اورد المصنّف في الفصل ١٨ بعض اخبار جرت للرهبان . ونسق الفصل ٣٥ على سبيل السؤال والجواب تفكهةً للزاهد . وقد اتى بذكر ابينا مار افرام الملفان ثلاث مرّات (ص ٦٣ و١٣٧ و ٦١١) وذكر ايضاً ديونيسيوس الاريوباغي واثناسيوس الاسكندريّ وباسيليوس القيصريّ وغريغوريوس الثاولوغس وفم الذهب وقرلّس

غير ان اليعاقبة عاثوا في تآليفه فحذفوا وحرّفوا ما عنّ لهم ومنهم من خلطه مع

١) في مكتبة قبطة بطريركنا العلّامة نبذة مقتطفة من كتاب الخامس من مؤلفات اسحق النينوي في ١٥ صفحة عنوانها « براهين دامغة من الكتب ضدّ من زعم ان العالم يسير بالعرَض دون مدبّر »

٢) راجع المكتبة الشرقية للسمعاني الجزء الاوّل (٤٤٦-٤٦٣) والجزء الثالث (ص ١٠٤)

اسحق اليعقوبي (١ وقد نقل ابن العبري من تآليف اسحق هذا فقرات شتى في كتاب الايثيقون (٢ كما يتضح جلياً لمن يقابل (ص ٤٣٨ مع ص ٣٢٢ من الايثيقون. وصفحة ٤٩٩ مع ص ٨٠٦ وص ٥٠٢ مع ص ٣٥٥ وغيرها. وامتدحه ابن العبري جداً الّا ان ذلك لا يؤيد كونه يعقوبياً البتة. واليك البراهين المثبتة تشيّعهُ للبدعة النسطوريّة

١ً لم يذكر المؤرخون مطراناً لليعاقبة على نينوى بل كان كرسي تلك المدينة خاصاً بالأمة النسطوريّة

٢ً قد ورد في كتابات اسحق النينوي ما يدلُّ على اعتبارهِ لديودرس الطرسوسيّ معلّم نسطور حتى انهُ (في ص ٢٨٥) سمّاه «الحبر الفصيح الثاقب العقل». ودعاه ايضاً «نجمة المسكونة والمعلّم الكبير» الى غير ذلك من الصفات الحميدة

٣ً ومن الادلّة على نسطوريّتهِ انهُ ذكر (ص ٦٠٣) الاصوام الثلاثة وهي صوم ربّنا وصوم الرسل وصوم الانبياء على مقتضى طقس النساطرة وحده

٤ً ومما لا يبقي ريباً في انتمائهِ الى النسطوريّة قولهُ باقنومي المسيح وتجسّد طبيعتيهِ فقال: (ص ٣٩): «فتحصل على الحياة الابديّة بيسوع المسيح الوسيط بين الله والبشر والمتجسّد بطبيعتيهِ» (٣. وفي الصفحة ٢٢٠ يذكر الاقنومين علانيةً

٥ً ولاسحق عدا ما اوردناه ميامر ومقالات شتى تثبت ما نحن بصدده منها ثلاث مقالات ارتاب في صحّة محتوياتها دانيال بن طوبانيثا اسقف باجرمي النسطوري ومنها ميمره في الطبيعة الالهيّة واسرار تدبير ربّنا (٤ ورد فيهِ ما معناه: «ان الله بذل ابنه الوحيد حبّاً بنا فاقتبل الآلام هيكلهُ وليس جوهره». وجاء فيهِ ايضاً «لو كانت محبّته شاملة الجميع دون تغيير كيف امكن ان يكون لهُ مشيئتان كما لهُ اقنومان». وزد عليهِ ان النساطرة يحتفلون اليوم بعيده في ٢٥ أيار وفي ١٠ آب

ومع هذا الشطط لا يخلو تآليف اسحق من الفوائد الجمّة المستحقّة الثناء والاعتبار الجزيل خاصّةً ما يتعلّق بالاسرار البيعيّة والرتب الطقسيّة. واجلّها ما جاء في

١) اطلب الجزء الاوّل من المجاني السريانيّة (ܡܫܬܐܠܐ ص١٤) لنبطة بطريركنا العلّامة ومقدّمة بيجان على ميامر مار اسحق التي نشرها عام ١٩٠٣

٢) اطلب طبعة الاب بيجان عام ١٨٩٨

٣) قرأنا في النسخة العربية اليعقوبيّة (شيئين) بدل طبيعتين

٤) طالعنا هذا الميمر في كتاب من خزانة غبطة بطريركنا محتو على ٢٩ صفحة

سرّ الاعتراف (في الفصل ٣٠ ص ٢١١) قال: «لا يمكن الانسان ان يعدل عن الخطيئة التي اعتادها الّا بان يمقتها بالكليّة ولا يمكنهُ ان ينال الصفح عنها ان لم يقرّ بها بالاعتراف»

وقال في التناول الروحي (ص ٦٢٦): «متى هذذت في الاسرار القدسيّة احدق نظرك في المذبح واهتف بارتياح ممتزج بالحبّ قائلاً: نفسي اليك ظمآنة يا ربّ. متى ينتهي الاسبوع لآتي وانظر محيّاك» وقد جاء مثل ذلك في الصفحات ٦٠٤ و ٦٢٠ و ٦٢٢

وقد شهد برئاسة بطرس زعيم الرسل (ص ٤٥٨) حيث قال: «ان الرب امرهُ ان يتولّى رئاسة قطيعه»

وعدّد انواع الخطايا (ص ١١٠) بكلام صريح وجيز وذكر طبقات سعادة القدّيسين (ص ٨٦) وحثّ على مطالعة الاسفار المقدّسة (ص ٤٨) وبيّن حراسة الملائكة (ص ٩٥) الى غير ذلك من الفوائد التي تذكر وتنبئ باضطلاعه في تلك الحقائق الراهنة. ومن ثم نحثّ محبّي اللغة السريانيّة العزيزة على اقتناء هذا الكتاب ومطالعته داعين للناشر بالخير والفلاح

ملحق

في النسخة العربية لكتاب اسحق النينوي

خاصّة مكتبة دير الشرفة

بقي ان نورد كلمةً في نسخة كتاب اسحق العربيّة المحفوظة في خزانة كتب مدرسة الشرفة وهي مرقومة على رقّ في ثلاثمائة ورقة ونيف طولها ٢٨ سنتيمترًا في عرض ١٩ س وكأنّها النسخة التي وصفها السيّد السمعاني الطيّب الذكر في المكتبة الشرقيّة (جزء ١ ص ٤١٦) الّا انها اقدم منها بثلاث وستين سنة وهي موسومة بالارقام القبطيّة وفيها كلمات كثيرة دون نقط ممّا يدلّ على قدمها. وقد قابلنا شيئاً منها مع نسخة الاب بيجان فألفينا فيها تغيرًا ليس بقليل واليك باقتصار ملخّص الكتاب

ذكر في المقدّمة ان اسحق ترك الاسقفيّة وتوجّه الى برّيّة الاسقيط حيث اكمل بقيّة حياته... ووضع هذا الاربعة الكتب في غاية البلاغة... وعاش هذا القديس في

اوّل الألف السابع من تاريخ العالم (١) . امّا الجزء الاوّل فمنطوٍ على ٤٤ ورقة لا اثر لها في السريانيّة . وورد في آخرها « كمل الجزء الاوّل لمار اسحق غير ان باقيته ما توجد الّا في بلاد السريان » . امّا الجزء الثاني فمصدّر بمقالة في خوف الله توافق طبعة الاب بيجان من ص ١ الى ٦٠ جاء في آخرها « كمل كتاب القدّيس العظيم مار اسحق في مخافة الله ولهُ ايضاً في محبّة الله » . والجزء الثالث فهو في الرهبنة يقابل ما طبعهُ الاب بيجان من ص ٤٠—٤٠٥ وفيهِ ميمران لا اثر لهما في السريانيّة وفي ص ٢٤٢ من الباب الرابع حذف شهادة ديودورس برمّتها . وجاء في آخر هذا الجزء ما نصهُ : « كمل الجزء الثالث من قول مار اسحق الرب يرحمنا بصلاته » . ثم الجزء الرابع فهو في رؤوس المعرفة وفيهِ شيء مقابل للطبعة الجديدة ص ٣٤١ وهو مشتمل على ستة ميامر في ٤١ صفحة ورد في آخرها : « كمل ما وجد من تعليم القديس العظيم مار اسحق ولربنا يسوع المسيح المجد والعظمة الى الابد آمين »

وجاء في آخر الكتاب :

« والناسخ المسكين . . . الذي بالاسم راهب . . . يسأل لكل من يقف على هذا الكتاب . . . اغفر خطايا عبدك غبريال . . . امين . وقد قيل في نسخة الاصل ان الاب يعقوب نقلها من السرياني الى العربي على يابس السرياني لاجل ان الذين ينقلوا الكلام العربي اضاعوا نفسهُ الروحاني . . . فنقل هذه الكتب على اليابس ليكون يفهمهم من انار الربّ فهمه . . . وذلك بتاريخ اوّل بابه (تشرين الاوّل) سنة الف و ١٩٥ للشهدا الاطهار » اي سنة ١٤٥٣ م »

وجاء فيه كذلك :

« طالع في هذا الكتاب . . . الراهب يوحنا الزرباني ابن العزيز في تاريخ اوّل شهر اذار سنة ١٩٧٤—١٦٦٣ م وهو وقف على الرهبان التيسين في دير القديس ماري موسى الحبشي الكائن بالتيك »

وجاء في آخر صفحة بخط احدث من الاوّل ما معناه :

« جدّد وقفية هذا الكتاب . . . على يد مار موسى الحبشي من قرى التيك الشمّاس انطون ابن المرحوم شماس حنا ابن مقدسي الياس كجسون . . . في رئاسة الاب المحترم . . . ماري اغناطيوس كوركيس الرهاوي صاحب الكرسي الانطاكي سنة ٢٠٦٠—١٧٤٩ م وفي هذه السنة صار فتوح بلاد الهند اي اقليم ميليبار على يد مار باسيليوس المفريان شكر الله وعضى الى عندهم حتى يرشدهم الى معرفة الحق لانهم كانوا غنم بلا راعي »

---

١) المكتبة الشرقية (الجزء ١ ص ٤٤٦)

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الادباء النصارى (تابع)

لم نتعرّض في كلامنا عن الاسرة اليازجيّة لذكر احد نجوم تلك الثريّا المنيرة وهو الشيخ راجي اخا الشيخ ناصيف اذ لم نقف على شيء من اعماله وآدابه. ثم استفدنا من حاشية ذُيل بها جناب الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف تاريخهُ الحديث "دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (١٩٩)" انَّ للشيخ راجي (١٨٠٣—١٨٥٧) ديوانًا مخطوطًا وانَّ شعرهُ يشهد له بالبلاغة. وقد وقفنا لهُ في مجموع مراثي السيّد مكسيموس مظلوم على قصيدة في ذلك الفقيد الجليل اوّلها:

مدن البرّ محتد الطهر مكسيموسُ ربُّ المحى حميدُ الخصالِ
من سرى في طريق مولاهُ حتّى سبق السابقين بالإنفصالِ
وغدا صارفًا الى الله فعلًا بالتُّقى لا بالقاب والاعلالِ
كم محلّ سامٍ اشاد وكم من منزلٍ قد بنى من المجد عالِ
فجعتنا به صروف زمانٍ جائرًا لا يزالُ في كلّ حالِ
ورمتنا النبالُ منهُ الى ان لم يَعُدْ موضعٌ لوقع النبالِ

وللشيخ راجي ابنٌ هو اليوم نزيل زحلة يدعى بالشيخ ملحم يتعاطى الآداب كابيهِ. وقد وقع لنا من شعره مرثاة نظمها سنة ١٨٦٩ في وفاة الدكتور يوسف الجلخ مطلعها:

كؤوس البين دارت في الانامِ من الشيخ الكبير الى الغلامِ

الى ان قال:

طبيبٌ كان يشفي كلّ داءٍ اذا استولت تباريحُ السقامِ
دهاه اليوم ما لا منهُ شافٍ ولا منهُ سليمٌ في الانامِ

واعتب فيهِ آل الجلخ سكرًا بكاس الحزن لا كاس المدام
واوقد بالأسى في كل قلب لهيبًا لا يزال في اضطرام

وختمها بقولهِ :

تركتَ العالم الغرّار طوعًا وبتَّ مجاورًا دار السلام
لئن تلكُ قد رحاتَ اليوم عنّا فذكرك لا يزال الى الدوام

(آل المرّاش) كما برز اليازجيون الملكيّون في لبنان وبيروت بانصبابهم على العربيّة في القسم الثاني من القرن التاسع عشر كذلك كان آل مرّاش الملكيّون يتقدّمون في حلب اهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغة. وبنو المرّاش عُرفوا في حلب منذ القرن الثامن عشر ومنهم كان بطرس المرّاش الذي قُتل في سبيل دينهِ سنة ١٨١٨ في حلب باغراء جراسيموس اسقف الروم الاوثدكس مع عشرة آخرين من الكاثوليك (اطلب قصيدة المعلّم نقولا الترك في رثائهِ في المشرق ١٠ : ٦٦٤). وعُرف بعد قليل فتح الله المرّاش وكان لهُ المام بالعلوم اللغويّة والادبيّات ابقى منها آثارًا مخطوطة ثم اراد ان يخوض ميدانًا لم يكن من فرسانهِ فعثر جوادهُ وكبا زندهُ وذلك انهُ ألّف سنة ١٨٤٩ كتابًا في انبثاق الروح القدس فزعم انهُ من الآب وحدهُ فدحض اقوالهُ الطيّب الذكر السيّد البطريرك برلس مسعد باثبت الحجج في كتاب طُبع في رومية سنة ١٨٥٦ فلمّا اطّلع عليهِ فتح الله المرّاش ارعوى عن غيّهِ واذعن للحق الواضح

وخلفهُ ابنهُ فرنسيس فنال شهرة طيّبة بذكائهِ ومعارفهِ وخلقتهِ الادبيّة. ولد في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦ ثم تلقّن العلوم اللسانيّة وآداب الشعر وانكبَّ على دراسة الطبّ اربع سنوات تحت نظارة طبيب انكليزي كان في الشهباء واراد ان يتمّ دروسهُ في عاصمة الفرنسيس فسافر اليها في خريف سنة ١٨٦٦ وقد وصف سفرهُ اليها في كتاب رحلة باريس الذي طبعهُ في بيروت سنة ١٨٦٧. ولم يسعدهُ الدهر في غربتهِ فكرَّ راجعًا الى وطنهِ وتفرّغ للتصنيف رغمًا عمّا اصابهُ من ضعف البصر وانحطاط القوى حتى أفل نجم حياتهِ فمات في مقتبل الكهولة سنة ١٨٧٣. وكان فرنسيس صادق الايمان كثير التديُّن وقد ألّف كتابًا بناهُ على مبادئ العلوم الطبيعيّة والعقليّة بيانًا لوجود الخالق واثباتًا لحقيقة الوحي سمّاهُ «شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة» اعرب فيهِ عن دقّة نظر ومعرفة بأحوال الطبيعة والعلوم العصريّة. ومن مصنّفاتهِ التي جمع فيها بين

الفلسفة والآداب فاودعها آراءهُ السياسيَّة والاجتماعيَّة على صورة مبتكرة كتاب « غاية الحقّ » الذي طُبع في حلب سنة ١٨٦٥ ثم كُرر طبعهُ في بيروت ومصر ومثلهُ كتاب « مشهد الاحوال » المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٣ على اسلوب لطيف ونسق حديث. وفي بيروت طبعت لهُ رواية حسنة دعاها « درّ الصدف في غرائب الصدف ». ومما طبعهُ قبلها في حلب كتاب « المرآة الصفيَّة في المبادئ الطبيعيَّة » (١٨٦١) لخّص فيهِ اصول علم الطبيعة. ثم « خُطبة في تعزية المكروب وراحة المتعوب » (١٨٦٤) وكتاب « الكنوز الغنيَّة في الرموز الميمونية » (١٨٧٠) وهي قصيدة رائيَّة في نحو خمسمائة بيت ضمّنها رموزًا خفيَّة على صورة رواية شعريَّة. ومن نظمهِ ايضًا « ديوان مرآة الحسناء » طبعهُ لهُ المرحوم سليم بسترس سنة ١٨٧٣ في بيروت

وكان فرنسيس المراش يحبُّ في كلامهِ الترفُّع عن الاساليب المبتذلة فيطلب في نثرهِ ونظمهِ المعاني المبتكرة والتصوُّرات الفلسفيَّة فلا يبالي بانسجام الكلام وسلاستهِ فتجد لذلك في اقوالهِ شيئًا من التعقُّد والخشونة مع الاغضاء عن قواعد اللغة. فمن شعرهِ قولهُ في الحماسة :

فيقوا (كذا) من الغفلات يا اهل الوطن ... انَّ العدوَّ دنا وها نَفَعُ الفتن
حتَّى مَ انتم يا بُزاةُ روابضٌ ... هبُّوا فقد حام الغرابُ على الدمن
هجم العدوُّ وها الغبارُ وانتمُ ... من ذا الغبار ستنسجون لهُ كفن
لا تخجلُ الغربانُ من سعة الفلا ... يومًا اذا نهض العُقابُ من الوكن
ناداكمُ الوطنُ الذي قد ضمَّكمْ ... في حضنهِ وسقاكمُ لبن المنن
كرُّوا الى الاعداء كرَّ الاسد يا ... أُسدَ الوفاء فهم ثعالبةُ الجبن
فاسمعوا اصوت ابيكم يرجو الحمى ... منكم فهيَّا طاردوا عنهُ المحن
او ما ترون الدمع منهُ لاجلكم ... جدّي فقوموا نشفوا دمع الوطن
لا يحسن الموت الزؤام لدى امرئٍ ... لكن فدى الاوطان موتكمُ حسن

ولهُ في الزهريَّات :

هوذا الصباحُ بدا وبالانوارِ ... طُبعت وجوهُ الكونِ في الابصارِ
والشمسُ قد نشرتْ بيارقها على ... قمم الجبال امام جيشٍ خارِ
وعلى عمود الصبح قد شاد الضحى ... برج النهار مسلَّحًا بالنارِ
والشرق اوتر قوس نورٍ وأمتى ... يرمي على الدنيا سهامَ شرارِ
والليل مزَّقَ ثوبهُ حزنًا على ... فقد النجوم وغار في الاغوارِ

ما زال مَدُّ النور يرفع في العُلا جَزْر الظلام كاصفٍ لبارِ
حتى امتلى جوف الفضاء من الضيا وزهت بذلك كافّةُ الاقطارِ
فترنّمَ القمريُّ فوق غصونهِ طرباً وفاحت نسمةُ الاسحارِ
والنسر هبَّ الى العلاء كانّهُ يبغي المسير مع السحاب الجاري

وقال يشكو الدهر:

رمت قلبي نبالُ الدهر حتى رأيتُ دمي يسيلُ من العيونِ
فلو كان الزمان يُصاغُ جسماً لكنت اذيقهُ كأس المنونِ

وقال في خواصّ الجسم:

الجسمُ معروفٌ بستِّ خصائصٍ فبهِ فمنهُ قطُّ ليس تحولُ
عدمُ التداخل وامتدادُ صورةٍ جذبٌ سكونٌ التحيّزُ قبولُ

ومن حكمهِ قولهُ:

صدّقوني كلُّ الانامِ سواءٌ من ملوكٍ الى رُعاةِ البهائمْ
كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ لا تَبِي في ولائمٍ او مآتمْ
كم اميرٍ في دستهِ بات يشقى بالهُ والاسير في القيدِ ناعمْ
اصغرُ الخلق مثل اكبرها جرْ مًا لهذا وذا مزايا تُلائمْ
والخلايا للنحل اعجبُ صنعًا من قصور الملوك ذات الدعائمْ

وكان فرنسيس المرّاش يراسل اهل الفضل في زمانهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وغيرهِ. ولهُ مآثر عديدة وفصول انشائيّة وقصائد واراجيز نشرها ارباب الجرائد في عهده كاصحاب الجوائب والنحلة والزهرة والجنان يطول عنا ذكرها. ومن جيّد وصفهِ قولهُ في الحسود:

قالوا لزيدٍ انَّ عمرًا فاز اذ ربحت تجارتُهُ بحظٍّ كيّسِ
فازورَّ من غضبٍ وسكرج (؟) عينهُ وتنفّس الصعداء ايَّ تنفّسِ
وغدا يقول تخرطمًا ويهرطمًا ويلاهُ من تحسين حال المفلسِ
وكذاك لمّا اخبروا عمرًا بان بكرًا غدا ذا رفعةٍ في المجلسِ
ارغى وازبد خائرًا كالمُعتري وانتاب سحنتَهُ ظلامُ المندسِ
وانحاز يصرخ قم كذبتم فاصرخوا انَّ السادةَ لا تُرى في المُتعسِ
ورووا على بكرٍ بانَّ صديقهُ يهي بعزٍّ بعد ذلٍّ قد كُسي
فانسابَ كالافعى وقال اعوذُ من عارٍ غدا متبخترًا في الاطلسِ
والكلّ يبدون المسرّة كلّما سمعوا بنائبةٍ سرت في الارؤسِ
تبًّا لبنيك ايها الانسان ما ابليسُ ربُّ النحسِ منكَ باخسِ

ذي كبرياؤك يا لها من آفةٍ كالأفعوان سمتْ لقتل الانفسِ

وقد رثاهُ الاديب المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفهُ :

تركت يا مفردًا شأنًا يذكّرنا شذاه كالمسك لمّا فاح في الطللِ
من مشهد قد جلا الاحوال بان لنا منهُ عجائب افعالٍ بلا خللِ
ومن غرائب ما شاهدت من صدفٍ اجى من الدرّ او اشهى من العسلِ
ورحلةٍ سرتَ فيها قد حوت حكمًا صيغت من الدر من قولٍ ومن عملِ

ولفرنسيس المراش اخٌ واخت اشتهرا ايضاً بالآداب . فاسم اخيهِ عبدالله وُلد في الشهباء منتصف أيار سنة ١٨٣٩ فلتقّى كفرنسيس اصول الآداب في وطنهِ ثمّ خصّ نفسهُ بالاعمال التجاريّة فسافر الى منشستر وتعاطى التجارة فيها من السنة ١٨٦١ الى ١٨٦٩ فأحرز لهُ فيها سمعةً حسنة بدرايتهِ واستقامة معاملتهِ . ثم جاء فرنسة واستوطن باريس الى سنة ١٨٧٩ ثم عاد الى منشستر فسكنها الى سنة ١٨٨٢ ثم حطّ عصا الترحال في موسيلية حيث توفي في اوائل سنة ١٩٠٠

وكان عبد الله المرّاش مع اشتغالهِ بالتجارة حريصًا على جمع الآداب مولعًا بالمطالعة والتوسّع في العلم وكان يحبّ على الخصوص الآداب العربيّة فيهتمّ بآثار العرب وفنونهم يسعى طاقتهُ في انتساخ ما يخلو لهُ من كتابات القدماء ونوادر تآليفهم وقد تردّد مدّةً الى مكتبتي لندن وباريس لهذه الغاية . وكان يكاتب كثيرين من أدباء زمانهِ ورسائلهُ تدلُّ على فضلهِ طُبع منها جانب في النشرات الشرقيّة . ومن آثار قلمهِ تعريب بعض التآليف الافرنسية ومقالات انتقاديّة على كتابات آل عصرهِ (١

امّا أُخت فرنسيس فهي ماريانا المراش التي لا تزال في قيد الحياة وهي طاعنة في السنّ لها ديوان دعتهُ « بنت فكر » طُبع في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٩٣ فمن قولها الجيّد رثاؤها لفتاة :

ماذا حملتم على الايدي بلا حذرٍ ومن دفنتم فما هذي من البشرِ
هذي ملاك اتت للارض لابسةً جسمًا لطيفًا بدا للعقل والنظرِ
والآن عادت الى الفردوس مسكنها لهفي فلم يبقَ قلب غير منفطرِ
لو كان يشفي غليلَ المرء دمعُ اسًى لكان دمعُ الورى يُغني عن المطرِ
فالصبر موئلكم يا آلها ابدًا هذا لعمري قضاءٌ كان في القدرِ
أن غدا صابرًا في الخطب محتسبًا ينال اكليل مجد العزّ والظفرِ

١) اطلب مجلة الضياء (ج ٢٤٤ : ٤٩١)

ونقشت على نعش اخيها فرنسيس:

ويلاه من جور دهر قد احلَّ بنا مصائبًا شأنها ان تصدع الحجرا
بشتت الشمل منا حيثما نزلت تفني الجميع ولا تُبقي لهُ اثرا

ومما نُقش لها على كيس تبغ:

احفظ ودادك في فؤادك كامنًا وانبت ولا تكُ مثل تبغ دُخانِ
فمواصف الانفاس تصعدهُ سدًى وترجعهُ في عالم النسيانِ
والودّ ضمن القلب نقطةُ مركزٍ كالارض ثابتة الاركانِ

ومما نظمتهُ بيتان نُقشا على ستر يُسبَل على صورة السيّدة البتول:

لمَّا سموتِ على الملائكِ والبشرْ وافاكِ جبريلٌ يبشّرُ بالظَّفرْ
وبكِ الخلاصُ فدا وابليس انقهرْ انتِ الشفيعة للخطاة ذوي الوزرْ

ولها على لسان امٍّ فارقتها ابنتها:

مذ غبتِ عني اخذتِ الروح مني اذ تركتِ جسمًا نحيلًا فاقد الجلَدِ
احرقتِ قلبي بنار الشوق جائرةً وما رحمتِ فيا قلبي ويا كبدي
عودي اليَّ رعاكِ الله يا املي يا نور عيني وردّي الروح للجسدِ

(رزق الله حسون) وفي هذا الزمان اشتهر حلبيٌّ آخر لعب دورًا مذكورًا في نهضة الآداب العربية. نعني بهِ رزق الله بن نعمة الله حسون. ولد هذا في حلب نحو السنة ١٨٢٥ وسافر الى الاستانة فتوطنها برهةً من الدهر وصار فيها ناظرًا لجمرك الدخان ثم تجول في اوربة ودخل فرنسة وروسيَّة وحلَّ مدة في لندن وكان في اسفاره يشتغل بالاداب العربيَّة ويؤلف التآليف النثريَّة والشعريَّة. وكان خطهُ بديعًا وفي مكتبتنا الشرقيَّة من قلمهِ عدَّة كتب تأخذ بالابصار لجودة خطها واتقانها انتسخها في اوقات الفراغ في خزائن كتب اوربَّة كصبح الاعشى للقلقشندي وديوان الاخطل وديوان ذي الرمَّة والمُتمّ لابن دريد وتقائض جرير والفرزدق والاناجيل المقدسة ترجمة الدبسيّ. وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ قدم الى الشام في صحبة فؤاد باشا فكان يعرّب مناشيرهُ واوامرهُ. ثم عاد الى انكلترَّة واشتغل بالتأليف في قرية وَنْزورث (Wandsworth). ومما صنفهُ وقتئذٍ وطُبع في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٨٦٩ و١٨٧٠ كتابهُ «اشعر الشعر» اودعهُ نظم سفر ايوب ونشيد موسى في الخروج ونشيدهُ في التثنية ثم سفر نشيد الاناشيد

لسليمان وسفر الجامعة وختمهُ بمراثي ارميا. ودونك مثالًا من ترجمتهِ وهو وصف أيوب للفرس :

فهل تُعطي الجوادَ يخبُّ عزمًا ونكسو عنقهُ عرفًا بسينا (؟)
أتوثبُهُ كمثل جرادة تَنفخُ منخرهِ مهيبُ السامينا
ببطن الخبت يحثُّ وثوبٌ بباسٍ يلتقي الحرب الزبونا
ويمزأ بالمخاوف ليس يخشى عن الاسياف لم يُحجم جبينا
تصلُّ عليهِ راقصةً سهامٌ وترهقهُ رماحُ الدارعينا
ويطوي الارضَ في وثبٍ ورجزٍ ولم يُؤمن لصوتِ البوق حينا
اذا ما البوقُ يُنفخُ قال هَهْ مِن بعيدٍ شمَّتِ الهيجا شؤونا

وهذا مثال آخر من نظمهِ لمراثي ارميا :

أنّى خلا منها الانيسُ البلدةُ ملأى شعوبٍ بالبلاء تشتّتوا
صارت كارملةٍ معظّمة الملا امُّ القُرى ضُربت عليها الجزيةُ

تبكي دمًا والدمعُ فوق خدودها فُقدت عزاء خليلها ووَدُودها
اصحابها غدروا بها طُرًّا على غطِ البدى اضحوا شماتَ حسُودها

ومما طُبع لهُ في المطبعة الاميركيَّة «كتاب السيرة السيِّديَّة على ما ادَّاهُ الينا المبشِّرون الذين كانوا شهداء الكلمة. وتبها هذا النسق تتبعاً لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا الى صعود الربّ». وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الاناجيل الاربعة وقد طُبع في مطبعتنا كتاب من جنسهِ وهو المعروف «بالقلادة الدريَّة في الاربعة الاناجيل السنيَّة» للاب يوحنا بلو اليسوعي

ومن مآثر رزق الله حسُّون كتابان آخران طبعهما في لندن: الاول كتاب النفثات ضمَّنهُ اربعين مثلًا من امثال احد كتبة الروس يُدعى ايفان اندريفتش كورلف (I. A. Kurlov) فنقلها حسُّون الى العربيَّة ونظمها شعرًا والحقها ببعض مقاطيع شعريَّة من نظمهِ والتعسُّف في كثير منها ظاهر واغلاطها عديدة هذا منها مثال:

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى أن تدانى الى سُهول البقاعِ
طارقًا لحظيرةٍ ناظرًا من ثُقب صخرٍ يلوحُ ضوءُ شُعاعِ
فرأى الغنمَ الساكنين والسكّين في كفِّ حاسرٍ عن ذراعِ
يذبحُ الحملَ السمين ويُلقي للمرّى الكرش والمعى في القناعِ
والكلابُ روابضٌ ونيامٌ لا تذبُّ ولا ينبح تُداعي

فقضى عجباً وولى كئيباً خائباً من مرامه والمساعي
قائلاً يا كلابُ كم تنبحوني لو تصدّيتُ مثل هذا الراعي

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائي طبعهُ سنة ١٨٧٢ على نسخة مكتبة لندن في ٣٣ صفحة وقد طُبع هذا الديوان طبعة اخرى افضل من الطبعة السابقة وكل منها على يد احد المستشرقين الالمان اسمهُ شولتس (Schulthess)

وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الاحرار في اصلاح تركيا وذلك ما الجأهُ الى سكنى لندن في آخر حياتهِ وهناك طبع جريدتهُ مرآة الاحوال سنة ١٨٧٧ وكان سبق قبل ذلك بمدة طويلة فنشرها في الاستانة فكانت اقدم الجرائد العربية فيها (١ . اما وفاة المترجم فوقعت نحو السنة ١٨٨٠ مات فجأةً في لندن . وكان رزق الله حسون صديقاً لأدباء زمانهِ يكاتبهم ويساجلهم فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة :

خدينَ المعالي وابن مجدها الفردُ بقيت بقاء الدهر يخدمك السعدُ
وزادك ربُّ العرشِ اسنى كرامة قرينٌ بها الاقبال والفخرُ والمجدُ
ولا زلتَ في امنٍ وموفور نعمةٍ ويمن ايادٍ كسبُها الشكرُ والحمدُ
وبعدُ فقد طال البعادُ وهيجتي يكادُ من الاشواق يضرمُها الوجدُ
وما ليَ عن لقياك صبرٌ ولا غنى ولكنَّ خَطْبَ الدهر ما بيننا سدُّ
ألا بئسما الايامُ اغرت يد النوى بنا فاستطالت ريثما قصر الجدُّ
موانع حالت دون فرضِ زيارتي وقد كنتُ ارجو ان يكون لك وفدُ
واصبحتُ من ابطائكم في هواجسٍ تحيّرني لا يهتدي نحويَ الرشدُ
نابني للاطمئنان منكم ألوكةٌ اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصدُ

وممّا نظمهُ فيهِ المعلم بطرس كرامة ابيات قالها لمّا اقترن سنة ١٨٤٨ بسيّدة تدعى ماتلد فقال :

ضاديك يا نجلَ الفؤادِ تحانياً تنبّئُ عن افراحنا حينما تبدُو
بخيرِ اقترانٍ جاء وهو مبارك يقارنهُ برٌّ ويصحبهُ سعدُ
فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ وعيشٍ رغيدٍ بُردهُ الامن والرفدُ
زفاف سعيدٌ والهناء مؤرخٌ موافٍ لرزق الله بالخير ماتلدُ

(لهُ بقيّة)

١) اطلب مجلة الهلال (٨ : ١٤٦ و ٢٣٤)

مطبوعات شرقية جديدة

Sechster Band des Kitâb Baġdâd von Aḥmad ibn Abi Ṭâhir Ṭaifûr, herausgegeben und übersetzt von Dr H. Keller, 2 Th., ٣٨٣ +XXVI-160, *Leipzig, Otto Harrassowitz*, 1908

الجزء السادس من تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر طيفور

احمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور احد مشاهير ادباء العرب في القرن الثالث للهجرة مولدهُ سنة ٢٠٤ ووفاتهُ سنة ٢٢٠ (٨٨٠—٨١٤م) وقد عدَّ لهُ من التآليف ابن النديم في الفهرست (ص١٤٦) خمسين كتاباً ولم يبقَ من هذه المصنفات الَّا ثلاثة او اربعة . منها بعض اجزاء من كتابهِ الشهير المنثور والمنظوم في لندن ومصر ومنها كتاب بلاغات النساء الذي طبعهُ مؤخرًا في مصر الاديب احمد افندي الالفي بايعاز الشيخ الهمام المحقق طاهر الجزائري. ومن انفس مصنَّفات ابن ابي طاهر تاريخ بغداد وهو على ما يُظنّ اوَّل تاريخ وُضع لها (اطلب كشف الظنون للحاج خليفة ed. Flügel, II 119) ولم يسلم من هذا الكتاب على آفات الدهر سوى جزئهِ السادس كان محفوظًا في خزانة مخطوطات لندن العربيَّة فاستخرجهُ منها جناب الدكتور الالماني ه . كيلر واستنسخهُ باليد وطبعهُ على الحجر في ليبسيك ثم نقلهُ الى الالمانية وعلَّق عليهِ الملحوظات المفيدة في مقدَّمتهِ . ولا يخفى ما في نشر هذا الاثر من عظم الشأن لتاريخ ذلك الزمان وهذا الجزء السادس يتناول اخبار المأمون من سنة شخوصهِ الى بغداد في السنة ٢٠٤ وهي سنة مولد المؤلف الى وفاة الخليفة المذكور مع ما يتوط باحوال زمانهِ والادباء والشعراء الذين اختلفوا الى مجلسهِ . وقد اخذ عنه القدماء كالطبري في تاريخهِ وابن عبد ربّهِ في العقد الفريد وغيرهما ايضاً . الَّا ان صاحب الفهرست لم يعتبر كثيرًا علم ابن ابي طاهر فقال عنهُ (ص١٤٦) : «ولم ارَ ممن تشهَّر بمثل ما تشهَّر بهِ من تصنيف الكتب وقول الشعر اكثر تصحيفاً منهُ ولا ابلد علماً ولا ألحن» لكنهُ اقرَّ بادبهِ فقال : «وكان مع هذا جميل الاخلاق ظريف المعاشرة» . امَّا هذه الطبعة فهي بالاجمال حسنة وربَّما وقع في ضبط الالفاظ اغلاط يطول بنا ذكرها ولعل النسخة الاصليَّة هي المغلوطة . وقد روى جناب الدكتور في الصفحة ٢١ من كتابهِ ابياتًا دالية لابي العتاهية فذيَّلها بهذه الحاشية :

« لا وجدتُ (كذا) هذه الابيات في الديوان لابي العتاهية » ولو راجع الطبعة التي نشرناها من هذا الديوان (ص ٣٢٨) لوجدها . ومن محاسن الكتاب فهرسان للاعلام الشخصية ولاسماء البلدان المذكورة في فيه ل . ش

The History of the Governors of Egypt, by Abu 'Umar Muhammad Ibn Yûsuf al Kindi ed. by N. A. Koenig. *part I. New York*, 1908, p. 66.

تسمية وُلاة مصر للكندي

ابو عمر محمَّد بن يوسف الكندي مؤرخ مصريّ ولد سنة ٢٨٣ للهجرة وتوفي سنة ٣٥٠ (٨٩٦—٩٦١م) وكان من اجلّ الكتبة في السير والاخبار الّا ان اكثر تاليفهِ قد لعبت بها يد الدهر الّا كتاب تسمية ولاة مصر وكتاب تاريخ القضاة وكلاهما في خزانة لندن الغنيَّة بآثرها العربيَّة وليس منها نسخة ثانية . وقد اخذ العلماء في نشر هذين الاثرين وها قد ارسلت لنا جمعيَّة مكمّلان (the Macmillan Company) الساعية بطبع الكتب القديمة الجزء الاول من تسمية الولاة الذي يتولى طبعهُ الدكتور كونيغ . وفي نشر هذا الكتاب عدَّة فوائد لأنَّهُ يحتوي من المعلومات ما يعزّ وجودهُ في كتاب اقدم منهُ وقد ضبط ناشرهُ طبعهُ وراجع لذلك عدَّة مطبوعات ومخطوطات عن مصر لاصلاح ما وقع في الاصل من الاغلاط . وقدَّم على الكتاب فصلًا واسعًا في تعريف مؤلفهِ وبيان خواص تاليفهِ . ومن غريب الاتفاق ان هذا التأليف يهتمُّ بطبعهِ في وقت واحد عالمان جليلان الدكتور كونيغ المذكور والعلامة غست (Guest) ولعلَّ كل واحد يشربهِ دون معرفتهِ بعمل رصيفهِ ل . ش

Le P. Cyrille Charon: Le quinzième Centenaire de St Jean Chrysostome (407-1907), *Rome*, 1909, XVI-413.

المئة الخامسة عشرة لوفاة القديس يوحنا فم الذهب

يذكر قراء المشرق (١١ : ١—١٣) ما كتبناهُ بنسبة الحفلات اليوبيليَّة التي أُقيمت العام الماضي في البلاد الكاثوليكية ذكرًا للذهبيّ الفم . وكانت شقيقتنا جريدة البشير تروي اخبار الاعياد الشائقة التي أُقيمت في عاصمة الكثلكة باتحاد الاكليروسين الغربي والشرقي . وممن حضروا تلك الحفلات واشتركوا في بهجاتها حضرة الاب كيرلس شارون اليوناني الملكيّ الكاثوليكيّ نزيل بيروت سابقًا واحد الكتبة المتضلعين بامور

الشرق الساعين بازالة ذات البين في فروع الكنيسة اليونانية. وقد رأى حضرته ان لذلك التذكار من خطر الشان والمعاني الادبيّة ما يستحق ان يدوّن في صحائف الاوراق بل يُرقم باحرف عسجدية على صفحات القلوب فتتبّع تفاصيل تلك الحفلات ووصفها وصفاً مدققاً واظهر ما كان لها من الوقع الحسن في كل القلوب ثم وسّع نطاق شغله واثبت ما جرى من المظاهرات في بلاد كثيرة بنسبة تلك الاعياد واستطرد منها الى ذكر تاريخ الكنيسة البوزنطية ونفوذها واتساعها ولغاتها وخلاصة اخبارها في البلاد المختلفة. وقد خصّ قسماً كبيراً من تأليفه بعلاقات الكنيسة البوزنطية مع مركز الوحدة الكاثوليكية وبحث عن اسباب الفراق ووسائل الاتفاق حتى جاء الكتاب جامعاً شاملاً لاخبار ومعلومات لا تُحصى قلّما يجدها ارباب البحث في الكتب المطوّلة فنجدّد تهانئنا لحضرة المؤلف عن هذا الاثر الجديد المنبئ بتفانيه في سبيل الشرق وخدمة اهله ونحضّ مواطنينا على تسريح البصر في تأليفه الاثير ل. ش

REALENCYKLOPAEDIE³ HERZOG-HAUCK, XXI Band: Wandalbert-Zwingli 1908, *Hinrichs.*

دائرة العلوم البروتستانيّة

هو المجلّد الحادي والعشرون وختام تلك الدائرة العلميّة التي تكرّر فيها الكلام في اعداد المشرق السابقة ومن عجيب التوافق ان هذا التأليف البروتستاني ينتهي باسم زونكل الذي يدخل في لفظه اواخر حروف الهجاء الاوربية (Z W) وهو مع ذلك آخر زعماء الاصلاح الموهوم. وهذا القسم كالاقسام السابقة مفيد خصوصاً بما سُطّر فيه من تراجم علماء البروتستانت. ومما استوقف فيه نظرنا ما عدا ذلك مقالة العلامة بتزنغر (Benzinger) في الخمر (WEIN) وتربية الكرمة وفقاً لمعلومات التوراة. ومقالة كوتش (Kautzsch) في عدد بني اسرائيل ثم مقالة الاستاذ كيتل (Kittel) في تاريخ التوراة منذ آدم الى المسيح. وقد أُلحق المجلد بخمس مقالات سها الكتبة عن اثباتها في الدائرة فاردفوها بها اخصّها مقالة الدكتور برتو (Bertheau) في التاريخ الكنسي ومقالة هولدر آكر (Holder-Egger) في ترجمة غليلموس الصوري. وقد ارسل لنا المتولّي لطبع الكتاب كرّاساً فيه جداول مختلفة كاسماء مصنّفي هذه الدائرة ومقالاتهم ومن ذلك يؤخذ ان اكبر العلماء البروتستانت اشتركوا في تأليفها دون تمييز في شيعهم

وآرائهم المتباينة فمنهم المحافظون ومنهم الاباحيّون وفي مقالاتهم ما يُشعر بمذاهبهم . وفي الكرّاس نفسه ملخص عدّة مقالات يعدّها هؤلاء الكتبة ليضيفوها الى الدائرة في مجلّد ثاني وفيه يودعون ايضاً فهارس شتى اخصها فهرس عام لكل المواد المودعة في الدائرة على ترتيب الحروف المعجم الاب سبستيان رنزفال

GRANDEUR ET DÉCADENCE DE ROME par G. Ferrero, T. VI. AUGUSTE ET LE GRAND EMPIRE. Trad. de M. U. Mengin, 1908.

ارتقاء رومية وهبوطها : امبراطوريّة اوغسطس

هوذا الجزء السادس لكتاب وصفناه غير مرّة واثنينا على فضل صاحبه وحسن ترجمته من الايطاليّة الى الافرنسيّة . وهذا القسم يشتمل على اعمال اوغسطوس قيصر في الاربعين سنة التي استبدّ فيها بالملك بعد انقراض الجمهوريّة فبلّغ رومية الى اوج الرفعة والشرف . ولم يكتفِ المسيو فريرو بتسطير مآثر القيصر واعماله الخطيرة بل بحث ايضاً عن الاسباب التي مكّنت اوغسطوس من تقرير سلطته وتنفيذ رغائبه وانشاء مملكة ثبتت من بعده مدّة اربعة اجيال . وقد بيّن المؤلّف انّ اوغسطوس فاز بالمقصود بحكمته فعرف كيف يجمع كلمة الرومان في انحاء الدولة وذلك انهُ ربطهم بروابط اقتصاديّة غاية في الوثاقة عللت كثيراً من الحوادث التي جرت في تلك الاثناء . فنكرّر شكرنا لمؤلف الكتاب ولمترجمه الذي قرّب الينا فوائده ر . ش

LE LIVRE D'AMOS par J. Touzard 1 vol. in-16 (de la Bibl. de l'enseignement scripturaire). *Paris. Bloud et Cie*

تفسير نبوّة عاموس

تألّفت جمعيّة افرنسيّة في باريس قبل بضع سنوات لنشر الاسفار المقدّسة وشرحها فابرزت عدّة تآليف في هذا المعنى كان مدارها على اسفار العهد الجديد . وها هي قد باشرت ايضاً تفسير بعض اقسام العهد القديم واوّل آثارها سفر عاموس النبي عُني به الخوري توزار احد اساتذة المكتب الكاثوليكي في باريس . فنقلهُ الى الافرنسية عن النصّ العبراني نقلاً يشهد لهُ بالمعرفة الواسعة في اللغة العبرانية التي صنّف فيها قواعد طيقاً كبيراً ثم علّق عليهِ الحواشي اللغويّة والتاريخيّة والادبيّة تكشف القناع عن مشاكله المتعدّدة . وقد صدّر هذا التفسير بمقدّمة طويلة بحث فيها عن المطالب المنوطة بصاحب ذلك السفر وزمانهِ واحوالهِ وظروف نبوّتهِ وامّة كتابهِ . وقد اجمع اهل الانتقاد على

انهُ اصاب المرمى . ومما يشهد على استحسان العلماء لعملهِ انَّ كتابهُ انتشر بكل سرعة حتى اضطرَّ الى اعادة طبعهِ بعد استفادتهِ من ملحوظات العلماء لتحسينهِ س.ر

Daremberg - Saglio - Pottier. DICTIONNAIRE DES ANTIQUITÉS GRECQUES ET ROMAINES, 42e fas., SACRIFICIUM-SCULPTURA, *Hachette*, 1909.

معجم العاديات اليونانيَّة والرومانيَّة

يُفتتح الجزء الحادي والاربعون من هذا المعجم بتتمة فصل الذبيحة (SACRIFICIUM) للعلامة توتان (Toutain) ومما يصرّح بهِ الكاتب في هذه المقالة انهُ لا يوجد علاقة البتة بين الذبائح الوثنية والذبيحة المقدسة في الكنيسة . وقد زيَّف في هذا الصدد الاوهام التي اخترعها الانكليزي فرازر (Frazer) في مذهبهِ التوتمي (théorie totémique) واشاعها من بعده في فرنسة الكاتب الشهير الاسرائيلي سالمان ريناخ . وكل هذا الجزء من المعجم مفعم بالموادّ المفيدة والمقالات الهامَّة فيظهر بها فضل مديره الجديد المسيو بوتيار الذي خلف المسيو دارمبرغ بعد موتهِ وربَّما سدَّ مسدَّ المسيو سافليو العاجز . ولا يكتفي المسيو بوتيار بتصنيف المقالات الجليلة بل اختار لمساعدتهِ رجالاً ممتازين بعلومهم وانسجام كتابتهم . وقد استحسنَّا في هذا القسم مقالات المسيو سيشان (L. Séchan) في الرقص (SALTATIO) والمسيو كاهن (E. Cahen) في النواويس (SARCOPHAGUS) ومادَّة زحل (SATURNUS) للمسيو هيلد (Hild) ومادَّة الحفر (SCULPTURA) للمسيو دي فوفيل (de Foville) وخصوصاً مادَّة الخط (SCRIPTURA) للمسيو جاكوب (Alf. Jacob) وكلّ هؤلاء الكتبة يعرفون من اين تؤكل الكتف فتراهم في مقالاتهم لا يهملون شيئاً مما يحتاج العلماء الى معرفتهِ فيجمعون معلومات عديدة في صفحات قليلة . وتراهم في العاديات الشرقيَّة اساتذة ماهرين لا يفوتهم منها شيء . ومثال ذلك مقالة المسيو سورلين دوريني (Sorlin-Dorigny) في الصولجان (SCEPTRUM) فكفى بهذا المعجم دليلاً على ترقي العلوم الاثرية في فرنسة س.ر

L'abbé Bonnin: LES SAINTS EVANGILES, In-16, pp. 352, 4 similigravures: relié o, 50

الاناجيل المقدَّسة

انَّ قداسة الحبر الاعظم كان في السنين الاخيرة حضَّ الكتبة الكاثوليك على

نشر الاناجيل بين كلّ طبقات الجمهور لتقتبس منهُ الجموع نورًا وهـدًى فيحيوا بهِ نفوسهم وينعشوا قواهم في اتمام وصاياهُ تعالى وصبرهم على شدائد الدنيا. فلبّى كثيرون دعوة الحبر الاعظم ومنهم صاحب هـذا الكتاب الذي كان سبق ونشر تأليفًا في مطالعة الاناجيل وتأمل مضامينها في ٥٠٩ صفحات فاثنى على همّتهِ الحبر الاعظم. ثم عاد المؤلف مؤخرًا وطبع هذه الاناجيل على صورة تقرّبها من مدارك الشعب والبسطاء كالعملة والاحداث. والكتاب يحتوي ما خلا نصوص الاناجيل الاربعة بعض شروح وجيزة واضحة اثبتها في ذيل الصفحات ليزيل بهـا الشبهات المتبادرة الى العقول. وقد جعل المؤلف ثمن الكتاب متهاودًا بغيةً في رواجهِ ب. ج

ديوان ابن هانئ الاندلسي

عُني بطبعهِ طبعةً مصحّحة مع تفسير بعض الفاظهِ اللغويّة محمد افندي انيس محيو
بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٣٢٦ (ص ٢٤٦)

انّ مقام ابن هانئ في الاندلس والمغرب كمقام ابن الطيّب في بلاد الشرق حتى دُعي بمتنبي المغرب وقد عاش كلاهما في قرن واحد وتشابها في عدّة امور كجودة القريحة وابتكار المعاني وفنون الكلام والمذاهب الفلسفيّة لكنّ ابن هانئ اسهل طريقة واطبع شعرًا تتدفّق منهُ المعاني الشعريّة كالماء الزلال يتبجّس من معينهِ ويتسلسل في مسيلهِ فلا تكدّر صفاءهُ شائبة حتى ضُرب بشعرهِ المثل فقيل:

ان تكن نابغًا فكن كليبًا او تكن شاعرًا فكن كابن هانئ

فلا غرو ان يُقبل الناس على ديوانهِ وقد طُبع مرّة اولى في مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) ثمّ تكرّر طبعهُ في ثغرنا وهذه الطبعة البيروتيّة الرابعة لا تختلف كثيرًا عن الطبعات السابقة الّا في شرح بعض الفاظ غريبة. ونؤمل من جناب ملتزم نشرهِ ان يُعدّ لهُ طبعة اخرى مضبوطةً بالشكل الكامل ويتوسّع في شرح الالفاظ ويضيف اليهِ ما هو اهمّ وانفع اعني تفسير المعاني والاغراض ان شاء الله ل. ش

كتاب تحفة الانام: مختصر تاريخ الاسلام

تأليف الشيخ عبد الباسط افندي فاخوري. طُبع في بيروت سنة ١٣٢٠ (ص ٢٨٦)

هو مختصر مفيد يتناول اخبار الاسلام منذ الخلفاء الراشدين الى عهـد جلالة

السلطان عبد الحميد اختاره المأسوف عليه الشيخ عبد الباسط فاخوري مفتي بيروت سابقاً وضمّنهُ ما يحتاج احداث المدارس الى معرفتهِ من تاريخ المسلمين. أما الأدباء فيلزمهم الرجوع الى مصادر اوسع وادقّ لانَّ الكتاب على طريقة التآليف السابقة لعهد الحرية التي لا تروي في الغالب غير الحسنات وتسكت عن السيئات فيأتي التاريخ مخلًّا ومن شأنهِ ان يكون صورة الوقائع يرويها المصنف كما هي دون ميل ولا غرض بل لو تتبَّعنا صفحات الكتاب لوجدنا فيهِ اشياء كثيرة مخالفة للواقع وللمؤلف عذرٌ مبسوط في ما كتب نظرًا لمراقبة المطبوعات في زمانهِ التي جعلت التاريخ على قول احد كبار المنتقدين « مكيدة على الحق » ل. ش

I Catalogue des Manuscrits arméniens et géorgiens de la Bibl. Nationale de Paris par F. Macler. in-8, pp. XXX-204, *Paris, E. Leroux*, 1908.

II Formules magiques de l'Orient Chrétien, par le même, in-8, pp. 25, *ibid.*

قائمة مخطوطات باريس الارمنيَّة والكرجيَّة – كتاب الرُّقى

اتحفنا السيو ماكلر المستشرق الفرنسويّ بهذين الكتابين فالاوَّل منهما يحتوي وصف المخطوطات الارمنيَّة والكرجيَّة المدونة في خزانة كتب باريس العموميَّة وهي عبارة عن ٣٤٩ كتابًا منها بالارمنيَّة ٣٢٣ و ٢٦ بالكرجيَّة. وقد افتتح كتابه بتاريخ اقتناء تلك المخطوطات التي كان عددها في القرن السادس عشر لا يزيد عن ١٣٨ كتابًا ابتاعها في الشرق الكاهن الفرنسوي فرنسيس سيڤان (Fr. Sevin) على عهد هنريكوس الرابع ووصفها الخوري دي ڤيلفروا (de Villefroy) في قائمة نشرها سنة ١٧٣٥. ثم أُعيد طبع تلك القائمة سنة ١٨٦٧ بهمَّة الراهب المكيتاري باروتيان وكان في وقتهِ عدد المخطوطات ٢٤٧. ثم زادت عشرين كتابًا فوصفها الخوري مرتين (J. P. Martin) سنة ١٨٧٨. والقائمة الجديدة اضبط وادقّ من القوائم السابقة اذ تعرّف كل كتاب بقطعه واقيسته وتاريخه وموضوعه مباشرةً بالاسفار المقدسة فالتفاسير فالطقسيَّات فيامر الآباء والمواعظ فالمصنَّفات اللاهوتيَّة فالجدليَّات فالحقّ القانوني فتراجم القدّيسين فالتاريخ ثم الفلسفة والطبّ وعلم الهيئة وفي آخرها اللغويَّات والآداب النثريَّة والشعريَّة. ولا يخفى ما في هذه القوائم الكتبيَّة من الفوائد الجليلة لاسيما ان مكتبة باريس تُعَدّ من اغنى المكاتب بالمخطوطات الارمنيَّة لا يسبقها في العدد الَّا

لربع مكاتب فقط في كل العمور

امّا الكتاب الثاني فهو كرّاس صغير وصف فيه المسيو ماكلر مخطوطاً سريانياً يدعى كتاب الرقاية (ܟܬܒܐ ܕܪܘܩܝܐ) وُجد في جهات اورميا وهو يتضمّن رُقىً وعُوَذاً يلتجئ اليها بعض العامّة في تلك الجهات فيخلطون صلوات حسنة او آيات من الانجيل بالفاظ سحريّة لينجوا على زعمهم من العين ومن الامراض او بعض الآفات كالفار والنمل. وغاية المؤلف من نشرها ان يعارضها بعادات وخرافات شائعة في بعض البلدان بين العرب والارمن والروم. على أننا وجدنا المسيو ماكلر قد بالغ في بعض مزاعمه فنسب الى الخرافة ما هو خالٍ من كلّ اعتقاد باطل كالتجاء الناس الى بعض القدّيسين في ادوائهم وحاجاتهم فانّ ذلك جائز صالح ما لم يُدخل فيه الجهّال نوافل تأنف منها العبادة الصحيحة الاب فرنسيس تورنيز

مرور في ارض الهناء ونبأ من عالم البقاء

لمؤلفه شكري الخوري اللبناني

طُبع في سان باولو «برازيل» سنة ١٩٠٥ (ص ١٢٦)

الاديب شكري افندي الخوري احد الكتبة الذين احيوا اللهجة العاميّة ولهُ في ذلك المصنّفات المبتكرة التي سبق لنا تقريظها في المشرق (٥: ٦٢١ و٨: ١٨٩) وهذه شعبة من تلك الدوحة يجد فيها القارئ ما أنسهُ في المؤلفات الاولى من طيب نفس المؤلف ومعرفتهِ لاحوال مواطنيهِ ووصفهِ لعادات اللبنانيين ومزجه الجدّ بالفكاهة امّا موضوع الكتاب الجديد فسفرٌ وهميّ يتجشّمهُ المسمّى بابي الاجران الى عالم البقاء حيث يلقى فنيانوس بطل التحفة العاميّة ويحضر هناك ديونة كثير من اهل المشرق ولاسيما من لبنان فيطالبهم الدّيان عن سيئاتهم ويجازيهم عن آثامهم. وهو تصوُّر بديع سبق اليهِ دانتي وغيرهُ من الكتبة لانتقاد اعمال الامراء والمأمورين. لولا انّ الكاتب ادخل فيهِ اشياء لا يقبلها العقل فذهبت ببعض محاسنهِ كالنزاع بين الملاكين المرافقين لابي الاجران الى ارض الهناء ومنها الفاظ مضحكة أتى بها في غير اوقاتها على لسان الدّيان. ومنها ختام الرواية الذي جاء مبتوراً فلا يعلم القارئ ماذا حلّ بابي الاجران فكان يجب ان يعود بهِ الى عالم الكون بعد تغيّبهِ عنهُ او يجعل الرواية حلماً استفاق منهُ او غير ذلك. فنشير الى المؤلف ان يعيد النظر في هذا التأليف فيحسّنهُ وينفي عنهُ تلك

الفضوليات ولاسيما الاعلانات التجاريّة التي لا تليق بهِ في آخرهِ ل.ش

جغرافية لبنان

بقلم لحد صعب خاطر

طُبع في المطبعة الحميدية سنة ١٩٠٩ (ص ٨٨)

نعم الفكر عرض لخاطر المؤلف ان يُنشئ كتابًا مختصرًا يجعلهُ في ايدي احداث المدارس اللبنانيَّة ليتلقنوا منذ نعومة اظفارهم مبادئ جغرافيَّة وطنهم. وقد وضعهُ على طريقة السؤال والجواب وهي ارفق للتعليم وارشد الى الصواب. والكتاب مقسوم الى اربعة اقسام بحث في الاوَّل عن الجغرافيَّة الابتدائيَّة فضمَّنهُ بعض المعلومات العموميَّة في اسم لبنان وموقعهِ ومساحتهِ واهلهِ ولغتهِ. وخصَّ الثاني بالجغرافيَّة الطبيعيَّة كهيئة لبنان ومناخه وتقاسيم ارضهِ وجبالهِ وسهولهِ وبحيراتهِ وسواحلهِ. وافاض في الثالث في جغرافيَّتهِ السياسيَّة وتعريف متصرفيَّتهِ واقضيَّته ونواحيهِ وما يتوط بها من الافادات. امَّا القسم الاخير فهو مختص بالجغرافيَّة الاقتصاديَّة فيصف محصولات لبنان وصادراتهِ ونباتهُ ومعادنهُ وصنائعهُ وحرفهُ. فمن هذا النظر الاجمالي ترى فوائد الكتاب لارباب المدارس. وغاية ما نرغب ان يسعى صاحبهُ بتحسينهِ واصلاح اغلاطهِ فانَّ فيهِ امورًا كثيرة تحتاج الى ضبط ودقَّة نظر ورجوع الى مصادر يوثق بها فمن ذلك عدد سكان القرى فلا نعلم الى اي سند استند في احصائهِ فانَّ عددهُ لا يوافق ما اثبتهُ جناب ابراهيم بك الاسود في دليل لبنان. وكذلك شروحهُ لأعلام الجبل كان الاولى بهِ ان يضرب عنها صفحًا وهو مبحث عريض لا يحتاج اليهِ الاحداث. وغير ذلك مما يطول بنا تعدادهُ يستدعي الاصلاح. ثمَّ انَّ الجغرافيَّات المدارسيَّة تضيف الى اقسامها نظرًا تاريخيًا في ما تتألَّف وصفهُ وهذا الكتاب خالٍ من ذلك القسم ولعل المؤلف احسَّ بما في هذا الامر من العقبات فأحسن بالاضراب عنهُ ل.ش

شذرات

موت الكافر ڤولتار — اختلف المؤرخون في ميتة ڤولتار الملحد الشهير فمن قائل انَّ موتهُ كان بسكينة وهدوء كما هو شأن الفلاسفة الحكماء (كذا) بل بفرح وبهجة كما سبق وتنبَّأ عن نفسهِ ومن زاعم انَّهُ مات اسوأ ميتةٍ متوقعًا لحكم

الدَّيان الرهيب بعد حياةٍ مملوءة اثمًا وشرًّا تساوره غارات اليأس وترهقهُ مناخس الضمير. فأحبَّ المسيو لاشفر (F. Lachèvre) ان يقف على الخبر الصحيح فلم يزل ينقب في زوايا المكاتب حتى وقف على مخطوط واسع كُتب في سنة وفاة ڤولتار ١٧٧٨. وكان هذا الزنديق توفيَّ في ٣٠ أيار منها. اما تاريخ المخطوط فيمتدُّ من حزيران الى غرَّة كانون الاوَّل من تلك السنة. عُني بنقلهِ عن اوثق المصادر وشهود العيان رجلٌ منزَّه عن كلّ غرضٍ فاجتمع بكلّ الذين حضروا وفاة زعيم الملحدين الخصم الجرّاح تري (Try) والطبيب بريزار (Brizard) والكاهنان غوتيار (Gaultier) ودي ترساك (de Tersac) والممرّضتان روجار (Roger) وبردي (Bardy) وكان هؤلاء كلهم يخدمون ڤولتار او يتردَّدون اليه في مدَّة مرضهِ الاخير ودوَّن تقاريرهم كما سمعها. فنشرها بالطبع لاوَّل مرَّة المسيو لاشفر وجاء المطبوع كتابًا كبيرًا لا يقلّ عن ٢٠٨ صفحات وفي صدرهِ مقدِّمة طويلة لتعريف المخطوط وبيان خطرهِ وتعريف الذين كتبوهُ. وقد ذيَّل الناشر كتابهُ بحواشٍ متعدِّدة اخذ معظمها عن المعاصرين (١ وهذه خلاصة الكتاب: وصل ڤولتار الى باريس في ١٠ شباط سنة ١٧٧٨ على بغتةٍ فقام اصحابهُ وقعدوا واعدُّوا لهُ الحفلات والولائم اذ انقطع لهُ فجأةً شريان من عروق صدرهِ فاصبح على قاب قوسين من آخرتهِ فللحال اسرع الكاهنان المارّ ذكرهما فعرضا على ڤولتار ان يقبل الاسرار الدينيَّة فاجاب الى سؤلهما خوفًا من أن يُدفن بعد موتهِ دفن البهائم في تربة غير مقدَّسة. فدخل عليهِ الكاهن غوتيار فاقنعهُ بان يعترف بذنوبهِ لكنَّهُ اشترط عليهِ بعض الشروط اللازمة التي لم يرضَ بها فوقف الاعتراف الى وقتٍ آخر. ثم تحسنت صحَّة المريض نوعًا فظنَّ انَّ ساعة موتهِ لم تحن بعد وعاد الى شغلهِ ونفى عنهُ فكر الابديَّة لكنَّ المريض بعد قليل انتكس فاضطرب لذلك ولزمهُ الأرق في ليلهِ فكان يتململ في فراشهِ كانهُ على جمر النار. فارسل اليهِ الفريق دي ريشليو زجاجة فيها شراب الافيون فجرعها في نوبةٍ واحدة بدلًا من تقسيمها في دفعات شتى فكان ذلك داعيًا لتفاقم الداء في اواسط أيار. ومنذ ذلك اليوم الى يوم وفاتهِ ذاق ڤولتار الموت الوانًا فكان ينن ويزفر ويسبُّ

١ وهذا اسم الكتاب: Voltaire mourant, enquête faite en 1778 sur les circonstances de sa dernière maladie, publiée sur le manuscrit inédit et annotée par Frédéric Lachèvre. In-4, XXXIII-208 pp, *Paris, H. Champion*, 1908.

ويشتم وربما ضرب الذين يهتمون به او رماهم في راسهم بما وقع تحت يده فجرحهم وآذاهم وكان مع صفاء عقله يفعل افعال المجانين فيتهدد الواحد ويلكم الآخر وهو يصرخ وجعه: « قد حرقتني النار » وكانت اسافل شلوه واحشاؤه في غليان حتى انَّ احد اطبائه قال: « ما كنَّا نستطيع ان نمسّ بطنهُ دون ان نشعر بلهيب محرق يضطرُّنا الى رفع يدنا. ولو قرَّبوا من مراق بطنه ثقابًا من الكبريت لاشتعل لا محالة ». وكان ثولتار قد سخر بنبوَّة حزقيال واستهزأ بما فعلهُ هذا النبيّ لمَّا امتثل امرهُ تعالى فأكل خبز ملّة في سماد اشارةً الى ما كان ينتظر اورشليم من البلاء والشدائد. ففي مرضه كثيرًا ما كان ثولتار يمدّ يدهُ الى قارورة بولهِ فيغمس فيها كفَّهُ ثمَّ يمسح وجههُ وكان يتمرَّغ في فراشهِ في اوساخهِ فيلحس بلسانهِ عذرتهُ او يلطخ ببرازهِ يديهِ فيجعلهما في فيهِ. فرأتهُ ابنة طبّاخهِ مادام دِني يفعل هذا غير مرَّة فصرخت « ويلاه أما هذا هو السيّد ثولتار انظف الناس الذي كان يبدل ثيابهُ ثلاث مرَّات في النهار اتقًا من كل وسخ يا لهُ من انقلاب يا لهُ من عار ». ولمَّا عاد اليهِ الكاهن غوتيار ليستميل قلبهُ ويذكّرهُ برحمة ربّهِ دفعهُ بسخريَّة ونظر اليهِ نظرة ارتعدت لها فرائصهُ فرجع الى دارهِ خائبًا. وقبل موتهِ بساعة تقرَّب منهُ الطبيب ليعرف حالهُ فكشف عن وجههِ وهو يظنُّهُ قد مات ففتح عينيهِ محملقًا كانهُ الشيطان المريد وصرخ « دعوني اموت » فكل من رآهُ حينئذٍ انقطع قلبهُ هلعًا وخرجت مادام دِني فقالت لمن اتيتهُ انَّ « ثولتار مات كالكلب ». وقال غيره من الحضور: « بل مات موت الهالكين ». فكذا صحَّ بهِ قول الرب: « تطلبونني فلا تجدونني وتموتون في خطيئتكم وانا اسخر بعطبكم لانَّ الله لا يُستهزأ به »

أسئلة واجوبة

﴿ سؤال في التثليث ﴾ اوقفنا بعض مكاتبينا على سؤال في التثليث عرضهُ على المسيحيين المسمَّى « س ن. ان » في المنار الاسلاميَّة (٢٢٥٦) وهذا نصهُ بالحرف:

سؤال للمسيحيّين ارجو إجابتهم عليهِ مع اليقين
هل التثليث في المولى قديمٌ أم الاقنومُ أحدثَ بعد حين
وليس على الحدوث يقرّ قومٌ وعن قدم القديم تجاوبوني
أموسى كان يجهل ام يمين اتى ام غيّروا اركان دين
وليس بجهله احدٌ مقرًّا ولا بالمين يُرمى والمجون

فنولوا قومهُ نفسوا وزادوا بذلك صحَّ قرآن الامينِ
واما كون موسى قد دعام على قدر العقول فاعموني
وانَّ الحقَّ يغلب كلَّ ظنٍّ دعوا تثليثكم او جاوبوني

ثم شرح المقترح للسؤال سؤالهُ بكلام طويل اختصرهُ في آخرهِ بقولهِ: «والنتيجة انَّ التثليث ليس بحادث ولا قديم وكلّ ما كان كذلك فهو باطل فالتثليث باطل لأنهُ لو كان حادثاً للزم التغيُّر في ذات الله وهو باطل فالتثليث ليس بحادث ولو كان قديماً لقال بهِ موسى عليهِ السلام والانبياء ولكنَّهم لم يقولوا فهو ليس بقديم ولا يعقل انَّ موسى عليهِ السلام كان جاهلاً او كاذباً او موربًا في اصل الدعوة. والمعقول انهُ لم يكن تثليث فثبت ما تقدَّم من نفيهِ»

جواب المشرق

نجيب على المعترض اننا نعتقد انَّ التثليث قديم كالتوحيد اذ ليس في الله شيء حديث. امَّا علم موسى النبيّ وبقيَّة الانبياء بسرّ التثليث او جهلهم لهُ فلا يمسُّ مطلقاً هذا السرّ ولا يفيدنا شيئاً لاثبات صحَّتهِ او بيان كذبهِ. فان الله يوحي الى انبيائهِ ما يشاء وكيف يشاء. فامكنهُ ان يكتم عنهم سرّ التثليث دون ان يغضّ من قدرهم بشيء. كما انَّهُ تعالى امكنهُ ان يوحي بهِ اليهم لمعرفتهم الخاصَّة دون ان يوعز اليهم بتبليغهِ الى بني اسرائيل اذ لم يكن الاسرائيليُّون وقتئذٍ يطيقون وحياً كهذا كما قال السيّد المسيح لتلاميذهِ قبل حلول الروح القدس عليهم (يو ١٦: ١٢): «انَّ عندي كثيرًا اقولهُ لكم ولكنَّكم لا تطيقون حملهُ». على ان الله وان لم يكن اوحى جهارًا قبل المسيح بسرّ التثليث قد بذر بذورهُ في اسفار العهد القديم ريثما يأتي الوقت المعيَّن لنموّها وازدهارها. فانَّ في الاسفار المقدَّسة عدَّة دلائل واشارات وتلميحات الى ذلك السرّ كقول موسى في اوَّل سفر التكوين: «في البدء خلق (بالمفرد) الله (وبالعبرانيَّة الوهيم على لفظ الجمع) السماء والارض» وكذكرهِ هناك «روح الله» مرفًا فوق المياه. وكذلك اشارة في رؤيا الرب الى ابراهيم حيث ظهر لهُ على صورة ثلثة رجال (تك ١٨: ١-١٨) فخاطبهم بلفظ المفرد واعتبر الثلثة كربٍّ واحد وسجد لهم سجودهُ للربّ الصمد الفرد. وفي التوراة ولاسيما سفر المزامير والحكمة والنبوَّات آيات عديدة تثبت لاهوت المسيح وقد استشهد بها الرب انجيله والحوارِيُّون من بعدهِ في رسائلهم لهذه الغاية. وبهذا ترى انَّ اعتراض المعترض واهن واهٍ لا اصل لهُ ل. ش

المشرق

ميمران

للقديس يوحنا فم الذهب

عني بنشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقية التي سبق لنا وصفها مجموعان قديمان وسمنا الاوّل بالعدد ٦٠ والثاني بالعدد ٦١ وكلاهما يحتوي ميامر قديمة للآباء المعظّمين في الاعياد السنويّة لاسيّما الاعياد السيديّة واسرار حياة المخلّص ووالدته الطاهرة. وفي كلا المخطوطين ميامر جليلة قد فُقد البعض منها في اصلها اليونانيّ فلا بُدَّ ان نحيي شيئاً من هذه الآثار فننشرها عند سنوح الفرصة. وممّا راقنا اختيارهُ منها هذه المرّة ميمران لإمام الخطباء والجليل في القديسين وطنيّنا وفخر بلادنا يوحنّا فم الذهب في خميس جمعة الآلام وفي عيد الفصح الواقعين في هذا الشهر. وقد زادنا شوقاً في نشرهما أنّنا لم نجدهما في آثار ذلك الحبر اليونانيّة التي نشرها العلّامة مين في مجموع اعمال الآباء اليونان. وليس مقصدنا ان نقطع بصحّة نسبتهما الى القديس يوحنّا فم الذهب وانّما نعرضهما على العلماء ليبدوا في ذلك رأيهم وكلاهما من الآثار الجديرة بالاعتبار لاسيّما انّ احد المخطوطين اللذين نقلنا عنهما قديم لا يقلّ تاريخهُ عن اربعة اجيال ولعلّهُ اقدم من ذلك بكثير. وقد روينا الميمرين كما هما دون ان نصلح تعريبهما الّا ما وقع فيهما من الاغلاط النحوية الظاهرة. ولعلّ هذا التعريب من قلم عبد الله بن الفضل الانطاكي (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٩: ٦٨٤ و١٠٢٦). ويسرّنا نشر هذين الاثرين بعيد السنة المخصّصة بتذكار المئة الخامسة عشرة من وفاة الذهبي الفم

(ص ٢٦٦) الميمر الاوّل

ليوم الخميس الكبير

لابينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم رئيس اساقفة مدينة القسطنطينيّة على العشاء السرّي والمائدة الفصحيّة وغسل ارجل التلاميذ وما فيهِ من التدابير الالهيّة وغير ذلك

اسمعوا يا احبائي واخوتي واحبّاء المسيح وانظروا ايّ فرح كان لنا وايّة مسرّة

صارت لنا وأية غبطة فزنا بها في مثل هذا اليوم وتلذذوا بما تسمعونهُ وتمتعوا بما تنظرونهُ

انَّ إله الخليقة يريد ان يقدم لنا مائدةً سماويَّة على الارض لمها. يريد اليوم سيّدنا ان يقوم قائماً فيخدمنا ويشدّ حقويهِ ويكرمنا كرامة السرور والفرح الذي لا يقدر فمٌ بشري ان يمدح نعتهُ او يُخبر بعظمتهِ. اليوم يُذبَح العجل المسمَّن. اليوم يُذبح حَمَل الله الحامل خطايا العالم. اليوم يفرح الاب السماوي بخلاص أمتهِ. اليوم يكون الابن ذبيحةً لنا بمشيئتهِ. اليوم يُتمّ الروح القدس الذبيحة (ص ٢٦٧). اليوم يتوجّع ربّنا بمسرّتهِ. اليوم قرّب مخلّصنا ذبيحةً نقيّة عنّا لابيهِ. ولقد تقدّم سليمان الحكيم فقال على هذا اليوم (امثال ٩: ١—٦): ان الحكمة بنت لها بيتاً وشيّدتهُ بسبعة من الاعمدة وذبحت ذبائحها ومزجت في الكأس خمرها واعدّت مائدتها. بعثت عبيدها ينادون باصوات عالية قائلين: من كان جاهلاً فليَمِل مصغياً اليَّ ومن كان عادماً للعقل فليدخل اليَّ. قالت: هلمّوا كلوا خبزي واشربوا خمري الذي مزجتهُ لكم. اتركوا الجهالة لتعيشوا اطلبوا الفهم لتبقوا. اثبتوا بالمعرفة والفهم لتلبثوا. فهذا القول كلّهُ وما شاكلهُ يتمّ اليوم. وهذه النبوّة تشير الى انَّ الذي بنى لنا هذا البيت بغير يدين هو حكمة الله وكلمتهُ الذي اعطانا جسدهُ بشكل الخبز والخمر. فيا عجباه لهذا التدبير العميق. ويا عجباه لهذا الاتضاع الموفي على الرفعة. ويا عجباه لهذه الرحمة الواسعة. انَّ الخالق صار طعاماً لخليقتهِ. البارئ صار طعاماً لجبلتهِ. طعام سرور ونعيم وبشاشة للحيوة الابديَّة. قال: تعالوا كلوا خبزي واشربوا كأسي الذي مزجتهُ لكم. انا هيّأت نفسي للمأكل والمشرب بسواي. انا صرت لكم طعاماً للحيوة الابديَّة وشراباً لمغفرة الذنوب. انا كلمة الرب الازليَّة وحكمتهُ. ذوقوا وانظروا وتعلّموا اني انا الرب الطيّب الصالح (مز ٣٣: ٩). مدَّ آدم يدهُ وأكل قبل الوقت ومات بالمعصية فمدّوا انتم الآن في هذا الوقت ايديكم وكلوا ثمرة الحياة بالطاعة لتحيوا الى الابد. اطلبوا الحكمة التامّة لتحيوا. من كان جاهلاً فليَمِل اليَّ وليأكل ويشرب. ذوقوا وانظروا اني انا الرب الطيب انا الكائن منذ الازل واكون من بعد ولا اله سواي. انا الاله من الاله انا في الاب والاب فيَّ (ص ٢٦٨) انا والآب واحد نحن (يو ١٠: ٣٠) ومن رآني فقد رأى الاب (١٤: ٩) انا هو الحيوة والقيامة. (١١: ٢٥) انا هو خبز الحيوة الذي نزل من السماء واعطى الحيوة للعالم (٦: ٥١). ومن تقبلني كما يقبل معجنة الخمير الخميرة فلن تفوتهُ الحياة

ابداً. انا كرمة الحقّ فاشربوا من كرمي المفرح الذي مزجتهُ لكم لأنّ كأسي يروي كما انهُ يقوّي ويسكر بالفرح (مز ٢٢: ٥). ها انا ذا قد اعددتُ لكم مائدةً مقابل الذين يُحزنونكم. كلوا الذي يحلّي مرارة الطعام الاوّل. هذا دواء لطبيعتكم التي كانت قد بليَت. انا صرت من اجلكم مثلكم من غير ان انتقل عن مجدي الاوّل الازلي لكيما تكونوا شركاء للاهوتي. تبدّلوا بالتبديل الشريف وارتفعوا من العالم الى الاله ومن الجسد الى الروح. انا صرت كرمة الحقّ في جنسكم لتقربوني فتنالوا ثمرةً طيّبة بعرف طيّب فارضعوا من ثديَّ اللذيذين انا الذي اعطيت طعاماً لسائر البشر. امّا هذا القوت فليس هو لكل بشر ولكن هو حياة الذين يخشوني كما قال داود: الرب الرؤوف الرحيم اعطى طعاماً للذين يخافونهُ (مز ١١٠: ٥). ويا عجباه انّ الذي هو جالس على الشاروبيم يتّكئ هاهنا على العشاء.

وفيما التلاميذ يأكلون ويشربون اخذ الرب خبزاً وكسر واعطى تلاميذهُ وقال لهم: خذوا فكلوا هذا هو جسدي. ثمّ اخذ من بعد ذلك كأساً وشكر وناولهم وقال لهم: اشربوا من هذا فهذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُسفك عن الكثيرين لمغفرة الخطايا. (متى ٢٦: ٢٦—٢٨) يا عجباه لهذا السرّ الشريف الذي اخبرنا به الكتاب وتُتمّم بالروح في صهيون لانهُ قد قال النبي: من صهيون يخرج الناموس والنعمة (اشعيا ٢: ٣) فقد رأينا العشاء الشريف وعاينّا السرّ العظيم ونلنا السرور والفرح الدائم اذ حلّ بنا العجب العجاب بعد ان قدّم عليهِ مثالاً باهراً من التواضع الغريب

وذلك انهُ من بعد ان قام من العشاء ترك ثيابهُ واخذ ازاراً واتّزر بهِ وصبّ ماء في مطهرة وبدأ يغسل ارجل تلاميذهِ ويمسحها بالازار (ص ٢٦٦) الذي كان متّزراً بهِ. يا عجباه ها هوذا الذي صيّر الماء في السحاب وختم العمق باسمهِ المهيب يتّزر بازار. يا عجباه انّ الذي جمع ماء البحر مثل الزقّ وختم عليهِ بالرمل ها هو يصبّ الماء في مطهرة. يا عجباه انّ الذي سقّف على المياه علاليهُ قد اتّخذ الماء لنضح الاقدام. يا عجباه. انّ الذي ينحني لهُ كل من في السماوات وما في الارض وما في اسفل ها هوذا ينحني على ركبتيهِ ليغسل ارجل تلامذتهِ. نظرت الملائكة هذا العجب فحارت. ابصرت السماء هذا الامر فبُهتت. التفتت الجماعة فارتعدت. ثمّ اقبل عند ذلك الى سمعان بطرس فقال لهُ بطرس: يا رب انت تغسل رجليَّ (يو ١٣: ٦). الست تعلم باني سجدت على رجليك

قلت لك: « ابعد عني يا رب فانني رجل خاطئ. (لوقا ٥ : ٨) فمن انا حتى اتجاسر على مثل هذا او ليست طبيعتي ترتعش حين اقبل هذا منك . فلا تتذلل امام عبدك ايها السيّد . ارثِ لي يا رب لست اهلاً ان أُدعى لك عبداً فكيف تريد ان تغسل انت رجليَّ لا لا لن تغسل لي رجليَّ الى الابد . اني لقد اتحيَّر كيف ان الاله يخدم والعبد يتكئ كيف السيّد ينحني للعبد والنقيّ للوسخ . ارثِ لي يا ربّ » . فاجاب الربّ قائلاً لبطرس : لست تدري انت يا بطرس ماذا اصنع الان ولكنَّك ستعلم ذلك فيما بعد فاترك ان يتمّ لك هذا الامر وكن اهلاً لهذه الخدمة والّا فليس لك معي نصيب . فلمَّا سمع بطرس هذا الكلام من سيّده اعاد الجواب قائلاً للربّ هكذا : الويل لي يا رب فقد حرتُ من كل جهة وقد ضاقت بي الحال من كل ناحيـة (ص ٢٧٠) فاصنع ما تهواهُ يا سيّدي اعمل يا رب ما قمت لاجلـهِ ولأحظى بالنصيب معك لا تغسل رجليَّ فقط بل يديَّ ورأسي . انا اطلب منك ذلك في هذه الساعة . انا ارغب الآن اليك ان تغسلني يا رب لكي لا أُقصى من نعمة لاهوتك ولا اخسر الان نصيبي مع الهي والغبطة الرفيعة الفاخرة

ولمَّا غسل السيّد ارجل تلاميذهِ على مثل هذا اتّكأ الربّ وقال لهم : علمتم ما صنعتُهُ بكم ولكم . انتم تدعونني الربّ والمعلم ونعم ما قد تقولون . فاذا انا الربّ والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم اذاً محقُّون ان يغسل بعضكم لبعض كما انا صنعت بكم فتشبَّهوا بي انا ربّكم لكيما تكونوا شركاء لي في الطريق الشريفة الرضية . انا قديماً انحنيت واخذت تراباً من الارض وصنعت الانسان وخلقتُ روحهُ فيه وجعلتهُ ناطقاً وها هذا الآن قد انحنيتُ حتى نقّيتُ رعيَّتي وخليقتي من وسخها القديم . انا الذي وضعتُ العداوة بين الذي طغى والذي طُغي ليرصد احدهما العقب والآخر يرصد الراس وانا الآن جعلت للرجل سلاحاً لتطأ التنين بالعقب وها هذا قد صيَّرتكم تطأون رؤوس التنانين والعقارب وتقوون على كل قوّات العدوّ فلن يرزئكم شيئاً وان شربتم سمّ الموت فلن يضرَّكم انا الاله الذي أُعطي للمتواضعين النعمة وأُقصي المتعظّمين فكل من يرفع نفسهُ يُضع ومن يَضَع نفسهُ يرتفع (لوقا ١٨ : ١٤) فلاجل ذلك اوصيكم ان يحبّ بعضكم بعضاً فبهذا يعلم الكل انكم تلاميذي ان احببتم بعضكم لبعض وهذه هي وصيَّتي لكم (يو ١٥ : ١٢) فالزموا في كل حين السلامة والحبّ ليكون لكم بي

السلام ومن يكرمني يكرم ابي ومن يحفظ قولي فسانا وابي نصنع عنده مسكناً الى الدهر (يو ١٤: ٢٣) فليكن لنا ذلك برحمة الهنا وتعطفه الذي له المجد الى الابد آمين

(٣٢٥) الميمر الثاني

في الفصح المجيد

لابينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم رئيس اساقفة مدينة القسطنطينية

افرحوا يا اخوتي واحبائي دائماً واقول ايضاً افرحوا لأنَّ الربَّ قريب (٤: ٤) فلا تهتموا بشيء الربَّ قام من بين الاموات ومعهُ جمع القديسين الكثيرين فلنعيّدنَّ اذاً عيداً لذيذاً ورغداً لان هذا اليوم هو حقاً الذي صنعهُ الرب فلنتجذلنَّ ونُسَرَّنَّ فيه (مز ١٧: ٢٤) ولنشيدنَّ بقيامة مخلّصنا ولنذبحنَّ بكسرة المخال وبسبي الجنّ الرجسين وبخلاص المسيحيين وبنشور المائتين لأنَّ بقيامة المسيح تنطفيء نار جهنَّم ويموت الدود الذي لا يرقد فيغلق الجحيم وينوح ابليس وتموت الخطئة وتخزى ارواح الخبث والذين في الارض يرقون الى السماء والذين في الجحيم يُعتقون من قيود المخال ويهربون الى الله قائلين: اين شوكتك يا موت واين غلبتك يا جحيم (قور ١٣: ٣٥). لكنَّ سبب عيدنا المقدَّس ومحفلنا هو المسيح الذي هو لنا علّة كل الامور فانهُ كما برأنا منذ البدء وجبلنا من حيث لم نكن واخرجنا الى الوجود هكذا صنع معنا الآن لأننا كنّا هالكين فخلّصنا ومائتين فاحيانا وانقذنا من جور المخال. وقد كنّا عبيداً للخطيئة فاوضحنا احراراً ومحا الصكَّ الذي اكتتبناهُ بايدينا علينا (كو ٢: ١٤) لأنَّ المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس صائراً من اجلنا لعنةً (غلاطية ٣: ١٣) فتلك امور تضطرنا الى ان نصرخ: بماذا نكافئ الربَّ عن كل الاشياء التي كافأنا بها (مز ١١٥: ١٢) لانهُ الاله وحيد الجنس فرضي ان يكون من اجلنا انساناً وصار متواضعاً حتى الموت كي يفدينا من الموت الابدي. ها انَّ سيّد الملائكة لبس صورة عبد. وكلمة الله اتخذ جسداً. ومساوي الاب وعديل جوهره صار انساناً. وهذه الامور قد باشرها لكي (ص ٣٢٦) يخلصنا من العبوديَّة الظالمة ويفتدينا من الهوان. فمن اجل هذا رضي رازق حياتنا بان يتألم جسدهُ المقدَّس. من اجل هذا دُفن ينبوع البقاء لكي يهب للمائتين حياةً ازليَّة

ويحسن ايضاً الى اهل الارض ويشفي آلام الناس فاستوفى المكافأة من اليهود المعاندين لله بما لم يكن له اهلاً لانَّ ربَّنا يسوع المسيح من اجل كثرة خيريَّته كان يطهِّر البرص ويهب النظر للعميان ويشفي العرج ويطرد الجنَّ وقد استنهض العازر من القبر بعد اربعة ايام واشبع من خمس خبزات خمسة الاف ومشى على البحر واحال الماء خمراً وشفى النزيف دمها واحيا ابنة رئيس المجمع بعد وفاتها وصنع اسراراً اخرى كثيرة اهلاً للتعجب. واما اليهود فاعماهم الحسد والغيرة فتارةً راموا ان يرجموهُ ومرَّةً ان يكردسوه واخيراً رفعوهُ على الصليب. لكنَّ ربَّنا لم يتشبَّه بشرِّ اليهود المجدِّفين بل بحسب قول النبي. (اشعيا ٥٠: ٦ و ٥٣: ٧): «بذل ظهرهُ للسياط وخدَّهُ للطعنات ولم يردَّ وجههُ من خزي البصاق واخيراً سيق مثل الخروف الى الذبح ومثل حمل بين يدي من يجزهُ من غير نُطق. غير مقاوم ولا مجاوب. افتُري عليه ولم يرتدَّ للافتراء. صبر على السوء ولم يتهدَّد بل دفع نفسهُ الى الحكم» لانهُ لم يأتِ في وروده الاوَّل ليعاقب ويعذِّب الكافر. بل آثر ان يرشد الضالين بطول الاناة والصبر الى الحيوة

ومن خيريَّة الربِّ وصلاحهِ العظيم كان اليهود يجدِّفون عليهِ قائلين (يو ٨: ٤٨): بك شيطان. فاما هو فاطرل اناةٍ كان يطرد الجنَّ من الناس. كان اليهود يصدقون عليهِ وهو كان يشفي عمياهم. هم كانوا يرجمونهُ وهو كان يهب للعرج منهم المشي. ونهاية كل الامور انهُ كان محسناً الى المفترين عليهِ مانحاً لاولئك القليل شكرهم والناس الطائشين عوضاً من الشرور خيرات محتملاً الفريَّات بالصبر على الضرّ. ولئلَّا أسهب المقال قد سيق مالك المجد في آخر الامور الى الصليب والموت وسُمِّر المسيح على خشبة (٣٢٧) العار وقد حلَّت هذه الاشياء بين تسبحة الشاروبيم والسارفيم مع كل القوَّات الملائكيَّة وهو حليم وديع. نحنا انموذجاً فصار معلماً للحلم والدعة فمن اجل هذا يجب علينا ان نحتمل بشجاعة وعيد الناس الجبناء.

ولمَّا عُلِّق سيِّدنا على الصليب اوضح اعمالاً وعجائب اكثر من تلك واعظم ليهدي المقوتين من الله ولا يدع لهم علَّة في الكفر فيقولون انهُ انسان فقط. وقد احتمل اولاً الصليب ورُفع في الهواء لتهرب الجنُّ من الهواء. وعُلِّق على الخشبة لينفي الخطيئة الصائرة للناس بالخشبة. وطُعن بالحربة لاجل المرأة التي أُخذت من جنب آدم فخدعت الحيَّةُ حوَّاء وحوَّاء اوقعت آدم في الخطيئة فخرج الحكم على كليهما وتألَّم الموت منذ

آدم على ذريته فمن اجل هذا طُعن جنب المسيح لنعلم انَّ المسيح لم يصر خلاصاً للرجال فقط بل للنساء ايضاً لانَّ آدم خلق اوَّلاً ثمَّ حوَّاء. وأمَّا آدم فلم يُخدع بل خُدعت المرأة ولكنَّها نالت الخلاص بنسلها اذ ولدت من ذريتها مريم وهذه الطاهرة ولدت المسيح المخلص وهي عذراء كما شهد اشعيا النبي (٧ : ١٤). بل ظلَّلها الروح القدس كما بشرها رئيس الملائكة جبرائيل (لو ١ : ٣٥). فمن اجل هذه القضيَّة طُعن جنب المسيح ليدبّر الامور التي تقدَّم ذكرها وليشاد ايضاً بذكر المعموديَّة وتشرق النعمة الجديدة اذ أُنبع المسيح من جنبهِ دماً وماء ليمحو بالماء صكَّ الخطيئة وبدمهِ تتطهر ونحظى بالفردوس. فيا لهُ من سرّ ما اعظمهُ وكذلك لمَّا تاب اللصّ وكانت الحاجة تضطرّ الى ان يصطبغ (٣٢٨) فاحضر المسيح من جنبهِ دماً وماء ليعتقهُ من الآثام التي ارتكبها. وقد اوضح بانَّ دمهُ فداء للمتوكلين عليهِ لأنَّهُ «ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلةٍ يُذبح على المتنجسين فيطهرهم نحو طهارة الجسد فكم أحرى بدم المسيح مخلصنا ان يكون دمهُ طهراً لكافة المسيحيين» (عبر ٩ : ١٣)

وان يقل لنا احد المترفين: لِمَ صلب المسيح؟ فنجيبهُ نحن لكي يُصلَب الشيطان. وان يقل: لِمَ عُلق على خشبةٍ؟ فنجيبهُ لكي يخلصنا من الخطيئة الصائرة في الفردوس بالخشبة. وان يقل: لِمَ كلل بالشوك؟ فنجيبهُ لكي يستأصل شوك آدم وقرطبهُ. لانَّ الله لمَّا شجب آدم ارتعد وارتعش وفلح الارض النابتة لهُ شوكاً وقرطباً. فاعتقهُ الله من اللعنة. وكما انهُ ولد من امرأة عذراء ليمحو الخطيئة الصائرة للناس من امرأة كذلك كُلل بالشوك ليجعل الارض التي فُلحت بالمعصية فلاحة سيّئة ارضاً سهلةً مخصبةً بطاعتهِ. وان قال: لِمَ شرب مرًّا وخلًّا؟ قلنا لهُ لكي ينجينا من سمّ التنين المميت لانَّ تلك المرارة صارت لنا حلاوةً وشفاء. وان قال: لماذا سجد لهُ اليهود ساخرين (متى ٢٧ : ٢١). فاجيبهُ لكي يسجدوا لهُ كارهين يوم الدينونة ويعترفوا بلاهوتهِ مرغومين. وهم الان يسجدون لهُ مستهزئين لا يعرفون ما يصنعون فاماً في يوم القيامة العتيدة «فتنحني لهُ كل ركبة من السماويين والارضيين ومن الذين تحت الثرى ويعترف كل انسان بان يسوع المسيح ربٌّ بمجد الله الآب حقًّا» (في ٢ : ١٠). وقد جعلوا (٣٢٩) في يدهِ قصبةً لكي يكتب بها خطاياهم ويرعاهم بعصاً من حديد. لكنَّ محاربي المسيح صنعوا بهِ ذلك جاهلين بل عمُوا اختياراً اذ ان البريَّة نفسها لم تجهل سيّدها وخالقها

لانَّ الشمس الحسيَّة لمَّا عاينت المسيح شمس العدل مشتوماً من المنافقين ومهانًا بهِ لم تحتمل جرأتهم بل احتجبت واظلمت لأنها استشعرت بانهُ قبيح ان تنير عيني اولئك الائمة. وكذلك الارض اهتزَّت غير محتملة لنفاق اليهود موضحةً معلنةً بان المصلوب هو الاله وأنَّ خطيئة اعدائهِ اعظم من كل الخطايا السابقة من خطيئة قايين قاتل اخيهِ ومن خطيئة اولئك الجبابرة الذين شيَّدوا برج بابل تكبرًا. ومن خطيئة السادوميين وفحشائهم. ومن اهراق دم زخريَّا بين الهيكل والمذبح. فلاجل هذه الخطيَّة قد تشقَّقت الصخور الصلبة ليعرفوا الصخرة الروحيَّة الحيَّة المرموز بها عن الصخرة التابعة لآبائهم في البريَّة وكان المسيح هو الصخرة (١ كور ١٠: ٤)

فيا لجهل اليهود ويا لغباوتهم وقلَّة نصحهم فانَّ الصخور انشقَّت وهم كانوا بلا حس اهتزَّ الجساد وبقي هؤلاء جامدين في كفرهم انشقَّ ستر الهيكل لتتضح بذلك براءتهم وتمَّ قول المسيح (متَّى ٢٣: ٢٨): ها بيتكم يُترك لكم خرابًا. واجساد كثيرة من الراقدين والقديسين قاموا مع المسيح (٣٢٩) لكي نعلم انَّ المسيح لمَّا مات بجسمهِ وقام لم يقُم وحدهُ بل سيقيم معهُ من الاموات كل الذين آمنوا بهِ

هذا هو عيد الفصح وهذا هي اسرار المسيحيين. فاذ قد سمعتم ايها الاخوة اقوال مؤسسنا التي هي عن قيامة الموتى والحياة الابديَّة فسبيلنا نحن ان نقوم مع المسيح ونعيد لا بخمير رذيلة وخبث بل بفطير وتقىً وحقٍّ وانصاف (١ كور ٥: ٨) مؤمنين بآب وابنٍ وروح قدس ثالوث متساوي الجوهر موقنين بالقيامة متوقعين اتيان الرب ثانيةً ليس ذليلًا ايضًا بل بمجدٍ كثير وبهجة سماويَّة محفوفًا بملائكة منيرين بخوف وفرح فالفرح من اجل الصديقين والقديسين والخوف من اجل الخاطئين والظالمين. والله السلامة يؤهلنا اجمعين ان نوجد باعمال مرضية لاسمهِ القدوس في القيامة مع جماعة القديسين والصديقين الذين ارضوهُ باعمالهم الصالحة وايمانهم المستقيم الرأي الذي لهُ وبهِ يليق المجد والاكرام والتسبحة الآن وكل الاوان والى دهر الداهرين امين

ملحق

في اعمال القديس يوحنا فم الذهب المخطوطة المعرَّبة

المصونة في خزانة كتبنا الشرقيَّة

قد انتهز بعض الفضلاء فرصة الاعياد التي أُقيمت في العام الماضي لاكرام يوحنا فم الذهب فنشروا جداول مطوَّلة لما يُعرف من تآليفهِ المطبوعة والمخطوطة في لغات شتى وها نحن نذكر ما تحتويهِ من ذلك مكتبتنا الشرقية فانَّ في تعدادها افادة للمفتِّشين عن آثار ذلك الملفان الجليل ونضيف اليها ما اطَّلعنا عليهِ في خزائن الكتب الشرقيَّة في بلادنا وفي مكاتب اوربَّة ايضاً (١ ومعظم هذه المعرَّبات قد نقلها احد مشاهير الطائفة الملكيَّة في القرن الحادي عشر للميلاد عبد الله بن الفضل الانطاكي الذي ترجمنا حياتهُ مع حضرة الاب قسطنطين باشا في المشرق (٩ : ٨٨٦ و ٩٤٤)

١ (شرح سفر التكوين) يحتوي هذا المخطوط ٦٧ مقالةً ليوحنا فم الذهب عرَّبها عبد الله بن الفضل الانطاكي منهُ نسخ متعدِّدة نخصُّ منها بالذكر نسخة قديمة في مكتبة القبر المقدَّس للروم الارثدكس في القدس الشريف موصوفة في قائمة تلك المكتبة تحت العدد ٣٥ . تاريخها سنة ٦٧٣٥ للعالم (١٢٢٧ م) . ومنهُ نسخ اخرى في دير البلمند ودير المخلِّص وفي مكتبة باريس العموميَّة

٢ (شرح انجيل القديس متى) عرَّبهُ عبد الله بن الفضل الانطاكي منهُ في مكتبتنا الشرقية نسختان وصفناهما في قائمة مخطوطاتنا العربيَّة تحت العددين ١٦ و ١٧ . والشرح المذكور يحتوي ١٥ مقالة يلي كل مقالة عظة تتمَّة لها . ومن هذا الشرح نسخ متعدِّدة في رومية وباريس ولندن والقدس وحلب

٣ (شرح انجيل القديس يوحنا) هو ايضاً من تعريب الشماس عبد الله بن الفضل . يحتوي ٨٨ مقالة مع ٨٨ عظة على انجيل القديس يوحنا الحبيب . ونسختنا قد حصلنا عليها بعد وصف مخطوطات مكتبتنا وفي آخرها اسم ناسخها الخوري عبد الله قديد

١) راجع القسم الاول من مجموع المقالات المناوئة (Χρυσοστομικα) في الصفحة ١٧٢–١٨٧ جدولاً آخر سردهُ حضرة الاب قسطنطين باشا

سنة ١٨٥٢. ومن هذا الشرح ايضاً نسخ اخرى عديدة اخصها في الشرق نسختا دير مار يعقوب في القدس الشريف ودير البلمند. وقد طبع من هذه المقالات ٣٢ مقالة في مطبعة الشوير سنة ١٨٣٦ ثم طُبعت بتمامها في ثلاثة اقسام قسم في المطبعة العمومية في بيروت وقسمان في دمشق الشام سنة ١٨٦٣ بمساعي يوحنا الدوماني

٤ (شرح رسالة بولس الرسول الى العبرانيين) معرّبها عبد الله بن الفضل وهي في ٣٤ مقالة. منها نسخة في باريس تاريخها سنة ٦٧٣٦ للعالم (١٢٢٩ م) ونسختان في مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب وفي مدرسة ثلاثة الاقمار في بيروت

واعلم انّ في مكتبتي رومية وباريس نُسخاً تتضمّن تفاسير القديس يوحنا على معظم رسائل القديس بولس. ومنها نسخة في مكتبة القبر المقدّس (عدد ١٧٩)

٥ (كتاب الكهنوت) لم يُذكر معرّبهُ. ولا يبعد ان يكون عبد الله بن الفضل السابق ذكرهُ. وقد وجدنا منهُ ثلاث نسخ قديمة في حلب امّا حضرة الاب قسطنطين الباشا فقد وقف على نسخة تاريخها سنة ٧٠٦٦ للعالم موافقة لسنة ١٣٣٨ للمسيح فطبعها في بيروت سنة ١٩٠٤. ونسخة مكتبتنا قديمة لكنها غُفل من تاريخها قد سقط من اوّلها ورقة او ورقتان وكانت سابقاً في مكتبة المرحوم جبرائيل دلّال الحلبي

٦ (مقالة الحوادث الزائغة عن الشريعة) وجدناها في كتاب مخطوط من نحو ٣٠٠ سنة من تركة المرحوم جبرائيل دلّال الحلبي والكتاب دخل مؤخراً في مكتبتنا الشرقيّة. وفي اوّله ما نصّهُ « مقالة لابينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم طاعنة على المتشككين في الحوادث الزائغة عن الشريعة منتهية الى وصف غاية والى ذكر المتنع ادراكه » وهي مقالة في ٢٤ باباً و١٣٨ صفحة لم نجد لها مثلاً في تآليف القديس المعروفة سابقاً ولا نعرف لهذا الكتاب نسخة غيرها. والمرجّح انّ هذا الأثر مصنوع او هو تكاتب آخر نُسب الى الذهبي الفمّ وهذا مفتتح المقالة:

قد علمنا انّ الاطبّاء اذا اعتمدوا ان يدووا (يداووا) اناساً محمومين او مريضين مرضاً غير الحمّى يبتغون اوّلاً ان يعاينوا السقمي (السقماء) باعينهم...

٧ (مقالة في لاهوت السيّد المسيح) هي في المخطوط السابق من الصفحة

١٣٩ الى ٢٣٦ ولم نجدها ايضاً بين تآليف القديس وهذا عنوانها في نسختنا :

لابينا الجليل في القديسين الذهبي الفم في ما اعتمد به الاوثاليين يبرهن فيه ان المسيح هو الاله لم يزل منذ الابتداء — اذ كان الاكثرون من الناس بعضهم يوجدون وانيين (وانين) من ذواتهم وبعضهم قد سلموا انفسهم الى الاشغال العالمية . . .

٧ (مواعظ القديس يوحنّا فم الذهب) هذه المواعظ مقتطفة من ميامر القديس على الاناجيل المقدّسة لتُقرأ في الكنائس وهي قديمة والرجح انّ معرّبها عبد الله بن الفضل الانطاكي . وفي مكتبتنا منها ثلاث نسخ الواحدة وهي اقدمها مرّ لنا وصفها في جملة مخطوطات مكتبتنا تحت العدد ٦٢ . ترتقي الى القرن الرابع عشر . والثانية وُصفت تحت العدد ٦٧ . اما الثالثة فدخلت حديثاً في مكتبتنا وهي من تركة جبرائيل دلّال مكتوبة بكل اتقان بحرف جلي ملوّن عنوانها هكذا : كتاب مواعظ شريفة والفاظ مختصرة لطيفة لابينا العظيم في القديسين يوحنّا فم الذهب رئيس اساقفة مدينة القسطنطينية ، يليها مقدّمة لجامعها ومنقّحها وذلك في سنة ٧١٩٤ لآدم اعني ١٧٨٦ المسيح . وهذا الكتاب هو الذي طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٧٤ بعد ان صحّح عربيّتهُ تصحيحاً خفيفاً الشيخ ناصيف اليازجي . ومن هذه المواعظ طبعة مصريّة طبعها الاقباط سنة ١٥٨٩ للشهداء في الطبعة القبطيّة الاهليّة مرتّبة على نظام الكنيسة القبطيّة ولم يذكر فيها اسم القديس يوحنّا الذهبي الفم

٨ (الدرّ المنتخب ليوحنّا فم الذهب) يحتوي ٣٤ مقالة . المقالة الاولى في تربية الاباء لاولادهم . وهذا المجموع قديم ايضاً نقّحهُ البطريرك اثناسيوس الحلبي في اوائل القرن الثامن عشر ثم طبعهُ في الشهباء سنة ١٧٠٦ في ٥١٦ صفحة ثمّ جدّد طبعهُ الروم الارثدكس في بيروت نحو السنة ١٨٧٢

٩ (ميامر متفرّقة) بين مخطوطات مكتبتنا ثلاثة كتب وسمناها بالاعداد ٥٩ و ٦٠ و ٦١ وهي تتضمّن مواعظ وميامر قديسين لاعياد السنة بينها عظات كثيرة للذهبي الفم . فالكتاب الاوّل (٥٩) يشتمل على سبعة ميامر ميمران في ميلاد الرب بالجسد وميمر في توما التلميذ يُقرأ يوم الاحد الجديد . وثلاثة ميامر في العنصرة . ويشتمل الثاني على الميامر الخمسة الآتية : ١ً على الذين يتخلّفون عن القداس وعن المائدة الطاهرة ٢ً على قطع هامة يوحنّا المعمدان ٣ً في قيامة لعازر ٤ً في

التينة اليابسة ٥ً في العشر العذارى ٦ً في تسليم يهوذا ٧ً في صلاة المسيح في البستان ٨ً في توما التلميذ للاحد الجديد (وهي ترجمة غير الترجمة السابقة) ٩ً و١٠ً ميمران له في الفصح ١١ً و١٢ً ميمران في صعود المسيح الى السماء ١٣ً في مولد يوحنا المعمدان ١٤ً في الصوم ١٥ً في الابن الشاطر ١٦ً–١٨ً ثلاثة ميامر لآحاد الصوم. امّا المخطوط الثالث فيحتوي ما عدا كثير من الميامر المذكورة في المجموع الثاني العظات الآتية: ١ً في زكّا ٢ً في الفريسي والعشّار ٣ً في قول الربّ: صلّوا لئلّا يكون هربكم في الشتاء ولا في السبت ٤ً في الزانية التائبة التي دهنت ربّنا بالطيب ٥ً في الفصح والاسرار بما فسّرهُ الانبا نيقون الراهب مطران منبج ٦ً في العشاء السرّي وغسل الارجل ٧ً في جحود بطرس ٨ً في مغفرة الخطايا ٩ً في بشارة العذراء ١٠ً في ختان الرب

١٠ (ليتورجيّة القديس يوحنّا فم الذهب) منها في مكتبتنا الشرقيّة عدّة نسخ بعضها بالعربيّة وحدها وليست هي قديمة وواحدة بالعربيّة واليونانيّة من نحو ١٥٠ سنة وواحد بالعربيّة والسريانيّة بالخطّ المعروف بالملكيّ تاريخها سنة ٧١٦٣ لآدم (١٦٥٥ م) وفي هذه النسخ كلّها بعض اختلاف في الصلوات وتنقيحها. والنسخة السريانيّة تستحقّ درساً خصوصيًّا وفي تاريخها دليل على استعمال الملكيين اللغة السريانيّة في طقوسهم حتى في اواسط القرن السابع عشر وذلك بقرب سواحل سوريّة لأنّ الكتاب قد خُطّ «في الحيدنة (قرب بكنيّا) من معاملة بيروت بيد حنّا بزى قسيس ابن المرحوم سعد الخ»

١١ (محن ايوب الصديق) من هذا الكتاب عدّة نسخ خطيّة منها واحدة في المكتبة الواتيكانيّة (ع٦٦٩) وفي مكتبة مدرسة الشرفة وفي مكتبة الموارنة في حلب. قد عرّبهُ من اعمال القديس يوحنّا فم الذهب مرسلان يسوعيّان الاب انطونيوس والاب بطرس فرومان (١

١) تنتهز هذه الفرصة لتقيم الحجّة على ما كتبهُ حضرة الخوري المسمّى «باسل» في اصداء الشرق الفرنسويّة (Echos d'Orient, 1908) فانّ هذا الكاتب اراد ان يرفع قدر الطيّب الذكر الاب نقولا الصائغ ومعاصره عبد الله زاخر لكنهُ حطّ من كرامة المرسلين اليسوعيين الذين

١٢ (عظات يوحنا فم الذهب للصوم الكبير) منها نسخة في مدرسة ثلاثة اقمار للروم الارثدكس موسومة بالعدد ٣٢٣ ونسخة مكتبتنا احدث منها تاريخها سنة ١٨٦٩ ويقال فيها انَّ مؤلفها كير ايليَّا منياتي من جزيرة كافالانيا

١٣ (مسائل القديس يوحنا فم الذهب) موجود في مجموع خطّي من كتب حضرة الخوري جرجس منش الماروني في حلب تاريخهُ سنة ٧١٣٧ للعالم (١٦٢٩ م)

ونضيف الى هذا الجدول كتاب سيرة القديس يوحنا فم الذهب تأليف جيورجيوس بطريرك القسطنطينيَّة (١١٩٢—١١٩٩) ومنها في مكتبتنا نسختان الواحدة حديثة استنسخناها من نسخة بديعة كُتبت منذ نحو ٢٠٠ سنة بكل ضبط واتقان كانت في مكتبة المرحوم جبرائيل دلَّال. وهذه النسخة القديمة قد حصلنا عليها بعد وفاة ذلك الاديب بطريقة الشراء. وفي آخرها مقالتا معرَّبتان بقلم جيورجيوس المذكور الاولى «خطبة الذهبي الفم في ايوطربيوس الحصيّ» والثانية «في ان قراءة الكتب المقدَّسة لمفيدة»

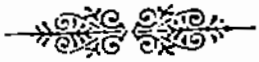

لا تزال آثارهم باقية وشواهد مناصرتهم ناطقة بفضلهم ولا سيَّما الاب بطرس فروماج الذي اتفق الجميع على اطراء فضائلهِ حتَّى عبد الله زاخر الذي غيَّر فيهِ لمجتهُ بعد ما حدث بينهما من الخلاف بسبب راهبات دير البشارة. وقد دخل في هذه الدعوى غير اليسوعيين ايضا حتَّى بطريرك طائفة الروم الملكيين والقاصد الرسولي عمانويل الكرملاني واساقفة الموارنة وكانوا في هذا الامر يعتبرون حقوق اليسوعيين. نعم انَّنا نعلم ان الكرسي الرسولي حكم للرهبان الشويريين بجملتهِ وقد اذعن المرسلون لحكمهِ ولكن ليس ذلك سبباً لينسى الاب باسل حقوق التاريخ فلا يروي الَّا ما كتبهُ زاخر وحزبهُ ويصوِّب الى المرسلين مراراً سهام الملام فان الاب بطرس فروماج مات ميتة الابرار كما افادنا مناصروهُ وحالهُ الموت دون الجواب على شتائم عبد الله زاخر وقد اجاب عنهُ حبرٌ جليل عُرف بفضلهِ وسموّ قداستهِ السيّد عبد الله قراعلي وبرَّأ ساحة المتهوم برسالة قال في اوَّلها «ان المحاماة عن الصيت المثلوم وتبرير الاخ المظلوم ليست من النوافل بل من الضروريات». ونكتفي الآن بهذه العجالة ريثما تسمح لنا الفرصة لتفنيد اقوال الكاتب بالتفصيل وبالخصوص ما رواه عن قصور بطرس فروماج في تعريب كتبهِ ونسبة كل الفضل فيها لعبد الله زاخر

لمحة صحية

عن بلاد بشارة وما يجاورها

للدكتور سليمان افندي الحاج

اقمت نحواً من خمس سنوات في بلاد بشارة وتردّدت الى ما يجاورها من قضائي مرجعيون وصفد فخطر لي ان اكتب شيئاً عن الحالة الصحية في تلك الجهات عن مائها وغذائها وزيها وبنيانها وهوائها مما يتعلق بالهيجين وعن الامراض الاكثر انتشاراً فيها بقدر ما استطيع اليه سبيلاً

١ المياه

ان المسافر صيفاً في هذه البلاد يشتهي ان يصادف في طريقه ماء جارياً يبرّد به ظمأهُ . فالينابيع الجارية قليلة جداً واكثر المياه وجوداً ماء الابار . وهي قسمان : منها آبار ذات نبع يغزرُ ماؤهُ شتاء وينيض ويجري حتى اذا جاء الصيف لا يبقى منهُ سوى الاوشال في قعر الركايا . ومنها آبارٌ تختزن مياه المطر . ولمنازل البهائم حفرٌ في الارض واسعة تدعى بُركاً وسطها اعمق من دائرتها تحوّل اليها مجاري المياه الشتوية فتملأها ولا يقبل اوّل الخريف حتى تصبح مستنقعات يأجنُ ماؤها وتنبعث منها روائح عفنة ويتولّد فيها بعوض الحمّى الملاريّة . والنتيجة ان اكثر المياه في تلك الجهات غير حائزة الصفات الجوهرية التي تجعلها اهلاً للشرب . والآبار باجمعها ليس لها حواجز تمنع عنها الاوساخ والاقذار المحيطة بها بل هي معرّضة لكلّ غارات الميكروبات واذا اتّصل بها ميكروب الهواء الاصفر والحمّى التيفودية او خلافها اضحت وسيلةً عظيمة لتفشّي الامراض الوبائية وهلاك الاهالي

٢ الغذاء

الغذاء معظمهُ من الموادّ النشويّة واكثرهُ من القمح والعدس والفول والشعير ويدّخرون من الاثمار التين والزبيب . ولكثرة اقتياتهم بالعدس دعوهُ « بأمّ المنى ليس عنها غنى » ويسمّونهُ « مسامير الرُكَب » (لانها تشدّد ركبهم على الشغل) ومع ذلك لا يحسنون طبخه ولهم طعام مخصوص لايام الحصاد يقولون لهُ بليلة وهي سميذ مبلّل بالماء ومزوج

باللبن وبعضهم يأكلون دبس العنب ممزوجاً بالماء ويحبون هذا الطعام ويقولون فيه انهُ يبرّد حرارة الجوف. وبالاختصار ان اكثر سكان هذه البلاد لا يتأنّقون بالمأكل والمشرب ما عدا افراد قليلين منهم. ومن ثمَّ تقلّ عندهم التابكات المعديّة جدًّا. ومهما اكثروا من اكل الموادّ النشوية فقد اعتادت معدهم هضمها والاشغال اليدوية اكبر مساعد على ذلك. وامراض العيشة المترفهة كالنقرس والرمل الكلوي والصفراوي والبواسير يعزّ وجودها ما بينهم. وسمعت قوماً منهم ينسبون ذلك الى كثرة اكلهم التين. واظنّ ان السبب هو قلّة اغتذائهم بالمواد الازوتية وكثرة الاشغال اليدويّة ولعلَّ للتين في الامر فعلًا لانهُ من الملينات

٣ الزي

يجمل زيّهم انَّ الرجل يلبس كوفيّة (حطّة) وعقالًا وعباءة وصاكو وقمبازًا وثوبًا وسروالًا وتلبس المرأة منديلًا او حطّة وفستانًا وزنارًا وثوبًا وسروالًا. وفي بعض القرى تضع المرأة المتزوجة عصابة على رأسها علامة فارقة بينها وبين الصبيّة العذراء. والاحذية المعروفة عندهم هي المداس والنعال. ومن المعلوم ان الغاية المقصودة من الزيّ التوفيق بينهُ وبين احوال كل فصل من فصول السنة من نوع الاقمشة والالوان. فبوجه الاجمال ليس لاهل هذه البلاد لباس مخصوص بفصل من فصول السنة فالعباءة التي يلتحف بهِ الرجل شتاء يتزمل بها صيفًا والشال الذي تتلثم بهِ المرأة شتاء تشتمل بهِ صيفًا خلافًا للقوانين الصحية وترى اهل الساحل يلبسون البياض صيفًا وشتاء. ومن اهمّ صفات اللباس النظافة وهو امرٌ قلّما يكترثون لهُ. وقد رأيت من الفلّاحين قوماً لا يبدلون لباسهم طول أيام الحصاد فتنبعث منهُ روائح زنخة تشمئز منها النفوس. امّا عرب البادية فحدّث عن وخمهم ولا حرج فثيابهم تلمع كانها مشمّعة من كثرة الاوساخ واذكر انهم دعوني يومًا الى منازلهم فبسطوا لي فراشًا ما قدرت ان اعرف لون قماشهِ من كثرة اوساخهِ

قد ذكرت للزي سيئاتهِ ومن العدل ان اذكر حسناتهِ فمما يستحسن باجماله انهُ لا يضايق الجسم بل يترك لكل عضو تتميم وظيفتهِ بحرية كاملة. واخص بالذكر والاستحسان ان النساء لا يتّخذن مشدّات تضايق صدورهن ومعدهن وتحرم جهازي الهضم والتنفّس من حريتهما وتغيّر وضع الاعضاء الباطنة ممّا ينجم عنهُ اضرار جمّة. نعم وهنَّ مع ذلك يشددن اوساطهن بزنار ليتمكنَّ من اتمام اشغالهنَّ

ولبس الكوفية او الحطّة موافق للفلّاحين ويمنع عنهم الحرّ والبرد امـا العقال فيمكّن الكوفية من الرأس لكنّهم يبالغون بثقل وزنهِ . فان اكثر الشبان يتباهون بانهم يحملون على رؤسهم عقالات لا ينقص وزن كل منها عن مائتي درهم بل اربعمائة درهم واكثر فتسبب بثقلها وضغطها على الجبين والراس احتقانات فيما تحتها من الاوردة والشرايين وتكون داعية لامراض العين . فالاوفق ان تكون العقالات خفيفـة الوزن وان يلبس الاهالي في الصيف كوفيات بيضاء تكسر عن رؤوسهم اسهم اشعّة الشمس وحرارتها في بلادهم متوهجة قادحـة اما الشتاء فتصلح لهُ كوفيات سوداء تحفظ لهم الحرارة الداخلة وتمنع عنهم البرد الخارج طبقًا للقوانين الطبيعيّة

٣ المساكن في تلك البلاد

ينبغي للمسكن ان يكون مرتّبًا ومبنيًّا على اصول صحية تكفل للانسان راحة بعد التعب وعلى الاخص للفلّاح الذي يقضي يومهُ يقاتل الارض وتقاتلـهُ فيجب ان يكون مسكنهُ موفرًا لاسباب الصحة والراحة بسعتهِ وتهويتهِ وتدفئتهِ . بيد ان بيوت هؤلاء الفلاحين المساكين خالية من الصفات الصحية ما عدا القليل منها وتكون غالبًا متراكمة متلاصقة يضغط بعضها بعضًا ليس لها نوافذ سوى ابوابهـا الصغيرة وبعضها لا جدار لها سوى الذي فيهِ الباب كانها مجتمعة انتحامي من قرس البرد او من هجمات اللصوص . ومنها ما هو مبني على زوجين من القناطر ومنها على اكثر فيأوي تحت سقفهـا الواطي وبين جدرانها التي لا نوافذ لها الفلاح وامرأتهُ واولادهُ وجمالهُ ومواشيهِ ودجاجهُ مع ما يلزمهُ من المؤن والذخائر لنفسهِ ومن العلوف لبهائمهِ . ومن يدخل صباحًا او مساء الى احد هذه البيوت يهبّ في وجههِ هواء دافئ كانـهُ داخل الى فرن او حمام فضلًا عمّا هناك من الروائح الرخمة . ومركز البهائم من البيت يدعى اصطبلًا ومركز السكان مصطبة . وترتفع هذه عن ذاك نحو ذراع . ويصيبها نصيب وافر من براز الدجاج وزبل الحيوانات الصغيرة . فلو كانت مغطاة بالمفروشات لكانت خصارة الفلاح عظيمة ولكن لحسن طالعهِ لا تفرش ارض بيتهِ الّا ببعض حصر من البابير يبسطونها للنوم وتُلفّ وتنضّد في محلّ آخر في النهار فهي فراش الفلاح ليلًا . وغطاؤه لحاف او عباءة ووسادتهُ من عصافة القمح وبعض الفلاحين لهم فرش من صوف الغنم . والتدفئة تقوم برجاقٍ في احد اركان

البيت يُبنى باقراص من الطين ويجعلون قاعدتهُ واسعة ثم يضيق تدريجاً حتى ينفذ في السطح ويوقد فيهِ الحطب للطبخ والتدفئة . ولا يتمكن من الجلوس بقرب النار سوى اربعة او خمسة . والجهة المقابلة للنار تدفأ وحدها بخلاف الجهات الاخر لانَّ النار في الوجاق تجرّ بحرارتها تياراً من الهواء يخرج قسمهُ الدافئ من النافذة وقسمهُ البارد يهبُّ في الجهة التي لا تقابل النار فيورثها برداً . فطريقة هذه التدفئة جيدة لتجديد هواء المكان لكنَّها غير مفيدة لتدفئة السكان . وقد اعتاد الاهلون ان يرصفوا بيوتهم بعضها بحذاء بعض وان يسكن الفلاح وبهائمهُ تحت سقف واحد لفقد الامن والراحة ولكثرة اللصوص والاشقياء في هذه البلاد . فالامل وطيد بان الاحوال تتحسن بايام الدستور وعن قريب يتمكن الفلاحون بفتح نوافذ بيوتهم وابعادها عن بعضها فينام الفلاح بمكان منفرد عن مواشيهِ وهو مطمئن البال من سرقة متاعهِ . ولو كان الفلاح يقضي اكثر اوقاتهِ تحت سقف بيتهِ وما بين جدرانهِ لكان اقصر الناس عمراً ولكنهُ في الشتاء ينهض باكراً ليذهب الى الحقل ولا يعود منهُ الّا بعد غروب الشمس وفي الصيف اكثر نومهِ في الكرم والبيدر والحقل فهو معرض اذاً لاستنشاق الهواء النقي اكثر منهُ للريح الراكدة المفسودة .

٤ هواء تلك الجهات او مناخها

هواء بلاد بشارة على جانب عظيم من الجودة . يتسرَّب ما بين الصخور ويمرُّ على غابات فيخرج ناشفاً لا دفس فيهِ ولا جراثيم وبائيَّة ولولا جودتهُ ونقاوتهُ لكان اهل هذه البلاد في اسوإ حال تقتلهم الامراض الوبائية لعدم تنظيم معاشهم بالمأكل والمشرب واللباس والسكن . فالفضل كل الفضل في جودة الصحة العموميَّة يعود الى طيبة المناخ ونقاوة الهواء حتى ان معدَّل الموتى سنويًّا لا يتجاوز الاثني عشر في الالف واكثرهُ من الاطفال ورغماً عن ذلك فالامراض ضاربة في تلك الانحاء اطنابها

٥ الامراض في تلك الجهات

من اشدّ الامراض انتشاراً امراض العين واخصُّها الرمد الحبيبي . ثم الحمى الملاريَّة بانواعها واكثر المواقع اصابة فيها ما يقرب رأس العين واسكندرونة وعلما الشعب وشاطئ نهر الليطاني وغربي الحولة . وكثيراً ما يصاب الرضَّع بالاسهال والهيضة حتى

ان نصف المصابين بهذه الاسقام في مضارب العرب وفي بعض قرى الفلاحين يذهبون ضحيتها فيموتون. وفي انتهاء الخريف وعند ابتداء الربيع تتوفر الاصابات بالنزلة الصدرية وذات الجنب والاعراض الروماتزمية. ويوجد داء كثير الانتشار في هذه البلاد لا يكاد يخطر على بال انسان وجوده فيها وهو التدرُّن (السلّ) وقد شاهدت من جميع انواعه ما عدا النوع الحادّ. ولا تكاد قرية تخلو منهُ حتى ان خيام العرب لم تحمها الصخور والغابات من وثباته وقد شاهدت ما بينهم ثلاث اصابات انتهت بالموت

واني اتخوف من سرعة امتداد هذا الداء في تلك الجهات. فان اهالي هذا القطر جهلة غفلة لا يعرفون الطرائق الصحية ولا الوقاية من العدوى. ففي بيوتهم وفي مجتمعات الاعراس والمآتم يأكلون من قصعة واحدة ويشربون باناء واحد ولربما اتخذوا ملعقة واحدة فلعقوها بالتناوب (ولكن الحمد لله انهم يستغنون عن الملاعق بالخبز المرقوق) ولا يطهرون البيوت ولا الثياب حتى ما استعملهُ منها المرضى وينامون بقرب المريض تحت سقف واحد. فاسباب الخوف راهنة واذا سرى هذا الداء العياء انتشر بكل سرعة بين هؤلاء القوم الجهلة الذين يدفعون بانفسهم الى الآلام والموت كالغنم الى الذبح. ومن بعد الفحص المدقق والبحث عن الطرق التي وصل بها هذا الداء الى هذه البلاد وجدت أن اكبر واسطة هي الموروثات من الاثاث والملابس الملوثة التي يحضرها بعض التجار من الشام وبيروت وغير اماكن ويبيعونها في سوق بنت جبيل وجويا وخلافهما وعلى جهل منهم يحملون الى بيوتهم والى بلادهم شقاء وبلاء وداء كادت تحبط دونهُ الادوية

هذا اكبر سبب وجوده وهناك سبب آخر ليس باقل منهُ اهمية. فقد شاهدت وعاينت اشخاصاً عديدين عائدين من المدن ومن الخدمة العسكرية حاملين هذا المرض هدية الى بيوتهم واقربائهم. فيا حبذا لو منعت الحكومة مبيع الخاميات او احرقتها او سهرت على تطهيرها. ويا حبذا لو قسرت اصحاب البيوت والزمتهم بغسلها. وبما ان الاهالي يجهلون اسباب العدوى وطرق الوقاية منها فلاحظتُ انَّ اصابات هذا الداء ازدادت في هاتين السنتين حتى انني في خلال شهر ايار من السنة الماضية قد شاهدت خمسة وعشرين حادثاً في قرى مختلفة فاصبح الخوف راهناً من استفحال هذا الداء. ومما زاد ضغثاً على ابالة اقبال الناس على المهاجرة. ومن المهاجرين من يعود الينا غير حامل سوى جعبة من ميكروبات التدرن والزهري. وقد وجدت ما بين الفلاحين والعرب اصابات عديدة من

هذا الداء الاخير قبل عود المهاجرين وانّما ازدادت بعد عودهم . فما كان اغنى اهل هذه البلاد عن المهاجرة لو كانوا ذوي دراية وادارة يحسنون زراعة اراضيهم الجيدة ولو كانت بلادهم خالية من الظلم وحاصلة على الامن والراحة العموميّة

تلك هي الامراض الغالب انتشارها اعني امراض العين والملاريا وهيضة الاطفال والتدرن والزهري والنزلات الصدرية وذات الجنب والروماتزم المفصلي (في بعض القرى) امّا العلل الاخرى فيحدث منها بعض اصابات . وممّا شاهدتهُ عيانًا حادثتان من داء سيرنكوميالي (احداهما في مزرعة الطيرة والاخرى في اقرث) وحادثة جراثر الجحوظ ولست اذكر من اي بلد كان المصاب بها

وان من يسمع بكثرة هذه الامراض ويعرف اتساع البلاد وقلة عدد الاطباء فيها يظن ان الطبيب الذي يقيم فيها يكاد يتضايق من ازدحام المرضى وان الدراهم تنهال عليهِ مثل المطر . نعم لو كان جميع المرضى يتطبّبون لصحَّ ذلك ولكن لاهل هذه الانحاء عادات واعتقادات يتمسّكون بها وهي تمنعهم عن التطبُّب اذكرها قبل انتهاء هذه المقالة لانها ذات اهميّة

اعلم انَّ سكان هذه البلاد متاولة ونصارى . فالنصارى قليلون والمتاولة هم الاكثر عددًا وهؤلاء لا يتطببون الّا « على الخيرة » كما يقولون . وهي طريقة يعدّون بها حبّات السبحة باصول معروفة عندهم واكثرهم ان لم أقل جميعهم يجرون عليها ولا يقدم احدهم على عملٍ ايًا كان الّا من بعد الاستخارة فان صحَّت (كما يقولون) كان العمل موافقًا والّا فلا . وهم شديدو التمسك بها . وقد اتفق لي اني دُعيت لاحدى قراهم فدفعوا لي اجرة الطريق ولم ياخذوا المريض دواء لان الخيرة ما صحَّت

وهذا مختص بالمتاولة ودونك ما يعمّ الاهلين جميعًا فكلّهم اذا الحم الداء يطلبون الشفاء السريع من الطب ولا يعلمون بان امراضًا كثيرة يقتضي لها معالجة طويلة ومنها ما لا شفاء لهُ وان من اهمّ واجبات الطب تلطيف الاوجاع وتخفيف الآلام ومساعدة الطبيعة غاية الامكان . فنفرٌ قليل منهم يدعون الطبيب ليعود المريض اكثر من مرّة ومنهم من يطلب من الطبيب بعد العيادة الاولى ان يكرر عياداتهِ للمريض مجانًا على زعمهم سواء كان في محل اقامتهِ او في بلدٍ آخر اذ صار ملتزمًا بهِ ومن تفريطهم انهم لا يدعون الطبيب الّا متى رأوا المريض اشرف على الخطر ووقع في الهذيان وابتلاهُ السُبات .

امّا اذا كان المريض منتبهاً فلا يرون في حالته بأساً. وبالاجمال يريدون ان تكون المعالجة مقاولة على شرط النجاح سواء كان في الامراض الباطنة او الجراحات فان تعافى المريض اخذ الطبيب اجرتهُ وثمن ادويتهِ والّا فلا . وكثير منهم يعدلون عن العلاج لعدم قبول الطبيب بشروطهم . ومن غريب امرهم انّهم لا يطببون الشيوخ « لان ما عاد لهم بهم عازة » ولا يعالجون الاطفال « لاعتقادهم ان لا دواء لهم » فبناء على ذلك مهما كثرت الامراض . فهذه التقليدات والاعتقادات تجعل مهنة الطبيب حرجة وتضيّق دائرة التطبيب . ومن الاسباب التي تؤخرهم ايضاً قصر ذات يدهم وبُعد الاطباء عنهم . فلو كان جميع الاهالي يلتجئون الى الادوية لكانت هذه البلاد تقوم بمعاش عشرة اطباء ان لم اقل باكثر

على هذه الحال كان الطب عند حضوري الى هذه الديار . امّا اليوم فقد تحسنت حالتهُ نوعاً عن الاول وعلى الاخصّ في عين ابل التي كانت مركزي والقرى المجاورة وصار الاهلون يقبلون برغبةٍ على الاطبّاء ويتكلّمون عن الميكروبات ويعرفون الوسائط الصحيّة ويبالغون في الوقاية من العدوى ويطببون الشيوخ والاطفال

وقبل الانتها ارجع واستلفت انظار الحكومة السنية لاتخاذ الوسائط اللازمة لمنع سريان داء التدرن واصدار التعليمات الطافية لعمل حواجز للآبار وتطهير البرك والمستنقعات وتنظيف الدور والازقّة من الاقذار والارساخ

والى زملائي المتخرجين حديثاً ارجّه كلامي مستلفتاً انظارهم الى تلك الجهات واتمنى ان نفراً منهم يأتون ويقيمون فيها فتكون اقامتهم كمباشرة لفنّ الطب فيتمرّنون بكل تأنٍ في هذا المستشفى الرحب ويقدمون بذلك خدماً جليلة الى الهيئة الاجتماعيّة

نخبة

من امثال القس حنانيا منير

بقلم جامعها وشارح غريبها عيسى افندي إسكندر المعلوف اللبناني (تابع لما سبق)

المحبة

من احبّ شيئاً اكثر من ذكره = قال: اذا واقف على الباب. قال: حبيبي جوّاته (١ = حبيبي على رفعه واجته دامه = حبيبي زين واحاه رمد العين = حبيبي بحبّه ولو كان عبد اسود = من شاف احبابه نسي اصحابه = شافت الخنفسة بنتها على الحيط قالت: كأنها لؤلؤة في خيط = ضرب الحبيب زبيب وحجارته رمان = من القلب الى القلب ساقية (ويقال سبيل) = المحبة تبتدي من ذاتها = المحبة ستّارة العيوب = المحبة قرابة ثانية = بحبك يا سواري مثل زندي لا = بعد نفسك عزّ صديقك = كل شيء عند العطّار الّا حبّني غصب = المحبة في القلوب ما هي على الدروب = قال: حبني وخذ فلوس. قال: ليس الحب بالدبوس (٢ = ان حبتني خالتي بتنيّمني على التنور وان بغضتني على التنور (٣ = من يحبك لاجل شيء يزمله يكرهك عند انقطاعه = احفظ عتيقك جديدك ما يبقى لك = الذي ما له عتيق ما له جديد = من باع صاحبه بالف زلّة باعه رخيص = يبان الصديق بحل الضيق = البيت الضيق يسع الف صديق (٤ = ان ما وسعتك الدور بتسعك الصدور = مشتاق وعزموا عليه (٥ = عزمناه تمنّع تركناه تطلّع = ما بيروح عاشق حتى يجي مشتاق = شهوة عجوز في تنّور = عمى القلب خير من عمى العينين (٦

---

١) جوّاته اي داخله ٢) الدبوس عصا في طرفها رأس مدمالك تتخذ للضرب ومن اساليب العامة (ايده بالكرم دبوس) اي ان يده تبقى منقبضة كالدبوس فلا تُفتح للعطاء

٣) ويروى لعهدنا هكذا: ان حبتني خالتي نيّمتني على التنور وان بغضتني طعّمتني نفول وهو قطع خبز تلصق على التنور لتعطى للفقراء ونحوهم

٤) ويروى لعهدنا هكذا: عل الديق (الضيق) يباع الف صديق

٥) تقول العامة عزمهُ وعزم عليه اذا دعاهُ الى بيته للاكل ونحوه

٦) ويروى عندنا هكذا وربما كانت روايته هذه أولى وهي: عمى القلب اصعب من عمى العينين

عديم الذوق

الذي ما بيشوف الّا من الغربال الاعمى خير منهُ = يعدمهُ عقلهُ ولا يعدمهُ ذوقهُ = الذي ما لهُ ذوق يقع عليهِ شي من فوق = تعلّم الذوق من قليل الذوق = يا جايي من غير عزيمة يا قاعد على غير بساط = على هذه الحصيرة لا طويلة ولا قصيرة = على قدر لحافك مدّ رجليك = ان كان صاحبك عسل لا تلحسه كله = روح حلو وتعال حلو = كثرة الزيارة بتقطع شلوش المحبة (١ = خيار الزيارة غارة (٢ = الضيوف بدارهم والمفتاح بزنّارهم = قانون الضيف ثلاثة ايام = الضيف اسير المحلّي (٣ = ضيف المسا ما لهُ عشا

الغائب

الغايب ما لهُ حصّة = الغائب حجّته معه = لا تلوم الغائب حتى يحضر = من حضر ما غاب = اذا تعوّق مرسالك (رسولك) ابشر بالخير = عدّ موجات البحر تشوف الجايات اكثر من الرايحات = اذا فاتك عام ابشر بغيره = لا تقول للعريان: اين ثيابك. ولا للجوعان: اين زادك = السكران لا تدفعه مصيره بيقع (٤ = بيذوب الثلج وبتبان الزبالة = قال: عند ما بتقلي بتدري. قال: عند العليق بتفيق = آخر الليل بتسمع العياط (٥ = صايح القوم ولا تماسيهم (٦ = الباب الذي بيجيك منهُ هوا اشلح (٧ ثوبك وسدّه = المصلح بياكل ثلثين القتلة = لو كان في البوم خير ما فاته الصيّاد = اسعَ في جنازة ولا تسعَ في جازة (٨ = قال: فرسك جابت مهرة. قال: احماها = خير

---

١) شلوش وشروش بمعنى جذور واصول النبات

٢) خيار هنا بمعنى خير

٣) المحلّي صاحب المحلّ اي المضيف

٤) وبمعناه قولهم: على شوار واجاه دقشة. اي على جُرُفٍ ودُفع فسقط

٥) العياط الجلبة والصياح وتستعملها العامة كثيرًا

٦) ومن امثال عامتنا بمعناه قولهم: شرّ الصياح ولا خير المسا

٧) اشلح بمعنى اخلع

٨) الجازة عند العامة الزيجة ويقولون تجوّز اي تزوّج والجوز مقلوب الزوج

ما عملنا. الشرّ من اين اجانا = أعرج من العُرج ركّبته خلفي مدّ يده للخرج = خير لا تعمل شرّ لا تلقى = لا ترخي ذنبه حتى تقبض ثمنه = نيات خير عاقبات خير (١ = ان كان فيك خير لاهلك خير = الذي يعمل خير نومه خير = اعمل خير وارمِ في البحر ان ما بان عند البالق (٢ بيان عند الخالق = الساعي بالخير كفاعله = كري السلّم حملانه = الذي ما بتعرفه بتجهله = ما بتعرف خيره حتى تعاشر غيره = انبدل غزالنا في قرد (٣

السرّ

قال: ما هو الشي الذي بيختفي. قال: الذي ما بيصير (٤ = السرّ بين اثنين بيصير بين ألفين = هذا اكملك ما هو من ذاك العجين = المكتوب بينقرا من علوانه (عنوانه) = الشمس طالعة والناس قاشعة (ناظرة) = ألسنة الخلق ديوان (ويقال اقلام) الحق = الذي ما هو آكل توم ما ريحته توم = كل الوحوش بتؤذي والسمعة للذيب = طلعت سنعتك حصّاد ارمِ منجلك = من يومك يا زبيبه فيك هالعود = يعني على الزبيب خمّارة = هذا لوني من يوم الذي جلوني = الطبع غلب التطبع = العادة في البدن ما بتتغير للكفن = الصبي صبي ولو كان ابن النبي (٥ = المخل ما بيركز بالدخن (٦ = النهر الذي في اوله ما جرّ قشور في آخره ما بيجرّ جور = ابوه بصل وامه توم من اين بتجيه الرائحة الطيّبة

مجرّب

من جرّب المجرّب كان عقله مخرّب = ايش بتعمل الماشطة في الوجه الشنيع =

١) ومن امثال عامتنا قولهم: بمعناهُ بحسب نواياكم ترزقون وقولهم: والنية مسابقة العمل
٢) لا اذكر للبالق معنى ولكنني اظنها هنا بمعنى المخلوق.
٣) ويروونه عامتنا هكذا: يا بادلين غزلانكم بقرود
٤) وعامتنا يقولونهُ هكذا: ما بيختفي الّا اللي ما بيصير
٥) وبمعناهُ عند عامتنا اليوم: الولد ولد ولو حكم بلد
٦) المخل المنسفة الحديدية. والدخن حبّ دقيق معروف

اسأل مجرّب ولا تسأل حكيم = اقطع عادة ولا تجري عادة = قطع العادة صعب = كل شيء عادة حتى العبادة = الذي بيتعوّد على خبزك كلّما شافك بيتلمّظ (يتلمّظ) = لا تعوّد فلّاح على باب دارك بيجيب لك بيضة بيخرب ديارك = الذي له راس عند الرؤاس ما بينام الليل (١ = طول عمرك والزمان لا تماشر تركماني. تخطر بالدهر خطرة يخطر كل الزمان = الذي بيا كل العصي ما هو مثل الذي بيعدّها = الحرب بالنظّارات (بالنظّارات) هيّن = كلام القرايا ما بيجي على كلام السرايا (٢ = المقوص (٣ بيفزع من جرّة الحبل = الفزع بيطيّر الوجع = الذي ما بينزع ما بيفزّع = الذي ما بيحسب لبعيد يقع لقريب = شرابك انشرب الحقّة بالطرب = اذا غرق مركبك اعطيه رفسة = اذا وصلت للتسعة والتسعين تدحرج = الفرس الاصيلة ما بيعيب لها جلالها = اذا راحت الفرس لا اسف على الخلاية (٤ = قال: خذ لك مصريّة واسترني. قال: من اين بتشوف مجرّس احسن مني = قيم البغل واكنس تحته ما للخال لابن اخته = العصي اذا بار (اي جُهل نسبه) ثلثينه للخال = بيكيل فول بيرجع للاصول

تشابيه

مثل ذنب الجحش كل ماله بيتقرطم = مثل جلد الفار ناعم نجس = مثل الخنافس لا بيتّاكل (اي لا يؤكل) ولا بينلعب معه = مثل الفواخرة لا دنيا ولا آخرة = مثل الزيزفون بيزهر وما بيعقد = مثل الناخوري مثل ما بيريد بيدير دينة (أذينة تصغير اذن) الجرّة = مثل حبة البركة كل مية (مائة) على رغيف = مثل سمك الحيات محرّك كل الاوجاع = مثل البوم ما بينعي الّا بالخراب = مثل ساعي اليهود بيا كل كثير وبيمشي قليل وبيجيب خبار (الاخبار) السود = مثل شيخ الثور كبير عند ذاته صغير عند الناس = مثل قبور اليهود من برّا رخام ومن جوّا سخام = مثل فقرا

١) ويعناه عند عامتنا اليوم: كيف بينام البدوي وخابية الدبس فوق رأسه
٢) ويعناه قولهم لمهدنا: حساب الحقلة ما بيجي على حساب البيدر
٣) يعني اللديغ. ولهُ رواية ثانية وهي: المدروع بيخاف من جرة الحبل اي الملدوغ
٤) ويعناه قولهم: اذا راح البيت لا اسف على الكواير

اليهود لا اولة فالحة ولا آخرة صالحة = مثل جدي زوق مصبح (قرية في كسروان لبنان) اولته بزلطه (٣٠ بارة) وآخرته لبكوت (؟) = مثل سرّاق الحمير كيف ما باع بيخلّصه (اي يوافقه) = مثل قرن الخرُوب لسود اعوج = مثل القرع كل ما كبر بيخفّ = مثل الذي اسلم الظهر ومات العصر المسيح تبرّأ منهُ ومحمّد ما عرفه = مثل الخلد عند ما بدّه يموت بينفتح عينيه = مثل القطّ كلما مأست لهُ بيرفع ذنبه = مثل فوطة الحمّام كل وقت بوسط احد = مثل كرسي القهوة كل ساعة تحت واحد = مثل الدلف ان ما طلعت ليه (اليه) بينزل ليك (اليك) = مثل درب الحاج الذي بيستهونه (اي يستسهله) بيكفر والذي بيستصعبه بيكفر = مثل البحر الداخل اليه مفقود والخارج منه مولود = مثل سفر البحر يومه بسنة وسنته بيوم = مثل السمك متى طلع من الموي (الماء) بيموت = مثل موذّن حمص بنيّه على الصلاة وبيروح لشغله = مثل ام العروس فاضية مشغولة = مثل حمير الحجارة جوّاعة بطّالة = مثل الذي ياكل خرنوب قنطار خشب على درهم حلو = مثل الشاحرّية (الذين يعملون المشحرة وهي محل احراق فحم الحطب) بيقولوا: يا رب لا تفتح علينا = مثل حرامي (لص) الكرم بدّه سلّته بلا عنب = مثل المرعوب بيمشي من الحيط للحيط وبيقول: يا الله تصل الى البيت = مثل الذي راح لباب الجامع شافه مغلوق قال: انت منقال وانا اكثر = مثل حساب بريك كان معك صار عليك = مثل بغل الشموس بتقدّم لهُ العليق بيتقدّم لك اللبيط (الرفس باقدامه) = حايص (متحيّر) مثل الدجاجة التي معها بيضة = مثل المنشار بياكل بالطالع وبالنازل = مثل الدجاج ما بيهدس الّا بالغربلة = مثل الكيّ على الوحل لا ينفع ولا يضرّ = مثل التزير ما بيجي (يسن) الّا على القتل = مثل طعام الجن ما يبدا حتى يخلص = مثل سيرة الحيّات بتبدا ما بتخلص = مثل الجوز ما بيتّاكل الّا قش (١ = مثل العرب نهّاب وهّاب = مثل السيف اين ما حلّ قطع = مثل الرمح على اكتاف الاجاويد (٢ = مثل ذهب العتيق هو صغير بيعدّ كثير (لها بقيّة)

١) تقول العامة بيتّاكل اي بيؤكل وفتش اي كسر والمعنى ان فلانًا لا يؤخذ الّا قهرًا

٢) تستعمل العامّة الاجاويد بمعنى الكرام وكانها جمع اجواد جمع جواد فتكون جمع الجمع وفي المعجمات انها جمع جواد بمعنى الفرس. والمعنى ان فلانًا يعيش على مال غيره ونحو ذلك

الآداب العربية في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الادباء النصارى (تابع)

وقد وجدنا لرزق الله حسون في الهجاء قوله في يوسف حجّار نصرالله دلّال الحلبي وكان استغنى بعد فقر فترفّع:

المرء يُذكر بالاعمال لا المال ... أحسِنْ بغيرهما عن كسب ريبالِ
ليس الثراء بمُجدي النائليه ثنا ... ان كان ما جمعوهُ سُحتَ اوبالِ
وهل سمت بذي كبرٍ وذي صلف ... برق المعالي بطول الفيل والقالِ
قد ظنَّ يوسف حجّار بخرّته ... انَّ العلى هزّ عطفيهِ كمكسالِ
فجاء يخطر لا يلوي على احدٍ ... بتيهٍ عجباً بادبارٍ واقبالِ
الله اكبرُ هذا حالُ ذي شططٍ ... نال المنى بعد افتار واقلالِ
ان ساعدتك الليالي كن على حذرٍ ... فما تدوم على لون ولا حالِ
هلّا تذكرتَ ايّاماً سلفنَ وقد ... مضت مخدمة نصرالله دلّالِ

ومنها:

ايا هيئة الفيس الذي اشتهرت ... اخبارهُ شُذ بجدٍّ ناعم البالِ
قد استرحت من الدفل الرصين ورا ... عي الضان بحكيك في جهلٍ واشالِ
لا تأسفنَّ على ما فات عن عرضٍ ... فالنوك داء ولكن غير تثالِ
قد عاش قبلك عجلٌ وهو ذو اخنٍ ... لكنّما انت لا تُعزَى الى آلِ

(القس انطون بولاد) وممّن توفّاهم الله في هذه الحقبة القس انطون بولاد احد ادباء زمانهِ. ولد في ختام القرن الثامن عشر في دمشق من اسرة فاضلة من الروم الملكيين الكاثوليك ثمَّ ترهّب في دير المخلص قرب صيداء سنة ١٨١٥ ثمَّ رقّاهُ الى رتبة الكهنوت السيّد باسيليوس خليل اسقف صيداء سنة ١٨٢٢ وقد فُوّضت اليهِ في رهبانيّتهِ عدّة وظائف أعرب فيها عن همّة ونشاط وترأس على دير القديسة تقلا وعمّر

ابنيةً جديدة في دير المخلص ودبَّر دروس طلبة رهبانيَّتـه وعلَّمهم اللاهوت مدَّةً. ثم جرت بينهُ وبين اخوتهِ الرهبان منافرات ومنازعات دخل فيها القاصد الرسوليّ فيلاردل وغبطة البطريرك مكسيموس مظلوم حتى اعتزل القس انطون الاشغال في دير المخلص وانقطع الى الفرائض النسكيَّة الى السنة ١٨٦٠ وفيها انتقل الى بيروت من جرَّاء حوادث تلك السنة فسكنها الى عام وفاتـه في ١ ايلول سنة ١٨٧١. وكان القس انطون مولعاً بالآداب العربيَّة ولاسيَّما التاريخ وقد ابقى من آثار اجتهادهِ كتابهُ راشد سوريًا الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٦٨ ضمَّنهُ عدداً وافراً من المعلومات والافادات اقتطف بعضها من مخطوطات قديمة كالصبح المنبي عن حيثيَّة المتنبي ورسالـة الحاتمي في ما اخذهُ المتنبي من حكم ارسطو فنظمهُ في شعرهِ مع عدَّة فوائد في التاريخ والمصنَّفات القديمة. ومن آثار القس انطون بولاد خلاصة تاريخ البطركيَّة الانطاكيَّة واتحاد ابنائهـا مع الكنيسة الرومانيَّة اقترحهُ عليـهِ الاب غغرين (Gagarin) اليسوعيّ والامير الروسي المرتدّ الى الكثلكة. ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة. وفيها ايضاً للقس المذكور ملحق ذيَّل بهِ كتاب التختيكون للقسّ يوحنَّا عجيميّ واودعهُ تاريخ طائفتهِ من السنة ١٧٥٦ الى زمانهِ مع خلاصة اخبار الرهبانيَّة المخلصيـة. ولهُ كتابات اخرى ورسائل متفرِّقة

(الخوري جرجس عيسى) وعاصر القس بولاد راهبٌ آخر جاراهُ بالادب وهو الخوري جرجس عيسى السكَّاف الذي اثبت المشرق (٩ : ٤٩٤ , ٥٤١) ترجمتـهُ بقلم الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف. ولد الخوري جرجس عيسى في معلَّة زحلة وانضوى الى الرهبانيَّة الحناويَّة في الشوير سنة ١٨٤٥ ثمَّ تلقَّى العلوم الدينيَّة وانس في نفسهِ ميلاً الى الاداب العربيَّة فتخرَّج فيهـا على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها. ودرس الفقه على الشيخ يوسف الاسير فبرع فيهِ ونُصب مدَّةً حاكماً للنصارى في عهد الامير بشير احمد اللمعيّ. وفي اثر حوادث السنة ١٨٦٠ سافر الى ارلندة فجمع احسانات وافرة خصَّ منها بعد عودتهِ الى سوريَّة قسماً لبناء المدرسة البطركيَّة. ولمَّا فُتحت هذه المدرسة سنة ١٨٦٦ كان الخوري عيسى اول رؤسائها وقام بشؤونها الدينيَّة والادبيَّة احسن قيام ودبَّرها سنتين واليهِ اشار سليم بك تقلا في مدحهِ للمدرسة المذكورة حيث قال:

وقد خصَّها من قبلُ في جرجس الذي ابان ابتداها وابتنى الكدَّ والقهرا

وقاسى بها كلَّ الصعاب مجاهدًا وجمَّلها علمًا وقدرًا كذا ذكرا

ثمَّ عاد الخوري جرجس الى دير مار يوحنَّا الصايغ وتعاطى اعمال الرسالة والوعظ وارشاد المؤمنين في لبنان وبيروت بغيرة وتقى حتى ذهب في ٨ آب سنة ١٨٧٥ شهيد تفانيهِ في خدمة المصابين في الهواء الاصفر. فمات مأسوفاً عليهِ وقد رثاهُ الشيخ خليل اليازجي بداليَّتهِ التي اوَّلها (المشرق ٩: ٤٩٩):

سقاكِ من المزن صوبُ العهادِ بدمعٍ سال من مُقَلِ النوادي

وكان الخوري جرجس عيسى عسَّاف شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان مخطوط انتقى منهُ صاحب ترجمتهِ بعض الشذرات تجدها في عشر صفحات من مجلَّة المشرق (٩: ٥٤١—٥٥١) ومن نظمهِ قولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصيف اليازجي:

اذا عُرضت مسائلنا لديهِ تراهُ لحلِّها سالًا تصدّى
فيوضح رمزها لفظًا ومعنًى ويكشف سرَّها قربًا وبُعدا
لهُ في مجلس العلماء رأيٌ تجاوز في المهابة منهُ حدًّا
اذا اختلف النحاة بحكم امرٍ وقدَّم رأيهُ فيهِ تبدّى
وان افق بخطٍّ او لسانٍ ففتواهُ الصحيحة لن تردَّا

ولهُ مؤرخًا وفاة السيِّد البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٥:

مكسيموس المفضال بطركنا الذي كان الامين لشعب مولاهُ الملي
لمَّا ارتقى دار الخلود ممجَّدًا لاقتهُ اجواق الملاء بمحفلِ
وهناك من فرحٍ مؤرخهُ تلا احسنت يا عبدًا امينًا فادخلِ

وللمترجم ما عدا الديوان الشعري كتابان دينيَّان طبعهما سنة ١٨٧٢ في المطبعة الادبيَّة احدهما «فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة» والاخر «كتاب صلوات خشوعيَّة لنظم الحيوة الروحيَّة»

وقد اشتهر في هذه الحقبة من الدهر غير هؤلاء ممَّن أبقوا لنا بعض آثار من فضلهم وآدابهم. امَّا اخبارهم فلم يفدنا احد منها شيئًا مع قرب عهدهم من زماننا

فمنهم (المعلّم سعد ابن منصور العضيمي) لهُ ديوان طُبع في بيروت في المطبعة اللبنانيَّة سنة ١٨٧٢ دعاهُ القمر المشرق في بلاد المشرق وضمَّنهُ قصائد متعدّدة في وجوه بلادنا واعيانها كالولاة والامراء وذوي الرتب الدينيَّة. ولم نقف على شيء من اخبارهِ. امَّا شعرهُ فمتوسط من ذلك قولهُ في الحضرة الخديويَّة اسماعيل باشا:

يا كعبة المجد والاحسان والنعم ومعدن اللطف والاداب والحكم
انت الهمام الذي لولاك ما نطقت لسنُ الفصاحة من عُربٍ ومن عجم
فخر الزمان عظيم الشان ذو همم أمست حماهُ مطايا العزم من امم
اخيه مولاي اسمعيل من خضعت لهُ الرئاسة والآداب كالخدم
هو المُعَدُّ لريب الدهر متعباً والمستجارُ بهِ في الاعصر الدُّهم
كالليث في كرمٍ والليث في شيمٍ والنار في علمٍ والدهر في همم

ومن نظمهِ قولهُ يهنئ اخاهُ يوسف بمولود سمّاهُ بشارة سنة ١٨٦٩

في دار يوسف قد بدا قمر الهنا اذ حلَّ دارهْ
فلذاك اذ وافى لهُ وعليه من سعدٍ اشارهْ
قد اشرقت انوارهُ وعلت علينا كالمنارهْ
نادى مؤرخهُ لنا تُصبر البشارةُ بالبشارهْ

ومن مراثيهِ قولهِ في خاتون قرينة حبيب الجاويش المتوفاة سنة ١٨٧٠

لقد نعى الناسُ خاتوناً فقلتُ لهم هل أبحرُ الحسن قد غارت لآليها
ام اعترى البدرَ في التمّ الخسوف ام م الشمس المنيرة ضوى من اعاليها
من آل جاويش حسناء بها شهدت اوصافها الملا انَّ التُّقى فيها

ومنها :

هذا المصابُ لقد شبَّت لهُ اسفاً بين الجوانح نارٌ عزَّ مطفيها
لكنها الصبر درعُ المتَّقين فذا ينفي المصائب في الدنيا ويبليها
لا بدَّ للمرء من يومٍ يموت بهِ وهذه الارض كلٌّ سوف يخليها
والروح في الجسم مثل الزيت في سرجٍ فان مضت فضياء الجسم تاليها

ومن حكمهِ :

تزوَّدْ للخطوب السود صبراً فانَّ الصبر ظلمتهُ ضياء
وخذ من كل مَنْ واخاك حذراً فهذا الدهرُ ليس لهُ اخاء
ولا تأنس فمَعدٌ من اناس اذا وعدوا فليس لهم وفاء

(جرجس اسحق طراد) وكذلك عُرف في تلك المدَّة شاعرٌ من اسرة وجيهة في بيروت اسمهُ جرجس اسحق طراد تكرَّر ذكرهُ في منشورات زمانهِ كالجوائب والنحلة وغيرهما . ولهُ هناك فصول نقلها من اليونانيَّة وقصائد منها قصيدة دعاها المصباح مدح فيها العلم ومن ابياتها قولهُ :

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى والجهلُ ليلٌ مظلم لن يلسما
فاسموا بكسب العلم سمياً كاملاً وانه يعطي كل خيرٍ من سمى
واجلوا شموس العلم في بيروتنا فالجهلُ غير بسيفهِ لن يُردعا

ولهُ من ابيات في مدح مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠

هي نحلةٌ من كلّ فنٍّ قد جنتْ وجلت عن التاريخ ما هو مُظلم
هبُّوا بني الاوطانِ واجنوا شهدها قد حان آنُ قطافهِ والموسمُ
وثنّي صحائفها جليلٌ ماجدٌ في وصفهِ الاوطانُ تزهو وتبسمُ

وقد رثى الطيّب الذكر الطران طوبيا عون سنة ١٨٧١ برثاة قال فيها:

خطبٌ جسيمٌ دهانا وا اسفي كلٌّ غدا قائلاً قد ضاع مصطبري
فقدُ الهمامِ الكريمِ الحاذق الورع م الذي تردّى ثوب الخير والطهرِ
عون الغفير حليمٌ ماجدٌ فطن شهمٌ شهيرٌ ذو قلبٍ بلا وضرِ

وقد مدح ايضاً اسمعيل باشا خديوي مصر فقال من قصيدة:

على أسماعيل سيّدنا سلامٌ تردّدهُ الاكابر والصغارُ
اذا ما غاب غاب العزُّ معهُ كما إن عاد عاد لنا الفخارُ
لعزّتهِ تخرُّ الاسدُ طوعاً كما للموت وللموت اضطرارُ
فما الاسكندريّة في حماهُ سوى روضٍ يجلّلهُ اخضرارُ
ومصر الآن في الاقطار خودٌ تسيس بملّةٍ لا تُستارُ

ومن حكمهِ قولهُ:

ما كلُّ من رامَ نظم الشعر يدركهُ ولا الذي رام يفدي الناس يفديها
ليس الذي عاش ايّاماً مطوّلةً بل الذي عرك الايّام يدريها
بين الحيوة وكل الناس معركةٌ بالحظّ والرأس تغتبا وتغتبها

وكان مولد هذا الشاعر سنة ١٨٥١ ووفاتهُ في كانون من السنة ١٨٧٧. أمّا اخباره فقد تحفّينا في السؤال عنها فلم نحصل على شيء منها. وكذلك لم نقف على اخبار كاتب آخر تلوح من آثارهِ لوائح النجابة والذكاء تريد المرحوم قيصر ابيلا. ومن العجب ان الذين افادونا عن تاريخ بيت ابيلا (المشرق ٦: ٦٥٤) لم يتعرّضوا لذكر قيصر. وقد كنّا عثرنا لهُ على قصيدة دينيّة حسنة النظم فاثبتناها في مجلّتنا (٧: ٢٥٦) وهي عبارة عن مفاوضة غاية في الرقّة بين الله والخاطئ اوّلها:

يدعوك ربُّك أيّها المتمرّدُ حتّى مَ في ليل المعاصي ترقدُ
فأجب نداهُ واعتصم بجاهِهِ فهو المجيرُ وغيرهُ لا يعضدُ

ولهُ غير ذلك من الآثار منها نُبَذ في مواد علميّة وصناعيّة وادبيّة نشرها في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ (ص٢٢,٣٦,٥٢ الخ). ومن شعرهِ قولهُ في وصف الدنيا ونكباتها:

ذر الدّهرَ فالأيّام فاسخة العقد وناشرة البلوى وطاوية العهدِ
وما هذه الدنيا سوى دارِ ذلّة وفيها يجولُ المرء في الهمّ والكدّ
نروم بها طول البقاء ودونهُ سيوف القضا بالفتك ماضية الحدّ
تخادعنا الدنيا بوعدٍ مسرّةٍ وليس سوى البأساء فيها وفا الوعدِ
تسلُّ على ذي الملك والجاه سيفها كما انها تسطو على احقر العبدِ
وهيهاتَ ما الدنيا الغرورُ بمنزلٍ ولكن بها نجري الى منزل الخلدِ
وكلّ على هذا الطريقِ مسافرٌ فلا صاحبٌ يُفدّى ولا ثروةٌ تجدي

ولهُ تقريظ في مجلّة النحلة:

ألا حبّذا القومُ الكرامُ الأُلى لهم على وطنٍ من خير افضالهم فضلُ
عليهم ثناءٌ لا يزال مؤبّدًا يطيبُ كما طاب الذي جنتِ النحلُ
تأكرم بمَنْ من روضِ افكارهم لنا جنى نحلةٍ يحلو واثمانهُ تغلو
تطيب لنا ما حوتهُ فرائد واعذبُ شيء ما يُلذُّ بهِ العقلُ

ونضيف الى من سبقوا اديباً آخر توفي نحو سنة ١٨٧٣ اسمهُ اسعد باز صنّف موشّحات واغاني تقويّة منها تسبحتان في مريم العذراء شائعتان: «انتِ الشفيعَ الاكرمُ» و«يا بتول ارحمي عبيدك». ومما افادنا به جناب القانوني جرجي صفا ابيات لاسعد باز قالها سنة ١٨٣٠ في تاريخ بناء كنيسة دير القمر المعروفة بسيّدة التلة:

يا مقدس الدين الذي بسمو على قمر العلى نورًا باشراقٍ بدا
قد زانهُ الرحمان في آياتهِ وبجودة المنّان عاد مجدّدا
طوبى لمن وافى اليهِ طالبًا من مريم البكرِ العناية والهُدى
ويقول تاريخًا بهِ مترنّمًا انت رجا القصّادِ بل سبب الفدى

ولمّا اهدى الفاضل غالب افندي شاول صورة السيّدة لتلك الكنيسة. قال اسعد باز:

تخذتكِ يا بتولا لي ملاذًا حصينًا يُرتجى عند المخاطرْ
فارجوك العناية بي لأني انا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعرْ

ولهُ ايضاً :

يا بيت عنيا قد غدوتِ مشهداً لعجائب الله التي تُبي الورى
قد جاءكِ المولى المخلّص زائراً احيا بكِ البيت الرميم من الثرى

وتوفي في هذا الزمان (٢٦ كانون الاوّل سنة ١٨٧٠) احد وجوه الاسرة الدحداحية الذين اجادوا بالكتابة الشيخ امين الذي اتّخذهُ الامير حيدر كرنيس كتبتهِ لمّا فوّضت اليهِ قائمقاميّة النصارى في لبنان . وقد ذكر لهُ مكاتبنا الاديب الشيخ سليم الدحداح في مقالتهِ عن الكنت رشيد واسرتهِ (في المشرق ٤ : ٣٩٥) آثاراً ادبيّة ومنظومات شهدت لهُ على رسوخ القدم في الاداب العربيّة وأيد قولهُ بذكر ما دار بينهُ وبين ادباء عصرهِ من المساجلات والمكاتبات المنبئة بفضلهِ وباعتبار معاصريهِ لهُ

هذا ما امكننا جمعهُ من اخبار ادبا النصارى في هذه الحقبة ولا مراء انّهُ فاتنا منها اشياء كثيرة واملنا من اصحاب الفضل والهمّة ان يسدّوا الخلل او يرشدونا الى ما يعرفونهُ من الفوائد فننشرها شاكرين . وقد عدلنا عن ذكر الذين قصروا همّتهم الى تآليف دينيّة او جدليّة قليلة كالسيّد امبروسيوس عبده المتوفّي سنة ١٨٧٦ بعد تدبيرهِ مدّة لكرسيّ زحلة ونقلهِ الى القلاية الاورشليميّة وهو مؤلف كتاب كنز الرياضة الروحيّة . وكالارشمندريت غبريل جبارة احد الذين عدلوا عن الكثلكة الى الارثذكسيّة بسبب تغيير الحساب . توفي سنة ١٨٧٨ في ازمير . ولهُ كتابات جدليّة لتأييد رأيهِ الباطل في الحساب الشرقيّ

المستشرقون الاوربيّون

بقيت ازمّة الدروس الشرقيّة في ايدي الفرنسويين في السنين العشر التي تمتدّ من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ وان خمدت تلك الحركة بعض الخمود بعد الحرب السبعينيّة . وكان معظم المستشرقين في فرنسة قد تخرّجوا على اولئك الائمة الذين سبق ذكرهم كالبارون دي ساسي ودي كاترمار ورينو فتقفّى تلامذتهم آثارهم الّا انّ الموت حلّ ببعضهم فرزئت بهم الاداب العربيّة

واوّل من يستحقّ ان تشقّ عليهِ الاداب جيوبها العلّامة كرّسان دي پرسڤال (A. P. Caussin de Perceval) الذي سبق لنا ذكر والدهِ ولد هو في ١٣ ك ١ سنة ١٧٦٥

وانكبَّ منذ شبابهِ على الدروس الشرقيَّة ثمَّ ارسلته حكومتهُ بصفة ترجمان الى الاستانة ثم الى ازمير. ثمَّ جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فسكن جبلها ومدنها وتوغَّل في باديتها حيث ابتاع لحكومتهِ جيادًا اصيلة. وكان في سياحتهِ اتقن اللغات العربيَّة العاميَّة فألَّف فيها غرماطيقًا واصلح معجم الاستاذ القبطي اليوس بُختر فجدَّد طبعهُ. وقد ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغة العربيَّة في مكتب دروسها العليا فلم يلبث ان احرز لهُ شهرة كبيرة في التعليم. ثمَّ خصَّ حياتهُ في درس آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألَّف في ذلك كتابًا واسعًا في ثلاث مجلَّدات لم يبلغ فيه احد شأوهُ وقد نفد طبعهُ حتى بيع بثلاثماية فرنك: وللمسيو دي پرسڤال تآليف أُخرى عديدة ومقالات فنيَّة في كلّ آداب الشرق اخصّها تراجم الموسيقيين العرب. كانت وفاتهُ وقت حصار باريس وفيها مات في ١٧ ك ١ سنة ١٨٧١

ومن مشاهير المتوفين من المستشرقين في هذه السنين لويس امالي سيديليو (A. Sedillot) ولد في باريس في ٢٣ حزيران سنة ١٨٠٨ وتخرَّج على ابيهِ الفلكي المغرم بآداب الشرق (ج ١ ص ٦٥) فتعقَّب آثارهُ وجعل ينقب المكاتب الشرقيَّة ليستخرج منها دفائنها فنجح في ذلك بعض النجاح ونشر سنة ١٨٣٣ كتاب ابي الحسن علي المرَّاكشي المدعو جامع المبادي والغايات في الالات الفلكيَّة ونقلهُ الى الفرنسويَّة ونشر مقالات أُخرى رياضيَّة لاحمد بن محمَّد السنجاري وللامام المظفَّر الاسفزلدي وصنَّف تاريخًا للرياضيَّات عند اليونان والعرب. وقد بالغ المسيو سيديليو في تعظيم اكتشافات العرب الفلكيَّة وغيرها حتى بخس حقوق اليونان فقام بينهُ وبين علماء زمانهِ جدال عنيف في ذلك فخطَّأوهُ واثبتوا لهُ انهُ تجاوز في كلامهِ حدود الحقيقة. وكذا يقال عن تاريخ العرب الذي ألَّفهُ وطبعهُ مرَّتين فانَّهُ قد رمى الكلام على عواهنهِ وشطَّ في مزاعمهِ وقد خُدع بكتابهِ المصريّون فنقلوهُ الى العربيَّة ظنًّا منهم انَّهُ من الآثار الفريدة. توفي المسيو سيديليو سنة ١٨٧٥

وتوفي بعد سيديليو بزمن قليل المسيو جول موهل (J. Mohl) كان هذا الماني الاصل فولد في ستوتغارت سنة ١٨٠٠ ودرس في كليَّة توبنغن. ولما شعر في نفسهِ ميلًا الى الدروس الشرقيَّة قصد باريس ودرس على علمائها ثم تجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وتفرَّغ للتأليف فكتب الفصول الواسعة في كل الفنون الشرقيَّة. حتى انَّ خطبهُ التي

القاها في الجمعيَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة عن الشرق تقوم مقام كتاب يشمل كل تاريخها الحديث وكان متعمقاً في آداب الفرس وهو الذي نشر في باريس كتاب الفردوسي المعروف بشاه نامه طبعهُ طبعاً بديعاً في سبعة مجلَّدات ضخمة ونقلهُ الى الفرنسويَّة وذيَّلهُ بالحواشي وعلَّم سنين طويلة اللغة الفارسيَّة في مكتب باريس الاعلى. توفيَّ في ٤ ك١ سنة ١٨٧٦

وفي السنة ١٨٧٧ فُجعت الآداب الشرقيَّة باحد اركانها المسيو بلن (Belin) كان قطن زمناً طويلاً بلاد الشرق وخصوصاً عاصمة المملكة العثمانيَّة حيث تعيَّن قنصلاً لدولته. وكان مع تدبيرهِ بشؤون القنصليَّة يهتمُّ بدرس تاريخ الشرق وكشف اسرارهِ فوضع مصنَّفات جليلة في تاريخ الترك وآدابهم وكان يُعنَى خصوصاً بتاريخ نصارى الشرق واحوالهم ولهُ في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة فصول حسنة في كل ابواب المعارف الشرقيَّة وقد ألَّف تاريخاً للطائفة اللاتينيَّة في الاستانة العليَّة

وفي السنة التالية (٤ ايلول ١٨٧٨) توفي المستشرق الشهير غارسن دي تاسي (Garcin de Tassy) ولد في مرسيلية سنة ١٧٩٤ ودرس في باريس اللغات الشرقيَّة على امامها الاكبر دي ساسي. فاشتهر فيها ولاسيما في اللغتين الفارسيَّة والهندستانيَّة وقد توفَّرت مصنَّفاتهُ فيها. ومن آثارهِ مجموع الرموز الشرقيَّة جمعهُ من آداب العرب وغيرهم ونقلهُ الى الفرنسويَّة: ومنها كتاب في العروض والنظم عند الشرقيين. وكتاب آخر في البيان والبديع. وقد نشر كتاب كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي وحشَّاهُ وترجمهُ الى الفرنسويَّة ولهُ غير ذلك

وفي هذه السنة ١٨٧٩ وقعت وفاة مستشرق آخر شهير ادَّى للآداب العربيَّة عدَّة خدم نريد بهِ المسيو دي سلان (G. de Slane) وجَّه الحاظهُ الى بلاد المغرب ودرس اخبار البربر فألَّف فيهم تاريخاً في ستَّة مجلَّدات ثمَّ درس ابن خلدون واتمَّ ترجمة مقدَّمته التي كان باشر بها العلَّامة دي كاترمار فطبعها في ستَّة مجلَّدات ثلاثة عربيَّة وثلاثة افرنسيَّة. ومن مآثرهِ الطيبة وصفهُ للمخطوطات العربيَّة التي تصان في مكتبة باريس العموميَّة لكنَّ الموت حال دون تتمَّة العمل فاتمَّهُ المسيو زوتنبرغ (Zotenberg)

ومن الكهنة الذين ابقوا لهم ذكرًا بدرس الشرقيات في باريس الاب غلار (Glaire) من جمعيَّة سان سولبيس ولد سنة ١٧٩٨ وبرَّز في الاداب الشرقيَّة فندبتهُ الحكومة الفرنسويَّة الى تدريس اللغة العبرانيَّة في مدرستها العليا خلفاً لكاهن آخر من

جمعيتهِ الاب لوهير (Le Hir) الذي تخرَّج عليهِ رينان في درس العبرانيَّة وكان الاب غلار حاذقاً في تفسير الكتب المقدَّسة وتولَّى شرحها في مدارس دولتهِ العموميَّة وكان عارفاً باللغة العربيَّة وقد وضع في اصولها كتاباً مطوَّلاً في اللغة الفرنسويَّة . توفيَّ الخوري غلار في مدرسة اسي (Issy) قريباً من باريس سنة ١٨٧٩

وكان يعاصر هذين الكاهنين كاهن آخر من وطنهما الَّا انهُ سكن المغرب واشتهر في تونس نريد بهِ الاب فرنسوا بورغاد (F. Bourgade) ولد سنة ١٨٠٦ . وبعد كهنوتهِ سنة ١٨٣٢ طلب اعمال الرسالة فرحل الى الجزائر سنة ١٨٣٨ وخدم فيها راهبات مار يوسف ثم رافقهنَّ الى تونس سنة ١٨٤٠ وولي هناك خدمة كنيسة مار لويس التي شيَّدتها الحكومة الفرنسويَّة . ومن مساعيهِ المشكورة انهُ انشأ مستشفى لابناء وطنهِ وفتح لهم مدارس ادارها بكل غيرة وفتح اوَّل مطبعة عُرفت في تونس . وكان الاب بورغاد محبًّا للآداب العربيَّة مطَّلعاً على احوال العرب وتواريخهم . وقد وضع عدَّة تآليف تنبئ بسعَة معارفهِ لآداب الاسلام منها كتابهُ المعروف بمسامرات قرطجنَّة في ثلاثة اقسام طبعهُ بالفرنسويَّة والعربيَّة . ومنها كتاب في تاريخ تونس . ولهُ تفنيد على سيرة المسيح التي ألَّفها الملحد رينان . وطبع بالعربيَّة نبذًا من قصَّة عنتر وقلائد العقيان لابي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك وقد انشأ جريدتين عربيَّتين عُقاب باريس والبرجيس وكان اتَّخذ لهُ بصفة كاتب ومحرِّر سليمان الجزائري الذي مرَّ لنا ذكرهُ . توفي الاب بورغاد في ٢٠ أيار سنة ١٨٦٦

ونختم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين باحد الاثريين المسيو سوسي (L. F. Caignart de Saulcy) توفي في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ وعمرهُ ٧٣ سنة بعد ان أدَّى للدروس الشرقيَّة خدماً عظيمة بتعريف آثار الشرق ولاسيما النقود القديمة فانَّهُ ساح مراراً في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درساً نعماً وفكَّ كثيراً من اسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانيَّة والفينيقيَّة والاشوريَّة والعربيَّة . والكتب التي ألَّفها في وصف العاديات التي اكتشفها او حلَّ رموزها تنيف على المئة . وبعض هذه التآليف كتب ضخمة . ولهُ ايضاً عدَّة تواريخ واسفار كرحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة في مجلَّدين وتاريخ هيرودس لكنَّهُ برَّز في علم المسكوكات القديمة

(الالمانيون) سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشرقي الالمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حمّية الدروس الشرقيّة فاخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويوسعون نطاق مدارسهم الشرقيّة . ومن استحقوا شكر الادباء في هذه البرهة من الدهر العلّامة إيفلد (H. Ewald) ولد في غوتا سنة ١٨٠٣ ودرس في وطنه العلوم الدينيّة ويعدّهُ البروتستانت من كبار ائمتهم في اللاهوت لهُ فيه كتابات عديدة وقد علّمهُ زمناً طويلاً في مدارس المانية وكان تبحّر في درس اللغات الشرقيّة ومن مآثره العربيّة غرماطيق واسع في جزءين صنّفهُ باللغة الالمانيّة وقد كتب ايضاً في الشعر والعروض ونشر كتاب فتوح الجزيرة المنسوب الى الواقدي ووصف المخطوطات العربيّة المصونة في غوتا . توفي ايفلد في ٤ أيار سنة ١٨٧٥

واشتهر ايضاً الماني آخر اسمهُ هرمان روديغر (H. J. Roediger) كان ابوهُ اميل روديغر سبقهُ الى درس الشرقيّات فنشر امثال لقمان الحكيم وكتب في الترجمات الشرقيّة للاسفار المقدّسة التاريخيّة . وقد تبعهُ ابنهُ في درس الآداب العربيّة وعلّمها مدّة في مدينة هال (Halle) ومن آثاره اشتغالهُ بكتاب جليل يُدعى الفهرست لابي الفرج ابن النديم كان باشر بطبعهِ العلامة فلوغل ففاجأهُ الموت ولم يتمّمهُ فانجزهُ العالمان ارغست موللر وهرمان روديغر . وقد كتب روديغر في بعض اللغويّات العربيّة عدّة مقالات منها تأليف واسع في اسماء الافعال

(الروس) سبق لنا ذكر عنايتهم بالآداب العربيّة وكانت دولتهم لبسط سيطرتها على انحاء من القارة الاسيويّة احسّت بحاجتها الى لغة قسم كبير من رعاياها فأنشأت مكتباً خصوصيًّا للغات الشرقيّة من جملتها اللغتان العربيّة والفارسيّة عهدت بتدريسها الى اثنين من تلامذة البارون دي ساسي وهما الاستاذان ديمانج (Desmanges) وشرموا (Charmoy) صاحب التآليف الخطيرة في تاريخ المغول والاكراد . واخذ عن ديمانج تلميذهُ الروسي بوتجانوف (Bottjanoff) الذي نشر بعض قصائد لابي العلاء المعرّي وللنابغة الذبيانيّ . وفي عهدهِ كان الكسيس بولديراف (A. Boldyrew) الذي رحل الى باريس وسمع دي ساسي وعلّم في موسكو وترأس على كليّتها . ومن تركتهِ العلميّة نشرهُ لمعلّقتي الحارث بن حلزة وعنترة ثمّ منتخبات عربيّة طبعها في موسكو سنة ١٨٣٢ ولهُ فصول ومقالات شتى في منشورات بلادهِ . وكان عالماً باللغة

الفارسيَّة ترك فيها آثاراً مذكورة . وعاصرهُ عالم روسي آخر يوسف سيانكوفسكي (J. Sienkowski) ولد في بلاد ليتوانيـة في اوائل القرن التاسع عشر ودرس العربيّة وهو في مقتبل العمر ثمَّ ساح في بلاد الشام ومصر وعاد الى بطرسبرج حيث درَّس اللغتين العربيَّة والتركية . وكان عالماً باللهجات العاميَّة فكتب في ذلك عدَّة فصول مفيدة ونشر قصصاً وحكايات وبعض روايات عنتر . ولهُ مقالة حسنة في ديوان لبيد وساعد برغرين (Berggren) في تأليف دليلهِ للسيَّاح في الشام ومصر سنة ١٨٤٤ . ومن مآثره انَّهُ جمع من تواريخ العرب والترك والفرس ما رووهُ عن قبائل الهونيين (Huns) وعن امور وطنهِ بولونية

وقد تخرَّج على سيانكوفسكي كثيرون من الروسيين اشتهر بينهم سافليـاف (P. Sawelieff) الكاتب الاوَّل لاسرار الجمعيَّـة الاثريَّة في بطرسبورج واحد خدمة الآداب الشرقيَّة في بلادهِ . ثم غريغوريف (W. Grigorieff) معلم التواريخ الشرقيَّة في عاصمة دولتهِ

وعُرف في ذلك الوقت الكاهن الروسي باسكي (G. Pawsky) نقل الكتب المقدَّسة من العبرانيَّة الى الروسيَّة وألَّف كتاباً في اصول اللغة العبرانيَّة وكان متضلِّعاً بالعاديَّات الشرقيَّة وقد صنَّف فيها المقالات المستجادة . واشتهر مثلهُ في العبرانيَّة العالم كوسوفتش (K. Kossowitch) الذي نقـل الى الروسيَّة غرماطيق جزنيوس (Gesenius) وحشَّاهُ وقد نشر منتخبات عبرانيَّة

وفي السنة ١٨٥٤ أُنشئ في كليَّـة بطرسبورج مكتب خصوصي لدرس العلوم الشرقيَّة فدعي الى تدريس العربيَّة فيها السيو نثروتسكي (M. Nawrotsky) الذي وضع في اصول اللغة العربيَّة كتاباً يرجع اليهِ علماء الروس حتى يومنـا هذا . وكان يسعفهُ في درس اللغة العاميَّة الشيخ محمَّد الطنطاوي المتوفَّى سنة ١٨٧١ ولهُ في اللهجة المصريَّة كتاب معروف

واشهر من هؤلاء المستشرق الروسي الياس نيقولاتش برازين (F. N. Bérésine) ولد سنة ١٨١٨ ودرس في كليَّة قازان اللغات الشرقيَّـة ثم ارسلتهُ الكليَّة الى بلاد الشرق فطاف اقطار العجم ثم الجزيرة وبرّ الاناضول والشام ومصر وسكن الاستانة مدَّة ثم عاد الى بلادهِ مارًّا بالقريم ثمَّ رحل الى سيبارية ودرس آثار التتار وكتب تاريخهم .

ثمَّ علَّم مدَّةً في كلِّية قازان اللغة التركيَّة ولهُ فيها وفي الفارسيَّة عدَّة تآليف . وكان يعرف اللغة العربيَّة ودرس خصوصاً لهجات بلاد الجزيرة وما بين النهرين فوصفها وانقطع الى تاريخ الدول الاسلاميَّة وكتب فيها كتابات اثريَّة وتاريخيَّة وجغرافيَّة وادبيَّة ولغويَّة وقد اجاد في وصف اليزيديين والاسماعيليين واسهب في تعريف نصارى الشام وما بين النهرين . وقد تولَّى ادارة المطبوعات الشرقية في قازان الى وفاتهِ نحو السنة ١٨٧٠

وقد اشبه العلامة برازين روسي آخر سبق لنا ذكرهُ (ج ١ ص ١١٩) المسيو خانيكوف (M. de Khanikoff) فانهُ رحل ايضاً الى العجم واواسط اسيَّة وكتب في آثار بخارى وسمرقند وفي آداب الفرس وشعرائهم . توفي سنة ١٨٧٩ (١

ونختم بذكر مستشرق اسوجي لبى دعوة ربهِ في هذه الردحة نعني بهِ شرل ترنبرغ (C. Tornberg) فانهُ ولد سنة ١٨٠٧ وتتلمذ لدي ساسي في باريس وعلَّم في كلِّية اوبسالا اللغة العربيَّة . ولهُ تآليف في آثار العرب تستوجب شكر محبِّي الشرقيَّات اخصُّها تاريخ الكامل لابن الاثير طبعهُ في ١٤ مجلَّدًا واضاف اليهِ ملحوظات مهمَّة . ثم تاريخ فاس المسمَّى كتاب الانيس المطرب روض القرطاس للشيخ ابن ابي زرع نشرهُ ونقلهُ الى اللاتينيَّة . وكذا فعل بمنتخبات من تاريخ ابن خلدون ومن خريدة العجائب لابن الوردي ووصف المخطوطات الشرقيَّة المصونة في مدينة اوبسالا . توفي الدكتور ترنبرغ نحو السنة ١٨٧٨ . (لهُ بقيَّة)

استطراد

في نقد انتقاد

لسنا ممَّن يكره الانتقاد وكثيرًا ما كرَّرنا على القرَّاء الكرام التماسنا من فضلهم بان يزيدونا علماً في ما كتبناهُ عن ادباء القرن التاسع عشر ويصلحوا ما سهونا عنهُ او وقع فيهِ الخلل فشكرناهم كلَّما اجابوا الى دعوتنا

---

١) قد استفدنا بعض ما كتبناهُ عن مستشرقي روسيَّة من احد افاضلها تربل بيروت هذه الايَّام واحد طلبة مكتبنا الشرقي الاديب اغناطيوس كراكتشوفسكي (I. Kraktchowski) نشكرهُ على ما افاد . وسنتمم في الفصول التالية اخبار الذين اشتهروا بعد سنة ١٨٨٠

ومنّن تصدّوا آخرًا للانتقاد على اقوالنا صاحب جريدة المهذّب التي تطبع في زحلة في عددها ١١ الصادر في ٢٠ آذار فاقبلنا على مطالعة نبذته بالرغبة التامّة في الاستفادة من ملحوظاتها واذا بالكاتب سامحهُ الله فتح لنا بابًا كنّا وددنا لو ابقاهُ مسدودًا صيانةً لشرفهِ وشرف من حاول الدفاع عنهُ

لمّا ادّى بنا سياق كلامنا عن تاريخ الاداب العربيــة في القرن التاسع عشر الى ذكر الاسرة اليازجيّة لم نألُ جهدًا في بيان مفاخرهــا وتعداد الخدم التي ادّتها في بلادنا للمعارف العربيّة وقد شكرنا الادباء على كلامنا واقرّوا بانصافنا ومعرفتنا للجميل. ولم نستثنِ من فروع تلك الدوحة الباسقة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ فوفّيناهُ حقّهُ من الثناء على اعمالهِ وضربنا الصفح عمّا رشقنا بهِ مرارًا في ضيانهِ من سهام الشتم وقد كنّا في حياتهِ لم نعاملهُ بالمثل ونسكت غالبًا عن سبابهِ الّا اذا اضطرّتنا الحقيقــة واحوجتنا الذمّة الى تفنيد مزاعمــهِ. ولم ننسَ اذ ذاك واجبات الاحترام لشخصٍ كنّا عرفناهُ منذ حداثة سننا وقدّرنا قدرهُ واطرأنا محامده. ولمّا توفّاهُ الله اسرعنــا الى الصلاة عن نفسهِ وغاية ما كنّا نتمنّاهُ ان يفيدنا احد الرواة الثقــة او احدى الجرائد المصريّة عن استعدادهِ باقبال الاسرار للاقاة ربّهِ. وكانَ النشرات المصريّة عدّت الامر من النوافل فلم تذكر سوى مزاياه الطبيعيّة وآدابهِ اللسانية او الفنيّة وربّما تصدّى بعض الكتبة لتقريعنا وتسديد سهامهم الينا فلم نردّ من تلك السهام الّا ما رأيناهُ مجحفًا بحقوق الراهب اليسوعي معرّب التوراة واخوتنا الساعدين الذين حفروا حروف مطبعتنا دون ان نفوه بكلمة واحدة محلّة بشأن الشيخ المرحوم بل استنــدنا الى اقوال الشيخ نفسه لبيان الحقّ

امّا نبذتنا الاخيرة عن النقيد في تاريخ الاداب العربية فأمسكنا فيها غاية جهدنا عمّا يغضّ من قدره وان قيّدنا الثناء في شيء مراعاةً لحقوق التاريخ الصادق نقلناهُ بحرفهِ عن اصحاب الشيخ. وكذلك ما كنّا لنشير الى تلك القصائد المهيّجة التي نظمها لولا مجاهرة المجلّات المصريّة بالسرّ المكتوم فما كان يسعنا الّا ابداء استيائنــا من تلك المنظومات التي لا يستحلّها الّا ارباب الفتن ومحبّو الثورات. وكان الشيخ نفسهُ اعلمهِ بمضامينها السيئة لا يُفشي سرّها ويتبرّأ منها علانيةً الّا امام بعض اصحابهِ

ومن العجب العُجاب انَّ المهذّب (وصاحبُ امتيازهِ احد لابسي القلنسوة والمصلّين في الكنائس نهض) ليناضل من الشيخ القائل :

الشرّ كل الشرّ ما بين العمائم والقلانسْ
والخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائسْ

الى ما هناك من القدح في ارباب الدين الذين جعلهم من « القوم الابالس » . فيا لله اما استحيا « المهذّب » ان يشوّه صحائفهُ بعمودين طويلين ليدافع عن اقوال الشيخ ويصوّبها وينسب اليهِ في قولها الغايات الشريفة كاصلاح المفاسد وتهذيب الاكليروس وقد بلغت بهِ الجسارة — ان لم نقل القحة والتجديف — الى ان يقابل بين الناظم والسيّد المسيح لذكرهِ السجود فقال وبئس القول :

فكما انَّ يسوع لم يتعالك بعد ان عرف حقيقة ما هم (يريد الفريسيين) عليهِ عن قولهِ فيهم وهو « الويل لكم ايها الكتبة والفريسيّون . . . » فهكذا الشيخ لم يقوَ على كتمان هذه الحقيقة نفسها بعد ان عرف ما عرف عنهم وكتب ما كتب فيهم اقتداءً بيسوع

فجعل الشيخ الذي تفاخر الماسون يوم وفاتهِ بانتظامهِ في شيعتهم نصيرًا للدين ومصلحًا لآداب الاكليروس !!! . ثم اردف المهذّب قولهُ بكلام تندى منهُ خجلًا وجوه الاوباش فضلًا عن الادباء فقال عن رهبانيتنا :

ومتى كانوا يحبّون القلانس والطيالس حتى والبرانط ايضًا وامرهم مشهور ومعروف عند الخاص والعام فلم يعد يخفى على احد ما يرمون اليهِ من الاغراض والمنافع الذاتيّة

الى غير ما هناك من القذف والشتم حتى انهى مقالتهُ البذيّة بهذه الالفاظ الدالّة على نزاهتهِ وحسن ظنهِ بنا :

ويا ليت الشيخ كان من المطوّعين والعاملين باوامر حضرتهِ (يريد ضعفنا) واحد عيد الجمعيّة لكان الآن من القديسين المطوّبين ولهُ ذخائر مقدّسة كيفما كانت صفاتهُ وافعالهُ

فللّه درّ كاتب هذه الاسطر ما ادراه بقداسة القدّيسين وما احقّهُ ان يتّخذهُ المجمع المقدّس « مدافعًا عن الشيطان » قبل تثبيتهم . فأيم الله انَّ كلامهُ هذا لمّا يضحك الثكلى لولا انهُ يبكي العيون شفقةً على قائلهِ

نشوء الموازين العربية

للاديب انيس افندي الخوري م.ع

قرأت في العدد السابع من مشرق السنة الحادية عشرة رسالةً للباحث الفاضل الاب انستاس الكرملي ذكر فيها « خصائص الموازين العربيّة واصل كيفيّة نشوئها » وقد قال في صدرها : « هذا بحث لم يتعرّض لهُ من لغويي الأعراب والأغراب سوى العلّامة الباحث جرجي افندي زيدان » والمشرق على ما اذكر اثبت كلام حضرة الاب كرأيهِ الخاصّ دُون ان يجزم بصحّتهِ . وانا مع احترامي الزائد لعلم العلّامة زيدان ومع اعترافي للاب الفاضل بالاجادة والتعمّق استسمح من حضرتهِ العذر على تصدّيَّ لهُ في هذا الباب فاني مثلهُ ناشد الحقيقة وناشدها غير ملوم

فالاب اخطأ على ما اظنّ في قولهِ « انهُ لم يتعرّض لهذا البحث سوى العلّامة زيدان اذ قد سبق لكثيرين كما قال المشرق الاغرّ ابحاث في موازين الافعال السامية واخصّ منهم بالذكر الان الاديب جبر افندي ضومط استاذ العربيّة في الكلّية الاميركية فان لهُ بحثًا « مستفيضًا في الموضوع تلاهُ في المجمع العلمي الذي عقدهُ سنة ١٨٨٥ اسبر افندي شقير ثم نشرهُ سنة ١٨٨٦ في كتاب سمّاهُ « الخواطر في اللغة » وقد تقصّى فيهِ حيث لم يتقصَّ غيرهُ وها انا باسط نُتفًا من آرائهِ بالايجاز والتصرّف واذكر اوجه الاختلاف والمطابقة بينها وبين ما ذكرهُ حضرة الاب المحترم

السالم واختلاف حركة عينهِ

يأتي المجرَّد عند السريان على وزن فَعَالْ ساكن الفاء واللام متحرّك العين بحركة مشبعة وعند العبران على وزن فَعَالْ ساكن اللام فقط واما في العربيّة فمتحرّك الاصول الثلثة وعليهِ فالعين متحرّكة في الجميع بخلاف غيرها . قال الاستاذ ضومط : « ان الحركة الاصليّة انما هي حركة العين واما حركة الفاء فجاؤوا بها تفاديًا من خشية اللفظ وعسر الابتداء بهِ ساكنًا . واما حركة العين فلما في طباع العرب من الميل الى الحركات يزينون

بها العاظهم فانـهُ لايخفاك ما في نُطق فَعَلَ من الطلاوة والانسجام زيادةً عمّا في لفظ السريان والعبران. ويؤيد صحة القول باصليّة حركة العين وفرعيّة ما سواها أنّا الى الان اذا حاكينا الاصوات الخارجيّة في ذي ثلاثة احرف جئنا بهِ مشبعَ حركة العين ساكن الفاء واللّام على وزن المجرّد عنـد السريان فنقول طرَاقْ وطعَاقْ ثم إنّا نقول طَرَقْ وطَعَقْ باظهار حركة الفاء كما هي الحال عند العبران فكأنّما نوزّع حركة العين على الفاء والعين معاً ولا يخفى ما بين اللّفظين من التقارب في السمع

« ولمّا كانت حركة العين هي الحركة الاصليّة في المجرّد السالم كان الاختلاف اذا وقع اولى ان يكون فيها دون سواهـا فردّدوها بين الحركات الثلاث للتفنن تارةً وللدلالة على معنًى آخر اخرى. وامّا حركة الفاء واللّام فلمّا كان المقصود بها امرًا يتعلّق بحسن اللّفظ ابقوها على الفتح كما جاءوا بها بدءًا الّا اذا ارادوا الاسكان كما في نحو « يضربُ » مثلًا فانهم لما رأوا في تحريك الفاء من الثقل على اللسان مـا يخالف المقصود من تحريكهم اياها ردّوها الى السكون على ما كانت عليهِ في الاصل وقالوا يَضْرِبُ

« ومثل ذلك يقال عن حركة اللام في نحو ضربْتم والعبران يختلسون حركة الفاء على شاكلة عامتنا بل الخاصّة ايضًا مع الاسراع في اللفظ. وامّـا العين فلا تسكَّن ابدًا ولا أرى لكلّ ذلك سببًا اوجه من القول باصليّة حركة العين وفرعيّة ما سواها »

أفْعَلَ

العرب والسريان يبدأونها بالهمزة مفتوحةً واما العبران فبالهاء مكسورةً وقد وضع الاستاذ لذلك تعليلين افضلهما الثاني وهو « ان صيغة أفعل مركّبـة من (هو) ضمير الغائب والمجرّد (فَعَالْ) فتُرك اشباع الهاء وأُميل فتح العين فصارت الصيغة هُفْعَل ثم هِفْعَل لان العبران يحبّون الكسر ويرون معهُ شيئًا من الخفّة والاختصار وبيان ذلك على ما ترى ان اكثر ما يُؤدّى بهذه الصيغة انما هو معنى التعدية او ما يقاربهُ وهذا المعنى يمكن ان يتحصّل من اضافة ضمير الغائب الى المجرّد. وذلك انّ (جَلَسَ) مثلًا اذا قلنا فيهِ (جَلَاسْ أَنْتَ) على الاصل يُفهم منهُ بالطبع ان الجلوس صـادر عنك او انّك أنت فاعلهُ فاذا قلنا (هو جَلَاسْ أَنْتَ) فاختلاف هذا التركيب عن تركيب (جَلَاسْ انت)

يتبادر للذهن ان هناك معنًى آخر مقصودًا بالعبارة غير معنى كونك انت فاعل الجلوس ويصرف حضور ضمير المخاطب من الفاعليَّة الى المفعوليَّة وياخذ هو مكانهُ من الفاعيلة. وهكذا ينتقل معنى الصيغة (هو جلاسْ) انتقالًا طبيعيًا من جَلَسَ الى أجلس

فترى اذن انَّ معنى التعدية يمكن ان يترتب ترتُّبًا طبيعيًا في زيادة ضمير الغائب على المجرَّد. ولنرجع الان الى لفظ الصيغة وامكان اتيانهِ من هوفعالْ. والامر هنا واضح كل الوضوح فانَّهُ مع الامالة في حركة العين وابدال الضمَّة كسرة على ما مرَّ بك انهُ يقع عفوًا يصير معنا من هوفعالْ او هُفعَال هِفعل وباخلاص الكسر هِفعيل". وبناء عليهِ يرجح الاستاذ ان هِفعيل العبرانيَّة اصل (هو وفعال). ثم لا يخفى عليك ان هُفعال تصير أفعال. فأفعل لما ان الهمزة والهاء حرفان حلقيَّان ينقلب احدهما الى الاخر بالطبع وربَّما ان العرب والسريان كانوا يقولون هَفعال الى عهد قريب الَّا ان أفعل ازداد شيوعًا حتى عمَّ استعمالهُ

فَعَّلَ وفَاعَلَ

ما ذكرهُ الاب المحترم عن هاتين الصيغتين مطابق تمامًا لما ذكره الاستاذ في كتابهِ المذكور آنفًا. وعندهُ (اي الاستاذ) انهما من فَعَلَ فليس ثمَّت اكثر من اطباق حركة الفاء او اشباعها فاذا أُطبقت تولَّدت فَعَّلَ واذا أُشبعت فاعَلَ. الَّا ان العبران كسروا فتحة الفاء لاسيما اذا كان ما بعدها مشدَّدًا لما يرون من الخفَّة والاختصار في لفظها كذلك. ولمَّا تولَّدت هاتان الصيغتان علقوا على كل منهما معاني تدلّ عليها ثمَّ رسخت صورهما وصور المعاني التي يُدَلّ بها عليهما

المزيدات الخماسيَّة

وهي تَفعَّلَ. تَفاعَلَ. إنْفَعَلَ. إفْتَعَلَ. إفعَلَّ او إفعالَّ. قال جناب صاحب الخواطر في اللغة : « اما إفعلَّ فعدُّها من المزيدات الخماسيَّة غير واقع موقع التحري والنقد انما كان آخذًا بظاهر عدد حروفها وما هي في الحقيقة الَّا نوع من لفظ فعالْ. واما تفعَّلَ وتَفاعَلَ وانفَعَلَ وافْتَعَلَ فطاوعات على الترتيب افَّعَلَ وفاعَلَ وفعَلَ وأفعَلَ. والتاء مزيدة في الاوائل الَّا في افتعل فان فاء الفعل متقدِّمة عليها والاصل فيها في الراجح التقديم ». وبعد ان ذكر الاستاذ صيغ المطاوعة عند السريان والعبران وابان اوجه الشبهة

بينها وبين الصيغ العربيّة ابانةً جليّة قال: « ولننظر في اصل الزيادة ودلالتها على المطاوعة في هذه الاوزان ولنبدأ بوزن إفتعلَ فنقول ان الزيادة فيه هي على الراجح الضمير المنفصل (انا) اتحد باصل الفاء فصار معهُ الى الصورة التي تعلمها الآن وليس في ظاهر الصيغة شيءٌ من البعد عن هذا الرأي والغرابة فلا ينطبق عليه. واما في معناها فكذلك لانهُ لا يخفى ان الضمير المنفصل (انا) في مثل قولنا (انا غمستُ) مساوٍ لقولنا «نفسي غمستُ» ثم لما أُلف هذا الترتيب في المتكلم عمَّ في الغائب والمخاطب جميعاً وانتقل معهُ معنى (انا) مع الايام وطول الالفة الى معنى نفس فصار قولنا انكسر الزجاج بمثابة قولنا « نفسهُ كسر الزجاج » وانهزم الرجل بمثابة قولنا « نفسهُ هزم الرجل » وعلمٌ جرّا

وأما بقية الصيغ فخاصة من زيادة (إتْ) على اول إتفعل في العربيّة والسريانية و(هت) في العبرانيّة. و (إت) هذه في اول صيغ المطاوعة وهي لفظة اصلية معناها ذات او نفس لا تزال معلومة الوجود الى الان ولفظها في العبرانية (ات) وفي السريانيّة (يت) وفي العربيّة (اياه) كما يعلمهُ الواقف على اللغات الثلاث. واذا كان ذلك كذلك فاذا عسى اقرب من انهم كانوا يزيدون هذا اللفظ في اوائل الافعال فتأدّى منهُ معنى المطاوعة ثم اتحد اللفظان وتنوسي مع الايام وكثرة الاستعمال لفظة (ات) مستقلة كما تنوسي لفظ (انا) في الفعل. وهنا يتّفق الاستاذ والاب والعلّامة زيدان على ما ارى فانَّ ما ذكرهُ حضرة الاب من اصل التاء المزيدة في الافعال الخماسيّة نقلاً عن زيدان موافق كل الموافقة لما تنقلهُ عن « الخواطر في اللغة »

المزيدات السداسيّة

ومن صيغها إستفعلَ وافعوعلَ وافعوّلَ وإفتعلى. والاستاذ يضرب صفحاً عن الاخيرة منها « لانَّ لا شيءَ في مقابلة اللغات يُهتدى معهُ الى شيءٍ جليّ فيها. وتعليلهُ في ما بقي يقارب تعليل الاب وزيدان افندي الّا في استفعل فان الثلاثة يختلفون هناك. واليك البيان. قال العلامة زيدان ما مؤدّاهُ — يلوح لنا ان (است) الزادة في استفعل بقيّةُ فعلٍ فُقد من العربيّة وحُفظ في السريانيّة بمعنى مال وهو (سطا) . ولقد انتقد الاب الفاضل تعليل زيدان افندي ووضع رأيهُ الخاص في ذلك وهو « ان استفعل منحوت من

ثلاث كلمات وقد أُخذ من كل من الاثنتين الأُولَيَين حرف ثم ضُمّتا الى الكلمة المطلوب نقل معناها وهذان الحرفان هما (س) من سأل و (ت) او (ات) التي تعني الذات على ما تقدَّم شرحهُ». قال: «وعلى هذا القياس يكون كل من استفعل او اشتَفعَل مطاوع سَفعل وشَفعَلَ»

اما الاستاذ فمع موافقتهِ للاب في ان استفعل مطاوع سَفعَلَ او شَفعَلَ يخالفهُ في اصل السين المزيدة في تلك الصيغة. وعندهُ انها منحوتة من لفظة (ايس) في العربيَّة ويقابلها (ايش) في العبرانيَّة و (ايت) في السريانيَّة. فعلٌ مات عندنا كان يدلّ على الوجود او الكون المطلق ومن بقاياه لَيس ولات وهما مؤلفتان من (لا) النافية والفعل المذكور للدلالة على نفي الحال او الكون المطلق وعلى ذلك يكون استفعل مركباً من ثلاث كلمات ومحلّلها (إيسْ إتْ فعل) كما ترى فتلاحمت اهجاؤها مع الايام وكثرة الاستعمال وصارت استَفعَل وليس في ظاهر نطقها شيءٌ من البعد عما يستلزمهُ القول باصلها هذا. واما من جهة ما تدلّ عليهِ فيمكن ان يتحصَّل ايضاً من مركباتها بما لا يخرج عن قوانين استدلال العقل على المعاني المرادة بالالفاظ المركبة سيما وان من معاني (ات) الدلالة على المعيَّة ايضاً فضلًا عن دلالتها على النفس او الذات. فتأمل ترَ (استمرّ) مثلًا يمكن ان يتحصَّل معناها من مركَّبِ مفرداتهُ «وجد مع المرور» وكذا استحجر واستكبر واستعظم واستغفر

وبعد ان علّل عن اصل السين في استفعلَ قال «وربما يتداعى الى الخاطر ان لمَ حفظت السريانيَّة وزن سفعل دون العربيَّة فنقول: «لا يخفى على عارف بالسريانيَّة ان المجهول غير معروف فيها وانما تقدَّم مقامهُ عندهم صيغ المطاوعة ولذلك كان لابدَّ لهم ان يلحظوا صيغة سَفعَل ويعدّوها من المزيدات ضرورة لأَنهم في مجهولها يحتاجون الى المطاوع كما يحتاجون اليهِ في غيرها بخلاف العربيَّة فان المجهول فيها اغنى العرب عن التقيّد بالمطاوع والعناية بهِ كالسريان فكانوا لذلك يمكنهم الاستغناء بمجهول سَفعل عن مطاوعهِ استفعل واستخدام ما جاء من هذا غالباً للدلالة على معانٍ أُخر تتهيَّأ في تصوّراتهم فاصبح لذلك كالمستقلّ بنفسهِ وتنوسيت مع الايام علاقتهُ بوزن سَفعل

واليك جدول يجمع صور المجرَّد والمزيدات في كل من اللغات الثلاث وقد وضعهُ الاستاذ ضرمط يُرجع اليهِ عند الاقتضاء:

العربيــة		السريانيــة		العبرانية	
فعل	مطاوع	فعل	مطاوع	فعل	مطاوع
فَعَلَ	إنفعَلَ او افتعَلَ	فَعَلَ	إتفعَلَ	فَعَلَ	نِفعَالَ
افعلَ او افعالَ		أفعَلَ	اتأفعَلَ	فَعَّلَ	هِتْفَعَّلَ
أفعَلَ	إفتعَلَ	فَعَّلَ	إتفعَّلَ	فُعَّلَ	
فَعَّلَ	تَفعَّلَ	فاعَلَ	اتفاعَلَ	هِفعِيلَ	
فاعَلَ	تَفاعَلَ	سَفعَلَ	إستَفعَلَ	هُفعَلَ	
سَفعَلَ (مات)	إستَفعَلَ	شَفعَلَ	إشتَفعَلَ		
إفعَوعَلَ		فَعلَعَلَ	إتفعلعَلَ		
إفعَوَّلَ					
إفعَنلَى					

هذا ما كتبهُ العلّامة ضومط منذ نيّف وثلاثين سنة ذكرتــهُ مع الايجاز الكلّي تلميحاً الى انهُ قد كتب غير العلّامة زيدان في الموضوع. واني يعلم الله لشاعر مع الاب الكرملي المحترم بعسر الخوض في هذه المسائل النظرية التي لا يؤمن معها زلّة قدم واسالهُ ان يقرأ كتاب « الخواطر في اللغة » فانهُ يجد فيــهِ ما يسرّهُ من البحث في تصاريف الافعال والاسماء وما يعرض عليها من الاحوال وذكر اسباب ذلــك والتعليل عن اصل احرف الزيادة في المزيدات وعلامة التانيث والتثنية والجمع وياء التصغير والنسبة في الاسماء الى آخر ما هنالك مما يرتاح اليهِ امثالــهُ من الباحثين المفكرين. هذا واني ارجو ان لا يحمل انتقادي هذا على محمل انا براء منهُ ولعلّي اعود الى البحث المطوّل في هــذا الموضوع ان شاء الله

كتابات قبرس الفينيقيّة

للاب سيبستيان رتزفال اليسوعي مدرّس العاديّات في مكتبنا الشرقي

افادتنا المجلّة الاثريّة في عددها الصــادر في شهري ايّار وحزيران من السنة المنصرمة (R. A., Mai-Juin, 1908) انّ اهل قبرس اكتشفوا في بلدة بافوس قطعة

كتابة فينيقيَّة اخذ رسمها المسيو كوبهام (Cobham) من سكَّان لرنكا فارسلهُ الى مدير المجلَّة المسيو سليمان ريناخ فعرضهـا المسيو ريناخ على الاثري الشهير المسيو كلرمون غانو فاحسن هذا شرحها واعلن بان الكتابة تقدمةٌ لعشترت فنـ (עשתרת סת) وكان العلماء يعرفون سابقًا انَّ الإلهة عشترت وهي الزُّهرة الفينيقيَّة كانت مكرَّمةً غاية الاكرام في مدينة بافوس الَّا انَّ اسم المدينة لم يظهر حتى الآن في كتابة فينيقيَّة فظهر لاوَّل مرَّة في صورة « فنـ »

وما مرَّ على هذا النبأ اشهرٌ حتى نشرت احدى جرائد قبرس اليونانية انَّهم اكتشفوا كتابةً ثانية فينيقيَّة في ناحيـة أُخرى من الجزيرة . وكان ناقل الخبر المسيو ج . ق برستياني (J. C. Peristiany) الترجمان اليوناني لدى باشكاتب الحكومة القبرسيَّة وهو هناك من اسرة وجيهة تخرَّج في كليتنا بعض أنجالها . وقد افتتح الكاتب مقالتهُ بذكر كتابةٍ وجدت في بافوس غلب على ظننا انَّها الكتابة التي فسَّرها المسيو كلرمون غانو لكنَّنا لم نتأكَّد الامر . ثم ذكر الكتابة الثانية وروى انَّهـا وُجدت في شماليّ اقبرسية في مدينة قديمة جدًّا تُدعى خيتروي (Chytroi) حيث تقـدَّم وجود عدَّة آثار جليلة . ثم ختم الكاتب مقالتهُ بشرح الكتابتين وظنَّ ان الكتابة الثانية تذكر اسم بعلرام (בעלרם) ملك كيتيون المالك في القرن الرابع قبل المسيح

فاستوقف هـذا الخبر نظري وقلتُ في نفسي: « عسى ان يكون في الكتابتين فوائد لتاريخ المستعمرات الفينيقيَّة » فكتبتُ مسرعًا الى المسيو برستياني الذي تلطَّف فارسل لي رسمًا من الكتابتين . فاوَّل ما وقع نظري عليهـا عرفتُ رغمًا عن قلَّة وضوحهما بان الكتابة الاولى هي الكتابة التي قرأها المسيو كلرمون غانو . امَّا الثانية فثبت لديَّ انَّها ليست من عهد بعلرام بل اقدم منهُ بزمن مديد وقد لحظتُ ان قلمها يشبه كثيرًا قلم الكتابات العبرانيَّة والفينيقيَّة الراقيـة الى القرن السادس او السابع قبل المسيح . وممَّا كان يلوح للناظر في الكتابة لفظة ملك (מלך) وقبلهـا حرف ميم (מ) لكنَّ الحجر يُرى هناك مكسورًا فلا يمكن ان يستخرج ممَّا طُمس اسم بعلرام الَّا حدسًا . فان كان ثبتت اسمهُ فليس هو الملك المعروف بل سميُّهُ وسلفهُ في ملك كيتيون قبل ذلك العهد بكثير . وزد عليهِ ان هـذا حرف الميم كان يمكنهُ ان يدخل في علَم غير بعلرام

وكان المسيو پرستيساني في رسالته افادني بانَّ رسوم الكتابتين كانت عُرضت على الاستاذ ارتنغ (Euting) الاثري الشهير في ستراسبورغ وعلى المسيو كلرمون غانو في باريس. فلم اشكّ ان هذين العالمين كانا اوضحا معنى الكتابة الثانية المكتشفة في خيتروي. على اني التمستُ من لطف المسيو پرستيساني ان يأخذ لي رسوماً جديدة من الكتابتين على ورق حسن ارسلتهُ لهُ لعلّي بقراءتهما افوز بنتيجة مفيدة خدمةً للعلوم الاثريّة

فلم يُخب جناب المراسل القبرسي آمالي وبلغتني رسومهُ الجديدة في ٢٧ آذار الاخير واعلمني برسالة ثانية انَّ العلّامة ارتنغ قرأ الكتابة فوجد فيها مثلهُ اسم « ملك » وفي آخر السطر الثالث اسم « قدر » (קדר) او قطر (קטר) الذي يرى انهُ اسم مدينة خيتروي العتيق المكتوبة ايضاً بصورة كيتروي في اليونانية القديمة. امّا المسيو كلرمون غانو فقال الكاتب انهُ لم يجاوب بعد والمظنون على قول المسيو كوبهام انهُ يفسر الكتابة في المجلّة الاثريّة. وقد بلغنا من هذه المجلة عددها الاخير في كانون الاوّل ولم نجد ذكرًا لكتابة خيتروي وفي سكوتها عنها دليل على انَّ الزمان لم يسمح للمسيو كلرمون غانو بان ينشر شروحهُ او ينجزها ولعلّهُ ايضاً لم يستطع شرحها لقلّة وضوح الرسوم المرسلة اليهِ وهو عندي اقرب. وهذا الذي حدا بي الى نشر رسوم الكتابتين رجاء ان ينتفع بهما الاثريّون

والرسمان اللذان ننشرهما في المشرق اجلى وافضل من الرسوم السابقة وان كان قد اصابهما بعض الضرر من دعكهما ولو جعلهما جناب المكاتب في علبة متينة لوصلا في تمام حسنهما. ومع ذلك لا نتردّد في نشرهما لاسيما انَّ جهاز مطبعتنا الفوتغرافي وحذق اخوتنا الطبّاعين قد اخرجا الرسمين على صورة مرضية كما ترى

كتابة پافوس

هي الكتابة التي كشف اسرارها جناب العلّامة كلرمون غانو. الّا انَّ في رسمنا ما يزيل الشبهات بوضوح بعض احرف وخصوصاً في سطرها الاخير وها نحن نوردها كما قرأناها ونضع نقطة فوق الحروف التي يُشتبه في صحّتها:

١ . . . סחת . . .	. . . . .
٢ . . . קדש אש . . .	. . . قدس (او مقدس) الذي . . .
٣ . . . ר ופנלת א . . .	. . . وفلتُ (او وفلتْ) . . .
٤ . . . עשתרת פף . . .	. . . عشترت فف . . .
٥ . . . אנסחלצת	. . . عوض (شكر)

فيرى من الرسم ان الكتابة ليست تامّة قد اصابتها كُسور في كل جهاتها والرجّح ان ختام سطرها الاخير سالمٌ ليس بعده شيء. لانهُ بعد الحرف النهائي وهو التاء (ת) فضاء الى الصدع التالي

وان اعتبرت السطر الاوّل فكأنّ حرفيه الاوّلين رقمان يدلّان على تاريخ الّا انّ الامر ليس بأكيد ما لم نرَ الحجر الاصلي. وبقيّة حروف هذا السطر ممحوّة دائرة

وفي الاسطر التالية يُستفاد من الكتابة انّها كُتبت لتقدمة دينيّة مقدّسة او لمقدس انشأهُ بعض الناس لاكرام الالهة عشترت بافوس. وكأنّ الشعب شكر لهُ فعلهُ. الّا انّ مضمون هذه الكتابة غير ثابت ثبوتًا تامًّا واخطر ما تحتويه ذكر مدينة بافوس. امّا صورة الكتابة فانّها غاية في الحسن تدلُّ على عهد قديم لعلّه القرن الثالث بل الرابع قبل المسيح وعلى هذا البناء لا اظنّ ان الحرفين الاوّلين من الكتابة يدلّان على تاريخ اذ لو صحّ ذلك لكان التاريخ سنة ١٢٠ يُراد بها تاريخ اليونان فتكون الكتابة من القرن الثاني قبل المسيح

الكتابة الثانية

وهذه ايضًا قطعة من كتابة حجريّة مكسرة في كل نواحيها. ومع ذلك ما بقي منها خطير جدًّا وان لم يصرّح باسم ملكٍ. واوّل ما يلوح للناظر انّ كل لفظة تمتاز عن اختها بنقطة بينهما وهو من الدلائل على اقدم الكتابات الساميّة. ثم انّ قلم الكتابة عاديٌّ محض ويشبهُ كثيرًا كتابة بركة سلوان قرب اورشليم التي يرقّى عهدها الى القرن السابع قبل المسيح. ولعلّ بعض حروف كتابتنا اقدم صورة من كتابة بركة سلوان. ودونك ما يُقرأ منها:

١ . . . שכבתי . . .	. . . اضجعتُ (ولمثلهُ المضجع) (משכב)
٢ . . . [א] מ · מלך · הא · אם . . .	. . . إن ملك هو أم . . .
٣ . . . תח · תקבר · . .	. . . تح القبر . . .
٤ . . . ז · באיא[ר] . . .	. . . [ه]ذا . لانهُ لا . . .

فمن هذه البقيَّة يظهر ان الكتابة كانت لقبر ميت وصورتها الرثائيَّة معروفة من الكتابات التي وردت على نواويس اشمونعزر وتبنيت في صيدا . حتى يمكننا ان نعيد بالمقابلة السطرين الثاني والثالث على هذه الصورة :

אם מלך הא אם אדם	ان ملكٌ هو او انسانٌ
אל יפתח תקבר ז	لا يفتح هذا القبر

وكذا فحوى الرابع معروف وهذا معناهُ :

لانهُ لا يوجد فيهِ (او عَمي او لي) لا فضَّة ولا ذهب الخ

ولعلَّ اخطر ما في هذه الكتابة سطرها الاخير الذي أعدنا اصلهُ هكذا באיא[ר] استنادًا الى كتابة تبنيت في سطرها الرابع ومعناها لانهُ « ليس بالحقيقة » والمعنى لا يبقى شبهة فانَّ الكلمة مركَّبة من ثلاثة مقاطع

כ אי אר

لانهُ ليس حقًّا

ذلك ما يمكن استخراجهُ من هذه الكتابة التي لا تخلو من شأن مع ما اصابها من الصدوع وسوء حالتها

وقلم هذه الكتابة من اقدم الامثلة التي باتت الينا من زمن الفينيقيين . ومن المعلوم انَّ اعرق الآثار الفينيقيَّة في القدم قد وُجد في قبرس وهو قدح من الشَّبه عليهِ كتاب تقدمة الى الاله بعل لبنان (בעל לבנן) يرقونها الى القرن التاسع قبل المسيح او الى الثامن على الاقل . وكذلك قد اكتشفوا في حسَّان بكلي شمالي حلب على مسافة ١٣ كيلو مترًا غربي زنجيرلي كتابة فينيقيَّة قديمة جدًّا يجعلون تاريخها بعد تاريخ قدح قبرس لكنَّها ليست اقدم من كتابة خيتروي التي نحن في صددها . ومن ثم نعتبرها الآن كالثانيَّة في تاريخ

الكتابات الفينيقيّة المعروفة في زماننا والمرجّح انها ليست فقط من القرن السادس بل تتّصل بالسابع وسأعود الى وصف هذه الكتابة في مقالة انشرها في غير هذه المجلّة. وانّما اردت الآن ان اتحف بهذه العجالة قرّاء المشرق والسلام

المختار في كشف الاسرار

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

ومن الفصول اللطيفة التي خصّها الجوبري بإماطة القناع عن خُدَع المدلّسين ومكر المشعوذين فصلهُ الرابع في نسختنا (ص ٣٠—٤٠) وهو السادس في غير نسخ وقد قسمهُ ثمانية ابواب بيّن فيها اسرار بني ساسان وحيلهم الغريبة وبنو ساسان جيل من البشر يتنقّلون في البلاد ويرتزقون باصناف الغش وهم الذين يدعوهم اهل بلادنا بالنَّوَر كما اثبت حضرة الاب انستاس الكرملي في مقالته المعنونة «إطلاع الحضر على أطلاع النوَر» (اطلب المشرق ٥: ٩٦٧ — ٩٧٠ و ٦: ٢٨٨). وقد افتتح المؤلف كلامهُ فيهم بقوله:

اعلم ان هذه الطائفة يدخل فيها جميع الطوائف ويتعلّق بها اكثر الخلق وذلك انها صناعة واسعة الدائرة تحتمل امورًا شتّى واهلها اصحاب دهاء ومكر وحيال وجسارة على كل ما يفعلون ولهم الف باب من ابواب المكر... فمنهم اصحاب النواميس والفقراء والمدروزين واصحاب البلاء (يريد المدّعين بالبرص) والزطّ واصحاب الوحوش مثل الدبّ والقرد والذين يلعبون بالتيوس والحمير ويُوثقون بين القطّ والفار ويعملون اللحى النساء والذين يدّعون انهم كانوا مأسورين والذين يدّعون الخرس والعماء وكل مرض ويظهرون الاستسقاء والقروح والجراحات ولهم اشغال كثيرة مثل ذلك...

أمّا انتسابهم الى ساسان فهو شيخٌ محتالٌ كان يخدع الناس بالكدية. قيل ان هذا الشيخ كان يقول «الحيلة على الناس ولا الحاجة اليهم» وزعموا انهُ كان اتخذ لهُ عصًا لاسفارهِ كتب عليها «من جسر ايسر ومن هاب خاب»

ثم اتّسع الجوبري بوصف تحايلهم وذكر من ذلك امثالًا بديعة نروي منها شيئًا. فانهُ بدأ بذكر الذين يتعامون فقال «انهم اذا ارادوا ذلك اخذوا من دم القراد جزءًا

ومن الصمغ العربي جزءاً ثم يكتحلون بهِ على اطراف جفونهم فتنطبق وتلتصق فلا يشكّ من يراهم انهم عميان. فاذا ارادوا فتح عيونهم ياخذون الصابون وينحتونهُ ويلقونهُ في الماء مع شيء من القلي ويغلونهُ حتى يذهب منهُ الربع فينزلونهُ من عن النار ويغسلون بهِ عيونهم فتنفتح »

ثمّ تخطّى المؤلف الى ذكر من يدّعي بالجذام ويتظاهر بالاستسقاء . اما الجذام فيلوح عليهم اذا استحثّوا بنقيع يغلونهُ على النار فيهِ اجزاء متساوية من ورق العظلم والكبابة والقاقند . واما الاستسقاء الموهوم فبأن يغلوا نقيعاً من ماء التين الاخضر ومن بعض النمل فيشربونهُ فتكبر بطونهم ووجوههم حتى يخيل لمن يراهم انّ بهم استسقاء ثمّ يعالجونهُ بماء الهندباء وسكّر الطبرزد فيزول

ومن ظريف القصص التي اخبر بها المؤلف قصّتان جرتا لهُ مع هؤلاء الجشاء نرويهما هنا تفكهة للخواطر

القرد المسحور

(قال الجوبري) رأيت بخراسان (ويُروى بحرّان) سنة ٦١٣ هـ (١٢١٧م) رجلاً من بني ساسان اخذ قردًا وعلمهُ السلام على الناس والتسبيح والسواك والبكاء ثم رأيت من هذا القرد من الناموس ما لا يقدر عليهِ احد من الناس . فاذا كان يوم الجمعة جاء عبد هندي لطيف الملبوس حسن الشمائل الى الجامع ومعهُ سجّادة حسنة فيفرشها عند المحراب فاذا كانت الساعة الرابعة جاء القرد بملبوس عظيم من ملابس الملوك وفي وسطهِ حياصة ذهب مرصّعة بانواع الجواهر وقد طيّبهُ بانواع الطيب وأركبهُ بغلةً بقماش فاخر وركابات محلّاة بالذهب ثم يمشي في خدمتهِ ثلاثة عبيد هنود بافخر ما يكون من الملبوس الواحد يحمل وطاءهُ والثاني تاسومتهُ (ويروى سرموزتهُ) والثالث يمشي قدّامهُ كالحاجب لهُ . وهذا القرد لا يمرّ على احد الّا تسلّم عليهِ طول الطريق

فاذا وصل الى باب الجامع نزل فيتقدمون لهُ التاسومة (السرموزة) فيلبسها ثم يعضدهُ العبد الى ان يصل الى الموضع الذي فيهِ السجّادة وهو مطرق بالهيبة والسكون وكلُّ من سأل عنهُ يقال لهُ : هذا ابن ملك الفلاني من اكبر ملوك الهند وهو مسحور . ثمّ يفرش لهُ العبد الوطاء فوق السجّادة ويحطّ لهُ مسبحةً وسواكاً فيقلع القرد بيدهِ

منديلًا من وسطهِ من الحياصة ويضعهُ قدّامهُ . ثمَّ يتناول السواك فيستاك بهِ ويصلّي ركعتين تحيّة المسجد ثم ياخذ المسبحة ويسبّح

فاذا فعل ذلك قام العبد الكبير وسلّم على الناس وقال : يا اصحابنا من اصبح معافى فليشكر الله على ما انعم عليهِ واعلموا انَّ بني آدم هدف للبلايا فمن ابتُلي فليصبر ومن عوفي فليشكر واعلموا انَّ هذا القرد الذي ترونهُ بينكم لم يكن والله في زمانهِ احسن منهُ شباباً وهو ابن الملك الفلاني صاحب الجزيرة الفلانيَّة فسبحان من سلب منهُ الحسن والملك ومع ذلك فانَّهُ لم يُرَ في الناس ارحم منهُ قلباً ولا اروع منهُ وانَّما هذه الدنيا كثيرة المحن . فكان من القضاء المقدور انَّ اباهُ زوجهُ بابنة الملك الفلاني فاقامت معهُ كذا وكذا سنة ثم نقلوا اليها انَّهُ عشق غيرها فهربت الى بيت اهلها ولما حصلت عند امّها سحرتهُ امّها فصار قردًا كما ترون . فلما علم والدهُ بذلك امر السحرة والاطباء والحكماء ان يردّوهُ الى صورتهِ فعجزوا عن ذلك فامر باخراجهِ من الاقليم لما لحقهُ من العار بين الملوك وقد سألنا زوجتهُ فيهِ غير مرَّة ان تعيدهُ الى حالتهِ الاولى فامتنعت وقالت انها تركت عنده اثاثًا قيمتهُ مائة الف دينار وحلفت لا تردّهُ الى صورتهِ الّا بها وقد درنا بهِ البلاد وتعصّبت لهُ الملوك والتجار فجمعنا لهُ تسعين الف دينار وبقي عشرة الاف دينار فمن يساعده بشيء من ذلك ويعينهُ على ما قضي عليهِ ويرحم هذا الذي عدم شبابهُ وملكهُ واهلهُ ووطنهُ ؟ فاذا سمع القرد ذلك وضع المنديل على وجهه وبكى امرَّ بكاء بدموع كالمطر فترقّ لهُ القلوب وما من الحاضرين الّا ومن يردفهُ بشيء فما يخرج من الجامع الّا بشيء كثير وهم يدورون بهِ البلاد على هذه الصفة فاعلم ذلك

المكدّي المحتال

(قال الجوبري) ومن ذلك اني كنت في قونية من بلاد الروم سنة ٦١٦ (١٢٢٠م) فمررت في بعض الشوارع فرأيت انسانًا عليهِ ثياب خلقة وهو ملقًى على جنبهِ ورأسهُ معصّب بخرقة وهو يئنّ انين الضعيف ويقول : من يقضي شهوتي برمّانة . فلمَّا نظرت اليهِ قلت : وعزَّة الله من بني ساسان ولا بُدَّ ما أبصر ماذا ينتهي اليهِ امرهُ . فجلست قريبًا منهُ بحيث اراهُ ولا يراني . فصارت الدراهم تتساقط عليهِ مع القطع والفلوس والخبز وغيرهِ . فلم يزل كذلك الى وقت القائلة حتى خفَّت الناس عنهُ الرائح والجائي .

فلما رأى ذلك التفت يميناً وشمالاً فلم يرَ احداً فوثب مثل البعير المنشط اذا فُكَّ من عقاله وجعل يخترق الازقة والشوارع وانا خلفهُ الى ان انتهى الى زقاق غير نافذ امام باب دار حسنة البنيان بمساطب وفانوس معلَّق . فرقي العتبة وطرق الباب ففُتح لهُ . وهمَّ بالعبور فادركتهُ وقلت : السلام عليك . فقال : وعليك السلام مَن تكون ؟ فقلتُ : ضيف . فقال : مرحباً بالضيف ثم اخذ بيدي وقال : خير مُقدم ادخل . فدخلت قاعةً واسعة فيها من البسط والفرش والمساند واللحف ما لا يوجد الَّا عند الاكابر من ابناء الدنيا فقال لي : اصعد . فصعدت على طرَّاحة حسنة . واما صاحبي فانَّهُ رمى من رقبتهِ مزوداً فيهِ مقدار عشرة ارطال خبز وفيهِ دراهم وفلوس شيء كثير . ثم شدَّ وسطهُ بفوطة تساوي دينارين وخلع ذلك الخلق فقدَّمت لهُ الجارية ماء سخيناً وطشتاً ليتغسَّل ثمَّ لبس بدلة قماش فاخرة وشمَّ ماء وردٍ ممسَّكاً وتطيَّب فرأيتُ لهُ شعراً طويلاً وطلع فجلس الى جانبي وقال لي : والله هذا نهار مبارك برؤيتك . فقلت : بارك الله فيك واعانك على ما انت بصددهِ . ثم قال : يا حرير (وهو اسم جاريتهِ) هاتي ما عندكِ برسم ضيفنا . فما ادري الَّا والجارية قد احضرت مائدة عليها اربع زبادي صيني في كلٍّ واحدة لون فاخر طعام خاص وخبز خاصّ . وبقل من جميع البقول . ثم احضرت سكَّرداناً عليهِ حريفٌ ومالح وحامض فصار يأكل ويلقمني ويؤانسني بالحديث وانا اعمل باليدين الى ان اكتفينا وغسلنا ايدينا فقال لي : اليك المعذرة جئتنا على غير وعد لكنَّ الكريم يسامح . ثم تحدَّثنا ساعةً ونادى : يا حرير هاتي لنا ما نتحلَّى بهِ فاحضرت انواعاً من الحلوى لم تحصل الَّا عند الاغنياء الكبار فأكلنا منها حسب الكفاية

هذا وانا في غاية التعجب ثم قلتُ لهُ : لو فتحت لك دكان بزاكان (ويروى : بزاركان) لكان خيراً لك من هذه الحرفة التي تمانيها . فتبسَّم ثمَّ قال لي : كم يكون مكسب التاجر كل يوم لو كان راسُ مالهِ خمسة الاف دينار . قلت : لعلَّهُ يكسب نصف دينار . فقال : انا يقع لي كل يوم خمسة عشر درهماً واكثر واقلَّ فائدة بغير رأس مال فماذا اصنع بالدكان . مع ان التاجر لا يخلو من الخسارة في بعض الاوقات وعليهِ كُلف امَّا انا فربح بلا خسارة . فقلت لهُ : ماذا تصنع بالخبز الذي يصل لك كل يوم . قال : نبيعهُ ونعمل فتيتاً فتجيء تجار انطاكية يشترونهُ لسفر المراكب في البحر المالح فيحصل لنا منهُ كل سنة مؤونة اهل البيت وكسوتهم . فتعجَّبت من ذلك

ثم قال لي بعد ذلك: وما تقول في الخمر أتستعمل شيئاً منها . قلتُ: ارضى بها وبكل ما ينتهي اليها . فنادى الجارية باحضار المدام فأحضرت سفرتهُ وآنيتهُ وأحضرت شراباً عتيقاً لم اشرب منهُ الا عند الاكابر والروساء . فشربنا ثم قال: يا حرير خلي اختك تنزل فتطيّب عيشنا . فنزلت جارية من احسن ما يكون من الجواري ومعها عود فلعبت به ساعةً ثم القتهُ واخذت الجنك فضربت عليه ساعة ولم تزل تبدّل الملاهي حتى انتصف الليل . فلما اردنا النوم قال: وا لكِ يا فلانة افرشي لسيّدك في المخدع الفلاني واوقدي لهُ قنديلاً . ثم اتتني بطشت ومنشفة فاغتسلتُ ثم نمتُ ولم ازل نائماً الى بكرة النهار . فانتبهت فاذا به قد دخل عليَّ وقال لي: يا سيّدي الضيافة ثلاثة أيام فلا تبرح من مكانك حتى اعود اليك ثم قال للجارية : هاتي العدّة فاتتهُ بذلك الحلّق . والزود والعصابة فعصب رأسهُ وخبأ شعرهُ ولبس ذلك الحلّق . ثم اتتهُ بخلاة فيها تراب فجعل ينفض عليه حتى غبّر وجههُ وثيابهُ ثم انهُ ودّعني وخرج

ولم تزل الجارية تتفقّدني بالشراب الطيب والطيّبات من المآكل الى وقت الظهر فاذا به قد جاء وفعل كما فعل بالامس فاقت عنده الى يوم الجمعة فقال للجارية: خذي سيّدك الى الحمّام وقولي لفلان البلّان: سيّدي يسلّم عليك ويقول لك اخدم هذا الرجل . ثم قال لي: اريد منك ان لا تصلّي اليوم الّا عند المنبر فان لي في ذلك غرضاً ثم تعود بعد الصلاة الى هاهنا ثم لبس آلتهُ وخرج

فقامت الجارية واخذت بساطاً اقصرايًا (كذا) وطاسات نحاس وكُفتاً ومنزرًا ملطيًا ومناشف روميّة في نهاية الحسن مبخّرة مطبّقة وعبّت آلة الحمّام كما ينبغي وراحت بها الى الحمّام . ثمّ عادت اليَّ وقالت لي: بسم الله يا سيّدي اسرع فانّ البلّان في انتظارك . فقمتُ الى الحمّام وخلعت قماشي ودخلتُ والبلان قدّامي الى المقصورة فخدمني احسن خدمة . ثم جاءني بالمناشف فتنشّفتُ وخرج خلفي بالطاسة فصعدت وجلست وصبّ الماء على رجليَّ . ثم جاءتني الجارية بقدح شراب فشربتهُ ورجعت الى الدار والجارية قدّامي . ثم جاءتني بمساوق فأكلت

فلمّا جاء وقت الصلاة قالت لي الجارية: بسم الله الى الجامع . ثم حملت معي سجّادتي وخرجنا الى الجامع فبسطتُ سجّادتي تحت المنبر كما قال لي صاحبي . وفي اثناء ذلك اذّن المؤذن وخرج الخطيب ورقي المنبر فلم اشعر الّا وصاحبي قد اقبل يخرق

الصفوف وهو بذلك الخلق ثم صعد الى الخطيب على المنبر واخرج من عُبِّه كيساً من الحرير الاطلس المدني فقال للخطيب: يا سيدي انا رجل فقير ولي عائلة ووالله لنا يومان ما اكلنا شيئاً وقد مضّنا الفقر. فلما كان اليوم قالت لي العائلة: اليوم يوم الجمعة قم الى الجامع لعلّ الله يفتح لك بشيء فقد هلكنا من الجوع. فخرجت طالباً الجامع وانا في الشارع الفلاني وقد تضوّرتُ من الجوع اذ عثرت رجلي بهذا الكيس ولا أعلم ما فيه فسوّلت لي نفسي ان آخذهُ وارجع الى منزلي فقلت: يا نفس يا ملعونة تريدين أن تجرّئيني على اكل الحرام والله لا وافقتكِ في ذلك ابداً ولو متُّ جوعاً وما عند الله خير وابقى. وقد حملتهُ اليك فافعل بهِ ما ترى

ثم دفع الكيس للخطيب ففتحهُ واذا فيهِ حليّ تساوي خمسمائة دينار. فتعجّب الخطيب من امانتهِ مع ما هو فيهِ من الفقر والحاجة ثم اشار الى الناس وقال: يا قوم هل يكون في الوجود مثل هذا في دينهِ وامانتهِ وعفّتهِ مع فقرهِ فكيف يكون لو كان غنياً غير محتاج فوالله مثل هذا لا يصلح ان يكون فقيراً بين ظهور المسلمين فالواجب على كل مسلم اعانتهُ وبرّهُ فليعطهِ كل واحد منكم شيئاً واغنوا فقرهُ كلٌّ على قدرهِ. فصارت الدراهم والذهب تنهال عليهِ من كل جهة الى ان قدّرت انهُ حصل لهُ مائتا دينار. هذا وانا الرمهُ في نفسي واقول قد حصل لهُ شيء يساوي الف دينار فباعهُ بهذا القدر

فلما انقضت الصلاة ونحن في السنّة سمعتُ الضجّة قد قامت في الجامع فنظرت واذا بامرأة عجوز وهي تصيح وتقول: يا مسلمون والله ما املك قوتي في هذا اليوم وقد ضاع لي حليّ حملتهُ من ناس الى ناس فوقع مني. فبلغني انهُ وصل الى الخطيب وانا مستجيرة بالله تعالى وبهِ. فجعل الناس يقولون لها: طيّبي خاطركِ فقد ردّهُ الله اليك. ولم تزل تخترق الصفوف حتى وصلت الى الخطيب فخرّت مغشياً عليها. ثم افاقت فقالت: يا مولاي العفو لا تؤاخذني وارحمني لله تعالى. فقال لها الخطيب: على مهلك ما الذي عُدم منك فقالت: كيس صفتهُ كذا وشرّابتهُ كذا وفيهِ كيت وكيت من الحلي وكذا قطعة بلخش واسورة كذا وخواتم كذا. ولم تزل تعدّد الاعيان التي ضمنهُ بحضور الملإ وقدّام جماعة من العدول وكلما ذكرت شيئاً اخرجهُ الخطيب الى ان وصفت جميع ما فيهِ وصحّ ما قالت فسلّم اليها الكيس فاخذتهُ وانصرفت والخلق يدعون لصاحبي ويتعجّبون من دينهِ وامانتهِ

ثم اني جئتُ الى الدار كما اوصاني فوجدتهُ جالساً يزن ما تحصّل لهُ واذا بهِ مقدار

ما قدّرتهُ في خاطري. فلمّا دخلت وجلست قال لي: هل رأيت ما فعلت اليوم. قلتُ: نعم وانا الومك على ذلك. قال: لمَ. قلت: لانهُ كان قد حصل لك شيء يساوي خمسمائة دينار فبدلتهُ بهذا القدر. فقال: هل تعرف الكيس والمرأة التي أخذتهُ. قلت: اذا أبصرتهما عرفتهما. فقال: ياجرير خلّي العجوز تجيء بالكيس. فنزلت والكيس في يدها. فقال: هذا الكيس وهذه العجوز حماتي والحليّ لابنتها وانا الذي سيّرتها بهذه الحيلة. فلو اقتُ طول النهار كم كان يحصل لي. فلمّا ان وعيت ذلك تعجّبت منهُ كل العجب ثم انصرفت من عندهُ »

هذا بعض ما اخبر بهِ الجوبريّ وقد اخذنا العجب منهُ انهُ رضي بضيافة احد هؤلاء الدلّسين ولم يأنف من خبثهِ ولم يهتك امام الحضور سترهُ وكأنهُ لامهُ على ما اظهر من المروءة. فانّ اخباراً كهذه لا يجوز روايتها الّا مع الاشمئزاز من فاعليها وتقريعهم على سوء اعمالهم

ثم اردف الجوبري هاتين القصتين بقصص أُخرى من جنسهما كقصّة احد اصحاب لهُ اسمهُ محمّد بن غنيمة الدمشقي الذي كان يدور في بلاد الروم فوجدهُ الكاتب وسألهُ عن حالهِ وعملهِ. قال الجوبري (ص ٣٩):

فاحضر لي صندوقاً من الابنوس وعليهِ شيء كثير من الاستار التي تكون على الكعبة وعليهِ ثوب الطلس مع قفل من ذهب سواقطهُ من الفضّة وسايرهُ ذهب وقد اخذ تمثالاً على هيئة تمثال رسول الله صلعم وشراكهُ من خوص فسمّرهُ في ارض الصندوق بمسامير من ذهب وفضّة وجعل فيهِ انواع الطيب وقد زعم انّ هذا تمثال النبي صلعم وهو دائر في بلاد الروم وذلك الصندوق على رؤوس العبيد وقد ادّعى انهُ من بني شيبة وقد حصل من ذلك جملةً من المال . . .

وذكر غيرهم وجدهم يدورون بصندوق آخر جعلوا فيهِ « قطعة من عباءة زعموا انها كانت لاهل البيت » . وذكر اخرين في بلاد العجم كانوا يُرون « قطعة من عباءة ابي بكر الصديق » (لهُ بقية)

الراديوم وخواصهُ

للاب كاثيار تويار اليسوعي

ما كاد ارباب الطبيعة يكتشفون عنصر الراديوم ويقفون على بعض خواصهِ القريبة حتى اسرعت مجلة المشرق في سنتها الخامسة (٥ : ١٢٢—١٢٨) فكتبت في ذلك فصلاً جامعاً لخص فيهِ صاحب المقالة تاريخ اكتشاف الاجسام المشعَّة مباشرةً بالاشعَّة الكاثودية التي توفَّق الى اكتشافها المعلم كروكس ثمَّ الاشعَّة المجهولة التي نُسبت الى رنتجن النافذة في بعض الاجسام الكثيفة كالخشب واللحم يليهما اكتشاف اشعَّة بكريل حيث وقف صدفة بلا تعمُّد على خواص عنصر الاورانيوم فرآهُ يشعُّ من تلقاء ذاتهِ ودون توسط في الظلمة الدامسة باشعَّة خاصة اثرت في الصحيفة الفوتغرافيَّة وبعد التجربة تحقَّق ان كل مركَّبات الاورانيوم تشعُّ مثل هذه الاشعَّة التي تقوى بازدياد كميَّة عنصرهِ في المركَّبات فاستنتج من ذلك انَّ انبعاث النور احدى خواص الاورانيوم اللاحقة بدقائقهِ الاصلية وهي تثبت في كل مركَّباتهِ دون تغيير وهي خاصة عجيبة لم تُعهد في العناصر المعروفة سابقاً . وقد دُعي الاورانيوم ومركباتهُ بالاجسام المشعَّة (substances radio-actives)

وفي نيسان سنة ١٨٩٨ عُرف عنصر آخر من الاجسام المشعَّة وأُلحق بالاورانيوم وهو التوريوم (thorium) عثر على خواصهِ في وقت واحد دون تواطؤ في المانية العلَّامة شميت (Schmidt) ومادام كوري (Mme S. Curie) في فرنسة

وفي تموز من تلك السنة وجدت مادام كوري عنصر الراديوم في بعض مركبات الاورانيوم المعروف في بلاد النمسة باسم بكبلند فكانت قوَّتهُ المشعَّة اربعة اضعاف اشعَّة الاورانيوم . ألا ان هذا الاختبار انَّما جرى في مركَّب كثير العناصر ذي اخلاط وفلزَّات متعدِّدة لم يكن فيهِ الَّا ذرَّات زهيدة من عنصر الراديوم فسعت مادام كوري مع زوجها بان تستخلص من البكبلند عنصراً نقيًّا فاستخرجت منهُ عُشر الغرام بعد تصفية طنٍّ من البكبلند وهذه الكميَّة كانت من مركَّبات الراديوم اي من كاررور الراديوم فامتحنت قوَّتهُ المشعَّة واذا هي تساوي ألفي الف مرَّة قوَّة الاورانيوم . وكان نوده كنرر

الاورانيوم يؤثر من نفسهِ في الصفائح الفوتغرافية ويكهرب دقائق الغازات كالهواء وغيره وينفذ باشعتهِ في بعض الاجسام الصلبة والمائعة والغازية

وفي اثنا تلك الامتحانات وجدت اجسام أخرى مشعَّة كالپولونيوم والاكتينيوم فكان مجمل ما ظهر منها من السنة ١٨٩٦ الى ١٨٩٩ خمسة عناصر الّا ان الراديوم كان يفوقها جميعاً بقوَّتهِ النوريَّة ومفاعيلهِ الفريدة وصفاتهِ العجيبة ومن ثمَّ نقتصر هنا كلامنا عليهِ تتمَّةً لما نشر عنهُ المشرق سابقاً فنصف الاكتشفات الجديدة التي تسابق اليها الطبيعيُّون بعد امتحاناتهم المتكرِّرة في معالجة هذا الجسم العجيب

*

اعلم انَّ الراديوم والباريوم يتشابهان في اشياء متعدِّدة فلا يميِّز ارباب الطبيعة جسماً عن آخر الّا ببعض مزيَّات الراديوم الخارجة . فمن ذلك ان املاح الراديوم تتلوَّن بعد استحضارها بزمن قليل واذا وضعت في مكان مظلم شعَّ نورها بحيث يمكن المستضيء بها ان يقرأ بنورها الكتابة . ويمتاز العنصران خصوصاً بالطيف الشمسيّ كما اثبتهُ ديمارساي (Demerçay) فانَّ للباريوم شقَّتين يعرف بهما ومثلهُ الراديوم في بدء عرضهِ على الطيف الّا انهُ يلوح لهُ بعد قليل شقَّة ثالثة ضعيفة تظهر ما وراء اللون البنفسجيّ ولا تزال تزداد نصوعاً حتى تغلب على شقَّتي الباريوم ثم يظهر معها شقَّتان اخرى لا يبقى معها بعد مدَّة اثر لتينك الشقَّتين وبهذا تأكَّد المسيو كوري وقرينتهُ بان الراديوم عنصر مستقلّ قائم بذاتهِ الّا انهما لم يستطيعا ان يفرزاهُ تماماً الّا ممزوجاً بمركباتهِ . وقد اثبتت مادام كوري ثقلهُ النوعي ٢٢٥ وبعد مزيد التدقيق وجدتهُ ٢٢٦,٥

وخواصّ الراديوم ترجع الى قسمين كبيرين القسم الاوَّل قوَّتهُ المشعَّة الخاصَّة بهِ التي يظهرها باعمالهِ الخارجة سواء كانت كيميَّة او كهربائية او فسيولوجيَّة . والقسم الثاني تنفيذهُ في الاجسام المجاورة قوَّتهِ المشعَّة حتى تصبح مشاركة لهُ في تلك الخاصَّة .

١ قوَّة الراديوم المشعَّة

لا يستطيع القلم ان يصف ما استحوذ على المسيو كوري وقرينتهِ من الاندهاش والعجب اذ أبصرا لاوَّل مرَّة نور ذلك العنصر الغريب لاسيما بعد ان افرزاهُ من الاجسام الممتزجة بهِ فلاح لهما في بعض مركباتهِ كشعلة نار متوقدة وكسراج وهَّاج وكان ذلك النور

ينبعث من الراديوم غير مستمار من احتكاك الاجسام او تركيبها كما في بقيـة المنيرات وهـذا امرٌ ما كان ليخطر على بال الكيميويين سابقاً وقد اختبروهُ لاوّل مرّة في الاورانيوم وقد سبق القول انَّ نور الراديوم يفوق نورهُ كما تفوق الشمس نور السراج

فاحتار الزوجان في امر هذا الجسم النيّر واخذا يبحثان عن الادوات اللازمة لدرسهِ درساً علمياً وللوقوف على حقيقتهِ . فما لبثا بعد قليل ان وجدا الطريقة المُثلى لادراك الغاية المبتغاة بواسطة علماء الطبيعة الذين كانوا وقتئذٍ صرفوا عزائمهم الى درس الاجسام المشعّة فاكتشف كيزل (Giesel) في المانية وستيفان ماير (S. Mayer) في النمسة وبكريل في فرنسة في وقت واحد ودون تواطؤ في العمل انَّ للمغناطيس فعلاً في تلك الاجسام حتى اذا قرّبوه منها انحرفت اشعّتُها وعدلت عن خطّها المستقيم

وقد وضع المسيو بكريل آلة تجد هنا صورتها (الشكل الاوّل) مكّنتهُ من قياس فعل المغناطيس في الاجسام وهو عبارة عن جزءة حديد ممغنطة بالكهرباء (électro-aimant) جعل افقيًّا بين قطبيها صحيفة فوتغرافيّة وجهها الى فوق وكان يلف في النهار تلك الصحيفة بورق اسود . وكان يضع في وسط الصحيفة في اناء من الرصاص الثخين الجوانب قطعة صغيرة جدًّا من كلورور الباريوم المختلط بالراديوم فكان الراديوم يؤثر في الصحيفة الفوتغرافية على خط مستقيم ما لم يجرِ الى الحديدة الممغنطـة مجرى كهربائي فالحال كان يزيغ نور الراديوم فينفذ في جوانب الاناء منحرفًا وينتشر في الهواء دون ان يؤثر في الصحيفة

ثم اتّخذ صفيحة أخرى (الشكل الثاني) وأجرى مجرًى كهربائيًّا على خطّ عمودي بحيث تتأثّر الصفيحة منهُ في كل سطحها فوجد ما خلا البقعة المولّدة من الجسم المشعّ شقّـةً ظهرت على اليمين من جهة الشمال الجنوبيّ على شكل نصف دائرة مجوّفة الوسط فاستنتج من ذلك بان الاشعّة المنبعثـة من الاناء قد انحرفت الى اليمين وارتسمت صورتها على الصفيحة امّا انحرافها فكان مختلفاً

ثمّ عاد المسيو كوري وغيرهُ من العلماء كالانكليزي روترفرد (Rutherford) فدقّقوا البحث عن اختلاف الاشعّة في انحرافهـا فوجدوها ثلاثة اصناف (الشكل الثالث) منها ما ينحرف قليلاً الى الشمال فدعوها اشعّة (α) ومنها ما يبقى مستقيماً فسمّوهُ (γ) امّا المنحرف منها الى اليمين وهو اشدّها انحرافًا فسُمّي (β) وقد اطلق على

هذه الاشعَّة الاخيرة اسم الاشعَّة المنحرفة دون اشعَّة (α و γ) . ثم ثبت عندهم بعد الامتحان انَّ الاشعَّة المائلة الى الشمال (α) مكهربةٌ ايجابيًّا بخلاف اشعَّة اليمين (β) فانَّ كهربائيَّتها سلبيَّة والاشعَّة الوسطى مشتركة

ثمَّ واصلوا الابحاث لتعريف حقيقة الاشعَّة وتركيبها فوجدوها تتألَّف من تفجُّر دقائق مكهربة لا يكاد يفي بها احصاء وقد بلَّغ العلَّامة رمساي (Ramsay) عددَها في غرام واحد من الراديوم الى مئة الف الف الف الف (مئة مليار) في الثانية امَّا سرعة حركتها فتختلف فانَّ اسرعها الاشعَّة المنحرفة (β) التي تكاد تبلغ سرعة نور الشمس فتتردَّد بين ٦٠,٠٠٠ كيلو متر و ٣٠٠,٠٠٠ ك في الثانية . امَّا الاشعَّة (α) فانَّ سرعتها ٢٠,٠٠٠ كيلو متر فقط

وقد تبيَّن ايضاً هؤلاء العلماء انَّ غراماً من الراديوم مع ما ينبعث منهُ من الاشعَّة غير المحصاة يفقد في السنة اقلَّ من ملِّتر واحد فيمكن أن يسطع الباقي اكثر من الف سنة

ومن الامور المثبتة ايضاً انَّ اشعَّة الراديوم في فعلها تشبه الشبه التامَّ الاشعَّة التي تُنسب الى كروكس (اطلب المشرق ٥ : ١٢٢) فتكون الاشعَّة المنحرفة (β) مناسبة لأشعَّة القطب السلبي الكاثوديَّة (Cathode) في انبوبة كروكس والاشعَّة التي تضيء بها تلك الانبوبة (Kanalstrahlen) توافق الاشعَّة (α) . امَّا الاشعَّة (γ) فانَّها تنطبق في عملها على اشعة الدكتور رنتجن المدعوَّة بالاشعَّة المجهولة (rayons X)

وللراديوم خواصّ طبيعيَّة تدهش العقل فمن ذلك انَّ اشعَّتهُ أنفذ بكثير من اشعة رنتجن وان كان هذا النفوذ يختلف في ضروبها الثلاثة المذكورة . ويثبتون ذلك بان يجعلوا بازاء الاشعَّة حاجزًا فانَّ نور الاشعة (α) لا يظهر على بعد سبعة سنتمترات بخلاف الاشعة (β و γ) فانَّ الحاجز يشعُّ بها على مسافة مترين وازيد . واذا وُضعت صفيحة رقيقة من الالومينيوم لا يتجاوز سمكها القسم المئة من الملِّتر توارى نور الاشعة (α) ويبقى نور الاشعة (β و γ) الَّا انَّ نور (β) يكون متخلخلًا ولذلك يفضّلون الاشعة (γ) اذا ارادوا نورًا صافيًا جليًّا لانَّ ضياءها تبقى ثابتةً وضيئة ولو تنفذت في عشر صفائح فوتغرافية . واعلم انَّ الاشعة (α) مع ضعفها بالنسبة الى سواها لا تزال تشتدُّ وتنمو حتى تنفجر بها الآنية المحتوية عليها كما تحقَّق ذلك المسيو بيار كوري في

بعض امتحاناتهِ فكاد يذهب ضحية تلك الاشعة . وبذلك عرف انهـا تجري مجرى الكهرباء في قنينة ليدن فتنفجر . الّا انَّ كهربائيتها ليست من مصدر خارج عنها بل تصدر من نفسها وهو امر عجيب لم يُعرف من قبل لعنصر آخر

ومن مفاعيل الراديوم الكهربائيَّة ايضاً انَّهُ يؤثّر في الغازات فيجعلها ناقلة للكهرباء وهذه الخاصَّة لا تُعرَف لغير الاجسام المشعَّة ويعرفونها بتوليد الايون (ionisation)

امَّا مفاعيل الراديوم الكيموية فغاية في الشدَّة منها انبعاث رائحة الاوزون منهُ اذا وضع في زجاجة مسدودة ثم فُتحت الزجاجة بعد مدَّةٍ

وكذلك تنبعث من املاح الراديوم غازات مختلفة اخصّها الاوكسيجين والهدروجين في نسبة الدقائق المائيَّة وذلك بنوع متواصل . وقد ظهر الامر في زجاجة مسدودة كان المسيو بيار كوري وضع فيها قسماً من برومور الراديوم الصلب اليابس فبعد شهرين اراد ان يحميها ليفتحها فللحال انفجرت السدادة بقوَّة تلك الغازات المنبعثة من البرومور

ومن مفاعيل الراديوم انـهُ يلوّن الاجسام فان المسيو برتلو بيَّن ان الراديوم يلوّن بالازرق البلوّر المذاب حتى على عمق خمسة او ستَّة ملّمترات ومع عدَّة حواجز من الزجاج والورق وكذلك انواع الزجاج تتلوّن بفعل الراديوم . امَّا الاملاح القلويَّة فانها تلوح عليها كل الالوان الزاهية فيصبح لونها الابيض الاصلي ازرق ثمَّ اخضر واصهب . وكذلك يتحوَّل الفسفور الابيض الى احمر . واذا عُرض القرطاس على اشعَّة الراديوم تلوَّنت بالوان زائلة ثم اضحى متكسّراً متفتّتاً مشقوباً . ومن فعلهِ في الماس انَّهُ يجعلهُ مشعّاً وبذلك يتميَّز الالماس الصحيح من المزوَّر

ومن مفاعيل الراديوم الفسيولوجيَّة تاثيرهُ في جلد الحيوان (اطالب المشرق ٥ : ١٢٦) . وعملهُ في الجهاز العصبي شديد جدًّا فانَّهم عرضوا على اشعَّتـهِ فاراً وخنازير هنديَّة (cobayes) فقتلتها بعد زمن اختلفت مدَّتهُ على اختلاف عمر الحيوان

وقد جرَّبوا الراديوم في العمليَّات الطبيَّة لاسيما السرطان والبثور والامراض الجلديَّة فنجحت بعض النجاح الّا انَّ الاختبارات لم تأت بعد بالنتائج المأمولة

واعلم انهم وجدوا دقائق من الراديوم في عدَّة ينابيع ومياه معدنيَّة فرجَّحوا الظن بان خواصَّها العلاجية ناجمة عن الراديوم واذا قلَّ بتوالي السنين ضعفت ايضاً قوَّة تلك المياه

وفي السنة ١٩٠٣ اكتشف المسيو كوري وامراتهُ فعلاً آخر للراديوم اعني حرارتهُ

فانهُ يبعث في مدَّة ساعة حرارةً تساوي مئة مقياس من مقاييس الحرارة (calories) فيبلغ مجموع تلك الحرارة ٨٧٠,٠٠٠ مقياس في السنة وذلك يوازي قوَّة ١٤٠٠ فرس بخاري. وقد حسب لوبون (Le Bon) انَّ غراماً واحداً من الاورانيوم فيهِ من القوَّة ما يكفي لتسيير قطر من السكَّة الحديديَّة محمولهُ ١٢ طنًّا ونصف فيجريه حول الكرة الارضيَّة اربع مرَّات

٢ توليد الراديوم للاشعَّة في غيرهِ

من اعجب خواصّ الراديوم انهُ لا يشعّ فقط في نفسهِ فيضيء نورهُ لمن يراهُ بل يولّد ايضاً في بعض الاجسام اشعَّة ثانويَّة تفعل فعلهُ وذلك ما دعوهُ بالقوَّة المشعَّة الثانويَّة (radio-activité induite) مثالهُ سبيكة من البلاتين فاذا جعلتها فوق ذرَّات من احد املاح الراديوم تكيَّفت بكيفيَّتهِ المشعَّة وعملت عملهُ في تاثير صحيفة فوتغرافيَّة الَّا انَّ هذه القوَّة لا تبقى في البلاتين الَّا زمناً معلوماً لا يتجاوز اربعة ايام. امَّا الراديوم مولّد تلك الاشعَّة فانهُ بعد توليد تلك القوَّة في البلاتين تضعف اشعَّتهُ نوعاً لكنَّها تعود اليهِ بتمامها بعد حين. وقد رسمنا في (الشكل الرابع) الالة التي يُختبر فيها فعل الراديوم فدللنا على الراديوم بحرف ر وعلى الاجسام الغريبة بحروف ا ب ج د. وهي الاجسام التي تشعّ بفعل الراديوم وفعلهُ لا يبطل ولو حجزنا بين هذه الاجسام وبين الراديوم بحاجز سميك من الرصاص (ص) الَّا ان هذا الفعل يكفّ اذا سددت زجاجة الراديوم

وهذا الفعل العجيب قد سعى العلماء حديثاً بكشف سببهِ وكيفيَّة انتقال تلك القوة من الراديوم الى الاجسام الاخرى فكان اقرب مذهب لبيانهِ ما قالهُ العلَّامة روترفرد انَّ الراديوم يبعث غازاً هيولياً لطيفاً (émanation de gaz matériel) الى تلك الاجسام فيشركها ببعض خواصهِ. والدليل على ذلك انَّ تلك القوَّة تضعف وتتلاشى بعد مدَّة اذا أُزيل مصدرها اي الراديوم الباعث. ويؤيد هذا الراي ان قوَّة الراديوم في الاجسام الغريبة تختلف على حسب اختلاف حالة مصدرها فاذا كانت املاح الراديوم جامدةً صلبة ضعفت قوَّتها في اصدار خاصّياتها بخلاف الاملاح المائعة فانَّ فعلها في الاجسام المجاورة اشدّ واعظم بكثير. ومن المعلوم ان انبعاث الغازات من المائعات اسهل وايسر

وقد تتبَّعوا احوال ذلك الغاز اللطيف فوجدوا انهُ يجري على بعض سنن الغازات وانهُ لاصق بجدران الانبوبة الباردة . واذا أُهبطت درجة بردها الى ١٥٠° تحت الصفر صار ذلك الغاز مائعاً سيَّالاً . وقد اجروا فيهِ لختبارات بآلة رسمناها (في الشكل الخامس) وهي عبارة عن اسطوانة أُفرغ منهـا الراديوم (ر) . فاذا فتحتَ المجرى (ج) شعَّت الانبوبة (ا) كلها . واذا فتحت المجرى (جَ) ضاءت الانبوبة (ب) الا ان ضوءَ الانبوبة (ا) يضعف نوعاً فيستنتج من ذلك ان نور الراديوم (ر) انقسم بين الانبوبتين على حسب قوانين الغازات وكذلك اذا كانت الانبوبتان مختلفتي الحرارة انقسم النور بمقتضى قاعدة ماريوت وغاي لوساك . واذا لففت الانبوبة (ب) بلفافة نقعتها في الهواء السيَّال اجتذبت اليها كل نور انبوبة (ا) التي يبطل نورها

ولعلَّ سائلاً يسأل الى ايّ عنصر يتحوَّل هذا الغاز اللطيف اذا بطلت قوَّتهُ المشعَّة لأن الغازات لا تتلاشى . فالجواب على هذا السؤال قد انجلى منـذ ست سنين للعالمين رمساي وصُدي (Soddy) فانهما لحظا سنة ١٩٠٣ طيف الغاز المنبعث فوجدوا لهُ الثلاث الشقق التي عهدوها في الراديوم ثم واصلا تجربتهما أياماً فظهر طيف عنصر الهيليوم (hélium) ضعيفاً ولم يزل يزداد وينمو حتى بلغ غايتهُ بعد ان توارى طيف الراديوم . فكان لهذا الاكتشاف دويٌّ عظيم في عالم العلم لأنها كانت المرَّة الاولى فيها ثبت لارباب الطبيعة تلاشي طيف بعض العناصر . وبعد ذلك بزمن اكتشف العالمان رمساي وكامرون (Cameron) انَّ طيف عنصر النيون (néon) يظهر بدلاً من الهيليوم اذا وُضع في انبوبة الغاز اللطيف شيءٌ من الماء المستقطر . وقد اعلنا مؤخَّراً اكتشافات غيرها كظهور طيف الارغون (argon) بعمل الغاز المنبعث من الراديوم في ملح النحاس المائع . وهذه الاكتشافات لم تتحقَّق الى يومنا

بقي علينا ان نعرف حقيقة هذا الغاز الثانوي اللطيف المنبعث من الراديوم وكيف يظهر وكيف يتلاشى . وهنا قد تعدَّدت الآراء وتنوَّعت المذاهب فلا نستطيع ان نتَّسع في تبيانها . وخلاصتُها انَّ المرجَّح اليوم انَّ للراديوم احوالاً مختلفة اذا غلبت منها حال تلاشت الأُخرى بحيث يمكن القول انَّ الراديوم متعدّد الكيان فثمَّة الراديوم ا والراديوم ب والراديوم ج الخ . وبين هذه الاصناف نسبةٌ تامَّة اذا ضعف الواحد او توارى قوي الآخر او ظهر وقد اختبروا الامر في بقيَّة الاجسام المشعَّة كالتوريوم والاكتينيوم

الشكل الاول

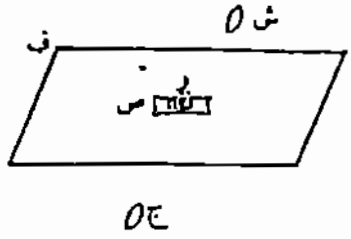

ش ج قطبا مغناطيس مكهرب
ف صفيحة فوتغرافية
ص اناء من رصاص فيه الراديوم ر

الشكل الثاني

ش ج قطبا مغناطيس مكهرب
ف صفيحة فوتغرافية مؤثرة بمجرى كهربائي
ر الراديوم وبقربه الاشعة المنحرفة

الشكل الثالث

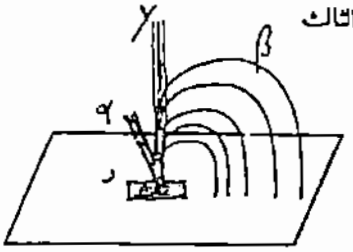

شكل اشعة الراديوم المختلفة الانحراف. فاشعة β هي الاشعة المنحرفة التي وصفها بكريل اما α و γ فبين خواصها بيار كوري وروترفرد

الشكل الرابع

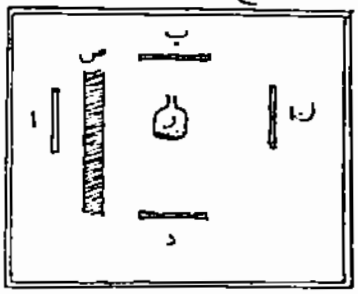

ا ب ج د عناصر شتى
ر راديوم
ص صفيحة رصاص

هذا الشكل وضع ليان قبل غاز الراديوم الثانوي في العناصر المختلفة

الشكل الخامس

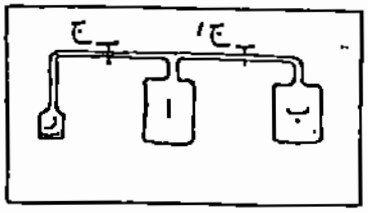

ثم تخطّوا من هذه الابحاث الى بحث اخير وهو العلاقة الموجودة بين كل هذه العناصر فزعموا (وزعمهم لا يخلو من الصحّة) انّ دقائق بعضها يتحوّل الى دقائق البعض الآخر لاسيما الراديوم والاورانيوم فالرأي الغالب انّ الراديوم نتيجة استحالة الاورانيوم. والدليل عليه انّ الراديوم يُستخرج من المعادن التي تتكوّن فيها المركّبات الاورانية. فاذا صحّ ذلك رجع العلماء الى رأي اهل الكيميا في القرون الوسطى الذين ارتأوا سابقًا انّ المعادن يتحوّل بعضها الى بعض ولعلّ الامر يؤدّي بهم الى معرفة تكوين العالم من مادّة أولى واحدة تحوّلت الى عناصر شتى بكرور الدهور والله اعلم

مطبوعات شرقية جديدة

آثار طقسيّة قديمة في السريانية

ارسل لنا غبطة السيّد البطريرك اغناطيوس افرام رحماني الملحوظات الآتية في وصف هذا الكتاب فلم يسمح قصر الوقت بنشرها في العدد السابق

« قرأنا النبذة التي نشرتها مجلّة المشرق في عدد شباط الماضي (ص ١٥٣—١٥٤) بقلم حضرة الاب بولس بيترس اليسوعي من جماعة البولنديين لتعريف المجموعة التي طبعناها بالسريانيّة واللاتينيّة في مطبعتنا البطريركيّة بالشرفه تحت عنوان (Vetusta documenta liturgica) آثار طقسيّة قديمة ومع علمنا بان جماعة البولنديين معروفون بالتحقيق والتدقيق وجدنا ان النبذة المذكورة لا تخلو من نظر. فمن ذلك وسمهُ الاثر الاوّل من مجموعنا بقوله « وهو يتضمّن صورة رتبة كنسيّة كان يتخذها ارباب الطقس اليوناني لتنصيب اساقفتهم » والحالة انّ عنوان الاثر هو « ܐܬܝܠܐ ܕܥܘܦܐ ܕܩܫܝܫܐ ܕܡܬܩܢܝܢ » اي الاحتفاء بدخول الاسقف الى مدينة كرسيه واستقبال الاقليرس والمؤمنين له. ويلي ذلك شرح حضور الاسقف للتَّرجيّة الى نهاية الرتبة المعروفة بقدّاس الموعوظين. ثم عجبنا من انهُ سمّى الطقس المشروح فيه « الطقس اليوناني » مع انّ الاثر موضوع في اللغة السريانيّة يصف الطقس الذي كان جاريًا في مدن سوريّا الساحليّة وهو جدير بان يسمّى الطقس الانطاكي لا اليوناني

« واما الاثران الثاني والثالث فقد وصفهما الاب بيترس الفاضل بقوله انّ مدارهما على

مواضيع تهذيبية وطقسية وكان لخواصها معروفاً في السابق الّا انهما مفيدان لبيان القوانين الشرقيّة لاسيما اذا امكن تعريف زمن تاليفها » والحالة انّ هذا القول انما يصدق على الاثر الثاني وهو منقول عن مصحف خزانة كتب باريس السرياني عدد ٦٢ وفي فهرست تلك المخطوطات السريانيّة الذي نشره زوتنبرغ (Zotenberg) موجود عنوان هذا الاثر هكذا: ܡܬܠܐ ܕܡܬܪܝܢ ܕܡܬܪܝܢ ܕܡܬܪܝܢ ܕܡܬܪܝܢ ܕܡܬܪܝܢ ܕܡܬܪܝܢ اي «الرؤوس التي كتبها المشارقة واستفتوا فيها الاباء القديسين فأفتوهم » ونحن سمّيناهُ فتاوى طقسيّة تهذيبيّة. أفرادهُ بقولهِ انّ فحوى الاثر الثاني كان معروفاً هو مجرّد وقوع ذكر ذلك العنوان في فهرست زوتنبرغ ليس غير ؟ امّا ادعاؤهُ انّ زمن تاليف تلك الفتاوى غير معروف فليس بصحيح على انّ المفريان غريغوريوس ابن العبري قد اودع تلك الفتاوى كتاب الهدايا (ܡܬܠܐ) تحت اسم ساويرا ونحن في النبذة التي قدّمناها على الاثر بيّنا انّ تلك الفتاوي كُتبت بعد ساويرا ببرهة يسيرة وقبل ان يخلفهُ على السريان اصحاب الطبيعة الواحدة البطريرك سرجيوس التلّي

« وامّا الاثر الثالث فهو في الرسامات » ܡܬܠܐ ܕܡܬܪܝܢ ܕܡܬܪܝܢ ܕܡܬܪܝܢ « مأخوذ عن كتاب وحيد موجود في مذيات عاصمة طور عبدين وليس لهُ ذكر في ما تعلم بين جميع مخطوطات خزائن الكتب باوربّا فالعجب من قول الاب بيترس انهُ كان معروفاً في السابق وحيث انّ ذلك الاثر ناقص في آخرهِ في نسخة طور عبدين فليدلّنا الاب الفاضل على المحلّ الذي فيهِ كان ذلك الاثر معروفاً في السابق حتى نسدّ خلل النسخة التي نقلنا عنها

« وامّا الاثر الرابع المشتمل على الرسالة التي كتبها اثيموس بطريرك القسطنطينيّة الزور الى يعقوب البرادعيّ فقد قال فيهِ الاب بيترس « اني مرتاب في صحّتها لان اثيموس كان جالساً على كرسي قسطنطينيّة سنة ٥٣٦ وفي هذا التاريخ ما كان لاحد من بطاركة القسطنطينيّة ان يكتب كتاباً للبرادعيّ وهو اذ ذاك راهب خامل الذكر في دير فسلتا » فاوان الاب بيترس عنّى نفسهُ وطالع ترجمة يعقوب البرادعيّ التي كتبها المؤرخون المعاصرون ونشرها لند (Land: *Anecdota Syr.* II, 249, 364) بالطبع وشرحها كلين (Kleyn: *Jacobus Baradæus Stichter. de Syr. monoph. Kerk*) لوجد انّ يعقوب

المذكور بعد ان ترهّب في دير فسيلتا في حداثته قدم القسطنطينيّة سنة ٥٢٨ ولبث فيها خمس عشرة سنة في كنف ثاودورا اي الى سنة ٥٤٣ وفيها رُسم اسقفاً على الرها بوضع يد ثاودوسيوس بطريرك الاسكندرية النوفُسيّ وعليهِ لم يكن يعقوب البرادعي اذ ذاك اي سنة ٥٣٦ راهباً خامل الذكر في دير فسيلتا. ثم كان يجدر بالاب بيترس ان يتقصّى في البحث عن ترجمة انثيموس بطريرك القسطنطينيّة المتشيّع للقول بالطبيعة الواحدة فانهُ مع كونهِ اسقف طرابزون اختلس الكرسي القسطنطيني بعد وفاة ابيفانيوس فحضر البابا اغابيطوس من رومية وعقد مجمعاً في القسطنطينيّة وحرمهُ سنة ٥٣٦ ولكنّهُ على ما روى المعاصرون ومنهم يوحنّا الآمديّ اسقف اسيا (Land, *ibid.* II 247 seqq. et 389) استمرّ في القسطنطينيّة لدى الملكة ثاودورا الى ان توفيت سنة ٥٤٨ (Baronius ad an. 548) ومن بعد موتها بقي انثيموس في قيد الحياة دون ان يزعجهُ يسطنيان الملك راجع لند (Land, *ibid.* II, 390) وذكر الكردينال بترا (Pitra: *Mon.* *juris græci*, II, 207) نقلاً عن القدماء انهُ بقي في قيد الحياة الى سنة ٥٥٦ فاي عجب من ان انثيموس المحروم الذي عاش بعد اسقفيّة يعقوب البرادعيّ اكثر من خمس سنوات كتب اليهِ تلك الرسالة وهي تحوي الاشارة الصريحة الى انّها كتبت على عهد يسطنيان الملك الكاثوليكيّ اذ يسأل الله فيها « ان ينير عقلهُ ويهديهُ الخ »

« ثم انّ الرسالة التي نحن في الكلام عليها تنطبق كل الانطباق على اعمال البرادعي فانهُ على اثر نيلهِ الاسقفيّة اخذ يجوب البلاد بنشاط لا يعرف الملل حتى لقّبهُ ذووه بسانيل (٢ ملوك ٢ : ١٨) بقصد ان يشيّد اركان شيعة اهل الطبيعة الواحدة ويعزّزها بعد ان كادت تتداعى لقلّة ارباب الكهنوت فيها فرسم شمامسة وقسوساً واساقفة يحصون بالالوف فضلاً عمّا في ما بين النهرين وسوريّة في بلاد الارمن وكبدوكية وكيليكيا وايسوريه وبفليه ولوقانيه ولوقيه وفروجيه واسيا وجزائر البحر وقبرس ورودس وخيوس ومتلينى ثم في الاسكندرية وثيبس الخ (طالع ترجمة البرادعي في لند وفي كلين) فاستغرب انثيموس ذلك وكتب اليهِ انهُ « ينبغي ان لا يزيد عدد المرسومين على الحاجة » وحذّرهُ من ان يرسم « الذين تنهى القوانين عن ترشيحهم كالمتزوجين مرّتين والمقطوعين » فاين قرأ الاب بيترس انّ انثيموس كتب تلك الرسالة الى يعقوب « ليحسن اختيار المرشحين للاسقفيّة ويندّد بالذين يسرعون في تسقيف المرشحين لها مع قلّة اهليتهم »

وكلام اثيموس فيها انما هو في المرشحين للدرجات الكهنوتية على وجه العموم لا الاسقفية

ثم اننا في الختام نرغب الى المنتقدين الافرنج الا يسرعوا الى ما ينشره غيرهم من الاثار القديمة فيحكمون انها معروفة سابقًا او انها مصنوعة والا يتخذوا اساليب أخرى من شأنها ان تغض من قدر النشرة

عن بيروت في ١٩ آذار اغناطيوس افرام رحماني
بطريرك السريان الانطاكي

بعض ايضاحات لحضرة الاب بيترس

ما كنت لأجسر ان ألحق بكلام العلامة غبطة البطريرك السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني ملحوظاتي لولا علمي اليقين بان غبطته يرتاح الى انجلاء الحقائق فاقول : انني كتبت في المشرق (ص ١٥٣—١٥٤) ما كتبت عن الاثار الطقسية التي نشرها غبطته في السريانية واللاتينية وانا على اهبة السفر فقضي على معرّب المشرق ان ينقل النبذة الى العربية ويختصر بعضها لضيق المقام فلم استطع مراجعتها قبل براحي من بيروت فوقع بذلك بعض خلل كنت اصلحته لو اطلعت على المسودات . مثالهُ قولي عن البرادعي انهُ « راهب دير فسلتا » فظنَّ المعرب انهُ كان متيمًا اذ ذاك في هذا الدير وانما نويتُ نسبتهُ الى هذا الدير فقط . والعذر في ذلك قريب . اما قول المشرق انَّ الاثر الاول « صورة رتبة كنسية كان يتخذها ارباب الطقس اليوناني لتنصيب اساقفتهم » فانهُ لا ينفي كون تلك الرتبة هي « الاحتفاء بدخول الاسقف الى مدينة كرسيه واستقبال الاقليرس والمؤمنين لهُ » مع حضور الاسقف للترجية الى نهاية قداس الموعظين كما بيَّن غبطته . فان اختصار المشرق لكلامي لا ينفي مضامين الاثر . وقد دعا هذا الطقس يونانيًا يريد بهِ الطقس الملكي في ذلك العصر وفقًا لاصطلاح بعض الكتبة الذين يحسبون كل طقس ملكي يونانيًا وان لم يكن يونانيًا في حصر الكلام — ثم انَّ غبطته يحاجني في امر الاثرين الثاني والثالث كاني نكرت اكتشافهُ لهما ولم انكر ذلك البتَّة فاني لم اقل بان الاثرين كانا معروفين وانما قلتُ « فحواهما كان معروفًا » والفرق بين القولين

ظاهر ومن المعلوم انَّ القوانين الكنسيّة كالفتاوى الطقسيّة التهذيبيّة قد بلغتنا في مجاميع مختلفة ولو اردنا لبيّنا موافقة محتويات تلك الفتاوى لما نشرهُ سابقًا من الدساتير الشرعيّة السريانيّة بعض المستشرقين الافرنج كبرون (Braun) وريدل (Riedl) وساخو (Sachau) وغيرهم فضلًا عن اولئك الذين ذكرهم غبطتهُ في كتابهِ. فان الشرائع الكنسيّة لا يُعرف اصلها بمجرَّد معرفة تاريخ بعض المخطوطات المشتملة عليها وربَّما كانت تلك المجاميع لاحد افراد الاكليروس جمعها لافادتهِ الشخصيّة دون صفة رسميّة. ومن ثمَّ ليس تاريخ الحق القانونيّ كتقويم بسيط المخطوطات المحتوية على السُّنن الكنسيّة. وزد على ذلك انَّ كثيرًا من المجاميع القديمة الحاوية للشرائع الكنسيّة قد غلب عليهِ التزوير امَّا في تاريخهِ واما في صحَّة نسبتهِ الى الآباء. وهذا امرٌ شائع بين العلماء.

بقي الاثر الرابع رسالة البطريرك اثيموس الى يعقوب البرادعيّ . فاننا نسلم كما قلنا بان البرادعي المترهب في نسيلتا كان في القسطنطينيّة وكذلك لم ننكر مطلقًا انَّ موضوع الرسالة يوافق اعمال البرادعيّ وسو. تصرّفهِ في رسامة الاساقفة على عجلة ودون اهليَّة المرشحين لتلك الرتبة السامية. لكنَّنا لا نرى كيف يمكن اثبات نسبة الرسالة لاثيموس وذلك سواء نعتبر المكتوب اليهِ او الكاتب. اما المكتوب اليهِ اي يعقوب البرادعي فانَّا لا نجهل ترجمتهُ التي احالنا اليها غبطتهُ . والمسيو كلين (H. G. Kleyn) في الكتاب الذي نشرهُ عن ذاك المبتدع بعد نقلهِ الشهادة يعاقبة لا يوثق بهم بان البرادعيّ كان فخرًا للاكليروس البوزنطي يردف قولهُ بان ذلك الراهب لم ينل شهرة عظيمة « اذ لم يذكر اسمهُ لا في اعمال المخابرات الجارية بين الكاثوليك وانصار ساويرس ولا في منشور يسطنيان (١ سنة ٥٣٦ » وناهيك بذلك دليلًا على خمولهِ وعلى كل حال لا يصلح عنوان الرسالة في تلك السنة « من اثيموس اسقف القسطنطينيّة الى يعقوب اخيهِ اسقف الرها »

فبقي الكاتب اي اثيموس. فهل كتب رسالتهُ الى البرادعيّ بعد السنة ٥٣٦. لا نظنّ لانَّهُ عُزل من رتبتهِ البطريركيّة. وكونهُ بقي مختفيًا في القسطنطينيّة في بلاط

١) وهذا قولهُ بالحرف: Noch in de *collatio* catholicorum et Severianorum, noch in het edict van Justinianus van 536, wordt zij naam genoemd (*H. G. Kleyn, Jacobus Baradaeus de stichter der syrische monophysietiche Kerk*, p. 44-45.

الملكة ثاودورة فذلك لا يجعلهُ بطريركاً شرعيًا لاسيما انَّ النص الذي احالني اليهِ غبطتهُ يؤكد بان انثيموس تنزَّل عن البطريركيَّة امام الملك يسطنيان اذ لم يستطع ان يعيد السلام للكنائس (Land: *Anecdota syriaca*, p. 247) وكاتب هذه الاسطر هو يعقوبي النحلة يثبت بكتابتهِ انَّ اهل ملَّتهِ انفسهم لم يعودوا يعرفون انثيموس كبطريرك. وما كان لانثيموس ان يتجاسر بان يلقب نفسهُ بعد ذلك بطريرك القسطنطينيَّة بجوار ملك شديد السطوة كيسطنيان. ولنا شاهد آخر على تنزُّل انثيموس واعتبار ذويهِ لهُ كمعزول عن رتبتهِ ما اخبر عنهُ حنَّا الآمدي اسقف آسيَّة المنوفيستي حيث قال (Land. II, 247) عن انثيموس بانَّهُ رفع عن رأسهِ تاج الرئاسة ووضعهُ على المذبح امام الملك وخرج (ܐܦܩ ܠܗ ܡܢ ܪܫܗ ܟܠܝܠܐ ܕܪܝܫܘܬܐ ܘܫܪܐ ܠܗ ܥܠ ܡܕܒܚܐ ܩܕܡ ܡܠܟܐ ܘܢܦܩ) ثم اردف ذلك بقولهِ بعد هذا مشيرًا الى خروجهِ عن القسطنطينية بعد تنزلهِ (ܕܐܬܐ ܠܗ ܠܡܠܟܐ ܕܩܣܛܢܛܝܢܘܦܠܝܣ (ܩܣܛܢܛܝܢܘܦܠܝܣ) . ܕܢܦܩ ܡܢ ܩܪܬܐ ܕܩܣܛܢܛܝܢܘܦܠܝܣ) وفي حقيقة الامر انَّ انثيموس بعد عزلهِ طُرد من القسطنطينية كما تشهد على ذلك اعمال مجمع القسطنطينية سنة ٥٣٦ (Harduin, II, 1257-1261) وهكذا روى المؤرخ ثاوفان في تاريخ سنة ٥٣٦ حيث اكَّد بانَّهُ عُدَّ كمحام عن القائلين بتألُّم الاله فعُزل لذلك وطُرد من العاصمة (ὡς ὁμόφρων αὐτῶν καθαιρεθεὶς ἐξεβλήθη τῆς βασιλίδος) (اطلب طبعة دي بور de Boor, p. 217) فيتَّضح من هذه الشواهد بأنَّ انثيموس لم يبقَ في القسطنطينية وان الكاتب اليعقوبي الذي استشهد بهِ غبطتهُ غير صادق. هذا ما عنَّ لنا من الايضاحات نقدمها لغبطتهِ بكل سذاجة بيانًا لوجه الحقيقة والسلام

幼學求源

ALLUSIONS LITTÉRAIRES par le P. Corentin Pétillon, 1er Fasc. Classifiques 1 à 100, 2e éd., *Chang-Hai, imprimerie de la Mission Catholique,* 1909, pp. V-306.

التلميحات الادبية في اللغة الصينية

في كليَّتنا اليوم احد المرسلين اليسوعيين الاب باتيليون الذي اقام سنين عديدة في

الصين فعرف آدابها حقَّ المعرفة وأتقن لغتها العويصة حتى صنَّف فيها. ولهُ فيها تآليف اكسبتهُ شكر العلماء ومن مآثره الصينية الطيِّبة كتاب واسع في عدَّة مجلَّدات دعاهُ التلميحات الادبيَّة ضمَّنهُ عدداً وافراً من مجازات الصينيين التي لا يدرك اسرارها الخفيَّة الَّا كبار علمائهم فرتَّبها ترتيباً سهلاً تقرَّب فوائدها للطالبين وشرح كل مادَّة شرحاً واسعاً مع ذكر اصلها الاوَّل وبيان معانيها الحقيقية والمجازيَّة وربما احتاج الى رواية بعض اخبار الصينيين فرواها عن اوثق المصادر وفسرها باللغة الفرنسوية وقد صدر من هذا التاليف جزءان فقط وهذا الجزء الاول الذي اتحفنا به هو الطبعة الثانيَّة منهُ في مطبعة الاباء اليسوعيين في شنغاي وناهيك بتجديد طبعهِ دليلاً على رواجهِ اذ ان في الغالب لا يعاد طبع الكتب القلَّة من يطلبها . فنهنئ حضرة المؤلف ونتمنى لهُ ان ينجز قريباً كل اجزاء كتابهِ فيتحقَّق الجميع بان المرسلين الكاثوليك لا يزالون رافعين لواءي الدين والعلم معاً لا يفصلون مطلقاً الواحد عن الآخر لمجدهِ تعالى وخدمة الاوطان التي يحتلُّونها

ل. ش

Le Cantique des Cantiques, Commentaire philologique et exégitique par le P. PAUL JOUON, prof. à la Fac. Orientale de l'Université St Joseph de Beyrouth, 1909, pp. V-335.

تفسير سفر نشيد الاناشيد

هذا اثر آخر لاحد آباء مدرستنا الكليَّة حضرة الاب بولس جوون مدرس اللغة العبرانية في مكتبنا الشرقي فانَّهُ خصَّ بدرسهِ هذا السفر الجليل الذي كثرت فيهِ تفاسير آباء الكنيسة ومعلميها الافاضل الَّا ان ترقي الدروس الكتابيَّة في عهدنا اقتضت العود اليهِ اوَّلاً لايضاح بعض اسرارهِ اللغويَّة. وثانياً لكشف معانيهِ الحقيقيَّة والمجازيَّة. وثالثاً لردّ مزاعم بعض المحدثين لاسيما الملحدين كرنان وغيره . وقد خاض المؤلف في كل هذه المواضيع فبيَّن انَّ لغتهُ هي العبرانيَّة المشوبة بعدَّة تراكيب آراميَّة تسرَّبت اليها من لغات الامم المجاورة لبني اسرائيل . ثم اوضح معانيهُ المبهمة باستنادهِ الى ما كتبهُ قدماء اليهود من الربَّانيين في الترجوم والمدراش وهو يذهب الى انَّ سفر نشيد الاناشيد نوعٌ من التغزُّل بالعزَّة الالهيَّة يصف فيهِ كاتبهُ حبَّ الله لشعبهِ وحبَّ اسرائيل لربِّهِ مشيراً بطريقة رمزيَّة الى تاريخ العبرانيين مباشرةً من خروجهم من مصر الى مجيء المسيح . وبهذا السفر تنوط عدَّة ابحاث بسطها المؤلف وابدى فيها رايهُ . كما انهُ فنَّد بالحجج الراهنة

اقوال المبتدعين والزنادقة الذين صوَّبوا سهامهم الى الدين بعلّة هذا الكتاب ل.ش

ETUDES DE THÉOLOGIE ORIENTALE: I. HISTOIRE DU CANON DE L'ANCIEN TESTAMENT DANS L'EGLISE GRECQUE ET L'EGLISE RUSSE par **M. Jugie** des Augustins de l'Assomption, *Paris*, G. *Beauchesne et C*[ie], 1909, in-16, pp. 1-10.

تاريخ اسفار العهد القديم في الكنيسة اليونانية والكنيسة الروسية

كثيراً ما يفتخر كتبة الروم الارثذكس والروسيين بمحافظة كنيستهم على عقائد النصرانية القديمة « دون ان يطرأ عليها شيءٌ من ابتداعات الغربيين » كما يزعمون. ولو تروَّينا في الامر لوجدنا قولهم على خلاف ما اشاعوا. والدليل على ذلك الكتاب الذي نريد وصفهُ فانَّهُ لاحد الاباء الصعوديين الساكنين في كدي كوي في الاستانة وهو اعلم الناس بمعتقدات الشرقيين من الروم والروس. وقد بحث في هذا الكتاب عن تاريخ اسفار العهد القديم في الكنيستين اليونانيَّة والروسيَّة وهل تعتبران اسفار العهد القديم كلها بمثابة كلام الله الموحى به دون تمييز بين الدستور اليهودي الذي لا يعدّ من الكتب الموحاة غير الاسفار العبرانيَّة وبين الاسفار الثانويَّة التي يدعوها البعض باسم ابوكريفا. فبيَّن انَّ الكنيسة اليونانيَّة لم تخالف الكنيسة الغربيَّة مطلقاً في اعتقادها بوحي الاسفار الثانويَّة كطوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والمكابيين منذ اوَّل النصرانيَّة الى القرن السادس عشر وفقاً للترجمة المعروفة بالسبعينيَّة الَّا ان الاصلاح البروتستاني الموهوم لم يزل يؤثر في عقول الروم والروس ولم تزل كتب المبتدعين وتعاليمهم تفشو في بلاد الروس واليونان حتى غلب اليوم بينهم الراي بانَّ تلك الاسفار الثانويَّة ليست بموحاة. وناهيك بهذا التعليم دليلاً على اختلاف جوهريّ في تعليمهم. ومن الثابت انَّ السيّد المسيح والرسل والاباء القديسين القدماء كيوحنَّا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس ويوحنا الدمشقي قد استشهدوا على نمط واحد بكتب العهد القديم العبرانية او اليونانيَّة الثانويَّة دون اختلاف لاعتبارهم لها جميعاً كاسفار منزلة. وكذلك الكتب الليتورجيَّة اليونانية والصلوات الكنسية تشهد على تعليم الكنيسة الشرقية التواصل. على ان مؤلف هذا الكتاب لم يفرق بين اليونان والروس وبين روم الشام الذين حتى يومنا يعتبرون الاسفار الثانويَّة كاللاتين ومع جميع الكاثوليك في جملة الكتب الالهيَّة. ودليلنا على ذلك انَّ الروم في بيروت بعد طبع البروتستانت لتوراتهم المبتورة اقاموا عليهم الحجَّة فطبعوا

سنة ١٨٧٠ في المطبعة الوطنية الاسفار المقدسة الثانوية « باذن غبطة كيريوس كيريوس ايروتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق » واسم الكتاب كما يلي « كتاب تكملة الكتب المقدسة الثانونية المقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية » وفي صدره مقدمة لكاريوس الرملي رئيس دير ناطور يفند فيها زعم البروتستانت الناكرين لوحي هذه الاسفار. والترجمة قديمة لكنهُ يقال في اخرها « ان العالم الفاضل الشيخ ناصيف اليازجي نقح اعرابها » ل. ش

كتاب الخلاصة اللاهوتية

للقديس توما الاكويني الاستاذ الملكي

المجلد الخامس. عرَّبهُ سيادة المطران بولس عوَّاد رئيس اساقفة الناصرة

طُبع بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٨ (ص ٦٢٦)

انَّ المقالة المستملحة التي دوَّنها العام الماضي في المشرق (١١: ٣٦٦) حضرة الكاتب البارع القس جرجس منش في القديس توما وخلاصتهِ اللاهوتية قد اظهرت لكل ذي عين ما لصاحب هذه الترجمة من الفضل اذ عنَّى نفسهُ بتعريب كتاب يمتاص نقلهُ على جهابذة العلماء ويرتاب في تفسيرهِ ائمة اللاهوتيين وذلك حتى في لغاتهم الاوربية القريبة الى الاصل اللاتيني. فلا يسعنا الَّا ان نؤمّن على ذلك الثناء الطيب ونشكر سيادة المترجم على تقريبهِ من عقول اهل الشرق ولاسيما الاكليريكيين كنوزًا علمية ما كانوا لينتفعوا منها لولا استخراجها الى لغتهم. وتزيدهم علمًا بانَّ في هذا الجزء من المباحث ما يفيدهم اوفى فائدة للارشاد والتعليم والكتابة مع انطباق كثير من المسائل الاكوينية على الاحوال العصرية ل. ش

عقد الدرّ المختار

في نظم حياة الشهيد الطوباوي يوحنا جبرائيل بريوار

بقلم الاب يوسف عاوان المرسل اللعازري

طُبع في مطبعة الاخبار في الاسكندرية سنة ١٩٠٨ (ص ٢٢٢)

قبل عشرين سنة اعلن الحبر الاعظم قداسة احد ابناء جمعية المرسلين اللعازريين شهيد الايمان في بلاد الصين في ١١ ايار سنة ١٨٤٠ الطوباوي يوحنا جبرائيل بريوار فطُبعت اذ ذاك في مطبعتنا كريرسة تحوي لباب اخبارهِ . ومع قصرها رغب فحواها

جمهور المومنين بان يحظوا بما هو اروى اقليلهم . وهذا الكتاب الجديد تأليف حضرة الاب الفاضل يوسف علوان المازري يدركهم بالرغوب فانهُ جامع شامل لكل اخبار ذلك المرسل الكريم الذي قام باعباء الاعمال الرسولية في وطنهِ وبين اخوانهِ كالتعليم والارشاد وادارة المدارس الاكليريكية وتدبير ابناء رهبانيتهِ ثم انتقل الى بلاد الصين فبشر بالنصرانية بين المشركين بغيرة ملتهبة الى ان روى بدمهِ الزكي زرع الايمان الذي كان سقاهُ مدة خمس سنوات بعرق جبينهِ . فلعمري انَّ ترجمةً كهذه لكافية وحدها ان تثبت باجلى برهان صحة الدين المسيحي لأنها تبيّن ما يتجشمهُ كل يوم من الاتعاب والمخاطر واصناف العذابات والموت الوف من المرسلين لا يطلبون لحمهم التي يكابدونها بطيب الخاطر ربحاً زمنياً بل يقاسونها لوجه الله حباً بالرب وخلاص النفوس التي فداها بدمهِ الثمين . فنحضُّ اذن كل قرائنا على مطالعة هذا الكتاب وقطف اثارهِ الجيّة ل . ش

تاريخ يوسيفوس اليهودي

طُبع في المطبعة العلمية ليوسف ابراهيم صادر في بيروت (سنة ١٩٠٩ ص ٢٢٨)

ليوسيفوس الكاتب اليهودي الشهير تاريخان واسعان في اليونانية دعا الاوَّل العاديات اليهودية والثاني الحرب اليهودية ضمَّنهما اخبار امَّتهِ منذ اصلهم الاوَّل الى فتح الرومان لمدينة اورشليم وهدمها على يد طيطس بن وسبسيان . وقد تعدَّدت طبعات هذين التاريخين ومنها يستمدُّ كل من يكتب عن تاريخ بني اسرائيل . وقد سعى كثيرون بتلخيصها ونقلها الى لغاتهم فمن جملة ذلك ترجمة عربية ليست بالبليغة لا يعرف معرّبها والظاهر انهُ من كتبة القرون الاخيرة . ومن هذه الترجمة المختصرة عدَّة نسخ مخطوطة كثرت فيها الاغلاط . وقد طُبعت طبعة اولى في بيروت بعد تصحيح خفيف سنة ١٨٧٢ فنفدت نسخها وها قد جدَّد طبعها الشقيقان الاديبان سليم ويوسف ابراهيم صادر فتركاها على علَّاتها ومما يستحق الذكر في هذه الترجمة شهادة يوسيفوس عن المسيح (ص ٢٢٤) وكان البعض قد انكروها وهي قد ثبتت حديثاً بوجود مخطوطات قديمة وهي قولهُ :

وكان ايضاً في هذا الوقت رجل حكيم اسمهُ يسوع ان كان جائزاً ان يُدعى انساناً وكان صانعاً عجائب كثيرة ومعلماً للذين ارادوا ان يتعلموا الحق وكان لهُ تلاميذ كثيرين (كذا) من اليهود والامم . هو المسيح الذي اشتكى عليهِ روساؤنا واكابر امتنا وسلمهُ بيلاطس البنطي للصلب ومع هذا

كلّ الذين تبعوهُ من البداءة لم يتركوهُ وقد نُظِر اليهم حيًّا ثلثة ايام بعد صلبه كما كان قد تنبأ بعض الانبياء. وصنع معجزات أُخر كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يُدعَون مسيحيين الذين يعترفونهُ رئيسًا لهم (Fl. Joseph: *Ant. Jud.* XVIII, III, 3 اطلب)

الموت الحقيقي والموت الظاهر

لحضرة الخوري بولس عويس

طُبع بمطبعة الاهرام بمصر سنة ١٩٠٩ (ص ١١٦)

لمّا نشر قبل ثلاث سنوات حضرة الاب فرّاريس الاسباني اليسوعيّ كتابهُ في الموت الحقيقي والموت الظاهر بادرنا الى استلفات الانظار اليهِ في المشرق (٩: ٧٧٠) وبيّنّا ما يترتّب على هذا التأليف من الفوائد لاسيما لخدمة الكنائس ورعاة النفوس. وقد سرّنا انّ حضرة الخوري الهمام الاب بولس عويس الماروني سعى في استخلاص معانيه وايضاح مضامينه فنشر كتابًا في هذا الصدد ضمّنهُ كثيرًا من الملحوظات الجديرة بالنظر ونقل فيهِ نبذًا من التآليف القانونيّة الشرقيّة لئلا يُدفَن من فيهِ بقيّة روح او دهمه السُّبات الموقّت وليمنع الكاهن الاسرار تحت شرط من لم يمت الّا موتًا ظاهرًا لتأخر الموت الحقيقي عن الظاهر. فيحسن بجميع الكهنة ان يراجعوا هذا الكتاب الذي يحتاج اليهِ اهل بلادنا اكثر من سواهم لتسرّعهم الى إيداع الموتى رمسهم. ولو وجدنا في اوّل هذا التأليف لتثبيتهِ اسم احد اساقفة الطائفة الاجلّاء لكانت زادت ثقتنا بهِ واطنبنا عليهِ دون استثناء. ل. ش

الوطن او سلستره

رواية تمثيلية ألّفها نامق كمال بك وعرّبها محيي الدين الخيّاط

طُبعت في المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٦ (ص ١٤٤)

هي احدى روايات الكاتب التركيّ المبرّز محمّد نامق كمال بك المتوفى قبل عشرين عامًا اودعها فصولًا حماسية وادوارًا مفعمة بحبّ الوطن وتضحية النفس في سبيلهِ. فمثّلها مرارًا في دار السلام ثم تُرجمت الى لغات اوروبيّة شتّى. ولما صار الفوز في العام الماضي للحكومة الدستوريّة بادر احد كتبتنا في بيروت جناب الشاعر الناثر محيي الدين الخيّاط فعرّبها تلبية لرغبة جمعيّة الاتحاد والترقي وكساها من قلمهِ بردةً قشيبة كادت تحاكي

الاصل التركي في انسجامها ورقتها مع ما فيها من المقاطيع الشعرية والانغام المنظومة الشجية التي تزيدها حسناً وبلاغة. وقد دعاها صاحبها باسم سلستره وهو اسم القلعة التي تجري بقربها أدوار الرواية . ثم التزم طبع هذه الترجمة العربية الاديبان سليم افندي هاشم وكمال افندي بغداش. فنتمنى ان يزيد بها روح الوطنية في قلوب كل قرائها وحضور تمثيلها ل. ش

ديوان السموءل

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٤٠ ثمنهُ فرنك ونصف)

هو الديوان الذي نشرناهُ في العدد السابق من المشرق فطبعناهُ على حدة ثم ألحقنا به عشرين صفحة جديدة اودعناها مقدمة افرنسية ثم شروحاً وروايات وانتقادات تؤدي بالادباء الى معرفة كل ما يُعلم من احوال السموءل وشعره واخباره المتفرقة في تآليف متعددة راجعناها كلها ودللنا على الصفحات التي استفدنا منها. ونحن نشكر سلفاً كل من يأتينا بافادات غير المثبتة في الديوان كما اننا نكرر شكرنا لحضرة الاب انستاس الكرملي الذي اهدانا الى هذه التحفة المفقودة

شذرات

نور القبر المقدس — قد استغرب بعض الروم الارثدكس ما نقلناهُ في العدد السابق (ص ١٩٣—١٩٤) عن مجلة الكلمة بخصوص النور الظاهر في القبر المقدس يوم السبت يتراءون احد القيامة مع صدق الكلمة في روايتها . وها نحن نورد رسالة كتبها من الشام في ٣١ آذار سنة ١٨٧٦ الخوري الياس شهوان السرياني الكاثوليكي وصف فيها القضية كما عاينها اذ كان كاهناً يعقوبياً في القدس الشريف. بحرفها الواحد:

تعريف عن قضية النور التي تستعملها طائفة الروم مع بقية الطوائف الشرقية نهار سبت النور

نهار السبت يتراءون عيد القيامة الساعة ثلاثة يطفون الانوية جميعها في الكنايس داخل القيامة الى حد الساعة سبعة من النهار وفي ابتدا الساعة سبعة يلبس مطران الروم المسمى مطران النور لان هذا المطران ما لهُ ابرشية سوى انهُ يطالع النور. هذه وظيفته. ومن بعد ما يلبس المطران

المذكور بدلة حرير بيضا سادا تصير الدورة حول القبر ثلاث مرات. وبعد انتها الدورة الاخيرة يدخل المطران وشماسهُ ويدخل وكيل طايفة الارمن مع وكيل طايفة السريان ووكيل طايفة القبط. وبعد دخول الاشخاص المذكورين يسكروا باب القبر البراني والقواصة واقفة على الباب من خارج يدخل مطران الروم فقط الى قبر المسيح وحده والبقية يقفون مقابله في قبر بيلاطوس. لمَّا يدخل المطران المرقوم الى القبر وبيده قند الشمع يفتح الطاقة المخفية داخل صورة السيدة التي من خشبة الى ناحية الغرب هناك موجود قنديل شاعل وحده فقط لا غير وموجود عليهِ من تنك او نحاس لا نعلم ماذا يوجد فيها ينطس القند فيها و يشعلهُ من القنديل. حينما يشعل القند تطلع لهبة خضرا تستقيم قليلًا وبعده يصير نور القند نظير العادة وفي ذاك الحال يشعل شماس المطران القند الذي بيده ويعطي الى طايفة الروم من ناحية الشمال وبعد ذلك يشعل القند قسيس الارمن ويعطي طايفته من ناحية القبلة وكذلك قسيس السريان وكذلك قسيس القبط والثلاثة طوايف لا يقدروا يشعلوا قنودهم من بعضهم بل من قند مطران النور. لمَّا تطلع القنود الى خارج القبر حينئذٍ تقوم الضجَّة فيما بين الزوار ويقولوا هذا نور المسيح ولا يعلموا من اين هذه القنود ولا يعرفوا العملية المصنوعة لهذا الامر وكثيرين من الزوار تحترق وجوههم وايديهم والبعض تيابهم وعلمٌ جرًّا. هذا العمل قد شاهدته خمسة امرار حين كنت سرياني يعقوبي وساكن في دير السريان الموجود في القدس وكانت مدَّة اقامتي في الدير المذكور نحو عشرة سنوات وطالعت النور الى طايفة السريان خمسة مرات وعرفت كيف العملية هذا. وقفت عليهِ في قضية النور بوجه الاختصار من الشام في ١٣ اذار سنة ٧٦ كاتبه المتوري الياس شهران سرياني

النور والظلمة هذا اثر ثانٍ من قلم الشيخ الاديب احمد افندي تقي الدين المحامي القانوني نظمهُ في الدستور الجديد

لقد آن للميت ان يُنشرا والروح في الحيّ ان تظهرا
وللعدل ان ينجلي مُشرقًا وللظلم ان يختفي مُدبرا
وللحرّ ان يكسروا قيدهُ ومن قبله العبد قد حُرّرا
وللارض من ضغطنا فوقها بنار البراكين ان تفجرا
وللشعب من هاضمي حقهِ بألسنة الحق ان يجأرا
وللسيف في غمده كامنًا بكفّ الحقائق ان يُشهرا
فقد طلع الفجر في موكبٍ يشقّ عمود الدجى مسفرا
فأقبل جند الضيا ظافرًا وادبر جند الدجى للورا
واشرقت الشمس فالمنتمي الى الليل جاء الضحى منكرا

يكفِّر عما جنى نادماً أما للمكفِّر ان يُعذرا

*

فبعضٌ رأى الليل ستر الهوى وهمُّ المتيَّم ان يُستترا
فاحيا الظلام بتكبيره وتلقيبه الصنم الاكبرا
فيا عابد الليل هلّا ادَّخرت صلاةً لتسبيح رب الورى
ويا لابس الليل هلّا اختشيت اذا رقَّ ثوبك ان تُنظرا
ويا ليل حتّام تخفي المعاصي وثوب المعاصي ضئيلُ العرى

*

وبعض رأى الشمس تُحيي الورى فرحّب بالشمس واستكبرا
وحيّا على الشرق مستنهضاً وصلّى على النور مستنصرا
فيا معشر النور حتى متى يسود علينا الاذى والكرى
ونبقى نياماً وقد كسِرت قيود الجنون فلن تجبرا
إلامَ الخمول وفي جسمنا دمٌ بعروق المعالي جرى
وحتامَ نبقى بقيد الهوانِ وقد آن للقيد ان يكسرا
وحتّام يعمى صحيح العيون وقد آن للعُمي ان تبصرا
وحتام يحيا التعصب فينا وشأن التعصب ان يُقبرا
وحتام يسود التحزب فينا وشأن التحزب ان يُنحرا

*

ويا معشر الليل حتى متى يظلُّ بقاؤك مستترا
مُنحت النعيم . فافسدته بقاء نعيمك ان تشكرا
وعاطاك دهرك خمر العلى ومن خُلق الخمر ان تُسكِرا
فلم تبقَ للنور من نسمة ولم يأتِ في عرفنا منكرا
بلى هُتك الستر عما اقترفتَ وألمع للطرف ان ينظرا
وها وهو جاء بفتحٍ قريبٍ فاظهر من صدرك المضمرا
والقى بلبنان اطنابه فحيّاه لبنان مستبشرا

*

أعيدَ الحيوة لأوطاننا فُديت بارواحنا ادهرا
فشا بنسيمك مكروبها فاحيا العظامَ واحيا الثرى
فمن مبلغ الجيش ان الرُّقى باسياف نهضتهِ قدّرا
ومن مبلغٌ لنيازي وأنورٍ شكرًا يليق بان يذكرا
ألا وثقوا عروةَ الاتحاد ومن بعدها أنصروا العسكرا
فقد آن للحرّ ان يرتقي وقد حان للشرق ان يُنصرا

مخطوطات انجيليَّة قديمة وقف احد علماء الامريكان شرل فرير (Ch. L. Freer) في مصر على رقوق مخطوطة باليونانيَّة عُرضت للبيع في السنة ١٩٠٧ فابتاعها واذا هي من اخطر الآثار تحتوي اقساماً من الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث فامَّا القديم فالمزامير وكتاب تثنية الاشتراع وكتاب يشوع بن نون عن النسخة السبعينيَّة. وامَّا الحديث فالاناجيل الاربعة برمَّتها وبعض مقاطيع من رسائل القديس بولس الرسول. واهمُّ هذه الاكتشافات الاناجيل المقدَّسة التي يرجَّح كونها من القرن الرابع للميلاد وعليهِ فتكون من اقدم الآثار الكتابيَّة وهي مطابقة في الغالب للنسخة اللاتينيَّة الشائعة اليوم. وفي هذه النسخة قطعتان كان القدماء شكُّوا في صحتهما لخلوّ بعض النسخ منهما فالقطعة الاولى تتضمَّن قصَّة المرأة الخاطئة التي رحمها السيّد المسيح وانقذها من ايدي الشُّماة والطالبين رجمها (يو ٨: ١—١١). امَّا القطعة الثانية فهي ختام انجيل مرقس (١٦: ٩—٢٠) فان هذه الآيات كانت سقطت من نسخ عديدة حتى ظنَّ البعض أنها مصنوعة. فتراها في النسخة الجديدة بتمامها وكفى بذلك شاهداً على صحَّتها كما اثبتهُ سابقاً الكنيسة الكاثوليكيَّة استناداً الى حجج أخرى راهنة

أسئلة واجوبة

س سأل من عشيت الاديب انيس الخوري: «كيف امكن السيّدة العذراء ان تتألَّم وتموت وهي بريئة من الخطيئة الاصليَّة

آلام البتول وموتها

ج المقرَّر انَّ الخطيئة الجديَّة هي التي ادخلت الآلام والموت في الارض (تك ٢:

١٦—١٧) ومن هذا القبيل كانت البتول امّ الله معافاةً من الآلام والموت. الّا انّ الله ارسل ابنهُ الوحيد وجعلهُ شبيهاً بنا في كلّ شيء الّا الخطيئة (عبر ٤: ١٥) فتألّم ومات في ناسوتهِ مع كونهِ البرارة بالذات. وهكذا اراد ايضاً ان تكون امُّهُ معرَّضة للآلام والموت مع عصمتها من كلّ خطيئة لتكون في ذلك اسوةً لنا وتزيد بصبرها على الاوجاع ورضاها بالموت ثوابها في السماء.

س وسأل من دلبنا حضرة الخوري لويس ديب المدتوني ما قولكم في شاهد باسم حنّا امضى سندًا يشهد فيهِ بان بطرس دان بولس مبلغًا من المال ثم ابى تأدية الشهادة عند استحقاق الدين فتسقط لامتناعهِ حقوق بطرس. افلا يكون حنّا ملزومًا بالتعويض لبطرس اذا ابى بولس ذلك الشاهد الناكر تأدية شهادتهِ

ج لا شكّ في انّ الشاهد حنّا اذا لم يصادق على شهادتهِ وحصل لامتناعهِ ضررٌ لبطرس مازوم بالتعويض لبطرس اذا ابى بولس تلافي الضرر لأنّ بطرس لم يسقط عن حقوقهِ الّا لرفض حنا تأدية الشهادة ولعلّهُ لم يرض بدفع المبلغ لبولس لولا شهادة حنّا

س وسأل الاديب سليم افندي باز عن رأينا في مقالات نشرها لسان الحال بهذا العنوان « ألا يزال الاموات احياء » فطلب أصحيح ما رُوي هناك وكيف تعليلهُ عالم الاموات

ج انّ مناجاة الارواح قد شاعت في أيامنا شيوعًا عظيمًا ونُشرت في ذلك كتب وجرائد تروي ما يجري من الامور العجيبة في بعض الحفلات التي يعقدها المتعاطون لتلك الاعمال. ولا يُنكَر انّ للتدليس والمكر حصّةً في هذه المظاهرات كما انّ المصابين بالامراض العصبيّة والهستريا يسهل اتّخاذهم كوسطاء للتنويم والاستهواء فيجرون فيهم اعمالًا طبيعيّة غريبة لم يستطيعوها في غيرهم يمكن تعليلها بسبب ذاتهم. ومع هذا لا يُنكَر ايضاً انّ هناك من الظواهر ما لا يجوز نسبتهُ الى اسباب طبيعيّة كتكلّم الوسيط بلغة لم يسمعها قط وتعريف امور غائبة لا يمكن احدًا الوقوف عليها فلا بد انها صادرة عن عوامل تفوق الطبيعة البشريّة والمرجّح انّ هذه العوامل هي الارواح الشرّيرة التي حاولت في كلّ زمان ان تخدع البشر وتجذبهم الى غاياتها الباطلة بما تظهرهُ. ولما كان المثل بالمثل يُذكر نُشير الى السائل بمراجعة مقالة كتبها حضرة الاب لويس رتزفال (في المشرق ٧: ١١٤١) عن التنويم الصناعي (الهبنوتزم) والادب ثم مقالة اخرى لنا في الطاولات الدائرة (١: ٦٢)

ل. ش

المشرق

الطيّبة الذكر

جان دارك البكر

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

في ١٨ من نيسان الغابر لبست امّ الكنائس في رومية العظمى ابهى حُللها من الانوار الزاهية والتصاوير الرائعة والنقوش البديعة اذ برزت في بهرة كنيسة مار بطرس صورة فتاة باسلة شهمة يزين جبينها الطاهر تاجٌ من النور كانت حجبتهُ سحب الاهواء فانقشعت السحب ولاح مثال الطهر مندمجًا بملامح الفروسيَّة وثبات الجنان . تلك جان دارك وكانت قبل استشهادها احتجّت على قُضاة الظلم الذين حكموا عليها فرفعت دعواها الى الكرسيّ الرومانيّ ملجأ كل طريد ونصير كل لهيف . فما اكتفى الاحبار الرومانيُّون ان برّأوا ساحتها بل عقدوا على هامتها تاجًا من الفخر لا يمنحونهُ الّا لمن صرف الحياة بتمرين اسمى الفضائل واجزل المبرّات . ولم تُقدم رومة على هذا الحكم النهائي الّا بعد الفحص المدقّق والنظر الميّ ومراجعة الوف مؤلّفة من الكتابات التي وضعها المعاصرون في هذا الصدد فانجلى لها اليقين وصدعت بالحقّ الظاهر واعلن حبر الاحبار بأن الفتاة الفرنسويَّة جان دارك احدى وليّات الله قد استحقّت بحياتها البارّة المملوءة تقىً وشهامةً ان تُكرم في عداد الصالحين بصفة طوباويَّة . فكان لهذا التصريح أطيب وقع لدى الكاثوليك بل المسيحيّين كلهم عموماً وفي قارب الفرنسويين خصوصاً . وقد دقّت البشائر في كل الانحاء وأُقيمت الحفلات البهيجة في عاصمة الكثلكة اوّلًا ثم في مدن فرنسة وسائر قراها فردّدت كل اصداء البلاد محامد ابنةٍ قد ارسلها الله وأيّدها بقوّتهِ لتنقذ وطنها من ايدي اعدائهِ وقد كادوا يجعلونهُ اثرًا بعد عين

وليس ذكر جان دارك في مجلتنا من النوافل فانا نرى في تمجيدها في السنة الدستوريّة موافقةً لحالنا فنعلم كيف الله وحده يُعطي الملك من يشاء وينزعه عمّن يشاء. وانهُ هو الذي يرفع الممالك او يهبطها وربما اتخذ لذلك الات ضعيفة لتظهر بها قوّة يمينهِ لئلّا يفتخر ذو جسد امامهُ سبحانهُ ليس اله غيرهُ

وفي هذه النبذة افادة أخرى للقرّاء الكرام ان يكونوا على بصيرة من امر تلك الفتاة العجيبة التي ورد ذكرها في بعض المطبوعات العربيّة . والكتبة الشرقيّون على وجه الاجمال لا يعتبرون في شخصها اللطيف الّا شهامتها واقدامها وخوضها ميدان الحروب فيكتفون بالقشرة ولا يذوقون اللبّ وربما نسبوا الى مُخيّلة الفتاة ما نسبتهُ هي جهاراً الى دعوة الله ومشيئتهِ الصريحة فكانت لفرنسة في اواسط القرن الخامس عشر كدبورة القاضية في بني اسرائيل وكلتاهما انقذت شعبها من رقّ عبوديّة عدوّهِ بالهام من الله. وها نحن نلخّص بجمل حياة جان دارك القصيرة في كل اطوارها فنعتبرها كفتاة في ربيع عمرها ثم كوسيطة لوحي الله ودعوتهِ الخصوصيّة ثم نتبع اثارها في تحقيق دعوتها ونصر وطنها ونختم المقالة بذكر استشهادها الذي فتح لها باب الفخر والمجد

١ الفتاة البارّة

كان مولد جان دارك في فرنسة على حدود ولايتي شمبانية ولورّان في قرية صغيرة اسمها دُمرامي على نهر موز وذلك في ٦ كانون الثاني من السنة ١٤١٢ يوم عيد الغطاس وهو عند الغربيين عيد المجوس كأنّ الله رمز بذلك الى توطيدها امرش ملوك وطنها الذي كادت تثلّهُ نكبات الدهر او اشار بهِ الى الكوكب المنير الذي قادهم الى مذود الفادي . وكانت المولودة خامسة ابناء والديها جاك دارك وايزبال روماي وكلاهما من افاضل تلك الناحية فكانا يُعرفان بتقاهما العظيم واستقامة سيرتها وعيشتها الساذجة وارتزاقهما من اعمال الفلاحة . وعلى ذلك خرّجا اولادهما جميعهم

ولنا على اعمال جان دارك منذ نعومة اظفارها الى الثالثة عشرة من سنّها اصدق الشهادات واثبت المعلومات . فانّ التحرّيات والتحقيقات المدقّقة عن حياتها في بيت والديها قد أُجريت بكل تدقيق لدى كثيرين ممّن عرفوها حقّ المعرفة وعاشوا معها وقد أثبتت شهادتهم بحرفها الواحد في مجموع واسع يتضمّن كل تقاريرهم في حقّها مع

تفاصيل اعمالها واستنطاقها امام القضاة قبل الحكم عليها . وهذه المآثر لا تزال حتى اليوم ممدودة لدى المحققين كموارد يقين وشواهد صدق لا يمكن نقضها وعليها شددنا روايتنا دون ان نضيف اليها شيئاً . وفي الحقيقة المحضة من القوة والنفوذ ما يفوق تزويق الكلام وزخرفة الباطل

اخبر الكاهن منضر الفتاة — وقد دُعيت في معموديتها جان اي حنة — انها نشأت في حجر والدتها فتربت على التقى وخوف الله حتى بلغت رشدها فكانت تتمم واجباتها الدينية بخشوع وورع وترافق والدتها الى مزار قريب من قريتها كانت تُكرم فيه السيدة البتول واخذت قبل العاشرة من سنها تثابر على الاسرار المقدسة وتدمن على تلاوة الصلاة وهي لم تعرف منها الا ما يعرفه الاميون كالصلاة الربية والسلام الملائكي ودستور الايمان . وكانت اذا سمعت صوت الجرس طربت لنغماته فترفع قلبها الى الله . وكانت مُحبَّةً للقريب لاسيما المساكين فتوزّع على الفقراء صدقاتها وقسماً من طعامها . فكان كل اهل القرية من صغار وكبار يعزّونها ويحبّونها للطفها وتقاها ويعرضونها على اولادهم كقدوة سيرتهم

ولم يعترج في اعمال جان دارك شيء يدلُّ على افراط في الدين او يشعر بغرابة في العمل وانما كانت سلسة الطباع دمثة الاخلاق لينة الجانب تختلط بلداتها في ألعابهنَّ وتعيش بين اترابها دون ان تمتاز عنهنَّ بشيء الا رزانة طبعها وتقاها

ومن خواصها في فتاتها حبها للشغل فانها كانت تقضي أيام الربيع وفصل الصيف في اشغال الحقل مع اهليها فتحسن استعمال المرّ والمسحاة والمذرى وترعى المواشي واذا حلّ الشتاء عمدت الى المنزل فكان الشغل خاتماً لحسن صحتها فترعرعت وهي شديدة البنية سليمة العقل لا تفكر في شيء غير الاعمال البيتية والعيشة الاهلية بل لم تكن تعرف القراءة والكتابة فاقرّت عن نفسها « انها لم تعرف قط الالف من الباء »

٢ صوت الله

تلك كانت جان دارك اذ اراد الله ان ينتدبها لتقوم بعبء مهمة جليلة لم تكن لتخطر على بالها سابقاً اعني خلاص وطنها من ايدي الانكليز الذين كانوا استولوا على معظم ولايات فرنسة وضربوا فيها اطناب سلطتهم حتى كادت تلك الدولة ان تضحي في ايديهم كبعض اعمال بلادهم

وذلك ان سلسلة ملوك فرنسة كانت انقطعت حلقاتها بانقطاع نسل السلالة الكبيتية فصارت حقوق الملك لفرع الفالسيين الّا ان ملوك انكلترة المتناسلين من اصل فرنسوي نازعوهم السيطرة مدّعين بانّ الحكم يرجع اليهم دون سواهم . ولمّا وجدوا فرنسة قد اضعفتها الفتن وهدّت ركنها الحروب الاهليّة وأُصيب ملكها كرلوس السادس بمسّ في عقله انتهزوا الفرصة لمدّ ظلّ ولايتهم على اقطارها . فزحف هنري الخامس ملكهم على مدنها الحصينة وفتح مواقعها الحريزة موقعاً بعد آخر حتى لم يبقَ من تلك المملكة الواسعة الّا ما لا يُعبأ به . لاسيما بعد موقعة أزنكور حيث مُزّق شمل الفرنسويين كلّ ممزّق وبإثرها عُقدت معاهدة مدينة تروا (Troyes) حيث بايع مالك فرنسة بالملك لصاحب انكلترة وحرم ابنهُ عهد الوراثة وذلك في سنة ١٤٢٠ . واستفحل الشرّ وتفاقم الفساد بعد موت كرلوس السادس سنة ١٤٢٢ وكان هنري ملك انكلترة سبقهُ الى القبر ببضعة اسابيع الّا ان قوّادهُ لم يكفّوا عن الزحف تحت قيادة اخيه الدوق دي بدفرد وباسم ابنه ووريث ملكه الصغير هنري السادس . وكان الفرنسويّون حشّوا قواهم وأقسموا يمين الطاعة لكرلوس السابع ولم يريدوا غيرهُ ملكاً الّا ان مساعيهم لم تأتِ بنجاح وكادت تسقط من ايديهم المدن القليلة الباقية على ولائها للمالك الشرعي واستشرى الفساد بانقسام رؤسا الجند الذين كان كرلوس السابع اختارهم لحروبه . وفي سنة ١٤٢٨ حاصر الانكليز مدينة اورليان التي كانت تُعدّ كآخر حصن للدولة الفرنسويّة حتى اذا فتحت ابوابها تُمضي عليها بالضربة اللازبة

لكنّ الله لم يشأ انتقاض مملكة فرنسة التي طالما اتخذها كسور في وجه اعداء كنيسته وكنصيرة لحقوق نوّابه على الارض . وقد سمح عزّ وجلّ بان الصدع يتفاقم ويبلغ السيلُ الزُّبى فيأتي كلُّ طبيب في الارض من حسم الداء . ويقرّ الجميع بانهُ تعالى « يحط ويرفع ويُحدر الى الجحيم ويُصعد » كما يقول الكتاب

وكان الرب منذ خمس سنوات يُعدّ الآلة التي اصطناها لتلك الغاية . فانّ جان دارك في بعض أيام شهر نيسان من السنة ١٤٢٥ اذا كانت تشتغل في بستان مجاور لبيت والدها تراءى لها ملاك ملتحف بالنور قال لها بانّهُ شفيع فرنسة ميخائيل واوصاها بالمواظبة على التقى ولزوم الصلاح وحدّثها بما أُصيبت به مملكة فرنسة من البلاء . فذُعرت الفتاة من هذه الرؤيا وبقيت في دهشها مدّةً . وكان الملاك سبق واخبرها بان الشهيدتين كاترينا

ومرغريتا ستظهران لها فأوعز اليها ان تسمع منهما وتنقاد لاوامرهما . فما لبث الامر ان تحقق بظهور القديستين وتكررت الرؤيا غير مرة حتى تقدمتا اليها بان تذهب الى الملك كارلوس وتنقذه مما دهمه من الملمات

فكان هذا الامر على قلب الفتاة اشد من وقع الصوارم فاخذت تتنصل وتتبرم وتعتذر قائلة انها ابنة مسكينة لا تحسن امتطاء الجياد ولا تدري بآداب الحرب . الا ان « الاصوات » كانت تعود فتقرع مسامعها وتكرر عليها الاوامر وتنشطها وتبعث همتها بقولها انه لا بد لها ان تذعن لصوت الله فتمشي الى مساعدة ملكها وتتقدم جنوده حاملة راية النجاة الى ان يسترد ملكه المسلوب

فدامت تلك الاصوات العجيبة تدوي في اذن جان دارك ثلاث سنوات وهي تتمنع غاية جهدها وتستنكف عن تلك الدعوة المخالفة لكل شواعرها واميال نفسها الى ان تحققت بانها اذا تخلفت عن الامتثال لامر الاصوات تقاوم مشيئة الله الواضحة . وكان آخر ما سمعته من القديستين كاترينا ومرغريتا : « اذهبي وبلغي ملك فرنسة بان الله مرسلك لتعيدي له عرش ابائه وتحظيه بمملكته المفقودة . لا تخافي وكلي امرك الى الرب الذي يحرسك وها انه يفعل آية باهرة عند مثولك بين يدي الملك ليوقن ببعثك ويثق بكلامك »

ولعل القارئ يوقفنا عند هذا الحد فيقول وما ادرانا بأن تلك الرؤى والاصوات لم تكن فعل مخيلة او نوع من الخبال مس به عقل الفتاة او نتيجة داء عصبي ألم بها او حيلة احتالت بها لغاية بشرية

الجواب على هذا الاعتراض ان الابنة كما بينا سابقاً كانت سليمة العقل تامة العافية لم يرَ قط في كل حركاتها وسكناتها ما يشعر بحالة مرضية او اختلال في الشعور كما اقر بذلك مئون من الشهود الذين عرفوها قبل بعثها وبعده من كهنة وعلماء وقواد وجنود . ثم انها سئلت مراراً بازاء الفاحصين فكانت تنطق امامهم سواء كانوا اصحاباً او خصوماً برباطة جأش دون ان تغير في شهادتها شيئاً او يفعل فيها الوعيد وخوف الموت . ومن الادلة على صدقها ان ما انبأتها به تلك الاصوات قد تم بحرفه في اوانه كما ظهر في مواطن الحرب وغيرها وتبينه رجال خالون من الاهواء والاغراض بل كانوا معادين لجان دارك فاذعنوا للحق الظاهر بعد وقوع الحوادث . وزد على ذلك ان الفتاة

المختارة لم تطلب في كل اعمالها غايةً زمنيَّة من ربح او جاه او شهرة لأنها في كل اعمالها كانت تأنف مما يجلب اليها نظر الناس او يكسبها مديحهم او رضاهم ولمَّا بعثت بصلاتها طائلًا عثيرًا بعد موته في لانيي (Lagny) أبت ان تُنسَب اليها تلك الآية فنسبتها لتضرُّعات الحضور

٣ قائدة الحرب

في تموز من السنة ١٤٢٨ تهدَّدت جنود الانكليز والبورغونيين المتحالفة مدينة ڤوكولور المجاورة لمسقط راس جان دارك فخرجت الفتاة البكر وسارت الى القبطان المتولي فئة من الجند في ڤوكولور المسمَّى روبرت دي بُدريكور فدخلت عليه بجرأة واعلنت لهُ بأنها مرسلة من الله لخلاص فرنسة وملكها. فتلقَّى الجنديّ هذا النبأ بالهزء والسخريَّة وردَّ الفتاة خائبةً. وسمع ابو جان بما فعلت ابنتهُ فتنمَّر من عملها غيظًا وزعم أنهُ يؤثر ان يلقي كريمتهُ في النهر من ان يسمح لها بان تسير مع الجند. وبعد ذلك بقليل ألحَّت الاصوات السماويَّة على جان فعادت ثانيةً الى دي بُدريكور وصرَّحت لهُ بأنَّهُ ان لم يَقُدها الى المالك ستسير اليه ماشية ولو انقرضت رجلاها في السير الى ركبتيها. فتعجَّب القبطان من عزمها وتوسَّط في الامر غيرهُ من الاهلين حتى رضي بان يكتب الى الملك في امرها فرضي الملك بانفاذها الى شينون شمالي پواتيه حيث كان مقيمًا مع حاشيتهِ وقوَّاد جيشهِ

فلبست الفتاة بزَّة الفرسان وتقلَّدت سيفًا وركبت فرسًا اشتراهُ لها احد عمومتها في ڤوكولور فاخذ هذا المنظر بابصار الحضور اي مأخذ اذ رأوا بكرًا نقيَّة البشرة وشيقة القامة دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محيَّاها سيماء الحياء واللطف وتبدو من محاميلها امارات مضاء العزيمة بارزةً في اهبة الجند. لكنَّ الفتاة لم تكترث لاقوال الناس بل سارت مسرعة الى الملك كرلوس السابع. والحق يقال ان الامر كان ماسًّا واحوال فرنسة في اضطراب لا يوصف والكل ينتظرون من يوم الى آخر فتح مدينة اورليان. والملك قد اخذتهُ الحيرة لا يرى وجهًا للخلاص الَّا الفرار الى اسبانية او اسكوتيا. فتجشَّمت جان سفرًا طويلًا مع فرقة من الجند المرافقين لها وكانت في طريقها تتقدَّمهم وتنشِّطهم وتذهلهم بشهامتها رغمًا عن اتعاب السفر وقلَّة استعدادها لمثل هذه العيشة وكانت الاصوات السماويَّة تؤيد عزيمتها قائلةً: هيَّا لا تجزعي فانك انت

المندوبة من الله لتخلّصي اورليان من حصارها وتقودي الملك الى رِمْس ليتوّج فيها ويُمسح بالدهن المقدّس كآبائه ». فهذه الاقوال كانت « ابنة الله » تردّدها كما تسمعها من اصواتها فتمشي ويمين العلي تقودها بقوّة لا تستطيع مقاومتها مهما شاءت

دخلت جان مدينة شينون في ٦ آذار سنة ١٤٢٩ بعد ان سبقت واعلمتهُ بقدومها لكنَّ الملك شارل لم يظهر لاستقبالها ارتياحاً وخاف ان يهزأ به الناس لتصديقه ابنة احد الفلاحين مختلّة الشعور لا خبرة لها بامور المملكة بل لا تعرف كما قالت الألف من الباء. لكنَّهُ سمع ما اخبرهُ عنها رجلان من اعيان الدولة كانا صحباها في الطريق فاطنبا لهُ في محامدها فاراد ان يختبرها وعقد لها حفلةً استدعى لها الوزراء وكبار دولته ونخبة الاكليرس وتنكَّر الملك وجلس بينهم كأنهُ احدهم فأُدخلت في ذلك النادي المهيب وهي ثابتة الجنان لم تعرف الملك ولم يعرفها فسارت توًّا اليه وسلّمت عليه خارّةً عند اقدامه. ولمّا اراد الملك شرل ان يصرفها الى غيره بحجّة انهُ ليس الملك قالت لهُ انّهُ هو هو وليس غيرهُ ثم اعلنت لهُ برسالتها قائلةً: « انا عذراء مسكينة لكني مأمورة من الله أتيتكَ لشدّ أزرك وتبشيرك بنصر قريب على يدي » ثم حاول الحضور ان يختبروها وألقوا عليها الاسئلة العديدة وتفنّنوا في اغوائها وخداعها لكنّها كانت تفحمهم وتجيب على كل المسائل حتى اغمضها برزانة عجيبة الى ان اخذ كثيرين منهم الانذهال كل مأخذ فصرخوا كسحرة فرعون عند بعثة موسى (خروج ٨: ١٩): « انَّ اصبع الله لهاهنا »

على ان الملك وارباب الدولة لم يقتنعوا بذلك وعادوا الى امتحان الفتاة دفعات متوالية وهي تزيدهم دهشاً وحيرة بذكاء عقلها ولطف كلامها وشدّة عزمها. وقد كشفت للملك سرًّا من اسرار قلبه لم يُبح به لأحد من خواصّه كان يريبهُ منذ مدّة ويشغل عقلهُ ويزعجهُ بخصوص والديه فلا يدري أهو ولدهما الشرعيّ ووليّ عهدهما ام لا. فسبقت جان واوضحت لهُ افكارهُ وهو لم يفاتحها بالامر فافرجت كربتهُ واسابغت غُصّتهُ فعدَّ ذلك آيةً من الله مؤيدة لصحة دعوة الابنة الوافدة عليه.

وبلغ خبر جان درك اهل اورليان في حصارهم فثبتت عزائمهم ووطّنوا نفوسهم على شدائد الحرب واخذوا ينتظرون بفروغ الصبر ملاك السلام الموعود. امّا الملك وعمدتهُ واهل بلاطه فكانوا مترددين في امر الفتاة فلا يعلمون ما يصنعون فمنهم من كان يريد عضد جان درك وارسالها مع فريق من الجيش ومنهم من كان ينكر ذلك فكثر القيل

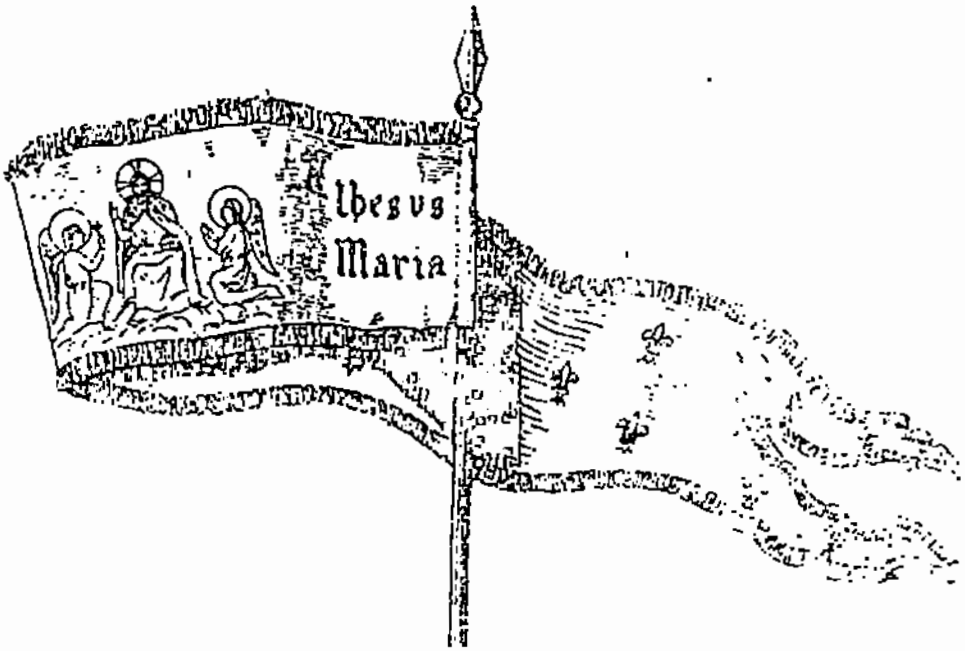

راية جان دارك الموحى بها

والقال والايجاب والانكار حتى عاد الملك وألّف لها في بواتيه مجمعاً آخر من جهابذة العلماء الذين تفنّنوا فألقوا عليها مشكلات المسائل حتى اعيتهم الحيل وعادوا بالخيبة

وكانت احوال اورليان تزيد كل يوم حرجاً بهذا التريث والتردُّد والفتاة تنشدهم الله بان يتركوا الكلام الفضولي ويسرعوا الى العمل حتى اضطرّتهم الى اختبار امرها فعلاً وكانت لا تزال تستمد في تلك النزهة معونة من السماء وتثابر على كل اعمال التقى كعادتها وتفتن الجميع بحماستها وتورعها معاً

فعوّل شرل الملك على تجهيز فريق من جيشه في عدد عشرة الاف جندي مع جان دارك واقام الفتاة « قائدةً على عسكره » وعيّن لها فرساناً يعضدونها ويجرون اوامرها ثم لبست عدّة الفرسان وامتطت جواداً من اصيل الخيل كانت تجريه في الميدان بحذاقة غريبة وامرت أن يُصطنع لها راية على شكل ما رأتهُ في ايدي الملائكة وكانت الراية بيضاء من حرير في اطرافها الذهب تمثل السيّد المسيح بهيئة سلطان جليل جالس على السحاب تلوح في جسمه جروحات صليبه منيرةً وكان السيّد رافعاً في يده الشمال كرةً

ترمز الى العالم وهو يبارك بيدهِ اليمنى ازهاراً من الزنبق شعار ملوك فرنسة يقدّمها لهُ رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل وعلى جانب الراية اسما يسوع ومريم الكريمان

فهذه الراية الجميلة ركزتها جان دارك في وسط الجيش وامرت الجند صباحَ مساء ان يحيطوا بها ويقيموا الدعاء الى الله بازائها بينما هي كانت تجثو على ركبتيها وتستحرُّ بالصلاة امام الجميع . ولمَّا اراد الملك ان يقلّدها سيفاً كامرائهِ لم ترضَ بل دلَّت بإلهام من الله على سيفٍ كان مطموراً في كنيسة على اسم القديسة كاترينا في قرية فياربوا على ستّ ساعات من شينون

فزادت بهذه العجائب ثقة الجنود بقائدتهم ومشوا في خدمتها مطيعين لاوامرها أطوع من بنانها . وكانت جان دارك امرتهم جميعاً بان يطهّروا نفوسهم بالاعتراف عن خطاياهم وان يتقرّبوا من المائدة المقدّسة ويقبلوا القربان الطاهر . ثم سعت غاية جهدها بأن تستأصل من الجيش كل ما يغيظ الله من الآثام كالحلفان والسبّ والتجديف فضلاً عن السكر والفسق والمقامرة والعادات السيئة التي اشتهر بها الجند لاسيما في أيام الحرب

ثم ودّعت الملك وصرّحت لهُ بالتفصيل ما سيجري لها وانّها ستخلّص اورليان وتُصاب بسهمٍ في فتح البلد لكنّها لن تموت وانّها بعد نجاة اورليان تقود شرل الى رمس ليمسح هناك ملكاً بالدهن المقدّس ويتوّج بحفلة حافلة وانَّ هناك تنتهي دعوتها الّا انَّ العدوّ سوف يُطرد من الوطن فلا يبقى أثرٌ للانكليز قبل سبع سنوات . وان هي قتلت بامرهم كان قتلها اعظم ضرراً لهم من حياتها . وكل هذه التصريحات قد تمّت بحرفها كما سترى

كان بودّنا ان نتتبّع آثار تلك السرّيّة ونروي بالاطناب ما حصل لها في زحفها على اورليان وفوزها التامّ بالعدوّ الذي كان محدقاً بالمدينة كالسوار بالمعصم وكاد اهلها يذوقون مرّ النكال لكنَّ ذلك يؤدي بنا الى طول الكلام وقد اختصرت تلك الوقائع اختصاراً حسناً كاتبة اديبة من المسلمات السيّدة زينب بنت علي فوّاز العاملي في كتابها « الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور » فننقل وصفها بالحرف (ص١٣٣) قالت :

« امرت بادئ بدأة بتطهير العسكر من عواهر النساء وحضّت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثم زحفت على البلد فاستولى الرعب على قلوب الانكليز وقالوا : ما هذه بشرٌ إنْ هي الّا ملاك كريم او ساحر اثيم . وكانت ترتدي بحلّة

بيضاء وتركب جواداً اشهب وتنشر فوقها راية بيضاء فاذا بصر بها الانكليز وهي في هذا الهندام فرّوا من امامها كأنهم حُمر مستنفرة فرّت من قَسْوَرة (اي اسد) وما برحت تصدق الحملة وتتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرّع من انحراف جيشها عنها وعدم انقيادهِ لها انواع الغصص وضروب الإحَن حتى استتبّ لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلّة اينما ثُقِفوا فألجئوا الى الجلاء على (والصواب عن) اورليان فكفّوا عن حصارها في ١٨ أيار سنة ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيء »

وكانت جان في هذه المعركة الاولى أُصيبت بسهم في صدرها فنزعتهُ بشهامة ولم تُبالِ بالوجع وكذلك رشقها في واقعة ثانية نبلٌ من نبال الانكليز في ساقها فتجلّدت ولم تزل سائرة الى الامام . ومما يجدر بنا ذكرهُ انَّ جان دارك في واقعة اورليان كما في بقيّة حروبها لم تضرب احداً ولم تسفك نقطة من الدم بسيفها واذا كانت تتقدّم الجند وتتسلّق الاسوار وتحضّ المحاربين بصوتها وتشيرُ اليهم برايتها المقدّسة التي كانت تحملها بيدها وترفعها فوق رؤوس الجنود ليتقفّوا اثارها وبعد فوز جيشها بالعدوّ كانت تمنعهم من الفتك بالاسرى وتضمّد جراحات الجرحى بايديها سواء كانوا من قومها او من عُداتها وتعطف عليهم وتبكي لاوجاعهم كالامّ الحنون . وكانت اذا أُعلن بالانتصار توارت مختفية في احدى الكنائس لتصلّي وتهرب من ثناء المهنّئين

ولم تُخلد جان الى الراحة بعد فتح اورليان الذي تمَّ لها بسبعة أيام فقط وكانت تقول علانيةً انَّ مدّتها لا تطول كثيراً على سنة واحدة فاسرعت وعادت الى الملك شرل فاكرم وفادتها واعدّ للتحفّي بها وليمة فاخرة لكنّها لم ترضَ قائلة : « انَّ الحاجة ماسّة والوقت قصير فلا يليق ان نضيعهُ بالقصف واللهو فسَراع ايُّها الملك هيَّا بنا الى رِنس » ولم تزل تلحُّ عليهِ ايَّ إلحاح وهو يتردّد ويتبرّم حتى غلبت معارضتهُ

الّا ان الطريق بين اورليان ورِنس كانت طويلة محفوفة بالاخطار وبين المدينتين جيوشٌ جرّارة من الانكليز قد استولوا على احصن المواقع واحرز المدن كاتاي (Patay) واكسار (Auxerre) وطروا (Troyes) وكان الفرنسويّون لا يتقدّمون الى جهة رِنس الّا تُناصبهم قوّات العدو تحت قيادة امراء وابطال مظفّرين طالما نجّذتهم التجارب وحنّكتهم الحروب . فكان قوّاد الفرنسويين اذا ساروا بجيوشهم اميالاً زاد اضطرابهم وقلقهم ويرون انَّ مناجزة القتال تهوّر وسفه لكنَّ جان دارك كانت تملاء

القلوب ثقةً بجلدها وثبات جأشها حتى كادوا يتبعونها على رغم منهم كرهين

وقد جرت الامور كما تنبأت فكانت حيثما تسير تقطع نظام العدوّ وتفرّق شملهم وتنكصهم على الأعقاب حتى عدُّوها كداهية الحروب او من مردة الجنّ. وكانت الفتاة تكلّم القوّاد كأنها واحدة منهم وربما اعلنت لهم ما ارادوا ان يخفوا عنها وتتصدّى لآرايهم اذا وجدتها مخالفة لما الهمتها الاصوات فتضطرُّهم الى ان يصادقوا على زعمها فاذا قنعوا وجدوا الفوز والنجاح واذا تعدّوا قولها فشلوا وندموا. وكانت جان مع ذلك طليّة الروح فكهة اللسان تمزج كلامها بشيءٍ من المزاح - فمن ذلك قولها للدوك دي ألنسون في بعض المعارك: «طِبْ نفساً ولا تخف عدواً فاني وعدتُ الاميرة قريبتك بان اعودُ بك سالماً». ومنها جوابها الى احد الفاحصين عن امرها وكان خشن الكلام ثقيل اللسان فسألها هل الاصوات التي تسمعها فصيحة هي فاجابت: «نعم سيّدي انها افصح من لسانك وابلغ من منطقك». فأفحمتهُ. وكانت جان وعدت الملك شرل بانها تدخلهُ رِمْس دون ان يخترط سيفهُ من غمده فتمّ الامر كما قالت فكان ودخل المدينة بابّهة عظيمة في اليوم الذي قرّرتهُ جان دارك بعد ان ألجأت اهلها وحاميتها الى طلب الصلح لما داخلهم من الرعب والهلع لقدومها. وكان ذلك في منتصف شهر تموز. وفي ١٧ منهُ أُقيمت حفلةٌ حافلة لا يفي بوصفها قلم وبها مُسح شرل السابع ملكاً على فرنسة بالزيت المقدّس الذي كان يُصان في كنيسة المدينة الكاتدرائية في قارورة شهد المؤرخون على انّ حمامةً اتت بها من السماء على طريقة عجيبة يوم مُسح اوّل ملوك فرنسة الملك كلوفيس على يد القديس ريميجيوس اسقف رِمْس

وكانت جان في ذلك اليوم واقفة على مقربة من الملك وفي يدها رايتها المظفّرة وعلى جانبيها ابوها وعمها كادا يطيران من الفرح لما نال عزيزتهما من المجد الاثيل. وكانت عيون الجميع شاخصة الى تلك الفتاة السماويّة. وفي ان حالهم يردّد فيها ما قالهُ اهل اورشليم يومَ ظفرت يهوديت باعداء اسرائيل: انت مجد وطنكِ انت فرح شعبكِ انت فخر كل بلادنا

٤ الشهيدة

كانت دعوة جان دارك على ما قالت لها الاصوات العلويّة تمّت بتتويج الملك شرل على فرنسة لأنها بذلك مهّدت الطريق للانتصار التامّ على اعداء بلادها. فلمّا انتهت

تلك الاعياد البهيجة جثت امام الملك وطلبت منهُ ان يُطلق سراحها فقالت: «قد فُزتَ ايها الملك الجليل بالنصر الموعود ونهجتُ لك السبيل فالزمها تَفُزْ بعدوّك امّا انا فقد قمت بمأموريّتي وانجزتُ وعدي وما بقي لي الّا ان اقوم بك الوداع واعود الى بيت ابي قريرة العين فأرعى الماشية كمألوف عادتي واغزل الصوف في كنف والدتي كما نشأتُ عليه»

لكنَّ الملك ابى ان يجيب الى ماتمسها ولم يزل ملحًّا عليها الى ان اقنعها فلم تَرَ بدًّا من مرافقة جنوده في حروبهم فسارت تتقدّمهم كما فعلت سابقًا واظفرتهم بعدوّهم مرارًا حتى انَّ الملك جازاها واسرتها كلّهم بمنحهم رتبة الاشراف دون التماس منها

ومع ما ابدتهُ حينئذٍ من اعمال الفروسيَّة والبأس كانت لا تزال تسمع اصواتها تنبئها بما سيحلُّ بها من الشدائد فكانت الفتاة تنتظرها بعزم وثبات مسلّمة بامرها لارادة الله. لاسيما ان تلك الاصوات كانت تنعش قواها وتعدها بالفوز النهائيّ

وبقيت جاريةً على خطّتها من الاقدام والتحمُّس مع ملازمة اعمال البرّ والتقى الى شهر ايار من السنة ١٤٣٠ حيث جُرحت في كمبيان فأسرها احد الامراء المحالفين للانكليز. ثم غدر بها واسلمها الى اعدائها واخذ كيوداس حقَّ خيانتهِ وبأسرها صحَّ قولها للملك ولحاشيتهِ انَّ ايّامها بينهم محدودة لسنةٍ وبعض سنة. وكانت القديستان كاترينا ومرغريتا في عيد الفصح من تلك السنة ظهرتا لها وانبأتاها بقرب وقوعها في ايدي العدوّ فلم يبق لها الّا ان تشرب الكأس التي اعدَّها الله لها فتنال الرفعة بالصليب والمجد بالآلام

وكان يوم سقوطها في ايدي العدوّ يومًا مشئومًا على الفرنسويين وهو الرابع والعشرون من ايار ١٤٣٠ وعدَّهُ الانكليز نصرًا باهرًا وقد ابتاعوها من الذي اسرها بمبلغ من المال كان في ذلك العصر يُدفع كديَة الملوك وحدهم

ومنذ ذاك الحين دخلت جان دارك في درب صليبها الذي تعدَّدت مراحلهُ وطالت مدَّتهُ الى سنةٍ بنيّفٍ فكبّلوها بالقيود واذاقوها مرَّ العذاب ونقلوها من مدينة الى مدينة ومن سجن الى آخر وهي مع ذاك تحتمل تلك الاوجاع بصبر جميل وكانت في عزلتها تضيق نفسها وتأنف من سوء معاملة اعدائها وتسعى ان تفرَّ من ايديهم لتعود الى معسكر الفرنسويين. واذ وجدت يومًا وجهًا للخلاص قفزت من اعالي البرج الذي حُبست فيهِ الى الحضيض دون استشارة اصواتها فجُرحت لكنَّ جرحها برئ بنوع

عجيب وكانت اصواتها مع ذلك لا تفارقها فتتراءى لها القديستان حيناً بعد حين وتنعشان قواها وتوطّنان نفسها على مقاساة مُمض الحبس بل الموت نفسهِ لأنها بذلك تظفر بما هو اعظم من كل حطام الدنيا. فظهرت الفتاة في أيام نكبتها اكبر منها في مواطن شرفها وانتصارها

وفي اواسط شباط من السنة ١٤٣١ باشر اعداء جان درك من الفرنسويين المخالفين للانكليز فحص دعواها لعلّهم يجدون في سيرتها علّةً ليحكموا عليها بالموت وكان متولّي تلك الدعوى اسقف بوفه المدعو كوشون فاحضرها امامهُ واستنطقها ثمَّ سيقت بعد ذلك الى المحكمة ست عشرة مرّة أبدت في خلالها من جُرأة الصدر واطمئنان الجأش ما اذهل قضاتها انفسهم وكان هؤلاء يلقون عليها الاسئلة المشكلة عن دعوتها واصواتها وايمانها وغايتهم ان يوقعوها في مغواة تمكّنهم من الحكم عليها. الّا ان جان كانت تجيب على تلك المعمّيات بوضوح وصراحة لا تبقي لأحد عليها ماخذاً. فنفت عن نفسها الشكاوى التي اخترعوها عليها كاتّهامها بالسحر وغير ذلك ممّا بيّنت كذبهُ بدقّة عجيبة حتى انَّ الحضور كانوا عند سماع قولها يصرخون علانيةً: «يا حبّذا الجواب. ما اصدق قولها حيّاكِ الله نعمّا قلتِ»

وكان آخر ما وجد هؤلاء قضاة الظلم ليقرّفوها به ويحكموا عليها انّهم نسبوا اليها البدعة ولاموها على لبسها لبس الرجال وانّما فعلت ذلك تعفّفاً وصوناً لطهرها بين الجنود فقضوا عليها بالسجن المخلّد «وبان تقتات بخبز المتاعب وتروى بمياه الاوجاع»

ثم دسّوا لها دسيسة فنزعوا عنها ثياب النساء في حبسها فلم يبقَ لها غير لبس الفرسان فلبستهُ مضطرّةً واتخذ اعداؤها هذا العمل كعصيان لاوامرهم فحكموا عليها بان تُحرق حيّةً كما يُحرق الهراطقة المبتدعون المصرّون على عنادهم. امّا جان فاذ علمت انَّ فوق حكم هؤلاء الظالمين حكماً آخر اعلى واعدل وهو حكم الحبر الروماني طلبت بان يُرفع اليهِ دعواها فلم يعيروا احتجاجها بالًا واستمدّوا لانفاذ الحكم فيها

ولما رأت الفتاة انَّ يومها الاخير قد قرب أُصيبت بقشعريرةٍ واكتأبت لجور القضاة لكنّها تذكّرت ما قالتهُ لها الاصوات انّها ستموت شهيدةً فاستعدّت لمقابلة ربّها بطلب الاسرار فاعترفت بذنوبها وتناولت القربان الاقدس مذرفةً للدموع السخينة ثم التفتت الى احد الحضور قائلة: «في مساء هذا النهار بنعمة الله اكون في الفردوس»

ولما حانت ساعة موتها البسوها ثوباً طويلاً ابيض وجعلوا على راسها قرطاساً كتبوا فيهِ ما شاءوا من علل موتها وقادوها بين شرذمة من الجند الى مصطبة عالية ليحرقوها. وكان آخر ما فاهت بهِ انها لم تصنع ما صنعت الّا بامر من الله وانها تستأنف حكمها الى الحاكم الازلي العظيم ثم دعت باسمي يسوع ومريم الكريمين وكرّرت دعاءها بصوت جهور وقبّلت صورة المصلوب وبقيت شاخصةً اليهِ حتى تطايرت نفسها الى الاغدار الابديّة. وقد وقعت وفاتها الصالحة في ٣٠ أيار من السنة ١٤٣١

٥ الفتاة المجدَّدة

انَّ مجد جان درك كمجد المسيح سيّدها قد ابتدأ يوم وفاتها فكان موتها هو الفوز العظيم الذي اشارت اليهِ اصراتها. واوّل آية ظهرت اذ ذاك انَّ احد الجنود الحاضرين للتمثيل بها رأى نفسها على شبه حمامة تُحلّق الى السماء كأنها طائر أُطلق من اسارهِ. واعجب من ذلك انَّ جسمها حار بعد قليل الى رماد واحترقت عظامها لكنَّ النار لم تمسّ قلبها واحشاءها فبقيت سليمةً بآية باهرة اوجبت كاتب ملك انكلترّة ان يصرخ: « ويلٌ لنا قد احرقنا فتاةً بارّةً قديسةً ». وكثير من اعداء جان اجهشوا بالبكاء وقرعوا الصدور ندامة فانَّ المسجّل لحكم موتها قضى شهراً بتمامهِ يبكي على المظلومة ليلاً مع نهار. والاسقف كوشون قاضيها نفسهُ لم يتمالك من البكاء على تلك التي كان هو علّة موتها. امّا الجلّاد الذي ربطها على الخشبة قبل حرقها فانهُ لمّا رأى النار قد صانت قلبها ركض مسرعاً الى دير قريب صارخاً: « أيا تُرى يغفر الله لي الاثم الذي اجترحتهُ في هذا النهار »

ومنذ ذاك الحين جعل الناس يكرمون جان درك ويعتبرون تلك الراعية كراعية أُخرى كانت في سالف الازمنة خلّصت بلادهم من البرابرة اعني جنفياف التي نجّت باريس من اتيلا ملك الهونيين. وزادت ثقة القوم بشفاعتها لمّا رأوا بعد سنين قليلة « كسرة الانكليز وخروجهم من تخوم البلاد لم يُبقوا فيها غير عظام موتاهم » كما انبأت بوحي من الله. فانَّ باريس عاصمة الدولة رجعت الى طاعة ملكها واستردّ شرل كل المدن والقلاع التي كان ضبطها العدوّ منذ ايام جدّهِ ووالدهِ

وممّا اظهر على رؤوس الاشهاد مجد بكر اورليان انَّ الاعداء الذين حكموا عليها ظلماً أُصيب معظمهم بآفات شتى وعُوقبوا انكأ العقوبات فمات الاسقف كوشون اوحى

ميتة . وقضى المدّعي عليها نحبهُ في اسوأ حال . ومات بالبرص الخطيب الذي حلّل موتها . وأسر الفريق بدفورد الذي استأسرها فحُبس في روان في عين القصر الذي حُبست فيهِ جان دارك فنُكِّل بهِ كما نُكِّل بها وصار للجميع عبرة ظاهرة

وفي منتصف شهر شباط من السنة ١٤٥٠ امر البابا كالسطوس الثالث الملك شرل بان يؤلف لجنة من كبار الفقهاء وارباب الدين ليعيدوا النظر في دعوى جان دارك . وكان امر البابا كجوابهِ لها لمَّا رفعت دعواهـا الى الكرسي الرسولي فاستؤنف فحص الدعوى وبعد ثلاث سنوات من بحثٍ مدقّق اتّفق اهـل الديوان على نقض حكم الاسقف كوشون وحزبهِ واجمعوا على تزكية جان دارك

فحـدث عمَّا اصاب عموم الفرنسويين من الفرح ولا حرَج ومن ثمَّ اخذ الاهلون يطنبون في محامد تلك البكر الشهمة فجمعوا اخبارهـا ومثّلوا على المراسح بسالتها واستعانوا بكل الفنون الجميلة لتعظيمها فأُقيمت لها ألوف من التماثيل البديعة والصور الجميلة وانشد الشعراء القصائد الغرّاء في مدحها (١) . وكانت مدينة اورليان في مقدّمة المدن التي اكرمتها واتّخذتها لها شفيعةً ومنذ سنين عديدة لم تزل تقيم في كل سنة حفلةً دينيّة بهيجة في ١٨ أيار تدعو اليها الذوات والاعيان ذكرًا لتلك العذراء التي ظهرت في زمانها كسيف الله الذي قشع دجى الظلام بنورهِ اللامع فكشف كربة فرنسة وردّ اعداءها خاسرين

واليوم قد بلغ شرف جان دارك اوج رفعتهِ اذ رنَّ في العالم صوت الخبر الروماني فلم يزكّها فقط من كل وصمة ألحقت بها بل توّج هامتهـا بتاج يفوق تيجان الملوك ونظمها في قلادة العذارى القديسات اللواتي يتّبعن الحمل حيثما سار كحاشيتهِ الخاصّة . ولا غرو فان بكر اورليان لم تخدم عاهلًا ارضيًّا بل ملك السماء وحدهُ

اخبر الذين رأوا جان في بلاط الملك شرل بعد قبضهِ لزمام الملك في رِمس انّهـا

---

(١) ومن عجيب الامور انّ الزنديق ڤولتار شتم تلك الفتاة السماويّة كما رشق بلسانهِ النذل كل صالحٍ وجميل . قالت السيّدة زينب في كتاب ربّات الخدور ونعم القول (ص ١٢٤) : « قد عاب الرأيُ العام فوليت (تريد ڤولتار) بقصيدتهِ التي اودعها ذمّ جاندارك وتسويد صحيفتهـا بانواع السبّ الظالم والقذف النادر ولكنّهُ لا يُستغرَب ذلك ممّن اوقف حياتهُ على تقويض عمد الديانات وتزييف اوليائها »

دخلت يوماً عليه فقال لها : ايتها العزيزة بماذا نجازيك عن اعمالك الشريفة . فقالت له : انا اطلب منك عوضاً عن اتعابي نعمةً واحدة أتعدني انك لا تنكرها عليَّ . فقال : لكِ ما شئتِ ولو طلبت مملكتي . فقالت : وهذا الذي ارغبهُ منك . ان تمنحني المملكة كلّها ساعةً وتكتب في ذلك صكاً تمضيه بيدكَ . فتعجب الملك من طلبها لكنهُ فعل كما وعد . فلمّا صار الصكُّ في يد الفتاة انطرحت امام الراية التي كانت تتقدَّم بها في الحروب وعليها كما قلنا صورة السيّد المسيح على هيئة ملكٍ جليل فأهدتهُ مملكة فرنسة ليكون هو ملكها الابديّ . ثم قامت وانطرحت عند اقدام الملك قائلة : « اعلم انَّ مملكة فرنسة هي ملك المسيح وحدهُ . وقد اثبتَّ ذلك بقرارك الجديد فاملك عليها لا كملك مستبد بل باسم الذي يجعلها تحت حكمك لتكون كعامل له تتدبرها باسمه »

فكان لهذا الكلام اطيب وقع في نفس الملك واثّر في كل الحضور الذين تأكّدوا دون ادنى ريب بانَّ بعثة جان دارك كانت كأنها من السماء . وقد لاح الامر بعد ذلك بمئة سنة باجلى برهان لمَّا انفصلت انكلترة عن الكنيسة الكاثوليكيَّة وتورَّطت في البدعة والضلال فانَّ فرنسة كانت في وجه الهرطقات كسور منيع ردَّ كيدها في نحرها . ولو استولى الانكليز على فرنسة في أيام شرل السابع لكانت ذهبت ابنة الكنيسة البكر كبريطانيَّة العظمى فريسة الكفر والبهتان

فعسى ان يكون اليوم تمجيد جان دارك كفاتحة عصر جديد لفرنسة فتقوى الكنيسة على الشيع الكفريَّة التي مدَّت عليها سيطرتها وجاهرت الدين بحرب عوان . فلتقم ثانيةً وتبدد اعداء الله فيعود لفرنسة بهاؤها وعزّها السابق وتضحي كما كانت سيف الله في ارضه لنصرة الحق وتعزيز الصخرة البطرسيَّة

(حاشية) قد نبَّهنا القرّاء في مطاوي الكلام على تقصيرنا في وصف اعمال بكر اورليان . على اننا ننتهز هذه الفرصة الجديدة لنثني على الترجمة المطوَّلة التي وضعها منذ عهد قريب احد افاضل الرهبان حضرة الاب ڤرنيه اليسوعيّ وقد دعا المؤلف كتابهُ « سيرة حنَّة دارك البكر المكرَّمة مخلّصة مملكة فرنسا » وقد اودعهُ مآثر تلك الفتاة الشهمة في دينها ودنياها . فنحضُّ الشرقيين على مطالعته في هذه السنة خصوصاً التي فيها شاع اسم جان دارك بترخيص اكرامها على المذابح

وكنّا انتهينا من تسطير هذه المجالة اذ وقع نظرنا على مجلّة العالمين Revue)

الفرنسوية فوجدنا في مقالة (des deux Mondes, Avril, 1909, p. 913—934) مطولة ذكر كتابين في هذا المعنى الاول لاحد الفرنسويين قد أعمى الهوى والالحاد ابصاره وهو اناتول فرنس (A. France) صنّفهُ للتشنيع على جان درك والازراء بها وقد ادّعى انهُ كتب ما كتب بنزاهة مستندًا الى الاسانيد الصحيحة فكان لتاليفه اسوأ وقع في القلوب ليس في فرنسة فقط بل بين الاجانب ايضًا وممّن تحرّى تكذيبهُ احد البروتستانت في انكلترة اندرو لنغ (And. Lang) من بلاد اسكوتيا فوضع كتابًا كان باشر في تأليفهِ منذ عدّة سنوات فانتهى منهُ آخرًا وردَّ فيهِ على كل مزاعم اناتول فرنس واسم كتابهِ « ترجمة فتاة فرنسة » (Maid of France) وهو تأليف جليل في كل اقسامهِ من حيث مضامينهِ وبلاغة انشائهِ وصدق مصادرهِ فجاء اسنى هدية قدَّمها رجل منزَّه عن الاغراض الدينيَّة والسياسيَّة لمدرّ بلادهِ واقرَّ جهارًا بانَّ حياة جان درك واعمالها اعجوبة باهرة لا يستطيع احد ان يدركها ما لم ينظر ما فوق الطبيعة. وهذا الرأي اليوم هو الرأي الغالب في انكلترة (Etudes, 20 Avril, 1909, p. 184-205)

امَّا الكتاب الثاني فهو لحضرة الاب البندكتي دون لوكلارك (DOM LECLERCQ: *Les Martyrs. VI: Jeanne d'Arc, Savonarole*, Oudin et Cie Paris, 1908) جملة الجزء السادس من مجموعهِ في الشهداء النصارى ضمَّنهُ الاخبار التي رويناها مع ذكر شواهد منقولة عن معاصري جان درك

بديعية ابراهيم خيكي

لوطية

في مكتبة باريس العموميَّة عدَّة مخطوطات عربيَّة يتجاوز عددها ٣٠٠٠ حصلت عليها عمدتها بالشراء في هذه السنين الاخيرة وقائمة هذه المؤلفات لم تُنشر بالطبع مع المخطوطات العربيَّة التي وصفها المستشرقان دي سلان (G. de Slane) وزوتنبرغ (H. Zotenberg) لأنها دخلت في ملك الدولة بعد نهاية طبع قائمتها. وفي رحلتنا الى باريس العام الماضي وقفنا على بعض هذه المخطوطات الجديدة فنقلنا عنها ما رأيناهُ مفيدًا لقراء المجلة. ومن جملة تلك الآثار مجموع نصراني

يحتوي عدّة منتخبات من كتبة نصارى خطّ سنة ١٨٣٥ برسم الشمّاس دانيال الراهب الحلبي وهو الذي سُقف بعد ذلك على القلاية البطريركية وعُرف باسم المطران مكاريوس حدّاد. وفي الصحيفة ١٦٩ منهُ بديعيّة ألفها سنة ١٧٣٣ احد ادباء النصارى في حلب اسمهُ ابراهيم خيكي الحلبي جرى فيها على طريقة بعض اهل البديعيّات فالتزم في كل بيت نوعاً من البديع مع تسمية ذلك النوع فجمع في قصيدتهِ ١٥٢ شكلاً بديعياً. وفي بعض هذه الابيات تعسّف ظاهر كما يرى في بديعيات اسلافهِ. امّا معاني هذه البديعية فرجعها الى مدح النصرانية وذكر مفاخرها والثناء على نشيها الالهي ورسلهِ الاطهار وكنيستهِ التي وكل تدبيرها الى بطرس الغامة. فاحببنا نشرها قبل ان تأخذها ايدي الضياع. امّا ناظمها فلم نجد لهُ ذكرًا في ما لدينا من اخبار حلب المستحدثة. ولعلّ احد ادباء الشهباء يمكنهُ ان يسدّ الخلل فيفيدنا عنهُ شيئاً ولهُ منا الشكر سلفاً ل. ش

براعة الاستهلال	براعتي في امتداحي مَنهَلَ النعَمِ	قد استهلّت بديع النظم كالعلَمِ
الجناس المركب	قد هام قلبي بتركيب الغرام فقلْ	بي ما تشا مطلقًا لم تقتصر همي
الجناس المقلوب	كم ضلَّ لاحٍ بلفظٍ ظلَّ ينشدهُ	والقلب ما مالَ لمّا لامَ للندمِ
الجناس الملفّق	في المنهل العذب لا يختار مع ظمإٍ	مضنًى بتلفيق ما يرويه من عظمِ
الجناس المطرّف	قد صاح داعي الهوى تمّت دعوتهُ	وزدتَ يا صاحِ تطريفي ولم ألمِ
الجناس اللاحق	ان ذيل الحبّ حبلٌ لوصل منهُ بلا	فصل لحقتُ بذيل الجود والكرمِ
الجناس المصحّف	وقد تصحّف حبّ الغيد عندي كما	تحرّفَ القلب عن ذا السقم بالقسَمِ
الجناس المعنوي	وملتُ نحو ابن نواء المعنوي عسى	يصير لي كابنِ رعدٍ او ابي الامم
الاستطراد	مستطردًا خانهُ خيل الغرام ولم	اخشَ النكال ولو فيهِ يُراقُ دمي
الاقتران	وصرتُ في حبهِ والاقتران بهِ	انمي زمانًا مضى شدرًا بغيرهم
التخيير	وقد تخيّرت موتي في محبّتهم	ولو طلبتُ سواهُ متُّ من ندمِ
ردّ العجز على الصدر	صدر المعالي لهم ترتدُّ واجمةً	كردّ عجزٍ أعاديهم لصدرهمِ
القول بالموجب	قد اوجبوا القول أني عن محبّتهم	قد ملتُ قلتُ الى الاتلاف والعدمِ
التذييل	وطال تذييل سهري في الغرام وقد	نام الخليُّ ومُضنَى الحبّ لم ينمِ
الالتفات	ومذ تأوا عن عياني عدتُ ملتفتاً	سيروا الهوينا بقلبي وارحموا سقمي
الاستعارة	ساروا بخيل غرامي عندما استعرتْ	نار الجوى في ضميري يوم بينهمِ
الاستخدام	واستخدموا في الدجى نجمًا ليرشدهم	وقد رعتهُ ضحًى أنعامُ سربهمِ
الاكتفاء	وما اكتفيتُ بتمهيد الطريق لهم	بل رمتُ تثقيف منها شكل كل كمِ

الطباق	طابقتُ ان بذلوا قربي ببعدهم	ولا اطابقُ ان شحُّوا بوصلهم
المناقضة	ناقضتُهم ان نَوَوا هجري ولو بُدلت	حالي وعدتُ رضيعاً غير منفطم
المقابلة	قابلتُ ذلّي وفقري شقوتي نعمي	بعزّهم والغنا والسعدِ والنعَم
ارسال المثل	صبرتُ في الحبّ حتى قلت ممتثلاً	مَن حاول الكيَّ فليصبر على الالم
الالتزام	جعلتُ حبَّهم في الناس ملتزمي	وعن هوى غيرهم اعدو كمنهزم
المراجعة	قالوا تُراجعهم ذلّا فقلت نَعَمْ	قالوا إلامَ تلتُ هذي شيمة الخدَم
تشابه الاطراف	بهم تشابهُ أطرافٍ حلّتْ بهم	بهم أهيم ولو طال المدى بهم
الاستدراك	قالوا القريبُ تناسى حبَّهم وسلا	فقلت مستدركاً لكن على ضرم
المواربة	واربتُ مذ لامني اللاحي وقلتُ لهُ	حييتَ يا سمجَ الاخلاق والشيم
الهزل المراد به الجد	بالجدّ هازلني صحبي بقولهم	يهنيك أخصِبَ بجسمٍ مذرأوا ورمي
الايهام	وأيهمَ النُّصح عذّالي بشقشقةٍ	وليتَ شقَّ الحشا من قبل نصحهم
النزاهة	لمّا اختبرتُ امورًا منهمُ صدرت	نزّعت قلبي بحقٍّ عن ودادهم
الهجو بعرض المدح	هجا بعرض مدحٍ عاذلي شرَفي	يقول سرتم بحمل الذلّ والتُّهَم
التهكُّم	فبالتهكُّم عِبتُ المبتغي شرفًا	قد عشت معتبرًا بشراك بالندم
التغاير	تغايروا في مديح الجاه وافتخروا	وكم رمى اهلَهُ بالذلّ والنقَم
السهولة	فلا افتخارَ بغير الفضل انّ بهِ	سهولةً تجعل الشأن الوضيع سمي
الاهمال	اعمل صلاحاً وأهمل كل طالحةٍ	ودَعْ كلام عدوّ الله كالعدَم
الكلام الجامع	جمعُ الكلام اذا لم يحتفل ادبًا	لم يكتسب من جناهُ لذّة الحكم
المساواة	كلّم أخا دعةٍ تعُدْ اخا ملكٍ	فيستوي منك قلبٌ غير منقسم
الاقتباس	ان شكّكت عينُك اليسنى فأقلعها	وألقها تقتبسْ نورًا وانت عم
التوجيه	فمن توجّه نحو الله منتصباً	بكسرة القلب يبنيه كما العلم
المزاوجة	اذا تزاوج ذنبي واعترفتُ لهُ	نفى عذابي وكافاني على الندم
الرجوع	وما رجعتُ الى نفسي أوَنّبها	نعَمْ رجعتُ ولكن عند مُنهزمي
معاتبة المرء نفسه	يا نفس أصغي لعتبي واقبليهِ كفى	كم تلزميني بفعل غير محتشم
التسليم	فهل يبرّرني تسليم خدعتكِ	فلا لعمري ولو عدتُ الى العدَم
القسم	لا كنت حيًّا ولا بُلّغت نيل منًى	ان كنت اصغي لدعواكِ وذا قسمي

حسن التخلص	حتى أستعين على حسن التخلص من	ما قد جنيتُ بمدحي معدن الكرم
المجاز	يسوعُ بكر الاله ابن البتول نجا	ز الانبياء وربٌ في اطّرادهم
العكس	نورُ الوجودِ وُجودُ النورِ منهُ بدا	في الكون يا عكس شيءٍ عن سناهُ عمي
حصر الجزء في الكل	فردٌ به كلُّ اجزاء الورى انحصرت	وذاتهُ علّة الاكوان من عدم
التفسير	طبعٌ تبنّأت والتفسير جاء ابٌ	وابنٌ وروحٌ الهٌ غير منقسم
المماثلة	فالآب اولدهُ والروح أيدهُ	والخلقُ تعبدهُ مماثلي الخدم
المذهب الكلامي	ومذهبي في كلامي عن تجسّدهِ	لو لم يكن ما تخلّصنا من التهم
التشريع	لمّا بدا لاح تشريع الخلاص	لما حزنا الفدا وهدانا اوضح اللّمم
تشبيه شيئين بشيئين	شيئان قد اشبها شيئين حين بدا	وجودهُ في الدُّنى كالنور في الظلم
المناسبة	ناسوتهُ طاهرٌ والبرّ ناسبهُ	لاهوتهُ طاهرٌ والسرّ كالعلم
التتميم	وافى لينقذ حوّا من خطيئتها	وتتمّم الفضل إذ اوفى عن الامم
التوليد	قد ردّ مجد ابيهِ في ولادتهِ	وقد رضي الله بعد الغيظ والندم
الترديد	فهو الجليل وفي ارض الجليل بدا	جليلُ ترديدهِ في غاية الحكم
التشطير	تعليمهُ عذبٌ ما شانهُ كذبٌ	يُنبيك عن حكمٍ تشطيرُ محتكم
الاشارة	ومن اشارتهِ في وعظهِ رجعت	جمع الخلائق عمّا في نفوسهم
الايغال	قد أوغل السيرَ بالتبشير مجتهدًا	على هدى شعبهِ بل سائر الامم
ائتلاف الوزن والمعنى	توأم الوزنَ والمعنى بشارتهُ	لأنها قد أتت في غاية الحكم
التوشيع	توشيع آياتهِ مذ أعلنت فضحت	ضلالة الملحدين ابليسَ والصنم
التقسيم	تقسيمهُ معجزات في ذرى علل	كالبرص والصمّ والعميان والبكم
الايجاز	ايجازُ اوصافِ ما أبدت يداهُ يرى	في الارض والبحر والافلاك والنسم
التوارد	توارد الجود فاضت من يديهِ ولم	تكفّ حتى الدما اجرتهُ كالديم
البسط	وقد تعوّد بسط الكفّ مبتهجًا	حتى على العود اعطاها بلا ندم
الجمع مع التقسيم	جمعٌ تقسّم في آلامهِ قسمًا	فالنفس في نعم والجسمُ في ألم
التشبيه	وجسمهُ من نحول كالخلال غدا	وقد تشبّه نور الوجه بالظلم
تجاهل العارف	حتى تجاهل فيهِ الناسُ معرفةً	قالوا بهِ سقمٌ ام بالنبال رُمي
التورية	وقد تورّى جمال الوجه مستترًا	لمّا عراهُ الحيا في ضيقة الرجم

المساواة في موته قد تساوى بالانام وفي نهوضه اشتهر اللاهوت كالعلم.

التوهيم جلت قيامته بالانتصار وقد غرقت قلوباً من التوهيم في غمم.

سلامة الاختراع صعوده اخترع النهج القويم لنا كي نرقى منه بجنح البر والنعم.

الاضراب ارقى على السحب بل فوق الكواكب بل فوق السماء باضراب عن الاكم.

الانسجام وارسل الروح من تاقاه منسجماً على تلاميذه كالالسن الضرم.

التسهيم وقال سيروا انا معكم بلا جزع تسهموا الارض وادعوا سائر الامم.

العقد فمن تركتم خطاياه له تركت ومن عقدتم عليه الحرم ينحرم.

الارداف فاردفوا كل مأوى الحب وانطفوا نحو الذي مات حباً في خلاصهم.

التمكين تمكنوا من وصاياه وقد طفقوا يسعون بين الذئاب الطلس كالغنم.

التوزيع توزعوا متزعين العجز وانتزعوا بالمزبور وعدواه بعزمهم.

الاستتباع الباذلو الحب بذل النفس يوم وغى مستتبعين الهدى بالحفظ للذمم.

الايداع امن أودعوا الحب قد لذت نفوسهم فيما النفوس تراه غاية الالم.

التصحيح دماهم روت البيداء مذ نزعوا رواية الكفر في تصحيح قولهم.

الاشتراك عطر السماء بدمع والدما اشتركا سما الربا لا سما الاجرام والديم.

التصريع كم صرعوا حاسديهم في رداتهم كم ابردوا قاصديهم في صلاتهم.

جمع المؤتلف والمختلف فالفضل مؤتلف فيهم ومختلف لان بطرس يسمو فوق كلهم.

الايضاح قد قام فيهم إمام فاق اخوته فهو الصفا موضح الاشكال للامم.

التنكيت ايمان بطرس نور الحق مقتدي نكت على من عمى بل عن سناه عمي

حسن الاتباع من يخسر العمر والدنيا بهم ربح م الدارين في حبه حسن اتباعهم

العطف او يعطف القلب يوماً نحو حبهم او يعطفون به في حسن دينهم.

ائتلاف اللفظ والمعنى تؤلف اللفظ والمعنى رسالتهم تألف الوعظ بالآيات والحكم.

الترصيع كم رصعوا حكماً من درر وعظهم كم فرعوا نعماً من بر لفظهم.

ائتلاف اللفظ باللفظ فاللفظ كالدر والعقيان مؤتلف باللفظ فيهم كمنثور ومنتظم.

التسمط استط عقودهم وارفع بنودهم واخمد حسودهم بالذل والغمم.

التفريع فما الملائك في بر وفي ثقة يوماً بأطهر من تفريع برهم.

الاتساع أطهر النفوس اتساع الرأي خص بهم بيض القلوب حسان الخلق والشيم.

الكناية	تُحل الجسوم ومقر وحو الجفون وهي	تُكني عن النسك والاسهار والندم.
التنسيق	تنسيق مجدهم تنسيق مدحهم	توفيق سعدهم ينبي عن العظم.
الفرائد	تلقى الهياكل في اعيادهم عقدت	فرائد الدرّ من الحسان مدحهم.
ائتلاف اللفظ والوزن	تألف الوزن بالالفاظ جانسة	حسن النشائد بالالحان والنغم.
السجع	سجعي بمدحهم قد صار من قسمي	اذ فيه مغتنم في موقف الحكم.
التجزئة	جزيت من كلمي ردّيت من قلمي	ابديت من حكمي اهديت كل عم.
المدح بعرض الذم	امدحي بعرض ذمّ قد يخصّ بهم	لا عيب فيهم سوى إكرام ربهم.
التكميل	من قد اعدّ لهم ملكاً واكمله	مذ خصهم ان يدينوا سائر الامم.
الاشتقاق	مخلص رام تخليص العباد وقد	وافى رخلّصهم بعد انشقاقهم.
الابداع	قد ابدع العدل في شرع سما فنما	وابتع الفضل فرعاً في حماه حمي
العنوان	وفلك نوح اتت عنوان بيعته	فمن يلجها نجا من لجة العدم.
الترشيح	كم هدّ ركن ضلال حين أسسها	وكم ترشح منها الخير كالديم.
التلميح	تلميح انوارها امست مشعشعة	ضاهت اورشليمة العلياء في الظلم.
الترتيب	اوحيدة جمعت قدّ الرسالة في	ترتيب انوارها للعرب والعجم.
التجريد	لي منها ماء ينابيع الحياة به	يطفى أوامي بتجريد من النقم
الطاعة والعصيان	اهل الهدى قد اطاعوا شرع بيعته	وقد عصاه العدى من فرط كفرهم.
التعريض	ما رام بالسيف يحمي حق مذهبه	ولا تعرّض للالزام والرغم.
الجمع	وداعة واتضاع مع تقى ونقى	قد جمعتهم سجاياه مع الكرم.
التعديد	تعديد اوصافهم للرب يعلنه	مولى عظيماً الهاً بارئ النسم.
الطيّ والنشر	طيّ ونشر وتقريب به وجفا	للغدر والودّ والافضال والاثم.
التعليل	لو لم يقم أمة ملجأ لأمته	لما تعلل انقاذي من النقم.
المجاز	بها مجازي الى باب النعيم وهي	باب السماء وبيت الحق والحكم.
المبالغة	وهي النجاة لكل المؤمنين وقل	كل الانام وان بالغت لم تلم.
الاغراق	فلو ترى توبة الشيطان ممكنة	لأغرقته بتيار من الشمم
الغلو	كادت تردّ زماناً فيه قد سقطت	كل الانام لكي تنال بحفظهم.
التفريق	قالوا هي العرش والتفريق بينهما	للعرش موطا وهي ترقاه بالقدم.

التهذيب والتأديب تأديب سيرتها الحسناء يخبرنا عن حسن تهذيبها للطبع والشيم
التوشيح فان توشحت الاكرام لا عجبٌ لانها عينُ تمِّ الجود والكرم
الاتفاق من كان نسبتهُ نعتًا لأمتهِ فتلك انصارهُ حسب اتفاقهم
التطريز شغلي بتطريز مدحي فيهِ مغتنمي يا خير مغتنم يا خير مغتنم
الجمع مع التقسيم يداهُ كالبحر في تفريق ما جمعت وفيضهُ البحر كم روى فؤادًا ظمي
الايضاح يعطي بشحٍّ وسحٍّ ثم يوضحهُ شحٌّ لمستغنم سحٌّ لذي كرم
ائتلاف المعنى بالمعنى حلَّ وغلَّ لهُ للمعنيين غدا تألفٌ نحو مأسورٍ ومحتكم
النفي والايجاب لا ينتفي منهُ ايجاد الجميل ولا يعطي بشحٍّ ومن يقصده يغتنم
التكرير كرِّر وسلْ شيم المستحسن الشيم المستحسن الشيم المستحسن الشيم
التوقيف وابكِ ونُح وانتحب فارضخ وجُد فأنِل فوِّف وسُر وابتهج واطلب وصل ورُم
المحاجاة واصغَ لقولي اذا حاجيتُ ملتثمًا من جاز بحرًا فهل يحصيهِ بالقدم
اللغز واعط ليومك ما يحتاج من اسف واطرح لما فيهِ تُكفَ حلَّ لغزهم
الايهام من شام تلويح ايهام وجدَّ على تحصيلهِ وجد السلوان في الغمم
حسن البيان لقد تبيَّن لي حسن البيان وقد تظاهر الحقُّ والبرهان كالعلم
مراعاة النظير من شام طرفي بروقًا من سناهُ اضت راعي النظير بدمع فاض كالديم
التدبيج وابيضَّ أسودُ حظي حين دبَّج في صفر الخدود وبجاري مدمعي العنم
التفضيل لذاك قد جئتُ يا مولاي معترفًا بما تفضَّل من ذلي وبحتكمي
الاعتراض فلو سمحتَ بعفي لستُ معترضًا حزتَ النجاة وكم سامحت للندم
الاحتراس سلبتَ نعماك عدلًا من ذوي كسل وزدت محترسًا فضلًا على النعم
المشاكلة تشاكل الخير خيرًا والمسيء اسًى والشرَّ شرًّا وذا الاحسان بالكرم
الاندماج فاعضد بنيك ولو ابقيت مندمجًا بذلتي غير جودك قط لم ارُم
السلب والايجاب سلبتَ كل رجاء في الانام وقد اوجبت فيك الرجا يا عين مغتنم
الاستثناء غادرتَ رأدًا وما استثنيت من احدٍ الّاك يا منقذي في يوم محتكمي
المعمّى فاحنُ عسى القلب يحظى قبل غايتهِ بعاطف منك لولا نورهُ لعمي
الاستشهاد انا الطبيبُ المرجي عفو ذنبي م ابراهيم مستشهدًا دمعي على الندم
التاريخ ارجوك بعد مديحي والتخلص من تاريخهِ ان تنجيني من الضرم

براعة الطالب ابراعتي اظهرتهما في من طلب فلا احتياج الى التمريج بالكلم
الختام من قبل بر حسابي يوم محتكمي ارجو الخلاص واعطى حسن مختتمي

ترجمة قديمة

لسيرة القديس افتيميوس

للاب بولس بترس اليسوعي من جمعية الاباء البولنديين

انَّ القرن الخامس يُعدّ من اشرف وامجد قرون التاريخ الكنسيّ اذ فيه ظهرت الكنيسة بكل قوتها وجلالها فاتسعت دائرة اعمالها في الآفاق وتوفرت مشروعاتها الدينيَّة والاجتماعيَّة ومساعيها الخيريَّة والادبيَّة. وفي ذلك العصر شرَّفها الله بعدد لا يحصى من كبار الرجال ومشاهير الاحبار الذين لا يزال ذكرهم حيًّا في كل انحاء المعمور. ولما برزت من مكامنها اضاليل المبتدعين اقام الله من ائمة العلم والفضل رجالًا يعدّهم الشرق والغرب معًا مصابيح لامعة وانوارًا ساطعة كشفوا بتآليفهم سُحُب الضلال وأسسوا الحقّ على دعائم متينة باقية الى يومنا هذا في ثباتها وقوتها رغمًا عن حملات المعادين وغارات المنادين. وكان لسيّاح البراريّ في هذه الاعمال المبرورة قسمٌ صالح فشيَّدوا الاديرة وقدَّسوا الارواح وعلَّموا الوفًا من البشر ان يصرفوا همومهم عن العالم الزائل ويوجهوا بها الى عالم البقاء. وكانوا مع ذلك يهتمّون بالحراثة والزراعة وضروب الصنائع والحرف فكادوا يقتلون الفقر المدقع والضيق المفرط. وكان السَّبق في نهج الطريقة الرهبانيَّة لنسّاك الصعيد يتقدَّمهم كوكب البريَّة انطونيوس الكبير

على انَّ مثالهُ اثار بعد قليل في قلوب كثيرين من اهل زمانهِ روح الحميَّة وغيرة القدوة الصالحة في جهات الشرق كالشام والعراق وما بين النهرين فاشتهر بين اولئك الجهابذة قوم من ارباب البرّ أسفرت عن فضلهم المخطوطات العديدة التي استخرجها العلماء من زوايا النسيان في عهدنا هذا. وممَّن اشتهر اسمهُ وتنفذ في فلسطين في الاودية والصحاري المجاورة للقدس الشريف قديس عظيم طالما نوَّه بصفاتهِ الكريمة واعمالهِ الجليلة قدماء الكنيسة لكنَّ اسمهُ بتمادي الأيام كاد يمحى من ذهن اهل زماننا الذين يقصرون

نظرهم على الامور الحاضرة ويسهون عن خلفة ثمينة ابقاها لهم اجدادهم . ومرادنا بهذا العلَم الجليل القديس افتيميوس الذي شرَّف بلاد فلسطين بما انشأ فيها من المنشآت الخطيرة والمآثر العمرانيَّة التي من شأنها ان تكسبهُ ذكرًا مخلَّدًا في وطنهِ

ونحن نقدّم لحضرة الاب ف . ريمند جانيه من الرهبان الدومنكيين في القدس الشريف فرائض الشكر لسعيهِ بإحياء معالم ذلك الرجل العظيم في الترجمة التي كتبها آخرًا (١ فأودعها من الاوصاف اجلّها ومن الفوائد اصدقها فبيّن احوال الرهبانيَّة والكنيسة في فلسطين في تلك الاحقاب السالفة حيث نشأت بفضلهما الاحياء العامرة التي لولا الغزوات والحروب لكانت جعلت تلك الانحاء كجنَّات عدنٍ حافلة بالسكَّان زهرة بالعمران

امَّا المواد التي اخذ عنها حضرة الاب معلوماتهِ فهي من اوثق واصحّ ما بلغنا من التآليف القديمة ولعلَّ اعظمها شأنًا تاريخ وضعهُ لاعمال القديس افتيميوس كاتب بليغ ومؤرخ مدقق عاش بين رهبان القديس افتيميوس الذين عرفوهُ حق المعرفة وهو كيرلّس من سيتوبوليس اي بيسان فجمع من افواه الرهبان وشهود العيان ما شاهدوهُ من اعمال وجل الله فدوَّنها بكتاب احسن فيهِ ما شاء . وقد روى ما روى بقريحة وقَّادة وبصيرة نقادة حتى اصبح تأليفهُ مرجعًا لكل المؤرخين الذين أتوا بعدهُ .

على انَّ تاريخهُ لترجمة القديس افتيميوس كانت اخذتها يدُ الضياع وبقيت مدَّة طويلة مخزونة في دفائن الخزائن . وانَّما عُرف منها فقط نسخةٌ كان في القرن العاشر تصرَّف بها الكاتب اليوناني متفراست فزاد فيها ونقص وصحَّح وشوَّه حتى اذهب معظم رونقها وصدق لهجتها ثم وقف في الازمنة المتأخرة اصحاب النظر والتفتيش على نسخ صادقة لم تمسَّها يد متفراست فطُبعت وكان لطبعها تأثير في معرفة اليقين من اخبار رهبان فلسطين

وقد حصلت مكتبة كليَّة الاباء اليسوعيين آخرًا على نسخة عربيَّة من سيرة القديس افتيميوس ففحصناها فاذا هي تعريب الترجمة اليونانيَّة لكيرلّس السيتوبولي توافقها الموافقة التامَّة ولم يدخلها شيءٌ من تمويهات متفراست ومن هذا القبيل هي جديرة بالذكر

---

١) هذا اسم الكتاب :

Vie de St Euthyme le Grand (377-473). *Les moines et l'Eglise au Ve Siècle*, par le R. P. Fr. Raymond Génier O. P., Paris. J. Gabalda, 1909. pp. 450.

فاردنا ان نعرضها على قرّاء المشرق ونقتطف منها نبذةً رائقة تحتوي على اخبار بعض عرب البادية وتصرّهم في الجاهليّة

ولهذا الاثر مزيّة اخرى تزيده قدرًا اعني قدمهُ فانّهُ من اقدم مآثر نصارى العرب في اللغة العربيّة. نعم انّ المخطوط الذي نتكلّم عنهُ لا يترقّى عهدهُ فوق المئتي سنة الّا انّ هذه النسخة منقولة عن نسخة قديمة جدًّا كما يظهر من نسخة اخرى كُتبت على رقٍ دثرت كتابتهُ الاولى (palimpseste) كان وجدهُ العلّامة تيشندرف في دير مار سابا قريبًا من القدس الشريف فوصفهُ الاستاذ فلّيشر في المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG, I. 148—160) وهذا الرقّ نُقل الى خزانة كتب بطرسبورج الشرقيّة ومنهُ اخذ حضرة الاب جرج غراف (G. Graff) ترجمة القديس أبراميوس التي رواها المشرق (٨: ٢٥٨—٢٦٥) واستوقفت انظار العلماء. وكاتب ذلك الرقّ الراهب داود. وهو يُشبه كل الشبه من حيث صورتهِ وكتابتهِ وقدمهِ رقًّا آخر من جنسهِ وُجد في الدير نفسهِ كُتب سنة ٨٨٥ — ٨٨٦ برسم الراهب اسحاق من دير سينا وكاتبهُ الانبا انطون البغدادي الذي عُرف باسمٍ آخر وهو داود بن سينا راهب دير مار سابا (١ فوحدة الاسم وشبه الخط مع بقيّة الآثار لا تبقي شبهة في انّ الترجمة العربيّة هذه تُرقّى على الاقلّ الى اواخر القرن التاسع

ولعلّها اقدم من ذلك لانّ في آخر النسخة المصونة في بطرسبرج يقال انّ « كاتبها هو الخاطي المسكين داويذ» (ZDM G.I., 151) فقولهُ « كاتبها » يدلّ على انّ داويذ اي داود المذكور ليس هو المعرّب وانّما هو ناسخ الكتاب. ويؤيّد الامر ما وقع في النسخة من الاغلاط فانّ بعضها انسب للكاتب منها للمعرّب (٢ . مع هذا لا يمكننا ان نعرف صاحب الترجمة ولا زمانها

واذا قابلنا ما نقلهُ الاستاذ فلّيشر عن رقّ تيشندرف تحقّقنا ان النسخة الحديثة التي دخلت في مكتبة كليّة القديس يوسف تتضمّن الترجمة التي وصفها العلّامة المذكور

---

١) اطلب لبيان ذلك ZDMG, VIII, 584 ; cfr. Ign. Kratchkovski, *Arabica*, VIZANTIJSKIJ VREMENNIK, VIII., 1907, p. 2 du tirage à part

٢) راجع في المشرق ترجمة القديس ابراميوس التي رُويت مع اغلاطها وهي تشهد على قولنا

بحرفها (١ . ولا بأس ان تكون هذه قريبة العهد وتلك قديمة لأنَّ كثيرًا ما نُقلت النصوص القديمة في مخطوطات حديثة وربَّما ضاع القديم وبقي الحديث (٢

على اننا في معارضتنا لهذه النسخة الحديثة بمنقولات فلَيشر في المجلّة الاسيويَّة وجدنا فرقًا واحدًا وهو في عدد الفصول او الرؤوس الذي يبلغ في رقّ بطرسبورج ٥٣ راسًا وهو في نسخة بيروت ٥٢ راسًا وليس الباب الناقص احد الابواب الاخيرة لأنَّ آخر الراس ٤٧ واوَّل الراس ٤٨ اللذين رسم فلَيشر صورتهما في المجلّة الاسيويَّة يوافقان في نسختنا للعددين ٤٦ و٤٧ . والظاهر انَّ صاحب ترجمتنا لم ينقل في تعريبهِ مقدّمة المؤلف بخلاف نسخة بطرسبورج التي روتها وهي عبارة عن تقدمة الكتاب من كيرلس السيتوبوليّ الى جاورجيوس الهيغومين اي الرئيس (ZDM G. I,158–159. fac–similé, p. 216) فنقص بذلك رأس من نسختنا التي تبتدئ بذكر تجسُّد ابن الله وتقديسهِ للنفوس هكذا: « الابن الوحيد وكلمة الله الآب قبل كل الدهور الخ ». وقولنا هذا حدسٌ فقط لأنَّ نسخة بطرسبورج قد تلفت منها اوراقها الاولى وهي تبتدئ بالراس ٢٧ (٣

وعلى كل حال لا يؤثر هذا النقص في جوهر نسختنا البيروتيَّة لأننا لم نجد فرقًا البتَّة بين المقاطيع التي رواها فليشر وما يُروى في نسختنا المذكورة . ودلالةً على ذلك ها نحن نثبت هنا عن مخطوطنا البيروتي قطعةً نقلها الدكتور فليشر الى الالمانيَّة واثبتها في مقالتهِ دون رواية الاصل العربي . وهذه القطعة تتضمَّن رواية كيرلُس لما حدث لهُ في تصنيفهِ ترجمة القديس افتيميوس فيخبر انهُ كان جمع كل موادّها واحضر كل معلوماتها لكنَّهُ بقي سنتين وهو لا يعلم كيف ينظم اجزاءها ويؤلف اقسامها ويلحم معانيها حتى تراءى لهُ في الحلم القديسان افتيميوس وسابا فافرج افتيميوس كربتهُ واثار عقلهُ بطريقة

---

١) وهذا الكتاب يحتوي تراجم اخرى ايضًا منها قصَّة القديس ديونيسيوس الاريوباغي التي نقلناها في المشرق هذه السنة (ص ١١٨–١٢٧)

٢) وفي نسختنا البيروتية بعض اغلاط عرضية لا اثر لها في نسخة بطرسبرج كابدال الدال من الذال والثاء من الثاء وغير ذلك مما ليس قدمهُ كبير امر

٣) اطلب ما نقلهُ كوتلياز عن ألاطيوس cf. Allatius, cité par Cotelier, *Monum.* PP. GG. CXIV, col. 195-196)

عجيبة اعدّها الكاتب معجزة باهرة ورآها غيرهُ حلماً بسيطاً . ومما لا يختلف فيه اثنان انَّ كيرلُس هذا يُعدُّ من ابرع كتبة تاريخ النسّاك واصدقهم لهجةً . وهـا نحن نروي كلامهُ بحرفهِ الواحد مع اغلاطهِ بيانًا للهجة نصارى القرن التاسع بالعربيَّة . وهذه الرواية وردت في الراس ٥٢ من نسختنا في الصحيفة ٥٤ منها قال :

« (Fol. 54a) وحيث كنت ابصر الشفا الذي ينبع من مقبرتهِ كنت اعجب في نفسي واقول أترى كيف جاز تدبير الناسوت وكيف ارضا اللهَ بالحقيقة ابونا مار افتيميوس وكيف اتتنا نعمة الله ومن اجل ذلك جئني (جاءتني) حرارة وشهوة ان اعرف مجازه (Fol. 54b) وتدبيره لكيما اكتب عنهُ وكنت اسأل بحرص في جميع هذه البريَّة للآباء القديسين القدماء الذين كانوا في زمانهِ وفي زمان مار سابا وهم كانوا يتدبروا والامور التي كانت بلغتني عنها حفظتها بحرص ليس العجائب والشفاء الذي كان على يد مار افتيميوس فقط ولكن سيرتهُ وتدبير مار سابا كنت أكتبهُ في قراطيس واخلطهُ لاني كنت احسن اصلح ذلك واصنعهُ كما ينبغي . ومن بعد زمان قليل كانت السنودس الخامسة في القسطنطينيَّة ننظروا في امر نسطور واوريجانس فحرموا من السنودس وكان رهبان كثير يسكنوا في السيق (١ الجديد وكلهم كانوا قد لزموا امانة اوريجانس وكانوا حرصاء على ذلك وابتعدوا من الامانة الجامعة المقدَّسة وطردوهم من السيق الجديد وسكنوا فيهِ آباء القديسين من سيق مار سابا ومن الديارات المقدسة

« فأمَّا انا بشورة انبا يتي الاسقف خرجت من (Fol. 55a) الكنوبيون (٢ وسكنت في السيق الجديد وكان معي القراطيس التي كتبت فيها قصص مار افتيميوس ومار سابا (ولبثت) في السيق سنتين جالس في السكوت وبحرص كنت اقرا في القراطيس ولم اكن احسن ان أضعها كما ينبغي ولا اسوّي بدوْها لاني كنت قليل المعرفة لاني لم اتعلَّم الحكمة بكلام الله وكنت غبي في لساني ولكن الاه العجائب الذي هيأ الالسنة في مواضعها وصنع الوعر سهل وهو يصلح ألسنة الخرس صنع فيَّ انا الضعيف عجب على يدي مار افتيميوس ومار سابا القديسين لأنهُ لم تكون لي كلمة ولا معرفة ان اصلح ذلك تفكرت ان اترك القراطيس وكنت اصلّي واطلب بحرارة قلب من اجل ذلك

« وفي بعض الايام وانا جالس على مجلسي وماسك القراطيس في يدي نعست ونمتُ وكان ساعتين من النهار أُري لي مار افتيميوس القديس ومار سابا وكان لبسهما لباس الكهنة فسمعت (Fol. 55b) مار سابا يقول لمار افتيميوس هوذا كيريلس ماسك القراطيس بيده ولهُ حرص وحرارة قلب كثير قد حرص وتعب ان يضع بدوْ (بدءًا) تقدمتنا فلم يستطيع . حينئذٍ قال مار افتيميوس القوي : كيف يستطيع يكتب من اجلنا ولم ياخذ نعمة النبوة بانفتاح (بانشراح) فهو . فقال مار سابا القديس : فاعطهِ انت النعمة . فاتهم لي ماري افتيميوس بذلك واخرج من كمهِ مكحلة من فضَّة ومرودًا فوضع المرود في المكحلة ثلاث مرات وكان يشبه ذلك للزيت وكان طعمهُ احلا

---

١) السيق لفظة يونانيَّة (σηκός) معناها الحظيرة والمحلَّة والدير

٢) الكنوبيون من اليونانيَّة (κοινόβιον) معناها الدير الجامع للرهبان

من العسل بالحقيقة انما كان في معرفة بكلام الله كما قال النبي: كلامك احلا بحنكي وافضل من العسل للفم

« حينئذٍ حسستُ بالحلاوة على فمي وعلى شفتي وأُعطيت النعمة وبدأت ان اكتب بدياً قصة مار افتيميوس القوي وكانت النعمة تأمرني ولا اغفل على ذلك. فلمّا فرغت من كتابتها كتبت ايضاً سيرة وتدبير مار سابا في مصحف اخر وانا اطلب (Fol. 56') اليهم بالنعمة التي اخذوا ان يطلبوا الى الله من اجلي. وانا الكاتب الشقي الذي كتبت هذا الكتاب اطلب الى الله ان يغفر لي خطاياي اولاً أخرا لا هاهنا ولا في الآخرة ولكن اجد الرحمة بين يدي مجلس المسيح الذي لهُ التسبحة الخ »

ومما رواهُ كيرلس السيثوبولي في ترجمة القديس افتيميوس تدميرهُ لاحدى قبائل العرب التي اتتهُ من العراق فعندها وعيّن لها في فلسطين ليس بعيداً عن ديرهِ مقاماً فسكنت في ذلك المكان زمناً طويلاً وكان يدبّرها شيخها المتنصّر معها بصفة اسقف. ورواية الخبر في الرأس العاشر من حياة القديس ولو الطالع قد وقع هنا في نسختنا العربيّة بعض اوراق حرمتنا بدء الرواية فسداً للخلل نستعير الناقص من النص العربي من سيرة متفراست اذ ليس تحت يدنا غيرها (١

(قال) في نواحي سنة ٤٢٠ اسعر ملك الفرس ازدشير نار الاضطهاد على نصارى مملكتهِ. وامر احد امراء العرب المقيمين على حدود بلادهِ والخاضعين لدولتهِ بان يضبط المسيحيين الهاربين ويصدّهم عن المهاجرة الى اراضي الرومان. فرأى الامير جور السلطان وتراخى في الطاعة لامرهِ فسعى البعض برئيس القبيلة حتى خاف على نفسهِ من بطش الملك وولّى هارباً مع قومهِ الى جهة الرومان واستجار بوالي الشرق المسمّى انكنت الاطول فرحّب هذا بالوافدين وجعل شيخهم اميراً على قبيلة اخرى محالفة للرومان (٢.

---

١) نجد ما يُعرَف من روايات حياة القديس افتيميوس في مجموع الاب ديلاهاي (H. Delehaye: *Bibliotheca hagiographica graeca*, ed. 2, n°s 647-650)

٢) راجع ما ورد في تاريخ هؤلاء العرب وتنصّرهم في مجموع اعمال الاباء لمين (PP. GG., CXIV, p. 612-613) ثم في كتاب المنسنور دوشان (Mgr. Duchesne: *Eglises séparées*, 2e ed. 1905, p. 342-343) وترجمة القديس افتيميوس للاب جينيه (R. Génier: *Vie de St Euthyme*, p. 77-117) وللاب قاليه مقالة حسنة في هذا المعنى في اصداء الشرق (*Echos d'Orient*, XII, 1907, p. 343 et seq)

وقد زعم كيرلس السيثوبولي او متفراست الناقل عنهُ انَّ شيخ تلك القبيلة كان يونانيَّ الاصل (١ وهو يدعوهُ اسباباط (Ἀσπάβετος) وهو غلط ظاهر لأنَّ هذا الاسم فارسيّ مركَّب من لفظتين « سپاه » اي عسكر و« باد » اي سَنَد فيكون معناهُ سند الجيش (٢

وكان لاسباباط ولد اسمهُ طرابون أُصيب بفالج اعيا الاطبَّاء شفاؤهُ فهذا جرى لهُ حلم كما سترى ممَّا ننقلهُ عن نسختنا واستدلَّ على القديس افتيميوس فوفد عليهِ مع والدهِ وقومهِ الى دير القديس ثاوقطسطس في وادي دبور حيث كان افتيميوس مقيماً. فكان لخبر قدوم هؤلاء العرب تأثير عظيم في قلوب السيَّاح وظنُّوا انهم يريدون غزوهم. وهنا تتمَّة الخبر في نسختنا

العرب المتنصرون

(Fol. 8r) . . . . . « فلمَّا أبصروا الاخوة كثرة البربر فزعوا. فلم (فلما) علم مار ثاوقطسطس ان الاخوة قد فزعوا نزل فلقي البربر وقال لهم: ماذا تريدون. فقالوا: نريد افتيميوس عبد الله. فقال لهم: هو ساكن (ساكت) وليس يكلم انسان الى يوم السبت. حينئذٍ اخذه اسبيغ (اسباباط) بيدهِ واوراه (وأراه) الغلام اليابس الجنب وامر الغلام ان يخبره بقصَّتهِ. فبدأ الصبي يبكي ويقول: انا في بلد فارس ضُربت بهذه الضربة وقد عالجوني الاطبَّا والسَّحرة ولم انتفع بشيءٍ ولكن الوجع كان يزيد. فلمَّا جئت الى هذه البلاد فان فكرةً من الله طلعت على قلبي وفيما انا اتعذَّب في بعض الليالي تفكَّرت وقلتُ: يا طرابون اين فخرة هذا العالم واين حرص هذه الاطبَّاء واين مجد الجوس وقوَّة امانتهم بالذين يعبدون اعني الاصنام واصحاب الكواكب اين الذين يستدعون (٢٤) الشياطين ويثقوا بهم ؟ ما ارى في شيء ممَّا هم فيهِ منفعة ولكن الله وحدهُ هو الرحوم. وفيما انا اتفكر بهذا قمت وبدموع كنت اطلب من الله واقول: يا الله القويّ الجبار الذي صنع السماء والارض وكلَّما فيهم ان انت ترحَّمت على وجعي وخلَّصتني من هذا المرض المرّ انا اصير نصراني وابتعد من كل الشرور واترك عبادة الاصنام

« فلمَّا قلت هذا نمت وابصرت راهب حسن الشيبة طويل اللحية فقال لي: تُراك تتمّ

١) (P. G., l. c., col. 612)

٢) ما لم يشتقوهُ من لفظة « اسپا » اي فرس

رؤيا جان دارك واضواتها

لله ما وعدت به ؟ ان فعلت فالله يشفيك . فقلت لهُ : كما وعدت فانا افعلهُ ان أُعتِقتُ من هذا المرض والبلاء . حينئذٍ قال لي : انا افتيميوس الذي اسكن في البرّية شرقي بيت المقدس على عشرة اميال في وادي قبلي الطريق النازل الى ريحا (اريحا) وان كنت تريد ان تبرا فلا تغفل ان تاتي اليَّ والله يشفيك على يدي

« فلما انتبهتُ اعلمت والدي بما رايت وسمعت فلذلك جئنا اليه بامانة فانا اطلب اليكم الّا تخفوا عنّي الطبيب الذي اعلمني به الله

« فلمّا سمع الفاضل مار تاوقطسطس ذلك طلع الى مار افتيميوس فاخبرهُ بذلك وقال لهُ مار افتيميوس : ما ينبغي للانسان ان يقوم مقابل منظر الاهي . فنزل اليهم وصلى عليهم وعلى طرابون بجرص . فرسمهُ بالصليب من ساعتهِ واقامهُ صحيح . فلمّا ابصر البربر كيف برئ من ساعتهِ عجبوا جدًّا وآمنوا بالمسيح وطرحوا انفسهم قدّامه على الارض وطلبوا اليهِ ان يعمّدهم وطرحوا انفسهم قدّامهُ على الارض ايضاً وسألوه بحرقة قلب

« فلمّا ابصر افتيميوس صانع العجائب انهم من كل قلوبهم قد آمنوا بالمسيح امر ان يبنوا في المغارة بركة للمعمودية وهي حتى اليوم فيها يعمّدون . حينئذٍ علمهم الأمانة واعمدهم بسم الآب والابن والروح القدس وحول اسم اصبغ (١) فدعاه بطرس ولهُ عمّد اول ، ومن بعدهم عمد طرابون وبقيتهم واسكنهم عنده اربعين يوماً وبصّرهم بكلام الله واقنعهم ثم ارسلهم وليس هم من بني هاجر ولكن من بني سارة لانهم انعتقوا بالمعمودية . فاما ماريس خال طرابون (فانهُ) لم يفارق الدير ولكنهُ ترهّب وصبر فيهِ باقي حياته وارضا الله جدًّا وجميع ما لهُ دفنهُ في بنيان الدير »

ثم اردف كيرلس خبر تنصّر خال طرابون وقومهِ بعد ان ذكر خروج افتيميوس من حبسهِ وتنقُّلهُ في براري أُخرى حتى عاد الى دير رصيفهِ القديس تاوقطسطس فقال :

(Fol. 11v) « . . . فلمّا سمع بطرس خال طرابون الذي كان القديس نصّرهُ (١) ان مار افتيميوس قد جاء قدم اليهِ ومعهُ بربر كثير رجال ونساء وصبيان وكان يطلب ان يكلّمهم كلمة حياة حينئذٍ الشيخ القديس كلّمهم واخذهم الى دير السفلي

---

(١) وفي الاصل : نضرهُ

واعمدهم واقام عندهم هناك سبعة ايام من بعدها اعمدهم ثم اطلعهم معهُ الى مكانهِ حينئذٍ بطرس جاب بنايين وصنع في الجنان جب كبير لهُ فمين وهو حتى الى الان عامر وبنا في لصقهِ خبازة وبنى للشيخ القديس تلاتة قلالي وفي وسط القلالي كنيسة وكانوا يطلبون (Fol. 12r) اليهِ ان يتركهم قربه

«واماً مار افتيميوس محبّ الخلوة فانهُ لم يحب ان يكونوا قربه لئلا يسجسوهُ لانهُ كان يحبّ السكوت فاخذهم الى موضع وقال لهم: ان كنتم تحبّوا ان تكونوا قربي اسكنوا في هذا الموضع لتكونوا بين الديرين. فرسم لهم موضع يعملوهُ كنيسة ويكونوا في خيمهم حولها وهو بحرص يتقدهم حتى صنع لهم قسوس وشمامسة ورجعوا الذين كان اعمدهم بدياً (بدءاً) وكانوا معهم وكثير كانوا ياتون اليهِ ويعمدهم فلما كثروا جداً صاروا محلات كثيرة وحينئذٍ بعث ابونا القديس مار افتيميوس الى يونيليوس بطريرك بيت المقدس ان يصنع لهم اسقف فبعث اليهِ البطريرك يقول له: بفرح انا افعل كلما تحب. حينئذٍ بعث اليهِ بطرس خال طرابون لانهُ كان قوي ان يدبر الانفس بمخافة الله وهو اول اسقف كان بفلسطين على محلات البرير وكانوا جماعات كثيرة ياتون الى مار افتيميوس (Fol. 12v) فيعمدهم ويعلمهم كيف يعبدون الله ويعملون رضاه. فالى هاهنا فرغ قولنا من اجل البرير الذين آمنوا» انتهى

وقد عُرف الحيّ الذي افرزهُ القديس افتيميوس للعرب المتنصّرين باسم يوناني (παρεμβολαί) معناه المحلّة او المعسكر. وقد شيّد لهم القديس كنيسة وبعض ابنية لا تزال آثارها قائمة الى يومنا وقد توفّق الى اكتشافها حضرة الاب فدرلين (R. P. G. Federlin) رئيس مدرسة القديسة حنّة المعروفة بالصلاحيّة في القدس الشريف[1] وقد كان دليلهُ في بحثهِ عن تلك المحلّة تاريخ كيرلس السيتوبولي نفسه فانّ الكاتب المدقّق كان عيّن المكان بين دير القديس تاوقطسطس في وادي دابون وسيق القديس افتيميوس غربيًّا على ضفّة وادي المدوّرة اليمنى عند بئر الزرعة. فقد وجد حضرة الاب فدرلين في ذلك الموقع صوانًا اهليلجيّ الشكل يقيس نحو ٨٠ متر ويحيط بارض مختلفة الهيئة

---

(١) الطالب مجلّة الارض المقدّسة (La Terre Sainte, 1897, p. 178-181)

وبين الاخربة الباقية هناك يُرى صهريج مطريّ ثم اساس بناء كبير طولهُ نحو ٢٢ متر في عرض ١٥ متراً . ولا يبعد انَّ تئت كان مقام اولئك العرب الذين نصَّرهم القديس افتيميوس

وقد اشتهر اولئك المتنصِّرون في الكنيسة ويعرف اربعة من اساقفتهم . وكان اوّلهم بطرس السابق ذكرهُ وهو الذي امضى اعمال المجمع الافسسي سنة ٤٣١ ولقَّب نفسهُ باسقف محلَّة العرب . على انَّ هذه الاثار الطيّبة لم تدم زمناً طويلاً في برّية فلسطين فانَّ عدوّ الجنس البشري اثار على المتنصرين من العرب قبائل أُخرى من المشركين فغزوا تلك المحلَّة واخربوها كما ذكر كيرلس في تاريخهِ ايضاً حيث قال :

(Fol. 43) « وفي زمان اسطاسيوس الملك خربوا العرب بيوت البربر الذين كانوا تنصَّروا على يدي مار افتيميوس فاما رؤساءهم فصنعوا لهم بيوت جدد وبنوا كنيسة عند مارطيريوس وايضاً رجعوا اليهم العرب فسبوا بعضهم وبقيتهم تفرَّقوا في القرى وكان في ذلك الزمان في هذه البلاد شدَّة من البربر »

هذا ما رأينا نقلهُ عن النسخة التي نحن بصددها . وفي الختام نتمنَّى ان يعود التمدُّن ثانيةً الى تلك القبائل الشاردة فيحيا العمران وتنبعث الفضائل التي ازهرت مدَّة في تلك البادية القاحلة والله السميع المجيب

الريّ في بلاد ما بين النهرين

لجناب المهندس ادمون افندي بشاره

في اواسط نيسان من السنة ١٩٠٥ نشر الاختصاصي الشهير السير وليم ولكوكس (Sir (W. Willcocks تاليفاً علميًّا في اللغة الانكليزيَّة بحث فيهِ عن الريّ في بلاد ما بين النهرين . وقد صدَّر الكتاب صاحبهُ بلائحة تاريخية واقتصاديَّة بيَّن فيها باجلى بيان ما خصَّ به الخالق تلك الانحاء من الثروة الزراعيَّة والخصب الغريب وكان جناب الكاتب زار جانباً كبيراً من تلك السهول الواسعة في شتاء سنة ١٩٠٤—١٩٠٥ فتحقَّق عياناً صحَّة ما رواهُ عنها قدماء المورّخين . فكان لنشر هذا التاليف وقع حسن

لدى الذين يهتمون بترقي تركية لكن صاحبهُ البارع لم يطبع منهُ وقتئذٍ الا نسخاً قليلة

فلمَّا أعلن بالدستور في تموز السنة المنصرمة صرفت الدولة العليَّة بنظرها الى بلاد ما بين النهرين لتستثمر كنوزها الزراعية واقبل كثيرون على مطالعة كتاب السير ولكوكس لعلمهم بمقدرتهِ. لكنَّهم شكوا ندرتهُ. فذلك ما حدا بنا الى طلب الرخصة من مؤلف الكتاب لتجديد طبع تاليفهِ بعد نقلهِ الى اللغة الفرنسويَّة وهي اللغة الغالبة بين أدباء تركية على اختلاف اجناسهم. فاجاب السير ولكوكس الى دعوتنا بلطفهِ المالوف وبادرنا الى العمل حتى انتهينا منهُ منذ عهد قريب (١)

ولعلمنا بارتياح القرَّاء الشرقيين الى معرفة احوال بلادهم احببنا ان ندوّن لهم في صفحات قليلة لُباب هذا الكتاب الخطير

*

قرَّر السير ولكوكس انَّ مساحة بلاد ما بين النهرين التي يمكن سَقيها بالريّ تبلغ ١٣,٠٠٠,٠٠٠ فدَّان اعني ضعف المساحة التي تُروى بمياه النيل في مصر. وتلك جزيرة كما دعاها العرب معدَّل طولها ٧٠٠ كيلومتر في عرض يختلف بين ١٠ ك الى ١٠٠ ك يسقيها نهران فائضان دجلة والفرات مع كل ما يصبُّ فيهما من الروافد. وهي اشبه شيء بمثلث (ل) مصر السُّفلى لها زاويتان شمالاً عند مدينتي هيت للفرات وبلد لدجلة ينتهيان الى زاوية جنوبيَّة يصبهما بحر العجم. ويبلغ طول دجلة من بلد الى البحر ١٠٤٠ كيلومترًا على التقريب وطول الفرات من هيت الى مصبّهِ ٩٣٠ ك تقريبًا امَّا منحدر النهرين فهو كمنحدر النيل ١/١٣٠٠٠. والنهران يجتمعان عند بلدة القرنة وتختلط من ثمَّ مياههما على طول ١٦٠ كيلومترًا وذلك ما يُعرف بشطّ العرب

وقد يتراوح عرض الفرات بين ٢٥٠ الى ٤٥٠ مترًا ويبلغ اعلى سطح مياههِ فوق الحضيض ثلاثة امتار ونصفًا. كما انَّ سرعتهُ تختلف ايضًا ومعدَّلها مترٌ واحد في الثانية وفي وقت فيضانهِ يرتفع سطح المياه ٥٠ سنتمترًا فوق ضفَّتيهِ. امَّا كميَّة مياههِ فيبلغ

(١) وهذا عنوان الطبعة الجديدة: Sir Willcocks: IRRIGATION DE LA MESOPOTAMIE, traduit de l'anglais par *Edmond Béchara Ingénieur* E. L. L., Le Caire, 1909, p. 174.

معظمها في نيسان الى ٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية ثم تنقص حتى تبلغ اقصى درجة نقصها في ايلول وتشرين الى ٣٠٠ متر مكعب فقط

ولدجلة عرض يختلف في رحب ضفتيه وضيقهما على حسب النواحي التي يقطعها. ففي شمالي بغداد ربما اتسع عرضهُ الى ان يبلغ في بعض الامكنة اربعة كيلومترات. واذا انحدرت الى كاح صالح وما بعدها وجدتهُ لا يزيد على خمسين مترًا. الّا ان معدّل عرضه يتراوح بين ٢٠٠ و٤٠٠ متر. ومعظم ارتفاع سطح مياهه ستّة امتار وسرعتهُ المتدلة نحو متر واحد في الثانية. واذا حان وقت الفيضان علت المياه فوق ضفتيه الى ٢٥ سنتمترًا فقط وذلك قليل بنسبة فيضان النيل البالغ مترين ونصفًا. امّا كمية مياه دجلة في الثانية فيبلغ معظمها في نيسان الى ٤٠٠٠ متر مكعب ثم تهبط في ايلول وتشرين الى ٢٥٠ مترًا ويفيض النهران معًا وينحسران معًا

واعلم انّ مياه دجلة والفرات مستوحلة يختلط بها من الموادّ الغريبة ما يفوق على النيل. واكثر ما يمتزج بها املاح كربونات الكلس والمغنيسيا

واذا قسنا ريّ سهول ما بين النهرين على قياس الري المصري نال كل فدّان ٢٤ مترًا مكعبًا في اليوم اي في ٢٤ ساعة

وعليه لمّا كان مبلغ كمية مياه نهري الفرات ودجلة في آخر الصيف ٣٠٠ متر مكعب للفرات و ٢٥٠ لدجلة في الثانية كان مجموعهما ٥٥٠ مترًا مكعبًا في الثانية فينتج من ذلك انّ المياه في ذلك الفصل لا يمكنها ان تسقي اكثر من ٢,٠٠٠,٠٠٠ فدّان. امّا في وقت الفيضان حيث يبلغ مجموع كميّة مياه النهرين ٦٥٠٠ متر مكعب فيستطيعان ان يسقيا ٣١,٠٠٠,٠٠٠ ف تقريبًا

فينتج من هذا الحساب انّ نهري الفرات ودجلة في ايام الصيف لا يكفيان لسقي الاراضي التي يمكن تخصيصها بالفلاحة اعني ١٣,٠٠٠,٠٠٠ فدّان بل لا يمكنهما ان يسقيا ثلث هذه المساحة (٤,٣٠٠,٠٠٠) كما يجري في مصر في الشهرين اللذين تهبط فيهما المياه وتنحسر. لكنّ هذا الامر يمكن استدراكهُ باقامة خزانات يشيدونها قريبًا من النهرين كما هو اليوم جارٍ في مصر لانّ مياه ما بين النهرين اذا جُمعت وخُزنت في احواض واسعة كفت لتقوم بحاجات زراعة تلك البلاد وريّها

وليس هذا الامر حدسًا وتخمينًا بل هو حقيقة راهنة تشهد عليها الشواهد التاريخيّة

فأنَّ اهل ما بين النهرين كانوا اقاموا ترعاً وخزنوا المياه للري المتواصل فجعلوا بلادهم كجنَّة غنَّاء تزينها الخضرة والمزروعات كما روى المؤرخون منهم بلينيوس واميان مرقلان وابن سيرابيون وذكر الرواة قبلهم كهيرودوت وغيره انَّ الجزيرة كانت تغلّ ٢٠٠ و ٣٠٠ بدل الواحد . والسير ولكوكس بسياحته الاخيرة في تلك البلاد قد تبيَّن الامر بما لقيه من آثار احواضهم وخزاناتهم المائيَّة حتى قال عنهم انَّهُ لم يبلغ احد مبلغ الكلدان في حسن ابنيتهم لجمع المياه وتوزيعها على انحاء بلادهم . ولو قصدت الحكومة اليوم تحسين الزراعة في تلك الجهات يكفيها أن تُصلح الاحواض القديمة ومجاري المياه في عهد الكلدان

ولتحقيق هذه الغاية وتقريب العمل بها قد اقتسم السير ولكوكس ما بين النهرين خمسة عشر قسماً ودرس كل قسم منفرداً مع ما يقتضيه من الاصلاحات والأدوات المائية فمنها ما يحتاج الى ادوات ترفع المياه كالدواليب والمنجنونات ومنها ما يقضي بعمل خزانات واحواض في مكان الخزانات القديمة ويلزم بعضها حفر قنيّ او مجارٍ بقناطل الى غير ذلك من الاشغال التي لو أُجريت باعتناء لأعادت لتلك البلاد رونقها في ايام البابليين

ومن الفصول المفيدة التي دوَّنها السير ولكوكس في كتابه الفصل التاسع بحث فيه عن الظواهر الجويَّة في انحاء ما بين النهرين . ومما قرَّره انواع المزروعات التي يمكن استنباتها في زمن الصيف . وقد اثبت هناك انَّ معظم الحرارة في بغداد يبلغ الدرجة ٤٧° من المقياس المئوي وذلك في غاية آب . ثم يهبط الميزان حتى يبلغ منتهى هبوطه في كانون الثاني فيكون معدلهُ درجتين تحت الصفر . وهكذا يمكن تقسيم الزراعة في تلك الاصقاع على قسمين مختلفين موافقين لفصل شتوي وفصل صيفي

فالفصل الشتوي يمتد من تشرين الثاني الى نيسان لا يتجاوز معدَّل حرارته ٢٣° ويكون هبوط المطر فيه نحو ١٧ يوماً وكميَّة مطره ٢٠٣ ملمترات امَّا الفصل الصيفي فيبتدئ في ايار وينتهي بتشرين الاوَّل لحرارتهُ فوق الدرجة ٢٥° من المقياس المئوي . اما زمن مطره فيومان فقط وكميَّة مطره تسعة ملمترات . فيكون مجموع ايام المطر سنوياً ١٩ يوماً وكميَّة مياهها ٣١٢ ملمترا وذلك لا يكاد يكفي لسقي واحد في كل بلاد ما بين النهرين

ثم انتقل السير ولكوكس الى ذكر الحراثة في بلاد الجزيرة فاستند الى احد كبار

الزراعيين في عهدنا يُعدّ قولهُ حجّة من هـذا القبيل وهو المسيو فوادِن (Foaden) الذي دقّق النظر في الزراعة المصريّة. فبنى السير ولكوكس على قولهِ ما يأتي:

١ انّ سهول ما بين النهرين تصلح لزراعـة كلّ النباتات التي تزكو وتنمو في الجهات الواقعة ما تحت خطّ الاستواء.

٢ انهُ لمكن ان يُزرع القطن في تلك الاملاك في اوان الصيف . ولعلّ قصب السكّر نفسهُ ينمو ويخصب فيها

امّا القطن فان شروط التربة واحوال الجوّ تضمن النجاح لزراعتهِ . اذ يجد القطن في تلك الجهات حرارةً كافية لنموّهِ مع ثبات الهواء على درجة معتـدلة من الحرارة وعدم تقلّب الاحوال الجويّة بغتةً

ولتربة تلك البلاد خواصّ جديرة بالزراعة فانها خفيفة يغلب عليهـا المركّبات الكلسيّة والحوّاريّة ويدخلها كثير من العناصر المخصبة كالازوت والحامض الفسفوري والبوطاسا على ما ظهر للكيمويين بعد تحليل امثلة عديدة من مركّبات التربة في جهات شتى من بلاد ما بين النهرين. والكلس في انحاء الجزيرة متوفّر ولا يمكن تحديد فعلهِ في زراعة القطن الّا انهُ من الاكيد انّ بعض الاقطار التي زاد كلس ارضها على كلس ما بين النهرين اخصبَ قطنها ولم يصبهُ ضرر بذلك. لا بل يرتأي بعض ارباب الزراعة انّ وجود الكلس في الاراضي يجعل تربتها اكثر تفتّتًا واسهل حراثة من سواها

امّا قصب السكّر فانّ هواء بلاد ما بين النهرين موافق لاستنباتهِ الّا انّ المسيو فندن يزعم انّ اراضي ما بين النهرين لا توافقهُ . على انّ زراعتهُ نامية في جهات بَرْباذ والتربة هناك غنيّة بموادّها الكلسيّة

وقد ختم السير ولكوكس تقريرهُ برصد النفقات اللازمة لتلك الاصلاحات. وقد بنى حسابهُ على ما صرفهُ المصريّون في مصر لريّ وادي النيـل مع مراعاة الاحوال في بلاد ما بين النهرين كهوادة اجرة العملة ونقل السلع. وقد افضى بهِ الحساب الى نتائج اوضحها في كتابهِ بكل تفاصيلها عن ناحيتين من تلك الجهات ومفاد تلك الايضاحات انّ نفقات الاعمال لريّ بلاد ما بين النهرين كاقامة السدود وحفر القني وابتناء الاحواض وغير ذلك من الاعدادات تختلف بين ١٣ الى ١٦ جنيه في كل فدّان . وهذه الارقام مبنيّة على فرض انّ الاعمال تمتدّ الى كل مساحة الاراضي المنويّ ريّها واستفادة النصف

منها فقط. امّا اذا عمّ الريّ كل الجهات فانّ تلك الكُلَف والنفقات سوف تقل حتى لا تتجاوز كُلفة الفدّان الواحد من تسعة الى احدى عشرة جنيه

وعلى رأي جناب المفتش انّ سهول ما بين النهرين بامتداد الريّ اليها سوف تغلّ في السنة قيمة ثلاث جنيه بكل فدّان بعد اداء كل النفقات ودفع الميري . بل يظنّ انّ هذا الربح سوف يكون اعظم وانّما قدّرهُ على نصف ما تغلّ اراضي مصر التي يساوي الفدّان منها ١٢٠ جنيه. ولسنا لنبالغ لو قلنا انّ الفدّان في ما بين النهرين سيبلغ ثمنهُ ٥٠ جنيه

امّا المصاريف السنويّة التي تقتضيها تلك السدود والقنيّ لاصلاحها وترميمها ونظارتها فانّها تقدّر بجنيه ٢٠١ لكل فدّان وهي في مصر دون ذلك

وممّا حسبهُ ايضاً بالتخمين السير ولكوكس ما تكلّف سهول بلاد ما بين النهرين لو ارادوا اصلاحها كلّها وتجهيز اقسامها للريّ والزراعة ثم الربح المأمول من تلك الاصلاحات

قال لو افترضنا انّ الاعمال المنوي اجراؤها لاصلاح ١٣,٠٠٠,٠٠٠ فدّان لا تفيد الّا نصف هذه المساحة اعني ٦,٥٠٠,٠٠٠ فدّان وان معدّل الفدان يكلّف جنيه ١٤,٥ فيكون مجموع النفقات ٩٤,٢٥٠,٠٠٠ جنيه. امّا الربح الخالص فاذا فرضناهُ ٣ جنيه في الفدّان بلغ الربح السنوي ١٩,٥٠٠,٠٠٠ جنيه وان خصمت من هذا المبلغ تكاليف الاصلاحات السنويّة والمصاريف الخاصة لترميم القنيّ وبقيّة الابنية اعني ٢,٦٠٠,٠٠٠ بقي الربح الخالص ١٦,٩٠٠,٠٠٠ اي بالنسبة الى راس المال ٪ ١٧ وهو اعمري ربح بالغ من شأنهِ ان يبعث الحميّة والنشاط في قلوب الشركات المالية

اما الدول فانّها تنال من هذا العمل ارباحاً طائلة فمن ذلك كما قلنا الضرائب على تلك الاراضي وهي تبلغ ٦,٥٠٠,٠٠٠ جنيه ثم انّ قسماً كبيراً من تلك السهول اعني ٪ ٦٠ هي ملك الدولة فيكون الربح لها وحدها فترى من ثم ما يصيب من الجدوى والارباح من هذا العمل العظيم اذا ما خرج الى حيز الوجود فعلى ارباب الامر ان يساعدوا هذا المشروع غاية جهدهم بكل ما امكنهم من الوسائط وذلك بان يدعوا الى معونتهم سكّان تلك البلاد من اهل المدن والقرى والاكراد والقبائل فينشطوهم ويُكروا شغلهم ويضمنوا لهم معاشهم سواء كان بالاجرة اليوميّة التي يكسبونها او

بامتلاك قطعة من الارض يهتمون بزرعها . وبهذه الواسطة يعود الامان لتلك النواحي المستولي عليها الخراب وتتوفر ايراداتها

هذا ما استخلصناهُ من الفوائد من كتاب السير ولكوكس . وفيهِ غير ذلك من المعلومات ما يطول شرحهُ كافادات عديدة وتفاصيل عن نقود ما بين النهرين واقيستها واوزانها وعن تدبير ماليتها وعن ميزانية ولايتي بغداد والبصرة وضرائبها وشؤون اهاليها (وقد جعل عدد نفوس ولاية بغداد ٨٥٠,٠٠٠) وعن تجارة تلك الانحاء ومواشيها وغير ذلك مما يجعل هذا الكتاب من اجلّ واخطر ما وضع في هذه الازمنة عن ذلك القطر الذي عرفت الدول القديمة عظم شانهِ فلم تزل تتنازعهُ وتطمح الى ملكهِ

(المشرق) ونحن في ختام هذه المقالة نشكر جناب المهندس ادمون افندي بشاره على نقلهِ هذا الكتاب الى الفرنسوية وعلى تلخيصهِ اجلّ مواضيعهِ لقرّاء مجلّتنا متمنين لعملهِ رواجاً واقبالاً

نخبة

من امثال القس حنانيا منير

بقلم جامعها وشارح غريبها عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني (تابع لما سبق)

تشابيه (تابع)

مثل القنديل يحرق حاله ويضوّي (١ على غيره = مثل الضيّع حمارة خالته ان وجدها بيغني وان ما شافها (٢ بيغني = مثل الذي بيغني بالطاحون (٣ = مثل الاطرش بالزفّة (٤ = مثل السطل (٥ بلا علاقة = مثل الخرج على الكلب = مثل الحنفية في

---

١) يضوّي عند العامّة بمعنى يُضي وهي تسهيل يضوّئ

٢) استعمال العامّة لشاف بمعنى نظر كثير شائع

٣) والمعنى ان من يغني بالطاحون لا يمكن لاحد ان يسمعهُ لفرقعة حجارة الرحى

٤) الزفّة عند العامّة حفلة العرس وهي كثيرة الاستعمال عندهم والمعنى ان الاطرش لا يسمع شيئاً مما يجري في حفلات العرس

٥) السطل فارسي معرّب وهو اناء من نحاس لهُ علاقة كنصف دائرة مركبة في عروتين مثلّثتين على جانبي اعلاه . ويضرب هذا المثل لمن لا نفع يرجى منهُ ونحوه

المشاقة (١ = مثل اللفتة على الكافر = مثل الحدّاد بلا فحم = مثل الجيز بالقرعة (٢ = مثل الدبور بالخابية (٣ = مثل الشوكة بالعين = ثلاثة اشياء تطوّل العمر الدار الوسيعة والفرس السريعة والامرأة المطيعة = تحايد جهدك من الطقّ والنقّ والبق (٤ = كلّ كره واشرب كره ولا تعاشر كره (٥ = اختر من العجل الورق ومن اللحم المرق ومن التين الفرق = مثل الذي يبغي بالخابية = اهرب من الاقرع النحسي والاعور الجصي والاشقر الدبسي (٦ = قد يصعب على الزبيب الكمش والنار الحكش والعجوز اللكش (٧ = اضرب الطينة بالحيط ان ما لزقت بتأثر (٨ = مع السوق سوق = اذا كنت بين اثنين لا تبالي = اذا كنت بين العوران اعور عينك = ما دمت سدّان الق ومتى صرت مطرقة اطرق (٩ = زمان الاوّل تحوّل = كل زمان وله دولة ورجال = كل وقت يعطي حكمه = الذي يمتاز النار بكمشها بايديه (١٠ = بعدما كانت ستّها صارت تطنّل في

---

١) المنفسة دويبة منتنة والمشاقة من خيوط الحرير الغليظة والمعنى ان شيئاً قبيحاً يكون في شيء جميل

٢) الجيز عند العامة مبدلة من كلمة زيز لدويبة تصوّت في الشجر أُخذ اسمها من صوتها. والقرعة واحدة القرع لثمر النبات المعروف كانت تتخذ لوضع النبيذ وبعض السوائل قبل كثرة الاواني الزجاجية. والمعنى ان فلاناً حائر مثل الزيز الذي دخل القرعة ولا يجد لهُ منها مناصاً

٣) الدبور عند العامة اسم للزنبور وهو هامّة معروفة اكبر من النحلة والرافطة لونها احمر والخابية اناء كبير من فخار يتخذ لوضع النبيذ ونحوه من السوائل وهو بمعنى المثل السابق

٤) تحايد عند العامة بمعنى جدّ. والطق صوت الوقوع. والنقّ صوت البكا ونحوه. والبقّ الفرقعة في الماء ونحو ذلك

٥) الكره المشقّة وكل ما اكرهت نفسك عليه والمعنى كل واشرب ما تكره ولا تعاشر من تكره

٦) يريد التطيّر من هؤلاء الثلاثة

٧) تقول العامة كمّش اي قبض بيده والكمشة ملء القبضة. وحكش النار عندهم اذا حركها لتزيد اشتعالاً وما يتخذ لذلك يسمّى المحكشون والمحكاش. ولكشهُ عندهم بمعنى ضربهُ بيده او دفعهُ بذراعهِ ونحو ذلك

٨) ويروى عندنا اليوم اضرب الطينة بالحيط ان ما لزقت يلزق اثرها ولزّق بمعنى لصق كما لا يخفى

٩) ويروى لهذا هكذا: ان كنت سدّان الق. وان كنت مطرقة اضرب. والق بمعنى احتمل. والسدّان عند العامة تحريف سندان وهو آلة ثابتة يُطرّق عليها الحديد فارسية الاصل

١٠) اي من يحتاج الشيء يحتمل مشقّة الحصول عليهِ

عرسها (١ = خيار الحاجه تعجب صاحبها = كل قطعة ولها لباس = كُلْ ما يعجبك والبس ما يعجب الناس (٢ = ما هو جيّد لك جيد لغيرك = شوف الزبون واعطيه شكله (٣ = عبد الله والمفتاح بيده

الكتابة

يكون القلم بايده ويكتب حالهُ من المقترين (٤ = من كان علمهُ في كتابه كان غلطهُ اكثر من صوابه = ما كُتب فقد كُتب = ما من المكتوب مهروب = يا عبدي لا تتحيَّر المكتوب ما بيتغيَّر = اكتب ولا تقابل كبّ على المزابل (٥ = المكاتبة نصف المشاهدة = رؤيا السطور كرؤيا الوجوه (٦

مختلفات

لا تقول للحلي صلّي ولا للمغني غنّ (٧ = ضلّيتُ اصلّي حتى حصل لي . فلمّا حصل لي بطّلت اصلّي = يجبُ الرفعة ولو كان على الخازوق = ما هو موقفنا عن السفر الّا الحفا (٨ = الذي فيه الله يعافيه (٩ = قالوا للجوعان: اثنين باثنين كم ؟ قال: هم

---

١) ويروى لهذا هكذا: من بعد ما كنت بيّدها صرتُ اطبّل بعرسها . والستّ بمعنى السيّدة والبيّد بمعنى السيّد وهما عاميتان

٢) ربما اخذ هذا المثل من قول الشاعر وان الشاعر عنده بقوله:

ان العيون رمتك اذ فاجأتها وعليك من شهر الثياب لباسُ
اما الطعامُ فكل لنفسك ما تشا واجعل لباسك ما اشتهاهُ الناسُ

٣) الزبون عند العامة بمعنى الحريف اي الذي يعاملك بحرفتك ويستعملونها بمعنى الصاحب ايضاً

٤) ويروى لهذا هكذا: يكون الدفتر بايديه ويكتب حاله من المقطعين . والمقطعين عندهم بمعنى البائسين والمحتاجين الذي ليس لهم من يعولهم فكانهم انقطعوا عن الناس ويقال ايضاً المقطوعين بمعناها

٥) اي ان من نسخ ولم يقابل على الاصل ذهب تعبهُ سدًى

٦) تستعمل العامة الرؤية بالبصر بمعنى الرؤيا بالحلم

٧) ويروى عندنا اليوم هكذا: عمرك لا تقول للمغني غني

٨) ويروى في ايامنا هكذا: ما هو مقصّرنا عن طلوع الجرد الا الحفا . والجرد بمعنى الجبل الوعر واما تعريف الصَّرْد او انها مشتقة من الجَرْد لقلة الشجر فيه

٩) قول العامة: فلانٌ فيه يقوم . والذي فيه . بمعنى يقدر يقوم والذي يقدر فتكون عندهم كلمة « فيه » بمعنى يقدر

اربعة ارغفة = الشبعان بيفتّ للجوعان فتّا بطي = الذي عنده بهار بيرش على الخبيزة (١ = امّا شيْ يصلح امّا تركه اصلح (٢ = ان طعمت اشبع وان ضربت اوجع

الشراب

شمّ لا تذوق تبّت لا تقع = فرح في الفم عزا في البطن (٣ = قعده بمكنة خير من اكلة (٤ = ايش اكلت حتى اشرب = الدنيا بلا شراب خراب = على حجة الورد يشرب العلّيق (٥ = ان كنت خبير اشرب ودير (٦ = حدا بيخلي النهر ويشرب من الساقية = الذي بيشرب النهر ما بتغصّه الساقية = البير الذي تشرب منه لا ترم فيه حجر = قال: شرب الجرّة بيعفي الرقبة. قال: هذا تسلاية للذي ما عنده ابريق (٧

الضعيف والقوي وما بمعناهما

قال: الطرمس اطيب من اللوز. قال: هذه محارفة على مراضاة الاولاد (٨ = الذي ما بيجي بعصا موسى بيجي بعصا فرعون (٩ = الحكمة ماح الارض = العصا من الجنّة (١٠ = الزيت ما بيطلع الّا بالمعصار = ضعيفين قبال قوي = مكسورين بصحيح = الكثرة بتغلب الرجال = من استهتر بالرجال براس اللفت يُقتل (١١ = اعرض بشبّ

---

١) اي من كثر الشيْ عنده انفقهُ جزافًا. وبمعناه من امثال عامتنا لهدنا: كثرت الزبدة على العرب فسحت بها دقرنها

٢) ويروى اليوم بابدال كلمة امّا بقولهم: يا. وهي بمعناها

٣) مفهوم هذا المثل ان كثيرًا من المآكل لذيذة في الفم عسرة على المعدة. وسرّ معنا ان العزا عند العامة بمعنى المأتم فهي بمقابل الفرح

٤) المكنة هنا بمعنى الثبات اي قعود بثبات خير من الاكل

٥) تقول العامة: على حجة فلان اي لاجلهِ او بسببهِ ونحو ذلك. والمعنى ان نبات العلّيق الشائك يجاور الورد فاذا سُقي الورد شرب هو. اي ان الجار ينتفع احيانًا من جاره ونحو ذلك

٦) اي ان كنت خبيرًا اشرب الكاس وأدِرها على الجلّاس

٧) يعفي بمعنى غلّظ والعفي الغليظ وكل ذلك عند العامّة. وتسلاية بمعنى تسلية عندهم

٨) المحارفة عند العامة بمعنى الاحتيال ونحو ذلك

٩) المعنى ان من لا ينقاد بالرفق ينقاد بالقساوة

١٠) المعنى ان العصا تؤدّب وتفيد

١١) استهتر بمعنى استهزأ عند العامة اي من استهزأ بالناس ولم يبالِ بهم قتلوهُ براس اللفت مع لينهِ وصغرهِ

وقاتل باختيار (١ = عقل الكبير كبير = يد الحرّ ميزان = الذي ما له كبير يشتري له كبير = كل صغير انتشا باس الكبير يده (٢ = يطعم الجوز الذي ما لـه اسنان = خذ اخبارهم من صغارهم (٣ = اذا غضبت على قوم اجعـل كبارهم صغارهم = اذا اردت ان تجرّس رجّال جيل عليه مرا واذا اردت ان تجرّس مرا جيل عليها صبي (٤ = جيل عبّاس على دبّاس ترّ العجب = اعطِ الريح لابو زوبعـة (٥ = اعط القوس باريها واسكن الدار بانيها = الذي ما بيغار بيكون حمار (٦ = تينة قدّام تينة بتستوي (٧ = الكفر بالتشبّـه = عاشر القوم اربعين يوم بتصير منهم (٨ = حطّ قدمك على قدم السعيد بتسعـد = رزق الناس على الناس ورزق الكلاب على الجانين = الناس تبع الناس = الناس بالناس والكل بالله = الذي ما بيسمع من الناس ما هو من النـاس = اكبر منك بيوم اخبر منك بسنة = من طاع هواه بلّغ عدوّه مناه = انصحه من بكرة للظهر فان انتصح كان والّا فاعكسـهُ من الظهر للمسا = شاور اكبر منك واصغر منك وارجع لشور عقلك = لا تدخل للحضيرة الّا وانت نذير (٩ = الذي مـا بيطيع ما بيطاع = من اطاع الله طاعتهُ الخليقة = الطاعة حياة والمعصيـة موت = تخرب بشودي ولا تعمر بشورك = كل من بيزرع حقله بعقله = كل من عقله براسه بيعمل خلاصه = كل من بيفتش على صالحه = كل من بيشدّ الحاف صوبه (١٠ = كل من بدّه

---

١) اي اظهر لعدوّك الشاب لترهبهُ وعند القتال ارسل لهُ الشيخ لانهُ عنك

٢) انتشا يعني ترعرع ونشأ. وباس يعني قبّل وذلك عند العامة

٣) ويروى لهذا هكذا : اكشفوا اسرارهم من زغارهم . اي صغارهم

٤) جرّسهُ يعني شهر امرهُ وحقّرهُ ونحو ذلك . وجيل يعني ضع مقابلهُ ونحو ذلك . والمرا عند العامة تعريف المرأة

٥) اي سلّم الامور لأربابها

٦) اي الذي لا يغار على عرضهِ ونحوهُ لا يكون حسّاساً

٧) تستعمل العامّة استوى الشر والطبخ ونحوهُ بمعنى نضج والمعنى ان الامور تمرّ شيئاً فشيئاً

٨) ويروى لهذا هكذا : عاشر القوم اربعين يوم بتصير منهم .

٩) الحضيرة عند العامة ساحة البلد حيث يجتمع السكان . والحضيرة في اللغة الفُصحى بمعنى القوم المجتمعين

١٠) اللحاف ما يتغطى بهِ النائم وهو معروف . وصوبه اي لجهتهِ وتقول العامّة لهذا مثل آخر بمعناهُ وهو : كل من يشدّ لصوب صدرهُ . والمعنى ان كلًّا يطلب النفع لنفسه

قضا مصلحته (١ = كل من يبغني على وجهه = كل طير وله بومه وكل قرد له جنزير (٢ = كل الدروب بتودّي للطاحون = كل شي ما ينبع بيخلص (٣ = كل طلعة قدّامها تزلة = كل قصير متكبّر = كل طويل هبيل (٤ = كل اقرع جكر = صباح اليهود ولا صباح الاجرود (٥ = كل كوسة شيطان (٦ = كل محجوب محبوب = كل جديد له لذّة = كل عود فيه دخان = كل قبيلة لها هبيلة = ما كل مدّور جوز ولا كل مطاول موز (٧ = ما كل الزلقات زلابية (٨ = ما كل من صف الصواني قال انا حلواني (٩ = لو كل من تناهـا رعاها كانت المرا بتقناها (١٠ = ما بيرشح الظرف الّا بما فيـه (١١ = الظرف الذي ما ينتفخ بيكون معيوب (١٢ = هذه الصفاوات ما بتعبي ظروف (١٣ = زاد واحد يكفي اثنين (١٤ = الزاد الذي مـا يكفي اثنين واحد أحق فيه = من جرابك شيل وارقع من جرابي ما بتقشع (١٥ = لا بيسرح ولا

---

١) والمشهور بهذا المعنى لهدنا قولهم: صاحب الحاجة أرعن لا يروم الّا قضاها. وبذّهُ اصلها بردّهِ اي بارادته ونحوها

٢) سبق انّ الجنزير عند العامة مقلوب الزنجير بمعنى السلسلة واصلها فارسي

٣) وروايتهُ لهدنا هكذا: اللي ما ينبع بيخلص . اي ان الذي لا يكون من نبع يفرغ. ويخلص عند العامة بمعنى يفرغ

٤) الهبّل في اللغة الفصحى الرجل الطويل. وامّا الهبيل عند العامة فهي بمعنى الابله ولم تنطق بها العرب هكذا

٥) تقول العامّة اجرودي للاجرد الذي لا شعر في وجهه

٦) العامة تستعمل الكوسه لمن كان خفيف شعر اللحية

٧) المطاول عند العامة بمعنى المستطيل

٨) الزلابية كلمة فارسية معناها رقاق من العجين تُقلى بالزيت وقد تُحشى بالدبس

٩) الصواني عند العامّة جمع صينية بمعنى الطبق. والحلواني صانع الحلوى وبائعها

١٠) تنا المعزى ونحوها اذا ناداها. والمعنى لو ان رعاية المعزى ونحوها بالصياح كانت النساء راعيات

١١) الظرف وعاء الخمر والزيت ونحوهما من جلد مدبوغ. وفي الامثال الفصحى: كل اناء بما فيه ينضح

١٢) والمعنى ان الوعاء الذي نفخ لا ينتفخ يكون مشقوباً. ويضربونهُ لمن عيل صبرهُ وضاق

١٣) الصفاوة بمعنى البقايا ونحوها

١٤) ويروى لهدنا هكذا: زاد واحد يقري اثنين اي يطعمهما

١٥) اي خذ من مالك لقضاء حاجتك. وامـا من مالي فلا. وتقشع بمعنى ترى وتنظر عند العامة ويستعملونها بمعنى لا تحصل على

يمير الجراب (١ = يسكّر بابه وينادي: العيش يا جوعان = قال: يا مرا حوّشنا (٢ اجير بلا كري. قالت: وان كان بلا مونة يكون احسن = بدّه قط من خشب يصطاد ولا ياكل = هل يفضل عن القط جبن = زنّر القط بالسجق ونادى عليه صاحب الامانات (٣ = مثل الخروف لا يعض ولا يخرمش (٤ = الذي يليعب القط يحتمل غراميشه = قال: ايش عايزك للمرّ. قال: الأمرّ منه = رضينا الهمّ والهمّ ما رضي بنا = صار لها رجّال قالت: اعور ما يريده = ان وجه الحريري وجه قرد والضرورة احوجتنا اليه (٥ = الجندي لمّا ينفلّس يصير يفتّش على دفاتر بيّه العتاق (٦ = بدّه من الدواق سبع واق (٧ = اذا كان طبّاخك جميص يا طال ما تشبع مرق = ايش مـا طبخت الرعنا ياكل جوزها الاعمى (٨ = صار من يطبخ لك لماذا تحرّق اصابعك (٩ = الذي يتحطّـه بالدست يبطلع بالمرغفة (١٠ = ما يفرقع بالدست الّا اوشم العظام (١١ = قال: يا مرا اطبخي طيّب. قالت: يا رجّال كثّر الادام

جحى

كن بالأوّل يا جحى ولو كان في حلق اللحى (١٢ = لمّا طلع جحى للنخـة اخذ

١) اي لا يذهب مع الماشية لرعايتها. ولا يعطينا الجراب لنضع فيه الزاد

٢) حوّش عندهم بمعنى جمع

٣) السجق عند العامة خرقة لها ذوائب متدلّية

٤) وبهذا المعنى لعهدنا: مثل عترة الفرعا. يضرب لمن كان هادئاً. وخرمش عند العامة بمعنى خمش ومثلها في المثل التالي الترامش اي الخرامش بمعنى الخدوش ونحوها ٥) الى ما كان عليه الحريري من قبح المنظر وجودة الترجمة

٦) ويروى لعهدنا هكذا: افتقر الجندي وانداق فتّش على دفاتر بيه العتاق. وانداق بمعنى انضاق وبيه اي ابوه ٧) الدواق اي الذوق

٨) الرعنا مؤنث الارعن بمعنى الحمقاء ونحوها

٩) والمروي لعهدنا هكذا: اذا صار من يطبخ لك ليش بتحرق صابعك. وتحرّوق بمعنى تحرق

١٠) المرغفة مقلوب المفرقة للملعقة الكبيرة المعروفة

١١) والمروي لعهدنا هكذا: ما يفرقع بالدست الّا كل عظمة. وربما قيل ما يفرحط بمعنى يفرقع

١٢) والمروي لعهدنا هكذا: كن باول السوق يا جحى ولو بقطع اللحى

مداسه معه قالوا له : لماذا . قال : عسى يصير لي درب من هناك (١ = جحى صار يكذب حتى صار اذا صدق ما يصدقوه (٢ = شال جحى الملكة من فمه حطها على راس انفه فسألوه قال حتى يضل رزقي قدام عيني (٣ = جحى جابه وجحى أكلهُ = هل ان جحى اكبر من ابوهُ = جحى أحق بلحم ثورهُ = جحى ما فيه لحماته بيقتل مراته = جحى واهل بيته عرس = قالوا : راح جحى واسترحنا منه . قال : صبحك بالخير يا خالتي = قالوا لجحى : ايا هو احسن ايامك . قال : لما كنت احمل التراب بذيلي = بتشكر والا بترعى الجدا . قال : ما فيه كلام لبعد الغدا (٤ = قالوا لجحى : استرزق باب الله راح قعد على باب الفرن = قالوا لجحى : قل لابوك يشتري لك عرقية . قال : ضربه العمى لما هو شايفني (٥ = قالوا لجحى : ليش قبعك اعوج قال : من كلمة الحق = مثل جحى ما فيه الا لحاته = قالوا : لجحى صاير بحارتك شر . قال : علي نجالي = قالوا لجحى : متى تقوم القيامة . قال : يوم الذي يموت انا = قالوا : لجحى لماذا تاخذ البيض خمسة وتبيعه سبعة . قال : حتى يستوني تاجر = جحى اول ما صار شيخ باص اولاد حارته (٦ = كل من بهمه وجحى بيقتل امه (٧ = مثل مكسب جحى بالبيضات (٨

الآباء والقتال والامانة والخيانة

الاباء ياكلون حصرم والابناء يضرسون = تقاتل البحر والريح طاحت على

---

١) المداس نوع من الحذاء لهُ عرونان ويكون غالباً من جلد احمر

٢) شال عند العامة بدلة من طل يمنى استعمل وهو كثير في كلامهم

٣) الملكة شي يتخذ من البخور ونحوه ويُضع ولا يُبلع ويشتق منهُ فعل علّك وعلّك وقد يقصد بها كثرة الكلام تشبيهاً بمن يمضغ العلك

٤) تشكر بالغة العامة وضع ملاءة طويلة على ركبتيه لئلا يصيب الدسم ثيابه . والملاءة تعرف بالبشكير . والجدا جمع جدي

٥) العرقية شبه طربوش يتخذ للراس من القماش الابيض المعروف بالقصور ونحوه وقد يتفننون بتطريزها وقد تُلبس تحت الطربوش لتقيه من العرق وكانوا نسبت اليه في الاظهر وقيل انها منسوبة الى العراق

٦) يامه اخذ المال منهُ ظلماً وبمنعها صادره

٧) وروى ايضاً : كل من بهمه وجحى يقبر امه

٨) ويقال « مثل تجارة جحى بالبيضات » . وقد مرَّ قريباً اصل هذا المثل

المراكب (١ = تقاتلوا القيقان على كشك الجيران (٢ = تقاتلوا الزلاحف عفوا الضفادع = من قصدك وجب حقه عليك = أمين وخاين ما بيكون = من آمنك لا تخونه ومن خانك لا تأمنهُ (٣

مصر

قالوا: في مصر بيكبّروا اللقم. قال: على ما يفتّوا لك (٤ = قال: في مصر عيد. قال: ان فيه هريسة ما هو بعيد (٥ = قال: في مصر واحد بيتغدّي. قال: ان كان بيتغدّي (٦ = مصر ما هي بعيدة على من يزورها (٧ = يا داخل مصر مثلك الوف (٨ = قال: فشختي في مصر اربعين قدم. قال: عاديك ارض وهذه ارض (٩

الكذب

اذا اردت ان تكذب بعِد (١٠ شهودك = كن بعيد واكذب على ما تريد = حبل الكذب قصير = إلحق الكذّاب الى باب داره = الكذب ملح الرجال والعيب على الذي يصدّق = لسانك حصانك ان صنته صانك = لساني ما عدمتك كيف ما أردتُ دورتك = الانسان بينربط من لسانه والثور من قرونه = اذا كان الكلام من فضّة السكوت من ذهب = لا تتكلم بامان فالحيط له آذان وان ما كان له آذان خلفه انسان = قال: الله يخيّب الذي بيتكلم في حق الناس. قال: بل الله يخيّب الذي

---

١) ويروى عندنا اليوم هكذا: تقاتل البحر والريح رموا الصلحة عالمركب

٢) القاق والقمق عند العامة بمعنى العراب. والكشك طعام يتّخذ من اللبن والحنطة المدلوقة (البرغل) على طريقة مخصوصة ثم يُفتّ ويتّخذ للاكل

٣) ويروى هكذا ايضاً: من آمنك لا تخونه ولو كنت خوّان

٤) فتّ الخبز اي كسرهُ ليضمهُ في السوائل ونحوها

٥) الهريسة طعام تتخذه العامة اليوم من الحنطة واللحم وبعض قطع اللحم وهم يتفاخرون بها

٦) يتغدّي او يتغذّى عند العامة بمعنى يكفي

٧) ويروى هكذا: مصر ما هي بعيدة على اللي بيزورها. ويقال ايضاً بدل مصر: «مكّة»

٨) ويروى ايضاً: يا داخل مصر مثلك كتير

٩) الفشخة الخطوة. وعاديك البدل من قولهم: ماتيك

١٠) ويروى: بيعِد وهي بمعناها

يخلي (١ الناس تتكلم فيه = الذي ما بتأثر فيه الكلمة ما بتأثر فيه الضربة (٢ = الكلمة التي ما بتنفذ يا دلّ قاتلها = اقعد اعوج وتكلم مقوّم = مجنون يتكلم وعاقل يفهم = نصف الكلام ما له جواب = زينة الكلام اخذ وعطا = السكوت ردّ الجواب = من كثر كلامه قلّ احترامه = اقطع دقنه ولا تقطع كلامه = ان صحّ المام اخذنا الحيوان والّا فهو كلام في كلام

الشحاذة والفقر

القلة بتورّث النقار (٣ = شحّاد ومشارط ما بيكون (٤ = الشحادة كيميا لكن الوقوف على الباب صعب (٥ = ما عمره شحّاد بيحبّ صاحب محلاية (٦ = الكسرة في يد الشحّاد عجيبة = الذي ما يحسب ما بيسلم = الحسنة ما بتكون بالدبّوس (٧ = الذي ما بيحسب لبعيد بيقع قريب = حساب الذي حسبناه وقمنا فيه = كل شي حسبناه في الورق الّا الزلق = احسب الطلوع قبل النزول = احسب الخسارة قبل المكسب = حساب الحقلة ما بيقوم على حساب البيدر = حساب السوق ما بيجي على حساب الصندوق = لا تقول فول حتى تحط في المكيول (٨ = العشوة الطيبة بتطلع ريحتها من العصر (٩ = الفلّاح فلّاح ولو تمشى من العصر (١٠ — لما بدها تشتي زلابية بتغيّم بعجين = وجه الكريم له علامات = بشّر القاتل بالقتل والزاني بالفقر (١١ (التتمّة لعدد آخر)

---

١) يخلي اي يترك

٢) ويروى هكذا: اللي ما بتقطع فيو الكلمة ما بتقطع فيو ضربة السيف

٣) النقار بمعنى الخصام والقتال

٤) اي ان الشحادة تكون على حسب ما يريد المعطي بلا شرط

٥) يقال الشحادة كيميا اي غنى وكأنهم يريدون بذلك الاكسير وهو تحويل المعادن الى ذهب

٦) اي ان صاحب الصناعة لا يحب حريفه اي مشاركه بمعرفته

٧) الدبّوس عصا لها رأس مدملك كبير تتخذ للضرب. والمعنى ان الحسنة لا تكون بالضرب بل باللطف واللين

٨) المكيول عند العامة بمعنى المكيال

٩) العشوة اي العشاء

١٠) اي ان تغيير عادة الفلّاح لا تخرجهُ عن لقبه

١١) ويروى هكذا: بشّر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ولو بعد حين

المختار في كشف الاسرار

نظر الاب اوبس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

وللجوبري فصل آخر افردهُ لطائفة من المكّارين الخدّاعين الذين دعاهم « اصحاب الكاف » ويريد بهم اصحاب الكيميا (alchimistes) وليست تلك الكيميا العلم الجليل الذي شاع في ايامنا ولهُ اصول مقرَّرة وقوانين ثابتة مبنيَّة على الاختبارات وعلى تحليل العناصر المركَّبة وتركيب الاجسام الطبيعيَّة ومعرفة خواصها. وانَّما كانت الكيميا في القرون الوسطى فنًّا كثر فيهِ التدليس فيزعم اصحابهُ انَّهم يستطيعون ان يغيّروا خواص المعادن فيجعلوا النحاس فضةً والفضة ذهبًا وذلك بواسطة مزيج يدعونهُ الاكسير. وكان جلَّة من علماء العرب كابن سينا والرازي والفارابي وابن جابر وغيرهم يسعون في تحقيق امنيتهم غاية جهدهم ويقصدون بذلك غاية علميـة وقد ادَّت بهم اختباراتهم الى وضع المبادئ الاولى لعلم الكيميا الحاليّ. الَّا ان قومًا غيرهم اتخذوا هذا العلم للغش والمكر كما بيَّن الجوبري في اوَّل هذا الفصل وهو التاسع في بعض النسخ واما في نسختنا فهو الثامن والعشرون وقد قسمهُ الى تسعة ابواب (ص ١٣٨—١٥٤) قال:

اعلم انَّ هذه الطائفة اعظم الطوائف تسلُّطًا على اموال الناس وانهم في الحقيقة دكَّاكون (اي نصَّابون) ولو علم احد منهم شيئًا بين الذين ما أطاع عليهِ احدًا من العالم ولو كان لهُ حاجة الى الخلق اجمع لأنَّ الذي يريدهُ من الناس قد حصل لهُ . . . وانَّما هؤلاء الذين يتكلَّمون في هذه الصناعة قوم يغصبون على الناس ويأكلون اموالهم بالباطل . . . واعلم يا اخي وفَّقك الله تعالى اني كشفت لهم ثلاثمائة طريقة في الدكّ لا يمكن شرحها خوف الاطالة بل نذكر منها البعض ليستدلّ بها العاقل على الكلّ . . .

ثم جعل الجوبري يعدّد بعض حيلهم فقال:

فمن ذلك انهم اذا ارادوا ان يدكُّوا شيئًا يعتمدون على من يكون طالبًا لهذه الصناعة من المباشرة فيرغبون الوصول الى معرفتها وينفقون عليهم بذلك فيقول احدهم للطالب: انا افرّجك. ثم يأخذ شيئًا من الذهب والفضة ويدكّهُ عليهِ ويقول لهُ: انزل بهذا في السوق بيدك فيأخذ ذلك وينزل بهِ الى الصاغة ويبيعهُ بأوفى ثمن فيجيء الى الشيخ ويدفع لهُ الثمن فيقول: « والله ما يدخل

الى ملكي منه شيء ثاني غير محتاج اليه . هذا يكون برسم نفقة الصانع . ثم يلازمه اياماً فيسأله شيئاً آخر فيمنعه مرة ثانية وثالثة حتى يسيء عناءه ويتمكن منه ويأخذ منه عوض الدراهم دنانير . واما كشف دكمهم فانَّ منهم من يجعل الدك في قحمة ويترك ما فيها في البوتقة فاذا علم ذلك قوى النار تحترق المناقير التي وضعها في البوتقة وتبقى الدكة فيقلبها فتنزل السبيكة ذهباً كانت او فضة على قدر ما يُدكّ له فيذهل العقول ويسلب الاموال . ثم يطالب منه شيئاً آخر فيدّعي ان الاكسير الذي عنده قد فرغ وانه لا يمكنه عمل اكسير ثانٍ في هذا الوقت فلا يزال يلحّ عليه حتى يذعن بالعمل فيقول له : « هذا يطالب تعباً عظيماً وخسارة الّا انه اذا انتهى صار لك منه مال جزيل لا يقع عليه قياس » فيطعمه فيه ويقيم عنده في أكل وشرب وكسوة سنة اشهر او سبعة اشهر وفي كل يوم يطلب منه خمسين او ستين درهماً فيحصل من ذلك جملة ثم يدّعي انه فسد . . . ومنهم من يجعل للبوتقة طبقتين فيكون الدك في الطبقة السفلى وتكون الطبقة العليا مثقوبة الاسفل مسدودة بشمع فاذا جعل الرصاص فيها وساف عليها حتى يحترق تذوب الدكة ويذوب الشمع فاذا قلب نزلت كلها من البوتقة وقد صارت رماداً وتنزل السبيكة اما ذهباً واما فضة فيذهل العقول فافهمه

ثم أتبع الجوبري هذه التفاصيل باخبار بعض المخدوعين بكايد هؤلاء الجهلاء نختار منها خبرين جريا في زمان المؤلف :

الدمشقي المغفَّل

(قال) ومن ذلك اني رأيت بمدينة دمشق رجلاً نصرانياً يُعرف بابن ميسرة صائغاً فبينما هو يوماً في الدكان اذ أتى اليه رجل وناوله سبيكة فضة مقدارها ثلثمائة درهم وقال له : ادفع هذه السبيكة للدلالين ليبيعوها لي . فقال الصائغ : على الحمى تبيع ! قال : وعلى الرؤوس . فاعطاها لمنادٍ فباعها المائة بمئة وعشرة . هذا وقد اقعده الصائغ على الدكان الى جانبه . فلما قبض الثمن دفع للمنادي اجرة وافرة ثم رمى بخمسة دراهم وقال للصائغ : ارسل احد صبيانك ليشتري لنا شيئاً نتملّح به . وحلف بالحرام انه لا بدّ ان يفعل ذلك . فارسل من اشترى واكلوا . ثم جلسا ساعة يتحدثان . ثم قام ونزل من الدكان وقد وضع تحت نطع الصائغ عشرة دراهم

ثم انه عاد بعد مدة وصعد فجلس على دكان الصائغ ففرح به وتحدثا ساعة ثم اطلع سبيكة اكبر من الاولى فدفعها للمنادي فجاءت المئة بمئة وخمسة عشر . فالتفت الى الصائغ وقال له : ان كان لك بها حاجة فخذها وزناً بوزن . فاخذها ثم عمل

كالمرّة الاولى فمنعهُ عن ذلك وقال : يافلان ايش تخاف عليَّ . هذه المائة تقوم عليَّ بدرهم او درهم ونصف فما عسى ان يروح منها . فلما سمع الصائغ عظم الشيخ في نفسه . ثمَّ انصرف وغاب أيامًا ثم جاء ولم يصحب معهُ سبيكة فسلَّم وصعد وجلسا يتحدَّثان وصار كلَّما مرَّ شيءٌ من الحلوى او من المآكل قال : حطّ زنّ . فيشتري ويأكل هو والصائغ وكلّ من في الدكان والجيران واقام أيامًا يتردَّد ولم يصحب معهُ شيئًا من السبائك . فسأله الصائغ عن سبب تأخير السبائك . فقال : والله كنت قد عملت اكسيرًا ففرغ . فلمّا سمع الصائغ ارتبط ثم تحدَّث معهُ ساعة فقال لهُ الصائغ : اشتهي ان تأكل معي في بيتي خبزًا وملحًا لتجبر قلبي . فقال : « انا ما اريد ان اكلّفك . فاقسم عليه فقال : ان كان لا بُدَّ منهُ فهذه عشرون درهمًا اعمل لنا بها شيئًا نأكلهُ . والتزم بالحرام انهُ لا بُدَّ من ذلك . ثم تواعدا الى يوم معلوم

فلما كان ذلك اليوم جاء الرجل الى الدكان فوجد ابن الصائغ ينتظرهُ فأخذهُ وتوجَّه بهِ الى الدار . فلما استقرَّ بهما الجلوس قدَّم الصائغ شيئًا فأكلاهُ ثمَّ احضر حلوى فتحلَّيا . ثم جلسا يتحدَّثان فقال الصائغ : لِمَ لا تعمل الاكسير . فقال : يا ولدي انَّ عندي الساعة ما انفقهُ فلست انا محتاجًا الى عمله . ثم لم اجد في هذه البلدة مكانًا ولا صاحبًا اركن اليه وانا وحدي لا اقدر ان ادبّر شيئًا . فقال لهُ الصائغ : يا سيدي هذه القاعة ملكي وما لي فيها اهل وانما هي برسم صاحب او صديق فاخليها لك وانا اخدمك وابني يكون في الدكان وبما احتجت اليه انا أحضره لك . فقال : « أمّا الاكسير فما نصرف عليه اكثر من عشرة دراهم واذا صار الاكسير نعمل منهُ قناطير الّا انهُ يريد تعبًا كثيرًا وطول روح وانا اليوم ما لي همّة للعمل وعندي ما انفقهُ عشرين سنة » وصار يمتنع وصاحب البيت يسألهُ ويتضرَّع اليه ويحلف عليه ان يبيت عنده تلك الليلة . ولم يزل ملحًّا عليه حتى رضي وتقرَّر الحال معهُ ثم تحالفا على وفاء العهد وزاد الصائغ انهُ يقنع من الاكسير باليسير . فقال لهُ الشيخ : بل انما اقنع منهُ بمثقال وخذ انت الباقي . ففرح الصائغ بكلامهِ وطمع ان يتعلَّم الاكسير . ثم تواعدا على يوم معلوم وتفرَّقا

ولمَّا كان اليوم الموعود اشترى الشيخ الحوائج ولم يكلّف الصائغ بشيءٍ . فلما سحق من الحوائج ما يمكن سحقهُ ونقع منها ما يُنقع قال للصائغ : أتريد ان تعمل اكسير ذهب او فضّة . قال : من هذا شيئًا ومن هذا شيئًا . فقال : اقسم هذه الحوائج نصفين ثم

هات ما امكنك من الفضّة والذهب حتى ننقعهما في الماء اسبوعاً ثم نسقي بها هذه الادرية. فاحضر لهُ الصائغ ستماية دينار ذهباً والف وخمسمائة درهم فضّةً ووضع ذلك بين يديهِ. فصرَّ ذلك في صرتين ووضعهما في انائين وسكب عليهما ماء. ثم اقاموا سبعة أيام يخدمون تلك الحوائج. ثم قال للنصراني: اطلع الى جبل المزّة اجمع لنا من الجصا الذي يُعرف بجزاق القمر مقدار رطل واحد فقام الصائغ وتوجّه الى الجبل وعمد الرجل الى الصرّتين فاخذ ما كان فيها ووضع في احداهما فلوساً ونحاساً وفي الاخرى رصاصاً. فلما جاء الصائغ بالذي طلب منهُ قال لهُ: هذا يريد يتكلّس في اتون الزجاج ليلة كاملة ثم يُخدم نصفهُ بماء الذهب ونصفهُ بماء الفضّة. فاذا تكلّس اقسمهُ ثم اخدمهُ وخرج لصلاة الجمعة فاستقبل الدرب ولم يطلع لهُ خبر

فاقام الصائغ ينتظرهُ مدّة ولم يفتح صرّة الذهب ولا الفضّة. فقال لهُ ابنهُ: لا يكون اخذ الذهب والفضّة وراح. فقال الصائغ: ما اجهلك وحقّ المسيح انهُ يقدر ان يجمع خزائن اموال فكيف هو محتاج الى ذهبنا. فقال لهُ ابنهُ: كن عاقلاً وافتقد الذهب وخلّ عنك الطمع. فلم يفعل وقال: انت قصدك ان تفسد علينا الشغل. فاودعهُ ابنهُ في ذلك فلم يفعل فقام ابنهُ خفيةً وفتح صرّة الذهب فوجدها فلوساً وكذلك الفضة رصاصاً. فلطما الرؤوس حتى ذهبت منهما النفوس. فانظر الى هذا الدهاء والمكر

العجمي والملك العادل نور الدين

ومن اعظم ما وقفتُ عليهِ واظرف ما جرى للسلطان الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمهُ الله وهو حديث يصلح ان يُكتب بماء الذهب وذلك ان بعض الاعاجم جاء الى دمشق فاخذ الف دينار مصريّة فبردها برادةً ناعمة ثم اخذ دقّ الفحم واضاف اليهِ عتاقير مجفّفة وطحن الجميع وعجنهُ بغراء السمك ثم جعلهُ بنادق وجفّفها تجفيفاً ناعماً. ثم لبس دلقاً وتزيّا بزي الفقراء وجعل تلك البنادق في مخلاةٍ ثم اتى الى بعض العطارين فقال لهُ: أتشتري مني هذا. فقال لهُ العطار: ولأيّ شيءٍ ينفع هذا. قال: ينفع من السموم القاتلة ويدخل بجميع الادوية التي تنفع للأخلاط ولهُ نفع عظيم غير هذا ولولا اني قد ادركني الحاج وما اقدر على حملهِ ما بعتهُ فانهُ يساوي الذهب وزناً بوزن عند من

يعرفهُ فقال العطار : وبكم هو . فقال : بعشرة دراهم . فاتفقا على خمسة دراهم فاخذ العجمي الدراهم وجعل العطار الطبرمك (١ الخراساني في علبة عتيقة . فانظر الى هذا الرجل ما اجسرهُ باع الف دينار بخمسة دراهم لقد قالوا في المثل : من خاطر بنفيس ظفر بنفيس

فلما انفصل من عند العطار جاء الى منزلهِ ولبس احسن ما يكون من ملابس الوزراء والملوك وجعل خلفهُ مملوكًا واكترى دارًا حسنة تصلح للوزراء وصار يخرج الى الجامع ويتعرَّف بالاكابر من اهل البلد ويعمل السماعات ويصرف جملةً في كل ليلة ويدَّعي الوصول في علم الصناعة (اي الكيميا) وانهُ يقدر يعمل في يوم واحد جملةً من المال

وشاع ذلك عنهُ في دمشق . فسألهُ الكبراء ان يعمل عندهم فامتنع وقال : « ما انا محتاج الى احد فاني في يوم واحد اعمل بمقدار نعمة مَن يريد ان اعمل عندهُ . فان كان لاجل ملك او بستان فانا اقدر اشتري عشرة بساتين ومثلها دور . وان كان لاجل جاه فانا ما اعمل شيئًا عليَّ دركهُ فانَّ الذي اعملهُ ما فيهِ غشّ ولا زغل حتى اطلب فيهِ جاه احد . هذه صنعة الهيَّة وقد آليت على نفسي ان لا اعمل بها الَّا لملك بعد ان يعاهدني انهُ لا ينفق منهُ شيئًا الَّا في سبيل الله فان حصل هذا الشرط عملتُ والَّا فلا سبيل لعمل شيء على غير هذا الوجه »

فلمَّا سمع الوزير ذلك قال : والله هذه سعادةٌ للمسلمين والسلطان والآن هذه البلاد كلّها للفرنج الى بانياس وكل يوم تصل الغارات الى ديارنا (ويروى : الى داريَّا) فاذا عمل شيئًا تفتح بهِ البلاد فهذه نعمة عظيمة . ثم قال الرجل : أعرَّف السلطان بالامر ؟ قال : نعم لكني اريد ان لا تجمع بيني وبينهُ الَّا بعد ان تستوثق منهُ باليمين . فقال : نعم

ثمَّ ركب الوزير من الغد الى الخدمة فخلا بالسلطان وعرَّفهُ بامر العجمي . فقال : والله انَّ لي ايامًا افكر في شيء يكون فيهِ قلع هؤلاء اللاعين من هذه البلاد . ثم رسم للوزير باحضارهِ في غاية الكرامة فاحضر لهُ بغلة خاصَّة . ثم دخل على السلطان وقبَّل الارض لدى الحضرة الشريفة . فاجلسهُ السلطان واكرمهُ وحادثهُ ثم قال لهُ : أصحيح ما

١) الطبرمك ويقال الطرمك لفظة فارسية لبات وقيل لمدن وهي كان يزعم اصحاب الكيميا القديمة انَّهُ يدخل في استحضار الاكسير

قال الوزير عنك. فقال : نعم يا مولانا السلطان لكن على الشرط الذي تقرّر مع الوزير . فقال السلطان: قبلنا بالشرط . ثم قال العجمي: يا مولانا ان جميع من يدّعون الصناعة كذّابون دكّاكون وانا شرطي معكم اني لا امسّ شيئاً بيدي بل اكون بعيدًا واقول: افعلوا كذا وكذا ومولانا السلطان يفعل بيده او يأمر من يفعل بحضوره . فقال السلطان : رضينا ايضاً بهذا الشرط

فاخذ العجمي ورقة وكتب فيها اسماء الحوانج وذكر اجزاء من عقاقير شتّى ثم قال: ومن الطبرمك الخراساني مئة مثقال. ثم دفع الورقة الى استدار السلطان. فقال السلطان للوزير: أحضر هذه الحوانج. فاحضر الوزير جميع الحوانج وعجز عن الطبرمك الخراساني فلم يجده فقال: انهُ ما يوجد الّا في البيمارستان. فقال السلطان: اطلبوه من البيمارستان والحكماء. فطلبوهُ فلم يجدوهُ. فقال السلطان للعجمي: أليس شيءٌ يغني عن الطبرمك. قال: لا ولكن ما اظن انّ دمشق تخلو من هذا العقّار. والذي اراه ان مولانا يرسم للمحتسب ان يركب في الغد والمملوك في خدمته ومعنا شاهدان من العدول وندور على دكاكين العطارين الذين بالمدينة فنفتشها دكانًا دكانًا فلعلّنا نجد عند احد شيئاً منهُ. فقال الوزير : رأي مليح حسن. وكان المحتسب يقال لهُ القائد . فارسلوا الى القائد ان يفعل ذلك

فلما كان الغد ركب الوزير والعجمي والقائد والعدول وسيروا الدكاكين دكانًا دكانًا حتى انتهوا الى دكان العطّار الذي باعهُ العجمي الطبرمك فجعل صاحب الدكان يقدّم لهم برنيّة بعد برنيّة حتى اتاهم بالبرنيّة التي فيها الدكّة التي باعها من العجمي وسمّاهُ بالطبرمك الخراساني. فلما رآها العجمي تهلّل وجهه بالفرح واشتراها منهُ بشيءٍ يسير. ثم قال العجمي : اختموا على هذه البرنية بختمكم وابعثوا بها الى السلطان . ثم جاؤوا الى السلطان فقال العجمي : اريد من الآلات كذا وكذا. فاحضر لهُ جميع ما اراد من الآلات. ثم جلس السلطان وحدهُ في صفّة وجلس العجمي ناحية ثم قال: يا مولانا السلطان زنْ من العقار الفلاني كذا وكذا ومن الشيء الفلاني كذا. ثم قال : ومن الطبرمك مائة مثقال ولا زال يقول: افعلوا كذا واصنعوا كذا مدّة ايّام الى ان قال للسلطان: ان الاكسير قد انتهى شغلهُ فاحضروا لنا بودقة وخمًا ومنفاخًا. فاحضروا لهُ ذلك ثم قال للسلطان: حط بيدك هذه الحوانج فاخذ السلطان يعي في البودقة من ذلك الدواء

وصار العجمي ينفخ النار الى ان دار الذهب فقال للسلطان: اقلب على بركة الله تعالى. فقلب. فنزلت سبيكة ذهب مصري لا يكون احسن منها شيء. ولا زال يقلب سبيكة بعد سبيكة حتى فرغ الدواء. ثم اعتبروا ذلك فوجدوهُ الف دينار. ففرح السلطان بذلك فرحاً شديداً واكرم العجمي اكراماً زائداً

ثم قال السلطان: أما تعمل لنا من هذا شيئاً آخر. فقال: السمع والطاعة أحضر لي من هذه العقاقير وانا اعمل ما اراد مولانا السلطان. فطلبوا الطبرمك فلم يجدوهُ فسأل السلطان عنهُ العجمي فقال: «انهُ نبات ينبت باراضي خراسان (ويروى انهُ معدن في الجبل في مغارة) وهو رخيص الثمن جداً فاذا رسم مولانا السلطان ان يُحمل اليهُ الف حمل وُجد ذلك وانا دخلت اليها وحملتُ من ذلك شيئاً كثيراً وعندي في داري نحو قنطار». فلما سمع السلطان قال: والله ما نجد من يروح يحضر لنا من هذا العقار اخبر منك وان تعذَّر تحصيل ذلك من منابتهِ ومظانهِ احضرت لنا الذي عندك وانا اكتب معك الى سلطان خراسان بمساعدتك ومنع من يتعرَّض اليك. فتمنَّع العجمي وقال: ان رأى مولانا السلطان ان يبعث غيري فليفعل فانَّ نفسي قد طابت في دمشق وفي خدمة الحضرة الشريفة. فقال: لا بُدَّ من رواحك فانَّ لك في ذلك اجراً عظيماً. ولم يسألهُ حتى انعم بالسفر. فجهَّزهُ بستين حمل قماش منها شرب (اي كتَّان) عمل تنيس ودمياط ومنها عمل الاسكندرية وغير ذلك واعطاهُ خيماً ومطبخاً وفراشين ونفقة الى بغداد واوصاهُ اذا وصل اليها ان يبيع ما معهُ ويتسفَّر الى العجم وكتب معهُ كتباً الى سائر البلاد بالكرامة والخدمة. وراح في نهاية ما يكون من التعظيم وخرج معهُ السلطان وجميع ارباب الدولة فودَّعوهُ وسافر وقد ظفر بالاكسير الاعظم. ولم يطلع اليهُ من بعدها خبر. فانظر الى مكر هؤلاء القوم وكيف يتوصلون الى اخذ اموال الناس بالحيل ابعدنا الله واياكم عنهم وعن هذه الافعال واجارنا الله واياكم من الفتن والاحوال

ومن اظرف ما في هذه القصَّة انهُ كان بمدينة دمشق رجل يكتب اسماء المغفَّلين والحارَّقين فسمع بهذه القضيَّة وعلم باطنها فلما تحقَّقها كتب على راس جريدتهِ: «نور الدين محمود ابن زنكي رأس الحارَّقين». فشاع ذلك في دمشق ولم يعلم احد باطن الامر الَّا انهم يقولون انَّ فلاناً كتب عن السلطان كيت وكيت. فاتَّصل خبرهُ بالسلطان فقال: وما حملهُ على ان يكتب اسمي مع المغفَّلين. هاتوهُ. فنزلت الجنادرة وقالوا لهُ: كلَّم مولانا

السلطان: فاخذ الجريدة في كمّه ومشى معهم. فلما وقف قدّام السلطان قال لهُ: انت فلان. قال: نعم. قال: وانت تكتب اسماء الحارّفين. قال: نعم. قال: وكتبتني في جريدتك. قال: نعم وهذا اسمك. ثم اخرج الجريدة فاراهُ اسمهُ فيها. فقال السلطان: وما الذي رأيت من حرافي حتى كتبتني. فقال: كيف لا اكتبك وقد جاء رجلٌ نصّاب غشّك ودكّ عليك الف دينار اخذ بها اموال المسلمين وراح ليجيء لك بالطبرمك فهل يكون حراف ابلغ من ذلك. فلما سمع السلطان كلامهُ قال لهُ: كأنّا بهِ وقد جاء ومعهُ الطبرمك فيعمل منهُ اموالًا لا تحصى. فقال: يا مولانا السلطان ان جاء محوتُ اسمك وكتبت اسمهُ. فضحك السلطان ورسم لهُ بنفقة وراح. فكان كلّما افلس اخذ الجريدة ووقف على باب القلعة فاذا ركب السلطان فتح الجريدة فيقول: ما جاء العجمي وهذا اسم مولانا السلطان. فيضحك السلطان ويرسم لهُ بشيء فياخذه ويروح واقام على ذلك مدّة حياة السلطان وما جاء الطبرمك

وقد الحق الجويري هذه القصّة بخبر مغربي يدعى عبد الله المغاوري (ويروى الغمري) وقف على حيلهِ احد موالي الامير عزّ الدين ايبك المعظّمي المتوفي سنة ٦٥٥ (١٢٥٧) (التتمة لعدد آخر)

سياحة في سويسرة

لنشاب الاديب جرجي بن يوسف اليان سركيس احد طلبة الهندسة في كلّية لوزان (تتمّة)

بعد ان زرنا مدينة لوسرن ومتّعنا الابصار بما فيها من الآثار والمشاهد البديعة غادرناها سائرين الى زوريخ. وكان سفرنا في ظهيرة الاربعاء ١٩ آب على ظهر باخرة قطعت البحيرة على طولها (وهو يبلغ ٣٢ كيلومترًا) في مدّة ساعتين ونصف. وكان هذا من ابهج واشوق الاسفار لما كنّا نعاينهُ في طريقنا من المناظر الفتّانة على ضفّتي البحيرة فكنّا نوجه الابصار الى الآكام والرُّبى المحدقة بها وكلّها مكسوّة بالعشب الاخضر تزينها الغياض وتجلّلها ضروب الاشجار. ووراء هذه التلال تشرف جبال شاهقة اخصّها جبل ريجي (Rigi) الذي موقعهُ في مركز بلاد سويسرة يبلغ علوّهُ ١٨٠٠ متر ومن

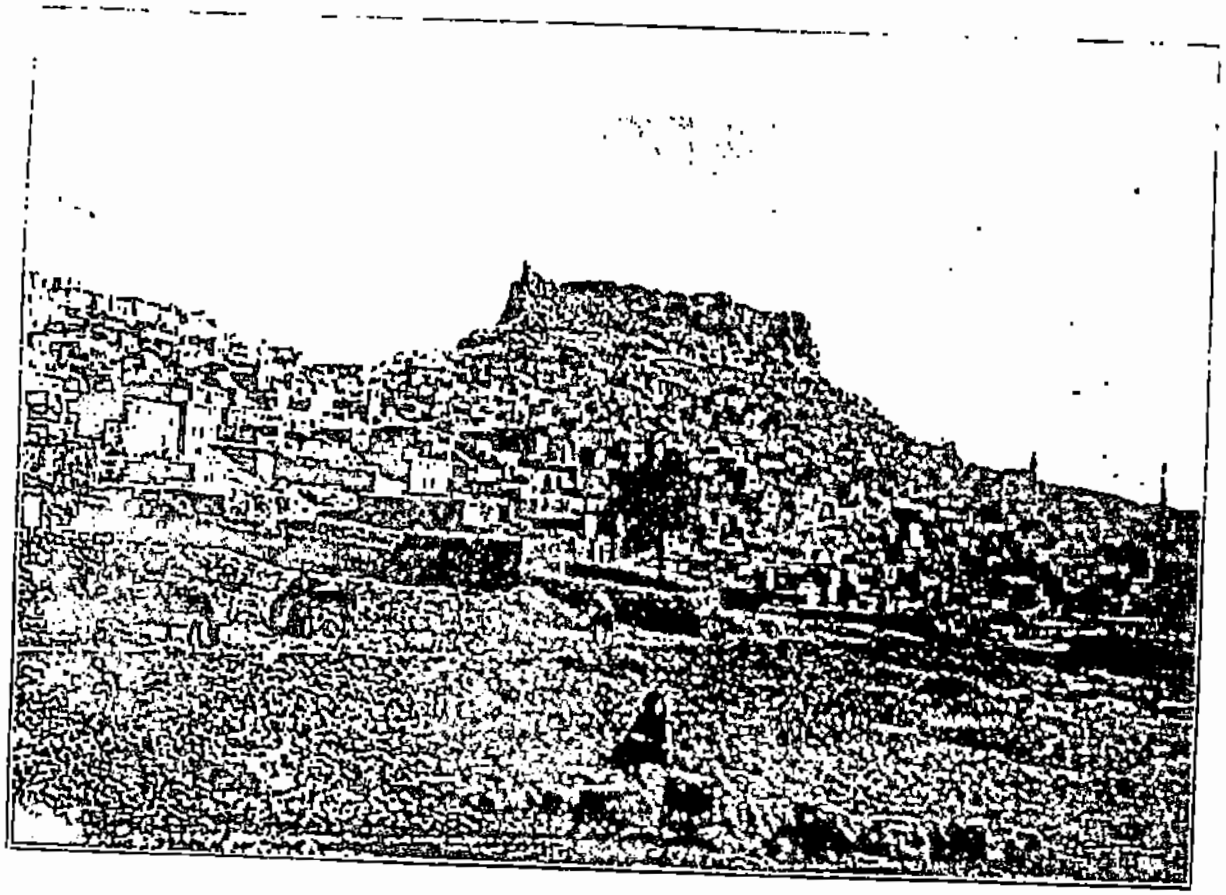

مدينة ماردين (عن صورة شمسية من رسم صرالبان الخواف)

فتئذ ينظر الناظر ما يأخذ بمجامع الفؤاد ويسبي حشاشة الاكباد واكثر الزوّار يقصدون هذا الجبل رغبةً في محاسنهِ ومعاطفهُ اشبه بجنّة غنّاء تشتمل على اجناس النبات وصنوف الاشجار

وبعد برهةٍ من الزمان رأينا ضفّتي البحيرة قد تقاربتا حتى كادتا تتماسّان فجرينا في هذا المضيق نميل تارةً الى اليمين واخرى الى اليسار ولاحت لنا على شاطئ البحيرة طريق غريبة للعجلات فتحها السويسريون في قلب الصخور التي تنتصب في جانبي البحيرة فالطريق منقورة في الصخر الاصمّ تُرى حيناً مكشوفة وحيناً نافذة في الأنفاق ذات كوًى منيرة . والسابلة يجرون فيها لبهجة مناظرها . وكثير من هذه الانفاق قد نُقر في الجبل على هيئات بديعة كالاروقة والمعابد والقاعات تسند سقوفها الاعمدة والسواري

وألقت الباخرة مرساها عند محطّة اسمها تلسنلات يشرف عليها جبل يعلو ١٧٠٠ متر فوق سطح البحيرة وهناك ينزل السيّاح ليزوروا مشهداً اقامهُ السويسريّون كأثر وطني ذكرًا لحرّر بلادهم من جور الظالمين في اواسط القرن الرابع عشر ألا وهو غليوم تال البطل الصنديد . والمشهد المذكور شهير في كل هذه الجهات في وسطهِ تمثال عجيب يُعدّ من طُرف الصناعة

ثمّ جرت بنا السفينة ونحن لا نزل ننتقل من منظر الى آخر وكنّا نرى جبال ايالة شويتز (Schwytz) السامقة بعلوّها ونحن نودّ لو يسمح لنا الوقت بالتجوّل في نواحيها ونرقى الى معبد هناك قديم العهد ذائع الشهرة يحجّ اليهِ كل سنة نيّف ومائة الف من الزوّار اعني مزار السيّدة البتول في أينسيدلن (Einsiedeln) وهناك دير للبندكتيين بُني في القرن العاشر . أمّا كنيسة العذراء فن بدائع الهندسة فيها عدد لا يُحصى من الآنية الثمينة والتماثيل البديعة والنقوش الصناعيّة والتصاوير التي تُنسب لمشاهير الصنّعة من جملتها صورة السيّدة العجائبيّة يعرضونها في بعض الاعياد بأبهة عظيمة وعيدها الكبير في ١٤ ايلول يتقاطر اليها الناس من سائر جهات سويسرة بل من جهات اوربّة البعيدة . وفي الدير متاحف غنيّة بضامينها منها للمعادن ومنها للنبات ومنها للآثار القديمة . والرهبان مشهورون بفضلهم لهم مطبعة كبيرة مجهّزة بكل الادوات الطبيعيّة من الطرز الجديد . وعندهم مكتبة غنيّة بمخطوطاتها الثمينة اللاتينيّة واليونانيّة والالمانية يقصدها العلماء لذلك

ثم انتهينا بعد ساعة الى قرية فلولن وهي اقصى محطة السفينة في تلك البحيرة التي يبلغ طولها ٣٢ كيلومترًا قطعناها بساعتين ونصف . نزلنا هناك وانتظرنا القطار ان يسير بنا الى مدينة زوريخ فما لبث ان جاء يهدر بعجيجه ويملاء الفضاء بصفيره فركبناه . فسار يطوي بنا السهول وكانت البحيرات تبدو لنا من اليمين تارةً ومن الشمال اخرى وتناوحنا على الجانبين الروج والآكام الخضراء والبيوت البيضاء المكنونة بين الادغال حتى وصلنا الى محطة أرت گولداو (Arth-Goldau) باسم قريتين هناك موقعهما في سفح جبل ريجي المذكور الذي ترى هامته المعمَّمة بالثلج على علو ٤٥٠٠ قدم وقد اصطنع السويسريُّون اربع او خمس سكك حديديَّة ذات سلاسل للصعود الى مشارفه والتمتع بمشاهده الساحرة . وعند قريتَي أرت وگولداو حدث سنة ١٨٠٦ انخساف جبل روسبرغ فسُمع لهبوطه دويّ على مسافة بعيدة وتحدَّرت الى قعر الوادي صخور الجبل واشجاره وكل مبانيه زاحفةً بما وجدت في طريقها من المواشي والاهلين حتى خيّل للسكان انَّ الساعة قد قامت . وقد مات بذلك الحادث مئون من البشر وبادت قريتا أرت وگولداو

ثم أبدلنا قطارنا بقطار آخر جعل يذهب بنا الارض الى زوريخ . وكان مرورنا على بُحيرة تسوغ (Zug) الرائعة النظر التي تركو على اطرافها الفلّات وتنمو الاشجار المثمرة والكروم . وبها دُعيت إيالة تسوغ احدى ايالات سويسرة الشهيرة بجمالها ووفرة محاسنها ولها حاضرة باسمها على ضفَّة البحيرة

وقد فاتني ان اذكر أنَّنا منذ دخلنا فريبورغ اصبحنا في المقاطعات التي لا يتكلم اهلها غير الالمانيَّة فكنَّا نحتاج الى ترجمان يقضي لنا حاجاتنا

احتللنا زوريخ اصيل النهار يوم الاربعاء ١٩ وهي حاضرة احدى الايالات السويسريَّة المتَّحدة كما انها تحسب كعاصمة سويسرة الكبرى يبلغ عدد سكَّانها مع ضواحيها نحو ١٧٠,٠٠٠ نسمة موقعها في بطحاء واسعة معتدلة الهواء عند طرف بحيرة تُعرف بها حيث يخرج نهر ليمات (Limmat) فيشقّ المدينة ويمدّها بمياهه الطيّبة . وايالة زوريخ كثيرة الجبال دافقة الانهار على تخومها يجري نهر الرين الزاخر ويتحدَّر بجنادل كجنادل مصر

وزوريخ احدى مُدن الدولة الاوليَّة تعقد فيها الحكومة جلساتها وتقضي بالامور العموميَّة الشاملة لصوالح البلاد . ولزوريخ شهرة واسعة بكثرة معاملها ولاسيما المعامل

الحريرية التي كادت تجاري بحسن منسوجاتها اجود منسوجات غيرها . وفي هذه المدينة كلية يزدحم الشبان في مكاتبها العلمية وهي المدرسة الجامعة التي لا يقل معلموها عن ١٣٠ استاذاً وتلامذتها عن ٣٠٠٠ ولها قسم آخر هندسي طلبتهُ زهاء الف طالب ومعلموهُ نيف ومئة . وفي هذه المدارس تخرَّج رجالٌ من نخبة العلماء كالمؤرخين والشعراء والكتبة والاثريين والفقهاء . ومن جملة ما تحويه معاهد تلك الجامعة متحف آثار البشر الاولين الذين عاشوا قبل الطوفان او قبل التاريخ المعروف اي طور الظرّان . وهناك كذلك متحفٌ صناعيٌ جامع لادوات الفنون الصناعية منذ القرون الوسطى الى عهدنا يُوقف الناظر لآثره على تقدم الصناعة في القرون الاخيرة في انحاء اوربة . وخلاصة القول انَّ زوريخ استحقَّت بهمَّة اهلها أن تُدعى باثينا سويسرة وبحيرة زوريخ من ابدع بحيرة يُحدق بها ثماني عشرة قرية وعدَّة دساكر وعليها تنقل السفن واردات ايطالية الى سويسرة وصادرات سويسرة الى ايطالية

وفي ظهيرة يوم الغد طارت بنا اجنحة القطار الى مدينة وِنتِرتور (Winterthur) وبُعدها عن زوريخ اقل من ساعة وهي في موقع مدينة قديمة كان يدعوها الرومان باسم ڤيتودورُم والبلدة الحاليَّة كثيرة البهجة شهيرة الاعمال الصناعيَّة تباري بها زوريخ وفيها المعامل القطنيَّة ومعامل ورق الكتابة بكل اجناسه . ذلك فضلاً عن حدائقها وغياضها

وكان موعدنا في مساء ذلك النهار بلدة صغيرة اسمها فَرارنفليد لا يزيد سكَّانها عن ٧٠٠٠ نفس . وهي وطن المسيو بوير الذي كان رافق الشقيق من تونس وسبقنا الى مسقط رأسه . فاضافنا في منزله وبالغ في اكرامنا حتى كدنا نحسب نفوسنا بين الاهل والاحباب في بلادنا الشرقيَّة . والحق يقال انَّ اهل سويسرة يحسنون وفادة الضيوف ولا يألون جهدهم في اكرامهم حتى انَّ لطفهم يزيد رغبة الوفود في زيارة بلادهم العجيبة

وبعد ان تناولنا طعام المساء خرجنا للنزهة في البلدة فدخلنا نادياً كانت فيه جوقة من العسكر يعزفون بالآلات ويحيط بهم عدد لا يُحصى من اهل المدينة . ومما سرَّنا مشاهدتهُ تمارين حربيَّة كان يتولاها الجند في غابة قريبة من البلدة . وكانوا يطلقون المدافع على اهداف مرتفعة او حجارة منصوبة . وقد شاهدنا بين تلك المدافع مدفعاً لم يُر دخان

طلقته لكنّنا سمعنا له دويًّا ارتجّت الارض بسببه فلمّا اصاب الغرض تصاعد دخانهُ وانتشر الغبار في الجوّ

ودخلنا هناك بستانًا وجدنا فيه ضروب الاثمار تنوء تحت عبئها الاغصان لكثرتها. وقد نالوا ذلك بحسن قيامتهم بفلاحة الارض وتوزيع المياه وتقليم الشجر يجرون في كل ذلك على قوانين علميَّة تضاعف جنى الاثمار فتزيد محصولاتها كثيرًا على بساتيننا الشرقيَّة وكذلك ادخلنا صديقنا الى معمل دفاتر ابناءُ هناك اخوهُ يشتغل فيه عددٌ من الصنعة واكثرهم من البنات والفتيات بكل نظام وحسن تدبير. ومعظم الشغل دائر على أدوات جديدة تقرّ العمل وتوفر عدد المصطنعات

وكان في البلدة سيدة سكنت مصر عدَّة سنين فلمَّا علمت بقدومنا ارسلت فدعتنا الى بيتها لنشرب عندها القهوة. فاستقبلنا عند ما دخلنا البيت ابنها الصغير وسلَّم علينا بالعربيَّة بهذه الالفاظ: « ليلة سعيدة ايها الاحباب ». فقضينا هناك ساعة نذكر الاوطان وعادات الشرق ثم وشربنا القهوة العربيَّة كما يعدّها اهل بلادنا. وكان طعامنا في ذلك المساء لبنًا دسمًا غاية في اللذة تناولناهُ في جنينة عموميَّة لم ينقصنا شيءٌ فيها من اسباب المسرَّات

وفي صباح يوم السبت ٢٢ آب ودَّعنا صديقنا السويسري شاكرين لطفهُ ووداده فركبنا قطارًا صغيرًا بطيء السير أقلَّنا بعد ساعة الى مدينة سان غال (Saint-Gall) حاضرة ايالة سويسريَّة تُعرف باسمها وتُعدّ من اخصب ايالات القطر السويسريّ لكثرة مراعيها واحراجها ووفرة مواشيها والبانها وفيها معامل للجبن السويسريّ المشهور. ولها ايضًا مصانع كثيرة للجوخ والجلود والمنسوجات والتطريز. والتجارة في انحائها قائمة على ساق وقدم لاسيما في حاضرتها. وهي مدينة من احفل بلاد سويسرة بالسكان الذين يبلغ عددهم خمسين الفًا وموقعها على نهر جارٍ اسمهُ شتيناخ يصبُّ في بحيرة كنستنزة وضواحيها تمتدُّ على ضفَّتيه على مسافة ساعة بين الخضرة والبساتين. واصل هذه المدينة دير بُني للرهبان فعُرف باسم بانيه القديس غال في القرن السابع ولم يزل ينمو ويتَّسع حتى استفاضت سمعتهُ واحتفل من حوله السكان وشُيّدت بقربه المباني. وكان رهبان الدير يُعنَون بالعلوم فيقصدهم الطلبة ويأخذون عنهم حتى ألفوا قبل مئة سنة وخُصَّ ديرهم بالمتاحف الوطنيَّة منها مجاميع من المواليد الطبيعيَّة والمصنوعات

اليدوية. ومكتبة هذا الدير من اغنى الخزائن الكتبية بينها المخطوطات البديعة النقش العزيز الوجود. ومدينة سان غال تسبق سواها من المدن باقمشتها التي تنقل الى اطراف المعمور وهي شهيرة ايضاً بشرائطها المخرّمة والمزركشة ولها معامل متقنة لدباغة الجلود. وقد زرنا كنيستها الكاتدرائية فدهشنا مما رأينا فيها الاعمال الهندسية والنقوش العجيبة في جميع اطرافها ويزين جدرانها عدد لا يحصى من التماثيل والرسوم والصور اشتغل بها مدة اجيال متوالية كبار المهندسين وجلّة المصورين . وترى بين صحن الكنيسة والهيكل الكبير حاجزاً من الحديد المنقوش المفرغ يمثل اشكالاً هندسية وضروب التصاوير. وفيها ايضاً ارغن كبير كارغن فريبورغ لكننا لم نسمع نغماته. وكنا قصدنا التجوّل في البلدة لولا ما جادنا به السماء من المطر المدرار فبرحنا المدينة بعد ساعتين متوجهين الى بحيرة كونستنزة والسفر بين سان غال وتلك البحيرة نزهة تروق العين وتشرح الصدر فتمرّ بين المروج والرياض النضرة . وكانت البحيرة تلوح لنا من وقت الى آخر فتبدي محاسنها فلوبنا حتى اقتربنا منها وجرينا بقربها لكنّ الامطار كانت تنهطل علينا فتحرمنا التمتّع بها

ومعلوم انّ بحيرة كنستنزة واقعة بين سويسرة والمانيـة فليس لسويسرة منها الّا طرفها. وباقي المياه لمملكة المانية. فلما وصلنا الى حدود البلادين مررنا بجمرك الالمان حيث أُجري التفتيش المعتاد على المواد الممنوع تهريبها ثم دخلنا مدينة كنستنزة التي تخصّ المانية وهي واقعة في دوقية باد فسمعنا هناك لاول مرّة اللغة الالمانية الصرفة التي تحلو على الاطفال الالمان وتطرب الاذن بلينها دون السويسريين المعروفين بلهجتهم الخشنة . وكونستنزة هذه ليست مدينةً كبيرة فانّ سكّانها لا يربون على ٢١,٠٠٠ . وهي تمتاز بعرضتها التي تقصدها السفن المتعددة ومن حركة مراكبها يُستدلّ على خطر تجارتها. وليس في المدينة ما يستحقّ الذكر الا انّها حسنة البناء تزينها الشوارع الرحبة المظلّلة باشجار الحور. وكنيستها الكاتدرائيّة قديمة بُوشر في بنائها في القرن الحادي عشر وفيها عُقد مجمع كنسي من السنة ١٤١٤ الى ١٤١٨ به تمّ الشقاق الغربي المشؤوم. وللكنيسة برج مرتفع يبلغ علوه ٧٦ متراً ترى العين من اعلاه البحيرة مع كل نواحيها وفي هذه المدينة شربنا لاوّل مرّة الجعة (البيرة) الالمانيّة التي يُضرب المثل في لذّتها

ومن بحيرة كنستنزة هذه يخرج سيّد الانهار الالمانيّة اي نهر الرين وعلى مسافة ثلاث ساعات من منبعه جنادلهُ التي يتوارد الزوّار الى معاينتها من كل صقع وناد .

فقصدنا نحن ايضاً ان نسير اليها لنسرّح الابصار في مباهجها فركبنا سفينة من السفن العديدة التي تنقل الركاب الى المدن الواقعة على سير المياه. وكان مجراها اوّلاً على نهر الرين نفسه ثم دخلت بحيرة أخرى ثم عادت الى النهر. وقضينا كذلك ثلاث ساعات بسرور لا يوصف لان المناظر التي تجتذب ابصارنا كانت نهاية في الحسن فضفّتا النهر واطراف البحيرات كأنها مفروشة بالنبات تظلّلها الاشجار والحدائق. ويزيد على هذه المشاهد بهجة رونق البلاد والقرى التي بُنيت في تلك الجهات. وربما كان يضيق بنا المسلك بين الضفّتين او ينفرج على اختلاف سعة الوادي. وقد نصبت جسور عديدة فوق النهر فتمرّ السفن تحتها بعد ان تحني مدخنها للمرور. وبعض هذه الجسور تجري فوقها السكك الحديديّة ومنها جسر بني فوقهُ منازل وتنفذ فيهِ النوافذ يميناً وشمالاً. اما عمق المياه فيختلف وللربّان علامات مركوزة في النهر او عائمة على البحيرات او مناور يستدلّ بها على قعر المياه فيحيد عن الصخور لئلّا ترتطم بها سفينتهُ

وكان نزولنا في بلد شفهوز (Schaffhouse) في مساء النهار اذ كانت الشمس في أفق السماء ترسل اشعتها الاخيرة الارجوانيّة على تلك الضواحي فتكسوها حللاً بهيّة ذات ألوان زاهية. فنزلنا في احد فنادق البلدة لنبيت فيها ليلنا. وكان سبقتنا اليهِ احدى شركات الجناز فزيّنت بعض حُجرهِ بالالوية والرايات لفوحها بما نالتهُ من الفوز في سباق جرى في المدينة. فأعدت لهم وليمة فاخرة وشربوا نخب اصحابهم وغنّوا الاغاني الوطنيّة المألوفة عندهم. ومدينة شفهوز هذه عدد اهلها ١٨٠٠٠ يقصدها السيّاح لقربها من شلّالات الرين

*

فبتنا في غلس النهار التالي وبعد تناول الطعام اسرعنا الى محطّة الترامواي الكهربائي فركبنا قطاره الذي اقلّنا مع جملة الزوّار الى قرية تبعد ربع الساعة. فكنّا نسمع عن بعد صوت المياه المنحدرة يزيد عجيجها كلّما نتقدّم الى الامام. ولما انتهينا الى القرية تبعنا القوم المتسارعين الى جهة النهر. فبعد قليل تراءى لنا منظر عجيب كاد يفتن حواسّنا فرأينا مياه النهر مندفعة من اعالي الصخور وهي تتناثر كالغبار الابيض او كقطع اللجين وكانت الشمس الطالعة تضرب اشعّتها في تلك الدقائق المنتثرة فتلوّنها بكل الوان قوس قزح فتارح لك بين صفراء وحمراء وخضراء وزرقاء. فكانها انوار ساطعة تبهر

الابصار باشكالها والمياه تتناثر يمينًا وشمالا على بُعد عظيم ومنها ما يزبد ويفور ومنها ما يتصادم على الصخور فيتكسَّر قصدًا ويتطاير شعاعًا حتى يسيل برغوة وافرة الى النهر فينضمّ الى باقي المياه ويجري بهدو وجلال. وهناك قصر يُدعى قصر لوفان يكشف على الشلّالة فيراها الناظر بكل روعتها المهيب ومشهدها البديع وذلك باجرة رسميَّة تساوي فرنكًا واحدًا ندفعناه بطيب الخاطر لنمتّع العيون بهذا المرأى الفريد الذي تقصر الاقلام عن استيفاء وصفهِ. ومما يزيد هذا المنظر جمالًا صخرة عظيمة تقسم جري المياه الى قسمين وعليها تتدفَّق المياه الزاخرة بهيئات تختلف اشكالها ومحاسنها. وهو منظر شائق لا انساه طول عمري

ولهذا القصر مزيَّة خصوصيَّة قصدها بُناتهُ فانهم جهَّزوا اطرافهُ بادوات مختلفة نظموا دوزانها مع اصوات المياه في عجيجها فاذا قرَّبها الانسان من آذانهِ سمع نغمات موسيقيَّة منها رخيمة لطيفة ومنها ضخمة غليظة. وكذلك اذا جلست هناك على اسكمنة او كرسيّ شنَّف مسامعك صوت من الاصوات الشجيَّة

وبعد هذا نزلنا الى الجنينة حيث أُقيمت نوافذ بزجاجات ملوَّنة فينظر فيها الناظر مياه الشلالات فتروعهُ الوانها وتاخذ بابصاره محاسنها

ثم ألبسنا اصحاب القصر مشمَّعات وقرَّبونا من الشلَّالات فكانت مياهها تتناثر علينا ونحن نشخص الى المياه في اصطدامها وفورانها وتحامُل بعض اقسامها على البعض وهي تهدر وتزمجر فترنُّ بها الآذان ويدوي بها صماخ السامع. وكان هناك قوارب يركبها الزوار فنزلنا فيها لنقطع عليها النهر ونرى الشلَّالات طولًا وعرضًا فتجوَّلنا في وسطهِ واطرافهِ ولم ندع شيئًا يفوتنا من محاسن الطبيعة المتجمعة في ذلك المكان. وكان لتجوّلنا فائدة أُخرى ان نشاهد المعامل التي شيَّدها ارباب الصناعة على جانبي الشلالات ليستخدموا قوَّة المياه بدلًا من البخار اقتصادًا. وخلاصة القول أنَّنا كيفما أجلنا الطرف في تلك المياه حارت افكارنا وسبَّحنا الخالق بمشاهد تلك المناظر السحريَّة التي يزيد عجب المرء منها على قدر ما يزيد التأمل في خواصها الطبيعيَّة

وممَّا شاهدنا في ذلك اليوم بعد رجوعنا من شلالات الرين برجٌ قديم شيِّد على ربوة مطلَّة على ذلك النهر بُني سنة ١٥٦٤ وجدرانهُ يبلغ سمكها ستَّة امتار وليس لهذا البرج سوى قاعة واحدة متَّسعة الارجاء وفي اعلاها قبَّة مرتفعة لها نوافذ تنيرها من

علُ . وعلى سطحها مدفعان قديمان من النحاس وللبرج اقبية كانوا يدخرون فيها المؤنة ويسجنون الاشقياء .

بعد ان زرنا الرين وشلالاته حان لنا الرجوع من رحلتنا - وفارقنا حينئذٍ صديقنا السويسري وبقيت انا والشقيق فركبنا القطار لنعود على غير طريقنا السابقة على مدينة بال ونتق سان غوتار

بال احدى امّهات المدن السويسريّة وحاضرة اقصى مقاطعاتها الشماليّة . والمدينة تمتدُ على ضفتي نهر الرين في موقع غاية في الحسن والبهجة وقد مُدَّ بين الجهتين جسر كبير من الحجر طولهُ ١٩٥ متراً وعرضهُ ١٨ م وعليهِ ابنية مختلفة كالمطاعم والقهاوى والمنتديات العموميّة . وعلوهُ فوق النهر بالغ حتى ان المراكب البخاريّة تمرُّ تحتهُ بلا مانع

وبال مدينة تجارية فيها كثير من ارباب الثروة وفيها تُقام الاسواق الحافلة . واهلها اليوم يبلغون ١٢٥,٠٠٠ ويغلب عليهم لين الطبع والاستقامة في المعاملات والهمّة في ادارة الاشغال وحبّ الحرية فيتفاخرون بعبادتهم الديمقراطيّة وقد اقاموا لذلك في باحة المدينة اثراً من رخام يشير الى فوزهم بالاستقلال الجنسي . وكان يوم دخولنا المدينة يوم الاحد وفيهِ تفتح المعاهد الاثرية والمتاحف العظيمة فيزورها الناس مجاناً . ودخلنا اولاً الدار المختصّة بمآثر مدينة بال القديمة فكان هناك حُجر شتى وقد خصُّوا كل حجرة بشيءٍ من العاديات كالاكسية العسكرية والاسلحة القديمة من ظرّان وخشب وحديد وبندقيّات يبلغ طول الواحدة اربعة امتار . وقد جُمعت في بعض القاعات الاثاث البيتيّة كالفرش والسُّرر وادوات الطبخ وآنية الطعام وغير ذلك مما ينطق بلسان حالهِ عن عادات سكّان البلد سابقاً . وقد خُصَّ معهد آخر بالآثار الدينيّة فوجدنا بينها الاواني النفيسة كالصلبان والذخائر والكاسات والاشعّة الذهبيّة المرصّعة بالحجارة الكريمة المحكمة الصنع الدقيقة العمل وكذلك التماثيل الدينيّة منها بالرخام ومنها بالخشب وبينها الحليّ والحُلل الاسقفيّة والكهنوتيّة . واكثر هذه الطرائف كان يخصُّ قديماً دير الرهبان الفرنسيسيين الذين سكنوا بال مدّة اجيال مديدة

ثم انتقلنا الى متحف اخر جمعوا فيهِ مآثر الفنون الجميلة من نقش وتصوير ورسوم ودُمى وهناك عجائب من اعمال والصنائع العلوم الطبيعيّة والجيولوجيا والمعادن والنبات والحيوانات المفقودة وغيرها وكلها محنّط على هيئتها الطبيعيّة . وهذه الاثار منتظمة في

ثاني عشرة قاعة يضيع فيها الزائر لاتساعها ويمل من كثرة مناخرها وبدائعها

ومما يستحق الذكر من مباني بال بعد ان صبرت على مكايد الزمان من حريق وزلازل كنيستها الكاتدرائية اقامها الملك هنريكوس الثاني سنة ١٠٢٤ واتقن البناة هندستها وهي مشيدة بالآجر الاحمر البديع تتخلله صفائح من السبورة (ardoise) المختلفة الالوان . وجدران الكنيسة منقوشة بالتصاوير المثلة للسيد المسيح ورسله الكرام والاخبار الانجيلية. ولهذه الكنيسة برجان يبلغ علوهما مئتي قدم بنيف. وهي اليوم في ايدي البروتستانت

ومنها دار الصناعة التي جمعت فيها كل الاسلحة القديمة التي كانت شائعة في حروب الاعصار السالفة . ومنها ايضاً مكتبتها الغنية بالمطبوعات النادرة والمخطوطات البديعة

٥

وفي اليوم التالي وهو الاثنين الواقع في ٢٤ آب ركبنا القطار الى مدينة اولتن قاصدين السفر منها الى نفق سان غوتار. وهذا النفق يعد من المشروعات الكبيرة التي قام بها الاوربيون في عهدنا. ويجاريه اليوم نفق سمبلون الذي وصفهُ المشرق سابقاً (٨: ٣٢١و٩: ٦٤) وقد تكلف المهندسون في حفر نفق سان غوتار ٥٦ مليوناً من الفرنكات ويبلغ طولهُ خمسة عشر كيلومتراً كالمسافة بين بيروت والمعاملتين وهو يصعد في قلب الجبل الى علو ١١٥٤ متراً. وقد تم حفرهُ بثماني سنوات من السنة ١٨٧٢ الى ١٨٨٠ . اما السفر في هذا النفق فانهُ بادئ بدء يقبض لهُ الصدر اذ يرى المرء نفسهُ منفصلاً عن عالم الاحياء داخلاً في مدفن عظيم وفي ليل دامس مدلهم ثم يطمئن قليلاً بعد مدة ويرى هنالك من المناظر الطبيعية ما يشغل فكرهُ ويلاج صدرهُ فان شركة السكة الحديدية قد تأنقت في بناء النفق وانارت جهاته بالانوار الكهربائية وجعلت لهُ بعض محطات وجعلت لمياه الجبل مجاري الى غير ذلك مما يجعل اجتياز النفق من المشاهد السارة. والسكة الحديدية قبل دخولها النفق وبعد خروجها منهُ تمر في جبال وتلال وغابات واودية تتوفر فيها المناظر البهجة التي تحيك في قلب المسافر وهو يسير من نفق الى آخر وجداول المياه المتحدرة من اعالي الجبال تسيل على جانبيه يمنةً ويسرةً على هيئات شائقة

ثم قضينا الأيام التالية في بعض الاسفار الى جهات اخرى من سويسرة حتى تجاوزنا حدودها وبلغنا مدينة ميلانو الايطالية الشهيرة بآثارها البنائية والفنية ونحن نضرب هنا عن وصفها لنقصر كلامنا على سويسرة . وكان آخر ما شاهدناهُ عند رجوعنا الى سويسرة فجعلناه كذلك ختام سفرتنا الى مدينة جنيفة عاصمة هذه البلاد

وجنيفة اسم لاحدى معاملات سويسرة الصغيرة وخطرها بوجود العاصمة فيها . وهذه المدينة موقعها في جنوبي غربي البلاد عند مخرج نهر الرون من البحيرة المعروفة باسمها وسكانها نحو ١٢٠,٠٠٠ . والمدينة قديمة العهد وكان احسن ما فيها منظرها على شواطئ بحيرتها وكانت ابنيتها حرجة واطئة وازقتها صغيرة ضيقة الّا انّ اهلها لم يزالوا منذ خمسين سنة يجدّدون مبانيها ويحسّنون عندستها ويفتحون لها الشوارع وينظّمون الساحات والحدائق ويشيّدون لها المعاهد الكبيرة حتى صارت تعارض اليوم حواضر اوربة . وفي احدى ساحاتها اثر لاحد المحسنين الى المدينة اوقف على ترميمها وتحسينها عشرين مليونًا من الفرنكات اسمهُ برونسويك (Brunswick) والاثر بناء من رخام على نسق قبّة ميلانو جُعل في وسط مقام تحدق به زهور وتجري المياه وعلى مقدّمته اسدان من رخام يهاب الانسان منظرهما لدقّة صنعهما

اما مناظر جنيفة الطبيعيّة فحدّث عنها ولا حرج فانّ بحيرتها والنهر الخارج منها والجزائر التي في وسطها وضواحي المدينة والجبال الشاهقة المحدقة بها المكسوّة بالثلوج المتجمّدة تملاء العين وتسبي القلب فقضينا هناك ساعات نعدّها اطيب آنات حياتنا واعذبها واطربها ولو حاولنا وصف كل ما عاينّا فيها لخرجنا عن الحدود التي تحرّيناها . فلا نذكر من ذلك الّا زيارتنا الى بستان دعوهُ بستان المياه الغزيرة لكثرة احواضها ومجاريها وفي وسطها نافورة يفور منها الماء الى علو تسعين مترًا فينعكس على شبه المظلّة الى مسافة بعيدة بهندسة رائقة وهم ينيرونها بالليل بالانوار الكهربائيّة . يقال انها اعظم نافورة تُعرف في العمود

هذا بعض من عدّ رويناه لمواطنينا الاعزّاء رغبةً منّا ان يذوقوا شيئًا من تلك الملذّات التي حظينا بها في تلك الرحلة التي لم يخطر على بالنا ان نتمتّع يومًا بمثلها في حياتنا

مطبوعات شرقية جديدة

XPYCOCTOMIKA : Studi e ricerche intorno a S. Giovanni Crisostomo a cura del Comitato per il XV centenario della sua morte (407-1907), *Roma*, *Pustet*, 1908. fasc. II et III, 245-1152.

ابحاث في سيرة واعمال القديس يوحنا فم الذهب بمناسبة يوبيله المئوي

هذان القسمان الاخيران من تلك الابحاث التي أجمع على نشرها اولئك العلماء الذين حضروا في عاصمة الكثلكة الاعياد الجليلة المقامة بمناسبة المئة الخامسة عشرة لوفاة القديس يوحنا فم الذهب وقد مرَّ لنا وصف قسمها الاول (اطلب المشرق ١١ : ١ و٨٧١). والقسم الثاني من تلك «الخرسوزتميات» مدار قطبه على ليتورجيَّة الذهبي الفم واصولها واتساع دائرتها والتغيرات التي طرأت عليها وترجمتها الى لغات شتى. وهذا القسم يبلغ وحده ٧٥٠ صفحة قد افتتحهُ حضرة الاب البندكتيّ دون بلاسيد دي ميستر (D. Placide de Meester) ببحث خطير عن اصول الليتورجيَّة المنسوبة الى يوحنا فم الذهب فتتبَّع احوالها منذ اول ما عُرفت في الكنيسة على عهد صاحبها الى ان بلغت في القرن الرابع عشر صورةً ثابتة بقيت عليها وذلك بعد ان تصرَّفت فيها الكنيسة البوزنطيَّة بعض التصرُّف كزيادة صلوات ورتب واستبدال بعض الاقسام بغيرها. وقد راجع المؤلف في بحثه هذا عدداً عديداً من المخطوطات القديمة المحتوية لتلك الليتورجيَّة ليقابل بينها ويتعقَّب اصلاحاتها. ويلي هذا البحث درسان الاوَّل للراهب المكيتاري حنَّا اوشر (G. Aucher) في الترجمة الارمنيَّة لليتورجيَّة القديس يوحنا فم الذهب وما بقي منها في الطقس الارمني. والثاني لحضرة الاب قسطنطين باشا في الترجمة العربيَّة لليتورجيَّة الحنَّاويَّة وقد اثبت هناك نسخةً وجدها في احد المخطوطات من القرن الثامن عشر كان نابلها الطيِّب الذكر افثيموس صيفي على نسخة خُطَّت في السنة ٦٧٦٩ للعالم اي ١٢٦١ للمسيح الا انَّ حضرة الاب يزعم انَّ اصل تلك الترجمة من القرن العاشر ولم يأتِ على ذلك ببرهان قاطع. وفي اثر هذين الدرسين مقالة حضرة الاب كيرلُّس شارون التي وصفنا محاسنها (في المشرق ١١ : ٩٥٥). وعقيب هذه المقالة اربعة ابحاث في ليتورجيَّة القديس في اللغات الرومانيَّة لاحد

اساتذة المدرسة الاكليريكيَّة في ترش الاب اونر (CH. Auner). ثم في علاقة الليتورجيَّة الخاوية مع الليتورجيَّة المنسوبة لنسطور والليتورجيَّة الشائعة في الكنائس السريانيَّة للاديب بشتارك (A. Baumstark) وهو بحث غاية في الافادة عقَّبهُ الابوان الكسيس بيتروفسكي (A. Petrowski) الروسي ويوسف بوتشيان (G. Bocian) الروثني بمقالتين في ترجمة طقس يوحنَّا فم الذهب الى اللغات الصقليَّة. وبهما ينتهي القسم الثاني. أمَّا القسم الثالث فيحتوي على ابحاث اخرى منها ميمر للقديس نشرهُ الخوري الفاضل الياس بطارخ من اساتذة مدرسة الآباء البيض في الصلاحيَّة ثم مقالتان حسنتان في تاريخ ذخائر القديس يوحنَّا والتصاوير التي تمثل سحنتهُ للاستاذ ڤوشر باكي (W. Becchi) والراهب الباسيلي انطون روكي (A. Rocchi) من رهبان غروتا فرَّاتا. فمن هذا النظر الاجماليّ يرى قرَّاؤنا ما يحتويهِ هذا المجموع من الآثار النفيسة فعساهُ ان يروج في كل جهات الشرق ليزيد بهِ اقبال مواطنينا على درس اعمال الذهبي الفم والتغني بامثالهِ الشريفة ل. ش

I KONVERSATIONS-LEXICON. 3te Aufl., 8 vols, gr. in-8, *Herder, Fribourg-en-Brisgau*, 1902-1907.

II WETZER UND WELTE'S KIRCHENLEXICON oder Encyklopaedie der Katholischen Theologie und ihrer Hilfswissenschaften, 2te *Aufl.*, 12 *vols gr. in-8, ibidem, plus un vol. de Tables ou Index.*

دائرتان علميَّتان كاثوليكيتان

انَّ اتساع العلوم وتقدمها في ايامنا يقضي باصطناع دوائر علميَّة لكل صنف منها ليسهل على الادباء والكتبة الرجوع اليها ولاسيما اذا صعب عليهم مراجعة الكتب العموميَّة وتآليف الخاصَّة. وقد سبق المشرق فعرَّف صدور بعض هذه المصنَّفات الجامعة وبيَّن فوائدها. ومما اتحفنا بهِ آخرًا محلّ هردر في مدينة فريبورغ من اعمال المانيَّة دائرتان للمعارف الكاثوليكيَّة سعى بنشرهما صاحب هذا المحلّ بمساعدة جلَّة العلماء الكاثوليك في المانيَّة. وقد راجت هاتان الدائرتان حتى بلغت الواحدة بعد زمن قليل طبعتها الثالثة والاخرى الطبعة الثانية وكلتاهما باللغة الالمانيَّة. اما الدائرة الاولى المدعوَّة (Konversations Lexicon) فجامعة العلوم والمعارف العموميَّة ولا تختصّ بعلم منفرد فهي كدائرة لاروس (Larousse) الشهيرة. وهذه الطبعة الثالثة منها قد استأنف اصحابها

كتابتها لتصحيحها وتحسينها حتى يجوز القول فيها أنها كتاب جديد موافق تماماً لاحوال المعارف وترقيها الحديث. ومن مزايا هذه الدائرة أنها تشمل كل المواد الكاثوليكية والعلوم الدينية فضلاً عن الدينية فتعرّفها بكل ضبط وتدقيق وفقاً لمعلومات اقتبسها الكتبة من مصادر ثقة. نعم انّ هذه الدائرة قد كُتبت خصوصاً لاهل المانية فتفيدهم قبل الكل عن الامور المنوطة ببلادهم الّا انها لا تقتصر على ذلك بل تمتدّ الى المعارف الشائعة في بقية البلاد حتى اقطارنا الشرقيّة. ومما يستحقّ الذكر في هذه الدائرة تراجم مشاهير الرجال القدماء والمحدثين فانها في الغالب تجمع باسطر قليلة لباب اعمال اصحابها. وتصفهم وصفاً صادقاً خالياً من كل غرض شخصيّ. ويزيد قيمة هذه الدائرة ما أُودع فيها من التصاوير والرسوم والخوارط لتعريف كل مادّة تقتضي تلك الصور والنقوش. ذلك الى هوادة سعر هذه الدائرة التي تبلغ نيفاً و ١٤,٠٠٠ عمود وتباع بمئة مرك فقط

اما الدائرة الثانية فدينيّة محضة جمع فيها مؤلفوها الكاثوليكيّون على طريقة المعجمات كل العلوم الدينيّة ولاسيما اللاهوتيّة وما يلحق بها من المعارف. وكانت الطبعة الاولى صدرت باسم العالمين ڤتسر (Wetzer) وڤالت (Welte) اما هذه الطبعة الثانية فقد أنست الطبعة الاولى بما اصابت من التحسينات في كل اقسامها بهمّة المستأنف لطبعها السيّد كولن (Mgr. Kaulen) الشهير بعلومه. وقد استدعى السيّد المومى اليه نخبة الكتبة الكاثوليك ليساعدوهُ في هذا العمل فاجاب الى دعوته ثلاثة كرادلة واثنان وعشرون اسقفاً وعدد وافر من كهنة ورهبان واساتذة الكليّات الالمانيّة فكتب كل منهم في هذه الدائرة فصلاً او فصولاً في العلوم التي اختصّوا بها من لاهوت او فلسفة او آداب او تاريخ ديني او مسائل اجتماعيّة. وفي آخر كل مادّة اسم كاتبها ليكون القارئ على بصيرة من علمه وتزيد ثقته بكلامه وقد بلغ عدد هؤلاء المصنّفين نحو الثمانة. فترى بذلك تضافر الالمان على تصنيف هذه الدائرة لتكون في ايدي الكاثوليك كسلحة يتّخذون منها بزّة جهادهم لمحاربة الكفر وردّ الاضاليل العصريّة وكمنهل صاف يستقون منهُ التعاليم الصادقة التي تسلّموها من اجدادهم وورثوها بسلسلة وثقى من الرسل الاطهار وأحبار الكنيسة والمجامع البيعيّة ومصنّفات الاباء. وكان بودّنا ان نأخذ بعض ابواب هذه الدائرة وننقلها الى العربيّة ليعرف الشرقيّون كم

نحن محتاجون الى دائرة علميّة في لغتنا العربيّة يقوم بتصنيفها كل علماء الشرق فيودعونها خلاصة المعارف الدينيّة لاسيما الشرقيّة فانّ مشروعاً كهذا يؤدي لاهل بلادنا خدماً لا تُقدَّر قيمتها. فانّ الدائرة البستانيّة لا تتعرّض الى الابحاث الدينيّة وربما دخل فيها مزاعم تحتاج الى اصلاح او تفنيد. وزد على ذلك ان هذه الدائرة الى الان لم تتمّ وعدّت اقسامها الاولى حتى لم تَعُد موافقة لتقدُّم العلوم والاكتشافات التي تجري يوماً بعد آخر. وفي الختام نتمنّى الدائرة الالمانية كل رواج ونهنئ محل هردر الذي انجز العمل على غاية ما كان يُرام من حُسن الطبع والاتقان

ر. س

I ETUDES DE LINGUISTIQUE. I, PHONÉTIQUE DES PARLERS de Chio par **H. Pernot**, avec 1 Carte et 85 fig., 1907. in-8°, pp. 571

II GIROLAMO GERMANO: GRAMMAIRE ET VOCABULAIRE DU GREC VULGAIRE publiée par le même d'après l'éd. de 1622. Thèse complémentaire, 1907. in-8°, pp. 320

النبرات الصوتية في لهجة اهل ساقس — اصول اللغة اليونانيّة الحديثة

المسيو برنو معلّم اللغة اليونانيّة الحديثة في مكتب اللغات الشرقيّة الحيّة في باريس فلم يكتفِ بشرح اصول تلك اللغة لتلامذته بل اراد ان يرسم لهم النبرات الصوتيّة التي اعتادها اليونان في كلامهم فعمد لهذه الغاية الى بعض الادوات الراسمة للصوت ولحركات الجهاز الحلقي كالفونغراف وغيره وجعل بازائها عدداً عديداً من اهل ساقس اخذهم بين الصبيان والشبّان والكهول والشيوخ والنساء فكانوا يتكلّمون بلغتهم عند فوهة تلك الادوات بحيث يرتسم صوتهم في دقته وضخامته وارتفاعه وامتداده وانتقل مدّة ثانية اشهر من بلدة الى بلدة لهذه الغاية حتى جمع من تلك النبرات ما مكّنهُ من درس احوال اصوات المتكلّمين ومن وضع قوانين مقرّرة في ذلك. وهذه الطريقة العلميّة هي احسن طريقة لضبط تلك الاصوات وتعريف خواصّها. فنهنئ الكاتب على تحقيق امانيه واثبات رأيه بالحجج الدامغة التي لا يمكن تفنيدها. وقد كتبنا للمؤلف رسالةً لنثني على عمله وبلّغناهُ بعض ملحوظات يمكنهُ الاستفادة منها لمعارضة لهجة ساقس مع لهجة بر الاناضول — وقد اضاف المسيو برنو الى تأليفه ملحقاً يزيدهُ حظوة في اعين العلماء وذلك انهُ وقف على كتاب ألّفهُ احد الاباء اليسوعيين في اصول اللغة اليونانيّة الحديثة ومعجم الفاظها وهو الاب جيرولامو جرمانو احد الرسلين الى ساقس في اوائل القرن السابع

(١٦٣٢ — ١٥٦٨) وعرف ما في تجديد طبعه من الفوائد بعد ان نفد طبعهُ منذ زمن طويل . فاعاد طبعهُ وحشاهُ بالملحوظات المفيدة . ومما نشكر عليهِ المسيو برنو اقرارهُ بانَّ هذا التأليف احسن واضبط ما وُضع سابقًا في اللغة اليونانيَّة الحديثة كما انَّهُ بيَّن ان بعضًا من كتبة عصرنا سرقوا من هذا الكتاب اشياء متعدّدة دون ان يعلنوا باسم الاب جرمانو وكتابهِ . فنكرّر شكرنا للمسيو برنو على هذه التحفة الجديدة التي خدم بها الدروس اليونانيَّة ل . ر

SYRISCHE RECHTSBUCHER herausgegeben und übersetzt von Eduard Sachau, II Bd. *Berlin, Reimer*, 1908, XXXIV-211

التآليف السريانيَّة في الحقوق الشرعيَّة

هذا جزء ثانٍ من سفر جليل سبق لنا وصفهُ قبل سنتين (المشرق ١٠ : ٥٧٠) . فقد بيَّنا اذ ذاك ما للكلدان والسريان من التآليف في الفرائض الشرعيَّة والحقوق الكنسيَّة التي كان معظمها مدفونًا في خزائن الكتب ريثما يخرجها من زواياها اصحاب الفضل وأولو البحث والتنقيب . وكأنَّ المستشرق الشهير ومستشار الدولة الالمانيَّة في عاصمة برلين الدكتور ادورد ساخو اوقف نفسهُ لهذه المهمَّة . وهذا القسم الثاني قد ضمَّنهُ ثلاثة تآليف خطيرة من اعمال بطاركة النساطرة في الحق القانوني كُتبت بين القرن السابع والتاسع للمسيح اوَّلها لحنانيشوع نحو السنة ٦٦٢ والثاني لطيموطاوس الكبير المتوفى سنة ٨٢٣ وآخرها ليشوع برنون خلف طيموطاوس . والتآليف الثلاثة منقولة عن مخطوطات سريانية قدَّمها للمتحف البريطاني في رومية الطيِّب الذكر السيِّد اقليمس داود وهي اليوم في الخزانة الواتيكانيَّة . والاوَّل منها يحتوي احكامًا شرعيَّة لحنانيشوع ارسلها الى اساقفة ورهبان وكهنة جوابًا على اسئلتهم او حكمًا فصلًا على مشكلاتهم وهي في ٢٥ بابًا . والثاني هو مجموع قوانين بيعيَّة عددها ٩٩ مدارها على الرسوم والفرائض النصرانيَّة كالزيجة والطلاق والوراثة وغير ذلك . امَّا الكتاب الثالث ففيهِ احكام ونواميس وقوانين يبلغ عددها ١٣٠ في الطقوس والرتب والفرائض الاهليَّة وغيرها . وكل هذه التآليف قد نشرها الدكتور ساخو باصلها الكلداني ونقلها الى الالمانيَّة واضاف اليها شروحًا وملحوظات متعدّدة وختمها بالفهارس المفيدة . فهذا الكتاب كما ترى من انفع الكتب لتعريف الاصول الشرعيَّة الجارية عند الشرقيين

وكثير منها صدى للشرائع البيعيَّة الموروثة من تعاليم الرسل والآباء الاولين قبل انفصال النساطرة عن الكنيسة الجامعة. فنحضّ محبي الآثار الشرقيَّة على اقتنائهِ ل.ش

BARON V. R. ROSEN Nekrolog sostawil N. Wieseloffsky, St *Pétersbourg*, 1908

ترجمة حياة البارون ف. ر. روزن

هما الجديدان لا يزال دولابهما دائرًا والمرء لا يشعر بدورانهِ الحثيث حتى يُخنى بهِ الدهر او يُصاب عزيز لهُ بسهم المنون. وها قد مضى نيف وسنة على وفاة المستشرق الروسي الشهير البارون ڤون روزن الذي سبق المشرق (١١ : ١٧١) فاثبت جملةً من حياتهِ. ولا يزال ذكر هذا العالم القدام مطبوعًا في قلب تلامذتهِ ورفقائهِ كأنَّ الأيام لم تزدهم الَّا اسفًا على فقدهِ. ومما يدلُّ على شدَّة تعلقهم بشخصهِ الكريم ما كتبهُ او خطب بهِ اكثرهم في مدحهِ وبيان فضلهِ حتى انهُ لو جُمع ما نشروهُ في ذلك لأَلَّف مجلدًا ضخمًا. وكفى برهانًا على علو مقامهِ في النفوس ما تُلي فيهِ من الخطب في جلسة خصوصيَّة عقدها القسم الشرقيّ من جمعيَّة الابحاث على الآثار القديمة في تشرين الثاني فاطنب الخطباء في محامد ذلك الرئيس الهمام والاستاذ الفاضل. ومما بلغنا من هذا القبيل ترجمة لحياة الفقيد الَّفها العلَّامة ڤيساوڤسكي الذي نيطت بهِ آخرًا رئاسة القسم الشرقي من الجمعيَّة المومأ اليها. وكان حضرة المؤلف صديقًا للبارون يعرفهُ منذ حداثة سنهِ فجاء كلامهُ ابلغ معنًى واوفى بالغرض المقصود فوصفهُ وصفًا يليق بفضلهِ ويثبت سامي مقامهِ بين العلماء المستشرقين. فنشكر لجناب الكاتب حسن مسعاهُ ونتمنَّى للمتخرجين على البارون ان يتتبَّعوا آثارهُ ويحيوا من بعدهِ معارفهُ. وقد قيل ان من خلَّف لم يمت

ا. كرتشقوفسكي

Romans de Guy d'Aveline: I VERS LA LUMIÈRE. II IMPÉRATRICE ET VESTALE. III CATHERINE D'ALEXANDRIE. IV ATTILA. V LE SECRET DE ROCAMADOUR, *Paris*, *Ch. Amat*.

روايات تاريخية لصاحبها غوي داڤلين

انَّ الروايات المختلفة تمتلكهُ غالبًا الخيلة وتهيج العواطف والاحساسات دون ان تخلف من فعلها اثرًا باقيًا. فعرض لبعض القصَّاصين أن يضمنوا تلك الروايات احداثًا

تاريخيّة تريد نفعها للقرّاء اذ تجمع الافادة واللذّة معاً . والروايات الخمس التي ترى هنا عنوانها وضعها بالفرنسويّة احد الكتبة المحدثين على هذا المنوال فانهـا تحتوي بعض الوقائع الصحيحة مفرغةً في قالب وهميّ . فمنها ما يصف احداثاً شرقيّة كالاوّل الذي مداره على اعمال السيّد المسيح وتعاليمه الالهيّة . والثالث يصف احوال الاسكندريّة واستشهاد القديسة كاترينا . ومنهـا ما يختصّ بأحداث جرت في الغرب كالثاني الذي يصف رومية في عهـد نيرون وظهور النصرانيّة فيها وكالحكايتين الأُخريَيْن عن اتيلا الفاتح وتدمر بلاد غاليا . فكل هذه الروايات مكتوبة بقلم سيّال تمتزج احوالهـا امتزاج الماء بالراح فلا يباشر القارئ مطالعتهـا حتى يرغب في مواصلة قراءته الى آخر الكتاب . فنحثّ محبي القصص ولاسيما الاحداث ان يقتنوها فانّها افضل من كثير من الحكايات التي يتداولهـا البعض وهي تصلح لأن تُعطى في المدارس كجوائز للاحداث وقد أثنى عليها ارباب الدين والادباء معاً ونال كاتبها بسببها امتيازات شرفيّة ل . ش

نبذة تاريخية

فيما جرى لطائفة الروم الكاثوليك منذ سنة ١٨٣٧ فما بعدها

بقلم السعيد الذكر بطريركها مكسيموس مظلوم

عُني بطبعها الخوري قسطنطين الباشا ب . م . (زحلة ١٩٠٩ ص ٢٥٧)

انّ المشروعات الخطيرة التي قام بها الطيّب الذكر السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم خدمةً لطائفته ليحلّ ربقتها ويحرّرها من عبوديّة المضايقين عليها لم تُنشر حتى اليوم تفاصيلها خوفاً من مراقبـة المطبوعات . وكان كثير من البراءات والصكوك والتقارير التي تتضمّن تلك الاخبار مطموراً في مكاتب الخاصّـة وكادت تأخذهُ يد الضياع . فقد حدا بحضرة الاب قسطنطين الباشا حبّـهُ لأمّته ان يبحث عن تلك الاوراق الثمينة حتى اسعدهُ الحظ على وجودها فجمعها ورتّبها ونشرها بنصوصها ليستطيع المؤرخون المدقّقون ان يقتبسوا من انوارها لكتابة تاريخ صادق لتلك الحوادث المنسيّة التي اولت السيّد البطريرك فخراً عظيماً وذكراً مخلّداً . وقد قدّم حضرة الاب على هذه الآثار مقدّمةً ذكر فيها بعض الامور العموميّة عن طائفة الروم الكاثوليك منهـا

اصل تسميتهم بالملكيين. وقولهُ في ذلك صواب الّا انّ استشهادهُ في ذيل الصفحة د « بمعاهدة عمر لصفرونيوس » ليس بمقنع اذ ينكر العلماء صحّة المعاهدة التي يتداولها اليوم بعض الناس. امّا المعاهدة الاصليّة فلا يُعرف لها أثر صحيح. وكذلك ادّعاؤهُ بانّ « لقب كاثوليك لها قديم قدم النصرانية » يحتاج الى ايضاح. فان لقب كاثوليك لم يُعطَ لكنيسة خصوصيّة بل هو سمة كنيسة المسيح في كل البلاد شرقاً وغرباً. فبقولهِ « لها » جعل احدى مميّزات الكنيسة العامّة كسمة كنيسة خاصّة. ثم انهُ من المعلوم انّ الروم الملكيين لم يُطلق عليهم اسم الكاثوليك قبل القرن الثامن عشر فعُرفوا بهِ تمييزاً لهم من غير الكاثوليك

لبنان والدستور العثماني

بحث سياسيّ قانوني تاريخي بقلم بولس مسعد

طُبع في مصر بمطبعة المعارف ١٩٠٩ (ص ٩٢)

بنسبة اعلان الدستور قد خطر على بال اللبنانيين ان يُولوا جباههم امتيازات ونعماً جديدة فكثر القال والقيل وربما خُدع بعضهم بظواهر الانقلاب الجديد فصرفوا بصرهم عما في ايديهم من الخير الثابت ليطلبوا خيراً موهوماً. على ان غيرهم من العقلاء تصدّوا لهؤلاء الجهال واوقفوهم عند حدّهم وردّوا على مزاعمهم الباطلة. ومن جملتهم جناب الاديب بولس افندي مسعد الذي صنّف هذا الكتاب وبحث فيهِ « بحثاً سياسياً قانونياً تاريخياً في موقف لبنان الحاضر ازاء الدولة العثمانيّة قبل الدستور وبعدهُ » فافتتحهُ بذكر جغرافيّة لبنان فبيّن موقعهُ وحدودهُ ومساحتهُ وسكّانهُ ثم عرّف تقاسيمهُ الادارية ونظامهُ وما منحتهُ الدول من الحقوق والامتيازات بعد حوادث السنة ١٨٦٠. ثم اخذ المؤلف ينتقد اقوال المائلين الى انتهاك حرمة هذا النظام والطالبين الانضمام الى الدولة فبيّن غلطهم وفنّد تعليلاتهم الواهنة مستنداً في قولهِ الى السياسيين الحنكين. وقد اعجبنا من اقوالهِ ما زيّف بهِ مزاعم المتحامين زوراً على الاكليرس مع ما اداهُ من الخدم العديدة للوطن واهلهِ مدّة قرون متواصلة. وخلاصة القول انّ كل هذه الفصول موزونة بميزان الفكر تستحقّ اعتبار أولي النظر والتعقّل وقد ألحق الكاتب هذا القسم بمختصر لتاريخ الجبل دعاهُ « صفحة من تاريخ لبنان » وعندنا انه كان الاولى بهِ لو

ضرب عن تلك الصفحة صفحاً لأنَّ فيها اموراً كثيرة لا تنطبق مع التاريخ الصحيح كاقواله عن اصل الفينيقيين وعن الردة والصليبيين والتتر والروم ولو اردنا ذكرها بالتفصيل لطال بنا الكلام ل. ش

الكلم المنظوم

قالهُ جميل صدقي الزهاوي

القسم الاوَّل. طُبع بالمطبعة الاهلية في بيروت (١٣٢٧ ص ١١٨)

يفتخر المسلمون في العراق برصافيهم وزهاويهم كما يتباهى المصريون بحافظهم وشوقيهم ورافعيهم واهل الشام بخيَّاطيهم وسلَّاميهم. ولكلٍّ هؤلاء الشعراء مآثر طيبة منها مجموعة ومنها متفرقة يتداولها الادباء ويتناشدها البلغاء. وقد انتهى الينا آخراً القسم الاوَّل من منظومات الشاعر العراقي العصري جميل صدقي الزهاوي الذي كانت تزدان بقصائده الجرائد المصريَّة وهو ينشرها غالباً فيها بامضاء مستعار. فعنَّ لناظم عقدها ان يجمعها في كتاب مستقل ليتسنى للادباء جني نَوْرها وتنشُّم ريَّاها وقد اثبتها صاحبها الفاضل كما حضرت لهُ دون ترتيب خاص في المعاني او القوافي فينتقل القارئ من وصف الى مديح الى رثاء الى حماسة الى غزل دون سأم او ملل كما يتحوَّل زائر حديقة غناء من زهر الى آخر ومن ثمرة طيبة الى اطيب منها. وكثير من هذه المنظومات قالها الشاعر الحرّ في أيام الاستبداد. فاشار بها الى سوء حال البلاد. وما يؤمله من اصلاح الفساد. فعسى ان تكون الاحوال الجديدة طبق امانيه بظل الرشاد ل. ش

هدايا أُرسلت الى ادارة المشرق

١ منشور غبطة السيِّد الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية. وسائر المشرق الى اكليروس الطائفة المارونية

٢ منشور رعائي لغبطة السيد بولس بطرس الثاني عشر بطريرك قيليقية وجثليق طائفة الارمن الكاثوليك

٣ رواية عودة قلب الاسد. تأليف القصَّاص الشهير والتر سكوت معرَّبة بقلم سليم افندي الخازن اللبناني نُشرت تباعاً في جريدة مرآة الحقّ في نيويورك (١٩٠٨ ص ٢٩٨)

٤ قانون اخويَّة الانفس المطهرَّة المارونية اللبنانية (مطبعة الاجتهاد ١٩٠٩ ص ٤٨)

٥ برنامج اخوية الانفس المطهرية المارونية لسنتها التاسعة عشرة (مطبعة التوفيق ١٩٠٩ ص ٢٥)

٦ فرض اخوية العذراء البريئة من دنس الخطية الاصلية . قطع صغير ص ٤٨ يباع في مكتبة المدارس لصاحبها يوسف افندي صفير

٧ فرض اخوية المحبة الصالحة للاب بيرون اليسوعي عرّبهُ عن الفرنسوية الخوري نقولا صفير قطع صغير ص ١٢٠ يباع في المكتبة عينها

٨ مناثر الطقسيات وضعهُ وعلّق حواشيهُ بعض آباء الرسالة اللبنانيّة المارونيّة . طبع في المطبعة الكاثوليكيّة (١٩٠٩ ص٢٧٢) وسنعود الى ذكره في عدد قادم

٩ تقرير على تاريخ الادبيّات العربيّة مقدَّم لصاحب الدولة الامير احمد فؤاد باشا رئيس مجلس الجامعة المصرية من صالح علي بصلحة الريّ بنظارة الاشغال العموميّة (١٣٢٧-١٩٠٩) بالعربية والفرنسويّة والانكليزية

شذرات

نفثات الاسحار في سيّدة أيّار — وردتنا هذه القصيدة من نظم حضرة المنسنيور بطرس حبيقة وعدد الجلّة على وشك تمامهِ فلم يسمح لنا ضيق المكان ان نذكر منها الّا بعض ابياتها . وهذا مطلعها :

أيا ايّار ما احلى سناكا ... وما احلى الطبيعة في حلاكا
نسيمك ينعش الارواحَ حتّى ... يُحدّثنا النسيمُ على صباكا
لنا فيك الحياة على رواء ... ولا خوى سواها في سواكا
فتربُك عنبرٌ وسماك درٌّ ... وماؤك كوثرٌ يروي ثراكا

الى ان قال :

عليك البكرُ قد خلعت وشاحاً ... بوشي الطهر يحتبك احتباكا
هي البكر التي لا عيب فيها ... يقصّر عن مداركها حياكا
وعذراء العذارى مَن يداها ... من الآثام مزّقتا الشباكا
وداست راس ابليس وسادت ... على قوّاتهِ حتّى تشاكى
الهي انت لم تخلق نظيراً ... لها بين الملائكة في سماكا

حتى ختمها بقولهِ :

لأنتِ ملاذ مبتئسٍ وعانٍ ... ونا عنكِ تطلّبُ انفكاكا
فكوني عوننا طرداً وعكساً ... لمختتم هنا حلوٍ هناكا

اسد لوسرن — قد ورد في المشرق (ص ١١٨) في سياحة سويسرة وصف هذا الاسد الذي يُعدّ من تحف المصنوعات . الّا ان الراوي لم يُصبْ في بيان

معناهُ فنبّهنا على ذلك احد الادباء وافادنا ان هذا الاسد المجروح لم يدلّ على سقوط آل بربون بل نحتهُ احد كبار المصورين ذكرًا لامانة الحرس السويسريّ الذي كان في خدمة الملك لويس السادس عشر فدافع هؤلاء الابطال عن البلاط الملكيّ وماتوا كرماء وهم يردُّون هجمة الثائرين الذين هجموا على قصر الملك وذلك في ١٠ آب سنة ١٧٩٢ واسماؤهم مرقومة على لوح من الرخام في مقام مجاور للكهف وبينهم احد الشرفاء من أسرة دي مَلْيَرْدوس الشهيرة في سويسرة. ودونك صورة الاسد:

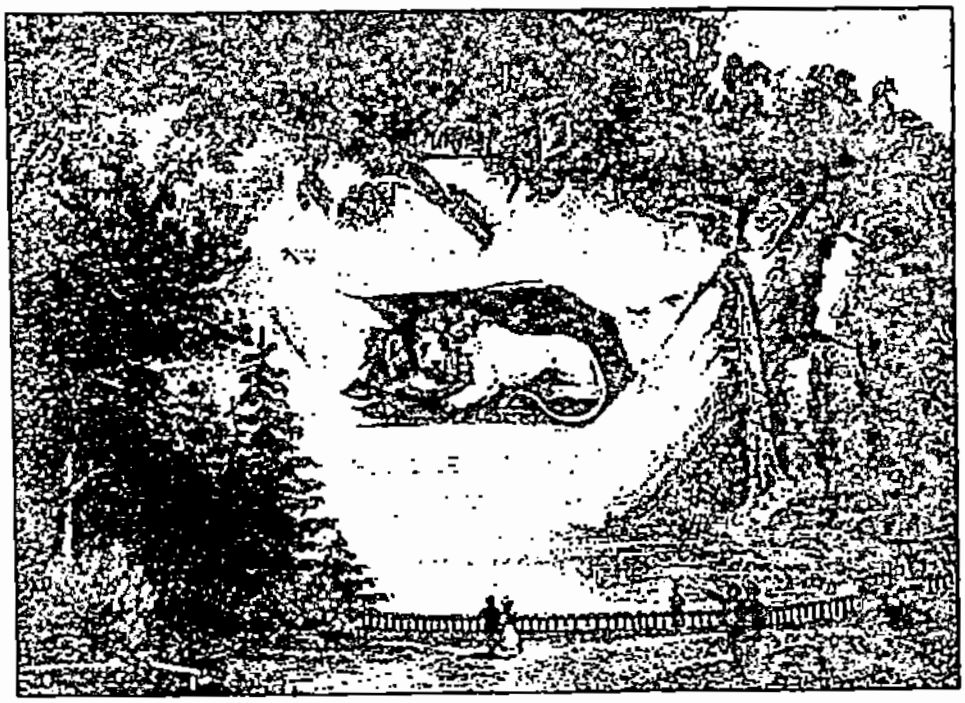

حرّية الاقلام من نظم مكاتبنا الاديب الشيخ احمد افندي تقي الدين المحامي القانونيّ:

قد آن للأقلام ان تتكلّما ... من بعد ما قطَرَ المدادُ بها دَما
وخلا مجالٌ للمقيَّد فاشتكى ... أوَ تعتبُ المظلومَ ان يتبسّما
حُبست ابيّات النفوس على ظما ... فرَغِبْن في الإصلاح نقمًا للظما
حتى مللنَ من القيود فجاءها ... حزبُ الإخاء بإخصّيه محطّما
فتجارتِ الصُّحف الاسيرة وانبرى ... قلمُ الاديب مكبِّرًا ومعظّما

وتفجّرت مدد النفوس كأنها بركانُ نارٍ باللهيب تظلّلا
واستقبل اقوم النيام فتاتهم في يقظةٍ ولكم غشتهم نوما
يُغضُون من حذر الهلاك على قذًى ان القذى في العين مجلبةُ العمى
كم اشعلوا قبساً بحالكة الدُّجى واضأهم ليلُ السياسة مظلما
حتى اذا جاد الالهُ بنظرةٍ بكرَ الفلاح مصلّياً ومسلما
هي نعمة نسج الاباء بُرودها فعلى الرعيّة أن تسوس الأنعما
هي مُزنةٌ من فضل دستورٍ همت فعلى الثرى شكرُ السحابِ اذا همى

*

عيد الحياة ألا فُديتَ بأنفُس احييتَها ومنعتَها ان تظلما
هلّا رأيت لغير شعبك مظهراً يحكي بهجته القيامة في السما
وسمعتَ في الآفاق صوتاً صارخاً الجيش قد أحيا الرعية بعد ما...
وشهدت في بيروت حاضرة النهى قسّاً يصافح بالمحبة مُسلما
ووعيتَ توقيعَ الاخاء مرجّعاً لحن التحالف والرقيّ مُرنّما
مات التعصّب في الضمائر بعد ما عاش الزمان بموتها متحكما
وقضى التحزّب بالحمول مكفناً وجزاؤه في مذهبي ان يُرجما

*

أبني اليراع ترفّقوا فمن الهوى ألّا تسدّد بالضلال الاسهما
ان الجرائد كالطبيب عدوّها داء النفوس وهمّها ان يُعدما
فعلى الداوي قبل اعطاء الدوا جسّ المريض وفحصُهُ مستفهما
ان البلاد كثيرةٌ امراضُها فعلى المؤاسي ان يداوي الأولى
فعلى الجرائد لن تكون حكيمةً تجتثّ من داء النفوس المولما
وعلى الرعيّة شكر حزب الاتحا د فانهُ أعلى السجين واكرما

وقال عن لسان لبنان يخاطب الحرية (من مقالة) :

كم انا مشتاق الى وصلكِ كم انا مهجور على هجركِ
تركتني الشقى بهول النوى فشاب رأسي من دجى صدّكِ
وعافني كل اديب سعى لوطن ساد به عرشكِ

ومضّني كل يراع نأى من شدة الضغط الى قربك
حتى قضى الله بان ترجعي بكل تكريم الى اهلك
فانت لي ان شئت ولكن انا بسندٍ سُجّل وقفاً لك

وقال يوم اعلان الدستور بديهاً في حفلة :

يا دولةً نشطت من ضعفها فغدت اعجوبة الناس من عُربٍ ومن عَجم
بالأمس قد دُفنت في رمس ظلمتها واليوم قد بُعثت من عالم العَدَم
فعززت مبدأ الدستور وانتصرت بالسيف والسيفُ لم يُخضب بلون دَم (١
فلتحي يا مجلس النوّاب منتصراً تعيد للشرق مجد السيف والقلم

❊ المعرض الوطني العثماني ❊ أرسلت الينا لائحة هذا المعرض الذي أُجل افتتاحهُ الى اوّل آب من السنة الجارية في مدينة زحلة « تحت رعاية واهتمام حضرة الوزير الخطير دولتلو يوسف باشا متصرف جبل لبنان » . واللائحة المذكورة تبيّن ما للمعارض في البلاد عموماً وفي الشام خصوصاً من الفوائد للمصالح الوطنيّة كتنشيط الصناعة وتوفير المصنوعات ورواج الاعمال التجاريّة وانشاء الشركات وفتح المعامل . ويلي ذلك بيان شروط المعرض الذي يقبل كل اصناف حاصلات ومصنوعات سوريا وحيواناتها الاهليّة مع افراز محلّ مخصوص للمصنوعات الاجنبيّة ايضاً . وللمعرض عمدة ولجان ووكلاء يُرجع اليهم في كل اشغال المعرض . فنتمنى لهذا المشروع كل نجاح باتفاق كل الطوائف في حسن ترتيبهِ وتنظيم اشغالهِ ولمجازاة الذين استحقّوا الجوائز من العارضين الى غير ذلك من الاصول المرعيّة في مثل هذه الاسواق الكبيرة في البلاد المتمدنة

❊ رسالة مبعوثة من عند الله ❊ هي رسالة طُبعت في بيروت في ٢٧ ك ٢ من السنة الجارية يدّعي كاتبها انها انحدرت من السماء على البطريرك اثناسيوس في القدس الشريف فيها اصناف المواعيد لمن يكرّمون يوم الاحد ويقومون بوصيّة الكنيسة بتقديس ذلك النهار . كما انها تحتوي ضروب الوعيد والتهديد بالعقوبات على من يهمل تلك الوصيّة . وقد سبق لنا في المشرق (١ : ٣٣١) ذكر كتاب نشرهُ المستشرق الالماني الدكتور بيتنر (M. Bittner) في هذا الصدد وبيّنا هناك انّ هذه الرسالة موضوعة لا صحّة لها . فحذار من خداع المدلّسين

(١ على انّ الامور الاخيرة لم تَعُد تسمح لنا بذكر دستور لم يسقِ دم الابرار (المشرق)

الاب لافون الفلكي البلجكي ذكرنا سابقاً وفاة الاب اليسوعي لافون في كاكوتا واثبتنا كلام المقتطف في الثناء عليهِ وبلغنا ان احد المبعوثين في دار ندوة العموم في لندن قد لهج بثنائهِ فذكرهُ كمثال العلم وقدوة الفضل في الهند بما ادّاهُ هناك من الخدم للعلوم الفلكيَّة وما نشرهُ من المصنَّفات الجليلة في ذلك

فائدة طوابع البريد منذ ست عشرة سنة اجتمع بعض الكاثوليك في لياج من اعمال بلجكة فاخذوا يجمعون الطوابع العتيقة فيبيعونها للراغبين فيها وقد خصّوا ريعها بالمشروعات الخيريَّة والرسالات الاجنبيَّة. ومجموع ما ربحوا بذلك يبلغ اليوم ١٥٠,٠٠٠ فرنك

أسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد عن مثل سمعهُ في العراق هذا منطوقهُ: «مطرة في نيسان خير من الفي سان» فطلب ما معنى السان

ج المراد بالمثل انَّ المطر الواقع في نيسان اصلح للارض وازكى للنبات من الفي سانٍ وسانٍ اسم الفاعل من سنا الجملُ يسنو او سنت السانية وهي الناقة يُستقى عليها من البئر. اي مطر نيسان انفع للنبات من الفي دابَّة سانية تنقل الماء من الآبار. والسانية ايضاً الدلو مع ادواتها

س سألنا احد المهاجرين الى الترنسفال أيجوز للشرقي الكاثوليكي ان يتمم واجباتهِ الدينيَّة في غير طقسهِ اذا وُجد كاهن من طقسهِ في البلاد التي هاجر اليها

اتمام الشرقيين لواجباتهم الدينيَّة في البلاد الاجنبيَّة

ج انَّ الشرقيين اذا وُجدوا في بلاد اجنبيَّة كافريقية واميركة وكان ثمَّ كاهن شرقي مُرسَل من رؤسائهِ الشرعيين وصرَّفهُ اسقف البلد الذي هو فيهِ كانت حقوقهُ في توزيع الاسرار بالنسبة الى ابناء طقسهِ كحقوق الكهنة الغربيين من رُعاة البلد. فالامر اذن منوط بارادة اسقف المحلّ الذي يخضع لهُ اولئك الكهنة الشرقيُّون. وعليهِ يجب على الشرقيين ان يتمموا عندهُ الواجبات الدينيَّة المختصَّة بالرعاة اعني العماد والزواج والمناولة الفصحية والاسرار الاخيرة. امَّا حضور القدَّاس أيام الاحاد والاعياد والمناولات التقويَّة فللمؤمن الشرقي في ذلك ما للغربي من الاجازات وحقوق التصرُّف في كنيستهِ او غيرها كما يشاء.

ل. ش

المشرق

مشروب البيرة او الجعة

نظر تاريخي وصناعي للاب شرل شونجانس اليسوعي

(المشرق) انَّ كاتب هذه المقالة بلجكيّ الاصل كان قبل انضمامهِ الى الرهبانيَّة اليسوعية استاذاً في مدرسة صناعية حيث كان يُخرّج الشبّان في اصول الصنائع الشائعة في انحاء اوربَّة ليستلموا ادارتها و يناظروا اشغالها. وقد كتب حضرتهُ مقالات شائقة في هذه المصنوعات فاحبَّ ان يحرّر هذه النبذة لقرّاء المشرق في اوَّل الصيف لتعميم منافع هذا الشراب في البلاد الحارَّة. فنشكر لهُ لطفهُ

البيرة مشروب يُستخرج من الشعير. وقد استحضرهُ البعض بمعالجة الهُرطمان او الشوفان. وكثيرون من اهل آسية وافريقية قد اتخذوهُ من الأرُزّ

قد زعم قومٌ انَّ مخترع البيرة الملك المصري اوزيريس احد آلهة ارض النيل وذلك نحو الفي سنة قبل المسيح. ومما لا يُنكر ان قدماء المصريين عرفوا هذا المشروب كما لم يجهلهُ قدماء الجرمانيين والكلتيين. على انَّ معاقري البيرة يفضّلون اكرام الملك كنبرينوس (Gambrinus) الذي زعم اصحاب الاساطير انهُ كان مالكاً على قطري فلندرة والبرابنت من اعمال بلجكة. ولا يزال البلجيكيون حتى يومنا يجلُّون هذا الملك ويخضعون لسلطتهِ بكثرة ادمانهم على البيرة التي جعلوها من مميّزاتهِ

وكان للعرب معرفة بالبيرة فأتخذوا من الشعير نبيذاً دعوهُ بالجعة. قال صاحب تاج العروس (١٠ : ٧٤): «الجعة كهيئة نبيذ الشعير عن ابي عُبيد. وقال غيرهُ: شراب يُتّخذ من الشعير والحنطة حتى يُسكر سُميت لكونها تجمع الناس على شربها. ومنهُ الحديث: نهى عن الجعة». وكذلك تعلَّم العرب من اليونان تركيب القفّاع وهو شراب الشعير كانوا يعدُّونهُ على ضروب مختلفة فيخلطون ماء دقيق الشعير المُنبت بالافاويه

والنعناع والسذاب وورق الاترج والفلفل والعسل وغير ذلك كما ترى في مفردات ابن البيطار (٣: ١٦٤—١٦٥). وتعلّموا منهم المِزْر وهو شراب مسكر اتّخذوه من الشعير والحنطة والذرة والجاورس المنبتة (ابن البيطار ٤: ١٥٥). وكان اطبّاء العرب يعالجون بشراب الشعير بعض الادواء ولاسيما ازالة العطش وحرقة المعدة. قال ابن البيطار (٣: ٦٣): «اذا خلط خمير الشعير الظاهر الحموضة في اللبن الحامض وتُرك فيه ليلةً وشُرب كما هو قطع عطش الحمّيات وسكّن لهيب المعدة ونفع من القيء الصفراوي والاسهال العارض من الصفراء»

على انّ تلك الاشربة لم تشبه البيرة الحاليّة الّا شبهاً بعيداً كما يظهر من اوصاف القدماء لتركيبها ولطريقة استحضارها. ولا غرو ان طعمها كان حريفاً حامزاً ذا عفوصة وحرافة وكان لونها كدراً قاتماً فزجوها ببعض المركّبات العطريّة ليحلو طعمها وبقيت البيرة على تلك الحالة الى نحو القرن الحادي عشر فأدخلوا في تركيبها حشيشة الدينار وزهرها فاضحت بذلك من المشروبات الطيّبة البرّدة اللذيذة فاقبل عليها الناس لاسيما الشعوب الساكنة في شمالي اوربّة واوساطها حتى غلب عندهم استعمالها على استعمال الخمور

واتّخذوا لاصطناع البيرة حوانيت خصوصيّة ومصانع جهّزوها بالآنية والادوات اللائقة بها. وكان الرهبان ممّن يشتغلون بصنعها ويستأجرون العمّال لتلك الغاية. وقد جاء في صكوك بعض الشيوخ والامراء في القرون الوسطى انّ الدير الفلاني يؤدّي لهم في السنة اكيالاً ومعايير معلومة من البيرة

وفي ذلك الوقت اخذ البعض يتأنّقون ويتسابقون في اصطناع اجناس البيرة فكلّ يجتهد في تحسين اصنافها واتقان تركيبها واليوم صار التقدّم في استحضار البيرة لدولة المانية ثم لانكلترة وللنمسة فيبيعونها لاهل بلادهم ويصدرون منها الى البلاد الاجنبيّة كميّات وافرة. ويجري في أثر تلك الممالك بلجكة ثم هولندة ثم فرنسة لكنّ هذه البلاد الاخيرة لا تتاجر بها في الخارج وانّما تكتفي بقطوعية اهلها

استحضار البيرة

تُعرف طريقة اصطناع البيرة بوصف المواد الداخلة في تركيبها وهي ثلاثة: الشعير ثم حشيشة الدينار ثم الخُمرة

يؤخذ (الشعير) يابساً فيمدّونهُ على الحضيض الرطب طبقةً متساوية لا يزيد سمكها على بعض سنتمترات وربّما بسطوا الشعير على مشبكات مثقوبة اثقاباً دقيقة. ومن الواجب ان يبقى المكان في رطوبةٍ وتكون حرارتهُ معتدلة. فبعد يومين او ثلاثة أيام ترى الشعير يذرُّ نابتاً ويلوح عليهِ بياض التفريخ فذلك اصلهُ ينمو شيئاً فشيئاً ويتفرّع وفي الوقت عينهِ تنتفخ حبّة الشعير

واذا مرَّ على الحبوب تسعة او عشرة أيام بلغ الحبُّ كمالهُ من النشوء. وان سألت ماذا جرى من التغير في حالة الحبوب أجبنا انَّ الشعير كبقية الحبوب مشتمل على دقيق او نشأ فهذا النشأ يتحوّل بدافع الرطوبة والحرارة الى سكّر فيصبح قابلاً للتحليل في الماء بعد ان كان الماء لا يقوى على تحليلهِ. ولو تُرك الشعير بعد استنباتهِ لامتدّت فروعهُ واورقت وطالت جذورهُ بامتصاص ذلك السكّر لكنَّ هذا السكّر هو الذي يدخل في تركيب البيرة فلا بُدَّ اذن من ايقاف نموّ الجذور. وذلك بان يميتوا جرثومة الحبّ وتموت الجرثومة بنموّ درجة الحرارة الى حدّ معلوم

فاذا عُدمت الجرثومة عمدوا الى الشعير في تلك الحالة فتركوهُ ودعكوهُ الى ان تزول عنهُ تلك الجذور الناعمة التي نبتت عليهِ فتُجمع ويتخذوها كسماد للاراضي فتخصبها بما فيها من عنصر الازوت. امّا الشعير الباقي فاذا لاحظتهُ من الخارج لا يفرقهُ شيءٌ عن الشعير العادي لكنَّ داخلهُ مختلف جدًّا عن ذاك فترى لبَّهُ صلباً حلو الطعم بسكّره وهم يدعونهُ لباباً سكّريًّا (malt) وصار كثيرون يفرزون هذه الصنعة عن صنعة استحضار البيرة فيقصرون شغلهم على استنبات الشعير وتهيئتهِ وقد اضحت هذه صناعةً مستقلة يدعونها (malterie)

ثم يأخذون الشعير بعد تنظيفهِ كما سبق فيسحقونهُ تحت حجارة الرحى او يلقونهُ في ارحية صناعية تدور على هيئات شتى. فاذا انتهوا سحقهُ وضعوهُ في مراجل كبيرة من النحاس او براميل خشب وينقعونهُ بالماء الحارّ. ثم يحرّكون ذلك السويق حركة متوالية يدعونها عركًا (brasserie) وهي ايضاً صناعة قائمة بذاتها يتعاطاها كثير من العمّال. وهم يواصلون الشغل الى ان يتحلّل في الماء كميّة من السكّر كافية لتهيئة البيرة المطلوبة. ومن بعد ذلك يُصفّون المائع فيجري من المصفاة الماء الممزوج بالسكّر او العصير (moût) امّا الدقائق المادّية الباقية فيهِ كغلاف الشعير وما اشبه فانها تحجز بالمصفاة

ثم يعمدون الى حشيشة الدينار (houblon) . فلهذا النبات زهرةٌ وعلى كل ورقةٍ من نورها لقاح اصفر ناعم تراهُ العين المجرَّدة وفي هذا اللقاح مادّة غضة حادّة تعطي البيرة ذوقها الخاصّ. وقد سعى بعض ارباب الصنائع ان يستعيضوا عن هذه المادّة بمركّبات اخرى اتخذوها في المختبرات الكيموية لكنّ اختباراتهم لم تأتِ حتى الآن بالنتائج المرغوبة ويفضّل الشاربون البيرةَ المصطنعة بحشيشة الدينار فان طعمها ألذّ واطيب . الّا ان المدلّسين وجدوا في اتخاذ تلك المركّبات ربحًا فيدسّونها بالخفية بدلًا من النبات المذكور

حشيشة الدينار

واذا جُعل لقاح الدينار في العصير السكّري أغلوهُ حتى يمتزج باللقاح امتزاجًا تامًا ثم ينظفونهُ وينزعونهُ وربّما بقي منهُ بعض الآثار في البراميل والقناني ولكن لا باس منهُ ولعلَّ الشَّرب يُسرُّون بذلك فيجدون فيهِ دلالةً واضحة على ان المشروب محضٌ لا غشَّ فيهِ

فاذا صُفّي العصير من نقاية حشيشتهِ أبرزوهُ في اوعية واسعة مسطّحة حيث تبرد حرارتهُ

لكنَّ المشروب لم يبلغ بعد كمالهُ واذا شربهُ احد حينئذٍ وجدهُ قليل الطعم تافهًا ليس فيهِ شيءٌ من سورة المسكرات والاشربة الروحيّة . فلا بدَّ لهُ من الاختمار لينال نصيبهُ من الكحول . اما اختماره فيتمُّ على هذه الصورة يصبُّون في عصير الشعير شيئًا من رغوة البيرة التي تطفو على وجهها عند اختمارها فهذه الرغوة بمثابة الخميرة في العجين وهي في الاصل نوعٌ من الفطر يُدعى بلغة العلم (saccharomyces cerevisiae) ولها خاصّة عجيبة وهي ان تعمل في المواد السكّرية فتحالها الى مادّتين الى كحول والى غاز كربونيك يدعونهُ (autoydride carbonique) فهذا الغاز يتطاير في الهواء ويمكن جمعهُ في قناطر على صورة مانع سيّال . امّا الكحول فيبقى في العصير الموصوف سابقًا ويجعلهُ مشروبًا حلوًا ومسكرًا ممزوجًا بحشيشة الدينار

امّا نسبة الكحول الى بقيّة العصير فتختلف على قدر كميّة ذلك المشروب وبنسبة الزمن المختصّ باختماره . والاختمار اذا ابتدأ في العصير اضطرب لهُ وجه الشراب وتحرّك وظهرت عليهِ الفقاقيع والنفّاخات وازبد زبدة كثيفة بيضاء تضرب الى السمرة . ولهذا

الخمير فملان فانهُ يحلّل السكّر كما سبق وهو يتغذى بمواد العصير حتى انّ حجمهُ في اخر الاختمار يبلغ خمسة عشر ضعفاً حجمهُ في اوّلهِ .

واذا انتهى الاختمار جرّدوا عن وجه العصير رغوتهُ وتلك الرغوة تُضغط وتُحفظ وبها تُختمر البيرة عند الحاجة وتُتّخذ هذه الخُمرة لاختمار العجين فيشتريها الخبّازون لعمل الخبز. أمّا البيرة فتصلح بعد ذلك للشرب فاذا اراد اصحابها ان يعتقوها جعلوها في اخراس واسعة او دنان ضخمة وان شاؤوا بيعها سريعاً جعلوها في اوعية خاصّة ويستعملون لذلك المضخّات ويرسلونها لزبائنهم .

ونقل البيرة الى مسافات بعيدة يقتضي اهتماماً وعناية لئلّا يفسد شرابها ويختلّ . فتلافياً لذلك قد اصطنعوا قطراً كقطر السكك الحديديّة الّا انّها اكبر واوسع فيدهنونها بدهون ابيض ويحافظون على برودتها بحيث لا تتغيّر درجة حرارتها طول زمن نقلها . وبعض التجار لاسيما الانكليز يرسلون البيرة في القناني وعندهم صناعة خاصة لتجهيز البيرة على هذا المنوال . ولهم في فصل الصيف قطر غيرها يدعونها بالصهاريج تكون جوانبها مضاعفة فيجعلون في تضاعيفها جليداً يقيها من حرارة الجوّ

تجارة البيرة

تبلغ كميّة البيرة المصنوعة في انحاء المعمور نحو ٢٦٥,٠٠٠,٠٠٠ هكتوليتر يستحضر منها الاميركيّون في الولايات المتحدة ٧٤ مليوناً ولهم السبق في تجارتها ثم تصطنع المانية ٦٨ مليوناً يليها انكلترة ٥٨ مليوناً ثم النمسة ١١ مليوناً وبلجكة ١٤ مليوناً امّا فرنسة فلا تتجاوز كميّة مصنوعها ١١ مليوناً

وهذه الارقام تزيد خطراً وبلاغةً اذا قابلتَ بين البيرة والخمر وما يُصطنع منها في المسكونة فانّ كميّة الخمر تكاد تبلغ ١٧٠,٠٠٠,٠٠٠ هيكتوليتر يصدر منها الفرنسويون ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ يُضاف اليها مصنوع الجزائر ٥,٠٠٠,٠٠٠ ثم الايطاليون ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ ثم الاسبانيّون ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ثم النمسويّون ٨,٠٠٠,٠٠٠ واخيراً البرتغاليّون ٤,٠٠٠,٠٠٠ وقد درّجنا ذلك في الجدول الآتي :

البيرة في العالم

البلاد	صادراتها بالهكتوليتر
اميركا (الولايات المتحدة)	٧٤,٠٠٠,٠٠٠
المانية	٦٨,٠٠٠,٠٠٠
انكلترة	٥٨,٠٠٠,٠٠٠
النمسة مع المجر	١٩,٠٠٠,٠٠٠
بلجكة	١٤,٠٠٠,٠٠٠
فرنسة	١١,٠٠٠,٠٠٠
ايطالية	—
اسبانية	—
البرتغال	—
بقيّة البلاد	٢١,٠٠٠,٠٠٠
المجموع لكل العالم	٢٦٥,٠٠٠,٠٠٠

الخمر في العالم

البلاد	صادراتها بالهيكتوليتر
«	—
«	—
«	—
«	٨,٠٠٠,٠٠٠
«	—
« مع الجزائر	٦٥,٠٠٠,٠٠٠
«	٤٢,٠٠٠,٠٠٠
«	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
«	٤,٠٠٠,٠٠٠
«	٣٠,٠٠٠,٠٠٠
المجموع	١٧٠,٠٠٠,٠٠٠

فيتّضح من هذا الجدول انّ البلاد التي تصطنع البيرة لا تكاد تشتغل بالخمر والعكس بالعكس الّا فرنسة والنمسة . امّا اذا اعتبرنا مقطوعيّة السكّان لشرب البيرة كان التقدّم لبلجكة فانّ هذه الدولة مع كثرة معاملها تستجلب كميّات عظيمة من البيرة والخمور الاجنبيّة . وفي بلجكة وحدها كان يبلغ سنة ١٩٠٧ عدد مصانع البيرة ٣٣٧٥ معملاً . امّا انكلترّة فمع سعتها لم يتجاوز عدد مصانعها ١١٣٥ لكنّها كبيرة

وان عدنا بالنظر الى السنة ١٨٩٠ ورأينا ما نالت البيرة من الترقي والاقبال وجدنا انّ محصولات العالم كانت وقتئذٍ لا تتجاوز ١٧٠ مليون هكتوليتر وكانت انكلترّة تفوق على سواها باصطناعها فاصطنعت ٤٥,٠٠٠,٠٠٠ هـ . وكانت في اثرها المانية ٤٢,٠٠٠,٠٠٠ ثم الولايات المتحدة ٢٢,٥٠٠,٠٠٠ ثم النمسة ١٢,٠٠٠,٠٠٠ ثم بلجكة ٩,٠٠٠,٠٠٠ ثم فرنسة ٨,٠٠٠,٠٠٠

امّا اصناف البيرة من حيث حسنها وجودتها فيصعب بيان تنسيقها كما تصعب المقابلة بين اصناف الخمور . اذ انّ لكل شارب ذوقاً ويعتبر هذا في المشروب ما لا يعيره الآخر بالًا . وما يقال بالاجمال انّ البيرة التي يصدر منها كميّات وافرة للمتاجرة انّما هي اوّلاً البيرة الالمانيّة ثم الانكليزيّة وفي ذلك دليل على شهرتها وارتياح الناس

الى شربهما . امّا اذا لحظت الوان البيرة فمنها القاتمة السمرة واشهرها البيرة الانكليزية المدعوة ستاوت (stout) وبيرة مونيخ الالمانية من اجود المشروبات وارواها للغليل . ومنها البيرة الصهباء الشائعة في بعض الاقطار كالصنف المعروف في انكلترة بپال ايل (pale ale) والصنف النمسويّ المسمّى پلسن (Pilsen) وبيرة قطر باقسارة المسمّى بوك (Bock)

وللبيرة تقسيم آخر فمنها ما اختُمر بدرجة راقية من الحرارة اعني فوق الدرجة السابعة من المقياس المئوي ومنها ما اختمر في درجة من الحرارة دون ذلك

امّا اشهر ما في اوربة من معامل البيرة فمعمل غينس (Guinness) في دوبلين حاضرة ارلندة وفيها يُستحضر صنف الستاوت المذكور آنفاً . اما البيرة الصهباء فيصطنعها محل بَبس (Babs) ومحل السوپ (Alsopp) في انكلترة . وكذلك في المانية اشتهرت معامل مونيخ ولوئنبرو (Loewenbrau) ودرتمند (Dortmund) وهامبرجا ويصطنع اصحاب بعض الحلات اصنافاً أُخرى من البيرة لم تشع الّا في دائرة خاصة من البلاد كنوع يدعوهُ البلجيكيُّون فارو (faro) يشربون منهُ كميّات عظيمة

امّا بلاد الشرق فانّ البيرة لم تنتشر فيه حتى الآن انتشاراً واسعاً مع انّ هذا المشروب أولى من سواهُ لتخميد العطش لا يُعرّض كثيراً صاحبهُ الى السكر كالعرق والنبيذ ما لم يُكثر من شربه . ولعلّ السبب في تأخير الشرقيين عن استعمال البيرة غلاء أسعارها وقلّة ما يرسل منها الى جهاتهم ولو قصد الشرقيُّون لأمكنهم ان يصطنعوا البيرة في بلادهم فانّ جهات كثيرة تصلح لبناء معامل لهذا الشراب ويمكن توفير نبات الدينار في انحاء شتى . فلا نراه انّهم يحصلون من هذه التجارة الارباح الطائلة . وللسوريين اسوةٌ في اهل مصر فانّ هؤلاء منذ نحو عشرين سنة اخذوا يتعاطون صناعة البيرة فنجحوا في صنعها تماماً وهم اليوم يصنعون منها كميّات غزيرة يصرّفونها في كل جهات القطر المصري .

مطارنة بعلبك

لحضرة الخوري قسطنطين الباشا ب.م.

تمهيد

مدينة بعلبك من اشهر مدن سوريا وأجلها آثاراً وافخمها بناء واجملها منظراً واهمها تاريخاً وقد عُني بجمع اخبارها جناب اللاذعي رفعتلو ميخائيل افندي الوف ضمّنها نتيجة اكتشاف البعثة العلمية الالمانية التي كان مساعداً لها ومراقباً لاعمالها (١. وكتابهُ هذا قد نُقل الى لغات شتّى وكُررت مراراً طبعتهُ واذ كان لا بُدّ من اعادة طبعهِ لفوائدهِ رأيت ان اثبت بعض حلقات من سلسلة مطارنة هذه المدينة مما وقع لي الوقوف عليهِ ليضمّها الى كتابهِ اتماماً للفائدة

انّ النصرانيّة (* وجدت مقاومةً عظيمة لما اراد دُعاتها الدخول في بعلبك فانّ الوثنيّة كانت اتخذت تلك المدينة كمعقلها الحصين فجمعت الابالسة كل قواها لمناصبة الدين الحق ولذلك لا نجد من آثار الدين المستقيم الّا النزر القليل الى اوائل القرن الرابع. فمن ذلك ما ورد ذكرهُ في الميناون اليوناني عن استشهاد القديسة اوذكسيا البعلبكيّة على عهد طريانوس الملك في اوائل القرن الثاني لكنّ اعمال تلك الشهيدة مشبوهة يشكّ العلماء في صحتها. واصحُّ منها ما روي في التاريخ الفصحي (Chronicon Paschale) عن القديس جيلازيوس الشهيد الذي استشهد على عهد ديوقلطيانوس الملك في السنة الثالثة عشرة من ملكهِ (٢

ومن الآثار الموثوق بها ما ورد في ترجمة قسطنطين (ك٣ ف ٥٨) لاوسابيوس

*) قد اضفنا هذا الفصل الى نبذة حضرة الاب قسطنطين كتمهيد لمقالتهِ عن مطارنتها (المشرق)

١) اطلب في المشرق (٧: ١٧ و١٥٥) مقالتهُ التي عنوانها « قلعة بعلبك وحفريّات الالمان فيها ». ومن آثار غيرتهِ دار للماديّات انشأها في نفس قلعة بعلبك جمع فيها ما وصلت اليهِ يدهُ من مآثر بعلبك ونواحيها

٢) اطلب اعمال آباء اليونان (Migne PP. Gr., t. XCII)

القيصري حيث روى انَّ قسطنطين الكبير انشأ في بعلبك كنيسة ملكيَّة وجعل لها كهنةً وراعياً لتثبت بازاء الشرك عبادة الاله الحقيقي. والظاهر ان الدين النصراني لم ينل نجاحاً كبيراً لمماكسة سدنة الهياكل البعلبكيَّة المخصَّصة لاكرام الشمس والمشتري والزُهرة. فلمَّا صار الملك الى يليانوس الجاحد أثار كهنة الاوثان باغرائهِ الفتن على النصارى واذاقوهم مرَّ النكال كما روى المؤرخ سوزومان في تاريخهِ (ك ٥ ف ١٠ وك ٧ ف ١٧). وبقي الامر على ذلك في ايام والنس الملك الذي نفى الى بعلبك الاساقفة الذين لم يوافقوهُ على بدعتهِ الاريوسيَّة. قال تاودوريطوس في تاريخهِ (ك ٤ ف ٢٢): ان الملك انما فعل ذلك لانَّ مدينة بعلبك كانت عريقة في الوثنية وكل اهلها شديدو التعصُّب لآلهتهم الباطلة. الَّا ان تاودوسيوس خلف والنس بعد ان اعاد السلام للكنيسة وتعقَّب آثار الوثنية وعارض فظائعها وارجاسها وكانت بعلبك في مقدَّمة المدن المدافعة عن الاصنام فلم يزل الملك يتشدَّد على اصحابها حتى اضمحلَّت بقاياها وخربت هياكلها او خُصَّت بالدين المسيحي (١

اما كرسي بعلبك فكان كرسيًّا اسقفيًّا منوطاً بكرسي دمشق حيث كان يجلس رئيس الاساقفة ولهُ يخضع اساقفة فينيقية الثانية كحمص وتدمر وبيروت. ثم صار بتمادي الاجيال بعض تغيير في رتب الكراسي الاسقفيَّة كما سبق وبيَّن ذلك حضرة الاب شارون في المشرق (١: ٣٠٦ — ٣٠٩) فصار صاحب كرسي بعلبك مطرانًا كما يظهر من بعض الآثار القديمة (٢. فمن ذلك انَّ عبد الله بن الفضل الانطاكي في القرن الحادي عشر جعل في كتابهِ تختيكون البطركيَّة الانطاكيَّة (٣ صاحب كرسي بعلبك السادس من المطارنة الصناقلة (٤ الذين هم جناح البطريرك. ومن امتيازاتهِ في التشريفات البطركيَّة تقديم الكأس. ودونك اسماء الاساقفة البعلبكيين الذين عثرنا على اسمائهم

١ (تاوضوطوس) هو اول اسقف ورد اسمهُ في الآثار الكنسيَّة. فقد قيل في اعمال القديسة الشهيدة افذكسيا التي مرَّ ذكرها ان الاسقف تاوضوطوس هو الذي نصَّرها وعمَّدها وذلك في عهد طريانوس وقد سبق انَّ هذه الاعمال ليست مثبوتة

١) اطلب الشرق المسيحي للوكيان (Lequien: *Orient Christianus*, II,842, 843)
٢) مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, X: 90-91)
٣) المشرق (٩: ١٥١)
٤) من اللفظة اليونانية (σύγκελλος) التي معناها اصحاب المشورة والندرة والمعاونون للبطريرك

٢ (ك . . .) قالوا ان اوسابيوس القيصري في سيرة قسطنطين الكبير اثنى على هذا الملك لتشييده كنيسة عظيمة في بعلبك وروى انهُ رتّب لها خدمةً يخدمونها واسقفاً يدبرها. على ان هذا المؤرخ المدقق لم يصرّح باسم المذكور

٣ (ديون) روى البطريرك مكاريوس الحلبي في جداول الاساقفة الذين حضروا المجامع المسكونيّة من البطركية الانطاكيّة ان ديون اسقف بعلبك كان من جملة الآباء الذين عقدوا المجمع النيقاوي الاوّل سنة ٣٢٥ وكذا روى ايضاً في سلسلة مطارنة واساقفة البطركيّة المذكورة (١

٤ (الياس) كان في المجمع الانطاكي الذي انعقد سنة ٣٧٨ (٢

٥ (مارينوس) حضر مارينوس اسقف هليوبوليس المجمع المسكونيّ الثالث المجتمع في افسس ٤٣١ وفيه حُرم نسطور (٣. وقد زعم لوكيان في الشرق المسيحي (٣: ٥٠٠) انّ هليوبوليس هذه هي مدينة عين الشمس من مدن مصر السُفلى قرب المطريّة . وانّما خُدع بتشابه الاسم والصواب انّها مدينة بعلبك كما نقل البطريرك مكاريوس الحلبي

٦ (يوسف) كان هذا على ما روى مكاريوس الحلبي ولوكيان احد الآباء الذين حضروا المجمع الانطاكي الذي عقدهُ البطريرك دومنوس في دعوى ايباس مطران الرها سنة ٤٤٧. وكذلك امضى اعمال المجمع الخلقيدوني وهو المسكوني الرابع الملتئم سنة ٤٥١ فحرم مع الآباء بدعة اوطيخا (٤

٧ (نونوس) جاء في ترجمة القديسة بيلاجيا الخاطئة التائبة التي هداها القديس نونوس انّ المذكور جعل اسقفاً على الرها لمّا حُرم ايباس اسقف هذه المدينة وبقي على هذا الكرسي الى ان تزكّى ايباس المذكور وأُعيد له مقامهُ فنقل نونوس الى كرسي بعلبك

---

١) راجعنا جداول الآباء الذين وقّعوا على اعمال المجمع النيقاوي في مجموع اعمال المجامع لمانسي (ج ٢ ص ٦٩٣–٧٠٢) فلم نجد ذكراً لديون المذكور (المشرق)

٢) كذلك لم نجد لهُ ذكراً في مانسي (ج ٣ ص ٥١٠)

٣) اطلب مجموع مانسي (Mansi: *Collectio Conciliorum*, IV, 1466)

٤) راجع الشرق المسيحي (Lequien: *Oriens Christianus* II, 843)

٨ (بطرس) يُقرأ اسمهُ كاسقف بعلبك في توقيعات الاساقفة المؤلفة على الرسالة التي وجّهها اساقفة سوريّة الاولى الى الامبراطور لاون في دعوى قتل بروتيريوس بطريرك الاسكندريّة سنة ٤٥٧ او ٤٥٨ (١

٩ (قسطنطين) زعم البطريرك مكاريوس الحلبي في سلسلة اساقفة البطركيّة الانطاكيّة ان المدعو قسطنطين اسقف بعلبك حضر المجمع النيقاوي الثاني الملتئم في نيقية سنة ٧٨٧ لمقاومة بدعة الايقونوقاست اي مكسّري الصور والمعترضين لكرمها مع انّ اعمال المجمع لا تذكر اسمهُ وانّما ذكرت في البطركيّة الانطاكيّة يوحنّا وكيل البطريرك الانطاكي ثاوضوريطوس

١٠ (يوحنّا) لم نجد ذكرًا بعد القرن الثامن لاسقف جلس على كرسي بعلبك حتى اواسط القرن الثاني عشر حيث وجدنا في احد المخطوطات انهُ كُتب سنة ١١٤٣ على عهد يوحنّا اسقف بعلبك

١١ (بولس) في مكتبة باريس العموميّة كتاب موسوم بالعدد ١٨١ يتضمّن التاليف المعروف بالحاوي الكبير (٢ قد نسخهُ بخط يدهِ « بولس مطران بعلبك » في السنة ٦٧٤٤ للعالم الموافقة للسنة ٦٣٣ للهجرة و١٢٣٦ للمسيح

١٢ (صفرونيوس) في السنة ١٣٦١ عُقد في دمشق مجمع فوقع اختيار اهاليهِ على باخوميوس مطران دمشق فولّوهُ الكرسي البطريركي وكتبوا في ذلك رسالة انفذوها الى البطريرك القسطنطيني واحتجّوا على الاساقفة الذين انتخبوا ارسانيوس مطران صور. ومن جملة الذين امضوا باسمهم الرسالة المذكورة صفرونيوس مطران بعلبك(٣

١٣ (يواكيم) كان سنة ١٥٤١ على ما رأيت في احد المخطوطات وكنت دوّنت ذلك في دفتري قبل عشر سنوات مع اسم يوحنا الاسقف العاشر الّا انني سهوت عن تعريف الكتاب الذي اخذت عنهُ تلك المعلومات

١٤ (جرمانوس) كان سنة ١٥٦٤ على ما جاء في انجيل كشوني بخط يده

---

١) اطلب مجموع مانسي (Mansi VII, 557)

٢) اطلب الفائة المذكورة (ص ٧٠ Catalogue des Mss arabes de la Bibl. Nationale, p. 70)

٣) راجع المشرق (٩: ٤١١)

اوقفهُ على كنيسة القديسة بربارة في مدينة بعلبك في ٤ حزيران في السنة المذكورة امّا الكتاب الذي ورد فيهِ ذلك فمحفوظ في مكتبة جامعة اكسفورد وهو موسوم بالعدد ٤٠ بين المخطوطات السريانيّة

١٥ (جرمانوس) البعلبكي وهو غير السابق على ما يظهر وقد وسمه البطريرك يواكيم ضو (١٥٨٢ — ١٥٩٣) على ما ذكر البطريرك مكاريوس الحلبي ولبث حيًّا الى زمان البطريرك ذوروثاوس ابن الاحمر (١٦٠٤ — ١٦١٢) وقد روى مكاريوس المذكور عنهُ بانهُ كان عابدًا تقيًّا بسيطًا فانهُ ذهب مرّة لزيارة اورشليم في عيد الفصح ولم يستأذن بطريركهُ ذوروثاوس المذكور فكتب هذا رسالة الى البطريرك الاورشليمي صفرونيوس (١٦٠٨ — ١٦١٨) يعلمهُ فيها بما فعل جرمانوس وكلّفهُ ان يأتيهُ ورقة الرباط التي ارسلها لهُ ضمن الرسالة مع رسول خاص سافر من دمشق يوم الاربعاء من الجمعة العظيمة وبلغ اورشليم يوم السبت العظيم صباحًا قبل القداس فاستدعى البطريرك صفرونيوس المطران جرمانوس قبل القداس وبلغهُ الرباط فامتنع عن القداس بعد ان لبس بدلتهُ . وبعد عيد الفصح ذهب راسًا الى دمشق واستغفر من البطريرك وعاد الى كرسيهِ حيث مات بعد ان عاش كثيرًا

١٦ (ابيفانيوس) بعلبكي الاصل شرطنهُ البطريرك اغناطيوس عطية (١٦٢٠ — ١٦٣٣) على ما روى البطريرك مكاريوس الحلبي الذي كان معاصرًا لهُ في سلسلة مطارنة بعلبك ويذكر عنهُ انهُ كان قبل رسامتهِ متزوّجًا زيجة ناموسيّة ورُزق اولادًا كانوا يعرفون في زمانهِ ببيت المطران في بعلبك وكان ابيفانيوس في المجمع الذي انعقد في دير السيدة بقرب بعلبك سنة ١٦٢٨ في دعوى كيرلس داس الذي كان يزاحم اغناطيوس عطية على البطريركية ويظهر ان ابيفانيوس مات قبل انتداب مكاريوس للبطركية سنة ١٦٤٧

١٧ (انطونيوس) رسمهُ البطريرك مكاريوس الحلبي في دمشق ١٠ كانون الثاني سنة ١٦٥٢ وكان اسمهُ عازار من قرية انفة من كورة طرابلس وصار رئيسًا لدير سيدة الرويس بقرب قرية بطرام من الكورة وبقي حيًّا الى بعد وفاة البطريرك المذكور وكان من المشايعين لناوفيطوس الصافوي في البطركية ضد كيرلس الحلبي وقد امضى مع ناوفيطوس الحكم برذل تعليم الكاثوليكيين في شأن الاستحالة الجوهرية

١٨ (برثانيوس) كان في المجمع الذي عقده البطريرك كيرلس الحلبي في طرابلس سنة ١٦٨٠ على ما روى المطران غريغوريوس عطا نقلاً عن منشور هذا المجمع الذي كان عنده نسخة منه ذهبت في حريقة دمشق سنة ١٨٦٠ وهو الذي زاره الكاتب الفرنسوي دي لاروك (De Laroque) سنة ١٦٨٨ وكان يحسن معهُ التكلّم باللاتينيّة وكان برثانيوس من المطارنة المتفقين مع المطران افتيميوس الصيفي والموافقين لهُ بوجوب اعلان اتحادهم مع احبار رومية وارسل صورة اعترافهِ الى رومية سنة ١٧٠١ (١

١٩ (مكاريوس البانياسي) رُسم بتفويض البطريرك اثناسيوس دباس سنة ١٧٢٤ من ثاوفيطوس نصري مطران صيدنايا وثاوفيطوس مطران بيروت وقد رشحه للمطرانية المطران افتيميوس الصيفي قبل وفاتهِ وزاره في بعلبك سنة ١٧٢٣ اذ كان وكيلاً بطريركياً مدة ترمل هذه الابرشيّة وحرّض اهالي بعلبك على الثبات في الايمان الكاثوليكي لان مكاريوس كان من المجاهرين بهذا الايمان لكنه ما لبث ان شايع البطريرك سلبستروس القبرصي اذ خاف من الوقوع في مظالمهِ وفي جور وكيلهِ المطران لاونديوس البانياسي الذي حضر الى بعلبك سنة ١٧٢٥ مسلحاً بالاوامر السلطانيّة والقى القبض على بعض كهنة المدينة واعيانها لكونهم لم يخضعوا لهُ نظير مطرانهم مكاريوس الّا انهم بسعي الحاج ميخائيل المطران ومشايخ بيت الابرص في الراس ومساعدة القس مكسيموس الحكيم لدى الامير اسماعيل الحرفوش أُبعد مكاريوس من بعلبك وتخلّصوا من ضرر اضطهاد سلبستروس ومطارنتهِ وثبتوا كلهم في الايمان الكاثوليكي بدون ان يدخل اليهم الشقاق والانقسام الى حزبين والذي انقذهم من بطاركة اليونان عن الاضرار بهم ان بعلبك وبلادها كانت مستقلة يحكمها الامراء الحرافشة الذين كان من مصلحتهم قطع كل علاقة مع القسطنطينيّة (٢

---

١) توجد صورة اعترافه في سجلات البروباغندا في المجلد الاول في سنة ١٧٠١ وقد شاع ذلك في اوربة وذكرهُ مع غيره المؤرخ الفرنساوي بيكو (Mémoires pour servir à l'histoire par Picot, t. I, p. 326-8)

٢) اعتمدت في هذا على ترجمة المطران افتيميوس الصيفي لكيرلس الحداد وعلى حاشية من كتاب بستان الرهبان بخط قديم جميل وفيها: « اوقف هذا الكتاب الخوري مكاريوس البانياسي تلميذ السيد البطريرك كيرو كير اثناسيوس على دير القديس مار يوحنا المعمدان ببلاد كروان

٢٠ (باسيليوس بيطار) كان دمشقي الاصل ثم دخل الرهبانية الحنّاوية سنة ١٧٢٨ ورُسم كاهنًا وارسل الى رومية سنة ١٧٢٨ لاستلام كنيسة السفينة ولادارة المدرسة الرهبانيّة فيها وبقي هناك مدّة. ولمّا عاد الى الشرق كان المطران مكاريوس قد مات فانتُخب الى مطرانيّة بعلبك ورسمهُ البطريرك كيراس طاناس في دير المخلص يوم خميس الاسرار سنة ١٧٥٤ ودعي باسيليوس وكان اسمهُ قبلًا موسى على ما نقل القس روفائيل كرامة الذي رافقهُ حينئذٍ ودخل معهُ بعلبك وارسل لهُ البابا بنادكتوس الرابع عشر براءة رسوليّة اوصاهُ فيها بالرهبانيّة الحناويّة سنة ١٧٥٧ وحضر المجمع الذي عقدهُ البطريرك كيراس في دير المخلص سنة ١٧٥٩ لاعلان تنازله عن البطركيّة لابن بنت اختهِ اغناطيوس جوهر وانحاز باسيليوس الى الاساقفة الذين رفضوا هذا التنازل ورفعوا دعواهم الى رومية. ومات بالفالج يوم عيد القديس باسيليوس في غزة سنة ١٧٦١ في دير سيدة البشارة اذ كان قد حضر للمداولة بانتخاب البطريرك ودفن في كنيسة القديس مخائيل في الزوق

٢١ (فيليبوس قصير) حلبي الاصل دخل الرهبانيّة الحنّاويّة نحو السنة ١٧٤٠ وترقّى بالدرجات الكنسيّة حتى رُسم كاهنًا وكذلك ترقى بالوظائف الرهبانية حتى صار مدبرًا ورسمهُ البطريرك الجديد مكسيموس الحكيم مطرانًا في اول السنة ١٧٦١ وكان مع المطارنة الذين حضروا دفنهُ وانتخبوا خليفة لهُ مطران بيروت في دير يوحنّا الصابغ في ٢٦ تشرين الثاني من السنة ذاتها. وكان في مجمع دير القمر الذي عُقد لاجل

---

١ الجاور لقرية الشوير عن روحه وروح والديه سنة ١٧٢٢ مسيحية ». وبعد هذه حاشية بخط مختلف قديم مضمونها ان الخوري مكاريوس اوقف هذا الكتاب لمّا كان كاثوليكيًا لكنهُ انحاز عن الايمان المقدس بعد ان اوقدم على بعلبك وقد جاهر بمضادة الايمان في المدينة المذكورة كثيرًا ومن حيث ان اهل البلدة كان اكثرهم كاثوليكيين ما قبلوه وهو لكي يرضي خاطر بطريركه سابستوس اخذ يشكي عليهم الّا انهم لم يؤثر بهم بل قاوموه جهارًا وطردوه بهِ واخرجوه من بعلبك وساعدهم مخائيل المطران الذي كان كاتبًا عند الوالي بالمدينة المذكورة وكان غيورًا وبماعه كان شأن الايمان مرتفعًا. وبعد خروج المطران مكاريوس لم يعد اليها بل بعد ذهابه وتشكيه لبطرك القسطنطينية على ما عمل بهِ اهل البلدة كتب يترجى مخائيل المطران وموسى الابرص الذي كان مخائيل متخذًا اياه قام ينجح فرجع الى حمص وبقي هناك الى ان مات على ايمانه. والكتاب المذكور اشتريته من احد اصحاب المكاتب في بيروت السنة الماضية وقدمته هدية لسيادة الايكونوموس يوسف الكفوري رئيس الرهبانية الحناوية العام بفرصة عيده الكهنوتي الخمسيني

صلح الحزبين سنة ١٧٦٣ وكان في تلك الاثناء قد حدث زلزلة كبيرة فهدمت بيوتاً كثيرة من بعلبك وأخربت قسماً عظيماً من قلعتها وكنيستها سنة ١٧٥٨ وبسبب فتن آل حرفوش كان مطارنة بعلبك يسكنون تارةً في راس بعلبك وتارةً في زحلة في حارة الراسية وتارة في دير الصايغ حيث مات المطران فيليبوس في ٢٤ تموز سنة ١٧٧٧ وفيه دُفن

٢٢ (بناديكتوس التركماني) كان حلبي الاصل ودخل الرهبانيَّة الحنَّاويَّة نحو سنة ١٧٥٧ وانكبَّ على العلوم الكهنوتية والطب وبرع فيه حتى غلب عليه لقب الطبيب ورسمهُ مطرانًا على بعلبك البطريرك تاوضوسيوس الدهان سنة ١٧٨٥ وبسبب ما تقدَّم من الخراب على بعلبك اقام لهُ دارًا في قرية الحنشارة كان يقيم فيها وكان مشايعًا لجرمانوس آدم برفض بطركية اثناسيوس جوهر الذي اتفقت عليه باقي الاساقفة سنة ١٧٨٨ وكان في مجمع القرقفة الذي عُقد سنة ١٨٠٦ ومات بمرض فجائي في الحنشارة سنة ١٨٠٨

٢٣ (اكليمنضوس المطران) بعلبكي الاصل من الرهبانية الحناوية رسمه مطرانًا على بعلبك البطريرك اغابيوس مطر سنة ١٨١٠ واذ كان غريغوريوس حدَّاد مطران قارا مات سنة ١٧٩٥ وانضمَّت ابرشيتهُ الى يوسف سفر مطران حمص الذي مات سنة ١٨١٠ فوَّض البطريرك المذكور العناية بامر هذه الابرشية الى المطران اكليمنضوس بطريق الوكالة الى سنة ١٧١٤ حيث جعلهُ البطريرك مكاريوس الطويل على بعلبك وقارا واذ كان بيت الحرفوش يضايقون المطران المذكور واقاربهُ في بعلبك لكونهم مشايعين لاحدهم الامير جهجاه الذي اتفقوا عليه وطردوهُ من بعلبك فكان المطران اكليمنضوس يقيم في النبك ويعود لكنَّ البطريرك سيرافيم اليوناني أثار في غضون ذلك اضطهادًا شديدًا ضد الكاثوليك فسعى بنفي المطران فاضطرَّ المذكور ان يترك ابرشيتهُ ويهرب الى زحلة ومنها سافر سنة ١٨٢٠ الى رومية من قبل البطريرك اغناطيوس قطان ليعرض للحبر الاعظم الاضطهاد الشديد الواقع على الطائفة في ايالة حلب والشام رصيدا ويطلب مساعدتهُ ويظهر من رسائل القس غريغوريوس طوبل وكيل الرهبانيَّة الخاصيَّة في رومية والوكيل البطريركي ان البابا بيوس السابع ارسل اسعافًا الفي ريال دفوا بها قسماً من الغرامة التي ترتَّبت على الطائفة في ايالة الشام وكانت سبعمائة كيس وعيَّن لمطران حلب وللكهنة الذين كانوا في لبنان ثلثمائة ريال عدا ما نالهُ المطران المذكور من المساعدة الماليَّة والتوصية لانهُ سافر من رومية الى فرنسة وهناك كرس كنيسة القديس نيقولاوس في مرسيلية سنة

١٨٢١ وعاد الى الشرق سنة ١٨٢٢ واقام في بيرود حيث اشترى ارضاً وبنى له فيها داراً وكنيسة ومات سنة ١٨٢٧

٢٤ (اثناسيوس عبيد) هو جبرائيل ابن حنّا عبيد من مدينة عكا ولد سنة ١٧٨٠ ودخل الرهبانيّة الحنّاوية سنة ١٧٩٧ ودعي انسطاسيوس وارتسم كاهناً ودعي استفانوس . ولما كانت السنة ١٨٢٣ في اوّل نيسان انقسمت الرهبانيّة المذكورة الى بلديّة وحلبية وكان الامر بغير رضى البطريرك وبغياب الامير بشير. فلما عاد الامير المذكور من مصر مع المعلم بطرس ابطل هذه القسمة وكتب المعلم بطرس شروطاً قرّرها منها ان يُقام كرئيس عام راهب يكون خالي الغرض من الحزبين ومن ثم اجتمع الحزبان في دير مار يوحنا الصابغ في ٣ آب من السنة ذاتها وانتخبوا الخوري استفانوس عبيد الصفدي (١ وبعد ان قضى مدّة الجمع كلها بالرئاسة العامة انتُخب مطراناً على بعلبك وقارا ثم رسمهُ البطريرك المذكور في ١١ كانون سنة ١٨٢٧ ويؤخذ من بعض رسائله انهُ لم يكن من الاساقفة الذين انتخبوا مكسيموس مظلوم بطريركاً بل كان مشايعاً بهذا للمطران اغناطيوس عجوري الحلبي . وفي السنة ١٨٣٤ انتزع السيد البطريرك من ابرشيته مدينة حمص وما يليها وجعلها تحت ولايته البطريركية راساً لان عدد الكاثوليك فيها كان ازداد وغا بسعي وغيرة حنّا بك بجوي فارتدّ قوم من القرى المجاورة وممن كانوا قبلاً من اهلها . وبسبب فقد الامن في تلك الايام في جبل القلمون وكل البلاد الشرقية من بعلبك تنازل بحسب طلب البطريرك عن ابرشية قارا والنبك وبيرود ومعلولا وصيدنايا ومعرونة ومعرة اذ كان البطريرك يريد

١) اعتمدت في ما ذكرته عن برثانيوس الى اثناسيوس على كتاب « حوض الجداول » للمطران غريغوريوس عطا وعلى بعض مراسلات قديمة محفوظة الاصل عندي وهي كثيرة منها رسالة من البطريرك اغناطيوس لجمع انتشار الايمان ارسلها على يد وكيله القس غريغوريوس الطويل في رومية بتاريخ ٣٠ آب سنة ١٨٢٣ يذكر لهُ فيها بعض التفصيل عن هذه القسمة واسبابها واتفاق الحزبين بعد هذا وصلحهما وانتخاب الرئيس الجديد وفيها بيان واصلاح للجملة الواردة في المشرق (٩ : ٨٩٨ و ٩٨٩) عنهُ والمراد بالصفدي من بلاد صفد لان عكا كانت تابعة لمدينة صفد وسنجقها وليست قرية بقرب عكا كما توهّم الاب تيموتاوس الحق . وعندي كتاب المثلثات الدريات بخط يد الراهب القانوني الباسيلي الشويري الكاثوليكي مذهباً والمكاوي اصلاً باسم انسطاسيوس ابن حنا عبيد انجزهُ ليلة عيد التجلي سنة ١٨٠٣

ان يجعلها ابرشية منفصلة ولذلك رُسم عليها مطرانًا سنة ١٨٤٩ الخوري مخائيل مطا باسم غريغوريوس ولسبب ما تقدم لم يحضر المطران اثناسيوس مجمع عين تراز سنة ١٨٣٥ وانما امضى اعماله بعد مدّة ولاسيما لما صادق عليها مطران صور الذي ارتسم في مدّة اجتماعه . وكذلك لم يحضر المجمع الاورشليمي سنة ١٨٤٩ وانما ارسل اليه وكيلًا عنهُ الخوري مخائيل الكفوري وكان من الاساقفة الذين اعترضوا على بعض احكامه الى رومية ومات سنة ١٨٥٠ . ومن اعماله بناء كنيسة القديسة بربارة محلّ الدار الاسقفية الحالية لانهُ بعد انهدام الكنيسة القديمة سنة ١٧٥٨ لم يُعد في طاقة المسيحيين اقامة كنيسة جديدة بل كان الكهنة يقيمون القداس في بيت مناسب لذلك . وهو الذي اقتنى لها الاملاك الواسعة بجوارها حيث تشيدت الكنيسة الجديدة واوقافها . وقد انشأ ايضًا كنيسةً في بلدة الراس (رأس بعلبك)

٢٥ (ملاتيوس فندي) ولد في رشيد ثمّ رسمهُ شماسًا وكاهنًا البطريرك مكسيموس مظلوم وجعلهُ من اكليروسهِ الخاص واول الاكليروس المذكور وكان كاتبًا لاسرارهِ ثم رسمه مطرانًا على القلاية الاورشليمية في مصر في ٢ شباط سنة ١٨٣٨ واقامهُ نائبًا لهُ في البطركية المذكورة بموجب اعلان بطريركي وبراءة سلطانية وقد رافقهُ في اسفارهِ الى مصر والاستانة وكان مساعدًا لهُ في اعماله كلها منذ كان شماسًا في مجمع عين تراز وحضر مجمع اورشليم (١ الى ان مات اثناسيوس فنقل الى كرسي بعلبك سنة ١٨٥ وكان من عدد المطارنة الذين رفضوا قبول الحساب الغريغوري الذي اعلن قبولهُ البطريرك اكليمنضوس بحوث سنة ١٨٥٧ وسافر سنة ١٨٦٧ بمعيّة البطريرك غريغوريوس يوسف الى رومية وفرنسا وعاد معهُ الى الشرق ومات في ١٠ ايلول سنة ١٨٦٩ وكان آية نادرة بحسن صوتهِ وكان حلو الحديث حسن الانشاء . ولذلك كان محبوبًا ومكرمًا من الجميع وانشأ املاكًا واوقافًا ذات شان للكرسي في بعلبك وسواها

٢٦ (باسيليوس ناصر) دمشقي المولد من الاكليروس البطريركي الخاص جُعل رئيسًا لمدرسة عين تراز وللمدرسة البطركية في بيروت وقد رسمهُ مطرانًا بعد الانتخاب البطرك غريغوريوس يوسف في ١٧ تشرين الاوّل سنة ١٨٦٩ في دمشق وبعد ان زار

١) تجد في النبذة التاريخية بقلم البطريرك المذكور كثيرًا من التفاصيل عن اعمال هذا المطران

ابرشيته سافر بهيئة البطريرك والاساقفة الى مجمع الواتيكان وكان احد المطارنة الذين يفتخر الشرق بعلمهم لانهُ تلقَّى العلوم بكل نجاح في مدرسة غزير عند الآباء اليسوعيين. ومما يُروى عنهُ انهُ لما حضر الى بيروت سنة ١٨٧٧ لوفاة المطران اغابيوس الرياشي أبهُ بخطبة غاية في البلاغة فهتف لهُ في الكنيسة كثيرون « مثلك يجب ان تكون الخطباء » وفوّضت اليهِ حينئذٍ الوكالة مدة ترمل الابرشية وطُلب انتقالهُ الى كرسي بيروت ألا انَّ البعض رفضوه لاسباب فنُقل الى بيروت المطران ملاتيوس فكانَ. وسنة ١٨٨١ ذهب الى القدس الشريف موفدًا من قبل البطريرك غريغوريوس يوسف لينوب عن الأمة في السلام على ولي عهد مملكة النمسا الارشيدوق رودلف ابن الامبراطور فرنسيس يوسف. وقد اقتنى املاكًا واسعة في قرية ايعات للكرسي وسنة ١٨٨٤ انتابهُ مرض أنحل جسمهُ واضعف ذاكرته حتى التزم ان يترك الابرشيَّة والاهتمام بها الى ان مات في دمشق في ٢١ ايلول سنة ١٨٨٥ ودُفن في كنيستها تحت المائدة الكبيرة

٢٧ (جرمانوس المعقد) دمشقي الاصل كان مولده سنة ١٨٥٠ ثم دخل الرهبانية المخلصية سنة ١٨٦٨ ودعي اغناطيوس وكانت قد تجددت مدرستها بقرب دير المخلص فدخل اليها سنة ١٨٦٩ واكمل دروسه فيها بكل نجاح ولاسيما العربية بآدابها والفلسفة بكل فروعها واللاهوت الادبي والنظري وكان احد اساتذتهِ المعلم يوسف باخوس الشهير وخرج من المدرسة سنة ١٨٧٤ بعد ان رسمه شماسًا البطريرك اكليمنضوس بحوث التنازل في دير المخلص وسافر الى دمشق ليكون معلمًا في المدرسة البطريركية. وقد فوّض اليهِ البطريرك غريغوريوس يوسف العناية بالاخويات وكان يعظ بحضوره في الكنيسة البطريركية بكل نجاح وافادة وهو شماس وسنة ١٨٧٥ رسمهُ كاهنًا سيادة المطران باسيليوس حجار وعاد الى مدرسة دير المخلص ليدرّس فيها الفلسفة واللاهوت سنة ١٨٧٨. وبعد ذلك اتخذه البطريرك غريغوريوس كاتبًا لهُ وكاتمًا لاسراره ثم ارسله الى القدس الشريف وفوّض اليهِ النيابة البطركية فيها. ومن اعماله هناك انهُ سعى وتوفَّق لمشترى كنيسة القديسة فيرونيكا هناك وتفرَّغ بكل جدّ لتنقيح كتاب الميناون ومراجعة ترجمته على الاصل اليوناني مدة ثلاث سنوات حتى ابرزه بعبارة فصيحة وكان باكورة قلمه السيَّال. ثم ألحقهُ بعد ذلك بكتاب الكلام الحي وسبيل الصلاح ورفيق العابد ورواية حسناء بيروت وسياحة الفيلسوف الروماني والسلوة وسيدة لورد.

واكثر هذه الكتب طُبعت مرارًا وتُرجم بعضها الى اللغة الفرنساوية. وسنة ١٨٨٦ استدعاه البطريرك غريغوريوس الى دمشق ورسمه مطرانًا على بعلبك في ١٤ اذار بعد الانتخاب القانوني ودعي جرمانوس. ومن اعماله في بعلبك انه بنى دارين جميلتين وباشر في بناء الكنيسة الجديدة الّا انه وجد في سبيلهِ عوائق حملتهُ على ان يطلب التنازل عن رتبتهِ اقتداء بمعلمه البطريرك اكليمنضوس بحوث وما زال ملحًا على السيّد غريغوريوس ليعفيهُ من الاهتمام بالابرشية الى ان نال ذلك سنة ١٨٩٤ وتسمّى مطرانًا على اللاذقية شرفًا. واذ كان يفضّل العزلة والانفراد عن الناس بنى له دارًا في حريصة يقيم فيها اليوم مع كاهنين يتمرنان على يده على القاء الوعظ بقصد ان يؤلف جماعة تخصص للرسالة بالوعظ والارشاد في القرى الفقيرة وفّقه الرب لكل خير وصلاح

٢٨ (اغابيوس المعارف) وهو سيادة مطرانها الحالي بعد ان قبل البطريرك تنازل المطران جرمانوس فوّض الوكالة البطريركية المطلقة على هذه الابرشية لسيادة الايكونوموس اغابيوس معلوف وكيل مطران بيروت سابقًا من الرهبانية الحناويّة فاقام بمهامّ هذه الوكالة بكل غيرة ونجاح حتى اكتسب محبة ابناء الابرشية كلهم وانتخبوهُ مطرانًا بالاتفاق التام بعد اختبار حسن صفاتهِ وغيرتهِ مدّة سنتين ورسمهُ البطريرك غريغوريوس في بيروت في ٢٩ اذار سنة ١٨٩٦ وعاد الى كرسيهِ وباشر اعمالهُ بكل همّة ونشاط ونجاح حتى كاد لا يصدق ذلك من يعرف انحراف مزاجهِ الّا ان اعمالهُ تنطق في بعلبك بلسان حالها فقد اتمّ بناء الكنيسة الجديدة مع كل ما يلزم لها من الزينة حتى صارت تباهي اجمل كنائس الشرق الكبيرة. وشيّد دورًا راوقفها عليها واقتنى لها املاكًا واسعة غنيّة في مدينة بعلبك وفي قراها ومن رام الزيادة فعليهِ بمطالعة كتاب «دواني القطوف في تاريخ بني المعارف» فيجد ما يغني عن زيادة البيان هنا عن مآثر سيادتهِ اكثرالله من امثالهِ وامدّ في ايامه

الطقوس البيعية

لحضرة الخوري نعمة الله مبارك المرسل الكريمي

المراد بالطقس البيعي ترتيب ونظام العبادة الخارجة لله. وهو من الاهمية بمكان حتى ان الكتب المقدسة والمجامع المسكونية والاقليمية أكثرت دائماً من الاوامر والتجريجات بالمحافظة عليه ولذلك وجهت شركة الصلوة في مدة شهر شباط من هذا العام صلواتها بنوع خصوصي لاجل المحافظة على الطقوس البيعية

فاهمية المحافظة على الطقوس بمنزلة أهمية العبادة الخارجة لله. فمن المعلوم ان العبادة الخارجة لله مؤسسة على احدى خواص الكنيسة الجوهرية اي كون الكنيسة منظورة. والايمان الكاثوليكي يعلمنا ان السيد المسيح جعل كنيسته منظورة اي محسوسة وجعل فيها وسائل الخلاص اي الاسرار والصلوة تحت صور منظورة محسوسة لكي يتمكن الناس من الاهتداء اليها ويجدوا فيها خلاصهم الابدي ولذلك قد شبهها الخلاص لاسمه المجرد بالمدينة المبنية على جبل التي لا يمكن ان تخفى على ناظر (متى ٥ : ١٤) ومن ثم لزم ان تؤدى فيها العبادة لله وتخدم فيها الاسرار المقدسة بنوع منظور ومحسوس. وان يكون ذلك بنوع مرتب ومنتظم

١ نعم ان جوهر العبادة لله يتوقف بوجه أولي على العبادة العقلية كقول الخلاص: ان الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا (يوحنا ٤ : ٢٤) لكن الانسان مركب من نفس وجسد فينبغي له ان يعبده تعالى عبادة مزدوجة اي عبادة باطنة عقلية قائمة بافعال الفضائل الالهية الايمان والرجاء والمحبة. وعبادة خارجة محسوسة قائمة بانواع السجود والصلوات اللفظية والذبائح وما شاكل ذلك لان الذي خلق النفس والجسد للانسان وجبت له افعال العبادة من كليهما. ثم انَّ الانسان عضو من اعضاء الهيئة الاجتماعية فيلتزم بالعبادة الخارجة لاجل بنيان القريب. قال القديس توما (٢ : ٢ م ٩١ ف ١) : « لا يظن احد ان الكنيسة المقدسة رسمت الصلاة اللفظية والتراتيل لتوضح بها لله عواطف قلوبنا واشواقنا كلا . . . لان الله عارف بافكارنا قبل ان نوردها. وانما نتلوها بصوت عال لمنفعتنا نحن »

فالناس في هـذه الدنيا لا تتأثر عقولهم وقلوبهم عادةً ولا تكتسب شيئاً من الخارج الّا بواسطة الحواسّ كما يعلّم الفلاسفة. فاذا عاينوا الاحتفالات الدينيّة الخارجة وسمعوا الالحان الكنائسيّة الخاشعة واستنشقوا عرف البخورات الزكية ارتفع عقلهم الى الله وتذكّروا الاحترام الواجب لعزّته تعالى ورفعوا لجلاله التسابيح الملائكيّة وبخور الصلوات في مجامر القلوب مُؤدّينَ لهُ عزّ وجلّ عبادةً عقليّة وقلبيّة

ولا غرو لانّ الاشياء الخارجة كثيرًا ما تحرّك عواطف النفس او تسكّن اضطرابها أو تهيّج فيها عوامل الحزن او الفرح وذلك ما أعلن بهِ القديس اغسطينوس في كتاب اعترافاته (ف ٦) حيث قال: « الهي ما اكثر الدموع التي كانت تجري من عينيّ عند استماعي انغام تسبيحك ومدائحك الكثيرة وكم كنت استعذب اصوات كنيستك التي كانت تطرق سمعي فكان حقّك يلج قلبي ويضرم فيهِ عاطفة التقوى فأذرف الدموع وبهذا يستكنّ وجع قلبي » . وليس هذا الامر بغريب عن روح الكتاب المقدس لان اليشع النبي عند اضطرابه طلب زمّارًا يرتّل لهُ ويسكّن اضطرابه ويعدّهُ لقبول روح النبوة (٤ ملوك ٣: ١٥) فالاحتفالات الخارجية هي بمنزلة جناح وريش تساعد العقل على ان يطير ويرتفع الى الله باكثر سرعة ولهذا يقول القديس يعقوب (٥: ١٣): هل فيكم مكروب فليُصلِّ او مسرور فليُرتّل . والقديس بولس الرسول يحث المسيحيين على ترتيل التسابيح والمزامير واغاني الروح (افسس ٥: ١٩) . فلهذا السبب ايضًا امرت الكنيسة المقدسة ان تقام الاحتفالات أيام الآحاد والاعياد بامارات الفرح والعظمة وفي سنّة الآلام بشواعر الحزن والكآبة لكي يتذكر المؤمنون بنوع حيّ افراح السماء والاوجاع التي احتملها المخلّص ليربح لنا الملكوت

وهذه العبادة الخارجة قد انتشرت عند كل الامم التي اعتقدت بوجود الالوهيّة . فقد شادوا لهذا الغرض الهياكل والمذابح والّفوا الصلوات وصنّفوا التسابيح والتراتيل ورتّبوا الطقوس والاحتفالات والاعياد الخ . وقد امتاز الشعب الاسرائيلي بفرائضهِ الدينيّة الخارجة . ولذلك رسم الله لموسى الذبائح والتقادم والصلوات والنذور الخ كما نرى ذلك مفصّلًا في سفر الخروج وسفر الاحبار . وقد رنّم موسى تسبحتهُ الشهيرة بعد اجتيازه البحر الاحمر وكانت مريم اخته تضرب على الدفّ والمزهر وتردّد اللازمة مع بنات اسرائيل (خروج ٥: ١٢) . وداود الملك قد اجرى عادة ترتيل المزامير على آلات

موسيقية واقام المرتلين امام المذبح يرنمون احسن الترنيم (٢ أيام ٥ : ١٢)

والمخلص لاسمه السجود لم ينقض العبادة الخارجية بل بدّل انواعها بما هو اشرف واسمى فبدّل الذبائح الدموية برسم ذبيحة الافخارستيا الغير الدموية. وأمر باستعمالها على مدى الاجيال بقوله: « اصنعوا هذا لذكري الى مجيئي ». واقرّ استعمال الصلوات اللفظية وانواع السجود واحتفال الاعياد بكلامه ومثاله. فقد علّم رسله ان يصلّوا قائلين: « ابانا الذي في السماوات الخ » (متى ٦ : ٩). وكان يذهب كل سنة مع ابويه الى اورشليم لاحتفال عيد الفصح (لوقا ٢ : ٤١). وقد سبّح مرتلاً مع الرسل بعد العشاء الاخير (متى ٢٦ : ٣٠) وقد جثا على ركبتيه في بستان الزيتون (لوقا ٢٢ : ٤١) وخرّ على وجهه الى الارض مصلياً (متى ٢٦ : ٣٩). وجرى الرسل من بعده على مثاله وهكذا فعلت الكنيسة كلها في كل اجيالها. وقد ألهمَ الروح القدس مدبّرُها الالهي احبارَها وقديسيها ان يصنفوا المدائح والترانيم ويرتبوا الطقوس الخارجية ليقوم بها المؤمنون في الزمان والمكان المعيّنين. وذلك لتكون البيعة الارضية على مثال البيعة السماوية تمجد الحمل الالهي المقرّب على مذابحنا كما يمجده في السماء المختارون على اصوات الكنّارات (رؤيا ١٥ : ٢). فالعبادة الخارجية هي بمنزلة اعتراف بالديانة ومجاهرة بالايمان لان المخلص لا يطلب منّا ان نؤمن به بالقلب فقط بل ان نعترف به بالفم ايضاً ولذلك قال عزّ من قائل (متى ١٠ : ٣٢ ولوقا ٩ : ٢٦): « من يعترف بي قدام الناس اعترف به قدام ابي الذي في السماوات. ومن يستحي بي وبكلامي يستحي به ابن البشر عند مجيئه في مجده »

٢ فضرورية اذاً العبادة الخارجية لله وضروري ايضاً حفظ نظامها وترتيبها او بعبارة أخرى حفظ الطقوس. فتشويش النظام في العبادة وعدم المحافظة على الترتيب يؤديان الى تشويش العقل ويزيلان الهيبة والرونق فيفوت الغرض المقصود. فالكتب المقدسة والجامع الكنائسية قد علّقت اهمية كبرى على هذا الامر. فموسى النبي قد رتّب كلّ شيء مفصّلاً وامر الاحبار واللاويين ان يجروا عليه مدقّقاً. ومخلّصنا الالهي عندما اراد ان يقدس الافخارستيا ارسل اثنين من رسله هما بطرس ويوحنا ليعدّا غرفةً مفروشةً مزيّنة (لوقا ٢٢ : ١٢). والقديس بولس الرسول في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (١١ : ٢٠—٤٠) وبّخهم على عدم حفظهم النظام والترتيب في

حضورهم عشاء الرب (١١ : ٢٠) ولامَ نساءهم على كشف رؤسهنّ عند الصلوة (١٨ : ١٣) ثم وضع لهم ترتيبات أمرهم ان يجروا عليها موقتاً ثم وعدهم انهُ سيرتب ما بقي متى قدم اليهم . ثم شدّد الامر عليهم بان يكون كل شيءٍ على وجهٍ لائق ومنتظم

وكذلك المجامع المقدّسة فانها قد اشبعت الكلام عن هذا الامر . منها ما جاء في المجمع اللبناني عند كلامه على ذبيحة القداس حيث يقول :

يتبيّن على جميع الكهنة ان يكونوا محيطين علماً ومعرفةً بالاحتفالات والطقوس المقدسة وعليهِ فتتقدم الى الرؤساء المحليين ونحثهم ان يخرّجوهم فيها من قبل ان يرقوهم الى درجة القسوسية كما انهُ يجب على الجميع ان يرعوا نظاماً واحداً بينهم سواء كان القداس ذا حفلة او عادياً (عدد ٧) (وقال ايضاً عند تكلمهِ عن صلوة الخورس) : نأمر بأن يوضع للكنائس الكاتدرائية والاديار الكبيرة قوانين مفعمة حكمةً وسداداً وتقوى تتكفّل بحفظ نظام الخورس وترتيب الفروض الالهية ورعاية الخشوع حاثين على خدام الخورس قاطبةً ان يرعوها بالتدقيق وعلى رؤساء الخورس خاصةً ان لا يتغافروا حدوث أدنى خلل فيها ولاسيما في ما يلاحظ الدخول الى الخورس والخروج منهُ (عدد ٣)

فهذا حق وواجب لانهُ اذا كان ملوك الارض يطلبون حفظ النظام في جيوشهم مع ان ليس وراء ذلك سوى غايات بشريّة ومجد عالمي فكم بأولى حجّة يجب ان ينتظم جنود رب الجنود . فالكنيسة المقدسة ما هي الّا صورة لكنيسة السماء لان الله امر موسى ان يصنع كنيسة العبرانيين على المثال الذي اراه اياه على الجبل (خروج ٣٥ : ٤٠) . ونحاكينا لاسمه السجود صنع الكنيسة المقدسة كذلك لكن على نوع اكمل فمن الضرورة ان يكون النظام في احتفالاتها صورةً لنظام الملائكة في السماء . وعلى هذا النظام يتوقف جمال الكنيسة الخارجي الذي تتزّل بهِ سفر النشيد بقوله (٦ : ٩) : « من هذه المشرقة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس المرهوبة كصفوف تحت الرايات » . بهذا النظام يرتفع العقل الى الله وينشغف القلب بحب الديانة ويُرغم المتشدقون والمجدفون على الديانة ان يغيّروا لهجتهم ويهتفوا مع بلعام قائلين (عدد ٢٤ : ٥) : « ما اجمل خيامك يا يعقوب واخبيتك يا اسرائيل »

فالملوك والاراكنة يتهيّبون الحفلات الدينيّة متى كانت متقنة جيداً . فهاهوذا قالنس الاريوسي الذي كان عاهل القسطنطينيّة فانهُ لمّا دخل كنيسة قيساريّة ورأى القديس باسيليوس الكبير يقيم الذبيحة الالهيّة وحولهُ الكهنة والشمامسة قائمين بخدمتهم بكل

اجلال ونظام وخشوع وهيبة استولت عليه الرجفة وكاد يسقط على الارض لو لم يسنده اعوانه . وكم نرى من الناس يتهافتون من كل فجٍ الى حضور الاحتفالات الدينيّة التي تقام في عاصمة الكثلكة عند تثبيت القديسين مثلاً

غير ان الذي يذهب برونق الطقوس وبهائها انما هو (اوّلاً) روح الاستئثار والاستبداد اي ان يغيّر المحتفل ويُبدل حركات الطقس على هوى نفسه . (وثانياً) روح الاستخفاف والاهمال وقلّة الاكتراث اما هرباً من التعب واما ضنّاً بالوقت فمتى ساد هذان الامران « جعلا الكرم خراباً والتين حطاماً فيقشرانه باسنانهما المشبهة اسنان الاسود ويبذانه فتبيضّ اغصانه » (يوئيل ١ : ٧) اي تصبح العبادة الخارجة لله مجابة للعار وامتهاناً للدين اذ يصير لكل كاهن طقس مخصوص ونظام مستقل ولا يعود فرق بين الاحتفالات والايام الاعتيادية فتخمد الحركة الدينيّة وتموت الشواعر التقويّة

ولهذا اوصى القديس بولس اهل تسالونيكي (٢ تس ٣ : ٦) ان يتجنبوا كمحروم ذلك الذي يخالف الترتيب والنظام حيث قال : « نوصيكم ايها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح ان تتجنّبوا كل من يسلك من الاخوة على خلاف الترتيب بغير مقتضى التقليد الذي تسلّموه منّا . وقد ورد في المجمع التريدنتيني في جلسته السادسة وقانونه ١٣ ما نصّهُ :

ان طقوس الكنيسة الكاثوليكية المقبولة والمثبتة والجاري استعمالها في مباشرة الاسرار المقدسة الاحتفالية لا يمكن احتقارها ولا إهمالها اختياراً من الخدّام بدون خطأ ولا تبديلها بطقوس أخرى من اي راعٍ كان

وعلى ذلك قد نعى المجمع اللبناني بالتشديد عن تبديل الطقوس البيعيّة المقبولة بأخرى جديدة على حسب الهوى ولو كانت من طقوس كنائس أخرى . ثم يأمر كل كاهن ان يكون نصب عينيه وبين يديه كتاب الطقسيّات . . . ليتسنّى له القيام بخدمته كما ينبغي خلواً من ان يزيد شيئاً او يحذف شيئاً (في الاسرار عموماً عدد ٢)

فهذه الدواعي وما شاكلها قد حرّكت غيرة السيّد الفضال البطريرك الياس بطرس الحويك السامي الملتهب غيرةً على مجد الله واصلاح شؤون طائفته ان يأمر اولاده آباء الرسالة اللبنانيّة الموارنة بوضع كتاب يجمع شتات الحركات الطقسيّة ونظامها ليُرجع اليه في احتفال القدّاس الالهي وصلوات الفرض في الحوس والجنازات والرتب البيعيّة والطوافات وغير ذلك من الطقوس والعبادات . فتفرّغ لهذا العمل بعض

الاباء المذكورين ونقّبوا في مكاتب المدارس والاديار والكرسي البطريركي على الكتب الخطيّة والمطبوعات وقابلوا ما بينها وجمعوا ما امكنهم جمعهُ ونظموا كتاباً سمّوهُ «مناثر الطقسيات» وعرضوهُ على انظار السيد البطريرك الكلي الطوبى فبعد ان شرّفهُ بنظره السامي وطالعهُ بعض السادة الافاضل والكهنة الاجلاء في الكرسي البطريركي اجاز طبعهُ والعمل بموجبهِ وأمر في منشورهِ الصادر في ١٨ شباط من العام الحاضر بالاعتماد عليهِ. فكفى بهذا تحريضاً لاكليروس الطائفة المارونيّة ليُقبلوا على اقتنائهِ ومطالعتهِ وقد وافق تمثيلهُ للطبع أواخر شهر شباط الذي فيهِ كانت شركة الصلوة توجّه صلواتها لاجل احترام الطقوس البيعيّة والمحافظة عليها فكأنهُ جاء ثمرةً لصلوات المؤمنين. وقد كان النجاز من طبعهِ في اواسط شهر أيار ليكون بمنزلة هدية من المؤلفين لمريم العذراء والدة الحمل الالهي الذي هو غاية كل طقس واحتفال كما انهُ مبدأ كل خير وصلاح. فنسأل فادينا الالهي ان يعود هذا الكتاب لتمجيده ومنفعة النفوس وان يجزي كل من تعب فيهِ خير الجزاء. امين

الفتاوى الاميركيّة في المعتقدات الدينية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ اللبناني في وطنهِ كأرز جبالهِ فيكون طيّب الارومة شديد البنية باسق الفروع صافي الجوهر لا يعتريهِ الفساد حتى بعد توغّله في السنّ. وما ذاك الّا لحسن التربة التي ينشأ فيها ويترعرع في نواحيها ويستنشق هواءها الطيّب فيُضحي عنصرهُ اشبه بعنصرها حتى يرقد رقادهُ الاخير في ظلّ سمائها وقرب الكنيسة التي تولد نفسهُ عند الوفاة لافراح النعيم كما اولدتها بالعموديّة الدين المستقيم

تلك صورة اللبنانيّ في جبل قدسهِ على انَّ بينهُ وبين ارز لبنانهِ شبهاً آخر وهو ارتياحهُ الى وطنهِ بحيث لا يُحبّ ان يُغرس في غيرهِ من الاوطان فان غُرس فقدَ شيئاً من محاسنهِ ومميّزاتهِ الجدّيّة. كذلك اللبناني اذا انتقل بالمهاجرة الى بلاد اجنبيّة قلّما يصون في قلبهِ تلك السجايا الطيبة والخلال الممدوحة التي كان يمتاز بها في وطنهِ. وكفانا

برهاناً على قولنا ما تنقلهُ الجرائد كل يوم عن سوء تصرف كثيرين من المهاجرين في بلاد الغربة والسبب في ذلك واضح فانَّ هؤلاء المساكين يحلُّون بين أُمم تخالفهم اصلاً ودينًا ولغةً وعادات فيقصدون التشبُّه بها ويعدلون عن الجوهر ليتمسَّكوا بالاعراض واصطلاحات التمدُّن الخارجة او يتشبَّهون بمن تخدعهم ظواهرهم ويقعون في اشراك ذوي الغايات والمطامع فيصيرون بعد قليل مثلهم في ارتكاب الجنايات واتيان المحظورات

واذا فسد قلب الانسان اسرع الفساد الى عقله فيعادي الدين لأنهُ يجد في الدين مبكتًا لأعماله الباطلة ورادعاً يردعهُ عن سوء السلوك واذا حاول احد ارباب الصلاح ان يرشدهُ ويعود بهِ الى سواء السبيل قام في وجههِ وصوَّب سهام الملامة الى خدَمة الدين ونسب اليهم كل ضرب من الاثام وان رأى في سلوكهم ما يوازي دقَّة البعوضة كبَّرهُ حتى يبلغهُ جرم الفيل او ضخم الجمل

ومن هؤلاء المتطاولين على الدين من يرتقي مجالس الخطابة فيخوض في ميادين الجدال عن الدين وخواصهِ وهو لا يعرف من اصولهِ الَّا ما قرأهُ في بعض كتب الملحدين او صحائف المتشدقين . ويجلس غيرهم « على كرسي موسى » فيُفتون في امور الدين الفتاوى العجيبة التي لم تخطر على بال ُطس الحكماء وكبار الفلاسفة وائمَّة اللاهوت ولو اردنا جمع هذه الفتاوى الاميركيَّة — ولولا احترامنا لقرَّائنا لدعوناها بالخرطات الاميركيَّة — لأنف عددها على المئين لا يفسح لنا ضيق المكان مجالًا لايرادها وها نحن نكتفي ببعض المزاعم التي نشرها افراد من اولئك الكتبة ليقف القرَّاء على علم هؤلاء الاساتذة

عقل الحيوان

فمن ذلك مقالة لجناب « الكاتب العصري » فرح انطون ادرجها في الجامعة تحت هذا العنوان « الحيوان يعقل كالانسان » أتى ببراهين دامغة كاد يحسدهُ عليها دروين إمام مذهب التحوُّل الَّا انَّ ذاك الكاتب ألف لتأييد قولهِ كتبًا ضخمة ولم يعرض قولهُ الَّا كرأيٍ من الآراء امَّا كاتبنا العصريّ فانَّهُ حكم الحكم البات ولم يدعْ ريبًا لمرتاب وذلك في « حقل ونصف » من جريدتهِ الجامعة

وان اردتَ ان تعلم ما هي هذه البينات اللامعة روى لك قصَّة ثلاثة هررة كانت كل هرَّة تكرع الحليب من اناء مرقوم عليهِ عدد من الاعداد الثلاثة الاولى

فاستدلّ من ذلك انّ للهرة معرفة بعلم الحساب. ونحن نشير على جناب الراوي ان يجرّب تلك الهرة بان يجعل في الاناء المرقوم بالعدد ١ خمسة قطع من اللحم ولا يضع الّا قطعة واحدة في الاناء المرقوم بالعدد ٢ وقطعتين في العدد ٣ ويطلق العنان للهرة فلا نشك في انّ الهرّة صاحبة العدد ٢ والهرّة صاحبة العدد ٣ تزهدان وتموتان من الجوع محبةً بعلم الحساب. واملّه يقول ان هجمت الهرّتان على الخمسة القطع من اللحم انّهما فعلتا ذلك لمعرفتهما بفضل العدد ٥ على العدد ١ او ٢. فما قول الخواجا فرح انطون بهذا العلم الفائق (اطلب في مجاني الادب ٢ : ٢٠٨ قصّة كهذه تشهد للسنانير بالعلم)

وأتانا بمثل «الحصان العالم» في المائة الذي كان يجيب صاحبهُ عن التاريخ العددي بنقر حافره فجدّد لنا ذكر تلك الخزعبلة التي نقلتها مجلّتا الهلال والمقتطف واثبتنا كذبها في المشرق (٨ : ٢٨٥—٢٨٧) بل اقرّت مجلّة المقتطف بشططها في نقل ذلك الخبر الذي زيّفتهُ لجنةٌ من العلماء في برلين. فتعجّبنا كيف عاد «الكاتب المصري» فرح انطون الى تجديد هذه «الخرطة» الفظيعة

وكذلك اورد لنا مثل بعض قرود تأتي اعمالًا يأتيها الانسان فقال عنها «انّها تبتني المنازل وتعيش نوعًا كالمتحضرين» فيا لها من اكتشافات عجيبة تقضي بانّ للحيوان عقلًا كالانسان. وعندنا انّ الانسان دون الحيوان في امور كثيرة كبناء عشوش الطيور واوكار بعض الحيوانات ولو قصد لا يستطيع ان يأتي مثلها فلا بدّ من القول انّ الحيوان اعقل من الانسان. وكان ادى «الكاتب المصري» برهان اقوى من ذلك وهو قريب منهُ زيد ذلك «القرد امبراطور» الذي زعم الهلال انّهُ كان «يفهم اللغة الانكليزيّة» (اطلب المشرق ٩ : ٤٨٣) فنشير الى الخواجا فرح انطون ان يدرس على ذلك القرد لغة البلاد الاميركيّة وينشر ملخّص دروسهِ عليهِ

فهذه اخصّ البراهين التي توجب العلماء في عهدنا بان تسجّل على مزعم «الكاتب المصري» فرح انطون بان الحيوان عاقل كالانسان. ونضرب صفحًا عن امثلة اخرى ضربها جنابهُ لبيان قولهِ صونًا لشرفهِ كالذي رواه عن «ذكاء الخنزير» وما اشبه. وان طلب جنابهُ ان نعدل عن الهزل ونكلمهُ بالجدّ فيتّضح لهُ تعليل تلك الاعمال في بعض الحيوانات أحلناهُ الى مقالة حضرة الاب لويس رزقال في الراهبة والغزيرة (المشرق ٤ :

١١٠٥) فيجد الجواب على سؤالـهِ ولا يعود يخلط « بين شعبان ورمضان » فيميز « بين الالف والمادنة »

الماسونيَّة في اميركا قبل التاريخ

لا يأخذك العجب من هذا العنوان ايهـا القارئ اللبيب فلستُ انا بمخترعهِ بل نقلهُ احد اللبنانيين عن بعض الاميركيين ودوَّنهُ في جريدة الهُدى في جملة مقالة طويلة فيها عجائب وغرائب اكثر من « جراب الكرديّ ». فمن بعض مزاعمها ان اميركا قبل اكتشاف كولمبوس كان يسكنها شعب من الاسرائليين او جيرانهم الفينيقيين. ولا شكَّ ان اكتشافاً مثل هذا لو صحَّ الخبر يُعَدّ من اعظم الاكتشافـات العصريَّة لكنَّنا بعد التروي تحقَّقنا انَّ هذا ايضاً من جملة الاقاصيص الاميركيَّة التي لم يكترث لهـا احد من العلماء. واراد المشعوذ ان يأتي بشبه برهان على قولهِ فأتى بذكر حجارة زعم انَّها وُجدت في اميركة عليها كتابة عبرانيَّة مضمونها اسم « يهوه » اله العبرانيين مع ذكر بعض صفاتهِ الواردة في التوراة. على انَّ مجرَّد النظر الى رسم تلك الكتابة وصورتهـا يبيِّن جليًّا انَّ الاثر مصنوع حديث العهد لا صحَّة لهُ

ثم اردف هذه « الخرطـة » بذكر آثار الماسونيَّة في العالم الجديد قبل التاريخ . وان سألت الى اي سندٍ استند الى اثبات هـذا الامر الغريب . اجابك ان الاثريين الاميركيين وجدوا بعض أدوات بنائية منها فأس من الحجر الاسود فزعموا انَّ مصطنعي تلك الآلات كانوا من البنَّائين ولمَّا كانت جماعة البنَّائين هي جمعيَّة الماسون كما يُترجَم اسمهم بالفرنسيَّة استنتجوا من هـذا الاكتشاف انَّ اولئك القوم كانوا من جمعيَّة الماسون. أفلا تقتنع ايها القارئ بهذه الحجَّة القاطعة. فما احراك بأن تُقابَل بتوما القليل الايمان ان لم ترضَ بادلَّة كهذه . وان شئت برهانًا اعظم اتاك بهِ صاحب المقالة بما حرفهُ « انَّ بقرب البحيرات الكبرى في الولايات المتحدة عدَّة علامات مـاسونيَّة كالصليب المالطي وغيرهِ فاستنتج علماء الاثار القديمة من كل ذلك انَّ سكَّان اميركا قبل التاريخ كانوا يعرفون الماسونيَّة ويستعملون علاماتها ». وكان يمكن لصاحب المقالة ان يزيد على قولهِ انَّ الكنيسة لاسيما في الشرق اتخذت منذ اول النصرانيَّة الصليب المالطي (✠) الكنيسة ايضاً هي جمعيَّة ماسونية . فلا جرم انَّ براهين كهذه المع من الشمس في رائعة النهار. امَّا نحن فعندنا برهان يرقي الماسونيَّة الى جنَّة اوَّل التكوين والى عدن نفسها لانَّ

هناك سُمع لاوّل مرّة شعار الماسونيّة على لسان الحيّة : « ان عصيتما امرهُ تعالى بأكل الثمرة لن تموتا بل تصيران كآلهة عارفي الخير من الشرّ » فهذا الشعار احقّ بالماسونيّة من سواه اذ فاه به المارد الكبير رئيس الابالسة ومنشئ الماسونيّة الاعظم وكان سبق آدم بعصيانهِ صارخاً : « لستُ متعبداً فلا اخضع »

ابليس الصالح

وهذا ايضاً من ثمرات الاوراق الاميركيّة فانّ شاباً اسمه حافظ طرزي زيّن احد اعداد جريدة ابي الهول بمقالة قام فيها محامياً عن ابليس فوصفهُ كشيخ مظلوم لا يعرف البشر فضله وانّما يسبّونهُ ويلعنونهُ زوراً وجهلاً لطاعتهم العمياء لاقوال الاكليرس وانّما الاكليرس مسخوا صورة ابليس وصوّروهُ على خلاف شكلهِ الصحيح واخترعوا وجود الخطيئة الاصليّة وزعموا انّها تمحى بالمعموديّة وذلك « طمعاً منهم بالرئال المجيديّ الذي يتقاضونهُ على كل من يعمدونهُ »

وهذا كلّهُ قد اوحاهُ ابليس لحافظ افندي الطرزي الذي هو من اصدق اصحاب شيخ الهوّة فظهر لهُ الشيطان على قوامهِ واوحى لهُ بالسرّ المدفون . فما بقي علينا الّا ان نهنئ حافظاً طرزي على الشرف الذي نالهُ لكنّنا لا ندعو لهُ بدوام الوداد مع ذلك الصديق الحميم لئلا يرى يوماً ما يُعدّهُ ذلك الشيخ الكريم من الهبات النفيسة في ملكهِ لاصحابهِ ويسمع صوت القائل : اذهبوا ايها الملاعين الى النار الابديّة المعدّة لابليس وذويهِ

وقد أتبع كاتبنا الجاهل دفاعهُ عن الشيطان بنبذة كل حرف منها « عالك وتخبيص » فيرونا انّ شكري افندي الخوري يثبت في جريدتهِ ابي الهول مثل هذه « اللبّات الكفريّة » المسوّدة لوجه التاريخ . ولا يعذرهُ قولهُ في آخرها « انّ لهُ على هذه المقالة كلاماً » فانّ خرافات كهذه لا تستحقّ ان تطبع في جرائد « الزعران » نفسها فكان افضل لهُ وانفع لقرائهِ ان يتابع لهم قصّة زُعيتر او فنيانوس من هذه « التافيقات »

الدين والعلم

ولكن دعنا وهذه السفاسف فلنوجّه الانظار الى معلّمين آخرين قاما في اسرائيل بين اميركا احدهما ملحم افندي خليل عبده والآخر قيس افندي لبكي فانّ الاوّل كتب مهاجري في المهاجر فصلاً تحت عنوان الدين والعلم وتبعهُ الثاني فغنّى على نغمتهِ في جريدتهِ

الحديقة وكلٌّ منها ادَّعى ان الدين والعلم لا يتَّفقان. ففحصنا اقوالها وسبرناها بميار الفكر وعرضناها على محكّ الانتقاد لعلّنا نجد دليلًا صادقًا او شبيهًا باليقين يوجب هذا الحكم ودونك نتيجة بحثنا

نبتدئ بفصل ملحم افندي الذي جمع في ثلثة اعمدة كلامًا طويلًا كلُّهُ طعن في الدين فكرَّر مرارًا ان الدين والعلم لا يتَّفقان والتجأ الى سبنسر ودروين وريتان وكل « قرطة » الكفار ليثبت مدَّعاهُ وزعم انَّ اهل الدين ينسبون الى نفسهم العصمة فيما يقولون امَّا اقوال غيرهم فيردُّونها تيهًا وعجبًا لمجرَّد كونها لا توافق آراءهم

على رسلك يا ملحم افندي فاني اراك اشبه بفارس الاسبانيين المعتوه المسمَّى دون كيشوت الذي لم يفكِّر في غير الحروب حتى انهُ كان اذا رأى شجرًا او ارحية هواء ظنَّها جيشًا كرَّارًا فهجم عليها بسيفهِ ورمحهِ ليظفر بها. فكذلك اراك تحارب الدين حربًا عوانًا حيث لا وجه لانتشاب الحرب وامتشاق الحسام

فايّ علم ناشدتك الله نشأ في عصرنا وقامت الكنيسة او ارباب الدين لمناقضتهِ فليس بين المعارف العصرية علمٌ واحد الَّا ولاصحاب الدين فيهِ ائمَّة من العلماء المبرّزين الذين لم يؤخرهم دينهم شيئًا عن مجاراة رصفائهم وعن التوغُّل في اسرار الطبيعة واكتشاف كنوزها الخفيَّة. ولا اطلب لاثبات قولي برهانًا بعيدًا فانَّ في العام الماضي توفي ثلاثة من كبار العلماء بلغ كل منهم اوج الفخر في علمهِ فعُدَّ قولهُ حجَّة بين آل عصرهِ احدهم المسيو دي لاپاران (راجع الصفحة ١٤٢) كان امام الجيولوجيين اي علماء طبقات الارض وتبلغ مصنَّفاته المئين فكان اشدَّ الناس تمسكًا في دينهِ لا يجد في اكتشافاته ما ينقض اركان الدين بل ما يزيدها مكانةً وثباتًا وكثيرًا ما ردَّ على رصفائهِ وزيَّف مزاعمهم في حقّ الدين. والثاني هنري بكريل الذي توفَّق الى اكتشافات عديدة في الاجسام المشعَّة وكان يجلُّ الدين ويمارس كل تعاليمهِ ولم يجد البتَّة في الدين ما يعيقهُ عن درس الطبيعة واستخراج دفائنها المكنونة. والثالث هو الاب اليسوعي لافون الذي اشرنا الى تقدير العلماء لاعمالهِ الخطيرة وثناء مجلس الأمة في لندن على خدمهِ للعلوم الفلكيَّة

ما نقولهُ عن هؤلاء يمكن قولهُ عن الوف غيرهم تُغني اقلامهم كلَّ يوم نوادي العلم بما يضعونه من التآليف في كل ضروب المعارف وكثيرون منهم اساقفة وكهنة

ورهبان فان صدق قول ملحم افندي لما امكن هؤلاء ان يتعاطوا العلوم الا بعد ان يجحدوا دينهم لانَّ الدين والعلم لا يتفقان

وان اعتبرت المدارس والكليَّات والجمعيَّات العلميَّة والمطابع ودور الصنائع لرأيت انَّ لاهل الدين فيها حظاً اوفر من سواهم . فانَّ اليسوعيين وحدهم مثلاً يديرون في العالم ثمانية عشر مرصداً فلكيًّا تستمدُّ الدول نفسها من رصود مديريها . أفيقول ملحم افندي انَّ اليسوعيين لا يتجرَّدون للعلم الا بنبذ الدين ؟

فان عدلت الى العلوم التاريخيَّة او اللغويَّة الجديدة وجدت اهل الدين يكاثفون سواهم في ابحاثهم فهذا الاب شيل الدومنيكي يُعَدّ كشيخ العلماء في شرح الكتابات الاشوريَّة ومثلهُ الاب اليسوعيّ ستراسماير . كذلك كثر المؤرخون الكاثوليك الضلعاء باخبار الدول والكنيسة ممَّن ينحني امامهم كل العلماء ويقرّون بفضلهم كالاب غريزار اليسوعيّ والاب دنيفل الدومنيكي . امَّا الاثريُّون فاكثر من ان يُحصوا . وعلى ذلك قس بقيَّة المعارف واللغات الاجنبيَّة فانَّ اهل الدين لم يدعوا صنفاً من العلوم دون ان يتزاحموا في احراز درره ويصنّفوا فيه المصنَّفات الجليلة . فهذا رينان زعيم الملحدين تعلَّم اللغة العبرانيَّة على الكاهن العالم لوهير (Le Hir) وكثيراً ما اطنب في محامده حتى بعد رفعهِ رجلهُ على الكنيسة التي ربَّتهُ بين طلبتها في سان سولبيس

فقلت اذن شططتَ يا ملحم افندي اذ زعمت انَّ الدين ينافي العلم وغاية ما يؤخذ من مقالتك انَّ اهل الدين لا يسلمون بكل ما ينسبهُ البعض الى العلم كرأي دروين في النشوء والارتقاء وغير ذلك مما يذهب اليهِ قوم من العلماء . لكنَّ اهل الدين لا يردون هذه المزاعم باسم الدين فقط بل باسم العلم ايضاً ويوافقهم في تنزيهم لهذه الاراء علماء خالون عن كل غرض ديني اذ لم يجدوا في تأييدها ادلَّة مقنعة

كذلك شططت بقولك « ان الدين يحتاج الى ان يطبَّق على روح العصر واكتشافاتهِ العلميَّة » فانَّ الدين مبنيّ على تعاليم اوحى بها الله او علَّمها ابنهُ الالهي للبشر يزول السماء والارض قبل ان يزول حرف منها لأنَّها عقائد راهنة ثابتة مصدرها الحق الذي لا يمكنهُ ان ينخدع او يخدع احداً فليس للانسان بعد ان يتثبَّت صحَّة الوحي الَّا ان يطأطئ الرأس امام عزَّة الموحي بها

ثم انَّ للدين آداباً شريفة وفرائض منيفة تتناول الانسان في كل اطوار حياتهِ

وفي كل اعمالهِ مع خالقهِ ومع قريبهِ ومع نفسهِ فان قام بهـا المرء اصاب المرمى ونال سعادة الدارين

وعلى الوجهين ليس للدين حاجة الى ان ينطبق على روح الاعصار لأنَّ الدين حياة كل الاعصار وحلية كل الشعوب لا يحتاج الى ان يتحوَّل كل يوم الى صورة جديدة او يلبس زيًا جديدًا فانهُ مع ثبات مبادئهِ ودوام تعاليمهِ يوافق كل الموافقة احوال البشر في اي زمن واي بلدٍ عاشوا دون اختلاف احوالهم من صغار وكبار وعقلاء وجهَّال ورؤساء ومرؤوسين ومتمدنين ومتبدين فليعمل الكلّ بوصايا الدين يروا قوَّتهُ في توطيد الهيئة الاجتماعيَّة وتوثيق رباطات المجتمع البشري وتمكين اهلهِ من السعادة

امَّا اللام الذي وجَّههُ ملحم افندي الى ارباب الدين وتعييرهُ لهم بعض اعمالهم السيئة فانَّهُ خارج عن موضوع كلامهِ . وان سلَّمنا بهِ فذلك لا يدلّ على مناقضة الدين للعلم . على كل حال نقول لهُ قول المسيح عن الكتبة والفريسيين انَّ ارباب الدين جلسوا على كرسيّ موسى فليسمع لاقوالهم ولا يعمل باعمالهم . على اننا عالمون والشكر لله انَّ ارباب الدين اجمالًا ابرئا ممَّا يتَّهمون بهِ يطابقون بين تعاليمهم واعمالهم فلا يزالون نور الدنيا وملح العالم وان وُجد بينهم بعض الافراد الذين سهوا عن شرف دعوتهم وحادوا عن طريق الصلاح فما لنا الَّا ان ندعو لهم لينهضوا من ورطتهم ويعودوا الى شرف رتبتهم ونتذكر ان بين تلامذة المسيح نفسهِ وجد رجلٌ شرّير اغضى الرب عن ذنبهِ.

يشوع بن النون ووقوف الشمس بامرهِ

بقي علينا قيس افندي لبكي فانَّهُ لم يجمع الاقوال الطويلة لبيان مقصودهِ في عدم اتفاق الدين والعلم لكن عمد الى واقع خصوصيّ اخبرهُ الكتاب المقدَّس فاستند اليهِ لثبات قضيَّتهِ . وقد سرَّنا ان نرى احد الكتبة ينقطع الى درس الكتاب الكريم ويبحث في معانيهِ ويتعقَّب مشكلاتهِ ولكن قد تسرَّع قيس افندي لبكي بحكمهِ على انَّه وجد تناقضًا بين الدين والعلم ولو راجع المفسرين او استفتى العلماء الكاثوليك لأرشدوهُ الى وجه اليقين

امَّا الواقع الذي أغاق على جناب الكاتب شرحهُ فهو خبر يشوع بن نون وتوقيفهُ للشمس فانَّ قيس افندي بعد براحهِ لبنان دخل الكليَّات الاميركيَّة ودرس العلوم الفلكيَّة ويظهر من مقدَّماتهِ على هذه المقالة انَّهُ برع فيهـا . والدليل على طول باعهِ انه

يعلمنا بحذق عجيب انَّ للشمس ثلاث حركات حركة يوميَّة اذ تدور على محورها مرَّة في كل ٢٤ ساعة ثم حركة سنويَّة اذ تدور حول الشمس مرَّة في ظرف ٢٦٥ يوماً واخيراً حركة فلكيَّة تشارك فيها نظامنا الشمسيّ

فبعد هذه الشروح انتقل فلكيُّنا العصري الى الحادث الذي روي في سفر يشوع (١٠ : ١١—١٥) وقد ذكر هناك كيف استمدَّ يشوع من الله ان تقف الشمس ريثما يتمّ لهُ الظفر من اعدائهِ فوقفت الشمس وسمع الربّ لصوت انسان حيث قاتل الربّ عن اسرائيل. هذا هو الواقع الذي شوَّش عقل قيس افندي وبلبل كل معارفهِ الفلكيَّة التي تعلَّمها في كليات اميركا لاسيما في داخليَّة الارجنتين «حيث اوجدت لهُ الظروف (كما زعم عن نفسهِ) احرفاً عربيَّة فشعر بدعوة تدعوهُ الى الكتابة» فظنَّ انهُ بتعرُّضهِ الدين يكتسب لهُ شهرة وبئس ما عنَّ لفكرهِ

ولو تروَّى جناب الكاتب لأمكنهُ ان يعتبر قبل تسطيرهِ لرأيهِ الكفريّ في تزييف كلام الله انَّ الوفاً وملايين من البشر بينهم كبار العلماء وفطس الفلاسفة وائمَّة الاحبار والملافنة العظام عرفوا ذلك الواقع من قبلهِ ولم يجدوا بتصديقهِ ما وجدهُ قيس افندي من المشاكل فخاف على الارض وخاف على الشمس وخاف على كل نظام الفلك ان يتبلبل بسبب تلك المعجزة فصاح بالويل والثبور ورأى ان الله عزَّ وجلَّ لم يمكنهُ لاجل شعب صغير كالشعب الاسرائيلي ان يصنع آيةً كهذه التي لا تقطع عقل فيلسوف عظيم كقيس افندي لبكي

فماذا تقول والى اين تهرب لتنجو من هذه السهام الصائبة والرجوم النارية افليس الأولى انَّ تقرَّ معترفين بجهلنا وتلقي عنَّا تبعة الدفاع عن الكتاب المقدَّس فتجاهر بما فيهِ من الروايات الخرافيَّة غير الصادقة وتعلن على رؤوس الملإ انَّ قيس افندي اكتشف اميركا جديدة وتحقَّق ان الكتاب المقدَّس مجموع خرافات ليس لله فيهِ حظّ البتَّة .

على رسلك يا افندي وان سمحتَ لنا بحثنا معك ملياً في هذه الآية لنعرف آراء اهل الدين في شرحها فلعلَّك تقرّ اذا سمعت اقوالهم بانك حملت الكلام على عواهنهِ

واوَّلاً يسوءنا ان نقول لك ان المعارف الفلكيَّة التي طنطنت بها نقلتها دون تدقيق عن احدى الجرائد الكفريَّة ولو راجعت كتب الهيئة المضبوطة لوجدت اغلاطاً في أقيستك ولعلمت انك لم تبهرنا بعلمك المستعار

ثانياً ان اعتراضك على الكتاب المقدس في امر توقيف الشمس قد عرفهُ من قبلك ارباب الدين واعداؤهم فما كانوا اليك في حاجة للاعلان بهذا المشكل وللردّ على شبهته

ثالثاً بل لست انت الواقف على هذا الاعتراض بقراءتك للأسفار الالهيَّة وانما استقيتهُ من الموارد الفولتيريَّة فخُدعت بصفائها وليست هي الّا مستنقعات وخمة. قال فولتير قبلك في الكتاب المعنون « التوراة المفسَّرة »: انَّ الطبيعيين لا يدركون معنى قول يشوع للشمس لن تقف والشمس كما هو معلوم ليست بسائرة. ثم لا يفهمون كيف انَّ ذلك اليوم الطويل الذي كان شبه نهارين لم يغيّر حركة السيَّارات ونظام الكسوفات » هذا ما قالهُ فولتير وردّدهُ من بعده صديقنا لبكي ولو اراد الوقوف على جواب العلماء في ذلك لاستطاع ان يستفتي اراكو (Arago) اكبر فلكيي العصر السابق حيث قال في كتابه المدعوّ العلوم الفلكيَّة الشعبيَّة (Astronomie populaire III,23):

« قد ساء ظنّ فولتير بيشوع بن نون حيث نسب اليه الجهل بحركة الارض وسكون الشمس فانَّ يشوع اذ امر الشمس ان تقف حمل كلامهُ على مفهوم اهل عصره وتكلّم كما نتكلّم نحن ايضاً اذ نقول طلعت الشمس وغابت وسارت في كبد السماء مع علمنا بان الحركة هي حركة الارض حقيقة ليست حركة الشمس كذلك يشوع لم يوقف حركة الشمس بل حركة الارض »

على انَّ هذا الجواب لا يزيل المشكل بتمامهِ وانما ينفي فقط حركة الشمس حول الارض ولكن هل اوقف يشوع حقيقة ارضنا في دورانها اليوميّ على محورها فانَّ في ايقافها من الخوارق والمعجزات ما يصعب ادراكهُ وما ينشأ عنهُ اضرار جمّة في نظام الطبيعة. ولا شكَّ انهُ كان بقي من ذلك الواقع بعض الاشارات اما في تاريخ الامم واما في الآثار القديمة. وليس لنا دليلٌ على ذلك مطلقاً. فدونك الاجوبة التي تقرّب تصديق هذه الآية وذهب اليها العلماء من اهل الدين

اوّلاً وان سلّمنا بان يشوع بن نون اوقف حقيقة الارض في سيرها ريثما تتمّ لهُ النصرة على اعدائهِ فانَّ الله سبحانهُ وتعالى امكنهُ ايضاً ان يمنع في الوقت ذاتهِ الاضرار الناجمة عن توقيف الارض فانَّ قدرة الله وحكمته لا تنحصران في حدود بشريَّة فيمكنهما ان تتناولا الكون برمّتهِ وتتلافيا ما ينجم في حدوث تغيير نظام الطبيعة من الاضرار. ومن هذا القبيل يبطل زعم الذين ينكرون وقوع هذه العجيبة خوفاً من عواقبها السيئة.

فسكّن بالك يا قيس وأفرغ روعك فليس على الله شيء عسير وان رأى بعنايته انّ في ايقاف حركة الافلاك نفعاً لمخلوقاته اوقفها لا محالة اذ هو ربُّ الطبيعة يتصرّف بجوهرها تصرُّف السيّد بعبده المطيع فتتمّ ما يشاء وكيفما يشاء.

ثانياً ولعلّ قيساً وامثالهُ لا يقنعون بهذا الجواب الاوّل ويصرُّون على نكرانهم لما يستلزمهُ ايقاف كرتنا الارضيّة من كرة العجائب ونحن نعلم ان الله عادةً يتّخذ في عمل آياته الوسائط القريبة. فدونك شرحاً آخر نستعيرهُ من اقوال قوم من الفلكيين. قالوا انّ غاية ما طلبهُ يشوع بن نون في حومة الوغى من الله اسرائيل ان لا يبقى انتصارهُ على اعدائه ناقصاً بغيب الشمس وانسدال ظلمة الليل على الارض فأجاب الله الى سؤله دون ان يغيّر شيئاً في حركة الارض والافلاك وانما عكس في الجوّ اشعّة الشمس بعد مغيبها حتى ان العين كانت لا تزال تنظر نورها في الجوّ مع غيوبها وراء الأفق. اما انعكاس تلك الضياء او تصرُّفه بها فامكنهُ ان يصير على طرائق شتى كبعض الظواهر النوريّة التي تحدث في سمائنا كالشفق الشمالي في بعض البلاد مثلاً

ثالثاً وقد آثر بعض المفسرين للكتاب الكريم رأي القائلين بانّ الله أوجد جرماً منيراً في الجوّ جعلهُ بدلاً من الشمس وأثار به بني اسرائيل ريثما يتعقّبوا اعداءهم المشركين ويستأصلوا شأفتهم. فان رضي قيس افندي بهذا الجواب تخلّص من الارتباكات التي تخوّفها من وقوف الارض والافلاك

رابعاً وقد امعن غيرهم من المفسرين النظر في درس رواية هذا الفصل في سفر يشوع فوجدوا انّ الراوي يذكر في ذلك المكان ان الله رمى اعداء بني اسرائيل ببرَد عظيم الحجم كالحجارة (يشوع ١٠ : ١٠) فاستنتجوا من الامر انّ محلّة العموريين كانت تكاثفت عليها السُّحب وادلهمّت الظلمات وضُربوا « بحجارة البَرد » حتى صار نهارهم ليلاً دامساً فلمّا تتبّعهم يشوع بن نون خاف ان تلك الدياجير تمنعهُ من ادراك آثارهم فطلب من الله ان تنقشع تلك الدُجون وتعود الشمس الى نورها العادي فاجاب تعالى الى ما طلب منهُ عبدهُ. فعلى قول هؤلاء تقوم الآية باضمحلال تلك الظلمات القاتمة التي كانت سوّدت اديم السماء. فلا بأس ان يلتجئ صاحبنا قيس الى هذا التفسير وتبقى مبادئهُ الفلكيّة سليمةً لا خوف عليها من طوارئ المعجزات

خامساً واخيراً قد وجد بعض المحدثين من كتبة عصرنا وجهاً آخر لشرح آية يشوع

قالوا: انّ راوي معجزة ايقاف الشمس في هذا الفصل لا يتكلّم عن لسانهِ بل ينقل روايةً شعريّة وردت في سفر يُدعى سفر المستقيم قال (يشوع ١٠ : ١٢) : « فوقفت الشمس وثبت القمر الى ان انتقم الشعب من اعدائهم . وذلك مكتوب في سفر المستقيم ». ولمّا كان هذا سفر المستقيم كتابًا شعريًا يشتمل على اخبار واغانيّ ومنظومات شتى كان يتداولها العبرانيّون فنقل كاتب سفر يشوع ما وجدهُ في ذلك المجموع تاركًا العهدة على صاحبهِ الشاعر . ومن المعلوم ان الشعراء اذا رووا خبرًا بالغوا في وصفهِ وزيّنوه بضروب البديع ونسبوا لهُ المعجزات كما تمثّلها قوّتهم المخيّلة . وخلاصة هذا الجواب الذي ورد آخرًا في مجلّة الدفاع الديني (Revue d'Apologétique) انّ ما روي في هذا الفصل ليس هو كلام صاحب الوحي بل هو منقول على علّاتهِ من كتاب آخر عالميّ شعريّ منقود روى الكاتب كلامهُ دون ان يلتزم بصحّتهِ ولذلك اشار الى المورد الذي استقى منهُ بقولهِ « وذلك مكتوب في سفر المستقيم ». امّا نحن فلا نقطع بصحّة هذا الجواب الّا انّ الكنيسة حتى الآن لم تنفِ صدقهُ فهو من الآراء الراجحة التي يمكن التشبُّث بها . فان وجد قيس افندي في حلّ المشكل على هذه الطريقة جوابًا مقنعًا فعليهِ بهِ فانهُ لا يعود لهُ خوف من تشويش النظام الفلكي فضلًا عن انهُ لا يجد موجبًا للقول بمناقضة الدين للعلم

وفي الختام نتوسّل الى الكتبة الاميركيين ان لا يتعدّوا طورهم في الكتابة عن الدين فانّ الابحاث الدينيّة ليست كأبحاث السياسة وغيرها التي يجوز لاصحابها ان يذهبوا فيها مذاهب ويُخرجوها على مقتضى اهوائهم واغراضهم الشخصيّة ويزيدوا فيها وينقصوا منها كما تقتضي الظروف امّا عقائد الدين وتعاليمهُ فهي وديعة تسلّمها الانسان من ربّهِ وسيطالب عنها يوم الدين فعليهِ ان يُضحّي النفس والنفيس في صيانة تلك الوديعة والويل لهُ كل الويل اذا فقد منها شيئًا . وشرف اللبنانيين انما هو امانتهم في حفظ ذلك الكنز الثمين مدّة اجيال متوالية فننشدهم الله ان يتعقّبوا اثار اجدادهم ولا يحيدوا عن امثالهم الصالحة فينالوا ما نالوهُ من الفخر في هذا العالم ومن المجد الاثيل في دار البقاء

نخبة

من امثال القس حنانيا منير

بقلم جامعها وشارح غريبها عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني (تتمة للسابق)

الحرامي والجهل ونحو ذلك

الحرامية بينادوا على اصحاب البيوت (١ = حرامي البيت ما بينظر (٢ = الرزق الداشر بيعلم الناس الحرام (٣ = الله يستر الكرم من الناطور = خاص العنب وقات قيمة الناطور = شح الحليب وقات قيمة الراعي = الراعي اذا اجتهد بيحلب التيس = بعيق الجدي ولا سواد العنقود (٤ = رعاية شهر تيسنة سنة (٥ = قل له : ثور . بيقول لك : حلب (٦ = رفيقك على الطاحون زحمة = يا رايح على الطاحون خيط بغير هذه المسلة = حبة القمح بتدور بتدور وبترجع للكور (٧ = عمرك لا ترافق ولد . ان وقعت حمارتك بيضحك عليك وان وقعت حمارته يبكي عليك = اين بيهرب الديب من الشمس = اين بتهرب الشمس من القصارين (٨ = ما بيجي الترياق من العراق حتى يكون ملسوع الهوى فارق = ١٠ اصبحت الجمرة رماد حتى صيرت لحم الجمل همبس (٩ = الشمس شارقة والناس قاشعة (١٠ = اصبر يا كديش حتى يطلع الحشيش (١١

---

١) الحراميّة جمع حرامي وهو اللص عند العامّة ولا يستعملون غيره

٢) بينظّر اي يُنظّر ويُراقب

٣) الداشر العامل والمحروك . ويقال ايضاً « الرزق السايب الخ » وهي بمعناها

٤) والمعنى ان صوت الجدي يكون في اوائل الربيع فيبشّر بقرب احسن الفصول . وسواد العنقود يكون في آخر الصيف فيبشّر بقرب اقبح الفصول وهو الخريف

٥) تيسنة اي الصيرورة تيساً

٦) يُضرب لمن لا يعقل الامور

٧) الكور في عرف الطحّانين الوعاء الذي يوضع فيه الحب ويجري منهُ الى الرحى لتطحنهُ

٨) القصّار الذي يبيض الثياب وينظفها

٩) همبس اي ناضج ومحترق

١٠) قاشعة اي ناظرة

١١) الكديش البرذون . ومثلهُ قولهم : اسقيك بالرعد يا كشّون

الحظ والاعتدال

صابر لك حظّ على قلة دين (١ = يطعم الجوز للذي ما له لسنان = الزائد اخو الناقص = قلنا لك: قمّره . ما قلنا لك: احرقهُ (٢ = قلنا لك: عمّده . ما قلنا لك: اخنقه = سمّوك سيد لا تزيد (٣ = سمّوك راجح قال: انشاء الله نصل للحق = لا يموت الديب ولا يفنى الغنم (٤

السيف والغياب

الذي ياكل من خبز السلطان يضرب بسيفه = ان ما قطع السيف بيقطع ضاربه = سيف الدولة طويل = السيف وجهه ابيض = لا للسيف ولا للضيف ولا لغدرات الزمان = ما بيصل الينا السيف الّا حديدة = قد تُطفأ النار بالتراب ويفنى الحبّ بالغياب = غيبوا عن النواظر تسلاكم الخواطر = ابعدوا تانحبكم واقربوا تانسيكم (٥

منتخبات مختلفة

قد يعمل الجاهل بنفسه ما يعمله العدوّ بعدوّه = الجاهل عدوّ نفسه = من حفر لاخيه حفرة وقع فيها = من اقرّ بذنب لم يعمله أوجب الذنب عليه = من اقرّ بذنبه لا ذنب عليه = التكرار بيأثر في الحجار = المداومة تقطع خرزة البير (٦ = قال: ليش بتبكي وانا عمك . قال: كل بكايني لانك عمي = ايّ من اخذ امي بسميه عمي (٧ = قال: من يشهد للعروس . قال: امها والماشطه = قال: من بيشهد للشاب . قال: ذنبته = فيه

---

١) اي انهُ رزق ما ليس باهل له

٢) قمّر الشيء اذا شواه على النار حتى احمرّ وقساء يُضرب للاعتدال في الامور. ومثلهُ المثل التالي وهو يصلح للذين يعمدّون بالتنطيس

٣) السيّد عند العامة تسهيل سيّد

٤) ومعناه الاعتدال بالافراط والتفريط

٥) (تا) عند العامة مخفف حتّى

٦) خرزة البئر حجر ضخم مستدير مثقوب في وسطه يوضع على فمها

٧) العم عند العامة زوج الام و يعرف عند العرب بالرابّ والخالة زوجة الاب وتُعرف في اللغة الفصحى بالرابّة

كلام بدّه شاهد وكلام شاهده منّه وفيه (١ = مـا احد بينادي على زيته عكر = الف دقّ دقّ ولا سلام عليك = مكتوب على باب البوّابة ما عمر حرير شكرته كبّابة (٢ = مكتوب على ورق الخيار : اللي بيسهر الليل بينام النهار (٣ = مكتوب على ورق القريك (٤ : شريك ما بيحب شريك = مكتوب على سروج الخيل : اللي بينام النهار بيسهر الليل = موضع المضيق يساع الف صديق = دخّل زكرته بين الضروف (٥ = زاد واحد يقري اثنين = من حيّ فطيمـه في سوق الغزل (٦ = اجوا يبطروا خيل السلطان مدّت الخنفسة رجلها = التلم الاعوج من الثور الكبير (٧ = اذكر الذيب وهيّ القضيب = الجيد عند ذكره بيبان (٨ = قال : الانسان كلما كبر بيتعلم . قال : بيموت وما بيتعلم = عاشر كثير تسمع كثير (٩ = اجاء المنهري لعند المنبقط يطلب دوا للعافية (١٠ = مثل المعزى بلا كاب = عنزة ولو طارت = الصدق في اقوالنا اقوى لنا والكذب في افعالنا افعى لنا = الرطل بدّه رطل ووقيّه (١١ = الوقية على البعد قنطار = شيل الطبق حطّ الطبق حق الغنم موضعه (١٢ = حق الدبس ما بيسد . عيدي بدّه قز على الدولاب يغنّي (١٣ = الخيمة قبل الناطور = قابي من الحنجور منجور ومن الحامض لاوي

---

١) (بدّه) اي يحتاج الى . و (منهُ وفيه) اي ظاهر من مجرّد القول به

٢) الكبّابة التي تشتغل بجمع الخيوط الحريريّة كُبَبًا

٣) الخيار الفقّاء وهو المعروف بالمقتي عند العامة

٤) القريك حب الحنطة قبل ان ينضج

٥) الزكرة ظرف صغير من جلد تُتخذ وعاء للسمن وغيره . والضروف تصحيف الظروف

٦) (من حي) بمعنى (كم من) . والمعنى كم ولد صغير قد فُطم قريبًا يشتغل بالغزل

٧) التلم مصحّف الثلم وهو طريق الحراث

٨) الجيد محرّف الجيّد عند العامة

٩) والمعنى كثرة المعاشرة توسّع المعرفة

١٠) المنهري والمنبقط عند العامة بمعنى السقيم الضئيل

١١) وبمعناه لمهدنا : الثوب الوسخ بدّه مخاط ثقيل . والمخاط عند العامّة هو ما يضرب به القصّار الثوب ليتلفهُ

١٢) شيل اي ارفع . وحق الغنم بمعنى ثمنه وهما من الفاظ العامة . والمعنى انك مهما بالغت في اكرامي وضيافتي يبقى حقي موضعه ومطلوبي منك يجب ان آخذه

١٣) والمعنى ان الكرم لا ينتج ما يفي المطالب لكنّ الحرير يكفي ويفي

= اجاك من يعرفك يا خروب = كيف بيتدبل مثل العروس الجايّة (١ = كيف بيتقنبر مثل الديك على المزبلة (٢ = الكلام مـا هو على اكل الخروب بل على تصريفه = بيقبش مثل السكاف الاعمى (٣ = الطمع ضرّ ما نفع = لا تبيع رخيص. قال: لا توصي حريص = اعطى الخبز لأبو طبر (٤ = جوعة وشبعة مثل كلاب حمّانا = كل شي من الدليل غليل (٥ = نصبة كانون الأول احسن من نصبة عام اول (٦ = انا امك لاعتل همّك (٧ = اعطى للدب حرير يكبّ (٨ = الجرّة مـا كل وقت تنزل على البير وبتطلع سالمة = اشتهينا الدجاجة اكلناها بريشها = الذي مـا بيشوف من المنخل الاعمى خير منه = مثل الدجاجة منقاره بولاد (٩ = شوك الخيار بيوذيه (١٠ = دورة وملاقية (١١ = لا تقول لي ولا بقول لك اسأل قايك بيدلك = نحن عتقنا وصرنا مثل خلّ البكر. والذي عتق بالمحبة ما عاد له ذكر (١٢ = على هذا الحمص ما فيه عيد (١٣ = ربّ كابك يعقر جنبك = بتعمل عمايلك وبترخي شمايلك (١٤ = ان ضاعت الامانات اعمل عزنك عنك (١٥ = اكبر منك بيوم اخبر منك بسنة = إيد الفاضية بجوية (١٦ = الصيف لو

---

١) يتدبل اي يكسر جفونه. وفي اللغة تذبّل اي تمتّر ٢) يتقنبر يعني كالقنبرة كبرًا وخيلاء. ٣) قبش الاعمى ونحوه اذا تلمّس الشي بيده ليعثر

٤) والمعنى سلّم الاخبار لمن يذيعها. والطبّر شبه فاس يتّخذ سلاحًا يقال لحامله ابو طبر

٥) الدليل عند العامة هو البذار المتفرق وكلما كان متفرقًا يقال له عندهم دليل وضدّه نخي. والمعنى ان البذار المتفرق تكون غلّته كثيرة لانفساح المجال لزرعه بالنمو والتغذية

٦) النصبة عند العامة الشتلة اي الشجرة الصغيرة التي تُغرس لتكبر وتنمو. والمعنى ان احسن وقت لزرع النباتات ولاسيما التوت في شهر كانون الاوّل

٧) تقول العامة عتل همّه اي تكدّر لاعتلاله وخسارته ونحو ذلك

٨) كبّ الجرّة والنزل اذا جاءه كبًّا اي بمنعطف على شكل مستدير ونحوه

٩) البولاد عند العامة مصحّف فولاذ والمعنى انه ضعيف يجب الحذر

١٠) الخيار القثاء ويضرب هذا المثل للنحيف الرقيق البشرة الذي يوذيه اقل شي

١١) الدورة الطريق المستطيلة. والملاقية والقادومية الطريق المختصرة والمعنى الطريقان يوصلان الى محلّ واحد ١٢) الخل البكر عند العامة الذي كان نبيذًا وصار خلًّا وهو حامض لذّاع

١٣) مرّ شرحه في المشرق (٩: ٥٥٨) ١٤) العايل عند العامة بمعنى الاعمال

١٥) العبّ عندهم داخل الثوب في الصدر

١٦) اي اليد الفارغة رائحتها كريهة. والمعنى ان القادم من سفر يجب ان يحمل الهدية الى اهله او اصحابه

كان له امّ بتبكي عليه = بيابق للشوحا جوخا والحمار قبقاب (١ = ضحك بلا عجب (ويقال بلا سبب) من قأسة الادب = الطويل بياكل تين والقصير بيموت حزين = مثل العرّاسة بيروحوا على درب وبيجوا على درب (٢ = يا اعور شدّ على الاعور قال: انت سيدي هق (٣ = فلّاح مكفي سلطان مخفي (٤ = مناقس المقمونة عند حمير المقرة (٥ = البصل اكل الأصل. خبز وماء اكل العلماء. قال لهم: كله حرفات لقأسة الدامات (٦ = لا تاكل خبزك الّا بالعسل = لا تنام الّا على سبع فراش (٧ = كديش الناعورة غمي رشّ له ماء. قال: متى طبلع ماء نرشّ عليه (٨ = وكل القط بالجينة = شو علمّك الذوق. الذي معلّق فوق = ناس بياكلوا الدجاج. وناس بيوقعوا بالسياج = الطبع غلب التطبّع = مقلوب من طبعه = دراع من الارض يكفي اهل الارض = بيعض على الشندابه بيموت الحمار في صنين (٩ = اذا كبر ابنك خاويه (١٠ = طامت دقن ابنك احلق دقنك = لا تلزّ الندل بتعلّمه المراجل (١١ = علّمناه الشجاعة سبقنا على ابواب الكبار = المليحة بحظ والوحيشة بحظين = الحرّة عاديها والسفيهة داريها = الضرّة مرّة = يا كنّة غدا بتصيري حماة = الجمرة ما بتحرق الّا موضعها = يا دلّ الخزانى عند المتفرجات = عندي كلامك مثل دخان الفليون (١٢ = مثل شرب الدخان لا اوله

---

١) بابق عند العامة اي يحسن. والشوحا هي الحذاة والجوخة بمعنى الجبّة لانها تتخذ من الجوخ. والقبقاب حذاء خشبي مرتفع عن الارض معروف

٢) العرّاسة اهل العرس. ومن عادة الاعراس عندنا ان الذاهبين لاستحضار العروس يسيرون على طريق ويالفونها برجوعهم وذلك من الخرافات الشائعة

٣) تقول العامة: انت سيدي هق. اي ألستَ انت كذلك ونحوهُ

٤) والمعنى ان الفلّاح الغني كالسلطان المخبأ

٥) المناقس عند العامّة بمعنى الاذواق في الاكل ونحوها. والمقمونة التي تتأنّف من الشيء

٦) والمعنى ان من لا يريد اطعام ضيوفه الادام يرغّبهم باكل البصل والخبز ونحوهما مما هو قليل النفقة

٧) يضرب هذا المثل لمن يجب ان يرتاح ويطمئن

٨) الكديش البرذون والناعورة دولاب الماء المتّخذ للسقي. وطبلع كأطلع بمعنى أخرج

٩) الشندابة نباتة شائكة تأكلها الجمال والحمير والبغال ونحوها وهو مثل البخيل الكثير الحرص

١٠) خاويه اي كن أخاً له

١١) لزّهُ اي حثّهُ واكثر سرعتهُ. والمراجل بمعنى البسالة والشجاعة

١٢) ويقال: عندي كلامك مثل دخان الطابر. وهو معروف. والفليون انبوب الدخين

بسم الله ولا آخره الحمد لله = مـا عمره طحّان يغبّر على كلّاس (١ = ضربني وبكى سبقني واشتكى = الذي يروح وحده لعند القاضي يجي راضي = ضربتين على الراس بتعمي = حمة واختها ولا تنام تحتها (٢ = لا تندم على ما فات = عينه فارغة (٣ = لا تطلب شي مستحيل = لا تصدّق كل ما يقال = ان فاتك عام ابشر بغيره = من فوّت حجر جاء براسه (٤ = خيار العطاء يا امير حاضر بحاضر = من كان له عادة سموه ابو عوايد = العادة خامس طبيعة = ألف امّ تبكي ولا امي يتزل لهـا دمعة = مثل البرد سبب كل علّة = ما فيه ولا شجرة الّا هدّها الهوا = اول بوّ : مـا فيه شجرة وصلت للجوّ . وثاني بوّ : سبحان من حرم الاعمى من بصيص الضوّ . وثالث بوّ : يخيّب كل من يكون محضره سوّ = كل شجرة لها فيّ . وكل بلد ولها زيّ = التأني فيه السلامة = كل عجلة من الشيطان = الف كلمة « تفضّل » ما بتسوا حطّ الطبق (٥ = الآخذ واحد والمتهمين كتار = يا ما في الحبوس ناس مظلّمين = ضيعك بايدك كلّهم سوا (٦ = بتركب الجمل وبتمشي وبتقول : احد ما شايفني = عين الحبّ عميا = من شاف احبابه نسي اصحابه = العنزة بنت ليلة بتسوّي موضعها = كل عنزه بتعرف ابنها (٧ = بيركض مثل الارنب بالطلوع (٨ = ان رحنا على القبور يلحقنا الف داقور (٩ = ألف عدوّ برّا

---

١) والمعنى ان الطحّان الذي يشتغل بالطواحين والكلّاس الذي يعبئ الكلس يتغبّران

٢) والمعنى احمل الاشياء على قدر طاقتك ولا ترزح تحت الثقل

٣) يضرب هذا المثل لمن يُعين اي يصيب بالعين ولذلك اعتادت العامة ان تقول عند ذكر ما تخشى عليه من العين (يخزي العين) تخلّصاً من الاصابة بها

٤) فوّت . اي ترك واعرض عنهُ

٥) تفضّل كلمة تقال للدعوة الى طعـام . والمعنى ان الدعوة لا تقوم بكثرة الكلام بل باعداد الطعام

٦) يضرب للفرق بين الامور بناء على ان اصابع اليد ليست متساوية بل بعضهـا طويل والآخر قصير . والصَّبيع عند العامة بمعنى الاصابع وكانّما محرّف اصابيع . والإيد محرّف يد

٧) ويروى لهذا : كل عنزة بتعرف قطيعها . اي كل يسير مع حزبه

٨) يضرب لمن يسرع . واذا كان بطيئاً يقال : بركض مثل الارنب بالنزول لانهُ يتدهور ويتمغّر

٩) الداقور المانع والعائق . والمعنى اذا انفردنا لا نخلو ممّا يشغلنا

الباب ولا عدو جوّا الباب = عرّف الحمار حمرنته لئلا يدعوك مثله (١ = يا عنتر من عنترك . قال : ما احد ردّني = قال : عنتر بيكسر الف . قال : بضهره الف (٢ = مثلما اشترينا بعنا والمكسب عليكم حرام = جبل على جبل ما بيلتقي ابن آدم على ابن آدم بيلتقي (٣ = الإجر ما بتدبّ الّا موضع الذي تحب (٤ = الدنيا هلّي فيها بيكفيها ومن حفر لاخيه حفرة وقع فيها (٥ = ان انصف الدهر يوم معك ويوم عليك = ابنك لا تعلّمه الدهر بيعلّمهُ = لعب الأيادي من قلّة طراوة اللسان = مثل قيسة المماري عند العرب (٦ = ساعت البسط عمرك لا تفوتها وان جاءت النفس تبقى تقوّتها = المجنون ما له غير اهله = الجنان ما بدّه كتب حجّة (٧ = المجنون حجته برقبته = الجنون فنون = ما فيه مجنون غير الذي بيخذوه لقزحيا ؟ (٨ = ابن عشرة ما بيموت ابن تسعة (٩ = لا تقول : للعريان اين ثيابك ولا للجوعان : اين زادك = هنيّال المتهوم باري (١٠ = ما فيه ولا جترولة الّا بياكلها الكلب (١١ = قل له : تينة بيقول لك : جميزة (١٢ = عديم ووقع بسلّ تين (١٣ = مثل اليهود بيركض على اخفّ الصنائع = تزل ابنك عالسوق

---

١) الحمرنة والتيسنة والجمدنة والقنبرة والعنترة وغيرها مشتقة من الحمار والتيس والكلب المدة والقنبرة وعنترة وهي كثيرة عند العامة

٢) بظهره الف اي عنده رجال يشدّون ازره

٣) والمعنى ان الانسان لا بدّ لهُ من الاجتماع بابناء جنسه فيماتهم على ما فعلوهُ معهُ وان كان الجبلان لا يجتمعان

٤) الإجر تحريف الرجل وهو شبيه بقول الشاعر : الى حيث يهوى القلب تهوي بي الرجل

٥) هلّي عندهم بمعنى هذا الذي

٦) المماري عند العامة البنّاء ومعلوم ان البدو لا تبني بيوتاً من حجر فلا تعتبر البنّائين

٧) الجنان هنا بمعنى الجنون وتستعملها العامة كثيراً . وكتب بالشيء حجة عندهم اي ثبّته وتملّكهُ ونحو ذلك

٨) اي ليس كل مجنون الذي يؤخذ الى قزحيا بل يوجد جنون خفيّ . والمشهور عند اللبنانيين ان كل مجنون يؤخذ الى مغارة في دير قزحيا الشهير في شمالي لبنان يؤمل شفاؤهُ من جنونهِ

٩) اي ان الموت مكتوب ومحدود

١٠) هنيّال منحوتة من قولهم : هنيئاً لهُ . والمعنى هنيئاً لمن يكون غير مذنب ويتّهم

١١) الجترولة عند العامة ما يقع من الخبز في التنّور ويحترق او يتكتّل ونحو ذلك

١٢) يضرب لمن لا يقتنع الّا بما تصوّرهُ في ذهنهِ . ومثلهُ قولهم : عنترة ولو طارت

١٣) العدم الفقير والمعنى ان الفقير اذا وصلت يدهُ الى مطعم يأكلهُ من فورهِ

وشوف من يعاشر = الزرع رقيق واجاه الغريق = كثير النط قليل الصيد = من خفّف راسه يتعب رجليه = كثرة الكارات قلة البارات = نية الصياد بخلايته = تزل الفلّاح على المدينة ما استحلى الّا الدبس والطحينة = ابعد عن الشر وغنّ له = لا بقاتل ولا بلم حجار = من طلب الزَوْد وقع بالنقص = من رادك ريده (١ ومن راد بعدك زيده = اعطيني قرصي وشوفي حرصي (٢ = يجبرها قبل ما تنكسر = ضربة الكف قبل كسرة الابريق = لا لنا بقر ولا بنغدي على سحر (٣ = يا ليتنا خسرنا ميّة ولا غنّينا هالغنيه (٤ = قطّ الخرباني بيخاف من طبق الباب (٥ = حط ابنك على الحيطان وقول: هذه طرايق الشيطان = الذي بيعمل جمّال بيعلّي باب الدار = كيف حال اولادك. قال له: هم قدّامك = من طالت علّته كان القبر مأواه = شو بدّه الاعمى قال: جوز عين (٦ = اذا قعدت مع العوران اعور عينك = عرج الجمل من شفته = بيتوقّى حاله مثل العين الرمدانة = المقبوض خير من الموعود = هاك الغبرة ورّثت هالوحة (٧ = من وشى لك وشى عليك = حاميها حراميها = فلان كرم على درب (٨ = مثل النوَر قلّة وبسط (٩ = أنا بشم ريحة ايدي بترجع روحي لي = هل يخرج من البلّان مسّاس (١٠ = بدّه يبوّدقني بالبودقة (١١ =

---

١) ريده فعل أمر من أراد

٢) اي اعطني حصتي وانظري الى محافظتي عليها

٣) بنغدي ويقال: منغدي. اي نذهب غدوةً

٤) ويقال: يا ربتنا. عوض يا ليتنا. وهي معرّفة عنهـا. يضرب لمن يؤمل شي ثم ينتج عن اقدامه اياهُ ضررٌ

٥) الخرباني: اي الخرّب

٦) شو بدّه. اي: اي شيء يريده. والمعنى ماذا يريد. وجوز مقلوب زوج

٧) هاك: أي هاتيك. وها: اي هذه

٨) يضرب للرجل الكريم الذي يقري كل من يأتيه كنب الكرم الواضع على الدرب يأكل من عنبه

٩) اي ان النوَر وهم الجيل المعروف الذي لا يستقرّ في محلّ يسرّون بالفقر والفرح

١٠) ويروى ايضاً: هل يخرج من العجرم مسّاس. والعجرم العوسج. والبلّان نبات شائك لا يعلو عن الارض. والمسّاس ربما كانت عرّف منخاس وهو ما يساق به البقر عند الحراثة

١١) اي يريد ان يعذبني كالفضة في البودقة. ومن البودقة اشتقوا الفعل: بودق. بمعنى عذّب

بدّه ينقل البحر بالصدفة = مثل القزاز متى انشعر ما بينجبر (١ = اجا ليلحقهم كان يسبقهم = مثل السلّ بلا دينين (٢ = كثير الغلبة راح على جهنم ما طاقوه (٣ = الذي سبقك فشخة سبقك كل الدرب (٤ = مثل خيال الصحرا (٥ = اذا ولدت فقير عليك بقراريط الخيل وزرع الشعير (٦ = الذي ما لهُ عيلة يتني لهُ كحيلة (٧ = يوم الخميس فصّل وقيس (٨ = ارحمني لارحمك . اخبز فطاير لاطعمك (٩ = عند ضيقة النفس خذ انفخ الظرف (١٠ = وقت عرسك عيرني دفّك = لسانه مثل طرطاق الطاحون (١١ = مثل حياكة الدرقلي (١٢ = تعشَّ فيهِ قبل ان يتغدّى فيك (١٣ = من اه عدو بالمنام

---

١) القزاز عند العامة الزجاج . وانشعر اي انشقّ كالشعرة وهو من قول الشاعر :

ان القلوب اذا تنافر ودّها شبه الزجاجة كسرُها لا يُجبرُ

٢) السلّ وعاء من القضبان المضفورة لهُ اذنان لحمله يُتّخذ لنقل التراب ونحوهِ . ودينين مصحف اذنين . يضرب لمن كان بلا نفع

٣) تقول العامة فلان كثير الغلبة اي فضولي يدخل في ما لا يعنيه

٤) ويروى لمهدنا : الذي بيسبقك بفشخة بيسبقك كل الدرب . والفشخة الخطوة

٥) ويروى ايضاً هكذا : مثل خيال المقتي . ويراد بهِ التامين وهو عود توضع عليهِ ثياب رجل ينصب ليخيف الطيور والحيوانات . والمقتي القثاء . والصحراء عندهم محل زرع القثاء . والبطيخ ونحوه

٦) والمعنى ان من اقتنى خيلاً وزرع شعيراً يتني لكثرة نتاج هذين الشيئين . ومن امثال ضد هذا قولهم : اذا اردت الفقر يأتي بالعجل اياك لعب المقلة وصيد الحجل . واياك هنا بمعنى الزم . والمقلة لعبة معروفة (اطلب المشرق ٤ : ٥٦٥)

٧) ومن امثال عامتنا اليوم : الذي ما لهُ عيلة يتني لهُ خيلة . والمعنى اذا لم يكن عندك عيال فاقتنِ الخيل

٨) هذا المثل من امثلة النساء الخياطات اللواتي يتفألن بيوم الخميس

٩) الفطاير قطع عجين مثلثة تحشى بالخضر ونحوها وتخبز وتؤكل واذا وُضع فيها اللحم تسمّى فطائر وصفيحة ايضاً

١٠) ويروى لمهدنا : عند ديقة هالنفس خذ انفخ لك هالظرف . والديقة الضيقة

١١) طرطاق الطاحون خشبة تتدلّى من الكور (وعاء القمح) الى حجر الرحى وبحركتها تنزل الحبوب شيئاً فشيئاً لتطحن . ويضرب المثل بهِ لكل مهذار

١٢) الدَرَقلي عند العامة ثياب حريرية منقوشة نقشاً ملوّناً متداخلاً بعضهُ ببعض ويضرب لصعوبة الامر

١٣) اي اسبقهُ بالحذر منهُ وعاملهُ بما سيعاملك بهِ قبل ان يبتدئ

يراه = على حظ الحزينة سكّرت المدينة = مثل غراب نوح روحة بلا رجعة (١ = بيلزق مثل البطلينوس (٢ = مثل العبد القاتل سيّده (٣ = مثل القط الحارق كفه (٤ = الحمار حمار ولو حمل خزنة السلطان = منفعة ما منه دخانه يعمي = مثل الحمار المربوط بالشمس = اذا كثرت الاشغال فرّقها على الايام = إنسيت عليك كُلْ وبجاق عينيك (٥ = اذا كثرت اشغالك نم وخلّيها = كل دار ولها بالوعة = القناعة غنى = مراضاة المتخلّق صعب (٦ = خذ البنت من القلّة والكرم من الحلّة (٧ = اقرصه بذنبه ترى عجبه = قلنا له: ارع بهذه المرجة. قال. بدّي غنّي موّالي (٨ = ما على الرسول الامين الّا البلاغ المبين = البنت صندوق مقفول = ألك جوز معدود بصندوق مقفول (٩ = ألك جوز أم تقتل الناطور (١٠ = يا شمس غيبي يا كري حزّي (١١ = ما زال الشمس على ظهرك ما زال الحزّ على قهرك (١٢ = سيفه ما بيقطع اللبن (١٣ =

---

١) هذا المثل شائع بيتا للبلي ومثلهُ: راح تايجيب ورق للقز رجع لقاها قطّمت. وقولهم: ما بيجي الترياق من العراق حتى يكون الطيل فارق

٢) يضرب المثل بالبطلينوس وهو من اصداف البحر لما يلصق بسرعة

٣) اي انهُ باكٍ ذليل يتظاهر بالحزن ليردّ عنهُ التهمة

٤) اي انهُ كثير الحركة يقفز

٥) تقول العامة: إنسيت عليك. اي عُرفتَ بهذا الامر او شُهر امرك ونحو ذلك اي انهُ عرف لدى الناس انك آكل مما فكل واشبع

٦) المتخلّق الذي لا يرضيه شيء بل يظلّ متكدّرًا مابسًا

٧) والمعنى تزوّج ابنة يكون اهلها فقراء لانها تكون حريصة شغّيلة . وخذ الكرم من المحلّ الواطئ لانهُ يكون عصبًا جيد النسب. والحلّة عندهم المحل الواطئ

٨) يضرب لمن لا يقتنع الّا بما عزم عليه. وتقول العامة: بنفسه موّال وغنّى موّاله اي عمل ما يريده

٩) والمعنى لك شيء معلوم محفوظ بوعائه

١٠) ويروى لمهدنا: بدّك تأكل عنب بما تقتل الناطور. والمعنى: خذ ما تيسّر لك بدون ان تسأل عن مصدره

١١) والمعنى ان العامل ينتظر غياب الشمس ليتقاضى كراه اي اجرته . وحزّ اي دام ونحوه

١٢) والمعنى ما زالت الشمس مشرقة فيجب ان تدوم على المشقة

١٣) يضرب لما لا ينفع

اضرب سيف تتأمر . اطعم خبز تتمشيخ (١ = العزّ للرزّ والبرغل شنق حاله (٢ = شو قالت العنزة وهي سارحة . الليلة ما مثل البارحة = الذي ما لك قدّه لا تقعد حدّه (٣ = مثل قرقدون الشجر (٤ = بيت السبع لا يخلو من العظام = مثل البياطرة كل واحد ينسف لصدره (٥ = سويعاتي كل ساعة شكل مثل البرجتي (٦ = بعاتب مثل النسوان = لا تعمل شي قبل ان تحسب عواقبه = الذي ما بيعمل خير نومه خير = عاشر الاجاويد منهم تكتسب وتزيد (٧ = امّ القاتل بتنسى امّ المقتول ما بتنسى = غبّ غبّ الجمال وقوم قبل الرجال (٨ = لا تسلك ولا تمقصيني (٩ = عوّد بطنك على رغيفين ولا تعوّد جسمك على توبين (١٠ = الدارس غلب الفارس — العروس التي بالاكليل ما بتعرف لمن بتصير = بيغمض المفتاح من حيث له اسنان (١١ = مبيّن مثل درب حاب (يراد به طوله) = قال : متى تقوم القيامة . قال : كل شي له علامة = لا تعاشر المنّان ولا تدخل بيت الظنّان (١٢ = عير واستعير معيار كبير (١٣ = تمفى ولا يردّها بليق (١٤ =

---

١) والمعنى ان الامارة تؤخذ بالشجاعة والمشيخة بالكرم . وتمشيخ صار شيخاً

٢) البرغل حنطة تُسلق وتجفّف وتتخذ مثل الرزّ . ويقال : فلان شنق حاله اي ندم على عمله وقتل نفسه ٣) يقال : مانك اي لست انت . وقدّه اي مثله

٤) القرقدون والقرقدان السنجاب وهو مشهور بالخفّة والرشاقة

٥) والمعنى ان كلًّا يجرّ النفع لنفسه كالبياطرة الذين عند تسوية حافر الدابة يكشطونها بآلة لجلة صدرهم

٦) السويعاتي عند العامة والمسوّدن من يكون كثير التقلّب سريع التأثر كثيراً . والبرجتي عندهم الحرباء . ويضرب المثل فيها بالتلوّن والتغيّر

٧) ويروى ايضاً لمهدنا : عاشر الاجاويد منهم تكتسب وتزيد . عاشر الاندال بترجع لا تكسب ولا راسمال

٨) يضرب لمن يأكل كثيراً ويقوم قبل رفقائه عن الطعام

٩) تقول العامّة عقصت النحلة والعقرب وغوها اي لذعت . والمعنى لا تنغصيني ثم تؤذيني

١٠) والمعنى ان من اعتاد اللابس لا يستطيع ان يستغني عنها . واما الآكل فيغيّرها ولا يتأذى

١١) يُضرب للبخيل الذي يخاف من اسنان المفتاح ان تفضح خبزه

١٢) المنّان من يذكر صنيعته كثيراً . والظنّان الكثير الظنّ بالناس . وكلاهما مذمومان

١٣) المعيار عند العامة بمعنى العار . ومن امثالهم : هو مثل شباط بيعير وبيستعير وبيضلّ ناقص . اشارة الى ايّام العجوز التي يستعير لها قمامها من اذار ومع ذلك يكون انقص الشهور ايّاماً

١٤) تقول العامة : هني الشيء اي هلك وتاه . وبليق اسم كلب

الذي بدُه يخزي شيطانه يقري ضيفانه = الكمال بتمام العمل = قال : شو لك بها القصر . قال : من بارح العصر (١ = اذا كان الكذب حجه الصدق بينجي = كثر المسألة وقلّ التفتيش = ردّ الغائب صعب = مثل دجاجة الغريبة كل واحدة بتنقدها نقدة (٢ = طلع الليل على قدّ الحرامي (٣ = برًا وجوًا فرشتلّك . حلو ومالح طبختلّك . امّا درب التبّانة ما حسبتلّك (٤ = الحسود لا يسود = منه وفيه بارك الله فيه = ما بيقيم بالاختيار غير ضرسة (٥ = المطلوب ما هو موهوب = مطحنتكم بين ام شمال . قال : حيلًا تهرّ طحين (٦ = عمال يزق صحون وما بيعرف بيت العروس وين (٧ = قلت : يبرق يا سلق . قال : الدورة على الذي يستطعم (٨

هذه ما وقفت عليه من هذه الامثال شرحت غريبها ووقفت بعض رواياتها على حسب ما هي دارجة عندنا اليوم ولا يخفى ان الامثال فلسفة الشعب ونتيجة تجاربهم وثمرة تدابيرهم وزبدة اختباراتهم . وفيها من اساليب الحكمة وبلاغة الايجاز ما لا زيادة بعده لمستزيد . ولقد عُني بعض ادبائنا وادباء المستشرقين الجمع الامثال العاميّة في مصر وسوريّة والجزائر وغيرها واعتنى المتقدمون بجمع الامثال العربيّة والمولدة . وقد نظمها صاحب فرائد اللآل وفي مطالعتها ومقابلتها فوائد كثيرة . ولقد عُنيت بجمع امثال العامة ومقابلتها بالامثال الفصيحة والمولدة وربما نشرتها في وقت آخر . راجيًا من القراء الكرام ان يسبلوا المعذرة على ما زلّ به القلم في النقل والشرح وحسبي الله وكفى ع . ا . معلوف

---

١) تقول العامة : كم من الزمان انت في هذا القصر . قال : من البارحة وقت العصر

٢) يضرب هذا المثل لمن ضاع بين الناس وكان ذليلًا

٣) والمعنى ان هذا الشيء كان على قدر المطلوب

٤) برًا وجوًا اي خارجًا وداخلًا . وفرشتلّك اي فرشت لك . ومثلها طبختلّك وحسبتلّك وهذه الصيغة كثيرة عندهم ؟ والتبّانة محلّ التبن

٥) والمعنى لا يعيد قوة الشيخ الّا الطعام . والاختيار عند العامة الشيخ

٦) حيلًا اي يكفيها ونحو ذلك واصلها حي الله . وهرّ الطحين اي تزل من حجر الرحى عند دورته

٧) زقّ الصحون اي نقلها . وتقول العامة فلان يزق صحون اي يتمّ ويفسد

٨) اليبرق لفائف من ورق الملفوف تحشى وتطبخ وتتخذ ايضًا من الساق نبات اخضر الورق واسمهُ مستطيله . واستطعم عرف الطعم

قصة اعجوبة

لرئيس الملائكة ميخائيل في ارض فلسطين

عُني بنشرها تريل بيروت حالاً الاديب اقناطيوس كرتشقوفسكي الروسي

تمهيد

قد صرف العلماء الاوربيّون نظرهم في هذه السنين الاخيرة الى البحث من القصص القديمة المشتملة لعجائب رئيس الملائكة المعظم القديس ميخائيل . ففتّشوا من مصنّفيها ومكان تاليفها وكيفيّة انتقالها من الشرق الى الغرب وقد تعدّدت ايضا المقالات الشائقة التي كتبوها في بيان مقام هذا الملاك الجليل عند المسيحيين واسلافهم العبرانيين (١ . على ان بعض الكتبة قد جاوزوا الحدود وارتأوا الآراء الغريبة الشبيهة بأحلام النيام فزعموا انّ الملاك ميخائيل هو معبود البابليين الشهير عندهم بمردوك (٢ . وهذه العجائب المذكورة يتضمّنها كتاب من المخطوطات العربية في غوطا فريد في جنسه (٣ وان لم يكن قديم العهد والمرجّح انهُ كُتب في القرن الثامن عشر في مصر كما يظهر من كتابته ولغته المصريّة وهو يحتوي خبر اربعة عشر اعجوبة من عجائب رئيس الملائكة ميخائيل ويلي هذه الاخبار ثلاث عشرة مقالة ثمينة في جملتها سيرة « والدي تكلا هيمانوت اكبر قديسي بلاد الحبش » مع قصص اخرى عديدة الفوائد . وكل مقالة من هذه المقالات تبتدئ وتختم بالمواعظ والاعتبارات المنقولة عن الكتب المقدّسة واقوال آباء الكنيسة الشرقيّة وفي اثنائها تذكر اعجوبة ضمها رئيس الملائكة الطاهر بتوسّلات المؤمنين

وقد كنّا في العام الماضي نشرنا في نشرة روسيّة (٤ ترجمة احدى هذه العجائب الوارد خبرها في نسخة غوطا فأحببنا ان نروجها هنا في مجلّة المشرق بنصّها العربي . وقد زادنا رغبة في ذلك

---

١) اطلب الكتب الآتية :

W. Lüken : Michael. *Eine Darstellung und Vergleichung d. jud. u. d. morgenl. christl. Tradition vom Erzengel Michael* (Gottingen, 1898) = E. Amélineau: *Contes et romans de l'Egypte chrétienne* (Paris, 1888) = E. W. Budge: *Saint Michael the Archangel* (London, 1894)

٢) راجع كتاب شرادر وونكلر في الكتابات المسماريّة والعهد القديم (Schrader-Winkler: *Die Keilinschriften u. d. alte Testament*, 376-377)

٣) اطلب قائمة مخطوطات غوطا Pertsch: *Die arab. Handschriften der Hergl. Bibl. zu Gotha*, B. IV, 549-550)

٤) وهذا اسم النشرة المذكورة (Zapiski Geografitcheskago Obchtchestwa, XXXIV, 1-12)

انّا وجدنا هذا الخبر في احد مخطوطات خزانة كليّة الآباء اليسوعيين الشرقيـة يحتوي اخبارًا وعجائب للقديسين كُتب في ماردين سنة ١٧٢٦. وفي هذا الكتاب ثلاث عجائب للملاك ميخائيل وكلّها مذكورة في نسخة غوطا الّا انّها هناك اوسع واطول . وهذه النبذة التي ننشرها هنا تتناول في الاصل من الصفحة السابعة الى الخامسة عشر وقد رويناها في لهجتها العامية لم نصلح منها الّا بعض الاغلاط الظاهرة . والمقصود من نشرها خدمة الآداب المسيحيّة وبيان ما لقدماء النصارى في العربية من الآثار فضلًا عمّا يُستنتج منها من الفوائد التاريخيّة واثبات تأثير الكتابات الشرقيّة في مصنّفات الغربيين (١ وعلى الله الرجاء

بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد

(fol. 7r) نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقه بشرح يسير من كثير من قوّات وعجائب الملاك الجليل ميخائيل رئيس الملائكة بارض فلسطين ومعاضدته الى الفتى تلاصُّون (٢ ابن الارملة ونجّاهُ من يد الغنيّ . تُقرأ في اليوم الثاني عشر من شهر توت شفاعته تكون معنا الى الابد آمين

كان انسان ساكن (ساكنًا) بفلسطين يسمّى مرقيانوس وهـذا كان غنيًّا جدًّا بالذهب (٣ والفضّة والاموال والمواشي والحقول والمزروعات والقماش والعبيد والجواري والكروم والبساتين والاواني . وهذا لم يُرزق قط ولدًا بل كان لهُ ابنة واحدة . وكان ساكنًا بجوار هـذا الغنيّ امرأة مسكينة ذو (ذات) فاقة عظيمة . هذه كان لها ايمان ورجاء ومحبّة في رئيس الملائكة الطاهر ميخائيل متوكّلة على الله وعليهِ بكل قلبها تتضرّع اليهِ في كل حين قائلة : يا رئيس الملائكة ميخائيـل أَعِنّي وساعدني وانظر الى مسكنتي وشقوتي يا ايّها المتوسّل الى الله في الخليقة ان تعطيهم قوتهم في كل يوم امالهُ من اجلي انا المسكينة ليعطيني رزقًا لتزول عني هذه الفاقة العظيمة . وهذه المرأة كانت تدخل (fol. 8r) الى بيت ذلك الغني وتقضي اشغالهم وتخدمهم وتأخذ اجرتها تستعين بها على قيام اودها

---

١) اطلب مقالة العلّامة كوهن Kuhn : *Zur byzant. Erzaehlungslitteratur* (Byzant. Zeitsch., ١٦)

٢) من اليونانية (Θαλάσσιον) ومعناها البحريّ وسترى آنفًا سبب تسميتهِ بهذا الاسم

٣) في الاصل « دهب وهذا » باهمال الدال وقس عليهِ في الباقي . وكذلك لا يميّز الكاتب الياء في جواري واواعي . ويكتب الالف المقصورة على صورة الالف الممدودة نحو يسمّا . ويكتب الهمزة على صورة الحروف نحو امراة الى غير ذلك ممّا اكتفينا بالاشارة اليهِ

فلما كان بعض الايام حملت تلك المرأة المسكينة فلمّا دنا يوم ولادتها اتاها المخاض وكانت في شدّة من الطلق وان الانسان الغني شعر بذلك فقام مسرعًا وصعد الى سطح بيتهِ لانهُ كان مطالًا (مُطِلًّا) على منزل تلك الامرأة المسكينة ووقف يسمع ما تقول. واذ هي تصرخ قائلة: يا رئيس الملائكة ميخائيل عينني (أعني) في شدّتي لعلمك بي ان ليس لي احدًا (احد) يترأف عليَّ يا سيّدي في هذه الساعة الصعبة لاني بائسة حقيرة فلا تغفل عني بل هامَّ اليَّ عاجلًا وكن لي معينًا في شدّتي. وكانت تلك المرأة تقول هكذا والغني يسمعها من كوّة سطحهِ. ففتح الله عيني قلبهِ ورأى السيّد المخلّص وميخائيل وغبريال يتبعانهِ فأتوا وجلسوا (fol. 8v) تحت سقف منزل الامرأة وانَّ ميخائيل سجد امام المخلّص وهو سايلًا (سائل) لهُ قائلًا: اللهمَّ الرؤوف الرحيم محبّ البشر تحنَّن على هذه الامرأة المسكينة وخلّصها من صعوبة هذا المخاض فقد كابدتها مشقّة عظيمة ارحمهـا يا ربّ وخلّصها. اجاب السيّد المخلّص وقال: يا صفيَّ ميخائيل ووكيلي المؤتمن سوف يكمل لك كل ما تسأل. وانَّ السيّد المخلّص مدَّ يدهُ الالهيّة وباركها فوضعت للوقت وولدت غلامًا وان الملاك المرحوم سأل السيّد وقال: انت يا رب حياة الكل لتدرك رحمتك هذا الغلام المولود وسهّل لهُ معيشتهُ. وان المخلّص بارك الغلام ومدَّ اصبعهُ الماسك العالم كلّهِ الى دار ذلك الغني وقال: ان غنى هذا الانسان وأيسارهُ ونعمتهُ تعود الى هذا الغلام المولود وهو الوارث لجميع ما ادَّخرهُ. وان الغنيّ لما (fol. 9r) سمع هذا الكلام جزع قلبهُ وهلع جدًّا وازداد خوفًا وقال في نفسهِ: هذا الكلام حقًّا من الله وهولاء ملائكة الله وحقًّا ان مالي وذخائري وكل رزقًا (رزق) لي سوف يصيروا (يصير) الى هذا الغلام من بعدي وهو يكون وارث لنعمتي وخيراتي

ونزل من سقف بيتهِ حزينًا وصار يتحيّل في اخذ الغلام من امّه ويفعل (ليفعل) بهِ حسب مكر قلبهِ ونيّتهِ الرديّة الذي (التي) لا يتم (تتمّ) لهُ وبعد ذلك مضى للطفل شهرين (شهران) من عمرهِ فاستدعى الرجل الغني الامرأة المسكينة وقال لها: ايّتها الامرأة انت تعلمي (تعلمين) انهُ ليس لي ولدًا دكرًا (ولد ذكر) سوى ابنة واحدة وانا اظن انني لا اعود انتج ولدًا الى الابد والآن أعطيني هذا الغلام اجعلهُ لي ولدًا ان له في قلبي محبّة عظيمة الهيّة والذي ادَّخرتهُ سيرته (صيّرتهُ) الى ان اجعلهُ الى هذا مع ابنتي. والذي قضاهُ هذا الغني بكلامهِ فعلهُ الله في سابق علمهِ (fol. 9v) بقول فاه (فيهِ)

الصادق الذي لم يخرج منهُ قطّ كذب

وان امهُ لمّا سمعت هذا الكلام قالت للفتى: كيف يكون هذا يا سيّدي وأُعطي لك ولدي الذي اتعزّى بهِ في حياتي . فقال لها: خير لك ان تُعطيه كي يعيش من هذه الايسار والفتى اكثر مما يعيش عندك من الفاقة وتجدي (وتجدين) انتي (انتِ) ايضاً شي تنتفعي (شيئاً تنتفعين) بهِ وتقومي (وتقومين) بأودك ولولا محبّتي لولدك لكنت اطلب غيره . وانهُ مكث يكرّر هذا الكلام على مسامع هذه الامرأة المسكينة عدّة دفوع فأذعنت لقولهِ واجابتهُ: ماذا تعطيني عنهُ . فقال لها: عشرين دينار (دينارًا) . وان الامرأة اعطته الطفل وسلّم اليها الذهب

فقام مسرعًا وأحضر تيس (تيسًا) من الغنم فذبحهُ واخذ جلدهُ وجعل الطفل داخلهُ ورماهُ في البحر قائلًا: هوذا قد قتلتهُ واستريحتُ منهُ . وكان يظنّ ان وحوش البحر (fol. 10r) تأكلهُ عاجلًا والله الصالح محبّ البشر الرحيم ورئيس ملائكتهِ المقدّسين ميخائيل حفظوا (حفظا) الغلام ولم يلحقهُ سوءُ البتّة ولا اهلكهُ (اهلكتهُ) دوابّ البحر المفسد . ولم يزال (يزل) سائرًا في ذلك الزق وملاك الرب يهديه الى ان وصل الى كورة بعيدة فرمتهُ الامواج الى جنب جزيرة خال (خالية) ولم يلحقهُ شيأ (شيء) من السوء بقدرة الله تعالى عزّ وجل واعانة رئيس الملائكة ميخائيل . ولم يزل الزق واقفًا على شط البحر وملاك الرب حافظًا لهُ الى ان اتى راعي غنم الى هناك يسقي غنمهُ فرآه واقفًا على شط النهر فبادر اليهِ بفرح عظيم يظنّ انّ داخله مال (مالًا) . فلمّا فتحهُ وجد الطفل داخلهُ حيًا لم يمت فمجّد قدرة الله الفاعل كل شيء وصرخ قائلًا: كبير يالصون اللهم ان امورك عجيبة وكلًا بحكمك صنعت . ثمّ اتى بهِ الى زوجتهِ وربّتهُ ودعا اسمهُ تلاصون اي اني وجدته (fol. 10v) في البحر

فلما انقضى له سنين (سنون) شاء الرب تبارك وتعالى ان يتمّ قوله الصادق بما قضاه على ذلك الصبي وان ذلك الفتى سبب (تسبّب) له سفر الى تلك الجزيرة الذي (التي) فيها الراعي كان وجد الطفل في الزق وفيما هم سائرين (سائرون) في الطريق اعني الفتى وعبيده امسى عليهم الوقت فالتجأوا (فالتجأوا) الى تلك الجزيرة وان الراعي استضاف بهم واجلسهم في بيتهِ وامر تلاصون ان يهتمّ لهم بما ياكلوه (يأكلونهُ) لان الفتى كان محوّلًا على مال الراعي كلّهِ ولم يعرف غير كسرة ياكلها . وان الراعي بدأ يدعو الفتى

قائلًا : يا تلاصون اصنع كيت وكيت يا ابني تلاصون اصنع للقوم كما ينبغي لانهم روساء . وان الفتى لما سمع الراعي يدعو بهذا الاسم تعجب كثيرًا وقال له : ما معنى هذا الاسم يا اخي . قال له ذلك الراعي : (fol. 11r) أتعنق في هذا الفتى امرًا عجيبًا (امر عجيب) وهو انني لمّا كنت في بعض الايام مجتازًا بشط البحر في هذه الجزيرة اذ وجدت زقّ جلدٍ مربوطًا ملقى فأسرعتُ اليهِ بفرح اظنّ انهُ مالٌ فلمّا فتحتهُ وجدتُ فيهِ هذا الفتى فعلمتُ انَّ ذلك تدبيرًا (تدبير) من الله الذي أتى لليَّ هاهنا فأخذتهُ وربّيتهُ ودعيت (ودعوت) اسمهُ تلاصون اي اني وجدته في البحر . ولا شك رجل شرير وامرأة شريرة فعلوا (فعلا) بهذا الطفل هكذا لعلّة مخافتهم (مخافتهما) من الله . وهوذا يا سيدي الارخن (١ قد عرّفتك بجميع خبره

وان الفتى لما سمع هذا الكلام بُهت جدًا بخوف عظيم وكان يقول في نفسهِ : فهذا حيّ الى اليوم ؟ . وحزن جدًا وامتلأ غيظًا واحتقًا على الغلام وقال للراعي : اصنع معي (fol. 11r) خيرًا ومعروف (ومعروفًا) ايها الرجل المبارك وتعطيني هذا الفتى لاني اراهُ شُجاعًا قويًا وقد احببته جدًا واريد ان اصيّرهُ لي ولدًا بل واعطيهِ جميع ما املكه من الذخائر لانه ليس لي ولدًا (ولد) بل ابنة واحدة وانا أُعطيك عنه عشرون (عشرين) دينارًا . فاجابه الراعي قائلًا : يا مولاي الارخن كيف يكون هذا وانا قد تعبتُ فيهِ وربّيتهُ لي ابنًا وسلّمت اليهِ كل مالي لشقتي بهِ وليس أُحبّ احدًا من اولادي سواهُ . فاجابه الفتى قائلًا : اني ارى لك اولاد (اولادًا) واكبرهُ كثير يقضون حوائجك ويصنعون ارادتك وهذا الفتى تلاصون اعطيه (أعطهِ) لي لاصيرهُ لي ولدًا فقد احببتهُ جدًا

وان الراعي لما سمع بالذهب سمح بعطيّتهِ وقال للارخن : انك تكلّفني لما لا اريد ولم تنصفني في ثمنهِ . وان الفتى لما (fol. 12r) علم انَّ الراعي وافق على عطاء الفتى له فرح جدًا وقال له : كم تريد ان اعطيك . فقال له : خمسون (خمسين) دينارًا . وللوقت احضر الفتى الذهب بسرعة وسلّمهُ في يد الراعي واخذ منهُ الفتى

فلمّا سلّمهُ كتب رسالة لزوجتهِ قائلًا هكذا : اعلمكِ ايتها الاخت ان هذا الفتى الواصل اليك بهذه الرسالة هو الطفل الذي جعلناهُ في الزقّ ورميناهُ في قاع البحر وهوذا انا في سفري مجتازًا (مجتاز) براعي غنم فخبّرني عنه انه وجدهُ في البحر وربّاهُ وصيّرهُ لهُ

١) الارخن من اليونانية (Αρχων) الزعيم والامير

ولدًا وهوذا قد اخذتهُ منهُ بخمسون (بخمسين) دينارًا يظنّ انه يفوز مني وهوذا قد ارسلته اليكِ فساعة قراءتك بهذه الرسالة تقطعي (تقطعين) عنقهُ وترميه (وترمينه) في البحر وتفعلي (وتفعلين) بهِ كذلك ليضمحلّ تذكارهُ الى الابد

وبعد ذلك ختم الرسالة وسلّمها في يد الفتى تلاصون واركبهُ (fol. 12v) بغلةً حسنة وعرّفهُ بطريق داره . وانهُ خرج من عند الغني وسافر في الطريق ولم يعلم ان بيده رسالة بقتلهِ وهلاكهِ . وبعد ذلك ركبوا دوابهم ومضوا الى حال سبيلهم ولم يزل الفتى ماشيًا في الطريق حتى وصل الى مدينة الغني . ولم يبقَ بعيدًا منه سوى ميل واحد للوقت ظهر له ملاك الرب ميخائيل وهو راكبٌ بغلة بيضة (بيضاء) وعليهِ خلعة ملوكيّة يشبه احد اجناد الملك فقال لتلاصون : من أين اقبلت ايها الفتى والى اين تطاب وما هو هذا الكتاب الذي بيدك . اجاب تلاصون وقال له : ايها السيّد ان الارخن الرئيس ارسلني الى بيته بهذه الرسالة ولم اعلم مضمونها . فقال له رئيس الملائكة ميخائيل المتشبه بالجنديّ : أرني ايّاها ايها الفتى لاعلم ما فيها . فأجابهُ تلاصون (fol. 13r) قائلًا : كيف يكون هذا يا سيّدي . فقال له الملاك ميخائيل رئيس الطغمات السماويّة : اعطيها (أعطها) وانا ادفعها لك بهيئتها لم تتغيّر . وان تلاصون بعد جهد عظيم ناول الرسالة لرئيس الملائكة ميخائيل فلمّا اخذها نفخ فيها فامحى منها جميع الاحرف الرديّة المكتوبة فيها ادية (اذيّة) الفتى وكتب داخلها بشرح آخر هكذا : « اعلمي أيها (أيتها) الاخت المباركة انّ هذا الفتى الواصل اليك بهذه الرسالة منسوبٌ لملوك الروم اجتمعتُ أنا بهِ حيث اعطاني سبعمائة دينار على شرط انهُ يتزوّج ابنتي والآن احرصي من كل بدّ وسبب ان تجهّزي كل اموره وتعرسيهِ على ابنتي واهتمّي لهُ بجميع مزيّن حسن لكل زخارف هذا العالم واذا ما انقضت ايام العرس تُسلمي (تسلمين) لهُ في يديهِ كل شيء لي ولك من الاموال والذخائر قليلًا وكثيرًا وجليلًا وحقيرًا . والحذر (fol. 13v) ان تخفي عنه من اموالي وارزاقي شيئًا وحتى الى جسدك يكون ايضًا تحت سلطانهِ الى ان احضر »

ولما كتب رئيس الملائكة الطاهر ميخائيل هذا الكلام داخل الرسالة وبعد ذلك سلّمها للغلام تلاصون وهي مختومة بخاتم الغني كأنها لم تتغيّر البتة وقال له : امضي (امض) في طريقك بسلام كمثل ما أرسلتَ فيهِ . ثم صعد رئيس الملائكة ميخائيل الى السموات وصار تلاصون في طريقهِ والرسالة بيدهِ الى حيث وصل الى بيت ذلك

الغني وسلّمها لامرأته فلما قرأتها ابتهجت بالفرح ودعت وكلاءها وامناءها وقالت لهم: امضوا عاجلًا وهيّئوا جميع آلات العرس كي ازوّج ابنتي الى هذا الفتى المرسول (المرسل) من جهة والدها. وان اولئك مضوا مسرعين كامر سيّدتهم وجهزوا كلّما يحتاجوا (يحتاجون) اليه وجميع من في المدينة فرحين (فرحوا) بذلك ثم ازوجوا الفتى للصبية ابنة الغني وكانوا في فرح واغاني (fol. 14r) وطرب الى ان لم يبق احد في المدن الغربية منهم الّا واتى فرحًا معهم

فلما كان بعد ثلاثة اشهر واتى ذلك الغني من سفره فلما قرب من المدينة مقدار ميل واحد نزل من على حصانه وفيما هو يخلع الركاب من رجله التقى بانسان من اهل المدينة فقال لهُ: اترى يا فلان اهلي معافين (معافين). فقال لهُ: نعم وعندهم فرح عظيم ولهم اليوم مدّة ثلاثة اشهر وهم في رهج كثير واغاني واصوات مطربه. اجابه الارخن قائلًا: ما السبب في ذلك. فقال لهُ: ان الفتى المرسول (المرسل) من جهتك ازوجوهُ لابنتك كأمرك ولهذا هم يفرحوا (يفرحون). فلما سمع الغني هذا الكلام وعلم انّ الغلام تزوّج بابنته وورث كل امواله ونعمته كقول المخلّص ربنا يسوع المسيح صرخ قائلًا: آه ماذا دهاني في هذا اليوم ودخل على قلبي من الحزن. ثم صعد ليركب حصانه والوقت خرج السيف (fol. 14v) من غمده الذي (كان) له متقلدًا به وعبر في جوفه فسقط ميتًا للوقت

فلما بلغ زوجتهُ هذا الخبر الردئ اضطربت ورمت التراب على راسها ووثبت قائمة فسقطت للوقت على الارض ميّتة وهكذا توفا (توفي) الغني وزوجتهُ في يوم واحد وتمّ قول الرب على الغنيّ انّ مالهُ وجميع ارزاقه يكونون (تكون) لابن الامرأة المسكينة وهكذا كان

وبعد ذلك والفتى راقدًا (راقدٌ) في بعض الليالي اذ اشرف عليه نورًا عظيمًا (نور عظيم) حتى اضاء المكان جميعهُ فانتبه الفتى مرعوبًا فظهر لهُ ملاك الرب ميخائيل رئيس قوّات السموات وقال لهُ: استيقظ ايها الفتى واعرف من انا ومن هو المخاطب لك. فقال لهُ الصبيّ وهو مرعوبًا (مرعوب): ومن انت هكذا يا سيدي بهذا المجد العظيم المحيط (fol. 15r) بك. فقال لهُ: انا هو ميخائيل رئيس قوّات السموات المبتهل الى الله في كل حين عن جنس البشر انا هو ميخائيل الذي اتيت في خدمة سيدي يسوع المسيح

وغبريال رفيقي تبعناك حين كانت امك تطلق بك وانا سألت الله من أجلك حتى أعطاك هذه النعمة والخيرات الكثيرة انا هو ميخائيل الكائن معك حين وضعك الغنيّ في الزقّ وارماك (ورماك) في البحر واصعدت بك وخلصتك . انا هو ميخائيل الذي ظهرتُ لك في الطريق وغيّرت رسالة الغني بكلام جيّد لان كان فيها كلام ردي يقصد بك هلاكك . والآن انا اوصيك بهذه الارملة التي هي جانبك احذر ان تتخلّى عنها فهي امك التي ولدتك من احشائها وهوذا انا اكون معك الى يوم وفاتك . ولما قال له هذا اعطاه السلام وتوارى (fol. ٤٦ v) وصعد عنهُ الى السماء وهو ينظر اليه

المختار في كشف الاسرار

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة لما سبق)

اردف الجوهري بالفصل الذي خصّهُ بشعوذة الكيمويين فصلًا اخر كشف فيه اسرار العطّارين وروى لهم ضروبًا من الحيل تذكّرنا بما نشرته مجلّتنا في العام الماضي عن مكرهم (١١ : ٥٨٠ — ٥٩٤) نقلًا عن كتاب نهاية الرتبة في الحسبة لابن بسّام. فاثبت الجوهري غش العطّارين للاهليلج والماورد والزنجبيل والعود والمسك والعنبر. قال في غشهم للمسك:

انهم يأخذون افراخ الحمام المجهولة لما تنفس ويزقّونها بكباش القرنفل ويسقونها ماء ورد مضافًا اليه الحلب والسنبل . يفعلون ذلك سبعة ايام ثم ياخذون جام زجاج يدهنونهُ بدهن البان ثم يذبحون فيه تلك الافراخ ويصفّون دمها ويخمرون عليه من البار فاذا جفّ اخرجوه من الجام واضافوا اليه مثل خمسه مسكًا خالصًا . ثم يسحق الجميع على الصلاية ناعمًا ثم يأخذون نافجة فارغة ويحشونها من ذلك المعمول ثم تلصق النافجة بصمغ عربي ويلصق معها من شعر النافجة ثم يبيعونه وهو احسن ما يكون مما وجدتهُ في عمل المسك بعدما عرفتُ فيه ستّ طرائق فافهم ذلك

وقال في غشّ العنبر:

وذلك انهم يأخذون حبّ العصفر وينقعونهُ في ماء الورد يومًا وليلةً بعد نزعه من نواه . فاذا كان من الغد مرسوهُ باليد حتّى يطلع قشرهُ ويبقى اللحم ثم يجعلونهُ في الصلاية ويلقون عليه العنبر ويسحقونهُ بماء الورد الذي نُقع فيه ولا يزالون يسحقونهُ حتّى تنقطع الدبوقة فاذا انقطعت خدموهُ بدهن البان الخام ثم يسقونهُ من قشر الجوز الاخضر شيئًا يسيرًا ثم يجعلون مثل ربعه عنبرًا خامًا ثم يجعل في وعاء زجاج ضيّق الراس فيسدّونهُ سدًّا محكمًا ثم يجعلونهُ في مكان نديّ اربعين يومًا ثم

يفتحونهُ فيجدونهُ قد أشعب وصار اشهب وهذا احسن ما وجدتهُ بعد معرفة ثلاثين طريقة

وكما احتالوا في غشّ العنبر كذلك تقلّدوا اللازورد قال الجوبري:

ياخذون قشر البيض المكلّس ويلقون عليهِ حشيشة الصبّاغين وتسمّى الوشيمة وتسمّى العنبر ثم يلقون عليهـا ماء النيل الهندي السراوي (ويروى البصروي) فانهُ يعود لازوردًا جيدًا وهذه الطريقة أعرف منها ٤٢ (ويروى ٤٨) طريقة مختلفة الانواع ولو ذهبتُ اذكر كل مـا اعرف لما وسع كتابي ذلك بل اختصرت بالبعض ليستدلّ على الكل من لهُ لب وعقل صائب

ويقرب من هذا الفصل فصل كشف اسرار الجوهريين وهو الثاني عشر في نسختنا والرابع والعشرون في نسخ أخرى وقـد قسمهُ الجوبري احد عشر بابًا عـلى اختلاف الجواهر المغشوشة نذكر منها امثلة لفائدة القرّاء. قال في تقليدهم للدرّ والجوهر:

اعلم انهم اذا ارادوا عمل الدرّ وهو اللؤلؤ حتّى لا ينكر انهُ معدني فانهم يأخذون من اللؤلؤ الصغار ومن الصدف الجوهريّة فينقونهُ ويقشرونهُ من جميع السواد الذي عليهِ من خارج ثم يسحقونهُ بالغًا ويلقونهُ في ماء الحمّاض من الاترج يعني يحمّضونهُ فاذا انحلّ وصار مثل العجين يلقون عليهِ من غراء الحلزون ومنهم من يضيف اليهِ الطلق المحلول ومنهم من يضيف اليـهِ الزجاج المبيت (ويروى: القرار المشبب) المطهّر ويكونون قد عملوا ملمّةً من الفضّة صغيرة فيأخذون بها الدواء بمقدار ما يريدون ان يكون قدر اللؤلؤة ثم يجعلونهُ في قشر بيضة ويدلكونهُ فيها حتّى يسكن . فاذا صار كما يريدون يجفّفونهُ في الظلّ ويحترزون عليهِ من الغبار فاذا جفّ قليلًا اخذوا لـهُ شعرة من الحرير فيثقبونهُ بهـا ثم يتركونهُ حتى يجفّ جفافًا ثم يعقدونهُ . (ثم وصف عقدهُ بقولهِ:) انهم يجعلونهُ في العجين ويلقّمونهُ لطير حمام اسود ثم يذبحونهُ من الغد. ومنهم من يلقّمهُ لطير دجاج اسود. ومنهم من يلقّمهُ لطير اوزّ يحترز عليهِ من اكل شيء في ذلك النهار الى اليوم الثاني فيرميهِ. ومنهم من يجعلهُ في شحمة دجاجة ويلقون عليهِ من الاطلس الاحمر ثم ياخذ قرخ سمك طري كما خرج من الماء فينظفونهُ ويشقّون جوفهُ ولا يتركون فيهِ سوى المنفخة التي في جوفهِ ويسوّونهـا الوآمة فيشقّونها ويودعون ذلك فيها ثم يردّونها الى جوف السمكة ويخيطون السمكة ثم يجعلونها في طاجن ويجعلون الطاجن في الفرن حتى تسوى ثم يرفعونها ويخرجون المعمول فانهُ يصير لؤلؤًا جيدًا مليحًا

وأتبع ذلك بفائدة في جلاء اللؤلؤ قال:

واذا خرج في اللؤلؤ صفرة او جرب فانهم يأخذون ماء الليمون ونشارة العاج ثم يبلّون بماء الليمون خرقةً تكون رقيقةً ويجعلون فيها نشارة العاج مع اللؤلؤ ثم يدلكونهُ دلكًا جيّد فـانهُ يعود احسن ما يكون من النقاء الابيض فافهم ذلك

وقال في تقليد الياقوت الاصفر:

اذا ارادوا ذلك فانهم يأخذون من البلّور ما ارادوا فيدقّونهُ ويذيبونهُ في مقرعة (ويروى:

مفرقة) نقيّة اخذوا من الزعفران جزءاً ومن القيسا (؟) جزءاً فيلقونها على ذلك البلور ثم يطرحونهُ على بلاطة فانهُ يعود ياقوتاً اصفر لا يكون شيء احسن منهُ فيقطعونهُ كما يريدون ويبيعونهُ باوفى الاثمان

عمل الياقوت الاخضر:

يأخذون من البلور ما ارادوا فيذيبونهُ ثم يأخذون من الزنجار الحمصي جزءاً ومن النيل جزءاً ومن الحبّة الخضراء جزءاً ويدقّون الجميع ثم يطرحونهُ على ذلك البلور فانهُ يعود ياقوتاً اخضر لا يكون احسن منهُ

عمل الياقوت الازرق:

يأخذون من الياقوت الاصفر ما ارادوا ويعملونهُ في بودقة ويعملون من تحتها النوشادر ومن فوقها ثم يطيّنونها بطين الحكمة ثم ينفخون عليها حتى تحمرّ ثم يخرجونها بعد ان تبرد فانّ الصفرة تنسلخ ويبقى حجر ابيض فيصبغونهُ بما ارادوا من الالوان فافهم ذلك

وقال الجوبري عن اصطناعهم العقيق:

اعلم يعملون العقيق وينقشونهُ ويكتبون عليهِ حتّى ان الذي ينظر اليهِ لا يشك انّهُ خلقة. ويعملون من ذلك اصنافاً ويغرّبون على الناس بما على قدر ما يريدون. فياخذون الاثل ويحفّونهُ ويعملون معهُ من القلي مثلهُ ثم يسقونهُ بالماء حتى يصير مثل المرهم ثم ياخذون الفص او الحجر وينقشون عليهِ ما ارادوا من النقوش والصور والتماثيل ويكون النقش حفراً حسناً ثم يحشونهُ من ذلك الدواء ويجففونهُ ثم يعملونهُ في خرقة ويضعونهُ في قِدْر على نار لينة ثم يخرجونهُ منها فاذا رأوا موضع الكتابة قد ابيضّ بياضاً جيداً والّا تركوهُ ساعة اخرى يبلغ كما يريدون ثم يتناولونهُ فيُرى كل ما تحت الدواء قد ابيضّ والباقي أحمر على ما كان عليهِ فافهمهُ

وقال في اصطناعهم الزمرّد:

يأخذون البلّور الصافي ويجعلونه في قدر من حجر ثم يصبّون عليهِ من ماء الدفلى ما يغمره ويطرح عليهِ اربعة اصابع ثم يجعلون عليهِ قيراطاً من الزنجار الحمصي ثمّ يطبخونهُ بنار متوسطة حتى يخضرّ ويحسن لونهُ فانهُ يخرج احسن ما يكون من الزمرّد فافهم ذلك

ويشبه هذا الفصل ما رواهُ الجوبري في الفصل الثالث عشر من نسختنا وهو الخامس والعشرون من نسخ اخرى عن كشف اسرار الصيارفة ونعتهم « باشدّ الناس حراماً. وأصنعهم في اخذ اموال الناس. فانّ لهم اموراً لا يعلمها الّا كل دهقان لبيب مع انّ فيهم متميزين وذوي هيبة ووقار » ثم وصف لهم ضروباً من الحيل في التلاعب بالميزان او احدى كفّتيهِ فيرجحون كفّة على اخرى او يجوّفون قصبتهُ ويجعلون في داخلها زئبقاً. وكذلك العيارات والاوزان فانهم يحتالون في تخفيفها او تثقيلها بطرائق خفيّة

كأثقاب يحشونها بالشمع وغير ذلك من اصناف الغشّ والخداع التي عاينها باسفاره فاخبر بها وهذه قصّة حدثت لهُ في الهند

قصّة الصيرفيّ الهندي المحتال

ومن اعجب مـا جرى لي في البلاد الهنديّة اني رأيت هناك رجلًا صيرفيًّا يدعى عفيف الدين كان عليهِ من الحشمة امر عظيم وجميع التجار ترد عليهِ وتودعهُ اموالهـا وتستدين منهُ . فترقّبتُ حركاتهِ وسكناتهِ فرأيت انهُ صنع شيئًا لم يُسبق اليهِ وذلك انهُ اتخذ خاتمًا بفصّ عليهِ نقش فداومتُ الجلوس عندهُ وأطلتُ النظر الى ذلك الخاتم فرأيتهُ اذا قبض الذهب من التاجر جعل فصّ الخاتم من وراء لسان الميزان من جهة الصنج واذا دفع الى التاجر ذهبهُ حوّل الخاتم الى قدّام اللسان . واللسان يلعب لعبًا زائدًا كلّما قرّب الخاتم اليهِ . فعلمتُ انّ في الخاتم شيئًا من الدكّ . ولم ازل اذكر ذلك واتعجّب منهُ وافكر فيهِ فلم يظهر لي وجه الحقّ حتى كان يوم من الايام وانا عندهُ اذ تطـاير شيءٌ من فصّ الخاتم فنظرتهُ فاذا هو من حجر المغناطيس فقلتُ : هذا دكّ لم يُسبق اليهِ . فانّ الصيرفيّ كان اذا قبض الذهب ادار الخاتم الى ناحية الصنج فياخذ لسان الميزان اليهِ ويمنعهُ من الزوال بمقدار ما يجبّ من جذب الحجر فيكون في الوزنة زيادة مثقال واكثر . فلما علمتُ ذلك خلوتُ بالرجل وقلتُ لهُ : « والله قد درت البلاد وكشفتُ اسرار الناس فلم اجد احدًا سبقك الى هذا يا عفيف الدين ولكن بئس العفيف انت » . فلما علم اني كشفتُ سرّهُ خجل وخاف وقال لي : سيّدي الحرّ من ستر عيوب الناس ومن شيم الكرام كتمان السرّ وانّ لهذا الخاتم في يدي منذ خمس وعشرين سنة وما علم سرّه غيرك . فهو مني هبة اليك . فقلت : لا أُطلع عليهِ احدًا في هذا الاقليم . وتمثّلتُ بقول الحريري (في مقامتهِ السمرقنديّة) : فنزلتهُ منزلة الفُضَيل وسدلتُ الذيل على مخازي الليل . فعند ذلك تهلّل وجههُ فرحًا ومال الى صندوق فاخرج منهُ صرّة وقال لي : يا سيدي اشتهي ان تقبل مني هذه النفقة تستعين بهـا في هذا الوقت واقسم بالله ان لا بُدّ من ذلك فاخذتها على وجه الهديّة . ولمّا رجعتُ الى منزلي فتحتُ الصرّة فاذا فيها خمسون مثقالًا (ويروى : خمسون دينارًا مسعوديًّا) وصرت اتردّد اليهِ وبقيت عندهُ من اعزّ اصحابه وعرّفني بكبار البلد فصرت كواحد منهم

(وهنا نلوم ايضاً الجوبري على مصادقة ذلك الخدّاع بعد معرفته لدسائسه فان الصدق والانسانية كانا يقضيان عليه بان يفشي سرّهُ ويحذّر الناس من غشهِ ويمتنع عن قبول هديّتهِ)

ومن الفصول التي تفيد القرّاء معرفتها ليأخذوا حذرهم من اهل التدليس الفصل التاسع من نسختنا وهو العشرون في غيرها وهناك يذكر الجوبري ما سوّل الشيطان لبعض المدلّسين ليخدعوا الناس بالاطعمة المغشوشة فانهم لم يدعوا طعاماً الّا زوّروهُ . وكأنهم سبقوا المكّارين في عهدنا ولاسيما في حواضر المدن وامهات البلاد حيث يغشّ ارباب الحرف الآكل بما يدسّونهُ فيها من العناصر الغريبة طمعاً في الربح . وهذه امثلة مما روى الجوبري عن باعة زمانهِ . قال في غشّ العسل :

اذا ارادوا ان يعملوا الشفيقي الطيب ياخذون من التين المرّي الجيد يملونهُ في اناء ثم يلقون عليهِ الماء العذب ما يغمرهُ ويتركونهُ حتّى يعود مثل الحلوى ثم يرسونهُ رسّاً جيدًا . ثم ياخذون الثفل ويلقون عليهِ ماء فاترًا ويرسونهُ حتّى لا يبقى فيهِ شيء ثم يصفّونهُ على الاوّل ويرفعون الجميع على نار لينة حتى يأخذ قوامهُ . ثم يلقون عليهِ الصمغ العربي وقليلًا من الكثيراء الشقراء او الشمع الخام ويغلونهُ ثم يجعلونهُ في اوعية من الفخار الجديد ويتركونهُ سبعة ايام فانهُ يعود عسلًا جيدًا وقد رأيتهم يصنعونهُ من القصب والبطيخ فيجيء من احسن ما يكون . ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع اعمالهم

ووصف تقليدهم السمن وذكر طريقتين لذلك :

(الاولى) اذا ارادوا عمل السمن اخذوا من الدهن البقري السمين الجديد فيذيبونهُ ثم ياخذون جزءًا من الورس المدقوق الناعم وجزءًا من الصمغ العربي ويخلطون الجميع مع الدهن فيضربونهُ ضربًا جيدًا فانهُ يعود سمنًا اجود ما يكون من السمن

(الصفة الثانية) ياخذون دهن الالية ويذيبونهُ فاذا ذاب القوا عليهِ الحلبة المدقوقة الناعمة ومن الكثيراء الشقراء اجزاء متساوية ثم يضربونها مع الدهن ضربًا جيدًا فيعود سمنًا في غاية الحسن

وقال في اصطناعهم الزبدة :

واذا ارادوا عمل الزبدة ياخذون الحليب ويغلونهُ على نار لينة ثم يلقون عليهِ اجزاء متساوية من البورق والكثيراء والصمغ العربي وحشيشة المصطكى ثم يتركونهُ ساعة فيعود زبدًا طيبًا من احسن ما يكون

وروى طريقتهم في اصطناع اللبن الخاثر واللبن الحامض قال :

هذا باب معدوم لا يعلمهُ الآكل فاضل فاذا ارادوا ذلك فانهم ياخذون من الجوز الهندي فيقشرون قشرتهُ السوداء ويغرطونهُ في القوارير ويصبّون عليهِ الماء ثم يرسونهُ بايديهم رسًّا

جيدًا حتّى اذا ذاقوهُ وجدوهُ مثل اللبن فعند ذلك يعصرونهُ عصرًا جيدًا ثم يحمون ما خرج منهُ مع الماء الذي كان فيهِ ويصفّونهُ فانهُ يصير خاثرًا كثير الدسم فيجعلونهُ في اناء ثم يكمدونهُ كما يُكمد اللبن حتى يصير حامضًا فيعود لبنًا طيبًا. ولو ذهبتُ اذكر جميع احوالهم في المطعم لطال ولم تسعهُ مجلّدات كثيرة. ولكن قصدنا الاختصار وبالبعض يستدلّ العاقل اللبيب على الكثير

هذه كُتُف ممّا رواهُ الجوبريّ للمموّهين والمخرقين واصحاب المكر والتدليس ولهُ فصول اخرى في طوائف غيرها كالكحّالين والاطبّاء والدراويش واللصوص والذين يصبغون الحيل ويختلسون بني آدم ويصبغونهم الوانًا لئلّا يعرفهم اهلهم والذين يلعبون بالنار او بالحيّات وقد ختم فصولهُ بذكر دهاء النساء النصّابات. ولولا خوفنا من الطول المملّ لذكرنا تلك الفصول بالتفصيل وفي ما رويناهُ كفاية لتعريف هذا الكتاب الفريد في جنسهِ

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني

الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

لم تبلغ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر كلهِ ما بلغتهُ في حقبتهِ الاخيرة فانها اصبحت اذ ذاك كالزهرة المتفتحة من زرّها المعطّرة الارجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت افنانها ومدّت في قاع الارض اصولها فلم تعُد ترهب الانواء او تكترث لزعازع الرياح. وكان الفضل الاكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصًا لبيروت التي اضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب اليها زهرة الشبيبة من انحاء سوريّة ومصر والعراق فتغذيهم بافاويق العلوم وتعيدهم الى اوطانهم فيرقّون شيئًا فشيئًا عقول مواطنيهم ويوسّعون نطاق التمدُّن بنفوذهم

ولا مراء انَّ المدارس لعبت الدور الاهمَّ في هذا الترقّي الشريف فكانت الكليَّة الاميركيَّة بلغت عزَّ قوَّتها تحت نظارة رئيسها النشيط الدكتور دانيال بلس وبهمَّة بعض اساتذتها ولاسيما الدكاترة كرنيليوس فان ديك ولويس وجرج بست ويوحنَّا ورتبات وبمساعدة بعض الوطنيّين. وكان وقتئذٍ تعليم المدرسة باللغة العربيَّة فوضعتْ عمدة الكلية في العربيَّة او نقلت اليها عددًا وافرًا من التآليف العلميَّة التي ادَّت خدماً موقَّتة لنشر العلوم في الشام وغيرها الى ان عدلت المدرسة عن العربيَّة الى الانكليزيَّة لما تحقَّقت ان تلك التآليف تحتاج في كل سنة الى اصلاح وتحسين بتقدُّم العلوم فلا تفي بالمرام بعد زمن قليل ما لم يكرَّر طبعها مع وفرة نفقاتها

وكانت الكليَّة اليسوعيَّة مع حداثة نشأتها تباري رصيفتها الاميركيَّة في نشر المعارف الدينيَّة والدنيويَّة. وكان الاحبار الرومانيُّون يعلّقون عليها الآمال الطيّبة في اعلاء منار الدين والعلم بين الطوائف الشرقيَّة فمنحها السعيد الذكر بيوس التاسع سنة ١٨٧٤ اسم كليَّة وجاء من بعده خلفهُ المغبوط لاون الثالث عشر فخصَّها سنة ١٨٨١ بامتيازات اخرى وخصوصاً ان تعطي طلبتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحقّ القانوني والفلسفة

وكانت الدولة الفرنسويَّة في تلك الاثناء ساعيةً في تعزيز مدارسها في الشرق فرأت في كلية القديس يوسف محققًا لغاياتها ضامنًا لحسن نياتها فمنحت لطلبتها الاجازة كطالبي مدارسها في فرنسة. ثمَّ وكلت الى روسائها ان يلحقوا بالكلية مكتبًا طبيًّا. فتمَّ ذلك فعلًا سنة ١٨٨٣ وأُنشئت الدروس الطبية بكل فروعها التي تبلغ الاثني عشر لكلٍّ منها معلّمها الاختصاصي. فزادت هذه الاتمامات كليَّتنا نشاطًا وعزيمة ورقَّتها الى درجة ما كانت لتطمع فيها الآمال. وكانت للدروس العربية في ذلك الترقي حظّها من الاهتمام كما اثبتنا الامر في خطبة القيناها على الحضور في حفلة توزيع الجوائز سنة ١٨٩٨ (المشرق ١ : ٦٩٩) وفي مقالة اخرى عن تدريس العربية في كليتنا (المشرق ٥ : ٩٢٢) حيث عدَّدنا تآليف تسعين من تلامذتها بينهم الكتبة والخطباء والشعراء والصحافيون واللغويّون

وكانت المدارس الثانويَّة الاخرى منها للمرسلين ومنها للوطنيين تركض جيادها في ذلك المضمار. فمنها ما كان سبق انشاؤهُ تلك الحقبة فمرَّ لنا ذكرهُ ومنها ما استجدَّ افتتاحهُ كمدارس «الفرار» في بيروت والقدس وحيفا ويافا وطرابلس ومدرسة الاباء

الكبوشيين في صليا والاباء الكرمليين في القبيات والاباء اليسوعيين في حمص وسيدة القلمة . واعظم منها مدرسة القديسة حنّة الاكليريكية المعروفة بالصلاحيّة التي أسسها سنة ١٨٨٢ نيافة الكردينال لافيجري وخصّها بتهذيب طلبة الكهنوت من طائفة الروم الكاثوليك تحت ادارة الاباء البيض (اطلب في المشرق ١٠ : ٨٦٥ مقالة الخوري نقولا دهّان في تاريخ تلك المدرسة واعمالها) . وتعدّدت المدارس الابتدائيّة للذكور والاناث فحظيت بها اكثر قرى لبنان وسهول البقاع ونواحي حوران بهمّة المرسلين اليسوعيين واللعازريين فضلاً عمّا عُني بانشائهِ المرسلون البروتستانت في انحاء شتّى

امّا المدارس الطائفية فأُنشئ منها للدروس الثانويّة مدرسة غزير المارونية كان الساعي بها الخوري لويس زوين سنة ١٨٨٠ ومدرسة قرنة شهوان المعروفة باللبنانية من اثار همّة السيّد يوسف الزغبي سنة ١٨٨٣ . وفتح الروم الكاثوليك في دمشق مدرستهم البطريركية التي اقبل عليها الاحداث لحسن نظامها . وكذلك مدرستهم الاسقفيّة في زحلة اهتمّ بتدبيرها كهنة افاضل اخصّهم الخوري فيلبّوس نمر والخوري بطرس الجريجري قبل انتخابهِ الى كرسيّ بانياس . وفي السنة ١٨٩٨ اقامت الرهبانيّة الباسيليّة الحنّاويّة مدرستها الشرقيّة وقد نعتها بالكليّة وهي اليوم من المعاهد التي تزين مدينة زحلة . وانشأوا الروم الكاثوليك بعد ذلك مدرسة حلب التي يديرها عدّة كهنة من تلامذة القديسة حنّة تحت نظارة راعيها الغيور . وزيد ايضاً بمساعي الطوائف الشرقيّة عدد المدارس الابتدائيّة في عدّة امكنة فاصبحت بذلك اثار العلوم دانية القطوف حتى بين القرويين والفقراء

ومّما نعرفهُ من امور المدارس غير الكاثوليكيّة انشاء الروم الارثدكس لمدرسة كفتين سنة ١٨٨٢ فتقلّبت عليها الاحوال بين تقدّم وتأخّر حتى أُقفلت . ومثلها مدرستهم الاكليركيّة في دير البلمند التي اصابت بعض النجاح مدّة . وانشأت السيّدة املي سرسق مدرسة وطنيّة في الثغر لبنات طائفتها دعتها زهرة الاحسان عام ١٨٨٠ . وقد وجد الروم الارثدكس مساعدًا كبيرًا في الدولة الروسيّة لتوفير مدارسهم وحسن تنظيمها . فانّ شركة فلسطين المسكويّة منذ عشرين سنة انشأت في الشام وفلسطين نيفًا وثمانين مدرسة تنفق عليها المبالغ الوافرة . وفتح الاسرائيليّون مدرسة في بيروت

ترأسها زاكي افندي كوهن سنة ١٨٧٥ فخدمت طائفة اليهود نحو ٢٥ عاماً ثم أبطلت وقامت بدلًا منها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

كذلك انشأت الحكومة للمسلمين في بيروت المكتب الاعدادي سنة ١٣٠٩ (١٨٨٥) ثم انشأ بعض الاهالي اصحاب الهمّة مدارس اهليّة اخصّها المدرسة العثمانية لصاحبها ورئيسها الشيخ احمد افندي عبّاس الازهري سنة ١٣١٣ (١٨٩٧) والمدرسة الوطنيّة والمدرسة العلمية وهذه المدارس ارقى نوعاً من المدارس الابتدائية فيزيدون غالباً على المبادئ واصول الدين واللغة درس اللغتين التركية والفرنسويّة مع اصول الحساب والجغرافية ومسك الدفاتر

وكانت المطابع السوريّة في هذه البرهة سيّارة الآداب تجري على حرّيتها دون ان يضغط عليها المراقبون ويقصّوا اجنحة اطيار الافكار. فكان الصحافيّون يعلنون الاخبار الصحيحة ويعربون عن آرائهم في اصلاح الامور وتلافي الشرور لا تأخذهم في ذلك لومة لائم. وفي تلك الاثناء اتّسعت مجلة المقتطف في ابحاثها وكبر حجمها بعد الغاء مجلّة الجنان لكنّها وجدت في طريقها عثرات بمقاومة بعض الحسّاد فانتقلت الى مصر سنة ١٨٨٦ وجرت على سنّتها الى السنة الجاريّة وهي الرابعة والثلاثون من عمرها. وأنشئت بعد ذلك مجلّة الطبيب كان يحرّرها بشاره زلزل والشيخ ابراهيم اليازجي. ولم يطل عمرهـا على ثلاث سنوات فقامت بدلًا منهـا مجلّة أخرى باسم الطبيب يحرّرها الدكتور اسكندر افندي البارودي. ونشر الروم الارثذكس مجلتهم الهدايّة وظهرت في لبنان مجلّتا الشفاء والصفا فخدمتا الآداب خمس سنين او ستًا. وكانت مجلّة المشرق آخر ما بزغ في ختام القرن التاسع عشر من المجلّات في بيروت ظهرت في غرّة السنة ١٨٩٨ وهذه السنة الثانية عشرة لعمرها. نفع الله بها اهل الوطن ومحبّي الدين والادب. وكذلك بوشر بعدّة جرائد منها لسان الحال ظهرت سنة ١٨٧٧ ثم جريدة المصباح كان ينشئها المرحوم نقولا النقّاش ثم جريدة التقدّم كان صاحب امتيازها يوسف الشلفون. وجريدة الاحوال لصاحبها الاديب خليل افندي البدوي. وأنشئت الصحافة اللبنانيّة فظهرت في بيت الدين جريدة لبنان الرسميّة ثم الروضة ثم لبنان لصاحب امتيازها جناب ابراهيم بك الاسود ثم الارز

وطُبعت عدّة مطبوعات مفيدة منها علميّة ومنا تاريخيّة ومنها ادبيّة. وكانت مطبعتنا

الكاثوليكية في مقدمة المطابع فنشرت بهمة مديريها وآبا كليتنا مطبوعات جليلة لا تزال معدودة من خيار المنشورات العصرية. ومما وجهت اليه عنايتها الكتب المدارسية لتكون في ايدي الاحداث دستوراً ودليلاً

على انَّ ادارة المعارف في الاستانة اخذت تنشئ القوانين الصارمة لتقييد حرية المطبوعات ولم تزل تضايقها شيئاً بعد شيء حتى بلغت في ضغطها حداً لا يكاد يتصوره غير الذين قاسوا مضضهُ. وكان ذلك الضنك الذي بلغ الروح التراقي من اقوى اسباب الانقلاب الاخير. ومن المطبوعات الجديرة بالذكر التي صدرت في ذلك الوقت في بيروت دائرة المعارف باشر بها المعلم بطرس البستاني ثم خلفهُ في نشرها اولادهُ وانسباؤهُ ولم يتمّ منها الّا نصفها. وكذلك طُبع ديوان الاخطل وديوان الخنساء وديوان ابي العتاهية واقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني وفرائد اللآل في مجمع الامثال للشيخ ابراهيم الاحدب وتاريخ ابن العبري وشرح المتنبي للشيخ ابراهيم اليازجي ومجموع مجاني الادب مع شروحهِ وكتب أُخرى عديدة جعلت لبيروت بين المستشرقين سمعةً طيبة حتى ضربوا المثل بحسن مطبوعاتها. وكان الحظ الاوفى في ذلك للمسيحيين وخصوصاً للكاثوليك

ومما يحيي الآداب ويبعث همم ذويها الجمعيات الادبية وقد ذكرنا سابقاً ما أُنشئ منها في بيروت على انَّ تلك الجمعيات الادبية انتقض حبلها وتضعضعت اركانها اذ تصدَّت لها الحكومة المحلية وكانت لا تزال تترصدها وتتجسس بواطن اصحابها وتسيء الظنّ بهم فرأوا في شتاتهم خيراً لهم. وقد سعى مع ذلك الادباء بانشاء نوادي ادبية منها الدائرة العلمية المارونية التي عقد اصحابها من اساتذة الحكمة بعض جلسات في السنتين ١٨٨١ و ١٨٨٢ ونشرت نبذاً من اعمالها. ولم تطل كذلك حياة دائرة ثانية انشئت الى القديس جرجس دبرها الاب يوسف يونيه اليسوعي ثلاث سنوات واتت ببعض النتائج الحسنة (١٨٨٣—١٨٨٦) وأسس الاميركان جمعية اخرى مختلطة دعوها بشمس البرّ تلتئم حتى اليوم في اوقات معلومة وتُتلى فيها الخطب في مواضيع شتّى

وقد ساعد ايضاً على نشر الاداب في جهات الشام وبالاخصّ في بيروت انشاء الكتبيين للمكاتب فانَّ باعة الكتب قبل السنة ١٨٨٠ كانوا قليلين لا يزيدون على

ثلاثة او اربعة بين نصارى ومسلمين فتُحت عدّة مكاتب حتى تجاوز عددها العشرين وكان بين الكتبيين رجال ذوو نشاط كانوا يجلبون المطبوعات من بغداد والعجم والهند ومن اوربّة. ثم خمدت تلك الحركة بعد ان تشدّدت الحكومة في مراقبتها للمطبوعات فلم تكتفِ بان تمنع الكتب المخالفة لسياسة الدولة بل حجزت على مطبوعات جليلة لمجرّد ما توهّمته فيها من المحظورات حتى لم تسمح بادخال تاريخ ابي الفداء والعقد الفريد لابن عبد ربه. وقد رأينا من مراقبة المأمورين عجائب وغرائب لو اثبتناها هنا لعُدّت من اساطير الاوّلين او اناصيص الامم الهمجيّة

ومع ما نفعتْ تلك المكاتب كنّا نحضّ ذوي الامر على انشاء خزائن عموميّة تودع فيها اخصّ المطبوعات الشرقيّة ليقتبس من انوارها المشتغلون بالآداب كما هو جارٍ في معظم البلاد المتمدّنة لكنّنا كنّا ننفخ في رماد ونضرب على حديد بارد. والى يومنا هذا نتمنى بفروغ الصبر ان تصرف بلديّتنا نظرها الى هذا الامر النافع فعسى ان يلقى مطلوبنا اذنًا سامعة

على انّ بعض الجمعيّات استدركت الامر وبذلت المال في تجهيز تلك الخزائن. فانّ المدرسة الاميركيّة عُنيتْ بفتح مكتبة في معاهد كليّتها يبلغ عدد كتبها نحو عشرة الاف بينها نحو ثلاثة آلاف كتاب عربي بين مطبوع ومخطوط وهي ترخص لأدباء البلدة فضلًا عن ذويها بمطالعة تلك المصنّفات. وكذلك اهتمّت احدى السيّدات الاميركيّة بانشاء غرفة للقراءة تُعرَض فيها الجرائد على القرّاء. وتتضمّن مع هذا عددًا وافرًا من الكتب العربية وخصوصًا التآليف الدينيّة البروتستانيّة

وكان روساء مدرستنا الكليّة وجّهوا جلّ اهتمامهم لانشاء مكتبة واسعة تشتمل على اخصّ المآثر الشرقيّة فوكلوا الامر الى بعض رهبانهم فأنشئت سنة ١٨٨٠ المكتبة الشرقيّة التي لم تزل تمتدّ وتتّسع حتى ينيف اليوم عدد كتبها على الثلاثين الفًا. بينها مجموع المجلّات الاسيويّة واخطر التآليف واعزّها في كل ضرب من العلوم الشرقيّة. هذا فضلًا عن الفي كتاب مخطوط في العربيّة والسريانيّة والكلدانيّة والتركيّة والفارسيّة مع آثار قليلة في اليونانيّة والقبطيّة والحبشيّة. فاذا أُضيف الى هذه الخزانة ما تحويه المكتبة الغربيّة والمكتبة الطبيّة والمكتبة المدرسيّة وغيرها بلغ عدد كتب كليّتنا مئة الف. وكثيرًا ما تلطّف الروساء فسمحوا لاهل الادب من الوطنيين والاجانب على اختلاف

الاديان ان ينتفعوا من تلك الكنوز الادبيَّة ويقطفوا ما شاؤوا من تلك الثمار الجنيَّة. ولم يريدوا ان يُحرم طلبتهم الاحداث من مراجعة كتب الآداب فقرَّبوا منهم منافعها وخصُّوا بهم مكتبة عربية يجدون فيها ما يهذّب اخلاقهم وينير عقولهم ويضكّه ارواحهم

ومما يستحق الذكر بين مكاتب الشام خارجاً عن بيروت مكتبة الملك الظاهر في دمشق جُمعت فيها على عهد مدحت باشا الكتب المتفرّقة الموقوفة على الجوامع والمدارس فاضحت من اخصّ المعاهد الادبية وهي تحتوي نحو سبعة الاف كتاب يغلب عليها الكتب الخطيَّة

ومما يعود فضلهُ الى بيروت خصوصاً في تعزيز الآداب العربيَّة فنّ التمثيل وقد سبق لنا كيفيَّة ظهوره على يد المرحوم مارون نقّاش وما نجم عنهُ من المضرّات بسوء استعماله في المراسح العموميَّة حيث مُثلت روايات مخلّة بالاداب. الّا انَّ هذا الفن الجليل عاد الى شرف مقامهِ في المدارس المسيحيَّة. وكانت كليَّتنا اوَّل من سبق الى تشخيص الروايات التمثيليَّة العربيَّة سنة ١٨٨٢ فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقيَّة ليرسخ في قلوب طلبتهم مع حبّ الوطن ذكر تواريخ بلادهم. فمن جملة ما مثّلوا حكم هيرودس على ولديه في بيروت واستشهاد القديس جرجس فيها ورواية صدقيَّا ثم داود ويوناتان. ومما اقتبسوه من تاريخ العرب رواية ابن السموءل ورواية المهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة واخوة الخنساء. وكان للطلبة في تأليف بعض هذه الروايات سهمٌ وافٍ الّا انَّ معظمها بقلم الاباء او بعض اساتذة الكليَّة

وكما مُثلت المآسي والروايات الفاجعة او الفكاهيَّة كذلك كانت تُعقد في كليَّتنا محافل ادبيَّة يحضرها اعيان البلد فيبحث اعضاؤها في بعض المشاكل التاريخيَّة او الابحاث اللغويَّة والادبية فيأتي كل منهم بما جادت بهِ قريحتهُ نظماً او نثراً حتى يستوفوا الموضوع حقَّهُ ويبرزوا محاسنهُ من كل وجه. فدارت بعض هذه المجالس على مفاخر بيروت والآداب العربيَّة وتنضّر النعمان والقديس يوحنّا فم الذهب والقديس يوحنّا الدمشقي والرشيد وبني برمك والمامون وعصرهِ. وكان وجوه البلدة يحضرون تلك الحفلات بملء الرغبة والشوق. واخذت بقيَّة المدارس تجري على هذه الآثار لاسيما المدارس الكاثوليكية

كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة بهمّة بعض اساتذتها الأدباء وخصوصاً عبد الله افندي البستاني والمرحوم نجيب حبيقه

هذه لمعةٌ من احوال الآداب العربيــة في بلاد الشّام في الخمس الاخير من القرن التاسع عشر. وكانت مصر بعد تقدُّمها على الشام في النهضة الادبية اصابهــا بعض الخمول رغماً عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ووفرة مطبوعاتهــا العربية وهمّة خديويها محمّد علي باشا ووزير معارفهــا الهمام علي باشا مبارك. ولعلّ سبب هذا الخمول انما كان انصراف نظر اهلها الى العلوم الاجنبية فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الاوربيّة الى العربية فيدرّسونهــا في مدارسهم فيشغلهم الامر عن الاهتمام بالآداب العربية

ثمّ حدثت الثورة العرابيّة سنة ١٨٨١ واحتلّت الجيوش الانكليزيّة القطر المصري فكان الاحتلال مضرًّا للغة العربيّــة من جانب ومفيدًا من جانب آخر امّا ضررهُ فانما كان باتّخاذ اللغات الاجنبية كلغات التدريس فحُرمت العربية من التآليف المنقولة من غيرها اليها واهمل كثيرون درسها. الّا ان مصر اعتاضت عن هذه الخسارة بفوائد اخرى كتنظيم الدروس العربية في مدارسها وادخال تلك اللغة في جملة الدروس الثانويّة لنوال شهادة الحكومة. وزاد عدد المدارس الاجنبية التي لم تكن تقضي عن درس العربيــة كمدرسة العائلة المقدّســة في القاهرة للآباء اليسوعيين ومدرستهم في الاسكندريّة وكمدارس الآباء الافريقيين في طنطا وزقازيق ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحية

وكذلك المدارس الوطنية زادت عددًا ونموًّا في القاهرة وبقية بنادر القطر المصري حتى جُعل لها ديوان يهتمّ بشؤونهــا دُعي ديوان المدارس ثم عُرف بديوان المعارف العمومية. وفي هــذا الوقت حُوّرت طرق التعليم في بعض المدارس المنشأة سابقًا لاسيما مدرسة الازهر التي نالها بعض الاصلاح بدخول فروع جديدة من التعليم كالجغرافيــة والتاريخ لكنّها لم تزل بعيدة عن رتبة الكليات الاوربية

وفُتحت اذ ذاك بعض المكاتب الجامعة لمنفعة العموم. وكان اخصّهــا المكتبة الخديويّة التي أُنشئت في عهد محمّد عليّ الّا انها لم تنظَّم وتحفل بالمطبوعات والمخطوطات النادرة الّا بعد ذلك بهمّة نظّارها الاوربيين كالدكتور ڤولرس المتوفّى آخرًا والدكتور مورتس ناظرها الحالي

ونشأت عقيب الاحتلال الانكليزي الحياة السياسية بما مُنحتهُ المطبوعات من الحرّية واتسعت دوائر الصحافة خصوصاً فبلغ عدد الجرائد والمجلّات العربية في مصر ما يُربي على المئة . وكان للسوريين في هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان أكثر مديري تلك المنشورات ومنشئيها من اهل سوريّة وزاد عددهم في وادي النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى اناف على ثلثي الكتبة المصريين فتقدّموا على غيرهم بما عُرفوا بهِ من النشاط والذكاء والتفنّن في الكتابة . والحقّ يقول ان اكبر المجلّات المصريّة كالمنار والمقتطف والضياء والهلال واعظم جرائدهم كالمقطّم والاهرام والعمران كان يحرّرها السوريّون

وممّا اكتسبتهُ مصر من الاحتلال الانكليزي لنشر آدابها توفُّر المطابع وتحسن مادّياتها فأمكن المصريين لو شاؤوا ان يطبعوا الكتب طبعاً متقناً كمطبوعات الشام . وقد استعاروا من مسابكها حروفهم . فنُشرت اذ ذاك في وادي النيل معاجم جليلة كلسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الاثير . وكتب لسانية خطيرة كسيبويه ومخصّص ابن سيده . وكتب تاريخية اخصّها ما نشرتهُ المكتبة الخديويّة كتاريخ ابن اياس وتاريخ ابن دقماق وتاريخ ابن جبعان وتاريخ الفيّوم . ومثلها تاريخ السخاوي وطبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة . وكتب ادبية كخزانة الادب وحلبة الكميت للتواجي وبعض دواوين وتآليف أُخرى . ومع ما اجدت هذه المطبوعات المصريّة من المنافع للعلم لا يسعنا السكوت عن نقائص كثيرة منها كسقم طبعها وكثرة اغلاطها وقلّة ضبطها بالشكل وخلوّها من الشروح والملحوظات والروايات والفهارس . وربّما عمد اصحابها الى مطبوعات المستشرقين فنسخوها بحرفها ومسخوها بالتصحيف وجرّدوها عن محاسنها وقد بيّنّا كل ذلك في نظر سابق انتقدنا فيه مطبوعات مصر (في المشرق ١١ : ٤٣٠—٤٤٠) نشكرنا عليه أُولو الذوق ومحبُّو الآداب

امّا الجمعيات الادبية في مصر فسعى بانشائها بعض ذوي الفضل والعلم من الفرنسويين وغيرهم فخدموا بها القطر المصري خدماً صادقة كما تشهد على ذلك منشوراتهم المطبوعة في كل عام وكان بعض الوطنيين من جلّة القوم يشاركونهم في الاعمال . وقد اراد الوطنيّون غير مرّة ان يجمعوا قواهم بالانضام ويعقدوا جمعية علمية فلم ينجحوا وكان عقدهم ينفرط بعد قليل لتباين الاغراض

امّا الاقطار الخارجة عن الشام ومصر فكانت حركة آدابها خفيفة لم يشتهر في نهضتها الّا الافراد. ففي هذه المدّة ابرزت مطبعة الجوائب مطبوعات مفيدة حسنة الطبع كديوان البحتري وادب الدنيا والدين وشرح مقصورة ابن دريد ورسائل فلسفيّة وادبيّة متعدّدة لابن سينا وللثعالبي وللضبي وغيرهم. وادّى المرسلون الدومنيكان في الموصل بمطبوعاتهم الجديدة ومدارسهم خدماً تُذكر فتُشكر. وكذلك الآباء الكرمليّون في بغداد عزّزوا مدارسهم فزاد اقبال الناشئة العراقية عليها. وقصّ اثارهم الكلدان الكاثوليك بتهذيب الاحداث

وفي هذا العهد دخل فنّ الطباعة الى مكّة فأُنشئت مطبعتها الاميريّة واخصّ ما طبع فيها الفتوحات الاسلامية للسيّد احمد زيني دحلان وبعض الدواوين

ونُشرت في جهات العجم عدّة منشورات بعضها تاريخية كمقاتل الطالبيّين لابي فرج الاصبهاني وروضات الجنّات في احوال العلماء والسادات. وبعضها ادبية ولغويّة واغلبها دينيّة واكثر هذه المطبوعات سيئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها. وربّما كان طبعها على حجر على اسوإ صورة. ومثلها سقماً وسخافةً مطبوعات الهند في لوكنو وبمباي فانّ مطبوعات كثيرة طُبعت هناك كشفاء ابن سينا وقواعد العقائد للطوسيّ وشرح الهداية الاثيريّة لكنّها لا تستحقّ اعتبارًا لسوء طبعها واحسن منها رسائل اخوان الصفا وديوان عليّ بن ابي طالب وديوان الموسوي وديوان علي بن مقرّب وديوان شرف الدين المقّري وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. وللحكومة الانكليزيّة في كلكوتا مطبعة اصدرت عدّة تآليف مفيدة أُتقن طبعها وقد مرّ لنا ذكرها (لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

DIE SPRACHFRAGE IN GRIECHENLAND von G. N. Hatzidakis. Ἐν Ἀθήναις. P. D. Sakellarios, 1905, in-8°, p. 142.

اللغة العامية في بلاد اليونان

هذا الكتاب لاحد اساتذة اثينة طُبع بالالمانيّة اوّلًا ثم نُقل الى الفرنسويّة لاقبال القراء على مطالعته. اما غاية المؤلف من وضعه فالحكم بين فئتين من العلماء في امر

اللغة اليونانيَّة الحديثة . ومن المعلوم ان اليونانيَّة المستحدثة تُقسم كالعربيَّة الى لغة مهذبة كلغتنا النحويَّة ولغة عاميَّة . الَّا ان الفرق بين اللغتين في اليونانيَّة اعظم منهُ في العربيَّة . فان اللهجة العربيَّة الشائعة على ألسنة الجمهور لا تختلف عن اللغة الصحيحة الَّا في بعض الامور العرضية كاغلاط معروفة والفاظ دخيلة وتعابير عاميَّة اما اليونانيَّة فان لغتها المهذبة في ايامنا تختلف عن لغة قدماء اليونان اختلافاً عظيماً . ومن ثم يرتأي بعض العلماء المحدثين ومنهم العلامة كرومباخر (Krumbacher) وبسيخاري (Psichari) انَّ هذه اللغة الجديدة لا تستحقّ التفات الادباء اذ انها لغة صناعيَّة ادرجها قوم من الكتبة الذين سهوا عن قوانين العلم وتتبَّعوا اهواءهم الباطلة في تركيب انشائهم . ورأيُ هؤلاء المنتقدين ان يعود الكتبة اليونان الى اللغة القديمة فلا يحيدوا عنها في كتاباتهم . اما لغة التكلم فانَّهم يرون انَّ الاولى ان تتَّخذ لهجة عاميَّة ينتزعونها من اللهجات اليونانيَّة الشائعة سابقاً في انحاء اليونان فيجرون عليها او يصطلحون على اتخاذ اليونانيَّة الدارجة في الكتابة والتكلم معاً . الَّا ان قوماً اخرين يزعمون انَّ اللغة اليونانيَّة القديمة لم تُفقد وانها محفوظة في اللهجات الشائعة في عهدنا وانَّ ما أُدخل في تلك اللهجات من الاصطلاحات والحروف مثل θά و νά قد دخل بمساعي العلماء ونفوذهم دون تروٍّ . فهذه الاراء وغيرها يتناوض فيها الكتبة وينزع كلٌّ فيها منزعهُ . اما المسيو هتسيذاكيس مؤلف الكتاب الذي نحن بصددهِ فانهُ يعارض مذهب هؤلاء الآخرين وينقدهُ بادلَّة عديدة . ورأيهُ انَّ اليونانيَّة الحديثة كما هي جارية في الانشاء الحديث والكتابة انَّما هي ابنة اللغة القديمة وثمرتها الطبيعية وهيهات ان يجد الباحث آثار تلك اللغة في اللهجات العاميَّة الدارجة . وعليهِ فانهُ يستصوب المحافظة على هذه اللغة الكتابيَّة المستحدثة وتوسيع نطاقها دون السعي باستعمال اللغة القديمة . فان العود الى تلك اللغة كنشر الميت من قبرهِ وهو امرٌ ينفيهِ العقل ولا يؤدي بصاحبهِ الى نتيجة علميَّة . وهذا النزاع لا يزال قائماً على ساق بين المؤلف وخصومهِ . وقد صنَّف آخراً كتابين جديدين في الموضوع عينهِ رداً على العلامة كرومباخر اسم الاول (Ἀντιλεγόμενα) والثاني (Νέα ἀντιλεγόμενα)

GUIDE DU NIL AU JOURDAIN par le Sinaï et Pétra, sur les traces d'Israël, par le R. P. Barnabé Meistermann, in-12, XXV-381. *Paris, Alph. Picard et Fils.*

دليل المسافر بن من النيل الى الاردن على طريق طور سينا وبترا

قد اضحى اليوم السفر الى طور سينا كملحق لازم لزيارة الاراضي المقدّسة نعم انّ فلسطين والجليل وجهات الاردن تحتوي معظم آثار العهدين القديم والحديث الّا انّ شعب الله بمروره في شبه جزيرة سينا مع ما حدث له فيها من الاحداث الخطيرة والوقائع الشهيرة قد قدّس تلك الجهات فلا تتمّ معرفة الجغرافيّة المقدّسة الّا بها . ولمّا كانت تلك الاصقاع بلاد تيه ومجاهل يصعب فيها التجوّل بلا دليل قد قام حضرة الاب الفرنسيسيّ برناباي فوضع هذا الكتاب ليستدلّ به الزوّار على حزون سينا وبطونها واغوارها وانجادها فوصف طرقها وآثارها وذكر ما ينوط بكلّ محل من المشاهد المقدّسة وزيّن كتابهُ برسوم وخوارط وتصاوير فوتغرافيّة كاد يبلغ عددها المئة فجاء التاليف كدليل حيّ لمن يروم التطواف في تلك البلاد . هذا مع انّنا لا نقطع بصحّة بعض الاراء التي تفرّد بها حضرة الاب او عارضهُ فيها غيرهُ من العلماء وعلى كل حال لا يسعنا الّا الثناء على هذا التاليف وفوائده الجليلة

ر . س

LES MARTYRS: VII ET VIII-LA RÉFORME. Par Dom. H. Leclercq O. S. B., Paris, G. Oudin et Cie.

اعمال الشهداء في عهد الاصلاح البروتستاني

انّ اعمال الشهداء تُعدّ من اصدق الآثار التاريخيّة لأنّ كثيرًا منها كانت تدوّن في المجالس القضائيّة وتصدر على صورة شرعيّة مضاءة بتوقيع القضاة وكانت تتضمّن كل تفاصيل الدعوى واستنطاق الشهداء . وكان النصارى يدوّنون في استنساخها ويحفظونها في السجلّات الكنسيّة . ومن ثم كان كتبة التاريخ الكنسيّ يعوّلون عليها ويستمدّون من مضامينها . ولكن لسوء الحظ قد فقد بتمادي الاجيال عددٌ من هذه المآثر حتى سعى أولو الهمّة في جمعها ونشرها في القرن السابع عشر . على ان الاكتشافات الحديثة التي اثارت في عهدنا من مدافنها عدّة مطامير مجهولة اتتنا ايضًا بكثير من هذه الآثار فنشر احد الآباء البندكتيين وهو دون لوكلارك عن ساعد الجدّ واعمل نظر الانتقاد في كل هذه البقايا الثمينة منذ اوّل النصرانيّة الى القرن الحاضر فاختار منها ما رآه صحيحًا ثابتًا

يستند اليه في التاريخ الديني وهو عملٌ عظيم لا يتم الّا بعد سنين مديدة وقد أنهى منهُ ثمانية مجلّدات ضمّنها اعمال الشهداء في الثلثة القرون الاولى أيام المحن الكبيرة ثم على عهد يليان الجاحد وملوك الفرس والوندالين ثم الشهداء الذين قتلهم اليهود والشرقيّون ومحاربو الصور المقدّسة الى نهاية القرون الوسطى والمجلّدان الاخيران اللذان اهداهما ادارة الشرق المتولي لطبع هذا المجموع يحتويان اعمال الشهداء الذين ذهبوا ضحيّة ايمانهم على يد البروتستانت في جهات اوربا ولاسيما في المانية وانكلترة وقد أُضيف اليهم شهداء آخرون متفرّقون اخصّهم شهداء اليابان ولم يكتفِ المؤلف بذكر الشدائد واصناف العذابات التي قاساها اولئك الشهداء بل بيّن باثبت الشواهد ما كانوا يزدانون به من الفضل والتقى وبرارة الحياة فماتوا في سبيل ايمانهم بعد التروّي والتفكير مفضّلين اوامر الله على وعيد البشر وعلى حياة زائلة وكان بينهم الاساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيّون من كل سن وكل طبقة حتى الفتيات والاطفال فساروا الى الموت سيرهم الى الفوز والظفر فنحضّ كل محبي التاريخ الكنسي على مطالعة هذه الآثار فانها مما تستروح به الالباب وتستنير به الاذهان

ي . م

La Religion des primitifs, par Mgr Le Roy, évêque d'Alinda, supérieur général des Pères du Saint-Esprit. In-16. IX-518 pp. *G. Beauchesne* et Cie, *Paris*.

دين الاوّلين

من المعلوم ان علم الاديان من العلوم الحديثة التي تعدّدت فيها الكتابات والابحاث حتى يبلغ عددها العشرات كل سنة . واكثر الذين يكتبون في ذلك من لا دين لهم فيعتبرون الاديان كمخترعات بشريّة وينزلونها منزلة العادات واللغات التي تنشأ في كل بلد فتأخذ من طباع اهله واحوال معاشه وتربيته . ثم يسعون في كتابة تاريخ تلك الاديان على ما يتخيّلونها في اوهامهم فيجعلون لها اصلاً ثم جذراً ثم فروعاً وافنانًا وفقًا لسنّة النشوء والترقي الدروينيّة . فلابطال هذه المزاعم ألّف احد الاساقفة وهو السيد لوروا رئيس جمعيّة آبا الروح القدس الذي بشّر بالايمان زمنًا طويلًا في الهند وسواحل افريقية كتاباً وصف فيه ما عاينهُ بين قبائل الهند وافريقيّة من المناسك الدينيّة فبيّن احوال تلك القبائل بازاء الدين نظرًا للعالم الآخر وما يغلب عليهم من المعتقدات الباطلة والخرافات سواء كان في معرفة الخالق والارواح والنفس او في عباداتهم واديانهم واثبت انّ بينهم

وبين تعاليم الدين الحقيقي الموحى بها كبعد الثريا من الثرى . وقد اضاف الى كتابه فحص الديانات الشائعة في اقاصي الشرق وبعض اقطار آسيا وغيرها فاستنتج انه عار على ذوي العقول النيرة ان يقابلوا بين تلك الاديان السخيفة والنصرانية الشريفة ر . ش

The Restorer of Favours and the Restrainer of Chastisements by Taj-ad-Din Abu Nasr 'Abd-al-Wahhab As-Subki. The Arabic Text with an Introduction and Notes. Ed. by David W. Myhrman, *London, Luzac and* C°, 1908. pp. LX † 50 † ٢٦٠

كتاب معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي

تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب السبكي سليل اسرة شريفة عُرفت بمصر والشام بفضلها ومعارفها الشرعية وقد اشتهر كثيرون من ابنائها بتآليفهم الفقهية والادبية في القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للمسيح . وقد تقلّب تاج الدين في الاعمال والرتب ولاسيما قضاء القضاة الى ان مات مطعونًا سنة ٧٧١ (١٣٧٠) في دمشق وعمره ٤٤ سنة وقد أبقى عدّة تآليف جليلة تنطق عن سعة علمه تنيف على الستين اخصّها كتاب طبقات الشافعية الكبرى في ستّة اجزاء وقد طُبع مؤخرًا في مصر . وبين تآليف السبكي الجديرة بالنظر كتاب معيد النعم ومُبيد النقم وضعهُ لمن سألهُ كيف يستردُّ المرء من الله نعمةً دينيّة او دنيويّة اذا سُلبها . فدلّهُ على الطرائق الموصلة لهذه الغاية . ثم تتبّع الرتب والاعمال التي يقوم بها الناس فعدّ منها ١١٤ رتبة او صنعة بيّن ما يجب لاصحابها من الهمّة للقيام بحقّها ومن الصفات اللازمة للنهوض باعبائها وقد شرح ذلك مختصرًا بكلام ليّن وصورة قريبة المنال بحيث يعرف كل صاحب رتبة او عمل او صناعة ما تطلبهُ منهُ الذمّة والعدل مباشرة بالسلطان ثم النوّاب والوزراء والكتّاب الخ . فهذا الكتاب قد تولّى طبعهُ في ليدن المستشرق ميرهمان من اساتذة اوبسالا وراجعهُ على ثماني نسخ مختلفة فضبطهُ ضبطًا وافيًا وقدّم عليهِ المقدّمات بالانكليزيّة وذيّلهُ بالشروح العلميّة واللغويّة حتى جعلهُ من ألطف المطبوعات الشرقيّة فنشكر للاستاذ همّتهُ ونتمنّى لكتابهِ رواجًا

Une Anglaise Convertie, par le P. H. D'ARRAS s. j., *Paris*, in-16, 1909.

ارتداد انكليزيّة الى الكثلكة

مؤلف هذا الكتاب احد الآباء اليسوعيين كانت امّهُ من اسرة انكليزيّة

شريفة تُدعى ميس لكمار (Miss Lechmere) وُلدت في الدين البروتستاني. فحدث لها في رجوعها الى الكثلكة من الامور الغريبة والحوادث العجيبة ما لم يمكنها ان تنسبهُ الّا لعنايةٍ تعالى فاثارها وهداها الى سواء السبيل. وقد كتبت بيدها تفاصيل ارتدادها كما اوعز اليها احد ارباب الدين فوقع بعد موتها ما كتبتهُ في ايدي ابنها فلم يشأ ان يحرم منهُ القرّاء لحاسنهِ الغرّاء فنشرهُ بالطبع وعلّق عليهِ التعليقات التاريخيّة وغيرها مع عدّة مكاتبات لوالدتهِ الطيّبة الذكر نجاء كتابهُ كتذكار البرّ والحنوّ من ولد محبّ لامهِ المحبوبة. وقد تلقّى الجمهور هذا الكتاب بمزيد الرضى لشهرة السيّدة درّاس (وهو اسم الميس لكمار بعد زواجها) ولعظم فضلها على كل الباشمين. فعسى ان يكون هذا الكتاب دليلًا لمن يطلبون طريق الهدى ونور الحق ل. ش

مجمع المسرّات

تأليف الدكتور شاكر بك الخوري

طُبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت (سنة ١٩٠٨ ص ٦١٢)

يقول الفرنج انّ قلم الكاتب صورة نفسهِ. وليس كتابٌ يمثّل صورة كاتبهِ مثل هذا. واوّل ما يلوح للقارئ من صفات الكاتب حلاوة لسانهِ وفكاهة نفسهِ ولذلك قد دعا كتابهُ مجمع المسرّات فانك لا تكاد تقرأ صفحة من التأليف دون ان تشعر بميل كاتبهِ الى التفكّه والمزح وسيّانٍ عندهُ الهجو او الثناء. التاريخ او الرواية. الوصف او الرثاء. فانهُ يكسو كل ذلك بثوب بهيج ينسجهُ من رائع اقوالهِ. ثم لا يلبث القارئ ان يتأكد بان الكاتب طبيب نطاسي قد اعتاد معالجة امراض الجسم فنقل طريقتهُ العلاجيّة الى مداواة الارواح ولعلّهُ جراحي اكثر منهُ طبيب فترى المشرط في يدهِ لا يرى دمًلا الّا قصد بظّهُ بمبضعهِ شاء العليل ام أبى وربّما نفذ المبضع الى اللحم وأجرى شيئًا من دمهِ وأغضب العليل لكنّ الجرّاح لا يرى في ذلك باسًا لأنّ رأيهُ انّ ثقل الدم يؤذي صاحبهُ. وممّا يتحقّقهُ قارئ هذا الكتاب ان مؤلفهُ يستخدم النظّارات (العوينات) فانّ النظّارات كما هو معروف من شانها ان تكبّر بعض المنظورات وتصغّر غيرها. فهكذا جرى لكاتب جامع المسرّات فانّ نظّارات قلبهِ عظّمت لهُ امورًا ودقّقت غيرها فوصفها ليست كما هي بل كما لاحت لدى بصر عقلهِ فربما بالغ نوعًا في

مدحها او بخسها شيئاً من حقها. واملُ النظارات التي نظر فيها بعض امور الدين لا توافق بصرهُ فالأحرى استبدالها بغيرها . هذا ما رأينا في هذا المصنَّف الفريد ولولا ضيق المقام لاثبتنا نُبذاً من اقوالهِ اللطيفة الّا ان قرّاء المشرق قد عرفوا سابقاً فضل اليك بما حلّينا بهِ صفحاتنا من نثرهِ المستطرف او نظمهِ المستظرف فحيلهم اليها (المشرق ١ : ٢٠٦ و ٤ : ٥٨٧ و ٥ : ٥٤٣ و ٩ : ١٢٤) ل ش

كتاب الزهرة الزكيَّة في البطريركيَّة السريانيَّة

بقلم القس اسحق ارمله السرياني المارديني

طُبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت (سنة ١٩٠٩ ص ١٣٤)

أولع حضرة القس الفاضل اسحق ارمله بدرس تاريخ ملّتهِ السريانيَّة وقد اتحفنا غير مرَّة بآثار اجتهادهِ بما نشرهُ في هذه المجلَّة من المقالات التاريخية المفيدة. وهذا الكتاب الجديد من ثمار تلك الشجرة الطيّبة ضمَّنهُ سلسلة البطريركية السريانية الانطاكية. ومن المعلوم انَّ تلك السلسلة لم تكن اوَّلاً لا سريانية ولا يونانية ولا مارونية وانَّما كانت سلسلة كاثوليكيَّة بحتة حتى غلبت عليها البدع منذ القرن السادس واخذت من ثم تتشعَّب من ذلك النهر الزاخر جداول كدرة المياه مالحتها وكان اوَّلها الجدول اليعقوبي الذي افرزهُ عن مناهلهِ الصافية ساويرا الانطاكيّ. وهذه السلسلة هي السلسلة السريانيَّة التي امتدَّت الى عهدنا وكانت حلقاتها دائماً من المعدن الزائف الى ان عاد الحقّ الى نصابهِ في القرن السابع عشر مدَّةً ثم في اوائل القرن التاسع عشر بنوع ثابت. وقد بيَّن كل ذلك حضرة المؤلف بهذا الكتاب الصغير الحجم الحافل بالفوائد. الّا ان فوائدهُ عن القرون المتأخرة اكثر منها عن القرون السابقة التي غلب على اخبارها التشويش. وقد وقع مع ذلك في بعض التراجم اغلاط يسهل اصلاحها في طبعة ثانية كقولهِ (ص ٧) عن فيلبنس انهُ كان صاحب الشرط في انطاكية. والصواب انهُ لم يتولَّ انطاكية وانما كان قنصلاً على بلاد بيثنية ومنها كتب رسالتهُ الى طريانوس يستفتيهِ عن النصارى. وكذلك لم تُعرض مسئلة الفصح (ص ١٠) كما يثبتها التاريخ. وما ورد هناك عن برديصان لا يوافق عليهِ العلماء في عهدنا بعد اكتشاف بعض تآليفهِ المفقودة. ثم انَّ الذي اوقفهُ بابولا الشهيد على باب الكنيسة ليس هو والي انطاكية (ص ١١) وانما كان قائد غرديان

الصغير فيلبُس العربي الذي كان عاد الى رومية بجيش الرومان بعد قتل القيصر ونُسب اليه قتلهُ ليتولّى الامر بدلاً منهُ . وكان فيلبُس نصرانياً فلم يسمح لهُ اسقف انطاكية بحضور الاسرار مع المؤمنين . امّا استشهاد بابولا فلم يقع سنة ٢٢٤ لكن بعد ذلك بكثير . ولا نشك ان المؤلف في طبعة ثانية يزيد كتابهُ تحسيناً وفوائد ان شاء الله ل . ش

شذرات

نغمات الشكوى منظومة قبل الدستور منشورة بعدهُ بقلم الشاعر المجيد الشيخ احمد افندي تقيّ الدين المحامي القانوني :

نَبا بجنبي في النوى مضجعي وشفّني السُّهدُ ولم أهجع
واستعجم العاذلُ معنى الأسى فجاد في إعرابهِ مَدمعي
فجمرةُ الصدر تُثير البكا وجَمرُ خدّي ناسخ الادمع
فكيف اخفي علّتي والضّنا لم يُبقِ للأسرار من موضع
وكيف يحلو لجفوني الكرى والسهمُ من قلبيَ لم يُنزَع
وكيف أرتاحُ الى غمضها والسهدُ فيها حامل الشرّع
هيهاتِ يا ناريَ ان تخمدي هيهات يا نفسيَ ان تقنعي
اني لمشتاق لورد العلى تشوّقَ الظمآنِ للمنبع

*

وعاذلٍ يصدني في الدجى كأنّني من شُهبه المتّبع
رأى قناتي بالنهى قُوّمت فشاقهُ في غمزها مصرعي

*

أبيتُ والبدرُ سميرُ الجوى أبثّهُ الشكوى فيشكو معي
كأنّما شمس الضحى برّحت به فاحيا الليلَ كالموجع
ينير في قلبي سويداءهُ بنرّةٍ كالصارم المشرع
وفي فؤادي المصطلي ظلمةً بغير نور الحق لم تُقشع

*

أروح في الاسحار أغشى الندى وافضح الفجرَ لدى المطلعِ
واغتدي فوق غصون الصبا مسبّحاً كالفرد الوقّعِ
أطيل للنفس ذيول المنى ويقصر الثوب على مطمعي
ان المنى داءٌ لمرتادها دواؤهُ الصبرُ ألاَ فأجزعِ
لو قبس الليلُ لظى مهجتي لأستلَّ سيف الفجر من اضلعي
او صعدت لي في الدجى أنّةٌ أرهف اذنيهِ كذي مسمعِ
او سمعتْ ريمُ الفلا زفرتي لأسرعت في البحث عن مربعي
فأعجبْ من العجماء ان ترعوي واعجبْ من الناطق ان لا يعي

*

احييكَ يا ليل فلا تُغرِ بي عواذلي واصبرْ ولا تجزعِ
وطلتَ يا ليلُ فهل للضحى من حملةٍ تدفعها فاسرعِ
أيتها الشهبُ ألا فاغربي أيتها الشمس ألا فاطلعي
تسنّمي عرشَ السُّها واخلعي بردًا لنا في هذه الاربعِ
ومزّقي بالنور ثوب الدجى من غير ما سيفٍ ولا مدفعِ
سافرةَ الغرّة لا تحتشي عواذلًا حاسرةَ البرقعِ

*

فنحن في ليل هوى نجمهُ وفي دجاه الشهب لم تلمعِ
في ذمّة الظلماء نسري بهِ في فتيةٍ من النهى درّعِ
ناشئة العصر وحسبي بهم بيض المنى كالانجم الطلّعِ
صدورهم في حبّ اوطانهم مُفعَمة كالقدح المترَعِ
قلوبهم في حفظ ميثاقهم منيعة كالمعقل الأمنعِ
راموا لحاق البرق في جريهم على جيادٍ ضمّرٍ ضلّعِ
واين هم من كهرباء اذا مزّقت الظلماء لم ترقعِ
وانّهم يشقون في موطنٍ يكرم فيهِ الخاملُ المدّعي
تفرّقت اعضاؤه مثلما تفرّق الرأي ولم يجمعِ
ورأسه اعتلَّ فمَن مُرجعٌ صحّتهُ هيهات مَن مُرجعِ

لكنما الآمال تحيي الورى وغلّة الآمال لم تقع
ونحن قوم طال إخلادنا الى الونى والرقّ والمضجع
ترى شموس الغرب في حسرةٍ وشمسُنا في الشرقِ لم تطلعِ
وتقتدي العلياء في اقس ما شئتَ يا مجدُ بها فاصنعِ
لعلَّ في الشرق حياةً بها يشيّد العمرانُ في البلقعِ
لعلَّ في الشرقِ من نهضةٍ تُقيلهُ من قعرهِ المدقعِ
لعلّنا نرقى الى ذروةٍ من العلى في موطنٍ ممرعِ
لعلَّ بدر العلم إن تنقشعْ غمامةٌ من جهلنا يسطعِ
هيهات فالاوتارُ قد قُطّعت ولم يعد في القوس من منزعِ
ومن تغذّى بالمنى واكتفى اقام طاوي البطن لم يشبعِ
فقل لمن يبغي العلى فجأةً أيحصد المرء ولم يزرعِ

الأخيضر — ان اكتشاف تلك القصور العجيبة البنيان التي تزين بلاد موآب وبادية الشام كقصر مشتّى وقصر طوبة وقصر الزرقاء التي عثر عليها السيّاح في السنين العشر الاخيرة لستلفتت انظار غيرهم الى بادية العراق لعلّهم يجدون هناك ايضاً آثاراً مثلها من خلفة المناذرة وملوك الحيرة. وقد جاء في الشعر الجاهلي ذكر كثير منها كالسدير والخورنق وسنداد وبارق والبيض وغيرها مما سكت عنهُ الاثريون في عهدنا. وقد علمنا بمزيد السرور انَّ احد ذوي الهمّة من السيّاح الفرنسويين صديقنا المستشرق لويس مسينيون توفّق الى وجود احد هذه القصور القديمة وجدهُ على مسافة مئة كيلومتر من الفرات وخمسين كيلومتراً من كربلاء محجّ الشيعيّين. وهذا القصر من عجائب الابنية لهُ سور مربّع ذو طابقين يقيس كل جانب منهُ ١٧٠ متراً لهُ مثاريس وعدّة ابواب فخيمة. وكان يُدخل اليهِ من جهة الشمال. وفي داخل السور بناء مستطيل طولهُ ٨٨ متراً في عرض ٧٥م وعلوّهُ ٥ امتار و٦٠ سنتمتراً. وفي وسطهِ باحة فسيحة. والبناء ذو طابقين فيهِ الغُرَف والمقصورات والخزائن والمعاهد والمطامير وغير ذلك وقد وصف جناب السائح كل جهاتهِ وابنيتهِ في نشرة جمعيّة الكتابات والفنون واثبت صورة رسمهِ وبعض اقسامهِ. وهذا القصر يدعوهُ اهل البادية قصر الأخيضر لما ينبت فيهِ من الخضرة وقت الربيع وقريبٌ منهُ عين تنبع في وسط الرمل. وبعض اهل النجف يزعمون

انهُ قصر الخورنق الذي تكرَّر ذكرهُ في تاريخ ملوك الحيرة . وهو الذي بناهُ سنمّار احد عمّال ملك الفرس ازدشير او خسرو ابرويز في القرن الخامس للمسيح لكن الامر لا يزال تحت شك والمسيو مستينيون ساعٍ في تحقيقهِ .

أسئلة واجوبة

س سألنا حضرة الاب ق . ب . ١ هل طبعت رسالتا المقريزي في النقود وفي الاوزان والاكيال . ٢ هل طبعت العمدة في الجراحة لابن القفّ . ٣ وهل من هذه الكتب نسخ خطيَّة قديمة مطبوعات ومخطوطات .

ج قد طبع العلامة دي ساسي في باريس اوَّلاً رسالتي المقريزي في الاوزان والاكيال سنة (١٧٩٧) وفي النقود القديمة (١٧٩٩) ثم كرَّر طبعهما الالماني تيكسن سنة ١٧٩٧ و١٨٠٠ في رستوك من اعمال المانية واضاف اليهما ملحوظات شتَّى . وقد طُبعت ايضاً رسالة النقود في مطبعة الجوائب سنة ١٨٨١ وفي الاسكندريَّة سنة ١٨٩٩ . امَّا العمدة في صناعة الجراحة لابن القفّ فلم تُنشر بالطبع ومن كل هذه التآليف نسخ خطيَّة عديدة قديمة وحديثة في خزائن كتب اوربَّة وبعض مكاتب الشرق

س وسأل مستفيد من دير الكرمل هل يُعَدّ كشهداء الذين قُتلوا آخرًا في مذابح آطنة وجيرعا

الاستشهاد وشرطهُ

ج لا يُعَدّ كشهيد الَّا الذي مات لاجل الايمان المستقيم ومن ثم يُعتبر كشهداء اولئك الذين عُرض عليهم نكران دينهم فأبوا وقُتلوا اثر ذلك . وكذلك الذين قُتلوا لكونهم مسيحيين ورضوا بالموت ولو لم يقرُّوا بدينهم علناً فانَّ رضاهم بمثابة الاقرار بمعتقدهم

س وسأل من غوسطا حضرة الخوري سمعان قزيلي هل يجوز للدائن ان ياخذ فائض الفائض من مديونهِ استنادًا الى العادة الجارية في لبنان عمومًا عند كل الطبقات مع ان هذا محرَّم من الشريعة المدنية

فائض الفائض

ج معلوم انَّ الفائض يكون على شكلين امَّا بسيط وهو ما يتقاضاهُ سنويًا صاحب المال من غريمهِ بدل المبلغ الذي قرضهُ اياهُ . واما مركَّب وهو ان يُضاف ذلك الفائض الى المبلغ المقروض فيؤخذ رباهما معاً . والشرائع المدنيَّة عادة تعترف بهما على حدّ سواء ولا نعلم ايشذُّ القانون اللبناني عن ذلك . فان صحَّ الامر كان اداء فائض الفائض موافقًا للعدل وللذمة وان لم يمكن لزوم الغريم شرعًا بتأديتهِ ل . ش

المشرق

التواريخ النصرانية في العربيَّة

لمحة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ الآداب العربيَّة بين قدماء النصارى لا تزال مدفونة في زوايا النسيان وكثيرون من العلماء يكادون يجهلونها تماماً. على انَّ الاكتشافات الحديثة قد ابرزت كثيراً من تلك الآثار حتى جعل البعض يفكّرون في كتابة تاريخ النهضة الادبيَّة بين نصارى العرب (١. وذلك ما حملنا على نشر بعض تلك الذخائر الثمينة نظماً كانت او نثراً ليعرف قرَّاؤنا ما لأسلافنا الافاضل من المساعي الطيِّبة في تعميم الآداب في ملّتهم مع ما كان يشغلهم غالباً عن طلب المعارف وتهذيب العقول من كوارث الزمان وصروف الحدثان

ولما كانت العلوم التاريخيَّة من اجلّ الفنون واجداها نفعاً قصدنا ان نجمع عنها في فصل منفرد ما للنصارى العرب من الآثار التاريخيَّة منذ اوائل الاسلام الى عهدنا دون ان نتعرَّض لما وُضع منها حديثاً لشهرتها الّا إلماماً وندلّ على كل كتاب منها باحد الارقام تسهيلاً للمراجعة وكذلك نجري في سياق تعريفنا لتلك المصنَّفات على تاريخ الازمنة مباشرين بالاقدم فالأحدث

١ التواريخ النصرانيَّة المفقودة

نُقدّم هذا الفصل فندوّن اسماء بعض التواريخ النصرانيَّة العربيَّة التي ورد ذكرها

١) اطلب خصوصاً كتابي الكاهنين الالمانيين غراف وغوسن D' G. Graf: *Die christlich—arabische Literatur*, 1 Heft, 1905 = H. Goussen: *Die christlich—arabische Literatur der Mozarabier, Leipzig*, IV Heft. 1909

في كتب الادباء وقد اخذتها ايدي الضياع فإن في الاشارة اليها فائدة كبيرة ليس فقط لبيان همّة قدماء النصارى ولكن ايضاً رجاء ان يطلبها المحدثون في مظانّها ويستخرجوها من مدافنها اذا ما عرفوا مكان وجودها ولعلّ القرّاء يستطيعون ان يفيدونا عنها بعض الافادة فنشكر لهم صنعهم سلفاً

١ (تاريخ حنين) اقدم تاريخ عربي ذكرهُ الكتبة للنصارى ففُقد تاريخ ابي زيد حنين بن اسحاق العبادي الذي ولد سنة ١٩٤ للهجرة وتوفي سنة ٢٦٤ (٨٠٩—٨٧٧) وهو إمام نقلة زمانهِ عرّب عدداً لا يحصى من كتب اليونان وكان مع ذلك فصيحاً لسناً بارعاً وشاعراً مجيداً اقام مدّة في البصرة ثم خدم الخلفاء بني عباس . وقد اخذ العربيّة عن الخليل بن احمد صاحب العروض فاشتغل عليهِ مع سيبويهِ ولزمهُ حتى برع في لسان العرب . اما تاريخهُ فقد ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبّاء (١ : ٢٩٠) قال:

« (ولحنين) كتاب تاريخ العالم والمبدأ والانبياء والملوك والامم والخلفاء والملوك في الاسلام وابتدأ فيهِ من آدم ومن أتى من بعدهِ وذكر ملوك اليونانيين والروم وذكر ابتداء الاسلام وملوك بني امية وملوك بني هاشم الى الوقت الذي كان فيهِ حنين بن اسحاق وهو زمان المتوكل على الله »

وهذا التاريخ في عهدنا لا يعرف لهُ أثرٌ

٢ (اخبار ابراهيم بن عيسى) قال ابن النديم في الفهرست (ص ١٣١) . «ابراهيم بن عيسى النصراني كان من ظرفاء الكتّاب ولهُ من الكتب اخبار الخوارج وكتاب الرسائل» ولم يزد في تعريفهِ . ولعلّهُ ابراهيم بن عيسى المتطبّب صاحب يوحنّا بن ماسويه ببغداد الذي ذكرهُ في طبقات الاطباء ابن ابي اصيبعة (ج ٢ ص ١٣) وجعل وفاتهُ نحو سنة ٢٦٠ (٨٧٤ م)

٣ (اخبار ابن داية) اسمهُ يوسف بن ابراهيم الحاسب وعُرف بابن داية . ذكرهُ ابن ابي اصيبعة واستشهد بهِ كثيراً وقد ألّف اخبار الاطباء واخبار المنجمين وكلاهما قد فُقد . كان في أيام المامون وخدم ابراهيم بن المهدي . وكان لهذا الكاتب ابن اسلم وعُرف باحمد بن داية ذكر لهُ الحاج خليفة (٣ : ٦٣٩) كتاب سيرة ابن طولون

٤ (تاريخ قيس الماروني) قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (طبعة ليدن ص ١٥٤) بعد ذكره مارون الراهب وديره قرب الارنط : « ولبعض متّبعيه من المارونيّة ويُعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم واخبارهم . انتهى بتصنيفه الى خلافة المكتفي » فهذا كلّ ما نعرف عن قيس الماروني وتاريخه . ويؤخذ من قول المسعوديّ انّ قيساً هذا عاش الى اوائل القرن العاشر للمسيح لأنّ المكتفي تولّى الخلافة من السنة ٩٠٢ الى ٩٠٨ مسيحيّة . وقد اردف المسعوديّ قولهُ : « ولم ارَ للمارونيّة في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيرهُ » وفي هذا الكلام نظر لأن للموارنة تاريخاً آخر سبق عهد قيس وهو تاريخ توفيل بن توما الماروني الذي كان طبيباً للخليفة المهدي في اواخر القرن الثامن وقد صرّح ابن العبريّ في تاريخ الدول (ص ٢٢٠) بذكر مصنّفه التاريخي فقال : « وله كتاب تاريخ حسن » . وقد ضربنا نحن عنهُ صفحاً لأننا لم نعرف أكتب توفيل تاريخهُ المذكور في العربية او في السريانية وكلامنا هنا عن التصانيف العربية والمرجّح ان تاريخهُ كان سريانياً (اطلب المشرق ٢ : ٢٦٥ و ٣٥٦ و ٤٥١)

٥ (تاريخ اسحاق بن حنين) اسحاق هذا هو ابن حنين السابق ذكره ويكنى أبا يعقوب قصّ آثار ابيه وخدم الخلفاء العباسيين واجاد في النقل والتصنيف . ولهُ حكايات واشعار . توفي في ايام المقتدر بالله سنة ٢٩٨ (٩١٠) . ولهُ تاريخ الاطباء ذكره جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ed. Lippert, p. 80) . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠١) : « ذكر فيه ابتداء صناعة الطبّ واسماء جماعة من الحكماء والاطباء » . ومما يلحق بهذا الباب كتابهُ في آداب الفلاسفة ونوادرهم ذكرهُ في طبقات الاطباء .

٦ (تاريخ قسطا بن لوقا) هو الفيلسوف النصراني الشامي الملكيّ اصلهُ من بعلبك . قال القفطي في كتاب الحكماء (ص ٢٦) : « دخل بلاد الروم وحصّل من تصانيفهم الكثير وعاد الى الشام واستُدعي الى العراق ليترجم كتباً ويستخرجها من لسان يونان الى لسان العرب وعاصر يعقوب بن اسحاق الكندي وكان قسطا محققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعيّة ماهراً في صناعة الطبّ » . وقد نقل كتباً كثيرة من اليوناني والسرياني الى العربيّة . وكان جيّد العبارة بالعربيّة . ومما روي لهُ في التاريخ في الفهرست لابي فرج بن النديم (ص ٢٩٥) وفي طبقات الاطباء (١ : ٢٤٥)

كتاب دعاه بالفردوس اخذهُ مخلب الزمان وكذلك فُقد لهُ كتاب آخر ضمّنهُ اشياء تاريخيّة وهو شرح مذاهب اليونانيين . وقد ازهر قسطا في ايّام المقتدر بالله في القسم الاوّل من القرن العاشر

٧ (اخبار قدامة) هو ابو جعفر قدامة بن جعفر الكاتب الشهير قال صاحب الفهرست (ص ١٣٠): « وكان نصرانيًّا واسلم على يد المكتفي بالله (٢٨٩—٢٩٥ = ٩٠٢—٩٠٨ م) وكان قدامة احد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممّن يشار اليهِ في علم المنطق » ثم عدَّد بعض كتبهِ ككتاب الخراج وكتاب السياسة ونقد الشعر وصرف الهمّ وصناعة الجدل ونزهة القلوب وغير ذلك . ونسي كتاب الالفاظ وكتاب البلدان وكتاب زهر الربيع وهذا الاخير في الاخبار والتاريخ ذكرهُ الحاج خليفة (٣: ٥٤٧) ولم يسلم من كل هذه التصانيف الّا نقد الشعر الذي طُبع في مطبعة الجوائب وقسم من كتاب الخراج (١ . كانت وفاة قدامة سنة ٣٣٧ (٩٤٨) وروى الحاج خليفة وفاتهُ سنة ٣١٠ وهو غلط

٨ (تاريخ اثنايوس الراهب) ذكرهُ المسعودي في التنبيه والاشراف (ص ١٥٤—١٥٥) قال: « وكتاب اثنايوس الراهب المصري رتّب فيهِ ملوك الروم وغيرهم من الامم وسيرهم واخبارهم من آدم الى قسطنطين بن هيلانى » ولم نعرف من امر هذا التاريخ شيئًا حتى انّ اسم صاحبهِ ليس بثابت القراءة

٩ (تاريخ يعقوب الكسكريّ) اردف المسعوديّ بعد ذكرهِ لاثنايوس الراهب (ص ١٥٥): « ورأيتُ لاهل المشرق من العباد كتابًا ليعقوب بن زكريّا الكسكريّ الكاتب وقد شاهدناهُ بارض العراق والشام يشتمل على انواع من العلوم في هذه المعاني يزيد على غيره من كتب النصارى » . لم نجد ذكرًا لهذا التاريخ في غيرهِ

١٠ (تاريخ دنحا اليعقوبي) ورد وصفهُ في كتاب المسعودي المذكور آنفًا قال (ص ١٥٥): « وكتاب لليعاقبة في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم واخبارهم ألّفه ابو زكريّا دنحا (والمشهور عند النصارى دنحا بالحاء المهملة) النصراني

---

١) اطلب الجريدة الاسيوية الفرنسويّة (JA, 5e Ser., XX, 155)

وكان متفلسفاً جدلًا نظّـارًا جرت بيني وبينهُ مناظرات كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقطيعة امّ جعفر وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيرهِ . . . وذلك سنة ٣١٣ (٩٢٥) ٥ . وهذا التاريخ مما أغفى عليهِ الزمان ايضاً

١١ (تواريخ بني قرّة) كان بنو قرّة من الصابئة الحرانيين وجعل البعض شيعتهم من الشيع النصرانيّة فلذلك اثبتنا هنا مـا يُنسب اليهم من التواريخ فانّ ابا الحسن ثابت بن قرّة الحرّاني الشهير بالطب وبعلوم الاوائل المتوفى سنة ٢٨٨ (٩٠٠) كتب في تاريخ قومهِ الصابئين ومعتقداتهم . وصنّف ابنـهُ ابو سعيد سنان بن ثابت المتوفى سنة ٣٣١ (٩٤٣) في تاريخ ملوك السريانيين (ابن ابي اصيبعة ص ٢٢٤) ورسالة في اخبار آبائهِ واجدادهِ وسلفهِ . ثم صنّف ابنهُ ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت تاريخاً ذكر فيهِ الوقائع والحوادث التي جرت في زمانهِ وذلك من ايّام المقتدر بالله الى ايام الطائع وكل هذه الآثار ضائعة لا يُعرف لها نسخة ثابتة . وقد اشتهر من اولادهم بعـد ذلك قومٌ اسلموا وبرعوا في الكتابة منهم ابو اسحاق ابراهيم صاحب الرسائل وهلال بن المحسن صاحب تاريخ الوزراء الذي طبعهُ في مطبعتنا الاديب اميدروس (H. F. Amedroz)

١٢ (تاريخ فشون الترجمان) كان هذا من نساطرة بغداد يحسن النقـل من السريانيّة الى العربيّة فدعي بالترجمان وقد ذكرهُ ابن النديم في الفهرست وعاش في اواخر القرن الثالث للهجرة . ولهُ كتاب تاريخ في اخبار الاطباء نقل عنهُ ابن ابي اصيبعة قطعاً ذكرها لهُ نيّفاً وثلاثين مرّة . لكن ذلك التاريخ ضاع بكيد الزمان

١٣ (عبيد الله بن جبرائيل) عبيد الله هذا احد فروع دوحة بني بختيشوع التي نقل اخبارها في المشرق (٨ : ١٠٩٧—١١٠٥) جناب مكاتبنا البغدادي يوسف افندي غنيمة . توفي سنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) ولهُ ما خلا التآليف الطبيّة كتاب مناقب الاطباء جمع فيهِ كثيرًا من اخبار الاطباء واستشهد بهِ ابن ابي اصيبعة في تاريخهِ مرارًا متعددة لكنّهُ اليوم ضائع

١٤ (تاريخ يحيى التكريتيّ) اسمهُ ابو نصر يحيى بن جرير (ويروى حرير بالحاء المهملة ويروى حريز بالحاء والزاي) اصلهُ من تكريت مدينـة على دجلة بين الموصل وبغداد . ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (١ : ٢٤٣) وذكر اخاهُ الفضـل فوصف كثرة اطّلاعهِ في العلوم وخبرتهِ في صناعة الطبّ . ثم قال عن يحيى : كان كاخيهِ

في العلم والفضل والتميّز في صناعة الطب وكان موجودًا في سنة ٤٧٢ (١٠٨٠ م) وعدّد لها كتبًا صنّفاها في الطب. وليحيى كتاب في التاريخ ورد ذكرهُ في تاريخ حلب لابن شحنة قال (ص ١٠ من نسخة مكتبتنا) : « انّ ابا النصر يحيى بن جرير الطبيب التكريتي النصرانيّ صنّف كتابًا في التاريخ جمعهُ من عهد آدم الى دولة بني مروان » وكان بنو مروان امراء على ميّافارقين وقد خدم يحيى منهم نصير الدولة ابا نصر احمد بن مروان . وليحيى التكريتي كتاب آخر جليل في اعتقاد النصارى دعاهُ كتاب المرشد مرَّ وصفهُ (في المشرق ٩ : ٦٤٧)

١٥ (تاريخ المبارك بن شرارة) قال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٣٠—٣٣١)

« هو ابو الخير الطبيب الكاتب الحلبي هذا رجلٌ كاتب طبيب من اهل حلب نصراني . . . ولهُ جرائد مشهورة بحلب عند اهلها . . . يعرفونها بالجرائد المكمّيات . . . ولم يزل ابن شرارة هذا مقيمًا بحلب يتقلّب في صناعتهِ الى ان دخلت دولة الترك وولّيها رضوان بن تُتُش وحضر يومًا عندهُ وهو يشرب فحملهُ السكر على ان قال لهُ : أسلم . فامتنع فضربهُ بسيف كان في يده اثّر في جسمهِ بعض اثر فنزل من بين يديهِ ولم يَعُد الى داره . وفرَّ على وجههِ الى انطاكية وخرج عنها الى مدينة صور واقام هناك اقامة الغريب المسكين وادركتهُ وفاته بصور فنُودي عليهِ نداء الغريب ودُفن بها في حدود سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م) »

ثم وصف لهُ تاريخًا بقولهِ : « ولابي الخير هذا كتاب في التاريخ ذكر فيهِ حوادث ما قرب من ايامهِ يشتمل على قطعة حسنة من اخبار حلب في اوانهِ ولم اجد منهُ سوى مختصر جاءني من مصر اختصرهُ بعض المتأخرين اختصارًا ليس فيهِ بطائل » . (قلنا) وقد ورد ذكر هذا المؤرخ في كتاب الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب لمحمّد بن شحنة الذي تولّى نشرهُ آخرًا في مطبعتنا جناب الفاضل يوسف افندي اليان سركيس (ص ٨٣) عند ذكرهِ هياكل النصارى في حلب . وتاريخ ابن الخير مفقود في يومنا

١٦ (تاريخ ابن الحمّار) اسمهُ ابو الخير بن سوار بن بابا بن بهنام وكان نصرانيًا عالمًا باصول صناعة الطبّ ماهرًا في العلوم الحكميّة وكان قرأ الحكمة على يحيى ابن عدي ونقل كتبًا كثيرة من السرياني الى العربي وكان السلطان محمود خصَّهُ بخدمتهِ وكان يجلّهُ ويعظمهُ لزهدهِ وتواضعهِ . ومن كتبهِ التاريخيّة كتابهُ في سيرة الفيلسوف ومقالتهُ في الافصاح عن رأي القدماء في الباريء تعالى وفي الشرائع وموردها وكتاب

تصفّح ما جرى بين ابي زكريّا يحيى بن عديّ وبين ابي اسحاق ابراهيم بن بكوس وله ايضاً كتاب في ثلاث مقالات دعاهُ الوفاق بين راي الفلاسفة والنصارى (اطلب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١: ٣٣٢). ازهر ابن الخمار في القسم الاخير من القرن الرابع للهجرة والحادي عشر للمسيح

١٧ (تاريخ ابن الماتي) اسمهُ ابو المكارم اسعد بن الخطير كان من كتّاب النصارى في القاهرة ثمَّ اسلم وتوفي سنة ٦٠٦ (١٢١٠ م) بعد ان هرب الى حلب خوفاً من الوزير صفي الدين بن شكر ولهُ ديوان شعر وقد نظم سيرة السلطان صلاح الدين. بيد انَّ هذه القصيدة التاريخيّة سطا عليها نابُ الدهر

١٨ (تاريخ هوروشيوش) هذا التاريخ استشهد بهِ غير مرَّة ابن خلدون في تاريخه الكبير كتاب العبر (٢: ٢٠٢—٢٠٨ الخ) وكان هذا التاريخ نقل الى العربيّة فاخذ عنهُ ابن خلدون. واصل الكتاب في اللاتينيّة كتبهُ بولس اوروزيوس او هوروشيوش الاسباني في القرن الخامس للمسيح. اما الترجمة العربيّة ففقودة

٢ التواريخ النصرانيّة السالمة

١٩ (تراجم الابرار) أقدم ما سلم من آثار التاريخ لكتبة مسيحيّين سيرُ لبعض قدماء الابرار وتراجم لاولياء الله. فمن ذلك ما وجدهُ العلامة تيشندرف في اديرة الصعيد من الرقوق والمخطوطات الراقية الى القرن التاسع للميلاد الموجودة اليوم في خزائن بطرسبرج والواتيكان وستراسبورغ وليبسيك فيها تراجم لبعض القديسين معرَّبة في الغالب عن اصول يونانية لاسيما عن كتابات كيرلُس البَيْساني كتراجم القديسين سابا وثاودوسيوس وابيفانيوس. وقد نشر المشرق (٨: ٢٥٨—٢٦٥) شيئاً من تلك الآثار القديمة كترجمة القديس ابراميوس التي ابرزها الخوري گراف واثبت رسم احدى صفحاتها. وكترجمة القديس افتيميوس التي عُني بنشرها آخراً حضرة الاب پيترس (ص ٣٤٤—٣٥٣). فانَّ هذه البقايا الجليلة وان لم يُعرف الذين نقلوها الى العربيّة الّا انّها ثمينة لمعرفة لغة نصارى العرب بعد الاسلام

٢٠ (تاريخ المنبجيّ) لعلَّ هذا التاريخ اوَّل تاريخ منظَّم قام بصنعهِ احد الكتبة النصارى. وقد عرفهُ المسعودي فذكرهُ في كتابهِ المعنون بالتنبيه والاشراف (ص

١٥٤) قال: واحسن كتاب رأيتهُ للملكية في تاريخ الملوك والانبياء والامم والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجيّ وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفرّاش المصري بطريرك كرسي مارقس بالاسكندريّة » . وتاريخ المنبجي قسمان قسم ينتهي الى ملك تاودوسيوس الصغير (٤٠٨—٤٣١) ومن هذا القسم عدّة نسخ مخطوطة في هذه الجهات منها نسختان في مكتبتنا الشرقيّة ونسخة في مكتبة دير سيّدة الشرفة ونسخة رأيناها سابقًا في دير اللاريزة وهي اليوم في دير فيطرون . وفي خزانة كليّة اكسفرد نسخة منهُ ولعلّها الوحيدة في اوربّة . اما القسم الثاني فلا يُعرف منهُ الّا نسخة فريدة في خزانة مدينة فلورنسة في ايطالية وهو يتناول اخبار الازمنة بعد تاودوسيوس الصغير الى عهد المؤلف وقد باشرنا بطبع هذا التاريخ منذ سنتين والامل أن ننجزهُ قريبًا . واسم الكتاب « العنوان المكلّل بفضائل الحكمة المتوّج بانواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة » اما المؤلف فيُدعى « الشيخ الفاضل المعلّم العامل الفيلسوف الكامل اغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي » فاسم اغابيوس بالرومية يوافق اسم « محبوب » بالعربيّة وقد صنّف اغابيوس تاريخهُ لرجل يُدعى عيسى بن الحسين في اوائل القرن العاشر للمسيح وفي مقدّمتنا على هذا التاريخ ذكرنا ما يُعرف من ترجمة صاحبه

٢١ (تاريخ ابن البطريق) هو افتيشيوس البطريرك الملكي الذي عُرف بين العرب باسم سعيد وذكرهُ انفًا المسعودي واردف قائلًا : « وقد شاهدناهُ بفسطاط مصر انتهى بتصنيفه (يريد تاريخهُ) الى خلافة الراضي » . وكان مولد ابن البطريق في الفسطاط سنة ٢٦٣ (٨٧٧) وتولّى البطركيّة سنة ٣٢١ (٩٣٣) وكانت وفاتهُ سنة ٣٢٨ (٩٤٠) . وقد صنّف ابن البطريق كتبًا طبيّة لانهُ كان متطبّبًا كاخيه عيسى بن البطريق . اما تاريخهُ فيعرف ايضًا بنظم الجوهر قال ابن ابي اصيبعة في وصفه (ج ٢ : ٨٦) : « ولسعيد بن البطريق كتاب نظم الجوهر ثلاث مقالات كتبهُ الى اخيه عيسى بن البطريق المتطبّب في معرفة صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم واعيادهم وتاريخ الخلفاء والملوك المتقدمين وذكر البطاركة واحوالهم ومدّة حياتهم ومواضعهم وما جرى لهم في ولايتهم » وهذا التاريخ طُبع لاوّل مرّة في اصلهُ العربي وترجمتهِ اللاتينيّة في اكسفرد ١٦٥٨—١٦٥٩ بهمّة المستشرق الشهير ادورد بوكوك (E. Pocock) . وقد جدّدنا طبعهُ آخرًا بعد مراجعة الكتاب على عدّة نسخ خطيّة قديمة منها نسخة حسنة في خزانة مكتبتنا الشرقية

٢٢ (تاريخ الذيل) هو الذيل على تاريخ ابن بطريق السابق ذكرهُ وضعهُ نسيبٌ لسعيد بن البطريق يدعى يحيى بن سعيد بن البطريق الانطاكي ففصّل الاخبار الدينيَّة والمدنيَّة التي جرت بعد ابن البطريق من السنة ٣٢٨ (٩٤٠) الى سنة ٤٢٥ (١٠٣٤). ويُعرف من هذا الذيل عدَّة نسخ مخطوطة في باريس وطرسبورج ودمشق وفي مدرسة ثلاثة اقمار للروم الارثدكس في بيروت. ولم يطبع هذا التاريخ بتمامهِ سابقًا الّا انَّ العلّامة الروسي البارون ڤون روزن (B. V. von Rosen) كان نشر منهُ قسمهُ المدني سنة ١٨٨٣ في بطرسبرج مع ترجمتهِ الى الروسية. ولمَّا انتهينا من طبع تاريخ ابن البطريق ألحق بهِ احد فضلاء المستشرقين البارون كارا دي ڤو (B^on. C. de Vaux) تاريخ الذيل بتمامهِ وعمَّا قليل يتمُّ طبعهُ مع روايات النسخ التي تُعرف منهُ جمعنا بعضها مع الاديب حبيب افندي زيّات. وهو تاريخ جليل فيهِ عدَّة معلومات عن بلاد الشام ومصر لا توجد في غيرهِ. وسنعود الى ذكر شيءٍ منها ان شاء الله

٢٣ (تاريخ قريب القرطبي) هو عريب بن سعد القرطبي كان كاتبًا نصرانيًا من اهل قرطبة ثم أسلم وكتب للخليفتين عبد الرحمان بن محمّد الناصر لدين الله ولابنهِ الحكم بن عبد الرحمان وكانت وفاتهُ سنة ٣٦٦ (٩٧٧ م) ولهُ في التاريخ مختصر لتاريخ ابن جرير الطبري وزاد عليهِ اشياء واتمَّهُ الى زمانهِ واضاف اليهِ خصوصًا تاريخ المغرب والاندلس. وقد نشر قسمًا من هذا التاريخ المستشرق الهولندي دوزي (Dozy) في ليدن سنة ١٨٤٨

٢٤ (تاريخ ابن المقفَّع) هو الانبا ساويرس بن المقفَّع كان مصريًا واشتهر بالكتابة وسُقف على مدينة الاشمونين نحو سنة ٩٨٥ م. قد ذكرهُ ابو البركات المعروف بابن كبَر في كتابهِ مصباح الظلمة وعدَّ لهُ ٢٦ كتابًا اكثرها في الدينيَّات والادبيات والتفاسير. ولهُ تاريخ كبير في بطاركة الاسكندريَّة من القديس مرقس الى زمانهِ يُعنى الآن بطبعهِ في مطبعتنا المستشرق الالماني سَيبُلد (Dr Seybold) وقد انجز منهُ قسمًا وكذلك باشر بنشرهِ في باريس احد الانكليز المسمَّى ايفتس (B. Evetts)

٢٥ (كتاب الازمنة لايليا مطران نصيبين) هو اليَّا برشينا مطران نصيبين النسطوري الكاتب الشهير المتوفى نحو السنة ١٠٤٩ للمسيح ولهُ تآليف سريانيَّة وعربيَّة متعدّدة منها كتاب دفع الهمّ الذي مرَّ لنا وصفهُ وكتاب المجالس. وقد ألَّف اليَّا

المذكور في التاريخ كتاباً كبيراً تمتدُّ اخبارهُ من السنة ٢٣ للمسيح الى السنة ١٠١٨ وقد كتب هذا التاريخ بالسريانية ونقلهُ الى العربيَّة وضمَّنهُ اخباراً عديدة من امور الدين والدنيا معاً وقد قدَّم عليهِ جداول تاريخيَّة مفيدة ضمَّنها ملخَّص تاريخ الدول القديمة قبل المسيح وقد طُبع قسم فقط من هذا التأليف الذي لا يُعرَف لهُ سوى نسخة واحدة غير كاملة في المتحف البريطانيّ . وهذا التاريخ هو الذي سمَّاهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبَّاء (١ : ٧٢) بتاريخ الازمنة ونقل ما قالهُ في مدحهِ عبيدالله ابن جبرائيل بن عبيد الله ابن بختيشوع السابق ذكرهُ (في العدد ١٣)

٢٦ (ابن المكين) هو جرجس ابن ابي الياسر بن ابي المكارم بن ابي الطيب ابن قرونة بن الطيّب الشهير بالشيخ المكين بن العميد وقد اخبر في تاريخهِ انَّ جدَّهُ الطيّب بن يوسف كان تاجراً من تكريت فقدم مصر في ايام الآمر بالله وحظي لدى الخليفة الفاطميّ فانعم عليهِ بقرية اسمها بيدة مجاورة لدماص ثم قام اولادهُ من بعدهِ واشتهروا بالكتابة في الدواوين العربيّة وترهَّب بعضهم وكان ابو المؤرخ يشتغل في ديوان الجيش فخدمهُ ٤٥ سنة وتوفي سنة ٦٣٨ (١٢٤١) فخلفهُ جرجس في منصبهِ وكان يسمَّى ايضاً عبد الله وبقي سنين في خدمة ملوك مصر لكنَّهم تغيَّروا عليهِ وحبسوهُ مدةً وانتقل في آخر حياتهِ الى دمشق وفيها مات سنة ٦٧٢ (١٢٧٤ م) وكان يعقوبي النحلة . ولجرجس ابن العميد تاريخ واسع من اوَّل العالم الى ايامهِ على قسمين فالقسم الاوَّل الى الهجرة لا يزال مخطوطاً ولم يُنشر بالطبع . منهُ نسخ في الواتيكان وباريس ولندن . امَّا القسم الثاني فقد اختصر فيهِ تاريخ ابن جرير الطبريّ في القرون الاسلاميَّة الاولى ثم أُلحق بهِ تاريخ القرون الثلاثة التي بعدهُ . وهذا القسم الثاني طبعهُ في ليدن العلَّامة اربانيوس (Erpennius) سنة ١٦٢٥ وترجمهُ الى اللاتينيَّة ثم نُقل هذا القسم الى لغات عديدة وتكرَّر طبعهُ

٢٧ (تاريخ ابن الراهب) هو ابو شاكر بطرس بن ابي الكرم بن المهذَّب الشهير بابن الراهب احد الكتبة المصريين اليعاقبة اشتهر في القرن الثالث عشر ولهُ كتاب تواريخ واسع ضمَّنهُ اخبار العالم والخلفاء والملوك مع جداول تاريخيَّة وازياجاً مبنيَّة على اصول علم الهيئة . ومن هذا الكتاب قسم تاريخي متواصل قائم بذاتهِ منهُ نسخة في مكتبة الواتيكان نقلها العلامة ابراهيم الحقلاني الى اللاتينيَّة ثمَّ صححها الشهير يوسف

شمعون السمعاني وكرّر طبعها . امّا الاصل العربي فلم يُطبع سابقًا وقد نشرناهُ في مطبعتنا على نفقة الخوري شابو الفرنسوي مع الترجمة اللاتينيّة القديمة بعد ضبطها على الاصل سنة ١٩٠٣ . ولابن الراهب آثار منها تاريخ الجامع الاولى وكتاب في لغة القبط . امّا التاريخ المطوّل مع جداوله فمنهُ نسخة في لندن وفي دير الشرفة للسريان الكاثوليك

٢٨ (تاريخ النصرانيّة لاحد النساطرة) هذا التاريخ مصون في مكتبة الدار البطركيّة للكلدان الكاثوليك في الموصل كنّا استنسخناهُ سنة ١٨٩٦ مفكرين في طبعهِ ثم اعلمنا سيادة مطران سعرد السيّد ادي شير ابرهينا انّهُ باشر بطبعهِ في باريس وانهُ انجز قسمهُ الاوّل فسرّنا الامر لفوائد الكتاب وكثرة معلوماتهِ عن نصارى الشرق واديرة العراق وما بين النهرين في القرون العشرة الاولى للميلاد . امّا المؤلف فلا يعرف من امرهِ شيءٌ مقرّر ولعلّهُ عاش في القرن الثالث عشر اذ يشير الى خلافة الملك الظاهر المتوفي سنة ١٢٢٦ . ويظنّ سيادة المطران ادّي انّهُ لاحد هؤلاء الكتبة النساطرة الثلثة اعني يشوع بر ملكون او سبريشوع بر بولس او سليمان البصري والله اعلم . ولعلّنا نعود فنقتطف منهُ للقرّاء بعض فصولهِ المهمّة

٢٩ (مجموع تاريخي لكاتب كلداني) هذا المجموع قديم الكتابة صفيق الورق عتيقهُ يرتقي عهدهُ الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر وهو من جملة مخطوطات المتحف البريطاني في لندن (Or. 2433) يحتوي فصولًا تاريخيّة من العهد القديم والعهد الجديد الّا انّ صاحبهُ مجهول لسقوط اوّلهِ وآخرهِ وهو كلداني كما يظهر الامر من وصفهِ لاحوال الكلدان واخبارهم وشؤونهم الدينيّة . ومن فصولهِ التاريخيّة ما ذكر فيهِ اوّل الكنيسة وابتداء النصرانيّة وملخّص اخبار الرسل والاحبار الرومانيين وبطاركة انطاكية ومبارك الروم وهلمّ جرّا وسننشر منهُ ان شاء الله بعض فوائدهِ

٣٠ (اخبار ابن البطلان) هو المختار بن الحسن بن عبدون من اهل بغداد وكان يُسمّى ايضًا يوانيس كان تتلمذ لابي الفرج عبد الله الشهير بابن الطيب ثم صنّف الكتب المفيدة في الطبّ والآداب وسافر من بغداد الى مصر سنة ٤٤١ هـ وتجوّل في انحاء الشام وتوفي بعد السنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) ولابن بطلان اشعار كثيرة ونوادر ظريفة ومن كتبهِ كتاب دعوة الاطبّاء ألّفهُ للامير نصر الدولة احمد بن مروان وكتاب دعوة القسوس الذي وجدنا منهُ قطعًا فنشرناها في المشرق (٦ : ٤٦٦) . وقد صنّف كتابًا

بهذا الاسم القس يعقوب المارداني على ما روى ابن المسأل في مقدمة اصول الدين. ولابن بطلان فصول تاريخيَّة في احوال زمانهِ ووصف اسفارهِ لعلَّنا ننقل منها شيئاً

٣١ (تاريخ ماري بن سليمان) عاش ماري بن سليمان في القرن الثاني عشر وكان نسطوريًا وألف كتابًا دينيًا كبيرًا في المعتقدات الدينيَّة وتاريخ الدين دعاهُ كتاب المجدل منهُ نسخ في مكاتب الواتيكان وباريس والموصل . وقد عمد حضرة الاب هنري جسمندي اليسوعي الى قسم الكتاب التاريخي فطبعهُ في رومية ونقلهُ الى اللاتينيَّة وهذا القسم يشمل اخبار بطاركة المشرق منذ دخول النصرانيَّة في بلاد العراق الى زمن المؤلف. ولهذا الكتاب روايتان مع زيادات واختلافات عُني بهما مؤلفان كلدانيَّان في القرن الرابع عشر احدهما عمرو بن متى الطيرهاني والآخر صليبا بن يوحنا الموصلي وهاتان الروايتان قد نشرهما ايضاً حضرة الاب جسمندي مع ترجمتهما اللاتينيَّة وعلَّق عليهما الملحوظات والحقهما بالفهارس المفيدة

٣٢ (تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني) ويدعى ابا صالح ايضاً كان في ايَّام الخليفة المستنصر وكتب سنة ٥٦٤ (١١٦٩) وكان يعقوبيًا ومدار كتابهِ عن مصر وشؤونها المختلفة وقد اتَّسع خصوصاً في ذكر احوالها الدينيَّة وما جرى لملَّتهِ من الاخبار في زمانهِ ولهُ فصول مفيدة في كنائس مصر واديرتها وآثارها ومشاهدها القديمة والحديثة ومن هذا الكتاب نسخة وحيدة في مكتبة باريس كنَّا نسخناها لفوائدها ثمَّ عُني بنشرها العالم الانكليزي ايفتس (B. T. A. Evetts) فنشرها في اكسفرد سنة ١٨٩٥ ونقلها الى الانكليزيَّة واضاف اليها الاستاذ بُتلر العالم بتاريخ الشرق المسيحي عدَّة حواشٍ وملحوظات نجاءت هذه الطبعة مستوفية المحاسن

٣٣ (تاريخ ميخائيل الكبير) هو ميخائيل ابن ايليَّا الملطي القينداسي اقامهُ اهل ملَّتهِ اليعقوبيَّة بطريركًا عليهم سنة ١١٦٧ فرعاهم الى سنة ١٢٠٠ سنة وفاتهِ ولهُ تاريخ كبير كتبهُ بالسريانية وهو اليوم يطبع في باريس . قد نُقل هذا التاريخ الى العربيَّة في القرن الرابع عشر ومن هذه الترجمة نسخة خطيَّة في المتحف البريطاني وقد وجدنا منها نسخة اخرى في قرية صدد عند شيخ الضيعة وهو يعقوبي

٣٤ (كتاب النحلة لسليمان البصري) كتب سليمان اسقف البصرة النسطوري هذا الكتاب بالسريانيَّة نحو السنة ١٢٢٢ وقد عُرِّب منذ عدَّة قرون وهو مجموع تاريخي

فيه الغث والسمين قد اودعهُ صاحبهُ افادات عديدة عن تاريخ العهدين القديم والحديث والاخبار الواردة فيه منها دينيّة ودنيوية عن الرسل والبطاركة النساطرة وملوك مصر والرومان وفارس . وهذا الكتاب قد طبعهُ العلامة بدج (Budge) ونقلهُ الى الانكليزيّة . ومن ترجمتهِ العربيّة نسخة حديثة في مكتبتنا منقولة عن نسخة قديمة في دير الشرفة

٣٥ (تاريخ ابن العبري) قد اثبتنا في السنة الاولى من المشرق ترجمة هذا الرجل العظيم وسردنا اعمالهُ ومصنَّفاتهِ العديدة التي جملتهُ في مقدَّمة كتبة السريان فنحيل القرَّاء الى تلك النبذة المطوَّلة التي نشرناها على حدة بالطبع وقد خصصنا هناك فصلًا لكتبهِ التاريخية (المشرق ١: ٥٠٨) السريانيَّة والعربيَّة . وتاريخهُ العربي الشهير هو كتابهُ في مختصر الدُّول الذي جدَّد نشره حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي بعد طبعة بوكوك في القرن السابع عشر ولا حاجة لوصف هذا التاريخ مع شيوعهِ . توفي ابن العبري سنة ١٢٨٦

٣٦ (كتاب التواريخ لصليبا الموصلي) وهو الكتاب الذي يُدعى ايضًا باسم اسفار الاسرار صنَّفهُ سنة ١٦٤٣ لليونان (١٣٣٢ للمسيح) الكاهن النسطوري صليبا ابن يوحنَّا القسيس الموصلي . منهُ نسخة بالكرشوني في مكتبة كمبردج موسومة بالعدد ٢٨٨٩ (Add. 2889) وقد وصف العلَّامة ريت (Wright, II, 754—792) هذا الكتاب وصفًا مستطيلًا وبيَّن ما يحتويهِ من الفصول المتعدِّدة في تاريخ اخبار الشرق المسيحي لاسيما العراق وما بين النهرين والنساطرة

٣٧ (كتاب البستان) هذا الكتاب يحتوي اخبار الآباء القديسين والرهبان الصالحين واقوالهم وتعاليمهم ولاسيما نسائك الصعيد . وهو يشبه كتاب المرج الروحي لموسكوس (Migne PP. LL., 44, vol. LXXIV, p 123) وتاريخ پلاديوس الذي وصفناه في المشرق (١٠: ١٧٧—١٨٣) . ومن هذا الكتاب نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقية سبق لنا وصفها (المشرق ٧: ١٠٦٨) يرقى تاريخها الى القرن السابع عشر

٣٨ (تاريخ ابن القلاعي) هو اوَّل تاريخ للطائفة المارونيَّة صنَّفهُ جبرائيل بن القلاعي اللحفدي والراهب الدومنيكي الذي سُقف بعد ذلك في لبنان . وهذا التاريخ كلُّهُ زجليَّات باللهجة العاميَّة لم يُطبع منها الَّا نُتَف متفرقة . ومنهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة ولهُ قصائد تاريخيَّة في تاريخ النصرانيَّة وملوك الرومان وقسطنطين الكبير وبعض

القديسين الشرقيين كالقديس مارون ومار نهرا ومار جرجس وغيرهم. توفي ابن القلاعي سنة ١٥١٦

٣٩ (تاريخ متى جيفالا التبرمي) قد ألف هذا الكتاب باليونانية متى جيفالا في القرن السابع عشر وضمّنهُ اخبار ملوك بوزنطية ثم اخبار سلاطين الاتراك وفتحهم لقسطنطينية الى عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٢٤. وقد عرّب هذا التاريخ بايعاز البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي الخوري يوسف المصوّر ودعاه الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم. منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقية

٤٠ (تواريخ بريسيوس) بريسيوس كان راهباً كابوشياً ومرسلاً الى بلاد الشرق في اواسط القرن السابع عشر. لهُ مختصر مجموع من التواريخ المقدّسة منذ الخليقة الى عهد المسيح طبعهُ بالعربيّة واللاتينية في رومية في مطبعة يوسف قمر (Luna) الماروني سنة ١٦٥٥. وقد اختصر ايضاً تواريخ بارونيوس الكنسيّة في ثلاثة مجلّدات فطبعهُ في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٦٤٣

٤١ (سياحة الخوري الياس الموصلي) هي السياحة التي وصف فيها الخوري الياس الموصلي الكلداني رحلتهُ من ايطالية الى اسبانية الى اميركة (١٦٦٨—١٦٧٠) وهي اوّل سياحة تُعرف لكاتب شرقي الى تلك البلاد. وهذه الرحلة قد نشرها حضرة الاب انطون رباط اليسوعي في المشرق في سنة العاشرة ثمّ طبعها على حدة واضاف اليها الفهارس. وهي منقولة عن نسخة فريدة في مكتبة الدار الاسقفية السريان الكاثوليك في حلب

٤٢ (تواريخ البطريرك مكاريوس) تولّى البطركيّة الانطاكيّة من السنة ١٦٤٣ الى ١٦٧٧ ولهُ تواريخ عديدة منها تاريخ العالم من عهد آدم الى ايام قسطنطين يوجد منهُ نسخة عند حضرة القس جرجس منش الماروني في حلب ثم اراد البطريرك مكاريوس تتمّة هذا التاريخ الى زمانهِ فاختار كتاب متّى جيفالا السابق ذكرهُ فأخرجهُ لهُ الخوري يوسف المصوّر. ومن تآليفهِ تاريخ السبعة المجامع الكبار المقدّسة. وتاريخ الكرسي الانطاكي الى زمانهِ. ولهُ اخبار بطاركة الدنيا الذين صاروا على الاربعة الكراسي البطركيّة اي القسطنطينيّة وانطاكية واورشليم من عهد الرسل الى زمانهِ. واخبار القديسين وكتاب النحلة جمع فيهِ معلومات متعددة من المؤرخين اليونان وغيرهم عن الشرق

٤٣ (تاريخ ابي دقن) اسمهُ يوسف ابو دقن وكان مصري المولد وعلّم العربيَّة في كليَّات اوربَّة في القرن السابع عشر فكتب تاريخاً مختصراً لطائفتهِ ضمَّنهُ مجمل تاريخ القبط والصعيد والحبشة وقد طبع هذا التاريخ الانكليزيُّ هافر كامب (Havercamp) في ليدن من اعمال هولندة سنة ١٧٤٠ مع تذييلات للمستشرق جان نيقول (J. Nicoll)

٤٤ (تاريخ الدويهي) هو البطريرك الجليل اسطفان الدويهي الماروني الذي اشتهر بمصنَّفاتهِ الطقسيَّة وغيرها. ولهُ تاريخان تاريخ الطائفة المارونية وهو الذي نشره بالطبع المرحوم رشيد الشرتوني في مطبعتنا سنة ١٨٩٠. وتاريخ الازمنة ضمَّنهُ اخبار الملوك والسلاطين والدول منذ أيام الصليبيين الى زمانهِ وهذا الكتاب طُبع على الحجر الَّا انَّ نسخهُ قليلة جدًّا

٤٥ (تاريخ طور سينا) من هذا التاريخ نسخة خطيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ١٧١٠ يحتوي وصف طور سينا واثارهِ وابنيتهِ وجدول اساقفتهِ وقد طبعنا هذا الجدول مع ترجمتهِ الفرنسويَّة في نشرة مكتبتنا الشرقي السنة الثانية. ثم افادنا حضرة الاب وَالِيَه الصعودي (Echos d'Orient. XI, 127) انَّ هذا التاريخ معرَّب عن اصل يوناني «يدعى دليل طور سينا» في اوائل القرن الثامن عشر

٤٦ (تاريخ ابن الحمَّال) هذا التاريخ يذكر اخبار العالم من التكوين الى قسطنطين الكبير ويصف البدع القديمة. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ١٧٤٥ ولا نعرف من امر كاتبها شيئاً. والظاهر انهُ كان من الروم الملكيين

٤٧ (تاريخ روايومندوس) روايومندوس دير في فرنسة نُسب اليهِ هذا التاريخ الذي ألَّفهُ نقولا فنتان رئيسهُ في القرن السابع عشر وهو قسمان للعهد القديم وللعهد الجديد عرَّبهما الاب بطرس فرومان اليسوعي السنة ١٧٣٣ وقد طبع الكتابان في مطبعتنا بعد تنقيحهما. ومنهما نسخة خطيَّة في مكتبتنا كُتبت على عهد المعرَّب

٤٨ (تاريخ الاديان المتفرقة في الشرق) كُتب هذا الكتاب باغراء خريسنطر البطريرك الاورشليمي (١٧٠٧—١٧٥١) ولا يُعلم كاتبهُ وانَّما يتضمَّن نظراً تاريخيًّا في مبادئ واصول الاديان المتفرقة في الشرق الخارجة عن دين المسيح وقد طبع هذا الكتابَ في برلين المستشرقُ ج. هـ. برنشتين سنة ١٨١٧ ونقلهُ الى اللاتينيَّة والحقهُ بعدَّة حواشي

٤٩ (تاريخ الانشقاق) هو تاريخ مخطوط منهُ ثلاث نسخ في مكتبتنا الشرقية ومؤلفهُ احد الاباء اليسوعيين في اواسط القرن الثامن عشر والمرجح انهُ الاب بطرس فروماج وقد دعاهُ « الدمع المسجوم الى انشقاق الروم » وهو اصح ما وُضع عن تاريخ الانشقاق الفوطيُّي مستندًا على اقدم شواهد المؤرخين

٥٠ (تاريخ القس يوحنا العجيمي) كتاب التواريخ المليـة في شرح احوال البطركيَّة الانطاكيَّة ويسميه البعض تختيكون الكنيسة الانطاكيَّة ألَّفهُ القس يوحنا العجيمي الراهب الحناوي وضمَّنهُ اخبار بطاركة انطاكية الى السنة ١٧٥٩. وفي مكتبتنا من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مع تتمَّة تاريخ الطائفة الملكيَّة الى اواسط القرن التاسع عشر بقلم القس انطون بولاد

٥١ (تاريخ الخوري ميخائيل بريك) كان المؤلف في اواخر القرن الثامن عشر فاستند الى تاريخ البطريرك مكاريوس الحلبي وتصرَّف فيهِ في بعض اشياء وزاد عليهِ اخبار الذين كانوا بعد عهد مكاريوس ودعا كتابهُ تاريخ بطاركة الكرسي الانطاكي وقد طُبع هذا الكتاب في مصر منذ عهد قريب تحت اسم « الحقائق الوضيَّة في تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة والارثذكسيَّة » ولدينا منهُ نسخة خطيَّة اضبط واكمل منسوخة عن نسخة الخزانة البطريركيَّة للروم الارثذكس في دمشق

٥٢ (تاريخ دير رومية نافيجلا (Navicella) للخوري قسطنطين طرابلسي هذا التاريخ كتبهُ في رومية وكيل رهبنة الخوري قسطنطين طرابلسي الحلبي واودعهُ اخبار هذا الدير بل تاريخ الروم الملكيين وغيرهم في رومية من السنة ١٧٢٦ الى ١٧٧٣ وبها أُلغيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة بامر البابا اكليمنضوس الرابع عشر. وقد ختم الكاتب تاريخهُ بتدوين هذا الخبر المهمّ لكنَّه ابدى فيهِ حكمًا غريبًا لا يوافق الصواب. وهذا التاريخ قد نسخناهُ في حلب عن نسخة لدى احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل

٥٣ (تاريخ السيّد فلوري) للخوري فلوري الفرنسوي (Fleury)(١٦٤٠ — ١٧٢٣) احد كتبة القرن السابع عشر تاريخ كنائسي شهير لا يخلو من بعض المعاداة لسلطة الاحبار الرومانيين. فهذا التاريخ قد عرَّبه القس جرجس طحان احد كهنة طائفة الروم الكاثوليك في حلب في اواخر القرن الثامن عشر. منه قسمهُ الاوَّل في مكتبتنا الشرقيَّة

٥٤ (تاريخ الكردينال اورسي) هذا التاريخ من التواريخ الاوربية الواسعة يبلغ نحو ٥٠ مجلداً وقد عرّبه القس انطون صبّاغ نحو السنة ١٧٩٢ ومنهُ اربعة اجزاء في مكتبتنا الشرقية ونسخة كاملة في ٢٤ مجلداً في مكتبة الروم الملكيين في حلب

٥٥ (تاريخ ظاهر العمر لعبود الصبّاغ) ظاهر العمر هو الشيخ الذي استولى على عكا وبلاد بشارة في اواخر القرن الثامن عشر وحاربهُ الجزّار فغلبهُ. وكان كاتبهُ لهذا الشيخ ابراهيم الصبّاغ فقُتل في نكبتهِ. ولابراهيم حفيد يدعى عبُّودًا كتب اخبار ظاهر العمر فسمّى كتابهُ « الروض الزاهر في تاريخ ظاهر » منهُ نسخة في مكتبة باريس (اطلب المشرق ١٠: ٤٦٩)

٥٦ (تاريخ الاسرة الصبّاغية) كتب تاريخ بيت الصبّاغ الملكيين احدُ اعضاء تلك الاسرة ميخائيل الصبّاغ منذ اوّل ظهورها في الشوير في القرن السابع عشر الى ايّامهِ. ومن هذا التاريخ نسخة في مكتبتنا نقلًا عن الاصل الموجود في مكتبة مونيخ. توفّي ميخائيل الصبّاغ في باريس سنة ١٨١٦ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨: ٢٩). وللمذكور تاريخ آخر في قبائل البادية في زمانهِ مع جملة وقائع حدثت في الشام في عهدهِ

٥٧ (تاريخ القس حنانيا منيّر) كان القس حنانيا راهباً من دير مار يوحنا الصابغ في الشوير اشتهر في ختام القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر. لهُ تاريخان في حوادث لبنان الواحد ديني يشتمل اخبار الرهبانية الحناويّة من اوّلها الى السنة ١٨٠٤ والاخر مدنيّ دعاهُ « الدرّ المرصوف في حوادث الشوف » من اوّل ظهور الشهابيين في لبنان (راجع الجزء الاوّل من كتابنا الآداب العربية في القرن التاسع عشر ص ١٧) ومن الكتابين نسخة في مكتبتنا الشرقية

٥٨ (تاريخ العينطوريني) اسمهُ انطونيوس ابن الشيخ ابي خطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور ضمّن تأليفهُ مختصر تاريخ لبنان مع افادات متعدّدة عن الجبل وتاريخهِ وامرائهِ وشيوخهِ واهلهِ واديرتهِ ورهبانهِ. ومن جملة ما نقل في كتابهِ رسالة للخوري يوسف مارون الدويهيّ في اصل الطائفة المارونية. وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة من عهد كاتبها

٥٩ (تاريخ قولا الترك) قولا الترك احد ندماء الامير بشير الشهابي وشعرائهِ.

وقد كان مغرماً بالتاريخ فصنّف تاريخ نابوليون الاوّل من سنة وفاة لويس السادس عشر ١٧٩٣ الى موت نابوليون سنة ١٨٢١. وقد طبع المسيو ديغرانج (Desgranges) قسماً من هذا التاريخ في باريس مع ترجمته الى الفرنسويّة سنة ١٨٣٩. وقد رأينا منهُ نسخةً تامّة عند الدكتور اسكندر افندي البارودي وصنّف ايضاً تاريخ احمد باشا الجزّار ومنهُ نسخة في مكتبتنا. ولعلهُ مؤلف تاريخ آخر يحتوي حرب نابوليون مع بلاد النمسة طبع في باريس سنة ١٨٠٧ كما انّنا نرجّح كونهُ مصنّف كتاب « نزهة الزمان في حوادث لبنان » من مخطوطات مكتبة باريس يحتوي اخبار الاسرة الشهابيّة منذ اقدم عهدها الى عهد الامير بشير (اطلب تاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر الجزء الاوّل ص ١٩)

٦٠ (تاريخ بطرس كرامة) هذا تاريخ كتبه المعلم بطرس كرامة الشاعر اذ كان في خدمة الامير بشير للالطي الكبير وقد اخذ عنه طنّوس الشدياق في اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٣) لكنّنا لم نقف عليهِ حتى الآن

٦١ (تاريخ الامير حيدر الشهابي) هو الامير حيدر ابن الامير احمد الشهابي ولد سنة ١١٧٧ وتوفي سنة ١٢٥١ (١٧٦٣—١٨٣٥) صنّف تاريخاً مطوّلاً من اول النصرانيّة الى زمانهِ . واهمّ ما فيهِ اخبار القرون الاخيرة من حكم بني معن على لبنان الى آخر عهد الشهابيين وتولّي الحكومة المصريّة على الشام. وقد دعا هذا التاريخ « الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان » منه نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وقد طبع نعوم افندي مغبغب القسم الاخير منه مباشرة من الهجرة الى اواسط القرن التاسع عشر بعض تصرّف وكان طبعه في مصر سنة ١٩٠٠

٦٢ (تاريخ سليمان باشا) كتبهُ ابراهيم العوراء ابن المعلّم حنّا الرومي الملكي الكاثوليكي كان ابوهُ كاتباً للجزّار ثم لسليمان باشا خلفهِ فصنّف ابنهُ ابراهيم هذا التاريخ واودعهُ مجمل اخبار الشام في اواخر القرن الثامن عشر الى وفاة سليمان باشا سنة ١٨١٨ ومن هذا التاريخ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . توفي ابراهيم العوراء سنة ١٨٦٣

٦٣ (تاريخ الدكتور ميخائيل مشاقة) طبع هذا التاريخ في مصر السنة الحاضرة تحت اسم « مشهد العيان بحوادث سوريّا ولبنان » ولعلّ هذا الاسم حديث اختاره

لهُ الاديان ملحم خليل عبدهُ واندراوس شخاشيري متولّيا طبعهِ . وهو يتضمّن حوادث الشام منذ ايام الجزّار الى اواسط القرن التاسع عشر . ولعلّ هذا التاريخ هو المصون في خزانة المتحف البريطاني (Catalog. Cod. Arab. , n°944, p. 433) وهو يدعى هناك تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل برّ الشام والجبل من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ (١٧٨٢—١٨٤١) لميخائيل الدمشقي . ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في خزانة الكلية الاميركانية في بيروت

٦٤ (مجمل التواريخ القديمة) هو كتاب مخطوط حديث الكتابة في خزانة مكتبتنا الشرقية في ٢٢٢ صحفة يحتوي خلاصة تواريخ الشعوب القديمة لم يذكر اسم كاتبهِ ومؤلفهِ

ملحق

بعد اواسط القرن التاسع عشر توفرت التآليف النصرانيّة وكان للتاريخ بينها سهم وافر واكثرها ان لم نقل كلها منشور بالطبع فلا داعي لوصفها . الّا اننا نسرد هنا اسمها حسب تاريخ طبعها تتمّة للفائدة

١ التواريخ الدينيّة المطبوعة

١ تواريخ العهد القديم

مختصر تاريخ التوراة لاجل الشبان للمعلم شميد طُبع في مطبعة الفرنسيكان باورشليم سنة ١٨٥٦ (ص ١٧٥) = كتاب الفصول السنية في التواريخ القدسيّة للمعلم يلبز عرّبهُ وذيّلهُ المطران جرجس عبد يشوع الموصلي الكلداني طبع في الموصل ١٨٦٨ (٤٦٥) = ابتداء التعليم المسيحي اي مختصر الكتاب المقدس (للرهبان الارثذكس) طبع في المطبعة العمومية ١٨٦٨ (٤٢) = مختصر التاريخ المقدّس عرّبهُ من اللاتينيّة ميخائيل سابكي طبعة اولى ١٨٥٨ (١٢٦) ثم كرّر طبعهُ وهذّبهُ احد الاباء اليسوعيين وترجمهُ الى الفرنسويّة فطبع مرارًا (٢٨٥) . وطُبع ايضًا في المطبعة التجاريّة ١٨٨٩ بعض اختلاف = اهداء التوراة للاسقف ولش اسعد الشدودي . طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٩٠ (٣٠٢) = مختصر في التوراة المقدّسة بأسئلة واجوبة للسيد المطران افرام رابولا رحماني السرياني طبع في الموصل . الطبعة الثالثة ١٨٨٣ (٣٢٩) = مختصر المختصر في التواريخ المقدّسة لافادة المدارس الصغار للقس رافائيل جبري الموصلي طبع في بيروت في المطبعة العلميّة ١٨٠٨ ؟ (٤٨) = مختصر تاريخ المقدّس ترنساوي وعربي للمعلم ميخائيل عبد الله غبريل طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩٨ (٣٣٤)

٢ تواريخ السيّد المسيح

اخبار العهد الجديد . عرّبهُ العلم جرجس زوين طبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٨٧٣ (ص ٢٥٠+٢٠) = رحلة الفيلسوف الروماني لسيادة المطران جرمانوس مقّيد طبع في المطبعة الشرقيّة في الحدث ١٩٠١ (٨٢٣) = حياة سيدنا يسوع المسيح للاب لاكاي عرّجا الخوري بطرس مبارك الماروني طبع في المطبعة الاديبيّة ١٩٠١ (٥١٣) = تاريخ حياة يسوع المسيح للاحداث للقس نيوتون (البروتستاني) طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٨٢ (٤٨٦) = كتاب تاريخ الفداء للرئيس بوتاثان ادوردس (البروتستاني) طبع في مطبعة الاميركان ١٨٦٨ (٤٠٣) = حياة الفادي المجيد للسيدة بدين طمسن (البروتستانيّة) تعريب سليم افندي البستاني طبع في مطبعة المعارف ١٨٦٩ (٢٤٤) = القلائد الدريّة في الحياة المسيحيّة ترجمة ابرهيم افندي الحوراني = السيرة السيدية لرزق الله حسون (١٩٠) = شهادة التاريخ للاهوت المسيح ترجمة جرجي بني (٢٠٩) وهذه الكتب الثلثة طُبعت في مطبعة الاميركان

٣ تواريخ الكنيسة

مختصر التاريخ الكنسي من زمن السيد المسيح الى السنة ١٨٧١ باشارة واجوبة طبع في القدس سنة ١٨٧١ (ص ٢٨٠) = خلاصة تاريخ الكنيسة للمعلم لومند الافرنسي تعريب الخوري يوسف البستاني جزءان طبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت ١٨٨١ (٢١٩ و ٢٥٠) = مختصر تاريخ الكنيسة للعلم لومون . عرّبهُ واتمّهُ القس يوسف داود السرياني في الموصل ١٨٧٧ (٢١٠) = مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة تاليف الخوري يوسف داود السرياني طبع في الموصل ١٨٧٧ (٤١١) = كتاب موجز التاريخ الكنسي للخوري ميخائيل الوف بحجم صغير طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩٠ (٢٢٢) = تاريخ كنيسة المسيح طبع في مالطة (طبعة بروتستانية) ١٨٣٩ (٢٤٩) = شرح حال الكنيسة طبع في فالته (طبعة بروتستانية) ١٨٤١ (٢٨٨) = تاريخ للكنيسة مطوّل لموسهيم . طبع في مطبعة الاميركان ١٨٧٥ (٨٥٢) = تاريخ الكنيسة قصير عرّبهُ يوحنا ابكاريوس (مطبعة الاميركان) = تاريخ كنائسي شريف جمعهُ اسبيريدون صرّوف الدمشقي طُبع في مطبعة القبر المقدس للروم في القدس ١٨٥٥ (١٩٣) = مختصر لهُ ١٨٥٥ (٤١) = الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة اختصرهُ استفانوس قويطا من تاريخ ملاتيوس اسقف اتينا في مطبعة القبر المقدس في القدس الشريف (للروم الارثدكس) ١٨٦٧ (٤٤٥) = شجرة تاريخ الكنيسة رسم يوسف عطيّه (مطبعة الاميركان)

٤ تواريخ الكنائس الشرقيّة

مختصر تاريخ الارمن للقس انطون خانجي طبع في القدس سنة ١٨٦٨ (ص ٢٥٥) = مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين (للمطران غريغوريوس عطا) طبع في المطبعة الادبية ١٨٨٤ (٢٢٢) = بحث انتقادي في اصل الروم الملكيين ولقبهم للخوري قسطنطين الباشا طبع في مصر

بالمطبعة العمومية ١٩٠٠ (٨٠) = الشهب الصبحيَّة في الكتبة المسيحيَّة الملكيَّة ليوسف جرجس ورده الدمشقي . طبع بالمطبعة العمومية بمصر ١٩٠١ (٢١٢) = الدليل المستبين الى تاريخ وشرائع الروم الملكيين . لناصيف بن جرجي ابي زيد فيها ١٩٠٦ (٤٠٧) = نبذة تاريخيَّة فيما جرى لطائفة الروم الكاثوليك منذ ١٨٣٧ فما بعدها للبطريرك مكيموس مظلوم . طبع في زحلة ١٩٠٨ (٢٥٧) = نبذة في بطاركة مدينة الله انطاكية ليوسف بن شمعون السمعاني . طبع في رومية ١٨٨١ (٤٦) = نبذة تاريخيَّة في اصل البطركيَّة الانطاكية والطائفة المارونية للقس يوسف دريان ١٨٩٥ طبع في جونيه بمطبعة الارز (٢٦) = تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيَّة المارونيَّة للخوري عبد الله غبريل طبع بالمطبعة اللبنانيَّة في بعبدا ثلاثة مجلَّدات (في نحو ٢٥٠٠) ١٩٠٠–١٩٠٦ = سلسلة بطاركة الطائفة المارونيَّة للبطريرك اسطفان الدويهي نشرها رشيد الشرتوني في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٨٩٨ (٢٦) . طبعة ثانية ١٩٠٣ (٢٣١) = الحجَّة الراهنة في حقيقة اصل الموارنة للخوري يوحنا العجيمي طبع بمطبعة التمدُّن في مصر سنة ١٩٠٠ (٨٠) = بحث تاريخي في المردة والجراجمة والموارنة للمطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس طبع في بيروت ١٩٠٤ (٢٠٣) = الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل للسيد يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت المارونيّ في المطبعة العمومية ١٩٠٥ (٦٣١) = تاريخ الرهبانية الانطونية للقس عمنوئيل البعبداتي طبع في لبنان ١٨٩٦ (٥٩٩) = العيشة الهنيَّة في المياه النسكيَّة للقس افرام الديراني في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩٩ (٧٤٣) = لمحة تاريخية في الرهبانية الباسيليَّة الماضيَّة للخوري ق . الباشا في المطبعة الادبية ١٩٠٨ (٢٤) = الخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية (الروم الارثذكس اسيريدون) ١٨٩١ بقلم سليمان بن داود (المرحوم سليم شحادة) طبع في بيروت ١٨٩٢ (٢٥٦) = لمحة تاريخية في اخويَّة النبر المقدَّس بقلم الشيخ عبد الاحد الشاني (سليم شحادة) طبع بمطبعة سام بن نوح (بيروت) ١٨٩٣ (١٤٠)

٥ تواريخ البدع واصحابها

تاريخ الارطقات للقديس القونس دي ليكوري عربهُ الخوري يوسف الدبس طبع في طامش سنة ١٨٦٦ (ص ٨٢٣) = الكوكب الوضَّاح في تاريخ الاصلاح للاب فان هام اليسوعي عرَّبهُ المعلم جرجس زوين طبع في المطبعة الكاثوليكية ١٨٧٦ (٤١٥) = نعمة مرثينوس لوثاروس طبع في مالطة ١٨٦٠ (١٤٧) = تاريخ الاصلاح للملَّامة ميرل دوبنياه (البروتستاني) معرب من الانكليزية في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٧٨ جزءان (١٤٥٨) = تاريخ الاصلاح في جرمانيا لادورد تكل (البروتستاني) طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٨٠ (٢٧٨) = تاريخ الانشقاق للارشيمندريتي جراسيموس مسرَّة الروي الارثذكسي ثلاثة اجزاء طبع بالمطبعة الشرقية في الاسكندرية ١٨٩١–١٩٠٠ = تاريخ (كذا) الماسونية العام لجرجي زيدان طبع بمطبعة الجريدة بمصر ١٨٨٩ (٢٥٦) = سوسنة سليمان في العقائد والاديان لنوفل افندي نوفل (الاميركان ٢٢٢)

٦ سير القديسين التاريخية

هذا الباب غالبًا تاريخي ايضًا يحتوي اخبار اولياء الله لكنَّهُ واسع جدًّا لا يمكننا استيفاؤهُ هنا .

وانما نكتفي باشارة الى اهمّ ما نُشر منهُ . فبعض هذه المنشورات تتناول اعمال القديسين في مدار كل السنة كالكتر اثمين في ثلاثة مجلّدات للبطريرك مكسيموس مظلوم طبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٨٦٣ ثم في المطبعة الخلصية . وكتاب مروج الاخبار في تراجم الابرار طبع مرّتين في مطبعتنا واصلهُ للاب بطرس فروماج . وكتاب سير القديسين في مجلّدين طبع مرّتين في الموصل جمعهُ الخوري يوسف داود السرياني الموصلي . وسيرة اشهر شهداء المشرق طبع فيها سنة ١٩٠٠ . ومنها سير خاصة لقديسين مفردين امّا شرقيين كالقديس انطونيوس الكبير ويوحنا فم الذهب والقديس افرام والقديس مارون ومار يوحنا مارون . وامّا غربيين كالقديسين فرنسيس الاسيزي وعبد الاحد وروكس واغناطيوس وكسفاريوس ولويس غنزاغا واستنسلاوس كوستكا والفونس رودريكوس ومنصور دي بول ويوحنا جبرائيل بربوار ومرغريتا مريم الاكوك وتراجم أُخرى قصيرة يطول تعدادها

٧ تراجم بعض الافاضل

ترجمة الحبر المفضال يوسف الزغبي رئيس اساقفة قبرص في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٨٨١ (ص ٧٤) = القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة (السيد اقليميس داود السرياني رئيس اساقفة دمشق) . للكونت فيليب نصر الله طرازي طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٨٩١ (٢٠٣) = العرف المنتشر في لاون الثالث عشر للقس افرام الديراني في المطبعة الكاثوليكيّة ١٨٩٥ (٢٠٦) = شماع الفضائل في ترجمة البطريرك جرجس الجريجري . طبع في المطبعة الادبيّة في بيروت سنة ١٩٠٣ (٢٣٠) = الدرر التوالي من حياة المطران جرمانوس الشالي . للخوري بشارة الشالي طبع في المطبعة الشرقية في الحدث (لبنان) ١٩٠٢ (١٦٧) = المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات . للقس جرجس منش الماروني الحلبي . طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٠٤ (٢٤) = سيرة عبد الله قرا علي الماروني تلميذ الاب توما البودي . نشرها الاب انطون رباط . في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٠٧ (٣١) = سيرة كير ناوفيطوس نصري للقس اغناطيوس كاتبو نشرها الاب انطون رباط في المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٧ (٣٥) = اطيب المباني في حياة يوسف كلداني القس الحلبي الماروني للقس ميخائيل الخرس الحلبي طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٩٠٧ (١١٠) وغير ذلك

٢ التواريخ المدنية المستحدثة المطبوعة

١ التواريخ القديمة اجمالاً

تاريخ العالم . طُبع في مالطة سنة ١٨٣٠ ؟ (ص١٣٦) = التاريخ العام لجرجي افندي زيدان . جزءان . طُبع في مطبعة الهلال في مصر ١٨٩٠ (٢٥٠) = تكملة العبر في التاريخ القديم . لصبحي باشا والي ولاية سوريّة عرّبهُ عن التركيّة خليل افندي الخوري . المطبعة السوريّة في بيروت ١٨٦١ جزءان (١٨٣ و١٠٦) = الدرّ النظيم في التاريخ القديم للمعلم ابرهيم سركيس طبع في المطبعة الاميركانيّة في بيروت ١٨٧٥ (١٤٣) = كتاب قطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا

افندي ابكاريوس طبع في المطبعة الاميركانيّة في بيروت ١٨٧٣ (٧١٧) ثم كُرّر طبعهُ = مختصر في تواريخ القديمة لقس لويس الرحماني طبع في الموصل ١٨٧٦ (٢٨٢) = خطاب في التاريخ العام للسيّد الجليل المطران يوسويت. ترجمهُ الى العربية شاكر افندي عون وعبد الله افندي البستاني. طبع في المطبعة العمومية في بيروت ١٨٨٢ (٢٤٤) = انهج القويم في التاريخ القديم لمارفي بورتر الاستاذ الاميركي طبع في المطبعة الاميركانية ١٨٨٤ (٥١٨) = تاريخ هيرودوتس الشهير ترجمهُ من الفرنسويّة حبيب افندي بسترس. طبع في مطبعة التدبيس جاورجيوس ١٨٨٦–١٨٨٧ جزءان (صفحاتها ٦٣٩) = اساطير الاولين للمعلم ميخائيل عبد الله جبريل طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين ١٨٩٠ (٢٧٨) = التاريخ القديم لجميل نخله المدوّر طبع في بيروت ١٨٩٥ ؟ (٢٥١) = فاكهة الالباب في تاريخ الاحقاب للخوري بطرس الشاعر الماروني طبع في المطبعة الشمانية في بمبدا ١٨٩٨ (١٦٦) = الكنز المختار في اكتشاف الارض والبحار طُبع في مالطة ١٨٣٣ (١٢٤) = زبدة الصحائف في اصول المعارف لنوفل افندي نعمة الله نوفل. طُبع في مطبعة الاميركان ١٨٧٤ (٢٤٢)

٢ تاريخ آسية القديم والحديث

تاريخ اورشليم اي القدس الشريف تأليف خليل سركيس. طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧٤ (ص ١٩٢) = تاريخ بابل واشور لجميل نخله المدوّر صحّحهُ الشيخ ابرهيم اليازجي طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت (ص ٦٢) ثم كرّر طبعهُ في مطبعة الفوائد ١٨٩٣ (١٢٨) = نزهة العباد في مدينة بغداد للدكتور نابوليون ماريني. طبع في المطبعة اللبنانيّة في بيروت ١٨٨٨ (١١٩) = غاية الارب في تاريخ العرب للمعلم اسكندر ابكاريوس طبع في مرسيلية ١٨٥٢ (١٨٩) – طبعة ثانية في بيروت في المطبعة الوطنية ١٨٦٧ (٤٠٨) = انساب العرب القدماء لجرجي زيدان طبع في مطبعة الهلال ١٩٠٧ = تاريخ دول الاسلام لرزق الله منقريوس الصدفي بالمنيا في ثلاثة اجزاء (عدد صفحاتها ١٢٢٨) طبع في مصر ١٩٠٨ = مصباح الساري ونزهة القاري وهو تاريخ آل عثمان لابرهيم افندي الطيب في المطبعة السوريّة ١٢٧٢–١٢٧٥ (١٨٥٦–١٨٥٨) (٢٨٥) = التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية لسليمان خليل جاويش مطبعة المعارف ١٨٧٣ (٢٠٦) = مختصر تاريخ الدولة العثمانية ترجمهُ من التركية ابرهيم افندي أديب. المطبعة اللبنانية في بيت الدين ١٢٩١ (١٨٧٥) (٤٣) = احوال الدولة العثمانية السابقة بالنظر الى الماضي والحال والاستقبال لمدحت باشا ترجمهُ خليل افندي الخوري. طُبع في بيروت ١٨٧٩ (١٤) = ما هنالك. لاديب فاضل من المصريين. مطبعة المقطم في مصر ١٨٩٦ (٢٥٦) = كتاب سرّ مملكة. تأليف سليم سركيس. طبع في مصر ١٨٩٦ (١٦٠). طبعة ثانية في مطبعة السلام ١٨٩٨ (١٣٠) = كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم للاب فكتور دي كربيه اليسوعي عرّبهُ خليل افندي البدوي في المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٠ (٢٠٦) = العقود الدرّية في تاريخ المملكة السوريّة تأليف الياس ديب مطر. طبع في مطبعة المعارف في بيروت ١٨٧٤ (١٩٣) = تاريخ سوريّا تأليف جرجي افندي يني. في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٨٤ (٥٢٦) =

تاريخ سورية في ثماني مجلدات واربعة اجزاء (في نحو ٢٠٠٠ صفحة). للسيد المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت المارونى في المطبعة العمومية الكاثوليكية ١٨٩٣-١٩٠٥ = حسن النام عن نكبات الشام (حوادث السنة ١٨٦٠). طبع في مصر ١٨٩٥ (٢٨٤) = مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان. للدكتور ميخائيل مشاقة. طبع في مصر ١٩٠٨ = تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي. تعريب رشيد الخوري الشرتوني باختصار. في اربعة اجزاء (٧٣٠ صفحة). طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت ١٨٨٩-١٨٩٠ = كتاب ذخائر لبنان تأليف مترلو ابرهيم بك الاسود. طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا ١٨٩٦ (٢٣٠) = نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية للخوري منصور طنوس المارونى طبع في لبنان ١٨٩٥ (٤٢٢) = تاريخ بعلبك لميخائيل موسى الوف البعلبكي. طبع في المطبعة الادبية ١٨٨٩ (٩٣) طبعة ثانية ١٩٠٤ (١٥٤) = الروضة الغناء في تاريخ دمشق الفيحاء. لنعمان افندي قساطلي. طبع في مطبعة الاميركان ١٨٧٩ (١٦٢) = تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء للدكتور بيشوف الجرماني. طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٨٠ (١٦٠)

٣ تواريخ اوربة القديمة والحديثة

مختصر تاريخ الدول القديمة والحديثة طبع في مالطة نحو السنة ١٨٣١ (ص ١٢٦) = تاريخ الدولة المكدونية لنجيب ابراهيم طراد طبع في بيروت في المطبعة اللبنانية سنة ١٨٨٦ (ص ١٧٣) = تاريخ اليونان لجرجي ديتري سرسق طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت ١٨٧٦ (٢٧٦) = مختصر تاريخ اليونان القديم جمعهُ الخوري ميخائيل الوف طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٨٩ (٢٢٢) = تحفة الزمان في تاريخ الرومان للشهير دوروي. طبع في المطبعة العمومية في بيروت ١٨٧٣ = تاريخ الرومانيين لنجيب ابراهيم طراد طبع في المطبعة اللبنانية ١٨٨٦ (٢٢٢) = مختصر تاريخ اليونان والرومان لجرجي افندي زيدان طبع في مطبعة الهلال بمصر = تاريخ الحروب الصليبية للعلامة مكسيموس موترونت عربهُ السيد البطريرك مكسيموس مظلوم طبع في القدس الشريف ١٨٦٥ جزءان (٢٦٠ و ٢٧٥) = تاريخ فرنسا الحديث تأليف سليم البستاني طبع في مطبعة المعارف في بيروت ١٨٨٦ (١٠٤٠) = تاريخ روسيا لنخلة قلفاط. اربعة اجزاء طبع في بيروت ١٨٨٧-١٨٨٨ (نحو ١٠٠٠) = العقد النظيم في اصل الروسيين واعتناقهم الايمان القويم لخليل ابراهيم بيدس طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا ١٨٩٧ (١٦٠) = تاريخ انكلترة لجرجي زيدان (٨٤) ١٨٩٩ طبع في مصر بمطبعة الهلال = مختصر في تواريخ القرون المتوسطة للقس لويس رحماني السرياني الموصلي طبع في الموصل ١٨٧٧ (٤٠٨)

٤ تواريخ افريقية واميركا

سواء السبيل في سكان ارض النيل تأليف والس بدج طبع في مطبعة الاميركان في بيروت سنة ١٨٨٨ (ص ١٢٢) = تاريخ مصر الحديث مع نبذة في تاريخ مصر القديم تأليف جرجي زيدان. جزءان طبع بمطبعة المقتطف بمصر ١٨٨٩ (٢٦٠ و ٢٦٨) = حريق مكتبة الاسكندرية للخوري بولس عويس طبع في الاسكندرية ١٩٠٠ (٤٤) = الهدية التوفيقية في تاريخ الامة

القبطية. لتوفيق عزوز في مطبعة العصر التاسع عشر بمصر ١٨٩٣ (٩٧) = تاريخ حرب الحبش والانكليز. نقلهُ من الالمانية خليل الشمّاس طبع في مطبعة المعارف ١٨٧١ (٢٠٠) = خطبة ادبية تاريخية من الاحباش لنسيم افندي صالح طبع في مطبعة التوفيق في مصر ١٨٩٥ (١٦) = تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيتهُ لعموم بك شقير جزءان طبع في مطبعة المعارف بمصر ١٩٠٣ (٢٤٤ و ٧٣٦) = تاريخ السودان والمصري والانكليزي لادارة الاهرام في مصر = تاريخ مصر لميشيل انيا طبع في مصر ١٩٠٢ (١١٢) = غرائب الاخبار من شرق افريقيا وزنجبار لتوفيق ميخائيل. طبع في مطبعة التمدُّن بمصر ١٩٠١ (١١٥) = تاريخ امريكا لبطرس افندي الياس شحاده اللبناني جزءان طبع في المطبعة العمومية في بيروت ثم في المطبعة الادبية ١٨٨١ (١٨٨ و ٦٠) = تاريخ اميركا لسمعان خارج سعاده. طبع في مصر = تاريخ سولو من جزائر فيليبين للدكتور نجيب صليبي اللبناني نقلهُ عن الانكليزيَّة. طبع في مصر ١٩٠٨

٥ سير الملوك والابطال

صوت النفير في اعمال اسكندر الكبير لابراهيم سركيس اللبناني في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٨٦٦ (٢٦) = تاريخ اسكندر ذي القرنين طبع بالمطبعة الوطنيـة في بيروت ١٨٦٨ (١٥٦) (وهو تاريخ قصصي) ثم كرّر طبعهُ في المطبعة الادبية تحت اسم تاريخ اسكندر الكبير ١٨٨٦ (٩٩) = نبذة من اخبار زينب (الزباء) ملكة تدمر للاب سبستيان ونرفال اليسوعي. طبعت في المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٨ (٨٠) = تاريخ بطرس الكبير وهو الجزء الاوَّل من تاريخ روسيا الحديث لفخلة قلفاط. طبع في المطبعة اللبنانية في بيروت ١٨٨٦ (٢٩٦) = كتاب سيرة نبليون الاول للكولونيل لويس كاليفاريس. طبع في باريس سنة ١٨٥٦ (٥٨٤) وقد طبع طبعة ثانية في المطبعة الوطنية في بيروت سنة ١٨٦٨ (٤٣٧) = نابوليون الاوَّل ومشاهير الرجال عرَّبهُ الشيخ سليم خطّار الدحداح طبع بجونيه في مطبعة الارز ١٨٩٧ (١١) = كتاب طوارق الحدثان في تاريخ سليمان بمطبعة المعارف في بيروت ١٨٧١ (١٣٠) = نوبار باشا وما تمَّ على يدهِ تأليف نجيب عملوف طبع بالمطبعة العمومية بمصر ١٩٠٠ (٢٢٢) = سير الابطال طبع في المطبعة الاميركانية ١٨٨٣ (١٨٤) = حياة بطل الدين والتمدُّن او تاريخ القائد دي لاموريسيير للشيخ سليم خطّار الدحداح. في مطبعة الارز في جونيه ١٨٩٦ (١٩٢) = كتاب بطل لبنان المرحوم يوسف بك كرم لنسيم نوفل طبع في المطبعة الوطنية في الاسكندرية ١٨٩٦ (٢٥٢) = قصة بطل لبنان يوسف بك كرم (قصة عنتريَّة) طبعة في مطبعة الهدى في فيلادلفيا في اميركا ١٩٠٠ (١٠٦) = ابو سمرا غانم او البطل اللبناني. لخليل همّام فائز (ا.ا.غ) طبع في مصر ١٩٠٥ (٢٥٠)

٦ اعيان الرجال والأسر

اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنّوس الشدياق الحدثي الماروني طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٨٥٩ (ص ٧٢٠) = تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجرجي زيدان طبع في مطبعة الهلال في مصر ١٩٠٢—١٩٠٣ (٢٥٩ و ٢٤٤) = مرآة العصر في تراجم ورسوم مشاهير مصر لناشره الياس زخورا طبع في مصر رجال التلغراف ترجمة ابراهيم افندي

الحوراني طبع في مطبعة الاميركان ١٨٩٥ (٢٠٤) = نبذة في ترجمة وتآليف ابي الفرج غريغوريوس ابن العبري للاب لويس شيخو اليسوعي طبعت في المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٨ (٧٣) = المناقب الابراهيمية والمآثر الخديوية لاسكندر بك ابكاريوس طبع بالمطبعة الوهبية في مصر ١٢٦٩ (٨٨٠) = حياة كرنيليوس فان ديك للدكتور اسكندر البارودي طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا ١٩٠٠ (٢٧٨) = طريق الاجداد لملوك الاحفاد . سيرة المرحوم مرعي الدحداح ١٨٧٥ (٢٩) = تاريخ عائلة الشماس يوسف عطار سيريكيان الكلداني . طبع في مطبعة الكاثوليك ١٨٨٨ (١٨) = دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف . تاليف عيسى اسكندر المعلوم . طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا لبنان ١٩٠٧–١٩٠٨ (٧٤٩) = تاريخ عائلة الحلو للدكتور شكر الله الحلو طبع في المطبعة اللبنانية في بعبدا ١٩٠٦ (٤٨) = نوادر الكرام في الجاهلية والاسلام لجامعه ابراهيم زيدان في مطبعة الهلال في مصر ١٨٩٩ (١٧٠)

٧ الرحل التاريخية

دليل الزوار على الاماكن المقدسة للمعلم الياس فرج باسيل طبعته الثانية سنة ١٨٧٦ (ص ٥٠٥) = ارشاد لطيف لزائر القدس الشريف لموسى ميا . طبع في مصر = حضارة الاسلام في دار السلام لجميل نخله المدوّر . طبع في مطبعة المقتطف في مصر ١٨٨٨ (٢٧٦) طبعة ثانية بمطبعة المؤيد ١٩٠٥ (٢٧٦) = الروضة المؤنقة في وصف الاراضي المقدسة في المطبعة العثمانية في بعبدا ١٨٩٨ (٩٣) = سفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس . طبع في المطبعة العمومية في بيروت ١٨٦٨ (٢٣٦) = رحلة مدير اللسان خليل سركيس طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩١ (١٤١) = الرحلة الموسومة بالواسطة الى معرفة مالطة للشيخ (احمد) فارس الشدياق . طبعت في تونس سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧) (ص ٢٨٦) = الكوكب السيار في رحلة غبطة السيد الياس بطرس الحويك الى اوربة للقس اغوسطين البستاني الديراني طبع في بيروت ١٠٩٧ (٢١٣)

٨ تواريخ الآداب العربية

كتاب العرب قبل الاسلام . لجرجي زيدان . الجزء الاول طبع بمطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٠٨ (ص ٢٥٥) = روضة الادب في طبقات شعراء العرب لاسكندر اغا ابكاريوس طبع في بيروت ١٨٥٨ (٢٨٨) = مصباح العصر في تواريخ شعراء مصر للمعلم اسعد منصور العضيمي . طبع في المطبعة اللبنانية في بيروت ١٨٧٢ (٧٦) = صناجة العرب في تقدمات العرب لنوفل افندي نعمة الله نوفل طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٨٠ (٤٦٤) = تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان . خمسة اجزاء (في نحو ١٠٠٠) طبع بمطبعة الهلال في مصر ١٩٠٢–١٩٠٦ = المنتخب في تاريخ آداب العرب للمعلم ميخائيل عطيه . طبع على الحجر في موسكا ١٩٠٣ (٢٦٤) = تاريخ اللغة العربية لجرجي افندي زيدان طبع في مصر في مطبعة الهلال ١٩٠٤ (٦٤) = تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو اليسوعي . الجزء الاول من ١٨٠٠ الى ١٨٧٠ طبع في المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ (١٢٢)

الطقوس الشرقية والكنيسة الكاثوليكية

مقتطف من رسالة حديثة لاحد افاضل كهنة الروم الكاثوليك

لمَّا عوَّل غبطة السيِّد البطريرك كيرلُّس الثامن والسادة الاجلَّاء اساقفة الروم الملكيين الكاثوليك على عقد مجمع ملّي في عين تراز أوجست قلوب بعض اهل الطائفة خوفاً على طقسهم كأنَّ خطراً يتهدَّده او سهاماً تترصَّده فاسرع احد افاضل كهنة الروم الكاثوليك من اجلّهم مقاماً فكتب كرّاساً ليسكّن روع اولئك المتحفزين للدفاع عن طقسهم ويبيّن لهم انَّ خوفهم من اشباح دون ارواح. وفي هذا الكرّاس فصول حسنة عن الطقوس الشرقية عموماً والطقس اليوناني خصوصاً وحرمتها في الكنيسة الكاثوليكية رأينا اقتطافها لفائدتها وكتتمّة لمقالات مستجادة ظهرت في اعداد المشرق السابقة ل. ش

الطقس الكنسي

الطقس عند بعضهم هو الامر الجلَل. هو محور الدين والامور الكنسية وهو الشغل الشاغل لمن لا شغل له. بل قد جعلوه راية حرب يؤلبون حواليها كل جاهل بحقيق معناه للجهاد عن امور لا طائل تحتها او عن مآرب خصوصية .... وقانا الله من شر الجاهلين والمتحزبين

ما هو الطقس ومنزلته من الدين والملّة ؟. الطقس كلمة يونانية (Τάξις) معناها نظام ورتبة فهو في عرف الكنيسة مجمل الصلوات والترتيبات والشرائع التي وضعتها الكنيسة ليجري عليها ابناؤها في عبادة الخالق مثل صلوات الفرض الكنسي وحفلات توزيع الاسرار الالهية وشرائع الصوم وما شاكل فيتبيَّن لك بديهاً ان الطقس ليس هو الّا مظهر من مظاهر العبادة الخارجية ولكنه ليس من جوهر العبادة في شيء البتة وانما هو وضع كنسي لا الهي. اجل ان العبادة الخارجية لضروريَّة للانسان من اوجه عديدة وكفى برهاناً ان الله عزَّ وجل امر بها في العهد القديم والجديد. بيد ان تحديدها على نوع دون آخر منوط بالسلطة المتولّية من قبله تعالى امور الدين على الارض. وعليه فالسلطة الواحدة التي رتَّبتها تستطيع ان تبدلها. فالعبادة النفسيَّة والعبادة الخارجية والطقوس الكنسيَّة هنَّ من الدين بمنزلة النفس والجسد والاثواب من الانسان فمن النفس والجسد يتركب الانسان جوهرياً كذلك بالعبادة النفسيَّة ومظهرها العبادة

الخارجية يقوم الدين وانما الطقوس اثواب تتميّز بها طائفة دون اخرى كما تتميّز الشعوب والملل بلغاتها وعوائدها وأزيائها وكلها من الانسانية في نوع واحد

فالطقس اليوناني يميّزنا نحن معشر الروم الملكيين عن سائر الطوائف الكاثوليكيّة من لاتين وموارنة وسريان وارمن وكلدان واقباط . وهو والحق يقال على اعظم جانب من الأبهة والجلال حتى سُمي بالطقس الملوكي ويحق لنا بل واجب علينا ان نحترص عليه احتراص العاقل على وديعة ثمينة انه وديعة ابائنا القديسين معلمي الكنيسة . الّا ان المبالغة في كل شيء مذمومة والشطط والضلال في مثل هذه الامور قد يُفضيان الى اقبح العواقب

ما قولكم فيمن يفضّل ان يعدم جسدهُ وحياتهُ ولا يخسر ثوبهُ لعمري قد يوجد قوم بل افراد يؤثرون طقسهم على العبادة والدين وما ذلك بنادر الحدوث . . . وما هو من هذا القبيل ايضاً تشاحن وتحارب اولاد الدين الواحد والمعتقد الواحد لسبب بعض اختلافات طقسية على حين يتقرّبون ويتحبّبون من الناكرين دينهم ومعتقدهم . ومعاذ الله ان اشعل نار الفتنة والتعصّب التي تخرب البلاد وينهى عنها رب العباد . انّما ألوم وكل عاقل يلوم معي التباغض والتحزّب لداعي طقس كنسي

ثم اني اوجه الكلام الى الذين يحملون راية الطقس وينزلون في ميدان حرب لا هدنة ولا نهاية لها إلّا تدبّرتم الامر اوّلاً بعقل راقٍ وفكر سديد على حدّ كل من يدخل ساحة حرب لخافة ان تذهب اوقاتنا واتعابنا ونفقاتنا سدى

من هو العدوّ الذي ترومون مدافعتهُ ؟ وما هي الاخطار التي تتهدّد الطقس وذويه ؟ ومن هم المعهود اليهم في حفظ الطقس والمدافعة عنه ؟ وما شانك انت . . . .

مَن يتحامل على الطقس اليوناني الذي كرّستهُ الايام وتتشبث به الوف من الانام فيريد تبديله او التغيير منهُ ؟ ما ادري . . . . لا جرم ان الذي له سلطة وكفاءة في هذا الامر فيُخشى منهُ غائلة ما هو الّا مجمعنا الطائفي والحبر الروماني راس الكنيسة الاول فحسبنا طأمنة البال وازالة كل ارتياب ووسواس من هذا الباب لتكفي جماعتنا مؤونة الاضطراب والمدافعة حيث ليس لها من داعٍ ولا مناسبة

المجمع الملّي والطقس

ان الغاية من عقد هذا المجمع هو النظر في الامور الكنسيّة للاصلاح والترتيب

والتحسين ولا شك ان آباءه المحترمين يأتون على مسئلة الطقس وملحقاته لينقحوه مما طرأ عليه من شوائب التغيير والتنقيص او الزيادة بسبب الجهل والتهامل . امّا ان يمسّوه بما يشوّه هيئته او يغيّرها فهذا وأيم الحق ليس بما يدور في خلدهم ولا من نيتهم في شيء ولو خطر لاحدهم لأقصاه عن فكره سريعاً لما يحول دونهُ من الصعوبات والموانع التي دونهـا خرطُ القتاد

كلُّ ما هناك ان يضعوا بعض ترتيبات تتقاضاها من كل وجه احوالنا الحاضرة مما يرجع الى خير النفوس وسلامة ورونق الطقس . وكل ابن عاقل وخاضع لاوامر كنيسة المسيح يركن بملء الثقة الى هذه السلطة التي اقامها الله ووكل اليها امر الطقس والدين عينه . فالتخوُّف اذاً والاضطراب لا وجه لهما والتشاغل بما لا يعنينا ضرب من الخرق ومجاوزة الحدود

على انه ان كان لاحد من ابناء الطائفة متمنًى من اصلاح يرجوه او نظام صوابي مفيد للمصلحة العامة فلهُ ان يرفعهُ الى السادة الاساقفة الاجلّاء بكل احترام ويقف عند حدود الطاعة البنوية لقبول كل ما ترتّبهُ السلطة العليا في ذلك النظام وعلى النظام تترتب الراحة العامة . وعلى كل حال فالامور مرهونة لاربابها منوطة باصحابها . ما قولك اذا ترك الخيّاط المقصّ والابرة وتناول البودقة وزردية الصياغة او هجر التاجر مخزنهُ ومرتّقه ولحق بصناعة الملاحة يبتغي قيادة السفن في عباب البحر مخاطراً بنفسه ونفوس غيره . وقل للأمّة التي يتولى حوذيها وحمّالها زمام الاحكام ووضع النظام : « عليك السلام » . . . رحم الله شاعرنا حيث يقول :

لو كان كل يعرف الحق سوى ... لكان كل الناس اهلاً للقضا
وكلُّ ما في غير مثواه ثوى ... يسمج في العين ويؤذي من رأى

وما هو نقطة العجب انه بينا نرى سائر الحقوق المدنية محفوظة وحدود الحِرَف والصناعات فيما بين اهلها فاصلة ولخصوصياتها صائنة نشاهد بعين الاشمئزاز والاسف وظائف الدين والعبادة بين القوم مشاعة وخصائص خدمة البيعة للكبير والصغير مباحة . على انه لو اخطأ احد الكهنة ونصح لك في شيء من شؤون تجارتك او صناعتك مودّةً منه وغيرةً لا تلبث ان تشير الى تطاوله وتداخله بما لا يعنيه وتوقفهُ عند حدّه . هـذا عند ما لا تقابل مودته وغيرته هذه بتبسُّم الاحتقار وتغضّ الرأس ازدراء . فليس الّا حقوق

الدين بحجة والسلطة الكنسيّة مبتذلة حتى يشترك فيها الخاصّ والعامّ وهي احق الامور بالصيانة والهيبة . وانه لو تنازل ارباب هذه السلطة انفسهم او نسي خدمة البيعة حقوقهم وواجباتهم فاحبّوا ان يشركوا في خصائص وظائفهم مَن لا دخل له فيها لاقتضى منه الراي والاستقامة ان يأبى ويعتذر ادباً وتديُّناً واحتراماً

الاحبار الرومانيون والطقوس الشرقية

لا جرم انه ان كانت الطقوس الشرقية ولاسيما اليونانية باقية على حالها وقديمتها محفوظة مصونة من كل تغيير وتبديل قد طرأ على وفيقاتها الطقوس الغربية فالفضل في ذلك للاحبار الرومانيين وما أُحدث فيها من بعض التغييرات الجزئية فهو من ابناء هذا الطقس انفسهم واليك الشهادات التاريخيّة التي تسند مزعمنا

انه بعيدٌ عن فكر الاحبار الرومانيين ولا بُعد الثريا عن الثرى توحيد الطقوس الكنسيّة وجمعها الى واحد يعمّ جميع ابناء الكنيسة الكاثوليكية . لا مشاحّة في ان سلطتهم الالهية المطلقة على الكنيسة كلها شعباً واساقفةً تمتدّ الى الطقوس كلها ايضاً كما تتناول جميع الشرائع الكنسية ينسخونها ويبدلون منها ويضيفون كما يشاؤون وتدعو اليها احوال الكنيسة فان كلّ ما يحلّونه او يربطونه على الارض هو محلول ومربوط في السماء

بيد انهم لا يجهلون ان جمال الكنيسة وبهاءها في وحدة الايمان واختلاف الطقوس قال بيوس التاسع في براءة وجّهها الى بطاركة الشرق واساقفتهم في ٢ نيسان سنة ١٨٦٢ : « ان كثرة الطقوس المقدسة وتنوّعها اذا كانت شرعية لا تضرّان قط بوحدة الكنيسة بل انهما تزيدان في منزلتها وجلالها ورونقها وبهائها » . فهي الكنيسة تلك الملكة التي وصفها المرتل الالهي داود قائلاً : « قامت الملكة من عن يمينك متوشحة بثوب مذهّب مزين موشّى » ولذا قد حافظوا ويحافظون على بقاء الطقوس العديدة ولاسيما الشرقية بقديمتها وتنوعها وبهائها كما يسهرون على وحدة الايمان الكاثوليكي في كل المسكونة وطهارة الاداب المسيحية

ثم اخذ هنا الكاتب الفاضل يعدّد الشواهد على بيان قضيّته وذكر بعض اقوال الاحبار الرومانيين في براءاتهم وخطبهم على وجوب حفظ الطقوس في كل جانبها وخواصّها . وقد اثبت المشرق (٣ : ٢٨٩-٢٩٦) لجناب الاديب نجيب افندي الزيّات مقالةً ضافية الذيل في هذا المعنى فنحيل القرّاء الى مراجعتها اختصاراً

الشرقيون وطقوسهم

ليت الشرقيين يحافظون على طقوسهم مثل ما رومية تحرص عليها فانه ما ناب هذه الطقوس الشريفة من تغيير او شائبة فمنهم انفسهم. واني لا اتكلّم عن بقيّة الطوائف الشرقية التي قد ادخلت في طقوسها رتباً عديدة قرّبتها من الطقس اللاتيني. بل أقتصر الكلام على طائفة الروم الملكية

هذا القداس الالهي راس الطقوس واهمّها هل تجد في الطائفة كلها كاهنين يحتفلان به على طريقة واحدة وليس الاختلاف فقط فيما لم تقيّده كتب الليتورجيا بل فيما هو مشار اليه وموضح. دونك اهمّ الملاحظات: يجب ان تُعدّ القرابين قبل المباشرة في القداس اذ ان اوشين ختامها هو فاتحة الليتورجيا المقدسة. ومع ذلك فغير مرة يبتدئ الكاهن بالقداس قبل تمام ذبيحة التقدمة. وترى غيرهُ يأتي في اثناء القدّاس يشترك به مع من تقدّمهُ وقد اتمّ منهُ جزءاً ثم يخرج قبل ختامه خلافاً لما اوصى به مجمع عين تراز وغيرهُ. ولا يندر ان يقام قداس يوحنا فم الذهب مقام قداس باسيليوس لسبب طفيف. ولست ادري لاي وجه يحذفون من انتيفونات القداس استيخوناتها نظير الروم الذين حذفوا من القداس الالهي غير ذلك (وهم المحافظون!!!...) وغيرهم يبتدي بالانتيفونات ويختم بالكاوزمي وهما مفترقان.... ودعنا من غلطات المصلين في الطروباريات والقناديق والاراميس والكينونيكات فلنذكر فقط زيادتهم كلمات عديدة مثل: عليها اشرف السلام. ولك يا رب «ساجدين وخاضعين». ومبارك الاتي باسم الرب في اول القداس. وحذفهم «ذكصا كانين وكيرياليصون ثلثاً باسم الرب بارك يا رب» في اخر القداس ومجاوبتهم كيرياليصون بدل «استجب يا رب» واشياء كثيرة نظيرها مما لا يسعنا ذكره في حدود هذه العجالة

ولا حرج. فان الكهنة انفسهم يبدلون ويضيفون وينقصون خلافاً لنص الليتورجيا المقدسة ولا اذكر سوى صلوات خشوعية قبل التقديس ليس لها في الكتاب من اثر. وذكرانية الاحياء والاموات قبل: خاصة.... ومحلّها للكاهن فيما بعد. والحاق اوشين: «اذكر يا رب هذه المدينة.. الخ» بالذي قبله على ان بينهما ذكر روساء الكنيسة علناً. وتلاوة انشين «يا مبارك مباركيك يا رب» داخل الهيكل على ان الكتاب يشير الى

تلاوته خارجاً خلف الامبونوس .. وهناك ايضاً تغييرات شتّى وحركات غريبة لا يكفي لذكرها كتاب برمّته

واذا اتينا على تلاوة الفرض الالهي وكتب التيبيكونات وخدمة الاسرار المقدسة والحفلات الدينية فهناك الطامّة الكبرى والحبصة العظمى ممّا ينشئ التشوّش ويشوّه الرتب الكنائسية ويحطّ من اعتبارها. والسبب في ذلك ليس من اختلاف التيبيكونات عندنا على حين كان يجب التعويل على واحد منها لعامّة الكنائس بل لجهل او تهامل من هو مرتّب عليه الاستعداد ومعرفة القوانين اللازمة قبل المباشرة بالصلوة او خدمة الاسرار المقدسة تديّناً واجلالاً

ليت شعري. لو كنّا نهتمّ بمطالعة كتبنا الطقسية والمحافظة على قوانينها القديمة بدل التجند للحرب والمدافعة ضد عدوّ وهمي ... بل ضد الخير والاصلاح أما كان بنا اولى وللطقس انفع

الطقس والعبادات الحديثة

ما اقبح وما اضرّ غلط الذين لا يميّزون بين الطقس الاصلي وانواع العبادات الحديثة التي لا دخل لها معه الذين يتسلحون بحجة الطقس كحربة ذات حدّين ويقفون على باب الكنيسة كملاك الرب قديماً على باب الجنة ليمنعوا كل عبادة جديدة ان تدخل المعبد الملكي. مسكين ايها الرومي الملكي. قف خارج الجنّة وابكِ. فامّا ان تتجرّد عن كل عبادة مهما لذّت لديك وطابت بها نفسك وجدتَ خالقك او ان تحرّم طقسك كله. فاي شركة بين الطقس وهذه العبادات الاجنبية ؟ كيف الانسان الواحد يحضر الذبيحة الالهية حسب الطقس اليوناني ويستطيع من بعد ذلك ان يكرّم الحمل المذبوح بالاحتفال بزياح القربان المقدس؟.... كيف تجتمع في نفس واحدة عبادة الايقونات المقدسة حسب الطقس الشرقي وعبادة قلب يسوع فادينا حسب العادة الغربية ؟ هل يا ترى الفم الواحد يستطيع ان يتلو قانون البارا كليسي ثم يتلو السلام الملائكي الذي تتألف منهُ المسبحة ؟ .... قال بولس الرسول: اله واحد ورب واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة ... ويردف اصحابنا: عبادة واحدة وطقس واحد ... وقال الرب: « بسحاني لا تمسّوا » ويقول اصحابنا: « وبالطقس لا تمسّ ». اجل يا صاح طقس واحد

ان جاء القديس باسيليوس الكبير فوضع للكنيسة اليونانية الليتورجيا المعروفة باسمه مختصرًا فيها خدمة القديس يعقوب . وما لبث القديس يوحنا فم الذهب ان اختصر خدمة باسيليوس واعطانا خدمته المعروفة باسمه . ثم نشأت بعد ذلك خدمة البروجيازماتا المنسوبة الى غريغوريوس الكبير بابا رومية

فيتبين لك من هذه التغيرات الطقسية المتوالية من السيد له المجد والرسل الاطهار واباء الكنيسة وغيرهم ان الطقس ما كان في نظرهم الا ما هو عليه حقيقة نوع من انواع العبادة الخارجية يمكن تغييره حسب الظروف والدواعي المختلفة

ثم تتبع صاحب المقالة تاريخ الطقوس والصلوات في الكنيسة وبيّن ما طرأ عليها من التقلبات على اختلاف الكنائس وتداول الايام بيد انه لم يسمح بان يكون حق التصرف بها الا لارباب الكنيسة التي نالت تلك السلطة من الله . ثم بيّن ان تلك الطقوس لا تُمس باذى اذا استحسن المؤمنون بعض عبادات خارجة وان جديدة تريدهم تقى ونشاطاً في خدمة الله واستدل على ذلك برغبة الشعب في تلك العبادات الصالحة الى ان قال : وصوت الشعب صوت الله وما يأتي من الله لا يقوى عليه بشر

كتاب فضائل الكلاب

على كثير ممن لبس الثياب

لابي بكر عليّ بن احمد الشهير بابن المرزبان

رواية القاضي ابي القسم عليّ بن المُحسّن بن عليّ التنوخيّ

توطئة

سبق لنا في تعريف ديوان السموءل (ص ١٦١) انّ ذلك ديوان كان مدرجاً في الاصل في مجموع ادبيّ يحتوي على عدّة آثار من جملتها « كتاب فضائل الكلاب » . وقد وعدنا بان ننشر الكتاب المذكور عند سنوح الفرصة فقد حانت تلك الفرصة وها نحن نقوم بالوعد . كان هذا الكتاب الثالث من ذلك المجموع يبتدئ في الصحيفة ٤٤ وينتهي بالصحيفة ٦٢ فتكون جملة صحائفه ٣٠ وصفحاته ٤٠ صفحة بالخطّ المُشرقي الثخين . وقد مرّ انّ تاريخ كتابته سنة ٦٤٩ (١٢٥٢) كتبه المجموع وقد قابلهُ على الاصل في تلك السنة اللغويّ الشهير الحسن بن محمّد الصغانيّ

امّا مؤلف الكتاب فأحد قدماء الادباء اسمهُ ابو بكر عليّ بن احمد بن المرزبان البغداديّ ذكرهُ ابن خلكان في تراجم الاعيان (طبعة باريس ٤٥٠) وذكر عنهُ انهُ كان مدرّسًا ببغداد عالمًا بالفقه الشافعيّ ولم يزد في تعريفهِ. ثم قال انهُ توفي في رجب سنة ٣٦٩ (٩٧٧) ولم يذكر لهُ شيئًا من التآليف. لكنَّ هذا الكتاب في فضائل الكلاب من تصنيفهِ لا شك فيهِ ومنهُ نسخة في خزانة مخطوطات برلين العربية (Ahlwardt: *Arab. Handsch.* V, 25) تاريخها سنة ١٠٤٨ للهجرة (١٦٣٩). وقد ذكر الكتابَ غير مرَّة الحاجُّ خليفة في كشف الظنون فدعاهُ (ج ٤ ص ٤٥٤ ed. Flügel) «فضل الكلاب على اكثر ممَّن لبس الثياب» وسمَّاهُ في محلٍّ آخر (ج ٥ ص ٩٧ وج ٦ ص ٢٢٨) «تفضيل الكلاب على كثير ممَّن لبس الثياب». وهذا الاسم يوافق عنوان نسخة برلين وقد زعم واصف مخطوطات برلين انَّ ابن المرزبان توفي سنة ٣٠٩ للهجرة والصواب كما روى ابن خلكان وكما ورد ايضًا في رأس نسختنا. وقد اختلفت نسخة برلين عن نسختنا في مطلعها واسماء رواة الكتاب فذكرهم على هذه الصورة: «قال الشريف السيّد القاضي شرف الدين... ابو عليّ محمَّد بن الشريف القاضي ابي البركات اسعد بن عليّ الحسيني الحرّاني النسّابة اخبرني الشيخ... ابو محمَّد عبد المولى بن ابي عبد الله الليثيّ النخعي المالكي اجازةً في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة الخ... اخبرني ابو عمر محمَّد بن زكريَّا بن حيّويه الحرّاني» وكذلك اختلف ختام النسخة البرلينية عن نسختنا هذه فهي تنتهي بهذه الالفاظ: «وليس في الحيوان اشدُّ حبًّا لربّهِ ولا احسن طاعةً لهُ منهُ وليس شيءٌ آثر عندهُ ممَّن ينظر اليهِ صاحبهُ بوجه طلق. تمَّ». وباقي النسختين ينطبق على بعضهِ. ولابن المرزبان ما عدا هذا الكتاب تآليف آخر مفقود في عهدنا ورد ذكرهُ في كشف الظنون (ج ٥ ص ٩٦ وج ٦: ٢٢٨) فدعاهُ «كتاب السودان وفضلهم على البيضان» وقد دُعي المؤلف هناك «ابا بكر محمَّدًا» والمشهور كما سبق «ابو بكر علي بن احمد». والله اعلم

وممَّا يجدر بنا التنبيه اليهِ في الختام ان ابن المرزبان لم يقصد بتسطير هذا الكتاب بخس الجنس البشري وتفضيل الكلاب عليهِ. وانَّما اراد ان يرشد الناس بمثال الحيوان كما وجَّه الله تعالى في الكتاب الكريم الكسلان الى النملة فيصنع الانسان بالفضل ما يصنعهُ الحيوان بالغريزة. هذا ما اقتضى التنبيه اليهِ مع تكرار شكرنا لحضرة الاب انستاس الكرملي الذي اوقفنا على هذا الاثر وسمح لنا بنشره

ل. ش

(44ᵛ) بسم الله الرحمن الرحيم

وبهِ استعين

اخبرنا القاضي ابو القسم علي بن المحسّن بن عليّ التنوخي قراءةً عليهِ فأقرَّ بهِ قال:

خبرنا ابو عمر محمّد بن العبّاس بن حَيّوَيْه قال: اخبرنا ابو بكر محمّد بن خلف بن المرزبان اجازةً قال: ذكرتَ اعزّك الله زماننا هذا وفسادَ مودّة اهله وخسّة اخلاقهم ولؤم طباعهم وانّ أبعدَ الناس سفرًا مَن كان سفرهُ في طلب اخٍ صالحٍ الامر كما وصفتَ. وقد رُوي عن ابي ذرّ الغفاريّ رحمة الله عليه انهُ قال: كان الناس ورقًا لا شوك فيه فصاروا اليوم شوكًا لا ورق فيه. قال بعضهم: كنّا نخافُ على الاخوان كثرة المواعيد وشدّة الاعتذارات وان يخلطوا مواعيدهم بالكذب واعتذارهم بالتزيد فذهب اليوم من يَعِدُ الخيرَ ومات مَن كان يعتذرُ من الذنب. قال لبيدٌ:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهمْ وبقيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأجرَبِ

واخبرنا ابو العباس المُبرّد قال حدّثني بعضُ مشايخنا قال: كنتُ (45ᵃ) عند بِشر ابن الحرث يومًا فرأيتُهُ مغمومًا ما تكلّم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسهُ فقال (١:

ذهبَ الرجالُ المُقتدَى بفَعالهم والمُنكرون لكلّ امرٍ مُنكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يُزَيّنُ بعضُهم بعضًا ليدفعَ مُعورٌ عن مُعورِ

وانشدنا لغيره:

ذهب الذين اذا رأوني مُقبلًا سُرّوا وقالوا مرحبًا بالمُقبِلِ
وبقي الذين اذا رأوني مُقبلًا سَبّوا وقالوا لَيتَهُ لم يُقبِلِ

وقال آخر:

ذهب الناسُ واستقلّوا وصرنا خلفًا في اراذلٍ ناسِ
في أناسٍ تراهمُ الدينُ ناسًا فاذا حُصّلوا فليسوا بناسِ (٢

وقال آخر (45ᵃ):

ذهبَ الملحُ من كثيرٍ من النا سِ وماتَ الذين كانوا مِلاحا
وبقي الأسمحون من كلّ صنفٍ ليت ذا الموتَ منهمُ قد اراحا

وقال آخر:

ذهب الذين اذا غضبتُ تغمّلوا واذا جَهِلتُ عليهم لم يَجهَلوا
واذا اصبتُ غنيمةً فرِحوا بها واذا بَخِلتُ عليهم لم يَبخَلوا

١) بعض الابيات التالية تجدها في كتاب ألف باء للبلوي (ج ٢ ص ١٤٥–١٤٦)
٢) لهذين البيتين روايات مختلفة في كتاب الف باء (٢: ١٤٥) مع بيتين آخرين

انشدني ابو عبد الله السُّدُوسيّ (١ :

ذهب الذين هُمُ الثيابُ المُسْبَلُ وبقي الذين هُمُ العذاب المُنْزَلُ
وتقطّعت ارحامُ اهل زماننا فكأنّما خُلِقَت قِلَلا (٢ توصَلُ
الناسُ مشتبهونَ مَن كَشَفْتَهُ منهم كشفتَ عن الذي لا يجملُ
امّا الفقير فحاسدٌ مُتَفَطِّرٌ حسدًا واما ذو الثراء فيَبْخَلُ

وقال آخر :

ذهب الكرامُ فاصبحوا اموانا ورقًا تطيّرهُ الرياحُ رُفاتا
وتبدّلت غرصانهم من بعدهم بسوى نبات الصالحين نباتا (٣
وبقيتُ في دهرٍ أُحاذِرُ شرّهُ واخافُ فيهِ من الطريقِ (٤ بيانا (49'

وقال آخر :

وما الناسُ بالناسِ الذين عهدتَهم ولا الدارُ بالدارِ التي كُنْتَ تعرفُ
ولا كُلُّ من تهوى يُميلُكَ قلبُهُ ولا كلُّ من صاحبتَهُ لكَ مُنصِفُ

وقال آخر :

ذهبَ الناسُ وانقضت دولةُ المَجْدِ (٥ فكلٌّ الّا القليلَ كلابُ
انَّ من لم يكن على الناس ذئبًا اكلتهُ في ذا الزمانِ الذئابُ
غير انَّ الوجوهَ في صور النا س وأبدانهم عليها الثيابُ
ليس تلقى الّا كذوبًا مخيلًا بين عينيهِ للاياسِ كتابُ

وقال آخر :

ذهب الذين فضولهم مملوءةٌ ولهم اذا قحطَ الزمان جفانُ
ذهبوا فليس لهم نظيرٌ واحدٌ او لا تراهم لا ابا لك كانوا
لم يبقَ من اهل الفضائل والنُّهى الّا فلانٌ باسمهِ وفلانُ

وقال آخر (47') :

سلفٌ مضى وبقيت بعدهمُ وكذاك يذهبُ من أتى بعدي
تركوا الذي جمعوا لغيرهم وكذاك اتركهُ لمن بعدي

ابو تمّام :

فلو رُفِعت بناتُ الدهرِ عنهُ وأُلقي من مناكبهِ الدثارُ

١) دعاهُ في الف باء « الدستوانيّ »
٢) ويروى : ولبست
٣) ويروى : ثياب الصالحين ثباتا
٤) ويروى : من الصديق
٥) ويروى : دولة الناس

لعلّ قِسْمَةَ الأيّام فينا ولكن دهرنا هذا حمارُ

ولغيره :

ذهب المُفضِلون والسَّلَف المو فُونَ بالعهد منهم والعقودْ
ثُمَّ خُلِّفتُ في حياة من النا سِ أُقاسيهم ودهرٍ شديدْ
فيه ساء المِلْباجَةُ الحُوْلُ القُلَّسُ والسيّد استوى والمَسُودْ
فلو انَّ الامورَ كانت تُفادَى فدينا المفقودَ بالمَوْجودْ

أنشدنا لعليّ بن العبّاس الرومي :

ذهب الذين تَعِزُّهم مُدَّاحهم هَزَّ الكُماةِ أعِنَّةَ الفرسانِ
كانوا اذا مُدِحوا رَأَوا ما فيهم فالارمِيَّةُ منهمُ بمكانِ
والمدحُ يَقدَحُ قلبَ من هو اهلهُ قَدْحَ المَواعظِ قلبَ ذي ايمانِ
(47a) فدَعِ اللئامَ فما ثَوابُ مديحهم الّا ثواب عبادةِ الاوثانِ
كم قائلٍ لي منهمُ ومدحتهم بمدائحٍ مثل الرياض حسانِ
احسنتَ وَيْحَكَ ليس فيَّ وانّما استحسنُ الحَسَناتِ في ميزاني

وانشدني ابو هفّانَ :

لا تَعجَبُوا أن تَرَوْني بين أظهُرِكم امشي ويركَبُ قومٌ ما هُمُ احدا
لَئِنْ عَلا السّادَةَ الاحرارَ سِفْلَتُها انَّ الثُّماءَ لَيَعلُو الماءَ والزَّبَدا

قال ولقيَهُ اسمعيل بن بُلبل يوماً وهو راجلٌ فقال لهُ : مالي اراك راجلاً . فقال :

أرجَلَني قِلَّةُ الكِرامِ وكَثْرةُ المالِ في اللئامِ
وليس هذا عليَّ وحدي هذا شقاءٌ على الأنامِ

وسألتني اعزّك الله ان اجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شرار الاخولن ومحمود خصاله في السرّ والإعلان فقد جمعتُ ما فيه كفاية ولستُ اشكُّ انك اعزّك الله عارفٌ بخبر عبد الله (47b) ابن هلالٍ الكوفي في المخدوم صاحب الخاتم وخبر جاره وما سألهُ من الكتاب الى ابليس لعنهُ الله في حاجةٍ لهُ وان كان العقلُ يدفع هذا الخبر فهو مثلٌ حسنٌ يُعرف مثلهُ في سائر الناس . فكتب لهُ الكتاب واكّد لهُ غاية التأكيد ومضى وأوصل الكتاب الى ابليس فقرأهُ ووضعهُ على عينيه وقال : السمع والطاعة لابي محمّد فما حاجتك . قال : لي جارٌ مُكرم لي شديد الميل اليّ يُشفق عليَّ وعلى اولادي ان كانت لي حاجة قضاها وان احتجتُ الى قرضٍ اقرضني واسعفني وان غبت خلفني في اهلي وولدي يُبَرّهم بكل ما يجد اليه السبيل . وابليس كل ما يسمع منه يقول : هذا حسنٌ وهذا

جميلٌ . فلما فرغ من وصفهِ قال : فما تحبُّ ان افعل بهِ . قال : أُريد ان تزيل نعمتـهُ وتفقرهُ فقد غاظني امرهُ وكثرة مالهِ وبقاؤهُ وطولُ سلامتـهِ . قال : فصرخ ابليس صرخةً لم يُسمع منهُ مثلها قط . فاجتمع عفاريتهُ وجندهُ وقالوا لهُ : ما الخبر يا سيدهم ومولاهم . فقال لهم : هل تعلمون انَّ الله عزَّ وجلَّ خلق خلقًا هو شرٌّ مني . قالوا : لا (48r) . قال : فانظروا الى هذا القائم بين يديَّ فهو شرٌّ مني

ولو فتشتَ في دهرنا هـذا لوجدتَ مثل صاحب الكتاب كثيرًا ممَّن تعاشرهُ اذا لقيك رحَّب بك واذ رغبت عنهُ أسرف في الغيبة وتاقَّـاك بوجه المحبَّة ويُضمر الغشَّ والمسبَّة وقد علمت ما جاء في الغيبة فان النبيَّ (صلَّى الله عليهِ وآله وسلم) قال : من كان لهُ وجهان في الناس كان لهُ يوم القيامة لسانان من نار . وقال صلعم : اياكم والغيبة فانها شرٌّ من الزنى انَّ الرجل يزني ويتوب فيتوب الله عزَّ وجلَّ عليهِ وصاحب الغيبة لا يُغفر لهُ حتى يغفرها لهُ صاحبها . ورُوي عن بشر بن الحرث قال : قال الفُضيل بن عياض : لا يكون الرَّجل من المتَّقين حتى يأمنهُ عدوُّهُ . ثم قال الفضيل : هيهات ذهب اولئك وكيف يأمنهُ عدوُّهُ وهو يخافهُ صديقهُ . وقال بعضهم : ذهب زمن الأُنس ومن كان يُفاوض فـاحتفظ من صديقك كما تحتفظ من عدوِّك وقدِّم الحزمَ في كل الامور واياك ان تُنبِّهَهُ فيجاهر بهِ في وقت الشرِّ (48r) انشدني زيدُ بن عليٍّ :

احذرْ مودَّةَ ماذقٍ خالط المرارةَ بالحلاوَهْ
يعصي الذنوب عليك م ايامَ الصداقة للعداوَهْ

وقيل لبعض الحكماء : وايُّ الناس احقُّ أن يُتَّقى . قال : عدوٌّ قويٌّ وساطـان غشومٌ وصديقٌ مخادع . وانشد لدعبل بن عليٍّ الخزاعيِّ :

عدوٌّ راحَ في ثوبِ الصديق شريكٌ في الصَّبوح وفي الغبوق
لهُ وجهان ظاهرُهُ ابن عمٍّ وباطنـهُ ابن زانيةٍ عتيق
يسرُّكَ مقبـلًا ويسوءُكَ غيبًا كذاك يكونُ اولادُ الطريق

وقال كُثيِّر عزَّةَ :

انتَ في معشرٍ اذا غِبتَ عنهم جعلوا كلَّ ما يزينُك شَيْنا
فاذا ما رأوكَ قالوا جميعًا انت من اكرم الرجال علينـا

انشد ابن طاهر الكاتبُ :

حالَ عمَّا عهدتَ ريبُ الزمانِ واستحالت مودَّةُ الإخوانِ

واستوى الناس في الحديث والمنكر م فكلٌّ لسانهُ إثنان (49')

واعلم اعزّك الله انّ الكلب لمن يقتنيه اشفق من الوالد على ولده والاخ الشفيق على اخيهِ وذلك انهُ يحرسُ ربَّهُ ويحمي حريمهُ شاهدًا وغائبًا ونائمًا ويقظان لا يقصّر عن ذلك ولن جفوهُ ولا يخذلهم وان خذلوهُ

وروي انَّ رجلًا قال لبعض الحكماء : اوصني . فقال : ازهد في الدنيا ولا تُنازع فيها اهلها وانصح لله عزَّ وجلَّ كنُصح الكلب لاهلهِ فانّهم يُجيعونهُ ويضربونهُ ويأبى الّا ان يحوطهم نصحًا . وروى عمرو بن شعيب عن ابيهِ عن جدّهِ قال : رأى رسول الله صلعم رجلًا قتيلًا فقال : ما شأن هذا الرجل قتيلًا . قالوا : يارسول الله وثب على غنم بني زُهرة فاخذ شاةً فوثب عليهِ كلب الماشية فقتلهُ . فقال صلعم : قتل نفسهُ واضاع دينهُ وعصى ربَّهُ جلَّ وعزَّ وخان اخاهُ وكان الكلب خيرًا منهُ فعلًا أيعجزُ احدكم ان يحفظ اخاهُ المسلم في نفسهِ واهلهِ كحفظ هذا الكلب ماشية اربابهِ

ورأى عمر بن الخطّاب رضَ اعرابيًا يسوق كلبًا . فقال : ما هذا معك . فقال : يا امير المؤمنين هو (49') الصاحب ان اعطيتهُ شكر وان منعتهُ صبر . قال عمر : نعم الصاحب فاستمسكْ بهِ . ورأى ابن عُمر مع اعرابي كلبًا فقال لهُ : ما هذا معك . قال : مَن يشكرني ويكتم سرّي . قال : فاحتفظ بصاحبك . قال الاحنف بن قيس : اذا بصبص الكلب بك فانظر الى بصبصتهِ ولا تثق ببصابص الناس فربَّ مُبصبص خوّان . قال الشعبيّ : خيرُ خصلةٍ في الكلب انّهُ لا ينافق في محبّتهِ . قال ابن عبّاس رضَ : كلبٌ امين خير من انسانٍ خوّون

حدّثنا القسم بن محمّد الرّصديّ قال : حدّثنا مُحرز بن عون عن رجل عن جعفر بن سليمن قال : رأيتُ مالك بن دينار ومعهُ كلبٌ فقلت : ما هذا . قال : هذا خيرٌ من جليس السوء

قال ابو عمر بن حَيّويه : حدّثنا ابو القسم ابن بنت منيع قال : حدّثنا محرز بن عون بهذا الحديث حدّثني ابن ابي طاهر قال : حدّثني حمّاد بن اسحاق بن ابراهيم الموصليّ قال : قال ابي : اتيت يومًا الفضل بن يحيى فصادفتهُ يشرب وبين يديهِ كلب فقلتُ لهُ : أتنادم كلبًا . قال : نعم يمنعني اذاهُ ويكفّ (50') عنّي اذى سواهُ يشكر قليلي ويحرس مَبيتي ومقيلي . انشدني الحسن بن عبد الوهّاب لرجلٍ يذمُّ صديقًا له ويمدحُ كلبًا :

تخيّرتَ من الأخلا ق ما يُنفى من الكلبِ
فانّ الكلبَ محمول على النصرةِ والذبِّ
وفيٌّ يحفظُ العهد ويحمي عرصةَ الدّربِ
ويعطيك على اللينِ ولا يُعطي على الضربِ
ويشفيك من الغيظِ ويُنجيك من الكربِ
فلو اشبهتَهُ لم تكُ م كانوناً على القلبِ

وذكر بعض الرواة قال: كان للربيع بن بدر كلبٌ قد ربّاهُ فلما مات الربيع ودُفن جعل الكلب يتضرّب على قبرهِ حتى مات. وكان لعامر بن عنبرة كلاب صيد وماشية كان يحسن صحبتها فلما مات عامر لزمت الكلاب قبرهُ حتى ماتت عندهُ وتفرّق عنهُ الاهلُ والاقارب

ورُوي لنا عن شريكٍ قال: كان للأعمش كلبٌ يتبعهُ في الطريق اذا مشى حتى يرجع فقيل لهُ في ذلك فقال: رأيت صبياناً يضربونهُ (50ᵃ) ففرقتُ بينهم وبينهُ فعرف ذلك لي فشكرهُ فاذا رآني يصيص لي وتتبّعني. ولو عاش ايدك الله الاعمش الى عصرنا ووقتنا هذا حتى يرى اهل زماننا هذا وسمع خبر ابي سماعة المَيطي ونظائره لازداد في كلبهِ رغبةً ولهُ محبّة. قال: هجا ابو سماعة المميطي خالد بن برمك وكان اليهِ محسناً فلما وُلي يحيى الوزارة دخل اليهِ ابو سماعة فيمن دخل من المهنئين فقال لهُ: انشدني الابيات التي قلتها. قال: ما هي. قال: قولك:

زورتُ يحيى وخالداً مُخلصاً فه م ديني فاستصغرا بعض شاني
فلو انّي جحدتُ في الله يوماً ولو أني عبدتُ ما يَعبُدانِ
ما استحقّا في ما اظنُّ ساني ولأصبحت منهما بمكانِ
انّ شكلي وشكل من جحد الله م وآياتهِ لمختلفانِ

قال ابو سماعة: ما اعرف هذا الشعر ولا من قالهُ. قال لهُ يحيى: ما تملك صدقةً ان كنت تعرف من قالها؟ فحلف. فقال يحيى: وامرأتك طالق؟ فحلفَ. فاقبل يحيى على الغساني ومنصور بن زياد والاشعثي ومحمّد بن محمّد المهدي وكانوا حضوراً (51ᵃ) للمجلس فقال: ما أحسبنا الّا وقد احتجنا ان نجدّد لابي سماعة منزلاً وآلةً وخرثيّاً ومتاعاً يا غلام ادفع اليهِ عشرة الاف درهم وتختاً فيهِ عشرة اثواب. فدفع اليهِ فلما خرج تلقّاهُ اصحابهُ يهنّونهُ ويسألونهُ عن امرهِ فقال: ما عسيتُ لن اقول الّا انّ ابن الفاعلة أبى الّا كرماً. فبلغت يحيى كلمتهُ من ساعتهِ فامر بردّهِ فحضر فقال لهُ: يا أبا سماعة لم تعرف مَن

عجبا وألم تعرف مَن شتمنا ؟ قال لهُ ابو سماعة : ما عرفتهُ ايها الوزير حسدت وكُذبَ عليَّ . فنظر اليهِ يحيى مليًّا ثم انشأ يقول :

اذا المرء لم يخدش بظُفر ولم يوجد لهُ إنْ عضَّ نابُ
رجا فيهِ الضيرة من بغاها وذلَّت من قرابتهِ الصعابُ

قال ابو سماعة : كلَّا ايها الوزيرُ ولكنهُ كما قال :

لن يبلُغَ المجدَ اقوامٌ وان شرفوا حتى يذلُّوا وان عزُّوا لأقوامِ
وشُتِّموا فترى الألوان مُسفرةً لا صفحَ ذُلٍّ ولكن صفحَ أحلامِ (51a)

فتبسَّم يحيى وقال : قد عذرناك وعلمنا انك لن تدعَ مساوئَ شيمك ولؤم طبعك فلا أعدمك الله ما جبلك عليهِ من مذموم أخلاقك . ثم تمثَّلَ :

متى لم تقبَّح اخلاقُ قومٍ يضيقُ بجمعِ القبيحِ من البلادِ
اذا ما المرء لم يوجَد لبيبًا فليس اللبُّ عن قِدَمِ الولادِ

ثم قال : هو والله كما قال عمر بن الخطَّاب رضَ : المؤمن لا يشفي غيظهُ . ثم انَّ ابا سماعة هجا بعد ذلك سليمن بن ابي جعفرٍ وكان اليهِ محسنًا فامر بهِ الرشيد فحُلق راسهُ ولحيتهُ . ومثلُ ابي سماعة كثيرٌ كرهنا ان يطول الكتاب بذكرهِ . وروي عن بعضهم انهُ قال : ان ليس في هذا الزمان سوى خنازير فان وجدتم كلبًا فتمسَّكوا بهِ فانهُ خير من ناس هذا الزمان قال الشاعر :

اشدد يديك بكلبٍ ان ظفرتَ بهِ فاكثرُ الناسِ قد صاروا خنازيرا

انشدني ابو العبَّاس الازديّ (52a) :

كلبُ الناسِ ان فكَّرتَ فيهم اضرُّ عليك من كلبِ الكلابِ
لانَّ الكلبَ تمسؤه فيخشا وكلبُ الناسِ يربضُ للمتابِ
وانَّ الكلبَ لا يؤذي جليسًا وانت الدهرَ من ذا في عذابِ

حدَّثنا احمد ابن منصور عن ابيهِ عن الاصمعيّ قال : حضرت بعض الاعراب الوفاة وكلبٌ في جانب خيمتهِ فقال لاكبر ولدهِ :

اوصيكَ خيرًا بهِ لانَّ لهُ صنائعًا لا ازال احمدُها
يدلُّ ضيفي عليَّ في غسق الليل م اذا النارُ نام موقدها

اخبرني ابو الفضل احمد بن ابي طاهر قال : اخبرني بعض الادباء قال : كان لابراهيم ابن هرمة كلاب اذا ابصرت الاضياف بثَّت بهم ولم تنبح وبصبصت بأذنابها بين ايديهم فقال يمدحها :

ويدلُّ ضيفي في الظلام اذا سرى ايقادُ ناري او نباحُ كلابي
حتى اذا واجهتُهُ وعرفتُهُ فديتُهُ ببصابص الاذناب
وجعلن مما قد عرفنَ يُفيدنهُ ويكدنَ ان ينطقن بالترحاب

قال الاصمعي: وسمعتُ بعض الملوك وهو يركض خلف كلب وقد دنا من ظبي وهو يقول من الفرح: ايه فدتك نفسي. قال ابو نوّاس (52ᵛ):

مُقذيات ومحيّاها مسيّات ومعلّماتا

ولهُ ايضاً:

أنعتُ كلباً اهلهُ في مَكْدِهِ قد سعدت جدودهم بجدهِ
وكل خيرٍ عندهم من عندهِ يظلُّ مولاهُ لهُ كعبدهِ
ببيت ادنى صاحبٍ من مهدهِ وان غدا جلّلهُ ببُردهِ
ذا غُرّةٍ مُحجّلاً بزندهِ يلذُّ منهُ البينَ حُسنُ قدّهِ
يا حُسنَ شدقيهِ وطول خدّهِ يلقى الظباء عنتاً من طردهِ
يا لك من كلبٍ نسيج وحدهِ

ولهُ في هذا المعنى اشياء حسان ومعانٍ مختارة. ومما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على ألسنة الناس بالخير وبالشرّ والحمد والذم حتى قد ذُكر في القرآن وفي الحديث وفي الاشعار والامثال حتى استُعمل على طريق الفأل والطيرة والاشتقاقات للاسماء. فمن ذلك كلبُ بن ربيعة وكلاب بن ربيعة ومكلب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة بن نزار وكُليب بن يربوع ومثل هذا كثير

والكلب أيدك الله منافعهُ كثيرة فاضلة (53ᵛ) على مضارّهِ بل هي غامرة لها وغالبة عليها ولم تزل القضاة الفقهاء والعبّاد والولاة والنسّاك الذي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها وهم على ذلك يشاهدونها في دور الملوك فلو علموا انّ ذلك نكرةٌ لتكلّموا ونهوا عن اتخاذها بل عندهم اذا قتلوا الكلب كان لهُ عقوبة وان من كان امر بقتلها في قديم من الدهر انما كان لمعنًى ولعلّةٍ وان هذه الكلاب بمعزلٍ عن تلك. قال عمر بن الخطّاب رضَ: من لا يعرف الامور يقول انّ الكلب من السباع ولو كان ذلك ما ألف الناس واستوحش من السبع وكره الغياض وألف الدور واستوحش من البراري وجانب القفار والف المجالس والدور. وكيف يكون ذلك وهو لا يرضى بالنوم والربوض على الارض وهو لا يرى باطاً ولا يرى وساداً الّا علاهما وجلس عليهما

رابضاً ولا تراهُ وهو يجد كل موضع جليل نظيف ويجد سبيلاً اليهِ فيتخيّر عنهُ. وتراهُ يتخيّر ابدًا ارفع المواضع في المجلس وما يصونهُ صاحبهُ. (قال) والكلب (53ᵛ) يعرف صاحبهُ وهو والسنّور يعرفان اسماءهما ويعرفان منازلهما ويألفان مواطنهما اذا طُردا رجعا وان أُجيعا صبرا وان أُهينا احتملا. وللكلب ايضاً من الفضائل اثباتهُ وجه صاحبهِ ونظرهُ في عينيهِ وفي وجهه وحبُّهُ لهُ ودنوُّهُ منهُ حتى ربما لاعبهُ ولاعب صبيانهُ بالعضّ الذي لا يؤلم ولا يؤثر وانهُ تلك الانياب التي لو انشبها في الشجرة لأَبرت. قال بعض الشعراء :

ايها الشانئ الكلاب أصغ لي ... منك سمعاً ولا تكونن جبانا
انّ في الكلب فاعلمنّ خصالاً ... من شريف الخصال يُعددنَ حسانا
حفظُ من كان محسناً ووفاءً ... للذي تتخذهُ حرباً وحرسا
واتباعٌ لرحلهِ واذا ما ... صار نُطق الشجاع للخوف همسا
فهو عونٌ لناجحٍ من بعيدٍ ... مستجيرٍ بقربهِ حين أمسى

قال ابو بكر: انّ الرجل في البادية اذا ضلّ الطريقَ وهالهُ الليل تبحَ نُباح الكلاب لتتبع كلاب الحي فيتبع اصواتها حتى يصير الى الحي. قال آخر :

انّ قوماً رأوك شبهاً لكلبٍ ... لا رأوا للظلام صبحاً مضيأ
(54ᵛ) انت لا تحفظ الذمام لخلٍّ ... وهو يرعى الذمام رعياً وفيأ
يشكر التمر من كريم فعالي ... آخرَ الدهر لا تراهُ نسيأ
ويناديهِ حسناً من بعيدٍ ... ويرى منهُ طائعاً مستحيأ
انّ سؤلي وبغيتي ومنائي ... ان اراك الغداة كلباً سويأ

انشد ابو عبيدة لبعض الشعراء :

يُعرّج عنهُ جزرهُ وشقيقهُ ... ويثبتُ عنهُ كلبهُ وهو ضاربهُ

قال ابو عبيدة: قيل هذا الشعر في رجل من اهل البصرة خرج الى الجبّان ينظر ركابهُ فتبعهُ كلب لهُ فضربهُ وطردهُ وكره ان يتبعهُ فرماه بحجر فادماهُ فابى الكلب الّا ان يتبعهُ. فلمّا صار الى الموضع وثب به قوم كانت لهُ عندهم طائلة وكان معهُ جارٌ لهُ واخٌ فهربا عنهُ وتركاهُ واسلماه فجُرح جراحات كثيرة ورمياه في بئر وحُثي عليهِ التراب حتى واروهُ ولم يشكّوا في قلوبهم انهُ قد مات والكلب مع هذا يمرّ عليهم وهم يرجمونهُ. فلما انصرفوا اتى الكلب الى رأس البئر فلم يزل يعوي (54ᵛ) ويبحث في

التراب بمخالبه حتى ظهر راسهُ وفيه نفس يتردّد وقد كان اشرف على التلف ولم يبق فيه الا حشاشة نفسه ووصل اليه. فبينما هو كذلك اذ مرّ أناس فانكروا مكان الكلب ورأوه كانهُ يحفر قبرًا فجاؤوا واذا هم بالرجل على تلك الحال فاستخرجوهُ حيًا وحملوه الى اهله. فزعم ابو عبيدة انّ ذلك الموضع يُدعى بئر الكلب وهذا الامر يدلّ على وفاء طبيعي وإلف غريزي ومحاماة شديدة وعلى معرفة وصبر وكرم وغناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع

وحدّثني عبيد الله بن محمّد الكاتب. قال: حدّثني ابو محمّد بن خلّاد. قال: مرّ رجل على بعض السلاطين وكان معهُ عامل ارمينية منصرفًا الى منزله فمرّ في طريقه بمقبرة واذا قبرٌ عليه قبّة مبنيّة مكتوب عليها: هذا قبر الكلب فمن احبّ ان يعلم خبرهُ فليمض الى قرية كذا وكذا فانّ فيها من يخبره. فسأل الرجل عن القرية فدلّوهُ عليها فقصدها وسأل اهلها فدلّوهُ على شيخ فبعث اليه واحضرهُ واذا شيخ قد جاز المئة سنة (55ᵃ) فسألهُ فقال: نعم كان في الناحية ملك عظيم الشان وكان مشتهرًا بالنزهة والصيد والسفر وكان لهُ كلب قد ربّاهُ وسمّاهُ باسم لا يفارقهُ حيث كان. فاذا كان في وقت غدائه وعشائه اطعمهُ ممّا ياكل فخرج يومًا الى بعض متنزّهاته وقال لبعض غلمانه: قل للطبّاخ يطبخ لنا ثردة لبن فقد اشتهيتُها فأصلحوها. فمضى الى مُتنزّهه فوجّه الطبّاخ فجاء بلبن وصنع لهُ ثردة عظيمة ونسي ان يغطيها بشيء واشتغل بطبيخ اشياء أُخر فخرج من بعض شقوق الحيطان افعى فكرع في ذلك اللبن ومجّ في الثردة من سمّه والكلب رابض يرى ذلك كأنّهُ ولو كان لهُ في الافعى حيلة لمنعهُ ولكن لا حيلة للكلب في الافعى. وكان عند الملك جارية خرساء زمنة قد رأت ما صنع الافعى. وارتفى الملك من الصيد في آخر النهار فقال: يا غلمان اوّل ما تقدّمون لي الثردة. فلمّا وُضعت بين يديه اومأت الخرساء اليه فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليه ولجّ في الصياح فلم يعلم مُراده. ثمّ رمى اليه بما كان يُرمى اليه في كل (55ᵇ) يوم فلم يقربهُ ولجّ في الصياح فقال للغلمان: نحّوهُ عنّا فانّ لهُ قصّة. ومدّ يدهُ الى اللبن. فلما رآهُ الكلب يريد ان ياكل طفر الى وسط المائدة وادخل فمهُ في النضارة وكرع من اللبن فسقط ميتًا وتناثر لحمهُ وبقي الملك متعجبًا منهُ ومن فعله فاومأت الخرساء اليهم فعرفوا مرادها بما صنع الكلب. فقال الملك لندمائه وحاشيته: انّ شيئًا فداني بنفسه لحقيقٌ بالمكافأة وما

يحملهُ ويدفنهُ غيري. ودفنهُ بين ابيهِ وامهِ وبنى عليهِ قبَّة وكتب عليها مـا قرأتَ فهذا ما كان من خبرهِ

اخبرني ابو العلاء بن يوسف القاضي قال: حدَّثني شيخ كان مسنًّا صدوقًا انهُ حجَّ سنةً من السنين (قال) برَّزنا احمالنا الى الياسرية وجلسنا على قداحٍ نتغدَّى وكلب رابض حذاءنا فرمينا اليهِ من بعض ما نأكل. ثم انَّا ارتحلنا ونزلنا بنهر الملك فلما قدَّمنا السُّفرة اذا الكلب بعينهِ رابض كاليوم الاوَّل فقلتُ للغلمان: قد تبعنا هـذا الكلب وقد وجب حقُّهُ علينا فتعاهدوهُ. فنفض الغلمان السفرة بين يديهِ فاكل (56ᵃ) ولم يزل تابعًا لنا من منزل الى منزل على تلك الحال لا يقدر احد ان يقترب من جمالنا ولا محاملنـا الَّا صاح ونبح فكنَّا قد أمِنَّا من سُلَّالٍ وغيرهِ الى مكَّة. وعزمنا على الخروج في عمل الى اليمن فكان معنا الى ارض قباء ورجعنا الى مدينة السلام وهو معنا

ذكر ابو عبد الله عن ابي عبيدة النحوي وابي اليقظان سحيم بن حفص وابي الحسن علي بن محمَّد المدائني عن محمَّد بن حفص بن سَلَمة بن محارب وقد حدَّثنا بهذا الحديث ابو بكر عبد الله بن محمَّد بن ابي الدنيا باسنادٍ ذكره وهو حديث مشهور انَّ الطاعون الجارف أتى على اهل دارٍ فلم يشكَّ احدٌ من اهل المحلَّة انهُ لم يبق فيها صغير ولا كبير. وقد كان بقي في الدار صبي يرضع يحبو ولا يقوم فصمد من بقي من اهل تلك المحلَّة الى باب الدار فسدُّوهُ. فلما كان بعد ذلك باشهرٍ تحوَّل اليهـا بعض ورثة القوم ففتح الباب فلما افضى الى عرصة الدار اذا هو بصبيٍّ يلعب مع بُرَّيَ كلبةٍ كانت لاصحاب الدار فلما رآها الصبي حبا اليها فامكنتهُ من لبنها فعلموا ان الصبي بقي في الدار وصار منسيًّا واشتدَّ جوعهُ ورأى (56ᵇ) جراء الكلبة ترضع فعطف عليهـا. فامَّا سقتهُ مرَّةً ادامت لهُ وادام هو الطلب

اخبرني علي بن محمَّد قال حدَّثني محمَّد بن حسين الشدَّاد قال: ولَّاني القسمُ خلافةَ احمد بن ميمون بشابَرْزان فقصدت عليَّ بن احمـد الراسبي الى دور الراسبي فنزلت في بعض منازلها فوجدت في جواري جنديًّا من اصحابهِ يُعرف بنسيم كان برسم لطيف غلامهِ واذا كلبٌ يخرج بخروجهِ ويدخل بدخولهِ واذ جلس على باب قرَّبهُ وغطَّاهُ بدوَّاج كان عليهِ فسألتُ الراسبيَّ عن محل الغلام وكيف يقنعُ الامير منهُ بدخول الكلب عليهِ ويرضى منهُ بذلك وليس بكلب صيد زنيٍّ. قال الوليد: سَلهُ عن حديثهِ فانهُ يخبرك بشأنهُ

فاحضرتُ الغلام فسألتهُ عن السبب الذي استحقّ هذه المنزلة منهُ فقال: هذا خلصني بعد الله عزّ وجل من امر عظيم . فاستبشعتُ هذا القول وانكرتهُ عليهِ فقال لي : اسمع حديثهُ فانك تعذرني. كان يصحبني رجلٌ من اهل البصرة يُقال لهُ محمد بن بكر لا يفارقني ويؤاكلني ويباشرني على النبيذ وغيرهِ منذ سنين فخرجنا نقاتل (57r) أهل الديبور فلمّا رجعنا وقربنا من منزلنا كان في وسطي هِميان فيهِ جملة دنانير ومعي متاع كثير أفدتهُ من الغنيمة قد وقف عليهِ باسرهِ فنزلنا في موضع فاكلنا وشربنا. فلمّا عمل الشراب فيّ عمد اليّ فشدّ يديّ الى رجليّ واوثقني كتافاً ورمى بي في وادٍ واخذ كل ما كان معي وتركني ومضى وأيستُ من الحياة وقعد هذا الكلب معي . ثم تركني ومضى فما كان باسرع من أن وافاني ومعهُ رغيف فطرحهُ بين يديّ فاكلتهُ ولم ازل احبو الى موضع فيهِ فشربت ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي يعرّي الى ان اصبحتُ فحملتني عيني وفقدت الكلب فما كان اسرع من ان وافاني ومعهُ رغيف اكلتهُ وفعلتُ فعلي في اليوم الاوّل. فلما كان في اليوم الثالث غاب عني فقلت: مضى يجيئني بالرغيف فلم ألبث ان جاء ومعهُ الرغيف فرمى بهِ اليّ فلم استتمّ اكلهُ الّا وابني على راسي يبكي وقال: ما تصنع هاهنا وايش قصّتك. ونزل فحلّ كتافي واخرجني فقلت لهُ: من اين علمت بمكاني ومن دلّك عليّ. قال: كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح لهُ رغيف على رسمهِ (57v) فلا ياكلهُ وقد كان معك فانكرنا رجوعهُ وليس انت معهُ فكان يحمل الرغيف في فيهِ ولا يذوقهُ ويخرج يعدو فأنكرنا امرهُ فاتبعتهُ حتى وقفت عليك . فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب. فهو عندي اعظم مقداراً من الاهل والقرابة. قال: ورأيت أثر الكتاف في يديهِ قد اثّر اثراً قبيحاً

وحدّثني ابو عبد الله قال حدّثني ابو الحسن محمد بن الحسين بن شدّاد قال: قصدت دير مخارق الى عبد الله بن الطبريّ النصراني الذي كان يتقلّد النزل للمعتضد بالله فسألتهُ احضاري وكيلاً لهُ يقال لهُ ابراهيم بن داران وطالبتهُ وبإحضار الادلّاء لمساحة قريةٍ تُعرف بباصري السُّفلى . فقال لي: يا سيّدي قد وجّهت في ذلك . فقلتُ لهُ : انا على الطريق جالس وما اجتاز بي احدٌ فقال لي : اما رأيت الكلب الذي كان بين ايدينا قد وجّهتُ بهِ. فتلظ ذلك عليّ من قولهِ وامرتُ بهِ ونلتهُ بما انا استغفر الله جلّ وعزّ منهُ فقال: ان لم يحضر القوم الساعة فانت من دمي في حلّ. فما مكث بعد هذا القول

الا ساعة حتى وافى القوم مقبلين والكلب معهم. فسألتهُ كيف يحتملهُ الرسالة (58a). فقال: اشدُّ في عنقهِ رقعة بما احتاج اليهِ واطرحهُ على الحجَّة فيقصد القوم وقد عرفوا الخبر فيقرأون الرقعة فيمتثلون ما فيها

وحدَّثني لصٌّ تائبٌ قال: دخلتُ مدينةً (قد ذكرها لي) فجعلتُ اطلب شيئاً اسرقهُ فلم أُصب. فوقعت عيني على صيرفيٍّ موسر فما زلت احتال حتى سرقت كيساً لهُ وانسللتُ فما جزت غير بعيد واذا بعجوز معها كلب قد وقعتْ في صدري تبوسني وتلزمني وتقول: يا بُنيَّ فديتُك والكلب يُصبص بي ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون الينا وجعلت المرأة تقول: بالله انظروا الى الكلب كيف قد عرفهُ. فعجب الناس من ذلك وتشكَّكت انا في نفسي وقلتُ: لعلَّها ارضعتني وانا لا اعرفها وقالت: (هلمَّ) معي الى البيت أقم عندي. فلم تفارقني حتى مضيت معها الى بيتها واذا عندها جماعة احداث يشربون وبين ايديهم من جميع الفواكه والرياحين فرحبوا بي وقرَّبوني واجلسوني معهم ورأيت لهم بزَّة حسنة وضعتُ عيني عليها. فجعلت اسقيهم ويشربون وارفق بنفسي الى ان ناموا ونام كل من في (58b) الدار فقمتُ وكوَّرت ما عندهم وذهبت اخرج فوثب عليَّ الكلب وثبة الاسد وصاح وجعل يتراجع وينبح الى ان أنبهَ كل نائم فخجلتُ واستحييت. ولما كان النهار فعلوا مثل فعلهم امس وفعلتُ ايضاً انا بهم مثل ذلك وجعلت اوقع الحيلة في امر الكلب الى الليل فما امكنتني فيهِ حيلة. فلما ناموا رُمت الذي رمتهُ فاذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني بهِ. فجعلتُ احتال ثلاث ليالي. فلما أيستُ طلبت الخلاص منهم باذنهم وقلتُ: اتأذنون اعزَّكم الله فاني على وفاء. فقالوا: الامر الى العجوز. فاستأذنت فقالت: هاتِ ما معك الذي اخذتهُ من الصيرفي وامضِ حيث شئت ولا تُقم في هذه المدينة فانهُ لا يتهيأ لاحد يعمل فيها لاحد معي عملاً. فاخذت الكيس واخرجتني ووجدت انا ايضاً مُباي لن أسلم من يدها فكان قُصاراي ان اطلب منها نفقةً فدفعت اليَّ وخرجت معي حتى اخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفتْ ومضيتُ والكلب يتبعني حتى بعدت. ثم تراجع ينظر اليَّ ويلتفت (59a) اليَّ وانا انظر اليهِ حتى غاب عني

اخبرني بعض الفيوج من اهل الجبل قال: كنت انا مع جماعة خارجين الى أصبهان فلما صرنا الى بعض الطريق مررنا بخان خراب ليس فيهِ احد واذا صوت كلب ينبح واذا

حركة شديدة فدخلنا بأجمعنا الخان فاذا بصاحب نعرفهُ من الفيوج كان معهُ كلب لا يفارقهُ حيث كان. واذا بعض المبنّجين قد وقع عليهِ وكان الفيج فطناً فلمّا رأى المبنّج ان حيلتهُ ليس تنفذ لهُ عليهِ طرح في حلقهِ وتراً ليخنقه بهِ. فلما رأى الكلب ذلك صار الى المبنّج فخمش وجهه وعضّ قفاهُ وطرح منهُ قطعة لحم فسقط المبنّج مغشيًا عليهِ فخلصنا من خلق صاحبنا الوتر وكان قد إشرف على التلف وقبضنا على المبنّج وكتفناهُ بوترهِ ودفعناهُ الى السلطان

وحدّثني ابراهيم بن برقان قال كان في جوارنا رجلٌ من اهل اصبهان يُعرف بالخصيب ومعه كلب له جاء بهِ من الجبل فوقع بينه وبين جارهِ الخصومة الى ان تواثبا. فلمّا رأى الكلب صاحبه قد وثب عليهِ طفر الى (59v) الرجل الذي قد واثب صاحبه فوضع مخالبهُ في أخدعيه وعضّ قفاهُ حتى رأيت الرجل قد غشي عليهِ ودماؤهُ تجري على الارض

قال بعض من يذمّ الكلاب: الناس ينامون الليل الذي جعلهُ الله عزّ وجلّ تعالى سكنًا ويتصرّفون في النهار الذي جعلهُ الله عزّ وجلّ مسرحًا وهم (يريد هي اي الكلاب) على ضد ذلك واحتجّ من يردّ عليهِ فقال انّ سهرها بالليل ونومها بالنهار خصلة ملوكية ولو كان غير ذلك كان الملوك بهِ أولى وانما انتباهها بالليل لأنّ فيهِ ينتشر اللصوص ويكثر فيهِ التسلّق والتقوب والسرق ثم اذا افضى الى منزل قوم مَنْ لم يرضَ الّا بالقتل وركوب السرّ ونهب المال فهي تحرس من هذه الحال وتنبه عليهِ صاحبهُ. انشدني بعض الادباء:

تاه قلبي وابن مني قلبٌ ... انْ ردّ السرور يا قومُ صعبُ
شرّدتهُ خيانةٌ من صديقٍ ... أنا مستامُ لهُ وهو حربُ
مضمرٌ للنفاق والقلبُ منهُ ... مُجلن بغضهُ وباديهِ حبُّ
قلت يومًا لهُ وارضَني منهُ ... فقالَ اني بهِ انت كلبُ (60v)
قال للسدح قلتُ ذا اسم سلبي ... قال للسلب قلت ما هو سلبُ
شيمةُ الكلب حفظهُ لوليّ ... وعن الحيّ في دجى الليل ذبُّ
يحفظ الجار للجوار ويمشي ... ساهر المقلتين يحنوهُ سغبُ
يرقد النافرون امنًا ويمسي ... خائفًا هُلْكهم بحاليهِ صبُّ
وترى الكلبَ في المهامه عونًا ... ويُجيبُ الهيفَ والنسار تخبو
وتراهُ ينابحُ القوم خوفًا ... والى الصوت في دُجى الليل يصبو
فلماذا يجنّهُ الحظُّ نال لي ... ويلما شتمهُ وما فيهِ سبُّ

انشدني بعض المدنيين يصف كلباً له بالشدّة يقال له موق:

يا موقُ لا ذُقتَ بؤس العيش يا موقُ ... ولا مُنيت بشربٍ فيهِ ترنيقُ
ذو هامةٍ كرحى بذرٍ مُلملمةٍ ... ويُرى فيهِ وللاجواف تخريقُ
صُمانُهُ قَضَبٌ ونقحهُ كَلَبٌ ... وعندهُ سغبٌ ما فيهِ ترنيقُ (60r)
العَقْر (بنيّتهُ) والموت كرّتهُ ... مجتاز ساحتهِ بالشرّ مرموقُ
والسيف والرمح ادنى منهُ بادرةً ... والنبل اهون منهُ والمزاريقُ
والترك والدَّيلم المحذور شرّهما ... والزنجُ من بعدُ والروم البطاريقُ
جماعةُ القوم ان مرّوا بساحتهِ ... فضدهُ لاجتماع القوم تفريقُ
او مرّ جيش عليهم كلهم بطلٌ ... اذا اناخت جم من خوفهم نوقُ

قلت لصديق لي: تعرف في هذا شيئاً. قال: نعم وانشدني (١ :

قال لي احمدُ واحمدُ كهلٌ ... ليس في الناس مثلهُ اثنانِ
حُسن خُلقٍ وحسن خَلقٍ وعلمٍ ... بارعٌ فانهُ يُنطق لسانِ
هو في الخلّ زينةٌ وجمالٌ ... ولدى الشرب زينةُ البستانِ
واذا المرء ضاق بالهمّ صدرًا ... فرّج الهمّ احمد المرزبانِ (61r)
يا خليلي حفظتَ في الكلب شيئاً ... قلتُ في (..) في عظم شأنِ
قال لي خذ اخي فأظهرَ فضلًا ... قد حوى في (اخي) ظريف المعاني
في مديح الكلاب مع ذمّ قومٍ ... فارانى (..) قبل البيانِ
قال اني اراهُ اوفى ذماماً ... من كثير (بل قا)تُ في الاخوانِ
وامين المنيب باقي بوجهٍ ... ولقومٍ من الورى وجهانِ
شاكرٌ للقليل غير كفورٍ ... وكفورٌ الكثير في الخُلّانِ
حارسٌ للحريم يمنع في الليل ... م عن القوم ساهر الاجفانِ
مثل ليث العرين تلقاه لمّا ... حلّ في جوف خيسهِ شبلانِ
عارفٌ بالوجه يغضُّ حياءً ... حين يلقاه للفتى عينانِ
صابرٌ نافعٌ حفوظٌ ألوفٌ ... دافعٌ مانعٌ بغير امتنانِ
لين الخُلق مِعطفٌ لحبيبٍ ... (وترى نابهُ) كحدّ السنانِ
وارى الناس غير من انت فيهم ... (–) نوا كالذئاب والثيرانِ (؟)

(فصلٌ فيمن أفسد الصديقُ حرمتهُ فاقام الكلب حرمته). اخبروا عن ابي الحسن المدائني يرفعهُ الى عمر قال: كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم شديد (الحبّ)

١) قد وقع في اصل هذه الابيات خلل وسقط منها الفاظ فدللنا عليها بقوسين

لهم فبعث احدهم (61ᵛ) الى زوجتهِ فراسلها وكان للحرث كلبٌ رباهُ فخرج الحرث في بعض منتزهاتهِ ومعهُ ندماؤهُ وتخلّف عنهُ ذلك الرجل . فلما بَعُد الحرث من منزلهِ جاء نديمهُ الى بيتهِ فاقام عند زوجتهِ يأكل ويشرب فلما سكر واراد ان يخلو بها رآهما الكلب فوثب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الى منزلهِ ونظر اليهما عرف القصّة ووقف ندماؤهُ على ذلك فانشأ يقول:

وما زال يرعى ذمّتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليلُ يخونُ
فيا عجبي للخلّ يصنك حرمتي ويا عجبي للكلب كيف يصونُ

(قال) وهجر من كان يعاشرهُ واتخذ كلبهُ نديماً وصاحباً فتحدّثت بهِ العرب وانشأ يقول :

فللكلبُ خيرٌ من خليل يخونني ويصنك عرضي بعد وقتٍ وحيلي
ساجعل كلبي ما حييتُ منادمي وامنحهُ ودّي وصفوَ خليلي

قال: وذكر ابن داب قال: كان للحسن بن مالك الفتوي إخوان (62ᵛ) وندمان وكان لهُ كلب على باب دارهِ قد ربّاه فجاء رجل يوماً الى منزل الحسن فدخل الى امرأتهِ فاكلا وشربا وحاولا فعل الشر فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما جاء الحسن وراءهما على تلك الحال تبيّن ما فعلاهُ فانشأ يقول :

اضحى خليلي بعد صفو مودّتي صريعاً بدار الذلّ أسلمهُ القدرُ
بنى حرمتي بعد الإخاء وخانني فنادرهُ كلبي وقد ضمّهُ القبرُ

قال الاصمعي: كان لمالك بن الوليد اصدقاء لا يفارقهم ولا يصبر عنهم فارسل احدهم الى زوجتهِ فاجابتهُ وجاء ليلة فاستخفى في بعض دور المالك عند امرأتهِ ومالك لا يعرف بشيءٍ من ذلك فلما اخذا بشأنهما وثب كلب لمالك عليهما فقتلهما ومالك لا يعقل من السكر. فلما افاق وقف عليهما فانشأ يقول (62ᵛ):

كلُّ كلبٍ حفظتهُ لك أرعى ما بقي لو بقي ليوم التنادي
من خليل يخونُ في النفس والمال وفي العرس بعد صفو الودادِ

وانشد منشد:

واذا قلتُ ويكَ للكلب إخسا لحظتني عيناك لحظةَ ضمّه
اترى اني حسبتُك كلباً انت عندي من ابعد الناس همّه

ذكروا ان صعصعة بن خالد كان لهُ صديق لا يفارقهُ فجاء يوماً فرآهُ قتيلًا في دارهِ مع امرأتهِ فايقن بخيانتهما فقال :

الغدرُ شيمةُ كل نذلٍ سفلةٍ والكلبُ يحفظُ عهدك الدهرَا
فدَع اللئام وكن لكلبك حافظاً فلتأمنَنَّ الغدر والمكرَا

حدَّثني بعض اصدقائي قال: خرجت ليلةً وانا سكران فقصدت بعض البساتين لامر من الامور ومعي كلبان لي كنت رَبَّيتهما ومعي عصا فحملتني عيني فاذا الكلبان ينبحان ويصيحان فانتبهتُ بصياحهما فلم ار شيئاً انكرهُ فضربتهما وطردتهما ونمت (63ᵃ) ثم عاودا الصياح والنباح فانتبهاني فوثبت اليهما وطردتهما فما حسستُ الّا وقد سقطا عليَّ يحرّكاني بايديهما وارجلهما كما يحرّك اليقظانُ النائمَ لامر هائل فوثبت فاذا انا باسود سالخ قد قرُب مني فوثبت اليهِ وقتلتهُ ثم انصرفت الى منزلي فكان الكلبان بعد الله عزَّ وجل سبب خلاصي

وروى انهُ كانت لميمونة زوجة النبي صلعم كلبٌ يقال لهُ سمار فكانت اذا حجّت خرجت بهِ معها فليس يطمع احد في القرب من رحلها مع سمار فاذا رجعت جعلتهُ في بني جديلة وانفقت عليهِ فلما مات قيل لها: مات سمار فبكت وقالت: لحقتُ بسمار ... (١)

(63ᵇ) وحدَّثني صديقٌ لي انه كان له صديق ماتت امرأته وخلّفت صبيًا وكان له كلب قد ربّاهُ فترك يوماً ولدهُ في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج وعاد بعد ساعة فرأى الكلب في الدهليز وهو ملوّث بالدم ووجهه وبزوهُ كلّه فقدَّر الرجل انه قد قتل ابنه واكله فحمل الى الكلب فقتله قبل ان يدخل الدار ثم دخل الدار فوجد الصبي نائماً في مهدهِ والى جانبهِ بقيَّة من افعى قد قتله الكلب واكل بعضه فندم الرجل على قتلهِ اشدَّ ندامة ودفن الكلب. تمَّ الكتاب ولله المنَّة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيّدنا محمّد وآلهِ وسلَّم تسليماً

نجز نسخهُ رابع عشر ذي القعدة من سنة تسع واربعين وستمائة (١٢٥١)

بلغ العراض بالاصل المنتسخ منهُ كتب الملتجئ الى حرم الله تعالى للحسن بن محمَّد بن الحسن الصغاني مدَّهُ الله باعانتهِ وانعم عليهِ قضاء لبانتهِ في ذي الحجَّة من شهور تسع واربعين وستمائة حامداً ومصلّياً

١) هنا في الاصل بداءة قصَّة لم تكمل فاضربنا عنها

الشَّمع

للشاب الاديب بولس افندي صوما الصيدلي القانوني

انَّ ما خُصَّ بهِ الشمع من الصفات الطيّبة وما يؤديهِ من الخدم للانسان في ضروب الصنائع يجعلهُ من الاجسام الجزيلة النفع الواسعة المتجر . ولذلك اردنا ان نكتب فيهِ فصلًا لنبيّن لأهل بلادنا ما يمكنهم ان ينالوا بهِ من المنافع ويرشدهم الى تنمية اجتنائهِ وتجارتهِ

﴿تعريفهُ﴾ يحدّد الكيموئيون الشمع مادّة دسمة لينة سريعة التفتُّت مختلفة الاصل مثالها موم العسل الذي يصطنعهُ النحل . والشمع يتركّب خصوصاً من عنصرين يمكن عزل الواحد عن الآخر بواسطة الكحول لانَّ احدهما يذوب بالكحول ويُدعى سيرين (cérine) يدخل فيهِ اقسام معلومة من الكربون والهيدروجين والاكسيجين والآخر لا يحلُّهُ الكحول ويدعى ميريسين (myricine) يُضاف اليهما جسمٌ ثالث بكميَّة قليلة يُدعى سيروليين (céroléine). والشمع في اصلهِ ابيض الّا انهُ يتلوَّن ببعض الالوان ويضرب خصوصاً الى الصفرة لما يدخلهُ من الموادّ الغريبة . وكذلك الشمع لا طعم لهُ الّا بما يمتزج فيهِ من الاجسام الاجنبيّة ولهُ رائحة طيّبة خاصّة بهِ ويقصرونهُ بتذويبهِ وتصفيته فترسب الاجسام الغريبة ويطفو الشمع . ثم يكرّرون العمل مرارًا الى أن يضحي الشمع خالصاً من شوائبهِ فيكون على هيئة صفائح شفّافة وشرائط رقيقة يعرضونها للهواء والنور فتبيض وتزيد نصوعاً وتصبح قاسية صلبة وتتراوح كثافتهُ بين ٠,٩٦٠ و٠,٩٧٥ . والشمع يلين في الدرجة ٣٠ ويذوب اذا بلغت حرارتهُ ٦٣° دون ان يتحلَّل ولا يذوب في الماء ويذوب في الاثير والزيوت الثابتة الطيّارة واذا أُوقد اشتعل في الهواء بنور ساطع

﴿انواعهُ﴾ قلنا ان الشمع مختلف الاصل : وهو يكون بالنسبة الى اصلهِ امَّا حيوانيًّا واما نباتيًّا واما معدنيًّا ولكل منها خواصّ

(الشمع الحيواني) هو اشهر اجناس الشموع وافضلها : وليس بين الحيوان

المصطنع للشمع احذق من النحل في صنعهِ واغزر مادّة منهُ . والنحل يتّخذهُ لتجهيز خلاياهُ المسدَّسة التي يجعل فيها عسلهُ . وهذا الشمع لا يجنيهِ كما ظنّ البعض خالصاً من النبات وانّما يستحضرهُ في امعائهِ حتى انهُ يفرز الشمع ولو حُرم النحلُ جنى الزهور واقتات بالسكّر او العسل مع الماء فقط . وشمع النحل يتركّب من ٣٠ قسماً في المئة من الميريسين ومن ٦٥ الى ٦٦ من السيرين ومن ٤ الى ٥ من السيرولين

واذا ارادوا اتخاذ الشمع عمدوا الى شهاد العسل اي اقراصهِ وكسروها كسراً ثم كبسوها كبساً شديداً فيشتارون عسلها ويلقون ما فضل في الماء المغلي فيذوب العسل ويبقى الشمع على وجه الماء . فاذا برد اذابوهُ ثانيةً دون سكب الماء فيطفو الشمع وترسب الاجسام الغريبة ثم يصبونهُ في قوالب من نحاس او خشب . وهذا الشمع يكون عادةً اصفر وهو الشمع الصرف الخالص ويقصرونهُ كما سبق

ومن الهوامّ التي تفرز ايضاً الشمع نوع من الحشرات تكثر في اميركة الشمالية عند نهري اورينوك وامازون يسمّونها انديكوس تصطنع الشمع كالنحل فيجمعهُ الهنود ويستصبحون بهِ كالشمع النحلي . وهناك ايضاً هامّة أُخرى يدعونها شاعة (ceroplastes rusci) تفرز من جسمها شمعاً يتكاثف عليها ويغطيها كلها فلهذه المادّة المفرزة خواص الشمع العادي

واشهر منها نوع اخر من الهوامّ صغير الجرم اصلهُ من الصين يسميهِ الصينيّون بيلا (Pe-la) . فهذه الدبيبات تعيش على اشجار من شكل الراوند فاذا صار شهر حزيران افرزت على جذور الشجرة لعاباً كالصوف الناعم تأوي اليهِ وهو لا يزال ينمو ويمتدّ حتى يغطيها بتمامها فاذا كان اول الخريف جمعهُ الصينيّون وصفّرهُ فيكون بعد تنقيتهِ اشبه بشحم البقر او بشحم الحيتان الكبار فيجمد ويتبلور ويتفتّت ويذوب اذا بلغ الدرجة ٨٢° من الحرارة وهم يتاجرون بهِ ويشحنونهُ في مدينتي كانتون وشانهاي

وممّا يُلحق بهذه الشموع الحيوانيّة الستيارين او الحامض الستياريك وهو شحم البقر او الغنم المتّخذ لاستحضار الشمع الشحمي . فاذا ارادوا ذلك جعلوا الشحم في الصودا فيصير كالصابون ثم يصبّون عليهِ محلولاً اذابوا فيهِ ملحاً ويحلّلون ما تحصّل من المزيج بواسطة الحامض الكلورودريك فيتطاير كلورور الصوديوم ويبقى الحامض الستياريك .

والستيارين تكون بيضاء صلبة وتذوب في درجة ٧٠ من القياس المئوي. وتكون أقسى وأصلب اذا كان الشحم من الغنم

(الشمع النباتي) يتكوّن الشمع النباتي على ظاهر اوراق بعض النباتات او داخل حُبوبها. وهذه اخصها:

الاوّل شمع بلاد لويسيانة. ففي ذلك القطر الاميركيّ شجرة تسمى شجرة الشمع (Myrica cerifera) ومنها صنف يسمونهُ (Myrica coridifolia) تتكوّن حول ثمرها مادة خضراء اللون فتكسوهُ تماماً. فاذا ارادوا جناها قطفوا الثمر وألقوهُ في الماء المغلي ثم في الكحول البارد فتطفو المادّة الدسمة وهي شفّافة ذات رائحة عطرة وطعم طيّب فذلك شمعها يصبح لونهُ اصفر ضارباً الى الخضرة ويكون قاسياً متفتتاً حتى يصير كالدقيق

والثاني شمع النخل. ينبت في بلاد بيرو من اميركا الجنوبيّة ويسمونهُ (Ceroxylon Andicola) فيسيل من هذا النخل عند منبت اوراقهِ مائع يشبه قلوس السمك ابيض ارمد اغبر اللون او مصفرّهُ. فذلك الشمع يتّخذونهُ لحاجاتهم وهو خالٍ من الرائحة والطعم يذوب اذا أُحمي الى الدرجة ٧٢°

الثالث هو الشمع البرازيلي (cire de Carnauba) يستخرج من شجرة من صنف المصطكي تنبت في داخل البرازيل يدعونها ساريفا سيريفرا (Cerypha cerifera) واوراق هذه الشجرة مجهزة على وجهيها بغُدَد تفرز شمعاً فاذا اصابتها اشعّة الشمس سالت على الاوراق وتجمدت فيجمعها اهل تلك البلاد مع اوراقها وينقونها فيطفو على وجه الماء منها شمع اصفر ضارب الى الخضرة يكون صلباً متكسراً ينحلّ في الكحول المغلي وفي الاثير ثم يُبسد فيتبلور

الرابع الشمع الياباني هو ايضاً سائل يخرج من حبوب واثمار شجر تين يابانيّتين (Rhus succedanea et Rhus vernicifera) وحبوب تلك الشجرة تكون على شبه العناقيد يجنونها في شهريّ تشرين فيعرضونها برهةً في الشمس ثم يسحقونها تحت حجارة رحيّ فيسيل منها شمع اخضر اللون يغسلونهُ ويقصرونهُ الى ان يبيض وهذا الشمع يذوب من الدرجة ٤٥ الى ٥٠ وينحلّ في الاثير والكحول المغلي

ويوجد اشجار شمعيّة غير المذكورة في كوبا وسومترا لكنّها اقلّ نفعاً من السابقة

فترى انَّ الاشجار التي يُستخرج منها الشمع كثيرة وقد جعل لها العلماء قسماً خاصاً في علم النبات يدعونهُ (myricées) اي الفصلية الشمعيَّة لان كلها تفرز نوعاً من الشمع يتَّخذونهُ للاستصباح واذا أُوقد كان نورهُ ساطعاً ورائحتهُ راضية

(الشمع المعدني) هو ما يُستخرج من بعض العناصر المعدنية التي وقفوا عليها قبل زمن طويل. فمنهُ نوع يدعونهُ اوزوكريت (Ozokérite) اكتشفهُ الجيولوجي ماير في جهات فيلادفيا قرب مناجمها الفحمية والملحية. وقد وجدوا منهُ في بعض نواحي انكلترَّة ثم وقفوا في بلاد غاليسيا من اعمال النمسة على كميَّات عظيمة منهُ وهم يستثمرونهُ اليوم ويجنون الارباح الطائلة بيعه. واما هيئة هذا الشمع المعدنيّ فانهُ جسم دسم دهنيّ المجسّ والمنظر لونهُ ارمد كمد ورائحتهُ عطريَّة. واذا استخرجوهُ من معدنهِ اذابوهُ وصبُّوهُ في قوالب وباعوهُ لارباب المعامل الذين يستخلصون منهُ المواد الشمعية ويجرّدونهُ مما فيهِ من الزيوت وذلك بأن يغليانهِ الى الدرجة ٢٣٠ فما فوق

ومن الشمع المعدني الشائع في زماننا البارافين يجلبونها من اميركا ويستخرجونها من الزيوت الحاوية عليها حجارة الشست (schiste) بعد تقطيرها فالباقي منها هو البارافين يعصرونهُ بعد إغلائهِ ومزجهِ بسلفور الكربون فيحلّل ما يفضل في البارافين من القطران ثم يعصرونها فتصفو. والبارافين جسم صلب خالٍ من اللون يشبه شحم الحوت شفَّاف بلوريّ ولا تفعل فيهِ الحوامض كالحامض السولفوري والحامض الازوتي حتى انهم اشتقوا اسم البارافين من تلك الخاصة (Paraffine=parum affinis)

﴿منافع الشمع﴾ للشمع منافع عديدة في كثير من الصنائع. واشهر فوائدهِ انهُ يُتَّخذ للاستصباح فيستضاء بنورهِ. وقد عُرفت له هذه الخاصة من قديم الزمان حتى ورد ذكرهُ في اقدم ما يُعرف من عاديات الشعوب المتمدّنة كالبابليين والمصريين وبني اسرائيل واليونان. والمرجّح انهُ شاع منذ عُرف العسل وموم النحل. ولعلَّهُ عُرف اوَّلاً في الاقطار السامية كما يُستدلّ من كثرة اسمائهِ في لغاتهم كالشمع والدنج والموم والسَّعوة. وكان القدماء يتلطَّفون في تركيب اشكالهِ وتلوينهِ بانواع الاصباغ فيتَّخذونهُ لاعيادهم ومواسمهم وافراحهم

وقد ادخلت الكنيسة الشمع في رُتبها وطقوسها تُريد بها المعاني الرمزيَّة كالاشارة الى السيّد المسيح نور العالم والى الايمان الذي يرشد الانسان الى الصلاح وينير عقلهُ بمعتقدات

الوحي والى الاعمال الصالحة لتكون سيرة المؤمنين كمنارة يستضاء بها . ولذلك كانوا يجعلون الشموع في ايدي المتنصرين يوم معموديتهم وفي ايدي المترشحين للكهنوت ويوقدونها في الذبيحة المقدسة ويجددون بها انوار المشاعل يوم السبت الكبير ويتباركون بها كل سنة يوم دخول المسيح الى الهيكل ثم ينقلونها الى بيوتهم ويوقدونها في ساعة وفاتهم . وقد حافظت الكنيسة على استعمال الشمع النحلي في طقوسها رغماً عن غلاء اسعاره لاسيما بعد اكتشاف اجسام أخرى تقوم مقامهُ . ولما تساهل المجمع المقدس شيئاً في خلوصه فسمح أن يمزج ببعض المواد الغريبة على شرط ان يكون الشمع العسلي القسم الاكبر في ذلك المركب

وللشمع فوائد طبيَّة عرفها قدما الاطباء . فكان يطلون به الجروح ويضمدون به القروح ويتخذون منهُ حبوباً يحلونها في بعض الاحشاء فيشربها المصابون بقروح في امعائهم . وقد ذكر ابن سينا نفعهُ من خشونة الصدر طلاء ولعقاً وكان بعضهم يجعلهُ على جراحات النصول المسمومة فتبطل قوتها وكذلك اتخذوهُ كراهم لتحايل جُسأة الاعصاب ولتليين الصلابات وازالة الاورام وانضاج الدماميل . وللاطباء في زماننا زيتٌ يدعونهُ زيت الشمع ينالونهُ باستقطار الشمع المغلي يصفونهُ كراهم ولطوخات

وقد اتخذت ايضاً الفنون الجميلة الشمع لصورها وتماثيلها . قيل انَّ الفينيقيين في اعياد الههم تموز او ادونيس كانوا يزينون الحدائق والطرقات باصناف النقوش والتصاوير والحليّ والزهور وكانوا يصطنعون ذلك من الشمع . ويُخبر عن الملك هليوغبال الروماني وسادن هيكل الشمس في حمص انَّه دعا الى وليمة قوماً غرَّهم بالوان المآكل التي كان هو يأكل منها وكان صنعها لهم من الشمع فخرجوا من عنده صياماً جياعاً

وقد عمد النقاشون الى الشمع فاصطنعوا منه منذ أيام اليونان والرومان تماثيل لآلهتهم ومشاهير رجالهم وكذلك سمحت الكنيسة بتمثيل صور القديسين والابرار بالشمع فنصبت تلك الدُمى في كنائسها ومعاهدها ليزيد الناظرون اليها تخشُّعاً وعبادة وقد اضحى هذا الفنّ صناعةً قائمة بذاتها يدعونها سيروبلستيك (céroplastique)

ومن فوائد الشمع اتخاذ الاطباء والجرَّاحين الرسوم الشمعية الصلبة لدرس اعضاء الانسان او الحيوان وتشريحها ويجاونها في غاية الدقة والحسن كما ترى في متحف الطب في كلية القديس يوسف حيث عُرضت قطع عديدة اصطناعية تمثل اعضاء

الانسان وامراضه . وكذلك يستحضر البناؤون والنجارون مركّباً من الشمع يطلون بهِ الجدران واثاث البيوت او يمسحون بهِ حضيض البيوت ومسالكها فيصونها الدهون من الفساد ويزينها باللمعان ذلك فضلاً عن استعمال الشمع في الختوم والكّ واصطناع بعض اقلام الرصاص

هذه بعض فوائد الشمع تدلّك على سعة متّجرهِ ومع كثرة ما يُستحضر منه لا تزال اسعارهُ مرتفعةً وكفى بذلك تنويهاً باقبال الجمهور عليهِ

﴿غش الشمع﴾ رأيت انَّ الشمع العسليّ اجود الشموع واغلاها ثمناً ولذلك عمد اليه المدلّسون وغشّوه باشياء تترك لهُ صورتهُ وتسلب منهُ حسناته . قد روى المشرق (١١ : ٥٨٥) بعض تلك الغشوش في القرون الوسطى فذكر عن صاحب نهاية الرتبة في طلب الحسبة انهم كانوا يغشّون الشمع بشحم المعز وبالقلفونية وفي عهدنا يغشّونه بالنشا . ويُعرف السرّ بان تجعل الشمع في زيت التربنتين فان كان فيهِ نشأ لم يذب . وكذلك يغشّونهُ بالموادّ الراتينجية فان اردت الوقوف على حقيقتها اجعل الشمع في الماء المغلي فاذا تضمن شيئاً من الراتينج رسب بعد برودتهِ بمادّة صلبة متفتتة . وان غشّ بالشحوم والستيارين عُرف الغشّ بالذوق . وكثيراً ما يغشونهُ في زماننا بالپرافين . ويعرف الامر بالحامض الكبريتيك الذي يعمل في الشمع ولا يعمل في البرافين . واذا خُلط بالشمع النحلي شمع نباتي كان الشمع جاسياً متفتتاً . فان اراد المشتري الوقوف على الغش فعليهِ بالصيادلة ليحلّلوا له الشمع فلا يُخدع بمكر الباعة المدلّسين

﴿تجارة الشمع في الشرق﴾ كانت هذه التجارة قديماً واسعةً في هذه البلاد وكان الفينيقيون جمارها بين السلع الرائجة التي كانوا ينقلونها الى الجهات القاصية ولا جرم انَّ بلاد الشرق عموماً والشام خصوصاً موافقة لهذه التجارة فانَّ نحلها جيّد كثير وتربتها طيبة وهواءها معتدل وفيها من اصناف النبات العطري ما يحسّن العسل والموم معاً . وكان القرويّون وارباب الفلاحة يهتمّون بتربية النحل وينالون ثمرة تعبهم بما يجنون من محصولاتها ثم خمدت هذه الحركة لمّا زاحمهم الاجانب في هذه التجارة كما زاحموهم في غيرها . وللفرنج اليوم في اوربّة طرائق مستحدثة سهلة كثيرة الجدوى مكّنتهم من توفير النحل وحسن تربيتها فلو قصد اهل بلادنا لأمكنهم ان يتقفوا فيها آثارهم . ومع ما نرى من كساد هذه التجارة لا يزال كثيرون من الافراد يصطنعون في المدن والقرى اصنافاً جيدة من

الشمع لا تقلّ جودةً عن الاصناف الفرنجية لاسيما في حلب والموصل وبغداد وفي قرى الاكراد وغيرهم وفي نيتنا هنا في بيروت ان نوسع هذه التجارة اذا رأينا اقبالاً على الشمع الوطني فنخدم به الجمهور خدمة نصوحاً تجنبهم من غش اهل المكر والخداع

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر (تابع)

امّا المدارس العربيّة في اوربّة فانّها نالت اكبر حظوى بهمّة علمائها ومدارسها الكليّة ومكاتبها الشرقيّة نخصّ منها بالذكر المكتب الشرقيّ الذي انشأهُ الالمان في عاصمة برلين لدرس لغات الشرق وبالخصوص العربية

وممّا افاد الدروس الشرقيّة كثيرًا المؤتمرات الدوليّة التي كانت تُعقد كل سنتين او ثلاث سنين في عواصم البلاد وكان اوّل تلك الاجتماعات العموميّة في باريس سنة ١٨٧٣ ثم في لندن (١٨٧٤) ثم بطرسبورج (١٨٧٦) ثم فيرنزا (١٨٧٧) ثم برلين (١٨٨١) ثم ليدن (١٨٨٣) ثم ڤينّا (١٨٨٦). الى ان عُقد المؤتمر الخامس عشر العام الماضي في كوبنهاغن (اطلب المشرق ١١: ٧٤٦). وقد أُلقيت في هذه المؤتمرات عدّة دروس وابحاث كانت تُجمع عادةً فتطبع ومجموعها اليوم بمثابة مكتبة واسعة

وزادت المطبوعات العربيّة في هذه المدّة زيادة عظيمة فانّ المجلّات الاسيويّة القديمة وفّرت قسماً اكبر من صحائفها للعلوم العربيّة ونشأت مجلّات جديدة في عدّة بلاد للابحاث الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً كالمجلّة الاسيويّة النمسويّة (WZKM) والمجلّة الاسيويّة الايطاليّة وكمجلّة الشرق المسيحي (ROC) واصداء الشرق

وفي المدّة ذاتها طُبعت قوائم موسّعة للآثار العربيّة التي تحفظ في خزائن الدول

حتى لم يكد يبقى بينها مكتبة لم توصف مخطوطاتها ونوادرها وصفاً مستوفياً

امّا الآثار القديمة التي نُشرت بالطبع فكانت تبلغ المئات في السنة. وقد امتازت مطبوعاتها العربيّة مطبعة ليدن حيث نُشرت تآليف جغرافيّة وتاريخيّة وادبيّة تُعدّ من اشرف المطبوعات واعظمها فائدةً كمجموع جغرافيّي العرب الذي عُني بنشره فقيد الآداب المأسوف عليه الاستاذ دي غوي (de Goeje) وكتاريخ الطبريّ الكبير وفتح البلدان للبلاذري ومفتاح العلوم للخوارزميّ والاخبار الطوال للدينوري ورسائل الجاحظ وجزيرة العرب للهمداني . وكانت بقيّة الدول تتنافس في نشر كنوز اخرى دفينة. فبرز في المانية كتاب الآثار الباقيّة عن القرون الخالية للبيروني وكتاب تاريخ الهند لهُ . وظهر في باريس كتاب مروج الذهب للمسعودي اخبار ملوك الفرس للثعالبي وكتاب البدء والتاريخ للمطهّر بن طاهر المقدسيّ . وظهر في رومية كتاب دياطاسرون طاطانيوس اي الاناجيل الاربعة التي جمعها هذا الكاتب في القرن الثاني للمسيح ففُقد اصلها ووُجدت ترجمتها العربية . وهناك طُبع ديوان ابن حمديس الصقلي وقسم من جغرافية الادريسي

وكذلك اخذ الاميركيّون يوجّهون نظرهم الى الشرق فابرزوا مجلّة اسيويّة بلغ اليوم عدد مجلّداتها فوق الثلثين. ولمّا هاجر السوريّون الى العالم الجديد كان دخولهم الى تلك البلاد كبعثة أثارت في قلوب البعض الحميّة لدرس اللغات الشرقية. وجعل السوريّون ينشرون هناك الجرائد فبرز منها في العشر الاخير من القرن التاسع عشر جريدة كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢. ثم طُبعت في فيلادلفيا جريدة الهدى لصاحبها نعوم افندي مكرزل سنة ١٨٩٨ وقد نقلها بعد مدّة الى نيورك . واصدر نجيب افندي دياب جريدة مرآة الغرب في السنة عينها. ثم تعدّدت بعد ذلك الجرائد في اوائل القرن العشرين في اميركا الشمالية والجنوبية حتى كادت تبلغ الخمسين . امّا المطبوعات غير الجرائد فكانت قليلة الجدوى مدارها غالباً على القصص والروايات الخياليّة

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر

﴿أدباء الشام﴾ كان التقدّم بين المسلمين لاهل الشام في رفع لواء الآداب في

ختام القرن التاسع عشر فقد اشتهر بينهم بعض الافراد الذين لا يزال اسمهم الى يومنا شريفاً مكرّماً فنذكرهم اقراراً بفضلهم

(الشيخ يوسف الاسير) ولد الشيخ يوسف بن السيد عبد القادر الحسيني الاسير في صيداء سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) فتلقى في وطنهِ مبادئ العلوم ثم انتقل الى دمشق لمواصلة دروسه ثم رحل الى مصر واخذ العلوم العقليّة والنقليّة عن علماء الازهر . وبعد سبع سنين عاد الى الشام وسكن في كثير من مدنها يتعاطى العلوم الفقهيّة وتولى في الاستانة رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف لكنهُ آثر العود الى وطنهِ فتفرّغ للتاليف في الفرائض والابحاث الفقهيّة وخرّج في الفقه كثيرين من الاحداث وعلّم مدّة في مدرسة الحكمة وكان زكي الفؤاد فصيح اللسان يجيد النثر والنظم ومن آثارهِ الادبية التي خلّفها شرح اطواق الذهب للزمخشري وكانت وفاتهُ سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) وللشيخ يوسف الاسير موشّحات وقصائد متفرقة وابيات حكميّة جمعها في ديوان الروض الاريض طبع في بيروت سنة ١٣٠٦ . ومن حسن اقواله ما وصف به الشعر الجيّد وناظمهُ :

خليليَّ كم قد جدَّ في الناس شاعر ... وليس لهُ بيت من الشعر عامرُ
واحسنُ شعر ما تراهُ مهذّباً ... بليغاً بهِ يلتذُّ بادٍ وحاضرُ
بهِ تطرب الاسماع من كل منشد ... وتجري بهِ الامثالُ وهي سوائرُ
ولم ير غبيّاً من شراهُ بمالهِ ... وفيهِ بلا شكٍّ تُدرُّ السرائرُ

وافتتح رثاء شريفٍ بقولهِ :

انما موتي كإطلاق اسري ... حيث اني لرحمة الله أسري
انَّ اكدار هذه الدار بلو ... بعضها البعض كأمواج بحرِ
ألفت انفسُ البريّة اجسا ... ماً ودنيا قد فارقتها بجبرِ
هم فيها مثل الاجنّة في الار ... حام يُستخرجون منها بقسرِ
وهي كالفلك قد أُعدَّ لنقلٍ ... او هي الجسرُ قد أُعدَّ لعبرِ
انس الغافلون فيها وأنسوا ... انها لا تكون دارَ مقرِّ
لو درى الغافلون فيها بقاء ... ايقنوا انهم باعظم خسرِ
هي دار السلام ما تشتهي الانفسُ فيها من كل خيرٍ وبرِّ
لا يلُ الانسانُ فيها مقاماً ... اذ تخلّت من كل شرٍّ وضرِّ

وللشيخ يوسف مراسلات نثريّة وشعريّة مع ادباء زمانهِ تجدها في تآليفهم

كالشيخ ابراهيم الاحدب واحمد افندي الشدياق. وقد مدحهُ الشيخ ناصيف بقصيدة يقول فيها:

اسيرُ الحق في حُكْمٍ نـاوى فما يُدْرَى الحبيبُ من البغيضِ
يقلّبُ في المسائل كلَّ طَرْفٍ ويَلْقى الناس بالطَّرْفِ الغضيضِ
امـام الشعر يبتدعُ القوافي ويأمن دونَها حَوْلَ القريضِ
يقلّ لهُ الثنـاء ولو اخذنا قوافيَهُ من الروضِ الاريضِ

ولمّا توفي قال فيهِ الشعراء مراثي عديدة جمعهـا الشيخ قاسم الكستي في مجموع نشر بالطبع

(الشيخ ابراهيم الاحدب) كان مولدهُ في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وطلب العلوم اللسانيَّة والأدبيَّة منذ نعومة اظفارهِ فبرع فيها ثم عكف على التدريس في طرابلس وبيروت فعُدَّ فيهما من نوابغ عصرهِ فتألَّب اليهِ الادباء واقبل عليهِ الاعيان والحكام وقلَّدوهُ المناصب الخطيرة كنيابة الاحكام ورئاسة الكتابة ثم تعيَّن كرئيس لكتاب محكمة بيروت فتعاطى شؤونها تيقّنًا وثلاثين سنة وكان احد اعضـاء مجلس المعارف في الثغر فامتاز بهِ بسعة آدابهِ وحسن ذوقهِ وقد حرَّر مدَّة ثمرات الفنون فاودعهـا كثيرًا من اثار آدابهِ وكانت وفاتهُ في رجب سنة ١٣٠٨ (١٨٩١) . وقد تبلغ تآليفهُ الادبيَّة نحو العشرين نُشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيـان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الامثال الذي نظم فيهِ امثال الميداني وقد أُتقن طبعهُ فجاء كطرفة بين المطبوعات العصريَّة. وكان للشيخ ابراهيم الاحدب قريحة شعريَّة غريبة حتى انَّ مجموع ابيات قصائدهِ يكاد يبلغ ثمانين الف بيت. فلـهُ ثلاثة دواوين ومقامات جارى فيها العلامة الحريريَّ عددها ٨٠ مقالـة وألَّف عدَّة تآليف كروايات ادبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكميَّة ومقالات مسجَّعة وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ نجلاه الاديبان في مقدَّمة مجمع الامثال. ومن شعرهِ ما قالهُ يمدح الامير عبد القادر الجزائري:

إني بمدح ابن محيي الدين ذو همم غدا نظامي جمـا في ارفع الدرج
وفي مآثر عبد القادر اطَّردت ابياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهج
غوث القريل وغيثٌ فيضُ نائلهِ من الانامل يُجري الدرَّ في خُلُجِ
شمس انارت بلاد الشرق فابتهجت سوريَّة بسناهـا الفائق البهجِ
في الكون آثارهُ كالمسك قد نفحت الّا لمزكوم طبع عدَّ في الهمجِ
فه غربُ حسامٍ منهُ قد شُهدت في الغرب آثارهُ كالصبح في البلجِ

لا زلتَ تُهدَى لك الامداح ما طلعت شمسٌ بنورك تغنينا من السُّرج

وقال في الرجز ناظماً بعض امثال رويت لابي بكر الصديق:

قَرَنَ ربّي الوَعْد بالوعيدِ كي يَرْهَبَ عَبْدٌ راقبٌ في كل شيْ
لبست مع العزا مصيبةٌ ألا تَعَزَّ يا ساعي بما قد تَرَلا
الموتُ مما قبلَهُ أشدُّ مع أنهُ اهونُ مما بَعْدُ
قد ذلَّ قومٌ أسندوا أمرَهمُ لامرأةٍ حيث جنَوا ضُرَّهمُ
انَّ عليك ابدًا عيونَنا تراك ممن جلَّ فالْزَم دينا
ورَحِم الله امرءًا اهانا اخاهُ بالنفس وما أهانا
والنفسَ أصلِحْ يَصلُحِ الناسُ لكا وافعل جميلًا يَغْدُ خيرًا فلكا

(ابو حسن الكستيّ) هو الشيخ ابو الحسن قاسم بن محمّد الكستيّ اصلهُ من بيروت وفيها اشتهر نحو اربعين سنة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ اخذ الآداب عن ائمة زمانهِ فلمّا رسخت فيها قدمهُ صار مرشدًا لغيرهِ وتعاطى التدريس مدّةً بين مواطنيهِ من اهل ملّتهِ . وقد مات الكستي في منتصف السنة الجارية لكنّا اتبعناهُ بالشيخين السابقين اذ اشتهر معهما وجاراهما في الأدب وقال اكثر شعرهِ في عهدهما . ومن آثار فضله ديوانان احدهما ديوان مرآة الغربية طُبع على نفقة السيّد سليم رمضان سنة ١٢٧٩ (١٨٨٠) افتتحهُ بقصيدة ابتهالية هذا اوّلها:

اليك رفعنا الامر يا مَنْ لهُ الأمرُ فمن فضلك الاحسان والنفعُ والضرُّ
تعطَّفْ وجُدْ بالخير يا خيرَ منعمٍ على كَسْرِنا يا مَنْ يحصِّل الجبرُ
عليك اعتمادُ الخلقِ في كُلِّ لمحةٍ وبابك مقصودٌ به الفتحُ والنصرُ
فتلتَ لنا ادعوني دعوناك ربَّنا أجبْ سؤلنا بالخير يا ربُّ يا برُّ

والديوان الاخر ترجمان الافكار طُبع سنة ١٢٩٩ . ومن شعرهِ ما مدح به سعيد باشا عزيز مصر لمّا قدم الى بيروت:

عزيز مصرٍ سعيدُ الوقت ذو شرف الى علاهُ تناهى المجدُ والحسبُ
بقيمةَ النقد اضحى في العُلى ولذا قد صاغ مدحَ علاهُ العُجْمُ والعربُ
انّا لنشهد منهُ كل مكرمةٍ لها المحامدُ دون الناس تنتسبُ
عن وصفهِ ومزاياهُ وأنعُمهِ تقاصر الدرُّ والازهارُ والسحبُ
مآثر العزّ في علياه مشرقةٌ كالشمس لكن سناها ليس يحتجبُ
من معشر لهم في كل كائنةٍ ذكرٌ تولّد من اسبابهِ الطربُ

وقال في الحكم :

وعالمٍ لا نَفْعَ في علمهِ ولم تكن اعمالهُ صالحَهْ
فهو بحُكْم العقل بين الملا كوردة ليس لها رائحهْ

ولهُ مضمّناً الشطر الاخير:

ايها الانسانُ لا تجنَحْ الى طُرقاتِ الغيّ والزمْ ورعَكْ
وأفطمِ النفس عن الشرّ تجدْ كلَّ خيرٍ ترتجيهِ تَبعَكْ
وبمال الفقر او حال الغنى كُنْ مع الله ترَ الله معَكْ

وسمع يوماً شاكر بك يدقّ العود فاستفزّهُ الطرب فقال بديهاً :

بشاكر هذا العصر طابت تقومنا وثغرُ الهنا اضحى به يتبسّمُ
ترى كلَّ عُودٍ من جمادٍ وعودُهُ يحسُّ ومن سرّ القلوب يترجمُ

وللشيخ القسم الكسّتي عدّة اراجيز طويلة حسنة منها ارجوزة تنيف على مئة بيت وصف فيها مكارم الاخلاق في النساء الصالحات. ومن اراجيزهِ الحكميّة قولهُ :

لم يخلُ في الدنيا كريمٌ من أذى ولو توارى في مغارات الخفا
ومن يظنّ انهُ يبقى بها وانهُ منها يفوزُ بالمُنى
وأن يكون ناجياً من ضرّها فقُل لهُ أخطأت يا هذا الفتى
فانهُ تضحكنا لكنّها تخرج من اعيننا الضحك بكا
فلم نجد لنفوها من سببٍ ولا لدائها سوى الصبر دوا

ونظم ارجوزة فكاهيّة وصف فيها الملوخيّة على سبيل المداعبة :

سُبحانَ من أنبتَ في الوجودِ حشيشةً كجوهر العُقودِ
وقد سقاها من غيوث الرحمهْ فحملتْ لكن ثمار الحكمهْ
هي الملوخيّة ذات الشهرهْ ومَنْ بها المسرورُ يلقى يُسرَهْ
بحبّها كلّ النفوس ابتهجت وألسن الناس بها قد لهجت
كم هطلت من فوقها الغمائمُ وصُبغت بلونها العمائمُ
وكم مشى يأكلها كسيحُ وصحّ من ترياقها جريحُ
خيوطها بيضاء كاللُّجَيْن تظهر كالصبح لذي عينَيْن
فاقت على الرّيحان بالروائحِ صالحةٌ لمدح كل مادحِ
لو انّها قد نبتت في اللدِّ يشتهيها مَنْ في بلاد الهندِ
يحرسها الناطورُ في البستان خوفاً عليها من يدِ الزمانِ
بخارها يصعد بالهواء كصعد البالون في الهواء

كأنها قد نزلت من السما فاصبح الكون بها منسما
وطعمها يلبُّ للافهام بسُكره حلاوةُ المدام
يأسة الأعطاف في الرياض يأكلها كل شريف راض
عنها سلُوا مصر وتلك الحطّه فاقسم ادرى بهذي النقطه
اذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ وقدرُها تسمو به الوائدُ
ترى عليها كثرة الملاعق تُقرَعُ بالاسنان كالصواعق
إن مُلئت بها بطون القصع تشرقها الابصارُ قبل المبلع
وترجمت منها فحولُ المغرب فلاوا بها بطون الكتب
وخصّها بالذكر أفلاطونُ وقال منها يُمنعُ المجونُ
كانت للقمان الحكيم مأكلا وجوفهُ لها استقرَّ منزلا
وكان يوصي سائرَ الاطبا بقراطُ ان يستعملوها شربا
كذا ابن سينا قال في القانون لا تبخلوا بها على المبطون

وهي طويلة تفنّن فيها الشاعر ما شاء . ومن فكاهاته ما رثى به طائرًا من نوع الكنار مات لاحد اصحابه فقال يعزّيه :

يا صاحبي عُزيت بالكنار فانّهُ من احسن الاطيار
قد صدحت بمدحهِ الاخبارُ وحمدتْ لذاتهِ الآثارُ
ولم تقصّر في أداء ما وجبْ من حقّهِ وقُمتَ بالذي طلبْ
من انّهِ كنتَ عليهِ اشفقا ومن ابيهِ يا رفيقي أرفقا
ما مات من جوعٍ ولا من قلّهْ لكن رماهُ ريشهُ بعلّهْ
لا يُرتجى لدائهِ شفاء والموت ان حلَّ فما الدواء
عليهِ لا تحزن وكن صبورا والتزم الشكرَ تكن مأجورا
لو كان يُفدى بالنفيس الغالي فديتهُ من طارق الليالي
لكن اذا ما حادثُ الموتِ نزلْ لا ينفعُ الحزمُ ولا تغني الحيَلْ
عوّضك الرحمن عنهُ طيرا يكون بالتغريدِ منهُ خيرا
فما رأينا قبلهُ من طائرِ يشنّف الأسماع بالجواهرِ
يُغني عن المُدام والنديمِ اذا شدا بصوتهِ الرخيمِ
اين الكنجا منهُ صوتًا ان شدا وربّما استُغني عنها ان بدا
فيا لهُ من طائرٍ صدوحِ يدعو الى الفبوق والصبوحِ
ذو ذَنَبٍ فاق وقدِ الذنبْ على اللجين وهو بالحُسن ذهبْ
مزيّنٌ بالتاج كالطاووسِ ماوّن الرداء كالعروسِ
قد حسنُ ذلك المنقارِ من ذهبٍ قد صيغَ لا من قارِ
قد كان في الدنيا من الزهّادِ ملازمَ الخلوة بانفرادِ

وعاش محبوساً ولم يشكو الضجر حتى اباده القضاء والقدر
فانني اهدي اليه الفاتحه وان يكن من الطيور الصادحه (له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

E. JACQUIER. HISTOIRE DES LIVRES DU NOUVEAU TESTAMENT T. III, Les Actes des Apôtres, les Epitres Catholiques, 2e ed. pp. 346–T. IV: Les Ecrits Johanniques. pp. 422. *Paris, V. Lecoffre et J. Gabalda,* 1908.

تاريخ اسفار الكتب المقدسة

قد تأخرنا مدة في وصف هذا التأليف الذي اهدانا اياه مترأس طبعه منذ عدة اشهر. الا انَّ في هذا التأخير نفعاً اذ امكننا ان نطلع في المجلات الاوربيَّة على انتقاده وثناء العلماء على مضامينه واساليبه وهذا الكتاب يتألف من اربعة اجزاء تشمل كل تاريخ اسفار العهد الجديد فبحث صاحبهُ عن كتبتها وزمانهم وصحة نسبة كل تأليف الى صاحبه ثم تنظر في اساليبهم ومعانيهم وانشائهم وحلّ المشاكل التي اعترض بها المعدون على اقوالهم حتى جاء هذا الكتاب اوسع واتمّ ما كُتب في معناهُ باللغة الفرنسويَّة واجدر ما يُستند اليه في تعليم المدارس الاكليريكيَّة. وقد اعجبتنا خصوصاً طريقة المؤلف في الكتابة اذ سلك في شروحه الطريق الوسطى وتحاشى الاطناب الممل والايجاز المخل. وتراهُ في انتقاده ملازماً جادَّة العلماء الاثبات فلا يؤكد شيئاً الا آزره بالبيّنات الواضحة. واذ كنَّا قد تكلَّمنا سابقاً عن الجزئين الاوَّلين من هذا التأليف نقصر كلامنا اليوم على الجزئين المطبوعين حديثاً اي الثالث والرابع وفيهما تاريخ اخبار الرسل والرسائل المعروفة بالكاثوليكيَّة والاسفار الجارية اي المنسوبة للقديس يوحنا الحبيب. ومما راق في عيننا انَّ المؤلف اثبت بالادلة المقنعة انَّ القديس لوقا هو صاحب اخبار الرسل وانَّ ما يحتويه ذلك السفر حقيق بالاعتبار والثقة لأنَّ كاتبهُ روى معظم ما روى كشاهد عين فاخبر بما رأى وما سمع وشهادتهُ حقّ. وكذلك أيد شهادة التقليد المتواصل في نسبة الرسائل الكاثوليكية لكتابها الذين تُعنون بهم مقدماتها ولعلَّهُ في

هذا الباب نفي بعض احتجاجات للكتبة العصريين كان يمكنهُ ان ينتدهـا. وقد اعجبنا الملحق الذي في آخر هذا الكتاب الاوَّل حيث بيَّن الكاتب ما يُستفاد من هذه الاسفار من المعلومات اللغويَّة والتاريخيَّة وغيرها كما اوضحتهُ الاكتشافات الحديثة. اما الكتاب الثاني فدارهُ على انجيل القديس يوحنا ورسائلـه الثلاث وسفر رؤياهُ. وقد اتَّسع خصوصاً في اثبات قدم هذه التآليف وصحَّة نسبتها الى يوحنَّا الرسول كما يلوح من شهادة القديس ايريناوس في القرن الثاني للميلاد (اطاب المشرق ١٠: ١٠٥٧) ومن شهادة التقليد المتواتر في الكنيسة فضلًا عن الادلَّة الباطنـة التي تنطبق على يوحنا الرسول دون غيره. امَّا زعم البعض انَّ محرِّر تلك الكتب احد الكهنة القدماء المسمَّى يوحنَّا الافسسيّ فهو رأي ضعيف لا سند لهُ. وفي الختام نهنئ المسيو جاكيه صاحب هذا التأليف على انجازه هذا العمل ونتمنَّى لكتابهِ كل رواج ليعيد فيه النظر ويحسّنهُ في طبعة ثانية بعد نهاية تأليف آخر وعدنا به وهو تاريخ العهـد الجديد في الكنيسة المسيحيَّة سيكون كتتمَّةً للكتاب الذي وصفناهُ الاب ي. ديلنسيغر

Dr P. Alb. Kuhn, O. S. B. Allgemeine Kunst-Geschichte. I. Geschichte der Kunst. II. G. d. Plastik. III. G. d. Malerei. 4° *illustr., Einsiedeln, Druck u. Verlag d. Verlagsanstalt Benziger u. C°*, 1909.

تاريخ البناء والرسوم المجسَّمة والتصوير

اتَّسعنا غير مرَّة في المشرق (٢: ٥٢٧ و ٩: ٥١٢) في تعريف مشروع صناعيّ جليل باشر بهِ احد علماء الرهبانيَّة البندكتيـة وهو تاريخ الصناعة العامّ الذي يشمل اخبار الصناعة في كل طور من اطوارها وفي كل بلادهـا. وهذا المشروع لا يتمُّ الَّا في مجلَّدات متعدِّدة وقد باركه الحبر الاعظم لاون الثالث عشر واثنى على صاحبـه ببراءة تجدها في مقدَّمة الكتاب وها نحن اليوم قد تقبَّلنا بالشكر اجزاء جديدة من هذا التأليف وهي تحتوي على قسم تاريخي وقسم صناعي فالتاريخي يتبع التغييرات التي طرأت على تلك الفنون الجميلة والصناعيّ يثبت صورهـا ليتمكَّن القارئ من معرفتها ومن ابراز الحكم فيها. فقد بلغ الى اليوم عدد التصاوير التي رسمها المؤلف بطرق التصوير الجديدة نحو خمسة آلاف صورة اخذها عن التماثيل والتصاوير الاصلية وبعضها في اصل الكتاب مدمج بالشروح وغيرها منفرد في مجموع مستقلّ. وقد مثَّل كثيرًا منها بالالوان الزاهية

الآخذة بالأبصار لروعها وحسنها . فجاء هذا التأليف كمتحف للآثار الصناعية والفنون البهية . وقد تشرّف محلّ بنتسيغر (Benziger) في المانية برسم هذه التصاوير البديعة التي قلّما تجد مثلها دقّةً وجمالًا ر . ش

Dr E. Graf von Mülinen. BEITRAEGE ZUR KENNTNIS DES KARMELS, mit 2 Tafeln u. 122 Abbild. *Leipzig*, 1908, *K. Bedeker*.

معلومات جديدة لتعريف جبل الكرمل

سعادة الكنت فون مولينن من اعيان بلاده واحد حجّاب جلالة امبراطور المانية خدم سفارة دولته مدّة في الاستانة العليّة بصفة ترجمان اوّل . ثم اضطرّه انحراف صحّته الى ان يبرح مقامهُ في دار السلطنة فتنقّل في جهات الشام وسكن لبنان وكان في كل اسفاره يوجّه نظرهُ الى العاديّات والآثار والامكنة المجهولة فيدوّن في المجلّات العلمية ملحوظاته الدقيقة عمّا يكتشفهُ من ذلك (١ . ومن ثلاث سنوات تخيّر لأشغاله العلمية جبل الكرمل فاقام في المستعمرة الالمانية التي تجاور دير الاباء الكرمليين وجعل يستقري جهات الجبل ونواحيهُ فيعلو مشارفهُ وحزونه ويهبط اوديتهُ وبطونه ويختلط باهله من بادٍ وحاضر ويرسم كل آثاره حتى جمع له من المواد ما اغنى به المجلّة الفلسطينية الالمانية (ZDPV) فنشر فيها عدّة مقالات جليلة الافادة عن وصف الكرمل وتركيبهِ الجيولوجي وآثاره منذ طور الظرّان والازمنة السابقة للتاريخ الى الاجيال الاخيرة فذيّل بمعلومات جديدة ما كتبتهُ عن الكرمل اللجنة الانكليزيّة الفلسطينية (PEF) واصلح كثيرًا من مزاعمها وطرق ابوابًا جديدًا لم تحاول فتحها س . ر

THE MARZUBAN-NAMA. A Book of Fables originally compiled in the Dialect of Tabaristan and translated into Persian by Sa'du D-Din-il-Warâwini. Ed. by Mirza Muhammad ibn 'Abdu l-Wahhâb of Qazwin, London. Luzac. 1909, XVI-٣٠٩

كتاب مرزبان نامه

ان المشروع العظيم الذي تولّاه السريّ الانكليزي جيب (E. J. W. Gibb)

١) ونحن نشكر لسعادة الكنت لطفهُ اذ سمح لنا ان ننقل عن اوراقهِ ما توفّق لاكتشافهِ في لبنان سنة ١٩٠٦

لنشر النصوص القديمة قد أتى منذ خمس سنوات بآثار جنيَّة طربت لفوائدها ألباب الادباء عموماً والمستشرقين خصوصاً . وهذا الكتاب أثر جديد من تلك الحديقة الغنَّاء يُدعى مرزبان نامه من اجلّ مآثر الفرس في لغتهم وضعهُ في القرن الرابع للهجرة احد حكماء العجم المسمَّى اسفهبد مرزبان من ابناء ملوك طبرستان في لهجة تلك البلاد . ثم نُقل الكتاب الى اللغة الفارسية في القرن السابع بقلم سعد الدين الوراويني فضاع الاصل المنقول عنهُ وبقيت هذه الترجمة فشاعت في فارس وتعدَّدت نسخها الخطِّيَّة وطُبع منها بعض فصول في الجامع الادبيَّة الاوربيَّة والشرقية لكنَّها لم تُطبع في تمامها حتى يومنا فجعلتها الجمعيَّة المنتسبة الى المسيو جيب من جملة المطبوعات التي رأت في نشرها فائدةً ووكلت بالامر الى احد أدباء العجم المسمَّى ميرزا محمد بن عبد الوهَّاب القزويني فقام بالعمل احسن قيام وتولَّى طبع الكتاب بمطبعة ليدن الشهيرة في السنة الجارية وضبطهُ على عدَّة نسخ وقدَّم عليهِ المقدَّمات الحسنة فجاء من اجود المطبوعات الشرقيَّة الحديثة . وقد وصف جناب الميرزا في هذه المقدَّمة ترجمةً فارسيَّةً أُخرى لكتاب مرزبان نامه تُدعى روضة القلوب وُضعت بعد ترجمة سعد الدين بنحو خمس عشرة سنة . الَّا انهُ آثر الترجمة الاولى على هذه لفضلها . امَّا موضوع هذا الكتاب فهو شبيه بكتاب كليلة ودمنة يحتوي على عدَّة روايات حكميَّة منسوبة الى الحيوانات والغاية منها تهذيب ابناء الملوك وتثقيفهم لحسن سياسة رعاياهم . والكتاب منقول الى العربيَّة عربَّهُ الشيخ شهاب الدين احمد الشهير بابن عربشاه الدمشقيّ في القرن الخامس عشر للميلاد وترجمتهُ شهيرة في بلادنا تحت اسم فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء طبعها اوَّلاً في المانية العلامة فريتغ سنة ١٨٣٢ ونقلها الى اللاتينيَّة ثم طُبعت في مصر على الحجر مع تصاوير خشبية هزلية سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) وطبعها طبعاً مدقَّقاً القس يوسف داود في الموصل سنة ١٨٦١

ل . ش

THE TAJARIB AL-UMAM or History of Ibn Miskawayh. With a Preface and Summary by Leone Caetani Principe di Teano. *London, Luzac* and C°, 1909, L-631, in-12.

تاريخ تجارب الامم لابن مسكويه

يعرف ادباء الشرق مرتبة ابن مسكويه (+ ٤٢١ — ١٠٣٠) بين علماء العرب بما

طُبع له في بلادنا من الكتب الجليلة كتهذيب الاخلاق والفوز الاكبر والفوز الاصغر. وقد اثبتنا في هذه المجلّة بعض آثاره الادبية فلًا من كتاب جاويذان خرد. الّا ان لهذا الكاتب مأثرة أخرى اجلّ واعظم ألا وهي تاريخهُ الكبير تجارب الامم الذي يتناول من اخبار الشعوب القديمة ولاسيما العجم من بعد الطوفان الى الفتح الاسلامي والدول الاسلامية حتى وفاة عضد الدولة ابن بويه سنة ٣٧٢ (٩٨٠ م) ومن هذا التأليف عدّة نسخ افضلها نسخة مخطوطة في مكتبة ايا صوفيا في الاستانة العلية اخذ رسومها بالتصوير حضرة المستشرق الايطاليّ الشهير البرنس لاون كايتاني. فطبعهُ على مثاله الاصليّ وانّما قدّم عليه المقدّمات المفيدة لتعريف المؤلف وتآليفه وتلخيص ابواب الكتاب الى السنة ٣٧ هجريّة وسوف يتمّهُ الى اخره في الجزء التالي. وقد ألحق جناب الامير هذا القسم الاوّل بفهرست واسع للاعلام المذكورة في الكتاب. ويا حبّذا لو كان طبع الكتاب على الحروف لانّ قراءته على صورته الاصلية لا تخلو من الصعوبة. وعلى كل حال نشكر البرنس دي كايتاني على اضافته هذا الاثر الجديد الى آثاره المحمودة التي خدم بها التواريخ العربية ل. ش

ملحق ديوان الاخطل

يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات
وفهارس للاعلام والالفاظ اللغويّة

للاب انطون صالحاني اليسوعي

طبع المطبعة الكاثوليكيّة للاباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ (ص ١-٦ . ٤٠١-٥٦٧)

كان الذوابغ من قدماء الشعراء اذا قالوا شعرًا طلبوا لهُ راويةً يسير بهِ الى القبائل فيلقنها اياهُ ليحيا بذاكرتهم وقلّما وجد شاعر عربيّ راوية لقصائده كما وجدهُ الاخطل في حضرة الاب المتولي طبع ديوانهِ فانّهُ استخرج اوّلًا من مدافنها النسخة الوحيدة التي كانت تُعرف من هذا الجمع الفريد فطبعهُ طبعًا متقنًا يفوق على طبع كل الدواوين سواهُ وضاعف قيمتهُ بما ذيّلهُ بهِ من الشروح والملحوظات وضروب الافادات في كل باب من ابواب اللغة والتاريخ. ثم توفّق بهمّة بعض الادباء فحصل على نسختين جديدتين من ذلك الديوان في بغداد واليمن تختلفان في القصائد المرويّة والشروح فسعى في نشرها

على صورتها الاصلية واضاف اليها الفهارس والملحقات . وها هوذا اليوم يكلل مساعيهُ السابقة بوضع القسم الاوَّل من الجزء الخامس والاخير من هذا العمل العظيم . ففي هذا القسم يتتبع حضرتهُ الاجزاء الاربعة السابقة صفحةً صفحةً وسطرًا سطرًا فيضيف اليها ما عنَّ لفكرتهِ من الملحوظات والاصلاحات والزيادات التي تكشف القناع عن كثير من شعر الاخطل . وربَّما استعار قسماً من هذه التذييلات والتفاسير من تآليف الأدباء لاسيما الذين نُشرت كتبهم بعد طبع ديوان الاخطل او قابل بين شروح النسختين الجديدتين والنسخة الروسيَّة التي قدَّم طبعها . وكفى تنويهاً بفضل هذا القسم القول بأنَّهُ يزيد على مئة صفحة بالحرف الدقيق . ويزيدهُ فضلًا انَّ حضرة الطابع لم يرو شيئاً الَّا اسندهُ الى الاسانيد الصحيحة الموثوق بها . فنهنِّي الآداب العربيَّة ببروز هذا الاثر الجليل ونتمنَّى أن يردفهُ قريباً بشقيقهِ الذي يضمنهُ ابياتًا متفرِّقة تُروى للاخطل مع قصيدتين جديدتين رُويتا في نقائض الاخطل وجرير ويُختم بالفهارس الواسعة للاعلام والمفردات اللغويَّة ل . ش

الدرُّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب

للشيخ الامام محمد بن الشحنة الحلبي

وقف على طبعهِ وعلَّق حواشيهُ جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس

طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للاباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ (ص ٣٦٤)

ان الشهباء لموقعها في حدود الشام على طريق قوافل قيليقية والارمن والجزيرة في وسط البطائح الخصبة المجاورة للفرات لم تزل مطمحاً لابصار الفاتحين ليجعلوا فيها احد مراكز دولهم . وقد عُني كثيرون من الاباء بتسطير اخبارها ووصف محاسنها من جملتهم الامام محمد بن شحنة الحلبي من كتبة القرن التاسع للهجرة . وليس كتابهُ تاريخيًّا محضًا بل هو اشبه بدليل لحلب في زمانهِ فوصف آثارها ومعاهدها ومدارسها وجوامعها ومنتزهاتها ولاسيما قلعتها الحصينة مع ما كان يلحق بمملكتها في أيامهِ من المدن والقرى والقلاع الحريزة . والكتاب مشحون بالفوائد التاريخيَّة والاوصاف التي استفادها المؤلف من كتب اسلافهِ ورواية اهل زمانهِ مع حواشي احد كتبة القرون المتأخرة الشيخ ابي اليمن البتروني وقد اعتمد جناب متولي طبع الكتاب على عدَّة نسخ

خطيَّة . منهـا نسخة في مكتبتنا الشرقية فقابل بينها وزاد عليهـا ملحوظات شتَّى وختمها بفهرس لأعلام الاماكن فجاء تأليفاً مفيداً لمحبي تاريخ بلاد الشام ش.ا

تلاوة القداس في الاجيال الثلاثة الاولى

بقلم الخوري دميان رميا روفائيل

بمطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٢٦)

انَّ الدروس الطقسيَّة قد اتَّسعت بين علماء الكاثوليك في اوربَّة حتى انشأوا لهـا مدارس خاصَّة لتعريف اصلها وتاريخها وتقلُّباتها والاختلافات العرضيَّة الطارئة عليها مع ثبات جوهرها . فيسرّنا ان نرى كذلك كهنة بلادنا يطرقون هذا الباب ويبحثون عن الطقوس عموماً وعلى الاخص عن طقوسهم الشرقيَّة الجليلة . وهـذه الكراسة مع قلَّة صفحاتها قد اختصرت لباب تعاليم العلماء في اصل القداس وتلاوته ورتبه في الاجيال الثلاثة الاولى . فجاء الكتاب جديراً بنظر كل محبي الطقوس لكثرة ما ضمَّنهُ المؤلف من الابحاث المفيدة وقد كنَّا وددنا لو اتَّسع في بيـان العلاقة بين العشاء السرّي الذي اقامهُ السيد المسيح قبل موتهِ ورتبة القداس الذي احتفـل بهِ الرسل في اورشليم اوَّلاً ثم في بقيَّة انحاء المعمور وقد اشار اليه فقط اشارة خفيفة في الصحفة ١٨ ل.ش

لمحة تاريخيَّة في الرهبانيَّة الباسيلية الحلبية

بقلم الخوري قسطنطين الباشا ب.م

طبع في المطبعة الادبية سنـة ١٩٠٩ (ص ٦٤)

انَّ السَّنة ١٩٠٧ توافق تمام المائة الثانية للرخصة الممنوحة من الامير حيدر الى الطيِّب الذكر افتيميوس صيفي ببناء دير لتلامذتهِ في معامل صيداء في مزرعة مشموشة . وهذا الدير الذي باشر اذ ذاك بعمارتهِ هو دير المخلِّص الذي ينتمي اليهِ في عهدنا الرهبان الباسيليون الخلصيون . فجاءت هذه اللمحة التاريخيَّة عن الرهبانية الخلصيَّة كتذكار لذلك المشروع ضمَّنها حضرة مؤلفها خلاصة اخبار تلك الفئة الصالحة منذ زمن منشئها الجليل الى يومنا مع ذكر رؤسائها والافاضـل الذين تزيَّنوا فيها واهمّ اخبارها وخدمها للدين والعلم الى يومنا معتمداً فيها على سجلات الرهبانيَّة وعلى صور مراسلات قديمة وجدها في

دير المخلص وفي رومية العظمى وكتابات القسّين انطون بولاد وكيرلس حدّاد . فنحضّ كل ابناء الطائفة الملكية الكاثوليكية على النظر في هذا الكتاب كما يحسن بمحبّي التاريخ الشرقي مراجعتهُ والاقتباس من فوائده (١ ل . ش

شذرات

سيدة لبنان — بمناسبة زيارة ابناء الاخويّة من كليّتنا في اواسط أيار المنصرم لاحد معابد العذراء في ضواحي جونية نظم احدهم الاديب يوسف غصوب هذه الابيات وتلاها في حفلة عقدها طلبة صف البيان :

سار القطارُ وقلبهُ متسعّرٌ بالنار وقدا
ترك الخطوط وراءهُ ودويّهُ يزداد رعدا
والشمس ترقب سيرهُ وتمدهُ بالنور مدّا
وتريش فوق اليم سهماً قدَّ ذلك اليم قدّا
فكأنها ظمآنةٌ وتريد ماء البحر وردا
والموجُ يلطم صخرةً متتابعاً جزراً ومدّا
والبرُّ روضٌ عاطرٌ زهر الربيع كساهُ بُردا
سلب النسيم من الزهو ر عبيرها حتى تندّى
والشيخ من فوق الجبا ل كأنهُ ملكٌ مُفدّى
نزل المشيب برأسهِ فابيضَّ من ثلجٍ تبدّى
سار القطار ونفسنا سارت بأفق الحب كدّا
والطرف منا شاخصٌ نحو الرُبى يمتد مدّا

١) وقد استلفتُ حضرة الخوري قسطنطين الى اصلاح غلطة وقعت في عدّة تآليف وكادت ان تعمّ الكتبة العصريين وهي رواية اسم البطريرك اثيميوس المصوّر المعروف بالروبي والصاقزي ايضاً تلميذ وخليفة اثيموس كرمه فدعوهُ اثنيشيوس وصحّفوا بذلك اسمهُ والصواب اثيموس ومن ثمّ اقام الحجّة على الذين طبعوا مؤخراً مقالة حضرته في تعريب ليتورجيا القديس يوحنا فم الذهب التي قدّمها للجنة الاحتفال في رومية فاثبتوا في تلك النبذة اسم اثيميوس مصحّفاً باثنيشيوس غلطاً

حتى يرى شخص الطها رة فوق رابية أعدّا
والقلب من ذهب الحبّة يبتني عرشاً ومهدا
يُهدي الى العذرا السلام ويحمد الرحمان حمدا
سار القطارُ بسرعةٍ سار القطارُ وجدّ جدّا
يطوي المزارع والحقو لَ مودّعاً وَهدًا فوهدًا
بالقرب من طودٍ سما عنهُ يُرَدُّ الطرف رَدّا
وقف القطار وكانما سرنا بسفح الطود حشدا
وهناك فوق الطود تمثال الطهارة كان بَندا
قد هزنا صوت الوغى حتى غدا الزوّار جندا
جندٌ لمريمَ ابنها شمنا بها فخرًا ومجدا
جئنا اليها صائغين لمدحها تاجاً وعقدا
جئنا نقيم بظلّها وبظلّها نعتزُّ جدّا

*

جسمٌ وَطيٌّ الجسم قلب ضمَّ للعذراء وِدّا
وِدٌّ وقد غلب الردا دَ عليَّ حتى صار وجدا
قرب ولا يرضى الفؤاد عن الحمى نأياً وبُعدا
اسم يلذُّ اقابلنا ويُسيغ في الافواه شهدا
منا القارب الى البتو ل تطايرت وفدًا فوفدا
يا نجمة الصبح التي تقضي علينا الدهر سهدا
بالورد كُلّل رأسها اكرم برمز الحب وردا
حُملت اليك من الشعو ب مدائح الشكران حمدا
جئنا اليك فلا ترد ي للمؤمل منك قصدا
جئنا اليك لنستد رَّ من التقى والحب جودا
صوني الخراف من الذئا ب وألهمي من ضلَّ رشدا
صوني البلاد من الظلا م فإن فيها النور يبدا

مدي الضيف بما يرو م وجددي للحب عهدا
ولقد رجونا ان نحو زَ بحضنك الأميّ مهدا
هذي تحيةُ عانذٍ يرجو بظل الطهر لحدا
عبدٌ وقد نال السما من كان للعذراء عبدا

العصر الجديد — من نظم مكاتبنا الاديب الشيخ احمد تقي الدين :

أرشاداً بايعتُمُ ام رشادا وخلعتم نيراً ام استبدادا
مطلقاً كان حكمُنا فملكنا بقيود الشورى عليه القيادا
مظلماً كان امسُنا فمحونا آية الليل واستطرْنا الرقادا
أنها يقظة الحياة بعصرٍ هجر النائمون فيه المهادا
انها غرةٌ لعهدٍ جديدٍ نتراءى بوجهه الاسعادا

*

إيه يا أمةً اقامت على الضيم م تراعي عهد الاذى والردادا
فكأنَّ الكرى حبيبٌ مُدِلٌّ أشفقت ان تروعهُ إبعادا
اهجريه فبئس وصل حبيبٍ حبهُ يُنبت الغضا والقتادا
واخلعي الليل بالنهار بفتوى هي خلع الذي يضرّ العبادا
جاءكِ النصرُ باتحادكِ والفتح م فزيدي مع الترقي اتحادا
واستعيدي بالعلم مجداً قديماً واقتفي بالعدالة الاجدادا
وَلِيَكُ العدلُ سيفَ فتحٍ وغزوٍ والأعادي العقولَ والاكبادا
وَلِيكُ العدلُ حاكماً مستبداً والامانُ الجنودَ والقوّادا
انما العدل في الممالك روحٌ انما الروح تحفظ الاجسادا
انما الظلم في الممالك داءٌ انما الداء يُقصر الآمادا
انما الضغط منتهاهُ انفجارٌ يقذف الجمرَ واللظى والرمادا
بينما عَقدُنا نتوّج ملكاً فاذا الملك قد غدا جلّادا
هذه شيمة الملوك على الغا لب ان كانت الرعايا جمادا
فكأن الظلم القرى والجواسيس م اقيمت لنارهِ وقّادا
وكأن الورى ظواميءُ والخا ر يروي من الضحايا البلادا

*

انما الضيم للضعيف أليفٌ وكذا الطوق يألف الاجيادا
فاذا المرء لم يَذُدْ عن حماهُ لم يجدْ عن حقوقهِ ذوّادا
واذا المرء لم يُزل ربقة الذل م اقامت بنحره الآبادا
لا تلوموا الذي يقود الرعايا لهواه بل عنّفوا المُنقادا
انما لومُنا علينا لأنّا نرتضي من حكّامنا استعبادا

*

إيه يا شوكتَ الفيالق كنْ في أعين الظالمين شوكاً قتادا
عربيّ من ارض بغداد حرّ يا سقى الله بالندى بغدادا
فاغدُ للبائسين عدلًا عن م الله وأضعفْ بسيفك الاضدادا
وامحُ جرثومة الفساد وادبْ من يعيثون في البلاد فسادا
ان جرثومة التقهقر تسمو ثم يُعدي «مكروبها» الاوغادا

*

إيه يا أنور العلى ونيازي المجد بُلّغتما العلى والمرادا
انتما ساعدان للجيش في الحر ب فكونا للاتحاد عمادا
لا تناما على القذى في المآقي فالقذى يؤلم الحشا والفؤادا

*

إيه يا شرقُ لا تنمْ واعتلِ م السيّار فالغرب يعتلي المنطادا
لا تقل مجدك انقضى فاذا عد تَ اليه بالعلم نحوك عادا
هكذا الغصنُ يرحل الوردُ عنه واليه يعود ان هو جادا
فاستعدْ مجدَك القديم وزدْهُ بجديد فخامةً وسدادا
فهلال الدستور يوحي الينا ان عصر الرشاد يوحي الرشادا

مؤلفات الشمّاس عبد الله بن الفضل الانطاكي نشرت مجلّة « النعمة » التي اصدرت عددها الاوّل في حزيران البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق فصلًا عن مؤلفات الشمّاس عبد الله بن الفضل الانطاكيّ (١٥—٢٢) ولمّا جهلت فصلين واسمين كتبناهما السنة التاسعة من المشرق (٨٨٦ و ٩٤٤) مع

حضرة الخوري قسطنطين الباشا فكنّا اوّل من بحث عن ذلك الكاتب المجهول وبيّنا ما يُعرف من اخباره وتآليفه وراجعنا هذه النبذة الجديدة رجاء ان نستفيد منها شيئاً جديداً على ما كتبنا فلم نجد بل تحقّقنا انّ كاتبها اخذ معلومات المشرق دون الاشارة اليه . وهذا ممّا لا يليق صنعهُ بين الادباء وقد اتت النعمة شططاً بنسبتها كتاب « روضة الفريد وسلوة الوحيد » الى عبد الله بن الفضل فانّ هذا الكتاب لاحد رهبان الاقباط اسمهُ ابن كليل وقد طبع في مصر . امّا كتاب الروضة لابن الفضل فليراجع وصفهُ في المشرق (٩ : ٩٤٥)

عنوان - كاذب — قرأنا على غلاف مجلّة المنار المصريّة (في عددها الاخير) تحت عنوان انجيل برنابا هذا الشرح :

هذا الانجيل هو رواية برنابا احد الحواريين وقد سمّاهُ الانجيل الصحيح ويمتاز على الاناجيل المتداولة بتأييد التوحيد وانكار التثليث والصلب وبالبشارة الصريحة بنبيّنا محمّد صلعم وقد كان مخفيّاً في مكتبة البابا وظهر في العصر وترجم بالانكليزيّة وبالعربيّة

(قلنا) قد اخذنا العجب من كاتب هذه الاسطر وهو يُشعر فيها بانّ النصارى وخصوصاً الاحبار الرومانيين كانوا يعرفون بطلان النصرانية وكذب تعاليمها في المسيح وصلبهِ وفي تثليث الاقانيم فاخفوا الزور تحت المكيال وحجبوا الحقيقة عن العيان وانكروا على صاحب الشريعة الاسلامية حقوقهُ من النبوّة التي سبق وعرّفها « احد الحواريين » منذ ايّام المسيح . فلو صحّ هذا القول لكان النصارى وعلى الاخص احبار الكنيسة الكاثوليكية من اكبر الخدّعة الكذّابين ودينهم من الخزعبلات المنكرة فأيم الحق انّ هذه لتهمة فظيعة لا نرضى بها الّا ان يؤيّدها كاتب تلك الاسطر بالبراهين اللامعة والّا نسبناهُ هو الى الكذب والخداع . وقد كتبنا سابقاً في المشرق (١١ : ١٩٤—٢٠٥) في الاناجيل الصحيحة القانونية واناجيل الزور الكاذبة فصلاً طويلاً وقد خصّصنا بالذكر (ص ٢٠٤) انجيل برنابا واثبتنا هناك انّ الانجيل المطبوع آخرًا بالانكليزيّة والمعرّب بقلم الدكتور خليل سعادة والمنسوب الى ذلك التلميذ (ولم يكن من الحواريين كما زعم صاحب الكتابة) انّما هو مصنوع حديث لا يتجاوز عهدهُ القرن السادس عشر وان كاتبهُ راهب منفيّ من الكنيسة حرمهُ الحبر الروماني لسوء آرائهِ وسلوكهِ . ولو راجع كاتب المنار مقدّمة الطالين اللذين طبعا هذا الانجيل الزور لعرف

حقيقة قولنا وخجل من كتابة ما كتب . فان كان صادقاً بكلامهِ فليثبتهُ بالدليل ويردّ قولنا والّا عرّض نفسهُ لملامة كل ذي عقل منير . ولا نعلم ماذا استفادت مجلّة المنار بتعريب هذا الانجيل الكاذب وطبعه . فان لم يكن لديها غير حجج لتفنيد العقائد النصرانية فما اضعف ساعدها وما اقصر باعها

متحف الصور في الفاتيكان قد اشتهر في رومية من كبار المصوّرين ما لم يشتهر في غيرها . وكثير من صورهم العجيبة تخلب انظار الزوّار في معاهد الفاتيكان ويبلغ ثمن بعضها ملايين الفرنكات . على انّ تلك الطُرف كانت متفرّقة في عدّة قاعات من القصر البابويّ فكان تفرّقها يبخس شيئاً من قدرها فضلاً عن انّ البعض منها كان في امكنة لا يوافقها موقع النور فتفقد قسماً من محاسنها . فلمّا تبوّأ قداسة البابا بيوس العاشر المالك سعيداً اهتمّ بسدّ الخلل فارتاد لها قاعةً واسعة الاطراف في احد طوابق الفاتيكان موقعها تحت المكتبة الفاتيكانية الشهيرة فجهّزها احسن تجهيز وزيّنها بالنقوش البديعة وقسّمها الى تسعة اقسام او مقاصير ثم جمع فيها تصاوير اولئك النوابغ كرفائيل ودا فورلي وباروجين ويوليو بانّي والدومنيكان وورومانو واوتيلي وكثيرين سواهم ووكل الى كبار الفنيين ان ينظّموا تلك الصور نظاماً هندسياً يروق لعين الناظرين ويقسموها في مقاصيرها على حسب مواضيعها واساليب مصوّريها فقد تمّ هذا العمل في اواخر شهر آذار المنصرم ودشّن قداسة البابا ذلك المتحف البهيّ بحضرة الكرادلة وسفراء الدول واعيان رومية وكانوا كلّهم صوتاً واحداً ليثنوا على همّة امام الاحبار في انجازهِ هذا المشروع العظيم . والصور التي في هذا المتحف الجديد يبلغ عددها ٢٧٧ صورة في مواضيع دينية او تاريخية او فنية ومنها ما يبلغ طولهُ وعرضهُ عدّة امتار واكثرها فريد في جنسهِ لا يُرى لهُ شبه في متاحف دولية اخرى وكفى بهذا دليلاً على مساعي الاحبار الرومانيين في تعزيز الفنون الجميلة وافحاماً لمن ينسبون الى الكنيسة التقهقر في العلوم والآداب

أسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد ما هي الطريقة لاهلاك البراغيث والبقّ والسمل والصراصير

اهلاك الهوامّ والحشرات

ج لاهلاك هذه الهوامّ طرائق شتّى تضيف المجلّات اليها كل يوم طرائق جديدة. ولعلّ كثرة هذه الطرائق تدلّ على قلّة عملها. وها نحن نروي هنا ما نراهُ اقرب للمنفعة: تهلك البراغيث بمسحوق الكبريت الاصفر اذا تُمع في الخلّ ورُشّ بهِ الموضع المطلوب تنظيفهُ منها. ويهلك البقّ بطلاء الاوعية الوسخة بالبترول. وقيل ان المصريين جرّبوا ورق الصبّر فوجدوا انّ رائحتهُ تقتل البقّ او تطردهُ من المكان. او يُدهن المكان بمزيج من الصابون مع قليل من الزرنيخ والكافور والعرق. امّا النمل فامزج ملءَ ملعقة من ملح الطرطير بملعقتين من الدبس وصبّ الماء على المزيج واجعلهُ حيث رأيت النمل فيتناولهُ ويعاد العمل مرارًا حتى يتلف. ويزعمون ان الصراصير تموت بمزيج من مسحوق الزرنيخ والتفّاح المشويّ. هذا ما يرويهِ ارباب الخبرة فيعمل بهِ

وسأل احد الاساتذة في البلدة عن حادث جرى لبعض اصحابه قال: انهُ اتاهُ يومًا رجلٌ لابس ثياب الرهبان وادّعى انهُ من كهنة بعض الاديرة فاعترف عندهُ بخطاياهُ ثم علم بان الرجل كان ماحكًا كاذبًا وليس بكاهن. فسأل السائل عن اعتراف صديقهِ بخطاياهُ أكان صحيحًا. وهل يحتاج الى مراجعة الاعتراف عند كاهن آخر. وماذا يكون جرى لهُ لو مات بعد اعترافهِ جاهلًا خداع الرجل

المشعوذ المدّعي بالكهنوت

ج لا شكّ انّ هذا الاعتراف باطل لخلوّ المشعوذ من السلطة لحلّ الخطايا فيلزم المعترف ان يقرّ بخطاياهُ لكاهن قانونيّ مصرّف لاستماع الاعتراف اذ انّ الخطايا لا يحلّها الّا من لهُ السلطة على الحلّ والربط. امّا لو مات بعد اعترافهِ لذلك المشعوذ وهو يجهل خداعهُ فان رحمة الله واسعة ولديها وسائل غير الحلّ السري لافاضة النعمة المبرّرة. فالندامة الكاملة مثلًا كافية لتبرير الانسان قبل الاعتراف بشرط ان تكون مقرونة بالرغبة في نيل الحلّة اذا امكن. وعليهِ اذا عمل الانسان كل ما في طاقتهِ لينال المغفرة فان الله لا شكّ يعطيهِ نعمته ويبرره وان لم يتمكن من قبول الحلّ السري. هذا ما يجري ليس فقط في امثال الحادث الذي نحن في صددهِ وهي نادرة جدًّا. بل كلما تعذر على المسيحي التائب استدعاء الكاهن في ساعة الممات ل ش

المشرق

التواريخ النصرانية في العربيَّة

لمحة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ الآداب العربيَّة بين قدماء النصارى لا تزال مدفونة في زوايا النسيان وكثيرون من العلماء يكادون يجهلونها تماماً. على انَّ الاكتشافات الحديثة قد ابرزت كثيراً من تلك الآثار حتى جعل البعض يفكرون في كتابة تاريخ النهضة الادبيَّة بين نصارى العرب (١. وذلك ما حملنا على نشر بعض تلك الذخائر الثمينة نظماً كانت او نثراً ليعرف قرَّاؤنا ما لأسلافنا الافاضل من المساعي الطيِّبة في تعميم الآداب في ملتهم مع ما كان يشغلهم غالباً عن طلب المعارف وتهذيب العقول من كوارث الزمان وصروف الحدثان

ولما كانت العلوم التاريخيَّة من اجلّ الفنون واجداها نفعاً قصدنا ان نجمع عنها في فصل منفرد ما للنصارى العرب من الآثار التاريخيَّة منذ اوائل الاسلام الى عهدنا دون ان نتعرَّض لما وُضع منها حديثاً لشهرتها الّا إلماماً وندلّ على كل كتاب منها باحد الارقام تسهيلاً للمراجعة وكذلك نجري في سياق تعريفنا لتلك المصنَّفات على تاريخ الازمنة مباشرين بالاقدم فالاحدث

١ التواريخ النصرانيَّة المفقودة

نُقدّم هذا الفصل فندوّن اسماء بعض التواريخ النصرانيَّة العربيَّة التي ورد ذكرها

١) اطلب خصوصاً كتابي الكاهنين الالمانيين غراف وغوسّن Dr G. Graf: *Die christlich—arabische Literatur*, 1 Heft, 1905 = H. Goussen: *Die christlich—arabische Literatur der Mozarabier*, *Leipzig*, IV Heft. 1909

في كتب الادباء وقد اخذتها ايدي الضياع فإن في الاشارة اليها فائدة كبيرة ليس فقط لبيان همّة قدماء النصارى ولكن ايضاً رجاء ان يطلبها المحدثون في مظانها ويستخرجوها من مدافنها اذا ما عرفوا مكان وجودها ولعلّ القرّاء يستطيعون ان يفيدونا عنها بعض الافادة فنشكر لهم صنعهم سلفاً

١ (تاريخ حنين) اقدم تاريخ عربي ذكرهُ الكتبة للنصارى فقد تاريخ ابي زيد حنين بن اسحاق العبادي الذي ولد سنة ١٩٤ للهجرة وتوفي سنة ٢٦٤ (٨٠٩—٨٧٧) وهو إمام نقلة زمانهِ عرّب عدداً لا يحصى من كتب اليونان وكان مع ذلك فصيحاً لسناً بارعاً وشاعراً مجيداً اقام مدّة في البصرة ثم خدم الخلفاء بني عباس . وقد اخذ العربيّة عن الخليل بن احمد صاحب العروض فاشتغل عليهِ مع سيبويهِ ولزمهُ حتى برع في لسان العرب . اما تاريخهُ فقد ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبّاء (١ : ٢٩٠) قال:

« (ولحنين) كتاب تاريخ العالم والمبدأ والانبياء والملوك والامم والخلفاء والملوك في الاسلام وابتدأ فيهِ من آدم ومن أتى من بعدهِ وذكر ملوك اليونانيين والروم وذكر ابتداء الاسلام وملوك بني امية وملوك بني هاشم الى الوقت الذي كان فيهِ حنين بن اسحاق وهو زمان المتوكل على الله »

وهذا التاريخ في عهدنا لا يعرف لهُ أثرٌ

٢ (اخبار ابراهيم بن عيسى) قال ابن النديم في الفهرست (ص ١٣١) . «ابراهيم بن عيسى النصراني كان من ظرفاء الكتّاب ولهُ من الكتب اخبار الخوارج وكتاب الرسائل» ولم يزد في تعريفهِ . ولعلّهُ ابراهيم بن عيسى المتطبّب صاحب يوحنّا بن ماسويه ببغداد الذي ذكرهُ في طبقات الاطباء ابن ابي اصيبعة (ج ٢ ص ١٣) وجعل وفاتهُ نحو سنة ٢٦٠ (٨٧٤ م)

٣ (اخبار ابن داية) اسمهُ يوسف بن ابراهيم الحاسب وعُرف بابن داية . ذكرهُ ابن ابي اصيبعة واستشهد بهِ كثيراً وقد ألّف اخبار الاطباء واخبار المنجمين وكلاهما قد فُقد . كان في أيام المامون وخدم ابراهيم بن المهدي . وكان لهذا الكاتب ابن اسلم وعُرف باحمد بن داية ذكر لهُ الحاج خليفة (٣ : ٦٣٩) كتاب سيرة ابن طولون

٤ (تاريخ قيس الماروني) قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (طبعة ليدن ص ١٥٤) بعد ذكره مارون الراهب وديره قرب الارنط: «ولبعض متّبعيه من المارونيّة ويُعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم واخبارهم. انتهى بتصنيفه الى خلافة المكتفي» فهذا كلّ ما نعرف عن قيس الماروني وتاريخه. ويؤخذ من قول المسعودي انّ قيساً هذا عاش الى اوائل القرن العاشر للمسيح لأنّ المكتفي تولّى الخلافة من السنة ٩٠٢ الى ٩٠٨ مسيحيّة. وقد اردف المسعودي قوله: «ولم ارَ للمارونيّة في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره» وفي هذا الكلام نظر لأن للدوارنة تاريخاً آخر سبق عهد قيس وهو تاريخ توفيل بن توما الماروني الذي كان طبيباً للخليفة المهدي في اواخر القرن الثامن وقد صرّح ابن العبري في تاريخ الدول (ص ٢٢٠) بذكر مصنّفه التاريخي فقال: «وله كتاب تاريخ حسن». وقد ضربنا نحن عنه صفحاً لأننا لم نعرف أكتب توفيل تاريخهُ المذكور في العربية او في السريانية وكلامنا هنا عن التصانيف العربية والمرجّح ان تاريخهُ كان سريانياً (اطلب المشرق ٢: ٢٦٥ و٣٥٦ و٤٥١)

٥ (تاريخ اسحاق بن حنين) اسحاق هذا هو ابن حنين السابق ذكره ويكنى أبا يعقوب قصّ آثار ابيه وخدم الخلفاء العباسيين واجاد في النقل والتصنيف. ولهُ حكايات واشعار. توفي في ايام المقتدر بالله سنة ٢٩٨ (٩١٠). ولهُ تاريخ الاطباء ذكره جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ed. Lippert, p. 80). قال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٠١): «ذكر فيه ابتداء صناعة الطبّ واسماء جماعة من الحكماء والاطباء». ومما يلحق بهذا الباب كتابهُ في آداب الفلاسفة ونوادرهم ذكرهُ في طبقات الاطباء.

٦ (تاريخ قسطا بن لوقا) هو الفيلسوف النصراني الشامي الملكيّ اصلهُ من بعلبك. قال القفطي في كتاب الحكماء (ص ٢٦): «دخل بلاد الروم وحصّل من تصانيفهم الكثير وعاد الى الشام واستُدعي الى العراق ليترجم كتباً ويستخرجها من لسان يونان الى لسان العرب وعاصر يعقوب بن اسحاق الكندي وكان قسطا محققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعيّة ماهراً في صناعة الطبّ». وقد نقل كتباً كثيرة من اليوناني والسرياني الى العربيّة. وكان جيّد العبارة بالعربيّة. ومما روي لهُ في التاريخ في الفهرست لابي فرج بن النديم (ص ٢٩٥) وفي طبقات الاطباء (١: ٢٤٥)

كتاب دعاه بالفردوس اخذهُ مخلب الزمان وكذلك فُقد لهُ كتاب آخر ضمّنهُ اشياء تاريخيّة وهو شرح مذاهب اليونانيين . وقد ازهر قسطا في ايّام المقتدر بالله في القسم الاوّل من القرن العاشر

٧ (اخبار قدامة) هو ابو جعفر قدامة بن جعفر الكاتب الشهير قال صاحب الفهرست (ص ١٣٠): « وكان نصرانيًا واسلم على يد المكتفي بالله (٢٨٩—٢٩٥ = ٩٠٢—٩٠٨ م) وكان قدامة احد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممّن يشار اليهِ في علم المنطق » ثم عدَّد بعض كتبهِ ككتاب الخراج وكتاب السياسة ونقد الشعر وصرف الهمّ وصناعة الجدل ونزهة القلوب وغير ذلك . ونسي كتاب الالفاظ وكتاب البلدان وكتاب زهر الربيع وهذا الاخير في الاخبار والتاريخ ذكرهُ الحاج خليفة (٣: ٥٤٧) ولم يسلم من كل هذه التصانيف الّا نقد الشعر الذي طُبع في مطبعة الجوائب وقسم من كتاب الخراج (١ . كانت وفاة قدامة سنة ٣٣٧ (٩٤٨) وروى الحاج خليفة وفاتهُ سنة ٣١٠ وهو غلط

٨ (تاريخ اثنايوس الراهب) ذكرهُ المسعودي في التنبيه والاشراف (ص ١٥٤—١٥٥) قال: « وكتاب اثنايوس الراهب المصري رتّب فيهِ ملوك الروم وغيرهم من الامم وسيرهم واخبارهم من آدم الى قسطنطين بن هيلانى » ولم نعرف من امر هذا التاريخ شيئًا حتى انّ اسم صاحبهِ ليس بثابت القراءة

٩ (تاريخ يعقوب الكسكريّ) اردف المسعوديّ بعد ذكرهِ لاثنايوس الراهب (ص ١٥٥): « ورأيتُ لاهل المشرق من العباد كتابًا ليعقوب بن زكريّا الكسكريّ الكاتب وقد شاهدناهُ بارض العراق والشام يشتمل على انواع من العلوم في هذه المعاني يزيد على غيره من كتب النصارى » . لم نجد ذكرًا لهذا التاريخ في غيرهِ

١٠ (تاريخ دنخا اليعقوبي) ورد وصفهُ في كتاب المسعودي المذكور آنفًا قال (ص ١٥٥): « وكتاب لليماقبة في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم واخبارهم ألّفه ابو زكريّا دنخا (والمشهور عند النصارى دنحا بالحاء المهملة) النصراني

---

١) اطلب الجريدة الاسيوية الفرنسويّة (JA, 5e Ser., XX, 155)

وكان متفلسفاً جدلًا نظّـاراً جرت بيني وبينهُ مناظرات كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقطيعة امّ جعفر وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء في الثالوث وغيره . . . وذلك سنة ٣١٣ (٩٢٥) ٥ . وهذا التاريخ مما أخفى عليهِ الزمان ايضاً

١١ (تواريخ بني قرّة) كان بنو قرّة من الصابئة الحرانيين وجعل البعض شيعتهم من الشيع النصرانيّة فلذلك اثبتنا هنا مـا يُنسب اليهم من التواريخ فانّ ابا الحسن ثابت بن قرّة الحرّاني الشهير بالطب وبعلوم الاوائل المتوفى سنة ٢٨٨ (٩٠٠) كتب في تاريخ قومهِ الصابئين ومعتقداتهم . وصنّف ابنـهُ ابو سعيد سنان بن ثابت المتوفى سنة ٣٣١ (٩٤٣) في تاريخ ملوك السريانيين (ابن ابي اصيبعة ص ٢٢٤) ورسالة في اخبار آبائهِ واجدادهِ وسلفهِ . ثم صنّف ابنهُ ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت تاريخاً ذكر فيهِ الوقائع والحوادث التي جرت في زمانهِ وذلك من أيام المقتدر بالله الى ايام الطائع وكل هذه الآثار ضائعة لا يُعرف لها نسخة ثابتة . وقد اشتهر من اولادهم بعـد ذلك قومٌ اسلموا وبرعوا في الكتابة منهم ابو اسحاق ابراهيم صاحب الرسائل وهلال بن المحسن صاحب تاريخ الوزراء الذي طبعهُ في مطبعتنا الاديب اميدروس (H. F. Amedroz)

١٢ (تاريخ نشيون الترجمان) كان هذا من نساطرة بغداد يحسن النقـل من السريانيّة الى العربيّة فدعي بالترجمان وقد ذكرهُ ابن النديم في الفهرست وعاش في اواخر القرن الثالث للهجرة . ولهُ كتاب تاريخ في اخبار الاطباء نقل عنهُ ابن ابي اصيبعة قطعاً ذكرها لهُ نيّفاً وثلاثين مرّة . لكن ذلك التاريخ ضاع بكيد الزمان

١٣ (عبيد الله بن جبرائيل) عبيد الله هذا احد فروع دوحة بني بختيشوع التي نقل اخبارها في المشرق (٨ : ١٠٩٧—١١٠٥) جناب مكاتبنا البغدادي يوسف افندي غنيمة . توفي سنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) ولهُ ما خلا التآليف الطبيّة كتاب مناقب الاطباء جمع فيهِ كثيراً من اخبار الاطباء واستشهد بهِ ابن ابي اصيبعة في تاريخهِ مراراً متعددة لكنّهُ اليوم ضائع

١٤ (تاريخ يحيى التكريتيّ) اسمهُ ابو نصر يحيى بن جرير (ويروى حرير بالحاء المهملة ويروى حريز بالحاء والزاي) اصلهُ من تكريت مدينـة على دجلة بين الموصل وبغداد . ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (١ : ٢٤٣) وذكر اخاهُ الفضـل فوصف كثرة اطّلاعهِ في العلوم وخبرته في صناعة الطبّ . ثم قال عن يحيى : كان كاخيهِ

في العلم والفضل والتميّز في صناعة الطب وكان موجودًا في سنة ٤٧٢ (١٠٨٠ م) وعدّد لها كتبًا صنّفاها في الطب. وليحيى كتاب في التاريخ ورد ذكرهُ في تاريخ حلب لابن شحنة قال (ص ١٠ من نسخة مكتبتنا) : « انّ ابا النصر يحيى بن جرير الطبيب التكريتي النصرانيّ صنّف كتابًا في التاريخ جمعهُ من عهد آدم الى دولة بني مروان » وكان بنو مروان امراء على ميّافارقين وقد خدم يحيى منهم نصير الدولة ابا نصر احمد بن مروان . وليحيى التكريتي كتاب آخر جليل في اعتقاد النصارى دعاهُ كتاب المرشد مرَّ وصفهُ (في المشرق ٩ : ٦٤٧)

١٥ (تاريخ المبارك بن شرارة) قال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٣٠—٣٣١)

« هو ابو الخير الطبيب الكاتب الحلبي هذا رجلٌ كاتب طبيب من اهل حلب نصراني . . . ولهُ جرائد مشهورة بحلب عند اهلها . . . يعرفونها بالجرائد الحكميات . . . ولم يزل ابن شرارة هذا مقيمًا بحلب يتقلّب في صناعتهِ الى ان دخلت دولة الترك ووَلِيَها رضوان بن تُتُش وحضر يومًا عندهُ وهو يشرب فحملهُ السكر على ان قال لهُ : أسلم . فامتنع فضربهُ بسيفٍ كان في يده اثّر في جسمهِ بعض اثر فنزل من بين يديهِ ولم يَعُد الى داره . وفرَّ على وجهه الى انطاكية وخرج عنها الى مدينة صور واقام هناك اقامة الغريب المسكين وادركتهُ وفاته بصور فنُودي عليهِ نداء الغريب ودُفن بها في حدود سنة ٤٩٠ (١٠٩٧ م) »

ثم وصف لهُ تاريخًا بقولهِ : « ولابي الخير هذا كتاب في التاريخ ذكر فيهِ حوادث ما قرب من ايامهِ يشتمل على قطعة حسنة من اخبار حلب في اوانهِ ولم اجد منهُ سوى مختصر جاءني من مصر اختصرهُ بعض المتأخرين اختصارًا ليس فيهِ بطائل » . (قلنا) وقد ورد ذكر هذا المؤرخ في كتاب الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب لمحمّد بن شحنة الذي تولّى نشرهُ آخرًا في مطبعتنا جناب الفاضل يوسف افندي اليان سركيس (ص ٨٣) عند ذكرهِ هياكل النصارى في حلب . وتاريخ ابن الخير مفقود في يومنا

١٦ (تاريخ ابن الحمّار) اسمهُ ابو الخير بن سوار بن بابا بن بهنام وكان نصرانيًا عالمًا باصول صناعة الطبّ ماهرًا في العلوم الحكميّة وكان قرأ الحكمة على يحيى ابن عدي ونقل كتبًا كثيرة من السرياني الى العربي وكان السلطان محمود خصَّهُ بخدمتهِ وكان يجلّهُ ويعظمهُ لزهدهِ وتواضعهِ . ومن كتبهِ التاريخيّة كتابهُ في سيرة الفيلسوف ومقالتهُ في الافصاح عن رأي القدماء في الباري تعالى وفي الشرائع ومورديها وكتاب

تصفُّح ما جرى بين ابي زكريَّا يحيى بن عديّ وبين ابي اسحاق ابراهيم بن بكوس ولـهُ ايضاً كتاب في ثلاث مقالات دعاهُ الوفاق بين راي الفلاسفة والنصارى (اطلب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٣٢). ازهر ابن الخمار في القسم الاخير من القرن الرابع للهجرة والحادي عشر للمسيح

١٧ (تاريخ ابن الماتي) اسمهُ ابو المكارم اسعد بن الخطير كان من كتَّاب النصارى في القاهرة ثمَّ اسلم وتوفي سنة ٦٠٦ (١٢١٠ م) بعد ان هرب الى حلب خوفاً من الوزير صفي الدين بن شكر ولهُ ديوان شعر وقد نظم سيرة السلطان صلاح الدين. بيد انَّ هذه القصيدة التاريخيَّة سطا عليها نابُ الدهر

١٨ (تاريخ هوروشيوش) هذا التاريخ استشهد بهِ غير مرَّة ابن خلدون في تاريخه الكبير كتاب العبر (٢ : ٢٠٢—٢٠٨ الخ) وكان هذا التاريخ نقل الى العربيَّة فاخذ عنهُ ابن خلدون. واصل الكتاب في اللاتينيَّة كتبهُ بولس اوروزيوس او هوروشيوش الاسباني في القرن الخامس للمسيح. اما الترجمة العربيَّة ففقودة

٢ التواريخ النصرانيَّة السالمة

١٩ (تراجم الابرار) أقدم ما سلم من آثار التاريخ لكتَبَة مسيحيّين سيرُ لبعض قدماء الابرار وتراجم لاولياء الله. فمن ذلك ما وجدهُ العلامة تيشندُرف في اديرة الصعيد من الرقوق والمخطوطات الراقية الى القرن التاسع للميلاد الموجودة اليوم في خزائن بطرسبرج والواتيكان وستراسبورغ وليبسيك فيها تراجم لبعض القديسين معرَّبة في الغالب عن اصول يونانية لاسيما عن كتابات كيرلُس البَيساني كتراجم القديسين سابا وثاودوسيوس وابيفانيوس. وقد نشر المشرق (٨ : ٢٥٨—٢٦٥) شيئاً من تلك الآثار القديمة كترجمة القديس ابراميوس التي ابرزها الخوري گراف واثبت رسم احدى صفحاتها. وكترجمة القديس افثيميوس التي عُني بنشرها آخراً حضرة الاب پيترس (ص ٣٤٤—٣٥٣). فانَّ هذه البقايا الجليلة وان لم يُعرف الذين نقلوها الى العربيَّة الَّا انَّها ثمينة لمعرفة لغة نصارى العرب بعد الاسلام

٢٠ (تاريخ المنبجيّ) لعلَّ هذا التاريخ اوَّل تاريخ منظَّم قام بصنعهِ احد الكتبة النصارى. وقد عرفهُ المسعودي فذكرهُ في كتابهِ المعنون بالتنبيه والاشراف (ص

١٥١) قال: واحسن كتاب رأيتهُ للملكية في تاريخ الملوك والانبياء والامم والبلدان وغير ذلك كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفرّاش المصري بطريرك كرسي مارقس بالاسكندريّة » . وتاريخ المنبجي قسمان قسم ينتهي الى ملك تاودوسيوس الصغير (٤٠٨—٤٣٩) ومن هذا القسم عدّة نسخ مخطوطة في هذه الجهات منها نسختان في مكتبتنا الشرقيّة ونسخة في مكتبة دير سيّدة الشرفة ونسخة رأيناها سابقًا في دير الاريزة وهي اليوم في دير فيطرون . وفي خزانة كليّة اكسفرد نسخة منهُ ولعلّها الوحيدة في اوربّة . اما القسم الثاني فلا يُعرف منهُ الّا نسخة فريدة في خزانة مدينة فلورنسة في ايطالية وهو يتناول اخبار الازمنة بعد تاودوسيوس الصغير الى عهد المؤلف وقد باشرنا بطبع هذا التاريخ منذ سنتين والامل أن ننجزهُ قريبًا . واسم الكتاب « العنوان المكلّل بفضائل الحكمة المتوّج بانواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة » اما المؤلف فيُدعى « الشيخ الفاضل العلّم العامل الفيلسوف الكامل اغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي » فاسم اغابيوس بالروميّة يوافق اسم « محبوب » بالعربيّة وقد صنّف اغابيوس تاريخهُ لرجل يُدعى عيسى بن الحسين في اوائل القرن العاشر للمسيح وفي مقدّمتنا على هذا التاريخ ذكرنا ما يُعرف من ترجمة صاحبه

٢١ (تاريخ ابن البطريق) هو افتيشيوس البطريرك الملكي الذي عُرف بين العرب باسم سعيد وذكرهُ انفًا المسعودي واردف قائلًا : « وقد شاهدناهُ بفسطاط مصر انتهى بتصنيفه (يريد تاريخهُ) الى خلافة الراضي » . وكان مولد ابن البطريق في الفسطاط سنة ٢٦٣ (٨٧٧) وتولّى البطركيّة سنة ٣٢١ (٩٣٣) وكانت وفاتهُ سنة ٣٢٨ (٩٤٠) . وقد صنّف ابن البطريق كتبًا طبيّة لانهُ كان متطبّبًا كاخيه عيسى بن البطريق . اما تاريخهُ فيعرف ايضًا بنظم الجوهر قال ابن ابي اصيبعة في وصفه (ج ٢ : ٨٦) : « ولسعيد بن البطريق كتاب نظم الجوهر ثلاث مقالات كتبهُ الى اخيه عيسى بن البطريق المتطبّب في معرفة صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم واعيادهم وتاريخ الخلفاء والملوك المتقدمين وذكر البطاركة واحوالهم ومدّة حياتهم ومواضعهم وما جرى لهم في ولايتهم » وهذا التاريخ طبع لاوّل مرّة في اصلهُ العربي وترجمتهِ اللاتينيّة في اكسفرد ١٦٥٨—١٦٥٩ بهمّة المستشرق الشهير ادورد بوكوك (E. Pocock) . وقد جدّدنا طبعهُ آخرًا بعد مراجعة الكتاب على عدّة نسخ خطيّة قديمة منها نسخة حسنة في خزانة مكتبتنا الشرقية

٢٢ (تاريخ الذيل) هو الذيل على تاريخ ابن بطريق السابق ذكرهُ وضعهُ نسيبٌ لسعيد بن البطريق يدعى يحيى بن سعيد بن البطريق الانطاكي ففصّل الاخبار الدينيَّة والمدنيَّة التي جرت بعد ابن البطريق من السنة ٣٢٨ (٩٤٠) الى سنة ٤٢٥ (١٠٣٤) . ويُعرف من هذا الذيل عدَّة نسخ مخطوطة في باريس وبطرسبورج ودمشق وفي مدرسة ثلاثة اقمار للروم الارثدكس في بيروت . ولم يطبع هذا التاريخ بتمامهِ سابقًا الَّا انَّ العلَّامة الروسي البارون ڤون روزن (B. V. von Rosen) كان نشر منهُ قسمهُ المدنيَّ سنة ١٨٨٣ في بطرسبورج مع ترجمتهِ الى الروسية . واذًا انتهينا من طبع تاريخ ابن البطريق ألحق بهِ احد فضلاء المستشرقين البارون كارا دي ڤو (Bon. C. de Vaux) تاريخ الذيل بتمامهِ وعمَّا قليل يتمُّ طبعهُ مع روايات النسخ التي تُعرف منهُ جمعنا بعضها مع الاديب حبيب افندي زيَّات . وهو تاريخ جليل فيهِ عدَّة معلومات عن بلاد الشام ومصر الا توجد في غيرهِ . وسنعود الى ذكر شيءٍ منها ان شاء الله

٢٣ (تاريخ عريب القرطبيّ) هو عريب بن سعد القرطبي كان كاتبًا نصرانيًّا من اهل قرطبة ثم أسلم وكتب للخليفتين عبد الرحمان بن محمَّد الناصر لدين الله ولابنهِ الحكم بن عبد الرحمان وكانت وفاتهُ سنة ٣٦٦ (٩٧٧ م) ولهُ في التاريخ مختصر لتاريخ ابن جرير الطبري وزاد عليهِ اشياء واتمَّهُ الى زمانهِ واضاف اليهِ خصوصًا تاريخ المغرب والاندلس . وقد نشر قسمًا من هذا التاريخ المستشرق الهولندي دوزي (Dozy) في ليدن سنة ١٨٤٨

٢٤ (تاريخ ابن المقفَّع) هو الانبا ساويرس بن المقفَّع كان مصريًّا واشتهر بالكتابة وسُقف على مدينة الاشمونين نحو سنة ٩٨٠ م . قد ذكرهُ ابو البركات المعروف بابن كبر في كتابهِ مصباح الظلمة وعدَّ لهُ ٢٦ كتابًا اكثرها في الدينيَّات والادبيات والتفاسير . ولهُ تاريخ كبير في بطاركة الاسكندريَّة من القديس مرقس الى زمانهِ يُعنى الآن بطبعهِ في مطبعتنا المستشرق الالماني سَيبُلد (Dr Seybold) وقد انجز منهُ قسمًا وكذلك باشر بنشرهِ في باريس احد الانكليز المسمَّى ايفتس (B. Evetts)

٢٥ (كتاب الازمنة لايليا مطران نصيبين) هو اليَّا برشينا مطران نصيبين النسطوري الكاتب الشهير المتوفى نحو السنة ١٠٤٩ للمسيح ولهُ تآليف سريانيَّة وعربيَّة متعدِّدة منها كتاب دفع الهمّ الذي مرَّ لنا وصفهُ وكتاب المجالس . وقد ألَّف اليَّا

المذكور في التاريخ كتاباً كبيراً تمتدُّ اخبارهُ من السنة ٢٣ للمسيح الى السنة ١٠١٨ وقد كتب هذا التاريخ بالسريانية ونقلهُ الى العربيَّة وضمَّنهُ اخباراً عديدة من امور الدين والدنيا معاً وقد قدَّم عليهِ جداول تاريخيَّة مفيدة ضمَّنها ملخَّص تاريخ الدول القديمة قبل المسيح وقد طُبع قسم فقط من هذا التأليف الذي لا يُعرَف لهُ سوى نسخة واحدة غير كاملة في المتحف البريطانيّ . وهذا التاريخ هو الذي سمَّاهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبَّاء (١ : ٧٢) بتاريخ الازمنة ونقل ما قالهُ في مدحهِ عبيدالله ابن جبرائيل بن عبيد الله ابن بختيشوع السابق ذكرهُ (في العدد ١٣)

٢٦ (ابن المكين) هو جرجس ابن ابي الياسر بن ابي المكارم بن ابي الطيب ابن قرونة بن الطيّب الشهير بالشيخ المكين بن العميد وقد اخبر في تاريخهِ انَّ جدَّهُ الطيّب بن يوسف كان تاجراً من تكريت فقدم مصر في ايام الآمر بالله وحظي لدى الخليفة الفاطميّ فانعم عليهِ بقرية اسمها بيدة مجاورة لدماص ثم قام اولادهُ من بعدهِ واشتهروا بالكتابة في الدواوين العربيَّة وترهَّب بعضهم وكان ابو المؤرخ يشتغل في ديوان الجيش فخدمهُ ٤٥ سنة وتوفي سنة ٦٣٨ (١٢٤١) فخلفهُ جرجس في منصبهِ وكان يسمَّى ايضاً عبد الله وبقي سنين في خدمة ملوك مصر لكنَّهم تغيَّروا عليهِ وحبسوهُ مدةً وانتقل في آخر حياتهِ الى دمشق وفيها مات سنة ٦٧٢ (١٢٧٤ م) وكان يعقوبي النحلة . ولجرجس ابن العميد تاريخ واسع من اوَّل العالم الى ايامهِ على قسمين فالقسم الاوَّل الى الهجرة لا يزال مخطوطاً ولم يُنشر بالطبع . منهُ نسخ في الواتيكان وباريس ولندن . امَّا القسم الثاني فقد اختصر فيهِ تاريخ ابن جرير الطبريّ في القرون الاسلاميَّة الاولى ثم أُلحق بهِ تاريخ القرون الثلاثة التي بعدهُ . وهذا القسم الثاني طبعهُ في ليدن العلَّامة اربانيوس (Erpennius) سنة ١٦٢٥ وترجمهُ الى اللاتينيَّة ثم نُقل هذا القسم الى لغات عديدة وتكرَّر طبعهُ

٢٧ (تاريخ ابن الراهب) هو ابو شاكر بطرس بن ابي الكرم بن المهذَّب الشهير بابن الراهب احد الكتبة المصريين اليعاقبة اشتهر في القرن الثالث عشر ولهُ كتاب تواريخ واسع ضمَّنهُ اخبار العالم والخلفاء والملوك مع جداول تاريخيَّة وازياجاً مبنيَّة على اصول علم الهيئة . ومن هذا الكتاب قسم تاريخي متواصل قائم بذاتهِ منهُ نسخة في مكتبة الواتيكان نقلها العلامة ابراهيم الحقلاني الى اللاتينيَّة ثمَّ صححها الشهير يوسف

شمعون السمعاني وكرّر طبعها . امّا الاصل العربي فلم يُطبع ساجًا وقد نشرناهُ في مطبعتنا على نفقة الخوري شابو الفرنسوي مع الترجمة اللاتينيّة القديمة بعد ضبطها على الاصل سنة ١٩٠٣ . ولابن الراهب آثار منها تاريخ المجامع الاولى وكتاب في لغة القبط . امّا التاريخ المطوّل مع جداوله فمنهُ نسخة في لندن وفي دير الشرفة للسريان الكاثوليك

٢٨ (تاريخ النصرانيّة لاحد النساطرة) هذا التاريخ مصون في مكتبة الدار البطركيّة للكلدان الكاثوليك في الموصل كنّا استنسخناهُ سنة ١٨٩٦ مفكّرين في طبعهِ ثم اعلمنا سيادة مطران سعرد السيّد ادي شير ابرهينا انّهُ باشر بطبعهِ في باريس وانهُ انجز قسمهُ الاوّل فسرّنا الامر لفوائد الكتاب وكثرة معلوماتهِ عن نصارى الشرق واديرة العراق وما بين النهرين في القرون العشرة الاولى للميلاد . امّا المؤلف فلا يعرف من امرهِ شيء مقرّر ولعلّهُ عاش في القرن الثالث عشر اذ يشير الى خلافة الملك الظاهر المتوفي سنة ١٢٢٦ . ويظنّ سيادة المطران ادّي انّهُ لاحد هؤلاء الكتبة النساطرة الثلثة اعني يشوع بر ملكون او سبريشوع بر بولس او سليمان البصري والله اعلم . ولعلّنا نعود فنقتطف منهُ للقرّاء بعض فصولهِ المهمّة

٢٩ (مجموع تاريخي لكاتب كلداني) هذا المجموع قديم الكتابة صفيق الورق عتيقهُ يرتقي عهدهُ الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر وهو من جملة مخطوطات المتحف البريطاني في لندن (Or. 2433) يحتوي فصولًا تاريخيّة من العهد القديم والعهد الجديد الّا انّ صاحبهُ مجهول لسقوط اوّلهِ وآخرهِ وهو كلداني كما يظهر الامر من وصفهِ لاحوال الكلدان واخبارهم وشؤونهم الدينيّة . ومن فصولهِ التاريخيّة ما ذكر فيهِ اوّل الكنيسة وابتداء النصرانيّة وملخّص اخبار الرسل والاحبار الرومانيين وبطاركة انطاكية ومارك الروم وهلمّ جرّا وسننشر منهُ ان شاء الله بعض فوائدهِ

٣٠ (اخبار ابن البطلان) هو المختار بن الحسن بن عبدون من اهل بغداد وكان يُسمّى ايضًا يوانيس كان تتلمذ لابي الفرج عبد الله الشهير بابن الطيب ثم صنّف الكتب المفيدة في الطبّ والآداب وسافر من بغداد الى مصر سنة ٤٤١ هـ وتجوّل في انحاء الشام وتوفي بعد السنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) ولابن بطلان اشعار كثيرة ونوادر ظريفة ومن كتبهِ كتاب دعوة الاطبّاء . ألّفهُ للامير نصر الدولة احمد بن مروان وكتاب دعوة القسوس الذي وجدنا منهُ قطعًا فنشرناها في المشرق (٦ : ٤٦٦) . وقد صنّف كتابًا

بهذا الاسم القس يعقوب المارداني على ما روى ابن المسأل في مقدمة اصول الدين. ولابن بطلان فصول تاريخيَّة في احوال زمانهِ ووصف اسفارهِ لعلَّنا ننقل منها شيئاً

٣١ (تاريخ ماري بن سليمان) عاش ماري بن سليمان في القرن الثاني عشر وكان نسطوريًا وألف كتابًا دينيًا كبيرًا في المعتقدات الدينيَّة وتاريخ الدين دعاهُ كتاب المجدل منهُ نسخ في مكاتب الواتيكان وباريس والموصل. وقد عمد حضرة الاب هنري جسمندي اليسوعي الى قسم الكتاب التاريخي فطبعهُ في رومية ونقلهُ الى اللاتينيَّة وهذا القسم يشمل اخبار بطاركة المشرق منذ دخول النصرانيَّة في بلاد العراق الى زمن المؤلف. ولهذا الكتاب روايتان مع زيادات واختلافات عُني بهما مؤلفان كلدانيَّان في القرن الرابع عشر احدهما عمرو بن متى الطيرهاني والآخر صليبا بن يوحنا الموصلي وهاتان الروايتان قد نشرهما ايضاً حضرة الاب جسمندي مع ترجمتهما اللاتينيَّة وعلَّق عليهما الملحوظات والحقهما بالفهارس المفيدة

٣٢ (تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني) ويدعى ابا صالح ايضاً كان في ايَّام الخليفة المستنصر وكتب سنة ٥٦٤ (١١٦٩) وكان يعقوبيًا ومدار كتابهِ عن مصر وشؤونها المختلفة وقد اتَّسع خصوصاً في ذكر احوالها الدينيَّة وما جرى لمَّتهِ من الاخبار في زمانهِ ولهُ فصول مفيدة في كنائس مصر واديرتها وآثارها ومشاهدها القديمة والحديثة ومن هذا الكتاب نسخة وحيدة في مكتبة باريس كنَّا نسخناها لفوائدها ثمَّ عُني بنشرها العالم الانكليزي ايفتس (B. T. A. Evetts) فنشرها في اكسفرد سنة ١٨٩٥ ونقلها الى الانكليزيَّة واضاف اليها الاستاذ بُتلر العالم بتاريخ الشرق المسيحي عدَّة حواشٍ وملحوظات نجاءت هذه الطبعة مستوفية المحاسن

٣٣ (تاريخ ميخائيل الكبير) هو ميخائيل ابن ايليَّا الماطي القينداسي اقامهُ اهل ملَّتهِ اليعقوبيَّة بطريركًا عليهم سنة ١١٦٧ فرعاهم الى سنة ١٢٠٠ سنة وفاتهِ ولهُ تاريخ كبير كتبهُ بالسريانية وهو اليوم يطبع في باريس. قد نُقل هذا التاريخ الى العربيَّة في القرن الرابع عشر ومن هذه الترجمة نسخة خطيَّة في المتحف البريطاني وقد وجدنا منها نسخة اخرى في قرية صدد عند شيخ الضيعة وهو يعقوبي

٣٤ (كتاب النحلة لسليمان البصري) كتب سليمان اسقف البصرة النسطوري هذا الكتاب بالسريانيَّة نحو السنة ١٢٢٢ وقد عُرِّب منذ عدَّة قرون وهو مجموع تاريخي

فيه الغث والسمين قد اودعهُ صاحبهُ افادات عديدة عن تاريخ العهدين القديم والحديث والاخبار الواردة فيه منهـا دينيّة ودنيوية عن الرسل والبطاركة النساطرة وملوك مصر والرومان وفارس . وهذا الكتاب قد طبعهُ العلامة بدج (Budge) ونقلهُ الى الانكليزيّة . ومن ترجمته العربيّة نسخة حديثة في مكتبتنا منقولة عن نسخة قديمة في دير الشرفة

٣٥ (تاريخ ابن العبري) قد اثبتنا في السنة الاولى من المشرق ترجمـة هذا الرجل العظيم وسردنا اعمالهُ ومصنَّفاته العديدة التي جملتهُ في مقدَّمـة كتبة السريان فنحيل القرَّاء الى تلك النبذة المطوَّلة التي نشرناها على حدة بالطبع وقد خصَّصنا هناك فصلًا لكتبه التاريخية (المشرق ١ : ٥٠٨) السريانيَّة والعربيَّة . وتاريخهُ العربي الشهير هو كتابهُ في مختصر الدُّول الذي جدَّد نشره حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي بعـد طبعة بوكوك في القرن السابع عشر ولا حاجة لوصف هـذا التاريخ مع شيوعهِ . توفي ابن العبري سنة ١٢٨٦

٣٦ (كتاب التواريخ لصليبا الموصلي) وهو الكتاب الذي يُدعى ايضًا باسم اسفار الاسرار صنَّفهُ سنة ١٦١٣ لليونان (١٣٣٢ للمسيح) الكاهن النسطوري صليبا ابن يوحنَّا القسيس الموصلي . منهُ نسخة بالكرشوني في مكتبة كمبردج موسومة بالعدد ٢٨٨٩ (Add. 2889) وقد وصف العلَّامـة ريت (Wright, II, 754—792) هذا الكتاب وصفًا مستطيلًا وبيَّن ما يحتويه من الفصول المتعدِّدة في تاريخ اخبار الشرق المسيحي لاسيما العراق وما بين النهرين والنساطرة

٣٧ (كتاب البستان) هذا الكتاب يحتوي اخبار الآباء القديسين والرهبان الصالحين واقوالهم وتعاليمهم ولاسيما نسائك الصعيـد . وهو يشبه كتاب المرج الروحي لموسكوس (Migne PP. LL., 44, vol. LXXIV, p 123) وتاريخ پلَّاديوس الذي وصفناه في المشرق (١٠ : ١٧٧—١٨٣) . ومن هذا الكتاب نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقية سبق لنا وصفها (المشرق ٧ : ١٠٦٨) يرقى تاريخها الى القرن السابع عشر

٣٨ (تاريخ ابن القلاعي) هو اوَّل تاريخ للطائفة المارونيَّة صنَّفهُ جبرائيل بن القلاعي اللحفدي والراهب الدومنيكي الذي سُقف بعد ذلك في لبنان . وهذا التاريخ كلُّهُ زجليَّات باللهجـة العاميَّة لم يُطبع منها الَّا نُتَف متفرقة . ومنهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة ولهُ قصائد تاريخيَّة في تاريخ النصرانيَّة وملوك الرومان وقسطنطين الكبير وبعض

القديسين الشرقيين كالقديس مارون ومار نهرا ومار جرجس وغيرهم . توفي ابن القلاعي سنة ١٥١٦

٣٩ (تاريخ متى جيفالا القبرصي) قد ألف هذا الكتاب باليونانية متى جيفالا في القرن السابع عشر وضمّنهُ اخبار ملوك بوزنطية ثم اخبار سلاطين الاتراك وفتحهم لقسطنطينية الى عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٢٤ . وقد عرّب هذا التاريخ بايعاز البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي الخوري يوسف المصوّر ودعاه الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقية

٤٠ (تواريخ بريسيوس) بريسيوس كان راهباً كابوشياً ومرسلاً الى بلاد الشرق في اواسط القرن السابع عشر . لهُ مختصر مجموع من التواريخ المقدّسة منذ الخليقة الى عهد المسيح طبعهُ بالعربيّة واللاتينية في رومية في مطبعة يوسف قمر (Luna) الماروني سنة ١٦٥٥ . وقد اختصر ايضاً تواريخ باروتيوس الكنسيّة في ثلاثة مجلّدات فطبعهُ في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٦٧٣

٤١ (سياحة الخوري الياس الموصلي) هي السياحة التي وصف فيها الخوري الياس الموصلي الكلداني رحلتهُ من ايطالية الى اسبانية الى اميركة (١٦٦٨—١٦٧٠) وهي اوّل سياحة تُعرف لكاتب شرقي الى تلك البلاد . وهذه الرحلة قد نشرها حضرة الاب انطون رباط اليسوعي في المشرق في سنتهِ العاشرة ثمَّ طبعها على حدة واضاف اليها الفهارس . وهي منقولة عن نسخة فريدة في مكتبة الدار الاسقفية السريان الكاثوليك في حلب

٤٢ (تواريخ البطريرك مكاريوس) تولّى البطركيّة الانطاكيّة من السنة ١٦٤٣ الى ١٦٧٧ ولهُ تواريخ عديدة منها تاريخ العالم من عهد آدم الى ايام قسطنطين يوجد منهُ نسخة عند حضرة القس جرجس منش الماروني في حلب ثم اراد البطريرك مكاريوس تتمّة هذا التاريخ الى زمانهِ فاختار كتاب متّى جيفالا السابق ذكرهُ فأخرجهُ لهُ الخوري يوسف المصوّر . ومن تآليفهِ تاريخ السبعة المجامع الكبار المقدّسة . وتاريخ الكرسي الانطاكي الى زمانهِ . ولهُ اخبار بطاركة الدنيا الذين صاروا على الاربعة الكراسي البطركيّة اي القسطنطينيّة وانطاكية واورشليم من عهد الرسل الى زمانهِ . واخبار القديسين وكتاب النحلة جمع فيهِ معلومات متعددة من المؤرخين اليونان وغيرهم عن الشرق

٤٣ (تاريخ ابي دقن) اسمهُ يوسف ابو دقن وكان مصري المولد وعلّم العربيَّة في كليَّات اوربَّة في القرن السابع عشر فكتب تاريخًا مختصرًا لطائفتهِ ضمَّنهُ مجمل تاريخ القبط والصعيد والحبشة وقد طبع هذا التاريخ الانكليزيُّ هافر كامب (Havercamp) في ليدن من اعمال هولندة سنة ١٧٤٠ مع تذييلات للمستشرق جان نيقول (J. Nicoll)

٤٤ (تاريخ الدويهي) هو البطريرك الجليل اسطفان الدويهي الماروني الذي اشتهر بمصنَّفاتهِ الطقسيَّة وغيرها. ولهُ تاريخان تاريخ الطائفة المارونية وهو الذي نشره بالطبع المرحوم رشيد الشرتوني في مطبعتنا سنة ١٨٩٠. وتاريخ الازمنة ضمَّنهُ اخبار الملوك والسلاطين والدول منذ ايَّام الصليبيين الى زمانهِ وهذا الكتاب طُبع على الحجر الَّا انَّ نسخهُ قليلة جدًّا

٤٥ (تاريخ طور سينا) من هذا التاريخ نسخة خطيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ١٧١٠ يحتوي وصف طور سينا واثارهِ وابنيتهِ وجدول اساقفتهِ وقد طبعنا هذا الجدول مع ترجمتهِ الفرنسويَّة في نشرة مكتبتنا الشرقي السنة الثانية. ثم افادنا حضرة الاب وَاليَه الصعودي (Echos d'Orient. XI, 127) انَّ هذا التاريخ معرَّب عن اصل يوناني «يدعى دليل طور سينا» في اوائل القرن الثامن عشر

٤٦ (تاريخ ابن الحمَّال) هذا التاريخ يذكر اخبار العالم من التكوين الى قسطنطين الكبير ويصف البدع القديمة. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ١٧٤٥ ولا نعرف من امر كاتبها شيئًا. والظاهر انهُ كان من الروم الملكيين

٤٧ (تاريخ روايومندوس) روايومندوس دير في فرنسة نُسب اليهِ هذا التاريخ الذي ألَّفهُ نقولا فنتان رئيسهُ في القرن السابع عشر وهو قسمان للعهد القديم وللعهد الجديد عرَّبهما الاب بطرس فروماج اليسوعي السنة ١٧٣٣ وقد طبع الكتابان في مطبعتنا بعد تنقيحهما. ومنهما نسخة خطيَّة في مكتبتنا كُتبت على عهد المعرَّب

٤٨ (تاريخ الاديان المتفرقة في الشرق) كُتب هذا الكتاب باغراء خريسنطر البطريرك الاورشليمي (١٧٠٧—١٧٥١) ولا يُعلم كاتبهُ وانَّما يتضمَّن نظرًا تاريخيًّا في مبادئ واصول الاديان المتفرقة في الشرق الخارجة عن دين المسيح وقد طبع هذا الكتابَ في برلين المستشرقُ ج. ه. برنشتين سنة ١٨١٧ ونقلهُ الى اللاتينيَّة والحقهُ بعدَّة حواشي

٤٩ (تاريخ الانشقاق) هو تاريخ مخطوط منهُ ثلاث نسخ في مكتبتنا الشرقية ومؤلفهُ احد الاباء اليسوعيين في اواسط القرن الثامن عشر والمرجح انهُ الاب بطرس فروماج وقد دعاهُ «الدمع المسجوم الى انشقاق الروم» وهو اصح ما وُضع عن تاريخ الانشقاق الفوطيُّي مستندًا على اقدم شواهد المؤرخين

٥٠ (تاريخ القس يوحنا العجيمي) كتاب التواريخ المليسة في شرح احوال البطركيَّة الانطاكيَّة ويسميه البعض تختيكون الكنيسة الانطاكيَّة ألَّفهُ القس يوحنا العجيمي الراهب الحناوي وضمَّنهُ اخبار بطاركة انطاكية الى السنة ١٧٥٩. وفي مكتبتنا من هذا الكتاب نسخة مخطوطة مع تتمَّة تاريخ الطائفة الملكيَّة الى اواسط القرن التاسع عشر بقلم القس انطون بولاد

٥١ (تاريخ الخوري ميخائيل بريك) كان المؤلف في اواخر القرن الثامن عشر فاستند الى تاريخ البطريرك مكاريوس الحلبي وتصرَّف فيهِ في بعض اشياء وزاد عليهِ اخبار الذين كانوا بعد عهد مكاريوس ودعا كتابهُ تاريخ بطاركة انكرسي الانطاكي وقد طُبع هذا الكتاب في مصر منذ عهد قريب تحت اسم «الحقائق الوضيَّة في تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة والارثذكسيَّة» ولدينا منهُ نسخة خطيَّة اضبط واكمل منسوخة عن نسخة الخزانة البطريركيَّة للروم الارثذكس في دمشق

٥٢ (تاريخ دير رومية نافيجلا (Navicella) للخوري قسطنطين طرابلسي هذا التاريخ كتبهُ في رومية وكيل رهبنة الخوري قسطنطين طرابلسي الحلبي واودعهُ اخبار هذا الدير بل تاريخ الروم الملكيين وغيرهم في رومية من السنة ١٧٢٦ الى ١٧٧٣ وبها أُلغيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة بامر البابا اكليمنضوس الرابع عشر. وقد ختم الكاتب تاريخهُ بتدوين هذا الخبر المهمّ لكنَّهُ ابدى فيهِ حكمًا غريبًا لا يوافق الصواب. وهذا التاريخ قد نسختهُ في حلب عن نسخة لدى احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل

٥٣ (تاريخ السيّد فلوري) للخوري فلوري الفرنسوي (Fleury)(١٦٤٠ — ١٧٢٣) احد كتبة القرن السابع عشر تاريخ كنائسي شهير لا يخلو من بعض المعاداة لسلطة الاحبار الرومانيين. فهذا التاريخ قد عرَّبه القس جرجس طحان احد كهنة طائفة الروم الكاثوليك في حلب في اواخر القرن الثامن عشر. منه قسمهُ الاوَّل في مكتبتنا الشرقيَّة

٥٤ (تاريخ الكردينال اورسي) هذا التاريخ من التواريخ الاوربية الواسعة يبلغ نحو ٥٠ مجلداً وقد عرّبه القس انطون صبّاغ نحو السنة ١٧٩٢ ومنهُ اربعة اجزاء في مكتبتنا الشرقية ونسخة كاملة في ٢٤ مجلداً في مكتبة الروم الملكيين في حلب

٥٥ (تاريخ ظاهر العمر لعبود الصبّاغ) ظاهر العمر هو الشيخ الذي استولى على عكا وبلاد بشارة في اواخر القرن الثامن عشر وحاربهُ الجزّار فغلبهُ. وكان كاتبهُ لهذا الشيخ ابراهيم الصبّاغ فقُتل في نكبتهِ. ولابراهيم حفيد يدعى عبُّودًا كتب اخبار ظاهر العمر فسمّى كتابهُ « الروض الزاهر في تاريخ ظاهر » منهُ نسخة في مكتبة باريس (اطلب المشرق ١٠: ٤٦٩)

٥٦ (تاريخ الاسرة الصبّاغية) كتب تاريخ بيت الصبّاغ الملكيين احدُ اعضاء تلك الاسرة ميخائيل الصبّاغ منذ اوّل ظهورها في الشوير في القرن السابع عشر الى ايّامهِ. ومن هذا التاريخ نسخة في مكتبتنا نقلًا عن الاصل الموجود في مكتبة مونيخ. توفّي ميخائيل الصبّاغ في باريس سنة ١٨١٦ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨: ٢٩). وللمذكور تاريخ آخر في قبائل البادية في زمانهِ مع جملة وقائع حدثت في الشام في عهدهِ

٥٧ (تاريخ القس حنانيّا منيّر) كان القس حنانيا راهباً من دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير اشتهر في ختام القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر. لهُ تاريخان في حوادث لبنان الواحد ديني يشتمل اخبار الرهبانية الحناويّة من اوّلها الى السنة ١٨٠٤ والاخر مدنيّ دعاهُ « الدرّ المرصوف في حوادث الشوف » من اوّل ظهور الشهابيين في لبنان (راجع الجزء الاوّل من كتابنا الآداب العربية في القرن التاسع عشر ص ١٧) ومن الكتابين نسخة في مكتبتنا الشرقية

٥٨ (تاريخ العينطوريني) اسمهُ انطونيوس ابن الشيخ ابي خطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور ضمّن تأليفهُ مختصر تاريخ لبنان مع افادات متعدّدة عن الجبل وتاريخهِ وامرائهِ وشيوخهِ واهلهِ واديرتهِ ورهبانهِ. ومن جملة ما نقل في كتابهِ رسالة للخوري يوسف مارون الدويهيّ في اصل الطائفة المارونية. وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة من عهد كاتبها

٥٩ (تاريخ قولا الترك) قولا الترك احد ندماء الامير بشير الشهابي وشعرائهِ.

وقد كان مغرماً بالتاريخ فصنّف تاريخ نابوليون الاوّل من سنة وفاة لويس السادس عشر ١٧٩٣ الى موت نابوليون سنة ١٨٢١. وقد طبع المسيو ديفرانج (Desgranges) قسماً من هذا التاريخ في باريس مع ترجمتهِ الى الفرنسويّة سنة ١٨٣٩. وقد رأينا منهُ نسخةً تامّة عند الدكتور اسكندر افندي البارودي وصنّف ايضاً تاريخ احمد باشا الجزّار ومنهُ نسخة في مكتبتنا. ولعلهُ مؤلف تاريخ آخر يحتوي حرب نابوليون مع بلاد النمسة طبع في باريس سنة ١٨٠٧ كما انّنا نرجح كونهُ مصنّف كتاب « نزهة الزمان في حوادث لبنان » من مخطوطات مكتبة باريس يحتوي اخبار الاسرة الشهابيّة منذ اقدم عهدها الى عهد الامير بشير (اطاب تاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر الجزء الاوّل ص ١٩)

٦٠ (تاريخ بطرس كرامة) هذا تاريخ كتبه المعلم بطرس كرامة الشاعر اذ كان في خدمة الامير بشير للالطي الكبير وقد اخذ عنه طنّوس الشدياق في اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٣) لكنّنا لم نقف عليهِ حتى الآن

٦١ (تاريخ الامير حيدر الشهابي) هو الامير حيدر ابن الامير احمد الشهابي ولد سنة ١١٧٧ وتوفي سنة ١٢٥١ (١٧٦٣–١٨٣٥) صنّف تاريخاً مطوّلاً من اول النصرانيّة الى زمانهِ. واهمّ ما فيهِ اخبار القرون الاخيرة من حكم بني معن على لبنان الى آخر عهد الشهابيين وتولّي الحكومة المصريّة على الشام. وقد دعا هذا التاريخ « الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان » منه نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وقد طبع نعوم افندي مغبغب القسم الاخير منه مباشرة من الهجرة الى اواسط القرن التاسع عشر ببعض تصرّف وكان طبعه في مصر سنة ١٩٠٠

٦٢ (تاريخ سليمان باشا) كتبهُ ابراهيم العوراء ابن المعلّم حنّا الرومي الملكي الكاثوليكي كان ابوهُ كاتباً للجزّار ثم لسليمان باشا خلفهِ فصنّف ابنهُ ابراهيم هذا التاريخ واودعهُ مجمل اخبار الشام في اواخر القرن الثامن عشر الى وفاة سليمان باشا سنة ١٨١٨ ومن هذا التاريخ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة. توفي ابراهيم العوراء سنة ١٨٦٣

٦٣ (تاريخ الدكتور ميخائيل مشاقة) طبع هذا التاريخ في مصر السنة الحاضرة تحت اسم « مشهد العيان بحوادث سوريّا ولبنان » ولعلّ هذا الاسم حديث اختاره

لهُ الاديان ملحم خليل عبدهُ واندراوس شخاشيري متولّيا طبعهِ. وهو يتضمّن حوادث الشام منذ ايام الجزّار الى اواسط القرن التاسع عشر. ولعلّ هذا التاريخ هو المصون في خزانة المتحف البريطاني (Catalog. Cod. Arab., n°944, p. 433) وهو يدعى هناك تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل برّ الشام والجبل من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ (١٧٨٢—١٨٤١) لميخائيل الدمشقي. ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في خزانة الكلية الاميركانية في بيروت

٦٤ (مجمل التواريخ القديمة) هو كتاب مخطوط حديث الكتابة في خزانة مكتبتنا الشرقية في ٢٢٢ صحفة يحتوي خلاصة تواريخ الشعوب القديمة لم يذكر اسم كاتبهِ ومؤلفهِ

ملحق

بعد اواسط القرن التاسع عشر توفرت التآليف النصرانيّة وكان للتاريخ بينها سهم وافر واكثرها ان لم نقل كلها منشور بالطبع فلا داعي لوصفها. الّا اننا نسرد هنا اسمها حسب تاريخ طبعها تتمّة للفائدة

١ التواريخ الدينيّة المطبوعة

١ تواريخ العهد القديم

مختصر تاريخ التوراة لاجل الشبان للمعلم شميد طُبع في مطبعة الفرنسيكان باورشليم سنة ١٨٥٦ (ص ١٧٥) = كتاب الفصول السنية في التواريخ القديمة للمعلم يلبز عرّبهُ وذيّلهُ المطران جرجس عبد يشوع الموصلي الكلداني طبع في الموصل ١٨٦٨ (٤٦٥) = ابتداء التعليم المسيحي اي مختصر الكتاب المقدس (للردم الارندكس) طبع في المطبعة العمومية ١٨٦٨ (٤٢) = مختصر التاريخ المقدّس عرّبهُ من اللاتينيّة ميخائيل سابكي طبعة اولى ١٨٥٨ (١٣٦) ثم كرّر طبعهُ وهذّبهُ احد الاباء اليسوعيين وترجمهُ الى الفرنسويّة فطبع مرارًا (٢٨٥). وطُبع ايضًا في المطبعة التجاريّة ١٨٨٩ بعض اختلاف = اهداء التوراة للاسقف ولش اسعد الشدودي. طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٩٠ (٢٠٢) = مختصر في التوراة المقدّسة بأسئلة واجوبة للسيد المطران افرام رابولا رحماني السرياني طبع في الموصل. الطبعة الثالثة ١٨٨٣ (٢٢٩) = مختصر المختصر في التواريخ المقدّسة لافادة المدارس الصغار للقس رافائيل جبري الموصلي طبع في بيروت في المطبعة العلميّة ١٨٠٨ ؟ (٤٨) = مختصر تاريخ المقدّس ترقساوي وعربي للمعلم ميخائيل عبد الله غبريل طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩٨ (٢٢٩)

٢ تواريخ السيّد المسيح

اخبار للعهد الجديد . عرّبهُ المعلم جرجس زوين طبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٨٧٣ (ص ٢٥٠+٢٠) = رحلة الفيلسوف الروماني لسيادة المطران جرمانوس معقّد طبع في المطبعة الشرقيّة في الحدث ١٩٠١ (٨٢٣) = حياة سيدنا يسوع المسيح للاب لاكاي عرّجا الخوري بطرس مبارك الماروني طبع في المطبعة الاديبيّة ١٩٠١ (٥١٣) = تاريخ حياة يسوع المسيح للاحداث للقس نيوتون (البروتستاني) طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٨٢ (٤٨٦) = كتاب تاريخ الفداء للرئيس بوتاثان ادوردس (البروتستاني) طبع في مطبعة الاميركان ١٨٦٨ (٤٠٢) = حياة الفادي المجيد للسيدة بدين طمسن (البروتستانيّة) تعريب سليم افندي البستاني طبع في مطبعة المعارف ١٨٦٩ (٢٤٤) = القلائد الدرّيّة في الحياة المسيحيّة ترجمة ابرهيم افندي الحوراني = السيرة السيدية لرزق الله حسون (١٩٠) = شهادة التاريخ للاهوت المسيح ترجمة جرجي بني (٢٠٩) وهذه الكتب الثلثة طُبعت في مطبعة الاميركان

٣ تواريخ الكنيسة

مختصر التاريخ الكنسي من زمن السيد المسيح الى السنة ١٨٧١ باشاسة واجوبة طبع في القدس سنة ١٨٧١ (ص ٢٨٠) = خلاصة تاريخ الكنيسة للمعلم لومند الافرنسي تعريب الخوري يوسف البستاني جزءان طبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت ١٨٨١ (٢١٩ و ٢٥٠) = مختصر تاريخ الكنيسة للمعلم لومون . عرّبهُ واتمّهُ القس يوسف داود السرياني في الموصل ١٨٧٧ (٢١٠) = مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة تاليف الخوري يوسف داود السرياني طبع في الموصل ١٨٧٧ (٤١١) = كتاب موجز التاريخ الكنسي للخوري ميخائيل الوف بحجم صغير طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩٠ (٢٢٢) = تاريخ كنيسة المسيح طبع في مالطة (طبعة بروتستانية) ١٨٣٩ (٢٤٩) = شرح حال الكنيسة طبع في فالته (طبعة بروتستانية) ١٨٤١ (٢٨٨) = تاريخ للكنيسة مطوّل لموسهيم . طبع في مطبعة الاميركان ١٨٧٥ (٨٥٢) = تاريخ الكنيسة قصير عرّبهُ يوحنا ابكاريوس (مطبعة الاميركان) = تاريخ كنائسي شريف جمعهُ اسبيريدون صرّوف الدمشقي طُبع في مطبعة القبر المقدس للروم في القدس ١٨٥٥ (١٩٣) = مختصر لهُ ١٨٥٥ (٤١) = الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة اختصرهُ استفانوس قويطا من تاريخ ملاتيوس اسقف اتينا في مطبعة القبر المقدس في القدس الشريف (للروم الارثدكس) ١٨٦٧ (٤٤٥) = شجرة تاريخ الكنيسة رسم يوسف عطيّه (مطبعة الاميركان)

٤ تواريخ الكنائس الشرقيّة

مختصر تاريخ الارمن للقس انطون خانجي طبع في القدس سنة ١٨٦٨ (ص ٢٥٥) = مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين (للمطران غريغوريوس صطا) طبع في المطبعة الادبية ١٨٨٤ (٢٢٢) = بحث انتقادي في اصل الروم الملكيين ولقبهم للخوري قسطنطين الباشا طبع في مصر

بالمطبعة العمومية ١٩٠٠ (٨٠) = الشهب الصبحيَّة في الكنيسة المسيحيَّة الملكيَّة ليوسف جرجس ورده الدمشقي . طبع بالمطبعة العمومية بمصر ١٩٠١ (٣١٢) = الدليل المستبين الى تاريخ وشرائع الروم الملكيين . لناصيف بن جرجي ابي زيد فيها ١٩٠٦ (٤٠٧) = نبذة تاريخيَّة فيما جرى للطائفة الروم الكاثوليك منذ ١٨٣٧ فما بعدها للبطريرك مكيموس مظلوم . طبع في زحلة ١٩٠٨ (٣٥٧) = نبذة في بطاركة مدينة الله انطاكية ليوسف بن شمعون السمعاني . طبع في رومية ١٨٨١ (٤٦) = نبذة تاريخيَّة في اصل البطركيَّة الانطاكية والطائفة المارونية للقس يوسف دريان ١٨٩٥ طبع في جونيه بمطبعة الارز (٣٦) = تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانيَّة المارونيَّة للخوري عبد الله غبريل طبع بالمطبعة اللبنانيَّة في بعبدا ثلاثة مجلَّدات (في نحو ٢٥٠٠) ١٩٠٠–١٩٠٦ = سلسلة بطاركة الطائفة المارونيَّة للبطريرك اسطفان الدويهي نشرها رشيد الشرتوني في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٨٩٨ (٢٦) . طبعة ثانية ١٩٠٢ (٢٢١) = الحجَّة الراهنة في حقيقة اصل الموارنة للخوري يوحنا العجيمي طبع بمطبعة التمدُّن في مصر سنة ١٩٠٠ (٨٠) = بحث تاريخي في المردة والجراجمة والموارنة للمطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس طبع في بيروت ١٩٠٤ (٢٠٣) = الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل للسيد يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت المازوني في المطبعة العمومية ١٩٠٥ (٦٢١) = تاريخ الرهبانية الانطونية للقس عنوئيل البعبداتي طبع في لبنان ١٨٩٦ (٥٩٩) = البيئة المنيَّة في المياه النسكيَّة للقس افرام الدبراني في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩٩ (٧٤٣) = لمحة تاريخية في الرهبانية الباسيليَّة المخلصيَّة للخوري ق . الباشا في المطبعة الادبية ١٩٠٨ (٢٤) = الخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية (الروي الارثذكسي اسبيريدون) ١٨٩١ بقلم سليمان بن داود (المرحوم سليم شحادة) طبع في بيروت ١٨٩٢ (٢٥٦) = لمحة تاريخية في اخويَّة القبر المقدَّس بقلم الشيخ عبد الاحد الشافي (سليم شحادة) طبع بمطبعة سام بن نوح (بيروت) ١٨٩٣ (١٤٠)

٥ تواريخ البدع واصحابها

تاريخ الارطقات للقديس القونس دي ليكوري عربهُ الخوري يوسف الدبس طبع في طامش سنة ١٨٦٤ (ص ٨٢٣) = الكوكب الوضَّاح في تاريخ الاصلاح للاب فان هام اليسوعي عربهُ المعلم جرجس زوين طبع في المطبعة الكاثوليكية ١٨٧٦ (٤١٥) = قصة مرتينوس لوثاروس طبع في مالطة ١٨٤٠ (١٤٧) = تاريخ الاصلاح للعلَّامة ميرل دوبنياه (البروتستاني) معرب عن الانكليزية في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٧٨ جزءان (١٤٥٨) = تاريخ الاصلاح في جرمانيا لادورد تكل (البروتستاني) . طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٨٠ (٢٧٨) = تاريخ الانشقاق للارشيمندريتي جراسيموس مرَّة الروي الارثذكسي ثلاثة اجزاء طبع بالمطبعة الشرقية في الاسكندرية ١٨٩١–١٩٠٠ = تاريخ (كذا) المسوبة العام لجرجي زيدان طبع بمطبعة الجريدة بمصر ١٨٨٩ (٢٥٦) = سوسنة سليمان في العقائد والاديان لنوفل افندي نوفل (الاميركان ٢٢٢)

٦ سير القديسين التاريخية

هذا الباب غالباً تاريخي ايضاً يحتوي اخبار اولياء الله لكنَّهُ واسع جدًّا لا يمكننا استيفاؤهُ هنا .

وانما نكتفي باشارة الى اهمّ ما نُشر منهُ. فبعض هذه المنشورات تتناول اعمال القديسين في مدار كل السنة كالكتر الثمين في ثلاثة مجلّدات للبطريرك مكسيموس مظلوم طبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٨٦٣ ثم في المطبعة الخلصية. وكتاب مروج الاخيار في تراجم الابرار طبع مرّتين في مطبعتا واصلهُ للاب بطرس فروماج. وكتاب سير القديسين في مجلّدين طبع مرّتين في الموصل جمعهُ الخوري يوسف داود السرياني الموصلي. وسيرة اشهر شهداء المشرق طبع فيها سنة ١٩٠٠. ومنها سير خاصة لقديسين مفردين امّا شرقيين كالقديس انطونيوس الكبير ويوحنا فم الذهب والقديس افرام والقديس مارون ومار يوحنا مارون. وامّا غربيين كالقديسين فرنسيس الاسيزي وعبد الاحد وروكس واغناطيوس وكسفاريوس ولويس غنزاغا واستنسلاوس كوستكا والفونس رودريكوس ومنصور دي بول ويوحنا جبرائيل بربوار ومرغريتا مريم الاكوك وتراجم أُخرى قصيرة يطول تعدادها

٧ تراجم بعض الافاضل

ترجمة الحبر المفضال يوسف الزغبي رئيس اساقفة قبرص في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٨٨١ (ص ٧٤) = القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة (السيد اقليمس داود السرياني رئيس اساقفة دمشق). للكونت فيليب نصر الله طرازي طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٨٩١ (٢٠٢) = الدرّ المنتثر في لاون الثالث عشر للقس افرام الديراني في المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٥ (٢٠٦) = شماع الفضائل في ترجمة البطريرك جرجس الجريجري. طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٣ (٢٣٠) = الدرر التوالي من حياة المطران جرمانوس الشالي. للخوري بشارة الشالي طبع في المطبعة الشرقية في الحدث (لبنان) ١٩٠٣ (١٦٧) = المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات. للقس جرجس منش الماروني الحلبي. طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٠٤ (٢٤) = سيرة عبد الله قرا علي الماروني لتلميذهِ الاب توما البودي. نشرها الاب انطون رباط. في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩٠٧ (٢١) = سيرة كبير ناوفيطوس نصري للقس اغناطيوس كاتبو نشرها الاب انطون رباط في المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٧ (٢٥) = اطيب المجاني في حياة يوسف كلداني القس الحلبي الماروني للقس ميخائيل الخرس الحلبي طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٩٠٧ (١١٠) وغير ذلك

٢ التواريخ المدنية المستحدثة المطبوعة

١ التواريخ القديمة اجمالاً

تاريخ العالم. طُبع في مالطة سنة ١٨٣٠ ؟ (ص١٢٦) = التاريخ العام لجرجي افندي زيدان. جزءان. طُبع في مطبعة الهلال في مصر ١٨٩٠ (٢٥٠) = تكملة العبر في التاريخ القديم. لصبحي باشا والي ولاية سوريّة عرّبهُ عن التركيّة خليل افندي الخوري. المطبعة السوريّة في بيروت ١٨٦١ جزءان (١٨٢ و١٠٦) = الدرّ النظيم في التاريخ القديم للمعلم ابرهيم سركيس طبع في المطبعة الاميركانيّة في بيروت ١٨٧٥ (١٤٢) = كتاب قطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا

افندي ابكاريوس طبع في المطبعة الاميركانيَّة في بيروت ١٨٧٣ (٧١٧) ثم كُرّر طبعهُ = مختصر في تواريخ القديمة لقس لويس الرحماني طبع في الموصل ١٨٧٦ (٢٨٢) = خطاب في التاريخ العام للسيّد الجليل المطران بوسويت. ترجمهُ الى العربية شاكر افندي عون وعبد الله افندي البستاني. طبع في المطبعة العمومية في بيروت ١٨٨٢ (٢٤٤) = انهج القويم في التاريخ القديم لمارفي بورتر الاستاذ الاميركي طبع في المطبعة الاميركانية ١٨٨٤ (٥١٨) = تاريخ هيرودوتس الشهير ترجمهُ من الفرنسويَّة حبيب افندي بسترس. طبع في مطبعة التدبيس جاورجيوس ١٨٨٦–١٨٨٧ جزءان (صفحاتها ٦٣٩) = اساطير الاولين للمعلم ميخائيل عبد الله جبريل طبع في مطبعة المرسلين اليسوعيين ١٨٩٤ (٣٧٨) = التاريخ القديم لجميل نخله المدوَّر طبع في بيروت ١٨٩٥ ؟ (٣٥١) = فاكهة الالباب في تاريخ الاحقاب للخوري بطرس الشاعر الماروني طبع في المطبعة الشمانية في بمبدا ١٨٩٨ (١٦٦) = الكنز المختار في اكتشاف الارض والبحار طُبع في مالطة ١٨٣٣ (١٢٤) = زبدة الصحائف في اصول المعارف لنوفل افندي نعمة الله نوفل. طُبع في مطبعة الاميركان ١٨٧٤ (٢٤٣)

٢ تاريخ آسية القديم والحديث

تاريخ اورشليم اي القدس الشريف تأليف خليل سركيس. طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧٤ (ص ١٩٢) = تاريخ بابل واشور لجميل نخله المدوَّر صحَّحهُ الشيخ ابرهيم اليازجي طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت (ص ٦٢) ثم كُرّر طبعهُ في مطبعة الفوائد ١٨٩٣ (١٢٨) = تنزّه العباد في مدينة بغداد للدكتور نابوليون ماريني. طبع في المطبعة اللبنانيَّة في بيروت ١٨٨٨ (١١٩) = غاية الارب في تاريخ العرب للمعلم اسكندر ابكاريوس طبع في مرسيلية ١٨٥٢ (١٨٩) – طبعة ثانية في بيروت في المطبعة الوطنية ١٨٦٧ (٤٠٨) = انساب العرب القدماء لجرجي زيدان طبع في مطبعة الهلال ١٩٠٧ = تاريخ دول الاسلام لرزق الله منقريوس الصدفي بالمنيا في ثلاثة اجزاء (عدد صفحاتها ١٢٢٨) طبع في مصر ١٩٠٨ = مصباح الساري ونزهة القاري وهو تاريخ آل عثمان لابرهيم افندي الطيب في المطبعة السوريَّة ١٢٧٢–١٢٧٥ (١٨٥٦–١٨٥٨) (٢٨٥) = التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية لسليمان خليل جاويش مطبعة المعارف ١٨٧٣ (٢٠٦) = مختصر تاريخ الدولة العثمانية ترجمهُ من التركية ابرهيم افندي أديب. المطبعة اللبنانية في بيت الدين ١٢٩١ (١٨٧٥) (٤٣) = احوال الدولة العثمانية السياسية بالنظر الى الماضي والحال والاستقبال لمدحت باشا ترجمهُ خليل افندي الخوري. طُبع في بيروت ١٨٧٩ (١٤) = ما هنالك. لاديب فاضل من المعربين. مطبعة المقطم في مصر ١٨٩٦ (٢٥٦) = كتاب سرّ مملكة. تأليف سليم سركيس. طبع في مصر ١٨٩٦ (١٦٠). طبعة ثانية في مطبعة السلام ١٨٩٨ (١٢٠) = كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم للاب ڤكتور دي كربيه اليسوعي عرَّبهُ خليل افندي البدوي في المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٠ (٢٠٦) = العقود الدريَّة في تاريخ المملكة السوريَّة تأليف الياس ديب مطر. طبع في مطبعة المعارف في بيروت ١٨٧٤ (١٩٢) = تاريخ سوريا تأليف جرجي افندي يني. في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٨٤ (٥٢٦) =

تاريخ سوريّة في ثماني مجلّدات واربعة اجزاء (في نحو ٣٠٠٠ صفحة). للسيد المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت المارونى في المطبعة العمومية الكاثوليكية ١٨٩٣-١٩٠٥ = حسر اللثام عن نكبات الشام (حوادث السنة ١٨٦٠). طبع في مصر ١٨٩٥ (٢٨٤) = مشهد البيان بحوادث سوريا ولبنان. للدكتور ميخائيل مشاقة. طبع في مصر ١٩٠٨ = تاريخ لبنان للاب مرتين اليسوعي. تعريب رشيد الخوري الشرتوني باختصار. في اربعة اجزاء (٧٣٠ صفحة). طبع في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت ١٨٨٩-١٨٩٠ = كتاب ذخائر لبنان تأليف مرتلو ابرهيم بك الاسود. طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا ١٨٩٦ (٢٣٠) = نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية للخوري منصور طنّوس المارونى طبع في لبنان ١٨٩٥ (٤٢٢) = تاريخ بعلبك لميخائيل موسى الوف البعلبكي. طبع في المطبعة الادبية ١٨٨٩ (٩٣) طبعة ثانية ١٩٠٤ (١٥٤) = الروضة الغنّاء في تاريخ دمشق الفيحاء. لعثمان افندي قساطلي. طبع في مطبعة الاميركان ١٨٧٩ (١٦٢) = تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء للدكتور يوسف الجرماني. طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٨٠ (١٦٠)

٣ تواريخ اوربّة القديمة والحديثة

مختصر تاريخ الدول القديمة والحديثة طبع في مالطة نحو السنة ١٨٣١ (ص ١٢٦) = تاريخ الدولة المكدونية لنجيب ابراهيم طراد طبع في بيروت في المطبعة اللبنانية سنة ١٨٨٦ (ص ١٧٣) = تاريخ اليونان لجرجي ديتري سرسق طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت ١٨٧٦ (٢٧٦) = مختصر تاريخ اليونان القديم جمعهُ الخوري ميخائيل الوف طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٨٩ (٢٢٢) = تحفة الزمان في تاريخ الرومان للشهير دوروي. طبع في المطبعة العمومية في بيروت ١٨٧٣ = تاريخ الرومانيين لنجيب ابراهيم طراد طبع في المطبعة اللبنانية ١٨٨٦ (٢٢٢) = مختصر تاريخ اليونان والرومان لجرجي افندي زيدان طبع في مطبعة الهلال بمصر = تاريخ الحروب الصليبية للعلّامة مكيموس موترونت عرّبهُ السيد البطريرك مكيموس مظلوم طبع في القدس الشريف ١٨٦٥ جزءان (٢٦٠ و ٢٧٥) = تاريخ فرنسا الحديث تأليف سليم البستاني طبع في مطبعة المعارف في بيروت ١٨٨٦ (١٠٤٠) = تاريخ روسيا لنخلة قلفاط. اربعة اجزاء طبع في بيروت ١٨٨٧-١٨٨٨ (نحو ١٠٠٠) = العقد النظيم في اصل الروسيين واعتناقهم الايمان القويم لخليل ابراهيم بيدس طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا ١٨٩٧ (١٦٠) = تاريخ انكلترّة لجرجي زيدان (٨٤) ١٨٩٩ طبع في مصر بمطبعة الهلال = مختصر في تواريخ القرون المتوسطة للقس لويس رحماني السرياني الموصلي طبع في الموصل ١٨٧٧ (٤٠٨)

٤ تواريخ افريقية واميركا

سواء السبيل في سكان ارض النيل تأليف والس بدج طبع في مطبعة الاميركان في بيروت سنة ١٨٨٨ (ص ١٢٢) = تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم تأليف جرجي زيدان. جزءان طبع بمطبعة المقتطف بمصر ١٨٨٩ (٢٦٠ و ٢٦٨) = حريق مكتبة الاسكندريّة للخوري بولس عويس طبع في الاسكندريّة ١٩٠٠ (٤٤) = الهدية التوفيقيّة في تاريخ الامّة

القبطية . لتوفيق عزوز في مطبعة العصر التاسع عشر بمصر ١٨٩٣ (٩٧) = تاريخ حرب الحبش والانكليز . نقلهُ من الالمانية خليل الشمّاس طبع في مطبعة المعارف ١٨٧١ (٢٠٠) = خطبة ادبية تاريخية عن الاحباش لنسيم افندي صالح طبع في مطبعة التوفيق في مصر ١٨٩٥ (١٦) = تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيتهُ لعموم بك شقير جزءان طبع في مطبعة المعارف بمصر ١٩٠٣ (٢٤٤ و ٧٣٦) = تاريخ السودان والمصري والانكليزي لادارة الاهرام في مصر = تاريخ مصر لميشيل انيا طبع في مصر ١٩٠٢ (١١٢) = غرائب الاخبار من شرق افريقيا وزنجبار لتوفيق ميخائيل . طبع في مطبعة التمدُّن بمصر ١٩٠١ (١١٥) = تاريخ امريكا لبطرس افندي الياس شحاده اللبناني جزءان طبع في المطبعة العمومية في بيروت ثم في المطبعة الادبية ١٨٨١ (١٨٨ و ٦٠) = تاريخ اميركا لسمعان خارج سعاده . طبع في مصر = تاريخ سولو من جزائر فيلبين للدكتور نجيب صليبي اللبناني نقلهُ عن الانكليزيَّة . طبع في مصر ١٩٠٨

٥ سير الملوك والابطال

صوت النفير في اعمال اسكندر الكبير لابراهيم سركيس اللبناني في المطبعة الامركانية في بيروت سنة ١٨٦٤ (٢٦) = تاريخ اسكندر ذي القرنين طبع بالمطبعة الوطنيـة في بيروت ١٨٦٨ (١٥٦) (وهو تاريخ قصصي) ثم كرّر طبعهُ في المطبعة الادبية تحت اسم تاريخ اسكندر الكبير ١٨٨٦ (٩٩) = نبذة من اخبار زينب (الزباء) ملكة تدمر للاب سبستيان وترفال اليسوعي . طبعت في المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٨ (٨٠) = تاريخ بطرس الكبير وهو الجزء الاوَّل من تاريخ روسيا الحديث لفخلة قلفاط . طبع في المطبعة اللبنانية في بيروت ١٨٨٦ (٢٩٦) = كتاب سيرة نبليون الاول للكولونيل لويس كاليفاريس . طبع في باريس سنة ١٨٥٦ (٥٨٤) وقد طبع طبعة ثانية في المطبعة الوطنية في بيروت سنة ١٨٦٨ (٤٣٧) = نابوليون الاوَّل ومشاهير الرجال عرَّبهُ الشيخ سليم خطّار الدحداح طبع بجونيه في مطبعة الارز ١٨٩٧ (١١) = كتاب طوارق الحدثان في تاريخ مكسيليان بمطبعة المعارف في بيروت ١٨٧١ (١٣٠) = نوبار باشا وما تمَّ على يدهِ تأليف نجيب عملوف طبع بالمطبعة العمومية بمصر ١٩٠٠ (٢٢٢) = سير الابطال طبع في المطبعة الاميركانية ١٨٨٣ (١٨٤) = حياة بطل الدين والتمدُّن او تاريخ القائد دي لاموريسيير للشيخ سليم خطّار الدحداح . في مطبعة الارز في جونيه ١٨٩٦ (١٩٣) = كتاب بطل لبنان المرحوم يوسف بك كرم لنسيم نوفل طبع في المطبعة الوطنية في الاسكندرية ١٨٩٦ (٢٥٣) = قصة بطل لبنان يوسف بك كرم (قصة عنتريَّة) طبعة في مطبعة الهدى في فيلادلفيا في امركا ١٩٠٠ (١٠٤) = ابو سمرا غانم او البطل اللبناني . لخليل همّام فائز (ا . ا . غ) طبع في مصر ١٩٠٥ (٢٥٠)

٦ اعيان الرجال والأسر

اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنّوس الشدياق الحدثي الماروني طبع في المطبعة الامركانية في بيروت سنة ١٨٥٩ (ص ٧٣٠) = تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر لجرجي زيدان طبع في مطبعة الهلال في مصر ١٩٠٢—١٩٠٣ (٢٥٦ و ٢٤٤) = مرآة العصر في تراجم ورسوم مشاهير مصر لناشره الياس زخورا طبع في مصر رجال التلغراف ترجمة ابراهيم افندي

الحوراني طبع في مطبعة الاميركان ١٨٩٥ (٢٠٤) = نبذة في ترجمة وتآليف ابي الفرج غريغوريوس ابن العبري للاب لويس شيخو اليسوعي طبعت في المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٨ (٧٣) = المناقب الابراهيمية والمآثر الحديوية لاسكندر بك ابكاريوس طبع بالمطبعة الوهبية في مصر ١٢٦٩ (٨٨٠) = حياة كرنيليوس فان ديك للدكتور اسكندر البارودي طبع في المطبعة العثمانية في بيروت ١٩٠٠ (٢٧٨) = طريق الاجداد لسلوك الاحفاد . سيرة المرحوم مرعي الدحداح ١٨٧٥ (٢٤) = تاريخ عائلة الشماس يوسف عطار سيريكيان الكلداني . طبع في مطبعة الكاثوليك ١٨٨٨ (١٨) = دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف . تاليف حبيب اسكندر المعلوم . طبع في المطبعة العثمانية في بيروت لبنان ١٩٠٧-١٩٠٨ (٧٤٦) = تاريخ عائلة الحلو : للدكتور شكر الله الحلو طبع في المطبعة اللبنانية في بيروت ١٩٠٦ (٤٨) = نوادر الكرام في الجاهلية والاسلام لجامعه ابراهيم زيدان في مطبعة الهلال في مصر ١٨٩٩ (١٧٠)

٧ الرحل التاريخية

دليل الزوار على الاماكن المقدسة للمعلم الياس فرج باسيل طبعة الثانية سنة ١٨٧٦ (ص ٥٠٥) = ارشاد لطيف لزائر القدس الشريف لموسى مينا . طبع في مصر = حضارة الاسلام في دار السلام لجميل نخله المدور . طبع في مطبعة المقتطف في مصر ١٨٨٨ (٢٧٦) طبعة ثانية بمطبعة المؤيد ١٩٠٥ (٢٧٦) = الروضة المؤنقة في وصف الاراضي المقدسة في المطبعة العثمانية في بيروت ١٨٩٨ (٩٣) = سفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس . طبع في المطبعة العمومية في بيروت ١٨٦٨ (٢٣٦) = رحلة مدير اللسان خليل مركيس طبع في المطبعة الادبية في بيروت ١٨٩١ (١٤١) = الرحلة الموسومة بالواسطة الى معرفة مالطة للشيخ (احمد) فارس الشدياق . طبعت في تونس سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧) (ص ٢٨٦) = الكوكب السيار في رحلة غبطة السيد الياس بطرس الحويك الى اوربة لقس اغوسطين البستاني الديراني طبع في بيروت ١٠٩٧ (٢١٣)

٨ تواريخ الآداب العربية

كتاب العرب قبل الاسلام . لجرجي زيدان . الجزء الاول طبع بمطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٠٨ (ص ٢٥٥) = روضة الادب في طبقات شعراء العرب لاسكندر اغا ابكاريوس طبع في بيروت ١٨٥٨ (٢٨٨) = مصباح الصر في تواريخ شعراء مصر للمعلم اسعد منصور الضبيعي . طبع في المطبعة اللبنانية في بيروت ١٨٧٢ (٧٦) = صناجة الطرب في تقدمات العرب لنوفل افندي نعمة الله نوفل طبع في مطبعة الاميركان في بيروت ١٨٨٠ (٤٦٤) = تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان . خمسة اجزاء (في نحو ١٠٠٠) طبع بمطبعة الهلال في مصر ١٩٠٢-١٩٠٦ = المنتخب في تاريخ آداب العرب للمعلم ميخائيل عطيه . طبع على الحجر في موسكا ١٩٠٣ (٢٦٤) = تاريخ اللغة العربية لجرجي افندي زيدان طبع في مصر في مطبعة الهلال ١٩٠٤ (٦٤) = تاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو اليسوعي . الجزء الاول من ١٨٠٠ الى ١٨٧٠ طبع في المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ (١٢٢)

الطقوس الشرقية والكنيسة الكاثوليكية

مقتطف من رسالة حديثة لاحد افاضل كهنة الروم الكاثوليك

لمّا عوّل غبطة السيّد البطريرك كبرلّس الثامن والسادة الاجلّاء اساقفة الروم الملكيين الكاثوليك على عقد مجمع ملّي في عين تراز أوجست قلوب بعض اهل الطائفة خوفاً على طقسهم كأنّ خطراً يتهدّده او سهاماً تترصّده فاسرع احد افاضل كهنة الروم الكاثوليك من اجلّهم مقاماً فكتب كرّاساً ليسكّن روع اولئك المتحفّزين للدفاع عن طقسهم ويبيّن لهم انّ خوفهم من اشباح دون ارواح. وفي هذا الكرّاس فصول حسنة عن الطقوس الشرقية عموماً والطقس اليوناني خصوصاً وحرمتها في الكنيسة الكاثوليكية رأينا اقتطافها لفائدتها وكتمة المقالات مستجادة ظهرت في اعداد المشرق السابقة ل. ش

الطقس الكنسي

الطقس عند بعضهم هو الامر الجلّل. هو محور الدين والامور الكنسية وهو الشغل الشاغل لمن لا شغل له. بل قد جعلوه راية حرب يؤلبون حواليها كل جاهل بحقيق معناه للجهاد عن امور لا طائل تحتها او عن مآرب خصوصية .... وقانا الله من شر الجاهلين والمتحزبين

ما هو الطقس ومنزلته من الدين والملّة ؟. الطقس كلمة يونانية (Τάξις) معناها نظام ورتبة فهو في عرف الكنيسة مجمل الصلوات والترتيبات والشرائع التي وضعتها الكنيسة ليجري عليها ابناؤها في عبادة الخالق مثل صلوات الفرض الكنسي وحفلات توزيع الاسرار الالهية وشرائع الصوم وما شاكل فيتبيّن لك بديهاً ان الطقس ليس هو الّا مظهر من مظاهر العبادة الخارجية ولكنه ليس من جوهر العبادة في شيء البتة وانما هو وضع كنسي لا الهي. اجل ان العبادة الخارجية لضروريّة للانسان من اوجه عديدة وكفى برهاناً ان الله عزّ وجل امر بها في العهد القديم والجديد. بيد ان تحديدها على نوع دون اخر منوط بالسلطة المتولّية من قبله تعالى امور الدين على الارض. وعليه فالسلطة الواحدة التي رتّبتها تستطيع ان تبدلها. فالعبادة النفسيّة والعبادة الخارجية والطقوس الكنسيّة هنّ من الدين بمنزلة النفس والجسد والاثواب من الانسان فمن النفس والجسد يتركب الانسان جوهريّاً كذلك بالعبادة النفسيّة وبمظهرها العبادة

الخارجية يقوم الدين وانما الطقوس اثواب تتميّز بها طائفة دون اخرى كما تتميّز الشعوب والملل بلغاتها وعوائدها وأزيائها وكلها من الانسانية في نوع واحد

فالطقس اليوناني يميّزنا نحن معشر الروم الملكيين عن سائر الطوائف الكاثوليكيّة من لاتين وموارنة وسريان وارمن وكلدان واقباط . وهو والحق يقال على اعظم جانب من الأُبهة والجلال حتى سُمي بالطقس الملوكي ويحق لنا بل واجب علينا ان نحترص عليه احتراص العاقل على وديعة ثمينة انه وديعة ابائنا القديسين معلمي الكنيسة . الّا ان المبالغة في كل شيء مذمومة والشطط والضلال في مثل هذه الامور قد يُفضيان الى اقبح العواقب

ما قولكم فيمن يفضّل ان يعدم جسدهُ وحياتهُ ولا يخسر ثوبهُ لعمري قد يوجد قوم بل افراد يؤثرون طقسهم على العبادة والدين وما ذلك بنادر الحدوث . . . وما هو من هذا القبيل ايضاً تشاحن وتحارب اولاد الدين الواحد والمعتقد الواحد لسبب بعض اختلافات طقسية على حين يتقرّبون ويتحبّبون من الناكرين دينهم ومعتقدهم . ومعاذ الله ان اشعل نار الفتنة والتعصب التي تخرب البلاد وينهي عنها رب العباد . انّما ألوم وكل عاقل يلوم معي التباغض والتحزّب لداعي طقس كنسي

ثم اني اوجه الكلام الى الذين يحملون راية الطقس وينزلون في ميدان حرب لا هدنة ولا نهاية لها إلّا تدبّرتم الامر اوّلاً بعقل راقٍ وفكر سديد على حدّ كل من يدخل ساحة حرب مخافة ان تذهب اوقاتنا واتعابنا ونفقاتنا سدى

من هو العدوّ الذي ترومون مدافعتهُ ؟ وما هي الاخطار التي تتهدّد الطقس وذويه ؟ ومن هم المعهود اليهم في حفظ الطقس والمدافعة عنه ؟ وما شانك انت . . . .

مَن يتحامل على الطقس اليوناني الذي كرّستهُ الايام وتتشبث به الوف من الانام فيريد تبديله او التغيير منهُ ؟ ما ادري . . . . لا جرم ان الذي لهُ سلطة وكفاءة في هذا الامر فيُخشى منهُ غائلةٌ ما هو الّا مجمعنا الطائفي والحبر الروماني راس الكنيسة الاول فحسبنا طأمنة البال وازالة كل ارتياب ووسواس من هذا الباب لنكفي جماعتنا مؤونة الاضطراب والمدافعة حيث ليس لها من داعٍ ولا مناسبة

المجمع الملّي والطقس

ان الغاية من عقد هذا المجمع هو النظر في الامور الكنسيّة للاصلاح والترتيب

والتحسين ولا شك ان آباءه المحترمين يأتون على مسئلة الطقس وملحقاته لينقحوه مما طرأ عليه من شوائب التغيير والتنقيص او الزيادة بسبب الجهل والتهامل . امّا ان يشوّه بما يشوّه هيئته او يغيّرها فهذا وأيم الحق ليس بما يدور في خلدهم ولا من نيتهم في شيء ولو خطر لاحدهم لأقصاه عن فكره سريعاً لما يحول دونهُ من الصعوبات والموانع التي دونهـا خرطُ القتاد

كلُّ ما هناك ان يضعوا بعض ترتيبات تتقاضاها من كل وجه احوالنا الحاضرة مما يرجع الى خير النفوس وسلامة ورونق الطقس . وكل ابن عاقل وخاضع لاوامر كنيسة المسيح يركن بملء الثقة الى هذه السلطة التي اقامها الله ووكل اليها امر الطقس والدين عينه . فالتخوُّف اذاً والاضطراب لا وجه لها والتشاغل بما لا يعنينا ضرب من الخرق ومجاوزة الحدود

على انه ان كان لاحد من ابناء الطائفة متمنًى من اصلاح يرجوه او نظام صوابي مفيد للمصلحة العامة فلهُ ان يرفعهُ الى السادة الاساقفة الاجلّاء بكل احترام ويقف عند حدود الطاعة البنوية لقبول كل ما ترتّبهُ السلطة العليا في ذلك النظام وعلى النظام تترتب الراحة العامة . وعلى كل حال فالامور مرهونة لاربابها منوطة باصحابها . ما قولك اذا ترك الخيّاط المقصّ والابرة وتناول البودقة وزردية الصياغة او هجر التاجر مخزنهُ ومرتّقه ولحق بصناعة الملاحة يبتغي قيادة السفن في عباب البحر مخاطراً بنفسهِ ونفوس غيرهِ . وقل للأمة التي يتولى حوذيها وحمّالها زمام الاحكام ووضع النظام : « عليك السلام » . . . رحم الله شاعرنا حيث يقول :

لو كان كل يعرف الحق سوى ... لكان كل الناس اهلاً للقضا
وكلُّ ما في غير مثواه ثوى ... يسمج في العين ويؤذي من رأى

وما هو نقطة العجب انه بينا نرى سائر الحقوق المدنية محفوظة وحدود الحرَف والصناعات فيما بين اهلها فاصلة ولخصوصياتها صائنة نشاهد بعين الاشمئزاز والاسف وظائف الدين والعبادة بين القوم مشاعة وخصائص خدمة البيعة للكبير والصغير مباحة . على انه لو اخطأ احد الكهنة ونصح لك في شيء من شؤون تجارتك او صناعتك مودّةً منه وغيرةً لا تلبث ان تشير الى تطاوله وتداخله بما لا يعنيه وتوقفهُ عند حدّه . هـذا عند ما لا تقابل مودته وغيرته هذه بتبسُّم الاحتقار وتغضّ الرأس ازدراء . فليس الّا حقوق

الدين بجملته والسلطة الكنسيَّة مبتذلة حتى يشترك فيها الخاصّ والعامّ وهي احق الامور بالصيانة والهيبة. وانه لم تنازل ارباب هذه السلطة انفسهم او نسي خدمة البيعة حقوقهم وواجباتهم فاحبُّوا ان يشركوا في خصائص وظائفهم مَن لا دخل له فيها لاقتضى منه الراي والاستقامة ان يأبى ويعتذر ادباً وتديُّناً واحتراماً

الاحبار الرومانيون والطقوس الشرقية

لا جرم انه ان كانت الطقوس الشرقية ولاسيما اليونانية باقية على حالها وقديمتها محفوظة مصونة من كل تغيير وتبديل قد طرأ على رفيقاتها الطقوس الغربية فالفضل في ذلك للاحبار الرومانيين وما أُحدث فيها من بعض التغييرات الجزئية فهو من ابناء هذا الطقس انفسهم واليك الشهادات التاريخيَّة التي تسند مزعمنا

انه بعيدٌ عن فكر الاحبار الرومانيين ولا بُعد الثريا عن الثرى توحيد الطقوس الكنسيَّة وجَمعها الى واحد يعمّ جميع ابناء الكنيسة الكاثوليكية. لا مشاحَّة في ان سلطتهم الالهية المطلقة على الكنيسة كلها شعباً واساقفةً تمتدّ الى الطقوس كلها ايضاً كما تتناول جميع الشرائع الكنسية ينسخونها ويبدلون منها ويضيفون كما يشاؤون وتدعو اليها احوال الكنيسة فان كلّ ما يحلُّونه او يربطونه على الارض هو محلول ومربوط في السماء

بيد انهم لا يجهلون ان جمال الكنيسة وبهاءها في وحدة الايمان واختلاف الطقوس قال بيوس التاسع في براءة وجَّهها الى بطاركة الشرق واساقفتهم في ٢ نيسان سنة ١٨٦٢: «ان كثرة الطقوس المقدسة وتنوُّعها اذا كانت شرعية لا تضرّان قط بوحدة الكنيسة بل انهما تزيدان في منزلتها وجلالها ورونقها وبهائها». فهي الكنيسة تلك الملكة التي وصفها المرتل الالهي داود قائلاً: «قامت الملكة من عن يمينك متوشحة بثوب مذهَّب مزين موشَّى» ولذا قد حافظوا ويحافظون على بقاء الطقوس العديدة ولاسيما الشرقية بقديمتها وتنوعها وبهائها كما يسهرون على وحدة الايمان الكاثوليكي في كل المسكونة وطهارة الاداب المسيحية

ثم اخذ هنا الكاتب الفاضل يعدّد الشواهد على بيان قضيَّته وذكر بعض اقوال الاحبار الرومانيين في براءاتهم وخطبهم على وجوب حفظ الطقوس في كل جانبها وخواصّها. وقد اثبت المشرق (٣: ٢٨٩-٢٩٦) لجناب الاديب نجيب افندي الزيَّات مقالةً ضافية الذيل في هذا المعنى فنحيل القرَّاء الى مراجعتها اختصاراً

الشرقيون وطقوسهم

ليت الشرقيين يحافظون على طقوسهم مثل ما رومية تحرص عليها فانه ما ناب هذه الطقوس الشريفة من تغيير او شائبة فمنهم انفسهم. واني لا اتكلّم عن بقيّة الطوائف الشرقية التي قد ادخلت في طقوسها رتباً عديدة قرّبتها من الطقس اللاتيني. بل أقتصر الكلام على طائفة الروم الملكية

هذا القداس الالهي راس الطقوس واهمّها هل تجد في الطائفة كلها كاهنين يحتفلان به على طريقة واحدة وليس الاختلاف فقط فيما لم تقيّده كتب الليتورجيا بل فيما هو مشار اليه وموضح. دونك اهمّ الملاحظات: يجب ان تُعَدّ القرابين قبل المباشرة في القداس اذ ان انشين ختامها هو فاتحة الليتورجيا المقدسة. ومع ذلك فغير مرة يبتدئ الكاهن بالقداس قبل تمام ذبيحة التقدمة. وترى غيرهُ يأتي في اثناء القدّاس يشترك به مع من تقدّمهُ وقد اتمّ منهُ جزءاً ثم يخرج قبل ختامه خلافاً لما اوصى به مجمع عين تراز وغيرهُ. ولا يندر ان يقام قداس يوحنا فم الذهب مقام قداس باسيليوس لسبب طفيف. ولست ادري لاي وجه يحذفون من انتيفونات القداس استيخوناتها نظير الروم الذين حذفوا من القداس الالهي غير ذلك (وهم المحافظون!!!...) وغيرهم يبتدي بالانتيفونات ويختم بالكاوزمي وهما مفترقان.... ودعنا من غلطات المصلين في الطروباريات والقناديق والاراميس والكينونيكات فلنذكر فقط زيادتهم كلمات عديدة مثل: عليها اشرف السلام. ولك يا رب «ساجدين وخاضعين». ومبارك الاتي باسم الرب في اول القداس. وحذفهم «ذكها كانين وكيرياليصون ثلثاً باسم الرب بارك يا رب» في اخر القداس ومجاوبتهم كيرياليصون بدل «استجب يا رب» واشياء كثيرة نظيرها مما لا يسعنا ذكره في حدود هذه العجالة

ولا حرج. فان الكهنة انفسهم يبدلون ويضيفون وينقصون خلافاً لنص الليتورجيا المقدسة ولا اذكر سوى صلوات خشوعية قبل التقديس ليس لها في الكتاب من اثر. وذكرانية الاحياء والاموات قبل: خاصة.... ومحلّها للكاهن فيما بعد. والحاق انشين: «اذكر يا رب هذه المدينة.. الخ» بالذي قبله على ان بينهما ذكر روساء الكنيسة علناً. وتلاوة انشين «يا مبارك مباركيك يا رب» داخل الهيكل على ان الكتاب يشير الى

تلاوته خارجاً خلف الامبونوس .. وهناك ايضاً تغييرات شتّى وحركات غريبة لا يكفي لذكرها كتاب برمّته

واذا اتينا على تلاوة الفرض الالهي وكتب التيبيكونات وخدمة الاسرار المقدسة والحفلات الدينية فهناك الطامّة الكبرى والحبصة العظمى ممّا ينشئ التشوّش ويشوّه الرتب الكنائسية ويحطّ من اعتبارها. والسبب في ذلك ليس من اختلاف التيبيكونات عندنا على حين كان يجب التعويل على واحد منها لعامّة الكنائس بل لجهل او تهامل من هو مرتّب عليه الاستعداد ومعرفة القوانين اللازمة قبل المباشرة بالصلوة او خدمة الاسرار المقدسة تديّناً واجلالاً

ليت شعري. لو كنّا نهتمّ بمطالعة كتبنا الطقسية والمحافظة على قوانينها القديمة بدل التجند للحرب والمدافعة ضد عدوّ وهمي ... بل ضد الخير والاصلاح أما كان بنا اولى وللطقس انفع

الطقس والعبادات الحديثة

ما اقبح وما اضرّ غلط الذين لا يميّزون بين الطقس الاصلي وانواع العبادات الحديثة التي لا دخل لها معه الذين يتسلحون بحجة الطقس كحربة ذات حدّين ويقفون على باب الكنيسة كملاك الرب قديماً على باب الجنة ليمنعوا كل عبادة جديدة ان تدخل المعبد الملكي. مسكين ايها الرومي الملكي. قف خارج الجنّة وابكِ. فامّا ان تتجرّد عن كل عبادة مهما لذّت لديك وطابت بها نفسك وجدتَ خالقك او ان تحرّم طقسك كله. فاي شركة بين الطقس وهذه العبادات الاجنبية ؟ كيف الانسان الواحد يحضر الذبيحة الالهية حسب الطقس اليوناني ويستطيع من بعد ذلك ان يكرّم الحمل المذبوح بالاحتفال بزياح القربان المقدس؟.... كيف تجتمع في نفس واحدة عبادة الايقونات المقدسة حسب الطقس الشرقي وعبادة قلب يسوع فادينا حسب العادة الغربية ؟ هل يا ترى الفم الواحد يستطيع ان يتلو قانون البسارا كليسي ثم يتلو السلام الملائكي الذي تتألف منهُ المسبحة ؟ .... قال بولس الرسول: اله واحد ورب واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة ... ويردف اصحابنا: عبادة واحدة وطقس واحد ... وقال الرب: « بسحاني لا تمسّوا » ويقول اصحابنا: « وبالطقس لا تمسّ ». اجل يا صاح طقس واحد

ان جاء القديس باسيليوس الكبير فوضع للكنيسة اليونانية الليتورجيا المعروفة باسمه مختصرًا فيها خدمة القديس يعقوب . وما لبث القديس يوحنا فم الذهب ان اختصر خدمة باسيليوس واعطانا خدمته المعروفة باسمه . ثم نشأت بعد ذلك خدمة البروجيازماتا المنسوبة الى غريغوريوس الكبير بابا رومية

فيتبين لك من هذه التغيرات الطقسية المتوالية من السيد له المجد والرسل الاطهار واباء الكنيسة وغيرهم ان الطقس ما كان في نظرهم الا ما هو عليه حقيقة نوع من انواع العبادة الخارجية يمكن تغييره حسب الظروف والدواعي المختلفة

ثم تتبع صاحب المقالة تاريخ الطقوس والصلوات في الكنيسة وبيّن ما طرأ عليها من التقلبات على اختلاف الكنائس وتداول الايام بيد انه لم يسمح بان يكون حق التصرّف بها الا لارباب الكنيسة التي نالت تلك السلطة من الله . ثم بيّن انّ تلك الطقوس لا تُمسّ باذىً اذا استعان المؤمنون ببعض عبادات خارجة وان جديدة تزيدهم تقىً ونشاطاً في خدمة الله واستدلّ على ذلك برغبة الشعب في تلك العبادات الصالحة الى ان قال : وصوت الشعب صوت الله وما يأتي من الله لا يقوى عليه بشر

كتاب فضائل الكلاب

على كثير ممن لبس الثياب

لابي بكر عليّ بن احمد الشهير بابن المرزبان

رواية القاضي ابي القسم عليّ بن المُحسّن بن عليّ التنوخيّ

توطئة

سبق لنا في تعريف ديوان السموءل (ص ١٦١) انّ ذلك ديوان كان مدرجاً في الاصل في مجموع ادبيّ يحتوي على عدّة آثار من جملتها « كتاب فضائل الكلاب » . وقد وعدنا بان ننشر الكتاب المذكور عند سنوح الفرصة فقد حانت تلك الفرصة وها نحن نقوم بالوعد . كان هذا الكتاب الثالث من ذلك المجموع يبتدئ في الصحيفة ٤٤ وينتهي بالصحيفة ٦٢ فتكون جملة صفحاته ٣٠ وصفحاته ٤٠ صفحة بالخطّ المُشرقي الثخين . وقد مرّ انّ تاريخ كتابته سنة ٦٤٩ (١٢٥٢) كتبه المجموع وقد قابلهُ على الاصل في تلك السنة اللغويّ الشهير الحسن بن محمّد الصغانيّ

اما مؤلف الكتاب فأحد ندماء الادباء اسمهُ ابو بكر عليّ بن احمد بن المرزبان البغداديّ ذكرهُ ابن خلكان في تراجم الاعيان (طبعة باريس ٤٥٠) وذكر عنهُ انهُ كان مدرّسًا ببغداد عالمًا بالفقه الشافعيّ ولم يزد في تعريفهِ. ثم قال انهُ توفي في رجب سنة ٣٦٩ (٩٧٧) ولم يذكر لهُ شيئًا من التآليف. لكنَّ هذا الكتاب في فضائل الكلاب من تصنيفهِ لا شك فيهِ ومنهُ نسخة في خزانة مخطوطات برلين العربية (Ahlwardt: *Arab. Handsch.* V, 25) تاريخها سنة ١٠٤٨ للهجرة (١٦٣٩) . وقد ذكر الكتابَ غير مرَّة الحاجُّ خليفة في كشف الظنون فدعاهُ (ج ٤ ص ٤٥٤ ed. Flügel) «فضل الكلاب على اكثر ممَّن لبس الثياب» وسمَّاهُ في محلٍّ آخر (ج ٥ ص ٩٧ وج ٦ ص ٢٢٨) «تفضيل الكلاب على كثير ممَّن لبس الثياب» . وهذا الاسم يوافق عنوان نسخة برلين وقد زعم واصف مخطوطات برلين انَّ ابن المرزبان توفي سنة ٣٠٩ للهجرة والصواب كما روى ابن خلكان وكما ورد ايضًا في رأس نسختنا. وقد اختلفت نسخة برلين عن نسختنا في مطلعها واسماء رواة الكتاب فذكرهم على هذه الصورة: «قال الشريف السيّد القاضي شرف الدين... ابو عليّ محمَّد بن الشريف القاضي ابي البركات اسعد بن عليّ الحسيني الحرّاني النسابة اخبرني الشيخ... ابو محمَّد عبد المولى بن ابي عبد الله الليثيّ اللخمي المالكي اجازةً في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة الخ... اخبرني ابو عمر محمَّد بن زكريا بن حيّويه الحرّاني» وكذلك اختلف ختام النسخة البرلينيَّة عن نسختنا هذه فهي تنتهي بهذه الالفاظ: «وليس في الحيوان اشدُّ حبًّا لربّهِ ولا احسن طاعةً لهُ منهُ وليس شيءٌ آثر عندهُ ممَّن ينظر اليهِ صاحبهُ بوجه طلق. تمَّ». وباقي النسختين ينطبق على بعضهِ. ولابن المرزبان ما عدا هذا الكتاب تآليف آخر مفقود في عهدنا ورد ذكرهُ في كشف الظنون (ج ٥ ص ٩٦ وج ٦: ٢٢٨) فدعاهُ «كتاب السودان وفضلهم على البيضان» وقد دُعي المؤلف هناك «ابا بكر محمَّدًا» والمشهور كما سبق «ابو بكر علي بن احمد». والله اعلم

وممَّا يجدر بنا التنبيه اليهِ في الختام ان ابن المرزبان لم يقصد بتسطير هذا الكتاب بخس الجنس البشري وتفضيل الكلاب عليهِ. وانَّما اراد ان يرشد الناس بمثال الحيوان كما وجَّه الله تعالى في الكتاب الكريم الكسلان الى النملة فيصنع الانسان بالفضل ما يصنعهُ الحيوان بالغريزة. هذا ما اقتضى التنبيه اليهِ مع تكرار شكرنا لحضرة الاب انستاس الكرملي الذي اوقفنا على هذا الاثر وسمح لنا بنشره

ن. ش

(44ᵃ) بسم الله الرحمن الرحيم

وبهِ استعين

اخبرنا القاضي ابو القسم علي بن المحسّن بن عليّ التنوخي قراءةً عليهِ فأقرَّ بهِ قال:

خبرنا ابو عمر محمّد بن العبّاس بن حَيُّوَيْهِ قال: اخبرنا ابو بكر محمّد بن خلف بن المرزبان اجازةً قال: ذكرتَ اعزّك الله زماننا هذا وفسادَ مودّة اهله وخسّة اخلاقهم ولؤم طباعهم وانّ أبعدَ الناس سفرًا مَن كان سفرهُ في طلب اخٍ صالحٍ الامر كما وصفت. وقد رُوي عن ابي ذرٍّ الغفاريّ رحمة الله عليه انهُ قال: كان الناس ورقًا لا شوك فيه فصاروا اليوم شوكًا لا ورق فيه. قال بعضهم: كنّا نخافُ على الإخوان كثرة المواعيد وشدّة الاعتذارات وان يخلطوا مواعيدهم بالكذب واعتذارهم بالتزيّد فذهب اليوم من يَعِدُ الخيرَ ومات مَن كان يعتذرُ من الذنب. قال لبيدٌ:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهمْ وبقيتُ في خَلْفٍ كجلدِ الأجرَبِ

واخبرنا ابو العباس المُبرّد قال حدّثني بعضُ مشايخنا قال: كنتُ (45ا) عند بِشر ابن الحرث يومًا فرأيتُهُ مغمومًا ما تكلّم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسهُ فقال (١:

ذهبَ الرجالُ المُقتدَى بفَعالهم والمُنكرون لكلّ امرٍ مُنكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يُزَيِّنُ بعضُهم بعضًا ليدفعَ مُعورٌ عن مُعورِ

وانشدنا لغيره:

ذهب الذين اذا رَأَوْني مُقبلًا سُرُّوا وقالوا مرحبًا بالمُقبِلِ
وبقي الذين اذا رَأَوْني مُقبلًا سَبُّوا وقالوا لَيْتَهُ لم يُقبِلِ

وقال آخر:

ذهب الناسُ واستنأوا وصرنا خلفًا في اراذلٍ ناسِ
في أناسٍ ترامُ المينُ ناسًا فاذا حُصِّلوا فليسوا بناسِ (٢

وقال آخر (45ب):

ذهبَ الملحُ من كثيرٍ من النا سِ ومات الذين كانوا ملاحا
وبقي الأسمحون من كلّ صنفٍ ليت ذا الموتَ منهمُ قد اراحا

وقال آخر:

ذهب الذين اذا غضبتُ تحمّلوا واذا جَهِلْتُ عليهم لم يَجهَلُوا
واذا اصبتُ غنيمةً فرِحوا بها واذا بَخِلْتُ عليهم لم يَبخَلُوا

١) بعض الابيات التالية تجدها في كتاب ألف باء للبلوي (ج ٢ ص ١٤٥–١٤٦)
٢) لهذين البيتين روايات مختلفة في كتاب الف باء (٢: ١٤٥) مع بيتين آخرين

انشدني ابو عبد الله السَّدُوسيّ (١ :

ذهب الذين هُمُ الثيابُ المُسْبَلُ وبقي الذين هُمُ العذاب المُنْزَلُ
وتقطَّعت ارحامُ اهل زماننا فكأنَّنا خُلِقَت ثَلَا (٢ توصَلُ
الناسُ مشتَبِهونَ مَن كَشَفْتَهُ منهم كشفتَ عن الذي لا يجملُ
امَّا الفقير فحاسدٌ مُتَفَطِّرٌ حسدًا واما ذو الثَّراء فيَبْخَلُ

وقال آخر :

ذهب الكرامُ فاصبحوا اموانا ورقًا تطيرهُ الرياحُ رُفانا
وتبدَّلَتْ غرَسانهم من بعدهم بسوى نبات الصالحين نباتا (٣
وبقيتُ في دهرٍ أُحاذِرُ شرَّهُ واخافُ فيهِ من الطريقِ (٤ بُيانا (49'

وقال آخر :

وما الناسُ بالناسِ الذين عهدتَهُم ولا الدارُ بالدارِ التي كُنْتَ تعرفُ
ولا كُلُّ من تَهْوى يُميلُكَ قلبُهُ ولا كلُّ من صاحبتَهُ لكَ مُنْصِفُ

وقال آخر :

ذهبَ الناسُ وانقضت دولةُ المَجْدِ (٥ فكلٌّ الّا القليلَ كِلابُ
انَّ من لم يكن على الناس ذئبًا اكلتهُ في ذا الزمانِ الذئابُ
غير انَّ الوجوهَ في صور النا سِ وأبدانُهم عليها الثيابُ
ليس تلقى الّا كذوبًا مخبلًا بين عينيهِ للاياسِ كتابُ

وقال آخر :

ذهب الذين فضولهم مملوءةٌ ولهم اذا قحطَ الزمان جفانُ
ذهبوا فليس لهم نظيرٌ واحدٌ او لا ترام لا ابا لك كانوا
لم يبقَ من اهل الفضائل والنُّهى الّا فلانٌ باسمهِ وفلانُ

وقال آخر (47') :

سلَفَ مضى وبقيت بعدهمُ وكذاك يَذْهَبُ من أتى بعدي
تركوا الذي جمعوا لغيرهم وكذاك اتركهُ لمن بعدي

ابو تمّام :

فلو رُفِعت بناتُ الدهرِ عنهُ وأُلقي من مناكبهِ الدثارُ

١) دعاهُ في الف باء « الدستوانيّ »
٢) ويروى : ولبست
٣) ويروى : ثياب الصالحين ثباتا
٤) ويروى : من الصديق
٥) ويروى : دولة الناس

لمثل قِسْمَةَ الأيّام فينا ولكن دهرنا هذا حمارُ

ولغيره :

ذهب المُفضِلون والسَّلَف المو قُونَ بالعهد منهم والعقودْ
ثُمَّ خُلِّفتُ في حياة من النا سِ أُقاسيهم ودهرٍ شديدْ
فيه ساء الهِلْباجَةُ الحُوْلُ القُلْسُبُ والسِّيد استوى والمَسُودْ
فلو انَّ الامورَ كانت تُفادَى لفدينا المفقودَ بالمَوْجودْ

أنشدنا لعليّ بن العبّاس الرومي :

ذهب الذين عزائم مُذ أحهم هَزُّ الكُماةِ أعِنَّةَ الفرسانِ
كانوا اذا مُدِحوا رأوا ما فيهم فالارجيَّةُ منهم بمكانِ
والمدحُ يَقدَحُ قلبَ من هو اهلهُ قَدْحَ المَواعظِ قلبَ ذي ايمانِ
(47ᵃ) فدَعِ النّامَ فما ثَوابُ مديحهم الّا ثواب عبادةِ الاوثانِ
كم قائلٍ لي منهمُ ومدحتهم بمدائحٍ مثل الرياضِ حسانِ
احسنتَ وَيْحَكَ ليس فيَّ وانّما استحسنُ الحَسَناتِ في ميزاني

وانشدني ابو هفّانَ :

لا تَعجَبُوا أن تَرَوْني بين أظهُرِكم امشي ويركَبُ قومٌ ما هُمُ احدا
لَئِنْ عَلا السّادَةَ الاحرارَ سِفْلَتُها انَّ الثُّناء لَيَعْلُو الماءَ والزَّبَدا

قال ولقيَهُ اسمعيل بن بُلبل يوماً وهو راجلٌ فقال لهُ : مالي اراك راجلاً . فقال :

أرجَلَني قِلَّةُ الكِرامِ وكَثْرةُ المالِ في اللّئامِ
وليس هذا عليَّ وحدي هذا شقاءٌ على الأنامِ

وسألتني اعزّك الله ان اجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شِرار الاخوان ومحمود خصالهِ في السرّ والإعلان فقد جمعتُ ما فيه كفاية ولستُ اشكُّ انك اعزّك الله عارفٌ بخبر عبد الله (47ᵃ) ابن هلالٍ الكوفي في المخدوم صاحب الخاتم وخبر جارهِ وما سألهُ من الكتاب الى ابليس لعنهُ الله في حاجةٍ لهُ وان كان العقلُ يدفع هذا الخبر فهو مثلٌ حسنٌ يُعرف مثلهُ في سائر الناس . فكتب لهُ الكتاب واكّد لهُ غاية التأكيد ومضى وأوصل الكتاب الى ابليس فقرأهُ ووضعهُ على عينيهِ وقال : السمع والطاعة لابي محمّد فما حاجتك . قال : لي جارٌ مُكرم لي شديد الميل اليّ يُشفق عليَّ وعلى اولادي ان كانت لي حاجة قضاها وان احتجتُ الى قرضٍ اقرضني واسعفني وان غبت خلفني في اهلي وولدي يُبَشِّرهم بكل ما يجد اليه السبيل . وابليس كل ما يسمع منهِ يقول : هذا حسنٌ وهذا

جميلٌ . فلما فرغ من وصفهِ قال : فما تحبُّ ان افعل بهِ . قال : أُريد ان تزيل نعمتـهُ وتفقرهُ فقد غاظني امرهُ وكثرة مالهِ وبقاؤهُ وطولُ سلامتـهِ . قال : فصرخ ابليس صرخةً لم يُسمع منهُ مثلها قط . فاجتمع عفاريتهُ وجندهُ وقالوا لهُ : ما الخبر يا سيدهم ومولاهم . فقال لهم : هل تعلمون انَّ الله عزَّ وجلَّ خلق خلقًا هو شرٌّ مني . قالوا : لا (48r) . قال : فانظروا الى هذا القائم بين يديَّ فهو شرٌّ مني

ولو فتشتَ في دهرنا هـذا لوجدتَ مثل صاحب الكتاب كثيرًا ممَّن تعاشرهُ اذا لقيك رحَّب بك واذ رغبت عنهُ أسرف في الغيبة وتأمَّـاك بوجه المحبَّة ويُضمر الغشَّ والمسبَّة وقد علمت ما جاء في الغيبة فان النبيَّ (صلَّى الله عليهِ وآله وسلم) قال : من كان لهُ وجهان في الناس كان لهُ يوم القيامة لسانان من نار . وقال صلعم : اياكم والغيبة فانهـا شرٌّ من الزنى انَّ الرجل يزني ويتوب فيتوب الله عزَّ وجلَّ عليهِ وصاحب الغيبة لا يُغفر لهُ حتى يغفرها لهُ صاحبها . ورُوي عن بشر بن الحرث قال : قال الفُضيل بن عياض : لا يكون الرَّجل من المتَّقين حتى يأمَنهُ عدوُّهُ . ثم قال الفضيل : هيهات ذهب اولئك وكيف يأمنهُ عدوُّهُ وهو يخافهُ صديقهُ . وقال بعضهم : ذهب زمن الأُنس ومن كان يُفاوض فـاحتفظ من صديقك كما تحتفظ من عدوِّك وقدِّم الحزمَ في كل الامور واياك ان تُنبِّهَهُ فيجاهر بهِ في وقت الشرِّ (48r) انشدني زيدُ بن عليٍّ :

احذرْ مودَّةَ ماذقٍ خالط المرارةَ بالحلاوهْ
يجني الذنوب عليك م ايامَ الصداقة للعداوهْ

وقيل لبعض الحكماء : واي الناس احقُّ أن يُتَّقى . قال : عدوٌّ قويٌّ وسلطـان غشومٌ وصديقٌ مخادع . وانشد لدعبل بن عليٍّ الخزاعيِّ :

عدوٌّ راحَ في ثوبِ الصديق شريكٌ في الصَّبوح وفي الغبوق
لهُ وجهان ظاهرهُ ابن عمٍّ وباطنـهُ ابن زانيةٍ عتيقِ
يسرُّكَ مقبـلًا ويسُوكَ غيبًا كذاك يكونُ اولادُ الطريقِ

وقال كُثيِّر عزَّةَ :

انتَ في معشرٍ اذا غِبتَ عنهم جعلوا كلَّ ما يزينُك شَيْنا
فاذا ما رَأَوكَ قالوا جميعًا انت من اكرم الرجال علينـا

انشد ابن طاهر الكاتبُ :

حالَ عمَّا عهدتَ ريبُ الزمانِ واستحالت مودَّةُ الإخوانِ

واستوى الناس في الحديث والمكر م فكلٌّ لسانهُ إثنانِ (49')

واعلم اعزّك الله انّ الكلب لن يقتنيه اشفق من الوالد على ولدهِ والاخ الشفيق على اخيهِ وذلك انهُ يحرسُ ربَّهُ ويحمي حريمهُ شاهدًا وغائبًا ونائمًا ويقظان لا يقصّر عن ذلك ولن جفوهُ ولا يخذلهم وان خذلوهُ

وروي انَّ رجلًا قال لبعض الحكماء : اوصني . فقال : ازهد في الدنيا ولا تُنازع فيها اهلها وانصح لله عزَّ وجلَّ كنُصح الكلب لاهلهِ فانهم يُحبونهُ ويضربونهُ ويأبى الّا ان يحوطهم نصحًا . وروى عمرو بن شعيب عن ابيهِ عن جدّهِ قال : رأى رسول الله صلعم رجلًا قتيلًا فقال : ما شأن هذا الرجل قتيلًا . قالوا : يارسول الله وثب على غنم بني زُهرة فاخذ شاةً فوثب عليهِ كلب الماشية فقتلهُ . فقال صلعم : قتل نفسهُ واضاع دينهُ وعصى ربَّهُ جلَّ وعزَّ وخان اخاهُ وكان الكلب خيرًا منهُ فعلًا أيعجز احدكم ان يحفظ اخاهُ المسلم في نفسهِ واهلهِ كحفظ هذا الكلب ماشية اربابهِ

ورأى عمر بن الخطّاب رضَ اعرابيًا يسوق كلبًا . فقال : ما هذا معك . فقال : يا امير المؤمنين هو (49') الصاحب ان اعطيتهُ شكر وان منعتهُ صبر . قال عمر : نعم الصاحب فاستمسكْ بهِ . ورأى ابن عُمر مع اعرابي كلبًا فقال لهُ : ما هذا معك . قال : مَن يشكرني ويكتم سرّي . قال : فاحتفظ بصاحبك . قال الاحنف بن قيس : اذا بصبص الكلب بك فانظر الى بصبصتهِ ولا تثق ببصابص الناس فربَّ مُبصبصٍ خوّان . قال الشعبيّ : خيرُ خصلةٍ في الكلب انهُ لا ينافق في محبّتهِ . قال ابن عبّاس رضَ : كلبٌ امين خير من انسانٍ خوّون

حدّثنا القسم بن محمّد الرّصديّ قال : حدّثنا مُحرز بن عون عن رجل عن جعفر بن سليمن قال : رأيتُ مالك بن دينار ومعهُ كلبٌ فقلت : ما هذا . قال : هذا خيرٌ من جليس السوء

قال ابو عمر بن حَيّويه : حدّثنا ابو القسم ابن بنت منيع قال : حدّثنا محرز بن عون بهذا الحديث حدّثني ابن ابي طاهر قال : حدّثني حمّاد بن اسحاق بن ابراهيم الموصليّ قال : قال ابي : اتيت يومًا الفضل بن يحيى فصادفتهُ يشرب وبين يديهِ كلب فقلتُ لهُ : أتنادم كلبًا . قال : نعم يمنعني اذاهُ ويكفّ (50') عنّي اذى سواهُ يشكر قليلي ويحرس مَبيتي ومقيلي . انشدني الحسن بن عبد الوهّاب لرجلٍ يذمُّ صديقًا له ويمدحُ كلبًا :

تخيّرتَ من الأخلا ق ما يُنفى من الكلبِ
فانَّ الكلبَ مجبول على النصرةِ والذبِّ
وفيٌّ يحفظُ العهد ويحمي عرصةَ الدَّربِ
ويعطيك على اللينِ ولا يُعطي على الضَّربِ
ويشفيك من الغيظِ ويُنجيك من الكَرْبِ
فلو اشبهتَهُ لم تكُ م كانوناً على القلبِ

وذكر بعض الرواة قال: كان للربيع بن بدر كلبٌ قد ربّاهُ فلما مات الربيع ودُفن جعل الكلب يتضرّب على قبرهِ حتى مات. وكان لعامر بن عنبرة كلاب صيد وماشية كان يحسن صحبتها فلما مات عامر لزمت الكلاب قبرهُ حتى ماتت عندهُ وتفرّق عنهُ الاهلُ والاقارب

ورُوي لنا عن شريكٍ قال: كان للأعمش كلبٌ يتبعهُ في الطريق اذا مشى حتى يرجع فقيل لهُ في ذلك فقال: رأيت صبياناً يضربونهُ (50ᵛ) ففرقتُ بينهم وبينهُ فعرف ذلك لي فشكرهُ فاذا رآني يصبص لي وتتبّعني. ولو عاش ايدك الله الاعمش الى عصرنا ووقتنا هذا حتى يرى اهل زماننا هذا وسمع خبر ابي سماعة المَيطي وتظاهره لازداد في كلبهِ رغبةً ولهُ محبّةً. قال: هجا ابو سماعة المميطي خالد بن برمك وكان اليهِ محسناً فلما وُلي يحيى الوزارة دخل اليهِ ابو سماعة فيمن دخل من المهنئين فقال لهُ: انشدني الابيات التي قلتها. قال: ما هي. قال: قولك:

زورتُ يحيى وخالداً مُخلصاً فه م ديني فاستصغرا بعض شاني
فلو انّي جحدتُ في الله يوماً ولو أنّي عبدتُ ما يَعبُدانِ
ما استحقّا في ما اظنُّ ماني ولأصبحت منهما بمكانِ
انَّ شكلي وشكل من جحد الله م وآياتهِ لمختلفانِ

قال ابو سماعة: ما اعرف هذا الشعر ولا من قالهُ. قال لهُ يحيى: ما تملك صدقةً ان كنت تعرف من قالها؟ فحلف. فقال يحيى: وامرأتك طالق؟ فحلفَ. فاقبل يحيى على الغساني ومنصور بن زياد والاشعثي ومحمّد بن محمّد المهدي وكانوا حضوراً (51ᵛ) للمجلس فقال: ما أحسبنا الّا وقد احتجنا ان نجدّد لابي سماعة منزلاً وآلةً وخرثيّاً ومتاعاً يا غلام ادفع اليهِ عشرة الاف درهم وتختاً فيهِ عشرة اثواب. فدفع اليهِ فلما خرج تلقّاهُ اصحابهُ يهنّئونهُ ويسألونهُ عن امرهِ فقال: ما عسيتُ ان اقول الّا انَّ ابن الفاعلة أبى الّا كرماً. فبلغت يحيى كلمتهُ من ساعتهِ فامر بردّهِ فحضر فقال لهُ: يا أبا سماعة لم تعرف مَن

هجانا وألم تعرف مَن شتمنا ؟ قال لهُ ابو سماعة : ما عرفتهُ ايها الوزير حُسدت وكُذبَ عليَّ . فنظر اليهِ يحيى مليًّا ثم انشأ يقول :

اذا المرء لم يَخدش بظُفر ولم يوجد لهُ إنْ عضَّ نابُ
رجا فيهِ الغميزة من بغاها وذلَّت من قرابتهِ الصعابُ

قال ابو سماعة : كلَّا ايها الوزيرُ ولكنهُ كما قال :

لن يَبلُغَ المَجدَ اقوامٌ وان شرفوا حتى يَذِلُّوا وان عزُّوا لأقوامِ
وشُتِّموا فترى الألوان مُسفرةً لا صَفحَ ذُلٍّ ولكن صَفح أحلامِ (51a)

فتبسَّم يحيى وقال : قد عذرناك وعلمنا انك لن تدعَ مساوئ شيمك ولؤم طبعك فلا أعدمك الله ما جبلك عليهِ من مذموم أخلاقك . ثم تمثَّل :

متى لم تنبَحْ اخلاقُ قوم يَضيقُ بجمعِ النبحُ من البلادِ
اذا ما المرء لم يوجَد لبيبًا فليس اللبُّ عن قِدَمِ الولادِ

ثم قال : هو والله كما قال عمر بن الخطَّاب رضَ : المؤمن لا يشفي غيظهُ . ثم انَّ ابا سماعة هجا بعد ذلك سليمن بن ابي جعفر وكان اليهِ محسنًا فامر بهِ الرشيد فخُلق راسهُ ولحيتهُ . ومثلُ ابي سماعة كثيرٌ كرهنا ان يطول الكتاب بذكرهِ . وروي عن بعضهم انهُ قال : ان ليس في هذا الزمان سوى خنازير فان وجدتم كلبًا فتمسَّكوا بهِ فانهُ خير من ناس هذا الزمان قال الشاعر :

اشدد يديك بكلبٍ ان ظَفِرتَ بهِ فاكثرُ الناسِ قد صاروا خنازيرا

انشدني ابو العبَّاس الازديّ (52a) :

لكَلبُ الناسِ ان فكَّرتَ فيهم اضرُّ عليك من كَلبِ الكلابِ
لانَّ الكلب تخوُّه فيخشا وكلبُ الناسِ يربضُ للمتابِ
وانَّ الكلب لا يؤذي جليسًا وانت الدهرَ من ذا في عذابِ

حدَّثنا احمد ابن منصور عن ابيهِ عن الاصمعيّ قال : حضرت بعض الاعراب الوفاة وكلبٌ في جانب خيمتهِ فقال لاكبر ولدهِ :

اوصيكَ خيرًا بهِ لانَّ لهُ صنائعًا لا ازال احمدُها
يدلُّ ضيفي عليَّ في غسق الليل م اذا النارُ نام مُوقدها

اخبرني ابو الفضل احمد بن ابي طاهر قال : اخبرني بعض الادباء قال : كان لابراهيم ابن هرمة كلاب اذا ابصرت الاضياف بثَّت بهم ولم تنبح وبصبصت بأذنابها بين ايديهم فقال يمدحها :

ويدلُّ ضيفي في الظلام اذا سرى ايقادُ ناري او نباحُ كلابي
حتى اذا واجهنهُ وعرفنهُ فدينهُ ببصايص الاذناب
وجعلن مما قد عرفنَ يُفيدنهُ ويكدنَ ان ينطقن بالترحاب

قال الاصمعي: وسمعتُ بعض الملوك وهو يركض خلف كلب وقد دنا من ظبي وهو يقول من الفرح: ايهِ فدتك نفسي. قال ابو نوّاس (52ᵛ):

مُقذيات ومحيّاها مسيّات ومطّاها

ولهُ ايضاً:

أنعتُ كلباً اهلهُ في مكدهِ قد سعدت جدودهم بجدهِ
وكل خيرٍ عندهم من عندهِ يظلُّ مولاهُ لهُ كعبدهِ
ببيت ادنى صاحبٍ من بهدهِ وان غدا جلّلهُ ببُردهِ
ذا غُرّةٍ مُحجّلاً بزندهِ يلذُّ منهُ البينَ حُسنُ قدّهِ
يا حُسنَ شدقيهِ وطول خدّهِ يلقى الظباء عُنّتاً من طردهِ
يا لك من كلبٍ نسيج وحدهِ

ولهُ في هذا المعنى اشياء حسان ومعانٍ مختارة. ومما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على ألسنة الناس بالخير وبالشرّ والحمد والذم حتى قد ذُكر في القرآن وفي الحديث وفي الاشعار والامثال حتى استُعمل على طريق الفأل والطيرة والاشتقاقات للاسماء. فمن ذلك كلبُ بن ربيعة وكلاب بن ربيعة ومكلب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة بن نزار وكُليب بن يربوع ومثل هذا كثير

والكلب أيّدك الله منافعهُ كثيرة فاضلة (53ᵛ) على مضارّهِ بل هي غامرة لها وغالبة عليها ولم تزل القضاة الفقهاء والعبّاد والولاة والنسّاك الذي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها وهم على ذلك يشاهدونها في دور الملوك فلو علموا انّ ذلك نكرةٌ لتكلّموا ونهوا عن اتخاذها بل عندهم اذا قتلوا الكلب كان لهُ عقوبة وان من كان امر بقتلها في قديم من الدهر انما كان لمعنًى ولعلّةٍ وان هذه الكلاب بمعزلٍ عن تلك. قال عمر بن الخطّاب رضَ: من لا يعرف الامور يقول انّ الكلب من السباع ولو كان ذلك ما ألف الناس واستوحش من السبع وكره الغياض وألف الدور واستوحش من البراري وجانب القفار والف المجالس والدور. وكيف يكون ذلك وهو لا يرضى بالنوم والربوض على الارض وهو لا يرى بساطاً ولا يرى وساداً الّا علاهما وجلس عليهما

رابضاً ولا تراهُ وهو يجد كل موضع جليل نظيف ويجد سبيلاً اليه فيتخير عنهُ. وتراهُ يتخيَّر ابدًا ارفع المواضع في المجلس وما يصونهُ صاحبهُ. (قال) والكلب (53ᵛ) يعرف صاحبهُ وهو والسنَّور يعرفان اسماءهما ويعرفان منازلها ويألفان مواطنها اذا طُردا رجعا وان أُجيعا صبرا وان أُهينا احتملا. وللكلب ايضاً من الفضائل اثباتهُ وجه صاحبهِ ونظرهُ في عينيهِ وفي وجهه وحبُّهُ لهُ ودنوُّهُ منهُ حتى ربما لاعبهُ ولاعب صبيانهُ بالعضّ الذي لا يؤلم ولا يؤثر وانهُ تلك الانياب التي لو انشبها في الشجرة لأثرت. قال بعض الشعراء:

ايها الشانئ الكلاب أصغ لي ... منك سمعاً ولا تكونن جبانا
انَّ في الكلب فاعلمنَّ خصالاً ... من شريف الخصال يُعدَدنَ حمسا
حفظُ من كان محسناً ورداءً ... للذي تتخذهُ حرباً وترسا
واتباعٌ لراحهِ واذا ما ... صار نُطق الشجاع للخوف همسا
فهو عونٌ لناجحٍ من بعيدٍ ... مستجيرٍ بقربهِ حين أمسى

قال ابو بكر: انَّ الرجل في البادية اذا ضلَّ الطريقَ وهالهُ الليل تبعَ نُباح الكلاب لتنبح كلاب الحي فيتبع اصواتها حتى يصير الى الحي. قال آخر:

انَّ قوماً رأوك شبهاً لكلبٍ ... لا رأوا للظلام صبحاً مضيئاً
(54ᵛ) انت لا تحفظ الذمام لخلقٍ ... وهو يرعى الذمام رعياً وفيّاً
يشكر المرء من كريمٍ فعالٍ ... آخرَ الدهر لا تراهُ نسيّاً
ويناديهِ محسناً من بعيدٍ ... ويرى منهُ طائعاً مستحيّاً
انَّ سؤلي وبغيتي ومنائي ... ان اراك الغداة كلباً سويّاً

انشد ابو عبيدة لبعض الشعراء:

يُعرِّج عنهُ جارهُ وشفيقهُ ... ويلبثُ عنهُ كلبهُ وهو ضاربهُ

قال ابو عبيدة: قيل هذا الشعر في رجل من اهل البصرة خرج الى الجبّان ينظر ركابهُ فتبعهُ كلب لهُ فضربهُ وطردهُ وكره ان يتبعهُ فرماه بحجر فادماهُ فابى الكلب الّا ان يتبعهُ. فلمّا صار الى الموضع وثب به قوم كانت لهُ عندهم طائلة وكان معهُ جارٌ لهُ واخٌ فهربا عنهُ وتركاهُ واسلماه فجُرح جراحات كثيرة ورمياه في بئر وحُثي عليهِ التراب حتى واروهُ ولم يشكوا في قلوبهم انهُ قد مات والكلب مع هذا يمرُّ عليهم وهم يرجمونهُ. فلما انصرفوا اتى الكلب الى رأس البئر فلم يزل يعوي (54ᵛ) ويبحث في

التراب بمخالبه حتى ظهر راسهُ وفيه نفس يتردّد وقد كان اشرف على التلف ولم يبق فيه الا حشاشة نفسه ووصل اليه. فبينما هو كذلك اذ مرَّ أناس فانكروا مكان الكلب ورأوه كانهُ يحفر قبرًا فجاؤوا واذا هم بالرجل على تلك الحال فاستخرجوهُ حيًا وحملوه الى اهله. فزعم ابو عبيدة انَّ ذلك الموضع يُدعى بئر الكلب وهذا الامر يدلّ على وفاء طبيعي وإلف غريزي ومحاماة شديدة وعلى معرفة وصبر وكرم وغناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع

وحدَّثني عبيد الله بن محمَّد الكاتب. قال: حدَّثني ابو محمَّد بن خلّاد. قال: مرَّ رجل على بعض السلاطين وكان معهُ عامل ارمينية منصرفًا الى منزله فمرَّ في طريقه بمقبرة واذا قبرٌ عليه قبَّة مبنيةٌ مكتوب عليها: هذا قبر الكلب فمن احبَّ ان يعلم خبرهُ فليمض الى قرية كذا وكذا فانَّ فيها من يخبرهُ. فسأل الرجل عن القرية فدلُّوهُ عليها فقصدها وسأل اهلها فدلُّوهُ على شيخ فبعث اليه واحضرهُ واذا شيخ قد جاز المئة سنة (55ᵃ) فسألهُ فقال: نعم كان في الناحية ملك عظيم الشان وكان مشتهرًا بالنزهة والصيد والسفر وكان لهُ كلب قد ربَّاهُ وسمَّاهُ باسم لا يفارقهُ حيث كان. فاذا كان في وقت غدائه وعشائه اطعمهُ مما ياكل فخرج يومًا الى بعض متنزَّهاته وقال لبعض غلمانه: قل للطبَّاخ يطبخ لنا ثردة لبن فقد اشتهيتُها فأصلحوها. فمضى الى متنزَّهه فوجَّه الطبَّاخ فجاء بلبن وصنع لهُ ثردة عظيمة ونسي ان يغطيها بشيء واشتغل بطبيخ اشياء أخر فخرج من بعض شقوق الحيطان افعى فكرع في ذلك اللبن ومجَّ في الثردة من سمّه والكلب رابض يرى ذلك كأنهُ ولو كان لهُ في الافعى حيلة لمنعهُ ولكن لا حيلة للكلب في الافعى. وكان عند الملك جارية خرساء زمنة قد رأت ما صنع الافعى. وارق الملك من الصيد في آخر النهار فقال: يا غلمان اوّل ما تقدّمون لي الثردة. فلمَّا وُضعت بين يديه اومأت الخرساء اليه فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليه ولجَّ في الصياح فلم يعلم مُراده. ثم رمى اليه بما كان يُرمى اليه في كل (55ᵇ) يوم فلم يقربهُ ولجَّ في الصياح فقال للغلمان: نحُّوهُ عنَّا فانَّ لهُ قصَّةً. ومدَّ يدهُ الى اللبن. فلما رآهُ الكلب يريد ان ياكل طفر الى وسط المائدة وادخل فمهُ في الغضارة وكرع من اللبن فسقط ميتًا وتناثر لحمهُ وبقي الملك متعجبًا منهُ ومن فعله فاومأت الخرساء اليهم فعرفوا مرادها بما صنع الكلب. فقال الملك لندمائه وحاشيته: انَّ شيئًا فداني بنفسه لحقيقٌ بالمكافأة وما

يحملهُ ويدفنهُ غيري. ودفنهُ بين ابيهِ وامهِ وبنى عليهِ قبّة وكتب عليها مـا قرأتَ فهذا ما كان من خبرهِ

اخبرني ابو العلاء بن يوسف القاضي قال: حدّثني شيخ كان مسنًّا صدوقًا انهُ حجَّ سنةً من السنين (قال) برَّزنا احمالنا الى الياسريّة وجلسنا على قداحٍ نتغدّى وكلب رابض حذاءنا فرمينا اليهِ من بعض ما ناكل. ثم انّا ارتحلنا ونزلنا بنهر الملك فلما قدّمنا السُّفرة اذا الكلب بعينهِ رابض كاليوم الاوّل فقلتُ للغلمان: قد تبعنا هـذا الكلب وقد وجب حقّهُ علينا فتعاهدوهُ. فنفض الغلمان السفرة بين يديهِ فاكل (56") ولم يزل تابعًا لنا من منزل الى منزل على تلك الحال لا يقدر احد ان يقترب من جمالنا ولا محاملنـا الّا صاح ونبح فكنّا قد أمِنّا من سلّالٍ وغيرهِ الى مكّة. وعزمنا على الخروج في عمل الى اليمن فكان معنا الى ارض قباء ورجعنا الى مدينة السلام وهو معنا

ذكر ابو عبد الله عن ابي عبيدة النحوي وابي اليقظان سحيم بن حفص وابي الحسن علي بن محمّد المدائني عن محمّد بن حفص بن سَلَمة بن محارب وقد حدّثنا بهذا الحديث ابو بكر عبد الله بن محمّد بن ابي الدنيا باسنادٍ ذكره وهو حديث مشهور انَّ الطاعون الجارف أتى على اهل دارٍ فلم يشكّ احدٌ من اهل المحلّة انهُ لم يبق فيها صغير ولا كبير. وقد كان بقي في الدار صبي يرضع يحبو ولا يقوم فصمد من بقي من اهل تلك المحلّة الى باب الدار فسدّوهُ. فلما كان بعد ذلك باشهرٍ تحوّل اليهـا بعض ورثة القوم ففتح الباب فلما افضى الى عرصة الدار اذا هو بصبيٍّ يلعب مع جُرَيّ كلبةٍ كانت لاصحاب الدار فلما رآها الصبي حبا اليها فامكنتهُ من لبنها فعلموا ان الصبي بقي في الدار وصار ناسيًا واشتدَّ جوعهُ ورأى (56") جراء الكلبة ترضع فعطف عليهـا. فلمّا سقتهُ مرّة ادامت لهُ وادام هو الطلب

اخبرني علي بن محمّد قال حدّثني محمّد بن حسين الشدّاد قال: ولّاني القسمُ خلافة احمد بن ميمون بشابَرْزان فقصدت عليّ بن احمـد الراسبي الى دور الراسبي فنزلت في بعض منازلها فوجدت في جواري جنديًا من اصحابهِ يُعرف بنسيم كان برسم لطيف غلامهِ واذا كلبٌ يخرج بخروجهِ ويدخل بدخولهِ واذ جلس على باب قرّبهُ وغطّاهُ بدوّاج كان عليهِ فسألتُ الراسبيّ عن محل الغلام وكيف يقنعُ الامير منهُ بدخول الكلب عليهِ ويرضى منهُ بذلك وليس بكلب صيد زينيّ. قال الوليد: سَلهُ عن حديثهِ فانهُ يخبرك بشأنهُ

فاحضرتُ الغلام فسألتهُ عن السبب الذي استحقّ هذه المنزلة منهُ فقال: هذا خلصني بعد الله عزّ وجل من امر عظيم . فاستشمتُ هذا القول وانكرتهُ عليهِ فقال لي : اسمع حديثهُ فانك تعذرني. كان يصحبني رجلٌ من اهل البصرة يُقال لهُ محمد بن بكر لا يفارقني ويؤاكلني ويعاشرني على النبيذ وغيرهِ منذ سنين فخرجنا نقاتل (57r) أهل الديلم فلمّا رجعنا وقربنا من منزلنا كان في وسطي هِميان فيهِ جملة دنانير ومعي متاع كثير أفدتهُ من الغنيمة قد وقف عليهِ باسرهِ فنزلنا في موضع فاكلنا وشربنا. فلمّا عمل الشراب فيَّ عمد اليَّ فشدَّ يديَّ الى رجليَّ واوثقني كتافاً ورمى بي في وادٍ واخذ كل ما كان معي وتركني ومضى وأيستُ من الحياة وقعد هذا الكلب معي . ثم تركني ومضى فما كان باسرع من أن وافاني ومعهُ رغيف فطرحهُ بين يديَّ فاكلتهُ ولم ازل احبو الى موضع فيهِ فشربت ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي يعرّي الى ان اصبحتُ فحملتني عيني وفقدت الكلب فما كان اسرع من ان وافاني ومعهُ رغيف اكلتهُ وفعلتُ فعلي في اليوم الاوّل. فلما كان في اليوم الثالث غاب عني فقلت: مضى يجيئني بالرغيف فلم ألبث ان جاء ومعهُ الرغيف فرمى بهِ اليَّ فلم استتمّ اكلهُ الّا وابني على راسي يبكي وقال: ما تصنع هاهنا وايش قصّتك. ونزل فحلَّ كتافي واخرجني فقلت لهُ: من اين علمت بمكاني ومن دلّك عليَّ. قال: كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح لهُ رغيف على رسمهِ (57v) فلا ياكلهُ وقد كان معك فانكرنا رجوعهُ وليس انت معهُ فكان يحمل الرغيف في فيهِ ولا يذوقهُ ويخرج يعدو فأنكرنا امرهُ فاتّبعتهُ حتى وقفت عليك . فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب. فهو عندي اعظم مقداراً من الاهل والقرابة. قال: ورأيت أثر الكتاف في يديهِ قد أثّر اثراً قبيحاً

وحدّثني ابو عبد الله قال حدّثني ابو الحسن محمد بن الحسين بن شدّاد قال: قصدت دير مخارق الى عبد الله بن الطبريّ النصراني الذي كان يتقلّد النزل للمعتضد بالله فسألتهُ احضاري وكيلاً لهُ يقال لهُ ابراهيم بن داران وطالبتهُ وبإحضار الادلّاء لمساحة قريةٍ تُعرف بباصري السُّفلى . فقال لي: يا سيّدي قد وجّهت في ذلك . فقلتُ لهُ : انا على الطريق جالس وما اجتاز بي احدٌ فقال لي : اما رأيت الكلب الذي كان بين ايدينا قد وجّهتُ بهِ . فتلظ ذلك عليَّ من قولهِ وامرتُ بهِ ونلتهُ بما انا استغفر الله جلّ وعزّ منهُ فقال: ان لم يحضر القوم الساعة فانت من دمي في حلٍّ . فما مكث بعد هذا القول

الا ساعة حتى وافى القوم مقبلين والكلب معهم . فسألتهُ كيف يحتملهُ الرسالة (58ª) . فقال: اشدُّ في عنقهِ رقعة بما احتاج اليهِ واطرحهُ على الحجَّة فيقصد القوم وقد عرفوا الخبر فيقرأون الرقعة فيمتثلون ما فيها

وحدَّثني لصٌّ تائبٌ قال: دخلتُ مدينةً (قد ذكرها لي) فجعلتُ اطلب شيئاً اسرقهُ فلم أُصب . فوقعت عيني على صيرفيٍّ موسر فما زلت احتال حتى سرقت كيساً لهُ وانسللتُ فما جزت غير بعيد واذا بعجوز معها كلب قد وقعتْ في صدري تبوسني وتلزمني وتقول: يا بُنيَّ فديتُك والكلب يُعبعب بي ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون الينا وجعلت المرأة تقول: بالله انظروا الى الكلب كيف قد عرفهُ . فعجب الناس من ذلك وتشكَّكت انا في نفسي وقلتُ: لعلَّها ارضعتني وانا لا اعرفها وقالت: (هلمَّ) معي الى البيت أقم عندي . فلم تفارقني حتى مضيت معها الى بيتها واذا عندها جماعة احداث يشربون وبين ايديهم من جميع الفواكه والرياحين فرحبوا بي وقرَّبوني واجلسوني معهم ورأيت لهم بزَّة حسنة وضعتُ عيني عليها . فجعلت اسقيهم ويشربون وارفق بنفسي الى ان ناموا ونام كل من في (58ᵇ) الدار فقمتُ وكوَّرت ما عندهم وذهبت اخرج فوثب عليَّ الكلب وثبة الاسد وصاح وجعل يتراجع وينبح الى ان أنبهَ كل نائم فخجلتُ واستحييت . ولما كان النهار فعلوا مثل فعلهم امس وفعلتُ ايضاً انا بهم مثل ذلك وجعلت اوقع الحيلة في امر الكلب الى الليل فما امكنتني فيهِ حيلة . فلما ناموا رُمت الذي رمتهُ فاذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني بهِ . فجعلتُ احتال ثلاث ليالي . فلما أيستُ طلبت الخلاص منهم باذنهم وقلتُ: اتأذنون اعزَّكم الله فاني على وفاء . فقالوا: الامر الى العجوز . فاستأذنت فقالت: هاتِ ما معك الذي اخذتهُ من الصيرفي وامضِ حيث شئت ولا تُقم في هذه المدينة فانهُ لا يتهيأ لاحد يعمل فيها لاحد معي عملاً . فاخذت الكيس واخرجتني ووجدت انا ايضاً مُباي لن أسلم من يدها فكان قُصاراي ان اطلب منها نفقةً فدفعت اليَّ وخرجت معي حتى اخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفتْ ومضيتُ والكلب يتبعني حتى بعدت . ثم تراجع ينظر اليَّ ويلتفت (59ᵃ) اليَّ وانا انظر اليهِ حتى غاب عني

اخبرني بعض الفيوج من اهل الجبل قال: كنت انا مع جماعة خارجين الى أصبهان فلما صرنا الى بعض الطريق مررنا بخان خراب ليس فيهِ احد واذا صوت كلب ينبح واذا

حركة شديدة فدخلنا بأجمعنا الخان فاذا بصاحبٍ نعرفهُ من الفيوج كان معهُ كلب لا يفارقهُ حيث كان. واذا بعض المبنّجين قد وقع عليهِ وكان الفيج فطناً فلمّا رأى المبنّج ان حيلتهُ ليس تنفذ لهُ عليهِ طرح في حلقهِ وتراً ليخنقه بهِ. فلما رأى الكلب ذلك صار الى المبنج فخمش وجهه وعضَّ قفاهُ وطرح منهُ قطعة لحم فسقط المبنج مغشيًا عليهِ فخلصنا من حلق صاحبنا الوتر وكان قد إشرف على التلف وقبضنا على المبنج وكتفناهُ بوترهِ ودفعناهُ الى السلطان

وحدَّثني ابراهيم بن برقان قال كان في جوارنا رجلٌ من اهل اصبهان يُعرف بالخصيب ومعه كلب له جاء بهِ من الجبل فوقع بينه وبين جارهِ الخصومة الى ان تواثبا. فلمّا رأى الكلب صاحبه قد وثب عليهِ طفر الى (59v) الرجل الذي قد واثب صاحبه فوضع مخالبهُ في أحد عينيه وعضَّ قفاهُ حتى رأيت الرجل قد غشي عليهِ ودماؤهُ تجري على الارض

قال بعض من يذمُّ الكلاب: الناس ينامون الليل الذي جعلهُ الله عزَّ وجلَّ تعالى سكنًا ويتصرَّفون في النهار الذي جعلهُ الله عزَّ وجلَّ مسرحاً وهم (يريد هي اي الكلاب) على ضد ذلك واحتجَّ من يردُّ عليهِ فقال انَّ سهرها بالليل ونومها بالنهار خصلة ملوكية ولو كان غير ذلك كان الملوك بهِ أولى وانما انتباهها بالليل لأنَّ فيهِ ينتشر اللصوص ويكثر فيهِ التأتّق والتقوب والسرق ثم اذا افضى الى منزل قوم مَنْ لم يرضَ الّا بالقتل وركوب السوء ونهب المال فهي تحرس من هذه الحال وتنبه عليهِ صاحبهُ. انشدني بعض الادباء:

تاه قلبي وابن مني قلبُ ... انْ ردَّ السرور يا قومُ صعبُ
شردتهُ خيانةٌ من صديقٍ ... أنا مستسلمٌ لهُ وهو حربُ
مضمرٌ للنفاق والقلبُ منهُ ... مُبطن بغضهُ وباديهِ حبُّ
قلت يومًا لهُ وارضَني منهُ ... م فقالَ اتى بهِ انت كلبُ (60v)
قال للمدح قلتُ ذا امر سلبي ... قال للسلب قلت ما بهِ سلبُ
شيمةُ الكلب حفظهُ لوليّ ... وعن الحيّ في دجى الليل ذبُّ
يحفظ الجار للجوار ويمشي ... ساهر المقلتين يحنوهُ سغبُ
يرقد الناغرون امنًا ويمسي ... خائفًا هُلْكهم بحاليهِ صبُّ
وترى الكلبَ في المهامهِ عونًا ... ويُجيبُ اللهيفَ والنار تخبو
وتراهُ ينابحُ القوم خوفًا ... والى الصوت في دُجى الليل يصبو
فلماذا يحسنهُ الحظُّ ان لي ... وَيلما شتمهُ وما فيهِ سبُّ

انشدني بعض المدنيين يصف كلباً له بالشدة يقال له موق:

يا موقُ لا ذُقتَ بؤس العيش يا موقُ ولا مُنيت بشربٍ فيهِ ترنيقُ
ذو هامةٍ كرحى بذرٍ مُلملمةٍ ويُرى فيهِ وللاجوافِ تخريقُ
صُماتُهُ قَضَبٌ وقعهُ كَلَبٌ وعندهُ سغبٌ ما فيهِ ترنيقُ (60')
العَقْر (بنيَّتُهُ) والموت كرَّتهُ مجتاز ساحتهِ بالشرّ مرموقُ
والسيف والرمح ادنى منهُ بادرةً والنبل اهون منهُ والمزاريقُ
والترك والدَّيلم المحذور شرُّهما والزنجُ من بعدُ والروم البطاريقُ
جماعةُ القوم ان مرُّوا بساحتهِ فضدهُ لاجتماع القوم تفريقُ
او مرَّ جيش عليهم كلهم بطلٌ اذا اناخت جم من خوفهم نوقُ

قلت لصديق لي: تعرف في هذا شيئاً. قال: نعم وانشدني (١ :

قال لي احمدُ واحمدُ كهلٌ ليس في الناس مثلهُ اثنانِ
حُسن خُلقٍ وحسن خَلقٍ وعلمٍ بارعٌ فانهُ يُطق لسانِ
هو في الحفل زينةٌ وجمالٌ ولدى الشَّرب زينةُ البستانِ
واذا المرءُ ضاق بالهمِّ صدرًا فرَّج الهمَّ احمد المرزبانِ (61')
يا خليلي حفظتَ في الكلب شيئاً قلتُ في (. .) في عظم شأنِ
قال لي خذ اخي فأظهرَ فضلًا قد حوى في (اخي) ظريف المعاني
في مديحِ الكلاب مع ذمِّ قومٍ فارانى (. .) قبل البيانِ
قال اني اراهُ اوفى ذماماً من كثير (بل قا)تُ في الاخوانِ
وامين المغيب باقي بوجهٍ ولقومٍ من الورى وجهانِ
شاكرٌ للقليل غير كفورٍ وكفورٌ الكثير في الخُلّانِ
حارسٌ للحريم يمنع في الليل م عن القوم ساهر الاجفانِ
مثل ليث العرين تلقاه لمَّا حلَّ في جوف خيسهِ شبلانِ
عارفٌ بالوجه يغضُّ حياءً حين يلقاه للفتى عينانِ
صابرٌ نافعٌ حفوظٌ ألوفٌ دافعٌ مانعٌ بغير امتنانِ
لين الخُلق يعطفُ لحبيبٍ (وترى نابهُ) كحدِّ السنانِ
وارى الناس غير من انت فيهم (—) ترا كالذئاب والثيرانِ (؟)

(فصلٌ فيمن أفسد الصديقُ حرمتهُ فاقام الكلب حرمته). اخبرونا عن ابي الحسن المدائني يرفعهُ الى عمر قال: كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم شديد (الحبّ)

١) قد وقع في اصل هذه الابيات خلل وسقط منها الناظ فدللنا عليها بقوسين

لهم فبعث احدهم (61ᵛ) الى زوجته فراسلها وكان للحرث كلبٌ رباهُ فخرج الحرث في بعض منتزهاته ومعهُ ندماؤهُ وتخلّف عنهُ ذلك الرجل . فلما بَعُد الحرث من منزله جاء نديمهُ الى بيته فاقام عند زوجته يأكل ويشرب فلما سكر واراد ان يخلو بها رآهما الكلب فوثب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الى منزله ونظر اليهما عرف القصّة ووقف ندماؤهُ على ذلك فانشأ يقول:

وما زال يرعى ذمّتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليلُ يخونُ
فيا عجبي للخلّ يصنك حرمتي ويا عجبي للكلب كيف يصونُ

(قال) وهجر من كان يعاشره واتخذ كلبهُ نديماً وصاحباً فتحدّثت به العرب وانشأ يقول :

فللكلبُ خيرٌ من خليل يخونني ويصنك عرضي بعد وقتٍ وحيلي
ساجعل كلبي ما حييتُ منادمي وامنحهُ ودّي وصفوَ خليلي

قال: وذكر ابن داب قال: كان للحسن بن مالك الفتوي إخوان (62ᵛ) وندمان وكان لهُ كلب على باب دارهِ قد رباه فجاء رجل يوماً الى منزل الحسن فدخل الى امرأته فاكلا وشربا وحاولا فعل الشر فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما جاء الحسن وراءهما على تلك الحال تبيّن ما فعلاهُ فانشأ يقول :

اضحى خليلي بعد صفو مودّتي صريعاً بدار الذلّ أسلمهُ القدرُ
بغى حرمتي بعد الإخاء وخانني فغادرهُ كلبي وقد ضمّهُ القبرُ

قال الاصمعي: كان لمالك بن الوليد اصدقاء لا يفارقهم ولا يصبر عنهم فارسل احدهم الى زوجته فاجابتهُ وجاء ليلة فاستخفى في بعض دور مالك عند امرأته ومالك لا يعرف بشيءٍ من ذلك فلما اخذا بشأنهما وثب كلب لمالك عليهما فقتلهما ومالك لا يعقل من السكر. فلما افاق وقف عليهما فانشأ يقول (62ᵛ):

كلُّ كلبٍ حفظتهُ لك أرعى ما بقي لو بقي ليوم التنادي
من خليل يخونُ في النفس والما ل وفي العرس بعد صفو الودادِ

وانشد منشد:

واذا قلتُ ويكَ للكلب إخسا لحظتني عيناك لحظةَ ضغنه
أترى اني حسبتُك كلباً انت عندي من ابعد الناس همّهْ

ذكروا ان صعصعة بن خالد كان لهُ صديق لا يفارقهُ فجاء يوماً فرآهُ قتيلاً في دارهِ مع امرأتهِ فايقن بخيانتهما فقال :

الغدرُ شيمةُ كل نذلٍ سفلة والكلبُ يحفظُ عهدك الدهرَا
فدَع اللئام وكن لكلبك حافظاً فلتأمنَنَّ الغدر والمكرَا

حدَّثني بعض اصدقائي قال: خرجت ليلةً وانا سكران فقصدت بعض البساتين لامر من الامور ومعي كلبان لي كنت رَبَّيتهما ومعي عصا فحملتني عيني فاذا الكلبان ينبحان ويصيحان فانتبهتُ بصياحهما فلم ار شيئاً انكرهُ فضربتهما وطردتهما ونمت (63ᵃ) ثم عاودا الصياح والنباح فانبهاني فوثبت اليهما وطردتهما فما حسستُ الّا وقد سقطا عليَّ يحرّكاني بايديهما وارجلهما كما يحرّك اليقظانُ النائمَ لامر هائل فوثبت فاذا انا باسود سالخ قد قرُب مني فوثبت اليهِ وقتلتهُ ثم انصرفت الى منزلي فكان الكلبان بعد الله عزَّ وجل سبب خلاصي

وروى انهُ كانت لميمونة زوجة النبي صلعم كلبٌ يقال لهُ سمار فكانت اذا حجّت خرجت بهِ معها فليس يطمع احد في القرب من رحلها مع سمار فاذا رجعت جعلتهُ في بني جديلة وانفقت عليهِ فلما مات قيل لها: مات سمار فبكت وقالت: لحقتُ بسمار ... (١)

(63ᵇ) وحدَّثني صديقٌ لي انه كان له صديق ماتت امرأته وخلّفت صبياً وكان له كلب قد ربّاهُ فترك يوماً ولدهُ في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج وعاد بعد ساعة فرأى الكلب في الدهليز وهو ملوّث بالدم ووجهه وبزهُ كلّه فقدّر الرجل انه قد قتل ابنه واكله فحمل الى الكلب فقتله قبل ان يدخل الدار ثم دخل الدار فوجد الصبي نائماً في مهدهِ والى جانبهِ بقيّة من افعى قد قتله الكلب واكل بعضه فندم الرجل على قتلهِ اشدَّ ندامة ودفن الكلب. تمَّ الكتاب ولله المنّة والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآلهِ وسلّم تسليماً

نجز نسخهُ رابع عشر ذي القعدة من سنة تسع واربعين وستمائة (١٢٥١)

بلغ العراض بالاصل المنتسخ منهُ كتب الملتجئ الى حرم الله تعالى الحسن بن محمَّد بن الحسن الصغاني مدَّهُ الله باعانتهِ وانعم عليهِ قضاء لبانتهِ في ذي الحجّة من شهور تسع واربعين وستمائة حامداً ومصلّياً

(١) هنا في الاصل بداءة قصّة لم تكمل فاضربنا عنها

الشَّمع

للشاب الاديب بولس افندي صوما الصيدلي القانوني

انَّ ما خُصَّ بهِ الشمع من الصفات الطيّبة وما يؤديهِ من الخدم للانسان في ضروب الصنائع يجعلهُ من الاجسام الجزيلة النفع الواسعة المتجر . ولذلك اردنا ان نكتب فيهِ فصلًا لنبيّن لأهل بلادنا ما يمكنهم ان ينالوا بهِ من المنافع ونرشدهم الى تنمية اجتنائهِ وتجارتهِ

﴿تعريفهُ﴾ يحدّد الكيمويُّون الشمع مادَّة دسمة لينة سريعة التفتُّت مختلفة الاصل مثالها موم العسل الذي يصطنعهُ النحل . والشمع يتركَّب خصوصاً من عنصرين يمكن عزل الواحد عن الآخر بواسطة الكحول لانَّ احدهما يذوب بالكحول ويُدعى سيرين (cérine) يدخل فيهِ اقسام معلومة من الكربون والهيدروجين والاكسيجين والآخر لا يحلُّهُ الكحول ويدعى ميريسين (myricine) يُضاف اليهما جسمٌ ثالث بكميَّة قليلة يُدعى سيروليين (céroléine). والشمع في اصلهِ ابيض الَّا انهُ يتلوَّن ببعض الالوان ويضرب خصوصاً الى الصفرة لما يدخلهُ من الموادّ الغريبة . وكذلك الشمع لا طعم لهُ الَّا بما يمتزج فيهِ من الاجسام الاجنبيّة ولهُ رائحة طيّبة خاصَّة بهِ ويقصرونهُ بتذويبهِ وتصفيته فترسب الاجسام الغريبة ويطفو الشمع . ثم يكرّرون العمل مرارًا الى أن يضحي الشمع خالصاً من شوائبهِ فيكون على هيئة صفائح شفَّافة وشرائط رقيقة يعرضونها للهواء والنور فتبيض وتزيد نصوعاً وتصبح قاسية صلبة وتتراوح كثافتهُ بين ٠,٩٦٠ و٠,٩٧٥ والشمع يلين في الدرجة ٣٠ ويذوب اذا بلغت حرارتهُ ٦٣° دون ان يتحلَّل ولا يذوب في الماء ويذوب في الاثير والزيوت الثابتة الطيَّارة واذا أُوقد اشتعل في الهواء بنور ساطع

﴿انواعهُ﴾ قلنا ان الشمع مختلف الاصل : وهو يكون بالنسبة الى اصلهِ امَّا حيوانيًّا وامَّا نباتيًّا وامَّا معدنيًّا ولكل منها خواصّ

(الشمع الحيواني) هو اشهر اجناس الشموع وافضلها : وليس بين الحيوان

المصطنع للشمع احذق من النحل في صنعهِ واغزر مادّة منهُ . والنحل يتّخذهُ لتجهيز خلاياهُ المسدّسة التي يجعل فيها عسلهُ . وهذا الشمع لا يجنيهِ كما ظنّ البعض خالصاً من النبات وانما يستحضرهُ في امعائهِ حتى انهُ يفرز الشمع ولو حُرم النحلُ جنى الزهور واقتات بالسكّر او العسل مع الماء فقط . وشمع النحل يتركّب من ٣٠ قسماً في المئة من الميريسين ومن ٦٥ الى ٦٦ من السيرين ومن ٤ الى ٥ من السيروليين

واذا ارادوا اتخاذ الشمع عمدوا الى شهاد العسل اي اقراصهِ وكسروها كسراً ثم كبسوها كبساً شديداً فيشتارون عسلها ويلقون ما فضل في الماء المغلي فيذوب العسل ويبقى الشمع على وجه الماء . فاذا برد اذابوهُ ثانيةً دون سكب الماء فيطفو الشمع وترسب الاجسام الغريبة ثم يصبونهُ في قوالب من نحاس او خشب . وهذا الشمع يكون عادةً اصفر وهو الشمع الصرف الخالص ويقصرونهُ كما سبق

ومن الهوامّ التي تفرز ايضاً الشمع نوع من الحشرات تكثر في اميركة الشمالية عند نهري اورينوك واماازون يسمّونها انديكوس تصطنع الشمع كالنحل فيجمعهُ الهنود ويستصبحون بهِ كالشمع النحلي . وهناك ايضاً هامّة أُخرى يدعونها شاعة (ceroplastes rusci) تفرز من جسمها شمعاً يتكاثف عليها ويغطيها كلها فلهذه المادّة المفرزة خواص الشمع العادي

واشهر منها نوع اخر من الهوامّ صغير الجرم اصلهُ من الصين يسميهِ الصينيّون پيلا (Pe-la) . فهذه الدبيبات تعيش على اشجار من شكل الزاوند فاذا صار شهر حزيران افرزت على جذور الشجرة لعاباً كالصوف الناعم تأوي اليهِ وهو لا يزال ينمو ويمتدّ حتى يغطيها بتمامها فاذا كان اول الخريف جمعهُ الصينيّون وصفّرهُ فيكون بعد تنقيتهِ اشبه بشحم البقر او بشحم الحيتان الكبار فيجمد ويتبلور ويتفتّت ويذوب اذا بلغ الدرجة ٨٢° من الحرارة وهم يتاجرون بهِ ويشحنونهُ في مدينتي كانتون وشانغهاي

وممّا يُلحق بهذه الشموع الحيوانيّة الستيارين او الحامض الستياريك وهو شحم البقر او الغنم المتّخذ لاستحضار الشمع الشحمي . فاذا ارادوا ذلك جعلوا الشحم في الصودا فيصير كالصابون ثم يصبّون عليهِ محلولاً اذابوا فيهِ ملحاً ويحللون ما تحصّل من المزيج بواسطة الحامض الكلوردريك فيتطاير كلورور الصوديوم ويبقى الحامض الستياريك .

والستيارين تكون بيضاء صلبة وتذوب في درجة ٧٠ من القياس المئوي. وتكون أقسى وأصلب اذا كان الشحم من الغنم

(الشمع النباتي) يتكوّن الشمع النباتي على ظاهر اوراق بعض النباتات او داخل حُبوبها. وهذه اخصها:

الاوّل شمع بلاد لويسيانة. ففي ذلك القطر الاميركيّ شجرة تسمى شجرة الشمع (Myrica cerifera) ومنها صنف يسمونهُ (Myrica coridifolia) تتكوّن حول ثمرها مادة خضراء اللون فتكسوهُ تماماً. فاذا ارادوا جناها قطفوا الثمر وألقوهُ في الماء المغلي ثم في الكحول البارد فتطفو المادّة الدسمة وهي شفّافة ذات رائحة عطرة وطعم طيّب فذاك شمعها يصبح لونهُ اصفر ضارباً الى الخضرة ويكون قاسياً متفتتاً حتى يصير كالدقيق

والثاني شمع النخل. ينبت في بلاد بيرو من اميركا الجنوبيّة ويسمونهُ (Ceroxylon Andicola) فيسيل من هذا النخل عند منبت اوراقهِ مائع يشبه قلوس السمك ابيض ارمد اغبر اللون او مصفرّهُ. فذلك الشمع يتّخذونهُ لحاجاتهم وهو خالٍ من الرائحة والطعم يذوب اذا أُحمي الى الدرجة ٧٢

الثالث هو الشمع البرازيلي (cire de Carnauba) يستخرج من شجرة من صنف المصطكي تنبت في داخل البرازيل يدعونها ساريفا سيريفرا (Cerypha cerifera) واوراق هذه الشجرة مجهزة على وجهيها بغُدَد تفرز شمعاً فاذا اصابتها اشعّة الشمس سالت على الاوراق وتجمدت فيجمعها اهل تلك البلاد مع اوراقها وينقونها فيطفو على وجه الماء منها شمع اصفر ضارب الى الخضرة يكون صلباً متكسراً ينحلّ في الكحول المغلي وفي الاثير ثم يُجمد فيتبلور

الرابع الشمع الياباني هو ايضاً سيّال يخرج من حبوب واثمار شجر تين يابانيّتين (Rhus succedanea et Rhus vernicifera) وحبوب تلك الشجرة تكون على شبه العناقيد يجنونها في شهريّ تشرين فيعرضونها برهةً في الشمس ثم يسحقونها تحت حجارة رحىً فيسيل منها شمع اخضر اللون يغسلونهُ ويقصرونهُ الى ان يبيض وهذا الشمع يذوب من الدرجة ٤٥ الى ٥٠ وينحلّ في الاثير والكحول المغلي

ويوجد اشجار شمعيّة غير المذكورة في كوبا وسومترا لكنّها اقلّ نفعاً من السابقة

فترى انَّ الاشجار التي يُستخرج منهـا الشمع كثيرة وقد جعل لها العلماء قسماً خاصاً في علم النبات يدعونهُ (myricées) اي الفصلية الشمعيَّة لان كلها تفرز نوعاً من الشمع يتَّخذونهُ للاستصباح واذا أُوقد كان نورهُ ساطعاً ورائحتهُ راضية

(الشمع المعدني) هو ما يُستخرج من بعض العناصر المعدنية التي وقفوا عليها قبل زمن طويل. فمنهُ نوع يدعونهُ اوزوكريت (Ozokérite) اكتشفهُ الجيولوجي ماير في جهـات فيلادفيا قرب مناجمها الفحمية والملحية. وقد وجدوا منـهُ في بعض نواحي انكلترَّة ثم وقفوا في بلاد غاليسيا من اعمال النمسة على كميَّات عظيمـة منهُ وهم يستثمرونهُ اليوم ويربحون الارباح الطائلة بيعه. واما هيئة هذا الشمع المعدنيّ فانهُ جسم دسم دهنيّ المجسّ والمنظر لونهُ ارمد كمد ورائحتهُ عطريَّة. واذا استخرجوهُ من معدنـهِ اذابوهُ وصبُّوهُ في قوالب وباعوهُ لارباب المعامل الذين يستخلصون منهُ الموادّ الشمعيـة ويجرّدونهُ مما فيهِ من الزيوت وذلك بأن يغليانهِ الى الدرجة ٢٣٠ فما فوق

ومن الشمع المعدني الشائع في زماننا البارافين يجلبونها من اميركا ويستخرجونها من الزيوت الحاوية عليها حجارة الشِسْت (schiste) بعد تقطيرها فالباقي منها هو البارافين يعصرونه بعد إغلائهِ ومزجهِ بسلفور الكربون فيحلّل ما يفضل في البارافين من القطران ثم يعصرونها فتصفو. والبارافين جسم صلب خالٍ من اللون يشبـه شحم الحوت شفَّاف بلُّوريّ ولا تفعل فيـهِ الحوامض كالحامض السولفوري والحامض الازوتي حتى انهم اشتقوا اسم البارافين من تلك الخاصة (Paraffine=parum affinis)

﴿منافع الشمع﴾ للشمع منافع عديدة في كثير من الصنائع. واشهر فوائدهِ انهُ يُتَّخذ للاستصباح فيستضاء بنورهِ. وقد عُرفت له هـذه الخاصة من قديم الزمان حتى ورد ذكرهُ في اقدم ما يُعرف من عاديات الشعوب المتمدّنة كالبابليين والمصريين وبني اسرائيل واليونان. والمرجَّح انهُ شاع منذ عُرف العسل وموم النحل. ولعلَّـهُ عُرف اوَّلاً في الاقطار السامية كما يستدلّ من كثرة اسمائهِ في لغاتهم كالشمع والدنج والموم والسَّعوة. وكان القدماء يتلطَّفون في تركيب اشكالهِ وتلوينهِ بانواع الاصباغ فيتَّخذونهُ لاعيادهم ومواسمهم وافراحهم

وقد ادخلت الكنيسة الشمع في رُتبها وطقوسها تُريد بها المعاني الرمزيَّة كالاشارة الى السيّد المسيح نور العالم والى الايمان الذي يرشد الانسان الى الصلاح وينير عقلهُ بمعتقدات

الوحي والى الاعمال الصالحة لتكون سيرة المؤمنين كمنارة يستضاء بها . ولذلك كانوا يجعلون الشموع في ايدي المتنصرين يوم معموديتهم وفي ايدي المترشحين للكهنوت ويوقدونها في الذبيحة المقدسة ويجددون بها انوار المشاعل يوم السبت الكبير ويتباركون بها كل سنة يوم دخول المسيح الى الهيكل ثم ينقلونها الى بيوتهم ويوقدونها في ساعة وفاتهم . وقد حافظت الكنيسة على استعمال الشمع النحلي في طقوسها رغماً عن غلاء اسعاره لاسيما بعد اكتشاف اجسام أخرى تقوم مقامهُ . ولذا تساهل المجمع المقدس شيئاً في خلوصه فسمح أن يمزج ببعض المواد الغريبة على شرط ان يكون الشمع العسلي القسم الاكبر في ذلك المركب

وللشمع فوائد طبيَّة عرفها قدما الاطباء . فكان يطلون به الجروح ويضمدون به القروح ويتخذون منهُ حبوباً يحلونها في بعض الاحشاء فيشربها المصابون بقروح في امعائهم . وقد ذكر ابن سينا نفعهُ من خشونة الصدر طلاء ولعقاً وكان بعضهم يجعلهُ على جراحات النصول المسمومة فتبطل قوتها وكذلك اتخذوهُ كراهم لتحايل جُسأة الاعصاب ولتليين الصلابات وازالة الاورام وانضاج الدماميل . وللاطباء في زماننا زيتٌ يدعونهُ زيت الشمع ينالونهُ باستقطار الشمع المغلي يصفونهُ كراهم ولطوخات

وقد اتخذت ايضاً الفنون الجميلة الشمع لصورها وتماثيلها . قيل انَّ الفينيقيين في اعياد الههم تموز او ادونيس كانوا يزينون الحدائق والطرقات باصناف النقوش والتصاوير والحليّ والزهور وكانوا يصطنعون ذلك من الشمع . ويُخبر عن الملك هليوغبال الروماني وسادن هيكل الشمس في حمص انَّه دعا الى وليمة قوماً غرَّهم بالوان المآكل التي كان هو يأكل منها وكان صنعها لهم من الشمع فخرجوا من عنده صياماً جياعاً

وقد عمد النقَّاشون الى الشمع فاصطنعوا منه منذ ايَّام اليونان والرومان تماثيل لآلهتهم ومشاهير رجالهم وكذلك سمحت الكنيسة بتمثيل صور القديسين والابرار بالشمع فنصبت تلك الدُمى في كنائسها ومعاهدها ليزيد الناظرون اليها تخشُّعاً وعبادة وقد اضحى هذا الفنّ صناعةً قائمة بذاتها يدعونها سيروبلستيك (céroplastique)

ومن فوائد الشمع اتخاذ الاطباء والجرَّاحين الرسوم الشمعية الصلبة لدرس اعضاء الانسان او الحيوان وتشريحها ويجاونها في غاية الدقة والحسن كما ترى في متحف الطب في كلية القديس يوسف حيث عُرضت قطع عديدة اصطناعية تمثل اعضاء

الانسان وامراضه . وكذلك يستحضر البناؤون والنجارون مركباً من الشمع يطلون به الجدران واثاث البيوت او يمسحون به حضيض البيوت ومسالكها فيصونها الدهون من الفساد ويزينها باللمعان ذلك فضلاً عن استعمال الشمع في الختوم والكّ واصطناع بعض اقلام الرصاص

هذه بعض فوائد الشمع تدلك على سعة متّجره ومع كثرة ما يُستحضر منه لا تزال اسعاره مرتفعة وكفى بذلك تنويهاً باقبال الجمهور عليه

﴿غش الشمع﴾ رأيت انَّ الشمع العسلي اجود الشموع واغلاها ثمناً ولذلك عمد اليه المدلّسون وغشوه باشياء تترك له صورتهُ وتسلب منهُ حسناته . قد روى المشرق (١١ : ٥٨٥) بعض تلك الغشوش في القرون الوسطى فذكر عن صاحب نهاية الرتبة في طلب الحسبة انهم كانوا يغشّون الشمع بشحم المعز وبالقلفونية وفي عهدنا يغشونه بالنشا . ويُعرف السرّ بان تجعل الشمع في زيت التربنتين فان كان فيهِ نشأ لم يذب . وكذلك يغشّونهُ بالموادّ الراتينجية فان اردت الوقوف على حقيقتها اجعل الشمع في الماء المغلي فاذا تضمن شيئاً من الراتينج رسب بعد برودتهِ بمادّة صلبة متفتتة . وان غشّ بالشحوم والستيارين عُرف الغشّ بالذوق . وكثيراً ما يغشونهُ في زماننا بالپرافين . ويعرف الامر بالحامض الكبريتيك الذي يعمل في الشمع ولا يعمل في الپرافين . واذا خُلط بالشمع النحلي شمع نباتي كان الشمع جامداً متفتتاً . فان اراد المشتري الوقوف على الغش فعليه بالصيادلة ليحللوا له الشمع فلا يُخدع بمكر الباعة المدلّسين

﴿تجارة الشمع في الشرق﴾ كانت هذه التجارة قديماً واسعةً في هذه البلاد وكان الفينيقيون جمارها بين السلع الرابحة التي كانوا ينقلونها الى الجهات القاصية ولا جرم انَّ بلاد الشرق عموماً والشام خصوصاً موافقة لهذه التجارة فانَّ نحلها جيّد كثير وتربتها طيبة وهواءها معتدل وفيها من اصناف النبات العطري ما يحسّن العسل والموم معاً . وكان القرويون وارباب الفلاحة يهتمّون بتربية النحل وينالون ثمرة تعبهم بما يجنون من محصولاتها ثم خمدت هذه الحركة لمّا زاحمهم الاجانب في هذه التجارة كما زاحموهم في غيرها . وللفرنج اليوم في اوربّة طرائق مستحدثة سهلة كثيرة الجدوى مكّنتهم من توفير النحل وحسن تربيتها فلو قصد اهل بلادنا لأمكنهم ان يتقفوا فيها آثارهم . ومع ما نرى من كساد هذه التجارة لا يزال كثيرون من الافراد يصطنعون في المدن والقرى اصنافاً جيدة من

الشمع لا تقلّ جودةً عن الاصناف الفرنجية لاسيما في حلب والموصل وبغداد وفي قرى الاكراد وغيرهم وفي نيتنا هنا في بيروت ان نوسع هذه التجارة اذا رأينا اقبالاً على الشمع الوطني فنخدم به الجمهور خدمة نصوحاً تجنبهم من غش اهل المكر والخداع

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

الاداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر (تابع)

امّا المدارس العربيّة في اوربّة فانّها نالت اكبر حظوى بهمّة علمائها ومدارسها الكليّة ومكاتبها الشرقيّة نخصّ منها بالذكر المكتب الشرقيّ الذي انشأهُ الالمان في عاصمة برلين لدرس لغات الشرق وبالخصوص العربية

وممّا افاد الدروس الشرقيّة كثيرًا المؤتمرات الدوليّة التي كانت تُعقد كل سنتين او ثلاث سنين في عواصم البلاد وكان اوّل تلك الاجتماعات العموميّة في باريس سنة ١٨٧٣ ثم في لندن (١٨٧٤) ثم بطرسبورج (١٨٧٦) ثم فيرنزا (١٨٧٧) ثم برلين (١٨٨١) ثم ليدن (١٨٨٣) ثم ڤينّا (١٨٨٦). الى ان عُقد المؤتمر الخامس عشر العام الماضي في كوبنهاغن (اطلب المشرق ١١: ٧٤٦). وقد أُلقيت في هذه المؤتمرات عدّة دروس وابحاث كانت تُجمع عادةً فتطبع ومجموعها اليوم بمثابة مكتبة واسعة

وزادت المطبوعات العربيّة في هذه المدّة زيادة عظيمة فانّ المجلّات الاسيويّة القديمة وفّرت قسماً اكبر من صحائفها للعلوم العربيّة ونشأت مجلّات جديدة في عدّة بلاد للابحاث الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً كالمجلّة الاسيويّة النمسويّة (WZKM) والمجلّة الاسيويّة الايطاليّة وكمجلّة الشرق المسيحي (ROC) واصداء الشرق

وفي المدّة ذاتها طُبعت قوائم موسّعة للآثار العربيّة التي تحفظ في خزائن الدول

حتى لم يكد يبقى بينها مكتبة لم توصف مخطوطاتها ونوادرها وصفاً مستوفياً

امّا الآثار القديمة التي نُشرت بالطبع فكانت تبلغ المئات في السنة. وقد امتازت بمطبوعاتها العربيّة مطبعة ليدن حيث نُشرت تآليف جغرافيّة وتاريخيّة وادبيّة تُعدّ من اشرف المطبوعات واعظمها فائدةً كمجموع جغرافيّي العرب الذي عُني بنشره قيد الآداب المأسوف عليه الاستاذ دي غوي (de Goeje) وكتاريخ الطبريّ الكبير وفتح البلدان للبلاذري ومفتاح العلوم للخوارزميّ والاخبار الطوال للدينوري ورسائل الجاحظ وجزيرة العرب للهمداني . وكانت بقيّة الدول تتنافس في نشر كنوز اخرى دفينة. فبرز في المانية كتاب الآثار الباقيّة عن القرون الخالية للبيروني وكتاب تاريخ الهند لهُ . وظهر في باريس كتاب مروج الذهب للمسعودي اخبار ملوك الفرس للثعالبي وكتاب البدء والتاريخ للمطهّر بن طاهر المقدسيّ . وظهر في رومية كتاب دياطاسرون طاطانيوس اي الاناجيل الاربعة التي جمعها هذا الكاتب في القرن الثاني للمسيح ففُقد اصلها ووُجدت ترجمتها العربية . وهناك طُبع ديوان ابن حمديس الصقلي وقسم من جغرافية الادريسي

وكذلك اخذ الاميركيّون يوجّهون نظرهم الى الشرق فابرزوا مجلّة اسيويّة بلغ اليوم عدد مجلّداتها فوق الثلثين. ولمّا هاجر السوريّون الى العالم الجديد كان دخولهم الى تلك البلاد كبعثة أثارت في قلوب البعض الحميّة لدرس اللغات الشرقية. وجعل السوريّون ينشرون هناك الجرائد فبرز منها في العشر الاخير من القرن التاسع عشر جريدة كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢. ثم طُبعت في فيلادلفيا جريدة الهدى لصاحبها نعوم افندي مكرزل سنة ١٨٩٨ وقد نقلها بعد مدّة الى نيورك . واصدر نجيب افندي دياب جريدة مرآة الغرب في السنة عينها. ثم تعدّدت بعد ذلك الجرائد في اوائل القرن العشرين في اميركا الشمالية والجنوبية حتى كادت تبلغ الخمسين . امّا المطبوعات غير الجرائد فكانت قليلة الجدوى مدارها غالباً على القصص والروايات الخياليّة

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر

﴿أدباء الشام﴾ كان التقدّم بين المسلمين لاهل الشام في رفع لواء الآداب في

ختام القرن التاسع عشر فقد اشتهر بينهم بعض الافراد الذين لا يزال اسمهم الى يومنا شريفاً مكرّماً فنذكرهم اقراراً بفضلهم

(الشيخ يوسف الاسير) ولد الشيخ يوسف بن السيد عبد القادر الحسيني الاسير في صيداء سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) فتلقى في وطنهِ مبادئ العلوم ثم انتقل الى دمشق لمواصلة دروسه ثم رحل الى مصر واخذ العلوم العقليّة والنقليّة عن علماء الازهر . وبعد سبع سنين عاد الى الشام وسكن في كثير من مدنها يتعاطى العلوم الفقهيّة وتولى في الاستانة رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف لكنهُ آثر العود الى وطنهِ فتفرّغ للتاليف في الفرائض والابحاث الفقهيّة وخرّج في الفقه كثيرين من الاحداث وعلّم مدّة في مدرسة الحكمة وكان زكي الفؤاد فصيح اللسان يجيد النثر والنظم ومن آثارهِ الادبية التي خلّفها شرح اطواق الذهب للزمخشري وكانت وفاتهُ سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) وللشيخ يوسف الاسير موشّحات وقصائد متفرقة وابيات حكميّة جمعها في ديوان الروض الاريض طبع في بيروت سنة ١٣٠٦ . ومن حسن اقواله ما وصف به الشعر الجيد وناظمهُ :

خليليَّ كم قد جدَّ في الناس شاعر ... وليس لهُ بيت من الشعر عامرُ
واحسنُ شعر ما تراهُ مهذَّباً ... بليغاً بهِ يلتذُّ بادٍ وحاضرُ
بهِ تطرب الاسماع من كل منشد ... وتجري بهِ الامثالُ وهي سوائرُ
ولم ير غبيّاً من شراهُ بمالهِ ... وفيهِ بلا شكٍّ تُدرُّ السرائرُ

وافتتح رثاء شريفٍ بقولهِ :

انا موتي كإطلاق اسري ... حيث اني لرحمة الله أسري
انَّ اكدار هذه الدار بتلو ... بعضها البعض كأمواج بحرِ
ألفت انفسُ البريّة اجسا ... ماً ودنيا قد فارقتها بجبرِ
م فيها مثل الاجنّة في الار ... حام يُستخرجون منها بقسرِ
وهي كالفلك قد أُعدَّ لنقلٍ ... او هي الجسرُ قد أُعدَّ لعبرِ
انس النافلون فيها وأنسوا ... اضا لا تكون دارَ مقرِّ
لو درى النافلون فيها بقاء ... ايقنوا انهم باعظم خسرِ
هي دار السلام ما تشتهي الانفسُ فيها من كل خيرٍ وبرِّ
لا يلمُّ الانسانُ فيها مقاماً ... اذ تخلّت من كل شرٍّ وضرِّ

وللشيخ يوسف مراسلات نثريّة وشعريّة مع ادباء زمانهِ تجدها في تآليفهم

كالشيخ ابراهيم الاحدب واحمد افندي الشدياق. وقد مدحهُ الشيخ ناصيف بقصيدة يقول فيها:

اسيرُ الحق في حُكم نـاوى فما يُدرَى الحبيبُ من البغيضِ
يقلّبُ في المسائل كلَّ طَرْفٍ ويَلقى الناس بالطَّرْفِ الغضيضِ
امـام الشعر يبتدعُ القوافي ويأمن دونَها حَوْلَ القريضِ
يقلّ لهُ الثنـاء ولو اخذنا قوافيَهُ من الروضِ الاريضِ

ولمَّا توفي قال فيهِ الشعراء مراثي عديدة جمعهـا الشيخ قاسم الكستي في مجموع نشر بالطبع

(الشيخ ابراهيم الاحدب) كان مولدهُ في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وطلب العلوم اللسانيَّة والأدبيَّة منذ نعومة اظفارهِ فبرع فيها ثم عكف على التدريس في طرابلس وبيروت فعُدَّ فيهما من نوابغ عصرهِ فتألَّب اليهِ الادباء واقبل عليهِ الاعيان والحكام وقلَّدوهُ المناصب الخطيرة كنيابة الاحكام ورئاسة الكتابة ثم تعيَّن رئيس لكتاب محكمة بيروت فتعاطى شؤونها تيقّظاً وثلاثين سنة وكان احد اعضـاء مجلس المعارف في الثغر فامتاز بهِ بسعة آدابهِ وحسن ذوقهِ وقد حرَّر مدَّة ثمرات الفنون فاودعهـا كثيراً من اثار آدابهِ وكانت وفاتهُ في رجب سنة ١٣٠٨ (١٨٩١) . وقد تبلغ تآليفهُ الادبيَّة نحو العشرين نُشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيـان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الامثال الذي نظم فيهِ امثال الميداني وقد أتقن طبعهُ فجاء كطرفة بين المطبوعات العصريَّة. وكان للشيخ ابراهيم الاحدب قريحة شعريَّة غريبة حتى انَّ مجموع ابيات قصائدهِ يكاد يبلغ ثمانين الف بيت. فلـهُ ثلاثة دواوين ومقامات جارى فيها العلامة الحريريّ عددها ٨٠ مقالـة وألَّف عدَّة تآليف كروايات ادبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكميَّة ومقالات مسجَّعة وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ نجلاه الاديبان في مقدَّمة مجمع الامثال. ومن شعرهِ ما قالهُ يمدح الامير عبد القادر الجزائري:

إني بمدح ابن محيي الدين ذو همم غدا نظامي جمـا في ارفع الدرج
وفي مآثر عبد القادر اطَّردت ابياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهج
غوث القبائل وغيثٌ فيضُ نائلهِ من الانامل يُجري الدرَّ في خُلُجِ
شمس انارت بلاد الشرق فابتهجت سوريَّة بسناهـا الفائق البهجِ
في الكون آثارهُ كالمسك قد نفحت الا لمزكوم طبع عدَّ في الهمجِ
فه غربُ حسامٍ منهُ قد شُهدت في الغرب آثارهُ كالصبح في البلجِ

لا زلتَ تُهدَى لك الامداح ما طلعت شمسٌ بنورك تغنينا من السُّرج

وقال في الرجز ناظماً بعض امثال رويت لابي بكر الصديق:

قَرَنَ ربّي الوَعْد بالوعيدِ كي يَرْهَبَ عَبْدٌ راغبٌ في كل شيْ
لبست مع العزا مصيبةٌ ألا تَعَزَّ يا ساعي بما قد ترلا
الموتُ مساً قبلَهُ أشدُّ مع أنهُ اهونُ مساً بَعْدُ
قد ذلَّ قومٌ أسندوا أمرَهم لِامْرأةٍ حيث جنَوا ضُرَّهم
انَّ عليك ابدًا عيونَنا تراك ممن جلَّ فالْزَم دينا
وَرَحِم الله امرءًا اعانا اخاهُ بالنفس وما أهانا
والنفسَ أصلِحْ يَصلحِ الناسُ لكا وافعل جميلًا يَغْدُ خيرًا فعلكا

(ابو حسن الكستيّ) هو الشيخ ابو الحسن قاسم بن محمّد الكستيّ اصلهُ من بيروت وفيها اشتهر نحو اربعين سنة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ اخذ الآداب عن ائمة زمانهِ فلمَّا رسخت فيها قدمهُ صار مرشدًا لغيرهِ وتعاطى التدريس مدَّةً بين مواطنيهِ من اهل ملّتهِ . وقد مات الكستي في منتصف السنة الجارية لكنَّا اتبعناهُ بالشيخين السابقين اذ اشتهر معهما وجاراهما في الأدب وقال اكثر شعرهِ في عهدهما . ومن آثار فضله ديوانان احدهما ديوان مرآة الغربية طُبع على نفقة السيّد سليم رمضان سنة ١٢٧٩ (١٨٨٠) افتتحهُ بقصيدة ابتهالية هذا اوَّلها:

اليك رفعنا الامر يا مَنْ لهُ الأمرُ فمن فضلك الاحسان والنفعُ والضرُّ
تعطَّفْ وجُدْ بالخير يا خيرَ منعمٍ على كسرنا يا مَنْ يحصِّل الجبرُ
عليك اعتمادُ الخلقِ في كُلِّ لمحةٍ وبابك مقصودٌ به الفتحُ والنصرُ
فتلتَ لنا أدعوني دعوناك ربَّنا أجبْ سؤلنا بالخير يا ربُّ يا برُّ

والديوان الاخر ترجمان الافكار طُبع سنة ١٢٩٩ . ومن شعرهِ ما مدح به سعيد باشا عزيز مصر لمَّا قدم الى بيروت:

عزيز مصرٍ سعيدُ الوقت ذو شرف الى علاهُ تناهى المجدُ والحسبُ
بقيمةَ المقدِ اضحى في العُلى ولذا قد صاغ مدحَ علاهُ العُجمُ والعربُ
انَّا لنشهد منهُ كل مكرمةٍ لها المحامدُ دون الناس تنتسبُ
عن وصفهِ ومزاياهُ وأنعمهِ تقاصر الدرُّ والازهارُ والسحبُ
مآثر العزّ في علياه مشرقةٌ كالشمس لكن سناها ليس يحتجبُ
من معشر لهم في كل كائنةٍ ذكرٌ تولَّد من اسبابهِ الطربُ

وقال في الحكم :

وعالمٍ لا نَفْعَ في علمهِ ولم تكن اعمالهُ صالحَهْ
فهو بحُكم العقل بين الملا كوردة ليس لها رائحهْ

ولهُ مضمّناً الشطر الاخير:

ايها الانسانُ لا تجنَحْ الى طُرقاتِ الغيّ والزمْ ورعَكْ
وأفطمِ النفس عن الشرّ تجدْ كلَّ خيرٍ ترتجيهِ تبعَكْ
وبمال الفقر او حال الغنى كُنْ مع الله ترَ الله معَكْ

وسمع يوماً شاكر بك يدقّ العود فاستفزّهُ الطرب فقال بديهاً :

بشاكر هذا العصر طابت تقوسنا وثغرُ الهنا اضحى به يتبسّمُ
ترى كلَّ عُودٍ من جمادٍ وعودُهُ يحسّ ومن سرّ القلوب يترجم

وللشيخ القسم الكستي عدّة اراجيز طويلة حسنة منها ارجوزة تنيف على مئة بيت وصف فيها مكارم الاخلاق في النساء الصالحات. ومن اراجيزهِ الحكميّة قولهُ :

لم يخلُ في الدنيا كريمٌ من أذى ولو توارى في مغارات الخفا
ومن يظنّ انهُ يبقى بها وانهُ منها يفوزُ بالمُنى
وأن يكون ناجياً من ضرّها فقُل لهُ أخطأت يا هذا الفتى
فانهُ تضحكنا لكنّها تخرج من اعيننا الضحك بكا
فلم نجد لعفوها من سببٍ ولا لدائها سوى الصبر دوا

ونظم ارجوزة فكاهيّة وصف فيها الملوخيّة على سبيل المداعبة :

سُبحانَ من أنبتَ في الوجودِ حشيشةً كجوهر العُقودِ
وقد سقاها من غيوثِ الرحمهْ فحملتْ لكن ثمار الحكمهْ
هي الملوخيّة ذات الشهرهْ ومَنْ بها المسرورُ يلقى يُسرَهْ
بحبّها كلّ النفوس ابتهجت وألسن الناس بها قد لهجت
كم هطلت من فوقها الغمائمُ وصُبغت بلونها العمائمُ
وكم مشى يأكلها كبحُ وصحّ من ترياقها جريحُ
خيوطها بيضاء كاللُجَيْن تظهر كالصبح لذي عينَين
فاقت على الرَّيحان بالروائحِ صالحةٌ لمدح كل مادحِ
لو انّها قد نبتت في اللذّ يشبّها مَنْ في بلاد الهندِ
يحرسها الناطورُ في البستان خوفاً عليها من يدِ الزمانِ
بمنارها يصعد بالهباء كمصعد البالون في الهواء

كأنما قد نزلت من السما فاصبح الكون بها منسما
وطعمها يلبُّ للافهام بسكره حلاوةَ المدام
ميّاسة الأعطاف في الرياض يأكلها كل شريف راض
عنها سلوا مصر وتلك الحطّه فاقم ادرى بهذي النقطه
اذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ وقدرها تسمو به الموائدُ
ترى عليها كثرة الملاعق تُقرَعُ بالاسنان كالصواعق
إن مُلئت بها بطون القصعِ تشرقها الابصارُ قبل المبلعِ
وترجمت عنها فحولُ المغربِ فلاوا بها بطون الكتبِ
وخصّها بالذكر أفلاطونُ وقال منها يُمنعُ المجونُ
كانت للقمان الحكيم مأكلا وجوفهُ لها استقرَّ منزلا
وكان يوصي سائرَ الاطبا بقراطُ ان يستعملوها شربا
كذا ابن سينا قال في القانونِ لا تبخلوا بها على المبطونِ

وهي طويلة تفنّن فيها الشاعر ما شاء . ومن فكاهاته ما رثى به طائرًا من نوع الكنار مات لاحد اصحابه فقال يعزّيه :

يا صاحبي عُزيت بالكنارِ فانّهُ من احسن الاطيارِ
قد صدحت بمدحهِ الاخبارُ وحُمدتْ لذاتهِ الآثارُ
ولم تقصّر في أداء ما وجبْ من حقّهِ وقُمتَ بالذي طلبْ
من امّهِ كنتَ عليهِ اشفقا ومن ابيهِ يا رفيقي أرفقا
ما مات من جوعٍ ولا من قلّهْ لكن رماهُ ريشهُ بعلّهْ
لا يُرتجى لدائهِ شفاء والموت ان حلَّ فما الدواء
عليهِ لا تحزن وكن صبورا والتزم الشكرَ تكن مأجورا
لو كان يُفدى بالنفيس الغالي فديتهُ من طارق الليالي
لكن اذا ما حادثُ الموتِ نزلْ لا ينفعُ الحزمُ ولا تغني الحيَلْ
عوّضك الرحمن عنهُ طيرا يكون بالتغريدِ منهُ خبرا
فما رأينا قبلهُ من طائرِ يشنّف الأسماع بالجواهرِ
يُغني عن المُدام والنديمِ اذا شدا بصوتهِ الرخيمِ
اين الكنّجا منهُ صوتًا ان شدا وربّما استُغني عنها ان بدا
فيا لهُ من طائرٍ صَدوحِ يدعو الى الفبوق والصبوحِ
ذو ذَنَبٍ فاق وقدِ اللجبِ على اللُّجَين وهو بالحُسن ذهبْ
مزيّنٌ بالتاج كالطاووسِ ملوّن الرداء كالعروسِ
قد حسنُ ذلك المنقارِ من ذهبٍ قد صيغَ لا من قارِ
قد كان في الدنيا من الزهّادِ ملازمَ الخلوة بانفرادِ

وعاش محبوساً ولم يشكو الضجر حتى اباده القضاء والقدر
فانني اهدي اليه الفاتحه وان يكن من الطيور الصادحه (له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

E. JACQUIER. HISTOIRE DES LIVRES DU NOUVEAU TESTAMENT T. III, Les Actes des Apôtres, les Epitres Catholiques, 2° ed. pp. 346-T. IV: Les Ecrits Johanniques. pp. 422. *Paris, V. Lecoffre et J. Gabalda,* 1908.

تاريخ اسفار الكتب المقدسة

قد تأخرنا مدة في وصف هذا التأليف الذي اهدانا اياه متولي طبعه منذ عدة اشهر. الا ان في هذا التأخير نفعاً اذ امكننا ان نطلع في المجلات الاوربية على انتقاده وثناء العلماء على مضامينه واساليبه وهذا الكتاب يتألف من اربعة اجزاء تشمل كل تاريخ اسفار العهد الجديد فبحث صاحبه عن كتبتها وزمانهم وصحة نسبة كل تأليف الى صاحبه ثم تنظر في اساليبهم ومعانيهم وانشائهم وحل المشاكل التي اعترض بها الملحدون على اقوالهم حتى جاء هذا الكتاب اوسع واتم ما كتب في معناه باللغة الفرنسوية واجدر ما يستند اليه في تعليم المدارس الاكليريكية. وقد اعجبتنا خصوصاً طريقة المؤلف في الكتابة اذ سلك في شروحه الطريق الوسطى وتحاشى الاطناب الممل والايجاز المخل. وتراه في انتقاده ملازماً جادة العلماء الاثبات فلا يؤكد شيئاً الا آزره بالبينات الواضحة. واذ كنا قد تكلمنا سابقاً عن الجزئين الاولين من هذا التأليف نقصر كلامنا اليوم على الجزئين المطبوعين حديثاً اي الثالث والرابع وفيهما تاريخ اخبار الرسل والرسائل المعروفة بالكاثوليكية والاسفار الجنانية اي المنسوبة للقديس يوحنا الحبيب. ومما راق في عيننا ان المؤلف اثبت بالادلة المقنعة ان القديس لوقا هو صاحب اخبار الرسل وان ما يحتويه ذلك السفر حقيق بالاعتبار والثقة لأن كاتبه روى معظم ما روى كشاهد عين فاخبر بما رأى وما سمع وشهادته حق. وكذلك أيد شهادة التقليد المتواصل في نسبة الرسائل الكاثوليكية لكتابها الذين تعنون بهم مقدماتها ولعله في

هذا الباب نفي بعض احتجاجات للكتبة العصريين كان يمكنهُ ان يفندها. وقد اعجبنا الملحق الذي في آخر هذا الكتاب الاوَّل حيث بيَّن الكاتب ما يُستفاد من هذه الاسفار من المعلومات اللغويَّة والتاريخيَّة وغيرها كما اوضحتهُ الاكتشافات الحديثة. اما الكتاب الثاني فدارهُ على انجيل القديس يوحنا ورسائلهِ الثلاث وسفر رؤياهُ. وقد اتَّسع خصوصاً في اثبات قدم هذه التآليف وصحَّة نسبتها الى يوحنَّا الرسول كما يلوح من شهادة القديس ايريناوس في القرن الثاني للميلاد (اطاب المشرق ١٠: ١٠٥٧) ومن شهادة التقليد المتواتر في الكنيسة فضلًا عن الادلَّة الباطنة التي تنطبق على يوحنا الرسول دون غيرهِ. امَّا زعم البعض انَّ محرِّر تلك الكتب احد الكهنة القدماء المسمَّى يوحنَّا الافسسيّ فهو رأي ضعيف لا سند لهُ. وفي الختام نهنئ المسيو جاكيه صاحب هذا التأليف على انجازهِ هذا العمل ونتمنَّى لكتابهِ كل رواج ليعيد فيهِ النظر ويحسّنهُ في طبعة ثانية بعد نهاية تأليف آخر وعدنا بهِ وهو تاريخ العهد الجديد في الكنيسة المسيحيَّة سيكون كتتمَّةً للكتاب الذي وصفناهُ الاب ي. ديلنسيفر

Dr P. Alb. Kuhn, O. S. B. ALLGEMEINE KUNST-GESCHICHTE. I. Geschichte der Kunst. II. G. d. Plastik. III. G. d. Malerei. 4° *illustr., Einsiedeln, Druck u. Verlag d. Verlagsanstalt Benziger u. Co*, 1909.

تاريخ البناء والرسوم المجسَّمة والتصوير

اتَّسعنا غير مرَّة في المشرق (٢: ٥٢٧ و ٩: ٥١٢) في تعريف مشروع صناعيّ جليل باشر بهِ احد علماء الرهبانيَّة البندكتية وهو تاريخ الصناعة العامّ الذي يشمل اخبار الصناعة في كل طور من اطوارها وفي كل بلادها. وهذا المشروع لا يتمُّ الَّا في مجلَّدات متعدِّدة وقد باركه الحبر الاعظم لاون الثالث عشر واثنى على صاحبهِ ببراءة تجدها في مقدَّمة الكتاب وها نحن اليوم قد تقبَّلنا بالشكر اجزاء جديدة من هذا التأليف وهي تحتوي على قسم تاريخي وقسم صناعي فالتاريخي يتبع التغييرات التي طرأت على تلك الفنون الجميلة والصناعيّ يثبت صورها ليتمكَّن القارئ من معرفتها ومن ابراز الحكم فيها. فقد بلغ الى اليوم عدد التصاوير التي رسمها المؤلف بطرق التصوير الجديدة نحو خمسة آلاف صورة اخذها عن التماثيل والتصاوير الاصلية وبعضها في اصل الكتاب مدمج بالشروح وغيرها منفرد في مجموع مستقلّ. وقد مثَّل كثيرًا منها بالالوان الزاهية

الآخذة بالأبصار لروعها وحسنها . فجاء هذا التأليف كمتحف للآثار الصناعية والفنون البهية . وقد تشرّف محلّ بنتسيغر (Benziger) في المانية برسم هذه التصاوير البديعة التي قلّما تجد مثلها دقّةً وجمالاً ر . ش

Dr E. Graf von Mülinen. BEITRAEGE ZUR KENNTNIS DES KARMELS, mit 2 Tafeln u. 122 Abbild. *Leipzig*, 1908, *K. Bedeker*.

معلومات جديدة لتعريف جبل الكرمل

سعادة الكنت فون مولينن من اعيان بلاده واحد حجّاب جلالة امبراطور المانية خدم سفارة دولته مدّة في الاستانة العليّة بصفة ترجمان اوّل . ثم اضطرّهُ انحراف صحّته الى ان يبرح مقامهُ في دار السلطنة فتنقّل في جهات الشام وسكن لبنان وكان في كل اسفاره يوجه نظرهُ الى العاديّات والآثار والامكنة المجهولة فيدوّن في المجلّات العلمية ملحوظاته الدقيقة عمّا يكتشفهُ من ذلك (١ . ومن ثلاث سنوات تخيّر لأشغاله العلمية جبل الكرمل فاقام في المستعمرة الالمانية التي تجاور دير الاباء الكرمليين وجعل يستقري جهات الجبل ونواحيهُ فيعلو مشارفهُ وحزونه ويهبط اوديتهُ وبطونه ويختلط باهله من بادٍ وحاضر ويرسم كل آثاره حتى جمع له من المواد ما اغنى به المجلّة الفلسطينية الالمانية (ZDPV) فنشر فيها عدّة مقالات جليلة الافادة عن وصف الكرمل وتركيبه الجيولوجي وآثاره منذ طور الظرّان والازمنة السابقة للتاريخ الى الاجيال الاخيرة فذيّل بمعلومات جديدة ما كتبتهُ عن الكرمل اللجنة الانكليزيّة الفلسطينية (PEF) واصلح كثيراً من مزاعمها وطرق ابواباً جديداً لم تحاول فتحها س . ر

THE MARZUBAN-NAMA. A Book of Fables originally compiled in the Dialect of Tabaristan and translated into Persian by Sa'du D-Din-il-Warâwini. Ed. by Mirza Muhammad ibn 'Abdu l-Wahhâb of Qazwin, London. Luzac. 1909, XVI-٣٠٩

كتاب مرزبان نامه

ان المشروع العظيم الذي تولّاه السريّ الانكليزي جيب (E. J. W. Gibb)

١) ونحن نشكر لسعادة الكنت لطفهُ اذ سمح لنا ان ننقل عن اوراقهِ ما توفّق لاكتشافهِ في لبنان سنة ١٩٠٦

لنشر النصوص القديمة قد أتى منذ خمس سنوات بأثمار جنيَّة طربت لفوائدها ألباب الادباء عموماً والمستشرقين خصوصاً. وهذا الكتاب أثر جديد من تلك الحديقة الغنَّاء. يُدعى مرزبان نامه من اجلّ مآثر الفرس في لغتهم وضعهُ في القرن الرابع للهجرة احد حكماء العجم المسمَّى اسفهبد مرزبان من ابناء ملوك طبرستان في لهجة تلك البلاد. ثم نُقل الكتاب الى اللغة الفارسية في القرن السابع بقلم سعد الدين الوراويني فضاع الاصل المنقول عنهُ وبقيت هذه الترجمة فشاعت في فارس وتعدَّدت نسخها الخطيَّة وطُبع منها بعض فصول في الجامع الادبيَّة الاوربيَّة والشرقية لكنَّها لم تُطبع في تمامها حتى يومنا فجعلتها الجمعيَّة المنتسبة الى المسيو جيب من جملة المطبوعات التي رأت في نشرها فائدةً ووكلت بالامر الى احد أدباء العجم المسمَّى ميرزا محمد بن عبد الوهَّاب القزويني فقام بالعمل احسن قيام وتولَّى طبع الكتاب بمطبعة ليدن الشهيرة في السنة الجارية وضبطهُ على عدَّة نسخ وقدَّم عليهِ المقدَّمات الحسنة فجاء من اجود المطبوعات الشرقيَّة الحديثة. وقد وصف جناب الميرزا في هذه المقدَّمة ترجمةً فارسيَّة أخرى لكتاب مرزبان نامه تُدعى روضة القلوب وُضعت بعد ترجمة سعد الدين بنحو خمس عشرة سنة. الَّا انهُ آثر الترجمة الاولى على هذه لفضلها. امَّا موضوع هذا الكتاب فهو شبيه بكتاب كليلة ودمنة يحتوي على عدَّة روايات حكميَّة منسوبة الى الحيوانات والغاية منها تهذيب ابناء الملوك وتثقيفهم لحسن سياسة رعاياهم. والكتاب منقول الى العربيَّة عربهُ الشيخ شهاب الدين احمد الشهير بابن عربشاه الدمشقيّ في القرن الخامس عشر للميلاد وترجمتهُ شهيرة في بلادنا تحت اسم فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء طبعها اوَّلاً في المانية العلامة فريتغ سنة ١٨٣٢ ونقلها الى اللاتينيَّة ثم طُبعت في مصر على الحجر مع تصاوير خشبية هزلية سنة ١٢٧٨ (١٨٦٩) وطبعها طبعاً مدقَّقاً القس يوسف داود في الموصل سنة ١٨٦٩

ل. ش

THE TAJARIB AL-UMAM or History of Ibn Miskawayih. With a Preface and Summary by Leone Caetani Principe di Teano. *London, Luzac* and C°, 1909, L-631, in-12.

تاريخ تجارب الامم لابن مسكويه

يعرف ادباء الشرق مرتبة ابن مسكويه (+ ٤٢١ — ١٠٣٠) بين علماء العرب بما

طُبع له في بلادنا من الكتب الجليلة كتهذيب الاخلاق والفوز الاكبر والفوز الاصغر . وقد اثبتنا في هذه المجلّة بعض آثاره الادبية نقلًا من كتاب جاويدان خرد . الّا ان لهذا الكاتب مأثرة أخرى اجلّ واعظم ألا وهي تاريخهُ لتكبير تجارب الامم الذي يتناول من اخبار الشعوب القديمة ولاسيما العجم من بعد الطوفان الى الفتح الاسلامي والدول الاسلامية حتى وفاة عضد الدولة ابن بويه سنة ٣٧٢ (٩٨٠ م) ومن هذا التأليف عدّة نسخ افضلها نسخة مخطوطة في مكتبة ايا صوفيا في الاستانة العلية اخذ رسومها بالتصوير حضرة المستشرق الايطاليّ الشهير البرنس لاون كايتاني . فطبعهُ على مثاله الاصليّ وانّما قدّم عليه المقدّمات المفيدة لتعريف المؤلف وتآليفه وتلخيص ابواب الكتاب الى السنة ٣٧ هجريّة وسوف يتمّهُ الى اخره في الجزء التالي . وقد ألحق جناب الامير هذا القسم الاوّل بفهرست واسع للاعلام المذكورة في الكتاب . ويا حبّذا لو كان طبع الكتاب على الحروف لانّ قراءته على صورته الاصلية لا تخلو من الصعوبة . وعلى كل حال نشكر البرنس دي كايتاني على اضافته هذا الاثر الجديد الى آثاره المحمودة التي خدم بها التواريخ العربية ل . ش

ملحق ديوان الاخطل

يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات
وفهارس للاعلام والالفاظ اللغويّة

للاب انطون صالحاني اليسوعي

طبع المطبعة الكاثوليكيّة للاباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ (ص ١٠٦ . ٤٠١–٥٦٧)

كان الذوابغ من قدماء الشعراء اذا قالوا شعرًا طلبوا لهُ راويةً يسير بهِ الى القبائل فيلقنها اياهُ ليحيا بذاكرتهم وقلّما وجد شاعر عربيّ راوية لقصائده كما وجدهُ الاخطل في حضرة الاب المتولي طبع ديوانهِ فانّهُ استخرج اوّلًا من مدافنها النسخة الوحيدة التي كانت تُعرف من هذا الجمع الفريد فطبعهُ طبعًا متقنًا يفوق على طبع كل الدواوين سواهُ وضاعف قيمتهُ بما ذيّلهُ بهِ من الشروح والملحوظات وضروب الافادات في كل باب من ابواب اللغة والتاريخ . ثم توفّق بهمّة بعض الادباء فحصل على نسختين جديدتين من ذلك الديوان في بغداد واليمن تختلفان في القصائد المرويّة والشروح فسعى في نشرها

على صورتها الاصلية واضاف اليها الفهارس والملحقات . وها هوذا اليوم يكلل مساعيهُ السابقة بوضع القسم الاوَّل من الجزء الخامس والاخير من هذا العمل العظيم . ففي هذا القسم يتتبع حضرتهُ الاجزاء الاربعة السابقة صفحةً صفحةً وسطرًا سطرًا فيضيف اليها ما عنَّ لفكرتهِ من الملحوظات والاصلاحات والزيادات التي تكشف القناع عن كثير من شعر الاخطل . وربَّما استعار قسماً من هذه التذييلات والتفاسير من تآليف الأدباء لاسيما الذين نُشرت كتبهم بعد طبع ديوان الاخطل او قابل بين شروح النسختين الجديدتين والنسخة الروسيَّة التي قدَّم طبعها . وكفى تنويهاً بفضل هذا القسم القول بأنَّهُ يزيد على مئة صفحة بالحرف الدقيق . ويزيدهُ فضلًا انَّ حضرة الطابع لم يرو شيئاً الَّا اسندهُ الى الاسانيد الصحيحة الموثوق بها . فنهنِّئ الآداب العربيَّة ببروز هذا الاثر الجليل ونتمنَّى أن يردفهُ قريباً بشقيقهِ الذي يضمنهُ ابياتًا متفرِّقة تُروى للاخطل مع قصيدتين جديدتين رُويتا في نقائض الاخطل وجرير ويُختم بالفهارس الواسعة للاعلام والمفردات اللغويَّة ل . ش

الدرُّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب

للشيخ الامام محمد بن الشحنة الحلبي

وقف على طبعهِ وعلَّق حواشيهُ جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس

طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للاباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ (ص ٢٦٤)

ان الشهباء لموقعها في حدود الشام على طريق قوافل قيليقية والارمن والجزيرة في وسط البطائح الخصبة المجاورة للفرات لم تزل مطمحاً لابصار الفاتحين ليجعلوا فيها احد مراكز دولهم . وقد عُني كثيرون من الاباء بتسطير اخبارها ووصف محاسنها من جملتهم الامام محمد بن شحنة الحلبي من كتبة القرن التاسع للهجرة . وليس كتابهُ تاريخيًّا محضًا بل هو اشبه بدليل لحلب في زمانهِ فوصف آثارها ومعاهدها ومدارسها وجوامعها ومنتزهاتها ولاسيما قلعتها الحصينة مع ما كان يلحق بمملكتها في أيامهِ من المدن والقرى والقلاع الحريزة . والكتاب مشحون بالفوائد التاريخيَّة والاوصاف التي استفادها المؤلف من كتب اسلافهِ ورواية اهل زمانهِ مع حواشي احد كتبة القرون المتأخرة الشيخ ابي اليمن البتروني وقد اعتمد جناب متولي طبع الكتاب على عدَّة نسخ

خطيَّة . منهـا نسخة في مكتبتنا الشرقية فقابل بينها وزاد عليهـا ملحوظات شتّى وختمها بفهرس لأعلام الاماكن فجاء تأليفاً مفيداً لمحبي تاريخ بلاد الشام ش.ا

تلاوة القداس في الاجيال الثلاثة الاولى

بقلم الخوري دميان رميا روفائيل

بمطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٢٦)

انَّ الدروس الطقسيَّة قد اتَّسعت بين علماء الكاثوليك في اوربَّة حتى انشأوا لهـا مدارس خاصَّة لتعريف اصلها وتاريخها وتقلُّباتها والاختلافات العرضيَّة الطارئة عليها مع ثبات جوهرها . فيسرّنا ان نرى كذلك كهنة بلادنا يطرقون هذا الباب ويبحثون عن الطقوس عموماً وعلى الاخص عن طقوسهم الشرقيَّة الجليلة . وهـذه الكراسة مع قلَّة صفحاتها قد اختصرت لباب تعاليم العلماء في اصل القداس وتلاوته ورتبه في الاجيال الثلاثة الاولى . فجاء الكتاب جديراً بنظر كل محبي الطقوس لكثرة ما ضمَّنهُ المؤلف من الابحاث المفيدة وقد كنَّا وددنا لو اتَّسع في بيـان العلاقة بين العشاء السرّي الذي اقامهُ السيد المسيح قبل موتهِ ورتبة القداس الذي احتفـل بهِ الرسل في اورشليم اوَّلاً ثم في بقيَّة انحاء المعمور وقد اشار اليه فقط اشارة خفيفة في الصحيفة ١٨ ل.ش

لمحة تاريخيَّة في الرهبانيَّة الباسيلية الحلبية

بقلم الخوري قسطنطين الباشا ب.م

طبع في المطبعة الادبية سنـة ١٩٠٩ (ص ٦٤)

انَّ السَّنة ١٩٠٧ توافق تمام المائة الثانية للرخصة الممنوحة من الامير حيدر الى الطيّب الذكر افتيميوس صيفي ببناء دير لتلامذتهِ في معاملة صيداء في مزرعة مشموشة . وهذا الدير الذي باشر اذ ذاك بعمارتهِ هو دير المخلّص الذي ينتمي اليهِ في عهدنا الرهبان الباسيليون المخلّصيون . فجاءت هذه اللمحة التاريخيَّة عن الرهبانية المخلّصيَّة كتذكار لذلك المشروع ضمَّنها حضرة مؤلفها خلاصة اخبار تلك الفئة الصالحة منذ زمن منشئها الجليل الى يومنا مع ذكر رؤسائها والافاضـل الذين ترهَّبوا فيها واهمّ اخبارها وخدمها للدين والعلم الى يومنا معتمداً فيها على سجلات الرهبانيَّة وعلى صور مراسلات قديمة وجدها في

دير المخلص وفي رومية العظمى وكتابات القسّين انطون بولاد وكيرلس حدّاد . فنحضّ كل ابناء الطائفة الملكية الكاثوليكية على النظر في هذا الكتاب كما يحسن بمحبي التاريخ الشرقي مراجعتهُ والاقتباس من فوائدهِ (١ ل . ش

شذرات

سيدة لبنان — بمناسبة زيارة ابناء الاخويّة من كليّتنا في اواسط أيار المنصرم لاحد معابد العذراء في ضواحي جونية نظم احدهم الاديب يوسف غصوب هذه الابيات وتلاها في حفلة عقدها طلبة صف البيان:

سار القطارُ وقلبهُ متسمرٌ بالنار وقدا
ترك الخطوط وراءهُ ودويّهُ يزداد وعدا
والشمس ترقب سيرهُ وتمدهُ بالنور مدّا
وتريش فوق اليم سهماً قدَّ ذلك اليم قدّا
فكأنها ظمآنةٌ وتريد ماء البحر وردا
والموجُ يلطم صخرةً متتابعاً جزراً ومدّا
والبرُّ روضٌ عاطرٌ زهر الربيع كساهُ بُردا
سلب النسيم من الزهو ر عبيرها حتى تندّى
والشيخ من فوق الجبا ل كأنهُ ملكٌ مُفدّى
نزل المشيب برأسهِ فابيضَّ من ثلجٍ تبدّى
سار القطار ونفسنا سارت بأفق الحب كدّا
والطرف منا شاخصٌ نحو الرُبى يمتد مدّا

١) وقد استلفتُ حضرة الخوري قسطنطين الى اصلاح غلطة وقعت في عدّة تآليف وكادت ان تعمّ الكتبة العصريين وهي رواية اسم البطريرك اثيميوس المصوّر المعروف بالروبي والصاقزي ايضاً تلميذ وخليفة اثيموس كرمه فدعوهُ اثيشيوس وصحّفوا بذلك اسمهُ والصواب اثيموس ومن ثمَّ اقام الحجّة على الذين طبعوا مؤخراً مقالة حضرتهِ في تعريب ليتورجيا القديس يوحنا فم الذهب التي قدّمها للجنة الاحتفال في رومية فاثبتوا في تلك النبذة اسم اثيميوس مصحّفاً باثيشيوس غلطاً

حتى يرى شخص الطها رة فوق رابية أعدّا
والقلب من ذهب المحبّة يبتني عرشًا ومهدا
يُهدي الى العذرا السلام ويحمد الرحمان حمدا
سار القطارُ بسرعةٍ سار القطارُ وجدّ جدّا
يطوي المزارع والحقو لَ مودّعًا وَهدًا فوهدًا
بالقرب من طودٍ سما عنهُ يُردُّ الطرف ردّا
وقف القطار وكانا سرنا بسفح الطود حشدا
وهناك فوق الطود تمثال الطهارة كان بَندا
قد هزنا صوت الوغى حتى غدا الزوّار جندا
جندٌ لمريمَ ابنا شمنا بها فخرًا ومجدا
جئنا اليها صائفين لمدحها تاجًا وعقدا
جئنا نقيم بظلها وبظلها نعتزُّ جدّا

*

جسمٌ وَطيٌّ الجسم قلب ضمَّ للعذراء ودّا
ودٌّ وقد غلب الردا دَ عليَّ حتى صار وجدا
قرب ولا يرضى الفؤاد عن الحمى نأيًا وبُعدا
اسم يلذّ لقلبنا ويُسيغ في الافواه شهدا
منا القارب الى البتر ل تطايرت وفدًا فوفدا
يا نجمة الصبح التي تغذي علينا الدهر سهدا
بالورد كُلّل رأسها اكرم برمز الحب وردا
حملت اليك من الشعو ب مدائح الشكران حمدا
جئنا اليك فلا ترد ي للمؤمل منك قصدا
جئنا اليك لنستد رَّ من التقى والحب جودا
صوني الحراف من الذنا ب وألهمي من ضلَّ رشدا
صوني البلاد من الظلا م فإن فيها النور يبدا

مدي الضيف بما يرو م وجددي للحب عهدا
ولقد رجونا ان نحو زَ بحضنك الأميّ مهدا
هذي تحيةُ عانيٍ يرجو بظل الطهر لحدا
عبدٌ وقد نال السما من كان للعذراء عبدا

العصر الجديد — من نظم مكاتبنا الاديب الشيخ احمد تقي الدين :

أرشاداً بايعتُمُ ام رشادا وخلعتم نيراً ام استبدادا
مطلقاً كان حكمُنا فملكنا بقيود الشورى عليه القيادا
مظلماً كان امسُنا فمحونا آية الليل واستطرْنا الرقادا
أنها يقظة الحياة بعصرٍ هجر النائمون فيه المهادا
انها غرةٌ لعهدٍ جديدٍ تتراءى بوجهه الاسعادا

*

إيه يا أمةً اقامت على الضيم م تراعي عهد الاذى والردادا
فكأنَّ الكرى حبيبٌ مُدِلٌّ أشفقت ان تروعهُ إبعادا
اهجريه فبئس وصل حبيبٍ حبهُ يُنبت الغضا والقتادا
واخلعي الليل بالنهار بفتوى هي خلع الذي يضرّ العبادا
جاءكِ النصرُ باتحادكِ والفتح م فزيدي مع الترقي اتحادا
واستعيدي بالعلم مجداً قديماً واقتفي بالعدالة الاجدادا
وَلِيَكُ العدلُ سيفَ فتحٍ وغزوٍ والأعادي العقولَ والاكبادا
وَلِيَكُ العدلُ حاكماً مستبداً والامانُ الجنودَ والقوّادا
انما العدل في الممالك روحٌ انما الروح تحفظ الاجسادا
انما الظلم في الممالك داءٌ انما الداء يُقصر الآمادا
انما الضغط منتهاهُ انفجارٌ يقذف الجمرَ واللظى والرمادا
بينما عقدُنا نتوّج ملكاً فاذا الملك قد غدا جلّادا
هذه شيمة الملوك على الغا لب ان كانت الرعايا جمادا
فكأن الظلم القرى والجواسيس م اقيمت لناره وقّادا
وكأن الورى ظواميءُ والخار ع يروي من الضحايا البلادا

*

انما الضيم للضعيف أليفٌ وكذا الطوق يألف الاجيادا
فاذا المرء لم يَذُدْ عن حماهُ لم يجدْ عن حقوقهِ ذوّادا
واذا المرء لم يُزل ربقة الذل م اقامت بنحره الآبادا
لا تلوموا الذي يقود الرعايا لهواه بل عنّفوا المُنقادا
انما لومُنا علينا لأنّا نرتضي من حكّامنا استعبادا

*

إيه يا شوكتَ الفيالق كنْ في أعين الظالمين شوكاً قتادا
عربيّ من ارض بغداد حرّ يا سقى الله بالندى بغدادا
فاغدُ للبائسين عدلًا عن م الله وأضعفْ بسيفك الاضدادا
وامحُ جرثومة الفساد وادبْ من يعيثون في البلاد فسادا
ان جرثومة التقهقر تنمو ثم يُعدي «مكروبها» الاوغادا

*

إيه يا أنور العلى ونيازي المجد بُلّغتما العلى والمرادا
انتما ساعدان للجيش في الحر ب فكونا للاتحاد عمادا
لا تناما على القذى في المآقي فالقذى يؤلم الحشا والفؤادا

*

إيه يا شرقُ لا تنمْ واعتلِ م السيّار فالغرب يعتلي المنطادا
لا تقل مجدك القضى فاذا عد تَ اليه بالعلم نحوك عادا
هكذا الغصنُ يرحل الوردُ عنه واليه يعود ان هو جادا
فاستعدْ مجدَك القديم وزدْهُ بجديد فخامةً وسدادا
فهلال الدستور يوحي الينا ان عصر الرشاد يوحي الرشادا

مؤلفات الشمّاس عبد الله بن الفضل الانطاكي — نشرت مجلّة « النعمة » التي اصدرت عددها الاوّل في حزيران البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق فصلًا عن مؤلفات الشمّاس عبد الله بن الفضل الانطاكيّ (١٥—٢٢) ولعلّها جهلت فصلين واسمين كتبناهما السنة التاسعة من المشرق (٨٨٦ و ٩٤٤) مع

حضرة الخوري قسطنطين الباشا فكنّا اوّل من بحث عن ذلك الكاتب المجهول وبيّنا ما يُعرف من اخباره وتآليفه وراجعنا هذه النبذة الجديدة رجاء ان نستفيد منها شيئاً جديداً على ما كتبنا فلم نجد بل تحقّقنا انّ كاتبها اخذ معلومات المشرق دون الاشارة اليه . وهذا ممّا لا يليق ضمّهُ بين الادباء وقد اتت النعمة شططاً بنسبتها كتاب « روضة الفريد وسلوة الوحيد » الى عبد الله بن الفضل فانّ هذا الكتاب لاحد رهبان الاقباط اسمهُ ابن كليل وقد طبع في مصر . امّا كتاب الروضة لابن الفضل فليراجع وصفهُ في المشرق (٩ : ٩٤٥)

عنوان - كاذب — قرأنا على غلاف مجلّة المنار المصريّة (في عددها الاخير) تحت عنوان انجيل برنابا هذا الشرح :

هذا الانجيل هو رواية برنابا احد الحواريين وقد سمّاهُ الانجيل الصحيح ويمتاز على الاناجيل المتداولة بتأييد التوحيد وانكار التثليث والصلب وبالبشارة الصريحة بنبيّنا محمّد صلعم وقد كان مخفيّاً في مكتبة البابا وظهر في مصر وترجم بالانكليزيّة وبالعربيّة

(قلنا) قد اخذنا العجب من كاتب هذه الاسطر وهو يُشعر فيها بانّ النصارى وخصوصاً الاحبار الرومانيين كانوا يعرفون بطلان النصرانية وكذب تعاليمها في المسيح وصلبهِ وفي تثليث الاقانيم فاخفوا النور تحت المكيال وحجبوا الحقيقة عن العيان وانكروا على صاحب الشريعة الاسلامية حقوقهُ من النبوّة التي سبق وعرّفها « احد الحواريين » منذ ايّام المسيح . فلو صحّ هذا القول لكان النصارى وعلى الاخص احبار الكنيسة الكاثوليكية من اكبر الخدّعة الكذّابين وديتهم من الخزعبلات المنكرة فأيم الحق انّ هذه لتهمة فظيعة لا نرضى بها الّا ان يؤيّدها كاتب تلك الاسطر بالبراهين اللامعة والّا نسبناهُ هو الى الكذب والخداع . وقد كتبنا سابقاً في المشرق (١١ : ١٩٤—٢٠٥) في الاناجيل الصحيحة القانونية واناجيل الزور الكاذبة فصلاً طويلاً وقد خصّصنا بالذكر (ص ٢٠٤) انجيل برنابا واثبتنا هناك انّ الانجيل المطبوع آخرًا بالانكليزيّة والمعرّب بقلم الدكتور خليل سعادة والمنسوب الى ذلك التلميذ (ولم يكن من الحواريين كما زعم صاحب الكتابة) انّما هو مصنوع حديث لا يتجاوز عهدهُ القرن السادس عشر وان كاتبهُ راهب منفيٌّ من الكنيسة حرمهُ الحبر الروماني لسوء آرائهِ وسلوكهِ . ولو راجع كاتب المنار مقدّمة العالمين اللذين طبعا هذا الانجيل الزور لعرف

حقيقة قولنا وخجل من كتابة ما كتب . فان كان صادقاً بكلامهِ فليثبتهُ بالدليل ويردّ قولنا والّا عرّض نفسهُ لملامة كل ذي عقل منير . ولا نعلم ماذا استفادت مجلّة المنار بتعريب هذا الانجيل الكاذب وطبعه . فان لم يكن لديها غير حجج لتفنيد العقائد النصرانية فما اضعف ساعدها وما اقصر باعها

متحف الصور في الفاتيكان قد اشتهر في رومية من كبار المصوّرين ما لم يشتهر في غيرها . وكثير من صورهم العجيبة تجلب انظار الزوّار في معاهد الفاتيكان ويبلغ ثمن بعضها ملايين الفرنكات . على انّ تلك الطُرف كانت متفرّقة في عدّة قاعات من القصر البابويّ فكان تفرّقها يبخس شيئاً من قدرها فضلاً عن انّ البعض منها كان في امكنة لا يوافقها موقع النور فتفقد قسماً من محاسنها . فلمّا تبوّأ قداسة البابا بيوس العاشر المالك سعيدًا اهتمّ بسدّ الخلل فارتاد لها قاعةً واسعة الاطراف في احد طوابق الفاتيكان موقعها تحت المكتبة الفاتيكانية الشهيرة فجهّزها احسن تجهيز وزيّنها بالنقوش البديعة وقسّمها الى تسعة اقسام او مقاصير ثم جمع فيها تصاوير اولئك النوابغ كرفائيل ودا فورلي وباروجين ويوليو بانّي والدومنيكان ورومانو واوتيلي وكثيرين سواهم ووكل الى كبار الفنيين ان ينظموا تلك الصور نظاماً هندسياً يروق لعين الناظرين ويقسموها في مقاصيرها على حسب مواضيعها واساليب مصوّريها فقد تمّ هذا العمل في اواخر شهر آذار المنصرم ودشّن قداسة البابا ذلك المتحف البهيّ بحضرة الكرادلة وسفراء الدول واعيان رومية وكانوا كلّهم صوتاً واحدًا ليثنوا على همّة امام الاحبار في انجازهِ هذا المشروع العظيم . والصور التي في هذا المتحف الجديد يبلغ عددها ٢٧٧ صورة في مواضع دينية او تاريخية او فنية ومنها ما يبلغ طولهُ وعرضهُ عدّة امتار واكثرها فريد في جنسهِ لا يُرى لهُ شبه في متاحف دولية اخرى وكفى بهذا دليلاً على مساعي الاحبار الرومانيين في تعزيز الفنون الجميلة وافحامًا لمن ينسبون الى الكنيسة التقهقر في العلوم والآداب

أسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد ما هي الطريقة لاهلاك البراغيث والبقّ والنمل والصراصير

اهلاك الهوامّ والحشرات

ج لاهلاك هذه الهوامّ طرائق شتّى تضيف المجلّات اليها كل يوم طرائق جديدة. ولعلّ كثرة هذه الطرائق تدلّ على قلّة عملها. وها نحن نروي هنا ما نراهُ اقرب للمنفعة: تهلك البراغيث بمسحوق الكبريت الاصفر اذا تُقع في الخلّ ورُشّ بهِ الموضع المطلوب تنظيفهُ منها. ويهلك البقّ بطلاء الاوعية الوسخة بالبترول. وقيل ان المصريين جرّبوا ورق الصبّر فوجدوا انّ رائحتهُ تقتل البقّ او تطردهُ من المكان. او يُدهن المكان بمزيج من الصابون مع قليل من الزرنيخ والكافور والعرق. امّا النمل فامزج ملء ملعقة من ملح الطرطير بملعقتين من الدبس وصبّ الماء على المزيج واجعلهُ حيث رأيت النمل فيتناولهُ ويعاد العمل مراراً حتى يتلف. ويزعمون ان الصراصير تموت بمزيج من مسحوق الزرنيخ والتفّاح المشويّ. هذا ما يرويهِ ارباب الخبرة فيعمل بهِ

وسأل احد الاساتذة في البلدة عن حادث جرى لبعض اصحابه قال: انهُ اتاهُ يومًا رجلٌ لابس ثياب الرهبان وادّعى انهُ من كهنة بعض الاديرة فاعترف عندهُ بخطاياهُ ثم علم بان الرجل كان ماحكًا كاذبًا وليس بكاهن. فسأل السائل عن اعتراف صديقهِ بخطاياهُ أكان صحيحًا. وهل يحتاج الى مراجعة الاعتراف عند كاهن آخر. وماذا يكون جرى لهُ لو مات بعد اعترافهِ جاهلًا خداع الرجل

المشعوذ المدّعي بالكهنوت

ج لا شكّ انّ هذا الاعتراف باطل لخلوّ المشعوذ من السلطة لحلّ الخطايا فيلزم المعترف ان يقرّ بخطاياهُ لكاهن قانوني مصرّف لاستماع الاعتراف اذ انّ الخطايا لا يحلّها الّا من لهُ السلطة على الحلّ والربط. امّا لو مات بعد اعترافهِ لذلك المشعوذ وهو يجهل خداعهُ فان رحمة الله واسعة ولديها وسائل غير الحلّ السري لافاضة النعمة المبرّرة. فالندامة الكاملة مثلًا كافية لتبرير الانسان قبل الاعتراف بشرط ان تكون مقرونة بالرغبة في نيل الحلّة اذا امكن. وعليهِ اذا عمل الانسان كل ما في طاقتهِ لينال المغفرة فان الله لا شكّ يعطيهِ نعمته ويبرره وان لم يتمكن من قبول الحلّ السري. هذا ما يجري ليس فقط في امثال الحادث الذي نحن في صددهِ وهي نادرة جدًّا. بل كلما تعذر على المسيحي التائب استدعاء الكاهن في ساعة الممات ل ش

المشرق

السنة الاولى للدستور العثماني

نظر للاب لويس رنزفال اليسوعي

كان اليوم الثالث والعشرون من الشهر المصرم يوماً بهيجاً بل عيداً حافلاً اراد كل العثمانيين ان يقضوهُ في الافراح والمسرّات. وكانت الاوامر العليّة قد صدرت من دار السلام الى جميع انحاء الولايات بان يكون ذلك النهار موسماً شائقاً تتناصر فيهِ كل عناصر الدولة وأممها المتفرّقة لرفع الادعية واداء فرائض الشكر للعزّة الالهيّة على ما انعمت بهِ من انقلاب الامور بعد العناء الشديد والاسر المديد ففُكّت اغلال العبوديّة ورقصت القلوب بهجةً بعد اطلاق سراح الحريّة. وما كانت الرعايا لتنتظر هذه الاوامر بل بادرت القلوب الى اتمامها بالشوق قبل العمل. فما لاح ذلك اليوم العظيم حتى تجدّدت تلك المظاهر الفخيمة التي جرت في العام الماضي ورسخ ذكرها الى الآن في صفائح الالباب. فلبست المعاهد الرسميّة حللها القشيبة وازدانت الاسواق بالرايات الوطنيّة وتحوّلت ظلمات الليل الى مناور متوقدة واسرجة نيّرة. وكان السرور شاملاً والناس يتبادلون عبارات التهاني ويتمنّى بعضهم لبعض اطيب الاماني في ظل العلَم العثماني

نعم يحقّ للعثمانيين ان يطلقوا العنان لجذل الصدور ويستأنفوا بواعث الطرب وبشائر السرور التي أسكرتهم بنشوتها في العام الماضي بعد ان ركبتهم بل كادت تسحقهم فوادحُ الظلم مدّة ٣٢ عاماً. فأعلن جهاراً ذلك الدستور الذي كان السلطان السابق يُذعر منهُ خوفاً ويُستطار بهِ لبُّهُ روعاً حتى انّ مجرد اسمهِ كان يذيقهُ الامرّين فقام وقعد وحطّ ورفع ليردّ عنهُ ذلك العدوّ الاحمر حتى تجاوز في دفاعهِ كل اعتدال واقترف في كسر شوكتهِ كل المحظورات ولو تدبّر الامر بالروّية والفكرة ورأى بعين

السكينة خير العباد وصوالح البلاد لما اضطرَّ الى ان يباشر تلك الحرب العوان التي جلبت عليه البوار. فانهُ بعد ان اقفل سنة ١٨٧٦ مجلس المبعوثين وردَّهم الى مواطنهم خاسرين كان يستطيع ان ينزع سخيمة القلوب ويكتسب رضى الاهلين بما يُقدم عليه من الاصلاحات ويأخذ به من المشروعات الوطنيَّة والاعمال العموميَّة وتوطيد اركان العدل والانصاف في جهات الدولة . . فلا شكَّ انهُ لو فعل ذلك لنال شكر مرؤوسيه وجعل اريكتهُ ثابتةً سامية وعُدَّ ملكهُ من اسعد واشرف ملوك آل عثمان

وكان لهُ اسوة في هذه السنين الاخيرة بقيصر روسيَّة الذي اجاءتهُ الاحوال الى ان يمنح الدستور لرعاياهُ وكاد المجلس الاوَّل يثلّ دعائم عرشهِ فعرف بحسن سياستهِ ان يضع حدودًا للثورة والفتن وتوخَّى استمالة القلوب بما استدركهُ من الخلل وباشرهُ من الاصلاحات ومنحهُ من الانعامات فادخل روسيَّة في طور جديد بعد تخفيف وطأة الحكم المطلق على مناكبها

ومهما كان الامر فانَّ الممالك المحروسة تفتخر اليوم بدستورها وتجدر بها ان تقيم الاعياد في عودة تذكاره

ولكن لا يليق بان تكون افراحنا عقيمة فانَّ العاقل هو الذي يستفيد ايضًا من تجربتهِ فيلقي النظر على ما مضى ليصلح ما فرط منهُ ويواصل عملهُ بخبرة وادراك فيكون الماضي ضامنًا للمستقبل . وعليهِ قد عزمنا على تلخيص ما جرى في هذه السنة الدستوريَّة الاولى لتتخذهُ عبرةً ومثالًا وتتلافى النقص بالحزم والنشاط

*

اذا ما اعتبرنا الانقلاب السياسي الذي صرنا اليهِ وبحثنا عن نتائجهِ في هذا العام الاوَّل عثرنا على ثلاثة امور خطيرة من شأنها ان تكدّر نوعًا نظر المعتبرين وان لم يكن الدستور علَّتها الفاعلة وانَّما تحمَّل تبعيَّتها بعد الحكم السابق فاغتنم اهل الدول المجاورة تلك الفرصة ليلقوا دلوهم مع الدلاء ويشووا في الحريق سمكتهم

واوَّل ذلك ما مُنيت بهِ الدولة من فقد سيطرتها على بعض البلاد المجاورة . فانَّ ارباب الامر في ٢٣ نيسان منحوا بلغاريا استقلالها التام على شروط رضيت بها الدولتان . وكذلك بلاد البشناق والهرسك التي لم تزل تقرُّ للدولة العليَّة بحقوق الولاية والتقدُّم دخلت نهائيًا في حكم النمسا بعد اتفاق الدولتين على تعويضات تقدَّم بها النمسا الى

تركيًا . وقد ارادت اقريطش ان تنتهز هذه الفرصة ايضاً لتقطع علاقاتها مع تركيا وقد رفعت آخراً العلم اليوناني الّا انّ عمالها حتى يومنا لم ينل رضا الدول الاوربيّة . ولو صمّم اهل تلك الجزيرة على عزيمتهم لعلّهم يسمرون البلاد بحرب تدور عليها دوائرهم وترمي اوربّا في ارتباكات جديدة لا يعلم احد ماذا تكون نتائجها الوبيئة

وقد زاد في الطين بلّةً ما حصل بسبب اعلان الدستور من الفتن في نواحي الدولة فانّ اصحاب المشاغب اذ سمعوا كلمة الحريّة الفتّانة ورأوا ضعف أولي الحكم الجديد الذين لم يسمح لهم الوقت بتنظيم الولايات وتمكين دوائرها علّلوا نفوسهم بالفوز واثاروا الشغب في بعض الانحاء وكان بعضهم من الوجهيّين لم يشأوا الاعتراف بالانقلاب الدستوري كما جرى في جهات الحجاز واليمن وبلاد الجزيرة وثغور فارس فلم تزل الحكومة الى يومنا هذا توجّه قواتها العسكريّة الى اولئك الثائرين لتطفئ جمرتهم وتكسر شوكتهم

وكانت هذه الاحوال المضطربة داعياً للضنك وتوقّف دولاب الاشغال وخمود التجارة فضلاً عن سوء حالة الدولة الماليّة التي تتهدّدها بانتهور وتصدّ ذوي العزم والتدبير عن المباشرة بالاصلاحات . وقد رضي كثيرون من اهل الهمّة ان يتحمّلوا في سبيل خير العامّ عدّة ضحايا . وكان اوّلهم جلالة السلطان الجديد الذي حبّا بالاقتصاد قنع بان يخفّف عن عاتق الدولة كثيراً من نفقات اسلافه فأبعدت الحكومة من الخدمة ألوفاً من العمّال ودقّقت النظر في مصاريف الدار السلطانيّة واتباعها فاكتشفت ما كان هناك من التلاعب وتبذير الاموال فعُوقب اصحابها وكذلك اعيان الدولة أُعيد النظر في رواتبهم فجعلت لها قواعد ثابتة لا تتجاوز حدود وظائفهم . ومع كل هذه الاصلاحات لا يزال الخطر محدقاً بمالية الدولة لاسيما ان عدّة ولايات تأخّرت عن دفع الاموال الاميريّة والخراج ثم لزم الحكومة ان تدفع للجند رواتبهم المألوفة بعد ان تأخّرت مدّة عن ادائها فكل ذلك ممّا يكدّر صفاء الدستور ويوجب القلق والاضطراب وهو ثمرة الحكم السابق

ويوجد مع هذا ما هو أدعى للخوف وأجلب للكدر وذلك ما تلوّثت به شوارع الاستانة من دماء الوطنيين كما جرى منها سيول في احدى جهات الدولة اعني ولاية آطنه . فانّ الخطباء وكتبة الجرائد كانوا يعدّون من اسبغ نِعَم الخالق على الدولة ان

الدستور مدَّ رواقهُ على البلاد وضرب اطنابهُ بين اهلها شاؤوا ام ابوا دون ان تُهراق نقطة واحدة من الدم. فأملوا ان تبقى الصحيفة المجيدة بذلك الانقلاب غرّاء عذراء لا يشوبها خبر مكدّر. لكنَّ تلك الآمال ما لبثت ان ذهبت ادراج الرياح بما حدث من المفجعات في اواسط نيسان المنصرم. فانَّ اهل الدولة المنقلبة كانوا يترصَّدون لآل الدستور ويطلبون غفلتهم ليوقدوا معالم الفتنة ويصلتوا سيف العدوان ويحيوا ما ظنّوهُ ميتاً من اسباب البغض والشحناء بين الاجناس والعناصر التي تتألَّف منها الممالك العثمانية فكان لهذه الاحداث صدى حزن في قلوب محبي تركيا حتى ارتاب البعض في أمر الحكم الجديد وفي مقدرته على تأليف الارواح وتوحيد الكلمة. وكذلك قامت بازاء مجلس المبعوثين ومجلس الاعيان مسائل جسيمة لا يُستطاع الفرار عن خوضها واولها هل يجري التساوي التامّ في الحقوق بين كل العثمانيين على اختلاف عناصرهم واديانهم وهل الامر ممكن في الحالة الحاضرة عملياً

فهذا المشكل العظيم لا مناص من حلّهِ ولا نعلم كيف تكون نهايتهُ. فان نكبات آطنه قد اظهرت انَّ بين العنصرين الاسلامي والنصراني ولاسيما الارمن ثلمةً واسعة يصعب سدّها اذ لم يمرّ على الفئتين غير اشهر منذ تصافحتا وتعاهدتا الوداد وصرختا مرحّبتين بالحرّية والمساواة والاخاء. فكيف تغيَّرت الاحوال بعد زمن قليل فثار المسلمون الارتجاميُّون على من لا يشاركهم في دينهم وارتكبوا من الجرائم ما انسى فظائع البوكسر في الصين. فان قال القائل انَّ الارمن كانوا يكيدون المكايد فاستحقُّوا هذه المعاملة بدسائسهم اجبنا انَّ الحكومة المحليَّة كان برسمها ان تتولَّى حكم المجرمين فتأخذهم بآثامهم دون ان يُطلق العنان لفئة على اخرى ولحزب على آخر فتلك الطامة الكبرى التي لا يُقبل لها عذر. وكانت الحكومة السابقة قد اعتادتها لتحقيق غاياتها وكثيراً ما سلَّطت عنصراً على آخر اذا ما خافت نفوذهُ. وقد اقرَّ عقلاء المسلمين بهذه الغاية السياسيَّة السيئة ولاموا الحكومة في اتخاذها ورأوا ان مثل هذه الاعمال اشبه باعمال الامم الهمجيَّة. وكفى برهاناً على قولنا ما كتبهُ منشئ المنار في الجزء الثالث من المجلَّد الثالث عشر (ص ٢٤٠) حيث قال بعد ذكر ثورة العاصمة: «وقد ولَّدت الثورة بالعاصمة فتنةً في ولاية آطنه فهبَّ الترك لذبح الارمن وهو عمل يبرأ الاسلام منهُ ومن فاعليهِ ولكنَّهُ لا يسلم معهُ من طعن الامم. فبهمجيَّة هؤلاء الاقوام صار المسلمون حجَّة على

الاسلام ». وقال غيرهُ مثل قولهِ . وقد افاد البشير في بعض اعدادهِ (ع ١٩٢٠) اقرار احد اعضاء اللجنة المعيَّنة لتحقيق امور آطنة الاخيرة بابيكيان افندي حيث قال: « قد دلَّ التحقيق انَّ انصار الحكم المطلق في آطنه اظهروا الاستياء منذ اعلان الدستور ووطَّنوا العزم على ذبح غير المسلمين وهذا امر ثابت لا ريب فيهِ تؤيد صحَّتهُ الاوراق الرسميَّة والقضائيَّة . . . ومن الثابت انَّ الحكومة المحليَّة اشتركت فيها وخصوصاً الوالي جواد بك والقمندان رمزي باشا ومتصرف جبل بركات ناصيف بك الخ » . ثم اقرَّت اللجنة بعد ذلك بانَّ عدد القتلى لا يقلّ عن عشرين الفاً

فترى من ثمَّ انَّ امور آطنة انَّما كانت خلفةً من سياسة عبد الحميد الفاسدة وحكمهِ المطلق الجائر اراد ان يورثها من بعدهِ الدستور فيطبع فيهِ سمة الدم . فلما نكأ تلك القروح المندملة نفث في القلوب سمّ النفور والمشاحنة وجعل الأمة طبقاتٍ ممتازة فيها السيّد والمسود والعبد والمعبود بدلاً من ان ينفي من الافكار تلك الامتيازات ويؤلف بين قلوب الافراد في خدمة الوطن كما هو شأن الحكم الدستوري لأنَّ الدستور مبنيّ على المساواة . فان لم يُراعَ التساوي انقلب الحكم فأشبه عهد الظلم بل يستفحل الشرّ ويتفاقم الجور اذ انَّ المظلوم لا يصبح فقط تحت رقّ عبوديَّة الواحد كما كان في عهد الملك المطلق بل يستهدف لسهام قسم من الأمة ويستعبد للفرقة المتغلبة التي قبضت على ازمَّة الحكم

وهذا الداء العقيم لا رجاء لحسمهِ ولا امل لمداواتهِ بل يزيد فساداً ويؤول بالبلاد الى الخراب ما دام البعض يخلطون بين الوطنيَّة والدين ويتعصَّبون للاحكام الشرعيَّة ويجعلون الدستور نعمةً خاصَّة بدينٍ على خلاف غيرهِ من الاديان كأنَّ العثماني لا يستطيع أن يخدم وطنهُ ما لم يُكرَه على تغيير دينهِ والمجاهرة بالدين المحمّدي فهذا مبدأ باطل ينقض الدستور نقضاً تامًّا اذ في مقدَّمة البنود التي يشتمل عليها الدستور انَّ الاديان كلّها متساوية بازاء الدولة . فلا بُدَّ لهذا المبدأ الاساسيّ ان يرسخ في ذهن الجميع ولولاهُ اصبحت الوطنيَّة اسماً بلا مسمًّى ولفظاً دون معنى

فقل لي رعاك الله ان كان النصراني والدرزي واليهوديّ لا يعتبرون الراية التي يعشون تحت ظلها كراية عموميَّة تعمّ مفاخرها المسلمين وغيرهم افيمكنهم ان يدافعوا عنها ويسفكوا في ساحة الحرب دماءهم دونها . لا لعمري ما لم يتأكَّدوا انَّهم

يخدمون وطنهم العثماني وليس ديناً من الاديان اذ ليست الحرب جهاداً عن الدين بل دفاعاً عن حرمة الاوطان وصوناً لحقوقها من المادين سواء كانوا مسلمين او نصارى

أفلا ترى الدول الاوربيَّة الدستوريَّة كيف تفرق بين الاحزاب السياسيَّة والوطن وبين دين الدولة المالكة والسلطة العموميَّة الحاكمة . فهاك فرنسة كان اهلها يخدمون الملوك مطلقي الحكم الى السنة ١٧٨٩ ثم انقلبت الحكومة الملكيَّة الى حكومة جمهوريَّة ولا تزال الاحزاب في تناقض وخصام يتنازعون السيطرة والتقدُّم الَّا انهم يفرقون بين الاحزاب وبين الوطن واذا رأوا بلادهم في حاجة الى خدمتهم تكاتفوا وتناصروا وساروا الى العدوّ كرجل واحد سواء كانت رايتهم بيضاء سوسنيَّة كما على عهد الملوك ام مثلَّثة الالوان كما هي اليوم

ودونك مثالاً آخر في انكلترَّة البروتستانيَّة وارلندة الكاثوليكيَّة فانَّ هذه طالما باءت تحت عبء شقيقتها الظافرة ولا تزال حتى يومنا تدافع عن حقوقها الدينيَّة والمدنيَّة ولكن هيهات ان ترى الجنديّ الانكليزي ينفر من رصيفهِ الارلندي في خدمة الوطن بل يمشي كلاهما اليد باليد الى اقاصي العالم حتى مصر والهند وجهات اوقيانيسة للذود عن حرمة الاوطان والدفاع عن صوالح تلك المملكة الواسعة التي تكاد تجمع بين القطبين . وترى في البلاد كلها الارلندي والانكليزي والاسكوتي والغالي يتقاسمون الاحكام وقيادة الجند وترتيب الامور دون اختلاف البتة على اي دين كانوا ولا يراعون في كل ذلك الَّا الاهليَّة والاستحقاق

فكذلك الممالك العثمانية اذا ما شاءت ان تترقَّى في معارج الفلاح وتنتظم في سلك الدول المتمدنة عليها ان تستعين بما جعل الله من القوى في افرادها فتؤلف بينهم وتضرب الصفح عمَّا يفرقهم من العناصر والجنسيَّات والاديان فلا ترى فيهم الَّا ابناء مخلصين في حبها متفانين في خدمتها لا غاية لهم الَّا رفع شأنها واعلاء مقامها بينما هي لا تتعرَّض لهم في اتمام واجباتهم الجنسيَّة وفرائضهم الدينيَّة

ولدولتنا اسوة صالحة في الولايات المتَّحدة يمكنها ان تأتسي بها . فانَّ تلك البلاد مع سعتها وكثرة اقطارها واختلاف اديانها واقية في سلَّم النجاح لا يفوتها شيء من العزّ والفخر وانَّما قوَّتها بجمع كلمتها واتفاق عناصرها المتباينة لا يختصُّون امتيازاً بواحد دون آخر ولا يُراعون ديناً بمعزلٍ عن غيرهِ وان كان الدين الاوفر عدداً هو الدين

البروتستانيّ فانَّ الدين الكاثوليكي معزّز مكرَّم حتى كاد يبلغ الاحصاء الاخير ١٤ مليونًا بعد ان كان عددهم لا يتجاوز ربع المليون في اوائل القرن التاسع عشر. ويسير مع الجند الكاثوليك برًّا وبحرًا كهنة برواتب معلومة يساعدونهم في اقام فرائضهم الدينيَّة ويرافقونهم في ساحة القتال ويحرّضونهم على تعزيز شؤون الوطن والذود عن حماه بتضحية كل نفس ونفيس

فليعلمنَّ الدستوريُّون ان الحروب الدينيَّة اسوأ الحروب واوخمها عاقبةً فان طرقوا ذلك الباب لن يمكنهم ايصادهُ الَّا بعد اللَّتيا والتي . ولنا في الامور الحديثة شاهد عياني على قولنا فانَّ عبد الحميد اذ أيس من حفظ سلطانهِ ظنَّ — وبئس الظنّ — انهُ يفوز بالمرام اذا آثار الشواعر الدينيَّة فجعل الشريعة كشعار في افواهِ انصارهِ فقتلوا ما قتلوا من الضبَّاط الابرياء وقلبوا ولاية آطنة ظهرًا لبطنٍ فلأوها سبيًا ونهبًا وحرقًا وذبحًا الَّا انَّ الله جازاهُ بعمل يدهِ لمَّا افتى شيخ الاسلام بعزلهِ وتمليك اخيهِ رشاد فكانت تلك الفتوى مبنيَّة على الشريعة ايضًا فكانت الشريعة سيفًا ذا حدَّين قتلتهُ كما قتل بهِ الوفًا من المظلومين

فعلى العثمانيين ان يتحقَّقوا كما تحقَّق ائمَّتهم ووجوه مالهم انهُ لا خلاف بين الدستور والدين. وان خصصنا بذلك الاسلام وجدنا بان تعاليمهُ لا تنافي الحكم الدستوريّ كما بيَّن الامر كثيرون من الكتبة المسلمين بعد الانقلاب السياسي الاخير في مجلَّاتهم وجرائدهم. وقد افادتنا اخبار الاستانة في اواسط الشهر المنصرم بان الصدر الاعظم ارعز الى شيخ الاسلام أن يُعدَّ منشورًا يثبت فيهِ من القرآن والحديث انَّ على المسلمين ان يعتبروا المسيحيين وطنيين مساوين لهم بالحقوق. وقد كان جلالة السلطان الجديد محمَّد رشاد صرَّح بذلك في منشورهِ الاوَّل الرسميّ في تاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ حيث قال في خطَّهِ الشريف:

« وانَّ امانيَّ لا ترمي الَّا الى التذرّع بالوسائل الضامنة للحريَّة والمساواة والعدل لكل طبقات رعاياي دون استثناء ومراعاة جميع الاحكام الشرعية والقوانين مراعاةً تامة . . . وتوفير الاسباب اللازمة لايصال مملكتنا الى مرتبة الترقيَّات والتكمُّلات المستعدة لها ماديًّا وادبيًّا . وقانون الاساسي كافل لتحقيق هذه الرغبة الصحيحة . . . »

وما قلناهُ عن الاسلام يظهر في النصرانيَّة ظهور الشمس في كبد السماء فانَّها لا

تنفي هيئة من السلطة الحاكمة وتعتبر كل سلطة من الله ولو تصفَّحتَ تاريخها وبدتها تؤاخي كل ضروب الاحكام فطالما عاشت مع الملوك والسلاطين سواء كانوا ذوي سلطة مقيَّدة ام مطلقة كما أنها لم تأنف من الجمهوريَّات والحكومات التمثيليَّة كلَّما جرت على سنن العدل لا تبخس حقوق الله لأنها لم تزل تكرِّر على رؤوس الاشهاد انهُ ينبغي على الانسان أن يؤدي ما لله لله وما لقيصر لقيصر. ولا ترى في كتابات الاحبار الرومانيين الرسميَّة كلمة واحدة تُشعر بان الكنيسة ترذل الحريَّة والمساواة والاخاء. اللهمَّ اذا رُوعيت معانيها الصحيحة الموافقة للعقول السليمة وانَّما نفت فقط عنها معانيها الفاسدة (اطلب المشرق المقالات التي نُشرت في هذه الالفاظ السحريَّة في العام الماضي (٧٨٧ و ٨٦٣ و ٩٣٢) وقد بيَّن كل ذلك لاون الثالث عشر في براءاته الرسوليَّة الخالدة الذكر التي تصدع بالحق ولا تبقي ريباً لمستريب

فان كانت الاديان متَّفقة على هذه المبادئ والروحُ العصريّ والتمدّن الحالي واصول العقول السليمة ترضى بها وتستحسنها وتجد في مراعاتها حياة البلاد وخلاص العباد فما بالُنا نعود فنشحذ شفار البغض وتريش سهام العدوان كما جرى في قرون الهمجيَّة. فانَّ تركيَّا بلغت الى عهد صلح وسلام لا حاجة لها في الفتوحات والغزوات فكفاها فخرًا انَّها تملك على اشرف بلاد الله واعزّها ذكرًا واكرمها شأنًا واكثرها خيرًا ونعمة فعليها الآن ان تصون تلك البلاد وتحيي مواتها وتستخرج دفائنها وتوفّر اسباب خيراتها وذلك بان تنمي ابناءها ضغائنهم وتُميت احقادهم وتؤنس ارواحهم كما قال جلالة سلطاننا الجديد في خطابه:

من الواجب على الجميع ان يضعوا جانبًا الاختلافات والمنازعات المنسيَّة الماضية كما يجدر بابناء وطن واحد. . . فتزداد قوَّاتنا العسكريَّة برًّا وبحرًا وتنتظم شؤون العدليَّة والماليَّة ويُعمَّم التعليم وتروج التجارة والصناعة والزراعة بنسبة الترقية الحاضرة العصريَّة

فكلّ هذه الاماني الطيّبة ليس احد في كل اطراف الدولة الَّا ويتوق اليها ويتمنَّاها من صميم الفؤاد الَّا انَّها لا ترسخ في الاذهان وتتأصَّل في سويداء القلوب ما لم يجرِ بموجبها ارباب الامر ويبرهنون عملًا عن نيَّاتهم الصادقة فيشاطرون جميع العناصر العثمانية وجميع الاديان على سواء في تنظيم الامور وتمكين السلطة الدستوريَّة. ولبلوغ هذه الغاية لا بُدَّ من نشر الكتابات والقاء الخطب العموميَّة وتفنيد المزاعم

الباطلة وتهذيب الشبيبة على تلك المبادئ في المدارس والمكاتب ريثما تتبجّن في العقول ويعرف الجميع معرفةً تامّة ان الوطن لا ينحصر في صوالح بعض الاحزاب او فائدة بعض الخاصّة بل يشمل الجميع دون استثناء فانّهُ كجسم حيّ ذي اعضاء شتى واقسام مختلفة لا يُصاب بها الواحد بأذًى دون ان يتأذّى منهُ الآخرون كما انهُ لا ينالهُ خيرٌ الّا يعمّ الجسد كلّهُ. ولا بأس ان يكون في ذلك الجسم الصغير والكبير والرئيس والمرؤوس كما انّ في الجسم البشريّ الرأس المفكّر والقلب المدبّر واليد العاملة والرجل السائرة لكنّ الكل مرتبطون ارتباطاً تامًّا ويرمون الى غرض واحد وهو خير الجمهور والصلاح العموميّ . حقّق الله تلك الآمال وازال كل نفور وبلبال فانّهُ السميع المجيب

لمحة

في المعالجة بالوسائط الطبيعية

او الفيسيكوتيراپيا

للدكتور توفيق سلهب احد المتخرّجين في مكتبنا الطبيّ

ليست هذه اول مرّة يذكر المشرق النور والطريقة العلاجية به فانّ الدكتور فيلب بركات في السنة الاولى (ص ٣٨٥) كتب في ذلك فصلاً مستجادًا لخّص فيهِ نتيجة الابحاث العلميّة في ذلك. فهذه المقالة الجديدة تؤيد تلك الاقوال وتزيد عليها ما استجدّ من الاكتشافات في هذه السنين الاخيرة ل . ش

المعالجة بنور الشمس

ان من يمعن النظر في العلوم الطبيّة في السنين الاخيرة ويجيل الطرف في اهمّ فروعها وانفعها للانسان اعني بهِ فن العلاج وكيفية استعماله يرى بسهولة انهُ من سنة الى اخرى يزداد تنقيب الباحثين توافقًا وتتجه افكارهم واختباراتهم اتجاهًا واحدًا نحو الطبيعيات والكيماويات طمعًا بان يجدوا فيها ما يكون انجع وأفيد من العلاجات التي كانت مستعملة حتى يومنا هذا بدون جدوى في الامراض العضالة كالسرطان

والامراض الجلدية وغيرها ولا عجب اذا رأيناهم زادوا بحثاً واجتهاداً وانصرفوا كل الانصراف نحو هذه الخطة فان نجاحاً باهراً كلّل مساعيهم وكافأ اتعابهم واعاضهم اضعاف ما لاقوهُ من التعب والخطر اثناء تجاربهم واختباراتهم عمّا ساعدهم على متابعة السير في هذا المسلك الحديث الاكتشافات الهامّة التي توصّل اليها بعضهم كنتجن والسيد كوري مع قرينته وغيرهم والتي اوقفتهم على وسائط عجيبة في مفعولها وقوتها غزيرة في فوائدها ومنافعها

ولِيتّضح جليًا ما قلناهُ يجدر بنا ان نرجع بالفكر الى ما وراء العشرين سنة الفائتة فنجد انهُ وان كانت الكهربائيّة وقتئذٍ معروفة ومستعملة الّا انّ طُرق الانتفاع منها لا تذكر وكانت نتائجها في الطبّ مقتصرة على بعض حوادث محدودة وقلّما كانت تحصل الفائدة المرغوبة

امّا اليوم فقد غدت من بعد اكتشافات اشعّة رنتجن ومجاري الكهربائية المتواترة (courants de haute fréquence) تأتي بفوائد تقرب ان تكون عجائب سنوردها باختصار لزيادة النفع ويقف كل قارئ كريم على ما تتحفنا به الطبيعة من وقت الى آخر من عجائبها العجيبة. ولا نبالغ اذا قلنا ان مكاتب الاطباء الاختصاصيين اصبحت كالمعامل لكثرة ما فيها من الآلات والعُدَد التي مع تنوّع اشكالها يسهل استعمالها لمتنيها وفائدتها مضمونة اكيدة خصوصاً في الامراض العصبية والجلديّة وفي كثير من الامراض الجراحيّة حتى كادت ان تُدعى عجيبةً لانهُ لم يكن يخطر على بال بشر ان مرضاً كمرض السرطان مثلاً الذي يعدّه الاطباء والعلماء ويذكرهُ الاقدمون والمحدثون كضربة لاشفاء منها ويلقبونهُ بالعضال الغير قابل الشفاء يعالج بطريقة الكهربائية فيشفى (هذا اذا عولج في بداءته)

ولا يظن القراء ان الهوس اخذ بي مأخذهُ فأنساني ما اقول. كلّا بل انني اكرّر ما ذكرهُ مؤخرًا الدكتور بورديه في جورنال البراتيسيان حيث قال: «ان السرطان البشريّ الخاطي ايّة كانت هيأتهُ اصبح في ايامنا هذه من الامراض التي يُحتمى منها ويُمكن اتقاؤها والشفاء منها وكما انّ الجدريّ بعد ان كان يُعدّ كمرض عضال صار يمكن ملافاته وكذلك السرطان البشريّ السطحي فانهُ مرض لا ريب في شفائهِ».

وليس فقط مرض السرطان بل كثير من الامراض الجلديّة وخصوصاً الآكلة

(lupus) فانها نالت بفضل هذه الاكتشافات الحديثة حظاً كبيراً وغدت من الامراض السهلة الشفاء بعد ان كانت قتّالة مرعبة ومخيفة

وما نقولهُ عن جزيل فوائد اشعّة رنتجن ومجاري الكهربائية المتواترة يمكننا ان نكرره عن الراديوم هذا الاختراع الحديث الذي ذكرت خبر اكتشافهِ جرائدُ المعمور كلها وخصوصاً المجلّات العلميّة ومن جملة نتائجهِ الغريبة التي تأتي على ذكرها بفخر معجبين بمكتشفها العظيم ان الراديوم يشفي السرطان سطحياً كان او غائراً في اللسان بدون اقل ألم ومن غير ان يبقى لهُ ادنى اثر فلا عجب اذا استغرب البعض ما نقولهُ وقد بانت الادوية على اختلاف انواعها ومنذ وجودها حتى اليوم قاصرة عن شفاء هذا المرض المخيف

ولم تكن الامراض الوبائيّة باقلّ حظاً من السرطان وغيرهِ بل كان لها نصيب اوفر من اكتشافات الدكتور روبن الشهير بفنّ العلاجات التي سمّاها الاختمارات المعدنيّة التي مفعولها اكيد لا ريب بهِ فانها تؤثر بسبب وجودها في السوائل الجسميّة على كريات الدم البيضاء (Leucocyte) تأثيراً حسناً يزيدها قوةً ونشاطاً. ولما كانت هذه الكريات كما هو معلوم ومقرّر في الجسم كالحارس الامين والحافظ ضد هجمات العدو الخارجي اعني بهِ الجراثيم المرَضية فصار من السهل على كل انسان تقدير مفعولها المزدوج في قتل تلك المكروبات وزيادة الجسم قوةً على قوة بواسطة هذه الموادّ وأصبح من الهين الضروري على كل طبيب استخدامها في بدانة كل وباء يظهر لايقاف سريانهِ بنجاح اكيد . . . .

واضرب عن ذكر بقيّة الوسائط التي زادت خزانة الطبيب سلاحاً جديداً وقوة عظيمة اعني بها الرياضة البدنية والدلك والمعالجة بالماء والهواء وما اكسبتنا من النتائج الحسنة خصوصاً في الامراض المزمنة ولا اشك بان عدداً كثيراً ممن يقفون على بحثي هذا يثبتون قولي بالبرهان والنتيجة التي حصلوا عليها بذواتهم اذ ان هذه الطرق الاخيرة اصبحت اشهر من نار على علم ولم تحرم منها زهرةُ مدننا بيروت اذ انهُ يوجد فيها منذ ١٢ سنة او اكثر اشخاص ماهرون متخصصون لهذا النوع من العلاج اتونا بفوائد هذه الطريقة الحديثة

والآن قد اطلنا الشرح توصلاً لغايتنا فلنرجع الى ما نحن بصددهِ الى العلاج بنور

الشمس فهذا هو احدث الطرق واهمها فائدة فنقول : ان نور الشمس هو اقوى المؤثرات الطبيعية ويتركب من اشعة مختلفة تختلف بنتيجتها بحسب نوعها وتكون قوتها متفاوتة حسب شكلها كالاشعة المولدة الحرارة والاشعة المولدة النور والاشعة الكيماوية واخيرًا الاشعة المزدوجة (radioactives) . ويوجد اشعة لها مفعول اشعة رنتجن واشعة الراديوم وهي اشعة لابين السوداء (lumière noire de Lebin) . واما تأكيدات هذه الاشعة على الجسم وغيره فهي عديدة لا تحصى ومتنوعة بتنوعها ومختلفة قوتها باختلاف اللون فالاشعة الحمراء مثلًا تكون اضعف فعلًا من الزرقاء والبنفسجية وهذه اضعف من غير المنظورة

خاصية النور

للنور الشمسي تأكيد عظيم على النبات اذ بدونه لا تحيا وبدون الاشعة الكيماوية لا تتم الوظيفة الكلوروفيلية التي غايتها حفظ الكربون في النبات لحياته . وما نقوله عن تأكيد النور على النبات وضرورته له نقوله عن الجسم البشري بأولى حجة لان ضرورة النور عظيمة لحفظ المادة الحديدية في الدم ولمساعدة الكريات الحمراء على التجدد . وهنا نعتذر اذا اسهبنا الكلام واكثرنا الشرح والادلة . فمن منا ينكر على النور هذه الخاصة اعني تأثيره على الدم وكل يعلم ويرى بذاته حالة الذين يكون قضي عليهم بالانحجاب عن النور سنين طوالًا كالمسجونين مثلًا والذين يشتغلون في المناجم وخلافهم ممن لم ينتبه الى لون بشرتهم وضعفهم وهل بعد ذلك ينكر بانه متأتٍ من عدم النور

ثانيًا للنور الشمسي مفعول ثانٍ اهم من الاول ألا وهو المطهر والعدو الالد لاي نوع كان من الجراثيم الوبائية ومما يؤكد لنا صحة المزية ما نراه من مياه النيل في مصر التي لو لم يكن يطهرها نور الشمس من الملايين ومئات الملايين من الجراثيم والميكروبات التي تحملها على طول مجرى النهر لكانت تفتك بالملايين من السكان الذين يستقون منها . ولقد رأيت مرأى العين ما فيها من الاقذار وكدت اموت عطشًا في بادئ الامر خوفًا من ان استقي من تلك المياه رأسًا واشرب كما يفعل القسم الاكبر من سكان القطر وكأني بهم يكرعون من ماء نبع العسل او نبع صنين . وما اقوله عن ماء النيل يقال عن ماء نهر السين في باريس الخ . . . هذا بالنظر الى النور من الوجه الميجيني

واما لو نظرنا اليهِ كعلاج فيكفي لاظهار منافعهِ ان نذكر الاختبارات الحديثة التي اجراها مؤخرًا هالوبو امام الندوة العلميَّة في باريس بالاشتراك مع الدكتور روليه فانَّها على درجة عظيمة من الاهميَّة والغرابة وجديرة بكل اعتبار ولقد وضع الدكتوران المذكوران كأساس لقولهما هذا المبدأ وهو انَّ منافع العلاج بالنور تكون احسن واوفى على قدر الارتفاع فوق سطح البحر لأن هواء السهول الواطية لا يخلو ابدًا من الغبار والابخرة المائية التي تمتصّ القسم الكبير من الاشعَّة الغير المنظورة التي هي اقوى مفعولًا . وبالعكس لو ارتفع الانسان الى قمم الجبال العالية حيث تبقى الاشعَّة الكيماويَّة على قوتها ومفعولها فانَّ تأثيرها ظاهر نشاهدهُ يوميًا في سكَّان تلك المحال المرتفعة خصوصًا بتغيير لون بشرتهم التي كثيرًا ما تصبح تميل الى السمرة القويَّة بقدر علو المكان . وكذلك الذين يقطنون المدن وينتقلون بسرعة الى الجبال العالية فيتعرضون لنور الشمس فيحدث لهم طفح جلدي بدرجات متفاوتة من الشدة ينتهي بسقوط البشرة الخارجيَّة من الجلد وهذا برهان حسي ينظرهُ كلُّ من لم يختبرهُ بنفسهِ

فينتج اذًا ان المنفعة من مفعول اشعَّة نور الشمس تكون قوتها بقدر علو المكان ولا يظنَّ القارئ بانهُ يعتذر الانتفاع منهُ في السهول وعلى الشطوط البحريَّة بل اننا نقول ان اقوى تأثيراتهِ يكون في الجبال العالية وقد شوهد ان شدَّة النور في الجهات الجنوبيَّة تذوبُ عن قوتهِ في المحال المرتفعة وينال المرء المنفعة المرغوبة . واما طريقة العلاج فيهِ فتكون بواسطة الحمَّام الشمسي والغاية من هذا الحمَّام عرض السوائل الجسميَّة على قوة النور الكيماوية فتجدد كريات الدم وتسرع الدورة الدمويَّة الخارجيَّة وتفرز الاعضاء الداخليَّة كلما تحويه من الموادّ المضرَّة . شروطهُ سهلة جدًا . اذ يكفي الانسان تغطية راسه ووجهه وعرض جسمه للنور عاريًا مدة مختلفة من الخمس دقائق حتى العشرين تدريجًا الى ان يعتاد الجسم وحينئذٍ يمكن تمديد الوقت لساعات بدون اقلّ ضرر فتكون النتيجة ان الجسم يسرّ وتكون هذه الصبغة الخارجيَّة دليل زيادة كريات الدمّ الحمراء ومن نتائجهِ على المرضى انهُ كثيرًا ما يحدث عجائب عند المصابين بفقر الدم والمسلولين . ولنا كلمة بخصوص علاج السل بواسطة زجها الى وقت اخر ولا تقتصر منفعتهُ على هذه الامراض فقط بل تكون اعظم واجلى في كثير من الامراض الجلديَّة الوضيعة وفي القروح . وسواها ومما يجعل هذه النتائج معقولة كون الاشعة التي تاتي بهذا الشفاء هي قريبة

للغاية من الشفة وتتجن ومن الراديوم ولهذا نقول باختصار انَّ طريقتهما ونتيجتهما واحدة

ومما يستدلّ من هذه الامور العجيبة ان الانسان في القرون الماضية بسوء علاجهِ كان يفرغ جهدهُ ليعاكس الطبيعة ويسلك الطريق المخالفة لنواميسها ولهذا بقي حتى اليوم محروماً من منافعها كالولد العقوق الذي يرفض عناية والديه قبل ان يبلغ اشده

واعلم انَّ الطبيعة امٌّ حنون اوجدت لنا كلما هو مفيد ونافع لكننا نرفض الاعتراف بها ونخالف نصائحها ولذلك ابتُلينا بامراض افتت الملايين اذ لم نرضَ بها طبيباً. فحبُّ الذات والانانيَّة اضعفا قوانا وكادا يفضيان بنا الى الهلاك وهي تنظر الينا والدموع ملء العيون باسطة ذراعيها وفيها من الفوائد والمنافع الكثيرة ما لا يعدّ ولا يحصى. علمت بان من ضروريَّات المعيشة التمرين والنور فلم نبالِ بهما ولم نعمل بما سنّته لنا وقد قام التمدن فعاكسها بكل قواهُ فاعتاد الانسان الكسل وقلة الحركة بدلاً من التمرين وعرض الهواء النقي بالانزواء والاختلاء في اماكن ضيقة ومظلمة

فعلى هذه الايضاحات صار يكفي الطب شرفاً وفخراً بانهُ لشعر بهذه الضروريات وعرفها وجاهر بوجوب استعمالها وفاز بنوال نتائج باهرة واشفى امراضاً كانت حتى يومنا هذا قتّالة مريعة

العمل

نظر في تعريفهِ وتجزئتهِ واستقلالهِ والتعاون عليهِ

للطبيب الذكر خليل غانم مندوب سوريَّة سنة ١٨٧٧

توطئة

قصدت حضرة ارملة المرحوم خليل غانم مدينة بيروت بعد وفاة زوجها فاستوطنتها ثلاث سنوات وافادتنا اشياء كثيرة عن قرينها فقيد الاوطان واطلعتنا على بعض كتاباتهِ الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسية التي نُشر بعضها في اوربَّة ومصر فاخترنا منها فصلاً مهمًّا كتبهُ في العمل وشروطهِ وفوائدهِ والتضافر على إنجاحهِ وتعميم منافعهِ فانَّ فيهِ من حسن النظر وإصابة الرأي ما يحقّق قول الكاتبين منهُ انهُ كان من كبار السياسيين والاقتصاديين يجدر بوطنهِ ان يفتخر بمثلهِ. وهذه خلاصة ترجمتهِ

ولد خليل غانم في بيروت سنة ١٨٦٦ من اسرة وجيهة عُرف اكثر افرادها بالفضل وتعدُّد الخدم لوطنهم وطائفتهم فتخرَّج في شبيبتهِ في مدرسة الاباء اللازاريين في عنطورة وبعد ان اتقن فيها الافرنسية حق امكنهُ بعد ذلك ان يكتب فيها ويخطب وينثر وينظم انكبَّ على درس اللغات العربية والتركية والانكليزيَّة واتقنها كلها. وما بلغ السادسة والعشرين من عمرهِ حتى قُلِّد عضويَّة مجلس تجارة بيروت ثم عين ترجماناً لمتصرفيتها ولولاية سورية وتقلَّب في الوظائف وهو يبرهن فيها كلها عن مقدرة وسموّ ادراك واستقامة حتى بلغ الى منصب الترجمة في الاستانة العلية في الوزارة الخارجية ثم في الصدارة العظمى. وفي اثنا ذلك أُعلن بالدستور في اول سلطنة عبد الحميد الثاني فاسرعت سوريا الى تعيين خليل غانم كاحد مبعوثيها في مجلس النوَّاب وكان اول من عهد اليهِ النظر في قوانين الدولة الدستورية لاعداد النظامات التي تقترح على مجلس المبعوثين. وكل يُعرف كيف أُبطل ذلك الدستور باستبداد السلطان عبد الحميد واضطرَّ خليل غانم الى ان يفارق بلادهُ لكنَّهُ وقف حياته على خدمة وطنهِ في الغربة وقضى بقيَّة عمره الى وفاتهِ سنة ١٩٠٣ في الانشاء والكتابة حتى عُد من ارباب القلم ولو جُمعت تآليفهُ لانافت عن بضعة مجلَّدات. ومن صفاتهِ الطيبة انهُ كان ابيَّ الطبع عفيف النفس اراد السلطان السابق ان يبتاع سكوتهُ عن المسألة الشرقية بالدرهم فردَّ تلك الهبات مفضِّلاً عليها صدق النيَّة واخلاص الخدمة لوطنهِ. ومما بدرنا ذكرهُ من صفاتهِ الحميدة استمساكهُ بدين اجدادهِ واقامهُ لواجباتهِ الدينية بكل تدقيق كما اكَّدتهُ لنا السيدة مباري قرينتهُ وكما يدلُّ عليهِ مجموع قصائدهِ في السيد المسيح. ومما تمنَّاهُ انخليد ذكرهِ بيننا أن يُنصَب تمثالهُ في احدى ساحات بيروت كما طلب ذلك جناب الارمني الاديب امين افندي ارسلان وأعدَّ التمثال على نفقتهِ فتكون صورتهُ بيننا كآية الشهامة والاقدام والتفاني في سبيل الوطن

ل. ش

الفصل الأوَّل

في ما هو العمل

العمل قوام النموّ وعماده المتين وركنه المكين وهو اما معنوي او حسّي فالاول ما يعمل الكاتب بهِ والشاعر والمؤلف والمخترع ونحوهم. والثاني ما يعمل الحائك والخياط والصباغ والنقاش وامثالهم والعقل اساس الاعمال المعنوية وهو يتخلل الحسيَّة لما بين الفكر والعمل من الاشتراك. وكيف كان العمل فهو حقُّ عامله اي ملكه المطلق يتصرف فيهِ كيف يشاء فلا يغتصب ولا يستملك منهُ الَّا ظلماً واعتداء فان الاستملاك منكر سواء وقع على العمل او على عامله الَّا ان يكون العامل قد اجر نفسه من غيره بقبل معيَّن فصار عمله ملك غيره برضاه واختياره فلا اغتصاب في الامر ولا نكر فيهِ. وقد يبيِّن لسنَّة الله وحكمتهِ في عباده اذ انهُ رفع منهم ووضع ووصل بينهم بالاحتياج المتبادل فالفقير يحتاج الى الغني كما يفتقر الغني الى الفقير فسبحان الغنيّ القدير المتنزه

عن الحاجة وانما جعل العمـــل دواء لداء الإعواز فكان جالباً للمسرّة دافعاً للمضرّة موجباً للراحة والسعادة

وللاعمال فيما يقول « غارنيه » ثلاثة مجارٍ وهي الاختراع والادارة والاجراء . فزيد يخترع ويدفع ما اخترع الى عمرو ليهيّئ اسباب إجرائه ثم يدفعـهُ الى العمّلة يجرونهُ بحركة الايدي او الارجل او بحركتهما جميعاً . واعلم ان للحكام الكلمـة النافذة والسلطة الغالبة في دوائر الاعمال فاذا لحظوهـا بعين العناية انفتحت ابوابها وتوفّرت اسبابها واذا مدّوا ايديهم لتوقيف حركتها بتحديد مجاريهـا فسدت امورها وتلاشت احوالها . اما اهتمامهم بالاعمال فيكون على وجهين الاول ان يؤيد الحاكم الامن والحرية لاربابها . والثاني ان يقضي بينهم بالعدل اذا تخالفوا فان لم يفعـل ذلك فان العاملين لا يأمنون على انفسهم وعلى اموالهم وثمرات سعيهم واجتهـادهم فتنقبض ايديهم عن الاعمال الّا ما يدفع الحاجة ويحصل به القوت الضروري كما نرى ذلك في البلاد الخالية من العدل والامن . قال احد الفضلاء : ان الحكومة المختلّة الاحوال المنحرفة عن العدل تكون سبباً في ضياع ملايين لا تحصى من المال فمهما تبذل الرعيـة من مالها في سبيل الحصول على ادارة منظمة فذلك قليل في جنب ما ينشأ عن تلك الحكومة من المنافع والفوائد

واقول ان الادارة الحسنة لا تقتضي كلفة جسيمة او نفقة واسعة وغيرها تقتضي ذلك فان منافعها الناشئة عن التحرّي والاحتساب لا تعدّ ولا تحدّ . ثم ان العمل القائم بالاجور ينتجها الانسان من عمله وفي كل عمل فائدة ان لم تُصِبْك فانها تصيب جارك او عميلك او شخصاً آخر فان لم تحصل الفائدة تلاشى العمـل . والاجرة نوعان : الاول ما يسمّى بالالتزام او المقاطعة وهو ان تعهـد الى من تشاء عملاً باجرة معلومة يقوم فيه بنفسه مأجوراً عليه لا على ساعات الاشتغال فيكبّ على العمل في الليـل والنهار لا يتفرّغ منهُ ساعة بل لو استطاع لوقّف الشمس عن حركتها كما فعل ابن نون الّا انّ ذلك الاجتهاد ربّما ضرّ العمـل والعامل فلا يكون العمل مستكملاً لأسباب الاتقان امّا العامل فيلوهُ ضعف البدن وسقمه . وقد رأيت كثيراً من اهـل بلادي يعاملون البنّائين بالمقاطعـة فيعرضون بذلك اموالهم للضياع وارواحهم للتلف فان البنائين اذا اجروا العمل التزاماً جعلوا همهم في سرعة انجازه وتقليل اسباب متانته لتقـلّ بذلك

النفقات فيحصل لهم الربح من زيادة الاجرة على المصروف فلينتبه لذلك اصحاب الابنية ولا يطمعوا في فرق الكلفة اليسير مخافة الوقوع في الخسارة الجسيمة فقد يخسر الانسان اذا افرط في طلب الربح. امّا ارباب الفلاحة فالجدير بهم ان لا يؤجروا الفعلة للقطاف التزاماً مخافة ان يقطعوا الشجر للتوصل الى الثمر. وامّا الحصاد فلا بأس في استعمال الفعلة فيه بالمقاطعة

وامّا النوع الثاني من الاجرة فهو المُياوَمة اي ما يعطى للفاعل من العوَض اليومي وهو احسن النوعين نتيجة فان العامل بالاجرة اليومية لا يتعجّل العمل لعدم وجود المطمع ولا يتهامل فيه مخافة ان يطرده المؤجر فيكون اشدّ غيرة واحسن صنعاً من الاجير بالالتزام. ومعظم الاجور في فرنسة يومية سواء كانت الاعمال صناعية او زراعية. وامّا في انكلترة فجلّها التزامية والسبب في ذلك ان اكثر اعمال الانكليز قائمة على حفر الآبار واستخراج المعادن وطرق الحديد وغير ذلك ممّا لا يقتضي الدقّة والتأني كما يقتضيه نسج القماش وغيره من الصناعات الدقيقة. على ان فاعل الانكليز لا يكاد مع ذلك يخلو من الشغل حتى شبّه بآلة يحرّكها البخار ومن اجل ذلك كانت بلادهم اغنى البلاد وان لم يكن سكانها من اسعد العباد...

وافضل الاجور الاجرة اليومية مضافاً اليها سهم او بعض سهم من الكسب كما يفعل بعض تجار بلادنا مع كتبتهم وبعض اصحاب المعامل في الديار الاجنبية مع الفعلة فيكون الماهر اي الاجير عاملاً وشريكاً معاً فيبذل المجهود في اتقان العمل والحرص على المصلحة والسعي في تحصيل المنفعة رجاء ان يحصل له النفع في الحال والاستقبال

امّا العملة عموماً فيمتاز بعضهم عن بعض بالصفات والعادات والخلائق فقد عُرف فعلة انكلترة بفرط الهمّة وعظم الاقدام. وفعلة المانيا بالرزانة والصدق. والفعلة السويسريون بالامانة والاستقامة. والفرنسويون بدقة الصنعة وحسن الاختراع وزخرفة العمل. والايطاليون باللهو والاهمال. والصينيون بالصبر واتقان المصنوعات المحتاجة الى الزمن الطويل. واهل بلادنا عموماً بالتجلّد واحتمال المشاقّ والرضا بالقليل والسكون الى الراحة في كثير من الاوقات والمحافظة على تقاليد القدماء واساليب السلف حتى ان صناعتنا وزراعتنا لا تزالان على مثل ما كانتا في زمن نوح عليه السلام. ولا انكر ان القناعة تكون الى حدّ ما فضيلةً وانها كما يقال كنزٌ لا يفنى الّا اني اراها تتحد عند

قطة الافراط بالكسل والاهمال ولذلك اسأل الله ان يوفق اهل اوطاني الى الاقتداء بالافرنج في جدهم واجتهادهم وان لا يزدروا بما يرون من آثار فضلهم ولا يطمئنوا على منافستهم في فضل الجدود ولا يغرّوهم قرب العهد بالتمدن فقد قيل :

ان الفتى من يقول هاءنذا ليس الفتى من يقول كان ابي

ولا ارى الافرنج ينكرون فضل جدودنا الّا ان اعترافهم بهذا الفضل لا ينفي تقدمهم علينا في مسالك المدنية ولذلك أخاف ان يقولوا لنا : نعم الجدود ولكن . . .

الفصل الثاني

في تجزئة الاعمال

اعلم ان الاعمال وافرة لا تحصى عدداً ولا تُحصر نوعاً وانها تزيد على حسب زيادة الحاجات وتقدّم الناس في الحضارة واتساع الثروة وكثرة دواعي الترف والنعيم . ثم ان المصنوع الواحد يحتاج الى عدة من الصانعين لتعدّد الاجزاء والادوات وعجز الانسان الواحد عن القيام بها جميعاً بحيث لو اضطرّ الى مداركة جميع حاجاته بنفسه اي غير مستعين بابناء جنسه لبقي السعي الانساني مقصوراً على ضروريات المعاش الحيواني بل كنا معاشر الناس اسوأ حالاً واضلّ سبيلاً من الحيوان فان حرمانه من مزية العقل وحرّية الفكر قد ابعد عنهُ مسئولية التبصّر الناشئة عن تلك الحرّية نفسها وكفاهُ مؤونة التفكّر في الغد فاندفع عنهُ ألم اليأس او ضعف الامل فلم يحتج الى السعي المستمرّ ولم يفتقر الى تجزئة العمل

اما فوائد تجزئة الاعمال فهي اكثر من ان تُحصر وقد انبتها المقتصدون بادئة لا تنكر وكيف ينكر تلك المنافع من يعلم ان عشرة فعلة في احد معامل الابر يصنعون ثماني واربعين الف ابرة فيكون مقدار ما صنع كل منهم اربعة آلاف وثمانمائة في حال كونه لو انفرد عن رفاقهِ مع وجود الآلات وتيسّر الادوات لما استطاع ان يصنع عشرين ابرة . او من يرى ان ثلاثين فاعلاً في معمل ورق القمار المعروف عند بعض الناس بالشدّة وعند آخرين بورق اللعب يصنعون في نهارهم خمسة عشر الفاً وخمسمائة شدة اي رزمة من ذلك الورق مع انهُ لو كُلّف بالعمل واحد منهم دون الآخرين لقصرت همته عن صنع شدةٍ واحدة وما ذلك الّا من بركات التعاون وفوائد المؤازرة

ولا تنكر مع ذلك مزيّة المعرفة الناشئة عن استمرار الممارسة وادمان المباشرة الموجبة للمهارة في العمل والسرعة في اتمامه كما يُرى ذلك في صغار المعامل كالافران مثلاً حيث يقوم الخبّاز على صنعته بمهارة ورشاقة تدهش الخاطر فلا يكاد الناظر يرى قطعة العجين على يده حتى يراها على الكارة رقاقةً وعلى البلاطة رغيفاً فيذكر قول الشاعر :

لم انسَ كارة خبازٍ مررتُ بهِ يدعو الرقاقة مثل اللمح بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفهِ كرةً وبين رؤيتها فوراء كالقمرِ
الّا بمقدار ما تنزاح دائرةً عن وجنة الماء بعد الرمي بالحجرِ

ولقد ذهل اهل بلادي عن منافع التعاون ورغبوا في الانفراد طمعاً يوجب الخسران او قناعةً يترتب عليها الضعف والاضمحلال فترى الحائك منّا قائماً على النول ينسج منفرداً وقلّ ان يكون عنده نولان بل لو استطاع الاستغناء عن الاجير لفعل . كما رأيت ذلك في احد انسبائي وهو رجل يقال لهُ ابو نوفل عرفتهُ في حداثة سنّي شيخاً معمراً ينسج الحرير في حانوتٍ حقير على نول صغير ولا صانع لهُ ولا اجير وكان مع ذلك متولياً امر بستان لهُ في حيّ الصيفي بتلك المدينة يربّي فيهِ الدود ويستخرج منهُ الابريسم لينسج بهِ الحرير كل ذلك على قدر الحاجة والكفاف حتى تحمل بستانهُ في احدى السنين فقصر عن الكفاء واحتاج ابو نوفل الى شراء الابريسم لنسج الحرير الّا انهُ لم يتململ من ذلك ولم يشكُ الفاقة بل كان غنياً بقناعتهِ ينشد بلسان حالهِ قول القائل :

ولبس عباءةٍ وتقرّ عيني احبُّ اليَّ من لبس الشفوفِ

ولكن ما بالنا نستحسن الفقر وضيق الحال وموضوع البحث والآمال انما هو توفير الثروة والمال بتجزئة الاعمال . . لا جرم انني انتدب قومي لاقتفاء اثر ابي نوفل فان القناعة وان كانت كنزاً لا يفنى الّا ان العمل افضل منها بالنظر الى العمران وسعادة الانسان فعلينا والحالة هذه ان نصرف جلّ الهمة الى التعاون على الاعمال بالقيام على تجزئتها ساعين بترقيتها وان لم يتيسّر لنا بداءة بدو ايجاد المعامل العظيمة والآلات الكبيرة فلا اقلّ من السعي في اصلاح ما عندنا من ذلك على انهُ لا يصعب علينا جلب انوال جديدة كالتي ينسج الافرنج عليها اقمشتهم العريضة الّا ان يكون قُضي علينا نحن الشرقيين ان لا نحوك اقمشتنا الّا بالانوال التي نُسجت عليها ثياب جدودنا وان لا نحرث

الارض الّا بالآلة التي حرث بها نوح عليهِ السلام . وايمن الله لو نُشر احد من سلفنا الاوّلين لمّا رأى من فرق بين حالنا الحاضرة وحال بلادنا ايّام كان صبيًّا ولقال حين يرى المنوال : هذا الذي نسجتُ ثوبي عليهِ . وحين ينظر المحراث : هذا الذي حرثت بهِ . وحين يرى الابريق : هذا الذي شربتُ بهِ والدني لم تعدل طينته ولم تتغيَّر قوالبه . وبالجملة ان داء الاهمال والاختلال تمكَّن في حالنا ولا دواء لهُ الّا ترك الاغراض الشخصيَّة ونبذ المقاصد الدنية والتعاون على الاعمال والمؤازرة على ما يعود بالنفع ويصلح الاحوال

ثم ان قاعدة التجزئة يتبعها الزرّاع بحكم البداهة اذ يعتبرون ان الارض التي تقتصر على زراعة صنف واحد من الزرع تكون اوفر غلّة واوفى ريعًا من التي تُزرع فيها الزروع المختلفة المتنوعة وان بعض الارض صالح لزروع الحبوب وبعضها لزرع الاشجار وهلمَّ جرًّا . مثال ذلك ارض داريّا بالقرب من دمشق فانها تنبت الكرم المشهور عنبه بالزيني وهو اجود العنب في الاقطار الشامية ولذلك فلا يغرس اهلها غيره في حال كون الارض المتاخمة لها لا تصلح لزراعة الكرم فان غُرس فيها لم يكن عنبه مماثلًا للزيني طعمًا ولا محاكيًا لهُ شكلًا . وان ارض حوران تنبت الحنطة والشعير الجيدين فيقبل اهلها على زرعهما . وان اهل لبنان يهتمُّون بغرس التوت والزيتون واهل مصر يزرع القطن والارز والبوشناق يغرس الخوخ وهلمَّ جرًّا . فلا اعتراض والحالة هذه على اتباع قاعدة التجزئة في الزروعات

واما في الصناعة فقد كثر المعترضون عليها يزعمون ان تجزئة الاعمال تجعل الانسان آلة صمّاء اذ ينشأ عن تكرار العمل الواحد خمود الفكر وجمود الخاطر وان اتباع هذه القاعدة في بلاد الافرنج قد جعل اصحاب المعامل يستخدمون النساء والاولاد فكان ذلك موجبًا للاضرار بالهيئة العائلية اذ تنقطع النساء بذلك عن تدبير المنزل والاولادُ عن طلب العلم في المدارس . فالجواب على ذلك ان الفعلة منتدبون للاشغال اليدويَّة فهم الى تحصيل المعاش والتفنن في اساليبه احوجُ منهم الى التضلُّع من العلوم بل الصناعة نوع من العلم توجب تهذيب الخواطر وتثقيف العقول . ولا ينقض ذلك قولهم ان تكرار العمل الواحد يحصر الذهن فيهِ فلا يتعدّاه فان من يصرف عمره في صنع الابرة قطعًا وتثقيفًا وثقبًا لا يكون اوفر ذكاء ممن لا يعاني الّا الثقب واني لاذهب في هذا الامر الى ما ذهب اليهِ « بابي » حيث قال : ان قيام الفاعل على العمل الواحد

يكرّره في جميع ايامه يجعله كامل المهارة في صناعتـه بل ربما دعاهُ ذلك الى اختراع وسيلة نافعة لها على انهُ لم يتعين على كل من الناس ان يكون استاذًا معلماً او حكيماً مهذباً او عالماً مخترعاً والّا حصل التساوي المطلق وامتناع القيام على الاعمال لاختلاف درجاتها المستلزم اختلاف درجات الرجال

اما استخدام النساء والاولاد في المعامل الصناعيّة فلا بدّ ان يلاحظ فيهِ اوّلاً ما يحصل للعائلة من الفائدة بكسب المرأة والولد وما تحتاج اليهِ الحالة الفقريّة من التعاون على اصابة الرزق. واما انقطاع الاولاد عن المدارس فهو اعتراض جوهري وامر ذو بال الّا ان عدم وجود المدارس الابتدائية في كثير من قرى البلاد غنيـة كانت او فقيرة يقوم في هذا الامر مقام العذر. وحسبك ان وزير معارف فرنسا قال في احد خطبه انه لا يمكن الاكراه على التعلّم الّا بعد انشاء المدارس الكافية في جميع القرى (١ على انهُ لا يسعنا ان ننكر ان كثرة استخدام النساء في المعامل قد اضرّ بالهيئة العائليّة في بعض البلاد من حيث قلّة النسل اذ طمعت المرأة في الربح فاسقطت حملها كيلا يعوقها عن مداومة العمل ولا يمنعها من تحصيل الاجرة الّا ان ذلك قليل الوقوع لا يعدل الفائدة التي تنشأ عن اشتغال النساء والاولاد سواء كانت من حيثيّة اصابة الرزق او من وجوه غيرها كالامتناع من الكسل والبطالة. ولا يتعذر تخفيف هذا الضرر او دفعهُ قبل حصولهِ بمنع الجنين من الاختلاط الموجب للفساد وبان يعيّن اصحاب المعامل مدرّساً للصغار من خدَمته يؤدّبهم ساعة او ساعتين في النهار كما يفعل كثير من ذوي المعامل الكبيرة في اوروبا . اما النساء فمن الواجب ان تكون اعمالهنّ خفيفة ملائمة لأمزجتهنّ وان يرفع عنهن الشاقّ من الاشغال وان كنّ قادرات على القيام باكثر اعمال الرجال كما تدلّ على ذلك حالهنّ في بلاد نابلس وجبل لبنان حيث يقمن على فلاحة الارض ونقل الاثقال في حال كون رجالهنّ (وذلك في النابلسيين دون اللبنانيين) يتقلبون على بساط الراحة وفراش الكسل فهم ومثلهم الحورانيّون يبذلون ما يستطيعون من المال للحصول على النساء القويات الابدان بخلاف عادة الاوروبيين اذ تبذل النساء المال للحصول على الرجال فالسعيد من اولئك مَن كثرت بناته كما ان السعيد من هؤلاء

١) ثمّ انّ التعلّم الاجباري من القوانين المجحفة بحريّة الوالدين اللذين كثيراً ما يكونان في حاجة الى شغل اولادهما (المشرق)

من كثر بنوه أفلا يستغرب ذلك نساء قومي الرافلات في اثواب الراحة او لا تراهُ النساء الاوروبيات خرافة ذوي اوهام او اضغاث احلام

ثم ان الصناعة تكون في المدن احسن حالًا واتقانًا منها في القرى لكثرة السكان والعمّال ووفرة الاستهلاك واتباع قاعدة التجزئة في الاعمال فان الرجل الواحد قد يكون في القرية نجّارًا وحدّادًا وزجاجًا معًا او حائكًا وقصّارًا وصبّاغًا وخياطًا فيستحيل عليهِ ان ينبغ في جميع هذه الصناعات بل يتعسّر عليهِ اتقان واحدة منها لاشتغالهِ بسائرها. واما في المدن فكلٌّ يسعى في شانهِ ويقوم بصناعته بل ربما اقتصر الرجل على فرع من العمل واستعمل غيرهُ في باقي الفروع. وقد بلغت تجزئة الاعمال في بلاد الافرنج غايتها القصوى حتى ان الطاهي الباريسي لا يتقن سوى لون من الطعام فلا يطبخ غيره وان في باريس ولوندرة وويانا وبرلين كثيرًا من الاطباء الذين مع معرفتهم بجميع الفنون الطبيّة يقتصرون على فنّ واحد منها كالجراحة او امراض العيون او الامراض الصدريّة او الحميّات وقس على ذلك سائر ارباب الصناعات فيما ان اطباء القرى يعالجون جميع الامراض على حد سوى مع كون اكثرهم من الجهلاء والدجالين الذين لا يحصل على يدهم الشفاء الّا بالموت والذين يصح فيهم قول الشاعر في ابن شمعون :

طبّ ابن شمعون على فضلهِ حكمٌ على هذا الورى يقضي
يمشي وعزرائيل من خلفهِ مشمّر الاردان للقبض

الفصل الثالث

في استقلال الاعمال

اعلم اوّلًا ان نجاح الاعمال وتكامل وسائل الاختراع والابداع متوقفان على الحرية والاستقلال كما ان تأخرها وتلاشيها من نتائج الرق والاستعباد وهي قضية مسلّمة لا حاجة فيها الى الدليل

اما الاستقلال فهو تصرّف المرء في اعمالهِ ونتائجها تصرّفًا مطلقًا في دائرة الشرائع الحقة والقوانين العادلة فانّ الحريّة الحقيقية قائمة بالعدل. وقال الحكيم بالي الانكليزي في تعريفها : الحريّة هي ان يحق للانسان ان يفعل ما شاء بحيث ينتهي بهذا الحق الى حق جاره في مثل ذلك فلا يتعدّاهُ فذلك عين العدل والاعتدال. وقال غارنيه : الاستقلال

في اصطلاح العلماء قائم بحرّيّة العامل في ان يختار ما يروم من الصناعات وان يبيع ما يصنع مَن يريد بما يريد من الثمن او البدل وان ينقل سلعتهُ الى حيث شاء متصرفاً في جميع ذلك تصرُّف المالك في ملكهِ وهو الاساس الذي ينبغي ان تبنى عليهِ قوانين الاعمال فان لم تكن احوال البلاد وساكنها مساعدة على ذلك فلا اقلَّ من ان يتخلل قوانينَها روح الحرّيّة تمهيدًا للطرق المؤدية الى هذه الغاية

واما الاستعباد فهو غلّ الاعمال وقيد الافكار سواء وقع على الصانع ام على مصنوعه فان الحرّيّة الشخصية منحت الانسان ان يكون عاملًا فاذا أُسر فانما يؤسر من اجل عمله وطمعاً في الانتفاع بهِ بدليل ان الذين تسوقهم دناءة انفسهم الى الاتجار بالرقيق لا يأسرونهم ولا يشترونهم الّا اقوياء اصحّاء الابدان وان العُجز والمقعدين والصبيان وارباب العاهات لا خوف عليهم من الاسر ولا هم يُستعبدون . ومن المعلوم الظاهر ان الرقيق لا يصرف همته الى ما يؤمر بهِ من العمل علماً منهُ بانهُ صائر بذلك الى احدى غايتين يتمنّاهما فامّا ان يطرده سيده فينجو بذلك من الرق واما ان يبيعهُ فيرجو من الانتقال رحمةً او فرجاً . وامّا الذين يضربون عُبدانهم سوقاً الى الاعمال وحثًّا على الاجتهاد عملًا بقول ابي الطيب

لا تشتري العبد الّا والعصا معهُ ان العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ

فلا يستفيد من ذلك الّا سخط الانسانية ونفور اهلها فان الاستعباد يذهب بشهامة الانسان فلا تؤثر فيهِ الاهانة ولا تحمله على الاجتهاد . وجملة الامر ان العمل مصنوع بيد حرة يكون احسن صنعاً واكمل وضعاً واوفر فائدة واجمل عائدة من العمل المصنوع بيد مستعبدة مضطرة ان عملت مثقال ذرّة او مثقال ذرّات خيرًا لم تَرَهُ

فلا جرم ان الحرّيّة التي مُنحت للانسان فميّز بها الخير من الشرّ والنفع من الضرّ وان المسئوليّة التي أُلقيت عليهِ ناشئةٌ عن تلك الحرّيّة قد رفعتاه الى الدرجات السامية التي كان يحسب همتهُ قاصرة عن الوصول اليها وانالتاهُ المقاصد العاليــة التي لم يكن يأمل الحصول عليها ولا غرو في ذلك فان الحرّيّة والاستقلال يوجدان في المرء الهمّــة والنشاط والصبر والثبات والحزم والاقدام والغيرة والحميّة والكرم والشهامة وغير ذلك مما لا يكون في المستعبد الاسير الذي تموت فيهِ الخصال الحميدة وتحيا الطباع الدنيئة الّا الذين قادهم الاتفاق الى الرقّ مع كبر نفوسهم عنه فالتمسوا النجاة منه وقليلًا ما

هم . على ان ما يكون في هؤلاء من محاسن المزايا انما منشأه تصوّر الحريّة والرغبة فيها وحسبنا دليلًا على ذلك ما نراهُ في بلاد الحريّة والقوانين العادلة المبنيّة على المساواة الحقة من ترقي العالم والكاتب والصانع والمخترع الى المقامات التي هم بنوالها حقيقون وما نجد فيها من المؤلفات الجليلة والاختراعات الجديدة والاكتشافات المفيدة والصناعات المفيدة فان جميع ذلك من عمل الاحرار المختارين لا الارقّاء المستعبدين بل الفضل لا يواطن الرقّ ولا يساكن الاستعباد فلا نجاح للاعمال الفكريّة ولا صلاح للزراعة والصناعة والتجارة الّا بالاستقلال الذاتي . وحجّتنا على ذلك حالة البلاد الاميركيّة فانها منذ نشطت من عقال العبوديّة اي من مائة وبضعة اعوام في النموّ والتقدم بسرعة لا مزيد عليها فعظُم عمرانها وكثُر ساكنها فصار عددهم نحو ٤٠ مليونًا (واليوم ٨٠ مليونًا) بعد ان كان في سنة ست وسبعين بعد السبعمائة والف نحو ثلاثة ملايين وهم الان راتعون في رياض الامن متفيئون ظلال الحريّة في بلاد واسعة الارجاء تعدل مساحتها خمس عشرة مرة من مساحة البلاد العثمانية وما سبب ذلك الّا الاستقلال . ولا ينبغي ان يظن بان الجمهوريّة من الشروط اللازمة لحصول التقدم فان النجاح حاصل في كثير من بلاد اوروبا الملكيّة الّا ان له شرطًا لازمًا وحكمًا ملازمًا وهو ازالة الاستعباد وملاشاة الاستبداد بوضع النظامات الحرة والقوانين العادلة مع العمل بها والمحافظة عليها والتوفيق بينها وبين احوال البلاد وطبائع اهلها

فان قيل خصب اميركا اصلي وثروتها طبيعيّة فلا مدخل في ذلك للحريّة والاستقلال . قلنا ان ارض المكسيك ومستعمرات اسبانيا في كوبا اوفر منها خصبًا واحسن طبيعة وهي مع ذلك في تأخر وانحطاط تشبّ بها نار الحروب الاهلية والفتن الداخلية فتخرب عامرها وتفسد صالحها في حال كون البلاد الاميركيّة راتعة في رياض السلم واردة من حياض الامن . وما احسن ما قالهُ في ذلك حكيم الفرنسيس مونتسكيو المشهور ومعناهُ : ان نموّ الغلة لا يكون على قدر خصب الارض ولكن على حسب استقلال اهلها فربّ ارض وعرة المنابت كثيرة الحزون جعلها اصحابها جيدة الخصب كثيرة الريع بما لهم من الاستقلال وما نالوهُ من الامن والعدل . وربّ ارض مخصبة التربة جيدة الموقع جفّت نضارة خصبها لخلوّها عن الامن وتزول الحيف والظلم بها فاصبح اهلها يئنّون تحت اثقال الفاقة ويجعلون بقيود العسر فانهُ لا نجح للاسرى المسترقّين بل

لا تكاد اعمالهم تفي بحاجاتهم الضروريّة فاذا عرض لهم عمل نافع يقتضي اليسير من الهمة والقليل من الاقدام اعرضوا عنهُ علماً بانهم لن يستفيدوا منهُ فائدة ولا يعود عليهم بعائدة

واعلم ان الحريّة الموجبة لاستقلال الاعمال نوعان حريّة معنوية وحريّة حسيّة والمعنى فيهما ظاهر فالبلاد التي حوتها تبلغ درجات الكمال في التمدن وحسن الحال والعكس بالعكس . ثم ان الحريّة المعنويّة تتقدم في الغالب الحريّة العمليّة فان الانفس تنزع اليها شوقاً ورغبةً فاما ان تنالها بالسلم والراحة واما ان تدخل جنتها تحت ظلال السيوف . ولما كانت الحرية كالماء الزلال الشديد البرودة وجب على القلوب الظامئة لها ان لا تتهافت عليها كما يتهافت الظمآن على المورد العذب فان ذلك يضرّ بالجسم وربّما جلب الوبال كما وقع للفرنسيس في ثورتهم الاولى عام ١٧٨٩ اذ اهرُقت الدماء وانتُهكت الحرم وقُتل البريء . ومن المعلوم ان امزجة الناس تختلف على حسب اختلاف المواقع فرب داء في انكلترة يعالج بمقدار من الدواء لو تناولهُ المصاب بذلك الداء في غيرها لما رأى منهُ الشفاء بل ربّما كان الدواء النافع في بلد مضرًّا في غيره . وهكذا الاستقلال الذاتي فلو مُنحت حرية الانكليز بتمامها للالمانيين مثلاً لأضرّت بهم فعلى الحاكم ان يتبين الطبائع ويتأمل الاحوال ويتفقّد الاخلاق ويتعهّد العادات ليجعل لقومهِ من الحرية ما يعينهم على سلوك سبل التمدن ويقيهم التهوّر في مهالك الافراط

ثم اعلم ان موانع الاعمال كثيرة ومنها الموانع الطبيعية وغير الطبيعيّة . فاما الطبيعيّة فمثالها البحور والجبال والاودية ونحوها ولقد ذلّلها الانسان بقوة عقله واجتهاده بل اتخذ بعضها وسيلةً للتسهيل وطريقةً للتيسير فكان البحر من حواجز تجارته وعوائق صناعته فالقى عليهِ خشبة تخترق امواجه وتعارض انواءه فصار واسطة للوصل بعد ان كان للقطع والفصل . وكانت الجبال اوتاداً في مسالكه فوطأها بالطرق الممهدة بل اخترقها وجعل لبواخره البرّية في قلوبها طرقاً سوية . ثم لم يكتفِ بجميع ذلك حتى رام ان يتخذ في الافق سبلاً فانشأ المركبات تطير بهِ مقرّبة للاذهان اخبار بساط سليمان . فان قيل ان سيرها لا يزال غير ارادي قلنا انَّ مَن قصد وعمل نال الامل

واما الموانع غير الطبيعية فقد نشأت في غالب الاحوال عن غفلة الانسان او عن اهماله وهو قادر على ازالتها لصدورها عنهُ . فاولها الجهل ودواؤهُ العلم . ثم الاخلاق

السيئة وعلاجها الادب . ثم الافراط في حب الذات وهو التناهي الموصوف بالغلط ودوائهُ اختيار خير الامور اي الوسط . ثم الغلوّ في الدين وعلاجهُ يسير

واما التفرّد في الاعمال وتقييد التجارة بالرسوم الباهظة والمكوس الداخلية والاخطار والامتياز وتداخل ارباب الحكم فيما لا يعنيهم كما كانوا يفعلون في اوربة قبل هذا العصر فجميع ذلك خطأ وضلال مصيرهما الى الزوال . فقد كان الحكام في فرنسة وانكلترة ينهون اصحاب المعامل الصناعية عن نسج الاقمشة الّا بمقدار ما أذنت فيهِ اللجان المشكّلة لذلك وقيل انهم كانوا يأمرونهم ان : « انسجوا من اللون الاحمر مقدار كذا . ومن الاصفر او الاخضر او غيره كل ذلك بمقادير معينة » . وكان الانكليز يمنعون الفرنسيس من المجيء الى بلادهم لكيلا يتعلموا صناعتهم او يقلدوا رسومهم وكان الفرنسويون يعاملون الانكليز بمثل ذلك

فهذه الموانع والحواجز لا تفيد فائدة لان الانسان ادرى بامور معاشه خصوصاً ما يتعلق بالاخذ والعطاء والصنعة والمهنة ولاجل هذه الاسباب وغيرها ما برح الاقتصاديون يحثون الحكام على تأييد الاستقلال بالاعمال وترك القواعد المانعة من سير التجارة والصناعة في مسالكها الطبيعيّة على حسب الملائم لاحوالها ولطبيعة العاملين بها وواقع بلادهم

الفصل الرابع

في التعاون على الاعمال

اعلم ان الوجه المفيد بل السبيل الوحيد للتعاون على العمل انما هو عقد الشركة والشركة اختلاط شيء بشيء كمال بمال او عمل بعمل وهو من الشرك بالتحريك اي حبالة الصائد لما فيهِ من اختلاط بعض حباله بالبعض ثم أطلقت على العقد مجازاً ثم صارت حقيقة عرفيّة كما ورد في الكتب الفقهية

والشركة نوعان حسية ومعنوية فالشركة الحسية معلومة فلا حاجة الى بيانها . واما المعنوية فهي الشركة يعقدها اثنان او اكثر للقيام على عمل معنوي دينيًا كان او علميًا كما لو اتفق زيد وعمرو على تأليف كتاب او اشتركا في عمل البرّ وجمع الصدقات ومن ذلك الشركات الخيرية والجمعيّات العلميّة

والشركة الحسية المالية كثيرة الانواع كما تعلم على اننا لا نروم البحث في انواعها فان القصد اظهار منافعها ولا ننظر في الشركة الخاصة الغرض ايضاح الشركة العامة وهي العقد بين مئين والوف كثيرة من ارباب رؤوس المال ينضم بعضهم الى بعض للقيام بنفقات الاعمال العظيمة كانشاء طرق الحديد والسفن التجارية والاسلاك البرقية وخرق الجبال ووصل البحار

وللشركة العامة فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى فلله درّ من فتح بابها واوجد اسبابها وجمع رأس مال الافراد كما تجمع قطرات الماء في الحوض للقيام بما يعجز عنهُ الفرد الواحد من عظائم الاعمال فان التاجر والاثنين بل الالف والالفين لم يكونوا قادرين على اختراق جبال الالب الفاصلة بين فرنسة وايطالية وعلى مزج البحرين يلتقيان بخليج السويس بل لولا وجود الشركات العمومية لما أُنشئت الطرق الحديدية ولا وجدت السفن البحارية ولا مُدَّت الاسلاك البرقية . ولا غرابة في ذلك فان ما لا يقوى عليهِ الواحد من الناس يستطيعه الجمع والقوّة المجتمعة اقوى من العدد الكثير

ولا شكّ ان نجاح اوربة وتقدمها في العمارة وحسن الحال وبلوغها اقصى درجات الكمال في المدنية والثروة كل ذلك ناشئ عن تلك الشركات المترتبة على استقلال الاعمال وروح الحرّية الذي انتشر في تلك الممالك فاحياها حتى ان ثروة الملوك التي كان يُضرب بها المثل لم تعد شيئاً يذكر بالنسبة الى ثروة الشركات العمومية

ومن العجب اننا مع ضعفنا المستلزم للتعاون مؤثرون للانفراد في الاعمال حتى لا ترى في اقطارنا شركة عمومية فاذا وُجد منّا مجتهد يرغب في انماء ماله فلا يتجاوز فكره حدّ الاثرة ولا يبالي بالرفيق او الجار ربّما سرّه بقاء غيره على مركز لا يتحوّل عنهُ او انحطاطه عن ذلك المركز لتحصل لهُ المزية والافضلية فهذه الاراء العقيمة والمقاصد السقيمة من الاسباب الذاهبة بثروتنا المانعة لتقدمنا ونجاحنا

امّا الافرنج فيكبّون على الاعمال وجمع المال لتوسيع المعاش في الحال والاستقبال ولا يجهلون ان الثروة الخصوصية لا تحصل الّا من الثروة العمومية فاذا يسّر الله لاحدهم رزقاً واسعاً افاض منهُ على عياله ما يوجب لهم الراحة والرفاه فاذا أتمت موارد تجارته مال الى الراحة وسلّم اعماله الى ابنه او نسيبه يديرها انتفاعاً بها او باع من احد الناس معرفة عملائه نكيلا تكون راحته سبباً في تلاشي اعماله الرابحة . وفيهم

من الغيرة وحب الالفة ومعرفة الحقائق ما يبعدهم عن الشقاق والاختلاف ويزلفهم الى الوفاق والائتلاف فتراهم يتنافسون ولكن في اتقان الاعمال ويتسابقون ولكن الى مراتب الكمال فلا يحسد احدهم الآخر على رزق اصابه او نعمة نالها ولكن يسعى للحصول على مثل ذلك بالوسائل الحالية من شبهات الخيانة وادران الغدر والخديعة

واما نحن فقد تولانا الحسد الذميم فشغلنا حال غيرنا عن شرنا او خيرنا فترى الرجل منا ينام باحدى مقلتيه ويسهر بالاخرى على مراقبة جاره يهد باليمين طريقه ويحفر بالشمال حفرة لاخيه يتمنى لنفسه الثروة ويجلب الفقر لصديقه . وعلى هذا السبيل المضل نرى التاجر والزارع والعامل والصانع والمأمور والكاتب والغني والفقير . فاذا شرع احدنا في امر نافع لم ننظر اليه من حيث هو بل نحكم على فساده بمجرد توهم العجز في صاحبه وبعبارة ثانية انا ننظر الى العامل لا الى الاعمال والى القائل لا الى المقال واذا وفر مال المرء فصار غنياً قلنا على مسمع من الناس انهُ اختلس المال او سرقهُ واذا قرن الله سعيهُ بالتوفيق زعمنا انهُ لقي في الارض كنزاً

وذلك فضلاً عن التعصب الديني والخلاف الجنسي فاننا بين مسلم ومسيحي واسرائيلي وهؤلاء بين الاجناس المختلفة والمذاهب المتنوعة نحسب المشاركة شركاً والموازرة ضلالاً . ومن كانت هذه احوالهم فكيف يرجى لهم النجاح او كيف يؤمل ان تكون لهم شركات عمومية وجمعيات تعاونية لا جرم ان ذلك لا يتم لهم الا اذا طهروا الانفس من ادران التعصب في امر الدين والجنس والبلد والمشرب حتى يكونوا امة واحدة في وطن واحد لا صلة بين امور دينهم وامور دنياهم بمعنى ان يكون الدين كما هو بالواقع ونفس الامر نظاماً للمعتاد وقانوناً للعبادات لا يمنع من اتحاد الناس وان اختلفوا فيه وبعبارة ثانية ان يكون بمنزلة الصلة بين المخلوق وباريه . فاذا طهرنا حقائق الاديان من اوهام التعصب الوخيم واخلصنا الانفس من شوائب الحسد الذميم توفرت لنا اسباب الاتحاد وانفتحت ابواب الموازرة التي لا عمران الا بها ولا نجاح الا معها والا فلا سبيل لخروجنا من خطة الهوان والشقاء والفاقة والعناء بل يكون مثلنا كمثل مريض احمق يعرض لهُ الدواء فينفر عنهُ متحملاً ألم الداء او مثل متناءٍ في الكسل شبت النار على مقربة منهُ وتعلقت باطراف ثوبه فاحرقته ثم نالت جثته ولم يطلب النجاة منها . الهمنا الله الغيرة فهي وسيلة النجاة وذريعة النجاح

الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانٍ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

مقدمة

ماردين احدى المدن الكبرى الشهيرة في بلاد الجزيرة موقعها فوق جبل عالٍ يُشرف على سهول ما بين النهرين الممتدَّة الى جهات الخابور وضفاف الفرات على مسافة ٨٨ كيلومتر من دياربكر في جنوبها الشرقي وبيوتها راكبة فوق بعضها على منحنى الجبل من جهاتهِ الثلاث والجهة الرابعة تمتدُّ فيها الحدائق الغنَّاء والبساتين المخصبة الجامعة لضروب الثمار الجنيَّة والبقول الطيبة الحرَّة. وفي رأس الجبل قلعة حريزة واسعة الارجاء مرتفعة الاسوار يرقّيها البعض الى عهد ملوك الاشكانيين في قرون النصرانيَّة الاولى فشيّدوها على ما هو المظنون في وجه الرومان ليمنعوا بها بلادهم عن غزواتهم فكانت من ثغورهم الحصينة كما انَّ الرومان جعلوا في قربها مدينة نصيبين ليردُّوا غارات الفرس فكانت تلك البلاد كدار حرب متواصلة

امَّا اسمها ماردين فقد اشتقَّهُ كتبة العرب من التمرُّد والعصيان والاصحّ انَّهُ دُعيت بذلك لاحتلال المرَدَة فيها وكان المرَدَة قوماً من العجم شديدي البأس ومعنى اسمهم في لغتهم رجال القوَّة وذوو البطش. وبقيت ماردين في حكم الفرس الى ظهور الاسلام ففتحها العرب وتناقلت في ملكها الدول الاسلاميَّة الى ان صارت في حكم بني أرتق في القرن الثالث عشر للميلاد فعضَّدوها وزيَّنوها بالابنية والقصور والمدارس ولمَّا ظهر تيمورلنك في اواخر القرن الرابع عشر امتنعت عليهِ ماردين مرَّة اولى ثم حاصرها سنتين ففتحها ثم صارت بعد ذلك في حكم آل عثمان مع بقيَّة بلاد الجزيرة

امَّا الدين فيظهر من بيعها وخصوصاً بيعتي الكلدان والارمن ومن آثارها المختلفة ان النصرانيَّة انتشرت فيها منذ اجيال عديدة حتى القرون الاولى للميلاد. ولمَّا فشت بدعتا النسطوريَّة واليعقوبيَّة جعلتا ماردين احدى مراقع نزاعهما الَّا انَّ اليعقوبيَّة اضحت اثبت قدماً واعزّ جانباً لسكون بطاركتها في دير الزعفران قريباً من ماردين ولم يكن

للكثلكة في تلك المدينة كلمة راجعة الى اواسط القرن السابع عشر حيث ابتدأت نهضة الكاثوليك في بلاد الشام وما بين النهرين بهمّة بعض المهتدين وخصوصاً بساعي المرسلين اللاتينيين وكان اوّل من نشر الايمان في ماردين منهم الكرمليّون والكبوشيون نحو السنة ١٦٤٠ فردُّوا بعض الارمن والسريان

وفي السنة ١٦٦٢ اتفق السريان الحلبيّون الكاثوليك بعد وفاة يشوع ابن قشه اليعقوبي على انتخاب بطريرك كاثوليكي يردُّ ملّتهُ الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة فاختاروا لتلك الرتبة كاهناً فاضلاً اسمهُ اندراوس اخيجان كان اصلهُ من ماردين هداهُ الى الايمان الاب ميشال نو اليسوعي وارسلهُ الى رومية فتهذَّب في مدرسة الموارنة واحرز العلوم الدينيّة ثم رجع الى بلاده . فلمّا سيم بطركاً اخذ يسعى باثارة ملّتهِ لكنَّ الظروف لم تسمح لهُ بالابتعاد عن حلب فأرسل الى ماردين الاب ميشال نو والاب رينه بيليون والاخ هيلار لينشروا هناك العقائد الكاثوليكيّة بين اليعاقبة . فقصدوا نحو السنة ١٦٧٩ واخذوا يرشدون الناس ويثبتون صدق التعاليم الكاثوليكيّة فردُّوا كثيرين من الهراطقة . غير ان بعض اليعاقبة لم يذعنوا للبطريرك الشرعي واتخذوا لهم بطريركاً دخيلاً اسمهُ عبد المسيح الرهاوي فاثار هذا مع اهل ملّتهِ وخصوصاً احد زعماء شيعتهِ المسمّى عبد النور وابنهِ موسى وكهنة اليعاقبة فتنةً عظيمة على الكاثوليك ورشوا حكّام المدينة فقبضوا على المرسلين اليسوعيين وكبّلوهم بالحديد واذاقوهم في الحبس الوان العذاب ولم يطلقوا سبيلهم الّا بعد ان اغرموهم مالاً وافراً والزموهم ان يعودوا الى حلب وكانت وفاة الاب ميشال نو في فرنسة بعد ذلك بقليل في ٨ آذار سنة ١٦٨٣ (١)

على انَّ الكاثوليك في ماردين بعد نفي اليسوعيين بقوا في حيرة معرَّضين لاضطهادات اليعاقبة الى السنة ١٧٠٠ ففي تلك السنة جاء ماردين احد ابنائها الارمن الكاثوليك المدعو ملكرن طازباز الذي كان ولد سنة ١٦٥٤ ثم درس في رومية في مدرسة مجمع انتشار الايمان فعاد الى وطنهِ وكان من اكبر سعاة الدين الكاثوليكي فيهِ فردَّ معظم الارمن الغريغوريين وقسماً كبيراً من السريان اليعاقبة كما سترى من رواية الاثر الذي ننشرهُ آنفاً

---

(١) تجد تفاصيل رحلتهِ الى ماردين ونبشيرهُ فيها في مجلّة الابحاث (Etudes, 1877³. §82 -601)

وهذا الاثر عبارة عن كتيب صغير الحجم كُتب منذ نحو ١٥٠ سنة ألفهُ احد تلاميذ القسيس ايليا وهو لا يذكر اسمهُ وانما يدعو القس ايليا معلمهُ ويروي خبر رجوعهِ عن لسانهِ بقولهِ: قال معلمي. وايليا هذا يُعرف بابن كزير ذكرهُ حضرة القس اسحاق ارملة في كتابهِ الزهرة الذكية في البطريركية السريانية الانطاكية (ص ٩١—٩٥) ولا يشير فيهِ الى الكتاب الذي نحن في صددهِ ولعلهُ لم يقف عليهِ. كُتبت هذه القصة باللغة الدارجة في ماردين فرويناها على لهجتها لم نغيّر منها الا بعض الاغلاط الظاهرة التي تعبث بالمعنى في شيء. وهذه النسخة قد وقع من وسطها وآخرها بعض صحائفها فطلبناها في مظانها فلم نجد منها نسخة ثانية ولعل نشرها يكون داعياً للبحث عن باقيها. وكان حضرة الاب الدومنيكي س. شيل المرسل اللاتيني في الموصل حصل على نسخة من هذا الاصل الذي في يدنا فنقلهُ الى الافرنسية ببعض التصرُّف ونشرهُ في مجلة الشرق المسيحي (ROC, I, 42-87) اما الاصل العربي فلم يُنشر حتى الآن. وهو:

بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد

نبتدي بعون الله وحسن توفيقه ونكتب قصة القسيس ايليا وما جرى لهُ

(قال): لما كانت السنة الف وسبعمائة مسيحيَّة جاء الى بلد ماردين ابونا ملكلاً ورتبيت ابن مقدسي مراد من بيت طازباز رسولاً من البيعة المقدَّسة تلميذاً ومعاون في مدرسة انتشار الايمان الحقيقي الذي في مدينة رومية المعظمة. ولما وصل الى ماردين نزل في بيت ابيهِ. وكان قليل ناس في ماردين من الكاثوليكيين وكانوا هل ماردين كلهم متعصبين وثابتين في الهرطقة فبالتلطف والمعاني والتعاليم الالهيَّة اجتذب بعض الناس العقلاء الى ايمان البيعة المقدَّسة. ولما استمعوا الهراطقة بهذه التعاليم صاروا يوشوشون عليهِ ويدمدمون وارادوا قتلهُ وتجريعهُ الى الحكام فاحتمل عنهم اضطهادات كثيرة وكل ما كان يكثر الاضطهاد كانت تكثر اولاد الكاثوليكيين من النساء والرجال وكان سيدنا الورتبيت المذكور يعرّفهم ويقدّسهم سراً. ولما تزايدوا وغت جماعة المسيحيين طلبوهُ ان يمضي الى كنيسة مار جرجس التي في ماردين الى طائفة الارمن فهو قال: ان لم ترفعوا الهرطقة التي في بيعتكم فلا ادخل فيها ولا اقدس ولا اكرز. فتشاوروا

بعضهم مع بعض ورفعوا المرطقة من كنيستهم ولكن بعض الناس من المقرقعين (١ صاروا يدمدمون ويضطهدونهُ ويشوشون قلوب الناس والبعض انعزلوا من الكنيسة وصار تشويش كثير وخسارات كثيرة وانقسم الشعب الى قسمين حتى ان البعض من اهاليه واقاربه كانوا يضطهدونهُ ويريدون قتلهُ ورجمهُ حتى ان يوماً من الايام امرأة من عجائز السوء في وسط الكنيسة ضربتهُ وكسرت عكازتهُ وخرقت ثيابهُ وقباعتهُ وهو احتمل كالخاروف الوديع . وايضاً طائفة اليعاقبة كانوا يعملون عليهِ اضطهادات كثيرة ما تحصى حتى التزم يمضي الى كنيسة بربارة التي هي غربي ماردين وكانت كنيسة خربة متروكة من زمان ونظّفها من الزبالات التي كانت بها ورسمها وصار يقدّس فيها وكانت الناس افواجاً افواجاً يمضون اليهِ حتى يعترفوا ويتقربوا فكثر حسد المراطقة وزاد

وارادوا ان يقلعوهُ من هناك ايضاً فما امكنهم بل صار لهُ خسارات كثيرة جسدانيَّة وكنت تبصر الناس في ايام الشتاء والثلوج في الليل يمضون ويروحون الى كنيسة القديسة بربارة وكانوا يوماً عن يوم يزدادون وينمون وانعزل من الكهنة ومن الشمامسة ومضوا اليهِ

فلمَّا عاينوا اعيان الطائفة جمعهم تبعوهُ وبمشورة حاكم البلد جابوهُ من كنيسة القديسة بربارة الى كنيسة العامرة في ماردين بيعة مار جرجس واقام بها وصار يصلي وصار رئيساً على الجميع ورفع جميع المرطقات من الكنيسة ومنع الكهنة الذين لم يرذلوهم من تقديم القربان . فاشتهرت اخباره في جميع البلاد مثل دياربكر والرها وحلب وعينتاب وطوقات واستنبول وارض الروم وغيرها وجاء اليهِ من التلاميذ شمامسة بتوليون عالمون ماهرون في اللسان الارمني واقاموا الصلوات في الكنيسة وصار هو يعلمهم ويسقيهم ويكسيهم ويعلمهم العلوم مثل النحو والمنطق والفلسفة وكانوا كلهم من اولاد اشراف البلاد الكاثوليكيين

وجاء ايضاً من عينتاب شماس اعمى من العينين لكن كان قلبهُ مفتوحاً لانهُ كان يقرأ جميع الكتب المقدسة وتفسيرها من ظاهر قلبه وكان اسمهُ شماس ترسيس وجاب معهُ ايضاً شماسين من عينتاب الواحد اسمهُ ابراهيم والآخر اوهان . فلمَّا عاينوا الكهنة المقرقعون ما جرى لهم ازدادوا حسداً وكادوا ان يفطسوا ويموتوا من حسدهم فالتجوا الى

(١ المقرقع في لسان اهل ماردين وحلب الرجل القرتار الابله

اليعاقبة الى بطرك كوركس (١ الموصلي وهذا كان رجلاً هرطوقياً عنيداً فاشار عليهم ان ينزلوا منه واعطاهم مكاناً في كنيسة اربعين شهيداً (٢ التي في داخل ماردين وصاروا هم يصلون في جانب واليعاقبة في جانب وانزلت معهم من تابعيتهم مقدار مائتي نفس من رجال ونساء وصبيان ومعهم شملستهم المترقون فبقوا مقدار سنة يصلون في الاربعين

قال معلمي: وكنتُ انا ايضاً هرطوقياً شديداً جداً وكنت اغار كثيراً على الهرطقة وكنتُ شماساً كبيراً وكاروزاً في الاربعين وصرت اكرز على الطائفتين واثبت لهم الهرطقة. فلما استمع بي ملكون الورتبيت المكرَّم صار يرسل اليَّ اناساً يجادلوني افواجاً افواجاً يوماً بيوم وصاروا يتوسَّلون بي ان اروح احضر عندهم لكن انا الفقير كنت امتنع وازداد عصياناً بالازيد. فلما صار مقدار سنتين زمان بعد مجي ملكون الورتبيت الى المدينة يوماً من الايام في اول احد الصوم وكان نهار شاتي ألهمني الله ان اروح ادخل الى عند هذا الاب المكرم وهو ليس يعرفني بالوجه بل بالاسم. فلما مضيت اليه قبل الظهر وجدتهُ في القلاية وحدهُ فسلمت عليهِ ولم اقبل يديهِ فسألني: من اين انت يا اخي ومن اي بلد ومن اي طائفة؟ فقلتُ لهُ: انا حلبي. وكلمتهُ بلغة اهل حلب وقلت لهُ: انا من طائفة السريان. فترحب بي وبدأ يقول: كيف حال ابونا البطرك فصرت اصفهُ. وبينما نحن هكذا نتكلم مع بعضنا اذ جاء واحد من الشملسة كان يعرفني وفتح باب القلاية ليدخل فلما ابصرني رجع الى خلف فتعجب الورتبيت من رجوعهِ وزعق عليهِ (٣ فلم يردّ ولكن بعد قليل نظرتهُ قد جاء رجاب معهُ ثلاثة او اربعة من الكاثوليكيين. فلما دخلوا الى القلاية بفرحة عظيمة واحد بدا يحلّق قدامي ماشة النار (٤ والآخر سفوداً والاخر مفتاحاً فصار الورتبيت متعجباً منهم فاجابهم قائلاً: هل تعرفون هذا الرجل حتى تعملوا معهُ هكذا. فقالوا: كيف ما نعرفهُ هذا هو شماس ايليا ابن الكزير الذي تسأل عنهُ وترسلنا اليهِ وهوذا قد جاء برجله ها هو وها انت. ففرح الورتبيت فرحاً عظيماً وامر ان يعملوا قهوة واذ نحن في النية حتى نتكلم مع حضرة الورتبيت الّا وقد جاء راهبٌ هرطوقي

١) هو جرجس الثاني اليعقوبي ولّاهُ اليعاقبة البطريركية سنة ١٦٨٦ فبقي فيها الى السنة ١٧٠٨ وكان من ألدّ اعداء الكاثوليك (اطلب تاريخ البطريركية السريانية لحضرة القس اسحاق ارملة ص ٩٠–٩٢)

٢) هذه الكنيسة اكبر كنائس اليعاقبة في ماردين الى يومنا

٣) زعق عليهِ اي انتهرهُ

٤) يحلّق اي يربي والماشة الملقط. يريد بذلك اكرامهم لهُ

يقال لهُ مفريان شمعون الطوراني ومعهُ شماس فلما ابصرني اندهش وقال: كيف جيت ياشماس الى هاهنا. فاعتذرتُ قائلاً: اني هربت من المطر لان كان بيتنا مجاوراً هذه البيعة فلما بدأوا بالحديث مع بعضهم بعض بدأ المفريان يجيب امثالاً زقاقية ليست من الكتب فحزنتُ انا وانحسرتُ جداً وقمت رحت وخليتهم . وبعد ما رحت جاء لعند الورتبيت واحد من الخواجات يقال لهُ خواجا عبد المسيح ابن خواجا اصلان وكان من اشراف الطائفة متخاصماً مع المفريان وطردهُ من عند الورتبيت وقال لهُ: انتم يعاقبة ونحن ارمن ايش لكم منا. انتم في حالكم ونحن في حالنا تريدون ان تعملوا بيننا فتنة. قال معلمي: فمضى المفريان واشتكى عليَّ عند البطرك

فعند صلوة المساء عاد البطرك وقال: اين كنت اليوم ياشماس ايليا . فنظرت ما بقي يخلصني الّا الصدق . فقلتُ لهُ: كنت عند ملكون ورتبيت. فقال لي: لماذا كان رواحك اليه لاي سبب . قلت: رحت حتى ابصرهُ واجادلهُ وجهاً بوجه ولكن قبل ما تكلم مع بعضنا بعض الّا جاء المفريان ومعهُ الشماس ابن سيدي. فقال: لماذا لم تسكنْ مع المفريان لان المفريان يقول: حين ما رأني هرب هذا الذي اتتهُ لنا كاروزاً على طائفة السريان ومنعتَ المطارين والرهبان من الكرز . فاجبتُ انا البطرك وقلت: انني هربت من ضعف كلامهِ لانهُ تكلّم بجهل امثالاً زقاقية ليست من كتاب ولا من انبيا ولا من رسل ولا من معلمين . فقال لي: أيكون ايضاً قد افسد ضميرك ابن الطازباز لان هؤلاء كل من رأوهُ معلماً ويفهم شيئاً يصرفون عليهِ ويلجون ان يفسدوا نيَّتهُ لكن انت كن ثابتاً ولا تظن ان في الدنيا ايماناً الّا ايمان السريان وهو مثبوت من جميع المعلمين وهؤلاء ينسبوا المعلمين والرؤساء والابهات الفائقة ويقولون انهم كانوا على اعتقادهم ونحن نقول كيف يمكن ان يكون طبيعتان ومشيئتان بعد الاتحاد لان الاتحاد قد جعل الطبيعتين طبيعة واحدة والمشيئتين مشيئة واحدة والاقنومين اقنوماً واحداً . فقلت لهُ: انا قد تعلمت هؤلاء من صغري فما بقي احد يقدر يمنعني عن اعتقادي. فقال: لماذا ما اصطبرت حتى تعاون المفريان. فقلتُ لهُ: ما قلت لك لانهُ تكلّم باشياء لم تناسب العقل وخفت ان يصير قلق وفتنة فخليت وهربت . فقال: ايضاً انا قلبي يخاف منك لان هؤلاء يعلقونك مثلما علقوا غيرك لان اي من صار معلماً في السريان افسدوهُ مثل بطرك اندراوس وبطرك بطرس

ومفريان اسحاق ابن جبير ومطران عبد الجليل الموصلي ومطران ايشوع الحلبي واسقف سفر الماردينى ومطران كرنوك الدياربكرلي (١ وغيرهم من القسوس والشمامسة الذين قبلوا التسركل (٢ والتفي وكانوا اغنياء وافتقروا من دفع الغرائم وخلوا ايمانهم الذين ولدوا فيه وتبعوا ايمان البابا الروماني. فقلتُ لهُ: لعل هؤلاء جميعهم كانوا جهلاء او قليلي المعرفة او ليس كانوا فحصوا الكتب. فقال: لا كانوا علماء ولكن الشيطان اطغاهم. فقلت: حاشا ان تكون من افعال الشيطان هل يمكن ان هلقدر سلاطين وهلقدر معلمين وباطرية (٣ ان يغلطوا. او يروحوا جميعاً الى جهنم. فقال: نعم جميعهم في جهنم والبيعة المقدسة هي بيعتنا وما يمكن طائفة تخلص الا طائفتنا. وطال الكلام بيننا وبينهُ فقلت لهُ: طائفة الروم كيف هي أما لها خلاص مع كونها تريد الف رأس على طائفتنا عن موجب ما نسمع فهل ايضاً كلهم يهلكون. فقال: نعم. قلتُ: والوارنة ايضاً. فقال: نعم. فقلتُ: اذن ما صُلب المسيح وما بشر بولس والرسل وسفكوا دمهم الا لاجل طائفة اليعاقبة فقط. فقال: نعم

فمن هاهنا في ذلك الوقت والساعة تحركت فيَّ المحبة الروحيَّة وحلَّت نعمة روح القدس في قلبي وصرت افتش على خلاص نفسي وصرتُ اجادل كثيراً مع تلاميذ سيدنا ملكون ورتبيت في جميع الاماكن في الكوركجيَّة والترزيَّة والقيصريَّة (٤ والشوارع والازقة وكانوا يبصرونا بعض اناس من اليعاقبة ويمضون يخبرون البطرك فكان يدعوني ويقول لي: ايش تجادل مع هؤلاء اخاف عليك ان يصيدوك باشراكهم. فكنت اقول له: لا تخاف عليَّ انا ما اصطاد

وفي ذلك الزمان جاء ورتبيت من الارمن هرطوقي يسمَّى ارميا وجاب معهُ فرمان من السلطان كي يضبط جماعة الارمن والكنيسة. فبعض من الارمن الهراطقة ارادوا ان يحكِّموه عليهم ولكن اكابر الارمن الكاثوليكيين منعوه فتعلق في اليعاقبة واشاروا عليه ان ياخذوا فرمانهُ ويمضوا الى المفتي ويقولوا: هؤلاء ما يقبلون فرمان

---

١) اكثر هؤلاء المشاهير مرَّت في المشرق تراجمهم وقد روى اخبارهم حضرة القس اسحاق ارملة في تاريخهِ الحديث ٢) التسركل في التركية التفي

٣) يريد بالسلاطين الملوك النصارى . وبالباطرية المرسلين اللاتين الكاثوليك المعروفين بلسمهم واللفظة من الايطالية (padre) ٤) كلها اسواق ماردين

السلطان . ومن جهة هذه الحركة راح على ملكون ورتبيت مقدار دراهم كثيرة حتى منعوا ذلك الورتبيت واخذوا فرمانهُ وراح وما عاد لهُ رجعة

اما ايمان البيعة المقدَّسة فكان ينسو يوماً بيوم والهراطقة اذلهم الله ما كان يصعد من يدهم فرد شيء كانوا يشتمون على الورتبيت تقليعات وتشنيعات الوان الوان واشكال اشكال ما تقدر نصفهم واحدة براحدة لان الذي يسمعهم يتوه عقلهُ من كلام الكذب والزور والبهتان . اولًا كانوا يقولون جاب معهُ من رومية خزنة ذهب وفضة ويفرقها على تابعيهُ كلهم يأخذون منهُ علوفة . ثانياً يقولون : انهُ قد عمل مندرونتين (١ واحدة خشب وواحدة حجر والبسهما جوخاً احمر واذا مضى اليهِ واحد يعترف رجلًا كان ام امرأة يحملهُ اولًا مندرونة الحجر فبعد ان يعترف يحملهُ مندرونة الخشب ويقول : قد غفرت لك خطاياك . وهذه التشنيعات والتهمات كان قسوس الارمن يحكونها في الاسواق بلا حياء ولا خوف من الله كانوا يقولون : لماذا يقرأ الانجيل بالعربي حتى يعرفوا الناس ايش في الانجيل لان الانجيل هو سرّ ما يجب ان يعرف احد ايش فيهِ . وغير تكلمات التي ما تقدر نوريها

فلمَّا ابصرت انا الحقير هذه الامور وغلبني ماكون ورتبيت في المجادلة ايضاً من جهة الاقنوم الحاوي الطبيعتين وانا كنت اعتقد ان ناسوت المسيح لهُ اقنوم فاجابني ان جميع النصارى اعتقادهم بالثالوث المقدس فان كان لناسوت المسيح اقنوم صار رابوعاً ليس ثالوثاً وهذه اعتقادات نسطور الملعون بعينهِ . وايضاً سألني هل تعتقد بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية . فقلت : نعم هذا هو اعتقادي . فقال : اثبت لي العلائم التي في كنيسة اليعاقبة . فلم اقدر اثبت لهُ الَّا بالعناد فقال لي : يا حبيبي ان الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة هي هي الكنيسة الحقيقة وليس بدونها خلاص وهي كسفينة نوح كل من خارجها غرق وهي التي قدسها السيد المسيح بفمهِ حين قال لمار بطرس : انت الصخرة وعليك ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها واعطيك مفاتيح ملكوت السماء ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماء وما حللتهُ على الارض يكون محلولًا في السماء . وقال ايضاً لمار بطرس : ارعَ كباشي ارعَ نعاجي ارعَ خرافي . وقال لهُ ايضاً : يا بطرس يا بطرس هوذا الشيطان يريد ان يغربلكم كما يغربلون الحنطة وانا اطلب من اجلك ان لا ينقص

(١ المندرونة في لغة ماردين المحدلة

ايمانك وانت ترجع وتثبت اخوتك . وهذا بطرس الذي صُلب في رومية منكساً وتثبت كرسيُّهُ الاعظم في رومية من جميع المجامع وصارت الكنيسة الرومانية هي هي البيعة المقدَّسة التي لا تفش ولا تنفش ومنها تناسلت البابارية وهي التي ترسل وتجمع من اقطار المسكونة ومشهود لها من سائر الطوائف ومن جميع الآباء الماضية والحاضرة والآتية وهي التي يخرج منها القديسون جيلاً بعد جيل عابدين ومشوتين عاملين الآيات والعجائب الصادقة قبل موتهم وبعد موتهم ومنها تناسلت الملوك والسلاطين المسيحيون الذين يلقون تيجانهم الى الارض ويقبلون اقدام الحبر الاعظم نائب السيد المسيح وخليفة مار بطرس

فلما استمعتُ بهذه الخطب وغيرها والمقالات الحقيقة اعتقدت من كل قلبي وامنت ايماناً ثابتاً حتى ان ليس بقي احد يقدر يقطعني من محبة البيعة المقدَّسة ولا من طاعتها لا العلو ولا العمق ولا القاومة ولا السيف ولا الطرد ولا الحبس ولا الجلد ولا الغرائم ولا موت ولا حيوة ولا ملائكة ولا رئاسات ولا قوات ولا المزمعات ولا خليقة اخرى تستطيع ان تفصلني من اعتقادي ومن ايمان البيعة المقدسة وشهد لي ضميري وما اكذب مظهراً قدام جميع اهل المدينة في كل المواضع ان الحق هو هذا ولا غيرهُ

وبدأوا يهجرونني الهراطقة اهل طائفتي وكذلك طائفة الارمن الهراطقة بقوا يكمنون لحتارتي نهاراً وليلاً كي يقتلوني فاستمع بذلك ملكون ورتبيت فشجعني وقال لي : لا تخفْ منهم لان السيد المسيح هو معك فمن يقدر يقاومك

اما الهراطقة فصاروا يثلبوني ويتبرني باشياء كثيرة . اولاً قالوا انهم قد قطعوا لهُ عاوفة حتى صار منهم ويعطونهُ كل يوم قرش حتى يكرز بايمانهم . ثانياً : قالوا اعطوهُ حمل حرير وكل يوم وكل ليلة يبات ويصبح عند ملكون ورتبيت في الاكل والشرب واشياء غير هذه . ثم دعاني البطرك الى القلاية وقال لي : يا شماس لماذا خنتنا وخنت ايمان ابائك واجدادك فلمَّا كلنا نحن باطاون قلت لهُ : الحق هو فرد حق والبيعة هي البيعة الرومانية المشهود لها من جميع القبائل والاجيال . وقد آمنت وصدقت ان جميع الخارجين عنها ما ينالون الخلاص . فاغتاظ غيظاً عظيماً ومن غيظهِ وانحساره بدأ يبكي مثل امرأة ويلطم على وجهه وصدره وركبته . فقلت لهُ : لماذا تبكي يا ابونا ايش جرى عليك لماذا تهلك وتُهلك رعيتك ايضاً آمن بالحق فليس هو عاراً . فازداد غيظهُ بالازيد

وقام ليشق ثيابهُ. ثم قال لي : يا شماس اقسم عليك بالكلمة التي حلَّت في بطن مريم العذراء ماذا اعطاك هذا الورتبيت حتى دهاك وجنن عقلك. فقلت لهُ : قد اعطاني شيئاً ليس لهُ ثمن وهذا الذي قد اعطاني قد وفى جميع الديون التي كانت عليَّ. فقال لي : ايش كان عليك دين. فقلت : كان عليَّ دين ثقيل حتى كنتُ قد انكسرت وتحطمت فالان الله ينصره قد سدَّ جميع جوعي. فقال لي : فاذا كان عليك دين كان قلت لي وانا كنت افي دينك واعطيك ايضاً سرماية فقط عُد الينا وانا اعطي ايش من عليك. فقلت لهُ : اتركني حتى اشاور نفسي. فقال لي : ما بقي يصير منك شيء

فاتيت من عنده واخبرت سيدنا الورتبيت بكل هذا الكلام. فقال لي : طمهُ في الارض فانهُ مثل سيمون الساحر بقوة المال والحيل والزور والحكام يريد ان ينشر عرطاتهُ

وبعد هذا حكم صوم الكبير فراح البطرك الى الدير وصباح اثنين الصوم اجتمعوا اليهِ جميع اهل المدينة القسوس والشمامسة والشعب وقسوس الارمن الهراطقة واتباعهم من الشعب وايضاً جميع القرى المحيطة بماردين اي قرية القصور والابراهيمية والمنصورية وبنيبيل وجميع القسوس هؤلاء واكابرهم حضروا في دير الزعفران لاجل الشبقونو (١ اي الغفران وبعثوا خلفي الى الدير فرحتُ فاقعدني في الوسط بين هذا المجمع كلهِ ثم بدأ يقول لي : قل اعتقادك. فقلت لهُ : اعتقادي هو بالثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس ثلاثة اقانيم واله واحد وان الاقنوم الثاني اي اقنوم الابن تنازل من اعلى السماء وحلَّ في بطن سيدتنا مريم الدائمة البتولية واتخذ منها الطبيعة الانسانيَّة بجملتها اي الجسد والنفس الناطقة واتحد بها اتحاداً كلياً ومن جهة هذا الاتحاد يقال ان في المسيح طبيعتين ومشيئتين واقنوماً واحداً. فقال لي : غلطت لانك قد صرت افرنجياً. فقلت لهُ : ليس اغلط. ان كان قد غلط يوحنا فم الذهب فلطت وموسى ابن الحجر (بركيفا) ومار افرام ومار يعقوب قد غلطوا. وكان جنبهُ كتب موضوعة وكان بينهم كتاب تفسير الانجيل وكنت اعرف بذلك الكتاب من الاول فاخذتهُ وفتحتهُ ووضع ذلك اليوم بينهم اذ يقول هؤلاء الاباء : « تعالوا نفتش اعمال المسيح تعالوا نبصر لماذا تقاتل المسيح مع الشيطان بجوهر اللاهوت او بجوهر الناسوت ؟ فان قلنا بجوهر اللاهوت فليس تبان الغلبة شيئاً ولكن حارب بجوهر الناسوت وغلب الشيطان. والشيطان قال ان الطبيعة التي قهرتها هي

(١) هي رتبة عند السريان كالاعتراف السنوي والكلمة هي سريانية (معوصحا) معناها الغفران

قهرتني ». وقلت لهُ : ايش تقول بهذا الكلام ؟ فرفس برجلهِ الكتاب امام كل الجمع وقال : مثلك بليطين اشقياء خربوا الكتب . فقلتُ لهُ : اليس هذا كتابك لماذا تحويه عندك لماذا لم تحرقهُ اذا هو غلط ؟ فبكى وخرس ولم يردّ كلمة الفرد لا هو ولا من معهُ بل سكت وبقي مثل الدوخان فقمتُ وخليتهُ

وكان هناك رجل واحد كاثوليكي فقام وجاء قبلي عاجلاً الى عند ملكون ورتبيت واخبرهُ بهذه الاحوال كلها فخاف عليَّ الورتبيت وقال لذلك الذي بشرهُ : لماذا جيت وتركتهُ اخاف من هؤلاء القوم ان يقتلوهُ لانهم لا يخافون الله ولا يستحون من الناس . فقال لهُ : يا ابونا لو نظرت بعينك ما عمل لكنت تحيرت جداً لاني ما اصدق يوجد جرعة (جرأة) في الدنيا مثل جرعة هذا الشماس لانهُ كجبار قوي قاوم الجمع كلهُ اذ كلهم خرسوا وبقوا يوشوشون بعضهم بعضاً قائلين : كيف كان يعرف هذا كرزة هذا اليوم وهي في هذا الكتاب . فعند ذلك الورتبيت ارسل قدامي جميع الشمامسة الذين عندهُ من الغرباء ومن اهل البلد فاتوا لاقوني جائياً فوق البلسيق (١ راكباً على فرس فلمَّا رأيتهم وصلوا اليَّ نزلت من على الفرس اذ لم اعلم ما هو الخبر ففي الحين احتضنوني وبدأوا يقبلوني على فمي وكل واحد يكلمني بلسانهِ فالذين اعرف بلسانهم سألتهم : ايش الخبر عندكم عرفوني . فقالوا : ان فلان الفلاني جاء واخبر الورتبيت بجميع ما جرى بينكم وبين البطرك انكم عملتم كذا وكذا وتكلمتم كذا وكذا فلاجل ذلك الورتبيت خاف عليك وارسلنا قدامك وقال لنا ان تحضروه اليَّ في هذه الساعة . فقلت لهم : سمعاً وطاعة اتركوني اصل الى البيت فابعث الفرس الى اصحابها واجيء . فقال واحد منهم : لمن هي الفرس وانا اوديها وانت امض معهم بالعجل . فطلعتُ جئتُ معهم . فلاقانا الورتبيت الى باب الكنيسة البراني واحتضنني وفرح فرحاً عظيماً وقال : امش اخبرني بالتفصيل بكل شي عملتهُ في هذا اليوم . فقلت لهُ : قد اخبروك يا سيدنا فماذا يعتاز . قال : اريد ان اسمع منك بفمك ايضاً . فاخبرتهُ فتعجب فقال : انك بالصحيح برلس الثاني وقد علمت ان قوة يسوع المسيح معك وعناية البيعة المقدسة . فصار في ذلك النهار اخوتنا الشمامسة فرحين مسرورين وبقيت عندهم تلك الليلة الى الصباح . ثم بعد ذلك شاع الخبر ظاهراً في جميع القرى والبلاد ان الشماس ايليا ابن الكزير المعلم الكاروز صار افرنجياً وتبع ايمان

١) البلسيق طريق مرتفعة على آكام ماردين بينها وبين دير الزعفران

ابن طازباز وكتب البطرك بهذا الخبر الى كل البلاد وجميع مطارينـهُ وعرَّف بهِ المفريان اسحاق ابن اختهِ ولكن لم يقدر يتمنى من الكنيسة ولا من الكرازة وسيدنا ملكون ورتبيت كان يقول: روح بينهم وتكلم بكل ما يلهمك الله ولا تخف منهم

ولمَّا بقي الى العيد جمعتان جاء من ديار بكر ثلثة قسوس اغنيـاء معلمين ومعهم اربعة شمامسة وجاؤوا نزلوا عندي في البيت وما كنت اعرف منهم الَّا شماسين وكانا من اصحابي وارادوا في المشي ان يسرقوا عقلي. وكانوا كل يوم يقولون لحقارتي: يا حيف يا حيف عليك يا شماس وعلى علمك تميل الى تعاليم الافرنج الكاذبة الذين يغشون الناس في كل البلاد الذين ينكرون النور والميرون (١ والصليب وان قسوسهم لم يتزوجوا واعيادهم مخالفة لاعياد جميع الطوائف وليس عندهم صوم يأكلون السمك ويشربون الشراب في الصيام الكبير ويقدسون كل يوم من الصباح ويستنشقون التتون (٢ واذا مرض احدهم في الصوم الكبير يحللون عليهِ اكل اللحم. فكنت اجاوبهم ولكل واحد منهم اعطيهِ جوابهُ. وكانوا قد جاؤوا ليحضروا رتبة الميرون في دير الزعفران فلما كان يوم الاربعاء الكبيرة ليلة قداس الخميس وكان البطرك قد بعث وجمع النـاس من جميع البلدان والقرى الى دير الزعفران مطارين وقسوس وشمامسة ورهبان وعامية رجال ونساء حتى يجوا ويحضروا الميرون وارسل ايضاً ودعا سيدنا ملكون ورتبيت وطائفتهُ فهو الوديع امتنع قائلاً: ما اروح لان اي شركة تكون بين بيعة المسيح وبيعة الشيطان واي خلطة بين النور والظلام فبعض من الخواجكية قالوا لهُ: روح في سبيل الفرجة. فراح وراحوا معـهُ جميع تلاميذهِ ورحت انا الحقير. واذ نحن في الدير جاء واحد من اهل قلعة مرا (٣ واخبرني ان اهل الضيعة قد عزموا ان يقتلوا الورتبيت ويقتلوك ايضاً. وكان هـذا الرجل صديقي فرحت اخبرت الورتبيت واخبرنا اولاد الكاثوليكيين

---

١) يريد بانكار النور ما يوقد من النور في السبت الكبير في كنيسة القبر في القدس. وقد اثبتنا سابقاً انَّ ذلك النور ينسب زوراً الى العجائب. وكذلك الميرون يزعم اليعاقبة انَّهُ اذا احضرهُ بطريركهم وباركهُ تكاثر وازداد على منوال عجيب كما سيأتي

٢) يشير الى استنشاق الطوس

٣) قلعة مرا قرية واقعة على مسافة ساعة من ماردين قريبة من دير الزعفران مركز بطرك اليعاقبة واهلها شديدو التمسك بالشيعة اليعقوبية

واخبروا هؤلاء جماعة الحاكم واستمع البطرك انهم دعوا اهل قلعة مرا وقالوا لهم: ان في هذه الليلة ايش ما صار نطالبكم به انتم فاحترزوا لان ما يخلصكم الا الغرم والموت

ثم بدأوا في الصلاة وصاروا يبيطون ويزعقون مثل كهنة بعل وكانت ليلة باردة طويلة وطولوا في الصلاة والعياط والورتبيت ينظر ويمجد الله والكاثوليكيون يتقوى ايمانهم اكثر واكثر فلما اضاء النهار غطوا القبة على راس البطرك وبدأوا يعلون اصواتهم وضجوا قائلين: طلع طلع نار فار الميرون. فلما ابصر سيدنا الورتبيت هذه الامور بدأ يبكي ويهز راسه فقلنا له: يا سيدنا ايش يبكيك. فقال: لماذا لا ابكي على قساوة قلوب هولاء القوم وعلى جهل هذا الخرفان الذي يطفي العالم وينشهم ويكذب على الاسرار المقدسة ويدعي ذاته باظهار العجائب والآيات وما يستحي ولا يخاف من عقوبة الله اذ يطفي العالم بهذا المقدار. فيا اولادنا الميرون هو حقًا وهو السر الثاني من اسرار البيعة المقدسة وليس هو اعظم من القربان المقدس هل يقدر هذا البطرك الخرفان ان يضع في الصينية برشانة واحدة وبصلاته يحلها ان تصير ثلاثة ام اربعة او خمسة. قلنا: ما يمكن ذلك. فقال: كيف يقول هؤلاء ان الميرون يفور ويبقى خمسين يوماً او ازيد ويملأون منه اربعين دنًا وازيد اليس هذه زورًا وكذبًا. فقلنا له: نعم من يصدق هذا الكلام غير هؤلاء الجهال والغشمة والعجائز. فقال: ماذا يجب على هذا الشقي الذي يغش اسرار الكنيسة ويغش عباد الله ويهلكهم. فقلنا له: الله يهلكه مع حانان وقايافا نحقق انه شر منهم لان هؤلاء لاجل الحسد سلموا المسيح الى الصلب وهذا يريد بالكذب والزعبرة ان يبطل تعليم البيعة المقدسة ويسلب اموال الناس ويعطيهم الى الحكام ليقيم هرطقته ياخذ من موضع الذي ما له عليه ويعطي موضع الذي له عليه فجزاه الله مع معلمه ابليس الشرير

وبعد ذلك شاع هذا الخبر في المدينة والحنفاء يقولون يسألونا ويتهزأون علينا ويقولون: كم دن ميرون ملأتم يا يعاقبة. فنقول لهم: ما نعرف لسألوا اهل قلعة مرا واشياء كثيرة غير هذه سبحة يقذفونا بها التي ما تقدر نكتبها. وبعد ذلك بعث قنينة ميرون الى طائفة الارمن حتى يجمعوا له مساعدة فجمعوا له مقدارًا من الدراهم وكان عدد الارمن الهراطقة الذين يتبعونه ثلثين ويعتقدون به انه قديس ويخافون بصلاته. ثم بعد زمان اوتحل الى حلب ووضع مكانه مطرانًا وكيلًا وكان كرديًا شديد العناد ولم يكن يعرف

ينطق ولا كلمة عربي واوصاهُ قائلًا لهُ : بعد ما اروح لا تترك ابن الكزير يقرأ في البيعة فبعد شهرين ترلت حتى اقرا فزعق عليَّ بالكردي قائلًا : ما هي لازمة القراءة . فاغتظت منهُ وبطلت القراءة

وكان في قرية المنصورية مفريان اسمهُ عازر منصوراتي الاصل وكان قد دار في بلاد المسقوف والكرج وكان رجلًا خائف الله مسيحيًا محتنيًا لانهُ كان غنيًا ذا مال وكان يخاف على مالهِ من شر هؤلاء . فلما استمع لي دعاني الى عنده وصار بيننا وبينهُ عُشرة فقلت لهُ : لماذا ضيّعت عمرك وانت خائف من هؤلاء الذياب الخاطفة . فقال : مالي احد ولا لي ظهر يسندني . فقلت لهُ : تصير بطرك فانا بقوّة الله اعملك واجلب جميع اعيان البلد وتكون يدهم مع يدك . فرضي بهذا الكلام فجيت وتكلمت مع الورتبيت ومع خواجا اسحق وخواجا حنا فارسلوا اليهِ وجاء لبيت خواجا اسحق ثم جاء الى عندنا الى البيت وبقي عندنا عشرة أيام وعملنا لهُ غداء وجبنا الى بيتنا القاضي وابن المفتي وعشرة من اعيان اكابر الاسلام وحلفوا مع المفريان انهم يعطونهُ عرضحال ويعملوهُ بطركًا لما ياتي الحاكم الجديد . وشاع الخبر في البلدان ان شماس ايليا يريد ان يصيّر المفريان عازر بطركًا واستمعوا الهراطقة وامسكوا ساعيًا وارسلوهُ الى حلب ليخبر البطرك

فلمّا سمع من خوفهِ اتى عاجلًا في الشتاء وارسل اناسًا الى استنبول ليسدُّوا الابواب اذ خاف من المفريان لانهُ كان صاحب مال كثير وصاحب بشرة وفصيحًا في اللسان التركي . ولما جاء البطرك ووصل الى ضيعة الابراهيمية ارسل مكتوبًا الى مريديه ومكتوبًا اخر الى حقارتنا مفردًا وفيهِ بركات وتحيات وتعليقات كثيرة وارسل لنا فرسًا وقال : مع وصول مكتوبنا لحضرتكم تركبون الفرس وتحضرون عندنا الى الابراهيمية لانا اشتقنا اليكم

فلما قرأنا المكتوب قدام محبيهِ قلنا : انا اصحاب صنّاع ودكان فما نطيق نروح ونترك شغلنا لكن لما يجي الى الدير نروح الى عندهِ . فقالوا : اكتب لهُ مكتوبًا . فقلت : ما اكتب اكتبوا انتم هكذا . فكتبوا فبعد أيام جاء الى الدير ودعاني فرحت الى عندهِ وكان قد اجتمع عندهُ اناس كثيرون من محبيهِ يعاقبة وارمن فاخذنا وأدخلنا الى القلاية ولم يترك احدًا ان يعبر سوى اثنينا اذ كان قد هيأ بخلوة سفرة من المواكيل . فبقيت اخاف

على نفسي وما اردت ان آكل ولا اشرب فشرب هو وسقاني خصياً ومن المآكل التي اكل اكلتُ انا . فقال لي : الخائن خائف فلماذا تخاف . قلت : انت تقول ان الخائن خائف؟ فبدأ يعاتبني قائلاً : يا شماس انت صرت افرنجياً ونحن ما خلينا خاطرك ولا منعناك من بيتنا ولا من خدمتك ولا من قراءتك في الكنيسة وقلنا : انت مثل رفقتك فاي فكر جاءك حتى رحت صاحبت النصورانيّ وتريد تقيمهُ بطركاً فاقسم عليك بالله ايش يوطلك هذا البلط حتى جبتهُ الى البيت وجمعت لهُ الاسلام واعطوهُ قراراً ان ينصبوهُ بطركاً وهذا شي كبير . فقلت : لهُ حاشا لي ان آكل يوطيل لكن لمّا رحتُ الى حلب وجمات هذا المطران رفيقاً علينا اذ لم يعرف ولا حرفاً واحداً باللسان العربي ولا يقدر يتكلم كلمة الفرد قال لي بالكردي : ما لي رضى ان تقرا في البيعة . فصعب عليّ ذلك . واقول الصدق اني مضيت وحرّكت هذه الحركة وليس لاحد ذنب الله عالم فلا تظنّ ان احد طغاني او علمني . حينئذٍ صفّق في يديهِ وحضر خادمهُ فقال لهُ : ازعق للمطران . فراح صاحهُ فلما جاء اليهِ بدا يخزبلهُ (يوبخهُ) قائلاً : انا قلت لك امنع هذا الشماس من القراءة في البيعة . فقال : يا ابونا ما قلت لي لكن يوم من الايام كان لنا شغل تريد ان تلمّ دراهم فقال لي الوكيل : قل لهُ : ان لا يكرز اليوم . فمنعتهُ . فقال لهُ البطرك : انتم تعملون اشياء وما تنظرون الى اخرها . حينئذٍ امرنا ان نتصالح مع المطران فتصالحنا وقمت جيت من عنده الى بيتي

وبعد ذلك بعث خلف الفريان عازر وجابهُ اليّ وبدا يسقل معهُ ويبكي وقال لهُ : اي منصب تريد اعطيك انا فبالحق ما انت لائق للسكون في النصورية ولكن الذي راح راح اغفر لي والآن لي عندك حاجة تعال ارسلك كي تقضيها لان قد اخرجتُ فرماناً واريد ان ابني كنيسة في مدينة بدليس وانت قد ابصرت تلك الاماكن وتعرف باللسان واهل تلك البلاد يعرفونك تعال روح ابني البيعة وارجع واذا جئت احلف قدام الله والملائكة والقديسين وقدّام هؤلاء الرهبان اني اعطيك مطرنية حلب او دياربكر مهما اردت . فرضي الفريان بهذا الكلام وعاد الى النصورية وبعث دعاني وحكى لي ما جرى لهُ مع البطرك فاغتظت من كلامهِ وقلت لهُ : لماذا اعطيت قراراً الى الخواجكية والى اعيان البلد . فقال : انا قراري ثابت وارسل ابن اخيهِ الى عند الذين اعطاهم القرار وعمل معهم هذه المشورة . فقال انا ثابت في قراري

ولما كان بعد أيام جاء الحاكم الجديد فلم يحسبهُ البطرك ولا راح الى عنده لكنهُ عمل مجمعاً في دير الزعفران وكتب اسماء كل السريان الذي لهُ بهم شك انهم قد صاروا مسيحيين (كاثوليك) وارسل جابهم الى المجمع وقال: اريد ان تعطوني حجة الى القاضي انكم ياقبة من اتباعي والذي ما يعطيني حجة ولا يدخل بيعتي لا اعمذ عماذهُ ولا ادفن ميتهُ واعرض امرهُ الى السلطان ليعمل معهُ مهما اراد لان امر السلطان هو هذا ان طوائف النصارى لا تخالط بعضهم بعضاً والذي يخالف امر السلطان يقتل هو واولادهُ ويكون مالهُ لبيت المسلمين ايضاً ثم قال: ان جميع البنات الخطوبين من طائفة اليعاقبة الى طائفة الارمن يفكُّوهم ويردوا نيشانهم والذين اخذوا بنات من الارمن يفكُّوهم كذلك . وكانوا اكابر الارمن قد خطبوا لاولادهم بنات كثيرة من بنات السريان وكانوا ايضاً السريان قد خطبوا لاولادهم بنات الارمن . فصار عندهم حزن عظيم وبقوا متحيرين (البقية لعدد آخر)

بايزيد الثاني والبابا اينوشنسيوس الثامن

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

روت جريدة المونيتور اوريانتال الفرنسوية بنسبة ذكر الوفد المرسل من جلالة السلطان محمّد الخامس الى قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر ليعلمهُ رسمياً بجلوسهِ على اريكة اجدادهِ السلاطين المظفَّرين من آل عثمان انَّ في مكتبة ميلانو من اعمال ايطالية صورة الكتاب الذي انفذهُ بايزيد الثاني الى البابا اينوشنسيوس الثامن وهو اوَّل كتاب من احد السلاطين الى الاحبار الرومانيين ثم وصفت ذلك الاثر قائلة: انهُ مكتوب على رقّ وفي اعلاهُ طغراء السلطان مذهَّبة تذهيباً ازرق واحمر . ارسلهُ على يد احد سفرائهِ مع الحربة التي طُعن بها جنب السيّد المسيح على الصليب وكانت وقعت في ملك آل عثمان بعد فتح القسطنطينيَّة على يد محمّد الثاني والد بايزيد . امَّا الغاية من ارسال ذلك الكتاب وتلك الذخيرة انَّما كانت بيان رغبة السلطان في اطلاق سبيل الامير «جم» اخيهِ الاكبر الذي كان محبوساً في قلعة الملاك المقدَّس

هذا ما روتهُ جريدة مونيتور اورينتال ونقلتهُ على علّاتهِ بعض جرائدنا المحليّة التي عرّبت ايضاً تلك الرسالة كما يأتي :

« من بايزيد الثاني ملك الملوك وسلطان البرّين في اسيا واوربا بعناية الله الى المنسنيور اينوسان الاب السامي لجميع المسيحيين والرئيس العالي للكنيسة الرومانية »

« اكرام وحبّ صادق فاننا نحيط قداستكم علماً باننا قد ارسلنا لحضرتكم الخاويش قاسم احد رجالنا ليطلعنا على احوال صحتكم وليوطد بيننا صلات المحبة وقد زوّدناهُ بالذخائر المقدسة التي جاءنا بها البريد عند عودته من سفرته وحفظها لنا المأمور (قبوجي باشي)

« وما ارسلناها لقداستكم الّا لما علمناهُ من البريد المذكور من انكم تجلّون وتعظمون كثيرًا الاشياء المقدّسة التي تتعلّق بالنبي الالهي عيسى عليهِ السلام ولانهُ يوجد بخزائننا والحمد لله كثير من آثار الانبياء والقديسين وهذا ما دعانا ان نرسل الى قداستكم مع قاسم المذكور الحربة التي طعن بها (على ما يقال) اشرارُ اليهود المسيحَ عليهِ السلام .

« فالمأمول ان قاسماً المذكور لا يتأخر كثيرًا في الاوبة بعد ان يحظى بالقبول لديكم ويزور اخي بل ليعود الينا حاملًا اخبارًا مطمئنة عن صحتكم وعن حالة اخينا وفضلًا عن ذلك فاننا فوّضناه بان يبدي لحضرتكم بعض الايضاحات وهو لا يقول الّا ما أُمر بهِ » . انتهى

فقد اعملنا النظر في هذا الاثر الجليل ورأينا في رواية الخبر عدّة اشياء تحتاج الى اصلاح او شرح اوسع فكتبنا هذه النبذة الموجزة عن اوثق المصادر فنقول :

انّ السلطان محمّد الثاني فاتح القسطنطينيّة قبل وفاتهِ في ٤ ربيع الاوّل سنة ٨٨٦ هـ (٣ ايّار سنة ١٤٨١) اوعز الى الصدر الاعظم واسمهُ قرماني محمّد باشا بان يسلّم ازمّة السلطنة من بعدهِ الى بايزيد ابنهِ الكبير دون الصغير المسمّى جم . وكان بايزيد يوم وفاة والدهِ حاكماً على اماسيا امّا جم فكان يحكم على بلاد قرمان فارسل الصدر الاعظم رسولًا الى بايزيد يعلمهُ بخلافتهِ على كرسي السلطنة لكنّ قرماني

كان يفضّل جم على اخيهِ لما يعرفهُ من فضلهِ وبسالتهِ فارسل اليهِ سرًّا يستدعيهِ ليستلم مقاليد الامور قبل اخيهِ الّا ان الخبر شاع بعد قليل فثار جند الانكشاريّة على الوزير وقتلوهُ فصار الامر الى بايزيد. امّا جم الاخ الاصغر فلم يخلد الى الراحة فانتشبت بين الاخوين حرب كانت فيها الدولة لبايزيد على اخيهِ ففرَّ جم هاربًا والتجأ الى فرسان القديس يوحنّا الاورشليمي المعروفين بفرسان رودس وكان رئيسهم اذ ذاك بطرس دي اوبسون البطل الصنديد فخاف بايزيد ان يعضد هؤلاء الفرسان اخاهُ ودفع لهم مالًا على شرط ان لا يسلّموه الى اعداء الدولة العثمانيّة لئلّا يستنجد بهم عليهِ. ففعلوا وبقي جم تحت حفظهم معزَّزًا مكرَّمًا وتنقّل برضاهم الى عدّة مدن خوفًا من ان يبطش بهِ السلطان فيقتلهُ وسعى غير مرّة ان يسمّه

ثم ثقلت وطأة السلطان بايزيد على الممالك النصرانيّة ردوَّخ اهلها وفتح ثغورها فرأى البابا اينوشنسيوس ان يجمع كلمة ملوك الفرنج ليحارب العثمانيين وألحَّ على فرسان رودس حتى سلّموهُ جم سنة ١٤٨٩ ونوى المتحالفون بان يجعلوا السلطنة في يدهِ على شروط يقوم بها اذا ظفر بالملك فوعدهم جم واخذ الملوك يستعدّون للحرب

فبلغ بايزيد ما يجريهِ الفرنج من الاستعدادات لمحاربتهِ فغاظهُ الامر جدًّا ولم يرَ وسيلة الى ردّ غارة الاعداء الّا ان يكتب الى البابا اينوشنسيوس الثامن ويستميلهُ بهبة نفيسة كان يعرف عظم شأنها لدى النصارى عمومًا ولدى ائمة الاحبار خصوصًا

وقد روى الكردينال بارونيوس في تاريخ سنة ١٤٩٢ (عدد ١٤ — ١٧) عن مؤرخين عيانيين عاشوا قبلهُ بنحو خمسين سنة خبر الوفد السلطاني فقال: اتى بالرسالة والهدايا سفير سمّاهُ (Chamisbuerch) (شمس بورش؟) فدخل على الحبر الاعظم في ١٩ ايار من السنة المذكورة واستقبلهُ البابا بما يليق لمثلهِ من الاكرام. وكان السلطان كتب الى الحبر الاعظم رسالتين كلتاهما باليونانية يقول في الاولى ان رئيس فرسان رودس اعلمهُ بتسليم اخيهِ الى الحبر الروماني فيطلب من قداستهِ ان يبقيهُ في حراستهِ كما اتّفق مع الفرسان المذكورين امّا هو فلا يزال على حفظ الوداد نحو الكرسي الرسولي. ويصف السلطان في الرسالة الثانية حُسن معاملتهِ لنصارى الشرق وانهُ كفَّ عن محاربة دول الفرنج. فهاتان الرسالتان اودعتا في خزانة المكتبة الواتيكانيّة حيث كانتا موجودتين على عهد بارونيوس في صوانٍ موسوم بحرف C تحت العدد ٣٣ والصفحة

١٦٢ . ولعلّ الرسالة الاولى هي الرسالة التي نشرتها جريدة مونيتور اورينتال ولا نعلم كيف نُقلت الى مدينة ميلانو وهل هي مكتوبة باليونانية او بالتركية

امّا الذخائر المرسلة الى الحبر الاعظم فقد ذكر جاك بوزيوس المؤرخ انها كانت متعدّدة اخصّها حربة الجندي التي طعن بها جنب المخلص في الآلام كما ذكر القديس يوحنا في انجيله ثم الاسفنجة التي قرّبها الحرّاس من فمه الكريم وهو على الصليب مع القصبة المعلّقة بها الاسفنجة وذخائر بعض القديسين . فهذه الذخائر لم يكرمها الحبر الاعظم والكرادلة الّا بعد أن وكّل الى بعض علماء رومية بفحصها والبحث عن صحّتها فقضوا في ذلك ١١ يوماً فلمّا تقرّرت لهم صحّة تلك الآثار اقيمت لاكرامها حفلة عظيمة في يوم الخميس ٣١ أيار من السنة فنقلها الحبر الاعظم بابهة ورونق الى كنيسة اغلال مار بطرس . ومن عجيب الاتفاق انّهُ وجد قبل ذلك بشهرين في ١٢ اذار في احدى قناطر كنيسة الصليب الاورشليمي في رومية صندوق من رصاص عليه عدّة ختوم ففتحوها فاذا فيه عنوان الصليب المقدّس « يسوع الناصريّ ملك اليهود » وكان العمّلة وقفوا عليه وهم يرمّمون تلك الكنيسة المبنيّة على عهد قسطنطين

وقد تأثر البابا اينوشنسيوس من تلك المظاهرات الودّيّة واراد ان يبيّن للسلطان شكرهُ ويؤكد لهُ برغبته في السلام وحفظه للعهود لكنّ الموت عاجلهُ في ٢٥ تموز من السنة عينها ١٤٩٢ فوقع جم في ايدي خلفه اسكندر السادس من اسرة بورجيا فابقاهُ تحت حوزته مدّةً حتى اضطرّهُ ملك فرنسة كرلوس الثامن على دفعه لهُ فدفعهُ في ١٥ شباط سنة ١٤٩٥ فرافق الامير الجنود الافرنسيّة حتى بلغ الى نابولي وفيها توفي عند وصوله في ٢٤ شباط ١٤٩٥ وقيل انهُ مات مسموماً والروايات متباينة في سبب موته وكان جم مدّة اقامته في رومية ساكناً في القصر الراتيكاني الّا انهُ في آخر أيام اينوشنسيوس واوّل عهد خلفه نُقل الى الحصن المعروف بالملاك القديس

وان سألنا احد عن الذخيرة التي ارسلها السلطان بايزيد الى البابا وما يُعرف عن صحّتها ، اجبنا ان اقدم شاهد تاريخي يروي ذكر الحربة التي طُعن بها السيّد المسيح هو احد زوّار اورشليم في دليله على الاراضي المقدّسة اسمهُ انطونيوس المعروف بالشهيد في سنة ٥٧٠ للمسيح رآها في كنيسة جبل صهيون . وفي اوائل القرن التالي استمرت في بلاد فلسطين وبلاد الشام نيران الحرب بين الفرس وملوك القسطنطينية ثم بين العرب

وبينهم فخرجت بلاد الشام عن حكم ملوك بوزنطية فكثير من ذخائر اورشليم الثمينة نُقلت الى القسطنطينيَّة لئلَّا تبقى معرَّضة لاهانة غير المؤمنين وكانت الحربة من جملة هذه الذخائر. واخر من رآها في اورشليم الزائر الفرنسوي لسطفان أرْكُلف نظرها سنة ٦٧٠ في كنيسة القبر المقدَّس. امَّا الزوَّار الذين أتوا بعده فلم يذكروا تلك الذخيرة في القدس الشريف بل يجعلونها في جملة الذخائر المكرَّمة في القسطنطينيَّة وشهادتهم متواصلة الى الفتح القسطنطيني فتكون تلك الحربة التي اهداها السلطان هي نفسها الذخيرة الاورشليميَّة وهي اليوم من ذخائر رومية الخطيرة (وهذه صورتها)

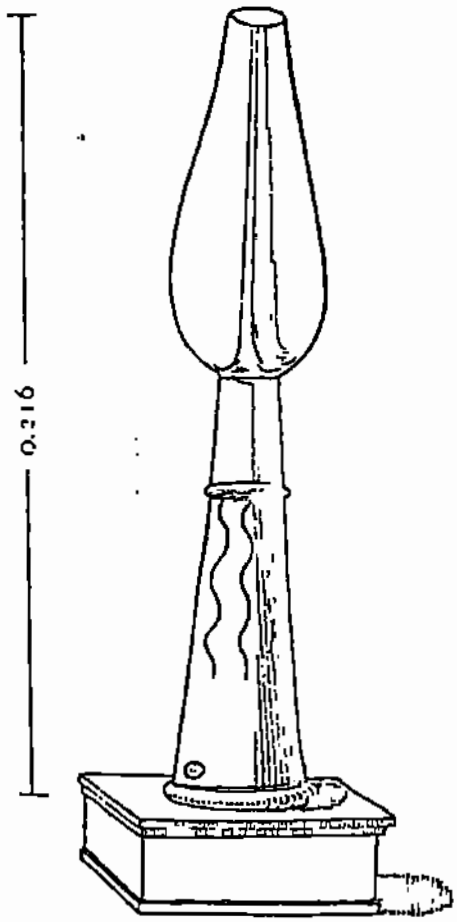

صورة الحربة المقدَّسة في رومية

وما يزيد هذه الرواية صحَّة انَّ الزوَّار يتفقون في وصف الحربة فيقولون انَّ سنانها الرفيع اي نَصْل رأسها هو مكسور (كما ترى في صورتها) ولهذا السنان خبر متواتر يرتقي الى القرن السابع فانَّ الفرس لمَّا فتحوا اورشليم سنة ٦١٤ وضبطوا كل جواهر خزائنها واخذوا الصليب المقدَّس الذي كان فيها وجدوا ايضًا هذا السنان مكسورًا فطلبه ألكنت نيكيتاس ونالهُ من احد ضبَّاطهم فنقلهُ الى القسطنطينيَّة كما اخبر صاحب التاريخ الفصحي (Chronicon Paschale) في اخبار تلك السنة. فبقي السنان في

القسطنطينية الى ان فتحها الفرنج سنة ١٢٠٤ فاهداه ملكهم بلدوين لملك فرنسة القديس لويس التاسع فجعلهُ القديس مع ذخيرة الاكليل المقدَّس في كنيسة شيَّدها لهذه الغاية وبقي السنان في تلك الكنيسة الى الثورة الفرنسويَّة ففُقد . ويقال انَّ هذا السنان عُرض قديماً على الحربة التي في رومية فوُجد على قياسها تماماً

هذا ما لخَّصناهُ عن مقالة واسعة كتبها احد كبار الاثريين الكنت دي ميلي (F. de Mély) في جريدة الصناعة المسيحيَّة (Revue de l'Art chrêtien, 1877) وهناك تفاصيل على حربات أُخرى مقدَّسة تُكرم في بعض البلاد كالحربة الموجودة في كنيسة اجيازين الارمنيَّة الغريغوريَّة والحربة المكرَّمة في قيانَة عاصمة النمسة والحربة التي اكتشفها الصليبيُّون في انطاكية (اطلب تاريخ الدول لابي الفرج ابن العبري طبعة الاب انطون صالحاني ص ٣٤١) وما يوجد من العلاقات بين هذه الآثار . فنكتفي بالاشارة اليها خوفاً من الاطالة

امَّا الاسفنجة المقدَّسة فان ذكرها قليل في الروايات التاريخيَّة فيصعب بيان صحَّتها وليس ببعيد انَّ ملوك الروم الذين كانوا يحرصون على مثل هذه الذخائر اتوا بها من القدس الشريف والله اعلم

عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

نظر انتقاديّ للاب لويس شيخو اليسوعي

انا في اسفارنا المتعدّدة الى الشام ومصر وما بين النهرين والعراق والهند كما ايضا في مطالعاتنا المتواترة في خزائن كتب اوربَّة الغنيَّة بالآثار الشرقية كباريس ولندن ورومية وليدن كثيرًا ما كنَّا نقف على نسخ معاهدات كتب بعضها — كما قيل — نبيّ الاسلام الى فرق النصارى ويُنسب بعضها الآخر الى الخلفاء الراشدين ولاسيما ابا بكر الصديق وعمر بن الخطَّاب فكنَّا نسرع الى نقل تلك الآثار لما نجد فيها من اسباب الألفة والاتحاد بين اهل الاوطان على اختلاف الاديان. حتى حصل لنا منها بضع عشرات وكانت غايتنا ان ننشر يوماً تلك الآثار اذا ما ساعدت حرّيَّة المطبوعات اذ علمنا حق العلم انَّ الحكم السابق كان يرى في تلك الابحاث خطرًا وهميًا لا ندري ما هو

ولمَّا أُعلن بالدستور في العام الماضي عدنا فوجَّهنا الالحاظ الى تلك الآثار فامعنَّا فيها النظر وقابلنا بين النسخ التي حصلنا عليها فاذا بعضها يختلف عن البعض الآخر في المعاني والالفاظ والزيادة والنقصان مع استقائها من مورد واحد ورجوعها الى مصدر فرد لم يمكننا ان نقف عليه. فبقينا مرتابين في الامر لا يسعنا ان نحكم فيه حكماً فصلاً. وبينا نحن نطلب للمشكل فضًّا وللعقبة ممرًّا اذ ارسلت بطركخانة الارمن الكاثوليك في الاستانة نسخةً من عهد آخر نشرته في دار السلام الجرائد الارمنيَّة فاوردتهُ جريدة الاحوال في عدد ٤٨٩٣ الصادر في ٢٦ شباط من السنة الجارية

وما لبثت مجلَّة روضة المعارف بعد زمن قليل حتى روت في عددها الثالث عشر من سنتها الاولى (ص ٢٨٩ — ٢٩٥) عهدة محمديَّة اخرى للملَّة النصرانية صدَّرتها بكلام لطيف تحضُّ فيه العناصر العثمانيَّة على الوفاق والاتحاد عنونتها بهذا العنوان « لا خوف ممَّا يتوهَّمون » فاسرعت الجرائد المحليَّة الى نقلها . وها نحن نثبتها قبل ان ننتقد على صحَّتها (١

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذه صورة العهد والميثاق والشروط التي شرطها محمد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لاهل الملَّة النصرانية وعليهم وللرهبان والاساقفة باملائه لمعاوية بن ابي سفيان يومئذٍ بشهادة الصحابة ممن حضر المكتوبة اسماؤهم ادناه وكُتب بالمدينة عام تاريخه بذيله) :

« كتبه محمد رسول الله الى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا على وديعة الله في خلقه لتكون حجة الله سجل دين النصرانيَّة في مشرق الارض ومغربها وفصيحها واعجمها وقريبها وبعيدها ومعروفها ومجهولها كتابًا جعلهُ عهدًا مرعيًّا وسجلًّا منشورًا ووصية منهُ

١) ولعلَّ هذه النسخة هي التي رأيناها في بيت احد وجوهُ الروم الكاثوليك في البلدة كُتبت كتابةً بديعة بنقوش والوان تاريخها من نيِّف ومائتي سنة

تقيم فيهِ عدله وذمّة محفوظة فمن رعاهـا كان بالاسلام متمسكاً ولما فيهِ متأهلاً ومن ضيّعها ونكث العهد الذي فيها وخالفهُ الى غير المؤمنين وتعدّى فيهِ ما امرتُ بهِ كان لعهد الله ناكثاً ولميثاقهِ ناقضاً وبدينهِ مستهيناً سلطاناً كان او غيره من المؤمنين او المسلمين

« وقد بدأتُ بالعهد على نفسي والميثاق الذي يسألون عني وعن جميع اهالي الكاملين من المسلمين بان اعطيهم عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ورسلهِ واصفيائهِ واوليائهِ من المؤمنين والمسلمين في الاوّلين والآخرين وذمتي وميثاقي اشهـد بما اخذ الله على نبيٍّ مرسلٍ او ملكٍ مقرّبٍ من حق الطاعة وايتاء الفريضة والوفاء بعهد الله ان احوط قاصيهم في ثغوري بخيلي ورجلي واعواني واتباعي من المؤمنين في كل ناحية ونواحي العدوّ بعيداً ام قريباً سِلْماً كانوا ام حرباً وان اؤمنهم واذبّ عنهم وعن كنائسهم وبيعهم ومصلّاهم ومواضع الرهبان منهم ومواطنهم اي مقرّ السياحة حيث كانوا واين كانوا براً وبحراً في شرقٍ او غربٍ في جبل او وادٍ او مفازة او عمران او سهـل او رمل او بناء. واحوط دينهم وملكهم حيث كانوا واين كانوا بما احوط بهِ نفسي وخاصتي واهل مأتي من المؤمنين والمسلمين وان أدخلهم في اماني من كل اذًى ومكروه ومؤونة وتبعةٍ. وان اكون من ورائهم رادًّا عنهم كل عدوّ يردني واياهم بنفسي واتباعي وأعواني واهل ملتي وانا ذو سلطة عليهم وبذلك يجب عليَّ رعيهم وحفظهم من كل مكروه. وان لا يصل اليهم حتى يصل الى اصحابي الذائبين عن نصيب الامر. وان اعزل عنهم الاذى في المواد التي تحمل اهل العهد من العارية والخراج الّا ما طابت بهِ انفسهم ولا يكن عليهم جبرٌ ولا اكراه في ذلك. ولا يُنفى اسقف من اسقفيتهِ ولا نصراني من نصرانيتهِ ولا راهب من رهبانيتهِ ولا عن سياحتهِ ولا راهب عن صومعتـهِ ولا يُهدم بيت من بيوت كنائسهم ولا يدخل شيءٌ في بناء المساجد ولا في منازل المسلمين . فمن فعـل ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسول الله وخان ذمة الله

« وان لا يحمل الرهبان ولا الاساقفة ولا جميع من لم يلزم بثمنـهِ الّا ان تطيب بذلك انفسهم وان لا تجاوز الجزية على اصحاب التجارات العظـام في البحر والغوص واستخراج معادن الجوهر والذهب والفضة وذوي الاموال الجمة والقوة ممّن انتحل النصرانية اكثر من اثني عشر درهماً في كل عام اذا كان اهل الموضع قاطنـين وبه

مقيمين . وانهُ ليس على عابر سبيل ولا قاطن البلد ولا اهل الاحسان ممّن لا يُعرف موضعهُ الخراج ولا الجزية الّا ان يكون في يده ميراث الارض ممن يجب عليه مال السلطان من حق فيؤدي ذلك على ما يؤدي مثله ولا يتجاوز عليهِ ولا يتحمّل منهُ الّا مقدار طاقتهِ وقوتهِ ومن يحوز الارض وعمارتها واقبال ثمرها لا يُكلَّف شططاً ولا يحادُ بهِ عن حدّ اصحاب الخراج من نظرائه . ولا تكلَّف اهل ذمة الخروج مع المسلمين الى عدوّهم وملاقاة الحرب ومكاشفة الاقران لانهُ ليس على اهل الذمة مباشرة القتال وانما أُعطوا الذمة ان لا يكافُوا ويكون المسلمون ذُبّابًا عنهم محرزين من دونهم ولا يُكرهون على الخروج مع المسلمين الى الحرب التي يلقون فيها عدوّهم ولا بقوّة من سلاح وخيل الّا ان يتبرعوا بهِ اليهم فيحمل على ذلك من تبرع بهِ وعرف لهُ ذلك وكفى عليهِ (!)

« ولا يُجبر عليهِ احد ممن كان على ملة النصرانية من الاسلام كرهًا ولا يجادل الّا بالتي هي احسن ويخفض لهم جناح الرحمة ويُكفّ عنهم الاذى والمكروه حيث كانوا واين كانوا . وان جرّ احدٌ من النصارى جريرة او جنى جناية فعلى المسلمين نصره ومنعهُ والذبُّ عنهُ والغرم عن جريرته والدخول في الصلح بينه وبين ما اصاب منا عليهِ وامّا فداء ينادى بهِ ولا يخذلون ولا يرفضون ولا يتركون مهملًا على اني اعطيتهم عهد الله انّ لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وللمسلمين ما لهم وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبهُ حقّ الرعاء والذبّ عن الحرمة بهِ استوجبوا ان يذبّ عنهم كل مكروه ويدخل لهم في كل مرفق حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم . وان لا يحمل من امر النكاح شططاً لا يراد دونهم ولا يكرهوا اهل البنت منهم على تزويج المسلمين ولا يضادّوا في ذلك ان منعوا خاطبًا او ابوا تزويجًا فان ذلك لا يكون الّا بطيب انفسهم ومسامحة اهوائهم ان احبّوه ورضوه . واذا صارت النصرانية عبد (عند) المسلم فعليه ان يرضى هواها في دينها من الاقتداء برؤسائها والاخذ بمعالم دينها ولا يمنعها في ذلك ولا يكرهها على تركها ولا يضادها في رفض دينها وان فعل ذلك واكرهها عليهِ فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله وهو عند الله من الكاذبين . ولهم ان احتاجوا الى مرمّة كنائسهم او صومعتهم او شيء من مصلحة دينهم الى رفد من المسلمين او معونة على مرمّةٍ ان يُرفدوا على ذلك ويعاونوا ولا يكون ذلك دَيْنًا بل

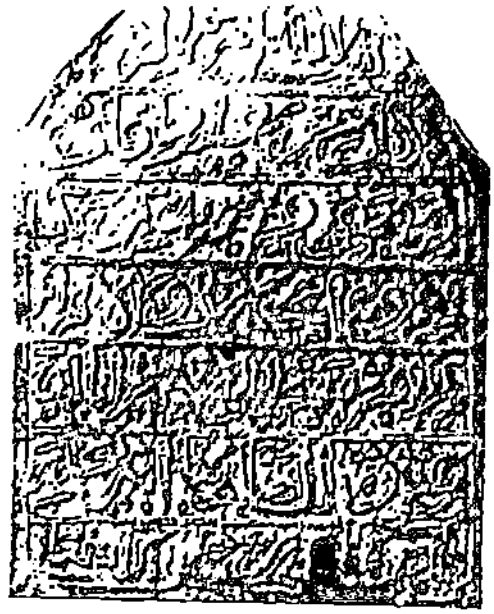

١

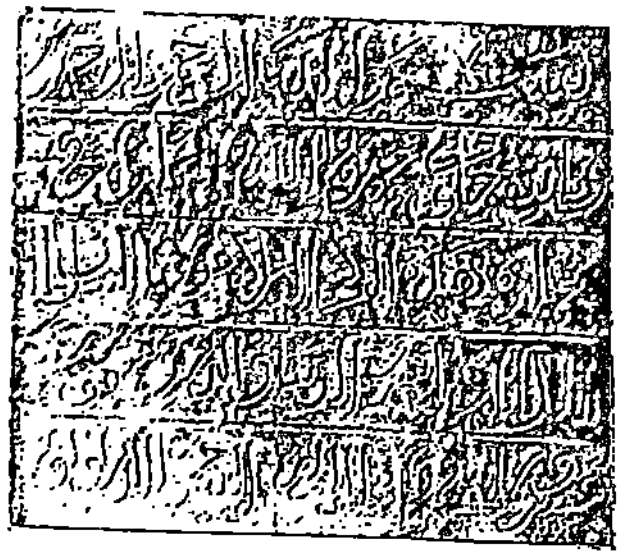

٢

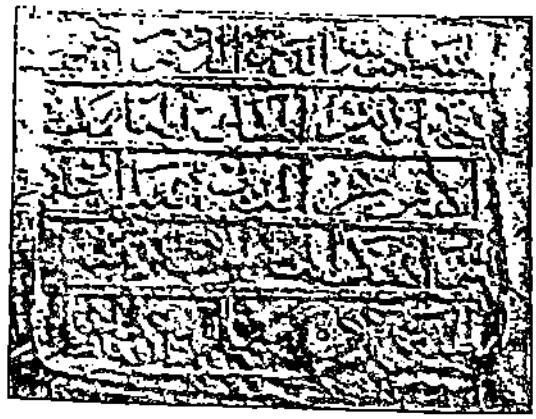

٣

معونةً لهم على مصلحة دينهم ووفاء لهم بعهد رسول الله هبة وموهبة لهم ذمّة الله وذمة رسول الله عليهم ولهم ولا يُكره احد منهم ان يكون بين المسلمين ولهم عدوٌّ وقالوا له كن رسولًا او دليلًا او مسخّرًا او في شيء ممّا يقوّم الحرب فمن فعل ذلك باحد كان ظالمًا ولرسول الله عاصيًا ولوصيته مخالفًا

« هذه الشروط التي شرطها محمد رسول الله لاهل الملة المسيحية وشرط عليهم في دينهم امورًا وفي ذمتهم عليهم التمسك بها والوفاء بما عاهد عليهم ... منها ان لا يكون احد منهم معينًا لاحد من اهل الحرب على احد من المسلمين في سرّ ولا في علانية ولا يرقى في منازلهم عدوٌّ لمسلم ولا ينزل اوطانهم ولا شيء في مساكن عبّادهم ولا غيرهم من اهل الملة . ولا يرفدوا احدًا من اهل الحرب على المسلمين بقوّة من عارية السلاح ولا الخيل ولا الرجال ولا يستودعوا لهم مالًا ولا يكاتبوهم ولا يضيفوهم الّا ان يكونوا في دار بقية يذبّون فيها عن انفسهم وعن دمائهم ورعاية دينهم . ولا يمنعوا احدًا من المسلمين قرى ثلاثة ايام ولياليها لانفسهم ولدوابهم حيث كانوا وحيث ارادوا ويبذلون منهُ القرى الذي منهُ يأكلون ولا يكلّفوا زيادة عن ذلك فيحملوا الاذية عليهم والكروه . فان احتيج الى اختفاء احد المسلمين في منازلهم وموطن عمارهم ان يردّوهم ويرفدوهم ويواسوهم عمّا شق به مما كانوا مختفين اذا كتموا عنهم ولم يظاهر العدو على عورتهم ولم يبخلوا بشيء من الواجب عليهم . في ذلك فمن نكث منهم شيئًا من هذه الشروط وتعدّاها الى غيرها برئ من ذمة الله وذمة رسوله

« عليهم بتلك العهود والمواثيق التي اخذت على الاحبار والرهبان والنصارى من اهل الكتاب واشهد على امته من الايمان والوفاء بذلك اين كانوا وحيث كانوا وعلى رسول الله الوفاء بما جعل لهم على نفسه وعلى المسلمين رعاية ذلك لهم ومعهم به حتى تقوم الساعة وتنقضي الدنيا . واشهدوا (؟) على هذا الكتاب الذي كتبه محمّد رسول الله بين النصارى الذي اشترط عليهم وكتب لهم هذا العهد :

ابو بكر الصديق . عمر بن الخطاب . عثمان بن عفان . عليّ بن ابي طالب . ابو معاوية بن ابي سفيان . ابو درداء . ابو ذر ابو برده . عبد الله بن مسعود . عبد بن العباس . حمزة بن عبد المطلب . فضيل بن عباس . الزُبير بن العوام . طلحة بن عبد الله . سعد بن معاذ . سعد بن عبادة . ثابت بن قيس . يزيد بن ثابت . عبد الله بن يزيد . حرنوش . زيد بن ارقم . أساف بن يزيد .

سهل بن بيضاء . عثمان بن مظعون . داود بن جبير ابو المالية . عبد الله بن عمر . العامري ابو حنيفة . ابن عمير . ابن ربيعة . عمّار ابن ياسر . هاشم بن عتبه . حسن بن ثابت . كعب بن كعب . كعب بن مالك . جعفر بن ابي طالب . (رضوان الله عليهم جميعهم). كتبهُ معاوية بن ابي سفيان بإملاء رسول الله يوم الاثنين في ختام اربعة اشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة (على صاحبها افضل السلام) وكفى باسمهِ شهيدًا على ما في هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين

*

فهذه هي العهدة التي روتها روضة المعارف وكان من شأنها ان تُصدّرها بكلام وجيز تثبت فيهِ اصلها وتشير الى قدمها وتنفي عنها كل شبهة التقليد كما اعتاد ذلك الاثريون وكما يفعل كتبتنا كلما نشروا اثرًا قديمًا في المشرق. امّا الروضة فآثرت السكوت عن هذه الافادات ويا ليتها لم تفعل فاضطرّتنا الى هذا البحث الانتقادي فنقول: انّ هذا العهد من الآثار المصنوعة التي لا يمكن اثباتها الى نبيّ الاسلام وغاية ما تتمنّى أن يقوم بين المسلمين احد العلماء فيبطل زعمنا فنقرّ بغلطنا شاكرين لفضل المنتقد. امّا الاسباب التي تحدو بنا الى جحود هذا الأثر فهي الآتية:

اوّلًا راجعنا كتاب ابن سعد في كتب النبيّ ووفاداتهِ وهو اقدم ما ورد في هذا المعنى وكان ابن سعد كاتبًا للواقدي في اواخر القرن الثاني للهجرة فنقل في كتابهِ ما وقف عليهِ في كتب اسلافهِ الضائعة كابن الكلبيّ والمدائنيّ. فلم يروِ انّ محمّدًا كتب عهدًا للملّة النصرانية اجمالًا او لاحدى طوائفها المعروفة في عهدهِ كالملكيّة او النسطوريّة او اليعقوبيّة. فكفى بسكوتهِ دليلًا على انّ هذا الاثر كان مجهولًا في وقتهِ لا يعرفهُ المسلمون

ثانيًا كذلك لا ذكر لهذه العهدة في السير المحمّديّة واخبار الرسول التي كتبها المسلمون كابن هشام وغيرهِ ولو كانت هذه العهدة صحيحةً شائعة الذكر عرفها اصحاب محمّد وانصارهُ ووقّعوا عليها اسماءهم كما يقال لمّا فات امرُها اولئك الكتبة ما لم يزعم الزاعم انّهم اخفوا امرها قصدًا وهي تهمة لا يجوز التقريع بها الّا بالدليل

ثالثًا ومثلهم المؤرخون الاقدمون كالطبري وكتبة الفتوحات والمغازي كالازدي والبلاذري وكلّهم يظهرون التدقيق فيما يروون ويثبتون اقوالهم بالاسانيد المتواترة فلا احد منهم يتوه بميثاق اعطاهُ رسول الاسلام للملّة النصرانية جمعاء.

رابعًا بل لا يتطابق هذا العهد مع احوال نبيّ الاسلام فانّهُ لمّا توفي في السنة

العاشرة للهجرة لم تكد العرب تخرج من حدود جزيرتهم فانَّ الفتوحات الكبيرة كالشام ومصر والعراق والعجم انَّما جرت في زمن خلفائهِ فلا يقبل العقل السليم والانتقاد الصادق انَّ محمَّدًا يكون كتب مذ ذلك الحين « سجل دين النصرانيَّة في مشرق الارض ومغربها وفصيحها واعجمها وقريبها وبعيدها ومعروفها ومجهولها كتابًا جعلهُ عهدًا مرعيًّا وسجلًّا منشورًا الخ » لكل بلاد النصرانية وكثير منها لم يدخلها العرب

خامسًا وزد عليهِ انَّ الكتب المرويَّة عن نبيّ الاسلام كلّها موجزة قليلة الالفاظ بخلاف هذا العهد الذي اتَّسع فيهِ الكاتب وفصَّل تفصيلًا زادنا ريبًا في صحَّتهِ

سادسًا ولنا دليل آخر على عدم صحَّة هذا الأثر وهو انَّنا لا نجد لا في معاهدات الخلفاء مع النصارى ولا في براءات السلاطين اليهم ما يدلّ على معرفتهم بهذا الأثر الجليل ولو عرفوهُ لأشاروا اليهِ لا محالة وبنوا عليهِ معاهداتهم وما خالفوهُ في مضامينهِ في معاملاتهم للنصارى. وكل ذلك ينقضهُ التاريخ

سابعًا ومن الادلَّة المثبتة لقولنا انَّ نسخ هذا العهد التي اطَّلعنا عليها مع كثرتها حديثة لا يتجاوز عهد كتابتها ثلثمائة او اربعمائة سنة ولو كان أصلها يرتقي الى اوائل الاسلام لَحُفظت كأثر نبويّ وذخيرة ثمينة في خزائن السلاطين فوصفها الأثريون وصفًا مدقَّقًا

ثامنًا ويظهر من المقابلة بين النسخ الباقية الى يومنا بانَّ هذا العهد مصنوع. ولبيان هذا الامر قطعيًّا كان ينبغي لنا ان نثبت هنا تلك الصور المتعدّدة التي حصلنا عليها فيرى القرّاء ما فيها من الاختلاف الَّا انَّ هذا يطول بنا ويقتضي صفحات عديدة من المجلَّة فنكتفي بايراد مقاطيع من بعضها دلالةً على قولنا. فمن هذه العهود عهد وجدناهُ في بعض مخطوطات مكتبتنا قيل في آخرهِ انهُ خُطَّ عن احدى النُّسخ الثلاث « التي كتبها عليّ بن ابي طالب باملاء محمَّد الرسول سنة اثنين بعد الهجرة » واحدى النسخ في خزينة السلطان والثانية بدير الطور في سينا والثالثة في ايدي رهبان جبل الزيتون (١ فهذا اوَّلهُ :

هذا عهد الله لكافة النصارى ولسائر الاماكن النصرانية حفظًا منا ورعاية لنجاشم لاضم وديعة

١) وقد وجدنا في تاريخ الكنيسة الانطاكية للخوري ميخائيل غبريل نصًّا قريبًا منهُ (ج ١ : ٥٨٨)

الله بعده في خلقه ليكون حجة له عليهم ولا يكون للناس حجة على الله بعده وجعل ذلك ذمة منه وحفظاً لامر الله العزيز الحكيم كتبه وامر سائر المولين الامور من اهل ملته بعده ان يعاملوه ويعاملوا به كل من انتحل دين النصرانية ودعوا بها من مشرق الارض ومغربها وقبلها وبحرها وقريبها وبعيدها وعربيها وعجميها ومعروفها ومجهولها عهداً منه وسنة لهم ليحفظوها ويراعيها كل المولين الامور ممن هو بالامور متمسكاً ولطاعة الآمر تابعاً ومستأملاً ومن نكثها وتعداها وخالفها وضيع عهد الآمر به وغيره وفعل بخلاف ما رسم به الآمر كان لعهد الله ناكثاً ولميثاقه ناقضاً ولذمته مستهيناً وللعنته مستوجباً ...

وهكذا بقية العهد يتفق مع نص روضة المعارف في اشياء ويختلف في اشياء فيظهر ان النساخ تصرفوا في الكتاب كيفما شاؤوا حتى لا تكاد تجد سطرين بمنطوق واحد . وكذلك اسماء المسجلين تختلف وفيها التقديم والتأخير والتصحيف والتحريف

ولدينا نسخة اخرى من هذا العهد اقدم من السابقة نقلناها عن كتاب مخطوط يرتقي عهده الى القرن الثالث عشر فيه تواريخ النصارى لاحد الناطرة . وهذا الكتاب قد باشر بنشره رئيس اساقفة سعرت السيد ادي ابرهيما شير الكلداني الجزيل الاحترام فهناك يقال ان ثلاثة من اصحاب محمد طلبوا منه سجلاً يكون كعهد للسيد بن الحارث بن كعب صاحب نجران ولجميع اهل النصرانية فكتب لهم هذا العهد وهو يشبه العهدين السابقين في اشياء ويخالفها في غيرها . دونك اوله :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله الى الناس كافة بشيراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله في خلقه ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والبيان وكان الله عزيزاً حكيماً

للسيد بن الحارث بن كعب واهل ملته ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الارض وغربها الخ

وهذه قطعة من هذا الاثر القديم تقارب نص روضة المعارف وتصلحه في اشياء :

وانا ادخلهم في ذمتي وميثاقي وامانتي من كل اذى ومكروه ومؤونة وتبعة وان اكون من ورائهم ذاباً عنهم كل عدو يريدني واياهم بسوء بنفسي واعواني واتباعي واهل ملتي وحفظهم من كل مكروه ولا يصل ذلك اليهم حتى يصل اليّ واصحابي الذابين عن بيضة الاسلام وان اعزل عنهم الاذى في المؤن التي يحتملها اهل الجهاد من الغارة (كذا) والخراج الا ما طابت به انفسهم وليس عليهم اجبار ولا اكراه على شيء

وعندنا صورة رابعة للعهد المحمدي ينتحلها اليعاقبة فيزعمون ان محمداً اعطاها

جبريل مطران الطائفة السريانيـة لهم ولنصارى الاقباط . ونسختنا منقولة من نسخة خطيَّة كوفيَّة تُنسب الى معاوية محفوظة في دير السريان اليعاقبة الشهير المسمَّى بدير الزعفران بقرب ماردين تبتدئ هكذا :

بسم الله الرحمن الرحيم . نسخة العهد الموهوبة من نبيّ الله محمَّد لطوائف النصارى القبط والسريان اليعقوبية بمصر واقاليمها وفي كل مكان من اقطار الارض . هذا عهد مني الى سكَّان جميع النواحي من السريان والقبط حفظاً لميثاقهم ورعايةً لاجل الله عزَّ وجل لاتم وديعة الله في ارضهِ ومحافظين لما انزل عليهم في الانجيل والزبور والتوراة لا يكون لهُ الحجَّة عليهم من قبل الله تعالى وصيةً منهُ وحفظاً عليهم بامر الله العزيز الحكيم اذ امر معاوية بقولهِ : اكتب لهم هـذا العهد مني ليطالعوا عليهِ سائر المسلمين والمتولين للحكم من الامراء والوزراء والسلاطين والعلماء والفقهاء من الملة الاسلامية العاملين بوصيتي . . .

ثم يتبع نصّ العهد كما في العهود السابقة مع اختلافات عرضية في العبارة وبعض ايضاحات وزيادات . وهذا مثال منهُ نأخذهُ من ختام العهد :

ومن خالف شيئاً من هذه فقد خان عهد الله وميثاقهُ وما امرنا بهِ كان لهُ ناسخاً ومخالفاً (؟) وقد صار بيد الرهبان امانةً مني اليهم ان لا يكون عليهم مكروه ولا مظلمـة اينما كانوا واينما حلُّوا في المدن والقرى لما قرَّرت لهم عليَّ وعلى جميع المسلمين من الرعاية جم والرأفة والاحسان والرحمة والعناية جم والوفاء بما ذكرناهُ من العهد الذي عهدناهم بهِ الى انتهاء الدنيا ليوم القيامة ولا احد من امتي يتعارض للنصارى بسبب ضرب الناقوس لانَّ الناقوس ضُرب بسفينة نوح نبيّ الله عليهِ السلام ومن نقض وعمل بخلاف الشروط ولا سمع كلامي وظلم ذمياً اكون خصمهُ يوم القيامة . . . .

امَّا العهـد الذي يقال انَّ محمَّداً عاهد بهِ الارمن فانَّ صورتهُ قريبة من صورة العهد اليعقوبي السابق ذكرها الَّا في بعض قطعهـا ولا حاجة الى نقل شيء منها بعد ان نشرتها جريدة الاحوال

تاسعاً ثم انَّ في اسم كاتب هذا الاثر المصنوع دليلاً آخر على كذبهِ فانهُ يقال ان كاتبهُ معاوية بن ابي سفيان في السنة الرابعة من الهجرة في المدينـة . ومعاوية لم يرافق نبيّ الاسلام الى المدينة وانَّما بقي معادياً لمحمَّد الى يوم الفتح اي السنة الثامنة للهجرة فاسلم مع ابيهِ فكيف امكنهُ ان يكتب لمحمَّد وهو ليس من اصحابهِ بل عدوّاً لهُ

عاشراً وكذلك اسماء الموقعين على هذا العهد فبعضها مصحَّف كحسن بن ثابت يريدون حسَّان الشاعر . وبعضها لاصحاب كانوا ماتوا في الوقائع السابقة كحمزة . وبعضها

ممن لم نجد لهم ذكرًا في كتاب أُسد الغابة لابن الاثير وتهذيب الاسماء للنووي كاساف ابن يزيد

حادي عشر واخيرًا يبطل صحّة هذا العهد تاريخهُ الهجري فانَّ هذا التاريخ لم يستعمل الّا بعد وفاة محمد

لا نظنّ بعد هذه البراهين المتعددة انهُ يبقى لاحد ريب في كذب هذا العهد وان سُئلنا عن واضعه اجبنا انَّ صاحبهُ مجهول ولعلَّهُ احد رهبان الناطرة في القرن العاشر صنَّفهُ مقلدًا فيهِ بعض اقوال محمَّد والخلفاء الراشدين ترويجًا لبضاعتهِ ثم اقتدى بهِ غيرهُ وخصُّوا العهد بطوائفهم وتصرَّفوا فيهِ

ومن المحتمل انَّ رهبان طور سينا كانوا اوَّل من اخذ عهدًا من نبيّ المسلمين لما ادَّوهُ لقومهِ من الخدم في بعض غزواتهم . وممَّا يُخبر انَّ السلطان سليماً بعد فتح مصر وجزيرة العرب وقف على عهد بالكوفية زعم الرهبان انهُ من محمد فاستوهبهُ منهم ووضعهُ في خزانة السلاطين العظام والى يومنا لا يعرف من امرهِ شيء . وفي مكتبة الاقباط في مصر نسخة من هذا الاثر تقرب من العهود التي وصفناها لكنَّها اقصر منها . وفي آخرها يُقال أنها « كُتبت بيد علي بن ابي طالب في ٣ محرَّم السنة الثانية للهجرة الموافقة لاوَّل آب سنة ٦٢٢ » . وكفى بذلك دليلًا على اصطناعها (لهُ بقيَّة)

الكتابات العربية في جبل الطور

ملخص بتصرُّف عن مقالة للاب هنري لامنس اليسوعيّ

في اليوم السادس من شهر آب ترفع كنيسة المسيح شرقًا وغربًا نظرها الى الجبل العالي الذي تجلَّى على مشارفهِ الكلمة ابن الله فاراد ان يُعلن لبعض تلاميذهِ ما كان يحجبهُ عن ابصارهم من المجد الباهر والعزّ القاهر . على انَّ الانجيليين الذين ذكروا هذا الحادث الجليل لم يفيدونا اسم الجبل الذي جرت عليهِ تلك المظاهر الفخيمة . لكنَّ الغالب على اراء الكتبة الكنسيين منذ قرون النصرانية الاولى انَّ الجبل المنويّ انَّما هو جبل تابور المعروف ايضاً بجبل الطور

وهذا الجبل ينتصب في اوسط بلاد الجليل مفترزًا عنها على صورة قبّة عظيمة احتلّ العليّ في ظلالها او قلْ مذبحًا شريفًا أُقيم لتُرفع عليهِ التقادم والمحرقات لعزّتهِ تعالى او بالحري عرشًا سنيًا تتلألأ فوقهُ مجالي اللاهوت بتجلي السيّد المسيح. وعلوّ هذا الجبل يبلغ ٥٠٠ متر فوق سهول مرج بني عامر فيكون ارتفاعهُ فوق سطح البحر ٦٠٠ م بنيف قليل. ومن رقي الى اعلاهُ اكتشف من ثمَّ جبال الجليل وجبل حرمون وبحيرة طبريّة وعدّة مدن عامرة كانت في تلك النواحي. وهذا الجبل كثير الخصب تظلّل معاطفهُ انواع الاشجار المنبسطة الافنان كالشربين والسنديان والخروب والبطم وتأوي اليهِ طيور البرّ والوحوش الضارية يصطادها الصيادون. وامّا اعلى الجبل فينتهي ببسيط واسع طولهُ ١٢٠٠ متر كان يُرقى اليهِ بدرج منقور في الصخرة من لحف الطور. وقد بقي بعض آثار ذلك الدرج الذي كان يبلغ عدد مراقيه ٤٣٤٠ مرقاة

وقد ورد ذكر التابور في تاريخ بني اسرائيل غير مرّة فأدخلهُ يشوع في تخوم ارض الميعاد وجعلهُ فاصلًا بين سبطي زابلون وايساخر. وعندهُ ظفرت دبورة باعداء قومها وأشاد صاحب المزامير بفاخرهِ (مز ٨٨: ١٣) وشبَّه النبيّ ارميا (٤٦: ١٨) قدوم نبوكدنصّر ورفعتهُ فوق الملوك بتقدُّم تابور على بقيّة الجبال

وكان الفينيقيون واليونان يعرفون جبل الطور وهم يدعونهُ اتابيريون وكان الوثنيّون يكرمون عليه المشتري ويدعونهُ المشتري التابيري. وأُقيمت في مشارفهِ مدينة حصينة في القرن الثالث قبل الميلاد استولى عليها بالدسيسة الملك هيرودس الكبير فاخربها. وقد نال ذلك الجبل فخرًا عظيمًا بتجلي السيّد المسيح فوقهُ كما يشهد على ذلك اوريجانس المعلم واوسابيوس القيصري والقديس ايرونيموس وورد ذكرهُ في انجيل الاثني عشر رسولًا احد اناجيل الزور الراقي الى اوائل القرن الثاني للمسيح. وقد اقامت القديسة هيلانة في القرن الرابع كنيسة على قمّتهِ تذكارًا لهذا الواقع. وجُعل لتلك الكنيسة اسقف نُسب اليها في المجمع الخامس سنة ٥٥٣. وشُيدت بعد ذلك كنائس اخرى

وممّا أخبرهُ يوسفيوس في العاديّات اليهوديّة ان اليهود اذ سمعوا بزحفة الرومان على بلادهم على عهد فسبسيان احاطوا جبل الطور بسور عظيم وتحصّنوا وراءهُ لكنَّ الرومان اخربوهُ بعد قليل

وبقي جبل الطور كزار ديني الى أيام الصليبيين فلما قدم الفرنج البلاد المقدسة وفتحوا سواحل الشام وبلاد فلسطين ردّوا لهذا المقام عزّهُ وشرفهُ فشيّدوا للرهبان البندكتيين ديرًا كبيرًا جعلوهُ كقلعة منيعة في وجه الاعداء لكنَّ المسلمين غزوهُ مرارًا وقتلوا رهبانهُ او طردوهم واستولوا على ابنيتهم فخربوها. ثم رأى ملوك الشام ما لجبل الطور من المنعة وحسن الموقع فعزموا على تشييد حصن حصين يسكنهُ المسلمون ويشنُّون منهُ الغارات على البلاد الفرنجيَّة المجاورة قال ياقوت في معجم البلدان (٣: ٥٦٦): «ثم بنى هناك الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب قلعة حصينة وأنفق عليها الاموال الجمّة واحكمها غاية الإحكام فلمّا كان في السنة ٦١٥ (١٢٢٠م) وخرج الفرنج من وراء البحر طالبين للبيت المقدس امر بخرابها حتى تركها كالامس الدابر»

وفي هذا القول نظر لأن الحصن الذي ذكرهُ ياقوت أُقيم قبل ذلك بعدّة سنين اي السنة ٦٠٧ للهجرة (١٢١١) كما ذكر مؤرخو الصليبيين وكان الذي سعى في الامر الملك العادل الأيوبي ابو الملك المعظّم عيسى وقد جدَّ في العمل بنشاط عظيم حتى اتمَّ منهُ سنة ٦٠٩ قسمًا كبيرًا ثم أكمل العمل ابنهُ الملك المعظّم كما روى ياقوت ثم خاف لئلا يستولي عليهِ الفرنج فاخربهُ

ولنا على هذه الامور كلّها شواهد ثابتة في الكتابات العربية التي وُجدت في جبل الطور وكنّا ممّن اسعده الحظّ برسم بعضها وان سبقنا الى نشرها احد ائمّة الاثريين العلّامة ماكس فان برشم (MuNDPV, 1903, 33-45) واوّل هذه الكتابات تشير الى انشاء القلعة هكذا:

امر بانشاء هذه القلعة المباركة مولانا السلطان الاعظم الملك العادل المجاهد المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو بكر ابن ايوب خليل امير المؤمنين عند عوده من الشرق واجماع العسكر المنصور وترولهِ بظاهر الطور بعد انقضاء الهُدنة (١) وكان الابتداء بالعمل في يوم الاحد لخمس مضين من ذي الحجة سنة سبع وستمائة وركب هذا في ولاية الامير حسام الدين لولؤ ابن عبد الله الملكي المعظّمي

---

(١) يريد الهدنة التي كان اتفق عليها مع الفرنج سنة ٦٠٣ (١٢٩٢). ويشير بعوده من الشرق الى حروبهِ في العراق والجزيرة

ودام ملك الملك العادل الى السنة ٦١٥هـ (١٢١٨) وفيها كانت وفاتهُ الّا انّهُ كان في آخر حياتهِ قد اعتزل الاشغال فولّى مصر ابنهُ الكامل ووكل الى ابنهِ الآخر عيسى المعظّم تدبير بلاد الشام. وفي كتابات جبل الطور ما يدلُّ على سلطنة الملك المعظّم المذكور. منها كتابة تاريخها سنة ٦١٠ (١٢١٣) كان اوّل من نشرها الاستاذ اليوناني يوانيدوس وهذه صورتها بعد البسملة وآية قرآنيّة من سورة البقرة:

امر بإنشاء هذه القلعة المباركة مولانا السلطان الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب وكان بدوّ العمل في خامس المحرّم سنة عشر وستمائة (٢٧ أيار ١٢١٣) في ولاية العبد الفقير لؤلؤ المعظّمي

فيؤخذ من هذه الكتابة انّ الملك المعظّم هو الذي انشأ القلعة الّا انّ الملك العادل كان سبق فوضع اسوارها وشيّد قسمًا من ابنيتها كما رأيت في الكتابة السابقة. وكأنّ الملك المعظّم لم يرَ داعيًا الى تكرار الامر مع وجود تلك الكتابة تذكر عمل نفسهِ الخاصّ

وللملك المعظّم كتابة ثانية امر برسمها في السنة عينها وهي اليوم في ساحة دير الآباء الفرنسيسيين حيث اخذها رسمها (اطلب العدد ٢ في صورتنا) وهذه الكتابة كان الدكتور مورتس اخذ رسمها وارسلها الى الاثريّ ڤان بركم وهذا فحواها بعد البسملة

امر بعمارة هذه البركة المباركة مولانا السلطان المعظّم شرف الدنيا والدين في شهور سنة عشر وستمائة (١٢١٣-١٢١٤) في ولاية الفقير الى رحمة الله حسام الدين لؤلؤ

فتكون اذن الكتابة دالّةً على انشاء بركة وقد ظنّ العلّامة ڤان بركم انّ لفظة «البركة» ليست واضحة وانّهُ من المحتمل ان يكون المراد «البَدَنة» والبدنة كالسور والحمى الّا انّنا تحقّقنا انّ في الاصل «بركة» ليس «بدنة»

وقد جاء ذكر البَدَنة في كتابة ثالثة للملك المعظّم بعد هذا التاريخ بسنتين وجدها الادباء يوانيدس والدكتوران شوماخر ومورتس ونشرها المسيو ڤان بركم هكذا بعد البسملة:

ممّا امر بعمارة هذه البَدَنة مولانا السلطان الملك المعظّم شرف الدنيا والدين عيسى ابن الملك العادل سيف الدنيا والدين ابي بكر بن أيوب لستٍ خلون من ربيع الآخر سنة اثني عشر وستمائة (٣ حزيران ١٢١٥) في ولاية العبد الفقير الى رحمة ربهِ حسام الدين لؤلؤ المعظّمي

فهذه الكتابة كانت آخر ما خلّف الملك المعظّم من الآثار قبل ان يُخرب القلعة . وكأنَّ صاحب معجم البلدان اشار الى هذه الكتابة الاخيرة في الاسطر التي نقلناها عنهُ . وقد وُجدت للملك المعظّم قطعة كتابة غير كاملة يذكر فيها انشاؤهُ لباشورة الّا انَّ هذا الاثر قد سقط منهُ تاريخهُ وبعض الفاظهِ

وقد وُجدت في جبل الطور كتابات أُخر ترتقي الى هذا الزمان لكنَّها ليست للملوك الايوبيّين وانَّما هي لعمّالهم فواحدة منها « للامير عزّ الدين ايبك الخادم الملكي المعظّمي » تاريخها سنة ٦٠٩ (١٢١٢—١٢١٣) كُتبت دلالة على عمارتهِ لاحد امكنة القلعة (اطلب العدد ٣ من صورتنا) . وهذا الاثر في ايدي الاباء الفرنسيسيين

ومنها كتابة أُخرى لحسام الدين لؤلؤ الذي تكرَّر ذكرهُ في الكتابات السابقة مضمونها انها رسم بعمارة منزل سنة احدى عشرة وستمائة (١٢١٤—١٢١٥) ويدعو هناك نفسهُ « بالامير الاجلّ الاسفهسلار الكبير حسام الدين لؤلؤ » (MuNDPV, p. 41)

وقد وقفنا نحن على كتابتين أُخريَيْن في جبل الطور لم ينشرهما احد قبلنا وكلتاهما في جنينة الاباء الفرنسيسيين على ضريحين للموتى فالواحدة قد سقط منها اسم الميت وتاريخ موتهِ . امَّا الثانية فترى رسمها (في صورتنا العدد ١) . ويقال فيها انَّ القبر لسنجر عتيق (اي مولى) الطونبا امير مجلس المعظّمي » وقد اتّسعنا في شرح هاتين الكتابتين في مجموع طرف اساتذة المكتب الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale, III, 485—490) فلا حاجة الى الاطالة

ومنذ ذاك العهد لم يبق على جبل الطور غير المعابد التي كان يزورها الزوّار واخربها السلطان بيبرس البندقداري ثم عاد النصارى وجدَّدوا بناءها في ايام الامير فخر الدين فأخذ الآباء الفرنسيسيّون يهتمّون بامر كنيسة جبل الطور منذ السنة ١٦٣١ ثم جاء الروم وزاحموا اللاتين في سكنى الجبل وابتنوا في شماله الابنية ولهم هناك كنيسة على اسم ايليا النبي

هذا ما رأينا ذكرهُ في هذه العجالة بنسبة عيد التجلي ومن اراد الوقوف على آثار الطور واخبارهِ مفصَّلةً عليهِ بمراجعة كتاب حضرة الاب الفرنسيسيّ برنباي (Le Mont Thabor, par le P Barnabé Meistermann O. F. M., Paris 1900)

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(عبد السلام الشطّي) واشتهر في طرابلس الشام قبل هؤلاء بزمن قليل الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بالشطّي الدمشقيّ . واصل اسرته من بغداد وولد هو بدمشق سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ثم درس العلوم الدينيّة والفقهيّة على علماء الفيحاء وتعبّد على الطريقة القادريّة . وكان محبًّا للآداب مشهورًا بفرط الذكاء وحسن النظم غلب على شعره اللطف والعذوبة . ولهُ ديوان طُبع بهمّة حفيده محمّد جميل الشطّي سنة ١٣٢٤ . وقد سافر المترجم الى بلاد الروم مرّتين ودخل القسطنطينية سنة ١٢٩٣ ووُجّه عليه تدريس ادرنه وخُصّص لهُ راتب سنوي من الصرّة السلطانيّة . توفي فجأة في دمشق في ١١ محرّم سنة ١٢٩٥ (منتصف كانون الثاني ١٨٧٨) . ومن شعره ما قالهُ في وصف بيروت وتهنئتها بسحب ماء نهر الكلب اليها :

بيروت اني في هواها ارغبُ ... من ثغرها ابسّام طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدة قد خصّها ... ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنها ... شمسٌ على افق الدلى لا تغربُ
يا طالما قد زرتها فوجدتها ... ظمآنةً من حرّها تتلهّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها ... ودوائها قد عزّ فيه المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسّفًا ... من فقدها ما تشتهي وتطلبُ
من بعد ذاك اتيتها فوجدتها ... تختالُ من عجبٍ وذيلًا تسحبُ
فسألتها من حالها فتبسّمت ... واصلٌ من فيها فُراتٌ اعذبُ
فاشتفت نفسي ببرد حميها ... فغدوتُ في نعمائها اتقلّبُ
وانيتُ في هذا النظام بهنّا ... اذ جاءهم هذا الطهور الطيّبُ
وزجوتُ من فضل الاله دوامهُ ... في كلّ حين دائمًا لا يُسلبُ

وكتب رقعةً دعا بها بعض اصحاب الفضل من اصدقائه :

يا سادةً في دورهم تسلسلت قومٌ كرامْ
وزيّنوا بجمعهم ليل الثنا في كل عامْ
ومتّعوا بقربهم صديقهم عبد السلامْ
اذا اردتم انهُ يحظى بكم على الدوامْ
اعطوهُ منكم موثقاً يحظكم على الكلامْ
في ليلة لطيفةٍ في داره لكم تنامْ
ويرتجي من فضلكم ارّخ به الدور ختامْ (١٢٨٩)

وقال مستغفراً :

يا ربِّ انَّ العبد عبدٌ مذنبٌ وهو فقيرٌ ما لهُ عنك غنى
قد قطف اللذّاتِ في شبابهِ بجهلهِ فاغفر لهُ ما قد جنى

(محمد الميقاتي) وفي هذا الوقت عُرف شاعر آخر فاضل وهو الشيخ محمّد افندي ابن عبد القادر الميقاتيّ وكان طرابلسيًّا اديباً لهُ النظم الرائق فجمع شعرهُ بعد وفاتهِ سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) الاديب عبد الحميد بن محمّد حبلص احد مواطنيهِ وطبعهُ في بيروت في المطبعة الادبيّة سنة ١٣٠٤ ودعاهُ ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة فمن قولهِ يعاتب الدهر :

الدهر شيمتهُ يُبدي لنا العجبا فلا تكن من فعال الدهر متعجبا
ولا تثق بشرابٍ منهُ وقت صفا فيستحيلُ سرابًا صفوهُ وهبًا
ولا يغرّك ما يوليك من منحٍ فقلبها بمن تركو به لهبا
ان يمنح الدهرُ يوماً يستردُّ غداً او يُحسن الدهر يوماً بالاسى انقلبا
هيهاتِ يُجدي الفتى من دهرهِ هربٌ ولو بما فوقَ افلاك انها هربا
فالصبرُ اجملُ بالحرّ الكريم على ما خطّهُ قلم الاقدار او كتبا
ما لي وللدهر يرميني بكلكلهِ كأنّني قاتلٌ اما لهُ او ابا
ويلاهُ من زمني كم ذا يُقابلني من جوره بالأسى ويلاهُ وا تعبا
اهل البسيطة قد اثنت على ادبي واذعنت لي بأني سيّد الادباء
ودأبُ قومي معاداتي ومنقصتي ولا ارى ليَ ذنباً لا ولا سببا
لا ذنب لي غير اني فقتهم شرفاً وانّني فقتهم بين الورى رُتبا
ما ضرّني لا اقال الله عثرتهم لو انّهم قابلوا فضلي بما وجبا

ولهُ مؤرخاً دار بناها آل كتسفليس في طرابلس :

لكمُ الهنا يا آل كتسفليس يا أهلَ المآثرْ

جددتمْ فوق العلى بيت المكارمِ والمفاخرْ
بيتٌ لحسن بنائهِ بدرُ المسرَّةِ فيهِ سافرْ
قد شادهُ اسكندرٌ مَنْ فضلهُ في الناسِ ظاهرْ
والسعدُ حول رحابهِ بالعزّ والاقبال دائرْ
وفم السعادة قد غدا ارّخ لهُ بالشكر فاغرْ (١٨٦٨)

وقال مختماً :

لمن أشتكي ضنى وضنكي وشدّتي ومَن يَشفِ اسقامي ويرحمْ لعبرتي
لجأتُ فما لي غير ذلّ مقالتي الهي بتقديس النفوس الزكيّةِ
وتجديدها من عالم البشريّةِ
وبالنور سرّ الكائنات ومن دنا اليك مقاماً لن يحيط بها سنا
وناديتهُ ها انت حي وها انا أزلْ عن فؤادي ما ألاقي من العنا
فاني قليل الصبر عند البليّةِ

(عبد الفتّاح اللاذقي) ونبغ في اللاذقية في الوقت عينهِ شاعر متفنن ابو الحسن عبد الفتّاح ابن مصطفى بن محمّد المحمودي اللاذقي العطّار كان مولدهُ سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ونظم الشعر في شبابهِ ثم جمعهُ في ديوان دعاهُ « سفير الفؤاد » فطبعهُ في بيروت في مطبعة جمعيّة الفنون سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) وجعلهُ اربعة اركان في المدائح والتوسُّلات ثم في امتداح السادات ثم في التهانئ والمراثي واخيرًا في القدود والموشّحات. فمن ذلك قولهُ مبتهلًا الى الله عزَّ وجل :

شكوتك ناقاتي وانك تعلمُ بحالي ونار الفقر في القلب تُضرَمُ
وللخلّاق لا اشكو افتقاري وفاقتي فمن يشكُ للمخلوق لا شكَّ يندمُ
فجُدْ لي برزقي يملأ القلبَ عفّةً فجودُكَ لي عزٌّ وكنزٌ ومغنمُ
والّا فصبّرني على ما قسمتَ لي فأمرك يا ربَّ البريّةِ مُبرَمُ

وكتب الى نائب المحكمة فيض الله افندي عن لسان شيخ كان خدم جبل الريحان وصلّى في اهلهِ فلم يعطوهُ حقَّهُ من الموسم :

اخا الافضالِ فيضَ الله يا من حوى المجد المؤثّل واللطافهْ
فناقِلْ شقّتي هذا فقيرٌ وموصوفٌ بانواع العفافهْ
لقد صلّى بأقوامٍ إماماً وفي محرابهم جعل اعتكافهْ
وفي شهر الصيام فكم تنقّى وكم قد سار مع بُعد المسافهْ
لقد جحدوا امامتهُ وبادوا لهُ بالهزل جدًّا والكثافهْ

وما جادوا لـهُ ابدًا ببِرٍّ ولا عملوا لهُ ابدًا ضيافه
وقد حرموه من اكل المحاشي ومن اكل القطائف والكنافه
فهم قومٌ لقد مكروا جذا وليس لهم من المولى مخافه
وقد رُفعتْ قضيَّتهُ اليكم وفي انظاركم يرجو انتصافه
اخا الافضال فانظر امر هذا فعينُ العدل لم تنظر خلافه
فهذا قد أُضيف الى ملاكم وحاز الفخر في تلك الاضافه

ومن محاسن شعره قولهُ في مولود سنة ١٢٧٩ :

الروضُ زاهٍ زاهرُ والغصنُ باهٍ باهرُ
والسعدُ والى مقبلًا والفخرُ وافٍ وافرُ
والطيرُ يشدو قائلًا هلَّ الهلالُ السافرُ
اهلًا بهِ من قادمٍ في كلِّ جاهٍ جاهرُ
بشراك فيهِ أيها الـسخلُ الفخيمُ الفاخرُ
فاهنأ بهِ لانهُ نعمَ الغلامُ الناضرُ
بيت الهنا والسعدُ فيهِ م كل عامٍ عامرُ
والعزُّ فيهِ قد غدا والبشرُ فيهِ ظاهرُ
والفخرُ نادى منشدًا ارّخْ غلامٌ باهرُ (١٢٧٩)

(احمد فارس الشدياق) كان مارونيًا لبنانيَّ الاصل مولدهُ في عشقوت سنة ١٨٠٤ ثم انتقل مع والديهِ الى ساحل بيروت سنة ١٨٠٩ فسكن الحدث ودرس مبادئ العلوم اللسانية في عين ورقة ثم قصد القطر المصريَّ فاتقن فيهِ العربية وجعل يكتب في اوَّل جريدة ظهرت هناك اي الوقائع المصريَّة وفي السنة ١٨٣٤ دعاهُ المرسلون الاميركان الى مالطة وولَّوهُ ادارة مطبعتهم فتظاهر بالدين البروتستاني وخدم الرسالة الاميركيَّة بنشاط وطبع في مالطة بعض مصنَّفاتهِ والَّف هناك كتابهُ الموسوم « بالواسطة في معرفة مالطة » ثم تجوَّل مدَّة في انحاء اوربَّة وخصوصاً في فرنسة وانكلترة فأكرم اهل تلك البلاد مثواهُ وصنَّف حينئذٍ كتابهُ الفرياق الذي لم يرعَ فيهِ جانب الادب وشفعهُ بكتاب آخر اجدى نفعاً واصوب نظرًا دعاهُ « كشف المخبَّا عن احوال اوربَّا » واشتغل في اندرا في تعريب ترجمة التوراة فزادت بذلك شهرتهُ . ولمَّا جاء باي تونس احمد باشا زائرًا مدينة باريس مدحهُ الشدياق بلاميَّة جارى فيها لاميَّة كعب ابن زهير فأعجب من حسن نظمهِ ودعاهُ الى خدمة دولتهِ في تونس فلبَّى دعوتهُ ووصل

الى المغرب وكان هناك يحرّر جريدة الرائد التونسي . وفي مدّة اقامته في تونس سوّل اليه اعيانها بان يعتنق الدين الاسلامي فجحد البروتستانيّة طمعاً بالمناصب كما جحد الكثلكة طمعاً بالمال . وفي السنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) طلبتهُ الصدارة العظمى الى الاستانة وعهدت اليه تصحيح طباعتها بضع سنوات . وهناك باشر السنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) جريدته الشهيرة بالجوائب فظهرت ٢٣ سنةً بانشائه وانشاء ولده سليم الى السنة ١٨٨٤ فأُبطلت . وكانت وفاة احمد فارس بعد ذلك بثلاث سنوات ١٨٨٧ فنُقلت رفاتهُ الى لبنان كما اوصى قبل موته . ولاحمد فارس مؤلفات جليلة غير التي ذكرناها اخصُّها سرّ اللّيال في القلب والابدال على شكل معجم لم يتمّهُ . وكتاب منتهى العجب في خصائص لغة العرب اتلفهُ الحريق قبل ان يُطبع . ثم الجاسوس على القاموس انتقد فيه على قاموس الفيروزابادي . وكتاب غنية الطالب ومنية الراغب . وكتابان في تعليم اللغتين الانكليزيّة (الباكورة الشهيّة) والافرنسيّة (السند الراوي) وردود على انتقادات الشيخ ابراهيم اليازجي اللغويّة . وبهمّة المترجم طُبعت في مطبعة الجوائب عدّة كتب ادبيّة قديمة استخرجها من مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامبوليّ المُشرق . ومن مآثره ايضاً عدّة قصائد ومنظومات طبع منها نبذة في ٢١٩ صفحة سنة ١٢٩١ . فمن اقواله الحسنة ما وصف به الحرب السبعينيّة بين فرنسة والمانية . وهذا مطلع تلك القصيدة التي تزيد عن مئة بيت :

أُصيبتْ فرنسا بالرجال وبالمال ... فيا ويحها من بعد عزّ واقبال
اعدّت جيوشاً للقتال وجهّزت ... بوارجَ حربٍ في البحار كأجبال
وقالت الى برلين يا جُندي ادّروا ... فذاك التي قد كدّرت صفو احوالي
وتلك التي قد زاحمتني على العلى ... ولم تنثنِ قبلَ اليوم تمطرُ بالبال
وصولوا على جرمانيا كلّها فقد ... اراها بدا منها تحاولُ اذلالي
فلي قيصرٌ قرمٌ حليمٌ غمامهُ ... جميع ملوك الارض هيبةً ونبالِ
اذا أنذر الاملاك حرباً تزلزلت ... ممالكهم من بأسهِ ايَّ زلزالِ

وقال في مطاردة الالمان لنابوليون وفي موقعة سيدان :

تطاردهُ جيش العدوّ مغلّباً ... فولّى الى شالون يجزعُ كالرالِ
ومنها الى سيدان بالجيش كلّهِ ... عقيبَ معاناةٍ وبؤسى وآجالِ
وذلك حصنٌ عند بلجيكَ حولهُ ... ربىً وتلالٌ حبّذا الوَزَرُ العالي
ولكنّهم تأووا سفاهاً عن الربى ... فحلّت بها الجرمان من دون امهال

هنالك مع الويل والشرّ والردى بترميل ازواج وتيتيم اطفال
وتبضيع آراب وتقطيع اوصال وتفليق هامات وتدمير اطلال
ويزحم الجرمان فاستسلموا لهم ثمانين الفًا او يزيدون في الحال

الى ان قال ذاكرًا فتنة باريس وخلع الامبراطور :

فلم يبق من ذا الجيش أجمع راجلٌ ولا فارسٌ فالجوُ من ذكرهم خالي
فلمّا دوت باريس ذا الخطب اهولت وضجّت وباتت في شجون وولوال
وقالت مثنّي دولةٌ قيصريّةٌ بإهلاك اجنادي واتلاف اموالي
وانّ صلاحي دولةٌ جمهريّةٌ تُسدّدُ اعمالي وتُصلحُ احوالي
فنادت بخلع الأمبراطور وابنه وثارت لأخذ الثار ثورةَ قطالي

وختمها بهذا البيت الحكميّ احسن ختام :

اذا لم يكن للمرء من ربّه هدىً فلا شيء يجديه من النيل والنال

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES: THE IRSHAD AL-ARIB ILA MA'RIFAT AL-ADIB *or* Dictionary of learned men of Yakût, *edited by* D. S. Margoliouth. D. Litt., *London, Luzac and Co*, 1907-1909, 2 vol. XVI-870.

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب لياقوت الرومي

في اواسط الصيف من السنة ١٨٩٠ أتيح لنا ان ندخل مكتبة اوكسفرد الغنيّة بمخطوطاتها الشرقيّة فكان الكتاب المدون آنفًا من جملة التآليف التي استحسنّاها ونقلنا عنها بعض مرويّاتها لشهرة صاحبها مؤلف اوسع الجغرافيّات العربيّة معجم البلدان الذي شنّفهُ بهذا الكتاب ارشاد الاريب المعروف ايضًا بمعجم الأدباء او طبقات الأدباء . ولقصر وقتنا لم يمكنّا ان ننسخهُ كلّهُ فكنّا نتمنّى ان يقوم يومًا احد الأدباء فينشر هذا التأليف بالطبع وها قد تمّ الامر بعد نحو عشرين سنة بهمّة الفاضل الهمام الدكتور د . س . مرجليوث وأملُ الذي منع الادباء عن نشر هذا الاثر الفريد انّ النسخة الاكسفرديّة وحيدةٌ لا يُعرف لها ثانٍ للمعارضة بينها . وهي مع ذلك سقيمة ليست قديمةً فتحتاج

الى تروٍّ ومراجعات واصلاحات عديدة. ألا انَّ جناب الدكتور لم يثنِ عزمهُ شيءٌ من تلك العقبات فقام بالامر احسن قيام واستعان لتنقيح الكتاب ببعض ادباء القاهرة كالمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي والاديبين الفاضلين قسطاكي بك حمصي وجرجي زيدان فجاء التأليف مطبوعاً طبعاً متقناً مضبوطاً ضبطاً وافياً في جزءين كبيرين. امَّا موضوع الكتاب فتراجم بعض مشاهير الادباء من القرن الرابع بعد الهجرة الى أيام المؤلف في القرن السابع اثبت سيرهم على سياق حروف المعجم من حرف الالف الى حرف الجيم. وبقيَّة هذا الكتاب قد اخذها الضياع ويا ليت نشر هذا القسم يستنهض همَّة احد الادباء على طلب القسم المفقود فتتمَّ بهِ الفائدة ويربح شكر العلماء. لانَّ ياقوتاً في تراجمه لا يكتفي بوصف عتيم لاهل الأدب بل كثيراً ما يتَّسع في تعريف احوالهم ويروي دقائق حياتهم ويدوّن اشياء من اقوالهم واشعارهم وحكمهم الى غير ذلك مما تلذّ مطالعتهُ وتفيد معاً وبعض هذه التراجم متَّسعة مستفيضة كترجمة ابي العلاء المعرّي (وقد وقع في الصفحة ١٨٤ س ١٢ منها تصحيف: «وان كان حنانا عدي» والصواب: «حيّانا عدي» والبيت للاخطل) وكترجمة ابراهيم بن هلال الصابئ وغيرهما نشكر الدكتور مرجليوث على سعيهِ في نشر هذا الاثر الدفين ونتمنَّى لكتابهِ رواجاً طالبين من جنابهِ ان يضيف اليهِ فهرساً مطوَّلاً لاعلامهِ ل. ش

Matharan, S. J: ASSERTA Moralia. Editio 11ª ad normam recentissimorum decretorum aucta et emendata. 1909. pp. X-276 in-12 *Paris, Beauchesne.*

خلاصة اللاهوت الادبيّ

انَّ اللاهوت الادبيّ في الكنيسة اشبه ببحرٍ زاخر تتَّسع كل يوم ارجاؤهُ بما يُضاف اليهِ من أحكام الكرسيّ الرسولي وايضاحات المجامع المقدَّسة. فبعد ان يخوض الاكليريكيُّون عُبابهُ يحتاجون الى نظر عام وخلاصة جامعة لما فيهِ من الابواب والفصول والقضايا التي بموجز الكلام توقفهم على ما سبروا اغوارهُ وتتبَّعوا دقائقهُ. فلهذه الغاية وضع الاب ماتاران اليسوعي هذا الكتيّب فجعلهُ كتذكرة لطلبة اللاهوت بل للكهنة انفسهم يغنيهم عن المطالعات الواسعة. فراج الكتاب ايَّ رواج حتى بلغ اليوم الطبعة الحادية عشرة وهي التي أُرسلت الى ادارة المشرق. فنحضُّ الاكليروس على اقتنائها وممَّا

يجدونهُ فيها لباب المنشور الاخير الذي اصدرهُ الحبر الروماني في الخطبة والزواج واوّلهُ (Ne temere)

ب.ج

NUTT'S CONVERSATION DICTIONARIES compiled by R. Tauschke. English-arabic conversation Dictionary, with a Grammar, a Collection of Phrases and an arabic-english Vocabulary, *London, D. Nutt*, 1909, pp. 371.

محاورات بالانكليزية والعربيّة مع معجم الالفاظ ومختصر نحويّ

هذا دليل جديد لفائدة الاجانب الانكليز المتجوّلين في اقطارنا الشرقيّة كالدليل الذي وضعهُ بالافرنسيّة احد اساتذة مدرستنا الادباء العلم يوسف افندي حرفوش فجدّد طبعهُ آخرًا وكالدليل الالماني للعلّامة هرتمان وغير ذلك ممّا يعهده اصحاب الاسفار. وهو دقيق الحرف جليُّهُ صغير الحجم لا يتبرم بثقله المسافر. ومع هذا فانهُ يحتوي مختصرًا لاصول اللغة العربيّة الدارجة في مصر والشام يليهِ مجموع اخصّ العبارات التي يحتاج اليها الغريب في سفره مرتّبة حسب ابواب اللغة على ثلاثة أعمدة بالانكليزيّة واللهجة المصريّة واللهجة الشاميّة وفي اثرها محاورات عن الامور الطارئة للمسافر في رحلته ثم معجمان انكليزي عربيّ وعربيّ انكليزيّ لاخصّ الالفاظ الشائعة في اللغتين وكل ذلك بالحرف الاعجمي. فترى من هذا النظر وفرة محتويات هذا الدليل ومنافعهُ للمسافرين. ويا ليت المؤلف كان تبع في تمثيل الحروف العربيّة الطريقة الشائعة عند العلماء فانّ اختلاف الكتبة في هذه الاصطلاحات يوقع القرّاء في الحيرة والالتباس. وممّا تأخذهُ على المؤلف ما ذيّل به صفحة ٢١٠ عن العلاقات بين المرسلين والكهنة الشرقيين فانهُ كان عن ذكره في غنى فضلًا عن انهُ ليس بصحيح

الاب يوسف موجين

GRAY'S COLLECTION praktischer Sprachführer: DER PERFEKTE TÜRKE. Eine Anleitung die türkische Vülgaersprache ohne Lehrer richtig lesen, schreiben und sprechen zu lernen, von Alfred Radspieler, *Leipzig, G. Engel*, IX-205. 1908.

اصول اللغة التركيّة للتكلّم بها وكتابتها (قبا تركجة)

تجد في هذا الكتاب لتعلّم التركيّة كل ما ذُكر في وصف الكتاب السابق الّا انهُ أرقى منهُ درجةً وافضل اسلوبًا وضعهُ مؤلفهُ الفاضل ليس فقط لسياحة وقتية بل لمعرفة اللغة

ومطالعة مصنَّفاتها والكتابة فيها . امّا طريقتهُ فهي الطريقة المحدثة المعروفة بطريقة كراي (Cray) وهي تجمع بين القسم النظري لشرح الاصول مع تعريف قوانين اللغة والقسم العلمي وفيه التمرينات المختلفة من التركية واليها . والكتاب مصنَّف بالالمانية ولعلَّهُ يُنقل الى الافرنسيَّة والانكليزيَّة لفوائده وهذه بعض اغلاط نشير الى المؤلف باصلاحها في طبعة ثانية : (ص 7) فليقرأ « Wer bana » لا « Wir » . (ص 105) آو بالمدّ معناها الصيد وبلا مدّ هي البيت . (ص 120) كتب « dere » التي معناها الوادي وهو يريد « tere » بالتاء اي السمن كذلك تُصلح « zeidin » بـ « zeitin » وهذه من اغلاط الالمان الذين يبدلون حرف t بحرف d ل . ر

La Doctrine de l'Islam par le Bon Carra de Vaux, *Beauchesne et Cie, Paris*, 1909, p. 319.

تعليم الاسلام الديني

للدين الاسلامي اصول ثابتة يرجع معظمها الى الاعتقاد بالتوحيد ونبوَّة صاحب الشريعة والايمان بملائكة الله ورسله وقضائه ويومه الاخير يُضاف اليها احكام شرعيَّة وفرائض ونوافل وكل ذلك مفصَّل في الكتب الاعتقاديَّة والفقهيَّة . على انَّ علماء الفرنج لا يقنعون بهذه الاصول القليلة فيبحثون في كتب الشيوخ والعلماء ويتصفَّحون تآليف اصحاب الطريقة الصوفيَّة وغيرها فلا يقرُّ لهم قرار حتى يستخرجوا من تلك التآليف بعض تعاليمها فيلحمون اطرافها ويعرضونها على اقوال القرآن والحديث ويضيفون اليها ملحوظاتهم الخاصَّة فيبنون من كل ذلك بناء من هندستهم يدعونهُ بالتعليم الاسلامي الديني . ومما نُشر من ذلك آخرًا كتاب لاحد كبار المستشرقين الفرنسويين الذي درس العلوم الاسلاميَّة وكتب عنها سابقًا نريد به البارون كارا دي ڤو . وقد اطلعنا على هذا التأليف الجديد فرأيناهُ سهل الانشاء لذيذ المطالعة كثير التفنُّن في الكتابة يُستدلّ من فصوله على سعة معارف كاتبه وتضلُّعه بالآداب الشرقيَّة . الّا انهُ في عدَّة امور يقصر نظرهُ الى بعض الظواهر الخارجة فلا يبحث عنها بحث الفيلسوف المدقّق واللاهوتيّ العالم ولا شكَّ انهُ كان تدارك بعض احكامه وعدل عن بعض انتقاداته لو عاش مثلنا في الشرق ورأى الاسلام رأي العيان في كل احواله دينًا ودنيا . ومع هذا فانَّنا نراهُ تلافى شيئًا من اقواله السابقة في تآليفه الاولى . وعلى كل حال انَّنا نحضُّ محبي الشرقيات على مطالعة هذا الكتاب لكثرة فوائده التي تشفع بنقائصه ل . ش

Au Pays de la Reine Candace par JEAN D'ALLEMAGNE, in-16, pp. 46, Paris, Bloud et Cie.

بلاد الحبش

كثر في هذه السنين الاخيرة عدد الذين طافوا اقطار الحبش ووصفوا احوال تلك البلاد وعادات اهلها في دينهم ودنياهم ولخصوا تواريخ طوائفها وملوكها حتى اضحت هذه التآليف كافيةً لتنظيم مكتبة واسعة. امّا الذين لا يسمح لهم الوقت بمطالعة تلك المصنَّفات فنحضهم على مطالعة هذا الكتاب الصغير الذي جمع فيه كاتبهُ خلاصة تآليف متعدّدة عن الحبش فدوَّنها في صحائف قليلة الاوراق كثيرة المضمونات مع انسجام انشاء مؤلفها وعدّة تصاوير ترغّب في مراجعتها م. ش

D. P. Gostaoui: Relazioni della Nazione Maronita colla Santa Seda nel secolo XVIII. *Beyrouth*, 1909.

تاريخ العلّامة البطريرك يوسف اسطفان والراهبة هندية الشهيرة

للقس بولس عبود القسطاوي

الجزء الثاني. الاصول المحجوبة. مجلّدان ص ٦٢١ و 628

طُبع في بيروت في مطبعة التوفيق سنة ١٩٠٩

انّ الحوادث الخطيرة التي جرت في لبنان في القسم الثاني من القرن الثامن عشر ولاسيما مدّة بطركيّة السيد يوسف اسطفان (١٧٦٦—١٧٩٣) قد استنهضت همّة حضرة القس بولس عبود الى البحث والتنقيب عن تلك الطالب لإزيل ما تراكم عليها من الشبهات ويزيّف اقوال الكتبة اللبنانية فسعدهُ الحظّ على مطالعة ونسخ معظم التقارير المتعلّقة بتلك الامور ولاسيما بالراهبة هندية التي شغلت عقول الناس نحو ثلاثين سنة. وكان كثير من هذه المعلومات في خزائن المجمع المقدّس في رومية وفي الخزانة البطركيّة وعند بعض الخاصّة فجمعها كلّها ونشرها باصلها الايطاليّ او اللاتينيّ وعرّبها في هذين المجلّدين واضاف اليها كثيرًا من البراءات الرسوليّة واعمال المجامع اللبنانيّة. وكان حقّ المؤلف ان يقدّم الجزء الاوّل على هذا الجزء الثاني ويشرح ما نرى فيه من تاريخ الطائفة المارونيّة وعلاقتها بالكرسي الرسولي المقدّس في القرن الثامن عشر. ثم رأى

انهُ لأفضل ان يباشر بنشر تلك الدفائن التي حصل عليها فيستفيد منها لكتابة تاريخهِ بعد ان زادت ثقة القرّاء بمعلوماتهِ. فنمحض حضرتهُ الشكر على كشف كل هذه الاصول المحجوبة وبثها من مدافنها ونحضّ محبّي الآثار الشرقيّة على مطالعتها ل.ش

كتاب عزرائيل القوّالين الجهلاء

نظم القوّال خليل افندي سمعان فرح الافغالي الشحروري

الجزء الاوّل ص ١٢٨ سنة ١٩٠٩ طُبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت

رضي صاحب هذا الكتاب بحكمنا السابق عن كتابهِ شمس المعنى كما صرّح بهِ في هذا التأليف الجديد (ص ٣٨) واذ كانت هذه الثمرة من الدوحة نفسها لا غرو ان نثني عليها كما اثنينا على جناها السابق. والحقّ يقال ان جناب الناظم لهذا العقد الثمين يمثّل في كتابهِ صفات الشاعر المطبوع بفكاهة نفسهِ وسرعة خاطرهِ وذلاقة لسانهِ وتفنّنهِ في ضروب الكلام لا يعوقهُ في نظمهِ البديهي شيءٌ من المشاكل المعترضة. وكأنهُ في هذا التأليف الحديث قام في وجه مناظريهِ كملاك الموت عزرائيل لا يُبقي عليهم ولا يذر. ونحن كنّا نودّ ان يكون على خلاف ذلك ملاك الحياة يشحذ قريحته في مفاخر وطنهِ ويحيي ما دثر من ذكر الاجداد ويصف ما ازدان بهِ لبنان من المحاسن فتصير منظوماتهُ على صروف الزمان ويردّدها اللبنانيون في منتدياتهم ويعلّمونها صغارهم فانّ في ذلك عائدةً اوفر من مناظرات عقيمة لا تدوم الّا زمناً قليلاً. وممّا خرج عن طريقة الجهاد فاستحسنّاهُ قصيدٌ للمؤلف وصف فيهِ فروض المساواة والاخاء (ص ١١٢) اوّلهُ:

يا من عن الامر المفيد غفلانْ قدْ ما تجمع ذهب رنّانْ
ان لم يكن عندك امانه وحبّ باطل غناك يا أيها الانسانْ
ان لم يكن عندك امانه وحبّ باطل غناك لو كنت اعظم شبّ
من لم يكن صالح غنيّ بالربّ ولا يتاجر بالسلام والصدق
يذهب غناهُ وزقة الشيطان

وكذلك قولهُ يدحض الطبيعيين فاجاد:

البعض من خالقك إلهي تحرّكوا وتفاصحوا وتفلسفوا وتفلّكوا

قالوا الطبيعة تكوّنت من ذاتها والعناصر نظمت حالاتها
وشيموا انّ للطبيعة معرفه وقوّة تحوّلها وجود حياتها
وقالوا التراب والماء والريح الخفي كانوا السبب في انضاج حركاتها
قلتُ العدم من اين جاب الفلسفه تا رتّب الدنيا بتنظيماتها . . . .
باقه عليكِ يا طبيعة اوصفي انت خلقتي الناس في هيئاتها
قلت هذا والطبيعه واقفه خرسا وطرشا وجامده بنباتها

رجوع

حقًّا الهي من العدم اوجدتها كفروا الطبيعين على جهلكوا
كفروا الذين نكروك يابارى الجميع ومن جحد اسمك فعل اثمًا فظيع

وهي طويلة بديعة تظهر ما في اللهجة العاميّة من القوّة في اخراج المعاني البليغة وتصوير الافكار السامية

السموأل او وفاء العرب

رواية تمثيلية ذات اربعة فصول تأليف انطون الجميّل

طُبعت في مطبعة الاهرام بمصر سنة ١٩٠٩ ص ٩٥

انّ وفاء السموأل من اجود المواضيع العربيّة وادعاها الى الافكار الشريفة واقناها بذل الذات في صالح القريب. وكنّا اوّل من سبق الى تمثيلها في مدرستنا الكليّة قبل ٢٢ سنة. ثم عاد حضرة مدير مدارسنا العربيّة الاب خليل اده سنة ١٩٠٦ فاقترحها على صورة اخرى (١ على احد معلمي كليّتنا جناب انطون افندي الجميّل احد منشئي الاهرام حالًا وقضايا له تفصيلًا مدقّقًا في اطوارها ومشاهدها وممثليها فابرزها الاستاذ على تلك الصورة ومثّلها اوّل مرّة في مرسح زهرة سوريا سنة ١٩٠٧ ثم نقّحها وحسّنها واتّسع فيها فطبعها آخرًا في مطبعة الاهرام. فلا نشكّ في ان ارباب المدارس يقبلون على هذه الرواية لما يعرفون من حسن ذوق كاتبها وتفننه في الانشاء ووصفه للعواطف. وهي تطلب في بيروت من مكتبتي سليم افندي صادر وموسى افندي صفير ل. ش

١) وقد انجز حضرة الاب اده عمله بعد ذلك فصنّف رواية السموأل ومثّلها في مرسح مدرستنا قبل سنتين فنالت نجاحًا عظيمًا

رسالة المعاطس

لابن جلا وهي صدى رسالة الغفران للمعرّي (ص ٣٤)

لا ندري كيف نصف هذه الرسالة التي وردتنا من مصر دون ان يُذكر محلّ طبعها واسم طابعها. بل احترنا في تسميتها بالمعاطس كما رأينا اسم مؤلفها «ابن جلا» وطلّاع الثنايا. فكأنّ كاتبها خاف ان يصرّح باسمه فأظلمهُ بالجلا.. وزاد في التعمية بقوله أنها صدى رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي التي طُبعت قبل سنتين وكان مصححها الشيخ ابراهيم اليازجيّ قبل وفاته بقليل. أفتكون المعاطس صدى افكار ذلك الشيخ او بعض اصحابه فالله اعلم. وما لا يُنكر ان كاتب هذه الرسالة حديث العهد وان حاول تقليد انشاء القدماء. وهو مع ذلك من المجاهرين بالالحاد لا يؤمن باحد الاديان الثلثة النصرانية والموسويّة والاسلام فيرى في كل دين ما لا يرضي به فهمهُ. وقد اعترض على سفر التكوين (ص ١٦—١٨) ببعض الاعتراضات التي تدلُّ على سخافة عقله ليس على «خرافات الكتاب» الكريم كما زعم. ثم ذكر السيّد المسيح فتشكّك من ذلّه وضعته وارتأى انهُ «كان أليق به لو كان اجلّ وارفع» فاستحقّ بهذا الحكم البارد ان يُنظم في سلك اولئك الحكماء الذين ذكرهم الرسول في رسالته الى اهل كورنتس حيث قال انّ الله اباد حكمة الحكماء ورذل عقل العقلاء فجعل ضعف ابنه الالهيّ قوّة ورذله حكمةً ليخزي كل قويّ وحكيم فلا يفتخر ذو جسد امامه ل. ش

شذرات

عصر الرشاد للكاتب الاديب الياس افندي نقولا ظاهر:

حيّوا فتاة الترك في ذا النادي وأقروا السلام عصابة الامجادِ
الناهضين الى الحضارة والعلى بعزائم شمّاء كالاطوادِ
النابذين عرى التشاحن بينهم السالكين بألفة ورشادِ
الراغبين عن الضلالة في الهدى الراقلين بحلبة الارشادِ
اعني بهم اعضاء تركيا الفتا ة الناشرين بيارق الاسعادِ

قوم بهم سمت الرعية للعلى بمآثر لهمُ بلا تمدادِ
تخذوا مناصرة الضعيف شعارهم وغدوا لاهل الظلم بالمرصادِ
عضدوا رجال الفضل ممن قد اتا خَ عليهم الدهر الخؤون العادي
تبًا لكل مماذقٍ ومخاتلٍ جحد الحقيقة أسَ كل سدادِ
فهو العقوق ومن تراه نابذًا سبل الهداية فهو دون فؤادِ
فلحيّهم آل الروءة والوفا ادعوكم وعلى الرؤوس الغادي
يا قومُ حَيَّ على الفلاح كذاك قد ناداكم صوت الرئيس الهادي
يا مسلمون ويا نصارى دينكم يدعو الشعوب لألفةٍ ووداد
فتألفوا وتضافروا آل الهدى هبُّوا الى الاصلاح بعد رقادِ
واسترجعوا المجد القديم بعلمكم وتسنَّموا العلياء كالأجدادِ
فبالاتحاد يسود كلٌّ في الورى رغمًا عن الاضداد والحسادِ
لا ترهبوا الظُّلَّام يومًا ان طغوا بل حذّروهم من عذاب الهادي
ويحًا لهم يا قوم ان لم يرجعوا فدثارُهم اذ ذاك شوك قتادِ
فان ارعووا عن غيهم فليسعدوا واذا ابوا فالنار للاوغادِ
وهناك يوم الدين تجتمع الخصو مُ وسائر الاقوام والاجنادِ
لا فرق يومئذٍ امام المهيمن فالكل يوم الدين كالاندادِ
فالصالحون الى منصّات العلى والظالمون الى العذاب الآدِ

*

عبد الحميد سلوهُ اين جلالهُ والصولجان وصولة الاسيادِ
فاطالما ادّخر الكنوز وطالما شاد القصور بمال الاستبدادِ
هيهات ما اغنت فتيلًا لا ولا منعت سقوط العرش بالاوتادِ
سَلْ قصر « يلدز » عن امير جنودها من قد بغى وطغى على الامجادِ
خلعته تركيا الفتاة بعزمها فتقوّضت اركانُ كل فسادِ
وترنحت منا العواطف بهجةً واهتزّت الارواح في الاجسادِ
ولقد مضى عصر التقهقر والونى ولقد تمزق برقع استبداد
ولقد بدا العصر الجديد بنوره فتألقت اقاو هذا النادي

عصرٌ حماهُ « شوكت » الاسلام محمودٌ سليل العرب من بغدادِ
عصرٌ على الاحرار اجمل فاتحٍ دحر الوفاق مطية الاحقادِ
فالظالمون تطأطأت اعناقهم واندكَّ حصن الظلم والافسادِ
ان الملوك اذا تمادى غيّهم فقدوا غرام الجيش والقوادِ
فلتحيَ تركيا الفتاة وجندها لصفاء عيش ما ترنّم شادِ
وليحيَ سلطان البلاد رشادنا وليحيَ عصر النور عصر رشادِ

كتاب اخبار الزمان للمسعودي — بين الكتب العربيّة التي يتأسف العلماء على فقدها تأليف نفيس للعلامة المسعوديّ لا يزال المستشرقون يبحثون عنه ليطّلعوا على فرائده وقد بشّرنا جناب مكاتبنا الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف في العدد الثالث من النعمة (ص ٧٦—٨١) انه اكتشف في دمشق نسخة من هذا الكتاب وصفها وانتقى من فصولها شذرات . وقد فرحنا بهذا الخبر اي فرح لكنّ فرحنا كان قصيرًا اذ تحقّقنا انّ الكتاب المكتشف ليس هو الضالّة المنشودة وانّما هو كتاب آخر يُعرف منه ستّ نُسخ في مكتبة باريس (عدد ١٤٧٠ الى ١٤٧٥) . وقد بحث فيه المستشرقون وتحقّقوا انه نسب للمسعوديّ زورًا اطلب في المجلّة الاسيويّة الافرنسيّة مقالة اولى للعلامة كاتر مار (JAP, 1837', 1-31) ثم مقالة ثانية للبارون دي ڤر (ibid. 1879', 133-144) وقد قابلنا بين وصف عيسى افندي للنسخة الدمشقيّة وما رواهُ هاذان المستشرقان عن نسخ باريس فلم نجد بين هذه وتلك فرقًا والرأي المرجّح انّ هذا الكتاب مختصر من تآليف المسعودي لمؤلف مجهول وهو يسمّى ايضًا مختصر العجائب والغرائب . امّا كتاب اخبار الزمان للمسعودي فكتاب ضخم في ٣٠ مجلّدًا ولعلّ منه نسخةً غير كاملة في خزائن الاستانة وقد اختصره المسعودي اختصارًا اوّلًا فدعاهُ الاوسط وهو ايضًا مفقود واختصرهُ بمروج الذهب المعروف

الجبن النباتي — ما كنّا ندري انّ الجبن يُستخرج ايضًا من النبات وقد وقفنا على مقالة مطوّلة لاحد الآباء اليسوعيين المرسلين الى الصين يصف فيها جبنًا يستخرجه الصينيّون من اللوبيا ويتخذون به بدلًا من جبن المواشي الذي هو قليل في تلك البلاد وهم يأخذون اللوبيا فينقعونها مدّة اثنتي عشرة ساعة ثم يكبسونها تحت رحًى فتصبح كعجون لشبه بالزبدة الطريّة . ثمّ يعصرون المعجون في نسيج من كتّان

فيسيل منه سيَّال ابيض يدعونه حليب اللوبيا فيشربونه بعد اغلانه . واذا ارادوا ان يصطنعوا الجبن اغلوه ويجعلون فيه انفحةً من الجص فيتجمَّد الحليب ويصير جبناً فيديمونه كجبننا . وقد حلَّله احد الآباء الكيموريين فوجده صالحاً للغذاء وان كان طعمه غير لذيذ

أيهما ؟ في وصفنا (ص ٣١٢) لكتاب تاريخ اسفار العهد القديم في الكنيسة اليونانيَّة والكنيسة الروسيَّة بيَّنا ان الروم الارثدكس في بلاد الشام يقبلون كالغربيين الاسفار الثانويَّة كسفر طوبيا ويهوديت واستير والحكمة وابن سيراخ والمكابيين ويعتبرونها كأسفار موحى بها من الله ليس بينها وبين بقيَّة الاسفار المقدَّسة فرق البتَّة وذكرنا انَّ الروم في سنة ١٨٧٠ طبعوا في المطبعة الوطنيَّة هذه الاسفار لمَّا رأوا التوراة البروتستانيَّة خاليةً منها وذلك برخصة بطريركهم ايروتيوس . واليوم رأينا في مجلَّة النعمة في عددها الثاني والثالث مقالة واسعة ينكر صاحبها قانونيَّة الاسفار الثانويَّة ووحيها وهذه المجلَّة تطبع ايضاً برخصة السيِّد البطريرك الحالي فبقينا مرتابين لا ندري ما هو ايمان الكنيسة الارثدكسيَّة في هذه الاسفار وأيهما الصادق من الكاتبين . وهي مسئلة خطيرة لا يمكن السكوت عنها وان شاء الله نعود الى هذا مرَّةً أخرى

شهادة بروتستاني في الرسالين الكاثوليك جاء لندن مؤخراً احد كبار العمَّال الانكليز في الصين السير روبرت هرت (R. Hart) المدير العمومي على الدواوين الصينيَّة وهو بروتستاني فدعتهُ احدى الجمعيَّات الانكليزيَّة في ليدس (Leeds) الى ناديها وطلبت اليه بان يخطب في الصين واحوالها . فاجاب الى دعوتها وبعد ان ذكر اعمال المرسلين البروتستانت في تلك البلاد هتف قائلاً : « وان سمح لي الحضور بان اصرح عن فكري لعلمتُ مع علمي بان كلامي لا يروق لدى كثيرين منكم . لا يمكني ان اضرب الصفح عما يقوم به الكاثوليك الرومان من الاعمال العظيمة في الصين . اني وجدت بينهم تلامذةً امناء للسيِّد المسيح لا يبلغ احد مداهم في بذل الذات والكفران بالنفس . انَّ رسالاتهم تأتي بالاثمار الطيِّبة فانَّهم ينشرون في كل مكان اسم فادينا السيِّد المسيح ومرسلوهم لا يألون جهداً في جمع اللقطاء وتربية اليتامى وخدمة كل البائسين . وجمعيَّاتهم كلها منظَّمة احسن نظام لأنَّهم يتفانون في الخير العمومي دون صوالحهم الخاصَّة . وكلهم ماشون اليه اليد باليد لا يرون الَّا الغاية فاذا عملوا او

ت تدبيرهم يضعون
كثير من المسلمين
بروتستانيـة المسلمة

جريدة الصين ([illegible])

تاريخ سولو . [illegible] النصرانية (ص ٥٠٥) ذكرنا الدكتور نجيب صليبي اللبناني [illegible] جزيرة سولو [illegible] الانكليزية وطبعهُ في مصر وكنا روينا ذلك على علاتهِ عن جريدة مصرية . فاستلفت نظرنا جناب الصيدلي القانوني مراد افندي الباردي الى الصواب فاراناً الكتاب واذا هو تاريخ موسَّع بالانكليزية لبعض جزائر الفيليبين كورو ومندناو وسولو الفهُ الدكتور نجيب صليبي وضمَّنهُ من المعلومات والفوائد ما أعجبت بهِ دولة الولايات المتحدة وطبعتهُ على نفقتها وقد استفاد جناب المؤلف في وضع تاليفهِ من عدَّة مخطوطات اسلاميَّة عربيَّة وغيرها وجدها في تلك البلاد ورسم صورها فجاء كتابهُ من الطُرَف التي قلَّما تجد لها مثالاً بين الكتبة الغربيين فضلاً عن الشرقيين

المتفلسف الكاذب كان احد وزراء الانكليز يقول : ليس من آفة اعظم من طبيب جاهل ومن متفلسف كاذب فانَّ ذاك يفتك بالابدان وهذا يلعب بالعقول . امَّا الاطبَّاء الجهلاء فلا احد منَّا الَّا بلغهُ خبر البعض منهم . امَّا المتفلسفون الكذبة فقد ظهر منهم غير واحد لاسيما بعد الاعلان بالدستور واكثرهم لغطاً وابلغهم قحة المسمَّى امين ريحاني فانَّ وراء ريحانهِ ريحاً وبينهُ أعداءهُ بيا بعض ملاحدة اميركا فكان وهو في تلك البلاد يجاهر بمعاداة الدين والآداب . ولمَّا رأى باب الشرق قد انفتح جاءنا ينفث في ظهرانينا ذلك السمَّ الناقع فتراهُ يخطب في كل نادٍ ويكتب في كل جريدة سيَّارة بلا هيبة ولا حياء فيتظاهر بالفلسفة وليس هو الَّا ثرثاراً خطلاً ولو نقدنا كل مقالة من مقالاتهِ او خطبة من خطبهِ لظهرت سفسطتها لكل ذي عين . وقد اخذنا العجب انَّ صاحب النصير بعد حفظهِ مدَّةً خطَّة التحايد عن الكتابات التي تمسُّ الدين اثبت للريحاني تلك المقالة التي شتم فيها سيِّدة لبنان وجرح احساسات اهل الجبل . واعجب من هذا انَّ جريدة كاثوليكيَّة كالاحوال دوَّنت لذلك السفيه مقالة في عددها ٥١٠٩ دعا فيها الكاتب الحكومة لتهذيب الاحداث « الى ان تباشر تأسيس

المدارس الوطنيَّة العموميَّة الاجباريَّة المجانيَّة دون التفات الى صبغة دينيَّة » وهذه هي بالتمام مبادئ الماسونيَّة التي طالما ردّت عليها جريدة البشير وزيفتها مبيّنة ما وراء ذلك من فساد الآداب وخراب الاوطان

اسئلة واجوبة

س سُئلنا عن قوانين الكنائس الشرقيَّة في امر الدفن الكنسيّ أيُحرم منهُ احدًا وهل يُحرم منهُ المنتحرون

الدفن الكنسي

ج انَّ قوانين الدفن الكنسيّ في الكنيسة اللاتينيَّة مقرَّرة تجدها في كتب اللاهوت الادبيّ والحقّ القانونيّ ورسوم كهنة الرعايا . وعلى موجب هذه القوانين يُحرَم من الدفن الكنسيّ غير المؤمنين كالوثنيين واليهود والهراطقة والمنفصلون عن طاعة رؤساء الكنيسة والاطفال غير المعمَّدين والذين يموتون انتحارًا فان سمح لهم الوقت وتابوا عن خطيئتهم دُفنوا دفنًا كنسيًّا دون احتفال . وكذلك يُحرم من الدفن الكنسيّ الذين يموتون محرومين والذين ينكرون قبول الاسرار قبل وفاتهم والمشتركون بالشيع السرّيَّة كالماسون اذا لم يجحدوا تلك الشيع والذين يموتون في المبارز فكل هؤلاء لا يُقبرون في ارض مقدَّسة مع المؤمنين ولا يُصلَّى عليهم . وهذه القوانين مرعيَّة كلها في الطقوس الشرقيَّة الكاثوليكيَّة كما ترى في تاريخ الحقّ القانوني في الكنيسة اليونانية للكردينال بيترا (Pitra: *Juris Eccl. Graecorum Historia*) لاسيما عن المنتحرين (ج ١ ص ٦٣٩) وفي المجمع اللبناني (الطبعة الحديثة ص ١١٤) وفي مجمع الشرفة للسريان (الطبعة اللاتينية ص ١٢٨) وفي مجمع الاقباط (ص ١٣١) . وهذه القوانين جارية ايضًا في كنائس الارثذكس والروسيين كما ترى في كتاب شرائع الكنيسة الشرقيَّة لاسقف زارا المدعو نيكوديموس ميلاش (Mi- LASCH UND PESSIC: Das Kirchenrecht p. 685) فهناك يذكر الحقّ القانوني الجاري الى اليوم في الكنيسة الشرقيَّة الروسيَّة بخصوص الدفن ويعدّد الذين ذكرناهم آنفًا الّا الماسون ويضيف اليهم المحكوم عليهم بالموت الشرعيّ ل . ش

المشرق

منظومات الوقائع الدستورية

للاب لويس شيخو اليسوعي

وصفنا سابقاً (٨١—٩٦) ما كان لاعلان الدستور في قلوب العثمانيين من حسن الوقع وكيف اورى الاريزاد قرائحهم فنظم شعراؤهم في ابراز عواطفهم تلك القصائد المطربة التي انتقينا منها بعض فرائدها في مقالة دعوناها بالحماسة الدستورية لما وجدنا بين شعر ناظميها والحماسات العربية من العلاقة والائتلاف

ومذ ذلك الحين قد جرت في انحاء الدولة عموماً وفي عاصمة تركيا خصوصاً امور خطيرة ووقائع اثيرة اهتزت لبعضها الالباب فرحاً وأدمت غيرها القلوب ترحاً فقامت الاقلام تتراوح بين وصف المسرات وتعداد المفجعات وتمثل ما يسيل في عروق تاليها من دم الغيرة النارية وعزة النفس والحرية. فرأينا ان نجمع تلك اللآلئ فننظمها في سلك واحد فانٍ في جمع شتاتها وصوغ سبائكها اجود مثال لتعريف الآداب العصرية ولبيان الترقية العقلية في العشر الاول من القرن العشرين

وقد توفر عدد تلك الآثار الادبية حتى انها لو جمعت لتألف منها ديوان كبير ولعل بعض الادباء يهتم في نشرها يوماً. وانما اثبتنا منها هنا نخبة فقط بياناً لفضل اصحابها. وقد اتبعنا في تدوين تلك الشذرات تاريخ الوقائع كما جرت بعد اعلان الدستور الى تاريخ هذا اليوم

قصائد عمومية في الدستور وجمعية الاتحاد والترقي

انَّ كثيراً من الشعراء وجدوا في مدح الدستور وجمعية الاتحاد والترقي مجالاً واسعاً اطلقوا فيه العنان لطرف قرائحهم فمما وقفنا عليه من اقوالهم بعد فصلنا السابق رائية

الشاعر الوطني عبد الله افندي البستاني قال فيها واصفاً لشقاء البلاد قبل الدستور:

لا آب عصرٌ لم تكن ساعاتهُ ... الّا ليحيها الأبيُّ مصورا
قد كان يبكيهِ اليراعُ اذا بكى ... دمعاً تنظّم في الطروس سطورا
وتقي الكرى عنهُ مخافة ان يرى ... رؤيا يحبُّ لها مذعورا

الى أن قال:

فبشرةُ الدستور آب ذوو النهى ... من كلّ صقع يبصرون ثغورا
وهنت رقاب المصلات لكل ذي ... رأي به انقلب السيرُ يسيرا
وهتكت حُجبُ الظلام وكم الى ... منهتك تحت الهلال النورا
ان يذوِ غصنُ الروض في زمنٍ خلا ... فبنعمة الدستور عاد نضيرا

وقال شاعر مصر الشهير احمد شوقي بك:

بشرى البريّة فاصبها ودنيها ... حاط الخلافة بالدستور ساميها
لمّا رآها بلا ركنٍ تداركها ... بعد الخليفة بالشورى وناديها

ثمّ وصف الشورى شاكراً للسلطان عبد الحميد على رضاهُ بها:

الرأي رأي امير المؤمنين اذا ... حارت رجال وضلّت في مراميها
وانما هي شورى الله جاء بها ... كتابهُ الحقُّ يمليها ويمليها
حقنت عند مناداة الجيوش بها ... دم البريّة ارضاء لباريها
ولو منعتَ أُريقت للعباد دما ... وطاح من مُهج الاجناد غاليها
ومن يَسُس دولةً قد سُسْتها زمناً ... تحنّ عليهِ من الدنيا عواديها
اني ثلاثون حولاً لم تذق سِنَةً ... ولا استخفّك للذّات داعيها
سهّد الجفن مكدور الفؤاد بما ... يشقي القلوب مُحبّ النفس عانيها
تكاد من صحبة الدنيا وخبرتها ... تُسيء ظنّك بالدنيا وما فيها

وقال في المساواة واتحاد العناصر:

الدين لله من شاء الالهُ هدى ... لكل نفس هوًى في الدين يثنيها
ما كان مختلف الاديان داعيةً ... الى اختلاف البرايا او تعاديها
محبّة الله اصلٌ في مراشدها ... وخشية الله اسٌّ في مبانيها
وكنْ خير بلاق في اوامرها ... وكنْ شر يوقى في نواهيها

وختم بقوله:

يا شعب عثمان من حُربٍ ومن ترك ... حياك من يبعث الموتى ويحييها
نلتَ الذي لم ينلهُ بالقنا احد ... فاهتف «لانورها» و«احمد» و«نازيها»

وجاراهُ قيصر بك المعلوف معتمد الدولة العثمانية في سان باولو يمدح ابطال الدستور بقوله:

سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند سلامٌ على سيفِ ابن بغداد في الغمدِ
سلامٌ على الابطال في ساحة الوغى سلامٌ على من باتَ منهمُ في اللحدِ

ومنها:

لك اللهُ يا جيشَ ابن عثمان ناصرٌ فانت خليقٌ بالتجلّةِ والحمدِ
نصرتَ على الظلمِ المساواةَ والاخا ولم تكترث لا بالوعيد ولا الوعدِ
جعلتَ لنا الدستور اعدلَ حاكمٍ وكنّا رعيني ظلمِ عتكمٍ فَرْدِ
اعدتَ حياةَ الورى بعد اذ غدت تعدُّ البقا من جملةِ الطالعِ النكدِ
فما كان من عيشٍ سوى الذلّ للفتى وما كان غير الموت للحرّ من وردِ

وختمها بقوله:

سلامٌ عليكم من فتى يعشق الوفا سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند

وقال شاعر آخر من مهاجري اميركا شبل افندي ناصيف دموس قصيدة طويلة وسمها بدار السعادة هذا مطلعها:

دارَ السعادة عاد المجدُ فابتسمي وربعُكِ اليوم ربعُ السعدِ والنعمِ
دارَ السعادة انت اليومَ آملةٌ بالظافرين من الاحرار فاحتكمي
بالامسِ وجهُكِ بالظلمات ملتثمٌ واليومَ بالنور اضحى غير ملتثمِ

الى ان قال:

نادى نيازي فحولَ الحرب حين بدا داء التقهقر يبلي الملك بالسقمِ
هبّوا فقد مادتِ الدنيا بأمتكم كمن أصيبت بداء اليبّ والبرمِ

ثم وصف نهضة الجيش قائلاً:

علت من الجيش خوضاً لما سكنت من شدّةِ الخوفِ نفسُ الليث في الاجمِ
غالتْ الجيشُ لا يغلبُ بشرهـا حربًا تسيلُ دما الابطالِ كالدمِ
او ينشروا فوق اسطنبولَ ألوية السحريّة البكرِ تحمى في سيوفهمِ
ماجت فيالهم موج الخضمِّ وقد ضجّت مُقشعرّ من تصهالِ خيلهمِ
وحتّموا ان يكون النصرُ قادمهم وان يسير الردى في جانب العلمِ
وعندما أعلن الجيشُ المسيرَ هوت مساقطُ الظلم عن جبنٍ وعن وَجَمِ
وغادر الظالمون الملكَ وارتحلوا منهُ بخزيٍ يليهِ عارٌ منهزمِ
فهْ من هيبةٍ للجيش قد فعلت بالظالمين كفعلِ الصارمِ الخذمِ
واشرقت فوق اسطنبول نيّرةً شمسُ التحرُّرِ نحو ظلمةِ القِدَمِ

فوحّدوا امّة من قبلُ مزّقها الـتفريقُ في الدين والاجناسِ والقِسَمِ
تألّفت دولـة الاحرار ماحيـةً آثار دولة ظلمٍ كالحٍ قَتِمِ
فطهّرت كل إفسادٍ وقد خضت كليثِ غابٍ على موذيهِ مقتحمِ
تبغي بأمّتها العلياء منزلـةً تنالها بصحيحِ الرأي والهممِ
لا زلت يا دولةَ الاحرار ثابتـةً منيعةً لا تخافي غـدر مهتضمِ
فابقي لهم دولة الاحرار ساكـنةً دار السعادة في عزٍّ وفي نعمِ

وعارضهُ تريل نيويورك سليمان افندي داود فقال قصيدة في معناها نختار منهـا الابيات الآتية:

صاح بوق الاخاء والحريّهْ والمساواة من فروق البليّـهْ
صاح بوق الانصاف والعدل حتى زعزع الارض والذُرى العلويّهْ
وابرى طُربيدُ الحقيقةِ يدوي كهزيمِ الرعود في تركيّهْ
حسبَ الغربُ هيّة الشرق نوماً ورماها بأنها وهميّـهْ
كذب الغربُ انّ في الشرق قوماً بشفار الصمصام شقّوا الدجيّهْ (؟)
صبروا حقبةً وماتوا كراماً وقلالٌ اولو النفوس الابيّهْ
رحم الله كلَّ من مات حرّاً في سبيل المصالح الوطنيّهْ
انما اليوسفورُ طوق لارضٍ فيك فاحت روائحاً عطريّهْ
كنتَ قبلاً خلواً من الطيب والبو م لقد بتّ روضةً عبقريّهْ
أغرق الظالمون فيك أناساً دون أن يأتوا منكراً او فريّهْ
بَيد أن الاحرار هبّوا اسوداً من مُغيثٍ جمّة شرقيّهْ
فتعزَّ يا شرقُ من غابر الازمانِ واركب متنَ العلاء مطيّهْ
وانظر الغرب فهو ساهٍ حثيثاً ولقد اعلى في العُلى كرسيّهْ
ها زمان القعود ولّى وقد حان زمان النهوض يا تركيّهْ

وهذه ارجوزة حيّا بها الحريّة الدكتور توفيق افندي سلوم فقال:

الحمد لله على الحريّهْ فهي اجلُّ منحةٍ سنيّهْ
كم سُفكت لاجلها دماء ومُزّقت لنيلها احشاء

ومن ابياتها العامرة قولهُ:

قد زال بل قد مات الاستبدادُ والظلمُ والجورُ والاستعبادُ
وجاءنا السرورُ والهناء والعدلُ والسواء والاخاء
وجاءت الحريّة المزدهره وطيّبت قلوبنا المكدره
فرحباً بها واهلاً مرحباً يا ما أحلى ذكرها واطيبا
لكنَّ بعض الناس قد اساؤوا تفسيرها فخبطوا ما شاؤوا

ما الحرُّ من يرتكب الجرائما ويفعلُ المنكرَ والمآثما
ما الحرُّ من يقلّل الحياء سفاهةً ويكثر الهراء
الحرُّ ذو الضمير والوجدانِ والطاهرُ الفؤادِ واللسانِ
من لا يخاف في سبيل الحقّ لوماً ولا يقولُ غير الصدقِ
الحرُّ من يوقّر الكبيرا تأدّباً ويرحم الصغيرا
يعطي لكلٍّ حقّهُ من الملا ولا يضرُّ احداً ولا ولا . . .
هذا هو المراد بالحريّهْ ليس تعدّينا على البريّه

٢ مجلس المبعوثان – الارتجاعيّون

لا تقوم الحكومة الدستوريّة الّا بشورى تتألّف من رجالٍ ذوي خبرة وترز يمثّلون الأمّة وينوبون عن افرادها . اما انتخاب هؤلاء النوّاب فيجري بمقتضى قوانين تختلف في كل بلد . ولا حاجة أن نثبت ما جرى في جهاتنا بعد ان روتهُ الصحف السيّارة بكل تفاصيلهِ . وقد نجز تعيين المندوبين في اوائل كانون الاوّل من العام الماضي . وفي ١٧ منهُ افتتح السلطان عبد الحميد ذاك المجلس باحتفال عظيم اشتركت فيهِ كل الولايات وتكرّرت المظاهرات الشائقة التي جرت يوم اعلان الدستور . ومما قالهُ الشعراء في ذلك اليوم قصيدة انشدها عزتلو نعوم بك شقير يحيّي بها مجلس المبعوثان فقال :

رفاقي ردّدوا صوت المنادي الى الافراح في كل البلادِ
فهذا اليوم في الاوطان عيدٌ تسرُّ بهِ الحواضر والبوادي
وفيهِ يُشادُ للاصلاح ملكٌ على انقاض مملكة الفسادِ
وتأمل دارُ ندوتنا بأسد لهم في كل مأثرة ايادي
فسرّوا وارفعوا الرايات بيضاً فقد ادركتمُ اقصى المرادِ
وحيّوا اليوم جامعة الترقّي وأعلنوا شأنها في كل نادِ
فما يُرجى لمملكةٍ رقيٍّ ولا نصرٌ بغير الاتحادِ

وختم ابياتها الحماسيّة بقولهِ :

فهبّوا يا بني عثمان طرّاً نجاهد للعُلى خيرَ الجهادِ
ونهض كلّنا ديناً وجنساً بإجماعٍ بكفّ يد العوادي
ونبني المجد صرحاً فوق صرحٍ ونجني العزّ بالبيض الحدادِ
وننصر راية الوطن المفدّى وجاء النصر من ربّ العبادِ

ورحّب جناب الشاعر البليغ وليّ الدين يكن المصري بنوّاب الدستور بقصيدة رائيّة مطلعها :

جلت النواظرُ للنواظرْ برحَ الخفاء عن الضمائرْ

ثم ذكر البؤس السابق :

بالامس كنا معشرًا يبكي لحالتنا الماشرْ
تقتادنا الايدي الاثيمة للسجون او المقابرْ
ويصول انصارُ المسيكِ على الأكابر والاصاغر

وانتقل الى وصف مجلس النوّاب بقوله :

قد قصرٌ شامخٌ مذ النواظرِ عنهُ قاصرْ
قصرٌ بهِ يعلو النما وي رأسَ مأمورٍ وآمرْ
ضاعت مفاتيحٌ لهُ واليومَ تفتحهُ الساهرْ
جُمعت مداره فيهِ من كلّ القبائل والعشائرْ
يتشاورون بامرهم والله في عون المشاورْ
الآن لمّا صار ما خلناهُ دهرًا غيرَ صائرْ
وسعى الكريمُ الى الكريم موآزرًا نعم الموآزرْ
كادت بلاد الله تر قصُ حين اقبلت البشائرْ
لم يبقَ ظلمٌ يُتّقى دارت على الظلم الدوائرْ

وقد احسن في هذا المعنى جناب الشيخ علي النقي زغيب من شعراء بعلبك :

الفتحُ والنصرُ والاقبالُ والظفرُ والخيرُ والفوزُ والعمرانُ والاثرُ
مطالبٌ يعلوَ العزم يبلغها اهلُ العزائم لا مَن بالشقا اثروا

ومن ابياتها العامرة في وصف النوّاب :

قد درُّ رجالٍ للوغى نشروا لواء عزّ عليهِ يُعقد الظفرُ
باعوا نفوسًا ابتْ الّا العلى وأتوا امرًا عظيمًا لديهِ حارت الفكرُ
واسّسوا عملًا للخير مقتدًا اضحى جنان المنى يُجنى بها الثمرُ
شادوا بهمامهُ للمجد بيت علًى اوتادهُ العدلُ والشورى لهُ دسرُ
فيهِ رجالٌ يهاب الدهر بأسهمُ مدرّبون على الانصاف قد فُطروا
لا يستهمُ مالٌ ولا غرضٌ ولا يروّعهم خطبٌ لهُ خطرُ
فالامرُ شورى ورأي الكلّ متّبع والفوزُ منهُ يدا والنصرُ مشتهرُ
والملكُ كالجسم والاعضاء تجمعهُ فان تفرّق افنت شملَهُ النيرُ

ومسك ختامها قولهُ :

يا شهر كانونَ كم ارويتَ من ظمإٍ وكم كويتَ قلوبًا ملّها وغرُ
اصبحتَ عيدالورى اذفيكَ قدسعدت ايّامنا فهي تدعى في الورى غُرَرُ

وارثنا جنة والسعد أرخها يجيبها المجد مخصوص ومنحصر

ولجناب الشيخ مصطفى افندي الفلاييني في ذلك اليوم قصيدة اودعها مثل تلك المعاني واستهلها بهذا البيت:

حياة الفتى موت اذا لم يكرم وموت امرئ في عزه خير منتم

ومنها في تقريع الظلمة:

اماتوا شعور الناس بالظلم جهرة وباعوهم بيع الرغيف بدرهم
فلا نحكم الا العدل يا ظالم الورى فبالعدل والدستور لا غير فاحكم

على ان الدستور أصيب بضربة أولى لما اخذ كامل باشا يتصرف بالامور على هواه دون ان يرجع الى رأي مجلس النواب فأدى ذلك الى سقوط وزارته فقال شاعر بغداد معروف افندي الرصافي قصيدة غراء يذكر فيها تلك الاحوال:

سقتنا المعالي من سلافتها صرفا وغنت لنا الدنيا تغنينا عزفا
وزفت لنا الدستور احرار جيشنا فاهلا بما زفت وشكرا لمن زفا

الى ان قال:

تربع في صدر الوزارة كامل فحط من النقصان في وجهها حرفا
لقد اغضب الدستور فعلا ونيله ومن اعانوا الدستور والشعب والصحفا
قد استوضحوا للأمر والامر واضح فدعاه ايضاح الحقيقة فاستخفى
ولم يطلب الإمهال الا لانه رأى عذره ان لم يطل سبكه زيفا
كذلك من صاغ الكلام ملفقا تمهل حينا يكثر الخط والحذفا
ومن قال حقا فانه عن بديهة ويحتاج للتفكير من موه المثانا
فيا ايها الصدر الجديد انتبه به فاياك ان تطغى وان تنتشي الطافا
ويا مجلس النواب سر غير عاثر الى المجد لا تلقى كلالا ولا ضعفا

ثم اخذت الامور بعد ذلك تختل بحيث استشف الشعراء من ورائها شرا وخافوا ان يقوم الاستبداديون لمقاومة الدستور فكتب في جريدة الشام صاحب العزة اسعد بيكباشي اركان الحرب:

ارى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون لها ضرام
اذا لم يطفها عقلاء قوم وان وقودها جثث وهام
ارى الويلات تقعنا شديدا وتبعد الكينة والسلام
واركان السياسة في اضطراب ولا رأس يتم به الوئام

أرى الانماء في هرج ومرج وحبلَ الأمن هدَّدهُ انفصامُ
وحالُ الناس تنذرنا امورًا يكونُ وراءها الداء العقامُ
فان لم يعضد الوزراء حزمٌ فلا عجبٌ اذا قعدوا وقاموا
مساكننا تُطلُّ على شفيرٍ اذا لم يُنجها الصيدُ الكرامُ
وصحتُ من التعجب ليت شعري أأيقاظٌ بنوها ام نيامُ

وكثر وتتذ القال والقيل وكانت جرائد الاستانة تنشر المقالات المتضاربة يدق كل منها على طنبوره فقال الشاعر العراقي المفاق من قصيدة:

جرائد في دار الخلافة اضرمت لهيب خلافٍ بيننا غير خامد
فهذا الى هذي وذاك لغيرها من الصحف يدعو آتيًا بالشواهد
وما هي الا ضجةٌ كلُّ صائتٍ بها مدَّ للدنيا حبالةَ صائد
اضاعوا علينا الحقَّ فيها تعمدًا وبقي ضياع الحقِّ سودُ الشدائد
ولم أرَ شيئًا كالجرائد عندهم مبادئهُ منقوضةٌ بالمقاصد
يقولون نحن المصلحون ولم أجد لهم في مجال القول غير المفاسد
فايَّاك ان تغترَّ فيهم فكلهم يجرُّ الى قرصيه نارَ الموائد
على رسلكم يا قومُ كم تسمعونا مقالة عقودٍ عليه وحاقد
ألا فارحموا بالصفح عن ضج صحفكم فقد اوردتنا اليومَ شرَّ الموارد
وما الصحفُ الا ان تدور بنهجها مع الحقِّ انى دار بين المساعد
وأن تنشر الاقوال لا عن طماعةٍ فتاتي بها مشحونةً بالفوائد
وان لا تُماني غير نشر حقائقٍ وتنوير أفكارٍ وافاض قاعد
تبذون في تلفيقها نفع واحدٍ وتنفضون عن اضرارها الف واحد
اسرك ان الصحف مرآة اهلها بها تتجلى روحهم للشاهد
كما هي ميزانٌ لوزن رقيهم وديوان اخلاق لهم وعوائد

٣ الهرسك والبشناق (البوسنة) — استقلال بلغارية

من اوَّل المشاكل التي قامت في وجه تركيا بعد اعلان الدستور مسألة الهرسك والبشناق فانَّ النمسا رأت الفرصة مناسبة للمجاهرة بضمهما الى بلادها خلافًا لمعاهدة برلين فاستاء العثمانيون من ذلك وجعلوا يقاطعون البضائع النمسوية واظهر الشعراء تحمسًا عظيمًا فمن جملة ما كتبوا ابيات للشاعر المجيد شبلي افندي ملاط:

ألا من يبلغ النمسا كلامًا نسجتهُ وتورثهُ البنينا
بأنَّ عهودها كانت سرابًا وكان ودادها «بلفا» مينا

وكان سكوتها قبلاً رثاء وآخر ما جنت طمعاً مشينا
وانّا لا نريد بها امتراجاً ويبقى حقدنا داء دفينا
فلا نجد السنون الى التصافي سبيلاً ما تعاقبت السنونا
او النمسا تكفّر عن ذنوب جنتها فاغتدت عاراً وهونا
ذنوبٌ ضجّ منها العدل شرقاً ورنّ الغربُ اجمعهُ رنينا
اتحسبُ جارةُ الذانوب انّا نُذلّ لمثلها يوماً جبينا

بيد انّ هذه الأربة حُلّت بعد حين بتساهل تركيا وتعويض مالي قدّمتهُ النمسا. فقال محرّر الوفاء يوسف افندي مراد الخوري:

قد جاء في صُحف برلين الطيبة ما يؤكّد الأمل الصافي بلا كدرِ
ويهل الكلّ يرجون النهاية من امرٍ غدا شاغلاً للعقل والفكرِ
حكومةُ المجرِ والنمسا التي لبثت دوراً مهماً وكانت نجمة النظرِ
قد استعدّت الى حسم الخلاف بما فيهِ السلامُ ودفعُ الخوف والضررِ
تُريد تعويض تركيا التي طلبت مالاً كثيراً ولم تعمد الى الضجرِ
عشرون مليون دولارٍ هو القدر المطلوب منها وهذا صادقُ الخبرِ
لانها امتلكت صقعين خارقة عهداً ببرلين لا ينفكُّ ذا صورِ
ولم تكن قبلُ ترضى الدفع جاهدةً الى التريّث جنبَ الصارمِ الذكرِ
لكن رأت انّ تركيا تناقشها مرّ الحسابِ بصدرٍ (١ قُدّ من حجرِ
فاذعنت للمطالب التي ذكرت وكان فوز عظيمٌ باهر الأثرِ

وكذلك بلغاريا استفزّتها نشوة الحرّية فأعلنت باستقلالها. اما الدولة العثمانية فتصدّت لمطامعها وذادت بحقوقها ولم تزل تطالبها بها حتى راضتها بلغاريا بمبالغ وافرة فانقشعت تلك السحابة بعد ان تفاقم الامر وكاد يبلغ السيل الزُبى. وكان اشار الى الامر الشاعر السابق بقوله:

كذاك بلغاريا لا شكّ دافعةً مالاً بهِ حسمُ ذاك المشكلِ العسرِ
وحلُّ بعضِ قضايا اصبحت ضرماً في الشرقِ للحرب والاموالِ والبحرِ
لذاك عمّا قريب سوف تنظرُ في مرابعِ الشرق سلماً غير منتظرِ
وتُغمد البيضُ في تلك الجفونِ بلا سفكِ الدما واغتيال الحرب للبشرِ

ثم قال بعد ذلك ينوّه باتّفاق الدولتين:

انّ بلغاريا استقلّت وصارت تبتغي بذل الاصغرِ الرنّانِ

١) اي الصدر الاعظم كامل باشا

رضيت تركيا بهذا واست لا ترى في الرضاء معنى الهوان
وانقضى ذلك الخصامُ بسلمٍ رضيَتْهُ السيوفُ في الاجفانِ
يا إله السلام وطِّدْ على الار ضِ سلاماً معزَّز الاركانِ

٤ حوادث نيسان — الثورة في الاستانة والولايات — ظفر الاحرار

دخل نيسان والناس في انتظار لا يدرون ما ستؤول اليه امور الاستانة وقد كثرت فيها الاحزاب وتألفت الجمعيات الارتجاعيَّة القائمة في وجه الدستور كالجمعيَّة المحمديَّة والاتحاد المحمدي . وكان للسلطان عبد الحميد في هذه الاحزاب يدٌ محجوبة وراء قصر يلدز فبُثَّت العيون ونُشرت الاوراق الثوريَّة مستترةً في طيّ الشرع والدين وانضوى قسم من الجنود الثائرين الى الحزب الاستبداديّ فاحيوا معالم الفتنة في دار السلام واصبحت العاصمة كدار حرب كادت تدور فيها الدوائر على الدستور وذويه وقُتل كثير من الضباط وذهب وطنيُّنا واحد طلبة كليتنا سابقاً الامير محمد ارسلان مبعوث اللاذقيَّة ضحيَّة شهامته فافتدى كلُّ هؤلاء الدستورَ بدمهم وقد رثى شعراؤنا جناب الامير بقصائد رنَّانة منها قول الاستاذ الفاضل الشيخ سعيد افندي الشرتوني من ابيات :

هل للملاء سوى اثواب السودِ ام للوفا الّا بكا المتحودِ
اطفأت يد الشغب الاثيمة شعلةً كانت ضياء في الخطوب السودِ
حرسوا البلادَ محمَّدَ ابن المصطفى غوث الخليفة ومنقذ المحمودِ
فلذاك تركيا الفتاة حزينةٌ كالامّ قد نُبئت بقتل وحيدِ
لُعن القادُ وكلُّ من يسعى بهِ حمل الالهُ رجالهُ كشهودِ
صبراً بني رسلانَ ليس فقيدكم يمضي كزرعٍ اخضرٍ محصودِ
فعلى الفتى المفروح تبقى عزَّةٌ تُلقي الظلال على ضريحٍ عميدِ
وبحبيب دستورَ العدالة غايةٌ فبموت شانئهُ مات حسودِ
هذا العزاء عن الامير محمد ليس العزا بالمشهد المشهودِ

وقال نسيم افندي العازار يصف شهامة الامير في موته :

قدم الشهمُ والضراري قيامٌ في ايادي الهلاكُ مصرَّبْ
لم تروعه تلك الذئابُ وأتى يرهبُ الليث من يُجرِّد احدبْ
فابرى بمرقُ الجرحَ أنوفاً ثابت الجأش والجبينُ مقطَّبْ
فأتى المجلسَ الذي ولكن نُشب الحرُّ في الهوى سوْ منشب

فرماهُ وا لهفتاهُ عليهِ بسنان الصفاح مَنْ لم يخَفْ ربّ
فهوى هادئاً وخرَّ صريعاً ذلك الشاب في دماهُ مخضَّبْ
اهاً قال قبل ان فارقتهُ روحهُ والمقالُ في الصدر يُكتَبْ
هانذا قد قضيتُ فرضي فاقضوا يا رفاقي فرضاً اعزَّ واصعبْ
ثم حيناً يا من قضيتَ كريماً وعلى فقدك الورى يتلهَّبْ
انَّ تلك الدماء تُثأرُ يوماً وعلى الظالمين قد تتطلَّبْ

على ان الأحرار لم يرضوا بالرجوع القهقرى فما كان من زعمائهم كأنور ونيازي وشوكت الّا ان ضمّوا القوى وشمّروا عن ساعد الجدّ فزحفوا الى الاستانة لنصرة انصار الدستور وتأييد الحرّية فانشد في ذلك محرّر الميزان اسطفان افندي غلبوني قصيدتهُ التي مطلعها :

ظروف الزمان ألا أنصري وعهداً برمناهُ لا تمتري
أرى العسكر الحرَّ في زحفهِ فسيري دواماً مع العسكرِ
ولا تتركي مُظلم النقل يلقى م انتصاراً على البطل الانورِ
ألا لا انالَ الالهُ مراماً لأعداء دستورنا المزهرِ
ألا ليكن نصر ربك للجيش م عسكر احرارنا المظفرِ
ألا حقّق الله هذا الرجاء بتأييد عصر الملي التيرِ

وقال جناب معروف افندي الرصافي ابياتاً غرراً عارض فيها المعلّقة الكلثومية :

لقد سمعوا من الوطن الانينا فضجّوا بالبُكاء لهُ حنينا
وناداهم لنصرتهِ فقاموا حميّاً للدفاع مسلّحينا
وثاروا من مضاربهم اسوداً بصوت الاتحاد مزمجرينا
شبابٌ كالصواريم في مضاء يُرَوْنَ وكالشموس منوّرينا
لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ومن هودٍ هناك ومسلمينا
هي الاوطان تجمل في بنيها اخاء في محبّتها رصينا
وتتركهم أولي أُنف كبار يرون حياة ذي ذلٍّ جنونا
وانَّ الموت خيرٌ من حياة يظلّ المرء فيها مستكينا
مشوا والوالداتُ مشيّعاتٌ خرجنَ وراءهم والوالدونا
يقلنَ ومنَّ من فرحٍ بواكٍ وهم من حزنهم متبسّمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعودوا للديار مظفّرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدّوا وراموا كيدنا وتنوّئونا
فان لم تنقذوا الاوطان منهم فلستم يا بنين لنا بنينا...

وكم قد قلنا من قولٍ شجيٍّ لهم فتركتهم متهيّجينا
ومذ حان الوداعُ دنونَ منهم فقبّلن الصوارمَ والجفونا
وما أنسى التي برزت وقالت وقد اقذوا لرؤيتها العيونا
ألا يا راحلين لحربِ قومٍ لئامٍ ضيّعوا الوطنَ الثمينا
خذوني للوغى معكم خذوني ممرّضةً لجرحاكم حنونا
وان لم تفعلوا فخذوا ردائي به شدّوا الجروحَ اذا دمينا

ومنها في وصف الظفر:

اتيا دار قسطنطين صبحاً وقد فُتحت لهم فتحاً مبينا
وظلَّ الجيشُ جيش الله يشفي بحدّ سيوفهِ الداء الدفينا
فاهرق انفس الطاغين حتى سقاهم من عذابهِ المنونا
وردَّ الخائنين الى جزاء احلّهم المقابر والسجونا
وحطّوا قصر يلدزَ عن سماه لهُ فانحطَّ اسفل سافلينا

وكان امل الاستبداديين ان تنتشر الثورة انتشار الوباء وتشبّ شبوب النار في انحاء المملكة وكانوا لهذه الغاية ارسلوا سرًّا الى كل ولاية يأمرون اهلها باثارة الفتن لكنّ تلك الاوامر لم تلق اذنًا صاغية الّا في ولاية آطنه وما جاورها الى نواحي انطاكية حيث قُتل الوف من الارمن وتجدّد من الفظائع في التنكيل بهم ما احيا ذكر مذابح سنة ١٨٩٥ في الاستانة وديار بكر ومعمورة العزيز وسوّد بصفحة جديدة تاريخ تركيّة . وقد وجد الشعراء الاحرار في تلك النكبة الهائلة مجالًا واسعًا لبثّ لوعات قلوبهم وابداء شواعرهم . فقال نعوم افندي مكرزل منشئ الهدى يمثّل ارمينيا منطرحةً كالثكلى على قاعدة الصليب:

سجدتْ تناجي ربَّها بدموعها والنارُ بين فؤادها وضلوعها
غيداء من عود الصليب توقّعت أن يرأب المصلوبُ بعض صدوعها
أنّت كما انّ الصريعُ مضرّجاً بدمائهِ من بعد لثم رضيعها
زوجان من قبل الفراق تعانقا للموت في قتلٍ وفي توديعها
نشرت ذوائبها حِداداً بعدهُ ورثته كالورقاء في ترجيعها
هذا السوادُ على المصيبةِ شاهدٌ من ثوبها من عينها من دُرعها
فُصل الخطاب بشفرة التركي اذ قطرت دماً مسلولةً بربوعها
فمن الصليبِ دمٌ يسيل ممازجاً تلك الدماء فيعها بنجيعها

ارمينيا أبكي بالدموعِ سخينةً فالفوزُ عند سخينها وهموعها

والشمس تسمحُ للظلام بوقفة سوداء بين غروبها وطلوعها
لا تيأسي فالله يكشف ظلمةً تتألق الانوارُ بعد وقوعها

وهو القائل :

اذا كنت يوم الحرب بالسيف فاتحا فلا تكُ يوم السلم بالسيف ذابحا
ولا تكُ والدستورُ اضحى فخارنا على ذلك الطغيان للدم سافحا
فقد ملأت اشلاؤنا كلَّ حفرةٍ واطفالنا والامهات البطائحا
عُراةٌ على ذاك العراء تناثرت عصائب ايتامٍ تبينَ النوائحا
كأنْ غلاة الترك قد صافحوا الألى يعادونهم حتى يسلّوا الصفائحا
فما استمرأوا الّا الدماء سوائلًا ولا استهلأوا الّا اللحومَ شرائحا
ومن لم يكن عن قدرةٍ متسامحًا فلا يرجونَّ افكَ للذنب صافحا

وممن رثى لضحايا الارمن من شعراء المسلمين سعادتلو وليّ الدين بك يكن وله قصيدة غرّاء امتدحها الأدباء اوّلها « ارحمي يا قلوب هذه الضحايا » ولم نحصل منها على نسخة لننقل منها بعض غُررها . ومثلها حسنًا قصيدة لصاحب العزّة نعوم بك شقير دعاها النجدة هذا مطلعها :

من لي بمعرفة الاثيم الجاني الجالب الويلات للاوطانِ
من ذا الذي اجرى الدماء جداولًا وأثارَ حربًا في بني عثمانِ
مَن افسد الاصلاح في ابّانهِ وضدَّد الآمالَ بالحرمانِ
أترى هو الجهلُ الملمُّ بأرضنا ام هل وراء الجهلِ سرٌّ ثانِ
ام هل وراءها تمدُّد جنسنا وتضاربُ النزعات والاديانِ
ام هل هنالك للسياسةِ من يدٍ ام انَّ هذي سنّةُ العمرانِ
فه اشكو يا ضحايا آدنا فه اشكو قسوةَ الانسانِ
اشكو فظائع فتنةٍ في امّةٍ سفكتْ دم الاقرانِ بالاقرانِ
وقضت على ابهى المدائن والقرى حرقًا بمن فيها من السكّانِ

ثم عدَّد ما جرى هناك من ضروب المآثم وختمها بابيات جميلة استطرد فيها جود المحسنين واهل المروءة لسدّ حاجات الالوف من المنكوبين بعد مذابح آطشه وحرق مساكنهم وختمها بقوله :

طوبى لجند المحسنين فانهم ظفروا ببينتهم من الرحمانِ
لهم السعادة في الحياة وبعدها لهم الخلودُ بجنّة الرضوانِ

ومن القصائد المشعرة بعواطف قائلها وغيرته النارية قول حبيب افندي فارس زين :

ارمينيا ! . . . تزل القضا بفنائها فقضى على ارمينيا بفنائها
رضخت امام السيف خائرة القوى والسيفُ لم يحفظ عهود ولائها
هُرقت دماء فتيها وفتاتها مُزجت دموعُ شقائها بدمائها
ضجّت ونادت تستغيثُ وتشتكي هل سامعٌ يرثي لمرّ ندائها؟ . . .
فالسيف يلعبُ في رقاب رجالها والنارُ تلعبُ في صروح علائها
والموت بينها يروّعها وقد ضاقت مساحتها على اشلائها
ارمينيا لا ذنب جاءتهُ سوى دين ابن مريم ملتجى ابنائها
فبكت على عود الصليب واعولت تستنجدُ العالي بقطع رجائها

وقال الشاعر ميخائيل افندي رستم من تخميس :

يا هل ترى والدهرُ عصرُ تفنّنٍ كيف استحلّ الترك قتلَ الارمن
أبعيرةٍ في الدين عند المؤمنِ أم كان اكراماً لذاك المُنتخبِ
نيرونَ او عبد الحميد الثاني
اسفاهُ قد حرقوا المدائنَ والقُرى ما ضرّ لو كانت لهم نار القِرى
لجسامهم كان الجسادُ تأثّرا لا للمذابح حيثما ابتلّ الثرى
بدم القتيل وادمع الجوعانِ
فالى متى لا تُصلَح الاحوالُ ويزول من تلك الرُّبى البلبالُ
حتى التساوي والاخاء يُنالُ من بعد ما تتعاقبُ الاجيالُ
يوم القيام بحضرة الديّانِ

وكأنّ صوت دماء اولئك القتلى تصاعد كصوت هابيل الى عرشهِ تعالى فضرب الله ذلك المجرم العظيم الذي كان سبب تلك المجازر واقام لهُ خير خلفٍ

٥ عبد الحميد الثاني – والسلطان رشاد محمّد الخامس

كان اليوم السابع والعشرون من نيسان يوماً مشهوداً في الاستانة العليّة فيهِ خُلع سلطان وبويع سلطان . خُلع بفتوى شيخ الاسلام ذلك الرجل القدام الذي لم يزل بسطوتهِ وشدّة مراسهِ يصارع الدهر حتى اذ قيل انهُ فاز بالمرغوب وقع صريعاً بطعنةٍ قطرتهُ فكادت تذهب بحياتهِ وسلطتهِ معاً ثم نُقل سجيناً الى سلانيك . فكان لهذا الامر الجلل دوي عظيم بلغ صداهُ اقاصي المعمور وقد استرسل الشعراء في وصف تلك الواقعة . فقال امير شعراء العراق معروف افندي الرصافي :

هوى عبد الحميد بهِ هوياً الى درك الملوك الظالمينا

فأنزل من سرير الملك خاماً وأفرد لا نديمٌ ولا قريناً
وسق الى سلانيكَ احتباساً لهُ كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحةُ مستبدٍ غدا بديار احرارٍ سجينا
يراهم حول مسكنهِ سياجاً ويعجزُ ان يُنيم لهم عيونا
وموتُ الموت خيرٌ من مقامٍ لهُ بين الذين سقوهُ هونا

وقال شاعر مصر حافظ افندي ابراهيم الذي طالما مدح عبد الحميد وقت عزّتهِ يصف خلعهُ :

لا رعى الله عهدها من جدودِ كيف امسيتَ يا ابن عبد الحميدِ
مُشبع الموت من لحوم البرايا وجميع الجنود تحت البنودِ

ثم قابل بينهُ وبين نابوليون الكبير بعد نفيهِ الى جزيرة سنت هيلين :

يا اسيراً في «سنتَ هيلين» رحّب باسيرٍ في «سالنيك» جديدِ
قُلْ لهُ كيف زال ملكُكَ لم يعصمكَ اعدادُ عُدّةٍ او عديدِ
لم تصُنْكَ الجنودُ تفديك بالارواحِ والمالِ يا غرام الجنودِ
قُل لهُ كيف كنت كيف ملكت م الارضَ كيف انفردتَ بالتمجيدِ
نلتَ العروش عرشاً فعرشاً وصبغتَ الصيد بعد الصيدِ
كلّما نلت غايةً لم تنلها همّةُ الدهر قلتَ: هل من مزيدِ
ضاقت الارضُ عن مداك فأرسلتَ بطرفٍ الى السماء عنيدِ
قُل لهُ جلَّ من لهُ الملك لا ملكَ لغير المهيمن المعبودِ

ومنها في بكاء عبد الحميد لما طلبوا منهُ ان يعتزل :

أصبحتَ بكيتَ لمّا اتى الوفدُ ونابتك رعشةُ الرعديدِ
ونسيت الإباء والمجد والسؤ ددَ والعزَّ يا كريم الجدودِ
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن علّها تروةُ الفؤادِ الجليدِ
علّها دمعةُ الوداع لذاك الملك او ذكرةٌ لتلك العهودِ
غسّل الدمعُ عنك حوبةَ ماضيكَ فوقاك شرَّ يومِ الوعيدِ

وقال امام الادب ونابغة شعراء مصر سعادة احمد شوقي يصف تلك الحادثة :

سَل يلدزاً ذات القصورْ هل جاءها نبأُ البدورْ
لو تستطيعُ اجابةً لبّتك بالدمع الغزيرْ
اخنى عليها ما انا خَ على الخورنق والسديرْ
ودها «الجزيرةَ» بعدَ م اسماعيل والملك الكبيرْ

ذهب الجميعُ فلا القصو رُ تُرى ولا اهلُ القصورْ
فلكٌ يدور سعودهُ ونحوسهُ بيد المدبرْ

ومنها يخاطب عبد الحميد:

عبدَ الحميد حسابُ شـ ـلكَ في يدِ المالك الغفورْ
سدتَ الثلاثين الطوا لَ ولستَ بالحكم القصيرْ
تنهى وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغيرْ
كم سبّحوا لك في الروا حِ وألّهوك لدى البكورْ
خفضوا الرؤوس ووثّروا بالذلّ اقواسَ الظهورْ
ماذا دهاك من الامو رِ وكنت داهية الامورْ
دخلوا السريرَ عليكَ م يتكون في رب السريرْ
أعظم بهم من آمريـ ـنَ وبالخليفةِ من اميرْ

وقال يصف بسالة شوكت باشا فاتح الاستانة:

يا شوكتَ الاسلام بل يا فاتح البلد السريرْ
هل كان حدُّك في ردا تك يوم زحفك والكرورْ
فقصت صيّاد الاسود وصدتَ قنّاصَ النسورْ
واخذت بلدز عنوةً وملكت عنقاء الثغورْ

وسابق احمدَ شوقي شاعرٌ آخر مصري وهو وليُّ الدين بك يكن فنظم في بحر القصيدة السابقة وقافيتها وجاراها في معانيها وبلاغتها. وقصيدتهُ طويلة نختار منها قولهُ في عبد الحميد:

انَّ الزمان بنزْ ثمّ م يُذيق عاقبة الغرورْ
فمشى الزمان اليك بالا م حزانِ من بعد السرورْ
قد كنت ذا القصر الكبير م فصرت ذا البيت الصغيرْ
وربيتَ في مجد الامير م ولم تَمُت موت الاميرْ
لمّا سلبتَ الحكمَ قلتَ م «الحكم لله القديرْ»
هل كنت ترضى اوّلا ما قلتَ في الزمن الاخيرْ
ورآك جندُك ضاوعًا لهمُ ضراعات الاسيرْ
انَّ الثلاثين التي مرّت بنا مرَّ الصورْ
وهبتك تجربة الامو رِ فعشت في جهل الامورْ
ورددتَ عارية الخلا فةِ بعد ذلك للسميرْ
من كان يدعوك الخبيرَ م قلتَ عندي بالخبيرْ

وكان من فرسان هذه الحلبة الشاعر الحكيم اسماعيل باشا صبري فقال معارضاً لرصفائه وملمحاً الى براكين صقلية وزلزال مسينة:

يا ناظر الترك قد فارت مراجلهم بين الدروب وفي عرض الميادين
قل للبراكين كفي نحن في شغل ذا اليوم عنك ببركان البراكين
هل الجبال الرواسي عندها خبر بما تصدع من شم البراكين
وهل رأى النسر شيئاً في السماء حكى ما هز يلدز من بأس الشواهين
قالوا لقد خر من صرح العلى رهوى ذو السلطنين ورب الكاف والنون
أهول بها صيحة في الكون قاصفة تزلزل الارض من حين الى حين

ثم قال يخاطب العظيم الساقط:

عبد الحميد سيحصى ما صنعت غداً بين الأنام ويأتي في الموازين
ان يرجح الخير نعم الخير من عمل دخلت في زمرة الغر الميامين
او يغلب الشر لا كانت عصابته عددت في صرحه اقوى الاساطين
ان لم تكن لا ثناك الله عن أمد شيخ السلاطين كن شيخ الفراعين
انا عهدناك لا ترضى اذا استبقت صيد الملوك الى الغايات بالدون
يا طاسم الملك اسى حل عقدته سر الملائك او سر الشياطين
لا برهنتك حكم الناس فهو غداً مستأنف عند سلطان السلاطين

وقال جناب ادوار افندي مرقص من قصيدة يصف خلع عبد الحميد:

الى صاحب التاج الرفيع مقامه الى ابن السلاطين الميامين مواكبه
الى مالك الأعناق غير مدافع الى حاجز الارزاق لا من يحاسبه
الى الواسع الشعبي الى الهائل الدما الى شاغل الدنيا فليست تناصبه
اتى الوفد عالي الهام والصوت عابساً يقول: اخلع الملك الذي انت ناكبه
وكان وراء الوفد جيش وامة وجرأة بأس معجزات عجائبه
تأذن جبار الملوك وأرعدت فرائصه واستأذن الجفن ساربه
وحيا بكلتا راحتيه تضرعاً ليبقي له ذل الحياة معاقبه
وكان زمان ان اشار باصبع فتلك حياة او هو الموت جالبه
فما باله اذ هدموا عز ملكه اضاع اختياراً عز نفس تصاحبه

وقال المسمى وسخ في مرآة الغرب من قصيدة:

مضى عبد الحميد الى مكان رمت فيه أم قشعم الرحالا
مضى وله بفعل الشر ذكر بما ذكر الألى كانوا مثالا

مليكٌ قد تسربل بالمخازي وهمَّ الارض غدرًا واحتيالا
اميرَ المؤمنين دعوهُ زورًا فكان الذئبَ لم يعرف حلالا
اتى كل المحارم والدنايا وخان الدينَ عمدًا والرجالا
واسهر موجباً طَرَف الليالي فعادت من قماتلهِ حبالى
عدوَّ الدين والاسلام هلَّا علمتَ بانَّ في الدنيا زوالا

ومن القصائد الحسنة التي تليت في ذلك قول بشاره افندي عبد الله الخوري :

تأمَّلَ الشرق حاذري ان تميدي سقطَ العرشُ عرش عبد الحميدِ
فهوى ربهُ وكانت على رجليهِ ضوي تبلّا رجوهُ الصيدِ
سُنّةٌ للزمان عزٌّ وذلٌّ فسما بين سيدٍ ومسودِ
صاحبَ التاج اين انت من التا جِ ومن صولجانك المفقودِ
صاحب العرش اين انت من العر شِ وقد كان محكم التوطيدِ
صاحب الدولة التي كنتَ منها في مقام الميمنِ الميسودِ
اين تلك الشفاه تلثمُ رجليك وتدعو للملك بالتأييدِ
والرؤوس المطأطئات الى الار ضِ قياماً بواجبات السجودِ
والارادات اين تلك الارادا تُ الميداتُ كلَّ حرٍّ شهيدِ
ذهبتْ مثلما ذهبتَ وبادت مثلما بدتَ يا ابن عبد الحميدِ

ومنها :

ايهِ عبد الحميد حدّث عن الدهـرِ وحدّث عن يومك المشهودِ
عبرةٌ انت للورى وستها اصبحُ الله في كتاب الوجودِ

ومثلهُ لميخائيل افندي رستم من ابيات يصف زحفة جيش سلانيك وعزل السلطان :

اذا جيوشٌ من سلانيكَ اقبلتْ وشركتُ باشا في الكفاحِ مجرَّبُ
احاط وذاك الجيشَ من حولِ يلدزٍ وقد فكّر السفّاحُ من اين يهربُ
فألقوا عليهِ القبض بعد اتفاقهم على خامهِ والشيخ فتواهُ يكتبُ
وحجتهم كانت عليهِ بانهُ ملايينَ اموال الرعيّةِ يسلبُ
ألا وابو الاحرار من صوب مكّةٍ ينادي : بحقي انت انت المسبّبُ
وصوتُ دم الابرار لا زال صارخاً امام السما والارض انك مذنبُ
مظالم نيرونَ التي قد اعدتها بنا مثلما عذّبتنا متعذّبُ
ويُحذَر في البسفور من تضحياتهِ حدوثُ ارتطامٍ كلّما مرَّ مركبُ
وتحت امتحانٍ كيوريٍّ قتلهُ سياهٌ وثلثاهُ دمٌ فتعجبوا
فكم دسَّ للاحرار سمَّ اقترانهِ كأفعى ومن عاداتها تتقلّبُ

كفرعون قسّى قلبهُ فاذا بهِ من الصخر والصوّان اقسى واصلبُ
فجوزي بما جازى وهذي حقيقةٌ جزائيّة والله نعم المؤدّبُ

ولشاعر لبنان شبلي افندي الملّاط قوله :

تباركتِ الفتوى بحلمٍ مسلّكٍ تناهت من الدنيا اليها المدائحُ
عليها من الشرع الشريف شمائلٌ ومن سُوَر القرآن ما الدينُ شارحُ
تهادى بها الاسلامُ تيهاً لانّها مشاعلُ من نور الهدى ومصابحُ
بكى عندها عبد الحميد وطالما توالت عليهِ من ذويها النصائحُ
فاذعن مظلوماً وسلّم كارهاً وطابت من الشورى العيون القرائحُ

ومنها :

فُطِمت على سفح الدماء وشاهدي ابوك الذي قد قال انك سافحُ
وأملك ان وُلّيت ملكاً يكن بهِ لشبلك يوماً جندلٌ وصفائحُ
فذق من طعام السجن ثم أبِنْ لنا أسُرٌّ طعام السجن ام هو مالحُ
وكفّر عن الماضي وما أثمت بهِ بداك لعلّ الله في الحشر صافحُ

واذ كان ملك الملوك يخذل ذلك الجبّار بعد عتوّهِ ويزلهُ عن كرسيّهِ الى الحضيض والسفال رُقّي على عرش آل عثمان اميرًا دهشتهُ باستبداد اخيهِ كوارث الحدثان فعركتهُ سنين طوالًا عرك الاديم ولمّا عرفت قدرهُ سالمتهُ ودعتهُ الى ملك آبائهِ فنودي بالامير رشاد سلطانًا باسم محمد خان الخامس ولمّا جلس على اريكة الخلافة ترطّبت ألسن الرعايا بالدعاء وانتظمت درر الشعر في اسلاك قصائد المهنّئين فقال حافظ افندي ابراهيم :

حيِّ عهد الرشاد يا شرقُ وابلغ ما تمنّيتَ من زمان بعيدِ
قد تولّى محمّد الخامس الملك فأعظِم بتاجهِ المعقودِ
طأطئي للجلال يا اسم الأسى سجودًا هذا مقامُ السجودِ
علم الله انّ عهد رشادٍ خيرُ ظلٍّ يردُّ عنك الرشيدِ

وقال شوقي باسم اهل مصر :

المؤمنون بمصر يهدون السلام الى الامير
ويبايعونك يا محمّدُ في الضمائر والصدور
قد أمّلوا لجلالهم حظّ الاهلّة في المسير
فأبلغ بهِ اوج الكما لِ بعونهِ الله القدير
انت الكبيرُ بقدرك سيف عثمان الكبير
بشرى الامام محمّدٍ بخلافة الله القدير

بشرى الخلافة بالامـا م العادل الترم الجديرْ
الباعث الدستور في الا م سلام من حفر القبورْ
اودى معاويةٌ بهِ وبعثتهُ قبل النشورْ
فعلى الخلافة منكما نورٌ تـلألأ فوق نورْ

وقال سيادة ايليا مطران صور وصيداء على الروم الارثدكس:

بحولِ الله تمَّ لنا المرادُ وأولانا الاماني الرشادُ
بشائر ملكهِ في الكون رنَّت مثانيها لها طربَ الجمادُ
وقد جلسَ محمَّد في نفوس م الرعايا والرشادُ لها عمادُ
ومن يبغي الدلي ارّخ تقيهِ بنو عثمان فيهِ لهم رشادُ

وقال الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف يوم تنصيب جلالتهِ من قصيدة نشرت في جريدة العصر الجديد التي كان يحررها بدمشق:

تولّى عرش عثمانٍ رشادُ فقرَّ الشعب طرًّا والبلادُ
وعزَّ الامن من بعد اضطرابٍ وعمَّ شعوبَ تركيا اتحادُ
رعى الرحمان دستورًا مماًّ لهُ في ارضنا وُضع العمادُ
ووفَّق ملكنا نصرًا ونجحًا وسار بظلّهِ فينا السعادُ
ألا يا ايها الملكُ الفدّى اليك تشوَّقت هذي البلادُ
وفيك توسَّمت خيرًا وعيًّا فانت بناء مالها المشادُ
أنل هذي الرعيَّة حسن أمنٍ يدومُ لهُ بسلطتك امتدادُ
وعزّز مجلس النواب قدرًا بهِ يدنو لأمتنا المرادُ
وأرهف حدَّ سيف الجند حتى يطولَ الامن ما طال النجادُ

وقد أرّخ جلوسهُ السلطاني بقوله:

ألا يا شعب عثمانٍ هنأ فقد والاك في نصرٍ مُرادُكْ
وفي يوم الثلاثا أرخوهُ أقيمَ بعرش عثمانٍ رشادُكْ

وقال يوسف افندي مراد الخوري في جريدة الوفاء:

ثبتَ العرش فاعتلاهُ محمَّدْ بين مهدٍ مضى وعهدٍ تجدَّدْ
وانقضت دولة التجبر لمَّا صدمَ الجيشُ مجدَ يلدز فاصدَّدْ
فترى في محمَّد خير ملكٍ يخدمُ الدستور الشريف المشيَّدْ
ورأينا خلافةً قيل فيها عاد مجدُ الاسلام والودُ اخمدْ...
هذه الدولة التي حالت النر بَ قديمًا فهالها وتشدَّدْ
خاضها الدهر فاستكانت ولكن حانَ ان يرهب الذي يتهدَّدْ

كن على عرشها الرفيع ملكاً مُصلحاً بل مقوّماً ما تأوّدْ
فبك الآمال الكبار أُنيطت وبك الدستور الشريف تأيّدْ
وجنودٌ من حول عرشك سورٌ ومياهٌ عن حوضها الدهرُ برتدّ
ومقامٌ يستنزل النجمَ طوعاً وتقوسٌ عليك وقفٌ مؤبّدْ
ورجالٌ هم مخلصون وما قد قيل عنهم الّا الحديث المجدّدْ
هتفوا مذ نلتَ الخلافةَ شرعاً ثبت العرشُ فاعتلاهُ محمّدْ

وقال حبيب افندي زين مترجماً عن اماني الشعب في سلطانه الجديد:

أيا من علا عرش السلاطين سائدًا تقرّرهُ جيشُ ابن عثمان سيّدا
أزلْ من بنيك الغائشين قطالا عفتهم فمالوا كالسنابل حُصّدا
وبل غيرَ مامورٍ الى بقعةٍ جرتْ دماء بنيها وهي تبغيك منجدا
هو الشعب نحو العرش اصدق داعياً بنصرك فانصرهُ ومدّ لهُ يدا
وحقّقْ اماني الملا بمحمّدٍ وقاك مقيل العاثرين من الردى

وقال كامل افندي فضّول في معناهُ:

يا ذا الجلالِ محمّدٌ ورشاد امّتنا النبورْ
حقّقْ اماني امّةٍ لم تشها عنك الدهورْ
فتحيط عرشك عصبةٌ أُسدٌ ولكن لا تخورْ
فسوس ملكك مذ بدت منها الى الاوطان تورْ
لنهامةِ الظلم نفتْ مع كل ارباب التجورْ

وقال آخر:

محمّدُ انت اليوم سلطان دولةٍ تحاولُ بالدستور ان تلحق الدُوَلْ
ارادك احرارُ الفتاة لعرشها على املٍ سامٍ فحقّق لنا الأملْ
وجدّد لتركيا زمانَ ازدهارها وأرجع لها مجداً ترى نجمهُ أفَلْ
أسلطاننا الحرَّ المكرَّم انّ من حواليكَ ابطالاً بهم نجدنا كملْ
يُلبّون ما ترجو فيتمّ الى العلى بنا دون ابطاء فيُحمد من عذلْ
محمّدُ مرْ للمجد بالدولة التي بناها لك الاحرارُ منّاً على الأسلْ
اضاع لنا عبد الحميد كرامةً ونرجو لها عوداً لتفضُلَ من قبلْ
فكن يا امير العرشِ انت مبيدها برأي ذوي رأيٍ يصون من الخطَلْ

وقال علي افندي عبد الله الحسامي بقوله:

هذا الزمان صفا وقد نلنا المنا بجلوسِ مولانا الرشاد الأكبرِ
بمحمّدٍ سلطاننا وملاذنا فخر الورى في برّها والابحرِ

خاقاننا اضحى خليفتنا الذي يرعى الانام بحكمة وتدبر
حق علينا يا اكارم ان نجو دَ لشخصه بالنفس دون تأخر
يا ربنا أنصرْ بالملائك ذخرنا وأدِمْ ملاذ الملك حتى الحشر

وقال بشاره افندي عبد الله الخوري مهنئا:

دُنت اعصرُ المظالم يا شر قُ فرحّب بعصرك المسعودِ
وابتسم للفلاح فالتاجُ معقو دٌ على مفرقِ الفتى المحمودِ
زال عصرُ الجحود يا امَّ الار ضِ فهذا عصر الاخاء الوطيدِ
طمحت هذه النفوس الى المجـدِ فلا تمنعوا سبيل الورودِ
دونك السيف يا محمدُ واسمُ السمرش فالعرش مربضٌ للاسودِ
لا بانا ذرى المعالى اذا لم يحلُ عصرُ الرشادِ عصرَ الرشيدِ

٦ عيد العام الدستوري — خوف ورجاء

ترى لنَّ الشعر قد مثّل وقائع السنة الدستوريّة الاولى احسن تمثيل ولما مرَّ على هذا الانقلاب تمام العام عاد الشعراء فنظموا القصائد يذكرون فيها الدستور ويعدّدون حسناته وربما ألمّوا ببعض نقائصه. قال وطنيّنا محمّد افندي شاكر ياسين من قصيدة دعاها السرور العام لمرور العام:

كوكبُ العدل علينا سطعا وغمام الظلم عنّا انقشعا
وبشير الفوز بالبشرى سعى ورسول الحق للشورى دعا

الى ان قال:

ادرك الملكُ رشادًا جبنا لرشادٍ فيه حقًّا بوجا
ملكٌ جدَّد ذكرى جدّهِ فرجونا الخيرَ فيه اجمعا

ومنها:

سنةٌ يا شرقُ مرّت فعلمتْ بعد ان مرّت وساءت مرجعا
فسلِ المحكوم ماذا صنعا وسلِ الحاكم ماذا استصنعا
قد وضينا بدلًا عن هرجكِ وعن البُسنا بمالٍ دُفعا
غير انّا عن كريدٍ لا نرى بدلًا الّا الظبا والمدفعا

وقال صاحب الرغائب جناب حكمت شريف من منظومة طويلة غرّاء:

يا عيدُ انّك اكبرُ الاعيادِ لمّا اتيت بحكمةٍ ورشادِ

احييتَ اوطاناً جا لعبَ اليلى دوراً عظيماً دار باستبدادِ
وبثت دستوراً به نرقى الى مجدٍ اثيلٍ شامخٍ بسدادِ
بمحمدٍ تلنا الرشاد وحبنا فالفعلُ محمودٌ مدى الآمادِ
ها «شوكت» الاوطان عادت في الملا والبدر «أنور» في سما الاسعادِ
و«نازك» كمْ رمت العداةَ بسهمها عن قوسِ عدلٍ حُفَّ بالارشادِ

ومنها في تذكار الشهر الدستوري:

يا شهر تموز المبارك سرمدًا بين البلادِ على اختلافِ عبادِ
قد كانت القدماء تعبدُ ذكرهُ تموز شهر الخير والاسعادِ
ها اننا في عاشر لك دائمًا اعيادنا موصولةُ الاعيادِ
فلنشكرنَّك دائمًا بالسننا وعيوننا وجوارحٍ ونوادِ

واحسن الشاعر المطبوع حافظ افندي ابراهيم حيث قال:

مضى العامُ يمسون الشهور مباركًا تُعَدَّد آثارٌ لهُ وتُسطَّرُ
مضى غير مذمومٍ فان يذكروا لهُ هناتٍ فطبعُ الدهر يصفو ويكدرُ
وان قيل أودى بالالوفِ اجاجم عجيبٌ لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسانُ امرئٍ باساءةٍ فأربى عليها فالاساءةُ تُغفَرُ
فنبو أفاقَ الثائرون وقد انت عليهم كأهل الكهف في النوم أعصرُ

وبعد هذا العيد بأيام لمَّا عزمت الدول على استرجاع جنودها من كريت ابتدأت حركة اهل الجزيرة اذ نشروا الراية اليونانية على قلعتها فقال الشيخ امين ناصر الدين على لسان نادة كريت تدعو الأمة العثمانيَّة ومجلس نوابها لانقاذها من يد العدوّ:

ايملكني اليونانُ والتركُ تنظرُ وللعُرب اسافٌ جا الغيدُ تُخفَرُ
وحول فروقٍ من قنا الخطِّ غابةٌ تطالُ جا أُسد الكتائب تزأرُ
وفيها سريرُ الملك حُفَّ بعيبةٍ ومجلسُ نوابِ البلاد الموقَّرُ
بني العُرب والاتراك اين حميَّةٌ يروع العدى منها اللظى المتسعّرُ
واين نفوسٌ ما فتئنَ الى العلى طوامحَ فيهنَّ الاباءُ الموقَّرُ
واين مواضٍ تنتضيها أكفُّكم فيبدو عليهنَّ الحسام المصوَّرُ
واين الجواري تمخرُ اليمَّ هيَّا بجيشٍ حشاها بالبخار فتزفرُ
تميسُ باثواب الحديد كأنما حسانٌ عليهنَّ الحرير المحبَّرُ
أأسبي ولي منكم حماةٌ والورى عيونٌ الى شعب ابن عثمانَ تنظرُ
أبى الله ان ترضى التخاذلَ أمةٌ لها في العُلى يُتلى رقيمٌ مسطَّرُ

ثم انتقل الى جواب العثماني فيسكن روع الغادة ويذكّر اليونان بما اصابهم من الخذلان في حربهم الاخيرة فقال:

رويدكِ يا حسناء انّا لأمّةٌ دماء بنيها الصيدِ دونكِ تُحذَرُ
صلابٌ قناة لا تلين لغامزٍ أباةُ هوانٍ عهدُنا ليس يُخفَرُ
نمانقُ في الحرب المنايا كأنّها أوانس في غضّ الحدائق تخطرُ
وتُرجي الجواري المنشآت مُقلّةً مدافعَ منهنّ الردى يتفجّرُ
اذا نظمتنا والاعادي معاركٌ فهامُهم بالمشرفيّات تُنثَرُ
منحميكِ يا حسناء من كل معتدٍ بأسٍ لهُ خدُّ العزيز يُصعَّرُ
فشيمتُنا صونُ العذارى وشأننا صدامُ الاعادي كلّما ثار عثيرُ
أظنّ بنو اليونان انّ سيوفنا تثلّمنَ ام أخفى علينا الأخيرُ
ألم يذكروا ما كان بالأمس بيننا على حين خُضنا الموتَ والموت يزخرُ
صدمناهم تحت العجاجة صدمةً كما راع اسرابَ الظباء غضنفرُ
وكانت لنا معهم وقائع لم تزلْ احاديثها في المثقفين تكرّرُ . . .
فهلّا بني اليونان هل تحسبونا نبغي اقتحام الحرب والجوُّ اكدرُ
أفاتكمُ انّ الشجاعة خلّةٌ تميّزنا عن غيرنا حين نُذكَرُ
وانّ نفوس الصيد تصغُر في الوغى اذا صاح جيش الترك « الله اكبرُ »
عُرفنا بصبرٍ في السياسة ثابتٍ ولكنّنا في ساحة الحرب اصبرُ
نودُّ بقاء السلم حتى تدومنا هوانًا تنبي الحربَ والله ينصرُ
تخيّمُ وقتًا توالت خطوبهُ لادراك امرٍ نيلهُ يتعذّرُ
وخانَ توالي الظلم اورث شيخنا خمولًا واصبحنا على الدون نصبرُ
وقد يحجبُ النارَ الرمادُ وانّما اذا الريحُ هبّت فوقها تتفجّرُ
فمرناكمُ والملك قد كان ذاويًا فكيف وروضُ الملك فينانُ اخضرُ
فما ضمّ اكريتٍ بسهلٍ فدونهُ صدامُ الرزايا والهلاك المقدّرُ
سلكتم سبيل الغيّ دون تبصّرٍ ولم تعلموا انّ الصواب التبصّرُ

فمن هذه الامثلة الشعريّة التي انتقيناها يتحقّق القرّاء ما صار اليه الشعر العصريّ من المتانة وبلاغة المعاني فكأنّ النظام الدستوريّ اورثهُ حياةً جديدةً فلم يعُد الشعراء يكتفون كما في السابق بتنسيق العبارة وزخرف الكلام واشكال البديع لكنّهم يطبعون في اذهانهم الاحداث الجارية الى ان تندمج في قلوبهم فيتدفّق الشعر منها تدفّقًا فيسيل من معين. ولا عجب لانّ الشعر من الشعور فاذا امتلأ القلب فاض الفم من ملئهِ واضحى اللسان خير ترجمان عمّا يحويهِ الجنان

الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانٍ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وكان في تلك الأيام الخواجا اسحق في دياربكر. فكتبنا لهُ مكتوباً وارسلناه مع الساعي واخبرناهُ بكل هذه الامور وانَّ البطرك قد تشمَّر لفعل الشرور فلازمٌ لازم ان تقوم وتجيء لانَّ الشغل قويّ خراب هو. فقام جاء وراح الى الحاكم وكان الحاكم قد سمع بهذه الامور كلها فقال للخواجا اسحق: ان بطركم يعمل هكذا اوزاع (١ وما يشاورني وما يحسبني. فاجابهُ الخواجا اسحق: «انَّ هذا الرجل ما هو بطركي انا ارمني وهو يعقوبيّ لكن من اجدادنا نحن محاوطون مع بعضنا بعض ومن قديم نأخذ منهم بنات ونعطيهم والان هذا يريد يبطل هذا القانون. انا لي اخوان مخطوبان ان فكس (٢ غيري اولادهم فكستُ انا ايضاً اخويّ»

فارسل الامير وجاب البطرك من الدير (اي دير الزعفران) وقال لهُ: يا بطرك لماذا جميع اهل القرى وامراء العرب والاكراد أتوا فسلّموا عليّ وهنّأوني بالحكم وكل واحد جاب هديّتهُ وانت ما جيت اليّ وما حسبت حسابي فلماذا قد قالوا لك اني لستُ حاكماً بل معزولاً. فقال لهُ: يا امير كنت انتظر العيد يجيء لآتي اليك. فقال لهُ الامير: انا لا اريد اكسر خاطرك لانك صديقي من قديم ولأنَّ اكثر الناس يحبُّونك والآن قد اذنبتَ ذنباً عظيماً فغرامتك خمسمائة قرش تجيبها غداً من الصباح. واي شيء يطلبهُ قلبك اعمله

فجاء البطرك وكانت جمعة الاربعين من الصيام فبعث جمع المراعيث (٣ وتشاور معهم وقال لهم: اريد ان تجيئوا معي حتى اروح اكلّم الامير تكراراً. فقالوا: سمعاً وطاعةً. فاخذ معهُ البعض من مريديه وراح الى عند الامير فقال لهُ الامير: لماذا جئت يا بطرك. فقال: يا امير انا رجل فقير ما عندي شيء ابداً وهاأنت وهؤلاء الجماعة

١) يريد بالاوزاع الحركات والفتن. واللفظة سريانية
٢) فكسُ الناهُ وأبطلهُ ٣) لفظة سريانيّة بمعنى الرعيّة

فان شئت ان تغرّمهم فغرّمهم لاني انا ما بقي لي طاقة حتى اقدر ادبرهم لأنّ نظري ما بقي يقشع وآذاني لم تسمع وقد بقيتُ رجلًا ساقطاً

فحينئذٍ اشهد عليه الامير شهوداً وكان عنده قابوجي ثقيل (١ فاشهدهُ عليه انهُ باختياره تنازل من البطركيّة وبقي محلولًا. فقال لهُ: امضِ اسكن في ديرك ولا تعد تختلط في البطركيّة وانا اقيم بطركاً عوضك. واخذ منه كفلاء ان لا يهرب من الدير الى موضع آخر. فجاء من السراي وجمع حوائجهُ وراح الى دير مار يعقوب. وتلك الليلة سام اربعة مطارين بالسرقة. فارسل الى المفريان (العازر) تهديدًا يأمرهُ ان يقوم ويهرب الى دياربكر. فخوفًا من شرّهِ قام وهرب

ولمّا كان الصباح ارسل الامير الى المفريان ليجيء فينصبهُ بطركاً فلم يجدهُ فسألوا عنهُ اهلَ الضيعة فقالوا لهم ان البطرك بعث له جبرًا (امرًا) وهرّبهُ في هذا الوقت. فاتوا واخبروا الامير فأركب خلفهُ لوند (٢ حتى يلحقوهُ ويجيبوه فساقوا خلفه الى قدّام دياربكر ولم يلحقوهُ وقُتلت لهم فرس الامير التي كانت تساوي ٥٠٠ قرش فاغتاظ غيظاً شديدًا وارسل جاب البطرك والقاهُ في الزنجير ومعه محبّرهُ اي المطران الكركي وابن الجلّ وابن طريريخه. وصار له من طائفته من يدّعي عليه قائلين: هذا الرجل قد عمل خلاف البطاركة سلفائه لأن البطرك ما له على المعاد شيء ولا على الخطبة ولا على الزيجة ولا على الميت وهذا صار يبيع بنات الناس بالدراهم ويأخذ على الميت اكثر من القاضي ومن الزيجة اكثر من الحاكم وكانوا قبله يأخذون في البيعة صينيّتين وهو بقي يلمّ سبع صواني. فكتب الامير هذه الدعاوى وبعث جاب قسوس اليعاقبة وقرأ قدّامهم هذه الاشياء. وقال لهم: هذا صحيح ام كذب. فقالوا: يا امير كل هذا حق. فقال: تشهدون بهذا. قالوا: نعم نشهد قدّامك وقدّام الله

ثم ارسل الامير الى المفتي وقال له: من يكون معه فرمان ويعمل خلاف فرمانه ويظلم الرعيّة فاذا يجب عليه. فقال المفتي: يجب عليه القتل. فقال الامير: أعطني فتوى في هذا. فكتب لهُ الفتوى وارسلهُ الى الزنجير وقرأوا قدام البطرك ما قضوا عليه. فبدأ

١) القبوجي بالتركيّة البوّاب ومعناهُ هنا الحاجب الكبير. والثقيل الوجيه
٢) اللوند بالتركيّة الحرس والجند غير المنظّمين

يبكي ويقلق وارسل يتوسل الى الخواجا اسحق كي يشتريه . فقال : انا ما لي خاطـة في الامر . فاجتمع جميع اغنياء اليعاقبة وتوسّلوا الى الخواجا اسحق كثيرًا حتى يروح قدّامهم وهم يكفلون لجميع ما يروح للبطرك فراح قدّامهم وكفلهم جميعهم قـدام المسلمين وتوسّل الى الامير كثيرًا وقطع غرامة البطرك اربعة اكياس دراهم ابي كلب (١ لانّ في ذاك الزمان لم تكن تـلك الزلطه (٢ في ماردين

فـيّبوا البطرك من الزنجير يوم خميس الصوم الكبير المـاء ويوم الجمعة من الصباح قام هذا الشقي ليكرز وبدأ يجدّف على اولاد البيعة المقدّسة باقوال سمجة سفيهـة لا تقدر تكتبها وتحكيها . ومن جملتها انّ هؤلاء كلهم زناة لانّ المرأة لا تحـلّ للرجل الّا بالصليب وهؤلاء ينكرون الصليب ويقولون ان الذي صُلب كان انسانًا ولم يصلبوا الله (٣ واولادهم غير حلال . فاغتظتُ من هذا الكلام كثيرًا وخرجت من البيعـة وجئت ومعي اثنان كاثوليكيّان فاخبرنا الخواجا اسحق فقال لنا : « انتم تريدون ان تجـلدوا واحدًا وتوجعوهُ وما تتركونهُ يبكي خاوهُ يفشر ويأكل على حامض (٤ . كل واحد يعرف ايمانهُ » . ثم بعد ايّام مضت رأى البطرك فخزباه (وبخهُ) على كرازته فقـال معتذرًا : انهُ لم يدرِ ما كان يكرز لان عقلهُ قد ضاع . وبعد ايّام قام وراح الى قلّث (٥

ويوم الاحد اخذت الكتاب ونزلت لأقرأ فجاء واحد من الشمامسة وطبق الكتاب من قدامي وقال : قد اوصى البطرك ان لا تتركك تقرأ او تفتح فمك في الكنيسة . فطبقت الكتاب وقطّعتهُ على رأسهُ وشلحت القميص (٦ وروحت الى عند الامير وكان قاعدًا في الديوان خانه الكبيرة فسألني : ايش الخبر يا شماس . قلت : يا امير انّ احـد

١) هذه الدراهم عرفت بهذا الاسم لصورة كلب كان مصوّر عليها . او بالحري صورة أسد ولذلك عُرفت ايضًا بالدراهم الاسلانية (Cfr Rabbath: *Documents du Christianisme*, I, 571)

٢) الزلطة اصلها زرلوطة وهي قطعة من فضّة عليها الطغراء السلطانية . واصل اللفظة من اللغة البولونية (zolotas) وكانت من نقودهم

٣) العجب من هذا البطرك الذي لم يفرق بين اقنوم السيد المسيح الالهي الواحد وطبيعتيه الالهيّة والبشريّة . فان الكاثوليك ينسبون الصلب للاقنوم الالهي ولكن في طبيعتهِ البشريّة لا في طبيعتهِ الالهيّة التي لا تقبل التغيير والالم

٤) الاكل على الحامض كناية عن المتألم الموجوع الذي يشتكي لوجعهِ واصلها في الاضراس

٥) قلّث احدى قرى اليعاقبة في طور عابدين

٦) يريد القميص الطويل الذي يلبسهُ الشمامسة

الشمامسة طردني وسبّني: فامر الباش چوخدار (١ وقال لهُ: روح مع الشمّاس وجيب خصمهُ. ونحن ماضون في الطريق جاء فينا رأساً (٢ الخواجا اسحق فسأل: ايش هو الخبر. فحكيت لهُ بالقضيّة فقال: انَّ الامير ظنّ انَّ خصمك هذا هو غنيّ مثل البطرك فلاجل ذلك بعث معك هذا الچوخدار الذي خدمتهُ عن قليل هي عشرون قرشاً فلأي سبب ما شاورتني ورحت اشتكيت. فاخبرتهُ اني شاورتُ استاذي فاذن لي

ولمَّا رحنا دوَّرنا على القريم فلم نجدهُ لانهُ هرب فقال لي الچوخدار: ما لهُ اهل. فقلتُ لهُ: نعم لهُ عمّ دلّال في القيصريّة (٣ والآن هو في القهوة. فقال: امض أرني اياهُ. فاخذتهُ ورديته لعنده فقال له: اين ابن اخيك. فقال: ما اعلم. فقال له: امش اقعد موضعه الى ما يأتي. ثم جابه يرأني الى الزنجير (اي الحبس) ومضينا اخبرنا الامير فقال لي: ما عليك روح الى شغلك. ولمَّا جيت الى عين سوق القطن لقيت ان كل الراعيث اجتمعوا مع الشمّاس وجابوهُ وقد البسوهُ خلقاناً عتقاً ومعه الشمامسة. فلمَّا رأوني قالوا لي: انت تقتل الشمّاس وتمضي تشتكي عليه اليوم نريد نشهد عليك كلنا ونعطي مالنا كلّه قدامك ونصلبك. فقلت لهم: امشوا معي. ولمَّا مشيت قليلاً نظرت انهم بدأوا يهربون فبقي مقدار خمسين واحداً. فبدأت اسوقهم زوراً قدّامي. ولما وصلنا الى قدّام الرصيف (٤ بقي منهم عشرون واحداً فطلعنا على الرصيف فنظرتهم فاذا قد قعدوا جميعهم على حيلهم

فدخلتُ انا والخصم فلمَّا وقفنا قدّام الامير كان الخواجا حنّا واقفاً فقال الامير لخصمي الشقي: لماذا طردت هذا الشمّاس من البيعة. اجاب: ان البطرك اوصاني ولي شهود. فامر الامير بجلده بالعصيان. فباس الخواجه حنّا يد الامير ولم يتركهم يجلدونه لكنَّ البكباش قام فيه بسلاية (٥ حتى زجّج عينيه ورفعوهُ من موضعه الى الزنجير. فلما نظروهُ تباعه خافوا خوفاً عظيماً وما وجدنا منهم ولا واحداً. وبقي الشمّاس في الزنجير

---

١) اي رئيس الخدّام والشرط. والكلمة تركية تكتب ايضاً چورقه دار

٢) اي قابلنا وجهاً بوجه

٣) القيصرية سوق التجار تُباع فيها الاقمشة والحرائر

٤) اي رصيف المجلس حيث كان الامير

٥) السلاية في لغة ماردين الضرب بالكف. وزجّج عينيه اي اعماها

خمسة وعشرين يوماً . ولما جئت الى السوق بقي جميع الهراطقة يقولون : « مليحاً عملتَ به هذا النجس . لأيش كثّر كلامه أما كان في البيعة اكبر منه » . وهذا الشقي قد احرق قلب الورتبيت كثيرا لأنه لما كان الورتبيت في كنيسة البربارة كان هو يقعد في الثلمة (١ ويكتب اسامي الذين يروحون الى عنده . وكان يقلّع على الورتبيت تقليعات سمجة الوانًا واشكالاً . وكان يشارك في الكذب والشرور والبهتان الزرط والجاروق (٢ . وبعد ذلك اخذ كمّة (٣ امرأته وكانت من فضّة فباعها وكمّل عليها واعطى خدمة حقّ الزنجير وفكّه الخواجا اسحق . فصمت الهراطقة وخافوا خوفاً عظيماً . وبقوا يقولون انّ الامير قد صار باطري (٤

الّا انّ هذا الامير بعد مدّة صار يتجبّر كثيرًا وما كان يحسب حساباً لاحد وكان له قصور كثيرة مشيّدة مزخرفة شاهقة تكلّف عليها ازيد من مائة كيس من مال ابيه ومن ماله . واراد ان يبني قصرًا آخر يكون معلقًا فبنى صياطًا (٥ عظيماً وابتدأ في بنيان القصر ووضع الشبابيك فاتخذ منهُ عمهُ واولاد عمه وعملوا عليه مشورة مع المفتي والقاضي وابن يعقوب باشا والصخطوريّة (٦ . وصباح عيد التجلّي اخرجوا الأعلام من الجوامع ووضعوها في رأس المنارة وأغلقت الاسواق وتساعت الناس من مسلمين ونصارى وهجموا على الامير ليقتلوه . فسكّر ابواب قصره وبقي هو وجماعته جوًّا محصورين وحكم الاعيان على اهل البلد ان ينظروا (يراقبوا) الاسوار ليلًا ونهارًا . وما كان احد يقدر يشتغل في تلك الأيام من جميع الصنائع ولا يقدر احد يأتي من البرّية ليبيع ويشتري . وقامت شوكة الهراطقة وبقوا قاصدين ان يشربوا دم المسيحيين (اي الكاثوليك) . فليلة عيد السيدة نصف شهر طبّاخ (٧ وفيه عيد انتقالها الى السماء عند الصباح خرج الامير مع جماعته من باب الشواط (٨ ومن هناك الى دياربكر وعرض

١) يريد ثلمة سور البلد بين ماردين وبساتينها حيث توجد كنيسة البربارة

٢) الزرط والجاروق هم قوم من اهل الدعارة والفساد

٣) الكمّة مصاغ على شبه القبعة تلبسهُ النساء

٤) اي صار كاثوليكيًا او افرنجيًا والباطري في الايطالية الاب (padre) تُقال للكاهن

٥) لعلّهُ يريد بالقصر المعلق نوعًا من الكشك . والصياط والساباط السقيفة بين دارين تحتها طريق

٦) الصخطورية او السختوريّة فئة من ذوي البأس المتعصبين

٧) طبّاخ شهر آب دعي به لنضج غاره

٨) احد ابواب ماردين

الحال الى اسطنبول. وانا الحقير اذ كنت مدشمناً (١ من الهراطقة وخصوصاً اهل محلة الباب الجديد اخذوا يقولون اني قد صرت سبب تمسيك (توقيف) البطرك وتهريبه من البلد ويقولون للمسلمين الذين في المحلة اني قد صرت افرنجياً

ومن تجاريب الزمان في تلك الأيام بعينها انَّ اليغناغ (٢ كان قائماً واهل المحلة كأنها قد نووا قتلي وكان في بيتنا جبّ قديم وجدناهُ لما اخذنا البيت من مدة اثنتين وعشرين سنة. ففي تلك الأيام كان رجل حنفيّ شرّير يسمى عُمَر اودباشي الغرسيوي وكان رأس اليغناغ. وكان بيتهُ عند حمّام الباب الجديد وبيتنا تحت بيعة الارمن. وكان في وسط بيتهِ عين ماء. فنظر انهُ قد جاءها بياسة (٣. فنقّش في المحلة وحفر ابياراً كثيرة فلم يأخذ لهُ صاليغ (٤. فقال لهُ الهراطقة: انَّ هذه هي من مكان بيت الكزير او من كنيسة الارمن. فنقش في كنيسة الارمن فلم يجد شيئاً. ثم جاء مهار هرطوقيّ ليرى بيتنا وضرب اوتاداً في الحائط من برّا وفاش (خرب) الحائط وحفر. فلما بلغ الحفر مقدار قامة رأى جبّاً عميقاً واسعاً يروح لهُ مقدار اربعين ذراعاً من الجبل وجبّ القدمكاه (٥ الى فوق منهُ. ولطول الزمان في تلك السنة خرق جبّ القدمكاه الى جبّ العين. فلما بانت هذه تشرَّر (٦ علينا ذلك الحنفي وقال انه يريد يحرقني ويحرق اهل البيت كلّه والهراطقة كانوا يحضّونهُ ازيد وازيد. وكان خواجاتي (٧ الشيخ محمد ابن فضلي چلبي فوقعت عندهُ وعند اولاد أنْنزاده وعند المفتي فصالحونا مع الحنفي وقالوا: هذا الشماس ايش ذنب عمل. هذا شيء قديم من الوف سنين. فقال: اني خسرتُ دراهم. فألزمونا ان نعطيه خسارتهُ وان ننظّف طريق العين وان نصطلم (٨ القدمكاه ونسدّ بابها فراح لنا مقدار مائة وعشرين قرشاً

---

١) اي مبغضاً والدشمان لفظة فارسيّة معناها العدوّ

٢) اليغناغ في الفارسية والتركية الجماعة والشركه. يريد انهُ عُصَب الاشرار

٣) البياسة الوسخ واصلها الفارسية پياز وهو البصل

٤) الصاليغ لفظة اعجميّة معناها الخير

٥) القدمكاه بالفارسية المجرى والمصبّ

٦) تشرَّر علينا اي ابدى الشرّ والاساءة

٧) يريد الشيخ الذي كان ابن الكزير في حماهُ كادة تلك البلاد

٨) صطمهُ اي سدَّهُ

وبعد ذلك هربتُ الى المحلميَّة (١ واخذت معي بعض حوائج من عطرة رقاش وآلة حكمة (ادوية) اذ كنت قد تعلمت بعض اشياء من ابن فني ومن الشمّاس عازر وكان عندي كتابان في الحكمة واخذت معي خادماً نصرانيًّا يعرف تلك المواضع فرحنا الى ضيعة شوراصج ونزلنا في بيت واحد تحلّمي يسمّى ابراهيم وكان رجلًا مليحاً اخير (خيرًا) من عشرين هرطوقيًا. فمزّنا كثيرًا. وفي اوّل يوم بعث باع جميع الحوائج التي كانت معي فباع منها بالعدس والحمّص. وكان عند هذا الرجل بيت كبير مملوء زبشًا (٢ ناعمًا وكل من ياتي ليتحكّم اطلب منهُ عسلًا فملأت منهُ بستوقة (٣ وبقيت اشقّ الزبش واتلي (اسكب) في كل واحدة معلقتين عسل واتركها في الشمس. وفي اليوم الثاني اعصرها فيخرج من الزبشة مقدار مائة درهم عرق كسكون (٤ وكان بعض نصارى ماردين جاءوا اليَّ فسقيتهم من هذا العرق. فلمّا شربوا تعجّبوا ولم يعرفوا من اي شيءٍ هو. فبقيت في هذه الضيعة مقدار شهر وكسبت خمسين قرشًا من الحكمة

وبعد ذلك جئت الى ضيعة عين كاف ونظرت فيها الزبيب ورخيصاً غاية ارطال بقرش والرطال كبير. فاخذت منهُ بخمسة قروش وجئتهُ الى الضيعة مع احمال الحمّص والعدس والخادم معي. فلمّا وصلنا الى ضيعة قالوق وكان هناك ابراهيم الصبّاغ ابن عين ملك وكان رجلًا كاثوليكيًا وكان معي من ذلك العرق فشرب منهُ وتعجّب وكان معهُ رجلٌ غنيٌّ اسمهُ عبار وبكرازة ابراهيم عليه صار كاثوليكيًّا. فأرسلت الاحمال مع الخادم وسكنتُ عندهم في الضيعة. وكان في الضيعة قسيس نصف كاثوليكي فترحبوا بنا كثيرًا وكانوا عصروا شرابًا وملأوهُ بالقرعات وحطّوهُ في الشمس وقد لحق. وكان في الضيعة كنيسة كبيرة وهي في وسط بستان فاراد القس ان اخدم على يده ليقدّس اذ ما كان لهُ شمّاس وقد حكم عيد الصليب. فقلتُ لهُ: ان كان ما تذكر السبعة (٥ اخدمك. فقال: هذه في يد الشمّاس ما هو في يد القسيس (٦ فأحرم سبعتهم. والزمنا ابراهيم وعبار ان نخدم فقدّس ذلك القسيس ذلك اليوم

١) يريد جهات العرب . والمحلّمية جبل منهم

٢) الزبش في لغة اهل ما بين النهرين البطّيخ

٣) البستوقة شبه الغاية

٤) اي عرق قويّ . من التركية كسكين وهو الحادّ

٥) يريد بالسبعة ساويرس وديوسقورس ويعقوب البرادعي وغيرهم من اشياع اليعاقبة

٦) يريد ان ذكر هؤلاء ياتي في صلاة يقولها الشمّاس لا القسيس

وعند المساء جاء الى الضيعة اثنان من الطوارنة (١ وحكيا لعلوا انهُ قد جاء مكتوب الى الطور ولجميع القرى يُقال فيه انَّ احد شمامسة ماردين صار افرنجيًا وهرب الى الطور الى المخلصيَّة فدرنا جميع الطور فلم نجدهُ. وانَّ المطارين قد كتبوا الى الطوارنة ان كل من قتل هذا الشماس يكون قد كسب اجرًا عظيمًا وامروهم ان يطرحوهُ تحت نقرة الدبس ويحرقوهُ وقد وكَّدوا كثيرًا في قتلهِ. فلمَّا سمع ابراهيم وعلو اتيا فاخبراني وانا في بيت القسيس وقالا: لا تخف ابدًا. فان اللاشيَّة (٢ والطوارنة ما لهم حكم هاهنا. ولمَّا جيت بعد زمان حكى لي الشماس عنهُ قائلًا: قرأت في ضيعة من الطور هذا المكتوب الذي كتبهُ الكركي ومطران القدس فالحقّ الحقّ انَّ عبَّاد الاصنام وعبَّاد النار وعبَّاد الحجار ما يكتبون مثل هذا المكتوب فقرأت وتعجَّبتُ كثيرًا من قساوة هؤلاء القوم

فنرجع الى اخبار البلد. فبعد زمان جاء قابوجي من دار السلطنة وحكم في ماردين وفي تلك السنة بعينها ابتدأ طاعون في المدينة وبدأ يلقط اولادًا من المسلمين. ولما دخلت سنة الف وسبعمائة وثمانية بدأ ايضًا في النصارى وكان يموت في كل بيعة اربعة او خمسة وفي الصوم الكبير اشتدَّ جدًّا وفي العيد حميت الحديدة (٣ وليس كان هذا طاعونًا فقط بل كان فناء حتى كان يدخل الى البيت ويخطفهُ ويطلعهُ. واكثر الناس هربوا الى ديار بكر والى حلب والى غير اماكن

ثمَّ امر الحاكم ان يخرج الناس من مسلمين ونصارى الى الصلاة اما اليعاقبة فتجبَّروا ومشى بعضهم الى الحاكم ومدحوا بطركهم قائلين: نمرّ أن يجي البطرك ويصلي فينقطع الطاعون. فامر ان يروحوا ويجيبوه. فلما جاء من دير الزعفران راح الى دير مار ميخائيل الملاَّب بدير السمكة وراحت معهُ طائفة الارمن وطائفة الكلدان (٤ وصلَّوا خارج الباب البرَّاني. وبعد الصلاة قام البطرك ليكرز وبدأ يجدّف على الكنيسة المقدَّسة ويقول انَّ هذا الموت العاجل ما جاء علينا الَّا من اجل خطيئة النصارى الذين عابوا

١) اي من يعاقبة طور عابدين
٢) قوم من اليعاقبة
٣) حميت الحديدة في لهجة العامَّة بمعنى تفاقم الامر
٤) يريد النساطرة منهم

على دينهم وصاروا يشتمون المسيح (١ وكرّر قولهُ هذا. وكان هناك بعض الكاثوليك فزعق واحد منهم باعلى صوتهِ بين ذلك الجمهور قائلًا: من يشتمّ المسيح يشتمُ الله. ففي ساعتهِ باعجوبة الله تعالى احمرَّ البطرك واصفرَّ ووقع على الارض وانعقد لسانهُ وكان يمكن الانسان ان يضع يدهُ على جمر النار ولا يقدر ان يضعها على جسد هذا الشقيّ لانَّ ملاك الله ضربهُ مثل هيرودس وانضرب معهُ في ذلك النهار ثلثمائة نفر وكلهم ماتوا. وحملوا البطرك الى دير الزعفران ورحت انا الحقير معهم وظلَّ ثمانية ايام يشتعل مثل لهيب النار ولسانهُ معقود وبعد ذلك خرجت روحهُ. وبعد خروجها فاحت منهُ روائح مكروهة مثل رائحة جهنم. وكان هناك شمّاس حلبي يقال لهُ ميخائيل فلما نظر اني قد شدَّيت (سددت) انني وفي صار يقول لي: اشتفيت يا شماس ايليا في البطرك الذي مات هذه الموتة الشنيعة. وكانوا قد وضعوا اربعة مناقل نار وكانوا يرمون فيها حفنات من البخور لتهدأ الروائح المنتنة فلم تهدأ بل تزداد اكثر واكثر. ثم تقدَّموا ليغسلوهُ ويكفّنوهُ فالذي غسلهُ انطمن ومات والذي كفّنهُ كذلك والذي نزّلهُ في القبر ففي القبر انطمن ومات. وجابوا في الساعة حمل كلس وبلّطوا القبر لعلَّ الرائحة تنقطع فكانت تزداد ازيد ولزيد ثم اغلقوا باب بيت الشهداء وكجّوا (٢ الباب وبلّطوهُ بالكلس لتبطل الرائحة فلم تبطل

وكان المطران الكركيّ كل يوم يأخذ ثياب البطرك ولفّتهُ وعكّازهُ ويضعهما قدام هيكل مرت شمرني (٣ الذي هو في صدر الدير بعيدًا عن باب بيت الشهداء مشوار ويصلّي عليها وهو وحدهُ لا يرافقهُ احد من تابعيهِ ولا من تلاميذهِ الرهبان. وفي النهار الذي مات فيهِ البطرك الشقيّ مات مقدار عشرين واحدًا من اتباعهِ الذين كانوا يدعون انفسهم علماء. ومات ايضًا في ذلك النهار بعض المسلمين فمات القاضي والمفتي والواعظ واحد المدرّسين فاندهشت عقولنا من هذه الامور. وحقًا انني ما اكذب في هذا الكلام بل نقّصت وما زدتُ (لهُ بقيّة)

---

١) يعني الكاثوليك كانهم لاقرارهم بطبيعتي المسيح يقسمون المسيح فيفصلون لاهوتهُ عن ناسوتهِ كالنساطرة الذين يقولون بالاقنومين والفرق بين القولين ظاهر

٢) اي جعلوا عليهِ اللبد. وبيت الشهداء في الكنائس حيث توضع ذخائر الشهداء

٣) اي القديسة اشمونة ام الفتية المكابيين السبعة

عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

نظر انتقاديّ للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ومما يؤسف ايضاً على فقده من عهود نبيّ الاسلام الى النصارى كتابهُ الى اهل نجران يؤمّنهم بعد فتح مدينتهم سنة عشر للهجرة. وقد ابقى لنا نصّ هذا الكتاب محمّد ابن سعد في كتب النبي ووفوده (Wellhausen : *Skizzen und Vorarbeiten*, ٢٥) فنورده هنا بحرفهِ وعلى رأينا انّ هذا العهد هو اصل العهود السابقة فاخذتهُ كل طائفة وتصرّفت فيهِ بالزيادة والنقصان:

«قالوا وكتب رسول الله لاهل نجران: هذا كتاب من محمّد النبي رسول الله لاهل نجران انهُ كان لهُ عليهم حكمهُ في كل ثمرة صفراء او بيضاء او سوداء او رقيق فأفضل عليهم وترك ذلك كلّهُ على الفيّ حلّةٍ كلُّ حلّةٍ اوقيّة فما زادت حلل الخراج او نقصت على الاوراق فبالحساب وما قبضوا من ذروع (والصواب: دروع) او خيل او ركاب او عرض أخذ منهم فبالحساب. وعلى نجران مثواة رسلي عشرين يوماً فدون ذلك ولا تحبس رسلي فوق شهر. وعليهم عارية ثلثين درعاً وثلثين فرساً وثلثين بعيراً اذا كان باليمن كيد وما هلك مما اعاروا رسلي من ذروع (دروع) او خيل او ركاب فهو ضمان على رسلي حتى يؤدّوهُ اليهم ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمّة محمّد رسول الله على انفسهم وملّتهم وارضهم واموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وصلواتهم لا يغيّروا اسقفاً عن اسقفيّتهِ ولا راهباً عن رهبانيّتهِ ولا واقفاً عن وقفانيّتهِ وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير وليس ربا ولا دم جاهليّة ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران ومن اكل ربا من ذي قبل فذمّتي منهُ بريئة ولا يؤخذ احد منهم بظلم آخر. وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمّة النبي ابداً حتى ياتي الله بامرهِ ان نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم»

شهد ابو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف النصري والاقرع بن حابس والمستورد بن عمرو اخو بليّ والمغيرة بن شعبة وعامر مولى ابي بكر

وقد روى البلاذري في فتوح البلدان (ص٦٥ ed. de Goeje) نسخة من هذه

المعاهدة تشبه النصّ السابق الّا في بعض الالفاظ والعبارات اخصّها قولهُ: « وليس عليهم رَهق ولا جاهليّة ولا يُحشرون ولا يُعشّرون ولا يطأ ارضهم جيش ». واردف البلاذري: « وقال يحيى بن آدم وقد رأيتُ كتابًا في ايدي النجرانيين كانت نسختهُ شبيهة بهذه وفي اسفلهِ: « وكتب علي بن ابي طالب » ولا ادري ما اقول فيهِ » انتهى. (قلنا) وهذا الكلام الاخير يُشعر بانَّ عهد نجران ايضاً دخل فيهِ التدليس والله اعلم

وقد روى المؤرخ النسطوري المذكور سابقاً (ص ٦١٦) انهم وجدوا سنة ٢٦٥ (٨٧٩) عند حبيب الراهب نسخةً اخرى من سجلّ لمحمَّد كتبهُ لاهل نجران. وقد زعموا انَّ هذا السجلّ وقف عليهِ الراهب في بيت الحكمة (اي خزانة الخلفاء) الذي كان يتولَّى حفظهُ قبل ان يترهَّب وانهُ وجدهُ في جلد ثور قد اصفرَّ بختوم خاتمهِ. وهو طويل يتَّسع فيهِ كاتبهُ على مودَّة النصارى للمسلمين بخلاف اليهود وغيرهم. وهذا الكتاب مصنوع بلا شك. وهذه بعض اسطر من اوَّلهِ:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب امان من الله ورسولهِ للذين اوتوا الكتاب من النصارى من كان منهم على دين نجران او على شيء من نحل النصرانية. كتبهُ لهم عبد الله رسول الله الى الناس كافة ذمَّة لهم من الله ورسولهِ وعهدًا عهدهُ الى المسلمين من بعدهِ عليهم ان يعوهُ ويعرفوهُ ويوقنوا بهِ ويحفظوهُ لهم ليس لاحد من الولاة ولا لذي شيبة من السلطان وغيرهِ نقضهُ ولا تبديلهُ الى غيرهِ ولا حمل مؤونة من المؤمنين عليهم سوى الشروط المشروطة في هذا الكتاب فمن حفظهُ ورعاهُ ووفى بما فيهِ فهو على العهد المستقيم والوفاء بذمة رسول الله ومن نكثهُ وخالفهُ الى غيرهِ وبدَّلهُ فعليهِ وزرهُ . . .

بقي اثر اخير تكرَّر ذكرهُ في القسم الثاني من القرن التاسع عشر نعني بهِ كتاب محمَّد الى المقوقس. والمقوقس اسم وقيل لقب لمتولّي تدبير القبط من قبل ملوك الروم. وقد ورد ذكر هذا الكتاب في سيرة النبي لابن سعد الّا انهُ اشار اليهِ فقط ولم يدوّنهُ بحرفهِ قال (Wellhausen, IV, ٣): وبعث رسول الله حاطب بن بلتعة اللخمي وهو احد الستَّة (اي احد الستَّة الوفود الذين ارسلهم الى الملوك في يوم واحد في محرَّم سنة سبع للهجرة) الى المقوقس صاحب الاسكندريَّة عظيم القبط يدعوهُ الى الاسلام وكتب معهُ كتابًا فاوصل اليهِ كتاب رسول الله فقرأهُ . . . » وكذا اخبر ابو جعفر الطبري (ed. de Goeje ج ١ ص ١٥٦١) وابن الواضح اليعقوبي (ed. Houtsma, II, 84) وابن خلدون (٣ : ٣٨) من دون ذكر العهد وفي كتاب فتوح مصر

والاسكندريّة تعريف نسخة الكتاب (ed. Hamaker, p 10) وقد ورد هناك نصّ الكتاب على هذه الصورة:

«وكتب في الجملة كتاباً الى المقوقس بن راعيل ملك مصر والاسكندريّة وكان كاتب الكتاب ابا بكر الصديق وكانت نسخة الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله الى صاحب مصر والاسكندريّة امّا بعد فانّ الله تعالى ارسلني رسولًا وانزل عليّ قرآناً مبيناً وامرني بالإعذار والانذار ومقاتلة الكفّار حتى يدينوا الناس بديني ويدخلوا في ملّتي وقد دعوتك الى الاقرار بوحدانيّة الله تعالى فان فعلتَ سعدتَ وان ابيت شقيت والسلام»

وقد روى هذا الكتاب على صورة اخرى الشيخ حسين الدياربكري في تاريخه المسمّى الخميس في احوال انفس النفيس (طبعة بولاق ٢ : ٣٧) ورواهُ السيوطي في كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة (ج ١ ص ٤٧) مع بعض اختلاف :

نسخة تاريخ الخميس	نسخة حسن المحاضرة
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتّبع الهدى . امّا بعد فاني ادعوك بداعية الى الاسلام اسلمْ تسلمْ اسلمْ يؤتكَ الله اجرك مرّتين . فان توليت فانّ عليك اثم القبط . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابًا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانّا مسلمون	بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتّبع الهدى . امّا بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام فاسلمْ تسلمْ يؤتكَ الله اجرك مرّتين . يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابًا من دون الله فان تولّوا فقولوا اشهدوا بانّا مسلمون

هذا ما كان يُعرف من امر ذلك الكتاب . وفي السنة ١٨٥١ كان احد الفرنسويين من محبّي الشرقيات اسمهُ اتيان برتلماي (Et. Barthélemy) يتجوّل في انحاء مصر طالبًا للآثار القبطيّة والعربيّة فأدّى بهِ المسير الى دير قريباً من اخميم فعُرض عليهِ هناك كتاب مخطوط كان مجلّدًا بجلد عتيق وتحت الجلد اوراق ورقوق ملتصقة بعضها . فلحظ انّ على بعض تلك الاوراق كتابات قبطيّة وعربيّة قديمة فعالجها مدّة حتى فصلها بعد

الجهد الجهيد عن بعضها واذا بينها رقٌ مخطوط بالخطّ العربي الكوفيّ اكل العثُّ من وسطهِ قطعتين. فأخذ يتصفّحهُ ويتروّى في مضامينهِ ويدرسهُ حتى استخرج منهُ بعض جملهِ وعرف أنهُ كتاب نبي المسلمين الى المقوقس. وقد اثبتنا هنا صورة هذا الاثر كما وجدهُ المسيو برتلمي ونشرهُ في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة في تاريخ كانون الاوّل من السنة ١٨٥٤ (JA. 1854, 5e Sér., IV, 486) أمّا نصّ هذا الرقّ فقد تمكّن المستشرقون ان يقرأوا منهُ ما يلي وفيهِ اثنا عشر سطرًا:

١ بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد عبد الله ور
٢ سولهُ الى المقوقس عظيم القبط سلام على
٣ من اتبع الهدى (امّا) بعد (فاني اد)
٤ (عو) ك ب (دعاية) الاسلام فاسلم
٥ (تسلم) يؤتك الله اجرك مرّتين
٦ فان توليت فعليك ما يفجع (؟) القبط
٧ يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
٨ سواء بيننا وبينكم الّا نعبد الّا الله
٩ ولا نشرك بهِ شيئًا ولا يتخذ بعضنا
١٠ بعضًا (ار) با (بًا) (من دون) الله فان
١١ تولوا فقولوا اشهدوا بانّا مـ
١٢ لمون

فوجود هذا الختم حمل بعض الاثريين على الزعم بأنّ الكتاب هو الاصل الذي وجّههُ نبيّ المسلمين الى المقوقس والله اعلم. وقد ابتاعهُ السلطان عبد المجيد بمبلغ وافر وجعلهُ في جملة الآثار المنسوبة الى صاحب الشريعة الاسلامية

وقد رُسم هذا الكتاب فوتغرافيًا في الاستانة كما تراهُ في الشكل الثاني. وقد اضفنا الى الشكلين رسمًا ثالثًا نشرتهُ المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. XVII, 385) زعموا انهُ صورة كتاب آخر من نبي الاسلام الى المقوقس. والظاهر انهُ مصنوع

وخلاصة القول انهُ ليس بالاكيد انَّ شيئاً من العهود التي ينسبها الناس الى محمَّد هي لهُ اللهمَّ الَّا كتابهُ الى المقوقس المكتشف في اخميم فمن الممكن انهُ لهُ الَّا انَّ اثبات الامر ليس بسهل لاسيما ان عهداً كهذا لكبير قوم لا يُكتَب عادة على قطعة صغيرة من الرقّ . ثم ان قدماء الكتبة كالطبري وابن هشام وغيرهما ذكروا ان نقش خاتمهِ كان يتضمن الشهادتين اي « لا اله الَّا الله ومحمد رسول الله» والشهادة هنا واحدة

عهود الخلفاء الراشدين للنصارى

كما تناقل الناس عهوداً زعموا انَّ نبيَّ الاسلام امَّن بها من استأمن من النصارى كذلك اشاعوا عهوداً للخلفاء الراشدين كتبوها على زعمهم للنصارى ولعلَّها ليست اثبت منها صحَّة . فمن ذلك الامان الذي اعطاهُ عمر بن الخطَّاب نصارى ايليا . (اعني القدس الشريف) بعد فتحها اوردهُ ابن جرير الطبري (ج١ ص٢٤٠٥) على هذه الصورة :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايليا . من الامان اعطاهم امانًا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها (ويروى : ومقيمها وبرّيها) وسائر ملّتها انهُ لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها (ويروى : حدّها) ولا من صليبهم ولا شيء من اموالهم ولا يُكرهوا على دينهم ولا يُضارّ احد منهم ولا يسكن بايليا معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايليا . ان يُعطوا الجزية كما يُعطي اهل المدائن وعليهم ان يُخرجوا منها الرومَ واللصوت (ويروى : اللصوص) فمن خرج منهم فهو آمن على نفسهِ ومالهِ حتى يبلغوا مأمنهم ومن اقام منهم فهو آمن وعليهِ مثل ما على اهل ايليا . من الجزية ومن أحبَّ من اهل ايليا . ان يسير بنفسهِ ومالهِ مع الروم ويخلي بيعهم وصُلبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصُلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان (كذا) فمن شاء منهم قعد عليهِ مثل ما على اهل ايليا . من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع مع أهلهِ فانهُ لا يؤخذ منهُ شيء حتى يُحصَد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمَّة رسولهِ وذمَّة الخلفاء وذمَّة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية »

« شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن ابي سفيان . وكتب وحضر سنة ١٥

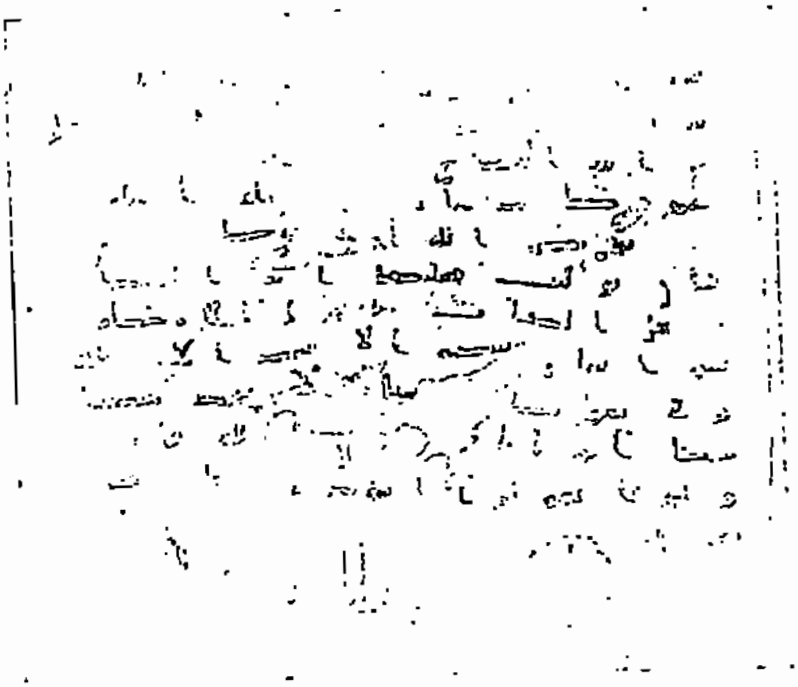

١ كتاب نبي الاسلام الى المقوقس (عن المجلة الاسيوية الفرنسوية)

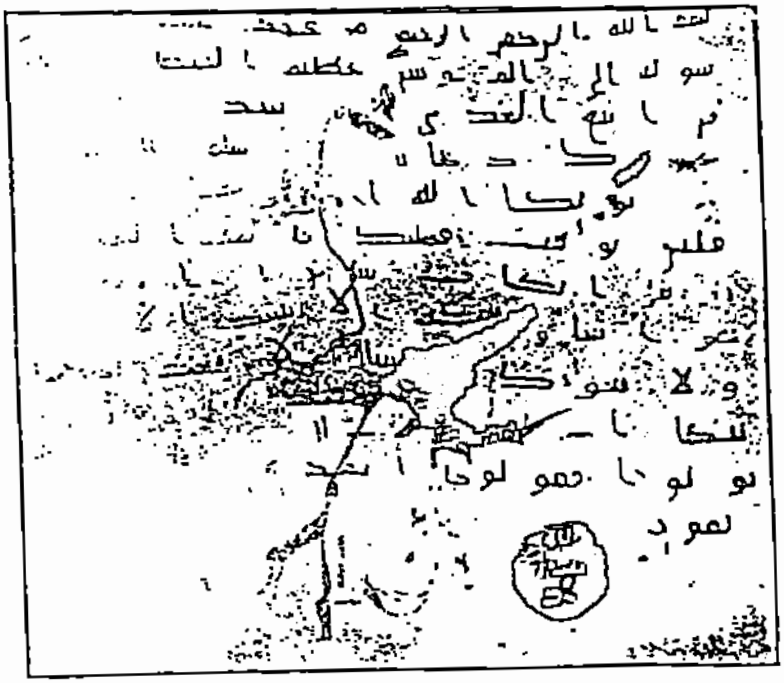

٢ صورة الشمسية المرسومة في الاستانة

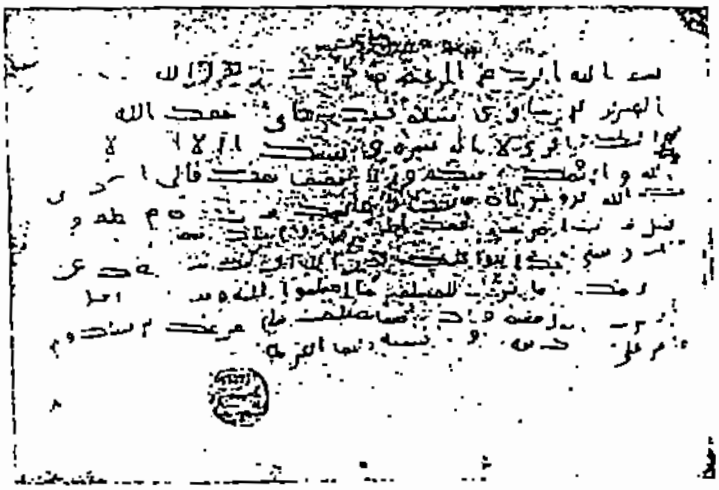

٣ كتاب آخر لنبي الاسلام (عن المجلة الاسيوية الالمانية)

وهذا الكتاب قد ورد ايضاً في تاريخ مجير الدين المعروف بالانس الجليل (طبعة مصر ص ٢٢٤) وفي كتاب السيوطي اتحاف الاخصاء (ed: Lemming,8) مع اختلاف في الروايات

ولم يذكر الطبري ولا غيره من قدماء الكتبة معاهدة أخرى زعموا انّ الخليفة عُمَر اعطاها القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم. ومن هذا العهد عدّة نسخ مخطوطة اقدمها نسخة وقف عليها في الاستانة سيادة المطران باسيليوس حجّار رئيس اساقفة صيدا فاستنسخها واوقفنا عليها فنثبتها هنا مع شهادة الناسخ وهو باش وكاله قلم الديوان الهمايوني

هذه صورة المعاهدة التي عُقدت فيما بين القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم وبين الخليفة عُمَر بن الخطاب وذلك عندما فتحت مدينة القدس الشريف ابراجا للاسلام بعد ان حاصروها وساست على يد المذكور سنة ١٥ للهجرة الموافقة سنة ٦٣٦ مسيحية وهذه الصورة هي نسخة المطران باسيليوس حجّار رئيس اساقفة صيدا على الروم الملكيين الكاثوليكيين لمّا كان تزيل دار السادة سنة ١٨٨٤ وهي مشرّفة بالطغراء السلطانية

باشوكاله دائرسه

ديوان همايون

منشور عالي صورتي

« الحمد لله الذي اعزّنا بالاسلام واكرمنا بالايمان ورحمنا بنبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم وهدانا من الضلالة وجمعنا به بعد الشتات والف قلوبنا ونصرنا على الاعداء ومكّن لنا من البلاد وجعلنا اخواناً متحابّين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة

« هذا كتاب عُمر بن الخطّاب لعهد وميثاق أُعطي الى البطرك المبجّل المكرّم وهو صفرونيوس بطرك الملة الملكيّة في طور الزيتون بمقام القدس الشريف في الاشتمال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا واين وجدوا وان يكون عليهم الامان ولن الذمّي اذا حفظ الذمّة وجب له الامان والصون منا نحن المؤمنين والى مَن يتولّى بعدنا وليقطع عنهم اسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم من الطاعة والخضوع وليكن الامان عليهم وعلى كنائسهم وديارتهم وكافة زياراتهم التي بيدهم داخلاً وخارجاً وهي القمامة (١ وبيت لحم مولد عيسى عليه السلام اي الكنيسة الكبرى

١) القمامة تصحيف القيامة او تعريفها ازدراء والمراد بها كنيسة القيامة في القدس الشريف

والمغارة ذي الثلاثة ابواب قبلي والشمال والغربي وبقيّة اجناس النصارى الموجودين وهاك هم الكرج والحبش والسذين يأتون للزيارة من الافرنج والقبط والسريان والارمن واليعاقبة والموارنة والتابعين للبطرك المذكور ويكون متقدّماً لانهم أعطوا عهداً من حضرة النبيّ الكريم والحبيب المرسل من الله وشرّفوا بختم يدهِ الكريمة وامر بالنظر اليهم والامان

«وعلينا كذلك نحن المؤمنين ان نحسن اليهم اكراماً لمن احسن اليهم ويكونوا معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسأمين من كافّة البلايا في البرّ والبحر وفي دخولهم للقيامة وبقيّة زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء وأمّا الذين يقبلون الى الزيارة والى القيامة فيؤدي النصراني الى البطرك درهماً وثلث من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما امرنا بهِ سلطاناً كان ام حاكماً او والياً يجري حكمهُ في الارض غنيّاً ام فقيراً من المسلمين المؤمنين والمؤمنات وقد أعطي لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام فليعتمد على ما شرحنا عين ما شرحنا في كتابنا ويعمل بهِ وابقاهُ في يدهم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآلهِ واصحابهِ والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل في العشرين من شهر ربيع الاوّل سنة خمس عشرة للهجرة النبويّة. وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفهُ من الآن والى يوم الدين فيكون لعهد الله ناكثاً ولرسولهِ الحبيب باغياً

اصله مطابقدر
الختم
قلم ديوان همايون

(قلنا) انّ كلّ من لهُ المام بتاريخ الخلفاء وادنى معرفة بعاداتهم وكتاباتهم الرسميّة ينكر ولا تحالة صحّة هذا الأثر ولو تتبّعنا الكتاب سطراً سطراً وعبارةً عبارةً لأمكن بيان تزوير صاحبهِ ونحن عن ذلك في غنى

واصدق من هذا عهد آخر ذكرهُ ابن سعد في الكتب والوفادات (ed. Wellhausen: *Skizzen*. IV, ٧٧) وهو كتاب عمر الى اهل نجران لمّا اخرجهم من وطنهم الى جهات العراق وهو:

« هذا ما كتب عمر امير المؤمنين لنجران من سار منهم انهُ آمن بامان الله لا يضرّهم احد من المسلمين وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله وابو بكر . اما بعد فمن وفدوا بهِ من امراء الشام وامراء العراق فليوسعهم من جريب الارض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة لهم بمكان ارضهم لا سبيل عليهم فيهِ لاحد ولا مغرم . اما بعد فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم فانهم اقوامٌ لهم الذمّة وجزيتهم عنهم متروكة اربعة وعشرين شهرًا بعد ان تقدّموا ولا يكلّفوا الّا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم »

« شهد عثمان بن عفّان ومعيقب بن ابي فاطمة »

وقد روى المؤرخ النسطوري الذي مرّ لنا ذكرهُ (ص ٦١٦) انَّ ايشوعياب الجاثليق لمّا فُتحت العراق لقي عُمر بن الخطّاب وطلب منهُ عهدًا للنصارى فاعطاهُ كتابًا هذه نسختهُ

« هذا كتاب من عبد الله عمر بن الخطّاب امير المومنين لاهل المدائن ونهر بير (؟) والجاثليق بها وقسّانها وشمامستها جماءهُ عهدًا مرعيًا وسجلًا منشورًا وسنّة ماضية فيهم وذمّة محفوظة لهم فمن كان عليها كان بالاسلام متمسّكًا ولما فيهِ اهلًا ومن ضيّعهُ ونكث العهد الذي فيهِ وخالفهُ وتعدّى ما أُمر بهِ كان لعهد الله ناكثًا وبذمتهِ مستهينًا ساطانًا كان او غيرهُ من المؤمنين والمسلمين

« امّا بعد فاني اعطيتكم عهد الله وميثاقهُ وذمّة انبيائهِ ورسلهِ واصفيائهِ واوليائهِ من المسلمين على انفسكم واموالكم وعيالاتكم وأرحلكم واماني من كل اذى والزمتُ نفسي ان اكون من ورائكم ذابًا عنكم كل عدوٍّ يريدني واياكم واتباعي واعواني والذابين عن بيضة الاسلام وان اعزل عنكم كل أذى في المؤمنين الى تحمل اهل للعهد من العارية (كذا) فليس عليكم جبر ولا اكراه على شيءٍ من ذلك ولا يغيّر لكم اسقف من اساقفتكم ولا رئيس من رؤسائكم ولا يُهدم بيت من بيوت صلواتكم ولا بيعة من بيعكم ولا يدخل شيءٌ من بنائكم الى بناء المساجد او منازل المسلمين ولا يُتعرّض لعابر سبيل منكم في اقطار الارض ولا يكلّفوا الخروج مع المسلمين الى عدوّهم للاقاة الحرب ولا يُجبّر احد ممّن كان على ملّة النصرانيّة على الاسلام كرهًا

لما أنزل الله في كتابهِ اذ يقول (سورة البقرة ٢٥٧): « لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرشد من الغيّ » ويقول (سورة العنكبوت ٤٥): « ولا تجادلوا اهل الكتاب الّا بالتي هي احسن » ويكفّ ايدي المكروه عنكم فمن خالف ذلك فقد نكث عهد الله وميثاقهُ وعهد محمد صلّى الله عليهِ وخالف ذمّة الله

« والعهد الذي استوجبوا بهِ حقن الدماء واستحقّوا ان يُذبّ عنهم كل مكروه لانهم نصحوا واصلحوا ونصروا الاسلام ولي شرط عليهم الّا يكون احد منهم عيناً لاحد من اهل الحرب على احد من المسلمين في سرّ ولا علانية ولا يؤوي عدوّاً للمسلمين فيكون منهُ وجود فرصة او غرّة وثبة ولا يرفد واحدًا واحدًا من اهل الحرب على المؤمنين والمسلمين بقوّة عارية السلاح ولا خيل ولا رجال ولا يدلّوا احدًا من الاعداء ولا يكاتبوهُ . وعليهم ان احتاج المسلمون الى اخفاء احد منهم عندهم وفي منازلهم ان يخفوهُ ولا يظهروا العدوّ عليهِ ويرفدوهم ويؤاسوهم ما اقاموا عندهم ولا يخلّوا بشيءٍ مما شُرط عليهم فمن نكث منهم في شيءٍ من هذه الشروط وتعدّاها الى غيرها فقد برئ من ذمّة الله ورسولهِ عليهِ الصلاة والسلم . وعليهم تلك العهود والمواثيق التي أُخذت على الاحبار والرهبان والنصارى من اهل الكتاب واشدّ ما اخذ الله على انبيائه من الايمان بالوفاء بذلك اين كانوا وعلى الوفاء بما جعلتُ لهم على نفسي وعلى المسلمين رعايةً لهم لمعرفتهم بهِ والانتهاء اليهِ حتى تقوم الساعة وتنقضي الدنيا »

« شهد على ذلك عثمان بن عفّان والمغيرة بن شعبة في سنة سبع عشرة للهجرة »

فمن نظر في هذا العهد وعارضهُ بما سبق لنا ذكرهُ من العهود المصنوعة تبيَّن ما بينهُ وبينها من العلاقات . وعليهِ لا نظنُّهُ صحيحاً والمرجَّح انَّ النساطرة اصطنعوهُ كما اصطنعوا السجلّ المنسوب الى نبيّ الاسلام الى نصارى العراق تزلّفًا الى المسلمين

ونختم هذا الفصل بعقد الرجاء ان يدرس غيرنا هذه الآثار ويبدي فيها رأيهُ ويزيدنا عن يقينها او كذبها دليلًا والسلام

كتابتا قبرس الفينيقيّتان

عود على بدء

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

في عدد نيسان من السنة الجارية (ص ٢٨٦) فكّهنا ألباب قرّائنا باهدائهم باكورة اثريّة خطيرة ألا وهي كتابة فينيقيّة عريقة في القدم وجدت في قبرس سبقنا الاثريين الى وصفها والحتناها بتعريف كتابة أخرى اقرب منها عهدًا الى زماننا اكتُشفت في مدينة باڤوس من اعمال قبرس كان العلّامة كلرمون غانو ذكرها في نبذة موجزة

وفي هذه المدّة الاخيرة اتحفنا مكاتبنا القبرسي الاديب المسيو پرستياني (Mr J. C. Peristiany) برسمين فوتغرافيين حسنين لتينك الكتابتين فاسرعنا الى نشرهما بدلًا من الصورة السابقة التي اثبتناها في المشرق (ص ٢٨٨) عن رسم حجريّ وكانت قليلة الوضوح (١ واثباتًا لصحّة قراءتنا للاثرين المذكورين

واوّل ما يُستفاد من صورة الاثرين الجديدة انّ كتابتها في جميع اطرافها غير كاملة. فلا يسعنا الّا ان نتأسف على هذا الخلل وننتفع من الباقي. فنزيد على مقالتنا السابقة هذه الملحوظات

كتابة باڤوس (اطلب الصفحتين ٢٨٨ و ٢٨٩)

قلنا ان الباقي من هذه الكتابة خمسة اسطر. فالسطر الاوّل لم يسلم منهُ الّا خمسة حروف اوّلها السامك (ס) وآخرها الالف (א) ومن المحتمل ان لا يكون الحرف الثاني يردًا (ר) واما الثالث والرابع فلا يمكن قراءتهما. وعليهِ لا يستخرج معنى لهذا السطر حتى بعد حصولنا على الصورة الشمسيّة

والسطر الثاني الذي قرأناهُ قدامش (קדש אש) صحيح الّا ان الحرف الذي قبل القاف ممحوّ لا يمكن تحقيقهُ. وكذلك الشين الاخيرة (ש) فانها لا تظهر في

١) وقد كتبنا في هذا الصدد مقالة مختصرة في مجموع مكتبنا الشرقي (Mélanges de la Fac. Orientale, III^2, 801)

الرسم الجديد ولعلّ النقّاش نسيها او ضمّها الى السطر الثالث لانّ الالف وحدها لا معنى لها . والمرجّح انّ هذا السطر كان هكذا ([ה]קדש אש) والمعنى كما قلنا « الشي المقدّس الذي »

وكذلك السطر الثالث فانّ ما قرأناهُ منهُ تأيّد بهذه الصورة الشمسيّة الّا الحرف الذي قرأناهُ راء (ר) فاصلهُ دال (ד) وبين الحرفين شبه عظيم كما ترى . امّا المعنى فلا يزيد على ما استخلصناهُ منهُ سابقاً

السطر الرابع وهو اخطر ما يوجد في هذه الكتابة هو تماماً كما قرأناهُ اعني « عشترت فنف » اي الالهة عشترت المكرّمة في مدينة بافوس . اما الحرف السابق لاسم عشترت فانّهُ دثر كلهُ . وبعد اسم مدينة « فنف » كان حرف آخر ذهبت آثارهُ فمن الممكن انّ هذا الاسم كان يُكتَب « فنو » او « فنا » بالواو او الياء وان الفينيقيين كانوا يلفظونهُ على احد هذين اللفظين الّا انّ الامر ليس بثابت . ومن المحتمل انّ اسم المدينة كان يتركّب من الحرفين فقط دون زيادة حرف العلّة سواء كان الفينيقيّون يكتفون بالحروف السالمة دون حرف العلّة التي كانت تُلفظ ولا تُكتب او كانوا يسكنون الفاء الثانية ويلفظون « فَنْفَ » فزاد اليونان عليها خاتمة ος علامة الاسماء (Πάφος)

امّا السطر الخامس الاخير فانّ الصورة الجديدة لا تزيدنا شيئاً من الافادات عنهُ . فيبقى معناهُ تحت شكّ وريب . وليس بمستبعد انّ هذا السطر كان ختام الكتابة لانّ بعد حرفهِ الاخير فضاء كافياً لزيادة احرف اخرى مع انهُ خالٍ منها . ما لم يُقَلْ انّ النقّاش لم يتمّ كتابتها لسبب ما كما قلنا عن السطر الثاني

هذا ولو أُتيح لنا ان ننظر الاثر نفسهُ لأمكننا ان نزيد على ملحوظاتنا السابقة افادات أُخرى . اما شرح الكتابة فليُراجع في المشرق في مقالتنا الاولى (ص ٢٨٩)

كتابة خيتروي او تَدَر (المشرق ٢٨٩—٢٩٠)

الباقي منها كما قلنا اربعة اسطر فمن السطر الاوّل قد بقي ثلاثة حروف اوّلها شين (ש) . والحرف الثاني اقرب الى الفاء (פ) منهُ الى النون (נ) او الميم (מ) وهو قليل الشبه بالكاف (כ) . اما الحرف الثالث فيرجّح انهُ شين (ש) . ومن ثم لا يصح ان يُقرأ שכב (شكب) كما ظننّا دون القطع بهِ . ثم انّ المصوّر لم يرسم نقطاً بين الحروف الثلاثة او قبلها فلا يمكن ان يُروى لها معنى مناسب

١

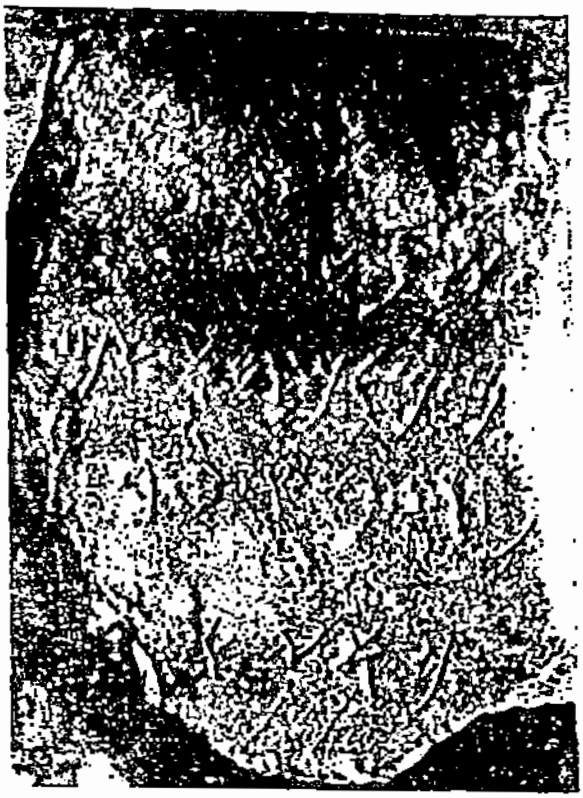

٢

١ كتابة بافوس الفينيقية في قبرص ٢ كتابة حتروي فينيا

السطر الثاني هو كما قرأناهُ لاوّل مرّة عن رسم الكتابة السينيّ [א]ם. מלך. אב [אדם] والمعنى هو الذي شرحناهُ (ص ٢٩٠)

السطر الثالث هو ايضاً بالاجمال موافق لما عرضنا من قراءته . فان لفظة القبر (חקבר) واضحة في الصورة الجديدة كل الوضوح وفي طرفيها نقطتان تفرزانها عن بقيّة الالفاظ . اما اللفظة الاولى الذاهب اوّلها وكنّا قرأناها يفتح (יפתח) فانّ الصورة الشمسيّة الجديدة تبيّن انّ الحرفين الباقيين هما غالباً (פח) وعليه فتكون الكلمة يفح (יפח) وهو المضارع من وزن يفعيل من فعل (נפח) ومعناهُ بالعبرانيّة كدّر او افسد . فيبقى المعنى شبيهاً بما ترجمنا فيقال « لا يفسد هذا القبر » او لا يكدّر سلام صاحبه بدلاً من « لا يفتح هذا القبر »

اما السطر الاخير فليس لنا ما نزيدهُ على شرحنا السابق في المشرق فليراجع (ص ٢٩٠)

وانّما عُدنا الى ذكر هاتين الكتابتين لانّهما كما قلنا من اخطر الكتابات الفينيقيّة فضلاً عن كون الثانية عريقة في القدم على ما أثبتنا

كُتب في ٣٠ تموز

شرحان على مثلثات قطرب

لعبد العزيز الدميري
عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

ذكرنا في بعض اعداد سنتنا الماضية (المشرق ١١ : ٥١٦) مثلّثات قطرب وما اصابتهُ من الشهرة فروّجناها مع شرح عليها نظمهُ شاعر مجهول في بعض القرون المتأخرة . ثم افادنا جناب الوجيه احمد باشا تيمور (ص ٩٥٨-٩٥٩) انّ الشاعر المذكور هو ابن البارزي الحمويّ وضمّن رسالتهُ غير ذلك من الاوصاف المفيدة . وكنّا في تلك الاثناء رحلنا الى برلين وكوبنهاغ لنحضر المؤتمرين اللذين عُقدا فيها فاطّلعنا في مكتبة برلين (Ahlwardt; *Verzeichniss d. arab. Handschriften*, VI. n°s 7071-7089) على عدّة شروح لهذه المثلّثات فاخترنا منها شرحين من اقدم الشروح وكلاهما لمؤلف واحد وهو ابو محمّد عبد العزيز بن احمد بن سعيد الدميري

الديريني المصري المتوفى سنة ٦٩٠ للهجرة (١٢٩٥م). فالشرح الاول (M° 7078) يورد مثلثات قطرب ثم يلحقها بشرحها على نظمها فدللنا على ابيات قطرب بحرف ق وعلى شرحها بحرف ش. اما الشرح الثاني (M° 7079) فهو مسمَّط من بحر الطويل وهو الذي اشار اليه جناب مكاتبنا الاديب احمد باشا تيمور. وها نحن نثبتهما هنا وفاء بما وعدنا سابقاً (المشرق ١١ : ٩٦١)

المنظومة الاولى

(27v) حمداً لباري الانام ثمَّ الصلاة والسلام ما لاح في الدوح حمام
على الرسول العربي
وآله وصحبه ومَنْ تلا من حزبه سبيله في حبه
على مرّ الحقب
وبعدُ فالقصدُ بما اوردتهُ شرحاً لِمَا قد كان قبلاً نُظِما
مثلثاً لقطربِ
مقدماً فتحاً على كسرٍ وضمٍ سُجِلا وهكذا على الولا
نظماً على الترتيبِ
فبينهُ بالموثِ لمشكل المثلثِ من غيرِ ما تَرْثيثِ
فُزْتَ بنيلِ الاربِ
وسَلْ عن المولى العلي غفرانَ كلِّ الزللِ ثمَّ قبول العملِ
بالمصطفى القربِ
صلى عليه ذو العلى ما هطلت مُزْنٌ على ربعٍ فاضحى مُقبلا
من كلِّ نوعٍ طيبِ
(ق) يا مولعاً بالقضبِ والخبرِ والتجنبِ حبُّكَ قد برّح بي
في جدهِ واللعبِ
انَّ دموعي غُمَرُ وليسَ عندي غِمَرُ يا ايُّها ذا الغُمَرُ
أقصِرْ عن التعتبِ
(ش) فالغمرُ ماءٌ غزُرا والغِمرُ حقدٌ سُتِرا والغُمَرُ ذو جهلٍ ترى
فيهِ ولم يُجرَّبِ
(ق) بدا وحيّا بالسلامْ رمى عذولي بالملامْ اشاروا نحوي بالسُّلامْ

من كفّهِ المخضّبِ

(ش) تحيّةُ المرء السّلامْ واسمُ الحجارةِ السّلامْ والبرقُ في الكفِّ السّلامْ
رووه في لفظ النبي

(ق) تيّم قلبي بالكلامْ وفي الحشا منهُ كِلامْ فسرتُ في ارضٍ كُلامْ
لكي أنالَ مطلبي

(ش) امّا الحديثُ فالكلام والجرحُ في المرء الكِلامْ والموضع الصلبُ الكُلامْ
لليبسُ والتصلّبِ

(ق) نُبتُ لِأرضٍ حرّهْ مروقةٍ بالحرّهْ فقلتُ يا ابنَ الحرّهْ
إرثٍ لما قد حلّ بي

(ش) الحرّةُ الحرارهْ والحِرّةُ الحجارهْ والحُرّةُ المختارهْ
من مُحصناتِ العربِ

(ق) جدّ الاديمَ حَلَمُ وما بقي لي حِلمُ ولا هنائي حُلمُ
مُذْ غبتَ يا معذّبي

(ش) والحَلَمُ ثقبٌ في الأديمْ والحِلمُ من خلقٍ كريمْ والحُلم في النوم العميمْ
بالصدق او بالكذبِ

(ق) حمدتُ يومَ السّبتِ اذ جاء مُحذى البِتتِ على نباتِ السُّبتِ
في المهمهِ المستصعبِ

(ش) السّبتُ يومٌ عُبِدا والسِّبتُ نعلٌ حُمِدا والسُّبتُ نبتٌ رُجِدا
في معمرٍ او سَبَسبِ

(ق) خدّد في يومٍ سهام قلبي بأمثال السِّهامْ كالشمس ترمي بالسُّهامْ
بضوئها والأهبِ

(ش) لشدّةِ الحرّ السّهامْ وللنبالِ قُلْ سهامْ ولضيا الشمسِ سُهامْ
بمشرقٍ او مغربِ

(ق) دعوتُ ربّي دَعْوه لمّا أتى بالدّعوه فقلت عندي دُعوه
ان زرتمُ في رجبِ

(ش) ودَعْوة المرء الدعا ودِعوَةُ العبدِ ادّعا ودُعوةٌ ما صُنعا

للاكل وقت الطرب

(ق) ذلقتُ عند الشَّرْبِ فلم أَذُدْ عن شِرْبي فاقلبوا بالشَّرْبِ

ولم يخافوا غضبي

(ش) والشُّرْبُ جمعُ النُّدما والشِّرْبُ حظٌّ قُسما والشُّرْبُ فِعلٌ عُلما

وقيل ماء العِنَبِ

(ق) رام سلوكَ الخَرْقِ عند صريف الجَرْقِ انَّ بيانَ الخُرْقِ

منهُ ركوبُ السَّبْسَبِ

(ش) والخَرْقُ ما قد عظُما والجَرْقُ حرٌّ كَرُما والخُرْقُ حُمق لنا

فنهُ كن ذا هَرَبِ

(ق) زاد كثيرًا في اللَّحا من بعد تقشيرِ اللِّحا لمَّا رأى شيبَ اللُّحا

صَرْمًا لحبلِ الشَّيبِ

(ش) عَذلُك للمرء اللَّحا وقشرةُ العودِ اللِّحا وجمعُ لحيةٍ لُحى

بالضَّمِ والكسرُ لُحي

(ق) سار مجدًا في المَلا وانجزَ الشوق مِلَا ولبسُهُ لبسُ المُلَا

فقلتُ يا للعجبِ

(ش) جماعةُ الناسُ المَلَا وأملأ اوانيهم مِلَا ولُبسهم لُبس المُلَا

من عبقرٍ مذهَّبِ

(ق) شكلهُ وافق (؟) شكلي تيهني بالشِّكلِ وغلني بالشُّكلِ

في حبهِ وا حَرَبي

(ش) والشَّكلُ عينُ المثلِ والشِّكلُ حسن الدَّلِّ والشُّكلُ قيدُ الغُلِّ

مخافةَ التوثُّبِ

(ق) صاحبني في صَرَّةٍ في ليلةٍ ذي صِرَّةٍ وما بقي في صُرَّتي

خردلةٌ من ذهبِ

(ش) فئة قومٍ صَرَّةُ والبردُ فهو الصِّرَّةُ وخرقةٌ هي صُرَّةُ

اجمعُ فيها ذهبي

(ق) ضمَّنتهُ نبتَ الكلا بالحفظ مني والكِلا فشجَّ قلبي والكُلى

عمداً ولم يَسْتَرِبِ

(ش) والعشبُ يُدعى بالكَلا والحفظُ سِنهُ بالكِلا وجمعُ كُلية كُلى
من كل ذي حيّ الأَيِبِ

(ق) طارَحني بالقِسْط ولم يَزِنْ بالقِسطِ في فيهِ عِرقُ القُسطِ
والعنبرِ المطيَّبِ

(ش) القِسط جورٌ رُفضا والقِسط عدلٌ فُرضا والقُسط عُودٌ مرتضى
لعَرْفِهِ المطيَّبِ

(ق) ظبيٌ ذكيُّ العَرْفِ وآخذٌ بالعِرْفِ وآمرٌ بالعُرْفِ
سامٍ رفيعُ الرتبِ

(ش) العَرْف ريحٌ طيِّبُ والعِرْف حَبْرٌ يُندبُ والعُرْف امرٌ يجبُ
عند ارتيابِ الرِّيَبِ

(ق) عالٍ كريم الجَدِّ افعالُهُ بالجِدِّ ألفيتُهُ كالجُدِّ
المعطِّل المخيَّبِ

(ش) الجَدُّ والدُ الابِ والجِدُّ ضدُّ اللعبِ والجُدُّ عند العرب
البِرُّ ذاتُ الخربِ

(ق) غنّى وغنَّتهُ الجوارْ بالقرب مني والجِوارْ فاستمعوا صوتَ الجُوارْ
ثم انثنوا بالطربِ

(ش) جاريةٌ احدى الجُوارْ ومصدر الجار الجِوارْ ورفعُ صوتٍ هو الجُوارْ
من جزعٍ او تَرَبِ

(ق) فأمَّ قلبي أُمَهْ عند نزول الأُمَهْ فاستمعوا يا أُمَهْ
بحقِّكم ما حلَّ بي

(ش) شَجَّةُ رأسٍ أُمَهْ تُدعى وقالوا إِمَهْ لنعمةٍ وأُمَهْ
من عجمٍ او عربِ

(ق) قولا لاطيار الحَمامْ يبكينني حتى الحِمامْ اما ترى يا ابن الحُمامْ
ما في الهوى من كربِ

(ش) طيرٌ شهيرٌ للحَمامْ والموت في العُرف الحِمامْ وعَلَماً جاء الحُمامْ

على فتى منتسب

(ق) كأنَّ ما بي لَثَهْ مذ شاب شعرُ اللِّمَّهْ وما بقي لي لُثَهْ

ولا بقي من سببِ

(ش) لِحْيَةٍ قُلْ لَثَهْ وشعرُ رأسٍ لِثَهْ وجمعُ سَفْرٍ لُثَهْ

ما بين شيخٍ وصبي

(ق) لما اصاب مَسكي فاحَ نسيمُ المسكِ وكان منهُ مُسكي

وراحة من تعبي

(ش) المَسْكُ جِلْدٌ يا غلامْ والمِسْكُ من طيبِ الكرامْ والمُسْكُ بُلْغَةُ الطعامْ

تكفي لما من نشبِ

(ق) وجدتُهُ كالقَتَهْ في جبلٍ ذي قِتَهْ مطَّرحاً كالقُتَهْ

فقلتُ إحفظْ مذهبي

(ش) وكَنْسُ بيتٍ قَتَهْ ورأسُ طودٍ قِتَهْ بكسرها والقُتَهْ

مزبلةٌ للعشبِ

(ق) هذي علامات الرُّقاقْ فانظرْ الى اهلِ الرِّقاقْ هل ينطقوا بعد الرُّقاقْ

بالصدق او بالكذبِ

(ش) وفتلُ رملٍ فالرُّقاقْ والخبزُ إن رقَّ الرِّقاقْ والسيرُ في الماء الرُّقاقْ

يقالُ عند العربِ

(ق) يُسفر عن عيني طَلَا ووجهه يحكي الطَّلَا وطلية من الطُّلى

غيداء لم تختضبِ

(ش) ظبيٌ كحيلٌ للطَّلَا والخمرُ قُل فيها الطِّلَا وطلية من الطُّلى

جيدُ الفتى المهذَّبِ

(ق) صحبتُهُ وهو رَشا صحبةَ دلوِ للرِّشا حاشاهُ من اخذ الرُّشا

في القولِ او من رُتَبِ

(ش) امَّا الغزالُ فالرَّشا والحبلُ للدلو الرِّشا وبذلُ مالٍ فالرُّشا

لحاكمٍ مستكلبِ

(ق) دياره قد عَمَرتْ وتفسه قد عَبِرتْ وارضه قد عُمِرتْ

من بعد رسم خربِ

(ش) اي دارهُ قد عمرتْ عمارةً وعمرتْ شمسُ الفتى وعمّرتْ

ارضُك بعد الحربِ

(ق) فالريقُ منهُ كالزّجاجْ ولحظهُ يحكي الزّجاجْ والقلبُ منهُ كالزُّجاجْ

اي الكثير الغضبِ

(ش) حبُّ القرنفل الزّجاجْ وزجُّ ارماحٍ زجاجْ وللقوارير الزُّجاجْ

وهو سريع العطبِ

(ق) اتيتُهُ وهو لقاَ فسرّني عند اللّقا اطمعني منهُ اللُّقا

فذاك اقصى اربي

(ش) كناسةُ البيت اللّقا والزحفُ للحرب اللّقا وانّكَ اعتدتَ اللُّقا

من علٍ بالضّربِ

للذعُ ألفِ مَنّهْ ولا احتمال المِنّهْ من كان فيهِ مُنّهْ

فليترحْ بالهربِ

(ق) للحيّةِ اسمُ المَنّهْ والامتنانُ المِنّهْ والقوّة اسمُ المُنّهْ

وهي دليلُ الغلَبِ

(ش) صبٌّ برشف الظّلمِ يهوى اصطياد الظّلمِ ما عندهُ من ظُلمِ

ولا مقالٍ كذبِ

(ق) ريقُ الحبيبِ الظّلمُ وفي النّعامِ الظّلمُ ما جرّ امّا الظُّلمُ

فالجور من ذي غضبِ

(ش) يورثُ ضعفًا في القرى كثرةُ إتيان القرى فذاك عيبٌ في القرى

فكيف عند العربِ

(ق) المتنُ للمرء القرى نزول ضيفٍ فالقرى وجمعُ قريةٍ قُرى

كمكّةٍ وطيّبِ

(ش) القَطرُ جود كفّهِ والقِطر سَيل وكفّهِ والقُطر ريحُ انفهِ

وخدّهُ من لهبِ

(ق) القَطر غيثٌ ساكبُ والقِطرُ صفرٌ ذائبُ والقُطر عودٌ جالبُ

من عدنٍ في المركبِ

(29ر) هذا تمام شرحِ ما نظمتهُ من بعض ما يرويهِ جلُّ العلما

مثلثاً لقطربِ

هـذّبهُ للصبِّ رجاء عفو الربِّ عمّا جنى من ذنبِ

عبد العزيز المغربي

مصلياً مسلما على رسول الكرما والآل والاصحاب ما

لاحَ بريقٌ يثربِ

(26ر) المنظومة الثانية للمدريني ايضاً

ا اذا عاينت سبل الحبِّ غمرا (كثير) وقد مُلئت بك الاعداء غمرا (حقد)

فلا تكُ في الهوى يا صاح غُمرا (جاهل) فبرّ عفاً ودع زيداً وعمرا

ب بهِ ترجو السلامة والسّلاما (التحيّة) ويلقى من يتنفك السّلاما (الحجارة)

ولا تجبزْ لعضّتهِ السُّلاما (الاصابع) وصرّح باسم من تهواهُ جهرا

ت تسلّل بالرجاء وبالكلامِ (القول) لما تلقاهُ من ألم الكلام (الجراح)

ولا تجزع من الارض الكُلامِ (الوعرة) فبعد العُسر يلقى المرء يسرا

ث ثواه بين كثبان وحزّهْ (ارض حجرة) وطيّ تهامهِ طُطوى وجزّهْ (العطش)

اقلّ اذى يلاقيهِ ابن حزّه (ضدّ المملوك) فصبراً يا اهل الحبّ صبرا

ج جفا الاحباب زاد الجسم خلسا (التغيّر) وما ابقى الهوى للصبّ حلما (العقل)

فلو ذاق الكرى واصاب حُلما (منام رؤيا) لكان لهُ بروزُ الطيف بشرا

ح حبيبٌ زارني في يوم سبتٍ (اليوم) فقمتُ مبادراً من غير سبت (النعل)

وقد نشر الربيع نباتَ سُبت (اسم نبات) وهبَّ نسيمُ غصن البان نشرا

خ خليلي انّ في قلبي سهاما (الاحراق) وفي الاحشاء من وجدي سهاما (النبال)

كانّ جوانحي ترمي السُّهاما (الشعاع) فهلّا قد اقام الحبّ عذرا

د دعا داعي سلوّي الف دعوهْ (الندا) وما دعواهُ عندي غير دعوه (الادّعاء)

وقد عُدْتَ بذاك الروح دُعوه (وليمة) رضًى لمبشري بالوصل نذرا

ذ ذكرتُ زمانَ اخواني وشُرْبي (الندامى) وقد كان الرضى والقرب شربي (نصيبي)
فما لي قد مُنعت اليوم شُربي (مصدر) وهم ما عوّدوا المشتاقَ هجرا

ر ركبت مفازةً وقطعتُ خرقا (مفازة) ونلتُ مطالبي وصحبتُ خِرقا (كرماً)
وقلتُ لعاذل قد لام خُرقا (احمق) ألا اني بسرّ الحبّ ادرى

ز زها فدَعِ اللّحا واترك مَلامي (اللجاج) فقد بلغ اللّحا سيلُ الغرامِ (الاذقان)
وفي سبّ اللّحى كاسُ الحمام (جمع لحية) واصحاب الهوى في الحبّ ادرى

س سلوا عني المَلا فيها قراري (البرّية) واجرُها المِلا فيها عقاري (جمع الملا)
وما يُغني المُلا والصبر عاري (الملحفة) من الكتمان لا تختاروا سرًّا

ش شجوني ما لها في الناس شَكْلُ (شبه) وليس يروقني حُورٌ وشَكْلُ (غنج)
وكتمانُ الهوى يا صاح شُكْلُ (قيود) فحُلَّ القيد واطرحْ عنك إسرا

ص صبت شوقًا الى النعمان صَرَّهْ (جماد) وما التقوى الى صِرٍّ وصَرَّهْ (برد)
نسيرُ معهم وهوّن الف صُرَّهْ (ربطة) فبذل الروح للمحبوب احرى

ض ضفا نبت الكلا والروض باسمْ (المرعى) ويحيي بالكلا والشوقُ حاكمْ (الحفظ)
وفي ألم الكلى نيلُ المكارمْ (جمع كُلية) فخاطرْ لا تجد للموت خطرا

ط طِلاب عواذلي جورٌ وقَسْطُ (ظلم) وحكم احبّتي عدلٌ وقِسْطُ (عدل)
وانفاسُ الحمى النجديّ قُسْطُ (عود) يميل بعرفها المشتاق سكرا

ظ ظلال الايك منها فاح عَرْفُ (الرائحة الطيّبة) فقلتُ لعاذلي لم يبق عِرْفُ (الصبر)
وعندي انّ حكم الحبّ عُرْفُ (عُرف الناس) ولو ذابت به الاجسام قسرا

ع عسى حظّي يساعدني وجَدُّ (اب الاب) فما يغني بغير الجد جدُّ (الاجتهاد)
فما يروي صدا المحروم جُدُّ (البئر) ولو القى جميع الارض نهرا

غ غدت زمنًا تنازلنا الجواري (جمع جارية) وفزنا بالنوافل والجوار (المجاورة)

ب
وبعد النطق بالصوت الجُوارِ (صوت عالٍ) غدت اطلال ذاك الحي قفرا

ف فراق الإلف أمّ القلب أمّهْ (الشجّة) يفرّي ربعهُ من بعد إمّهْ (الالتئام)
كذا حكم الهوى في كل أمّهْ (أمة من الخلق) وقد شهدت بهِ العشاق تترى

ق قفوا ثم اسمعوا قول الحَمام (الحمام المطوّق) ونوحوا مثلها نوح الحمام (الموت)
ونادوا معلناً يا ابن الحُمام (اسم رجل من العرب) لقد عشنا بخفض العيش دهرا

ك كفاني ان يلمّ الطيفُ لَمّه (زورة) وينهلني ولا يللّا يلمّه (شعر الراس)
فما لي بعدهُ انسٌ لُمّه (جماعة من الناس) ولو صاحبتُ كل الناس طرّا

ل لهُ مني ولاءٌ مثل مَسْكي (الجلد) ومن نطقي ثناءٌ مثل مِسكي (الطيب)
ولم يترك هواهُ غير مُسكي (رزق) ولي رمَق فجُدْ بالعكس واقرا

م ملكتُ القلبَ فاحكم دون حَجرٍ (المنع) وهام بكاس حبك كل حِجرٍ (مثل)
ولو ملك الهوى قلب ابن حُجرٍ (شاعر) لما انشا بجزل القول شعرا

ن نسيم جمالكم في الصدر سَقطُ (الثلج) وقعة هجركم في القلب سِقطُ (نار)
وحب سرّ الكم لا شك سُقط (ولد ناقص) حقير يُزدرى حكماً وذكرا

و وكم سُلبت من الضرغام قَنّه (الفريسة) ونيلت بالمزاحم كلُّ قِنّه (رأس الجبل)
اذا رضي الخيار بمثل قُنّه (كناسة) فكن رجلاً شريف العزّ حرّا

ه هيامي بين اثناء الرّقاقِ (الصحراء) وشرب الماء من وشل الرقاق (الماء القليل)
وكل حيالةٍ دون الرُّقاق (رقاق الخبز) الى ان يقضي الرحمن امرا

لا لِأصوات التي في الدارِ صَلُّ (الصليل) يجاوبني بها في الرسم صِلُّ (الحيّة)
وربّعُ دارسُ الأطلالِ صُلُّ (المتغيّر) وهل يشفي الندا ولهانَ مُغرى

ي ينادمني الطّلا في ارض نجدٍ (صغير الظبا) كاني بالطّلا ثمل بوجدٍ (الشراب)
وما ميلُ الطّلى الّا بجُهدٍ (الاعناق) تميلُ بحلّةِ الاعناق صفرا (١

١) ومما وقفنا عليهِ بين المطبوعات ارجوزة على مثلثات قطرب رواها السيّد العبّاس بن علي الموسوي في كتاب نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس (ج ٢ ص ٢٥٣) ولم يذكر هنا ناظمها

اجتماع الاهل بعد شتات الشمل

وهو اثر نصراني قديم فيه ترجمة

أكسنوفن وامرأته مريم وولديهما يحنّا وارقاديوس القديسين

نشرهُ الخوري جرجس گراف

مقدّمة

نشرنا قبل اربع سنوات في مجلة المشرق (٨: ٣٥٨-٣٦٥) تعريباً قديماً لبعض تراجم القديسين نقلاً من نسخة تحفظ في مكتبة ليبسك (١ وقد ذكرنا اذ ذاك انَّ النسخة العربيَّة الموسومة بالعدد ٧١ في خزانة الواتيكان تحتوي ايضاً على تراجم اخرى من شكلها وانَّها مخطوطة سنة ٨٨٥ للميلاد. وقد وصف مضامينها الكرديتال ماي (٢ واشرنا اليه في تأليفنا الالماني عن تاريخ الاداب النصرانية (٣

هذا ولمَّا كنا في روما قبل سنتين نقلنا عن النسخة الواتيكانية بعض آثارها الفريدة ألا وهي سيرة أكسنوفن القديس وأسرتهِ فاحببنا ان ننشرها امَّا اصل هذه السيرة فقد كُتب بلا شك في اليونانية وهو يختلف عن نص السيرة التي تُنسب الى المؤلف الشهير سمعان المعروف بالمترجم (Συμεὼν ὁ Μεταφραστής) وطبعت اولاً باللاتينية في اعمال القديسين للبولنديين (Acta Sanctorum, Jan. II. 727-730) ثم طبعت في اليونانيَّة في مجموع اعمال آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG., CXIV. 1013-1043) وهذا الاثر العربي اقدم من تلك السيرة بنحو مائة سنة وكفى بذلك دليلاً على خطره. ثم ان الذي يقابل بين هذا النص العربي وترجمة سمعان المترجم يجد انَّ سمعان المذكور تصرَّف بتلك السيرة فتوسَّع في اخبارها واطالها ولا شكَّ انهُ اطَّلع في اليونانية على السيرة التي ننشر تعريبها واستفاد منها وقد ضاع ذلك الاصل اليوناني

ولا نعرف من امر اكسنوفن واسرتهِ الَّا اليسير الزهيد فان المؤرخ نيقيفورس كالستوس قد اختصر في تاريخهِ (ك ١٤ ف ٥٣) اخبارهُ وجعلهُ من اهل القرن الخامس للميلاد. ويؤخذ من الاثر الذي ننشرهُ انهُ كان من البطارقة واحد حاشية ملوك الروم. ومما يدلّ على قدم عهدهِ ما رواهُ من بيروت التي كانت في القرن الرابع والخامس زاهرةً بالعلوم الفقهية وذلك ما حملهُ على ان يرسل اليها ولديهِ كما جرت عادة الاعيان في ذلك الزمان

---

١) وليس بطرسبرج كما وقع سهواً في المشرق (١٢: ٣٤٦)

٢) اطلب تأليفهُ (A. Mai; *Collectio Nova*, IV, 143)

٣) وعنوانهُ G. Graf; *Die christlich-arabische Literatur*. Freiburg 1905, p. 15-17

اما لغة هذه السيرة فهي اللغة الدارجة التي كانت شائعة بين النصارى في ذلك العصر وقد وصفناها في كتابنا الالماني المعنون بالآداب العربية في اقدم الآثار النصرانية (١ فتركناها في الصفحات الاولى على ما هي مع الاشارة الى اصلاحها ليعرف القرّاء طريقة كتابتها ثم اصلحنا في الباقي اغلاطها النحويّة مع التنبيه على بعضها فقط ج.ك

(121r) المسيح عوني ورجائي وخلاصي. هذه قصّة أكسنوفن ومرته (وامرأته) مريم ويحنّا وارقاديوس ابنيهما

كان رجل من البطارقة يقال له أكسنوفن من اهل بيت الملك وكان كثير المال. وكان الرجل حريص حافظ (حريصاً حافظاً) لوصايا الله جداً. وكان له ابنين (ابنان) فربّاهما بكل الادب والصلاح وازاد بذلك ان يورثهما فضائل كاملة

ثم انهُ بعث بهما الى بيروت المدينة يتعلّمون (ليتعلّما) فاتوا الغلامين (فاتى الغلامان) الى بيروت وكانوا يقبلو (يقبلون) كل غريب ويتيحهم (كذا) وكل من كان في المدينة من كبير او صغير كانو يحبّونهم (يحبّونهما) حتى ارتفع ذكرهم (ذكرهما) (٢

فلما كان يوم من ذلك اشتكى ابوهما شكاية شديدة (٣ فكتبت اليهما أمهما وقالت: عجّلوا وقدموا لتدركوا ابوكما (٤ قبل ان يتنيّح

فلما قرا الغلامين (قرأ الغلامان) الكتاب الذي بعثت أمها قدما الى ابيهما. فحين ابصرهما فرح وامرهما ان يجلسا. فبدأ ابيهما يعظهما (ابوهما يعظهما) ويقول لهما: «انا يا بنيّ (ابنيّ) امّلهُ قد دنا خروجي من هذه الدنيا وانتم تعرفون (وانتما تعرفان) كيف سيرتي (121v) كنت محبوب ومذكور (محبوبًا ومذكورًا) من كل واحد وليس منجل (من اجل) شرفي او سلطاني كان ذلك لكن من حسن اخلاق الطيّب لاني ما شتمتُ انسان (انسانًا) قط ولا غضبت على انسان قط لا صغير ولا كبير. ولا فاتتني الكنيسة قط ليل (ليلًا) ولا نهار (نهارًا) ولا عزلتُ بالي قطّ عن المساكين ولا تركت غريب (غريبًا)

١) وهذا اسمهُ: G. Graf; *Der Sprachgebrauch der ältesten christlich-arab. Literatur*, Leipzig. 1905

٢) في هذا الفصل شيء من الالتباس ولعلّ المعنى ان الولدين بمحبّتهما للفقراء والمساكين استمالا اليهما قلوب اهالي بيروت

٣) أي أُصيب بمرض شديد

٤) يُصلح: عجّلا واقدما لتدركا اباكما

يحزن ولا غفلتُ عن اهل السجون ان أعطيهم حوائجهم وافدي السَّبيَ بقدر قوَّتي ولا لشتيت جمال غريب (جمالًا غريبًا) (١ ولا عرفت امرأة أخرى سوى امكم (امكما) ولا هيه (هي) ما عرفتُها منذ حين ولدتكما ولكنَّا الزمنا نفسنا العفَّة بنعمة المسيح. وتمام هذا كلِّه الامانة المستقيمة لزمناها حتى الموت

« وكذا انتم (انتما) يا ابنيَّ فافعلوا وعيشوا (افعلا وعيشا) فانَّ الله يبارك عليكما (٢ ويطيل عمركما. كونا يا ابنيَّ للينا (لينين ؟) واحفظا الارامل واكرما الكهنة وافتقدا المرضى وخلصا المظلومين والزما انفسكما الصلح مع كل واحد واهتمَّا بالقديسين وخاصة بالرهبان واكرماهم وتكونان تأتيانهم فانَّهم يصلُّون ان يرحم الله الدنيا. فانكما تعرفان انهُ ما فات بيتي قط ابدًا رهبان اكرماهم واحرصا ان تحفظا هذا كلَّهُ لكيما تبصرا الرب وتفرحا معهُ الى الابد. هذا (هاهوذا) معكما كل ما كان لي من ذهب (122r) او فضَّة او ثياب فامَّا المماليك فاحفظاهم مثل بنيكما. وامَّا الشيوخ منهم فأعتقاهم ولرقاهم حتى الموت. كل امر رأيتماني اصنعهُ كذلك فانتم فاصنعوا (٣ لكيما تخلصا وتستأهلا التسبحة مع القديسين. ومن بعد خروجي من الدنيا لا تخالفا امكما أطيعاها بحب ولا تحزناها. انتما تعرفان انها تعمل عمل الله احفظا هذه الوصايا واله السماء يكون معكما »

فاخذ ابناهُ يبكيان ويقولان: يا ابونا (ابانا) لا تتركنا يتامى ولكن اطلب من الله يهب لك حياةً زمن قليل (زمنًا قليلًا) لكيما يتمَّ فينا هوى الله. فبكى ابوهما وتنهَّد وقال: يا ربِّ هبْ لي في هذه الليلة نفسي نعم يا رب أطلب اليك ان تؤخذ (كذا في الاصل ولعلها: تؤجل) في اجلي زمنًا حتى يتمَّ فرحي باولادي كذلك اليك (؟) يا الله لانَّ لك التسبحة الى الابد امين

فلمَّا فرغ [من] صلاته استحلكم به ؟] وقال لاولاد[ه] : اني من ساعتي افتقدني الله في هذا الوقت في هذا المرض وعلى هذا السرير كنتُ أسألهُ (اسألهُ) فقد وهب لي ان اعيش في هذه الدنيا حتى يجب. فلمَّا سمع بنوهُ (٤ فرحوا فرح شديد (فرحًا

---

١) يريد انهُ لم يشتهِ نساء قريبهِ

٢) كل هذا الفصل وما يليهِ مروي بالجمع بدلًا من المثنى فاصلحناهُ دون التنبيه على الغلط. وكذلك كتبنا الالف على صورة الياء كما اقتضى الامر والمؤلف يكتبها غالبًا على صورة الالف نحو بكا واشتكا الخ

٣) صوابه: فكذلك انتما اصنعا

٤) في الاصل: سمعوا بنيهِ

فرحاً شديداً) فشكرا الله على ذلك

فلما يرى ابوهما قال لهما: اذهبا يا ابنيَّ الى بيروت أنّا تعليمكما ثم بعد ذلك أقدما اليَّ حتى ازوّجكما ما دمتُ في هذه الدنيا ثم جعلهما في سفينة وبعثهما الى بيروت. فلما توسّطوا البحر تحرّك عليهم ريح شديدة وكانت السفينة في شدّة. ثم انهم ارخوا القلع وخلّوا السفينة في البحر فكان الغلامان يستوثقان بالله وبصلاة القديسين ويقولان: يا سيّدنا الطيّب لا تغفل (تنشل) خليقتك ولكن منجل (من اجل) كثرة رحمتك هبْ لنا عون (عونًا) في هذه الشدّة وخلّصنا من هذا البحر (122ᵛ) ان كان هواك ونجد رحمةً بين يديك واذكر اعمال اباءنا (آبائنا) ومنجلهم (ومن اجلهم) لا تغرق في لجّة هذا البحر الهائل

وكانت السفينة من شدّة الامواج تكاد ان تغرق ثم انها دنت من البرّ. فاما النوتيّة فطرحوا انفسهم من السفينة وبقي الاخوان مع عبيدهما في السفينة. فلمّا فكّرا انهما أتلفا (تلفا) من كل ناحية جلسا ووضعا ايديهما على رأسهما وجعلا يصيحان بكاء. ويقولان: «عليك يا اباءنا السلام وعليك يا أمّنا السلام وعليكم يا صدقاءنا (اصدقاءنا) السلام وعليكم يا غلماننا السلام». واعتنق كل واحد منهما لاخيه و[هو] يقول: «عليك انت السلام يا خي (يا اخي) وحبيبي اين الآن وصايا ابونا (ابينا) واين ذلك التعليم واين تلك الحكمة وذلك الادب. اين صنيع اباءنا (ابينا) واين صلاة الرهبان حُسِبَ هذا كلهُ لا شيء وذلك منجل (من اجل) خطايانا». ثم قال ارقاديوس ليحنّا اخوه (اخيه): ترى ما ألقى احدًا ممّن نيّح (١ ابونا يسألوا (يسألَ) عند الله ان يخلّصنا الله بصلاتهم. فقال يحنّا لارقاديوس: «نعم حقًّا انهم كلهم طيبين (طيّبون) ولكن نحن الذين لا نستأهل ان نعيش». ثم انّ كل واحدٍ منهما عانق صاحبهُ وبدأا يقبلان بعضهم بعضًا ويقولون (ويقولان): عليك السلام يا اخي وحبيبي. ثم ان السفينة انكسرت وان كل واحد منهما ركب على لوح وصارا الى وسط البحر وعاينت عيونهما شدّة شديدة من اهوال البحر. وانّ بنعمة الله وتدبيره طرحهما البحر احياء في ناحية

١) نيحهُ اي اسعفهُ واحسن اليه واراحهُ واللفظة سريانية

صرر فاماً يحنّا فوقع (123ᵃ) في موضع يقال لهُ ملفيثان (١ فاماً ارقاديوس فطرحهُ موج البحر في موضع يقال لهُ الاربعة ابرجة (٢

فجلس يحنّا يفكّر وهو مريان ويقول: «اين اذهب انا استحي انظر في وجه انسان ولكني اذكر انّ ابي كان لا يزال يعطي الطوبى للرهبان» وانّ نفسهُ تاقت للرهبانيّة فقال لنفسهِ: «فلمأهُ ان يكون هوى الله ان اخدمهُ بصُرةٍ وذلك أخير (خير) لي من الغنى والطغيان الذي في هذه الدنيا ان اذهب الى دير واسكن فيهِ»

ثم انهُ صنع صلاةً وشكر الله على خلاصهِ وقال: «يا ربي وإلهي انت الذي خلّصتني من شدّة هذا البحر فخلّص اخي عبدك والقي (وألقِ) في قلبهِ ان يترهّب». فبينما هو صار في تلك البلاد وجد دير رهبان فضرب على الباب فخرج اليهِ البوّاب بفرح وبشاشة وقال لهُ: مرحباً بك يا اخي (٣ وأخرج ثوب وكساة (ثوباً وكسوةً) ووضع لهُ الميد (المائدة) ونيّحهُ. ثم انّ البوّاب سألهُ وقال لهُ: من اين جئت يا اخي فقال لهُ يحنا: انا انسان مسكين يا اخي غريب لقيت (؟) خلّصني المسيح. فلما سمعهُ الراهب رقّ قلبهُ وسبّح الله فقال لهُ البوّاب: فاين تذهب الآن يا اخي. فقال له يحنا: من رأيي ان احبّ المسيح واحمل جو الرهبانيّة. فقال لهُ الراهب: نعمّا الشيء اخترت لنفسك. فقال لهُ يحنّا: تراني اقدر اسكن هاهنا عندكم. فقال لهُ الراهب: ارفق يا اخي حتى أخبر رأس الـ[دير] (123ᵃ) فمتى فكلّ ما ألقى الله في قلبهِ وأمرك بهِ فطيعهُ (فأطِعهُ) وانت تخلص. فذلك الراهب [ذهب] وقال لرأس الدير. فقال لهُ رأس الدير: ايتني بهِ. فلمّا دخل الغلام على رأس الدير كلّمهُ كلاماً على الرهبانيّة وغير ذلك ثم انهُ صلّى عليهِ وامر بهِ ان يحلق رأسهُ وقال لهُ: مبارك الرب اله ابيك وامّك الذي خلّصك من شدّة البحر. ثم انهُ مضى في ذلك الدير ولزم الصوم والصلاة والسهر ولكنّهُ كان حزين (حزيناً) على اخيهِ وكان يظن انهُ قد غرق ومات في البحر.

فاماً ارقاديوس اخوهُ [فانهُ] لما خرج من البحر خرّ في الارض على وجههِ وبدأ يتضرّع الى الله ويشكرهُ ويقول: «اشكرك يا رب اله ابراهيم واسحق واله ابي

١) وباللاتينية Malmephetan ٢) وباليونانية (Τετραπυργία)

٣) الصواب: يا اخي واصلحناهُ في ما يأتي. كذلك صحّحنا الاسماء الخمسة على حسب مقتضى الحال دون التنبيه عليهِ فيما بعد

وامي انت خلصتني من شدّة امواج البحر وكما خلصتني خلّص عبدك يحنّا ولا يغرق في عمق البحر ولا تقبض روحي حتى تريني اياهُ » . ثم انهُ قام ومضى الى قرية وطلب خبز صدقة واكل ثم قام ودخل الكنيسة وركد (اي جلس) على بعض الكراسي فأبصر اخاهُ يحنّا في نومهِ يقول له : يا اخي ارقاديوس لأي شيءٍ انت حزين وتبكي عليّ لا تحزن فاني حيّ

فلما انتبه فرح وشكر الله على ذلك وجلس يتفكّر ويقول لنفسهِ : ايش (اي شي) اصنع أأرجع الى والديّ فهو الحزن الكبير اذا لم يروا (يريا) معي اخي فارجع (و ارجع) الى التعليم فكل شيءٍ من امور هذه الدنيا هو بطّال . ماذا اختار لنفسي . ادري لكنّ والديّ كثير (كثيرًا) كانا يمدحان الرهبانيّة ويقولان : ليس شيءٌ يقرّب الانسان الى الله مثلها و [له] في الآخرة تسبحة لا توصف . فما لي خصلة (124") أحسن (خير) منها . ثم انه صنع صلاةً وتوجّه الى بيت المقدس فلما صلّى في المواضع المقدسة كلها عند ذلك خرج يصلّي في الديارات وانّه صلّى في كلّها وتبرّك من الرهبان

فبينما هو يمشي في الطريق لقي واحدًا شيخًا راهبًا قديسًا فبعد ما نظر اليهِ ارقاديوس صنع له مطانيّة (١ وقال له : صلِّ (صلِّ) عليّ يا ابي فاني حزين جدًّا . فقال له الشيخ : لا تحزن فانّ اخاك وغلمانكم في الحياة وكل من كان معكم في البحر قد خلصوا . واخوك وغلمانكم قد تراهبوا (ترهّبوا) كلهم وقد قبل الله صلاتك . وانت تبصر اخاك بعينيك قبل [ان] تخرج من هذه الدنيا . فلما سمع ارقاديوس كلام الشيخ بهت وخرّ على رجليهِ ساجدًا وطلب اليه وسأله وقال له : يا ابي في شأن الله لا تطرحني من وجهك ولكن كما شئت خلّص نفسي المسكينة واصنعني راهبًا فاني ارى انه لم يكتمك من امري شيئًا . فقال له الشيخ : مبارك هو الله يا ابني اخفني فاخذهُ الشيخ الى سيق (٢ واعطاهُ قلّيته (قلّايته) التي جلس فيها قديم (قديمًا) خمس سنة فجلس معه فيها سنةً ملازمه حتى علّمه طقس الرهبانيّة ثم ان الشيخ خرج الى البرّيّة وقال لارقاديوس : اني من بعد ثلث سنين اجيك وافتقدك . ثم انّ ارقاديوس من بعد ما

١) من اليونانيّة μετάνοια ومعناها التذلّل والتوبة ثم استعملوها للانحناء السجود

٢) اي دير واللفظة يونانية مرّ شرحها في المشرق

فاق الشيخ تتم طقس الرهبانيّة كما اوصاهُ الشيخ وانتبه بلا كسل ولا توانٍ

فامّا اكسنوفن ابو الغلامين مكث (فمكث) سنتين لا يأتيهِ (124ᵛ) عنهما خبر ولا يدري ماذا اصابهما. ثم انه بعث [مع] بعض غلمانهِ الى بيروت اليهما بكتاب لينظر ما الذي اصابهما لأنه لم يأتهِ (يأتهِ) منهما كتاب في هاتين السنتين. فلما وصل الغلام الى بيروت ولم يجد لهما خبر (خبرًا) تفكّر في نفسهِ وقال: امّهما ذهبا الى مدينة في ارض الروم يقال لها اثيناس يتعلّمان فيها الحكمة. فسار الغلام اليها

فبينما هو في بعض الطريق نزل في فندق فاذاهُ (فاذا هو) بواحد من العبيد الذين كانوا معهم في السفينة لابس اسكيم الرهبانيّة وصار (وسائر) الى بيت القسّ فقال له: أليس انت غلام مولاي. فقال له: نعم. فاجاب صاحبه وقال له: اين موالينا (مولانا). فاجابه بعبرةٍ وقال له: انكسرت السفينة بنا وغرقوا (وغرقا) في البحر وانا وحدي كما اظنّ خلصتُ فأردت (فرأيت) ان اتراهب (اتوهّب) ولا ارجع الى سيدي واخبرهُ ببشرى سوء عندما أخبرهُ بموت بنيهِ (ابنيهِ). فهذا انا (فهاءنذا) كما ترى ماضٍ (ماضٍ) الى بيت المقدس

فلما سمعه الغلام ضرب بيديهِ على صدرهِ وصاح على مواليهِ ببكاء ونوح وقال: «يا مواليّ (مولايَّ) الطيّبين من الذي يذهب يخبر ابوكم (اباكما) موتكما. اي عينين تقدران تنظران حزنه. من الذي يرث ملكه وماله. من الذي يقيم فضل سيرتهِ الشريفة. من الذي يتفقّد الذين في السجون. من يهتمّ بالكنائس. من يصلّ ارجل الرهبان ويسهر معهم في الصلاة. ويلي يامواليّ الطيبين كيف اطفأ ضوءكما كيف اطفأ (125ᵛ) سراجكما كيف اظلم مصباحكما صيحوا وعجّوا معي يا معشر المساكين فانّ عزاءكم ونياحكم قد فني. ويلي يا مواليّ الطيبين من الذي يكسو العرايا من الذي يحرص في نياح الغرباء. ويلي يا مواليّ من الذي يبعث الى الديارات حوائجهم. قد ذهب وفني عزاؤكما. ويلي يا مواليّ ماذا اصنع لا ادري. ان انا رجعتُ الى سيدي كيف اقدر ان اضع في سمعهِ ان ابنيهِ قد غرقا في البحر. من يقدر يبصر بكاء ودموع امّهما الحيّرة. من يقدر يسمع صوت صياحها وعجيجها. من يقدر يبصر بكاء العبيد وصياح الاصدقاء والجيران. من يقدر يعزي الملك وجميع اهلهِ». فلما اكثر الغلام معًا (تارةً) يبكي ومعًا يعجّ وينوح قالوا (قال) له الناس الذين ابصروهُ وحضروهُ فتلك

(نسألك) يا اخانا وطلب اليك ان تكفّ من البكاء وترجع الى سيّدك فتخبره . لان (لئلّا) تلحقك لعنته وسخطه ويستأصل اسمك من صفحات الحياة ان لم ترجع الى سيدك وتخبره . فقبل ما شاروا (اشاروا) عليه ورجع

فلما دخل عند مولاهُ جلس حزين (حزيناً) . فلما علمت سيدته انه قد قدم بعث اليه وقالت لهُ : كيف بنيّ (ابنايَ) . فقال لها : هما بخير . فقالت لهُ : فاين كتبها . فقال لها : قد سقطوا (سقطت) مني في الطريق . فبدأ قلبها يرجف ويضطرب فقالت للغلام : سألتك بخوف الله لما (الّا) اخبرتني الحقّ . فصاح الغلام بصوت بكاء عالٍ وقال لسيّدته : انّ كواكبك (كوكبيك) (125ᵛ) قد غرقوا (غرقا) في البحر . فلمّا سمعتهُ شكرت الله وقالت للغلام : « اسكت ولا تخبر احد (احدًا) فانّ الرب اعطى والرب اخذ كما احبّ الرب كذلك كان (أيوب ١ : ٢١) يكون (ليكن)اسم الاب والابن وروح القدس مباركًا من الآن والى آخر دهر الداهرين »

فلمّا كان عشيّة مسى (المساء) جاء زوجها من عند الملك بتلك الفخرة والمشيّعين . فلمّا دخل الى البيت دخلوا معهُ الذين كانوا يشيّعوهُ (يشيّعونهُ)وودّعوهُ وانصرفوا . ثمّ انّه نزع ثيابهُ واتّكا لكيما يتعشّى لانه كذلك كانت عادته من عشيّة الى عشيّة كان يأكل . فلمّا اتّكأ الله (تشكّر الله) على كل حال فقال (قال) : اين الغلام . فقالت له : يتشكّى وقد التى نفسه (١ . فقال لها : ائتيني بكتب بني (ابنيَّ) . فقالت له : ارفق حتى تتعشّى واذا صحتُ اتاك الغلام ويخبرك من فمه ما شاء . ثم اخذتها العبرة فلم تقدر ان تتكلّم . فقال لها : لعلّ الغلامين شاكيون (شاكيان) . فقالت : ليت انهما كان شاكيين ولكنّ جوهرتيك قد غرقتا في البحر . فتنهّد كثيرًا وقال : يكون (ليكن) اسم الرب مباركًا من الآن والى آخر الدهر الداهرين . فقال لها : يا مريم ما كان الله يفعل ذلك ولا كان ليحزن شفقي (نفسي ؟) لاني قدّر ما اظنّ ما عصيتُ قط شيءٌ (شيئًا) من وصاياه ولكن نسهر في هذه الليلة والله يظهر لنا امر بنينا

ثم انهما بسطا تحتها بسطاً من شعر الجمال وحُصرًا وكانا واقفين ليلتهما بينما يصلّيان فلمّا كان مع الصبح (132ᵛ) وضعا نفسهما يستريحان فأبصرا في المنام جميعًا ان ابنيهما واقفان قدّام المسيح . امّا يحنا فكان على رأسهِ اكليل من حجارة شريفة (كريمة)وكان

١) اي انهُ يتشكّى من تعب الطريق او من مرض فاضطجع

له مجلس مُسَبَّح وعصاةٌ من عصيّ الملوك في يدهِ. واما ارقاديوس فكان عليهِ اكليل من كواكب وله سرير شريف وفي يدهِ صليب. فلما قاما من نومهما حدثت بعضهما لبعض الذي ابصرا وقال اكسنوفن لصاحبتهِ: يا مريم ان بنينا (ابنينا) قد ساواهما المسيح لتسبحة كبيرة وما أخلقهما ان يكونا في اورشليم فنمضي فاتًا بلا شك نجدهما فيها

فاخذا معهما ذهبًا كثيرًا لكيما يقسماهُ على المساكين. فلما بلغا اورشليم صلّيا في المواضع المقدّسة كلّها واعطيا فيها ذهبًا كثيرًا. ثم انهما خرجا الى الديارات يكون (الكائنة) فيها ويسألون (وسألا) عن ابنيهما فلم يجدا لهما اثرًا ولكن وجدا واحدًا من غلمانهما قد تراهب. فلما لقياهُ القيا نفسهما بين يديهِ خارّين ساجدَين لهُ يقبّلان رجليهِ فقال لهما الغلام: لا تفعلا لا تفعلا يا مواليّ (مولييّ). فقال له اكسنوفن: ليس لك اصنع المطانية انما أكرم اسكيمك الذي انت لابسه فلا تحزن. ولكن حدّثنا اين بنينا (ابنانا) وايش (واي شيء) كان من امرهما. فقال لهما الغلام: ما ادري الّا انه لما انكسرت السفينة أشغل كل انسان بنفسهِ فعند الله العلم ان كانا حيّين او كانا ميتين

ثم انهما بعد ما سايلاهُ (سألاهُ) مضيا الى الديارات التي في الاردن لكيما يصليا فيها (132v) ويقسما ذهبًا كثيرًا. فبينما هما يسيران لقيهما الشيخ الذي راهب (رهّب) ارقاديوس فلما ابصراهُ وقفا قدّامه ساجدَين له وسألاهُ ان يصلي عليهما. فلما صنع لهما صلاةً قال لهما: «ايش (اي شيء) عنّي (١ اخوتا (اخوينا) اكسنوفن ومريم ان يأتيا الى بيت المقدس. ما اظنُّ انه عناكما الّا حب النظر الى ابنيكما فلا تحزن انفسكما فابنيكم (فابناكما) في الحياة وانّ الله قد اظهر لكما التسبحة التي وهب لهما ولكن اذهبا تتما صلاتكما يا فمّة (فاعلي) كرم المسيح فاذا رجعتما ابصرتما الى ابنيكما». وصلّى عليهما الشيخ القديس وخلا قبلهما

فلمّا جاء الشيخ الى قيامة المسيح صلّى وجلس عند الجلجلة فاذا يحنّا قد جاء ليصلي فلما ابصر الشيخ صنع له مطانية وبركهُ (وباركهُ) الشيخ فقال له: اين كنت يا يحنا حتى الآن وابوك وامك يطلبانك وانت ايضًا جئت في طلب اخيك. فقال له يحنّا: في شأن الله يا ابي اخبرني اين اخي فاني جدًّا يهتمّ امرهُ ولم استيقن انهُ في الحياة

١) اي دفع وحمل

الّا الساعة من كلمتك. قال له الشيخ: اجلس وانت تبصر اخاك. فجلس فاذا ارقاديوس قد جاء متغيّر الجسد وان عينيه لم يكونوا يرون (تكونا تريان) من شدّة الصيام وما قد تغيّر جسدهُ. ونفسهُ كانت ممتلئة حزن (حزناً) لانه لم يكون (يكن) نظر الى اخيهِ. فلما صلّى ونظر الى الشيخ جاء وصنع له مطانية وقال لهُ: تركتَ [ك]ملك منذ ثلث سنين ولم تفتقدهُ وقد أنبت شوكاً كثيرًا ومصيرك [انتظرتُ] كثير (كثيرًا) حتى تنقّيهُ. فقال له الشيخ: انا في كل يوم كنت (133ر) افتقدهُ ولي امانة انه لا ينبت شوك (شوكًا) بل ضب طيّب (عنباً طيّباً) الذي يفرح منه ملك الملوك المسيح ابن الله

ثم قال له الشيخ: اجلس. فجلس فلم يخبرهما الشيخ انهم اخوين (انهما اخوان) ولكن قال ليحنّا: من اي بلاد انت يا اخي ومن والديك (والداك) وكيف ربّوك (ربّياك). فقال له يحنا: انا يا ابي انسان مسكين غريب محتاج الى رحمة الله وصلاتك. فقال له الشيخ: نعمًا قلت يا حبيبي ولكن اخبرني عن بلادك وعن جنسك واين بيتك لكيما يسبّح اسم الرب في ذلك. حينئذٍ بدأ يخبرهُ حتى جاء عند ذكر السفينة وكيف انكسرت وانه قد كان له اخ يقال له ارقاديوس. فلما سمع ارقاديوس كلام يحنا لم يصبر ولكن قال للشيخ: بحقّ هذا هو اخي يا ابي. فقال لهُ الشيخ: انا قد عرفت ولكن سكتُّ ليعرف بعضكما بعضاً. فعانق كل واحد منهما صاحبهُ يشكران الله الذي ساواهما ان يبصر بعضهما بعضاً في هذا الاسكيم المقدّس

فلمّا كان بعد ذلك بيومين جوا والديهما (جاء والداهما) فدخلا في الجلجلة يصلّيان واعطيا فيها ذهباً كثيرًا وفي متبرة المسيح. فلمّا خرجا نظرا الى الشيخ وعرفاهُ فخرّا بين يديه ساجدَين لهُ وقالا لهُ: صلّي (صلِّ) علينا يا ابانا. فلمّا صلّى قالا لهُ: في شأن الله الموعود الذي اوعدتنا (وعدتنا) انتهِ واورِنا (وأرِنا) ابنينا وكان ابناهما حينئذٍ واقفين عند الشيخ وقد كان امرهما [ما] ان لا يتكلّما شيئاً ولم يعرفهما والداهما لانهما كانا قد ذُ[لِقا] من كثرة الصيام والسهر. فقال الشيخ لاكسنوفن ابي الغ[لامين ولامهما]: (133ظ) اذهبا هيّنا لنا عندكما اليوم غداء وكرامةً حتى اجي انا وتلاميذيَّ هؤلاء واصنع معكما حبًّا. ثم اني آخذكما الى الموضع الذي فيه بنيكم (ابناكما). ففرحا بقول الشيخ لهما. ثم انصرفا الى منزلهما

فقال الشيخ للغلامين : مرّوا (مرّا) بنا الى منزل والديكما يا ابنيّ وأمسكا انفسكما ان لا تتكلما كلمة . فقالا : نعم يا ابانا كما شئت فنحن نفعل . فقال : نعم مرّا بنا فانّ ذلك ليس يزراكم (!) فانكما لو تعبتما كل تعب لم تدركا درجة ابيكما فيا ليت كنتُ مثل ابيكما [فانّهُ] اهلٌ بأن يُرغَب في كلامهِ وفيهِ منفعة . فلمّا ان دخلا المنزل بدأا يسألان الشيخ ويقولان لهُ : كيف ابنينا (ابانا) ايها الشيخ الصالح . فقال لهما : هما بخير وهما حريصان على سلامة نفسهما . فقالا لهُ : نسأل الله ان يساويهما لن يكونا فعلةً (فاعلَين) في كرم سيّدنا المسيح لكيما يتشفّعا لنا عندهُ ان يخلّصنا من نار جهنم

فبدأ حينئذٍ الشيخ يسأل ارقاديوس ويقول لهُ : من اي مدينة انت ومن والدك وكيف ربيتَ . فقال لهُ اكسنوفن : بحقّ انّ تلميذيك هؤلاء (هاذين) طيّبان وتفي تحبّهما جدًّا وانا اسألك انّا (اذا ما) صليت ان يكون ابانا مثل هؤلاء (هاذين) . فاجاب ارقاديوس وقال للشيخ : « انا يا ابي من مدينة يقال لها بزنطية وجنسي من بيت الملك وكانت لي امٌّ تخاف الله وكان لي اخٌ يقال لهُ يحنّا فربّيانا للدنيا وعلّماانا كل علم وكل حكمة وكتبانا في ديوان بيت [الملك] وارسلانا الى بيروت لنتعلّم فيها الحكمة فبينما نحن في (134r) وسط البحر انكسرت السفينة وركب كل واحد منّا على لوح فالقانا (فالقتنا) حيّة موج البحر حيثما احبّ الله »

فبينما هو يتكلم لم يصبروا (لم يصبر) والداهما ولكن وثبا يعانقانهما ويقبّلانهما وقالا للشيخ : هؤلاء هم بنينا (هاذان هما ابنانا) يا ابانا . ولكن نقوم (فلنقم) نكفي الشكر والتسبحة لله وان نصلّي الى الله ان يهب لنا رحمةً

فلما صنعوا صلاةً وشكروا الله كثيرًا بدوا (بدأ) [اكسنوفن] يطلب الى الشيخ ان يحلق رأسهُ وراس مريم مرتهِ (امرأتهِ) ويلبسها الرهبانيّة . ففعل الشيخ ثم اوصاهما من بعدما حلقا راسهما وقال لهما : انظرا أن لا ينظر احدكما الى وجه صاحبهِ في هذا الجسد [او] شي آخر

فاما الغلامان فاتحقا بالشيخ الى البرّيّة فساواهما الله ان يعرفا الغيب من قبل ان يخرجا من هذه الدنيا ويعملا العجائب . واما ابوهما فبعث وباع كل شيء لهُ وقسمهُ على المساكين واعتق مماليكهُ . واما امرأتهُ فراهبها (فرهّبها) وجعلها في دير رهبانيات عذارى صالحات فحرصت وبلغت حتى اشفت (شفت) المرضى واخرجت الشياطين واما

اكسنوفن فلبس مسحاً وخرج الى البرّية ايام حياته فسُووي ان يعرف الغيب وسرائر (واسرارًا) كثيرة من عند الله . وانهم تنيحوا أجمعين من هذه الدنيا كما وصفنا لكم وحدّثناكم يا ابهاتنا ويا اخوتنا لتعلموا ان ليس يُسلم الله كلّ من يتوكل عليه ويخدمهُ بالحقيقة ولكن يهتمّ به ويخلّصهُ من بلايا واحزان كثيرة [حتى] يوصلهُ الى الحياة الدائمة كما فعل بهؤلاء بتدبير رحمته

(1347) كذلك نحن نسأله ان يساوينا بملكوته والاهتمام بطاعته وان يُلقي خوفهُ في قلوبنا لان لا (لئلّا) نهلك بتوانينا وكسلنا حتى لا يفوتنا الخير الذي هو لنا من عند ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي له [الحمد] مع ابوه (ابيه) وروح قدسه الطيب المحيي من الآن والى دهر الداهرين امين

تمت قصة اكسنوفن ومرتو (وامرأته) وابنيهما ارقاديوس ويحنا

رسالتان

للبطريرك كيرلُس طاناس

في احد مخطوطات مكتبة باريس مجموع مرسوم بالعدد ٦١٠٠ فيه بضع ومئة رسالة عربية اكثرها من القرن الثامن عشر تحتوي افادات جمة عن تاريخ مصر والشام فمن جملة ما نقلناهُ من تلك القمطرة رسالتان (٦ و٧) كتبهما الطيّب الذكر كيرلس طاناس اوّل بطاركة الروم الكاثوليك بعد انقسام طائفة الروم الملكيين الى كاثوليك واورثدكس . فالرسالة الاولى انفذها الى لويس الدلفين (١٧٢١–١٧٦٥) ولي عهد لويس الخامس عشر وابو لويس السادس عشر سنة ١٧٥١ من دير المخلص على يد كاهنين من طائفته القس يوحنا العجيمي والقس ميخائيل عرّاج من رهبان دير المخلص والرسالة الثانية كانت برسم الملك لويس الخامس عشر نقلها القاصدان المذكوران . وفي الرسالتين وصف المحن التي لحقت بالبطريرك وطائفته من قبل اعدائه واستمداد المعونة من الملك وابنه وكلتاهما تفيد لمعرفة تاريخ ذلك الزمان رويناهما بحرفهما الواحد ل . ش

جناب حضرة السيّد الجليل العالي الشأن سعادة الدلفين الكلي المسيحيّة ادام الله عزّهُ

ايها الابن الحبيب والسيّد الجليل

بعد اهداء البركة الابويّة والتسليمات السنيّة ما نعرض لمحبتكم هو كثرة الاضطهادات

والشدائد المحدقة بنا من كل جهة من قبل الروم الاراتقة والمشاقين فالتزمنا حينئذٍ ان نلتجي الى عونكم وغيرتكم بواسطة هذا المكتوب وبواسطة قصّادنا الاكرمين القس حنّا حجيي والقس ميخائيل عراج الراهب الباسيلي ليكونا معرضين لكم احوالنا واحوال الايمان المقدّس في هذه الابرشيّة الانطاكيّة التي قد دثرت من كثرة الاضطهادات مع عدم المعونات من الملوك المسيحيين. ولو نزيد نصف لكم شدّة هذه الاضطهادات وانواعها بالخصوص والعموم والضيق الصائر لاولاد الايمان في رعيّتنا هذه لما كان يكفانا زمان مديد للكتابة. فاعتضنا بذلك بتبليغ قصّادنا المذكورين لكي هم يبلّغوكم بالفم بما انهم مطّلعون على ذلك جليًا وفيهم الكفاية وقد التجينا الى سعادة الكلي المسيحيّة ليلتفت بنظره الحنون الى مذلّتنا باسعافه وغيرته الحارّة نحو نموّ الايمان المقدّس ويتخذنا تحت ظلّ حمايته ويسعفنا عند الدولة العثمانية (العثمانيّة) بامر قاطع لكافة القناصل والالچيّة الاكرمين بان يبذلوا جهدهم في حماية الايمان ويتخذوا اولاد هذه البلاد كانهم من الطائفة الفرنساويّة. فترجوا إذن من عونكم ان تسعفونا في مثل هذه الامور وتكونوا معينين لقصّادنا المذكورين في كل امر يحدث لهم ونحن نفهم انّ غزارة معرفتكم لا تحتاج الى زيادة تفهيم وبعد البركة الابويّة ثانيًا وثالثًا

(محل الختم) والدكم الحقير كيرلس

في ١ ايلول سنة ١٧٥١ البطريرك الانطاكي

الى عظمة الملك الكلي المسيحيّة لودوفيكوس الخامس عشر

المعروض من بعد الدعاء المفروض هو انّ بطرك القسطنطينيّة مع بقيّة اولاد الروم المشاقين لمّا تحقّقوا ان الايمان الكاثوليكي نمى وتكاثر في بلاد سوريا تحرّكوا بغضب كلي وارشوا (وشوا بنا) الى الدولة العثمانيّة على انّنا التجئنا الى ملّة الافرنج فهذه الوشاية مع البرطيل قد قدّموها فاخرجوا فرمانًا في تفينا ونفي مطارنتنا وكهنتنا وسلب اموال رعايانا الذي ينيف عن اربعة الاف كيس فمن كثرة الشدائد والاضطهادات وخسائر الاموال والنفي لبعض الذين قدروا يعسكرهم والجرائم الغير منقطعة والضرر البليغ الذي ضرّوا به الكاثوليكيين الذين في الابرشيّة الانطاكيّة حتى لم يبقَ لنا ولا لرعايانا حال ومن

زمان مديد لم تقدر قوت الجبال المختفين فيها لتفتقد رعايانا اولاد الايمان الروماني. فالتجينا الى الله ثمَّ الى عظمتك لكي تخلصنا من شرّ اولاد الروم المشاقين والتزمنا ان نوجه كاهنين مرسلين من طرفنا اوّلاً لينوبوا عنا بالخضوع الى شرف عظمتك ثمَّ ليوضحوا المصائب الصائرة علينا والمضادَّة من الروم ليخفظوا (ليخفضوا) الايمان المقدَّس من بلاد الشرق فهذا الامر ليس هو بصير على قضيب ملككم من حيث انَّ المرحوم جدكم عمل اعظم واصعب من هذا في البلاد الشمليَّة. فبواسطة قصَّادنا هؤلاء نطلب منكم الحماية لاولاد الكنيسة في ابرشيتنا هذه الانطاكيَّة ونحن نلتجي الى سعادتكم لانكم انتم اصحاب الغيرة لحماية الايمان المقدَّس واصحاب القدرة لكل شيء تريدونهُ وقادرين ان تخلصونا من عبوديَّة الروم المشاقين وسيرهم بواسطة امر قاطع لالچيكم(١ ولتواجيكم بان يضعوا جهدهم في تتميم هذا الامر فنتوسَّل اذاً ونستمدّ من مراحمكم توسلاتنا وتتخذونا نحن ورعايانا دعجية (٢ لعظمتكم. ونحن قد كتبنا هذا الخضوع بالدموع اكثر من المداد فلا تخيبوا رجانا. ثانياً نلتجي ايضاً الى سعادتكم بان تكونوا لنا مسعفين في اقامة مكان في جبل الدروز لتربية الاكليريكيين في العلوم والخصائل الحميدة لكي يكونوا سنداً للايمان الكاثوليكي ضدّ اعداء الكنيسة المقدَّسة ونحن قد جمعنا من حسنات المؤمنين شيء كافي لبنيان هذا المكان ولكن نقصاً مدخول الفين قرش لتربية عشرين اكليريكي في هذه البلاد. فترجوا اذاً من الله ومن عظمتكم بانكم تنعموا علينا في مثل هذا المدخل لكي نكمل هذا المكان على اسمكم وتحت حمايتكم ومن هذا يصير خير عظيم لاولاد المسيح في كائنا هذه الفقيرة ولسعادتكم اجر عظيم عند الله وشرف زائد عند كافَّة الشعب المسيحي ولم نريد ان نلتجي الى غير علويَّة سعادتكم من الملوك المسيحيين لانهُ مفهوم عندنا وعند العالم اجمع بان ليس احد تمتدّ غيرتهُ واحسانهُ الى اقطار الارض الا سعادتكم المثلثة الاسم المسيحي التي بكل صواب وبكل عدل أُعطي لها هذا الاسم الشريف. اخيراً نتوسَّل الى سعادتكم بان تمنحونا صورتكم الشريفة التي وُعدنا بها عن اسمكم سنة الف وسبعمائة وخمسة واربعين من مكتوب وزيركم دومورياس ونطلب منكم بان ترسلوا لنا اياها مع قصَّادنا المذكورين. ثم نطلب من الرب ان يؤيد ملككم ويمنحكم الظفر على كافة اعداكم

١) الايلچي بالتركيَّة السفير ٢) من التركية دعاجي اي انداعي والخادم

ونحن عبيده نمنح لجنابكم العالي البركة الرسوليّة من الآب والابن والروح القدس امين

(الختم) الحقير كيرلس البطريرك

حُرّر بديرنا المخلّص في ١ ايلول سنة ١٧٥١ الانطاكي

مطبوعات شرقيّة جديدة

Messe du rite Syriaque-Maronite. Traduction en français par le Père Paul Auoaiss. *Le Caire*, 1909, in-32, X-58.

ترجمة افرنسية لقدّاس البيعة المارونية

ليس هذه المرّة الاولى نُقلت فيها صلوات القدّاس الماروني الى اللغات الاوربيّة فظهرت ترجمتها اللاتينيّة بهمّة الاب رينودوتس الفرنسوي في كتابه المعنون بمجموع الليتورجيّات الشرقيّة وكذلك في كلندار الكنيستين للعلّامة يوسف لويس السمعاني. وقد جدّد هذه الترجمة آخرًا سنة ١٩٠٧ جناب امير سكسونيا الاب مكسيميليان احد اساتذة كليّة فريبورغ الكاثوليكيّة. امّا الترجمة الفرنسويّة فظهرت اوّلًا في باريس قبل عشر سنوات في مطبعة مجلّة الشرق المسيحي لكنّها عزيزة الوجود في بلادنا. وفيه فقد احسن حضرة الخوري الهمام الاب بولس عويس باستئناف العمل واعادة الترجمة لمنفعة ابناء طائفته وغيرهم من محبّي الطقوس الشرقيّة برخصة السيد الفضال المطران يوسف دريان النائب البطريركي على الموارنة في مصر. وقد قدّم على كتابه توطئة في عظم شان الليتورجيّة السريانيّة لكنّ هذه التوطئة قصيرة لا تفي بالمرام وهي تحتوي بعض الاقوال غير السديدة في تاريخ الليتورجيّات السريانيّة واليونانية والكلدانيّة بل في نفس تاريخ الليتورجيّة المارونيّة فلا بدّ من اصلاحها في طبعة ثانية

Jérusalem par M.-Reynès Monlaur, Paris Plon-Nourrit et Cie, in-16, 1908.

اورشليم

ليس هذا كتاب تاريخ او دليل على امكنة القدس الشريف وآثاره وانما هو وصف للمدينة المقدّسة على صورة رواية تاريخيّة وضعتها كاتبة شهيرة تحيي بقلمها السيّال الآثار الدينية فتكاد تميزها الحركة والنطق. وغايتها من كتابته ان تصوّر

اورشليم على عهد المسيح وتبيّن ما ابقى فيها الرب في ايام رحلته من الذكرى الصالحة فكأنّ تلك المدينة وشوارعها وازقتها وارباضها بل كل حجر من حجارتها تنطق باسم الفادي وتروي بلسان حالها آياته الباهرة وإحساناته الوافرة الى الناس لما اجتاز على الارض (اعمال ١٠: ٣٨) وليس الكتاب اختراعاً وتخيّلاً منها وانما كست الحقيقة ثوباً قشيباً لتكون مطالعتهُ اشهى الى القلوب. وقد بلغت من غايتها ما شاءت فانّ الجمهور اقبل على كتابها ايّ اقبال حتى كرّر طبعهُ عشر مرّات في سنة واحدة. فلا يسعنا الّا ان نحضّ القرّاء الشرقيين على تفكيه للباهم بتصفّح هذا التأليف الشائق د. س

دعوة الحبيب الى السرّ المجيب

للخوري شكر الله مرلد كاهن الموارنة في الاسكندريّة

طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت (سنة ١٩٠٩ ص ٧٢)

هذا اول كتاب لكاهن شرقي في تواتر المناولة والتقرّب من سرّ القربان الاقدس جعلهُ حضرة الخوري شكر الله مرلد كباكورة اعماله الكهنوتيّة في خدمة النفوس وهو خير العمل اذ ليس وسيلة اعظم لانعاش النفوس في قلوب المؤمنين من ذلك القوت السماوي الذي يغذي الارواح ويقوّيها ضد التجارب ويشفي اوجاعها ويبرئ اسقامها. فما احرى بالانسان ان يقتات كل يوم بهذا الخبز الالهي كما يقوّي جسدهُ بالخبز المادّي. وهي الغاية الشريفة التي توخّاها حضرة المؤلف فجمع في هذا الكتاب زبدة تعاليم الانجيل والآباء والاحبار العظام لبيان ضرورة المناولة المتواترة ولايضاح شروطها وتعريف منافعها العديدة في نهج الكمال. وقد عرض كل ذلك على طريقة المحادثات بين شاب ومعلمه فجاء كلامهُ الذّ واوقع في القلوب. فنتمنى لهذا الكتاب رواجاً كبيراً ونحضّ كل خدمة النفوس ان يمعنوا النظر في محتوياته وينشروهُ بين رعاياهم ل. ش

خمسة دواوين العرب

طبعة جديدة بعناية وتحقيق المكتبة الاهلية في بيروت

لصاحبيها الاديبين احمد افندي حسن طبارة ومحمد افندي جمال

كانت المطبعة الوهبيّة في مصر سنة ١٢٩٣ هـ عُنيت بطبع هذا المجموع المشتمل على دواوين خمسة من شعراء الجاهليّة اي النابغة الذبياني وعروة بن الورد وحاتم الطائي

وعلقمة الفحل والفرزدق وكأنَّ تلك الطبعة مع سقمها راج سوقهـا وتحقت فاحبَّ الاديان صاحب المكتبة الاهليَّة في الثغر ان يُعيدا طبعها قاما بالعمل بما عُهد فيهما من النشاط والهمَّة بعد تصحيح ذلك المجموع وتنقيحهِ ومقابلتهِ على عدَّة نسخ وترتيبهِ على الحروف واضافة قِطع متفرّقة مما وجداهُ للشعراء الخمسة في دواوين الادب فنشكر للاديبين خدمتهما هذه الجديدة للآداب العربيَّة. ولعلَّ هذه الخدمة كانت اوفى واتمّ لو ضبطا الابيات بالشكل الكامل ولو راجعا ما طُبع قديمًا او حديثًا من هذه الدواوين في اوربَّة كطبعة ديوان النابغة للمستشرق الفرنسوي ديرنبورغ (Derenbourg) وطبعة ديوان عروة بن الورد للعلَّامة الالماني نلدك (Noeldeke) وطبعة ديوان حاتم الطائي لشولتس (Schulthess) وطبعة الفرزدق للاديبين بوشه (Boucher) وهال (J. Hell) فانهما كانا وجدا في هذه الطبعات عدَّة قصائد جديدة لم يثبتاها مع شروح كثيرة غاية للافادة. فان شاء الله يفعلان في طبعة أخرى ل ج ش

تاريخ التمدُّن الحديث

تأليف شارل سنيوبوس . نقلهُ الى اللغة العربية « الكاتب المحجوب »

طبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٩ ص ٣٠٤

اعتاد جناب الاديب منشئ الهلال ان يُتحف قرَّاءهُ كل سنة بكتاب يجعلهُ تعويضًا عمَّا انقصهُ من اعداد مجلتهِ. وبينا كنا في انتظار لستة كتابهِ العرب قبل الاسلام لنفرد لانتقادهِ درسًا خصوصيًّا كما وعدنا اذ اتانا هـذا التاريخ فاضطرنا أن نؤجل تلك المقالة الى سنة اخرى. ولعلَّ صاحب الهلال رأى تقديم هذا الكتاب على ما سواه لاعلان الدستور في الدولة العثمانية فأحبَّ ان يهديهم كتابًا يصف لهـم تاريخ الدول الحديثة منذ غلب عليها النظام الدستوري فلم يجد تاليفًا اجدر بهـذه الغاية من تاريخ شارل سنيوبس (C. Seignobos) من علماء اساتذة باريس وكتابهُ في فرنسة شهير يثني اهل النقد على كثرة اطّلاعهِ وسهولة عبارته وفصاحة كلامهِ وحسن اندماج فصولهِ. لكنَّهم يرون انهُ لا يجيد شأن المؤرخين الثقات عن الاغراض والاميال فيحكم في عدَّة امور لاسيما في الثورة الفرنسويَّة حكم رجلٍ غلبت عليهِ الاهواء فاعمت بصرهُ. ومن كان كذلك كان والحق على طرفي نقيض. ومن ثم فلا يمكننا ان نشير الى قرَّائنا بمطالعة هذا

الكتاب الا بكل تحذُّر. ويا ليت المترجم كان نبَّه على كل ذلك في مقدمته او ذيل الكتاب ببعض الملحوظات التي تميّز بين الفتّ والسمين وتفرز الكذب من اليقين. ش

THE TURKISH VADE-MECUM of Ottoman Colloquial Language, By J. W. Redhouse, 4 th *ed.*, *London. Kegan-Paul, Trench und Trübner*. 1909, VIII-368, in-16.

دليل اللغة العثمانية في الانكليزيّة

وصف المشرق في العدد السابق (ص ٦٣٠) كتاباً حسناً في الالمانيّة يحتوي اصول اللغة التركيّة مع ما يحتاج اليه السياح في رحلهم الى الولايات العثمانيّة من محادثات ومفردات وتعابير تركيّة واليوم قد اهدانا محل كيغان بول في لندن دليلاً آخر من جنسه في اللغة الانكليزيّة يشتمل على خلاصة صرف التركيّة ونحوها في مئة صفحة يليها معجمان انكليزي تركي وتركي انكليزي ويُختم بالعبارات الدارجة في الحديث مع الالفاظ الاصطلاحيّة في العسكريّة والبحريّة وكل ذلك بالحرف اللاتيني وعلى طريقة سهلة المأخذ والكتاب مع كثرة مضموناته طُبع في حجم صغير على صورة مفكرة صغيرة يخفّ حملها على المسافر ش ر

PATROLOGIA ORIENTALIS. HISTOIRE NESTORIENNE INÉDITE. 1re partie, texte arabe avec traduction française par Mgr Addai Scher, *Paris*. pp. 312.

تاريخ النصرانية لاحد الناظرة

في تعريفنا للتواريخ العربيّة النصرانيّة ذكرنا هذا الكتاب في الصفحة ٤٩١ تحت العدد ٢٨ وبيّنا هناك ما يحتويه هذا التاليف من الافادات. وكان في الاصل يشتمل لاخبار التاريخ الكنسيّ من اوائل النصرانيّة الى زمان مؤلفه المجهول في القرن الثالث عشر على ما يُظَنّ. الّا انّ ايدي الدهر قد عبثت ببعض اقسامه فجمع منها سيادة مطران سعرت السيّد شير الكلداني ما امكنهُ في المكتبة البطريركيّة في الموصل وفي خزانة سعرت ونقلهُ الى الافرنسيّة وعلّق عليه عدّة ملحوظات مفيدة. وفي يدنا ما نجز منهُ وهو القسم الاوّل الذي يتناول تاريخ الكنيسة من اواسط القرن الثالث للميلاد الى اواخر القرن الرابع. وقد اتّسع في هذا القسم في بيان اعمال قسطنطين الكبير ومآثره كما انهُ وصف كثيراً من احوال النصارى في جهات العراق وما بين النهرين. والقسم الثاني

من هذا الكتاب هو الآن تحت الطبع ومحتوياتهُ غاية في الخطر اذ فيه تفاصيل عديدة عن اديرة تلك البلاد وسيَّاحها وجميع امورهـا الدينيَّة فنصفهُ ان شاء الله عند ظهوره ونقتطف منهُ بعض طُرَفه

HISTOIRE DES PATRIARCATS MELCHITES (Alexandrie, Antioche, Jérusalem)—Tome III, Les Institutions, fasc. 1 par le P. C. CHARON, *Rome*, 1909, p. 304.

تاريخ البطركيَّات الملكيَّة (الاسكندريَّة وانطاكية واورشليم)

انَّ حضرة الاب كيرلس شارون اسرعَ في تأليف كتبهِ منَّا في وصفها وقد اطلعنا القرَّاء منذ وقت قريب على عدَّة مصنَّفات وضعها في آثار وطقوس وتواريخ الكنيسة اليونانيَّة لاسيما فرعها الملكيّ . وهذا الكتاب الجديد هو التاليف الكبير الذي صرف اليهِ العناية منذ عدَّة سنين فجمع موادَّهُ في انحاء الشام عند الخاصَّة وفي خزائن اوربَّة كباريس ورومية وقد باشر بالجزء الثالث لاجتماع موادّهِ . والكتاب اذا تمَّ سيتناول كل اخبار البطريركيَّات الملكيَّة الثلاث اعني الاسكندريَّة وانطاكيـة واورشليم منذ انتشار الشيعة اليعقوبيَّة في القرن السادس الى عهدنا . ولا شكَّ انَّ هذا الكتاب سوف يسدُّ خللًا عظيماً في تاريخ كنائسنا الشرقيَّة التي لا تزال آثارها في الغالب متضعضعةً متفرِّقة تحتاج الى من يحيي مواتها وينشر مدفونها . ولعلَّ حضرة المؤلف هو اجدر من سواهُ بين العلماء بهذا العمل الشريف لما خصَّهُ الله بهِ من حبّ الشرق والمعرفة بآثارهِ مع دقَّة نظر وحرِّيَّة انتقاد واعتدال في الحكم وتجرُّد عن الاغراض . وهـذا القسم الاوَّل من الجزء الثالث يحقِّق ظننا في الكاتب لما اودعهُ من المعلومات في طقوس الكنيسة الملكيَّة منذ عدلت البطريركيَّات الثلاث عن طقوسها الخاصَّة الى الطقس البوزنطيّ فحضرة المؤلف يتتبَّع آثار ذلك الطقس في كل اطواره ويبيِّن ما جرى فيهِ من التغييرات من حيث الزيادة والنقصان ومن حيث الترتيب ومن حيث اللغة . وهذا التاريخ لا يقلّ عن ٢١٢ صفحة من قطع مجلَّتنا وقد اردفهُ بتاريخ نظام البطريركيَّات الثلاث وكراسيها الاسقفيَّة القديمة والحديثة مع تقاويم اساقفتها ومؤمنيهـا واعمالها الحاضرة وذلك في نحو مئة صفحة . فلا يسعنا الَّا ان نهنئ الروم الملكيين الكاثوليك على نشر كتاب مثل هذا يخلِّد ذكر كنيستهم ونحرِّض كل محبي الآثار الكنسيَّة الشرقيَّة على مطالعتهِ واقتباس فوائدهِ

ل . ش

Die christlich - arabische Literatur der Mozaraber von Heinrich Gousson, *Leipzig*, *Harrassowitz*, 1909, pp. 31.

تاريخ آداب النصارى المستعربين

انَّ الآداب النصرانيَّة العربيَّة كانت مهملة منسيَّة لا يهتمُّ بنشرها المستشرقون الَّا نادرًا. ومذ نحو عشرين سنة توجَّهت انظار الادباء الى تلك الآثار الدفينة فرأوا انَّ للنصارى في كرور الاجيال بعد الفتح العربيّ بقايا جليلة تدلُّ على همَّتهم فانَّهم اسرعوا في عدَّة بلاد الى تعلُّم اللغة العربيَّة رغمًا عمَّا حال دونهم من العوائق فنقلوا اليها كثيرًا من كتبهم الدينيَّة كالاسفار المقدَّسة واعمال الآباء وصنَّفوا في كل الفنون التصانيف الخطيرة التي صبر منها قسمٌ على آفات الدهر. فاخذ اولئك الأدباء يدرسون هذه المؤلفات ويقابلون بينها ويبحثون عن نسخها حتى جمعوا منها ما يكفيهم لتسطير تاريخ الآداب العربيَّة بين النصارى وقد ذكرنا سابقًا لحضرة الاب گراف (G. Graf) تأليفًا كهذا نشر منهُ جزءًا. وكذلك يسعى العلَّامة بروكلمان (Ch. Brockelmann) بتصنيف مثل ذلك تتمَّة لكتابهِ في الآداب العربيَّة الاسلاميَّة (Literaturgeschichte der Araber). وممَّا أرسل آخرًا لادارة المشرق تاريخ ثالث في هذا الصدد نشر بهِ حضرة الكاهن الالماني غوسن فاصدر منهُ قسمًا ضمَّنهُ تاريخ الآداب العربيَّة بين النصارى المستعربين (Mozarabes) في اسبانية وهم الاسبانيُّون الذين اختلطوا بالعرب في الممالك الاسلاميَّة كطليطلة واشبيلية وغرناطة فصارت العربيَّة كلهجتهم الخاصَّة. ومن آثار هؤلاء المستعربين عدَّة تآليف متفرِّقة درسها حضرة المؤلف وبيَّن خواصها ومميِّزات لهجتها ورسم بعض صفحاتها فجاء كتابهُ لذيذًا ومفيدًا معًا. وقصدهُ ان يدرس بقيَّة آثار نصارى العرب في الشام والعراق ومصر ويفرد لها كتبًا فنشكر حضرته على هذا العمل المفيد ونحضّ العارفين باللغة الالمانيَّة على مطالعتهِ ن. ش

ابطال الحرِّيَّة

بقلم الاديب انطون افندي جميّل

طبع في مصر بمطبعة المعارف سنة ١٩٠٩ (ص ٤٦)

عُقدت في مصر في ٢١ آب من العام المنصرم بمناسبة منح الدستور العثماني حفلة

حضرها وجوهُ المدينة وادباؤها فتُليت الخطب وأُنشدت القصائد الحماسيَّة ومُثّلت ادوار الانقلاب العثماني الاخير لمَّا سارت جيوش مقدونية الى الاستانة واحظاها الله بنيل الاماني في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨. فلم يشاء جناب استاذ كليّتنا السابق انطون افندي جميّل ان تضيع تلك الآثار بل جمعها في كتاب نفيس ولهُ فيها النصيب الاوفى. واخصُّ تلك الدرر الثمينة المناظر التمثيلية التي دبَّجها بقلمهِ واودعها شرارةً من نار حماستهِ ووكل تشخيصها الى بعض طلبتنا الاقدمين كالافندية الادباء لويس لسر والياس كيورك وحنا منير فثلّوا ادوارهم بغاية ما يمكن من الاتقان وجاهروا كلّهم بما التى اساتذتهم في قلوبهم من حبّ الوطن العزيز والتفاني في خدمتهِ. ويزيد الكتاب حسناً ما طُبع فيهِ من الصور البديعة الممثلة لابطال الحريَّة. وفي جملتها صورة المؤلف. فنشكر جنابهُ على همّتهِ ونتمنى لكتابهِ اعظم رواج ل. ش

شذرات

الامير محمد ارسلان ذكرنا في مقالة منظومات الوقائع الدستوريَّة ابياتاً رثى بها الشعراء فقيد الاوطان وشهيد المروءة الامير محمد ارسلان ثم وردتنا من جناب مكاتبنا الفاضل احمد افندي تقي الدين قصيدةٌ عامرة الابيات كنّا رويناها كلها لولا تأخُّر ورودها وقد ضاق هنا بنا المجال فنورد منها بعض طُرَفها فهذا مطلعها:

الخافقانِ عليك في خفقانِ والمجلسانِ عليك في اشجانِ
يتذاكرانِ بدهشةٍ وكآبةٍ عظم خَطْبك يا فتى الفتيانِ
يتسآلانِ وكلُّ دمعٍ سائلٌ هل للسعدِ في المجالس ثانِ

ومن غررها:

انت الشهيدُ وكلّ عضوٍ شاهدٌ في المجلسين بصدقك المثاني
لله في الاوطانِ مصرعك الذي صرع النفوسَ وفتَّ في الابدانِ
في ذمَّة الدستور حانتَ الردى والحرُّ يعتق الردى بأمانِ
وبذلتَ للاوطان نفسك فديةً وربيتها شرفاً على النيرانِ
وسمعت في دمك الزكيّ شهامةً وابى اباؤك سمتهُ بهوانِ

ومنها في ظفر جيش سلانيك بالارنجاميين:

ومشت بشوكتَ نخوةٌ عربيَّةٌ تسمو الى عُمَرٍ الى عدنانِ

فتحاجز الجيشان ثم تناجزا وتخاطب السيفان باللمعان
حتى اذا امتنع البُغاة بميلدز وتحالفوا بالاصفر الرنّان
ولّى الحسام وقاجم فتضعضعوا ندماً وقد ظلوا على العصيان
والعدل يكتب آية بنجيعهم سيف الجريء بحقه سيفان
غسل الحسام دم البريء على الثرى بدم الخؤون فروّع الثقلان
غسلوا الطهارة بالنجاسة فاقتدى ثوب السلام ملوّن الاردان

*

يا زهرة الاحرار في روض العلى وشهيدهم في خدمة الاوطان
لا بدعَ ان نسجوا غشاء لوجهم كفناً فلأنت اشرفُ الاكفان
فقدت بك العرب الفتى العربيّ والاتراكُ قد فقدوا الفتى العثماني
وبكتك اهل اللاذقية نائباً يا زهرة الشباب والاعيان
وبنو الدروز وانت عزة وجههم لبسوا عليك مطارف الاحزان

وقال مخاطباً الامير والدهُ :

أأبا الامين وانت اكبرُ مخلص للدولة العليا واشرفُ جاني
تفديك من اسد جريح أمةٌ فديتها بذخيرة الولدان
فجعوك بالقسر المثير وانما لك في الامين وعارف قسران

كتاب مفتوح الى تلميذي الفريد الصغير عزيزي الفريد الصغير اهديك اطيب سلام يهديه استاذٌ محبّ لتلميذه الحبيب. امّا بعد فاقول اني لا اعرفك أصغير انت ام كبير ولا ايّ الفريد انت ولعلّك الفريد عصرك فأنكرتُك اذ لم تزدني ايضاحاً في تعريفك . وعلى كلٍّ يكفيني ان اعلم بانك تلميذي — ولا إخالك كاذباً — كي اجيب على كتابك المفتوح في جريدة البرق بكتاب مثله

واوّل ما يجب شكرك عليه انّك لا تزال تتذكر ما رواهُ لك استاذك من تعاليم الانجيل الطاهر فهذا دليل بيّن على انّ تعبهُ لم يذهب سدًى كما في غيرك من الشبان الذين يعرفون كل شيء الّا مبادئ دينهم والامر الوحيد الذي لاجله خلقهم الله

ومع شكري لك لا أرى بُدًّا من تنبيهك على ما نسيتهُ من تعاليمي قُلت انّ السيّد المسيح لذكره السجود يقضي بنار جهنّم على من يقول لاخيه احمق فخفتَ ان استوجب حكماً كهذا لما كذّبتُ « اخي امين ريحاني » ونسبتهُ الى السفاهة وقلّة الحياء ما لم تشذّ القاعدة. كلّا يا عزيزي الفريد انّ قاعدة المسيح لا شذوذ لها وتتناولني كما تتناول

غيري ولم يجعل المسيح معيارين واحدًا للكهنة وواحدًا لسواهم لا بل سيكون حساب الكهنة في الآخرة أقسى وأشدّ اذ أُعطوا عشر وزنات فيطلب الله منهم ربح عشر وزنات أُخر. بيد انّ اقوال السيّد المسيح كما يتّفق عليه كل المفسرين — وكما سمعتَ من استاذك — لا تؤخذ منفردةً لكن تُعرَض على غيرها من تعاليمه عزّ وجلّ. فانّ الرب الذي حكم بنار جهنم على من يقول لاخيه احمق امر ايضًا ان الاخ الذي لم يسمع من الكنيسة يُعتبر كوثني وعشار (١٨: ١٧) فكم نبّه رؤسا الكنيسة « اخي امين ريحاني » على تغيير خطّه والكفّ عن كتاباته الكفريّة فلم يرعو. ثم امر السيّد المسيح ان يُقطع مسبّب الشكوك من جسم الكنيسة حتى ولو كان بمثابة العين او اليد لئلّا يتلف الجسم كلّه. فما قولك « بأخي امين ريحاني » الذي يشكك بكتاباته البذيّة القرّاء ويهيّج بخطبه اهواء سفلة القوم فكم شتم الدين وذويه وكم تغل على كل شيء صالح مقدّس وكم مسخ اقوال السيّد المسيح فنسب اليها المعاني الكاذبة وكم... وكم... اسمع بعض اقواله نقلها من كتاباته بالحرف قال: « اللبناني المعتبر الذي لا يسب ولا يكذب يكون بليدًا خاملًا » (وعليه نقولها عن امين ريحاني انهُ كاذب لم نشتمهُ لكن جعلناهُ من جملة اللبنانيين المعتبرين غير البليدين). وقال الريحاني عن احد ابطاله: « هو يكذب لأنّ اكثر اشغاله مع الاديرة والرهبان والكهنة والخادم يقتدي دائمًا بسيّده ». وقال عن الكهنة: « اجتنبهم تكن سعيدًا ». وجعل في فم احد المكارين وهو يسمع الوعظ شتمًا للواعظ لو سمعهُ احد الانذال لرفع الدعوى الى الحاكم وزجّ الشاتم في الحبس. بل بلغت به القحة الى شتم السيّد البطريرك والسادة الاساقفة وتهدّد كرسي بكركي بالرصاص والبارود وحرّض الكهنة على خلع الطاعة لرؤسائهم وانكر وجود الكنيسة نفسه وجعلها من المشروعات الذميمة حيث قال مجدّفًا: « لم يحاول المسيح تأسيس كنيسة على الارض فهو يبغض المظاهرات ويأمرنا بالصلاة سرًّا فالكنيسة اذن صنيعة الرؤساء ووسيلة لجمع المال وتشتيت شمل الجماعة الوطنيّة ». وفي هذا عدد البرق نفسه نسب الخرافة لكل الاديان. تلك يا عزيزي الفريد بعض اقوال الريحاني أفجاوزتُ الحدود حيث نسبتهُ الى الكذب والسفاهة وقلّة الحياء ولو كان في احد اللبنانيين شطة من دم الشهامة والنخوة ألا يصنع مثلي. أمّا انت يا تلميذي العزيز فاني اعذرك ولعلّ كتابك دليل على حسن طويّتك اذ كنت تجهل حقيقة الامر ولا تعلم

من امر الريحاني سوى شقشقة لسانه فانخدعت بملامس الحيّة فأياك أياك من سمها. ولا تظنّ ان مناصبة رجال السوء من الاثام وانما الاثم السكوت عنهم. والانقياد الى كلامهم ولن شئت لأتيتك بشواهد لا تحصى من الاسفار المقدسة تثبت اقوالي وفي هذا القليل كفاية هذه المرّة لستاذك المحبّ

ل. ش

الشيخ يوسف النبهاني — اطلعنا احد الادباء على عدّة تآليف حديثة نشرها في مصر الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت فقرأنا بعض فصولها فاذا هي كلها تقذف وطعن في النصرانيّة وتعظيم للاسلام. فاما تعظيم الشيخ لدينه فهو وشأنه وليس لنا ان نعارضه فيه واما تشنيعه للنصرانيّة ولمعتقدات النصارى فدليل واضح على انّه لا يعرف من عقائد ديننا ألفها وباءها ولا اريد برهاناً على قولي الّا هذه الاسطر القليلة التي تشهد على جهل الشيخ بما يعرفه صغارنا. قال في كتابه نجوم المهتدين (ص ٣١):

امّا عقيدة النصارى في حق الله تعالى فقد اتّفقت طوائفهم على اعتقاد ان عيسى هو الله تعالى نفسه وانهُ مع ذلك هو ابن الله وانّ الابن نفس الاب والآب نفس الابن وانّ الروح القدس كذلك هو الله وانّ كلّ واحد منهم هو الثلاثة فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد ويعتقدون مع ذلك انّ الله سبحانهُ وتعالى دخل في بطن السيّدة مريم . . . . ومات مصلوباً على اسوإ الحالات ويعتقدون مع ذلك رغماً عن العقل انّ هذه الامور وقعت له باختياره وانهُ اتى الى العالم لهذه العقيدة هي اشنع واقبح العقائد التي بُني عليها دين النصرانيّة ولولا انهم نشئوا عليها وانّ الله تعالى يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء لما كان يصدق العقل بانهُ يوجد ناس لهم ادنى فهم يعتقدون ذلك في المسيح . . . .

فهذا هو مبلغ الشيخ في معرفة الدين المسيحي وفي هذه الاسطر وحدها نيّف وعشرة اغلاط فظيعة تنطق بطول باعه في الجدال (جمع المقالات التي نشرناها لقدماء الكتبة في التوحيد والتثليث وهي مطبوعة على حدة) وقد كان حضرتهُ سبق وبرهن عن مقدرته على البحث والمناظرة في كتابه «ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى» الذي زيّف بعض ترّهاته احد افاضل الكتبة. ونحن ايضاً لا نأبى مناظرة الشيخ والدفاع عن ديننا واقناع كل عاقل بصحّته ان شاء القول معنا في هذا الميدان على شرط ان نعرض له حجّتنا بالحريّة التامّة وان تُعقد لجنة يرضى بها الفريقان

تحكم حكماً عدلاً في اقوال الناظرين

هيكل انسان منذ اربع مئة الف سنة قرأنا في عدد تموز الاخير من مجلّة المقتطف (ص ٧١٠):

قد كُشف هيكل انسان في كهفٍ «لهُ موسيه» تحت طبقات كثيرة من الارض يقدَّر لرسوجا اربع مئة الف سنة والظاهر انهُ عظام شاب في نحو الثامنة عشرة من عمره فكأنهُ يشبهان فكيّ القرد واسنانهُ كبيرة متينة ومفرز انفهِ في وجهه عميق جدًّا يدل على انهُ كان شديد الفطس

روى ذلك صاحب المقتطف ولم يتنازل ان يدلّنا على سندهِ كأنَّ مجرَّد كلامهِ كافٍ ان يقنعنا بخرافة كهذه. فرجعنا الى المجلّات العلميّة التي تردنا ولا غرو انها كانت تسابقت الى نشر اكتشاف كهذا. فاذا هي تذكر الواقع لكنَّ أثبات العلماء والجيولوجيين أبوا ان يثبتوا لهذه الرفات تاريخًا وظنَّ المسيو بول (Boule) أنهـا منذ عشرين الف سنة وقال غيرهُ غير ذلك وكل اقوالهم متضاربة بل لم يتّفقوا كلهم على ان هذا الهيكل هو لانسان فنتعجب كيف مجلّة المقتطف تسارعت ونشرت خبرًا كهـذا وعيَّنت تاريخًا خرافيًّا للهيكل المشتبه وغايتهـا كما يظهر أن تؤيّد مزعم دروين في نشوء الانسان من الحيوان وتكذّب اقوال التوراة في تاريخ البشر (راجع مقالة حضرة الاب يوسف خليل في قدم الانسان . في المشرق ١٠: ٤٩—٥٨)

ضراء العلماء هذا عنوان مقالة مطوّلة كتبهـا في مجلّة المقتبس جناب منشئها الاديب محمّد افندي كرد علي وصف فيها الحضارة الشرقيّة والعمران العربيّ واطرأهما اطراء يستدعي تحفّظًا كثيرًا. وما كنّا لنتعرّض لقولهِ لولا تجنّيهِ في امور كثيرة حقوق النصرانيّة لمّا عدّد «اثار المسيحيّة الغربيّة في ادوار الظلمات» وكرّر ما يتناقلهُ عن الاجيال الوسطى قومٌ من اهل الاغراض في تحت تلك القرون وما كنّا لنظنّ ان رجلاً متنوّرًا مثل محرّر مجلّة المقتبس ينقل كثيرًا من تلك الاحاديث الباطلة التي أكل عليها الدهر وشرب فيشنّع بها على الدين النصراني. نعم أننا لسنا ممّن يزعم انَّ كل شيءٍ في النصرانيّة كان مقدّسًا كاملاً ونعلم انّهُ وُجدت فيها كما في غيرهـا آثار من الضعف البشري الّا انَّ اعداء الدين قد تحاملوا عليهـا ترويجًا لغاياتهم ونسبوا الى الكنيسة اشياء كثيرة قد زكّاها من تبعها كبار العلماء في زماننا كمسألة محكمة التفتيش والحكم على غاليله (راجع مقالتنا في المشرق ٩: ١٧٨) وكاخبار لوثاروس. واسوأ من

هذا ما كتبهُ (ص ١٦٣) عن « الاب هيلدي بران » (كذا) وحرمه للامبراطور هنري الرابع . فانَّ صديقنا قد استقى كل ذلك من موارد كدرة بل قل من مستنقعات وخمة . ولعلهُ خُدع بما كتبهُ الشيخ محمَّد عبده في كتابهِ « الاسلام والنصرانيَّة » فيسوءُنا انَّ ادباء المسلمين يرمون الكلام على عواهنهِ وينقلون مزاعم اعداء النصرانيَّة دون ان يتحقَّقوا صحَّتها . ولو راموا الحقيقة فانَّنا مستعدّون ان نكشفها لهم بالبيّنات الواضحة

أسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد من دمشق من هو الاب هيلدي بران الذي ذكرهُ جناب محرّر المقتبس في مجلَّتهِ (ج٣ ص١٦٣) وذكر حرمهُ لهنري الرابع

الاب هيلدي بران

يريد الحبر الاعظم البابا غريغوريوس السابع الذي كان يسمى قبل جلوسهِ على عرش الخلافة البطرسيَّة بالراهب هلدبرَنْد (Hildebrand) وهو من اكبر رجال عصرهِ برًّا وصلاحًا وعلمًا شنَّع عليهِ اعداء الكنيسة لغيرتهِ الرسوليَّة ولذبّهِ عن حياض الدين فلم تأخذهُ في جهادهِ لومة لائم حتى مات ضحيَّة تعبهِ في خدمة ربّهِ وشرف الكنيسة . امَّا الاكاذيب التي ابتدعها الكفرة في حقّهِ فقد ردَّ عليها المؤرخون البروتستانت انفسهم منهم كاب (Gaab) وفرات (Fiqat) فزيَّفوها وزكَّوا البابا القديس في اعمالهِ فلم يعد اليوم الى تلك التُّهم غير الحمقة او الملحدين . وقد اقرَّ ڤولتار نفسهُ انهُ لولا شهامة غريغوريوس السابع وخلفائهِ لأصبحت الكنيسة ألعوبةً في ايدي الملوك واصبح الدين اسمًا بلا مسمًّى

س وسأل آخر عن جحى الذي تُروى لهُ النوادر أهو الرومي المعروف ... او هو لقمان الحكيم

جحى

ج جحى على وزن زُفَر لقب لرجل من البصرة كان من صميمين واسمهُ ابو غُصن دُجين بن ثابت عاش في اوائل الخلافة العبَّاسيَّة في أيام المنصور والمهدي . والعرب يذكرون لهُ عدَّة حكايات مضحكة جُمعت في كتب خاصَّة . وكثير من هذه الروايات تنسب الى غيرهِ من المضحكين ولاسيما ايزوب الرومي وكان عبدًا نوبيًّا وقد دعاهُ البعض بجحى الرومي تمييزًا لهُ من العربي . اما لقمان فقد اختلفوا في نسبهِ وزمانهِ (راجع شروحنا على مجاني الادب ص ٧) ل . ش

المشرق

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخية ادبية عمرانية للاب لويس شيخو اليسوعي

استفتاء

كتب الينا احد اصحابنا من مصر ما نصّهُ :

بينما كنت سائرًا في شارع الفجالة مساء الاحد الواقع في ١ آب المنصرم من السنة الجارية اذ سمعت رجلًا في منتصف العمر من ورائي يدعوني باسمي وهو يُسرع في مشيهِ ليدركني فعانت مني التفاتة فاذا هو شخصٌ اجتمعتُ بهِ في بعض النوادي لكنّني اجهل اسمهُ فنظرتهُ ريثما اقترب مني وحيّاني بالسلام ثم جعل يسألني : « الستَ فلان الفلاني » . فقلتُ : « بلى هو » . قال : « لعلّك تقصد بولاق » . قلتُ : « نعم » . قال : « اذن ارافقك » . ثم اندفع في الكلام ودار بيننا الحديث الى ان وصلنا الى قرب بناء مرتفع على طرف بعض الاحياء . فقال : « أتعلم ما هذه الدار » . قلتُ : « لا وحياتك » قال : « هذا نادي الفرمسون نجتمع فيهِ مرّةً في الاسبوع . أو لستَ من الماسون ؟ » . قلتُ : « اني اجهل امر هذه الشيعة ولا غرو لانها مستترة وراء استار الاجتماعات السرّية لا يطّلع على حقيقتها الّا من دوّن اسمهُ في سجلّاتها » . قال : « انا من المتقدّمين فيها فانبئك بشأنها . هي الفئة الشريفة التي اتّخذت لها من المبادئ اسماها ومن الغايات ارضاها . عمادها الفضيلة وغايتها الكمال هي مصدر التمدّن والعلم ونصيرة العدل بين الناس لا تتعرّض لهم في شيءٍ من دينهم ولا تتداخل في الامور السياسية (١ » قال

(١) راجع تاريخ الماسونية العام لجرجي افندي زيدان ص ١

هذا وزاد عليه اشياء كثيرة الى ان ختم كلامهُ بقوله: « افلستَ ترضى ان تنتظم في سلك هذه الجمعيَّة بعد وصفي لها كما رأيت ». قلتُ: « انَّ لي اصحاباً اتخذتهم لي في امووري رشاداً وفي شبهاتي قرآداً فدعني اطلب مشورتهم حتى اذا وقفتُ على حقيقة الحال اجبت الى دعائك والقيتُ بزمام امري الى ايدي رُصفائك ». ثم اقرأتهُ السلام وانا افكِّر في صحَّة مدَّعاه. وما قلتُ راجعاً الى داري حتى اسرعتُ الى رقم هذه الاسطر لاستفتيكم في شأن هذه الفئة واطلب من لطفكم ان تجيبوا على سؤالنا بلسان مشرقكم المنير

مصر في ١٧ آب

جواب المشرق

(قلنا) انَّ وصف الماسونيَّة الذي نقلهُ مكاتبنا عن لسان احد اعضاء هذه الشيعة نادرة كثيراً ما حاول الماسون ان يستتروا وراءها في بلادنا ظنًّا منهم انهم يصطادون بذلك القوم الاغرار. الا انَّ العاقل لا يقدم على امر قبل ان يدرك حقيقتهُ ويأمن عثرتهُ. قال الحاجّ محمَّد علي الشامي العاملي في رسالة وسمها بكشف الظنون عن حال الفرمسون واثبتها في كتابه سوق المعادن سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٨٣م): « انَّ دفع الضرر المظنون واجب عند العقلاء. فاذا وجدتَ مثلاً في طريقك وادياً وأخبرك مخبر انَّ فيه سباعاً مؤذية وتلك مناداً عن ارتقائك في سفح او سلوك طريق اخرى فانهُ يجب عليك العدول عن الوادي الى السفح او الطريق الاخرى... وهذا يصدق في حق الماسون ». فلا يكفي اذن ان نركن الى قول بعض اصحاب الغايات الذين تورَّطوا في ردغة هذه العصابات السرِّية فيموِّهون الكلام ويختلقون الكذب ليخدعوا السذَّج لاسيما وقد نبَّهنا الربّ على مثل هؤلاء بقوله: « انهم يأتونكم بملابس الحملان وهم في الداخل من الذئاب الخاطفة » بيد ان المسيح لذكره المجد وضع لنا قاعدةً تعصمنا لمعرفة المرائين اذ قال: ومن « اثمارهم تعرفونهم »

ولكن قبل ان نستطعم تلك الثمار الجنيَّة لا بُدَّ من البحث في بعض الامور التي نقدِّمها على مقالتنا لتكون بمثابة التمهيد لكلامنا فنتتبَّع اصول تلك الشجرة والتربة التي نبتت فيها وامتداد جذورها وتفرُّع اغصانها. ونحن لا نستند في ايضاح كل ذلك

الّا الى اوثق المصادر وخصوصاً الى اقوال الماسونيين انفسهم اذ كان اهل البيت ادرى بما فيه. وان قال قائل: كيف تستطيع ان تعرف اسراراً يُقسم الماسون بالحرجات انهم لا يكشفونها لاحد ويُعاقبون على كشفها اشدّ العقوبات. أجبنا مع السيّد المسيح ان ليس خفيّ الّا سيظهر ولاسيما ان تلك الاسرار لم تنحصر في بعض الافراد فيشترك فيها اشخاص غير الحريصين على حفظها فيصح المثل السائر: كل سر جاوز الاثنين شاع. وللماسونيّة في ايامنا نشرات وتقارير وجرائد يطبعونها لذويهم فهما ازداد حرصهم على حصرها تبلغ بالرغم منهم الى ايدي الذين يهتكون حرمتها ويعلنون باسرارها. كفانا دليلاً على قولنا الجريدة التي تظهر في باريس منذ ثلاث سنوات واسمها خرق الحجاب عن الماسونيّة (La Franc-Maçonnerie démasquée) وهي تروي في كل عدد من اعدادها ما تستخرجهُ من دفاتر المحافل الماسونيّة ومن اوراقها الرسميّة ونشراتها الخاصّة فالى مثل هذه الاسانيد نلتجئ في كلامنا الآتي وعلى الله المتّكل

تاريخ الماسونيّة

ليس شيء يصف الماسونيّة وصفاً اظرف ويميط القناع عن خزعبلاتها بنوع ألطف من نقل ما يسطرهُ انصارها في تاريخ شيعتهم وتعريف اصولها. فلا بُدَّ لنا من تفكيه القرّاء بشيء من هذه الاساطير التي تغلب على احاديث خرافة ويجدر بها ان تُلحق باقاصيص الزير وبني هلال وعنتر. وها نحن نستمدُّ ذلك من بعض تآليف الماسون في بلادنا. قال الاخ شاهين مكاريوس رئيس محفل الاطلانت في كتابه «الآداب الماسونيّة» الذي نال جزاءه عنهُ «النيشان الماسوني العالي من المحفل الاكبر المصري... وتقرَّر ابحاث منشور لكافة المحافل الوطنيّة المصريّة بوجوب اقتنائه» (ص ١):

«الماسونيّة اكبر الجمعيّات واغناها واشهرها ولعلّها اقدمها ايضاً. وقد ذهب القوم في تعميتها مذاهب شتى فبعضهم قال انها أُنشئت في هيكل سليمان وبعضهم ردّها الى كهنة المصريين وآخرون الى كهنة الهنود ويزعم غيرهم انَّ مؤسسها الحقيقي لا يزال مجهولاً ولا يبعد عن التصديق ان العالم لم يخلُ من جمعيّة سريّة منذ نشأته...»

الى ان قال (ص ٣):

«والماسونيّة التي نحن في صددها مضى عليها في عالمنا هذا اجيال عديدة قطعت في غضونها مفاوز

الحياة وقلّواتها وجبالها وسهولها وانهارها وبحورها حتى صارت الى ما هي عليه الآن . . . »

وبعد ذكر بعض الجمعيات السرّية العملية والرمزية اردف بما نصّهُ (ص ١)

« ويغلب على الظن انّ منشأ هذه الجمعيّة كان في رومية سنة ١٧٥ قبل المسيح »

وكرّر هذا القول ثانية (ص ٥):

« ولكنّنا نعلم انّ الطريقة الحاليّة نشأت في رومية كما تقدّم »

فلنسمعنّ الآن اقوال اخر آخر يعدّهُ الماسون من مشاهير رجالهم وهو الاخ جرجي زيدان وقد افادنا في « تاريخ الماسونيّة العام » انّ كتابهُ مبنيّ على اساس الحق وقد راجع لمعرفة الصواب شيوخ الماسونيّة (ص ج) « كالاخ المحترم نقولا حجي رئيس محفل لبنان سابقاً والاخ المحترم وليم اسعد خيّاط رئيس محفل فلسطين . . . والاخ الكلي الاحترام سوليتوري افتوري زولا رئيس اعظم المحافل المصريّة سابقاً » وراجع غير ذلك من التواريخ التي عدّدها لاخوته الماسون فما احرى به ان يكون مؤرخاً صادقاً . فاسمع رعاك الله ما قال في تاريخ الماسونيّة وقد اختصر اقوال رصفائه قبل ابدائه عن رأيه الخاصّ قال (ص ٥):

« للمؤرخين في منشأ هذه الجمعيّة اقوال متضاربة . فمن قائل بحداثتها فهي على قوله لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر بعد الميلاد ومنهم من سار بها الى ما وراء ذلك فقال انّها نشأت من جمعيّة الصليب الورديّ التي تأسّست سنة ١٦١٦ ب م . ومنهم من ارسلها الى الحروب الصليبيّة وآخرون تنسّمها الى ايام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد ومنهم من قال انّها نشأت في هيكل سليمان وفئة تقول انّ منشأ هذه الجمعيّة اقدم من ذلك كثيراً فارسلوها الى الكهانة المصرية والهندية وغيرها . وبالغ آخرون في انّ مؤسسها آدم والابلغ من ذلك قول بعضهم انّ الله سبحانهُ وتعالى أسّسها في جنة عدن وانّ الجنة كانت اوّل محفل ماسوني وميخائيل رئيس الملائكة (اقرأ : سطنائيل) كان اوّل استاذ اعظم فيه »

على انّ جناب منشئ الهلال يعدّ هذه الاقوال وهميّة ويعلّل الامر « بطموس التاريخ الماسوني قبل القرون المتأخرة . . واخفاء اوراقها » لكنّهُ ينمش رجاءنا بقوله انّ الاخوة الماسون (ص ٦) « نهضوا مؤخّراً الى جمع تاريخ هذه الجمعية فعثروا على اوراق قديمة العهد امكنهم الاستدلال منها » على اخبارها . لا بل يفيدنا على انّهُ اطّلع على ما يطّلع غيرهُ عليه ثم خاض في تفاصيل ذلك التاريخ خوض رجل يتقاذفهُ تيّار البحر العجّاج فلا يدري كيف يتخلّص من عبابه وينجو من غمراته . فلو راجعت كلامهُ وتمعّنت

في رواياته تراكمت على عقلك الظلمات فلا تعلم أنت في عالم الاحياء او في عالم الترهات فينتقل بك الكاتب في صفحات قليلة من خرافات الرومان الى اسرار ديانات اليونان فمعابد المصريين فتواريخ اليهود فاخبار النصارى الاوّلين وهو يخلط في كل ذلك شيئاً طفيفاً من التاريخ لئلّا يحس القرّاء بسحره لعقولهم حتى اذا بلغ القرن السابع للمسيح اتى بالعجائب والغرائب فيتكلّم عن جماعة البنائين ويجعل المنتظمين فيها ماسوناً احراراً تحت رئاسة الاكليرس وهم على زعمه اجداد الماسونية الحالية كانوا يأتون من الاعمال الهندسية والصناعية ما يستحقّ لهم شكر الشعوب المخلّد بل يحبّب للقرّاء تلك القرون الوسطى التي يسبّها الماسون الحاليّون ويدعونها قرون الهمجيّة واعصار الظلمات. وقس على هذه الخلاصة بقيّة ذلك التاريخ الذي نتهُ منشئ البشير عند صدوره بكتاب وهمي شبيه بقصص الف ليلة وليلة

وقد قدّم الاخ الماسوني ايليا الحاجّ على كتابه « الخلاصة الماسونيّة » نبذة تاريخية في اصل الماسون تليق بالنبذتين السابقتين قال (ص ٣):

« قال بعضهم: ان مبدأ الماسونية منذ القدم يوم كوّن المهندس الاعظم السموات والارض وخلق ادم وهو ابو الماسون واعياً في صدره العلوم والفنون بارعاً في علم الهندسة . . . . وانتقلت هذه الصناعة الى مصر بواسطة مصرايم احد اهل حام وكان ذلك بعد تبلبل الألسنة عند بناء برج بابل بستّ سنوات . . . وقال احد الكتّاب: انّ الماسون قوم من البيثاغوراسيين (كذا) تألفوا جمعيّة وصلت الى ما هي عليه الان من نضجة وعلوّ الشأن. وقال آخر انّ الماسون جماعة من اليسوعيين الانكليز (كذا) في بريطانيا »

ولعلّ الكاتب في طبعة ثانية يذكر انتظام شخصنا الحقير في الماسونيّة اذ كنّا في انكلترة نتردّد الى اديرة الاباء اليسوعيين الانكليز. ومن عجيب قوله بعد هذا ان اليسوعيين يضطهدون الماسون منذ ظهورهم قال (ص ٥):

« وكان اليسوعيّون بعد ظهورهم الى عالم الوجود يميلون الى ابناء الحرّية لمارضم في الصنائع بنية بناء كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم غاية في الابداع وجلّ مقصدهم ان يلاشوا الماسون عن وجه الارض كما كان يفعل الملك فرعون ببني اسرائيل ايام كانوا يعملون بالآجر » !!!

ثم جرى في هذا الميدان الفسيح تارةً يجعل الماسون من بُناة هيكل سليمان وتارةً يجعلهم من نخبة صنّعة مصر والعجم والهند واليونان الى ان يبلغ الى قوله (ص ١٠):

« ويقول الماسون في انكلترة ان القديس البان انشأ الماسونية في بريطانية العظمى عام ٩٣٦

واخذوا براءة من الملك تسوغ لهم اجراء اعمالهم واجتماعاتهم السرّية في مدينة يورك حيث أنشئ المحفل الاعظم لانكلترة »

وان سألت الكاتب البارع من هو هـذا القديس البان منشئ الماسونية في عام ٩٢٦ اجابك في الحاشية :

« البان احد الثلاثة الذين ماتوا شهداء بانكلترة عام ٣٨٦ ايام اضطهاد دقلديانوس » (كذا)

وينتج من ثمّ انّ القديس البان نزل من السماء بعد استشهاده بنحو ٦٤٠ سنة لينشئ الماسونية في وطنه

فحسبك ايها القارئ بالاسطر السابقة دليلًا على صدق الماسون في تسطير تاريخهم . فليت شعري ايجوز لنا بعد ذلك ان نسلّم بما يخرق فيه الماسون اذ ينسبون الى جمعيتهم كلّ فضيلة وكمال دون إعمال الروية فيه . لا لعمري فانّ الرجل اذا عُرف بالكذب مرّةً لا يُقبل قولهُ الّا بعد البيّنات الواضحة والادلّة النيّرة

*

فان كانت الشيعة الماسونية كاذبةً في تعريف اصلهـا وكانت اقوالها متضاربةً في بيان تاريخها تُرى ما هو تاريخها الصحيح وهل يُعرف منشئها ؟

ان الجواب على هذا السؤال يستدعي بعض الملحوظات قبل ان نكشف القناع عن محيّا الحقيقة فنقول :

اوّلًا لا يُنكر انهُ شاعت بين الوثنيين في القرون السابقة لعهـد المسيح عدّة جمعيّات سريّة كانت تحجب اسرارها الفاسدة تحت ستر الظلمـة فتدّعي ظاهرًا ترقية العلوم او التقرّب من الآلهة وهي في الواقع موارد خلاعة وتهتّك . وكان اسوأها فـلا الجمعيات المستترة وراء حجاب الدين كاسرار أفوسيس (Eleusis) واسرار كيبالة (Cybele) واسرار ادونيس (تموز) والعلماء الذين دقّقوا البحث فيها تحقّقوا ما فشا في مشاعيها من سوء الآداب . فان كان الماسون يحبّون الانتماء الى هذه الجمعيّات فلا بأس وهم اعلم بما يجري في بعض اجتماعاتهم من العادات الرمزيّة الخلاعية التي بلغت اليهم بحق الوراثة

ثانيًا انهُ لاقرب من العقل والتصديق ان يقال انّ الماسونيّة هي حفيدة لجمعيات أخر وشيع سريّة ظهرت في اوائل النصرانية فقامت لمناصبة الدين المسيحي وتعرّضت لاربابه

وبثت في حقه الاكاذيب والتهم الّا انّ سهمها طاش عن غرضه. وكان اصحاب هذه الشيع يُعرَفون باسم الادريين (Gnostiques) ويتظاهرون بخدمة العلوم وما كانت علومهم سوى اوهام استعاروها من التنجيم والسيمياء وفنون السحر وغايتها في الغالب تعظيم القوى الطبيعية ورفع البشريّة الى درجة اللاهوت على مقتضى مبدأ الحلولية او الانتشار (panthéisme). وقامت في القرن الثالث للميلاد الشيعة المانويّة فأخذت من اقوال الادريين وزادت عليها مبدأ الثنويّة فجعلت إلهًا للخير وإلهًا للشرّ يتنازعان بينهما السيطرة في العالم. ولا شك انّ في المذهب المانوي بقايا من تلك الشيع كما اقرّ بالامر احد زعماء الماسونية الكبار في المانية ومنشئ بعض فرقها المعروفة بفئة المتنوّرين زيد الدكتور ويسهوبت (Weishaupt) فانه في كتابه المعنون بدستور التنوير في الجزء السادس منه يقول للفارس الماسوني ما ترجمتهُ (١ « لا يعرف اسرار الماسونية غير المتنوّرين لا بل لا يقفون عليها كلها الّا بعد البحث والاجتهاد فالفارس المتنوّر يقتضيه السعي في ذلك. وليعلم انهُ ان اراد الاطّلاع على اسرار الماسونية الصادقة انما يفوز بمرغوبه على الاخص بدرس كتب الادريين والمانويين ». وقد اقرّ مثلهُ بذلك كثيرون من الكتبة الماسونيين كالاخ راغون (Ragon) في كتابه الموسوم بالدرجات الماسونية (في الصفحة ١٣٠ والصفحة ١٤٩) ومثلهُ الاخ كلافل (Clavel) في تاريخ الماسونية والاخ ريداريس (Rédarès) في ابحاثه التاريخية عن الماسونية (٢٢-٢٣ وص ٢٥٤) ولهم كلام طويل نقلهُ ن. ديشان في كتابه عن الماسونية في الطبعة الثانية (٢ وهو أصرح من ان يحتاج الى ايضاح. ويؤيد اقوالهم عدّة رموز يتخذها الماسون في جمعياتهم والفاظ مستعارة من الادريين والمانويين يردّدها اكثرهم على شبه البغاء ولا يعرف معناها الّا المتوغلون منهم في درجاتها العليا وقليلٌ ما هم. فمن آثار تعاليم تلك الشيع في الماسونية تشدّقهم بمعرفة النور وتنويه قول الداخلين في جماعاتهم وافتخارهم بنفي الظلمة ويشيرون الى ذينك المبدأين اي النور والظلمة بعمودين يقيمونهما في وسط ناديهم السريّ يدعونهما « بوعز وياكين ». ومنها الاسم الذي ينتحلهُ الماسون فيدعون انفسهم « ابناء الارملة » يريدون مانى ابن ارملة المداين. ومنها تمثيلهم لموت مانى الذي سلخ جلدهُ ملك الفرس

١) اطلب تاريخ بايانو (ج ٢ ص ٤٣٠)

٢) N. Déschamps: *Les Sociétés secrètes et la Société*, 2 éd. I, 284-295

فيصرخون « ماك بناك » اي جُرِّد اللحم عن العظام . فيبدون امارات الحزن على موته وغير ذلك مما لا يوقف له على معنى دون مراجعة كتب المانويين والادريين

وكان لتلك الشيع اعمال سيئة توافق تعاليمهم الباطلة وصفها آباء الكنيسة كالقديس اوغسطينوس في كتابه عن المانويين والقديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات . والذين وقفوا على اسرار الماسونيين وتروّوا في اشاراتهم والعادات المألوفة بينهم في بعض معاهدهم السرّية يجدونها شبيهة في عدّة اشياء بما كان جاريًا في حفلات تلك الطوائف المستورة ومؤدّاها في آخر الامر الى خلع العذار ونبذ كل شريعة الهيئة ومدنية والاستسلام لكل اهواء القلب والفواحش المنكرة

ثالثًا وقد ظهر في عهد اقرب من زماننا شيع أُخرى بينها وبين الماسونية علائق اوثق واشدّ نريد شيع الكثاريين والالبيجيين تألفوا من بقايا المانويين في جهات البلغار والبشناق وتقدّموا زرافات وفئات الى انحاء ايطاليا ومنها الى جنوبي فرنسة فانتشروا هناك انتشار الوباء المبيد في القرن الثاني عشر ولم يزالوا يعيثون في تلك البلاد حتى جعلوها قاعًا صفصفًا وقام الملوك وجنّدوا الجنود لمحاربتهم . وكانت تعاليم تلك الشيع سرّية تندى لها الوجوه حياء فيطلقون العنان لكل الشهوات الوحشية حتى اصبح اسمهم مرادفًا لشرّير وفاسق . اما النسبة بين تلك الشيع والماسونية فقد اثبتها احد الكتبة البروتستانت المؤرخ الشهير هورتر في كتاب تاريخ انوكنت الثالث (ص ٢٨٤ و ٢٨٦) قال سنة ١٨٤٠ ما تعريبه :

« ان من يتبر نظام الشيعة الماسونية الباطني وما تكبده من المكابد منذ نحو ستين سنة لمناوأة الكنيسة الكاثوليكية ثم يقابل بين مبادئها ومبادئ شيع الكاثريين المعروفة لا يسعه الا الاقرار بالتوافق الموجود بينهما ليس فقط من حيث المبادئ العمومية ولكن ايضًا في دقائق الامور . فانّ الشيعتين كلتيهما تجاهران بحرّية الانسان التامة واستقلاله من كل سلطة عليا . كلتاهما تبغض البغض التامّ كلّ نظام للهيئة الاجتماعية ولشرائع العمران وعلى الاخص لقوانين الكنيسة . كلتاهما تحرص على سرّها فلا تكشفه الا للذين اختبرتهم زمنًا طويلًا واذا اعلنته قضت بالأنام المحرّجة بكتمه عن كل غريب بل عن اقرب الاصدقاء والاهل . لكلتيهما رؤساء مجهولون لا يعرفهم الا بعض الافراد . وكذلك اعضاؤهما يتعارفون برموز سرّية واشارات خفيّة يطلبونها من سواهم . وترى كلتا الشيعتين اذا خافت على نفسها طائلة جاهرت بالمراء وتظاهرت بالدين لخدع الجمهور . واني اقدر ان اؤكّد اتأكيد التامّ انّ كل ما حدث في اوربّة من الفتن والثورات والانقلابات السياسية منذ اكثر من نصف قرن (يريد منذ ظهور الثورة

الفرنسوية) انما كان من اعمال تلك الشيع السرّية التي خلفت شيعة الاليجيين »

هذا ما قالهُ احد البروتستانت الذي يُعدّ من اوثق كتبة عصرنا لتجرُّده في قوله عن كل غرض ولسعة معارفه

رابعاً ومن اجداد الماسونيين الذين لهم حقوق الابوّة عليهم شيعة الهيكليين. كان هؤلاء اوّل امرهم طائفة رهبانيّة مركزها في القدس الشريف أُنشئت للدفاع عن الاراضي المقدّسة في أيام الصليبيين الّا انها بعد حقبة من الدهر زاغ رهبانها عن قوانينهم واهملوا نذورهم للصالحة وتسرَّب اليهم حبّ الملاذ فاختلطوا بشيع شرقيّة ساد فيها الفساد وانتسوا بآداب اصحابها وحذوا حذوهم في المنكرات فشذبتهم الكنيسة وامرت بالغائهم وبقي منهم بقايا نثروا بعد ذلك سئهم بالشيع الماسونيّة. قال الماسونيّ ڤيلوم (Willaume) في دليل الماسونيين (ص ١٠ و ١١) بعد تعريفه للهيكليين وما شاع بينهم من الاسرار الخفية: « انّ الهيكليين بعد الغائهم كجمعية مدنية لم يتلاشوا بل اورثوا نظامهم وتعاليمهم لخلفائهم الفرمسون من بعدهم. فهذا ما يلوح لنا من درس تاريخ الماسونية وسيرها ». ثم يثبت قولهُ بعدّة اشياء. كان الهيكليّون ألفوها في خبايا معاهدهم وهي اليوم جارية في المحافل الماسونية المختصة ببعض الافراد دون جمهورهم

خامساً واخيراً في الماسونية ايضاً وفي طقوسها وشعائرها واحكامها عدّة اشياء تشير الى تاريخ اليهود وسننهم وعاداتهم ولاسيما الى احدى شيعهم السرّية بعد المسيح تُعرف بشيعة القبّاليين (Kabbale) انتشرت في القرون الوسطى ومزجت بين التعاليم الفلسفيّة والاقوال السفسطيّة والاضاليل السحريّة وكان بينها وبين شيع الاليجيين روابط متينة فامتزجت ببعضها امتزاج الماء بالراح ثم اشتدّ ضررها حتى وجّهت قوّتها للسياسة ومعاكسة السلطتين الدينيّة والمدنيّة. وآثار تلك الشيعة اليهوديّة ظاهرة في اعمال الماسونية ورُتبها وأزيائها وطقوسها وشعائرها السرّية. وقد أُلّف في ذلك كتاباً واسعاً السيّد مورين (Mgr Meurin) بحث فيه عن العلاقات بين الماسونية وشيع اليهود في القرون الوسطى واثبت رأيهُ بأدلّة جليّة لا تُنكر

فكل هذه النِحَل التي سبق ذكرها قد تعاقبت وتناصرت وانتلفت فتركّبت من مجموعها الشيعة الماسونية فكانت تلك الفرق كقواعد جرت مياهها الى نهر كبير او

بالاحرى كجداول الى سيل جحاف هدّ سدوده وطغى حدوده وعاث ما شاء في السهول والاودية

تلك هي العناصر المختلفة التي صيغت منها بعد توالي الاجيال حلقة الماسونية الحاليّة. وقد ساعد على انتظامها وائتلافها ما اعتادهُ اهل الحرف والصنائع منذ القرن الثاني عشر فانّهم كانوا يتّحدون فيؤلفون شركات مستقلة ليذبّوا بها عن حقوقهم ويدافعوا عن امتيازاتهم. وكان بين تلك الشركات فئات خاصّة بالبنّائين. وكانت اعمالهم مقسمة يشتغلون بتشييد ابنية عظيمة كالقصور والكنائس والجسور فهذه الشركات كانت تحتمي في كنف الدين وتسير على مقتضى سُننهِ وترفع دعاويها الى اربابهِ لتفضّ المشاكل على طريقة سلميّة. وشاعت تلك الشركات في دول اوربّة كانكلترّة وفرنسة والمانية وايطالية وكان الاحبار الرومانيّون يباركونها ويمنحون اصحابها النعم الروحيّة ويرصون بها لرباب الامر حتى نمت وبلغت مبلغًا كبيرًا. الّا انّ الرجل العدوّ الذي اعتاد ان يبثّ الزوان في حقل ربّ البيت دخل ايضًا في تلك الشركات ودسّ سمّهُ في دسمها فانّ البعض من تلك الشركات جعلت باغراء قوم اشرار تخلد الى الفتن وتنصب المكايد للدول وتعارض اهل الدين

واوّل عهد ورد فيهِ ذكر الماسونيّة ووصف شيء من اعمالها انّما هو عهد كولونيا من اعمال المانيا كُتب سنة ١٥٣٥ وأثبت العلماء صحّتهُ (١. فان هذا العهد الذي ورد فيهِ لاوّل مرّة اسم الفرمسون مع ذكر رُتبهِ الثلث اي الطالب والشريك والاستاذ. ويفتتح كاتب هذا العهد كلامهُ بذكر الماسونيّة والمدن التي أُنشئت فيها محافل الجمعيّة ثم يلخّص ما ينسبهُ الناس الى الجمعيّة الماسونيّة من الدسائس وكيف شاع بين الجمهور انّ غاية الماسون التمرّد على السلطة الدينية والمدنية وانّ القوم ينسبون اليهم قلّة الدين ويلزمونهم على كتم اسرارهم فتلافيًا لما ينتج عن تلك الشكايات قد اتّفق رؤساء الجمعية الماسونية على وضع بعض البنود التي يجب على الاخوة ان يحرزوها ويأتمروا بها. ويلي هذه المقدّمة ثلاثة عشر بندًا تحتوي خلاصة القوانين الماسونية ومختصر تاريخها. فيؤخذ من هذا التقرير ان الماسونية كانت في ذلك العهد كما هي في عهدنا لها اسرارها

١) اطلب كتاب ديشان (١ : ٢١٨)

واقسامها ودرجاتها ورؤساؤها الذين تخضع لهم وانها لا تكترث لدين ولا تعتبر الديانة المسيحية الّا كشيعة من الشيع وغير ذلك ممّا خُص به الماسون في زماننا . وفي آخر هذا القرار اسماء رؤساء الجمعية وهم تسعة عشر قد وقّعوا عليه بامضائهم وكلّهم من ألدّ اعداء الكنيسة الكاثوليكية بينهم هرمان دي ڤياك (Herman de Wiec) الذي كان اسقفًا على كولونية وتشيّع بالشيعة البروتستانية فاوزرته الكنيسة من شركتها . ومنهم فيليب ميلنكتون (Mélanchton) احد أنصار لوتاروس ومنهم رئيس البروتستانت الفرنسويين كوليني (Coligny)

وفي تلك الاثناء كانت الشيع البروتستانية اشهرت حربًا عوانًا على الكنيسة تحت قيادة لوتاروس وكالوين وهنري الثامن ملك انكلترة فتحاماوا كلهم على الدين الكاثوليكي من كل صوب واملهم ان يستأصلوا آثاره فوجدوا في الجمعيّات الماسونية اقوى مساعد لتحقيق امانيهم . وكانت البروتستانيّة جاهرت بحريّة البحث واستقلال الضمير ففتح هذا المبدأ بابًا واسعًا للجدال والخصام واخذت الشيع البروتستانيّة تتقسّم وتتفرّع فينافي بعضها بعضًا حتى بلغ بهم الامر الى جحود الوحي وتسويد العقل ونكران كل شريعة وقد اشتهر منهم بهذه الاضاليل لوليوس سوسين (L. Socin) وابن اخته فوستوس سوسين صرّحا بمعاداة كل دين ولاسيما الدين الكاثوليكي وسعيا في نصر غايتهما وتقويض اركان كل المعتقدات . وعاش فوستوس زمنًا طويلًا ونشر آراءه الكفرية في كل انحاء اوربا واتخذ الجمعيّات الماسونيّة كآلة لبلوغ مرامه فزادت مذ ذاك الحين تلك الجمعيّات سوءًا وتحاملًا وانتشرت انتشارًا عظيمًا في البلاد البروتستانيّة وعضدها كرومويل في انكلترة وهو قاتل الملك كارلس الاوّل

وفي القرن الثامن عشر وجدت الماسونية في الفلاسفة الكذبة كفولتير وروسو ودالمبار وفردريك ملك بروسيا وغيرهم انصارًا تكاتفوا في دكّ اركان الدين ومناصبة ملوك عصرهم حتى بلغوا ما كانوا يتشوّقون اليه من خراب العروش والمذابح ممّا

(له بقية)

الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانٍ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

(حاشية) قلنا في مقدّمة الأثر الذي اهتممنا بنشره انّهُ قد وقع من وسطهِ اوراق وعقدنا الامل بوجودها في نسخة ثانية لدى احد القراء. فلم يخب املنا فانّ حضرة الاب انطون رباط اوقفنا على نسخة اخرى تروي ما وقع من النسخة التي باشرنا في طبعها فدللنا على ما اخذنا منها بمكّفين [] وهذه النسخة احدث من نسختنا لكنها قديمة ايضاً وهي تخص حضرة الشمس يعقوب صلوحي الكاهن السرياني الكاثوليكي في التبك فنشكر الابوين على ما افادا ل. ش

ومن قبل ان يموت (البطرك) بعشرين يوماً رحت الى الدير (دير الزعفران) ودعاني لعندهِ وكنّا اثنينا في القلاية فاراد بكذبهِ يسرق عقلي فقال لي: يا شماس انني لمّا صرت بطركاً رحت الى حلب وطمشت (وطرشت) الكنيسة فنظرت الباطريّة (اي المرسلين الفرنج) يجون كل يوم سبت ومعهم سطل كبير ويدخلون الى الكنيسة ويبقون مقدار ساعة زمانيّة ثم يخرجون ويروحون. فلمّا نظرتُ هذا مراراً كثيرة زعقتُ (اي دعوتُ) واحداً من الحيّين يسمى شكري [القتال وسألتهُ عن القضيّة فاخبرني قائلاً: «انّ هؤلاء الباطريّة الذين يجون ويجيبون معهم السطل يجيبونهُ كل سبت حتى يبيّضوا قبر البطرك اندراوس (١ والسطل يمتلئ كلّهُ منخولاً معجوناً لكنّ القبر في السبت الثاني يسودّ». فلمّا سمعتُ هذا قلتُ لشكري: «بات (بتّ) هذه الليلة عندي وجيب معك اثنين حافظين للسرّ». فجاء في تلك الليلة وفتحنا القبر واخرجنا عظام البطرك اندراوس والقيناها في بيت الماء.

ومع قوله هذا تزلزلت الارض وبدأ (البطرك) يرجف مثل القصبة واسودّ واخضرّ وبدأ يقول: كيرياليسون كيرياليسون. وقلتُ لهُ: هذه من كذبك تزلزلت الارض فانبهت (فُبهت) وما بقا (بقي) يقدر يردّ جواباً فقمت تركتهُ وهربتُ. وهذه الزلزلة صارت في المدينة كلّها حتى عرفت بها الكبار والصغار. وهذه الحكاية حكيتها في

١) هو اندراوس اخيجان اوّل بطاركة السريان الكاثوليك في القرن السابع عشر توفي سنة ١٦٧٧

مدينة رومية (١ للمفريان اسحاق بن جبير (٢ وللاسقف سفر (٣ فقالا : « الله يسوّد وجهه انّ جسد البطرك اندراوس نقلوه (نقلهُ) الباطريّة الى رومية وهو محطوط (مقبور) في كنيسة مار يوحنا (٤ وهو الذي الآن يصنع العجائب كما عمل في حياته عجائب كثيرة ومن جملتها اعمال الصدقة . وهو الذي الزم (اي دفع) القنصر (القنصل) بيكث (٥ ان يفرّق صدقة سمانة كيس في حلب في سنين الغلاء السبع حتى انّ صدقتهُ وصلت للحنفاء (للمسلمين) ولليهود وليس هو الذي ظلم الارامل والايتام وفرّق مالهم على الظلّام حتى يبطل حق الايمان فغزاهُ الله من معلّمه الشيطان » هذا ما قالهُ الاسقف (سفر) والمفريان (ابن جبير)

فلنرجع الآن الى مقصودنا فنقول (٦ . انّ] بعد ما هلك هذا التعيس ماتت القسوس وترمّلت الشبّان والشيوخ فقامت الناس على الزيجة وتزوّجوا الارامل والبنات المتروكات وكنت تبصر انّ في كل ليلة يصير عشرون براخ (اي بركة الزواج) وازيد . ثم انّ الكركي رسم بعد ذلك اربعة قسوس في (كنيسة) الاربعين (شاهدًا) وباعجوبة من الله كلهم ماتوا بعد ما كان انقطع الموت قبل تكميلهم لرسمين يوماً وبقي الكرسي (اي كرسي البطركيّة) فارغًا مقدار سنتين وتخلّف فيه ابن اخته اسحيقه (٧ الذي عمل أشرّ

---

١) ومن هذا نستفيد انّ ابن الكزبر بعد رجوعه الى الكتكة ذهب الى رومية

٢) اطلب المشرق (١١ : ٢٨٦)

٣) يريد اثناسيوس سفر الاسقف الماردبني (المشرق ١١ : ٥٦٣) .

٤) يريد كنيسة مار يوحنا في لاتران وهي الكنيسة الكتدرائيّة البابويّة في رومية

٥) يريد القنصل فرنسيس بيكات (Fr. Picquet) القنصل الفرنسويّ في حلب في اواسط القرن السابع عشر . وكان من افضل اهل زمانهِ قانعًا زهد في سنيا واتظم في سلك ارباب الكهنوت ثم عيّنهُ الكرسيّ الرسولي قاصدًا لبلاد ما بين النهرين وتعجم فخدم هناك الكنيسة خدمًا صادقة ومات برائحة القداسة في اصفهان في ٢٦ آب سنة ١٦٨٥ . وسيرتهُ العجيبة قد طُبعت بالافرنسية في باريس سنة ١٧٣٢

٦) هنا قطعة طويلة ناقصة في الترجمة الفرنسويّة التي نشرها حضرة الاب شيّل في الشرق المسيحي

٧) كذا دعاهُ المؤلف وفي تاريخ البطريركيّة السريانية الانطاكية لحضرة القس اسحق ارملة (ص ٩٣) انّ اسمهُ كان اسحاق وكان مطرانًا على اليعاقبة في حلب وانتدبهُ اهل شيعتهِ الى البطريركية في ٨ شباط سنة ١٧٠٩ وبقيّة اخبارهِ تأتي في المتن

(شرا) من خاله فانه جاء من حلب وارتسم في ديار بكر ثم جاء الى ماردين ورسم قسوساً كثيرين. فسيدنا الورتبيت (ملكون طازباز) امر على حقارتي ان اصير ايضاً كاهناً وقال لي: « اذا ارتسمت فانا امنحك سلطاناً باذن ودستور الكنيسة المقدسة ان تحل الناس من خطاياهم » . فتكلم بعض الناس مع اسحيقه كي يرسمني فما رضي بل خلى وراح الى الموصل ووكل الكركي مكانهُ

فتجبر هذا الشقي وجمع كم واحد (بعضاً) من اصدقائهِ وقال : اريد ان اوسع البيعة وابني هيكلاً على اسم لباس الحديد (١ فعملوا تداريكهم وبنوا مذبحاً تحت الليل ورسمهُ الكركي باسم برصوما. فلما رحت الى كنيسة الاربعين (شهيداً) ونظرت الشعب قد نسوا اسم الاربعين واسم مار بهنان (٢ وبدأوا يتوسلون ويستغيثون ببرصوم لباس الحديد فجئت واخبرت سيدنا الورتبيت بما صار فاغتاظ غيظاً عظيماً من شر هؤلاء القوم الذين لا يخافون من الله ولا من الحكام ولا يستحون من الناس. فقلت لهُ : اعطيني دستوراً حتى اشاور به الحاكم واهدمهُ . فقال لحقارتي : يا شماس اذا هدمتهُ تكسب فضيلة كبيرة وترفع كجاته (٣ من رأس الاربعين شهيداً ومن رأس مار بهنان

ثم مضيت واخبرت واحداً مسيحياً من اهل السراي وقلتُ لهُ : عندي تقدمة كبيرة اقدمها الى الحاكم اذ اني اريد اولاً ان يحلف لي انهُ ما يضرني ويعمل مرادي. فمضى وحكى لهُ فبعث حسي وادخلني اليهِ وحلف لي يميناً عظيماً انك ايش (اي شيء) ما تقول اعمل. فقلت لهُ : قد صار قضية. فقال لي : ايش هي . فقلت لهُ : اخاف من طائفة اليعاقبة. قال : لا تخف. قلت : بيعتي هي بيعة الاربعين شهيداً وقد جاء المطران كركي وضبط الكنيسة وجمع مالاً كثيراً وغلظ وطلع فتشاور مع كم واحد من محبيهِ في الليل ورفع بعضاً من الحيطان الذي داخل الكنيسة ووسعها وبنى فيها بيعة جديدة على

---

١) كذا يدعو اليعاقبة برصوم احد زعماء الشيعة الدرفيستية في القرن الخامس. وهم يزعمون انهُ كان يلبس درعاً من حديد تقشفاً

٢) ويقال جنام احد شهداء العجم في ايام سابور

٣) الكجات لفظة فارسية بمعنى الارجاس والاوساخ

اسم برصوم وهذه هي قباحة كبيرة ان يغيّر فرمان السلطان وقد نسوا الاربعين شهيداً وبقوا يدعونها بيعة برصوم. وهذه هي قباحة كبيرة لانهُ بغير فرمان السلطان في كل بلاد الاسلام ما يقدرون ان يضعوا في الكنيسة حجراً واحداً وهذا الشقي بنى بيعة باسم برصوم والبناء يشهد عليه. فقال الحاكم: ايّ معمار هو الذي بناها فاقطع اصابعهُ. قلتُ: ما اعرف. فقال لي: من ابث اجيبهُ الأول؟. قلت: القس

فلمّا ارسل وجاب القس سألهُ الحاكم: يا قس ايش عملتم في بيعتكم. قال بنوا بيعة على اسم برصوم تحت الليل. قال: من كان المعمار. فقال ختني. فامر ان يرفعوهُ الى الزنجير. قلت: لا. اتركه حتى يروح وأرسل جيب اثنين من الطائفة فلاناً وفلاناً. فصرف القس وارسل جابيها فلمّا حضرا قال لهما: ايش قد عملتم في البيعة. قالا: « قد وقعنا وراح ما بقى يفيد القول. بقي منك السكين ومنّا اللحم. الله يسوّد وجه الكركي ». فبعث ليجيب الكركي فهرب فمسكوا راهباً من تلاميذهِ وجابوهُ ووضعوهُ في الزنجير فقال: فوضعوا (ضعوا) البقيّة معهُ. فتوسّلوا بالخواجا اسحاق ليقطعوا جريمتهم (غرامتهم). قال لهم: « انا ما لي خلطة معهم. هوذا الخواجا سفر ابن الچل وكيل البطرك فليحرث قدّامكم. فقالوا للخواجا سفر ليقطع غرامتهم فقال: انا اكون وكيلاً وتصاون هلقدر (هكذا) قباحة وما تشاوروني » وكان يكشف رأسهُ في السوق ويقول: يسلط عليك الله تعالى يا كركي ثلثة التينة (١ وجرب جحزي في جسدهِ (٢ وعوّض هذا الجرب الذي وضعهُ في جسد اليعاقبة والذي ما بقي ينضف (ينظف) الى يوم القيامة

ثم اتوا جميعهم الى حقارتي وطلبوا ان اروح اقطع غرامتهم. فرحتُ وقطعتُ على الكركي الف قرش وعلى اتباعهِ العشرة كل واحد مائة قرش ففي ذلك النهار ماروا (مضوا) زنبيلين زلط وجابوهما. ثم اشاروا عليهم الناس قائلين: اطلبوا دستوراً من الحاكم واهدموا البناء لئلّا يسمع باشا دياربكر فما يكفاهُ (يكفيهِ) اربعون كيساً ويهدم البيعة كلها. فلمّا اتوا ليطلبوا دستوراً من الحاكم ليهدموهُ. قال لهم الحاكم: انّ هذا قد بُني بغير امر السلطان وانا ما اقدر آمر (بهدمهِ) حتى اشاور بهِ

---

١) اشارة الى لعنة السيّد المسيح للتينة غير المثمرة في الانجيل

٢) هو غلام النبيّ اليشاع الذي قبل رشوة من النعمان فضربهُ النبي بالبرص

السلطان فاتوا وتوسلوا الى حقارتي ثانياً ان امضي واقول للحاكم ان يهدمهُ. فمضيتُ وقلتُ للحاكم: هذا كان قولنا معك ان تهدمهُ. فطلب الف قرش أخرى حتى هدمه فارضيناهُ باربعمائة قرش اخرى (١ [وجاء الكهيا (٢ والقاضي والمفتي والسخطرية ودخلوا الى (كنيسة الاربعين وامروا ان نكشف هذا الصنم (اي شخص برصوم) وقالوا: اهدموهُ وارفعوهُ. ثم قال واحد من المراطقة: ليهدمهُ دشمانهُ (٣. فقلتُ لهم: لماذا انا اهدمهُ هذا هدمهُ على السخطرية. ثم تقدَّم واحد وضرب المعويل (المعول) وقال: هذا هو برصوم النجس. ثم بدأوا يهدمونهُ كلهُ. وكان البعض من العجائز الجاهلات يدقوا في صدورهم ويقولوا (يدققن صدورهنَّ ويقلن): يا لبَّاس الحديد برصوم الذي صار سبب هدمك لا تتركهُ (اي سالماً)

وبعد ذلك صرت عليهم استون (اي رئيساً ومتقدماً) واي شغل يصير لهم يجيئون لعندي فامشي قدَّامهم واقضي امورهم. ثم تشاورنا مع سيدنا ملكون الورتبيت ان أرتسم كاهناً. فهو كان راضياً برسامتي واراد المطران ان يرسمني لكني ما كنت راضياً في هكذا رسامة ثم انَّ بعض العُصاة راحوا ووقعوا عند الخواجا اسحاق قائلين لهُ: انَّ اهل بيعتنا كبارهم وصغارهم يدعون عليك وعلى اولادك لانهُ اذا ارتسم هذا (اي حقارتي) يخرب بيعتنا. وراحوا معهُ الى الحاكم وقرُّوا له (اي طرحوا امامهُ) اربعمائة قرش ومنعوني من الرسامة ودعاني الحاكم وقال: حتى اصرف هذه الدراهم ثم اعود وآمرهم حتى يرسموك

ثم اجتمعوا عليَّ جميع اهل البيعة وخصوصاً الذين اعطوا الدراهم وتوسَّلوا اليَّ بكلام طيب قائلين: «يا اخانا الشماس انت كنت تكرز علينا دائماً وتقول: ما في شيء أخير (خير) من المحبَّة وسيدنا ما أوصى الَّا على المحبة فكذلك الرسل والاباء والقديسون يوصون كثيراً بالمحبة والآن نرجو من الله ومنك ان تعمل معنا محبة وتمهل علينا الى حينما يجيء من الموصل ونحن نقبلك علينا قسيساً ورئيساً وجميعنا نصير تلاميذك

١) هنا في نسختنا نقص ٣٦ ورقة استعرناها من نسخة القس يعقوب حلوجي
٢) لفظة تركية بمعنى المدبر
٣) اي عدوُّه. يريد ابن الكزبر

وبعد هذا بخمسة وعشرين يوماً ماتت حرمتي معترفةً متناولةً وانشحت من يد سيدنا ملكون الورتييت اذ جاء بنفسهِ اليها الى البيت ثلاث مرّات وكانت من بيت حنّا الطّار ابو (ابي) الاسقف سفر وبنت الخواجا مقصود الذي كان سافر الى بلاد الافرنج مرّتين. وبعدما ماتت امرأتي بدأوا يشيرون عليَّ ان اتزوّج حتى لا ابقى ارتسم قسًّا فاذا تزوّجتُ يخلصون مني (١ وقالوا: نعطيك خمسمائة قرش ونأخذ لك بنت فلان. وكان رجلًا غنيًّا. فما رضيتُ بذلك

وكان في ماردين رجل يقال لهُ شمّاس شكرو ابن الخواجا جاني. وهذا الرجل كان بازركانًا (٢ كان قد سافر الى الهند والعجم والمسقوف والافرنج وكان رجلًا عاقلًا اديبًا معلّمًا باللسان السرياني والعبراني. ولمّا صار الطاعون في ماردين ماتت حرمتهُ واولادهُ حتى لم يبقَ لهُ سوى بنت واحدة وضاع مالهُ. وكان لهُ عند حاكم ماردين مقدار دراهم فارضاهُ بشيءٍ طفيف واخذ تمسُّكهُ (اي عهدهُ) ووعدهُ قائلًا: اذا جاء البطرك من الموصل اطلبهِ يرسمك اسقفًا

فلمّا نحن سمعنا هذا فرحنا كثيرًا وكان في طائفتنا ثمانية شبان يلتمسون الرهبنة فقلنا: هذا خير على خير اذا صار لنا اسقف كاثوليكي فيعود يرسمنا كلّنا

فلما سمعوا الهراطقة هذه الشورى كتبوا الى البطرك للموصل. فلما جاء من الموصل ونزل في قرية القصور ومنها الى المنصوريّة (٣ ارسل خلفي فما رحتُ اليهِ. فجاء تحت الليل هاذاك (هاتيك) الليلة وهرب الى دياربكر. فلما سمع الحاكم بهربهِ اغتاظ غيظًا عظيمًا وارسل جاب مطرانين من الدير وقال لهما: اريد منكما في هذه الليلة ان ترسما هذا الرجل (اي الشمّاس شكرو) كي يصير كواحد منكما (اي اسقفًا) ففي تلك الليلة ارادا ان يرسماهُ ويأخذا منهُ تلموذًا (اي شهادة) على اعتقادهم

ثم مضيا في الليل وبرطلا بالدراهم واشتكيا عليهِ وقالا: «هذا الرجل تريد ان نعملهُ كواحد مثلنا. لكن هذا الرجل ما يقبل ان يصلي كما نصلي نحن ولا يقول مثل ما

١) يلمح الى عادة الكنائس الشرقية التي لا يجوز فيها ان يُكوّن احدٌ اذا تزوّج مرّتين
٢) لفظة اعجميّة بمعنى التاجر
٣) القصور والمنصوريّة قريتان في ملتقى الجبل الواقعة عليهِ ماردين

نحن نقول ». فحبسهُ عندهُ الى الصباح وعند الصباح اجتمع جمهور كبير من الثلاث مراعيث واتوا ليشهدوا زوراً علينا وكان رأسهم الشمّاس فحمه بن عجم وكانوا يلقبونهُ ابا الفقراء. فلمّا نظر الحاكم وكان اسمهُ اوصمان (عثمان) هذا الجمهور يقودهم ابن عجم مسك ابن العجم وأمر بجلده ثم حبسهُ مع الشمّاس شكرو في قرد قيد وهرب الناس

امّا انا فاخذت معي بعد ذلك غداء وعرقاً ورحت اليهما الى الحبس ونظرتهما الاثنين مقيّدين جملةً. فقلت لابن العجم: انت تحمي هؤلاء ولو اعطيت عشرة غروش ما يردّون لك منها فلساً واحداً. ثم اكلا وشربا وعند المساء دعاهما الحاكم وامر الشماس شكرو ان يقول كقول الاسقفين ليرسلاهُ

وعند الصباح رحتُ الى الكنيسة (كنيسة الاربعين) فنظرت الشماس قد لبس قميصاً وقام ليخدم القدّاس فلمّا وصل الى اقوال الهراطقة ذكر ديوسقورس وبرصوم واتباعهما. فقلت لهُ: كان لك احسن ان تُسلم ولا تهرطق. فاجتمع الناس عليَّ قائلين: انت ايش يعنيك. فاتيت واخبرت سيّدنا الورتبيت بقضيّة الشماس فانحصر (فحزن) كثيراً. ونحن في الحديث والّا جاء الشماس شكرو فقال لهُ سيّدنا الورتبيت: لماذا عملت هكذا. فاجاب عملت كما عمل مار بطرس ومار بولس لمّا دخلا الى رومة وحضرا مع سيمون (الساحر) قدّام نيرون الملك فبطرس صار من حزب المسيح وبولس من حزب سيمون الساحر حتى ينقضي الشغل. فقلت لهُ: لعن الله هذه الحكاية كلها كذب وزور. فالشماس شكرو لمّا سمع قولهُ القى نفسهُ على قدميهِ قائلاً: قد خطئت فاغفر لي. ولكن لا بُدَّ انهم يرسلوني غداً ام بعد غد

امّا الاسقفان وجماعة اليعاقبة فبعد خدمة الشماس شكرو في بيعتهم ارسلوا الى دياربكر لعند اسحيقه فاخبروه. وذلك الشقي راح الى عند الباشا واشتكى على الورتبيت وعلى الشماس شكرو وكان الباشا ظالماً متنوع الخيرات فارسل مباشراً (الى ماردين) يطلب الورتبيت والشماس (شكرو). وفي يوم وصول المباشر كان كهيا الباشا قد جاء من بغداد ونزل عند الحاكم. فاجتمعوا اعيان البلد كلهم وكتبوا عرضحالاً للباشا ليرسلوهُ مع الكهيا والمباشر وشهدوا كلهم للاب الورتبيت انهُ رجل مبارك شريف وما لهُ شر على احد وانَّ البطرك يعمل عليهِ زوراً وتلبيساً. وكان ابن الجل صرّاف الحاكم وكان قد ارسل معهُ (اي مع البطرك) عشرين كيساً

ليسلّمها للباشا من ميل الميري. فكتب الباشا للحاكم قائلًا: ان لم ترسل لي ابن الطازباز والشماس شكرو اخذت الدراهم من ميل جريتهم (اي بصفة غرامة). قال هذا كل ما علّمهُ ابن الجل. واخبروا بعض اولاد البيعة الذين في باب (اي ديوان) الباشا انَّ اسحيقه خسر اكثر من كيس حتى طالع بيورديًا (١ ثانيًا لتوقيف الورتيت والشماس

فلمَّا جاء المباشر ثاني مرَّة دعا الحاكم الورتيت واراد تسليمهُ فرضي ان يروح هو والشماس شكرو واردتُ انا الحقير ان اروح معهما فمنعني الحاكم وقال: انَّ اسمك ليس هو في البيوردي. والجماعة قالوا لي: اصبرْ فان مسكوا الورتيت تمضي انت فتشتكي على البطرك. فعلّمتُ الشماس شكرو بعض اشياء يقولها للباشا. ولمَّا حضرا قدَّام الباشا سأل الورتيت: ايش انت. اجاب الورتيت: انا رجل مارديني الاصل من طائفة الارمن وهذا البطرك يعتربي ما لهُ عليَّ حكم. ثم قال للشماس شكرو: وانت ايش انت. قال: انا سرياني الاصل وكل اهل ديار بكر تعرفني اني كنتُ رجلًا بازركانًا وانكسرتُ لما صار الموت (الطاعون) في ماردين فمات اهل بيتي واولادي وبقيت رجلًا ثانيًا فقلتُ لهذا البطرك ان يعملني راهبًا حتى ادعو للسلطان فاراد مني دراهم. فقلتُ لهُ: انت تأكل من باب اسطنبول الى بغداد وما تعطي لبيت المسلمين شيئًا فأنا اريد اعمل هذه البطركية ميري لاني سافرت مرارًا كثيرة الى اسطنبول ونظرتُ انَّ طائفة الروم والارمن وغير طوائف تعطي الميري. فاغتاظ البطرك من هذا الكلام ولذلك جاء واشتكى عليَّ. حينئذٍ امر الباشا بحبسهما وبعث جاب البطرك وسألهُ: كم سنة لك بطرك. قال: سنتان. فقال: ايش تبعث في كل سنة لبيت المسلمين من البطركية. قال: هي إنعام عليَّ. فقال لهُ: لعلَّك اكبر من باشا انا اكون نفر السلطان وأنعم عليَّ بديار بكر والآن أرسل وطلب مني عشرة آلاف عسكري وانت ما تعطي بدلًا للسلطان. قال: لا. فقال الحاكم: هذا الذي اشتكيت عليهِ من طائفتك يريد يبعث في السنة عشرة اكياس فاعطِ انت حساب سنتين عشرين كيسًا ولا تعود تصير بطركًا. ثم امر بحبسه وزنجيره. فبعث البطرك يتوسل من صرَّاف الباشا وكان رجلًا يهوديًا اسمهُ موشان فاتى الى عند الباشا وقطع غرامتهُ عشرة اكياس وكفلها

١) البيوردي من التركية بيورلدي اي الحكم والقرار والبراءة

وسيَّبهُ وسيَّب الورتبيت والشماس شكرو معهُ . فجاء الشماس شكرو الى ماردين واخبرنا بالقضيَّة . وبعد كم يوم جاء الورتبيت فاعطوهُ الكاثوليك كل واحد على قدر طاقته بمحبَّة عظيمة . فبقي زماناً في ماردين جالساً ومتسلطاً وما كان يُرائي احداً وما كان عندهُ لا كبير ولا صغير ولا غني ولا فقير وكان دائماً مجتهداً ان يكسب للبيعة جميع الناس

فاتفق انَّ يوماً من الايام رحتُ انا الحقير الى قلايتهِ وكان والدهُ القدسي (١ مراد حاضر عندهُ فقال لحقارتي قدَّام ابنهِ الورتبيت : « اما تقصرون رجالكم فرد زمان من الرواح والمجيء لعند ابني . أما تنظرون ما عمل بطرككم معنا ؟ » . فلما سمع ابونا الورتبيت هذا الكلام من فم ابيهِ تحرَّك بالروح القدس وجلس على ركبتيهِ ويديهِ الاثنتين قال لابيهِ : اسكت يا ابي انت لا تدري ما تقول . واراد ان يطرد والدهُ من القلاية ثم قال لهُ : انا اريد ان أسفك دمي قدَّام هذا الشماس وانت تقول لهُ : قبِّل رجلك . فقال والدهُ : اخطأت يا ابانا فاغفر لي . فاجاب الورتبيت : « انت تخاف على مالك وبيتك وما تخاف على نفسك ؟ انا ارسلني الحبر الاعظم ووضع هذا الخيط الاحمر في رقبتي علامة اني اسفك دمي لاجل ايمان البيعة المقدَّسة افيمكن أن لا أكرم هذا الشماس وهو رأس قبيلة » . فلمَّا سمعت هذا الكلام منهُ صرت ارتعد وابكي على قدميهِ وقلت لهُ : يا سيِّدنا حقًّا حقًّا انا واقف (اي ثابت في الايمان) الى حدّ الموت بقوَّة الله تعالى وعناية البيعة المقدَّسة وبركة صلواتك

وبعد زمان اشاروا بعض الناس على الورتبيت ان يرتحل من ماردين على قدر ما تنساهُ الظلَّام . فعاد الى دياربكر وسافر من دياربكر الى اسطنبول وتركنا غنماً بلا راعٍ . واذ لم يكن يوجد احد من طائفتهِ كاهناً كاثوليكياً ليقضي امور رعيَّتهِ اوصى بهم القس موسى الكلداني (٢ من بيت الحصرم وطلب منهُ ان يقضي لوازمهم الروحية

وبعد ذلك جاء اسحيقه (البطرك) الى ماردين وابتديتُ اهدمهُ في الاسواق وفي القيصريَّة واحكي عنهُ اشياء ليست كاذبة بل صادقة واقول عنهُ انهُ عدوّ السلطان وانهُ يسبُّ الحنفاء وانهُ يقول انَّ الله تعالى بطبعهِ الشريف اللطيف قد مات واشياء

١) نصارى ما بين النهرين يلقبون باسم القدسي كلَّ من يزور القدس الشريف تعظيماً

٢) وفي هذا دليل على وجود كاثوليك من الكلدان في ماردين في ذلك الوقت

اخر غير هذه ليس حاجة ان نكتبها. فكانوا اهلهُ يروحون ويحكون لهُ كلامي. فأرسل وتوسّل الى الخواجا اسحاق ان يرسلني لانهُ بعث خلفي وما رحتُ. فالزمني الخواجا اسحاق ان اروح اليهِ مع واحد من خواجكيَّة اليعاقبة

*

وبعد هذا جاء مار يوسف الثاني (١ من دياربكر ففي اليوم الذي وصل راح اسحقه اليهِ بهدايا كبيرة وسلَّم عليه. وبعدهُ ارسل لهُ المطارين اجمعهم واحدًا بعد واحد ثم امر الثلث مراعيث ان يروحوا اليه كلهم ويسلّموا عليه ويقبّلوا يدَيه كل يوم مرعيث ووكيلهم معهم والشمامسة والخواجكيَّة كلهم راحوا بهدايا الى عند مار يوسف وانا الحقير ما رحتُ. وكان مار يوسف كلَّ يوم يسأل عني لانهُ لم يكن يعرفني بالوجه بل بالاسم ويقول: لماذا لم يجئ الشماس اليَّ. ثم قال للخواجا اسحاق: ألعلَّ هذا الذي يقال لهُ الشماس ايليًا ابن الكزير ليس هو في البلد. فقال لهُ الخواجا اسحاق: ما جاء اليك؟ قال: لا وانا مشتاق لاعرفهُ. فجاء الخواجا اسحق من عندهِ صباح الاثنين واجرني في القيصريَّة فدعاني على جانب وقال لي: يا شماس لماذا لا تروح لعند مار يوسف البطرك. فقلت لهُ: الآن يروح اليهِ غير الناس فاذا كلوا الرواح انا اروح بعدهم فقال لي: روح الآن لانهُ يشتهي اليك وانا جاني من عندهِ فسألني عنك ولازم لن تروح

وحت واجرني الزاعور (٢ في الحوش فطلع واخبر البطرك فنزل مار يوسف قدامي الى الحوش واحتضنني قائلًا وهو يمزح: انت هو الشماس ايليًا هادم الكنائس؟ فقلت: «انا هو عبدك. وسليمان الحكيم يقول: للبنيان وقت وللهدم وقت». فمسكني بيدهِ محبة عظيمة واصعدني الى قلّايتهِ وامر ان تُغلق الابواب وترضع السفرة. وبدأ يتكلم معي فقال لي: يا شماس لمَ بطرككم هذا يريد ان يصير كاثوليكيًا. فقلت لهُ: من اين تعرف يا سيدنا. فقال: «قد اظهر لنا محبة كبيرة في هذا البلد وقد كان بقي في دياربكر سنتين وما زارني ولا يومًا واحدًا ولا انا زرتُهُ. واوَّل يوم جئت الى ماردين جاء زارني وارسل جميع المطارين والقسوس والشمامسة والخواجكيه فجاؤوا وزاروني بالهدايا وأروني محبة كبيرة». فجاوبت للبطرك انا الحقير وجبتُ لهُ مثلًا من

١) هو البطريرك الكلداني الكاثوليكيّ الجليل تجد ترجمتهُ في المشرق (٣: ٨٨٠–٨٨١).
٢) الزاعور (والصواب ساعور لفظة سريانيَّة (صحدوا) بمعنى المدبّر والقندلفت

كتاب الثعالب(١ : « قالوا انَّ اسدًا وذئبًا وثعلبًا اتفقوا جميعًا ومضوا ليصيدوا فلقوا ثلاث غنمات فقال الاسد للذئب: اقسم . فقال الذئب: الغنمات ثلاث فلكل واحد منا واحدة . فلطمهُ الاسد وقلع عينيهِ . فقال للثعلب: اقسم . قال الثعلب: أيها الملك انَّ هؤلاء قد قسمهم الله فالغنم ثلاث والثلاث لسيدي الملك واحدة لغدائك وواحدة لعشائك والثالثة لتتغدّى بينهما وان فضل شيءٌ تأكلهُ العبيد . فقال الاسد للثعلب : من علّمك هذه قسمة الحق . قال: تعلّمتها من عينَي الذئب اللتين زُجّتا الى برًّا . فكذلك يا سيّدنا ما علّم البطرك اسحيقه هذه المحبّة الّا الاكياس التي راحت عليهِ في ماردين وديار بكر » . فحينئذٍ احتضنني وعانقني ثم قال لي: قد ارسلوا لي كتابًا عتيقًا بالسرياني على رق غزال هل تحسن ان تقرأ فيهِ . فقلت: لازم قليل . ففتح الكتاب وقال : اقرأ وفسّر . فقرأتُ وفسّرتُ . حينئذٍ قال: أريد ان ارسلك قسًّا واسقفًا . فقلت لهُ : ما انا مستأهل . قال: غدًا يوم الاحد اريد ان أرسم ابن اختي الشمّاس قرياقوس كاهنًا واريد ان ادعو البطرك والمطارين والقسوس وجميع اليعاقبة واخلي الخوجا اسحق يتكلّم معهُ حتى يرسلك فاذا رسلك يدعونا لحضور رسامتك فاجعل نيّتك مع نيّتي وانا ارسلك

وبعد ذلك رحتُ من عندهِ وكنت كل يوم في السوق اهدّد (اقرّع) اليعاقبة بقبائحهم وهم يغضون ويخبرون البطرك وكان يرسل يدعوني وانا امتنع . فدعاني الخوجا اسحق وقال لي: لماذا لم تروح روح واتكلّم معهُ مثل ما تريد . فيوم السبت رحت الى عندهِ وكان عندهُ ناس كثيرون من النصورانيّة (٢ وكان هناك المطران صليبا فلاقاني وقال لي: شدّ ظهرك وهزّ الشلاق (٣ عليهم لأنهم قد ماتوا منك

فصرف البطرك الذين كانوا عندهُ ثم دعاني وتلطّف معي وملّقني قائلًا: يا ولدي نحن ايش عملنا معك كي تهتكنا في الاسواق قدّام المسلمين لمأنا نحن عابدون للاصنام فقلت: لستم عابدين للاصنام لكنّكم مقطوعون من الكنيسة المقدّسة . فقال لي: حاشا وكلّا فنحن مطيعون للكنيسة وسيدنا البابا هذا الواقف (الحالي) قد باركنا انا وخالي

١) اي من امثال الحيوانات كامثال لقمان

٢) قوم من اليعاقبة شديدو التعصّب بالشيعة اليعقوبيّة

٣) الشلاق شبه المارج او هو مثلاة الفقراء . واراد بهزّهِ نفضهُ ومجازًا المجاهرة بفكره وخفايا قلبهِ

ايضاً يوماً من الأيام اذ كنّا طايرين على كنيسة السريان التي في رومة وكان الاسقف سفر (اثناسيوس) قد ابتدأ القدّاس فدخل البابا الى البيعة وامر ان يبدأ القدّاس من اوّلهِ فقدّس الاسقف كعادة السريان وبعد خلوص القدّاس امر البابا ان يخبروهُ لهُ كلمة بكلمة. فلمّا فسّروهُ قال: اذا كان قدّاس السريان هكذا فلماذا هذا الخصام بينكم وبين اليعاقبة. قالوا: انهم يذكرون ديوسقورس وبرصوم واتباعهم. فقال البابا: هذا لا يضرّ اتركوهم ان يذكروهم. ثم باركنا وبارك طائفتنا. فقلت لهُ: اروني (أرني) نيشان البابا وايش ما رسم اقبلهُ

واذ نحن نتكلّم هكذا جاء القس موسى الكلداني وابصرني هناك فقال للبطرك: انّ سيّدنا مار يوسف يسلّم عليك ويطلب ان تأخذ معك غداً الطارين والقسوس والشمامسة لتحضروا في كنيسة باهرمز (١ لانهُ يريد ان يرسم ابن اختهِ قسّاً. فاجابهُ قائلاً: «سمعاً وطاعة انا اروح ولجيب معي مطرانًا واحدًا وقسّيسين او ثلاثة حتى لا يصير ثقلة عليكم. ولكن يا قس موسى نرجو منكم ان تكلّموا هذا الشمّاس لانهُ يقول لنا: ارسلني قسّيساً واعطني بيعة باشقه (٢ واني ما اقبل ذكر الذين تذكرونهم أفاهل هذا يصير؟» اجاب القس موسى وقال لحقارتي: واجب يا اخانا الشمّاس ان تتبع بطركك. فقلت لهُ: روح دبّر على نسطورك (٣ فهذاك مثل هذا. فنهض وقال: الله يعوّن عليكم. ثم قال لي البطرك: لا بقيت تتكلّم بشيء وانا ارسلك واعمل ما تريد. فقمت وخلّيتهُ وجئتُ

ويوم الاحد من الصباح رحت الى (كنيسة) باهرمز ونظرت البطرك قد جاء وجاب معهُ مطرانًا وقسّيسين وشمامسة كثيرين واجتمع في الكنيسة خلقٌ لا يحصون من الثلاث الطوائف ونصبوا كرسيين في باب الهيكل للبطركين ولبس مار يوسف لباس الكهنوت ولبس التاج وقام كزّ وكان الناس صامتين حتى كنت تظن انهُ لا يوجد احد في الكنيسة وكزّ على شرف الكهنوت وكان كاروزًا ماهرًا معلّماً ذا هيبة وسطوة

١) والصواب مار هرمز. وهو القديس هرمزد الشهير الذي على اسمهِ مشيّدة كنيسة الكلدان في ماردين وهي قديمة جدًّا

٢) لفظة تركيّة بمعنى منفردة ومستقلة

٣) يشير الى اصل الكلدان المرتدّين عن شيعة نسطور

حتى تظنّ انهُ مالك من الملوك . ثم امر بجلوس الناس جميعاً الكبار والصغار وانَّ الشمّاس قرياقوس يبقى وحدهُ قائماً حتى يبصره الكل فقال : يا قرياقوس : لماذا هؤلاء الشعب كلهم جلوس ؟ وانت وحدك قائم ايش تطلب أتتمنّى ان تصير كاهناً ؟ اجاب وقال : نعم . قال لهُ : الكاهن لازم ان يكون مزيّناً بكل الخصائل الممدوحة قاهراً لاعدائهِ الثلاثة اي الشيطان والدنيا والجسد وخصوصاً الجسد هو عدوّنا الكبير لأننا اذا قمنا يقوم معنا وان جلسنا يجلس معنا وان اكلنا يأكل معنا فان كان جرّبت ذاتك وتقدر ان تملك جسدك فتقدّمْ وصيرْ كاهناً . ثم سألهُ اشياء كثيرة ما تقدر ان نصفها واحدةً بواحدة لاجل التطويل ثم قال لهُ : قولْ ايمانك

فقال : « انا اومن بالثالوث الاقدس الاب والابن والروح القدس وآمن انَّ احد الاقانيم اي الاقنوم الثاني تنازل من اعلى السماء وحلَّ في بطن سيدتنا مريم العذراء واخذ منها الطبيعة الانسانيَّة بجملتها اي الجسد والنفس الناطقة باتحاد الاقنوم الالهي ولتقرير هذا الاتحاد يكون المسيح واحداً بعينهِ إلهاً كاملاً وانساناً كاملاً ابن الله وابن البشر وانَّ الطبيعة الواحدة لم تنقلب من الاخرى او تستحيل الى الأُخرى او تمتزج بالأُخرى بل في هذا الاقنوم الواحد حفظت الطبيعتان الكاملاتان اي اللاهوتيَّة والناسوتيَّة خواصّهما ولهما مشيئتان وفعلان حتى ان المسيح هو واحد فقط . واومن بالبيعة المقدَّسة الجامعة الرسوليَّة الرومانيَّة وانَّ رئيسها هو الحبر الاعظم سيدنا البابا واعتقد ان جميع الخارجين عنها ما ينالون الخلاص . وأومن بكل ما تؤمن هذه البيعة المقدَّسة واحرم كل ما تحرم ولجميع الخارجين عنها » . فقال لهُ مار يوسف : هذا هو ايمانك . قال : نعم . قال : يشهد عليك الله وملائكتهُ وهذا اخونا البطرك الواقف والمطارين والقسوس والشمامسة والشعب . اجاب : نعم . حينئذٍ رسمه

وبعد ما رسمهُ طلعوا الى القلّاية (اي الديوان) وما رحت معهم بل رحتُ الى البيت . فبعد ما اكلوا وشربوا قال اسحيقه لمار يوسف وللخواجكيه : هوذا قد اكلنا معكم بكل محبة وايش ما في قصدكم نحن نعمل ولكن مرادي منكم فرد شي . فقالوا : ما هو مرادك فنحن نقضيه . قال مقصودي ان تخلّصوني من يد ابن الكزبر . فاجابهُ الخواجا اسحاق : ماذا عمل بك . ايش هو قولهُ . فقال : هو افرنجي . فقال : نحن ايش . فسكت فاجاب مار يوسف وقال : من يكون هذا الذي تقول عنهُ . فقالوا لهُ : الشمّاس

ايليا . قال : اين هو لابصرهُ . قالوا : كان في البيعة وما قبل يطلع الى فوق (اي الى الديوان) فقال : « يا اخانا البطرك هذا عجب عظيم من هو هذا الشماس حتى تقول خلّصوني منهُ فلو كان هذا بطاركاً وقاوك او مطرانًا واراد ان يرسم عليك بطاركاً فكان فرض علينا ان نعاونك » ثمَّ ضرب لهُ مثلًا فقال : « اسمع يا اخانا ان سبعة (لبوَّة) من السباع ولدت اسدين وربَّتها سنتين وراحت حتى تجيب لها صيدًا فصادهما صيَّاد واذا هما قدَّام باب المغارة يتصاعقان (يزأران) مع بعضهما فضربها تفنكة (١ فقتلها جملة وجرَّهما الى تحت شقيف بعيد عن المغارة وسلخ جلدهما وذهب وراح . فلما جت (جاءت) امُّ الاسدين وجابت لها الصيد وطلبتها في المغارة لم تجد افراخها فالتت الصيد وخرجت تدور عليها فلمَّا لاقتها تحت الشقيف مسلوخين الجلد بدت تكهر (بدأت تزأر) وتنمر (٢ وعرفت انَّ هذا عمل الانسان فقالت : ها اني ذاهبة لانتقم من ابعداني فأفترس كل انسان القاهُ . فخرجت واذا بامّ ثعالب فسألت اللبوَّة : ما دهاكِ واي بليَّة حلَّت بكِ . قالت : دعيني فاني كنت ربَّيت لي ولدين فانظري ما صنعوا بهما . فقالت امّ الثعالب : اسمحي لي أيتها الملكة بأن اسألك سؤالًا واحدًا يلين حزنك . بماذا كنت تغتذين منذ سكنتِ هذه الامكنة . قالت اللبوَّة : بلحم الحيوانات . قالت ام الثعالب : اوما كان لهذه الحيوانات أمهات . قالت : نعم . فقالت امّ الثعالب : فكما انت ابكيت تلك الأمهات كذلك من العدل ان تبكي انت

« وهكذا انت يا اخانا البطرك فكم وكم ابتليت رجال طائفتك الصالحين كالبطرك بطرس (٣ والمفريان اسحاق (٤ والمطران رزق الله (٥ وغيرهم الذين ماتوا في

---

١) التفنكة لفظة تركيَّة بمعنى البارودة والبندقيَّة

٢) هنا وقع من نسخة حضرة الخوري يعقوب حلوجي ورقة فاختصرناها عن نسخة الموصل التي نشرها بالافرنسية حضرة الاب شيل

٣) هو اغناطيوس بطرس السادس الذي خلف اندراوس اخيجان سنة ١٦٧٨ ونُفي بمكايد اليعاقبة من حلب الى آمد وكان وقتئذٍ مطرانهم اسحقه المذكور هنا ومات البطريرك في حبسهِ سنة ١٧٠٢ (اطلب الآثار الخطيَّة للآب انطون رباط اليسوعي المجلد الاول صفحة ١١٦)

٤) يريد ابن جبير المارّ ذكرهُ

٥) هو المطران الكاثوليكي رزق الله امين خان الحلبي الذي نفي الى آمد مع اغناطيوس بطرس ومات عند وصولهِ اليها في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٧٠١ (اطلب الآثار الخطية صفحة ١١٦)

المنفى بسببك. فجازاك الرب بهذا الشماس ليعاقبك على يده. امّا نحن فلا سلطة لنا عليه»

وبعد هذا ارسل البطريرك اسحيقه اليّ احد القسيسين يقول لي (١: «اني اريد ان اعمل ضيافة في الدير (اي دير الزعفران) لمار يوسف (بطرك الكلدان) وللخواجكيّة بجملتهم وانت تحضر ايضاً فنتكلّم معك ونرسمك واعمل ما تريد». فلما كانت ليلة الاحد دعا مار يوسف الى الدير ودعا الخواجكيّة كلهم. فوقت المساء اذ هم على سطوح الدير كلهم وناولوني (الشراب) لاسقي (الجماعة) قال لي مار يوسف باللسان السرياني: «ما احسن وابهج اذا سكنوا الاخوة سويّة» (مزمور ١٣٩: ١) فرديت (اي اجبت) انا ايضاً بالسرياني: انّ للاخوة الصافيين يستحقّ الذكر. فاغتاظ البطرك اسحيقه مني وقال: كل كلامك طعن فاجاب الخواجا اسحق وقال لمار يوسف: ايش قلتما حتى انتبن (تكدّر) البطرك. فقال مار يوسف: خلِّ الشماس يفسّر. فقال لي: فسّر يا شماس. قلتُ: قال مار يوسف آية داود: ما احسن وابهج ان يكون الاخوة جميعاً. فاجبتهُ انا وقلتُ: انّ للاخوة الصافيين يستحقّ الذكر. فقال الخواجا اسحق هؤلاء ما هم صافيين (صافون). قلت: لا. غداً مار يوسف يقدّس والبطرك (اسحيقه) يقدّس وكل واحد يحرم الآخر. فقال الخواجا اسحق: حقّاً هو هكذا

وثاني يوم تركوا مار يوسف يقدّس في الهيكل الكبير وهم قدّسوا في بيعة السيدة وصار خلوص القدّاس طلعوا وقعدوا خاف القبّة (٢ وجلس البطركان واجلساني بينهما (٣ . . . فقال الخواجكية للبطرك: غداً ارسمهُ في الصباح ونحن نكفلهُ انّهُ ما بقي يحكي بهذا الكلام. فقال البطرك: اني ارسمهُ لكن اريد منهُ ان يعطيني حجّة. فقلتُ لهُ: من هو الذي ارتسم بحجّة فهل تريد تعطيني مُلكاً حتى أُعطيك حجّة؟

حينئذٍ تغدّوا وقاموا من الغداء وطلعوا الى مار يعقوب (٤ بجملتهم وانا ما رحت معهم. فلما كان وقت الظهر نظرت قد جاء راهب ومعهُ ورقة من مار يوسف

---

١) من هنا وما يلي مأخوذ من نسخة الاب يعقوب وهو ناقص في النسخة الموصليّة فلم يترجمهُ حضرة الاب شيل الى الفرنسويّة وبهذا الخلل انتقض المعنى

٢) اي قبّة كنيسة دير الزعفران

٣) هنا في الاصل بعض اسطر التبس معناها ولعلّها محرّفة فاضربنا عنها

٤) دير مار يعقوب فوق دير الزعفران يبعد عنهُ نحو نصف ساعة

والخواجكية انهُ لازم تقوم تركب وتجيء الى مار يعقوب وقد اقنعنا البطرك ان يرسلك : فقمتُ ورحت مع الراهب في الوقت . ونحن في العشاء تكلّم ايضاً البطرك بكلامهِ السابق وطلب كتابة حجّة وانا قلت لهُ : اريد كنيسة باشقه . وما اتفقنا . وثاني يوم اخذوني الى سيّدة الناطفة (١ جميعاً . فلمّا تغدّوا وبعضهم ناموا اخذتُ مار يوسف ليدور الدير . فلمّا وصلنا الى عند احد رهبانهم المسمّى عزّو رأيناه جالساً على فراشه فقلت لهُ : قبّل ايدي ابينا البطرك . فمسك يدي وقال : انا ما اقبّل الّا هذه اليد التي طرحت كل هؤلاء الحمير في الجبّ . فلمّا سمع مار يوسف هذا الكلام قال : حقّاً يقول هذا الراهب فانهُ جعل كل جماعتهِ حميرًا باجمعهم لا شكَّ فيهِ . وكانت صفة هذا الراهب عجيبة فانهُ كان غليظاً جدًّا اذا ربض اشبه الفيل وديرهُ (ثندوتاه) مثل حالوبة البقر وكان في وسطهِ زنّار من جلد سميك عرضهُ شبر وحلقاته من حديد وطول الزنّار كان يزنّر اربعة رجال . وجلس البطرك جنب الراهب واستخبره عن عمرهِ فقال انهُ في السنة التي خرج فيها السلطان مراد الى بغداد كان شابًّا ابن خمس وعشرين سنة (٢ . وفي تلك السنة جاء وصار راهباً وحكى عمّا رأى من الخصومات بين البطاركة . وسألهُ مار يوسف هل تعرف شيئاً من الصلاة . قال : ابدًا ولا قراءة ولا صلاة . وقال لهُ : قل ابانا الذي في السموات فقال منها كلمتين او ثلاث كلمات ثم قال : ما اعرف شيئاً . فالتفت اليَّ مار يوسف وقال : « هذا عجب عظيم انهُ من مدّة هلقدر زمان وسنين هذا الراهب هنا وفات عليه هلقدر بطاركة ومطارين ورهبان وما قدروا يعلموه الصلاة . فحقًّا حقًّا انَّ النعمة مختلية عن هذه الطائفة وهذا الراهب بالحق سمّاهم حميرًا . ثم تركناه

وعند العصر اذ كنّا تحت (دير) الناطفة وقد اكلوا وشربوا وطابت نفوسهم حضر هناك المطران الكركي فتخاصم معي وقال : « تريد تقفل الدير والكنائس وتحلق (وترمي) مفاتيحهم قدّام الامير ولو رحنا كلنا تحت السيف ما نرسلك » . فحرتُ وقمت ركبت فرسي وجيت فقال بعضهم : راح يشتكي وان كان اشتكى نعطي

١) من مزارات البعاقبة قريباً من ماردين وهو فوق دير مار يعقوب يُدعى بالناطفة لأن الماء يقطر من جدرانهِ

٢) يريد مراد الرابع الذي حارب العجم وفتح بغداد سنة ١٦٣٤ وتوفي سنة ١٦٤٠ . فيكون عمر الراهب نيّفاً ومائة سنة

بريته (غرامته) التي قرش من كيس البلد ونصابهُ . فقوّى قلبهم . وانا جيت الى بيتي وقاموا الخواجكيّة كلهم وجو (وجاؤوا) يوم الاربعاء عند السحر . وراح الكركري عند الامير واشتكى عليّ وكنت في البسط في آخور بيت القاضي فجاء الچاويش خلفي (اي جاء يدعوني) وقال لي: الامير يريدك . فرحت معهُ . وودّاني برّاني الى الزنجير (١ (لهُ بقيّة)

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(محمّد سليم القصاب) ومن فرسان حلبة الادب بين مسلمي الشام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمّد سليم بن انيس الشهير بالقصّاب حسن . طبع له ديوان في دمشق في مطبعة الجمعيّة الخيريّة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١) فمن اقواله الجيدة ما قالهُ من قصيدة في السيّد عبد القادر الجزائري واولادهِ :

لمّا بأرض الشام حلّ ركابهُ ... ناديتُها باهي البلادَ وفاخري
أنموا بنا فالروم جلّق اصبحت ... دار الخلافة وهو عبد القادرِ
يا دوحةً طابت مغارسها فلم ... تُثمر سوى ليثٍ وشبلٍ كامرِ
من كل شهم في الانام محمّدٍ ... يعنو الى علياه كلّ مفاخرِ
مولاي محي الدين مصباحُ الهدى ... ذاك العليّ الشأن احمد شاكرِ
فكأنّهم لمّا تبدّوا حولهُ ... اقمارُ تمٍّ حولَ بدرٍ سافرِ
أكرم بهِ فرعاً يُفاخر فرعهُ ... باصولهِ فالكُ السماء الدائرِ
لا زال في اوج المدارج نجمهُ ... يسمو بمجدٍ ما لهُ من آخرِ

١) الى هنا كان الناقص من نسختنا الاصلية فاستعرناهُ من نسخة القس يعقوب حلوجي

وقال في جنينة شادها مدحت باشا لاهل دمشق دعاها جنينة الملّة سنة ١٢٩٦

هذه غرفةُ انسٍ ازلفت في رُبى الشام نمرُ الناظرينْ
قد بدت ازهارها تثني على بِدْحَتَ العلياء صدر الاعظمينْ
شادها للملّة الغرّاء قُلْ فادخلوها بسلام آمنينْ

ومن رثائهِ قولهُ في وجيه قومهِ حسين بَيْهم لمّا توفي في بيروت سنة ١٢٩٨:

هوى الكوكب الدرّي من أفق العلى فجرَّ القضا ذيل الظلام وأسبلا
مصاب كسى بيروت بُرد حدادها وحقّ لها بالحزن ان تتسربلا
فما كان الّا روحها وحياتها وقد اصبحت من بعدهِ جسداً بلا . .
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسّلا
اقيموا بني الآداب واجب نَعْيهِ فلم يبقَ ما للنفس ان تتعلّلا

وختم المرثاة بقولهِ:

فلمّا دعاهُ الله جلّ جلالهُ الى جنّة الفردوس لبّى مهلّلا
فقال بشير العفو تاريخهُ زها حسينُ المعالي فرَّ في جنّة العلا

ومن محاسن وصفهِ قولهُ في وطنهِ:

يا الشام الّا جنّة الامصارِ ترهو بغوطتها على الاقطارِ
حصباؤها الدرُّ النضيدُ وترْبها م الكافورُ والبلّورُ فيها جاري
فيها الرياضُ الزاهرات محاسناً فاقصض بنا نشقْ شذا الازهارِ
قد هبَّ فيها الريحُ يرقص غصنها والطيرُ غنّى في عُلى الاشجارِ
وتفجّرت فيها المنابعُ انّما ذوبُ اللُجَيْن بجدول الانهارِ
هي موطني دون البلاد وينبغي فيها انتعاشي وانقضا اوطاري
يا شامُ انتِ شامةُ الدنيا التي قد فاح عنبرُ طيبها المطارِ

(السيّد محمود حمزة الحسيني) هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة اصلها من حرّان ترقي نسبها الى الحسين. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٢٣٦ وفيها توفي سنة ١٣٠٥ (١٨٢٠—١٨٨٧) واكبَّ منذ صغرهِ على العلوم اللغويّة ثم انقطع الى العلوم الفقهيّة فاصبح فيها اماماً ومعظم مصنّفاتهِ في الدين وفي كل ابواب الشرع الّا القليل منها كاعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان. ولهُ قصائد حسنة وقد شرح بديعيّة لوالدهِ وعُرف بحُسن الخطّ . وكان السيّد محمود رجلاً مهيباً جليل القدر كريم الطباع تولّى الإفتاء في دمشق دهراً طويلاً وقد اظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة

١٨٦٠ مروءة اجازتهُ عنها الدولة الفرنسوية ببيبة سنيَّة. وقد اجتمعنا مع السيّد محمود في دمشق غير مرَّة فلقينا منهُ شيخاً واسع المدارك غزير الاداب. ولهُ في تقريظ كتابنا مجاني الادب رسالة تنبئ بحسن ذوقهِ وتقديرهِ للمشروعات الادبيَّة . وفيهِ يقول محمَّد القصَّاب بمدحهِ

مفتي الانام سليل المجد ملجأنا تاج النظام فخار الفخر ذو الهمم
ماضي العزائم لا ندٌّ يضارعهُ بالامر والنهي والاحسان والكرم
بحر المعارف بالامواج زاخرهُ يلقي لنا جوهر الارشاد والحكم
في كلّ فنٍّ لهُ باعٌ يعيد بهِ ما شتَّ ادراكهُ عن حاذق فهم

(الامير عبد القادر الجزائري) نختم ذكر ادباء اعلام الشام في آخر القرن التاسع عشر بحسيني آخر عاش زمناً طويلاً في دمشق وان لم يكن اصلهُ منها نريد السيّد الاجل والامير المعظم عبد القادر الجزائريّ فانهُ وان كان من رجال السيف الَّا انهُ كان ايضاً من فرسان القلم. كان مولد هذا الامير في القيطنة من قرى ايالة وهران في بلاد الجزائر سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) درس العلوم اللسانيَّة في حداثتهِ على اساتذة وهران ثم رافق والدهُ في رحلتهِ الى الحجاز والشام والعراق وعاد الى وطنهِ فعكف على العلوم الخاصَّة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة ١٨٣٠ تلافياً لاهانة لحقت هناك بسفير ملكهم كارلس العاشر واحتلوا جهاتها فانتشبت الحرب بين اهلها والفرنسيس وبايع الجزائريون للامير عبد القادر فقاموا معهُ قيام الابطال دفاعاً عن اوطانهم وكانت تلك الحرب سجالاً تارةً لهم وتارة عليهم ودامت خمس عشرة سنة أُلجئ الامير بعدها الى التسليم فسلَّم واتي من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وجعلوا لهُ راتباً سنويًّا ثم تنقَّل مدَّة في مدن فرنسا وغيرها الى ان اتخذ لهُ دمشق سكناً في سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) فطابت لهُ هناك السكنى وفيها توفي في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ (حزيران ١٨٨٣) ومن مبرَّاتهِ جازاهُ الله خيراً دفاعهُ عمَّن احتمى في دارهِ من نصارى دمشق في مذابح سنة ١٨٦٠ وكان عددهم نحو اربعة الاف. وكان الامير عبد القادر مغرى بالعلوم محبًّا للعلماء يعظّمهم ويحسن اليهم. قيل انهُ كان يبلغ ما يوزّع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر. ولهُ تآليف مفيدة في التصوُّف وعلم الكلام وبعض كتب ادبيَّة منها « ذكر العاقل وتنبيه الغافل ». اتمَّهُ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤). وقد نقلهُ الى

الفرنسويّة المستشرق غوستاف دوغا (G. Dugat) فطبعهُ في باريس سنة ١٨٥٨ وكان للامير سليقة جيّدة في نظم القريض . ومن قصائده رائيّة اوّلها :

أسعودُ جاء السعد والخيرُ واليُسرُ ... وولّت ليالي النحس ليس لها ذكرُ

ومنها قصيدة حماسيّة كان يتمثّل في معاركه باحد ابياتها الفخريّة :

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي ... وبي يحتمي جيشي وتُحرَسُ اجالي

ومن ابياته الفخريّة قوله يذكر فيها احد ايامه لمّا حارب الفرنسويين :

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمّعا ... ولا فخر الّا ما لنا يرفع اللوا
مناقب مختاريّة قادريّة ... تسامت رعيّاسيّة مجدها احتوى
فان شئتَ علماً تلقني خير عالمٍ ... وفي الروع اخباري غدت تومن القوى . . .
ونحن سقينا البيض في كل معركٍ ... دماء العدى لمّا وهت منهم القوى
ألم ترَ في خنق الطاح(١ انطاحنا ... غداةَ التقينا كم شجاع لهم لوى
وكم هامةٍ ذاك النهار قددْتها ... بحدّ حسامي والقنا طعنهُ شوى
واشقر تحتي كنّسته رماحهم ... غمانٍ ولم يشكُ الوجى بل ولا التوى
يوم قضى نحبًا اخي فارتقى الى ... جنانٍ لهُ فيها نبيّ الرضى ارى
فما ارتدّ من وقع السهام عنانهُ ... الى ان أتاهُ الفوز رغمًا لمن عوى

ومنها في وصف الحرب :

واسيافنا قد جُرّدت من جفونها ... ولا ردّ الّا بعد وردٍ بهِ الروا
ولمّا بدا قرني يسناهُ حربةً ... وكفّي بها نارٌ بها الكبش قد شوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا ... يولي قوافاهُ حسامي بما هوى
شددت عليهم شدّةً هاشميّةً ... وقد ورّدوا ورد المنايا على النوى

وقد مدح الشعراء الامير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتابًا ضخمًا . ومما قيل فيهِ لاحدهم :

بحر المعارف والدوارف والندى ... ذو الحكمة العليا الكريم النصر
مولى بنيه بهِ الزمان وحسبهُ ... ان لم يفز بنظيرهِ مذ عصر

﴿ ادباء مصر ﴾ لم يبلغ ادباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغهُ ذوو دينهم في الشام واشرنا الى سبب ذلك في ما تقدّم . على انّ مدرسة الازهر بعد الاحتلال الانكليزي كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربيّة نائلة لعصبات السبق في القطر المصري رغمًا عمّا اصابها من التأخر في ذلك الزمن كما اقرّ بهِ ارباب الامر ومن ثم

١) خنق الطاح مكان قريب من وهران حارب فيهِ جيش الفرنسويين

انشأوا سنة ١٣١٢ (١٨٩٤) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتُصلح طرق التعليم

وممّن نالوا بعض الشهرة في اواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الازهر واساتذته الشيخ (مصطفى المروسيّ) الذي تولى ست سنين (١٢٨١—١٢٨٧) رئاسة الازهر ولهُ ما خلا الكتب الاعتقاديّة أحكام الفاكهة في انواع الفنون المتفرّقات توفي سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) ومنهم الشيخ (محمّد المهدي العبّاسي) ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨ م) واشتهر في العلوم الدينيّة وصارت اليهِ رئاسة الافتاء في الديار المصريّة واختارته عمدة الازهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلّدها سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ وعاش الى سنة ١٣١٥ (١٨٩٨) فقال بعضهم مؤرخاً لوفاتهِ

عليهِ دمع الفتاوى باتَ منحدرًا وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدّ
فيا المسائل قد باتت تؤرّخهُ مات المجيب الامام المقتدي المهدي

ومن تآليفهِ الفتاوى المنسوبة اليهِ المعروفة بالفتاوى المهديّة

ومنهم الشيخ (محمّد الانبابي) ألّف عدّة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرّج على يديهِ كثيرٌ ممّن تصدّروا للتدريس. وتولّى مشيخة الازهر مرّتين. كان مولدهُ سنة ١٢٤٠ ووفاته سنة ١٣١٣ (١٨٢٤ — ١٨٩٦)

ومنهم (الشيخ عليش) احد مشايخ السادة المالكيّة في مصر ولد بالقاهرة سنة ١٢١٧ وبها توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٠٢—١٨٨٢) اشتغل بالعلم في الازهر حتى ادرك الجهابذة واخذ عنهُ جلّ الازهريين لهُ تآليف عديدة في الفقه وكتاب مواعظ

ومنهم (حسين بن احمد المرصفي) كان مكفوفًا وبلغ باجتهادهِ الى ان يدرس في الازهر ومن تآليفهِ الوسيلة الادبيّة الى العلوم العربيّة والكلم الثمان في الادب توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩م)

واشتهر غير الازهريين رجال يعدّهم المصريّون كاركان النهضة العلميّة في وطنهم في العشرين الاخيرين من القرن السابق نختصر هنا اخبارهم

(عبد الله باشا فكري) هو احد نوابغ الناشئة المصريّة في القرن الاخير ولد في مكّة اذ كان ابوهُ محمد مرافقًا في الحجاز للجنود المصريّة سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلّع في كل علم وقلّدتهُ الحكومة المصريّة المناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف . وكان سار قبلها في رفقة الخديوي

اسماعيل باشا الى استنبول سنة ١٨٦١ ثم عُهد اليهِ تهذيب وليّ العهد محمد توفيق باشا واخويهِ الحسن والحسين فقام بتلك المهمّة احسن قيام. ولمّا ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنّف للدارسين كتبًا يدرسون فيها ومن خدمهِ الطيبة انهُ لم يزل يحضّ الحكومة حتى انشأت للكتبة الخديويّة التي تُعدُّ من اغنى الخزائن الكتبيّة بالمخطوطات والمآثر العربيّة. ولمّا حدثت الثورة العرابيّة سنة ١٨٨٢ القي القبض على عبد الله باشا فكري وبقي مدّة تحت الاستنطاق الى ان عرفت براءتهُ وبُرئت ساحتهُ وكان الخديوي قد قطع معاشهُ فكتب اليهِ من قصيدةٍ:

مليكي ومولاي العزيز وسيّدي ... ومَنْ ارتجي آلاء معروفهِ العمرا
لئن كان اقوامٌ عليَّ تقوّلوا ... بامرٍ فقد جاؤوا بما زوّروا نكرا
فما كان لي في الشرّ باعٌ ولا يدٌ ... ولا كنت من يبغي مدى عمرهِ الشرّا
نعفوًا ابا العبّاس لا زلتَ قادرًا ... على الامر انّ العفو من قادرٍ احرى
وحسبي ما قد مرّ من ضنك شهرٍ ... تجرّعتُ فيها الصبرَ اطعمهُ مرًّا
يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ... ويعدل منها اليومُ في طولهِ شهرا
أيحمل في دين المروّة انّني ... أكابد في ايّامك البؤس والعسرا

فما لبث أن اعادهُ الخديوي الى مقامهِ السابق فقال يشكرهُ من قصيدة طويلة:

ألا انّ شكر الصنع حقٌّ لمنعمٍ ... فشكرًا لآلاء الخديوي المعظّمِ
مليكٌ لهُ في الجود فضلٌ وتفخرٌ ... على كل منهلٍّ من السحب مرهمِ
ماشكرهُ النعماء ما عانقت يدي ... يراعي او استولى على منطقي فمي
فلا زال عروسَ الحمى متنعّمًا ... مع الخيرة الاشبال في خير أنعمِ

وتجوّل عبد الله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام. ولمّا عُقد في استوكهلم مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٨ اوفدتهُ الحكومة لنيابة عنها وزار معظم الحواضر الاوربيّة وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد الالبّاء الى محاسن اوربّا لكنّ الموت عاجلهُ فتوفي قبل اتمامهِ في اواخر سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) فانجزهُ نجلهُ بعد وفاتهِ. وقد خلّف عبد الله باشا فكري آثارًا ادبيّة جليلة كنظم اللآل في الحكم والامثال والمقامة الفكريّة في المملكة الباطنيّة والفوائد الفكريّة للمكاتب المصريّة جمع فيهِ فصولًا تهذيبيّة حسنة لناشئة وطنهِ ولهُ شرح على ديوان حسّان بن ثابت لم يتمّهُ وقد جمع ابنهُ كثيرًا من كتاباتهِ وقصائدهِ في كتاب دعاهُ الآثار الفكريّة

وصفناهُ في المشرق (١ : ١٨٩) وكان المترجم بارعاً بالنظم والنثر راسخ القدم في بلاغة التعبير وكان بالخصوص اماماً في الانشاءات الديوانيّة فاستخدمهُ خديويّا مصر سعيد باشا واسماعيل باشا في اشغال الكتابة عنهما باللغتين التركيّة والعربيّة الى الملوك والسلاطين. ومن حكمهِ قولهُ:

اذا رُمتَ المروءة والمعالي وأن تلقى إله العرش بَرّا
فلا تقرب لدى الخلوات سرًّا من الافعال ما تخشاهُ جَهْرا

وقال يصف مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من قصيدة:

نادٍ بهِ احتفل الافاضلُ حفلةً بحديثها تتنادمُ الاعصارُ
جمعت لسامن مرّةٍ ممدودةٍ في الدهر لا يُنسى لها تذكارُ
متآلفين بعيدهم بقريبهم والفضلُ اقربُ وصلةٍ تُختارُ
من كل فيّاض القريحة وِردُهُ عذبٌ وبحرُ علومهِ زخّارُ
ومؤزَّرٍ بالفضل مشتملٍ بهِ منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملكُ الفضل معمورَ الذرى بذويهِ ممدودًا لهُ الاعمارُ

وكان اصبد الله باشا ولد تقضّى اثار والدهِ اسمهُ (امين باشا فكري) درس الحقوق في فرنسا ثم عاد الى بلدهِ فتعاطى فن الدعاوي وبرز فيهِ حتى رقّتهُ الحكومة المصريّة الى رئاسة النيابة سنة ١٨٨٨ ثم ولّتهُ قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظة الاسكندريّة حتى انتدبتهُ لنظارة الدائرة السنيّة لكنّ الموت اهتصر غصن حياتهِ فمات سنة ١٨٩٩ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦. ومن تركتهِ العلميّة كتاب مطوّل في جغرافيّة مصر والسودان. وكان رافق اباهُ مع الوفد المصري الى استوكهلم فانجز سفر رحلة ابيهِ كما انهُ جمع مآثرهُ المتفرّقة على ما سبق ذكرهُ ولهُ ايضاً فضلاً عمّا تقدّم رسائل وقصائد لم يُنشر منها الّا النزر القليل

(علي باشا مبارك) هو ايضاً احد اركان النهضة المصريّة ولد من عائلة فقيرة في قرية برنبال من مديريّة الدقهليّة سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) فتقلّبت بهِ الاحوال الى ان توفّق الى دخول مدرسة القصر العينيّ وأُرسل الى باريس فدرس فيها فنّ الحرب ثم أُلحق بالجيش المصري وحضر حرب القريم سنة ١٨٥٤ ثم انتدبتهُ الحكومة المصريّة لوكالات ونظارات ودواوين مختلفة ابدى فيها جميعاً عن مقدرة عظيمة وقد خدم الآداب العربيّة بتنظيم مكاتب القاهرة والبنادر وانشاء مدارس جديدة اخصّها مدرسة

دار العلوم وفتح المكتبة الخديويّة وتولّى نظارة المعارف فاجرى فيها اصلاحات مهمّة وفي آخر حياته اعتزل الاعمال الى سنة وفاته ١٣١١ (١٨٩٣) وله تآليف ذات شأن اجلّها الخطط التوفيقيّة حذا فيها حذو الخطط المقريزيّة فوصف الخطط الجديدة التي أُنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستّة مجلّدات. ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والاوزان وكتاب طلّم الدين في عدّة اجزاء على طرز رواية ادبيّة عمرانيّة اودعها كثيرًا من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافيّة والهندسة والطبيعيّات وغير ذلك ممّا قرّب الى قرّائه فهمهُ بعرض شهي

(الشيخ الابياري) هو الشيخ عبد الهادي نجا الابياري احد الكتبة المعدودين في اواخر القرن السابق. ولد في ابيار في جهات مصر السفلى سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) واخذ عن والده مبادئ الآداب ثم حضر دروس اساتذة الازهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما ولم يزل يكدّ ويجدّ في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينلهُ الّا القليلون من معاصريه فعهد اليه الخديوي اسماعيل باشا تثقيف اولاده وتصدّر للتعليم في الجامع الازهر فذاع صيتهُ في انحاء القطر المصري وجعله الخديوي توفيق باشا إمام الميّة ومفتيها فقام بمهام رتبته الى وفاته سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) وكان يجلّهُ الادباء ويراسلهُ فضلاء عصره وقد جُمعت مكاتباتهُ للشيخ ابراهيم الاحسب في كتاب الوسائل الادبيّة في الرسائل الاحديّة. ومن تآليفه الشهيرة كتاب سعود المطالع في مجلّدين ضمّنهُ كلامًا واسعًا في ضروب العلوم العربيّة. ومنها كتابهُ فتح الاكام في مثلّثات الكلام كمثلثات قطرب. وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذهُ صاحبا الجوانب والبرجيس كحكم ليفصل المناظرات اللغويّة التي قامت بينهما فكتب كتابهُ النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوانب فنظم احمد فارس قصيدتهُ اندلاليّة التي يقول فيها:

ابدى لنا في مصر نجمًا ثاقبًا ... لكن ثناهُ بكل مصر هادِ
فيهِ الفوائد والفرائد فُصّلت ... موصولة البرهانِ بالاسنادِ
ان قال لم يترك لقوّالٍ مدًى ... او صال صال وطال كلّ مُعادِ
هو فيصلٌ في الحكم يرضى فصلهُ ... من كان لم يقنع من الاشهادِ
لولاهُ لم يُقطع لسانُ المفتري ... عنّي ولم يُفصَل جدالُ جلادِ
فلذاك كان على الجوانب مدحهُ ... حقًّا وايضاحًا مدى الآبادِ

(الشيخ عليّ الليثي) كان من اشعر شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة ١٨٣٠

وصرف همّهُ الى العلوم اللغويّة والادبيّة فصار منشئاً بليغاً وشاعراً مفلقاً حتى نظمهُ أولو الامر في سلك رؤساء المعيّة السنيّة ورافق الخديوي اسماعيل باشا في سفرهِ الى الاستانة سنة ١٢٩٠ ومدح السلطان عبد العزيز. وكان الادباء يتسابقون الى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبتهِ . وقد طال عمرهُ حتى توفي مأسوفاً عليهِ في ٢٥ ك ٢ سنة ١٨٩٦ (١٣١٣ هـ). ولهُ منظومات جمّة يُجمع منها ديوان الّا انّها لا تزال متفرّقة فمن محاسن اقوالهِ رثاؤهُ لعبدالله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النقد أعدلُ غداةَ انتقت مولى بهِ الفضل يكملُ
كأنَّ المنايا في انتقاها خبيرةٌ بكسب النفوس العاليات تجمّلُ
فتمَّ لها من منتقى الدرّ حليةٌ جلا العالمُ العُلْويُّ انّا بحلّلُ

ومنها في وصف الفقيد:

لقد كان ذا برٍّ عطوفاً مهذّباً سجاياهُ صفوُ القطر بل هي اسْلُ
رقيق حواشي الطبع سهلٌ محبّب الى كلّ قلبٍ حيثُ كان مبجّلُ
كريم السجايا لا الدنايا تشينهُ عظيم المزايا اذ يقولُ ويفعلُ
شمائلهُ لو قُسّمت في زماننا على الناس لازدانوا بها وتجمّلوا
فقدنا حياهُ ولكنَّ بيننا بديع مزاياهُ بها نتمثّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسهِ سنة ١٢٩٠:

دعْ ذكر كسرى وقيصرَ ان اردتَ ثنا عن قيصر الروم حيثُ النفعُ مفقودُ
واشرحْ مآثر مَن سارت بسيرتهِ وكاتب المجد تحدوها الصناديدُ
مولى الملوك الذي من يُمن دولتهِ ظلُّ العدالةِ في الآفاقِ ممدودُ
عبد العزيز الذي آثارهُ حُمدت ابُ الألى جذّهم في المجد محمودُ
اجاد نظم امور الملك في نسقٍ لا يعتريهِ مدى الازمانِ تبديدُ
وشاد فوق العلى اركانه فغدا لهُ على هامةِ الجوزاء تشييدُ
فلا تَغبْهُ باسلافٍ لهُ كرمتْ والشبلُ من هؤلاء الأسد مولودُ
ففخرُهم عندَ درٍّ وهو واسطةٌ في جيد آل بني عثمانَ معقودُ

ولهُ اللاميّة المشهورة قالها بعد الفتنة العرابيّة مستعطفاً مستصفحاً عن الجُناة:

كلُّ حالٍ لضدّهِ يتحوّلْ فالْزمِ الصبرَ اذ عليهِ المعوّلْ
يا فؤادي استرحْ فما الصبرُ الّا ما بهِ مظهرُ القضاء تنزّلْ
قدرٌ غالبٌ وسرُّ الخفايا فوق عقل الاريب مهما تكمّلْ
رُبَّ ساعٍ لحتفهِ وهو ممّن ظنَّ بالسعي للعلى يتوصّلْ

(السيّد عبد الله نديم) هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنه فأنشأ عدّة جرائد سياسيّة كان يزرع فيها بذور آماله ويُنهض همم مواطنيه حتى لُقّب بخطيب الشرق. ولمّا ثارت الفتنة العرابيّة نُفي من وطنه ثم صُفح عنهُ وبعد قليل اضطرّ الى مغادرة بلاده فتوجّه الى الاستانة ونال الحظوى لدى السلطان وما لبث ان توفي في القسطنطينية سنة ١٣١٤هـ. وكان مولدهُ بالاسكندريّة سنة ١٢٦١ (١٨٤٤—١٨٩٦)

وكان عبد النديم خطيباً لسناً متوقد الذهن صافي القريحة شديد العارضة متفنناً في الكتابة نثرًا ونظمًا له ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغويّة وادبية طُبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم. فمن اقواله ما ذمّ به الخمرة:

طافَ النديمُ بكأسهِ في الحانِ ومشى يزفُّ البكرَ بالالحانِ
برزتْ تُقَهقهُ بين ندمانِ الطلا فخجلتُ اذ ضحكتْ على الاذقانِ
ذلّت لدولة حكمها دول الورى من غير ما حربٍ ولا اعوانِ
خَفَّت فطارت بالعقولِ وخلّفت تلك الجسوم بحالة الحيرانِ
ايُّ المحاسنِ ابصروا في وجهها وهي الشقة من قديم زمانِ
امُّ الخبائث بنتُ عاوج الهوى اخت المشائش زوجة الشيطانِ
من زفّها من خدرها لفؤادهِ صرعتْهُ عند مزالق الاطيانِ
واذا تستّر في ترشّفها بدتْ من فيهِ تفضحهُ لدى الاخوانِ
واذا مشى لبثتْ بهِ عن مكرها فيقال هذي مشية السكرانِ

ومن اوصافهِ الحسنة قولهُ يصف قطارًا بخاريًا:

نظر الحكيم صفاتهِ فتحيّرا شكلًا كطَوْدٍ بالبخار مُسيَّرا
دومًا يحنُّ الى ديار اصولهِ بحديدِ قلب بالهيب تسعّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيدهُ وجدًا فيجري في الفضاء تنثّرا
تلقاهُ حالَ السَّير أفعى تلتوي او فارس الهيجا اثار العثيرا
او سبع غابٍ قد احسَّ بصائدٍ في غابهِ فعدا عليهِ وزمجرا
او انّما شهبٌ هوت من افقها او قبّة المطارِ تنفذ بالعرا

ولهُ في الفخر والحماسة:

اذا ما المجدُ نادانا اجبنا فيظهرُ حين ينظرنا جبينا
فانّا في عداد الناس قومٌ بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلمنا ولكنّا نُحيينا ان نُحينا

وان شئنا نثرنا القول درًّا وان شئنا نظمناهُ ثمينا
وان شئنا سلبنا كلَّ لبٍّ وان شئنا سحرنا المثقفينا

(محمَّد عثمان جلال) هو ابن يوسف الحسني الوفائي ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) ودرس في صغره اللغات في مدرسة الالسن في حي الازبكيَّة ثم دخل سنة ١٢٦١ (١٨٤٤) في قلم الترجمة ثم انتدبتهُ الحكومة لاشغال الكتابة في وزاراتها الى ان استوزرهُ توفيق باشا الخديوي واتخذهُ لصحبتهِ في رحلتهِ الى جهات القطر المصري فكتب تآليفهُ السياحة الخديويَّة وتقلَّد القضاء في محكمة الاستئناف وأُحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاتهُ في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨. وللمترجم عدَّة تآليف: نقل بعضها من الافرنسيَّة كرواية بول وفرجيني وكامثال لافونتين نظمها بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ دونك مثالًا منها وهو مثل البخيل والدجاجة

كان البخيل عندهُ دجاجهْ تكفيهِ طول الدهر شرَّ الحاجهْ
في كل يومٍ مرَّةً تعطيهِ العجَبْ وهي تبيضُ بيضةً من الذهَبْ
فظنَّ يومًا انَّ فيها كنزا وانهُ يزداد منهُ عزًّا
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ وكان في يمينهِ سكينُ
وشقَّها نصفينِ من غفلتهِ اذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزًا ولا لقبَه بل رمَّةً في حجرهِ مرميَه
فقال لا شكَّ بأنَّ الطمعا ضيَّع للانسانِ ما قد جمعا

وكان محمَّد عثمان يحبُّ اللغة المصريَّة العاميَّة فنقل اليها عدَّة روايات تمثيليَّة عن الشاعرين راسين وموليار تصرَّف فيها بعض التصرُّف ومن ظريف شعرهِ قولهُ يمدح الحضرة الخديويَّة العباسيَّة سنة ١٣٠٩:

مَنْ يضاهيكَ في العلى مَنْ يُداني يا عزيزًا لهُ علينا يَدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يعتريها عارضُ الميل فهي كالميزانِ
ويدٌ في العطاء كالنيل قد فا ض بإنعامهِ على البلدانِ

ولهُ في رثاء عبدالله باشا فكري:

همامٌ علا فوق السماك بفكرهِ فمن ثمَّ سمَّتهُ الافاضلُ بالفكري
فتىً غاص في بحر المدارس رأيهُ فاخرج من حصبائهِ غاليَ الدرِّ
وسال غديرٌ من عذوبة لفظهِ فانضج اثمارًا على يانع الزهرِ

زها نجمهُ دهرًا بمصر فلم يَجِدْ قريناً ولكن لا امان الى الدهرِ
ثلاثُ لغاتٍ كالمراشِ حازها جميعتهِ لا بالجهاز ولا المهرِ
من العرب العرباء كان اذا حكى وحرّر بالنظم البديع او النثرِ
وكان لاهل الفارسيّة لهجةٌ بعلومهِ الرومي يحكي ليزدجر (١
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضّلةً من فضل زيد على عمرو
قرا اسفًا واراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداء القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ اورث الناب شبلَهُ ولا كان هذا الناب يخلو من الزأرِ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممّن تخصّصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الاعمال فصنّفوا فيها المصنّفات المفيدة. منهم (محمود باشا الفلكي) ولد سنة ١٢٢٠ في مديريّة الغربيّة وتوفي في مصر سنة ١٣٠٣ (١٨٠٥—١٨٨٦) تقلّب في المناصب الخطيرة وتولّى وزارة المعارف وقد عُرف خصوصاً بتآليفهِ الفلكيّة ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخيّة لاسيما العربيّة ووصف مقياس النيل ولهُ ايضاً بعض التآليف الاثريّة كرسالتهِ في الاسكندريّة القديمة وفي الاهرام وغير ذلك وقد صنّف بعض هذه التآليف في الافرنسيّة فحلّ بين علماء الافرنج محلًّا اثيرًا

ومنهم (محمّد مختار باشا) كان مولدهُ في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ تعلّم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجنديّة وترقى فيها الى رتبة لواء سنة ١٨٨٦ وقد اشتهر في حروب السودان . وكان متضلعاً بالعلوم الفلكيّة والرياضيّة ألّف فيها عدّة تآليف بالعربيّة والافرنسيّة . ولهُ ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصّة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الاميركيّ وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة وسائل حسنة

ومنهم (محمّد علي باشا الحكيم) ولد سنة ١٢٢٨ في مديريّة المنوفيّة وتوفي في الحبشة سنة ١٢٩٣ (١٨١٣—١٨٧٧). درس العلوم الطبيّة فنال منها حظًّا وافرًا الى ان تعيّن رئيساً للمدرسة الطبيّة في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلتهِ الى اوربّا. ولمّا انتشبت الحرب المصريّة مع الحبشة سنة ١٨٧٧ سار مع الحملة الى تلك البلاد وفيها توفي. ولهُ تآليف طبيّة في فنون الجراحة وقانون طبيّ ورسائل مختلفة

وقد اشتهر مثلهُ في الطبّ والجراحة (الدكتور درّي باشا) الذي ولد وتوفي في

١) اراد يزدجرد وهو ازدشير فرخّمهُ

القاهرة (١٢٥٧–١٣١٨=١٨٤١–١٩٠٠) ودرّس في مدرسة القصر العيني وألف التآليف المشهورة في الطبّ كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنّف غير ذلك ايضاً كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدرّية في مآثر العائلة الخديويّة. وفيه قال الشيخ علي ابو يوسف الازهري يمدحهُ :

لو نلتُ في الدهر ما ابغيهِ لم ترَني ... في مدحِ من شئت الّا ناظم الدُّرَرِ
او كنتُ ادلجتُ في المسري فليس الى ... شيءٍ يكون سوى للكوكب الدرّي
او ان ألمّت بي الاسقامُ في زمنٍ ... لم استطبّ سوى بالماهر الدرّي
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ ... الّا ونادى بهِ يا كاشف الضرّ

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضيّات والموسيقى الشرقية (شفيق بك) ابن منصور باشا يكن ولد في القاهرة ١٨٥٦ ومات في عزّ شبابهِ سنة ١٨٩٠ بعد ان خدم العلم مدّة بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفهِ كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في اصول الحساب والجبر والهندسة والهيئة ورسالة في الموسيقى. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات الى غير ذلك ممّا أثار الاسف على فقدهِ قبل بلوغهِ الكهولية

(البقية لعدد آخر)

لمحة تاريخيّة في اديار ماردين

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

لما كان قد اتى على تشييد دير مار افرام السرياني في ماردين خمسة وعشرون عاماً بعثت الرغبة حضرة رئيسهِ الجليل ورهبانهِ الموقرين ان يقيموا ثمة حفلة ينوّهون فيها بايامهم الاولى التي قضوها فيهِ بالنسك والعبادة فخطر لنا في هذه المناسبة ان نكتب كلمة في تاريخ الدير المذكور بعد ان نقدّم عليها لمحة في ما كان في مدينة ماردين وسائجقها من الاديار في القرون الخوالي

١ً نشوء الاديار في ما بين النهرين

ان ما زيّن بهِ النساك بلاد المشرق من المآثر الباهرة منذ منبلغ القرن الثالث للتجسّد يستوجب شكراً وافراً وثناء عاطراً ولاسيما مقدامهم اوجين الذائع الصيت الذي بارح برية الصعيد واقبل بعدد وافر من الزهّاد الى بلاد ما بين النهرين فبشّروا

بالنصرانيَّة وشيَّدوا الكنائس واسَّسوا الاديار وعملوا الاعمال التي لا تنفكّ الالسنة تلهج بالثناء عليها على توالي الأحقاب

ولقد طالما حاول المستشرقون انكار وجود هذا البَطَل العظيم ولكن الآثار القديمة والتواريخ الراهنة ابت الّا ان تؤيّده وتثبتهُ حتى لا تكاد ترى مورّخًا سكت عنه. وقد اجمعوا على انَّ اوجين مرَّ بسوريا واستصحب فئة من ذوي الورع والتقوى وانصرف بهم الى بلاد ما بين النهرين فحطّوا رحالهم بجبل الإزل فوق نصيبين حيث ألفوا مغاور وكهوفًا أووا اليها وجعلوا فيها مقامهم نحو ثلاثين سنة. وكانوا قانتين يحيون الليالي بالادعية الطويلة والتراتيل الرخيمة لا تأخذهم سِنة ولا يتولاهم ضجر يجأرون الى المولى عزَّ شانه ان يمنّ عليهم بالظفر بالمحال فصحَّ فيهم قول اشعيا النبيّ (٤٢: ١١) « ليرنمّ سكّان الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال » وما عتَّم ان انقطع اليهم طلبة كثيرون يبتغون السير في طريقهم فتناهز عددهم الثلاثمائة والخمسين وكانوا يروّضون انفسهم بالآداب الدينيَّة والعلوم الروحانيَّة تأسيًا بمقدامهم حتى بلغوا فيها شأوًا بعيدًا

ولما ان ضمَّ بهم الدير خرجوا بأمر رئيسهم الى النواحي المجاورة يدعون اهلها الى الدين المسيحي فحقّق الله امانيهم حتى رأوا الناس يدخلون في دينهم افواجًا في كردستان والعراق وماردين (١ وما جاورها من البلاد وقوضوا المجوسيَّة والوثنيَّة بالكليَّة. ولما انتقل مار اوجين رئيسهم المعظَّم الى الأخدار السمويَّة في عشرين نيسان سنة ٣١٣ دفنوهُ في الدير المعروف باسمه حتى اليوم وهو بعيدٌ عن نصيبين نحو تسع ساعات غير ان هامتهُ نُقلت الى دير الزعفران قبل القرن الخامس عشر

وقد نبغ من هذه الرهبنة قدّيسون عديدون ورجال مشاهير كسوا النصرانيَّة حلل البهاء والفخر وحازوا ذكر النسك والزهد في اعين البشر كيعقوب النصيبيني وافرام الرهاوي واشعيا الحابي وملكي القلزمي ومتى الشيخ وشليطا ويارث ويوحنّا الطاني واولوج الضيفي وميخا النوهدري وغيرهم كثيرين وشيَّدوا اديرة عديدة في تلك الاقطار وانضمَّ اليهم قوم كثير

٣ الاديار في ماردين وجوارها

واذا رمنا ان نخصص الكلام على ماردين وضواحيها قلنا : ان رهبان مار اوجين

١) اطلب سير القديسين طبع الاب بيجان (ج ٣ ص ٤٥١)

شيَّدوا فيها ديرًا يُدعى دير الحمور وفيهِ وضع مار ايحاي وشقيقه زوقا اناويقَ العلوم على لوقيان رئيسه وبرعا في كلتا اللغتين السريانية واليونانيَّة ورقاهما خرسطفور مطران ماردين الى الدرجة الدياقونية بعد مضي سبع سنين ثم رسم ايحاي قسًّا بعد ثماني سنوات وتوجَّه الى قيصريَّة وتمطرن على نيقية. ولمَّا توفي تاودوسيوس الملك عاد ايحاي بتلميذه اندراوس الى القدس الشريف وحلب ومنبج وسميساط حيث الفيا بالقرب منها جبالًا وصخورًا فشيَّدا ثمَّ ديرًا على ساحل الفرات سُمّي بدير السلالم ودير مار ايحاي حتى اليوم. امَّا اخوه زوقا فابتنى ديرًا في نواحي ماردين عُرف بدير زوقا وانقطع اليهِ مع بعض الرهبان. فكنت ترى الاديرة تنشأ وتنمو كالبذار بهمَّة الرهبان الذين كانوا يتسابقون ويتغايرون في ذلك

ولما دُهيت بلاد المشرق ببدعة نسطور استولى اصحابها على قسم من تلك الاديار وجدَّدوا غيرها وهي تنيف على المائة والاربعين ديرًا ذكرها يشوع دناح مطران البصرة المؤرخ النسطوري في مؤلفه الموسوم بكتاب العفَّة او اخبار الآباء (١ الذين شيَّدوا الاديار في مملكتي العجم والعرب منها دير مار شاري في جبل دارا (ص ٤٤١) ومنها كنيسة ودير في كفرتوث (ص ٤٦١ و ٤٧٥ من طبعة الاب بيجان الفاضل)

وما عتمت الشيعة اليعقوبية ان ظهرت فتملَّكت بقيَّة الاديرة وابتنت غيرها. وها نحن نورد منها ما يأتي:

١: دير عين حلف جنوبي ماردين وقد جاء ذكره في اخبار يوحنا الافسي المؤرخ اليعقوبي في اواسط القرن السادس (ص ٢٩٤) وهو على اسم مار يعقوب

٢: دير تاردوطا شيَّدهُ تاودوطا مطران آمد بين دارا وآمد قريبًا من قرية تلوق وفيهِ قضى انفاسه سنة ٧١٣ (٢

٣: دير قرقفتا ترهَّب فيهِ يوحنا مطران الرقَّة الذي استلب البطريركيَّة سنة ٧٥٨—٧٩٠ اذ لم يزل البطريرك جورجي الاوَّل حيًّا. ودرس فيهِ ايضًا المطران طيشاوس في عهد ديونوسيوس الاوَّل التلمحري (٨١٨—٨٤٥) والمطران يوحنا في عهد باسيليوس الاوَّل (٩٢٣—٩٣٥)

١) نشر هذا الكتاب المؤرخ الفرنسويّ شابو (Chabot) ونقلهُ الى الفرنسويَّة

٢) اطلب تاريخ ديونوسيوس التلمحريّ (جزء ٤ ص ٢٠)

٤: دير مار حنانيا. وهو المعروف بدير الزعفران. وقد قرأنا في كتاب نُسخ في القرن الرابع عشر ما نصهُ: « وهذا دير مار حنانيا هو تحت دير القطرة في جنوبه عند دير قرقفتا بجبل ماردين شيَّدهُ ملك الروم. وهذا حنانيا بنى قرية قلعتمرا وجدَّدها ووقفها للدير » . وورد في تواريخ ابن العبري في حياة ترياقس البطريرك نقلاً عن يشوع دناح المؤرخ النسطوري في القرن التاسع ما معناه : ان حنانيا مطران اليعاقبة ألفى بالقرب من ماردين حصناً مبنياً بالحجارة المنحوتة منذ عهد الرومانيين فاشتراه وجعلهُ ديراً وغرس فيهِ كرماً وزيتوناً . . . وشيَّد فيهِ كنيسةً ومذبحاً واجتمع اليهِ رهبان كثيرون اهتمّ بهم حبًّا بالثواب السمويّ. وجاء في اخبار يوحنا مطران ماردين المتوفى عام ١١٦٦ ان حنانيا الذي تمطرن على ماردين وكفرتوث عام ٧٩٣ جدَّد ذلك الدير سنة ٨١١ وقطنه ثلاثة وعشرين عاماً. فقولهُ جدَّد يشير الى انهُ كان مشيَّدًا قبل ذلك العهد. وعندنا ان حنانيا سالفه الذي رسم اثناسيوس الثاني بطريركاً (٦٨٤—٦٨٨) هو الذي سكنهُ قبلهُ واطلق عليهِ اسمهُ

٥: دير القطرة. كان اقدم من دير الزعفران كما قال يوحنا مطران ماردين المذكور (١

٦: دير مار آباي بالقرب من الصور وقد ذكرهُ ابن العبري في التاريخ المدنيّ سنة ١١٥٣ في عهد حُسام الدين تمرتاش صاحب ماردين

٧: دير الشيطين في نواحي تلبسم وفيهِ تربَّى يوحنا مطران الرقة في عهد ميخائيل الاوَّل (١١٦٧—١٢٠٠)

٨: دير مار جرجس في وادي شمبا غربي قرية شمبا

٩: دير والدة الله ومار دمط في وادي عرقا شرقي حور وعبر في بيت طيثا

١٠: دير اثناسيوس شيَّدهُ اثناسيوس الرابع السندليّ (٧٥٦—٧٥٨) عند قرية تلبسم غربي ماردين وكان الاكراد يشتون فيهِ وفي القرن الثاني عشر رمَّمهُ يوحنا مطران ماردين وحوَّطهُ بسور

١١: دير مار اسطفانس ويُدعى ܒܝܬ ܫܗܕܐ اي بكر الشهداء وهو بين قريتي بنابيل ورشمل

١) المكتبة الشرقية للسمعاني (٢ ص ٢١٧—٢٢٠)

١٢: دير مار دانيال ويسمّى دير اجلش وهو فوق حصن رعيه

١٣: دير برصوما بالقرب من قريتي تلقبّب وبغدشيه

١٤: دير على نهر الخابور عند قريتي طابَن وسحيميه . واديرة اخرى في نواحي ماردين على ما جاء في قصّة يوحنّا المذكور

١٥: دير الابيض قرب دارا قطنهُ ميخائيل الثاني (١٢٠٧—١٢١٥)

١٦: دير مار ديمط الجديد سكنهُ اثناسيوس التاسع (١٢٠٠—١٢٠٩)

١٧: دير مار ايليا في خلف جبل ماردين الجنوبي

ويوجد اديرة عديدة غير التي ذكرناها والمشهور منها:

١: دير السمكه ويُدعى دير مار ميخائيل تحت ماردين وكان في حوزة النساطرة واليعاقبة امّا اليوم فهو بيد اليعاقبة

٢: دير مار يعقوب ودير مار عزرائيل وهما فوق دير الزعفران

٣: دير مار شميا في الزنار في وادي الصفا

٤: دير مار قرياقس في المحلّ المذكور

٥: دير مار يوحنا في الوسكيّه غربي ماردين

٦: دير مار سركيس وباخس جنوبي ماردين

٧: دير الشهيدة بربارة غربي ماردين . وهذه الاديرة الثلاثة هي في حوزة الارمن الكاثوليك

٨: دير ميناس غربي ماردين وهو اليوم ضمن دير مار افرام

٩—١٠: دير مار فثيون قرب دُنيسر . ودير هرمزد العجمي ودانيال الراهب في قلعة ارنه فوق باسبانس وكانا في حوزة النساطرة

١١—١٤: دير مار توما في جبل العنص . ودير الشحّار في كفرتوث . ودير مار اسحق فوق ديركه . ودير مار دانيال شفيع المصروعين . وغير ذلك

امّا الصوامع التي كان يتّخذها النسّاك مأوى لهم فكثيرة ايضاً منها صومعة في المنصوريّة واخرى في بنابيل وغيرها حول دير الزعفران . ولما قدم تيمورلنك الى ماردين سنة ١٤٩٦ دمّر كنائس واديرة كثيرة ولم يبقَ منها الّا ما ندر

وفي اواسط القرن السابع عشر نهض السيّد اثناسيوس سفر العطّار مطران

ماردين السرياني الشهير يريد اصلاح ما افسد الدهر ورام ان يشيد ديرًا في ماردين على اسم مار افرام قيثارة الروح غير ان الاحوال حالت دون انجاز قصده الحميد فشيَّد ديرًا في رومية سنة ١٧٠٨ وآخر في لبنان سنة ١٧٠٩ على اسم هذا القديس الجليل. وتصرَّمت الاعوام على ذلك حتى تسنم الذروة البطريركية مار اغناطيوس انطون سمحيري (١٨٥٣—١٨٦٤) فنهض الى سدّ هذه الثلمة قبل وفاته بسنةٍ واحدة واشترى ارضًا واسعة الارجاء غربي ماردين وادار عليها سياجًا ريثما يتاح لهُ بناؤها لكنَّ المنيَّة عاجلتهُ فاستمرَّت الارض هملًا حتى ترأس مار اغناطيوس جرجس الرابع شلحت (١٨٧٤—١٨٩١)

٣ دير مار افرام

واتفق خطوات السيد اثناسيوس سفر سيادة المونسنيور افرام احمر دقنه فاخلد منذ نعومة اظفاره الى السيرة الزهديَّة واحبَّ ان يكون في مسقط راسه دير تنضوي اليه جماعة من الرهبان يحيون تذكار الرهبنة الشريف. وُلد المونسنيور افرام في ماردين في ١٦ تشرين الاوَّل سنة ١٨٤٦ ورباه عمه الصالح الذكر مار يعقوب متى احمر دقنه تربية حسنة ولما أيفع اوفده الى مدرسة انتشار الايمان في ٣ حزيران سنة ١٨٦٣ فصرف تسعة اعوام في تحصيل الفضائل والعلوم المتنوِّعة. وفي ٢٥ اذار ١٨٧٢ رقي الى الدرجة القسوسيَّة باسم القس ابرهيم ثم عاد الى وطنه. واوَّل شيء وجَّه اليه سعيهُ استدعاؤهُ سرًّا الى غرفته بعض شبان البلدة ومفاوضتهم في امور التقى والاعمال الخيريَّة وتشويقهم الى العيشة النسكيَّة وحثهم على شرا الآخرة بالحياة الدنيا فكانوا في اثناء ذلك يواصلون الدعاء الى المولى المنَّان ليوفقهم الى بناء دير في ماردين وكان سبق فرسم بعض القوانين ليجري عليها الشبَّان واقام لهم مراقبًا سريًّا وظلوا على تلك الحال ثمانية اعوام

وسنة ١٨٨٠ كتب مار اغناطيوس جرجس الرابع الى السيد يعقوب متى نائبه ان يرسل احد قسانه الى مذيات قاعدة طور عبدين ليشيد فيها ديرًا. فوقع الاختيار على ارسال ابن اخيه القس ابرهيم في ٢٥ حزيران فثقل ذلك على الشبان حتى هجر بعضهم العالم وانضووا الى الرهبنات الافرنجيَّة

وبعد سبعة شهور كتب القس ابرهيم الى السيد البطريرك يكاشفهُ ما في سريرته ويصرّح لهُ بان الارض التي اشتراها مار اغناطيوس انطون سمحيري صالحة لتشييد دير وانه اذا صحّ عزم غبطته على ذلك اخلص لهُ نفسهُ ووقف عليهِ اتعابه ومقتناه. وما كاد يرسل تلك العريضة حتى علم ان البطريرك مصمّم على التوجه الى ماردين فتركها لديهِ ريثما يحضر

وفي غضون ذلك كتب نيافة الكردينال اسكندر فرنكي رئيس البروبغندا الى البطريرك يستنهض همتهُ ويحثهُ على اقامة دير للرهبان فصرّح البطريرك بضيق ذات اليد فوعدهُ الكردينال بالاسعاف. وسنة ١٨٨٠ اوفد الخورفسقس يوسف سمارباشي[1] رئيس دير الشرفة ويوسف افندي شلحت الى رومية لتلك الغاية فحصلا نصيباً من المال وبعثا بهِ الى السيد البطريرك

فسُرَّ غبطتهُ بذلك وظعن الى ماردين في حزيران ١٨٨١ مستصحباً وكيل ارزاق دير الشرفة الخورفسقس انطون قرواني الذي لهُ إلمام بتشييد الابنية وهندستها ولمّا علم الماردينيّون هرع بعضهم الى استقبالهِ حتى دياربكر وبعضهم حتى عين عمر آغا فدخل البطريرك المدينة بابّهة عظيمة ورونق لم يسبق لهُ مثيل

وبعد بضعة ايام استشار البطريرك ذوي الخبرة في انشاء الدير ورام اولاً ان يشتري بستان الفردوس شرقي البلدة او بستان احمد اغا او بستان الشرفة ثم بدا لهُ ان ينشئهُ في ارض البطركيّة التي كان قد ابتاعها مار اغناطيوس انطون سمحيري كما قدّمنا فتمّت بذلك امنيّة القس ابرهيم وشكر للعناية الربانيّة

وفي ٢٠ تشرين الاوّل ١٨٨١ توجّه السيد البطريرك مع المطران متى ولفيف العمّال والشعب الى الارض المخصّصة لذلك فعملوا تشمشت العذراء ووضع بيدهِ الحجارة الاولى في الزاوية الجنوبيّة الغربيّة وجعل تحتها ذخيرة من عظام ابينا مار افرام

---

[1] ولد البلوري يوسف سمارباشي في ١٤ شباط ١٨٤٤ وقدم الى دير الشرفة في ٣ تشرين الاوّل ١٨٥٨ وفي ٢١ تموز ١٨٥٩ أرسل الى رومية حيث قرأ العلوم وارتسم كاهناً. وفي ٢٢ ايار ١٨٦٩ عاد الى دير الشرفة واقيم راعياً للتلامذة. وفي ٢٣ حزيران ١٨٧٩ جعل رئيساً على الدير المذكور ثم فوّضت اليهِ النيابة على الشبك سنة ١٨٨٥ وليلة خميس الصعود ٣٠ ايار سنة ١٨٨٩ توفي في ماردين على اثر فالج اصابهُ لما كان في الشبك

وطفق النعلة مذ ذاك يشتغلون بمراقبة الخورفسقفس انطون قرواني فشيّدوا الناحيـة الجنوبيّة والغربيّة والشماليّة ونصف الجهة الشرقيّة وقاعة الاستقبال

وفي ٢١ ايلول ١٨٨٢ كرّ غبطتهُ راجعاً الى حلب ووكل الامر الى نائبـهُ المطران متى لاتساع رأيه. وفي اوائل نيسان ١٨٨٣ بوشر بتشييد الكنيسة ووضع الحجارة الاولى في جدارها الشمالي وذلك بهمّة المطران المذكور

وفي ٣ تشرين الثاني ١٨٨٣ صحت عزيمة البطريرك على اقامة القس ابرهيم احمر دقنه رئيساً على الدير فلبّى تلبية المطيع واخذ يسعى في تنظيف الكنيسة والغرف والاروقة واتى من الاستانة العليّة بقناديل وثريّات وشماعد وغيرها. ثم انعم السيد البطريرك على الدير ببعض الاثاث البيعيّة والاواني البيتيّة والكتب الطقسيّة وقسم يسير من الدراهم. امّا السيد هنري التاجر القاصد الرسوليّ فاسعف الدير بعشرين ليرة. فصرفهـا الرئيس برمتها مشكلاً على من قال: « لا تهتمّوا بشان الغد فالغد يهتم بشأنهِ (متى ٦ : ٣٤)

وفي ٧ كانون الاول سنة ١٨٨٤ قرعت اجراس الدير تهليلاً وتبشيراً بافتتاحهِ وفي فجر اليوم الثامن انطلق الرئيس بالمبتدئين الى الكنيسة الكاتدرائيّة فشكروا للعنـاية الصمدانيّة ثم رجعوا الى الدير متشحين بالثوب الرهبانيّ وفي مقدّمتهم السيّد يعقوب متى احمر دقنه ثم الاباء الكبوشيون وكهنة الكلدان والارمن يصحبهـم جمّ غفير من الأهالي ولما وصلوا الى باب الكنيسة اخذ المطران يتلو الرتبة الطقسيّة ثم كرّسهـا بالماء المبارك واقام القدّاس الاوّل باحتفال شائق وبعد قراءة الانجيل تُلي المنشور البطريركي المسطّر في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وبعد نهاية القدّاس أُعدّت مأدبة شائقـة للفيف المدعوّين. وانصرف الجميع داعين للدير ورئيسه والمبتدئين بالفلاح والتقدّم

وعند غروب ذلك النهار السعيد اجتمع الرئيس بالمبتدئين وخاطبهم بكلمات رقيقة ونشطهم على التقوى والتنافس في حفظ القانون والشكر لله عزّ وعلا لانهُ حقّق ما كانوا يتوقون اليهِ منذ اثني عشر عاماً

واخذ المبتدئون يحرصون على عمل الخير والصلاح ويسيرون كالرهبان الاوّلين بالاعمال الشاقّة والاتعاب الوافرة محتملين شظف العيش بطيب القلب وملء الرضى ولم تأخذهم انفة من الشغل مع البنّائين كنقل الحجارة وتسوية الاراضي مع ان منهـم كانوا من أُسر شريفة لم تألف الاعمال الشاقة

وفي ٨ كانون الثاني ١٨٨٦ سعى المتسدنون بتحويط ارض الدير وانتهوا في ٢٤ نيسان لتلك السنة ثم باشروا بترقيها وتمهيدها وغرسوا فيها اشجار التين والمشمش والاجاص والعنب وغيرها ولم تتجاوز النفقات عليها الألفين والمائتي قرش. وفي ١١ حزيران لتلك السنة ايضاً اعتكفوا مدة ثمانية عشر يوماً حتى كان عيد رئيسي الرسل فأبرزوا النذور ووقعوا على صورها بخط يدهم فاضحوا رهباناً ونالوا الاسكيم من يد المطران متى واليك اسماءهم: يوحنا كدا وجرجس شمعي ويوحنا عشو والياس شمعي وحبيب قريشوع وابرهيم كزم ويوسف صوقيه وبطرس حمال وافرام حجو

وههنا نقول كلمة في عيشتهم كانوا اول امرهم في بؤس وفاقة شديدة كما وقع لرهبان القرون الاولى في صدر النصرانية واصبح الرئيس يوماً لم يكُ عنده سوى عشرين بارة فاتاح الرب لجرجس شمعي احد الاخوة اذ كان يشتغل في الكرم ان الفى في جوف الارض قطعة ذهب صغيرة تساوي ثلاثين غرشاً فاتفقها الرئيس على حاجاتهم. وحدث للاخوة مثل ذلك في اسبوع الآلام. فلما كان الرئيس حائراً بامره تقدمت اليه امرأة ورعة واودعت لديه خمسماية غرش قائلة أبقها لديك واصنع بها ما تشاء. ولما رأى الناس ذلك اخذهم اليأس من نجاح الدير حتى انه كان يُقال ان السريان سيضطرون عما قيل الى ايصاد ديرهم. لكن العناية الالهية كانت ترمقهُ بالحاظها

ولم تكن الاقامة بالدير اقل مشقة لكثرة الرياح والاهوية المتسلطة عليه فكان فيه اربعة وعشرون رواقاً معرضة للاهوية والامطار والثلوج وكان الاخوة يشعرون بالبرد القارس والحر اللافح وهم مضطجعون. حتى ان الثلوج كانت تمنعهم عن مبارحة حجرهم فضلاً عن ان موقعه على قمة الجبل كان يزيد الحال من البرد والعواصف

فاستمر الرهبان على ذلك الاسلوب حتى سافر المطران متى في ١١ حزيران سنة ١٨٨٨ الى حلب ودير الشرفة ليحضر المجمع الطائفي. فاطلع غبطة البطريرك على ذلك كله فتحنن على الاخوة ووهبهم خمساً وعشرين ليرة ومقداراً من القزاز لسد الاروقة فصرف الرئيس ذلك المبلغ واستقرض غيره من ذوي الشفقة والرحمة حتى هان على الاخوة السكنى في الدير

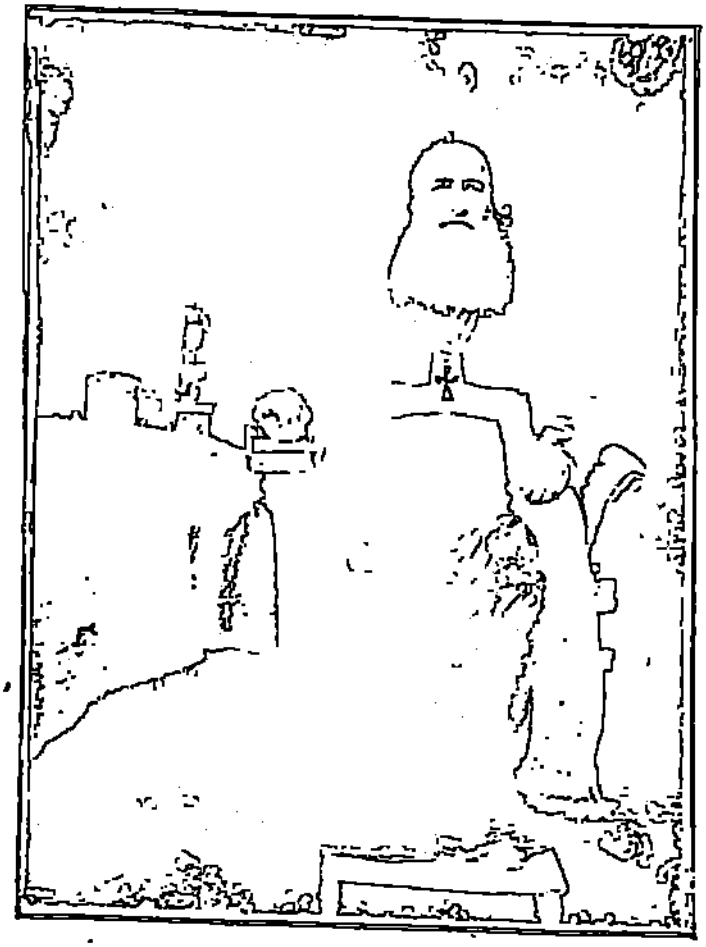

المنسنيور افرام احردقنه
رئيس دير مار افرام للسريان الكاثوليك بماردين

ومما يجدر بالذكر ان ثلاثة من العَمَلة بينما كانوا يشتغلون هبطت بهم الاخشاب فسقطوا على الارض دون اذى وجرى مثل ذلك مرّة اخرى فانقذهم الرب بشفاعة ابينا مار افرام. وفي ١٩ اذار ١٨٨٨ انقضّت صاعقة على زاوية الدير الغربيّة وفاحت منها رائحة كبريتيّة كريهة بيد انها لم تحدث والحمد لله ضرراً مع ان دوابّ الدير قطعت السلاسل وهاجت وماجت فحاق الرعب بقلوب الاخوة ولاسيما يوسف هافوري. فحرسته العناية الربانيّة وانقذته ولفيف الاخوة من تلك التهلكة

ولما استلم ازمّة البطريركيّة الانطاكيّة مار اغناطيوس بهنام الثاني ١٨٩٣—١٨٩٧ اخذ المطران متى يستنهض همة رئيس الدير على طلب الاسعاف من البطريرك المغبوط الموصوف بالسخاء والغيور على عمل الخير فانعم عليه بمبلغ به شيّد حصن الدير ومهّد فناءه واقام له بابًا خارجيًا واروقة بحيث امكن ان يُطلق عليه اسم دير. واصبح طوله اثنين وستين مترًا وعرضه ثلاثة وخمسين مترًا ويكتنفه من الناحية الغربيّة كرم واسع الارجاء واشجار باسقة. وفي الناحية الشرقيّة منه موضع لاقامة طابق ثانٍ

وكان الدير محطّ رحال بعض الضبّاط والعساكر عام ١٨٩٥ فردعوا الاكراد وقبائل العرب وصدّوهم عن الهجوم على البلد. وجعلوا مثواهم في الدير منذ ٨ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ حتى ١٢ شباط سنة ١٨٩٦ حيث استتبّت الطمأنينة في افئدة الاهالي فعادوا الى مراكزهم

ولما عاين آباء الطائفة همّة الرئيس وعنايته راموا ان يكافئوه عن اتعابه فسمّاه مار اغناطيوس جرجس الرابع خورفسقفس باسم افرام عام ١٨٧٤ وأنعم عليه مار اغناطيوس بهنام الثاني عام ١٨٩٢ بلبس التاج وملك العكّاز كسائر رؤساء الاديرة. وسعى الاخوة الاقراميّون سنة ١٨٩٧ باحتفال العيد الفضيّ لمرور خمس وعشرين سنة على قسوسيّته وكان حضرة الخورفسقفس يوسف اسطنبولي اكبر مساعد في ذلك ومثّل في هذا المعنى رواية بديعة. ثم كتب الاخوة الى مطارنة الملة فاهدوا اليه تحفاً تذكر وقدّمه تقريظاً انه حبس حياته وكل ما له في احياء روح الرهبانيّة غير مبالٍ بالعناء والتعب وشق النفس

وهو الذي تولى بذاته تعليم الاخوة وتخريجهم على المبادئ العلميّة والدروس اللاهوتيّة. وقد ذاق ثمرة اتعابه اولًا برسامة ثلاثة من الاخوة قسّاً في ١ تشرين

الثاني ١٨٨٩ وهم القس جرجس شمعي والقس ابرهيم كرّوم والقس بطرس حمّال. وقرّت عينه في ١ تشرين الثاني ١٨٩٢ بارتقاء اربعة قسّان ايضاً وهم : القس الياس شمعي والقس فيلبس قريشوع والقس افرام حجو والقس حنّا زلّو - وازداد سروره برسامة قسين آخرين في ٢٩ كانون الثاني ١٨٩٩ وهما القس سمعان عبد الصمد والقس انطون عبد الصمد. وناله تعزية ايضاً بمشاهدته رسامة قسين ايضاً في ١٤ ايلول سنة ١٩٠٥ وهما القس حبيب قراكله والقس بولس قسطن. وقد تفرق هؤلاء القسّان بامر غبطة السيّد البطريرك في البلدان وصنع الرب على يدهم خيراً كبيراً

وفي ٨ كانون الاول للسنة المنصرمة كتب سيادة الونسنيور افرام احمر دقته الى غبطة السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني يبشره بدخول العام الخامس والعشرين لانشاء الدير ويخبره ان الاخوة معوّلون على احتفال عيد عظيم في ذلك اليوم فيه يتذكّرون نعم الله جلّ وعلا ويأخذون روحاً جديدة للسير في عمل الخير بنشاط اوفر فسرّ السيّد البطريرك وكتب الى الرئيس يحثّه على ذلك

ونحن نشاطر الرئيس الجليل وقسّانه الافاضل ورهبانه الورعين افراحهم ونتمنّى لهم التقدّم والفلاح ونودّ في هذه الاثناء لو صُرفت الوجوه نحوهم ونالوا الحظوى لدى الكرسي الرسولي المقدس باعتراف جمعيتهم هذه كهيئة قانونيّة كسائر الطوائف الكاثوليكيّة فانهُ بذلك يطوّق جيد الطائفة بالمنن العظيمة والنعم الجسيمة

نسألهُ عزّ شأنهُ ان يرعى هذه الجمعيّة بعين الرأفة والحنوّ . ويرقيها في معراج الفلاح والنموّ . ويؤتيها الايد لتأتي على كمال نهضتها . ويوليها الفوز والنصر روحياً وزمنياً في سائر مشروعاتها . انهُ على كل شيء قدير

مصالح دول اوربة على ساحلي البحر الاحمر

لمحة تاريخية بقلم الكافلير عبدالله وعد
من اجزاني البلاط الامبراطوري في الحبشة

كنت قد وعدت حضرات القرّاء ان اواصلهم بعد عودتي الى الوطن العزيز بتتمة ابحاثي عن الحبشة والاحباش الّا انني قبل ان اقوم بوعدي هذا خطر ببالي بمناسبة مروري في البحر الاحمر ومرأى مستعمراته ان اكتب شيئاً عن مصالح دول اوربّة على جانبيّ هذا البحر مُرجئاً العَود الى الابحاث الحبشية الى حين آخر ان شاء الله. فالتابع للمتابع

*

اربع دول اوربيّة عظيمة انكلترّة وفرنسة وايطالية والمانية اقتسمت ساحلي البحر الاحمر حصصاً غير متساوية وقد اجتذبتها الواحدة بعد الاخرى من قديم الزمان مصالح متفاوتة فكنتها في نقط مختلفة من هذه السواحل حتى صار لبعضها اليوم مستعمرات زاهرة وللبعض الآخر نقط حربيّة . امّا اهميّة هذه المستعمرات فتختلف كاختلاف مصالح الدولة المحتلة : منها السياسية ومنها الحربيّة ومنها التجاريّة ومنها الدفاعيّة الى غير ما هنالك من المقاصد التي لم يزل اكثرها سرّاً مكنوناً في صدور رجال الحكومات

لم تكن الدول الاوربية لتكترث كثيراً بمنافع هذا البحر وسواحله قبل حفر قناة السويس ما خلا انكلترّة التي كانت باسطة كنف نفوذها اسماً لا فعلاً على بعض النقط ولما فُتحت للعالم تلك الطريق الجديدة طريق الشرق الاقصى اضحى من الضروري ان تحتلّ الدول نقطاً تحفظ بواسطتها جادة المستعمرات التي لها وراء باب المندب على اطراف المحيط الهندي ولتأمن وجود المؤن والفحم لبواخرها. فقامت اوّلاً انكلترّة وخطت الخطوة الاولى ثم تبعتها فرنسة بعد كثير من التردُّد والاحجام واخيراً جرت مجراها دولة الطليان الى ان نهضت في هذه الايام الاخيرة المانية ومدّت لها اصبعاً الّا

ان الوقت قد فات فلم تستطع الامتداد (١

لم تكن صوالح انكلترة وفرنسة بادئ بدء سوى صوالح تجارية محضة ولكنها ما حتّمت ان امست سياسية تتعلّق عليها اهمية كبرى اذ ان الاولى منهما لما احتلّت مصر وباتت قناة السويس طوع بنانها طمحت بابصارها الى هذا البوغاز المؤدي الى بلاد سلطنتها الشرقيّة اريد به البحر الاحمر ولم يسعها ان تغادره عرضة احتلّت غيرها من الدول خشية ان تعرقلها في طريق الهند والزنجبار وموريس التي كانت في قبضتها. امّا فرنسة فلما شعرت باغلاطها السياسية ورأت فاذا مصر والقناة سقطتا من حوزة نفوذها رجعت الى نفسها وطارت جزعاً على بلاد سلطنتها في الشرق الاقصى وقامت تبغي التعويض عمّا فات فطلبت لها نقطة تأمن بها غوائل الانكليز وشرّ حيلهم وتستعين بها على ادّخار المؤن والفحم لاسطولها فيما لو نشبت حرب في الشرق الاقصى خصوصاً وانها رأت ما رأت من خشونة معاملة المستعمرات الانكليزيّة لاسطولها يوم انتشبت الحرب في الصين والتونكين مع ان الدولتين كانتا يومئذٍ على اتفاق في الاراء السياسية بخصوص تلك الاصقاع فكيف يكون اذاً لو فصلتها الغايات والصوالح والسياسة. هذا عدا عن ان مستعمراتها مدغسكر والهند الصينيّة والتونكين والانام بحاجة ماسّة الى نقطة متوسطة بينها وبين امها فرنسة لتستعين بها على انزال عساكرها الى البرّ عند ما يرجعون مرضى من تلك الاصقاع الوبيئة. اما ايطاليا فان مطامعها في شرق افريقيّة قد ازدادت بقدر تقدّم هذه الدولة في العظمة والغنى فطلبت لها استعماراً على سواحل البحر الاحمر

ولم يكد الامر يتمّ لهاته الدول الثلاث وحلّت كل واحدة منها نقطة مختلفة من

---

(١) يعلم الجميع ما كانت عليه سياسة المانية مع السلطان عبد الحميد المخلوع وهذا وهبها جزيرة صغيرة يقال لها « الكومة » هي واحدة من جزره « فرسان كبير » موقعها في اواخر البحر الاحمر بين مصوّع والحديدة فجعلتها محطة لفحم بواخرها وبنت عليها منارة جميلة ثم حصّنتها ببعض المدافع. وقد قال بعضهم — والقول فيه نظر — ان حلول المانية في هذه النقطة هو نافعة وتمهيد لغايات أخرى. الّا ان هذا الطمع قد زال واضمحلّ بفضل حلول الحكومة الدستوريّة مكان الحكومة الاستبدادية وخلع السلطان عبد الحميد الذي كان ملجأ السياسة الالمانية القديمة مع الدولة العثمانية ومقوّي مطامعها

سواحل هذا البحر بحر المطامع والغايات حتى زادت في المطامع فمكنت لرجلها في مستعمراتها واستولت على غيرها فاحتلت نقطاً جديدة وحصّنتها وما زالت الى اليوم في شغل شاغل وحرب متواصل مع الوطنيين سكان تلك المجاهل - واهمّ هذه الاسباب هو ان افريقية الغربية والمتوسطة قد تمّ اقسامها وتحصّصت املاكها بين الدول فوضع الانكليز ايديهم على النيل في اعالي مجاريه الّا ان قطعة من الارض يجري فيها هذا النهر وبقيّة الانهر العظيمة التي تصبّ فيه بقيت كحجر عثرة في الاملاك الحبشية المستقلة ولذلك قامت انكلترة تريد الاستيلاء على هذه القطعة باي واسطة كانت بالسيف ام بالدرهم ام بالتهويل ام بالوعد او الوعيد ام باي ضرب من ضروب السياسة وعندها ان الغاية تبرّر الواسطة ولكن فاتها ان الله مع الضعيف فلم تنجح وقد لا تنجح على انها لا تزال معلّقة النفس في الحصول على هذه الغنيمة فاذا فازت اصبحت السيّدة المطلقة في كل شرق افريقيّة وجرّت تجارة تلك الاصقاع فاحتكرتها في موانيها البحريّة وضربت بقيّة المستعمرات ضربةً قاضية

وهناك سبب آخر هام يبعث الى المطامع وهو ان ساحل البحر الاحمر من الجهة الاسيوية اعني بذلك شبه جزيرة العرب باجمعها وهي الحجاز واليمن ونجد والعراق وحضرموت الخ يضمّ بلاداً داخليّة خصبة في كثير من نقطها وقد مدّ اليها الانكليز الاعناق في كل آن وزمان واثاروا فيها الفتن وما قصدهم بذلك الّا انهاكها بالحروب الداخلية والغزوات ليسهل عليهم سلخها عن الاملاك العثمانيّة ويجعلوا لهم فيها مركزاً لقوّة عسكرية هائلة ونقطة تجاريّة مهمّة

هذه وغيرها من الاسباب التي يطول بنا المقام لو اردنا تعدادها قد امنت في صدور الدول الاوربيّة الطمع فقادتها الى الاحتلال وقد ساعدتها الظروف على ذلك فتمكنت ومن هذه الظروف ما قادتها التقادير ومنها ما كانت نتيجة سياسة متابعة وخطة مرسومة . وهكذا اصبح البحر الاحمر كلّه من جهة افريقيّة في قبضة الافرنج اما ساحله الاسيوي فلم يحتلّوا فيه احتلالاً متيناً الّا جهة خليج عدن والجزائر القريبة منه

*

قبل ان تحتل الدول الاوربيّة ما احتلّته من سواحل البحر الاحمر كانت الدولة العثمانية هي المتملكة على السواحل كلها الى ما وراء بوغاز باب المندب الّا ان الضعف

الاداري نتيجة الاستبداد قد جعل سلطتها اسماً بلا مسمًى فلم تكن متمكنة مطاعة في ما خلا جهة واحدة من الساحل الافريقي وذلك من سواكن الى مصوع اي ساحل « اركيكو » يحدّه من جهة الجنوب خليج زُولا (وهي ادوليس القديمة) . وكان لها عدا ذلك شيء من السلطة على مدينة زيلع وما جاورها في ساحل الصومال . امّا بقيّة هذا الساحل الافريقي فمن خليج ادوليس المذكور الى قبة الخراب تمتدّ بلاد الدناكل التي كانت ولم تزل داخليتها الى اليوم خاضعة اسماً لا فعلاً لسلطة نجاشي الحبشة وحاكمها الحقيقي كان سلطان المقرسي . ومن قبة الخراب الى راس غاردافوي يمتدّ ساحل الصومال الذي كان يحكمه رؤساء القبائل كلٌّ في ارض قبيلته

واوّل من اهتمّ بهذا الاحتلال دولة الانكليز اذ ان طريقها الى الهند البريطانيّة كانت بعيدة جدًّا ولم يكن يومئذٍ لبواخرها سوى طريق رأس الرجاء الصالح ففكّر احد الضباط الانكليز واسمهُ واغورن (Waghorn) ان يستعمل طريق مصر لنقل بريد الهند واخرجت الحكومة فكره هذا الى حيّز العمل سنة ١٨٢٩ فكانت تستعمل الهجين لهذه الغاية . فيذهب البريد من الاسكندريّة الى السويس فيجتاز البرزخ الى الجهة الاسيويّة فيجوز في شبه جزيرة العرب حتى خليج فارس والهند . ونهجت شركة بواخر بنارس وباليمور (Bénarès et Palinure) خطة جديدة لبواخرها في البحر الاحمر بين الهند وخليج السويس وقد اقامت اول باخرة ذاهبة الى هذا الخليج سنة ١٨٣٠ تحت امرة القبطان موزسبي (Moresby) واحتلت يومئذٍ ميناء المقلة (١) فجعلتهُ محطة للفحم ثم احتلت بعده جزيرة سقطرة لهذه الغاية

وفي سنة ١٨٣٦ حضر ينقلون البريد على العربات بدل الهجين من مصر الى السويس ومن هناك تحمله البواخر الى الهند بمواقيت منتظمة وما زالت هذه الطريق مطروقة حتى سنة ١٨٥٧ فمدّت السكّة الحديديّة من مصر الى السويس وقُضي على الطريق الاولى الدائرة حول افريقيّة مارّة برأس الرجاء الصالح . وفي اثناء ذلك اي سنة ١٨٣٩ غادر الانكليز موقتًا جزيرة سقطرة وتمكنوا في مدينة عدن التي اخذوها من

١) بلدة على البحر الاحمر من الجهة الاسيوية تبعد عن عدن نحو ٩٠ ميلًا

سلطان لحج (١ وسنة ١٨٤٠ احتلوا جزيرتي باب وايوات ثم جزائر موسى الصغيرة القائمة قرب خليج تجرّة

وكانت دولة فرنسة في كل هذه المدّة تنظر الى عمل انكلترة بعين الحسد وهي ايضاً تفتش على نقطة تحتلها في سواحل البحر الاحمر الّا انها كانت كعادتها متقلبة في ارائها لم تنجح نجاح جارتها البريطانية وفي سنة ١٨٣٩ — ١٨٤٠ بعثت احد ضبّاط بحريتها المسيو ليففر (M. Lefèvre) الى الراس اوبة ملك التكره في الحبش فعاد وقد وقّع مع الملك المذكور باسم حكومته على صكّ معاهدة به سلّم هذا الملك لحكومة فرنسا الساحل البحري الذي كان تحت امرته وهو جزء من بلاد الدناكل على شاطئ خليج امفلة . الّا ان فرنسا ترددت في التصديق على هذه المعاهدة فبقيت حبراً على ورق وكذلك قل من المحلات التي ابتاعها بعض التجار الافرنسيون من رؤساء القبائل الدنكالية واضحى امر هذه المعاهدة التجارية نسياً منسياً وقد كان امضاها المسيو ريشه دي اريكور (Richet d'Héricourt) باسم الملك لويس فيليب سنة ١٨٤٣ مع سهلاسلاسيه ملك الشوا جد النجاشي منليك الثاني امبراطور الحبشة الحالي . وهذا تعريب تلك المعاهدة عن نصّها الفرنساوي والحبشي نقلاً عن سجلات سفارة فرنسة في اديس ابابا :

« بالنظر للمحبة المتمكنة بين اصحاب الجلالة لويس فيليب ملك فرنسة وسهلاسلاسية ملك الشوى وبالنظر لتبادل الهدايا بين هذين الملكين بواسطة المسيو ريشه دي اريكور المائز على اوسمة الاشراف في مملكة الشوا قد شاء الملك سهلاسلاسيه ان يرتبط مع ملك فرنسة بهذه المعاهدة الولائية التجارية :

المادة الاولى — بما ان اهالي فرنسة واهالي الشوا يدينون بديانة واحدة فان الشوا يأمل من

---

١) في شهر كانون الثاني من سنة ١٨٣٦ تسلطت على مقربة من عدن احدى بواخر الانكليز الآتية من مدراس فيها القرصان العرب هناك . وعقبت المخابرة في امر هذه الباخرة بين حكومة الهند وسلطان لحج مدة ثلاث سنين من دون ان تسفر عن نتيجة مرضية لان حكومة الهند لم ترضَ قبول التعويض المالي بل طلبت ان تحتل جزءاً من الساحل فانكر عليها سلطان لحج طلبها هذا الغير العادل . حينئذٍ ارسلت الحكومة الانكليزية جيشاً مؤلفاً من ٧٠٠ مقاتل و٣ مراكب حربية تحت امرة القبطان بايي (Baillie) فاخذوا عدن عنوةً واقتداراً ودخلوها في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٣٩

دولة فرنسة ان تعتبر اعداءه اعداءها وان تساعده فيما لو نشبت حرب بينهُ وبين المسلمين او سواهم من الاغراب

المادة الثانية – جلالة لويس فيليب ملك فرنسة وحامي اورشليم يتعهد بان يضع تحت حمايته عموم الزوَّار الذين يذهبون من مملكة الشوا الى بيت المقدس وبقية الاراضي المقدَّسة ويأمر وكلاءهُ كي يعاملوهم بنفس المعاملة التي يعاملون بها الرعايا الفرنساويين وان يحموهم في ذهابهم وايابهم وفي مدَّة مكثهم ضد غارات وظلم الخوارج

المادة الثالثة – ان ملك الشوا يتعهد بان يعتبر الرعايا الفرنساويين الموجودين في مملكته اعتباره لرعاياه ويكون لهم عدا ذلك كل حق وامتياز يمنحه لغيرهم من الاجانب

المادة الرابعة – البضائع الفرنسوية الداخلة الى مملكة الشوا تدفع رسوماً جمركية بالمائة ثلاثة فقط . وحتى لا تصير مخاصمات في تعيين اثمان البضائع فان مأموري جمارك مملكة الشوا يقبلون عيناً رسوم كل بضاعة يُختلف في تعيين ثمنها

المادة الخامسة – عموم الرعايا الفرنسويين يُسمح لهم بحريَّة الاتجار في كل انحاء مملكة الشوا بلا مانع

المادة السادسة – عموم الرعايا الفرنسويين النازلين في انحاء مملكة الشوا يمكنهم ان يبتاعوا الاملاك والاراضي وان يبنوها ويتصرفوا كلٌّ حسبما يراهُ موافقاً لصوالحهِ . ويستطيعون ان يبيعوا هذه الاملاك او يتصرَّفوا بها حسبما يشاؤون . وحرية تملك هذه الاملاك تكون مضمونة من ملك الشوا نفسه

حرّر هذا الصك نسختين في مدينة انكلولالا في السابع من شهر حزيران سنة الف وثمانمائة وثلاثة واربعين

التواقيع

ريشه دي اريكور

سهلاسلاسيه ملك الشوا باسم جلالة لويس فيليب ملك فرنسة وبامره

وبقيت الاحوال في تلك الاصقاع تتقلَّب ببطء حتى كانت سنة ١٨٥٤ التي بها ظهرت خطة المسيو دي لسبس الشهير في حفر قناة السويس وكادت تخرج هذه الخطة من حيز الفكر والخطوط على الورق الى حيز العمل وضرب المعول لولا انَّ مضادَّة الانكليز اخَّرت هذا المشروع فارجئ العمل الى حين آخر وذهب المسيو دي لسبس الى فرنسة فالَّف في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٥٨ شركة اكتتب بها كثير من الفرنسويين وغير الفرنسويين ثم عاد الى مصر منتصراً على معاكسيهِ فشرع بضرب اول معول باحتفال عظيم في ٢٥ نيسان سنة ١٨٥٩ وفي ١٨ تشرين الثاني سنة

١٨٦٢ دُشنت اول قطعة من هذه القنـاة من البحر المتوسط الى بركة التمساح . الّا ان صعوبات كثيرة جديدة لا يسمح لنا ضيق المقام بذكرها حالت دون سرعة اتمام العمل فبقي الحفر مستمرًا تارةً ببطء واخرى باسراع حتى تمّ المشروع بكامله وكان يوم التدشين حافلًا والمهرجان عظيماً في ١٧ تشرين الثـاني من سنة ١٨٦٩

*

عندما افتتحت هذه الطريق الواصلة بين اوربّة وبين الهند والشرق الاقصى انقلبت سياسة الدول باجمعها وزادت مطامعها في البحر الاحمر والمحيطَين الهندي والاطلانتيك الّا ان انكلترة لم تنتظر افتتاح قناة السويس كي تحتلّ ما تريد احتلاله في سواحـل هذا الدهليز العظيم المؤدي الى سلطنتها في مـا وراء باب المندب فاستولت حالًا على جزيرة بريم تجاه اليمن سنة ١٨٥٧ وهذه الجزيرة كان البوكرك (Albuquerque) قد سبق في سالف الزمن ونصب فيها العلم البرتغالي سنة ١٥١٣

امّا فرنسة فقد فهمت ايضاً حينئذٍ اهمية احتلال نقطـة ما على طريق مستعمراتها في الهند الصينية والمحيط الهادي وخصوصاً عندما تمكنت قدمها في مدينة سايغون الّا انها باغلاطها السياسية وبطء معاملات حكومتها فاتتها جملة فرص منها ان القومندان روسل امضى معاهدة مع الرلس نكوسيه ملك تكره بعد مساعدته اياه في مقاتلة رئيسه الامبراطور ثيودورس فاقطعه خليج ادوليس وجزيرة ديسي سنة ١٨٥٩ الّا ان الحكومة الافرنسية لم تسرع شأنها بالماضي بالمصادقة على هذه المعاهدة واحتلال البلاد التي اقطعها اياها الامير الحبشي ونسيت ان جارتها البريطانية واقفة لها بالمرصاد فاغتنمت هذه فرصة اهمال فرنسة واحتلت تلك الجهة . فاستفزّت اخيرًا الحمية المسيو لامبير (Lambert) قنصل فرنسة في عدن واراد ان يخدم دولتهُ خدمة جليلة فخاطر بحياته وذهب الى داخلية بلاد الدناكل وتخابر مع رؤساء القبـائل وابتاع منهم أُبخ وما جاورها من رأس ضُميرة الى رأس علي بمبلغ عشرة الآف ريال وهـذه ايضاً كادت ان تفلت من يد فرنسة لانها بقيت اربع سنين تتردّد قبل ان تحتلها سنة ١٨٦٢ لكن المسيو لامبير لم يرَ بام رأسه ثمرة اتعابه هذه فانهُ قُتل بينما كان ذاهباً في زعيمة شراعية من عدن الى تجرّه لمخابرة رؤساء القبائل في امر هـذا الاحتلال . واليك

تعريب نصّ المعاهدة التي صادقت عليها حكومة فرنسة عند احتلالها لمستعمرة أُبخ نقلًا عن سجلات ولاية جيبوتي الافرنسية

معاهدة ١١ اذار سنة ١٨٦٢ مع مشايخ القبائل

بتاريخهِ تم الاتفاق بين الوزير سكرتير الدولة في النظارة الخارجية وديني احمد ابي بكر بالوكالة الشرعية عن السلطان محمد بن محمد والسلطان ديني كولو عثمان وعلي ابرهيم ابي بكر الشهم والسلطان لوعيتا رؤساء قبائل الدناكل العَدَليين والدَبَنيين على ما يأتي بيانهُ وهو:

المادة الاولى — يكون سلام دائم ومحبة متمكنة بين جلالة نابليون الثالث امبراطور الفرنسويين وخلفائهِ من بعدهِ وبين قبائل الدناكل المقيمين في السواحل العَدَلية

المادة الثانية — رؤسا الدناكل وخصوصاً السلطان ديني يقطعون جلالة الامبراطور مدينة أُبخ وعموم الموانئ البحرية والاحواض التابعة لها من رأس البرّ الى رأس علي جنوباً والى رأس الضميرة شمالًا

المادّة الثالثة — ثمن هذه الاراضي قد عيّن بالاتفاق بين الفريقين عشرة الاف ريال اي خمسين الف وخمسماية فرنك

المادّة الرابعة — دفع هذا المبلغ يكون هكذا: النصف الاوّل عندما يصادق الرؤسا المشار اليهم على هذه المعاهدة ويوقعون عليها والنصف الآخر بعد مضي ثلاثة اشهر من تمام احتلال هذه الاملاك باسم جلالته الامبراطورية

المادّة الخامسة — ان رؤساء جميع القبائل الدنكلية وهم السلطان محمد بن محمد والسلطان ديني كولو عثمان وعلي ابرهيم ابو بكر الشهم والسلطان لوعيتا رؤساء العدليين والدبنيين الذين وكلوا عنهم ديني احمد ابا بكر وكالةً شرعية يضمنون ويكفلون سويةً تسليم هذه الموانئ التي اقطعوها لحكومة جلالتهِ الامبراطورية

المادة السادسة — هؤلاء الرؤساء المومأ اليهم يتعهدون سويةً وكل واحد بمفردهِ ان يعملوا كل ما بوسعهم لتسهيل معاملات الفرنسويين النازلين أُبخ مع داخلية البلاد برًّا وبحرًا ويساعدونهم على ركوب ضري حماسو واواش للوصول الى الجبال الحبشية ويسمحون لهم ان يأخذوا حاجاتهم من خشب الاحراج ومياه الابار والينابيع الكائنة في جوار أُبخ وتوابعها. وكذلك يتعهدون بان يتفقوا مع هؤلاء النزالة على بناء خزانات ومجامع للمياه بدون ان يتطلّبوا ثمنًا من الاراضي التي يشغلها هذا البناء

المادّة السابعة — يستطيع النزالة الافرنسيون الساكنون في أُبخ ان يرسلوا مواشيهم مع الرعاة الى امبابو وجبل تجُرّه وحساسازيله وايلو قرب رأس جيبوتي من دون ان يكون لهم ادنى ممانعة او يُطلب منهم رسم عن ذلك

المادّة الثامنة — يستطيع الفرنساويون ان يأخذوا ما شاؤا من الملح من بركة السل ومن جهات أُخرى حيث توجد الملاحات بلا ممانعة اصلًا ولا طلب تعويض ما

المادة التاسعة — يتعهد رؤساء الدناكل تعهداً ثابتاً ان يُطلعوا الحكومة الفرنساوية في أُبخ على كل مخابرة تأتيهم من قبل الحكومات الاجنبية بقصد شراء او اخذ ارض في اي جهة كانت من اراضي قبائلهم. وهم يتعهدون منذ الان سوية وكل واحد بمفرده ان يردّوا كل مخابرة جدّا الشأن لم ترضَ بها حكومة جلالة امبراطور الفرنسويين

حُرّر في مدينة باريس في الحادي عشر من شهر اذار سنة الف وثمانمائة واثنتين وستين

التواقيع

توفنيل (Thouvenel) دبي ابن السلطان محمد حامد بن المرحوم السلطان محمد

الوزير محمد ابن السلطان حامد

الامير الهادي ابو بكر ابراهيم الشهم

مادّة اضافية — اذا ظهر عقب الاحتلال ان بناء أُبخ وحوضها لا يصلحان لوقوف البواخر الكبيرة ذات المحمول الثقيل فان دبي احمد يتعهد من اليوم باسم الشيخ علي ابرهيم ابي بكر الشهم وباسم بقية الرؤساء والمشايخ ان يبدل بنفس الثمن البناء المذكور في المادة الثالثة من هذا الصك ببناء قبة الخراب او ببناء غيره مع كل ملحقاته وتبقى بقية الشروط معمولاً بها بدون تغيير حُرر في باريس في ١١ اذار سنة ١٨٦٢

يلي ذلك التواقيع المسطرة اعلاه (لها بقية)

ثمرة شهية لمدرستنا الاكليريكية

الكاهن العبد دانيال سرور

توطئة

يذكر تلامذتنا القدماء عبداً اسود تلقى الدروس العالية في المدرسة الاكليريكية اللاحقة بكليتنا فاقام فيها عدداً من السنين كان في مدتها مثال التقوى والغيرة والنشاط والذكاء. ولمّا انجز الدروس الفلسفية واللاهوتية رُقّي الى درجة الكهنوت فعُلّقت عليه الآمال الكبيرة. لكن احكام الله الغامضة بلتهُ بمرض عضال اودى بحياته وهو شاب في مقتبل العمر. وقد طلب الينا كثيرون من الحافظين لرفيقهم الطيب ذكر ان نورد ترجمة حياته فلبّينا الطلب ونقلنا عن المجلة السنوية التي تصدرها المدرسة الاكليريكية ما جاء بشأنه آملين ان تكون هذه النذكرة تفكهةً للقرّاء ومثالاً عجيباً لمراحم الله عزّ وجلّ ا. ر

كان دانيال سرور من العبيد ومن قبيلة الدنكا المقيمة على ضفتي النيل الابيض ولما لن اسعده الحظ بمقابلة السيد كومبوني توسم هذا فيه خيرًا وعلق عليه آمالًا كبيرة اخصها مساعدته على نشر بشارة الانجيل الطاهر بين مواطنيه. ولهذا وطن عزيمته على الاعتناء به والاهتمام بامره فارسلهُ اولًا الى مدرسة فيرونه ثم الى مدرسة انتشار الايمان المقدس في رومية. غير ان مرضًا اعتراه هناك اضطر السيد سوغارو خليفة السيد كومبوني الى ارساله الى بيروت لينجز دروسهُ في مدرستنا الاكليريكية فجاءها وهو في العشرين من عمره وقد وصفهُ احد المرسلين فقال: «هو طويل القدّ رشيقه اسود البشرة جميل المنظر رغمًا عن فطس انفه وغلظ شفتيه مجعد الشعر قصيرهُ تلوح على وجهه ملامح الوداعة مقرونة بحشمة ورزانة تفتح لهُ سريعًا باب القلوب...»

ولما لن دخل دانيال في مصاف طلبة مدرستنا الاكليريكية احبَّ حضرة مديرها لن يقف على ماضي تلميذه الجديد فرغب اليه ان يسطر لهُ تفاصيل حياته الماضية ففعل دانيال مدفوعًا بعامل الطاعة لرئيسه وهاك ما كتبهُ:

« ولدتُ في افريقية الوسطى من قبيلة الدنكا التي تنتمي الى عشيرة الجيورجس المتوطنة ضفة النيل الابيض ونهر الغزال الشمالية ولم يكن لابويّ دين يدينان به ولم يكونا على شيءٍ من التمدُّن ولهذا كانت تربيتهما لي مقتصرة على العناية بالجسد خالية من الاهتمام بالآداب

وفي التاسعة من عمري بليت بفقد والدي فتزوَّج اخوهُ بامي حسب عادة البلاد لكنه ما لبث ان مات هو ايضًا واضطرت والدتي المسكينة لن تقوم وحدها باعباء العائلة وبارد بنيها وابنت كانت قد تبنتها وكنت ادعوها اختي

وبينما كنَّا امنين ونحالنا بمعزل عن غدرات الزمان وطوارق الحدثان اذ بالعربان الذ اعداء العبيد قد انقضوا على قريتنا المسماة «مارين» ولا اهتضاض العقبان واختطفونا قسرًا من كوخنا الحقير العزيز لدينا واقتادونا اسرى الى مدينة «العُبيد» قاعدة الكوردفان بعد ان اوسعونا شتمًا واهانة وضربًا مبرحًا. والذي حدا بالعربان الى مثل هذه الفعلة ليس البغض ولا القساوة بل انما هو حبهم المفرط للربح فكانوا يؤملون ببيعنا بيع الحيوانات او اقله اتخاذنا عبيدًا لهم واستخدامنا في اشغالهم الشاقة

واني الى الان تعروني القشعريرة كلما مرَّ بخاطري مشهد سوق العُبيد حيث كان

اولئك الغلاظ الاكباد المتاجرون ببني الانسان يفرقون بين الاب وبنيه والمرأة وزوجها والاخ واخيه على ما تقتضيه مصلحتهم ولم تكن قلوبهم الجلمودية لترق لعويل اولئك المنكودي الحظ ولا لتوسلاتهم فكل عبد بيع امسى متاع سيده يتصرف به كيف شاء.

ولا يسعني هنا الا اسداء الشكر الجزيل للعزة الالهية القابضة على قلوب البشر فانها لم تسمح بان افترق عن امي بل قيضت لي ان اكون معها واحد ابناء عمي فاننا بعد ان قضينا شهراً كاملاً نعاني به مشقات السفر وصلنا الى العُبيد وهناك تشتت شمل ارفاقي وبقيت انا وامي وابن عمي مقيدين بخدمة من كان قد اسرنا. وقد قضيت عنده ستين تكبدت في اثنائها من المشاق المتنوعة ما لا يحيط بوصفه قلم فعهد اليَّ في السنة الاولى برعاية مواشي مولاي العديدة ولم يكن لي من القوت ما ارمق به فاضطررت غير مرة الى السرقة لاسدَّ ما بي من الجوع فتولتني الاحزان والاشجان ليلاً ونهاراً وكنت كلما قابلت حالتي تلك بالتي تقدمتها في الكوخ الوالدي يعتريني غمٌ شديد تخور منه قواي واكاد اسقط على الارض مغمياً عليَّ

وعند ختام العام استدعاني مولاي الى المدينة لاتعلم الخياطة الا ان العناية الربانية التي كانت تمهد السبيل لنجاتي من الاسر واكتحال عيني بنور الايمان المقدس دبرت اعادتي الى الحقل بالكيفية الآتي شرحها:

حدث انهُ عند استدعائي الى المدينة عنَّ لحاكم الكردفان ان يدعو قومهُ لحملة على قبيلة الدنكا بغية ان ياتوهُ بعدد من العبيد ليبيعهم ويحسن بثمنهم احوال ماليته وكان لمولاي الجمَّال عبدالله شهرة بعيدة في الغزو ولديه عبيد كثيرون يسهل عليه استخدامهم في قضاء حاجاته فعهد اليه الحاكم امر الحملة فتأهب لها عبد الله وزحف برجاله مستصحباً والدتي لتعد لهُ الطعام وقد سرَّت والدتي بصحبته لأملها بان تجتمع باخواتي

اما انا فقد صدر لي الامر بان اعود الى رعاية المواشي فعملت لكنني ما لبثت ان تحققت ان سفر والدتي ومولاي فتح لي باباً جديداً للعذاب والتعاسة والشقاء فان مولاي كان يشملني ببعض الرعاية مراعاة لخاطر امي ولم يدر قط بخلدي قبل سفره ان معاملته تلك كانت توغر عليَّ صدور سائر العبيد حتى وامرأته نفسها فاغتنمت هي والعبيد فرصة غياب مولاي واخذت تسومني من العذاب والتنكيل والخسف ما سئمت معهُ

الحياة لكنني فهمت بعد ذلك ان العناية الالهية كانت تعدّني بهذه الشرور الى الحصول على اعظم منحة يمنحها الله لمخلوق في هذه الفانية

وكان ان ذهب زعيم العبيد ذات يوم الى السوق يبتاع اغناماً ولدى رجوعه عند المساء استدعاني اليه واوسعني سباً وشتماً واهانة ثم اراني مجلدة وتهدّدني بتعطيمها عليّ عند اوّل ذنب او مخالفة اقترفتها فلم اعبأ بكلامه وحسبتُ من باب التهويل الفارغ. غير اني اخطأت ظنّاً وما عتّمت ان وقعت بين يديه وذلك انهُ دعاني يوماً لاحضر لهُ من كوخه زجاجة عطريّة فانكسرت الزجاجة وكان ذلك داعياً لاحتدامه غيظاً عليّ فاخذ المجلدة وظلّ يجلدني الى ان تناثر لحمي وعيي من التعب ووقعت مغشياً عليّ فساءت هذه المعاملة الوحشية جميع العبيد ارفاقي وحملوني الى عبدة ضمدت جراحاتي ثم في اليوم الثاني ارسلوني مع بعض التجار الى بيت مولاي

وكنت في مدّة اسري اسمع القوم يتحدثون عن مسيحي العُبيد وينسبون الى الرهبان والراهبات منهم اموراً غريبة فكانوا ينعتونهم بالكفر ويقولون انهم يشترون العدد العديد من العبيد ليعتقوا بلحمانهم. وما كنت ادري نصيب هذه الاقاويل من الصحة لكنني كنت اقول لعلّهُ خير لي ان أستسلم لهؤلاء القوم المسيحيين فيأكلوني من ان اتحمّل هذه العذابات المبرّحة. وهكذا كانت العناية الصمدانية ذات الاحكام العجيبة الخفية تهيئني وتمهد لي سبيل الدخول عند المرسلين وبواسطتهم الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية التي كانت مزمعة ان تحوّل احزاني الماضية الى افراح صافية

وفي تلك الاثناء خُبّرت امرأة مولاي بقرب وصول زوجها فارسلت عبدة تطلب مني مفتاح غرفته لتعد لهُ وليمة فسلمت العبدة المفتاح وعند المساء طلبتُ ثانية بالمفتاح فاجبت باني كنت قد سلمتهُ للعبدة ولدى سؤال هذه اجابت بانها اعادته لي على الاثر. فاستشاطت مولاتي غيظاً وأمرت للحال بان أُرسل الى احد انسبائها لأجلد فراعني هذا الامر جدّاً واستطير لهُ لبي خصوصاً وان جراحاتي لم تكن قد اندملت تمام الاندمال فاسرعت فاقد الرشد الى الدار حيث كان بعض الاجانب وتوسّلت اليهم خاشعاً باكياً ان يرثوا لحالي ويتشفعوا بي لدى مولاتي لئلا أجلد فلم يجسروا على ذلك فتولاني اليأس ولم يخطر ببالي ان استجير بالله وادعوهُ الى نصرتي لاني لم اكن اعرفهُ غير انه هو كان قد رمقني بعين رحمته وقرّر نجاتي من حيث لا ادري

فبينما كنت افكر في وسيلة تمكنني من الهرب والاختفاء قبل وصول مولاي خطر لي ان اختبئ في مضيق بين جدار البيت والجدار الخارجي واتسلق الحائط والوذ بالفرار ولم يكن الامر بسهل غير ان خوف المجلدة اولاني جرأة واقداماً لم اعهدهما بي من قبل فتمكنت بعد شق النفس من تسلق الحائط ثم رميت بنفسي من اعلاه غير مبالٍ بالخطر واخذت اعدو . لكنه لم يكن غير القليل حتى خارت قواي وامتنعت عليَّ مواصلة السير الى الامام

وبينما الافكار المتنوعة تتنازعني اذا بصوت داخلي يقول لي: « ارأف بنفسك يا ولدي والتجئ الى المسيحيين فتجد السلام والراحة » وكنتُ كأني بصوت آخر يقاطع الاول ويقول لي: « انجُ بنفسك وابتعد عن هذا المكان واقصد ملجأً يكون خيراً لك من الالتجاء الى المسيحيين » . فلبثت نحواً من نصف ساعة حائراً في امري ولا ادري الى اي الصوتين اصغي واخيراً عولت على الالتجاء الى المسيحيين مؤثراً موتي عندهم على بقائي في العذاب عند مولاي . وما كدت انهض لاتوجه نحوهم حتى سادت الطمأنينة عليَّ واقشعت عني غيوم الغموم التي كانت تتولاني فعدت على الاعقاب مسرعاً الى منزل المرسلين فقرعت الباب وطلبت مقابلة الرئيس فجاءني السيد كومبوني السيد الذكر وقال لي باللغة العربية: — من انت ؟

— انا عبد

— وعبد من ؟

— عبد جمال

— اين يسكن مولاك

— يسكن بعيداً من هنا

— ومن جاء بك اليَّ

— الله

والحق يقال اني كلما افتكرت بجوابي هذا الاخير اخذ بي العجب مأخذه لاني لم اكن اعرف من الله سوى الاسم ولم اكن اتصوره كالواجب الوجود والمتناهي الكمال والغير المحدود ومبدع الكائنات ولا خُيل لي قط ان المسيحيين هم عبّاده الحقيقون

ولما سمع السيد كومبوني جوابي الذي لم يكن ينتظره من عبد مثلي تبسم ثم صرّح

لي بانهُ يقبلني عنده وشدّ ما كان سروري عندما ارتديت بلباس الايتام وزادني غبطة يقيني بالنجاة من الاسر لان مهابة السيد كومبوني كانت قد اثّرت فيَّ كل التأثير وحملتني على الاعتقاد بانهُ ذو مزّة وسطوة لا تضام. امّا خوفي من المسيحيين فانهُ تلاشى حالًا ولم يبقَ لهُ اثر واخذت اشعر بسعادة لا ادري مصدرها

اما ما كان من امر مولاي عبد الله فانهُ رجع من غزوتهِ في مساء اليوم الذي فُرت فيهِ بالفرار ولما خُبِّر بواقع الحال بث الارصاد في اثري واخذت العبيد تفتش وتحفي في السؤال عنّا تعثر عليَّ فذهبت مساعيها ادراج الرياح. وبعد مضي اسبوع على ذلك اتفق لعبدة تعرفني ان رأتني العب في حديقة المرسلين مع ارفاقي فاسرعت واخبرت مولاي بموضع اقامتي فجاء يطلبني لكنهُ رجع بخفي حنين اذ اجابهُ السيد كومبوني بقوله: « نحن لا نزعم احدًا على المكوث عندنا لكننا نعنى بامر من يلتجئ الينا طالما هو عندنا . ومتى شاء مغادرتنا تركناهُ وشأنهُ »

إلا ان مولاي لم ييأس من استرجاعي فعاد ثانيًا وثالثًا وحاول ان يفتديني بالمال فرأى من شرف المسيحيين وعزة نفوسهم ما لا يتصورهُ من لم يكن على دينهم واخيرًا جاء بامي آملًا ان الشواعر البنويّة تعمل فيَّ وتحملني على ان الحق بها. فلم ينجح ولولا النعمة الالهية التي اقفلت باب قلبي دون العواطف البشريّة لما وسعني إلا اجابة ملتمس امي لكني كنت اشعر بقوّة نفس غريبة وأجبت امي على كل مواعيدها وتعليقاتها بانني لمتى لو انضمت اليَّ هي واخواتي. فغضبت حينئذٍ غضبًا شديدًا واقسمت انها لن تراني ابدًا فاحدث كلامها تأثيرًا عظيمًا في فؤادي وجرحهُ جرحًا بليغًا ولم يعزّني الّا اعتقادي بانني كنت محقًّا في اصراري وبانني لو أذعنت لاقوال امي لجلبت على نفسي الدمار

وقد كان لسلوكي هذا تأثير عظيم في نفس السيد كومبوني الذي تحقق مذ ذاك ثباتي فقرّر تعليمي عقائد الديانة المسيحية ومنحني سري العماد والتثبيت المقدسين وفي عيد القلب الالهي منحني هو نفسه السرين ودعاني باسمه دانيال دلالةً على اصطفائه الابوي نحوي

واختم هذه السطور طالبًا ممّن يقرأها الصلاة لاجل ارتداد امي وسائر ذويَّ عسى

الله ان يلهمهم جميعاً اعتناق الديانة المسيحية ليتسنى لي الاجتماع بهم في الملكوت السماوي حيث السعادة والتلاق بدون فراق

واسأل القارئ ايضاً ان لا يضن بصلاة لاجل توفيق المرسلين الذين يتفانون في بلاد العبيد لنشر الديانة المسيحية »

هذا ما كتبهُ رجل الله عن حياته قبل اكتحال عينيه بنور الايمان الطاهر . وهاك ملخص ما جرى لهُ من ذلك الحين الى زمن رقادهِ بالرب :

تقدمنا وقلنا ان السيد كومبوني كان يعلق آمالاً كبيرة على مستقبل دانيال ولهذا ما مضت ايام قليلة على اقتباله سرّ العماد المقدس حتى سعى في ارساله الى اوربة ليتلقى في مدارسها العلوم الاكليريكية . فوصل دانيال الى ڤيرونه في ٢٥ ايار سنة ١٨٧٦ وفي السنة التالية جاء رومية ونال شرف المثول امام قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع الذي امر بادخاله في مصاف تلامذة البروبغندة . فانكب دانيال على الدرس ونجح نجاحاً باهراً قضى باعجاب الجميع ولمّا كان آخر سنة ١٨٨٣ جرت مناظرة في بعض الامور الفلسفية حضرها كثير من السادة الاحبار في رومية فبرهن دانيال في اثناء المناظرة عن دقة نظر استغربها الحاضرون في عبد افريقي كل الاستغراب

وفي تلك السنة عينها اعترى دانيال مرض اضطره الى مغادرة رومية والسفر الى مدرسة بيروت الاكليريكية ليدرس فيها العلوم اللاهوتية ثم استدعاه رؤساؤه الى القاهرة سنة ١٨٨٦ وفي السنة التالية رقاه الى الدرجة الكهنوتية المقدسة السيد سوغارو النائب الرسولي لذلك العهد على افريقية الوسطى . وبعد ذلك بقليل توجه بناء على اوامر الرؤساء الى سواكن لمساعدة المرسلين هناك وكان ان تُرك وحدهُ بعد حين في تلك المدينة وجاء المهديون فحاصروها فابدى الاب دانيال في تلك الاونة الخطرة من الشجاعة والغيرة الرسولية ما اطلق جميع الالسن بالثناء عليهِ وعلى بسالتهِ وتفانيه فلم تكن نيران العدو ورصاص بنادقه ليقعدهُ او يصده عن الذهاب الى المسيحيين المعرضين للموت ومساعدتهم فكان اذا دعاه الواجب لبي الدعوة حالاً غير مكترث بالخطر مهما كان جسيماً

ولمّا كانت سنة ١٨٨٩ سافر الاب جيير الى اوربة ليدعو ذوي الاريحيّة والسخاء لمدّ يد المساعدة الى رسالة افريقية الوسطى واستصحب معهُ الاب دانيال لهذا الغرض

فنجح نجاحاً كبيرًا في مسعاه لان صورة الاب دانيال وتواضعه وتقواه وحركاته وسكناته كل ذلك اثر اشد التأثير في نفوس المحسنين فجادوا عليه بالمبالغ الوافرة

وبعد ان قضى سنتين في هذه الرحلة رجع من اوربة وأرسل الى حلوان قريباً من القاهرة حيث قضى ما تبقى من حياته متفانياً في سبيل خير القريب وقد قال عنهُ من عرفهُ هناك انهُ كان رسول الله محبوبًا من الجميع خصوصاً من الفقراء والمرضى الذين لم يكن ليبخل عليهم بشيء.. وما لبث ان فاح عبير تقواه في حلوان فجذب اليه كل القلوب وكان من ورعه واخباته في تقدمة الذبيحة الالهية ما حبَّب الى الناس حضورها

لكن حلوان لسوء الحظ لم تتمتَّع طويلًا بنعمة امثلته الخلاصية وغيرته الرسولية ففي شهر ت ١ سنة ١٨٩٩ شعر بالم في الحلق لم يعبأ بهِ في بادئ الامر غير ان الرؤساء اوجسوا خيفة على حياته فارسلوه الى الجزيرة حيث تحسنت صحته اولًا بعض التحسين لكنها ما عتَّمت ان اعتلت واشتدت وطأة العلة وبلغت حدًّا قطع معهُ كل رجاء

وكان الاب دانيال يتحمَّل اوجاعه بصبر عجيب مسلماً امره الى العناية الربانية ومردداً هذه العبارة: لتكن مشيئتك يا الله. ولم يكن لينقطع عن تقدمة الذبيحة الالهية كل يوم رغماً عن وهن قواه الزائد. واتفق ان رئيسه لامه بسبب ضعفه على تقديمه الذبيحة الالهية في رأس السنة فاجابه متبسماً: نعم قدمت الذبيحة الالهية لكن من كل سنة ١٩٠٠ وقد صدق في كلامه هذا لانهُ وقد بالرب في ١١ ك ٢ بعد ان طلب الاسرار المقدسة وتزودها فجرى لهُ مأتم حافل في كنيسة الآباء المرسلين وذهب مبكيًا عليهِ من البيض والسود

مطبوعات شرقية جديدة

D^r MAX FREIHERR von Oppenheim, *Der Tell Halaf u. die verschleierte Göttin*; mit 1 Kartenskizze u. 15 Abbild. Leipzig. J. C. Hinrichs 1908.

حفريات تل خلف

تل خلف محل قديم على نهر خابور في بلاد ما بين النهرين غير بعيد عن مدينة « الدار » قد بحث في آثاره القديمة حضرة الاستاذ العلامة فون اوبنهيم واجرى حفريات اتت بنتائج مهمة. وقد طالعنا كتيبة بمزيد التأثير لما تكبده حضرته من المشاق ليلوغ اربه لكن مسعاه كُلل بالنجاح فاكتشف آثارًا فخيمة لقصر بناه الحثيون. على ان هذه الواجهات الجامعة بين الفخامة والغرابة وهذه التماثيل العظيمة (خاصة رسم الآلهة المتبرقعة) المنقورة في الصخر الاصم لمما ياخذ الناظر بالدهش ويذكره بالآثار الحثية المكتشفة في زنجيرلي وبوغاز كوي ومرارًا بقصر سرغون. وقد وجد الحافرون كتابات مسمرية قراءها الاستاذ ديليتش وورد فيها مرتين « قصر خابار بن حنيان » منها ينتج ان القصر يرتقي عهده الى الدولة التي تملكت على تلك الامصار في القرن العاشر قبل المسيح. فنثني على ذكاء العالم المكتشف وجدّه ونرجو له نجاحًا في سائر ابحاثه العلمية ز. ر

LES VERSIONS ARABES DE LA LITURGIE DE S. JEAN CHRYSOSTOME, suivies d'une ancienne version inédite, par le P. C. Bacha.

بحث في الترجمات العربية لليتورجية القديس يوحنا فم الذهب يليه نسخة قديمة نشرها حضرة الاب قسطنطين باشا. رومية: صفحاته ٧١

وصف المشرق (١١: ٨٧١ و ١٢: ٣٨٧) مجموعة الابحاث المتعلقة بسيرة واعمال الذهبي الفم التي نشرها العلماء المتنسمون في رومية للاحتفال بالمائة الخامسة عشرة لوفاته وهي والحق يقال من اكمل واصدق ما كُتب عن هذا القديس العظيم لما فيها من المقالات الخطيرة والابحاث الدقيقة. وقد خص المشرق بالثناء حضرة الاب قسطنطين باشا لغيرته على الآثار التاريخية منها نشره هذه النسخة القديمة لليتورجية الحنارية. وقد اراد حضرته طبعها على حدة لجزيل فائدتها ونقلها الى اللغة الافرنسية فنجدد الثناء على

حضرته راجين ان يتحفنا بكثير من الآثار القديمة التي جمعها منذ سنين عن احوال طائفته ورجالها واعمالها. ا.ر

DIE RHYTHMEN DER ALTSEMITISCHEN PREDIGT, par R. Geyer. Meinnon, T. III, pp. 77-89. 1900.

الايقاع في الخطب السامية القديمة

لخّص المؤلف في مقالته بكلام جمع بين البراعة والذوق مبدأ الدكتور ه. مولر في الايقاع والادوار فان حضرة استاذ فيننه الشهير لا يزال منذ سنة ١٨٩٦ يعيد النظر في ذات الدرس فينقحه ويكمله عساه يثبته بالبراهين. وقد اتخذ امثالاً للمواعظ الموقعة في انبياء اسرائيل وفي القرآن منها ما اورده المسيو غيير وشرحهُ شرحاً تعمًّا من عاموس ١: ٢ — ٢: ٢ والانجيل يوحنا ٥: ١٩—٢٩ والقرآن. على اننا اذا سلمنا بوجود الايقاع في هذه المقاطيع لا بد لنا من الملاحظة ان في خطبة عاموس ادوارًا صريحة ولا تجد ما يعادلها في ما جاء مختارًا من القرآن ومن انجيل يوحنا فانك تجد في هذين المثلين الاخيرين نثرًا مسجعاً لا شعرًا. ولا نشك في ان الدكتور مولر يبتهج جذلاً اذ يرى في المسيو غيير محامياً ذكياً بارعاً عن مبدإ طالما اجتهد في اثباته

الاب بولس جوون

LES MISSIONS CATHOLIQUES ET LES LANGUES INDIGÈNES, par le P. Paul Peeters s. j. Louvain 1905. pp. 43.

الرسالات الكاثوليكيّة واللغات الوطنية

هي مقالة لحضرة الاب بولس بيترس اليسوعي الذي يعرف قرّاء المشرق اتساع معارفهِ التاريخية الشرقية. عدّد فيها المؤلف العلامة ما للرسالات الكاثوليكيّة من الايادي البيضاء على اللغات الوطنية في كل مكان لحفظها وترقيها وترتيب قواعدها وضبط مفرداتها وتسهيل درسها على الاجانب واثبت كلامهُ بشهادات العلماء المستشرقين وذكر شيئاً عمّا ألّفهُ المرسلون في اللغات الوطنيّة. فاول من درس اللغة الصينيّة درساً علمياً الاب متى ريتشي اليسوعي واول اجرومية صينية ألّفها الدومنيكاني فرنسيس فارو. واول كتاب موسع في الصرف والنحو الصيني كتبهُ الاب دي بريمار اليسوعي وعنهُ لخص ابيل ريميزا كتابه. واول معجم ياباني الفهُ وطبعهُ المرسلون اليسوعيون في اول مطبعة

يابانية انشأوها سنة ١٥٩٥. واول اجرومية يابانية كتبها الاب يوحنا رودريكوس اليسوعي. واول معجم واجرومية انّامية هي للاب اسكندر دي رود اليسوعي الخ. وقل ذلك من اللغات الماندشية والبرمانيّة والتيبيتية والتامولية والسنكسريّة وغيرها فقد سعى المرسلون الكاثوليكيون من كل الملل والجمعيات في تهذيب قواعدها وحل مشاكلها وتعريف ادابها وعنهم اخذ المستشرقون. لكن الفضل للمتقدّم. ويمنّ لنا ونحن نكتب هذه الاسطر ان نزيد على قائمة حضرته كتباً جمة نكتفي بذكر اول تعليم مسيحي طبع باللغة العربية في مدينة رومية الفهُ الاب يوحنا اليانو المرسل اليسوعي لفائدة الموارنة في اواخر القرن السادس عشر وطبعهُ في المطبعة التي انشاها الاباء اليسوعيين في مدرستهم الرومانية لفائدة الطوائف الشرقية - وسنعود ان شاء الله الى هذا الموضوع - وقد اثنى حضرة الكاتب على مطبوعات المرسلين في بيروت فتاقينا كلامهُ بالشكر وكررنا الثناء على اعماله في جانب الدروس الشرقية ا. ر

OBRAZEY SOWREMENNOJ ARABSKOJ PISMENNOSTY. YZDAL Y SLOWAREM SNABDIL A. Khachab.

منتخبات خطيّة لدرس اللغة العربية الكتابيّة

طبعها وعلّق شروحها الاديب انطون افندي خشّاب مدرّس اللغة العربية الحديثة في الكلية الامبراطوريّة في طرسبورج سنة ١٩٠٨. صفحاته ١٢+١١٨

للمستشرقين الروسيين شغف في اللغة العربيّة وآدابها لاسيما من عهد المرحوم البارون روزن الذي اثبتت مجلّة المشرق ترجمته بقلم احد تلامذته وطنينا انطون افندي عبدالله خشّاب الطرابلسي مدرّس اللغة العربيّة في كليّة بطرسبورج حالاً. والآن نزفّ الى قرّائنا كتاباً جديداً نشرهُ حضرة الخواجا خشّاب لنفعة طلّاب اللغة العربيّة وهو يحتوي على منتخبات خطية مختارة: ١ً من الاوراق الرسميّة كرسائل القناصل الى متوظّفي الدولة ومنهم الى القناصل والمطارنة والبطاركة ٢ً من المعاريض والكتابات التجاريّة وغيرها من الصكوك والقراطيس ٣ً من مكاتيب وتلغرافات تجاريّة وشخصيّة. وهذا الاختيار ينبئ عن ذوق ومعرفة وسيكون عظيم الفائدة لطلّاب اللغة العربية الراغبين الانخراط في سلك ماموري القنصليّات او النظارة الخارجيّة. وقد الحق المؤلّف مجانيه بقاموس عربي وروسي وذيّله بفهرست اسماء الاشخاص والاماكن وهو ممّا يُسهّل مطالعة هذه المنتخبات

تسهيلاً مُهمًّا. وفي مقدمة الكتاب بحثٌ لحضرة المؤلف في العربيَّة الحديثة والكلمات الدخيلة وهو يذكر بالثناء بعض مطبوعات المطبعة الكاثوليكية فنشكرنا له تلطفهُ

وممَّا يزيد الكتاب قدرًا نقلهُ لبعض النصوص التاريخيَّة المهمَّة نكتفي بالاشارة الى اعداد ٣٨ او ١٦ و ٥٦ أو ٥٠ و ٥١ و٥٢ فيها تفاصيل عن تاريخ النصارى في سورية. والكتابات منقولة بالفوتوغرافيَّة في كمال الاتقان والبهاء. فنشكر لحضرة الكاتب هديته ونثني على معارفه ونرجو لكتابه بين الروسيين رواجاً هو اهل به. ونهنئ قسم اللغات الشرقيَّة في كليَّة بطرسبورج الذي طُبع الكتاب على نفقته فانها خدمة تذكر فتشكر ا. كرتشقوفسكي

SURVEY OF RECENT PUBLICATIONS OF ASSYRIOLOGY by Hope W. Hogg. Edinburg. Schulze 1908, pp. 48.

نظرة في المطبوعات الاشوريَّة الحديثة

مقالة عدد فيها كاتبها ما نُشر بالطبع من الكتب والمقالات اللاحقة بالماديات الاشورية كالحفريات والآثار والكتابات وغيرها وهي مكتوبة باللغة الانكليزيَّة وفيها من الملاحظات ما يروق مطالعتهُ في اعين محبي التاريخ القديم ا. ر

تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطوريَّة

وقف على طبعهِ وعلَّق حواشيه الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب (بيروت المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩٠٩ مع ترجمتهِ الى اللغة الافرنسية)

هو اثر مفيد نقل عن نسختين احداهما وُجدت في احدى كنائس الموارنة بالشام والثانية وجدها حضرة الاب لويس شيخو في مكتبة اسقفيَّة ماردين الكلدانية فتبرع بها على حضرة ناشر الاثر والكتيب لا يتجاوز في النص العربي ٢٦ صفحة ضمَّنه مؤلفهُ المجهول احوال الكنيسة النسطوريَّة في الاجيال المتوسطة فذكر اسقفياتها في بلاد مصر وافريقية واليمن والحجاز وقبرس وسوريَّة وفلسطين واسيا الصغرى وكردستان وما بين النهرين والعجم وبلاد التتر والهند وملبار والصين وعدَّد الكراسي والكنائس واحصى مرارًا عدد السكان من الكلدان الى غير ذلك من الفوائد. لكن الكاتب — وقد صرَّح بذلك حضرة الناشر الحبشي في مقدَّمتهِ — ليس من المدققين في ايراد العصور

والسنين فهو يذكر على نمط واحد ما جاء في القرن الثاني عشر وفي القرن السابع عشر بحيث يصعب مراراً استخلاص فائدة تاريخية ثابتة. وانا مع ذلك نرتئي رأي حضرة الخوري بطرس عزيز في اهمية الاثر لاسيما اذا أكمل بالنسخة التي وجدها حضرته بعد نشر هذا التقويم وقال عنها انها اوسع فائدة بالمعلومات التاريخية . وقد نُقل الكرّاس الى اللغة الافرنسية وعُلّقت عليه الحواشي الجزيلة الفائدة. فنثني على همة حضرة الناشر الفاضل ونتمنى لو سعى الكثيرون من اولاد الوطن العزيز فنقبوا في الزوايا وافادوا الشرقيين والمستشرقين بنشر آثار مجهولة صادقة تكشف القناع عن احوال البلاد فيخدمونها خدمة جليلة ا.ر

كتاب دروس الحياة الانسانية في مدرسة الله النباتيّة

المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٩ وهو ١٥٢ صفحة

السموات والارض وما فيهما ينطق بمجد الله ويحدث عن اعمال يديه فاذا امعن الانسان فيها النظر درس درساً سامياً يرفع بقلبه الى الاعالي ويملأه سبل الحياة. هذا ما سعى بالاعراب عنهُ حضرة الكاتب الاديب امين افندي ظاهر خير الله جامعاً بين كلام الله في اسفاره وكلام الجوامد والنباتات في اسرارها على سبيل التفكهة والتعليم تارة بالنثر وطوراً بالشعر بعبارة صحيحة فصيحة يفهمها الساذج ولا ينبذها العالم وانا مع حضرته نسأل الله ان يكثر من امثال الام التي وصفها بين النساء السوريات فتعرف الام شرف وظيفتها وسموها اذا ما هذبت اولادها التهذيب الصادق فرفعت بقلوبهم من المنظورات الى ما فوق المنظورات . هناك « سعادة العيال وارتقاء الشعب بعبادته وهمه وتديّنه وادابه واعماله الماشية » وانا نثني اطيب الثناء على الكتاب ونتمنى بين المطبوعات الحديثة كثيراً من امثاله ا.ر

المستشرق ميخائيل اماري

نبذة عربية وايطالية للاب جبرائيل ماريا الكبوشي الحلبي

استاذ اللغة العربية في بالرمو سنة ١٩٠٩ صفحاتها ٢٠

لا يهمنا في ميخائيل اماري الرجل السياسي ولا نعرف ما سوف يدون له ولاصدقائه التاريخ من الثناء او القدح في الثورة الصقلية والايطالية لكن للمستشرق

فضلاً لا ينكر فقد شغف بتاريخ وطنه صقلية فاكبَّ لذلك على درس العربيـة ونشر المؤلفات التي تكشف القناع عن احوال الجزيرة في القرون الوسطى كترجمة وصف ابن حوقل لبالرمو ورحلة ابن جُبير لصقلية وتاريخ الاسـلام في صقلية وهي خدم جليلة تبقي لهُ ذكرًا في تاريخ الاداب العربية . وقد توفي اماري في ١٦ تموز ١٨٨٩ . وهذه النبذة كتبهـا حضرة الاب جبرائيل ماريا بمناسبة العيد القرني لمولد المستشرق الشهير احتفل بهِ مواطنوهُ الصقليون فشاركهم صاحب النبـذة الافراح واستحق شكرهم ونحن نمدح المستشرق ونثني على المترجم الذي لا يزال منذ سنوات يقوم بوظيفة التدريس احسن قيـام في المدرسة الجامعة للرسالات الايطالية الخارجية في بالرمو كما يشهد بذلك الغرامطيق العربي الذي الّفه باللغة الايطاليـة وطبعهُ في مطبعتنا منذ خمس سنوات لفائدة تلاميذهِ ا.ر

كتاب اللاهوت النظري

لحضرة الخوري الياس الجميل : الجزء الاوَّل في الوحي الالهي

(بيروت ١٩٠٩ صفحات ١٥٠)

أمل المؤلف الغيور « ان يلاقي عمله قبولًا واقبالًا عند نصراء الدين ويكون عائدًا لمجدهِ تعالى وخير النفوس » ونحن نضمن لهُ هذا الامل لان عملهُ خير العمل . وقد طالعنا كتابه فالفيناه وافيًا بالمراد يلخص بعبارة قريبة الفهـم اهم المسائل النظريَّة التي يجدر بكل مسيحي اديب ان يتعلمها ليعرف الاساس المتين الذي بُني عليـهِ دينه القويم فيثبت في معتقده ويدافع عنهُ تجاه الكفرة . وما قولنا عن كاهن الله ؟ فقد سبق النبي ملاخي (٢ : ٧) واوصانا قائلًا « ان شفتي الكاهن تحفظـان العلم ومن فيهِ يطلبون الشريعة اذ هو ملاك رب الجنود » فقد اقامه الخالق معلمًا ليتلمذ الشعب ويثقفـه وينوره ويرشده الى سبل الخلاص . ولا يقوم نائب المسيح بهذه الوظيفة الثقيلة الّا اذا جمع بين القداسة والعلم ليعمل ويعلّم على مثال سيده . واذا كانت معرفة العلم الالهي اي اللاهوت ضروريَّة في كل آن وزمان ففي ايامنا وبلادنا قد اصبحت الآن من باب الامور التي لا يُستغنى عنها ولا يُعتاض وقد اكّد قدسة الحبر الاعظم بيوس العاشر ان اصل الشرور والفتور في ايامنا هو جهل الحقائق الدينيَّـة . لذا نرى رؤساء الطوائف

يسعون سعياً محموداً لترقي المعارف الدينية بين الطغمة الاكليريكيـة لا في المدن الكبرى فقط لكن حتى في القرى البعيدة ايضاً لان الخطر يتهدد هذه وتلك معاً والعلم ضروري للرعاة في كلا المكانين. ولما كان الكثيرون يجهلون اللغة اللاتينيـة فلا يستطيعون درس الامور اللاهوتية حق الدرس كانت الكتب العربيـة القريبة المنال والصادقة التلخيص من الخدم الجليلة التي نثني عليها اطيب الثنـاء ونحرض على مطالعتها

وموضوع هذا الجزء اهم المسائل العصريَّة كالوحي والاعجوبة والانجيل معروضة ومشروحة على النسق المعروف بالمدرسي وهو النسق الافضل. على اننا بعد ما ابدينا من الثناء على تلميذنا القديم الملفان وعمله نأسف لسوء منظر الكتاب وحقـارة ورقه وكثرة اغلاطه الطبعية آملين ان يقبل عليه القرَّاء فيجدد المؤلف طبعهُ ويزيد عليه بعض الفوائد وينشره نشراً يليق به

ا. ر

نهج القراءة

والخط والحساب

لمؤلفه المرحوم رشيد الشرتوني

طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٩٨)

هذا الجزء الثاني من تأليف صغير وضعهُ الاستاذ المرحوم رشيد الشرتوني وانما تأخر طبعهُ الى ان تتمَّ صورهُ. وما يمتاز به هذا الكتاب انهُ وُضع على طريقـة مستحدثة لاستعمال المدارس الابتدائيَّة فيجمع مبادئ القراءة والخط والحساب معاً على التدريج. ومن خواصه ايضاً ما يتضمَّنهُ من دروس الاشياء مع الصور المثلة للموصوفات ودروس أخر ادبيَّة واجتماعيَّة من شأنها ان تزرع في قلوب الصغـار اطايب الشيم ومكارم الاخلاق هـذا فضلاً عن حسن طبع الكتاب واتقان كل مادياته التي ترغب في مطالعته

ل. ش

شذرات

سعي في مخابرة المريخ — المريخ سيارة معروفة وصفها المشرق (٤: ١٧٣) في معرض بحثه عن امكان سكناها وعدمه. وقد جاءتنا المجلات العلمية تنبئ عن سعي العالم الاميركاني داود تود في مخابرة سكان المريخ — ان كان هناك سكان — فاردنا تلخيص الاخبار لفائدة القرّاء

في ٢٣ ايلول ١٩٠٩ تقترب سيارة المريخ من ارضنا بحيث تكون المسافة بين الكرتين ٥٨,٣٩٠,٠٠٠ كيلومترًا ولكن ما هي مسافة ٥٨ مليون كيلومتر؟ من المعوّل عليه ان قطر الارض ١٢,٧٤٢ كيلومترًا وعليه يكون البعد بيننا وبين المريخ ٤٥٨٢ مرة قطر الارض فاذا القينا بقوّة المخيّلة جسرًا عظيمًا اسندناهُ على الكرتين ومشى عليه قطار يقطع مائة كيلومتر بالساعة يقضي في طريقه ٥٨٣,٩٠٠ ساعة او ٢٤,٣٢٩ يومًا او ٦٨ سنة واربعة اشهر تقريبًا قبل وصوله محطة المريخ. لكن ذلك قليل في عالم الافلاك. ولما كانت السيارة جارتنا لا تعود تزورنا مقتربة هذا القرب الّا بعد ثمانية وعشرين شهرًا فقد اعدّ العلماء في المراصد اعظم مكبّراتهم لينظروا الى وجهها نظرة المشتاق فيتأملوا تقاطيعهُ وملامحه ويحفظوا رسمها بما لديهم من الالات الحديثة

أوَهل يستطيعون الى ذلك سبيلًا؟ جوابنا ان قطر المريخ سيتراءى للارض في التاريخ المذكور بمعدل ٧٨ مرة اصغر من قطر القمر فمن لديه نظارة تكبّر المنظورات بالعين ٧٨ مرّة يشاهد المريخ في حجم القمر وان كبّرت ٧٨٠ مرّة المنظورات شاهد المريخ بحجم يزيد على القمر عشر مرّات

هذه الظروف تظهر للعلماء الاميركيين موافقة لسعي جديد في مخابرة اخواننا القاطنين في السيارة فقد عقد الاستاذ داود تود (Todd) النية على ان يراسلهم بواسطة الاهتزازات الهرتزية وهي التي يمكن ارسالها في الفضاء. ومنها يتركب التلغراف اللاسلكي (مشرق ١٩٠٤: ٣١١ و١٩٠٨: ٢٤٥) ولذا سيرتفع في منطاد الى علو ٨٠٠٠ متر مع ما يحتاج اليهِ من الالات ليبعث اليهم بالعلامات ويتقبل ما يردهُ عنهم

فاذا فاز بالنجاح انشأ على اعالي جبل سيمبرازو مرصاداً خاصاً بالمراسلات بين الكرات السيارة. اما الاستاذ الاميركاني بيكرينغ (Bickering) فقضّل استعمال العلامات النوريّة المنعكسة على مرايا عظيمة ولكن الاستاذ لاركين انكر هذا الرأي الاخير على بيكرينغ لعدم فائدته واثبت بالحساب ان هذا النور المنعكس لا يُشاهد وذلك لظهور الارض متشمشة الانوار في ٢٣ ايلول لاعين المريخ

ومهما كان من الامر فان سكنى المريخ لا يزال في عالم الخيلات المحضة لا يمكن الحكم فيه لا سلباً ولا ايجاباً كما لا يحكم في عداد النجوم المتلألئة في افقنا أهي خنثى او ذكا (فرداً او زوجاً) والله اعلم

سقي النباتات — كلُّ بستانيّ يمتنع عن السقي عندما تلقي الشمس اشعتها على النباتات ساعات الظهيرة لكن السبب العلميّ لم يذكرهُ الّا القليلون وهو موضوع مقالة عرضها الاستاذ مونتز (Muntz) على المحفل العلمي في باريس ملخصها انهُ اذا ما تبلّلت الاراضي اليابسة ابرزت من جرّاء ذلك حرارة تعادل ٢٠ او ٣٠ اقيسة من الحرارة (calorie) في كل كيلوغرام. وسبب هذا الاسخان هو المناسبة العظيمة — كما يقول الكيماويون — بين الماء وبين الصلصال او التراب الصالح للنبات. وهذا ما يحدث بنوع جليّ في اطفاء الكلس. ومن ثم تتأذى النباتات الضئيلة اذا ما انهطل عليها المطر بغتةً عقيب ساعات احتها فيها الشمس باشعتها فقد ترتفع عندئذٍ حرارة التراب الى ٤٠ او ٥٠ درجة. هذا ما يحدث في السقي ساعات الحرارة فتذبل العروق الدقيقة ولا تشم ان تحترق كانها انزلت في ماء حار

قطرة القلم — هي قصيدة تلاها في منتدى جمعيّة النهضة الادبيّة في بيروت جناب الاستاذ الياس افندي قولا ظاهر فارسلها الى ادارة المشرق افتتحها بقوله :

حيِّ الجنودَ منابتَ الشجعانِ القائمين بنهضةِ العمرانِ
وادعُ الشيبة ان تهبَّ وقُلْ لها آنَ الاوانُ لتنهضي بأمانِ

وختمها بهذه التحيّة :

منّي على جيش السلام تحيّةٌ الداحرين جحافل الطغيانِ
وعلى فتاة الترك والقوم الأُلى عرفوا الحياةَ وقيمة الوجدانِ

اثر عربي — على واجهة جامع دير القمر كتابتان يرتقي تاريخهما

الى القرن التاسع للهجرة جاء فيهما ذكر احد الامراء المغنيين الذي حفظ التاريخ وصف اعماله الخطيرة وقد احببنا نقلهما بالفوتوغرافية ونشر رسمهما خشية ان تاخذهما يد الضياع. اما الاثران فهذه صورتهما مع قراءتهما:

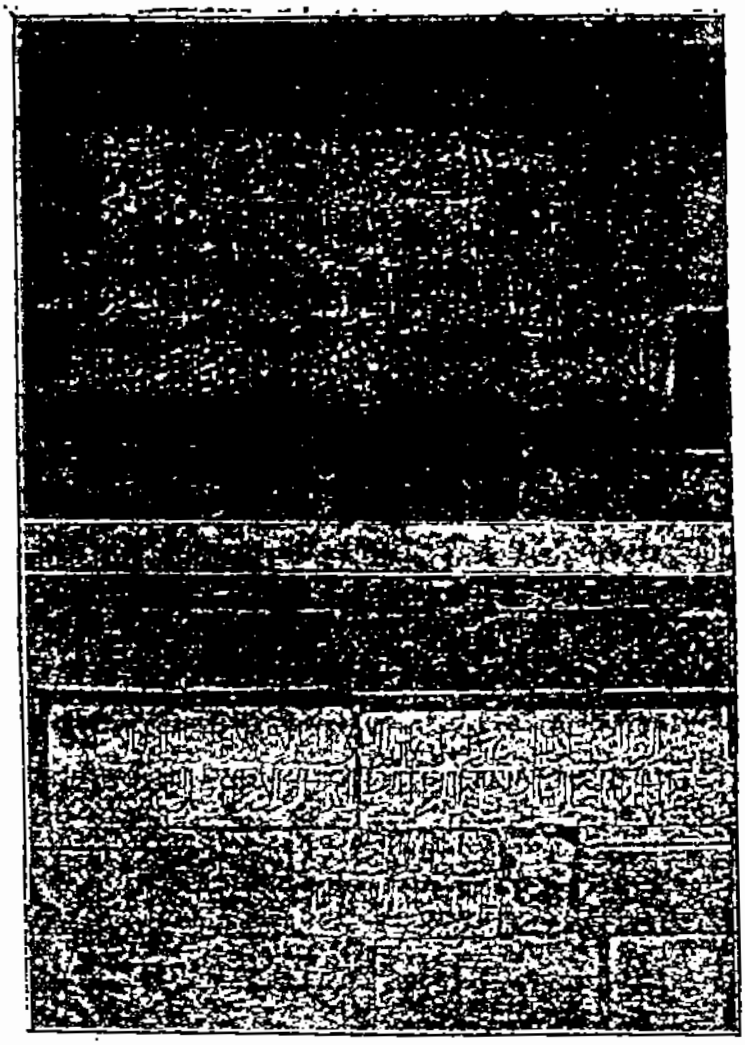

١

بسم الله الرحمن الرحيم. في بيوت أذن الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمهُ يسبح لهُ فيها بالغدو والاصال. رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقامة الصلوة وايتاء الذكوة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب

والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضلهِ والله يرزق من يشاء بغير حساب

٢

بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت أذن الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمهُ يُسبِّح لهُ فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يخافون يوماً تتقلب فيهِ القلوب والابصار

عمّر هذا المكان المبارك ابتغاء لوجه الله العظيم ورجاء ثوابهِ العميم العبد الفقير الى عفو ربّهِ القدير المقرّ الفخري الامير فخر الدين عثمان ابن الحاج يونس ابن ممن غفر الله له

وكتب في ٥ من شهر الله المحرم الحرام من شهور سنة تسعة وتسعين وثمان

ماية للهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام

فالفقرة الاولى في كلتا الكتابتين أُخذت من سورة النور وابطل منها الكاتب في الرسم الثاني اربع كلمات في الوسط ولم ينجز نصها . ذلك ولا شك لانهُ اكتفى بسطر واحد لم يتجاوزهُ

امّا الامير فخر الدين عثمان فقد وصفهُ الشيخ طنوس الشدياق في اخبار الاعيان في جبل لبنان (صفحة ٢٥) قال: هو اشهر الامراء المعنيين بهِ غابت شمس الامارة التنوخية واشرقت شمس الامارة المعنية . تحالف مع الامير منصور الشهابي بصلح انهما يكونان هما وعيلتهما حالاً واحداً . . . ولما قدم السلطان سليم دمشق دخل اليهِ الامير فخر الدين عثمان ودعا لهُ وكان فصيحاً . فخلع عليهِ السلطان وفوض اليهِ كل امور الشام وجعلهُ مقدماً على الجميع . ومات الامير فخر الدين عثمان سنة ١٥٤٤ مسيحية وقام بعدهُ ابنهُ الامير قرقماس

دفاتر خطّ لنجيب بك الدواويني طبعت مطبعتنا الكاثوليكية منذ عهد قريب لجناب الخطّاط نجيب بك الدواويني دفاتر ضمّنها نصوصاً خطيّة متقنة فقال الشاعر المطبوع خليل افندي مطران يمدح صاحبها:

علّمتني الخطّ فما راعني في سوى ذاك النجاح السريع
كاشفتني من فنّهِ موجزاً بذلك السرّ اللطيف البديع
كم زنتَ قرطاساً بآياتهِ بين شتيتٍ بامرٍ او جميع
فشاقني منهنّ ما شاقني في روضةٍ من زهرات الربيع
صوغٌ ورسمٌ ونقوشٌ الى ما لا يُباهى من ضروب البديع

اصلاح خطأ في كلامنا سابقاً (ص ٧١٩) عن مقالة نُشرت في المقتبس تحت عنوان « ضرّاء العلماء » نسبنا المقالة لجناب منشئ المجلّة محمد افندي

كرد علي . والصواب انها بقلم محرّر آخر للمجلة المذكورة وهو الافندي الاديب صلاح الدين القاسمي فاقتضى التنبيه

الخوري الياس الموصلي والمقتطف — عُرض من لندن على مجلة المقتطف وصف رحلة الخوري الياس الموصلي الى لميركة وجدها سلامه افندي موسى في مكتبة نظارة الهند . فاجاب المقتطف مستطلعاً طلع اخبار هذه الرحّالة . ولو ألقى صاحب المقتطف بنظره الى مجلة المشرق في سنتها الثامنة والتاسعة لقرأ الكتاب برمّته نشره بالطبع لاوّل مرّة نقلاً عن نسخة محفوظة في مكتبة مطرانية السريان في حلب وعلّق حواشيه وزاد عليه معلومات وافادات (المشرق ٩ : ١٥ و ٧٣ و ٤٧٠) الاب انطون رباط اليسوعي . وقد طبع الكتاب على حدة وهو يطلب من المطبعة الكاثوليكية في بيروت

رزق الله حسون والمقتطف — وسُئل المقتطف عن رزق الله حسون وترجمته فتمنع . ولو طالع المقتطف العدد الثالث والرابع من المشرق (السنة الجارية) لقرأ في كتاب الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر الذي ينشره تباعاً الاب لويس شيخو ترجمة حسون وذكر تآليفه ا . ر

رسالة الحبر الاعظم الى جلالة السلطان — كان جلالة السلطان محمد الخامس قد انفذ وفداً خاصاً خارق العادة الى قداسة لبنا الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر لتبليغه رسمياً خبر جلوسه على عرش آل عثمان فبعث الحبر الاعظم الى جلالته برسالة هذا تعريبها :

من بيوس العاشر الى صاحب العظمة والشوكة السلطان محمّد الخامس سلام وغبطة

يا ذا الجلالة

قد سر قلبنا واغتبط لدليل الانعطاف الممتاز الذي شاءت عظمتكم ان تعرب لنا عنهُ بانفاذها وفداً خارق العادة يحمل الينا تحاريركم ويبلغنا رسمياً خبر ارتقائكم الى العرش . فتلطف جلالتكم هذا ودليل اعتبارها لنا أثرا فينا تأثيراً شديداً ونحن نشكر لكم ذلك جزيل الشكر . ومما زاد في سرورنا وابتهاجنا بدليل ولائكم لنا ذكرى وفد اخر كوفدكم انفذهُ احد سلفائكم العظام الى البابا بيوس التاسع المطوب الذكر

ويسرنا ان نجاهر ثانية بما تولانا من المسرة والحبور والتعزية اذ سمعنا سفير جلالتكم

يثني بحضرتنا ثناء عاطراً على امانة واخلاص رعايا عظمتكم الكاثوليك
فنسأل الله ان يمد بايام جلالتكم بالعز والغبطة والهنا لخير رعاياكم
أعطي في رومية بقرب القديس بطرس في ١١ تموز سنة ١٩٠٩ وهي السنة السادسة لحبريتنا البابا

بيوس العاشر

مؤتمران كاثوليكيان — في ٣٠ آب الماضي عقد الكاثوليك الالمان على مألوف عادتهم مؤتمرهم العام السادس والخمسين في مدينة برسلو عاصمة بروسية الشرقية. وفي اليوم السابق لافتتاح المؤتمر اصطف ٢٦ الفاً من اعضاء شركات العمال الكاثوليك ومروا بنظام وترتيب امام نيافة الكردينال كوب امير برسلو واسقفها... وقد تناولت ابحاث المؤتمر اموراً عديدة هامت منها مسألة الصحافة فنهض المسيو ويت من اعضاء محكمة كولونية الاستئنافية واثنى ثناء عطراً على الصحافة الكاثوليكية الالمانية وبين ما لها من الخدم الجليلة في جنب الكثلكة وبعد هذا تطرق الى ذكر واجبات الكاثوليك نحو الصحافة والحّ بوجوب مساعدتها لانها اصبحت في الوقت الحاضر من اقوى وسائل الدفاع

وخلاصة القول ان هذا المؤتمر كان كالمؤتمرات التي تقدّمتهُ ذا تاثير عظيم في النفوس حتى وفي نفوس البروتستان فقد قال احد معلمي اللاهوت البروتستاني: «ان الكاثوليك يصرحون ويجاهرون في مؤتمراتهم بتعلقهم المتين العرى بالكنيسة وباخلاصهم ومحبتهم للوطن والبلاد وامانتهم الصادقة للحكومة الملكية ويبرهنون على ذلك برهاناً واضحاً بكل ما يقولونهُ ويفعلونهُ في المؤتمر بنوع ان الحاضر لا يمكنهُ ان ينكر باحدى السلطتين دون الاخرى»

وعقد كاثوليك سويسرة ايضاً مؤتمرهم الثالث في زوغ فافتتحهُ المسيو ده مونستاخ الرئيس الثاني للجامعة الكاثوليكية السويسرية بخطاب شائق نقتطف منهُ الكلام الآتي:

« ان مؤتمرات الكاثوليك السويسريين اصبحت نقطة مركزية حية ومحركاً ومنظماً للمشروعات الكاثوليكية باسرها فهي تولي النفوس التفاني والحماس. وما من احد ينكر تاثيرها العظيم في كل المشروعات وكل الشركات والجمعيات والمراكز المجاهدة وكل الذين يحضرون هذه المؤتمرات ويشتركون في ابحاثها يخرجون منها راسخي

القدم في معتقدهم متباهين في ايمانهم وناقمين ما توجبه عليهم الوطنية والديانة المسيحية. وما من قرية او مزرعة من قرانا ومزارعنا مهما كانت بعيدة الا وفيها اناس مطلعون حق الاطلاع على ضروريات الوقت الحاضر ومتقدون غيرة رسولية ومستخدمون نفوذهم في دائرتهم ». (عن البشير)

اسئلة واجوبة

س ايجوز للكاهن ان يمنع المؤمنين من المناولة المتواترة واليومية اذا وجدت فيهم الشروط المذكورة في الحكم البابوي المؤرخ في ٢٠ كانون الاول ١٩٠٥

المناولة المتواترة اليومية

ج اصدر الكرسي الرسولي حكماً جديداً جاء فيه: ١ً لا يوجد مسوغ البتة يبيح للمعرّف او الخوري ان يمنع من المناولة من كان بحالة النعمة وذا نية صالحة. ومن فعل اخطأ — ٢ً على الخوارنة والمعرفين والواعظين ان يبذلوا الجهد في تحريض المؤمنين على المناولة المتواترة حتى واليومية ومن منهم تهاون بهذا الواجب اخطأ

كتب الينا احد الاساتذة الافاضل: تضاربت الاراء بين عدد من اصدقائي الارثوذكسيين وبيني في قانونية الاسفار الالهية التي ينكرها البروتستنت. ذهب بعضهم انها كتب الهية قبلتها ولا تزال الكنيسة الشرقية تقبلها اسفاراً الهية قانونية بمنزلة. وبعضهم انكر هذا القول مستنداً على المقالة التي نُشرت في مجلة النعمة الارثوذكسية ولمّح اليها المشرق ومدعياً ان قولها هو الفصل وصاحب البيت ادرى بما فيه وان الكنيسة الشرقية الارثوذكسية ما زالت متمسكة بقول واحد وهو نكران قانونية هذه الاسفار خلافاً للكنيسة اللاتينية. فما رأيكم ؟

قانونية الاسفار المقدسة

الجواب: ان الكنيسة الرومية الارثوذكسية تؤمن بقانونية الاسفار الالهية المسماة الاسفار الثانية التي انكرها كاتب المقالة في المجلة « التي تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية ». ذلك مما لا ريب فيه كما يظهر جلياً اذا ما طالعنا اقوال الكنيسة الارثوذكسية وكتبتها المتازين. ولا نظن انها اليوم تطرح عقيدة من عقائد الدين المسيحي قد طالما دافعت عنها احسن دفاع. ولقد عجبنا واسفنا لقراءة المقالة التي ذكرتها واعددنا لدحضها بحثاً تاريخياً مدققاً. فوعدنا العدد القادم من المشرق ان شاء الله

ا. ر

المشرق

الكتاب المقدس والكنيسة الارثوذكسية

بحث لاهوتي تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي

في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٩ اصدرت البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق العدد الاوّل من مجلّة دينية علمية اخلاقية دعتها « النعمة » وافتتحها غبطة السيد البطريرك غريغوريوس برسالة رعائية ضافية الاذيال قدّم فيها المجلة الطائفية للاكليروس والشعب المسيحي ووصف غايتها التي هي « نشر حقائق الايمان وبثّ روح المحبة واحياء ميت الرجاء بتقدم الملة في دورها هذا » (صفحة ٨) وجاء في المقدّمة ان الكرسي الانطاكي كان في حاجة لمجلّة « تعرب عن احواله وتخدم ابناءه بنشر ما تختاره لهم من جليل الفوائد وجميل المباحث جامعة بين خدمة الدين والادب والدولة والوطن » وهي تبحث عن العقائد والعلوم والآداب وتنشر الحكم والمواعظ والاخبار مطبوعة في مطبعة البطريركية الانطاكية . وأوّل مباحثها هي الدينيات « تشمل البحث في العقائد وتاريخ الكنيسة ونظامها والآداب المسيحية وشرح الطقوس والعادات الكنسيّة وما شاكلها » اه

فرحبنا بالرصيفة الجديدة وبالمقالة الافتتاحية التعليمية الاولى التي اصدرتها في عددَيها الثاني والثالث عنوانها « قانون الاسفار المقدّسة » وعكفنا على مطالعتها بشوق لطارة الموضوع ألا وهو البحث في كتب الله المقدّسة التي تقدر كما كتب بولس لتيموثاوس في رسالته الثانية (٣ : ١٥) « ان تصيّر [الانسان] حكيماً للخلاص بالايمان بالمسيح يسوع لان الكتاب كلهُ قد أوحيَ بهِ من الله وهو مفيد للتعليم وللحجاج

وللتقويم وللتهذيب بالبرّ » وكان رجاؤنا الاستفادة آملين ان نقرأ بحثًا مدققًا يتتبّع فيه الكاتب تاريخ الشرق المسيحي ويثبت بالبرهان قانونيّة تلك الكتب المقرّة . وكلّ يعرف انّ البروتستانت انكروا قسمًا منها في القرن السادس عشر فقامت عليهم كنائس الشرق والغرب فرذلت بدعتهم والتأمت المجامع الارثوذكسية في القسطنطينية وياش والقدس الشريف فقضت عليهم بالحرم حتى جاز لها ان تقول « ان الكنيسة الارثوذكسية قد حافظت على هذه الوديعة سالمةً كما تسلمتها من الرسل الطاهرين دون ان يطرأ عليها شيء » كما جاء في مقدّمة المقالة

وقد كنّا قيّدنا ما اقتبسناه من مطالعتنا للكتب والنصوص الخطيّة شذرات وشهادات تعرب عن صدق معتقد الطائفة الارثوذكسية من القرن السادس عشر الى يومنا في مسألة قانون الاسفار الالهية وانها ناضلت عنها جيلًا بعد جيل بصوت مجامعها وبطاركتها واساقفتها وكتبتها الممتازين حتى كنا نعتبر نتيجة درسنا وتنقيرنا حقيقة راهنة لا ينكرها كاتب

وما اشدّ ما كان استغرابنا عند ما رأينا صاحب المقالة التعليمية الدينية الاولى — وقد اغفل اسمهُ — قد كتب ما كتب في مجلة النعمة دون تروٍّ كاتبٍ فانكر وحي قسم مهمّ من الكتب المقدّسة جارى في ذلك الهراطقة الذين حرمهم اباؤهُ ودحضوا اضاليلهم . واي ضلال اضلّ من انكار وحي الله للبشر ونبذ رسائله الالهية التي تعطف فبعث بها الى كنيسته المقدّسة كنزًا ثمينًا قاعدة للايمان وينبوعًا للخلاص

على ان الكاتب الارثوذكسي الاديب لم يلقِ بنظره الى التعاليم والمقالات والمجامع التي تركها لهُ اباؤهُ القريبو العهد . ولو فعل لاقتبس منهم في موضوعه فوائد جمّة ولم يحد عن جادّة الحقيقة . لكنه اقتصر على كتاب او كتابين جعل قولهما حجّة رضهما نقل نصوصًا لبعض الاباء ولم يميز بين زمن الجدال الذي حدث في شأن هذه الاسفار وبين الاجيال السابقة واللاحقة . فذكر ١٥ شاهدًا الى القرن التاسع وقفز منهُ الى السابع عشر ضاربًا صفحًا عن كل ما جاء خلافًا لمدّعاه من صريح الشهادات التي لا تحصى . كما انهُ لم يفرق بين اقوال الاباء في مباحثهم مع اليهود حيث يُلجأون الى الشهادات المقبولة من الخصم ويضربون صفحًا عما سواها

واذ ثبت في رأي الكاتب وزعمه نكران الوحي الالهي لعدد من الاسفار جعل

يؤوّل اقوال الجامع على ما يشأ فاذا ذكر القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل وقرأ هناك في عداد اسفار العهد القديم اسفاراً أخر لا يرضى برحيها اخيرنا « ان النص الواضح يُعلن ان هذا التعداد جاء لتعيين ما يجدر بالاكليروس والشعب اعتباره ولم يجيء لسرد تأصيل قانونية تلك الكتب... وان الحليق بالمسيحيين ان يتصفّحوها « علاوة » (كذا) على الكتب القانونية ». وهو بذلك لا شارح ولا مفسر للمجمع لكنه مختلق لنص من قلمه الخاص

وان الح الى مجمع قرطجنة جهل او نسي او تناسى ان مجمع القبة (In Trullo) — الذي يلحقهُ الروم بالمجمع السادس المسكوني ويعتبرونهُ قسماً منهُ له ما للمجمع السادس من الالزام الاعتقادي (١) — قد اثبت قانون قرطجنة ايضاً فاصبح هذا القانون قاعدة وحكماً مجمعياً مسكونياً واعلنت حضرته ان « النص يعلن (في مجمع قرطجنة) ان البيان منصرف الى تعداد الكتب المفيدة للمطالعة والتلاوة في الكنيسة » بيد ان نصهُ الصريح هو هذا: « لا يجوز ان يقرأ في الكنيسة شيء تحت اسم الاسفار الالهية خلا الاسفار القانونية . اما هذه الاسفار القانونية فهي للعهد القديم : سفر التكوين . . خمسة كتب سليمان . . وطوبيا ويهوديت وسفرا المكابيين (٢) » فاي نص اصرح وابين ؟ وكيف لم « يتضح جلياً » هذا الامر لحضرته واتضح لهُ جلياً نقيضه ؟

وان عرّض باقوال الاباء اجاب مسلّماً « ورود ذكر قانونيّة الاسفار التي ينكرها في مؤلفات بعض علماء الكنيسة ومعلميها الغربيين القدماء » وفسّر كلامهم كما شاء بلا سند خلا مدّعاهُ الذي يعتبرهُ حجّة

وبينا نحن في دهشنا اذ جاءتنا مجلة « الكلمة » الارثوذكسية المطبوعة في نيويرك لمنشئها سيادة الاسقف رفائيل هواهيني فرأيناه في عدد ١٥ اب ١٩٠٩ تضرب على وتر « النعمة » وان اختلفت مقالة هذه عن تلك بعض الاختلاف . فان « الكلمة » تسلّم قائلةً :

---

١) هذا برهان السلامة الارثوذكسي قسطنطين اوكونوموس في كتابهِ المتير الذي الّفهُ في الترجمة السبعينية وصدّرهُ البطريرك اثيموس السادس برسالة قال فيها : انما تثبت هذا الكتاب لانهُ يحتوي بدون غش التعليم الطاهر في الارثوذكسيّة

٢) الطب مانسي : مجموعة المجامع المجلد ٣ : العمود ٩٢٤ والمجلد ٤ : العمود ٤٣٠

« ان اعاظم اباء الكنيسة ومعلميها الاقدمين كانوا يستشهدون في مؤلفاتهم بعبارات كثيرة من الاسفار الغير القانونية [على رأيه ولكن على رأينا ورأي الكنيسة الارثوذكسية قانونية البتة كما سترى] لا بل كثيراً ما كانوا لدى ايرادهم شهادة منها يقولون : « قال الكتاب او قال الكتاب المقدس » هكذا نرى شهادات كثيرة مأخوذة من سفر طوبيا في مؤلفات اكليمس الاسكندري وكبريانوس واوريجانيس وابروسيوس وافسطينوس . ومن سفر يهوديت في مؤلفات اكليمس اسقف روما وترتليانوس وابروسيوس وافسطينوس وغيرهم . ومن سفر حكمة سليمان في مؤلفات ايريناوس واكليمس الاسكندري واوريجانيس وكبريانوس وابيفانيوس وايلاريوس . ومن اسفار المكابيين في مؤلفات غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم فضلاً عن ان الكنيسة في اول شهر آب تعيد لتذكار القديسين السبعة الفتية المكابيين واميهم سلموني (كذا) ومعلمهم العازر (٢ مكا ٧ : ٢١)

فاين هذا العدد من الآباء الشرقيين والغربيين امام ما ادّعاه كاتب « النعمة » فذكر مستهزئاً « بعض علماء الكنيسة الغربيّة » . ونحن نزيد عليهم القديسين بوليكربوس وهيبوليتوس وديونيسيوس الاسكندري وغريغوريوس العجائبي ومتوديوس وهيلاريوس وافرام وباسيليوس الكبير وكيرلس الاورشليمي واوبتاتوس وكيرلس الاسكندري الخ الخ

فالنتيجة المستخلصة من هذه المقدّمة حقّها ان تكون ان هذه الاسفار هي الهية قانونية لان اعاظم الاباء والمعلمين الاقدمين يستندون اليها براهينهم التعليمية الاعتقادية ويصفونها بالكتاب المقدس ويصدّرون نقلهم لاياتها بقولهم : « قال الكتاب المقدس » و « قال الروح القدس » و « هكذا يعلمنا الروح القدس » و « هذا ما نقرأ في الكتب الالهية » . لكنهُ لما اعتبر الكاتب مبدأه امراً مسلّماً به لا يُنكَر اغفل كل النتائج ولم يستخلص منها الّا ما وافق رأيه وزعمه . هذا والحق يقال من اغرب المبادئ المنطقية

وبعد ان استشهد صاحب مقالة النعمة بخمسة عشر شاهداً حتى القرن التاسع اعتبرهم مثبتين لرأيه الحقهم بشهادة سادسة عشرة لمتروفانوس كريتوبولوس في القرن السابع عشر ثم قال : « ان هؤلاء الثقات احصوا جميعاً كتب العهد العتيق القانونيّة اثنين وعشرين كتاباً واجماعهم في ذلك حجة قاطعة تعلن ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيير »

*

(قلنا) والحقيقة هي نقيض دعواه وهي ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيّر حتى ايامنا هذه — اللهمّ خلا ما تجرّأ عليه الكتبة المتشربون المبادئ البروتستانية — ألا وهو قبولها الاسفار التي

انكرها صاحب المقالة « كاسفار قانونية مقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية مثبتة منها كقسم من اجزاء الكتب الالهية ». وقد شهد بذلك صاحب المقدّمة على « كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة التي طبعت في بيروت سنة ١٨٧٠ في المطبعة الوطنية باذن غبطة كيريوس ايروتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة تاطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي »

ولا يُعبأ بمتروفانوس كريتوبولوس امام ما سنذكرهُ من الشهادات عن صدق الامانة الشرقية متتبعين الآثار التاريخية الى أيامنا مدافعين عن هذه الامانة التي سعى الساعون ليبدلوها ببشارة جديدة لم تأتهم من الرسل ولا من الاباء الطاهرين. ثم نعود في فرصة أخرى ان شاء الله الى قانون الاسفار الالهية وننظر فيه نظرًا تعليميًا متتبعين اقوال الجامع والاباء فيظهر للقرّاء « صدق قانونية اسفار الله التي انكرها الهراطقة لغاية في الصدور » كما قال ميلاثيوس سيريغوس الارثوذكسي وذلك لانهم وجدوا فيها الاعتقاد بشفاعة القديسين والصلاة لراحة الموتى وهم لا يرضون بها (١)

*

﴿ موضوع البحث ﴾ في مقالتنا هذه نتحرّى اثبات قضيتنا المناقضة لما جاء في مجلة « النعمة » الارثوذكسية وهي قولنا: ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تعتقد بصدق قانونية الكتب التي دعاها الكاتب « كتبًا كنسية او كتب التلاوة » التي هي على زعمه « غير داخلة في قانون الاسفار الالهية » وليست « بوحي الله على محض التنزيل » وان كانت « مفيدة وجديرة بكل اكرام واحترام » او بلفظ آخر يدعي انها كلام البشر لا كلام الله بينما الكتب التي تليها هي بالحقيقة كلام الله. اما نحن فنقبل هذه الاسفار ككلام الله هي وسائر الاسفار المقدّسة على حدّ سواء في الاكرام ونعتبرها قانونًا للحقيقة لا يتغير

ولا نريد الان ان ننظر في اقوال الاباء وندافع عن معتقدهم في قانونية الاسفار المنكرة. ذلك موضوع يستغرق مقالة برمّتها نلجئه الى عدد آخر لكن غايتنا اليوم ان

---

(١) اطلب كتابهُ صفحة ١٠٠ Κατὰ τῶν καλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ἐρωτήσεων Κυρίλλου τοῦ Λουκάρεως ἀντίρρησις

نبين شطط من ادّعى ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تنكر قانونية هذه الاسفار وذلك نقلاً عما تسلّمته من الاباء الاقدمين والتقليد الكنسي المتواصل الذي جاهرت به مراراً من القرن السادس عشر الى ايامنا

﴿ قانون الاسفار الالهية ﴾ قانون κανὼν كلمة يونانية معناها القاعدة استعملها ايضاً كتبة القرن الرابع بمعنى الجدول كمرادفة لكلمة κατάλογος فضمّت المعنيين معنى الجدول ومعنى الرسم او قاعدة الايمان فقالوا قانون الكتب الالهية اي مجموعة او جدول الاسفار المقبولة من الكنيسة كاسفار منزلة الهية قاعدة ونظام الحقيقة التي اوحى الله بها. وقالوا كتاب قانوني اي داخل في هذا الجدول ومن ثمّ جدير ان يكون قاعدة للحقيقة لانهُ موحى به من الله (١

وهذا القانون قسمان: قسم يختص باسفار العهد القديم وقسم باسفار العهد الجديد. وكلامنا الان عن العهد القديم الذي تعرّض لهُ الكاتب الارثوذكسي (٢

وقانون العهد القديم قد اعتاد المؤرخون تمييزهُ الى قسمين قسم لهُ اصل عبراني محفوظ في توراة يهود فلسطين يقبلهُ اليهود والمسيحيون بغير جدال ويستعملهُ الاباء القديسون في مباحثهم مع اليهود وهو القسم الذي رضي به صاحب « النعمة ». وقد سمّى الاباء اسفارهُ ἀναλογούμενα اي الاسفار التي لا مناظرة فيها يرضاها الجميع. وسمّاها كتبة القرن السادس عشر (protocanoniques) اي القانونية الاولية. وقسم لم يحفظ نصّه العبراني الاصلي او أُوحي به باللغة اليونانية فحُفظ في الترجمة السبعينية فقط وعليهِ حدث جدال نظري في القرن الرابع للسيح بين الكتبة الكنسيين لثبات قانونيته او عدمها. وهذا القسم يُدعى باليونانية ἀντιλεγόμενα اي الاسفار التي يُجادل في صدق وحيها. وقد دُعيت في القرن السادس عشر (deutérocanoniques) اي القانونية الثانية تمييزاً لها عن الاولى

---

١) اطلب القاموس الكتابي (Dictionnaire Biblique) وقاموس الدفاع عن الدين (Dictionnaire Apologétique) الذي ينشرهُ تباعاً عدد من اعاظم الكتبة تجد هناك بحثاً طويلاً في المعنى اللغوي والتاريخي لكلمة قانون

٢) وقد ذكر الكاتب قانون العهد الجديد وعدد اسفاره فنسي عمداً او سهواً سفر رؤيا يوحنا وهذا من الغرابة بمكان

وهنا نلاحظ ان الاباء الذين شكّوا نظرياً في وحي بعض الاسفار ما زالوا يحفظون التقليد المتابع في مقالاتهم باستعمالها برهاناً تعليمياً هي والاسفار الاولى على حدّ سواء. وما زالت تنكشف الرغوة عن الصريح الى ان تغلّب الرأي العام في الكنيسة الجامعة على رأي بعض الافراد واثبتت المجامع قانون الاسفار الالهية كما جاء في النسخة السبعينية

وكانت المباحثة قد هدأت او بالحري قد انطفأت منذ اجيال ورضي الجميع نظرياً وعملياً بقانونية الاسفار الثانية إذ قام في القرن السادس عشر هامتا البدع الحديثة لوتير وكالوين فشنّا الغارة على كتب الله وابطلا قسماً منها في العهدين خلافاً لمعتقد الكنيسة الشرقيّة والغربية. فوقف في وجههما اباء المجمع التريدنتيني المسكوني المقدّس فحدّدوا جدول الاسفار القانونية المقبولة في كنيسة الله تحديداً نهائياً وانزلوا الحرم على كل معاند وقرّروا ان هذه عقيدة لا ريب فيها لا ينكرها الّا المبتدع المرطوقي. وحذت الكنيسة الارثوذكسية حذو الكنيسة الكاثوليكية رغماً عمّا بينهما من الخلاف فاقرّت بنفس الجدول او القانون وحرمت من يخالفهُ

﴿ اسفار قانون العهد القديم ﴾ لا نجد في اسفار العهد الجديد جدولاً رسمياً للكتب الالهية القديمة المسلمة صياتها للكنيسة المسيحية. لكن المخلص والرسل قد استشهدوا مراراً بآيات كتابية فجاءت شهادتهم اوّل برهان لتنزيل الكتب المستند اليها. ومن تصفّح الانجيل الطاهر والرسائل وجد الكتبة الالهيين كثيراً ما يأتون بالنصوص النبويّة القديمة التي قال المخلص انها تشهد لهُ (يو ٥: ٣٩) . وقد ينقل الرسل النصوص الالهية تارةً بالحرف وتارةً بالمعنى او يلمحون اليها تلميحاً فاذا جمعت هذه النصوص استخلصنا منها نتائج كتابية جمة منها معرفة ما اعتبرهُ كليسو الله وحافظو تعاليمه منزلاً الهياً (اطلب المجلد الثالث من الكتاب المقدّس المطبوع في مطبعتنا ص ٤٦٥–٤٨٣) . وهذا الدرس اتمّهُ عدد من الكتابيين العلماء متتبعين كلّاً من الاسفار المحفوظة في الترجمة السبعينية

وتلا الاباء تاوهم واتخذوا اثارهم في اسنادهم التعاليم الخلاصية الى المجموعة السبعينية كما استلموها من الرسل والتلاميذ لكنهم اذا جادلوا اسرائيلياً اسندوا قولهم الى ما لا جدال في إثبات وحيهِ وهكذا تحلّ اكثر المشاكل الناتجة عن بعض النصوص المبهمة

﴿ عدد الاسفار القانونية الاولى ﴾ هي التي لا تزال محفوظة في التوراة العبرانية والتي لم يحدث جدال بشأنها وعددها ستة وثلاثون على حساب كثير من البروتستانت او تسعة وثلاثون على حساب صاحب المقالة في « النعمة » او ثمانية وثلاثون كما جاء في « الكلمة ». لكنها قد تضمّ بعضها الى بعض فتُحصي اثنين وعشرين كتاباً على عدد احرف الهجاء العبرانية او اربعة وعشرين على حروف الهجاء اليونانية . وهذه الاسفار كُتبت بالعبرانية خلا بعض مقاطيع لا تُعرف الّا باللغة الكلدانية او الآرامية

﴿ الاسفار القانونية الثانية ﴾ من تصفح مجموعة الكتاب المقدّس في اي لغة او عند اي طائفة شاء مبتدئاً من الترجمة السبعينية الجليلة الى ايامنا — خلا بعض النسخ البروتستانية الحديثة — يجد اسفاراً أُخر مختلطة في وسط الاسفار التي عددناها تحت اسم واحد لا ميزة بينها . وهي هذه : ١ً طوبيا او طوبيت — ٢ً يهوديت — ٣ً سفر الحكمة — ٤ً يشوع بن سيراخ — ٥ً باروخ — ٦ً سفر المكابيين وبعض قطع في سفر استير وتسبحة الثلاثة الفتية في الفصل الثالث من سفر دانيال وخبر سوسنة والتنين في الفصل ١٣ و ١٤

وهذه الاسفار والمقاطيع قسمٌ منها كُتب ولا شك باليونانية وهما سفرا الحكمة والمكابيين الثاني . وقسم فُقد اصلهُ . فقد عرف اوريجنيس سفر المكابيين الاوّل بالعبرانية ووُجدت مؤخرًا في كنيس القاهرة قطعٌ عبرانية قديمة اثبت العلماء انها النصّ الاصلي العبراني لسفر يشوع بن سيراخ . اما طوبيا ويهوديت والقطع المذكورة من دانيال واستير فقد ذهب العلماء المحدثون المدققون ان اصلها العبراني قد فُقد مع الايام (١ . هذه الاسفار

---

١) جاء في الكاتيشيس الارثوذكسي المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٥ (صفحة ١٨) : « لاي سبب في احصاء كتب الثيقة هذا لم تعرض حكمة سيراخ وبعض كتب اخرى غيرها ؟ الجواب : لانهم غير موجودين في اللغة العبرانية ». قلنا وقد اثبت العلماء ان ابن سيراخ كُتب بالعبرانية ونُقل الى اليونانية كما بيّنا في النص . وكاتب هذه الاسطر يذكر انهُ لمّا وُجدت هذه القطع العبرانية لابن سيراخ كان مارًّا باحد شوارع باريس فاذا بالعلامة الاسرائيلي المستشرق الشهير هالاوي (J. Halévy) يناديه وهو يتبسّم مبتهجاً وقائلاً : اسمعتَ باكتشاف قطع عبرانية لابن سيراخ ؟ قلتُ : لا . فجعل العلامة يشرح الامر بالتفصيل ويقول : هذا ما كنتُ اعتقدته طول حياتي فكان الخالقون يانديوي فجاء الاكتشاف مثبتاً لحسباني . وزاد : ارجوك ان تخبر الاب د . وغيره من دارسي العلوم الكتابية بهذا الامر الاثير

وتزيد : لِمَ لا يرضى صاحب الكاتيشيس الّا بما كُتب بالعبرانية ؟ ألا يحقّ له ان يستعمل

حفظتها لنا الترجمة السبعينية في عداد الكتاب المقدس وعليها كلامنا في هذه المقالة

*

وقبل ان نورد الشهادات المثبتة اعتقاد الطائفة الرومية الارثوذكسية المتواصل في قانونية هذه الاسفار لا بدَّ لنا من ايراد ملاحظة:

لم يتفق الكاتبان الارثوذكسيان في الجلّتين الارثوذكسيتين في ايرادهما الاسفار التي يزعمان انها غير قانونية. فكاتب « النعمة » يرضى باستير ودانيال ولا يتعرض للمقاطيع . اما صاحب « الكلمة » فانهُ يُنكرها وينكر ايضاً صلاة منسى في آخر اخبار سفر الايام الثاني

ثم يلحق كاتب النعمة بسفر ارميا كتاب باروخ ورسالة ارميا. وعلى ما يتراءى من كلامه يعتبرهما قانونيين — وكاتب الكلمة يعدّهما بين الكتب الغير القانونية

ومهما كان من امر اتفاقهما او عدمه فانا نثبت ان الكنيسة الارثوذكسية قبلت قانونية كل الاسفار التي انكر كلا الكاتبين قانونيتها تبعاً لتعليم البروتستانت في القرن السادس عشر. ولا نتعرَّض اليوم لاقوال الاباء القديسين وشرح ما اوردهُ من النصوص والجواب على ما جاء به من الاعتراضات فوعدنا مقالة أُخرى ان شاء الله

البرهان الأوَّل

في انَّ الكنيسة الارثوذكسية اثبتت قانونية الاسفار الثانية بقبولها الترجمة السبعينية

كل يعرف ان الترجمة السبعينية هي ترجمة يونانية سبقت العهد النصراني كان يهود القطر المصري يستعملونها ويعتبرونها اعظم اعتبار حتى ان كثيرين من اليهود ومن المسيحيين ذهبوا الى انها موحاة على مثال النص الاصلي العبراني. وهي تضمّ الاسفار الاولية والثانية مختلطة بعضها مع بعض لا خلاف بين هذه وتلك ولا ميزة. ومن ثم يُستخلص ان يهود الاسكندرية على الاقل كانوا يعتبرونها كمجموعة صادقة وكاملة للاسفار الالهية. وبهذه الترجمة وبالترجمات المزوة لاكويلا وسوماك وتيودوثيون التي هي ايضاً تحوي (كما يظهر من بقاياها) الاسفار الثانية انتشر الكتاب المقدَّس في القرون الاولى. وجدير

غير هذه اللغة اذا شاء ان يوحي اسراره للبشر؟ أوَلا يوجد في الكتاب العبراني قطع ارامية او كلدانية. وعلى كلٍ فالكتاب المقدس وديعة الكنيسة المقدسة وهي وحدها تنبئنا عن الكتب المنزلة

بالملاحظة ان كتبة العهد الجديد قد اعتادوا ايراد الآيات التي يستشهدون بها تبعاً للترجمة السبعينية. على اننا اذا خصصنا بالنظر الكنيسة الشرقية عموماً واليونانية خصوصاً وجدناها الحافظة الامينة على الترجمة السبعينية والمادحة لها جرياً على مسلك الاباء الاقدمين لا تعرف غيرها ولا ترضى الّا بها وقد قبلتها كما هي واعتبرتها المجموعة الصادقة والكاملة للكتاب المقدّس ولم يحدث مدّة ثلاثة قرون اعتراض على هذا الاعتبار. وبعد الجدال الذي حدث في القرن الرابع فتغلب فيه الحقّ على الشك واستتبّ الاعتقاد بالمجموعة السبعينية. قال مجمع اثينا سنة ١٨٣٥ منكراً الطعنات البروتستنتية للكتاب المقدّس: « ان الترجمة الوحيدة القانونية للعهد العتيق التي تقبلها الكنيسة الشرقية هي الترجمة القديمة السبعينية » وقال سنة ١٨٣٦ البطريرك القسطنطيني غريغوريوس السادس: « ان الكنيسة الشرقية تقبل الترجمة السبعينية فقط وتعتبرها اعظم اعتبار كانها النصّ الاصليّ بالذات » وسنة ١٨٤٨ اعلن البطاركة جميعاً رأيهم قائلين: « ان كنيستنا تحفظ سالمة صحيحة الآيات الاسفار المقدّسة المعصومة وهي الترجمة الصادقة والكاملة للعهد العتيق والنص المقدّس للجديد (١ » وقد وقّع على هذا النص الاخير بطاركة القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم وواحد وثلاثون اسقفاً. اليس هذا يعادل اقراراً بقانونية الاسفار المذكورة في الترجمة السبعينية؟

البرهان الثاني

حكم المجمع اللاحق بالمجمع السادس

ولم تكن الترجمة السبعينية السبب الوحيد لمعتقد الكنيسة اليونانية بقانونية الاسفار المذكورة فان لها خلا سائر الكنائس برهاناً آخر في القرن الثاني للمجمع الملقب « إن ترولو » او القبة (in Trullo) الذي يُلحقه اليونان بالمجمع المسكوني السادس ويقدّرون احكامه قدر احكام المجامع المسكونية. فقد جاء فيه ان المجمع

١) اطلب مجموعة المجامع لمانسي (مجلد ٤٠ العامود ٤١٦) وهذا هو النصّ اليوناني:
ἡ ἐκκλησία ἡμῶν κατέχει αὐτὰ τὰ ἀδιάπτωτα καὶ ἀνόθευτα κείμενα τῶν Θείων Γραφῶν, τῆς μὲν παλαιᾶς διαθήκης τὴν ἀληθῆ καὶ ἀρτίως μετάφρασιν, τῆς δὲ νέας αὐτὸ τὸ θεῖον πρωτότυπον.

يقبل القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل الذي يعدد الاسفار الالهية (خلا ما جاء فيه بشان رسومات الرسل (Constitutiones apostolicæ) لان المراطقة قد تلاعبوا في نصها) ويقبل ايضاً حكم مجمع اللاذقية وحكم مجمع قرطجنة « ولا يجوز لاحد ان يحرف الاحكام المذكورة » (١

فاذا انتقلنا الى فحص الاحكام المذكورة وجدنا :

١ً ان القانون ٨٥ من قوانين الرسل يزيد على الاثنين وعشرين سفراً المكرمة والمقدّسة σεβάσμια καὶ ἅγια ثلاثة اسفار المكابيين ثم يقول : « اعلموا ان احداثكم يجب ان يدرسوا حكمة سيراخ الجزيل المعرفة » (٢

٢ً المجمع اللاذقي يذكر الاثنين وعشرين سفراً ويخص بالذكر باروخ والمراثي ورسائل (او رسالة ارميا) ولا يميز في سفري استير ودانيال بين قسم مقبول وقسم مرفوض (٣

٣ً واخيراً مجمع قرطجنة يعدد الكتب القانونية برمتها كما هي في الترجمة السبعينية ويقبلها كلها ككتب الله المنزلة بلا ميزة بين هذه وتلك وقولهُ هو الذي اتخذه المجمع التريدنتيني بحرفه بغير تبديل (٤

ومن هذه الاحكام نستخلص ما يأتي — وقد استخلصهُ الروم قبلنا — كما سنبين في النصوص التي سنذكرها في مقالتنا

اولاً ان حكم هذا المجمع يثبت القوانين التي ذكرها وجعلها كأنها احكامه وقوانينهُ وان تكن صادرة عن مجامع مكانية . ومن ثم جعلها الزامية

ثانياً لا بد من مقابلة الجداول الثلاثة التي وضعها المجمع وتتميم ما ينقص في احدها بما جاء في الجدولين الآخرين ولا يجوز ان نقتصر على المجمع اللاذقي فقط لاننا بذلك نخالف حكم المجمع الذي امرنا ان نقبل جدول قانون الرسل وجدول قرطجنة . فقانون الرسل ذكر اسفار المكابيين وابن سيراخ والمجمع اللاذقي لم يجعل ميزة

---

١) مجموعة المجامع لماني المجلد ١١ العمود ٩٤٠

٢) مانسي المجلد ١ العمود ٤٨

٣) مانسي المجلد ٢ العمود ٥٧٤

٤) مانسي المجلد ٣ : ٩٢٤ والمجلد ٤ : ٤٣٠

بين قسم وقسم من سفري استير ودانيال. ومجمع قرطجنة صرّح بقانونية اسفار طوبيا ويهوديت وحكمة سليمان وابن سيراخ وسفري المكابيين. اذن علينا الرضوخ لامره وقبول قانونية هذه الاسفار. هذه نتيجة منطقية استخلصناها بصريح العبارة من احكام المجامع الواضحة ولا نرى كيف يمكن انكارها

ثالثاً هكذا فهم هذه النصوص كتبة الشرق وقديسوه نخص بالذكر:

١ً القديس اندراوس القريطشي الذي استشهد مراراً بسفر الحكمة وابن سيراخ وطوبيا ويهوديت والمكابيين وقطع دانيال الخ مثبتاً الايات بقوله: « قال الروح القدس » او « نقرأ في الاسفار الالهية » وما شاكلها — ٢ً القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية استشهد بسفر حكمة وابن سيراخ ويهوديت وقطع دانيال — ٣ً المجمع المسكوني السابع (٧٨٧) استشهد بسفر الحكمة وابن سيراخ

وهذا حذوهم القديس ثيودورس ونيقيتاس وفوطيوس وسمعان ميتافرستوس وثيوفيلاكتس البلغاري وان شاء صاحب المقالة نشرنا نصوصهم بحروفها (١. اما ما جاء في المقالة بشان القديس يوحنا الدمشقي والقديس نيقيفورس ففيه نظر لان نص الدمشقي قد يراد به قانون اليهود الفلسطينيين لا قانون الكنيسة فانا نراهُ يذكر في مقالاته اللاهوتية ايات من باروخ وسفر حكمة وابن سيراخ الخ. اما نيقيفورس فانهُ يذكر صريحاً قانونية سفر الحكمة وغيره من الاسفار وقد ذهب العلامة شارل دي بودر ناشر تآليفه الاخير ان كتاب « ستيكومتريا » الذي أُخذ عنهُ النص المعارض لتعليم معاصريه في شأن هذه الاسفار هو كتاب مختلق ليس للقديس

وقد يعترض علينا الكاتب الاديب بقوله ان قانون الرسل الخامس والثمانين يذكر سفراً ثالثاً للمكابيين وان بعض الآباء قد استشهدوا برسالة هرماس المسماة « الراعي » وان النصوص القديمة كالنصّ الفاتيكاني والاسكندري او السيناري تُلحق بالمجموعة احد هذه الاسفار التي يتفق الكل على انكار قانونيتها. اجبناه ان برهاننا لم نأخذه عن مصدر واحد لكن عن لفيف المصادر معاً وانا مقرّون ان بعض الاباء قد ارتأوا قانونية هذا او ذاك من الاسفار التي لا نرضى بقانونيتها. لكننا نرجوهُ ان يعتبر ان البرهان

(١) نحيل القارئ على كتاب جليل في هذا الموضوع الاب جوجي (Jugie) الصوري فقد اقتبسنا منهُ افادات جمة (اطلب المشرق ص ٢١٣)

التقليدي الحقيقي يُؤخذ من اتفاق الاباء الادبي لا من رأي هذا او ذاك على انفراد وان الرأي الذي نحن في صدده هو من قبيل الرأي الشخصي لا التعليم العام ولم يثبت تجاه الاجيال فاضمحلّ والتقى في طيّ الهجران بينما هذا الراي العام الثابت حُفظ مصونًا. وقل نفس الكلام في إلحاق رسالة هرماس بالمجموعة المعروفة باسم النص الاسكندري او السيناوي

وقد يقول ان هذه المجامع لم تذكر كل الاسفار الثانية. نجيبهُ: ١ً قد ذكرها مجمع قرطجنة. ٢ً لما كان السبب لانكار هذه الاسفار الثانيــة واحدًا يعمّ الكلّ — وذلك عدم وجودها في النص الفلسطيني — كان من ثم الرضى باحدها يضاهي الرضى بالكل. وهذا ما يثبتهُ التنقيب التاريخي: فمن قبل سفري المكابيين مثلًا او سفر طوبيا او سفر يهوديت نراهُ يقبل ايضًا سفر ابن سيراخ وسفر الحكمة

رابعًا اذًا قد قبلت الطائفة الرومية هذه الاسفار كاسفار قانونيــة اجابةً لاحكام المجامع ولشهادة الاباء والكتبة الشرقيين في القرون المتوسطة وقد لبثت حافظة هذه الامانة «معتصمة بها لم تقل بسواها ولم يعرض عليها تغيّر» — حتى القرن السادس عشر

البرهان الثالث

في اعتقاد الكنيسة الرومانية بقانونية هذه الاسفار وحربها للمخالفين
وسكوت الشرقيين من هذه العقيدة الرومانية

لا خلاف في ان الكنيسة الرومانية كانت في الاجيال المتوسطة تومن بقانونيــة الاسفار الثانية وتستشهدها كما تستشهد كلام الله وقد اقرّ بذلك الكاتب الشهير اليوناني قسطنطين اركونوس كاهن الكنيسة الكبرى في القسطنطينيــة في تاريخه المعتبر للترجمة السبعينية. قال: «ان الكنيسة الرومانية تقبل هي ايضًا هذه الكتب (الاسفار الثانية) ككتب قانونية وتكرمها وتقرأها. وهي في هذا حافظة للتقليد القديم في الكنيسة الواحدة وقد اعلنت رسميًا معتقدها في المجمع التريدنتيني» (١

على ان هذا الاعتقاد الروماني قد اصبح بعد حكم المجمع التريدنتيني عقيدة

(١) طبعة اثينا سنة ١٨٦٩ المجلد الرابع الصفحة ١٢٦—١٢٨ Περὶ τῶν Ο' Ἑρμηνευτῶν τῆς παλαιᾶς Θείας Γραφῆς

دينية كغيرها من العقائد يعتبر من ينكرها هرطوقياً ومحروماً من الكنيسة. وهي لعمري من العقائد العظيمة الشأن لا يمكن للمسيحي ان يغض عنها طرفاً او يستخفها لان كلام الله اساس ديننا فمن تجرأ على ان ينزو الى الله كلاماً هو براء منهُ يرتكب اقبح الآثام والجرائم وليس باخف منهُ اثماً من يحرم البشر كلاماً قد تنازل الله ولقنه خلائقهُ ليكون لهم تعليماً للتقويم والتهذيب والخلاص

ومن ثم نقول: لو كانت الكنيسة اليونانية تعتقد عدم قانونية هذه الاسفار لما سكتت عن اعتقاد الكنيسة الرومانية في امر هامّ كهذا ولكانت عابت عليها هذا الضلال المبين وهي التي لم تدع عادة غريبة او مكانية صغيرة او كبيرة الا وانتقدت عليها امرّ الانتقاد حتى ان من طالع بعض كتب الارثوذكس وما جمعوا فيها وكدّسوا من الفروق التي دعوها الضلالات الرومانية يأخذه العجب فلا يدري هل ينزو هذا المسلك للبساطة وللجهل او للوهم ولسوء النية. « وعين البغض تبدي المساوئا » كما قال الشاعر

قال الكاهن والعلّامة في التيولوجيا في الكنيسة الروسية الارثوذكسية الاب فلادمير جاته (١): « لامر اكيد ان بين هذه الكنائس المختلفة قد وُجد منافرة عميقة. فمن الجيل العاشر قد اتصلت الى هذا الحدّ بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية حتى ان ميخائيل كيرولاريوس كان يعيب اللاتين على مجرّد بعض اصطلاحات في الفروض مثلاً فيما خص نشيدة هللويا في بعض ايام. وكان يكفي ان يصير الاصلاح عربياً ليكون حالاً مكروهاً عند اليونان » وهي لعمر الحق شهادة صادقة يثبتها التاريخ حتى يومنا هذا. وقد عدّوا البدع والضلالات الرومانية بالعشرات بل بالمئات منها « ان اللاتين يرسمون اشارة الصليب مبتدئين من الشمال الى اليمين » وان « القندلفت قد يتعمد على الهيكل ليطفئ الشموع » والغربيون « ينحتون التماثيل في الكنائس » و « في اوقات الصلاة يجلسون على كراسي ومقاعد » و « يقصون شعرهم » و « يخنقون الزكب يوم السبت » و « يصومون يوم السبت » وغيرها (٢ ولم يكن يعرف الاولون الا خمس اختلافات تعليمية محضة كانوا يتباحثون فيها

١) اطلب كتاب الحقائق الارثوذكسية والخلافات النصرانية. الطبعة العربية (الصفحة ٨)

٢) نظرة تاريخية في ضلالات الكنيسة البابوية تأليف الكاهن باسيليوس ميخايلوفتسكي عربها من الروسية الارشمندريت رفائيل. طبعت في كازان سنة ١٨٩٤ صفحة ٧٩ الخ. ثم اطلب البينات

على انك اذا تصفحت هذه الكتب العديدة المتشابهة لفظاً ومعنى والمحشوة امرّ الكلام واظلمه لا تجد ذكراً لهذه العقيدة الرومانية العامة . أو ليس اثبات كلام الله او انكاره اهمّ من قصّ الشعر وحلق اللحى واحناء الركب يوم السبت والجلوس على الكرلسي ؟ فليحكم القارئ

واذا تفهت النفس من مطالعة هذه الوريقات والكتيبات المتفقة عادة بالمعنى البذي والتحقير للكنيسة الكاثوليكية وأخذتَ الرسائل والمقالات التي اصدرتها مراراً الاجتماعات الارثوذكسية او السينودسات البطريركية — وعندنا منها شيء كثير — وقلبتها صفحة صفحة لا تجد فيها ذكراً لهذه العقيدة الرومانية . فلو كانت الطائفة الارثوذكسية تخالف تعاليم المجمع التريدنتيني في الاسفار الثانية ألم تكن تذكرها في فاتحة جداول البدع الغريبة لانها هي الاهم والاعظم افتراء على كلام الله . ولا يمكن للقارئ ان يعذرها ناسباً اليها الجهل بعقائد الكنيسة الكاثوليكية . ذلك قد يكون الصواب في بعض الكتبة الذين يجدفون على ما لا يعلمون . لكنه افتراء على اصحاب التاليف العامة والرسائل البطريركية وقد صرّحوا مراراً بمعرفتهم للمجمع التريدنتيني والمجمع الفاتيكاني وانتقدوا على كثير من احكامهما المقدّسة . ومن ثم كان سكوتهم بمثابة اقرار صريح باتفاق المعتقد بين الطرفين في قانونية الاسفار الثانية

البرهان الرابع

في شهادة الكنيسة الارثوذكسية ضد البروتستانت

لقد سعى البروتستانت ان يتّحدوا مع الطائفة الارثوذكسية فيجدوا في قدمها عزاء لهم وجواباً على حدوث تعاليمهم . لكن المساعي المتبادلة لم تفلح رغماً عما بُذل من التساهل من كلا الطرفين لبعد البين بينهما (١ لكننا اذ ما تصفحنا تاريخ هذه

الجلية في البدع البابوية استخرجها من اللغة اليونانية الشماس جراسيموس مسرّه . طبعت في بيروت سنة ١٨٨٧ صفحة ٣٥ الخ

١) اطلب مقالتنا في التسع والثلاثين عقيدة انكليكانية والطائفة الارثوذكسية جواباً على ما جاء في المنار الارثوذكسي البيروتي (المشرق ٧ : ٩٣٥-٩٣٨) وقد بيّنا بنشر بعض العقائد الانكليكانية ان الجمع بينها وبين امانة الكنيسة الارثوذكسية من المُحال الممتنع قطعياً

المراسلات في القرن السادس عشر والسابع عشر واوائل الثامن عشر وجدنا برهاناً جديداً صريحاً لمعتقد الطائفة الارثوذكسية بقانونية الاسفار الثانوية خلافاً لمعتقد البروتستانت وحرماً لبدعتهم. ولا بد من ذكر السوابق واللواحق ليعلم القارئ حقيقة الخبر

فاول من فاتح الكنيسة الشرقية هو ميلنكتون المبتدع الشهير وذلك سنة ١٥٦٠ في رسالته للبطريرك القسطنطيني يواصاف الثاني فلم تأت بنتيجة. ثم خلفهُ معلمو مدرسة «تيبنغه» اللوثرانية فدار البحث بينهم وبين البطريرك ارميا الثاني مدة ٧ سنوات (١٥٧٤ الى ١٥٨١) بلا جدوى لما كان عليه البطريرك من التعلق بايمان اجداده ونكرانه للبدع. فانقطعت العلاقات (١ لكن الشبان الروم جعلوا يؤمّون مدارس اوربة الكبرى ليتلقوا فيها العلوم. ولما كانوا والبروتستانت سواء على انكار التعليم الكاثوليكي آثروا المدارس اللوثرانية والكلوينية على الكليات الرومانية فتراهم يدرسون على اساتذة «ويتبرغ» و«تيبنغه» وغيرهما من الحافل البروتستانية. وما عتم ان اثر هذا التعليم فيهم فكنت تراهم يتجاذبهم طرفان طرفُ التقليد القديم الذي تلقوهُ عن اجدادهم وطرف البدع الجديدة التي سمعوا وصفها وتتلمذوا لناشريها. ولكي نقتصر على موضوعنا الخاص ضاربين صفحاً عن تاريخ العلاقات بين الارثوذكس والبروتستانت نقول:

ان اول كاتب روسي تعرّض لمسّ الاسفار الالهية هو زكريا غرغانوس تلميذ مدرسة ويتبرغ في كتاب نشرهُ سنة ١٦٢٢. لكنه لم يرق في اعين مواطنيه فقتلوهُ بعد حين. وكاريوفيلوس مطران ايكونيوم اليوناني في كتاب سماهُ جدول التعليم المسيحي الكاذب لزكريا غرغانوس. وجاء متروفانوس كريتوبولوس الذي ألفَ معلمي اوكسفرد ويتبرغ وتيبنغه وكان كيرلس لوكاريوس ارسلهُ الى انكلترة ليحمل الملك كارلوس الانكليزي نسخة الكتاب المقدس اليونانية التي تعرف اليوم بالعهد الاسكندري. فقام باعباء الرسالة وعاد الى مدينة هلمشتد من اعمال المانية فالف فيها كتابهُ «امانة الكنيسة الجامعة الرسولية الشرقية» وفيه جادل الهراطقة في كثير من مبادئهم وتساهل في غيرها منها قانونية الاسفار الثانية. وزاد منكراً قانونية باروخ خلافاً للنصوص الصريحة التي اتى بها هو ذاته في غضون كتابهِ. لكنهُ لم يتجرأ على نشر امانته فعاد تاركاً اياها مخطوطة. فجُعل

١) وقد نشرت الرسائل المتبادلة بين الفريقين في مدينة ويتبرغ سنة ١٥٨٤

بطريركاً على الاسكندرية وبعد وفاته بسنين طبعها في هلمشتد يوحنا هورنيجوس. ولم يكن لكتاب متروفانوس تأثير في حياته لانهُ لم يُعرف ولم يُنشر (١

والمسئولية في نشر المبادئ البروتستنتية اخذها على عاتقه شخص اشتهر في زمانهِ شهرة لا يُحسد عليها في ميلهِ للتعاليم المرطوقيَّة وسعيهِ سعياً متواصلاً لا يعرف الملل في بثها بين الشعب الموكولة اليهِ رعايته. نريد كيرلس لوكاريس البطريرك القسطنطيني. ولد في جزيرة كريت سنة ١٥٧٢ وكان اسمه قسطنطين ودرس في البندقية وبادوا وزار مدناً كثيرة فتصادق مع اللوثريين والكلوينيين والانكليكانيين ثم عاد الى الشرق وجُعل بطريركاً على الاسكندرية خلفاً لقريبه ملاثيوس بيغاس (١٦٠٣) ثم على القسطنطينية حيث لبث نحواً من ثماني عشرة سنة بُدِّل في غضونها اربع او خمس مرات الى ان مات خنقاً في ٧ تموز ١٦٣٨. هذا ملخص حياته نقلاً عن التواريخ الموثوق بصدقها (٢

وقد لعب في زمانهِ دوراً مهماً حتى انك تجد في مكاتب الوزارات الافرنسية مئات من الرسائل والمقالات المتعلقة بهِ وقد اسعدنا الحظ فطالعناها ونقلنا عنها شذرات قليلة في كتابنا المعنون باسم الآثار الخطية لتاريخ الكنائس الشرقية (٣ ولم يكن دوره

١) اطلب الاب جوجي في كتابه عن قانون الاسفار الالهية والكنيستين اليونانية والروسية فقد اكتسبنا مراراً من معارفه. وكتاب الكاتب الانكليزي الاب فورتسكيو (Fortescue) المعنون «الكنيسة الارثوذكسية الشرقية» (لندن ١٩٠٧) صفحة ٣٦٥و٣٦٥. وميخالشكو. اما متروفانوس فهو الاب الكنسي الوحيد الذي استشهدت به مجلة التعمة الارثوذكسية بعد ذكرها لاباء القرون الاول. كانها تجهل ما سنذكرهُ بعد هذا من شهادات اربعين او خمسين بطريركاً ومتروبوليتاً من المعاصرين لمتروفانوس والمخالفين لرايه

٢) اطلب في دائرة المعارف للعلماء البروتستنت الالمانيين (Realencyklopaedie) مقالة عن لوكاريس بقلم العالم الالماني ماير ومقالة للعالم موفن في المجمع الاورشليمي سنة ١٦٧٢. وايل لوغران (Eni. Legrand) في المكتبة اليونانية. وفورتسكيو صفحة ٣٦٤-٣٦٦ ومجلتي اصداء الشرق (Echos d' Orient) ٦: ١٧ والمباحث (Etudes) المجلد ١١٣ سنة ١٩٠٧ صفحة ٧٠-١٠١. وكل هذه المؤلفات لا ينكر احد اهميتها العلمية وصحة روايتها التاريخية

٣) اطلب المجلد الاول صفحة ٢٥٢ من كتابنا (P. A. Rabbath : Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient, 1907) وفي المكتبة العمومية في باريس نحو من عشرين مجلداً تحتوي اوراق السفارة الافرنسية في القسطنطينية في زمن لوكاريس. فيا حبذا لو سعى احد الشرقيين فاستخلص منها تاريخاً مدققاً صادقاً لاعمال لوكاريس

اسمو علم او قداسة لكن لاجتهاده اي اجتهاد في ادخال المبادئ البروتستانيـة في الكنيسة الشرقية اجابةً لرغائب اهل البدعة في هولندة والمانية وانكلترة وكانوا قد جعلوا ثقتهم فيه ولم يضنّوا عليه بمساعدة ان مالية وان سياسية. ذلك مما لا ريب فيه كما يشهد به العلماء البروتستانت في ايامنا وتشهد رسائلهُ المحفوظة (١ ومعاريض سفراء الدول الى حكوماتهم الذين دعوه مرارًا نصير الهرطقـة وهرطوقيًا (٢. قال سفير فرنسة في القسطنطينية في رسالته للملك بتاريخ ٣٠ نيسان ١٦٢٣: « هذا البطريرك هو هرطوقي خطير لا غاية لهُ الّا تاسيس الكلوينية في كل انحاء الشرقيّة ». وقد ردّد هذا الحكم مرارًا في رسائله (٢ وجعل لوكاريس يستجلب كتبًا هرطوقية لينشرها بين الشعب. قال السفير بتاريخ ٢١ كانون الثاني سنة ١٦٢٤ عن احد هذه الكتب: « هو كتاب كافٍ لان يغشي وباء الهرطقة في كل انحاء هذه الكنيسة الشرقية المسكينـة لانهُ مملوء اراء كلوينية ولوثرية قد تدخل بسهولة في عقول قوم سذّج بسطـاء (٣ ». ولم يكتفِ لوكاريس باستجلاب كتب غريبة لكنه سعى بنشر كتاب دُعي الامانة الارثوذكسيّة هو بالحقيقة اقرب للبروتستانية منه للارثوذكسية (٤ فطبعهُ في عواصم الهرطقة وزاد على الطبعة

واحوال البطريركية القسطنطينية في النصف الاول من القرن السابع عشر. وهذه نمرة المخطوطات المذكورة (القسم الفرنساوي عدد ١٦١٤٥ وما يليها)

١) قد حُفظ كثير منها بينه وبين قوم من البروتستنت كغروتيوس (Grotius) وابوت ودي دوميتيس وغيرهم (اطلب فورتسكيو صفحة ٢٦٤ ودائرة المعارف الالمانية البروتستنتية)

٢) كذا نعتهُ مرارًا سفير فرنسة في رسائله للملك (اطلب مخطوطات المكتبة العمومية في باريس نمره ١٦١٤٥ صفحة ١٢٦)

٣) اطلب مخطوطات باريس نمرة ١٦١٥٠ صفحة ٢٣٩ وكتابنا الاثار الخطية صفحة ٢٥٣ الخ

٤) ان الارثوذكسيين قد اجمعوا على رذل ما جاء في هذا الكتاب من المبادئ الضالّة والمضلّة اجمالًا وافرادًا. لكنهم على رأيين في نسبة هذا الكتاب للوكاريس. فقوم لا يشكّون انهُ هو مؤلفهُ الحقيقي بذاته او بواسطة تلميذه بزكريا لكنهم انكروا عليهِ الحق ان يعرض بدعته بثوب التعليم الارثوذكسي كاهنًا واحد والكنيسة الارثوذكسية براء من مزاعمهِ. واكثر هؤلاء معاصرون للوكاريس وقوم حاولوا تقريبه البطريركية او بالحري البطريرك من وصمة الهرطقة وهؤلاء هم اباء المجمع الاورشليمي المنعقد سنة ١٦٧٢ فقد حرموا التعليم المعزو للوكاريس وانكروا انهُ تعليمه. اما العلماء المدققون فقد اثبتوا في ايامنا نقلًا عن الاثار الصادقة ان نسبة الكتاب الهرطوقي للوكاريس امر لا ينكره الّا مكابر (اطلب لوغران في المكتبة اليونانية وماير وهوفان في دائرة المعارف الالمانية)

الثانية اربعة سوالات خص السؤال الثالث بالاسفار القانونية فانكرها خلافاً لتعليم كنيسته وجرياً على تعليم البروتستانت. وسنة ١٦٢٨ جاء انطون ليجه الهولندي فاستعان به لوكاريس على فتح مدرسة بروتستانية في القسطنطينية كما استعان بسفيري هولندة وانكلترة للثبات في منصبه او العودة اليه وللانتقام من كل محافظ على المعتقد الصادق سواء من الارثوذكسيين او من الكاثوليكيين. لكن «الله جازاهُ على سوء عمله لانهُ كان عدواً لكنيسة الله.» كما جاء في المجمع الارثوذكسي الاورشليمي سنة ١٦٧٢

☆

على انَّ الكنيسة الشرقية لم ترضَ ان تكون امانة لوكاريس امانتها فحرمتها في المجامع الكنسية التي التأم فيها البطاركة والمطارنة الارثوذكسيون مراراً في خلال مائة سنة دفاعاً عن الامانة الارثوذكسية :

١ً سنة ١٦٣٨ المجمع القسطنطيني ترأسهُ البطريرك كيرلس كونتاري خلفَ البطريرك كيرلس لوكاريس وحضرهُ عدد من الاباء منهم متروفانوس كريتوبولوس صديق لوكاريس القديم . حُرم فيه الكتاب المعزو للوكاريس وحُرم لوكاريس ايضاً كمبتدع وهرطوقي . ولما كان المجمع لم يصف بالتفصيل ما رذله من البدع كلَّف احد الاباء الحاضرين وهو العلامة الشهير ملاتيوس سيريغوس ان يدحضها بنداً بنداً فقام هذا باعباء المهمة احسن قيام والَّف كتاباً (١ فنّد فيه اقوال لوكاريس واثبت اعتقاد الكنيسة ورذلها للهرطقات ومن ذلك اعتقادها بقانونية الاسفار الثانية الالهية متبعاً

امَّا ما جاء به صاحب كتاب تاريخ الانشقاق (مجلد ٣ : ٢٥٨ الخ) في اضطهاد الجزويت للبطريرك لوكاريس فهو الروايات الخرافية اقرب منهُ للتاريخ. وكأني به اضطهاد الحمل للذيب ليس الَّا. ثم لم يكن اليسوعيون على راي لوكاريس وهم المدافعون عن التقليد والكتاب والاسرار وغيرها من العقائد المسيحية في وجه المراطنة ايَّاً كانوا ولذا لم يبخل لوكاريس وصديقاه سفيرا هولندة وانكلترة بالمال الكثير ولم يردعهم ضمير ولا شفقة ولا دين عن الافتراء على المرسلين املاً بدَّ افواههم وطردهم من القسطنطينية ليجعلوا كنيستهم (التي على اسم القديس مبارك) معبداً بروتستنتياً . وعندنا انهُ فرض واجب على الارثوذكس ان يحفظوا احسن ذكر لمن ساعدهم على حفظ وديعة الايمان ويثنوا عليهم اطيب الثناء لردّهم عنهم غارات اشياع لوثاوس وكلوين

(١ Κατὰ τῶν καλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ἐρωτήσεων Κυριλλου τοῦ Λουκάρεως ἀντίρρησις

هذه الاسفار سفراً سفراً وختم مقالته المسهبة بقوله: « لذا لا يجب ان يشك المسيحي باحد هذه الاسفار التي تقبلها الكنيسة كتباً الهية مقامها مقام غيرها من الكتب القانونية. وقاعدتنا الغير المتزعزعة هي الارادة الصريحة التي تظهرها كنيسة المسيح المقدسة... وهي انها لا تميز بين الكتب التي يرفضها كيرلس (لوكاريس) وبين غيرها من الكتب القانونية »

وقد اثنى على كتاب سيريغوس المجمع الارثوذكسي الاورشليمي واعتبره امانة صادقة لمعتقد الكنيسة الشرقية

٢ً سنة ١٦٤٢ مجمع القسطنطينية ترأسه بارثينيوس الشيخ البطريرك القسطنطيني وحضره بطرس موجيلا متروبوليت كياف الشهير وفيه جدد الرذل لضلالات لوكاريس. قال المجمع: « اما السؤالات والجوابات التي ألحقت بفصول الكتاب (اي كتاب لوكاريس) فقد سمع المجمع قراءتها وهي ليست بالبخس قيمة من الفصول فان صاحب الامانة ينكر ليس فقط شروح الاباء الاطهار للكتاب المقدس لكنه يبخس قدرَ عددٍ من الاسفار الالهية التي قبلتها الجامع المسكونية المقدسة كاسفار قانونية »

وهذه الشهادة من الاهمية بمكان لان مجمع ياش ونواب الكنيسة الروسية وعدد من المطارنة قد وقّعوا عليها بيدهم

وعلى اثر المجمع الف بطرس موجيلا تعليمهُ او كتاب الامانة الارثوذكسية الذي صادق عليه واثبته البطاركة نكتاريوس وبارثينيوس وجوانيسيوس ومكاريوس وبايسيوس وقدمة مطارنة وطبع بهمّة باناريتي باش ترجمان الباب العالي ووُزّع مجاناً وهو يستشهد مراراً بايات الاسفار الثانية ويصفها بقوله: « هكذا يُقرأ في كتب الله » « وهكذا تعلمنا الاسفار الالهية » و « يقول الله في اسفاره » الخ

٣ً شهادات الكنائس الخاصة: لما كان البروتستنت لم يكفّوا عن اتهام الكنيسة الشرقية بالمخالفة لهم والرضاء بتعليمهم امر سنة ١٦٧٠ ملك فرنسة لويس الرابع عشر سفيره في القسطنطينيّة المركيز اوليه دي نوانتيل ان يعرض على كنائس الشرق ملخص التعليم البروتستنتي في اربعة عشر سؤالاً ويطلب من اصحابها الجواب الرسمي عن كل بند فقام السفير بالمهمّة وبعث الى ملكه مجموعة بديعة في نوعها وقّع عليها بطاركة واساقفة الطوائف الشرقية وهي باجمعها تخالف التعاليم المبتدعة وتصرّح بايمانها في الامور الواقعة تحت

الجدال متفقةً بالايمان مع الكنيسة الرومانية. وهذه النصوص الاصلية لا يزال اكثرها محفوظاً في مجموعات الصكوك الدولية في فرنسة ومنها نشرنا (في المشرق ٧:٧٦٦ و ٧٩٥) شهادة البطريرك مكاريوس الشهير. وبين السؤالات سؤال يتعلق بالاسفار الثانية التي ينكرها البروتستانت هل يعتبرها الشرقيون كتباً الهية قانونية وقسماً من كلام الله او لا. والجواب واحد بالمعنى وان اختلفت الشروح وهو ان هذه الاسفار هي جزء حقيقي من الكتاب المقدس وكتب قانونية الهية. وقد يحيلون في البرهان الى اعمال مجمع قرطجنة والى قانون الرسل الخامس والثمانين والى استعمال الاباء الاطهار لها ككتب قانونية. وهاك بعض النصوص والتواقيع:

١ قال البطريرك مكاريوس (مشرق ٧:٧١٧): «فليعلموا هؤلاء المخالفين (كذا) اننا نقبل كافة الكتب الالهية المقدَّسة التي ذكرها في مجامع البيعة الارثوذكسيَّة وفي سائر الكتب التي للاباء القديسين. ومنهم الابوكاليبسيس ورسالة يعقوب اخو (كذا) الرب وطوبيا ويهوديت وسفر حكمة سليمان وسفر الجامعة وباروخ النبي والمكابيين. فجميعهم نقبلهم ونقرأهم في الكنيسة المقدَّسة الطاهرة الارثوذكسية». وقد وقَّع على هذا الاقرار غريغوريوس مطران بصرى وحوران ويواكيم مطران حمص وتسعة خوارنة وقسس. وذلك في دمشق في ٢٠ ت١ سنة ١٦٧١

٢ وصادق على الاقرار السابق مجمع سبعة اساقفة في القسطنطينية في ١٨ تموز ١٦٧١. وهذه اسماؤهم: برطلماوس مطران هرقلة وارميا مطران خلقيدونة ومثوديوس مطران بيزيديا ومتروفانوس مطران سيزيكا وانطون مطران اثينا ويواكيم مطران رودس ونيوفيتوس مطران نيكوميديا

٣ كنيسة جزيرة سيفانتو: وقَّع على الشهادة مطران الجزيرة اثناسيوس وستة كهنة

٤ كنيسة اندروس: وقَّع مطران اندروس الحالي يعقوب ومطرانها السابق ديونيسيوس وكاهنان

٥ كنيسة اناكسيا: وقع ١٢ كاهناً وراهباً

٦ كنيسة كيفالونيا وزانتو واياك: وقَّع مطرانها بايسيوس و٣٢ رئيساً وكاهناً

٧ كنيسة جزيرة ميكون: وقَّع النائب الاسقفي وعشرة من الكهنة والرهبان

٨ كنيسة جزيرة ميلو: وقّع مطرانها جراسيموس و ١٢ كاهناً وراهباً
٩ كنيسة كيو (صاقص) وقّع مطرانها و ١٦ كاهناً وراهباً

فهذه منتخبات من شهادة الكنائس اليونانية التي تثبت اعتقادها في قانونية الاسفار الثانية اجابة على السؤال المعروض عليها في قانونية هذه الاسفار او عدمها (١

٤ً مجمع القسطنطينية الملتئم في كانون الاول سنة ١٦٧٢. ترأسهُ ديونيسيوس البطريرك القسطنطيني وبمعيتهِ ثلاثة من البطاركة القسطنطينيين السالفين وبايسيوس بطريرك الاسكندرية وحضرهُ ٣٤ اسقفاً: فهو يحيل في الجواب على الاسفار القانونية التي عليها الجدال الى قوانين الرسل واعمال مجمعي اللاذقية وقرطجنة لان فيها جدول الاسفار التي يجب على المسيحي ان يعتبرها كلام الله خلا مقالات اكليمس التي رفضها المجمع السادس لان الهراطقة قد حرّفوها. «اما سائر كتب العهد القديم التي لم تذكر في عداد الاسفار الالهية فلا يجب رفضها ككتب وثنية او عالمية فان هذه كتب مفيدة لا تستحق احتقاراً». قلنا لما كان قد قبل كاسفار الهية ما ورد تعداده في قوانين الرسل واعمال مجمع قرطجنة لحق لنا ان نستنتج قبولهُ صريحاً الاسفار الثانية كقانونية وما جاء عن سائر الاسفار التي لم تحصَ في قانون الكتاب المقدّس يراد بهِ كتاب عزرا الثالث والمكابيين الرابع

٥ً واخيراً شهادة المجمع الاورشليمي (١٦٧٢) والقسطنطيني (١٧٢٣): التأم الاول في اذار ١٦٧٢ وحضرهُ واحد وسبعون من البطاركة والمتروبوليتيين والاساقفة من كل الاطراف منهم تيموثاوس ويواصاف النائبان عن الكنيسة الروسية وهذا المجمع تُعتبر اعمالهُ في الكنيسة الارثوذكسيَّة اعظم الاعتبار واليهِ يعود الكتبة اليونان في مباحثهم. ونصُّ الامانة التي سنّها هو نص رسمي لا يقبل زيادة ولا نقصان. اما المجمع القسطنطيني المذكور فقد التأم في ايلول ١٧٢٣ غايته تدوين امانة الكنيسة الارثوذكسية ليُرسل الى بعض من طلبوهُ من اصحاب الكنيسة الانكليكانية رجاء ان تتحد الكنيستان بوحدة الايمان. فاعاد اباء المجمع النظر في امانة ١٦٧٢ واثبتوها. اما التراقيع فهي كما

١) قد نُشرت ترجمة هذه الشهادات في كتاب «ثبات الايمان» (Perpétuité de la foi) المطبوع في باريس مجلد ٣: صفحة ٥٦١ الخ

يلي نقلاً من النص اليوناني المطبوع حديثاً (١:١) ارميا . . . البطريرك المسكوني قد وقعت بيدي واني اثبت واشهد أن هذه هي الامانة الصادقة في كنيستنا الرسولية الكاثوليكية الشرقية ٢ — اثناسيوس البطريرك الانطاكي الخ . . — ٣ خريزانتوس البطريرك الاورشليمي — ٤ تسعة من المتروبوليتين الخ . ومن هذه الظروف يظهر لكل بصير اهمية الشهادة التي نحن في صددها . وهذا نصها اليوناني :

Ἐρώτησις γ' Ἱερὰν γραφὴν ποῖα Βιβλία καλεῖς;

Ἀπόκρισις. Στοιχειοῦντες τῷ κανόνι τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας, ἱερὰν γραφὴν καλοῦμεν ἐκεῖνα πάντα ἃ ὁ Κύριλλος ὑπὸ τῆς ἐν Λαοδικείᾳ συνόδου ἐρανισάμενος ἀριθμεῖ, καὶ πρὸς τούτοις, ἅπερ ἀσυνέτως καὶ ἀμαθῶς εἶτ' οὖν ἐθελοκακούργως ἀπόκρυφα κατωνόμασε· τὴν Σοφίαν δηλαδὴ τοῦ Σολομῶντος, τὴν Ἰουδίθ, τὸν Τωβίαν, τὴν Ἱστορίαν τοῦ δράκοντος, τὴν Ἱστορίαν τῆς Σωσάννης, τοὺς Μακκαβαίους καὶ τὴν Σοφίαν τοῦ Σειράχ. Ἡμεῖς γὰρ μετὰ τῶν ἄλλων τῆς Θείας γραφῆς γνησίων Βιβλίων καὶ ταῦτα γνήσια τῆς γραφῆς μέρη κρίνομεν, ὅτι ἡ παραδόσασα ἀρχαῖα συνήθεια, καὶ μάλιστα ἡ καθολικὴ ἐκκλησία, γνήσια εἶναι τὰ ἱερὰ εὐαγγέλια καὶ τἆλλα τῆς γραφῆς βιβλία, καὶ ταῦτα εἶναι τῆς ἁγίας γραφῆς μέρη ἀναμφιβόλως παρέδωκε, καὶ τούτων ἡ ἄρνησις, ἐκείνων ἐστὶν ἀθέτησις. Εἰ δίπου δοκεῖ μὴ ἀεὶ πάντα ὑπὸ πάντων συγκαταριθμεῖσθαι, οὐδὲν ἧττον ὅμως καὶ ταῦτα κατά τε συνόδων καὶ πολλῶν ὅσων τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας παλαιοτάτων τε καὶ ἐγκρίτων θεολόγων ἀριθμεῖται καὶ συγκαταριθμεῖται τῇ πάσῃ γραφῇ, ἃ πάντα καὶ ἡμεῖς κανονικὰ Βιβλία κρίνομεν, καὶ ταῦτα τὴν ἱερὰν γραφὴν εἶναι ὁμολογοῦμεν.

وتعريبها بالحرف الواحد : « السؤال الثالث : اي الاسفار تسميها الكتاب المقدس ؟ (الجواب) : « اننا تبعاً لقانون الكنيسة الجامعة ندعو كتاباً مقدساً جميع الاسفار التي احصاها كيرلس [لوكاريس] نقلاً عن مجمع اللاذقية وما خلاها تلك الاسفار التي بغير تروٍّ وبجهل او بالاحرى بتعمُّد شرير دعاها ابوكريفا وهي حكمة سليمان ويهوديت وطوبيا وخبر التنين وخبر سوسان والمكابيين وحكمة سيراخ . ونحن نحكم ان هذه ايضاً هي جزء حقيقي من الكتاب الالهي مع سائر اسفار الكتاب المقدس الحقيقية وذلك لان التقليد القديم او بالاحرى الكنيسة الجامعة التي سلمتنا الاناجيل المقدسة والكتب

١) مافي مجموعة المجامع ٣٧ : ٥٤٢ — ٥٨٠

الأخرى المقدسة كتآليف مقرّة قد سلمتنا بلا ريب هذه الاسفار ايضاً كقسم من الكتاب المقدّس حتى ان من ينكر هذه ينكر تلك. على انهُ اذا كانت كل هذه الاسفار لم تحصَ دائماً ومن الجميع لكنها مع ذلك قد قبلتها المجامع وعددٌ عديد من لاهوتيي الكنيسة الجامعة الاكثر قدماً وتدقيقاً واضافوها الى الكتاب المقدّس. وجميع هذه الاسفار نحن ايضاً نحكم انها اسفار قانونية ونعترف انها الكتاب المقدّس »

اتكون شهادة اصرح من هذه على صدق قانونية الاسفار التي ينكرها صاحبا النعمة والكلمة؟ اليس هذا هو معتقد الكنيسة الارثوذكسيّة كما بيّناهُ جليًّا؟ واي برهان انصع من ذكر احكام المجامع المتعددة المتفقة لفظاً ومعنًى والمدافعة دفاعاً حرًّا عن وديعة الايمان

البروتستنت والكنيسة الارثوذكسيّة

ولعلَّ سائلاً يقول: ما لنا مع ذلك نرى بعض الكتبة الروم الارثوذكس ينكرون هذه العقيدة ولا يخشون معارضاً؟ وكيف يدّعون ان تعليمهم اليوم هو التعليم الذي ما برحت الكنيسة الشرقيّة الارثوذكسيّة معتصمة به؟

جوابنا: انهم يجهلون تاريخ طائفتهم وكتب بطاركتهم ومجامعهم. وعوضاً عن ان يدرسوا العقائد والتاريخ في منابعه الاصليّة نراهم يشربون مياه السواقي مهما تعكرت. وهذا ما جرى في مسألة الاسفار الثانية. وها انا نتتبع الان تاريخ هذه العقيدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فنبين ان السمّ قد الفاه البروتستنت في صدر الكنيسة الروسية ومنها امتدت العدوى الى بلادنا رويداً رويداً. لكننا نعتبر الكنيسة الرومية في بلادنا غير راضية بهذه البدعة ولن تتساهل في اغضاء الطرف عنها وذلك عن بساطة ان لم نقل عن عدم اكتراث بوديعة الايمان

قد فشا الداء في البلاد الروسية ايام نهضتها زمن بطرس الكبير. فان القيصر استمدَّ مساعدة الكثيرين من البروتستنت. قال فيلاريت المتروبوليت في تاريخ الكنيسة الروسية: « كان في هذه الفترة الحرس والوزراء والمجمع العلمي والجيش والبحرية في قبضة البروتستنت ». وقد قام بدسّ التعليم البروتستنتي فيوفانوس بروكوبوفيتش الذي ترأس المجمع العلمي في كياف. قال فيلاريت في تاريخهِ السابق ذكرهُ

ان « فيوفانوس كان يبغض الكنيسة الرومانية بغضاً تجاوز فيه الحدود ولا ينكر اعجابه بلوثر وكلفن . . . وكان فيوفانوس في كل حياته مفتذياً بروح العالم خالياً من روح المسيح محباً للفخفخة عائشاً عيشة سيئة » فانكر هذه الاسفار الثانية بيراهين غريبة في بابها . وانتشر تعليمهُ لعلوّ منصبه وصداقة القيصر لهُ . فقام عليه جدعون فيشنفسكي وتيوفيلكتوس لوماتنسكي والاكسرخس اسطفان ايافورسكي فدحضوا مبادئه والّف ايافورسكي كتاب « صخرة الايمان » لاثبات العقائد الارثوذكسيَّة ضد فيوفانوس . منها العقيدة في قانونيَّة الاسفار الثانية (١ وشاركهم في المعتقد الصادق متربوليت روستوف ديمتري (الذي دوَّنت الكنيسة الروسية اسمهُ في عداد القديسين) كما يظهر جليًّا من تآليفه ومواعظه المطبوعة في موسكو سنة ١٨٣٩ . وفي سنة ١٧٢٣ بعث بطاركة الشرق الى روسيَّة بالرسالة السينودسيَّة التي سبق لنا وصفها قبلها المجمع والكنيسة الروسية كقاعدة الايمان الارثوذكسي . لكن الداء البروتستنتي كان يمتدّ يوماً بعد يوم بسعي فانكونسكي وليبيدنسكي وفيلاريت ومكاريوس ولذا لما جددوا سنة ١٨٤٠ طبع « رسالة البطاركة » التي ذكرناها ضرب مجمع بطرسبورج الصفح عن القسم الثالث الذي نقلناهُ لئلا يعرف القارئ امانة الكنيسة الارثوذكسيَّة . وهذا امر لا يرضى به كاتب امين فما قولك في اجتثاث جزء من عقيدة الايمان ؟ وقد اقرّ الكسيس سبيرنسكي وجونفيوف ان هذا التعليم (اي تعليمهما الباطل) لم يتمكن حتى ايامنا من الافكار في الكنيسة الروسيَّة

*

ومن البلاد الروسية سرت العلة الى البطريركيات الشرقية لان ابناءها من اليونان والعرب جعلوا ينقلون الكتب الروسيَّة الى لغاتهم دون تنقيب ولا بحث . ولا ندري هل قام الاكليرس الارثوذكسي بواجب السهر على وديعة الايمان التي شهدوا بها مراراً كما

---

١) وقد مدح هذا التاليف استورزا الارثوذكسي في كتابه « المقابلة المضاءة » طبعة القدس سنة ١٨٦٠ صفحة ٥٠ فوصفهُ بما حرفهُ : « التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي رئيس اساقفة ريزاني المنون « بصخرة الايمان » الحاوي الاعتبارات الواسعة والشامل كل الابحاث المجادل بها من اصحاب التغيير اللثثين في الدهر السادس عشر حيث تذكر حرفيًّا ادنى البراهين ايضاً التي ينصبها اصحاب التجديد ضد تعليم الكنيسة وتقاوم ويُردُّ عليها واحداً فواحداً »

بيتًا . ففي سنة ١٧٨٢ ترجم ادامنتيوس كورايس الصاقصي كتاب بلاطون متروبوليت موسكو فابطل منهُ ما شاء وزاد عليهِ حواشي اقتبسها من متروفانوس كريتوبولس كما اقرّ ومن محادثاته مع صديقيه يوزدس كوين المبشر الكلويني في قنصلية هولندة بازمير وادريان بورت كاهن كلويني في امستردام حيث اقام كورايس مدةً للتجارة . وقد طبعت كتبهُ في ليبسيك من اعمال المانيا وفي امستردام عاصمة هولندة وغيرهما من المدن . وفي هذه الكتب ينكر الاسفار الثانية كما جاء في حواشيهِ على كتاب بلاطون Ὀρθοδόξος διδασκαλία) مع ان بلاطون على ما نظنّ كان مخالفًا لمبدإ بركوبوفيتش محافظًا على الاعتقاد بقانونيَّة الاسفار الثانية لاستشهاده بها مرارًا (١ ولم يكتفِ كورايس بانكار هذه الاسفار المقدَّسة لكنه تجرأ بعيد ذلك على انكار الفرق بين الاسقف والكاهن والشماس والانتقاد على الاصوام والطقوس الارثوذكسية الخ

وسعى مساءُ تيوفيلوس بابافيلوس واوجين بولغاريس وغيرهما لكن الايمان لم يُحرم من المدافعين فقام قسطنطين اوكونوموس منتدًا تعليم كورايس . ثم اظهر موسكوبولس الذي الف « ملخص اللاهوت » (٢ ومن قولهِ ما جاء لهُ في الصفحة ١١ من طبعة ١٨٥١ في جزيرة كيفالونيا :

وما خلا الكتب القانونية الاولى يوجد كتب اخرى تُدعى قانونية ثانية لانها لم تحملها الكنيسة اولًا في القانون وذلك لان البعض من المرسلين كانوا يشكُّون في قانونيتها . وهي هذه العهد العتيق :

---

١) كذا قرأنا في كتاب الاب جوجي (Jugie) الصوردي (اطلب الصفحة ٣١٣) وصفًا للترجمة اليونانيَّة التي طبعت في القسطنطينية سنة ١٨٣٥ نقلًا عن الاصل الروسي وقد تطاول مترجمو كتب بلاطون على نص المولف فحرَّفوا وزادوا ونقَّصوا وحشَّوا الخ فانكر المؤلف عليهم عملهم على ما اخبر الكاتب لمابتربوتيس . وليس لدينا نسخ اصلية لكتب بلاطون لنتأكد الامر عيانًا ونقابل بين ما هو للمؤلف وما هو للمترجمين والطابعين . على ان الطبعة العربية المعربة « ببعض تصرف » بقلم المحرري يوحنا حزبون سنة ١٨٩٧ عن المتن اليوناني الذي نقف عبارته الاستاذ قسطندي نسطوريدس واصلح ترتيبه وعلَّق عليهِ بعض حواش » تخالف ما استشهدنا بهِ في النص فانها تدعو اسفار المكابيين وحكمة سليمان وسيراخ الخ ابوكريفا وغير قانونية . ولا ندري هل الفقرة للمولف او لغيره . وقد قابلنا بين الابواب والفصول التي ذكرها الاب جوجي في وصفهِ وبين ابواب وفصول الطبعة العربية فلم نصل الى نتيجة لعدم مطابقتهما لبعضهما . والله اعلم

٢) Ἐπιτομὴ τῆς δογματικῆς καὶ ἠθικῆς Θεολογίας

حكمة سليمان وحكمة سيراخ وطوبيا ويهوديت وباروخ . . . وهذه الكتب يعددها القانون ٨٥ من قوانين الرسل . وكنيسة المسيح باسرها تقبلها وتعتبرها في مصاف القانونية الاولى . ويوجد ايضاً قطع قانونية ثانية وهي في العهد العتيق : السبعة الفصول الاخيرة في سفر استير وترنيمة الثلاثة الفتيان واخبار سوسان وبيل والتنين الموجودة في سفر دانيال . هذه القطع تقبلها ايضاً الكنيسة ككتب حقيقية مقدسة على مثال الاسفار القانونية الاولى

ثم نيقيفوروس ثيوتوكيس نشر في ڤينة كتاب الكاهن كليمان (اكليمنتوس) باللغة اليونانية وفيه دفاع مسهب عن الاسفار الثانوية . ثم نشر راهبان يسميان اغابيوس ونيكوديموس من رهبان جبل اثوس شرحاً مهماً على القوانين سُمّي بيداليون (Πηδάλιον) وقد ذكر هذه المجموعة صاحب المقالة في النعمة لكنهُ سها عن ملاحظة ما جاء في الكتاب من التعاليم الموافقة لقانونية الاسفار الثانية فانَّ صاحبَيه يقبلان حكم مجمع قرطجنة بدون خلاف ويدافعان عن قانونيَّة عدد من هذه الاسفار وان شكّا في سفر نحميا وفي القطع اللاحقة بدانيال . ثم قام الكاهن قسطنطين اوكونوموس وكيل الكنيسة الكبرى والف كتباً جمة اهمها تاريخ الترجمة السبعينيَّة للعهد القديم طبعهُ في اربعة مجلدات في اثينا . وقد اثنى على مؤلفه ثناء ممتازاً خمسة من بطاركة القسطنطينية على انها التعليم الارثوذكسي الصادق وهم البطريرك انثيموس السادس مع سينودس سنة ١٨٤٨ وانثيموس الرابع وقرسطنسيوس الاول وغريغوريوس السادس وجرمانوس الرابع كما تشهد بذلك رسائلهم المطبوعة في صدر المجلد الرابع وقد دافع اوكونوموس احسن دفاع عن قانونيَّة الاسفار الثانية في ١٢٠ صفحة من كتابه . قال عن قانون مجمع قرطجنة في الاسفار الثانويَّة :

« ان هذا القانون قد اثبتهُ المجمع المسكوني السادس ومن ثمَّ قد اتخذ من هذا الاثبات سلطة مسكونية وجامعة فان العقيدة في وحي الكتب المسماة ἀναγινωσκόμενα هي كانت تقليد قديم من الاباء القديسين وعلى هذا التقليد استند مجمع قرطجنة فامر ان تُقرأ هذه الاسفار مع الاسفار القانونية الاولى » . . . وقال : « والكنيسة الرومانية ذاتها تقبل ايضاً وتكرم وتقرأ هذه الاسفار وهي في هذا حافظة التقليد القديم للكنيسة الواحدة وقد اشهرت رسمياً معتقدها في المجمع التريدنتيني » . وقال ايضاً : « ان هذه الاسفار قد استُعرفت رسمياً من المجامع المسكونية للكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية عمود الحق فان هذه المجامع قد اثبتت بمجمع قرطجنة المكاني ولذا فان كنيسة المؤمنين الارثوذكسية تعترف قانوناً واحداً يضم كل الكتب الموحى بها في العهدين العتيق والحديث وهو القانون الكنسي وبحسب هذا القانون فان الجدول الكامل للعهد العتيق يحتوي على كل الاسفار القانونية الموجودة في جدول عزرا وكل الاسفار ἀναγινωσκόμενα

على انها جزء من الكتاب المقدس ولا فيز كأن في هذه الاسفار درجة من الوحي اقل او اضعف او انقص

ثم اسكندر استورزا المعلم بمدينة اودسا في كثير من كتبه منها كتاب المقابلة المضاعفة (Διπλοῦν παραλληλον) المترجم الى اليونانية من السيد قسطنطين تيبالدس رئيس مدرسة خانكي اللاهوتية ومنها الى العربية من احد المطارنة وابناء الكرسي الانطاكي. وقد طبع في اورشليم بامر غبطة البطريرك كيرلس الاورشليمي سنة ١٨٦٠ فانهُ يستند في اظهاره امانة الكنيسة الارثوذكسية ضد البروتستانت على « التعليم المسيحي الكبير تاليف بطرس موجيلا مطران مدينة كياف . . وعلى اعتراف الايمان المرسل من بطاركة الشرق الى مجمع روسية المقدس سنة ١٧٢١ وعلى التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي » وهؤلاء كما رأينا من المدافعين عن قانونية الاسفار الثانية . قال استورزا في الفصل السابع في حال النفوس السعيدة بعد الموت وفي التضرع من اجل الراقدين صفحة ٩٩ و١٠٠ من الطبعة العربية) :

« وعادة التضرع من اجل الراقدين هي اقدم من تأسيس مجامعنا ايضاً . ولكي تتحقق ذلك نفتح اولاً صحف العهد العتيق الموحى بها من الله . ففي كتاب المكابيين الثاني (ص ١٢ عدد ٣٢) نجد محرراً ان (الاسرائيليين) توجهوا للتضرع (من اجل القتلى الذين سقطوا في الحرب) متحققين ان الخطية المرتكبة تمحى بالكلية ثم بعد ذلك محرر « ان يهوذا المكابي جمع الفي درهم فضة على عدد الرجال المحاربين وارسلها الى اورشليم لاجل تقدمة ذبيحة عن خطية (الموتى) . وباطلاً يرفض الذين يضادون التضرعات من اجل الراقدين صحة كتاب المكابيين هذا بدعوى انهُ غير قانوني لان الكنيسة تعرفهُ قانونياً بموجب حكم قوانين الرسل (قانون ٨٥) . ثم ان كتاب طوبيت يقول « اسكب خبزك وخمرك على قبور الصديقين ولا تعطها للخطاة (طوبيا ص ٤) فآباء الكنيسة القديسون يستنتجون من هذا النص وجوب اعطاء مأكولات ومشروبات للفقراء تذكاراً للموتى . ثم اننا في كتاب حكمة سيراخ (ص٧ ، ٣٥) نجد محرراً هكذا : « لتكن نعمة الاعطاء امام كل حي ولا تمنع نعمة كل ميت » فليس القصد بهذا القول ايضاح وجوب دفن الموتى لان هذا الواجب هو في الوقت ذاته ضرورة مطلقة . راجع المقالة البديعة عن هذا النص التي للسيد فيلاريطس مطران موسكا الكلي الطهر (مجلد ٢ من مجموع المواعظ والمقالات الكاملة صفحة ٣٩٤) من سفر الملوك الاول (ص ٣١ ع ١٣) ومن نبوات ارميا (ص ١٦) ومن سفر الايام الخ » (انتهى)

فاي برهان اثبت من اعتبار استورزا لقانونية هذه الكتب كما يعتبر قانونية سفر الملوك ونبوة ارميا وسفر الايام

ولنقف هنا عند هذه الشهادات غير ذاكرين شهادة كاليفرونوس ويرزداكيس ونكتاريوس كيفالاس وغيرهم الموافقين للتعليم القديم في قانونية الاسفار الثانية رغماً عمّا نُشر وعُرّب موخراً عن الكتب الروسيّة التي بواسطتها جعل الخلاف يمتدّ بين ابناء الكنيسة وهي تمانع وتدافع عن الحقيقة. ولنا في قولنا شاهد عظيم ألا وهو شهادة البطريركيّة الانطاكية الارثوذكسيّة سنة ١٨٧٠ وذلك انها لما رأت ان المطبعة البروتستنتية قد ابطلت الاسفار الثانوية من الكتاب المقدّس نشرت هذه الاسفار في الكتاب الآتي: «كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة المقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية. طبع بالمطبعة الوطنية باذن غبطة كيريوس ايرتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي في بيروت سنة ١٨٧٠» ويليه المقدمة بامضاء الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وها نحن ننقل بعض فقرها بالحرف الواحد:

وبعدُ. ان الكتاب المقدس اذ طبع عربياً قد اهملت منهُ هذه الاسفار المقدسة بدعوى انها مجهولة او لاسباب أُخر. مع ان الجمهور المسيحي شرقاً وغرباً في صدر النصرانية الاقرب عهداً من الايمان قد استعملها كقسم من اجزاء الكتاب المقدس الصحيح الاعتبار»...

«وضروري هنا ان نورد الشهادات التي توضح ان هذه الاسفار مثبتةٌ من الكنيسة ومقبولة نظير الكتب القانونية وهي هذه...

وبعد تعداد البراهين قال:

ان المجمعين اللذين انعقد احدهما في القسطنطينية ثم كمل في باش سنة ١٦٤٢ في رياسة برثانيوس البطريرك القسطنطيني المدعو شيخاً وبحضور بطرس موجيلا مطران كييف وكل بلاد روسيا. والثاني في اورشليم سنة ١٦٧٢ في رئاسة دوسيثاوس البطريرك الاورشليمي. فهذان المجمعان قد أعلنا ان الكتب المقروءة اعني بها كتاب استير وكتاب يهوديت وحكمة سليمان وحكمة ابن سيراخ واسفار المكابيين هي كتب مقدسة الهية

هكذا ان الكنيسة الشرقية حافظةٌ هذا الترتيب نفسهُ بقبولها الكتب المقروءة بمنزلة كتب شريفة الهية كما اعلن بذلك المجمع التريدنتيني. ان الكنيسة شرقاً وغرباً قد تسلمت كتاب العهد العتيق بالنسخة السبعينية التي فيها كانت هذه الكتب مضمومة كلها كتاباً واحداً بلا امتياز وفي مدة تيّف عن الف وخمسمائة سنة كانت تستعمل الكتاب بالاسفار المذكورة تماماً. وحتى الجيل السادس عشر لم يكن احد من الطوائف النصرانية يعترض على استعمالها الّا في هذه الازمنة الاخيرة بعد انفصال قوم من الكنيسة الشرقية. فمن حيث ان هذه الكتب مقبولة في جميع الكنائس المسيحية

(اي اللاتين والارمن والسريان الخ) فلا التفات الى طائفة واحدة تنكر استعمالها . لاسيما ان كنيستا الارثوذكسية تتلو طقساً في صلواتها قرآآت من حكمة سليمان ظهر ما تتلوه من الامثال . ومن اقوال باروخ وتسبحة الثلاثة فتية وصلوة منسى الملك وما شابه ذلك . وهذا لعمري مرتب من مشاهير اباء الكنيسة الافاضل المشهود لهم بالعلوم الالهية والطبيعية والمعارف والتقوى والقداسة الذين اذا ما اردنا ايراد شهادتهم تفصيلاً يقضي الامر بنا الى الاطالة »

*

الخاتمة : فمن هذا يتضح جلياً لكل ذي نية سليمة ان الكنيسة الشرقيَّة الارثوذكسية كانت تعتقد بقانونية هذه الكتب الالهية . فان قالت اليوم بسواه وعرض عليها تغيّر فتكون قد فقدت في فترة وجيزة عقيدة مقدَّسة من وديعة الايمان وهي على قولها « المصومة عن الغلط والضلال » فيا للاسف ! . وان كانت لا تزال معتصمة بقول البطاركة والمطارنة والمجامع الارثوذكسية وجلّ الكتبة الارثوذكسيين الذين تتبعنا اقوالهم فما لها تجيز نشر مثل هذه المقالات الضالَّة المُضلَّة في مجلتين لارثوذكسيتين مجلة « النعمة » التي تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق ومجلة « الكلمة » التي يصدرها سيادة الاسقف رفائيل هواويني الارثوذكسي في نيويورك

ولنا امل ان غبطة البطريرك الانطاكي الارثوذكسي المبجَّل لا يسمح في ايام رئاسته ان يسطو الضلال على وديعة الايمان المقدس فيختلس قسماً من اسفار الله وله في سلفائه مثال طيّب يأتسي به للدفاع عن الحق راجين ان يعلن رسمياً لراحة ضمير الكثيرين صدق المعتقد الذي ما برحت الكنيسة الشرقية معتصمة به اعني قانونية الاسفار الثانية وتنزيهها

المعارض الوطنيَّة

بقلم مكاتبنا الاديب احمد افندي تقيّ الدين

(المشرق) نرغب كل الرغبة في انشاء المعارض الوطنيَّة لترويج نطاق صناعة بلادنا وتنزيز تجارتها . وقد فتح المشرق باباً لوصف الصنائع الوطنيَّة واعمال ارباحها كما يتَّضح من فهارسه السنوية . ولمَّا أنشئ في الشوبر اوَّل معرض وطني أسرعنا الى تنشيطه بالمشرق لكنَّ آمالنا فيه قد خابت نوعاً لمَّا رأينا اصحابهُ يتحرَّون فيه ليس الخدمة الخالصة للوطن ل ترويج بضاعة أخرى لا يمكننا الانجار بها نريد نشر ما يدعونهُ « بالمبادئ الحرَّة » . ومن ثم اصطبغ ذلك المعرض بصبغة مشؤمة

كانت من اقوى اسباب خمولهِ . ولم يَخلُ معرض زحلة من تلك الصبغة مبنهـا فكان الامر سبباً لنفور الكثيرين من موازرة شؤونهِ . فان اراد ذوو الحمية الوطنيَّة ان تنجح هذه المعارض — وكلّ رغبتنا ان تنجح النجاح التامّ — فلا بدَّ ان يجرّدوها من كل صبغة مشخصة فلا يُطلَب من انشائها سوى الخير العامّ والمنفعة الوطنيَّة دون التحزُّب لشيعة خاصَّة . وكان الأولى ان الحكومة نفسها تتولى تدبير هذه المعارض وتعين لجنة مؤلفة من كل العناصر والطوائف للنظر في امورهـا فتتَّفق كل القلوب في رفع شانها وتوطيد اركانهـا فلا شك انَّها تأتي باثمار شهية وتكون من اقوى اسباب الترقي للبلاد ونفع العباد

نعم هذا التحفُّظ ننشر المقالة الآتية لمكاتبنا الفاضل احمد افندي تقي الدين لتكون هذه النبذة كعامل جديد لنهض الهمم واخلاص الخدمة للوطن ل . ش

لا يخفى ان المعارض في البلدان هي صورة رقيها وعنوان حياتها . وبقدر ما تكون الأمة راقية في مصالحها تكون معارضها راقية ايضاً . وليس هذا المشروع من مبتكرات هذا العصر بل للعصر القديم فيهِ يد بيضـاء . وقد كانت الامم التي خلت تختلف في اوقات معيَّنة الى اماكن معينة تعرض فيها بضاعتها على اختلاف اجناسها وانواعهـا . وكانت العرب في الجاهلية تنحو هذا النحو وتسمي المعرض سوقاً ومـا سوق عكاظ والمعلقات السبع فيهِ بمنسيَّة من الناطقين بالضاد . ومن هذا القبيل ما يقام كل اسبوع في سهل على مقربة من حاصبيَّـا ويسمى سوق الخان الذي وان اختلف ظاهراً من حيث الشكل والترتيب والمعروضات يتفق باطناً من حيث الغاية الاساسية

وعليهِ لمَّا كان لبنان — وهو حبَّة قلب سوريَّة التي كانت معرضاً للترقيات العالمية — قد قُلبت عليهِ سماؤهُ واهمل سكانه الصناعة التي كان هو مهبط فنونهـا . خدمت الثمرة الوطنيَّة ابناءهُ على العمل في سبيل احياء مواته واعادة رونقهِ . وكان من ذوي الهمَّة ان نشطوا من العقال وتدبَّروا المصلحة الوطنيَّة بسعيهم وجهـادهم وانشأوا لاوَّل مرَّة في الشوير المعرض اللبناني للمصالح السوريَّة فصادف من ذوي الهمة ارتياحاً ووجد من اهل الفضل والوطنيَّة موازرة واقبالاً وها هو هذه السنة قائم في زحلة على ضفَّة بردونيهـا يروي زائريه بماء رونقهِ وطلاوة مصنوعاتهِ وحسن معروضاتهِ كما يسقي البردوني ما حواليهِ من الرياض والفياض

المعرض الوطني في لبنان مرآة رقيهِ ومثال حياتهِ وعلى قدر مـا يكون زائرهُ راقياً يتمثل حقيقة ذلك الرقي ويتفهم معنى تلك الحياة ومثلما يرى المتفرج فيـهِ صورة لبنان

الطبيعية اي هضابهُ ووديانهُ مجسَّمة ايضاً بمظاهر الصناعة وادلَّة الحياة والزائرون هذه السنة يرون فيهِ تحسيناً عمَّا قبل

اما المعروضات فيهِ فاكثرها لبنانيَّة وبعضها وطنيَّة دخيلة على لبنان من الشام والقدس وحلب وحمص وحماة فضلاً عن السجَّاد العجمي. واهمّ المصنوعات اللبنانيَّة المنسوجات الزوقيَّة المشهورة والطف المنسوجات وارقاها صناعة « الابرة والصنّارة » كالتطريز والزركشة والتزويق والتخريم والتخريج الى غير ذلك من بنات الايدي لا من ايدي البنات الى كلّ ما يرجع الفضل فيهِ الى مملكة الجنس اللطيف

وفي طليعة المعروضات التي تستحق الذكر خريطة لبنان مجسَّمة تتنة ظاهرة للعيان بهيئة محسوسة مرسومة بيد المهندس المعروف بالرياشي. ويتلوها في الحسن ودقة الصناعة بساط من حرير مرسوم عليهِ مثال دولة متصرف لبنان الحالي. وممَّا يحسن ذكره ويخطر لي ببال صورة مطرَّزة بالحرير على الحرير تمثل ابراهيم شاهراً مديةً لتضحية وليده الجاثي امامهُ وملاكاً من السماء ماسكاً بيده يد ابراهيم ومقدماً لهُ حملاً وهذه الصورة الحريريَّة مدبَّجة بيد حضرة السيدة المهذَّبة المعلمة انيسة حاصباني المصطاقة الان في بعقلين . والنكتة الجميلة التي يستظرف التنويه بها حبَّة ارز مكتوب عليها ستون كلمة ذات معنى منتسق بقلم احد ابناء الطائفة الدرزيَّة من عيتات. وتهيك ما هي المناسبة بين حبة الارز والاحدى والستين كلمة وقد رؤيت بالمجهر (لكرسكوب) فاذا هي مقروءة (١ .

وفي جملة المنسوجات السجَّاد البعقليني المعروف بالتاتة الذي وان يكن لا يزاحم السجاد العجمي الَّا ان متانته ومسحتهُ اللبنانيَّة تشفعان بالاقبال عليهِ من الوطنيين. وفي بعقلين ايضاً حياكة الاحذية على اختلاف انواعها وعمل الصابون وغير ذلك . وفي اقليم الخروب وهو الجهة الجنوبيَّة من قضاء الشوف كثير من المنسوجات الوطنيَّة المعروف بعضها « بالدبيا » التي وان لم تكن راقية فهي صالحة للملبوس على وجهين هما متانتها ورخصها

وزبدة القول ان المعرض اللبناني هو معرضنا والصناعة المبسوطة فيهِ هي صناعتنا

١) اطلب تاريخ بيروت ليحيى بن صالح امير الغرب (الصفحة ٣٠٦) وهو يذكر مثل ذلك لاحد اجداده عز الدين جواد الذي كتب سورة الكرسي على حبَّة ارز (المشرق)

فاذ نحن لم نُقبل على مؤازرة هذا المشروع المفيد فمن نطالب بالاقبال عليه واذ نحن لم نلبس منسوجات بلادنا فمن نؤاخذ في لبسها. أمن الاجانب نرجو ان يحيوا مشروعنا وهم في غنًى عن مشروعنا لاسيما ونحن بمثل هذه النهضة نحارب تجارتهم ونصادر صناعتهم ونتحرر من رقهم

على رسلكم الى من تطلب الزوق مثلًا ان يزين بيتهُ بمنسوجاتها اذا كانت هي لا تحفل بمنسوجاتها وممن ترجو بعقلين مثلًا ان يفرش سجّادها اذا كانت هي لا تفرش سجّادها وهلمَّ جرًّا. الناس من طبعهم يميلون الى الاحسن الّا ان كفيل نجاح المصالح الوطنيّة هو الثمرة الوطنيّة التي يعبَّر عنها بالحميّة

غضبنا على النمسا فصادرنا بضائعها وغضبنا على طربوشها فكأننا غضبنا على رؤوسنا مكشوفةً او شبه مكشوفة ولو صادرنا دولة ثانية او بعض الدول نكون كأننا صادرنا انفسنا ورضينا عن تجريد اجسامنا من اثوابها. وعليه اذا كنا نريد ان نكون احرارًا بكل معنى الكلمة يجب علينا ان نستجمع شروط الحرّية بكمالها وان نصير احرارًا بالفعل كما صرنا احرارًا بالقول. ومن امهّات المقدّمات المؤدية الى هذه النتائج إحياء موات الصناعة والزراعة فضلًا عن العلم في هذا الوطن العزيز وذلك بترويج المشروعات الوطنيّة كالمعرض اللبناني الصناعي الذي هو نفخة في نابض الوطنيّة والاصلاح ودلالة على تقدم الشعب اللبناني على حد قول الشاعر: «ان آثارنا تدلّ علينا».

وقد قلنا في المعرض الاخير ما جادت به القريحة:

يا رَبعَ زحلة دُمتَ زاهرْ تحتاط صنّتك الأزاهر
وسقتك غاديةُ المنى وبلًا كبَرْدُونيك هامرْ
ما كنتُ احسب انَّ حسنك باعثٌ مَيت الشواعرْ
حتى أمَمتُك زائرًا فغدوتُ في مغناك شاعرْ
انا ان شعرتُ فليس لي فضلٌ وفيك الصخر شاعرْ
واذا نظمتُ فناقلٌ نظمي الضعيف عن الدفاترْ
ليراعتي الالفاظ م تكنَّ المعاني للمناظرْ
واذا سكرتُ فشاربٌ خمري من الانس الخامرْ
وتنوّعت حولي الكؤو سُ كما تنوّعتُ الزواهرْ

اتريد مني ان أكا بر حيثما عبّاً اكابرْ

*

يا حُسنهُ نهرًا يسيل م بكل عاطفةٍ وخاطرْ
الماء يجري والحصى تشكو كأن الماء جائرْ
ماء على حصبائه متفرق كالدمع غامرْ
هو ينحتُ الحصباء م والحصباء كالمظلوم صابرْ
والروض حولهما رقيب م سامع النجوى وناظرْ
هذا الجماد يقول م للاحياء اصحاب الضمائرْ
انا شاكر فضل الاله م أأنت يا انسانُ شاكرْ

*

هي زحلة في مائها الفضيّ تغتسل الخواطرْ
الانس فيها ينجلي كالغيد في ابهى المظاهرْ
والعيش فيها ساحب اذياله مثل الجآذرْ
يسحبنَ اردان الدلا لِ على الاصاغر والاكابرْ
يرفلن في حلل الحرير م وهنّ في حلل الشمائرْ
يخطرن ما بين الريا ض وهنّ في الصدر الخواطرْ
والناس في هذا وذا ما بين مأسورٍ وآسرْ

*

هي زحلة البلدُ الخصيب م المرتقي بين الدساكرْ
والمعرض الوطنيُّ قام م بوجهها انسان ناظرْ
هو نفخةٌ في نابض م الوطن العزيز وفي البصائرْ
هو صورة لحياتنا يبدو سناها للنواظرْ
هو روضة الايدي العوا مل في الرقيّ وفي المفاخرْ
تُتلى به آيُ الصنا عة بالاطالس والحرائرْ
سمّ الخياط خطيبهُ وانامل الصنّاع شاعرْ
وبيانه الذوق السليم م وسحرهُ صدق الظواهرْ

من أمّه وشرى يكو ن ولو بغبنٍ غيرَ خاسرْ
هو يشتري معنى حيا ة ربوع لبنان الزواهرْ
هو يشتري تذكار مو طنهِ المقدّس في الضمائرْ
يا همّةً نشطت م بلبنانٍ وحرّتْ كلَّ فاترْ
دومي فديتُكِ همّةً لا تخشي هول المخاطرْ
ان الشجاعة منبت م الاحرار حقًّا والحرائرْ
وكذا التحالف محورٌ معنى الرقيّ عليهِ دائرْ
بنت الاوائل والعلى تقضي بان تبنى للفاخرْ

الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانٍ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فلمّا حسّت اولاد الكاثوليك انني انحبستُ اتوا الى مار يوسف وقال لهُ الواحد منهم: صباح الخير يا عيسو. فقال لهُ البطرك: لماذا تكلمني هكذا قال لان العيس باع بكوريّتهُ باكلة عدس وانت بعتَ ابنك بشقّة لحم. فقال: حاشا وكلّا فانا ما لي خبر بالامر. ثم بعث خلف الخواجا اسحق واعامهُ بحالي. فلمّا سمع اني انا في الحبس اغتاظ غيظاً عظيماً وقال: سيردّون لغرامتهِ اربعة اكياس وما اترك الامير يرضى الّا بها

فبقيتُ سبعة ايام في الزنجير في شهر تموز في موضع يقال لهُ « التون باغا » فاسودّت وجوههم واعطوا الغرامة وافلتوني وانا راح لي قرشان. وهذا اوّل دخولي للحبس. فلمّا طلعتُ طال لساني عليهم ازيد وازيد. فخاف البطرك وهرب الى حلب ورجع مار يوسف الى دياربكر والكركي راح الى اسطنبول وهلك في الطريق. امّا الشماس نعمه ابن عجم ابو الفقراء فالكاثوليك رسموهُ قسيساً وبعد ما ارتسم اختلط مع اولاد الكاثوليك وحرم ما تحرمهُ الكنيسة وراح لعند مار يوسف فاعطاهُ شلموتا (١ وهو

١) لفظة سريانية بمعنى السلام واراد بها هنا قرار الايمان وشهادة الخضوع

البطرك حاولاً ليعرّف اولاد الكاثوليك وجاء الى ماردين واخذ كنيسة مار ايليا. وبقيتُ اروح اخدم على يدهِ القداس انا وبقية الشمامسة الكاثوليك وكنت المُ له في الاسبوع قرشاً ونصف لانهُ كان فقير الحال وصاحب عيلة وما يعرف من العلم شيئاً. امّا امرأته فكانت خبيثة فانحصرتْ منهُ كثيرًا وتركتهُ وراحت الى دياربكر فراح بعدها وما رضي يخالط الهراطقة بل كان يروح يقدس عند الباطريّة (١ وعند مار يوسف والمرأة تشرّر عليهِ (٢

وبعد ذلك صار طاعون في دياربكر ومات اولًا القس قرياقوس الذي رسمهُ البطرك مار يوسف في ماردين ومات من بعده مار يوسف وشمامستهُ وقسوسهُ حتى لم يبق معهم الّا مطران وحدهُ الذي تخلّف في الكرسي وتسمّى مار يوسف الثالث

امّا ماردين فان الهراطقة منذ تشرين الاوّل صاروا يحكون اصناف الحكايات في السوق ويقولون انَّ الامير قد انعزل واكّدوا الامر. فصار هذا الكلام شائعًا في المدينة كلها حتى سمعهُ الامير وسأل عن فاتحي القال وضاربي الرمل فاخبروهُ عن ابن دروان والشماس عازر والقس يوسف ابن القس الاجرودي فبعث وسكهم وغرّمهم ثلاثتهم غرامة ثقيلة وجرّس القس يوسف. وبعد ذلك بأيام انعزل الامير. وقبل عزلهِ بعشرين يومًا جمع من اعيان ماردين عشرين واحدًا واخذهم وراح الى دياربكر حتى يشهدوا لهُ قدام قاضيها انهُ ما عمل عليهم ظلمًا. وكان الخواجا اسحق قد مات في تلك السنة

وبعد مدّة جاء الحاكم الجديد الى ماردين ومرّ بدياربكر فابصر فيها اعيان ماردين فاغتاظ منهم وجاء الى ماردين وسك اهلهم واخوتهم وروضهم في الدرغ (٣ واخذ منهم غرامة مقدار ثلاثين كيسًا وامسكتُ انا معهم ايضًا في الآخر وبقيتُ خمسة وعشرين يومًا مع الخواجا نعمه الدوزلي ومع ابراهيم بن طوبال وكانوا كل يوم يهدّدونا في الدرغ ويقولون: انكم من اهل ابن طازباز. وبعدها بثلاثة اشهر امسك ايضًا ناس

١) نرجّح انهُ يريد الآباء الكبوشيين الذين دخلوا دياربكر في اواسط القرن السابع عشر

٢) تشرّر عليهِ اي ثير عليهِ الشرّ. هنا ينتهي النقص الواقع في نسختنا الاصلية واتممناهُ من نسخة الخوري ابراهيم حلوجي

٣) لفظة فارسية بمعنى الحصن والقلعة والسجن

من ادهام (١ الهراطقة لانهم تحاوروا علي قائلين انهُ قد عمل في بيتهِ مَسيفة (٢ . فبيَّنت كذبهم للامير

وبعد هذا راح الامير الى اسطنبول واخذ الحكم ورجع بكنَّ الحاكم العتيق لم يشأ ان يدخلهُ وصار بينهم منازعات كثيرة لا حاجة ان نكتبها لأنها تدوّخ راس من يسمعها . وبعد المنازعات استولى الامير على المدينة وشنق من امرائهـا واعيانها نحو عشرين واحداً

وفي تلك الايام وقع في يدي مكتوب من اليعاقبة في حق الامير لو اريتهُ لهُ لكان حرقهم باجمعهم فبعثوا طلبوني ليراضوني وتوسلوا من المطران احنرخ (٣ ان يرسمني راهباً على دير الزعفران . فهذا المطران كان رجلاً كاثوليكياً شاباً خائفاً من الله فرسمني على نيَّة البيعة المقدسة وقبل ان يرسمني أراني صورة ايمانه يحرم ما تحرمهُ البيعة المقدسة ويؤمن ما تؤمن بهِ . وهو كان طورانيّ (٤ الاصل . وفي اليوم الذي ارتسمت بهِ شنق الامير ابنَ الجلّ في فرن باب الصور (٥ . وكان هـذا الشقي يقول: « اني ارضى بان يكون حبل يوضاس الاسخريوتي في رقبتي ان تركت ابن الكزير يصير قساً » فاعجوبة الله انا ارتسمتُ الصباح وهو انشنق المساء بعد ان سمع خبر رسامتي

والاحد الثاني بعد رسامتي جاءت الخواجكيـة (٦ باجمعهم ورأوني اقدّس في دير الزعفران منفرداً عن الهراطقـة . ففي وقت المساء ارادوا ان يكلموا رئيس الدير لكي ينفرد لي مكاناً للقدّاس بغير الهراطقة فقلت لهم: « انَّ الربيع على قول المثل ما يصير بزهرة واحدة فاتركوني اعمل كما اريد » . فأكلوا وشربوا ويوم الاحد المساء عادوا الى بيوتهم

ويوم الاثنين قمتُ انا وجيستُ الى ماردين وكان لي صديق يسمَّى ابراهيم بن كوّة وكوّة اسم امّه فقلنا لها ان تدخل عند امرأة الامير وتطلب لنا منهُ بيعة مار اليا (٧ التي

---

١) اي الوجوه والذوات ٢) المَسيفة مصل السيوف

٣) لا ذكر لهُ في تاريخ حضرة القس اسحاق ارملة

٤) اي من طور عابدين مقام اليعاقبة في الجبال المجاورة لماردين

٥) احد ابواب ماردين شرقيًّا من جهة دير الزعفران . في قربهِ فرن مرتفع

٦) يريد الاعيان والذوات من طائفة اليعاقبة ٧) هذه البيعة في خلف جبل ماردين جنوباً

في ضيعة جفتلك (١ وكانت القرية لامرأة الامير فقالت هذه لزوجها فكتب لي دسكرة (تذكرة) ومهرّها (ختمها) فجابتها كرّة واعطتني اياها فاخذتُ معي ابراهيم واربعة شمامسة وكم واحد من العوام وكان وقت الصوم الكبير واخذت معي ابراهيم لانَّ اباهُ كان مربيع (٢ الامير واذ كنّا في القرية نظرنا قد جاء القس سعيد بن القس هامو ليقدّس فأريناهُ الدسكرة فرجع الى الدينة وبدأ من الطريق يردّ الزوّار ويقول لهم : انَّ مار اليّا ضبطوهُ الفرنج . فبعضهم ارتدّوا والبقية قالوا: نحن نزور القديس (٣

واجتمع في ذلك اليوم مقدار مائتي رجل غير النساء والصبيان فقدّستُ وكرستُ . والاحد الثاني اتيت بجميع اولاد الكاثوليكيين وكانوا كلهم يجلسون على ركبهم وكل واحد كتابهُ بيدهِ ويصلّون . ثم اتوا اهل قرية القصور فكانوا ينظرون ويتعجبون وكنّا نخرج من الصلاة ونجلس كلنا جميعاً ونخلطون مأكولهم وشربهم جملةً وياكلون ويشربون ويمجدون اسم يسوع وبقيت انظر الناس يزدادون ازيد وازيد . ولكن لم يكن بيدنا دستور لاستماع الاعتراف فيوم جمعة الاربعين جاءتنا ورقة الدستور من حلب . وكانوا الباطريّة اجتمعوا وكتبوا لنا دستوراً قائلين: « على حسب ما شهدوا لنا فيكم واخبرونا عنكم نمنحكم دستوراً وحلولاً مثل ينبوع الحياة من نعمة البيعة المقدسة » فقدّمنا الورقة للقس موسى بن الحصرم (الكلداني) فكشف رأسهُ واعترف اوّل الكل عندنا

ويوم احد الشعانين عرّفت جميع اولاد البيعة من الكاثوليك بمار اليّا وقرّبتهم وكان عيد البشارة في تلك السنة يوم قداس الخميس (اي خميس الاسرار) فعرّفت اكثر الناس في بيوتهم فالذي امكنهُ جاء ليتناول عندنا والبقيّة جبنا لهم القربان للمدينة فتناولوا . ويوم جمعة الآلام والسبت ليلة العيد الكبير رحنا وغنا في مار اليّا واتوا اهل الضيعة كلها وناموا عندنا وكنّا مقدار اربعين رجلاً وقدّسنا في الليل . ثم بقينا كل احد وعيد نروح نقدّس في مار اليّا فشاشت (هاجت) الهراطقة واتحدوا جداً وانعزل منهم شمامسة وشعب كثير واتوا الينا

وبعد ذلك كتبوا الهراطقة مكتوباً وارسلوهُ للبطرك في حلب واخبروهُ بجمع

١) الجفتلك الارض الخاصة بالسلطان يتولّاها باسمهِ بعض العمّال

٢) اي وكيلهُ وشريك في ريع المحصولات ٣) اي مقام اليّا النبيّ

هذه الاحوال فعرض الحال لاسطنبول واخرج فرماناً في حقي. ففي اليوم الخامس من شهر كانون الثاني ليلة الدنح (الغطاس) وكان يوماً شاتياً ونحن مجتمعون اذ جاءنا ساعٍ من حلب ومعه دَرْجة مكاتيب وفيها صورة الفرمان فجاء الى السوق وسأل المقدسي مرزا ابن قازداغلي عن بيت الامير فدعا الخواجا عبدال وأراهُ الساعي فاخذهُ وراح الى عند الامير فسلَّم لهُ المكاتيب والفرمان. فقرأوا المكاتيب وكان البطرك ارسل مكتوباً لكل ضيعة ولكل مرعيث (رعيَّة) وكتب للامير ايضاً وذكر في مكاتيبه للرعايا ان يجتمعوا كلهم ويتوسلوا من الامير ان يأمر بقتلي وايش ما اراد يعطوهُ

فلما قرأ الامير هذه المكاتيب ارسلها لاصحابها وشاش (وشاع) الخبر في السوق انهُ قد جاء فرمان في حق القس ايليا من اسطنبول. وكنت ذلك النهار في بيت الشمَّاع فجاء الخواجا ملكون وهو مغبون (حزين) فقلت لهُ: ما لك مغبون هلقدر. فقال: كيف لا اتغبن وقد خربتَ بيتنا. فقلت لهُ: لاي سبب. قال: ان البطرك قد اخرج فرماناً في حقك وارسلهُ مع الساعي الى الامير ليأخذ رأسك. فبدأوا كلهم يبكون. وقال لي قوم منهم: اهرب لئلا يجوا ويجدوك عندنا

فقمتُ واخذت عباءتي على رأسي وما صفَّيتُ الَّا عند الامير فلاقاني اجاويش طالعاً من الرصيف فاخبر الامير فدعاني الامير ودخلت اليه فقال لي: من جابك. فقلتُ: ما احد جابني انا جيتُ فقال: لماذا جيت. قلت: ايها الامير سمعت ان في حقي فرماناً وفرمان السلطان على الرأس والعين لاني اعطي السلطان جزية الراس فان اراد راسي يكون فداهُ. فضحك الامير. فقلت لهُ: لماذا تضحك. فقال: لو كان فرمان ما كنا نخليك الآن حيًّا لكن جاء امر لاهل الشرع ان يجتمعوا ويسجلوا قباحتك فان كانت تستوجب القتل نقتلك. فقلت: ايها الامير هذا الفرمان ليس هو في حقي بل هو في حقك لانَّ هؤلاء ما يحبُّونك تحكم عليهم وانت اسمك قد ذاع في الدنيا كلها وما كنت تقدر انت تطلع من حقي فتركوك واشتكوا عليَّ لاسطنبول. فقال الامير: لا تخف اليوم انا اعملك بطركاً وانعل ابوهم (اباهم) على ابو (ابي) الكتاب. فقلت لهُ: انا ما لي طاقة في البطركيَّة. فقال: روح الى كنيستك وان يحدث لك شيء اعلمني

ثم ارسل الامير وجاب وكيل البطرك وقال لهُ: اكتب للبطرك ان يجيء هو ويندعي

(ويقيم دعوى) مع القسيس ». فراح لهم دراهم كثيرة وكتبوا مكاتيب للبطرك وارسلوها مع الساعي قائلين: قومْ تعال بالعجل والّا البطركية قد راحت من يدك لانّ الامير قال لابن الكزبر: اريد اعملك بطركاً. وحكوا لهُ ما جرى لهم. فالساعي مرض في الطريق والمكاتيب ما وصلت للبطرك الّا في سبّة السعانين فيوم جمعة الاربعين طلع من حلب وعيّد السعانين في الطريق وكذلك سبّة الآلام والعيد الكبير. وفي الاحد الجديد وصل الى تزلي (١ وبعث فتوسّل الى الخواجا عبدال ان يطلب لهُ من الحاكم دستوراً ليدخل الى ماردين وبعث للامير ازيد من خمسمائة قرش پيشكاش (٢ فاخذ لهُ دستوراً

وجاء البطرك الى دير الزعفران في الاحد الذي بعد الاحد الجديد . وفي يوم الاثنين جاء الى الاربعين (٣ والثلثاء الى مار (مرت) اشموني والاربعاء الى مار ميخائيل (٤ . امّا نحن فكنّا لا نزال نذهب الى بيعة مار اليّا . ففي ذلك اليوم رأينا الناس جوقات جوقات نازلين معنا . وكانت افراس الامير ترعى في الجاير (٥ قدّام مار ميخائيل فقال واحد من الخدّام (وكان جاويشاً) للبطرك: لماذا ما يقبل هذا القس يطيمك. قال: ايش اعمل معهُ الامير ظهرهُ والامير ارسلتُ لهُ فرماناً فما عمله . فمضى ذلك الجاويش المساء واخبر الامير . فارسل الامير خلفي مع ابن جوهر وكنت انا في بيت الشماس يَلدُه الكلداني . فدلوه عليّ فجاء اليّ وقال: انّ الامير يريدك روحْ انت وحدك وانا اروح اجيب البطرك

فرحتُ ودخلت لعند الامير فقال لي الامير: في بالك هو ذاك الكلام الذي قلتهُ لك اليوم الذي بعث البطرك عليك الفرمان . قلتُ لهُ: نعم . فقال: ذاك الكلام تقوله قدّامهُ . واذ نحن هكذا والّا جاء البطرك وجاب معهُ الخواجا ايشوع دلو بالطه (كذا) وابن القس مرزا وابراهيم القوّاق فدخل هو والخواجا ايشوع لقدّام الامير والامير بقي يتمشوّر وما يلتفت اليهما وهما قائمان في سلامهِ وانا جالس في جنب الديوانخانه

١) قرية بين ماردين وديار بكر ٢) اي هدية وهي كالبخشيش

٣) اي كنيسة الاربعين شهيداً في ماردين

٤) كنيستان للياقبة الواحدة على اسم السبعة المكابيين واسمهم اشموني . والاخرى على اسم مار ميخائيل وكلتاهما خارج المدينة ٥) لفظة تركية بمعنى المرعى والمسرح للمواشي

مقابل الامير حتى امرهُ ان يطلع الى فوق ويجلس ثم قال لهُ : هـذا هو الراهب الذي اشتكيت عليه وبعثت عليهِ الفرمان ؟ فقال : نعم يا امير هذا هو وهو ابني وانا قد رسمتهُ شماساً والآن قد صار قسيساً وانت قد اخذت واعطيتهُ كنيسة مار اليا وانت افتديتنا انت ايش ما حكمت على الراس والعين . فقال الامير : هل الاب يريد يقتل ابنهُ انك بعثت عليه صورة فرمان وانا اردت ان تحميهِ وتريني الفرمان ايضاً . قال البطرك : الفرمان عندي . فقال : جيبـه (جيءْ بهِ) . فقال : امهلني لغدٍ

وكان معي اخي واقفاً برًّا (خارجاً) فقال البطرك : هوذا وكيلك واقف خلهِ يروح يجيب الفرمان . فقال الامير : من هذا . قلتُ : اخي . قال : فاين الوكيـل . فجاء فاخرج مفتاح السبَت (١ من جيبهِ واعطاهُ للوكيـل وقال : افتح السبت وفي فم السبت كيس ابيض مختوم جيبه (جيءْ بهِ)

فلمَّا راح يجيب الكيس قلتُ للبطرك : « يا بطرك انا كلّي انسان حقير انا ايش اكلتُ منك . انت تأكل من باب اسطنبول الى باب بغداد وتسلب مال هلقدر (هذا القدر) ناس وانا بامر الامير اخذت لي هذه البيعة الخربة ومن الاحد للاحد اروح اصلي فيها وانت لاجل هذا تمضي تشتكي عليَّ الى السلطنة أما كان هاهنا حكمٌ وشرعٌ لتبين قباحتي وحاكم الوقت يطلع من حقّي ؟ فقال : الذي صار صار . الله قبيل المفسدين

واذ نحن هكذا جاء الوكيل وجاب الكيس فاخذ الامير الكيس وفتحهُ واخرج منهُ الحجج التي هي من عشرين سنة وجاني مع الفتوات والفرامين وجميع الشرور التي عملها هو والبطرك خاله ثم اخرج الفرمان الذي كان عندهُ صورتهُ فمسك الصورة بيدهِ واعطى الفرمان لكاتبهِ وامرهُ بقراءتهِ وكلّما يقرأ قليلًا يقول الامير البطرك بتعزيل (بتوبيخ) : « من تكون يا بطرك حتى تلعب في فرمان السلطان » لانَّ الصورة طلعت زوائد على الفرمان في كلام كثير . ثم قال لهُ : في هذا الوقت اريد ارفعك الى القلعة وارسل هذا الفرمان وصورتهُ الى اسطنبول للسلطان حتى نُبصر مَن في مملكتهِ تجاسر وعمل هذا العمل . فقال البطرك : ايها الامير هذا ما هو ذنبي بل هـذا ذنب الكاتب . فقال : ايش كان يعرف الكاتب هذا الكلام

---

١) السَّبَت كالسَّفَط بمعنى القفّة والصندوق

ثم امر برفع البطرك فوقع الخواجا ايشوع على أقدام الامير قائلاً: ان البطرك رجل كبير السن ومريض فنحن نكفله. فصرفهُ وبقيتُ انا فقال لي: امضِ اقعد في اوضة الكاتب فان لي معك شغلاً. فجاءوا العشاء وتعشينا وبعد العشاء دعاني وقال لي: لا تخفْ فغداً اذا ارسلتكم للشرع اندع (تحاجج) مثل ما يعجبك. وكنت قلتُ للامير أأ سألني ايش بينكما فاخبرتهُ بالقضيّة: انَّ هؤلاء (اليعاقبة) يقولون انَّ الله الواحد بطبعهِ الشريف اللطيف قد مات ثم يقولون انَّ برصوم ما قام آخر شبههُ لا في الاولياء ولا في الانبياء. ويصلّون لهُ قائلين: ربّنا ترحّم علينا وبنا تحنن علينا وبنا تقبل صلواتنا وطلباتنا. ويقولون: «ربّنا برصوم» عشرين مرّة. وغير هذا الذي اخبرتُ عنهم الامير. فقال لي الامير: ان ثبتت واحدة من هذه فقط حلَّ فيهم السيف. فقلتُ لهُ: لاجل هذا يا امير انا انعزلت من بينهم. والامير كان يعرف كل هذه الامور

ففي صباح تلك الليلة قبل انشقاق الفجر جاؤوا الى عندهِ وتوسّلوا اليه واعطوهُ سبعمائة قرش فاخذ الدراهم وعند الصباح راح الى البستان. واذ كان في البستان جاء اليهِ القنبوري مطران القدس واخو البطرك المغربان متى ودفعا لهُ خمسة اكياس دراهم ليتناني. فلمَّا جاء الامير من البستان اخبر الى عيسى بك بذلك وقال: ودِّ القس الى اوضتك وقيدهُ. فودَّاني وضرب القيد في رجلي وحكى لي بالقضية وسمعتْ الخواجكية ايضاً

وفي ذلك اليوم راح البطرك اسحيقه للدير (اي دير الزعفران) وجمع كل المطارين والرهبان ومُريديه (اصحابهُ) ناساً اغنياء من الشعب رجالاً ونساء وتشاوروا على قتلي فكان بينهم امرأة عوراء بعين واحدة يقال لها امرأة حَبل الزنى. فهذه في تلك الساعة اعطت ثلاثمائة قرش لاسحيقه ثمن قتلي واغاروا المطارين ايضاً وكل واحد منهم قرَّر قرذ شي (اي مبلغاً معلوماً) وكتبهُ عليهِ فكتبوا تمسُّكاً (اي قراراً) وختموهُ كلهم باربعة عشر كيساً وكان التمسك مكتوباً بالعربي وارسلوهُ للامير قائلين: «قد اخذتَ منَّا الذي اخذت فهو حلال عليك وقد (قرَّر) الآن المطارين لك خمسة اكياس وهذا تمسُّك اربعة عشر كيساً ثمن دم ابن الكزير ندمهُ في رقبتنا قدّام الله وان كان اخوتهُ اشتكوا الى السلطان فجواب السلطان علينا». وارسلوا التمسُّك الى حَرَم الامير مع امرأة طورانية في بقجة قماش تساوي مائتي قرش

فلمّا فرّقت الخواتين الاقمشة بينهم (بينهنّ) وجدوا (وجدنَ) التمسك فيها فاعطوهُ (فاعطينَهُ) للامير. فلمّا قرأهُ الامير تعجّب من قساوة قلوب هؤلاء وارسل فدعا ثلاثة من الخواجكية الخواجا عبد المسيح ابن الخواجا اصلان والمتقدمي عبد الاحد ابن القس عرديش (عبد يشوع) والخواجا عبدال وقرأ التمسك قدّامهم فالواحد منهم قال: خذ الدراهم واقتلهُ . والآخر قال: انت تعرف أيها الامير ان تجيب حمل قطن فاندفهُ ولفّ هذا القس ايليا فيهِ وخبّهِ وكلما تحتاج (تحتاج) لدراهم أظهرهُ . فضحك الامير فجاء عيسى بك وحكى لي كل شيْ

وعند العشاء دعاني الامير وأراني التمسك وقال: ايش تقول. فقلتُ : العصا في يدك. لو كان هؤلاء قدروا ان يقتلوني كان كلْ (١ قتلوني من زمان انا دمي اطلبهُ منك يومَ الله اليوم العظيم لانهُ ما لي شر على احد. فقال لي: يا راهب انت كيف تعرف فعلّمني حيلة لآكل هذه الدراهم من هؤلاء القوم. فقلتُ لهُ: غدًا من الصباح حطّني في الزنجير وأرسل قُل لهم «جيبوا الدراهم حتى اقتلهُ» وأنا تكمل الدراهم قُل لهم: «امضوا سجّلوا عليه قباحتهُ لاقتلهُ وأوّص انت القاضي حتى يسمع دعواي فأندعي انا عليهم بذلك الكفر الذين يكفرون». فضحك الامير وقال: الله ينصرك عليهم

وفي الصباح ادخلني الى الزنجير وحطّ في رقبتي طوقين . فجاء اهل قلعة مرا واصروني هم والداشية ومضوا فاخبروا السجقه. امّا الامير فبعث طلب الدراهم ليتلوها (ليدفعوها) لهُ . فاعتذروا قائلين: انّنا قد بعثنا نتدبّن دراهم من ديار بكر

وما مرّ علينا سبعة أيام والّا اهل الصراي قد شاشوا (هاجوا) فسألنا: ما هو الخبر. قالوا: انّ متسلّماً جديدًا جاء من حلب وقد اعطى السلطان ماردين لطوبال يوسف باشا امير الحاج وهو جاي الى هذا البلد . فلمّا وصل المتسلّم ارسل وطلب الزنجير فاخرجني الامير من الزنجير وارسل بقيّة من كان فيهِ من الاكراد وغيرهم للمتسلّم .

فثاني يوم صباحًا جاء اليماقية وجابوا معهم الخواجا اصلان ابن عيساجان الكلداني وطلبوا الدراهم والاقمشة التي كانوا اعطوهُ اياها سابقًا من اجلي فما قدر الامير ان يرفضها فاعطاهم كل شيْ طلبوا واغتاظ منهم غيظًا عظيمًا وبعث وراني وقال لي :

١) لفظة «كل» من زيادات لغة ماردين يزيدونها على الافعال فيقولون: «كلْ اكلتُ» اي اكلتُ

اريد آخذك معي الى اسطنبول واريد من الله ان يعطيني حكم ماردين ثاني نقلة (دفعة) حتى اصلب من هؤلاء الكفرة عشرين واحداً حتى تتعجب الخلق يقولوا: كيف مثل هؤلاء ينصلبون. ثم شجعني وقال لي: لا تخف. وبقيت ذلك اليوم ايضاً في اوضة عيسى بك. وتلك الليلة بعثوا البعض من الخواجكية وقالوا لي: ان كنت تقدر تهرب اهرب. وجاء اليَّ اخي وبات عندي واراد ان يهربني فما رضيت بذلك وقلت: انا متوكل على سيدي يسوع المسيح وعلى مريم العذراء وعناية السيدة المقدسة

وفي ذلك النهار عند المساء وكانت ليلة عيد السيدة نصف ايار (لعلهُ يريد نصف آب) تركوا اليماقية صلاتهم واجتمعوا جمهوراً كبيراً بينهم كهيات القصور والمنصورية وبنيبل وقلعة مرا والشعب ايضاً من ثلاث مراعيث وجاؤوا فاشتكوا عند المتسلم على الامير وقالوا: لنا عندهُ راهب ممسوك ولنا معهُ دعوى كبيرة فهو قد سلَّم لك المسوكين ولم يسلم ممسوكنا

فارسل المتسلم للامير اثنين من الآغاوات فاخبرا الامير وطلباني منهُ. فجاء عيسى بك وقال لي: قوم والبس قبَّاعتك ولفَّتك وصوطك لانَّ جماعتك اشتكوا الى المتسلم وبعث يطلبك من الامير. فقمت معهُ وحضرت قدَّام الامير فقال الامير للاغاوات: هذا الراهب. فمسكني كلاهما كل واحد من كتف وانزلاني في الرصيف. وكان الخلق قد خرجوا يتفرَّجون مسلمين ونصارى وبقيت ممسوكاً بينهم حتى وصلوني الى قدَّام المتسلم. فقال لهم بالتركي: هذا هو الراهب؟ قالوا: نعم. فقال: ارفعوهُ للزنجير. فأحاطوا بي الجند واخذوني ووضعوني في رأس الزنجير

وفي تلك الليلة راح من اليماقية ناس امند البكباش واعطوهُ خمسين قرشاً قائلين: أعطه جزاء ليموت في الزنجير. فوقت العشاء اخرجني من الزنجير وكان قد نقع كنديراً (حبلاً) وشدَّني بالزلط الى النصف وربطني في الكندير وجاب مزواراً ومزوَّر (١ الكندير حتى غبتُ عن وجدي (اي عن حواسي) وتركني مشوار. وبعد ذلك لمَّا قاربت الموت قطع الكندير بالخنجر وقلب (كبَّ) عليَّ جرَّة ماء فبدأ جسدي يتمل فقمتُ وفتحت عيني فبدأ يضربني بالقرباج ويقول لي: «افرنجي افرنجي» ويضرب. وكان هناك احد صريدار (٢

١) المزوار آلة تلوى بها الحبال

٢) الصريدار تصحيف السرايدار اي وكيل السراي

رجل شاب من طائفة الارمن اسمهُ مراد ابن ازياد فبدأ يبكي عليَّ ويلعن قساوة اليماقبة وبقوا يعاقبوني الى نصف الليل ثم طرحوني في الزنجير لا ميّت ولا حيّ

ثم عند الصباح جاء اليَّ اخي وابصرني في تلك الحالة فسألني: هل تحصيل الملكوت هو هين فان كنتَ لا تقدر تصبر على هذا العذاب فكيف تقدر تصبر على عذاب المطهر ؟ واعلمني ان انبارحا (اي الليلة البارحة) راح الخواجا توجان ابن الخواجا اسحق والخواجا اصلان ابن عيساجان وانا معهما الى القاضي واقرّا (نقدًا) لهُ ثمانين قرشًا ابا كلب ووضعا عنده زوجين اخصور (اي اسوار) وكترين وزنجيرًا وتوسّلوا منهُ ان لا يعطي في حقك حجّة القتل. فهو حلف لهما بالطلاق انهُ لا يعطيها ولو دفعوا لهُ اليماقبة الف قرش

فمضى اخي من عندي وراح فحكى للخواجكية ما صنع بي البكباشي وكذلك الصريدار المذكور راح فاخبرهم فراح احدهم الى عند الامير واخبرهُ بالقضيّة فركب الامير وجاء الى عند المتسلم وقال لهُ: «انا كنت خلّيت هذا الراهب عندي لحين ما يجي يوسف باشا حتى ابرّهُ لهُ بيشكاش لانَّ اعداءهُ قد اعطوني عشرين كيسًا حتى اقتلهُ وانبارحا (امس) كان يريد البكباشي ان يقتلهُ ويروّح العشرين كيسًا». فبعث المتسلّم وصاح (دعا) البكباش وقال لهُ: لماذا عملت هكذا انا قلت لك حطّهُ في الزنجير فهل قلت لك عاقبهُ. فقال: انَّ اعداءهُ جاؤوا وبرطلوني كي اعاقبهُ. ثم نزل اليَّ رجل يقال لهُ يوسف اغا وسلّاني واخرجني من الزنجير وضربني في القيد وبسط لي حصيرًا باشقا (منفردًا)

فثاني يوم من الصباح قالوا انَّ الحاكم خليل آغا قد جاء وعملوا لهُ هلاي (حفلة) كبيرة. ولما وصل ما رضى ان يجيء ينزل في بيت يعقوب باشا فنزّلوهُ في السراي العتيق. فوضعني الاودباشي في الزنجير وحمّلني بقيّة الزنجير. وكان قد اخذ عشرة احمال حشيش فحمّلها المحبوسين وحمّلني ايضًا فوق الزنجير اربع فتل حشيش. واذ نحن جاؤون فوق سطوح الصانعين لاقاني القاضي وسأل قائلًا: هذا هو الراهب. وكذلك المفتي والاعيان وكان صباح الاحد في زمن الصيف وكانت المدينة كلها قد اتت الى الفرجة مسلمين ونصارى رجالًا ونساء

(التتمّة لعدد الآتي)

ملحوظات على مثلث قطرب

لجناب الصيدلي مراد افندي بارودي

يعود حضرتكم في المشرق لشهرنا الحاضر (صفحة ٦٨٥) الى الكلام عن المثلث المنسوب لقطرب وايرادكم شرحين من اقدم الشروح وقد وجدتموهما في مكتبة برلين وهما منسوبان الى عبد العزيز الديريني المصري المتوفى سنة ٦٩٤ للهجرة الى آخر ما جاء في التوطئة على المثلث المذكور ارجوكم ان تفسحوا لي مجالاً في مشرقكم الزاهر فآتي على ذكر ما استفدته في هذا الموضوع بناء على توفيقي موخرًا الى امتلاك نسخة من هذا المثلث كُتب على ظهر ورقتها الاولى العنوان الآتي « كتاب المثلث تاليف ابي الحسن علي ابن احمد البصري المعروف بقطرب رحمة الله عليه وهو تسعة وعشرون نوعاً » وفي الصفحة الاولى بعد البسملة « هذا كتاب الفُهُ قطرب بن احمد البصري واسمهُ علي ابن احمد رحمة الله عليه . يقال لهُ المثلث وهو حرف تراهُ في الكتاب على صورة واحدة ويتصرَّف على ثلاثة معانٍ » . وتاريخ هذه النسخة كما هو مسطور في اخرها في شعبان سنة ٥٧٣ وهي بالقطع الربعي نوع الخط فيها يقارب النسخي ويجمعها ونسخة من فصيح ثعلب جلد واحد وهما لناسخ واحد وقد جاء في اخر هذه الثانية ما نصُّه : « نجز كتاب الفصيح لابي العباس ثعلب رحمهُ الله بمشيَّة الله وعونهِ وذلك في العشر الاوسط من جمادى الاوَّل من سنة ثلاث وسبعين وخمس ماية بمدينة قوص »

بناء على ما يفهم من النص اعلاهُ ينجلي لنا أربع حقائق : (الاولى) ان اسم قطرب صاحب المثلث المشهور علي ابن احمد البصري وكنيته ابو الحسين خلافاً لرواية ابن خلكان الوارد فيها لقطرب ثلاثة اسماء يرجح فيها ان اسمه محمد وكنيته ابو علي وتابعه الكتبة من بعده على هذا السهو

(الثانية) ان قطرباً المذكور قد شرح مثلثه نثرًا وليس نظماً كما ستراهُ في الانموذج الذي نلحقهُ بهذه المقالة . فاستنادًا على ذلك ان المنظومة التي اولها « يا مولعاً بالغضب » ويزعم الفريق الاعظم من الادباء الاقدمين والمتاخرين انها لقطرب نفسهِ ليست هي بالحقيقة لهُ بل لرجل آخر . واما ما ارتآهُ حضرة الاديب الفاضل سعادة احمد باشا تيمور

المصري في الصفحة ٩٥٨ من المجلد الحادي عشر للمشرق يقارن السداد اذ جاء مطابقاً لما تشهد لنا به نسختنا المذكورة وقد قال وفّقه الله في ختام كلامه من ذلك وعقيب استشهاده بهذين البيتين :

« لما رأيتُ دَلَّه . وهجرهُ ومطله . نظمت في وصفي لهُ . مثلثاً لقطربِ »

وهي دلالة صريحة على ان الناظم غير قطرب

(الثالث) ان المادات التي وضعها قطرب لمثلثه تسعة وعشرون مادّة وهي كما رتّبها قطرب نفسهُ نقلاً عن نسختنا مفتوحة الفاء فكسورتها فمضمومتها :

الغمر . السلام . الكلام . الحلم . الحجر . الدعوة . السبت . الحرّة . السهام . الشرب . الخرق . الشكل . الرفاق . الطلا . الصرّة . الملا . اللّحا . السقط . الأمّة . القسط . القمّة . الحدّ . العرف . الكلا الجوار . المسك . الحمام . اللمّة . الصلّ

وقد جاءت المادات المشروحة في المنظومة الثانية المنسوبة لابن الديريني كما نوهتم حضرتكم في المشرق اخذاً عن مكتبة برلين والتي اولها : « اذا عاينت سبل الحبّ غمرا » مطابقة لنسختنا في عدد المادات ومخالفة بعض الخلاف في ترتيبها عكساً للمنظومة الثانية التي تنقلون حضرتكم انها شرح على منظومة قطرب للشاعر نفسهِ اعني ابن الديريني فان عدد المثلثات فيها اربعة وثلاثون مثلثاً » ينقصها ثلاثة الفاظ « الهجر والسقط والصلّ » . وتزيد ثمانية اذا اعتبرنا الساقط وهي : « رشا . غمر . الزجاج . اللقا . المنة . الظّلم . القرى . القطر »

(الرابعة) كل من يعارض الشروح العديدة المنظومة بشرح قطرب المنثور يرى في بعض شروح المواد غلطاً غير مغتفر ولا قابل للتأويل . ولناخذ مثالاً لذلك مادّتين ولتكونا ايضاً الانموذج الذي وعدنا بهِ في الحقيقة الثانية من هذه المقالة : المثال الاول « الدّعوة »

قال قطرب : ومنهُ الدّعوة والدّعوة والدُّعوة . فامّا الدعوة فالرجل يدعوك وينـاديك . قال عنترة العبسي :

دعاني دعوة والخيل تَرْدي فما ادري أيسمي ام كنّاني

فامّا الدِعوة فالرجل يدّعي الى قوم ليس منهم . قال الشاعر :

تزعم لي انك من باهلهْ تلك لعمري دِعوة خاملهْ

فامّا الدُّعوة فهو الدُّعاء في الحرب قال الشاعر :

ودُعرة اقوام تخلفتُ جميعهم بجبل ورجل والهُبيدةُ تُنحر

هُبيدة هي المائة من الابل

(وهذه الاخيرة لم نجدها بهذا المعنى لا في المحيط ولا في التاج)

وهاك شرح ابن الديريني المار ذكرهُ لهذه المادّة في منظومته:

دعا داعي سلوّي الف دُعرة (الندا) وما دعواهُ عندي غير دعوه (الادما)

وقد عدّت بذاك الروح دُعرة (وليمة) رضى لبشري بالوصل نذرا

المثال الثاني « الحجر »

قال قطرب – ومنهُ المَحجر والحِجر والحُجر – فاما الحَجر فهو مقدَّم القميص . قال ابو الشاعية :

ذكرتك والمشجون ذاكرُ شجوه فما زلتُ اذري الدمع حتى امتلى حَجري

واما الحِجر فهو العقل قال الله عزَّ وجلَّ . هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجر . معناهُ والله اعلم لذي عقل قال الاخطل :

أَلِكْني الى آل المُعَيم رسالة كان ذا راي وذا حِجر (كذا)

(ولم نجد هذا البيت في نسخة ديوان الاخطل المطبوعة بعناية حضرة الاب صالحاني سنة ١٨٦١ ولا نعلم اذا كانت واردة في الملحق الذي طبعهُ حديثًا) . واما حُجر فهو اسم رجل . الخ

وهذا شرح ابن الديريني :

ملكت القلب فاحكم دون حُجر (المتنبي) وهام بكاس حبّك كل حِجر (مثل)

ولو ملك الهوى قلب ابن حُجر (شاعر) لما انشا بجزل القول شعرا

هذا ما توفَّر لنا اثباته استنادًا على النسخة الخطيَّة الموجودة لدينا من مثلث قطرب التي لا يُبارى فيها اذا اتُّخذت حجَّة على ما تتضمَّنه من الحقائق المناقضة لما هو عليه جمهور الباحثين في هذا الموضوع حتى اليوم الحاضر . ومن الواجب ان تبقى كذلك الى ان يأتينا الزمان المستقبل بما ينقضها

وفي الختام نستأذن حضرتكم استدراكًا على ما نقلتموهُ بشان المنظومتين المثبتتين في العدد المذكور من المشرق شرحاً لمثلثات قطرب . فكيف يصح اعتبارهما لشاعر واحد (وقد ذُكر انهُ ابن الديريني) وهناك سببان كبيران يتنازعان صحة هذه النسبة الاولى وقد اشرنا اليه وهو عدم اتفاق الشرحين في عدد المثلثات اذا كان في

احدها اربعة وثلاثون وفي الآخر تسعة وعشرون فضلاً عن سقوط ثلاثة الفاظ في الاوّل وهي من اركان مثلث قطرب (الحَجْر والسَّقْط والصَّلّ) كما بيناهُ في محله. والثاني عدم مطابقة الشرحين في تفسير بعض الالفاظ من المثلث. مثال ذلك ورد في المنظومة الاولى شرحاً للقُمَّة :

وكنسُ بيت قُمَّة. وراسُ طود قِمَّة بكسرها والقُمَّة مزبلة لقشب

وفي الثانية :

وكم سُلِبتْ من الضرغام قِمَّة (القريسة) ونيلت بالعزائم كل قُمَّة (راس جبل)
اذا رضي الخيار بذل قُمَّة (كناسة) فكن رجلاً شريف العزّ حرّا

فانظر انهُ في الاوّل فسَّر القُمَّة بالفتح كناسة البيت وفسَّرها في الثاني القريسة. والاصح ما يأخذهُ الاسد بفيه كما في نسختنا الخطيَّة المذكورة. فيكون من الثابت فقط ان المنظومة الاولى هي لابن الديريني والدليل على ذلك صريحٌ في ذيل المنظومة المذكورة اذ يصرّح فيه انهُ هو ناظمها — والله اعلم بالصواب (١

(حاشية) بعد ان كتبتُ المقالة المتعلقة «بمثلث قطرب» عثرتُ على شرح جزء من فهرس مكتبة الاوسكريال الشهيرة لصاحبه المستشرق الفاضل هرتويك ديرنبرج المطبوع بباريس سنة ١٩٠٣ باللغة الفرنسويَّة وقد ورد فيه ما مفاده ان القسم الثاني من المجموعة التي عددها ٧١٨ هو المنظومة الشهيرة اعني بها «يا مولعاً بالغضب والهجر والتجنُّب» وانها بالنصّ الصريح للشيخ سديد الدين ابي المحاسن (بن) مهلب الدين حسن البهنسي حيث يقول هو نفسه «نظمت مثلث قطرب في قصيدة ابياتها اثنان وثلاثون بيتاً على حروف المعجم». فالحالة هذه قد جاء كلام الشيخ المذكور حجَّة قاطعة على انَّ نسبة المنظومة المذكورة الى قطرب هي رواية عارية عن الصحة وقد تناقلتها الالسنة والصحائف بدون تثبت ولا تدقيق. ويستدرك على الناظم الشيخ سديد الدين جَعْلُه الفاظ المثلث القطربي اثنتين وثلاثين لفظة وقد صرَّح الاسناد الى قطرب نفسه انها تسع وعشرون فقط كما ذكرناها بباطن مقالتنا

١) جوابنا على جناب المعترض انَّ اسم ابن الديريني واردٌ بنوع صريح في نُسختي برلين اللتين اخذنا عنهما في ختام القصيدة الاولى وفي صدر الثانية (اطلب فائمة مخطوطات برلين ج ٦ ص ٣٠٦ و٣٠٧ في العددين ٧٠٧٨ و٧٠٨١) ولعلَّ الشروح في الثانية زادها على ابيات ابن الديريني كاتبٌ غيرهُ فحصل بذلك الاختلاف ل. ش

ملحق لحضرة الاب انطون صالحاني

ليسمح لنا جناب الصيدلي المدقق مراد افندي بارودي ان نبدي بعض الملاحظات بخصوص اسم وكنية صاحب مثلثات قطرب فان التنقيب عن هذه المادة وان يسيرة وغير ذات بال قد لا يخلو من الفائدة

اورد صاحب نزهة الالبّاء في طبقات الادباء (في الصفحتين ١١٩و١٢٠) ترجمة قطرب فقال "واما ابو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب فانهُ كان احد العلماء باللغة والنحو اخذ النحو عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصرة وسمي قطرباً لانَّ سيبويه كان يخرج فيراهُ بالاسحار على بابهِ فيقول: انما انت قطرب ليل. والقطرب دويبَة تدبّ ولا تفتر... ولهُ من التصانيف... كتاب المثلث... وتوفي سنة ست ومائتين في خلافة المامون" (٨٢١ – ٨٢٢ مسيحية)

وقال السيوطي في تاليفهِ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ص١٠٤): «محمد بن المستنير ابو علي النحوي المعروف بقطرب»

وجاء في اللسان (٢: ١٧٧): «وقطرب لقب محمّد بن المستنير النحوي»

وقال ابن خلكان (طبعة اوربة ٦٩٣): «يقول ابو علي محمّد بن المستنير بن احمد النحوي اللغوي البصري المعروف بقطرب... ويقال انَّ اسمهُ احمد بن محمّد وقيل الحسن بن محمد والاوّل اصحّ والله اعلم بالصواب»

وفي كشف الظنون ورد ذكره خمس عشرة مرّة (طبعة اوربة ١: ٣١٢ و٣: ٣٥٥ و٤: ٢٤٦ و٢٠ و٣٢٤ و٥: ٣٩ و٤٣ و٤٤ و١٠٧ و١٣٢ و١٣٨ و١٧٢ و٣٧٤ و٦١٨ و٦: ٣٨٨) وفي كل هذه المواضع ورد تعريفه هكذا «ابو علي محمّد بن المستنير المعروف بقطرب النحوي المتوفى سنة ٢٠٦» الّا انهُ في الصفحة ٣٨٨ من الجزء السادس سماه محمّداً المستنير لا «ابن المستنير» وفي رأينا ان الكلمة «ابن» في هذا الموضع سقطت سهواً من النص

ولا بأس ان نورد ما جاء في كشف الظنون (٤: ٣٢٠) فانهُ يطلعنا على كثير من المثلثات. قال:

« الدرر المثلثة والدُّرر المُبَثَّثة للشيخ الامام مجد الدين ابي طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ . . . ذكر فيه انهُ جمع جميع ما في كتب المثلثة كقطرب والقزّاز والبطليوسي وابن مالك وابن عبد الله الحنبلي وابراهيم بن زهر البصري وكتاب الباهر لابن حديس وذكر انهُ كان قد وضع على قسمين الاوَّل في المثلث المتفق المعاني والثاني في المختلف المعاني فجاء القسمان في خمس مجلَّدات ثم افرد القسم الاوَّل في هذا التاليف على ترتيب الحروف

وقال في الصفحة ٣٧٣ و ٣٧٤ من الجزء الخامس :

« مثلَّث في اثلثة . اول من وضع فيهِ ابو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحويّ المتوفى سنة ٢٠٦ وهي اثنان وثلاثون بيتاً اولها « يا مولاً بالنضير » شرحهُ سديد الدين ابو القاسم عبد الوهاب بن الحسين الورّاق بمدينة صنعيـة توفي سنة ٦٨٥ والشيخ ابراهيم اللخمي وابن زهير والقزاز ابو عبد الله محمَّد بن جعفر القيرواني النحوي المتوفى سنة ٤١٢ وابن حُدَيس — مثلث لجمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ وابي محمد عبد الله بن محمد البطليوسي النحوي المتوفى سنة ٥٢١ وعزّ الدين محمد بن ابي بكر ابن جماعة توفي سنة ٨١٩ وابي حفص عمر بن محمَّد القضاعي المتوفى في حدود سنة ٥٧٠ في عشرة اجزاء . وللشيخ مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ وهو كبير في خمس مجلَّدات وصغير في خمسة اجزاء اولهُ : اشرف ما نطق بهِ المصدع المحدث الخ . رتَّب على الحروف »

فينتج من كل ما اوردناهُ ان اسم صاحب مثلَّث قطرب هو محمد لا احمد وان كنيته ابو علي لا ابو الحسن وانهُ ابن المستنير او ابن احمد المستنير فيكون المستنير لقب ابيه احمد

ولا يُضعف ادلَّتنا كون نسخة مراد افندي بارودي هي قديمة العهد ترتقي الى سنة ٥٧٣ فان نسبة الغلط الى كاتب فرد اهون من نسبته الى علماء كثيرين اطلعوا على تصانيف مختلفة لقطرب تنيف على ١٧ كتاباً وعرفوهُ وتحققوا منها اسمهُ وكنيته فلا يصدَّق انهم كلهم غلطوا في ذلك

امَّا ما لاحظهُ جناب مراد افندي البارودي بخصوص بيت الشعر المنسوب للاخطل فنوافقه في انهُ لم يرد لا في الديوان ولا في الابيات التي وقفنا عليها منسوبة للاخطل فجمعناها في ذيل الديوان ولا في الملحق الذي عُنينا بطبعهِ هذه السنة ولا في النسختين البغداديَّة واليمنية ولا في نسخة نقائض جرير والاخطل المحفوظة في المكتبة العموميَّة بالاستانة . وهذا لا ينفي كون البيت للاخطل . الَّا اننا لم نجد فيهِ ملامح من شعر الاخطل . ولا يخفى انهُ يوجد شعراء يُلقَّبون بالاخطل غير الاخطل المشهور . فقد عدَّ

الآمدي في المؤتلف والمختلف مَن لُقِّب الاخطل اربعة احدهم التغلبي النصراني والثاني الاخطل الضبعي كان شاعرًا وادَّعى النبوَّة فاخذهُ ابن هبيرة في دولة الامويين فأمر بهِ فضُربت عنقه . والثالث الاخطل المجاشعي وهو الاخطل بن غالب اخو الفرزدق وكان شاعرًا وانَّما كسفه الفرزدق فذهب شعرهُ . والرابع الاخطل بن ربيعة بن النمر بن قولب (راجع الصفحة ٢٢١ من الجزء الاوَّل من خزانة الادب والاغاني ١٢ : ١٥٦) والقاموس والتاج في مادة خطل) . فمن المحتمل ان يكون البيت لاخطل غير الاخطل التغلبي

ميمر

لاسحق النينوي في اكرام الصليب

معرَّب بقلم الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

في كتاب اسحق النينوي الذي نشرهُ حديثًا حضرة الاب بيجان العازاري المحترم ووصفهُ في المشرق الاغر (ص ٢١٥) القس اسحق ارملة السرياني ميمر نفيس في اكرام الصليب المقدس رأينا ان نترجمه لقرَّاء المشرق بمناسبة عيد هذه الراية الخلاصيَّة وذلك اوَّلًا ليكون أنموذجًا لانشاء المؤلف وتضلعهِ في اللاهوت . وثانيًا لنكتمل بهِ ما كنَّا كتبناهُ في المشرق يومًا عن اكرام الصليب والصور عند النساطرة (١ قال :

*

باي معنى نبجِّل الصليب وماذا تشخِّص لنا صورتهُ المباركة التي نخصُّها باكرام عظيم

١) مسًا يستحق الذكر في هذا المعنى انهُ كان لا بدَّ من وجود الصليب في قلاية كل من رهبان النساطرة القدماء . قال اسحق النينوي لاحد الرهبان : انهُ اذا باشر اسابيع الاعتكاف والسكوت لا يخرج من قلايتهِ البتَّة ولا لتناول القربان الاقدس في ايام الاحد حتى نهاية الرياضة بل يعوض عن ذلك بالتأملات وقراءة الكتب الروحية اذ يقرأها وهو جالس امام الصليب بخشوع (وجه ٦٢٦) . وتستدلّ على وجود الصور في قلايات الرهبان بما جاء في ميمر سبريشوع من بيت قوقا وتلاميذه الذي نشرهُ الاب الفونس منكانا (طالع كتابهُ Sources Syriaques وجه ٢٦٢) اذ يقول عن مارابن عمِّهِ : ان الرب كلمه فأ بفم من الصورة التي كانت في قلايته . وعاش هذا في الجيل السابع

وعبة وانعطاف ونسجد لها بلا ملل وقلبنا مفعم لذةً ذلك امرٌ يعرفهُ العالم اجمع ويترنم بتاريخهِ. ولكن كيف تحلّ فيهِ قوّة الله ؟ انما تحلُّ سرّيًا على نسق عادتهِ تعالى اذ يظهر قدرتهُ العجيبة في كل جيل وفي كل زمان فيضع اسمه العزيز على موادّ هيوليّة ويجترح بها عجائب وآياتٍ للعالم ويمنح بها معوناتهِ للبشر. فهذا ما قصدنا ان نبيّنهُ الآن. غايتنا اذن ان نتكلّم بكلام بسيط مبرهنين عن القوّة المجيدة والازلية الكائنة في الصليب ليُعرف بان الله هو الذي يعمل كل شيءٍ في كل شيءٍ بالماضيات والاخيرات الى الابد

ان القوّة الموجودة في الصليب هي عين القوّة التي أبدعت العالمين . القوّة الازلية المبدعة الابتداء المدبّرة للخليقة في كل زمان دون انقطاع بنوع الهي يفوق ادراك الكل كمشيئة لاهوتهِ . ما معنى ذلك ؟ ان قوّة الله الغير المحدودة تحلُّ في الصليب كما كانت حالّة بنوع لا يُدرك في قبة العهد التي كان يجلها شعب اليهود ويسجد لها بالخوف والهلع وبها ايضًا كان الله تعالى يصنع آياتٍ وعجائب رهيبة بينهم حتى انهم لم يمسكوا عن ان يدعوها الاهًا وينظروا اليها برغبة كنظرهم الى الله نفسهِ جلَّ اسمهُ العزيز الذي حلَّ عليها. على انها لم تكن مكرَّمة بهذا الاسم لدى اليهود فقط بل من اعداء هؤلاء ايضًا اعني الامم الغريبة كما جاء في الكتاب المقدّس: « الويل لنا فان اله اليهود قد جاء اليوم الى معسكرنا » (١ سفر الملوك ٤ : ٧). فهذه القوّة التي كانت حالّة في تلك القبة نؤمن انها كائنة في رمز الصليب هذا الذي نكرمهُ بناء على ما نعلمهُ من اسرار الله. وماذا كان يوجد في تلك القبة حتى صارت هكذا مخوفة ومملوءة آيات ومعجزات؟ لم يوجد فيها سوى اناء المنّ ولوحَي الشريعة اللذين كتبهما موسى وعصا هارون الذي أفرع . ومع ذلك كان موسى والشعب يسجدون امام القبة بورع ورعبة عظيمة . وكذلك يشوع بن نون مكث من الصباح حتى المساء خارًا على وجههِ امامها . فلمَ كل ذلك أليس لان آيات الله المخوفة ظهرت فيها ثم لانَّ الله كان ساكنًا فيها ؟ عليك اذن ان تعلم ان القوّة الحالّة الآن في الصليب قد انتقلت من هناك وسكنت في الصليب سرّيًا

واعلم ان المعجزات التي تجري في الصليب ليست باقلّ مما كان يحدث في قبة العهد بل اكثر. أليس ان ما كُتب في سفر اعمال الرسل هو اعظم من معجزات قبة العهد ؟ فالذي لا يقبل هذه لا يؤمن بتلك ايضًا. كثيرون بقوّة الصليب طردوا الحيوانات

وانتصروا على النار ومشوا على البحر واقاموا الموتى وابطلوا الطاعون واخرجوا المياه من الاراضي اليابسة القحلة ووضعوا حدوداً للبحار وامروا مجاري المياه والانهار العظيمة فرجعت الى الوراء. ولكن ما بالي اذكر هذا ها ان ابليس مع شراسته يرتعب من اشارة الصليب عندما نرسمها ضده. بل اسمع الآن ما هو اعظم من ذلك كلهِ ان الذين كانوا في خدمة قبة العهد رغماً عن كل المعجزات التي حدثت امامهم لم يقدروا ان يستأصلوا اصلاً واحداً من جذور الخطيئة مهما كان صغيراً. اما في خدمة الصليب فقد اضحت الخطيئة كخيط العنكبوت اذا عُلق فيه شيء ثقيل فلا يبقى لهُ قوام والموت الذي كان مهولاً على الطبيعة ترى النساء والاطفال انفسهم يهزأون بهِ. نعم ذاك الحكم المحتوم بهِ على الجميع قد هان اليوم ليس فقط على ابناء الايمان بل على الحنفاء ايضاً وضعف هولهُ عمَّا كان عليهِ من قديم بنعمة الصليب

فالسجود لمن غيَّر الحكم علينا بالمصالحة التي توسَّط بها من اجلنا . مبارك الذي من اجل الحبّ الازلي الذي بهِ احبَّ الخليقة ارتضى ان يظهر ذاك الحب علناً في هذا الزمان فاتَّخذ لخلاصنا خشباً اكرم من ذاك الخشب الذي سمّي مسكن الله . وكان موسى والشعب يقدِّمون لله في ذاك المسكن سجوداً ودعوةً على الدوام. وان قيل انَّ الله في التوراة اوصى الشعب بواسطة موسى ان لا يسجدوا لعمل ايدي البشر ولايّ صنم وتمثال فكيف سجدوا للقبَّة وهي صُنع ايدي النجَّار كما انَّ لوحي الوصايا نُقرا بيد موسى في الجبل وكُتبا باصبعهِ . اجبنا انَّ الفرق بين هذه والاوثان ان الاوثان وُضع عليها اسم الشياطين ولهذا حُرِّمت. امَّا القبَّة وما تحويها فقد وُضع عليها اسم الله المجيد وكانت تظهر فيها قوَّة الله واضحاً وكان بنو اسرائيل يستمدُّون بواسطتها معونات الله وخلاصهُ وتُصنع بها الخوارق المخوفة. فعلى هذا النمط يجري في الصليب اي انهُ حالما يُمثَّل هذا الرمز الشريف على الجدار او على اللوح او يُصاغ من موادّ كالذهب والفضة وغيرهما او يُنجر من الخشب فحالاً يتحوَّل ويمتلئ من تلك القوَّة الالهيَّة التي كانت تحلّ في القبَّة هناك ويضحي مقرّاً لسكنى الله اكثر ممَّا كان في تلك

هذا وكما ان خدمة العهد الجديد هي اكرم عند الله مما كان في العهد القديم وكما يوجد بونٌ بين موسى والمسيح وكما ان الخدمة التي قبلها المسيح هي افضل من التي أُعطيت بيد موسى وكما ان كرامة الانسان هي اعظم من العجماوات وخلقتهُ افضل منها هكذا هذا

الرمز يفوق بالفضل من اجل كرامة الانسان الذي اتخذهُ اللاهوت مسكناً لهُ . وكما يوجد فرق بين رضى الله بهذا الانسان الذي اضحى هيكلهُ التامّ وبين رضاهُ الاستعاري بالامور القديمة العديمة الحسّ والشعور التي كانت تتضمَّن ظلَّهُ المتيد المنبئ بالمسيح فهكذا يفوق هذا الرمز كلّ ما سواه (١

على اننا لو اكرمنا هذا الرمز وسجدنا لهُ دون اسم الذي شرَّفهُ لاستحقينا الشجب كاولئك القدماء الذين ابدلوا سجود الله بالاصنام . امَّا الآن فمن حيث اننا نضع عليهِ اسم ذلك الانسان الذي حلَّ فيهِ اللاهوت (١ المشار اليهِ في العهد القديم وقد تمنَّاهُ البشر وتاقوا الى مجيئهِ مدَّة اثنا عشر جيلًا فليس فقط لا نشجب بل كل مرَّة تخطر هذه الامور لفكرنا في حين الصلوة او نسجد لهذا الشبه الذي فيهِ صُلب ذاك الانسان ننال قوَّةً الهيَّة فبواسطة هذا الصليب نستحق المعونة والخلاص والخيرات الغير الموصوفة في هذا العالم وفي الآتي

ولنا مثال على قولنا في صفيحة الذهب الابريز التي كانت تعلو قبة العهد وكانت قوَّة الله تتجلَّى فيها صريحاً لا يتجاسر الكاهن حين دخوله هناك ان يرفع عينيهِ ويتفرَّس فيها كما يليق بسكن اللاهوت وكان منظرها مخوفاً مرعشاً زيادة عن كل ما كان في تلك الخدمة . والاباء قد رأوا فيها رمز بشريَّة المسيح . فان كان الرمز هكذا مخوفاً فما عسى ان تكون الحقيقة والمرموز اليهِ ؟ الَّا ان تلك الخدمة كان يلازمها الخوف امَّا هنا فاللطف والحب . هناك كان يقاصُّ حالًا من يستهين بتلك الرموز كاولئك الذين احترقوا بنار مباخرهم (سفر العدد ١٦) . اما هنا فمن حيث قد سُكبت النعم بلا عيار ابتُلعت الصرامةُ بالوداعة

ان منظر الصليب يجدي المؤمنين نعماً كبيرة لان جميع الاسرار تفهم بهِ فكلَّما وقع الناس اعينهم ونظروا اليهِ كأنهم ينظرون شخص المسيح فتنالهم الخشية منهُ ويعزّ عليهم منظرهُ لانهُ مخوف ومحبوب وبصفة كونهم ابناء يشعرون بثقة عظيمة . فكلَّما اقتربنا الى الصليب كأننا نقترب الى جسم المسيح فان ايماننا بالصليب يصوّر لنا المصلوب

---

١) على القارئ ان يعلم بان مؤلفنا هو نسطوري قحّ ولهذا يتكلَّم في سر التجسد بتمييز الناسوتين في المسيح وهكذا يصنع في الميمر كله وهذا برهان آخر على انهُ لم يكن كاثوليكياً ولا يعقوبياً كما توهَّم البعض (راجع مقالة حضرة القس اسحق ارملة السابق ذكرها)

وبتقربنا منهُ ونظرنا اليهِ يرتفع عقلنا الى السماء وينتقل بالفكر الى الامور غير المنظورة او المحسوسة. وبكرامة ناسوت ربنا ينفتح نظرنا الخفي بالتأمل في سر الايمان

ولهذا لا نخجل ان ندعوهُ ربًّا ومخلصًا بل والهًا ونقرب لهُ صلواتنا كتقريبنا اياها الى الخالق وكما اننا ايضًا لا نخاف ان ندعو ناسوت ربنا الذي هو انسان حقيقي الهًا وخالقًا وربًّا اذ بهِ تكوَّن العالمون وخُلق كل شيء وكل ذلك نطلقهُ عليهِ الهيًّا لان ذاك الحاصل على هذه الصفات ارتضى ان يسكن فيهِ واعطاهُ كرامة لاهوتهِ والسلطان على كل شيء فهكذا يُكرَّم الصليب لانهُ بهِ كان مزمعًا ان توهب الخيرات للخليقة ولذلك امر الله الملائكة ايضًا ان تسجد للمسيح كما يقول الطوباوي بولس (عبر ١ : ٦) : «لمَّا ادخل البكر الى العالم قال : لتسجد لهُ ملائكة الله » فاعطاهُ ان يُسجَد لهُ معهُ بسجود واحد اعني للانسان الذي اضحى ربًّا (١ وللاهوت سويةً مع المحافظة على الطبائع كل بخواصها دون ان يصير تمييز في الاكرام. فنؤمن ان كل ما يُعزى الى هذا (اي السيد المسيح) يصعد اليهِ تعالى فيقبلهُ لنفسهِ هو الذي ارتضى ان يشركهُ بهذا الاكرام. فكل هذا انما عرفناهُ بالصليب وقد استندنا معرفةً سديدةً عن الخالق بواسطة هذا الصليب الذي يستحقرهُ غير المؤمنين

ثم ان جميع الناطقين اعني الملائكة والبشر استحقُّوا بالمسيح محبة الخالق ومحبَّة بعضهم لبعض بشركة ايمان واحد بالله اله الكل . فان الصليب هو ثوب المسيح كما ان ناسوتهُ هو ثوب اللاهوت (٢ على سبيل الرمز الى ان يأتي الزمان الذي فيهِ يتجلَّى الاصل الحقيقي وحينئذٍ لا حاجة الى هذه الاشياء

ان اللاهوت يسكن بالناسوت بلا افتراق ولا نهاية اعني بلا حدود ولهذا ننظر الى الصليب كنظرنا الى مسكن العلي ومقدس الرب وبحر اسرار تدبير الله . هذا مثال الصليب يوضح لنا ايمان العهدين كما نوَّهنا بهِ اعلاه لا بل هو ختام تدبير المخلص لانهُ كلما تفرَّسنا بالصليب بحواسنا الصحيحة يجتمع ويقوم امامنا داخلًا تذكار تدابير الرب

---

١) راجع الحاشية السابقة

٢) هذا التشبيه من نشايه النساطرة فاضم اذ جعلوا في المسيح اقنومين اقنوم الاله واقنوم الانسان خلافًا لتعليم الكتاب وعقائد الكنيسة والمجامع شبَّهوا الناسوت بثوب لبسهُ اللاهوت ولم يتَّحد بهِ اتحادًا جوهريًّا مع بقاء الطبيعتين على خواصهما دون اختلاط ولا امتزاج

كلها ذاك الذي اذ كان قد حلّ فيهِ كل امتلاء اللاهوت جسديًا كان يتردّد كانسان بسيط على باب الخطأة كما قال اشعيا (٥٣ : ٢) : حقير ووضيع بين البشر لم يكن لهُ بهاء ولا منظر . فيا للعجب ان الخالق في الانسان كان يدخل بيت العشارين والزناة وبواسطتهِ كان يقنعهم على الرجوع اليهِ وبتعاليمهِ يحرضهم على المصالحة معهُ وكان يؤيد كلامهُ الصحيح بالآيات والمعجزات الصحيحة . . .

وفي آخر الكل تحقق المؤمنون الرجاء الذي اعطاهم لانه ختم كلامه معهم بسفك دمه وبواسطة موتهِ وقيامته ثم قوّى اثني عشر رجلًا انتخبهم من كل الجنس الآدمي بسبق معرفة الله الى هذه الخدمة وبمجد لا يوصف اصعده اليهِ الى السماء المكان الذي لم تطأهُ رجل خليقة حيث بواسطتهِ دعا جميع الناطقين الملائكة والبشر الى الملكوت السعيد ليتمتّعوا بالنور الالهي الذي لبسه هذا الانسان المأوْ قداسة وهو الآن بمعيّة الله باكرام وبهاء لا يوصف

هذه هي الاسرار المتضمّنة في رمز الصليب وسبب المعجزات التي صنعها بهِ البارئ في العالم اجمع . هذا الذي نسجد لهُ ونكرمه بفرح . هذا الذي كان منذ الازل في عقل الله ان يعطي الجميع بواسطة رمزهِ معرفة مجدهِ مع الحرية المزمعة ان تكون لجميع الناس . مبارك الله الذي باشياء جسميّة يقرّبنا دائمًا سريًا الى معرفة خفاياهُ غير المنظورة ويزرع ويرسم في عقولنا ذكر اعتنائهِ بنا في كل جيل وبمواد منظورة يربط عقلنا بمحبة خفاياهُ . فليبتهج قلبنا باسرار ايمانهِ نحن المتمسكين بها لنفرح بالله الذي اعتنى بنا كل هذا الاعتناء . ندخل في تأمل عقولنا الى عملهِ هذا العجيب نحونا . نفرح بالرجاء الذي تجلّى لنا نحن ابناء المسيح بسرّ العهد الجديد الذي قبلناه بواسطتهِ . السجود لله الذي لاجل خلاصنا صنع كل شيء في العالم ليقرّبنا اليه حتى يتجلّى لنا العالم العتيد حيث تقبل الخيرات اللائقة ببني الله . السجود لقوّة الصليب التي منحتنا كل هذه الاشياء وبها استحقينا معرفة الله كما يعرفهُ الملائكة بواسطة تلك القدرة التي بها خُلقت البرية كلها المنظور منها وغير المنظور . المجد والعظمة والسبح للذات الالهيّة التي ابدعتنا ومنحتنا هذه الاشياء كلها ومزمعة ان تهبنا ايضًا الملكوت ولها السجود والكرامة والتبجيل الى ابد الآبدين آمين

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

وقد كان لغير هؤلاء المصريين بعض الشهرة ايضاً في فنون شتى كالشيخ (ابراهيم ابن عبد الغفّار الدسوقيّ) الذي ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٣٠١ (١٨١١—١٨٨٣م) ثم بعد ان درس في الازهر تولّى فيهِ تعليم العربيّة ثم نُقل الى الهندسخانة الخديويّة واشتغل في الرياضيّات وسعى بطبع الروضة السنديّة في الحسابات المثلثيّة. وتعيّن مدّة لتصحيح مطبوعات بولاق وانشأ جريدة الوقائع المصريّة. ومن تآليفهِ حاشية على المغني. وعليهِ درس العربيّة الانكليزيّ المستشرق لان (E. W. Lane) الشهير بمصنّفاتهِ الشرقيّة ولاسيما معجمهُ العربيّ الانكليزي الواسع

ومنهم الاديب عبده حمولي (١٨٤٥—١٩٠١) نبغ بالموسيقى العربيّة واعاد لها شيئاً من رونقها المطموس بما وضعهُ من الأنغام واحدثهُ من اصول الفنّ

﴿ ادباء العراق ﴾ اصاب قطر العراق بعض الخمول في اواخر القرن التاسع عشر فلم ينل فيهِ الشهرة في الكتابة الّا القليلون. هذا الى انقطاع اخبارهم عنّا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات

وممن اتّصلت بنا منظوماتهُ (الملّا حسن الموصلي البزّاز) اشتهر في اواسط القرن التاسع عشر وتوفي في عشرهِ الاخير. لهُ ديوان شعر طُبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهمّة تلميذهِ الحاج محمّد شيث الجومرد الموصلي الذي ذيّل الديوان بنُبذٍ من شعرهِ. وقد اتّسع حسن البزّاز في قصائدهِ بمدح اصحاب الطرائق المتصوّفين. ومن شعرهِ ما وصف بهِ اشتداد البرد وسقوط الثلوج في الموصل في اواخر رجب سنة ١٢٧٧ (كانون الثاني ١٨٦١) :

تجلّى علينا عارضٌ غير ماطرٍ ولكنهُ بالثلج عمَّ نواحيا

فاصبحت الخضراء بيضاء قد زهت وعادت رباها والبطاح كراسيا
وكم بسطت منهُ يدُ البرد والثلج بساطاً على وجه البسيطة باميا
وكم جبل راسٍ يقولُ مفاخراً ألم تنظروا قد همَّ الثلجُ راسيا
فقلتُ به اذ كان شاذاً وقوعهُ لبذكرهُ من بعدُ مَن كان باقيا
فسامٌ بكانونٍ بدا يا مؤرخاً صبا مصرنا برداً من الثلج زاميا (١٢٧٧)

ومن ظريف قولهِ في حبّهِ تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عزَّ وجلَّ :

لئن لم يكن في الصالحات مثوبةٌ وليس على العصيان منهُ عقابُ
لطاعتهُ عندي نعيمٌ وجنةٌ وعصيانهُ قبل العذابِ عذابُ

وقال يرثي اخويهِ علياً ومصطفى :

بكينَ حمامات الأراك لفرقتي ونحنُ على فقدانِ ما انا فاقدُ
لقد غابَ عني فرقدٌ بعد فرقدٍ وقد بات عني ماجدٌ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير انني جم ملحقٌ يوماً وما انا خالدُ

ومن أدبا العراقيين (ابراهيم فصيح الحيدري) كان مولدهُ في بغداد سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) من بيت علم وفضل وسافر الى دار الخلافة وحصلت لهُ رتبة الحرمين مدَّة وتولَّى نيابة القضاء في بغداد ولهُ بعض التآليف وفيها الفٌ والسمين توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٨١ م)

ومنهم (الشيخ اسماعيل الموصلي) ولد في الموصل وجاء الى بغداد في أبان شبابهِ ودرَّس في مدرسة الصاغة عدَّة سنين حتى وفاته في ٢٨ ذي الحجَّة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) وكان حنفيَّ المذهب على الطريقة النقشبنديَّة. وكان اماماً في العلوم الدينيَّة وبرزَ في النحو وفي الفنون النقليَّة والعقليَّة. وقد اعقب جملةً من الابناء كلُّهم من طلبة العلم اكبرهم محمَّد راغب خلف اباهُ في التدريس. ولاحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم ويثني على معارفهِ منها :

كل ما لذَّهم فذلك عندي ألمٌ غير ذكر إبراهيما
حبريٌّ مهذَّبٌ قد حوى في صدرهِ قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحاً وقد جا ء فصيحاً بكل فنٍّ عليما
كم لهُ من متنٍ وشرحٍ افادا واجاد المنثور والمنظوما
وقوافٍ من كل بحر اذا ما سُردت خلتهنَّ درًّا نظيما
عن ابيهِ وجدّهِ مستفيضٌ كلَّ فضلٍ فكان ارثاً مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعتهِ عنهُ وانتصارهِ لهُ :

رَدَّ عني السفيهَ بالنظم والنثـ ـر فكانا لذا الرجيم رُجوما
علم الناس ابرهيمَ خليلًا وصديقًا لي ان دعوت حميما
هذه مدحتي فان كنت قصَّر تُ فاني مدحتُ بُرًّا حليما

ومنهم (عبد الله افندي العمري الموصليّ) من ادباء وطنهِ المعدودين واحد روساء علماء العراق. لهُ فصول نثريّة واشعار متفرّقة لم تُجمع حتى اليوم وقد مدحهُ علماء زمانهِ منهم عبد الباقي العمري نسيبهُ حيث قال:

لبت شعري ماذا اقول بحقّي قد اقرّت بفضلهِ الاعداء
فيهِ قرّت عيوننا واستنارت وازدهت في ورودهِ الخضراء
يا اديبًا سما سماء المعالي كيف ترقى رُقيَّكَ الادباء
نلتَ حدَّ الإعجاز نظمًا لهذا خرست دون نطقك الفصحاء
انت يا سيدي بغير رياء نُختم النظمُ فيك والانشاء

ورثاهُ حسن البزّاز فقال من قصيدة:

قضى الحبرُ الذي للعلم حبرٌ بهِ فرحاء اهل العلم يأسُ
كفى ما قد جرى ان غاضَ بحرٌ وغابت من سماء المجد شمسُ
اساء الموتُ فيهِ كلَّ نفسٍ وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهيرُ بكل فضلٍ تباهى فيهِ للعلياء رأسُ
كأن الموت نقّادٌ بصيرٌ احسَّ بما يُحاولُ منهُ حسُّ
تفرّد فانتقى منّا نقيًّا تحسَّرَ بعدهُ عربٌ وفرسُ

وجارى عبد الله افندي العمريّ في معارفهِ وبلاغة كتاباتهِ (شهابُ الدين العلويّ) احد رجال وطنهِ المتقدّمين يعدّهُ العراقيّون كفارس حلبة الآداب في زمانهِ. لهُ ديوان شعر لم يُنشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصرهِ ويناوبهم الرسائل الادبيّة والقصائد الرنّانة ومن شعرهِ الذي قالهُ في الوصف قصيدتهُ التي رويناها في المشرق (١٠ : ٢٤٠) يصف فيها طغيان دجلة اوّلها:

طغيانُ دجلةَ خطبٌ من الخطوب المخلّهْ

ومن شعرهِ ابيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي:

حديقةٌ أثمرتْ اوراقها حِكَمًا لنا ثمارُها امتدَّت وقد يَنعتْ
فمن يشأ يَتفكَّهْ في مناقبها ومن يشأ يتفقَّهْ بالذي شرعتْ
طالعْ تُقابلكَ مرآةُ الزمان بما وانظرْ الى صورة الدنيا وقد نصعتْ
كم أودعت نُبذًا للسمع قد عذُبتْ وردًا ومن قلب ذاك الصدر قد نبعتْ

على الكمالاتِ طبعُ اللطفِ أرّخها لطفاً مقاماتُ ناصيفَ التي طُبعتْ (١٨٨٥)

ولهُ قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان سنة ١٨٩٠ اولها:

من قوم عيسى جانب ضدّما والدهرُ قد نكّس منهُ علَما
خطبٌ جسيم ومصابٌ عظُما بموت من ابكى طبيبِ الامما
قد فقدوا منهُ حكيماً حكَما وكان ذا علم بطبِّ الحُكما

وممن مدح الشيخ شهاب الموصلي صاحبُ الجوانب فقال فيهِ من ابيات:

شهاب العصر خلّاقُ المعاني فهل من ذاكر للأرجاني
عزيز الشأن تفتخر المعاني بهِ فخر المعالي والمباني
لعمرُك انَّ ما يأتيهِ قولاً ليحكي ما يُنمّق بالبنانِ
فذاك الدرُّ للأسماعِ حليٌ وهذا الشذرُ نورٌ للبيانِ
وصفتُ حلاهُ عن بُعدٍ كأني اراهُ في علاهُ على التداني
كذاك الشهبُ توصفُ من بعيدٍ وإن خفيت سناء في مكانِ

ولا نعلم اي سنة توفي الشهاب الموصلي. كما أننا لم نقف على تفاصيل اخباره

ونُلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين اشتهرا في الهند احدهما السيّد ابو الطيّب صديق بن حسن القنوجي البخاري ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٤) في قنوج واتّصل بخدمة بعض ملوك الهند خان بهادر وافاد مالاً كثيراً حتى تزوّج بملكة بهوبال في الاقليم الهندي المسمّى دكان وجمع مكتبةً واسعةً واشتغل بالعلم ونشر عدّة مصنّفات زعم البعض انها ليست لهُ وانما كأنف العلماء بتصنيفها فنزاها لنفسهِ كفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبلغة في اصول اللغة والعلم الخفّاق في الاشتقاق ولفّ القماط على تصحيح بعض ما استملتهُ العامّة من المعرّب والدخيل والمولّد والاغلاط وكتاب لقطة العجلان وكتاب غصن البان المورق بمحسّنات البيان وكتاب ابجد العلوم. وقد جمع في كتاب دعاهُ قرّة الأعيان ومسرّة الاذهان ما اثنى بهِ عليهِ أدباء الزمان. توفي صديق حسن خان سنة ١٨٨٩ بعد ان تجوّل مدّة في البلاد وصارت لهُ سمعة واسعة

والاديب الثاني هو السيّد (حيدر الحلّاوي) وُلد سنة ١٢٤٦ (١٨٣١م) وتوفي سنة ١٣٠٤ (١٨٨٧م) كان شاعراً وجمع شعرهُ في ديوان طبعهُ في بُمباي لم نحصل على نسخة منهُ حتى الآن

وفي هذه الحقبة ازهر في مكّة شيخ طماتها (احمد بن زيني المعروف بدحلان) ولد في حاضرة الحجاز وتولّى الافتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدّة وفي زمانهِ أُنشئت في مكّة اوّل مطابعها فكان السيّد دحلان متولّياً نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمهِ كالجداول المرضيّة في تاريخ الدول الاسلامية وكتاب الفتوحات الاسلاميّة في جزءين كبيرين . وكان طبع في مصر قبل ذلك كتباً أُخرى كالسيرة النبويّة والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام طبعهُ في مصر ثم اضاف اليهِ ملحقاً طبعهُ في مكّة توفي الشيخ دحلان سنة ١٨٨٦ في المدينة بعد ان سار اليها في رفقة الشيخ عون الرفيق لمّا خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا

ونختم هذا الفصل في ادباء المسلمين بذكر احد مشاهير رجال الدولة التركيّة الذي رفع في امّتهِ لواء الاداب فضلاً عمّا احرزهُ من المجد في تدبير الامور وحسن السياسة نعني بهِ الوزير الخطير (احمد جودت باشا). وُلد في لوفجة في ولاية الطونة سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢) وانكبَّ منذ حداثتهِ على درس العلوم الدينيّة والدنيويّة وبرع في اللغتين الفارسيّة والعربيّة فضلاً عن لغتهِ التركيّة وليس من غايتنا ان نتقفّى آثار المترجم في المأموريّات التي تولّاها والمناصب التي تقلّب فيها في كل الدواوين منها الاحكام العدليّة ونظارة المعارف الى ان بلغ رتبة الوزارة السامية وانتظم في سلك شورى الدولة . وانّما نكتفي بذكر مؤلفاتهِ فاعظمها شأناً تاريخهُ لآل عثمان في تسعة مجلّدات عرّب جزءهُ الاوّل جناب عبد القادر افندي الدنا . ولهُ رسائل عربيّة وتعليقات . ونقل قسماً من مقدّمة ابن خلدون الى التركيّة وصنّف عدّة كتب مدارسيّة للاحداث ظهر بعضها في العربيّة . وكان جودت باشا احد الاتراك القليلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغاً واسعاً امّا معارفهُ في اللغة التركيّة فيُعدُّ فيها اماماً وحجّةً . كانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ (١٨٩٤)

ومن أُدباء الاسلام في تونس (الشيخ محمّد بيرم) ولد فيها سنة ١٢٥٦ وتوفي في مصر سنة ١٣٠٧ (١٨٤٠ــ١٨٨٩) تقلّب في بلادهِ في المناصب الخطيرة كنظارة الطابع ونظارة الاوقاف وقد لعب دوراً مهمّاً في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنهِ وعضد الشورى الّا انّ آمالهُ خابت بعد فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل الى مصر وخدم فيها السياسة الانكليزيّة وولي القضاء في محكمتها الابتدائيّة . ولهُ آثار ادبيّة اخطرها كتابهُ صفوة الاخبار بمستودع الامصار ضمّنهُ تاريخ تونس واخبار سياحاتهِ في انحاء

اوربا. ولهُ ردّ على رينان في ما كتبهُ من الاسلام وكتاب في فنّ العروض ومقالات اجتماعيّة حاول فيها بيان طرق اصلاح الاسلام وتقرّبهم من عوامل التمدُّن الحديث

أدباء النصرانيّة في هذه المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تفنّنوا الآداب العربيّة في مكاتب مللهم الخاصّة او في نوادي العلوم التي انشأها المرسلون. ولو اردنا ذكرهم فردًا فردًا لأتسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برزَ بينهم بمعارفهِ

وكان في مقدّمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة واساقفة وكهنة افاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيّبة في ترويج اسواقها فضلًا عمّا خلّفوهُ من آثار قلمهم. فكان على الطائفة المارونيّة السيّد السند (البطريرك بولس مسعد) رعاها مدّة ٣٦ سنة بتُقىً واجتهاد وكانت وفاتهُ في اواسط نيسان من السنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة. وكان متضلّعاً بالتاريخ الشرقي الديني والعالميّ ومن آثارهِ كتابهُ التحفة الغرّاء في دوام بتوليّة العذراء وكتابهُ الدرّ المنظوم الذي طُبع في طاميش وسعى هناك بطبع لاهوت القديس الفونس ليغوري معرّبًا الى غير ذلك من الاعمال المفيدة

واشتهر بين اساقفة الموارنة المطران (يوحنا حبيب) مطران الناصرة شرفًا (١٨١٦ —١٨٩٤) ومنشئ جمعيّة المرسلين الكرسيين. تولّى في لبنان القضاء زمنًا على عهد الامير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تآليفاً. ومن مآثرهِ تعريب اللاهوت الادبيّ للاب يوحنا غوري اليسوعي في مجلّدين ولهُ ردّ على الشيعة الماسونيّة وعدّة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة

وممن عُرفوا بسمو الهمّة في تعزيز الاداب في الربع الاخير من القرن السابق اساقفة حلب الموارنة: (السيّد يوسف مطر ١٨١٤ — ١٨٨٢) انشأ في الشهباء مكتبًا لملّتهِ واستجلب اليها مطبعةً ادّت للحلبيين خدماً مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في الشرق ٣: ٣٥٨). ودرج ادراجهُ خلفهُ (السيّد بولس حكيم الحلبيّ ١٨١٧—١٨٨٨) لهُ مواعظ وخطب شتّى. وكان يقول بديهاً القدود والقصائد والزجليّات والاناشيد التقويّة على اللهجة العاميّة

واناف عليهما شهرةً خلفهما السيّد (جرمانوس الشمالي) من سهيلة كروان

(١٨٢٨ — ١٨٩٥) كان مثالاً حيًّا لكلّ الفضائل الاسقفيّة. امّا شهرتهُ في الآداب العربيّة فتشهد عليها آثارهُ الباقية. منها مجلّدان ضمّنهما مجموع خطبهِ وعظاتهِ ثم ديوانه المسمّى «نظم اللآلئ» وفيهِ كثير من المنظومات الجيّدة وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياتهِ مطوّلةً (٥ : ٨٥٠ — ٦٨٠) فنحيل اليها القرّاء. وهذا مثال من شعرهِ نضيفهُ الى ما هناك وهو مدحهُ لمصر قالهُ سنة ١٨٨٩:

أحسن بمصرَ وما شاءت مواليها ... من لي جادٍ الى مدحٍ يوازيها
عاينتُ اكثرَ ممّا كُنت اسمعهُ ... من عزّةِ النفس والتقوى بأهليها
محروسةٌ صانها المولى بقدرتهِ ... وعينهُ لم تزل يَقظى نراعيها
فيها مباني عمادِ المجد من قِدَمٍ ... تُعَدُّ اعجوبةَ الدنيا مبانيها
من فائض النيل تُسقَى مثلما شرعت ... من فائض العلم تُسقَى من ثرى فيها
تبارك الله ما اشهى خمائلها ... تستنشق الروحُ ريّاها تُحييها
فالبحرُ اوسطُها والبرُّ حاط بها ... والسهلُ والوعرُ كلٌّ من قعاويها
سبحان من يجمع الدنيا بواحدةٍ ... فتحتوي كلَّ ما تحوي اقاصيها
اهرامُها الشمُّ والآثار شاهدةٌ ... بعزّةِ الملك من اعصار بانيها
تُدعى بقاهرة الاعداء عن ثقةٍ ... ومنبعُ العلم من أسمى اماميها
ودّعتُ قلبي لدى نظمي مؤرّخةً ... وداعَ مصرٍ فاني غير ناسيها (١٨٨٩)

وعُرف ايضاً في هذا الزمان احد رؤساء اساقفة قبرس المطران (يوسف الزغبي) درس في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير ثم علّم في كليّة ليل من اعمال فرنسة اللغتين العربيّة والسريانيّة وسعى في أيام اسقفيّتهِ بانشاء مدرسة قرنة شهوان سنة ١٨٨٥ فنالت بهمّتهِ نجاحاً. ولهُ كتاب في الفلسفة لم يسعدهُ الوقت على اتمامهِ. توفي في اواسط كانون الاول من السنة ١٨٩٠

امّا الكهنة الموارنة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري (ارسانيوس الفاخوري) وُلد في بعبدا سنة ١٨٠٠ وتوفي في غزير سنة ١٨٨٣ خدم الكنيسة والوطن بكلّ تفانٍ فاتّخذهُ القصّاد الرسوليّون كمعاون لهم في اشغالهم ولزم مدّة اعمال القضاء في لبنان ودرّس العلوم العربيّة والقوانين الفقهيّة لكثير من الطالبين كما ذُكر في ترجمتهِ المطوّلة التي نشرناها في المشرق (٣ : ٦٠٦ — ٦١٦) وعدّدنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطوّل في الصرف والنحو. وقد طُبع من تآليفهِ كتابهُ روض الجنان في المعاني والبيان وكتابهُ زهر الربيع في فنّ البديع والميزان الذهبي في

الشعر العربيّ . ولهُ ديوان كبير اقتطفنا منهُ بعض قصائده في المشرق منها بديعيّتهُ (المشرق ١ : ٢٦) وقصيدتهُ في قبر المسيح (٣ : ٣٦٣) وغير ذلك . ومن شعره في الطهارة من ابيات :

يا صاحِ عِش متسربلًا بطهارةٍ تُصبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات ان يأوي السما مع آلها
فاف من دون الطهارة لن يُرى انَّ النعيم معلَّق بكمالها

وقال مخمساً لبيتين نظمهما احد الشعراء :

أتُوق لودّ من يهوى ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحادِ
كأني في وفاقٍ بالفؤادِ رأيتُ بنفسجاً في ظلّ وادي
وغصنُ البانِ متكئاً عليهِ
فكلٌّ يجذبُ الثاني لحبٍّ كمغناطيسَ قد كنّا بجذبِ
وقلبهُ شاخصٌ عنّا لتابي فقلتُ تأمّلوا بصنعٍ ربّي
شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ

ولهُ ارجوزة طويلة قالها سنة ١٨٦٩ ليبيّن فيها حرّية الانسان وخلوّ ارادته من الاضطرار السابق هاك اوّلها :

الحمدُ لله القدير السرمدي حمدًا يقيّنا من شرور المتدي
خلقنا الله على صورتهِ وشبهِهِ جلَّ عُلى قدرتهِ
لكي نحبَّهُ هنا ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلّدا
فينا اختيارًا كاملًا قد أوجدا لكلّ قولٍ ثم فعلٍ يُبتدا
حرّيةٌ مطلقةٌ وفيهْ في فعل ما تريدهُ المشيهْ
قد ضلَّ مَن قال بهِ الملاقا ولا يرى رأيًا بذا مُعافى
أما لك النيرانُ والماء فما تختارُ منها لهُ أمدُدْ يدما
بذا ابنُ سيراخَ الحكيمُ علّما كذا لنا الدينُ القويمُ سلّما
لولا اختيارٌ لِفعالِ فاعلِ لم يُجزِ عنها من وليٍّ عادلِ

وفي هذا العُشر التاسع اي نحو سنة ١٨٨٠ توفي احد شعراء لبنان الراهب الفاضل القس اغناطيوس الخازن من الاسرة الخازنية والرهبانيّة اللبنانيّة تولّى زمناً طويلًا رئاسة دير البنات وكان معروفاً بفضله وجودة قريحته عارفاً بالفقه . وقد وقفنا لهُ على ديوان مخطوط يدلُّ على توقّد فهمهِ وذكاء عقلهِ ضمّنهُ كثيرًا من

تواريخ لبنان بين السنتين ١٨٥٠ الى ١٨٧٧ لكنّ نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوّهت اكثر قصائدها باغلاط النسّاخ. وممّا يُروى لهُ قولهُ في دير سيّدة ميفوق يشكو اثقال الرئاسة:

ويلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى فالرفعُ بالخفض استبانَ ما ولى
كم بات مضطربًا لصرف ملمّةٍ كم ضاق من تعب الفؤاد فولولا
تبًّا لها من مهنةٍ بل محنةٍ يُلهى بها النسّاكُ من ربّ الملا
كم حاسدٍ جلبت وردّت حاسدًا والبال فيها لا يزال مُبلبلا
مملوءةٌ مرًّا ولا تحلو بها تحوي من الحلوى وهل صبرٌ حلا
ان قيلَ كلُّ للرئاسة مائلٌ قلتُ الفراشةُ تشتهي ضوءًا صلى

وقال مؤرخًا وفاة الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة ١٨٥٤:

بكت البونُ امير عُربٍ حيدرا من بعدهِ هجر القلوبُ سلاما
اذ غابَ عنها صاح كل مؤرخٍ آها بيتِ اللمع صار ظلاما

وقال متنكّهًا في أقرع اتاهُ من بعض اصحابهِ بقرعة مملوءة من الخمر الجيّدة فعثرت رجلهُ وافاض الخمر:

قد صبَّ اقرعُ في طريقي قرعةً وأتى بعذرٍ بشتكي من تعسهِ
عزّيتهُ بالقول طبَّ نفسًا وسِر فلكلّ شيءٍ آفةٌ من جنسهِ (لهابنية)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ اسم الماسونيّة

قد اطّلعنا على كذب الماسون في تدوين تاريخهم. ولا نخالهم اصدق في ما سيأتي ذكرهُ. قال الاخ ". ثلتار (١ : « اكذبوا اكذبوا فلا بُدَّ ان يبقى شيءٌ من كذبكم »

---

١) النقط الثلاث شعار الماسون يقدّمونهُ على اسمائهم في كتاباتهم ليتعارفوا بينهم وهذه النقط تمثّل مثلثًا يريدون بهِ المساواة بين كل البشر بين الصغير والكبير والسيّد والمسود والامير والمأمور. اما كون ثلتار أُحصي بين الماسون فهو امر ثابت لا ينكر (اطلب تاريخ الماسونيّة لجرجي زيدان ص ١٤٩)

وقد سمعنا (في المشرق ص ٧١٧) الاخ ه° امين ريحاني يقول : « انّ الامتناع عن السبّ والكذب في اللبنانيين من علامات البلادة والخمول ». وعليه فلنوطّن نفسنا على استماع الكذب من افواه الماسون في كل باب من ابواب بحثنا عنهم . وكلامنا في هذا الفصل عن لسمهم الكريم نستفتيهم فيه كما استفتيناهم في صحّة تاريخهم

فَرْمسون اسم مركّب من لفظتين افرنسيّتين « فران » (franc) ومعناها الصادق « وماسون » اي البانى يريدون أنهم بنّاؤون صادقون . قال السيّد دي سيفور : ناهيك بهذا الاسم شاهدًا على كذب الملقّبين به اذ ليسوا ببنّائين ولا بصادقين . امّا كونهم ليسوا ببُناة فالامر واضح اذ لا يشتغلون بتشييد الابنية لا بل يتفون من جمعيّتهم الذين يرتزقون بالحِرَف الدنيّة والبنّاؤون منهم كما لا يخفى ما لم يَقُل الماسون انّ الخراب والبناء يتلازمان وهم يشتغلون بخراب بناء العمران والهيئة الاجتماعيّة . امّا صدقهم فيتّضح من تضاربهم في اقوالهم وتباينهم في مزاعمهم فينكر هذا علانيةً ما يعلمهُ ذاك سرًّا ويجاهر الواحد في بلدٍ بما يكتمهُ اخوهُ في بلد آخر كما سترى

ومن غريب الامور انّ الفرْمسون مع رضاهم بهذا الاسم الكاذب لا يحبّون ان يُجاهروا به . أفرأيت يا صاح احدًا منهم يضيف الى كتاباته لقب الماسوني فيكتب مثلًا « فلان الفلاني الفرمسون » . لا لعمري بل ان سألت ماسونيًّا أهو احد المنتمين الى تلك الشيعة أنكر ذلك كل الانكار فكأنك نسبتَهُ الى كبائر المحظورات . وقد اقرّ بذلك صديقنا جرجي افندي زيدان في تاريخ الماسونيّة (ص ١٩٨) حيث قال :

« تأمّل بما أقيم في طريق الماسونية من مثل هذه العقبات التي تحول لها الهمّم وتُكرَه من أجلها الاعمال . امّا العامّة فلا تسأل عمّا غُرس في اذهانهم من الكره والاحتقار لجماعة الماسون حتى اصبح اسمهم مرادفًا لأدنى صفات الاحتقار عندهم فكانوا اذا ارادوا المبالغة في وصف احد الكفرة او المنافقين لا يجدون انسب من قولهم « فارماسون » للافادة عمّا في ضميرهم فهي عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق محتال »

وليس هذا كما زعم الكاتب « في الزمن السابق » فانّا نعرف كثيرًا من الماسون الذين في أيامنا « اذا سئلوا تجاهلوا واذا اتّهموا تبرّأوا » فهيهات « ان يفتخروا (كما ارتأى) بهذا اللقب افتخارهم باشرف الألقاب » ولا نطلب دليلًا آخر على صدق قولنا الّا اخفاء المحافل لتقاويم اعضائها فلا يسمحون البتّة بنشر اسمائهم . فلولا انّ في الزوايا خبايا لافتخروا باسم الماسون كما يفتخر الناس باسم شيخ وامير وكُنت ومركيز وكما

نفتخر نحن باسم اليسوعيين او « جزويت » رغماً عن كل مساعي الماسون والكفرة بتشنيع هذا الاسم الشريف في كتبهم ومعاجمهم

وللماسونيّة اسماء أخرى اختلفت على اختلاف الامكنة والازمنة والفروع المتفرّعة منها كالمنوّرين في المانية والفحّامين في ايطالية وليست هذه الاسماء اصدق من اسم الماسون

امّا الاسم الذي يليق بكلّ هذه العُصَب والفئات التي تتألّف منها الماسونيّة فهو ما لا تستطيع الى انكاره سبيلاً ولا بُدّ من اقرارها بهِ ويشملها كلّها على حدّ سواء فهو اسم الشيع السريّة. فهي في كل وقت منذ نشأتها وفي كل بلد حلّت بهِ لم تظهر الّا تحت حجاب السرّ متلثّمةً متقنّعةً لاترضى بانكشاف سترها واماطة قناعها فتخفي غاية جهدها نوادي اجتماعها وما يدور بين اعضائها من الابحاث وتحظر على ذويها بالأقسام المحرّجة وتحت العقابات الهائلة ان يكشفوا شيئاً من أسرارها وكفى بذلك دليلاً على بضاعتها التي لا تروج الّا في الظلمة فيصدق فيها قول الرب لذكره المجد (يوحنّا ٣ : ٢٠): « ان كل من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلّا تُفضَح اعمالهُ فامّا الذي يعمل الحق فانّهُ يُقبل الى النور لكي تظهر اعمالهُ لانّها مصنوعة في الله »

٣ غاية الماسون

لكلّ جمعيّة غاية يقصدها اعضاؤها برفاقهم وضمّ قواهم. فالشركة التجاريّة تنوي رواج المعاملات التجاريّة في بيع المحصولات وشرائها. والجماعة العلميّة تطلب بالتكاتف رفع منار المعارف والفنون. والجمعيّة الرهبانيّة تتوخّى ممارسة الفضيلة والسعي وراء الخير العام وتوطيد اركان الدين وهلم جرّا. فيا ليت شعري ما هي غاية الماسونيّة؟ ماذا تريد وما هي الوسائط التي تتّخذها لبلوغ غايتها. فلنسمع اوّلاً اصحابها لعلّهم يفيدوننا من امرها شيئاً نهتدي بهِ الى مقاصدها. قال الاخ م. ايليّا الحاج في الخلاصة الماسونيّة (ص ١٢ و ١٣):

« غايتها (اي الماسونيّة) الاعمال الخيريّة لبني الانسان تحمي اليتيم وتعضد الارملة وتقود العالم الى الحريّة والمساواة والاخاء... الغرض منها سنّة الفضيلة... يجب عليك كبناء حرّ ان تقوم بالواجبات الماسونيّة التي تشتمل على محبّة الله ومحبّة القريب ومحبّة نفسك !!!... انّ اخضاع الشهوات هو الغاية القصوى... »

وقال الاخ المكرّم م. شاهين بك مكاريوس في كتاب الآداب الماسونيّة (ص ٥)

« واي مقصد اشرف من مقصد هذه الجمعيّة واي غاية احمد من غايتها ألا وهي توطيد الحبّ بين اعضائها ورفع الشقاق والبغض وحثّهم على فعل الخير والاحسان مع اخوتهم المحتاجين ومساعدتهم في بلاياهم. وكأنّ اعضاءها قد رضعوا امام امهم ويلات الجنس البشري ومصائبه ووطّدوا انفسهم على اتّقائها ودفعها فينفقون في سبيل البرّ على اخوتهم المحتاجين المبالغ الطائلة ويمدّونهم بالمساعدات الادبيّة والمادية وهم يحسبون ذلك على انفسهم فرضاً واجباً لا يطلبون عليه اجراً »

وكأنّ « الاخ المكرّم » مؤسس محفل اللطائف احسّ بما في هذا المقصود من الخلل اذ جعل كل غاية الماسونيّة في معاضدة اعضائها بعضهم لبعض دون المبالاة بغيرهم من البشر فقال في كتابه الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ٤):

« الماسونيّة جمعيّة ادبيّة اخذت على عاتقها خدمة الانسانية وعضد الدين بادبياتها واصلاح الشعوب وتنوير الاذهان وابوابها مفتوحة لكل من شاء الانتظام في سلكها من الادباء والمهذّبين . . . . وعدد اعضائها ملايين يجتمعون تحت لواء الحريّة والمساواة والاخاء لقضاء غاية سامية اجمعوا عليها وهي خدمة البشرية واعلاء منارها . . . واعظم الماسونية بانّها عدوّة الدين كذب محض لأنّ دستورها الاساسي الايمان بالله وخلود النفس والكتب المقدّسة اركان هياكلها وزينة مجتمعاتها وبركة اعضائها »

اما الاخ ٭ جرجي زيدان فانّه في كتابه تاريخ الماسونية العام لا يصرّح بغاية الجماعات الماسونيّة وانما يكرّر مراراً بعد انتظام في سرد تاريخها ان الماسونيّة يحتاج اليها البشر لنشر العلم « لان العلم لا ينمو وينتشر الّا بواسطة الجمعيّات السرّيّة »(ص ٢٤) ثم اردف ذلك بمقابلة كفريّة فعارض بين انتشار الدين المسيحي وانتشار الماسونيّة وزعم ان الديانة المسيحيّة كانت في اوائل النصرانيّة كالجمعيّات السرّيّة ولم ينس الّا ان يذكر لنا شهداء الماسونيّة كالالوف وربوات الالوف من شهداء الدين المسيحي الذين جاهروا بالايمان رغماً عن افظع العذابات واعلنوا بايمانهم على رؤوس الاشهاد

وورد في كتاب نظامات الماسونيّة العموميّة التي ترجمها من الفرنسويّة « حضرة كلي الحكمة الياس بك منسّى رئيس محترم مجمع شابتر الكرنك الاكبر ومحفل العدل الموقّر بشرق مصر . . . عام ١٨٩٠ » (ص ١٠):

« غاية الماسونيّة هي في مقاومة الجهل تحت جميع اشكاله وهي مدرسة متحابّة . . . تمنع في عائلها كل مجادلة سياسيّة او دينيّة . . . انّ الماسونيّة لا تمنع احداً من ممارسة فروض ديانته . . . وانّما تقصد تعليم العالم وكل تعليمها منحصر في هذا المبدإ وهو محبّة بني النوعيّة ٭ وانّما تنادي ايضاً الذين يخشون الاختلافات السياسيّة بقولها اني امنع من اجتماعاتي كل اختلاف وكل مناظرة سياسية »

فيُحصَّل من النصوص السابقة: اوّلاً انّ الماسونيّة جمعيّة خيريّة غايتها خدمة بني الانسان عموماً وذويها خصوصاً. ثانياً انّها تسعى في قمع الجهل ونشر العلوم. ثالثاً انّها لا تقصد معاداة الدين. رابعاً لا تنوي غاية سياسيّة

وها نحن نبيّن انّ الماسون يكذبون كذباً صريحاً في هذه الامور الاربعة ونسند غالباً ادلتنا الى اقرار الاخوة ٥٠ الذين لا تُرَدّ شهاداتهم

١ً كذبت الماسونية بقولها انّها جمعية خيريّة

انّ كنيسة المسيح ورثت من منشئها حبّ الفقراء ومساعدة المحتاجين وعلاج كل داء وآفة تدهم بني البشر. فان قلنا انّها جمعيّة خيريّة وامّ الجمعيّات الخيريّة لا احد ينكر علينا قولنا. ولن قام مكابر ينكر ما هو اوضح من الشمس القمناه الحجر فعددنا لهُ مئات من المستشفيات والمستوصفات والمآوى والمياتم والملاجئ للفقراء واللقطاء والعجزة والعميان والمتوهين وليس ذلك في البلاد القاصية بل في ذات بلادنا هذه وتحت نظر كلّ من لا تعمي الأغراض بصرهُ فالوف من الرهبان والراهبات ورجال البرّ يدهشون باعمالهم الشريفة كل من يبصرهم في مصر وفلسطين وبرّ الشام والعراق والجزيرة وجميع ولايات الدولة العثمانيّة. وكذلك لبقيّة الطوائف من مسلمين وبروتستانت وارثدكس بعض مشروعات خيريّة يعرفها الكلّ ويشكرون فضل مباشريها

امّا الماسونيّة فطالما بحثنا عن مساعيها الخيريّة ومبرّاتها للخير العام كتمريض ذوي العاهات واسعاف المنكوبين وزيارة المسجونين وانشاء المآوى للايتام وتلطيف اسقام البشريّة وكذلك في سياحاتنا في جهات الشرق وفي انحاء اوربّة تحفّينا في السؤال عن ذلك فكنّا نهتف بابًا لا نسمع جواباً. هذا ونحن نعلم حق العلم انّ الماسون لم ينذروا الفقر كالرهبان الذين مع قلّة ذات يدهم قد شيّدوا معاهد لا تُحصى لذوي البأساء في كل اصقاع العالم. فما كان احرى بالماسونيّة ان لا تدع الرهبان يغلبونها باعمال الرحمة لاسيما انّ الاخ ٥٠ شاهين بك مكاريوس مؤسس محفل اللطائف ورئيسهُ قد افتخر بالماسونيّة ودعاها « اكبر الجمعيّات واغناها » فاين رعاك الله مآثر ذلك الغنى وفوائد تلك الثروة الواسعة؟ افلا يستطيع لعازر المسكين ان ينال قليلاً من فتات موائد الماسونيّة؟ ونحن الذين نرى الماسونية في الشرق تُحصي لها نيّفاً وخمسين محفلاً لم

نسمع حتى اليوم بأدنى عملٍ خيري تعضده او بمستشفى تسنده بقناطيرها المقنطرة ولم نجد ذكرًا للماسونية في جميع الاكتتابات التي تولّاها ذوو المروءة بعد زلازل قلبريّة وخراب مسينة ومذابح آطنة في حين كنّا نرى الفقراء انفسهم يتسارعون الى دفع دريهماتهم للمنكوبين

ولعلّ الماسون يقاطعوننا بقولهم انهم ليسوا كالرائين اذا اتوا صدقةً يهتفون بالبوق امامهم ليعرف الناس حسناتهم . هذه نعم الغاية لو كان قول الماسون صادقًا فانّنا نحن ايضًا نكره الذين يطبّلون ويزمّرون ليُطلعوا العالم على برّهم لكن هذا التواضع لا يمنع « اولاد الارملة » ان يضبطوا كبقيّة الجمعيات الخيريّة حساباتهم فيقف عليها الناس ويمجّدوا الله في اعمال تلك العصبة الشريفة . أفلم يُوصِنا الرب بقوله (متى ٥ : ١٦) : « فليضئ نوركم قدّام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا ابآكم الذي في السموات »؟ . فانّنا نعرف كثيرًا من الجمعيات الخيريّة كجمعية مار منصور التي تنفق في سبيل الخير الملايين من الدراهم فتنشر اعمالها ولم نسمع لعدًا ينسب اعضاءها الى الكبرياء والافتخار الباطل

وكنّا سألنا في بعض السنين الماضية عن نسان البشير رؤساء المحافل المسونية ان يذكروا لنا شيئًا من الاعمال الخيريّة التي يدّعونها فما كان منهم الّا انهم تنمّروا غيظًا وصاحوا بالويلات ونعتوا كتبة البشير بقبيح الالقاب واقطع الشتائم كأنّهم بذلك ينفون شكوى الذين ينكرون لهم عملًا خيريًا . ثم قامت في اثرهم جريدة اللطائف وبعد التفتيش والتنقيب ذكرت مأوى في انكلترة ودارًا للمسقومين في فرنسة لكنّها خافت ان تصرّح بمكانهما خوفًا من الخذلان . وعسى ان اللطائف صادقة في قولها فما هذا بالنسبة الى جمعيّة تدّعي انّها اغنى الجمعيّات وانّ اعضاءها يبلغون خمسة عشر مليونًا ؟ (له بقيّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL, IX: Textes Persans relatifs à la secte des Houroufis publiés, traduits et annotés par M. CLÉMENT HUART suivis d'une étude sur la religion des Houroufis par le Dr RIZA TEVFIQ, *London*, *Luzac*. 1909. pp. 313+١٢٥

الشيعة الحروفية

الشيعة الحروفيّة من الشيع التي ظهرت في العجم في اواخر القرن الثامن

للهجرة والرابع عشر للمسيح. انشأها احد المتصوّفين في تلك البلاد اسمهُ فضل الله الاستراباذيّ. فهذا بنى دينهُ على حروف الابجديّة وتركيبها فقيل لهُ ولمشايعيهِ بالحروفيين. ومن مزاعمهِ مذهب الحلول ويدّعي انّ اللاهوت ظهر في شخصهِ وكان اخذ لشياء من تعاليم الباطنيّة والاسماعيليّة ثم مات قتلًا بامر ميرانشاه احد ابناء تيمورلنك سنة ٧٩٦ (١٣٩٣ م). ولاحد زعماء هذه الشيعة عدّة تآليف ومقالات في الفارسيّة لم تُطبَع حتى الآن وقد حصل على نُسخٍ منها المستشرق هوارت (Huart) فنشرها في مجموعة جيب (Gibb) ونقلها الى الفرنسويّة وعلّق عليها التعليقات اللغويّة وغيرها. وقد ألحق العلّامة رضا بك توفيق بالكتاب درساً في دين الحروفيّة ومزاعمهم التي هي من الغرابة في مكان ولعلّ قارئ هذه التآليف لا يرى في تعريفها غير تكرار المثل القائل بانّ الجنون فنون

ل. ش

I Cornelis Cornelisz ROOBACKER'S SCHEEPSJOURNAL Gamron-Basra (1645); de eerste Reis der Nederlanders door de Perzische Golf. Uitgegeven met Inleiding en Noten door A. P. H. Hotz, *Leyden. E. J. Brill*, 1907, pp. 117.

II Journal der Reis van den gezant der O. I. Compagnie JOAN CUNAEUS naar Perzië in 1651-1652 gehouden door Cornelis Speelman. Uitgegeven door A. P. H. Hotz met Route-Kaart. *Amsterdam, J. Müller*. 1908, pp. CXV-466.

رحلتان الى العجم

كانت هولندة في القرنين السابع عشر والثامن عشر تجاري اكبر الدول في مستعمراتها وتجارتها البحريّة. وقد خلّف لنا كثيرون من علمائها اوصاف رحلاتهم الى اقاصي البلاد حتى الصين واليابان والهند وجزائر اوقيانية وقد نشر الاثريون بعضها ولم يزل بعضها الآخر مخطوطاً مترويًا في دفاتر الخزانات الكتبيّة. وممّا استُخرج من تلك المطامير آخرًا رحلتان الى بحر العجم وبلاد فارس باشرهما سنة ١٦٤٥ ثم سنة ١٦٥١ الهولنديّان رُوباكر وجان كوناوس وفي رواية رحلتهما من الاخبار والاوصاف ما يلذّ كل القرّاء ويزيدنا علمًا في احوال فارس في ذلك العصر من تجارة وعلوم وصنائع. وهاتان الرحلتان قد تولّى نشرهما احد علماء هولندة العلّامة ا. هوتس الذي حلّ ثغرنا منذ شهرين بصفة قنصل دولة هولندة الفخيمة وجنابهُ من اعرف الناس بامور العجم وتاريخ بلادهم ولديهِ مكتبة واسعة تتضمّن التآليف الفريدة العزيزة الوجود التي جمعها في

أيام ماموريته في فارس ومنها استخرج هذين الاثرين فنشرهما باللغة الهولندية وصدرهما بالمقدمات المفيدة وذيلهما بالملحوظات الثمينة واضاف اليهما الخوارط لتعريف الثغور التي اجتاز بها صاحبا الرحلتين فجاء الكتابان شاملين لضروب المحاسن التي يستحبها القراء لمثل هذه الآثار. فنشكر جناب القنصل على هذه الهبة النفيسة ونحض محبي الاسفار على مطالعة الكتابين ل.ش

I. KRATCHKOVSKI: Mutanabbi i Abu-l-'Ala. St - *Pétersbourg*, 1909. pp. 52.

المتنبي وابو العلاء المعرّي

لئن بين هذين الشاعرين وجوه من التشابه تقرّب بينهما فضلاً عن تقارب عهدهما فانّ كليهما نبغ في بلاد الشام وكلاهما برز في الشعر ونحا فيه منحى الفلاسفة وكلاهما أصبح اماماً في مذهبه الشعري فتناقل قصائده قوم من المغرمين باقواله. وانّما المتنبي كان متصلاً بخدمة الملوك والامراء فيتفنن بشعره ليحصل به رضاهم وامّا المعرّي فازهده بالدنيا كفوف بصره فوجّه بنظر قلبه الى المثليات واعتبر الموجودات اعتبار المزدري بها النافر عنها وشعره يتدفّق تدفّق الماء من ينبوعه يقوله عفواً دون تصنّع ولا تعسّف. وقد كثرت الابحاث في هذين الشاعرين ووصف خواصهما والثناء على منظوماتهما. وممّا نُشر حديثاً فيهما مقالة لتزيل بيروت حالاً حضرة المستشرق الروسي ا. كراتشقوفسكي فانه وضع في المتنبي والمعرّي كرّاساً ضمّنه خلاصة ما كُتب في هذين الشاعرين وقد افتتح تصنيفه بمقدمة في الشعر العربي وما نُشر منه حديثاً واردف ذلك بذكر ابي الطيب وابي العلاء ولخّص مضامين دواوينهما وروى نبذاً من شعرهما مع شرحه. وممّا استفاد منه لمقالته من المخطوطات كتاب تنبيه الاديب لأبي كثير وكتاب معجز احمد وهو تفسير ابي العلاء لديوان المتنبي. ويا ليت جنابه اطّلع على ترجمة المعرّي المطوّلة التي وردت في كتاب معجم الشعراء لياقوت فانّه كان بلا شك اخذ عنها بعض الفوائد المهمة. فنهدي لصديقنا الشكر على ما صنّف ونؤمّل ان يتحفنا قريباً بآثار جديدة من قلمه ل.ش

EBERHARD SCHRADER. Eine Lebensskizze nebst einem Verzeichnis seiner meisten Schriften von Carl Bezold, *Strassburg. K. J. Trübner*, 1909. pp. 31.

ترجمة المستشرق ابرهرد شرادر

ابرهرد شرادر (١٨٣٦ — ١٩٠٨) احد كبار علماء المانية خدم الآداب الشرقية

زمناً طويلاً حتى بلغ فيها مبلغاً عظيماً وكان المذكور ضليعاً باللغات الشرقيــة ولاسيما العبرانية لكنَّهُ اصاب شهرة مستفيضة بتآليفهِ الاشوريَّة التي يُشار اليها بالبنــان. فلمَّا فقدتهُ الآداب لم يشأ وطنيُّهُ الهمام كرل بتسُلد ان يبيد ذكرهُ فجمع في كتابٍ ترجمــة حياتهِ ألحقها بمصنَّفاتهِ التي يبلغ عددها بين صغيرة وكبيرة مئتي تاليف. فنثني على همــة الكاتب ونهني الديار الالمانية بما تُنشئ من رجال الفضل ل. ش

Actes du QUINZIÈME CONGRÈS international des Orientalistes. Session de Copenhague, 1909 *Copenhague*, 1909, pp. 87.

اعمال مؤتمر المستشرقين الخامس عشر في كوبنهاغ

سبق لنا في المشرق (٨: ٧٤٦) وصف هذا المؤتمر الذي حضرناهُ باسم مكتبنا الشرقي. وقد جُمعت مؤخرًا تفاصيل جلساتهِ وما دار فيها من الابحاث اجمالاً. على اننا ننتظر من همة عمدة ذلك المؤتمر ان يتحفونا بما هو اعظم من هــذه الفذلكة فائدةً فيتدوا بالمؤتمرات السابقة وينشروا المقالات العلمية التي تُليت في ذلك النادي العلميّ فتبقى آثارهُ في ايدي المستشرقين ل. ش

رثَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

لجامعها ومصححها ومعلق حواشيها الاب انطون صالحاني اليسوعي
الجزء الاول في الروايات الادبيَّة طبعة ثانية بيروت ١٩٠٩ (ص ١-٤٠١)

ابو الفرج الاصبهاني من اعيان الادباء وافراد المصنفين اجمع العــارفون على انهُ لم يُرَ اديب مثلهُ حفظ ما حفظهُ من الشعر والاغاني والاحاديث المسندة فترك لنا في كتابهِ الموسوم بكتاب الاغاني في ٢١ جزءًا معدنًا لا ينفد ونبعًا لا ينضب اليهِ يلجأ كل كاتب اذا ما اراد الوقوف على كثير من الآثار والاخبار في الجاهليَّة والاسلام. وهو من ابرع الكتبة وادقهم معرفة بمواقع اللفظ يُخرج المعاني في قالب لطيف بغير حشو ولا تعقيد جامعاً بين الذوق السليم وحسن البيان لا تشوبهُ ركاكة ولا يشوّهه تكلف. وعندنا انهُ اجلّ ما يختارهُ الكتبة والدارسون اذا مــا ارادوا مثالاً يقتدون بهِ فيكون انشاؤهم « عصريًا » سهل المأخذ صحيح العبارة والتركيب. وقد انتخب حضرة الاب انطون صالحاني غرر الكتاب ودررهُ في مجلَّدين سمَّاهما رثَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني وقعا موقعًا حسنًا في اعين الادباء واصحاب المعاهد العلميَّــة وجعلهما الكثيرون كتبًا

مدرسية اقبل التلامذة على مطالعتها لما فيها من الروايات المنمقة فنالوا حظاً ونجاحاً في الانشاء. ولما كان ما نُشر بالطبع من الجزء الاول قد نفد مؤخرًا اعاد في هذه الايام حضرة الاب طبعهُ بعد المراجعة وضبط ما يصعب على القارئ ضبطهُ وتفسير ما فيه من الغريب مع تراجم لكثير من الاعلام فجاء الكتاب بهذه الطبعة اقرب منالًا من الطبعة الاولى واكثر فائدة فنشكر لحضرة الاب همتهُ ونحرض الاساتذة على شرح معانيهِ والتلامذة على تداولهِ ا. ر

منائر الطقسيات

وضعهُ وعلَّق حواشيَهُ بعض آباء الرسالة اللبنانيَّة المارونيَّة

طبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٢٧٢)

قد احبَّ حضرة الخوري الفاضل الاب نعمة الله مبارك ان يفيد قرَّاء المشرق (ص ٤٢٠) عن فحوى هذا الكتاب ومحتوياتهِ في مقالةٍ نفيسة وضعها عن الطقوس البيعيَّة قبل ظهورهِ. ومن ثم قد اضحى وصفهُ تافلًا. وغاية ما نتمنَّى ان يُقبل الاكليريكيُّون على درسهِ والاقتباس من فوائدهِ فانَّهُ يتضمَّن في عشرة اقسام وفي ابواب وفصول متعدِّدة جلَّ ما يتوقون الى معرفتهِ من واجبات الاكليريكيين ووصف الرتب الدينيَّة في الاعياد وغيرها. فنشكر سيادة الحبر الفضال المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت على ارتضائهِ بطبع الكتاب على نفقتهِ كما انَّنا نهنئ آباء الرسالة اللبنانيَّة الكريمة على ما اظهروهُ من الاريحيَّة في معاناة جمعهِ وطبعهِ على احسن صورة . ل. ش

كفاية الطالب وبغية الراغب (في علم النحو)

تاليف القس يوسف الجميتاوي الراهب الانطوني

الجزء الاول كتاب التلميذ. طُبع بمطبعة التوفيق في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٢٥٠)

وُضع هذا الكتاب على الطريقة التعليميَّة المستحدثة التي تجمع بين النظر والعمل فان مؤلفهُ الفاضل قسمَ علم النحو الى فصول وكل فصل الى اسئلة واجوبة يسهل حفظها على الطلبة الاحداث ثم يُتبع ذلك بايضاحات تزيل ما في الاجوبة من المشاكل وفي اثرها تمارين يُصلح المتعلم اغلاطها ويقوِّم معوجاتها وفقًا لما تعلمهُ في الاجوبة والايضاحات. فهذه الطريقة كما ترى غاية في الموافقة لتعلُّم القواعد. فنثني على حضرة المؤلف لحسن

تنسيق كتابه وتمنّى له رواجاً . ونشير الى حضرته في طبعة ثانية ان يضيف الى الكتاب فهرساً واسعاً ويزيد طبعهُ اتقاناً فيكون انتشارهُ اوسع ل.ش

النجوى الى نساء سوريا

بقلم فليكس فارس صاحب جريدة لسان الاتحاد

طبع في المطبعة الحميدية في بيروت ١٩٠٩ (ص ١١٢)

من ينظر الى غلاف هذا الكتاب وعليه صورة المؤلف يجد في ملامحه صورة رجل رقيق الطباع لين الشواعر ذا بصر نفّاذ يتروّى في خفايا الامور دون ظواهرها . وكتابهُ النجوى شاهد على صدق ملامحه فانهُ رأى كثيراً من الفتيات يتهافتن الى الزواج ولم يعتبرن قبل التقيّد بأغلاله ما ينتظرهنَّ من الأعباء ليُعددنَ النفس لواجباتهنَّ المقدّسة فكتب هذا الكتاب وضمّنهُ خلاصة الفضائل التي تُطلب ممارستها من المرأة المسيحيّة بازاء زوجها وقياماً بواجباتها البيتيّة وبتربية اولادها الصالحة لتتمتع في الهيئة الاجتماعيّة ما خصّها الله به من الفرائض . وقد ألبس الكاتب افكارهُ ثوباً قشيباً من المعاني المبتكرة والالفاظ اللينة والتعابير اللطيفة . ولعلَّ فئة من القرّاء يأخذون عليه بعض الغلوّ في احكامه او بعض النقص في آرائه الفلسفيّة الّا انَّ الكتاب بوجه الاجمال صادق اللهجة صائب الآراء . وكان بودنا لو اتّسع في بيان ضرورة روح الدين في الزواج فانهُ الركن المتين لتوثيق عُرى الحب بين الزوجين والحبل غير المنفصم الذي يعتصمان به في صروف الدهر فيقويان على كل حدثانه ل.ش

الدليل الهادي لزيارة قبر الفادي

عرّبهُ عن الايطالية الفونس انطون الرنصو

طبع في المطبعة الوطنيّة بالقدس (سنة ١٩٠٩ ص ٥٥)

هذا الكُتَيّب دليل صغير لزوّار القدس الشريف وُضع بالايطاليّة لمنفعة العامّة والبسطاء ولمّا كان عدد هؤلاء من الناطقين بالضاد كثيراً فاحسن جناب الاديب الفونس افندي انطون الرنصو بتعريبه وطبعه في مطبعته ليستفيد منهُ ابناء الوطن . فانَّ الكتاب مع كونه مجرّداً من كل مسحة علمية يحتوي ما يحتاج الى معرفته عموم الزوّار الشرقيين ل.ش

الارض في السماء . قصائد ادبية أخلاقية تاريخيَّة

الجزء الاوَّل نظم الاديب امين افندي ظاهر خير الله

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ١٤٣)

ظهر مما وصفنا بهِ سابقًا تآليف جناب الشاعر المبتكر امين افندي ظاهر خير الله انَّ غاية ما يُطلبهُ من شعرهِ بنيان الروح ونشر الآداب وهذا الكتاب من ذاك القبيل دعاهُ الارض في السماء فنظم فيهِ القصائد على طريقة مستحدثة ليرشد الانسان الى ما ينال بهِ في ارضهِ من رغد العيش وطمأنينة الروح . وقد قدَّم على كتابهِ فصلًا مطوَّلًا في الشعر واغراضهِ جعلهُ كتوطئة لمنظوماتهِ التي جعلها ادوارًا متعدِّدة الاشطر ملتزمًا فيها الرويّ على شكل يقارب الموشَّحات وقد جارى في ذلك بعض الانواع التي ابتكرها من قبلهِ معرَّب الالياذة جناب سليمان افندي البستاني . وانَّما آثر هذه الطريقة لما وجد فيها من حسن الوقع في الاذن والانسجام في الكلام والاختصاص ببلاغة المعاني . والارض في السماء عبارة عن ست عشرة قصيدة او موشَّح في نحو مائة وجه تتلاحم وتتوالى وترشد المرء الى اغراض ادبيَّة اخرجها على صورة رمزيَّة وروايات مختلقة عن لسان آلهة اليونان . وعلى رأينا انَّهُ كان بلغ غايتهُ بنوع اقرب لو تحاشى هذه التخيُّلات الميثولوجيَّة التي قلَّما يدرك معانيها الخفيَّة اهل بلادنا فانَّ « زفس وهرمس وباخوس وفنيس وسيريس » بعيدة عن تصوُّر الشرقيين فلا يفقهون معانيها ولو قصد المؤلف لمَّا صعب عليهِ ان يجد في التاريخ الشرقي ما ينوب عنها . وقد اردف جنابهُ هذه المنظومة الاولى بمنظومة اخرى دعاها نطاق الزهرة جعلها ايضًا موشَّحات ذات ادوار على شكل رواية ادبيَّة قام بتمثيلها آلهة الاقدمين . والغاية منها بيان مضارّ المشدّ الذي تنطنق بهِ الاوانس

العقد الفريد

من نظم القوَّال الشهير شديد بن فارس بن غصن من مزرعة النهر

سبق لنا الاقرار بأنَّنا من انصار اللهجة العاميَّة والمنظومات الدارجة الوطنية فاننا نرى فيها من الخواصّ اللسانية والصفات الكتابيَّة ما تروق مطالعتهُ ويمثّل للسان اخلاق اللبنانيين ويلمّع بما شاع بينهم سابقًا من الألسنة الآرامية ولاسيما السريانيَّة . وعليهِ نرحّب بهذا الكتاب الجديد الذي طابق اسمهُ مسمّاهُ فنُظم نظم العقد الفريد وهو

عبارة عن ديوان يتضمّن كل فنون النظم من الشعر العامّي كالمديح والغزل والحماسة اجاد فيها الكاتب كما شاء ولولا ضيق المكان وكثرة المواد لانتقينا منهُ اقوالًا تشهد على حكمنا . وغاية ما نطلب من شعراء لبنان عموماً ان يلزموا حدود الادب ويتحاشوا ما لمكنهم كل كلام بذيء وينبذوا نبذ النواة ما يمسّ شرف الدين وعرض القريب ل.ش

شذرات

كتب الشيخ يوسف النبهاني نبّهنا في شذرة سبقت الى ما جاء في كتب الشيخ النبهاني من الطعن القادح في الدين النصرانيّ والتشنيع فيهِ وهو لا يعرف من ديننا ومن تعاليمهِ المقدسة شيئاً فجاءت تآليفهُ كشاهد جليل على ما قال الله عزّ وجلّ في الاسفار الالهيّة عن بعض الذين «يجدّفون على ما لا يعلمون» (اطلب الاية في رسالة يهوذا ١ : ١٠) وقد جاءتنا مجلة المنار الاسلاميّة فألفيناها تقدّر منا هذه الكتب حقّ قدرها . قال صاحبها السيد محمّد رشيد رضا (عدد شعبان ص ٦١٥) :

« ان الكتب الحديثة وكذا القديمة المشوّة بالاباطيل والقول في دين الله بغير علم ككتب النبهاني وامثالهِ اكثر من ان تحصى . فهل يُكلّف مثلي ان يقرأها ويبيّن ما فيها من الخطإ والباطل بما كثر ذلك وتكرّر ؟ ان هذا التكليف ما لا يطاق . . » فتامل

فوز المراكشيين على الاسبان هذا عنوان مقالة لصاحب جريدة الوطن وكلٌّ يعرف انّ المراكشيين لم ينالوا حتى اليوم فوزًا يُذكر اللهمّ الّا بعض المناوشات التي فقد فيها الاسبان رجالًا من ضباطهم كما ان الاسبان اوقعوا ايضاً باهل مراكش غير مرّة ومن ثمّ لم تتغيّر كثيرًا احوال الفريقين وغاية ما نتمنّى ان تنتهي هذه الحرب على سلام لكننا تعجّبنا انّ منشيء الوطن اتخذ وقيعةً جسّمتها لهُ مخيلتهُ كوسيلة لتقريع الاسبان بما فعلوهُ سنة ١٦٠٩ بالمراكشيين لمّا اخرجوهم من جزيرتهم فكتب في ذلك كلاماً مطوّلًا وندّد بالاسبان واستفظع اعمالهم بعبارات جارحة وزعم انّ دولة اسبانية تقهقرت مذ ذاك الوقت الى غير ذلك من المبالغات التي تدلّ على انّ الكاتب نقل ما نقل دون تروٍّ عن جريدة معادية للاسبان . ولو راجع تاريخًا يوثق بهِ لعلم خطأهُ وأبى ان يروي ما يثير النفور ويهيج الاحقاد سامحهُ الله . امّا تقهقر اسبانية الذي نسبهُ لخروج المراكشيين من الاندلس فانّ العلماء ينسبونهُ الى اسباب اخرى سبقت ذلك العهد

الماء المقدَّس والمقتبس ذكرت مجلة المقتبس في بعض اعدادها (٤: ٥٤) الماء المقدَّس في كنائس الكاثوليك فزعمت انَّ العلماء فحصوهُ في بعض اجرانهِ فوجدوا انهُ يحتوي الوف الوف من الجراثيم المُمدية وكأن المجلة خافت على ارواح العباد ورأت في عبادة الكاثوليك خطرًا على المجتمع الانساني. ومن المعلوم انَّ الماء المقدَّس لا يضرُّ احدًا فانَّ الداخل الى الكنيسة اذا غمس فيهِ طرف اصبعهِ لا ينالهُ بذلك سوء اذ لا يجرع تلك النقطة من الماء وانَّما يرسم على نفسهِ فقط اشارة الصليب المقدَّس فتيبس اصبعهُ بملامسة جبهتهِ وثوبهِ. ثم ان الماء المقدَّس يُمزج بالملح المطهر وكذلك يُفرض على وافد الكنيسة ان يُفرغ الماء في اوقات معلومة ويضح الاجران. وعلى كل حال نشكر مجلة المقتبس على اهتمامها بصحة الكاثوليك ورُتب معابدهم ولو قصرت نظرها الى امور قومها لرأت شواغل أخرى تشغلها عن الماء المقدَّس وخطرهِ الموهوم فلا تبصر القذاة وتنسى الجذع

مذنبة هلّاي أخذت المذنبة هلّاي (Halley) تُشعر بقربها من فلكنا وقد رصدها مرصد كمبردج واخذ صورتها. وعما قليل ستزيد من ارضنا قربًا وتظهر للعيان في الشهور الاولى من السنة القادمة فنفرد لوصفها مقالةً ان شاء الله

أسئلة واجوبة

س: ما راي المشرق في المدارس اللادينية التي كثر عليها الكلام في ايامنا وفي بلادنا ؟

المدارس اللادينيَّة اي الخالية من الدين

ج نرتأي ما يرتئيهِ اساقفة فرنسة باجمعهم في رسالتهم التي نشرها البشير في عدديهِ ١٢ و١٦ ت ١ وما ترتئيهِ الكنيسة المقدَّسة في كثير من الاحكام التي انزلتها على هذه المدارس وما يرتئيهِ كل عاقل يعرف ان ليس ادبٌ بلا دين (اطلب مقالات البشير في اعدادهِ الاخيرة). وذلك لان الغاية من هذه المدارس هي نَزْعُ عرش الاديان وبث روح الكفر رغمًا عمَّا يتظاهر بهِ اصحابها مواربةً ونفاقًا في انهم يُجلون الدين ويكرمونهُ. ولنا شاهد عارف لا تنكر شهادته ولا تُردّ وهو المسيو

اولار (Aulard) مؤسس المدارس اللادينيّة في القاهرة وسالونيك وحديثاً في بيروت. قال في احدى مقالاته الاخيرة ما تعريبهُ بالحرف الواحد: « انهُ لشبارة في الازمنة الحاضرة ان لا نُعارض بتعليمنا تعليمهم (اي اصحاب الدين) حفظاً لشروط الحايدة عن الاديان في المدارس فلندع التكلم عن الحايدة المدرسية ولا نقل منذ الان اننا لا نريد ان نخرب الدين لكن فلنقل صريحاً: نريد ان نخرب الدين »

Ne parlons plus de neutralité scolaire. Ne disons plus : nous ne voulons pas détruire la religion ; disons au contraire: nous voulons détruire la religion. (*Discours de Mr Aulard*)

س: سأل الاديب ي. ي. ض. ما هي المناولة الروحية وما هي شروطها وفوائدها

المناولة الروحية

الجواب: هي الشوق والرغبة في قبول جسد الرب ودمه الاقدسين عند تعذُّر قبولها سرياً. ولما كانت الاعمال بالنيات كان هذا الشوق كغيره من الاشواق والرغائب التقويّة امراً ظهر لكل متأمل فائدتهُ الروحية العظمى كما لو اشتاق الانسان الى رؤية الله عز وجلّ او قال مع صاحب المزامير: من يعطيني جناحين كالحمام فاطير واستريح. ولما كان سرّ القربان محور حياتنا الفائقة الطبيعة وينبوعها كان الشوق لهذا السرّ من اسمى الاشواق واغزرها فائدة. ولذا نرى الجمع التريدنتيني يحث المسيحيين على حضور الذبيحة الالهية كل يوم والاتحاد السري مع الخلص بالمناولة فعلاً او شوقاً على الاقلّ. وقد حذا الكتبة والقديسون حذو المجمع المقدس في حمل طالبي الكمال خصوصاً والمؤمنين عموماً على الاكثار من هذه العواطف الشوقية التي من شأنها ان ترفع بالنفس عن الدنيويات وتوّيدها اتحاداً قلبياً مع الهها. فهم يعتبرون ان هذه المناولة الروحيّة اذا ما سبقتها ولحقتها الاعمال التي اعتاد المؤمنون ابرازها — لفظاً او معنى — قبل المناولة السرّية وبعدها من تجديد فعل الايمان والشوق والتواضع والمحبة والشكران وغيرها كانت الثمرة اكمل والتاثير اعظم. وكما ان الانسان الساقط في الخطإ الميت لا يجوز لهُ قبول جسد الرب فعلاً كذلك لا يجوز لهُ ان يشتهيهُ وهو غارق بحالة خطيته ان لم يندم عليها اللهم ان لم يكن هذا الشوق يحتوي ضمناً الندامة المطلوبة. ولا شك ان هذه المناولة تجوز في المعابد وخارجاً عنها وان كانت اكثر فائدة في زمن حضور الذبيحة الخلاصيّة او امام القربان

المشرق

ما هنالك

زيارة حديثة لقصر يلديز الشهير

للاب لويس رترفال احد اساتذة المكتب الشرقي

ان الزائر الذي يحتلّ الأستانة لاوّل مرّة تأخذهُ الدهشة من كثرة ما يجدهُ في تلك العاصمة من المشاهد والتحف والابنية الفخيمة فيتنقّل من محاسن الى أُخرى على جناح السرعة دون ان يملأ عينهُ من الرئيات . فلا يلبث ان ينسى كثيرًا ممّا عاينهُ ما لم يُطل الاقامة في ربوع دار السلام ويخصّ كل يوم بعض تلك المناظر المبهجة فيتروّى في اسرار صناعتها ويتأمل دقائق محاسنها فيدنها وصفًا أوفى واضبط كما فعل حضرة الاب بولس جورون في مقالته المضونة المشاهد الفتّانة في رحلة الاستانة (في المشرق ٢ : ٩٦١ و١٠٣٧ اطلب ايضًا ٧ : ١٠٦٢)

على انَّ بعض آثار حاضرة الدولة العثمانيَّة كان محجوبًا لا يُسمح لأحد ان يُمتّع فيها الابصار الّا ما اختلسهُ النظر من ظاهره فقط . وفي مقدّمة تلك المحجوبات ذلك القصر المنيف الذي كان يسكنهُ السلطان السابق عبد الحميد خان نزيد قصر يلديز اي الكوكب عُرف بهذا الاسم لجماله الفائق . فكان الحظوظ من المسافرين اذا قدم الاستانة ونال الرخصة بحضور رتبة السلاملك يقاد الى مكان مرتفع على ممرّ الموكب السلطاني حتى اذا حان وقت الصلاة انتتح باب القصر وخرج منهُ صاحب السلطنة راكبًا عربتهُ وحوله نخبة من رجال دولته فيسير عاجلًا الى المسجد الذي ابتناهُ ودعاهُ باسم المسجد الحميدي بينما تحيّيه الجند بالسلام وتصرخ ثلاثًا طالبة لهُ الفوز والظفر . وبعد ثُلث الساعة تنتهي الصلاة فيعود المولى الى بلاطهِ وتُقفل من ورائهِ الابواب

فكان الناظر يحدّق الى ذلك القصر مفكّرًا في ما يتضمّنهُ من الآثار والكنوز وراء جدرانهِ راغبًا كل الرغبة في معرفة اسرار ذلك المقام وما يجري فيهِ من الامور لسكّانهِ وعلى الاخصّ لسيّدهِ الاعظم وربّهِ الرهيب. فكان الباحث كلّما تعمّق في البحث عن مكنونات ذلك المنزل ازداد شوقًا للاطّلاع على ما تتضارب الآراء في بيانهِ وتتناقلهُ الالسن في تعظيم شؤونهِ فيعود كالشارب المطشان اقترب من ينبوع المياه ولم يرو منها غليلهُ

امّا الآن فقد تحوّلت الامور وصارت تلك الاسرار الغريبة الى خبر كان منذ تخطّت الجنود الدستوريّة الظافرة عتبة ذلك القصر الفخيم فانّ الابواب قد انفتحت ونُفي صاحبهُ الى بعيد فقام بدلًا منهُ سلطان آخر لم يحتج الى التستّر والتخفّي فاحتلّ بعد ان حُجز عليهِ ٣٢ سنة قصرَ والدهِ عبد الحميد طوالهُ بفيهِ. امّا يلديز فاصبح معهدًا عموميًا وأحد متنزّهات اهل العاصمة يدخلونهُ بعد دفع رسم طفيف للحكومة فيطأون بالارجل تلك الحدائق التي كان يتجوّل فيها السلطان المخلوع مع بعض خواصّهِ ويشخصون الى ما هنالك من الأثاث والامتعة والجواهر. فللّه ما اعظم ذلك الانقلاب وما اسعد بخت الذي يُتاح لهُ الحظوى بما لم يخطر على بال

فهذا السعد غير المأمول قد حظينا بهِ في فصل الصيف الاخير باواخر شهر آب المنصرم. فاذ كان صباح احد ايّامهِ والنسيم عليل وأديم السماء صافٍ خرجنا نريد يلديز على طريق البوسفور وهي اشهى الطرق المؤدية الى ذلك المقام فركبنا سفينة بخاريّة وسرنا صعودًا على ضفّة المضيق من جهة آسية وقد كنّا غير مرّة سرنا على ضفّة ذلك البرزخ فسرّحنا البصر في محاسنهِ البديعة ورأينا منعكسةً في مرآة مياههِ الصافية صور الابنية الشاهقة والمنازل الصيفيّة البهجة التي تجاورهُ. وكأنّ تلك المناظر في صباح ذلك اليوم اكتست في أعيننا رونقًا جديدًا فكانت تدعونا بمحاسنها الى مواصلة سيرنا نحو القصر الذي نتمنّى زيارتهُ ولسانُ حالها يصرخ الينا قائلًا: عمّا قليل سينكشف دونكم حجاب تلك المكنونات التي أيس من كان قبلكم عن مشاهدتها. وبعد ساعة جزنا الى جهة اوروبّة ونزلنا الى بشكطاش وهناك تركنا السفينة فأقلّتنا عجلةٌ الى روابي يلديز فبلغنا تلك المشارف بعد ثلث ساعة

ولا بُدّ هنا من تنبيه القرّاء الى غلطٍ يتناقلهُ الرواة فيزعمون انّ بلاط يلديز قائم في اقاصي قرن الذهب. والصواب ان قرن الذهب خليج مستطيل يمتدّ في وسط البرّ عن

يسار البوسفور بين المدينة القديمة والبلد الحديث. امّا قصر يلديز فانّهُ ينتصب على أكمةٍ تُشرف على البوسفور من عن شمال المدينة الحديثة شرقيًّا فيما وراء حيّ بيرا (اطلب الخارطة التي رسمناها)

ثم تجاوزت العجلة نطاق المساكن واخذت تصعد الى بلاط عبد الحميد وكنا كلّما نزيد ارتفاعاً تتّسع امامنا دساكر الحاضرة فيكشف النظر على ما يأخذ بمجامع الصدور فكنّا نرى على احد طرفينا البوسفور وربضهُ البديع وعلى الطرف الآخر تلوح لنا رُبى بنكالدي تزينها الاشجار الوارفة الظلّ. وكنّا نسير في عزلة وهدوّ لا نكاد نلقى في طريقنا الّا افرادًا من الناس كأنّا نتوجّه ليس الى قصر احد الملوك بل الى قلعة حريزة لا يقرب منها غير جندها. وتمكّن منّا هذا التأثير لمّا تخطّينا المسجد الحميديّ فوصلنا الى مدخل يلديز وهو يجهز بابين واسعين. وعلى جانب الطريق في هذا المكان جدارٌ مرتفع يكاد يحجب ما وراءهُ من الأبنية الداخلة. فرأينا في ذلك صورةً حيّة تمثّل الدولة السابقة فقابلنا بين ظلمه بفجه ويلديز واذا هما على طرفي نقيض فذاك بهجُ المنظر نضر الحدائق تروقُ العين طُرُقُهُ الغرّاء المكشوفة للعيان وراء مدخل مزخرف بالمشبّكات الواسعة المتافذ على عكس قصر يلديز الذي ينقبض الصدر لمنظره ومعاهده السرّية فكأنّهُ عبد الحميد كاسف الوجه جهم المحيّا في ايام سطوته وخشونة جانبه

وقبل ان نتوغّل في القصر دخلنا نجيل الابصار في الجامع الحميديّ الذي كان السلطان يخرج اليه كل يوم جمعة لصلاته فانّ عبد الحميد هو الذي امر بابتنائه فبُنيت مدخل يلديز سنة ١٨٨٥—١٨٨٦ ومذ ذاك الحين لم يَعُدْ كأسلافه يقضي فرائض الصلاة في غيره من جوامع عاصمة الاستانة مناوبةً. وهناك جرت حفلة السلاملك مدّة نحو ربع القرن فكانت تجتمع بين القصر والجامع طوابير الجنود بأزيائها المختلفة وكبار الدولة بزّاتهم الرسميّة واعيان المدينة ووجوه الاجانب وقوم لا يُحصى عددهم كانوا يتقاطرون لنظر تلك الحفلة المهيبة وكلّهم في السكوت التامّ كأنّ على رؤوسهم الطير منتظرين بفروغ الصبر ظهور مولاهم حتى اذا انفتحت ابواب القصر وجرّت عجلةُ الخيل المطهّمة تصاعدت الى افناء السماء اصوات الجنود وهم يهتفون هُتافهم الرسميّ: «پادشاهم چوق يشا» وكم مرّة امتزجت بهذا الهُتاف دعوات المنكوبين يطلبون من إله العدل الانتقام من الظالم فاجاب الله الى دعائهم آخرًا

وكان فكرنا يتردَّد بالامور الخطيرة التي دوت لها الآذان منذ سنة اذ دخلنا من باب اليمين ونحن لا نعلم ماذا يجب فعلهُ على الزوَّار ليتجوَّلوا في القصر دون عائق . واذا باعلانات وجدناها في طريقنا معلَّقة تُشير باللغتين التركيَّة والفرنسويَّة الى الرسوم المقتضى دفعها على من يزور القصر او احد اقسامهِ مع الدلالة على الطريق التي تؤدّي الى تلك الامكنة . والرسوم تختلف على اختلاف المزَوُرات وكل رسم لا يتجاوز خمسة غروش

فباشرنا زيارتنا بالحديقة الخارجة فاذا هي ارض فسيحة واسعة الارجاء تشمل قسماً كبيرًا من الروابي والآكام المنحدرة من اعالي يلديز الى البوسفور من جهته الشماليَّة والشرقيَّة وجنوبهِ الشرقي ولو اراد الزائر ان يزور الحديقة كلها لمَا استطاع الَّا ان يصرف في تجوالهِ نصف نهار ومن ثمَّ قُضي علينا ان نكتفي بمعاينة قسم منها

فطفنا اوَّلًا من عن يميننا حول اسوار عاليـة شُيِّدت في وسط يلديز تكتنف القصر والحديقة الداخليَّة حتى وصلنا الى بستان عظيم تُشبه هندستهُ البساتين الانكليزيَّة فيهِ الاشجار الباسقة العطريَّة الوارفة الظلّ الدائمة الخضرة وهناك حظيرة للظباء والغزلان والرنام وغيرها من وحوش الصيد . وكنا نرى بين دغل الاشجار احواضاً تتدفَّق مياهها الزلالية وبركًا كثيرة الاسماك ثمَّ تسيل المياه في جداولها متفرقةً وفوق الجداول معابر لطيفة الصنع تمرّ عليها العجلات وتتَّصل بطرقٍ مفروشة بالرمل والحصباء تتشعَّب بين الخمائل واصناف النبات وضروب الاشجار وقد أُقيمت في وسط تلك الفياض جواسق ظريفة على هيئات مختلفة تخالها بين خضرة الحديقة درراً مكنونة . وخلاصة القول انَّ تلك الجنائن قد أحيت في فكرنا حدائق بلاد اوربَّة الشماليَّة التي تُعدّ من عجائب الكون لوفرة غياضها واتساعها على مدى البصر . على انَّ هذه الحديقة السلطانيَّة مع رحبها محاطة بجدران مرتفعة لا يمكن احد ان يتسلَّقها . ومع هذا كان عبد الحميد لا يرى نفسهُ في أمان كافٍ وراء تلك الاسوار فما كان يجبُ ان يتجوَّل فيها خوفًا من عدوٍّ يترصَّدهُ او خطر يتهدَّدهُ

وممَّا يستحقّ الوصف في هذه الجنينة الخارجة عدَّة آثار كان بودّنا ان نزورها لولا ضيق الزمان وهذه اسماؤها كما وجدناها مرقومة في جهات الحديقة : معمل الآنية الصينيَّة . الروضة الجديدة . حظيرة الايائل . قصر مالطة . مأوى الأُسود . الأزج الحديث . نادي الصيَّادين . الياخور الخاص . فترى من هذه اللائحة ما جُمع في يلديز من المنازه

والمتاحف التي لا يستطيع احد ان يشاهدها ما لم يخصّ لها عدّة ساعات ونشير الى من يريدون ذلك ان يستأجروا عجلةً لنصف النهار فتنقلهم من مكان الى آخر بسرعةٍ او يفردوا لتلك الزيارة يوماً كاملًا ومعهم زادهم فيتغدّون في ظلّ الاحراج التي هناك بقرب مائها السلسبيل .

قلنا ان بين الحديقة الخارجة والقصر السلطاني سوراً عالياً فنفذنا من بعض ابوابهِ الى روضةٍ داخليّة أصغر من السابقة الّا انها متقنة غاية الاتقان وجديرة بمقامٍ ملكيّ تفوق على الحديقة الخارجة بدقة هندستها وحسن نظامها وبنخبة اشجارها ونباتها وتفنن ترتيبها فهناك الزهور البديعة والنباتات العطرة واحرار البقول والمخارف الناعمة الدريّة الحصباء . وفيها صوان متّسع حسن الهندام مُزدان بالزجاج الملوّن والثريّات تستودع فيهِ ضروب النبات الغريب العزيز الوجود . وهذا الصوان اشبه بديوان فخيم ربّما كان عبد الحميد يُعدّ فيهِ الولائم لكبار دولتهِ او لسفراء الدول الاجنبيّة

وكانت عيوننا لا تتجه في تلك الروضة الى منظر حتى تستجلبها مناظر اخرى ابهج وابدع كان في حراستها عمّال يدعوننا الى التطواف فيها لكنّنا اكتفينا بما شاهدنا هناك لئلّا يفوتنا منظر البلاط الداخلي . وكان تنقّلنا في انحاء تلك الرياض قد اتعبنا فدخلنا تحت مسقّف من الاشجار الملتفّة الاغصان واسع الافناء محكم الهندام في وسطهِ حوض من الرخام يعوم فوق مياهه بجعٌ (cygne) كبير صناعي باسطاً جناحيهِ وهناك اخذنا نصيباً من الراحة وتخلّلنا بُعجالة من الزاد . وكان فكرنا كلّهُ منصرفاً الى ذلك السلطان الذي سكن هذه الامكنة مدّة نيّف وثلاثين سنة وكل ما هنالك ينطق بعظمتهِ وسمو شأنهِ واستبدادهِ الذي آل الى سقوطهِ . فيا لصروف الدهر ويا لانقلاب الأيام

وبعد هنيهة استأنفنا سيرنا وعدنا الى الباب الفخيم الذي كان يخرج منهُ السلطان ثم أدّينا الرسم المفروض ودخلنا دهليزاً صغيراً أنفذ بنا الى البلاط الداخليّ وهذا البلاط مع ما يتّصل بهِ من الابنية والمتنزهات يمثل مربّعاً غاية في الرحب والسعة على طرفيهِ عدّة مقاصير كانت تسكن في انحائها حرم السلطان . امّا بقيّة الحُجَر والمعاهد فكانت معدّةً لسكنى السلطان في ليلهِ ونهارهِ . وأفرز الطرّفان الآخران من ذلك المربّع لروضة خاصّة تسحر العين بحسنها في وسطها البُحيرات والشلّالات والرائش مع مرسحٍ صغير وهناك ايضاً مآوٍ مقفّصة لاجناس الطيور جُعلت على رفوف منتظمة بينها اجمل

متحف للحمام يُعرف في المعمور وذلك استوقف اوّلًا ابصارنا فبقينا ساعةً بازاء تلك الطيور الصادحة فكانت تفتن ألبابنا بعددها الدثر وألوانها الزاهية واشكالها الغريبة واصواتها المطربة. فكأنَّ عبد الحميد شُغف بهذا الطائر فجمع منهُ ما لا يُحصى عددهُ ليتلهّى بهِ هو وخواتين حرمهِ واولادهُ فيلطّفوا شيئاً من همومهم وينسوا ما يترصّد لهم الدهر في غدهِ. ولكل صنف من الحمام مقفَص منفرد مع اسمهِ الخاص واصلهِ وبلدهِ. وقد وجدنا عدداً وافراً من تلك الطيور التي لم نعلم بجنسها ولم نسمع بذكرها منها الحمام المعرّي يُسمع لهُ صوت كالنُّباح اصلهُ من ارضروم على رأسهِ قُنزُعة ظريفة وعلى مخلبيهِ وذنبهِ الريش الناعم المستدير. وفي آخر تلك الاقفاص المختصة بكل ضرب من الحمام قاعة واسعة جُمعت فيها الاصناف كلها من ٤٠٠ الى ٦٠٠ مختلطة ببعضها. فشغلنا منظرُها مدةً ونحن لا نعي لوفرة محاسنها واختلاف حركاتها وجلبتها. وكان معنا قوم من الزوّار لم يتمالكوا من الاندهاش والحيرة لدى هذا المشهد الفريد

ولضيق الوقت ودّعنا الحمام مرغومين وسرنا في تلك الحديقة البهيّة طولًا وعرضاً وقطعنا في قارب مجهّز بالدواليب بعض بحيراتها حتى وصلنا الى القصور المواجهة لمآوي الطيور ونحن في أشدّ الرغبة الى معاينة الخزانة السلطانيّة وتتبع الابصار بمعاهد عبد الحميد الخاصّة وبكلّ ما كان لخدمتهِ. فخطونا بعض الخطوات حتى وقفنا امام قصر شاهق وجبّت قلوبنا لمنظرهِ وكأنَّ ظلّ مولاهُ لا يزال فيهِ حيًّا فسمعنا الدليل يقول: هذا قصر عبد الحميد

فلحدجنا القصر بالابصار واذا بهِ كأنَّهُ ينعى بصاحبهِ فانَّ السكوت سائد على جوانبهِ ونوافذهُ مغطّاة بالستار وابوابهُ مقفلةٌ عليها ختوم الدولة امّا الخزائن وكنوزها فبعد ان سُمح للجمهور ان يزورها حُجزت عنهُ خوفاً من ضياعها ومراعاةً لذكر صاحبها المكروب. ومن ثم لا نقدر ان نصف لقرّائنا وصفاً مدقّقاً تلك الجواهر التي جمعها عبد الحميد من كل انحاء مملكتهِ او أتحفهُ بها ملوك الدول كما أنّا لم نعاين معاهده وحمّامهُ الخاصّ ولا حجرة منامهِ ولعلّهُ لم يتّخذ لمنامهِ مضجعاً وانّما سمعنا الثقة يؤكّد لنا انَّ عبد الحميد لم يأوِ غالباً الى فراش بل كان ينام بثيابهِ حيثما يغلب عليهِ النعاس ولا يسكن في حجرةٍ واحدة ليلتين خوفاً من اعدائهِ كما يُحكى عن ملك صور بنمالیون الظالم على انّنا لم نحرَم تماماً من منظر ذلك القصر فانّنا اجتزنا قريباً من نوافذهِ فرأينا

الستائر لا تحجب باطن القصر كلّهُ بل بعضهُ فقط فعاينّا ما هنالك من الامتعة الثمينة كالطنافس الفاخرة والبُسط البهيّة والشماعد المصمتة الذهب والمرايا الرفيعة والوسادات المزركشة والمرصّعة بالحجارة الكريمة والعروش الملوكيّة والكراسي الفخيمة وآنية الصين واليابان الغالية الثمن واجود مصنوعات معمل سيفر في باريس. ورأينا ايضاً في وسط تلك القاعات مناضد من الرخام لها قوائم من فضّة عليها من الهدايا اللطيفة ما يبلغ ثمنهُ المبالغ العظيمة منها سفينة بخاريّة طولها ٧٠ سنتمترًا كلّها من الصدف تمثّل مركب السلطان في كل اجزائهِ حتى السواري والمراقد وهو مزيّن برايات الدول والرايات كلّها من الحجارة الثمينة تبلغ اثمانها ألوف ألوفٍ من الذهب. وقس على ذلك ما لم يمكنّا النظر اليهِ ويفوق ما يخبر بهِ في كتب العرب الخرافيّة كألف ليلة وليلة وما سواه

ثم رجعنا على الاعقاب ومررنا قرب محبسة الطيور فوقع البصر على متحف البغاوات (الببّغاء) قد حُبست انواعها في اقفاص منفردة ذات اسلاك من فضّة او ذهب وكلّها ذات ألوان زاهية عجيبة تجاري بحسنها بغاوات قصر شونبرون في فينّا وهذه الطيور تنطق بالفاظ مبهمة. وقد قيل لنا انّ عبد الحميد كان لقّنها كلمات مضحكة او شتائم بذيّة كانت تردّدها على مسامع بعض كبار دولتهِ اذا تكدّر خاطرهُ منهم. امّا نحن فلم نسمع منها غير اصواتها الخشنة ولعلّ غيبة سيّدها قد أثّرت فيها فقطعت لسانها الفصيح

*

ثم حان الوقت لمبارحة هذه الطُرَف التي تطمح الى رؤيتها الابصار وعدنا راجعين الى الباب الفخيم فرأينا عددًا من الزوّار يسيرون الى جانب آخر فيهِ قصر جميل يطلبون التجوّل في ردهاته فمشينا برفقتهم واذ وصلنا مدخلهُ تلقّانا شابٌّ اديب مسلمًا واذا هو من احد تلامذة مدرستنا الكليّة في بيروت كنا عرفناهُ فيها مدّةً فأحبّ ان يكون لنا دليلًا على خواصّ القصر ومحتوياتهِ فهذا القصر هو الجوسق المعروف بجوسق المراسيم كان عبد الحميد يستقبل فيهِ مشاهير الرجال وسفراء الدول وهو يغلب بمحاسنهِ الداخليّة بقيّة المنازل الشاهانيّة وكان السلطان جمع فيهِ من اسباب الغنى ما كاد يخلّ بحسن الذوق. وهذا الجوسق مبني على الطرز الشرقيّ والزينة فيهِ مستعارة من مصطنعات الغرب واثاثهِ كالساعات الثمينة فوق المناضد البديعة النقش والشماعد المصمتة والمرايا

الفاخرة وابدع من ذلك البساط الذي يمتدّ على طول البهو الكبير وعرضهِ وهو قطعة واحدة من اجود الاشغال واغلاها قيمةً سداها ولحمتُها من الحرير كالجنس الدمشقي الذي يساوي احد بسطهِ عشرة آلاف فرنك ان بلغ ثلاثة او اربعة امتار مربَّعة فقط فما قولك ببساط يتجاوز مئة متر . وفي احد جدرانهِ كوَّة كان يترقَّب منها السلطان مجيءَ السفراء دون ان يروهُ . وعن جانب الباب مخدعان كبيران كان عبد الحميد يعقد فيهما مجالس الشورى مع وزرائهِ وكلاهما مجمَّل بالنقوش ومزدان بالمصاغات

وكان بودّنا ان نلقي على صديقنا مرك صدَّة لسئلة على القصور التي مررنا امامها وعمَّا تحتويهِ من الذخائر الَّا ان الوقت قضى علينا بالاسراع فودَّعنا دليلنا شاكرين لهُ لطفهُ . وما لبثنا ان ركبنا العربة ثانيةً فانحدرنا من مشارف يلديز وبلغنا سكَّة الترماوي التي تمرُّ قريباً من طوله بغچه وهو القصر الذي اختارهُ السلطان الجديد لمقامهِ وكان جلالتهُ وقتئذٍ موجودًا في بلاطهِ فحيَّيناهُ بالسلام عن بُعد وطلبنا من المليك القدير أن يؤيّدهُ في كل اعمالهِ ويمكنهُ من تحقيق امانيهِ الصالحة لخير الوطن العزيز وكأنَّا عند نظرنا الى قصرهِ شعرنا بعصر جديد قام بعد عصر الجور والظلمات الذي شهدنا آثارهُ وراء اسوار يلديز . فانَّ طوله بغچه في وسط البلد يجعل السلطان الساكن فيهِ قريباً من رعيَّتهِ كأنَّهُ الأب بين بنيهِ ويا ليت عبد الحميد ادرك الامر فلم يعتزل عن شعبهِ فسكن يلديز وبقي فيهِ كغريب لا يَرى ولا يُرَى . بخلاف السلطان محمَّد الخامس فانَّهُ اتخذ لهُ كشعار ان يكون ابًا لشعبهِ فعاد الى سكن والدهِ عبد المجيد . وتراهُ اذا خرج من قصرهِ تتقاطر الجموع الى لقياهُ كالابناء والاصحاب . وقد حضرنا مرَّة حفلة السلاملك اذ خرج السلطان ليصلي في جامع بشكطاش فانَّ الجماهير احدقت بهِ كالهالة بالقمر والاكام بالشر فرحبت بهِ وملأت الفضاء باصوات الترحيب والتهليل كأنها بعد عهد السلطان السابق أحسَّت بفك أغلالها ونجاتها . والحق يقال انَّ المليك الجديد يستحقُّ بأنهِ ولطف اخلاقهِ ان يكون اوَّل سلطان دستوريّ بعد ان حنَّكتهُ التجارب وعجمت عودهُ صروف الدهر مدَّة اسرهِ ٣٢ سنة . وطوله بغچه هذا احد القصور السلطانيَّة الثلاثة التي تزين اليوم الاستانة مع يلديز وچراغان (١ . موقعهُ مع چراغان على ضفَّة

(١ ومن اراد تفاصيل وصفها فليراجع دليل ماثر Meyer's Reisebücher. *Türkei-Ru-manien* وهو كتاب نفيس من اضبط الادلَّة واوفاها شرحاً لكنَّهُ نُشر قبل اعلان الدستور فتشوَّ

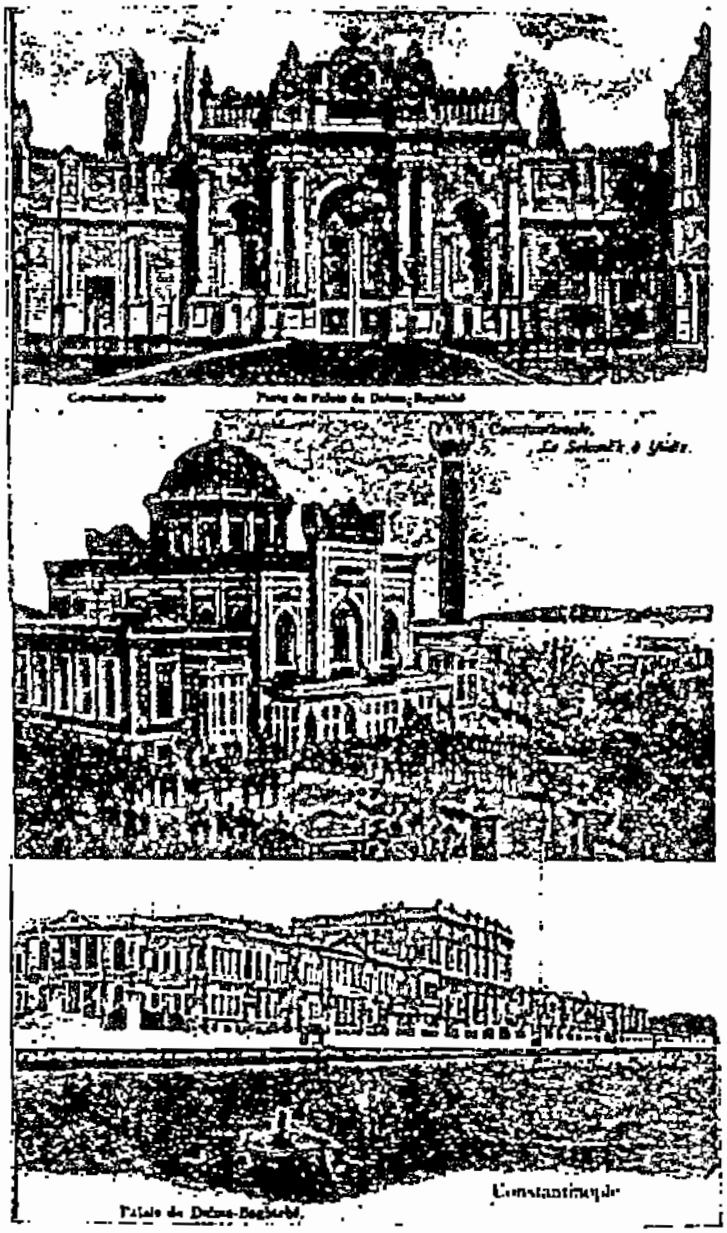

۱ و ۲ قصر طلمه بغچه — ۳ جامع یلدیز

البوسفور وكلاهما يزيد في محاسن هذا المضيق الشهير وكلاهما بُني او جُدّد بعد اواسط القرن التاسع عشر

امّا طوله بنجه فقد امر ببنائه سنة ١٨٥٣ السلطان عبد المجيد. طول واجهته ٦٥٠ مترًا وكلّها من الرخام الابيض وامامهُ رصيف واسع على البوسفور وقد بناهُ مهندسهُ على الطرز التركي المستحدث الذي يجمع بين الطرزين الشرقي والغربي. ومنظره ياخذ في القلب ويسبي العين معًا لاسيما انّ البوسفور يحفّ بهِ مع كل محاسنهِ فيصبح لهُ كإطار جميل يضاعف روعتهُ في عين الناظر الذي لا يتمالك عن الدهشة والعجب بازاء هذا الاثر الجليل فيصرخ: فهُ! ما ابدع هذا البناء فانّهُ لجدير بسكنى الملوك

وبواطن هذا القصر افخم من ظواهرهِ تستدلُّ عليها من مدخل حديقتهِ الذي يبهر النظر بحسنهِ. وفي مقاصيرهِ من اسباب الثروة والامتعة والمفاخر ما يفوق كل وصف وهناك ردهة الاستقبال وقاعة العرش والاعياد فانّها تمتدُّ على طول الدار الوسطى وهي من اعظم نوادي اوربّة الملوكيّة وافخمها. وفيه ايضًا حمّام كلهُ من الرخام الابيض الشفاف تزينهُ التصاوير البديعة. وعن شمال القصر مَلعب للتمثيل وعلى مسافة قريبة منهُ جامع من الطف الابنية يُعرف «بجامع الوالدة» شيّدتهُ ام عبد المجيد تعلوهُ منارة كأنها الابرة حسنًا ورشاقة وهذا القصر الجليل سكنهُ عبد المجيد. ثم احتلهُ عبد العزيز وفيه عُزل في ١٨ ايار سنة ١٨٧٦. ثم أقام فيه مدّة عبد الحميد فسئمهُ وانتقل الى خلوة يلديز. وقد اصاب الدهر بنايهِ محاسن هذا القصر لعدم السُّكنى فيه والمهندسون لا يزالون اليوم مشغولين في ترميمه والنفقة لذلك سوف تبلغ كما قيل ٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية

امّا چراغان ومعناهُ قصر الانوار فجُدّد بناؤهُ بين السنتين ١٨٦٣ و ١٨٦٧ وتولّى هندستهُ سركيس بك باليان فشيّدهُ على الطرز التركي المستحدث كطوله بنجه الّا انهُ اقلّ زخرفةً ولكن اشدّ موقعًا في النفوس بعظمته وهيبته حتى قيل انّهُ اجمل ما ابتناهُ السلاطين من القصور الى يومنا وكلّه من الرخام تبلغ واجهته ٧٥٠ مترًا

ولهذا القصر من التاريخ ما ينطبق على مهابة منظرهِ فانّ فيهِ قُتل عبد العزيز بعد خلعهِ وفيهِ ايضًا عاش السلطان مراد الخامس ومات قبل ثلاث سنوات. وقد اقام

ان يُعاد قريبًا طبعهُ فيُضاف اليهِ ما يوافق الاحوال الحديثة

السلطان الحالي في هذا القصر ٣٢ سنةً الى ان دار دولاب الامور فوقي عرش السلطنة ولم يحبَّ ان يجعل فيهِ سكناهُ تشاؤماً بذكرهِ فآثر طوله بفجه . امَّا عبد الحميد فأنَّهُ لمَّا تحقَّق ان رؤساء عسكر سالونيك لم يريدوا قتلهُ طلب ان يُفرَد قصر چراغان لسكناهُ وفيهِ كان قضى اوَّل سني حداثتهِ الَّا ان ارباب الامور لم يلبُّوا طلبتهُ خوفاً من سطوتهِ ودسائسهِ

هذه اسطرٌ قليلة كتبناها في بعض آثار الاستانة العليَّة والقلب مفعم من تأثيرها فنختمها بنظر عامّ في موقعها وتاريخها . انَّ الاستانة مركز عمرانين عظيمين خلف احدهما الآخر دون ان يبيدهُ بعد مرّ الاجيال . هي مدينة القياصرة ومحطّ رحال السلاطين . سبق قسطنطين الكبير بسموّ مداركه فعرف ما لموقع هذه الحاضرة من المستقبل الفريد فجعل فيها مقامه وعُني في تحصينها وتحسينها حتى جعلها عروس المدن وحصن الدولة . ثم قام من بعدهِ ملوك الروم وزادوها زهوًا وجمالًا ولاسيما يستنيان الذي ابتنى فيها كنيسة آيا صوفيا آية الهندسة البشريَّة ثم عرف السلاطين بنو عثمان انَّ في الاستانة اوج عظمتهم فلم يزالوا يأخذون بخناقها حتى فتحها محمَّد الثاني فاجتمع فيها بعدهُ طرفا العمود وبقي العنصران ممتزجين الى يومنا هذا . فعلى الرعايا العثمانيَّة ان توحّد ذينك العالمين وتتصافح في تلك العاصمة الكبرى على اختلاف اصولها وعمرانها فتسير اليد باليد وتجعل الاستانة امّ التمدن بمحاسنها الفتَّانة وانهُ على كل شيءٍ قدير

الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عيانٍ نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

ولمَّا انزلوني قدَّام الخان العتيق جاء واحد كاثوليكي يسمَّى كرابيد ابن چنكر وشلح لفَّتهُ وباس يدي . ثم اخذونا الى الحبس وكان الحبس قدمكاه (١ واجلسونا فوق الپياسات (٢ ووقت المساء عصر (ضيَّق) الاوضاباشي الزنجير على كلنا وطلب منَّا برطيلًا وعاقبنا الى نصف الليل فدفعت لهُ ذهبًا حتى يرخي الزنجير علينا فارخاهُ

١) لفظة فارسيَّة بمعنى المستراح ٢) الپياسة من الايطالية piazza بمعنى الحوش واراد بها الأقذار

وثاني يوم جـاء اليَّ اخي وواحد من الاخوة للمسيحيين فحكيت لهُ الامر فراح وجاب لنا ذهبيًا مصريًا فاعطيناهُ للاوضاباشي. وثاني ليلة اخذنا الى حبس آخر اضيق من ذلك الحبس حتى غنا بعضنا على بعض وكان قد كثر القمل في الاكراد وفيَّ ايضًا. واخذنا ثالث يوم الى حبس آخر جنب جامع السراي وهو ايضًا موضع ضيق وبقيت قاعدًا في وسط الباب والباب مغلق وأستنشق الهواء من الزرب (اي شقوق الباب) فجاء اليَّ واحد من الاخوة وجاب كتل بخنيَّات (١ وكان الزمان غـلاء. وبدأ يناولني واحدة واحدة من الزرب فانكبُّوا عليَّ المحبوسون وكادوا ان يفطسوني فقلت لهم بالكردي: اصطبروا اطعمكم وبدأتُ اكسر الكتل واعطي لكـل واحد نصفًا وكان قد جاب عشرين واحدة فما خلَّوا لي غير نصف واحدة. فبقي هذا المبارك واسمـهُ يوسف بن كنعان الوكيل يبكي من برًا على سكتتي (سكنـاي) في الحبس ومضى حكى للكاثوليكيين فكانوا يرسلون لي خبزًا من السرق كنت افرقهُ على المحبوسين وجـاب لي ملكي بن حنا ابن الحسنيَّة صطلًا يبرخ (٢ ويناولني ايضًا من الزرب اليبرخ واحدة واحدة فآخذها واناولها للممسوكين فكانوا يدعون لي كثيرًا

وبعد ثلاثة أيام اراد الحاكم ان ينتقل الى سراي بيت يعقوب باشا فانتقل واخرجوا ايضًا الزنجير وانا في رأس الزنجير الفاضل من سراي الى سراي بيت يعقوب باشا وادخلوني الآخور الذي هو الآن مكان الزنجير وبدأوا الناس يأتون الى الحاكم بالهدايا وتمَّيت (وبقيت) في الزنجير حتى اكملت اربعين يومًا وما كان واحد من خواجكيَّة النصارى يقدر يدخل الى السراي لا من الارمن ولا من اليعاقبة سوى قبلان من بيت سفر الكبير ابن تانيل فجاء اخي اليَّ فقلت لهُ: جيب لي شطفة (قطعة) كاغد ابيض ودواية وقلمًا. فراح جاب لي وكان بعد العصر فكتبت عرضحالًا عربيًا بيـدي وارسلتهُ مع اخي الى الحاكم فراح ولاقاهُ يتمشى وحدهُ في التخت فاعطاهُ العرضحال فصـاح (دعا) عبد القادر بن الحاج عبدي الماردينيّ فقرأهُ لهُ فدعا الحاكم الكهيا وقال لهُ: لماذا مـا اخبرتني بهذا الراهب. فقال الكهيا: ما كلفضينا (لم نفض). فبعث الحاكم خلف

١) الكتل صنف من الطعام المصنوع من الحنطـة المدقوقة واللحم يطبخونهُ على شبه الكُبَب بعد ما حشوهُ بامناف الافاويه والبزور. واليخني ما تؤدم به تلك المأكولات

٢) هو الارز المحشوّ في ورق العنب ويقال لهُ بالشام يبرق

البطرك فجاء وجاب معهُ مائتين واحد وألبس العوامّ منهم المزوَّجين قبابيع ولفَّ لهم شيشاً زرقاً كانهم رهبان وجاء اخوهُ ومعهُ المفريان متى والقسوس والشمامسة وبشوا اخرجوني من الزنجير

فسأل الحاكم البطرك: ايش هي قباحة هذا الراهب الذي لهُ اربعون يوماً في الزنجير عند الامير وعندنا. فقال البطرك: هذا كان من رعيَّتي وصار افرنجياً واخذ لهُ كنيسة من الكنائس وجعلها كنيسة للفرنج وانا معي فرمان وادعو للسلطان واطيع ملكهُ واكرم المدينة والحرمين وهذا يدعو الى بابا رومية ويجيب ذهب من الافرنج ويفرّقهُ على الناس حتى يطيعوهُ ويصيروا مثلهُ. فقال الحاكم: هذا لمَّا اخذ الكنيسة هل اخذها زوراً والَّا (او) بعلم الحاكم. فقال: نعم بعلم الحاكم. فقال: واذا اعطى الحاكم شيئاً لاحد فهل يخطئ. وايضاً تقول انهُ يجيب ذهباً فهذا قوي مليح ان يجيب ذهباً ويفرّقهُ على النصارى ليعطوا الجزية للباطيشاه (اي السلطان) بلا حبس ولا زور. لمَّا كونهُ يدعو لبابا رومية فهذا ما يجوز. فقال لي: ما تقول يا راهب

قلتُ لهُ: يا صاحب الدولة انا كنت راهباً في دير الزعفران وكان بينهم كلام كفر فما رضيت ان اقولهُ معهم فطردوني من بينهم. فقال: ايش كان الكفر. قلت: يقولون انَّا نشهد بانَّ الله الواحد بطبعهِ الشريف اللطيف قد مات. ثم يقولون في الصلاة: ربنا ترحَّم علينا وتحنَّن علينا واقبل صلواتنا. ويزيدون: ربنا برصوم. فيشركون برصوم مع قابل الصلوات. ويقول انهُ يدعو للسلطان ويكرم الحرَمين فالذي يكرم الحرَمين قد اسلم. فقال الحاكم: حقاً ان هذا قد صار مسلماً. ثم قلتُ انهُ يقول انهُ يدعو للسلطان فيكذب على السلطان لانهُ كل يوم يصلي باللسان السرياني ويامن السلطان ويسبّ الخلفا. وقلت الصلاة بالسرياني وكان الياس آغا ابن علي آغا جالساً مقابل الحاكم فقال لي: فسّرها بالعربي. ففسَّرتها فنهض الحاكم وقام على حيلهِ وجاء الى رأس الديوانخانه وقال: «هذه دعوى كبيرة امضوا جيبوا القاضي». فجاء حس (صوت) الناس من برَّا. فقال الحاكم: ايش هو هذا. فقلت: قد جمع البطرك جمهوراً وجابه وجاء. فقال للبطرك: ايش هذا الجمهور الذي لثيت. قال: هم شهود. فامر الحاكم ان يسحبوهم (اي يطردوهم) كلهم حتى اخا البطرك. فقال: هذا اخي اتركوهُ عندي. فقلت: انا ايضاً اطلب ان تتركوا عندي اخي

فلما جاء القاضي والنائب ومعهُ البشتختــه (١ فحكى لهُ الحاكم بالدعوى. فقال القاضي: ما هو شرعي الّا ان اسمع من فمهم. فسأل البطرك اوّلًا فتكلّم كلامــهُ الاوّل ولم يقدر يزيد او ينقص وايش ما يتكلّم يكتبهُ النائب ثم سألني ايضاً ثم قال القاضي: لن هذه دعوى طويلة والدنيا مساء فاتركوهــا الى الصبح . فصرف البطرك وجماعتهُ وانا اعادني الى الزنجير

فجاء اليّ لخي وقال لي: كيف تعمل هذا لهُ هلقدر (هذا القدر) شهود ويعطي اموالًا كثيرة وانت ما لك شاهدٌ في دعواك . فقلت لهُ: امض جيب لي كاغدًا وقلماً ودواية . فراح بالعجل وجاب لي . فكتبت الى الحاكم: « يا صاحب الدولة الله تعالى ينصرك انَّ هذا البطرك بقوَّة مالهِ ورجالهِ يقدر يثبت عليَّ ايش ما قال زورًا وانا ما لي شهود ابدًا في دعواي الّا الكتب التي في الكنيسة وفيها موجود هذا الكفر. ولكن ارجو من الله ومنك لن تبعث من جانبــك واحدًا او اثنين ومن جانب القاضي ومن جانب المفتي لجيئوا معي في هذا الوقت الى الكنيسة واجيب الكتب التي بها هــذا الكفر ويبقوا عندكم الى الصباح فان طلعتُ كاذبًا طالع (اسحب) لــاني من وراء رقبتي » . واعطيت الكاغد لاخي فردَّاهُ للحاكم فصاح الحاكم يوسف اغا الحلبي فقرأهُ

فامر ان يخرجوني من الزنجير وامر ان يطرقوا (يطلقوا) معي يرقين من السراي وان يأتي معي يوسف آغا ويأخذ معهُ من القاضي نائبًا ومن المحضر ومن المفتي اثنين . وكانت اتت الشمس على الغروب والسوق قد قفل والناس راجعون الى بيوتهم . فلمَّا ابصروا راكضين بدأوا يعدون معنا ولم يعلموا ايش الخبر

فلما وصلنا الى خلف باهرمز (٢ نظرت صاعور (٣ البيعة عاديًا فقلت ليوسف آغا . ردَّهُ لانَّ هذا هو الفرَّاش ومفتاح الكنيسة معهُ . فردَّوهُ ردَّة العجب . ولمَّا دخلنــا في باب الكنيسة البرَّاني نظرنا الهراطقة قياماً في الحوش مثــل الجراد والبطرك قائمًا بينهم فوصل اليهِ اخي ومسك لحيتهُ وهزَّها وقال لهُ: يا قيافا انت تريد تقتل اخي اليوم اخضب هذه بالدم » . فبدأ البطرك يصيح: انا صاحب فرمان وانت تمسك دقني .

١) اي خزانة الاوراق والقسطرة والكتب

٢) يريد كنيسة مار هرمز للكلدان الكاثوليك ولعلَّ باهرمز تصحيف انبا هرمز

٣) اي الوكيل كما مرَّ . يريد هنا وكيل بيعة اليعاقبة

فصحتُ انا لاخي وقلت لهُ : انت ايش تريد؟ سيّبهُ (اتركهُ) . ثم اتوا اليَّ الجماعة كلهم وقالوا : ايش قصدك أتريد تهدم كنيستنا . فقلت : افتحوا الابواب ولا يدخل منكم سوى اربعة ومن القاضي واحد ومن المفتي واحد مع يوسف آغا وانا ادخل معهم . فقال يوسف آغا للبكباشي ان يمسك الباب هو واللوند(١ حتى لا يدخل احد . فدخلتُ للبيعة وقلت للنائب : هذا ايش هو . قال : منبر . فقلت لهُ : ارفع هذا الكتاب الذي عليه . وكذلك كتابًا من منبر آخر . وفتّشتُ على الكتاب الذي فيه السبّ فما وجدتهُ لانهم كانوا قد شالوهُ وخرجنا من البيعة والكتب مع النائب والبكباشي . ورحنا لبيت ابن خضرو الدقّاق الذي بالحوش وفتّشنا بيتهُ فوجدنا كتاب برصوم

ولمّا خرجنا من القلّاية بدأوا يصيحون باعلى اصواتهم : « ارجموهُ ارجموهُ اقتلوهُ اقتلوهُ ونروح كلنا تحت السيف » . وضربوا حجارًا كثيرة وما قدروا وصلوا لحقارتي حجرًا لانَّ اللوند اخذوني في الوسط وبدأوا يسبّونهم وبدأ البطرك يحرمهم قائلًا باعلى صوتهِ : محروم وملعون من يضرب حجرًا . فكفّوا . فخرجنا من الباب البرّاني وبدأت النساء تولول وكذلك الرجال وهم راكضون خلفنا مثل البهائم التي تُسرق افراخها

فلمّا وصلنا الى الميدان (٢ وهناك حجار كثيرة فبدأ الناس منهم يضربون الحجارة فطردهم اللوند والمسلمون الذين معنا ثم دخلنا المحكمة حيث كان القاضي يقعد تحت حمام الامير . وكان القاضي السابق قُتل قبل شهر فخاف هو ايضًا من الجمهور وبدأ يلاطف اليعاقبة ويقول : لا تخافوا اليست هذه الكتب عتيقة وانتم ايش ذنبكم . ثم امر القاضي بان يأتوا بكيس فجابوا لهُ كيسًا اخضر من كتّان غليظ فخطّ الكتب في الكيس وختم الكيس بالملك . وختمهُ ايضًا ابن المفتي ويوسف آغا وقالوا للناس : انصرفوا

فلمّا خرجت من باب بيت القاضي بدأت ترخ (تتساقط) عليَّ الحجارة فاخذني الاوضاباشي واطلعني الى السطوح فعدينا (عدّونا) من سطح الى سطح حتى وصلنا الى السراي وكان الحاكم يتمشّى فتقدّم الاوضاباشي اليه وحكى لهُ جميع ما صار . ثم تقدّمت انا وبكيتُ امامهُ وقلت : الله يديم دولتك . قد جينا الكتب ولكن كتاب السبّ قد شالوهُ واخاف ان هذه الليلة يجيئون ويعرطلون القاضي والمفتي ويوسف آغا ويفكّون الختوم

١) اي الشُرَط ٢) هذا الميدان في وسط المدينة بقرب منبرة المسلمين الى اليوم

ويخرقون الاوراق التي فيها الكفر . فقال الحاكم : انَّ القاضي أخير (خير) مني امين هو . ثم امر ابراهيم اغا وآخرين ان يروحوا لعند القاضي ويجيبوا الكتب فراحوا جابوها بختمها ففكَّ لي الختوم وقال : اين الكفر اقرأهُ لي . فقرأتهُ لهُ ونَيَّشْتَهُ (اي وضع لهُ علامة) وقال لي : من يفسِّر معناها . فكتبت لهُ اربعة قسوس . قلتُ لهُ : آمرهم ان يفسروا كما هو وان فسروا بالكذب تقتلهم . فضحك وملأ الكتب في الكيس وشمل ضوًا وختم الكيس بختمهِ واعطاهُ الى الخزندار . وكان ذلك اليوم يوم الاربعاء مساء عيد الجسد عند المسيحيين . ثم امر ان يأخذوني الى اوضة ويضعوا لي عشاء فتمشيت ونمت في اوضة الكهيا

ولمَّا صار الصباح اتولوني الى الزنجير واما البطرك فانهُ بعث مكاتيب في تلك الليلة الى جميع الضيع وحطَّ حرماً على كل من لا يحضر من كبار وصغار ونساء ورجال وكان عنده ناس من الموصل وكان بعث جاب من دياربكر ناس هراطقة متكلمين فالواحد منهم كان يقال لهُ ابلعد (اي عبد الاحد) القلمتراوي وكان من اكبر الاشرار فرَّق دراهم في الليل على سائر الاعيان والسخطوية فاجتمعوا بجملتهم من الصباح في السراي وجاء اليَّ واحد من السادات يقال لهُ الحاج حافظ فقال لي : يا قس هاقدر يغناغات (فتن) صار في هذا البلد وما عاينتُ مثل هذا اليغناغ الذي فيهِ نساء وصبيان ما تُحصى وقد مسكت (اي ازدحمت) الناس من قدَّام المصبغة الى باب السراي وسمعتهم يقولون : « اليوم نريد نقتلهُ ونعملهُ قداساً (ذبيحةً) فتحبُّ الله ماذا يكون القدَّاس » . فقال لهم واحد من المسلمين : انَّ النصارى يصلُّون على رغيف خبز ويسمُّونهُ برشانة ويناولون كل واحد نتفةً نتفةً . فقال : هذا ما يكفي لهؤلاء كلهم . ولكن هذا الراهب يقول الحق وهؤلاء كفرة اذ يقولون انَّ الله تعالى مات وسمعت انهم يصلبون الله وهو ما يقبل كفرهم ثم قال لي : يا قس لا تخف منهم ان الله ينصرك (١

[وبينما نحن نتكلَّم اذ جاء البكباشي واخرجني من الزنجير واطلعني من الدرج فنظرت قوم البطرك مثل المجانين منهم قد شلحوا ثيابهم ومنهم قد القوا شيشانهم (٢ في ارقابهم ومنهم قد قطَّعوا ثيابهم وهم يدعشون (٣ في حوش السراي ويقولون لي باعلى اصواتهم : يا افرنجي اليوم نريد نشرب دمك

١) هنا تنتهي النسخة الاصلية التي نقلنا عنها اما الباقي فنقول عن نسخة القس ابراهيم حلوجي

٢) الشيشان جمع شاش لما يلفُّون بهِ رؤوسهم ٣) اي يصيحون

ثم ادخلوني في الديوان وكان الديوان مملوءاً من علماء الاسلام وكان المتدلون من المراطقة قائمين على العتبة فأوقفوني في الوسط وجلست على ركبتي فقال لي واحد من الاعيان الذي يسمّى عبدي چلبي: يا نصراني ايش انت من شيء. فقلت: انا نصراني مثل ما تقول تحت الامان وأعطي الجزية للسلطان. واخرجتُ الدساكر (التذاكر) من عبي والقيتها في الوسط قدّام الديوان. فقال لي: اليس هؤلاء كلهم نصارى وهم يطيعون للبطرك الذي في يده خطّ همايون فرمان السلطان انعم به عليه وكل هؤلاء النصارى يطيعونهُ وانت وحدك ما تطيعهُ. فقلت: «انا مطيع لفرمانْ السلطان وان كان البطرك لهُ جزية عليَّ او عصيت اطلعوا من حقّي وكذلك انتقموا مني لن كان يروح للسفر وما رحت معهُ. فانا اطيعهُ في الفرمان امّا في الكفر فما اطيعهُ فان كان في فرمانهِ لنَّ الله تعالى مات في طبعهِ اللطيف فان اقبل اموت وما اقبل هذا الكلام». فقال لي شيخ آخر من الاعيان: يا راهب لماذا راح هلقدر (هذا القدر) زمان من عهد الرسول والنصارى ما كان يعرف احد ايش بينهم ولم يفتشوا كتبهم. فقلتُ: «هذا قدَر من الله. والرسول يقول عن النصارى: اتركوا النصارى على ما هم وان تخاصموا واتوا اليكم فجاوبوهم بما في كتبكم. فكانوا اذا رفعوا اصواتهم بقراءة الكتب والانجيل وفيها ما لم يرضهُ ما منعوهم من ذلك. فان الرسول امركم بقبول الفاظ الكفر وانتم قد اتيتم وكل واحد منكم قد اكل من البطرك عشرة غروش ام ازيد لتحكموا عليَّ بالقتل فانا ادعوكم ليوم الله العظيم»

حينئذٍ قال الكهيا للمفتي: هل يوجد فتوى لهذا الكلام. قال المفتي: نعم. قال الكهيا: امضوا وجيبوا كتبهم لنفتشها. فلمّا سمعوا انهم يريدون يفتشون كتبهم بدأوا يزعقون (يصرخون) قائلين باعلى اصواتهم: أنحن كفرة وكتبنا كفر. فقلتُ: اسمعوا ايها السادة انّ في سورة ابراهيم يقول «اقتلوا الكفرة» حينئذٍ هاجوا كلهم باجمعهم وتعاقروا بجديد الشبابيك وارادوا يقلعونها وبدأوا يضربون بالحجارة. فقام الاعيان على ارجلهم والقاضي والمفتي والكهيا والعلماء وبدأوا يشتمون البطرك. وما كان الحاكم حاضراً بينهم في الديوان. فلمّا سمع بهذه الضجّة خرج من مكانهِ حافياً وبدأ يزعق (يصرخ): اين الجنود اين اللوند. فحضروا فقال: اضربوا هؤلاء الكفرة واطردوهم عني من السراي. وكان هناك جمع كبير فطردوهم وامر برفع البطرك ثم اخذ منهُ غرامة كبيرة جداً

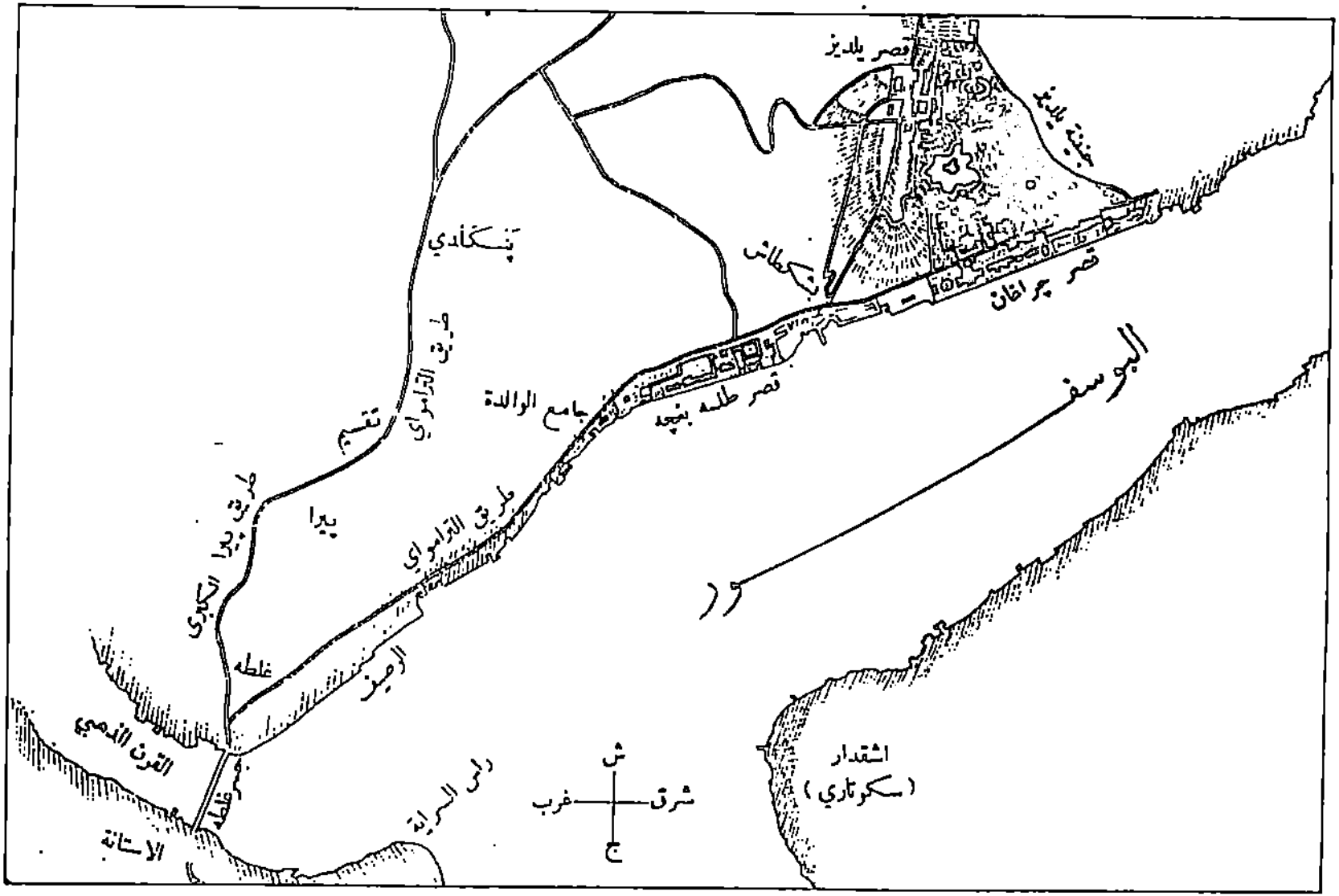
قصر يلديز
جنينة يلديز
قصر جراغان
البوسفور
قصر طلعه بنجه
جامع الوالدة
طريق الترامواي
تقسيم
طريق بيرا الكبرى
بيرا
غلطه
الجسر
القرن الذهبي
الاستانة
اشقدار
(سكوتاري)
ش
شرق
غرب
ج

لمَّا انا فسيَّبني وما بقي احد يقدر يتكلَّم معي من اليعاقبة وبقيت اقدّس في بيعة الكلدان بيعة باهرمز (مار هرمزد) وفي سودب كيورك (اي كنيسة مار جرجس للارمن) دون ان يقدر البطرك يكلمني بفرد شيء ولا جماعتهُ

هنا ختام ما كتبهُ القس ايليا ابن الكزبر من اخباره مع اليعاقبة في ماردين وقد جاء في اخر نسخة القس ابراهيم الحلوجي ما نصهُ: «تمَّ هذا الكتاب بعون الله تعالى. وتكميل بقية ما جرى في اسطنبول ناقص». فمن هذا يُستدلّ على انَّ دعوى ابن الكزبر رُفعت الى اسطنبول وان البطرك اليعقوبي طلب محاكمتهُ. والظاهر انهُ لم ينجح لكن تفصيل الخبر مفقود ولا نعلم أحرَّرهُ ابن الكزبر ام لا. كذلك نجهل زمن وفاتهِ وقد اعلمنا في اثناء كتابهِ انهُ سافر الى رومية وعرف فيها المقريان اسحق ابن جبير والمطران اثناسيوس سفر (اطلب المشرق ص ٧٢٢) ولعلهُ توفي في رومية

مذاهب العرب المسلمين

في مَدفَن النبي داود وابنهِ سليمان الحكيم

لحضرة الخوري الفاضل يوحنَّا مرتا قانوني القبر المقدَّس

لا شكَّ عند اهل الكتاب اي النصارى واليهود ان مَدفن النبي داود وابنهِ سليمان الحكيم كان في مدينة داود اي اورشليم كما صرَّح بهِ الكتاب العزيز في غير موضع. الَّا انَّا نرى علماء عصرنا غير مُجمعين على المكان الذي كانت عليهِ قائمةً اورشليم عندما فتحها داود واتخذها قصبةً لمملكته. فبعضهم يذهب الى انها كانت على الجبل المعروف عند الجميع بجبل صهيون وهو عندنا المذهب الصحيح. وبعضهم يدَّعي انها كانت على جبل الموريا ولاسيما على جزئهِ الذي يُقال لهُ «عُفِل» (Ophel) وموقعهُ بين سور الهيكل السليماني وبركة سلوان الشهيرة. ولكلٍّ من الفريقين حجج نضرب الآن عنها صفحاً لان غايتنا في هذه المقالة الاقتصار على ايراد مذاهب المسلمين في المدفن المشار اليهِ

وعليهِ فنقول اختلف المسلمون في مدفن داود وسليمان فذكروا قبر داود في ستة مواضع: «جبل صهيون. وكنيسة الجسمانيَّة. وبيت لحم. وذيل جبل لبنان. وقرية مَشغلا. وارض مكَّة». وكذلك جعلوا قبر سليمان في ستة مواضع: «كرسي سليمان.

وكنيسة الجسمانية . وباب الصخرة الشمالي . وبيت لحم . وطبريَّة . وجزيرة اندمان » كما سنورده مفصَّلًا

الفصل الأوَّل

في قبر داود

١ هو على جبل صهيون

قال ابو اسحاق الثعلبي وهو من أدباء القرن الحادي عشر للمسيح : « وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس وسمعت من الثقات ان قبر داود عم فيه . وثمَّ كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال : هذا صهيون والكنيسة التي خدم فيها مريم ويوسف هذه (١ . وقد أفصحَ فيها عيسى (اي اكل فيها الفصح) ودعا الخلق الى الله تعالى) (٢ . فصريح كلامهِ ان قبر داود كان في جبل صهيون ولا يُستفاد منهُ انهُ داخل الكنيسة المنوَّه بذكرها . واما شمس الدين المقدسي المعروف بالبَشَّاري فقد سرد مدفن داود بين الاماكن غير المُطبق عليها عند المسلمين لانهُ في فصل عنوانهِ « ذكر المواضع المختلف فيها » قال : « اعلم ان في الاسلام مواضع ومشاهد ليست بصحيحة ولا مُجمَع عليها فوجب إفراد هذا الباب لها لتَبايُنِ الصحَّة . . . قال اهل الكتاب قبر داود بصهيون الخ »(٣

في القرن الخامس عشر للمسيح استفاض بين يهود القدس الشريف ثم بين مسلميها ان في كنيسة صهيون قبر داود فكان ذلك داعياً الى استيلاء المسلمين اولًا

---

١) ذهب الثعلبي والطبري وغيرهُ من مؤرخي الاسلام ان مريم العذراء ويوسف خطيبها كانا مواظبين على خدمة كنيسة صهيون قبل ميلاد المسيح . انظر « تاريخ الرسل والملوك » لأبي جعفر الطبريّ . طبعة ليدن سنة ١٨٨١ جزء ١ مجلد ٢ ص ٧٣٥

٢) كتاب قصص الانبياء للثعلبيّ . طبعة سنة ١٢٧٧ ص ٢٦٤

٣) اطلب كتابهُ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . طبعة ليدن سنة ١٩٠٦ ص ٤٦ . كان البشَّاري من اهالي بيت المقدس في القرن العاشر للمسيح . وجاء في معجم البلدان لياقوت انهُ كتب سنة ٣٧٨ هجرية (ترجمة البصرة ١ : ٦٥٣) . غير ان البشَّاري نفسهُ يفيدنا في آخر مقدماتهِ (ص ٩) انهُ اتمَّ تصنيف كتابهِ سنة ٣٧٥

على هذا القبر وبعض الكنيسة (١ ثم نحو اواسط القرن ١٦ على سائر الكنيسة والدير اللذين كانا في حوزة رهبان القديس فرنسيس . ومنذ ذاك أُطلق لقب « النبي داود » على كنيسة صهيون وما جاورها من المنازل ثم على باب المدينة القريب منها المشهور سابقاً عند الكافة « بباب صهيون » . ومن اواخر القرن ١٥ اخذ كتبة المسلمين يحصرون قبر داود الكائن في كنيسة صهيون بين المزارات والمشاهد الاسلاميَّة . قال مجير الدين الحنبلي : « يُقال ان قبر داود عم بكنيسة صهيون وهي التي بظاهر القدس من جهة القبلة بأيدي طائفة الافرنج لانها كانت داره . وفي كنيسة صهيون المذكورة موضع تعظمه النصارى ويقال ان قبر داود فيه وهذا الموضع الآن بأيدي المسلمين » (كتاب الانس الجليل الخ ص ١٠٦) . وفي السنة ١٦١٠ م زار القدس الشريف الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي فوصف قبر داود هكذا : « ذهبنا الى زيارة نبي الله داود فخرجنا خارج المدينة من الباب القبلي المسمَّى بباب صهيون المعروف الآن بباب داود فوصلنا الى مزار كبير ومقام كريم وقبَّة عالية وحضرة سامية وفناء رحب الجوانب واسع الاطراف وقصرهُ مشيَّد عالٍ موطد الاكناف فدخلنا الى زياة قبر داود عم . وهناك مسجد ومحراب وساحة ومقام » . (٢

والى الآن لم تظفر بنصٍّ صريح يثبتنا بان مسلمي اورشليم قبل القرن ١٥ كانوا يزورون قبر النبي داود في كنيسة صهيون . بل لنا عدَّة براهين ناطقة بانهم قبل القرن المذكور كانوا يجهلون ذلك القبر فلم يتخذوهُ قط لهم مزاراً — ١ً ان اليهود هم الذين اخبروا المسلمين في القرن ١٥ ان قبر داود بكنيسة صهيون على ما نقله الاب فرنسيس

---

١) راجع ص ٦٨٠–٦٨٢ في « كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » تأليف قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي الذي فرغ من جمعه وترتيبه في اوائل سنة ١٤٩٥ مسيحية كما يؤخذ مما قالهُ في الخاتمة . وكتاب الاب فرنسيس سُريانو : « Il trattato di Terra Santa e dell' Oriente di Frate Francesco Suriano. *Milano*, 1900, p. 110 » كان الاب سُريانو من رهبانية القديس فرنسيس قضى سنين عديدة في فلسطين وسوريا وتُلِّد مرتين الرئاسة العامة على الاراضي المقدسة سنة ١٤٩٣–١٤٩٥ وسنة ١٥١٢–١٥١٥ واطلب ايضاً كتاب الاب فيلكس فابري من رهبان القديس دومينيك وقد حجَّ مرتين الى الاماكن المقدسة سنة ١٤٨٠ و ١٤٨٣ : « Fratris Felicis Fabri Evagatorium. *Stuttgardiae*, 1843, t. I, p. 253 »

٢) كتاب الحضرة الانيسية في الرحلة القدسية . طبعة مصر ١٩٠٣ ص ٤١ و ٤٢

سُرْيانو (ص ١١٠) والاب فابري الدومينيكي (١ : ٢٥٣) وفي رواية الاب سُريانو كان ذلك نحو السنة ١٤٦٠ — ٢ شهادة اليهودي اسحق بن يوسف جيلو الذي رحل من بلاد اسبانيا سنة ١٣٣٣ واستوطن اورشليم فأرسل منها رسالةً لوالده سنة ١٣٣٤ وصف فيها الاراضي المقدّسة ومزاراتها فقال في ما نحن بصدده: « واما قبور بيت داود التي كانت على جبل صهيون فليست اليوم معروفة لا من اليهود ولا من المسلمين (١ ». — ٣ جماعة من ادباء المسلمين ذكروا كنيسة صهيون قبل اواسط القرن ١٥ (٢ وصرّحوا بانها مشيَّدة على العلّية التي اكل فيها السيّد المسيح مع رسله وثمّ المائدة التي اكلوا عليها (٣ وان فيها اجتمع تلاميذهُ بعد صعوده الى السماء وتكلموا بجميع اللغات (٤ وفيها ايضاً عمود رخام منقطع النظير (٥ الى غير ذلك من الاوصاف. فلو بانهم انها تنطوي

---

١) Itinéraires de la Terre Sainte ... par E. Carmoly, *Bruxelles* 1847, p. 238

٢) راجع معجم البلدان لياقوت ومراصد الاطلاع في ترجمة « صهيون ». وننقل بعد ذلك قول صاحب مروج الذهب

٣) قال محمد الادريسي في كتاب « نزهة المشتاق » وهو من حجّاج بيت المقدس في اواسط القرن الثاني عشر: « اذا خرجت من باب صهيون وسرت مقدار رمية حجر وجدتَ كنيسة صهيون وهي كنيسة جليلة حصينة وفيها العلّيّة التي اكل فيها السيد المسيح مع التلاميذ وفيها المائدة باقية الى الآن ولها ميادٌ في يوم الخميس » ... Elementa Grammaticae Arabicae Auctoribus PP. A. Durand et L. Cheikho S. J., *Beryti*, 1896, p. 367-68. ذكر ايضاً هذه المائدة علي بن ابي بكر الهرَوي بعد ان زار بيت المقدس سنة ١١٧٣ م Archives de l'Orient Latin, *Paris*, 1881, t. 1, p. 604. وقال سراج الدين عمر بن الوردي وهو من ادباء القرن الرابع عشر: « وبجنوب بيت المقدس كنيسة صهيون وهي التي فيها العلّية يقال ان المسيح اكل فيها مع حواريه من المائدة لمّا أُنزلت عليه ويقال ان المائدة باقية فيها وهي كنيسة حصينة ». (خريدة العجائب وفريدة الغرائب. طبعة القاهرة سنة ١٣٠٩ ص ٢٢)

٤) كتب العلامة المقريزي قبل اواسط القرن الخامس عشر ان السيد المسيح: « بعد الاربعين يوماً من قيامه صعد الى السماء والحواريون يشاهدونهُ فاجتمعوا بعد رفعه بعشرة ايام في علية صهيون التي يقال لها اليوم صهيون خارج القدس وظهرت لهم خوارق (عجائب) فتكلّموا بجميع الالسن فآمن جم فيما يُذكر زيادة على ثلاثة آلاف انسان » (كتاب الخطط والآثار ٢ : ٤٨٢)

٥) قال ابن الاثير: « انني رأيتُ بالبيت المقدس ساريةً من الرخام ملقاةً في بيعة صهيون ليس يوجد مثلها الخ » (تاريخ الكامل ١٢ : ١٦٢). وقد زار بيت المقدس سنة ٦٠٣ او قُبيلها كما يؤخذ من كلامه (تاريخ الكامل ١ : ١٤٤)

على قبر النبي داود لما اغفلوا زيارتهُ ووصفهُ . — لا نعلم كاتباً مسلماً اشار الى مدفن في جبل صهيون قبل اواسط القرن ١٥ غير المقدسي والثعالبي المتقدّم ذكرهما . واما سائر الكتبة فمنهم من اغفل ذكرهُ ومنهم من نظمهُ بين المزارات البعيدة من كنيسة صهيون كما سيأتي بيانهُ (١

٢ قبر داود في كنيسة الجماية

قال وهب بن مُنبّه وهو من ادباء القرن الاوّل للهجرة : « دُفن داود بالكنيسة المعروفة بالجيماية شرقي بيت المقدس في الوادي » . نقل كلامهُ مجير الدين (ص ١٠٥) وعبد الغني النابلسي (ص ٤٢) ولم يتعرّضا لتخطئته

فرغ المسعودي من تصنيف كتابهِ « مروج الذهب سنة ٣٣٦ هـ قال فيهِ بعد ان ذكر كنيسة القيامة : « وهي الكنيسة العظمى في بيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظّمة ببيت المقدس منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود (اي في مزاميرهِ) والكنيسة المعروفة بالجمانيّة ويزعمون ان فيها قبر داود عم » (طبعة باريس ١ : ١١١) . وكنيسة الجمانية عند كتبة العرب النصارى والمسلمين انما هي المشيدة على قبر سيدتنا مريم العذراء

٣ قبر داود في بيت لحم

ذكر علي ابن ابي بكر الهرّوي انهُ شاهد شرقي طبريّة على ساحل البُحيرة قبرًا

---

١) قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ الذي جمعهُ في القرن الثالث للهجرة : « ثم توفي (سليمان) ودُفن الى جانب قبر داود » (طبعة ليدن سنة ١٨٨٣–١ : ٦٤) . غير انهُ لم يعيّن مكان هذا القبر أهو في صهيون او في محل آخر قريب او بعيد عن بيت المقدس . وقال ابن عبد ربه الاندلسي وهو من ادباء القرن الثالث للهجرة : « أوصى آدم وموسى ويوسف وجميع انبياء بني اسرائيل صلوات الله عليهم ان يُدفنوا ببيت المقدس » (العقد الفريد ٣ : ٢٠١) فكلامهُ يشعر بان مدفن داود وسليمان في بيت المقدس غير ان عبارتهُ لا تخلو من المبالغة بل من الفساد الواضح لان موسى وهرون ويوسف واخوتهُ ويشوع بن نون ويونان النبي واكثر انبياء بني اسرائيل قد دُفنوا خارج بيت المقدس على ما نقلهُ مؤرخو المسلمين انفسهم . وعلى كلٍّ فلم يدّعِ ابن عبد ربه ان قبر داود في كنيسة صهيون . وهذا الانتقاد يجري ايضًا على ما نقلهُ مجير الدين عن كعب « ان بيت المقدس ألف قبرٍ من قبور الانبياء » (كتاب الانس الجليل ص ٢ ٠٨)

منسوباً الى سليمان بن داود. ثم عقبهُ بقولهِ: والصحيح ان قبر سليمان وداود هو في بيت لحم « داخل المغارة التي فيها وُلد عيسى بن مريم »(١

صنَّف ياقوت الحموي كتاب « معجم البلدان » في اوائل القرن الثالث عشر وقال في ترجمة « بيت لحم » ويقال ان فيها قبر داود وسليمان ». وقال في ترجمة « طبريَّة »: ان هذا القبر كان داخل مغارة الميلاد كما سنذكرهُ. وقال ايضاً ابن خلدون في تاريخهِ الذي ألَّفهُ في اواخر القرن الرابع عشر: « ثم قُبض (داود النبي) صلوات الله عليهِ ودُفن في بيت لحم »(٢

٤ قبر داود في ذيل جبل لبنان

افادنا عبد الغني النابلسي في رحلتهِ القدسيَّة انهُ زار قبر داود في كنيسة صهيون. لكنهُ قال في هذه الرحلة عينها: « ويقال ان قبر داود في بلاد البقاع في ذيل جبل لبنان وقد زرناهُ ايضاً كما ذكرنا ذلك في رحلتنا المسماة بحلَّة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز »(ص ٤٢)

٥ قبر داود في قرية مَشْحَلا

ورد في معجم البلدان لياقوت: « مَشْحَلا بالحاء المهملة والقصر قرية من نواحي عَزاز من اعمال حلب يقال ان فيها قبر داود النبي عم » . وفيهِ ايضاً ان عَزاز (او اعزاز) « هي بُليدة فيها قامة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم » . واما ابن شحنة وهو من مؤرخي القرن ١٥ فقد نقل ان « بقرية مشحلا من عمل اعزاز قبر اخي داود عليهِ الصلاة والسلام »(٣ وسكت عن قبر داود

٦ قبر داود في ارض مكَّة

لم اقف على نص عربي في ان قبر داود الملك يُزار قريباً من مدينة مكَّة. ولكن نقل ذلك العلَّامة دي ڤوكوي في كتاب جليل عنوانهُ « كنائس الارض المقدَّسة » (٤

---

١) Archives de l'Orient Latin, t. 1, pp. 593, 605

٢) كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر ٢ : ١٧

٣) الدرُّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب. طبعة بيروت ١٩٠٩ ص ١٧

٤) Les Eglises de la Terre Sainte, p. 329

الفصل الثاني

في قبر سليمان

١ هو في كرسي سليمان

قال عبد الغني النابلسي بعد ان زار « باب الرحمة وباب التوبة » (la porte dorée) في سور بيت المقدس الشرقي: « ثم ذهبنا الى المكان الذي يقال لهُ « كرسي سليمان » في مؤخر الجامع من جهة الشرق. وفيه قبّة بداخلها صخرة كبيرة ثابتة تشبه القبر لاصقة بالسور يقال انها الصخرة التي وقف عليها سليمان بعد انتهاء البناء (اي بناء الهيكل). وذكر لنا بعضهم ان هناك دُفن نبي الله سليمان » (ص ٣٨ و ٣٩).

وهذا المذهب مبني على حكاية رواها الطبري والثعلبي والزمخشري وابن الاثير والبيضاوي والدميري(١ ومجير الدين وغيرهم. قال الزمخشري في « الكشّاف » في اثناء شرحه لسورة سبا (ج ٢ ص ٢٢٨):

« رُوي انهُ كان من عادة سليمان عم ان يعتكف في مسجد بيت المقدس المُدّد الطوال. فلما دنا اجلهُ لم يصبح الّا رأى في محرابهِ شجرة نابتة قد أنطقها الله فسألها: لايّ شيء انتِ. فتقول: لكذا. حتى اصبح ذات يوم فرأى الخرُّوبة فسألها فقالت: نبتُّ لخراب هذا المسجد. فقال: ما كان الله ليخربهُ وانا حيّ انت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فقرعها وغرسها في حائط لهُ وقال: اللهمَّ عمِّ على الجنّ موتي حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب. لانهم كانوا يسترقون السمع ويوهمون على الانس انهم يعلمون الغيب. وقال للملك الموت: اذا أمرت بي فأعلمني. فقال: أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة. فدعا الشياطين فبنوا عليهِ صرحاً من قوارير ليس لهُ باب فقام يصلي متكئاً على عصاه فقبض روحهُ وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ايضا صلّى فلم يكن شيطان ينظر اليهِ في صلاته الّا احترق فرَّ بهِ شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خرَّ ميتاً ففتحوا عنهُ فاذا العصا قد اكلتها الأرَضة فأرادوا ان يعرفوا وقت موتهِ فوضعوا الارَضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارًا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوهُ قد مات منذ سنة »

يذهب المسلمون الى ان « الصرح » الذي بنتهُ الشياطين لسليمان فوُجد فيه ميتاً كان عند الجبل الذي يُقال لهُ اليوم « كرسي سليمان ». وعليهِ فكان هذا « الكرسي »

١) حياة الحيوان الكبرى في ترجمة « دابة الارض » ج ١ ص ٣٧٩

ضريحاً له مدّة سنة كاملة. ثم منهم من قال ان سليمان لا يزال مدفوناً هنـاك. ومنهم من رأى انه نُقل الى الجسمانية او لغيرها من الاماكن الآتي ذكرها

٢ قبر سليمان في الكنيسة الجسمانية

سبق القول بانهُ جاء في كتاب الانس الجليل لمجير الدين: «ونُقل انَّ قبرهُ (اي سليمان) بالبيت المقدس عند الجسمانية وانه هو وابوهُ في قبر واحد» (ص١٣٢ و٢٠٩). ولعلَّ مجير الدين نقله عن وهب بن مُنبّه الذي ذهب الى ان قبر داود في كنيسة الجسمانية

٣ قبر سليمان في باب الصخرة الشمالي

قال مجير الدين: «البلاطة السوداء وهي التي من داخل الباب الشامي من ابواب الصخرة ويُعرف هذا الباب بباب الجنَّة.. ويقال ان قبر سليمان عم بهـذا الباب» (ص٢٠٩) (١

٤ قبر سليمان في بيت لحم

لقد جزم علي بن ابي بكر الهرَوي ان سليمان دُفن مع ابيهِ داود داخل المغارة التي وُلد فيها السيد المسيح على ما اسلفنا بيانه. والى ذلك ذهب ايضاً ياقوت صاحب معجم البلدان قال في ترجمة طبريَّة: «والمشهور انهُ (اي قبر سليمان) في بيت لحم في المغـارة التي (بها) مولد عيسى عم». وكذلك كتب ابن خلدون في تاريخهِ: «قُبض سليمان ودُفن عند ابيهِ داود» (٢: ٩٩) اي في بيت لحم كما صرَّح بهِ قبل ذلك بصفحتين

٥ قبر سليمان في طبرية

اختلف اصحاب هذا المذهب فجعلوا قبر سليمان في مدينـة طبريَّة او على ساحل بحيرتها او في وسط البحيرة او في شرقيها

في ١٣ ايلول سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) سافر الرحَّالـة ابن جُبَير الاندلسي من دمشق الى عكَّا على طريق بانياس فلم يعاين طبريَّة ولا بحيرتها ولكن بلغه انه «فيهـا قبور كثيرة من قبور الانبياء صلوات الله عليهم كشُعَيب وسليمان ويهوذا ورُوبيل رابنـة

١) وصف عبد الغني النابلسي البلاطة السوداء بقولهِ: «ثم توجَّهنـا من الباب الشمالي المشهور بباب الجنَّة ووقفنا عند البلاطة السوداء ووجدنا فيهـا مسامير من الفضَّة يزعم الناس انهُ في كل سنة يغيب مسمار فاذا غاب الجميع قامت الساعة. ويقولون انها بلاطة الجنَّة» (ص٣٨)

شُعَيب زوج الكليم موسى وغيرهم » (١. وكانت هذه القبور في « مسجد الانبياء » على على ما رواهُ الرحّالة ابن بطوطة الذي زار مدينة طبريّة سنة ١٣٢٦ م فقال: « بطبريّة مسجد يُعرف بمسجد الانبياء فيهِ قبر شعيب عم وبنتهِ زوج موسى الكليم عم وقبر سليمان عم وقبر رُوبيل » (طبعة باريس ١ : ١٣٢)

تقدَّم ان الهَرَوي شاهد شرقيَّ طبريَّة على ساحل بحيرتها قبر سليمان فأنكر صحَّته. وقال الاسحاقي ان سليمان « بينما هو متكئ على عصاهُ فمات على ساحل بحيرة طبريَّة (٢) »

واما ياقوت والقزويني والدمشقي فنقلوا ان قبرهُ في وسط البحيرة. قال ياقوت في ترجمة « بحيرة طبريَّة » : « وفي وسط هذه البُحَيرة حجرٌ ناتئ يزعمون انهُ قبر سليمان وداود عم ». وقال في ترجمة طبريَّة : « وفي وسط بحيرتها صخرةٌ منقورة قد طبقت بصخرة أُخرى تظهر للناظر من بعيد يزعم اهل النواحي انه قبر سليمان بن داود عم ». لكنه نقل بعد ذلك بصفحتين : « وبطبريَّة من المزارات في شرقي بحيرتها قبر سليمان بن داود عم والمشهور انهُ في بيت لحم في المغارة التي بها مولد عيسى عم ». وقال زكريَّا بن محمَّد القزويني وهو من كتبة القرن ١٣ م : « تُخيَّل في وسط هذه البحيرة صخرةٌ منقورة طبقت بصخرة أُخرى تظهر للناظرين من بعيد يزعم اهل النواحي انها قبر سليمان (٣) ». والظاهر ان عبارتهُ هذه منقولة عن معجم ياقوت. وقال شمس الدين الدمشقي وهو من كتبة القرن ١٤ م : « يقال ان في البحيرة قبر سليمان بن داود عم » (٤)

٦ قبر سليمان في جزيرة اندمان

في خليج بنكالا شماليَّ جزائر نيكوبار وجزيرة سومطرة وغربيَّ الهند الصينية مجموع جزائر يُعرف « بجزائر اندمان » منها اندمان الكبيرة واندمان الصغيرة قال بُزُرك الرام هُرمُزي : « وبأندمان الكبيرة بيت كبير من الذهب فيهِ قبرٌ » يعظمهُ اهل اندمان ولشدَّة تعظيمهم اياهُ بنوا عليهِ بيتاً من الذهب واهل الجزيرتين يزورونهُ ويقولون انهُ قبر سليمان بن داود عم وانهُ كان دعا الله عزَّ وجلَّ ان يجعل قبرهُ حيث لا يصل اليهِ

١) رحلة ابن جُبَيْر. طبعة ليدن سنة ١٩٠٧ (ص ٣٠٩)
٢) كتاب أخبار الأوَّل الخ. طبعة مصر سنة ١٣٠٣ (ص ٣٠)
٣) كتاب آثار البلاد طبعة F. Wüstenfeld (ص ١٤٥)
٤) كتاب نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر. طبع في بطرسبورغ سنة ١٨٦٥ (ص ٢١٣)

اهل ذلك العصر وانَّ الله تعالى خصَّهم بهِ فجعل قبرهُ عندهم » (١ وهذا اغرب المذاهب

فيتَّضح من كل هذه الشواهد انَّ كتبة العرب تردَّدوا في تعريف موقع قبر النبيَّين داود وسليمان. وانَّ الذين جعلوهُ في جبل صهيون لم يصرّحوا بكونهِ في كنيسة صهيون قبل القرن الخامس عشر. وذلك ما اردنا بيانهُ

مصالح دول اوربَّة على ساحلَي البحر الاحمر

لمحة تاريخية بقلم الكافلير عبدالله رعد

سر اجزاني البلاط الامبراطوري في الحبشة (تابع)

بعد ان احتلَّت فرنسة مدينة أبخ وتوابعها كما ألمنا فريق هذا اخذ التجار الفرنساويون يفتحون المحلَّات ويوسعون تجارتهم طمعاً منهم بعقد العلاقات مع الحبشة وقد ساعدتهم حكومتهم على ذلك واستعملت كل ما بوسعها من الوسائط لتسهّل لهم طريق القوافل الى الشوا. من ذلك ان حاكم وقومندان موقع أبخ المسيو لاغارد الذي تعيَّن بعد ذلك سفيراً لدولتهِ في اديس ابابا امضى مع مشائخ القبائل عدَّة معاهدات لهذه الغاية دونك اهمَّها

١ً معاهدة ٩ آب سنة ١٨٨٦ مع سلطان غوباد

المادة الاولى — يتعهَّد احمد لوعيتا سلطان غوباد ان يحمي الفرنساويين وقوافلهم ورجالهم في كل ارضهِ ويفتح لهم اجود الطرق ويسهل لهم كل ما بوسعهِ من التسهيلات لابتياع الجمال والبغال والذخائر. وان يمنع عنهم تعدي رجال قبائلهِ من حدود أبخ الفرنساويَّة حتى حدود قبائل القوسي ولا يتقاضاهم سوى الجزية المعيَّنة في المادة الثانية من هذا الصك

المادة الثانية — للسلطان احمد لوعيتا الحق ان يستوفي على كل اوربي يمرّ في بلادهِ ريالًا واحداً وكذلك يتقاضى ريالًا واحداً عن كل جمل محمّل من قوافل الاوربيين

١) كتاب عجائب الهند. طبعة لبدن ١٨٨٣–١٨٨٦ (ص ١٢٤). والظاهر ان تأليف هذا الكتاب كان في القرن العاشر للمسيح

المادة الثالثة — في دفع هذه الجزية يستطيع الفرنساويون المسافرون ان يستقوا ماء من الآبار التي يصادفونها في طريقهم من دون ان يطالبوا بدفع خراج آخر. وان اراد احد منهم ان يحفر جبًا في موضع يظنُّ انهُ يجد فيهِ ماء فلا يُمنع من ذلك

المادة الرابعة — يتعهد السلطان احمد لوعيتا ان يسوّل للفرنساويين طرائق مشترى الاملاك في عموم بلادهِ وتشييد البنايات من اي نوع كانت وحفر الآبار والاقنية وجميع الاشغال التي يرونها موافقة ولازمة لصوالحهم ويعمل ما بوسعهِ لانجاح مشروعاتهم

المادة الخامسة — اذا حدث خلاف بين احد الفرنسويين واحد رعايا السلطان يُرفع الامر الى حاكم مستعمرة أبخ الفرنساويَّة وهذا الحاكم يصلح ذات البين بينهما . واما اذا لم يكن هناك صلح مستطاع فان الحاكم يخابر السلطان ويتفق معهُ على حكم عادل تنتهي بهِ القضية

المادة السادسة — يتعهد السلطان بان لا يوافق على صكّ ولا يوقع على معاهدة مع الاوربيين من دون رضى حاكم أبخ الذي من خاصياتهِ ان يوقع ايضاً مع السلطان على مثل هذه المعاهدات

المادة السابعة — اذا قام خلاف بين حكومة مستعمرة أبخ والسلطان على تأويل منطوق هذه المعاهدة فيكون التعويل عند ذلك على النص الفرنساوي

حرّر في أبخ في ٩ آب سنة ١٨٨٤ التواقيع

ليونس لاغارد (Léonce Lagarde) السلطان احمد لوعيتا سلطان غوباد

---

٢ معاهدة ٢١ اب سنة ١٨٨٥ مع المذكور

المادة الاولى — لكي تكون علائق الوداد متينة بين السلطان احمد لوعيتا والحكومة الفرنساويَّة فالسلطان احمد يعترف باسمه وباسم خلفائهِ من بعدهِ انهُ اقطع بلاده بكاملها لحكومة جمهوريَّة فرنسة

المادة الثانية — تتعهَّد حكومة جمهوريَّة فرنسة ان تحمي السلطان احمد من معاداة جميع الغرباء

المادة الثالثة — فيما خلا قضايا الدناكل التي تخصّ السلطان وحده يتعهد احمد

لوعيتا ان لا ينظر الى قضيّة ولا يحكم حكماً باتاً بشيء مهما كان الّا بعد رضى وكيل حكومة الجمهوريّة

المادة الرابعة — اذا ارتأت حكومة الجمهوريّة ضروريًا ان تفتح طريقًا للقوافل الى قبة الحراب فالسلطان احمد يتعهد بان يستخدم قوافلهُ الخاصّة لهذا الشأن ويتفق مع مشايخ القبائل الاخرى لكي يكون مرور هذه القوافل بامان وانتظام

المادة الخامسة — اذا قام خلاف على تأويل معنى هذه المعاهدة فالنصّ الفرنساوي هو المعوّل عليه

حرّر في أبخ في ٢١ اب سنة ١٨٨٥ التواقيع

ليونس لاغارد السلطان احمد لوعيتا سلطان غرباد

---

٣ معاهدة ٢١ ايلول سنة ١٨٨٤ مع سلطان تجرّه المصادق عليها من نظارة المستعمرات بتاريخ ١٠ ك ١ سنة ١٨٨٤

المادة الاولى — يكون من الآن وصاعدًا سلام دائم بين حكومة فرنسة والسلطان احمد بن محمد سلطان تجرّه

المادة الثانية — يقطع السلطان احمد بلاده لحكومة فرنسة لكي تحميه من معاداة الغرباء

المادة الثالثة — تتعهّد الحكومة الفرنساويّة ان لا تغيّر شيئاً من دستور وقواعد السلطان احمد بن محمد

المادة الرابعة — السلطان احمد بن محمد يتعهد باسمه وباسم خلفائهِ من بعده ان يسهّل للفرنساويين وسائط مقتنى الاملاك وبناء البيوت

المادة الخامسة — يتعهد احمد ان لا يوقع على معاهدة مع اي حكومة كانت بدون مشورة ورضى وكيل الحكومة الفرنساويّة الذي هو قومندان أبخ

المادة السادسة — تتعهد الحكومة الفرنساويّة ان تعطي السلطان احمد مشاهرة مالية قدرها مائة ريال وكذلك تعطي ايضاً ثمانين ريالًا في كل شهر لوزيره

المادة السابعة — اذا قام خلاف على تأويل منطوق هذه المعاهدة يعوّل على النص الفرنساوي

حرّر في مدينة تجرّه في ٢١ ايلول سنة ١٨٨٤ التواقيع

ليونس لاغارد (١ السلطان احمد بن المرحوم السلطان محمد

وهكذا بعد ان وسّعت فرنسة على هذه الصورة مستعمرتها أبخ دعتها « مستعمرة ساحل الصومال الفرنساوي » وابقت قاعدتها مدينة أبخ الّا انهـا بعد ذلك ولاسباب يضيق بنا إطار المقالة عن سردها نُقلت قاعدتها هذه الى جيبوتي فتحسنت المستعمرة بهذا النقل ولم تزل بتحسين متواصـل السنة بعد الاخرى وخصوصاً بعد مدّ الخط الحديدي منها الى الحبشة وهذا الخط الحديدي كان ضربةً قاضية على بقيّة المستعمرات المجاورة من حيث الاهمية التجاريّة . قد سبق لنا الكلام غير مرة عن وصف هذا المرفأ الفرنساوي في المشرق الاقرب فليس بالاعادة افادة . الّا اننا نختم مقالتنـا هذه بتعريف هؤلاء الصومال الذين يقطنون تلك المستعمرة الفرنساويّة المعروفة باسمهم وبوصف شيء من عوائدهم

قبائل الصومال

الصومال واشهرهم قبيلة العيسى القاطنـة مستعمرة ساحل الصومال الفرنساوي عبيد افريقيون يغلب عليهم الاسلام الّا انهم لا يعرفون من هـذا الدين الّا الاسم ومن قرأ القرآن منهم قليل جداً . لهم لغة لا تُقرأ ولا تُكتب وانما يتناقلهـا البنون عن الاباء بالتقليد . عندهم اصول عزّة النفس وشواعر الشرف ويحترمون الشيوخ والجاذيب

١) المسيو ليونس لاغارد هذا الموقع باسم دولة فرنسة على هذه المعاهدات وعلى كثير غيرها مع جلالة الامبراطور منليك الثاني نجاشي الحبشة وُلد في ١٠ تشرين الاوّل سنة ١٨٦٠ . ثمّ جُعل ملحقاً في سفارة دولته لدى الكرسي الرسولي من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٢ . ثم وكيلاً لرئاسة قلم الاشغال السياسية الخارجية في ولاية الهند الصينيـة من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٣ . ثم ملحقاً في غرفة كاتم اسرار نظارة البحريّة والمستعمرات في ايلول من تلـك السنة . ثم كوميسيراً خارق العادة لتحديد تخوم مستعمرة ابخ في كانون الاوّل من تلك السنة وأُعطي وسام الاكاديميـة من درجة ضابط . ثم والياً على مستعمرة أبخ في ٢٤ حزيران سنة ١٨٨٤ وأُعطي وسام جوقة الشرف من درجة فارس في شهر حزيران سنة ١٨٨٦ ثم سُلّمت اليه مقاليد قنصلاتو دولته في زيلع وهرر سنة ١٨٨٨ واعطي وسام جوقة الشرف من درجة ضابط في تموز سنة ١٨٩١ . ثم سمي قنصلاً جنرالاً في تموز سنـة ١٨٩٢ ومعتمداً فخرياً في ١٣ اذار سنة ١٨٩٥ . ثم مديراً لقلم الاعمال السياسية والتجارية في نظارة المستعمرات ثم كاتم اسرار تلك النظـارة في ٢٣ ايلول سنة ١٨٩٦ . ثم أُرسل سفيراً الى الحبشة في ١٥ حزيران سنة ١٨٩٧ فبقي في وظيفته هذه حتى اواخر كانون الاوّل سنة ١٩٠٧ فعاد الى فرنسة وأُحيل على المعاش

ويمتنون الاجانب. واذا مرّ صومالي بقرب مدافن الاموات يقف هنيهةً ويصلّي الفاتحة ثم يرمي بحجر فوق القبر ولذلك تُصبح مدافنهم بعد مدّة اكواماً من الحجار والحصى. وعاداتهم بالتزوّر كعادات العرب بالتمام وهم لا يغزون الّا القبائل المعادية لهم والغرباء واذا سطا احدهم على مواشي ومقتنيات القبائل المسالمة فان المشايخ ورؤساء القبيلة يعاقبونهُ اصرم العقابات

واذا ولد لاحدهم ولد ذكر اجتمعت العائلة والانسباء وذبحوا الذبائح كلٌّ حسب طاقته واقاموا المهرجانات والافراح والرقص ثم يرشّون البيت وابا الصبي بالرمل كأنهم يطلبون ان تكون ذريّتهُ بعدد حبّات ذلك الرمل . وتلك المهرجانات تعاد ايضاً بعد الولادة باربعين يوماً وكذلك يوم الختانة ويصنع ايضاً تذكار هـذا المهرجان عند ما يكهل الرجل ويدخل في الاربعين من سني عمره . وهم لا يأتون بذرّة من مثل هذه الاعياد اذا كان المولود ابنة

امّا الزواج عندهم فيصير على هذه الصورة: اذا رأى الشاب صبيّة حسنت بعينهِ يخبر عنها اباهُ وامهُ وكبار عائلتهِ وهؤلاء يأخذون لها ثوباً ولابيهـا شاةً وربطة تبغ ويخطبونها ثم يتفقون على مهرها وهو في الغالب اثنتا عشر ناقة الى العشرين ويقوم مقام الناقة الواحدة في دفع هذا المهر بقرتان او اثنا عشر راس من الغنم او اربعة عشر راس من الماعز. ومتى تمّ دفع المهر المتفق عليهِ يعيّن اهل الخطيب يوم العرس . . فاذا حان هذا اليوم ذهب الخطيب مع رفقتهِ واقام على مقربةٍ من مضرب عروسهِ حيث يغرس عوداً اخضر فيرى ذلك اهل العروس ويأتون وهم "يزلغطون" وينصبون كوخاً من الهشيم حيث غرس العريس عوده وعند المساء يصير مهرجان العرس. فيـأتون بالعروس بين الرقص واصوات الاهازيج الى الكوخ الجديد الذي بُني في ذلك اليوم وكذلك اهل العريس وذووهُ يأتون بمثل هذا الاحتفال حتى اذا وصل الفريقان امام الباب تُذبح الذبائح بين ارجلهم ويُكتب الكتاب . حينئذٍ يدخل العريس الكوخ ويخرج وفي يدهِ قضيب فيضرب بهِ عروسهُ على ظهرها وبذلك اشارة الى انها صارت تحت حكمهِ ثم يمسك بيدهـا ويدخلان الى ذلك الخدر فيمكثان هنيهة ثمّ يخرجان الى البـاب حيث يكون قد أُحضر لهما خروف ابيض حولي فيضرب العروس عروسته ضربتين بقضيبهِ ويجعل قوائم الخروف في قبضتها. اما هو فيسحب خنجرهُ ويذبح الخروف ويسلخ ثم يقدّ سيراً من جلد

رجلهِ اليسرى ويربط بهِ معصمهُ الايمن وساقهُ الايسر وكذلك تأخذ العروس سيرًا آخر من هذا الجلد وتربط بهِ رقبتها ومعصمها وبعد ذلك يعود الجمع الى الهرجان ويُطبخ الخروف الحولي في الحال ويأكل منهُ كلٌّ من هناك قطعةً ثم يضمون عظام سلسلة الظهر وقفص الصدر على عصا ويركزون هذا العصا في البيت سبعة ايام تقوم بها افراح العرس حتى اذا انتهت أُتي بقصعة من لبن حليب وغُمس فيها طرف هذه العظام فيشرب من الحليب قبل الجميع شاب عمره بين العشرين سنة والثلاثين ابوه وامه حيّان ثم يوزّع بقيّة اللبن على الحاضرين وهي نهاية افراح العرس فيغيّر العروس لباسها واحذيتها ثم يوصَد عليهما الباب ويُفتح في الحال باب آخر للكوخ من الناحية الاخرى فيخرجان منهُ ويودّعان الجماعة الملتئمة في العرس

واذا حدث ان توفيت المرأة جاز للرجل زوجها ان يطلب من ابيها او اخوتها ما كان دفعهُ لهم من المهر عن المرأة المتوفاة او يُعطونهُ زوجةً من ذلك البيت اخت المتوفاة ام احدى قريباتها بلا دفع مهر آخر . وقد يحدث ان لا تسرّه حالة امرأتهِ فيأخذها عند ذلك ابوها الى بيتهِ ويبقيها عنده اسبوعين كاملين ينظر بعد انقضائهما الى شكوى صهرهِ فاذا لم يتوفّقا الى الاصطلاح يستطيع الاب ان يعطي صهره ابنةً اخرى من بناتهِ ويسترجع الاولى . اما الطلاق فيصير عندهم امام مشايخ القبيلة على قدر ما يعلمون من الشريعة الاسلاميّة

هذا وفي حالة المرأة عندهم في بيت زوجها او الصبية في بيت ابيها شيءٌ من الحريّة اكثر مما هو جارٍ عادةً في غيرها من بلاد الاسلام فانها تخرج بلا ازار ولا لثام وتظهر امام الغرباء عن آل بيتها على هذه الحالة . وهي تلبس نوعًا من القميص مخزومًا في وسطهِ عند الخصر ليس لهُ صدر ولا اكمام بل ان ظهرهُ مستطيل الشكل يُلف على اكتف الشمال كالقدّة تاركًا الثديين والصدر والعنق ونصف الظهر كشفًا بلا ستار . والفتيات هنَّ في الغالب جميلات الملامح مفتولات الاعضاء نحيفاتها في صباهنَّ الا ان التعب ونوع المعيشة القشفة القاسية لا يمكّان ان يغيّرا ملامحهنَّ بسرعة فتبشع هيأتهنَّ

وفي الملات يُغسَّل عادةً الميت ويُدفن جالسًا القرفصاء اذا كان رجلًا ثم تذبح الذبائح على قبره واذا كان الميت امرأةً دُفنت نائمة على ظهرها ولا يُذبح لها ذبيحة

سلسلة اساقفة دمشق الملكيين

لحضرة الخوري الفاضل الاب كيرلس شارون

انَّ كنيسة دمشق من اقدم كنائس النصرانية بلا مراء لنا شاهد على ذلك لا تُرَدّ شهادتهُ وهو سفر اعمال الرسل حيث يذكر قدوم بولس الى تلك المدينة قبل تنصُّرهِ ليضطهد التلاميذ الذين فيها. ولا نشطُ قولًا اذ ما قلنا انَّ الرسل اقاموا في تلك الحاضرة اساقفةً ليدبروا المؤمنين ويرشدوهم. امَّا اسماء اولئك الرعاة فلم تحفظ في سجلٍ ثابت في الاجيال الثلاثة الاولى. بيد انَّ الكتاب المنسوب زورًا الى القديس دوروثاوس السوري يزعم — وليس لزعمهِ سندٌ — بانَّ حنانيا التلميذ الذي عمّد بولس الرسول بعد اهتدائهِ انما كان اسقفًا على دمشق (١ . فاضربنا عن ذكرهِ لضعف السند

١ (مغنوس) هذا اوَّل راعٍ لدمشق ذكرتهُ لنا الآثار باسمهِ كان في عهد المجمع النيقاوي واسمهُ مدوَّن في جملة الآباء الذين حضروا ذلك المجمع المسكوني سنة ٣٢٥ (٢ وقد ورد اسمهُ ايضًا بعد ذلك في من حضروا مجمع انطاكية سنة ٣٤٠ تجدهُ في جدول اسمائهم اللاتيني (٣

٢ (فيليبُّوس) قد امضى فيليبُّوس هذا اعمال المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١ (٤

٣ (يوحنَّا) كان يوحنا اسقف دمشق أحد المحتجين على آباء واعمال مجمع أفسوس سنة ٤٣١ (٥ ومضى في من مضوا الى القسطنطينية ليرفعوا الدعوى الى الامبراطور (٦

---

١) اطلب اعمال اباء اليونان لمين (Migne, PP. GG.,XCII, col. 1061)

٢) اطلب جدول اباء نيقة (Gelzer: *Patrum Nic. nomina*,p. 63)

٣) اطلب مجموع اعمال المجامع لمانسي (Mansi,II,1307)

٤) اطلب المجمع السابق (Mansi, III. 568)

٥) في المجموع عينهِ (Mansi, IV, 1209)

٦) فيهِ (Mansi, V,973) اطلب ايضًا (Synod. adv. trag. Irenæi. c. 13)

٤ (ثاودورس) خلف حنّا المارّ ذكرهُ ثاودورس وقد روى سيامتهُ على دمشق يوحنا البطريرك الانطاكي في رسالتهِ الى بروكلس البطريرك القسطنطيني (١ . وفي السنة ٤٤٥ للميلاد حضر ثاودورس المذكور مجمعاً عقدهُ البطريرك دومنوس في انطاكية للنظر في دعوى اثناسيوس اسقف بارا (Perrha) المجاورة لانطاكية . واسم ثاودورس هذا وارد في جملة الذين أمضوا اعمال المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ (٢

٥ (يوحنّا) لما قُتل بروتاريوس الاسكندري (٣ بدسائس المشايعين لبدعة الطبيعة الواحدة سنة ٤٥٧ كتب الامبراطور لاون رسالةً الاساقفة يطلب منهم ان يفيدوهُ عن هذا الحادث ويبيّنوا لهُ رأيهم في المجمع الخلقيدوني . فتتن اجابوا الى سؤال الملك يوحنّا اسقف دمشق (٤

٦ (بطرس) دبّر كرسي دمشق في عهد الملك انستاس الاوّل (٤٩١—٥١٨) والبطريرك الدخيل ساويروس (٥١٢—٥١٨) فابى ان يشترك مع الدخيل ثم خاف من اضطهاد الملك فهرب الى جهات فلسطين (٥

٧ (توما) اقام البطريرك الدخيل ساويروس على دمشق بعد اعتزال بطرس اسقفها مُشايعهُ توما كما ذكر ابن العبري (٦ ويوحنا الاسيوي كما روي في تاريخ ميخائيل الكبير (٧ . ويؤخذ من هذا التاريخ بان توما المذكور مات قبل نهاية بطريركية ساويروس اعني قبل سنة ٥١٨

وقد وهَم لوكيان في الشرق المسيحي (٨ حيث قال انهُ خلف توما رجلٌ يُدعى زكريا كان لهُ تلميذ يسمى توما ويعيّد لهُ الاحباش في كلندارهم في ٣٠ تشرين الثاني . وقد وجدنا في السنكسار اليعقوبي في ٤ هتور (٣١ تشرين الاوّل) قديساً يدعونهُ توما

١) في الكتابين السابقين (Mansi V, 973) ثم (Synod . . . c . 197)
٢) اطلب مانسي (Mansi VII,325)
٣) فيه (Id . VI,568)
٤) فيه (Id . VII . 559)
٥) اطلب تاريخ ايفاغريوس (Evagre, III . 33;PP GG . XCVI . col . 2092)
٦) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani, B.O., II. 327)
٧) اطلب تاريخهُ (T . II. p. 171,ed . Chabot)
٨) اطلب (Lequien:*Or. Chr.* II . 836)

اسقف دمشق مات قتلاً بامر احد الخلفاء اذ أبى ان يدين بالاسلام. لكنَّ توما هذا عاش بعد توما الذي نحن بصدده بزمان وكان من الشيعة اليعقوبيَّة لوروده في السنكسار اليعقوبي. وعلى كل حال ليس هو توما المذكور آنفاً

٨ (استاتيوس) مطران دمشق معروف بتوقيعه على اعمال المجمع المسكوني الخامس والقسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣ (١

٩ (جرمانوس) ورد في تاريخ تاوفان (٢ وفي تاريخ تاوفيلقطس سيموكاتا (٣ انهُ حدث في عهد الملك موريق شغب بين جنود حرب الفرس فعزل الصساكُ قائدهم بريسكوس واختاروا بدلاً منهم جرمانوس مشير مدينة الرها على ما روى تاوفان وقد ذكر المؤلف نفسهُ بان بريسكوس قبل عيد الفصح بقليل دعا الى العسكر لحفلة العيد اسقفَ الرهسا. اما تاوفيلقطس فيزعم انَّ الاسقف المذكور كان مطران دمشق المسمى جرمانوس وكان حينئذٍ في الرهسا. ثم يروي خبر الشغب العسكري وانتخاب جرمانوس دون ان يوضح شيئاً عن مقامهِ ورتبتهِ واما نهُ خلط بين الاسماء فتروي قولهُ بالاحتراس

١٠ (*) لما دخل العرب الى دمشق في اوائل من سنة ٦٣٥ تحت قيادة ابي عبيدة وخالد بن الوليد توسَّط في الامر مطران تلك الحاضرة وقد ذكرهُ غير مرَّة كتبة العرب دون ان يصرّحوا باسمه وكان ذلك المطران ملكيًّا بلا شك اذ انَّ تسليم الفيحاء قد تمَّ على ايدي الملكيين (٤

١١ (بطرس) في جملة اعمال القديس يوحنَّا الدمشقي (٥ نبذة تحتوي دستور الايمان ألَّفها اليَّا اسقف يبرود فعرضها هذا على بطرس مطران دمشق تحت هذا العنوان περὶ ὀρθοῦ φρονήματος . ومما افادتنا الاثار (٦ عن بطرس المذكور انهُ فنَّد اضاليل المانويين وجاهر بايمانهِ امام العرب الذين كانوا في دمشق فامر الخليفة الوليد الاول

١) مجموعة مانسي (Mansi. IX,174)
٢) اطلب مين (Migne, PP. GG. T. CVIII, 560)
٣) في تاريخهِ ك ٣ ف ١ وما يليهِ
٤) اطلب تاريخ ابن بطريق (Eutychii Annales, *ed. Beryteusis*, II, 14)
٥) اطلب مجموعة آباء اليونان لمين (PP. GG. ,t. XCIV. 1421 seqq)
٦) مين (PP, GG. ,CVIII, 840–842)

بقطع لسانهِ في اوّل سنة لملكهِ اعني سنة ٧١٢ او ٧١٣ وقساهُ الى اليمن ثم نال بآية من الله ان ينطق بفصاحة فعاد الى الاقرار بدينه فقُتل

١٢ (جرجس) في شباط من السنة ٧٥١ التأم في القسطنطينيّة مجمع من اهل بدعة الايقونقلست اي مكسّري الصور والمناقضين لتكريمها وحرموا من الكنيسة على زعمهم القديس يوحنا الدمشقي وجرجس مطران دمشق وجرجس القبرصي (١

١٣ (نيقولا) اخبر ميخائيل الكبير في تاريخه (ك ٣ ص ٩٧—١٠٠) انهُ لما مات البطريرك الملكيّ الانطاكيّ المدعو ايوب تنازع كرسيّهُ البطريركي نيقولا مطران دمشق واستاتيوس وكان رجلًا عاميًا في خدمة باسيليوس مطران صور . اما زمن حدوث ذاك النزاع فليس بثابت . فانّ افتيخيوس الاسكندري المعروف بابن البطريق (٢ يفيدنا في تاريخه بانّ ايوب الانطاكي رُقّي الى الكرسي البطريركي في اوّل سنة من خلافة المأمون اعني سنة ٨١٣

١٤ (سرجيوس) روى القديس بطرس داميان في اعماله (٣ خبر « سرجيوس مطران دمشق » وذكر انهُ توفي في امّ الدانن على عهد البابا بناديكتوس التاسع (١٠٣٣—١٠٤٨) قال ما تعريبهُ : « ولا بأس ان نضيف الى من تقدّم ذكرهم سرجيوس الذي انفصل عن كنيسته حبًّا بالمسيح وجاء شريدًا غريبًا الى رومية . ولما رأى كنيسة بونيفاسيوس والكسيوس كادت تخلو من رُتب الكهنوت دخل على البابا بناديكتوس وطلب منهُ بان يرخّص بانشاء دير هناك فنال مرغوبهُ وبعد اقامته زمنًا طويلًا توفي فيهِ » . والظاهر انّ سرجيوس هذا هو الذي اشاع في رومية سيرة القديس الكسيوس رجل الله (٤ وكان خروجهُ من دمشق بعد فتحها في عهد الدولة الفاطميّة سنة ٩٧٤ (٥

---

١) اطلب مانسي (Mansi XII,575) وتاريخ ميخائيل الكبير (ed. Chabot. II,521)

٢) اطلب مين (Migne, PP. GG. t. CXI,1132)

٣) اعمال آباء اللاتين (PP. LL. CXLV, 440) وتاريخ ابن البطريق (٢ : ٥٧)

٤) اطلب مقالة المسيو باريس (G. Paris, dans la *Romania*, t.VIII 1899. p. 164) وقد استشهد به المسيو اميود (A. Amiaud) في ترجمة القديس رجل الله (La légende syriaque de St Alexis, introd., XLIX, *note* 2)

٥) اطلب كتاب شلومبرجر (G. Schlumberger: L'*Epopée byzantine*)

١٥ (ماميان) الدمشقي ذُكر اسمهُ في الصفحة ٢٠ من مجموع آثار قديمة طُبع في الانكليزيَّة عنوانهُ « Book Select Letters of Scolars »

١٦ (يوحنَّا) في خزانة الفاتيكان مخطوط عربي عددهُ ٧٩ كُتب في آذار من السنة ١٢٢٣ في أيام مطران دمشق يوحنَّا (١ كما ورد في صفحة ٣١٩

١٧ (يواكيم) في احد مخطوطات خزانة القبر المقدَّس في القدس الشريف وهو الموسوم بعدد ١٠٨ قسم خُطَّ في القرن الثالث عشر وفي الصفحة ٢٠٠ منهُ يُروى انَّ الكتاب المذكور الذي كان في احد اديرة فلسطين أُعطي لدير مار سمعان في الجبل العجيب بحضرة يواكيم مطران دمشق وذلك في القرن الرابع عشر (٢

١٨ (باخوميوس) عند وفاة البطريرك الانطاكي اغناطيوس الثاني اختار الاساقفة ليخلفهُ في رتبتهِ باخوميوس مطران دمشق اعني سنة ١٣٦٠ كما اثبتنا ذلك في جدول بطاركة انطاكية

١٩ (غريغوريوس) في آخر صفحة من احد المخطوطات السريانيَّة (ع ٨٧) في خزانة اوكسفرد البُذلية الذي يحتوي صلوات التريودي بالقلم السرياني الملكي جاء ما معناهُ « انَّ الكتاب المذكور خُط سنة ١١٩٩ للميلاد وصار في ملك غريغوريوس مطران دمشق مدَّةً »

٢٠ (جرجس) روى مرتينوس كونيوس في كتابه (٣ رسالةً للبطريرك الانطاكي ميخائيل الثامن الى بطرك القسطنطينيَّة ارميا الثاني تاريخها ١٧ حزيران ٧٠٨٥ للعالم (١٥٧٦ م) وقد ورد فيها في اليونانية Ἰάκωβος ὁ ἀρχιεπίσκοπος πόλεως Δαμασκοῦ Γεώργιος τῆς Δαμασκοῦ فيؤخذ من قوله انَّ غريغوريوس هذا كان مطرانًا على دمشق قائمًا مع ذلك برتبة اوَّل اساقفة الفلَّاية في عهد البطريرك ميخائيل الثامن كما رجَّح لوكيان في الشرق المسيحي (٤ . وليس في قوله ما يُعجب منهُ لانَّ الكنيسة الملكية دامت

---

١) اطلب تقويم ماي في مجموعهِ المعنون (Cat. de Maï: *Scripl. Vet. nova Collectio*, IV, II 177)

٢) اطلب تقويم بابادوبولوس Cat. de Papadop. - Kéramieus. II. 294

٣) يسمى Turco-Græcia, c. IV, p. 294

٤) اطلب (Lequien, II, 838)

زمناً طويلاً على حفظ رتبة اساقفة القلاية البطريركية. وعلى ذلك ترى انَّ دمشق لم تزل تحفظ مطارنتها حتى بعد حلول البطاركة الانطاكيين فيها عقيب فتوحات الدولة التركية. وستأتي امثال أخرى تشهد على قولنا

٢١ (جراسيموس) ذكر الاب اليسوعي بوارسون (Poirresson) المرسل في دمشق في احدى رسالاته انَّ جراسيموس مطران القلاية الدمشقية سنة ١٦٥٢ كان محباً للمرسلين.

٢٢ (جراسيموس) النائب البطريركي. في اوائل حزيران من السنة ١٧٢١ عيَّن البطريرك اثناسيوس الرابع دياس الراهب الشويري الاب جراسيموس بصفة نائبه اذ رأى اهل دمشق راغبين في الكثلكة (١ وكان البطريرك لبّى دعوة الدمشقيين على رغم منهُ. فبقي جراسيموس عندهم مدَّة ثم لم يتَّفق معهم وقد انتهى ذلك الخلاف باختيار الحلبيين لجراسيموس كاسقف لمدينتهم فسُقف عليهم في حلب في ٢٦ك١ ١٧٢١

٢٣ (لاونسيوس) كان اسقفاً شرفياً على باياس بوضع ايدي اثناسيوس الرابع فلما نُقل جراسيموس الى حلب وكل اليه النيابة البطريركية بدلاً منهُ في دمشق سنة ١٧١٢ (٢ والمرجح ان الحزب الكاثوليكي في مدَّة نيابة لاونسيوس اختار لهُ كبطريرك كيرلس السادس طاناس. وما لا ينكر ان لاونسيوس هذا بقي في دمشق وناصب الكاثوليك مناصبة الدَّ اعدائهم في عهد سلوستروس القبرسي

٢٤ (توما) النائب البطريركي. كان هذا من الرهبانية الفرنسيسية واسمهُ دي دياز كمبايا (de Diaz Campaya) اختارهُ كاتبه في دمشق البطريرك كيرلس طاناس لما عرف من فضله ومن محبَّة الملكيين لشخصه. الَّا انهُ حصل من ذلك عدَّة مشاكل ارجبت بجميع انتشار الايمان بان يوعز الى الاب توما في ٢٦ نيسان سنة ١٧٢٩ بالتخلي عن وظيفته ففعل ولعلَّهُ كان سبق الى الاعتزال عنها قبل ذلك (٣

٢٥ (مكاريوس) من مطارنة القلاية البطريركية. ذكرت التواريخ الشويرية (٤

---

١) اطلب تاريخ الشويريين الذي اختصرتهُ اصداء الشرق (Echos d'Orient, VI, 246)

٢) اطلب التاريخ عينهُ في المجلة السابق ذكرها (ص ٢٤٤) الَّا ان الاب باسل صاحب المقالة خلط باياس مع باناس والصواب ما ذكرنا

٣) ورد هذا القرار في مخطوطات مكتبة الفاتيكان (Ms lat. du Vatican, 8679. fol. 347)

٤) في اصداء الشرق (Echos. t VII, 159)

ان البطريرك كيرلس طاناس لما ولّى هارباً من دمشق بعد انتخابه باربعة اشهر اقام عليها مطراناً منوطاً بالقلاية الاب مثوذيوس الراهب المخلصي الحلبي الاصل ودعاهُ مكاريوس. فعرف به سلوستروس البطريرك الدخيل وسعى بحبسه فحُبس مدةً ثم أُطلق سبيلهُ بعد ان دفع للحاكم مبلغاً وافراً من المال والتجأ الى دير المخلص حيث اعطاهُ البطريرك طاناس بعض الاملاك في جهة بارون في ابرشية صور حالاً فقضى هناك مكاريوس بقيّة حياتهِ الى سنة وفاتهِ سنة ١٧٤٥ وقبرهُ في كنيسة تلك القريّة (١

٢٦ (مكاريوس عجيمي) مطران القلاية كالسابق. كان اسمهُ ميخائيل من رهبان دير المخلص اقامهُ كيرلس طاناس خلفاً لمكاريوس ودعاهُ باسمهِ وذلك سنة ١٧٥٢ فقط (٢ وقد حضر مكاريوس مجمع دير المخلص المعقود في ٩ ايار سنة ١٧٥٦ وامضى اعمالهُ تحت لقب مطران دمشق (٣ وتوفي سنة ١٧٦٣ (٤

٢٧ (ارميا كرامة) مطران القلاية الدمشقية. هو آخر مطارنتها كانت رسامتهُ سنة ١٧٥٣ (٥ على يد البطريرك ثاودوسيوس دمّان. وفي مكتبة مونيخ كتاب من تأليفهِ يدعو فيهِ نفسهُ مطران دمشق وهو المخطوط الموسوم بالعدد ٢٣٩ سنة ١٧٧٠ (٦ وكانت وفاتهُ سنة ١٧٩٥ (٧

وبعد ذلك بقي كرسي دمشق فارغاً يدبّر ابرشيّتها نوّاب بطريركيّون هذه اسماؤهم:

١ (الاب متري قطّان) كاهن عالمي قبل السنة ١٨٣٥ (٨

---

١) اطلب تاريخ دير المخلص لكيرلس حدّاد ف ١ ع ١٣ ص ٥٨ من نسخة حبيب افندي زيات

٢) في التاريخ عينهِ ص ٥٩

٣) كما يتّضح الامر من رسالة اغناطيوس فاروط لمجمع انتشار الايمان في ٢٩ ايلول سنة ١٨٤٩

٤) اطلب مختصر تاريخ الروم الملكيين للبلوني ص ٢٠٠

٥) اطلب كتاب الدواني القطوف لعيسى افندي اسكندر المعلوف ص٢٠١ في الحاشية

٦) اطلب فاتحة مخطوطات مونيخ لاومر (Aumer) ومن هذا الكتاب نسخة اخرى في مكتبة الاباء اليسوعيين في بيروت

٧) في دواني القطوف ص٢٠١ وكتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر للاب ل. شيخو ج ١ ص ٥٤

٨) مختصر البلوني ص ١١٣

٢ (باسيليوس شهيات) مطران زحلة تولى النيابة في ١٥ تشرين الاول سنة ١٨٣٦ (١ وبقي وحده الى ان ساعده في نيابته القس ميخائيل عطا الكاهن العالي الذي نال سنة ١٨٤٨ رتبة ارشمندريت (٢ وتوفي سنة ١٨٦٤

٣ (الارشمندريت ميخائيل عطا) استلم النيابة وحده من سنة ١٨٤٨ الى شباط ١٨٤٩ وهو تاريخ ارتقائه الى كرسي بيروت فسمي غريغوريوس وتوفي سنة ١٩٠٤

٤ (ملاطيوس فنده) كان كاهناً عالياً اصله من رشيد وكان اسمه الياس فرسمه مكسيموس مظلوم اسقفاً على قلاية ورشليم ثم جعله نائبه البطريركي في الاستانة سنة ١٨٤٧ وفي السنة التالية عهد اليه نيابة دمشق واقامه اخيراً سنة ١٨٥١ اسقفاً على بعلبك الى وفاته سنة ١٨٥٩ (اطلب الصفحة ٤١٧)

٥ (مكاريوس حداد) هو دمشقي الاصل من الرهبنة الخلصية وكان اسمه دانيال جعله البطريرك مكسيموس مظلوم اسقفاً على القلاية الانطاكية في ٨ نيسان سنة ١٨٥٢ ثم رحل الى فرنسة وبلجيكة ليجمع حسنات المؤمنين فقام بمهمته الكاهنان الوارد ذكرهما الى ان رجع فاستلم اعمال النيابة وتوفي نحو السنة ١٩٠٠

٦ (الاب فيلبوس عبده) الكاهن العالي تولى اعمال النيابة البطريركية سنة ١٨٥٧ وفي السنة ١٨٥٨ أرسل الى مرسلية بصفة خادم لكنيسة القديس نيقولا فيها(١ . ومات في تلك المدينة في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٠٥

٧ (الاب امبروسيوس عبده) من كهنة البطريركية العاليين أقيم اسقفاً على القلاية الاورشليمية سنة ١٨٦٦ في دمشق بوضع يد البطريرك اكليمنضوس بجوث ثم نقل الى كرسي زحلة سنة ١٨٦٧ ثم الى النيابة البطريركية في القدس في آخر سنة ١٨٧٥ وهناك كانت وفاته السنة ١٨٨١ فدفن في كنيسة البشارة في موفيها (السكرستيا) وهناك ايضاً صورته

٨ (ملاطيوس فكّاك) تولى نيابة دمشق سنة ١٨٧٦ (المشرق ٨ : ٢٠٣)

٩ (بولس مسدية) كان اسقف طرابلس شرفاً سمي نائباً على دمشق في السنة ١٨٨٠ توفي سنة ١٨٩٥ (اطلب سلسلة اساقفة طرابلس)

---

١) مختصر البتلوني ١٢٠

٢) البتلوني ص ١٢٠

١٠ (نيقولاوس قاضي) هو مطران البصرة تولّى مدّة نيابة دمشق

١١ (الارشمندريت كيرلس الكفوري) الباسيلي الشويري

١٢ (الارشيمندريت رافائيل ابو مراد) الباسيلي المخلصي

١٣ (اغناطيوس حمصي) اسقف طرسوس شرفًا كان نائبًا على دمشق من السنة ١٨٩٩ الى السنة ١٩٠٨

١٤ (نيقولاوس قاضي) عاد ثانيةً الى هذه النيابة منذ سنة ١٩٠٨

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

واشتهر بفنون الآداب كاهنان مارونيان من غزير وقعت وفاتهما في الربع الاخير من القرن السابق. الاوّل الخوري يوسف الهاني وكان يُدعى قبل كهنوته منصور الهمش تعلّم في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير وعلّم فيها العربيّة ومن آثاره مقامتهُ الغزيريّة التي طُبعت سنة ١٨٧٢ في مطبعتنا الكاثوليكيّة وفي آخرها قصيدتهُ العامرة الابيات في لامور يسار وجنودهِ المتطوّعين البُسلاء المعروفين بالزواوة الذين ماتوا شهداء في خدمة الكرسي الرسولي في كستلفيداردو سنة ١٨٦٠ وكانوا من نخبة الشبيبة وانجال واشرف الأسر الكاثوليكيّة. هذا مطلعها:

كريمَ النفس قُمْ بالنفس فادِ فقد نَبيَ العُقوقُ ثَدى الولادِ
عهدتُ المرءَ يعتِق الموالي ويدفعُ عُتقهُ عن ذي ودادِ
وان خان الدعيُّ حليبَ امٍّ فذاك بنفسهِ عنها يُفادي

ومنها يصف ثورة اعداء الدين:

أثاروا ضدَّ رأس الدين حربًا جراجُمُ بما كانت صوادي

ونادوا اين من يحمي ذماراً نروم تراله في اي نادِ
فما لبث الزواوة ان أتوهم بأسرع من صدى صوت المنادي
وصاحوا يا لحق بابوي متين الاصل مرتفع العمادِ
وشاقتهم كؤوس الحتف شرباً وحنوا للمهندة الحدادِ
وويدا أيها الابطال مهلاً فسيف عداتكم للدم صادِ
حسام من جهنم قلدوه تقد شفاره صم الجمادِ
ألا دعنا نلاقي الحتف عفواً ولا نحرم جياعاً حسن زادِ
بم الأعضاء تحيا بعد رأس وكيف الجسم دون القلب حادِ
فكف ملامة الحساد عنا وناد على السطوح وفي المهادِ
دعوهم ينصرون الحق جهراً على اهل الضلالة والفسادِ
دعوهم في الفخار لهم ذيل ونيل أكلة عقبى جهادِ
ولا تخشوا عليهم من ضلال فلا سور يسار احق هادِ

الى ان قال :

فاذ شهد الزواوة في الرزايا ونار الحرب تضرم بانقادِ
بدمهم المزكى أخضبوها وما أحلى الدماء بذا الجهادِ
فلا تحزن عليهم نادبات خرائد سافرات في حدادِ
فان غابوا فأقمار توارت وليس أفولها حد التفادِ
وان نفدوا الحياة فقد اصابوا بدار الخلد مجداً بازديادِ
أتوا مولاهم شهداء حق وعدوا القتل أشهى من شهادِ

وللخوري يوسف الهاني مآثر أخرى اخصها كتاب منارة الطلاب في التصريف والاعراب طبع في مطبعتنا الكاثوليكية . وله اناشيد متفرقة كقوله على لسان مريم العذراء عند مهد طفلها يسوع :

نم يا حياتي بالهنا يا نور عيني والمنى

ذوقن بطرف أنمس وسنا يلذ لشمس
في جنح ليل الحندس فالى جفونك قد دنا

ولدي ايا زهر الربى تسمو البنين كما الصبا
قد فقت عقداً مذهبا بل عقد درّ بالسنا

ما سوسن في جامه قد ذر من أكمامه
مع ورده وخزامه يحكيك يا بدر المنى

كانت وفاة الخوري يوسف الهاني نحو السنة ١٨٨٥. امّا وطنيُّهُ الآخر فالخوري حنّا رعد المعروف بالعاصي ايضاً كان ذا قلم سيّال يُحسن الكتابة نظماً ونثراً. ولهُ ديوان شعر مخطوط يضنُّ بهِ آلهُ ويريدون نشرهُ وشعرهُ سلس مطبوع روينا منهُ سابقاً قصيدة في مريم العذراء (المشرق ٧: ١٣١). ومن جملة اقوالهِ قصيدة دعاها جَبْر الكَسْر يذكر فيها وفاة البطريرك بولس مسعد ويهنّئ بها خلفهُ السيّد يوحنّا الحاج سنة ١٨٩٠:

بالأمس كان الرثا والدمعُ ينسجمُ والبومُ عمَّ الفنا والشعرُ يبتسمُ
طافت بنا الكاس من صابٍ ومن عسلٍ والحمدُ لله في الحالين ملتزمُ
لا جملُ الله في الجلّى كتيبتهُ ولو احاطت بها الارزاء تلتطمُ
ازال بالجبر يوحنّا مصابنا فالكَسْرُ مُنجبرٌ والجرح ملتئمُ

وهي طويلة ختمها بقولهِ:

انت المؤمَّل ان تُضحي رثاتُهُ لنا وللدين حصناً ليس ينثلمُ
آمالنا فيك كالألحاظ شاخصةٌ لها سانٍ ولكن ما لها كلمُ
جئنا نهنّيك لكنَّ الهناء لنا فانَّ نعاك للابناء مغتنمُ
فاقبل ثناء بلا منٍّ وخشنةٍ بما يُترجمُ عن فحوى الفؤادِ فمُ

وكان المترجم مولعاً بفرنسا يعظّم مفاخرها ويطرئ بشهامة ابنائها ويشكر لدولتهم التي انقذت نصارى الشرق من نكبات المعتدين فمن ذلك عينيّتهُ الشهيرة التي قالها سنة ١٨٦٠ بعد حوادث الشام:

كفَّ البكا وامسحْ عيونًا تدمعُ واحفظْ بقيّة مهجةٍ تتصدّعُ
صبرًا ولا تملك أسًى وتوجّعًا فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ امرُكَ مذهلٌ او مُعضلٌ والقلبُ حيران لذاك وموجعُ
قد كُنتَ آلفت المصائب ذلّةً حتى دهتكَ مصيبةٌ لا توسعُ
لبنانُ ما هذه الجماجمُ والدما ما للمنازلِ وهي قفرٌ بلقعُ

الى ان قال على لسان الرب ملبّياً دعوة المنكوبين:

حتّام تفترسُ الذئاب رعيّتي فتطيعَ المختارُ كاد يُقطّعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافرًا بطلًا تخرُّ لهُ الجهات الاربعُ
صحنا وكان الى فرنسَ الصوت: يا نابوليُون. اجابنا: لا تجزعوا
اني لمُنجدكم وكاشف كربكم برضى الالهِ سواءُ فخرًا يُمتعُ

ومنها في وصف الحملة الفرنسويّة:

وكراسرٌ لا الهَوْلُ في اوهامها هولٌ ولا الموتُ المريع يُروِّعُ
لا ترهبُ الاسيافَ ان سُلَّتْ ولا تحمي الجيوشَ ولا المدافعُ تدفعُ
منها الزُّؤافُ ولم تكن يوماً سوى السَّمُوتِ الزؤاف وكلُّ عاتٍ موقعُ
تلك البحورُ على البُرور طمَتْ ولا سدٌّ يصدُّ ولا حجابٌ يمنعُ
ليس الملا الّا المراكبُ والموا كبُ والقواضبُ والقنا والأدرعُ
وهي السوابق والسرادق والبنا دقُ والصواعقُ والمنيَّة تتبعُ
سعدًا ليومٍ بشَّرت أعلامُهُ انَّ الحياةَ من المنيةِ اسرعُ
فله درُّكِ يا فرنسا مركزًا للدين والدنيا اليكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامةٍ فينا ولا زال الشقا المستفظعُ

وهي طويلة ابياتها من غرر الاقوال تتدفَّق جودًا ورقَّةً . ولهُ قصيدة مثلها في بلاغتها وهي نونيَّة قالها سنة ١٨٧١ لمَّا زار لبنان القنصل الفرنسوي روستان مطلعها:

حبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركان لفرنسَ قام على ذُرى لبنانِ

وللخوري حنا رعد عدَّة اناشيد يتغنَّى بها النصارى الى يومنا في المجتمعات التقويَّة كقولهِ في مدح البتول:

مَجْدُ مريم يتعظَّمْ في المشارق والغروبْ

وقولهِ:

عليكِ السلامُ بلا مَلَلْ يا نجمة البحر والدلْ

وقولهُ في القربان الاقدس:

لكَ التسبيح والشكرانْ لكَ المجد يا سرَّ القربانْ

توفي الخوري يوحنَّا رعد في اواسط آب من السنة ١٩٠٠

وفي السنة ١٨٨٩ فقدت الشهباء احد كهنتها الموارنة الاجلَّاء القس اغوسطينوس عازار . درس العلوم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وكان يسمَّى جرجس وبرع في اللغة العربيَّة فلمَّا عاد الى وطنهِ انقطع الى التدريس والتأليف ونقل الكتب الى العربيَّة وخدم الآداب نحو عشر سنين . ومن تآليفهِ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة طُبع سنة ١٨٨٦ في بيروت (١ . ولهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع الّا بعض القصائد التي نُشرت في المجاميع الادبيَّة . فمن قولهِ في رثاء يذكر الموت:

---

١) ولاخيهِ القس بولس كتاب الادلَّة النظريَّة في وحدة النفس البشريَّة

من ابن يرجو المرء خلدًا اذ يرى كلًّا يزول مع الزمان ويُدفعُ
انّ الحياة لدى الحقيقة عهدُها يمضي كلمح البرق او هو اسرعُ
كلٌّ لهُ يومٌ يودّع اهلَهُ فيهِ وداعًا مطلقًا ويودّعُ
لا فرق عند الموت بين اكابرٍ واصاغرٍ حين القضاء يُلمّعُ
ما هذه الدنيا لدى عيني سوى سفر الى ابديّةٍ لا ترجعُ
ان رمتَ يا صاحِ السعادةَ والبقا فاسلك سبيل الله صدقًا تنجعُ

ولهُ في يوبيل البابا لاون (سنة ١٨٨٧—١٨٨٨) قصيدة غرّاء افتتحها بقولهِ:

نادى المنادي بوحيٍ الله ما كتبا في آية النصر انّ الليث قد غلبا
ليث من الانس يخشى الارضُ سطوتهُ في الغرب والشرق إنْ معجمًا وان عربا
فاعجب لهُ اسدًا باليأس متصرًا بالانس مشتهرًا في الكون مرتقبا

ومنها:

رعيًا لراعٍ رعى حقَّ الاله ولم يُبدِ التساهلَ فيما العدلُ قد طلبا
مذ قام حقَّ قيامٍ في رسالتهِ جسّت بلغت غاياتها الأربا
ووفّق الدينَ والدنيا بحكمتهِ ولم يَدعْ لهما عذرًا ولا سببا
يمناهُ حاملةُ الانجيل ما برحت يسراهُ تعضدُ سادات الورى الحسبا
قوّى الملوكَ على اعداء سلطتهم بكبحهِ الثورةَ الشنعاء والغضبا
وقام يجهد في العمران طاقتهُ فردًّا ما كان منهُ الدهر قد سلبا
هزّ العصا فأراع الكفرَ فارتعدت منها العُصاةُ فاذا لو جا ضربا

وهي طويلة بليغة ختمها بهذا التاريخ:

قد حاز لاوون ما التاريخُ ينشدهُ اسمًا مدى الدهر يبقى ذكرهُ عجبا

ولم يتأخّر الاكليروس السرياني الكاثوليكيّ في نهضة الآداب العربيّة في ختام القرن التاسع عشر ففي سنة ١٨٧٤ توفي البطريرك (فيلبّس عركوس) وكان متضلّعًا بعدّة لغات شرقيّة وغربيّة. لهُ كتاب مخطوط عنوانهُ قوت النفس فيهِ ارشادات ومواعظ. فخلفهُ السيّد البطريرك (اغناطيوس جرجس شلحت) الحلبيّ الاصل (١٨١٨—١٨٩١) اشتهر بالعلوم الطقسيّة وعزّز الموسيقى الكنسيّة. ومن آثارهِ الطيّبة كتابان احدهما يحتوي على مواعظ وخطب دينيّة والآخر ضمّنهُ تاريخ الكنيسة الشرقيّة. هذا فضلًا عن عدّة كتب طقسيّة سعى بتنقيحها وطبعها في السريانيّة والعربيّة

وقام من بعدهِ السيّد (اغناطيوس بهنام بني) الموصلي (١٨٩١—١٨٩٧) درس في

رومية العظمى ونال شهادة المثنة في اللاهوت والفلسفة. وقد نشر في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل كتاباً اثبت فيهِ حقيقة الكنيسة الكاثوليكيـة دعاهُ الدرّة النفيسة في حقيقة الكنيسة ولهُ كتاب كلندار السّنة لابرشيّة الموصل السريانيّة . وطُبع لهُ في لندن سنة ١٨٧١ كتاب انكليزي عنوانهُ تعليم الكنيسة السريانيّـة في رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين

وزيّن الشام في اواخر ذلك العصر حبران جليلان من الطائفة نفسها اعني السيد (تاوفيلس انطون قندلفت) الحلبي (١٨٣٦–١٨٩٨) الذي تعيّن مطراناً على طرابلس وسكن بيروت. ولهُ تركة علميّة واسعة منها دينيّـة كالسراج الوهّاج في سنّة الزواج والرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيّة عند الشرقيين وكتاب مواعظ دعاهُ عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلّدات اردفهُ بكتاب القلادة الدرّيّة في شرح الوصايا الالهيّة وكتاب القيثارة الشجيّة في التسابيح الالهيّة جمع فيـهِ تسابيح وانشيد تقويّة أدرجها في الكنائس وكل هذه الكتب الّا الاخير نشرت بالطبع. امّا كتبهُ الادبية فمنهـا رواية ظريفة تُدعى الذّميم والذميمة وكتاب الذكرى لمن اعتبر يحتوي انتقادات وحكماً وشذرات ادبيّة بالنثر والنظم لم يطبع . ولهُ عدّة مقامـات وقصائد وروايات طُبعت في مجلّة النحلة وفي الجنان وفي بعض المجاميع فمن ذلك قولهُ في مدح احد أدباء الاستانة يوسف نعمة الله جدّ:

مالي وللدهر دَعْني انّني خَجِلٌ ... من راح اهل الوفا والفهم والكَرَمِ
مَن جدُّهم جاد واستعلت معالمهم ... حتى غدا فضلُهم ثاراً على عَلَمِ
بين اهل جدٍّ فتى رام العُلى فعَلا ... بالفضل والفضل والاحسان والشيمِ
سميُّ رأيٍ سنيّ الفكر ذو حُذُقٍ ... في وصف جانبهِ قد حار كل فمِ

ولهُ مجيباً لقدسي زاده تدري بك وكان ارسل اليه قصيدة يُعرب فيها عن اشواقه الى وطنهِ وخلانهِ في الشهباء اوّلها:

يا راقياً يبغي ذُرى الشهباء ... ومعرّجاً للبلدة البيضاء

فوجّه المطران انطون اليهِ بهذه القصيدة من بحرها وقافيتها:

يا صاعداً أوج العلى بثناء ... ولواك مُنعقدٌ على الجوزاء
وسواك يبغي المجد لكن جدُّهُ ... هيهات مثلك يا ذُرى الفضلاء
حسبٌ وفضلٌ قد جمعتَ كليهما ... مع رقّـةٍ ومكارمٍ وسناء

اولبتني الإحسانَ بالتوديع في مصرٍ بجيرٍ قصيدة غرّاء
فيها الحنينُ الى المواطن والحما والى الافاضل من بني الشهباء
فلثمتها وتلوتُها ونشرتُها وحسبتها من اوجه الصهباء

ومنها:

انت الملاذُ لآلِ قُدسٍ وأنستَ الفخرُ للاوطانِ يا مولاني
لم تنسَ شيمتَكَ الكريمةَ دائمًا بالحل والترحال دون وفاء
فلتفتخر حلبُ بعبد القادر م القدسي على الأقطار والانحاء

وختمها بقوله:

خذها لردّ صدى الوداد على الندى من ذي وفاء ودُّهُ بصفاء
واصفح بفضلك عن قصوري انني في كنف عفوكَ قد وجدتُ حماني

وزاد على من سبق ذكرهم شهرةً السيد (اقليميس يوسف داود) ولد في الموصل من أسرة كلدانيَّة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ وبعد ان درس فيها مدَّة في مدرسة الآباء الدومنيكيين ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير اتمَّ دروسهُ في رومية وحاز السبق على كل اقرانهِ في العلوم الدينيَّة والدنيويَّة ثمَّ انضوى الى الطائفة السريانيَّة وعاد الى وطنهِ وعلَّم عدَّة سنين في مدرسة الآباء الدومنيكيين فتخرَّج عليهِ كثيرون عُرفوا بآدابهم ومنشآتهم ووكل المرسلون اليهِ نظارة مطبعتهم واصلاح منشوراتها فقام بالامر احسن قيام واهتمَّ بطبع تآليف جمَّة لا تزال واسطة قلادتها. وقد اهتمَّ بالاعمال الرسوليَّة اهتمام العبد الصالح فخدم النفوس بالمواعظ والكتابة والتأليف وانشاء المدارس الى أن عهد اليهِ الكرسي الرسولي تدبير ابرشيَّة دمشق فلبَّى دعوتهُ مرغومًا. وآثارهُ العديدة في الديحاء لا تزال تنطق بفضلهِ وهناك أُقيم لهُ نصف تمثال من الرخام في الدار الاسقفيَّة التي زانها بفضائلهِ وعلومهِ من السنة ١٨٧٨ الى تاريخ وفاتهِ في ٤ آب ١٨٩٠. وقد استوفى جناب الكنت فيليب نصر الله طرَّازي ذكر اعمالهِ في كتابهِ القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة الذي طبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفهِ المطوَّل ومجموع آثارهِ العلميَّة في كل الفنون والمعارف العصريَّة تنيف على الثمانين تأليفًا او تعريبًا او اصلاحًا وتنقيحًا. بينها قسم واسع في الآداب العربيَّة من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعريَّة ونثريَّة ولعلَّهُ اوَّل من زوَّد المدارس الكاثوليكية بكتب تعليم منقَّحة. وتعريبهُ للاسفار المقدَّسة ينبئ بفضلهِ العميم. واما

آثارهُ بالسريانيّة فتكاد لا تُحصى. ولهُ حتى يومنا عدّة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها وكان للسيد اقليميس داود مقامٌ جليل بين العلماء الاجانب يقدّرون قدره في كل الابحاث الشرقية وقد رثاهُ كثيرون بالمراثي النفيسة ومن اجودها قول الدكتور لويس صابونجي:

وترثي دمشقُ الشام فَقْدَ عزيزها ... مع الموصل الحدباء اذ قام مشهَدُ
سأبكي عليهِ ما تقطّر مدمعي ... وراح يمامٌ في الأراك يغرّدُ
بكتهُ طروسٌ والبراعُ ونثرهُ ... وناح عليهِ الشعر اذ بات يُنشَدُ
بكتهُ علوم الاوّلين بأسرها ... بديع غزيرٍ سيلهُ لا يُحمَدُ
وراح عليهِ المجدُ يبكي تأسّفاً ... وقلبُ المعالي بالمراثر يَفْسَدُ
وراح من السريان جمعُ شرفةٍ ... يُقرّ لهُ بالفضل فيما يجدّدُ
وجمعٌ وانبكان يندبُ فقدَ مَن ... لديهِ تقاليد الطوائف توجَدُ

وهي طويلة منها قولهُ في قبر الفقيد:

عليك سلامُ الله ما ضاء فرقدٌ ... ودمت بقطر الغيث تُسقى وتغمَدُ
سألت المي ان يمنّ بفضلهِ ... عليَّ بتقبيل الضريح فأحمَدُ
واغسل ذاك القبر بالدمع فرجةً ... لانّ غليلي بالدموع يُبرَدُ

وممّن اشتهر بين كهنة السريان الخوري (يوسف مهار باشي) المارديني تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفة رحل الى اميركا سنة ١٨٨٠ وسطّر اخبار رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد القريب والبعيد الى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٨٩

وكذلك عُرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس (ميخائيل دلّال) تولّى كتابة الاسرار للبطريرك جرجس شلحت زمناً طويلاً وكان شاعراً مجيداً. ومن آثارهِ روايات ادبيّة كاحسان الانسان والنفح العاطر في الفتى المهاجر والفتاة الخرساء. ولهُ ديوان شعر غير مطبوع فمن اقواله الزهديّة:

أرى الدنيا جاهها لا يطولُ ... وزخرفُها برمّتهِ يزولُ
فنزّهها وجمّلها خيالٌ ... وزهرُ الحقل برهانٌ دليلُ
فهذا الزهرُ عند الصبح يزهو ... وينفك في المساء بهِ الذبولُ
فكيف الناس في لهو حيارى ... ورأسهمُ تدورُ بهِ الشمولُ
ألا ليت الانامَ يعون قولي ... ففي الاخرى لهم خيرٌ جزيلٌ

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر:

حبرُنا لاورن مَن قدرًا سما وتعالى سؤددًا دون مثل
مَن حباهُ الله اوفى منحةٍ اذ رآهُ مستحقًّا للنحل
خلف المبقوطَ شمعونَ الصفا من مفاتيح السماوات اقتبل
فبقى نصرًا لحقّ الدين في كل حالٍ منهُ لا يعوى بدل
وازاح الستر عمّا قد فشا من ضلال الكفر في كل محل
ان أقُلْ فيهِ ختامًا قد غدا يحوّرُ الدنيا عليهِ لا تجدّل

توفي القس ميخائيل دلال سنة ١٨٩٤

وقد جارى الاكليروسُ الكلدانيّ اخوتهم السريان في رفع لواء الآداب الّا ان همتهم كانت مصروفة الى لغتهم فانّ مطبعتهم في الموصل عُنيت خصوصًا بنشر الآثار الكلدانيّة. على انّ البطريرك (جرجس عبد يشوع خيّاط الموصلي) كان يُتقن اللغتين السريانيّة والعربيّة ولهُ في كلتيهما مصنّفات. ومن تآليفهِ العربيّة مجموع بالنثر والنظم لافادة طلبة المدارس دعاهُ روضة الصبي. ولهُ فصول في التواريخ القدسيّة عرّبهُ من تاريخ بيليز (Belèze) وذيّلهُ وطبعهُ في مطبعة الآباء الدومنيكان. توفي السيّد عبد يشوع سنة ١٨٩٦

وممّن عُني من الكلدان بنشر الآثار العربيّة القس يعقوب نعمو نشر كتابًا جليلًا للبطريرك النسطوريّ ايليا الثالث المعروف بابي الحلم ابن الحديثي في القرن الثالث عشر يُدعى التراجم السنيّة للاعياد المارونيّة يحتوي عددًا من اقس الخطب الدينيّة وابلغها كأنّها مسجعة يقرّ لها بالبلاغة كل من يسمعها. وقد نشرنا في المشرق خطبًا لهُ لم نجدها في هذا المجموع

امّا الروم الارثذكس فلا نعرف احدًا اشتهر في اكليرسهم بالآداب العربيّة غير السيد (جراسيموس يارد) مطران صيدنايا ومعلولا وزحلة. كان مولدهُ في راشيا سنة ١٨٤٠ وبعد درسهِ في مدرسة طائفته في دمشق علّم في مدرسة حماة ثم أُرسل الى موسكو سنة ١٨٥٨ لتدبير اوتطش ملتهِ فيها فوجّهت اليهِ الدولة الروسيّة انظارها ودعتهُ الى تدريس اللغات الشرقيّة في مدارسها وقد ألّف هناك كتبًا بالروسية طُبعت على نفقة الدولة منها تاريخ فوطيوس. وفي السنة ١٨٨٣ عاد الى بلاد الشام وخدم الكرسي الانطاكي بنشاط حتى رُقّي الى رتبة الاسقفيّة سنة ١٨٨٩ فدبّر ابرشيّتهُ عشر سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول سنة ١٨٩٩. ومما تركهُ من الآثار تعريب كتاب خلاص الخطأة ورواية

واقرار بيلاطس وكاريس في الرتب والطقوس والاعياد الكنسية. وكان خطيباً مصقعاً

*

(البستانيّون) تقدّم ذكرهم على بقيّة الادباء العالميين الذين اشتهروا في ترقية الآداب العربيّة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وكان اشهرهم المعلم (بطرس البستاني) فانّهُ وُلد في الدبيّة من اقليم الخرُّوب سنة ١٨١٩ من عائلة مارونيّة وجيهة وفي صغرهِ تلقّى العلوم في مدرسة عين ورقة وهو يريد الانتظام في سلك الاكليروس ثم جنح الى البروتستانيّة واخذ عن مرسليها المعارف المستحدثة ودرس عليهم العبرانيّة وعلّم في مدرسة اعبيه لرسالتهم الاميركيّة واظهر من الاجتهاد في التحصيل والبراعة في التعليم ما حبّبهُ الى اصحاب تلك الرسالة كالدكتور عالي سميث والدكتور فان ديك فاستدعوهُ الى بيروت لمؤازرتهم في اعمال مطبعتهم فساعدهم في عدّة تآليف اخصّها ترجمة التوراة من العبرانيّة الى العربيّة وتولّى مدّةً منصب الترجمة في قنصليّة اميركا ثم تفرّغ للتأليف ووضع عدداً من الكتب المدرسيّة في الصرف والنحو والحساب ثم باشر بقاموسهِ المطوّل المعروف بمحيط المحيط واختصرهُ في قطر المحيط فنال من السلطان عبد العزيز الوسام المجيدي من الطبقة الثالثة ومبلغاً وافراً من المال كجائزةٍ على عملهِ. ولمّا رأى الصحافة في سوريّة ضيّقة النطاق عدل الى انشاء الصحف فحرّر مع آلهِ الجنان والجنّة والجنينة وكان الجنان مجلّةً تتضمّن المباحث السياسيّة الحرّة والمقالات العلميّة والتاريخيّة والادبيّة ثم عهد الى ابنهِ سليم مواصلة هذا العمل وابتدأ اوّل دائرة علميّة ظهرت في اللغة العربية فابرز منها سبعة اجزاء قبل وفاتهِ. وكان المعلم بطرس مع وفرة هذه الاعمال يتعاطى التدريس فأنشأ في بيروت مدرستهُ الوطنيّة التي نالت بهمّتهِ نجاحاً الى ان اضطرّتهُ اعباء الاشغال الى انتداب ابنهِ سليم الى ادارتها ثم أقفلت بعد حين. وكانت وفاتهُ فجأة في غرّة ايار سنة ١٨٨٣ ومن رثاهُ الشيخ خليل اليازجي فقال من قصيدة:

يا قُطر دائرةِ المعارفِ والحِجى ... وعميدَ فضلٍ فاضَ في إمدادهِ
تبكي العلوم عليك واللغة التي ... بقريضها ترثيك في انشادهِ
فاذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ ... درّ المحيط يزيد في إزبادهِ
يبكي الحسابُ عليك متّخذاً لهُ ... دمعاً يسيل عليك من أعدادهِ
تبكي المدارس والجرائد حسرةً ... والشرق بين بلادهِ وعبادهِ

وفي السنة التالية ١٨٨٤ نشيت مخالب المنون في نجله (سليم البستاني) وكان سليم يتمثّل أباهُ في نشاطهِ وهمّتهِ وآدابهِ وقد ساعدهُ في تحرير مجلّة الجنان فكتب فيها فصولًا واسعة وتولّى ادارة صحيفة الجنّة وانجز الجزء السابع من دائرة المعارف ونشر جزءهُ الثامن . ولم يظهر من هذا التاليف بعد ذلك الّا ثلاثة اجزاء ولعلَّ الباقي لن يُنشر ابدًا . وكان الاجدر بمؤلف هذه الدائرة ان يتمّم الشغل على جملة من الكتبة فيتولّى كلٌّ منهم تحرير القسم الخاصّ بهِ فانَّ ذلك كان أضمن بانجازها فضلًا عن كونهِ أشمل لموادّها واوفى بفوائدها فانَّ هذه الدائرة مع محاسنها بعيدة عن الدوائر الاوربيّة التي يتولّاها قومٌ من الاختصاصيين . ومن اكبر خطّاها انَّ موادّها الشرقية قليلة فان مؤلّفيها نقلوا خمسةً او ستّة من الكتب العربيّة الشائعة ولم يعنوا بالبحث عن المطالب التي تهمّنا من تاريخ بلادنا

ولسليم البستاني روايات قصصيّة نشر كثيرًا منها في الجنان وروايات تمثيليّة كرواية الاسكندر وقيس وليلى جرى تمثيلها في الجمعيّة السوريّة وكان احد اعضائها الممتازين . ونشر ايضًا تاريخ فرنسا بمجلّد كبير استعان في نشرهِ بجناب الشيخ خطّار الدحداح . توفي سليم البستاني في ١٣ ايلول ١٨٨٤ وكان مولدهُ في اعبيه في ٢٨ ك١ سنة ١٨٤٨ وكان في العربيّة احد المتخرّجين على الشيخ ناصيف اليازجي

وممن شرّفوا الأسرة البستانيّة بآدابهم دون ان تصيبهم في دينهم شائبةٌ كالمعلّم بطرس وابنهِ سليم السيّدُ الجليل (بطرس البستاني) رئيس اساقفة صور وصيداء على الموارنة (١٨١٩—١٨٩٩) واحد تلامذة عين ورقة خاف عنهُ المطران عبد الله البستاني منشئ مدرسة مشموشة في تدبير كرسي صور وصيدا وكان متضلّعًا بالعلوم الدينيّة والفقهيّة واشتهر بتعليم الحقوق والفرائض واتّخذهُ مدّة السيّد البطريرك بولس مسعد لكتابة اسرارهِ الى ان سامهُ اسقفًا سنة ١٨٦٦ واستصحبهُ الى رومية في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٧ احتفالًا بالتذكار المئوي لاستشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس وسنة ١٨٧٠ لحضور المجمع الواتيكاني توفي في ٢ تشرين الثاني ١٨٩٩

ومنهم الخوري (يوسف البستاني) من تلامذة مدرستنا الاكليريكيّة في غزير حرَّر البشير مدّة سبع سنوات واشتهر بالكتابة وعرّب عدّة تآليف نُشرت في مطبعتنا كتاريخ الكنيسة للومُند والحديث المانوس في هداية النفوس وجمع مع الخوري بطرس

الزغبي كتاب نخب الملح وغرة المنح وذيله بالملحوظات التاريخية والحواشي الواسعة فطبع على الحجر. كانت وفاته السنة ١٨٩٦

واشتهر كذلك سميه الخوري (يوسف جرجس البستاني) الذي عرف بفضله وفضيلته وانضم الى جماعة المرسلين الكرميين فقلع معهم كرم الرب حتى انتدبه الطيب الذكر السيد يوسف الدبس الى ادارة مدرسة الحكمة في بيروت واتخذه كاتباً لاسراره فقام بكل مهماته احسن قيام وله عدة خطب ألقاها في النوادي العلمية المارونية طبع بعضها وله خطب أخرى وقصائد وتآليف شتى لم تطبع. كانت وفاته سنة ١٩٠٦

ومنهم ايضاً (سعيد البستاني) توفي في الحدث في ربيع سنة ١٩٠١ عن بضع واربعين سنة وكان محرراً لجريدة لبنان وكان سكن مدة القطر المصري وتولى منصباً رفيعاً في نظارة المالية. ومن مآثره الادبية رواية ذات الخدر مثل بها احوال مصر وعاداتها على اسلوب لطيف. واشهر منها رواية سمير الامير اودعها صورة احوال لبنان وعادات امرائه واخلاقهم

والاسرة البستانية لا تزال ممتازة الى يومنا بمشاهير ادبائها كنجيب افندي البستاني وسليمان افندي مبعوث بيروت في المجلس الدستوري ومعرب الالياذة ثم الشاعر العصري عبد الله افندي. ولا غرو فانهم يحققون معنى اسمهم فيغنون الآداب بما يفاه بستانهم من الاثمار الجنية

ومن مشاهير لبنان في الادب وفنون الكتابة (يوسف حبيب باخوس) الكسرواني الغزيري من الاسرة الباخوسية الشائعة الفضل ولد في ٥ ايار سنة ١٨٤٥ في غزير وفيها توفي سنة ١٨٨٢ في ريعان شبابه وقد ادى للآداب العربية مع قصر حياته خدماً مشكورة فانه بعد ان تلقن العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا قريباً من عرامون انقطع مدة للتدريس في مدرسة عينطورا ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حتى انتدبته حكومة دولة ايطالية الى تحرير جريدة عربية في كالياري من اعمال سردينية فرضي بذلك وباشر بالعمل وانشأ جريدة «المستقل» وحررها سنتين. ثم حرر جريدة البصير في باريس خدمة للمصالح الافرنسية وقد اصابت الجريدتان بهمته بعض النجاح لولا ان المرض احوجه الى مغادرة القلم للاهتمام بصحته. فرجع الى وطنه وما نشب ان توفي. وقد نشر المشرق ترجمته مطولة بقلم احد آله الادباء نجيب افندي

باخوس (المشرق ٥ : ١٥١ و١٩٧) وهناك عدة مقاطيع نثرية وشعرية تشهد له بانسجام الكلام ورقة النظم والتفنن في الكتابة فعليك بها. وكذلك مرَّ لنا وصفهُ للربيع في باريس (في المشرق ٣ : ٣٤٨) ولدمار بومياي (٣ : ٤٦٢) وقصيدتهُ في حكمة النفس (٣ : ٣٢٢) وليس في الاعادة افادة

وفي السنة ١٨٨٣ رُزئت الآداب باحد ابناء عائلة شريفة في بيروت المرحوم (سليم بن موسى بسترس) كان مولدهُ في ٢٩ آب سنة ١٨٣٩ واقبل صغيرًا على درس الآداب العربيَّة وبعض اللغات الاجنبيَّة وفي السنة ١٨٥٥ تجوَّل في انحاء اوربا وزار عواصمها وقد وصف رحلتهُ في كتاب طبعهُ في المطبعة السوريَّة دعاهُ النزهة الشهيَّة في الرحلة السليميَّة. ثم تعاطى بعد ذلك الاشغال التجاريَّة في الاسكندريَّة ثم انتقل الى انكلترَّة وسكن ليفربول ولندن واتسعت هناك اشغالهُ وعُرف بفضلهِ وسخاء يدهِ فتوفَّر عدد اصحابهِ بين وجوهُ البلاد واعيانها ونال من محاسن الامبراطور اسكندر الثاني التحفات الفائقة وحاز الامتيازات الخاصَّة وكذلك الدولة العثمانية منحتهُ اوسمتها العالية الشان. وكانت وفاتهُ في لندن في ٣ شباط سنة ١٨٨٣ لكنَّ جثتهُ نُقلت الى بيروت فدُفن في ضريح عائلتهِ وقد رثاهُ كثير من الادباء نثرًا ونظمًا بنخبة الاقوال التي جُمعت في كتاب خاصّ. فمن رقيق ما قيل عن لسان الفقيد عند نقل جثتهِ الى بيروت ابيات لالياس افندي نوفل:

لمَّا قضى السقمُ ان يسطو على بدني ... قد رقَّ حتى رأيتُ الروح تثقلني
فقلتُ لا تدفنوا جسمي بغربتهِ ... فالشرق اقربهُ تربًا الى عدني
هناك فوق رباهُ خيرُ من تركت ... عيني وغمت ثراهُ خيرُ مرضعتي
قد جئتكم اثرًا يا جيرتي وانا ... العينُ التي شخصت للاهل والوطنِ
فعند مشهد نعشي فاندبوا اسفًا ... صباي او عند قبري فاذكروا زمني
اودعت جسمي لديكم في الممات وكم ... اودعتكم في حياتي القلبَ في شجني
فاستعطفوا الله من اجلي فرحمتهُ ... هي النجاة لنفسي يوم يحشرني

وكان سليم دي بسترس شاعرًا بليغًا لهُ منظومات متعدّدة جمع فيها بين سلاسة الكلام ولطف المعاني. فممَّا استحسنَّاهُ من نظمهِ قولهُ في رثاء:

لا شيء غير نفوسنا يتخلَّدُ ... تلك البقيَّة غيرها لا يوجدُ
وسواؤها فوق البسيطة كلهُ ... يفنى وضمن تراجها يتوسَّدُ
روحٌ إلهِ الكون ارسلها الى ... جسد الفنا نورًا بهِ يتوقَّدُ

فتفرد ذاك الجسمَ في طرق الهُدى وترى لهُ الحقّ المبين وترشدُ
حتى اذا كملت مواعيدٌ لها نادى بها صوتي اليَّ فتصعدُ
وتُفارق الجسم الذي سُجنت به بحياتهِ والى السعادة تقصدُ
حتى اذا تمَّ المعادُ وقد أتى يومٌ بهِ كل الخلائق تحشدُ
تعطي الى رب العباد حسابها في محفل فيهِ الملائكُ تشهدُ
في ساعةٍ يا هولها من ساعةٍ ان لم تكن فيها الفضائلُ تضدُ
وتبيت مع طغمات اجنادِ العلا تجثو الى العرش المنير وتسجدُ
وتشاهدُ المجد المشعشع نورهُ وتسبّح الربّ العظيم وتحمدُ

ولهُ تهنئة في عام جديد:

اتى العام الجديدُ يزيد عاماً بتاريخ المحبّة والوداد
على قدر السنين اليك يُهدى تحيّات السليم على معادِ
اسرُّ بكل عام حيث فيهِ محبّتنا تدومُ على اتحادِ
وان كنتُ البعيد فانَّ قلبي على طول المدى بين الاباديِ
اوكّلهُ ينوب اليوم عني بتقديم التحيّات الجدادِ

(البقية للآتي)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

تفنيد قول الماسون بان جمعيّتهم خيرية (تابع)

ولعلَّ قائلًا ينسبنا الى الاغراض الشخصية او الى الجهل اذ انكرنا على الماسون دعواهم بانَّ جمعيّتهم خيريّة فلنسمع التقرير الرسميّ الذي تلاهُ في الندوة الفرنسويّة المسيو براش (Prache) رئيس اللجنة الموكول اليها فحص الشكاوى على الماسونية فهذا تعريب قولهِ عن جريدة الدولة الرسمية (L'Officiel) سنة ١٩٠٢:

« من النتائج التي تحقّقناها في ابّان تفتيشنا ان الماسونية تقرُّ بانها لا تهتمُّ بالبؤساء ولا تنوي مساعدة الفقراء. ومن ثم يتّضح انَّ لا صحّة لقول الزاعمين بينهم بانَّ الماسونية جمعيّة خيريّة وانها تخفي حسناتها أنفةً من التباهي والبجح

« ثم بحثنا عن المشروعات الماسونيين الخيريّة فكلُّ ما وجدنا لهم في باريس ميتمٌ

واحد لا يقبلون فيه غير يتامى الماسون الّا ان النفقات على هذا الميتم ليست كلّها من مال محافلهم بل يؤخذ قسم كبير من تلك المصاريف من صندوق البلديّة العام اي من خزينة الدولة ومال الشعب ويُضاف اليها هبات ماليّة من بعض الجمعيّات العموميّة فيبلغ ذلك كل سنة ٤٨,٠٠٠ فرنك فتكون حصّة الماسون مع هذا زهيدة

« وهذه بعض اقرارات نقلناها من خُطب الماسونيين في محافلهم. قال واحد: ليس الاحسان الى المحتاجين من شؤون الماسونيّة. قال آخر: لا ترمي الماسونيّة الى إسعاف المعوزين فانّ المشروعات الخيريّة ليست من غاياتها وانّما هي من خواصّها الثانويّة فقط. قال ثالث: كثيرون من اخوتنا الماسون يجهلون تعليمنا الجوهري وغاياتنا القصوى فيظنّون انّ جماعتنا جماعة اسعاف متبادل او جمعيّة خيريّة لمدّ ايدي المساعدة للمعوزين. وهذا كلّهُ شطط وضلال

« وقد اطّلعنا على المبلغ الذي تفرضهُ كل سنة شورى المسونيّة على مشايعيها فاذا هو يتراوح بين ١٠١,٩٠٠ فرنك و١٠٣,٠٠٠ ف وغاية ما يُنفق من ذلك المبلغ لاسعاف البائسين من جماعتهم لا يتجاوز ٧,٣٠٠ فرنك

« ودونك ما كتبهُ الاخ ∴ لوفه (Leveu) في لائحته عن المشروعات الخيريّة في الماسونيّة قال: كل مرّة حاولنا انشاء المشروعات الخيريّة ذهبت اتعابنا سدًى والدليل على ذلك ميتمنا الماسوني الذي لولا الاسعافات الخارجيّة لما امكننا حفظهُ. ولو علم اعداؤنا انصار الاكليروس عجزنا في المشروعات الخيريّة لضحكوا منّا وطوّقونا عارًا وسربلونا خزيًا وخجلًا »

هذا ما خطب به المسيو پراش على دروس الاشهاد في الندوة الفرنسويّة ولم يَقُم احدٌ من الماسون الحضور — وكثيرًا ما كانوا — ليفنّدوا قولهُ. فان كانت اقوال المسيو پراش كاذبة فليُسرع الفرمسون ويقيموا عليهِ الحجّة بكتابة رسمية ينشرونها في الجرائد الكبرى ويدعوهُ الى المحاكمة لاستطالتهِ في عرضهم

فما اغنانا بعد هذه الايضاحات عن تلفيقات الماسون الذين يصرخون بملء الاشداق انّ جمعيتهم خيريّة. واين هذه التقارير الواضحة من اقاصيص الاخ ∴ شاهين بك مكاريوس في كتابهِ « فضائل الماسونية » الذي كان حقّهُ ان يُدعى خزعبلات الماسونيّة نقول ذلك مع الاحترام لشخصهِ وتقديرنا لمقامهِ في الماسونية اذ هو كما اعلمنا « رئيس

اعظم شرف مقام العقد الملوكي بالينويس في الولايات المتحدة الاميركية وعضو شرف في كل من محفل اللولو باميركا ومحفل سايلن الملوكي بالقدس الخ الخ الخ »

وان قال قائل انَّ الماسونية ليست جمعية خيريّة لتُسعف الاجانب وانَّما تُحسن لذويها والمشتركين معها

جوابنا على ذلك: اوّلاً انَّ المحسنين الصادقين ينظرون الى بؤس المحتاج ليس الّا اذ ان إحسانهم لوجه الله ومن ثمَّ اقتصار الماسون بصدقاتهم على ذويهم خلل ظاهر. ثانياً قد ثبت من اقوال الماسونيين انفسهم انَّ الاحسانات التي يؤدُّونها لمشايعيهم انَّما هي فقط لخدمة مصالحهم الخاصة فان رأوا اخاً لا يمكنهُ اسعافهم في ادراك غايات الجمعيَّة — وسوف نبيّن تلك المآرب — عدلوا عنهُ وتركوهُ في حاجته. وهذا بعض اقوالهم تؤيد قولنا:

قال الاخ راغون م.·. : « الماسون الفقراء في جمعيَّتنا بمنزلة قرح او برص شنيع المنظر كريه المخبر » فقابل رعاك الله بين هذا القول وتطويب السيّد المسيح للفقراء حيث قال عزَّ وجلَّ : طوبى للفقراء بالروح فانَّ لهم ملكوت السموات

وقد وضع الاخ م.·. برنفيل (Beurnonville) هذه القاعدة لقبول من يلتمس الدخول في الماسونية: « اياكم ان تقبلوا في جمعيَّتنا اناساً يأتونكم ليمدُّوا اليكم يد الاستعطاء ليس ليساعدوكم بمالهم »

وقال الاخ م.·. بازو (Bazot) في كتابه الدستور الماسوني (ص ١٧٦ و ١٧٧) : « لست اعرف شيئاً اقبح من الاخ الماسوني الذي يستعطي فانَّهُ يترصدك كاللص حيثما رآك ويكرّر على مسامعك بانَّهُ من جماعتك الماسونيَّة فيجب عليك ان تسعفهُ بمالك كاخيك. ويلاهُ ما هذه المكيدة. ما هذه القحة ؟ وانا الذنب على المحافل الماسونية التي تدرج في سلك اعضائها رجالاً محتاجين بدلاً من ناس اشراف ذوي مقدرة ماليَّة » فترى انَّ طلب الحسنة في اجماعات الماسونية مكيدة ووقاحة فما اجهل الشبَّان الذين يدخلون فيها املاً منهم ان ينالوا يوماً اسعافاً في حاجاتهم

٢ كذبت الماسونية بقولها انها ساعية بقمع الجهل ونشر العلوم

فليسمح لنا الماسون ان نلقي هنا عليهم بعض الاسئلة. انَّ العلوم تُقسم الى علوم دينيَّة وعلوم دنيويَّة وكل قسم يتناول عدداً وافراً من العلوم الخاصَّة فايُّ علم اخذت الماسونية

على نفسها ان تنشره . فان قالت انّها تسعى في بثّ كل المعارف وتعليم كل العلوم سألناها اين هي مدارسها ؟ اين كلياتها ؟ اين معاهدها العلمية ؟ اين مراصدها الفلكية ؟ اين التآليف العلمية التي سمت بنشرها ؟ اين ؟ . . . اين ؟

فان قلنا انّ الرهبانية اليسوعية تُعنى بنشر العلوم لمّا انكر علينا احد قولنا اذ انّ كلياتها ومدارسها ومراصدها الفلكية يشار اليها بالبنان في اربعة اقطار العالم الّا ما سعى الماسون بابطاله واقفاله ظلماً كما فعلوا في فرنسة (ولعلّهم فعلوا ذلك محبة بنشر العلوم . . . زهْ زهْ ! !) . اما الماسون فمن منّا سمع بمدرسة ماسونية او بمكتب واحد صغير قام بانشائه الاخوة الماسون لينفوا الجهل من عقول الاحداث

فان احتجّ علينا بعض الماسون بقولهم : انّ في جماعتنا الماسونية كثيرين من العلماء والاساتذة والكتبة المشاهير افليس كل هؤلاء ساعين في نشر العلوم ؟ قلنا انّنا لا ننكر انّ بعض العلماء منتظمون في الماسونية ولكن أيجوز للماسونية ان تنسب لنفسها قمع الجهل ونشر المعارف لانّ بعض الافراد من الماسونيين بشغلهم الخاصّ وبفهمهم الغريزيّ توصّلوا الى مهنة التعليم ونالوا شهرةً بالكتابة والتأليف . هل الماسونية هي التي خرّجتهم ورشّحتهم لتلك المناصب ؟ هل الماسونية هي التي تصرف المال على ما يؤلفونهُ من التآليف ويبرزونهُ بالطبع ؟ فهذه المجاميع العلمية والنشرات في كل ضرب من المعارف البشرية فليدلّنا الماسون على مجموع واحد علميّ او نشرة واحدة علميّة تقوم الماسونية بنفقاتها فنشكرهم على افادتها

وكأني بالماسون يردفون بقولهم ألا ترى المدارس التي فتحها روّاد الشيع السرّية في ازمير وسالونيك ومصر ومؤخرًا في بيروت فانّ هذه آثار للماسونية لا تُنكر . اجل انّ هذه المدارس التي ندعوها بالمدارس اللادينيّة هي ثمرة الماسونيّة فنحن نقرّ لها بها وان كان اصحابها لا يحبّون ان ينسبوها الى الماسونية كما انّ الماسون لا يعضدونها بمالهم الخاص (١ وعمّا قليل ان شاء الله سوف تكتحل ابصارنا بتلك العلوم الباهرة التي تكشف عن عقول الشرقيين ما تكدّست فيه من ظلمات الجهل كما اشرقت لنا قبلًا انوار

---

(١) وكذلك الماسون سعوا بفتح عدّة مدارس ابتدائية بفرنسا تكون تحت نظارتهم فنالوا من الحكومة ان يتولّوا تدبيرها الّا انّ هذه المدارس كلّها لا ينفق الماسون بارة على مصاريفها وانّما غايتهم من فتحها لا تعليم الصغار بل تربيتهم على الآداب (اي المفاسد) الماسونية

مدرستي اوليفيه واوجيه فكادتا تبهران عيوننا بضيائهما الخاطفة ! ! نهنئ الماسونية بهذا الثور

فلم تكُ تصلحُ الّا لهُ ولم يكُ يصلحُ الّا لها

٣ كذبت الماسونية بقولها انها لا تعادي الدين

ليست الماسونية اصدق بقولها انها لا تناوئ الدين منها بزعمها انها جمعيّة خيريّة وان غايتها استئصال الجهل وبثّ انوار العلوم. اعلم انّ الدين يظهر في العالم على صورتين: الدين الطبيعيّ والدين الوضعيّ فالاوّل قد طبعهُ الله في قلب الانسان وهو يتوقّف على مبادئ عموميّة تسمق بالمخلوق الى خالقهِ وترشدهُ الى عبادتهِ وتتميم وصاياهُ التي يوضحها لهُ العقل السليم كالامتناع عن القتل والزنى وكالاقرار بالآخرة وثوابها والخلود فيها

امّا الدين الوضعيّ فهو الذي اوحى بهِ الله الى البشر عن لسان انبيائهِ وخصوصاً على يد موسى النبيّ في العهد القديم وبواسطة ابنهِ الالهيّ الكلمة المتجسّد السيّد المسيح في العهد الجديد. فايّ دين من هذين الدينَين تجلّهُ الماسونية ؟ اترضى بالدين الموحى بهِ منهُ تعالى ؟ او تحامي على الاقلّ عن الدين الطبيعيّ ؟

الماسونية ترذل كل دين وضعيّ

اخصّ الاديان الوضعية النصرانية واليهوديّة والاسلام وليس غرضنا ان نثبت صحّة كل دين من هذه الاديان وانّما نؤكّد انّ الماسون يعتبرون هذه الاديان كلّها كخرافة متساوية وخصوصاً الدين الكاثوليكيّ الذي شرّفوهُ ببغضهم وناصبوهُ القتال. فاسمع بعض تصريحات الماسون انفسهم. قال الاخ «. گولفين (Golphin) في محفل متفيس في لندن: « انّنا اذا سمحنا ليهوديّ او لمسلم او لكاثوليكي او لبروتستاني بالدخول في احد هياكل الماسونية فانّما ذلك يتمّ على شرط انّ الداخل يتجرّد عن اضاليلهِ السابقة ويجحد خرافاتهِ واوهامهُ التي خُدع بها في شبابهِ فيصير رجلاً جديداً فلو بقي على ما كان لا يستفيد البتّة من محافلنا الماسونية ». فترى من قول هذا الاخ انّ الماسوني لا بُدّ لهُ ان يتجرّد عن الخرافات الدينية ويلبس الرجل الجديد اعني روح الماسونية القح

وهذه شهادة اوضح من السابقة ننقلها عن النشرة الماسونية الفرنسويّة في عدد كانون الثاني سنة ١٨٤٨ : « انّ معظم الطائفة الماسونية الّا بعض المحافل الخاصّة ليس فقط لا يقبل النصرانية لكنهُ يثير على هذا الدين حرباً حواءً والدليل عليه قبول اليهود في المحافل الماسونية الانكليزيّة والفرنسويّة والاميركية والبلجيكية ومنذ عهد قريب في محافل المانية »

وورد في النشرة الرسمية التي اذاعها « الشرق العظيم » في فرنسا الذي تحت حمايته كثير من المحافل الماسونية في سوريّة وذلك في تاريخ تموز من سنة ١٨٥٦ ص١٧٢ : « كما انهُ لا يوجد الّا حقٌ واحد طبيعيّ مصدر كل الحقوق والشرائع الوضعية كذلك لا يوجد الّا ديانة واحدة عمومية تحتوي ضمنها كل الديانات الخصوصية في العالم فتلك هي الديانة التي نعتقدها واليها نضمُّ اولئك الذين يتذهبون بمذاهب خصوصية . وهي هي الديانة التي تُعلن بها الدول اذا نادت بحريّة الاديان »

امّا كون النصرانية ولاسيما الدين الكاثوليكي هو الدين الذي تريد الماسونية قبل كل الاديان ان تناصبهُ وتلاشيهُ فذلك يتّضح من شواهد لا تُحصى للماسون . قال زعيم الماسونية الفرنسويّة (١ : اننا كنّا سابقاً نرشق بسهامنا الحزب الاكليريكيّ (le cléricalisme) ونفرز بينهُ وبين الكثلكة وهو تمييز دقيق لطيف احتجنا اليه بازاء الجمهور وفي ندوة المبعوثين امّا هنا في محافلنا فلنصرّح بالحقيقة قائلين انّ الحزب الاكليريكيّ والدين الكاثوليكيّ شيءٌ واحد فبقولنا انّ الحزب الاكليريكيّ هو العدوّ الالدّ (وهي كلمة قالها الاخ . . . كمبيتا ايام وزارته) لا نريد به الّا امراً واحداً ان تقوّض اركان الديانة الكاثوليكية فانّا نحن الماسون لا يمكنّا ان نكفّ عن الجهاد ما دامت الكثلكة حيّةً . فانّ الحرب بينها وبيننا حربٌ دموي لا مناص من ظفرها او ظفرنا لا بُدَّ من موتها او موتنا »

ثم اردف الخطيب كلامهُ بذكر الشرائع التي سُنّت في فرنسا ضدَّ الكثلكة منذ ربع قرن ونسبها كلها للمحافل الماسونية وختم كلامهُ بقوله « انّ الماسون لا يرضون براحة ريثما يقتلوا كل الكنائس فيجعلوها هياكل لحريّة الضمير ولإله العقل »

---

١) اطلب الصفحة ٣٥ من الكتاب المشؤوم (La Grande Eennemie)

وقال يوسف روزن الماسوني في كتابه الشيطان وشركاؤه (١) : « انّ المنتظم في الدرجة الثالثة والثلاثين (من الطقس الاسكوتلندي) يجب عليه ان يسعى في ملاشاة الكثلكة لانها خيانة اثيمة وضدّها جميع وسائل العمل هي حسنة بالسّواء . . . امّا الوسائل التي يجب ان نستعملها للحصول على غايتنا فحسنة كلّها بشرط ان ننجح »

فهذا كلام واضح لا يحتاج الى تفسير . وفيه صريحاً ذلك المبدأ الكاذب الذي طالما نسبهُ زوراً اعداء الكنيسة للرهبانيّة اليسوعية وقد عيّن حزب الكاثوليك في الندوة الالمانية جائزة عشرة الاف فرنك لمن يمكنهُ ان يبرهن بان اليسوعيين علّموا بهذا المبدأ الفظيع سرّاً او جهاراً . والصحيح انهُ مبدأ ماسوني محض كما ترى

وكما انكرت الماسونية في بلاد الغرب صحّة الاديان الوضعيّة كذلك ينكرها الماسون الشرقيّون . وحسبك برهاناً على قولنا ذكر كتاب المعاطس الذي نشرهُ آخراً الاخ ٭ش . ش فصوّب نبال شتمه الى الديانات الثلاث اليهوديّة والنصرانية والاسلام . ومثلهُ الاخ ٭ ابراهيم اليازجي في سينيّتهِ (اطلب المشرق ص ٦٧ و ٢٧٨) وقيل انها للاخ ٭ش . مكاريوس :

المعبرُ كلّ المعبر في هدم الجوامع والكنائس
والشرُّ كلّ الشرّ ما بين العمائم والقلانس
ما هم رجالُ الله فيكم بل هم القوم الأبالس
يمشون بين ظهوركم تحت القلانس والطيالس ! ! !

الماسونيّة والدين الطبيعي

ولكن هَبْ انّ الماسون لا يدينون بديانة تقبل بوحي الله الى البشر أفليست كما قال الاخ ٭ اياليا الحاجّ « تشتمل على محبة الله ومحبة القريب » وكما قال الاخ ٭ شاهين بك مكاريوس : « دستورها الاساسي الايمان بالله وخلود النفس » وكما قال « حضرة كلّي الحكمة ٭ الياس بك منسّى » : « الماسونيّة لا تمنع احداً من ممارسة فروضهِ الدينيّة » فهذا كلهُ يدلُّ على انّ الماسونية لا تقصد معاداة الدين على الاقلّ الدين الطبيعي المبنيّ على الحقائق الطبيعيّة الراهنة كوجود الخالق ووجوب قيامنا بعبادتهِ وكالقول بخلود

(١) اطلب البشير سنة ١٨٨٨ العدد ٩٣٥ ص ١

النفس ومجازاتها في عالم اخر على صالحاتها او سيئاتها . فان هذا الدين وان كان دون الدين الوضعيّ واحطّ منهُ درجةً ولا يفوق العقل البشري الذي يستطيع اثباته بالادلّة الفلسفية الّا انهُ اساس الدين الوضعي وركنهُ . أفلا يكفي ذلك لتزكية الماسونيــة عن خلع نير الدين ؟

نجيب اولًا انَّ الانسان ليس بمخيَّر في اختيار دينهِ فانَّ العقــل السليم لا يرشدنا فقط الى قضايا الدين الطبيعيّ لكن يمكننا ايضاً ان نستدلّ بهِ على ان الله الذي يثبت العقل وجودهُ اراد ان يوحي لخلقهِ بعض الحقائق ويهديهم الى بعض الفرائض . فان ثبت ذلك تاريخيًّا تحتَّم على الانسان ان يطأطئ برأسهِ خاضعاً لربّهِ كالعبد لسيّدهِ ويعتقد ما اوحى بهِ من الاسرار وينجز ما يأمرهُ اليهِ من الاوامر . فان تحقَّقتُ مثلًا بدرس التاريخ الصحيح والتقليد الصادق انَّ الله ظهر لشعبهِ على طور سينا واوحى لهُ ببعض الوصايا وجب عليَّ تصديق ذلك الحادث التاريخي والخضوع التام لما حتم عليَّ الموحي من الواجبات والفروض . فالماسونية اذًا بقصرها اعتقادهــا الى الدين الطبيعي ونفيها الدين الوضعي واهمالها البحث عنهُ تخالف مشيئتهُ تعالى وتنشر لواء التمرُّد والعصيان

نجيب ثانيًا انَّ الماسونية كاذبةٌ حتى في اعلانها بانهــا تؤمن بالله وبخلود النفس وبقية الحقائق الدينية المبنية على المبادئ العقلية وهاك الشواهد على قولنا :

قالت نشرة الماسون الالمانية في تاريخ ١٥ ك ١ سنة ١٨٦٦ . « ليس فقط يجب على الفرمسون ان لا يكترثوا للاديان المختلفــة لكن يُقتضى عليهم ايضاً ان يقيــوا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالاله ايًّا كان »

قال برودون (Proudhon) احد زعماء الماسونية : « ليست الماسونيــة سوى نكران جوهر الدين . وان قال الماسون بوجود الاله ارادوا بهِ الطبيعة وقواها المادّية او جعلوا الانسان والله سبحانهُ وتعالى كشيءٍ واحد »

قال المجمع الرسميّ للماسونية الهولندية سنة ١٨٧٢ في لائحتهِ النهائيَّة : « انَّ الروح الذي بهِ نحيا هو روحٌ ازلي لا يعرف انقسام زمان ولا وجودًا فرديًّا فان في العالم الواسع وحدةً مقدَّسة تملك الكلّ ونفوسهم فليس الّا سلطة واحدة وادبيَّة واحدة واله واحد ولذا نحن الله والانسان من جنس الله وروح الانسان من روح الله والروح غير منقسم فنحن البشر نؤلف الكلّ الذي يقوم منــهُ الكائن العظيم وكل

شيء يرجع الى هذا الوحي : نحن الله . . . فالذي يشعر بانهُ اله يعيش بحياة لا تعرف الموت »

فهذا نص مذهب الحلول كمذهب البوذية (Bouddhisme) كما ترى لا يجعل فرقاً بين الله والانسان وذلك بمثابة نكران وجودهِ تعالى

وهذا القول قد صرَّح بهِ ويسهربت الالمانيّ منشئ الماسونية في شرحهِ للدرجة الماسونية العليا (١) : « كل شيء هو مادي . فالله والعالم ليسا الا شيئاً واحداً وجميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها الرجال ذوو المطامع » (لهُ بقيَّة)

خمس وعشرون سنة

في سبيل الدين والوطن

لاحد الآباء اليسوعيين (*)

نشر احد مكاتبينا من أدباء بغداد في المشرق (٤ : ٨٤٤) فصلاً مستجاداً عن نجاح كاثوليك بلجكا في خدمة وطنهم . الّا انَّ ذلك النجاح لم يظهر بمنوالٍ اجلّ واجلى منهُ في هذه السنة التي احتفل فيها البلجكيُّون لتذكار فوز الحزب الكاثوليكيّ منذ ٢٥ عاماً فعُقدت لهذه المواسم الاجتماعات وأُقيمت الاعياد الشائقة وأُنشئت المؤتمرات العديدة وأُلقيت الخطب البليغة التي اوضحت لكلّ ذي عين ما صنعهُ الكاثوليك في هذا ربع القرن لخدمة الدين والوطن

وكان اكبر هذه المجتمعات مؤتمر مدينة مالين الذي عقد جلساتهِ من ٢٣ ايلول الى ٢٦ منهُ . وقد رأينا مؤخراً غبطة بطريرك الكلدان السيّد عمانويل يوسف توما الذي شرَّف ذلك المؤتمر بحضورهِ فكان لا يتمالك عجباً عمَّا رآهُ وسمعهُ في ذلك المظهر الجليل . قال : قد خيل لي ان بلجكة الكاثوليكية كانت تقاطرت كلّها الى مالين واقدّر ان

---

١) كتاب المذاكرات على جمعيَّة اليعقوبيين لبارويل (Barruel) ج ٣ ص ١٩٣

(*) اخذنا معلوماتنا لتحرير هذه المقالة عن احد الآباء اليسوعيين البلجكيين الذي ارسل الينا نشرات وافادات شتى استمدَّ بها وقد اضفنا اليها ما وقفنا عليهِ في الكتب الخاصة والمجلات

عدد الذين حضروا تلك المظاهرات الفخيمة كان يبلغ فوق المئة والثلاثين الفاً. وكان عدد الاكليروس الرهباني والعالمي من كادلة ورؤساء اساقفة وكهنة يبلغ ثلاثة آلاف بنيف وكانت ١٥٠٠ جمعيَّة كاثوليكيَّة دينيَّة خيريَّة علمية ادبية صناعية اجتماعية ارسلت كلها نوَّاباً ينوبون باسمها في ذلك المشهد الوطني. فكنت ترى كل اجيال الشعب من اشرف الاعيان الى ادنى طبقات العامَّة كأنهم قلب واحد ونفس واحدة اتوا زرافاتٍ من كل انحاء مواطنهم ليشكروا الله على ما سكبهُ على بلدهم من سجال نعمه منذ تربَّع الكاثوليك في دست الاحكام فبلَّغوهُ مقاماً من العزّ قلَّما تجد له شبيهاً في بلد آخر وذلك بفضل الدين الذي اعتصموا بحباله وبتفانيهم في خدمة الوطن. وقد أحصت شركة السكك الحديدية عدد الذين قدموا في احد أيام ذلك المؤتمر لحضور محافله المهمة فكان ٥٧,٠٠٠. قال البشير في وصفهِ لافتتاح المؤتمر: « كان افتتاح المؤتمر برئاسة نيافة الكردينال مرسيه رئيس اساقفة مالين وجاثليق بلجيكة وكلّ من المسيو كوريان رئيس مجلس النوَّاب والفيكونت سيمونيس رئيس مجلس الاعيان وحضور نيافة السفير البابويّ وعموم اساقفة بلجيكة وكثير من الوزراء والنوَّاب والاعيان وجمهور غفير من الاكليروس والشعب . . . فللّه ما كان اجملهُ وابهاهُ منظراً ابتسمت له الثغور وثلجت به الصدور منظر امَّة بكاملها تمثَّلت بخاصَّتها وعامتها واكليروسها وحكومتها وفقرائها واغنيائها وعلمائها وجثت خاشعة امام الخالق في كنيسة القديس رومبو ملتمسة من ابي الانوار الرشد والهداية في اعمال المؤتمر »

وكان اوَّل صوت سُمع في تلك الكنيسة صوت رئيس المؤتمر: « لنجاهر بايماننا المقدَّس ولنستهلّ اعمالنا بكلام يُفصح عن حبّنا ومعتقدنا ولنهتف بصوت واحد: المجد والشكر للسيِّد المسيح ». فدوت للحال في كل انحاء الكنيسة اصوات الجمهور بالتصفيق والهتاف « المجد والشكر للسيد المسيح ». ثم اردف ذلك بهتاف آخر ردَّدهُ معهُ الحضور فبلغ عنان السماء « ليَحيَ البابا ليحي بيوس العاشر ». وللحال تلا عريضةً تُرسل باسم المؤتمر على لسان البرق الى الاعتاب الرسولية ضمَّنها اصدق مشاعر الاخلاص وارقّ عواطف الحبّ قال في اثنائها: أننا بتقدمة فرائض الخضوع للكرسيّ الرسولي لا نقضي واجباً فقط وانَّما نلبّي داعي قلبنا. فايمان البابا ايماننا وارادتهُ ارادتنا ومصلحتهُ مصلحتنا ولسنا وإيَّاهُ الَّا واحداً. الكنيسة هي سفينة الخلاص فبها نعتصم. أيُّها الاب الاقدس

انك والكنيسة التي ترأسها منقذ الهيئة الاجتماعية ومخلصها ونحن الكاثوليك البلجيكيون من كل الطبقات المتطلقون باساقفتنا تعلقاً لا تنفصم عراه قدم لك سامي احترامنا وخالص خضوعنا وامتثالنا لتعاليمك وارشاداتك . . . نعم أيها الاب الاقدس سنداوم على اتحادنا المتين العُرى ونكون وفقاً لتعليم الرسول المصطفى متحدين بالقلب والكلام والاعمال والرغائب »

وقد تُليت في هذا المؤتمر من الخطب البليغة ما اهتزت له القلوب وكادت تطير به الالباب وكان الخطباء من الرجال المفوهين الذين ازدانت بهم منابر الخطابة في بيع العواصم او في مجالس الأمة وكلهم لا يجدون في هذه النوادي غير قلوب واعية تضرب معهم على نغمة واحدة . وكان منهم من يمثلون الاحزاب الكاثوليكية الاجنبية كفرنسة والمانية وانكلترة وهولندة . وقد قام بعضهم يخطبون في الجلسات الخصوصية او الجلسات العمومية فيحركون في الحضور كل الشواعر الشريفة فتارةً يبكونهم وتارةً يضحكونهم وطوراً يسوقونهم الى مباشرة الاعمال الخطيرة لخدمة الدين او للدفاع عن حوزة الوطن . وقد اشتهر بين هؤلاء الخطيب الفرنسوي الشهير جاكيه (Jaquier) قيل انهُ لما انتصب لخطابة صمت الجمهور كأنَّ على رؤوسهم الطير ثم ضجوا لاقواله استحساناً ثم اجرى من مآقيهم الدموع في ختامه فكان لكلامه احسن وقع في الصدور

ومثلهُ الخطيب البلجيكي وست (Woeste) احد زعماء الكاثوليك منذ نصف قرن فمن اقواله لتوثيق عُرى الاتفاق بين فئات الكاثوليك ما تعريبهُ :

« يتحتم علينا الان اكثر من الزمن السابق ان نكون جميعاً متحدين . وغاية ما اتمنى ان يعدل الكاثوليك عن كل مسألة تفرق كلمتهم ويرتبطوا ارتباطاً وثيقاً لا يستطيع احد ان يرهن قواهُ . . . فما لي اسمع البعض يقسمون الكاثوليك الى محافظين وجمهوريين فانا كلنا محافظون اذ لا نرمي الا الى غرض واحد حفظ الكنيسة وخلاص الهيئة الاجتماعية وكلنا جمهوريون اذ كلنا نتفانى في سبيل الجمهور وفي خدمة طبقات الشعب . فالحذر الحذر أن ننشر راية مختلفة وآيانا ان نتخذ شعاراً متبايناً فانَّ شعارنا الوحيد هو اسمنا المجيد اسم « كاثوليك » فيه لباب كل معتقدنا وخلاصة امانينا »

وما هذه الاقوال غير اصداء ضعيفة لخطب عديدة بلغنا انها سوف تُجمع فيكون مجموعها جلداً ضخماً . وكان مسك الختام لذلك المؤتمر الجليل طواف عجيب اشترك

فيه هؤلاء الألوف والربوات من الكاثوليك فخرجوا بالنظام التامّ وطافوا في انحاء المدينة وهم ينشدون بتحمّس اناشيدهم الدينيّة والوطنية وكان لكل بلد مقامهُ وراياتهُ ورؤساؤهُ وجمعياتهُ ولكل جمعيّة بزّاتها الرسمية واجواقها الموسيقية فظهرت في ذلك النهار قوّة الكثلكة ورونقها اذ لم تتخلّف فئة من المومنين فمشى بينهم العملة واحداث المدارس والجمعيّات الفنيّة والفِرَق العلمية وعلى صدورهم شارات جماعاتهم واوسمتهم الشرفيـة . امّا الاكليروس فكان لهُ في ذلك الطواف المتزلة الممتازة اذ بفضلهِ وهمّتهِ تمكن البلجيكيين ان يذوقوا اثمار السلام مدّة هذه الخمس والعشرين سنة . فكان الكرادلة ورؤساء الاساقفة والاساقفة يمشون بحللهم الحبريّة فيأخذ منظرهم بمجامع القلوب . وكانوا قد اخرجوا اصونة ذخائر القديسين البلجيكيين من كنائسها فحُملت على الراحات بين الجماهير كأن اولئك الاولياء قاموا من قبورهم ليشاركوا ابناءهم بفوزهم . ولمّا انتهى الموكب بعد اربع ساعات الى الساحة العمومية الكبيرة أُنشد نشيد الشكر فخرجت الاصوات من صدور تلك الجماهير المجمهرة واكثرهم من الرجال فكانت اشبـه بصوت امواج البحر العجّاج الذي يُسمع دويّهُ الى مدى بعيد

وكما قامت مدينة مالين بمؤتمر عام كذلك بقية مدن بلجكة ارادت كلّهـا ان تقيم الحفلات الخاصة فتعدّدت تلك المظاهرات البهيجة في كل انحاء البلاد وجدّد الكاثوليك قواهم لتعزيز شؤون اوطانهم ادبيًّا وماديًّا ولمحاربة الفوضى والشيع السرّيّة

امّا الابحاث التي دارت عليها تلك المجتمعات فكانت تتناول كل مصالح البلاد فانّهم خاضوا في كل الابحاث التي من شأنها ترقية الوطن في الدين والآداب والتعليم والمدارس والمطابع والمسائل الاجتماعية والاقتصاديّة وشكروا الله على ما وفّقهم لصنعهِ في مدّة فوزهم ثم نقّبوا عن الوسائل الكافلة بالتقدّم والنجاح وتحسين احوال المبوّرسين والعملة والصغار فلم يدعوا بحثًا الّا تعاطوهُ لتكون دولتهم الكاثوليكية مثالًا وقدوةً لكل الدول سواها وليعلنوا لكلّ ذي نظر انّ الدين الكاثوليكيّ اذا ما نال حرّيتهُ التامّة هو كافل لسعادة الشعوب حتى في دنياهم

وبيانًا لهذه الحقيقة ها نحن نختصر في هذه الاسطر التاليـة اعمال الكاثوليك البلجيكيين في حقبة ظفرهم

*

انفصلت بلجكة عن شقيقتها هولندة سنة ١٨٣٠ فحازت استقلالها التامّ وكان شعار اهلها وقتئذٍ في اثر ما نالها من الحَيف والظلم : « أنا نريد الحريّة للكلّ وفي الكل ». فنهضت الأمة نهضة الرجل الواحد لتحقيق هذه الامنية فكانت السنون العشر الاولى اعواماً سعيدة باتفاق الاهلين ورميهم الى غرض واحد. الا انّ الشيع المعادية للدين وفي مقدّمتها الماسونية لم تكن لترضى بهذا الوفاق فقام احد رؤساء محافلها الكبار المسمّى ديفكس (Defecqz) والتجأ مع مرؤوسيه الى الوسائل التي تألفها الماسونية من مكر وخداع وثورات الى ان نال في مجلس الشعب الاغلبيّة لحزبه الذي دُعي بحزب الاحرار وتألفت وزارة كان اقصى غايتها معاداة الدين ومناصبة الكاثوليك ودامت تلك الحالة السيئة ثلاثاً وعشرين سنة ذاق الكاثوليك في اثنائها اصناف الضيقات وضروب النكبات حتى رثى لهم كلُّ من كان خالياً عن الاغراض . منهم الوزير الفرنسوي والبروتستاني الشهير گيزو (Guizot) في مقالة معتبرة نشرها في مجلة العالَمين سنة ١٨٥٧ وندّد باستبداد الاحرار وظلمهم وتضحيتهم لكل اصول الدستور وقابل بين تطرّفهم واعتدال الكاثوليك في خطّتهم ومراعاتهم لحقوق الجميع

ولو اردنا ان نروي كل ما سنّهُ حزب الاحرار لاضطهاد الكنيسة أيام فوزه لطال بنا الكلام . وغاية ما يقال انّ الشرائع التي سنّتها الماسونية في فرنسة منذ ثلاثين سنة لمناهضة الدين هي هي سبق وشرعها حزب الاحرار الماسونيّ في بلجكة فمن ذلك أنهم نزعوا من ايدي الكنيسة المشروعات الخيريّة والاوقاف ليتولّوا هم تدبيرها او قل بالحري تبذيرها . ومنها الغاؤهم الرواتب المعيّنة للكهنة القانونيين وللمدارس الاكليريكية ولاقامة الرتب الدينية . ثم سنّوا قانوناً لتجنيد المترشحين للكهنوت . فتتابعت وزارات الاحرار وليس لكلّها سوى همٍّ واحد تنكيس الدين . امّا الامور العمومية فكانت في اسوإ حال وصارت مالية الدولة على وشك البوار

ففي سنة ١٨٧٠ قامت وزارة كاثوليكية برئاسة المسيو مالو (Malou) فاخذ هذا وجماعتهُ في اصلاح الامور واستدراك الخلل وتنظيم المالية والاهتمام بشؤون الغلة فكاد يعيد للبلد رونقهُ وللمالية ثروتها واذا بالاحرار تمكّنوا ثانيةً بدسائسهم من الرجوع الى السلطة فانتشبت اذ ذاك في بلجكة حربٌ اهلية لم تجرِ فيها الدماء لكنّها بلّغت البلاد الى حالة يُرثى لها فقام وزراء اشرار كفرار اوربان (Frère-Orban) وبارا وثان هميك

(Van Humbeek) اتفقوا على مناشبة الحرب للدين فباشروا بالغاء التعليم الديني من المدارس سنة ١٨٧٩ وأردفوا ذلك بعدّة سنن أخرى مجحفة بحقوق الكاثوليك ختموها بقطع العلاقات الرسمية مع الكرسي الرسولي. وكانت الوزارة في مدّة هذه السنين الاربع لساءت تدبير المالية حتى بلغ النقص ٦٤ مليونًا من الفرنكات

ففتحت هذه المساوئ عيون العقلاء وشعر اخيرًا الشعب نفسهُ بمكائد الماسونية فكانت نتيجة انتخابات سنة ١٨٨٤ فوز الكاثوليك التامّ. ومذ ذاك الحين بقيت عنان السياسة في ايديهم فضبطوها ضبط الرجال المحنّكين بالتدبير المجرّدين عن الغايات الشخصية الثابتين على العمل المضحين النفس والنفيس في خدمة العموم وكانت الوزارات تتوالى وكلها ترمي الى غرض واحد إعلاء شؤون الوطن بتعزيز الدين. وقد اشتهر بين الوزراء رجال افاضل يُعَدُّون من نوابغ عصرهم في حسن السياسة كالسيو مالو وياقوبس (Jacobs) ووُست (Woeste) وبيرنارط (Beernaert) وبرله (Burlet) وفاندين بيربوم (Vandenpeereboom) ودي سمت (de Smet) ودي ترووز (de Trooz) وآخرهم سخُلارط (Schollaert) وهو الذي تصدَّر في الحفلات التي أُقيمت هذه السنة تذكارًا لفوز الحزب الكاثوليكي

وقد كان بودّنا ان نتتبّع كل دائرة من دوائر الاعمال العموميّة لنبيّن ما يعود انشاؤهُ او اصلاحهُ او تحسينهُ لمساعي الكاثوليك الّا ان هذا يستدعي مجلّدات ضخمة. وكان اوّل همّ الوزارة الكاثوليكية تجديد العلاقات مع الكرسي الرسوليّ الذي لم يزل اهل بلجكة يعلنون بانتمائهم اليهِ وبخضوعهم التامّ لاوامرهِ. ثم بادروا الى إلغاء تلك السُّنن المشؤومة التي قُرّرت لنفي التعليم الديني في مدارس الحكومة الابتدائيّة فاعادوا لهُ سلطتهُ على قلوب الاحداث. واصلحوا كثيرًا من القوانين لتنظيم الدروس العليا والدروس المتوسطة فوضعوا لذلك تقارير عامرة حكمةً وتعقُّلًا. وكان الاكليروس العاليّ والرهبانيّات المتعدّدة لاسيما الرهبانيّة اليسوعية يساعدون في ذلك الحكومة فأضحت على هذا المنوال مدارس بلجكة يُشار اليها بالبنان ويقصدها الاجانب فضلًا عن ابناء الوطن. وقد أُنشئت جمعيات كاثوليكية لفتح المدارس وتعميم التعليم فجمعت الكميّات الوافرة من المال لهذه الغاية. منها جمعية المدارس الكاثوليكية (Ligue catholique scolaire) امتدّت في كل انحاء البلد وغاية ما يُطلب من مشتركيها متاليك

(Schoolpenning) وفي مؤتمر مالين كان لهذه الجمعية راية كُتب عليها ١,١٥٠,٠٠٠ فرنك وهو المبلغ الذي امكنها جمعهُ لانشاء المدارس

قيل ان نجاح كلّ بلد متوقف خصوصاً على ماليته وقد سبق انّ الاحرار كادوا يهبطون بالدولة البلجكية الى اقصى درجات التقهقر بخرقهم وسوء تدبيرهم . فما تولّى الحزب الكاثوليكيّ سنوات قليلة حتى توفّرت الاموال وعادت الثقة للخزينة وامكن الدولة ان تفي ديونها الفادحة وتسعى بمشاريع عظيمة لم تخطر على بال من سبقها . ومع كل ذلك لم تثقل اعناق الاهلين بضرائب جديدة بل على خلاف ذلك خفّفت الضرائب السابقة فأنقصتها ثمانية ملايين فرنك عمّا كانت قبلاً حتى اخذ كثيرين العجب العُجاب بفعلها . قال احد كبار الاقتصاديين الفرنسويين المسيو فردينند باين (F. Payen) : « أيمُ الحقّ انّ الحكومة البلجكية بإصلاح ماليتها وخفضها لضرائب بلادها قد اتتنا بمثل عظيم لم نجد له شبيهاً في عصرنا في سواها من الدول » . وقالت احدى جرائد المانية البروتستانية الحرّة سنة ١٩٠٠ : « انّ لبلجكة اليوم دستوراً شرعياً يفضّل على كل دساتير الدُول »

وكما اصلحت الحكومة الكاثوليكية ماليّة الدولة كذلك قد انقذت زراعتها من الازمة التي كانت تتهدّدها فاخذوا يؤلفون الجمعيات الزراعية ويدرسون تربة بلادهم ليحسّنوها ويوفّروا غلّاتها واستجلبوا احسن الادوات الزراعية للحراثة وجرّبوا الطرق الزراعية المستحدثة حتى جعلوا بلادهم من اغنى البلاد الزراعية وقد اقرّ بذلك احد كتبة الانكليز المشتهرين سنة ١٩٠٣ : « ما حقّ البلجكيين ان يقرّعونا نحن الانكليز بقولهم : انّنا نقوت بغلّات زراعتنا تسعة اعشار سكّان بلجكة الذين هم اكثر اهل الدنيا ازدحاماً وكثافةً . ونصدر من بلادنا الى الخارج ما يساوي عشرين مليوناً من الفرنكات من مزروعاتنا . امّا زراعتكم الانكليزيّة فلا تكفي لقوت نصف الاهلين . ولو قابلتم ميلاً مربّعاً من تربة بلادنا مع مثلهِ من بلادكم لوجدتم ان ذلك الميل يغذي ٣٦٠ رجلاً زيادة من ميل تربتكم »

واعجب من الزراعة البلجكية صنائعها وخصوصاً معاملها واشغالها المعدنية واستخراجها للفحم الحجري فانّ الحكومة الكاثوليكية رأت ما لهذه الصنائع من التقدّم في البلاد المجاورة لبلجكة فاقبلت على توسيع نطاقها وتحسينها وتهويد اسعارها

فأمكنها بعد قليل ان تجاري اكبر الدول الصناعيَّة . وكفى دليلًا على قولنا الاشغال المتعدّدة التي يقوم بها البلجكيُّون في بلاد تركيا ومصر كالجسورة والسكك الحديديَّة وطرق الترامواي وغير ذلك ممَّا يُقضى به العجب ويدلّ على نهضة غريبة

وتوفُّر الصنائع والفنون في بلجكة يدلُّ على نموّ التجارة البلجكية بصورة تذهل العقول فانَّ الواردات الداخلة الى بلجكة في السنة ١٨٨٠ كانت تبلغ ١,٦٨٠,٩٠٠,٠٠٠ من الفرنكات والصادرات منها الى الخارج ١,٢١٦,٧٠٠,٠٠٠ ف اما السنة ١٩٠٦ فزادت الواردات حتى بلغت ٣,٤٥٤,٠٠٠,٠٠٠ ومثلها الصادرات ٢,٧٩٣,٨٠٠,٠٠٠ فيكون الفرق في زيادة الواردات ١,٧٧٣,١٠٠,٠٠٠ ف وفي زيادة الصادرات ١,٥٧٧,١٠٠,٠٠٠ ف ويكون مجموع تجارتها الخارجية اليوم ٦,٢٤٧,٨٠٠,٠٠٠ ف وكان سنة ١٨٨٠ ٢,٨٩٧,٦٠٠,٠٠٠ فيكون الفرق ٣,٣٥٠,٢٠٠,٠٠٠ فرنك فهذا لعمري تقدُّم عظيم وارباح طائلة تتمنَّاها الدول الكبرى وفي هذا النجاح احسن جواب لمن ينسب الى الملل الكاثوليكية الفشل والهبوط ويحمل المسئولية على الدين في تقهقر بعض الدول الكاثوليكية

ومثل التجارة تقدُّم العلوم فانَّ الجمعيات العلمية والمطبوعات الفنية والتآليف والمجلَّات الاختصاصية متوفرةٌ في بلجكة تباري ما أُنشئ من ذلك في حواضر بقية الدول حتى انَّ احد كبار السياسيين الانكليز امكنهُ ان يكتب ما تعريبهُ بالحرف: « ليست بلجكة صغيرةً الَّا بساحتها امَّا في بقية الامور فانَّها شبيهة بالدول الكبرى »

وممَّا صرفت اليه بلجكة انظارها منذ زمن قريب المسألة الاستعمارية فانَّ عدد سكَّان بلجكة كاد يتضاعف منذ خمسين سنة وافاد الاحصاء الاخير ان عددهم تجاوز سبعة ملايين من النفوس ولا يبعد اليوم كثيرًا من ثمانية ملايين . فانَّ هذا العدد الوافر في بلاد ضيقة الارجاء يحتاج الى منافذ جديدة لابراز قوَّته ونشاطه وذلك ما ادركهُ ملك بلجكة ليابولد الثاني فانَّهُ منذ كان وليًّا للعهد اخذ يرتاد لدولته مستعمرةً واسعة يجد فيها مواطنوهُ مجالًا لابراز نشاطهم فرأى في مجاهل افريقية ما يكفل بهذه الغاية الشريفة فاتفق مع الفتَّاح ستانلي (Stanley) وغيره من الرحَّالين الى تلك البلاد فابتاع لهُ في بلاد الكنغو مفاوز واسعة كانت وقتئذٍ مجهولةً لم تطمع اليها دولة أُخرى فارسل اليها الحملات العسكريَّة لمقاومة غُزاة العرب الذين كانوا يهجمون على اهل

تلك البلاد ابتغاء النخاسة واستعباداً لاهلها. ثم ارسل اليها المستعمرين البلجكيين وسيَّر المراكب البخارية على انهارها وانشأ لها سكَّة حديدية تنقل محاصيلها الى السواحل البحرية قد أنفق عليها ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ فرنك ثم تخلى آخراً عن ملكها الخاصّ وجعلها لدولته في العام الماضي فانشأت الحكومة وزارةً للمستعمرات. وهذه المستعمرة عبارة عن ممالك متعدّدة فاذا قوبلت ببلجكة وقيست بارضها سارَّتها ثمانين مرَّة. وتربتها من أحسن التُّرَب تصلح لضروب الزراعة وفيها المعادن واسباب التجارة الواسعة ولاسيما المطّاط (الكاوتشوك) والعاج المتَّخذ من اسنان الفيل. وقد زار في العام الماضي البرنس ألبار وليّ عهد بلجكة تلك البلاد لاصلاح احوالها وتنظيم دوائرها والاهتمام بامور اهلها فكان له استقبال فخيم في كل انحائها. وهناك الرسالات الكاثوليكية الناجحة التي تسمى بتمدُّن اولئك الهمج الذين فيها واعظم هذه الرسالات للآباء اليسوعيين الذين زارهم البرنس واطرأ اعمالهم واخذهُ العجب لما رآهُ في مدارسهم ورعاياهم من التقدُّم والفلاح. وممَّا ينعش آمال البلجكيين في مستقبل تلك المستعمرات ما نالتهُ بلادهم من الارباح في تجارة تلك الاقطار فانَّ مجموع حركتها التجارية العمومية بلغ في العام الماضي ٨٩,١٣٨,١٠٧ فرنكات تُقسم بين واردات عددها ٣٢,٢٧٠,٨٣٥ فرنكاً وصادرات ٥٦,٨٦٧,٢٧٢ ف وبلغ مجموع التجارة الخصوصية ٦٩,٩٥٨,٠٧٦ ف منها الواردات ٢٦,٥٨٦,٢٨٢ ف والصادرات ٤٣,٣٧١,٧٩٣ ف. فكانت حصَّة بلجكة في هذه التجارة ١٩,٧٣٣,٥١٠ فرنكاً للواردات و٣٩,١٢٩,٠٩٩ للصادرات فيكون المجموع ٥٩,١٦٢,٦٥٩ فناهيك بهذه الارقام دليلاً على رقيّ تلك البلاد في سلَّم الحضارة. ولا شك انَّ الوزارة الجديدة ستضاعف العناية في عمران الكنغو ادبياً وماديّاً وتُصلح العيوب التي اشار اليها الانكليز وغيرهم في حكم تلك الاقطار

على انَّ كل هذه اسباب الفوز والنجاح لم تكن لتعمي ابصار الكاثوليك البلجكيين فانهم وجدوا في ابحاثهم اموراً ليست بقليلة تحتاج الى تحرير وتنقيح كالدفاع عن الوطن وتجنيد الجيش وتعزيز اللغة الفلمنكية التي هي لغة قسم كبير من اهالي بلجكة وكذلك تباحثوا في عدَّة مسائل عمرانية واجتماعية تكثر فيها المعضلات وتتباين الآراء في حلّها. ولعلَّهم يجدون لها وجهاً راضياً يتَّفقون عليه فيزيلون كثيراً من تلك العقبات كما ازالوا مشاكل التصويت والاقتراع في انتخاب المبعوثين فجعلوا اصواتاً متعدّدة لمن

تفرّدوا ببعض الخواصّ كارباب المال والتملّكين وطلبة المدارس الذين نالوا الشهادة في دروسهم وغير ذلك ممّا يوطّد اركان السلام ويردّ آفات الفوضى

وفي ختام هذه النبذة الوجيزة لا يسعنا الّا ان نضمّ صوتنا الى صوت العالم الكاثوليكي باجمعه فنهنئ باجكة على تقدّمها المتواصل وعلى توطّنها في معارج الفلاح طالبين منهُ تعالى ان يزيدها عزًّا وفخرًا في ظلّ الدين وبفضل الاتّحاد ونعمة الثبات الدائم

مطبوعات شرقية جديدة

DAREMBERG-SAGLIO-POTTIER. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, 43° fasc. (SCULPTURA-SIBYLLÆ), Paris, Hachette, 1900 avec 172 gravures.

الجزء الثالث والاربعون من معجم العاديات اليونانية والرومانية

هذه مرّة عاشرة يذكر المشرق هذا المعجم الجليل الذي تشرّف بتأليفهِ العلماء الفرنسويّون فتراهم ساعين في نشرهِ بهمّة لا تعرف الملل فلا يلبثون ان ينجزوه قريبًا وليس في سرعتهم ما يخلّ بالعمل لانّ المواد مقسّمة على قوم من الاختصاصيين الذين يعرفونها حق المعرفة فلا يصعب لديهم الكتابة فيها. اجل انّ بينهم كتبةً حديثي العهد بالدروس الاثريّة الّا انّا لم نجدهم دون رصفائهم الاقدمين علمًا وتدقيقًا. والحقّ يقال انّ هذا الجزء لا ينقص شيئًا عن الاجزاء السابقة في وفرة معلوماتهِ وضبطهِ وايضاحهِ وعدد تصاويرهِ. وممّا يستحقّ الذكر مقالة المسيو درغاس (Dugas) في الحفر ونحت التماثيل (SCULPTURA) ثم مقالات المسيو لوكريفان (Lécrivain) عن نادي الاعيان في رومية (SENATUS) واحكامهِ (SENATUS CONSULTUM) وهي مقالات غاية في الانتقاد واستحسنّا ايضًا مقالات المسيو شابو (Chapot) المنونة (SEBASTEION, SELLA) في وصف الكراسي القديمة والمعابد المختصة باكرام الملوك. ومثلها في الجودة مقالة ضافية الذيل للمسيو كاهن (Cahen) في القبور (SEPULCRUM) امّا مقالات الاساتذة بوتيه (Pottier) وبابلون (Babelon) ودي ڤيلفوس (Héron de Villefosse) عن العاديات اليونانية والرومانية

والمصكوكات فان اسماء كاتبيها تنبئ بمحاسنها. وآخر ما في هذا الجزء من المواضيع مادة سيبيلية (SIBYLLES) والكتب السيبيلية (LIVRES SIBYLLINS) للمسيو (Hild) فانها غاية في الاحكام لكنها لم تتم بعد في هذا الجزء د. س

Johannes Gabrielsson : UEBER DIE QUELLEN DES CLEMENS ALEXANDRINUS, II Teil. Zur genaueren Prüfung des Favorinushypothese, *Upsala, Akad. Buchhand., Leipzig, Harrassowitz*, 1909, in-8, VIII-490.

الموارد التي اشتق منها اقليمس الاسكندري في تآليفه. الجزء الثاني

افاد المشرق (١٠ : ٤٩٧) قرّاءه غاية مؤلف هذا الكتاب العلّامة غبريلصن بان يعرّف ما تحتويه تآليف اقليمس الاسكندري من النصوص المنقولة عن كتب مفقودة لبعض قدماء الكتبة الكنسيين اخصها تاريخ عام رضمهُ على شبه دائرة علميّة كاتب بارع يُدعى فاثورينوس وسمّاهُ التاريخ الشامل (παντοδαπή ἱστορία) وهو لعمري اكتشاف مهمّ لتاريخ الكنيسة. ففي هذا الجزء الثاني من كتابه احبّ المؤلف ان يزيد القضية ايضاحاً ويثبت قولهُ بالبراهين الدامغة فراجع ما بقي الى عهدنا من تآليف معاصري اقليمس الاسكندري كديوجان اللائرتي (Diogène de Laerte) واولوجال اليان (Aulu-Gelle Elien) واثيناي (Athénée) وانتزع منها نبذاً اخذوها كما يظهر من كتاب فاثورينوس فقابل بينها وبين منقولات الكاتب الاسكندري بحيث يلوح الشبه بينها. واضاف الى اولئك الكتبة كاتبين شهيرين احدهما يوناني وهو بلوتارك (Plutarque) والثاني طاطيانوس السوري (Tatien) فراجع تآليفهما فوجد فيها عدّة اقوال تؤيّد رأيهُ ومما لاح لهُ انّ اقليمس اذا نقل شيئاً من كتب بلوتارك لا ينقلهُ عن اصله بل عن رواية فاثورينوس فكانت نتيجة تنقيب المؤلف ان الاسكندري في تآليفه النفيسة استعان كثيراً بتاليف فاثورينوس المفقود في عهدنا. امّا نحن فانّنا نسلّم بانّ المسيو غبريلصن فتح طريقاً جديدة للبحث وسهّلها بتفتيشه ومقابلاته الا اننا كنّا وددنا لو انّ المؤلف في ختام ملحوظاته المتفرّقة جمع في جدول عمومي العبارات والفقرات والمعاني التي زعم ان اقليمس الاسكندري نقلها عن فاثورينوس فان هذا النظر العام كان اقوى حجّة واجلى برهاناً لاثبات رأيه. وكذلك رأينا ان كثيراً من هذه المنقولات التي رآها موافقة لاقوال فاثورينوس لا تشبهها الّا شبهاً

بعيدًا او محمولًا على انطباق الافكار صدفةً فكان الاولى لو ضرب عنها الصفح واكتفى بالقطع التي تثبت رأيهُ بنوع لا ينقضهُ احتجاج . ولا يقولنَّ ان في زيادة الخير خيرًا فانَّ في اشياء كثيرة خير الامور اوساطها الاب ي . ديانسيفر

A. Max. Der Messias oder Ta'eb der Samaritaner nach bisher unbekannten Quellen, 8°, pp. 92, 1909, Giessen (*Beihefte zur Zeitsch. f. d. alttest. Wissenschaft*), XVII.

مسيح السامرة

اتانا هذا الكتاب بضعة اسابيع بعد ان نُعي الينا خبر وفاة صاحبهِ وهو المستشرق أدلبار مركس احد اساتذة كليَّة هيدلبرج . وكأنَّ الموت لم يسمح لهُ باعادة النظر في مسوداتهِ فبقي فيهِ عدَّة اغلاط طبعيَّة وقد صدَّرهُ احد رصفائهِ الاستاذ ك . مارتي (K. Marti) بمقدِّمة اعلن فيها بوفاة المؤلف واختصر حياتهُ التي خدم فيها الآداب الكتابية بوضع عدَّة تاليف مفيدة في اسفار العهد القديم . وكان الفقيد حاذقًا باللغات الساميَّة كالعربية والعبرانية والسامريَّة والسريانية القديمة والحديثة ولهُ في كلّها مصنَّفات تدلُّ على فضلهِ . امَّا الكتاب الذي نحن بصددهِ فهو جامع لاربعة آثار سامريَّة جاء فيها البحث عن المسيح ورأي السَّترة فيهِ . وهذه الآثار ثمينة لندرة التآليف السامرية . فاوَّلها قصيدة طقسيَّة باللغة السامرية نظمها كاتب مجهول من القرن الخامس عشر ضمَّنها صاحبها اقاويل لمن تقدَّمهُ من السامريين في مجيء المسيح . والاثر الثاني يحتوي بعض ادلَّة منقولة من الاسفار المقدَّسة عن ظهور المسيح وهو مكتوب بالعربية الَّا انَّ زمانهُ مجهول وقد نقلهُ احد السَّترة المحدثين الكاهن يعقوب بن هارون بن سلامه . ومثلهُ الاثر الثالث قد كُتب في العربية ويرتقي الى القرن السادس عشر وهو ردّ الشيخ السامريّ ابراهيم قيَّاص على احد مشايخهِ المسمَّى الشيخ هبة بن نجم يبيِّن لهُ صحَّة معتقد السامرة في المسيح . واقدم هذه الآثار الاثر الرابع وهو مدراش عبرانيّ من القرن العاشر او الحادي عشر عن الطوفان ونوح وكاتبهُ ينسب الى المسيح ما ورد في سفر التكوين عن نوح . والمحصَّل من هذه الآثار انَّ السامريين يدعون المسيح بالقادم والآتي (המתנה) وانهم يعتبرونهُ كملك زمنيّ على شبه يشوع بن نون . ويظن المرحوم المسيو مركس انَّ المسيح على رأي السَّترة هو يشوع نفسهُ بعد قيامتهِ . فتشكر المسيو

مارتي على نشره هذه الآثار بعد وفاة العلّامة مركس فان في نشرها افادةً كبيرة لمعرفة مذهب السامريين وتاريخهم الاب ب. جوون

✠ L'INNO DI TERRA SANTA. Parole del Rmo P. Rob. Razzoli, Custode di Terra Santa; Musica del Mo A° Frappicini, organista di S. Salvatore. *Off. G. Ricordi e C., Milano.*

نشيد الاراضي المقدّسة

قد تلطّف حضرة الآباء الفرنسيسيين فأرسلوا لنا هذه الطرفة الموسيقية التي وضعها الاستاذ فرابيشيني الموسيقيّ في كنيسة المخلّص القدسية. وهي عبارة عن نشيد ذي اربع نغمات مؤتلفة يصحبها الارغن والبيانو. فقد اطّلعنا عليها وسُررنا بما ابداهُ المؤلف من الحذق في وضعها على طريقة بهجة وفقًا للفنّ المستحدث فنتمنّى لهُ النجاح في صناعته. ويزين هذا النشيد ما جادت به قريحة حضرة الرئيس العام على الاراضي المقدّسة فوضع لهُ الادوار المطربة الحماسية وضمّنهُ ارقّ المعاني الشعريّة الجديرة باحد ابناء الرهبانية الفرنسيسية وخير خلف للفرسان الصليبيين. فكنّا نعهد حضرة الاب خطيبًا مصقعًا باللغة الايطالية فعلمنا من اقوال هذا النشيد انهُ شاعر مفلق ل. ر

P. Thomsen. Palaestina und seine Kultur in fünf Iahrtausenden, *Leipzig, Teubner*, 1909, 8°. 108 pp. ill.

فلسطين وحضارتها مدة خمسة الاف سنة

ما اجمل هذا الكتاب واتقن طبعهُ وابدع صورهُ فانهُ صغير الحجم كثير المحاسن نظمهُ معلم طوبنغن في ليبسيك في مجموع مطبوعاته التي انتقاها من « عالم الطبيعة والعقل » (Aus Natur- und Geisteswelt). وهو تأليف لاحد علماء العاديات الفلسطينية الذي اثنينا غير مرّة على مصنّفاته في هذا الصدد (١٠: ٥٧٢ و ١١: ٦٣٢). والكتاب الجديد ثمرة طيّبة من الدوحة نفسها اختصر فيه المؤلف ما تمكّن الاثريّون من معرفته عن بلاد فلسطين وحضارتها وعادات اهلها في دينهم ودنياهم بعد الحفريّات التي قامت باجرائها الجمعيّات العلميّة فيفيد عنها القارئ بصفحات وجيزة تغنيه عن التآليف المطوّلة. فمن ذلك يتّضح ان الكاتب لم يوجه كتابهُ الى الاختصاصيين بل الى عموم القرّاء المعنيين للآثار الشرقية. فليت شعري متى يقوم اهل بلادنا وينتفعون كالاجانب من الكنوز العلميّة التي خلّفتها لهم الامم السابقة في دفائن مواطنهم؟ س. ر

تاريخ جان دارك

مرّبهُ الشيخ فريد الخازن مدير جريدة الارز

طبع سنة ١٨٩٨–١٩٠٠ في مطبعة الارز في جونيه (ص ٢٦٢)

كان جناب الشيخ فريد قبل عشر سنوات مهتمًّا بنقل ترجمة تلك الفتاة العجيبة التي ارسلها الله لتنقذ بلدها من ربقة الاعداء اعني الفتاة الفرنسويّة جان دارك. فنشر منها فصولًا مطوّلة اخذها عن مؤرّخين صادقين يُعدّ تأليفهما كحجّة بين ثقات الكتبة اعني بهما المسيو والون (Wallon) من اعضاء الأكادمية الفرنسويّة ووزير المعارف سابقًا وماريوس سيبت (M. Sepet). ثم حالت الاحوال دون انجاز العمل الى ان قام الكرسيّ الرسوليّ في هذا العام (١ واعلن بسموّ فضائل تلك البكر الشهمة واثبت اسمها في مدرج اولياء الله. فحدا ذلك بجناب الشيخ الى مواصلة عمله فأتمّهُ واحلّهُ بوصف الاعياد البهجة التي أُقيمت في كل جهات فرنسة بل وفي انحاء كل المعمور وخصوصًا برومية في حفلة التطويب التي عُقدت هنالك برونق لا يفي به الوصف. فجاء التأليف واسعًا مطوّلًا تلذّ القرّاء مطالعتهُ. وقد قُدّمت على الكتاب نبذة في بيان احوال فرنسة قبل ظهور جان دارك. وخلاصة القول انّ هذا الكتاب من انفس ما يودع في ايدي الشبيبة وليت التمادي في طبعه لم يكسف شيئًا من حسنه اذ تشوّه طبعهُ وبار رونقهُ وتغيّر حرفهُ فان شاء الله يتوفّر عليه الاقبال فيعاد قريبًا طبعهُ

اللمعة الوفيّة في كتاب رتب السياميذ الكهنوتية

المعروف بالشرطونيّة حسب طقس الكنيسة المارونية

للمطران يوسف دريان مطران طرسوس شرفًا والنائب البطريركي وظيفةً

طبع في بيروت سنة ١٩٠٦ (ص ١٧٢)

هذا الكتاب قد بُوشر بطبعهِ منذ اربع سنوات ولم يُنشر الّا حديثًا. قد جمع فيهِ سيادة مؤلفهِ الفضال كلّ ما يتوط بالشرطونية اي يرتب وضع الايدي على المترشحين للدرجات الكهنوتية مباشرةً بالشمامسة الادنين الى رتبة تبريك البطريرك وفقًا

١) اطلب مقالتنا في المشرق عن « الطيّبة الذكر جان دارك البكر » ص ٢٢١–٢٢٧

لطقس الكنيسة المارونيّة وكان العلاّمة الطيّب الذكر لسطفان الدويهيّ منظّم الكتب الطقسية في طائفته سعى بهذا الأمر ووضع كتاباً جليلاً دعاهُ شرح رتبة الشرطونية السريانية نشرهُ في مطبعتنا الاستاذ المرحوم رشيد الشرتوني سنة ١٩٠٢ الّا انّ ذلك السفر المعتبر لم يحتوِ سوى الشروح العمومية المختصّة بالرتب الكهنوتية دون الصلوات والتنبيهات والقراتيل التي تُتلى في تلك الطقوس. وكلّ ذلك ممّا لا نُدحة منهُ لنظام الرتب وضبط الطقوس وكثيراً ما اشتاق الى طبعه ارباب الطائفة. وكان المجمع اللبناني قد اوعز بالامر والى يومنا لم يُنشر هذا الكتاب الّا ما ادرجهُ منهُ العلاّمة يوسف لويس السمعانيّ في المجلّدين التاسع والعاشر من كتاب مجموعة ليتورجيّات الكنيسة بالسريانية واللاتينيّة. فالسيد يوسف دريان قد عوّل على نشرهِ وضبطهِ على اصحّ النسخ واقدمها وترتيب صلواتهِ. وانّما جعل هذا الكتاب « اللمعة الرفيعة » كبحث انتقادي بخصوص نظام رتب السياميذ فقسمهُ الى اربعة شروح ضمّن الاوّل شرحاً عمومياً لكل رتب السياميذ. والشروح الثلاثة الاخيرة تشتمل على عدّة ابواب في نظام الدرجات الكهنوتيّة الثلاث الشمامية والقسيسية والاسقفية. فالامل كل الامل ان يهتمّ سيادة المؤلف بتتمّة العمل ونشر الشرطونية وفّقهُ الله الى انجاز رغائبه ل. ش

شذرات

آثار نصرانية في بلاد النوبة انّ قدماء المؤرخين ذكروا انتشار النصرانية بين النوبة غير مرّة في تآليفهم الّا انّ الاثريين لم يكتشفوا قبل هذا العهد الاخير كتابات او عاديّات تشير الى النصرانية في تلك الانحاء. وقد وقف علماء الالمان منذ زمن قليل على رقوق مكتوبة بالحرف اليوناني ومنطوقها اللغة النوبيّة وهم اليوم يجتهدون في كشف اسرارها. ومما وُجد ايضاً مؤخّراً في جهات النوبة سبع كتابات ضريحيّة كُتبت على نواويس لقدماء النصارى بالحرف اليوناني واللغة النوبيّة يتراوح تاريخها بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر للميلاد. وفي هذه الكتابات ما خلا اسماء الموتى نصوص الصلوات الطقسيّة كما كانت شائعة في الكنيسة اليونانية — وممّا وجد ايضاً من الآثار النوبية النصرانية هياكل لبعض الموتى مع خزفيّات نوبيّة. وهذه

الآثار قد اكتشفوها حديثًا في وادي حدد على ضفّة النيل الازرق على بضعة اميال شمالًا من سنار . وعلى الخزفيات نُقشت عدّة رموز نصرانية كالصليب والسمكة وسعف النخل وهي اوّل مرّة يكتشفون آثارًا مسيحية في ذلك الوادي وما كان العلماء ليظنّوا ان النصرانية بلغت الى تلك الجهات الجنوبية . وهذه الآثار نُقلت الان الى متحف الخرطوم

مديح القديسة بربارة في السنة الأولى من المشرق (ص ١١٣١—١١٣٤) افردنا فصلًا لذكر تلك الشهيدة التي شاع اكرامها في انحاء بلادنا ورويناً ما يجري في عيدها من الحفلات والعادات . واثبتنا هناك بعض ابيات من المديحة التي تقولها العامّة في ذكر استشهادها ولم نعثر اذ ذاك على غير ما اوردنا وقد وقف آخرًا على نسخة كاملة منها احد الآباء اليسوعيين في حلب فارسلها لندرجها في المشرق بنسبة عيدها في ٤ كانون الاوّل وصونًا لها من الضياع :

القديسة بربارة عند الرب مختاره نالت كرامة عند الله لتشفع بالنصارى
ابوها حاكم بارض الشام عمّر للقساة حمّام حتى تحصل بالسلام ويصوغا من البهاره
ديوس الارس كان اسمه والشيطان موعب جسمه ابليس اللعين هو خصمه ذا الكافر عبّاد الحجاره
هذا الكافر الحاشام سافر ليحارب الأروام وآمر بترتيب الحمّام يكون كوّتين للنظاره
قامت الصبيّة بالدورات حتى تنظر العمارات قالت عمّروا ثلث كوّات على اسم اله النصارى
فبدي المعلّم يتمرّمر واتغيّر فيه المنظر قال لها ابوك كذا آمر وان خالفت يصير خساره
قالت له عمّرهم وباحسن صناعة اتقنهم لو اجا ابي بنظرهم قول كذا رادت بربارة
فرجع ابوها هل منشوم مولّي ومن اعداه مهزوم مقهورًا من شعوب الروم منكورًا من النصارى
توجّه لينظر الحمّام ان كان كمّلت بكل نظام ليعطي البخاشيش والانعام للعاملين والاجاره
فنظر هناك ثلاث كوّات وبافخر صناعة منظومات والصلبان فوق الطاقات شهادة بدين النصارى
فرجع ابوها هل كيّود ومن حصرته كاد يموت للمرايا ما عاد يموت بل امسى خارج الداره
فدعا كبير البنّائين رئيس الورشه والمعلّمين والفعّالة وحمّال الطين مع نحّاتين الحجاره
قال امرتكم على مرّتين تعمّروا للحمّام كوّتين فهذه ثلاثة قبان انين ماهل العصاوه والجاره
بموجب عدلي وانصافي هذا الذنب لكم هو كافي عن قتلكم ما بقيت اعافي الآن تموتوا بلا جاره
قالوا ظلمًا ما احد مات ونحن بريئين من التبعات بنتك قالت ثلاث كوّات على اسم اله النصارى
فاحضر بنته للديوان بكل قساوه وبكل هوان وخاطبها بشان الاديان حتى تتغيّر افكارها
قالت لابوها يا سفّار آلهتك خشب قطّار إلهي يحرقها بالنار ويجعلها تصير غباره
كيف تعبد هذه الاوثان والعابد لها هو حيوان بل كافر وابن شيطان كلّها اخشاب وحجاره
قال لها ابوها يا بنتي لبتك في الدنيا ما كنتي ومن اول عمرك متّ ولا ظهر لنا منك قراره
وقال للخدام خذوها والى الخزينة ودّوها ايش من طلبت اعطوها حتى تبطل هل عباره

قالت يا اجهل الناس ارى في ضلك وسواس انظر عزي كالالماس بمحبة دين النصارى
فشال الحربة ليرشقها صارت الحربه سنّاره جاب الحبله ليشنقها صارت الحبله زنّارها
قال للخدّام اسحبوها وبكل عذاب عذّبوها وجيبوا المكاوي واكووها واحواطي راسها نضاره
مدّوا البنت على الساجات ونخزوا جسدها بالحربات قلعوا ضراسها والنابات وراح تميم خساره
قالوا لابوها يا مسكين بنتك عن عزها ما تلين ولو قطعتها بالسكين فيرممكن تطلي اشاره
فصاح ابوها للسيّاف وقال لهُ ذبحك مناف اقتل بنتي ولا تخاف وتروح بذنبها برباره
فمن بعد ما صلّت يا ناس قد ركعت واحنت الراس وقالت للسياف لا باس اضرب بشجاعة وحراره
صرخت: ربّي يا رحمان يا مالك كلّ الاكوان اقبل نفسي كالقربان واجعل لذبحي تذكاره
كلّ من يعمل لي تذكار تُفرج عن نفسه الاخطار وتنجيه من عذاب النار نار جهنّم وشراره
يوليانه هي وعظتها وبدين المسيح ارشدتها اطلبوا جميعاً شفاعتها من السيّده برباره

غاية الاماني في الردّ على النبهاني — انّ ما في كتب الشيخ النبهاني من الاقوال الباطلة حرّك ادباء الاسلام انفسهم على الردّ عليه. والكتاب المدون هنا لاحد شيوخ العراق المكنّى بابي المعالي الحسيني السلامي الشافعيّ في سفرين كبيرين ردّ فيه كما قال السيد احمد رشيد الرضا في المنار (١٢ : ٧٨٥) « ما جاء به النبهاني من الجهالات والنقول الكاذبة والاراء السخيفة ». قلنا فان كان هذا رأي المسلمين في تآليف الشيخ النبهانيّ في امور الاسلام فما احرى بنا نحن النصارى ان نعترض على ما كتبهُ في حقّنا من الاكاذيب والاستنباطات الباطلة والشتائم البذيّة وهو لا يعلم شيئاً من ايماننا فتأمّل

نحن والوطن — استاء محرّر جريدة الوطن مما كتبناهُ في عددنا السابق (ص٨٧٨) عن مقالته في فوز المراكشيين على الاسبان وحاول ان يثبت لنا ان ذلك الانتصار الذي انكرناهُ « خبرٌ تطاير بين سمع الارض وبصرها ». اما نحن فلا نعود الى مناقشة رصيفنا في هذا الشأن لان قولنا لا يحتاج الى تزكية ولم نكتب ما كتبنا لندافع عن فوز الاسبان او فشلهم وانّما أمضّنا كلام صاحب الوطن في حقّ دولة شريفة كاثوليكية كدولة اسبانية نشتت لنكبتها (الموهومة) ورأى علاقة بين تلك النكبة وبين حادث جرى قبل ثلثمائة سنة فانكأ جرحاً صُلِبَ نَدْبُهُ منذ زمن مديد ثم ندّد بحكومة اسبانية « واضطهادها للمراكشيين واجبارها لهم ان يكونوا مسيحيين » وغير ذلك من المبالغات والمغالطات التاريخية التي يحتاج الباحث فيها الى علم واسع ودقّة نظر فتهوّر الكاتب في ذكرها تزلّفاً من المسلمين على طريقة تحطّ من كرامته

وتذلله في اعين ادباء الاسلام الذين لا يقبلون كلام مثله دون برهان. وقد راجعنا تفاصيل ذلك الواقع في تواريخ اسبانية المطوّلة كماريانا (Mariana) وكنـد (Conde) فاذا هي تخالف تماماً ما رواهُ صاحب الوطن دون تروٍّ. ثم انهُ زاد في الطين بلّة اذ اراد ان يعلّل ثورة الفوضويين وزعيمهم فرّير بهذه النكبة المزعومة. والحقّ يقال ان محرّر الوطن قد سوّد صحيفتهُ بتعظيم ذلك الفوضويّ الشرّير ونظمـه القصائد وسرده الروايات والخطب لتخليد ذكره. أفما يخجل كاتب كاثوليكيّ النحلة ان يدافع عن رجل يعتبر « جنود وطنه كفئة الانسانيّة » وراية بلاده « كخرقة ملوّنة عُلقت في عصاً هي شارة الجور والبلاء » ويعدّ « الوطنيّة كمصدر وسبب كل المظالم والشرور اللاحقة بالناس » هذه تعاليم فرّير ولولا انهُ من جماعة الفوضويين ومن تبعة الماسون لما تحرّك ساكن بعد ان حُكم عليه بمقتضى الشرائع العادلة وهو الذي آثار فتنة برشلونة التي اودت بحيـاة ١٠٩ من الابرياء رجالاً ونساء وكهنةً وعوامّ. فلم تأخذ الماسون والفوضويين شفقة على الدماء الزكية وقاموا وقعدوا لموت رجل اثيم. افيكون صاحب الوطن من جملة هؤلاء؟ فان اقرّ به طلبنا منهُ ان يبدل اسم جريدته اذ لا وطن للماسون كما رأيت وكما سنبيّنهُ في فصولنا عن الماسونيّة. وقد اسفنا لغير ذلك من المقالات التي اثبتها صاحب الوطن اماً من قلمه واماً من قلم مكاتبيه لاسيما المقالة التي ادرجها لاحد مراسليه في حماة عن المقابر وقد انكر فيها تعليم الكنيسة الكاثوليكية (بل قُلْ تعاليم كل الكنائس الشرقية) في وجود المطهر (وان ابى البعض ان يدعوهُ بهذا الاسم). وبالغ في تطرّفه حتى انكر ما تقتضيه من الاكرام مقابر الموتى فخالف بهذه الكتابة رأي جميع العقلاء بل جميع الامم المتمدّنة بل الامم الهمجيّة نفسها وكلهم يوقرون بقايا موتاهم. فيا لله كيف صارت الجرائد تتجاسر على معتقداتنا حتى صرنا نسمع العقلاء يتأسّفون على ابطال مراقبة المطبوعات فانها مع ظلمها كانت تجعل حدّاً لاقوال الكفر والتنديد بالاديان. فنعم الحرّية وحبذا الاحرار!!

الحساب الغريغوري في روسية — قال البشير: التمست اكادمية بطرسبورج العلمية من جلالة القيصر اتباع الحساب الغريغوري في روسيـة وبينت في التماسها المشاكل العديدة التي تنجم عن الحساب اليولي في علاقات الامبراطورية الداخلية والخارجية فصرّحت الحكومة برغبتها في ذلك وعزمها على الاستعاضة بالحساب الغريغوري

في اول فرصة مناسبة الا ان طريقة الانتقال من حساب الى آخر ليست بالامر السهل في روسية فان عمدوا الى حذف ١٣ يوماً دفعة واحدة صادفوا مقاومة الجمهور وان اكتفوا بحذف يوم من السنين الكبيسة لم يفِ ذلك بالمرام وعليهِ ارتأت الاكادمية العلمية ان تتحاشى هذا كلهُ بتأجيلها اتباع الحساب الغريغوري الى سنة ١٩١٢ حيث يقع الفصح في الكنيستين في يوم واحد فيجرون بعده على الحساب الغريغوري وهي تؤمل ان لا تصادف حينئذٍ معارضة من الشعب لانهُ يكون تناسى الحساب القديم في الصوم الاربعيني — ومعلوم ان غبطة البطريرك يواكيم الثالث يرغب كل الرغبة في اتباع الحساب الغريغوري فمتى اتخذتهُ روسية يتخذهُ هو ايضاً وتتخذهُ اليونان وبلغاريا ورومانية والصرب

بيت غريب لبديع الزمان — وصف لنا حضرة الاب انستاس الكرملي في احدى رسالاتهِ مجموعاً مخطوطاً وقف عليهِ فيهِ قصائد ومنتخبات ادبيَّة شتى الى ان قال: « ومن غريب ما في هذا الديوان بيت شعر لبديع الزمان الهمذاني وهو يُقرأ من احد عشر وجهاً . وهو من اعجب ما جاء في هذا الصدد . ونحن نوردهُ هنا لما فيهِ من الغرابة . ودونك اياهُ بنصِّهِ ومواقع الالفاظ المشار اليها بقوسين مكتوبة في الاصل بالحبر الأحمر وهو هذا على ترتيبهِ وسياقهِ ونظامهِ بدون ادنى تغيير (ص ١٩٧) :

(كفى) نا بأنَّا في زمانٍ مذمَّمٍ يُذادُ من الحقّ المبين ويُدفَعُ
(حزُنَّا) انَّا تزورُ معاشرًا فنُهمَلُ فيما بينهُم ونُضيَّعُ
(اني) اقول مقالةً فيسعني منها اللئيمُ ويقمعُ
(بدار) اراذلٍ تلوحم غيظاً عليَّ تقطَّعُ
(مذلَّة) وليس بها حُرٌّ من الناس يقنَعُ
(أرى) كلَّ من فيها من الحق يدفعُ
(الذلَّ) فيها دائماً ليسَ يُقطعُ
(من) ارجائها يتنوَّعُ
(أ) كانها يتصرَّعُ
(ملاكها) يتفرَّعُ
(يتوقَّعُ)

وقد راجعنا ديوان بديع الزمان الذي طُبع من عهد قريب في مصر فلم نجد لهذا اللغز الشعري ذكرًا فروَيناهُ هنا على علاتهِ تفكهة للقرَّاء . امَّا قراءتها على احد عشر

وجهاً فبأن تقرأ الالفاظ الموضوعة بين قوسين ويزاد عليها باقي البيت فتقرأ مثلاً البيت الاخير: كفى حزناً اني بدار مذلّةٍ اوى الذلّ من املاكها يُتوقّعُ

اسئلة واجوبة

س كتب احد مراسلنا في طرابلس ما نصّهُ: ظهرت مؤخرًا مجلّة اسمها جامعة الفنون فقرأنا في صفحتيها (٣٥-٣٦) ما نصّهُ: «ومن المضددين (كذا) لرأي فيثاغورس في دوران الارض الفيلسوف كوبرنيك من اهل القرن السادس عشر للميلاد الموافق للقرن العاشر للهجرة وكان فيلسوفاً عظيماً وفلكيًّا عارفاً الّف في اللغة اللاتينية كتابًا عظيماً سمّاهُ (De Revolutionibus Orbiun (?) Coelestrum (?)) وهو كتاب عظيم الّا انهُ لم ينشرهُ في حياتهِ حيث كان كاهنًا كاثوليكيًّا فخشي ان يلمّ بهِ العقاب حيث نُهي من طرف الكنيسة وربي لاجل ذلك الكتاب بالزيغ والالحاد وكثيرًا ما عزموا على حرق كتابهِ او تمزيقهِ ولكنّهم لم يتوفّقوا الى ذلك حيث اعطاه الى اصدقائهِ وامرهُ بنشرهِ بعد موته». فما الصحيح في هذا القول

كوبرنيك وكتابهُ في دوران الارض

ج يؤخذ من هذا الكلام انَّ الكنيسة الكاثوليكية كانت معاديةً للعلوم وانّها تعرّضت لكوبرنيك في اكتشافاتهِ. وليس ذلك بالصحيح والدليل عليهِ: ١° انَّ كوبرنيك علّم ثلث سنوات في رومية. ٢° انَّ الكنيسة لم تصدّهُ قطّ في تعليمهِ عن دوران الارض ولم تصدر في حقّهِ تقريرًا ما لمعارضتهِ. ٣° انَّ كوبرنيك كان معزّزًا مكرّمًا من رجال الاكليروس وخصوصاً الكردينال دي شبوغ ومن رئيس اساقفة كولم (Culm)). ٤° ان تلميذ كوبرنيك الدعو راتيكوس (Rhéticus) نشر خلاصة تعاليم استاذهِ قبل وفاتهِ باربع سنوات وسمّى الكتاب (Narratio de libris Revolutionum Copernici) دون ان تضغط عليهِ الكنيسة. ٥° انَّ كوبرنيك نفسهُ نشر كتابهُ بالطبع وانجزهُ قبل وفاتهِ بأيام في نيرمبرغ سنة ١٥٤٣ واهداهُ للبابا بولس الثالث. ٦° وقام بعد كوبرنيك تيكو براهي (Tycho-Brahé) الشهير وجاهر بتعليم كوبرنيك وشكر الكنيسة على مراعاتها تعاليم سلفهِ. فاين كل هذا من اقوال مجلّة جامعة الفنون. فنكرّر الرجاء لأدباء المسلمين ان لا ينقلوا عن اعداء الدين كلامهم دون ان يتروّوا في صحّتهِ

س سأل من مصر نعمان افندي ابي ناظر تفسير آية الانجيل عن الخطايا المضادّة للروح القدس

ج قد مرَّ هذا السؤال والجواب عليهِ في المشرق (٩: ٦٢٨) فليراجع ل.ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الثانية عشرة من مجلّة المشرق ١٩٠٩

العدد ١ (كانون الثاني) التفات سامٍ في رأس العام (١-٢) = لمحة تاريخيّة في القصادة الرسوليّة في سوريّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (٣-٢٤) = عوائد الجيش للصيدليّ عبد الله م. رعد (٢٥-٣١ ; ٢ : ٩٧-١٠٣) = الجمعيّة الشرقية في بيروت للاديب يوسف افندي اليان سركيس (٣٣-٣٨) = ملحق للاب ل. شيخو (٣٨-٤١) = نخبة من امثال القسّ حنانيا منير بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف (٤١-٤٧ ; ٢ : ١٠٣-١٠٦ ; ٤ : ٢٦١-٢٦٥ ; ٥ : ٣٥٩-٣٦٨ ; ٦ : ٤٣٧-٤٤٨) = الدنيا والدين في عام ١٩٠٨ للاب لويس رنزفال اليسوعي (٤٨-٥٩ ; ٢ : ١٢٨-١٤٤) = الآداب العربية في القرن التاسع عشر (تابع) للاب لويس شيخو (٥٩-٦٧ ; ٣ : ٢٢١-٢٢٨ ; ٤ : ٢٦٦-٢٧٨ ; ٦ : ٤٦١-٤٧٠ ; ٧ : ٥٤٠-٥٤٧ ; ٨ : ٦٢٢-٦٢٨ ; ١٠ : ٧٤٨-٧٦٠ ; ١١ : ٨٥٨-٨٦٦ ; ١٢ : ٩٢٠-٩٢٣) = فاجعة سبّنة للاب يوحنا روش اليسوعي (٦٧-٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٣-٧٧) = شذرات : مورسطس صاحب الارغن (٧٧-٨٠) = اسئلة واجوبة (٨٠) وكذلك في آخر جميع اعداد السنة

العدد ٢ (شباط) الحماسة الدستوريّة للاب ل. شيخو (٨١-٩٦) = سياحة في سويسرة للاديب جرجي افندي يوسف اليان سركيس (١٠٩-١١٨ ; ٥ : ٢٧٦-٢٨٦) = قصّة القديس ديونيسيوس الاريوباغي ورسالته الى اپولوقابس نشرها الاب بولس بترس اليسوعي (١١٨-١٢٧) = الالفاظ السحرية (تابع) للاب لويس شيخو : ٤ (الشدّن (١٤٤-١٥٢) ٥ (القاهل (٣ : ٢٠٥-٢١٥) = منارة الدين قصيدة للشيخ الاديب احمد تقي الدين (١٥٧) = البطريركية القسطنطينيّة (١٥٩)

العدد ٣ (اذار) ديوان السؤل نشره عن نسخة خطيّة قديمة الاب ل. شيخو (١٦١-١٧٨) = السكّر للاب يوسف موبين اليسوعي (١٧٦-١٨٦) = المختار في كشف الاسرار : نظر للاب ل. شيخو اليسوعي (١٨٦-١٩٤ : ٤ : ٢٩١-٢٩٧ ; ٥ : ٢٦٩-٢٧٦ ; ٦ : ٤٥٦-٤٦١) = الأبدال للاب انستاس الكرملي (١٩٤-٢٠٤) = اسحق سطران نينوى للقس اسحق ارملة السريانيّ (٢١٥-٢٢٠) = موت الكافر قولتار للمسيو لاشفر (٢٢٧-٢٣٩)

العدد ٤ (نيسان) ميسران للقديس يوحنا فم الذهب نشرهما الاب لويس شيخو (٢٤١-٢٤٨) = ملحق في اعمال القديس يوحنا فم الذهب المخطوطة المعرّبة المصونة في خزانة مكتبتنا الشرقيّة لهُ (٢٤٩-٢٥٣) = لمحة صحيّة من بلاد بشارة وما يجاورها للدكتور سليمان افندي الحاج (٢٥٤-٢٦٠) = استطراد في نقد انتقاد ردّ على المهذّب للاب لويس شيخو (٢٧٨-٢٨٠) = نشوء الموازين العربيّة للاديب انيس افندي الخوري م. ع (٢٨١-٢٨٦) = كتابات قبرس القيقية للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ (٢٨٦-٢٩١ ; ٩ : ٦٨٣-٦٨٥) = الراديوم وخواصّهُ للاب كاثيارتو يار اليسوعيّ (٢٩٨-٣٠٥) = آثار طقسيّة قديمة بالسريانية لخطبة السيد البطريرك

اغناطيوس افرام الثاني الرحماني (٢٠٥-٢٠٨) = ايضاحات لحضرة الاب بيترس البولندي اليسوعي (٢٠٨-٢١٠) = النور في القبر المقدّس : شهادة الخوري الياس شهوان السرياني (٢١٦-٢١٧) = النور والظلمة (قصيدة) للشيخ احمد تقي الدين (٢١٧-٢١٩)

العدد ح (ايار) الطيّبة الذكر جان درك البكر للاب لويس شيخو اليسوعي (٢٢١-٢٢٧) = بديعيّة ابراهيم خيكي نشرها الاب ل. شيخو (٢٢٧-٢٤٤) = ترجمة قديمة لسيرة القديس اغنيسيوس للاب بولس بيترس اليسوعي (٢٤٤-٢٥٣) = الريّ في بلاد ما بين النهرين لجناب المهندس ادمون فندي بشاره (٢٥٣-٢٥٩) = حرية الاقلام : قصيدة للاديب الشيخ احمد افندي تقيّ الدين (٢٩٧-٢٩٩)

العدد ٦ (حزيران) مشروب البيرة او الحمة للاب شرل شونجانس اليسوعي (٤٠١-٤٠٧) = مطارنة بعلبك للخوري قسطنطين الباشا ب. م (٤٠٨-٤١٩) = الطقوس اليبيّة للخوري نعمة‌الله مبارك المرسل الكريمي (٤٢٠-٤٣٥) = الفتاوى الاميركية في المعتقدات الدينية للاب ل. شيخو (٤٣٥-٤٣٦) = قصّة اعجوبة لرئيس الملائكة ميخائيل عُني بنشرها عن نسخة غرطا الاديب اغناطيوس قرتشكوفسكي الروسي (٤٤٩-٤٥٦) = تنهات الشكرى للشيخ الاديب احمد افندي تقيّ الدين (٤٧٧-٤٧٩) = الأُخَيْضر (٤٧٩)

العدد ٧ (تموز) التواريخ النصرانيّة في العربية (٤٨١-٥٠٦) = الطقوس الشرقية والكنيسة الكاثوليكية لاحد افاضل كهنة الروم الكاثوليك (٥٠٧-٥١٥) = كتاب فضائل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لابي بن المزربان نشرهُ الاب ل. شيخو (٥١٥-٥٢٢) = الشمع للاديب بولس افندي صوما الصيدلي الفانوني (٥٢٤-٥٤٠) = سيّدة لبنان (قصيدة) للاديب يوسف افندي غصوب (٥٥٤-٥٥٦) = العصر الجديد (قصيدة) للشيخ احمد افندي تقيّ الدين (٥٥٦-٥٥٧) = انجيل برنابا (٥٥٨)

العدد ٨ (آب) السنة الاولى للدستور الثاني نظر للاب لويس رنزفال اليسوعي (٥٦١-٥٦٩) = لمحة في المعالجة بالوسائط الطبيعية او الفيسيكوتيرابيا للدكتور توفيق سامب (٥٦٩-٥٧٤) = السل. نظر في تعريفهِ وغرزتهِ واستقلالهِ والتعاون عليهِ للمرحوم خليل غانم (٥٧٤-٥٨٨) = الكنيسة في ماردين رواية لشاهد عيان في القس اليا ابن الكزبر نشرها الاب ل. شيخو (٥٨٩-٦٠٤ ; ٩ : ٦٦٥-٦٧٢ ; ١٠ : ٧٣٢-٧٤٨ ; ١١ : ٨٢٥-٨٤٥ ; ١٢ : ٨٦٠-٨٩٧) = يازيد الثاني والبابا ايوشتيوس الثامن للاب ل. شيخو (٦٠٤-٦٠٩) = عهود نبي الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى : نظر انتقادي لهُ (٦٠٩-٦١٨ ; ٩ : ٦٧٤-٦٨٢) = الكتابات العربيّة في جبل الطور. للاب ه. لامنس اليسوعي (٦١٨-٦٣٣) = عصر الرشاد (قصيدة) للاديب الياس افندي ظاهر (٦٣٥-٦٣٧) = كتاب اخبار الزمان للمسعودي (٦٣٧)

العدد ٩ (ايلول) منظومات الوقائع الدستورية للاب لويس شيخو (٦٤١-٦٦٤) = شرحان على مثلث قطرب لعبد العزيز الدبريني نشرهما الاب ل. شيخو (٦٨٥-٦٩٤) = اجتماع الاهل بعد شتات الشمل : اثر نصراني قديم فيهِ ترجمة اكسنوفن وامرأتهِ مريم وولديهما يحنّا وارقاديوس القديسين. نشرهُ الخوري جرجس گراف (٦٩٥-٧٠٦) = رسالتان للبطريرك

كبرلس طاناس نشرهما الاب ل. شيخو (٧٠٦-٧٠٩) = كتاب مفتوح الى تلميذي الفريد الصغير. لهُ (٧١٦-٧١٧) = ردود على الشيخ يوسف النبهاني (٧١٨ ; ١١ : ٨٧٨ ; ١٢ : ٩٥٧) = على المقتطف (٧١٩) = على المقتبس (٧١٩ ; ١١ : ٨١٩)

العدد ١٠ (تشرين الاوّل) السرّ المصون في شيعة الفرمسون للاب ل. شيخو : تاريخ المسونية (٧٢١-٧٢٢) اسم الماسونية وغايتها (١١ : ٨٦٦-٨٧١ ; ١٢ : ٩٣٣-٩٤١) = لمحة تاريخيّة في اديار ماردين للقس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (٧٦٠-٧٧٠) = مصالح الدول الاوربيّة على ساحلَي البحر الاحمر للكاثليكر ع. م. رعد (٧٧١-٧٧٩ ; ١٢ : ٩٠٦-٩١١) = ثمرة شهية لمدرستنا الاكليريكيّة. الكاهن العبد دانيال سرور: بقلم احد تلامذة كليّتنا (٧٧٩-٧٨٦) = سعي في عمارة المريخ (٧٩٤-٧٩٥) = اثران عربيّان في دير القمر (٧٩٥-٧٩٧) = رسالة قداسة الحبر الاعظم لجلالة السلطان محمّد الخامس (٧٩٨-٧٩٩)

العدد ١١ (تشرين الثاني) الكتاب المقدس والكنيسة الارثوذكسية بحث لاهوتي للاب انطون رباط اليسوعي (٨٠١-٨٣) = المعارض الوطنيّة للاديب احمد افندي تقيّ الدين (٨٣٠-٨٣٥) = ملحوظات على مثلّث قطرب لجناب الصيدلي مراد افندي بارودي (٨٤٦-٨٤٩) = ملحق للاب انطون صالحاني (٨٥٠-٨٥٢) = سيمر لاسحق النينويّ في اكرام الصليب معرّب بقلم الخوري بطرس عزيز النائب البطريركيّ في حلب (٨٥٢-٨٥٧) = ردّ على الوطن (٨٧٨ ; ١٢ : ٩٥٧)

العدد ١٢ (كانون الاوّل): ما هنالك: زيارة حديثة لقصر بلدبز الشهير للاب لويس رنزفال اليسوعيّ (٨٨١-٨٩٠) = مذاهب الشرب المسلمين في مدفن النبي داود وابنه سليمان الحكيم للخوري يوحنا مرتا قانوني النبر المقدّس (٨٩٧-٩٠٦) = سلسلة رؤساء اساقفة دمشق الملكيين للخوري كبرلس شارون (٩١٣-٩٢٠) = خمس وعشرون سنة في سبيل الدين والوطن لاحد الآباء اليسوعيين البلجيكيين (٩٤١-٩٥٠) = آثار نصرانية في بلاد التوبة (٩٥٥) = مدينة القديسة بربارة (٩٥٦) = بيت غريب لبديع الزمان (٩٥٩)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن الكزبر (القس ايليا) روايتهُ لاخبار الكلكة في ماردين ٥٨٩ , ٦٦٥, ٧٢٢ , ٧٢٥ , ٨٩٠

اده (الاب خليل اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٧٢-٧٥, ٥٥٢

ارملة (القس اسحق السرياني) اسحق مطران نينوى ٧١٥ = لمحة تاريخيّة في اديار ماردين ٧٦٠

اسحق (مطران نينوى) سيمرهُ في اكرام الصليب ٨٥٢

انستاس (الاب الكرملي) الأبدال ١٦٤

بارودي (الصيدلي مراد افندي) ملحوظات على مثلّث قطرب ٨٤٦

الباشا (الخوري قسطنطين ب. م) مطارنة بعلبك ٤٠٧

بشاره (المهندس ادمون افندي) الريّ في بلاد

ما بين النهرين ٢٥٣
بيترس (الاب بولس اليسوعي) قصة القديس ديونيسيوس الاريوباغي ورسالته الى ابولوفانيس ١١٨ = ايضاحات في الآثار الطقسية السريانية ٢٠٨ = ترجمة عربية قديمة لسيرة القديس افتيميوس ٢٤٤ = وصفهُ لبعض المطبوعات ١٥٤ ، ٢٠٨ ، ٢٤٥
تقي الدين (الشيخ احمد افندي) منارة الدين (قصيدة) ١٥٧ = النور والظلمة (قصيدة) ٢١٧ = حرية الاقلام (قصيدة) ٢٩٧ = نغمات الشكوى (قصيدة) ٤٧٧ = العصر الجديد (قصيدة) ٥٥٦ = رثاؤه للامير محمد ارسلان ٧١٥ = المعارض الوطنية ٨٢٠
تورنيز (الاب فرنسيس اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٧٦ ، ٢٢٦
توبار (الاب كافيار اليسوعي) الراديوم وخواصهُ ٢٦٨
الجوبري (زين الدين عبد الرحيم الدمشقي) نقد كتابهِ المختار في كشف الاسرار ونخب منهُ ١٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٦٩ ، ٤٥٦
جوون (الاب بولس اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٢٢٤ ، ٦٢٠ ، ٧٨٨ ، ٩٥٢
الحاج (الدكتور سليمان) لمحة صحية عن بلاد بشارة وما يجاورها ٢٥٤
الخوري (الاديب انيس افندي م . ع) نشوء الموازين العربية ٢٨١
خيكي (ابراهيم الحلبي): بديعيتهُ ٢٢٧
الدبريني (عبد العزيز): شرحاهُ على مثلث قطرب ٦٨٥
ديلفيغر (الاب يوسف اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٥٤٨ ، ٩٥٣
رباط (الاب انطون اليسوعي) الكتاب المقدس والكنيسة الارثوذكسية ٨٠١ — ٨٢٠ وصفهُ لبعض الكتب ٧٨٨—٧٩٢ ، ٨٧٥ اجوبة على اسئلة ٨٠٠ ، ٨٨٠
الرحماني (غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني) آثار طقسية قديمة بالسريانية ٣٠٥
رعد (الكافلير الصيدلي عبد الله ميخائيل) فوائد الحبش ٢٥ ، ٩٧ = مصالح الدول الاوربية على ساحلي بحر الاحمر ٧٧١ ، ١٠٦
رتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) كتابات قبرص الفينيقية ٢٨٦ ، ٦٨٣ وصفهُ لبعض الكتب ٢٢٢ — ٢٢٢ ، ٢٩٠ ، ٤٧٣ ، ٥٤٩ ، ٧١٠ ، ٩٥٠ ، ٩٥٣
رتزفال (الاب لويس اليسوعي) الدنيا والدين في العام ١٩٠٨ ، ٤٨ ، ١٣٨ = نظر في السنة الاولى للدستور العثماني ٥٦١ = ما هنالك زيارة حديثة لقصر بلديز الشهير ٨٨١ = وصفهُ لبعض الكتب ٢٩١ ، ٤٧٢ ، ٦٢١ ، ٧٨٧ ، ٩٥٣
روش (الاب يوحنا اليسوعي) فاجعة سيئة ٦٧
الروم الملكيون (مقالة لاحد كهنتهم في الطقوس الشرقية والكنيسة الكاثوليكية ٧ ٥
سركيس (الاديب جرجي يوسف اليان) سياحة في سويسرة ١٠٦ ، ٢٧٦
سركيس (الاديب يوسف اليان) الجمعية المشرقية في بيروت ٢٢
سلهب (الدكتور توفيق) لمحة في المعالجة بالوسائط الطبيعية و الفيزيكدترابيا ٥٦٢
شابرون (الاب كيرلس) سلسلة اساقفة دمشق الملكيين ٩١٢
شهوان (الخوري الياس السرياني) رسالته في نور القبر المقدس ٢١٦
شوفيانس (الاب شرل اليسوعي) البيرة ٤٠١
شيخو (الاب لويس اليسوعي) لمحة تاريخية في القصادة الرسولية في سورية ٣—٢٤ = ملحق في الجمعية المشرقية في بيروت ٢٨ = مورسطس

صاحب الارغن ٧٧=الحماسة الدستورية ٨١-٩٦
= الالفاظ السحرية تاج : ٤ التمدُّن ١٤٤ ٥
التساهل ٢٠٥=المختار في كشف الاسرار: نظر في الكتاب وتخبة منهُ ١٨٦ ; ٢٩١ ; ٣٦٩ ; ٤٥٦= نشرهُ ليسرين للقديس يوحنّا فم الذهب ٢٤١=المخطوطات المرتّبة لاعمال القديس يوحنّا فم الذهب المصونة في مكتبتنا الشرقيّة ٢٤٩ = استطراد في نقد انتقاد (ردّ على المهذّب) ٢٧٨=الطيّبة الذكر جان درك البكر ٢٢١ = نشرهُ لبديعة ابراهيم خبكي ١٢٧ = الفتاوى الاميركية في المعتقدات الدينية ٤٢٥=التواريخ النصرانية في العربية ٤٨١-٥٠٦ = نشره لكتاب فضائل الكلاب على كثير من لبس الثياب لعليّ بن المرزبان ٥١٥ = نشره لرواية ايليّا ابن الكزبر من الكتلكة في اردبن ٥٨٩,٦٦٥,٧٢٢,٨٢٥-٨٩٠=بايزيد الثاني والبابا انوشنسيوس الثامن ٦٠٤ = مهرد نبيّ المسلمين والعلماء الراشدين النصارى : نظر انتقادي ٦٠٦ = منظومات الوقائع الدستورية ٦٤١-٦٦٤= نشره لشرحين على مثلّث قطرب لعبد العزيز الديربي ٦٨٥ = نشره لرسالتين للبطريرك كيرلس طاناس ٧٠٦= كتاب مفتوح الى تلميذي الفريد الصغير ٧١٦ = الرّ المصون في شيعة الفرسون : تاريخ الماسونية (٧٣١-١٢٣١) اسم الماسونية وغايتها (١١ : ٨٦٦-٨٧١ ; ١٣ : ٩٢٢-٩٤١ = لهُ) في كل عدد اوصاف كتب وشذرات واجوبة وتعريبات
صالحاني (الاب انطون اليسوعيّ) ملحوظات على مثلّث قطرب ٨٥٠
صوما (الاديب بولس افندي) الشمع ٥٢٤
طاناس (البطريرك كيرلس) : رسالتان وجههما الى لويس الخامس عشر وابنهِ الدلفين ٧٠٦
طاهر (الاديب الياس افندي) قصيدتهُ عصر الرشاد ٦٢٥
ع ١٠ من تلامذة كليّتنا : غرة شهيّة لمدرستنا الاكليريكيّة . الكاهن العبد دانيال سرور ٧٧٩
عزيز (الخوري بطرس النائب البطريركي) ميمر لاسحاق النينوي في اكرام الصليب ٨٥٢
غوني (نيافة الكردينال) رسالتهُ الى مدير المجلة ٢
فاخر (المرحوم خليل) العمل . نظر في تعريفهِ ولجزئتهِ واستقلالهِ والتعاون عليهِ ٥٧٤-٥٨٨
قصوب (الاديب يوسف افندي) قصيدتهُ في سيدة لبنان ٥٥٤
قرتشكوفسكي (الاديب اغناطيوس الروسي) قصّة اعجوبة لرئيس الملائكة ميخائيل بارض فلسطين نشرها من نسخة غوطا ٤٤٩ = وصفهُ لبعض الكتب ٢٩٢,٧٩٠
كراف (الخوري جرجس) اجتماع الاهل بعد شتات الشمل : اثر نصراني قديم فيهِ ترجمة اكسوفن وامرأتهِ مريم وولديهما يحنّا وارقاديوس القديسين ٦٩٥
لاشفر (المسيو فردريك) موت الكاتر فولتار ٢٢٦-٢٢٧
لامنس (الاب هنري اليسوعيّ) الكتابات العربية في جبل الطور ٦١٨
مبارك (الخوري نعمة الله المرسل الكرسيّ) الطقوس اليمية ٤٢٠
مجاسون (الاب كلاوديوس اليسوعيّ) نبذة لهُ في حركة السيّارات ١٦٠
مرتا (القانوني دون يوحنّا) مذاهب العرب المسلمين في مدفن النبيّ داود وابنهِ سليمان الحكيم ٨٩٧
مري دلتال (نيافة الكردينال) رسالتهُ الى مدير المجلّة ١
موتين (الاب يوسف اليسوعيّ) السكّر ١٧٩ =

وصفهُ لبعض الكتب ٤٧٣، ٦٣٠
المعلوف (الاديب اسكندر افندي عيسى) نخبة من امثال القس حنانيا منبّر بقلمهِ ٤١، ١٠٣، ٢٦١، ٢٥٩، ٤٣٧،
منبّر (القس حنانيا) نخبة من امثالهِ ٤١، ١٠٣، ٢٦١، ٢٥٩، ٤٣٧،
يوحنا فم الذهب (القديس): ميمران لهُ في خميس الاسرار والفصح الكبير ٢٤١

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الثانية عشرة من المشرق

الكتب العربيّة والسريانيّة الخ

ابن شحنة (الامام محمّد الحلبي) الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب (٥٥٢)
ابن الخاقّ الاندلسي ديوانهُ (٢٢٤)
ايبش (الخوري افرام السريانيّ) الجزء الرابع من كتاب دليل الفردوس (١٥٥)
ارملة (القس اسحق السرياني) كتاب الزكاة في البطريركية السريانية (٤٧٦)
الافنالي الشحروري (القوّال خليل افندي) سمان فرح): كتاب عزرائيل القوّالين الجهلاء (٦٢٢)
الونصو (الاديب الفونس انطون) الدليل الهادي لزيارة قبر الهادي (٨٧٦)
الباشا (الخوري قسطنطين) لمحة تاريخية في الرهبانية الباسيليّة الحلبيّة (٥٥٢)
بدجان (الاب بولس اللمازيّ) كتاب الطرق الرهبانية (٢١٥)
البستاني (سليمان افندي) عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ (٧٣)
جبرايل ماريا كنيدر (الاب الكبوشي): المستشرق ميخائيل اماري (٧٦١)
الحبيناوي (القس يوسف الراهب الانطونيّ): كفاية الطالب ونخبة الراغب في علم النحو (٨٧٥)
الجبل (الخوري الياس): كتاب اللاهوت النظري: الجزء الاوّل في الوحي الالهيّ (٧٩٣)
الحميّل (الاديب انطون افندي) السؤال او وفاء العرب رواية تمثيليّة ذات اربعة فصول (٦٣٤)
— ابطال الحريّة (٧١٤)
الخازن (الشيخ سليم) تعريب رواية قلب الاسد ٢٩٥
الخازن (الشيخ فريد) تاريخ جان درك (١٥٤)
خاطر (الاديب حمد صعب) جغرافية لبنان (٢٣٧)
الخوري (الدكتور شاكر بك) مجمع المرأة (٤٧٥)
الخوري (الاديب شكري) مرور في ارض الفناء ونبأ من عالم البقاء (٢٣٦)
الخيّاط (الشيخ محيي الدين) تعريبهُ لرواية كمال بك الوطن او سلتره (٣١٥)

خير الله (الاديب ابن افندي ظاهر) كتاب دروس الحياة الانسانية في مدرسة الله الثباتيّة (٧٩١)
— الارض في السماء . قصائد ادبيّة اخلاقية تاريخيّة (٨٧٧)
دريان (السيد يوسف مطران طرسوس) اللمعة الوفيّة في كتاب رتب السامذ الكهنوتيّة (٩٥٤)
رميا (الخوري ديمان روفائيل) تلاوة القدّاس في الاجيال الثلثة الاولى (٥٥٣)
الرهاوي (الشاعر جبل افندي صدقي) ديوانهُ الكلم المنظوم ٣٦٥
زيدان (الاديب جرجي افندي) : كتاب العرب قبل الاسلام ج ١ (٧٦)
— تعريب تاريخ التمدّن الحديث لشارل سنيوبوس (٧١١)
السبكي (تاج الدين ابو نصر عبد الوهّاب) كتاب معيد النعم ومبيد النقم (٤٧٤)
سركيس (الاديب يوسف افندي) الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب (٥٥٣)
ش . ش . (ابن جلا) رسالة المعاطس لابن جلا (٦٢٥)
شديد بن فارس (من مزرعة النهر) العقد الفريد (٨٧٧)
الشرتوني (المرحوم رشيد) مفتاح القراءة والخط والحساب (٧٩٣)
شيخو (الاب لويس) ديوان السموأل (٣١٦)
شير (السيّد ادّي صليبا) تاريخ النصرانية لاحد الناظرة (٧١٢)
صالحاني (الاب انطونُ اليسوعيّ) ملحق ديوان الاخطل (٥٥١)
— رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني . الجزء الاوّل طبعة ثانية (٨٧٤)
صفير (الخوري نقولا) تعريب فرض اخويّة الميتة الصالحة للاب بيرون (٣٩٦)
طباره (الاديب احمد افندي) وجمّال (محمّد افندي) . خمسة دواوين العرب (٧١٠)
طيفور (احمد بن ابي طاهر) الجزء السادس من كتاب تاريخ بغداد ٢٢٦
عزيز (الخوري بطرس) تقويم قديم للكنيسة الكلدانية النسطورية (٧٩٠)
العظم (صادق باشا المؤيد) رحلة الحبشة . معرّب بقلم الاديبين رفيق بك وحقي بك العظم (١٥٦)
علوان (الاب يوسف اللمازريّ) عقد الدرّ المختار في نظم حياة الشهيد يوحنّا بربوار (٣١٣)
عوّاد (سيادة المطران بولس) المجلّد الخامس من كتاب الخلاصة اللاهوتيّة للقديس توما الاكويني (٣١٣)
عويس (الخوري بولس المارونيّ) الموت الحقيقي والموت الظاهر (٣١٥)
غرغور (الاديب نجيب افندي) يوس الناشر صلاحهُ وسلامة قلبهِ (٧٦)
النسطاوي (القس بولس مسعود) : تاريخ العلّامة البطريرك يوسف اسطفان والراهبة هندية . الجزء الثاني : الاصول المحجوبة (٦٢٢)
الفاخوري (الشيخ عبد الباسط) كتاب تحفة الانام في مختصر تاريخ الاحلام (٢٢٤)
فارس (الاديب فيلكس) التجوى الى نساء سوريّا (٨٧٦)
الكندي (ابو عمر محمّد بن يوسف) كتابهُ تسمية ولاة مصر (٢٢٠)
مراد (الخوري شكر الله المارونيّ) دعوة الحبيب الى السرّ العجيب (٧١٠)
الورادينيّ (سعد الدين) كتاب مرزبان نامه (٥٤٩)

المرسلون الكريّون : مناثر الطفيّات (٨٧٥)
سعد (الاديب بولس) لبنان والدستور العثماني (٣٩٤)
مظلوم (السيد البطريرك مكسيموس) نبذة تاريخية فيما جرى لطائفة الروم الكاثوليك منذ سنة ١٨٢٧ نشرها الخوري قسطنطين الباشا (٣٩٣)
ياقوت الحموي : ارشاد الاريب الى معرفة الاديب (٦٣٨)
يوسيفوس اليهودي : تاريخهُ (٣١٤)

مطبوعات اوربيّة

Actes du Quinzième Congrès International des Orientalistes (874)
Aouaïs (P. Paul) : Messe du rite Syriaque-Maronite (709)
Bacha (P. C.) : Les Versions arabes de la Liturgie de St Jean Chrysostôme (787)
Bezold (Dr Carl) : Eberhard Schrader (873)
Bonain (L'abbé) : Les Saintes Evangiles (233)
Caetani (Leone Principe di Teano) : The Tajârib al-Umam of Ibn Miskawayh (550)
Carra de Vaux (le B^on) : La Doctrine de l'Islam (631)
Charon (Le P. Cyrille) : Le quinzième Centenaire de St Jean Chrysostôme (230)
—Histoire des Patriarcats Melchites III. Les Institutions, fasc. I. (713)
Daremberg - Saglio - Pottier. Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines, 42e fasc. (233), 43e fasc. (950)
D'Arras (P. H. s. j.) Une Anglaise convertie (671)
Ferrero (G.) : Grandeur et décadence de Rome. VI. Auguste et le Grand Empire (232)
Gabrielsson (Johannes) : Ueber die Quellen des Clemens Alexandrinus, II Th., (951)
General Bulletin of the Manila University (76)
Génier (R. P. Fr. Raymond) : Vie de St Euthyme le Grand (345)
Geyer (R.) : Die Rhythmen des altsemitischen Predigt (788)
Goussen (Heinrich) : Die christlich-arabische Literatur (714)
Guy d'Avolino : Vers la Lumière - Impératrice et Vestale — Catherine d'Alexandrie - Attila - Le Secret de Rocamadour (392)
Hatzidakis (G. N.) : Die Sprachfrage in Griechenland (476)
Hotz (A. P. H.) : Cornelis Cornelisz Roobacker's Scheepsjournal Gamron-Basra (872)
—Journal der Reis van den gesant der O. I. Compagnie Jean Cunæus (872)
Hogg (Hope W.) : Survey of recent Publications of Assyriology (790)
Huart (Mr Clément) : Textes relatifs à la secte des Hourouflis (871)
Jacquier (E.) : Histoire des Livres du Nouveau Testament, T IV (547)
Jaeschke (R.) : Nutt's Conversation Dictionary, with Grammar etc. (630)
Jean d'Allemagne : Au Pays de la Reine de Candace (632)
Joüon (P. Paul s. j.) : Le Cantique des Cantiques, Commentaire philologique et exégétique
Jugie (P. M.) : Histoire du Canon de l'Ancien Testament dans l'Eglise Grecque (312)
Keller (Dr H.) : Sechster Band des Kitâb Baghdâd von Ahmad ibn Tâhir Taifûr (229)
Khachab (A.) : Obrazei Sowremennoj Arabskoj Pismennosty. Yzdal y slowarem snabdil (780)
Kratchkovski : Mutanabbi i Abu-l-'Ala (873)
Koenig (N. A) : The History of the Governors of Egypt, *part* I. (230)
Konversations-Lexicon, 3te Aufl. *Herder* 8 vols. (388)
Kuhn (Dr P. Alb. O. S. B.) : Allgemeine Kunst-Geschichte, I-III (548)
Leclercq (Dom.) : Les Martyrs. VI Jeanne d'Arc et Savonarole (337)

=VII et VIII. La Réforme (472)
Macler (F.) Catalogue des Manuscrits arméniens et géorgiens de la Bibl. Nationale de Paris (235)
— Formules magiques de l'Orient Chrétien (235)
Margoliouth (D. S.) : Dictionary of learned men of Yakût, 2 vols (628)
Matharan o. j : Acserta Moralia, ed. 11° (620)
Max (Adal.) : Der Messias oder Ta'eb der Samaritaner (952)
Meistermann (R. P. Barnabé O. F.) : Guide du Nil au Jourdain par le Sinaï et Pétra (472)
Mirza Muhammad Ibn 'Abdul Wahhâb : The Marzuban-Nama (549)
Monlaur (M. Reynès) : Jérusalem (709)
Mülinen (D' E. Graf von) : Beiträge zur Kenntnis des Karmels (549)
Myhrman (David W.) : The Restorer of Favours by Taj-ad-Din As-Subki (474)
Opponheim (D' Max Freiherr von) : Der Tell Halaf u. die verschleierte Göttin (787)
Pectors (P. Paul) : Les Missions Catholiques et les Langues Indigènes (788)
Pétillon (P. Corentin s. j.) : Allusions littéraires, 1re fasc, 2e ed. (310)
Radspieler (Alfred) : Gray's Collection praktischer Sprachführer. Der Perfekte Türke (630)
Rahmani (Ignatius Ephrem II) : Studia syriaca. III. Vetusta Documenta Liturgica (153)
Razzoli (P. Rob.) o M° A° Frappicini : L'Inno di Terra Santa (953)
Realencyklopaedie ³ Herzog - Hauck XXI (231)
Redhouse (J. W.) : The Turkish Vade-Mecum (712)
Roy (Mgr. Lo) : La Religion des primitifs (473)
Sachau (Eduard) : Syrische Rechtsbücher, II Bd. (391)
Scher (Mgr. Addaï) : Histoire Nestorienne inédite (712)
De la Servière (J. s. j.) : La Théologie de Bellarmin (75)
Thomson (P.) Palaestina und seine Kultur (953)
Touzard (J.) : Le Livre d'Amos (232)
Wetzer und Welte. Kirchenlexicon, 12 vols. Herder (388)
Wiesloffsky (N.) : Baron v. R. Rosen Nekrolog (392)
Willcocks (Sir) : Irrigation de la Mésopotamie, traduit de l'anglais par Edmond Béchara, Ingénieur (354)
ΧΡΥΣΟΣΤΟΜΙΚΑ : Studi e ricerche intorno a S. Giovanni Crisostomo, fasc. II et III (387)

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

* ١ * الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (تابع) ٥٩، ٢٣١، ٢٦٦، ٤٦١، ٥٤٠، ٦٢٣، ٧٤٨، ٨٥٨، ١٣٠
آدم (المطران جرمانوس) وقصائدهُ ١٤
آطة ومذاهبها ٥٦٤
الأبدال : تعريفهم وعددهم واوصافهم ١٩٤—٢٠٤
ابن الفضل الانطاكيّ (عبد الله) ومؤلفاتهُ ٥٥٧
ابن الكزبر (ايليا) واخبارهُ في رجوعهِ الى الكثلكة ٥٩١، ٦٦٥، ٧٢٢، ٨٢٥، ٨٩٠
ابولونيس : رسالة ديونيسيوس الاريوباغي اليهِ ١١٨
الايارى (الشيخ عبد الهادي نجا) ٧٥٥
ايلا (ليونردو) اسقف صيداء والقاصد الرسوليّ ٩
ايلا (تيمر) الاديب ٢٧٠
اثر عربي في دير القمر ٧٩٥—٧٦٧ اثر نصراني قديم فيهِ ترجمة اكسنوفن واسرتهِ ٦٦٢

اجتماع الاهل بعد شتات الشمل : اثر نصراني قديم ٦٩٢
أجرة السأل على علمهم ٥٧٦
الاجسام المشعّة ٢٩٨
الاحدب (الشيخ ابراهيم) ٥٤٣
احمد فارس الشدياق ٦٣٦
احمد دتنه (المنشور افرام) منشئ دير مار افرام في ماردين ٧٦٥–٧٧٠
الأخيضر: اكتشاف هذا القصر في العراق ٤٧٩
الارشدكس وايامهم بوحي الاسفار المقدّسة الثانية ٦٢٨، ٨٠٠، ٨٠١–٨٢٠
ارسلان (الامير محمّد) رثاؤه ٧١٥
الارواح ومناجاتهم ٢٢٠
ارمينية ومذابح اهلها ٥٦٤، ٦٥٢
الاستشهاد وشروطه ٤٨٠
استقلال العمل ٥٨٢
اسحاق (اسحقه البطرك اليعقوبي) ٧٢٣ – ٧٣٤، ٧٢٩، ٧٣٧، ٧٤٤–٧٤٦، ٨٣٩–٨٤٣، ٨٩٢، ٨٩٧–
اسحق البنوي ترجمته وكتابه الطريقة الرهبانية ٢١٥–٢٢٠
اسطفان (السيد البطريرك يوسف) ١٣–١٤
الاسفار المقدّسة الثانية وقانونيتها ٦٢٨، ٨٠٠، ٨٠١–٨٢٠
اسماعيل الموصلي (الشيخ) الشاعر ٨٥٩
الاسير (الشيخ يوسف) ٥٤٢
الاطعمة المغشوشة ٤٦٠
الاعتراف الى من لا سلطة له على الحلّ ٥٦٠
افسيوس (القديس) ترجمة عربية قديمة لسيرته ٣٤٤–٣٥٣
الافغان والانكليز ١٣١
اكسنوفن وامرأته وولداه القدّيسون وترجمتهم القديمة ٦٩٢
الالفاظ السحرية: التمدّن ١٤٤ التساهل ٢٠٥
الفريد الصغير: كتاب مفتوح اليه ٧١٦
المانية وانكلترة ١٣٣، ١٤٠ امبراطور المانية واليسوعيّون ١٥٨ مؤتمر كاثوليك المانية ٧٩٩
الياس الموصلي الكلداني ورحلته الى اميركة ٧٩٧
اليانو (الاب يوحنّا اليسوعي) القاصد الرسولي ٨ امثال القسّ حنانيا منيّر ٤١، ١٠٣، ٢٦١، ٢٥٩، ٤٢٧
اميركة وخلافها مع اليابان ١٣٩ معارضة مهاجرها السوريين للدين ٤٢٥–٤٣٦ انشاء الرسالة الاميركية للجمعية السورية ٤٠ الكلية الاميركية ٤٦٣
الانبابي (الشيخ محمّد) ٧٥٢
الانجيل المقدّس: اكتشاف اناجيل مخطوطة قديمة ٢١٩ انجيل برنابا المزور ٥٥٨
اندراوس الشيخان البطريرك الكاثوليكي ٧٢٣–٧٢٣
اندراوس النبرسي القاصد ٦
انكلترة والمانية ١٣٣، ١٤٠ مصالح انكلترة في الحبشة ٧٧١–٧٧٤
اوربّة: الدول الاوربيّة في العام ١٩٠٨ ١٣٩ اهتمام اهلها بالدروس العربيّة في ختام القرن القرن التاسع عشر ٥٤٠ مصالح اوربّة على ساحلي البحر الاحمر ٧٧١، ٩٠٦
اوقرني (السيد يوحنّا المسدان) القاصد الرسولي ١٩
ايسيدلن ومزار البتول فيها ٣٧٧
ايثوشنيوس الثامن البابا وبايزيد الثاني ٦٠٤
أيصاء ٦٣٨
* ب * باخوس (الاديب يوسف حبيب) ١٣١
بال مدينة سويسرة ٢٨٤

بايزيد الثاني والبابا اينوشنسيوس الثامن ٦٠٤
بديع الزمان الهمذاني وبيت غريب من شعره ٩٥٩
بديعة ابراهيم خيكي الحلبي ٢٣٧-٢٤٤
بربارة (القديسة الشهيدة) ومديحها في العامة ٩٥٦
برن مدينة سويسرة ١١٥
برنابا: انجيل الزور المنسوب اليه ٥٥٨
البروتستنت والكنيسة الارثوذكسية ٨٢٤-٨٣٠
برونوني (السيد بولس) القاصد الرسولي ٢١
البستانيون الادباء: المعلم بطرس ٩٣٩ ابنه سليم ٩٣٠ السيد بطرس مطران صيداء ٩٣٠ الخوري يوسف جرجس ٩٣١ سعيد ٩٣١ نجيب وسليمان وعبد الله ٩٣١
البزاز (الملا حسن) الشاعر الموصلي ٨٥٨
بستس (الاديب سليم موسى) ٩٢٢-٩٢٣
بشاره: لمحة صحية عن بلاد بشاره وما يجاورها ٢٥٤
البطريركية القسطنطينية بعد الدستور ١٠٨
بطلك وسلسلة اساقفتها الملكيين ٤٠٨
بلاد بشارة: لمحة صحية عن جهاتها ٢٥٤
بلجيكة ووزارتها ١٤١ احتفالها للسنة الخمسين والمئتين من فوز الكاثوليك فيها ٩٤١
بني (البطريرك بطرس الموصلي السرياني) ٩٣٤-٩٣٥
بولاد (القس انطون) وآثاره ٢٦٦
بوصو (الاب ارنلد اللعازري) القاصد الرسولي ١٥
بياني (السيد لودوفيكس الفرنسيسي) القاصد الرسولي ٢٢
البيرة: نظر في تاريخ هذا المشروب وصناعته وتجارته ٤٠١-٤٠٧
بيرم (الشيخ محمد التونسي) ٨٦٣
بيروت الجمعية المشرقية فيها ٣٢-٤١
بيوس العاشر (قداسة البابا) اتفاقه السامي اعماله ٤٩ قصيدة حثثة في يوبيله ١٥٧ رسالته الى جلالة السلطان محمد الخامس ٧١٨
* ت * التثليث جواب على سؤال لاحد المسلمين في هذا السر ٢٣٩
تركيا والدستور العثماني ١٣٦ احتفالها لسنة الدستور الاولى ٥٦١
التساهل: بيانه وتعريف شروطه ٢٠٥
التمدن وبيان شروطه ١٤٤
التعاون في العمل ٥٨٦
التواريخ النصرانية في العربية ٤٨١-٥٠٦
توما دي نوفارا القاصد الرسولي ٥
* ج * جامعة الفنون (رد على هذه المجلة) ٦٦٠
الجامعة المصرية ٧٧
جان دوك البكر: ترجمتها وتطويبها ٢٢١-٢٢٧
الجبن الثباني ٦٢٧
جحى البصري وجحى الرومي ٧٣٠
جراغان وصف هذا القصر ٨٨٩-٨٩٠
الجمعة (اطلب البيرة)
جلال (محمد عثمان) ٧٥٨-٧٥٩
جم ابن محمد الثاني ٦٠٥-٦٠٩
الجمعية المشرقية في بيروت ٣٢-٤١
جنيفة حاضرة سويسرة ٢٨٦
الجواهر المنشوشة ٤٥٧
الحوبري: تعريف كتابه المختار في كشف الاسرار ومنقولات عنه ١٨٦,٢٦١,٢٦٩,٤٥٦
جودت باشا (احمد الوزير) ٨٦٣
جوهر (السيد اغناطيوس الرومي الملكي) ١٣
جيانيني (السيد فريديانو الفرنسيسي) القاصد الرسولي ٢٤
* ح * الحبش وعوائدهم ٢٥, ١٧
حبيب (المطران يوحنا الماروني) ٨٦٣

الحربة المقدسة الرسلة الى اينوشنسيوس الثامن ٦٠٨
حرية الاقلام (قصيدة) ٣٩٧
الحساب الغريغوري في روسية ٩٠٨
حسون (الاديب رزق الله الحلبي) ٢٢٦,٢٦٦
حكيم (السيد بولس مطران حلب المارونى) ٨٦٢
الحكيم (محمد علي باشا) ٧٥٩
الحلاوي (السيد حيدر) الشاعر ٨٦١
الحماسة الدستورية ٨١-٩٦
حمزة (السيد محمود الحسيني) ٧٤٩
الحمام وتحفها في بلدين ٨٨٦
حواء (الاسقف جبرائيل الماروني) ١٠
حوادث العام المصرم الدينية والدنيوية ١٢٨,٤٨
الحواريون ومعموديتهم ٨٠
* خ * الخازن (السيد جرمانس القاصد الرسولي) ١٦
الخازن (القس اغناطيوس) الشاعر ٦٥
الخلفاء الراشدون وعوائدهم للنصارى ٦٧٨-٦٨٢
خمس وعشرون سنة في سبيل الدين والوطن ١٤١-٩٥٠
خياط (السيد عبد يشوع البطريرك) ٩٢٨
* د * دانيال سرور (الكاهن العبد) ٧٧٩
داود (السيد افليس يوسف مطران دمشق السرياني) ٩٢٦-٩٢٧
داود (النبي) مذهب كتبة المسلمين في مدنسه ٨٩٧-٩٠٢
دحلان (الشيخ احمد بن زيني) شريف مكة ٨٦٢
درّي باشا (الدكتور) ٧٥٩-٧٦٠
الدستور الثاني وما نظم فيه من القصائد ٨١-٩٨ الاعلان بالدستور في عام ١٩٠٨ ١٢٦
السنة الاولى للدستور الثاني ٥٦١
الدفن الكنسي وشروطه في الحق القانوني ٦٤٠
دلال (الخوري ميخائيل السرياني ٨٢٧
دمشق وسلسلة اساقفتها الملكيين ٩١٢-٩٢٠
دنديني (الاب جرونيمو اليسوعي) القاصد الرسولي ٩
دوروثاوس (المرسل الكبوشي) القاصد ١١
دوقال (السيد بطرس غوترالس الدومنيكي) القاصد الرسولي ٢٢
ديونيسيوس الاريوباغي ورسالته الى ابرلوقانيس ١١٨
دير الزعفران مقام بطرك اليعاقبة ٦٠٠,٧٦٣
دير القمر: اثر عربي فيها ٧٩٥-٧٩٧
دير مار الرام في ماردين ٧٦٥-٧٧٠
الدبريني (عبد العزيز) وشرحان له على مثلث قطرب ٦٨٥, ٨٤٦
الدين والدنيا في سنة ١٩٠٨ ١٢٨,٤٨
الدين والملوكية ٩٢٧-٩٤١
ديوان السموأل عن نسخة فريدة ١٦١-١٧٨
* ر * الراديوم وخواصه العجيبة ٢٩٨-٣٠٥
رسالة مبعوثة من عند الله ٣٩٩
رعد (الخوري حنا) اطلب الناصي
الروح القدس والخطايا المضادة له ٩٦٠
روسية وعزمها على اتخاذ الحساب الغريغوري ٩٥٨
الريحاني (امين) واباطيله ٦٢٩, ٧١٦
الري في بلاد ما بين النهرين ٣٥٢-٣٥٩
رية (راجيو) ومسيئة ٦٧-٧٢
* ز * زحله ومعرضها ٨٢٠-٨٢٥
الزغبي (السيد يوسف مطران قبرس) ٨٦٤
* س * ساسان (بنو) وحياتهم ٢٩١-٢٩٧
سان غال مدينة سويسرة ٢٨٠
سان غوتار نفق سويسرة ٢٨٥
سبت النور في كنيسة القيامة ١٩٢, ٢١٦ رسالة

الخوري الياس شهوان في اعجوبة هذا اليوم في القبر المقدس ٢١٦–٢١٧
السرّ المصون في شيعة الفرسون (اطلب الماسون)
سرور (الكاهن العبد دانيال) ٧٧٩
السكّر: تعريفهُ ١٧٩ تاريخهُ ١٨٠ صناعتهُ وتحصيلهُ ١٨٢ تجارتهُ في العالم ١٨٤
السلطان عبد الحميد والسلطان رشاد محمّد الخامس ٦٥٤–٦٦٢
سليمان الحكيم ومذهب كتبة المسلمين في مدفنهِ ٩٠٢–٩٠٦
السوال: نشر ديوانهِ لاوّل مرّة ١٦١–١٧٨
السمعاني (المسيو يوسف الماروني) وقصادتهُ ١١ السنة الاولى للدستور الشامي ٥٦١–٥٦٩
سوريّة (القصادة الرسولية فيها) ٢ القصّاد الرسوليّون الموقّتون ٤ القصادة الرسولية المنظّمة ١٤ = الآداب العربية في سورية في ختام القرن التاسع عشر ٤٦١–٤٦٨
سولو وتاريخها ٦٢٩
سويسرة سياحة في جهاتها ١٠٩, ٢٧٦ مؤتمر الكاثوليك فيها ٧٦٩
السيّارات وحركتها الظاهرة ١٦٠
سيدة لبنان (قصيدة) ٥٥٤
ش الشام وادباؤها المسلمون في ختام القرن التاسع عشر ٥٤١, ٦٢٢
الشدياق (احمد فارس) ٦٢٦
شرحان على مثلّثات قطرب ٦٨٥, ٨٤٦
الشرقيّون واقلام واجباتهم الدينيّة في البلاد الاجنبية ٤٠٠ الشرقيون وطقوسهم ٥١١
الشطّي (عبد السلام) الشاعر ٦٢٢
الشعر الدستوري ٨١–٩٦, ٦٤١–٦٦٤
شفيق بك ابن منصور باشا يكن ٧٦٠
شلحت (البطريرك جرجس السرياني) ٩٢٤
الشمالي (السيد جرمانوس مطران حلب) ٨٦٢
الشمس والمماثلة بنورها ٥٦٩
الشمع: تعريفهُ وانواعهُ ومنافعهُ وتجارتهُ في الشرق ٥٢٤
* ص * صديق بن حسن القنوجي ٨٦١
الصليب المقدّس: سمر اسحق النينوى في اكرامهِ ٨٥٢
الصومال قبائلهم وعاداتهم ٩٠٩–٩١١
الصيارفة وشعوذتهم ٤٥٨
صيدنايا وصورتها العجيبة ١٩٢
الصين وخلافها مع اليابان ١٢٩–١٣١
* ط * الطاعون في ماردين ٦٧٢–٦٧٣ في ديار بكر ٨٢٦
طاناس (البطريرك كيرلس) ورسالتاهُ الى ملك فرنسة وابنهِ ٧٠٦
طراد (جرجس اسحق) الشاعر ٢٦٩
الطقوس اليمية اصلها وضرورتها ورونقها ٤٢٠–٤٢٥ الطقوس الشرقية والكنيسة الكاثوليكيّة ٥٠٧
طوابع البريد وفائدتها ٤٠٠
الطور وكتاباتهُ العربية ٦١٨
طوله بنجه: وصف هذا القصر ٨٨٨–٨٨٩
* ع * عازار (القس اغسطينوس الماروني) ٩٢٢
عازر المنصوراني المقريان ٦٠٢–٦٠٣, ٦٦٦
العاصي (الخوري حنا وعد) ٩٢٢
العبادات الحديثة والطقس ٥١٢
عبد الحميد (السلطان) قصائد الشعراء في هزلهِ ٦٥٤ قصرهُ يلديز ٨٨١–٨٩٠
عبد الفتّاح اللاذقي الشاعر ٦٢٥
عبد القادر (الامير الجزائري) ٧٥٠
عبد يشوع خياط (البطريرك جرجس الكلداني) ٩٢٨
العجم والشاه في السنة ١٩٠٨ ١٢٩

مجيمي (الراهبة حنّة) ١٤
العذراء مريم وعمودها ٨٠
العراق وادباء هذا القطر في خاتمة القرن التاسع عشر ٨٥٨
العرب المتنصّرون في فلسطين ٣٥٠
العربية والتواريخ النصرانية فيها ٤٨١–٥٠٦
اعتناء الاوربيين والامركيين في درسها ٥٤٠
العربية وتاريخ آدابها في القرن التاسع عشر
(الطلب الآداب) نشوء الموازين العربية ٢٨١
عركوس (البطريرك فيلبّس السريانى) ٩٢٤
العصر الجديد (قصيدة) ٥٥٦
عصر الرشاد (قصيدة) ٦٢٥
العضيمي (العلم سعد) الشاعر ٢٦٨
العطّارون وغشّهم ٤٥٦
العلم والماسونية ١٢٥–١٢٧
العلويّ (شهاب الدين الموصلي) ٨٦٠
عنيش (الشيخ الملكي المصريّ) ٧٥٢
عمّانويل (اسقف بغداد الكرملي) القاصد ١١
عمر بن الخطّاب وعهده لاهل القدس ٦٧٨–٦٨١ لاهل المدائن ٦٨١
العمري (عبد الله الموصلي) ٨٦٠
العلل: نظر في تعريفه وتجزئته واستقلاله والتعاون عليه ٥٧٤–٥٨٨
عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى ٦٠٩، ٦٧٤
عيسى (الخوري جرجس) وآثاره الادبية ٢٦٧
* غ * غندلفي (السيد لويس المازاري) القاصد الرسولي ١٧
غودنيو (السيد بونتيلي الفرنسيسي) القاصد الرسولي ٢٢
* ف * الفاتيكان ومتحف صوره ٥٥٩
الفاخوري (الخوري ارسانيوس) ٨٦٤
فازّيو (السيد انجلو الفرنسيسي) القاصد الرسولي ٢٠
فالركا (السيد البطريرك يوسف) القاصد الرسولي ٢١
فالريانو (الراهب الفرنسيسي) القاصد ١٤
فائض الفائض ٤٨٠
الفتاوى الامركية في المعتقدات الدينية ٤٢٥–٤٢٦
فخر الدين عثمان واثره في دير القمر ٧٩٧
فرا اريوستي القاصد الرسولي الفرنسيسي ٧
فرا انطوني " " " ٦
فرا بسطيا " " " ١٢
فرا برنردين ارطون " " " ٧
فرا دا لوكا " " " ١٢
فرا دارسينيانو " " " ٧
فرا دسيديريو " " " ١٢
فرا سوريانو " " " ٧
فرا غريغون " " " ٦
فرا لورنسيوس " " " ١٠
فردينندس الكرملي القاصد الرسولي ١٠
الفرسون (الطب الماسون)
فرنسة: نضة الكاثوليك فيها ٥٢–٥٤ احوالها الداخلية والخارجية ١٤١ موت بعض علمائها ١٤٢ مصالحها في الحبشة ٧٧٥، ٩٠٦
الفرنسيسيّون الرهبان والقصّاد الرسوليّون ٦
فروماج (الاب بطرس اليسوعي) فضائله واعماله ٢٥٢
فريبورغ ووصفها ١١٢–١١٥
فرّير الفوضوي وانتحار جريدة الوطن له ٩٥٨
فكري (الوزير عبد الله باشا) ٧٥٢–٧٥٤
الفلكي (محمود باشا) ٧٥٩
فولتار: صحّة الخبر في وفاته ٢٢٧
الفيكوتيرابيا او العلاج بالوسائط الطبيعيّة ٥٦٩
فيلارديل (السيد فرنسيس الفرنسيسي) القاصد الرسولي ٢٠
* ق * قانونيّة الاسفار المقدّسة الثانية ٦٢٨، ٨٠١

قبرس وكتاباتها الفينيقيّة ٦٨٢,٢٨٦
القصادة الرسوليّة في سوريّة (اطلب سوريّة)
القصّاب (محمّد سليم) الشاعر ٧٤٨
قطرب وشرحان على مثلّثاته ٦٨٥, ٨٤٦
قطرة القلم (قصيدة) ٧٩٥
قندلفت (السيد تاوفيلس انطون السرياني) ٩٢٥
* ك * الكاثوليك في بلجيكة واحتفالهم بالسنة الخمس والعشرين لفوزهم ٩٤١–٩٥٠
كاراقياري (السيد بطرس اسقف آتوس) القاصد ١٣
كتاب فضائل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب ٥١٥–٥٢٢
كتاب مفتوح الى الفريد الصغير ٧١٦
الكتاب المقدّس والكنيسة الارثوذكسية ٨٠١–٨٢٠
الكتابات السريّة في جبل الطور ٦١٨
كتابات فينيقيّة في قبرس ٦٨٢,٢٨٦
الكنيسة العرب المسلمون ومذاهبهم في مدني داود وسليمان ٨٩٧–٩٠٦
الكثلكة في العام المنصرم في انحاء اوربّة ٥١–٥٦
في اميركة ٥٧–٥٨ انتشارها في ماردين في غرّة القرن الثامن عشر ٥٨٩, ٦٦٥, ٧٢٢, ٨٢٥, ٨٩٠
الكركي (الاسقف اليعقوبي) ٦٦٦, ٦٧٢, ٧٢٢, ٧٢٤–٧٤٧, ٧٤٨–
كريت وثورتها ٦٦٢
الكسّي (الشيخ ابو الحسن) الشاعر ٥٤٨
الكلاب كتاب فضائلها لابي بكر ابن الرزبان ٥١٥–٥٢٢
الكلمة: نظر في بعض مزاعم هذه المجلة ٧٩
كلّيّة القديس يوسف والكلّيّة الاميركية في بيروت ٤٦٣
الكنيسة الارثوذكسية والكتاب المقدس ٨٠١–٨٢٠
الكنيسة الكاثوليكيّة والطقوس الشرقية ٥٠٧
الكنيسة والمذهب الكوبرنيكي ٩٦٠
كوبرنيك والكنيسة الكاثوليكية ٩٦٠
كوركس (جرجس الثاني البطرك اليعقوبي) ٥٩٢, ٥٩٧–٦٠٤, ٦٦٥ موتهُ ٦٨٢–٧٢٢, ٧٢٣
الكونغو وستعمرتها البلجيكيّة ٩٤٨
الكيميا الكاذبة والمشعوذون ٢٦٦–٢٧٦
* ل * لافون (الاب الفلكيّ البلجيكيّ) وفاتهُ ٤٠٠
لاپاران (المسيو دي) وفاة هذا العالم الكاثوليكي ١٤٣
لانسا (الاب الدومنيكيّ) القاصد ١٢
لوسرن مدينة سويسرة ١١٧ اسدها ٢٩٦
الوره اليوبيل الحسيني لظهور العذراء في لورد ٤٩
لوزانا (السيّد يوحنّا) القاصد الرسولي ١٨
لوزانّة مدينة سويسرة ١٠٩–١١١
لوكاريس (البطريرك كيرلّس القسطنطينيّ) ٨١٧–٨٢٤
لويس الخامس عشر ورسالة البطريرك كيرلس طاناس اليه ٧٠٧
الليثي (الشيخ عليّ) ٧٥٥–٧٥٦
* م * ما بين النهرين وريّ بلادها ٢٥٢–٢٥٩
نشرُ الاديار فيها ٧٦٠
ما هنالك زيارة حديثة لقصر يلديز ٨٨١–٨٩٠
الماء المقدّس والمقتبس ٨٧٩
ماردين وانتشار الكثلكة فيها في القرن الثامن عشر ٥٨٩,٦٦٥,٧٢٢,٨٩٠ اديارها ٧٦١–٧٦٥
الماسون جواب على استفتاء كاتب مصري في هذه الشيعة ٧٢١ تاريخ الماسونية ٧٢٢–٧٣١
اسم الماسونية ٨٦٦ غاية الماسون ٨٦٨ ليست

الماسونية جمعيّة خيريّة ٨٦٨ ,١٢٣ ولا جمعيّة
ماسية ١٢٥ هي مناقضة لكل دين وضعي او
طبيعي ٩٣٧
مبارك (علي باشا) ٧٥٤–٧٥٥
متحف صور الفاتيكان ٥٥٩
المتفلسف الكاذب ٦٣٩, ٧١٦
محمّد صاحب الشريعة الاسلاميّة وعهوده
للنصارى ٦٠٩, ٦٧٤
محمّد الخامس (السلطان) القصائد في ختانه ٧٥٨
رسالة بيوس العاشر اليه ٧٩٨
مختار باشا (محمّد) ٧٥٩
المختار في كشف الاسرار (الطاب الحوري)
المدارس في سوريّة في ختام القرن التاسع عشر
٤٦٢, ٤٦٤
المدارس اللادينيّة ٨٧٩
مدرسة بيروت الاكليريكيّة (ترجمة احد كتبها
٧٧٩
مذاهب الغرب المسلمين في مدنيّ داود وسليمان
٨٩٧–٩٠٦
مذنّبة هلّاي ٨٧٩
المرّاش (آل) وأسرتهم: فتح الله ٢٢٢ فرنسيس
٢٢٢ عبد الله ٢٢٥ ماريانا ٢٢٥
مراكش واحوالها ١٢١–١٢٢
المرسلون الكاثوليك في الصين وشهادة بروتستاني
فيهم ٦٢٨
المرصفي (الشيخ حسين) ٧٥٢
المريخ وسعي في عمارة اهله ٧٩٤
مريم البتول: معموديتها ٨٠ آلامها وموتها ٣١٩
مزارها في ايبيدلن ٢٧٧ زيارة الى احد
معابدها ٥٥٤
المستشرقون الاوربيّون الذين اشتهروا من السنة
١٨٧٠ الى ١٨٨٠ ٢٧٢–٢٧٨
مسعد (السيد البطريرك بولس) ٨٦٢
المسعودي وكتابه اخبار الزمان ٦٣٧
المسلمون: ادباؤهم في الشام في ختام القرن
التاسع عشر ٥٤٢, ٦٢٣
مسيّنة وفاجعتها ٦٧–٧٣
مصر وجامعتها ٨٧ الاداب العربية فيها في ختام
القرن التاسع عشر ٤٦٤ ادباؤها ٧٥١
المطابع السورية في ختام القرن التاسع عشر ٤٦٤
مطر (السيد يوسف مطران حلب) ٨٦٣
المعارض الوطنيّة ٨٣٠–٨٣٥
المعالجة بالوسائط الطبيعيّة ٥٦٩
معمار باشي (الخوري يوسف السرياني) ٧٦٦,
٨٢٢
معمودية الحواريين والعذراء الطاهرة ٨٠
المقابر واكرامها ٩٥٨
المقتبس: تزييف قول هذه المجلّة في النصرانية
٧١٩ في الماء المقدس ٨٧٩
المقتطف زعم هذه المجلّة في قدم الانسان
٧١٩ جواب على اسئلة عُرضت عليها ٧٩٨
المقوقس وعهد نبيّ الاسلام له ٦٧٥
ملكون طاز باز الورتيت ٥٩٢–٦٠٤, ٧٢٤, ٧٢٩
–٧٤٠
الملكيّون (الروم) الكاثوليك) رسالة اساقفتهم
في بطريك ٤٠٨ في دمشق ٦١٢–٦٢٠
المناولة المتواترة اليوميّة ٨٠٠ المناولة الروحيّة
وشروطها ٨٨٠
منظومات الوقائع الدستوريّة ٦٤١–٦٦٤
منير (القس حنانيا الراهب الشويري): نخبة من
امثاله ٤١, ١٠٢, ٢٦١, ٢٥٩, ٤٢٧
المهاجرون الى اميركة وتطاولهم على امور الدين
٤٢٥–٤٢٦
المهذب: ردّ على انتقاد هذه الجريدة ٢٧٨
مؤتمران كاثوليكيان في المانية وسويسرة ٧٩٩
مورسطس صاحب الارغن ٧٨

موريتاً (الراهب بطرس) القاصد ١٤
ميخائيل (رئيس الملائكة) قصّة اعجوبة لهُ ظهرت في ارض فلسطين نقلاً من سفر قديم ٤٤٦–٤٥٦
الميقاني (محمّد) الشاعر ٦٣٤
ميلاني (السيد ساروقيم الفرنسيسي) ٢٢
ميمر اسحق النينوى في اكرام الصليب ٨٥٣
* ن * النباتات وسقيها ٧٩٥
النيافي (الشيخ يوسف) تريبف اقوالهِ في النصرانية ٧١٨, ٨٧٨, ٩٥٧
نبيّ الاسلام وعهودهُ للنصارى ٦٠٩ , ٦٧٤
نثانيل اسقف قبرس الروبي القاصد ٦
نجران وعهد نبي الاسلام لاهلها ٦٧٤
ندم (السيد عبد الله) ٧٥٧–٧٥٨
النصرانية تواريخ كتبها في العربية ٤٨١–٥٠٦
نفثات الشكوى (قصيدة) ٤٧٧
النمسة وولايتا البوسنك والهرسك ١٣٨ بوبيل امبراطورها ١٤٣
نهر الرين وشلالاتهُ ٢٨٣–٢٨٤
نور الشمس والملاح بو ٥٦٩ النور والظلمة (قصيدة) ٣١٧
نيسان وحوادثهُ ٦٥٠
* * الهاني (الخوري يوسف الماروني منصور الهمش) ٩٢٠–٩٣١
هلدبرند الراهب (البابا غريغوريوس السابع) ٧٣٠
الهمش (منصور) اطلب الهاني الخوري يوسف
الهوامّ والحشرات وإهلاكها ٥٦٠
الهواويني (الاديب نجيب بك) ودفاترهُ الخطيّة ٧٩٧
* و * الوطن ردّ على هذه الجريدة ٨٧٨, ٩٥٧
الولايات المتحدة في السنة ١٩٠٨ ١٤٣
* ي * اليابان واحوالها مع اميركة والصين ١٢٩
يارد (السيد جراسيموس مطران صيدنايا الارثذكسي) ٩٣٨
اليازجيّون وآدابهم (تابع): الشيخ حبيب ٥١ الشيخ خليل ٦٠ الشيخ ابراهيم ٦٣, ٢٧٩ الست وردة ٦٧ الشيخ راجي وملحم ٢٢١
الياقوت الصناعي ٨٠
اليسوعيّون انشاؤهم للجمعيّة المشرقيّة سنة ١٨٥٠ في بيروت ٣٣–٤١ دخولهم في اليابان ٥٨ اليسوعيّون وامبراطور المانية ١٥٨
يلديز: زيارة حديثة الى هذا القصر ٨٨١–٨٩٠
يوحنّا فم الذهب: تذكار المائة الخامسة عشرة لوفاتهِ ٥١ سيرهُ في الخميس الكبير والفصح المجيد ٢٤١–٢٤٨ جدول اعمالهِ المرتّبة المصونة في مخطوطات خزانتنا الشرقية ٢٤٦
يوسف الثاني (بطريرك الكلدان) ٧٤١–٧٤٧
يوسف الثاني (بطريرك الكلدان) ٨٣٥–٨٣٦

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٨٠ السطر ١٩ « الموريين » صوابهُ « الحواريين » = ١٥٣ : ١٥ « في دير » ص « من دير » = ١٦٧ : ٢٧ « فياشرا » ص « فباشر » = ١٧٥ : ١٦ « فأمارهُ » وفي ديوان الاخطل (طبعة بيروت ص ٢٨٨) « فأشمرهُ » = ٢٦٠ : ٢٦ « استشهد بها الرب انجيلهُ » ص « في انجيلهِ » = ٢٦٧ : ٢١ « الفقة » ص « الفقه » = ٢٧٠ : ٩ « خطب جسيم الخ » ص « خطب

جيمٌ دهانا اليومَ وا اسفي » = ٢٧٤ : ٧ « بشؤون » ص « لشؤون » = ٢٧٨ : ٢٢ « Kraktchowski » ص « Kratchkowski » = ٢٩١ : ٢١ « الشيخ » ص « الشيخ » = ٣١١ : ١٤ « exégitique » ص « exégétique » = ٣٢٣ : ٤ « وزخرفةُ الباطل » ص « وزخرفة الباطل » = ٣٣٣ : ١ « انَّ للشمس ثلاث حركات » ص « انَّ للارض ثلاث حركات » — ٢ « في ظرف ٢٦٥ يوماً » ص « ٣٦٥ يوماً » = ٤٥١ : ١٢ « الملاك المرحوم » ص « الملاك المرقوم » = ٤٦٣ : ١٥ « وانشأوا الرود » ص « وانشأ الروم » = ٤٧٥ : ١٩ « اكثر منهُ طبيب » ص « اكثر منهُ طيباً » = ٥٠٥ : ١٠ « نقلهُ من الانكليزية » ص « كتبهُ في الانكليزيَّة » = ٥٣٠ : ٢٢ « قال للمدح الخ » : صواب البيت وما يليهِ من نسخة مصر :

قال للمزحِ قُلْتَ ذا ام قَلْبي قلتُ للقَلْبِ قال ما فيهِ قَلْبُ

— ٢٤ « ويعشي . . . يحنوهُ » ص « ويعي . . . يحلوهُ » — ٢٥ « يخالبه » ص « يُحاكيهِ » = ٥٣١ : ٣ « كرحى بذرٍ الخ » ص كرحى بئرٍ . . . وبرئنَّ فيهِ للاخوان تمريقُ » — ٤ « نقحهُ » ص « نبحهُ » — ١٥ « قلت في . . . » ص « قلت في الذمِّ قال لي عظمُ شانٍ » ثم اورد البيت التالي :

قال لي خُذْ اخي فأظهرْ فعالي قد حوى فيهِ من ظريف المعاني

— ١٧ « فاراني . . . » ص « فاراني البيانَ قبل البيانِ » — ١٨ « من كثير بل قلتُ » ص « من كثير عرفتُ » — ٢٥ « وترى نابهُ كحدّ السنان » ص « ولامدائهِ كحد السنانِ » = ويليهِ البيت التالي هكذا :

وارى الناس غير مَن انت منهم خُلقوا كالذئابِ والثيرانِ

٥٦٧ : ٤ « uouveau » ص « nouveau » = ٥٥١ : ١١ « قراءتهِ » ص « قرآءتهُ » = ٥٩١ : ١٤ « ابونا ملكاساً » ص « ابونا ملكون » = ٦٠٦ : ١٩ « شمس بورش » لعلَّهُ اراد « قبرجي باش » = ٦٣٠ : ٢٠ « موجبين » ص « موغبين » = ٧٣٠ : ٧ « المذهب المانوي » ص « المذهب الماسوني » = ٧٦٤ : ٢٥ « سنة ١٤٩٦ » ص « سنة ١٣٩٦ » = ٧٧٢ : ١ « ساحلي » ص « ساحلي » = ٨٤٦ : ١ « ثلث » « مثلث » = ٨٧٣ : ٦ « انَّ . . . وجوهُ » ص « انَّ . . . وجوهاً »

المشرق

مجلة كاثوليكية تصدر مرة في الشهر في ٨٠ صفحة برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلية القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الثالثة عشرة

١٩١٠

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و ١٥ فرنكاً للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩١٠

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université St Joseph

Paraissant une fois le mois

en un fascicule de 80 pages grand in-8°

avec illustrations selon les besoins du texte.

TREIZIÈME ANNÉE

1910

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1910

المشرق

خواطر في رأس السنة

للاب انطون رباط اليسوعي

﴿ ليلة رأس السنة ﴾ ليلة التهاني العائلية والافراح الساذجة البنوية يُهنئ الابن والديهِ ويدعو لهما بطول البقاء بينما هما يبسمان لفلذة قلبيهما وتشتّة اتحادهما ويستبشران لمرأى من يؤملان ان يكون يوماً عصاً لهما في الشيخوخة وسنداً في الضيق ويسكب بلسم العزاء على كلوم حياتهما الدامية ويطبق عيونهما الذابلة. فما الذّ قبلة الام العطوف على اولادها ولهفتها الحارّة الجامعة بين دمعة الفرح وحسرة الخوف فتخرق الفضاء حتى تصل الى عرش العلي مستدرّة منهُ النعم. وما اجلّ مشهد الاب اذا ما رفع يديهِ الى السماء واحدرهما على رأس اولادهِ كأنهُ يتزل عليهم من الاب الذي في السماء سجال النعم وديمَ البركات. واذا سجدوا جميعاً وصلّوا معاً ردّد الطفل الصغير صدى التضرّعات الوالديّة والعيون الى الله شاخصة والقلوب بحبّهِ مفعمة. فذاك ابهى المشاهد وتلك اطرب النغمات

﴿ صباح راس السنة ﴾ يوم تقرّ لهُ عين الكبير والصغير ويطرب قلب الغني والفقير. يعتبرهُ الشاب فاتحة عمر جديد ويؤمل منهُ الشيخ نجاح المأمول وينظر الى غرّتهِ بعين الرضى وقد مضى من حياتهِ ما مضى وهو يجدّد قواهُ ويسعى وراء مبتغاه. يبسم اليهِ الصغير ليس فقط رغبةً بالهديّة المشتهاة لكنهُ يراهُ يزيد في حياتهِ لا يوماً بل عاماً وهو يشرئبُّ بالحاظهِ الى مستقبل مديد تلعب فيه الآمال وترقص لهُ الاماني. يستقبلهُ الغنيّ مقابلاً بين الارباح والفوائد وبجدّاً وراء ربح اوسع وفائدة اعظم. وينتظرهُ

المستخدم او العامل ليمدّ يدًا لا يعتريها الخجل فيزيد في زينة مسكنه او يجدّد في لبس ذويه ما طالما اشتهاه فلم ينلهُ

*

وقفتُ وقفة الناظر المتأمل فطال نظري وبُعد مدى تأملي سويعات او ساعات وهجر الرقاد عيني فاكتحلها السهاد لا حزنًا ولا اضطرابًا لكن تفكرًا وهذيذًا ألقي بباصرة الفكر الى ما مضى والى ما ارى والى ما سيكون

﴿ امس ﴾ مرّت من العمر الأيام والاعوام مرّ السحاب تقذفهُ الارياح فيجري سريعًا وهو لا يدري الى اين تقودهُ. لكن هناك في العلى عناية ربانية تسير به الى بقعة ظمأى او زهرة ذابلة فينحدر عليها رذاذًا او يصبُّ مدرارًا فيحييها

مرّت الاعوام فلم أرني طفلًا ثم يفعًا حتى وخط الشيب صدغيّ خطوطًا بيضًا تزداد عدًا من الصباح الى المساء ومن المساء الى الصباح وهو المنبئ ان شطرًا من العمر قد زال ولعلّهُ الاطول والاسعد

مرّت الافراح حثيثة السير قصيرة المدّة لم تملأ قلبًا لا يملأهُ الّا الله. مرّت الاحزان وبمرورها مسحت الايام عبرةً حارّة قد انهملت واسكتت حسرة قد فرطت. توارت الافراح والاكدار ولم يبقَ لها الّا اثر على غضون الجبين وصفحات القلب. غابت وقد تركت دينًا ثقيلًا: دَينَ نِعَم. لم تُشكر صادق الشكران فحقّ ان يُطبع على الجبين باحرف نارية ما كتبهُ الاسكندر على جبهة خائن: « ناكر الجميل ». ودَين الام كثر عديدها وثقل حملها فلا ملجأ الى غير الرحمة التي لا تردّ تائبًا

﴿ اليوم ﴾ هنا طفل يُحمَل الى الكنيسة والوجوهُ باسمة مستبشرة فيُطهَّر في ماء العماد ويلبس ثوب البرّ والصلاح. هنالك قلبان يتحدان ويدان تتصافحان وجبينان يُكلَّلان. وهنالك عبرات وزفرات وجثّة باردة يُصلّى عليها فتُنقل الى مقرّها الاخير تُذكر فيؤسف عليها او تنسى وهي قريبة. وكأني بها تردّد قول من قال: اليوم لي وغدًا لك

﴿ غدًا ﴾ قف يا زمان وأصغِ لمقالي فان لي اليك كلامًا طويلًا. لكنّهُ لم يعرني اذنًا صاغية ولم يعِر لكلامي فرّ مرور البرق او اسرع وهو ينادي: سِرْ الى ما امامك فاني سائر لا استطيع الوقوف. سِر شئتَ او ابيتَ. سِرْ فالزمان يسير

والى اين مسيرك ومسيري ؟ الى يوم ليس بعده يوم . الى يوم تبيض فيه وجوه وتسود وجوه . الى الله خالقك وخالقي . منه اتينا واليه نعود .

لكن اصوات الادعية في الاندية تخرق ابواب المسامع فتردد الطلبات: « كل عام وانتم بخير . سنة مباركة . ايام سعيدة واعوام عديدة الخ »

رغائب وآمال تكررها الشفاه وقد لا يكون لها في القلب صدى . عادات اعتدناها ويا حبذا لو كانت تبرزها العواطف الصادقة وتصحبها الطلبات الدينية

نتمنى الاعوام العديدة والأيام السعيدة ونحن لا ندري هل لنا يوم يرجى وننسى ان الدنيا مرحلة وجهتنا الوطن وغايتنا محط السعادة

﴿ السنة الثالثة العشرة للمشرق ﴾ وانتِ يا مجلة المشرق مرت عليكِ اثنتا عشرة سنة في خدمة الدين والوطن فأشرقتِ في عالم الآداب وليدةً صبيحة شخصت اليك النواظر وعلقت عليك الآمال فملأتِ عيون الناظرين ولم تخيبي آمالهم . وها انتِ وصيفة عرف القريب والبعيد قدرك وعظما منزلتك . ادخلي في سنتك الثالثة عشرة . ولعل الجاهل يتشاءم بهذا العدد لكنكِ وُضعتِ لإزالة الشبهات وتزييف الخرافات . واصلي سيرك رافعة لواء الدين ومنار العلم فانهما رفيقان بل صديقان وشقيقان . لقد وقفتِ على خدمة الله والوطن انفاسك وصفحاتك فحبذا العمل وعند الله الاجر . امّا الآن وقد بلغتِ سني الشباب طاهرة الذيل منيرة المحيا فضاعفي الهمة وبددي بانوارك الظلمات المتكاثفة واشرقي فان الله نور وليس فيه ظلمة البتة (١ يو ١ : ٥) وهو شمارك

وصف مكتبة نفيسة

من عمل النجار الشهير الخواجا عبده جرجي الدمشقي

بقلم الاديب امين افندي ظاهر خيرالله

أ كلمة تعريف للقراء بهذا الفاضل

من أحسن ان يوجه ميله الى مهنة ما شريفة وعقد عزيمته على الاجادة فيها ووقف عقله على البحث في اسرارها وكان هاديه استمداد العون الالهي والتدرع بالثبات

المقرون بالتبصُّر فهو لا ريب ينجح في البلوغ الى ذروة الإحكام العجيب ويُفلح في ابتداع ما تصوَّرهُ خاطرهُ مما لم يُسبَق اليهِ وتحوم الافكار حولهُ ولم تقع قبلًا عليهِ . وهذا شأن الصديق الودود الخواجا عبده النحّات الدمشقي الشهير في صناعة النجارة وقد انشأ فيها من البدائع المستجادة ما تفرَّد بهِ وصار مثلًا في إتقان ما يصنعهُ على اجمل مظهر يروق للعين مرآهُ وهانذا اعرّف قرّاء هذه المجلّة الزاهرة تعريفًا ارغب في ان ينهض العزائم ويقوّي الميل الى العمل بملء الدقة والاجتهاد لنيل النتائج الحسنة

فهذا الفاضل ظهر ميلهُ منذ الصغر الى صناعة النجارة وكان يقضي وقتهُ الفارغ من المطالعة في سنّ التلمذة عاكفًا على اصطناع تحف ذات مغازٍ شريفة تارةً ابتكارًا وطورًا تقليدًا حتى انهُ صنع وهو في الربيع الثاني عشر كرَة ارضية مجيَّزة القارّات ومخطَّطة الممالك ومبينة البحور والجزائر ومعيّنة المدن والجبال والبرازخ والخلجان قدَّمتها وكالة المدارس الارثوذكسيَّة الدمشقية هديَّة للوزير الشهير مدحت باشا حينما زار المدارس المذكورة فحسنت لديهِ وقعًا وطلب ان يمثل الطالب النجيب صانعها لديهِ فلمَّا رآهُ بشَّ بوجههِ وقال لهُ : « آفرين اوغلم » اي أحسنتَ يا ولدي

وقد اضطرَّ هذا النبيه ان يغادر المدرسة وينصرف الى العمل الماشي وهو في الرابعة عشرة وكان اخوهُ المرحوم يوسف الذي اراد ان يقتبس منهُ صناعة النجارة صاحب معمل صغير فاستأثرت بهِ رحمة الله وأبت نفس اخيهِ ان يتخرَّج على سواهُ فصار هو استاذًا لنفسهِ وفي ذلك ما لا يخفى من المشقَّة التي تغلبت عليها الارادة القويَّة المقترنة بالجلَد والحصافة واستمداد المعونة من العلو

وقد شعر ان اكبر باعثٍ لنجاحهِ هو انهُ كان طائعًا لوالديهِ طاعة كاملة فكان كل يوم يستمدُّ دعاءهما فيباركانهِ بملء الرضى ويطلبان لهُ أن يتسهَّل سبيل النجاح امامهُ فكان يرى بعين التقوى ان طلباتهما كانت تستجاب

ولما رأى انهُ ادرك من المهارة والنبوغ الشأوَ الذي كان يلتمسهُ أخذ من تلقاء ذاته يبحث عن ايجاد رسوم لم يُسبَق اليها فأدرك حاجتهُ الى هندسة اقليدس فطفق يدرسها قضيَّةً قضيَّة ثم اكبَّ على رسم الاشكال المضلَّعة وتلوينها من غير أن يرى لها مثالًا فادرك امنيَّتهُ بتدرُّعهِ الثبات والأناة فعُرفت لهُ مزاياهُ وعُدَّ من قهارمة حرفة النجارة وهو غضُّ الاهاب في مقتبل الشباب وليس بيديه من فضول المال الّا ما تقوم به الحياة

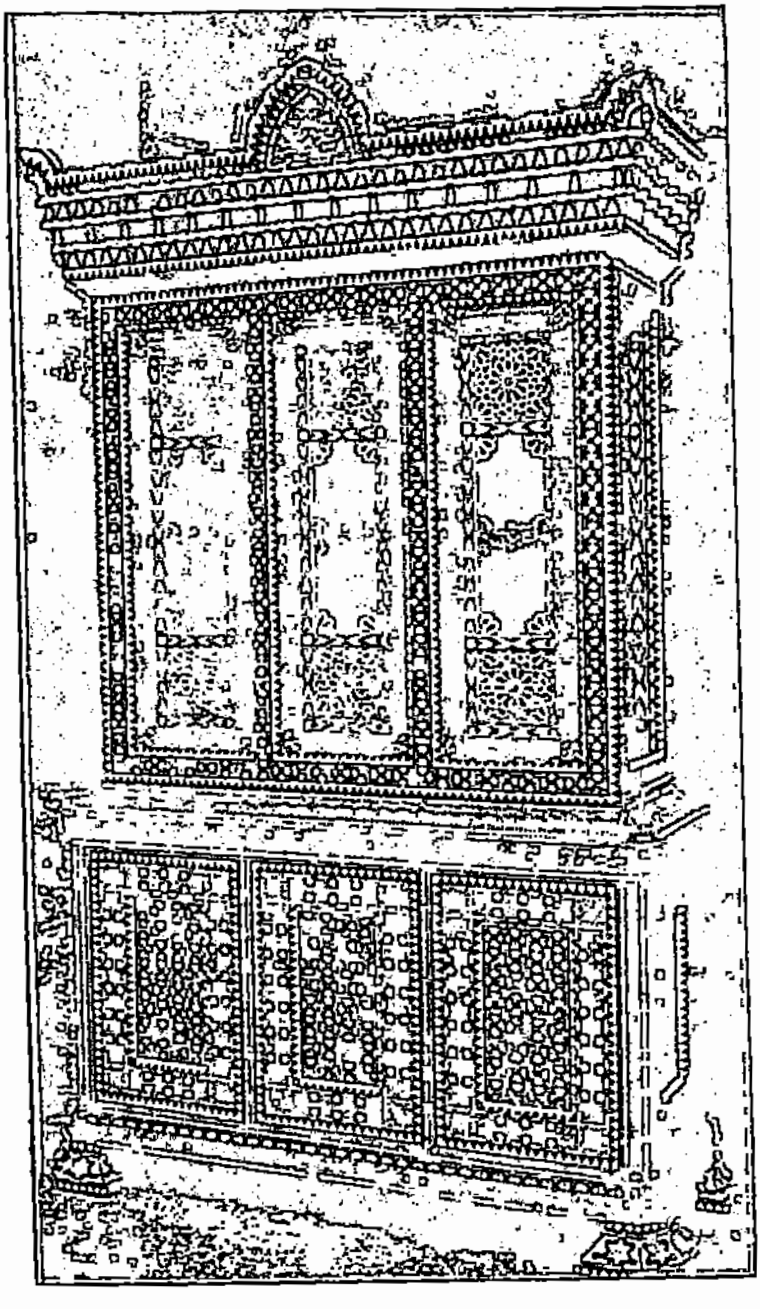

صورة المكتبة الدمشقية الموصوفة

واخذ منذ نبغ يصنع الاثر بعد الاثر متأنقاً في الاتقان ومستزيداً من غرائب الابداع فكان كلّ اثر يبرزهُ متأخرًا يفضل ما سبقهُ اماً بجمال رسومهِ او بغرابة وضعهِ حتى بات عملهُ اليوم غاية ما وصلت اليه حرفة النجارة من المهارة والدقّة وجودة الذوق ونال الشهادات العديدة الملنة بُعد شأوهِ في هذا الفن الجميل

والذي اخذ بيدهِ في ما كان ينشدهُ. ولا يزال سرُّ اجادتهِ محجوبًا هو انهُ كان رما برح اذا اراد ان يبتكر شيئاً يلجأ الى المعبد ويضرع بقلب خاشع ويطلب المدد الرباني واذا عرض عليه في خلال عملهِ ما يُقلق عليهِ لاذ ببيت الله والتمس نورًا يضيء لهُ ذلك الظلام المخيّم فلا يلبث ان ينال السُّؤل ويدرك المشتهى فعساهُ ان يكون قدوة للكثيرين في هذا الاستعداد الذي يكلّل طالبيهِ بغار النجاح ولذلك يُزيّنُ أعمالهُ بالآيات الكتابية الدالّة على تدينهِ ومتانة عقيدتهِ لا بل يرى في اعمالهِ ما يقوّي ايمانهُ بالله. ولهُ مقالة أبان فيها بالبرهان العملي امتناع دخول الشكل المسبّع في الاشغال قائلاً: ان هذا الشكل جامد لا يتكيف بذاتهِ ولا يندغم بآخر وذلك لأنَّ عددهُ مقدّس ومكرّس لاسرار البيعة الالهية السبعة (١

وهوذا انشر على صفحات هذه المجلّة الزاهرة رسماً لمكتبة وضع رسمها وابتكر عملها واعقبها بشرح وجيز من قلمهِ يوضح الاصول التي جرى عليها في صنعها فأتت تحفة فريدة في بابها (انظر رسمها المصوّر)

٢ بيان ما في هذه المكتبة من الاشغال البديعة

هذه المكتبة تحتوي النقوش الشرقية على الاصول الهندسيّة وهي متناسبة التركيب والترتيب طول خزانة الاوراق ١٤٧ سنتي وعرضها ٥٤ س وعلوها ٩٢ س مع الارجل يعلوها دائر مشطوب سمكهُ س ٥ عليهِ نقوش يونانية ومثلهُ من فوق خزانة الكتب لتناسب العمل والترتيب وتحت الدائر المشطوب المذكور نسيل كالقطر السائل من الصدف الملمع الجميل يتخلّلهُ خشب الابنوس والجوز. وتحتوي خزانة الاوراق من النقوش على الكرنيش من فوق ومن تحت رسماً واحدًا مثل الخيط الذي ضمن حشوات الابواب الخمسة وهذا الخيط النحاتي يُسمّى مشتن المكوك مؤلف من خشب الابنوس الاسود والليمون الاصفر والمشمش الاحمر وعلى دائر حشوات الابواب على المشطوب

١) انَّ في هذا القول نظرًا ولا نظنُّ ان الامر صواب. وعلى كلّ تلقي العهدة على كاتبهِ (المشرق)

والدائر الخارجي ململع من العظم والآبنوس وما بين الململعين في زوايا الدائر روابط يونانية وما بينها عقد خشبيّة جميلة يتخلّلها نجوم من عظم وتحيط بجميع الابواب خطوط دالٍ مزدوج مؤلفة من العظم والابنوس ويفصل بين قطعها ميلٌ من الصدف كما أنهُ على دوائر الارجل الاربع ململع من العظم والابنوس ودال مزدوج من العظم والآبنوس أيضاً. وعلى مشطوب الارجل بين الململعين معجّم من العظم ضمنهُ كبك مسدّس من صَدَف وعند فتح البابين اللذين على الجانبين يبدو دَرَجا خزانة من داخل لحفظ الاوراق واما الباب الاوسط فليس لهُ درج فهو معدٌّ لحفظ الدفاتر

ثم تعلوها خزانة الكتب طولها ١٢٨ س وعرضها ٤٤ س وعلوُّها ١١٥ س لها ثلاثة ابواب تُفتح وتُغلق معاً بواسطة الباب الاوسط وهذا العمل يُراد بهِ الاشارة الى اعظم سرٍّ في الكنيسة المقدَّسة المسيحية وهو ان الثالوث الاقدس هو واحد في الجوهريَّة وثلاثة في الاقنوميَّة ومعرفتهُ انما هي بواسطة الاقنوم الثاني المتأنس لخلاصنا الذي لنا فيهِ الفداء بدمهِ غفران الخطايا (كول ١ : ١٤) فان من عرفهُ وآمن بهِ فقد عرف الاقنومين الالهيين أيضاً وآمن بهما وليس باحدٍ غيرهِ الخلاص لأنهُ ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للناس بهِ ينبغي ان نخلص » (اعمال ٤ : ١٢). ولدى فتح هذه الابواب تفوح رائحة خشب السرو المنعشة فان داخل المكتبة صُنع منهُ وعلى زوايا الابواب وزوايا الجانبين كتابة من الصدف منزلة في الباغا (ظهر الساحفاة) وهي عبارة « توكَّلتُ على الله » يحيط بها صفوف من الروابط اليونانية مؤلفة من العظم والآبنوس وتسمية هذه الروابط باليونانيَّة هي انتساب الى ما بقي من آثار هذه الأمة فعُرف بانتسابهِ اليها كما ان الرومانيين مهَّدوا لنا الطرق بين المدن والقرى فعُرف ذلك العمل بالنسبة اليهم. وعلى مشطوب الابواب جميعها ململع من الصدف الجميل والابنوس ومن العظم والابنوس والمشطوب الخارجي الذي يحيط بالخيط النحاتي المثمَّن المكوك ململع من العظم والابنوس ايضاً. واما اسماء الخيطان النجارية المفرغة التي ضمن البارزين فالذي في الوجه يسمَّى الاثني عشري الياسميني نسبةً الى النجوم التي تتخلَّل الرسم والتي تشبه ورق الياسمين. والكتابة التي في وسط الابواب الثلاثة هي ضمن البارزين وهي آيتان من الزبور الالهي شُغلت من خشب الليمون الاصفر وفُرِّغت ورُتِّبت ترتيباً جميلاً مثل الخط فالتي في الوسط آية « ليعطك الرب مثل قلبك ويتمم أملك » وعلى الجانبين آية

واحدة مكتوبة طرداً وعكساً وهي « اطلب السلامة واسعَ في ابتغائها » ويتخلل الكتابة زمم عروق مشتبكة بالكتابة ومظهرة تناسباً لطيفاً بدون ان يضيع شيء من جلاء الكتابة وجمالها . واما الخيط الذي على الجانبين فهو الخيط المعشر السالك لسلوك الرسم الأوسط وتعلق الزوايا يروس بعضها كالسلك تقابل اربع زوايا الخيط ضمن البلور من رسمه الذي في الوسط لتناسب العمل كما ترى

ثم يعلوها الكرنيش من الشغل الذي يسمى بالمقرنص الجميل طوله ١٥٠ سنتمتراً وعرضهُ ٥٦ س وعلوهُ ٢٨ س وعلو التاج ٢٥ س فيكون ٥٣ س من الوسط يتخلل كل راتب بين كل نهضة من المقرنص وما فوقها ميل من الصدف وضمن التشاطي (الطاسات) شكل بيضوي صدف يحيطهُ ثلاث نقط عظم وشهب من الصدف بين الراتبين . ثم تعلو الراتب الثالث فيجيء الغطاء من فوق المقرنص من الملمع المزدوج مؤلفاً من العظم والآبنوس وهو متداخل فيؤلف زهرة الملمع العظم داخلة ضمن ملمع الخشب ومارةً بالقوسين اللتين على زاويتي الجانبين وضمنها كتابة « احمد الله على نعمائه » منتهية الى منتهى الوسط فهناك قوسٌ تسمى الخمس ضمنها الآية الأولية « راس الحكمة مخافة الله » شُغلت من الصدف الجميل ومن الابنوس طرداً وعكساً وبقفل القوس الاية التي عنوانها وختامها المحبة « الله محبة » يعلوها قوس معجمة مكتوب عليها بالحرف الكوفي آية الزبور « معونتي من عند الرب الذي صنع السماء والارض » وهي مؤلفة من العظم والابنوس

وتتألف هذه المكتبة من خشب السرو والجوز والابنوس والرومي والمشمش والليمون وعظم الجمل وظهر السلحفاة والصدف وقد نُسقت على اشكال هندسية جميلة الوضع والتركيب كما ترى . والخطوط المتمازجة والمؤلفة هذا الهيكل الجميل هي الخيط النجاري الاثني عشري الياسميني والخيط المعشر السالك والخيط النخاتي مثمن المكوك والروابط اليونانية والملمع الصدف والعظم والعقد الخشبية والدال المزدوج والكتابات بالحرف الفارسي والكوفي والثلث والمقرنص مع حركة زلاج الأبواب التي تُفتح معاً ومجموع علوها ٢٦٠ س الى آخر القوس المعجمة وطول خزانة الاوراق ١٤٧ س وطول خزانة الكتب ١٢٨ س وطول الكرنيش ١٥٠ س وعرض خزانة الاوراق ٥٤ س وعرض خزانة الكتب ١٤ س وعرض الكرنيش ٥٦ س

هذه هي المكتبة النادرة الوجود بل الفريدة في بابها التي نسأل ان يكون لصناعتها في عالم المصنوعات شهرة تعود بالخير على من بذل عليها الوقت والمال فيرى من وراء اتقانه اعماله ما يؤمله خيرًا والسلام

الرشيد والبرامكة

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

توطئة

ليست الغاية من هذه التوطئة تلخيص اخبار الرشيد والبرامكة. ذلك امر يعرفهُ القارئ اللبيب اذا ما تذكَّر ما قرأهُ في كثير من كتب المؤرخين والرواة او طالع روايتنا هذه فقد جمعنا فيها كل ما رأيناهُ اقرب الى الصواب واولى بالتشخيص وما كان جديرًا باظهار طباع الرشيد واخلاق البرامكة واحوال الدولة العباسية فبردناه في سلك الرواية على اصله ما استطعنا مسندين اقوالنا ومشاهدنا الى عدد من المؤلفات الجليلة كما سترى في ذيل الصفحات . نكننا تتمَّةً للفائدة الادبية والتاريخيَّة التي جعلناها غايتنا اردنا الآن ان نصدّر المشاهد والفصول بفذلكة موجزة تكشف النقاب عن حقائق وحوادث قد المحنا اليها او ضمنناها الى بعضها حفظاً لشروط الروايات الادبية من وحدة الغاية والزمان والمكان والارتباط وان كان التاريخ وصَف قسماً منها مشتتاً في ازمنة وامكنة مختلفة

﴿ موضوع الرواية ﴾ ليس بين الحوادث التاريخية التي جرت في زمن الخلافة العباسية حادث اخطر واعجب من نكبة البرامكة اذ تقوَّضت اركان سلطتهم في ساعة غير منتظرة وأكفئت عليهم سماؤهم. فقد اثر المشهد في المعاصرين واضحى عبرة

للخلف بعد السلف تناقلتهُ الكتبة والمؤرخون حتى لا يكاد يخلو كتاب عربي او مجموعة ادبية من شذرة او شعر او نكتة لاحقة بهِ . ولمَّا كانت المقابلة بين العزّ والذلّ من المناظر المؤثرة والدواعي الموضحة لعظم الانقلاب النازل بالبرامكة وكانت غايتنا نقل الاخبار التاريخية والادبية في قالب يقرّبها للنظر والسمع ويطبعها في الذهن فقد اسبتنا الحادث الهامّ بوصف ليلة طرب في منازل البرامكة يوم انتقالهم الى قصرهم الجديد . وقد ذكر الرواة ان نكبتهم كانت عند نهاية هذه الدار التي بالغوا في زينتها وانفقوا عليها التناطير المقنطرة . فجعلنا في منزلهم عددًا من فحول الشعراء والمغنين ينشدون القصائد والاناشيد احتفاء باسيادهم ومواليهم . وجعلنا موضوع الفصل الثاني المبايعة للمامون وارسال الوفد الى سلطان الفرنجة كارلومان (Charlemagne) فربطنا الفصلين بما يليهما ربطًا محكمًا حتى اذا ما مُثّل الفصل الثالث وشوهدت فيهِ مشاهد الغدر وتوالت انباء النوازل كان لوصف المذبحة في الفصل الرابع وقع في القلوب اعظم واثقل . امَّا الفصل الخامس فقد سميناه البكاء والندامة وجمعنا فيهِ شيئًا ممَّا جادت بهِ القرائح القريحة رثاء واسفًا على من كانوا غرّة الزمان وتاجًا على مفرق الأيام . وكانت نكبتهم ليلة السبت مستهل صفر سنة ١٨٧ هجرية (٨٠٣ م)

﴿ سبب نكبة البرامكة ﴾ قد طالعنا كل ما اتصلت اليهِ يدنا من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة عسانا نكشف القناع عن هذا السرّ المصون . فقد ذهب المؤرخون في الامر مذاهب شتى لم نستطع ان نبتّ رأيًا في ايها احقّ واصدق . ولا عجب فانّنا نجد للمعاصرين انفسهم يجهلونهُ فقد ذكر الصولي ان عاليـة بنت المهدي قالت للرشيد : ما رأيتُ لك سرورًا منذ قتلتَ جعفرًا فلأي شيء قتلتهُ . فقال : لو علمتُ ان قميصي يعلم السبب الذي قتلت جعفرًا بهِ لاحرقتهُ . على أنّا اذا ما عرضنا اقوال المؤرخين بعضها على بعض استخلصنا اربعة او خمسة اسباب ادخلناها في الرواية لاعتقادنا ان احدها او مجموعها كلها معًا هو الحقيقة (١ وقد اجمعوا على قصّة العباسة مع جعفر وكان الرشيد

١) هذه بعض اسانيد في اسباب نكبة البرامكة : تاريخ الطبري (طبعة ليدن) جزء ٣ : ٦٦١ و٦٧٣ و٧١٤ والمسعودي (مروج الذهب طبعة باريس) ٦ : ٢٨٧ الخ وابن الطقطقي (الفخري في الآداب السلطانية طبعة باريس) ٢٨٨ الخ وغيرهم كابن عبد ربه وابن الاثير والاصفهاني في كتاب الاغاني والاربلي والاتليدي الخ

عقد لها الزواج دون الخلوة فتجاوزا امره . وقد انكر ذلك ابن خلدون في مقدمته (ص ١٨ طبعة باريس) لاسباب واهية وهو يؤثر غيره من الاسباب كاستبداد البرامكة بالدولة وتخليتهم سبيل الامير العلوي وسعي الساعين بهم قال :

وانما نُكب البرامكة لما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه فعظمت آثارهم وبعُد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واجازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . يُقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من كفالة هارون ولي عهد وخليفة حتى شبّ في حجره ودرج من عشه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابتي . فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدولة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقُصرت عليهم الآمال وتمطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وقربت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكسوا من بيوتات الاشراف المُعدم وفكّوا العاني ومُدحوا بما لم يمدح به خليفتهم وأسنوا لمُفاتهم الجوائز والصلات واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى آنسوا البطانة واحقدوا المناصة واغصّوا اهل الولاية فكُشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبّت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تحملهم لما وقد في نفوسهم من الحسد عواطف الرحم ولا وزعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ النبرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن الحقود التي بثتها ضغائن الدالّة وانتهى بها الاصرار على شاتم الى كبائر المخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب اخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل الف الف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالّة على تخلية سبيله والاستبداد بحلّ عقاله حرصاً لدماء اهل البيت بزعمه ودالّة على السلطان في حكمه وسأله الرشيد عنه لما وُشي به اليه فنفى وقال : اطلقته . فابدى له وجه الاستحسان واسرّها في نفسه فاوجد السيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثلّ عرشهم وأكفئت عليهم سماؤهم وخُسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت سلفاً ومثلاً للآخرين ايامهم . ومن تأمل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر ممهد الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في محاورة الرشيد للاصمعي وللفضل بن يحيى في سمرهم تتفهم انه انما قتلهم النبرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة دون دونه . وكذلك ما تحيل به اعداؤهم من البطانة فيهما دسّوه للمتنبين من الشعراء احتيالاً على إيتاعه للخليفة وتحريك حفائظه لهم وجزء قوله :

ليت هنداً انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال : اي والله عاجز . حتى بطشوا بامثال هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم يأس انتقامه . نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال

وهناك سبب آخر يلمح اليه المؤرخون تلميحاً كانهم لا يجرؤون على التصريح وهو انهم يعزون الزندقة للبرامكة وقد صرّح بالتهمة ابن الاثير والمسعودي والطبري وابن بدرون والاربلي وغيرهم . وكان يراد بالزندقة اضمار الكفر او المخالفة لما أمرت به الشرائع الاسلامية او المروق عن الدين الخ . فاي المعاني نعزوهُ للبرامكة . ذهب قوم انهم كانوا يضمرون المجوسية . وقال غيرهم انهم اسلموا لحسن اسلامهم . لمّا المخالفة للشرائع الدينيّة فلا ندري هل يكون ذلك سبباً لنكبتهم ولا تكاد تجد في زمن الرشيد كبيراً او صغيراً الّا وقد جارى اهواءهُ في السرّ وتخلق بالدين . على ان بعض الظروف والاحداس قد حدت ببعض الكتبة العارفين الى اعتبار زندقتهم ميلاً الى الدين النصراني ان لم نقل ايماناً به وتديناً ويستشهدون بما جاء في زيارة جعفر لاحدى الكنائس واستشهاد الدمشقي في الرقة بامر الرشيد جزاء اعتناقه الدين المسيحي وتغير الرشيد على النصارى بعد انزال غضبه بالبرامكة وغير ذلك . والله اعلم بالحقيقة

﴿ الاشخاص ممثلو الرواية ﴾ كلهم وصفهم التاريخ وصفاً معروفاً لا يحتاج الى زيادة ايضاح وقد حشينا اقوالهم بالاسانيد حتى اذا اراد القارئ تثبتاً وجدها في مظانها . واجتهدنا ان نحفظ في روايتنا طباعهم واخلاقهم وصفاتهم واشعارهم واقوالهم لتكون الفائدة التاريخيّة واللذة اكمل ولم نزد على الاخبار الموثوق بصدق تاريخها الّا في جعلنا للماوي ولدين تبنّاهما البرامكة ولم نحدْ في هذا الاختراع عن حدود الامور التي جرى للبرامكة كثير من امثالها

﴿ الرشيد وكارلومان ﴾ كان كارلومان اي كارله الكبير او شارلمان سيداً عظيماً امتدّت سطوته على اهمّ الاقاليم الغربية حتى اصبح بالاسم والفعل سلطان النصارى واميرهم — رغماً عما كان لملك الروم البيزنطي من الاهمية والسلطة على القسطنطينية وغيرها من الامصار — كما كان الرشيد امير المسلمين وسلطان البلاد الشرقية وكانت حدود هذه البلاد متاخمة في بعض اطرافها وكان المسيحيون لا

يزالون يؤمّون القدس الشريف ليتبركوا بزيارة قبر المسيح وكان بنو امية وخلفاؤهم قد جعلوا بلاد الاندلس مقرّهم يسعون في معارضة الرشيد ويسعى الرشيد في معارضتهم وكسر شوكتهم خشيةً منهُ على الخلافة العباسية. ومن ثمَّ لا عجب او بالحري لا بد من ان تكون هنـاك علاقات سياسية بين الرشيد وشارلمان. لكن كتبة العرب قد ضربوا عنها صفحاً امَّا جهلًا بها كأن الرشيد قد اضمر سرّها. واما لغـاية في النفس واستهتارًا بمن سواهم . واما لان التواريخ المطوَّلة قد فُقد اكثرها . فهذا المسعودي يحيلنـا في مروجه الذهبية الى تاريخهِ الكبير المطوَّل وهذا الصولي والصابئ وطيفور وغيرهم قد ابادت الايام معظم تواريخهم فلم ينجُ منهـا الَّا قسم او شذرات. وكل يعرف ان اكثر مؤرخي العرب قد يكتفون مرارًا في وصف الخلفاء واخبار الدولة بنكتة او بيت شعر او خبر مبتـذل يتناقلونه لفظاً او معنى فلا تكاد تجد نظرًا عامًا او بحثًا جامعاً يشفي الغليل ويعرفك باحوال البلاد ولا نعرف بينهم مَن ذكر شارلمان الَّا المسعودي في فقرة وجيزة لا طائل تحتها

امَّا كتبة الغرب فقد وصفوا لنا شيئاً من هـذه العلاقات سنةً فسنةً وها نحن نلخصها الآن نقلًا عن المؤرخ اجينارد (Eginhard) المعاصر للحوادث ولعلَّهُ كان المشاهد لها بالعين

في سنة ٧٩٦ مسيحيَّة هجم العرب على دير القديس سـابا بالقرب من القدس الشريف فشتَّتوا شمل رهبـانهِ وقتلوا عددًا منهم وخربوا بيعاً كثيرة في فلسطين واستعبدوا عددًا عديدًا من المسيحيين فارسل البطريرك الاورشليمي راهباً الى شارلمان يطلعهُ على سوء حال النصارى ويقدّم لهُ مفاتيح بيعة القدس الشريف ويسألهُ ان يأخذ بناصر المظلومين ويمدّهم بالمساعدة فامر الملك بجمع الحسنات من كل الاطراف وارسلها مع الكاهن زكريا ووفدٍ قيامهُ ثلاثة من الرسل يسمَّون لاثفريد وسيجسموند واسحق يعرضون الحالة على هرون الرشيد ويسألونهُ عدلًا ورحمةً وقد عاد الوفد حاملًا لشرلمان سلام الرشيد مع مفاتيح قبر المسيح والجلجلة وجبل الزيتون وبيت المقدس القدسيَّة . ولبث وفد الرشيد في ضيافة شارلمان حتى شهر نيسان سنة ٨٠١ حيث ابحر عائدًا الى الشرق

قال اجينارد ما تعريبهُ ملخصاً: كان بين هرون القابض على كل المشرق خلا الهند

وبين شارلمان اتفاق وصداقة وكان هرون يقدّر الامبراطور حقّ قدره ويؤثر صداقته على كل صداقة . فلمّا وصل الوفد الزائر وعرف رغبة ملك الفرنج استقبل الرسل بكلّ احتفاء واجاز مطاليبهم باجمعها وامر ان يكون المكان المقدّس مختصاً بسلطان الفرنج وزوّد الوفد بالتحف والألطاف الشرقيّة الثمينة والخلع والاعطار مع فيل عظيم .

وقد وصف احد الشعراء السكسونيين هذا الفيل واخبار الرحلة المذكورة بالشعر اللاتيني وذلك سنة ٨٠٢ على ما اخبر بارونيوس

وقال اجينارد في تاريخ سنة ٨٠٧ : وصل رسول هرون واسم الرسول عبد الله مع راهبين اسمهما جرجس وفيلكس (سعيد) وكانوا يحملون هدايا ملكهم الى الامبراطور وهي خيمة حريريّة بديعة الالوان والنسج والسعة مع خلع من الحرير واعطار وبلسم وساعة غريبة المتدسة . في كل ساعة من الساعات الاثنتي عشرة تسقط كرة على صنج فيسمع لهُ رنّة ويخرج فارس من كوّةٍ وتقفل سائر الكوى (١ الى غير ذلك من الغرائب التي يطول شرحها . وقد عُرضت الهدايا على شرلمان في قصره في « اكس » (لاشابيل) وبقي الرسل في ضيافته مدّة في ايطاليّة ينتظرون الزمن المناسب لركوب البحر (٢

هذا ما رأينا فائدةً في مقدمته وسيعلم القارئ بالمشاهد والحوادث ما تروق لهُ معرفته . وعلى الله التوكيل (حقوق التمثيل محفوظة)

اسماء المشخصين

هرون الرشيد
عبد الله المامون ابنهُ
يحيى بن خالد البرمكي
جعفر بن يحيى
الحسن } ولدا جعفر من العباسة
الحسين }
يحيى بن عبد الله العلويّ
عبد الله ابراهيم رسول الرشيد الى ملك الفرنجة } ولدا يحيى العلوي تبناهما البرامكة
جعفر موسى

١) اطلب وصفاً طويلاً لساعة مثلها في مجاني الادب (٣٣٣ :
٢) اطلب بارونيوس في التاريخ الكنسي سنة ٧٩٩ عدد ٣٠ وسنة ٧٩٨ عدد ١٣ وسنة ٨٠٠ عدد ٢٢ و٢٣ و١٥ و٦١ وسنة ٨٠١ عدد ٣٠ وسنة ٨٠٧ عدد ٤ واننا لا نجهل ان في

الفضل بن الربيع حاجب الرشيد وعدوّ البرامكة
جبريل بن بختيشوع الطبيب
مروان بن ابي حفصة
اشجع بن عمرو السلمي
ابو نواس
الاصمعي
امرابي
شعراء
اسحق بن ابراهيم الموصلي
ابن جامع
مخارق
من المغنين
مسرور عبد اسود سيّاف الرشيد
ياسر خادم خائن اهداهُ الرشيد للبرامكة
امراء وخدّام وجنود

الفصل الاول

ليلة طرب في منازل البرامكة

(بستان البرامكة — عن بعد برج العلوي — على حدة دار البرامكة تتلألأ فيهما الانوار)

المشهد الاوّل

المأمون . الحسن . (وهما جالسان على حدة يلعبان بالشطرنج)

الحسن أُقدّم الرُخ (١

المأمون بخ بخ (٢ ها اني اصنع معك دوراً علّمنيه ابي امير المؤمنينَ اذ كان يلعب بالشطرنج مع ابيك جعفر (٣ . خذ الفرزان . ثم الفرس . ثم هذا .

الاخبار شيئاً من الخلل في تعداد الرحلات والوفود . اطلب ايضاً البولنديين في اخبار القديسين : شهر كانون الثاني المجلد ٣ : ٤٦٨ ومجموعة بين للاباء اللاتينيين مجلد ١٠٦ : ٤٦٨ وتاريخ روربانر مجلد ١١ : ٢٤٢ وغيرهم

١) الرُخ والفرزان او الفيرزان والشاه الخ من ادوات لعبة الشطرنج

٢) اسم فعل يقال عند المدح والرضا بالشيء

٣) قال المسعودي (مروج الذهب طبعة باريس ٨ : ٣٩٦) وغيرهُ من المؤرخين ان الرشيد اول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العبّاس وقدّم اللُعّاب واجرى عليهم الارزاق . وللرشيد والمأمون اخبارٌ ونكتٌ كثيرة في الشطرنج ذكرها اصحاب السير والمنتخبات

كُل يا حسن حتى تزيد على الشبع . ما يقتلك يا ابن آدم الّا الطمع

الحسن وبعد؟

المامون اما ترى اني اطعمك لاخدعك؟

الحسن وكيف ذلك؟

المامون قل للحبيب وقمتَ في الفخِ اودتْ بشاهك ضربةُ الرُخ

الحسن قد مات الشاه

المامون ارضٌ مربعةٌ حمراء من أدمٍ ما بين إلفين معروفين بالكرمِ

الحسن تذاكرا الحربَ فاحتالا لها فطنًا بغيرِ ان يأثما فيها بسفك دمِ

المامون هذا يُغير على هذا وذاك على هذا يُغير وعينُ الحزمِ لم تنم

الحسن فانظر الى فطنٍ حالت بمرفقةٍ في عسكرين بلا طبلٍ ولا علمِ (١

المامون لي الدست (٢ (يقومان)

الحسن صدقتَ فأقرّ لك بالغلبة يا عبد الله ان جاز لي ان ادعوك باسمك آخر مرّة وانت سيّدنا وابن سيّدنا وغدا تُقام لك البَيْعَةُ بالخلافة

المامون سألتُك يا حسن ان تدعَ ذكر المُبايعة فانها مجلبةُ كآبةٍ وحزن

الحسن ولِمَ؟ لقد زانك الله بالخلال الشريفة والهمّة العالية والفهم الثاقب وافاض عليك من نعمائه كنوزًا لا تفنيها الأيام فضلًا عمّا مكّن لك من الحبّ في قلب سيّدنا امير المؤمنين وجميع اهل الدولة . فانت المطاع والسيد الذي لا يُرَدُّ عن مُراده . فما ينقصك؟

المامون ما ينقصني؟ خذ الخلافة واعطني انّا صدوقًا (٣ بدل اخي محمّد الامين .

١) الشعر للمامون (الطلب كتاب بغداد لابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور جزء ٦: ٢٩٢) طبعة مَنْس كلمر سنة ١٩٠٨

٢) كلمة فارسية يراد بها الغلب في الشطرنج . تقول الدَّستُ لي والدَّستُ عليَّ

٣) ذكر صاحب كتاب الاغاني في اخبار علوية المجنون أنهُ دخل يومًا على المأمون وهو يرقص ويصفق بيديهِ ويغنّي بهذين البيتين:

عزيزي من الانسان لا ان جفوتُهُ صفا لي ولا إن صرتُ طوعَ يديهِ
واني لمشتاقٌ الى ظلِّ صاحبٍ يروقُ ويصفو ان كدُرت عليهِ

فاستظرفها المأمون وقال: خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب (الطلب كذلك مجاني الادب ٣: ١٢٢)

وقد جرّعني ولا يزال يجرّعني الموتَ انفاساً آناء الليل واطراف النهار وذلك لاني أوثر العلم على الجهل والادابَ على ركوب المعاصي فلا انقاد لاهوائه (١ وقد غلت في صدره مراجلُ البغضاء يوم عرّف مقاصدَ امير المؤمنين في شأني وعزمَه على مبايعتي

الحسن بئس السيرُ سيرُ الامين. ألم يكتب أنه قدّم عليك في الخلافة باغراء امّه زبيدة والحقُّ حقُّك (٢ وانت وحدك اهل للخلافة تقضي أيام الصبا في الجدّ وراء العلوم والمعارف وهو يقضيها في الهَذَر واللعب ومقاتلة الديوك والأكباش (٣

المامون اما سمعتهُ يقول : شرب كاس وشم آس ونوم بلا نُعاس احب اليَّ من مداراة الناس (٤

الحسن لا حبذا القول والعمل

المامون لكنّ امي ماتت وامّه هي المسلّطة على الامور وقد ربيتُ في حُجر ابيك كابن لهُ ولك كاخ حبيب . امّا الآن فاني راجع الى قصر الخُلد (٥ بعيدًا

١) اطلب في وصف طباع الامين والمأمون كتب المؤرخين والرواة التي سنذكرها في مدار الرواية

٢) كان المامونُ اكبرُ من الامين بستة اشهر . وقد اقرّ الرشيد بالافضلية للمامون كما سترى في الفصل الثاني من الرواية

٣) المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٤٢٤ و ٤٢١) وابن عبد ربه (العقد الفريد ٣ : ٤٢٤) والاربلي (خلاصة الذهب المسبوك ١٢٧) وابن الطقطقي في كتابه المنون الفخري في الاداب السلطانية ٢٩٢ و ٢٩٨ والطبري ٩٥٠ وغيرهم . واخبار الامين في عدم الاكتراث للمهمات كثيرة نذكر واحدة منها . ذكر ابراهيم بن المهدي قال : استأذنتُ على الامين يومًا وقد اشتدّ الحصار من كل وجه فابوا ان يأذنوا لي بالدخول عليه الى ان كابرتُ ودخلت . فاذا هو قد تطلّع الى دجلة بالشبّاك . وكان في وسط القصر بركة عظيمة لها منخرق للماء الى دجلة وفي المنخرق شبّاك حديد فسلّمت عليه وهو مقبلٌ على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء في البركة وهو كالواله . فقال لي وقد ثنّيت بالسلام عليه وكرّرت : لا تدري يا عم فقرّطي قد ذهبت من البركة الى دجلة . والمقرّطة اسم سمكة كانت قد اصطيدت لهُ وهي صغيرة نقرّطها بحلقتي ذهب فيهما حبّتا درّ وقيل ياقوت . فخرجت وانا آيس من فلاحه

٤) اعلام الناس للاربلي ١٢٧

٥) القصر الذي كان يقوم فيه الرشيد في بغداد وبحذائه في الجانب الآخر قصور البرامكة

عنك وعن ذويك هدنًا لسبّ الامين وشتمه وليس لي صديقٌ صافي الوداد يشاطرني في خلوتي الافراح والاحزان. أتعاهدني يا حسن عهدَ الله انك ستكونُ لي اخًا مدى العمر وتأتي اليَّ فنغتنم لذّة المطالعة والحديث. فان القرابة تُقطَع والمعروف يُكفر وما رأيت كتقارب القلوب (١

الحسن (يتصافحان يدًا بيد) يعلم الله الذي يرى ما سُطّر في اسرار الافئدة أني أجلّك كما يُجلّ العبدُ سيّدهُ وأحبك كما يحبّ الاخُ اعزّ اخوته

المامون خذ العهد الثابت عليَّ يا حسن اني ساكونُ ما دمتُ حيًّا لك اخًا ولابيك ابنًا

الحسن فنحن جميعًا شريكا عنانٍ.

المامون رضيعَا لبانٍ خليلا صفاء

الحسن جوزيتَ خيرًا فقد جمع الله فيك من السجايا والمكارم ما لو قُسم على عباد الله لكفاهم

المامون دع الاطناب في المدح فانّهُ ليس من سيماء الاخاء وهلمَّ نَرَ هل أُعدّ مجلس الطرب واين الحسين وجعفر

الحسن يا حسين

الحسين (عن بعدٍ) هاءنذا. تعالَ يا جعفر ولا تبكِ

المامون ما لك يا جعفر؟ (يدخل جعفر والحسين)

المشهد الثاني

المامون. الحسن. الحسين. جعفر

الحسين رايتُهُ على حدّة يجمع ازهارًا ويبكي وهذا دأبُهُ منذ البارحة

الحسن ألا تزال حزينًا؟

المامون ما يَلذُّك من الالعاب فألاعِبك؟

بينهم وبينهُ مرض دجلة كما ذكر ابن التطقطق في الفخري (طبعة درنبرغ ٢٨٧) وقد وصف اثارها حضرة الاب انستاس الكرملي في المشرق (١٩٠٧: ٢٠٠ الخ)

١) من كلام المامون

جعفر لا يلذّني شيء

المامون ولِمَ اذًا هذا البكاء ؟

جعفر البكاء نصيبُ اليتيم

الحسن لعن الله ياسرًا الذي اطلعنا واطلعك على هذا السرّ (١

الحسين او هل ساءك امر او غاظك احد ؟ قل لي فأعلمَ ابانا فيأخذَ لك بحقّك

الحسن تعال معنا نسمع الغناء

جعفر كلا . تُرى اي فرح لولد فقد اباهُ وهو رضيع لا يدري هل هو حيٌّ او ميتٌ . اين انت يا ابتِ ؟ هلّا اشاهدك فتضمّني الى صدرك فاعيش واموت سعيدًا . يا ليتني اعرف اين انت فاسير اليك ولو في اطراف الارض او طبقات الجو

الحسن قل لي يا حبيبي اينقصك شيء ؟ ألستَ بيننا كاعزّ الاخوان ؟ أليس ابونا ابًا لك ونحن اخوة ؟

جعفر انكم نِعمَ الافاضل والاكارم آويتم يتيمًا عاثت جنودُ قوم كفرة في بلادهِ وشتّت شملَ ذويهِ . جازاكم الله اجزل جزاء . لكن . . . ربي عرّفني مَن هو ابي . يا ربّاه ردّ عليَّ ابي . انك الرؤوف اللطيف

الحسين كفّ عن البكاء وتعالَ معنا الى محفل الغناء

المامون (ياخذ وردة من باقة ازهار بيد جعفر) لمن هذه الازهار ؟

الحسين تضوع مسكًا ارض بغداد اذ بدت بهِ وردةٌ في سوسنٍ وقطافِ

الحسن ما اطيب عَرفها

جعفر لشيخ اراهُ يطوف عند العتمة في البستان يُنشد الاشعار ويسكب العبرات ويتضرّع . فاقدّمها لهُ إن قابلتهُ والّا القيتُها على باب مخدعهِ

المامون ولِمَ تفعل هذا ؟

جعفر لو انّ لهُ ولدًا لكان لهُ اليفًا في وحدتهِ ورفيقًا في خلوتهِ

الحسين ما اعطف سجيّتك وما ارقّ جبلّتك

المامون ومن الرجل ؟

---

١) السرّ ان جعفرًا ليس ابنًا لجعفر وان عاش بين وُلْدهِ كاحدهم

الحسن لا ندري

الحسين ان اباك قد حرّم علينا الدخول الى بُرجه

جعفر انهُ محبوس

المامون ولماذ حُبس ؟ لعلّهُ عدوّ لامير المؤمنين او زنديق كافر جاهر بالمعصية فجازاهُ الله على سوء اعمالهِ

جعفر لا لا يا عبدالله . شيخ جليل فاضل كريم يواصل الصلاة والعبادة لا تعزُ اليهِ الكفر . وكيف يكون عدوًّا لامير المؤمنين وليس للرشيد اعداء الّا الكفّار والفجّار

المشهد الثالث

المامون . الحسن . العلوي . جعفر . الحسين

العلوي (وقد دخل منذ برهة) لستُ كافرًا ولا عدوًّا لامير المؤمنين . فاني من انصار حقّهِ واعوان عدلهِ . قد افترى عليَّ المغتابون وسيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون

جعفر اهلًا بسيّدي

العلوي حُيّيت بذلك يا بُني

جعفر (يقدّم لهُ باقة ازهارهِ) قبضة من ابهى الزهور واعطرها اقتطفتها لك

العلوي هُنّئتَ لا تنكدْ يا قرّةَ العين

جعفر هذا ابن الخليفة وهو شريف الاخلاق محبّ للعدل واني لواثق أنهُ سيأخذُ بيدك ويُنجيك من كيدِ ظالمك

العلوي ألا شافعٌ عند الخليفةِ يشفعُ فيدفعَ عني شرَّ ما اتوقّعُ
واني على عُظم الرجاء لخائفٌ كأنّ على راسي الاسنّةَ تُشرعُ
فهل آمنٌ يُمسي ويُصبح عائذًا بعدل امير المؤمنين يُروّعُ (١

المامون كلّا لا يُروّعُ من عاذ بعدل امير المؤمنين . أأنت مظلوم ؟

العلوي يعلم الله

١) الشعر لابي العتاهية (ديوان ٢١٨ وكتاب الاغاني ٣ : ١٥٢)

المامون ان ابي لم يردّ قط سؤلي فاطلب غدًا بعد المبايعة افراجك

العلوي كم أُمنّي بغدٍ بعد غدٍ يَنفذُ العمرُ ولا ألقى غدا (١

قلْ لامير المؤمنين ما قالهُ عليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه للمهدي في النوم يوم حبس موسى بن جعفر : يا ابن هاشم هل اردتم منذ توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم (٢

يا رشيد الامر أرشدني الى وجه نجحي لا عدمتَ الرشدَا

أعِنِ المظلومَ وارحم صوته رافعًا نحوك يدعوك يدا (٣

المامون فليطمئن قلبُك فقد اتاك الفرج

العلوي إني على ثقةٍ من الله عزّ وجلّ الذي بيدهِ ناصية امير المؤمنين. ولن كان قد سبق في علمهِ تعالى ان الحسَدة والاعداء يرمونني بالسوء وان كنتُ بريئًا فالصبر والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة. وانا اودعكم السلام وارجعُ من حيث اتيتُ

جعفر الا تلبثُ معنا لحضور الغناء ؟

الحسن إلبثْ معنا وغدًا يذكر المامونُ حاجتَك لامير المؤمنين

العلوي ليس للسجين سماعُ الغناء. بلغ الله بكم يا كرام الفتيان آكلأ العمر ولسعدهُ (يخرج)

جعفر ما اصعب الحبس على من يحبّ الحرّية

الحسين تعالوا بنا. قد اقتربت الاصوات

المامون ها حاجب امير المؤمنين

المشهد الرابع

الفضل بن الربيع (٤) ياسر (٥ (يدخلان) المامون . الحسن . الحسين . جعفر

---

١) الشعر لابي العتاهية (ديوانهُ ٢٢٠ والاغاني ٣ : ١٥٨)

٢) الاربلي وغيرهُ

٣) الشعر لابي العتاهية (٢٢٠)

٤) كان الفضل بن الربيع من اعداء البراكمة والساعين عليهم حسدًا وبغضًا

٥) ذكر هذا العبد الخائن كثير من المؤرخين كالمسعودي وابن بدرون (في شرح قصيدة ابن عبدون) والاتليدي (اعلام الناس في ما وقع للبراكمة مع بني العبّاس) وغيرهم

الفضل اتم هنا ايها الفتيان — ان القوم يتأهبون للحضور وهم يطلبونكم

المامون هلمّوا بنا لاستقبالهم (يخرج الاولاد)

المشهد الخامس

الفضل . ياسر

الفضل اين مَن عاهدتني على لقائهم ؟

ياسر ها هم آتون يقودهم ابو نوّاس

الفضل عجّل بهم

ياسر هذه الابيات نظمها ابو نوّاس تبعاً لمرامك . وهو يسألك ان لا تبوح باسم صاحبها (١

الفضل هات (يخرج يسار) (يقرأ)

قل لامين الله في ارضهِ ومن اليهِ الحلُّ والعقدُ
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا مثلك ما بينكما حدُّ
امرك مردود الى امره وامرُهُ ليس لهُ ردُّ

احسن الشاعر لقد طغا البرامكة وتجبروا

وقد بنى الدار التي ما بنى الفرس لها مثلاً ولا الهندُ
فالدرّ والياقوت حصباؤها وتربها العنبر والندُّ

صدق . ما هذه المقاصير والمساكن والآلات والفرش والخدم والجواري التي لم اجدها في منزل الرشيد . قد بنوا قصرهم هذا بحذاء قصر الرشيد يباروننهُ ويباهونهُ واليوم انتقلوا الى منازلهم . وايمن الله ستكون العاقبة وبالاً عليهم

ونحن نخشى انهُ وارثٌ ملكك ان غيّبك اللحدُ
ولن يُباهي العبدُ اربابهُ الّا اذا ما طرد العبدُ

قد اتى الشاعرُ بما اتّاه والبرامكة على شُفر الهلاك . فقد اوغرتُ صدرَ الرشيد عليهم . وهذه الابيات ستكون وسيطةً لاضرام كامن حقدهِ (٢

١) وهي تُعزى لنهر ابي نوّاس وقيل لا يُعرف صاحبها (اطلب القرماني في اخبار الدول واثار الأُوَل ١٥١ وغيره)

٢) قيل : ولما قرأ الرشيد الابياتَ اضمر لهم الشرّ

وسأذهب الساعةَ بها الى الرشيد فانهُ بانتظاري وآتي بهِ سرًّا فيرى بعينهِ كِبر البرامكة واستبدادَهم بالدولة واحتجانهم اموال الخلافة . يتقيهم المداهنون بالسلاطين ولكنّ سأرمي بهم من ذُروة العزّ الى دركات البلاء

المشهد السادس

الفضل . ياسر . ابو نواس . اسحق الموصلي . اشجع . مروان . مخارق . ابن جامع

ياسر هاكَ الشعراء مع ابي نوّاس

ابو نوّاس عبّاسُ عباسٌ اذا اضطرم الوغى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ (١

الفضل احسنتَ في ابياتك هذه . لكن أتمّ ما تعاهدنا عليهِ

ابو نوّاس نعم

الفضل وانتم هل لكم بثلاث بِدَر ؟

ابن جامع من لا تتوق نفسهُ الى ذلك

مخارق هذا طبّي وديني وصلاتي وصيامي

مروان وما السبيل اليها

الفضل سهلٌ . ان الوزيرَ يُقيم قبل سفره لخراسان ليلة طرب ذكرًا لانتقالهِ الى هذا القصر البديع وانجازه ما فُوّض اليهِ من تثقيف عبد الله المامون (٢ واعداد رحلة عبدالله البرمكيّ الى بلاد الفرنجة (٣ فعليكم ان تذكروا محاسنهُ ومساعيه ومآثره ومعاليه

ياسر امرٌ والله قريب المتناوَل

ابن جامع قد جئنا لهذا

اشجع وعلى مدح السلطان الاصغر عوّلنا

الفضل على شريطةٍ ان تطرأوهم كل الاطراء بما هم اهلٌ لهُ . اليسوا سلاطين

---

١) قال ابن الطقطقي (الفخري ٣٩١) كان ابو نواس من شعراء الفضل بن الربيع المنقطعين اليهِ . فمن شعرهِ في آل الربيع : عباسُ (البيت)

٢) اطلب المؤرخين

٣) اطلب المقدمة . وسيرد وصف الرحلة بُعَيد هذا

الدولة واسُّ الخلافة العبَّاسية قد فاقوا بنُبل هِمَمهم وكرم مترلهم على كل من تقدَّمهم ويَتعقَّبهم من الملوك والخلفاء.

اسحق صدقتَ والله صدقتَ

الفضل وألَّا تقولوا شعرًا او مدحًا إلَّا فيهم

اشجع ما اسهل شريطتك

الفضل وان غنَّى احدكم «بليت هندًا انجزتنا ما تعد» تمَّ المراد واستحقَّ اكرم الجزاء. (١

ابن جامع هذا غناء حجازي لطيف لابراهيم

الفضل ألَا تُغني يا اسحق بلحن ابيك ولك خمس بدَر (٢

اسحق بئس مَن باع دينَه بدنياه فما ربحت تجارتهُ

الفضل ما مرادُك ؟

اسحق هي اتفاسي اهديها للخلفاء والامراء ولا أتاجر بها (٣

الفضل انت وشأنك

ياسر ما اردتَ الَّا اظهار كبر نفسك وبرمكتك (٤

اسحق اردتُ شرفها

ابن جامع انا ومخارق نغني بهذا

الفضل احسنتما فستبدآن اذا ما اشرتُ اليكما

ابن جامع نعم

اشجع ان تكرم الامير بما يسهل علينا الانشاد

ابو نوَّاس ان الاصفر يُزكي القريحة ويوقد الفطنة

مخارق قليلًا من الاصفر الرنَّان ونحن طوع امرك

الفضل خذ

---

١) مقدمة ابن خلدون (اطلب التوطئة صفحة ١٠) ٢) روايات الاغاني ١: ٢٦٦

٣) من كلام اسحق الموصلي

٤) بَرْمَكَ اي تاه وفخر كالبرامكة. لفظة جرت على الالسن ايَّام الرشيد ونقلها صاحب الاغاني

ياسر وانا سيدي
الفضل خذوا قسموها بينكم
اسحق لا بارك الله لكم بهذا المال
ياسر قد اقترب الموكب
الفضل (لياسر) وانت وافني غداً ضحىً في قصر الخلافة
ياسر نعم سيدي (يخرج الفضل) (لها تابع)

علم استنباط المياه

اثر احمد الدمنهوري نشره الاب لويس شيخو اليسوعي

يلعب الماء في حياة الانسان دوراً خطيراً اذ لا يستغني عنهُ المرء كما لا ندحة لهُ عن قوته اليومي . بل قُلْ انَّ للمياه من الفوائد العميمة ما لا يوازيهِ غيرها من العناصر فاذا عُدمت صارت ارضنا جماداً وعالمنا جثةً خامدة . ومن ثمَّ ترى مسئلة المياه تشغل افكار القوم قبل كل شيء اذا ما قصدوا السكنى في مكان ليروا بها غليلهم ويسقوا مزارعهم . وان كان هذا الامر يهمُّ كل الاقاليم الَّا انهُ في البلاد الحارَّة أَلزَم واخطر فلولا المياه لأَضحت هناك الشمس آفةً مهلكة ونارًا محرقة . وهذا ما دعا باهل الذكاء الى ان يراقبوا في جهات الشرق البالغة الحرارة دلائل المياه لحفر الآبار واستنباط الينابيع من بواطن الارض . وكان بين العرب رجالٌ اتَّخذوا التفتيش عن المياه دينهم وجعلوهُ ديدنهم فعُرفوا باسم خاصٍّ يدعى الواحد منهم بالقُناقِن . قال اصحاب المعاجم في المادَّة « القُناقن البصير في الماء في حفر القنيّ » . وزاد ابن برّي الامر ايضاحاً بقولهِ « القناقن المهندس الذي يعرف الماء تحت الارض » وهو الذي يدعوهُ الفرنج في عهدنا باسم (hydroscope, sourcier)

ومما وقفنا عليهِ آخرًا في رحلتنا الى القاهرة في احد مجاميع المكتبة الخديوية (المجموع ٢٤ ص ٥٣—٧٤) رسالة في علم استنباط المياه دعاها صاحبها « عين الحياه في استنباط المياه » رأينا فيها عدَّة ملحوظات جديرة بالاعتبار يمكن اهل بلادنا ان ينتفعوا بها للبحث عن المياه فاحببنا ان ننشر منها ما يفيد الغرض المذكور

امَّا صاحب هذه الرسالة فهو الشيخ الامام احمد بن عبد المنعم بن يوسف بن

صيام الدمنهوريّ الازهريّ . كان مولدهُ في دمنهور الغربيّة سنة ١١٠١ (١٦٨٩م). ودرس في الازهر حتى اضحى من علمائهِ المعدودين. وقد قال الجبرتي في تاريخهِ عنهُ (٢ : ٢٥) : «وكانت لهُ حافظة ومعرفة في فنون غريبة وتآليف . . . ولكن لم ينتفع بعلمه ولا بتصانيفه لبخلهِ في بذلهِ لاهلهِ . . . وكان لهُ دروس في المشهد الحسيني في رمضان يخلطها بالحكايات وبما وقع لهُ حتى يذهب الوقت وولي مشيخة الجامع الازهر . . . وهابتهُ الامراء لكونهِ كان قوّالًا للحقّ امّارًا بالمعروف سمحًا بما عندهُ من الدنيا وقصدته الملوك من الاطراف وهادتهُ بهدايا فاخرة » ثم عدّد الجبرتي مصنّفاتهِ الوافرة ومن جملتها الرسالة التي نحن في صددها . وذكر تاريخ وفاتهِ في ١١ رجب سنة ١١٩٢ (١٧٧٨ م). وقد اثنى عليهِ ايضًا المراديّ في كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر (١ : ١١٧) فنعتهُ « بآية الله الكبرى في العلوم والعرفان المفنّن بجميع العلوم معقولًا ومنقولًا . . . ولهُ اليد الطولى في سائر العلوم منها الكيميا والارفاق والهيئة والحكمة والطبّ ولهُ في كل علم منها تآليف عديدة . . . وبالجملة فهو نسيج وحدهِ في هذه الاعصار ». ولا بُدّ ان يكون الكتبة بالغوا في اوصافهم الّا انّ هذه المبالغة تدلُّ على عظم موقع المترجم في نفوسهم . والرسالة التي قصدنا نشرها تتألّف من بابين مهمّين لا يتجاوزان ست صفحات نرويهما تمامًا الّا بعض خرافات في آخر الباب الثاني نختصرها لقلّة افادتها . وقد قدّم المؤلف على البابين مقدّمةً طريلة لا تفيد كثيرًا المقصود فنلخّصها وكذلك الخاتمة التي استعارها الكاتب من كتاب عجائب البلاد للقزويني فلم نجد لنشرها وجهًا

وهذا اوّل الكتاب وفاتحتهُ في الصفحة ٥٣ من المجموع

(53ᵃ) عين الحياه في علم استنباط المياه للشيخ الاسلام واحد العلماء الاعلام سيدي احمد الدمنهوري عُفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبهِ نستعين اللهمّ اعانةً

حمدًا لمن بفضلهِ ابدع الكائنات . وأحيا بمنّهِ بالماء نوعي الحيوان والنبات . وصلاةً وسلامًا على

من استُنبط من اشرف الأصلاب . سيّدنا ومولانا محمّد المنقذ من اهوال يوم الحساب . . . وبعدُ فيقول المستطر سحائب عفو مولاهُ العليّ . احمد بن عبد المنعم الدمنهوريّ الحنفيّ المالكي الشافعيّ الحنبلي . هذا ما التمس مني واحد المحققين وقدوة العلماء المدققين . عمدة المحصّلين لمذهب النعمان . . . الفائق بصواب فكره وذكاء قريحته سائر الاقران . سيدي يوسف بن محمّد الزغواني ثمّ التونسي الحنفيّ إمام سلطان الامراء وامير السلاطين . القائم على ساق الجدّ والاجتهاد في احياء ما درس من معالم الدين . . . الامير حسين بن عليّ لا زالت افنان دولته مورقة وحديقة ملكه بماول جناته مونقة . من رسالة في (54r) علم استنباط المياه في غاية الايضاح . وفوائد لها تعلّق بذلك أغنى إصباحها عن الصباح . فاجبتهُ لذلك مع غاية اشتغال البال . وتكدّر الخاطر من تراكم الهموم وسوء الحال . راقماً ما يحضرني في ذلك المقام . وثبتاً ما وقفتُ عليه من كلام الحكماء الأعلام . ولم أقف على تأليف مستقلّ في هذه الصناعة . بل على نُبَذ ذُكرت في علم الفلاحة استطراداً لتتميم البضاعة . وسمّيتهُ بعين الحياة . في علم استنباط المياه . ورتّبتهُ على مقدّمة وبابين وخاتمة . راجياً منهُ سبحانهُ ان يمنّ علينا ومحبينا بعدم الفتنة عند الخاتمة

ويلي هذه الفاتحة مقدّمة المؤلف يفسّر فيها اوّلاً معنى الاستنباط فيقول « انّ الاستنباط الاستخراج قال في امّهات الصحاح : نَبَط الماء يَنبُطُ ويَنبِط نبوطاً نَبع . وأنبط الحفّارُ بلغ الماء . واستنباط الماء استخراجهُ . . . ومعناهُ اللقبيّ علم يُتعرّف منه كيفيّة استخراج المياه الكائنة في الارض ومنفعتهُ احياء الارض والنبات والحيوان »

وفي اثر هذا التحديد فصل مطوّل في الاركان الاربعة التي كان القدماء يظنّون انّ العالم مركّب منها اي الارض والنار والماء والهواء مع وصف خواصّها ونسبة بعضها الى بعض الى ان ينتهي الى ذكر الرياح وتقسيمها الى اربعة اقسام « الشمال ومهبّها من مطلع بنات نعش الى مغرب الشمس والجنوب ومهبّها من مطلع سُهيل الى مشرق الشمس . والصَّبا ومهبّها من مطلع بنات نعش الى المشرق . والدَّبور ومهبّها من مطلع سُهَيل الى المغرب »

ثم يصف كل ريح من هذه الارياح الى ان يبلغ به الكلام الى ذكر علاقاتها مع المياه في تجفيفها او إغنائها فقال في ذلك :

« (58r) اعلم انّ البقاع التي تهبّ عليها ريح الصبا دائماً فانّها تجفّفها لحرارتها وتُفني رطوباتها . واما البقاع التي تهبّ عليها الدّبور فانها تزيدها رطوبة فيكون فيها مياه كثيرة وتكون ظاهرة العيون كثيرة الماء والشجر . واما التي تهبّ عليها الشمال فانّها تكون يابسة جافّة لاستيلاء البرد عليها فيجفّفها الّا انها رطبة بالنسبة التي تهبّ عليها

الصبا لانَّ البرد يحفظ الرطوبات بالطبع . واما التي يهبُّ عليها الجنوب فجافّة ايضاً لحرارتها وما قرب منها من خطّ الاستواء فاوْهُ مالح وانّ الانهار الجارية اصلها ينابيع في الارض لما قالوهُ من انّ البخار اذا احتبس في الارض امّا لغلظهِ (58ᵃ) او لكون وجه الارض متكاثفاً يميل الى جهة ويبرد بها بمجاورة الانهر فينقلب مياهاً مختلطة بأجزاء بخاريّة اذا كانت قليلة . فاذا كثر البخار بحيث لا تسعهُ الارض اوجب انشقاق الارض وانفجر منها العيون . فان كان لها مدّد بان يستتبع كلُّ جزء جزءاً آخر حدث منها العيون الجارية والّا فالراكدة . واذا غلظ تحت الارض ريح او بخار بحيث لا ينفذ في مجاري الارض اجتمع ولم يمكنهُ النفوذ لغاية غلظهِ او لكون مجاري الارض مستحصفة اي لا مسامَّ فيها وتحرَّك في ذاتهِ بمحاولة الخروج تزلزلت الارض وربما اشتعلت لشدّة حركتها وكون المادّة دخانيّةً فيحدث منها نار عظيمة او صوت هائل وهو الزلزلة

« فالانهارُ الجارية الحيلةُ في الانتفاع بها سهلةٌ وامّا المستخرَج من الأرض بالحفر فيُحتال على اخراجهِ على وجه الارض بالآلات . وامّا كانت شجرة الحنطة والشعير والارز وغيرها مما يُقتات بهِ تشتدُّ الحاجة اليها وكانت تتلف بانقطاع الماء عنها فاحتيج الى علم استنباط المياه ليُتوصَّل بهِ الى إحيائها وغيرها من سائر النباتات وفي الرياح الهابّة دلالة على ما يُراد من ذلك على ما سمعت (59ᵃ)

« ومنها اي كائنات الجوّ السحابُ والمطر قالوا سببهُ الأكثريّ اي الدنيّ يصحّ ان يكون تكاثف اجزاء البخار الصاعد اذا وصل الى الطبقة الهوائيّة التي ينقطع عنها تأثير شعاع الشمس . فان لم يكن البرد قويًّا اجتمع ذلك البخار المتكاثف وتقاطر لثقل الحاصل من التكاثف فالمجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر واشار الى ذلك البيضاويّ عند قولهِ تعالى (في سورة النور) « فيها من بَرَدٍ » بقولهِ : « والمشهور انّ الابخرة اذا تصاعدت ولم يتخلّلها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحاباً . فان لم يشتدّ البرد تقاطر مطراً وان اشتدّ فان وصل الى الاجزاء البخاريّة قبل اجتماعها نزل ثلجاً والّا نزل بَرَدًا وقد يبرد الهواء بَرْدًا مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً وينزل منهُ المطر او الثلج او البَرَد . وبقيّتها في الكتب الحكميّة .

الباب الأول

(تعريف الامكنة التي في ارضها ماء)

« (كلام هذا الباب) في بيان المواضع التي فيها ماء والتي لا ماء فيها والتي ماؤها قريب والتي ماؤها بعيد فيُستدَلّ (59*) على وجود الماء في الجبال بوجود نبات لا يظهر الّا بالقرب من الماء وبظهور ندًى على ظاهرها يُدرك بالبصر واللمس باليد خصوصاً في اوّل النهار وآخره فيظهر للناظر كأنّ الجبل مبخوخ بالماء. فان اردتَ التحقّق فخذ تراباً ناعماً جدًّا وغبّر به الجبل وانظر اليه عند المسافات فان تغيّر ذلك التراب وتندّى فاعلم انّ الجبل في باطنه ماء. وكثرةُ الندى وقلّتهُ على حسب كثرة الماء وقلّته وقربه وبعده

« وقد يستدلّ على وجود الماء وعدمه وقربه وبُعده بالسمع بالأُذن فانّ الماء اذا كان كامناً في جبل او ارض كان له دويّ وحفيف يسمعهُ مَن عندهُ معرفة بذلك لأنّ الدويّ قد يكون من الريح ويُفرّق بين الحالتين بالنظر في الشقوق التي في ظاهر الجبل او الارض فان كانت شبه الجليد فذلك حفيف الهواء وان كانت ندّيّة وبها بُخار طالع منها فذلك حفيف الماء وان اشكل الامر فيُنظر الى ذلك الدويّ فان استمرّ على حالة واحدة عند اطالة الاستماع له فذلك صوت الماء وان سكن تارةً وهاج اخرى فهو صوت الريح

« وممّا يُستدلّ به على عدم الماء كون الارض قشفة لا نبات فيها فان اتّفق ان وُجد فيها ماء كان بعيدًا جدًّا (60*) فيه ملوحة وتغيّر طعم لا يصلح للنبات

« وممّا يستدلّ به على قرب الماء من سطح الارض وبُعده عنها ان يأخذ الانسان بيده من طين الارض ويعجنهُ فان رآهُ اسود ريّان وفيه صمغيّة وطعمهُ حلوٌ لا مرّ ولا مالح ولا متغيّر فليعلم انّ الماء قريب وان رآهُ بخلاف ذلك فانهُ يكون بعيدًا

« وكذلك ريح التراب تدلّ على قرب الماء وبعده فان كانت ريحهُ مثل ريح الطين الذي يخرج من السواقي والأنهار الدائمة الماء فانّ ذلك دليل على قرب الماء وان كان بخلاف ذلك كتراب البريّة الدائمة اليباس (كذا) فالامر بخلاف ذلك ولا يفرق بينهما الّا من له دُربة بشمّ كلٍ منهما

« وكذلك رائحة التراب التي تُضرب الى العفونة او تُشبه رائحة الطُحلب تدلُّ على قرب الماء

« ومن ذلك ما ذكرهُ ابن وحشيَّة ان يؤخذ اناء على صفة الدست من الخزف يسع احدًا وعشرين رطلًا من الماء ويجعل في اسفلهِ من داخلهِ قطعة زفت ويُحكم لزقها ويلصق في الزفت قطعة صوف بيضاء منفوشة ويمسح داخل الاناء بالزيت الشامي ثم يحفر حفرةً في الارض ويكبُّ الوعاء (60) على رأسهِ في تلك الحفرة ثم يُوضع عليهِ التراب ويُدكّ دكًّا جيّدًا ويُترك يومًا وليلة ويُخرج ثاني يوم قبل طلوع الشمس فان وُجدت الصوفة مبتلّة وداخل الاناء كذلك فان الماء كثير قريب وان كان بخلاف ذلك فان الماء يكون بخلاف ذلك

« ومن حفر حفرة مدوَّرة صحيحة الاستدارة قدر اربع اذرع ورمى فيها من القصب الفارسيّ خمسين قصبة وحرقها بالنار ثم كبَّ فيها الوعاء الذي تقدَّم ذكرهُ الى آخر العمل ظهر لهُ الحال

« ومن ذلك وَضع إسفنجة مُعلَّقة في شقّ من الوادي في نصف النهار ويغطّى ذلك المكان تغطية جيّدة ويُترك ليلة وتؤخذ الاسفنجة قبل طلوع الشمس فان وجدت مبلولة دلَّت على وجود الماء وان وجدت جافّة دلَّت على عدمهِ

الباب الثاني

في حفر الآبار وما يتعلّق بذلك

« ينبغي اذا كانت الارض صلبةً ان تُوسَّع استدارة البئر اكثر من القدر المعروف ان كان يمكن حفرُها فان لم يمكن لشدَّة صلابتها يوقد عليها النار لتفتتها بحرارتها ويسهل حفرها من غير كلفة. وان كانت رخوة فينبغي (61) ان تُضيَّق وتحفر على الترلخي بان يمسك الحفّارون عن الحفر ساعة ثم يعودون اليهِ ويستمرُّون على هذا الحال الى ظهور الماء. فاذا ظهر وسمعوا الينابيع وسطّحوها على الارض تسطيحًا ثم يكفُّون عن العمل ويذرقون الماء النابع فان كان حارًّا او مالحًا لقوا عملهم واذا كان فيها مرارة يعد ذوقهِ اذا انفصلوا عنها تركوها مغطّاة بحصير ونحوهِ الى الغد. ثم يكشفونها فان وجدوا فيها دخانًا طالعًا رديًّا فيُشعل سراجًا بدهن البقر والضان ويُدلّى في البئر فان انطفأ ولم يثبت

للبخار شيء من هذه الشحوم عُلم انَّ بخار البئر رديٌّ قتّال لكل من يدنو منهُ ولا يعمل فيها حفّار فانهُ يخاطر بنفسه وليس لها حيلةٌ سوى حَفْر بئر اخرى في مقدار عمقها وتكون ضيّقةً ويُثقب منها ثقب اليها فان خرج بخار الخبيثة الرديّ عنها وثبت فيها السراج حتى بلغ قعرها مُشعَلًا وبقي هنيئة ثم يُصعد وهو مُشعَل يُفعل بهِ ذلك دفعات كثيرة وهو لا ينطفئ ولا يتغيَّر ضوء السراج فيُعلَم انَّ البئر زال ضررُها وزال البخار الرديّ منها فيكمل عملها وان لم يثبت السراج فتُترك (61r) ويحفر غيرها بعد ردمها

« وينبغي ان يُختار لحفر البئر ويُبتدأ بهِ اذا كان زُحل في احد بيتَيهِ او في بُرج الميزان او الجوزاء سالمًا من نظر المرّيخ وليحذر نظر عُطارد البتّة ولا يكون في احد بيوتهِ (١ . وَلْيُبتدأ في الحفر كل يوم قبل طلوع الشمس الى توسُّطها ثمَّ يُترَك الى ان تزول ثم يُعاد الى الحفر

« وينبغي لمن يحفر البئر او ينزل اليها ان لا يأكل فجلًا ولا بصلًا ولا ثومًا ولا سمكًا ولا شيئًا من الاطعمة التي لها رائحة كريهة ولا يشرب شرابًا ولا نبيذًا ولا نحو ذلك ممَّا لهُ رائحة خبيثة لأنَّ نَفَسهُ يختلط بهواء البئر فيفسدهُ ويجعل بخارها رديًّا مهلكةً لهُ ولغيرهِ

« وممَّا يُذهب البخار الرديّ من البئر اذا حصل ان تبخَّر بالخيار اليابس المجفَّف والقرع اليابس المجفَّف والبطيخ الهندي المجفَّف بلحمهِ وقشرهِ وبزرهِ فتُدلَّى المجامر في البئر بحبال الى ان تصل الى قعر البئر ان لم يكن فيهِ ماء فان كان فيهِ ماء فتدلَّى المجامر الى ان تصل اليهِ فيزول البخار الردي

« ومما يزيل البخار الردي التبخير بالطباشير وبزر البَقْلة الحمقاء مع ورقها وعيدانها (62r) يابسةً وكذلك بزر الهندباء وبزر الخس مع ورقهِ مجفَّفًا وان بُخِّرت البئر بجميع هذه الامور في وقت واحد كان اسرع في ازالة البخار

« وينبغي ان تمتحن البئر اذا ظهر بعد حفرها انَّ ماءها قليل وقد تكون قلَّة الماء بسبب العلَق فانهُ يأوي الى منابع المياه ويفرخ فيها فيفسدها ويفسد ماء البئر بتغيير طعمهِ فيوضع فيها جملة من السرطانات البحريَّة فانها تحفر منابع الماء بأرجلها وتأكل العلق

١) هذا القول مبني على مزاعم المنجمين الباطلة الذين يدّعون انَّ زُحل من السيَّارات الميمونة وانَّ المريخ وعُطارد سيَّارتان مشؤومتان (المشرق)

الذي فيها فيكثر ماء البئر ومثل ذلك القاحوت من السمك فيها فانهُ يلتقط العلق والاوساخ واللزوجة التي في منابع الماء فيكثر الماء لذلك

« ومما ذكروهُ لعلاج نقصان ماء البئر في بعض فصول السنة ان يُحفر حول البئر حفرة مقدارها اربعة اذرع في العمق على اي بعدٍ كان من البئر ويؤخذ حطب الزيتون والشمش والكنثرى او التوت ويُقطَّع قطعاً صغاراً وتُملأ بهِ تلك الحفرة وتضرم النار فاذا صار جمراً فيُلقى باسرهِ في البئر وتُغطى غطاء وثيقاً بحيث لا يخرج منها هواء اصلاً ثم تُفتح البئر بعد مضي يوم وليلة وتُترك مفتوحة يوماً وليلة (62ᵛ) ثم يُخرج منها الفحم وتُنزح بإخراج ما فيها من الطين فانَّ الماء يكثر فيها ولا تعود تُنزح وذكروا انَّ ذلك مجرَّب

« ومنها ان يؤخذ مكوك من ملح الطعام يُخلط مع مثلهِ من الرمل الطاهر المأخوذ من نهر جارٍ ثم يُنجَّم تحت القمر والنجوم ليلةً ثم يُلقى في البئر منهُ كل يوم سبع حفنات بالكفّ اليمنى فعند استعمال ذلك الملح والرمل يزداد الماء كثيراً (١) »

وقد ختم المؤلف هذا الباب الثاني بذكر امر هو من الغرابة بمكان فزعم انَّ العيون « اذا نقص ماؤها جُعلت بازاء منبع الماء جاريةٌ دون البلوغ تؤمر ثلاث ساعات من النهار ثم تأخذ جاريةٌ اخرى طبلاً فتوقع بهِ على غناء الجارية وزمرها اربع ساعات فيكون مقدار الزمن سبع ساعات فانَّ الماء يكثر ويزيد عما كان اوَّلاً »

ثم اردف ذلك بما هو اغرب وابعد من كل تصديق فقال « تؤمر سبع جوارٍ ابكار صغار صباح الوجوه تلبس كل واحدة لوناً غير لون الاخرى ثم تأخذ جاريتان منهنَّ عودين واخرى طبلاً واخرى معزفة واخرى طنبوراً واخرى ناياً واخرى سرناي ثم يستقبلنَ منابع الماء بوجوههنَّ على بُعد ذراعين منهُ ثم يستعملنَ ما معهنَّ من الآلات ويتأخرن وراءهنَّ مقدار عشرين ذراعاً ثم يتقدَّمن اليهِ وهنَّ يغنّينَ يفعلنَ ذلك التقدُّم والتأخر سبع مرَّات فانَّ الماء يزيد زيادةً كثيرة في الوقت او بعدهُ بيسير »

او قُلْ انَّهُ لا يزيد ابداً ما لم تكن في الارض موادّ وسواعد تجري اليهِ . وقد تعجَّبنا انَّ شيخاً كالدمنهوري رضي بأقوال المنجّمين والمشعوذين دون انتقاد صحّتها

(١) في هذا القول بعض الاعتقاد الباطل بالنجوم والقمر ولسنا نرى علاقةً بين الملح وازدياد المياه

وبعد هذا تأتي الخاتمة التي تتألف من ثلاثة مباحث طويلة: الاوّل في الارض والمياه والبحار واختلاف احوالها. (والثاني) في بيان المعمور من الارض وطوله وعرضه. (والثالث) في بيان فضل العلم واهله. وهذه الفصول الثلاثة خارجة عن موضوعنا وهي منقولة عن كتاب عجائب المخلوقات للقزويني فعدلنا عن نشرها. وفي اخرها ما يلي:

« تحريرًا في ١٤ من شهر ذي القعدة من شهور سنة ١١٥٣ (١٧٤١) نُقلت من خطّ مؤلفه

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ كذبت الماسونية بقولها انّها لا تعادي الدين (تتمّة)

وكأني هنا « بأولاد الارملة » يوتقوني عند حدّي فيقولون: ما هذه القحة؟ وكيف تنكر الحقّ الواضح أتزعم بأنّ الماسونية لا تعتقد وجود الله وهذا الاسم الكريم في مقدّمة كل اعمالها وفي صدر لوائحها وفي عنوان تآليفها ألا ترى بأنّ كل ورقة رسميّة يرسلها زعيم الماسون لاخوته تبتدئ هكذا « ل.·. م.·. ا.·. ك.·. ا.·. » التي يفهمها كل العقّال وهذا معناها للجهّال مثلكم « لمجد مهندس الكون الاعظم ». افليس هذا كافيًا لردّ تهم الذين ينسبون للماسون جحود الخالق عزّ وجلّ فهذا شعار الماسونيّة شبيه بشعار الجزويت « لمجد الله الاعظم » لانّ مهندس الكون هو الله عزّ وجلّ كما لا يخفى

قلنا انّنا ايضًا عند ما كنّا نقرأ هذا العنوان نظنّ انّهُ اقرار بوجود الاله فتزكّي الماسونيّة من هذه التهمة لولا انّا تحقّقنا بعد ذلك امورًا ابطلت ظنّنا ونفت اعتقادنا فاذعنّا الى الحقّ الواضح وهاك الدليل على قولنا:

واوّل ما رابنا في هذا الشعار غرابة الاسم فاختار الماسون من اسمائهِ تعالى ما لا تجد لهُ ذكرًا بين الاسماء الحسنى العديدة التي وردت في الكتب المنزلة وكلّها تُشعر بعظمتهِ جلّ ذكرهُ وبسموّ عزّتهِ وجبروتهِ الى اسمٍ منهم فجعلوهُ بمنزلة « مهندس الكون » كأنّهُ تعالى لم يخلق كل الكائنات من العدم وانما هندسها فقط ونظّمها. وزادوا على ذلك ما زاد الاسم ابهامًا بقولهم « المهندس الاعظم » كأن الله استعان لهندستهِ هذه غيرهُ من المهندسين فكان هو « الاعظم » بينهم. فهَبْ انّهم قصدوا ربّ العالمين فما لهم لم

يصرّحوا بمعتقدهم أو ليس هذا الالتباس داعياً الى الشكّ في صحّة ايمانهم برب الارباب وملك الملوك الذي لهُ وحدهُ يحقّ كل مجد وكل سلطان

ثم بحثنا عمّا يفهمهُ ائمّة الماسون باسم المهندس الاعظم فدونك جوابهم عن هيكلهم ومهندسهم. قالت الجريدة الماسونيّة « بليكان » المطبوعة في بارا وهي لسان حال الماسون في البرازيل (اطلب كرستا مسيدو في كتابهِ عن الماسونيّة وتعاليمها ص ١٢): « انّ الماسونيّة هيكلٌ عظيم كهيكل رومية القديم (Panthéon) تحفل بجميع الالهة فترحّب بهم لانّهُ لا يتألّف من مجموعهم كلهم الّا إلهٌ واحدٌ » فيكون اذن إله الماسون مجموع آلهة الصين والهند وهمج افريقيّة وبرابرة اوقيانيّة

وقال الاخ ∴ دي فرنيك احد زعماء المحفل السكوتلندي السامي في كتابهِ الى احد الاخوة الماسون البروسيين الذين ابوا قبول اليهود في الجماعة الماسونيّة: « انّ إلهنا ليس لهُ اسم مخصوص فهو مهندس الكون العظيم اي الفاعل الازلي في الشغل على الزواية (يريد الزواية الماسونيّة) فيحبّ جميع الناس الاحرار »

ومثلهُ قول رئيس المحافل الماسونيّة الاكبر في مجلّة العالم الماسوني سنة ١٨٧٨ (ص ٢٠٤) ما تعريبهُ بالحرف الواحد: « انّ هذه العبارة (اي مهندس الكون الاعظم) لا يتألّف منها ادنى مذهب فلسفيّ او دينيّ فهي توافق ذوق الكلّ ولا تصدّ عن الدخول في محافلنا ايّاً كان من المرشّحين سواء كان مؤمناً بالله او ماديّاً او كافراً ». وقد ردّدت كلامها هذا وزادتهُ ايضاحاً في السنة التالية ١٨٧٩

قال الاخ ∴ هيمان (Hayman) في مجلّة العالم الماسوني (١ « انّ الذين سبقونا في الماسونيّة خوفاً من الجدال الدينيّ اختاروا لنا شعاراً يمكن البشر جميعهم ان يقبلوهُ مهما كانوا من جحدة الالوهيّة وخلود النفس »

وقال آخر من زعمائهم نقلاً عن مجلّة العالم (Monde. 20 Déc. 1865): « انّ اسم مهندس الكون عندنا اسمٌ بلا مسمّى فمتى يطلب الانسان كائناً فوق هذا العالم المحسوس فمن يطلب اللاهوت فليبحث عنهُ في دائرة الطبيعة وليس خارجاً عنها بل دعنا نقول صريحاً انّ الطبيعة هي الله »

وقد اتخذ بعض الماسون لهم كالهٍ جرم الشمس فهي مهندس الكون الذي يعبدونهُ.

١) اطلب مجلة العالمين (Revue des deux Mondes, 1863)

قال الاخ ه. رينان الكافر العظيم احد وجوه الماسونيّة في مجلّة العالمين (١ : « ليس في العالم عبادة موافقة للعقل السليم ولمبادئ العالم كعبادة الشمس فهي إله كُرَتنا الارضيّة »

ومن اسامي الإله في المحافل الماسونيّة « ادونيرام » فاذا بلغ احدهم الدرجة الثالثة درجة الاستاذ كشفوا لهُ سرّ هذا الاسم بما تعريبهُ (٢ : « اعلم انّ ادونيرام في مذهب الماسون انما هو اوزيريس (اله المصريين) او ميترا (اله الفُرس) او باخوس (اله الرومان) او احد الالهة المتعدّدين الذين كانوا في سالف الزمان يمثّلون الشمس »

فما اصرح هذه الاعلانات ولو اردنا لأتينا بغيرها ايضاً وبها ما هو كافٍ لمن لا يريد أن يصمّ آذان قلبهِ ويعمي بصيرة عقلهِ . . . .

ومع كل ما قلنا عن مهندس الكون وخفّة هذا الإله والابهام في التعبير عنهُ قد نفر بعض الماسون المتوغلين في الشيعة من هذا الشعار لاحتمال دلالتهِ على الاسم الكريم فسعوا بمحوهِ وفي السنة ١٨٧٠ لمّا اجتمع اعضاء شرق فرنسة الاعظم أمّلوا بان يُلغى من ألواح المحافل اسم « مهندس الكون العظيم » فأُلغي ورضي بذلك الحكم معظم الماسون وصفّقوا استحساناً الّا بعض محافل الانكليز والاميركيين الذين انفصلوا لوقت عن اخوتهم لغلوّهم في روح الكفر

ثم ما فتئ المجمع عينهُ بعد ذلك بسبع سنوات فألغى اصحابهُ من دستورهم بنداً آخر كانوا وضعوهُ سنة ١٨٥٤ وهو هذا « انّ اساس الماسونيّة وجود الله وخلود النفس وحبّ الانسانيّة » فأبدلوهُ بهذه العبارة « انّ الماسونيّة مبنيّة على مبادئ حرّيّة الضمير المطلقة والألفة الانسانيّة فلا ترفض من شركتها احداً بسبب معتقدهِ »

وقد صادق على اعمال الشرق الاعظم معظم محافل ايطالية والمجر والمانيـة بل لم تلبث المحافل المحتجّة على شرق باريس ان عادت الى التحابّ والشركة معهـا . قالت جمعيّة الاتحاد الماسوني العام (اطلب مجلّة لاترميـا ج ٢ ص ١٦٤) « انّ حكم شرق فرنسة الظلم ليس هو سوى نتيجة مناهضة حرّيّة الضميرُ للفئة الكهنوتيّـة . . . ومن ثمّ ليس من داعٍ الى نفي محافل فرنسة من الاتحاد الماسوني العامّ »

فان كان الله سبحانهُ وتعالى لا وجود لهُ على زعم الماسون فلا عجب من امتناعهم

١) اطلب كتاب (La Franc-Maçonnerie et ses secrets. p. 60)

٢) اطلب كتاب السيّد دي سيغور (de Ségur : *Les Francs-Maçons*. p. 90)

عن ذكر اسمهِ الكريم في خطبهم كما يفعل رؤساء جمهوريّة فرنسة منذ نيف وعشرين سنة ومحوا هذا الاسم المعظَّم من كتاباتهم الرسميّة. وقد ادّى بهم بغضهم للإله ان طلبوا من مجلس الندوة بان يطمس من قيود الدولة ما كان مكتوبًا على دائرتها : « انّ الله يصون فرنسة » فأُلغي كما طلبوا. ثم سعوا بان يمحي الاسم الكريم من كتب المدارس الابتدائيّة فمُحي على طبق مرغوبهم. وقد تفاقم هذا البغض لهُ تعالى حتى جاهروا بالتجديف عليهِ وتحاملوا على عزّتهِ بافظع الشتائم واشنعها كنّا نودّ ان لا ندنّس صفحات مجلّتنا بذكرها لولا رغبتنا بان نميط القناع عن خبث هذه الشيعة وكفرها

قال الاخ المكرَّم ∴ دلپاش (Delpech) مقدَّم الشرق الاعظم في خطبتهِ لعمدة الماسون سنة ١٩٠١ مشيرًا الى كلمةٍ تلفَّظ بها يليان الجاحد قبل وفاتهِ لمّا رُشق بسهم في حرب الفرس « قد غلبت يا جليليّ » يريد المسيح لذكرهِ السجود. قال دلپاش : انّ انتصار الجليليّ قد دام عشرين جيلًا... وها هوذا قد سقط بمساعينا هذا الاله الكاذب.. ونحن الماسون يسرُّنا ان نشاهد سقوط الانبياء الكذبة فانّ الماسونيّة قد أُنشئت لهذه الغاية ان تُناشب الحرب كل الاديان بل قل كل الخرافات وضروب التعصُّب »

وقال قبلهُ الاخ ∴ لانسان (Lanessan) من شيوخ الشيعة كما ورد في نشرة العالم الماسونيّ في عدد نيسان سنة ١٨٨١ (ص ٥٠٣) : « انّ الواجب اللازب علينا ان نسحق القبيح الفظيع (l'infâme). وهذا القبيح الشنيع ليس هو فئة الاكليريكيين وانّما هو الله » (١

وهذه الكلمة هَزْلٌ مُهَوّل بل لفظة استنبطها من قعر الجحيم ابو الكفر والزندقة فولتير الماسونيّ فانتصب بذلّتهِ لمنابذة القتال لربّ السماء فاراد ان يسحقهُ وما سَحَقَ غير نفسهِ (راجع ما كتبناهُ عن وفاتهِ الشنيعة في المشرق ١١ : ٢٣٧)

كناطحٍ صخرةً يومًا ليفلقها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ

وقد بلغ الاخ ∴ پرودون (Proudhon) غاية الجنون حيث قال: « ليس الاله سوى الشرّ »

---

١) دلپاش ولانسان هما الى يومنا من مندوبي مجلس المبعوثين

أجل انّ كلاماً مثل هذا لا يفوه به غير المجانين ولا يمكننا ان ندعو باسم آخر الذين ينضوون الى هذه الجمعيّات السرّيّة التي تعلّم مثل هذه التعاليم الشيطانية

فان كان مذهب الماسون في الرب الاله كما مرّ فما قولك بمذهبهم في النفس وجوهرها الروحيّ وخلودها وجزائها عن اعمالها الصالحة او عن سيئاتها فان الماسون يعتبرون كل ذلك من اساطير الاوّلين وخرافات العجائز وهذا ما حملهم كما سبق القول على ان يمحوا من مقدّمة دستورهم ذكر خلود النفس كما طمسوا الاسم الكريم

وان بقي لاحد قرّائنا ريب في ذلك نقلنا هنا بعض اقوال مقدّم الماسونيّة في محفل لياج في بلجكة (كتاب الماسونيّة واسرارها سنة ١٨٦٧ ص ٣٠):

« ليس جهل كجهل الذين يزعمون انّ النفس خُلقت قبلنا او معنا والصواب انّ النفس التي تتكيّف بكل كيفيّات الجسد ليست هي الّا قسماً من الجسد بل هي عين الجسد. ومن جعل النفس روحاً مجرّداً عن الحواسّ انّما وضع ذلك طمعاً وضغطاً على البشر فهذا هو تعليم الكهنة حتى يسوسوا الجهّال ويتصرّفوا بهم كيف شاؤوا »

افيحتاج بعد هذا قرّاؤنا الى كلام اوضح واصرح. أو لا يحقّ لنا بان نقول مع احد الماسون الذي اطّلع على اسرار الماسونيّة واناب الى الله قبل وفاته وحرّر ما سمع ورآه رأي العيان فقال (كتاب الماسونيّة واسرارها ص ٣١): « انّ الماسونيّة تعتبر الانسان كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آلة صمّاء بلا نفس عاقلة... وغايتها القصوى ان تسوق البشر الى فكّ كل قيد يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين فيعيشوا عيش الحيوانات غير الناطقة وينقادوا الى اوامر زعماء الماسونيّة انقياداً اعمى »

فاتّضح لك ما قلناه عن كذب الماسون في نسبتهم الى جماعتهم الغايات الشريفة وفنّدنا كل مزاعمهم في ذلك واثبتنا بالادلّة غير المنكرة بانّ الشيعة الماسونيّة ليست جماعة خيريّة ولا تُعنى بنشر العلوم الصحيحة ولا تدافع مطلقاً عن الدين بل تعاديه معاداة العدوّ الازرق

٤ ـ ما هي اذن الماسونية

فبعد هذه المقدّمات ونكراتنا على الماسونيّة مدّعياتها الباطلة يمكننا ان نحدّد هنا

تلك الشيعة فتقول « انّ الماسونيّة شركة سرّيّة سياسيّة غايتها تقويض اركان كل سلطة دينيّة كانت او مدنيّة »

١ً (الماسونيّة شركة سرّيّة) ذلك امرٌ لا يحتاج الى بيّنات عديدة والدليل عليه ما يألفهُ اشياع الشركة من العلامات السرّيّة بينهم في المصافحات والسلامات وعدّة حركات لا يعرفها غيرهم ويتعارفون بها. ومن الادلّة على الامر ايضاً تعابير سرّيّة يغيّرها كل ستّة اشهر مقدّم المحفل ويجب على كل ماسونيّ ان يعرفها ويعلن بها للناظر كما يفعل الجند بشعارهم. ومنها ايضاً اخفاء الماسون عن الغرباء لا بل عن اصحاب الدرجات الاولى في الماسونيّة اسماء المنتمين الى الشيعة. وكذلك يخفون بكلّ حرص الاوراق والسجلّات والكتب التي فيها اعمال الماسون حتى انّهم خلافاً لقانون الدولة في فرنسة لا يقدّمون نسختين من مطبوعاتهم للمكتبة العموميّة كما هو مسنون على كافّة مؤلّفي الكتب هذا ما اخبرنا به المسيو دليل (L. Delisle) ناظر المكتبة في رسالة الى احد آباء رهبنتنا في ٢٤ ت ٢ سنة ١٨٩٨

ولنا ايضاً اقرار زعماء الماسونيّة الذين يشدّدون على اصحابهم النكير في اشاعة الامور المنوطة بجماعتهم. قال كبير المقدّمين في مجلس الشرق الاعظم في باريس سنة ١٨٩٣ في لائحته التي وجّهها الى المحافل الماسونيّة في فرنسة قال: « انّ قوّة الماسونيّة تتوقّف خصوصاً على محافظة اعضائها على اسرار مباحثاتها ». وقال الاخ لودوك (Leduc) في خطبة القى بها في تلك الاثناء: « الحذر الحذر من كشف اسرارنا فانّ ذلك يؤدّي بنا الى العطب »

وناهيك بما يُفرَض على الداخلين في الماسونيّة من الاقسام المحرّجة لحفظ اسرار الشيعة فانّهم كلّهم يحلفون على كتمانها ويصرّحون بانّهم اذا كشفوها يرضون بالعقاب على فعلهم

ودونك صورة القسم الذي يتلوهُ كل طالب يريد الدخول في الطقس الاسكتلنديّ:

« اني اقسم باسم مهندس العالم الاعظم اني لا افشي اسرار الماسونيّة ولا علاماتها ولا ملامساتها ولا اقوالها ولا تعاليمها ولا عاداتها واني اصونها مكتومةً في صدري الى الابد ثم اني اعد واقسم باسم مهندس الكون باني لا اخون عهد الجمعيّة واسرارها لا

بالاشارة ولا بالكلام ولا بالحركات واني لا اكتب شيئاً منها ولا انشره بالطبع او بالحفر او بالتصوير. وارضى اذا حنثتُ بوعدي بان تُحرَق شفتاي بحديد محمي وان تُقطَع يدي ويُحزّ عنقي وتعلّق جثتي في محفل ماسونيّ ليراهُ طالب آخر ويتّعظ بمثلي ثم تُحرق هذه الجثة ويُذرّ رمادها في الهواء لئلا يبقى اثرٌ من خيانتي »

ومثل هذه الاقسام غيرُها ايضاً في درجات الماسونيّة العليا. وفي حفلة قبول الطالب يأمر المتقدّم بان تُجعل على صدره مجرّداً ظُبات السيوف المسلولة فيقول لهُ بأنّ هذه السيوف سوف تنتقم منهُ اذا لم يقم بمواعيده للجمعيّة واذا ما افشى باسرارها

٢ (هي جمعيّة سياسيّة) اعني انّها في باطن محافلها تسعى في تدبير الامور العموميّة وادارة شؤون البلاد على حسب غاياتها ووفقاً لاهوائها. ومن ثم لا صحّة لما يقولهُ الماسون في جهاتنا او ينقلونهُ عن لوائح كاذبة بانهم يمنعون في محافلهم كل مجادلة سياسيّة كما مرَّ بك من اقوالهم. اسمع ما اعلن بهِ احد شيوخهم المعظّمين المسمّى الاخ م. غونار (Gonnard) في مؤتمر الماسونيين سنة ١٨٧٦: « كنّا سابقاً قد ألِفنا القول على سبيل الفطنة لا على طريق القانون المفروض بانّ الماسونيّة لا تكترث للاديان ولا للسياسة. وليس قولنا هذا مراء ومداجاة وانما فعلنا ذلك احترازاً من مرقبة الشرط (البوليس) فتخفي عنهم ما تقضيهِ علينا جميعاً واجبات الماسونيّة قبل كل شيء. نعم اني اقول اليوم جهاراً بأنّنا في محافلنا نشتغل بالسياسة. ونعم السياسة سياستكم ايها الاخوان »

نعم انّ الماسونيّة شيعة سياسيّة ولو اردنا ان نتتبّع كل الامور التي جرت في اوربّة عموماً وفي فرنسة خصوصاً منذ مئة وعشرين سنة ما وجدنا حادثاً واحداً من الحوادث السياسيّة الّا وكان للماسونيّة فيهِ يدٌ مشؤومة وسهم فائز. وقد سمعنا المؤرخ البروتستاني هردر يؤكّد في اواسط القرن الماضي انّ العلاقات بين دسائس الماسون والفتن الاوربيّة منذ نصف جيل ممّا لا ينكرهُ غير الجهال. قال الكنت دي طوغتس (de Taugwitz) احد اعيان الماسونيّة الالمانيّة في مقالة كتبها سنة ١٨٢٢: « قد تأكدتُ وعرفت حقّ المعرفة ان المأساة العظيمة التي ابتدأت سنة ١٧٨٨ و١٧٨٩ مع قتل الملك (يريد لويس السادس عشر) والفظائع التي رافقتهُ انما كانت نتيجة اعمال المحافل (الماسونيّة) والاقسام المحرّجة التي اتّفق عليها الاعضاء (الماسون) وقرّروها. ولما جرت سيول الدماء

بعد ذلك في كل انحاء فرنسة حتى صارت ارضها اشبه بمنقع دم صرخ رئيس الماسونيّة الالمانية في خطاب تلاهُ سنة ١٧٩٤ مهنئاً فرنسة لسبقها بقيّة الامم في طريق الثورات والمشاغب وختم كلامهُ بهذه الالفاظ : « انَّ جماعتنا الماسونيّة قد اضرمت في الشعوب الاوربيّة نار الفتن فهيهات ان يخبو لظاها قبل اجيال متعدّدة »

ما لنا نطلب البعيد فان الشرائع التي سُنَّت في فرنسة منذ السنة ١٨٨٠ الى هذه الغاية ضدّ الدين والكنيسة كنفي الرهبان وإبطال مدارسهم وتجنيد الاكليريكيين وقطع رواتب الكهنة وفصل الكنيسة عن الحكومة كل ذلك . قد سبقت الماسونيّة وقرّرتهُ في حفلاتها السريّة ثم امرت النوّابَ الماسون بان يؤيدوهُ بتصويتهم بعد انْ التجأت الى كل الدسائس والمكايد لتدخلهم في ندوتي الشعب والاعيان بحيث تكون لهم اغلبيّة الاصوات

وكل ما نقولهُ قد اثبتهُ رسميًّا نائب باريس المسيو براش (L. Prache) رئيس اللجنة المعيَّنة للتنقيب عن اعمال الماسونيّة فبيَّنهُ اجلى بيان في خطبتهِ التي القاها في مجلس النوّاب في ٢٠ آذار سنة ١٩٠٢ وقد أتى ببراهين لا يستطيع احد انكارها فأطلع رصفاءهُ على كتابات سريّة للماسون توفّق الى اكتشافها من جملتها رسائل عديدة لعمدة الماسون يحلّون فيها ويربطون ويتصرّفون كما شاؤوا بكل دوائر الدولة في البحريّة والجنديّة والمعارف والامور الداخليّة والخارجيّة كأنّهم هم الدولة ليس سواهم . ثم نشر المسيو براش كل هذه الدفائن في كتاب تكرَّر طبعهُ هو تحت نظرنا ونحن ننقل هنا عنوانهُ

La pétition contre la Franc-Maçonnerie à la 11° Commission des pétitions de la Chambre des Députés. *Exposé présenté à la Commission* par L. Prache député de Paris rapporteur, *Paris, Hardy et Bernard, rue de Bondy*, 80

وفي هذا الكتاب رسوم الكتابات الاصليّة مصوَّرةً بالشمس تشهد بصحّة اقوال الكاتب

وما نقولهُ عن فرنسة يصدق عن كل بلد قويَ فيهِ العنصر الماسونيّ كما ظهر آخرًا في فتن بلاد البرتغال ولاسيما في اسبانية بعد ان حُكم بالموت على الماسونيّ التوضوي فريّر وقد رأينا في اصقاعنا نهضة الماسونيّة منذ أُعلن بالدستور وما مرّ علينا بعض اشهر

حتى ذقنا من اثمار تلك الشجرة السيئة فقام ماسون بلادنا وقعدوا لضبط ازمّة السياسة وعلى الاقلّ لعقد الاحزاب السياسيّة وتغليب آرائهم الثوريّة بالقاء الخطب وتمثيل الروايات ونشر الجرائد والتنديد بالاكليروس لا يأخذهم في ادراك مآربهم لومة لائم

٣ (هي مماكسة للسلطة الدينيّة) قد اثبتنا ذلك بالشواهد النيّرة التي لا يمكن نقضها وها نحن نضيف اليها ادلّة جديدة قال الاخ ° فرنند فور (F. Faure) في مؤتمر الماسون سنة ١٨٨٥: «يُقضى علينا بان نستأصل من فرنسة كل نفوذ دينيّ على ايّ صورة يظهر وايّ هيئة يلوح». قال الاخ ° برودون السابق ذكره: «ليست الماسونية سوى نكران وجود العنصر الدينيّ»

وذلك ما وضعهُ كاساس الماسونيّة وركنها الاصليّ احد منشئيها آدم ويسهوبت فنشرَ رسالةً لهُ عن مذهب المنوّرين الماسوني بهذا العنوان «تعليمات للداخلين (في الشيعة الماسونيّة) المائلين الى حماقة الاعتقاد بالله والسجود لهُ» ومن كلامهِ في هذه الرسالة قولهُ: «ينبغي لمن يسعى في العمل لغبطة الجنس البشري ان يناوئ ويُضعف كل المبادئ التي تشوّش راحتهم وغبطتهم منها جميع المذاهب التي تشين شرف الجنس البشري وتبخس كمالهُ وتقلّل الثقة بقوى الطبيعة كالمذاهب الالهيّة والسرّيّة وكلّ ما لهُ علاقة بهِ كالمبادئ التي تصدر عن معرفة الله»

وقد قلنا سابقًا انّ الماسون يناوئون خاصّة الديانة المسيحيّة ولاسيما الكاثوليكية التي وحدها الى اليوم تصدّت فعلًا لغاياتهم الوخيمة. قال الاخ ° كُنراد في الجريدة الماسونيّة بوهوت المطبوعة في ليبسيك: «انّ عدوّنا الالدّ هو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية البابويّة المعصومة مع نظامها العام الشديد الوثاق فهي عدوّنا الابدي فان شئنا ان نكون ماسونيين حقيقيين وفضلاء راغبين في فوز جمعيتنا فعلينا ان نكرّر على رؤوس الاشهاد قائلين: نحن فرمسون ليس الّا ... فلا ندحة لكم اذن عن احد هذين الامرين فاما ان تكونوا مسيحيين واما ماسونيين فاختاروا ما شئتم»

فاستنتجْ من هذه الاقوال صحّة ما يخدع بهِ الماسون في بلادنا الشبّان الاغرار حيث يؤكّدون لهم قائلين: «انّ جماعتنا لا تتعرّض للديانات المختلفة المنبثّة في العالم ولا لهيئات الحكومة لانّ مقامها في دائرة عليا تتجلّى فيها فتحترم الايمان الديني وتتحاشى المنازع السياسيّة التي بين كل عضو من اعضائها»

٤ (بل هي معاكسة لكلّ سلطة مدنيّة) ما احرى بمن ينكر وجود الله عزّ وجلّ ان ينكر ايضاً وجود كل سلطة مدنيّة فانّ بين القضيّتين عروةً وثقى بل قل وفاقاً تامًّا غير منفصم لأنّهُ ليس سلطة الّا من الله تبارك وتعالى كما صرّح بهِ الرسول المصطفى (رومة ١٣ : ١) فان مرق الجاحد من الدين لا يلبث ان تثور في قلبهِ ثائرة العصيان على السلطة الشرعيّة التي لم يبقَ لها سند متين فلا يعتبرها الّا كسلطة مدنيّة مختلسة يريد سلبها من ايدي اصحابها ليحصل هو عليها بدلًا منهم وذلك بايّ اسم كان فيصرخ كابليس يوم عصيانهِ على الخالق: لست اخدم ولا أطيع

ولبيان هذه القضيّة نورد هنا بعض اقوالهم في كتبهم السرّيّة التي وقعت في ايدي الباحثين او اعلن بها قومٌ منهم بعد توبتهم فما يُقسم بهِ «المتنوّرون» قولهم: «اني اقطع كل الروابط الماديّة التي يمكنها ان تجمع بيني وبين ايّ كان من البشر كالاب والام والاخوة والأخوات والزوج والاقارب والاصدقاء والملك والرؤساء والمحسنين وكل من حلفت لهُ بالأمانة والطاعة او عاهدتهُ بالشكر والخدمة (١»

فليس اذن للماسوني ربٌّ ولا اله ولا سيّد آخر الّا زعماء الماسونيّة الذي هو في ايديهم كآلة عمياء يحرّكونها كيف شاؤوا وان طلب منهُ اولئك الزعماء ان يضحّي ما كان اعزّ لديهِ حتى دينهُ ودنياهُ لتنفيذ مآربهم لا مناصَ لهُ من ذلك . فلعمري انّ المسيح ذاتهُ لم يطلب طاعة كهذه وهو الذي يؤمر ان يُعطى ما لله لله وما لقيصر لقيصر وتقدَّم بمحبّة القريب كمحبّة النفس . وغاية ما امر ان يُفضّل الله على المخلوقات حتى على الاهل والاقارب في حين وجود النزاع بين الله والبشر

اما كون الماسونيّة معادية لكلّ سلطة مدنيّة فيظهر ظهور الشمس في رابعة النهار من تاريخ كل الدول الاوربيّة منذ الربع الاخير من القرن الثامن عشر فانّ الاوراق السرّيّة التي اكتشفتها الحكومات المختلفة في ايدي الماسون وفي بيوتهم ومحافلهم لو نُشرت بتمامها لتألّفت منها مجلّدات ضخمة تشيب من مضامينها رؤوس الاطفال ولعلّ ثمانية اعشار الذين قُتلوا في هذه المدّة من ملوك وسلاطين انّما قُتلوا بمكايد الماسون او بيد المنقادين لاوامرهم ولو اردنا سرد اسمائهم لطال بنا الجدول (لهُ بقيّة)

---

١) كتاب السيّد فافا (Mgr. Fava: *La Franc-Maçonnerie*, p. 137)

الكتاب الابيض

رواية معرّبة بقلم احد الاباء اليسوعيين

كان في احدى مدن فرنسا الغنيّة على ريف البحر المحيط تاجرٌ مثرٍ يُدعى ملكيور كانت سفنهُ العديدة في القرن السابع عشر تمخر غمار البحار وترمي مراسيها في جميع البلدان مقلّةً انفس محاصيل بلادهِ فتودعها تلك الاصقاع وتُتقايض بها محصولات تلك الاراضي الشاسعة الغريبة ثم تأوب قافلةً وتستودعها مخازن التاجر فيبيع ملكيور تلك المحاصيل ويملأ صناديقه من الذهب الوضاح . فاخذ من ثمّ صيتهُ يذيع في الامصار وبات احدوثةً بين الرفيع والوضيع والقاصي والداني الى ان ضُرب بهِ المثل فقيل فيمن احرز نشباً واصاب غنًى : « فلانٌ سعيدٌ كملكيور »

ومن اسباب سعادتهِ انهُ مع ما كان عليهِ من الثروة الطائلة اقترن بزوجة عاقلة ذات جمال ورصانة فرزقهما الله ثلاثة بنين نشأوا مزدانين بالفضيلة والطاعة وخوف الله . ولا تسَل عن اصحابهِ العديدين الذين كانوا ينتفعون من معاملتهِ ولا عمّا احرزهُ من المجد الباذخ والاعتبار السامي بين اهل وطنهِ فكنت ترى الجميع يتسابقون الى خدمتهِ ويتبارون في اظهار المنونية لاعمالهِ الخطيرة التي اكسبتهم ثروةً عظيمةً ورفعتهم من حضيض الذلّ الى ذروة الشرف . تلك هي سعادة العالم لولا انها لا تدوم اذ لا شيء على الارض باقٍ فبعد زمن قليل مال المال وحالت الحال .

ان الحوادث والخطوب اذا سطتْ أودت بكلّ موثّق الاركانِ

*

ما عتّم الدهر ان قلب لهذا الثري المسكين ظهر المجنّ . فاناخت الخطوب في بابهِ واخذت الاخبار المحزنة تتوارد عليهِ من كل صوب وناحية . فتارةً تنبئهُ بان مراكبهُ العديدة قد تحطّمت فبادت عن آخرها . وطوراً تخبرهُ ان شركاءهُ قد افلسوا . وحيناً ان اصدقاءهُ قد سدّوا دونهُ باب المساعدة وأقفلوا في وجههِ يد المعاضدة . وآونةً ان ابناء بلدتهِ قد أعرضوا عنهُ فعاد بينهم نسياً منسياً كأنهُ لم يكن :

كم من صديقٍ لبذل المال صاحبني وصاحبٍ عند فقد المال خلّاني

لم يمض على ملكيور بضعة اسابيع إلّا وألجئ لن يبيع مـا ملكت يداهُ من قصور شاهقة وعقارات وخيل ومواشٍ واثاث فاخر وتماثيل بديعة الصنعة سدًّا لحاجتـهِ ووفاء لديونهِ. فشقّ ذلك على امرأتهُ وتأجّجت نار الاسى بفؤادها ولم يكن في وسعها احتمال هذه الفضاضة بعد تلك السعادة ولا ارتشاف كأس الذلّ والهوان بعد التقلب على وثر الهناء والرخاء. فأصيبت بداء عقام عيت دونهُ حيـل الاطبّاء ففارقت عالم البوار

وصروفُ الدهر في اطبـانهِ حلقةٌ فيها ارتفاعٌ وانحدارْ

فما لبثت الغموم والاحزان وسهر الليالي ان اضنكت جسم ملكيور المنكود الحظ واوهنت عزائمهُ وطرحتهُ على فراش الآلام. فبينما كان مسـاء احد الأيام كنت ترى اولادهُ الثلاثة يحيطون بهِ ويظهرون لوالدهم المحبوب امارات الانعطاف والمحبـة والاعتناء. فتارةً يسندون رأسهُ وطورًا يقبّلون يديهِ وحينًا يدفّئون رجليهِ الخابلتين. امّا هو فكان يكرّر عليهم هذا الكلام الصادر من قلب محروق: كفّوا اولادي. كفّوا عن هذا الاعتناء الذي لا يجدي نفعًا لن هذا الجسم سيصبح عمّا قليل عديم التـألم. دعوني اراكم واعانقكم وأصلي الى الله كي يحفظكم سالمين ويمدّكم بنعمتهِ وحمايتـهِ القديرة اذ لم يبق لكم نشبٌ ولا عاضد يعضدكم في هذه الدنيا. واحزناه ما امرّ الموت وارهبهُ على والدٍ يترك اولادًا ثلاثة يعانون الفقر فراشهم المدَر ووسادهم الحجر!

قال يوحنّا ابنهُ البكر ممسكًا دموعهُ: ابتِ طب نفسًا لا تبالِ بما سوف يطرأ علينا من الحوادث اليس الله جلّ جلالهُ باقيًا لنا وقد استجرت بهِ وطلبتَ لنا منهُ عونًا فبركتك تحلّ علينا وتنال لنا التوفيق

قال جول ابنهُ الثاني في العمر: ابتِ قرّ عينًا انّنا سنقيم على محبّتـك ما حيينا ونحيي ذكرك ما دام فينا رمق

قال ايمار الولد الاصغر: ابتِ سرّ عن قلبك وأجلِ كربك عمّا قليل تُقابلك والدتنا العزيزة فحدّثها عنّا

فاخذ حينئذٍ المحتضر يدير بصرهِ في اولادهِ واذا بتقاطيع وجههِ قد ابرقت وبدت على محياهُ امارات الامل العذب والتنفّس فبدّدت تلك الغيوم المظلمة واخمدت جمرات الحزن وكشفت عن قلبهِ الغموم فعادت السكينة التي كان فقدها من جرّاء ما عانى من مضض البلوى والتقلّب على جمرات نار الشدائد. وفي اثناء ذلك سُمع في الخارج صهيل

... واذا بفرس ابيض من الخيل الأصيلة يبدو ساحباً وراءهُ لجاماً فوقف عند الباب ثم وَلي ذلك الصهيل نباح كاب... كلب ضخم قد اسرع الخطوات وفي عنقه سلسلة تطوّقهُ. فحصل اذ ذاك سكوت تام

لم يمض رَدَح من الزمان إلّا وفتح طارقٌ باب الدار فدخل وجثا عند رجلي المحتضر وقال: «سيدي ملكيور لمّا بلغني ان حياتك في خطر أتيتُ اقضي فرضاً مقدّساً ليس هو الّا اسداء الشكر على ما اوليتني من نعمك مدّة حياتك واسبغتَ عليَّ من احسانك. ومن جملة جزيل عطاياك هذا الفرس وذاك الكلب. فهاكهما خارجاً. لانهما ابيا الّا الرجوع الى حظيرتهما القديمة... أجل سيّدي. طالما قد اظهرت لي حنوًّا وانعطافاً كلّما استنصرتك على جور الزمان. كم من مرّةٍ وجدتني معوزاً فانتشلتني او مجدباً فاخصبتني او حزيناً فسليتني:

فما لي لا أعطي ثناءك حقّهُ وأثني على جدواك في السرّ والجهر

بل كيف اقوم بواجب حقك عليَّ واي شيء يملك فقير مثلي غير الدُّعاء»

فكان كلام هذا المسكين للتاجر ألطف من نسيم الصبا واعذب في فم الظمآن من الماء الزلال والذّ من العافية لصاحب السقام. فاجال المحتضر طرفهُ في الفقير وشارات الفرح تتلألأ على محيّاهُ ثم ألقى بنظرهِ الى خارج الدار فسرَّ برأى الفرس «ريح» الذي اخذ يتشمّم مولاهُ وبرؤية الكلب «فرّاس» الذي كان ينبح ويصبص بذنبهِ عند نظر سيّدهِ وكان الفقير جاثياً يصلّي ويقربهِ الاولاد الثلاثة يكفكفون دموعهم...

فاخرج حينئذٍ ملكيور كتاباً من حجرهِ وقال بصوتٍ خافت متقطّع... «اولادي لم يبقَ لي ملكٌ اخلفهُ لكم سوى هذا. دونكم الكتاب احفظوهُ كذخيرة ثمينة من ابيكم وعدوني بانكم تتروّوا في محتواهُ وترضخوا لما يأمركم به». فمدَّ كلٌّ من اولادهِ الثلاثة يده اليمنى ووضعها على راس والدهِ واستشهدوا الله بان يحفظوا اتمَّ الحفظ وصيَّة ابيهم فاردف ملكيور قائلاً: «الآن اموت قرير العين». ثم اجهد نفسهُ وعانق اولادهُ الثلاثة المعانقة الاخيرة. ثم تنهّد الصعداء ولفظ روحهُ البارّة بسكينة وهدوء

كان الاخوة الثلاثة في آخر حياة ابيهم قد كتموا ما في فؤادهم من نار الاسى مخافةَ ان يحزنوا والدهم في الساعة الاخيرة ويعجّلوا حمامهُ. فلمّا اصبحوا يتامى اطلقوا العنان لحزنهم واسترسلوا في البكاء والنحيب. فشارك الاولادَ في حزنهم الفرسُ

والكلب اللذان سمعا نوح اليتامى وعويلهم فاظهرا من الكآبة ما كاد يخيّل للناظر انهما ناطقان فالفرس ينحص برجلهِ الارض والكلب كان ينبح نباحاً كشبه العويل . . . امّا الوافد المسكين فكان يصلّي بإخبات بلا انقطاع

بيدَ ان الرياح حملت صُراخ الاولاد وتحيبهم الى متملّك قصر ملكيور ومقتني امواله فازعجت راحتهُ ونغّصت عيشته وعكّرت صفاء جوّهِ الذي كان يحمل اليهِ الروائح العطريّة الفائحة من زهور روضتهِ الغنّاء . والريح ان هبّت على عطر طابت

فدعا خدَمهُ وقال لهم : اذهبوا حالًا الى حيث كان ملكيور واخرجوا أولادهُ من الكوخ الذي كنت من امدٍ مديد قد رخّصت لهم الاقامة فيهِ . امّا الآن وقد مات الاب فليُدفن على الفور . ثم لينصرف الاولاد الى حيث شاؤوا ليرتادوا معاشهم

فقام الخدَم وأجروا في الحال امر سيّدهم فاتوا الى اليتامى وكرّروا على مسامعهم كلام معلّمهم الذي يفتّت الاكباد ويشعل الحسرات — ثم رغب الخدم ان يقبضوا على الفرس والكلب غنيمةً باردة . امّا البهيمتان الامينتان فأبتا بل جمعتا كل قواهما واخذتا تتبادلان المدافعة فكانت « ريح » تردُّ بقوائمها من كان يريد ان يقبض على الكلب وكان « فرّاس » يعضُّ من يحاول ان يمسك الفرس . حتى ان الخدم اقرّوا لهما بالغلبة ورجعوا خائبين وبقايا ثيابهم مخرّقة . ففكرَ حينئذٍ الاخوة ان الواجب يقضي عليهم بان يدفنوا اباهم بتجلّة واكرام فساعدهم الفقير بوضع الجثّة على ظهر الفرس ثم قصدوا احدى الضواحي البعيدة والكلب يتقدم الجميع — فمالت الشمس للمغيب وارخى الليل رواقهُ وكان ضوء القمر ضئيلًا يظهر المرّة بعد الاخرى كأنهُ يقاسم الاخوة اسفهم . ولم يزالوا يتابعون سيرهم الى ان انتهوا الى كنيسة دير قديم فانزلوا الجثّة من على ظهر الفرس ووكّلوا الى الفرس والكلب بحراستها . ثم ذهبوا الى المقبرة ليضرحوا للميت ضريحاً

ولمّا اسفر النهار ولاح الجوُّ بالانوار اقام احد رهبان ذلك الدير قدّاساً لراحة نفس ملكيور . ثم اخذ الاولاد جثة ابيهم وذهبوا بها الى مقرّها الاخير . وقبل ان يواروها اللحد تقدّم يوحنا اكبر الاخوة وفاه بهذه الكلمات : ابانا المحبوب انّنا سنرجع اليك في

مثل هذا اليوم بعد سبع سنوات. فنسألك هذه المهلة لنكون اهلاً لاسمك وجديرين بذكرك. الان نحن بسلام. نستودعك الله

قال المسكين: اين تذهبون؟

قال يوحنا: حيث يمكننا اكتساب معاشنا. وانت ايها الشيخ الصالح اين تذهب؟

قال: امّا انا فألبث هاهنا تحت رواق الكنيسة انتظركم سبع سنوات الى مثل هذا اليوم متمتعاً من صدقات المسيحيين

قال يوحنا حانياً رأسهُ: باركنا ايها الشيخ. انت الذي حافظت على محبة والدنا

فدّ السائل بيديهِ الضعيفتين المرتجفتين على رأس اولاد ملكيور وباركهم. ثم اشار الثلاثة باصبعهم الى المقبرة قائلين للفقير بصوت واحد: عهدنا بهذا الموضع في مثل هذا اليوم بعد سبع سنين ثم رسموا اشارة الصليب. وامتطوا ثلاثتهم صهوة الفرس. وقالوا: باسم الله مجراها — هذا وكان بفناء الكنيسة ثلاث طرق لا يدرك الطرف آخرها فبات الاخوة على غمة من امرهم لا يعرفون اي طريق من الثلاث يسلكون فاخذ الواحد يستشير الاخر. وهم كذلك واذا بالكلب تقدمهم آخذاً الطريق الوسطى ملتفتاً اليهم يمنةً ويسرة كأنهُ يخاطبهم أن: اتبعوني هذه هي الطريق. فارتأى اليتامى انّ في اقتفاء آثار الكلب نجاتهم. فأرخوا العنان للفرس «ريح» وهذه اخذت تعدو اثر الكلب. ولمّا احسّت بأنها حاملة ابناء سيّدها ملكيور جعلت تنتهب الارض وتهزّ رأسها عجباً

كان ليوحنا من العمر ست عشرة سنة وجول خمس عشرة ولايمار اثنتا عشرة وكان منظر الفتية الثلاثة رائعاً ونضارتهم رائقة وكان لبسهم مركباً من كتة من مخمل اسود وكساء جوخ اسمر مائل الى الاصفرار يتّصل الى الركبتين وحزم جلد اسود مطلقاً بهِ هميان لكنّ ذلك الكيس لسوء الحظ كان فارغاً

مضى على الثلاثة بضع ساعات وهم سائرون حتى بلغوا غيضةً فنزلوا هناك ليأخذوا نصيباً من الراحة. واذا بيوحنا فاتحهم الكلام: اخوتي ما العمل في اوّل مدينة ندخلها؟ اقولُ لكما اني احبّ التجنّد وجلّ رغبتي ان أدافع عن وطني

قال جول: اما انا فاريد الانتظام في سلك دعاة الدين لاصلّي لاجل ابي ولاجلكم

قال ايمار: التصوير يلائم ذوقي. فارغب الانخراط في مصاف من شرّفوا بلادهم بالفنون الجميلة.

اجاب يوحنا: لكن لسنا على شيء من امور هذه الدنيا. من يثقفنا ويعلّمنا السلوك بين الناس

قال جول: بالصواب تكلّمت لا نستغني عن مرشد يهدينا سواء السبيل

قال ايمار: دعنا نفتح الكتاب الذي ورثناه من والدنا

حينئذٍ اخرج يوحنّا الكتاب من تحت كسائه. فدُهش بادئ بدء من اتقان صنعة دفّتيه اللتين كانتا من جلد المعز الاحمر مزدانتين بقفل ثمين ففتحهُ بكلّ احترام. فاذا بالصفحة الاولى كُتب عليها هذا البيت بحروف ذهبيّة:

من يفعل الخير لم يعدَم جوائزهُ . لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

فبعد ان قرأ البيت بصوت جهور قلب الصفحة الثانية والثالثة . . . . فاذا بالصفحات كامنٌ بيض. فلزم يوحنّا الصمت برهةً ثم قال: كنت اودّ ان يكون فيه حكمٌ أخر

قال جول: ان ظروف الحياة وصروف الدهر تتقاضى حكماً كثيرة

قال ايمار: بل ان بهذا لغايةً. لا شك ان هذه الحكمة تتضمّن معاني بليغة أما قال لنا ابونا انّا إن حفظنا ما ضمن الكتاب اتمّ الحفظ بلغ الله بنا من السعادة والمنزلة غايةً

قال يوحنّا: نعم ما قلتهُ. ثم طبق الكتاب ووضعهُ على صدرهِ كذخيرة مقدّسة لا تُثمّن

هذا ولما كانوا غائصين في بحور الافكار اذ سُمع عن بعدٍ عُواء كلبهم فرّاس وهو واقف على حافة طريق بقرب خندق. ثم ما لبث ان أتى اليهم مسرعاً وهو ينبح ثم رجع على الفور الى حيث كان

قال يوحنا: لا شك ان فرّاس بفعلهِ هذا يدلّنا على انهُ وجد شيئاً ثميناً فيا حبّذا لو كان حساماً فيكون لنا عوناً ضد الاشرار

قال جول: إذا كان صليباً كان لنا سعداً

قال ايمار: ما احسن ما يكون حظّنا لو كان ثمّ كنزٌ فترجع على اعقابنا فنبني ضريحاً لائقاً بوالدنا وملجأً لهذا الفقير الصالح المثابر على الصلاة

ثم اتى الاخوة الى حيث كان ينبح الكلب فلم يجدوا شيئاً مما أملوهُ ولمّا رأوا في الخندق ثلاثةً من النوَر لونهم لشبه بلون النحاس سود الاعين مفلفلو الشعر مجرّدون بكل فظاظة ابنةً صغيرةً من ثيابها الفاخرة فدُهش الاخوة من هذا المنظر وسأل جول وايار اخاهما يوحنّا: « ما يقول الكتاب الابيض ؟ » اجاب يوحنّا وهو يطفر من على فرسهِ: « من يفعل الخير لم يعدم جوائزهُ » ثم صرخ الى اخوتهِ: علي بهؤلاء الاشقياء. ونزل الى الخندق فتبعهُ على الفور ايار وقبضا على عُنق احد النوَر ووثب الكلب على الآخر وطار ايار وكرَّ على الثالث فصرعهُ وضبطهُ تحت قوائم فرسهِ. فلما رأى هؤلاء الاشقياء ان لا مناص لهم من ايدي الاخوة اخذوا يسترحمون ويستعطفون فتجاوز الاخوة عن ذنبهم واطلقوا سراحهم فولّوا هاربين وكفَّ فرسان عن النباح. ثم دنوا الى الابنة الصغيرة ليحلّوا رباطها. فلمّا رأت الفتاة أنها نجت من اعدائها اخذت تتملّص مما البسوها من الثياب الرثة وحسرت لثامها الذي منعها من الصراخ وطلب النجدة. فتلألأت غرّتها وتألق اذ ذاك حسنها ثم جثت على ركبتيها وضمّت يديها الصغيرتين المحمرّتين من اثر الحبال التي رُبطت بها شاكرةً الله بكل قلبها على خلاصها من ايدي الكَفَرة وحدّقت بعين الشكران الى الاخوة الذين ارخوا خناقها. ثم اجهشت بالبكاء. فرقَّ لها يوحنّا والتفت اليها قائلاً بلطف: تُرى ما يمكننا ايتها الفتاة ان نفعلهُ لنمدّ لكِ يد المساعدة

فلمّا سمعت الفتاة ذلك الكلام المملوء شفقةً اخذت تنشّف دموعها ثم اجابت: اطلب منكم ان توصلوني بسرعة الى قصر جدّي. لكن العجلة العَجلة فسأقصّ عليكم في الطريق قصّتي المحزنة وما ذقتُ من العذاب واحتملت من ضروب النكال

فركب جول واردف يوحنّا وايار الابنة ثم سارا على جانبيها ماشيين وكانت الابنة تشير الى الطريق فجازوا اولاً في الحقول ثم وسط غابة كثيفة ولم يفوهوا ببنت شفة مراعاةً لحرمة الفتاة الى ان سبقتهم هي بالكلام وقالت بصوت مؤثر يأخذ بمجامع الفؤاد: « انا بنت الكنت دي ساڤوزي الراسخ النسب الكثير النشب ذي الحول والاقتدار. احد كبار قوّاد مولانا الملك. البارحة مرَّ بالقرب من القصر نوَرٌ فاستأذنوا جدّي الامير في ان يأتوا بضروب من الرقص وافانين من الالعاب المعجزة. فقبلهم جدّي كملالة لي ابتغاء ان يُريح نفسي هنيهة عن الدروس التي كان كاهن القصر يلقيها عليَّ. فكان مع هؤلاء المشعوذين قردٌ غاية في النباهة فعلقت بهِ ورغبت الحصول عليهِ. هذا ومخافةَ ان

طلبي لا يجوز قبولاً لدى ظاري وان هذه الصفقة لا تقع عندها موقع الرضى. استترتُ عنها وصعدت الى حجرتي لآخذ هميانيَ ثم اتيتُ الى النور دون ان يراني احد من الخدم فلمَّا رآني هؤلاء الانذال وحدي سدُّوا فمي وربطوني وجعلوني في كيس كبير ثم وضعوني كحزمة على فرس واجتازوا بي بجراءة امام بوَّابنا الشيخ. ولما ارخى الليل رواقهُ أتوا بي الى هذه الغابة وسلبوا اثوابي الثمينة وتقاسموها بينهم وألبسوني ثياباً رثَّة كما ترون وارادوا ان يتخذوني أمةً في سبيل مآربهم ولولا قدومكم لكانوا ذهبوا بي بعيداً جداً فأكرهوا على ان يختبئوا ويحجبوني عن الابصار في اسفل هذا الخندق حيث كلبكم فرَّاس احسَّ بهم واوقفكم بنباحهِ عن مخبَّآت صدورهم

ثم تنفَّست الفتاة الصُعداء وقالت: لقد استوجبتُ هذا النصيب بجهلي ولو لم احتجب عن ربيبتي لما حدث لي شيءٌ من ذلك

قال يوحنا برزانة: إنَّا نحمدُ الله على هذه المنَّة العظيمة ونشكرهُ شكراً لانهُ سوَّغ لي ولاخوتي ان نخلصكِ من ايدي هؤلاء الاوباش. فهذا نعدّهُ سعداً وطالعاً ميموناً لنا

وما اتمَّ يوحنا هذا الكلام حتى خرجوا من الغابة فصاروا بازاء قصرٍ قديم العهد مجنَّح بسبعة ابراج صغيرة يحيط بهِ خندق ولا يُدخل اليهِ الَّا من جهة واحدة على منبر نقَّال ولحسن الجد والتوفيق كان هذا المنبر وقتئذٍ موطَّأً. فقالت الابنة: أترون هذا الشيخ الجليل الذي يتمشَّى على سطح البرج الاعلى هذا الامير ساقوازي جدّي المحبوب ها انهُ ينظر عن بعدٍ نظرة مكتئب علَّهُ يرى ابنتهُ العزيزة قافلة صحبة من بعث من الخدم لتفقُّد امرها. ثم اخذت الكونتس الصغيرة تصيح بكل قواها مادَّةً ذراعيها نحو السطح: «جدّي: جدّي: ها اني راجعة بسلام طبَّ نفساً وقرَّ عيناً»

وكان الشيخ موجِّهاً نظرهُ الى الثلاثة الوفود والى الابنة التي معهم فحدَّثتهُ نفسهُ انَّ الفتاة هي ضالَّتهُ المنشودة بعينها. فنزل بسرعة من على السطح واتى الى اسفل درج القصر منتظراً. هذا ولما دنوا من المنبر النقَّال اخذت الفرس ريح تصهل والكلب فرَّاس ينبح الى ان ولجوا فناء القصر فاذا بالشيخ واقف فحيَّاهُ الاخوة بالسلام وسلَّموهُ الفتاة فسُرَّ برآها ايَّ سرور فعانقها اذ ذاك معانقة الوالد لحشاشة كبدهِ ولشدَّة ما نالهُ من الجزل لم ينتبه الى خلقتها المشوَّهة بل اخذ يكرِّر هذا الكلام: «كلوديا. كلوديا

عزيزتي قد رجعتِ الى جبلكِ الكئيب . الهي اني اشكرك على هذه النعمة العظيمة . كلوديا حبيبتي قد رأف بي الربّ واتاح لي ان اراكِ ثانيةً ولم يعدمني وجودكِ فأموت بسلام »

اجابت : « حاشاك جدي وجُعلتُ فداك . ولكني ارجوك ان تصفح عن غباوتي اذ القيت نفسي في ايدي اولئك الصعاليك فانظر ما صنعوا بي » . قالت هذا وتسترّت بشعرها الطويل الجميل وغطّت رجليها الصغيرتين العاريتين المتلوّثتين بالطين وصمدت مسرعةً الى حجرتها . فاتت اليها حينئذٍ ربيبتها واخذت تضفر شعرها وتغسلها ثم البستها ثوباً من صوف ابيض وهي في اثناء ذلك تقرّعها على فعلها وتوبّخها على استسلامها لاناسٍ ادنياء . فاستذلّت الفتاة واقرّت بذنبها واستكانت

لمّا اتت كلوديا لبسها نزلت على الفور ودخلت في خزانة الاسلحة حيث كان الامير ساقوازي فعانقتهُ والقلب يطفح سروراً ويطرب حبوراً . ثم ادارت بصرها فيمن حولها فلم ترَ منقذيها فاضطرب بالها وقلقت افكارها واخذت تنقّر عنهم وتسأل : اين الكلب الذي وجدني : اين الفرس الذي اتت بي الى منزلي ؟

قال جدُّها : « ابنتي طيبي نفساً انني قد امرت ان يُحتفى بالثلاثة الغرباء ويُكرم مثواهم . ثم اردف متبسماً لكنني نسيت المنقذَين الاخيرين . اي الكلب والفرس » . فجعلت الفتاة تعانق جدّها ذارفةً الدموع وهي تقول : ان جدي قد قصّر في الامتنان للمنقذَين وفاتهُ الشكران للاثنين . أما انهُ لولا الكلب والفرس لكانت كلوديا في رقّ عبوديّة اولئك الأعلاج ولكان اصبح جدُّها الامير يتأوّه ويتقلّب على نار الاسى ويقول لعلّ وعسى

وفي اثناء ذلك دخل اولاد ملكيوز الثلاثة ليودّعوا الامير والابنة فحيّوا الامير بالسلام بكلّ وقار واحترام ثم قبّلوا يد الفتاة الاميرة . لمّا هذه فسُرّي بدخولهم هشّت وثلج بمرآهم صدرها . فطفقت تهشّ لهم وتبش وتؤنسهم بالمقال امّا هم فدُهشوا من اثوابها الثمينة وبُهتوا من حلاها النفيسة وأُشكل عليهم مرقاها بهذا الزيّ الباهر . اما الاميرة الصغيرة فانّها قالت لهم متأثرة : « اقبلوا مني اسيادي الشكر الجسيم لما تجشمتم في سبيل انقاذي من المخاوف وركبتم الاهوال لتنشلوني من مخالب اولئك الوحوش

الكواسر. وحملتم انفسكم على المتالف لكي تطلقوا وثاقي فما احراكم بالشكر والثناء ابد الدهر

فاحنى يوحنّا اذ ذاك رأسهُ وقال : إنّنا نرانا سعداء ايتها الاميرة الشريفة لأننا فككنا أسر ابنة كريمة المغرس مثلك واعدناها الى أسرتها الحزينة (البقيّة لعدد اخر)

نظر عام في اخص حوادث العام

للاب لويس رترفال اليسوعي

هذه سنة عسرة ماديًا وادبيًا قد انقضت فبارحتنا الى الابديّة. وقد احسّت بثقلها كافّة الدول الّا انّ عبئها كان اثقل على اعناق دولتنا التركيّة. نعم انّ الحرب التي كانت تتهدّدنا بعد الارتباكات الناشئة بين الحكومة السنيّة والدول المجاورة لها كالنمسة والبلغار والسرب لم تستعر نيرانها والحمد لله الّا انّ النفوس ظلّت في اضطراب وقلق الى شهر آذار حيث انقشعت تلك السحابة عن جوّنا بالمعاهدة النمسويّة والتركيّة في الاستانة في ٢٦ شباط ثم بالمعاهدة التركيّة البلغاريّة في بطرسبورج في ٢ آذار بفضل توسّط روسيا وخمدت ثائرة سربيًا فأعلنت في ٣ منهُ بانّها راضية بحكم الدول الاوربيّة فتنازل اميرها جرج عن ولاية العهد

وما مرّ على ذلك بضعة اسابيع حتى اكفهرّ الجوّ ثانيةً وثارت في مركز العاصمة ثورةٌ مهولة ابدلت للمسيحيين افراح عيد الفصح بأكدار مفجعة. فمن ١٣ نيسان الى ٢٧ منهُ قام الارتجاعيّون بمظاهرات ومشاغب وفتن هيّجها السلطان عبد الحميد وكان اكتسب بالمال والهبات فئات من الجند فانتصروا لهُ وأسالوا الدماء في دار السلام وألجأوا المبعوثين الى الفرار فذهب ضحيّة هيجانهم اكثر من مئتي ضابط مع وزير البحريّة وشهيد الحريّة وطنيّنا واحد طلبة كليّتنا في بيروت الامير محمّد ارسلان. ولولا مسير جنود سالونيك الظافرة يقودها الفريقان محمود شوكت باشا وحسين حسني باشا فاستولت بسرعة غريبة على قلاع العاصمة وردّت كيد الارتجاعيين في نحرهم لأضحت اسطنبول منقعًا لدماء الاهلين. هذا ما سمعناهُ في رحلتنا الاخيرة الى الاستانة وادركنا في الصيف المنصرم من افواه الوفٍ من شهود العين ويمكن الاطلاع على تفاصيلهِ في

المجلات الاوربيَّة نخصّ منها مجلّة المباحث (Etudes, 5 Mai, p. 337 seq.) ومجلّة العالمين (Revue des Deux-Mondes. 1909, Mai-Septembre) على انَّ نجاة اهل العاصمة لم يحظَ بها نصارى ولايتي حلب وآطنه فحدث هناك من المجازر والفظائع المهولة ما تقشعرّ له الابدان وقلّما تجد لهُ شبهاً في اساطير الامم الهمجية. وقد بيَّنا في مقالة سابقة كتبناها في ختام السنة الاولى للدستور (المشرق ١٢ : ٥٦٢—٥٦٩) مَن كان المتولي لتلك الاعمال الشائنة وعلى من تعود المسئولية فيها فانَّ صداها لا يزال حتى اليوم يدوي في قلوب كل العثمانيين الاحرار فضلًا عمَّا أُصيب بهِ اهل الضحايا الذين لم ينالوا ما كان يؤمّلونهُ من التعويض ليقوموا بأود معاشهم. وقد فتحت هذه الحوادث المشؤومة هوَّة كبيرة بين عناصر الدولة المختلفة وكان املنا بعد اعلان الدستور ان تمتزج بعضها امتزاج الماء بالراح والابدان بالارواح لتعيش في ظلّ الاخاء والمساواة والعدل. ويا ليت القلوب تنجبر بعد انكسارها وتأتلف بعد نفورها

وممَّا زاد في كدر سنتنا امور اليونان ومسألة كريت. ففي ١٥ حزيران وجّهت الدولة اليونانيَّة قراراً للدول تتشكّى فيهِ من تعدّي تركيا على حقوقها في جزيرة كريت فما عتمت الدولة العليَّة بان اجابت على هذا القرار واعلنت بسيطرتها على كريت. وبعد ذلك بقليل (في ١٤ تموز) اقرَّت الدول لتركيا بحقوقها ثم استدعت في ٢٤ منهُ الجيوش الدوليَّة المرابطة في الجزيرة ولم تترك سوى اربع سفن في مرساها المسمَّى لاسود (La Sude) لكنَّ اهل كريت اذ رأوا الحامية الدوليَّة خارجةً من ثغورهم اسرعوا الى نشر لواء اليونان في خانية. فامتعض الاتراك من هذا العمل وابرقوا وارعدوا وتهدَّدوا اليونان بالحملة على حاضرتهم اثينة ثم اخذوا يتأهبون للنزال واضحت الحالة حرجةً جدًّا حتى خيف من انتشاب الحرب

وفي ١٨ آب اطلق احد احرار تركيا بندقيتهُ على السارية المعلّقة فوقها راية اليونان فاسقطها وجعل اهل السواحل التركيَّة يصادرون البضاعة اليونانيَّة. وكنَّا نحن في اثناء ذلك مبحرين الى الاستانة. فلما وصلنا الى رودس بلغنا انَّ الاسطول العثماني تألَّب في غربي الجزيرة متأهباً للهجوم على كريت. لكنَّ الله لطف بعبادهِ فردَّ عنهم برأفتهِ آفات الحرب. فانَّ اليونان قدَّمت للحكومة السنيَّة لائحة نالت بها رضاها ونعمًا فعلت لأنها لو طوَّحت بنفسها في اهوال الحرب مع ضعفها لدارت عليها الدوائر فضلًا عن كون

احوالها الداخليّة مرتبكة تنذرها بالويلات. على انّ مسئلة كريت لم تنل بعد حلًّا نهائيًا فان الأنباء البرقيّة اخبرت في ٢٠ ت ١ بان كثيرين من اهل الجزيرة ساروا مسلّحين الى دار الحاكم وطلبوا منهُ ان يؤلف لهم مجلسًا مليًّا. ولمّا طلبت تركيا من الدول بان يبتّوا هذا المعضل ويمكّنوا الدولة العليّة من الحكم التامّ على كريت كان جواب الدول بان الاحوال ليست موافقة لذلك

ومن الشواغل التي هجست في صدور ارباب الحكومة الدستوريّة مسئلتان أخريان احتاروا في حلّ أربتهما ألا وهما تجنيد المسيحيين وامتيازات البطريركيّات. فالمسئلة الاولى توجّهت اليها الخواطر منذ اعلان الدستور فبلغت طورها الحرج في شهر آب. والمسئلة الثانية منوطة نوعًا بالأولى. فانّ النزاع الواقع بين الباب العالي وبطركي الروم الارثوذكس والارمن لم يزل يتفاقم صدعهُ الى ان قدّم بطريرك الارمن استعفاءهُ وجرى بين شوكت باشا ووفد الفنار مشاجرات ادّت بالفريق الى الوعيد والتهديد. ولعلّ الامر كان آل الى ما لا ترضى بهِ صوالح الدولة لولا انّ العقلاء استدركوا الخلل واثبتوا للبطريركيات امتيازاتها ومنحوا للبطاركة مبدئيًا ما كانوا يطلبونهُ من الضمانات لدين المتجندين من المسيحيين ليتمّ التساوي بينهم وبين الجنود الاسلامية وهي امور عادلة توثق عُرى الاتحاد وتؤيد تفاني كل العناصر في سبيل الخير العامّ. اما انشاء فرق وسرايا جنديّة من النصارى وحدهم فلم ترض بذلك ندوة المبعوثين اجمالًا لئلّا تنجم عنهُ خاطر ضارّة بسلام الدولة. وهكذا انتهت نوعًا تانك المسئلتان الخطيرتان برضى الجميع واستردّ بطريرك الارمن استعفاءهُ وتكرّرت الزيارات الوديّة بين بطريرك الفنار وعمدة وزراء الدولة. وقد جرت في بيروت في النصف الاوّل من كانون الاوّل حفلة الافتراع العسكريّ للروم الارثذكس ثم للموارنة ونزل شبّان الطائفتين يتحمّس الى السراية تتقدّمهم النوبة فاظهروا ما تكنّهُ صدورهم من الارتياح لخدمة الوطن وقد صحبهم رؤساء الدين فحضّوهم على الاخلاص للدولة وتضحية كل نفيس في الصلاح العمومي. وقد قدّمت الحكومة آخرًا برهانًا جديدًا على صدق نيّاتها اذ حكمت بالإعدام في آطنة على فئة من اوباش المسلمين الذين كانوا لوّثوا ايديهم بدماء اخوتهم النصارى في شهر نيسان المنصرم ولم تنل آثامهم بعد ما استحقّتهُ من الجزاء

*

على انَّ هذه الحوادث المكدِّرة كانت منحصرة في بعض الجهات وقد جرى في اقطار مختلفة من المصائب ما هو اعظم من ذلك وافجع ممَّا استوقف انظار المتبرين فرأوا في تلك النوازل عقاباً من الله او تنبيهاً منهُ تعالى لعالمنا كي ينيب البشر اليهِ بالتوبة ولا ينسوا انَّ وراء هذه الحياة ابديَّةً تنتظرهم لينالوا فيها الجزاء عما تقترفهُ ايديهم

فمن ذلك الزلازلُ الهائلة التي كانت اسوأ ختام لعامنا المنصرم اذ خربت في ٢٨ ك ١ مدينتا مسينة وراجيو (رِيَّة) وقُتل فيهما او في ضواحيهما نحو مئتي الف نسمة. (اطاب المشرق ١٢ : ٦٧). ثم توالت بعد ذلك الهزَّات الارضيَّة حتى عُدَّت هذه السنة من اوفر السنين بتلك المظاهر المرعبة ولوفرتها امكن العلماء ان يرصدوها ويبحثوا عن خواصها

وما نسي اهل بيروت ما حلَّ في ربوعهم يوم زلازل مسينة فانَّ امطاراً عرمرميَّة هطلت على المدينة فتواصلت مدَّة خمس ساعات وحوَّلت المدينة الى بُحيرة وردوم حتى انَّ مقياس المطر في ذلك اليوم زاد على عشرة سنتيمترات ولهُ تعالى الشكر الذي لم يسمح بغير هذه النكبة. أمَّا مسينة فانَّ الضربات تكرَّرت عليها فارعدت فرائص المتخلِّفين من الاحياء. فادت الارض بالحركات في ٦ و٧ و٨ من كانون الثاني في رِيَّة والقرى المجاورة. وفي ٩ منهُ شعر اهل صقلية وقلبريَّة بالاهتزازات ومثلهم اهل المكسيك وسكَّان جزيرة ميوركة والبرتغال. ثم عادت الحركة في مسينة في ٢٧ منهُ وفي اواسط شباط أرعب اهل رِيَّة برجفات شديدة. وكذلك المكسيك اهتزَّت ثانية وشعر اهل الاناضول وضواحي ازمير وجهات البلقار بزلازل قويَّة. وفي ١٥ نيسان قذف بركانا اتنا واسترمبولي بموادَّ نارِيَّة ملتهبة وحُمم مصهورة ورماد. وعقب ذلك بزمن قليل زُلزلت لشبونة وخرب قسم من ابنيتها ومات نحو مئة رجل. وفي ٨ أيار عاد الدور الى مسينة وشقيقتها

وفي ١١ حزيران لاح للجيولوجيين انَّ وجهة الزلازل تغيَّرت فجارى خطُّها سواحل البحر المتوسط واخذت الارض تهتزُّ في نواحي اكس ثم في مرسيليَّة حيث مات خمسون تحت الانقاض ثم اتَّصلت الى مقاطعة القار. وبعد سكون هذه الحركة شهراً صارت النوبة الى اليونان فدُمرت عدَّة امكنة في ايالة البيلوبناز وقُتل ٢٠ شخصاً. وخُتم

الشهر بعشر هزّات في مسينة وَلِيَتها في المكسيك ارتجاجات اخربت امكنةً شتّى وقتلت خلقاً وجرحت آخرين

ولم يمرّ يومٌ من آب دون زلازل حلّت بمسينة اوّلاً حيث لم يبق دارٌ سالمة ثم بلشبونة فهلعت لها القلوب ثم في شمالي غربي فرنسة عند بريست ولوريان. وفي ١٥ آب تواردت الاخبار من اليابان تفيد رجفان ارضها وخراب عدّة بلاد من نواحيها. وفي العشر الاخير من الشهر حلَّ الزلزال بسيانّة ثم فلورنسة وبيروزة فتداعت بعض دُورها . ثم انتقلت الآفة الى الجزائر في جهة مستغانم وعادت الى ايطالية في سلخ الشهر فاصابت رومية هزّةٌ خفيفة سالمة العقبى . وفي ٧ تشرين الاوّل و١٠ تشرين الثاني انتهى الدور براجيو ومسّينة فسُمعت فيهما اصوات كهزيم الرعد

وكانت الانواء والزوابع في اثناء تلك الزلازل تعيث في كثير من البلاد لاسيما في انكلترّة وفرضة المنش . ولم تنجُ بيروت وسواحل لبنان من اضرارها . وكلٌّ يذكر الامطار المطّالة التي انصبّت علينا في ٢٧ تشرين الاوّل فاخربت الجسور ودمّرت بعض معابرَ السكّة الحديديّة وقطعت قنيّ نهر الكلب فعدمنا الماء الشروب مدّة اسبوع كامل

على انَّ يد الله يد ابٍ رحوم لا تضرب الّا لتشفي فقد افادتنا الرسائل الخاصّة انَّ كثيرين من الخطأة ارعووا فتابوا عن آثامهم فكانت الزلازل وسيلة لاصلاح سيرتهم . وقام غيرهم كثيرون فاسرعوا الى انقاذ المصابين من اهل مسينة وراجيو فاظهروا من المروءة والحبّ الاخوي ما اكسب لهم شكر الجميع نخصّ منهم بالذكر عدّة اميرات ايطاليّات تقدّمتهنَّ الملكة نفسها فخدمن المكروبين وعالجن الجرحى بايثار واريحيّة لا يفي بهما شكر وكانت جمعيّة الصليب الاحمر وعدّة جمعيّات خيريّة وكثيرون من الرهبان اليسوعيين وغيرهم مع بحّارة الانكليز والروس يتسابقون في إخراج المدفونين من تحت الانقاض فخاطروا بنفوسهم ولم يزالوا يكدّون وينصبون حتى خلّصوا الوفاً منهم وقد وُجد بعضهم احياء بعد ثلاثة عشر يوماً . ولما كانت الانسانية تضرم قلوب هؤلاء حبّاً لخلاص البائسين كان بعض اللصوص واهل الدعارة يتجوّلون في وسط الاخربة لينهبوا ويسلبوا حتى اضطرّت الجنود الى اطلاق الرصاص عليهم

ثمّ تحفّز العالم المتمدّن لإسعاف ذوي البأساء والفقراء والايتام فتواردت الملايين من الفرنكات من كل انحاء المعمور لتلطيف اوجاعهم . وكان السبق بين الدول

للولايات المتحدة وقد فاقت عليها فرنسة فارسلت الى منكوبي ايطالية ٣,١٥٥,٢٢٧ فرنكاً منها ٣٢٠,٠٠٠ تبرَّع بها الاساقفة او جمعها الاكليروس وجريدة لاكروا الكاثوليكية ومنها ما ارسلوها على يد الحبر الاعظم . هذا وان كثيراً من ارباب الاكليروس والكهنة الفقراء تبنَّوا بعض اليتامى وتولَّوا تربيتهم بدُرَيهماتهم

وهنا لا يسعنا الَّا ان نثني على سخاء الفرنسويين وكرمهم الحاتميّ فانهم مع ما يُثقل اعناقهم من النفقات الطائلة التي تتزايد يوماً بعد يوم لتنظيم الجيش واصلاح البحريَّة وغير ذلك من المصاريف الباهظة التي تؤدي اليها سياسة الحكومة الحرقاء لا يزالون في مقدَّمة بقيَّة الشعوب في الإحسان والمروءة . ولاسيما الكاثوليك منهم فانَّ جودهم لا يعرف حدًّا بل هو سرٌّ من الاسرار العجيبة التي لا نُدركها . فانَّ الحكومة الماسونيَّة نزعت عنهم اوقاف كنائسهم وسلبت رواتب الاكليروس فيُقتضى عليهم ان يصرفوا المبالغ الوافرة على الكنائس والاكليريكيين وفتح المدارس الحرَّة (اعني الدينيَّة المضادَّة للتعليم الكفري) هذا الى مبالغ يتكرَّمون بها بسخاء على الرسالات الاجنبيَّة وهي تتناهز ثلاثة ملايين من الفرنكات وعلى الجمعيَّات الخيريَّة المتعدِّدة منها شركة مار منصور دي بول التي تجمع وحدها تسعة ملايين فرنك فاين يا تُرى يجدون كل هذه الاموال ؟ فعندنا انَّ الامر احد اسرار الصدقة وجزاء الاحسان وفقاً لقول القائل (لوقا ٦ : ٣٨ مرقس ٤ : ٢٤) : أعطوا تُعطَوا . انكم تُعطَون كيلاً صالحاً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً في أحضانكم لأنَّهُ بالكيل الذي تكيلون يُكال لكم وتُزادون »

وللمعتبرين هنا عبرة أُخرى تبهجنا نحن الكاثوليك فانَّ الحبر الاعظم بيوس العاشر مع قلَّة ذات يدهِ كان اوَّل من اسرع الى اعانة المكتنبين فانَّهُ اذ بلغهُ خبر تلك الداهية الدهياء كاد يُغشى عليهِ حزناً ثم قام متحفِّزاً للسفر ليذهب بنفسهِ الى ميسينة ويُعنى بخلاص اهلها وتعزيتهم لولا انَّ حاشيتهُ تصدَّت لقداستهِ في ذلك وبيَّنت لهُ ما يُصيب تدبير الكنيسة من الأضرار بغيبتهِ ومنعهُ طبيبهُ لكبر سنهِ وضعف مزاجهِ . فأخذ من ثمَّ بارسال المدد للمنكوبين فارسل ١٠٠,٠٠٠ فرنك وحضَّ كل الكاثوليك على الاحسان والرحمة فأبى كثيرون منهم بل وعدد عديد من البروتستانت اقسمهم الَّا ان يُرسلوا المساعدات على يد قداستهِ لئلَّا تضيع في ايدي ذوي الغايات والمطامع كما حدث بعد نكبات الزلازل في كلبرية . فكان المال الذي ورد لقداسة الحبر الاعظم

بعد ثلاثة اسابيع يبلغ ٣,٤٠٠,٣٠٠ فرنك أنفقت كلها الى آخر فلس على البائسين بمساعي لجنة شكلها شيخ الفاتيكان لهذه الغاية فقامت بعملها احسن قيام. ويضاف الى تلك المبالغ ما ارسلتهُ دول العالم كلهِ الى اللجنة الوطنيَّة الايطاليَّة وقد بلغ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ وفي ذلك دليلٌ على انَّ المحبَّة في العالم لم تمُت وان التمدُّن الصحيح لا يفترق عن المروءة والانسانيَّة جازى الله خيرًا كل المحسنين وخصوصاً اهل بلادنا الذين لم يتخلَّفوا عن اخوتهم الاوربيين في اسعاف الملهوفين فأعطوا من مالهم بسخاء كما أنهم بعد ذلك بقليل كرَّروا الاحسان لسدّ عوز المبتلين في آطنه

*

فان كانت السنة ١٩٠٩ سنةً صعبةً من هذا القبيل اذ اقتت الوفا وربوات من النفوس في الابديَّة بلمحة عين فانَّ عقبتها كانت كؤودًا من وجه آخر بفشوّ عدوى الكفر والزندقة التي اطبقت على نفوس كثيرين من الضعفاء والأغرار كما ذهبت الزلازل بالارواح. وكانت فرنسة مؤدتنا على النزاع بين الخير والشرّ الَّا انَّ ملحديها في هذا العام زادوا قحةً في ادراك مرغوبهم فنشروا في بقيَّة البلاد روحهم الشرّير وعداءهم للدين حتى بلغ ثغورنا الشاميَّة وكدَّر صفاء عيش الاهلين

فن النوافل أن نصف ما يعلم بهِ الجميع من اعمال الحكومة الماسونيَّة في فرنسة فان اعداء الدين بعد فصل الحكومة عن الكنيسة لم يقفوا عند هذا الحدّ بل حملوا على التعليم الدينيّ في المدارس وقصدوا ان يستأصلوا من قلوب الاحداث كل اثر للتديُّن فقام لمناصبتهم اساقفة فرنسة ودافعوا عن حقوق الله وانتصروا للدين بغيرة ملتهبة وحظروا على الكاثوليك تسليم اولادهم الى الاساتذة الكافرين . فرأى الماسون في هذه الاعمال المشكورة تعدّيًا على الدولة ولم يخجلوا من استدعاء الاساقفة الى المحاكم بل قضوا عليهم كما يُقضى على المجرمين فحكموا على اسقف كاهور (Cahors) وكهنتهِ ثم على اسقف اوش (Auch) بالجزاء النقدي لوذلهما الكتب اللادينيَّة ثم بعد قليل استدعى القضاةُ الكردينالَ اندريو رئيس اساقفة بوردو لمحاكمتهِ على قولهِ في منشورهِ لرعاياهُ انهُ لا يجوز الطاعة للشرائع المخالفة لاوامر الله تعالى . لكنَّ نيافة الكردينال أبى ان يحضر المجلس وكتب لاعضائهِ رسالةً ذات لهجة حرَّة رسوليَّة صفَّق لها استحسانًا العالم الكاثوليكي وصادق عليها ٨٨ مطرانًا او اسقفًا من اساقفة فرنسة

فحلّت على اعداء الدين كالصاعقة المحرقة . ولمّا حكم عليه القضاةُ جورًا بدفع جزاء نقدي يبلغ ٦٠٠ فرنك احتجّ الكردينال علانيةً على هذا الحكم الظالم . ومثلهُ صنع اسقف بايو (Bayeux) الذي قام بازاء القضاة واثبت حقوقهُ الاسقفيّة للمدافعة عن الدين ولصيانة رعاياهُ عن المنشورات الكفريّة

فترى ان اساقفة فرنسة لم يهابوا السلطة الظالمة ولم تأخذهم لومة لائم في الدفاع عن المبادئ الصحيحة ولاسيما التعليم الدينيّ فان الكفر أبى الّا ان يسقي سمّهُ النـاقع لاحداث المدارس ذكورًا واناثًا لكي يسلبهم دينهم وادابهم ويضغط على اهلهـم ليرسلوهم الى المكاتب اللادينيّة حيث توفّرت اسباب الفساد من كتب وصور وتعاليم شنائعيّة موجّهة كلّها لمناقضة الدين فقام كرادلة فرنسة ومطارنتها واساقفتها ونزلوا ميدان الجهاد لمناهضة الكفر والالحاد فكتبوا في ٢٧ ايلول رسالةً كلّها حكمة ورسالة اثبتوا فيها ما لاهل الصغار من الحقوق في تربية اولادهم وبيّنوا لهم ما يتحتّم عليهم بخصوص تهذيبهم في المدارس وانّهم يرتكبون خطيئة ثقيلة ان عرّضوا نفوس ابنائهـم للتعليم الكفري في المدارس اللادينيّة . وختموا رسالتهم بسرد اسماء الكتب الكفريّة التي انهوا عن درسها وهي دارجة في مدارس الحكومة . وهـذه الرسائل الاسقفيّة قد نشرتها جريدة البشير في وقتها (اطلب خصوصًا عددي ٩ و١٦ تشرين الاوّل)

فما كان من امر خصوم الدين واساتذة المدارس اللادينيّة الّا ان غلت مراجـلُ بغضهم وحنقهم فتحفّزوا للشرّ وادّعوا انّ اساقفة فرنسة بهذه الرسالة ابتخسوا حقوقهم وانتقصوا شؤونهم ثم اخذوا بمرافعة دعواهم الى الحكومة مدّعين بانّ الرسالة الاسقفيّة طعنٌ في اعراضهم . امّا العقلاء في فرنسة فانّهم يصوّبون عمل الاساقفة ويرون انّ الدعوى لا سند لها (اطلب مجلّتي Correspondant, Revue des Deux Mondes في اعداد تشرين الثاني) . ولكن مهما كان من امر هذه الدعوى فانّ اساقفة فرنسة مستعدّون لاثبات حقوقهم وهم يمشون مع الحبر الاعظم باتّفاق الصوت وملء الطاعة كما اعلن ذلك في ندوة المبعوثين الاب كيرو (Gayraud) واملهم الوطيد بان الكفر يخسأ متقهقرًا فتعود فرنسة الى ما كانت عليه من بهاء الدين ورونق الايمان . وهـذا الرجاء يقاسمهُ كبير الاحبار الذي لا يزال يلاطف ابنة الكنيسة البكر رغمًا عن شططها وهي اليوم الدولة الوحيدة التي لا ينوب عنها سفير قرب الواتيكان (التتمّة لعدد آخر)

قطرة مداد

بمناسبة عيـد الميلاد

لحضرة الخوري رافائيل البستاني احد معلمي مدرسة الحكمة الزاهرة

كفُّوا الأكُفَّ عن الذبائحِ واخمدوا مُدياتكم وسعيرَ نارٍ أخمِـدُوا
ودَعُوا الرموزَ وشأنَهـا فمتى بدت شمسُ العلى نورُ الشموع يُبدَّدُ
حلُّوا رباقَ ضحيَّـةٍ لحميَّـةٍ فالمحرقاتُ غدتْ حديثًا يُسرَدُ
أنِفَ الالـهُ كباشكم وجداءكم فهَوى فِدًى عنكم وحيدٌ مُوقَدُ
حَمَـلٌ تحمَّل جُرمكم وعِقابَهُ وجميعَ اصنافِ الشقـا يتكبَّـدُ
فالأنبيـاء تنبَّأوا بقدومـهِ وصداهُ في كل البسيطـةِ ردَّدوا
بُشرى بني الانسانِ بشراكم فقد أزِفَت نجاتُكمُ وأنجزَ موعِـدُ
قَرُبَ الزمانُ وحانَ وقتٌ طالمـا طمَحت اليـهِ أعينٌ تترصَّـدُ
زمنٌ بهِ السمواتُ قد مدَّت الى ارضٍ يدًا تُفضي السلامَ وتمتدُ
مَلِكٌ هوَى من عرشـهِ وعلائـهِ كيما يُقيل العاثرينَ ويُصعِـدُ

*

سَمْديكِ رومـةُ فامرحي وتهلَّلي فثراكِ تحظى بالمليـك وتَسعَـدُ
يا ربَّةَ العَلَمِ المظفَّرِ والسنـا يا ذاتَ فخرٍ ما علاهُ الفرقدُ
سُدتِ الورى حتى توهَّم قيصرٌ يومًا غدا يخشـاه بحرٌ مُزبِدُ
دوَّختِ أقطـارَ البلادِ بعسكرٍ لجبٍ بهِ شُمُّ الجبالِ تُميَّـدُ
ودُعيت أمَّ عواصمٍ وممالـكٍ من بعض مجدكِ يُستفادُ الـوُدَّدُ
ان لم يحلَّ مَليكُ قوَّات العُلى أرجاءكِ الفيحا فأينَ المقصدُ...؟
أيومُ آثينـا التي حكماؤهـا أعلامُ علمٍ فضلُهم لا يُجحدُ
ليكون بين جهابذٍ قد يَضوا لبلاغةٍ وجهًا بمـا قد سوَّدوا
او ربَّما بالسير قد وصـل السُرى . يَنحو بلادًا للمعـارف موردُ
ارضَ الفراعنةِ الخطارفـةِ الأولى ببنـاء أهرامٍ فخارًا خلَّدوا

را حيرتي في ايّ صُقعٍ رَحلُهُ او ايّ مصرٍ في البسيطةِ يَقصُدُ
لم يأتِ فارسَ اذ نرى عُلماءها قد ضمّهم في البحثِ عنه فدفَدُ
يا تاركينَ حُدودَ فُرسٍ أرشِدوا حيرانَ كاد الصبرُ منهُ ينفدُ
في ايّ قُطرٍ ام بايّ عواصمٍ يأتي فيترلها العظيمُ السيّدُ
ما حدّثتكُمْ عنهُ أجرامُ السما ما عنهُ في أسفار موسى يُعهَدُ
ما قالَ عنهُ الانبياء برحيهم أينَ النبوّةُ اين قولٌ يَشهدُ
قالوا علمنا أنّهُ مَلكٌ بهِ أسباطُ إسرائيلَ قدماً أوعدوا
قد حان وقت مجيئهِ واليهِ قد مُدّت تُشيرُ من النُبوات اليدُ
ها نحن نَطوي البيدَ بل نسري الوحى نحوَ اليهود وعيننا لا تهجدُ
معنا اليهِ من الرموز هديّةٌ مُرٌّ وانواعُ الطيوبِ وعَسجدُ

*

يا شعب إسرائيلَ بُلّغتَ المنى حتى متى تحت المذلّةِ ترقدُ
وافاكَ فاديكَ المخلّصُ مُقبلاً فلطالما شاقَ الجدُودَ المشهدُ
هبّوا بَني يعقوب من سِنة الكرى حتى مَ باتركُمْ كليلٌ مُفسدُ
فتآلفوا وتكاتفوا وتحالفوا وتألّبوا وتأهّبوا وتجنّدوا
صُوغوا الاساورَ والعقودَ بواتراً ونساءكم من كل حلي جرّدوا
وافى الذي يَنفي المعرّةَ عنكمُ فتعاضدوا وتضامنوا وتوحّدوا
قولوا لفيلق قيصرٍ أخلِ المكا نَ فعرشنا بعليكنا متوطّدُ
تأبى شتاراً ضُمنا ومذلّةً إمّا هلاكاً أو بيدَ تسُدُ
جاء الذي من نسل داودٍ بهِ فخرُ الجدود ومجدهم يتجدّدُ
ملكٌ يُعيدُ لنا مفاخر عرشنا ويذودُ عنهُ بالرماحِ ويعمدُ
ويدوّخ الارضينَ طُرّاً قائداً أسداً عرائنُها قنًا تتأوّدُ
وكتابهُ لبني الملوكِ كتائبٌ وبَراعهُ فيما يَخطُّ مُهنّدُ
وحسامهُ حسمُ الخلافِ وقولهُ الفصلُ الفياصلُ بالمفاصل تُغمَدُ
ماضٍ مُضارعهُ وأمرٌ لحظهُ والعَضبُ فكّاكٌ لما يتعقّدُ

*

ودَعْ جواهرَ تاجك الزاهي أيا هيرودسُ العاتي فيومُك أنكدُ
ودَعْ جنودكَ والأريكةَ والعُلى والصولجان فزال عيشٌ أرغدُ
أينَ الملاذُ وأينَ تطلُب ملجأ أينَ المفرُّ وكلُّ بابٍ موصدُ
فانسجْ على نولِ الخداع جلابباً واكظم لظى غيظٍ بقلبكَ توقدُ
نبأ المجوسِ انقضَّ مثل صواعقٍ فطفقتَ تبرقُ يا غشومُ وترعدُ
تُبدي الحفاوةَ بالمخلص غيلةً والسَّيفُ في كفِّ الجنودِ مجرَّدُ
شُلَّت يمينك كيف تقتل صبيةً ببياض صفحتهم جبينك أسوَدُ
أضرمتَ في احشاء راحيلَ الأسى تبكي البنينَ وحسرةً تتنهَّدُ

*

خدعتكَ يا حُمَةَ العقاربِ زُمرةٌ بإساءة التأويلِ فيما أوردوا
ذاكَ الذي وعدت بهِ الأرضَ السما ما عندهُ حجرٌ اليهِ يُسنَدُ
ما ملكهُ في عالمٍ سُفلٍ كما عنه روى الراوُونَ فيما قيَّدوا
قنصُ القفار الصولجانُ وتاجهُ شوكٌ وعرشٌ في صليبٍ مقعدُ
سكِّن فؤادك يا هرودسُ واتَّئد فالظنُّ منك عن الحقيقةِ يبعدُ
فليستقرَّ الجيشُ في ثكناتهِ قد ضمَّ من تخشى لقاهُ مذوَّدُ
طفلٌ رضيعٌ في ظلامِ مغارةٍ آواهُ فيها فقرُهُ المتعمَّدُ
وافى يُعلِّمنا التواضعَ والتقى ولذا نراهُ في كهوفٍ يولدُ
تختالُ في رُحبِ الصروحِ خلائقٌ وعلى مخلَّصهم يعزُّ المربدُ

*

يا أيها الطفلُ القديم وجودهُ أنتَ المليكُ وعرش ملكك سرمدُ
تغزو القلوبَ بسكرِ أسيافهِ صَفحٌ بهِ تمرحُ النفوسُ يُضمَّدُ
تغزو بفيلقك المظفَّرِ فاتحاً بابَ الحَنانِ ليستفيقَ الرُّقَّدُ
تغزو بجندٍ دونهم صبرٌ على إفكٍ يُلقِّنهُ البغاةُ العُمَّدُ
تغزو بوابلِ رحمةٍ قلباً قسا وعتا فيخضع ليناً يتودَّدُ
تبغي المعامع والتطاعنَ في وغى فيها الحسامُ على الصيوبِ مجرَّدُ

وتخرُّ صرعى في العراكِ مآثمٌ وتذلُّ قوّاتُ الجحيمِ وتُطرَدُ
تغزو بانوارٍ شكا حملاتِها غمهٌ ومُعتَلُّ الفؤادِ وأرمدُ
تغزو ولكن قد غزتكَ كتائبٌ تردي الحقائقَ بالرياء وتفسدُ
كم من هرودسَ رام يستبيك الردى واليك سهمَ الغدر قام يسدّدُ
كم من هرودسَ هبَّ في ايامنا يُرغي ويُزبدُ حانقًا يتوعّدُ
غدّروا باطفالٍ بريء قلبُهم راحيلُ بيعتُنا بكت مَن تفقدُ
قتلوهمُ في قتلهم إيمانَهم بمفاسدٍ واكاذبٍ تتعدّدُ
إرأفْ باطفال الحقيقة سيّدي فهرودسٌ في معشرٍ متجسّدُ
أثبتْ ولا تذهب الى مصرٍ كفى حلمٌ فأنزل نقمةً او يرشدوا
اكرامُ ذي كرمٍ يُنيل قياده والصفحُ عن ذنبِ اللئيم يُردُّ

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(المعلّم ابراهيم سركيس) هو اخو وطنيّنا الاديب خليل افندي سركيس صاحب مطبعة الآداب ومنشئ جريدة لسان الحال كان مولدهُ في اعبيه سنة ١٨٣٤ من عائلة مارونيّة الّا انهُ درس على المرسلين الاميركان فجنح الى مذهبهم وصار احد شيوخ الكنيسة الانجيليّة في بيروت وعلّم في احدى مدارسها ثم اشتغل عدّة سنين في مطبعة الاميركان فاحكم صناعة الطباعة وتولّى تصحيح المطبوعات وبيع الكتب الى ان توفي في ١٠ نيسان سنة ١٨٨٥ . وكان ذكيّ الفؤاد محبًّا للعلوم وقد نفع مواطنيهِ بعدّة مؤلّفات عربيّة اخصّها الدرّ النظيم في التاريخ القديم والدرّة اليتيمة في الامثال

القديمة وصوت النفير في اعمال اسكندر الكبير والاجوبة الوافية في علم الجغرافية واوضح الاقوال في متلف الصحة والصيت والمال وتحفة الاخوين الى طلبة اللغتين (عربي وانكليزي) ولهُ تآليف اخرى دينيَّة وكان ينظم ايضاً فمن منظوماته ترانيم روحيَّة في مجموع اغاني البروتستانت . هذه ترنيمة منها في الحرب الروحيَّة :

١ هلمَّ جميعاً قريباً بعيدْ فها صوتُ بوقٍ لاجل القتالْ
جنودُ الاهاديّ تراها تريدْ فهاتوا سلاحاً لذاك النزالْ

قرار

مرنّمين نحن مرنّمينْ سيوفكم احملوا ماجمينْ
هوذا الحربُ شديد طويلْ سيروا بقوّات ربّ اسرائيلْ

٢ عدوّي امامي بصفّ القتالْ فأثبتُ لا عن طريقي أحيدْ
وشمتُنا فوقي ذو الجلالْ فسيروا بايمان عزمٍ وطيدْ . . .

(اسكندر ابكاريوس) وتوفي في هذه السنة ١٨٨٥ كاتب آخر اصاب بعض الشهرة في اوربَّة فضلاً عن الشرق بمنشوراته العربيَّة اعني بهِ اسكندر اغا ابكاريوس وكان ابوهُ يعقوب بن ابكار ارمنيًّا غريغوريًّا ذا شأن يسكن بيروت فلمَّا مات أرَّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٤٥ بقوله :

مضى الى الله من طابت سريرتهُ بالله وهو بعفو الله مصحوبُ
فقُل لمن جاء بالتاريخ يطلبهُ قد صار في حضن ابراهيمَ يعقوبُ

ونشأ ابناهُ اسكندر ويوحنا على حبّ الآداب منذ حداثتهما وجال اسكندر في انحاء اوربَّة ثمَّ عاد الى بيروت واشتغل بالتأليف ثم دخل مصر وخدم اصحابها ومدحهم فاجازوهُ بتقليدهِ عدَّة مناصب . توفي اسكندر في اواخر سنة ١٨٨٥ . ولهُ مصنَّفات مفيدة انبأ في تأليفها بحسن ذوقهِ وكثرة مطالعتهِ منها كتابهُ نهاية الارب في اخبار العرب طبعهُ اوَّلاً في مرسيلية سنة ١٨٥٢ ثم زاد عليهِ وجدَّد طبعهُ في بيروت في المطبعة الوطنيَّة سنة ١٨٦٧ . وألَّف سنة ١٨٥٨ كتاب روضة الادب في طبقات شعراء العرب قرَّظهُ كثيرون من الادباء منهم الشيخ ابو حسن الكستي حيث قال من ابيات :

لله روضةُ آداب لقد جمعت اوراقُها غرر الاخبار والسيَرِ
ناهيك من طبقاتٍ شاد محكمَها اسكندرٌ فاحتوت من مبدعٍ الاثرِ

ومن آثارهِ الادبيَّة كتاب تحفة النفوس وزينة الطروس . ولهُ ترجمة ابراهيم باشا

دعاها المناقب الابراهيميّة والمآثر الخديويّة وكلّها مسجّعة يتخلّلها الشعر. ومثلها ايضاً المآثر الخديويّة ووزراء الحكومة المصريّة نشرها في اعداد الجنان سنة ١٨٧٤. ولهُ تاريخ مخطوط في المكتبة الخديويّة (٥ : ١٧١) قدّمهُ لمصطفى فاضل باشا وسمّاهُ نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان. ومن شعرهِ قولهُ يهنّئ الخديوي سعيد باشا لمّا زار بيروت سنة ١٨٥٩ :

شرّفتنا فتزيّنت اقطارنا وزهت معالمها وطاب المورد
وتنوّرت بيروت حتى اصبحت من نور مجدك كوكباً يتوقّد

وقال يمدح ابراهيم باشا :

همامٌ كان في الدنيا فريداً وركناً في المهمّات العظام
ولا زالت وقائعهُ المواضي مخلّدةً على طول الدوام
وقائع لو رآها الطفل يوماً لشاب لهولها قبل الفطام

وقال في محمد توفيق باشا اذ كان ولي العهد :

يا من بهِ آمالنا تتعلّق ونفوسنا للقائهِ تتشوّق
فيك الفضائل واللطائف والتُّقى والمكرماتُ وكلُّ حسنٍ يُرزق
لم تجتمع فيك المحاسن انما منك المحاسنُ كلّها تتفرّق
تاهت بكم مصر السعيدة عزّةً وغدا جبين الصعيد فيكم يشرق
لا زلت للفضّاد احسن كعبةٍ وطريق رزقٍ بابهُ لا يُغلق
واسلم ودُمْ في غبطةٍ وسعادةٍ وندائك مأمول رانت موفّق

امّا (يوحنا ابكاريوس) اخو اسكندر فانّهُ عاش بعده الى سنة ١٨٨٩ وتوفي في سوق الغرب في لبنان وقد جارى اخاهُ اسكندر بتآليفهِ منها كتاب قطف الزهور من تاريخ الدهور طُبع غير مرّة في المطبعة الاميركيّة وقد تأسّفنا لكون مؤلفهِ ضمّنهُ بعض الفصول التي تحطّ من شأن الكنيسة. ولهُ كتاب نزهة الخواطر جمع فيه عدّة اخبار ومقاطيع ادبيّة وقصص شائقة فطبعهُ سنة ١٨٧٧. ومن آثارهِ معجم انكليزي عربي مطوّل وقد اختصرهُ لطلبة المدارس

(اديب اسحاق) كان ايضاً من الطائفة الارمنيّة دمشقي الاصل وُلد في اوائل سنة ١٨٥٦ في الفيحاء وتعلّم في مدرسة مرسليها اللعازريين الفرنسويّة والعربيّة ثم أُغرم بالكتابة والانشاء ونظم الشعر منذ ريع شبابهِ وقدم بيروت واجتمع بقوم من شبّانها

المصريين فنزع منزعهم واشتغل بالسياسة والتأليف ثم انتظم في سلك جمعيّة انشأها الماسون سنة ١٨٧٣ وكان المترجم من اخصّ اعضائها العاملين وقد الفتها الحكومة مدّة لتطرّف اصحابها وطعنهم في الحكومة والدين كالوف عادتهم. ثم تولّى تحرير جريدة التقدّم فضمّنها فصولاً ثوريّة دحضتها جريدة البشير. ثم تنقّل بعد ذلك فسافر الى فرنسة ثم عاد الى مصر وكتب في عدّة جرائد وانشأ جريدة مصر ولمّا حدثت الثورة العرابية انكفأ الى بيروت وسكنها مدّة ثم بارحها الى مصر وحرّر في جرائدها الى ان أُصيب بداء السلّ فانتقل راجعاً الى سواحل الشام ولم يلبث أن توفي في قرية الحدث قريباً من بيروت سنة ١٨٨٥ ودُفن دفناً مدنيّاً. وكان اديب اسحاق سلس القلم سريع الخاطر ذلق اللسان الّا ان مجاهرته بمعاداة الدين واتباعهُ للتعاليم الماسونية اظلما عقلهُ وافقداهُ اصالة الرأي وسداد الفكر في امور كثيرة. وكان انشاؤهُ عصريّاً يتشبّهُ فيه بانشاء كتبة الفرنج وها نحن نذكر من نثره فقرةً كتبها في « الجزويت » تفكهةً للقرّاء وبياناً لما اقرّ به من صفاتهم وهو الدُّ اعدائهم

ما ادراك وما رهبانيّة الجزويت ؟ طائفة من اهل الكهنوت على مذهب الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية آلاف او يزيدون (اليسوعيون اليوم ستّة عشر الفاً) . . . وهم اهل العلم والسياسة (كذا) والذكاء والاجتهاد والهمّة والفضل والثبات والبأس لا يعارضهم في ذلك معارض ولا يُدرَك شأوهم فيه. يُنشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكشفون الغوامض ويستخرجون اسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض واصابع بياض النهار وسواد الليل سعياً في تعليم الجهلاء وتهذيب المتوحّشين وتمدين الاقطار وجمع آثار المعارف

ثم شوّه هذه المحامد بما اضافهُ اليها من تُهم اعداء الجزويت جعلها على لسانهم مع كونها مضادّة تماماً للفقرة السابقة فنقل عن اولئك الخصوم ان الجزويت « يجيزون الكذب ويتسامحون في السرقة ويحلّلون القتل » الى غير ذلك من الترّهات التي تُضحك الثكلى وابطلها الكاتب من حيث لا يدري بنسبتها الى اعداء الدين قال:

وذلك بعض ما يدّعيه اعداء الجزويت وما اعداؤهم بقليل فان فرقة البروتستانت وهي الوف الوف وجماعة الماسون واهل حريّة الضمير اي الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء لو تحمّل لهم الجزويتي في الماء لمّا وردوهُ وان كانوا ظماء

وكأنّ بالكاتب احسّ ما في نقل مثل هذه السفاسف من العار فالقى التبعة على

القائلين كأنَّ الناقل لا يحتاج الى التروّي في صحّة ما ينقلهُ لاسيما بعد مدحهِ للجزويت واقرارهِ بما عرفهُ فيهم من « الفضل والهمّة والثبات وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين » :

وانّا لنبرأ من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضهِ ولا تبعة علينا في الحكاية وانّما نحن ننقلهُ وليس على الناقل من سبيل

ولأديب اسحاق شعر حسن نختار منهُ قولهُ في وصف المرأة :

حبَّ المرأةَ قومٌ آفةٌ مَن يدانيها من الناس هلكْ
ورآها غيرُهم أُمنيَّةً ملكَ النعمةَ فيها من ملَكْ
فتمنَّى معشرٌ لو نُبذت وظلام الليل مشتدُّ الحَلَكْ
وتمنَّى غيرهم لو جُعلت في جبين الليث او قلب الفلَكْ
وصوابُ القولِ لا يجهلهُ حاكمٌ في مسلك الحقّ سلَكْ
انّما المرأة مرآةٌ بها كلُّ ما تنظرهُ منك ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتها واذا أصلحتَها فهي ملَكْ

وقد جمع الاديب جرجس افندي نحّاس منتخبات من انشاء الاديب فطيمها بكتاب دعاهُ الدرر. وللمترجم غير ذلك من التآليف لاسيما روايات عرّبها او صنّفها كاندروماك ورواية الباريسية الحسناء.

(الياس صالح) توفي ايضاً في سنة ١٨٨٥ في اواخر شهر تشرين الاوّل . وهو الياس بن موسى بن سمعان صالح ولد سنة ١٨٢٩ في اللاذقية وكان من طائفة الروم الارثوذكس وبعد درسهِ مبادئ العلوم في وطنهِ تمكّن بكدهِ وذكاء طبعهِ وثباتهِ من التاليف ونظم الشعر. وسافر الى مصر ومدح حضرة الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ بقصيدة مطلعها :

البِشرُ في قطر مصرٍ فاح عاطرهُ واليُمن قد نوَّرت فيهِ ازاهرهُ

يقول فيها :

ربُّ المكارم اسماعيلُ من شرُفت بهِ المعالي وزانتها مفاخرهُ
مولًى عليٌّ اثيلُ المجدِ باذخهُ شديدُ عزمٍ سديد الرأي باهرهُ
سيفُ فضلٍ وريفُ العدلِ ناشرهُ كثير حلم غزير الجودِ زاخرهُ
همومُ كل كئيبٍ فهو فارجُها وكسرُ كل كسيرٍ فهو جابرهُ
ركابهُ السعدُ بالاقبالِ يخدمُها وجيشهُ الله أنّى سار ناصرهُ

كانت وفاة الياس صالح في وطنهِ وأبقى من بعدهِ آثاراً منها نظم المزامير ونبذة في

تاريخ اللاذقية ولهُ ديوان شعر لم يُطبع . وكان متقناً للغة التركية فعرَّب بعض تآليفها كالدستور الهمايوني وقوانين الدولة

ولالياس المذكور سمي آخر عُرف مثلهُ بالياس صالح من ملّتهِ ولعلّهُ من قرابتهِ اشتهر بعدهُ بقايل . ولد في بيروت سنة ١٨٦٩ وقيل ١٨٧٠ وتلقَّى العلوم في الكليَّة الاميركانية ونبغ في العربية الّا ان الموت لم يسمح لهُ بخدمة الآداب زمناً طويلاً فقصفتهُ المنية غضاً رطباً في ٢ حزيران سنة ١٨٩٥ وكان سافر الى مصر فكتب في جريدة المقطَّم ولهُ قصائد كثيرة وكان سلس النظم مبتكر المعاني يقول الشعر عفواً وكان حرّ الافكار يجاري في ذلك بعض المحدثين . ولهُ قصيدة في الحرّيَّة مزج فيها الغثَّ بالسمين . ومن اقوالهِ الزهديَّة الحسنة ما ورد لهُ في جملة موشَّح :

يا إلهي من ذنوبي والخطا ... مُلَّ الدَّلوُ لقد الكُرَبِ
وفدَ الشيب بفودي وخطا ... واحاطت بي دعاوي الكُرَبِ
يا مليكي في يدي قد سُقِطا ... وانا بعدُ انا لم أُنبِ
اغثني في دم فادي الأُثُما ... ارجي تطهير كل الدنسِ
فهو عوني كلَّما الخطبُ طما ... وادلهمَّ الهمُّ وسط الحندسِ

ومن ظريف قولهِ لغزٌ في اسمهِ :

افصح لنا يا صاحبي ... ولك منَّا المنُّ
ما اسم فتى تبصيرهُ ... قطعُ الرجاء حسَنُ

ولهُ في ذمّ النحو متفكهاً :

ما ذا الذي يعنيني ... ان قامَ زيدٌ او قعدْ
او ان ذهبتُ ماشياً ... او راكباً نحو البلدْ
او كان زيدٌ مبتدأً ... او فاعلاً سدَّ المسدْ
او ان يكُنْ ذا الاسمُ يُبنى م او يكُنْ هذا جُحدْ
تصالح الفعلان او ... تنازعا طول الابدْ
في النحو لا تقهرني ... الّا اتفاضيل العددْ
وافعل التفضيل كم ... قد شذَّ فيهِ وشرَدْ
وغيرُ هذي عُقَدٌ ... تبّاً لمابيك العُقَدْ
ترى جا قواعداً ... بدون معنًى وزبَدْ
مختومةٌ جميعها ... بقيس طيهِ ما ورَدْ

وقال يصف سفينةً سافر عليها :

تلك السفينة بسم الله مجراها ... على دموعي مسراها ومرساها
تجري وفي قلبها النيرانُ موقدةٌ ... مثلي كأنَّ هوى الاوطانِ اشجاها
سكرى تميد بمن فيها فتسكرهم ... وهماً فكيف اذا ذاقوا حُميَّاها
وليس بدعٌ اذا سارت بنا مرحاً ... فتلك جاريةٌ جترتْ عطفاها
هيفاء لكنَّها بالنار قد خُضبت ... كالخود يُخضَب بالحنّاء كفَّاها
سلطانةُ البحر اذ ترسو يحيط بها ... من الغوارب جندٌ من رعاياها
وان سرت نشرت أعلامها وشدا ... صوت البخار لها والموج حيَّاها
طوراً ترى في قرار اليمّ غائصةً ... وتارةً فوق هام السحب تلقاها
لم انسَ ليلة بتنا والرفاقُ بها ... نرى النجوم ولو شئنا مسَّاها
وحولنا الماء من كل الجهات ولا ... شيء سوى الماء ينشانا وينشاها

(انطون صقّال) هو ايضاً احد رجال النهضة الادبيَّة التي حصلت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولد في ٣ آذار سنة ١٨٢٤ وتوفي في الشهباء في ٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٨٥. اقبل على الآداب صغيراً وتعلَّم اللغات الشرقيَّة والاوربيَّة في مدرسة عين ورقه ثم في حلب ومالطه. وخدم في هذه الجزيرة المعارف زمناً طويلاً ثم رافق الجنود الانكليزيَّة في حرب القريم بصفة ترجمان اوَّل سنة ١٨٥٤. ولهُ مراسلات نثريَّة ومنظومات شعريَّة ومقالات ادبيَّة تنوّه بفضلهِ ووفرة اطّلاعه على دقائق اللغة. ولهُ ديوان شعر اكثرهُ حكم لم يُطبع. وقد نشر منهُ شيئاً نجلهُ الاديب ميخائيل افندي صقّال في كتابهِ السَّمَر في سكّان الزهرة والقمر وهو على شكل رواية فلسفية ضمَّنهُ رؤيا خيالية شخَّص فيها والدهُ بعد وفاتهِ نازلاً من مقامهِ في الزهرة ليُعلمهُ ما يجري في العالم الآخر وقد ادَّعى فيها الكاتب بعض المدَّعيات الغريبة التي تبعد عن التصديق او قل انَّها تمويهٌ وتلفيق لولا كونها من اضغاث الاحلام. وممَّا روى في كتابهِ لوالدهِ من الشعر قصيدتهُ العينية ومنها:

تدورُ بيَ الأسواءُ لم أدرِ ما أتي ... وما ليَ اسعافٌ بذي الدار من عَيْن (١
ودهري وقد انفقتُ دينارَ حظّهِ ... يطالبني بالاصل منهُ وبالمَيْن (٢
فيا أيُّها الدهر الخؤونُ ألا ارتدع ... على انني ما بتُّ المَيْنَ بالليْن (٣
فبين الهوى دمٌ وآخرُهُ دَمٌ ... ومظلمهُ ليلٌ فما فيهِ من عين (٤
لعمري هم الاعيانُ بالعين خُضَّعٌ ... جثيّاً على عين (٥ اذلّاء للعَيْن (٦

١) واحد الاعيان للاخوة من ابٍ وامٍّ واحدة ٢) الربا ٣) اي حاضراً بحاضر
٤) الشمس او شعاعها ٥) نقرة الركبة. ٦) النظر

ونبين في المكيال والبينُ (١ شائعٌ يجودُونَ بالارواحِ فضلًا عن البينِ (٢
يروُون في حقل الاماني بذورَها بتسكاب دمع سال كالماء من عينِ (٣

ولهُ قولهُ:

كم اراعي الذلَّ حلماً وهو مشتدُّ الخصامْ
وألين القول لطفاً وهو فظٌّ في الكلامْ
جازِ من جازاك يا م فلي بقطعٍ وانصرامْ
واعتزلْ من خان عهدًا واخلُ من سوء اتهامْ

(نوفل الطرابلسيّ) هو نوفل نعمة الله نوفل ولد في طرابلس الشام سنة ١٨١٢ من اسرة وجيهة. ولمّا ترعرع رافق والدهُ في خدمة محمّد عليّ باشا الى مصر فدرس على اساتذتها ثم عاد الى الشام سنة ١٨٢٨ وبعد سنتين قتل والدَه ظلماً ابراهيم باشا وكان خُدع بوشاية اعدائهِ ثم عرف غلطهُ فقدَّم نوفل ابن المرحوم وقلَّده عدَّة مناصب في بيروت وطرابلس الى ان استقال من الخدمة وتعيَّن كترجمان لقنصليَّتي المانيـة وامريكا في وطنهِ. وقضى بقيَّة عمرهِ في التأليف الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٨٧. ولهُ تآليف حسنة تشهد لهُ بسعة علومهِ وتدقيقهِ. طُبع منها كتاب زبدة الصحائف في اصول المعارف وسوسنَّة سليمان في اصول العقائد والاديان وصنَّاجة الطرب في تقدُّمات العرب وهو اعظمها فائدة. ونشر عدَّة مقالات في جرائد بيروت ومجلَّاتها لاسيما الجنان. وقد عرَّب عن التركية كتاب قوانين المجالس البلديَّة وكتاباً في اصل ومعتقدات الأمة الشركسية وكتاب حقوق الامم وكتاب دستور الدولة العلية في جزئين نال عليهِ جزاء من الدولة

ومن انسباء نوفل نعمة الله المذكور (سليم دي نوفل) ولد في طرابلس سنة ١٨٢٨ وبعد ان احرز جانباً من مبادئ اللغة والعلوم في وطنهِ تعيَّن وكيلًا لشركة البواخر الروسية ثم ترك الوكالة وسافر الى اوربَّة وعاين التمدُّن العصريّ في انكلترَّة وفرنسة. وبعد عودته الى مسقط رأسهِ اكبَّ على الدرس والمطالعة ونقل الى العربية رواية المركيز دي فوتنانج فطبعها سنة ١٨٦٠ وبقي على ذلك مدَّة الى أن انتدبتهُ الدولة الروسية باشارة قنصلها في بيروت الى تدريس العربية في كليَّة بطرسبورج فشخص اليها مع اهلهِ واقام فيها الى سنة وفاتهِ في خريف سنة ١٩٠٢ بعد ان حصل في عاصمة الروس على عدَّة امتيازات نالها بفضلهِ وسعة معارفهِ ومصنَّفاتهِ حتى نُظم في

(١ الميل في الميزان (٢ الدينار (٣ ينبوع الماء

جملة مستشاري الدولة وكان يعرف لغات متعدّدة يكتب فيها ويتكلّم بفصاحة ولاسيما الفرنسويّة ومن مصنّفاته بالفرنسويّة سيرة محمّد صاحب الشريعة الاسلامية وغير ذلك. وكان ينظم في العربية ومن شعره رثاؤه لوطنيه وصديقه سليم دي بسترس السابق ذكره فقال عند نقل رفاته الى وطنه ليدفن في ضريح اسرته:

العيدُ وافى يا سليمُ الى ما هذا التنائي عن الديار الى ما
ما حطّنا فيه التهاني وانّما اهدي اليكَ من الدموع سلاما
هاجت شجوني بعد موتك كلّها واسودّ عصري حاضراً وأماما
افقرتَ قلبي والديارَ كلاهما اضحى بعدك يا سليمُ ظلاما
ابكيكَ لا اسفَ الحياة فانّما حلمٌ تبطّنَ جوفهُ احلاما
ابكيكَ لا اسفاً لفقد شبيبةٍ مرّت كما خرق الشعاعُ غماما
أجلُ الزهور موقّتٌ بصباحها وكذا الملائك لا تطيلُ مقاما
لكنّني ابكي السماحةَ والنهى ابكي العُفاةَ اذا اتوكَ زحاما
ابكي الفقير على ضريحكَ واقفاً يذري الدموع على الخدود سجاما
ابكي اليتيم وقولهُ ابن الذي كنّا نقبّل كفّهُ اكراما

وختمها بقوله:

اعجزتَ شعري يا سليمُ فلا تَلُمْ هذه دموعي فلا تسلني كلاما

وقد عُرف من أُسرة نوفل غير المذكورين كمريم نخّاس نوفل المتوفّاة في ٢ نيسان سنة ١٨٨٨ ألّفت كتاب معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء طُبع قسمهُ الاوّل في مصر سنة ١٨٧٦. وكالياس افندي نوفل من شعراء العصر المجيدين وشعره متفرّق لم يُجمع بعد. فمن ظريف قوله ما رثى به سليم دي بسترس:

تلدُ الليلة البهيمةُ خطباً كلَّ آنٍ ولم تزل منهُ حبلى
باء بالبرق صعقة الرعد تدوي خبراً منهُ امطرَ الجفنُ وَبلا
بعزيزٍ بماجدٍ بأميرٍ قد فُجعنا ونحن بالشوق نصلى
قُل لوحش المنونِ يكفاكَ ظلماً قد غادى جفاكَ فتكاً وقتلا
خير شهمٍ اضمتَ من خير آلٍ لو بألفٍ فديتهُ قلتُ قلّا

وختمها بهذا التاريخ:

ربّهُ قال يا مباديَ صبراً مثل هذا الامين اخترت عدلا
جئتني بالصلاح ارّخت تُرجى من اتانا سليم قلبٍ تولّى (١٨٨٣)

(لها بقية)

نصبٌ لِحَمى كنيسةٍ في دمشق

لسعادة المسيو نويل جيرون قنصل فرنسة في دمشق

يسرُّنا ان ننشر في مجلّة المشرق خبر اكتشاف مهمّ جرى مؤخرًا في دمشق قريبًا من دار قنصليّتنا الفرنسويّة. ألا وهو نصبٌ حجريٌ وُجد في زاوية احد البيوت المجاورة لنا. فان شركة الترامواي عمدت في هذه الأيام الاخيرة ان تركز هناك سارية كهربائية فلما حفرت ظهر النصبُ للعيان. وما مرَّ على ظهوره بضع ساعات حتى أُقيمت السارية ورُدمت الحفرة وطُمَّ الاثر بالكلس. ألا انّنا لحسن الحظّ كنّا اسرعنا الى المكان فاخذنا رسم الكتابة وكذلك النائب القنصلي لدولة انكلترة صوَّر الاثر بالتصوير الشمسيّ مع الكتابة اليونانية التي عليه. والاثر المذكور عمودٌ ضخم من الحجر المانع المحبَّب المعروف برخام انكرانيت قد تحطَّم قسمٌ منهُ. امّا الكتابة التي عليه فينقص آخرها مع ما فُقِد من النصب وها نحن نورد هنا صورتها بالحرف الاصلي مع شرحها ملخَّصًا وفي نيّتنا ان نتّسع في الامر ونبيّن ما يتوط بهذا الاثر في نشرتكم المعروفة بطُرَف المكتب الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale)

✠ ΟΡΟΙΠΡΟCΦΥΓΙΟΥ
ΠΡΟCΤΕΘΕΝΤΟCΤΟΙCΕ
ΚΑΤΕΡΩΘΕΝΑΕΤΟΙCΟ
ΡΟΙCΤΟΙCΜΕΝΠΡΟCΦΕ
ΓΟΥCΙΝΗΚΑΙΤΟΝΤΟΠ
ΚΑΤΑΛΑΜΒΑΝΟΥCΙΝΕΧΟ
ΤΕCΤΟΑCΦΑΛΕCΤΟΙCΑ
ΑΠΑΓΟΜΕΝΟΙCΕΙΤΟΥΝ
ΔΙΑΓΟΜΕΝΟΙCΕΝΤΕΥΘΕΝ
ΟΥΚΕΧΟΝΤΕCΑCΦΑΛΕΙ
ΑΝΔΙΑΤΟΟΥΤΩΑΥΤΟΥΕ
ΤΥΠΩΘΗΝΑΙΥΠΟΤΕΤΟΥ
ΑΓΙΩΤΑΤΟΥΗΜΩΝΑΡΧΙΕΠΙC
ΚΟΠΟΥ . . . . . .
. . . . . .

وهذا تعريبها:

« حدود مكان الحِمَى مضافًا الى المداخل (frontons) من الجانبين فالذين يلتجئون

اليه او يدركونهُ ينالون الامان امّا الذين يبتعدون منهُ او يحيدون فقط فلا امان لهم. ومن ثمَّ قد رُسمت هنا (هذه الكتابة) في زمن اسقفيَّة مطرانا صاحب القداسة ....»

فترى ان الكتابة هنا مبتورة قد تلف منها اسم المطران الدمشقي ومن المحتمل انها كانت تتضمَّن ايضاً اسم والي المدينة واسم الامبراطور البوزنطي اللذين على عهدهما أُقيم هذا الاثر. امّا تاريخ الكتابة فلا يُعرَف تماماً وان امكنَّا القول دون شطط بأنها كُتبت نحو القرن السادس للمسيح. وكذلك لا نبعد من الصواب ان قلنا انَّ هذا الاثر كان لاحقاً بكنيسة دمشق الكاتدرائية اي كنيسة مار يوحنَّا التي حوَّلها بعد ذلك بنو امية الى الجامع الكبير المنسوب اليهم الى يومنا. ومن المعلوم انَّ الكنائس المسيحية منذ عهد القياصرة المتنصّرين كانت اصابت هذه النعمة على مثال مدن اسرائيل اللجانية بان يحتمي اليها الجُناة فلا يجوز قتلهم او اذاهم طالما يبيتون في حدود حماها. ولا شكَّ ان كنيسة دمشق كانت مخصَّصة بهذا الامتياز وقد افادنا صاحب الدار التي وجدت الكتابة في زاوية بيتهِ انَّ قطعتين أُخريَيْن في اساس البيت. فاملنا ان تُجرَى ثمَّ حفريَّات لاستخراج تلك البقايا الثمينة امل فيها تتمَّة الكتابة السابقة فنقف على اسم الاسقف الدمشقيّ المشار اليه ونعرف تاريخ الاثر ان شاء الله

مطبوعات ثمينة جديدة

REALENCYKLOPAEDIE [3], HERZOG-HAUCK, Bd. XXII, Register bearbeitet von H. Caselmann, *Hinrichs, Leipzig*, 1909

دائرة المعارف البروتستانية. الجزء الثاني والعشرون

لمَّا وصفنا آخر جزء من هذه الدائرة افدنا القرَّاء بأنَّ اصحابها يعدُّون لها فهارس واسعة تيسيراً لطلب موادّها. فهذا الجزء قد نجز الآن فأُرسل الى ادارة المشرق. والحقّ يقال انَّهُ غاية في الدقَّة والضبط اذ يذكر ليس فقط اسماء مؤلفي الدائرة مع ما لكلّ واحد منهم من الفصول التي وضعها بل هناك ايضاً فهارس موسَّعة لكافَّة الموادّ التي في هذا التأليف مسرودةً على ترتيب حروف المعجم مع الدلالة على اجزاء الدائرة وصفحاتها بل على اسطرها ايضاً. فترى انَّ هذا الجزء احسن ختام لذلك العمل العظيم الذي قام بهِ

علماء البروتستانت وهو يفيد اهل ملّتهم بادئ بدء. امّا الكاثوليك فاذا عرفوا التمييز بين الغثّ والسمين فلا بأس ان يراجعوا هذه الدائرة فيقتبسوا من انوارها دون ان ينخدعوا بما فيها من الاضاليل س. ر

Die Kommentarē des Suhailî und des Abu Ḍarr zu den Uḥud-Gedichten in der Sira des Ibn Hiśâm. vorgelegt von Arthur Schaade, *Leipzig, A. Pries*, 1908, pp. 63

تفسير السُّهيلي وابي ذرّ على ابن هشام

سيرة الرسول لابن هشام من اغنى التآليف بالقصائد والشذرات اللغويّة التي نقلها المؤلف عن قدماء العرب ولذلك تولّى شرحها الادباء اخصّهم السُّهيلي وابو ذرّ. وتلك الشروح حتى يومنا لم تُنشر بالطبع الّا ما ابرزه منها المستشرق برونل (Broennle) في تاريخ واقعة بدر. فأحبّ احد طلبة العلم في المانية المسمّى «ارتور شاده» ان ينشر شروح الكاتبين المذكورين على ما رواه ابن هشام من تاريخ واقعة أُحد واضاف الى ذلك عدّة ملحوظات لغوية وتاريخية فنشكره على حسن سعيه ل. ش

Abû 'l-Maḥâsin Ibn Taghri's Birdî Annals (vol. II, part 2. No. 1). Edited by William Popper, *Berkeley, University Press*. 1909. IV-128

تكملة النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة

ليس بين المؤرخين المصريين من اصاب بعد الامام المقريزي شهرةً كابي المحاسن يوسف بن تغري بردي فانّهُ برّز بالعلوم التاريخيّة وألّف كتباً جليلة اخصّها كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة في عدّة مجلّدات. وكان المستشرق الهولندي جوينبول (Juynboll) قد باشر في طبع هذا التأليف الواسع فنشر منهُ مجلّدين ضخمين بعد مراجعتهما على عدّة نسخ واضاف اليهما الفهارس المفيدة. ثم صدّت المنية هذا العالم عن تتمّة العمل بعد بلوغهِ الى اخبار الدولة الفاطمية. فبقيت الطبعة مبتورةً ويسرّنا اليوم ان نرى احد علماء اميركا الاستاذ وليم بوبر مواصلاً لهذا المشروع فاهدانا منهُ قسماً يحتوي اخبار الخليفتين الفاطميّين ابي منصور نزار العزيز بالله والحاكم بامر الله منصور بن نزار اعني من السنة ٣٦٥ الى ٤١١ هـ (٩٧٦—١٠٢٠م). والحقّ يقال انّ المؤرخ قد اغرب في سرد هذا التاريخ عن سعة تنقيبهِ ودقّة نظرهِ في الامور وتفنّنهِ

في الرواية ما يكسبهُ ثناء العلماء كما انهم يشكرون همّة متولّي نشر الكتاب واتقانهُ لطبعهِ وضبطهِ. وقد لحظنا فيهِ بعض اغلاط طبعية الّا انها قليلة. فنحضّ ادباء بلادنا على مطالعة هذا السفر الجليل فانهُ يوقفهم على غرائب حياة ذينك الخليفتين لاسيما الحاكم بامرهِ الذي لا تزال اعمالهُ مدهشةً لكلّ ذي عقل سليم . ذلك ونتمنّى كل الاقبال والنجاح لهذا المشروع حتى يبلغ تمامهُ قريباً بل نرغب الى المسيو بريه ان ينشر بعدهُ كتاباً آخر لابن تغري بردي ليس هو باقلّ فائدة منهُ نريد كتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي وهو يتضمّن تراجم الاعيان الذين ازهروا في القرن الثالث عشر الى الخامس عشر للمسيح في ستة مجلّدات ضخمة ل . ش

Le Prologue-Cadre des Mille et Une Nuits, les Légendes Perses et le Livre d'Esther par **Emmanuel Cosquin** Correspondant de l'Institut, *Paris, Lecoffre.* 1909. pp. 80

الف ليلة وليلة والاساطير الاعجمية القديمة ونسبة سفر استير اليها

انّ تحامل بعض المتطاولين على الاسفار المقدّسة قد بلغ مبلغاً غريباً فتراهم اذا وجدوا في مطالعتها مشكلاً تاريخياً او لغوياً او علمياً صاحوا بالويلات وطلبوا لعقدتهم حلّاً ولمعضلهم فرجاً مهما كان في الغرابة بمكان. فمن ذلك انّهم وجدوا في سفر استير بعض الاشارات الى احوال الفرس وتواريخهم وآدابهم فارتأوا بان هذا الكتاب ليس بتاريخي لكنهُ مستعار كمقدّمة كتاب الف ليلة وليلة من اساطير عجمية قديمة وكاد رأيهم ينتشر بين البسطاء. الّا انّ احد العلماء المستشرقين المسيو كوسكين احد المراسلين للمجمع العلميّ في باريس تعرّض لمزاعم اولئك الكتبة فابطلها بمقالتين نشرهما اوّلاً في النشرة الكتابية للآباء الدومنيكان ثم طبعهما على حدة. وقد اخذنا العجب مما اظهرهُ الكاتب في هذا التأليف من العلم الواسع بالآثار الشرقية الهندية والفارسية والعربية ومن قوّة براهينهِ لتفنيد مزاعم خصومه جازاهُ ربُّهُ كل خير لدفاعهِ عن كلام الله والاسفار المنزلة ل . ش

Jean d'Annezay. Au Pays des Massacres. Saignée arménienne de 1909, *Bloud et Cie*, pp. 38, *Paris*

الى بلد المجازر

يريد الكاتبُ المذابحَ التي جرت في اواسط نيسان في ولايتي حلب وآطنة. فانهُ

بعد تلك الحوادث المشؤومة قدم الى محلّ وقوعها وبحث البحث المدقّق من كل تفاصيلها واستنطق الاهلين عن عللها واسبابها الصحيحة وتبيّن الذين لعبوا فيها الدور المفجع . فلما عاد الى باريس دوّن نتيجة ابحاثه في هذا الكتاب واوضح كل ما رآهُ وسمعهُ بكل عدل وانصاف دون محاباة بالوجوه ر.ش

ܡܐܡܪܐ ܡܚܬܪܐ ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ ܣܪܘܓܝܐ

ميامر منتخبة لمار يعقوب السروجي

طُبعت في ليبسك . الجزء الثالث ١٩٠٧ ص ٩١٤ والجزء الرابع ١٩٠٨ ص ٩١٦

يدعو السريان مار يعقوب السروجي كنّارة الروح القدس ومزهر الكنيسة الارثوذكسيّة . وما لا ينكر انهُ لم يقم بعد القديس افرام كاتب بينهم اغزر مادّةً وابلغ كتابة وارقّ نظماً منهُ لولا انهُ (كما اثبت اليوم العلماء من بقايا كتاباته) كان مناهضاً للمجمع الخلقيدوني ولعقيدة الطبيعتين في السيّد المسيح وإن سعى البعض ان يبرّئوهُ من ذلك . ومع شهرة هذا الكاتب الجليل لم يُنشر مجموع اعماله بالطبع حتى يومنا هذا . وعليه يحقّ الشكر لوطنيّنا حضرة الاب بولس بدجان اللمازريّ الكلدانيّ الذي جمع عدّة نسخ مخطوطة من تآليفهِ فاختار منها اخصّ الميامر التي ألّفها السروجي في عقائد الايمان والاديبات وتفاسير الكتب المقدّسة واعياد السنة واخبار القديسين الشهداء وغير ذلك ممّا يشهد لاستقف سروج بوفرة الفضل وسموّ الادراك والمعارف الدينية الجمّة . وقد خدم حضرة القائم بطبعها الآداب السريانية والكنائس الشرقية اجلّ خدمة فأملنا ان يسرع كهنة بلادنا من سريان وموارنة وكلدان الى اقتناء هذا الكنز الثمين الذي يفيدهم للوعظ والارشاد والكتابة فضلًا عن فصاحة لغتهِ السريانية التي عهدوها في التسابيح الشاملة عليها كتبهم الطقسية لذاك الكاتب البليغ ل.ش

قانون الدعاوي الزوجية

تأليف الخوري بولس عويس (الجزء الثاني طبع في القاهرة ١٩٠٩ ص ١٩٤)

يواصل حضرة الخوري بولس عويس أبحاثهُ اللاهوتية ونشرهُ التآليف المفيدة في الحقّ القانوني وهو عمل جليل نذكره بالشكر والثناء على حضرتهِ لما في الامر من الفوائد الدينية والادبية على الهيأة الكنسية والشعب المؤمن . وموضوع هذا الجزء الثاني

قوانين الدعاوي اللاحقة بالزواج المكتمل والزواج المقرّر والطلاق الكامل بين غير المؤمنين والطلاق الغير الكامل او الهجر بين المؤمنين واسبابه واحكامه الى غير ذلك من المواضيع الجليلة الهامّة التي كثيراً ما يشكل حلّها على العلماء القانونيين المبرّزين فلا يبدون فيها رأياً الّا بعد طول النظر والبحث والتنقيب وعرض احكامهم على رعاة الكنيسة. وقد استفتى حضرة الكاتب مهرة القانونيين الموثوق بمؤلّفاتهم فاسند اليهم اقواله وكثيراً ما نقل احكام المجامع الرومانية وشرحها شرحاً وافياً. على انّنا بعد ان تصفّحنا قسماً من الشروح اضحينا في ريبة بشأن لياقة نشر بعضها نشراً مسهباً فقد كان يكفي التلميح الى كثير منها هذا ما ارتأيناه غير جاهلين ان الكتاب قد نُشر لفائدة القليلين من الكهنة او اعضاء المحاكم الاسقفية تاركين الحكم في تردّدنا لمن هو اعلم واعرف ومكررين الثناء على همّة الاب الجليل ومعارفه ا. ر

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ الروزنامة الاهلية لسنة ١٣٢٧–١٣٢٨ مصريّة الموافقة لسنة ١٩١٠ غربية

٢ مطبوع الارمن الكاثوليك لسنة ١٩١٠ المعروف بمطبوع المكتبة السومسيّة

٣ لمحة تاريخيّة في اديار ماردين القديمة ودير مار افرام السرياني المشيّد عام ١٨٨٤ بقلم القس اسحق ارمله السرياني ١٩٠٩ ص ١٦

٤ ما تحويه خزانة كتب نيويورك من المطبوعات العربية المختصّة بالشعر List of Works in the New-York public Library relating to arabie Poetry, pp. 25

٥ مقالة في تاريخ الحسن بن ابراهيم بن زولاق Richard Gottheil: *Al Ḥasan ibn Ibrahim ibn Zulak*

٦ مقالة في منازل القمر وفقاً لفلكيي العرب E. Griffini: *Intorno alle Stazioni lunari nell'astronomia degli Arabi*

٧ ما يُعرف عن موقع اورشليم القديمة Paul Berto: *Ce que l'on sait sur la Topographie de l'ancienne Jérusalem*, Paris, Durlacher, 1908 pp. 29

٨ مقالة لاحد الكتبة الموسويين في اسماء الله الحسنى وصفاته تعالى Ignaz Goldziher: *Ein anonymer Traktat zur Attributenlehre*, Budapest, 1909, pp. 29

٩ ما يحويه الحديث من بقايا تعليم الافلاطونيين والاديين Idem: *Neuplatonische und gnostische Elemente im Ḥadîṯ*, pp. 29

شذرات

* ارجوزة ابن الباريّة في الشطرنج * وقفنا على هذه الارجوزة في نسختين خطيّتين من مخطوطات مكتبتنا الشرقية فأحببنا نقلها لحسنها ولمقام ناظمها المتوفى سنة ٥٠٦ (١١١١م) وهو الذي نظم بالرجز كتاب كليلة ودمنة وكتاب الصادح والباغم. امّا اسماء حصى الشطرنج التي استعملها المؤلف فهي تخالف نوعاً الاسماء المصطلح عليها اليوم فالشاه هو الملك. والفرزان عندهم الوزير وهو في لغتنا الملكة. والرخ طائر يرافق عندنا البرج. والفيل يُعرف اليوم بالفرس. والشاة تدعى المجنون. والبيادق المُشاة. وقد افتتح الناظم كلامهُ بهذه الفقرة

« فصل في موضوع علم الشطرنج وما فيه من الحكم: قيل هو عقلان يتجادلان. وجيشان يتقاتلان. تجمعهم رقعة الجلود. الشبيهة ببقعة الوجود. وُضعوا امثالاً في غاية التحرير. للخيل والرجال والملك والوزير. يتناظرون بالدرج والدقائق. ويوزنون بميزان الحقائق. ارجوزة شعرية نظم الشريف ابن الباريّة »

الشاةُ لا تحضر عند الشاهِ ... لأنّها من اعظم الدواهي
والرخُ لا يولَجُ في المضايقْ ... اذ ذاك بالطيور (١ غيرُ لايقْ
والفيلُ (٣ في الخندق كالتحصينِ ... وضربهُ الفُرْضيّ كالكمينِ (٢
كذا امتضادُ الشاهِ بالفرزانِ ... موعظةٌ في السرّ للسلطانِ
ليتّقي في الخطب بالوزير ... مفوّضاً اليه في الامورِ
وكل انسانٍ فلا بُدّ لهُ ... من صاحب يحمل ما أثقلهُ
معاضدٍ في رأيهِ ونُصحهِ ... موافقٍ في حربهِ وصُلحهِ
والشاهُ (٤ قد يحمل في الأحيانِ (٥ ... وحربُهُ أغيظُ للأقرانِ
وذاك عند شدّةٍ شديدهْ ... وشوكةٍ وشيكةٍ حديده (٦
كذلك الموضوعُ في الشطرنجِ ... اشارةٌ الى السبيل المنجي
والمرء يفدي نفسهُ بوفرهِ (٧ ... عساهُ ينجو من وثاق أسرهِ (٨
كذاك في الشطرنج يُفدى الشاهُ (٩ ... بغيرهِ من عظم ما يغشاهُ
والتاجر الكيّس في التجارهْ ... من خاف في متجرهِ الخسارهْ

١) وفي نسخة: بالطريق ٢) في الاصل الفتد ونظنّهُ تصحيفاً ٣) وفي نسخة: وضربة الفرضي كالكمينِ ٤) ويروى والشاةُ وهو تصحيف ٥) ويروى: الإحسان ٦) ويروى: جديده ٧) ويروى: بوفده ٨) ويروى: اثرهِ وهو تصحيف ٩) ويروى تُفدى الشاةُ وهو غلط

يجهد في تحصيل رأس ماله ويتركُ الربح مع اختلاله
كذاك في الشطرنج حفظ البَيْذَق والفيل اصلٌ (١ مع مبادي الفَيَلِ
اذ ليس في العالم شيء يُحتَقَر (٢ وربما أسالتِ النفسَ الإبَر
انَّ اقترانَ الفيل بالفرزانِ في اوّل الصفّ وبالسلطانِ
ومرزبانُ الملك بالرجالِ والمالِ لا مُلك بغير مالِ
واليد بالساعد والبنانِ وهكذا الرجالُ بالاخوانِ
ومن وصايا حُكماء الهندِ في ذاك يا مَن نُصحُهُ (٣ يجهدِ
لا تطلبِ الغايةَ باللجاجِ وكُن اذا كُويت ذا نَضاجِ (٤
فما انا (٥ القائم من اهل اللَّعِبْ ذو قوّةٍ ظاهرةٍ الّا غُلِبْ
وقلَّ من يلعبُ بالقوائمِ (٦ الّا فتى بالحرب (٧ غير عالمِ
والبغيُ داءٌ ما لهُ دواءُ ليس لملكٍ (٨ معهُ بقاءُ
لا تحقرنَّ راجلًا (٩ في الفيلِ فربَّما غلبتهُ (١٠ بالبَيْذَقِ
لا تعجلَنْ بأخذِ ما قد تُركا وانظر لِمَا يتركهُ (١١ الرخُّ لكا
فربَّما كادت بهِ (١٢ مكيدهْ تظهرُ في قتلاتهِ الشديدهْ
لا تُحرجِ الخصمَ ففي إحراجهِ جميع ما تكرهُ من لجاجهِ
وان رأيت النصر قد لاح لكا فلا تقصّر واحترزْ ان تهلكا (١٣
أضعِفْ قوى الخصمِ فانَّ ضعفهُ يُدني وان طال مداهُ حتفهُ
وان أتى في جحفلٍ عظيمِ من الموالي او من الصميمِ
وجندهُ اكثرهم (١٤ مجتمعهْ لطمع في الكسب اذ جاؤوا معهْ
فأشغلهم بالنهب (١٥ عنهُ وابدرهْ كقتلهِ الشامات (١٦ كيما تقبرهْ

١) ويروى: صلّ ٢) ويروى: محتقر ٣) ويروى نصحهُ واليت مكسور ٤) ويروى: بالانضاجِ ٥) ويروى ابا (كذا). وظنّ الصواب: فما أنى القائمَ ٦) ويروى: بالفسق اثم وهو تصحيف ٧) ويروى: بالحروب وهو مختل الوزن ٨) ويروى: الملك وهو غلط ٩) ويروى: رجلًا
١٠) ويروى: قتلتهُ ١١) ويروى: لماذا تركهُ ١٢) ويروى: كادتهُ وهو غير صحيح الوزن ١٣) هذا البيت لا يروى في احدى النسختين ١٤) ويروى: اكثر وهو مختل الوزن
١٥) ويروى: فاشتغل بالنقل وهو مكسور ١٦) ويروى: كقتلهِ. والشامات اي الشاه مات

وان هو استغنى عن المبارزهْ وكنت أحظى منهُ في المناجزهْ
فاخدعهُ كي يكشفَ للقاء انَّ الخداع آيةُ الدهاء
وان يكن قد عقد الفرزانا مالًا وطلبَ الأمانا
واصبر لهُ حتى يحلَّ عقدهُ منتحًا بيده ما سدَّهُ
واحرص لتفني بالخداع ما لهُ ولا تُبقِي رحمةً رجالهُ
هذا يسيرٌ من كثيرٍ ما نحَوا في لعب الشطرنج فافهم ما حووا
قد رمزوهُ للهدى مثالا انَّ الحكيم يضرب الامثالا
وهذه خاتمةُ الارجوزهْ وما حوت من حكمٍ عزيزهْ

بُشرَى مشتبهة بشرتنا مجلة النعمة في عددها العاشر (ص ٣١٢—٣١٣) باكتشاف عجيب كان حقيقاً ان يُعَدّ من اكبر الاكتشافات العصريّة لو صحّ . وتحرير الخبر كما روت النعمة انَّ الدكتور زرقوس اليونانيّ من اطباء ازمير حقّق بالحجج الدامغة في المؤتمر الطبيّ الذي عُقد من ٢٩ آب الى ٤ ايلول في بودابست عاصمة المجر « انهُ تمكّن من ان ينقل عدّة سانتيمات من أوردة وشرايين حيوانات الى اجسام غيرها وانَّ عملياتهِ نجحت نجاحاً باهراً في ذلك حتى وفي نقل الكلى والطحال من اجسام الى اخرى ... بل تمكّن من نقل اعين حيوانات ووضعها في مكان اخرى غيرها وانَّ نتائج عملياتهِ كلّها تؤيّد نجاحهُ نجاحاً تامًّا . وانهُ احضر معهُ من ازمير عشرين حيواناً ونيف اجرى فيها هذه العمليّات منذ سنة وانها كلّها لا تزال في اتم الصحّة » فاخذنا الاندهاش من هذا الخبر واسرعنا الى مكتبنا الطبي لنراجع ما هناك من المجلّات الطبية في كل اللغات الاوربية فوجدنا عدّة مقالات عن مؤتمر بودابست لكنّها كلها ساكتة عن الاكتشاف الذي ذكرتهُ النعمة واخذت تنقلهُ عنها الجرائد المحلّية فاملنا ان تعود النعمة فتحقّق الخبر وتنبئنا عن مصدرهِ او تزيّفهُ لئلّا ينخدع بهِ القرّاء

تمثال قيد الأمة تحت هذا العنوان نشرت الصفاء في صدرها مقالة لمحرّرها التي فيها على فائدة نصب التماثيل وجدارة قيد الأمة الامير محمّد ارسلان بأثر من ذلك . ثم كتب لنا جناب مكاتبنا الشيخ احمد افندي تقيّ الدين نبذةً في هذا المعنى استحسنّاها ولم يصدّنا عن نشرها سوى ضيق صفحات المجلّة وانّما نتمنّى كحضرة الكاتب ان تزدان ساحات مدننا بتماثيل مشاهير الرجال ليبعث نظرها

الحميَّة في قلوب الشبَّان فيقتفوا بآثار من تقدَّمهم في سبيل البرّ والاعمال الشريفة او المشروعات الوطنية النافعة. وناهيك ما في ذلك من عبرة وذكرى لأولي الالباب

اسئلة واجوبة

س سأل من زبوغا حضرة الخوري مكسيموس سلوف: ١ً اتكون ممارسة رجل لطقس غير طقسه زمناً كافياً لتغنيهُ عن طقسهِ الاصلي عند حضور خوري من طقسهِ الاصلي. ٢ً أيمكن العقل البشري دون الوحي ان يبرهن بنوعٍ قطعيّ حقيقة قيامة الاجساد

ممارسة طقس غير الطقس الاصلي – العقل وقيامة الاجساد

نجيب على (الاوَّل) انَّ البابا لاون الثالث عشر في براءتهِ (Orientalium dignitas) صرَّح بانَّ ممارسة الانسان لطقس غير طقسهِ وان طالت لا تغنيهِ عن الرجوع الى طقسهِ الاصليّ عند حضور كاهن منهُ. ومن ثمَّ يجب عليهِ ان يتبع بعد ذلك عادات طقسهِ في اقتبال سرّ القربان والزواج وبقيَّة الاسرار وان خالف اخطأ ولن وُجد في طقسهِ مانع مُبطل للزواج بطل زواجهُ ولزمهُ عرضُ امرهِ الى المراجع القانونيَّة. وجوابنا على (الثاني) انَّ العلماء على رأيين فمنهم من يزعم انَّ العقل كافٍ لاثبات حقيقة القيامة لانَّ حالة النفس قبل قيامة الاجساد غير حالتها الطبيعية فلا تزال تتوق الى رفيق حياتها ريثما تحظى بهِ. كما انهم يقولون بانَّ الثواب يُقتضى للشخص الذي استحقَّهُ والمستحق انما هو الانسان في نفسهِ وجسدهِ معاً. ومنهم من لا يرى في هذين الدليلين موجباً للاقناع فيقول انَّ الوحي وحدهُ يأتي بالحكم الفصل في ذلك. واما العقل فيبيّن صلاحيتهُ فقط ولياقتهُ دون القطع بهِ بتاتاً اذ يكفي الانسان ان يجازى بقسمهِ الافضل اي النفس

س وسأل احد ادباء المسلمين في البلدة ما قولكم في آية رسالة يوحنَّا الاولى (ف٥ ع٧) «انَّ الشهود في السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد» أهي أصليَّة من قول الحواريّ او زيدت على الاصل كما يقول بعض العلماء

آية يوحنَّا على الشهود الثلاثة

ج لا مراء انَّ هذه الآية ناقصة في عدَّة نسخ مخطوطة قديمة من اسفار العهد الجديد فيقول البعض انها أُسقطت بكيد الهراطقة فاثبتتها الكنيسة بعد ان رجَّحت صحَّتها منذ القرن الرابع للمسيح. على انها حتى يومنا هذا لا تمنع العلماء الكاثوليك عن البحث بالامر امَّا نفياً واما اثباتاً كما انها لم تسند تعليمها في التثليث الى هذه الفقرة وحدها ل. ش

المشرق

اولياء الله في لبنان

نظرٌ تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

لمَّا صنَّف حضرة الاب هنري لامنس كتابهُ المعنون بتسريح الابصار في ما يحتويهِ لبنان من الآثار كان معوَّلًا على وضع فصلٍ في تاريخ القديسين الذين يكرمهم اللبنانيون في كنائسهم ويتعبَّدون لهم ويحجُّون الى مزاراتهم وينذرون لهم في بعض حاجاتهم الخاصَّة ويلتمسون بشفاعاتهم النجاة من بعض البلايا والاسقام ويقيمون لذكرهم اعيادًا ومواسم في ايَّام معلومة. الَّا انَّ الاشغال لم تسمح لهُ بتحرير تلك المقالة فرحل الى مصر وتوَّجه فكرهُ الى غير ذلك من التآليف التي لا يزال يخدم بها الآداب الشرقيَّة

على انَّ كثيرين من القرَّاء ألحُّوا علينا غير مرَّة بان نفيدهم شيئًا عن اولئك الابرار الذين يتردَّد ذكرهم على السنتهم لشيوع عبادتهم بينهم وهم لم يكادوا يعرفون من تاريخهم الَّا النزر القليل ممَّا علقت بهِ اذهانهم سواء تلقَّوا ذلك من اجدادهم باسانيد متواصلة ام سمعوهُ من قراءة بعض المجاميع الحاوية لاخبار القديسين التي يدعونها بالسنكسارات وهم لا يعلمون شيئًا من صحَّتها واصل الموارد التي نُقلت عنها

فسدًّا لهذه الثلمة جمعنا اسماء الاولياء الذين شُيِّدت على اسمهم بعض الكنائس في انحاء لبنان والجهات المجاورة لهُ او تُنشد لذكارهم الاناشيد العامِّيَّة او يُستشفع بهم في بعض الآفات كالطاعون واوجاع العيون والامراض المختلفة فسردنا اسماءهم وبحثنا عن آثارهم واخبارهم لتدوينها في مقالة افردناها اليوم لهذه الغاية

وهذه الطريقة التي نهجناها في تسطير مقالتنا، انّنا نورد على ترتيب حروف المعجم اسماء القديسين الذين رأينا لهم ذكرًا في لبنان او في جواره فنثبت لكل واحد منهم خلاصة اعماله مع بيان ما يختصّ بذكره ومظانّ تاريخه ليرجع اليها القرّاء ان ارادوا زيادةً على ما نرويه ملخّصاً

هذا ونحن نشكر سلفاً لكلّ من يأتينا ببعض افادات عن القديسين المكرّمين في الامكنة البعيدة عنّا او يستدرك شيئاً ممّا يكون فرط منّا سهواً في منقولاتنا

﴿ إذنا ﴾ يُكرم هذا القديس في مقاطعة الفتوح حيث تشيّد دير على اسمه للرهبانيّة الانطونيّة. وعيده واقع في ١٢ تشرين الاوّل فيزور الناس كنيسته في ذلك اليوم وهناك صورته رسمها المصوّر الشهير دارد افندي القرم عن صورة قديمة وكذلك يُكرَم في شبطين وحدشيت والزاوية. امّا اسم القديس قسرياني « أوذُل » معناهُ الاذن لأنّ اهل لبنان يلتجئون اليه لشفاء وجع الآذان. واسمهُ الصحيح طراقوس (Tarachus) وهو رومانيّ الاصل. ولدهُ نحو السنة ٢٤٠ للمسيح. انتظم في سلك الجنديّة وكان في فرقة قدمت بلاد قيليقية. فلمّا ابرز الامبراطوران ديوقلطيانوس ومكسيميانوس امرهما في امتحان النصارى وقهرهم على جحود دينهم كان طراقوس احد الضبّاط الذين ابوا الخضوع لهذا الحكم الجائر مع رفيقين آخرين اسمهما پروبس واندرونيكوس فاستنطقهم الحاكم فوميان مرارًا فاعلنوا بايمانهم في مدينة بيبيّو بوليس ثم في طرسوس ثم في عين زربة فقاسوا من العذابات الوانًا كالدخان والسياط والنار وقطع الاعضاء. منها قطع الشفاه والآذان ولذلك يلتجئ اللبنانيّون الى القديس طراكوس في مرض الآذان. وكان آخر جهاد القديسين في مدينة المصيصة حيث ألقوا فريسة للسباع في الالعاب العموميّة الّا ان الحيوانات لم تمسّهم بأذى فامر الوالي بان تُقطع رؤوسهم فقُطعت. وقد كتب اهل عين زربة خبر استشهادهم مطوّلًا تجدهُ باليونانيّة في اعمال القدّيسين للآباء البولنديين (ج ٥٣ ص ٥٦٠—٥٧٤) اطلب ايضًا مكتبة القديسين اللاتينيّة لهم (Bibl. Hagiog. latina, BHL p. 1155) واخبارهم نُشرت في كتاب مروج الاخبار في ١١ تشرين الاوّل

﴿ الاربعون شهيدًا ﴾ هم شهداء سبسطيّة (سيواس) من اعمال ارمينية

كانوا جنوداً في جيش لوقينيوس قيصر فلمَّا اغتصبهم الحاكم ليكفروا بدينهم ويعبدوا الاصنام فضَّلوا الموت في سبيل الله وعُرضوا على مُجيرة مجلَّدة في ليلة قارصة البرد فماتوا شهداء نحو سنة ٣٢٠ للمسيح في اليوم التاسع من آذار وكل الكنائس الشرقيَّة تحتفل بعيدهم في ذلك اليوم امَّا الكنيسة اللاتينيَّة فتعيّد لهم في ١٠ آذار. وفي لبنان وبلاد سوريَّة عدَّة كنائس مشيَّدة على اسمهم نخصّ منها بالذكر كنيسة الاربعين في بيروت التي كانت قرب كنيسة مار جرجس الحديثة وترى الى يومنا بعض اخربتها. اطلب اعمال القديسين البولنديين (ج ٨ ص ١٢—٢٩) ومكتبة القديسين اللاتينيَّة (BHL 1092) ومكتبة القديسين الشرقيَّة لحضرة الاب البولندي پيترس (P Peeters: BHO, 156). وقد اثبتنا في المشرق (٥: ٢٥٧) ميمراً في مدح هؤلاء الشهداء لابي الحلم ايليَّا الثالث ابن الحديثي

﴿ ارسانيوس ﴾ هذا احد القدّيسين الذين يبالغ في اكرامهم رهبان لبنان خصوصاً. لهُ مذابح على اسمهِ في كنائسهم وذكرهُ شائع في انحاء الجبل يتسمَّى باسمهِ كثيرون. هو ارسانيوس الروماني المولد والمنشأ وُلد في اواسط القرن الرابع وتضلَّع بالعلوم والآداب حتى اتخذهُ الملك ثاودوسيوس الكبير كمعلّم ومهذّب لولديهِ اركاديوس وانوريوس فعُني بتثقيفهما مدَّةً ثم اعتزل عن العالم سنة ٣٩٤ وسار الى برِّيَّة الاسقيط وعاش بين سيَّاح الصعيد عيشة ملائكية نيفاً وخمسين سنة قضاها بكلّ الفضائل الرهبانية حتى نما ذكرهُ الى اقاصي العالم الروماني وقصدهُ وجوه المملكة ليتبرَّكوا بهِ وهو لم يزدد الَّا نفوراً من جاه الدنيا واباطيلها. كانت وفاتهُ في مكان نسكهِ نحو السنة ٤٥٥ بشيخوخة صالحة. تجد اعمالهُ في تراجم الآباء التي طبعها مين (Migne. PP. LL. LXXIII, 762-794) ثم في اعمال القديسين البولنديين في تاريخ ١٩ تموز (ج ٣١ ص ٦٠٥—٦١٦) وكذلك في مكتبة القديسين اللاتينية (BHL, p. 115) اطلبها ايضاً في مروج الاخبار في التاريخ عينهِ

﴿ أسيا الشهيد ﴾ هذا الاسم سريانيّ الاصل « ܐܣܝܐ » معناهُ الطبيب ذكرهُ شائعٌ في عدَّة امكنة من لبنان وبعض مدن سوريَّة. واسمهُ هذا لقبٌ وكان يُسمَّى بنطليمون ويكرمهُ الروم الكاثوليك والارثدكس وهم يدعونهُ بنديليمون وكان مولدهُ في نيقوميدية من اعمال بيثينية وتخرَّج على أدباء عصرهِ وبرع في الطبّ ثم

اجتمع بشيخ فاضل اسمهُ ارملاوس دعاهُ الى النصرانية فلبّى دعوتهُ وصار يشفي من المرضى بقوّة ايمانهِ من لم يستطع بأدريته فافرغ عليهِ مكسيميانوس سجال غضبهِ رجاء ان يعود الى عبادة الاوثان فلم يثنِ عزمهُ فأمر آخرًا بقطع رأسهِ مع ارملاوس الشيخ الذي هداهُ الى الايمان. وقد تمّ استشهادهُ سنة ٣٠٥ في ٢٧ تموز وفيهِ يكرمهُ الشرقيّون والغربيّون معاً. وقد ذكرهُ ربّان صليبا اليعقوبي في كلندارهِ في ١٥ آب و ١ تشرين الاوّل (P. P. Peeters: *Martyrologe de Rabban Sliba*. 139, 158). اطلب ايضاً مكتبة القدّيسين اللاتينيّة (BHL. 929)

﴿ اسيا الحلبي ﴾ انّ الكنائس الشرقيّة تعرف سيّاً للقديس المذكور يجعلون مقامهُ في جهات حلب ويدعونهُ اسيا الحلبي. جاء في السنكسار الماروني انهُ كان من جنس شريف واشتهر بعجائبهِ في أيام تاردوسيوس الكبير وكان ترهّب اوّلاً في طور سينا ومارس هناك اسمى الفضائل ثمّ قدم الى انطاكية وبنى في جوارها ديرًا اجتمع فيهِ عدد غفير من الرهبان وكان القديس اسيا يهتمّ بتدبيرهم ومنحهُ الله موهبة المعجزات حتى انهُ عُرف باسيا العجائبي. توفّي في اواخر القرن الرابع للمسيح وعيدهُ في كلندار السريان في ١٥ تشرين الاوّل وفي كلندار الموارنة في ٥ تشرين الثاني

﴿ اشعيا او شعيا ﴾ هو القديس الذي على اسمهِ أُنشئت الرهبانيّة الانطونيّة جاء في ترجمة حياتهِ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ما نلخّصهُ قال: كان ابوهُ والياً على حلب في أيام قسطنطين وهو يسمّى سوماخوس وكانت قرينتهُ مريم عقيماً فلم يزالا يستحرّان بالصلاة حتى ازال الله عقمها فولدت ابناً دُعي اشعيا فربّاهُ احسن تربية حتى اذا بلغ سنّ الزواج ارادا ان يقرناهُ بابنة شريفة تُدعى حنّة لكنّهُ اتّفق مع قرينتهِ ان يعيشا بالعفاف. وبعد ثلاث سنين بلغ اشعيا خبرُ مسار اوجين تلميذ القديس انطونيوس الكبير الذي جاء من الصعيد لينشر في الشرق الطريقة الرهبانيّة فرغب ان يزهد بالدنيا وانتقل برضى امرأتهِ الى حيث كان اوجين مقيماً في بلاد الجزيرة فترهّب في جبل ايزلا واهتمّ بدعوة سكّانهِ الوثنيين الى الايمان مع القديس اوجين وعاش في الرهبانيّة ٧٢ سنة قضاها بالصوم والصلاة وكافّة اعمال البرّ ولم يخرج من مسكنهِ الّا لزيارة القدس الشريف وليحضر في دير الراهبات وفاة قرينتهِ حنّة بالهام من الله. وكانت وفاتهُ هو في اواخر القرن الرابع او اوائل الخامس وعمرهُ ٩١ سنة.

وعيدهُ في الكنيسة المارونيَّة والسريانيَّة في ١٥ تشرين الاوَّل وهو يوم وفاتهِ

﴿ اغناطيوس النورانيّ ﴾ هو تلميذ الرسل الحواريين والخليفة الثاني لبطرس الرسول على كرسي انطاكية بعد ايودیوس والملقَّب بتاوفورس اي حامل الله . دبَّر كنيستهُ ثماني وثلاثين سنة من ٧٩ بعد المسيح الى سنة ١٠٨ فنمت بهمّته نموًّا عظيماً . فلمَّا ضبط طرايانوس قيصر زمام المملكة الرومانيَّة بلغهُ خبر القديس فاستدعاهُ الى رومية حيث امر بان يُلقى للسباع فمات فرحاً مسروراً في سبيل ايمانهِ . ولهُ الرسائل العجيبة التي وجَّهها الى عدَّة كنائس كازمير ورومية يعتبرها العلماء من اخطر الآثار النصرانيَّة واقدمها . والكنائس الشرقيَّة كلها تكرم هذا القديس . امَّا يوم عيده فيختلف عندهم فالموارنة والروم يذكرونهُ في ٢٠ كانون الاوَّل والسريان في ١٦ تشرين الثاني و٢٩ كانون الثاني . امَّا الكنيسة اللاتينية فخصَّت لعيدهِ اليوم الاوَّل من شباط وترجمتهُ في مروج الاخيار في تاريخ هذا اليوم . اطلب اعمال البولنديين (١٣:٤—٣٧) ومكتبتي القديسين اللاتينية (BHL, 630) والشرقية (BHO, 102)

﴿ افرام السرياني ﴾ هو فخر الكنيسة السريانية ونورها الساطع . ولد في اواخر القرن الثالث او اوائل الرابع للمسيح في نصيبين . فلمَّا ترعرع تتلمذ لاسقف تلك المدينة القديس يعقوب الشهير فتخرَّج تحت قيادتهِ في الطرق النسكية والعلوم الدينية والادبية وصار بعد قليل كثيان الاسقف يسعفهُ في كل اعمالهِ الرسولية وهو شمَّاسهُ فقط . ثم اوى الى البريَّة بعد وفاة ذلك الراعي الصالح وفتح الفرس لنصيبين فانقطع الى كل اعمال النسَّاك من صوم وصلاة وتقشفات وملازمة الدروس الروحيَّة الى ان دعاهُ الله الى نشر الدين في مدينة الرها التي كانت فشت فيها البدع والشرور فبدَّد ظلام الهرطقات وارشد الشعب الى الصلاح وألَّف تلك المصنَّفات العجيبة النثريَّة والشعريَّة التي لا تزال اضوأ مصباح للكنائس الشرقيَّة يستضيئون بها ويهتدون بتعاليمها وقد فُقد منها كثير الَّا انَّ الباقي وهو لا يقلّ عن بضعة عشرة مجلَّدات ضخمة يشهد لصاحبها بالفضل العميم وقد جارى فيها اعظم ملافنة الكنيستين اللاتينيَّة واليونانيَّة . توفي القديس افرام سنة ٣٧٨ للميلاد وقيل غير ذلك . ولسمهُ لا يزال حيًّا في كل كنائس الشرق ولهُ في لبنان ديرٌ على اسمهِ يخصُّ السريان الكاثوليك . والشرقيُّون ولاسيما طوائف السريان يكرّمون تذكارهُ فيذكرونهُ في كلنداريهم في ٨ كانون الثاني وفي ٢٨

منهُ وفي ١٩ شباط وفي ٢ حزيران وفي ١٨ منهُ وهو يوم رقادهِ . اما الكنيسة اللاتينية فخصَّت لعيدهِ اليوم الاوَّل من شباط . وقد ذكرهُ القديس ايرونيموس في جملة مشاهير زمانهِ (De Vir. ill., 115) اطلب ترجمتهُ في البولنديين (Acta SS, IV : 49-77) وراجع المكتبتين اللاتينيَّة (BHL, 385) والشرقيَّة (BHO, 63)

﴿ اليان او يوليان ﴾ اشتهر كثيرون من اولياء الله باسم اليان او يوليان وقد عرف منهم اهل الشام اثنين خصوصاً وهما اليان الحمصي واليان الناسك منشئ دير القريتين . فاليان الحمصي ولد في اواسط القرن الثالث للمسيح في حمص وتعلَّم الطبَّ وكان مؤمناً بالسيِّد المسيح يطبب الفقراء مجانًا ويدعوهم الى الايمان ويزور الشهداء ويضمّد جراحاتهم فسُعي بهِ الى حاكم المدينة فتهدَّدهُ بالموت وعذَّبهُ العذابات المرَّة فلم يُغلَب صبرهُ حتى قضى عليهِ بالقتل فقُتل سنة ٢٨٩ على عهد الملك نومريان وقيل انهُ قُتل في عهد ديوقلطيانوس سنة ٣١٢ (اطلب المشرق ٩ : ٩٥٨ وكلنداو الكنيستين Nilles: *Kalendarium utriusque Ecclesiæ*, I, 95) وترجمتهُ الخطِّيَّة في احدى مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة سينشرها عمَّا قليل حضرة الاب بيترس اليسوعي في نشرة البولنديين (Analecta Bollandiana) اطلب مكتبة القديسين الشرقيَّة (BHO, 123)

امَّا اليان الثاني مؤسس دير القريتين فقد روى ترجمتهُ في المشرق (١٠ : ١١٥—١٢٤) حضرة القس اسحاق ارملة . يؤخذ منها انَّ اليان هذا او يوليان ولد في ارزن عند نهر الفرات قريبًا من آثور وزهد في الدنيا فعاش عيشة النُّسَّاك في براري حيداب وتتلمذ لهُ كثيرون منهم القديس افراهاط الفارسيّ الكاتب الشهير بالسريانيَّة ثم تجوَّل في برِّيَّة سينا وفي فلسطين وجهات الشام وسكن مدَّة في مدينة قورش ليردَّ اهلها من ضلالهم فنجح وأسَّس دير القريتين في منتصف الطريق بين تدمر ودمشق وفيهِ توفي سنة ٣٦٧ وقيل ٣٧٠ وعيدهُ هناك في ٢٢ ايلول حضرنا حفلتهُ فوصفناها في رحلتنا الى بادية تدمر (اطلب المشرق ٩ : ٩٥٧—٩٥٩)

﴿ أمون ﴾ هو احد النساك الذين يكرمهم الرهبان اللبنانيُّون خصوصاً يذكرونهُ في ١٥ اذار وفي ١٩ أيار كما ورد في السنكسار الماروني . اما اللاتين فذكرهُ في كلنداريهم واقع في ٢٦ كانون الثاني . كان احد نساك برِّيَّة نطرون في مصر تتلمذ

لهُ هناك عدد غفير من الرهبان قيل انهم بلغوا ٣٠٠٠ عدًا توفي بسلام سنة ٣٤٨. واعمالهُ قد كتبها معاصرهُ كرونينوس في تاريخ الرهبان وبلاديوس في تراجم الآباء. اطلب اعمال الاباء اللاتين لمين (Migne, PP. LL, LXXIV, 258) ومكتبة الاباء اللاتينية (BHL, 64) وفي تراجم البولنديين (Acta SS. L, 413-422)

﴿ انطونيوس الكبير ﴾ هو ابو الرهبان ومنشئ العيشة النسكية في الاديرة. كان مولدهُ في كوما من قرى مصر سنة ٢٥٠. سمع في ريعان الشباب آية الانجيل ان اردت الكمال بع كلَّ ما لك واعطهِ الفقراء وتعال اتبعني. فاتمَّ ذلك بالحرف وزهد في الدنيا واختلى في مغارةٍ منقطعاً لخدمة الله وللجهاد مع عدوّ النفوس حتى ظفر بهِ تماماً. ثم عرف بهِ مواطنوهُ فقصدوهُ ليعيشوا تحت تدبيرهِ فما لبثت القفار ان ازدهرت بفضائلهم واضحت البراري مساكن لاشباه الملائكة بعد ان كانت مأوى للوحوش. توفي القديس انطونيوس سنة ٣٥٦ ولهُ من العمر ١٠٥ سنوات في ١٧ كانون الثاني وعيده في ذلك اليوم في كل الطقوس. وذكره في لبنان شائع على اسمهِ عدَّة كنائس واديرة ولاسيما مار انطونيوس قزحيا (اطلب المشرق ٤: ٣٦١) ويزعم البعض دون سند بان القديس عاش هناك مدَّةً. وحياة ابي الرهبان قد كتبها القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندري. اطلب اعمال الآباء اليونان لمين (PP. GG. XXVI, 125-170) ومكتبتي القديسين اللاتينية (BHL, 99) والشرقية (BHO. 14)

﴿ انطونيوس البادوي ﴾ انتشرت عبادة هذا القديس على يد المرسلين الفرنسيسيين منذ القرن الخامس عشر. وعلى اسمهِ شُيّدت كنائس في الجبل كعبدا والمزرعة وغزير. امَّا القديس فكان مولده في لشبونة من اعمال البرتغال سنة ١١٩٥ ثم انتظم في سلك رهبان القديس فرنسيس وكان من اوّل تلامذتهِ فاستقى من موردهِ ونهج منهجهُ في الفضائل فقضى حياتهُ في كل البرّات كالوعظ والتعليم والتأليف ومات مغمضاً فضلًا وبرارة في ١٣ حزيران سنة ١٢٣١ ولم يتجاوز عمره ٣٦ سنة. وعُرف بالبادوي نسبةً الى مدينة بادوا في ايطالية حيث شاع فضلهُ امَّا سيرتهُ فتجدها في اعمال البولنديين (ج ٢٣ ص ١٩٦—١٦٩) وفي مروج الاخبار يوم وفاتهِ. وراجع مكتبة القديسين اللاتينية (BHL, 95)

﴿ اوتل ﴾ هو القديس الذي طلب منَّا عنهُ بعض افادات الطيّب الذكر

السيّد يوسف الدبس وذكر انَّ عيده واقع عند الموارنة في ٣ حزيران وان على اسمه كنيسةً في قرية كفر سغاب . وقد اجبنا في المشرق (١٠ : ٦٧١—٦٧٢) على هذا السؤال ثم وجدنا عن القديس غير معلومات في سنكسار اليعاقبة في نسخة خطية لغبطة البطريرك الجليل السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني وكذلك ورد ذكره في المكتبة الشرقية للسمعاني (٢ : ٢٦٥) وفي كلندار صليبا اليعقوبي (P. Peeters : *Martyrologe de Rabban Sliba*, 165, 185) في ٩ تشرين الاوّل و٣ حزيران . ومن كل هذه الشواهد يؤخذ انَّ اوتل او اوطيليوس ولد في مدينة تدعى مجدل او مجدلون في بلاد ليقية في آسية الصغرى نحو القرن السادس للمسيح من ابوين وثنيين . لكنَّهُ اصاب في صغره نعمة الهدى فتنصَّر وهرب من بيت والديه فراراً من الزواج فأبحر الى مدينة تدعى موميسطا (؟) وخلَّص ركّاب السفينة من الغرق ونزل في القسطنطينيَّة وتنسَّك في بعض اديرتها ثم عاد الى وطنه وسكن مدَّة في جوار انطاكية ثم في ليقية وفي آخر عهده هناك بشَّر الوثنيين بالخلاص وعمَّدهم وانجز حياتهُ في البريَّة في دير بناهُ بقربهم وسكنهُ الى سنة وفاته . وقد جاء في كلندار الكنيسة الانطاكيَّة للبيروني الذي نشرناهُ في المشرق (٦ : ٦١) اسم شهيد يدعى اوطيلوس في تاريخ ٢٣ ايلول ولا نعلم أهو القديس اوتل المذكور او غيرهُ

﴿ اوجين ﴾ او اوكين هو ابو الرهبان الشرقيين فالتقليد الثابت في الشرق انَّ اوجين هذا كان احد رهبان القديس انطونيوس في مصر فقدم بلاد الجزيرة مع ٧٠ راهباً ونشر فيها المناسك الرهبانية فصارت بلاد ما بين النهرين شبيهة ببراري الصعيد بعدد رهبانها وكثرة قدّيسيها الابرار الذين عطَّروا بعرف الفضائل جهات العراق وكردستان وارمينية وشنُّوا الغارة على الوثنيَّة والمجوسيَّة والاضاليل الهرطوقيَّة حتى ترضوها الى زمن البدعتين النسطوريَّة واليعقوبيَّة . وكان اوجين صورةً حيَّة لفضائل معلّمه القديس انطونيوس منحهُ الله مثلهُ صنيع الآيات الباهرة . وكانت وفاتهُ في ٢٠ نيسان سنة ٣٤٣ وفيه تذكره كل الكنائس السريانية وترجمتهُ قد نشرها بالسريانية حضرة الاب بدجان اللمازاري في تراجم القديسين والشهداء (٣ : ٣٧٦) وبالعربية الخوري يعقوب نعمو في كتاب التراجم السنيَّة للاعياد المارونية لايليا الثالث ابن الحديثي (ص ١٦٠)

﴿ ايلاريون ﴾ او هيلاريون هو ايضاً احد القديسين النسَّاك الشائع ذكرهم

بين رهبان لبنان. وُلد في قرية مجاورة لغزّة تُدعى تبة سنة ٢٩١ ثم قصد في مقتبل العمر بلاد مصر وتتلمذ للقديس انطونيوس ثمّ عاد الى بلاد الشام وسكن على ما يقال مدّة في جهات الغرزل قريباً من البقاع ثم عاد الى فلسطين فانشأ فيها الاديرة وتوفّر عدد الرهبان حتى صارت مناسك فاران والاردن ومواب ونواحي العرب ممتلئة لفضائل رهبان الصعيد. توفي القديس ايلاريون في ٢١ تشرين الاوّل من السنة ٣٧١. وقد وصف حضرة الاب موسيل الآثار الباقية الى يومنا من هذا الرجل العظيم في وطنه (اطلب المشرق ١: ٢١٣—٢١٥) تجد ترجمتهُ في مروج الاخبار (ص ٦٣٦) وبيان مآثره في مكتبتي القديسين اللاتينيّة (BHL, 579) والشرقية (BHO, 88) واقدم ما كُتب عنهُ ترجمة نفيسة للقديس ايرونيموس معاصره (PP. LL, XXIII, 29-54)

﴿ ايليّا ﴾ هو ايليّا النبي العظيم لهُ في لبنان عدد لا يُحصى من الكنائس والاديرة المشيّدة على اسمهِ نخصّ منها بالذكر كنائس بيروت للموارنة والروم الكاثوليك والارمن الكاثوليك والروم الارثوذكس وكذلك عدّة قرى من لبنان كانطلياس وحلند وغزير وغيرها. كثير واشهر مزاراتهِ دير جبل الكرمل. اما اعمال القديس فكلّها مسطرة في سفري الملوك الثالث والرابع من الاسفار المقدسة فعليك بها. وقد جمعنا في مقالة منفردة في المشرق (٩: ٧٠٧) خلاصة سيرتهِ وآثاره وما يختصّ بعبادتهِ فتراجع (لها بقيّة)

عماد الهراطقة ومجلّة الكلمة الارثوذكسية

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

لسيادة الاسقف رفائيل هواويني صاحب مجلّة «الكلمة» الارثوذكسيّة التي تُطبع في نيويورك مقالات دينيّة وتعليميّة وتهذيبيّة لا يكاد بعضها يتميّز عن معتقد الكنيسة الكاثوليكيّة فوجب علينا ان لا نبخسها ما تستحقّهُ من الثناء والشكر رجاء توفير ما يُبعد اسباب النزاع الذي لا طائل تحتهُ ويُقرّب الافكار الى وحدة الايمان. وكنّا نودّ ان يكون ثناؤنا كاملاً لا يشوبهُ شيء من التحفّظ لكنّ الحقيقة تضطرّنا الى ان نبدي

ملحوظاً انتقادياً على ما ورد في العدد ٢٢ من السنة الخامسة (١٥ ت ٢ سنة ١٩٠٩) بشان مجمع او مجامع قرطجنّة الملتئمة سنة ٢٥٥ و٢٥٦ . فبعد ان اثبت الكاتب تاريخ المجامع السبعة المسكونيّة ودافع عن عصمة الكنيسة (١ تطرّق الى تعداد المجامع المكانيّة التي أثبتت من مجمع مسكوني فاعتُبرت قراراتها معصومةً عن الغلط قال :

ففي كنيستنا الارثوذكسية توجد تسعة مجامع مكانية قديمة مثبتة من المجامع المقدسة المسكونية نورد هنا باختصار تاريخ كل منها على حدة اتماماً للفائدة

المجمع الاوّل المكاني انعقد في مدينة قرطجنة في الشمال الغربي من افريقيا سنة ٢٥٥ حضره الاساقفة المحليّون تحت رئاسة اسقف قرطجنة القديس كبريانوس وذلك للنظر في مسألة معمودية الخارجين عن الكنيسة فقرّروا انهُ لا يقدر احد ان يعتمد خارج الكنيسة معمودية حقيقية . . . ثم انهُ في السنة التالية اي سنة ٢٥٦ قد التأم مجمع ثانٍ في قرطجنة ايضاً وتحت رئاسة القديس كبريانوس حضره ٧١ اسقفاً من نوميذية وسائر افريقيا الشمالية الغربية فثبت قرار المجمع السابق موضحاً كون معمودية المراطقة ليست بمعمودية حقيقية ولهذا يجب تعميد المرتدّين منها الى الارثوذكسية وبالتالي كون تعميد المراطقة المرتدّين الى الارثوذكسية ليس هو اعادة معمودية بل معمودية اولى حقيقية . . . ثم بعد مدّة وجيزة اي في سنة ٢٥٦ نفسها قد انعقد مجمع ثالث في مدينة قرطجنة ايضاً وتحت رئاسة القديس كبريانوس ذاته حضره ٨٦ اسقفاً فأصدر هذا المجمع رسالة قانونية تُسمّى قانوناً ثبت فيه قرار المجمعين السابقين . . . وهذه المجامع الثلاثة بما انها قد جرت في خلال سنة واحدة تقريباً وفي مدينة واحدة وتحت رئاسة واحد وموضوع ابحاثها واحد لهذا تُعتبر كمجمع واحد مكاني . وقد تثبّت هذا المجمع اولاً من المجمع الثاني المسكوني (في قانونه السابع) وثانياً من المجمع السادس المسكوني (في قانونه الثاني) . انتهى

(قلنا) لنا في ما تقدّم نظر نستأذن سيادة صاحب مجلّة الكلمة ان نعرضهُ بوجيز الكلام رغبة في فائدة القرّاء . وموضوعنا يعود الى مسئلتين : الاولى صحّة هذا المجمع . والثانية تعليم هذا المجمع

١ صحّة هذا المجمع

قال حضرة كاتب الكلمة :

ان في الكنيسة الارثوذكسيّة تسعة مجامع مكانية قديمة مثبتة من المجامع المقدسة المسكونية ولهذا تُعتبر معصومة عن الغلط واولها المجمع المكاني المنعقد في قرطجنة سنة ٢٥٥ الخ

١) وقد جعل الكاتب العصمة في الكنيسة بمعزل عن الرأس خليفة بطرس نائب الرسل وهو قولٌ تردُّهُ النصوص الانجيلية فضلاً عن التقليد كقول الرب لبطرس : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي » وكقوله لهُ : « ثبّت اخوتك » . وقوله : « ارعَ خرافي . ارعَ نعاجي » .

نجيب: ١ً لم تتفق الكنيسة الارثوذكسيَّة على هذا العدد فقد ذكر بعضهم عشرة مجامع مكانيَّة وغيرهم تسعة او سبعة الخ. وعليه يحتاج قول الكلمة الى نظر

٢ً لم نجد في المجموعات الارثوذكسية ذكرًا لمجمع قرطجنة بين المجامع المكانيَّة وقد قلَّبنا ما اتصلت اليه يدنا من الكتب المطبوعة والمخطوطة فلم نجد ما يستند اليه صاحب المقالة. فهاك مثلًا كتاب الكتر الثمين تأليف العالم بطرس تشايف الروسي وفيه تلخيص حقوق الكنيسة الارثوذكسية (١ فمن الصفحة ٢٢ الى ٢٧ عدَّد المجامع المكانية العشرة « الضروريَّة لكل المسيحيين الارثوذكسيّين » ولم يذكر مجمع قرطجنة الاوَّل مطلقًا وما لمَّح اليه في تنبيهٍ الاخير حيث ذكر قوانين ديونيسيوس و بطرس واثناسيوس الخ. وهاك « كتاب قوانيين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية في الكنيسة الارثوذكسية » وهو معرَّب بقلم احد بطاركة الشرق على ما جاء في اوَّله (٢ فقد ذكر في الصفحة ١٠٨ وما يليها قوانين المجامع المكانية تبعًا لنصّ المترجم الاوَّل فلا ذكر بينها لمجمع قرطجنة ولكن الناشر زاد على النصّ تلميحًا وجيزًا للمجمع الذي نحن في صدده وذلك بحرف دقيق تمييزًا لهُ عن حرف النص وقال في المقدِّمة انهُ اتخذهُ عن شرح لبطريرك آخر شرقي لم يتكرَّم علينا بذكر اسمهِ لنعرف زمانهُ

ثم راجعنا المجموعات المخطوطة المستعملة في الكنيسة الارثوذكسية فقد اطَّلعنا على اربعة او خمسة منها يرتقي عهد بعضها الى نيف وثلاثمائة سنة فتصفَّحناها فكننا لم نجد ذكرًا للمجمع الذي وصفتهُ مجلَّة الكلمة. أيكون ذلك سهوًا منها او تكون جهلتهُ؟ او ليس ذلك بالاحرى لعدم اعتبارها لهذا المجمع بين المجامع المقبولة في الكنيسة الارثوذكسيَّة؟. ثم قال سيادة صاحب المقالة:

قد تثبَّت هذا المجمع اوَّلًا من المجمع الثاني المسكوني (في قانونه السابع)

اخذنا مجموعة مانسي الشهيرة التي تحوي اعمال كل المجامع في ٣٣ مجلَّدًا ضخمًا وقرأنا فيها القانون المذكور حسب النصَّين اليوناني واللاتيني فاذا بهِ لم يثبت مجمع قرطجنة بل لم يذكرهُ ولم يلمح اليه. وفي غضون بحثنا وردت علينا الطبعة الجديدة

١) نقلهُ الى العربيَّة جميل فتح الله انطاكي وطبعهُ سنة ١٩٠٧ على نفقة السيد ايفان ايفانوفيتش سباكي ناظر المدارس الروسيَّة في شمالي سوريا

٢) طُبع في القاهرة سنة ١٨٩٤ عن نسخة مخطوطة سنة ١٧٥٤

تاريخ المجامع للعلامة الالماني هيفيله (Héfélé) فأعدنا النظر في القانون السابع وطالعنا سائر قوانين المجمع فلم نلقَ ضالّتنا. فاقبلنا على الترجمة العربية في الكتب الارثوذكسية فخاب مسعانا. اجل ان هذا القانون يبحث في نوع قبول المراطقة في الكنيسة لكنّهُ لا يذكر مجمع قرطجنة او بالحرى يخالفهُ كما سترى. ثم قال سيادته:

وقد تثبت هذا المجمع ثانياً من المجمع المسكوني السادس (في قانونه الثاني)

فبهذا القول قد احالنا سيادة الكاتب الى المسألة الثانية اي تعليم هذا المجمع المزعوم

٢ تعليم هذا المجمع

نلاحظ (اوّلاً) ان هذا القانون من جملة قوانين ليست للمجمع السادس المسكوني لكنها لمجمع القبّة (in Trullo) الذي الحقهُ اليونان سرّاً بالمجمع المسكوني دون اتفاق الآباء ولا تزال الكنيسة الكاثوليكية تنكر قانونيّتهُ اذ لم يثبّتهُ الاحبار الرومانيون

(ثانياً) هذا نصّ القانون في الفقرة المتعلّقة بالقديس كبريانوس نقلاً عن كتاب قوانين الرسل (الطبعة العربية الارثوذكسية ص ٦٠)

« . . . وقد تمّ بقية القوانين جميعها ايضاً وهي الموضوعة من آبائنا القديسين. . . »

وبعد ان عدّد اسماء هؤلاء الآباء من ثاوفيلوس الاسكندري الى جناديوس القسطنطيني قال :

« ثم ايضاً والقانون الموضوع من كبريانوس الذي كان رئيس اساقفة بلدة افرون (كذا) الشهيد ومن المجمع الذي كان في عصره الذي ثبت في مواضع الرؤساء المذكورين فقط حسب العادة المسلمة عندهم »

وفي نصّ الكتز الثمين الارثوذكسي (ص ٢٦٣) :

« وايضاً كبريانوس الشهيد الذي كان رئيس اساقفة الجهات الافريقية وكذلك المجمع الذي كان في عصره والذي كان لهُ قوّة عند رؤساء الجهات الآنفة الذكر فقط وذلك حسب العادة المسلمة لهم »

(قلنا) وقبل الجواب لا بدّ لنا من النظر في ما قصدهُ آباء مجمع القبّة حيث ذكروا « القانون الموضوع من كبريانوس » وارتباط احكامهم بعضها مع بعض لئلّا تكون هناك مخالفة واضحة لما صرّحوا بهِ. فما هو هذا القانون المعزوّ لكبريانوس ؟ ذهب قوم

من العلماء انهم ارادوا ان يحطّوا من شأن الحبر الروماني وهم يلتحقون الى جملة وردت في افتتاح مجمع قرطجنة الثالث (سنة ٢٥٦) حيث قيل تعريضاً بالكرسي الروماني : « لا يجوز لاحد ان يدّعي انهُ اسقف الاساقفة ». وذهب غيرهم ان هذه الفقرة قد زيدت في غير محلّها التاريخيّ وذلك بعد ذكر الاباء الذين سبقهم كبريانوس مُلحقةً باقوالهم إمّا من اباء المجمع واما من يد غريبة تَشَفِّياً من كرسي روميّة وذكرًا المجمع لم يرضَ بهِ. وقال آخرون غير ذلك. والله اعلم. ومهما كان من الامر فان مطالع الفقرة المذكورة في النصّ اليوناني قد يجدها مضطربة التركيب صعبة التفسير. على انهُ لم يخفَ على كتّاب الفقرة ما وراءها من النتائج. ولذلك تجدهم متحفّظين مرتبكين في وصفهم مجمعاً « ثبت في مواضع الرؤساء المذكورين فقط حسب العادة المسلمة عندهم » وهم يقرّون ان المجمع الافريقي لم يُقبل في الكنيسة الجامعة ولم يثبت حكمهُ الّا عند الاساقفة الافريقيين الذين وقّعوا على احكامهِ وان العادة التي أسندوا اليها حكمهم لم تكن تقليدًا كنائسيًا عامًا لكن عادة مكانيّة لم تتجاوز حدود اقاليمهم

على انك ان لم تؤوّل قولهم تأويلًا حسنًا وآثرت الترجيح بانهم انكروا عماد الهراطقة اجمالًا على رأي الافريقيين الجائك البراهين الى الاقرار بكونهم خالفوا جليًا القانون السابع للمجمع المسكوني الثاني وناقضوا ذاتهم في قانونهم الخامس والتسعين وضادّوا تقليد الكنيسة في زمانهم وان الكنيسة الارثوذكسية هي كذلك قد خالفت هذا الحكم المجمعي مدّة عشرة قرون ونيف كما سترى

فالقانون السابع للمجمع الثاني المسكوني (١ والقانون الخامس والتسعون لمجمع القبة او المجمع اللاحق بالسادس يتفقان في المعنى غايتهما تبيان التصرّف مع الهراطقة اذا تابوا عن اثمهم وعادوا الى « الرأي المستقيم وحظ المخلصين » (٢ فهل ينكر

---

١) لا تجهل ان العلماء في ايّامنا كيفيله وبفريدج (Beveridge) وغيرهما ينكرون كون القانون السابع المذكور من احكام المجمع المسكوني ويذهبون انهُ فقرة من رسالة بعث بها كنيسة القسطنطينية في القرن الخامس الى مرتيريوس الاسقف الانطاكي. وقد زيدت الفقرة على قوانين المجمع الثاني بعد اعوام طويلة وجعلها مجمع القبة قانونه الـ ٩٥. وقد ذكر صاحب الشرح المطلق على كتاب الرسل (ص ٢٢) ما يوجد من المشابهة بين الرسالة المذكورة والقانون السابع

٢) اطلب الكتر الثمين (ص ٢٤٨ و٢٨٧) وكتاب قوانين الرسل (ص ٢١ و٩٢)

المجمع معموديتهم اجمالاً كلاً . لكنهُ يقسمهم الى قسمين ويعدّد اللاحقين بكل قسم ثم يحدّد ان الاولين لا تُعاد معموديتهم بل يُمسحوا فقط بالميرون بعد ان يكونوا لعنوا الهرطقة واعترفوا بايمان الكنيسة المقدسة واما الاخرون فيُقبلون كالوثنيين اعني يُتلمذون ويعمّدون ثم يُمسحون (١ ولم يأتِ بذكر المبدإ الذي ادّعاه صاحب مجلة الكلمة حيث قال : « ان الكنيسة قرّرت أنهُ لا يقدر احد ان يعتمد خارج الكنيسة معموديةً حقيقةً » والّا لوجب الحكم عليهم سواء . وان سألتَ لِمَ رضي المجمع بمعمودية هؤلاء ورفض معمودية الاخرين ؟ واي فضل للاريوسي (ناكر لاهوت الاقنوم الثاني) والمكدوني (ناكر لاهوت الروح القدس) على المنطاني والصابالي لتُقبل معمودية الاريوسي والمكدوني كمعمودية حقيقية وتنكر معمودية المنطاني والصابالي (٢ فالجواب انّ الاولين كانوا لا يزالون في أيام المجمع الثاني محافظين على شرائع المعمودية الحقيقية من صورة ومادّة ونيّة وان ضلّوا في المعتقد ؟ امّا الاخرون فلم يحفظوها (٣

وزد على ذلك ان القول بان آباء المجمعين وافقوا على التعليم الافريقي في عماد الهراطقة وحكموا بصدقهِ والزموا بهِ الكنيسة الجامعة لِمَا يولد مشاكل تاريخية لا تعدّ اخصّها الاقرار بان كنيسة المسيح خالفت شرقاً وغرباً ما سنّتهُ المجامع فبقي هذا الحكم على ممرّ الاجيال ولا يزال نسياً منسيًّا . فكل يعلم ان الكنيسة الرومانية لم ترضَ قط بما ارتآهُ كبريانوس خلافاً للتقليد القديم (٤ وقد حافظت على معتقدها جيلاً بعد جيل . ولم تخالفها في ذلك الكنائس الشرقية حتى القرن العاشر او الحادي عشر وان

---

١) اطلب الشرح الملحق بالقانون السابع للمجمع الثاني في « كتاب قوانين الرسل » (ص٢٢) تجد انّنا وصاحب الشرح الارثوذكسي متّفقون في معنى النص المذكور

٢) اطلب نص القانونين

٣) راجع مقالة الاب انطون صالحاني في المشرق (٩ : ١٦١)

٤) وقد اقرّ كبريانوس بذلك وبمداناة تعليمه لكنهُ اعتبر المسلك القديم شططاً اراد اصلاحه فلم يفلح وتشبث برأيه ناضرّ بذلك مُعاصريه . وما العصمة في دينهما للمانان ولو قديساً ولا لمجمع اقليمي لكن لكنيسة المسيح ورأسها المنظور اذا ما حكم هذا حكماً شرعياً تطبيقياً . هذا ولم يمضِ على المجمع الافريقي سنتان حتى قام المضطهدون على الكنيسة فسفك كبريانوس دمهُ شهادةً لربهِ ودينهِ فكفّر دم الشهيد عمّا قد فرط ساعات الجدال فمن قلم المعلم

قام بعد ذلك قوم من كتبتها ومطبيها فوضعوا لتأكيد حقيقة المعموديّة شروطاً هي من العوائد الطقسية او الرمزيّة التي لا تجيز العماد في بعض الظروف او من التقاليد التهذيبية التي قد تبدلها ظروف الزمان والمكان لكنّها لا تمس حقيقة السر. ولم يصنع هؤلاء ما صنعوا الّا لغايات في النفس او لما قد تورثهُ حميًا الجدال من المبالغة والمغالاة. وعندنا ان عدم تمييز الكثيرين بين ثبات الاسرار (validité) وجوازها (licéité) هو اصل الاغلاط الكثيرة (١

وليس هنا المقام لنتتبع مسالك الكنيسة الارثوذكسية في شان المعموديّة فقد سبقنا الى ذلك كتبة اشتهروا بمعارفهم الشرقية كالاب اوراليو بالماري (P. Aur. Palmieri) صاحب المقالات المشهورة في الكنيسة الروسية (٢ والاب العلّامة ل . بتي (L. Petit) الصعودي (٣ مجدّد طبع مجموعة مانسي فيلفينا بالنصوص الكثيرة والبراهين الدامغة ان الكنيسة القسطنطينية لم تحتم في الماضي بمعموديّة المخالفين لمعتقدها (وخاصةً اللاتين) وانها منذ قرنين او ثلاثة الى هذه الايام لا تزال مترددة في الامر تارةً تحكم بقبولها وتارة تحكم بنكرانها . امّا الكنيسة الروسية فانها كانت ولا تزال تقبل العماد المعطى بالنية والمادّة والصورة المفروضة وإن منح هذا السرّ مخالفٌ لها او من تدعوهُ مبتدعاً

هذا ما رأينا في ذكره فائدة علمية وعملية ودينية بشان مجمع قرطجنة الذي جعلتهُ مجلّة الكلمة الارثوذكسية في مقدّمة المجامع المكانية العادلة في احكامها للمجامع المسكونية خلافاً للتعليم الارثوذكسي العام والمجامع التي استندت اليها رأيها الخاص. اما البحث التفليسي في حقيقة سر المعمودية المعطاة من الهرطوقي او الوثني فقد شرحهُ حضرة الاب انطون صالحاني في مجلّة المشرق (المجلد التاسع سنة ١٩٠٦

١) كثيراً ما يكون السرّ حقيقياً ثابتاً وإن غير جائز كما لو عمّد الطفل في البيت والكنيسة تأمر ان يُؤتى به الى الكنيسة او عمّد بالصبّ والطقس لا يسمح به الّا عند الحاجة او اذا قدّس الكاهن الاسرار بلا بدلة او اندميس الخ ففي كل هذه الاحوال يكون السرّ ثابتاً لكنهُ لا يجوز وامثال ذلك كثيرة في الاحكام الدينية والمدنية

٢) اطلب مقالتين لهُ في تاريخ العماد عند الارثوذكس في مجلة الشرق المسيحي (Revue de l'Orient Chrétien) السنة ٧ : ٦١٨ و ٨ : ١١١

٣) اطلب مقالته في مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient) السنة ٢ : ١٢٢

ص ١٦١ و ٢٠٤ شرحاً علمياً وافياً بيّن فيه ان المعمودية لا تكتسب شيئاً من ايمان خادم السرّ وبرارته ولا تخسر شيئاً لكفره وخطيئته واثبت مقالته بالبراهين اللاهوتية واحكام اباء الكنيسة الغربية والشرقية والمجامع المقدسة ففيه كفاية والسلام

نقائض جرير والفرزدق *

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

انّ للنقائض عموماً اهمّيّة ليست لغيرها من القصائد. فهي عُيون الشعر وذلك لاسباب عديدة. منها ان الشاعر تدفعهُ الى انشادها حزازات في النفس وعواطف تغلي في القلب فتخلو من ثم من التكلّف وتكتسب لهجة حماسة قلّما توجد في غيرها

ومن صفات النقائض انها سلاح الشعراء فيخوض فرسان الشعر في ساحة القتال ويسدّدون النبال ويرمون السهام ويصوّبون الرماح وينتضون السيوف فيبارز الشاعر قرنه ويناضل عن قومهِ وعشيرتهِ فان انتصر انتصروا وان خُذل خذلوا. شرفه شرفهم وذلّه ذلّهم. كما حدث لراعي الابل لما لقيه جرير. فوثب راعي الابل ساعتئذٍ فركب بغلته بشرّ وعرّ وخلّى المجلس ثم قال لاصحابهِ ركابكم ركابكم فليس لكم ههنا مقام فضحكم والله جرير. فقال لهُ بعض القوم ذاك شؤمك. وعليهِ فلا بدّ للشاعر من ان يجهد نفسهُ في نقيضتهِ ويباري مُناوئهُ ليفوز عليهِ فتكتسي قصيدتهُ متانةً ورونقاً يندر وجود مثلها في سائر الشعر. كما فعل جرير اذ انشد القصيدة التي يهجو بها الراعي. قال صاحب الاغاني: «فانصرف جرير غضبان حتى اذا صلّى العشاء بمنزلهِ في عليّة لهُ قال ارفعوا لي باطية من نبيذ وأسرجوا لي. فأسرجوا لهُ وأتوهُ باطية من نبيذ. قال فجعل يهمهم فسمعت صوتهُ عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت اليهِ فاذا هو يحبو على الفراش لما هو فيهِ. فانحدرت وقالت ضيفكم مجنون رأيت منهُ كذا وكذا. فقالوا لها: اذهبي لطيّتك نحن اعلم بهِ وبما يمارس. فما زال

(*) The Nakâi'd of Jarir and al-Farazdak, edited by ANTHONY ASHLEY BEVAN M. A. Vol. I Part. 1-3, Vol. II, Part. I et 2, *Leiden, Brill* 1905. - 1909.

كذلك حتى كان السحر . ثم اذا هو يكبّر قد قالها ثمانين بيتاً (وهي في النقائض ١١٢ بيتاً) في بني نمير (وهم قوم الراعي) . فلمّا ختمها بقوله :

فغُضِّ الطرفَ انك من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

كبّر ثم قال: اخزيتهُ وربّ الكعبة »

ثم ان النقائض هي التهاجي في الشعر . فيضطرّ الشاعر الى تعداد مساوئ اعدائهِ وذكر الايام التي توالت بين قومه وقبائل الذين يهجوهم موضّحاً ما آلت اليهِ امورهم من التضعضع . فمثل هذه القصائد هي كتاريخ منها نعلم احوالهم ونطلع على اخبارهم ونعرف رجالهم المشهورين وفرسانهم المذكورين ونتحقق الازمنة والامكنة التي عاشوا فيها . فكم من الاماكن والبلدان والجبال والوديان والمياه والقرى ورد ذكرها في تلك القصائد . وكم من الابطال لم نكن نعرف اسماءهم لو لم تُعلمنا اياها النقائض . كما هو الامر في معلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة الحرث بن حلزة

وما عدا هذه المزايا التي تتحلّى بها النقائض فهي بسبب اتقانها وشهرتها ومقدرة منشديها اصفى واعذب منهل يرده طلّاب العربية الراغبون في خوض بحرها والوقوف على دقائقها والتحلّي بزينتها وكمالها . ولا جرم ان نشر مثل هذه الآثار القديمة يفيد جداً لتحقيق معاني الالفاظ اللغويّة ومعرفة طرق استعمالها

فالفائدة الكبرى هي اذاً معرفة التاريخ والامكنة وفقه اللغة . امّا النسيب والوصف والفخر والمديح والهجاء فانّ هذه المواضيع وامثالها تنحصر في دائرة ضيّقة لا يكاد يتجاوزها شعراء العرب في ايّ عصر اشتهروا لاسيما بعد الهجرة . وكأنّ من نبغوا بعد زمن الجاهليّة جهلوا التفنّن فتراهم ينتحلون معاني الشعراء الذين سبقوهم فيؤلّفونها ويكسونها حلية جديدة من الابيات وينشدونها كأنهم ابتكروها . ولم يكتفِ المتأخرون بأن ينتحلوا معاني المتقدّمين بل يستعيرون ايضاً منهم العبارات والابيات . ويمكننا ان نؤيّد قولنا هذا بامثلة عديدة ونبيّن كيف ان الشعراء في دولتي الامويّين والعباسيين اتّبعوا آثار من تقدّمهم وقلّما نهجوا طرقاً جديدة . ومن له ادنى إلمام بالشعر لا يحتاج الى برهان ليتحقق ذلك . فقد برهن عليهِ بعض الأمثلة بخصوص شعر الاعشى العلامة جاير (Gayer) وبيّناهُ نحن ايضاً في اماكن شتى من الملحق لديوان الاخطل اذ قابلنا اياتاً عديدة من شعره بابيات غيره من الشعراء الذين سبقوه او تلوهُ

الّا انّ هذا النوع من الشعر اي النقائض إن لم يصحبهُ شرح قديم لأئمة يعتمد عليهم كان كاللغز المعمّى لما يتضمّنهُ من التلميح الى وقائع هي مجهولة منا لبعد المسافة ومن الالفاظ اللغوية العويصة المهملة في العصور المتأخرة . امّا اذا اقترن الشعر القديم بشرح قديم واضح وافٍ بالمرام عظمت الفائدة لمعرفة اللغة ولعلم الامكنة التي اندرست وللوقوف على الحوادث التاريخيّة التي امحى اثرها

هذا ما نجدهُ بنوع خاصّ في نقائض جرير والفرزدق . وذلك ليس فقط لوفرة القصائد المتفاة الواردة في هذا التأليف فانّها بلغت خمساً وتسعين قصيدة وطبع الكتاب لم يكمل بعد . بل ايضاً الشرح الذي يرافق الشعر ويفسّر الصعب من الفاظهِ ولكثرة الأيام التي يورد الشارح تفصيل اخبارها . ولا نبالغ اذا قلنا انّ اخبار الأيام والاحاديث والقصص التي وردت في النقائض يشغل شرحها ثلث الكتاب وفيهِ ذكر مئات من اسامي الاعلام يبيّن الشارح نسبها او يحدّدها . واذا قابلنا شرح الايام المذكورة في شعر الاخطل بشرح ما ورد في النقائض من الوقائع والاحاديث رأينا ان الشرح في شعر الاخطل موجز مُخلّ وانهُ في نقائض جرير والفرزدق مُطوّل مُملّ . لكنّا نفضّل التطويل لما فيهِ من الفائدة التاريخيّة خصوصاً في ما يتعلّق باخبار الاقدمين . وقد جمعها الشارح من مصادر مختلفة . كما اننا نفضّل تفسير الالفاظ الغامضة المعنى في النقائض على التفسير للالفاظ في شعر الاخطل لأنهُ اوضح واصحّ وافيد

الّا انّنا نزدل في نقائض جرير والفرزدق ابيات هجاء سافل بذيء مُستهجن يأباه الادب ويمجّهُ الذوق السليم وتنبو عنهُ الآذان مما يندر وجودهُ في شعر الاخطل وقد تعوّدهُ جرير والفرزدق . فانهما لا يلبثان في الهجاء ان يُعرّضا بالنساء وبما يُستقبح ذكره . كما ورد في القصائد ٢٦ : ١٠ و٣٠ : ٣٤ , ٣٦ و٣٩ : ٨٥—٨٩ و٤٢ : ٢٤—٢٦ و٤٧ : ٢٥ , ٢٦ و ٥١ : ٩٢—٩٦ و٥٣ : ٣٤—٣٨ وغيرها من النقائض خاصةً القصيدة ٩٢ . امّا الاخطل فما عدا اربعة او خمسة ابيات تراهُ يُعرض عن هجر القول . ولهذا كان مفضّلاً من هذا القبيل . وقد قال « ما هجوتُ احداً قطّ بما تستحي العذراء ان تنشده اياها »

ويؤلّف كتاب نقائض جرير والفرزدق من ثلاثة مجلّدات يحتوي كلٌّ من المجلّدين الأولين ثلاثة اقسام . اما المجلد الثالث فيتضمّن الفهارس المختلفة ومعجماً للالفاظ

الوارد شرحها في النقائض. وقد نجز المجلّد الاول وقسمان من المجلّد الثاني. وذلك عبارة عن ١٠٧ صفحات بقطع كبير يجعل تداول الكتاب صعباً. وثمن ما طبع الى الآن ٦٢ فرنكاً ونصف. ولكن أن تقتني نقائض جرير والفرزدق بهذه القيمة افضل من ان تقتني بعشرة غروش ديوان جرير المطبوع بمصر لسوأ طبع مع خلوّه من الحركات والشرح والفائدة

ولما قرظنا القسمين الاوّلين من كتاب النقائض (المشرق ١٠ : ١٣٥) رغبنا الى الطبّاع الشهير بريل تبديل حروف الطبع باجمل منها فلم يصادف نداؤنا آذاناً صاغية. ومما يبرهن النقص في الحروف المعجمة انّ اللفظة « غلاء » ٧٤٧,[١٢] تصحفت بسبب دقّة النقطة على حرف النين فصارت « علاء » وكذلك « جراثيم » صارت « حراثيم » ٧٧٠,[١٢] وامثال ذلك كثيرة لا تُحصى. ومن المعلوم ان مطبعة بريل لا يمكنها ابدال الحروف في اقسام الكتاب نفسهِ فالامل ان تبدلها عند ما تباشر طبع اثر جديد فان نشاطها في طبع الكتب العربية مشهور

ويا حبذا لو كان اهل بلادنا يجارون المستشرقين في استخراج الكنوز العربيّة من دفائنها وينشرون ما كاد يموت منها فتحيا العلوم والعقول معاً

وليسمح لنا العلامة بيڤن ان نعرض لحضرتهِ ما نرغبهُ في طبعة النقائض لتكون كاملة. نرغب ان يثبت في آخر الكتاب صفحة مرسومة بتصوير النور من كل نسخة من نسخ النقائض التي اعتمد عليها. لانّ ذلك احسن وسيلة لتعريفها فاننا بهذه الطريقة نعرف نوع الخط الذي كُتبت بهِ وحالتها من الاتقان والضبط بالشكل

ثانياً بما انّ حضرتهُ قد احاط علماً بشعر جرير والفرزدق في النقائض وباخبارهما واطلع على اكثر الروايات فهو اقدر من غيرهِ على تبيان معاني الابيات وإبداء الرأي في صحّة الروايات وقد اورد منها كثيرًا في الحواشي مأخوذة عن مصادر مختلفة ذكرها في صدر الكتاب. فانّ رأيه اذا ابداه يكون كمصباح ينير سبل القرّاء. واذا تعذّر الحكم في كل الروايات فلا يصعب في بعضها. فالرواية « تنديبُ » ٧٧٤,[٢] هي خطأ لانّ الفعل بعد وار المعية المسبوقة باستفهام يكون منصوباً. امّا الكلمة « تدلّيتُ » ٧٥٢,[١] فنظنها خطأ والصواب « تدلّيتَ » لان الفرزدق يعيّر جريرًا بانّهُ تدلّى بحبل ضعيف في حومة القتال اي انّ قومهُ كانوا ضعفاء جبناء في الحرب. ولذلك يجاوبهُ جرير ٧٦٣,[١٢] قائلاً « مددنا رشاء... » ونظن انّ الفتحة في « اصبَروا » ٧٩٥,[١] غلط

طبع عوض « اصبروا » . وفي ١٤,٨٣٣ يروى ايضاً « مجدكم » في الصفحة ١٩ من نسخة شرح ابيات الايضاح الخطية للأعلم الشنتمري بمكتبتنا الشرقية . امّا البيت ١٠,٧٤٨ فلم ندرك معناهُ لاننا لم نجد خبر انّ في قولهِ « فانّك والقومَ . . . » وعندنا انّ الرواية هي « فدَيْاك والقومَ . . . » . ولم نجد فاعل « جرى » في هذه العبارة « وجرى بصمصمةِ الوئيدِ بشيرًا » ١,٤٩٨ والصواب « بصمصمةَ الوئيدُ » فيكون الوئيد فاعل جرى

والحق يقال اننا وجدنا هذه الطبعة من اكمل وادقّ واضبط ما طُبع الى الآن . فنثني على همّة العلامة بيفن الشاء المطر راجين لحضرتهِ اتمام العمل عن قريب خدمةً للعلم والعلماء

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع الفصل الاول)

المشهد السابع

ياسر . ابو نوّاس . ابن جامع . مخارق . اسحق . مروان . اشجع

اشجع ان الفضلَ بن الربيع لكريم

ابن جامع كأنهُ ربي في منازل البرامكة

ياسر هو من اعزّ اصدقاهم يُباريهم جودًا وكرمًا

اسحق واللهِ انكم لقومٌ انذال

ياسر ولِمَ ؟

ابن جامع أخرُج عمّا قلت

اسحق ألا ترون أنّ في عملهِ سرًّا ؟ واظنّها مكيدة

ياسر اضغاثُ احلام

ابو نوّاس دعْ هذه التوهّمات

اسحق انتَ خادمُ البرامكة وتصنعُ هذا ؟

ياسر وما هذا ؟

اسحق يريد أن يغدر بهم

ابو نؤاس ان البرامكة لأسمى من ان يصلَ اليهم غدرُ غادر

اسحق لا شكَّ أنَّ لهُ غاية

ياسر غايتهُ ان يتوصل الى استعطاف البرامكة عليهِ

ابو نؤاس دعنا وغاياتهِ . انهُ كريمٌ يُعطي الشعراء حقَّهم

مخارق وهذا حسبنا

اسحق والله ما فنيتُ معكم وما مستُ ذهبَه

ابن جامع على رسلك

ابو نؤاس ان اسحق لمستغنٍ عن المال لما يصطاد من البرامكة

ياسر استعدُّوا يا فتيان . هذا الموكب

المشهد الثامن

يدخل يحيى . جعفر . عبد الله . الاولاد . جبريل بن بختيشوع . الاصمعي

يحيى (لياسر) اذهب وأعلمْ ضيفنا صاحب البرج (١ أني الساعةَ ذاهبٌ اليهِ لامر خطير

ياسر نعم سيدي (يخرج)

يحيى تعالَ يا عبدَالله لأبلغك ما امر الخليفة وما تقولهُ لقارله ملك الفرنجة عند وصولك الى بلادهِ عن مقاصد امير المؤمنين وسطوتهِ وقدرتهِ وعدلهِ فتسترق قلبهُ وتعقد معهُ رباط العهد (٢

عبدالله سمعاً وطاعةً

جعفر ايتِ اقمْ معنا وشاطرنا الافراح

[جبريل ان الليلةَ سيدي ليلةٌ ابدرت في سمائها اهلّةُ الكمال . وتلألأت على مفارقها كواكب السعد والاقبال . وزهت على جبهتها غررُ السعادة ومشارقُ الآمال . فقلتُ فيها من قصيدة :

١) هو يحيى بن عبد الله العلوي

٢) تريد بذلك الوفد الذي بعث به هرون الرشيد الى قارله (كارلومان) ملك الفرنجة

اجدّك هل تدرين أنّ رُبَّ ليلةٍ كأنَّ دجاها من قرونك يُعصرُ
صبرتُ لهـا حتى تجلت بغرّةٍ كغرة يحيى حين يُذكر جعفرُ

يحيى افصحَ جبريل افصحَ . فهو طبيب النفوس والاجسام يشفي بقيله وادوائه من الاهواء والاسقام (١)

الحسن البثّ معنا يا جدّ فانك منذ اشهر تعتزل مجالس الغناء والانشاد

جعفر قد اجتمع في منزلنا هذا الجديد وجوهُ شعراء الدولـة وأعلام المغنين فلا يذهب السيد ويدع البنين

يحيى اني كبرتُ واشتعل رأسي شيباً وثقلت على منكبيَّ اعباء الاعوام فزهدت بالدنيا وما فيها وتاقت نفسي الى الآخرة . اما انتم فتي ريعان الشباب تترأى لكم الأيام مشهداً بديع الجمال . وملعباً تلعب فيه الآمال . وان كان كل شيء باطلاً وفانياً . فافرحوا وأنشدوا الاشعار وانا لا أتأخر عن العودة اليكم . تعالَ يا عبدالله

جعفر لا أريد الابتعاد عن عبدالله وقد اقتربت ساعة فراقنا

عبدالله اطلب اليك سيدي ان تأذنَ لهُ ان يرافقني

يحيى الافضل ان يلبث هنا وعمّا قريب اردُّكَ اليه (يخرج يحيى وعبدالله)

الحسين (لجعفر) لا تحزن فسيعود عبدالله بعد هنيهة

جعفر دعني (يذهب الى اخر المرسح ويتبعهُ الحسين)

المشهد التاسع

المثلون السابقون خلا يحيى وعبدالله

جعفر لقد سُررنا بمسامرتكم ايها الكرام في مجالس القصر فاتتنا تتنسم عرف الصبا الطيّبة في بقعة راق نسيمُها وتضوّع عبير ازهارها وتدفقت متسلسلةً مياهُ ينابيعها وانهارها فقد اتسع لكم المجال فاركضوا جياد القرائح في المضمار وجاروا بل أفضلوا بحسن القول والغناء البلبلَ والهزار

(١) ما اعطناه بفاصلتين [ ] لم يُحَلَّ على المرسح حبّاً بالايجاز . فوجب التنبيه اليه

ياسر (يدخل) قوم من التجار على الباب يُريدون سماع الانشاد والغناء

جعفر إئذن لهم

ياسر ادخلوا (يدخل الرشيد والفضل ومسرور بزي التجّار وهم متنقّبون) (١

الفضل السلام على السلطان

جعفر وعليك السلام. (على حدة) كأنّ الصوتَ صوتُ الفضل بن الربيع وقدّ رفيقهِ قدُّ الرشيد. سبحان مُن ابدع

ياسر تقدّموا ايها السوّال

جعفر اني لاكره لهم أسمَ سوّال وفيهم الاشراف وذوو البيوتات. فقد سمّيتهم الزّوار تالياً تلوّ ابي وجدّي

مروان هذا جعفرٌ في جودهِ حذو برمك فجدٌ لهُ مستطرف واثيلُ
وكان بنو الاعدام يُدعون قبلهُ الى أسم الى الاعدام فيهِ دليلُ
يُسمّون بالسوّال في كل موطنٍ وإن كان فيهم نابهٌ وجليلُ
فسمّاهم الزوار سترًا عليهم وذلك من فعل الكرام نبيلُ (٢

جعفر اجدتَ يا مروان في ارتجالك الشعر. وانت يا اسحق غنّنا على اللحن الماخوري الذي علّمكهُ ابليس (٣

اسحق لبيك سيّدي. هاتِ العود (يغني)

الى جعفر سارت بنا كلّ حرة طواها سُراها نحوه والتهجُّرُ
الى واسع للمجتدين فناؤه تروح عطاياه عليهم وتبكرُ (٤

جعفر ما لاسحق في العلم ثانٍ. فهو جنّة الدنيا وزين الزمان اذا غنّى اجابتهُ المثاني فمنهُ يُجنى ثمر اللهو وريحان الجنان (٥

---

١) اطلب كتاب الف ليلة وليلة تجد اخبارًا جمة تشابه ما نحن ذاكرون

٢) نقلهُ الميلاوي في كتاب احسن المسالك لاخبار البرامك (١٠١٩ ه = ١٦١٠ م) وهو خط في مكتبة باريس العمومية تحت نمره ٢١٠٢ من المخطوطات العربية صفحة ٩ والشعر ليزيد ابن خالد الكوفيّ. اطلب ايضاً ابن الطقطقي في الفخري ٢١١

٣) روايات الاغاني (الطبعة الثانية ١ : ٤٤)

٤) روايات الاغاني (١ : ٣٠)

٥) الاغاني (٥ : ٩)

الاصمعيّ لله نعمٌ ما الطف مدّاته وليّاته وعطفاته ونبراته وتصليقاته

المأمون لقد خلتُ المرد ينطق بلسان عربي فصيح وذكر اغنّ مليح حتى ظننت الاشجار والاطيار والانهار تجيبهُ (١

اسحق أصغِ لي ياسيّدي بسمعك فقد قلت شعرًا في مدحك

جعفر قل

اسحق والبرمكيُّ اذا تقارب سنُّهُ او باعدتهُ السنُّ فهو نجيبُ
يا آل برمك ما رأينا مثلكم ما منكم إلّا اغرُّ وهوبُ
فاذا بدا ولدُ البرامكِ هيبةً لجلاله ان الجلال مهيبُ
قاد الجيادَ الى المدى فكأنّها رِجل الجرادِ تسوقهنَّ جنوبُ (٢

جعفر لله ابياتٌ ما احسنَ اصولها وابينَ فصولها واقلَّ فضولها . اطلب ما تشاء . عشرة الاف دينار من الدنانير الحديثة التي جعلتُها على اسمي وسميتها الدنانير الجعفريّة ؟ (٣

اسحق والله ما اخذتُ درهمًا

جعفر ولِمَ ؟

اسحق لانَّ كلامك خيرٌ من شعري

جعفر اتحفظ شعرًا لذي الرمّة

اسحق احفظُ اكثرهُ

جعفر اصنع على بعضهِ لحنًا لطيفًا لامير المؤمنين فنسألهُ ان يقطعك هذا الشعر (٤

ابو نوّاس (على حدة) ايصطاد اسحق وحدهُ البدرَ والحلل ! لأُنغصنَّ عليهم والله لذّتهم

جعفر ما لك يا ابا نوّاس ؟ لقد اضحكتنا على الطعام حتى قتلتنا . فهات الآن

---

١) هذا مما قيل في غناء اسحق نقلناه عن كتاب الاغاني

٢) الابيات لنصيب (الاغاني جزء ٢٠ : ٣١)

٣) كان على هذه الدنانير اسم الرشيد وعلى حدة اسم جعفر . اطلب امثالًا منها في جدول الدنانير الاسلامية في المتحف العمومي بباريس . والاربلي (١٠٨)

٤) روايات الاغاني (١ : ٢٣٧)

جبريل قل شعرًا بلا مجون ولا فحش (١

ابو نوّاس اني انا الرجل الحكيم بطبعه ويزيدني علمي حكايةَ من حكا
اتتبّع الظرفاء اكتبُ عنهمُ كيما احدّثَ مَن أُحبُّ ليضحكا

جعفر ان زندك ليري باول قدح

ابو نوّاس امّا وزنديَ يا ابن يحيى انهُ زند اذا استُوريت سهّلَ مدحكا
ان الاله لعلمهِ بعبادهِ قد صاغ جدّك للسماح وبرمكا
تأبى الصنائع همّتي وقريحتي من اهلها وتعاف الّا مدحكا (٢

جعفر احسنت

ابو نوّاس اسمعوا:

أربعَ البلا ان الخشوع لبادِ عليكَ واني لم أخُنك ودادي
سلامٌ على الدنيا اذا ما فُقدتمُ بني برمكٍ من رائحين وغادِ (٣

جعفر لا حولَ ولا قوة . . .

المامون قد تطيّرتْ نفسي واشأزّت من ختامك

جعفر نيتَ الينا انفسنا يا ابا نوّاس

---

١) ان الفحش والمجنون من مساوئ شعر ابي نوّاس

٢) الابيات لابي نواس نقلها الميلاوي (صفحة ٤١)

٣) والقصيدة طويلة (في ديوان ابي نوّاس ٧٢). قال ابن رشيق في كتاب العمدة: من قبيح ما وقع لابي نوّاس الذي اساء فيهِ ادبهُ وخالف بهِ مذهبهُ ان بعض بني برمك بنى دارًا استفرغ فيها مجهودهُ واستقل اليها. فصنع ابو نوّاس لذلك الحين او قريبًا منهُ قصيدة يمدحهُ بها ويقول اوّلها:

اربع البلا ان الخشوعَ لبادِ عليكَ واني لم اخنكَ ودادي

وختمها او كاد بقولهِ:

سلامٌ على الدنيا اذا ما فُقدتمُ بني برمك من رائحين وغادي

فتطيّر البرمكي واشأزّ ثم قال: نيتَ الينا نفسنا يا ابا نوّاس. فما كانت الّا مُدّيدة حتى اوقع بهم الرشيد وصحّت بهم الطيرة. وزُعم ان ابا نوّاس قصد التشاؤم بهم لشيء كان في نفسهِ من جعفر. ولا اظن ذلك صحيحًا لان هذه القصيدة من جيّد شعرهِ الذي لا اشكُّ ان يُحتفل لهُ. اللهمَّ الّا ان يصنع ذلك حيلةً لهُ وستراً على من قصد اليهِ بذلك». اطلب ايضًا نزهة الجليس (١: ١١١) ومقالات علم الادب (٢: ٤١)

ابو نوّاس (على حدة) هذا ما اردتُ

اسحق قبح الله وجهك يا ابا علي ما هذا التشاؤم

ابو نوّاس أقِلني ايها الوزير

ما ان يُعاب سيّدٌ اذا صبا ولا يُعاب صارمٌ اذا نبا
ولا يُعاب شاعرٌ اذا كبا

المامون انا أُصلح ما فرط منهُ

ان البرامكة الكرام تعلّموا فعل الجميل وعلموهُ الناسا
فهم اذا غرسوا سقوا واذا بنوا لا يهدمون لما بنوهُ اساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الورى جعلوا لها طول البقاء لباسا

الحسن لا فضّ فوكَ يا اخي . انّ الكلام يُطيعك طوع الذلول لراكبه

جبريل فبلاغتك تقضي لك بالتقدّم على من طالت أيامهم في القريض

المامون والآن تعلمون أيها الحضور أن امير المؤمنين قد عقد للوزير اللواء على خراسان والنهروان وما يجاورهما من البلدان حيث اضطربت الشيعة وقام قائم الثورة ليخمد الوزير نارها ويردّ المياه الى مجاريها (١ . فمن منكم ايها الشعراء يقول في هذا ابياتاً على قافية أقترحها الآن عليه ؟

اشجع لبيك . سمعاً دعوتَ

المامون انت يا اشجع . ان القوافي تتسابق الى خواطرك والمعاني تتغاير في الانقياد لاوامرك

اشجع ان القوافي كالنياق النوافر . ان دعوتها جمحتْ وان تبعتها سبحتْ . لكني ساقودها اليوم بالرغم عنها بقصيدة عابرة الابيات

المامون اي قافية يا حسن ؟

الحسن على قافية اسمه اشجع

جعفر احسنتَ . على حرف العين

اشجع واي بحرٍ تحبّ

١) الطبري (٣ : ٦٤٤)

الحسن المتقارب

اشجع حملتني على الوعر التردُّد. لكن لا باس (سكوت قليل)

يريد الملوكُ مدى جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنعُ
ولا يَرفع الناسُ من حطَّهُ ولا يضعون ـ من يرفعُ
فما دونَهُ لامرئٍ مطمعٌ ولا لامرئٍ غيرهُ مقنعُ

المامون اجدت (يدخل يحيى)

اشجع تلوذ الملوكُ بابوابه اذا نابها الحدَث الافظعُ
بديهته مثل تدبيره متى رُمتَهُ فهو مستجمعُ
وكم قائلٍ اذ رأى ثروتي وما في فضول الفتا اصنعُ
غدا في ظلال ندى جعفرٍ يجرُّ ثياب الغنى اشجعُ

الحسين احسنتَ. هذا من بديع القول

المامون ومن اسلسه وارقه

اشجع فقل لخراسانَ تحيا فقد اتاها ابنُ يحيى الفتى الاروعُ (١

جعفر لقد اتيتَ من النظم بما يُزري باللآلئ ومن المعاني بما يُحقرُ السحر الحلالَ يا غلام أعدْ لكل من حضر مجلسنا عشر بِدَر

الحسن من يحدو لنا حدوًا جاهليًا بليغًا في بيعة ابن امير المؤمنين

الاصمعيّ الاصمعي من عاشر سنينَ طوالًا سكّان البادية وحفظ اشعارهم واخبارهم واسرارهم وادوارهم فلا تخفى عليه خافية

جعفر قل انّا لك من السامعين

الاصمعي لما اتانا خبرٌ مشهرُ اغرُّ لا يخفى على من يبصرُ
قلت لاصحابي ووجهي مسفرُ بايع للمامونِ هذا جعفرُ
وقلّدَ الامرَ الاغرُّ الازهرُ نوء السماكين الذي يُستمطرُ

١) الشعر لاشجع (الاغاني ١٧ : ٣٦)

بوجهه ان كان عامٌ اغبرُ سُرّت بهِ أسرةٌ ومنبرُ
وابتهج الناس بهِ واستبشروا (١

جعفر ارى خاطرك طوع لسانك وبيان الناس تحت بيانك فانتَ بالنظم حري وعبدالله المامون بالمدح جدير

المامون لله درُّكَ يا اصمعي لقد برزتَ على اهل زمانك

جبريل عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الناس منهُ ولا من علمهِ مثلا (٢

جعفر صدقتَ

المشهد العاشر

الحاضرون (يدخل ياسر ثم اعرابي)

[ياسر سيدي على الباب اعرابيٌّ يدّعي أن لهُ شعرًا في الامير (٣

جعفر أدخلهُ

ابو نوّاس دعني امازحهُ فيضحكنا فاعوّض عمّا فرط مني

جعفر لا بأس (يدخل الاعرابي)

ياسر تقدّمْ

الاعرابي السلام على امير المؤمنين

ابو نوّاس اخفض عليك ما تقول

الاعرابي السلام على الوزير جعفر سلطان الخلافة العباسيّة وعماد الملّة الاسلاميّة

ابو نوّاس الانَ قاربت . من اين اقبلت يا اخا العرب ؟

الاعرابي من قضاعة

ابو نوّاس اتعرف الذي يقول: اذا افتخرت قضاعةُ في قديم ..

الاعرابي كذبت وحقّ الكعبة . قالها الشاعر في خزاعة

---

١) الحدو للنمالي (الاغاني ١٧ : ٧٨) مع بعض التصرف . وهو طويل

٢) الشعر للحسن بن مالك (مجاني الادب ٥ عدد ٣٩٩)

٣) اطلب من هذا المشهد ما جاء في المسعودي (مروج الذهب ٦ : ١٣٧ الخ) والاتليدي (١٨١) والمجلة الاسيوية (Journal Asiatique) سنة ١٨٥٣ : ومجاني الادب (٤ عدد ٢١٨)

اذا افتخرت خزامةُ في قديم وجدنا فخرها شربَ الخمورِ
وباعت كعبةَ الرحمن جهرًا بزقّ بشس مفتخرُ الفجورِ

الاصمعي صدق والله الاعرابي

الاعرابي (لابي نؤاس) انتَ لستَ الامير . انك يا ساقع الذقن لجلفٌ جاهل فلا عدتُ اجيبك (يضحكون)

جعفر دعني اخاطبه . نحن يا اخا العرب ندماء لجعفر . قل لنا لِمَ اتيتَ من صدر البادية ؟

الاعرابي قصدت هؤلاء الاماجدَ الانجادَ الذين اشتهر معروفهم في البلاد حتى فاق ذكرهم الخلفاء القائمين على رقاب العباد

جعفر ومن هم ؟

الاعرابي البرامكة (في كل هذا المشهد اشارات من الفضل للرشيد)

جعفر يا اخا العرب إنَّ البرامكةُ خلقٌ كثير احتازوا على الوزارة والكتابة والسيف والقلم . فهل افرزتَ منهم احدًا ؟

الاعرابي اطولهم باعًا واسمحهم كفًّا بعد يحيى

جعفر ومن هو ؟

الاعرابي سلطان الدولة العباسيَّة جعفر

جعفر إن جعفرًا لجليلُ القدر اذا جلس مجلسًا لا يحضر مجلسهُ الّا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء . أعالم انت ؟

الاعرابي لا

جعفر أتيته ؟

الاعرابي لا

جعفر وردتَ عليه بكتاب ؟

الاعرابي لا

جعفر غرَّتك نفسك . بأي ذريعة تقدمُ على الوزير وهو ما عرفتك عنهُ من الجلال ؟

الاعرابي والله ما قصدتهُ الّا لاحسانهِ المعروف وكرمهِ الموصوف وشعرٍ قلتهُ فيه

جعفر يا اخا العرب نحن كما قلتُ خوّل جعفر وفينا كل شاعر فصيح وراوية بليغ فانشدنا ابياتك فان كانت تصلح أن تلقاهُ بها أشرنا عليك بلقائهِ والّا اعطيناك شيئاً من مالنا

الاعرابي اتفعلون ؟

جعفر قل

الاعرابي يا سائلي عمّا أخبّرهُ عن جعفرٍ كرماً وعن شيمهْ
ان ابن يحيى جعفرًا رجلٌ يبسطَ السماحُ بلحمهِ ودمهْ
فعليهِ لا ابدًا محرّمةٌ وكلامهُ وقفٌ على نعمهْ
وترى مسابقه ليدركهُ بمكان حذو النعل من قدمهْ (١

جعفر وان قال لك جعفر هذه الابيات اخذتها عن افواه الناس فأنشدني شعرًا في اخي الفضل

الاعرابي اذن اقول :

لك الفضلُ يا فضلَ بن يحيى بن خالد وما كلُّ من يُدعى بفضلٍ لهُ فضلُ
رأى الله فضلًا منك في الناس واسعًا فسمّاك فضلًا فالتقى الاسم والفعلُ

جعفر لطيف . لكن قد ولد للفضل امس مولود وجعفر يَدّعي الشعر فان قال لك : قد عملتُ في ابن اخي بيتًا أرتج عليَّ تمامهُ فماذا تقول ؟

الاعرابي وما هو المصراع اعزّك الله ؟

جعفر ويفرح بالمولودِ من آل برمكٍ

الاعرابي بغاةُ الندى والسيف والرمح والنصلِ
وتنبسطُ الآمال فيه لفضلهِ ولاسيما ان كان من ولد الفضلِ (٢

جعفر احسنتَ . وان قال لك جعفر : قل بيتين في كرم ابي يحيى ؟

الاعرابي قلتُ :

سألتُ الندى هل انت حرٌّ فقال لا ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالدِ

---

١) روايات الاغاني (١ : ١٩٤)

٢) روايات الاغاني (٩ : ٣٩) والبيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (٤٤٦)

نقلت شراء قال لا بل وراثةً توارثني عن والدٍ بعد والدِ (١

جعفر وان قال لك جعفر ممتحناً: قل ابياتاً في مدح اعمال الوزير وقيامهِ باعباء الدولة فماذا تقول وقد رمقتْكَ الابصار وامتدّت اليك الاعناق واحتجتَ ان تناضل عن نفسك ؟

الاعرابي والله ان زادني جعفرٌ امتحاناً بعد هذا لاقولنَّ ابياتاً ما سبقني اليها عربي ولا اعجمي ولئن زادني بعدها لاجمعنَّ قوائمَ ناقتي واجعلها في فم جعفر ولارجعنَّ الى قضاعةَ خاسرًا ولا أُبالي

جعفر أسمعني الابيات:

الاعرابي قبائل من اقصى وادنى تجمّعت فهنَّ على آل الوزير كلولُ
تمرّ ركابُ السَّفر تثني عليهم عليها من الخير الكثير حمولُ
فانت جبينُ الملك بل انت سمعهُ وانتَ لسانُ الملك حيث تقولُ
وللملك ميزانٌ يداكَ تقيمهُ يزول مع الاحسان حيث يزول (٢

جعفر خاطرك كالبرق او اسرع وكالسيف او اقطع . انا جعفر سل ما تشاء

الاعرابي سألتك بالله انكَ هو

جعفر انا هو

الاعرابي فأقِلني

جعفر اقالك الله . اذكر حاجتك

الاعرابي عشرة آلاف درهم

جعفر ازدريتَ بنا وبنفسك . تُعطى عشرة آلاف في عشرة آلاف

ابو نوّاس يا مولاي هذا اسراف . ياتيك جلف من اجلاف العرب فتجزيه بهذا المال

جعفر استحقَّهُ

الفضل (على حدة) إسراف

ابو نوّاس اقسمت عليك إلّا اخذتَ سهماً من كنانتك وركّبته في كبد القوس واومأتَ الى الاعرابي فان ردّ من نفسه ببيتٍ من الشعر وإلّا فاستطف

١) ابن عبد ربه في العقد الفريد (١ : ١٠١)
٢) الاغاني (١٧ : ٧٧)

مالك ولهُ في بعضهِ كفاية

جعفر (يأخذ قوساً) ردّ سهمي ببيت من الشعر

الاعرابي لقوسُك قوسُ الجودِ والوتر والندى وسهمكَ سهمُ العزّ فارم بهِ فقري

جعفر اجاد والله

اذا ملكت كفي نوالًا ولم أُنل فلا انبسطت كفّي ولا نهضت رجلي

على الله اخلافُ الذي قد بذلته فلا مبقي لي بخلي ولا متلفي بذلي

أروني بخيلًا نال مجدًا ببخلهِ وهاتوا كريمًا مات من كثرة البذلِ

يا غلام اعطِ الاعرابي ماية الف درهم لشعرهِ وماية الف اخرى ليكفينا شرّ قوائم ناقتهِ وضاعف صلة كل من حضر مجلسنا (دخل منذ زمن يحيى وعبد الله والعلويّ وهذان في طرف المجلس على حدة)

يحيى وللحضور من مالي مثلها

الفضل هذا لسراف

الرشيد كم برمكي (١

جعفر صوت امير المؤمنين

يحيى انتَ هنا سيدي ؟

الرشيد (يكشف الثام) احسنتم. ان نفوسكم لشريفة تعلو كرماً على الملوك

يحيى كيف اخفيت علينا وجودك ؟

الرشيد اردتُ ان ازور منزلكم سرًّا كيلا أُنغّص عليكم فرحكم . ما اجمل الدار. كم انفقتَ عليها ؟

جعفر عشرين الف الف (٢

الرشيد يا مسرور احمل غدًا خراج مصر لاخي جعفر جزاء ازعاجنا اياهم ودخولنا بغير اذن

جعفر سيدي

الرشيد اسمعونا شيئاً من الشعر والغناء

---

١) من الامثال السائرة. اطلب للميداني

٢) ابن الاثير (٦ : ٦٤) والطبري (٣ : ٦٧٣)

جعفر قل يا ابا نوّاس شعرًا في امير المؤمنين فانّك حاضر القريحة

ابو نواس (بارتباك) اقول في الوزير

جعفر لا بل في امير المؤمنين

الحسن انا اقول:

هارون يا ابن الاكرمين منصبا لمّا اتيت جعفرًا منقّبا
طابت لنا ريح الجنوب والصبا وترل الغيث لنا حتى ربا
فرحبا ومرحبا ومرحبا (١

الرشيد وبك مرحبا يا بنيّ

المامون هذا الحسن بن جعفر شريكي في الدرس والمطالعة قد اتخذتهُ لي اخًا ورفيقًا طول العمر

الرشيد حسنًا صنعت. كونا اخوَين على اتباع العدل والحقّ ثابتَين. وانتَ يا اخي جعفر رايتُ الناس يبنون القصور في الدنيا وانت تبني الدنيا في قصرك

جعفر هذا من كرم سيّدي امير المؤمنين. ادام الله عزّهُ ومكانهُ واذلَّ كل عدوّ لحقّهِ وسلطانهِ

[الرشيد من يصفُ هذه الدار ؟

جبريل قريبًا دعوتَ

الرشيد قل : .

جبريل قصرٌ لوَ انّك قد كحلتَ بنورهِ اعمى لعاد الى المقام بصيرا
نُسي الصبيح مع الفصيح بذكره وسما فنـاق خورنقًا وسديرا
لو ان بالايوان قوبل حسنهُ ما كان شيئًا عندهُ مذكورا
أعيت مصانعهُ على الفرس الأُولى رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهورُ وما بنوا لملوكهم شبهًا لهُ وظيرا
اذكرتنا الفردوسَ حين أريتنا غُرَفًا رفعتَ بناءها وقصورا (٢

الرشيد احسنت يا جبريل لكن منزلًا كهذا يكفي ساكنيه شرَّ المراهم والعقاقير

١) الشعر للعباسي مع بعض التصرف (الاغاني ١٧ : ٧٨)

٢) الشعر لابن حمديس (مجاني ٦ عد ٨٥)

ويبرئهم من الاسقام بغير طبيب

جبريل باذن الله سيّدي وانا اكون عبدًا خالص الطاعة

الرشيد بل صديقًا صادق الوداد. يا مسرور احمل غدًا الى طبيبي ثلاثًا من اجمل الجواري الروميّات اللواتي سبيناهنَّ من هرقلة

جبريل سألتك بالله ان تجيز لي السير على شرائع ديني

الرشيد وما ذا؟

جبريل لا يجوز لنا معشر النصارى ان نتزوّج باكثر من امرأة واحدة فما دامت حيّة لا نأخذ غيرها (١

الرشيد انك لعفيف أكرمْ بك . ماذا تريد بدل هذا؟

جبريل الاجازة للبطريق طيماثاوس ليجدّد بناء كنيسة بغداد

الرشيد اجزتُ]. أسمعونا شيئًا من الغناء (يقبّل جبريل يد الرشيد)

جعفر ان امير المؤمنين حَفظ حِفظ الصبا شعر ذي الرمّة فاذا سمع فيه غناء اطربه (٢

اسحق سيدي

الرشيد اتعرف قول ذي الرمة « امن ميَّةَ الطللُ الدارس »

اسحق نعم يا امير المؤمنين

الرشيد غنّنا عليه نوبةً مطربةً

اسحق هات العود يا غلام (غناء)

أمن ميَّـةَ الطللُ الدارس الظَّ بهِ العاصف الرامسُ
وعهدي بهِ وبهِ سكنـهُ وميَّـةُ والأُنس والآنسُ

الرشيد لطيف. لولا ما سبق لاسحق على السنة الناس واشتهر بالغناء لوليتُهُ القضاء فانهُ اولى واعفّ واصدق واكثر دينًا وامانةً من هؤلاء القضاة ولكنهُ اشتهر

١) اطلب ابن المكين (١٢٢) وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (طبعة بيروت ٢١٤) وهو يذكرها في اخبار جبورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور اطلب ايضًا (الاغاني ٦ عدد ٢٦٨) والمشرق (٨: ١٠٩٩)

٢) روايات الاغاني (٤: ٢٢٩)

بالغناء وغاب على جميع علومهِ مع انهُ اصغرها عندهُ — يا غلام اعطِ اسحق جائزتهُ (١

جعفر ان راق باعين امير المؤمنين سألتُ لاسحق حاجةً تقوم عندهُ مقام كل جائزة

الرشيد وما هي ؟

جعفر قطيعة تقطعهُ اياها سهلة ولا منفعة فيها لاحد

الرشيد قل

جعفر تقطعهُ شعر ذي الرمة يغني فيهِ ما اخطاره وتحظر على المغنين جميعاً ان لا يداخلوه فيهِ

الرشيد ما سأل اسحق شططاً . اقطعتُك سؤلك . ويحك يا اسحق من ارشدك الى هذا ؟ فقد كسبتَ الساعةَ مائة الف بمائة الف

اسحق أتأذنُ لي بالتوثق ؟

الرشيد وتربةِ المهدي لا أثبتُ بشيءٍ ولا بروتُ غيرك في شعر ذي الرمّة (٢

الفضل ان لابن جامع ومخارق شعراً لطيفاً على لحن حجازي

الرشيد أنشدا

ابن جامع ومخارق (غناء) :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعدْ وشفت انفسنا بما تجدْ
واستبدّت مرّة واحدة انما العاجزُ من لا يستبدّ(٣

الرشيد (على حدة) إي والله اني لعاجز

جعفر ان شاء امير المؤمنين فلتحمل الدواة الى حضرتهِ ليوقع على ما اجاز بهِ لمن حضر مجلسنا

الرشيد افعل (يكتب كلمتين)

جعفر (يصفق) ياسرهاتِ الجوائز

---

١) الاغاني (٥ : ٥٢) وشرح المجاني (١ : ٦٨)

٢) روايات الاغاني (١ : ٢٣٢)

٣) مقدمة ابن خلدون (اطلب التوطئة ص ١٠) والاغاني (٥ : ٢٢)

ياسر تقدَّموا (يدخل ثمانية من الخدم يحمل كلٌّ منهم صينيَّة عليها دنانير وفوقها غشاء (١ وان صعب الامر فليقل جعفر: احمل الجوائز لمن حضر — نعم —

الرشيد اودعكم السلام (لجعفر) وانت يا اخي لا تتأخَّر عليَّ غدًا صباحًا (وليحيى) وانت ابتِ مع عبدالله وجميع من حضر للمبايعة واعطاء رسالتي يحملها رسولي الى الامبرذور

يحيى نعم سيدي (يخرج الرشيد فينظر الى العلوي محدقًا به ليستعرفهُ . ويتبعهُ الجميع)

المشهد الحادي عشر

العلويّ . عبدالله (وياسر مختفٍ على حدة)

العلويّ قد خلا لنا المكان

عبد الله ابتِ

العلويّ كم من مرَّة رأيتك من كوَّة محبسي فحنَّ قلبي ودمي واضطربت حُشاشتي لما كنتُ اجدُ فيك من ملامح وُلد علي ابن ابي طالب. لكني كنتُ اظنُّكَ تحت اطباق الثرى رفاتًا

عبدالله سبحان من يحيي العظامَ وهي رميمٌ ويجمع شملَ من فرَّقهم جورُ الظالمين

العلويّ من لي برؤية اخيك الاصغر موسى ان كان بعدُ من الاحياء

عبد الله فعسى الذي اهدى ليوسف اهلهُ واعزَّهُ بالسجن وهو اسيرُ ان يستجيب لنا ويجمع شملنا والله ربّ العالمين قديرٌ(٢

العلويّ سمع الله دعاءك يا ابراهيم (عبد الله يقبّل يد ابيه العلويّ وهذا يجعل يده اليسرى على رقبة ابنهِ . سكوت)

المشهد الثاني عشر

يحيى . جعفر . العلوي وعبد الله (على حدة) وياسر (مختفٍ)

جعفر ما الطفَ سجايا الرشيد وارقَّ شيمهُ واعلقهُ بمحبَّتنا . ارأيت ابتِ ما اظهرهُ

١) اغلبدي (١٩٧) والمجاني (٢ عد ٢٢٣)

٢) اغلبدي (٢٢٠)

من الكرم ولين الكلام وما غمرنا به من العطايا السنيَّة ؟

يحيى ان دخولهُ علينا مع الفضل بن الربيع متنكّرًا قد اقلق فكري

جعفر لا عجبَ إن من عادات الرشيد اذا شغلهُ امرٌ ان يلبس ليلًا زيّ المواصلة او المتطفلين فيدور في اسواق بغداد وازقتها لعلّهُ يحصل لهُ نكتة لطيفة تُزيل همّهُ . كم من مرّة رافقتهُ مع مسرور سيّاف نقمتهِ فحدث لنا من الغرائب التي لا يزال يتداولها الخاصّ والعام فيزيدون فيها ويبالغون (١

يحيى لكنّهُ قد اختار يومَ دشّنا دارنا فاجتمع فيها خاصّتُنا واصحابُنا ومدحونا بما لم يُمدح بهِ الخليفة . . اظنّ أنّ الرشيدَ مع عظم ما هو عليهِ من عزّة الملك وسكرة الاقتدار لا يُنكرُ ما رأى وما سمع . سيما واني ارى مقارب السعاية والحسد تدبّ الى مهادنا من كل جانب . فهذا الفضل بن الربيع عدوّ لنا وبنو قحطبة اخوالك من اعظم الساعين علينا (٢

جعفر ان قدرنا وسلطاننا لأعلى من ان يسمو اليهما كيدُ كائد او يغضُ حاسد . وعلى كلٍّ فان زيارةَ الرشيد ليست الّا عُربون ما كنّه فؤادهُ من الحبّ لنا والاكرام

يحيى حبّذا الظنُّ ان كان صادقًا . لكن أرأيتَ كيف كان يرشق الرشيدُ ضيفنا العلويّ باللحظات

جعفر رأيتُ ومرادي ان نُطلقَ سبيل العلويّ قبل ان يستفحل الامرُ فيسعى بهِ الساعون

يحيى وهذا مرادي . انظر اليهما (يتقدّم) لا نُفقدهما لذّة التلاقي بعد السنين الطوال

العلويّ (كأنّهُ يفيق) ايقظةٌ ام منام ؟

يحيى يقظةٌ . هو ابرهيم ابنك وقد لقّبتهُ عبد الله لئلّا يطّلع احدٌ على سرّهِ عندما خلصتهُ من ايدي قاتليه فكبر وترعرع ولا يعرف احدٌ أهو من ولدي ام لا

العلوي (يقبّل ابنهُ) كانت لي حسرتان في وحدتي وهما فقد ابنيّ ابرهيم وموسى

١) اقرأ كثيرًا من حكايات الف ليلة وليلة

٢) اطلب ابن خلدون في التوطئة (ص ١٠)

الصغير الذي سقط مني في الطريق

جعفر جمع الله شملك بموسى وردّهُ كما ردَّ ابراهيم

يحيى على انّنا لا نكتفي بهذا فحفظاً للعهود التي اعطيناكما على انفسنا يوم كتب لك الرشيد كتاب الامان (١ قد عزمنا الآن على ان نطلق سبيلك مغتنمين فرصة البايعة والاعياد التي تقام في بغداد فستسافر صباح السبت بعد غدٍ اول صفر الى خراسان حيث يلحق بك ابني جعفر . اما انت يا عبد الله فاركب غداً بعد استلام الهدايا والتحف التي اعدّها الرشيد لامبراذور الفرنجة وسر مسرعاً الى حيث انت سائر

عبد الله كيف اسافر وأدع ابي ساعة عرفتهُ ؟

يحيى لا بدّ من ذلك لان خلاص ابيك متعلق بك

جعفر وانا ذاهب اكتب لك رسالةً الى اخي الفضل في خراسان ثم اسير لاحقاً بك

العلويّ لا ادري ما اقول لكم ولا ما اقول فيكم يا آل برمك. انكم شفاء الدهر وغياث جدب العصر. انتم مفزعُ الملهوفين ومالجأُ الطالبين. فما بقي الّا الدعاء ان يُنسيَ الله في اجلكم ويجعل اعداءكم موطئاً لاقدامكم واكونَ وذويَّ من السوء فداءكم

يحيى اذهبا بسلام فقد مضى من الليل ثلثاهُ

(يخرج الجميع ويتقدم ياسر وكان مختفياً)

ياسر قد فزتُ ببغيتي واطلعتُ على بعض اسرارهم

(تم الفصل الاول ويليه الفصل الثاني)

---

١) الفخري (٢٦٦)

نظر عام في اخصّ حوادث العام

للاب لويس رترفال اليسوعي (تتمّة)

واعلم انّ الدين والهيئة الاجتماعيّة لا يقوم لهما قائم ما لم يَسعَ اصحابهما بجمع قواهم لمعاكسة عدوّهما جميعاً. ولهما كليهما عبرةٌ في حزب الاشرار الذين يحملون على نقض اركان سلطتهما باتّفاق الكلمة ووحدة العمل. أفلا ترى ما صنعوا لمّا حُكم بالإعدام على احد زعماء الفوضويين رجل السوء الشقيّ فرّير فانّهم قلبوا العالم ظهراً لبطن للمدافعة عنهُ. وهاك خلاصة هذه المأساة المحزنة

في ١٥ حزيران اذ رأى الاسبانيّون حملات المغاربة مرّة بعد اخرى على املاكهم في شمالي المغرب عزموا على ردّ القوّة بالقوّة. ففي ٩ تموز صارت المناوشات الاولى بين الفريقين في مليلة. ثم التحم القتال بينهما في جوار تلك المدينة في ١١ منهُ فقُتل من الاسبانيين ١٥ رجلاً وجُرح ٢٨. ثم تكرّرت الوقائع في ٢٥ منهُ فكان عدد القتلى الاسبانيين ٣٠ والجرحى ٥٦ فأرسل قائد الحملة يطلب المساعدة من دولته. ووقعت في اثناء ذلك ملاحم جديدة في ٢٤ و٢٥ من الشهر فقد فيها الاسبانيون ٢٦٠ جنديًّا مع عدّة ضبّاط الّا انّ المراكشيين أُصيبوا بأضرار جسيمة فكان عدد قتلاهم ٣٠٠ وجرحاهم الفاً وفي ٢٧ من الشهر جرت موقعة اخرى قُتل فيها الجنرال بنتو وبعض الضبّاط وبقيت الحرب سجالاً بين الفريقين الى ٢٨ آب حيث وصلت الجنود الاسبانيّة لمساعدة اصحابهم فتمكّن الاسبانيّون من الغارة على العدوّ وقامت الحرب على ساق حتى دارت رحاها على المراكشيين

وفي تلك الغضون انتهز اهل المشاغب في اسبانية الفرصة لنشر الفتن وكان في مقدّمتهم الفوضويّ فرّير الماسوني المادي تكلّ المبادئ الوطنيّة ولتجنيد الجيوش فبدلاً من ان يحضّوا مواطنيهم على الحميّة والآثار لقتلاهم اخذوا كالفوضويين الفرنسويين في سنة ١٨٧٠ يشنّون الغارة على وطنهم ويسدّدون نبالهم الى نظام بلدهم ويتحاملون على الاكليروس ورجال الدين ولم يزالوا يسعرون نار الفتن حتى بلغت في الشرّ نهايةً تمام الاوباش واخذوا في ٢٣ تموز يعيثون في عاصمة المملكة ولاسيما في بلاد كاتلونية حيث أعلنوا بحصار مدينة برشلونة وكان اهل الاشغاب لا يَسمعون بعض الاخبار المكدّرة

التي تنبئ بها الانباء البرقية الا يزيدون سوءاً ويتعرّضون للحكومة ليمنعوا تجنيد الجيش ثم اخذوا يجولون في الاسواق فينهبون ويسلبون ورأوا اديرة الرهبان نائم باردة لا يستطيع اهلها الدفاع عنها فساروا اليها كالذئاب الكاسرة ودخلوها كالجرش الظافرة فضربوا وسلبوا وأحرقوا وانتهكوا حمى المقابر فنتحوها واخرجوا من القبور موتى الرهبان والراهبات فشوّهوها وسحبوها في الشوارع وعلّقوها في اخشاب المنـاور ثم هجموا على الاحياء فقتلوا بعضهم واثخنوا بعضهم بالجراحات كنيس الفرنسيسكان الاقليمي (١) فدامت هذه الحالة السيئة ثلاثة ايام وفرّير منجم الفتنة ومنبع الشغب حتى تمكّنت الجنود النظاميّة من اخماد النائرة وطمس معالم الثورة. فاراد الملـك ان يحاكم اولئك الاشقياء حكماً صارماً ولاسيما زعيمهم فرّير واعلن بالاحكام العرفية على جهات كاتلونية. فسعى اهل الفوضى بان يعلنوا بالاعتصاب العام في ٢ آب الّا انّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم تزل الجنود تتعقّب آثار الجناة حتى اخمدت لظى الفتنة واعاد الملك لكاتلونية حقوقها الدستوريّة

وكان اصحاب الدولة في اثناء ذلـك اوقفوا فرّير وألقوهُ في الحبس لتجري في حقّهِ المحاكمة الشرعيّة فما احسّ بذلك الماسون حتى ارادوا ان يظهروا نفوذهم العجيب في اربع جهات العالم فكانت اوامر زعمائهم شبه الشرارة الكهربائيّة اهتزّ بها المعمور دفاعاً عن رجل اثيم قتّال خائن لوطنهِ وعدوّ كل سلطة ودين

(١) وقد شعر اليسوعيّون والدومنيكان بما سيأتيهِ هؤلاء من الفظائع فأسرعوا ونشروا اديرتهم لكل من يطلب لنفسهِ اماناً في المدينة فأتى كثيرون وسلّموهم اسلحتهم ليدافعوا عن حرائمهم ريثما تقوى الجنود المنتظمة على الثورة. فلمّا قدم الاشرار للنهب والحريق ساء ظنهم في تلك الاديرة ورأوا من اهلها ما لم ينتظروهُ من الدفاع فرجعوا خاسرين وقد لام اصحاب الفوضى في جرائمهم الرهبان على ما فعلوا كأنهم فضّلوا ان يُقتل الابرار كما تُذبح الخراف في المجازر وعدّوهم نسيهم كأعداء الانسانيّة والوطن. ومن المضحكات ان جريدة « الطان » وصفت وقتئذٍ دير اليسوعيين « كقلعة حريزة فيها الذخائر الحربية والمدافع التي نصبوها فوق سطوحهم مع ٥٠٠ جندي » فتأمل

وان سألت واي ذنب اقترفهُ الاكليروس ليتحامل عليهِ هؤلاء الانذال أجبنا انّ لا سبب غير عداء الماسون والفوضويين للدين . ولعلّهم تصوّروا انّ الملك الفونس ورئيس وزارته الكاثوليكيّين قد دفعهما لحرب المراكشيين اهل الدين وان رومية والبروسيا هما المتان اقتضاهما بالامر. وهذه الاقوال لم يستحي الجنرال داماد الفرنسويّ ان يُعلن بها لاحد كتبة الجرائد وكان كذبهُ هـذا داعياً لملامتهِ وسبباً لعزلهِ

وابتدأت الحركة في باريس في ٨ تشرين الاول تحت نظارة « الشرق الاعظم » فجرت في تلك العاصمة مظاهرات لم تأتِ بجدوى . وفي ١٣ من الشهر حُوكم فرّير وقُضي عليه في مجلس حربي بالموت فرُمي بالرصاص في خنادق منجويش بعد أن رفض قبول الاسرار المقدَّسة . ففي مساء ذلك النهار عاد الفوضويون الى مظاهراتهم في باريس قرب سفارة اسبانية فجرت فيها الدماء وقُتل احد الشُرَط وجُرح ٦٤ شخصاً . وتكرَّرت تلك المظاهرات في غد ذلك اليوم على يد الدارسين الفوضويين . وفي ١٥ من الشهر أفجر اصحاب الفوضى في برشلونة قنبلةً وفي ١٧ منهُ عاد فوضويو باريس الى مظاهراتهم فتألَّف منهم موكب ٣٠,٠٠٠ شخص فساروا في شوارع المدينة تحت حراسة الشرط وهم يصرخون « فلتسقط التلنسوة » يريدون ارباب الدين

ثم بلغت اوامر زعماء الماسونية الى الجهات فأوعز رؤساء المحافل الى اصحابهم بان يقتفوا بآثار فوضى باريس ففعلوا في كل انحاء فرنسة اولاً ثم في ايطالية وخصوصاً رومية (مع انَّ الحبر الاعظم كان طلب الصفح عن فرّير من الحكومة الاسبانية) ثم في المانية وانكلترة والنمسة وروسية ومصر حتى بلادنا السوريَّة حيث قام الفرمسون وقعدوا لتعظيم رجل لم يعرفوا اسمهُ قبل ذلك ببضعة اسابيع فجعلوه بطل العالم وفريد عصره وفخر الانسانية فسوَّدوا جرائدهم بمدحهِ وشخَّصوا آثارهُ الموهومة على المواسح وشتموا حكَّامهُ ونسبوا الظلم والجور لملك اسبانية ولطَّخوا باقذارهم ثوب الاكليروس وكل ذلك في امر لم يكن لهم فيهِ لا ناقة ولا جمل وانَّما فعلوهُ كآلات جامدة يحرّكها من شاء على خاطرهِ . فيا لله أيبلغ البشر الى هذا الحدّ من الجنون فيستحقُّون الويل الذي قال بهِ الربّ في اشعيا (٥ : ١٨—٢٤) : ويلٌ للذين يجرُّون الاثم بحبال الباطل والخطيئة بمثل امراس العَجَلة . . . ويل للقائلين للشرّ خيراً وللخير شراً الجاعلين الظلمة نوراً والنور ظلمةً والحلو مراً والمرّ حلواً . . . المزكّين المنافق . . . فيكونون كالعصافة التي تأكلها النار . . وزهرهم يتناثر كالتراب » . ومن اراد معرفة فرّير والوقوف على اعمالهِ فليراجع اقوالهُ الاثيمة في حقّ الوطن والجنديَّة والآداب الانسانية في اعداد البشير من ٩ تشرين الاوَّل الى ٦ من تشرين الثاني . وجهينة الاخبار عندنا وزير اسبانية حيث اعلن امام العالم بقولهِ « انَّ فرّير لم يُقتل لاجل آرائهِ (الفاسدة) ولكن لسبب المشاغب التي كان هو سببها » وخلاصة القول انَّ مسألة فرّير كانت لشبه على العالم بالكابوس

الذي يزعج النائم فيهبُّ من منامهِ ويتحقَّق انَّ لا داعي للانزعاج والقلق بل يضحك من اضغاث احلامهِ. على انَّ هذا الحادث كشف لاعين الجميع قوَّة الماسونيَّة العموميَّة التي هي اشنع قُرح ينكأُ في جسم الهيئة الاجتماعيَّة في ازمنتنا حتى كاد يتلفهُ

*

دَعنا الآن نحوّل رائد الفكر عن هذا المنظر السمج لنسرّح الابصار في ما هو ادعى الى التعزية نريد الامور السارَّة التي عزَّزت في العالم شرف الدين وانعشت في الامم روح التقدُّم وزادت الشعوب رفاهيةً وسعدًا

واوَّل ما نذكرهُ من ذلك أن اهل الفضل لم ينـاموا ويفشلوا بازاء حركة الاشرار فانَّ الكاثوليك اخذوا في بلاد مختلفة يقفُون آثار اخوتهم في بلجيكة وهولندة ويقتدون بمثل اساقفة فرنسة الذين سبق لنا وصف اتحادهم لمقاومة اعداء الدين فتراهم يجمعون قواهم ضدَّ الاحزاب الشرّيرة وينضمُّون كالبناء المرصوص لردّ غارات الشيع الماسونيَّة

ومما زاد الكاثوليك تحمُّسًا ما اعلن بهِ الحبر الاعظم من تطويب جان دارك (اطلب المشرق ١٢ : ٣٢١—٣٣٧) تلك الفتاة نابغة زمانها وداهية عصرها التي كانت بازاء وطنها بمثابة دبّورة او يهوديت لشعب اسرائيل فقامت وهي سليلة بعض القرويين الامّيين فخلَّصت بلادها من ربقة الاعداء واعادت افرنسة عزّها وفخرها. وقد اراد إمام الاحبار ان تكون هذه النعمة الجديدة التي يمنحها لفرنسة كعربون محبَّتهِ لدولةٍ لا يزال يعتبرها كابنة الكنيسة البكر رغمًا عن معاداة حكومتها للكرسي الرسوليّ. فجعلها في سماء بلادها كقوس الغمام وآية السلام وكقدوة البرّ والقداسة مع التفاني في سبيل الوطن المقدَّس بازاء الفوضويَّة التي تُعادي الدين والوطن معًا

وكأنَّ اهل الالحاد والزندقة ادركوا ما سيكون للدين الكاثوليكيّ من ارتفاع الشأن والفخر باعلان قداسة جان دارك فعزموا على مثال ڤولتير ان يشوّهوا تلك الصورة البديعة ويدنّسوها ببذاءة اقوالهم. فقام احد اساتذة كلّيَّة الحكومة المسمَّى طلماس (Thalamas) فألقى درسًا في ١٩ كانون الثاني امام طلبتهِ شنَّع فيهِ على جان دارك ونسب اليها اسوأ النيَّات واقبح الاعمال وأنكر الوحي السماويّ الذي دعاها الى نجاة وطنها فهبَّت السامعون لهذه الاقوال وانقسم الطلبة الى قسمين انتشب بينهم شبه القتال ثم استفحل الشرّ في ٢٧ من الشهر وناصب المدافعون عن جان دارك استاذهم

حتى كادوا يمزّقونهُ تمزيقاً فغُلب حزب المضادّين للوطن وزاد اسم جان دورك بهاء بعد ان ألقي القبض على مئة من اولئك الأشهام فكان توقيفهم ظفراً لهم وكسرةً لاعداء وطنهم

وقد اثّر هذا المثل في كثيرين حتى انّ الاعياد التي أُقيمت في السنة المنصرمة لاكرام جان دورك بلغت اقصى درجات الرونق والأُبهة لا بل اعلن شيخ مدينة اورليان انّهُ لا يرضى باشتراك الماسون في الحفلة السنويّة التي تُعقد هناك ذكرًا لتلك البتول لئلّا يكدّروا صفاء العيد كما فعلوا في السنة السابقة بل اوعز الى الاكليروس بأن يُعدّوا حفلةً دينيّة لذلك الموسم العظيم. ولمّا احتج البعض على ما فعل شيخ اورليان طلب هذا من مجلس البلديّة التصويت في بيان رأيهم فكان عدد المضادين لاشتراك الماسون ١٩٣٩ شخصاً ضد ٧٨ فقط فسُحقت الماسونيّة بذلك بل قُل ان جان دورك انتصرت ثانيةً على اعداء وطنها ودينها

ولا يسعنا هنا ان نفصّل ما جرى في رومية من الحفلات يوم تطويب جان دورك فانّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها يمكنها ان تقوم بمثل هذه المظاهرات الجليلة فاراد حبر الاحبار ان لا يوفّر شيءٌ من اسباب الرونق والعظمة في ذلك اليوم وكان عدد الفرنسويين الذين تقاطروا لحضور العيد لا يقلّ عن ١٠٠٠٠٠ يتقدّمهم ٦٧ اسقفاً. وليس من قلم يستطيع ان يسطّر او لسان ان يصف ما خامر قلوب اولئك الزوّار لمّا حيّا نائب المسيح بل سلطانه راعية دُمرامي الوضيعة واعلن رسمياً بأنّها شفيعةٌ لفرنسة ومجدها الاثيل وبفعله هذا اعترف ببطلان الشكاوى والمثالب التي رشقها بها اعداؤها كما انّهُ اقرّ بدعوتها الالهيّة ونسب الى الله ما صنعتهُ لخلاص وطنها

وفي غد ذلك اليوم ١٩ نيسان منح البابا الفرنسويين امتيازاً خصوصياً فاستقبلهم في كنيسة مار بطرس على خلاف العادة فتلا اوّلاً اسقف اورليان عريضةً باسم الجمهور شاكرًا لقداسته فعلهُ بتطويب جان دورك وما لبث رئيس الكنيسة جمعاء ان قام فخطب خطاباً في نهاية البلاغة ضمّنهُ لسى واحنّ عواطف الحب نحو فرنسة وكنيستها المضطهدة. ولمّا انتهت الحفلة وحُمل كبير الاحبار على منصّته الملوكيّة فرّ في وسط الجماهير المزدحمة لقي في طريقه راية فرنسة منتشرةً فالتقفها بيده وقبّلها وضمّها الى قلبه هنيهةً امام الجموع فارتجّت كنيسة مار بطرس لصدى المتهلّلين وصفّقوا تصفيق

الاستحسان والشكر للاب الاقدس وبلغت حماسة القوم اقصى مبلغها

وكانت هذه الحفلة الرومانيَّة مقدِّمةً للاعياد المتتالية التي أُقيمت في كل مدينة من مدن فرنسة ولا يكفي لوصفها مجلَّد واسع فانَّ في باريس مثلًا ضاقت كنيسة نُتردام مع رحبها العظيم عن عدد الحضور فاقتضى السيد لوكور (Lecœur) ان يخطب للجمهور في الساحة الكبرى التي امام الكنيسة وكذَّب الذين يزعمون انَّ قلوب الفرنسويين خالية من شواعر الدين وبيانًا لذلك تلا معهم دستور الايمان فترافعت تهاتهُ الى عنان السماء. وقس عليهِ بقيَّة المواسم لاسيما في مدينتي اورليان وفي رِمس حيث اظهرت جان درك دعوتها السوءيَّة بكسرة العدوّ وتتويج الملك شرل

وكذلك اقام اهل لورد في مدينتهم ثلاثيَّةً لاكرام المطوَّبة جان درك في ١٠ آب فيتم ذلك المزار الشهير بنسبة هذه الاعياد ٥٠,٠٠٠ من الزوَّار تقلهم البخار على اجنحتهِ في ٢٩ قطارًا فجرت هناك حفلات كانت من ابدع المواسم الدينيَّة وكانَّ العذراء البتول ارادت ان تحيِّي ابنتها جان فشفت في اثناء تلك الثلاثية كثيرين من المرضى والمستومين الملتجئين اليها. امَّا ختام اليوبيل الخمسيني (اطلب المشرق ١١: ٣٢١ و١٢: ٤٩) في لورد فوقع قبل ذلك في ١٠ الى ١٢ شباط وكان في معظم التخشُّع والرونق

*

وان انتقلنا من فرنسة الى بلجكة وجدنا ان الكثلكة هناك رافلة في ثوب العزّ وقد احتفل اهلها في السنة الاخيرة باليوبيل الألماسي لانشاء كليَّتهم الجديدة في لوفان فقبلت كليات العالم باجمعها — الَّا كليَّة فرنسة اللادينيَّة — دعوة البلجكيين فأرسلوا وفودًا ليحضروا الاعياد البهجة التي تولَّى اقامتها اساتذة لوفان في ٩ أيار

وفي ١٦ منهُ احتفلت بروكسل بتذكار فوز الكاثوليك على خصومهم في سنة ١٨٨٤ وباليوبيل الخمسيني للمعاهدة الكاثوليكية فيها. وعقب ذلك عقد المؤتمر الكاثوليكي في مدينة مالين في ٢٤ ايلول الى ٢٦ منهُ وقد سبق المشرق (١٢: ٩٤١ — ٩٥٠) ووصف هذه المظاهرات في مقالة خاصَّة لاحد الآباء البلجكيين اختصر فيها اعمال الحزب الكاثوليكيّ في بلجكة منذ ربع قرن. ولم يعكر سحابة صفاء هذه الاعياد الَّا بعض الاختلاف وقع بين المندوبين الكاثوليك في امر الجنديَّة ومدَّة الخدمة والامل معقود بأنها تكون سحابة صيفٍ فتنكشف

وقد تشبهت هولندة شقيقة بلجكة بجارتها في تعزيز الدين وان كان معظم اهلها بروتستانت وللكاثوليك من هذا القبيل سهمٌ فائز فانَّ الانتخابات الاخيرة التي جرت في ٢٤ حزيران كانت فيها الغلبة لحزب اليمين فبلغ عددهم ٦٠ مندوباً منهم ٢٥ من احرار الكاثوليك. امَّا حزب الشمال فلا يتجاوز ٤٠ . وقد عمَّت الافراح هذه السنة دولة هولندة بمولد وليَّة عهدٍ للملكة . ففي ٣٠ نيسان ولدت للملكة وليلمين ابنةٌ دُعيت « امَّا هنريات جوليا » تخلفها في الملك فلا يستولي على البلاد ملك غريب

ولم يحرم الله كاثوليك انكلترَة من تعزية جديدة كانوا في انتظارها من زمن مديد نريد تحريرهم المدني من بعض السُّنن الموضوعة في حقهم أيام الاضطهاد البروتستاني كحرمانهم من رتبة كنشليار الدولة ومن منصب نيابة الملك في ارلندة وكنفي الجمعيات الرهبانية من بعض الحقوق منها معرفتهم الشرعيَّة وصلاحيَّتهم للتملك الشرعي وكذلك الغاء القسَم الملكيّ المخلّ بشرف الكاثوليك حيث يُنكر معتقدهم بوجود السيد المسيح في سرّ القربان. فالوزير العظيم المسيو اسكيث ارتأى ان تُلغى اصلاً تلك القرارات الشاذَّة. وقد وافقتهُ مبدئيًّا ندوة الشعب في جلسة ١٤ أيار فقبلت حكم المسيو ردمند بأغلبيَّة الاصوات

وممَّا يشهد لانكلترَة بمراعاتها للكاثوليك انَّ الانكليز لم يتعرَّضوا البتَّة لتطويب جان درك الظافرة بجنودهم ولم يستاءوا من رفعتها على المذابح. امَّا الكاثوليك منهم فاتَّفقوا مع اخوتهم الفرنسويين على اكرامها لاسيما في رومية

عُقد المؤتمر القرباني السنة ١٩٠٩ من ٤ الى ١٠ آب في مدينة كولونية فأعرب الكاثوليك الالمانيُّون في اثنائهِ عن وفرة ايمانهم وشدَّة الفتهم وارتباطهم غير المنفصم بالكرسيّ الرسولي. وكان الطواف بالقربان الاقدس في ختام المؤتمر مهيباً جليلاً في ٨ آب اشترك فيهِ ثمانون الفاً من المؤمنين

وكذلك النسيّون في السنة المنتهية زادوا تحمُّساً في دينهم لاسيما في ٢٠ أيار لمَّا نظم الحبر الاعظم في سلك القدّيسين رجلين من اهل بلادهم الطوبويين اوريول وهوفباور. وكان عدد الاساقفة الحضور في رومية لتلك الحفلة ٢٠٠ اسقف اكثرهم من نواحي النمسة. وفي تلك الفرصة ارسل جلالة الامبراطور فرنسوا جوزف معروضاً بليغاً الى قداسة البابا بيوس العاشر يشكرهُ على هذا الالتفات

وفي ١ تموز اوفد جلالة السلطان محمّد الخامس وفداً خصوصيًا مع رقيم بخط يده الى امام الاحبار فوقع الامر في صدور الجميع احسن موقع. وقد اجاب قداستهُ على هذه الرسالة جواباً يسيل رقّة ولطفاً واعتباراً لشخص جلالة سلطان العثمانيين

وممّا يُنعم قلب ابي المؤمنين سروراً ما يراهُ من حسن تصرُّف الملكَيْن الشابَّين عاهل اسبانية وعاهل البرتغال. وقد اغتنم الملك الفونس فرصة الحوادث السيئة التي جرت في مملكتهِ بسبب قتل الاثيم فرّير ليجاهر بحبّهِ للكنيسة ولرأسها الموقّر. امّا الملك مانويل فانّهُ صار قدوةً لكل اهل باريس بما ابداهُ عند مرورهِ في تلك العاصمة في اواخر تشرين الثاني اذ ذهب يوم الاحد في ٢٨ منهُ الى كنيسة مادلين ليتمّم علانيةً فرائضهُ الدينية . ويسرّنا ان نذكر قرّاءنا بانَّ هذين الملكين تربّيا في حجر والدَتين عريقتين في الدين اي الملكة كرستين والملكة أميلي احدى بنات الكنت دي باريس. فالأمل وطيد بانَّ ابنيهما لا يُصابان بعدوى الكفر المتفشّي في زماننا

وكذلك ملك ايطالية قد استحقَّ ثناء الكاثوليك في العام المنقضي باكرامهِ المكرَّر للحبر الاعظم كما انهُ لم يأنف ان يدافع عن اكليروس ايطالية ورهبانها بازاء المشائعين للجمعيّات الكافرة. ويا ليت ملوك ايطالية لم يلجوا في طريق حرجة لمّا طمعوا في مملكة البابا الزمنيَّة واستعانوا لتحقيق رغائبهم باهل الثورة واصحاب الجمعيّات السرّيَّة فجعلوا عرشهم على شفير هارٍ

وفي تشرين الثاني كان ختام يوبيل الحبر الاعظم الاسقفيّ صارت فيهِ مظاهرات بهيجة كدَّرتها مؤامرة الفرمسون في ايطالية لتبجيل فرّير او قُل بالاحرى لتبييض سواد ذلك الحبشي القذر فملأوا شوارع رومية جلباً وطعنوا في شخص يوس العاشر الكريم. لكنَّ قداستهُ تعزّى بما كتبهُ اليهِ معظم ملوك اوربَّة من الرسائل الناطقة بشواعر الحبّ البنويّ وبسموّ وقارهم لخليفة هامة الرسل كامبراطور نمسا وامبراطور المانية وملك اسبانية وامير باڤاريَّة. وقد تلطَّف قيصر روسية فارسل هو ايضاً رقيماً بقلمهِ كان لقداسة البابا كبلسم لاوجاعهِ

*

هذا وقد بقي علينا ان نختصر في هذا النظر العام ما جرى من الحوادث السياسية في السنة الاخيرة. كانت انظار الشعوب متّجهة الى السلام فلم يرتق صفاء مياهها الّا

حوادث قليلة كادت تنتهي مع نهاية السنة. فمن ذلك حوادث تركية التي فصّلناها في مقالتنا عن السنة الاولى للدستور العثماني (المشرق ١٢: ٥٦١–٥٦٩) وتركيا اليوم لم يبق ليتهدَّد راحتها سوى المسألة البلقانيَّة ومسألة كريت فضلاً عن الحرب اليمنيَّة لكسر شوكة الامام يحيى والمهدي محمَّد علي الادريسي

وكذلك امور مراكش فان الوقائع الدمويَّة التي حدثت فيها بين الاسبان والقبائل قد دخلت في طور جديد في سلخ شهر آب بوصول النجدات فان الجيش الاسباني اصاب الفوز التام بدخوله في ٢٨ ايلول في قصبة يسلان فخضعت قبائل الريف ثم بقيَّة المعادين

ويُضاف الى هذه الحوادث المكدِّرة ما جرى في العجم بين اهل الثورة والشاه. فانَّ الدستوريين أخلدوا الى الشغب ثم اعتصبوا وساروا الى طهران فتحوها في ١١ تموز رغماً عن الجند ومساعدة الروس للشاه. وفي ١٦ منهُ حصلت حرب اهليَّة في شوارع طهران اوجبت الشاه ان يلتجئ الى سفارة روسيَّة وانتهت الازمة بتنازله عن الملك لابنه مرزا وهو غلام كاد يناهز البلوغ عمرهُ احدى عشرة سنة وقد رضي بالملك الدستوري وافتتح مجلس الندوة في ١٥ تشرين الاوَّل

وقد اراد ايضاً اليونان ان يذوقوا ثمرة الفتن فانَّ جنودهم هاجوا وماجوا ليتزعوا السلطة في البرّ والبحر عن الامراء المنتمين الى الاسرة الملكيَّة. ثم زادوا لحّةً وطلبوا تغيير ١٨ من عمدة رؤساء البحر فاجتمعوا بالقومندان تيبلدوس واستولوا على سلامين الَّا ان الاميرال ميوليس رماهم بالقنابل ودحرهم فهرب تيبلدس مع الضبَّاط وهكذا انتهت تلك الازمة الَّا ان العصبة الجنديَّة في اليونان وثيقة والله اعلم ما تنويهِ من المشاغب

وزد على هذه الامور القلقة حركةً ثوريَّة حصلت في جمهوريَّة نيكاراغوا لم تخمد بعدُ نارها ولعلَّ الولايات المتَّحدة تتوسَّط في حلّ عقدتها. وزد كذلك زعجرةً اسمعتها اليابان للصين بسبب السكَّة الحديديَّة بين انطُنغ وموكدن. على انَّ هذه القلاقل كلّها كانت محليَّة منحصرة في بعض الجهات لم تعكِّر صفاء السلم العام

ولكن يسوءنا القول بان هذا السلام ليس بسلام ثابت الاركان وطيد البنيان فيكفي شرارة واحدة لتوقد نار حربٍ هائلة تلتهم البلاد كالعصافة. وقد يدعون هذا السلام سلاماً مسلحاً فناهيك بهذا الاسم داعياً للخوف منذراً بالاهوال. ولم تكتفِ الدول بالتسليحات السابقة بل صرفت على زيادتها المبالغ الطائلة. فتسمع ملوكها ورؤساءها يكرِّرون عبارات

الولاء والتحابّ وتراهم يتزاورون ويتبادلون أنخاب الصداقة والاخاء وحكوماتهم موجسة خوفاً فيأخذ كل بلد حذرهُ من جارهِ ويقف لهُ بالمرصاد

ففي السنة المنصرمة ما كنّا لنسمع الّا اخباراً تفيد توفير الذخائر الحربيّة برّاً وبحراً لاسيما الدرارع البحريّة العظيمة الحجم المعروفة بدرادنُتس (Dreadnoughts) التي عُرف فضلها في الحرب الاخيرة بين الروس واليابان فترى الدول كلّها تتسارع في تنمية هذه جبابرة البحر وتتنافس في اتقانها. فاليوم تبلغ النفقات لتجهيز احدى هذه السفن قريباً من ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اعني ما يوازي مصاريف حربٍ طويلة في الازمنة السابقة. فان كل بارجة من هذه البوارج ستقلُّ عشرة من المدافع الكبيرة التي عيارها ٣٠٥ ملمترات مع ان الدارعة الضخمة لافِرتيه التي رأيناها في بيروت في شهر أيار لا تحتوي سوى اربعة من هذه المدافع . فليت شعري ماذا تكون الحرب الآتية اذا اصطلت نيرانها ؟ ولاسيما اذا ما دخلت في ميدان الوغى المراكب الهوائيّة من مناطيد وطيّارات لانَّ الطيران منذ ثلث او اربع سنوات قد خطا خطوةً كادت تبلغ اصحابهُ قصوى امانيهم حتى انَّ اعضاء مجلس التحكيم في لاهاي اخذوا يتباحثون في شروط استعمال آلاتهِ في الحروب فرغبوا الى الدول أن تتعاهد بألّا ترمي القذائف من عَلٍ. كما انَّ هذه المراكب الجوّيّة فتحت باباً جديداً لاصحاب الفتن ليقذفوا اعداءهم منها بأدوات متفجّرة ويفرّوا من ايديهم محلّقين في الجوّ الى بلاد بعيدة. وهذا ما حذرهُ جلالة قيصر روسيّة نيقولا الثاني في هذه السنة فانهُ لمّا عوّل ان يقضي الشتاء في قصر بطرسبورج الشهير امر المصعّدين ان يمتنعوا عن ذلك الّا برخصة خاصّة وتحت نظارة الحرس

فسلامُنا اذن قابل الزوال تتهدّدهُ الاخطار وكأنَّ الملوك ورؤساء الدول يشعرون بهذه الحالة فيطلبون وسيلة لتطمين الخواطر ولاسيما بزياراتهم الرسميّة بعضهم الى بعض. ومن هذه الزيارات الملكيّة التي افاضت في وصفها الجرائد زيارة الملك ادورد السابع وقرينتهِ في ٩ شباط لغليوم الثاني فقدما برلين تهنئةً للامبراطور الالماني لبلوغهِ السنة الخمسين من عمرهِ. وكان من نتائج هذه الزيارة اتفاق دولتي فرنسة والمانية على سلامة دولة مرّاكش والمساواة التامّة في الحقوق الاقتصاديّة بين الدول المتعاهدة

وفي هذا الشهر عينهِ في ٢١ منهُ لمّا توتّرت الاحوال بين الترك والبلغار وقعت زيارة البرنس فرديناند امير بلغاريةَ الى ملك روسيّة فدعاهُ نيقولا لاوّل مرّة باسم القيصر

فوقع كلامهُ موقعاً سيئاً في قلب الدولة العليَّة لولا انهُ لطَّف فعلهُ بتعهُّدهِ لدفع الدَّين البلغاري متنازلاً لتركيَّة عن بقايا دينها لروسيَّة بعد حرب ١٨٧٦ — ١٨٧٧. وما مرَّ على ذلك عشرة ايام حتى زال النزاع بين الدولتين وتقرَّرت شروط المعاهدة بينهما فامضاها ممثلو الدولتين في ٢ آذار

ومن الزيارات الملوكيَّة التي عُرفت غايتها السياسيَّة المواجهات المتبادلة بين اصحاب الدول الثلاث ايطالية والمانية والنمسة اثباتاً لتحالفها الثلاثي الذي جعل البعض ينكرونهُ بعد مدّ النمسة سيطرتها على ولايتي البُسنة والهرسك فاثار فعلها حزازات في قلب صربية والجبل الاسود وكادت الحرب تنشب بينها وبين النمسة اذ رأيا في هذا الامر تعدّياً على حقوقهما لمناختهما للبسنة والهرسك. واستاء ايضاً الايطاليُّون من النمسة لأنَّ ملكتهم ابنة امير الجبل الاسود وهم ينقمون للنمسة معاملتها في التيرول وفي تريستة لمواطنيهم فارادوا ان ينضمُّوا الى الصرب والجبل الاسود فيحاربوا النمسة وكتبوا في جرائدهم المقالات المهيجة وقاموا في رومية بالمظاهرات العدائيَّة ضدَّ سفارة النمسة. الَّا انَّ الصرب بعد مدَّة عدلوا عن تحمُّسهم اذ رأوا انَّ روسيَّة صادقت على المعاهدة بين تركيَّة والنمسة وهكذا زال خوف الحرب. ثم اسرع امبراطور المانية لتوثيق عُرى التحالف السابق بين الدول الثلاث فانتهز فرصة عودتهِ من جزيرة كورفو ليزور في برنديزي ملك ايطالية فخطب الملكان خطابين رسميين اشارا فيهما لاتحاد الدولتين ثم ارسلا بالبرق رقياً ودياً للامبراطور فرنسوا جوزف. وبعد قليل التقى الامبراطوران في عاصمة النمسة وتناوبا الانخاب الولائيَّة وفي اثر المأدبة اوفدا لملك ايطاليَّة نبأً برقياً صرَّحا فيهِ بالتحالف الثلاثي بحيث لم يبق في الامر ريب البتَّة. وهذا التحالف لستّ سنوات ثمَّ يجدَّد

وبازاء هذا التحالف الثلاثي شعرت الدولتان الروسيَّة والانكليزيَّة بحاجتهما الى التقرُّب والولاء بعد نفورهما القديم بسبب مزاحمة الدولتين الواحدة للاخرى في جهات الهند والعجم. ففي ٢ آب التقى القيصر مع ملك الانكليز في سبيتهاد (Spithead) بحرًا وقام الانكليز هناك بعرض بحري فخيم اجلالاً لنيقولا الثاني. فكان لاجتماع الملكين تأثير عظيم وتوطَّد امل الناس في السلم العام. ثم اجتاز القيصر بلاد المانية وزار الامبراطور غليوم في كيل في آب ومرَّ في فرنسة عادلاً في طريقهِ من النمسة حتى بلغ

راكونيجي في شمالي ايطالية فاستقبلهُ فيها ملك ايطالية مع الملكة بالعزّ والتبجيل

وكان السياسيون يلهجون بزيارة جلالة السلطان محمّد الخامس لجارهِ الروسيّ الّا انَّ كرامة الدولة العثمانية رأت في هذه الزيارة الشخصيَّة بعض غضاض فرأى اصحاب الامر انَّ الاولى بان يقوم بهذه المهمَّة وزير الخارجية رفعت باشا الذي وقَّع في بطرسبورج على المعاهدة بين تركيَّة وبلغارية . فأرسل مع وفد على اليخت السلطانيّ « اسطنبول » ليلاقي القيصر عند عودتهِ من ليفاديا فتمَّت الزيارة في ١٢ تشرين الاوَّل وقدَّم الوزير لقيصر بخطّ جلالة السلطان محمَّد الخامس مع هديَّة ٦٠٠٠ لفافة من اجود التبغ العثماني كان اوصى صاحب السلطنة بصنعها في معامل الريجي وهكذا عادت المواصلات الوديَّة التي انقطعت بين الدولتين منذ ٣٣ سنة

وكذلك كثر لهج الجرائد في المواجهة الحديثة بين قيصر البلغار وولي عهد الصرب فلا يُعلم أيكون في اتفاق دولتي البلقان مناوأة للنمسة . والله اعلم

ومن اخبار فرنسة الاخيرة مصادقة ندوتها على برنامج البحريَّة الذي تعيَّن للسنة ١٩١٠ بقدر ٣٧١,٠٠٠,٠٠٠ اعني بزيادة ٣٧ مليونًا على السنة الماضية (١ . فهذه نفقات غريبة ويا ليتها كلّها تُصرف في اصلاح الاسطول فلا تبذَّر كما حصل في السنين الاخيرة حتى انَّ العجز الذي أعلن بهِ رسميًّا في ١٩ حزيران لا يقلّ عن ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وما كان سقوط وزارة كليمنسو في ٢٠ تموز الّا بيان الحالة السيئة التي بلغتها الاساطيل البحريَّة في فرنسة . فقام كليمنسو ليدافع عن الوزارة لكنَّهُ مسَّ كرامة المجلس وطعن بوطنيتهِ فتصدَّى لهُ دلكاسه ودافع عن شرف الوطن فانقلبت الوزارة

فترى ما يكلّفنا سلامنا العام . وقد عزم مجلس السلم في لاهاي بعد حكمهِ في خصام فرنسة والمانية في مراكش على ان يجعل حدًّا للتسليح فنسأل ربَّ السلام بان تأتي مساعيهِ بالمرغوب

---

١) ان عدة رؤساء البحر اتفقت على ان يُصرف ثلاثة مليارات فرنك لاصلاح الاسطول وذلك في مدَّة ٢٥ سنة حتى تبقى فرنسة في مقام الدول البحريَّة الاولى . ففي سنة ١٩٢٥ يقتضي ان يتمّ لها تسيير ٤٥ دارعة كبيرة ثم ١٢ بارجة و١٤٤ سفينة مماكسة للتوريل

حمّى مالطة

للاب بولس لايبار اليسوعي مدرّس علم البكتريولوجيا في مكتبنا الطبي

حدثت في هذه الاشهر الاخيرة في بيروت وسواحل الشام بعض اصابات بحمّى مالطة انتهى قسمٌ منها بموت اصحابها فلهجت الالسنة بهذا الداء الجديد الذي لم يُسمع به سابقًا في جهاتنا ورغب الينا البعض ان نكتب فصلًا موجزًا في تعريف هذه الحمّى وبيان خواصّها وعلّتها واعراضها وكيفيّة تشخيصها وعلاجها فأجبنا الى مبتغاهم بهذه النبذة فنقول :

﴿ اسمها ﴾ ان هذه الحمّى نُسبت الى مالطة لكثرة المصابين بها في تلك الجزيرة ولأنّ الاطبّاء الانكليز اذ وجدوها فاشيةً في جنودهم الرابطة هناك وجّهوا اليها نظرهم وامعنوا في حقيقتها ورأوا انّها ليست كحُمّى المستنقعات المعروفة بالحمى الملاريّة فتختلف عنها بأعراضها. ثم وجدوها ايضًا في شحنتهم المحتلّة في جبل طارق فتحقّقوا انها سليمة العقبى لكنّها تنهك قوى الجند فلا يعودون قادرين على اتمام ماموريّاتهم

فاستوقف هذا الوصف لحمّى مالطة واعراضها نظر الاطبّاء في عدّة امكنة فتبيّنوا بعد البحث وجودها في عدّة بلاد كسواحل البحر المتوسّط الشرقيّة والجنوبيّة وعلى ضفاف البحر الاحمر وفي الهند والصين وجنوبي افريقية وفي جزائر انتيل والولايات المتّحدة وافرزوا بينها وبين الحمّى الملاريّة فبقي عليها اسم حمّى مالطة وان لم تختصّ بهذه الجزيرة وهي اعرف باسم حُمّى البحر المتوسط. وكانت الاصابات بهذا الداء قليلة في مصر وبورسعيد فاخذت منذ سنين قريبة تنمو وتزداد الى ان احتلّت بلادنا ضيفًا ثقيلًا كنّا وددنا لو كُفينا شرّهُ

﴿ تعريفها ﴾ انّ حُمّى مالطة معدودة بين الامراض القليلة الوَفَيات التي تختلف مدّاتها اختلافًا كبيرًا. ومن خواصّها تعدُّد نوباتها وكل نوبة منها تدوم اسبوعًا او عدّة اسابيع ثم تنقطع عن المصاب مدّةً غير معلومة امّا انقطاعًا تامًّا واما نوعيًّا. وكثيرًا

ما تحدث في هذه الحمّى ارتباكات شتى اخصّها الورم وارجاع المفاصل والعرق الوافر والانيميا (الهُزال) وضعف الاعصاب

واغلب الذين يصابون بهذه الحمّى تتراوح اعمارهم بين السادسة من سنّهم الى سنّ الثلاثين. وهي تصيب على حدٍّ سواء الوطنيين والاجانب. على انّها اذا عشّشت في بلدٍ كما في مالطة ربّما تنتشر كانتشار العدوى. ومعظم فشوّها في الشهور القليلة المطر. اعني من حزيران الى ايلول لكنّها لا تنحصر في فصل الصيف. ولحظوا في كل فصول السنة افرادًا مُبتلين بعرّتها كما انّها تصيب الناس في كل الامكنة في المدن او القرى. في البرّ او البحر. على انّهم وجدوا ان فشوّها في بعض الامكنة اكثر من بعض كثكنات العساكر وبعض البيوت الخاصّة او بعض السفن البحريّة دون أن يتحقّقوا الى الآن سبب هذا الاختلاف في انتشارها

﴿ علّتها ﴾ بقي الاطبّاء زمنًا طويلًا وهم يُعلّلون هذه الحُمّى تعليلهم للحُمى الملاريّة وحمى التيفوس او التيفوديّة الّا انّ المحققين من حكماء عصرنا ولاسيما الذين تخصّصوا بالابحاث عن الجراثيم المعدية والميكروبات استدلّوا على علّتها الحقيقيّة فهم اليوم يتّفقون على انّ مسبّب هذه الحمى انّما هو ميكروب خاصّ دعوهُ ايضًا باسم ميكروب مالطة (Micrococcus Melitensis) وكان اوّل من افرز هذا الميكروب الدكتور الانكليزي بروس (Bruce) سنة ١٨٨٧ فاكتشفهُ في طحال بعض المتوفّين بهذه الحمى واثبت صحّة قولهِ باختبارات متواترة فبيّن انّ هذا الجرثوم هو علّة المرض وليس غيرهُ. ومنذ عهد قريب جرت اكتشافات أُخرى يستفاد منها انّ ميكروب هذه الحمى موجود في بعض المواشي وعلى الاخصّ في حليب المعزى وبولها حيث تتوفّر جراثيمهُ المُعدية

وليس الوقوف على هذا الميكروب بأمر سهل لأنّ وجودهُ في الدم نادر الّا في اوّل الحمى عند تفاقمها. لكنّهُ في الطحال وفي الغدد اللمفاويّة كثير وهو هناك ينمو ويتمادى مكثهُ ومن اراد استنباتهُ امكن تطعيم بعض الحيوانات كالقرود بهذه الجراثيم فاذا أُصيبت بالداء يُستخرج منها الميكروب ويُدخل في جسم حيوانات اخرى فيصيبها ما اصاب الاولى

وميكروب حمى مالطة غاية في الدقّة كالميكروبات المجانسة لهُ فلا يبلغ قطرهُ

ثلث الميكرون (والميكرون الجزء الالف من الملّمتر) فيقاس ٠٫٣٣ من الميكرون يُرى بالمجهرات المكبّرة القويّة فتراهُ غالباً منفردًا ويكون مجتمعاً ثُناء ورُباع ولا يُرى على شبه السلسلة الّا نادرًا وتراهُ ساكن الحركة واحسن طريقة لاستنباتهِ ان يُجعل في نوع من الهلام يستخرجونهُ من الحثّ البحري (algues) ويدعونهُ جلون (gélose) فتراهُ بعد قليل على صورة مستعمرات صغيرة تُرى بالعين المجرّدة وتكون كدُرر شفّافة . وبعد ٣٦ ساعة تضرب صورتها الى لون الكهرب ثم تصير مصمتة . امّا درجة الحرارة الموافقة لتنميتها فدرجة حرارة الجسم اعني ٣٧° فوق السفر من ميزان السنتغراد

وقد زعم بعض الاطبّاء انّ حياة هذا الميكروب ضعيفة سريعة العطب الّا انّ أولي البحث والتنقيب بيّنوا على عكس ذلك انّ ميكروب هذه الحمى يمكنهُ ان يعيش طويلًا في الماء والزبل وعلى ثياب المرضى وانّ البرد واليبس لا يقتلانهِ . والبول يصلح لهُ فينمو فيهِ وقد وجدوا منهُ كيّات وافرة في لبن المعزى والبقر السليمة المنظر وفي ابوالهم وفي بول الناس الذين يلوحون بتمام العافية والصحّة . لا بل استدلّوا على وجودهِ في الكلب والخروف والفرس وذلك هو السبب لتفشّو هذه الحمى في بلاد كثيرة

﴿ طريقة انتشارها ﴾ انتشار حُمى مالطة من انسان الى آخر سليم لا يكون عادةً بالمسيس كما انّ العلماء انكروا انتقالهُ توًّا من الهواء او من الماء والمآكل الى ذوي الصحّة . الّا انّ في قولهم نظرًا على الاقلّ فيما يخصّ الحليب كما سترى . والغالب انّهُ ينتشر بالتلقيح فيكفي لذلك وخز ابرة غُمست في مستنبت ميكروبات هذه الحُمّى . ولعلّ ناقل جراثيمها هو البعوض واسندوا زعمهم الى انتشار الداء في فصل توفّر البعوض اي فصل الصيف ثم الى وجود ميكروبهِ في جسم هذه الهامّة وتمكّنوا من تلقيح قرد بعقص البعوض الناقلة للميكروب . وما لا يُنكر انّ الخدم الذين يُعنون في المستشفيات بمعالجة المحمومين بحُمّى مالطة يصابون بهذا الداء اكثر من سواهم عشرة اضعاف

ومن المحتمل ان تنتقل هذه الجراثيم الوبيئة بواسطة الغبار المنتشر في الهواء سواء تمّ ذلك بدخولها في الجسم بالتنفّس او بسقوطها على جرح او على الجلدة الواصلة بين

العين والجفن (conjonctive) وما يدلُّ على صحّة هذا الرأي اكتشاف ميكروبات هذه الحمّى في براز الانسان والحيوان . وزد عليه انهُ يكفي لانتشار عدواهـا كميّة زهيدة جدًّا من الجراثيم الوبيئة . وقد تأيد هذا الرأي بحادث جرى في انكلترة وهو انَّ رجلًا أُصيب بهذه الحمى لوضعهِ في فمهِ الترمومتر الطبّي الذي كان ابنهُ يستعملهُ في مالطة اذ كان محمومًا

الّا انَّ اعظم وسيلة لنشر هذا الداء انَّما هو حليب المعزى . فانَّ الاختبارات التي اجروها في مالطة بيَّنت انَّ عشر أمعز في المئة من معزى مالطة كان حليبها ملوَّثًا بميكروب هذه الحمى . ولمَّا اشربوا بعض القرود من ذلك الحليب الفاسد أُصيبت القرود بالمرض . وكذلك الجنود الانكليزيَّة الرابطة في مالطة انتشر بينهم الداء فبلغ ٣ في المئـة ثم تفاقم في بعض الاحيان حتى بلغ ١٥ او ٢٠ بالمئة فلمَّا قطعوا عنهم شرب حليب المعزى كفَّ المرض . وهكذا جرى لجنود جبل طارق الذين كانوا يقتاتون بحليب معزى اتوا بها من مالطة فانَّ الحمّى انقطعت عنهم بقطع سببها . وزاد الامر ايضاحًا سنة ١٩٠٥ اذ نقل احد المراكب الانكليزيَّة المدعو يوشوا نيكلسون (Joshua Nicholson) قطيعًا من معزى مالطة عددها ٦٥ فاكثر الذين شربوا حليبها في المركب أُصيبوا بالحمى المالطيَّة

ثمَّ جرى في السنة ١٩٠٨ حادث آخر لم يُبقِ في الامر شكًّا في انتقال ميكروب هذه الحمى بواسطة المعز . كان احد اغنياء باريس سمع بانَّ حليب المعزى يقوي على السلّ ولا يتلوَّث بميكروبهِ فابتنى في فُنتانبلو قريبًا من باريس حظيرة كبيرة واستجلب بنفقات طائلة من تلك المواشي اسرابًا من سويسرة واسبانية وبرّ الاناضول حتى بلاد نوبية . فبعد مدَّة فشت عدوى بينها دامت ايامًا وقبل انقطاعها أُصيب صاحبهـا مع البستاني الذي كان يُعنى بامرها بحمى شخّصها الطبيب كحمى التيفوس وبعد شهر ظهرت في المريضين اعراض غريبة فخفَّت الحمى ثم تكرَّرت نوباتها على طرائق غير قانونيَّة لا توافق الحمى التيفوسيَّة فلم تظهر بقع وردية عدسيَّة الحجم على جسم المصابين الّا انَّ احدهمـا احسَّ باوجاع في الكلى والآخر بوجع عِرق النَّسا . وكان العرق يبلُّ جسم احدهما حتى يلتزم ان يغيِّر شراشف فرشهِ وثيابهُ مرارًا في النهار . فكلُّ هذه الاعراض نبَّهت فكر الطبيب الى حُمى مالطة التي انتقلت الى المريضين بواسطة حليب المعزى

﴿ تشخيصها ﴾ تُشخَّص حُمّى مالطـة كما تُشخَّص الامراض الميكروبيَّة

ولاسيما الحمى التيفوسيَّة فيستخرج الطبيب قطة من دم المريض ويأخذ مَصْلهُ فيمزجهُ بمستنبت ميكروبات حيَّة ثم يفحصهُ بالمجهر فان كان المريض سالم الجسم من هذا الداء بقيت الميكروبات منفردة منبثَّة في المزيج . اما اذا كان محموماً بهذه الحمى فترى الميكروبات تتقاطر وتزدحم بعضها ببعض فتكون على اشباه البُقَع المتلاصقة . وهذا التلاصق (agglutination) هو الدليل الاكيد على انَّ حمى مالطة دهمت جسم الانسان فيعالجهُ الطبيب كما سترى

﴿ أعراضها ﴾ حضانة هذا الداء يختلف زمانها فقد وجدوا اشخاصاً أصيبوا بهِ بعد قدومهم مالطة بستَّة أيام وغيرهم شعروا بنوباتهِ ١٥ او ١٧ يوماً بعد خروجهم منها ويظنّ البعض ان هذه الحمى تبقى اسابيع بل شهوراً عديدة في طور الحضانة ثم تظهر على بغتة . واوَّل ما يشعر بهِ المصاب نوعٌ من العياء والتَّعب كما يجري وقت حضانة الحمَّيات الخبيثة وكذلك يحسُّ بوجع الرأس وتكسُّر وثقل في الاعضاء ولا يلبث ان يلزم الفراش ويفقد القابليَّة ويزيد الصداع ويتألم المريض من العطش ويعتريهِ الانقباض . وكل ذلك شبيه بأعراض حمَّى التيفوس دون البقع الورديَّة على الجلد . ويكون اللسان وسخاً والحنجرة محتقنةً مع بعض التهاب في الشُّعَب او الرئة وكذلك وجع في الحاصرة ويزيد الطحال حجماً ويكون التوم مترعجاً وفي بعض الاحيان يهذي النائم . امَّا درجات حرارة الحمَّى فتختلف صباح مساء فتسقط صباحاً وتصعد مساء وليلاً ويسيل العرق من الجسم بغزارة

وبعد اسبوع او اسبوعين تخفّ الاوجاع ويقلّ العرق وينظف اللسان ويعود للمريض بعض القبول للطعام ومع هذا التحسُّن في الصحَّة يبقى المريض متوعّكاً جامداً معرَّضاً للقبض ولوجع الرأس . وبعد قليل تزيد قابليَّتهُ وينام نوماً نظامياً الَّا ان القوى تبقى ضعيفةً والحمى خفيفة . ثم انَّ الوجع يعود بعد أيام فتبتدئ نوبة ثانية كالأولى وكثيراً ما يظهر ورمٌ في المفاصل ينتقل من عضو الى آخر وكذلك اوجاع الاعصاب تتنقَّل في سائر اقسام الجسم هذا اذا لم تحصل ارتباكات غيرها . ويمكن ان تعود نوبات الحمى مراراً متعدّدة بعد انفصالها حتى انَّ بعض المصابين داموا في هذه الحالة المَرَضيَّة سنين ومعدَّل دوامها اربعة اشهر . اما الوفيات فانَّها قليلة الَّا اذا اشتدت نَوْبَتُها الى حدّ بالغ وتجاوزت حدود الحرارة الاعتياديَّة فتميت المريض سريعاً واذا اصيبت الرئة فالموت ممكن

﴿ ملاحظة ﴾ على الذين يسكنون في مالطة وفي المدن التي صار فيها الداء مزمناً أن يتخذوا كل الاحتياطات في الاكل والشرب لاسيما الحليب الذي يجب تعقيمهُ قبل الاغتذاء بهِ. وكذلك يُتقى البعوض وتُغسل آنية الطعام بالماء المغلي . والأولى بالمسافرين ان لا يرحلوا الى تلك الجهات في فصل الصيف

اذا تحقق الطبيب ان احد المرضى أُصيب بالداء فليوصهِ باخذ شربةٍ مع تفضيل الزئبق الحلو (calomel) او الجلب (jalap) ثم يسعى المرضون بتبريد حرارة المحموم بحيث تبقى الدرجة مطلقاً تحت ٣٩,٥° وذلك اما بغطسهِ في الماء البارد واما بغسل رأسهِ بالماء المثلج الممزوج بالخلّ او بوضع لبخات الثلج وليحذروا من اهباط درجة الحرارة اكثر من درجتين او ثلاث. وقد بيَّن الاختبار انَّ الكينا والسَّلسيلات لا تنفعان في هذا الداء بل تضرَّان. ويجوز استعمال الانتيبيرين وخصوصاً لازالة الصُّداع كذلك يعالج القبض بالمسهلات او بالحقن. ويجب على المريض ان يحتمي من الطعام الّا الحليب النظيف وبعد مدَّة يُعطى الحُساء والبيض وبعض المآكل الخفيفة المنعشة ولا يأكل الموادَّ الجامدة الّا بعد نظافة اللسان ويحسن شرب الليموناذة وعصير الليمون الحامض. وليبق الطعام معتدلاً على مدَّة حذراً من الانتكاس . وليلزم الدار وليمتدّ على كرسيّ طويل في البيت او في الجنينة اذا سمح الطقس بذلك وهذا على مدَّة ثلاثة اسابيع

اما اللبس فيكون من القلانسلا واذا ابتلت بالعرق فليبدلها. وليس تغيير الهواء لازماً كما يلزم في حُمى الملاريا اذ لا يقوى المريض غالباً على اتعاب السفر اما اذا انقطعت عنهُ الحمى وبرئ تماماً فيحسن بهِ ان يبتعد مدَّة عن البلد الذي يفشو فيهِ هذا الداء

وقد اخذ بعض الاطبَّاء ان يلقحوا المرض بميكروبات ميتة من الحمى المالطية الّا انهم حتى الآن لم ينالوا نجاحاً يُذكر . ولعلَّ هذا التطعيم يفيد بعض الافادة في الامراض المزمنة عندما تخفُّ نوبة الحمى وتهبط درجة الحرارة تقويةً للجسم. اما الوقاية منها بالتطعيم السابق فحتى الآن لم يصحّ . لطَّف الله بعبادهِ وخفَّف بعنايتهِ ادواءهم

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(ميخائيل مشاقة) ومن المتوفّين في السنة ١٨٨٨ الدكتور ميخائيل مشاقة كان مولدهُ في دشميًا سنة ١٨٠٠ من عائلة كاثوليكيَّة ملكيَّة وكان ابوهُ من المقرَّبين الى الامير بشير الكبير فانتقل مع اهل بيتهِ الى دير القمر فلمَّا انس في ولدهِ الذكاء خرَّجهُ في مبادئ اللغة والحساب ومسك الدفاتر ثم درس الفتى على خالهِ بطرس عنحوري شيئًا من العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة والفلكيَّة ورافقهُ بعد مدَّةٍ الى دمياط واشتغل بالتجارة وكان في اوقات الفراغ يتعاطى الآداب ويدرس الرياضيَّات والموسيقى والطبّ فنال من كلها حظًّا ورجع الى وطنهِ وخصَّ نفسهُ بالطبابة والجراحة مع كونهِ لم يدرس الفنَّين في مدرسة ولم يزل يمارسهما حتى امكنهُ ان يحضر دروس مدرسة القصر العيني في مصر سنة ١٨٤٥ فتقدَّم فيها فحصًا احظاه بالشهادة الرسميَّة سنة ١٨٤٦. ثم استوطن دمشق مع اهلهِ وتعيَّن قنصلًا للولايات المتحدة فيها. وكان ذلك خصوصًا بمساعي المرسلين الامريكان الذين اجتذبوه الى دينهم فجاهر بالبروتستانيَّة سنة ١٨٤٨ وصوَّب السهام الى اهل دينهِ وملَّتهِ فقام بينهُ وبين الكاثوليك جدالٌ طويل لم يزده الَّا عنادًا فبقي على مذهبهِ الجديد الى وفاتهِ في ٦ تموز من السنة ١٨٨٨. وكان الدكتور مشاقة ذلق اللسان سهل الانشاء لكنهُ كان ركيك العبارة قليل البصيرة في التاريخ والفلسفة كثير الثقة بنفسهِ وكان يتعقَّب آثار الملحدين كفولتار وفولناي فحذا حذوهم. ولهُ كتب مختلفة خلا الكتب الجداليَّة السابق ذكرها منها كتاب « الجواب على اقتراح الاحباب » ضمَّنهُ حوادث بلادهِ منذ اواخر القرن الثامن عشر الى زمانهِ وقد اتَّسع في حوادث سنة ١٨٦٠ التي كاد يذهب هو ضحيَّتها ونجا منها بأريحيَّة الامير عبد القادر وكذلك افاض في تاريخ

لمرتهِ. وهذا الكتاب قد طُبع في مصر مؤخرًا بعد ضبطهِ وتنقيح انشائهِ الضعيف على يد الاديبين ملحم عبدو واندراوس شخاشيري فسمّياه مشهد الاعيان بحوادث سوريا ولبنان. ومنها رسالتهُ المعنونة الرسالة الشهابيَّة في قواعد الحان الموسيقى العربيَّة. التي نشرها في المشرق (٢: ١٤٦ الخ) حضرة الاب لويس رنزفال وعلّق عليها الحولشي ثم طبعها على حدة مع التصاوير. ولهُ كذلك التحفة المشاقيَّة في علم الحساب. وكتاب المعين على حساب الأيام والاشهر والسنين

(ابراهيم بك كرامة) هو ابن بطرس كرامة شاعر الامير بشير الذي مرَّ لنا ذكر ترجمتهِ (ج ١ ص ٥٤–٦١) جرى صغيرًا على آثار والدهِ وبرع في العربيَّة ودخل ديوان الكتابة في لبنان ثم سافر الى الاستانة وتوظَّف في جملة عمَّال الدولة وامتاز هناك في العلوم الشرعيَّة. ومن ظريف ما مُدح بهِ ابراهيم بك قول الشيخ ناصيف اليازجي فيهِ لمَّا رحل الى القسطنطينيَّة ليستلم مأموريَّتهُ:

خلتِ الديارُ فلا كرامةَ عندها ... تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ للمُمتَنِ
هيهاتِ انَّ ابن الكرامة حلَّ في ... دار الخلافة بالمقام الاشرفِ
سبحانَ ذي العرش المجيد فقد بدت ... في شخصِ ابراهيمَ صورةُ يوسفِ
أصلى بنار فراقهِ قلبي ولا ... بَردٌ هناك ولا سلامٌ فتطفي
ذاك الكريمُ ابن الكرام ومَن لهُ ... الذكر الشهيرُ ومن لهُ اللطف الخفي
ورث الكرامة عن ابيهِ وجدّه ... لكنَّهُ بتليدها لا يكتفي
شهدتْ لهُ الاتراك بالفضل الذي ... شهدت بهِ الأعراب دون تكلُّفِ
قد نال ما هو اهلُ ما هو فوقهُ ... فانظر لأيهما الهناء وأنصفِ

ثم عاد ابراهيم كرامة الى وطنهِ واعتزل الاشغال وكانت وفاتهُ في بيروت سنة ١٨٨٨. فقال يؤرخ ضريحهُ جناب الاديب فيليب دي طرَّازي:

مثوًى غدا في حماهُ الانَ مضطجعًا ... مَن كان في قومهِ من اكبر العمدِ
سليلُ بيتٍ رفيع الشأن مشتهرٍ ... في الشعر والنثر والتدبير والرشدِ
بعلمهِ عَلَمٌ قد زانهُ عَمَلٌ ... برأيهِ غُرَّةٌ في جبهةِ الابدِ
بنو كرامةَ قد ناحوا عليهِ كما ... عليهِ ناحت ديار العرب من كبدِ
مضى واحرفُ تاريخٍ لما رقمت ... حُيّيت يا قبرَ ابراهيمَ للأبدِ (١٨٨٨)

وكان ابراهيم بك كرامة مغرمًا بالآداب يتداول الرسائل مع مشاهير عصرهِ

كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل الدلّال وكان ينظم النظم الحسن ولهُ ديوان لم يطبع فمن قولهِ بيتان في تاريخ ظهور جريدة السلام في الاستانة سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) :

نُشرت صحيفتنا السلام ونشرُها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضنّ بالخبر الصحيح مؤرخٌ يتلو حوادثهُ السلامُ عليكمُ

ويروى لهُ في فتاة لبست ثوبًا ورديًا :

وردّيةٌ الخدّ بالورديّ قد خطرت تميس تيهًا وتثني القدّ إعجابا
لم يكفِ قامتها الهيفاء ما فعلت حتى اكتست من دم الطلّاب اثوابا

(انكونت رشيد الدحداح) وفي هذه المدّة اطفأ سراج حياة احد وجهاء اللبنانيين في فرنسة . اعني انكونت رشيد الدحداح . وليس هو اوّل من امتاز بين المشايخ الدحادحة بذكاء عقلهِ وآدابهِ في القرن التاسع عشر . فان تاريخ لبنان ذكر منهم كثيرين نالوا شهرةً في دواوين الكتّاب كالشيخ سلّوم الدحداح واخيهِ الشيخ ناصيف كاتبي الامير يوسف الشهابي في جهات طرابلس ثم عاملي الامير بشير . وكالشيخ منصور الدحداح ابن سلّوم مدبّر الامور في لبنان مدّةً (توفي سنة ١٨٦١) . وكالشيخ امين الدحداح رئيس الكتبة عند الامير حيدر ومؤلف تآليف ادبيّة منها رسائل وحكم ومراثٍ . وكالشيخ يوسف ابنهِ من شعراء زمانهِ توفي قبل والدهِ سنة ١٨٥٠ وغيرهم من فرسان القلم

الّا ان الشيخ رشيد فاق الجميع . ولد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان ثم درس في عين ورقة . وفي سنة ١٨٣٨ اختارهُ الامير امين الشهابي ابن الامير بشير كاتبًا لاسرارهِ . ثم خدم لبنان في مناصب شتّى لولا انّهُ وجد في وطنهِ من سوء المعاملات واسباب العداء ما حملهُ الى ان يتغرّب في البلاد فانتقل الى مرسيليـة سنة ١٨٤٥ في صحبة الشيخ مرعي الدحداح الذي كان عاد الى سوريّة بعد فتحهِ هناك محلاً تجاريًا فرافقهُ الشيخ رشيد واقترن بابنتهِ وشاركهُ في الشغل الى السنة ١٨٥٢ حيث فتح محلاً تجاريًا لحسابهِ مع اخيهِ سلّوم . لكنهُ بعد حين انقطع الى خدمة العلم والآداب معرضًا عن التجارة فأنشأ جريدة يرجيس باريس وحظي لدى الحكومة الفرنسويّة ثم اتّسعت شهرتهُ بين الادباء واتّصل بباي تونس لمّا حضر الى باريس سنة ١٨٦٢ فمدحهُ بلاميّتهِ التي نشرناها في المشرق (٥ : ١٥٥) وعارض فيها لاميّة كعب بن زهير فاجازهُ عليها

الباي واتخذهُ كترجمانهِ الخاصّ وقلّدهُ الامور الخطيرة في دولتهِ

ثم عاد الكونت رشيد الى باريس وابتنى فيها قصراً بديعاً واقتنى قرية دينار في مقاطعة برطانية فاجال فيها يد العمارة وشيّد فيها داراً فخيمة سكنها مع اهلهِ ولم يزل في آخر حياتهِ يُعنى بالمطالعة والتأليف الى يوم وفاتهِ في ٥ أيار سنة ١٨٨٩ . وللكونت رُشيد من الآثار الادبيّة ما اكسبهُ اسماً طيباً في الشرق والغرب معاً. فمن ذلك انهُ سعى بنشر معجم السيّد جرمانوس فرحات في مرسيلية سنة ١٨٤٩ بعد ان رتّبهُ وهذّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ . ثم طبع فيها ايضاً سنة ١٨٥٥ شرحين مستوفيين على ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني وللسيّد عبد الغني النابلسي . وهما الشرحان اللذان اعاد طبعهما المسمّى محمد السيوطي في المطبعة الخيريّة في مصر سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وسكت عن اسم الكونت وانما اشار اليهِ اشارةً خفيفة لئلّا يُعرَف متولّي العمل فدعاهُ « رشيد بن غالب المجتبي » . وكان الكونت اوّل من نشر كتاب فقه اللغة الذي اعدنا بعد ذلك طبعهُ . ولهُ مقالات شتّى سياسيّة طبع بعضها على حدةٍ منها كتاب التمثال السياسي مع بيان احوال فرنسة في عهد نابوليون . ولهُ مجموعان احدهما يشتمل على اشعار حكمية جناها من كتب العرب يُدعى « طرب المسامع في الكلام الجامع » والثاني يتضمن مقالات ادبيّة وفوائد لغويّة يُعرف بقمطرة طوامير طُبع في قِنّة سنة ١٨٨٠ . ولهُ غير ذلك مما لم يزل مخطوطاً ونتمنّى نشرهُ كمقالة واسعة في فنّ المناظرة دعاها « ترويح البال في القلم والمال » ولاسيما تاريخهُ الكبير الذي دعاهُ « السيّار المشرق في براز المشرق » وكان الكونت ينظم الشعر الجيّد كما يُستدلّ عليهِ من قطرتهِ ومن لاميّتهِ التي ذكرناها . ومما انشدهُ في مدح نابوليون الثالث سنة ١٨٥١ اذ كان في اوج عزّتهِ ولم تُعرف غير سجاياهُ الطيّبة قولهُ من قصيدة :

الله اكبرُ مُعطٍ من يشاء فما ... كلُّ المحاسن والاحسان في رَجُلِ
وليس ذا من خلوّ الشعر اذ ظهرت ... للدين انوارهُ كالشمس في الحَمَلِ
فيهِ المجالُ وسيعٌ للمقال لنا ... قد عاد بسطُ كلامي ضيّق الحِبَلِ
ذو همّةٍ لم يُثبّط عزمها خطرٌ ... ولم يكن لصعابٍ قطُّ بالوكلِ
ولم يضعضعهُ هول الخطب آونةً ... ولم يَضِق صدرهُ في حادثٍ جللِ
وبالنواصي قد اقناد الذكاء لهُ ... شهبَ الرئاسة فانقادت على عجلِ
وفي السياسة كم ابدت براعتهُ ... حذقاً بهِ عادت الحُذّاقُ في نشلِ

وختمها بقوله:

ابقاكمُ الله يا فخر الورى فلكاً للسِّلم والأمن والاقبالِ والجَذَلِ

وبعد سنتين لموت الكونت رشيد (١٨٩٠) فُجعت الطائفة المارونيَّة بوفاة شقيقه السيّد نعمة الله الدحداح مطران دمشق الذي اشتهر بفضائله الاسقفيَّة اكثر منهُ بآثار قلمهِ وبهمَّتهِ نال من افضال الكرسي الرسولي تجديد المدرسة المارونيَّة في رومية (١

(اسعد طراد) هو اسعد بن ميخائيل طراد من أسرةٍ شائعة الفضل في هذه الاصقاع ومن نخبة شعراء سوريَّة. ولد في بيروت سنة ١٨٣٥ وتخرَّج في حداثتهِ في مدرسة عبيه الاميركانيَّة ثمَّ تردَّد على الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ واجتمع بأفضل اساتذة العربيَّة في عهدهِ حتى أتقن العلوم اللغويَّة ونظم الشعر في شرخ الشباب فطُبع عليهِ وكان يقولهُ بديهاً. خدم عدَّة سنين الدولة العليَّة بنشاط ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٧٢ وتعاطى في اخائها التجارة الى وفاتهِ سنة ١٨٩١. ولهُ شعر كثير متفرِّق جُمع معظمهُ في ديوان بعد وفاتهِ بهمَّة بعض انسبائهِ فطُبع سنة ١٨٩٩ في الاسكندريَّة. ولهُ غير ذلك من الآثار منها مقالات ادبيَّة نشرها في الجنان. ومن شعرهِ الذي لم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في موت بعض الكرام:

يا ارحمَ الناس قلباً عند نائبةٍ هلَّا رحمتَ عويل الصارخ الوجلِ
دارت عليك من الاقدار وا اسفاً كأسٌ فلكتَ بها كالشارب الثَّمِلِ
هذا الشرابُ الذي لا بُدَّ منهُ لنا وليس تمنعُ منهُ كثرةُ الحيلِ
وكيف يجزع اهلُ الارض من حدثٍ جرى على انبياء الله والرُّسلِ

ولهُ في نعمة الله طراد المتوفى سنة ١٨٥٥ ولم يُرْوَ في ديوانهِ:

ركنٌ ليت طرادٍ مال منهدماً يوماً وابكى جميع الاهل والغُربا
حاز التقى والرضا والبرَّ في دعةٍ ورغبةَ الخير والاحسانَ والأدبا
مضى الى الله مبرورًا يحقُّ لهُ شكر على صفحات القلب قد كُتبا
كرامةٌ كلّ تاريخٍ بجودها لنعمة الله حقُّ الشكر قد وجبا

وقال يرثيه:

لا تخشَ يا قلبُ احراقاً من الألمِ أما ترى دمع عيني مغرقاً بدمِ
كلٌّ يبكي نعمة الله التي فقدت منَّا وكم في الورى باكٍ على النعمِ

(١) اقتطفنا هذا الفصل من ترجمة مطوَّلة للشيخ الفاضل والكاتب المحقق سليم خطَّار الدحداح اثبتها في المشرق تحت العنوان «الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ» (المشرق ٤: ٣٨٥؛ ٤٥٦؛ ٤٨٩)

وهي قصيدة طويلة وجدناها في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيّة. ويليها ابيات ثانيّة ختمها بهذا التاريخ:

لمّا خلا من ديارٍ كان يؤنسها فحزنهُ ما خلا من قلبِ مَيْلَتهِ
وبتُّ انشد تاريخًا بهِ ابدًا لا اعدم اللهُ قلبًا فيضَ نعمتهِ (١٨٥٥)

وقد اشتهر من اسرة طراد شاعر آخر وهو (جبرائيل حبيب طراد) ويسمّى ايضًا جبران ابا خير كان درس في المدرسة الوطنيّة في بيروت وتمكّن من نظم الشعر الجيّد الذي لم يُعْنَ بجمعهِ. توفي في سنة ١٨٩٢ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٤ فمن شعرهِ قولهُ يرثي اسبيريدون طراد باور السلطان عبد العزيز المتوفى سنة ١٨٧٠:

ركنٌ هوى بديار الاسلامبولَ اذ رجّت لسقطتهِ المدائنُ والقُرى
لم يَحْمِهِ السيفُ الصقيلُ ولا الصبا والاهلُ والصحبُ الفطاحل والذُّرى
قد كان يجمع في حماهُ كتائبًا واليوم اضحى في المقابر اقفرا
من كان لا يرضى القصور مساكنًا سكن التراب فبات فيهِ مفقّرا
من كان غوثًا للفقير وعاضدًا امسى أضرَّ من الفقير وافقرا
ان غاب عن ابصارنا يبقى لهُ رسمٌ بحلّةِ القلب دام مصوَّرًا
فعليهِ نعمةُ ربّهِ وسلامُهُ وعلى ثراهُ الغيثُ يُسكَب ممطرا

ومن قولهِ في ذكر محامد الفقيد سليم دي بسترس:

على انهُ قد كان احرى بنا بأن نغبّط من مثل السليم غا سعدا
حصيفٌ قضى دنياهُ في خوف ربّهِ فحدّثْ ولا تطلب لأفضالهِ حدًّا
فكم غاث محتاجًا وأطعم جائعًا وعاد اخا سُقمٍ فأوسعهُ رفدا
وكم من ايادٍ جاءها ومكارمٍ فكانت بجيد الدهر من فضلهِ عقدا
علا طيب جدواهُ على الورد نفحةً وذكرُ اسمهِ بالفضل قد زيّن المجدا
جديرٌ بانّ الفخر يشكو فراقهُ ومنهُ رواق الفخر قد كان مستندًا

(جرجس زوين) وفي السنة ١٨٩٢ في ٢٨ تموز كانت وفاة كاتب آخر بليغ من أسرة مارونية فاضلة وهو جرجس زوين. تلقّى المذكور كل دروسهِ عندنا في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثم عدل الى الكتابة والتأليف فكان اوّل محرّر لجريدتنا البشير فاقام على تحريرها نحو سبع سنوات ثم تولّى تحرير جريدة لسان الحال وفي آخر حياتهِ جريدة لبنان. وكان كاتبًا مجيدًا متوقّد الذهن سريع الخاطر واسع الاطّلاع. وقد عرّب عدّة كتب طُبعت في مطبعتنا كروايتَيْ وردة المغرب وفريدة المغرب وكتآليف دينيّة

منها مصباح الهدى لمن اهتدى وكتاب رولشق الافكار لأمبرتوس وكتاب كنيسة الروم الشرقية بازاء المجمع المسكوني الفاتيكاني. ولهُ تأليف ردّ فيهِ على الدكتور ميخائيل مشاقة لمَّا اخذ هذا يطعن بالكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الردّ القويم على ميخائيل مشاقة اللئيم. وكان جرجس زوين احد اعضاء الجمعية السوريَّة لهُ فيها خطب ومقالات منها خطبة في تاريخ سوريَّة

(جبرائيل الدلَّال) وفي هذه السنة عينها ١٨٩٢ ذهب ضحيَّة آرائهِ الدستوريَّة جبرائيل الدلَّال. كان سليل اسرة حلبية عريقة في الادب وكان جدُّهُ عبدالله ذا عزّ وجاه وتُقى فلمَّا توفي سنة ١٨١٧ ارَّخ ضريحهُ بطارس كرامة بقولهِ:

لحدٌ ثواهُ ابن دلَّال التقي فغدا برحمة الملك القدُّوس مغمورا
قضى الحياة على نهج الصلاح وقد لاقى المنيَّة مبرورًا ومشكورا
ناداهُ ربٌّ غفور اذ نوَّرضهُ نَلْ جنَّة الخلد عبد الله مسرورا

ولابيهِ نصرالله آثار ادبية منها مقالاتهُ في المال والاعمال نشرها في الجنان وكان بيتهُ اشبه بمنتدى لعلماء وطنهِ يجتمع فيهِ الشعراء والادباء فمدحهُ بعضهم بقصائد غرَّاء ولنصرالله كتاب فلسفة دعاهُ آثار التدقيق في اصول التحقيق. ولد جبرائيل بن نصرالله في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ ونشأ على آداب والدهِ ودرس في مدارس المرسلين في عين طورا وحلب وكان مغرمًا بالعلوم العصريَّة فاحرز منها حصَّة حسنة وانكبَّ على الفنون العربية ودرس آثارها نثرًا ونظمًا فصار من اوسع اهل وطنهِ معرفةً بآداب العرب. وسافر غير مرَّة الى الاستانة وتنعَّم فيها التركية وتجوَّل في الاقطار حتى بلغ اسبانية والبورتغال وبلاد الجزائر وحطَّ عصا التسيار في باريس فحرَّر مدَّة صحيفة «الصدى» لسان حال السياسة الفرنسويَّة وصار ترجمانًا لوزارة المعارف وتعرَّف في منصبهِ بكثيرين من اهل الوجاهة القادمين الى باريس. ثم استدعاهُ الوزير خير الدين باشا لما تُقلد منصب الوزارة الى دار السلطنة لينشئ فيها صحيفة السلام لكنَّ تلك الجريدة لم تلبث ان تُلغى بعد استقالة خير الدين باشا فطلبهُ المكتب العلمي في ڤيانَّا ليدرِّس العربية في كليَّتها فعمل مدَّة سنتين. وصنَّف هناك بعض المصنَّفات منها رسالة في ملخَّص التاريخ العام ورسالات لغويَّة. ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٨٤ بعد تغيُّبهِ عنهُ نحو عشرين سنة. فبقي مدَّة يتعاطى الآداب وهناك اجتمعنا بهِ سنة ١٨٨٧ ونقلنا بعض مخطوطات مكتبتهِ. وما كنَّا نظنّ

بأنَّ هذه المكتبة ستُباع يوماً ويقع في يدنا كثير من آثارها . . وكأنَّ صاحب الترجمة لاختلاطهِ باهل السياسة في اوربة عرف ما تقتضيهِ بلاده من الاصلاحات ففرط منهُ بعض اقوال نُقلت الى ذوي الامر فأُلقي في الحبس وبقي هناك الى يوم وفاتهِ في سنة ١٨٩٢ وقيل انهُ قُتل مسموماً في اليوم الذي جاء الامر باطلاقهِ والله اعلم . وكان بين جبرائيل الدلّال وبعض مشاهير العصر وشعرائهِ مراسلات ومساجلات . ولهُ قدود غناء وكان بارعاً باصول الموسيقى . وقد جمع الاديب البارع قسطاكي افندي الحمصي ما وجدهُ من آثارهِ الادبية في كتاب دعاهُ السحر الحلال في شعر الدلّال وصفناهُ في المشرق (٦ : ٨٥٩) واقتطفنا بعض جناهُ . ولهُ فيهِ قصائد غرّاء مدح فيها علية زمانهِ فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك ايران قال في جملتها في مدح السلم والعدل :

فالسِلمُ اوفى واقياً ولثروة البلدانِ اوفَرْ
والعدل ان عمَّ الما لك شاد علياها وعمَّرْ
والباقياتُ الصالحا تُ على مرور الدهر تُذكرْ

ومن طيّب نثرهِ ما روي لهُ هناك من جواب الى صديق :

كتبتُ اعزّك الله وقد وصلني طرسُك الذي فاق الدرّ النضيد بهجنهِ . وازرى على وشي التفريد بلهجتهِ . واني لأحقُّ بابعادك يا ابتدأتني بهِ من الصلة تفضُّلاً ولكن قُدّر لك عليَّ السبق وان تكون في كل شيء اوّلاً فلساني عاطر بشكرك . وقلبي عامر بذكرك . غبتَ او حضرتَ سرتَ او أقمتَ . فوالله لم اذكر ايّام اللقاء ولذّتها الّا وطارت نفسي شعاعاً . ولا تخيّلتُ ساعات الوداع وكربها الّا وزادني الشوقُ التياعاً . . . فان تأملتُ قصر مدّة الفتها هاج بي الشوق آلاماً . وان تذكّرتُ حميم صحبتنا زادني التذكار هياماً . واذا فكّرتُ في فرقتنا قلت ما كان اللقاء الّا مناماً

(لها بقيّة)

هباسيا والقديس كيرلُس

للاب فلوران لافلي مدرس التاريخ في كلّيّة القديس يوسف

هباسيا ! . . وما هباسيا ! . . وما ادراك ما هباسيا ! . . فان كنت ايها القارئ الغمر تجهل مَن هباسيا دونك جينة الاخبار امين افندي ريحاني . . . فانهُ نقّب في زوايا المكاتب فأجهد فكرهُ واسهر عينهُ وقلّب بطون الدفاتر فوجد ضالّتك . وها هو

قد خصّ بوصف هباسيا ثماني صفحات من مجلّة تدعى الحسناء. وقد زعم انّهُ يتحاشى في مقالاتهِ القصص الخياليّة ولا يريد الّا ان يسطّر تاريخًا حقيقيًا فيبعث في قلوب الاوانس عواطف الاسف والحنان على عذراء مظلومة فيُنسيهن ابطال الاقاصيص الغريّة (الرومان) ويا ليتهُ فعل ولم يأتنا بالاساطير المنتريّة

ثم استحلف السيّدات بان يتبعنهُ الى مدرسة الاسكندريّة في العشر الثاني من القرن الخامس وهناك عرض عليهنّ تمثالًا حيًا للفضائل افاض في مدح مناقبهِ الّا وهي « فيلسوفة بتول » تُدعى هباسيا وكان الاولى بهِ ان يكتب اسمها هيباتيا (Υπατία) لكنّ الريحاني لا يعرف اليونانيّة وانّما هو ناقل يزجّ بهِ نقلهُ في مغاوي الضلال كما سترى

ثم قال الراوي (المنتري !) انّ هباسيا هذه كانت زينة الاسكندريّة وكانت وثنيّة وبرّزت في علم الفلسفة الافلاطونيّة وجرت في مجرى ابيها ثيون الوثني « وكانت تلقي الدروس على الالوف من الطلبة وفيهم الاعيان والاغنياء واللاهوتيّون » وذكر من جملتهم « اسقف عكّا سينيسيوس الذي كان اوّل من اعترف بفضلها وعلمها . . وظلّت الصداقة بين الفيلسوفة الوثنيّة والاسقف المسيحي تقيّة الاسباب وثيقة العرى فلا هباسيا امتقت الدين المسيحي ولا سينيسيوس خلع ثوبهُ الكهنوتي » وختم الكاتب البارع هذا الفصل بوصف جمال هباسيا واقتناعها بالملبوس البسيط واعراضها من « المودات ». وكل ذلك مع ما يتضمّن من المبالغة لا نُحاجّ فيهِ كاتبنا الريحاني فنحن نسلّم بمقام الفيلسوفة هيباتيا وسعة معارفها بين علماء عصرها . وفي اعتبار الاسقف سينيسيوس (Synésius) لتلك المرأة احسن دليل على انّ النصرانيّة لا تضطهد العلماء لاجل دينهم وبهِ الكفاية لأن يعرف الريحاني انّ ما اعدّهُ في كتابتهِ من النبال لرشق النصارى اخوتهِ ولاسيما احد اكابر ائمّتهم القديس كيرلس الاسكندريّ لا سند لهُ

ثم قال الراوي (من رواة بني هلال)

« وبعد ان خدمت العلم والفلسفة اربعين سنة ماتت موت الشهداء على افظع طريقة وانكرها »

ثم افتتح الراوي (ابو زيد) هنا فصلًا ذكر فيهِ القديس كيرلس الاسكندري بهذا العنوان « سيريل البطريرك » فنسب اليهِ « التعصّب والمعاندة والمكابرة » واكّد انّ صدرهُ أُوغر « حسدًا لمجد هباسيا بحيث لم يطب لهُ عيشًا (كذا) ولم يسغ لهُ

شراباً (كذا) » ثم وصفهُ كحاكم ظالم استعان بفرقة من الجند « لطرد اليهود ونهب بيوتهم ومعابدهم وتدميرها ». وزاد على كل ذلك انَّ سيريل اثار ثورة في الاسكندريَّة اودت بحياة ابنة ثيون. وهنا فصَّل الكاتب خبر قتل الفيلسوفة على يد جمهور من الرعاع الذين تعرَّضوا لها في طريقها فاستطوها من عَرَبتها وقطَّعوا جسمها اربا » وذلك في اذار سنة ٤١٥ على عهد الملك ثيودوسيوس (كذا) الثاني » وختم الخبر بقوله انَّ « ما من احد من المؤرخين يرتاب في انَّ سيريل هو العامل الخفي على قتل هباسيا. وقد قال تيودورت وهو من آبا الكنيسة المشهورين انَّ لسيريل يداً خفيَّة في هذه الجريمة. وقال غيرهُ ان لم تقتل هباسيا بامر واضح من سيريل فقُتلت بعلمهِ وارادتهِ »

وقدَّم الريحاني (المؤرخ الهلالي) على هذا التفصيل بيان سبب قتل سيريل لهباسيا فقال انَّ الخلاف بينهما لم يكن فقط « نزاع بين العلم والجهل. بين التعصُّب والفلسفة. بين الحرِّيَّة والاستبداد. بل هو خلاف بين العذراء الوثنيَّة التي أسَّست حياتها على فضائل الدين المسيحيّ دون ان تعتنقهُ وبين البطريرك المسيحيّ الذي استخدم الدين واسطة لشفاء غليلهِ ونيل مآربهِ » (كذا ! !)

تلك دعوى الريحاني على كيرلس الاسكندري. وما ادراك مَن كيرلس ؟ احد ملافنة الكنيسة الشرقيَّة العظام الذي اجمع الشرق والغرب معاً على اكرامهِ لسموّ فضلهِ فجعلهُ الريحاني رجلاً اثيماً بل حاكماً جائراً بل ذئباً خاطفاً سفَّاكاً للدماء. فما قولنا ؟

نجيب (اولاً) على امين ريحاني انَّنا لا نصدّق قولهُ دون سند تاريخيّ ولاسيما انهُ عوَّدنا اختلاق التاريخ على هواه تبعاً لبغضهِ للدين (اطلب المشرق ١٢ : ٦٣٩ و٧١٦)

(ثانياً) وفي هذه المقالة اراء ضعيفة باطلة بل قلّ اغلاطاً فظيعة تدلّ على انَّ الكاتب انَّما ينقل (على العياني) عن كتبة ملحدين مثلهُ كلُّ غايتهم الثلب والطعن في كنيسة الله وقدّيسيها. فمن اغلاطهِ الظاهرة : ١ً قولهُ انَّ « هباسيا خدمت العلم والفلسفة اربعين سنة » والكتبة مجمعون على ان مولدها كان نحو سنة ٣٧٠. وعلى قول الريحاني انها قُتلت سنة ٤١٥ ومن ثمَّ ينبغي القول بانَّها في الخامسة من عمرها كانت تخدم العلم. ٢ً ثم قولهُ « انَّ عمرها تجاوز الخمسين لمَّا ارتقى البطريرك سيريل الى كرسي البطريركية ». ومن المعلوم انَّ القديس كيرلس نال البطريركية في السنة ٤١٢ فتكون عاشت هباسيا ٥٣ سنة لمَّا قُتلت وهذا مخالف لكلّ الروايات. ٣ً قال الريحاني ان

سينيسيوس الاسقف كان يحضر دروس هباسيا الفيلسوفة . والصواب انَّ سينيسيوس قبل اسقفيَّتهِ كان وثنيًّا ولم يحضر دروسها الَّا في زمن وثنيَّتهِ وانَّما داوم فقط بعد ذلك على مكاتبتها . ٤ً زعم الريحاني انَّ سينيسيوس كان اسقفًا على عكَّا . وقد خُدع باسم « Ptolémaïs » الذي يدلُّ على عدَّة مدن في بلاد مختلفة . منها هذه المدينة التي هي احدى المدن الخمس (Pentapole) في ليبية فلا علاقة بين سينيسيوس وعكا . ٥ً شطَّ الريحاني بقولهِ انَّ اللاهوتيين كانوا يحضرون دروس هباسيا الوثنيَّة . ٦ً شطَّ ايضًا بقولهِ ان « ثيودورت » نسب قتل هباسيا الى سيريل . فانا راجعنا كل اعمال ثيودورت فلم نجد لشهادتهِ اثرًا . فان كان صادقًا فليدلَّنا على سندهِ . ولعلَّهُ خلط بين « ثيودورت » و « ثاوفان » فانَّ ثاوفان ذكر قتل هباسيا لكنَّهُ لم ينسبهُ البتَّة الى سيريل بل الى « البعض » . ٧ً وليس في التاريخ ملك روماني يدعى ثيودورس لكنَّ الريحاني اساء قراءة الاسم بالكتاب المفَّق الذي راجعهُ فقرأ Théodore ثيودورس والصواب Théodose ثاودوسيوس . ٨ً جعل العلم كلهُ في هيباتيا ونسب الجهل الى كيرلس . وليس في يدنا كتاب واحد من تآليف هيباتيا لنعرف مبلغها من العلم . امَّا اعمال كيرلس الباقية فتكفي لتشرّف مئين من الرجال

فهذا مبلغ علم الريحانيّ الذي قام للتشنيع على احد انوار الكنيسة اليونانيَّة فرماهُ بشكاوى لو صحَّت لاستحقَّ ان يُرذل في عداد المجرمين لا ان يُكرَّم كاحد اولياء الله . وان سألت عن الخبر الصحيح رويناهُ هنا عن المعاصرين

فنقول انَّ القديس كيرلس لمَّا خلف عمَّهُ ثاوفيل على كرسيّ الاسكندريَّة اظهر من الغيرة والنشاط ما اثار عليهِ بغض اعداء الكنيسة واوَّلهم اليهود . اخبر سقراط معاصر القديس في تاريخهِ (ف ١٣) ان اليهود اخذوا يسخرون بدين النصارى ويشخّصون في المراسح الرتب المسيحيَّة استهزاء بها وحرَّكوا حاكم البلد اورستس على احد النصارى من خدَم كيرلس فضربهُ بالسياط ظلمًا فاخذ كيرلس بناصرهِ وكان ذلك فاتحة العداوة بينهُ وبين الحاكم . ثم طلب البطريرك من ارباب اليهود ان يكفّوا عن سوء اعمالهم لئلَّا يثور عليهم النصارى . اما اليهود فازدادوا شرًّا وهجموا على المسيحيّين احدى الليالي فقتلوا ونهبوا فلمَّا كان الصباح ورأى النصارى ان الحاكم لا يدافع عنهم انتأروا من اعدائهم وضبطوا جرامهم وطردوهم من البلد . فزاد حنق الحاكم على

كيرلس واوقف احد الرهبان المنتمين الى البطريرك فقتلهُ فصارت المدينة حزبين حزب الحاكم ومعهُ الوثنيُّون واعداء النصارى وحزب المظلومين . فسعى القديس كيرلس بتسوية الخلاف حبًّا وذهب الى بيت اورستس وبين يديه الانجيل الطاهر واستحلفهُ بالله ان يكفَّ ايدي الاوباش ويجمع القلوب بالعدل والوئام . فلم يرضَ الحاكم وأصرَّ على عدائهِ

قال سقراط في تاريخهِ (ف ١٥) وكان وقتئذٍ في البلد امرأة شهيرة تدعى هيباتيا كانت تعلّم فلسفة افلاطون على طريقة بلوتينوس واصابت سمعةً كبيرة في تعليمها . فهذه كانت صديقةً للحاكم تتردَّد عليهِ فيكرمها . فلمَّا رأى البعض انَّ هذه الفيلسوفة تُكثر من زيارة الحاكم نسبوا اليها ايغار صدر اورستس ومنعها لهُ عن مصالحة كيرلس . وكان بين النصارى جماعة من طبقتهم العاميَّة يدعون « پارابولان » يعتنون بالمرضى وهم عصبة من العلمانيين الَّا أنهم تحت رعاية الكنيسة فهؤلاء اجتمعوا يومًا ورصدوا لهيباتيا عند خروجها من بيت اورستس فهجموا عليها ورموها من عربتها وسحبوها الى كنيسة قريبة وقتلوها هناك ثم احرقوا جثَّتها

فهذا العمل الشنيع سيَّئةٌ تشفي القوم ممَّن اعتبروهـا سببًا للنزاع ليس الحسد ولا التعصُّب وقد تمَّ بدون رضى البطريرك بل بدون علمهِ . نعم انَّ سقراط ختم هـذا الخبر بقولهِ « انَّ تلك الجريمة اثارت البغضاء على كنيسة الاسكندريَّة وعلى كيرلس اسقفها » الَّا انهُ لم يقل ان كيرلس كان سبب موت هيباتيا ولو كان الامر كذلك لما سكت عنهُ لانَّ سقراط كان ينقم على كيرلس مناهضتهُ لشيعة النوفاطيين الذي هو كان منها . ولنا عدَّة ادلَّة اخرى على انَّ كيرلس لم يشارك القتلة بفعلهم

١ً انَّ عموم اهل الاسكندريَّة التمسوا من البطريرك كيرلس ان يبقى في المدينة لئلا يزيد الهرج والمرج بين الاحزاب . وما كانوا ليفعلوا لو كان لهُ يدٌ في الجريمة

٢ً قد رفع الاسكندريُّون الامر الى الملك ثاودوسيوس وطلبوا ان يجعل حدًّا لشرِّ فرقة البارابولان فكتب الملك في ذلك منشورين واوعز الى القديس كيرلس والى الحاكم معًا بان يشدّدا على هذه العصبة . فلو كان كيرلس موافقًا لهم لأشار الملك الى فعلهِ ولمَّا وكَلَ اليهِ نظارتهم

٣ً انَّ الاعداء الكثيرين للقديس كيرلس كايزيدورس البلوزي والكتبة

النساطرة وغيرهم كثيرين قد ندّدوا باعمال القديس كيرلس الاسكندري وما من احد منهم اشار الى قتلهِ هيباتيا. فسكوتهم دليل واضح على براءتهِ

٤ وكذلك الكنيستان الشرقيّة والغربيّة عظّمتا في كل وقت فضائل القديس كيرلس ولو كان اجترح اثمًا كهذا لما سمحتا باكرامهِ البتّة

هذا ونعلم انّ احد الوثنيين المسمى داماسيوس الذي عاش بعيد كيرلس بمائة سنة نسب قتل هيباتيا الى البطريرك. لكنّ شهادتهُ مجروحة وانّما اراد ان ينتقم من النصارى لمّا قضى عليهِ الملك يستنيان بالغاء تعليمهِ الوثني في الاسكندريّة. وكان داماسيوس يُعرَف بتعصُّبهِ البالغ للوثنيّة. والذين نسبوا جريمة قتل هيباتيا الى كيرلس انّما قالوا عنهُ دون تروٍّ. وفي هذا كفاية للردّ على الريحاني انار الله عقلهُ

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ النظام الماسوني

طُبع الانسان على الرغبة في معرفة الاسرار المحجوبة فلا يزال يسعى في طلب المكنونات ريثما يطّلع عليها او يميط جانبًا من الستر الذي يصون حرمتها وهكذا جرى في الماسونيّة فانّها مهما ضاعفت الظُلمات حولها وشدّدت على اصحابها في حفظ اسرارها وقف اخيرًا اهل البحث على دفائنها وعرفوا نظامها. وها نحن في الصفحات التالية نفصّل هذا النظام ونتتبّع الاقسام التي يتركّب منها هذا البناء الغريب ونبيّن انتلافهُ واختلافهُ وموارده ومصادرهُ فيظهر لكلّ ذي عين زورهُ وبهتانهُ

اعلم ان النظام الماسوني على شبه دار واسعة لها الواجهة المهيبة ثم وراءها الطبقات المتّسقة مع الدواوين العموميّة والنوادي الجامعة والغرف الخاصّة والمقصورات المصونة والحُجَر المقفلة. ثم لهذه الدار مطامير واسراب ومتاهٍ ومضلّات لا يدخلها الّا الخاصّة الخاصّة ويضيع فيها من لم يعرف مُسمّياتها ومهالكها. وعليهِ نقسم هذا الفصل ثلاثة ابواب ففي الاوّل نصف واجهة الماسونيّة وظاهرها. وفي الثاني نعرّف نظامها العموميّ في محافلها وطقوسها ومجتمعاتها السنويّة. ونخصّ الثالث بالماسونية الخفيّة التي تتوارى عن

كل عيان فترى ولا ترى ومنها تأتي كل حركة وتصدر كل الاوامر متحدرةً من عـلٍ درجةً درجةً حتى تبلغ الى الطبقات السافلة فهي كالبخـار غير المحسوس يضغط بقوّته على مصاريع الآلة الى ان يدفع كل اقسامها الى العمل . فالخبايا على الاخصّ مترويةٌ في تلك الزوايا . ثم ان لكلّ بيت خدماً وعمّالاً الذين ليسوا من اهلـه لكنّهم تحت ادارتهم . فكذلك الماسون يحكمون على احزاب وجمعيات ليست منهم لكنّها تتحرك بروحهم وتنقاد لحكمهم فنفرد لتعريف هؤلاء ايضاً باباً رابعاً

الباب الاوّل

واجهة الماسونيّة

جاء في مثل : ليس قبيح الّا وظاهرهُ احسن من باطنهِ . ومن عادة السمج المشوّه الصورة ان يكتم قباحتهُ تحت حجاب لطيف . وقد قال الرسول بولس عن ابي القباحة وشيخ النار انّهُ لا يخدع البشر الّا تحت صورة رضيّة بهيّة فقال (رسالة ٢ كور ١١ : ١٤) : « انّ الشيطان نفسهُ يغيّر هيئتهُ الى هيئة النور » . فعلى هذا المثال ترى الماسونية في بعض رجالها واعمالها الخارجة تتصرّف تصرُّف ذوي الشهـامة واصحاب الصلاح ومحبّي الخير العام فيا ليتها تثبت على ذلك فلا يصحّ في ذويها قول الربّ انّهم كالقبور المكلّسة التي في باطنها النتانة والفساد . فمن اثمارهم تُعرَف حقيقتهم

وممّا يفتخر بهِ الماسون ان بينهم الاعيان والامراء والشيوخ ومشاهير الرجال وانّ بعض الملوك او ابناءهم يرأسون الماسونية هذا ومن دأب تلك الشيعة ان تطلب لها من كل بلد بعض الوجوه الذين يعتبرهم النـاس لمقامهم فلا تزال تسوّل لهم الدخول في الماسونية وتمنّيهم بالاماني الباطلة الى ان تضمّهم الى فئتها الّا انها غالباً لا تشركهم في شيءٍ من اسرارها ولا تجعل فيهم ثقتها . وانّما غايتها من نظمهم في سلكهـا أنْ تتباهى بهم امام الناس حتى اذا قرّعها أحد باعمالهـا الشائنة استترت بهم . فهؤلاء الذوات اشبه بالطُعم لاصطياد السمك او هم كالعصفور « الشويكي » الذي يتخذهُ اللبنانيّون ليصطادوا بهِ اغرار العصافير وخشاش الطيور . ولنا على قولنـا ادلّة متعدّدة تكتفي بشهادة او شهادتين :

---

١) اطلب Claudio Jannet : *L'action des Sociétés Secrètes au XIX siècle* p. LXXXVII.

قال مازيني احد ائمة الماسونيّة الايطاليّة في معلوماته السرّيّة التي وجّهها الى الماسونيين الايطاليين سنة ١٨٤٦ : «أننا لا نستطيع ان نبلغ غايتنا من الاصلاح (يريد الثورة الايطاليّة) الّا بواسطة الاعيان ليستسلم اليهم الشعب فهؤلاء الكبار والامراء هم على شبه الاجازة والتذكرة (بَسابورت) يفتحون لنا الباب فضمّوهم الى الماسونية وإيّاكم ان تكشفوا لهم غايتنا (اي الثورة والانقلاب) لئلّا ينفروا منّا »

وقال احد اليهود من اعضاء الشورى الماسونية سنة ١٨٢٢ في رسالة وقفت عليها الحكومة البابويّة في جملة اوراق اخرى تُصان اليوم في مكتبة الفاتيكان : « اعظموا في محافل الماسونية ما امكنكم من السادة والامراء والاغنياء ولا تألوا جهدًا في التمويه عليهم وتمليقهم . . . فانّهم اذا دخلوا كانوا في ايدينا كادوات ندبرها كيف شئنا »

ولمّا عيّن نابوليون الثالث البرنس لوسيان مورات (L. Murat) كرئيس اكبر لشرق فرنسة الاعظم كتبت جريدة العالم الماسونيّ السرّيّة (ج ٦ ص ٤١١) : « على الماسونية ان لا تثق بغير قوّتها ولا تستند الى غير نفسها . امّا اذا قضت الظروف بأن يتولّى عليها احد الملوك او الامراء فلتفرغ جهدها بان تتخلّص من نيرهم ولا تهتمّ كثيرًا سلطتهم فانّهم كبقية الافراد وهم منبع الشرّ »

وكثيرًا ما رضي الملوك والامراء برئاسة الماسونية ليس اعتبارًا لها ولا طلبًا للتشرّف بها ولكن ليمدّوا عليها سيطرتهم وليقووا على كبح جماحها بحقّ رئاستهم عليها . والبعض منهم ابرا هذا الامتياز ورفضوه لعلمهم بأنهُ لا يشرّفهم البتة كما جرى لغليوم الثاني امبراطور المانيا الحالي فانّ جريدة بوهوت لسان حال المحافل الماسونية الالمانية اوردت هذا الخبر بأسف فكتبت في اعدادها ما عرّبتهُ جريدة البشير (في عددها ١٣٢ الصادر ١٤ آب ١٨٨٨) وفيهِ دليل على نفور غليوم الثاني من الماسونية قبل تملّكهِ وبعدهُ

بلغنا انّ محافل هديدة قدّمت للامبراطور فريدريك الثالث (الامبراطور السابق) عرضًا تلتمس فيهِ منهُ ان يعيّن واسطًا ينوب عنهُ في حماية الماسونيّة وبما انّ ولي العهد (اي غليوم الثاني) كان يعيّ الظنّ في الماسونيّة اساءةً لا يمكن قلعها من عقلهِ أمّل الماسون انهُ يعيّن لهذه الحماية اخاهُ البرنس هنري لكنّ المصاعب ايضًا حالت دون ذلك لأنّ في عقل البرنس هنري مثل ذلك الظنّ السيّء . وفي هذه الايام تقدّم احد الرجال من ذوي النفوذ الكلي وسعى لدى الامبراطور غليوم الحالي ليقبل هذه الحماية لكنّهُ لم ينل منهُ جوابًا »

وللماسون ما خلا هذا الافتخار غاية أخرى في سعيهم بجلب كبار الناس اليهم وهي

غاية مالية فانهم يعدّون الامراء والاغنياء كبقرات مُعدّات للحلب ليترفوا اكياسهم ويستخرجوا دراهمهم لترويج غاياتهم. قال ويسهوبت (Weishaupt) احد منشئي الماسونية في شرحه على درجة الفارس الاسكتلنديّ: « انّ بين الاغنياء اناساً بُلهاً ومعتوهين (مجدوبين) يجب تعظيمهم وتمليقهم ولا بأس من نظمهم في درجاتنا العالية ايضاً فانّا في حاجة اليهم ليس لاشخاصهم ولكن لدراهمهم ليملأوا صناديقنا ذهباً. فاصطادوهم في سنّارتكم واياكم ان تعلموهم بشيء من اسراركم الخفية »

على انّ الماسون لا يكتفون بهؤلاء الامراء والذوات الذين اوقعوهم في فخاخهم بل كثيراً ما تراهم تفخيماً لواجهة الماسونيــة وابتغاء المكر بالبسطاء يزعمون انّ في جماعتهم رجالاً من نخبة الاكليروس والرهبان وانّ بعضاً من الاساقفة اقسمهم من اعضاء شيعتهم. على انّ كذبهم في هذه الاقوال صريح في اغلب الاحيان وربّما وقف عليه الناس بعد البحث والتحقيق. ومن مثال ذلك انهم اشاعوا انّ بيوس التاسع ثمّ لاون الثالث عشر كانا من الماسونية فما استفادوا من كذبهم الّا خجلاً وعاراً. وهذا مثال آخر على كذب الماسون في نسبتهم الى شيعتهم رهباناً من جمعيتنا وقد اقرّوا مراراً عديدة ان اليسوعيين الدّ اعدائهم فلم يمكنهم قطّ ان يصطادوا في حبالهم واحداً منهم. قال « رئيس اعظم شرق مقام العقد الملوكي بالينويس في الولايات المتحدة الاميركية (يا لله) وعضو... وعضو... ورئيس... ومؤسس محفل اللطائف... الخ » شاهين بك مكاريوس » في كتابه « فضائل الماسونية (كذا) » ص ١٢٩ ما حرفهُ:

الجزويت ماسون (كذا)

ومما اتذكّرهُ اننا حينما كنّا نجتمع في المحافل الماسونيّة في بيروت كان يجتمع معنا جماعة (!!) من رهبان الجزويت وكنتُ استغرب دخولهم الماسونيّة وسألتهم مراراً عن دخولهم فيها وقلتُ لواحد مرّة. لا تؤاخذني اذا اعتقدتُ انك جاسوس جزويتي لاني اعهد انّ الجزويت يكرهون الماسون ويعملون على مقاومتها وخرابها. فتبسّم وقال: اني اعذرك على فكرك فاني اقاسي في هذه الرهبنة اعظم انواع الآلام واودّ الخروج منها في اوّل فرصة تسنح وقد لاقيتُ في هذه الاثناء مقاومــة لأنّ رئيسي شعر بميلي الى الماسونية واخشى ان ازور المحفل جيتي الاكليريكيّة لذلك اغيّر لباسي كما تراني جبّة افرنجيّة. فسألتهُ اذا سألك رئيسك: هل انت ماسوني بماذا تجيبهُ. فقال: أيسوعيّ ويسر عليه. الجواب؟ فضحكنا وقاطع احد الاخوان حديثنا. واجتمعنا بعد ذلــك مراراً على صفاء وهناء وما زلنا حتى افترق كل منّا الى بلاد »

قلنا بل أغرَبنا نحن بالضحك من هذه « الخرطة الماسونية » التي جرى فيها الراوي مجرى المعلّم الماسوني ڤولتار القائل : « اكذبوا اكذبوا فلا بُدَّ ان يَعلَق بعض التأثير من كذبكم » . وان كان شاهين بك مكاريوس صادقاً فليجبنا مَن كانت تلك « جماعة الجزويت » التي رآها في محل الماسونية ؟ وما اسماؤهم ؟ ونكتفي بذكر واحد منهم فقط . والّا اضطُرِّنا الامر ان نقول عنهُ انهُ كاذب افّاك

هذه واجهة الماسونية فدَعنا الآن ندخل في الدار فنفحص محتوياتها لنرى ما تحتويه من الكنوز والدفائن (البقية لعدد آخر)

مطبوعات شرقية جديدة

Histoire de Deux Revues Françaises « La Revue Bleue et la Revue Scientifique » 1863-1910 par Jacques Lux, *Paris, rue de Châteaudun*, 1910, p. 36.

تاريخ المجلة الزرقاء والمجلة العلمية

هذه السنة السابعة والاربعون منذ ظهور هاتين المجلّتين الفرنسويّتين اللتين انشأهما المسيو اوجان يغ (Eug. Yung) سنة ١٨٦٣ ولم يزل يفرغ كنانة الجهد في توسيع نطاقهما وتحسين انشائهما وتوفير عدد كتبتهما لاسيما من مشاهير بلاده حتى بلغهما عند وفاته في كانون الاوّل من سنة ١٨٨٧ الى النجاح المرغوب ولم تزالا من بعده حاصلتين على شهرة واسعة بما تحتويانه من المقالات المتعدّدة على اختلاف غايتهما . فالمجلّة الزرقاء تتضمّن غالباً مقالات ادبيّة وتاريخيّة واجتماعيّة امّا المجلّة العلميّة فغايتها خصوصاً نشر المقالات العلميّة في العلوم العصريّة . وقد اختصر تاريخ كلتيهما المسيو جاك لوكس في كراسة ارسلها الينا مع بعض اعداد المجلّتين . وكنّا نعرف سابقاً خطّتهما فلا ننكر انّها تتضمّنان الفصول المستفيضة في كل فنون المعارف بقلم الكتبة الذين يُشار اليهما بالبنان في عصرنا . لكنّنا مع اقرارنا بالخدم التي ادّتها كلتا المجلّتين لا يسعنا الّا ان نُعلن ايضاً اننا نأسف لما تنشرانه من المقالات الناقضة لتعاليم الكنيسة بقلم قوم من خصومها كرينان وانتول فرنس وغيرهما . ومن ثم لا نذكر المجلّتين الّا بالتحفّظ التامّ وتحذير الشرقيين من روحهما الذي يتقلّب في المدد الواحد بين الكتبة الصادقين والمستقيمي الآراء والكتبة الذين لا يكترثون لوصايا الدين ل . ش

R. P. Barnabé Meistermann O.F.M. : Guide du Nil au Jourdain, *Paris*, 1909, pp. 381.

الدليل من النيل الى الاردن

لا تكاد تمرّ سنة بعد سنة الّا ويتحفنا حضرة الاب العلّامة برنابا الفرنسيسي ببحث تاريخيّ او بنبذة عاليّة عن الآثار المقدّسة. على ان دليلَهُ هذا الاخير لمن المؤلفات الاكثر فائدة والالذّ مطالعة غايتهُ وصف الآثار التاريخيّة وتقريب معرفتها وتسهيل زيارتها على السائح الراغب في اتباع خطوات بني اسرائيل من ضفّة النيل الى ارض الميعاد مارًّا على البحر الاحمر فجبل سينا فالعقبة فعمّان فمن فالكرك فمادبا فأريحا فالسلط الخ. وفي كل محطّة من هذه المحطّات يجد القارئ في الدليل مرشدًا سهل المورد وهاديًا صادق العلم يصف لهُ المشاهد اكمل وصف وأدقّهُ ويقودهُ بافضل السبل وأقربها فلا يدع حادثًا او رسمًا او أثرًا الّا يعرضهُ كاشفًا القناع عن كثير من الحقائق والتقاليد مثبتًا ما يراهُ حريًّا بالاثبات تاركًا للبحث ما لا يزال موضوعَ البحث ولم يصف فقط حضرة الاب الفاضل هذه الزيارات بعد معاينتها لكنهُ طالع كل ما كتبهُ العلماء والسياح الفاحصين لهذه المفاوز فاستفاد كثيرًا من اقوالهم واوصافهم ورسومهم واحكامهم واستخلص زبدتها فعرض نتيجة ابحاثهِ وابحاثهم مزيّنة بالرسوم العديدة والخارطات المتقنة فاستحقّ ثناء كل من لهُ المام بهذه الاسفار وشكر الراغبين في ترقي المعارف الكتابيّة خصوصًا والشرقيّة عمومًا

ا. ر

La F.·.—M.·. et l'Ouvrier, par Henri Hello. *Paris, La Renaissance Française*, 1909, pp. 101.

الماسونية والفعلة

يعرف الماسون أنهم لا يبلغون غاياتهم السيئة من تهييج الفتن وقلب الهيئة الاجتماعية ومعاداة الدين واهلهِ الّا بواسطة الفعلة فلا يألون جهدًا في اجتذابهم الى آرائهم الثوريّة فيخدعونهم بالاماني الكاذبة وبالمواعيد الباطلة وبالخطب المزيّفة الى ان يُضحوا في ايديهم كآلات صمّاء يرمون بهم في الفوضى ويُفقدونهم شرفهم وصحّة اجسادهم وخلاص نفوسهم. وهذا ما بيّنهُ صاحب الكتاب المُعنون بالماسونيّة والفعلة فاتى بشواهد لا تُحصى من اقوال زعماء الماسونيين اثباتًا لرأيهِ. فيا ليت الفعلة يفتحون

عيونهم ويعرفون اعداءهم الحقيقيين الذين يريدون ان يتخذوهم كواطئ لاقدامهم يرقون فوقها ادراكاً لمآربهم الشخصية ل.ش

نفحات الوردتين

للشقيقين المرحومتين انيسة وعفيفة الخوري الشرتوني

طبع بالمطبعة اللبنانية (جسر بيروت) لبنان سنة ١٩٠٩ (ص ١٠١)

يقول العرب من اشبه أباهُ ما ظلم. وفي هذه الآثار الباقية من قلم الكاتبتين الاديبتين انيسة وعفيفة كريمتي الشيخ الفاضل سعيد الخوري الشرتوني ما يزيد المثل صدقاً وفيه لجناب والدهما اوفى تعزية بعدهما فكأنهُ حفظهُ الله نفث في قلم ابنتيه طرائقهُ الكتابية وكأنَّ الشقيقتين البارعتين قد اقتصّتا آثار علّة وجودهما فاحيتا بكتاباتهما انشاءهُ وبلاغتهُ ومثّلتا اتمَّ التمثيل تعابيرهُ وافكارهُ فتقول انهما هو او انهُ هما

وهل يُنبت الخطيَّ الّا وشيجهُ وتُغرَسُ الّا في منابتها النخلُ

فنطلب الى الله ان يخمد لوعات الاب الاسيف على فقد كريمتيه وان تكون بقايا قلميهما كمرآة حيَّة يجد فيها صورتهُ فتنعش في فكرهِ سجاياهما الطيّبة ابقاهُ الله بعدهما زمناً طويلاً سنداً للآداب ل.ش

التاريخ الكنسي

تأليف نجيب افندي ملحم المشعلاني

طبع في بيروت في مطبعة الاتحاد سنة ١٩٠٩ (ص ٢٤٢)

تعدَّدت الاختصارات الحسنة للتاريخ الكنسي الكاثوليكي افادةً لاحداث المدارس فقد طُبع منها في بيروت والموصل واورشليم ما اختلف طولاً واسلوباً. وهذا المختصر الجديد يستحق ايضاً اعتبار ارباب المدارس فانَّ صاحبهُ الاديب وضعهُ على طريقة الاسئلة والاجوبة القصيرة القريبة المنال السهلة المباني وطبعهُ باذن الرؤساء الروحيين لافادة تلامذة المدارس الشرقيَّة الابتدائيَّة وهو يوافقهم لصغر حجمهِ وهوادة سعرهِ وحُسن مضامينهِ. على انَّ هذه الطبعة تحتاج الى اصلاحات عديدة. منها مادّيَّة كاتقان الطبع وضبط اسماء الاعلام واصلاح الاغلاط الطبعيَّة المتعدّدة ومنها صوريَّة كالتدقيق في بعض الاخبار واعادة النظر في بعض الروايات ولعلَّهُ اخذ عن مختصرات

افرنجيّة غير محكمة ولو اردنا تفصيل هذه الشوائب لا تّسع بنا المجال. فليس قولهُ سديدًا في الصفحة ٦ أنهُ بسجود الرعاة للمسيح في مهدهِ « تألفت جماعة المومنين » — انّ الذي خلّصهُ ملاك الربّ من السجن ليس هو يوحنّا بل القديس بطرس هامة الرسل (ص ٢٠) — لم يحرم القديس غريغوريوس الاساقفةَ لقبولهم اجمالًا الرتب من الملوك بل لقبولهم تقليد الرُّتب الكهنوتيّة والسلطة الروحيّة (ص ١٣٦) — ليس ميخائيل كرولاريوس اوّل من انتحل اسم البطريرك المسكوني بل جرى ذلك قبلهُ بخمسة اجيال (ص ١٣٢) — قولهُ (ص ١٧٦) « ارطقة المغرب » يُصحّح بشقّاق المغرب — ليس بصحيح ان يُقال (ص ٢١٠) انّ المسيحيين في اليابان قُتلوا كلهم « حتى لم يَعُدْ ولا واحد منهم هناك ». فانّ المرسلين في السنة ١٨٦٢ اكتشفوا بعد مائتي سنة نحو ثلاثين الفًا من المسيحيين الذين حافظوا على وديعة الايمان ابًا عن جدّ. — وما معنى قولهِ (ص ١٧٨): « على ايّ شيءٍ اقتدى جان هيس » لعلّهُ يريد « على ايّ شيءٍ افترى ». ومن نقائص هذا المختصر انّهُ لا يتمّم اخبار الكنيسة الى زماننا بل ينتهي في زمن نابوليون الاوّل. وكذلك سكت عن تاريخ الكنائس الشرقيّة بعد المجمع الفلورنتيّ. فانْ شاء الله تُصلح كل هذه الاغلاط في طبعة جديدة ل. ش

الدرُّ المنتخب من كتب الأدب

جزءان عُني بجمعهما جناب الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس

طبع في بيروت ١٩٠٨–١٩٠٩ ص ٩٦ و ١١٢

هذا المجموع من افضل ما وُضع لفائدة المدارس العربيّة الابتدائيّة بعد اتقان التلامذة لاصول اللغة فانّ كل جزء منهُ يشتمل على عدّة فصول ضمّنها جامعها الاديب نُبذًا حسنة في آداب الاخلاق وواجبات الانسان نحو خالقهِ وقريبه ونفسهِ ثم طرفًا من حِكم الادباء. واقوالهم في الفضائل والنقائص يليها امثال عن السنة الحيوانات وقصائد منتخبة من اقوال الشعراء لاسيما المحدثين. وزاد في الثاني منها فصولًا تهذيبيّة ولطائف ونوادر ومقالات في وصف بعض البلاد وفي تاريخ سوريّة وجغرافيتها وكل ذلك مضبوط بالشكل الكامل. فنتمنّى لهذا المجموع الرواجَ التامّ فيُعاد طبعهُ وتُزاد محاسنهُ الطبيعيّة وتُصلح بعض الاغلاط الواقعة في تشكيلهِ نحو (ص ١ من الجزء الثاني)

« رئاسة » لا « رياسة » ، و « صِدق » . لا « صُدق » (وص ١) « اللُطف » لا « اللُطف » . (وص ٥) « إحناء . . اكثارَ » لا « أحناء . . إكثارُ » و « الجُمَل » لا « الجُمْل » وهلمّ جرّاً ل . ش

تقويم الارض المقدّسة لسنة ١٩١٠

اهدتنا مطبعة الاباء الفرنسيين في القدس الشريف الرزنامة التي اصدرتها لسنة ١٩١٠ فالفيناها كاخواتها جامعة للفوائد الكثيرة في التاريخ الغربي والشرقي والقبطي والهجري واليهودي مع ما يلحق بكل من هذه التواريخ من الاعياد المختصّة بالطوائف وساعات شروق الشمس وغروبها والرزنامة مطبوعة بحرف جلي في اللغتين العربيّة والافرنسيّة وقد أُضيف في ذيل الصفحات تاريخ موجز لنهر الاردن وضواحيه . فنشكر للمطبعة هديتها ونحثّ القراء على اقتناء الرزنامة ا . و

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ ترجمة اسرائيل زانغويل احد الكتبة العصريين ومؤلف عدّة روايات تاريخيّة في وصف اليهود واحوالهم وعاداتهم ISRAEL ZANGWILL par André Spire

٢ نادي التعاضد في حلب وقوانينهُ بالعربيّة والفرنسويّة

٣ برنامج جمعيّة الاعمال الخيريّة الاسلاميّة لسنتها الاولى ١٣٢٩ (ص ٢٤)

٤ قانون الجمعيّة الخيرية البشراويّة لسنتها الثالثة (ص ١٢)

٥ قواعد الخطوط العربيّة على الاسلوب الجديد الذي وضعهُ الخطّاط الشهير ملّام افندي حنّا ملّام وهي منحصرة في سبعة دفاتر تُطلب من يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس في بيروت . مطبعة التوفيق لنسيب صبرا

٦ الطريقة الوفيّة في تعليم الخطوط العربيّة . تعليم الخطّ الرقعي . الدفتر ١ للسنة الاولى الابتدائيّة (ص ٣٤) طبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩١٠

٧ الماسونيّة . نقلاً عن جريدة البشير في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٠٩ (ص ١٨)

٨ السرّ المصون في شيعة الفرمسون وهو نظر تاريخي ادبي اجتماعي بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي . يحتوي على المقالات التي نشرناها تباعاً في المشرق . الكرّاسة الاولى (ص ٢٦) . طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩١٠

٩ قانون اخوية الانفس المطهرية المارونية اللبنانية . بمطبعة الاجتهاد سنة ١٩٠٩ (ص ٤٨)

شذرات

خطرات نسيم — هذا عنوان شذرة وردت في جريدة « الحرّية » منطوقها :

الاب لويس شيخو انشط عامل جلس الى مائدة كتابة في سوريا . ليس في هذا انهُ يجيد دائمًا . نصبهُ الجزويت هدفًا لكلّ سهم فهو يتقيهم بصدره ويدفع عنهم دفاع الدرع عن لابسها فاذا أمن الهجوم عليهم هاجم اعداءهم وفي بعض الاحيان لا يفرق بين العدو والصديق . مثل هذا الخادم المستميت نتمنّى للمبادئ الشريفة

نشكر اوّلًا للرصيفة حُسن ظنّها بنا فانّا النشاط ليس هو من خواصّنا وقد عُرف بهِ السوريّون عمومًا وما نحن الّا فرد من افرادهم — امّا قولها « بانّا لا نجيد دائمًا » فهذا ممكن بل قريب من الصحّة فمن يا تُرى يُجيد دائمًا في كل ما يصنع اللهمّ الّا ربّ الكمال الذي مرّ على الارض عاملًا بكل خير والذي وحدهُ استحقّ هذا المديح (مرقس ٧ : ٣٧) : « لقد احسن في كل ما صنع » . امّا نحن فغاية ما نتمنّى ان نسمى طاقتنا بالاجادة ثم نقرّ بخطايانا الكثيرة — ثم قال « ان الجزويت نصبونا هدفًا لكلّ سهم لنقيهم بصدرنا » . وهو قول عارٍ من الصحّة لأنّ « الجزويت » لا يحتاجون الى دفاع فانّ سيرتهم تقيهم سهام اعدائهم فلا يتستّرون كالماسون ليحجبوا عن اعين الناس اعمالهم ومهما شنّع عليهم هؤلاء الاعداء فلا يستطيعون ان يبخسوا من قدرهم . وقد طالما هدّدنا الماسون بطبع اليهوديّ التائة وتعاليم الجزويت السرّيّة فطبعوهما واطلع الجميع على بطلان هذه الخرافات الصبيانيّة ولا يزال الجزويت مكرّمين من اهل الفضل — ثمّ قال « انّا اذا امنّا الهجوم هاجمنا » فليعلم الكاتب وكل الماسون انّ اليسوعيين لم يتعرّضوا لمهاجمة احد ما لم يروهُ يتحامل على كنيسة المسيح فانهم كما قال يستميتون في سبيل الدين اذ لهُ وحدهُ المبادئ الشريفة التي لاجلها ضحّى نفوسهم الوف الالوف من البشر . اما المبادي الماسونيّة فهي والشرف على طرفي نقيض ولذلك لا يستميت احدٌ لاجلها . وحتى اليوم لم نعرف شهيدًا واحدًا مات لصيانة تلك المبادي الوخيمة التي بيّنّا في مقالاتنا سوء مصيرها والسلام

عود على مثلث قطرب — كتب لنا جناب الصيدليّ الفاضل

مراد افندي بارودي نبذة ثانية تحت هذا العنوان مثبتاً صحّة ما ارتاب فيه حضرة الاب انطون صالحاني بخصوص اسم الامام قطرب وكنيته فبيّن انّ ما روي في النسخة التي لديه من هذه المثلّثات لقدمها واتمام ناسخها محمّد بن محمّد طرخان الفارابيّ أجدر من سواها بتعريف اسم ذلك اللغويّ وكنيته . فنشكر مكاتبنا على هذه الافادة ونستميحهُ عذرًا من اضرابنا عن نشر مقالته لتوفُّر الموادّ علينا في هذا العدد

❊ روضة الاذهان وفاكهة الجنان ❊ هي قصيدة نظمها حضرة الخوري يوحنّا شلهوب استاذ العربيّة في مدرسة الفرير في يافا في مديح القديس انطونيوس ابي الرهبان بمناسبة عيده لم يسمح ضيق المجلّة عن نشرها واوّلها :

لله درُّك يا ابا الرهبان ما احلى كلامك في الكمال واجملا
وهجرتَ ارضَ ابيك والاهل وما ملكت يداك وكلّ شيءٍ قد غلا

ومنها : وسكنتَ برًّا مقفرًا متهجّدًا مترهّدًا متخشّعًا متبتّلا
وغرست بزر الطهر في قلب الورى وبنيتَ اديارًا فكانت معقلا
أمّت رحابُك واقتفت آثارك م الغرّاء اقوامٌ يؤمّون العلا
ضاهوا ملائكة السماء طهارةً وبرارةً وقداسةً وتبتّلا
يتفاخرون بحبّ مولاهم ولم تخدعهم الدنيا بزخرفها ولا . . .

وختمها بقوله :

وافتح لنا باب السماء مشفّعًا فينا وخذ بيمينا كي ندخلا

❊ فسيفساء كنائس سالونيك ❊ باشر المكتب الروسيّ في الاستانة حفريّات على نفقته في سالونيك سنتي ١٩٠٧ و ١٩٠٨ فتوفّق الى اكتشاف عدة آثار من الفسيفساء في كنائس قديمة استولى عليها الاتراك فخربت منذ الفتح التركي كبيعة مار دمتريوس وبيعة ايا صوفيا وبيعة مار جرجس . وفسيفساء كنيسة مار دمتريوس اجمل هذه النقوش الصناعية واقدمها فانّها ترتقي الى ما وراء القرن السابع وان رُمّم بعضها وجُدّد بعد ان أُصيبت الكنيسة بحريق في ذلك العهد . وهذه الفسيفساء كانت مشوّهة بالكلس الذي طرشهُ بها الغُزاة بعد الفتح . فنُظّفت وغُسلت وعاد اليها بهاؤها القديم وهي تمثّل البتول السيّدة والقديس ديمتريوس وتصاوير اخرى بالوان زاهية وذهب وفضّة بصناعة تأخذ بالابصار وقد استعمل النقاشون لعملهم مربّعات صغيرة من الحجارة وهي غاية في الدقّة لتمثيل تقاطيع الوجه

اسئلة واجوبة

س سأل من رومية الشماس حبيب جرجس اسطفان من هو اوّل من ذكر حريق مكتبة الاسكندرية على يد عمرو بن العاص

حريق مكتبة الاسكندرية

ج كان البعض يزعمون انّ اوّل من ذكر هذا الامر الجَلَل ابو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبريّ في تاريخه مختصر الدول (ص١٧٦) فنسبوهُ الى التعصّب في روايته والصواب انّ ابن العبري نقل ذلك عن مؤرّخ مسلم سبقهُ وهو الوزير جمال الدين علي الشهير بابن القبطيّ المتوفّى سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) روى الامر في كتابه تاريخ الحكماء (éd. Lippert, 355) واقدم من ابن العبري عهدًا كاتب آخر ذائع الشهرة روى الحادث عينهُ اعني به عبد اللطيف البغدادي المتوفّى سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣٢ م) في الفصل الرابع من قسم الاوّل من كتابه المنون بالافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بارض مصر (ص ٢٨ من طبعة مصر سنة ١٢٨٦) . اطلب ايضًا المشرق (٢ : ٦٧٠)

س وسأل من مصر احد قرّاء المقتطف: ما رأينا في صحّة ما ورد في المقتطف (ص ٧١٨) تموز من السنة المنصرمة ما حرفهُ:

(اصل المسابح) . يظهر من البحث في تاريخ المسابح واستعمالها في عدّ الصلوات انّ اصلها هندي اقتبسها البوذيّون من الهنود ثم المسلمون ونقلها الصليبيّون الى اوربّا لمّا عادوا من سوريا في القرن الثاني عشر فانّ الكنيسة الرومانيّة تنسب اوّل استعمالها الى القديس دومنيك (١١٧٠ – ١١٢١)

اصل المسابح

ج ان صاحب المقتطف قد حكم في هذه المسألة كمألوف عادته في المسائل الدينيّة التي يجهلها اعني انهُ يرمي الكلام على عواهنه. من المحتمل انّ يكون اتخاذ المسابح لما للعب بحبوبها واما لتلاوة بعض الادعية كتكرار الاسماء الحسنى وغير ذلك قديم جدًّا سبق اليه الهنود والمسلمون. اما المسبحة التي يألفها الكاثوليك فلا علاقة لها مع تلك السُّبحات فانّ صورتها ونظام صلواتها على ترتيب معلوم مع ذكر اسرار حياة السيّد المسيح ووالدته الطاهرة من افراح واحزان وامجاد فكلّ ذلك لم يسبق الى اختراعه احد قبل القديس دومنيك

ل . ش

المشرق

الدياميس الرومانية

خلاصة خطاب القاهُ حضرة الاب دي لاروه اليسوعيّ في ٢ شباط ١٩١٠

واصحبهُ بنحو مائتي صورةٍ مكبَّرة بالانوار الكهربائية

انَّ عناية الله بكنيستهِ المقدَّسة لعجيبةٌ لا يستطيع انكارها الَّا المكابر للحقّ الذي يغضّ بنظرهِ عن النور اللامع والضياء الساطع . فهذه الكنيسة الرومانيَّة المبنيَّة على اساس الصخرة المتينة التي لا تقوى عليها انواء الاضطهادات بل تعجز عنها ابواب الجحيم قد حفظت وديعة الايمان منذ تسعة عشر جيلًا دون ان تفقد منها ذرَّةً فلا يزال بطرس هامة الرسل جالساً على سفينتهِ في شخص خلفائهِ ضابطاً لسكَّانها مُنجِياً كنوح كلَّ من التجأ اليها من تيَّار الطوفان العرمرم . ولا غرو فانَّ السماء والارض تزولان وكلام الربّ لا يزول (مرقس ١٣ : ٣١)

وقد قام في كل طور من اطوار التاريخ المسيحي في الشرق والغرب والشمال والجنوب مما رجال نوابغ قد ناضلوا عن هذه الحقيقة وأيدوها بالبراهين العقليَّة والنقليَّة بل اسلمات كثيرون في سبيلها وضحَّوا كل نفس ونفيس في بيان صحَّتها وسلسلة اولئك العلماء وهؤلاء الابطال الشهام تتَّصل دون انفصام الى عهد الكنيسة وايَّام الحواريين الابرار وتآليف الاوَّلين كآثر الآخرين باقيةٌ الى يومنا تشهد على ثبات الدين الكاثوليكيّ في معتقداتهِ التي تسلَّمها من مصدر الحق الكلمة المتجسِّد والنور الحقيقي الذي انحدر من سموّ عرشهِ لينير كل انسان آتٍ الى العالم (يوحنَّا ١ : ٩)

وكما ان الله سبحانهُ وتعالى كان لأخرٍ في دفائن المصريين ومطامير البابليين الوفا

من الآثار الكتابيَّة في القلّين الهيروغليفيّ والمساري صانها في قلب الارض لينشرها في زماننا من مَوَاتها لتشهد لاسفار موسى كليمهِ ولاخبار شعبهِ اسرائيل ولسائر تاريخ العهد القديم كذلك اراد عزَّ وجلَّ ان يصون في دياميس رومية عدداً لا يُحصى من الآثار الدينية بعثها من مكامنها لتشهد على صحَّة دينهِ الالهي فينظر كل ذي عين انَّ تعاليم الكنيسة الرومانية هي اليوم كما كانت في القرون الاولى للنصرانية وانَّ بيعة المسيح وحدها بازاء الهرطقات واديان الزور لم تحِدْ عن الطريق المستقيم الذي نهجهُ لها سيّدها لذكرهِ السجود

فهلمُّوا بنا نتجوَّل ساعةً في تلك المناوز الواسعة بل العالم الجديد الذي فتحهُ لنا الاثريُّون المحدثون فنلقي بنظرنا في مجاهلهِ فنتحقَّق اوَّلاً تاريخهُ ثم موقعهُ وغايتهُ ثمَّ محتوياتهِ العجيبة وما أُودعهُ من الآثار النفيسة ونُعمل الفكر آخرًا في تعاليمهِ الدينيَّة

﴿ ما هي الدياميس ﴾ الدياميس في اللغة جمع ديماس وهو السرب يُنقَّب تحت الارض دُعي بذلك لظلمتهِ . وقد يوجد في العالم دياميس كثيرة نُقب بعضُها لاستخراج ما فيها من المعادن الثمينة كالذهب والفضَّة او المحصولات النافعة كالنعم الحجري ومقالع الرخام وصنوف الحجارة البنائية . على ان دياميس رومية تفوقها كلَّها من حيث تاريخها وغايتها وهندستها وسعتها ومضامينها احتفرها النصارى الاوَّلون بين القرن الاوَّل للمسيح الى القرن الخامس ليودعوا فيها الرمس موتاهم ولاسيما شهداءهم المستميتين في سبيل الايمان بعد ان ذاقوا اصناف العذابات وضروب التنكيل موثرين الموت الزمني على السجود لأوثانٍ صمّاء ولطواغيت بكماء عدُّوها رجساً وقذرًا فلم يحنوا الرُّكب امامها خاضعين لذلّها

﴿ تاريخ الدياميس ﴾ لمَّا قدم الرسولان الهامتان بطرس وبولس الى حاضرة العالم الوثني في اواسط القرن الاوَّل للمسيح ما لبث زرع الايمان الصحيح ان زكا ونما وانتشر اي انتشار حتى امكن بولس الرسول ان يقول في رسالتهِ الى اهل رومية (رو ١ : ٨) : « انَّ ايمانكم يُبشَّر بهِ في العالم كلهِ » . فبعد قليل ضرب المنون ضرباتهِ في جماعة المؤمنين فمات بعضهم حتف انفهم ومات غيرهم شهداء الايمان في مقدَّمتهم بطرس وبولس وغيرهم كثيرون اعمل فيهم نيرون سيفهُ البتَّار فقطع حبل حياتهم ظلماً . فأحسَّ المؤمنون الاحياء بحاجتهم الى مدافن يرمسون فيها اجساد موتاهم وكانت

عادة الرومانيين في ذلك الوقت ان يحرقوا الموتى فيودعون رمادهم في اوعيـة فاخرة يحفظونها في مدافن خاصة تقيمها كل أسرة لذويها لا يشاركها في ذلك غيرها البتة . وكان وسط القوم منهم يتخذون مدافن غيرها اوسع من المدافن العائلية يشتركون في نفقاتها على شرط ان تودع فيها بقاياهم بعد موتهم . امّا الرعاع والفقراء فكانت رممهم تلقى على المزابل مع الحيوانات وهو امر شهد عليه غير واحد من الكتبة وعيّر به النصارى قدماء الوثنيين

طبع المسيحيون على اكرام الموتى اذ يعتبرون اجسادهم كآنية قدّستها الاسرار وسكنتها نفوس صالحة فحوّلتها الى هياكل حيّة للروح القدس وسوف تقوم من لحدها بعد حين لتشارك ارواحها في معاينة الله . فكان همّهم ان يتخذوا لتلك الاجساد منازل لائقة بها . واقدم ما نعلمهُ من ذلك في رومية مدافن عائلية جعلوها على مثال القبور اليهودية كانت كغُرَف يُدخل اليها من مداخل ضيقة وكان في باطنها شبه اجران يجعلون في كلٍّ منها ميتاً مفرداً وفوق الميت صحيفة يُكتَب عليها اسمهُ . وكان غيرهم يودعون الميت في نواويس من الرخام او غيره ويتخذون تلك النواويس في الغرف السابق ذكرها فمن ذلك مدفن عائلة نصرانية شريفة تُدعى فلافيوس كان اهلها من الاسرة الملكية يقربون الى القياصرة تيتيان وطيطس ودومطيان ومات بعضهم شهداء في اواخر القرن الاول للنصرانية فمن ثمَّ يُعدُّون من بواكير الدعوة الرسولية في رومية

وكانت الحكومة الرومانية لا تتعرض لانشاء تلك المدافن بل تجعلها تحت حمايتها وتعدُّها كالامكنة المقدسة التي لا يجوز انتهاك حرمتها وذلك مع قطع النظر عن اديان اصحابها في حياتهم

على انَّ عدداً وافراً من المسيحيين كانوا فقراء الحال او عبيداً في بيوت الاعيان فهؤلاء لم يمكنهم ان يقتنوا لهم مدافن كالوجوه والاغنياء الّا انَّ اخوتهم المسيحيين ولاسيما خدمة الكنيسة سموا طاقة جهدهم بألّا يُحرموا الدفن اللائق . فيحقّ الاخاء المسيحي رضي قومٌ من ذوات النصارى الرومانيين ان يضيفوا في مدافنهم بعض الموزين واهل الفاقة والعبيد وقد ثبت ذلك باكتشاف مدافن لأشراف الرومانيين المتنصرين فيها جُثث سادة مسوَّدين وبقربهم خدم وعبيد كانوا يدينون بدينهم

لكنَّ الكنيسة رأت بعد قليل انَّ هذه المدافن الخاصة لا تفي بالمقصود وانَّها

تحتاج الى مدافن اوسع فرأت لبلوغ غايتها طريقتين المقابر العمومية المكشوفة والمدافن المحفورة في قلب الارض . وكان العلماء يظنون سابقاً انَّ المدافن النصرانيَّة في رومية كانت كلها في المطامير والأسراب الّا ان الاثريين المحدثين بعد سبله (Settelé) والاب مركي (Marchi) اليسوعي تحقَّقوا انَّ النصارى قبروا كثيرين من موتاهم في مقابر علنيَّة في ربض المدينة وجوارها كمقبرة سانت قُنسطنس ومقبرة سان ڤالنتان وغيرهما . وكان النصارى يقيمون على كل قبر عموداً صغيراً يكتبون عليه اسم الميت وجنسهُ وزمانهُ . الّا انَّ هذه المقابر قليلة بالنسبة الى الدياميس ولعلَّ معظمها قد درست آثارها لما طرأ على مدينة رومية من الخراب بعد دخول البرابرة . ثم انَّ الباقي منها يصعب افرازهُ من الآثار الوثنيَّة لانَّ النصارى لكثرة ما اصابهم من المحن بسبب دينهم ما كانوا ليستطيعوا ان يرسموا على قبورهم الرموز الدينيَّة الواضحة وانَّما كانوا يشيرون اليها اشارة بعيدة فقط ولذلك آثروا لاسيما في اوقات الاضطهادات ان يتَّخذوا القبور المحفورة في باطن الارض . فتلك الدياميس

وهنا بحثٌ لا بُدَّ من الخوض فيهِ أترى الدياميس التي اكتشفها الاثريون هي من عمل النصارى او وجدوها محفورةً من قبلهم فاستملكوها اذ ألفوها سهلةً وقبروا فيها موتاهم . الجواب على ذلك انَّ العلماء الاوَّلين لمَّا رأوا اتساع الدياميس وعملها العجيب ذهبوا الى انَّها كانت قبل عهد النصارى وانَّها كانت المقالع التي استُخرجت منها حجارة مدينة رومية وبقيَّة مواد بنائها . وساد هذا الرأي بين العلماء حتى ابطلهُ الاب مركي اليسوعي وبيَّن بالادلَّة القاطعة انَّ الدياميس شغل النصارى الاوَّلين لا فضل في حفرها لغيرهم الّا البعض القليل منها ممَّا لا يُعبأ بهِ . وكان اقوى براهينهِ انَّ الدياميس كلها محفورة في امكنة لا تصلح حجارتها للبناء لانَّ حجارة ابنية رومية من الحجر البركاني المنبع المدعو توف ليثويد (tuf lithoïde) او من الحجر الرملي المسمَّى پوزولان (tuf sablonneux, pouzzolane) امَّا دياميس النصارى فمعظمها في طبقات الارض التي تتركَّب من الحجارة المحبَّبة (tuf granulaire) اللينة القليلة الصلابة . فهذه الحجارة يسهل قطعها ونحتها ولا يحسن البناء بها ففضَّلها النصارى على غيرها اذ رأوها اوفق لغايتهم لا يزاحمهم احد في شغلها ولا يطلب نحتها زمناً طويلاً . ولهم ايضاً مدافن اخرى قليلة نقروها في امكنة تتكوَّن طبقات ارضها من الحجارة

النهرية او البحرية وهي ايضاً لا تصلح للبناء . ففي كل ذلك دليل واضح على انَّ هذه المدافن للمسيحيين لا يد لغيرهم في حفرها

ولنا غير ذلك من البيّنات التي تنفي كل ريب في نسبة حفر هذه الدياميس الى النصارى فانَّ مقالع الرومانيين القديمة موجودة الى اليوم ومن قابل بينها وبين مدافن المسيحيين وجد عدّة فروق تفرز تلك عن هذه في الهندسة والصورة والتقاطيع والآثار بحيث لا يبقى في الامر ادنى شكّ

وكان اوّل ما احتفر قدماء النصارى من هذه المقابر انما احتفروهُ تحت المدافن المكشوفة الخاصّة باعيان المتنصّرين فانَّ هؤلاء حبًّا باخوتهم المشاركين لهم في الدين سمحوا لهم بان ينقبوا في اعماق ارضهم اسرابًا لدفن موتاهم وكانوا ينزلون الى تلك المطامير بدرجات عديدة يبلغ بعضها من الخمسة عشر الى نحو الثلاثين مترًا عمقًا فيتّسعون في حفرها على قدر حاجتهم وهم لا يحيدون عن حدود الارض التي تخصّ اصحاب الملك من النصارى. وكان ذلك يستدعي علمًا مدقّقًا باصول الهندسة . ومن ثم كان يولّون ادارة الاشغال مهندسين نصارى حريصين على حسن العمل فيتلافون كل خطر من هبوط الارض او تخطّي حدودها الخارجة . فينقبون الاسراب على شكل الاقبية . امّا الموتى فكانوا يجعلون لهم أنقابًا ينقبونها في جدران تلك الاقبية يمينًا وشمالًا على شبه المراقد وربّما اتّخذوا ثلاثة او اربعة انقاب الواحد فوق الآخر ثم كانوا يخصّصون كل قبر ويجعلون عليهِ صحيفةً ضريحيّة مكتوب عليها اسم الميت مع رموز دينيّة سوف نأتي على ذكرها

وكان هؤلاء المهندسون في اوّل الامر يتّسعون في تخطيط الدياميس فيجعلون طرقها رحبةً الّا ان ازدياد عدد النصارى وكثرة موتاهم امّا استشهادًا وامّا حتف انفهم اضطرَّ المهندسين أن يقرّبوا الجدران بعضها الى بعض حتى انَّ المسالك بينها اصبح غالبًا لا يزيد على الذراع الواحدة ومنها ما هو احرج من ذلك وقليل منها يتّسع رحبهُ حتى يبلغ مترًا او ازيد

ثم وجد المهندسون طريقةً اخرى لسدّ الخلل فانّهم لم يكتفوا بتضييق المسالك بل فتحوا منافذ متعدّدة جعلوها طبقاتٍ في الارض يركب بعضها بعضًا فترى بعض الدياميس كالبيوت لها ثلاث او اربع او خمس طبقات متشابهة الهندسة في كل طبقة منها الجدران المنقوبة الطرفين لوضع اجسام الموتى (اطلب الصورتين ١ و ٢)

ومع كل ذلك لم يلبث النصارى ان احتاجوا الى مدافن اخرى جعلوها في جهات مختلفة الّا انها كلها في خارج رومية اذ لم يُسمح لاحد في دفن موتاه في داخلها. والدياميس موقعها على مسافة ميل الى ثلاثة اميال عن البلد. ولمّا تكاثر عددها رأت الكنيسة من الواجب ان تتولّى هي تدبيرها فجعلت لها نظّاراً من الشمامسة يقومون باعبائها و يوقفون الرؤساء على حاجاتها. وكانت الكنيسة بلغت منذ اواسط القرن الثاني للمسيح حالةً من الثروة كافية لاقتناء بعض الاملاك التي تخصّها بحفر المقابر فنظّمت احوالها وقامت بتدبيرها احسن قيام لاسيما في عهد البابا كالكستس في العشر الثاني من القرن الثالث. وكان تحت امر الكنيسة جماعة من الحفّارين يخصّون نفوسهم بخدمة اخوتهم بحفر المقابر فتعولهم الكنيسة وتُغني بهم بصفة اكليريكيين بسطاء (انظر الصورة ٣)

﴿ اتّساع الدياميس ﴾ وقد أتت هذه جماعة الحفّارين باعمال يحير لها العقل ولا يكاد يصدّقها السامع لولا الشواهد الناطقة بصحّتها. فقد عدّوا اليوم الدياميس المعروفة في رومية فاذا هي تبلغ نحو المئة. ثم قاسوا ما حفروهُ في قلب الارض من الاسراب فوجدوا انّ طولها يبلغ نحو الف كيلومتر وعلى الاقلّ ٨٧٦ كيلومترًا كما اثبت الامر المهندس الايطالي ميشال دي روسّي وهو امر طول غريب اذ يبلغ المسافة التي بين مرسيلية وباريس وبين دمشق الشام وبغداد

ولنا مثال عياني يشهد على صحّة قولنا فانّ دياس سنت اغنس الذي تمّ نقبهُ وحُسّنت هندستهُ ولم يمسّهُ الدهر بأذًى كبير لا يتجاوز تكسير مساحته ١٦,٤٧٥ مترًا مربّعًا فانّ الحفّارين فتحوا فيهِ من الاسراب ١,٦٠٣ امتار تتراوح السعة بين جدرانها من ٧٥ الى ٩٠ سنتمترًا وقد بلغ عدد القبور الموجودة فيها ٥,٧٣٦ قبرًا

وليست الدياميس كلّها مسالك ضيّقة بل فيها ايضاً من مسافة الى اخرى غُرَف ونوادٍ على اشكال مختلفة منها مربّعة ومنها مستطيلة وبعضها على شكل مستدير وغيرها ذات زوايا مسدّسة او مثمّنة وكان النصارى يجتمعون فيها كل سنة في يوم تذكار الشهداء او في بعض المواسم الخاصّة ويقيمون فيها الرُّتب الدينيّة بتصدُّر الحبر الاعظم الرومانيّ او احد الكهنة

وما كانت الدياميس معابدَ النصارى كما زعم البعض لانّ كنائسهم كانت في

احياء المدينة اللهمَّ الّا وقت الاضطهادات فانهم لم يجدوا اماناً على نفوسهم في الخارج فكانوا يجتمعون في الدياميس لاداء واجبات الدين فيها

فمن ثمَّ يمكن القارئ ان يحكم بنفسهِ ما بلغتهُ الدياميس من الشهرة فضلًا عن اتساعها العجيب اذ كانت اشبه بمدينة مطمورة حتى ان الاثريين دعوها برومية الثانية رومية الاسراب (Rome souterraine) فان الذي يدخل فيها يمشي الساعات الطويلة في اطرافها وربَّما ضاع فيها وهلك ان لم يصحبهُ دليل عارف بارجائها ومجاهلها

امَّا ﴿ زمن حفر الدياميس ﴾ فانهُ يتناول القرون الاربعة الاولى منذ دعوة الرسولين العامتين بطرس وبولس الى السنة ٤١٠ اذ دخل الوسيقوط رومية ونهبوها . فلم يَعُد اهل تلك الحاضرة يدفنون موتاهم في الدياميس بل في المقابر المكشوفة في خارج المدينة . على انَّ المسيحيين لم ينسوا ما كان يتعلَّق بمدافنهم من التذكارات الصالحة فكانوا يزورونها مراراً في السنة ويتباركون بها الّا ان بعض اهل الطامع جعلوا ينتهكون حرمتها فيفتحون القبور طمعاً في الامتعة الثمينة التي تتضمَّنهُ او ايضاً ليبيعوا اجساد الشهداء بيعاً خسيساً . فلمَّا علم بالامر الاحبار الرومانيُّون امروا باستخراج ما يُعرَف فيها من جثث الصالحين فنقلوها بكل رونق الى الكنائس وجعلوها في اصونة ومشاهد فاخرة لاسيما البابا ولت بسكال الاوَّل وغريغوريوس الرابع وسرجيوس الثاني في القرن التاسع . فمنذ ذاك الحين اخذ يقلُّ عدد الزوَّار للدياميس بل اصبحت بعد قليل نسياً منسيًّا فطُمرت وباد ذكرها الى القرن السادس عشر بحيث انتبه اليها ارباب البحث الحفريَّات بعد بقربها فجعلوا ينزلون الى اغوارها وينقبون عن شُعَبها ومضامينها . واشتهر بينهم الاثريّ الشهير بوزيو (Bosio) فقضى نيفاً وثلاثين سنة في درسها . واقتفى تلاميذهُ آثارهُ فاشتهر منهم ارنغي (Aringhi) وبولداتي (Boldetti) وعاد السكوت فساد على تلك المآثر الجليلة الى ان قام علماء القرن الماضي في مقدَّمتهم الاب ماركي ولاسيما تلميذهُ الذي فاق شهرةً كلَّ معاصريهِ جنا دي روسّي (G. B. de Rossi) والاب اليسوعي غاروتشي (Garrucci) والسيّد ڤلبرت (G. Wilpert) والقانوني ماروكي (Marucchi) والاثري پول الار (P. Allard) وكلهم التآليف النفيسة التي يستقي من مواردها كل اهل البحث وقد وصفوا تلك الدياميس اوصافاً مدقَّقة يستضيء بنورها خلفاؤهم فيواصلون التفتيش فيها من بعدهم

﴿ محتويات الدياميس ﴾ انَّ اسم الدياميس يجلبُ عادةً لمخيّلة السامع بهِ ذكر شيءٍ يحزن القلب ويكدّر الخاطر اذ ان الدياميس كما قلنا المقابر وليس في ذكر المقابر ما يرتاح اليهِ الجنان وينشرح بهِ الصدر. على انَّ الامر في الواقع ليس كذلك فانَّ قدماء النصارى لرجائهم بالقيامة الاخيرة التي بشَّرهم بها الرسل ووجدوا عربونها في قيامة المسيح من الاموات اعلنوا بهذا الرجاء على ضروب شتَّى فكادوا يحوّلون الدياميس الى مداخل الجنَّة ويعتبرونها كمابر تُجيز بهم الى الافراح السرمديَّة او كما قال الرسول (١ كور ١٥: ٤٣—٤٥) كزارع « يُزرع فيها الجسم بالفساد فيقوم بلا فساد يُزرع بهوان ليقوم بالمجد يُزرع جسدًا حيوانيًا ليقوم جسدًا روحانيًا » وقد جاهروا بمعتقدهم هذا حتى في اسم الدياميس والمقابر التي كانوا يدعونها بالمراقد والمضاجع (κοιμητήριον) يريدون انَّ الموت كناية عن رُقاد ونوم ينتهي قريبًا بيقظة القيامة

وممَّا يدهش زوَّار الدياميس أنهم لا يجدون فيها شيئًا ممَّا يعلّل الحزن والكدر كتصاوير الموت المهولة وكالرموز المفجعة التي ألفها الوثنيُّون من نقش الجماجم وهياكل الموتى وتشخيص تمثال الموت. وترى على خلاف ذلك النقوش المبهجة كالزهور والاغصان المورقة والاشجار بل ربَّما استعار النصارى من الوثنيين بعض الرسوم التي لم يجدوا في تصويرها بأسًا كصُوَر فصول السنة وصور الطاووس وعنقاء مغرب وصور ربَّات الفنون الجميلة المدعوَّات بالموز وكأورفاي اله الموسيقى وغير ذلك ممَّا يظهر لاوَّل وهلة كآثار وثنيَّة لولا انَّ المسيحيين أوَّلوا تلك التصاوير تأويل رمزيَّة فازالوا عنها كل معنًى وثنيّ واشاروا بها الى معانٍ صالحة تقويَّة فانَّهم بتمثيل أورفاي مثلًا وحولهُ السباع مسحورة بضربهِ للآلات أومأوا الى عمل المسيح بالنفوس وتهذيبهِ للارواح بعد شراستها وفقًا لقول النبيّ اشعيا عنهُ (١١: ٥—٧) انَّ « بايامهِ يسود العدل فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويرعى العجل والشبل معًا » . . .

وفي الدياميس ما هو دلَّ على رجاء المسيحيين وايمانهم بالقيامة وانتظارهم لدار الخلود بالطمأنينة والآمال الطيّبة. وذلك ما وجدوا فيها من تمثيل اخبار الاسفار المقدسة التي تدلُّ على النجاة من البلايا وعلى الفرج بعد الشدَّة . كصورة ابراهيم الخليل وهو يتأهب لتضحية ابنهِ اسحاق اذ يناديهِ الملاك بالَّا يفعل ويدلُّهُ على كبش يقرّبهُ بدلًا منهُ (انظر الصورة ٤) . وكصورة أيوب البارّ جالسًا على مزبلتهِ مقاسيًا لاوجاعهِ بيد انهُ لم

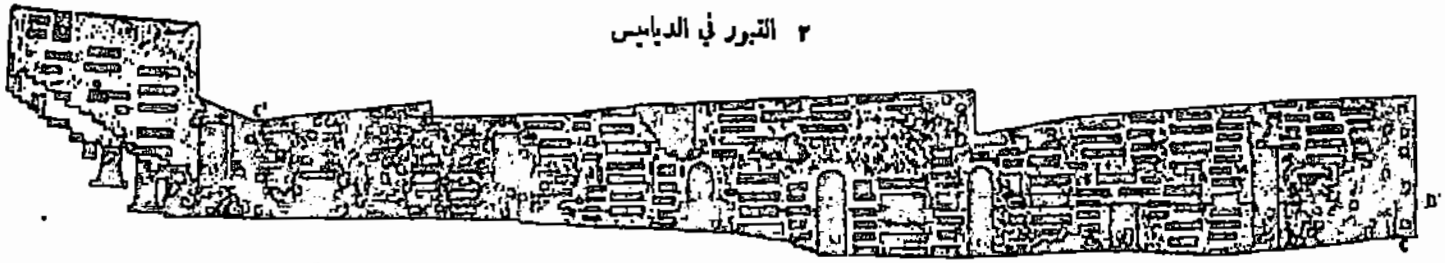

٢ القبور في الديامبس

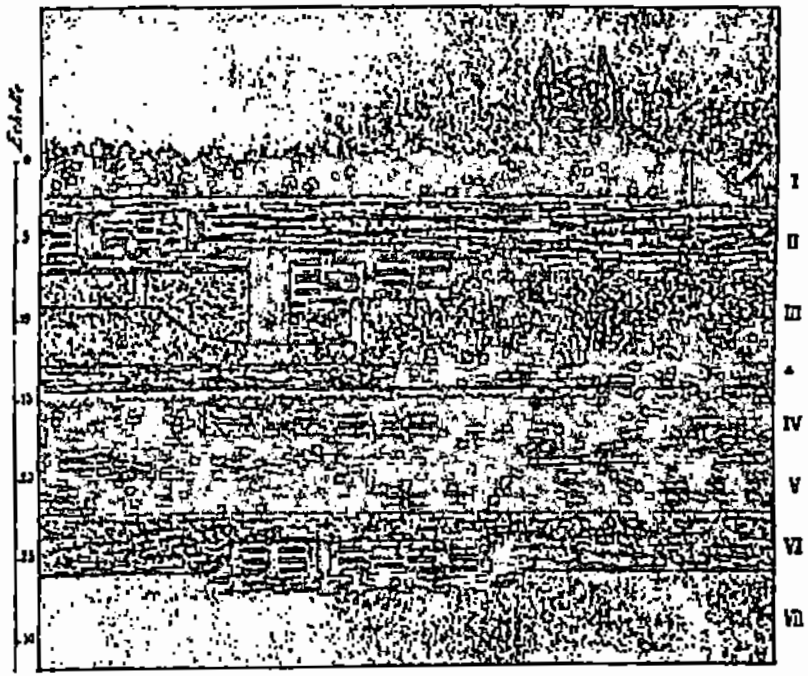

١ طبقات الارض التي حُفرت فيها الديامبس

٤ صورة ابراهيم واسحاق في الديامبس

٣ حفّار الديامبس

٧ اكليل الشوك

٨ حمل الصليب

٥ دانيال في جب الاسود

٦ سوسنّة البارّة وشيخا اسرائيل

يقطع املهُ من عون ربّهِ كأنهُ يردّد قولهُ (١٩ : ٢٥) : « اني لعالمٌ بانّ فاديَّ حيّ . . . وتُلبس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أعاين الله . . . فعيناي تريانهِ لا غيري » . وكيوسف ناجياً من مكايد اخوتهِ مستولياً على مصر . وكيونان خارجاً من بطن الحوت (انظر الصورة في المشرق ٩ : ٣٤١) . وكدانيال في جب الاسود (انظر الصورة ٥) . وكسوسنّة البارّة التي انقذها الله من تُهمة الشيخين الفاجرين وقد صُوّرت في الدياميس صورةً رمزيّة مثّلوا فيها سوسنّة بصورة شاة فوق رأسها اسم سوسنّة وعلى جانبيها الشيخين بصورة ذئبين كاسرين (انظر الصورة ٦) . وكل هذه الصور منقولة عن تاريخ اسفار العهد القديم . وهناك صور غيرها نُقلت عن العهد الجديد كشفاء المخلّع وقيامة لعازر ونجاة بطرس من حبس هيرودس الى غير ذلك مما يحيي الرجاء ويبعث الأمل ويثلج الصدور بهجةً

﴿ تعاليم الدياميس ﴾ على انّ الآثار المودعة في الدياميس لا تشهد فقط على رجاء اصحابها ومعتقدهم الوطيد بقيامة الاجساد بل هي اعظم واوضح شهادة على دين المسيحيين الثابت واستمساكهم بتعاليم الرسل وصياتهم للمعتقدات التي اوصى بها السيد المسيح ليعتهِ المقدسة . فلو افترضنا فقدان الاناجيل الطاهرة التي هي اليوم بيدنا فانّ آثار الدياميس كافية لتوقفنا على كل سيرة ابن الله وتعاليمه وما اوحاهُ الى البشر . على انّ المسيحيين الاوّلين لم يقصدوا برسم هذه الآثار غايةً أخرى سوى ان ينعشوا في قلوبهم روح التُقى والثقة بالله في محنهم وشدائدهم وها هي اليوم قد قامت كشواهد صدق تُعلن للعالم كلّهِ بصحة الدين المسيحي وقدمهِ وثباتهِ الدائم

امّا سيرة السيّد المسيح فتجدها في الدياميس متسلسلةً متواصلةً منذ تجسُّد الربّ حتى صعودهِ الى السماء . فهناك صورة مولدهِ في بيت لحم . وصورة المجوس القادمين من المشرق ليقرّبوا لهُ الهدايا (راجع المشرق ١٠ : ١٠) . وصورة معموديّتهِ بيد يوحنّا المعمدان مع حلول الروح القدس عليهِ على شكل حمامة . وصور شتّى لسيرهِ مع رسلهِ الكرام ولاصطناعهِ المعجزات كشفاء المرضى والعميان والبرص وتوفير السبعة الخبزات . وصورة دخولهِ الى اورشليم راكباً على أتان وصورة العشاء السرّي وغسل ارجل التلاميذ وتوقيف الرب في بستان الزيتون وامثالهِ امام حنان وقيافا وبيلاطس وتكليلهِ بالشوك وحملهِ للصليب (انظر الصورتين ٧ و ٨) ثم قيامتهِ المجيدة من بين الاموات (اطلب

المشرق ٩ : ٣٣٨) وظهوره لتلاميذه . فترى انَّ الاناجيل قد اكتسبت باكتشافات صور الدياميس برهاناً جديداً قاطعاً على ما تضمَّنت من اخبار حياة المسيح وتعاليمه

لا بل تجد في صور الدياميس بيّنةً صادقةً على اعتقاد المسيحيين الاوَّلين للاهوت السيّد المسيح فان تلك الصور تمثّلهُ بكل الهيئات الدالَّة على عظمتهِ وسيادتهِ وتعليمهِ الالهيّ فيُرى تارةً وهو منتصب ويدهِ الصولجان وتارةً وهو جالس على كرةٍ كالملك القادر او تُرى الكرة عند اقدامهِ وعلى جانبيهِ الملائكة . وحيناً تُجعل في يدهِ عصاة الحكم كعصاة موسى وخصوصاً عند اقترانهِ للمعجزات وحيناً يصوّرونهُ وبيدهِ سفر الحياة . ومن شاراتهِ الالهيَّة انَّ صورتهُ على هيأة شابٍ بلا لحيةٍ اشارةً الى ازليَّتهِ

ومن العقائد الراهنة التي تشهد لها الدياميس فتنفي كلَّ مزاعم اعداء الكنيسة الرومانيَّة وتثبت معتقد الكاثوليك رئاسةُ القديس بطرس الرسول على الكنيسة جمعاء فانَّ التصاوير المتعدّدة التي اكتُشفت هناك اوضحُ تفسير لكلمة الربّ لبطرس (متى ١٦ : ١٨—٢٠) : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي ولن تقوى عليها ابواب الجحيم وسأُعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكلّ ما تربطهُ على الارض يكون مربوطاً في السموات وما تحلّهُ على الارض يكون محلولاً في السموات » . ولقولهِ ايضاً لرسولهِ (يوحنّا ٢١ : ١٥—١٧) : « ارعَ خرافي ارعى نعاجي » . ولا حاجة للاطالة في هذا الباب اذ ان المشرق قد خصَّ بهِ سابقاً مقالة واسعة عنوانها « الرئاسة البطرسيَّة في دياميس رومية » فلتُراجع (المشرق ٦ : ٧٧٥—٨٥٨)

وممَّا تمتاز بهِ كنيسة المسيح الاسرار الخفية التي ورثتها من منشئها الالهيّ . فهذه الاسرار قد رُسمت ايضاً على جدران الدياميس باشكال مختلفة زاهية تثبت بلسان حالها معتقد المؤمنين وايمانهم المستقيم . واسُّ كلّ الاسرار المسيحيَّة المعموديَّة فانَّ الدياميس لم تصوّر فقط صورة عماد المسيح كما سبق بل أبقت لنا عدَّة تصاوير للمعموديَّة وكذلك وجدوا في الدياميس اجراناً كانوا يغطسون فيها المعمَّدين كما كانت العادة جاريةً في ذلك الوقت وكما يألفها الى يومنا الشرقيون (انظر الصورة ١)

ومن آثار سرّ التوبة مقاعد وجدوها مفردةً في بعض زوايا الدياميس فارتأى العلماء انَّها كانت للكهنة يجلسون عليها ليسمعوا بها اقرار الخطأة بذنوبهم فينالوا عنها الغفران وليس في الدياميس آثار اوفر واجمل وادقّ من آثار سرّ القربان الاقدس فتراه

حيناً بالرموز المشيرة اليه كتحويل السيد المسيح الماء في عرس قانا الى الخمر تنويهاً بتحويل الخبز الى جسد الرب وكمعجزة السبعة الخبزات والسمكتين اذ اشبع الرب الوفاً من الجياع. وحيناً بالدلالة الصريحة كصورة المشاء السري وصورة السيد المسيح على شكل الراعي الصالح وبقربه الخبز السري والخمر اللذان يقوت بهما النفوس وكثيراً ما يرسمون صورة السمكة الدالة بحروفها اليونانية على اسم المخلص ولاهوته. وكل ذلك تجده في مقالة سطرها حضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب واثبتها في المشرق (٤: ٦٧٢—٦٨١) تحت هذا العنوان « الافخارستية في العاديات المسيحية » فعليك بها

فهذه خلاصة تعاليم الدياميس اذخرها الله لاثبات دينه الى ايامنا لتقوم كشواهد حية بازاء الجاحدين لصحة النصرانية واقحاماً لمناقضي تعاليم يمة الله . فلهُ تعالى المجد والشكر اذ لم يدع ابناء النور العربة في وجه رياح الاضاليل لكنهُ ثبت ايمانهم على حجر الزاوية الذي لا يصدم عليه احدٌ الا تحطم . وحجر الزاوية على قول الرسول المصطفى انما هو المسيح يسوع (افسس ٢: ٢٠) تبارك اسمهُ الى الابد

ديوان

سلامة بن جندل السعدي

نشرهُ لاول مرة الاب لويس شيخو اليسوعي

مقدمة

افادتنا مجلات المستشرقين انَّ العلامة الفرنسوي الفاضل المسيو كلمنت هوارت (Mr Clément Huart) في جلسة نادي العلماء الفرنسويين الواقعة في كانون الاول المنصرم بشر رصفاءهُ باكتشاف مهمّ حظي بهِ في بعض خزائن كتب الاستانة اعني مكتبة ايا صوفيا. وما الاكتشاف المذكور سوى وقوف جنابهِ على نسخة من ديوان احد شعراء الجاهلية المسمّى سلامة بن جندل الذي رأى لنشر شعرهِ فوائد خطيرة سواء كانت لغوية ام ادبية

والحقُّ يقال أننا سُررنا بهذا الخبر ايَّ سرور وكنَّا ظلمنا سابقًا في كتابنا شعراء النصرانيَّة (ص ٤٨٦) سلامة بن جندل في عداد الشعراء المسيحيين ورونا ما وجدنا اذ ذاك من قصائده فنعقد الامل بانَّ جناب المستشرق لا يلبث ان ينشر قريبًا هذا الاثر الفريد. على أننا بقينا في ارتياب من هذا الاكتشاف لانَّ في مكتبة ايا صوفية نسخةً من هذا الديوان تُعرف منذ زمن مديد وقد ورد ذكرها في قائمة طُبعت في الاستانة العلية سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤ م) تحتوي اسماء مخطوطات مكتبة ايا صوفية فديوان سلامة بن جندل مدوَّن ذكرهُ في جملة المجاميع الموصوفة في الصفحة ٣٣٥ والموسومة بالعدد ٤٩٠٤ فهذا المجموع يحتوي على ثلاث رسائل او آثار: فالاثر الاوَّل بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال (كذا). والثاني رسالة في كلام الامام علي على ترتيب حروف الهجاء. والثالث كتاب شعر سلامة بن جندل السعديّ. فان كان هذا الديوان هو الذي نواهُ جناب المسيو هوارت فانَّهُ لم يكتشف شيئًا لانَّ الديوان معروف. وقد استنسخناهُ في السنة ١٨٩٩ على يد نزيل كليتنا الاستاذ الاديب اوغست هفنر (Dr A. Haffner) لمَّا برحنا تلك السنة الى الاستانة ومنها الى ڤينا. فهذه النسخة لا تزال في يدنا اعددناها للطبع منذ زمن طويل ولم تسمح لنا الفرصة حتى الآن بنشرها. فها نحن اليوم نتحف بها قرَّاءنا مؤمّلين ان يكون المسيو هوارت اكتشف غير ذلك من شعر سلامة بن جندل فيفيدنا به

وبينا نحن ساعون في نشر النسخة التي وقفنا عليها في الاستانة اذ عاد من مصر جناب صديقنا العلَّامة المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشقوفسكي وقد اصاب في الاسكندرية نسخةً ثانيةً من هذا الديوان العزيز الوجود لقيها في مكتبة تلك الحاضرة فاستنسخها وتلطَّف فاعارنا ايَّاها للمقابلة على نسخة الاستانة. فلمَّا عرضناها على تلك تأكَّدنا انها أختها تشبهها شبهًا تامًّا فانَّ خطَّها وقلمها ومضامينها من القصائد تكاد لا تختلف منها الَّا في النزر القليل. على انَّ كاتبها غير كاتب نسخة ايا صوفيا فهو يُدعى في آخر الكتاب علي بن محمَّد وقد خطَّها سنة ٤٩٣ للهجرة اعني ثلاث عشرة سنة فقط بعد نسخة الاستانة. ولعلَّ عليًّا هذا هو الشيخ ولي الدين علي العجمي المذكور في ختام النسخة عينها. ولكنَّ هذه النسخة الاسكندرية لا شروح فيها البتَّة ولمَّا الروايات القليلة التي تختلف عن نسخة الاستانة فسندلّ عليها بحرف «س»

*

اعلم انَّ سلامة بن جندل احد شعراء تميم وفرسانهم المعدودين في الجاهليَّة. قيل في نسبهِ (١ انهُ ابن جندل بن عمرو (وقيل عبد عمرو وقيل عامر) بن عُبيد بن الحارث (ويروى عبد الحارث) بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّ ابن ادّ بن طابخة بن الياس بن مضر. والحارث جدّهُ عُرف بالقاعس وقيل انَّ القاعس هو الحارث. ولا نعلم أسلامة بن جندل هو الذي دعاهُ ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ١٤٩) سَلمى بن جندل. ولعلَّهُ هو الَّا انَّ ابن دريد يقول انَّ هذا من نهشل ولم يذكر اسمهُ سلامة. وكذا ورد في تاج العروس (٨: ٣٤٣) وضبط هناك اسمهُ عن البعض سَلمى وعن البعض الآخر سُلَيمٌ

امَّا ترجمة سلامة بن جندل فلا نعرف من امرهِ الَّا النزر الزهيد فانَّ صاحب كتاب الاغاني لم يأتِ لهُ على ذكر البتَّة. وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة انهُ « جاهليٌّ قديم وهو من فرسان تميم المعدودين واخوهُ احمر بن جندل من الشعراء والفرسان ». ولم يذكر الكتبة زمان هذا الشاعر الَّا انهُ يؤخذ من بعض قصائدهِ انهُ نظمها ليشكر فيها عمرو ابن كلثوم التغلبيّ الشاعر صاحب المعلَّقة وكان فارساً فأغار على تميم وأسر احمر اخا سلامة ثمَّ اطلقهُ كرماً فيتعيَّن من ذلك انَّ سلامة كان في أيام ملك الحيرة عمرو بن هند اعني في القسم الثاني من القرن السادس للمسيح. وكذلك أورد في شعرهِ ذكر النعمان ابي قابوس وقتلهُ بامر كسرى تحت ارجل الفيلة فقال عن ملك الفرس :

هو المُدخِل النعمان بيتاً سماؤهُ صُدورُ فيولٍ بعد بيت مُسَرْدَقِ

وكان النعمان في اواخر القرن السادس للميلاد (٢

وكذلك نجهل مآثر سلامة فلم يوقفنا احد على شيءٍ منها. الَّا انَّ في شعرهِ ما يلمح باعمالهِ واعمال قومهِ كما سترى. ثم ان الكتبة بقولهم عنهُ انهُ « من الفرسان المعدودين » ينوّهون بسؤددهِ وعلوّ مقامهِ. وان صحَّ انهُ هو سلمى بن جندل المذكور

١) اطلب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ed. de Goeje, 147) وخزانة الادب للبغدادي (٢: ٨٦) وعلى هامشها كتاب المقاصد النحويَّة للعيني (٢: ٢٢٦) وتاريخ اليعقوبي (١: ٢٠٧)

٢) وطيبو لا صحَّة لزعم اسكندر اغا ايكاريوس في كتاب روضة الادب حيث قال (ص ١٨٢): انَّ سلامة توفي سنة ٥٢٠ للمسيح

في كتاب الاشتقاق زاد اعتبارنا لهُ بما روى هنـاك ابن دريد من اقوال الشعراء في تعظيمه كاحد المشاهير او الامراء كقول بعضهم:

مات ابي والمنذران كلاهما وفارسُ يوم العين سَلْمى بن جَندلِ

وكقول آخر:

وقبلي مات الخالدان كلاهما عبيدُ بني جَعْوانَ وابنُ المضلَّلِ
وقيس بن مسعودٍ وقيسُ بن خالدٍ وفارسُ يوم العين سلمى بن جَنْدلِ

وقد بحثنا عن هذا « يوم العين » بين أيام العرب فلم نجد لهُ ذكرًا في ما لدينا من التآليف. وقد روى في تاج العروس (٨ : ٣٤٣) : « وفارسُ يومِ القين » فلم يزدنا افادة:

امّا من حيث الشعر فان اصحاب النقد كابن الرشيق في العمدة (١ : ٦٦) والسيوطي في المزهر (٢ : ٢٤٥) جعلوهُ في جملة المقلّين من شعراء الجاهليّة الّا انهُ مجيد محكم في قلّتهِ وقد عُدَّ من نُعَّات الخيل. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: انَّ سلامة احد من يصف الخيل فيُحسن. وروى ابن عبد ربّهِ في عقد الفريد انَّ بني تميم قالوا لسلامة بن جندل: مجّدنا بشعرك. فقال لهم: اقلوا حتى اقول. وفي هذا شاهد على مقام سلامة بن جندل بين قومهِ. وممّا كُتب في مدح سلامة ما قالهُ احمد بن ابي طاهر طيفور صاحب مسالك الابصار (ورد في نسخة لندن الخطيّة):

« سلامة بن جندل مُعرق في تميم ومُعرّق في نسبها الصميم. ومال بصحّة نسبهِ الى ابيهِ بفرعها المهدَّل. فثبت كأنّهُ الثريا « بامراس كتّانٍ الى صُمّ جندلِ ». وهبَّ شعرهُ من الدهنا. وقد مطّر انفاسهُ. وتمجّد على جندل بن عمرو بسلالة وزاد تمينًا وآل الى سلاسة. وزاد تمينًا وكان يتغنى بالتشبيب ويجيده. ويبدي خافيهُ ويجيدهُ »

فهذا ما امكنا جمعهُ من المعلومات في تعريف هذا الشاعر. امّا ظنّنا لهُ في عداد النصارى فاستنادنا اوّلًا الى شيوع النصرانيّة في تميم كما سنبيّن الامر قريبًا ان شاء الله. ثم وجدنا في خلوّ شعر سلامة من كل اشارة الى الشرك شاهدًا آخر على قولنا. وزِدْ عليهِ انَّ في شعرهِ تشابيه نصرانيّة تزيد قولنا تأييدًا كذكر داود النبي والدروع المنسوبة اليهِ وكالتشابيه بالأسفار المنمّقة التي كان يتخذها نصارى العراق. ومن ادلّتنا على نصرانيّتهِ انّهُ عاش في جهات الحيرة التي كانت النصرانيّة عمّت كل انحائها وعاشر قومًا من النصارى كتغلب والعباديين. فهذا ما حملنا على إدراج اسمهِ في شعراء النصارى والله اعلم

شعر سلامة بن جندل السعدي

عن ابي سعيد الاصمعي

ونفس الرواية عن ابي عمرو الشيباني وقُرئ على عُمارة

رواية ابي العبّاس محمّد بن الحسن بن دينار الأحول (*

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سلامة بن جندل

ابن عبد (** بن عُبَيد بن الحرث بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن ادّ بن طابخة بن الياس بن مُضر بن نزار بن معدّ بن عَدنان . ومُقاعس هو الحرث بن عمرو وانّما سُمي الحرث مُقاعساً لأنهم تقاعسوا عن حلفٍ اختلفوا فيه في وقعةٍ من الوقعات :

أَوْدَى ٱلشَّبَابُ حَمِيدًا ذُو ٱلتَّمَاجِيبِ ... أَوْدَى وَذٰلِكَ شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ (١

وَلَّى حَثِيثًا وَهٰذَا ٱلشَّيْبُ يَطْلُبُهُ ... لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضَ ٱلْيَعَاقِيبِ (٢

أَوْدَى ٱلشَّبَابُ ٱلَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ ... فِيهِ نَلَذُّ وَلَا لَذَّاتِ لِلشِّيبِ

(* في نسخة الاسكندرية : على عمارة محمّد بن الحسن رواية ابي العبّاس بن دينار الاحول

(** في س وكذلك في هامش نسختا : بن عمرو بن عبد

الشروح في اصل الديوان عن نسخة ايّا صوفيّا

١) أَوْدى الشيءُ يُودِي اذا هلك . وحميد يعني الشباب . يقول ولّى حميداً . والشأو الطاق والسَّبق . والشبابُ لا يُدرك اذا فات

٢) ولّى حَثيثاً يعني الشباب . وقولهُ « لو كان يدركهُ ركض اليعاقيب » . قال ابو عمرو الشيبانيّ او غيرهُ : اليعاقيبُ جماعة يَعْقوب وهو ذكر القَبج . وسألت عُمارة عن تفسيره فقال : اليعاقيب ذوات العَقب والبقاء من الخيل .

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ (١
وَكَرَّنَا خَيْلَنَا أَدْرَاجَهَا رُجُعًا ... كُرَّ السَّنَابِكِ مِنْ بَدْءٍ وَتَعْقِيبِ (٢
وَالْعَادِيَاتِ أَسَابِي الدِّمَاءِ بِهَا ... كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابُ تَرْجِيبِ
مِنْ كُلِّ حَتٍّ إِذَا مَا ابْتَلَّ مُلْبَدُهُ ... ضَافِي السَّبِيبِ أَسِيلِ الْخَدِّ يَعْبُوبِ (٣
لَيْسَ بِأَقْنَى وَلَا أَسْفَى وَلَا سَغِلٍ ... يُسْقَى دَوَاءً فَفِي السُّكْنِ مَرْبُوبِ (٤

---

١) قال عُمارة التأويب من غُدوة الى الليل. ويُقال تأويب رجوع من قولك أبتُ الى القوم اي رجعتُ اليهم. ويقال التأويب من غُدوة الى الليل اي ساعة نزلت منهُ شديدًا كان سَيْرُك او غَيْر شديد. ويقال ايضًا: التأويب الإمعان في السير الشديد وانشد:

لحِقنا بحيٍّ أوبوا السَّيْرَ بعد ما ... رقَمْنا شُعاعُ الشمسِ او كاد يصحُ

يصحُ يذهب. وقولهُ « يومُ مقاماتٍ » قال ابو عمرو: إقامتهم يوم إقامة. والأندية المجالس الواحد ناد

٢) قال ابو عَمْرو. أدراجها أي من حيث جاءت ذهبتْ ومن حيث ذهبتْ جاءت. والأدراج الطُرُق. يُقال رجع على أدراجهِ اي المَوْضع الذي جاء منهُ وقال الراعي:

« لَبِستُ ثَوْبِيَ واستَمرتُ أدراجي »

وقولهُ كُرَّ السنابك اي قد تمادَّتْ سنابكها وذهبت لأكل الطريق لها ولطول السَّفرة عليها. والسَّنْبُك مُقدَّم الحافر. واصل الكَرّ في الاسنان ان تمادَّتْ وتقصَّر. وبدؤها ابتداؤها. والتعقيب الرجوع والعَطْف

٣) يقال فرس حَتٌّ وسَكْب وغَمْر وبحر وقَبْض اذا كان جوادًا لا يُجارى. ومُلْبَدُهُ موضع لَبَدهِ ومُحْزَمُهُ موضع حزامهِ ومُعْذَرُهُ موضع عذارهِ. وضافٍ سابغ. والضَّفْو السُّبوغ والفضل من كل شيء. والسبيب شعر الناصية والذنَب. وأسيل سَهْل طويل ويُستحبُّ ذلك منهُ. ويَعْبوب كثير الجَرْي. ويقال كريم

٤) قال: ما كان سهل الوجه فليس بأقنى والقنا حدَّة في الانف وهو مذموم في الخيل. ولا أسفى الخفيف شعر الناصية والذَّنَب وهو السَّفا. قال ابو عبد الله اليزيدي: قال احمد بن يحيى: قال ابن الاعرابي: الأسفى ان تكون فيهِ شَعْرة تخالف لونهُ. وسَغِلٌ مهزول. ويقال السَّغِل سوء الغذاء واضطراب الخلق. والقفيُّ الذي يُسقى اللبن ويؤثر بهِ دون السُّكّن وهم اهل البيت. والقُفْوة الخاصَّة. اقتفاهُ اذا اختصَّهُ. قال ابن احمر:

لا يقتفي جمع الشمال اذا هبَّت ... ولا آفاقُها الغُبْرُ

تَمَّ ٱلدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتِعٍ
فِي جُؤْجُؤٍ كَمَدَاكِ ٱلطِّيبِ مَخْضُوبِ (١

تَظَاهَرَ ٱلنِّيءُ فِيهِ وَهْوَ مُحْتَفِلٌ يُعْطِي أَسَاهِيَّ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ (٢
يُحَاضِرُ ٱلْجُونَ مُخْضَرًّا جَحَافِلُهَا
وَيَسْبِقُ ٱلْأَلْفَ عَفْوًا غَيْرَ مَضْرُوبِ (٣

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ بِإِذْنِ ٱللهِ قَدْ جَبَرَتْ وَذِي غِنًى بَوَّأَتْهُ دَارَ مَحْرُوبِ
مِمَّا يُقَدِّمُ فِي ٱلْهَيْجَا إِذَا كَرِهَتْ عِنْدَ ٱلطِّعَانِ وَيُنْجِي كُلَّ مَكْرُوبِ (٤
هَمَّتْ مَعَدٌّ بِنَا هَمًّا فَنَهْنَهَهَا عَنَّا طِعَانٌ وَضَرْبٌ غَيْرُ تَذْبِيبِ
بِٱلْمُشْرَفِيِّ وَمَصْقُولٍ أَسِنَّتُهَا
عُمْرِ ٱلْعَوَامِلِ صَدْقَاتِ ٱلْأَنَابِيبِ (٥
تَجْلُو أَسِنَّتَهَا فِتْيَانُ عَادِيَةٍ لَا مُقْرِفِينَ وَلَا سُودٍ جَعَابِيبِ (٦

---

١) الدَّسِيع المُنق. ويقال مَفرز المُنق. عُمارة: الدسيع النفَس (كذا). والبَتِع طول الدُنق. والهادي المُنق وهادي كلّ شيء اوّله. وجؤجؤه صدره. المداك الصلاية. اراد أملس سهلا. وروى عُمارة: هادٍ له تلع

٢) عمارة: ينمي اساهيّ. النيء السمن. مُحتفل. مربع. اساهيّ ضروب من الجريّ سمت سعدان يقول: قال الاصمعيّ: العرب تقول فرس ذو أساهيّ اي عنده ضروب من الجري

٣) الجُون الحُمر في ألوانها. مُخضرًّا جحافلها من أكل الرُطب. ويَسبق الألف اي يفوتها على رسلهِ ولم يجهد

٤) يُقدّم فلرسهُ. عُمارة: مِمّا يُقدّم

٥) المَشرفيّة السُيوف نُسبت الى قرى بالشام يُقال لها المَشارف. والعامل من الرماح الثُلث الذي يلي السنان. والصَدَق الصُلب من كل شيء. والأنابيب الكعوب

٦) المُقرف الذي أمّهُ عربيّة وابوهُ ليس بعربيّ. والمعجين الذي ابوهُ عربيّ وأمّهُ ليست عربيّة. قال عُمارة: المعجين الذي ليس أمرهُ بصحيح

سَوَّى ٱلثِّقَافُ قَنَاهَا فَهِيَ مُحْكَمَةٌ قَلِيلَةُ ٱلزَّيْغِ مِنْ سَنٍّ وَتَرْكِيبِ (١
كَأَنَّهَا بِأَكُفِّ ٱلْقَوْمِ إِذْ لَحِقُوا مَوَاتِحُ ٱلْبِئْرِ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبِ (٢
كِلَا ٱلْفَرِيقَيْنِ أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلُهُمْ شُجٌّ بِأَرْمَاحِنَا غَيْرَ ٱلتَّكَاذِيبِ
إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي سَعْدٍ فُضُولَهُمْ كُلُّ شِهَابٍ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ قُرْضُوبِ
إِلَى تَمِيمٍ حُمَاةِ ٱلثَّغْرِ نِسْبَتُهُمْ
وَكُلُّ ذِي حَسَبٍ فِي ٱلنَّاسِ مَنْسُوبِ (٣
قَوْمٌ إِذَا صَرَّحَتْ كَحْلٌ بُيُوتُهُمُ عِزُّ ٱلذَّلِيلِ وَمَأْوَى كُلِّ قُرْضُوبِ (٤
يُنْجِيهِمِ مِنْ دَوَاهِي ٱلشَّرِّ إِنْ أَزَمَتْ صَبْرٌ عَلَيْهَا وَقَبْضٌ غَيْرُ مَحْسُوبِ (٥
كُنَّا نَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ بِكُلِّ وَادٍ حَطِيبِ ٱلْبَطْنِ مَجْدُوبِ (٦

---

١) الثقاف خشبة يُقوَّم بها القناة. والزَّيْغ الاعوجاج. والسَّنّ التحديد. يقال سَنَنْتُ النصلَ أَسُنُّهُ سَنًّا وَنَعَصْتُهُ وَوَقَمْتُهُ اي أَحْدَدْتُهُ كل ذلك سواء

٢) كأنها يعني الرماح. والمَوَاتح البَكَرات التي يُمْتَح عليها. والأشطان الحبال الواحد شَطَن. ومَطْلوب مالٍ معروف. مطلوب بثر بني كُلاب عن عمارة

٣) قال: الثغر ان يكون الوادي خصيب البطن مخوفًا فيتحاماه الناس فيرعاه اهلُ الدِّرّ

٤) صرَّحت بيوتُ لم يكن فيها غيم ولا مطر وأذي. والكَحْل السنة الشديدة. ويروى: اذا أصبحت كحلاء بؤسُهم لم يكن الّا قدر ما تُكحَل به العين. وقوله « مأوى كل قرضوب » فالقراضبة اللصوص ويقال اهل التقتر والحاجة. ويقال صعلوك فقير

٥) أزمت اشتدت. والقبض السدّد الكبير. وغير محسوب لكثرته. عمارة: اي اذا أزمت السنة يفضلون ويعطون

٦) قال الاصمعي: يقول نحل بكلّ وادٍ كثير الحطب لنعقر ونطبخ ولا نبالي ان يكون مجدوبًا. والمجدوب المذموم المسبب وانشد لذي الرمة:

فيا لك من خدٍّ أسيل ومنطقٍ رخيمٍ ومن خَلقٍ تَمَلَّلَ جادِبُهْ

ويروى: من وجهٍ. جادِبُهْ اي عائبُهُ قال ابو عمرو: مجدوب مسبب وانشد:

أبارِقَ اني لا أُريد أذاكمُ ولا ضَرْبكم ما لم تُعينوا على جَدْبي

اي عَيْبي. ويروى: خصيب البطن. فمن روى خصيب يقول هذا الوادي فيه مرعًى ونبات فهو ثغر يتحاماه الناس فنحن نحلّه ونرعى ما فيه لعزّنا

شِبِ ٱلْمَبَارِكِ مَدْرُوسٍ مَدَافِعُهُ ... هَابِي ٱلْمَرَاغِ قَلِيلِ ٱلْوَدْقِ مَوْظُوبِ (١

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ ... كَانَ ٱلصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ ٱلظَّنَابِيبِ (٢

وَشَدَّ كُورٍ عَلَى وَجْنَاءَ نَاجِيَةٍ ... وَشَدَّ لَبْدٍ عَلَى جَرْدَاءَ سُرْحُوبِ (٣

يُقَالُ مَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرْتَعِهَا ... وَلَوْ تَمَادَى بِبُكْءٍ كُلُّ مَحْلُوبِ (٤

---

١) قال الاصمعي: المبارك يعني مبارك هذه الوادي قد ايضت من الجدب. ومدروس مدافعه اي اودية التي كانت يكون بها النبت قد درست اي دقت ووطئت وأكل نبتها. وهابي المراغ اي منتفخ التراب لا يتمرغ فيه بعير قد ترك لخوفه. الهابي الغبار. والمراغ التراب. قال ابو عمرو: شبب ليس به كلا ولا عشب فهو ابيض. وموظوب واظبوا عليه حتى أكل ما فيه ويكون من واظبت عليه السنون. الدرس الدياس عند اهل الشام والعراق وانشد لابن ميادة:

يكفيك من بعض أزديار الآفاق ... سمراء بما درس ابن مخراق

سمراء حنطة. درس داس

٢) قال الاصمعي: يقال ضرب لهذا الامر ظنبوبه اذا هو جد فيه فأراد ان يقول ساقا فقال ظنبوبا. والظنبوب الساق ويقال عظم الساق. يقول اذا اتانا صارخ عزمنا على منعه والقتال معه. قال ابو عمرو: والظنبوب الساق. (قال) اذا ارادوا ان ينيخوا البعير فيسر عليهم ضربوا ظنبوبه فيبرك. يقول اذا اتانا صارخ أنخنا الابل ثم ركبنا. ويروى: كانت إناخنا. وهو نحو من قول ابن الاعرابي وانشد:

اذا استرخت عماد الحي شدت ... ولا تثني لنائبة وظيف

يقال جعل امره على ظنبوب ساقه وعلى حبل ذراعه اذا اعتزم عليه وهم به وقال النابغة:

وقد جعلوا المصاع على الذراع

٣) الكور الرحل والجمع أكوار. ووجناء غليظة ويقال كأنها الوجين من الارض. ويقال كأنها وجنت بالمواجن اي دقت ويقال الغليظة. وجرداء قصيرة الشعر. وسرحوب طويلة

٤) قال الاصمعي: يقول اذا تركنا الشر فحبسنا به الابل حتى تخصب وتطاب الناس: محبس هذه الابل على دار الحفاظ ادنى لان تنال المرعى وان كن قد تمادين ببكء اي توالين. والبكء قلة اللبن يقال بكؤت الناقة والشاة وهي ناقة بكيء ويقال بكأت ايضا. قال ابو عمرو: ومحبسها ادنى لمرتعها يقول: قد اناخوا للقتال فرتعها ادنى لان ترعى. تمادى أعدت هذه هذه. وتمادى اي كان واحد بعد الاخر. وقوله «ببكء» يقال بكؤت الناقة اذا ذهب لبنها يقول: وان ذهب لبنها احتسوا لأنهم في حفاظ. ويقال: قوله «محبسها» يقول المرتع والمحبس سواء لجدبه فتحبس في ازناء وترتعه سواء وان جعلت هذه تمدي هذه في قلة اللبن واذا أعدت هذه هذه في قلة اللبن فهو ضير

حَتَّى تَرَكْنَا وَمَا تُثْنَى ظَعَائِنُنَا يَأْخُذْنَ بَيْنَ سَوَادِ الْخَطِّ فَاللُّوبِ (١

وقال (من الكامل)

هَاجَ الْمَنَازِلَ رِحْلَةُ الْمُشْتَاقِ دِمَنٌ وَآيَاتٌ لَبِثْنَ بَوَاقِ (٢
لَبِسَ الرَّوَامِسُ وَالْجَدِيدُ بَلَاهُمَا فَتَرَكْنَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْأَخْلَاقِ (٣
لِلْحَارِثِيَّةِ قَبْلَ أَنْ تَنْأَى النَّوَى بِهِمِ وَإِذْ هِيَ لَا تُرِيدُ فِرَاقِي (٤
وَمَجَرِّ سَارِيَةٍ تَجُرُّ ذُيُولَهَا نَوْسَ الْغَمَامِ يُنَاطُ بِالْأَعْنَاقِ (٥
مِصْرِيَّةٍ نَكْبَاءَ أَعْرَضَ شِيمُهَا بِأَشَابَةٍ فَزَرُودَ فَالْأَفْلَاقِ (٦
هَتَكَتْ عَلَى عُوذِ الْتِّلَاجِ بُيُوتَهَا فَيَقَمْنَ لِلرُّكَبَاتِ وَالْأَرْوَاقِ (٧
فَتَرَى مَذَانِبَ كُلِّ مُدْفَعِ تَلْعَةٍ عَجِلَتْ سَوَافِيهَا مِنَ الْإِتَاقِ (٨

---

١) ويروى: يسلكن بين سواد الخط. قال رسول الله صلعم لاصحابه الله فسعد لا تصاعد ابداً الا رجعهن الله لا يقطعون دارهم مصعدين (*. والخط موضع يقال انه مرفأ سفن الرياح. واللوب جمع لأبة ويقال لوبة وهي الحرة

٢) الدمنة آثار الناس وما سود. وآيات علامات وآثار

٣) الرواسم الرياح التي تأتي بالتراب فترمس به كل شيء اي تدفنه وتغطيه. والجديد الدهر. والمهراق الصحيفة. قال ابو سعيد الاصمعي: المهارق خرق كانت العرب تعلقها وتكتب فيها يقال لها مهر كرد فارسي معرب

٤) تنأى تبعد. والنوى النية وهو وجهها وحيث نوت أن تاخذ

٥) سارية سحابة تأتي ليلا والجمع سوار. وغادية تأتي بالغداة. ورائحة تاتي عشياً وذيولها مآخيرها. (قال) تكون للسحابة المرتفعة أخرى دونها فذلك ذيلها. والنوس التعليق. يناط يعلق. قال السحابة تشبه بالنعام. والمنوط المعلق في استرخاء

٦) مصرية اي سحابة جاءت من نحو مصر. شيمها مطرها

٧) هتكت دخلت عليهن. والعوذ جمع عائذ وهي الحديثة النتاج. والأرواق القرون الواحد رَوْق

٨) المذانب الواحد مذنب وهي مجاري الماء الى الرياض قال:

وماء الندى يجري على كل مذنب

والتلعة مسيل مرتفع الى بطن الوادي. والاتاق الامتلاء. وعجلت من العجلة اي جاءت بالماء سريعاً

*) هذه العبارة في الاصل مشوهة لا يستخرج لها معنى روبناها كما نسخها الناسخ

فَكَأَنَّ مَدْفَعَ سَيْلِ كُلِّ دَمِيثَةٍ ... يُعْلَى بِذِي هُدْبٍ مِنَ الْأَعْلَاقِ (١
مِنْ نَسْجِ بُصْرَى وَالْمَدَائِنِ نُشِرَتْ ... لِلْبَيْعِ يَوْمَ تَحَضُّرِ الْأَسْوَاقِ (٢
فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي فَتَحَنَّنَتْ ... لِهَوَى الرَّوَاحِ تَتُوقُ كُلَّ مَتَاقِ (٣
حَتَّى إِذَا هِيَ لَمْ تُبِنْ لِمَسَائِلٍ ... وَسَعَتْ رِيَاحَ الصَّيْفِ بِالْأَصْيَاقِ (٤
أَرْسَلْتُ هَوْجَاءَ النَّجَاءِ كَأَنَّهَا ... إِنْ هَمَّ أَسْفَلُ حَشْوِهَا بِنِفَاقِ (٥
مُتَخَرِّقٌ سَلَبَ الرَّبِيعُ رِدَاءَهُ ... صَخِبُ الظَّلَامِ يُجِيبُ كُلَّ نِهَاقِ (٦
مِنْ أَخْدَرِيَّاتِ الدَّبَا الْتَفَعَتْ لَهُ ... بُهْمَى الْيَفَاعِ وَلَجَّ فِي إِحْنَاقِ (٧
صَخِبُ الشَّوَارِبِ وَالْوَتِينِ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يُفَرِّدُ مُوهِنًا بِخِنَاقِ (٨

١) دَمِيثة ارض سَهْلة لَيِّنة. الأعلاق متاع الرَّحْل وما عُلِّق عليه من المهون
٢) بُصرى قرية بالشام
٣) تحنَّنت من الحَنين. تَتُوق تَشتاق
٤) قال ابو عمرو: الأَصياق واحدها صيق وهو الغُبار
٥) هوجاء فيها هَجْرَقيَّة من نشاطها. والنَّجاء السُّرعة. وحشوها وَبَرُها. ونِفاق ذهاب. يقول سقط وَبَرُها وحشوها لما عُلِفت به وما في بَطْنها من المَلَف وانشد:

جاريةٌ من ساكني العراق ... لَبَّاسةٌ للمُحْلِل الرَّقاقِ
تَنْفُرُ عن ذي أَشَرٍ بَرَّاقِ ... أَبْغَضُ ثَوْبَيها إليها الباقي
تُنْفِق من كَسْبِ امرئٍ ورَّاقِ ... قد أَيْقَنت ان مات بالنِّفاقِ
فَهْوَ عليها هَيِّنُ الفراقِ

ورَّاق كثير الورق. وقوله «أَبْغَضُ اليها ثوبَيها اليها الباقي» يقول تُمَزِّق ثيابها مضارة له ان مات بالنفاق. يَقُول اذا ورثت مالهُ نفقت عند الرجال. قال ابو عبد الله انشدني هذه الابيات محمد بن الحسن الاحول

٦) ويروى: مُتَخَرِّق اكل الربيع. رداؤهُ وَبَرُهُ
٧) الاخدريات حُمُر منسوبة الى فحل ضرب في الحُمُر يقال لهُ الأخدر. واليهمى ضرب من النبات. واليَفَاع جمع يَفَع وهو القاع من الارض. ويروى: جُمُّ اليفاع. والإحناق الضمر. والتفعت لهُ اي التفت لهُ النبات. والدَّبا موضع
٨) صَخِب الشَّوارب اي كثير الصِّياح. والشوارب مجاري الماء من حلقه ويقال من فمه وحلقه وجَوْفه اجمع. والوتين عِرْق مَنُوط بالقلب وهو من القَلْب الى الصُّلْب ويُفَرِّد يُصَوِّت وموهنًا بَعْد ساعة من الليل

في عَانَةٍ شُزُبٍ أَشَدَّ جِحَاشُهَا ... شُزُبٍ كَأَقْوَاسِ السَّرَاءِ دِقَاقِ (١
وَكَأَنَّ رِهَتَهَا إِذَا نَبَّهْتَهَا ... كَأْسٌ يُصَفِّقُهَا لِشُرْبٍ سَاقِ (٢
صِرْفٌ تَرَى قَعْرَ الإِنَاءِ وَرَاءَهَا ... تُودِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَبْلَ فُوَاقِ
يَأْسَى لِلَذَّتِهَا إِصَابَةَ حِلْمِهِ ... فَيَظَلُّ بَيْنَ النَّوْمِ وَالإِطْرَاقِ
فَتَرَى النِّعَاجَ بِهَا تَمْشِي خَلْفَهُ ... مَشْيَ الْعِبَادِيِّينَ فِي الأَمْوَاقِ
يَسْمُرْنَ وَحْفًا فَوْقَهُ مَاءُ النَّدَى ... وَالنَّبْتُ كُلُّ عِلَاقَةٍ وَنِطَاقِ (٣
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ حَلَّ بِهِ النَّدَى ... يَرْفُقْنَ فَاضِلَهُ عَلَى الأَشْدَاقِ (٤
أَهْدَى بِهِ سَلَفًا يَكُونُ حَدِيثُهُمْ ... خَطَرًا وَذِكْرَ تَغَامُزٍ وَسِبَاقِ (٥
حَتَّى إِذَا جَاءَ الْمُثَوِّبُ قَدْ رَأَى ... أَسَدًا وَطَالَ نَوَاجِذُ الْمِفْرَاقِ (٦
لَبِسُوا مِنَ الْمَاذِيِّ كُلَّ مُفَاضَةٍ ... كَالنَّهْيِ يَوْمَ رِيَاحِهِ الرَّقْرَاقِ (٧
مِنْ نَسْجِ دَاوُودٍ وَآلِ مُحَرِّقٍ ... غَالٍ غَرَابِيُهُنَّ فِي الآفَاقِ
وَمَنَحْتُهُمْ نَفْسِي وَآمِنَةَ الشَّظَا ... جَرْدَاءَ ذَاتِ كَرِيهَةٍ وَنِزَاقِ (٨

١) العانة الجماعة من حمر الوحش. والشازب والشاسب والشاسب والشاسف كلّ هذا الضامر. أشدّ طرد وغي. والسراء شجر تكون منه القسيّ. ويروى « شُصُص » وهي التي لم تعمل وهي النحوص.

٢) يصفّقها يمزجها

٣) يسمرن يأكلن. سمرتُ الشيء أكلتهُ. والوحف السير. والعلاقة ما أكلتهُ. والعلاقة علاقة السوط والقدح. والعلاقة علاقة الحبّ. والنطاق ما التفّت عليه شبه النطاق

٤) الغيث النبت. يرفقن اي يأكلن يقال انهُ ليرفقُ اي يأكل. فاضلهُ ما فضل منهُ

٥) السلف المتقدّمون. والخطر الشرف. وقال ابو عمرو: الخطر ما يتخاطرون عليه بينهم

٦) المثوّب الداعي الى الحرب. والمفراق الجبان الاشدّ خوفًا. وطال نواجذهُ قلصت شفتاهُ فبدت

٧) الماذيّ دروع بيض وبغال لينة. ومفاضة طويلة. كالنهي اي كالغدير. ورقراق يترقرق فيه الماء

٨) الشظا عظمٌ لاصق بالرسغ. والنزاق اول حربة. وقولهُ « ذات كريهة » يكرهها على العدوّ لانها قويّة تقوى على اكراهه اياها

كَالصَّمْدَةِ الْجَرْدَاءِ أَمَّنَ خَوْفَهَا لُطْفُ الدَّوَاءِ وَأَكْرَمُ الْأَعْرَاقِ (١
تَشْأَى الْجِيَادَ فَيَمْتَرِفْنَ لِشَأْوِهَا وَإِذَا شَأَوْا لَحِقَتْ بِحُسْنِ لِحَاقِ (٢
وَأَصَمَّ صِدْقًا مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ بِيَدَيْ غُلَامٍ كَرِيهَةٍ مِخْرَاقِ (٣
شَاكٍ يَشُدُّ عَلَى الْمُضَافِ وَيَدَّعِي إِذْ لَا تُوَافِقُ شُعْبَتَا الْإِيفَاقِ (٤
إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ سَعْدِيَّةٍ ذُرْبِ الْأَسِنَّةِ كُلَّ يَوْمِ تَلَاقِ (٥
لَا يَنْظُرُونَ إِذَا الْكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ نَظَرَ الْحِمَالِ كُرِبْنَ بِالْأَسْوَاقِ
يَكْفُونَ غَائِبَهُمْ وَيُقْضَى أَمْرُهُمْ فِي غَيْرِ نَقْضٍ مِنْهُمْ وَشِقَاقِ (٦
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ مَنْ يَبُلُّ نُحُورَهَا بِدَمٍ كَمَاءِ الْمَنْدَمِ الْمُهْرَاقِ (٧

وقال (من الكامل)

لِمَنْ طَلَلٌ مِثْلُ الْكِتَابِ الْمُنَمَّقِ خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرِقِ (٨
أَكَبَّ عَلَيْهِ كَاتِبٌ بِدَوَاتِهِ وَحَادِثُهُ فِي الْعَيْنِ جِدَّةُ مُهْرَقِ (٩

---

١) الصَّمْدَة القناة كلها. ولُطف الدواء اي قيامُهُ عليها بالعَلَف والسَّقي. والجَرْداء نعت الصَّمْدة

٢) تَشْأَى تسبق. يمترفنَ اي يُقرِرنَ لها بذلك

٣) اسمُ رُمح. وصِدْق صَلِب. ورُدَيْنة اسم امرأة نُسبت اليها الرِّماح. ومِخراق يَخرُق في المعروف

٤) شاكٍ حديد السلاح. والمُضاف الذي أضافَتْهُ الرماح. يقول يَشُدُّ فيترعهُ. وقولهُ « شُعْبَتا الايفاق » يقول هما اللّتان فوق الريش. والإيفاق الذي يجعل الفُوق في الوَتر وذلك من الجذع. ويقال المضاف المُدرك الملجأ. ويقال المضاف المال الذي جُمع قريباً من الرحال فياخذه

٥) ذُرْب الأسِنَّة حِدَّة. وذُرْب ايضاً مستادر الذُراب اي السمّ

٦) اي مَنْ حضر يكفي مَنْ غاب ٧) المَندم دم الأخوين

٨) الصُّلَيْب ومُطرق موضعان. منمَّق موشّى محسَّن. يقال نمَّقهُ اذا حسَّنه

٩) حادثهُ اي حادثُ ذلك الرَّسم كأنهُ جدة لباب(؟). وحادثهُ اي جديدهُ كأنهُ يُجدَّد في عينهِ. ومُهرَق صحيفة

لِأَسْمَاءَ إِذْ تَهْوَى وِصَالَكَ إِنَّهَا
كَذِي جُدَّةٍ مِنْ وَحْشِ صَارَةَ مُرْشِقِ (١

لَهُ بِقِرَانِ الصَّابِ بَقْلٌ لَمُسُهُ وَإِنْ يَتَقَدَّمْ بِالدَّكَادِكِ يَأْتَقِ (٢
وَقَفْتُ بِهَا مَا إِنْ تُبِينُ لِسَائِلٍ وَهَلْ تَفْقَهُ الصُّمُّ الْخَوَالِدُ مَنْطِقِي
فَبِتُّ كَأَنَّ الْكَأْسَ طَالَ اعْتِيَادُهَا عَلَيَّ بِصَافٍ مِنْ رَحِيقٍ مُرَوَّقِ (٣
كَرِيحِ ذَكِيِّ الْمِسْكِ بِالْمَنْزِلِ رِيحُهُ يُصَفَّقُ فِي إِبْرِيقِ جَعْدٍ مُنَطَّقِ (٤
وَمَاذَا تُبَكِّي مِنْ رُسُومٍ مُحِيلَةٍ خَلَاءٍ كَسَحْقِ الْيُمْنَةِ الْمُتَمَزِّقِ
أَلَا هَلْ أَتَتْ أَنْبَاؤُنَا أَهْلَ مَأْرِبٍ كَمَا قَدْ أَتَتْ أَنْبَاؤُنَا أَهْلَ مَأْرِقِ (٥
بِأَنَّا مَنَعْنَا بِالْفُرُوقِ نِسَاءَنَا وَنَحْنُ قَتَلْنَا مَنْ أَتَانَا بِمُلْزَقِ (٦
تُبَلِّغُهُمْ عِيسُ الرِّكَابِ وَشُوهُهَا فَرِيقَيْ مَعَدٍّ مِنْ تِهَامٍ وَمُعْرِقِ (٧
وَمَوْقِفُنَا فِي غَيْرِ دَارِ تَنِيَّةٍ وَمَلْحَقُنَا بِالْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ (٨

---

١) في الاصل المنقول منهُ من وحش ضاحة . ويُروى : لاسماء اذ يَسْبِي وصالكَ دَلُّها . المُرْشِق الظَّبْيَة المادَّة عنقها الناظرة وهي احسن ما يكون . ويقال مُرْشِق تُرْشِقك بعينها كما يرشق صاحب النَّبل اي يُصيب شيئاً

٢) اللَّمسُ الأخذ باللسان . والدكادك رَوابٍ لينة . يأتق يُصيب شيئاً يعجبه

٣) اعتيادُها أي أُعيدت عليهِ مرَّة بعد مرَّة . والرَّحيق الخمر . مروَّق مصفًّى والرَّاووق المصفاة

٤) يقول ريح هذا الرحيق كريح المسك . جعد غلام جعد اي . يُصفَّق من اناء الى اناء ليصفوهُ

٥) ويروى : اهل الدَّيا والمورَّنق . أنباؤنا أخبارُنا . المَوْرَّنق بالكوفة ومأرب باليمن

٦) الفروق يوم . مُلْزَق ارض

٧) الشُّوهُ السوء . والعيس (الابل) البيض تخالطها حمرة . قال عُمارة : وَشُوهُها اي سَيْرها . ومُعْرِق يأتي العراق او يكون به

٨) تنيَّة فكك وتلبك . مُتألِّق يبرق ويُضيء . يقال تأنَّيت فكَّثتُ وانتظرتُ وتأنَّيت توخَّيتُ وتَمهَّلتُ . والعارض الجيش شُبِّه بالعارض من السحاب

إِذَا مَا عَلَوْنَا ظَهْرَ نَشْزٍ كَأَنَّمَا ... عَلَى أَعْلَامِ مِنَّا قِيضُ بَيْضٍ مُفَلَّقِ (١
مِنَ الْحُمْسِ إِذْ جَاؤُوا إِلَيْنَا بِجَمْعِهِمْ ... غَدَاةَ لَقِينَاهُمْ بِجَأْوَاءَ فَيْلَقِ (٢
كَأَنَّ الثِّمَامَ بَاضَ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... بِنَهْيِ الْقِذَافِ أَوْ بِنَهْيٍ مُخَفَّقِ (٣
ضَمَمْنَا عَلَيْهِمْ حَافَتَيْهِمْ بِصَادِقٍ ... مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى أَزْمَعُوا بِتَفَرُّقِ (٤
كَأَنَّ مُنَاخًا مِنْ قُيُونٍ وَمَنْزِلًا ... بِحَيْثُ الْتَقَيْنَا مِنْ أَكُفٍّ وَأَسْوُقِ (٥
كَأَنَّهُمُ كَانُوا ظِبَاءً بِصَفْصَفٍ ... أَفَاءَتْ عَلَيْهِمْ غَبْيَةٌ ذَاتُ مِصْدَقِ (٦
كَأَنَّ اخْتِلَاءَ الْمَشْرَفِيِّ رُؤُوسَهُمْ ... هَوِيُّ جَنُوبٍ فِي يَبِيسٍ مُحَرَّقِ (٧
لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ ... وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا كُلُّ جَرْدَاءَ خَيْفَقِ (٨

١) ويروى ظهر نَشْز كأنما. والنَّشز ما غلظ من الارض وارتفع. والقِيض قشرُ البيض شبه بَيْض الحديد به

٢) قال ابو عمرو: الحُمس من قُريش ومن خُزاعة و بني عامر وكنانة. وانما كانوا في بني عامر لانهم ولدتهم امرأة من قريش يُقال لها مُعد بنت الأدرم بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة. ومن لم يكن من ولد النَّضر فليس من قريش. وكذلك ثقيف وخُزاعة وكنانة وانما سُمّوا حُمْسًا لأنهم كانوا لا يلقطون البعر ولا يسلأون السمن ولا يدخلون البيوت الّا من ابوابها ويطوفون بالبيت عُراةً. وجأواء كتيبة في لونها سواد. الاصمعي: الجَأواء التي علاها لون السواد والصدأ. وقال الحُمس ناسٌ من قريش وكنانة وخزاعة والحَرث والاحابيش. وبنو عامر ابن صعصعة كانوا لا يُغيرون بعُرفة وكانوا يحرّمون اشياء على انفسهم دينٌ كان لهم. والحُمسة الحرمة اشتقت من حُمسة قريش. فيلق كتيبة عظيمة

٣) شبّه البيض على رؤوسهم ببيض الثمام في الملاسة وصفائه

٤) صادق صُلب. والصدق الصُّلب من كل شيء. أزمعوا بتفرّق اي عزموا

٥) شبّه الأكُفّ والأسوق التي قُطعت بمناخ قُيون تعمل السيوف كأنهُ اراد قطع الحديد وتناهم

٦) الصَّفْصَف ما استوى من الارض ولا رمل فيه. أفاءت رجعت. وغَبْية دَفعة من مطر. يقول كأنهم اصابتهم دفعةٌ من مطر فرقتهم

٧) الاختلاء الاتساق والقطع. يقول تكون السيوف لرؤسهم بمنزلة الخلا. والخلا الحشيش

٨) خَيْفق سريعة وخيفق فَيْعل من الخَفْق والخَفْق شدّة ضرب الطائر بجناحيه. يقال خَفَق وأخفق. وخفق فؤاد الرجل يخفق وخفقتُهُ بالسوط خَفْقَاتٍ وأخفقت السرية اذا خابت

وَمُسْتَوْعِبٍ فِي ٱلْجَرْيِ فَضْلَ عِنَانِهِ ... كَمَرِّ ٱلْغَزَالِ ٱلشَّادِنِ ٱلْمُتَطَلِّقِ (١
فَأَلْقَوْا لَنَا أَرْسَانَ كُلِّ نَجِيبَةٍ ... وَسَابِغَةٍ كَأَنَّهَا مَتْنُ خِرْنِقِ (٢
مُدَاخَلَةٍ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ سَكُّهَا ... كَحَبِّ ٱلْجَنَا مِنْ أَبْلُمٍ مُتَفَلِّقِ (٣
فَمَنْ يَكُ ذَا ثَوْبٍ تَنَلْهُ رِمَاحُنَا ... وَمَنْ يَكُ عُرْيَانًا يُوَائِلْ فَيَسْبِقِ (٤
وَمَنْ يَدَّعُوا فِينَا يُعَاشِرْ نَسِيئَةً ... وَمَنْ لَا يُغَالُوا بِٱلرَّغَائِبِ نَعْنَقِ
وَأُمُّ بُجَيْرٍ فِي نَمَارِسَ بَيْنَنَا ... مَتَى تَأْتِهَا ٱلْأَنْبَاءُ تَخْمِشْ وَتَحْلِقِ
تَرَكْنَا بُجَيْرًا حَيْثُ أَزْحَفَ جَدُّهُ ... وَفِينَا فِرَاسٌ عَانِيًا غَيْرَ مُطْلَقِ (٥
وَلَوْلَا سَوَادُ ٱللَّيْلِ مَا آبَ عَامِرٌ ... إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُخَرَّقِ (٦
بِضَرْبٍ يَظَلُّ ٱلطَّيْرُ فِيهِ جَوَانِحًا ... وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ ٱلْمَزَادِ ٱلْمُفَتَّقِ (٧
فَمِرَّتُنَا لَيْسَتْ بِشِعْبٍ بِحَرَّةٍ ... وَلٰكِنَّهَا نَحْرٌ بِصَحْرَاءَ فَيْهَقِ
يُمَصُّ بِأَلْبُوصِيِّ فِيهِ غَوَارِبٌ ... مَتَى مَا يَخُضْهَا مَاهِرُ ٱللُّجِّ يَغْرَقِ

١) مستوعب مستوفي جريَةَ عنانهِ. المُتطلق السريع. ويروى: ومستوعب فضل الجزامتين سابغ. والشادن الذي قوي

٢) ويروى: أرسان كل طِمِرَّةٍ. والخِرْنِق ولد الارنب. فألقوا لنا اي خلّوا لنا. سابغة درع. والدرع تشبه بمتون الخرانق في لينها وملاستها قال الراجز:

لَيْنَةُ المسِّ كمَتْنِ الخرنقِ

٣) سَكُّها مسامارُها. والجَنَا شجر. أبلُم نبتٌ واحدها أبلمة. وامّا قولهم «المالُ بيني وبينك شَقُّ الابلُمة» فهو الخُوصة. وروى الاصمعيّ: سكُّها كمنكب ضاحٍ من عاية مشرق. (قال) السكُّ المسمار في خُروق الدّرع يقال احكم سكَّها اي سمّرها. فيقول يبرق كما يبرق من عاية. وعاية جبل

٤) اي من كان ذا سلاح نالتْهُ رماحُنا ومن طرح الينا سلاحهُ وتكمّش نجا. يقال «كمش فلان دَلاوِلهُ» إذا ضمّ ثيابهُ وعدا. ويقال رجل كَمِش وكَمِيش اذا كان سريعًا في الحاجة. وشاة كَمِشة اذا كانت صغيرة الضرع

٥) بُجَيْر وفِراس ابنا عبد الله بن سَلَمة. اي تركناهُ عانيًا فينا اي اسيرًا

٦) سربالُهُ قميصهُ. وقولهُ آب اي رجع

٧) جوانحُ اي دَوانٍ من الارض. مدح فيها عمرًا وحنظلة ولكن قلبتها بنو سعدٍ لها (؟)

وَمَجْدُ مَعَدٍّ كَانَ فَوْقَ عَلَائِهِ سَبَقْنَا بِهِ إِذْ يَتَّقُونَ وَنَرْتَقِي
إِذَا الْهِنْدُوَانِيَّاتُ كُنَّ عِصِيَّنَا بِهَا تَتَأَيَّا كُلُّ شَأْنٍ وَمَفْرِقِ (١
نُجَلِّي مِصَاعًا بِالسُّيُوفِ وُجُوهَنَا إِذَا اعْتَقَرَتْ أَقْدَامُنَا عِنْدَ مَأْزِقِ
فَخَرْتُمْ عَلَيْنَا أَنْ قَتَلْتُمْ فَوَارِسًا وَقَوْلُ فِرَاسٍ هَاجَ فِعْلِي وَمَنْطِقِي
عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا حُجَّتَيْنِ عَلَيْكُمُ وَمَا يَشَإِ الرَّحْمَنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ (٢
هُوَ الْكَاسِرُ الْمَظْمَ الْأَمِينَ وَمَا يَشَأْ مِنَ الْأَمْرِ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَيُفَرِّقِ
هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاؤُهُ نُحُورُ الْفُيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ (٣
وَبَعْدَ مُصَابِ الْمُزْنِ كَانَ يَسُوسُهُ وَمَالِ مَعَدٍّ بَعْدَ مَالٍ مُحَرَّقِ
لَهُ فَخْمَةٌ ذَفْرَاءُ تَنْفِي عَدُوَّهُ كَمَنْكِبِ ضَاحٍ مِنْ عَمَايَةَ مُشْرِقِ (٤

*) أسر عمرو بن ابي ربيعة بن خويلد وقُتلت منهم قتلى كثيرة. فقال الاحدب ابن اخي ربيعة بن جراد :

ذاك وعمّي يوم جيش ملزق لاق قطينًا فوق ظهر الأبلق
فاختلفا الطعن وضرب الأسوق ثمّ علاه بحسام محقق
يحتثّ كلّ ساعد ومرفق

وقال في ذلك سلامة بن جندل:

« لمن طالٌ مثل الكتاب المنمّق » (القصيدة)

وقال (طويل)

لَوْ كُنْتُ أَبْكِي لِلْحُمُولِ لَشَاقَنِي لِلَيْلَى بِأَعْلَى الْوَادِيَيْنِ حُمُولُ

١) الشأن شعب الراس. وتأيا تمهّد وتقصد — ٢) حجّتين سنتين كانتا عليهم
٣) قال ابو عمرو: كان كسرى حبس النعمان في بيت فيه ثلثة فيول. مسردق سرادق وعليه سرادق
٤) فخمة كتيبة ضخمة وذفراء سهكة من ريح الحديد. وضاح ما برز للشمس. وعمايـة جبل. يقول هذه الكتيبة بمنزلة ما ضحى من عماية للشمس واشرق. الذفر كل ريح ذكية من طيب او نتن. ذفراء منتنة من الحديد
*) هذه الحاشية وردت في آخر الديوان وعلاقتها مع هذه القصيدة ظاهرة فثبتناها هنا

يُطَالِعْنَا مِنْ كُلِّ حِدْجٍ مُخَدَّرٍ أَوَانِسُ بِيضٌ مِثْلُهُنَّ قَلِيلُ
يُشَبِّهُهَا الرَّائِي بِهَا بِصَرِيمَةٍ عَلَيْهِنَّ فِينَانُ الغُصُونِ ظَلِيلُ (١)
عَقِيلَتُهُنَّ الهَيْجُمَانَةُ عِنْدَهَا لَنَا لَوْ تُحَيَّا نِعْمَةٌ وَمَقِيلُ (٢)
وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ بَنَيْتُ عَلَيْهِمُ بِنَاءً بِمَوْمَاةِ الفَلَاةِ يَجُولُ
كَمَا جَالَ مُهْرٌ فِي الرِّبَاطِ يَسُوقُهُ عَلَى الشَّرَفِ الأَقْصَى المُحَلِّ خُيُولُ
تَلَاقَتْ بَنُو كَعْبٍ وَأَفْنَاءُ مَالِكٍ بِأَمْرٍ كَصَدْرِ السَّيْفِ وَهْوَ جَلِيلُ
تَرَى كُلَّ مَشْبُوحِ الذِّرَاعَيْنِ ضَيْغَمٍ يَخُبُّ بِهِ عَارٍ شَوَاهُ عَسُولُ (٣)
أَغَرَّ مِنَ الفِتْيَانِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَمَا اهْتَزَّ عَضْبٌ بِاليَمِينِ صَقِيلُ
كَأَنَّ المَذَاكِي حِينَ جَدَّ جَمِيعُنَا رَعِيلٌ وَعُولٌ خَلْفَهُنَّ وُعُولُ (٤)
عَلَيْهِنَّ أَوْلَادُ المَقَاعِسِ قُرَّحًا عَنَاجِيجُ فِي حَوْمٍ لَهُنَّ صَهِيلُ
كَأَنَّ عَلَى فُرْسَانِهَا نَضْحَ عَنْدَمٍ تَجِيعٌ وَمِسْكٌ بِالنُّحُورِ يَسِيلُ (٥)
إِذَا خَرَجَتْ مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ رَدَّهَا إِلَى المَوْتِ صَعْبُ الخَافَتَيْنِ ظَلِيلُ
فَمَا تَرَكُوا فِي عَابِرٍ مِنْ مُنَوِّهٍ وَلَا نِسْوَةٍ إِلَّا لَهُنَّ عَوِيلُ (٦)
تَرَكْنَ بُجَيْرًا وَالذِّهَابُ عَلَيْهِمَا مِنَ الطَّيْرِ غَايَاتٌ لَهُنَّ حُجُولُ

---

١) الفِينان ما تدلّل من اغصان الشجر. ويقال للجُمّة: اذا طالت وذهبت يمينًا وشمالًا جُمّة فِينانة. قال النَّهْبي:

ولقد تَعَهَّدَني فِينانةً جثلةً مثلُ عناقيد العِنَبْ

٢) قال الهيجمانة قيّمة على النساء مثل الماشطة. قال أبو عمرو: وهو اسم امرأة

٣) مَشْبوحُ معرّض كالاسد. شواهُ قوائمهُ

٤) المَذاكي القُرّح المسانّ. ورَعيل جماعات

٥) النَّجيع الدم الطريّ. والعَنْدم دم الأخوين

٦) المنوّه الذي يدمو ويرفع صوته. يُقال نوّه فلان باسم فلان اذا رفع له ذِكره مادحًا

وقال (طويل)

أَمَا ٱلْحَلَى وَٱلْمَسْحُ إِنْ كَانَ مِنَّةً عَلَيَّ فَإِنِّي غَيْرُ خَالٍ وَمَابِحِ (١
وَأَمَّا مَعَاذِيرُ ٱلصَّدِيقِ فَإِنَّنِي سَأَبْلُغُهَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاضِحِ (٢
وَذِي مِرَّةٍ مِنْ ٱلصَّدِيقِ ٱجْتَنَبْتُهُ وَآخَرَ قَدْ جَانَبْتُهُ وَهْوَ كَاشِحُ
تَحَمَّلْتُهُ عَمْدًا لِأَفْضُلَ بَعْدَمَا بَدَتْ أَبَنٌ فِي سَاقِهِ وَقَوَادِحُ (٣
وَمُهْتَزِعٍ حَالًا وَلَوْمَ خَلِيقَةٍ صَفَعْتُ بِشَرٍّ وَٱلْأَكُفُّ لَوَاقِحُ (٤

وقال سلامة (طويل)

تَقُولُ ٱبْنَتِي إِنَّ ٱنْطِلَاقَكَ وَاجِدًا إِلَى ٱلرَّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَا لِيَا
دَعِينَا مِنَ ٱلْإِشْفَاقِ أَوْ قَدِّمِي لَنَا مِنَ ٱلْحَدَثَانِ وَٱلْمَنِيَّةِ وَاقِيَا
تَتَلَفُ نَفْسِي أَوْ سَأَجْمَعُ هَجْمَةً تَرَى سَاقِيَيْهَا يَأْلَمَانِ ٱلتَّرَاقِيَا

وقال سلامة بن جندل (طويل)

وهذه الابيات بعث بها الى صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد وكان اخو سلامة احمر بن جندل اسيرًا في يديه فاطلقه له:

سَأَجْزِيكَ بِٱلْقِدِّ ٱلَّذِي قَدْ فَكَكْتَهُ سَأَجْزِيكَ مَا أَبْلَيْتَنَا ٱلْعَامَ صَعْصَعَا
فَإِنْ يَكُ مَحْمُودٌ أَبَاكَ فَإِنَّنَا وَجَدْنَاكَ مَنْسُوبًا إِلَى ٱلْخَيْرِ أَرْوَعَا

---

١) يقول انا لا أختلُ ولا أمسح الدابة وأدني لها المشيش لتدرّ. وهذا مثل. يقول اني لا أخدع ولا أخدَع ولكني أجاهر اذا اردت امرًا

٢) يقول اذا كنتَ انت لا تفضح جا فاني أفضح جا

٣) الأَبَن العُقَد الواحدة أَبْنَة. يقول تحمّلته وقد رأيتُ في ساقهِ العَيْب

٤) لَوَاقِحُ رَقَتْ الأكفُّ ايديها الى القتال. مُهْتَزِع مُسْرِع. والصَّفْع الضرب على الشيء اليابس وغير اليابس

سَأُهْدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَنْلِيثَ مِدْحَةً إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَمْلَمَا
فَإِنْ شِئْتَ أَهْدَيْنَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً وَإِنْ شِئْتَ أَهْدَيْنَا لَكُمْ آيَةً مَعَا[1]

وقال سلامة بن جندل (طويل)

مَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا كُلَابًا وَكَعْبَهَا وَحَيَّ نُمَيْرٍ بِالْيَقِينِ رَسُولُ
فَإِنِّي بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ بِمَازِقٍ لَكُمْ وَلِقَاءٌ إِنْ حَيِيتُ كَفِيلُ
غَدَاةَ تَرَكْنَا مِنْ رَبِيعَةَ عَامِرٍ دِمَاءً بِأَعْلَى الْوَادِيَيْنِ تَسِيلُ

حدثنا ابو عبدالله محمد بن العباس الزيدي . قال: سمعت ابا العباس احمد بن يحيى يقول أتيت عمارة ومعي شعر سلامة بن جندل فقال لي: ما معك فاخبرته . فقال: لعلك تظن اني لا أحسن الأشعر جرير هات اقرأه . فقرأته . وكان يقرأه معي وسألته عن اشياء فيه فرأيته يجيب ويحسن (تم)

كتبهُ عليّ بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمانٍ واربع مائة (١٠١٨م) حامدًا لله على نعمهِ ومصليًا على نبيّه محمد وآلهِ وعترتهِ وسلّم وحسبنا الله ونعم الوكيل

(اما ختام النسخة الاسكندريّة فهو ما حرفهُ):

« كتبهُ عليّ بن محمّد حامدًا لله على نعمهِ ومصليًا على نبيّهِ محمّد وآلهِ وعترتهِ وسلّم وحسبنا الله ونعم الوكيل سنة ٤٩٣ (١١٠٠م) »

(وفي اثرهِ ما نصّهُ ولعلّهُ بيد كاتب آخر):

« هذا الكتاب بخطّ الشيخ وليّ الدين عليّ العجميّ »

انتهى ديوان سلامة بن جندل وقد عزمنا انشاء الله على طبعهِ منفردًا فنلحقهُ بالملحوظات والروايات والشروح التي وردت في كتب الادباء المخطوطة والمطبوعة كما فعلنا بديوان السموءل بعد نشرهِ بالمشرق ل.ش

---

(١) هدينا صرفناها اليكم فقال صحصحة: المدحة والثناء أحبُّ الينا

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

المبايعة بالبردة والقضيب والخاتم

مجلس مزيّن في قصر الرشيد . سدّة للرشيد والمأمون . رايات . مائدة جميلة للتحف

المشهد الاوّل

الفضل . ياسر

الفضل فهم إذن عازمون على اطلاق سبيل العلويّ ؟

ياسر نعم سيدي غدًا صباحًا وهذه رسالةُ جعفر يُوصي الفضلَ اخاهُ بالعلويّ . اختلسْتُها بحيلةٍ من حجرته

الفضل هات . . أينتهي بهم الإصرار على شأنهم الى كبائر المخالفة ؟ انهم والله يبحثون عن حتفهم بظلفهم . فقد القوا بانفسهم في لجةٍ لا مناصَ لهم منها . او هل سمعتَ غير ذلك ؟

ياسر ما تسنّى لي الوقوف فلم اتمكّن إلّا من اختلاس بعض اقوالهم

الفضل ولِمَ حضر المجلس السرّي عبدالله ؟

ياسر لا ادري ولكني رايتُ العلويّ يقبّلهُ ويسكب العبرات

الفضل إنّ في الامر لسرًّا يجب عليك معرفة حقيقته

ياسر نعم

الفضل احسنت يا عبدًا صادقًا قد اتممتَ ما لاجلهِ اهداك الرشيد الى جعفر . هذا جزاء غيرتك : خاتمٌ قيمتهُ الف دينار . فأحصِ عليهم أنفاسهم ساعةً ساعةً وارفع

الي اخبارهم واعتقد انّ الرشيد راضٍ عنك فيجري عليك دِيَم فضله. واذهب الآن سرًّا اذ قد آنَ وقتُ المبايعة فانتظرني عند منتصف الليل (١

ياسر حبًّا وكرامةً

المشهد الثاني

الفضل وحده

الفضل قد جرت الرياحُ على ما اشتهيه وها اني افوز عن قريب ببغيتي فأُسقط البرامكة وأُزيل كل ما شادوا من المجد والفخار فاكون انا الوزير لا هم. قوم اعجام لا اعراب اندسّوا كالحيّة في صدر الخلافة العربيّة فزاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب وتمكّنوا من الخطط والمراتب (٢. احاطوا بالرشيد إحاطة السوار بالمعصم وتسلّطوا على جميع اعماله وسدّوا في وجهي ابواب التقدّم وحالوا دون رغائبي واتمام مقاصدي. وما هي مقاصدي؟. لقد ساء ظنّك يا هرون. حسبتني مُخلص النيّة سالم الطويّة أُؤدّي لك الخدم عن طيب نفس بلا جدوى ولا اطلب إلّا رضاك وتوطيد اسّ دولتك. ساء ما توهّمتَ. كيف انسى معاملة ابناء جلدتك لابي الكريم اذ كان جزاءهُ من الهادي اخيك بعد الخدمة الصادقة قدحٌ فيه على مسموم فمات ابي ليومه؟ (٣ كيف انسى ذاك الشيخ المظلوم الذي لا يزالُ منذ خمسَ عشرةَ سنةً في بئرٍ بُنيت عليه قبّة يُدلّى اليه في كل يوم رغيفُ خبز وكوز ماء (٤. كيف انسى ما صنعهُ ذووك وصنعته مع بني أُميّة الاشراف وقد استأصلتَ شأفتهم ونبشت قبورهم؟. كيف انسى اولئك التسعين اميرًا الذين حطّم السفّاح اعضاءهم بالعمد وبسط عليهم الأنطاع فأكل وشرب وهو يسمع أنينهم ويقول: لم تطربني قطّ نغمة اوتار كما تُطربني هذه الحشرجة وهذا

١) الاتليدي (١٦٨) ٢) مقدمة ابن خلدون (اطلب التوطئة صفحة ١٠) وغيره

٣) ابن الطقطقي (في الفخري ٢٤٢). المسعودي (مروج الذهب ٦: ٢٦٦) الاغاني (٤: ٩٣) والطبري الخ

٤) هو يعقوب بن داود. اطلب الاربلي (٩٧) والفخري (٢٥٠-٢٥٥)

الانين. وقد صلبهم في بستانه لينظر الى جثثهم البالية. ولمّا تأدّى جلساؤه من روائحهم اجاب: لهذا عندي الذّ من شمّ المسك والعنبر (١. ولم ينجُ من بني امية إلّا الرضيع او من هرب الى الاندلس. فلم تكتفِ بهذا بل أتبعتهم باغراء البرامكة اصحابك وحرّمت عليهم الاستقلال بالسلطة وإدارة شؤونهم ولو بعيدًا عن الاوطان (٢ اما الآن فأردُّ كيدك الى نحرك. قد أوغرتُ صدرك على البرامكة وهم عماد ملكك فان فزتُ بالمراد واهلكتهم تملّكت على الوزارة ومكّنت بني امية من الأندلس فأدرتك كيفما شئتُ ولا عبأت بك واني لا أدع دمًا زكيًا هُريق باغراء ذويك هدرًا ولا أنثني عن الاخذ بثأري منك وتحقيق اماني ولو سفكتُ من الدماء انهارًا وقتلتُ من الابرياء رجالًا ونساء وشيوخًا واطفالًا. وسأقرعنّ كل باب واستعملنّ كل حيلة ودسيسة واعرضنّ بنفسي الى الهلاك عساني أروي غليلي وأنال مُناي

اني اسمع همسًا. قد بحتُ بسرّي. هل اطّلع عليه احد؟ أرى اولادَ جعفر قادمين. فلنعُدْ الى السكينة ونُعِدّ المجلس

المشهد الثالث

الفضل. الحسن (يحمل البردة). الحسين (يحمل الخاتم والقضيب). جعفر (يحمل على وسادة مفاتيح بيت القيامة ورسالة الرشيد). جبريل (يحمل التحف مع خدَم)

الحسن عِمْ صباحًا يا ابن الربيع

الفضل (على حدة) هل سمعوا مقالي؟ (للقادمين). انتم هنا. هل وصلتم منذ زمان طويل؟

الحسين وصلنا الساعةَ تقدّم الموكب آتيًا من المسجد حيث ألقى المأمونُ خطبتَه فأبكى كلَّ من حضر

الحسن هذه البردة الكريمة

١) المسعودي (مروج الذهب ٥: ٤٧١) والفخري (٣٠٣) وابن الاثير في تاريخ سنة (١٣٢ و ١٤٨ الخ) ٢) الفخري (٣٠٤) والمسعودي وابن الاثير الخ

الحسين خاتمُ الملك وقضيب الرئاسة

جعفر وانا حامل مفاتيح بيعة القيامة ورسالة الرشيد الى سلطان النصارى

الحسن وابن بختيشوع آتٍ يحمل التحف

جبريل قد وصل الخليفة مع الامراء (يضع التحف على المائدة)

الفضل (ينظر الى التحف) ما أجملها . احسن ابوكم في الاشارة بالرحلة الى زعيم الفرنجة وسيكون هذا سبباً لتوطيد اركان البيعة . أسعد بكم من ولدٍ كرام لأبٍ كريم

الحسن صدقتَ

الفضل هل سمعوا ما قلتهُ ؟

الحسن الموكب

المشهد الرابع

السابقون . يدخل الرشيد والمأمون ويحيى البرمكي وجعفر والفضل والشعراء

الرشيد احسنتَ يا عبدالله يا قرّة العين احسنت . خطبتَ فأطنبتَ . ورغّبتَ ورهّبت . وحذّرتَ وأنذرتَ بنظمٍ حسنٍ ولفظٍ مليحٍ ونطقٍ فصيحٍ لا حشوَ فيهِ ولا تعقيد

الحسن أكرِمْ بسيّدي عبدالله المأمون . طولهُ خمسةُ اشبارٍ . ووجههُ كالدينار . وهو كشمسٍ نارٍ . ثيابهُ صغار . وأكمامهُ قصار . لكنّهُ قد فاق خطباء الأمصار . وقال ذوو الأبصار : أسعِدْ بالخليفة الصغير . والامام الخطير . والخطيب الجهير

المأمون وبك أكرمْ يا اخي

اسحق لتهنِ اميرَ المؤمنينَ كرامةٌ عليهِ بها شكرُ الاله وجوبُ
بأنَّ وليَّ العهد مأمونَ هاشمٍ بدا فضلهُ إذ قام وهو خطيبُ
ولمّا رماهُ الناس من كل جانبٍ بأبصارهم والعودُ منهُ صليبُ
رماهم بقولٍ أنصتوا عجباً لهُ وفي دونهِ للسامعينَ عجيبُ
فأبكى عيون الناس ابلغ واعظٍ تميلُ اليهِ اعينٌ وقلوبُ (١

١) الاغاني (١٨ : ٨٣) الشعر لابي محمد اليزيدي

الرشيد اجدتَ وصدقتَ . إنَّ نظمك لحدَّتهِ ومضائهِ كقول المأمون يأخذُ بمجامع القلوب والالباب . وانتم ايها الامراء الكرام لقد بايعتمْ لابني عبدالله المأمون بَيْعَةً ثابتةً عن صدق سريرة واخلاص طويَّة وآليتم على انفسكم انكم ستقيمون على العقود ولا تخالفون العهود إظهاراً لتمام خضوعكم وكامل طاعتكم وشكراً لما غمرتاكم به من بحور كرمنا ومجامع فضلنا فحقَّ لكم الثناء

يحيى إنَّا يا امير المؤمنينَ عبيدُ دولتهِ وسيوفُ دعوتهِ وأنصارُ حقهِ وأعوانُ عدلهِ

جعفر لقد سُرَّ الناس ببَيْعَةِ المأمون سرورَ العشب اليابس بالغيث والمريض المدنف بالبرء اطال الله ايامَ امير المؤمنين وزادهُ نصراً واعتزازاً . وجعل عزَّهُ وسلطانه على ثوب الزمان طرازاً . ومدَّ اظلال دولتهِ على المغارب والمشارق ووطَّأ لأقدامهِ كل ضدٍّ ومباين وعدوٍّ مارق

الحسن مدَّ لك اللهُ الحياةَ مدًّا حتى ترى أبنك هذا جدًّا
موزَّراً بمجدهِ مردًّى كأنَّهُ انت اذا تردَّى
شمائلاً محمودةً وقدًّا (١

الرشيد ولك مدَّ الله الحياة يا بنيَّ . وبلغ بك اكملَ العمر

المأمون لله درُّ اخي الحسن ما أكرمَ نفسهُ واكيسَ لبَّهُ وأوسعَ في البلاغة ذرعهُ

الرشيد لكني اسمعُ من عبدالله كلاماً لا اعلمُ أمِن تلقين القيِّمين عليهِ او من قريحتهِ . فقبلَ ان أقلدهُ علامات الخلافة قُمْ اليهِ يا اصمعي وناظرهُ بمرأى من الجميع ومحضر (٢

الاصمعي ايُّ العلوم احبُّ اليك ؟

المأمون أمتعُها اليَّ

الاصمعي وما امتعُها اليك ؟

المأمون أبينُها عن قائلها وأقربها من فهم سامعها

الاصمعي وما المراد من البيان في قولك ؟

---

١) الاغاني (٥ : ٧٨ و١٢ : ١٢٥) الشعر لاسحق الموصلي

٢) المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٣١٨) والاربلي (١٣٦) والمجاني (٣ : ١٢٢)

المامون ان يكونَ الكلام يُحيط بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجهُ من الشركة ولا يُستعانُ عليهِ بالفكرة . ويكون سليماً من التكلُّف بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل (١

الاصمعي جئتُ ممتحناً فتعلمتُ

جبريل إن شيئاً يكون هذا اولهُ لحقيقٌ ان يُرجى آخرُهُ

جعفر أبَتِ الياقوتةُ ولو كانت في الجرم صغيرة الّا ان تكون مضيئةً كالشهاب الثاقب

الحسين وعبد الله كذلك

يحيى فرعٌ ذكا اصلهُ وطاب مغرسهُ وتمكّنت فروعهُ وعذبت مشاربُهُ ادّاهُ ملكٌ اغرُّ واسع العلم عظيم الحلم . اعلاهُ فعلا وسما بهِ فسما فهو ينطق بنطق ابيهِ ويتطاول بطولهِ ويستضيءُ بنورهِ . فأمتع الله بهِ امير المؤمنين في الدارين

جعفر ما رأيتُ يا اميرَ المؤمنين احداً من ابناء الخلافة واغصان هذه الدوحة الزلالية آدبَ منهُ لساناً واقوى جناناً وابلغَ بياناً واجلَّ شأناً نسأل الله تعالى يا امير المؤمنين أن يزيد بهِ الحقَّ تأييداً وينزل بأسهِ على اهل الضلال قمعاً وذلّا

الرشيد (وذراعهُ على عنق المأمون) اني لأتعرّف في عبدالله المامون حزمَ المنصور ونُسك المهدي وعزّة نفس الهادي وإن شاء أن انسبهُ الى الرابعة في لنسبتُهُ . واني لأرضى سيرتهُ . وأحمدُ طريقتهُ واستحسن سياستهُ واني لأقدّم محمد الامين عليهِ وأعلم أنهُ منقادٌ لهواه متصرّف في طريقهِ مُبذّرٌ لما حوت يداهُ . ولولا أمُّ جعفر زبيدة لقدّمتُ عبدالله عليهِ

لقد بان وجهُ الرأي لي غير أنني غُلبتُ على الرأي الذي كان أحزما
وكيف يُردُّ الدرُّ في الضرع بعدما توزّع حتى صار نهباً مقسّما
اخافُ التواء الامر بعد استوائهِ وأن ينقضَ الحبلُ الذي كان مُبرَما (٢

١) من كلام جعفر البرمكي وعنهُ اخذ المأمون . ابن الاثير (في تاريخ سنة ١٨٧) ومقالات علم الادب (١٠٥:١) نقلاً من كتاب البيان والتبيان للجاحظ

٢) المسعودي (مروج الذهب ٢٢٣:٦) والاربلي (٨٧)

البس يا بُنيَّ البردة الكريمة وسرْ في الرعيَّة بالعدل والانصاف فإنهم قوم الله أودعهم تحت كنفك فأرطِ لهم جناح الرحمة

المأمون إنَّ السيرَ على آثار أبي الخالدة لِمَّا يؤكِّدُ لي حسن القيام بما سنَّهُ الله من الشرائع والأحكام. ادام الله ايام سيِّدي هادياً لي ولأهل الدولة الى ما فيه الخيرُ والفخر والسعادة

الرشيد خذ قضيب الخلافة وكُن مؤيَّداً بالظفر — هاتِ اصبعك لأقلّدك خاتمَ الخلافة (١

يحيى أتذكر يا امير المؤمنين الخاتمَ الثمين الذي اهداهُ اليك المهدي فلحقتك سليمان الأسودُ وانت في السفينة وأراد ان يأخذهُ منك بأمر الهادي فألقيته هنا في الدجلة ؟

الرشيد ولِمَ تنغِّص علينا مجلسنا بأمرٍ قد تطيَّرتُ منهُ ومنذ سنين آمرُ الغوَّاصينَ ان يطلبوهُ فلم احظَ به ؟

يحيى لمَّا أردتُ اليومَ الركوبَ الى مجلسك أتاني خادمٌ من منزلي وقال: لقيتُ هذا الخاتم في بطن حوتٍ من حيتانٍ اشتريتُها للمطبخ فتأملتهُ فاذا هو هو (٢

الرشيد والله هو هو (يقرأ المكتوب عليه) « العَظَمَةُ والقُدْرَةُ لله » طالما اشتهيتُ الحصولَ عليهِ ولو بذلتُ خراج الدولة لذلك. وقد كنتُ رأيتُ في منامي أنَّ من حصل عليهِ من الخلفاء كانت أيامهُ احسن أيام ودهرهُ احسن دهر. باركَ الله لك به يا بنيَّ

[الحسين بيعةُ المأمون آخذةٌ بعنان الحقِّ في أُفقِهْ
احكمت مرآتهُ عُقَدًا تمنعُ الختالَ في نَفَقِهْ
لن يفكَّ المرء ربقتها او يفكَّ الدينَ من عُنُقِهْ

١) اطلب ذكر شعار الخلافة في المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٤٨٣ و ٨ : ٢٥١) والمشرق (٣ : ٢١٠). قال الوليد بن يزيد (المسعودي ٦ : ٥) :

طال ليلي وبتُّ أسقى السُّلافهْ وأتاني مُبشِّري بالرصافهْ
وأتاني ببردةٍ وقضيبٍ وأتاني بخاتمٍ للخلافهْ

٢) الاتليدي (١٧٧) وابن العبري (٢٢٢) والاربلي (٧٨)

ولهُ من وجه والدهِ صورةٌ تنمّت ومن خُلُقِهْ (١

الرشيد لا فُضَّ فوك

يحيى مَن يحفظُ قصيدةَ عليّ بن خليل السينيَّة في امير المؤمنين ؟

جعفر انا: خيرُ البرية انتَ كلهم في يومك النادي وفي امسِ
وكذاك لن تنفكَّ خيرَهم تُمسي وتُصبحُ فوق ما تمسي
لله ما هارونُ من ملكٍ برّ السريرة طاهرِ النفسِ
ملكٌ عليه لربّه نعمٌ تردادُ جِدّتُها على اللبسِ
تحكي خلافتُهُ ببهجتها أتقى السرور صبيحة العرسِ (٢

الرشيد احسنتَ يا بُنيَّ

المأمون مَن يقول في الوزير جعفر مؤدبي شعرًا ؟

اشجع انا اقول لوقتي على قافيتها شعرًا لم يسبقني اليه جاهلي

المأمون قل

اشجع ذهبتْ مكارمُ جعفر وفعالهُ في الناسِ مثلَ مذاهب الشمسِ
ملكٌ تسوس لهُ المعالي نفسهُ والعقلُ خيرُ سياسة النفسِ
فاذا ترآتهُ الملوكُ تراجعوا جهرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ما ضرَّ مَن قصدَ ابن يحيى راغبًا بالسعد حلَّ به ام النحسِ (٣

الحسن وانا اقول على قافيتها

ولمَّا بدا جعفرٌ في الخميسِ بين القصور وبين الكؤوس
بدا لابسًا بهجةً حلَّةً أزيلتْ بها طالعاتُ النحوس
ولمَّا بدا بين اولادهِ ولاةِ العهود وعزِّ النفوسِ
بدا قمرًا بين اقمارهِ وشمسًا مكلَّلةً بالشموسِ (٤

الرشيد احسنتَ

---

١) الشعر لاشجع . اطلب انيس الجليس (١ : ٢١٤)
٢) زهر الاداب للحصري على هامش العقد الفريد (٣ : ١٥٠) والمجاني (٥ : ١٤٧)
٣) الشعر لاشجع . الاغاني (١٧ : ٢٢)
٤) الشعر لابراهيم بن العباس . الاغاني (٩ : ٢٢)

جعفر مَن يصف موضعنا هذا فيُطرب امير المؤمنين ؟

المأمون انا اقول معترضاً كلَّ ما قيل من الشعر في هذا الموقف .

قصور الصالحيَّةِ كالعذارى لبسنَ ثيابهنَّ ليوم عرسِ
مطلَّلاتٍ على بطنِ كتهُ ايادي الماء وشياً نسج غرسِ
اذا ما الطلُّ اثَّر في ثراهُ تنفس نوره من غير نفسِ
فتنبقهُ السماء بصبغ ورسٍ وتصحبهُ باكؤس عين شمسِ (١

الرشيد لقد برزتَ على اخوتك فضلاً وادباً وظرفاً

يحيى إننا لنجد في شعر المأمون رقَّةَ الملوكية وغزل الظرفاء وهاهة المحدثين وبلاغة الجاهليين يجري في اسلوب الجيدين . ولا يقصر عن مدى السابقين

المأمون لستُ إلا قطعةً في بحر سيدي امير المؤمنين ومؤدّبي جعفر . عنهما اخذتُ ما بي واليهما أعزى لا لي]

ابو نؤاس انت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

أضافَ الى بَيعةٍ بَيعةً فقام بها جعفر وحدهُ
بنو برمكٍ أسَّسوا ملكهُ وشدُّوا لوراثهِ عقدهُ (٢

المأمون صدقتَ (يقوم ويتقدَّم الى وسط المرسح امام ابيه) ابتِ حضرتُ مجلسك يوماً فكنتَ تقول : قد سمعتُ تغريد الاطيار بالأسحار في فروع الاشجار وسمعتُ خفوق الاوتار فما طربتُ من صوتٍ قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجلٍ قد أحسن . فحاشا ان يوسم من جرى بعروقهِ دمك الكريمُ سيدي بسمة الكنود — ضربةُ لازبٍ وفرضٌ واجبٌ ان أقومَ بحرمة الصنيعة ليحيى بن خالدٍ وذريهِ . قد ربيتُ يا جعفر في حجرك بامر امير المؤمنين أتعلَّم أسرار السياسة والأحكام من فيك وأغتذي بلبان العلوم بين يديك فترعرعتُ وانتَ لي نِعم الأبُ تحنُّني ليلاً ونهاراً على ان اقتفي معالمَ سيدي وابي امير المؤمنين في إعزاز مكان المعارف والآداب وبسط لواء العدل والانصاف . فلكم يا آل برمك الشكر وعلى همّتكم وصدق

١) الشعر لاشجع . الاغاني (١٧ : ٢٣) ٢) الميلاري (٦٧) والمسعودي (٦ : ٣٦٧)

خدمتكم أني قد وفّيتم لركان الخلافة العباسيّة وزيّنتم عصرَ سيّدي وأبي امير المؤمنين حتى ستى الناسُ ايامهُ لنضارتها وخصبها ايام العروس (١

جعفر ليس ما ذكر سيدي من خصالنا في محاسن امير المؤمنين وذويهِ إلّا كالنقطة في البحر. والذرّة في القفر. فلم نأتِ إلّا بما وجب على العبد نحو سيّدهِ

يحيى انّ يحيى وذويهِ يا امير المؤمنين سليلا نعمتك وبنو دولتك وغصنٌ من اغصان دوحتك وعبيد من عبيد خلافتك يُدافعون بارواحهم عن حقّك ويُعرّضون بوالدهم وانفسهم للموت حفظاً لعزّك وملكك نسأل اللهَ ان يزيد في عمر الخليفة وذرّيّتهِ من اعمارنا ويقيهم الأذى باسماعنا وأبصارنا

الرشيد أمّا الآن وقد تمّ امرُ المبايعة فأودُّ ان تكونَ فاتحةُ أعمالِ المامون تسليم رسالتنا الى عبد الله يوصلها الى قارلهْ سلطان الفرنجة فيقرأ عليهِ السلامَ ويدعوهُ الى عقد رباط المودّة والوفاق بين دولتهِ ودولتنا. وقد بعثنا اليهِ بأسنى الهدايا وأثمن التحف والألطاف من ابدع ما اخترعهُ جلُّ صنّاعنا بذكائهم وحسن صنعتهم وملّكناهُ بيعة القيامة ليحجَّ اليها بأمنٍ أصحاب عيسى عليهِ السلام من كل فجّ وصوب لا يُنازعون بشيء ولا يتعرّض لهم احدٌ بمعتقدهم وصلاتهم وطوافهم تبعاً لشرائعهم وسننهم. وقد جعلنا حيًّا من احياء المدينة القدسيّة لتجارهم بمعزل عن غيرهم توسيعاً لنطاق العمران وتسهيلاً لتقدّم الصنائع والمعارف في انحاء الارض جمعاء. فما رأيكم ؟ (٢

جعفر يا امير المؤمنين اقول قولاً يوافقني عليهِ كل من حضر. انت مُتّسع الرأي بليغُ الفطنة معصوم النيّة موفّق العزيمة فقد ارتأيت من محكم التدبير ولباب الصواب رأياً أنطقَ اللهُ فيهِ بالحق لسانك وهدى الى الصواب قلبك فانّ المعاهدة بينك وبين ملك الفرنجة ممّا يُؤيّد سلطتك ويوطّد دولتك ويكسر شوكة من عصى بالأندلس امرك ونازعك حقّك. فاذا مُدَّ حبلُ الوفاق كان اميرُ المؤمنين سيّد البلاد الشرقيّة والسلطان النصراني سيّد البلاد الغربية لا يتجرأ احد ان يشقّ عصا الطاعة حيثما كان فيُحدث فتقاً

(١) الميلاوي (٦٧) شرح بماني الادب (٣ : ٦١٨) نقلاً عن المسعودي وغيرهُ
(٢) اطلب الترجمة (ص ١٢)

او يُسعِر فتنةً

الرشيد قدّم يا بُني الرسالة والتحف

المأمون هاكها يا عبد الله وقد شفعتُها بكتاب كليلة ودمنة نظمَهُ شعرًا لافادتي ابن اللاحقي الشاعر. (يفتح الكتاب فيقرأ في اوّل صفحة)

هـذا كتابُ ادبٍ ومِحَنَهْ وهو الذي يُدعى كليلَهْ دمْنَهْ (١

جعفر فاذا نقلهُ تراجم الفرنج الى لغتهم كان وسيطة لتجويد القرائح

المأمون ونودّ أن يبعث الينا بشيء ممّا لديهم من كتب الفلسفة والعلوم فنستجيد لها مهرة التراجمة ونرغّب الناس في قراءتها وتعليمها (٢

الرشيد اذهب واجتهد ان تسترقّ قلبَ الملك النصراني باطفك وذكائك وتستميل لبّه بحسن منطقك وعزّة سجاياك

عبدالله (يتقدّم) سمعتك تقول يا امير المؤمنين: ثلاثةٌ تدلُّ على اربابها الهديّة والكتاب والرسول (٣. فالهدية لم يرَ الراؤون أبهى واكرم وابدع منها. وحسبُ الرسالة انّك ناسج بُردتها وخاطٌّ عباراتها بيدك الكريمة. امّا الرسول فمن أصدق عبيدك ينطقُ بنطقك ولا يهوى إلّا إعلاء ملكك فيصرف عنايتهُ ويبذل وسعهُ وطاقتهُ في إنجاز اوامرك

الرشيد سرْ على بركة الله اصحبك اللهُ من عونه وتوفيقه دليلًا يهدي الى الصواب قلبك ويُنطق بالخير لسانك (يقبّل عبدالله يد الرشيد)

عبدالله ادعُ لي بالتوفيق يا جعفر

جعفر (لجعفر) سيدي دَعني ارافقهُ الى بلاد الفرنجة

جعفر انّ الفرنجةَ ارضٌ بعيدة المسافة مُتفاوتةُ السبل لا يُوصل اليها إلّا بعد ركوب البحار وقطع الفيافي والقفار

جعفر لا بأس

---

١) اطلب الاغاني (٢٠ : ٧٣) وشرح قصيدة ابن عبدون (٢٣٦) ومقالة في المشرق للاب لويس شيخو (٩ : ٩٧٨)

٢) ابن العبري (٢٣٦) والقفطي (٢٩٨)

٣) من كلام يحيى البرمكي (الاربلي ١١٧ وابن خلكان ٢ : ٣٢٢)

عبدالله دَعهُ يرافقني سيدي

يحيى ليس الامر بصواب

جعفر قد كان لي صديقًا يمسح دموعي وها اني سأبقى وحيدًا

الحسن طبْ قلبًا فانَّ عبدالله سيعود عمَّا قريب

المأمون وانا اقوم لك مقامه فأحبُّك كأخ.

الحسين لا تبكِ وإلَّا بكيتُ معك

جعفر سرْ معهُ يا حسين وفرّج عن قلبه الغمَّ

الحسين تعال (يخرج عبد الله والحسين وجعفر وبعض الخدم حاملين الهدايا)

جعفر [وانا اختم المجلس بشعر قلتهُ في امير المؤمنين:

وسُرَّتْ بهارونَ الثغورُ وأحكمت به من امور المؤمنين المرائرُ
الى وجهِ تسهو العيون وما سهت الى مثل هرونَ العيونُ النواظرُ
ترى حولَهُ الاملاك من آل هاشمٍ كما حفَّتِ البدرَ النجومُ الزواهرُ
يهنيكمُ الملكُ الذي اصبحتْ به اسرّتهُ مختالةً والمنابرُ (١

الرشيد احسنتَ واجدتَ يا اخي جعفر]

مسرور (يدخل ويقول) رسائل من بلاد الروم ومن ثغور الدولة

الرشيد اذهبوا ايها الحضور شاءكم السلام وستاتيكم الهدايا والأحمال الى منازلكم (يخرج الجميع إلّا جعفر والفضل) البثا هنا فنفضّ الصكوكَ الواردة

المشهد الخامس

الرشيد - جعفر - الفضل

[جعفر ان راق باعين امير المؤمنين حدثتُهُ بامر ظريف

الرشيد هاتِ

جعفر جلست امس للشراب مع ندماء آنسُ بهم ولبستا الثياب المصبغة كعادتنا وامرت خادمي ياسر ألّا يأذن إلّا لعبد الملك بن صالح المسامر. فلمَّا دارت

(١) الاربلي (٨٠) والشعر لمروان

ترقي العلوم في السنة ١٩٠٩

نظر للاب لويس رتزفال اليسوعي

تُعدّ السنة ١٩٠٩ من السنين الفنيَّة بحاصيل العلوم ففي بعض شهورها بلغ ذوو الجدّ والعزم الى القطب الشمالي وكاد غيرهم يبلغون القطب الجنوبيّ فعادوا وفي ايديهم المعلومات الجغرافيَّة الاثيرة. وفيها ايضاً قطع لاوّل مرَّة احدُ الطائرين مضيق المنش بين فرنسة وانكلترَّة. فان اضفنا الى هذه النتائج ظهور ثلاث مذنَّبات ازدان بها سماؤنا في هذه السنة مع ترقّي المراكب الهوائيَّة وتعدين المناجم استحقَّت السنة المنصرمة ان تُنظم في جملة السنين الممتازة في تاريخ كُرتنا سواء كانت من جانب العلوم البرّيَّة او البحريَّة او الفلكيَّة

١

مواجهة القطب الجنوبي – اكتشاف القطب الشمالي

انَّ السيَّارة التي يسكنها بنو البشر لصغيرةٌ الَّا ان اسرارها لم تُكشف تماماً حتى الآن ففي السنة المنصرمة تجارى الرحَّالون وتنافسوا في استخراج بعض دفائنها فاماطوا النقاب عن مجاهل قطبيها. ففي ٩ كانون الثاني من السنة ١٩٠٩ نشر الرحَّالة شاكلتون (Shackleton) الراية الإنكليزيَّة على مسافة ١٧٨ كيلومترًا من القطب الجنوبي. وما مرَّ على ذلك ثلاثة اشهر حتى بلغ الاميركي بيري (Peary) القطب الشمالي في ٦ نيسان من السنة ذاتها فاماً بعثة كوك الذي ادَّعى انَّهُ بلغ الغاية عينها فانَّنا لا نعيرها بالًا اذ ترجَّح الآن انَّ مدَّعاهُ باطل وحديث خرافة. وعلى كل حال فانَّنا ننتظر اثبات الخبر في ذلك

﴿ القطب الجنوبي ﴾ انَّ بعثة شاكلتون من الاعمال الجارّيَّة التي يفتخر بها ذوو المآثر الخطيرة وقد تجشَّم اخطار هذه الرحلة ليقشع شيئاً من الظُّلمات الكثيفة التي تحجب القطب الجنوبي. فركب البحر على سفينة من سفن صيد الفقم (phoquier) تدعى نمرود فخرج من زيلندة الجديدة في ١ حزيران ١٩٠٨ وقضى الشتاء في راس روادس (C. Royds) فلمَّا صفا الجوّ قسم بعثتهُ الى ثلث فئات وجعل لكلّ فئة

غايتها . امّا هو فاختار لهُ ثلثة رفقة ادامس ومرشال وولد وجعل وجهتهُ القطب الجنوبي سائرًا اليهِ في ٢٠ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٨

وكان شاكلتون احد المرافقين للقبطان سكوت (Scott) في بعثة سابقة الى الجنوب فاعترض في وجوههم دون بلوغ المرام حاجز كبير من الجليد علوهُ يتراوح بين ١٥ و٨٠ مترًا امّا طولهُ فكان يبلغ ٩٠٠ كيلومتر وهو في ارتفاع وهبوط على حسب مدّ البحر وجزره . فرقي سكوت وشاكلتون ذروة هذا الجبل الجليدي وسارا عليهِ حتى بلغا الى الدرجة ٨٢° والدقيقة ١٦' . الّا انهما لم ما كانا لينتظرا هذا العائق في طريقهما ومن ثم نفد عنهما الزاد وخارت قوى الكلاب الساحبة لمزالجهما

فتلافيًا لهذا الخلل اتخذ شاكلتون لرحلتهِ الجديدة بدلًا من الكلاب خيلًا من خيل منشوريا الشديدة المراس المقاسية للبرد القارس فربط كلًّا منها بمزلج طولهُ ٣ امتار و٣٠ سنتمترًا وأركب كلَّ واحد من رفقتهِ مزلجًا ثم ساروا الى الامام حتى وجدوا في طريقهم بغتة الى الغرب جدارًا من الجليد يقيس ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ متر فلم يزالوا يسيرون في وجهة الجنوب الى ان قام في وجههم جدار آخر من الجليد مرتفع فتوقّفوا وفتحوا لهم مجازًا في وسطهِ بعد شقّ النفس الّا ان خيلهم لم تقوَ على هذه الاتعاب وكان الجوع قد انهك قواها حتى انها اكلت أجلالها واغتذت بالرمل ظنًّا منها انهُ الملح فلزمهم الامر ان يذبحوها ويأكلوا لحومها ويدخروا ما بقي منها لوقت الحاجة . ثم صار الرفقة الاربعة يسحبون المزالج وكانوا اذا انتهوا الى مرحلة طرحوا فيها شيئًا من لحم الخيل لئلّا يموتوا جوعًا في عودتهم فاسعدهم الحظّ بوجودها كلها . وتقدّم هؤلاء الابطال بعزم اشدّ من الصخر وبلغوا في وسط الجليد الى علوّ ٣٠٠٠ متر فوجدوا في ذروتهِ نجدًا متسعًا يمتدّ امتداد البصر الى القطب بل يتجاوزهُ وفي وسط تلك الانجاد كانوا يرون قممًا ذات ثلم فدعوا تلك المفاوز بانجاد ادورد السابع وكان امامهم وطيدًا بان يدركوا القطب الّا ان نوءًا عظيمًا اثار الثلوج في وجههم ثلاثة ايام وصدّهم عن مواصلة العمل ثم اخذ الجوع يؤذيهم حتى اضطرّهم الى الرجوع القهقرى بعد ان بلغوا الدرجة ٨٨° والدقيقة ٢٣' بحيث لم يبق لهم لادراك غايتهم سوى درجة واحدة و٣٧' دقيقة . فعادوا ثانين ادراجهم سالمين . وما لبث الخبر ان انتشر في انحاء اوربة في ٢٤ آذار . وبعد قليل جاء المسيو شاكلتون الى باريس فتحفّت بهِ الجمعيّة الجغرافية وتلقّت من فيهِ

تفاصيل رحلته التي نُشرت آخرًا بالطبع . ومن عجيب ما رواهُ انَّ الشمس في الصيف الجنوبيّ الذي يحلُّ في شهري كانون الاوَّل والثاني كانت اذا ضربت على وجوههم من جانب احرقتها بينما هم يقاسون بردًا قارسًا من الجانب الآخر لانَّ درجة الحرارة لم تتجاوز السبع عشرة درجة تحت الصفر من المقياس المئوي

وكانت نتيجة هذه البعثة تحقُّق العلماء بانَّ القطب الجنوبي برّ متَّسع الارجاء يشبه البلاد الطافية فوق المياه (انظر الصورة) . ومن النتائج غير المنتظرة ايضًا التي ثبتت لهم بانَّ القطب الجنوبي يرتفع فوق سطح المياه الى علو ٣٠٠٠ متر

﴿ القطب الشمالي ﴾ جاءت رحلة بيري الى القطب الشمالي مثبتةً لما رواهُ الرحَّالة نانسن (Nansen) لمَّا قصد تلك الاصقاع على السفينة فرام (Fram) وتجوَّل في اطرافها من السنة ١٨٩٣ الى ١٨٩٦ فأتى وقتئذٍ بمعلومات غيَّرت اوهام الناس في امر القطب . وقد اثبت المشرق (٤ : ٥١٧—٦١٩) شيئًا من اخبار رحلة نانسن وبلوغهُ الى الدرجة ٨٦° والدقيقة ١٢' من القطب ومما تبيَّنهُ هذا الرحَّالة المقدام انَّ كل الاراضي القطبيَّة الاسيويَّة والاوروبيَّة كسبتزبرج وفرنتس جوزف وزنبل الجديدة وسيبرية الجديدة انَّما كانت قارةً تمتدُّ الى الدرجة ٨٠° من العرض الشمالي على شكل اهليلجيّ ولا ترتفع عن قعر البحر الَّا ارتفاعًا خفيفًا ثم تزيد المياه عمقًا الى ألف متر ولا يزال القعر في هبوط حتى يبلغ ٣٠٠٠ متر فيتكوَّن هناك حوضٌ بعيد الغور تحيط به السواحل المرتفعة . فاخذ نانسن العجبُ من هذا الاكتشاف وتحقَّق الامر بسَبر اعماق المياه على طرائق سوَّلتها لهُ فكرتهُ المتوقدة وكان العلماء يظنُّون انَّ في تلك البحار الشماليَّة تكون المياه الباردة اسفل من المياه الحارَّة لزيادة ثقل تلك على هذه فوجد نانسن اوَّلًا ان البحر الشمالي متجمد بالجليد ثم تبيَّن انَّ المياه الباردة تطو فوق المياه الحارَّة وعلَّل ذلك بما تحتويه المياه الحارَّة من الملح فيزيد ثقلها على المياه الباردة فهذه المياه تتجمد لانَّها معرَّضة للبرد الجويّ ولكونها اقلّ ملحًا من الحارَّة وذلك ما يعلِّل تراكم الجليد في القطب . وعليه فقد بطل ايضًا زعم بترمان (Petermann) الذي ارتأى انَّ مياه المجرى الحارّ في شمالي غربي اوربَّة المعروف بخُولف ستريم (Gulf-stream) تمتدُّ على وجه الاوقيانوس الشمالي والصواب انها تحت المياه الجليديَّة في البحر القطبيّ الشمالي كما ترى في الجدول الآتي :

بيان

اختلاف طبقات المياه البحرية في الحوض القطبي الشمالي

اعماق البحار	طبقات المياه	درجات ميزان الحرارة	ملوحة المياه
من الصفر الى ٢٠ او ٣٠ مترًا	طبقات قطبية سطحية	من ٠,٩ — الى ١,٦ — (تحت الصفر)	قليلة الملوحة من ٢١ الى ٣٣ في الالف
من ٢٠ الى ١٠٠ م	« « بالغة في البرد	من ١,٦ — الى ١,٨ — (تحت الصفر)	اكثر ملوحةً من ٣٠ الى ٣٤ في الالف
من ١٠٠ الى ٢٠٠ م	« « متوسطة البرد	زهاء الصفر	اكثر ملوحةً من ٣٤ الى ٣٥ في الالف
من ٢٠٠ الى ٤٠٠ م	طبقات اتلنتيكية (غولف ستريم)	الاوفر حرارة ١,٢ + (فوق الصفر)	٣٥ في الالف
من ٤٠٠ الى ٨٠٠ م	طبقات « اقل حرارة	من ٠,٥ + الى ٠,٦ + (فوق الصفر)	«
من ٨٠٠ الى ٣٠٠٠ م	المياه السفلى	من الصفر الى ٠,٨ — (تحت الصفر)	من ٣٥,١ الى ٣٥,٢ في الالف
من ٣٠٠٠ فما فوق	مياه قعرية تسخنها الارض	من ٠,٧٦ — الى ٠,٦٩ — (تحت الصفر)	

فكانت نتيجة رحلة نانسن ان البحر القطبي الشمالي بعيد الغور وان تحت المياه الجامدة مياهاً مائعة متزجة . فهذه النتيجة ذاتها قد اكدها الرحالة بيري (وكرك ايضاً ان صدق كلامهُ) . فانَّ بيري سبر البحر القطبي بسلك من الفولاذ طولهُ ٢٥٠٠ متر فلم يبلغ السلك قعرَ البحر فصدقت رواية نانسن القائل بعمق ٣٠٠٠ متر

فمن هذه الاختبارات قد استنتج العلماء مبدأً مفيداً لعلم تكوُّن هيئة الارض (Géomorphogénie) فقالوا انَّ ارضنا لمَّا بردت قشرتها تشكَّلت على شكل هرم عظيم ذي اربع زوايا واربعة وجوه . فالزوايا هي النتوءات الاربعة الكبرى التي طفت فوق المياه اعني القارات الثلاث المعروفة وهي اوربَّة مع افريقيَّة ثمَّ آسية مع استرالية ثم اميركا الشماليَّة والجنوبيَّة يضاف اليها الآن البرّ الجديد الجنوبيّ الذي اكتشفهُ شاكلتون . ومعظم هذه القارات موقعها في القسم الشمالي من كرتنا . امَّا الجنوبيَّة فليس

منها ما وراء خطّ الاستواء غير قارات مستطيلة محدَّدة الرؤوس (اميركا الجنوبيَّة وافريقيَّة الجنوبية واستراليا مع تسمانية) تميل الى الشرق كأنَّ هذه الرؤوس المحدَّدة دُفعت الى الجانب الشرقي بقوَّة دوران سيَّارتنا وبرودها المتواصل . وهذان السببان عينهما هما اللذان علَّلا تلك الشقوق العظيمة التي تُرى في وسطها اعني حوض البحر المتوسّط الاوربيّ وحوض البحر المتوسّط الجنوبي الاسيوي (بحر الهند وما يليه) وحوض البحور المتوسّطة الاميركيَّة (بحر لابرادور وبحر انتيل) اما القطب الجنوبي فانَّ برَّه ارتفع فوق المياه الى علوّ ٣٠٠٠ بل حتى ٤٠٠٠ متر بنسبة زيادة قعر البحر الشمالي البالغ في عمقه مثل هذا القياس

٢

ارتقاء الجبال — حفر المناجم — سَبْر البحار

انَّ الشهامة التي أظهرها الأبطال السابقون في خدمة العلم ولمعرفة وجه كرتنا الارضيَّة وكشف مجاهلها وتوسيع نطاقها قد ابدى بها غيرهم للترقّي في أطرادها والتعمّق في اغوارها والنزول في قاعها

فمن ذلك سياحة الدوق دي ابروزي الشهير برحلته السابقة الى القطب فانهُ قصد توقّل أعظم اطواد كرتنا اعني جبل حملايا فحاول الصعود الى قمته العليا المعروفة بقمَّة إفرست (Everest) والموسومة بعلامة K² . وهذه القمَّة تُدعى ايضاً باسم غوريسَنكار . واليوم تأكَّدوا انَّ القمَّة افرست ليست منفردة بل تنقسم الى قسمين او قمَّتين فالواحدة منهما هي اعلى نقطة في كرتنا . اما الثانية فتتشعَّب شعبتَين تُدعى الواحدة غوري والثانية سَنكار . فالامير الايطالي سعى جُهدَهُ في الرقي الى رأس القمَّة العليا خيرًا فلم يدرك مرامهُ الَّا انهُ ارتفع الى حيث لم يبلغ احد غيرهُ فوصل الى علوّ ٧,٥٠٠ متر (١)

وسار رحَّالةٌ آخر الى جبال تيبت فاجتازها وغلب بذلك ظنَّ الذين زعموا انَّ تلك الجبال لا يُستطاع قطعها سيرًا لا بل اكتشف المذكور سلسلةً اخرى لم تُعرف قبلهُ

---

(١) لم يرتفع احد سابقًا الى مثل هذا العلوّ بسيره امَّا في المراكب الهوائيَّة فقد وصلوا الى اعلى من ذلك . فانَّ برغسون (Bergson) في ٣١ تموز سنة ١٩٠١ بلغ بمنطاده علوّ ١٠,٠٠٠ متر

دُعيت بسلسلة ما وراء حملايا (Transhimalaya) وقد وجد في اعلاها مشارف منيعة يتراوح علوها بين ٤٥٠٠ الى ٥٠٠٠ متر

وبينا كان هؤلاء يتفرّعون الجبال المعمّة بالثلوج الغرّاء والجليد المخلّد طمع غيرهم في التعمّق في قلب الارض للاستغناء بكنوز معادنها فتراهم يزيدون كل يوم تبطّناً وانحداراً حتى انّ بعض مناجم الفحم الحجريّ تبلغ اليوم عمق ١٢٠٠ متر بل تجاوز غيرهم هذا الحدّ فوصلوا لتعدين النحاس الى ١٦٠٠ ثم الى ١٨٠٠ متر. وكان لاميركة السباق في ذلك

على انّ هذه الحفريّات تكلّف المبالغ العظيمة التي لا تقوم بها اغنى الجمعيّات ما لم تتحقّق انّ اتعابها لا تذهب سدًى ولذلك تراهم يسبرون قلب الارض بثاقب شديدة الصلابة خرقوا بها أصمّ طبقات الارض . وقد ثقب المهندسون المتولّون لفحص تلك الطبقات اثقاباً تجاوزت الفي متر حتى بلغوا ٢١٥٤ مترًا وذلك في مقاطعة سيلازية الشرقيّة من اعمال المانية

وجارى البحّارون هؤلاء المهندسين فسبروا في سبر اقعار الاوقيانوس وكان الجغرافيّون يزعمون سابقاً انّ ابعد قعر البحار انّما موقعهُ في البحر الاتلنتيكي غربي قارة افريقية . امّا ارباب البحر المحدثون فقد أجروا الاختبارات في الاوقيانوس الهادي فوجدوا اربعة اغوار غاية في العمق بلغت احداها ٩,٤٢٧ مترًا . وموقع هذه القعور في الارخبيل الاوسترالي بين جزائر كيليب (Célèbes) وجزائر الفيليبين وماريان وغينية الجديدة واعمقها قريبٌ من جزائر كرماديك

٣

الهواء – الفلك – آلات مكبّرة

كما سبروا اعماق الارض واغوار الاوقيانوس كذلك حاولوا رصد الجوّ الذي يُحدق بسيّارتنا ليعلموا حدود هذا الجلد فكانوا من ذي قبل يرون انّ جلدنا لا يكاد يزيد على عشرة كيلومترات وقد سبق لنا القول انّ برغسون حلّق في مركبته الجوّيّة الى ما وراء هذا الحد (اطلب المشرق ٤ : ١٥٧) ولو ارخى العنان لمنطاده لأصعده فوق ذلك. لولا انّ تخلخل الهواء في تلك الطبقات يعرّض بالصاعدين الى اخطار عظيمة لاختلاف الضغط عليهم فتنشقّ الانسجة الحيويّة ويقذف الدم من الانف والآذان ومسامّ الجسد فسدًّا لهذه الثلمة اخذوا المناطيد المقيّدة (المشرق ١ : ٣١٧ و ٩ : ٨٩٦) لرصد

احوال الجوّ فهم يجعلون فيها ادوات ومقاييس للحرارة وثقل الهواء والرطوبة تدوّن من تلقاء ذاتها احوالَ الجوّ فاذا بلغت اقصى العُلى سحبوها ولحظوا ارصادها. وفي السنة المنصرمة ارسل مرصدُ الظواهر الجويّة في بلجيكة منطاداً من هذا الصنف بلغ ٢٦,٠٠٠ متر فعرف الفلكيُّون بذلك انَّ وراء جلدنا جلداً آخر لطيفاً

ثم ان فوق جوّنا افلاكاً تسطع بنجومها وما تلك النجوم سوى عوالم تفوق كرتنا بأجرامها وخواصّها العجيبة فترى الفلكيين في شغل شاغل لرصد تلك الكواكب واختلاس بعض اسرارها فلا يزالون يخترعون الآلات المحسّنة التي تقرّب من ابصارهم تلك الكائنات العجيبة. أفلا ترى ما اكتشفهُ نابغة عصرنا الفلكيّ اليسوعيّ الشهير انجلو سكي (اطلب المشرق ٦ : ١٦١) من خواصّ الشمس وتركيبها وفلكها وطبقاتها وكلفها وحرارتها. الّا انَّ في السماء الوفاً وربوات من الشموس التي لبعدها عنّا لا تُرى بالعين المجرّدة. والادوات المكتشفة في هذه السنين الاخيرة قد بلغت جدولها الى عدد ولغرابتها انهم استعانوا بفنّ التصوير الشمسيّ لتدوين حركاتها وبيان كمالاتها. فانَّ هذه المعلومات مهما كانت نزرة تقدّم العلوم وتسمو بفكر الانسان الى خالقهِ عزَّ وجلَّ ليعرف قدرتهُ ويخضع لسلطتهِ. فمن الملحوظات الاخيرة الجديرة بالذكر ما تعرّفوهُ من حرارة احد نجوم برج الثور المعروف بحرف Y فانهم قاسوا حرارتهُ بمقياس جديد فوجدوا انَّ درجات حرارتهِ تبلغ ٦٠,٠٠٠ وهي لعمري حرارة تحيّر العقل فاذا قوبلت بحرارة الشمس زادت عنها عشرة اضعاف اذ انَّ حرارة الشمس كما قاسها العلماء نحو ٥,٦٠٠ درجة فتأمّل

وكما انَّ النظّارات اعلنت للمرء بشيءٍ من عجائب العالم العلويّ كذلك وقف الانسان بواسطة المجهر على عالم الذرّات والحيويات الدقيقة البالغة الصغر. ولم يزالوا يزيدون هذه الآلات تحسيناً حتى يمكن العين ان تُبصر بهِ الميكرون الذي هو جزء من ألف جزء الملمتر بل تُبصر عُشر الميكرون وكأنَّ هذا ليس بكافٍ فقد اخترعوا آلة دعوها ما وراء المجهر (Ultramicroscope) يمكن ان تنظر بها جزءاً من ١٥٠,٠٠٠ جزء الملمتر

ولا تظنّ ان لهذه الدقائق الصغرى فعلاً ضعيفاً فان درس طبائعها الحديث قد اوقفنا على افعالها العجيبة بحيث يصحّ القول انّ الله اعجب واعظم في هذه الذرّات غير المنظورة منهُ في الاجرام العظيمة البالغة الكبر. فانظر مثلاً ما استفدنا من معرفة

خواصّ الاجسام المشعّة كالراديوم والميليوم فانّ بعض الاكتشافات الحديثة عنها كادت تقلب ظهرًا لبطن معلوماتنا السابقة بخصوص المادّة وحفظ قواها (راجع مقالة الاب دي ترّاجيل في المشرق ٧ : ١٨٢) . فانّ ذرّات صغيرة من الراديوم لها مفاعيل تحار لها الاذهان مع انّ هذا العُنصر لم يُفرَز حتى الآن من مركّباته وقد بيع منهُ غرامٌ واحد في دواوين الحكومة النمسويّة بثمن ٤٠٠,٠٠٠ فرنك . وقد وردت الانباء من مناجم يواكيستال انّهم عمّا قليل يستحضرون منهُ غرامًا ثانيًا . فيا لله من هذه العجائب التي اودعها الخالق في دقائق مادّيّة . فما قولك عن عالم الارواح وما قولك عن مبدع كل هذه الكائنات فحبّذا ابو العتاهية حيثُ يقول :

فيا عجبًا كيف يُعصى الاله ... أم كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفي كلّ تحريكة وتسكينة ... في الورى شاهدُ
وفي كل شيءٍ لهُ آيةٌ ... تدلُّ على انّه الواحدُ

٤
المذنّبات

وتقودنا هذه العجائب الطبيعيّة الى ذكر ثلاثة كواكب استلفتت الانظار في هذه المدّة وكان ظهورها في اواخر السنة ١٩٠٩ . نريد بها المذنّبات الثلثة التي لشار اليها الفلكيّون فنجان منها اضاءا في سمائنا

واوّل هذه المذنّبات مذنّب هلّاي الذي استرسلت الجرائد في ذكره (اطلب جريدة البشير ٩ تشرين الاوّل ١٩٠٩ و١٥ كانون الثاني ١٩١٠) وهو اشهر المذنّبات . كان اوّل مَن رصدهُ حديثًا الفلكيّ ماكس ڤولف (Max Wolf) مدير مرصد هيدلبرغ وفقًا لحسابات غاية في الدقّة اجراها بدرس طويل فنال بعملهِ جائزةً فاخرةً وشهرةً واسعة . وقد جاراهُ في حسن الرصد وتدقيق الحساب فلكيّان آخران الاستاذ بيت كُوول (P. H. Cowell) وكرومليـن (A. Crommelin) فحوزيا بجائزة الجمعيّة الفلكيّة (Astron. Gesellschaft)

وليس لنا ان نفصّل كل ملحوظات الفلكيين بخصوص هذا المذنّب فانّ أرباب الرصد يدوّنون كل يوم حركاتهِ ويصفون تقلّباتهِ وقد كان ضياؤهُ في سلخ كانون الثاني نحو الف مرّة ازيد منهُ في ايلول وهذا النور يتزايد في كل يوم وسيبلغ معظمهُ في اواسط

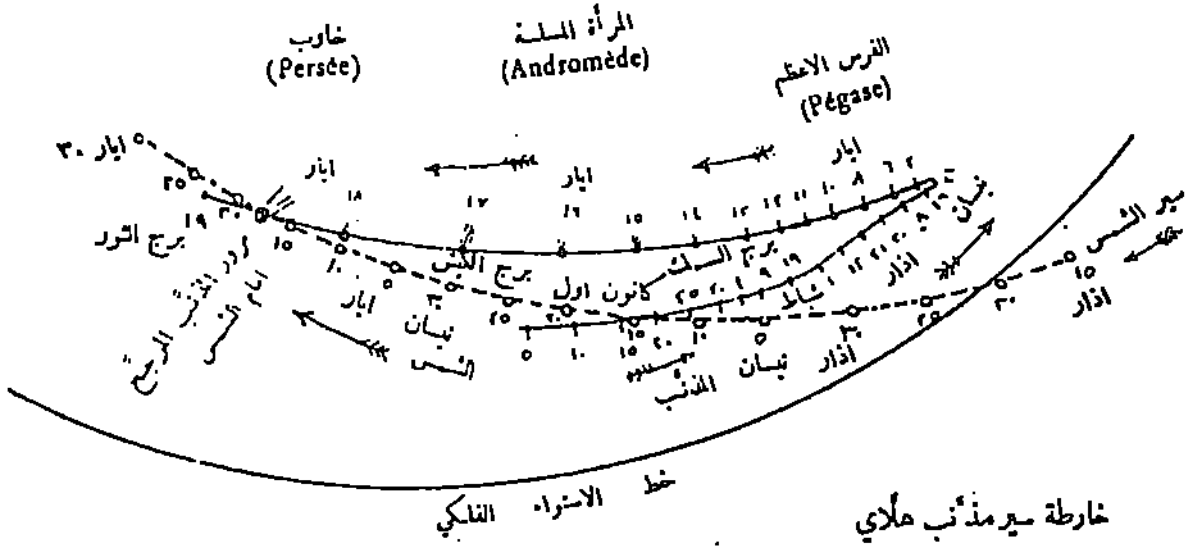

خارطة سير مذنب هلاي
من ٥ كانون ١ الى ١٩ ايار

١ خارطة طم تكوّن هيئة الارض

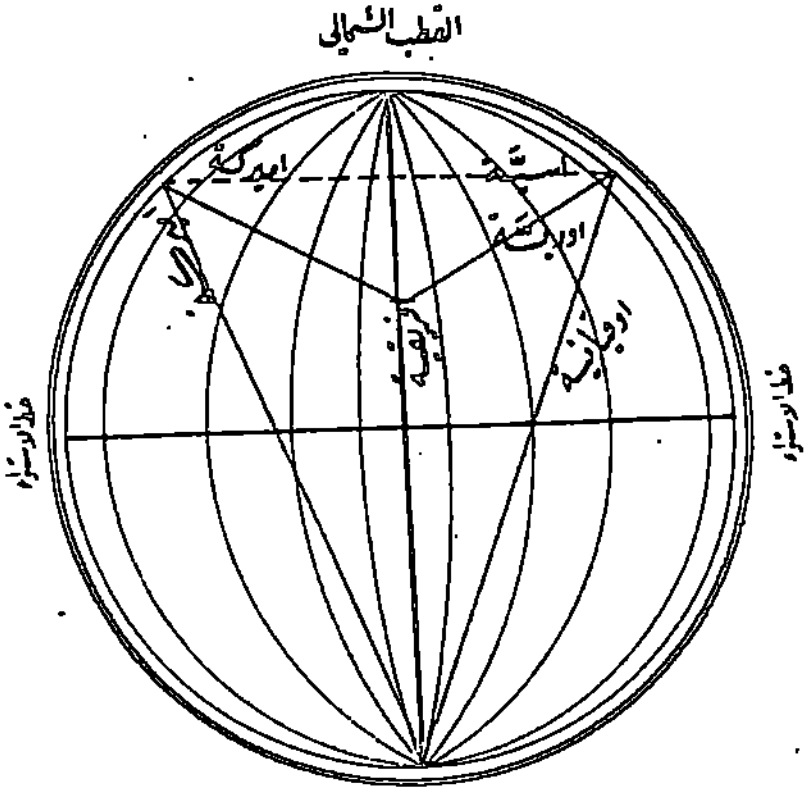

هيئة نواة الارض بالنسبة الى البحار

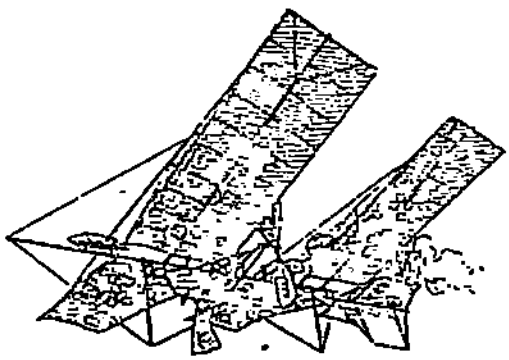

٣ طيّارة مضاعفة الاجنحة

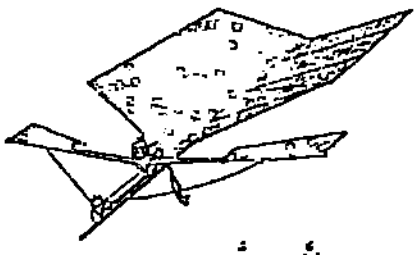

٢ طيّارة موحّدة الاجنحة

ايار حيث يقرب من ارضنا فيمكن المصوّرين ان يأخذوا رسمهُ كيفما شاؤوا. وهنا نحن نثبت هنا خارطة سيره من كانون ١ الى أيار وبيان مواقعهِ المختلفة بالنسبة الى الشمس واجتيازهُ في بعض البروج. وفي ١٨ ايار موعد ظواهر جليلة ينتظرها المنجمون لرصدها ففي ذلك اليوم سوف تمرّ نواة المذنّب اي رأسهُ المضيء امام الشمس ويكون على مسافة ٢٦,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر فقط من ارضنا اما ذنبهُ الذي يبلغ على عادة المذنّبات مسافة عدّة ملايين من الكيلومترات حتى اربعين وخمسين وستين مليونًا فمن المحتمل انهُ يُحدق بارضنا فتغوص كُرتنا بنورهِ مدّة بضع ساعات ولا مراء في انّ هذا المظهر يكون من ابهى المظاهر كما جرى في ٢٦ حزيران سنة ١٨١٩ حيث لاح ذنب النجم بنور اسطع من نور الشمس. فاذا عسى ان يكون من امرهِ في هذه السنة مع ما لدينا من الآلات الفلكيّة البالغة الحسن المتقنة الإحكام؟ وأقرب ما يكون النجمُ منّا في ٢٠ آيار على مسافة ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر بينما تبلغ المسافة الفاصلة بيننا وبين الشمس ١٤٩,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر. فمسافة المذنّب قريبة جدًّا بالنسبة الى المسافات المدهشة التي تفصلنا عن اقرب نجم من نجوم السماء.

وفي اوائل شهر آذار يغيب المذنّب الساعة الثالثة بعد مغيب الشمس ولعلّنا نستطيع ان نُبصرهُ في الجمعة الاولى من هذا الشهر. الّا انهُ يتوارى بعد ذلك عن العيان ثم تعود الى نظرهِ في اواخر نيسان وذلك قبل طلوع الشمس ومن أراد في ١٨ أيار ان يسرّح نظرهُ في مظاهرهِ الموعودة فعليهِ ان يقوم قبل السحر ليشاهدها. وان كان مرور المذنّب بازاء الشمس على سواء ولرضنا في وسط ذنبهِ يمكننا ان ننظر صورتهُ على واجهة الشمس بزجاجات مسوّدة. ومجمل القول انّ العلماء يبنون على هذا الرصد الفلكيّ آمالًا حسنة لترقّي العلم. وقد اخذت الجمعيّات العلميّة منذ اليوم تتّفق لتقسيم العمل ولرصد النجم في احوالهِ المختلفة مدّة ظهورهِ المنير من آذار الى حزيران. واحسن موقع لرقب النجم على طريقة علميّة جزائر هواي فقد اعدّت الجمعية الفلكية الاميركيّة لجنة للقيام بهذا العمل الخطير

ولمّا كانت الافكار كلّها مشغولة بمذنّب هلّاي اذ ظهر في جوّنا نجمٌ آخر ذو ذنب وكأنّ العلماء سهوا عنهُ مع انّهم كانوا سبقوا منذ السنة ١٩٠٨ فاحتسوا بقرب ورودهِ. والمذنّب المذكور يُدعى بمذنّب جوهنسبورج الجديد رآهُ الفلكيّون في اواخر السنة

المتصرمة وقد مرَّ امامنا فرأيناه في العشر الاخير من شهر كانون الثاني من جهة الغرب ليس بعيدًا عن سيَّارة الزهرة بين الساعة السادسة مساء الى قرب السابعة وكان ذنبهُ غاية في الحسن في عشوة ٢٧ كانون الثاني يمتدُّ الى الشرق بميلٍ الى الشمال. ومنذ ٥ كانون الاوَّل كان هذا المذنَّب يبتعد عن الشمس ولذلك ما امكنَّا ان ننظرهُ الَّا وقتًا قليلًا

ومع هذين المذنَّبين رصد الفلكيُّون في الشقّ الجنوبي من كرتنا نجمًا آخر ذا ذنب في مرصد بلاد لابلاتا في ٣١ تشرين الاوَّل. وهذا النجم ظهر في عالمنا مرَّة اولى في سنة ١٨١٩ فدُعي باسم مكتشفهِ مذنَّب ڤنيك (Winnecke) وذكروا اخيرًا ظهور مذنَّب رابع لا يُرقب الَّا بالمكبّرات والله اعلم

٥

المراكب الهوائيَّة – فن الطيران

لمَّا سبقت فرنسة الى استعمال الفوَّاصات البحريَّة اسرعت بقيَّة الدول الى مجاراتها وبعد قليل اتَّخذت كل دولة لها طرزًا مخصوصًا سوف تبيّن لنا الحرب المستقبلة فضل كل منها (اطلب المشرق ٢ : ١٣٣). وكانت فرنسة في اثناء ذلك تسعى ايضًا في قبض ازمَّة الهواء فتنشط ابناءها على رقي الجوّ او تدعو الاجانب الى بلادها لادراك هذه الغاية فاشتهر اذ ذاك الضابطان كرابس (Krebs) ورينار (Renard) وسانتوس دومون (Santos-Dumont) ولوبردي (Lebaudy) الخ. فكلّ هؤلاء اصابوا في استحضار مراكبهم الجويَّة وركوبها وتدبيرها في الجوّ شهرةً بعيدة اكسبت فرنسة فخرًا واثارت في قلوب اقرانها غيرة ومنافسةً

فنزلت المانية في هذا الميدان الهوائي وشدَّدت عزيمة الجنرال زابلين (Zeppelin) الذي اصطنع مراكب على طرز مختلف فاتَّخذ مناطيد صلبة جعلها في اقفاص من الالومينيوم. وهذه المراكب كبيرة بلغ الموسوم منها بعدد (Z^9) ١٣٢ مترًا اي تقريبًا على طول مركب الساجريّ الذي يمرّ في بيروت المسمَّى پرتغال وقد نال السبق في طول مكثهِ في الهواء فبقي في السنة الماضية ٣٦ ساعة دون ان يهبط الى الارض

وهذه المراكب الهوائيَّة التي ارتفع بها هؤلاء مبنيَّة كلّها على مبدإ الغازات التي هي اخفّ من الهواء. فاراد الانسان ان يجاري الطائر في الطيران فيحلّق مثلهُ رغمًا عن ثقلهِ فانَّ الطائر ايضًا اثقل من الهواء الَّا انهُ اذا بسط اجنحتهُ ورفرف بها تقلَّب في

انحاء الجوّ كيف شاء هبوطاً وصعوداً حتى يجعل الهواء طوع مشيئته ويخادم عزيمته . فلم يرضَ ابن آدم ان يغلبهُ الطائر فعزم على التجنُّح الصناعي ليستعيض بالآلات عمَّا بخلت عليهِ به الطبيعة فاتخذ الطيَّارات الهوائيَّة (aéroplanes) وجعلها بدل الاجنحة ليرفرف بها في الهواء ليس بحركة اعضائهِ كما يفعل الطائر ولكن باداة محرّكة تُدير تلك الاجنحة وترفّ بها وهذا المحرّك يجري اما بقوَّة الكهرباء واما بغاز البترول او بالبنزين . وهذه الطيَّارات على صنفين صنفٌ منها ذو جناحين بسيطين فيقال لهُ موحَّد الجناح (monoplan) وصنف لهُ طبقتان من الاجنحة تركب طبقة على الاخرى فيُدعى مضاعف الجناح (biplan) . ولانَّ الطائر والسمكة يستعين كلاهما بذنبهِ للحركة كذلك لهذه الادوات الطيَّارة زِمكّى اي جهاز مذنَّب لمقاومة الريح وللصعود والهبوط كما سترى في وصف طيَّارة بلاريو (Blériot) . ومعلوم انَّ الطائر اذ كُسر جناحهُ او ضمَّهُ الى جسمهِ لا يستطيع الطيران فيسقط من علٍ وهذا ما يجري لتلك الأدوات إن أُصيب جناحها باذًى اما بفعل الريح او لسبب اخر فتسقط وتودي بحياة الطائرين بها

فالطيران قد بلغ في هذه السنين الاخيرة مبلغاً عجيباً وكان الفضل في ذلك الى الفرنسويين . فجرت عدَّة سباقات أتت بنتائج غير منتظرة وهاك ملخَّص حوادث الطيران في السنة المنصرمة ترى منها تقدُّم هذا الفنّ الى غاية تدهش الافكار . ففي ٣١ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٨ نال الاميركي رَيت فوزاً باهراً في مدينة مان (Mans) ففي مدَّة ساعتين وثُلث قطع على طيَّارته مسافة ١٥٠ كيلومترًا . وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٠٩ جاراهُ فارمان (Farman) في شالون فقطع في ٤ ساعات و١٨ دقيقة مسافة ٢٣٢ كيلومترًا فنال السبق بطول مدَّة الطيران . امَّا الارتفاع فحاز فيه قصبة السبق مرَّتين لاثام (Latham) اذ ارتفع طائرًا مرَّة اولى في ١ كانون الاوَّل فبلغ ٤٧٥ مترًا في شالون سور مارن ثم عاد فارتفع الى علوّ الف متر في ٧ كانون الثاني . امَّا السرعة فكان السبق فيها للكونت دي لامبر (Cte de Lambert) الذي قطع في ١٩ تشرين الاوَّل مسافة ٥٥ كيلومترًا في ٤١ دقيقة اذ صعد من المحلّ المدعو « مركز الطيران » في خارج باريس فطار على علوّ برج ايفل ودار حولهُ ثم عاد على أدراجهِ

الَّا انَّ بلاريو (Blériot) أنسى السابقين بقطعهِ مضيق المنش باقل من نصف

ساعة في ٢٥ تموز. وكان قرينهُ لاثام قبل ستَّة ايام اراد ان يسبقهُ الى هذه المأثرة على مركبتهِ المفردة الجناح المدعوَّة اطوانت فسقط في البحر دون ان يُصاب باذًى فوجدوهُ طافنًا على الماء وهو يشرب سيجارة. امَّا بلاريو فطار من سانغات (Sangatte) قريباً من مدينة بولوني (Boulogne) الساعة ٤ والدقيقة ٣٥ صباحاً في وجهة انكلترَّة وكانت امرأتهُ راكبةً في نسَّافة تتبَّع زوجها بالنظر الَّا انَّ هذا بعد قليل غاب عن العيان واخبر انهُ لم يعد ينظر او يسمع شيئاً غير رفرفة آلتهِ لكنَّهُ قوَّى عزيمتهُ وشدَّ في تسيير مركبتهِ حتى بلغ ضفَّة انكلترَّة فنزل قريباً من دوفر بعد ٢٨ دقيقةً فقط . فحدث عمَّا جرى للطائر من الاستقبال البهيج في لندن وباريس ولا حرج. على انَّ بلاريو ما وصل الى هذه الغاية الَّا بعد ان جرَّب عشرين طيَّارة أُخرى فقازت هذه المدعوَّة بلاريو ١١ (Blériot XI) وهي كما قلنا من جنس المفرد الجناح وكثيراً ما تشبه الطائر فيفضلها لذلك بلاريو ومثلهُ لاثام بخلاف رَيت (Wright) الذي يؤثر الادوات المضاعفة الاجنحة

وآلة بلاريو على مثال طائر كبير يبلغ طولها ثمانية امتار وطول اجنحتها منتشرةً ٨ م ٦٥ س . وهيكل هذا الجهاز يتركَّب من خشبتي دَرْدار وحور فتكون صلابتهُ ضعف صلابة الفولاذ. وراس الجهاز من الامام على شبه السكة وقد جُعل في رأس الهيكل المذكور رقَّاص طولهُ متران و٨ س وفي وسط الجهاز كالقلب في الجسم الاداة المحرِّكة مع ما تحتاج اليهِ من الغازات او من الماء يليها غرفةٌ صغيرة يقيم فيها صاحبها وبقربهِ الادوات اللازمة لتدبير طيَّارتهِ. وهناك على الطرفين يمتدُّ الجناحان وهما على شكل مربَّعَيْن مستطيلين من نسيج متين مطليّ بالكاوتشوك وقد جُعلت زاوية الجناحين العليا على شكل زاوية منفرجة كالطائر في طيرانهِ وقت الصحو. وفي مؤخر الجهاز من تحتهِ ذنب الطيَّارة وهو مربَّعان مسطَّحان افقيًّا يحملان سكَّان العُنق اي الآلة التي بها يرتفع الطائر او يهبط وفي الطرف الاخير دفَّة التدبير ليدور الطائر يميناً او شمالاً. وللآلة ثلاثة دواليب تمكنها من الطيران بذاتها دون مساعدة

فتلك هي الطيَّارة التي اكسبت بلاريو ذكرًا مخلَّدًا حسدهُ عليهِ اقرانهُ الَّا انَّ كلَّ هذه ادوات الطيران سواء كانت منفردة الجناح او مضاعفتهُ دقيقة الصنع سريعة العطب وقد كاد بلاريو نفسهُ ان يذهب ضحيَّة عملهِ فانَّ طيَّارتهُ في الامتانة صدمت بسطح بيت فوقع من علٍ لكنَّهُ لحسن الحظ لم يُصب الَّا باذًى خفيف وكان سبق فاعلن انَّ

مكان ارتفاعه ضيّق على حركاته. وكم تهوّر غيره في أخطار الطيران فمنهم من نجا بعون الله كلاتام آخرًا فانهُ سقط من علوّ ٢١٠ مترًا في عين شمس قريباً من مصر وكسانطوس دومون في باريس ومنهم من وقع فكانت القاضية عليه كاوفاثر الذي كان امتاز سابقاً في سباق شمبانية فوقع في جوفيزي (Juvisy) قريباً من باريس ومات. وفي ٢٥ منهُ قُتل ضابط وملازمان سقطا من المنطاد المنقاد ريبوبليك في اثناء الحركات العسكريّة التي اجروها بجوار بولوني سور مار. وفي ٤ كانون الثاني من هذه السنة وفُجع الطيران بوفاة احد مشاهير هذا الفنّ دي لاغرانج الذي وقع قريباً من بوردو من علو ٢٠ مترًا لانضمام اجنحة آلته فمات من ساعته

وكما تقدَّم فنّ الطيران في السنة المنصرمة هكذا ايضاً نال بعض ركّاب المناطيد سمعةً بمآثرهم فانَّ الايطالي سيالتريني الذي كان في السابق تجاوز بعض القمم العالية كجبل ينغفراو (Jungfrau) سنة ١٩٠٤ وجبل سان غوتار سنة ١٩٠٧ وجبل روز سنة ١٩٠٨ قد مرَّ في ٨ آب الماضي فوق جبل « مون بلان » الذي يعلو فوق سطح البحر ٤٨١٠ متر وقد سبق انَّ زابلين بمنطاده الموسوم بعدد ٢ امكنهُ ان يتجوَّل في اطراف الجوّ ٣٦ ساعة متواصلة في آخر ايار. فاستوقف الامر نظر انكلترة التي امرت بابتناء منطادين الاوَّل من طرز المنطاد « باتري » والآخر من طرز « زابلين » وسيكون اكبر منهُ طولهُ ١٥٢م وسرعتهُ في الساعة ٧٢ كيلومترًا وموعد تمامهِ في اربعة اشهر

فهذه المراكب الجوية كما ترى صارت تتهدَّد الممالك في الحرب. فاخذت الدول تأخذ منها حذرها فانَّ معمل كروب على ما يقال صبَّ مدفعاً ترتفع فوهتهُ على زاوية ٦٠ درجة ويقذف قذائف حتى علو ١٢٠٠ بل ١٥٠٠ متر يُرى سيرها نهارًا بدخانها وليلًا بنورها لتسديد ضرباتها وهي تنفجر في الجوّ وقد برَّبوها على بعض المركبات الهوائيَّة فاتلفتها

ونختم هذا النظر العام في الاكتشافات العلميَّة بذكر النجاح الذي ناله ضابطان فرنساويان اللذان اخترعا الة تليفون بلا اسلاك وجرَّباها بين السفينة كنده (Condé) وساحل طولون على مسافة ١١٠ كيلومترات في ٥ حزيران فجاء الاختبار طبق الآمال الا انَّ سرّ هذا الاختراع لا يزال خفيًا. فسبحان الذي اودع الطبيعة اسرارهُ العجيبة ومكَّن الانسان من كشف حجابها

الآداب العربية

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(سليم بك تقلا) وكأنَّ تلك السنة ١٨٩٢ كانت مشئومةً على الآداب العربيَّة فتوفي في اواسط تموز رجل لبنانيّ نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً نزيد سليم بك تقلا. ولد المذكور سنة ١٨٤٩ في كفرشيما وكان روميًّا ملكيًّا كاثوليكيًّا فاستنشق ريح الآداب التي نمَّ شذاها في مسقط رأسهِ من الحديقة اليازجيَّة فدرس في صغرهِ في مكتب قريتهِ ثم دخل مدرسة اعبيه الاميركانيَّة الى سنة ١٨٦٠ حيث نزل الى بيروت فاكمل دروسهُ في المدرسة الوطنيَّة على المعلم بطرس البستانيّ وابنهِ سليم وكان في كل تقلباتهِ مثالًا لاقرانهِ يسبقهم بذكائهِ ورغبتهِ في احراز العلوم . ولمَّا أنشئت سنة ١٨٦٥ المدرسة البطريركيَّة في بيروت انتدبهُ اصحابها الى تدريس العربيَّة فيها فكان وصيفاً للشيخ ناصيف اليازجيّ وكان يلقي عليهِ مشاكلهُ اللغويَّة حتى رسخت قدمهُ في العلوم اللسانيَّة وامكنهُ وضع كتاب مدرسيّ في الصرف والنحو دعاهُ مدخل الطلَّاب فاتخذتهُ المدرسة دستوراً للتعليم وزادت ثقة الرؤساء بهِ فجعلوهُ رأس اساتذتهم ووكيل اعمالهم. ثم اجتذبتهُ مصر لما رأى في ربوعها من الحريَّة وفي امرائها من الاريحيَّة والتنشيط فأمَّها ورفع الى خديويها اسماعيل باشا قصيدة رنَّانة مهَّدت لهُ سبيل النجاح فنال الامتياز بانشاء جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ وهي التي لا تزال الى اليوم احدى جرائد مصر اليوميَّة الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياتهِ بحسبهِ دوراً مهمًّا مع ما صادفتهُ في سيرها من العوائق لاسيما سنة ١٨٨٢ وقت الحوادث العرابيَّة الَّا انَّ عزم محرِّرها لم يُغلب بتلك العوارض بل زاد نشاطاً وعانى اعمال الصحافة الى وفاتهِ فتوفي في بيت مري سنة ١٨٩٢ وكان قصد لبنان تغييراً للهواء وطلباً للشفاء من الم اصابهُ في القلب فلم يمهلهُ رجلهُ

زمناً طويلاً ونُقلت جثّتهُ الى موطنهِ باكرام. وكان لسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس ارباب الامر من دولتهِ فنال منهم والدول الاجنبيّة عدّة رُتب وامتيازات شرفيّة. وهو قد ابقى من آثار قلمهِ ما خلا فصولهُ ومقالاتهِ المتعدّدة في الاهرام مجموعاً فيهِ مقاطيع من نظمهِ ونثرهِ. فمن حسن شعرهِ قولهُ يصف اساطيل حربيّة:

تلك الاساطيلُ فوق النهر سابحةٌ ... والنهرُ منها كسهلٍ وهي كالقُلَلِ
دانت لهيبتها الانواء خاضعةً ... فحيثما قصدتْ حلّت بلا مهلِ
خاضت عبابَ بحار الارض آمنةً ... عصفَ الرياح وقصفَ الرَّعدِ بالكللِ
اذا شكتْ سفنُ المصر العنيد ظما ... تُرَّاقها اوردتْها الماء للدَّفَلِ
وان تشامخ حصنٌ دُكَّ عن أُسُسٍ ... ولو تطاولَ مرفوعاً الى زُحَلِ
غاجا الجنُّ ثمَّ الانسُ من بشرٍ ... والنَّسر في الجوّ مثل الموت في الوشلِ
هذي قوى الماء فوق الماء ناشرةً ... بند الهلال فصفْ ما تبتغي وقُلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك ممّا لم يُطبع كرسائل ونُبذ تاريخيّة وروايات معرّبة منها رواية متدريات ورواية أيوب البارّ. وهذه رسالة كتبها في تهنئة:

السيّد السند الطالي الله بقاءهُ. لا ادري اي الثلثة اهنّئ ايّاك ام الرتبة ام تقدمي امّا انت فتسابيك وان كُنتَ فوق ما تلتَ وامّا الرتبة فبتشرُّفها لأنّها دون من سمت اليهِ وامّا انا فلأني اوّل مخلص لك ودُّك فتهنّئتي بما أفتخر بهِ لك ويا حبّذا لو كان لي مداد برقي وبراع كهرباتي أفيك بهِ حقّك من سروري ولملّ ما بين قلبَينا يقوم هذا المقام مني فأقول:

فان أشكُكْ أراجعْ فالدليل معي ... وان تشكّكْ فراجعْ فالدليلُ معكْ

ومن ظريف قولهِ في من عذلهُ على التدخين:

عذلَ التدخينَ قومٌ قد رأوا ... يدي سيكارةً اعشقُها
قال دعْها فهي سمٌّ ناقعٌ ... قلت لا وقهِ لا اعتقُها
ان تكن سمّاً فاني محرقٌ ... شرّها بالنار اذ أحرقُها
وعليهِ فاعذلوا او فاعذروا ... قبلي العالمين لا أطلقُها
ان حلالاً او حراماً اشربها ... فانا الصبُّ الذي يعشقُها

وقام من بعد سليم بك شقيقهُ (بشاره باشا تقلا) وكان ثنيانهُ في التأليف والعمل وتولّى شؤون الجريدة بنشاط تسع سنوات اعرب في اثنائها عن همّة عالية وعزم شديد استحقّ بهما اعتبار الجميع فانقادت لهُ الدنيا عفواً ونال كأخيهِ الانعامات. لكنّ الموت عاجلهُ فتوفي في حزيران من السنة ١٩٠١ وهو في اوّل كهولتهِ كاخيهِ لا يتجاوز عمرهُ ٤٨ سنة

(القانونيّ نقولا نقّاش) هو نقولا بن الياس نقاش اخو المرحوم هارون نقاش الذي سبق ذكرهُ (في المشرق ١١ : ٣٨٢) وهناك اشرنا الى اصل العائلة من صيدا وانتقالها الى بيروت . وكان مولد المترجم في هذه المدينة سنة ١٨٢٥ وجرى على آثار اخيهِ في طلب العلوم ودرس اللغات وساعدهُ في انشاء الروايات التمثيليّة . ثم تعاطى التجارة من السنة ١٨٥٩ الى السنة ١٨٦٨ فانتدبتهُ الحكومة الى خدمتها كعضو مجلس الادارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكبَّ على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العليّة وتخرَّج في العلوم الشرعيّة على مشايخ العلماء اخصهم الشيخ يوسف الاسير فاحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضوًا دائمًا لمحكمة بيروت التجاريّة واشتغل وقتئذٍ بالتأليف وعرَّب عن التركيّة عدَّة كتب قانونيّة واضاف اليها الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحلّيّة بمثابة الترجمة الرسميّة يُرجع اليها في حلّ المشاكل . وعمَّت شهرة المؤلف بذلك حتى وقع عليهِ الاختيار سنة ١٨٧٨ كمبعوث بيروت الى الاستانة في الندوة الدستوريّة لولا انَّ ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدَّة الى وطنهِ وانشأ سنة ١٨٨٠ جريدة المصباح الكاثوليكيّة فنالت بتدبيرهِ ومقالاتهِ شهرة واسعة طول حياتهِ . وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئهِ حتى انطفأ تمامًا . وكان المرحوم نقولا نقّاش شديد التمسُّك بالدين مجاهرًا بايمانهِ كما تشهد لهُ بعض تآليفهِ كتكريم القديسين ومجموع صلوات تقويّة . ولهُ من الكتب الادبيّة خطب في مواضيع شتى سياسيّة واجتماعيّة ولهُ ديوان شعر طُبع في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٧٩ ضمَّنهُ كثيرًا من المعاني الحسنة والاوصاف العصريّة فمن ذلك قولهُ من قصيدة طويلة ارَّخ فيها وصول ماء نهر الكلب الى بيروت سنة ١٨٧٥ :

يا اهل بيروت بشرى قد صحَّ فينا الرجاء
هذا هو الماء جار فلتغرفوا منهُ الظماء
ماء لذيذٌ شهيٌّ ردُّوهُ فيهِ الهناء
بيروت ضاهت دمشقًا وزال عنها العناء
فقل لمن عيَّرونا وقلَّةُ الماء داء
تعالَوا الآن تلقوا ماء وفيهِ النماء
سقيًا لبيروت ارَّخ في ثغرنا حلَّ ماء (١٨٧٥)

ومن اوصافهِ تعديدهُ لعجائب العصر :

الله أكبرُ هذا عصرُ تجديدِ ... عصرُ المعارف لا بل عصرُ تمجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الأكوان باسمةٌ ... تثني على أهلهِ الغرّ الصناديدِ
ذاك ينطق في تسبيح خالقهِ ... وذاك يلهج في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير الى الدنيا بتقنيهِ ... وذاك يخرق أجيال الجلاميدِ
ترى السفائنَ أعلاماً مدرَّعةً ... إن تصدم الحصنَ ألقى بالمقاليدِ
ما البيضُ ما السُّمرُ إن ألقت مدافعُها ... كُرَاتِها الحُمْرَ من أفواهها السُّودِ
كذا تخافُ من الأفلاك صاعقةً ... أضحت من اليمّ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ أخبارُنا كالبرقِ سرعةً ... تكادُ تسبق فكرًا غيرَ مولودِ
أضحت قوافلنا والنارُ تحملها ... تسيرُ كالطيرِ لا كالبيسِ في البيدِ
والله ما قولُ قوّات البخار سوى ... ضربٍ من السحر لكن للخير محمودِ
هي الطبيعةُ جلَّ الله مبدعُها ... الى الوجودِ بدت من عقلٍ مفقودِ
كلٌّ يحاولُ منها كشفَ معجزةٍ ... فكلُّ مَن جدَّ يلقى جلَّ مقصودِ

ومن محاسن نظمهِ قولهُ في لبنان ومقاطعاتهِ بعد حوادث السنة ١٨٦٠:

فهُ درُّكِ يا حمى لبنانِ ... اذ أصبحتِ منتجعَ الرضا الشاماني
نُشرت معارفهُ الجليلة اذ غدا ... يروي حديثًا عن بني نبهانِ
وبقاعهُ ذاك العزيزُ مقامهُ ... أضحى عزيزًا أخصب الوديان
وبمتنهِ وبنرعهِ حلَّ المنى ... والجُرد أضحى حاملًا لأمانِ
وبشوفهِ يُشفى العليلُ تيمُّنًا ... غُرباهُ قُلْ بالخير يلتيانِ
قد مدّتَ يا عرقوبةُ عمّا مضى ... وغدوتَ معروفًا بصدقِ لسانِ
وكذا المناصفُ أنصفت لمّا صفت ... في خدمةٍ تُهدى الى الأوطان
وبكروانَ ترى الامانَ موطَّدًا ... من سيفِ كسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُرَيطع كالقطيع مطاوعًا ... وكذاك قاطعهُ بوصلٍ دانِ
وجبيلهُ وجبالهُ وسهولهُ ... وعمورهُ حاكت رياض البانِ
وبزاريتهِ (كذا) قد بني نعمَ البنا ... هل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
نحمي بسيفٍ باترٍ بتروننهُ ... وكذا غدت أميونهُ بأمانِ
نادى حسامُ العدلِ فيهِ هاتفًا ... ألقي «بشرّي» كلَّ من ماداني
بجنوبهِ وشمالهِ تلقى الهنا ... وبشرقهِ وبغربهِ هنآنِ
قُم أيها الشيخُ القديمُ زمانهُ ... وانظر مضابك بهجةَ الأكوانِ
نسجَ الربيعُ بنحو هامك خوذةً ... كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانِ
هامٌ تعلّلهُ الثلوجُ أكلّةً ... بيضاء تكني من جليلِ معاني
والخصبُ في أكنافهِ ووسوطهِ ... قُل جنّةٌ تردانُ بالافنانِ
حتى الصخورُ غدت رياضًا أثمرت ... من كل فاكهةٍ بها زوجانِ

ومناهل يحيي القلوبَ ورودُها ومعينُهُ تروي ظما الظمآنِ
هو جنةٌ في الارض تحكي للسما والحاق ترتع في رياض امانِ

ولهُ قصيدة طويلة تنيف على ١٤٠ بيتاً دعاها التوبة وضمّنها المعاني الزهديّة. وقد روينا لهُ في المشرق (٥ : ٦٣١) نشيداً نظمهُ لجمعيّة مار منصور. كانت وفاة نقولا نقّاش في ٤ كانون الاوّل سنة ١٨٩٤ فأبّنهُ اصقع الخطباء ورثاهُ جلّ الشعراء فجُمعت اقوالهم في كرّاس مخصوص. وقد ورث اولادهُ من بعده آدابهُ فعُرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف ولهُ بعض الآثار الادبيّة. والقانوني جان صاحب كتاب مغني المتداعين عن المحامين. ومن الاسرة عينها المشهر (سليم بن خليل) المتوفّى في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرّر العصر الجديد ولهُ تاريخ المسألة المصريّة سمّاهُ «مصر للمصريين» وكتب عدّة فصول ومقالات وروايات طُبعت في بيروت ومصر. ونضيف الى هؤلاء (جرجس بن حبيب) المتوفّى في ١٧ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٧ وكان من ادباء طائفته لهُ بعض المصنّفات في تاريخ العرب اوقفنا عليها وهي لم تُطبع. وسليم وجرجس ابنا اخوي نقولا نقّاش

(يوسف الشلفون) كان احد انصار النهضة الادبيّة في الفصل الثاني من القرن التاسع عشر. وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون وكان جدّهُ حاكماً على ساحل لبنان من قبل الامير بشير الشهابيّ الكبير. اما حفيدهُ يوسف فكان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ درس في مكاتب بيروت مبادئ العربيّة واللغات الاجنبيّة واشتغل مدّة في المطبعة السوريّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ بصفة مرتّب حروف ومصحّح مطبوعات. وفي اثر حوادث سنة ١٨٦٠ استدعاهُ فؤاد باشا معتمد الدولة العليّة لترتيب ونظارة المحرّرات الرسميّة التي كانت تُطبع في التركيّة والفرنسويّة. وبعد ان تقرّر نظام جبل لبنان انشأ على حسابه مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العموميّة سنة ١٨٦١ ونشر فيها عدّة مطبوعات عدّدناها في المشرق (٣ : ١٠٠١ — ١٠٠٣) وكان يوسف الشلفون ذا همّة عظيمة فانتدبهُ اوّل متصرّفي لبنان المرحوم داود باشا لتنظيم مطبعة في مركز المتصرّفيّة فقام المندوب بهذه الهمّة القيام الحسن. ثم صرف عنايتهِ الى انشاء الجرائد فنشر منها اربعاً وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح واخيراً التقدّم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة المجيدين كالقس لويس صابونجي والقس

يوسف الدبس واديب اسحاق. ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعتهُ في خدمة الطائفة المارونية الى ان انفصل عنها وانشأ المطبعة الكاثوليكية كما فصّلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (٣: ٥٠١) وقد اضرَّ بالمترجم تقلُّبهُ في الاشغال وميلهُ الى ذوي المبادئ الحرّة. وكان احد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة وفي مطبعتهِ نُشرت اعمالها في السنتين ١٨٦٨ و ١٨٦٩. وكان حسن الكتابة ولهُ نظم جمعهُ في ديوان وطبع قسماً منهُ في مطبعتهِ الكاثوليكية سنة ١٨٧٤ ودعاهُ انيس الجليس. فمن نظمهِ قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض ابياتها:

ضاءت بشمس سعودكَ الايام ... وزهت بطلعة مجدك الاعوامُ
وسما بذاتك سفحُ لبنانُ الذي ... حسدتهُ مصرُ بعزّهِ والشامُ
فكأنهُ فلكٌ وانت بأفقهِ ... بدرٌ لهُ دون البدور تمامُ
اقطارهُ بالعدل منك استأنست ... ورعت بها الآسادُ والاغنامُ
يا ايها المولى الذي عن وصفهِ ... وثنائهِ قد كلّت الاقلامُ
قلّدتَ قوماً تحت امرك منّةً ... لم تُحصِ واجبَ شكرها الأرقامُ
ونسختَ آياتِ المظالم بعدما ... قامت على ساقٍ بها الأقدامُ
ونصبتَ يا داودُ احكاماً بها ... ظهرَ اليقينُ وزالتِ الاوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميلُ مخلّداً ... هو في الحديث بداءةٌ وختامُ

وقال مهنئاً احد الرهبان اليسوعيين في عيدهِ فافتتح كلامهُ بهذه الابيات:

المرءُ يُعرَفُ في جميل خصالهِ ... ويُعزُّ عند مقالهِ وفعالهِ
والشهمُ مَن نال العُلى في جدّهِ ... حتى غدا الرائونَ دون منالهِ
ويشيد صرحَ الخير في طلب العُلى ... كي يُدرك الأفلاك في اعمالهِ
ويرى اتقاء الله خيراً يرتجي ... يوماً ويشقى قلبهُ بزُلالهِ
ويميل عن كل الانام تنفّساً ... ويرى بحبّ الله راحةَ بالهِ

ولهُ قصائد في اماثل الرجال وكبار الامراء الذين قدموا بيروت ومدح امبراطور النمسا وولي عهد المانية وانكلترة وسموّ الخديوي اسماعيل باشا فاستحقّ بذلك بعض الامتيازات الشرفيَّة لكنَّهُ توفي خاملاً

(سليم جدي) وفي السنة ١٨٩٥ عينها انتقل في ربيع عمرهِ شابٌ اديب قصفتهُ المنون غصناً يافعاً نريد بهِ سليم بن نصر الله جدي من أُسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت. كان مولدهُ نحو السنة ١٨٧٠ وتخرَّج في الآداب والعلوم في كليتنا.

وقد عرفناهُ حق معرفةٍ اذ كنّا ندرسهُ العربيّة وكان في مدرستنا مع المرحوم (نجيب حبيقه) صاحب الفارس الاسود فهدناهما طالبين يتلهّبان شوقًا الى خدمة الاوطان فيجريان منذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان وتكليهما مآثر نثريّة وشعريّة لدينا منها اشياء متفرّقة والبعض منها قد نُشر بالطبع كعدّة قصائد وروايات . وكأنّ دار الآخرة حسدت الوطن على فضلهما فاشربتهما كأس المنون المرّة عاجلًا . الّا ان نجيبًا عاش بعد قرينهِ عشر سنوات فمات في ٢٥ ك١ سنة ١٩٠٦ . ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صحّ فيهِ فكأنّهُ سبق ورثى نفسهُ بقولهِ :

لك بين الانام ديوانُ شعرٍ بجانبيهِ حرّك الجلمودا
تلك بانت للعصر مبتكرات ومن المجد أنبتتك برودا
لو درا الموت انّ ذلك درٌّ للمعاني نظمتَ منهُ عقودا
ما اصابت سهامهُ لك قلبًا كان قبل اللسان يُنشي القصيدا

ولزميلهِ نجيب مصنّفات مدرسيّة اخصّها درجات الانشاء في ثلاثة اجزاء . ومن قولهِ وصفهُ للسفينة البطرسيّة في يوبيل البابا لاون الثالث عشر وهو اذ ذاك تلميذنا :

عصفتْ على بحر الأنام رياحُ حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وهوت صواعقُ صعقاتٍ أزعجت بشرًا فكادت ترهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرمًا مُصخبًا والموجُ ثار فاه منهُ جناحُ
والناس في غمر المخضّم جميعهم خاضوا فليس من الفرار براحُ
ورأوا المياه تلاطمت امواجها وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمّت المُصيبة فالنجاة قد دنت آهًا اليس من الهلاك مراحُ
لكن على سطح المخضّم سفينةٌ وعلى مُقدّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلت وتطايرت لخلاصهم شكرًا لجدّك ايها الملّاحُ
فيكَ النجاة وليس غيرك يرتجى واليك كلّ قلبهُ ملتاحُ
ها قد تقدّمت السفينةُ نحوهم فنجا بها قوم وفيها راحوا
لم ينأ عنها غيرُ مَن قد آثروا شربَ الحتوف فذي الضلالُ قباحُ
شاءوا البروقَ فأمّلوا منها الهدى خابت ظنونهمُ فليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاطلبوا من ينأ عنها ضاع من صلاحُ
جدّوا ايا غرقى وامّوها بقو دكمُ اليها نورها الوضّاحُ
جدّوا فليس لكم خلاص دونها ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا بها قبحًا لهم قالوا بأن شُعَطَّم الألواحُ

فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا امنٌ لنفسٍ بالنجاة متاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ كن آمنًا بين السفينة والمتضمّ كفاحُ
فسفينة الصياد تقهر خصمها ابدًا لانَّ لها الصفا ملّاحُ
للحين عاد الترء صفوًا رائقًا وعن البلايا زالت الاتراحُ

(شاكر شقير) وفي خريف السنة التالية خسرت أسرة كريمة من الروم الاورثدكس كاتبًا آخر من اسرة قديمة وهو شاكر مغامس شقير عُرف في بلاد الشام مدّةً بتفنّنه بالكتابة ونظم الشعر ثم انتقل الى مصر وانشأ فيها مجلّة الكنانة في نيسان سنة ١٨٩٥ فاتت بموت محرّرها بعد سنتها الاولى. وكانت وفاتهُ في وطنهِ الشويفات والمذكور عدّة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرّقة في كثير من المجلّات وقد روينا عنهُ قصّة ظريفة في المشرق (٩ : ٧٥١) عنوانها الطواف بالقربان الاقدس. ولهُ كتاب مصباح الافكار في نظم الاشعار طُبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ومنتخبات الاشعار طُبع سنة ١٨٧٦ وعُني بتكرار طبع ديوان ابي العلاء المعرّي دون ان يزيد عليهِ شيئًا يُذكَر من المحسّنات. ولشاكر اخ اسمهُ فارس ترك ايضًا بعض المؤلفات والمنظومات وخدم الحكومة في ولاية بيروت ومتصرفيّة لبنان. كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٨. ومن حسن شعر شاكر قولهُ من رثاء في سليم دي بسترس دعاهُ حقيقة الاسف وقد تفنّن فيهِ كثيرًا:

قلبٌ وتلهفٌ وتأسّفٌ وتأفّفٌ وتحسّرٌ وتحرّقُ
كبدٌ تذوبُ وانفسٌ تشكو النا اذنٌ تطنُّ واعينٌ تتدفّقُ

ثم انتقل الى بحر آخر وقافية أخرى فقال:

سليمُ الفؤادِ لهُ طلعةٌ تحيّي الشموس وتزري القمرْ
وذو هيبةٍ كأسودِ الشرى وانسٍ كانسِ الغزال الأغرّ
تمرُّ الذقونُ لهُ سجّدًا تمرُّ العيونُ بهِ اذ حضرْ
علي المكانِ جليُّ البيانِ طليُّ اللسانِ مليُّ البصرْ
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنانِ رقيُّ الزمانِ بقيُّ الأثرْ

ومما قالهُ سنة ١٨٦٩ في مدح الجمعيّة السوريّة:

زهرة روضٍ كلّما طال وقتها تزيد نموًّا بالجمالِ مُقلّدًا
جا افتخرت بيروت حتّى لقدسمت على كلّ مصرٍ وهي تُشبهُ فرقدا
مؤلفةٌ من كل صاحبِ غيرةٍ ذوات بنوا للخير بيتًا مشيّدا
كواكب سعدٍ يسطعُ اليوم نورهم وجدي الذي في الجهل ضلّ الى الهدى

وقد البسوا بيروت حلّة سؤدد تتيه بها اذ اصبحت منبع الندى

ومن نظم فارس قولهُ من قصيدة في رثاء نقولا نقّاش:

من كان بالامس نقّاش الصحاف هذى يُنبئك حسّانَ او يزري بسحبانِ
من كل نثر انيق الوصف مندمجٍ وكل شعرٍ رشيق النظم طنّانِ
كم حرّر اللفظ والمعنى تصوّرهُ بما استرقّ لهُ احرارَ تبيانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرةٍ وان جرى لا يجارى بين اقرانِ

وختمها بقوله:

مضى الى الله حيث الدارُ خالدةٌ مستوفيًا أجرَ اعمالٍ وايمانِ
لا يبرحِ النورُ فيه فوق مضجعهِ تحت الأكلّةِ من آسٍ وريحانِ

(امين شميّل) اسرة شُميّل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما. يقال ان اصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر. وكان مولد امين بن ابراهيم شُميّل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقّى مبادئ العلوم واللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان في بيروت فامتاز بين اقرانهِ. ثم سار الى رومية في بعض شؤون طائفتهِ فاصاب فيها نجاحًا. ثم رحل الى انكلترة وتعاطى ثمّ التجارة فاتّسعت اشغالهُ وفتح محلاً في الاسكندرية فلم يزل في تقدّم ونجاح الى ان دار دولاب الدهر فاباد ثروتهُ. الّا انّ تلك الاحوال المشؤومة لم تملّ شباة عزمهِ فصفّى اشغالهُ وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فنّ المحاماة فبرز فيهِ واشتغل بالآداب وانشأ مجلّة الحقوق فكانت باكورة المجلّات الشرعية. ونشر في تلك الاثناء بعض التآليف القانونيّة كالمباحث القضائيّة ونظام الحكومة الانكليزية والتآليف السياسية للمسألة الشرقية. وكان وضع قبل ذلك رواية سياسية دعاها الزفاف السياسي. وكان ضليعًا بالآداب حسن الكتابة نثرًا ونظمًا وكان يضمّن تآليفهُ المعاني الفلسفيّة والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد لهُ بعض مصنّفاتهِ كبستان النزهات في فن المخلوقات الذي لم يُطبع وكالمُبتكَر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة الى الموت انجز تأليفهُ في ليفربول سنة ١٨٦٧ فطبعهُ في المطبعة السورية في بيروت وكان لامين شميّل اولاد نجباء تهذّبوا كلّهم في كليّتنا البيروتيّة الا انّ يد المنون دهمت سنة ١٨٨٥ اثنين منهم في وقت واحد فتوفي ارثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر

وكان كلاهما من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سُلَّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً اليماً على والدهما أضعف قواهُ وهدّ ركن حياتهِ. لكنَّهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى لبّى دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاوّل منها بعد وفاة اخيهِ اسعد ببضعة اشهر في لبنان (لهُ بقيَّة)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عمرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ النظام الماسوني (تابع)

الباب الثاني

رواق الماسونية

بعد وصفنا لواجهة الماسونيَّة المحلَّاة بالزخرف الباطل خدع السذَّج والاغرار هيَّا بنا نتخطَّى خطوةً أولى فندخل في رواق تلك الدار واملَّ الحجَّاب يمنعوننا عن الدخول اذ لا علم لنا بالشعار الماسوني والكلمة السرّيَّة ولا بأس فانَّ احد «الجزويت» الذين ادَّعى شاهين بك مكاريوس (المشرق السابق ص ١٥٢) انهُ رآهم في المحافل الماسونية واعتبرهم كجواسيس يُطلعنا على السرّ المصون فندخل في جملة الداخلين - والكلمة السرّيَّة هذه المرَّة هي «حرّيَّة الضمير» امَّا السلام الماسوني فمصافحة خاصَّة يضغط فيها الأخوان بالابهام على ايديهما

وها قد اجتمع بعد حين الاعضاء المنتظرون فدَعْنا نتعرَّف بهم ففي معرفتهم افادة فاذا هم بين الرؤساء الاخ ٭٭ ا. المعروف بجحودهِ للّاهوت وبنبذهِ لكلّ دين. والاخ ٭٭ ب. المحامي الذي لا يدخل بيتاً الَّا سبَّ الاكليروس ونسبهُ الى الغايات السافلة. والاخ ٭٭ د ... الطبيب المادّي الذي لا يقرّ بوجود نفس مخلَّدة فينتهي كل شيء على رأيهِ بحياة الدنيا وموت الجسد. والاخ ٭٭ ر. القائل بالمذهب الدروينيّ وتسلسل الانسان عن القرد. والاخ ٭٭ ع. الكاتب النوضويّ المدافع عن مبادي الاشتراكيين والناكر لكل سلطة

ورأينا هناك عدّة شبّان من المدّعين بالتمدّن العصريّ والمنتمين الى « الروح الجديد » منهم صنّاع مخازن وكتبة في محلّات تجاريّة وطلبة مدارس انجزوا دروسهم فقصدوا الماسونيّة رجاء ان ينالوا بشفاعتها وصاة الى بعض المتموّلين. ومنهم فتية في مقتبل العمر يرجون من انصار الحرّيّة ان يخفّفوا عن اعناقهم نير الواجبات الدينيّة ويفتحوا لهم طريق الملاذّ والشهوات الباطلة دون رادع يكبحهم ولا ضمير يزجرهم

فسألت « الجزويتي الجاسوس » كيف يجذب الماسون هؤلاء الشبّان فيوقعوهم في اشراكهم ؟ ففتح لي كتاباً سرّيًا للاخ ∴ كلافل (Clavel) كان معهُ فقرأت فيه ما تعريبهُ بالحرف (١ :

« ان اراد اخوتنا الماسون ان ينظموا احدًا في شيعتنا الماسونيّة فليصفوها لهم وصفاً شائقاً قائلين لهم انها جمعيّة خيريّة غايتها الترقّي وان اعضاءها اخوة يعيشون بالوداد والمساواة . . . وانّ الماسوني وطنهُ المعمورة كلها فليس مكان في العالم الّا ويلقى اخوةً يتسابقون في اكرامه ومساعدته ادى معرفتهم انهُ من شركتهم وبمجرّد استعماله للشعار السرّي والمصافحات الجارية في العائلة الماسونية . وان رأوا احدًا يحبُّ الفضول ويتوق الى معرفة الاسرار فليقولوا لهُ انّ في الماسونية اسراراً لا يعرفها غيرهم . وان عثروا على رجل يطلب وظائف الحياة فليذكروا لهُ انّ في الماسونية مآدب متواترة يرشفون فيها بنت الحان ويأكلون المآكل الطيّبة توثيقاً لعروة الحبّ والمؤاخاة . وان كان المقصود ادخالهم في الماسونية من اهل الصناعة والتجارة فليثبتوا لهم انّ الشركة الماسونيّة تفيدهم في ارباحهم وتوسّع نطاق اعمالهم وتنمي عدد زبائنهم وقس على ذلك بقيّة الناس فعلى الماسوني ان يقدّم لكل واحد من الادلّة الموافقة لحالته وحرفته وعقله واميالهِ فيجذبهُ بما هو اوفق لمقتضى الاحوال »

وكان في الكتاب منشور لاحد ائمّة الماسون مُرسل سرًّا لرؤساء المحافل الماسونيّة فقرأت فيه ما تعريبهُ الحرفيّ (٢ :

« عليكم خاصّة بالشبيبة فلا تدّخروا وسعاً لكي تجتذبوها الى جماعتنا الماسونيّة بطريقة خفيّة لا يشعر بها الشبّان لئلّا ينفروا عنّا »

فاخذني العجب من هذا المكر الفظيع الذي لا يخجل الماسون ان يلتجئوا اليه في ادراك غاياتهم السيّئة ثم أدرت الالحاظ في الفرقة التي اجتمعنا فيها فاذا هي موشّاة

١) اطلب تاريخ الماسونية للاخ ∴ كلافل Histoire pittoresque de la Franc-Maçonnerie, p. 3 et 8

٢) هذا المنشور ابرزهُ بالطبع المؤرّخ المدقّق كرانيو جولي (Crétineau- Joli) في كتابهِ عن الكنيسة الرومانية والثورة (ج ٣ ص ١ و١٤)

بالاقمشة الزرقاء وفي الصدر من جهة الشرق كرسي الرئاسة وامامهُ طاولة عليها مطرقة (شاكوش) وعلى الكرسي رجل جالس في تمام الكبرولة . ووراءهُ شبه الهيكل ومعلّق على الجدران عدّة رموز كالمثلث والزاوية والبيكسار والميزان وخيط الشاغول وبعض النقوش الرمزيّة وفي مقدّمة الهيكل عمودان مزدانان بالحليّ على الواحد حرف ب والآخر حرف ج وهما على قول الماسون اوّل اسمَي بُعوز وجاكين ويزعم بعضهم انهما يشيران الى عمودي النار والسحاب اللذين سخّرهما الله لبني اسرائيل في طريقهما وهم يرون انّ الملك سليمان امر بوضعهما عند مدخل الهيكل الاورشليميّ تذكاراً لبني اسرائيل . امّا الصادقون منهم فيؤوّلونهما تأويلاً آخر شتّان بينهُ وبين عمودي بني اسرائيل وهيكل سليمان فاسمع وتحقّق خُبث الماسون . قال الاخ ٭ راغون (١ ما تعريبهُ (:

« انّ عمودي جاكين وبُعوز يدلّان على المبدأين المتضادّين (يريد مبدأيْ ماني) النور والظلمة والخير والشرّ وعلى مبدأي الحياة النسلية (phallus). فانّ غاية تعليم الماسونية انّما هو وجود ذينك المبدأين المتنافيَين كما نراهما في تاريخ الشعوب كجهاد انيس وميترا وكهرمزد واهريمان وكاوزيريس وتيفون وكالمسيح والشيطان فانّ كل ذلك انّما هو الجهاد الدائم بين النور والظلمة . . وامّا معنى هذه الرموز فالمُراد به الكبرياء والعظمة والخرافات والمراء والكذب والجهل والاوهام وظلمات النفس »

فما ابعد هذا الشرح عن اقوال شاهين بك مكاريوس في كتابهِ الاسرار الحقيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ٦٤) حيث شرح معاني العمودين على خلاف هذه الشروح فمن نصدّق ؟ الاخوين راغون وكلافل او شاهين بك مكاريوس الذي يصف الماسونيّة بألوان الزخرفة والزيف تمويهاً على الشرقيين؟

ورأيت ايضاً في جدران المحفل شبه الشمس والقمر والكواكب ولمّا استعلمتُ اخي « الجزويتي الجاسوس » عن معناها الرمزي المصطلح عليهِ بين الماسون اشار اليّ في كتابهِ الى بعض الصفحات التي ورد فيها شرح تلك الرموز فقرأتُ ما تعريبهُ للاخ راغون ٭ السابق ذكرهُ (٢ :

« انّ الشمس والقمر اللذين يزينان هياكلنا يراد بهما سُنَن الطبيعة التي عليها مبنى الماسونيّة فانّ معرفة هذه السُنَن الثابتة هي التي تسمو بالماسون الى ذروة الهيئة الاجتماعية . وكل ديانة لا تستند الى هذه نواميس الطبيعة هي مخالفة للكون ومريبة الطب »

١) اطلب كتابهُ في الفلسفة الماسونيّة ورموزها ص ٨٨ و ١٠١ ومثلهُ الاخ ٭ كلافل في كتابهِ المذكور ص ٧٥ و ١٤٣ الخ ٢) من كتابهِ السابق ص ٩٨

ففهمتُ من كل ذلك انّ الماسونيّة في رموزها وصورها وهيئة هياكلها لا تنوي سوى امر واحد وهو تأليهُ المادّة وتعظيم الطبيعة الهيولية

ثم شخصت الى الاخوة الماسون فاذا هم لبسوا مآزرهم المثلّثة ووشاحاتهم الخاصّة وجعلوا على صدورهم البركار والزاوية فاردت ان افهم معنى ذلك المثلث فاستفتيتُ الاخ ٭. راغرن فقرأت في كتابهِ ما تعريبهُ (ص ١٥٨)

« انّ العدد المثلث هو احسن الرموز عن الطبيعة فانّ زواياهُ الثلاث تدلُّ على مواليد الطبيعة الثلاث التي تتكوّن من مجموعها الله او الطبيعة . وفي وسط المثلث حرفا ي (ignis) وج (God) ومعناهما الروح المحيي اي النار والله اي الطبيعة الواحدة

الباب الثالث

الدرجات الماسونيّة الثلاث السُّفلى

الدرجة الاولى : الطالب

وكان في ذلك اليوم أُعدَّ المحفل لقبول احد طلّاب الدخول في الماسونيّة . فلمّا انتظم عدد الاخوة وجلس كل منهم في محلّهِ ورتبته وشاراته . وقف الاستاذ الاعظم وطرق مرّة بالمطرقة التي بيدهِ قائلًا : ساعدوني يا اخوتي على فتح المحفل (١ . فوقف الجميع وتقلّدوا السيوف . واخذ الاستاذ الاعظم يُلقي على اخيهِ الحاجب وعلى اخويهِ المنتهين وعلى نائب الاستاذ اسئلة مضحكة ان لم نقل صبيانيّة من جملتها سؤالهُ للنائب :

س اين موضع الاستاذ الاعظم ؟

ج في الشرق

س وفي مقام مَن هو ؟

ج في مقام الملك سليمان

فكدتُ استغربُ ضحكًا لولا انّ « الجزويتي الجاسوس » زجرني فعضضتُ على شفتيّ بازاء قائم مقام الملك سليمان والمتختم بخاتمهِ لسحر الجنّ . ثم انتظرتُ فدقّ ثلاث دقّات ومثلهُ فعل المنتهان فقال : «باسم مهندس الكون الاعظم أُعلن فتح المحفل الاكبر» فيسمعي اسم مهندس الكون علمت انّ تحفانا البيروتيّ لم يخلع بعد تمامًا ربقة المراء (٢

١) اخذنا هذه الاوصاف من كتب الماسونيين الاوربيّة والشرقيّة ممّا لم ترد عليها حرفًا

٢) قد قرأنا في عدد شباط الاخير من المقتطف (ص ١٥٨) انّ كثيرين من الماسون الشرقيين طلبوا الغاء هذه البقايا الدينيّة . وقد بيّنّا سابقًا انّها قنرةٌ يتستّر وراءها الماسون فالأولى بهم ان يجاهروا بأفكارهم دون مراء ومحاباة

وكان ذلك اليوم مخصّصاً « بتكريس » (كذا) طالب الدخول في الدرجة الاولى. فهنّأت نفسي بحضور هذه الحفلة الشائقة لأصفها عن عيان. ولهذه الحفلة مقدّمات طويلة وهي اسئلة واجوبة وتفتيش وطرق مطارق وتهيئة بعض التهاويل. وكان جاء المحفل رئيس محفل آخر فقام الاخوة وسجدوا اسلحتهم ومدّوها على شبه قنطرة سلاحيّة مرّ الزائر تحتها تعظيماً لمقامه واجلسوهُ في الشرق وجلس الكلّ فاندفع الاستاذ الاكبر في الاسئلة التي لا تقلّ عن سبع صفحات في الكتاب الرسميّ الذي عُني بطبعه سنة ١٩٠٥ في مطبعة المقتطف « شاهين بك مكاريوس استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليميّ ورئيس اعظم شرق العقد الملوكي بالبنوريس... الخ الخ الخ ». (وليعذرنا الاستاذ عن الاقتصار في ذكر القابه الماسونية التي تستغرق خمسة عشر سطراً من قطع هذه المجلّة). ودونك بعض الاسئلة التي رواها جنابه ليعرف جمهور القرّاء كم هي سامية اسرار الماسونية

الرئيس: ما هو اوّل واجب في المحفل يا حضرة المتبّه الاوّل ؟

ج : التحقّق اذا كان المحفل مغلقاً

الرئيس: تأكّدْ ذلك يا اخي

المتبّه الاول: اخي الحارس الداخلي انظر اذا كان المحفل مغلقاً

فيذهب الحارس الداخلي الى الحارس الخارجيّ وينظران هل الابواب موصدة ويعود فيطرق بطرقتين ثلاث مرّات ويجيبهُ الحارس الخارجي بالمثل فيقول: اننا متستّرون يا حضرة المتبّه الاوّل

فيكرّر المتبّه الاول: اننا متستّرون يا حضرة الرئيس المحترم

الرئيس للمتبه الثاني: ما هو الواجب الثاني يا اخي المتبّه الثاني ؟

ج: ان يكون جميع الحاضرين بثانين احراراً

ر: ايها الاخان (كذا) المتبّهان انظرا اذا كان جميع الاخوان على صفتكما احراراً

وهنا خفتُ ان يعلم بي المتبّهان لكني بفضل « الجزويتي الجاسوس » نجوت من هذا التفتيش. فطرق المتبّهان بطرقتهما واعلما الرئيس بوجود بثانين احرار ليس الّا. فاستحسن الرئيس قولهُ وواصل الاسئلة على الموظّفين فعلمتُ من اسئلته انّ الموظفين ما عدا الرئيس والمتبّهين ونائب الرئيس هم الحارسان الداخلي والخارجي والمرشدان. وممّا سألهُ الحارس الخارجي قولهُ:

س: اين محلّ الحارس الخارجي ؟

ج : خارج باب المحفل

س: وما الواجب عليه ؟

ج : ان يكون قابضاً سيفاً مسلولاً (مثل ملاك الموت) ليمنع تجسس الاعداء ويردع الذين يرغبون في الاطلاع على اشغالنا ويلاحظ قصد طالبي الدخول

وتمس بقيّة الاسئلة على هذا الطرز الجليل وكان ختام هذه المقدّمات « انّ الرئيس المحترم طرق ثلاث طرقات بالطرقة وجاوبهُ عليها المنبهان والحارسان. ثم تقدّم الرئيس وفتح كتاباً (وهو على قولهِ الكتاب المقدّس. ومن المعلوم ان الماسون لا يعتقدون الاسفار المنزلة. واليوم قد ابطلوا استعمالهُ حتى في بعض محافل الشرق لوجود مسلمين بينهم) ووضع الزاوية والبرجيل (البيكار) حسب الاصول ثم اقام المنبه الاوّل عمودهُ ووضع المنبه الثاني عمودهُ انقياً وجلس الاخوان »

ثم تلوا خلاصة اعمال الجلسة السابقة. وابدى بعضهم فيها ملاحظاتهم ثم صادق عليها الاخوان برفع اليد اليمنى. ثم اداروا كيس الاوراق السرّيّة على الحضور وتُليت المراسلات الواردة للمحفل امّا المراسلات السرّيّة التي ارادوا اخفاءها عن ذوي الدرجة الأولى فسلّموها الى كاتب الاسرار

وبعد انهاء الاشغال والقاء بعض الخطب في مواضيع ماسونيّة كالحرّيّة وكسر نير الاكليروس وخفض شأن الاعيان اجالوا صندوقين لجمع حسنات الاخوة يدعونهما « صندوقي الاحسان والبناء ». وقد لحظتُ ان جودهم الحاتميّ لم يتجاوز بعض متاليكات طنطوا بها لمّا رموها في قعر الصندوق

وبعد هذا أُتي بالطالب (١ وعلى عينيه غمّى (كذا. اي رباط) وقادهُ احد الاخوان الى غرفة التفكير وهي غرفة مظلمة مغطّاة بالسواد على جوانبها رموز مخيفة كجماجم وهياكل موتى واسلحة ومكتوب عليها عبارات تهديد لم يذكرها الاستاذ شاهين بك مكاريوس لئلّا ترتعد لها فرائصنا وانّما ذكرها الاخ ه. كلافل : Clavel) (*Histoire pittoresque de la Franc-Maçonnerie*, p. 3 وهذا تعريبها: « ان كنت ذا مراء قادراً على الخنا فاعلم انّك ستُكشف — ان كنت تطلب الامتيازات الشرفيّة فاخرج اذ لا نعلم بها بيننا — ان طلبنا منك اعظم التضحيات افأنت مستعدّ للطاعة » وغير ذلك ممّا يبيّن انّ الطاعة العمياء بين الماسون وليست بين «الجزويت» كما

١) كلّ هذا الوصف مأخوذ بالحرف من كتاب شاهين بك مكاريوس « الدرجة الاولى للماسونية » وانّما لخصناه فقط

زعموا. اما الاخ ∴ الذي قاد ذلك الاعمى وهو يُدعى الاخ المهيب (او الاخ الغول) (Fr. ∴ Terrible) فاخذ بيد طالبنا (المهول) ودفعهُ على باب الغرفة المظلمة وكان الباب من الورق السميك فتمزّق وهبط هو الا انّ اخوين ∴ تلقّيا الصريع بين ذراعيهما المصلّبين وسُمع صوت اغلال الحديد كأنهُ يُغلّق عليهِ فبقي وحدهُ وازال البرقع عن عينيهِ فوجد نفسهُ في تلك الغرفة المظلمة واذا بنور ضعيف تراءى لهُ فرأى محتويات الغرفة وقرأ الآيات المبهجة المارّ ذكرها

وبعد هنيهةٍ عاد الاخ (الغول) وقدّم للطالب دفتر التعهُّدات فاقرأهُ اياهُ واخذ وعدهُ بحفظها ثم سألهُ عن اسمهِ واسم اهلهِ وولدهِ وصناعتهِ ومنزلهِ وديانتهِ فكتب كل ذلك (في دفتر النفوس) وامضاهُ باسم الطالب

ثم جاء احد المرشدَين واخذ ما وجد مع الطالب من المعادن والنقود والحلى وربطها بمنديل والقى الى الشرق فسلّمها للمحترم بطرف الحسام. ثم نُزعت عن الطالب ملابسهُ التي فوق قميصهِ وكُشف ذراعهُ الايمن وصدرهُ وعنقهُ وساقهُ اليسرى الى الركبة ووُضع في رجلهِ اليسرى بابوج (حذاء) وفي عنقهِ حبل وحجاب على عينيهِ (ثانيةً) وأُتي بهِ على هذه الحالة الى باب الهيكل فأُعلن مجيئهُ بثلاث طرقات فتقدّم الحارس الداخلي الى جهة المنبه الثاني وقال لهُ: ان الباب يُطرَق. فأعلم المنبه الثاني الرئيسَ المحترم بذلك

وهنا ابتدأت مباحثة بين الرئيس والمنبه والحارسين الداخليّ والخارجيّ عن طالب الدخول وحالهِ وسيرتهِ (بالمعنى الماسوني) فكان الجواب انهُ «طالبٌ في حالة الظلام» (ولا غرو اذ هو معصوب العينين او بالحري اعمى القلب) ثم اردف قولهُ بأنهُ جاء يطلب النور (!) بقبولهِ ضمن عشيرة البنائين الاحرار (؟). فسمح الرئيس المحترم بدخولهِ

فما قدم بهِ المرشد الى الباب حتى قابلهُ الحارس الداخلي بسيفهِ مسلولًا فوضعهُ على عنقهِ قائلًا: بماذا تحسّ؟. فاجاب: بنصل سيف. فتهدّدهُ الرئيس قائلًا بانّ هذا السيف سينتقم منهُ ان كان ليس مخلص النيّة لجماعة الماسون

ثم عرض عليهِ الرئيس الاقرار بمهندس الكون الاعظم وبالخلود. الّا اني راجعتُ الكتاب الذي اعارني اياهُ «الجزويتيّ الجاسوس» فقرأتُ فيهِ للاخ ∴ كلافل انّ الاقرار بوجود مهندس الكون والخلود قد أُلغي في اكثر المحافل وانما ادخلوهُ سابقًا لئلا ينفر الناس من كفر الماسون وكذلك الامر في بعض البلاد قليلة التمدُّن (كبلاد

سوريّة حيث يعتقد الناس وجود الله وخلود النفس). راجع ما قلنا سابقاً في هذا المعنى

وبعد هذا امر الرئيس الطالب ان يركع واستلّ المرشدان سيفيهما فجعلاهما على رأس الطالب وتلا الرئيس دعاء الى مهندس الكون لم يبق لهُ من اثر في اغلب المحافل الماسونيّة اذ لم تعد تحتاج هناك الشيعة الى التستّر. وما التجأوا سابقاً الى مثل هذه الادعية الّا ليتقلّدوا الكنيسة الكاثوليكيّة في رتبها الكهنوتيّة وقد قال احد مشاهير الكتبة « انّ الشيطان ترد الكنيسة فيحاكي للشرّ ما يراهُ من اعمال الكنيسة للخير ». فتأمّل

ثم ابتدأت امتحانات الطالب الرمزيّة فوجدتها من اظرف خزعبلات الصبيان وها انا اصفها كما رأيتها وكما تجري في كل المحافل الماسونيّة (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

I A. Krymsky: Jstorija Persii i jeja literatury. *Moskwa*, 1909, pp. IX-92. تاريخ الفرس وآداب لغتهم والتصوّف عندهم

II A. Krymsky: Jstorija Turcii i jeja literatury. *Moskwa*, 1910, pp. XIII-104. تاريخ الترك وآداب لغتهم في عهد عظمتهم

لا يخفى على قرّاء المشرق الكرام ما لمدرسة اللغات الشرقيّة المعروفة باسم مؤسّسها لازاريف في موسكو عاصمة روسيا السابقة من السعي والاهتمام في نشر الابحاث والكتب المتعلّقة باحوال الشرق الحاضرة والغابرة فانّ هذه المجلّة اغلقت مطبوعاتها في سنيها الماضية (راجع ٤ : ١٧٥ و ٧١ : ٥ = ٥٣٦ : ٦ = ١٠٠٠ : ٧ = ١٦٠ : ٩ = ١٠٥٩ : ١٠ = ٦١٧) واليد الطولى في كل الابحاث عن شرقنا الادنى للاديب كريمسكي الذي اقام في بيروت حيناً من الزمان قبل مدّة عشر سنوات ثم جُعل استاذاً للعلوم العربيّة وتاريخ الشرق في المدرسة المذكورة. فانّ جنابهُ يتحفنا حيناً بعد حين بمؤلّفات من نفثات قلمهِ يعرف قرّاء الروسيّة مكانها الجليل بين كتب المستشرقين الروسيين. وممّا وصل الى ايدينا اخيراً كتابان لهُ في تاريخ الفرس وتركيا جمع الاستاذ فيهما محاضراتٍ القاها على تلامذتهِ في المدرسة المشار اليها. والكتاب الاوّل عبارة عن

مقدّمة لتاريخ الفرس بعد فتح الاسلام فانّ قسمهُ الاكبر يحتوي بحثاً مدقّقاً في مصادر هذا التاريخ ممّا كُتب باللغات العربيّة والفارسيّة والاوربيّة ويحتوي ايضاً ملاحظات مطوّلة على كل ما قام به علماء اوربا من الابحاث في هذا الشأن. وتليه مقالة في مصادر تاريخ آداب اللغة الفارسية بهذا الترتيب نفسهِ. ولم يَفُتْ المؤلف على ظننا شيءٌ ممّا نُشر في هذا الصدد في كل اللغات الاوربيّة ليس من الكتب فقط بل ومن المقالات في المجلّات والجرائد ومن الانتقادات العديدة وهذا ممّا يستحقّ شكراً خاصاً. والقسم الثاني من الكتاب المذكور يحتوي تلخيص تاريخ الدول التي قامت على انقاض الدولة العبّاسيّة كالدولة الطاهريّة والصفّاريّة والسامانيّة والزياريّة والبويهيّة. وفي هذا القسم مع اختصارهِ فوائد جمّة وقد اردفهُ المؤلّف بجداول اسماء امراء هذه الدول مع سِني حياتهم

والكتاب الثاني للاستاذ كريمسكي يحتوي جزءاً من تاريخ تركيا وآدابها في اواخر القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر لاسيما على عهد السلطانين المشهورين سليم الاوّل فاتح مصر وسليمان القانوني. وجعل المؤلف القسم الاكبر من كتابهِ تاريخاً لآداب اللغة التركية في اثناء هذه البرهة وادرج مع تراجم الشعراء والكُتّاب اسماء تآليفهم وذكر مواضيعها وترجم جانباً كبيراً ممّا انتخبهُ لهم فاصبح كتابهُ بذلك بحثاً لم يسبقه اليه احد من علماء روسيا والفضل للمتقدّم. وممّا يزيد كتابهُ اهميّة تفصيل علاقات تركيا مع الممالك السابقة طبقاً للمصادر المكتوبة باللغات الرومية القديمة والبولونية واللاتينية. وهذه الابحاث كما يعرف قرّاء تآليف جنابه تشفّ عن اطّلاع واسع والمام تامّ. ولا عجب ان وجد المنتقد المدقّق في كتاب كهذا بعض السهو فان الموضوع واسع وطريق البحث فيهِ وعر. ومن هذا القبيل ما زعمه المؤلف (صفحة ٦٤) عن البيت المشهور «وما التأنيث لاسم الشمس عيب» الخ انهُ من نظم الشاعر الفارسيّ جامي وليس الامر كذلك بل اخذهُ جامي من قصيدة مشهورة للمتنبيّ رثى بها امّ سيف الدولة (راجع مقالتنا في المتنبيّ وابي العلاء صفحة ٤٧). ولا يخفى على القارئ ان هفوات كهذه لا تحطّ من قدر الكتاب فان عارفي الروسية يعلمون ما لفحوى ابحاث الاستاذ كريمسكي من الرصانة وسعة النظر وما لانشائهِ من السهولة والطلاوة التي تدلّ عليها اشارهُ ورواياتهُ دلالة صريحة

ا. كراتشقوفسكي

MEDIEVAL RESEARCHES from Eastern Asiatic Sources by E. Bretschneider M. D., with 2 Maps. and 2 vols. I. XII-334 II, X-352, *London, Keyan Paul, Trench, Trübner and Co.*

ابحاث شرقية عن آثار القرون المتوسطة

الدكتور برتشنيدر كان قبل عشرين سنة في بكين بصفة طبيب السفارة الروسية فتجوّل مدّة في الصين وبحث عن آثارها القديمة ونشر عدّة فصول في بيان احوالها لاسيما تاريخ دولها في القرون المتوسطة ووصف بلدانها. فبلغت مقالاته كتاباً ضخماً الّا انها كانت متفرقة فجُمعت في جلدين يبلغان نيفاً وسبعمائة صفحة قام بكلف نشرهما الطبّاع الشهير كيغان بول وشركاؤه على اتقن منوال وفي الكتاب رسمان قديمان لخارطة الصين مع اسماء بلادها القديمة فسعى المؤلف بشرحها وتطبيقها على الاعلام الحديثة. ومن فوائد هذا الكتاب انهُ يوقفنا على امور كثيرة من احوال المغول على عهد جنكزخان وسلالته الذين فتحوا الصين وادخلوا فيها شيئاً من تمدُّنهم. فنشكر الجامع لهذه الآثار الشرقيّة ونتمنّى لها عدداً وافراً من القرّاء. ل. ش

Man. A. Triandaphyllidis.-Die Lehnwoerter der mittelgriechischen Vulgaerliteratur, 8°, 192 p.. *Strassburg, K. J. Trübner*, 1909.-Pr. 6 Mk.

الفاظ اللغة اليونانية العامّية في القرون الوسطى

هذا الكتاب لا يفيد فقط معرفة اللغة الشائعة بين عامّة اليونان في الاجيال المتوسطة بل يعمّ نفعهُ ايضاً معرفة آداب اليونانيّة المستحدثة اجمالاً اذ يبحث عن اصول اللغة بحثاً انتقادياً غاية في الدقّة ولعلّهُ تجاوز الحدود في استعمال كثير من العلامات والاصطلاحات التي يكاد القارئ ان يضيع فيها فيراها اشبه بالحروف الجبريّة. وعلى كل حال لا يسعنا الّا الاقرار بسعة علم المؤلف ونشكرهُ لما قدّمهُ على كتابه في تعريف المصادر التي اخذ عنها كما انهُ احسن في وضع الفهارس المستوفية في آخره. وقد استفدنا من شروحه معرفة اشتقاق عدّة الفاظ كلفظة φουστάνι مثلاً التي نقلها الاتراك وجرت بيننا على صورة « فسطان » فانهُ بيّن انّ اصلها من الايطاليّة (fustagno) ومنها الفرنسويّة (futaine) معناها الاقمشة القطنيّة. امّا قولهُ عن لفظة τρόμπα وبالايطاليّة (tromba) فالغالب على ظننا انها عين اللفظة τουλούμπα وفي التركيّة طولومبة التي ارجعها السوريّون الى اصلها فقالوا « طرومبه ». ولنا على هذا الكتاب عدّة ملحوظات

في اشتقاق بعض الالفاظ اليونانيّة من التركية او العربيّة الّا اننا نؤجلها الى مقالة نثبتها في مجموع المكتب الشرقي (Mélanges de la Fac. Orientale)

ل.ر

BIBLIOTHECA HAGIOGRAHICA GRAECA ediderunt Socii Bollandiani, ed. altera emendatior. Accedit SYNOPSIS METAPHRASTICA, *Bruxellis, Société des Bollandistes,* 1909, in-4. XV-98.

مكتبة القديسين اليونانيّة . طبعة ثانية

الآباء البولنديّون اليسوعيّون اوثق مرجع يقصده العلماء في امور القديسين وتواريخهم ونقد اعمالهم . فآثارهم من هذا القبيل لا تكاد تحصى يقرّ بفضلها كل من يعرفها . ومن جملة خدمهم انهم جمعوا في مصنّفات مستقلّة وعلى ترتيب حروف المعجم وصف التآليف التي نُشرت عن القديسين في العالم كلّه في اللاتينيّة ثم في اليونانيّة . وعمّا قليل سينتهي احدهم عن وصف التآليف الشرقيّة ايضاً صادراً من مطبعتنا . واليوم قد اتحفونا بالطبعة الثانية من مكتبتهم اليونانيّة . وهي تتضمّن وصف ١٨٩٠ كتاباً في اعمال القديسين وتراجمهم اليونانيّة فيعرف العلماء بكل سرعة ما نُشر منها ويستغنون عن الجولان في المكاتب للوقوف على مظانّها . وممّا زادوه على هذه الطبعة الجديدة من المحسّنات خلاصة تراجم سمعان الترجمان (Simon Métaphraste) احد كبار المؤلفين لتراجم القديسين في القرن التاسع . فنكرّر شكرنا للاباء البولنديين الذين يقرّبون هذه الموارد لافواه كل المستقين ونطلب الى اولياء الله ان يجزلوا عليهم الثواب لعملهم الصالح

ل.ش

Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient (XVI-XIX siècle) publiés par le P. Ant. Rabbath s. j. T. II, fasc. I; *Paris, A. Picard*; *Leipzig, O Harrassowitz*, 1910, p. 208

لآثار الخطيّة لتاريخ الكنائس الشرقية

لا نخال قرّاءنا الكرام ذهلوا عن مقالتنا السابقة (في المشرق ١٠ : ٧١٥) عن الجزء الاوّل من هذا التأليف الفريد الذي تولّى نشره حضرة الاب انطون رباط اليسوعي . وقد اوضحنا هناك عظم شأنه ووفرة مضموناته عن اصدق المصادر والكتبة المعاصرين من سفراء وقناصل وبطاركة ومرسلين في كل المواضيع الدينيّة واوصاف الكنائس الشرقيّة والتقارير المتواترة في اعمال المرسلين واحوال البلاد . وقد اتّفقت

المجلات الاوربيّة الخاصة في بيان مزايا الكتاب الحسنة والثناء الطيّب على صاحبه. وها قد باشر حضرتهُ اليوم في الجزء الثاني منهُ فاصدر قسمهُ الاوّل في ٢٠٨ صفحات وهو لا ينقص شيئاً في عدد محتوياته ووفرة آثاره عن الاقسام السابقة. ففي اوّله يوميّة الآباء الكرمليين في حلب يرون فيها كثيرًا من اخبار تلك الحاضرة من السنة ١٦٦٩ الى ١٨١٩ وفي اثر هذه اليومية رسائل لرهبان الكرمل يصفون فيها مساعيهم الرسوليّة في انحاء الشام ويليها نحو خمسين رسالة او عريضة او تقريرًا او رحلة تتضمّن اخبارًا شائقة في امور الدين وغيرها في انحاء الممالك العثمانيّة وكلّها بكتبة معاصرين يوثق بهم يوجّهون تحاريرهم الى رؤسائهم الروحيين او العالميين فاستخرجها حضرة الجامع من دفائنها الخاصّة واغنى بها المعارف. أخذ الله بيد حضرته ليواصل هذا العمل الجليل وينجزهُ قريبًا ل.ش

تعزية الحاطين في اعترافات مار اغوسطين

عرّبها المنسنيور يوسف العلّم النائب الاسقفيّ لابرشيّة طرابلس الشام

بالمطبعة اللبنانية جسر حمر بيروت (لبنان) سنة ١٩٠٩ (ص ٦٢٨)

هو الكتاب الذي كنّا نودّ نقلهُ الى العربيّة ليشعر في نفوس اهل بلادنا ثمرات الخلاص التي اجتناها قبلنا من اغراسهِ اليانعة أوف من القرّاء الاجانب حتى قيل عنهُ ما قيل عن رياضات القديس اغناطيوس دي لويولا انّهُ ردّ الى الله من النفوس اكثر مما يحتويهِ من الحروف. ولعلّ الذي ثبّط الشرقيين عن تعريب هذا التأليف الفريد ما ضمّنهُ صاحبهُ النابغة من الآراء الفلسفية الغامضة وخاض فيهِ من بعض الابحاث النظريّة السامية التي لا يدركها الّا القليلون فتيسّرًا لاقتباس انوارهِ اللامعة قد جرّدهُ سيادة المنسنيور لويس سبيراكو عن هذا القسم العويص الخاصّ بكبار الفلاسفة فأبقى منهُ ما لا يجد فيهِ جمهور القرّاء سوى جواهر الفوائد الروحية ونوادر الارشادات الخلاصية فراجت ترجمتهُ الايطالية ايّ رواج حتى تكرّر مرارًا طبعها. فالى هذه الصورة المستطرفة قد عمد سيادة المنسنيور يوسف العلّم لوضع ترجمتهِ العربية بعد ما راجع الاصل اللاتيني فجاءت ترجمتهُ سهلة المنال منسجمة العبارة فيهذّ القارئ في مطالعتها وعيناهُ تسكبان مع اوغسطينوس دموع التوبة النصوح وقلبهُ يتأجج معهُ بنار حبّ الله فيصرخ كما صرخ بعد اهتدائهِ: «ويلاه كيف تأخّرتُ في معرفة الجمال الالهي الثابت وحبّ الخير الاكيد».

فمن اراد ان يذوق حلاوة التوبة والزهد عن الارضيات فعليه بهذا الكتاب وليشكر معنا فضل سيادة المترجم الذي قرّب من شفاهه هذا المنهل الصافي والكوثر الالهي ل.ش

كتاب رتب وعبادات كنائسيّة حسب عادة الطائفة المارونيّة

طُبع ثانية . بالمطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٤)

كان الطيّب الذكر السيّد البطريرك يوسف اسطفان مدّة استقيته جمع عدّة طقوس وعبادات جارية في الكنيسة المارونية كرتب الاعياد وصلوات تبريك الماء للدنح وتبريك الشمع والرماد ومنح البركة بالصليب ورتبة الشمنينة والغسل يوم خميس الاسرار وسجدة الصليب يوم جمعة الآلام وزيّاحات مختلفة فصادق عليها المجمع المقدّس وامر بطبعها في رومية البابا غريغوريوس السادس عشر بالتماس المطران نقولا مراد . فلمّا نفدت هذه الطبعة الاولى امر غبطة السيّد البطريرك الياس بطرس الحويك السامي الاحترام بتجديد طبعها بعد ان عُني بتنقيحها آباء الرسالة اللبنانية المارونية الافاضل . فطُبعت في مطبعتنا الكاثوليكية طبعاً حسناً وأُضيف اليها نص الصلوات بالسريانية وكانت سابقاً بالعربية فقط . ثم أُلحق الكتاب بايضاح النعم التي نالها السيد البطريرك من الحبر الاعظم بخصوص شركتي الورديّة وثوب سيّدة الكرمل واخويّة الجبل بلا دنس على شروط معلومة . فبهذه الطبعة تيسّر لسائر الكهنة والمؤمنين الحصول على هذا الكتاب الجزيل الافادة ومشاركة الكنيسة في رتبها المقدّسة وتغذية الارواح بتعاليمها السامية . جازى الله خيراً كل من اهتمّ بهذا العمل الصالح ل.ش

شذرات

الفرمسون ومقالتنا في كشف اسرارهم قامة قيامت الفرمسون في بلادنا واستاؤوا اي استياء لما نشرنا في المشرق من المقالات المتوالية في كشف كفر شيعتهم وخداعها . وحاولت مجلّة المقتطف في عددها الاخير (١ كانون الثاني ١٩١٠ ص ١٥٧) ان تبرّر الماسونية مما تدعوه تهماً في حقها فافتتحت كلامها بقولها: « من غرائب اطوار الانسان انّ غرضهُ يعميه عن رؤية الحقائق ولو ظهرت امامهُ واضحة مجسّمة . مثال ذلك اتهام بعض الناس للجمعية الماسونية بأنها جمعية سياسيّة معادية

لكل سلطة مدنية وهم يرون اعظم الملوك والوزراء ورجال السياسة من اعضائها . . . »
فكان حقنا بعد هذه الفاتحة ان نجد في مقالة المقتطف ردًّا على الشهادات المتعدّدة التي نقلناها من كتب شيوخ الماسونية فسكت عنها كلها وردّد ما اعتادهُ الماسون لتزكية شيعتهم تاسباً اليها نشر التمدُّن والترقي الى غير ذلك من العبارات الفارغة التي اشبعونا من قشرتها ولم يُذيقونا بعدطعم لبها . فما اسهل على صاحب المقتطف وامثالهِ من الماسون ان يلقموا الحجر بنكران الشواهد التي اثبتناها عن جماعتهم المقوتة وسوف نثبت غيرها ان شاء الله فانَّ جعبتنا ملأى من السهام الصائبة فليس للماسون في بلادنا الّا احد امرين اما ان يقرُّوا بصحّة شواهدنا فيكشفوا اللثام ويجاهروا بعداء الدين واما ان يبيّنوا انَّ منقولاتنا لا صحّة لها وانَّها مأخوذة عن مصادر كاذبة . فما قولهم ؟ — واغرب من دفاع المقتطف عن الماسونية كرّاسة « لمسيحي حرّ » جمع فيها ما امكنهُ من القذف والطعن في حقارتنا وفي الرهبانية اليسوعية على الطريقة المألوفة عند الماسون (وكلُّ اناء ينضح بما فيه) فطبعها دون ذكر اسمه ومحلّ طبعها . وفي هذا احسن دليل على صدقهِ فما لنا نحن « الجزويت » اذا كتبنا عن الماسونية نصرّح باسمنا وندلّ على صفحات الكتب التي ننقل عنها اليس ذلك بيّنة على اننا لا نخاف في قولنا لومة لائم ؟ . فكفى الماسونية تستّرًا وحسبها كذبًا وافكًا . امّا الشكايات التي في هذه الكرّاسة فقد تفكّهنا بحلاوتها واضحك البشير قرّاءهُ بنشرها . والحق يقال انَّ احسن ما تتمنّى لصاحبها ان تزيد انتشارًا ليرى الكلّ ضعف حجّة الماسون في الدفاع والهجوم . فما اصحّ قول المتنبي :

واذا اتتك مذمّتي من « فاجر » فهي الشهادة لي بأني كاملُ

— هكل والمقتطف — افتتح المقتطف عدد شباط الاخير (ص ١٠٥) بنبذةٍ عن ارنست هكل (Ern. Haeckel) وأطرأ كعادتهِ ذلك الطبيعيّ الشهير نصير المذهب الدروينيّ ولم ينس الكاتب الّا امرًا واحدًا وهو ما وقف عليهِ العلماء من تلاعب هذا الرجل ومكره العجيب فانهُ لمّا اراد مرّة اولى ان يبيّن انَّ مبدأ الحياة قد نجم من دقائق مادّية اجتمعت في ظروف خاصّة دون فعل الخالق جاءت اكتشافات العلّامة بستور فزيّفت رأيهُ السخيف واثبت انَّ لا حي الّا من الحيّ . ثم عاد هكل ثانيةً وقصد اثبات تسلسل الانسان من القرد فادّعى انَّهُ وجد دعامةً لمذهبهِ في صور نُطَفِ الانسان مدّعياً انها تشبه تمامًا صور نطفة القرود فزوّر تلك الصور

واشاعها حتى خامر الريب في قوله احد علماء وطنه الدكتور براس فبعد البحث المدقق كذّب هكل رسميًا امام جماعة من علماء وطنه واضطرّه بان يقرّ بتزويره لتلك الصور. فانفضح امر هكل بأعين كل اهل العلم الّا المقتطف الذي لا يزال يعدّ هكل فيلسوفًا عظيمًا. فبخ بخ من نزاهة هذه المجلّة واصحابها الذين يطنطنون بالعلم كلّما وجدوا فيه ناصرًا لآرائهم الباطلة

اثر قديم في اميركا دخل آخرًا في متحف الجمعيّة التاريخيّة في مدينة مينسوتا أثر جليل اكتُشف سنة ١٨٩٠ قريبًا من مدينة سولم جنوبي كنتيسة دوغلاس الواقعة في معاملة مينسوتا من الولايات المتّحدة. والأثر هو حجر طولهُ نحو ٨٨ سنتمترًا في عرض ٤٧ س وسمك ١٧ س وعلى وجهيه كتابة بحرف شبيه بالحرف الروماني وباللغة المعروفة بالرونية (langue runique) وهي لغة قدماء اهل اسوج ونروج والدنيمرك والكتابة عبارة عن تسعة اسطر في احد الوجهين و٣ اسطر في الوجه الآخر. هذا تعريبها:

(الكتابة الاولى) نحن ثمانية غوط (اي اسوجيين) و٢٢ نروجيًا رحلنا لكشف البلاد قادمين من فينلاند (وهي غروينلند) بعيدًا من جهة الغرب. وكنّا تركنا عند صخرتين غيط بها المياه على مسافة مرحلة شمالًا من موقع هذا الحجر (الذي تنصبهُ) ثم خرجنا يومًا للصيد فلمّا رجعنا وجدنا عشرة من رجالنا مضرّجين بالدماء قتلى. فالسلام عليك يا مريم (Av. M.) نجّينا من البلاء

(الكتابة الثانية) : قد تركنا عشرة من الرجال ليحفظوا سفينتنا التي هي على مسافة عشر مراحل من هذه الجزيرة - سنة ١٣٦٢

فيؤخذ من هذه الكتابة انّ هؤلاء الصيادين قدموا الى معاملة مينسوتا بحرًا فتركوا سفينتهم عند جون هودسون وتوغّلوا في البلاد وكانوا من الكاثوليك كما يظهر من التجائهم الى حماية مريم العذراء. وهذه الكتابة بعد ان شكّ البعض في صحّتها قد أثبت اليوم صدقها فئة من الاثريين اخصّهم الاستاذان هولاند (Holand) ووِنْشل (N. H. Winchell). فجاء هذا الاثر مثبتًا لما عُرف سابقًا من دخول اهل اسوج ونروج في شمالي اميركا قبل كرستوف كولمب بعدّة اجيال ويقرّ الجميع بانّ غروينلند كانت معروفة منذ اوائل القرن الحادي عشر للميلاد ويُعرف اسماء بعض اساقفتها في القرن الثاني عشر. اما اميركا الجنوبيّة فتحيل القرّاء الى رحلة اوّل شرقي اليها وهي التي

نشرها حضرة الاب انطون رباط في المشرق وطبعها على حدة. وهناك فصل في تقاليد قديمة عن دخول النصرانيّة في امركة قبل كستوف كولمب لا حاجة الى ذكرها هنا. فلتراجع

اسئلة واجوبة

س سألنا احد افاضل البلدة كيف تُصنع الطرابيش وما هو اصلها

الطرابيش وصناعتها

ج الطربوش من الفارسيّة سر بوش معناه غطاء الراس عموماً ثمّ شاع للدلالة على القبعة الحمراء النصف المخروطة المستعملة في بلادنا واشيع منهُ اسم « الفاس » اشتقاقاً من اسم حاضرة مراكش حيث اصطُنع هذا الغطاء اوّلاً كما يظهر وشاع منها الى بقية البلاد. امّا صنعهُ فهو كصُنع اللُّبَد ومنهُ ما هو لين غالي الثمن يُتّخذ من وَبَر بعض الحيوانات الصغيرة كالارانب والكَستور ومنهُ ما دون ذلك نعومةً فيتّخذ من اصواف الحملان والغنم او وبر الجمال. ويكون تركيب بعضهِ كالجوخ اي من الصوف الممزوج بالقطن وتختلف كتيبات هذه المركّبات اختلافاً كبيراً ثم تُدَقّ بعضها وتُرَصّ بالآلات حتى تُصبح لبداً ويصبغونها باللون الاحمر امّا بالفوّة كما كانوا يفعلون سابقاً وامّا بالانيلين الاحمر كما هو دارج في زماننا ويصبّونها بالقوالب. هذا وصف اجمالي اما تفاصيل العمل فلا بُدّ من مراجعة اهل المعامل الكبرى لمعرفتها ولكل معمل بعض اسرار يضنّون بها زيادةً لحسن العمل وتوفير الارباح. امّا تاريخ استعمال الطرابيش فليس يُعرف تماماً لكنها ليست اقدم من ثلثمائة سنة

س وسأل من تماثيل حضرة القس انطون صابر مراد: ١ هل يمنع من ربح الغفرانات الزيادة والنقصان في ترجمة الصلوات التي منحت الكنيسة هذه النعم على تلاوتها ٢ اذا تُليت صلاة مغفّرة في كتاب لم يصادق عليهِ ارباب الدين هل تُربح الغفرانات المتعلّقة بتلك الصلاة

ربح الغفارين

ج الجواب على (الاوّل) انّ ترجمة تلك الصلوات يجب ان تكون امينة مضبوطة وافية لا تخلّ البتّة في المعنى الجوهريّ امّا اذا زيد فيها لفظة او لفظتان لتتمّة المعنى وايضاحهِ فلا بأس منهُ. فيجيب على (الثاني) ان ذلك لا يمنع ربح الغفارين بشرط ان تكون الصلاة موافقة للاصل

ل. ش

المشرق

رحلة أثريّة الى الأقصر وأسوان

لحضرة الخوري لويس ملحة كاهن الموارنة في الاسكندريّة

لم تضنّ علينا الأيام برحلة الى ارض قد طالما تاقت اليها النفس وطمح اليها البصر نريد بها مصر العليا حيث جعل الفراعنة حواضرهم في تلك العهود السالفة فشيّدوا ما شيّدوا من شواهق الهياكل وشوامخ المعابد ما لا يزال ينطق بما كانوا عليه من السيطرة والصولة والاقدام على العظائم. وقد رأينا ان نذكر لكرام قرّاء المشرق الاغرّ تفاصيل رحلتنا هذه لعلّهم يجدون فيها ما يفكّه الالباب ويسرّ الخواطر فنقول :

١ بين القاهرة والاقصر

برحنا الاسكندريّة في ١١ كانون الثاني ١٩١٠ قاصدين القاهرة ومنها ركبنا القطار الفاخر عند الساعة السادسة والثلاثين من مساء اليوم التالي فانطلق بنا ينهب الارض نهباً وما كاد يقطع مسافة الّا وحان ميعاد طعام العشاء فقصدنا قاعة الاكل المعدّة في باطن القطار حيث جلسنا على المائدة مع عدد غفير من السيّاح فشرعنا ننظر تارةً ذات اليمين وطوراً ذات الشمال مصغين الى ما يتحدّث به هؤلاء السيّاح على امل ان نجد فيما بينهم من يتكلّم بالافرنسيّة فنبادله الكلام فخاب الامل اذ قد ظهر بان السواد الاعظم من ركّاب ذلك القطار انما كانوا من الامريكان والانكليز ودأبهم في فصل الشتاء ان يؤمّوا القطر المصري لزيارة آثاره

وما انتهينا من تناول الطعام حتى شعرنا بنفحة من البرد فعمدنا الى الفراش في

قطارنا حيث رقدنا رقدة من لم تكتحل عينه بغير السهاد . ولمّا كاد يتمزّق ستر الليل هببنا من النوم واشرفنا من نافذة القطار فرأيناه يخترق مروجاً نضرة كبُسط المخمل الناعم ذات اللون الزمردي الآخذ بمجامع العيون واوساطها مرصعة باشجار النخل الباسقة وهي تختال وتميس باغصانها التي تناطح السحاب

وما فتئ ان لاح لنا من فوق قمة جبل بعيد اشعّة لازوردية اندهشت لها الابصار . ونحن نكذلك واذا بالغزالة بزغت من بين تلك الاشعّة البديعة الالوان مصوبة سهامها الينا والى تلك البقاع النضرة فانجلت عن محاسن فتّانة رائعة وبقينا على هذه الحال الى ان بلغ القطار محطة الاقصر نحو الساعة التاسعة صباحاً فانحدرنا منهُ وقصدنا احد الفنادق وبعد ان استرحنا قليلاً من السفر عمدنا الى دليل فذهبنا معهُ الى هيكل الاقصر

٣ الاقصر وهيكلها

دُعيت الاقصر بهذا الاسم لفخامة ابنيتها الجديرة بمنازل الملوك وهي اليوم بلدة يناهز عدد سكّانها الأحد عشر الفاً منهم الفان وستمائة من الاقباط والاجانب والبقيّة مُسلمون وهي تابعة لمديريّة قنا . وشهرتها بهيكلها العظيم احدى عجائب مصر

وهذا الهيكل قد شرع الفراعنة بتشييده في عهد الدولة الثالثة عشرة فوق انقاض معبد قديم كان مخصصاً للاله امون ولزوجته الالهة موت ولابنهما خنسو ثم اخذ فراعنة السلالات التالية يضيفون اليه بعض الابنية والزخارف والنقوش حتى بلغ ما بلغ من رحب الارجاء وجلال المباني . وللهيكل المذكور اربعة مداخل هي من الفخامة بمكان بنى الاوّل منها رعمسيس الثاني الطائر الشهرة (اطلب وصفهُ في المشرق ٧ : ٥٥٠ و ٨ : ١٤٥) . ولمّا وصل الاسكندر بغزواته الى تلك الجهات اقام ايضاً في الهيكل المشار اليه مقدساً يُرى على جدرانه رسم ذلك الغازي ماثلاً امام الاله امون ويُعدّ هذا الهيكل من ابهى الهياكل التي عُني بتشييدها فراعنة مصر ثم عدنا الى المنزل فتناولنا طعام الغداء واذ حانت الساعة الواحدة بعد الظهر ركبنا حمير مصر الفارهة وتوجهنا الى زيارة هياكل الكرنك

٣ هياكل الكرنك

ادركنا هذه الهياكل وهي لا تبعد عن الاقصر اكثر من نصف ساعة وما كدنا نطوف في اخربتها الّا واخذ منّا العجب مأخذهُ اذ رأينا هناك احسن ما ابتدعته العقول البشريّة من فنون الهندسة وعجائب البناء وما اصطنعتهُ الايدي من النقوش والالوان والكتابات ونحتهُ الانامل من التماثيل والمسلّات والانصاب وما بلغت بهِ قدرة هؤلاء الفراعنة وهم اليوم سكّان القبور من قطع تلك الحجارة المتناهية في الضخامة والثقل ومن نقلها وهندستها ورفع تلك الاعمدة الشامخة باحكام واتقان

الّا ان اجمل تلك الهياكل وافخمها انّما هو هيكل الاله امون الراقي تاريخهُ الى اوائل الدولة الثانية عشرة نحو سنة ٢٤٦٦ قبل المسيح لكنه لم يبلغ ما بلغ من العظمة والرونق الّا بعد ان مرَّ عليهِ ازمان وحقب كما سترى

فان عمينوفيس الاوّل قد شيّد هذا المعبد الاصلي مقدساً اخنى عليهِ الزمان ثم قام تحوتمس الاوّل وجعل ثيبة عاصمة الملك فلم يرَ ذلك المقدس اهلاً بعظمة الاله فعُني بانشاء باحة فسيحة الارجاء تنتهي الى مدخل مهيب من الجهة الغربيّة ثم الحقهُ فيما بعد بمدخل ثانٍ من الجهة الشرقيّة وسوّرهُ بسور حصين نصب امامهُ مسلّتين واحدث بين هذين المدخلين رواقاً جميلاً

ثم جاءت الملكة هتشبسوت وابتنت امام المعبد القائم داخل باحة تحوتمس الاوّل الآنفة الذكر مقدساً خصوصيًّا ونصبت في الرواق المشار اليهِ مسلّتين جميلتين يبلغ ارتفاع كل منهما ثلاثين متراً وعلى راس كل واحدة اكليل من ذهب هرمي الشكل. ثم انجز تحوتمس الثالث يوم استقل بالملك ما كانت قد شرعت بهِ اختهُ هتشبسوت ولم يقف عند هذا الحدّ بل عمد الى دكّ اركان قسم كبير من اعمدة باحة تحوتمس الاوّل واقام مكانها سلسلة معابد صغيرة وما زال هذا الفرعون يحدث التحسينات الى ان اصبح البناء من اجمل الهياكل المصريّة. (اطلب وصفهُ وصورة مدخلهِ في المشرق ٧: ٥٥١—٥٥٣)

امّا فراعنة السلالة التاسعة عشرة فقد اضافوا الى هذا الهيكل من جميل الابنية وفخيمها ما جعلهُ اشمخ هياكل تلك الاعصار واشهرها نخصّ منهم رعمسيس الاوّل

الذي بنى له ايضاً مدخلاً غاية في المتانة والجمال وسيتي الاوّل ورعمسيس الثاني اللذين شيّدا بين هذا المدخل ومدخل عمينوفيس الثالث تلك الصاعة الغربيّة المعروفة بصاعة الاعمدة وقد استنفدا وسعهما بجعلها عجيبة العجائب ثم احاط فيما بعد رعمسيس الثاني هذه الصاعة بسور آخر ليس باقل خطورة من غيره

ولمّا قبض الملوك الليبيون زمام الاحكام جعلوا يحذون حذو من تقدّمهم من الفراعنة في اقامة الاروقة ورفع الاعمدة وما اشبه فان شيشناق (١ قد احدث امام مدخل رعمسيس الاوّل ساحة رحبة وطوّقها باروقة من جهتي الشمال والجنوب بحيث اكتنفت قسماً من معبد رعمسيس الثالث. ثم جاء بعده تاهارقه (٢ احد ملوك السلالة الخامسة والعشرين واقام في الساحة نفسها بناء جميلاً على شكل خيمة يستند الى عدّة اعمدة متينة

امّا البطالسة اليونان خلفاء الفراعنة فانّهم احدثوا في هذا الهيكل بعض تغييرات وختموه بمدخل فخيم. وقد بيّن حضرة الاب ميشال جوليان في مقالته النفيسة عن الآثار النصرانية في هياكل مصر القديمة (المشرق ٤: ٣٤٢) كيف اتّخذ النصارى هياكل الاقصر لعبادتهم فخصّوها بالاله الحقّ. ثم اخذت اعمدة هذا البناء الشامخ وانصابه ومسلّاته وما شاكلها تتداعى الى السقوط بتوالي الازمان بيد ان مصلحة الآثار المصرية قد تلافت ذلك ولا تزال تشتغل بهمّة لا تعرف الملل بترميم انقاض هذا الهيكل الفخيم لتصونهُ من انياب الادهار وطوارق الحدثان

هذا ما اردت الالمام بهِ في هذه العجالة من تاريخ اشهر هياكل الكرنك وما هو الّا قطرة من سحاب في جانب ما ذكرهُ الاثريّون والمؤرخون من الاوصاف المتسعة النطاق في بطون مؤلفاتهم ومطاوي اسفارهم

٤ قبور الفراعنة في بيبان الملوك (٣

نهضنا صباح اليوم التالي وبعد تلاوة الصلوة سرنا مع دليلنا الى النيل فعبرنا على

١) قد عرّف الكتاب العزيز هذا الملك باسم شيشاق وهو الذي حمل على رحبعام ملك يهوذا كما ورد في سفر اخبار الايّام الثاني (ف ١٢)

٢) وهو المعروف في الاسفار المقدسة بترهاقه ملك كوش (الملوك الرابع ١٩: ٩) ونبوءة اشعيا (٣٧: ٩)

٣) اطلب مقالة الاب مالون في المشرق (٨: ١٤٧-١٤٩)

زورق الى الضفة الغربية وهناك امتطينا المراكيب فسارت بنا سيرًا حثيثًا وكنا أبان السير نرى امامنا جبلًا اقرع اصلع فسألنا دليلنا عن اسمه فقال لنا انهُ الجبل الذي في سفحهِ نُقرت قبور الملوك فما زلنا نتابع السير الى ان بلغنا الى هيكل سيتي الاوَّل في قرنة فزرناهُ وشاهدنا فيهِ ما يقرب من هياكل الكرنك والاقصر من حيث الشكل والاعمدة والتماثيل والنقوش وما اشبه وقد شوَّه الغُزاة الفاتحون لمصر محاسن هذه النقوش عند حلولهم في تلك المحال السحيقة

ثم خرجنا من الهيكل ومالنا الى اليمين ثم الى الشمال وسرنا قاصدين قبور الملوك ولم يكن الَّا برهة حتى ولجنا واديًا قفرًا بين جبلين لا تسمع فيهِ الَّا دندنة الزنابير وخشخشة الخفافيش وعلى كتفيهِ صخور جرداء صهرت سطوحها اشعَّة الشمس المحرقة وتلوح على محيَّا ذلك الوادي ملامح الكآبة والوحشة اذ لا ترى هناك الَّا قليلًا من الشجيرات والانبتة الضئيلة حتى انهُ يخال لك لاوَّل وهلة ان طيف الموت يظلّل تلك الامكنة ويتهدَّدها فيُذعر لمنظرها الناظر

وبعد ان قطعنا هذا الوادي القفر بلغنا قبور الملوك التي هي عبارة عن سراديب متسعة منقورة في قلب الجبال وهي عديدة الَّا ان اخطرها سبعة مدافن دُفن فيها رعمسيس الاوَّل والثالث والسادس والتاسع ومنفتاح وسيتي الاوَّل وعمينوفيس الثاني

وقد اثارت مصلحة الآثار هذه المدافن من الداخل بمصابيح كهربائيَّة جعلتها آية في الحسن والبهاء ولو حاولنا ان نتكلم عن كل منها وعمَّا فيها من النقوش والكتابات والمناظر والاروقة والردهات والرسوم والرموز لطال بنا المجال واقتضى الامر مقالات ضافية الاذيال وانما نقصر كلامنا على مدفن امينوفيس الثاني وهو ابدع تلك الآثار السبعة فنقول:

عثر على هذا المدفن الاثريُّ الشهير ڤيكتور لوره في سنة ١٨٩٨ ويُنحدر اليهِ على درج ذي مسالك وعر ينتهي الى بئر فوقها ممرٌّ من خشب اذا اجتزتهُ بانت مقصورة تؤدّي بك الى صاعة لا نقوش فيها ولا كتابات ثم تجد سلَّماً في الزاوية الشماليَّة يفضي بالنازل منهُ الى رواق ذي تربة زلجة ثم الى قاعة تستند الى ست ركائز وفي وسطها حفرة عميقة وعلى الركائز الست رسم عمينوفيس الثاني ماثلًا امام آلهة الجحيم وعلى الجدران آيات ورموز من كتاب المصريين المعروف بكتاب الاموات واذا ما رفعتَ

نظرك الى السقف رأيتهُ مزدانًا بلون سنجوني موشًى بنجوم صفراء تفتن الابصار

امّا الحفرة فتحوي التابوت الملكي وهو من الحجر المانع المحبَّب الاحمر (الغرانيت). تحيط بهِ المصابيح الكهربائيَّة برونق يلقي في القلب اشد التأثير وترى في قاب التابوت جثة عمينوفيس الثاني مضجعًا تحفُّ بهِ مهابة الموت وحولهُ طاقات من من الازهار وعلى الجثَّة لفائف وعصابات من نسيج الكتَّان الابيض. وعلى اجنحة هذه الغرفة اربع غرف ايضًا اثنتان من الجهة اليمنى واثنتان من الجهة اليسرى امّا الغرفتان الاوليان ففي احداهما ثلاث جثث محنَّطة لم يتحقَّقوا حتى الآن اسماء اصحابها. امّا الثانية فلم يُبَح بدخولها بعد وهي تتضمَّن كما سبق تسع جثث ملوكيَّة وضعت هناك صونًا لحرمتها من انتهاك اللصوص ومن هذه الجثث جثَّة تحوتمس الرابع وعمينوفيس الثالث من فراعنة السلالة الثامنة عشرة وسيتاح وسيتي الثاني من السلالة التاسعة عشرة

وبعد ان انتهينا من زيارة هذه القبور الجليلة تركنا مدافن الملوك واخذنا بالتصعيد في الجبل من الجهة اليمنى نريد الدير البحري وما كدنا ندرك قمَّتهُ حتى تنفسنا الصعداء لانَّ روحنا كانت قد بلغت التراقي من شدَّة ما نالنا من التعب في تلك السراديب ثم سرَّحنا رائد الطَّرْف فرأينا في سفح ذلك الجبل اخربة الدير البحري واطلاله ثم مرجًا خصبًا يروق النظر توشيهِ اشجار النخل المحلقة رؤوسها في الفضاء وفيهِ ينساب النيل كانسياب الحياة في السهول والحزون وما كانت الَّا هنيهة حتى اخذنا بالانحدار الى الدير البحري وجعلنا نتفقد آثارهُ الجليلة

٥ هيكل الدير البحري (١)

شيدت هذا الهيكل على افخر طرز الملكة هتشبست اخت تحوتمس الثالث وزوجته وشريكته في الملك وزانتهُ بالنقوش والرسوم والزخارف والتماثيل والكتابات فجاء من افخم ما ابتناه الفراعنة من الهياكل والمعابد في تلك الاعصار الشامخة. على ان المدَّة التي ملكت فيها هتشبست هذه كانت قصيرة لان تحوتمس قرينها قد ازالها عن العرش لنزاع وقع بينهُ وبينها وما عتَّم ان امر بطمس صورة وجهها وعزا الى نفسهِ

(١) اطلب المشرق (٨: ١٤٩).

ما نقشتهُ من الكتابات والرسوم على جدران الهيكل المشار اليهِ . ثم طرأ على هذا الهيكل ما طرأ على غيره من التغيرات والتقلبات في ايام الفراعنة الذين رقوا فيما بعد منصَّة الملك

ولمَّا انتشرت النصرانية في تلك الاصقاع قطن ذلك الهيكل طائفة من الرهبان بعد ان ازالوا ما فيهِ من الرسوم الوثنيَّة والاصنام ومنذ ذاك التاريخ عُرف باسم الدير البحري لحلول الرهبان فيهِ ولوقوعهِ بجوار النيل . ولمَّا انتهينا من زيارة هذا المعبد الجميل تناولنا هناك طعام الظهر ثم برحناه قاصدين هيكل رعمسيس الثاني

٦ هيكل رعمسيس الثاني

ادركنا هذا الهيكل الذي لا يبعد عن الدير البحري الأرمية حجر وهو المعروف منذ شمبليون باسم رعمسيس (Ramesseum) فولجناهُ واخذنا نتفقد ما فيهِ من البقايا والاعمدة والتماثيل الهائلة (اطلب المشرق ٨ : ١٤٩) ولا مندوحة لنا عن ذكر شيء من تاريخ هذا الهيكل العظيم فنقول :

لقد بنى هذا الهيكل رعمسيس الثاني الفاتح الشهير وافرغ كنانة جهده ليجعلهُ على شكل يفتن الابصار وخصصهُ للاله امون الذي كان متعبِّدًا لهُ الَّا انَّ ايدي الزمان قد عبثت بهِ واخنت عليهِ فافقدتنا افخر محاسنه ولم تُبقِ لنا الَّا قسمًا منهُ

وفي الهيكل المذكور تمثال هائل لهذا الفرعون وهو من الحجر الظرَّاني السَّاقي الَّا انهُ قد اصبح اليوم متفتتًا وترى اسم رعمسيس مرسومًا على ذراعي هذا التمثال وعلى قاعدته بالقلم الهيروغليفي . امَّا طولهُ فيبلغ سبعة عشر مترًا ونصف المتر على ما قالهُ رجال البعثة الافرنسية الذين تفقدوا آثار هذا الهيكل سنة ١٨٩٩ وقد قاسوا اعضاء التمثال المشار اليهِ فكان على ما يأتي :

	متر	سنتي
طول الاذن	١	٠٥
مسافة سطح الوجه من احدى الاذنين الى الثانية	٢	٠٨
مدى الصدر من احدى الكتفين الى الثانية	٧	١١
مدى سطح الكتفين من الواحدة الى الاخرى	٦	٨٤
قطر الذراع بين المرفق والكتف	١	٤٦
طول السبابة	١	

	متر	سنتي
طول ظفر الاصبع الوسطى	–	١٩
عرض القدم من المنصر الى الابهام	–	٤١

امّا وزنهُ فقد قدّروهُ بعشرين الف قنطار وهذا يبيّن صحّة ما رواهُ عبد اللطيف البغدادي في كتابه الافادة والاعتبار عن بعض التماثيل التي رآها في مصر اذ قال:

« وامّا الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامرٌ يفوق الوصف ويتجاوز التقدير . وامّا اتقان اشكالها واحكام هيئاتها الطبيعيّة فموضوع التعجب بالحقيقة . فمن ذلك صنم ذرعناه سوى اعدته فكان نيفاً وثلاثين ذراعاً وكان مداه من الجهة اليمنى الى اليسار نحو عشرة اذرع ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوّان الاحمر . والعجب كلّ العجب كيف حُفظ فيه مع عظمه النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي . . . ولقد شاهدت كثيراً منها وقد نُحت من ضامه رجلي قطرها ذراعان ولم يظهر في صورته كبير تشويه ولا تغيير بيّن »

٧ هياكل مدينة هبو

هياكل هبو على بعد اكثر من غلوة من هيكل رعمسيس وهبو مدينة صغيرة بناها المسيحيّون هناك في القرن الخامس للمسيح حول تلك المباني الشريفة ولا تزال آثارها واطلالها الى يومنا هذا (اطلب مقالة الاب مالون في المشرق ٨ : ١٥٠)

اما تاريخ اقدم تلك المعابد فيرتقي الى ايّام الدولة الثامنة عشرة ثم جاء رعمسيس الثالث فاقام هناك معبداً كبيراً وزانهُ بضروب التهاويل التي تفتن العقول وتدهش الابصار وترى في باحة هذه الهياكل برجاً شاهقاً يحاكي الابراج التي كان العرب يقيمونها في قلاعهم وحصونهم ولمّا شاعت الديانة المسيحيّة في تلك الامصار حوّل المسيحيون بعض الهياكل الى كنائس كما يتبيّن من آثار الصلبان المنقوشة على الابواب (اطلب مقالة الاب جوليان السابق ذكرها في المشرق ٤ : ٣٤٦) . وقد مكثنا هناك نحو ساعة من الزمان ثم زايلنا تلك الاطلال وقصدنا مقام تمثالي ممنون

٨ تمثالا ممنون (المشرق ٨ : ١٥٠–١٥١)

لا يتجاوز بُعد هذين التمثالين عن مدينة هبو مسافة عشر دقائق ويراهما الطائف في تلك الجهات كيفما جال وهما من الحجر الصوّان الضارب الى الصفرة يمثلان عمنوفيس الثالث جالساً على سرير مربّع الشكل ويبلغ طول الواحد منهما خمسة عشر متراً ونيفاً

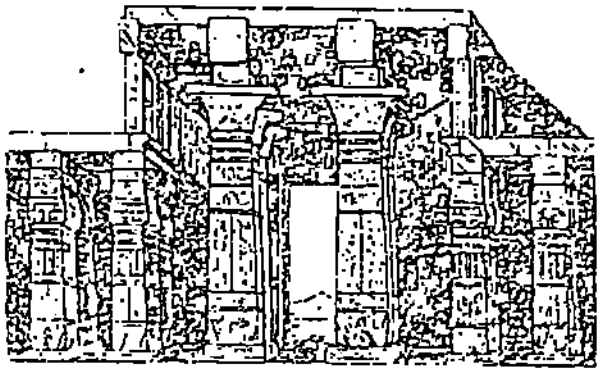

رسم

الردهة الكبرى ذات العواميد
في هيكل كرنك

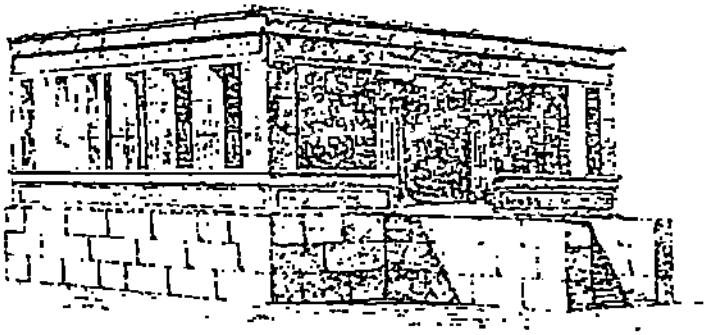

منظر

الهيكل الصغير في جزيرة اليفنتين

ما عدا القاعدة وطولها نحو اربعة امتار وكان على رأسه تاج سقط من زمن مديد وقد كان طولهُ لا يقلّ عن المتر ونيف كما قيل وهكذا يبلغ كل واحد من التمثالين المذكورين نحو ٢١ متراً

ومن غريب ما رواهُ القدماء عن احد هذين التمثالين انهُ عند طلوع الفجر كان يُسمع لهُ صوت رخيم فيزعمون انه يحيي بهِ امَّهُ (Eos) إيوس اي الفجر وقد اكتشفوا سرّ ذلك الصوت بهندسة لطيفة جعلها النقاش في تركيب التمثال وترى ما عدا الكتابات الهيروغليفية المرسومة على هذين التمثالين بعض كتابات يونانيَّة نثراً ونظماً تُشير الى ذلك الحادث . ومن هناك رجعنا على الاعقاب الى مدينة الاقصر وتلك كانت ليلتنا الاخيرة فيها

٩ بين الاقصر واسوان

برحنا الاقصر قبل ظهر النهار الثاني وركبنا قطار الساعة العاشرة نريد اسوان فسار بنا على جناح البخار وكان تارةً يقترب من النيل فنراهُ بمياهه السمنجونيَّة معنا على ضفَّتيه من البساتين الخضراء التي تبهج النظر وتثلج الصدر وطوراً يبتعد عنهُ فيحتجب النهر عن الابصار فلا نعود نرى اذ ذاك الَّا اكمات وصحاري قفراء جدباء لا يُرى فيها ديَّار ولا نافخ نار وما زال كذلك حتى بلغنا اسوان عصر النهار فدخلناها وتوجهنا تواً الى المنزل

١٠ اسوان وآثارها

ان هذه المدينة قائمة على ضفة النيل الشرقيَّة وهي في منتهى الجمال والبهاء وعدد سكَّانها لا يقلّ عن الثلاثة عشر الفاً وما كدنا نطأ ارضها الَّا وذهبنا بعيَّة احد الادلَّة الى حيث المسلَّة الكبرى فادركناها بعد برهة من الزمان واذا هي قطعة واحدة من الحجر السمَّاقي يبلغ طولها ٢٨ متراً في عرض ثلاثة امتار ونصف المتر عند قاعدتها ومعظمها مطمور بالرمال ولا يُعلم بالتمام تاريخ هذه المسلَّة الشامخة ثم عدنا الى سهل يدعى سهل البشيريَّة نسبة الى قبيلة من السودان قد ضربت فيها خيامها . ومن غريب عوائد تلك القبيلة انَّ رجالها يرسلون شعور رؤوسهم المتشعثة الجعدة ويجعلونها بشكل جمَّة ويسيرون مكشوفي الرؤس ومنهم من يعتمُّ بعمَّة بيضاء . امَّا مآكل تلك القبيلة فألبان الماعز واللحوم النيئة . ومن هناك عدنا الى المنزل وبتنا ليلتنا فيه

استيقظنا غاس يوم الاحد التالي وتوجّهنا بادئ بدء الى كنيسة دير حضرة الآباء الافريقيين حيث قمنا بالفروض الدينيّة ثم اكترينا الدوابّ قاصدين الشلّال وجزيرة فيلة فسرنا وكنّا نشاهد اثناء السير قنطاً ومقالع من الحجر المائع المنسوب الى اسوان وكان قدماء المصريين يقتلعونهُ من مناجمهِ لبناء هياكلهم ونحت تماثيلهم وترى في تلك المناجم بعض حجارة رُسمت عليها الكتابات بالقلم الهيروغليفي تؤذن بأنها نُقشت من عهد مديد وقد رسمها العلّامة دي مورغان بخطوط بيضاء منوّهاً الى شأنها. ومما شاهدناهُ ايضاً في طريقنا سور من الآجرّ اقامهُ هناك فراعنة المملكة الوسطى ردّاً لغارات بدو الصحراء الشرقيّة يبلغ علوّهُ اربعة امتار وهو يمتدُّ الى الشلّال ولم نكد ننتهي من هذه المسافة حتى رأينا الشلّال وجزيرة فيلة بازائنا

١١ جزيرة فيلة وهياكلها

سمّى القدماء هذه الجزيرة « درّة مصر » لانها قائمة في كبد مياه النيل على صخور صوانيّة شفّافة فاذا ما برزت الشمس من حجابها ورشقتها بنبالها الذهبيّة انجلت عن مشهد بهيّ يسحر العيون ويخلب الالباب. اما مساحة هذه الجزيرة فتبلغ ٤٦٠ متراً طولاً في عرض ١٥٠م وقد عبرنا اليها على زورق فادركناها ورجلنا هياكلها وجعلنا نتأمّل في آثارها وكتاباتها ورسومها واذا هي من ابدع ما شيّدتهُ ايدي الصنعة ولا تبرح رغماً عن طوارئ الحدثان تفصح عمّا كان عليهِ مشيّدوها من العظمة والمجد

وقد توقّفنا من بين تلك الهياكل سلّماً أدّى بنا الى سطح عالٍ اشرفنا منهُ على الجزيرة كلّها وضواحيها فاثر فينا اذ ذاك منظر نهر النيل الجاري بين تلك الاهاضيب والبطاح بينما كانت الريح تعصف وتهبّ والمياه تخرُّ فيسمع لخريرها حفيف لطيف يهيّج الجوارح و يصيب شغاف القلب

اما تاريخ اوّل بناء شيّد في تلك الجزيرة فيرتقي الى اقدم الازمنة الغابرة وقد اصبح اليوم اثراً بعد عين ومن هياكلها الباقية ما بُني في منتصف القرن الرابع قبل المسيح ومنها ما يرتقي الى عهد البطالسة وهو افخر هياكل تلك الجزيرة ثم احتلّها الرومان بعد المسيح وابتنوا فيها بعض المعابد والمقاصير. وحظي مسيحيو الاعصار الاولى للكنيسة بتنصير اهل هذه الجزيرة البديعة فحوّلوا بعض معابدها الى هياكل للاله

الحق وادلّ دليل على ذلك اثار الصلبان المرسومة هناك على عدّة ابواب (راجع مقالة الاب ميشال جوليان في آثار النصرانيّة في هياكل مصر الوثنيّة في المشرق ٤ : ٣١٧)

ولمّا غزا القائد بونابرت البلاد المصريّة زحف بجيشهِ الى تلك الجزيرة ونقش على احد جدران ابنيتها تاريخ زحفتهِ . ومنذ بُني خزّان اسوان الذي سيأتي الكلام عنه اخذت امواه النيل المختزنة في أيام الفيضان تتهدّد تلك الجزيرة ومآثرها بالخراب وان لم تعمد مصلحة الآثار المصريّة الى وسائل فعّالة تقي تلك الهياكل من الدمار لطغت عليها المياه يوماً وتقوّضت اركانها وافقدتنا ابهى ما وُجد من الآثار المصريّة (اطلب صورة هذه الجزيرة في المشرق ٧ : ٥٥٢)

ثم زايلنا درّة مصر هذه واستأنفنا ركوب الزورق الذي كان بانتظارنا فسرنا نخر مياه النيل قاصدين الخزّان وقد وقع بصرنا خلال السير على بعض صخور من الظران تغمرها المياه ويُرى على واحدة منها اسم الفرعون بسامتيك الثاني مرسوماً بالخط الهيروغليفي والمسافة في النيل بين جزيرة فيلة والخزان لا تتجاوز العشرين دقيقة

١٢ الخزّان (١

بلغنا هذا السدّ العظيم المبني باصلب حجارة الصوّان والبالغ طولهُ ١٩٧٠ متراً وارتفاعه ٤٠ م وعرضه ٧ امتار فقطعناه كله على عجلة وكنّا اثناء ذلك نشخص الى الجهة التي تتفجّر منها المياه من العيون فتراها ترغي وتزبد وصداها يتردّد في ذلك الوادي وقطراتها تتطاير متناثرةً في الجوّ وربّما شعرتَ بان طلّاً يقطر عليك فلا تلبث ان تحسّ بنفحة من البرد واذا ما ادرتَ لحاظك الى ضفّتي النيل رأيت هناك جواسق لطيفة البناء تحدق بها الحدائق الغنّاء كما تحدق الهالة بالقمر والسوار بالمعصم فيأخذ منظرها بمجامع الصدور وتبتسم لهُ الثغور

١٣ جزيرة اليفنتين

ثم عطفنا على ادراجنا راجعين الى اسوان حيث تناولنا الطعام واخذنا نصيباً من الراحة ثم ركبنا زورقاً شراعيًّا قصد ترويح النفس في مياه النيل فسار بنا يشقّ عباب المياه على شكل نصف حلقة الى ان بلغنا جزيرة اليفنتين فصعدنا اليها وطفنا اوّلاً في رياضها

١) اطلب في المشرق (٦ : ١ و٦٧) مقالة مستوفية في وصف اسداد النيل وخزّان اسوان لحضرة الاب دي فراجيل اليسوعي

الفيحاء ثم عمدنا الى زيارة مقياسها للنيل الذي يُنحدَر اليه من درج وعلى جدرانه كتابات يونانية اتلف مُعظَمها اهل الدول الفاتحة ايام دخول تلك الجهات في حوزتهم

امّا الخطوط المرسومة ثمّة لمعرفة ارتفاع المياه وهبوطها فهي بصورة اذرع يونانية ولقد مرَّ على هذا القياس عدة قرون حتى كاد الدهر يتلفهُ فاعاده الى رونقه محمود بك في عهد الخديوي اسماعيل باشا كما تشهد على ذلك الكتابات الفرنسوية والعربية المنقوشة هناك

وفي تلك الجزيرة بعض الآثار والاخربة والكتابات لم يسمح لنا الوقت بمشاهدتها لتسريح النظر في نقوشها. وفيها قد اكتُشفت تلك الكتابات الآرامية العجيبة التي وصفها المشرق (١١ : ٥١ و١١٨) المنبئة باحوال بني اسرائيل في مصر على عهد ملوك الفرس والمؤيدة للاسفار المقدّسة. والحقُّ يقال انَّ كل الاكتشافات الحديثة في مصر قد اتت في عهدنا منتصرةً للوحي فانَّ فيها ما يذلّل العقاب ويمهد السبيل لفهم تاريخ شعب الله الذي اقام في ارض الفراعنة نيف واربعة قرون كما جاء في الكتاب العزيز: وكان مقام بني اسرائيل الذي اقاموه بمصر « اربعمائة وثلاثين سنة » (خروج ١٢ : ٤٠)

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع الفصل الثاني)

المشهد الخامس

الرشيد . جعفر . الفضل

[جعفر ان راق ياعين امير المؤمنينَ حدثتهُ ياسر ظريف

الرشيد هات

جعفر جلست امس للشراب مع ندماء آنسُ بهم ولبسنا الثياب المصبغة كعادتنا وامرت خادمي ياسر ألّا يأذن إلّا لعبد الملك بن صالح المسامر. فلمّا دارت

الكاسات اذا بعبد الملك بن صالح العباسي حضر على الباب. فاشتبه على الحاجب بطريق اشتباه الاسم فأذن لهُ فتاجأنا

الرشيد يا فتى. ان عمي شديد الوقار. فما فعلتَ ؟

جعفر لقد كاد عقلي يذهب من الحياء . فقطن للقصّة عبد الملك فاراد ان يرفع خجلنا بمشاركتنا فجلس وشرب

الرشيد احسنَ والله احسنَ. وبعدُ ؟

جعفر خاطبني في حوائج لهُ

الرشيد مقضية

جعفر قال: إن امير المؤمنين عليَّ غاضب فسَلهُ الرضى

الرشيد رضيتُ

جعفر وقال عليَّ دين . . .

الرشيد يا غلام إحمل الى عمي الفَ الفِ درهم

جعفر وقال: وابني ابرهيم أريد ان تحتق على رأسهِ الالوية وتزوّجهُ بابنة الخليفة ابنة عمه

الرشيد يا غلام الرمحَ لاعقد لهُ على امارة الديلم (يأتي برمح فيعقد عليهِ رايةً) وقد زوّجتهُ بعلية ابنتي فأحضرْ القضاة والشهود (١

جعفر جزاك الله خيرًا]. واما الان فاسألك ان توسع لي بالسير الى خراسان كما وعدتني حيث وليتني عليها وعلى الشام ومصر .

الرشيد (وهو يفكّ اختام الرسائل) ألا تزالُ يا جعفر تبخل علينا بالمنادمة وترغب عنّا ؟ ألا ترانا اهلًا للمسامرة ؟

جعفر حاشا العبد ان يخالج فكرهُ هذا الامر. لكن النفس امّارةٌ بالتبدّل

الرشيد ومن يرافقك من الندماء ؟

جعفر أنس ابن ابي شيخ

الرشيد ومن ذا ؟

---

١) العقد الفريد لابن عبد ربّهِ (١ : ٩٩) والفخري (٢٨٢) وابن خلكان (١ : ١٢١)

جعفر رجلٌ فاضل ذو دين وعلم قرأ القرآن والتوراة والانجيل وحفظها احسن حفظ

الفضل أُعلِمتُ أنهُ زنديقٌ مارقٌ عن الدين

جعفر لعنَ اللهُ مَن افترى على أنسٍ كذبًا فانهُ مؤمن بكل ما انزل الله على انبيائهِ حافظًا لشرائعهِ عزَّ وجلَّ (١

الرشيد إذن لا بُدَّ من ذهابك

جعفر ان سرَّح لي امير المؤمنين

الرشيد سآسف لفراقك يا جعفر فاذكرني في سفرك وعُد اليَّ عاجلًا — رسالة من زعيم الروم. (للفضل) اقرأ

جعفر هي لا شك نبأٌ بارسال الجزية

الفضل من نقفور ملك الروم الى الرشيد ملك العرب اما بعدُ فانَّ الملكة إريني وضعتك موضع الملوك ووضعت نفسها موضع السُوَق فاني واضعك بغير ذلك الموضع وعامل على تخارق بلادك والهجوم على أمصارك او تؤدي اليَّ ما كانت المرأة تؤدي اليك والسلام (٢

الرشيد أوَنكث زعيم الروم بالعهد. سرْ اليهم يا جعفر فتوغَّل بلادهم ومثِّل فيهم حتى يستحرَّ بهم القتل ويحدق بهم الموت ويحيط بهم البلاء. ثم ابعث الى حُميد بن مَعيُوف امير البحر بسواحل الشام ومصر فليسر بأساطيلنا الى بلاد الروم فيخرب ويسبي ويمثِّل ويعفِّي الآثار (٣ وانا ملحق بك جيشي النمل (٤

---

١) كان أنسٌ كاتبًا لجعفر. ذكر بعضهم ان عبد الله بن مصعب كان على خبر الناس للرشيد فكان اخبرهُ عن أنس أنهُ على الزندقة وأنهُ من اصحاب البرامكة فقتلهُ. اطلب المسعودي (مروج الذهب ٦: ٢٦٦ و٢٩٥) والطبري (٣: ٦٨١) والاربلي (١٠٦)

٢) الطبري (٦٩٥) والمجاني (٥: ٢١٧) وشرح المجاني (٦١٦)

٣) قال الطبري (٧٠٦) وابن الاثير (سنة ١٨٧) ولّى الرشيدُ حُميدَ بن مَعيُوف سواحل بحر الشام الى مصر فبلغ حُميدٌ قبرسَ فهدم وحرق وسبى من اهلها ستةَ عشرَ الفًا فاقدمهم الرافقة فتولى بيعهم ابو البَختري القاضي فبلغ اسقف قبرس الفَي دينار

٤) في الاغاني (٢٠: ٩٤) انهُ كان للرشيد خدمٌ صغار يسمّونهم « النمل » يتقدمونهُ وبايديهم قسي البندق يرمون بها من يعارضهُ في طريقه

تجمعهم الى الجنود الأعاجم والى الفرق العباسية (١

جعفر نقض الذي أعطاكه تقورُ فعليه دائرةُ البوار تدورُ
أبشر اميرَ المؤمنين فانّهُ فتحٌ أتاك به الإلهُ كبيرُ (٢

الرشيد بحول الله — رسالة من خراسان (يقرأ): « وبلاد الشام لا تزال ثائرة الفتنة والثورات مشتعلةً فيها لسبب قوم يدّعون خلافة العلويين » فحتى مَ اصبر يا بني علي والله لأقتلنّكم ولأبدّدنّ شيعتكم ولأفعلنّ

جعفر طبْ قلباً فسوف لا آلو جهداً في إطفاء نار الفتنة عن طريقي (٣

الفضل (يقرأ): « يا امير المؤمنين انك تربّي حية في حجرك فان تمكّنت نفثتْ فيك سمّها والسلام »

الرشيد لا ارى اسم صاحب الرسالة

جعفر خطٌّ اندلسيّ

الفضل لا شكّ انهُ من عبيد الخليفة المخلصين

الرشيد ما شان اضطرابك يا فضل ؟

الفضل كيف لا اضطرب وأرى الخليفة في خطر

جعفر سيدي ان جنودك جنّة وكتائبك مظفّرة وثغور بلادك امينة . فمن يتجرأ ان يدخل عليك كيداً ؟

الفضل لا فائدة من سدّ الثغور وحشد الكتائب فان العدوّ بظهرانينا

الرشيد ومن هو ؟

الفضل إن أمّنني امير المؤمنين اظهرتُ له الحقيقة

الرشيد قل لا خوف عليك

الفضل يعلمُ الله ما ضمّتهُ السرائر انّ ليست غايتي إلّا اخلاص الخدمة للخليفة والذود عن حياته وسلطانه . فالحيّة التي تنفث عن قريب سمّها في الاسلام

---

١) اخبر الطبري (٣ : ٦٣١) والميلاوي (٥٣) أنّ الفضل البرمكي اتخذ بخراسان جنداً من العجم سمّاهم العبّاسية بلغت عدّتهم خمسمائة الف رجل

٢) الطبري (٦٩٥) والاغاني (١٧ : ٤٥) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (١١٢) الخ

٣) الطبري (٦٣٥ و ٦٣٩) والميلاوي

قد عرفها الوزير جعفر صديق امير المؤمنين ومُحبُّه حقَّ المعرفة

جعفر اخرج عن كلامك. فلو كان ابني لسفكت الساعة دمهُ بسيفي

الفضل ليس لك بابن ولا قريب

الرشيد ومن ذا إذن لا أمَّ لك ؟

الفضل يحيى بن عبدالله العلويّ

جعفر كذبتَ

الرشيد لا حول ولا قوّةَ إلّا بالله. وما حدث بالعلوي ؟

جعفر لا يزال في القيود والضيق

الرشيد بحياتي ؟ (سكوت) (١

جعفر لا وحياتك قد اتخذتهُ لي ضيفاً. هو يا امير المؤمنين شيخٌ ذو عقلٍ كاملٍ وورعٍ وفضلٍ أثيل قد زهد في السُّفليات يواصل الصلاة اناء الليل واطراف النهار

الفضل وقد قيل إنَّ له بنين

جعفر ألم يأمر امير المؤمنين بقتلهم عن آخرهم ؟

الفضل وعلى كل حال إن فسح لي امير المؤمنين بالكلام ووعاهُ عنّي فهو حقيق بذلك وإن هو القاه فقد بلغت ما يلزمني وخرجت عن لوم يلحقني

الرشيد تكلَّم

الفضل انَّ الحكمةَ تقضي باستئصال الشرّ ولا إخال جعفراً يخالفني في هذا

جعفر وما مرادك ؟

الفضل يأمر امير المؤمنين الوزيرَ جعفراً ان يقتل العلويَّ قبل سفره لخراسان

جعفر وما ذنبهُ ؟ رجلٌ كريم اعطاه الرشيد الامانَ وأشهد على نفسهِ مشايخ بني هاشمٍ وامراء الدولة وعظماءها

الفضل انهُ عازم على فتح باب الفتنة وكسر قيد المعصية

جعفر كذبتَ ومكرتَ فلم يحدث حدثاً

---

١) الطبري (٣: ٦٦٦) والفخري (٢٨٨) والمبلاوي (٨٦) والاغاني (١٧: ٤٢) .

الفضل ولِمَ يدافع الوزير عن رجل غريب لا علاقة لهُ معه ؟

جعفر انَّ الوزير يُدافع عن دم زكيّ بريء اردت انت ان تهرقهُ ظلماً وجوراً

الرشيد كُفَّا عن الجدال فاني يا جعفر عالمٌ بصدق سريرتك وبرّ خدمتك فقد عهدتُ امر العلوي اليك فتحفَّظ عليه حتى ترى في امره . واذهبْ فاستعدَّ لسفرك . لقد أخرتاك عن وداع ذويك ووافِنا غدًا صباحًا

جعفر نعم سيدي (يخرج)

المشهد السادس

الفضل . الرشيد

الفضل (على حدة) عاد الرشيد الى ضعفه . ما الحيلةُ ؟ (يُخرج من جيبه رقعة)

الرشيد ما الذي بيدك ؟ (يأخذ منهُ الورقة ويقرأ)

قل لأمين الله في ارضه ومن اليه الحلُّ والعقدُ (١

هذا ابنُ يحيى قد غدا مانكاً مثلك ما بينكما حدُّ

امرك مردودٌ الى امره وامرهُ ليس لهُ ردُّ

وقد بنى الدار التي ما بنى م الفرسُ لها مثلًا ولا الهندُ

فالدرُّ والياقوتُ حصباؤها وتربها العنبرُ والندُّ

ونحنُ نخشى انَّهُ وارثٌ ملكك ان غيّبك اللحدُ

وان يُباهي العبدُ سيّده إلّا اذا ما بطرَ العبدُ (٢

(سكوت) ويحك . لمن هذه الابيات ؟

الفضل لا ادري . شعرٌ يتداولهُ الكبير والصغير ويتناشدهُ الصبيانُ والملّاحونَ على دجلة

الرشيد إذن اصبحتْ العربيةُ وسخريّةً على ألسنة العامّة

الفضل هذا ما يقولهُ اهل الدولة (سكوت . الرشيد ينكت الارض بقضيب كما اعتاد ساعة القلق) (٣

---

١) يقرأ بعض هذه الابيات بصوت منخفض

٢) ابن خلكان (١ : ١٢٤) ٣) الاتليدي (١٧٣)

الفضل ليت هندًا أنجزتنا ما تعدْ واستبدّت مرّةً واحدةً
انما العاجز من لا يستبدّ (١

الرشيد والله اني لعاجز

الفضل عاجز عاجز وانت امير المؤمنين وخليفة رسول العالمين اصبحتَ عبدًا يُقاد عنوًا. انظر الى الجانب الآخر ترى دارهم تعترك فيها الخيول وتزدحم الناس

الرشيد تصدّوا للامور وأراحوني من الكدّ ووفّروا اوقاتي على اللذة

الفضل بل استبدّوا بالامور دونك فالخلافة بالحقيقة لهم وليس لك منها الّا اسمها

الرشيد قد يكون الصواب (٢

الفضل انظر الى دارهم الجديدة. أنفقوا عليها عشرين الف الف بنوها امام قصرك يباهونك ويبارونك. اذكر ما رأيناه ليلةَ امس عندهم من خزائن الاموال والحلى والحُلَل والفرش والأواني والامتعة والجواري والخدم التي لا يوجد مثلها في قصر الرشيد (٣ (بتهكّم) وقد وهبتهم خراجَ مصر لا شكّ ليصلحوا به احوالهم

الرشيد صدقتَ

الفضل لقد حجّوا وإياك فأعطوا كما أعطيتَ كأنّهم اصحاب الخلافة ومُدحوا ولم تُمدح. أنسيتَ ما قيل فيهم ؟ :

أتانا بنو الآمال من آل برمكٍ فيا طيبَ اخبارٍ ويا حُسنَ منظرِ
اذا نزلوا بطحاء مكّة أشرقت ببحيى وبالفضل ابن يحيى وجعفرِ
فما خُلقت الّا لجودٍ أكفّهم وأقدامهم الّا لأعوادِ منبرِ (٤

ذكر الشاعر ما تخلّقوا به من المحاسن. والقى سترَ النسيان على مآثر ومناقب خليفتهم وسيّدهم

الرشيد هو هذا

الفضل قد رأيتَ عند عودتك ما لهم من الضياع العامرة بالمواشي والغلال ؟ أوَ هل

١) ابن خلدون (في التوطئة) ٢) الفخري (٢٨٧)
٣) الميلاوي (٨٦) والاتليدي (١٦٧) والاغاني (١١ : ٥٤)
٤) الفخري (٢٧٥) والمسعودي (٦ : ٣٢٢) وابن خلكان (٢ : ٣٢٣)

تعرفُ لاولادك ضيعة مثل ضيع البرامكة على طريق واحد ؟ فكيف بما هو لهم غير ذلك في سائر البلدان ؟

الرشيد لقد اغنيناهم وأفقرنا اولادنا (١

الفضل لقد استبدُّوا على الدولة واحتجنوا اموال الجباية وتخطَّت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وتسرَّبت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة اموال الرعيَّة يبذرونها إسرافاً على الشعراء والمغنّين (٢

الرشيد وانا اطلب القليل من المال فلا تصل اليه يدي (٣

الفضل ها هم ذاهبون الى منازلهم انظر الى هذا الموكب موكب جعفر وابيه والجوع حولها يُلقيان بالصرر يمينًا وشمالاً كعادتهما ليستعبدا بذلك احرار عبيدك (٤

الرشيد وانا اسير في شرذمة يسيرة وهذا المال مال المؤمنين

الفضل أنسيت ما سمعتهُ من الانشاد ؟ لقد مُدحوا بما لم يُمدح به خليفتهم على مسمع ومرأى منهُ لا يعبأون به . حتى عبدالله المأمون قد قام خطيباً على رؤوس المشايخ والامراء يُطرئ البرامكة ويفضِّلهم على من سواهم لا يستثني عن ذلك امير المؤمنين سيّده واباه . وما هذا الّا باغراء يحيى وجعفر

الرشيد لقد وضعتُهُ في حجر جعفر رجاء مني بتثقيف اخلاقهِ (٥ وحضّهِ على التعلّق بآل هاشم فعاد سهمي خاسرًا

الفضل وكأنما زاد البليَّة ما سمعتهُ الساعة بشأن العلوي

الرشيد لا خوف من الامر ما زال في القيود تحت قبضتي

الفضل وان سرَّح لهُ البرامكة بالذهاب حيث شاء ؟

الرشيد ان سرَّحوا لهُ لافعلنَّ بهم وامثالهم . لكن لا يتجرأون على مخالفتي

الفضل هيهات . ألم تأمر مرارًا بقتلهِ ؟ وهو لا يزال حيًّا . الم تتقدَّم الى جعفر ان يضيّق عليهِ ؟ وقد جعلهُ ضيفاً لهُ كريماً احضره امس مجلس طربه

الرشيد رأيتهُ . لكن لا يتجرأ البرامكة على ذلك

الفضل قد استفحل الامر ونحن جاهلون واذا تأخرتَ يوماً زلزلك البرامكة عن عزّك

---

١) الانبلدي (١٦٦) ٢) الفخري (٢٨٨) وابن خلدون (في التوطئة)
٣) المسعودي (٦ : ٣٦٢) ٤) الفخري (٢٧٥) ٥) الطبري (٦٤٧) والميلاوي (٦٧)

وسلطانك ومكّنوا العلوي من الخلافة

الرشيد اخرج عن كلامك ثكلتك امك

الفضل غدًا صباحًا سيطلقون سبيل العلويّ وقد تقدّمهُ عبدالله وجعفر تابعهُ الى خراسان للدعوة وهذه رسالة جعفر الى الفضل اخيه بخراسان يوصيه بالعلوي (يخرج رسالةً ويقدّمها للخليفة)

الرشيد هو خط جعفر وختم الوزير. يا جعفر ما كان هذا العهد بك

الفضل قد خالف القلبُ اللسان فانطوى الصدر على غيظٍ جمارا لين الكلام عليها سترًا رجاء ان يدافعوا الأيام بالتاخير فيدكّوا دولة العباس ويكسروا شوكة الرشيد ويرموا به في الذلّ وهو من قولهم في حال غرة قد نتر لها وسكن اليها

الرشيد يا جعفر ما كافأتني ولا عرفتَ حقي

الفضل ان الحاحهم بارسال الوفود الى زعيم الفرنج كان لغايات اضمروها ولا شكّ ان جرأة تقرور ليست الّا مكيدة من مكائدهم

الرشيد (يقف) ايكون هذا جزائي ممّن انتشتهم على مالي وملكي وروحي؟ ايكون البرامكة الدّ الاعداء لي؟ ينقضون مواثيق العهود ويفتحون باب الفتن والمعاصي. لقد طالما صبرت عليكم لكنّكم لا تزالون تجحدون في الغشّ والغواية وتتمادون في المكر والخيانة فوحقّ تربة المهدي لأفعلنّ اليوم بكم ولأصنعنّ فاجعلنكم عظة للعالمين يتحدث بكم الخلف بعد السلف

الفضل سكّن الجأشَ سيدي ان مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنّة الرماح لاسيما وان البرامكة قد ملأوا الدواوين وتملّكوا على اصول الدولة وفروعها فلهم تُذعنُ الجيوش ولقولهم يطأطئ الامراء الرؤوس. فان جاهرتهم بالعداوة جاهروك بها فكان الخطب وخيم العاقبة

الرشيد ما هذه الحال التي تُنذر بالبوار؟ أنا الرشيد أصبحتُ عبدًا لأذلّ عبيدي. انا الخليفة أكون العوبة في ايدي قوم أنذال فلا استطيع إنجاز اوامري الّا كنت فريسة الفتن والثورات. فبئس الملك اسمًا بلا مسمًّى. بئس الخلافة التي اغراني عليها يحيى يوم عزم الهادي على خلعي. فلولاها لعشتُ سعيدًا كريمًا ومتُّ

شريفًا لا ذليلًا

الفضل يا امير المؤمنين انت السيّد إن اردت ان تكون سيّدًا .

الرشيد ما السبيل الى ذلك ؟ ما العمل ؟ ما رأيك ؟

الفضل الرأي عندي ان تتدارك ما تفاقم من الامر باقرب زمان

الرشيد وكيف ذلك ؟

الفضل اقتُل العلوي اوّلًا فتستأصل ما عزموا على بنائهِ ثم نرى سبيلًا للخلاص منهم

الرشيد انا ادعو العلويّ وآمرُ بقتلهِ جهرًا . ان نفسي لا تطاوعني على ذلك وقد كتبت لهُ امانًا بخطّي وأشهدتُ عليَّ ارباب الدولة (١ أتريد يا فضل ان يعزوَ المؤمنون الى خليفتهم الغدر فأضحي سبّة في افواه الناس تلقني ألسنةُ العار وتتناشني نصال الشنار . لا لا ان نفسي لا تطاوعني على هذا

الفضل فكرٌ خالجَ لبي . ان يُقتل العلويّ غيلةً ذلك أخفى لسرّك وأصون لعرضك

الرشيد وكيف ؟

الفضل لو دُسَّ بعض خدم الخليفة فدخل مخدع العلويّ الليلةَ فقتلهُ سرًّا . فان نجح فاز الرشيد بالمراد ولم يخفر ذمّتهُ والقى على البرامكة عاقبة الامر فاشتهر أنَّ البرامكة قتلوا ابن ابي طالب فضعف حبُّهم في قلوب أشياعهم واصحابهم . وان زاغ سهمُ القاتل ذهب الضارب ضحيّة جرأتهِ وامير المؤمنين بريء من الامر (سكوت)

الرشيد ولكن من يقدم على هذا ولا ارى حولي الّا قومًا غششة . انت وحدك لي صديق حميم مخلص المودّة والخدمة قد اخترتُك لهذا الخطب ثقةً بك . اذهب واقتل العلوي سرًّا (٢

الفضل سيدي .

---

١) الطبري (٦١٤) والبلاوي (٥٢) وسائر المؤرخين

٢) هكذا قتل المنصور مع عيسى بن موسى (المسعودي ٦ : ٢١٤) والرشيد مع موسى بن جعفر العلويّ فحبسهُ في دار السنديّ بن شاهك ثم قتله سرًّا وأدخل عليهِ جماعة من العُدول بالكَرخ ليشاهدوه إظهارًا أنهُ مات حتف أنفهِ (في الفخري ٢٦٨) والمامون مع الفضل بن سهل دسّ جماعة قتلوهُ في الحمّام ثم قدّمهم ليضرب اعناقهم فقالوا لهُ : انت امرتنا بذلك ثم تقتلنا (في الفخري ٢٠٠) وامثالها كثيرة في تاريخ العباسيين

الرشيد هذا سيفي ذو الفقار اتقلّده في الحفلات (١ قتل بهِ عليٌّ اعداء الله فيحسن ارواؤهُ اليوم بدم اعداء بني العباس

المشهد السابع

الرشيد . الفضل . المأمون . جعفر . جبريل

المأمون أبت

الرشيد انت هنا ؟ لماذا عُدتَ ؟

المأمون قد اخذتُ امس على نفسي ان أطلق ساعةَ المبايعة احد المسجونين

الرشيد حسن . اذهب وفكَّ قيودهُ

الفضل ومن هو ؟

المأمون شيخٌ جليلٌ اغتابه الماكرون فحُبس ظلماً

الفضل وما اسم الرجل ؟

المأمون يحيى بن عبدالله العلويّ (لجعفر) اليس هذا اسمهُ ؟ رأيتهُ امس في منزل جعفر فحزنت لحاله ووعدتهُ بالخلاص القريب

الرشيد يا لله !

المأمون شكراً لك ابت

جعفر جزاكَ الله خيراً يا اميرَ المؤمنين

المأمون سأعلمهُ الانَ فيدعو لك

الفضل سمعتَ يا امير المؤمنين

الرشيد (الى المأمون) دعْ عنك ذلك فقد وكّلتُ الفضل بن الربيع بإطلاقهِ غداً

جعفر غداً . غداً . ما اطولَ الليل

المأمون تعالَ يا جعفر نعلم الوزير

الرشيد وانت يا فضل أنجز ما امرتك بهِ (يخرج)

جبريل (على حدة) قد خالف القلب اللسان (يخرج)

---

١) ابن الاثير (٥ : ٢٢١)

المشهد الثامن

الفضل . مسرور

الفضل غدًا . غدًا . بئس الظنُّ ظنُّك يا صاحب البرامكة (يُشير الى المأمون)

مسرور ماذا نصنع ؟

الفضل قد نجح مسعانا . تعالَ أُعلمك (تمَّ الفصل الثاني)

الآداب العربيّة

في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تتمّة)

ولأمين الشميّل أخوان آخران ضارعاهُ عقلًا وذكاء الواحد منهما ملحم كان ايضًا عالمًا وشارك اخاهُ في اعماله التجاريّة وآدابه توفي في ١٧ شباط سنة ١٨٨٥ اي سنة وفاة نجلي امين فقال الشيخ خليل اليازجي مؤرخًا وفاتهُ :

يا مُلحمًا جرحت سهامُ مصابهِ ... شأ القلوبَ جراحةً لا تُلحَمُ
اسكرتَ عند البَيْنِ آل شميّلٍ ... بشرابِ حزنٍ ليس يرشفها الفمُ
للمجد والعلياء عليك شاحةٌ ... ولكلِّ فنٍّ في المعارفِ مأتمُ
غادرتَ مجدكَ واستويتَ من العُلى ... أرّخ لدى المجد الذي هو اعظمُ (١٨٨٥)

ولد مُلحم في ٥ نيسان سنة ١٨٢٦ وتقلّب في مناصب التعليم فالتجارة فالسياسة حتى ادركتهُ الوفاة . ومارس الطبَّ مدّة على الطريقة الاختباريّة القديمة . ومن آثاره الادبيّة ارجوزة وضعها في علم الجبر والمقابلة ومقدّمة طويلة على علم الحساب وكان شاعرًا مجيدًا له عدّة قصائد منها واحدة مدح فيها الخديوي اسماعيل باشا ورثى كريمتهُ زينب هانم برثاة افتتحها بقوله :

يوسعُ القلبَ صاحبُ الحزم صبرا ... يوم بينٍ يجرّعُ الصبَّ صبرا
وحكيمٌ من يزدري بحياةٍ ... كلَّ يومٍ تزداد بالطول قصرا

وفي آخر عمره دخل ملجم حكومة لبنان وخدم وطنهُ الى سنة وفاته

امّا الاخ الآخر فهو الدكتور شبلي شُمَيِّل الشهير بكتاباته ويسوءنا ان نراهُ في عداد المعادين للدين فشتّان بينهُ وبين اخيهِ امين الذي هو القائل في العزّة الالهيّة وفي نفس الانسان الناطق :

هو المبدئُ والاكوانُ صاغرةٌ تجثو لقدرتهِ العليا وترتعدُ
هو العزيزُ هو الباقي بقوّتهِ هو الرحيمُ هو المعيي هو الصَّمَدُ
يا مُبدعَ الكلّ هل في ذاك من امدٍ يُبقى لديك وماذا يا ترى الأمدُ
انتَ الكريمُ وتُعطي ما تشاء كما تشاء من بحرِ جودٍ تَبعُهُ الرِّبَدُ
نفختَ في منخرَي هذا المركَّبِ من طينٍ فأصبحَ ذا نفسٍ بها البَدَدُ
هل نالت السُّجُمُ نفساً لا تموتُ كما نلنا والّا فما البرهانُ والسَّنَدُ
النفسُ من عالمِ الارواحِ لا عَرَضٌ يفنى ولا كائنٌ ينحلُّ او جسدُ
فارحب بها مَلَكاً من فضل واهبها تَنَلْ بها مُلكاً كرسيُّهُ الأبَدُ
وهبتُها لك تمييزاً وقد ظهرتْ نوراً فكن مؤمناً ويلٌ لمن جحدوا

ولامين شميّل قصائد متفرّقة لم تجمع نُشرت في مجلّات شتى كقصيدة كتز المنى في المقتطف (١٨٨٥ ص ٩٨) وكقصيدتهِ الشرعيّة في الجنان (١٨٨٥ ص ٢٢٨) وغير ذلك ممّا اخذتهُ يد الضياع

(حنّا بك اسعد الصعب) من اسرة المشايخ الموارنة ابي الصعب الشهيرين بنواحي البترون. كان ابوهُ سرعسكر الامير بشير الشهابي الكبير فنشأ صغيراً على التُّقى وحبّ الآداب فاتّخذهُ الامير في خدمتهِ فتعلّم العارم اللسانيّة وبرع في الخطّ العربي حتى ضُرب المثل في خطّهِ البديع. ولمّا سار الامير بشير الى مالطة اختار المترجم بصفة كاتب لاسرارهِ فرافقهُ الى تلك الجزيرة ثم الى الاستانة العليّة وانتهز ثمّ الفرصة ليتعلّم عدّة لغات كالايطاليّة والفرنسويّة والتركيّة ودرس الفنون العصريّة حتى اصاب لهُ شهرةً واسعة. ولمّا عاد الى وطنهِ انتدبتهُ الحكومة الى خدمتها فخدمها في عدّة مناصب جليلة مدّة اربعين سنة وكان اوّل من حاز لقب البك بين نصارى لبنان وبرّ الشام. توفي في اواسط سنة ١٨٩٦ ولحنّا بك الصعبي رسالات وشروح لم تُطبع ولهُ شعر كثير تفنّن فيهِ واجاد وقد جمعهُ في ديوان واسع طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٣ وفي صدرهِ صورة ناظمهِ. وقد ختمهُ بقصائد تركيّة تشهد على حسن قريحتهِ في اللغة العثمانيّة وفي شعرهِ منظومات متعدّدة تفيد تاريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٩٠ فمن ذلك قولهُ مهنّئاً دولة رستم

باشا عند قدومه الى لبنان سنة ١٨٧٣ بقصيدة هذا مطلعها:

ما بالُ لبنانَ يُبدي النُّورَ أنوارا هل وجهُ رُستمَ اهدى النُّور انوارا
او تلك ألطافُ الحسناء مُذ امتْ ازاحتِ الشمسَ للتنوير استارا

الى ان قال:

حُيِّيتَ لبنانُ كُنْ باقه مُعتصماً وكُنْ شكوراً بحمد الله مكثارا
ها قد أتى السرُّ والاقبال يمدهُ والفرُّ غاب مع الدنقاء قد طارا
ضاءت مشارقنا لاحت بمارقنا طابت حدائقنا عَرْفاً وأثمارا
جادت عابرنا زادت غابرنا ناغت منابرنا سجعاً وأشعارا
حسَّنَّنا سَنَّنا كسَّلْتنا سُنَّنا نوَّلتنا مُنَّنا شيَّدت اعصارا
كنتَ عُرسَنا علَّيت اروسنا خوَّلت أنفسنا بالخالد أخدارا
لا زلتَ يا علمٌ تجثو لك أممٌ سيفٌ كذا قلمٌ مُلكتَ احرارا

وكان قال سابقاً لمَّا تعيَّن داود باشا اوَّل متصرِّف نصراني على لبنان:

لنا البُشرى لقد نلنا انتصارا وفزنا في سرور لن يُبارى .
مليكُنا قد حبا لبنان قدراً وخوَّلهُ مقاماً واقتدارا
بوالٍ من بني عيسى وزيرٌ وهذا الفخرُ وافانا ابتكارا
شدا باليمن تاريخ بفخرٍ وزيرٌ جاء نصراً للنصارى (١٨٦٣)

ولهُ من قصيدة يوبِّخ فيها الخاطئ ويستدعيه الى التوبة:

ألا أرفِقْ بنفسٍ انَّ كل نفائسٍ لديها بذي الدنيا اخسُّ الخسيسة
أأنت عدوُّ النفس ام انت خِدْنها فمن شيمة الاخوانِ صونُ الحديثة
اراك بلا الاشفاق تبني عذابها وترمقها شذراً بعين غضوبة
فلو شاءت الاعداء ما انت فاعلٌ لرقَّت لها رُحماً وأيَّة رقَّة
أتجهلُ ما للنفس من هولِ موقفٍ امام الملي الديَّانِ في كلِّ وهبة
وفيهِ لاعلان الخفايا مظاهرٌ على مشهد الابصار من كل حدقة
مصافحُها مفتوحةٌ اذ تُرى بها ذنوبٌ ولم يُترك بها قدرُ ذرَّة
فذرْها ولا تعبأ بقالٍ عبورهُ يكونُ كطرف العين في كلِّ سرعة

ولنا بك عدَّة اناشيد تقويَّة في السيِّد المسيح والبتول الطاهرة نقلنا منها سابقاً بعض شذرات . وممَّا لم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في سبت العازر:

لمَّا توفَّى عازر فوراً بلحدٍ بادروا
جثمانهُ مذ غادروا في جوف رمسٍ قد غدا

اللازمة

يا عازرُ ربُّ الفدا وافاك لا تخشَ الردى

والموتُ ولّى مذ بدا مولى قديرٌ مُزبدا

وختمها بقوله :

قنام من جوف الضريحْ في صوتهِ العالي يصيحْ
انت الذي انتَ المسيح مستوجبٌ ان تُعبدا

(نجيب الحدّاد) ولد في بيروت في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧ ورحل صغيرًا الى الاسكندريّة فتلقّى في مدارسها العلوم . ولمّا حدثت الثورة العرابيّة عاد الى بيروت فأتمّ بها دروسهُ في المدرسة البطريركيّة وكان رضع صغيرًا افاويق الادب في قرابة الشيوخ اليازجي وامهُ كريمة الشيخ ناصيف فعاش مدّة في معيّة اخوالهِ الكرام . ولمّا سكنت الامور في القطر المصريّ كرّ راجعًا اليهِ وعكف على الكتابة في عدّة جرائد انشأها وكان رئيس تحريرها او احد كتبتها الاوّلين كلسان العرب وانيس الجليس والسلام . الّا ان الاسقام لم تزل تنتابهُ حتى هصرت غصن حياتهِ رطبًا قبل بلوغهِ الكهولة فمات في مصر في ٩ شباط سنة ١٨٩٩ . وكان نجيب الحدّاد متضلّعًا بالكتابة يجمع في انشائهِ بين متانة العبارة وسهولتها . ولهُ المقالات السياسيّة الحسنة . واشتهر بانشاء الروايات او تعريبها . وقد لقي بعضها اقبالًا ونجاحًا كرواية السيد للشاعر كورنيل الفرنسويّ من تعريبهِ ورواية البخيل ورواية المهدي . وكان شعرهُ اجود من نثرهِ حذا فيهِ حذو الشعراء العصريين . فمن ذلك قصيدتهُ في ذمّ القهار التي رويناها سابقًا في المشرق (٧ : ٦٧٣) ومن شعرهِ الطيّب قولهُ في وصف السكك الحديديّة وقطاراتها :

تخلّ عن التشبيب بالبيض والسمر ودَعْ عنك تشبيه المحاسن بالبدر
وعُجْ بي الى طُرق الحديد ووصفها السجيد ودَعْ ما مرّ من قِدَم الدهر
ففيها بروقُ الوصف وهو حقائق وفيها يحقُّ النعت لا مذهبُ الشعر
وعنها يصحُّ القول ان قيل بارقٌ يشقُّ الفلا لا عن جواد ولا مُهر
فطيرٌ بلا جنح وطودٌ بلا بقا وبرقٌ بلا جوّ وهادٍ بلا فكر
على هي طيرٌ والبخار جناحهُ وطود اذا شبهتَ بالطود ما يسري
وبرقٌ ولكن الدخان سحابهُ وهادٍ لهُ لبٌّ توقّدَ عن جمر
يسير فما يدري لرمية سيرهِ أتجري لديهِ الارض ام فوقها يجري
وللريح حوليهِ حفيفٌ كأنهُ حفيفُ جناح الصقر حنَّ الى الوكر
اذا سار ثارت فوقهُ راية من الدخان لتني انهُ مالك القفر
تمزّقها الارياح حتفًا كأنّما تحاول في تمزيقها الاخذ بالثأر

لعمرك ما هذا جادي البلاد بل هو القائد الهادي الى العزّ والنصر

واحسن من ذلك قصيدتهُ الغرّاء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رُزئ الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لاسيما النساء الشريفات فاتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد ان اتّقدت اسلاك آلتها الكهربائية وامتدَّ اليهم لهيب النار :

سوق برٍّ تُباعُ فيها اللُّحى بيعاً ويُشرى الثواب فيها شراء
زيَّنتها بيض الايادي وايدي م اليضر من حسنٍ ومن حسناء
أنفسٌ تبتغي السماء فما امسَيْن الّا وقد بلغنَ السماء
ادركت ما تروم من جنّة م الخلد ولكن كان الطريق صلاء
من رأى قبلها جحيماً يؤدّي لنعيم ابناءهُ الشهداء
او رأى محسناً يجودُ على الناس فيلقي نار الحريق جزاء
أترى كان ذاك مطهرَ من ما توا فيمحو عن النفوس الخطاء
ام هو الدهر لا يزالُ مسيئاً لكريمٍ ومكرماً من اساء
يا ربوعاً كانت معاهد احسا نٍ وحسنٍ فاصبحت قفراء
وديارًا كانت منازل ايناسٍ فاضحت بلاقعاً وخلاء
وكراماً كانوا مناهل جودٍ لفقيرٍ فاصبحوا فقراء
أمراء نادى الندى فاطاعو هُ اميرًا لهم ولبّوا نداء
وحسانٌ قد جدن برًّا كأن م البرّ ثوبٌ يزيدهنّ بهاء
ساحة تُنبت المكارم والرأ فة والمجد والندى والاخاء
فنساءٌ بها تباري رجالاً ورجالٌ بها تباري النساء
ارجهٌ يشرق السنا من محيا ها فتزداد بالجميل سناء
رُحن يزهون بالبياض فما امسَيْن إلّا كوالحاً سوداء
رمَّماً لم تدع بها النار الّا رسم جسمٍ واعظماً جرداء
نقمة صبّها القضاء على الا م برار ظلماً ومن برءُ القضاء
رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزّى الباكين والثكلاء

(سليمان الصوله) هو سليمان بن ابراهيم الصوله الرومي الملكي الكاثوليكي . كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨١٤ وفيها قضى اوّل سني حياتهِ ولمّا ترعرع انتقل مع والديهِ الى مصر ونشأ فيها وتلقّن العلوم في مدارسها وكان يتردّد على اساتذة الازهر فأخذ عنهم العلوم العربيّة ونظم الشعر وقد اخبر عن نفسهِ انهُ في أيّام الشباب كان يعارض قصائد ابي فراس الحمداني ويخمّس قصائد الحلّي ويشطّر منظومات المتنبي وقد ألّف كتاباً

سمّاهُ حصن الوجود في عقائد اليهود وتآليف أُخرى راحت حرقاً او غرقاً في حوادث سنة ١٨٦٠. وتقلّد سليمان الصوله المناصب في الدواوين المصريّة وصحب ابراهيم باشا لما جاء لفتح الشام ثم استقرّ بعد ذلك في دمشق وتقدّم في خدمة الدولة العليّة وتقرّب من الامير عبد القادر الجزائريّ وبفضلهِ نجا من الموت في فتنة سنة ١٨٦٠ المشؤومة. ولمّا كانت السنة ١٨٨٤ عاد الى مصر وفيها اقام الى وفاتهِ في ١٤ أيار سنة ١٨٩٩ عن ٨٥ سنة. ولهُ ديوان واسع في ٣٨٢ صفحة طبعهُ في مصر سنة ١٨٩٤ واعتذر في مقدّمتهِ انهُ برضٌ من عهد ومجموعٌ صغير بقي من ديوان كبير « غادرتهُ اللصوص. بين محروق ومقصوص. فقال وهو يتعزّى: اذا ما كان لي ابل فمزى ». ثم اضاف اليهِ ما جدّ عليهِ من النظم فطبعهُ مفضّلاً القليل المقبول على الكثير المرذول. والحق يقال انّ شعرهُ رائق منسجم وعواطفهُ مبتكرة اقرب الى المنظومات العصريّة. ومن شعرهِ ما قالهُ ارتجالاً يمدح يوحنّا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنّهِ فاحبّ البحري ان يسمع نظمهُ:

امرتَ لكَ الامرُ المطاع بأن ترى فرائد شعري وهي اغزرُ من شعري
فوا خجلي من عقد درٍّ أصوغهُ لديك وكلُّ الدرّ بعض حصى البحر

ومن مدحهِ قصيدة طويلة قالها في فقيد القطر المصري آخرًا الوزير بطرس باشا غالي منها:

رجلٌ وحسبُك انهُ الرجل الذي غبت البلادُ بهِ من الاقلالِ
احيا الندى وامات بالكد العدى ونفى الصدى بسماحهِ الهطّالِ
تبدو النيوبُ لدى لواحظ حذقهِ غرراً مجرّدةً من الاشكالِ
وتناولت منهُ المجالس حكمةً حادت على الماضي بها والتالي
نظر العزيزُ بهِ فطانةَ يوسفٍ فأحلّهُ منهُ المحلَّ العالي
وامدّهُ بالرتبة العظمى التي ما نالها قبلٌ من الاقيالِ
فاقاد عبد القيط مجدًا ثانياً مترفعاً لنبيرهِ المتعالي
والناس حول ندى يمينهِ أرّخت نيل الغناء يمينُ بطرس غالي

ولهُ عدّة مراثي حسنة قالها في ابنهِ ابراهيم المتوفّى سنة ١٨٨٣ وابنتهِ السيّدة ليلى. فممّا قالهُ في ليلى:

يا ليلةً غادرتْ ليلى بلا نفس وغادرتْني أُقاسي حرَّ انفاسي
لولاكِ لم يدجُ نورُ الشمس في بصري ولا تبطَّن جوفَ اللحد زهراسي
ولا جفا الراحُ راحي والكرى بصري وصار دمعي والجوى كاسي
اين التي كنتُ ان غابت اقولُ لها ما قالهُ شاعرٌ من آل عبَّاس
لا اقبح الناسَ في عيني واسمجهم اذا نظرتُ ولم القاكِ في الناس
قالوا نسيتَ بها أبراهيم قلت لهم لا عشتُ ان كنت يا ناسُ لهُ ناس
ولا رعت بين ارباب الهوى قدمي ان كان غيرهما في خاطري راسي

وقد روينا لهُ في المشرق (٧ : ٤٣٢) ابياتاً قالها في مريم السيدة البتول . ولهُ قصيدة اخرى في مدحها نجت من حريق الشام على منوال عجيب وفيها يقول مستغيثاً من داء اصابهُ :

ايا بابَ النجاةِ وسلسبيل السماحةِ ونورَ ربَّاتِ الخدورِ
خذي بيدي الشقيَّة واحضني وجنِّبني من الخطر الخطيرِ
وداوي علَّتي أعدي حبوري لاعض بالسرور عن السريرِ
فانّي بين اشواك المنايا أُعذَّبُ في الاصائل والبكورِ
أيُكسَرُ خاطري يا امَّ ربّي لديكِ وانت جابرةُ الكسيرِ
ويبلغني الجحيمُ وانتِ غوثي وادخلُ في الظلامِ وانت نوري
أجيريني اجيري والّا فدلّيني لمن اشكو اموري
وهل يرضى سنوكِ بانتظاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تبارك مَن بنورك جلَّ قدرًا عن التشبيه أخجل كلَّ نورِ
واعطاكِ الشفاعةَ يا سماء غيرها لملّاقي البدورِ
سأبذلُ في امتداحكِ كل جهدي لعلَّ الله يسمحُ من قصوري
ويغفر لي ويصفح عن ذنوبي ويصلح عند خالقي امري

وبسليمان الصوله قد ختم القرن التاسع عشر الذي اخذنا على نفسنا تاريخ ادبائهِ . على انهُ في هذه الحقبة الاخيرة قد اشتهر غير الذين ذكرناهم ممَّن لم يبلغوا شأوهم او لم نحظ بآثرهم . وممَّن نالوا بعض الشهرة من النصارى فنذكرهم هنا تاميحاً (الياس فرج باسيل) اشتغل مدَّة بالآداب في مطبعة الرهبان الفرنسيسيين في القدس الشريف وكان يُصلح مطبوعاتهم وقد صنَّف لهم عدَّة كتب مدرسيَّة كمبادئ القراءة لافادة الاحداث سنة ١٨٧٨ ورغبة السائل في انشاء الرسائل (١٨٦٧) ومجموعة الازهار من رُبى الاشعار (١٨٧٩) ولهُ دليل الزوَّار الى الاماكن المقدَّسة تكرَّر طبعهُ . ونظم ايضاً بعض

المنظومات منها نشائد تقويّة طُبعت في كتاب روضة الالحان سنة ١٨٧٠ وقد شاع بعضها بين الكاثوليك كنشيده في البتول الذي اوّله « يا بتولًا زاد فوحًا مجدكِ الزاهي البها » وكقوله « انّ مدح البكر فخري والثنا فرضٌ عظيمٌ » وقوله في الانفس المطهريّة « يا الهي جُدْ بعفوٍ في نفوسٍ في لهيب »

ومنهم بطل لبنان (يوسف بك كرم) الذي ولد سنة ١٨٢٤ في اهدن من اسرة كريمة وتخرّج في مدرسة عينطورا وتولّى في لبنان بعض المناصب الى ان حدثت بينهُ وبين متصرّف الجبل داود باشا تلك المنازعات المشئومة التي انتهت بسفر يوسف بك الى اوربة ثم الى الاستانة حتى قضى آخر عمره في نابولي وفيها توفّي معتزلًا عن الاشغال السياسية منقطعًا الى خدمة ربّهِ في اوائل نيسان من السنة ١٨٨٩. وقد ذكرناهُ هنا لما كان عليهِ من الاقتدار في الكتابة وقد نشر في العربيّة والفرنسويّة عدّة مقالات سياسيّة طُبع بعضها مفردًا. وكان ينظم الشعر العربيّ. قيل انهُ في ريعان شبابهِ نظم كتاب سفر نشيد الاناشيد. ولهُ قصائد روى بعضها صاحب الجوائب كقصيدتهِ في راشد باشا التي يقول فيها :

ذا راشد البرّين وجهُ مدينة م البحرين ولّاهُ العزيز على الورى
يكفي العباد بودّهِ وبجدّهِ فبنذرهِ وجهُ الزمان تطهّرا
اضحت لهيبتهِ القلوبُ كبيرةً والخطب في الامر الكبير تصغّرا

وقد اثبتنا لهُ في المشرق (٥ : ٤٩٧) قصيدة ارسلها الى صديقهِ الاديب يوسف حبيب باخوس

ومنهم الدكتور (سليم بك الجريديني) المتوفّى سنة ١٨٨٥ واخوهُ (اسكندر الجريديني) وكان كلاهما من انصار الآداب انشأا مقالات علميّة وادبيّة نشراها في اعمال الجمعيّة السوريّة وفي بعض المجلّات

ومنهم (الحاج يوسف فرنسيس) الذي نشأ في حاصبيّا وتوطّن القليعة في مرجعيون وكان عالمًا بامور الخيل كما يدلّ عليهِ كتابهُ سراج الليل في سروج الخيل. كانت وفاتهُ سنة ١٨٩٢. ولهُ شعرٌ

ومنهم ايضًا (سليم دياب) احد محرّري مجلّة الجنان نشر فيها عدّة فصول تاريخيّة وقصائد توفّي سنة ١٨٩٥

ومنهم الاستاذ (فرنسيس شمعون) من تلامذة المدرسة الاميركانيَّة في اعيه كان راسخ القدم في العلوم العربيَّة متضلعًا بالرياضيَّات ولهُ مؤلف لطيف في الحساب طُبع غير مرَّة في بيروت توفي في ١١ شباط سنة ١٨٩٩

ومنهم (حنين بن نعمة الله الخوري) من اعضاء الجمعيَّة السوريَّة لهُ في نشرتها عدَّة مقالات وعرَّب تأليف الوزير گيزو الفرنسويّ في التمدُّن الاوربي . لا نعلم سنة وفاتهِ

المستشرقون الاوربيُّون في ختام القرن التاسع عشر

قامت الدروس الشرقيَّة على ساق في ختام القرن التاسع عشر في الاصقاع الاوربيَّة فانَّ الدول كلها بفضل السلام السائد في بلادها استنهضت همم ذويها لدرس لغات الشرق والبحث عن آثارهِ . وكان للغة العربيَّة حظٌّ اوفى من سواها لوفرة كنوزها واتساع نطاقها

(الفرنسويُّون) بعد ان فقدت فرنسة فئة من كبار مستشرقيها وخمد نوعًا نشاطها المألوف بسبب رزايا الحرب عادت الى سباقها في حلبة الآداب . على انَّ درس الآثار الشرقيَّة غلب شيئًا على الدروس اللغويَّة . وها نحن نذكر بالتلخيص اسماء بعض الذين استحقُّوا شكر الادباء بما خلَّفوهُ من ثمار قرائحهم على حسب تاريخ الوفيات كما فعلنا سابقًا

فقدت مصر في اواخر كانون الاوَّل من السنة ١٨٨٠ إمام علمائها بالعاديَّات المصريَّة اوغست ماريت (A. Mariette) بعد أن اعدَّهُ لمواجهة ربهِ احد آباء جمعيَّتنا . كان مولدهُ في ١١ شباط سنة ١٨٢١ وقدم مصر سنة ١٨٥٠ فقضى ثمَّ ثلاثين سنة توالت فيها اكتشافاتهُ العجيبة وتآليفهُ التي جعلتهُ في مقدَّمة علماء زمانهِ وكان يُحسن العربيَّة ويعرف آثارها وقد عُرِّب كتابهُ تاريخ قدماء المصريين بهمَّة الشيخ عبد الله ابي السعود

وفي ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٢ توفي في باريس اثريّ آخر فرنساويّ هنري دي لونغاريه (H. de Longpérier) عن ٦٦ سنةً خدم فيها العلوم الاثريَّة لاسيما النقود الشرقية فكتب فيها الكتابات الجليلة . وقد جُمعت آثارهُ في عدَّة مجلَّدات . وممَّا يفيد تواريخ هذه البلاد خصوصًا كتابهُ في نقود ملوك العجم في دولتي بني ارشك وبني

ساسان. ولهُ كتاب آخر في نقود ومسكوكات دول الاسلام في المغرب والاندلس. وكان المذكور مع علمهِ كثير التحمّس في الدين

واشهر منهما في العلوم الشرقية فرنسوا لونرمان (Fr. Lenormant) ابن شرل لونرمان السابق ذكرهُ. ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي في باريس سنة ١٨٨٣ وقد احبَّ الشرق منذ شبابهِ فتجوَّل في بلاد اليونان ومصر والشام وكتب في ما عاينهُ المقالات الواسعة. وقد اشتهر خصوصاً بالعلوم الاثريَّة والتاريخ. ومؤلَّفاتهُ تنيف عن خمسين مجلَّدًا نخصُّ منها كتاب تاريخ امم الشرق القديمة في تسعة مجلَّدات. وكان عالماً بآثار العرب كما تدلُّ عليهِ كتبهُ. وكان لونرمان كثير الدين يدافع عنهُ دفاع المؤمن الصادق

وممَّن عُني خصوصاً بدرس العربيَّة الاستاذ شربونو (J. Aug. Cherbonneau) ولد سنة ١٨١٣ وتوفي سنة ١٨٨٢ في باريس. درس على المستشرقَين دي ساسي وكرسان دي پرسڤال ثم انتدبتهُ الدولة الفرنسويَّة لتنظيم مدارسها العربيَّة في الجزائر فاهتمَّ بالامر اهتماماً عظيماً وعلم في قسنطينة مدَّة وكان ينشّط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم وقد صنَّف لذلك عدَّة كتب مدرسيَّة للقرَّاء وتعليم الاصول والتكلُّم ولهُ معجم كبير عربيّ وفرنساوي ونشر في المجلَّة الاسيويَّة مقالات متعدِّدة في شعراء العرب وكتبهم ونقل الى الفرنسويَّة عدَّة تآليف قديمة منها رحَل وتواريخ وقصص كرحلة المبدري وتاريخ ابن حمَّاد وكان مغرماً خصوصاً بتاريخ المغرب والجزائر لهُ في ذلك عدَّة آثار وفي آخر حياتهِ استدعتهُ الحكومة لتدريس العربية في مكتب لغاتها الشرقية في باريس

وكان يعلّم في ذلك المكتب مستشرق آخر اختطفتهُ المنون سنة ١٨٨٩ وهو پاڤه دي كورتيل (Pavet de Courteille) لكنَّهُ برَّز في درس اللغة التركية فاحيا كثيرًا من آثارها المدفونة. واشتغل بترجمة كتاب مروج الذهب للمسعودي بمعية بربيه دي ميناڤ (Barbier de Meynard) الذي توفي في العام الماضي ١٩٠٩. ومن تصانيفهِ كتاب بالفرنسويَّة في صفة احوال البلاد العثمانية

وفي سنة وفاة شربونو توفي مستشرق آخر متضلّع بمعرفة العربيَّة المسيو شرل دفرامري (Ch. Defrémery) وُلد في ٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٢٢ وتوفي في ١٩ آب سنة ١٨٨٣ درس العربيَّة على كرسان دي پرسڤال والفارسية على العلامة دي كاترمار وبرع في اللغتين فاختارتهُ دولتهُ ليعلّم في مدرستها العليا. ولهُ عدَّة تآليف

اخصّها تواريخ الدول الاسلامية في خوارزم وتركستان وما وراء النهر وتاريخ الاسماعيليين وهو اوّل من نشر رحلة ابن بطوطة وترجمها الى الفرنسويّة وساعدهُ في عملهِ المستشرق الايطالي بنيامين سَنْغينياتي (B. Sanguinetti) الذي كان استوطن فرنسة منذ سنة ١٨٣١ . ومن غريب الاتّفاق انّ الرصيفين توفّيا في السنة عينها وكان سنغيناتي اعدَّ للطبع عدّة تآليف عربية كتراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة وتراجم الصفدي المسمّى الوافي بالوفيات وبعض الكتب الطبية وكلها لم تُطبع . وممّا نشرهُ في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة سنة ١٨٥٩ كتاب فيهِ رسوم قديمة تُدعى احكام التيقة لطائفة مسيحية زعم انها طائفة المرارنة

وخسرت الدروس العربية في فرنسة عالماً آخرًا كانوا يبنون عليهِ امالًا طيّبة في خدمة الشرقيّات وهو ستانسلاس غويار (St. Guyard) ولد سنة ١٨٤٦ ومات منتحرًا سنة ١٨٨٤ . تعلّم عدّة لغات شرقية كالسنسكريتية والفارسية والاشوريّة وقد نشر فيها كلّها مصنّفات عديدة الّا انهُ خصَّ قسمًا كبيرًا من حياتهِ القصيرة في العربية فألّف فيها تآليف جليلة اخصّها كتاباتهُ عن الباطنية والاسماعيلية المعروفين بالحشّاشين ولهُ تأليف جليل في الاعاريض العربية واشتغل بتاريخ الطبري مدّةً . وكانت غلبت عليهِ السويداء فحملتهُ على قتل نفسهِ

واشتهر بين الفرنسويين غير هؤلاء ممّن لا يسعنا الافاضة في ذكرهم كرسال دوفيك (M. Devic) المتوفى سنة ١٨٨٦ نشر في العربيّة كتابًا قديمًا يُدعى عجائب الهند نقلهُ الى الفرنسويّة . وقد ألحق معجم ليتره (Littré) بجدول للالفاظ الفرنسويّة المستعارة من اللغات الشرقيّة . وكريشار بوشه (R. Boucher) المولود سنة ١٨٤٣ والمتوفى في تشرين الاوّل من السنة ١٨٨٦ نشر قسمًا كبيرًا من ديوان الفرزدق عن نسخة اياصوفيا ونقلهُ الى الفرنسويّة وقد اتمّ نشر هذا الديوان جناب الاديب الالماني تريل كليّتنا الدكتور يوسف هال (J. Hell)

ومنهم ارنست رنان (E. Renan) المتوفى سنة ١٨٩٢ اشتهر خصوصاً بمعاداتهِ للدين . امّا ما عُرف لهُ من التآليف الشرقية فتاريخ اللغات السامية في جزئين وكتابهُ عن ابن رشد بالفرنسويّة . وتجوّل مدّة في سوريّة فنشر آثار سواحلها في كتابهِ بعثة فينيقية . لكن في تآليفهِ المذكورة الغثّ والسمين كما بيّنهُ قوم من العلماء

ومنهم الدكتور لوكلار (Dr Leclerc) المتوفى سنة ١٨٩٣ وهو الذي نقل الى الفرنسوية مفردات ابن بيطار وكتب تاريخ الطب في الشرق نقلاً عن ابي اصيبعة وغيره من كتبة العرب في اربعة اجزاء

ومنهم غستاف دوغا (G. Dugat) احد معلمي مكتب اللغات الشرقية في باريس (١٨٢٤ — ١٨٩٤) لهُ تاريخ المستشرقين الاوربيين الذي لم يطبع منهُ الا قسمين وصنَّف مقالات في جغرافية بلاد الاسلام

ومنهم الاستاذ جوزف درنبورغ الروسي (J. Derenbourg) المتوفى سنة ١٨٩٥ نشر رسائل لغوية لابي الوليد بن جناح واشتغل مع غيرهِ من الروسيين في طبع الاسفار المقدسة لربي سعديا الفيومي . وقام من بعدهِ ابنهُ هرتويك (Hartwig Derenbourg) ففاق على ابيهِ في العلوم العربية ونشر كثيراً من آثارها ككتاب سيبويه وديوان النابغة مع ترجمته وجدَّد طبع تاريخ ابن الطقطقي المعروف بالفخري . توفي هرتويك سنة ١٩٠٨ وعمرهُ ٦٤ سنة

ومنهم العلامة هنري سوفار (H. Sauvaire) المتولي القنصلية لدولتهِ في بلادنا لهُ تآليف شرقية جليلة منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمد بن شاكر ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل الى الفرنسوية الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمجير الدين . وغير ذلك مما يشهد لهُ بطول الباع في العلوم الشرقية . توفي في ايار من السنة ١٨٩٦ . ومنهم ايضاً الخوري جان برجس J. L. (Bargès الكاهن الفرنسوي الذي علَّم العربية في مرسيلية واشتغل في باريس في جريدة البرجيس وترجم تاريخ بني زيان للتنسي وتاريخ بني جلاب للسيد حاج محمد الادريسي ونشر منتخبات من كتب عربية نادرة كالفيض المديد من اخبار النيل السعيد للمنوفي . وابرز بالطبع سفر الزبور ونشيد الاناشيد لربي يافث بن علي البصري وميمر ساويرس بن المقفع في القديس مرقس الانجيلي

ومنهم العلامة الشهير شرل شيفر (Ch. Schefer) توفي في ٣ اذار ١٨٩٧ كان تجوَّل في حداثتهِ في الشرق وتولَّى شؤون الدولة الفرنسوية في الشام والعجم وبرع في الفارسية وقد نشر بالعربية وصف الشام لابي الحسن علي الهروي .

وترأس مدّة سنين عديدة مكتب اللغات الشرقيّة في باريس فخدم الشرق خدماً مذكورة ولهُ منشورات فارسية جليلة

وممّن نضيفهم الى الافرنسيين خمسة من آباء رهبانيّتنا خدموا الدين والآداب العربية معاً في هذه البلاد. احدهم الاب لويس كساڤاريوس ابوجي (L. X. Abou-git) ولد في مدينة پوي (Puy) وقصد سوريّة بصفة مرسل سنة ١٨٤٩ فأتقن العربية حتى امكنهُ ان يحرّر البشير ويصنّف الكتب في العربية او ينقلها اليها من اللغات الاوربية . وقد بلغت تآليفهُ وتعريباتهُ الخمسة عشر منها كتب دينية وجدلية كردودهِ على المقتطف وتزييفهِ لبعض مزاعم البروتستانت وكتراجم بعض القديسين ومنها مدرسيّة كمختصر الجغرافية وغرماطيقين عربيّ شرحهُ بالفرنسويّة وفرنساوي شرحهُ بالعربية. توفي الاب ابوجي في ١٦ تموز سنة ١٨٩٥ في غزير وكان مولدهُ سنة ١٨١٩

والثاني هو الاب فيلبّوس كوش (Ph. Cuche) ولد في مقاطعة فرنش كونته سنة ١٨١٨ وتوفي في بكفيا في ٢٧ آب ١٨٩٥ بعد ان خدم الرسالة خمسين سنة بصفة رئيس مدارس وادارة ومدير للمطبعة. لهُ قاموس عربي فرنسوي اصاب شهرة بين المستشرقين وهو المعجم الذي جدّد طبعهُ الاب حنّا بلّو (J. B. Belot) واضاف اليهِ اضافات عديدة وسمّاه القلائد الدريّة

والثالث هو الاب يوسف روز (J. Rose) جاء الى سوريّة قبل كهنوتهِ فتعلّم اللغة العربية حتى برع فيها. وكان احد المشتغلين بترجمة التوراة. ومن آثارهِ مكالمات عربية وفرنسويّة في جزءين ولهُ سبعة مجلّدات مواعظ مخطوطة انشأ بعضها ونقل بعضها الآخر عن اللغات الاوربية ولهُ معجم عربي فرنسوي لم يُطبع. توفي الاب روز في ١٠ اذار سنة ١٨٩٦ في بيروت ومولدهُ سنة ١٨٣٤

وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٧ توفي في زحلة الاب يوسف هوري (J. Heury) المولود في اشيون سنة ١٨٢٤ جاء كمرسل الى سوريّة سنة ١٨٥١ واشتغل فيها بالتعليم والتبشير. لهُ قاموس فرنسويّ عربيّ تكرّر مراراً طبعهُ لرواجهِ

وكان اشتهر قبل هؤلاء الاب يوسف ڤان هام (J. Van Ham) الهولندي المولود سنة ١٨١٣ والمتوفى في ١٣ آب سنة ١٨٨٩ في تمنايل لهُ عدّة تآليف في الآثار الفلسطينيّة . وكتب مقالات واسعة في الاسفار المقدّسة وتاريخ الاصلاح الموهوم ولهُ

ردود مختلفة على مزاعم البروتستانت في بيروت طُبعت في مطبعتنا

(الالمانيّون والنمساويّون) كانوا بعد الفرنسويين ابعد همّةً من سواهم في تعزيز الدروس الشرقيّة . اشتهر منهم فردريك دياتاريشي (F^r. H. Dieterici) الذي ولد في برلين ١٨٢١ وبعد ان ساح في جهات الشرق تعيَّن كاستاذ العربية في وطنهِ سنة ١٨٥٠ وهناك توفي نحو السنة ١٨٨٨ ولهُ تآليف عربية متعدّدة منها معجم عربي والماني وشرح الفيّة ابن مالك وألّف كتاباً في الشعر العربي ونشر نخباً من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبيّ . ودرس خصوصاً تآليف العرب الفلسفيّة كالفارابي واخوان الصفا ونشرها

ومنهم الاستاذ فليشر (H. L. Fleischer) المولود سنة ١٨٠١ والمتوفى سنة ١٨٨٨ درس اللغات الشرقية في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسفال ثم خلف المستشرق روزنمولر في تعليمهِ في كلّيّة ليبسيك . فكان في المانية احد ائمّة الدروس الشرقية مدّة خمسين سنة مجارياً لفريتاغ ولفلوغل وكان يكاتب ادباء سوريّة وينشر كتاباتهم وقد ألّف نحو مائة تأليف في كل الفنون الشرقية لاسيما العربية وقد نشر تفسير القرآن للبيضاوي والمفصّل للزمخشري وكتاب الف ليلة وليلة مع الاستاذ هابشت (Habicht) ورسالة هرمس في معاتبة النفس وتآليف متعدّدة في نحو العربية

ومنهم الاستاذ غوستاف ڤيل (G. Weil) ولد في سولزبورغ سنة ١٨٠٨ وتوفي في فريبورغ برسغاو سنة ١٨٨٩ . درّس التاريخ الشرقي في كلّية هيدلبرغ وكتب تواريخ الدول الاسلامية العامّة والخاصّة وكلّها مطوّلة تُعدّ من انفس التواريخ واضبطها لاسيما تاريخ الخلفاء في ثلاثة مجلّدات وتاريخ العبّاسيين في مصر في مجلّدين

وفي تلك السنة ١٨٨٩ توفي البارون فون كريمر (Alf. Kremer) الذي وُلد في ڤينا سنة ١٨٢٨ ومات بقربها سنة ١٨٨٩ تجوّل في مصر والشام وعلّم العربية في حاضرة بلادهِ . الى ان أُرسل الى مصر بصفة قنصل لدولتهِ . ثم تعيَّن قنصلاً لها في بيروت سنة ١٨٧٠ حتى عهدت اليهِ دولتهُ وزارة الخارجية ووزارات غيرها الى سنة وفاتهِ . لهُ كتب متعدّدة في اداب العرب وتواريخهم واشعارهم وجغرافيّتهم وقد نشر من ذلك نحو عشرين كتاباً منها كتاب الاستبصار في عجائب الامصار وكتاب المغازي للواقدي وكتاب الاحكام السلطانيّة للماوردي والقصيدة الحميريّة

وفي السنة ١٨١١ فقدت المانيا احد كبار اساتذتها المستشرقين وهو العلّامة بول دي لاغرد (P. de Lagarde) المولود سنة ١٨٢٧ . اشتغل بهمّة قصاء مدّة نيف وثلاثين سنة في نشر الآثار النصرانية القديمة والاسفار المقدّسة وعلّم في كليّات وطنهِ وتآليفهُ كلّها تُعرب عن سعة فضلهِ وكان يُحسن اللغات الشرقية كالسريانيّة والعبرانيّة والقبطيّة والعربية لهُ في كلّها آثار طيّبة . وممّا نشر في العربية نسخة من الاناجيل القديمة ومن المزامير ومن قوانين الرسل ومن بعض التآليف الابوكريفا ونسخة من غراماطيق قديم عربي ولاتيني للراهب بترو دي ألكالا الفرنسيسي

وفي السنة ١٨١٣ توفي الدكتور لويس سبرنغر (Al. Sprenger) الذي ولد في معاملة التيرول سنة ١٨١٣ وكان رحل الى لندن ودخل في خدمة الانكليز فسار الى الهند وتولّى ادارة مدرسة دهلي سنة ١٨٤٣ واشتغل في مطبعة كلكوتا فنشر فيها تآليف خطيرة منها كتاب اصطلاحات الصوفيّة لعبد الرزّاق السمرقندي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وتاريخ الغزنويّة للعتبيّ وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وكتاب الاتقان في علم القرآن للسيوطي وكتاب حدود الفاكهي . ثم رجع الى وطنهِ وعلّم اللغات الشرقية في برلين ثم انقطع الى التأليف في هيدلبرغ . ومن تآليفهِ سيرة مطوّلة لمحمّد نبيّ الاسلام في ثلاثة مجلّدات وكتاب في تعليم محمّد

وغلب كلّ هؤلاء مع نشاطهم الغريب كاتبٌ الماني آخر أنشبت فيهِ المنون مخالبها سنة ١٨٩٩ العلامة هنري فردينند وستنفلد (H. F. Wüstnefeld) المولود في اعمال هانوفر سنة ١٨٠٨ . درس اللغات الشرقيّة على اكبر اساتذة وطنهِ ثم جُعل استاذًا للعربية في غوطا . وتآليفهُ العربية عبارة عن مكتبة واسعة تنيف عن مائتي تأليف بين صغير وكبير وقد ادّى العلوم الشرقيّة خدمًا لا تُنسى بما نشرهُ من المصنّفات القديمة كطبقات الحفّاظ للذهبي وتراجم ابن خلكان وتاريخ مؤرخي العرب وتاريخ اطبّائهم وكتاب الاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحمويّ ومعجم ما استعجم للبكري وسيرة الرسول لابن هشام وتهذيب الاسماء للنووي وكتاب الالباب في تهذيب الانساب لابي سعد السمعاني وكتاب المشترك وضعًا لياقوت وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد لهُ واخبار قبط مصر للمقريزي وكتاب المعارف لابن قتيبة وتاريخ مدينة الرسول للسمهوديّ وتواريخ مكّة في ثلاثة مجلّدات وكتب عديدة غيرها مع

تذييلات وحواش وفهارس تدهش العقل بوفرتها . احيا الله لنا امثالهُ كثيرين

(الهولنديون) عُرف الهولنديون بانصبابهم على اللغات الشرقيَّة ولاسيما العربيـة . وممن اشتهر بينهم في آخر القرن التاسع عشر ب . يونغ (Pieter de Jong) احد معلّمي كليَّة اوترخت ولد سنة ١٨٣٢ وتوفي سنة ١٨٩٠ اشتغـل مع العلامة دي غوي (de Goeje) في وصف مخطوطات كليَّة ليدن ونشر كتاب المشتبه لابن القيسراني وكتاب لطائف المعارف للثعالبيّ ونشر بعض الفصول لمؤرخي العرب

وزاد على السابق شهرةً الهولندي رينهرت دوزي (R. Dozy) الذي ولد وتوفي في ليدن (١٨٢٠—١٨٨٣) . أغري منذ حداثته بدرس الشرق والعلوم الشرقيَّة وتعمَّق في درس العربيَّة حتى دُعي الى تدريسها في كليَّة بلدهِ ومنشوراتهُ العربيَّة عديدة نفيسة منها كتابهُ في ملابس العرب بالفرنسويَّة (في ٤٤٦ صفحة) ونشرهُ لتاريخ بني زيَّان ثم تخصَّص بدرس الدول الاسلاميَّة في الاندلس والمغرب فنشر عدَّة مجلَّدات في ذلـك كتاريخ عبد الواحد المرَّاكشي وتاريخ البيان المغرب لابن الاظهريّ وجغرافيَّـة الادريسي وتاريخ الاسلام في الاندلس في اربعة مجلَّدات ولهُ معجم واسع في مجلَّدين ضخمين جعلهُ ملحقاً للمعجمات العربية وكتب تاريخاً مطوَّلاً في الاسلام منذ ظهوره الى ايامهِ والَّف كتاباً عن الاسرائيليين في مكَّة

في ختام القرن التاسع عشر توفي الهولندي ڤات (P. J. Veth) المولود سنـة ١٨١٤ المتوفَّى في ارنهيم سنة ١٨٩٩ كان من معلّمي الشرقيَّات في كليَّة ليدن واشتهر خصوصاً بكتاباتهِ عن الهند والمستعمرات الهولنديَّة . ونشر في العربيَّة كتاب لبّ اللباب في تحرير الانساب لجلال الدين السيوطي

وقد فقدت الآداب العربيَّة مؤخَّراً رجلين عظيمين من علماء هولندة مات احدهما في ريعان شبابهِ هو ڤان ڤلوتن (G. van Vlouten) الذي نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيَّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحراً . والآخر امام العربيَّة في اوربة العلامـة دي غوي المتوفى في العام المنصرم وهو متولي طبع الطبري وتاريخ اليعقوبي والفتوحات الاسلاميَّـة للبلاذري وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ومجموع جغرافيي العرب في عشرة مجلَّدة وقد ابقى لهُ في القلوب ذكراً مخلَّداً

(الانكليز) عُرف منهم في ختام القرن السابق ادورد بالمر (E. H. Palmer)

من اساتذة كلّيّة كمبردج المتوفّى سنة ١٨٨٣ خلّف كتاباً انكليزيّاً في اصول نحو العربية . ونشر ديوان بهاء الدين زهير مع ترجمته الانكليزيّة على طرز بهي ولهُ ايضاً ترجمة القرآن الى الانكليزيّة

ومنهم المستشرق الشهير وليم رَيت (W. Wright) ولد في الهند الانكليزيّة في اوائل سنة ١٨٣٠ ثم درس في اسكوتلندة وتعلم العربية في لندن تحت نظارة الاستاذ دوزي ثم عاد الى لندن ودرّس العربيّة وتولّى نظارة المخطوطات الشرقية في خزانة كتبها العظمى فوصف مخطوطاتها السريانية الثمينة في قائمة لا تقلّ عن ثلاثة مجلدات ضخمة . وفي سنة ١٨٧٠ طلبتهُ كلية كمبردج ليعلّم فيها العربية فبقي في مهنته الى سنة وفاته في ٢٢ أيار ١٨٨٨ . ولوليم رَيت مطبوعات عربية جليلة منها الكامل للمبرّد ومنها رحلة ابن جبير ومنتخبات من شعراء الجاهلية دعاها « جزرة الحاطب وتحفة الطالب » واشتغل في استخلاص القسم التاريخي من نفح الطيب للمقّري . ولهُ كتب اخرى لغويّة منها قواعد اطيق عربي بالانكليزيّة

وفي السنة ١٨٩٠ توفّي في تريست حيث كان قنصلاً لدولته السائح الشهير اللورد ريشرد برتون (Richard F. Burton) كان ولد في كنتيّة نورفالك في انكلترّة وساح في عدّة بلاد واكتشف في افريقية سنة ١٨٥٢ بحيرة تنغنيكا . وتعيّن مدّةً كقنصل في دمشق ورحل الى بادية الشام والى تدمر . وكان قبلاً بلغ الى مكّة وزار المدينة وكتب تفاصيل سياحته اليهما في مجلدين . وكانت امرأتهُ كاثوليكية فلم تزل تسعى في امر اهتدائه حتى ادركت غايتها . ولمّا توفي زوجها اقامت لهُ في لندن مشهداً من الرخام على شكل خيمة عربيّة وسكنت فيها الى موتها

وفي السنة ١٨٩٢ توفي انكليزي آخر صرف قسماً من حياته بمهنة ترجمان في سفارات دولته في الاستانة وفي القاهرة وهو جمس ردهوس (J. W. Redhouse) . وكان في اوقات الفراغ يشتغل بالتاليف لاسيما في التركية . ولهُ معجم عربيّ وفارسي وانكليزي ونشر قصيدة لاميّة العرب للشنفري مع شروح مختلفة ونقلها الى الانكليزيّة

(الروسيّون) تعزّزت بينهم الدروس الشرقيّة في ختام القرن التاسع عشر وازهرت العربيّة خصوصاً في كلّيّتي بطرسبورج وموسكو وممّن عُرف منهم وقتئذٍ برنهرد دورن (B. Dorn) كان مولدهُ في المانية سنة ١٨٠٥ ودرس اللغات الشرقيّة على مشاهير

المستشرقين. وفي سنة ١٨٢٩ استدعتهُ الدولة الروسية للتعليم في كلية خركوف ثم في مكتبها الاسيوي في بطرسبورج وتولى نظارة مكتبتها الشرقيَّة ومتحفها الامبراطوري. توفي سنة ١٨٨١ بعد ان اغنى العلم بتآليفه لاسيما في تواريخ الشرق العجمي والشرق الاسلامي كتاريخ القفقاز والخزر والكرج واتسع في وصف الآثار الشرقيَّة كالنقود العربيَّة والمخطوطات الاسلاميَّة فانَّ مآثرهُ تربي على ١٥٠ عدًا

ومنهم العلم گرگاس (W. O. Guirgass) كان مولدهُ في روسية نحو السنة ١٨٣٥ ودرس اللغات الشرقية في بطرسبورج ثم في باريس ثم قصد الشرق فسكن سنتين بنيَّف في جوار بيروت. ولما عاد الى روسية تقلَّد منصب التعليم في حاضرتها فاقبل عليهِ الدارسون وكان من جملتهم العلامة البارون ڤون روزن الذي نشرنا في المشرق (١١: ١٧١) خلاصة ترجمتهِ. توفي العلم گرگاس نحو السنة ١٨٨٤. لهُ مؤلفات مفيدة منها كتاب حقوق النصارى في البلاد الاسلامية ومنتخبات عربية ومعجم عربي روسي. ونشر كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري وتاريخ الآداب العربية طبعهُ بالروسية على الحجر

وممن اسفت على فقدهِ ايطالية من المستشرقين الاستاذ ميشال اماري (M. Amari) وُلد في بالرمة سنة ١٨٠٦ وتوفي في فلورنسة سنة ١٨٩٩. تعلَّم اللغات الشرقية في باريس وخصَّ نفسهُ بالعربية وبآدابها وتاريخها في بلادهِ. فكتب تاريخ المسلمين في صقلية ونشر رحلة ابن جبير الى تلك الجزيرة وصنَّف تآليفهُ الذي دعاهُ بالمكتبة الصقلية وعزَّزها بالكتابات والمعاهدات التجاريَّة المبرمة بين العرب والايطاليين وغير ذلك مما اوجب لهُ شكر المستشرقين عموماً واهل بلادهِ خصوصاً

وفقدت اسبانية في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر ثلاثة من اساتذتها المستشرقين جوزه دي لرخندي (J. de Lerchundi) مؤلف معجم عربي اسباني ومجموع منتخبات عربية. وفرنسوا كساڤيه سيمونت (Fr. X. Simonet) استاذ العربية في غرناطة الذي نشر تاريخ النصارى المستعربين (Mozarabes) في الاندلس والَّف بعض كتب مدارسية ونشر اعمال مجمع طليطلة عن نسخة عربية قديمة ولهُ مقالات متعدِّدة عن العرب نشرها في المجلات الاسبانية. وقد اجتمعنا بهِ في لندن فأخذنا العجب من سعة علمهِ. توفي في غرناطة في ٧ تموز سنة ١٨٩٧. امَّا الثالث فهو

استاذ العربية في مدريد العلامة بسكوال كيَّانغوس (Don Pasc. Gayangos y Arce) المولود في اشبيلية سنة ١٨٠٩ قدم لندن وصنَّف فيها تآليف مختلفة اشتهر منها تاريخهُ للدول الاسلامية في اسبانية وترجمتهُ لتاريخ المقَّري نفح الطيب في مجلدين ضخمين ووصف آثار قصر الحمراء وكتاباتها. توفي في لندن سنة ١٨٩٧. وكان هؤلاء اخذوا عن مستشرقين سبقاهم عهدًا الاوَّل لافونتي القنطريّ (Lafuente y Al-cantara) المولود في جهات مالقة سنة ١٨٢٧ والمتوفى سنة ١٨٥٦. كتب تاريخ غرناطة ونشر كتاباتها العربيَّة. والثاني لوس ريوس (Don José Amador de Los Rios) ولد في نواحي قرطبة سنة ١٨١٨ وتوفي في اشبيلية سنة ١٨٧٨. علَّم العربيَّة في مجريط ثم صار مديرًا لكليَّتها ونشر آثار قرطبة واشبيلية

واشتهر في اسوج هولمبو (Chr. A. Holmboe) المولود سنة ١٧٩٧ والمتوفي سنة ١٨٨٢ كان استاذًا في عاصمة بلاده كرستيانية بعد ان تخرَّج في باريس على دي ساسي وكوسان دي پرسڤال واشتهر خصوصًا بالعلوم الكتابيَّة واللغات الهنديَّة. وقد ترجم الى الالمانيَّة كتاب كليلة ودمنة ونشر عدَّة مقالات عن الاسلام في الهند

اما (الامركيُّون) فلا نعرف منهم احدًا اشتهر بالعلوم العربيَّة الَّا تريل بيروت الدكتور كرنيليوس فان ديك المولود في ولاية نيويرك سنة ١٨١٨ والمتوفَّى في بيروت في ١٣ ت ٢ سنة ١٨٩٦. قدم الى سوريَّة بصفة مرسل بروتستاني سنة ١٨٤٠ فصار الى آخر نسمة حياته قطب الرسالة الامركيَّة في هذه البلاد وقد نشر سيرتهُ الدكتور اسكندر افندي تقولا البارودي في المطبعة العثمانية فنحيل القرَّاء الى تفاصيلها. وفي آخرها جدول تآليفه البالغة نحو ٣٠ كتابًا في العلوم العصريَّة كالرياضيَّات والآثار الجويَّة والطبّ والجغرافيَّة ولهُ كتاب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء. ونقل الى العربيَّة الكتاب المقدَّس دون الكتب الثانويَّة وألَّف عدَّة كتب جدليَّة ردَّ عليها الاب ثانٍ هام اليسوعي وغيرهُ من آباء جمعيَّتنا فألجأوهُ الى السكوت

وهنا نختم كلامنا عن الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر وكنَّا نوينا ان نضيف اليهِ ملحقًا في احوال الآداب في القرن العشرين لكننا آثرنا ان نرجئ العمل الى فرصة أخرى ريثما تتوفَّر لدينا موادّ الكتابة (تمَّت)

السرّ المَصون في شيعة الفَرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الدرجة الاولى: الطالب (تتمّة)

وهذه الامتحانات يدعوها الماسون السياحات الرمزيّة فرأيتهم اخذوا الطالب واجلسوه نصف عريان على كرسي ذي رؤوس محدّدة كالمسامير (لراحته) واعادوا عليه السؤال أهو مصمّم العزم على الدخول في الماسونيّة وهل يقصد حفظ اسرارها حفظاً تامًّا ويقبل اشدّ العقابات ان حنث بوعده. فاجاب مؤمّنًا. فقام اخ يدعى بالذابح (F∴ Sacrificateur) فأمسك بيد الاعمى وقادهُ الى سلّم غير ثابت الدرجات فلمّا جعل المسكين عليه رجلهُ عثر ولولا أخوان من الماسون انقذاهُ لوقع على الحضيض وفي الوقت عينهِ سُمع ضجّة وقرقعة في المكان كأنّهُ صوت انسان وقع من سلّم الى اسفل. وربّما مثّلوا صوت الرعد بآلة ذات دواليب تدور على تنك واطلقوا على الطالب هزّات كهربائيّة من آلة يخفونها في بعض الزوايا

ثم عادوا بهِ وهو معصوب العينين الى وسط المحفل فسألهُ الرئيس أهو لا يزال على عزمهِ وهو مستعدّ لكل ضروب المشقّات في خدمة الماسونيّة والّا فالأولى بهِ ان يكفّ عن قصدهِ للدخول في الماسونيّة.. فالطالب شدّد نفسهُ وتظاهر بالحماسة فقال انّهُ ثابت على عزمهِ فأمر الرئيس باختبار صدقهِ قائلًا للاخ الذابح بان يقودهُ الى المذبح. فعند وصولهِ قدّم لهُ قدحاً ذا قسمين في قسم منهُ ماء صافٍ او شراب حلو وفي القسم الآخر مشروب مرّ فقال الرئيس:

« ان كنت غير صادق فهذا الشراب الصافي سوف يستحيل الى سمّ ناقع في فيك »

فشرب الطالب الماء وبقيت الكأس في يد الاخ الذابح فجعل يديرها شيئاً فشيئاً حتى بلغ الشراب المرّ الى فم الطالب فتقلّصت شفتاهُ من مرارتهِ ونفر من المشروب فصرخ الرئيس بعد ضربهِ على المطرقة قائلًا:

« ما هذا يا فلان ما بالك تشمئز وتتغيّر سحنتك العلّك تنوي الخيانة فاستحال لك المشروب الطيّب الى سمّ قاتل... ابعدوا الخائن»

فامسكهُ « الاخ الغول » بيده وقادهُ الى زاوية أخرى ليفكر في امره ثم سألهُ أليس في قلبهِ غشّ . فاجاب انهُ صافي النيّة سليم القلب فعرضوا عليهِ سياحةً ثانية ليمتحنوه

الّا انّ هذه السياحة الثانية خالية من اخطار السياحة الاولى وانّما يُسمعون الطالب صاصلة السيوف واصطكاك الاسلحة كأنهُ ماشٍ الى حرب عوان ثم يقودهُ « الاخ الغول » الى باب فيقرعهُ ثلاثاً فيتقدّم اليهِ الحارس الاوّل قائلاً : من الطارق ؟ فيجيب القائد انهُ اجنبيّ يطلب الانضواء الى الماسونيّة فيسأل الحارس :

ح : كيف استطاع ان يطلب امراً صعباً كهذا ؟
الاخ المهيب : لانهُ رجل حرّ طاهر الذيل
ح : فان كان الامر كذلك فليُطهَّر بالماء

فتمّ كل ذلك بحرفهِ فأخذ اثنان من الماسون ذراع الطالب وغمسوها في الماء ثم اخرجوها ونشّفوها وعادوا بالطالب الى مكانهِ السابق فقال المنبه الاوّل :

انتهت السياحة الثانية يا حضرة المحترم

الرئيس : انّ غمس اليد بالماء اشارة الى الطهارة والنظافة وتطهير القلب عن كلّ ما تنهى عنهُ الرسايا الادبيّة وهذه السياحة رمز عن تذليل المصاعب وهي اقلّ من سابقتها قرنةً وشدّةً اشارةً الى انهُ كلّما تقدّم الانسان في سبيل الفضيلة (الماسونيّة) هان عليهِ السير في مناهجها

وهنا زيادة في كلام الرئيس لم يذكرها شاهين بك مكاريوس في كتابهِ لئلّا ينفر من كلامهِ المسيحيّون في بلادنا وهو في كتب الماسون المطبوعة في اوربّة . فيقول الرئيس :

انّ التطهير بالماء عادةٌ قديمة بين العربين وغيرهم (اي المسيحيين) الذين كانوا يزعمون (!!) انّ الانسان يولد في خطيئة اصليّة فيطهّر بالماء (بريد المعموديّة) الّا ان هذا الزعم خرافة بيّن العقل بطلانها

فترى من هذا صدق الماسون حيث يقولون أنهم لا يتعرّضون للاديان

ثم عرضوا على الطالب سياحةً ثالثة وهذه المرّة يطهّرونهُ بالنار كما طهّروهُ بالارض والهواء والماء سابقاً . لأنّ الماسونيّة وحدها حتى الآن محافظة على تعليم قدماء الطبيعيين الذي اكل عليهِ الدهر وشرب فتقول بالاسطقسات الاربعة الارض والهواء والماء والنار . فسمعتُ الرئيس يسأل الطالب :

هل تتعهد لنا بالشرف انك تتحمل مشقات تكريسك (كذا) غير مضطرب وتستمر بعد انتظامك في عشيرتنا حافظاً على الثبات في خدمة الانسانية عموماً وهذا المحفل خصوصاً

الطالب : نعم

الرئيس : اخي المرشد الثاني عليك بالرحلة الثالثة . وليمر الطالب بالنار المطهرة

فامسك المرشد الثاني الطالب بيده اليمنى ودار به المحفل من امام المنبه الاول والحضور سكوت (لكن يجوز الضحك !) وعاد به الى مكانه فأتى الاخ المهيب (الغول) بلهيب ونفخ فيه تجاه وجه الطالب . واللهيب المذكور هو لهيب نبات من شكل الطحلب يدعى ليكوبود (lycopode) يزجونهُ ببعض المواد السريعة الالتهاب ويجعلون المزيج في انبوب وينفخونهُ في وجه الطالب فيحدق به اللهيب دون ان يؤذيهُ كثيراً وينطفئ بسرعة

فبعد هذا التطهير اعادوا الطالب الى مكانه فألقى الرئيس عليه خطاباً هذا تعريبهُ :

« أيها الاجنبي انك الان قد تطهرت بالارض والهواء والماء والنار فأثني على حماستك ورباط جأشك اثناء الطيب ولكن اعلم انك لم تبلغ غاية امتحاناتك فان الجمعية التي تطلب الانحياز اليها لذاتها تطلب منك ان تهرق حتى آخر نقطة من دمك افأنت مستعد لذلك »

فانظر رعاك الله ما يطلبهُ هؤلاء من ذويهم فانهُ اشبه بما كان يطلبهُ الباطنية قديماً من مشايعيهم اذ كانوا يضحون بنفوسهم لدى اشارة شيوخهم فيتهورون طاعةً لاوامرهم في كل المآثم

فاجاب الطالب انهُ يرضى بكل شيء . فقال الرئيس :

« ما نحن نختبر بأسك ونتحقق عزمك فانا نريد نفصد لك عرقاً للحال »

فتقدم اخٌ يدعونهُ الاخ ... الجرّاح ووخزهُ بشبه المشرط وصبَّ بالطف ماء على ذراعه كأنهُ الدم السائل وربطهُ بمنديل . ثم قال لهُ الرئيس :

« وانا نريد ايضاً ان تطبع على صدرك او احد اعضائك الخاتم الماسوني بحديد محمى ليعرفك اخوتك الماسون في العالم كلهِ »

فلما رضي الطالب وسموا صدرهُ المكشوف بطابع احمرهُ قليلاً على شمعة واوقدوا فوقهُ قطعة ورق . وبعد هذا اعلم المرشد الاول « حضرة المحترم » بان الطالب انجز سياحاته الثلاث فشنف الرئيسُ آذانهُ بخطبة اولها تعريف العماد الماسوني بالماء والنار فقال :

« أيها الطالب عسى ان هذه النار المادية تشعل في قلبك نار المحبة لاخوانك على الدوام واعلم

انّ بالماء والنار تُطهّر الاشياء (وهو مبدأ الشيع السرّية) ولذلك جُعلت رمزاً في الماسونيّة من قديم الزمان . . . »

ثم امر الرئيس بان يقدّموا الطالب الى الهيكل الماسوني الذي يسمّونهُ المحراب بالطريقة المتبعة في المحفل . فأخذ المرشد الثاني يد الطالب اليمنى وعلّمهُ شيئاً من الحركات الماسونيّة الشريفة وهي من الاسرار التي تفوق ادراكنا نحن الجهّال فقال لهُ :

« ضعْ عقبَيْك الواحد (العَقِب عند الصرفيين مؤنثة الّا انّ الماسون يذكّرون المؤنث كما يصرف الشعراء غير المنصرف) بجانب الآخر ليتكوّن من قدمَيْك زاوية قائمة ثم اخطُ خطوة بقدمك اليسرى وضع عقبك الايمن بجانب الايسر ثمّ أخطُ خطوة ثانية ثمّ ثالثة (كما في لب الفرد المربوط) الى ان تصير امام المحراب (الماسوني) بغير ان تعمل حركة اخرى »

فاتمّ الطالب هذه الحركات اللطيفة بكل رشاقة كاصحاب البهلوان فقال لهُ الرئيس :

« ايها الطالب ضع ركبتك اليسرى على الارض ورجلك اليمنى على شكل زاوية قائمة وضع يدك اليمنى على الكتاب المقدّس (هذا الكتاب هو اليوم كتاب رسوم الماسونيّة) وخذ البرجل بيدك اليسرى واجعل احدى شعبتَيه على صدرك واتبعني فيما اقول » :

ثم دقّ المحترم دقّة بالمطرقة ووقف الاخوان جميعاً . فتلا الطالب القسَم الآتي الذي يدلّ على انّ غير الماسونيّة باهظ وحملها ثقيل على خلاف نير الربّ وحملهِ

القسَم الماسوني

« انا فلان اقسم بالله الرحيم مهندس الكون الاعظم (واليوم كما قلنا سابقاً قد نُحي الاسم الكريم فأبدل بالشرف الشخصيّ) في حضرة هذا المحفل الموقّر واتعهّد امام الحاضرين اني اصون واكتم الاسرار الماسونيّة التي تُباح لي ولا ابوح بشيء منها . . . وأقسم ايضاً اني لا اكتب هذه الاسرار ولا أطبعها ولا ادلّ عليها وان امنع بكل قدرتي من يريد ان يفعل ذلك كي لا تكشف اسرارنا لغير ابناء عشيرتنا واقسم بشرفي بلا مواربة اني احافظ على قسمي هذا واتودّد الى اخواني واعضاء محفلي واساعدهم واعاونهم في احتياجاتهم واواظب على الحضور في جلسات المحفل بقدر استطاعتي واحافظ على طاعة قانون المحفل الاكبر . . . وان حنثتُ في يميني أكُن مستحقاً قطع عنقي واستئصال لساني والقاء جثّتي لطيور السماء ولحيتان البحر . . واني راضٍ بأنّ جثّتي تُعلّق في محفل ماسوني لاضحي عبرة للداخلين من بعدي ثم تُحرق ويُذرّ رمادها في الهواء . . »

هذا هو القسَم الماسوني المملو عذوبةً ولطفاً الذي يقيّد به بعض المجانين نفوسهم . ومن المعلوم انّ قسَماً كهذا اثمٌ فظيع لا يجوز لاحد ان يرتبط بهِ كما انّهُ باطل اصلاً لا يُلزم احداً بالذمّة . وعليهِ لا صحّة لقول الرئيس بعد هذا :

« انّ القسم الذي صدر منك يُعتبر ميثاقاً اكيداً وعهداً شديداً فارجوك ان تختمهُ بتقبيل الكتاب المقدّس (بل بالحري كتاب رسوم الماسونيّة) »

فبعد ان قبّلهُ قال لهُ الرئيس :

يا فلان لقد طالت مدّة مكثك في الظلام فما الذي تتمنّاهُ الان ؟

الطالب : النور

الرئيس : فيُسقط لهُ النور عند ثالث دقّة من كرسي الرئاسة

فتقدّم المرشد الثاني وحلّ الرباط عن عيني الطالب حتى اذا طرق الرئيس الطرقة الثالثة ازاحهُ عنهُ . وكان الاخ الحارس قد احضر نوراً ساطعاً اجازهُ امام عيني الطالب . وفي الوقت عينهِ قام كل الاخوان واحدقوا بهِ وسلّوا سيوفهم فوجّهوها الى صدرهِ فتُرك المسكين بين هؤلاء الجلّادين مدّة ليتأثر من مشهدهم . ثم قال لهُ الرئيس :

اخي المستنير (ونعم النور !) انّ السيوف المسلولة امامك هي للدفاع عن شرفك وحياتك ما دمتَ ماسونيّاً حقيقياً وهي للعقاب اذا خنتَ بعهدك لا سمح الله (اله الماسونيّة !) ولمّا كنت قد انتقلت من الظلام الى النور (لأنهم فتحوا لهُ عيونهُ المربوطة !) فاني اوجّه نظرك الى الانوار الثلثة العظيمة التي تُعتبر في الماسونيّة وهي الكتاب (اي الرسوم الماسونيّة) والزاوية والبرجل . فالكتاب لإحكام ايماننا (الكاذب) والزاوية لتنظيم اعمالنا (الباطلة) والبرجل لتحديد ارتباطنا بالحدود اللائقة مع سائر النوع البشري وخصوصاً مع اخواننا البنّائين الاحرار (وزد عليهِ : لمعاداة كل من لم يشاركنا بالماسونية)

هذه هي الانوار الكبيرة التي تبهر العيون بسطوعها ولمعانها . الّا ان للماسونيّة انواراً ثلثة اخرى صغيرة كانت محجوبة عن نظر الطالب فاجازوا لهُ الآن ان يمتّع عيونهُ برؤيتها . واسمع ما قال نبراس الماسونيّة النيّر شاهين بك مكاريوس « رئيس اعظم شرف مقام العقد الملوكي بالينويس في الولايات المتّحدة واستاذ اعظم شرف المحفل الاكبر بفيلادلفيا ورئيس ثالث اعظم مقام العقد الملوكي الاكبر بمصر . . . الخ (فيا لله كيف يمكن المصريين ان ينظروا الى هذا النور الباهر فلا يُصابوا بالعمى ولعلّ كثرة امراض العيون المتفشّية في مصر ناتجة عن نظرهم الى هذا النيّر العظيم !) قال جنابهُ (ص ٢٩ من كتابهِ الدرجة الاولى للماسونيّة) : « ثمّ ان المحترم يمسكهُ (اي الطالب) بيدهِ اليمنى ويقول لهُ : « انهض اذاً ايها الاخ الحديث » (لا بل الطفل الرضيع لأنّ عمر الطالب على قول الماسون ثلاث سنوات ليس الّا) . فنهض وقبّلهُ القبلة الماسونيّة (!) ثم جلس الاخوان الذين كانوا واقفين وارتقوا المستنير تجاه يمين الرئيس المحترم فكلمهُ قائلاً :

« يمكنك الآن (ويا لسعادة الطالب ! نيّاله) اكتشاف الانوار الصغيرة الثلاثة الماسونيّة الموضوعة شرقاً وجنوباً وغرباً فهي دلالة على الشمس والقمر (من الورق الشفّاف) والرئيس المحترم (من لحم ودم) فالشمس لحكم النهار والقمر لحكم الليل (الّا ان الطالب ما كان يعرف ذلك قبلاً !) والرئيس لنظام المحفل وادارته »

وهنا تنبيهات اخرى اشبه بملاعب المراسح (الكوموديه !) فقال الرئيس :

« ثم انك ايها المستنير بحسن سلوكك في هذه الليلة قد نجوتَ من خطرين عظيمين (!!) ولكن يوجد خطر ثالث عليك ان تحذرهُ ما دمت حيّاً . امّا الخطران اللذان نجوت منهما (اقرأ : اللذان عرّضت بنفسك جهلاً لهما) فهما الطعن بالسلاح (الماسونيّة) والخنق (بالحبل الذي وبطك فيه الماسون كالحيوان) فانهُ عند دخولك في المحفل كان هذا الحسام مسلولاً تجاه قلبك حتى اذا فاجأتنا بقصد سوء كنت سبباً في قتل نفسك طعناً به ويكون الاخ الحامل لهُ قد قام بالواجب عليه (لأنّ الماسون حقّ الموت والحياة في عائلهم !) وكان هذا الحبل في عنقك (وهنا يرفعون الحبل عن عنقه) حتى اذا عمدتَ الى التهتري خُنقت به (وهو الاستشهاد الماسوني !) . وامّا الخطر الذي عليك ان تحذرهُ ما حييتَ فهو العقاب الذي التزمتهُ (بيلامتك عند قسمك العظيم بعدم افشاء اسرار البنّائين الاحرار) »

وهنا اخذا الرئيس يطلعهُ على تلك الاسرار العجيبة التي تفوق ادراك البشر اكثر من سرّ الثالوث الاقدس نفسه فقال لهُ :

« واعلم انّ الاشياء التي يمتاز بها كلُّ بنّاء هي الزاوية والميزان والشاقول (يا لها من اوسمة جليلة فما للماسون لا يزدهون بها في الشوارع !) ولمّا كنتَ قد حلفت اليمين اللازمة فأطلعك على اسرار الدرجة التي انت فيها » (وهي الاسرار الفائقة العقل التي اذا افشاها الماسوني استحقّ افظع العذابات)

« يجب عليك ان تقف معتدل القامة عند دخولك المحفل وقدماك مكوّنان زاوية ليكون اعتدال جسمك اشارة الى اعتدال عقلك (!) وهيئة قدميك اشارة الى انتظام عملك . فأخطُ اليَّ الان خطوة مُبتدئاً بقدمك اليُسرى ثم الصق عقبك الايمن (كذا) بها وهذه هي اوّل خطوة منتظمة في الماسونية وفي وقفتك هذه أودعك اسرار هذه الدرجة وهي (اسمعوا !) : اشارة . ولمة . وكلمة

« امّا الاشارة فهي . . . . (بياض في الاصل . فيا تحيّر الذين لم يعرفوها !) . وامّا الكلمة فهي ثمينة عند البنّائين الاحرار وتُعَدّ بمنزلة حارس لحقوقهم وهي . . . . (بياض في الاصل) ولا يجوز النطق بها الّا بحروف منقطعة كما تسمع عند السؤال عنها في هذه الليلة . وفي الماسونيّة اشياء يتعلّمها الخلف عن السلف مثل القبلة الاخويّة والسنّ في هذه الدرجة وصفقة التهليل وصفقة الحداد والنُقط تحت الامضاء . فالامل ان الاخ المرشد الثاني يعلمك هذه الاشياء الماسونيّة . واعلم ان الكلمة هي اسم العمود الايسر الذي في مدخل هيكل سليمان

ولعلّك ايها القارئ تتأسّف من عدم معرفتك كل هذه الاسرار الغامضة ومن سكوت « شاهين بك مكاريوس استاذ اعظم محفل الاكبر الاورشليميّ » عنها في كتابه. ولكن تعزَّ فان « اخي الحاسوس الجزويتي » الذي سبق الكلام عنهُ قد اطلعني على كل ذلكَ

(فالاشارة) ان يكون الماسوني منتصباً ويجعل ذراعهُ اليسرى على طول جسمه واليد اليمنى تحت حلقهِ بميلة الى حبل الوريد الايسر ويضمّ اصابعهُ الاربعة ويفتح ابهامهُ على شكل زاوية ثم يزيح افقيًّا اليد اليمنى ساحباً لها الى كتفهِ اليمنى كأنَّهُ يقطع حبل وريدهِ ثم يترك يدهُ تسقط على جانبهِ الايمن بحيث يمثّل بحركتهِ زاويةً على نفسهِ. فبهذه الاشارة اللطيفة يدلّ الماسوني على انهُ قابلٌ بقطع عنقهِ ولا الاباحة باسرار الماسونيَّة

امَّا (اللمسة) التي ضنّ علينا بتعريفها جناب شاهين بك فهي المصافحة الماسونيَّة وتصير هكذا: ياخذ الاخ . . بيمين الذي يريد ان يعرّفهُ بنفسهِ فيجعل ابهامهُ على اعلى سُلاميات سبّابتهِ بينما يدقّ باصابعهِ الاربع ثلاث دقّات في كفّهِ. فهذه اللمسة تستدعي التلفظ بالكلمة السرّيَّة وهذه الكلمة السرّيَّة هي اشرف واعظم واغمض كل الاسرار حتى انَّهُ لا يجوز لفظها الّا بحروفها المقطّعة. وليست هي الاسم الكريم (יהוה) الذي لم يتجاسر اليهود بلفظ حروفهِ ولكن كلمة « ج . ا . ك . ي . ن » يتهجّى كل واحد من الماسون حرفاً منها وحذارِ وحذارِ ان تلفظ « جاكين » (Jakin) لانَّ السماء تهبط عليك والارض تُخسف بك ان قُلتها

وان دخلت في محفل منوط بطقس ماسوني فرنسوي علّموك كلمة اخرى شبيهة بكلمة « جاكين » وهي سرّيَّة مثلها ولا يجوز ان تُكتب بل تلفظ فقط فالمفروض كتبناها هنا وهي لفظة طوبلقاين (Tubalcain) اسم احد ابناء لامك. امَّا اذا دخلت في الماسونيَّة في طقس الاسكتلندي فالكلمة السرّيَّة ليست « جاكين » ولكن « بعوز » (Booz)

امَّا (السنّ) الذي يبلغهُ الاخوة الماسون الطالبون فهو الثلاثة فاذا طلب منهم الرئيس كم هو عمرهم اجابوا ثلاث سنوات لأنَّ العدد الثلاثة عندهم عدد سرّي. وعندنا هو السنّ الذي يليق بمثل هؤلاء الصغار العقل الذين ينضوون الى الماسونيَّة.

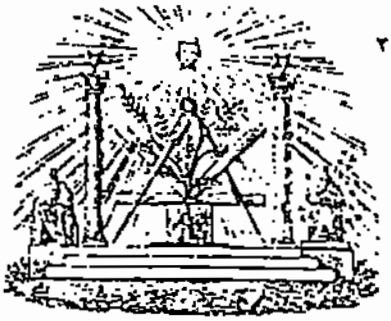

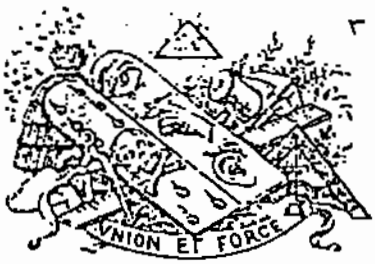

ترى في الصور الست الاولى معظم العلامات الماسونية التي ورد ذكرها او سنذكرها في مقالتنا المعنونة بالسر المصون . فمنها المطرقة (الشاكوش) والمالج (صلقة البناء) والمثلث والزاوية والبرجل (البيكار) والشاقول (خيط البناء) والمتزر (الوزرة) والهيكل الماسوني (عدد ٥) بين العمودين جاكين وبعز (ع ٢ و٥) والكتاب (رسوم الماسونية) (ع ٣) والشمس والقمر والنجوم والاذن الساهرة مع العين الباصرة والاصبع على الشفتين دلالة على حفظ السر (ع ٣) وصورة جمجمة وعظام وألسنة النار المظهرة (ع ٣) وخلية النحل اشارة الى العمل (ع ٢ و٣) واليدان المتصافحتان (ع ٦) وغصن السنط او الاكاسيا (ع ١ و ٢ الخ) والحجر الشبيه (ع ١ و ٦) — اما الصورة الاخيرة ففيها رسم التكريس الماسوني (عن صورة فوتغرافية)

وكذلك يطرقون ثلاث طرقات اذا طلبوا ان يُفتح لهم باب المحفل ويرسمون بعد اسمائهم الماسونيّة ثلاثة نجوم كما سبق

امّا (صفقة التهليل) فبأن يضربوا بطرقة ثلاث طرقات تكنّ في الطرقة الثالثة يرفعون رأس القدم اليسرى فيضربون به الارض

وفي (صفقة الحداد) يضيفون الى الطرقات اصوات الندب والتأسّف . آه ! ها ! واه !

فتلك هي الاسرار التي صار الآن الطالب يدركها . فما اعزر علمهُ واوفر عقلهُ !

وعقبَ كشفَ هذه الاسرار امتحانُ الطالب فألقى عليهِ بعض اعضاء المحفل كالمرشدَين والمنبّهين الاسئلة التي خطرت على بالهم فقضي على الطالب ان يجيب عليها بما يعنُّ لهُ . ولدينا بعض هذه الاسئلة التي من شأنها ان تضحك الثكلى فنضرب عليها صفحًا خوفًا من الاطالة المملّة

وفي اثر الامتحان قلّدوا الطالب نشان المحفل وهو مئزر (وزرة) من جلد الشاة ووشاحًا يجعلهُ على صدرهِ وعلى كليهما شارات الماسونيّة كالمثلث والزاوية والبركار . امّا صورة التقليد فتقرؤه بهِ المرشد الاوّل قائلًا :

« بأمر الرئيس المعتبر اقلّدك نشان الماسونيّة واعلم انهُ اقدم وسام في العالم واشرف من جميع النياشين التي تمنحها الملوك والسلاطين (فما بال الماسون اذن يمقتونهُ كأنّهم يخجلون منهُ) لانهُ وسام النزاهة ورابطة المودّة والاخاء واوصيك باحترامهِ على الدوام واؤكّد لك انك اذا لم تُحبّهُ لا يحبّك (كذا) »

ثم أيّد الرئيس هذا التقليد بارشادات أنقل منها قولهُ :

« اخي فلان اعلم انّ العادة المألوفة في تشييد البنايات الفخمة (الماسونيّة) هي وضع اوّل حجر من الاساس في الزاوية التي في الشمال الشرقي (ما احذق هؤلاء المعماريين !) ولذلك يُجعل مقرّك في الجهة المذكورة من المحفل بعد قبولك في الماسونيّة لتكون فيهِ بمنزلة ذلك الحجر وعلى هذا الاساس يمكنك ان تشيّد بناء كاملًا يشهد بعظم بانيهِ (كالاهرام التي يزعم الماسون انّ اجدادهم ابتنوها) »

وولي هذه الارشادات السويّة تسليم آلات المبتدئ في الماسونيّة فقال المحترم :

« واقدّم لك آلات المبتدئ من الثانين وهي الذراع البالغ قدرها ٢٤ قيراطًا والقدّوم والازميل (والاجرة كم ؟) . فالذراع لتقدير الاعمال . والقدّوم لازالة الزوائد والعُقَد البارزة . والازميل لتسوية الحجر ونحتهِ وجعلهِ صالحًا للاستعمال بايدي البنّاء الماهر . وامّا عندنا فالذراع المشتملة على ٢٤ قيراطًا ترمز الى عدد ساعات اليوم التي يلزم صرف جزء منها في العبادة (ولهذا لا ترى ماسونيًا يدخل كنيسة وان قمل نشّر !) وجزء في العمل (اي اثارة الفتن كما فعلوا عند موت

فرّير) وجزء في الاستراحة (وهذا افضل اعمالهم) وجزء لمساعدة الاخ وقت الحاجة (اعني التعاون في ادراك غايات الماسون). والقدوم رمز الى همّة النفس التي تقلع الباطل (الباطل عند الماسون ما يدعونهُ بالخرافات الدينيّة والايمان بوجود الخالق وخلود النفس كما اثبتنا سابقاً) . . . والازميل رمز الى مزايا التعلّم والتربية (اي التعليم اللاديني) . . . »

وفي المحافل الماسونيّة حجر منحوت مكعّب (لعلّهُ بقيّة من عبادة الزُّهرة المرموز عنها بالحجر المكعّب) يدعونهُ الحجر الغشيم

فاسمع رعاك الله ما قالهُ الرئيس مشيرًا الى ذاك الحجر :

« وانظر الى الحجر الغشيم امامك فهو اشارة الى انّ الانسان اذا لم يتعلّم (بالمعنى الماسوني) يبقى على حالتهِ الاصلية . وبالعكس اذا تعلّم وتهذّبت اخلاقهُ فيصير كالحجر المنحوت الذي امامك ايضاً . . . »

ثم يسلّم الطالب الدستور الماسوني ويوصيهِ بان يحتفظ عليهِ ولا يُطلع عليهِ احدًا . ثم يأمرهُ بان يتقدّم الى امام كرسي الرئاسة اذ قد حان وقت « التكريس » فيحلّ على الطالب الروح الماسونيّ بتامهِ « فأمسك الرئيس السيف بيدهِ اليُسرى والمطرقة بيدهِ اليُمنى وطرق طرقة فوقف الاخوان ومدّ السيف ووضعهُ فوق راس المستنير (؟) وضرب عليهِ ثلاث طرقات وجعلهُ على رأس المستنير وكتفيهِ وقال :

« باسم مهندس الكون الاعظم (راجع ما قلناهُ سابقاً عن هذا المهندس) وتحت رعاية المحفل نفلاني قد كرّستُكَ (! ! !) اخًا ماسونيًا وعضوًا عاملًا في محفل كذا . . . »

ثم امر الطالب بالجلوس هو وكل الاخوان وامر المنتهين بان يُعلنا امام الاخوة « بان يعرفوا الاخ فلان ماسونيًا وعضوًا عاملًا في محفل كذا . . . في الدرجة الاولى الرمزيّة وبعد هذا امروهُ بان يتصرف ويلبس ثيابهُ (المتر !) ويعود ليسمعوهُ ارشادات جديدة لا حاجة لذكرها اذ قد عرفنا خزعبلات الماسونيّة . وانّما اكّدوا للطالب انّ الملوك والسلاطين يفتخرون بكونهم ماسونًا لا بل يجنّوا في عقلهِ انّ الماسون وحدهم متمدّنون وانّ سواهم متسكّعون في ظلمات التوحّش اذ سمعت الرئيس يقول :

« اعلم ان لك مزيّة في ثلاثة امور . اوّلًا في كونك ماسونيًا . وثانيًا في كونك مدنيًا . وثالثًا في كونك عضوًا من اعضاء الهيئة الاجتماعيّة »

وبعد هذا الارشاد الطويل لقّنوا الطالب الجواب على اسئلة عرضوها عليه وطلبوا منهُ صدقةً لاراملِ الماسون وللمحتاجين منهم . هذا فضلًا عما يجب دفعهُ للجمعية

بدلًا من الشرف الذي خوّلته الماسونية لقبوله بين اعضائها وهكذا انتهت هذه الرواية المضحكة التي هي أولى بمراسح المشعوذين منها بنادي ناس ذوي عقل سليم. وانما هذا ملعب اوّل يليه ملاعب اخرى في الدرجات الماسونية التابعة كما سترى (لها بقية)

الله والعقل والحياة (١

لجناب الاديب حبيب جرجس اسطفان تلميذ مدرسة الموارنة بروما

١

الله والعقل

أتراهُ يبدو ضعيفًا ويجحد مُقعَدًا أسمعَ المنى يتشدّد (٢

مدحوهُ واوغلوا فحجبا أقرَم بَ ما يشتهيه ما كان أبعَدْ

يدّعي مِسمعًا الى كبدِ الأر ضِ ولحظًا الى ذُرى العرش يصعَدْ

وذكاء يُدنيه من أزَلِ الدهر م ويُدني اليه مستقبلَ الغدْ

ربِّ اني خبرتُ نفسي طويلًا فإذا كلُّ ما رأيتُ مُحدَّدْ

فلِمَ العقلُ وحدهُ يدّعي أن ليس حدٌّ به قُواهُ تُقيَّدْ

كيف يثوي جسمًا اذا قيس لم يخرَم ج به إصبعٌ وليس له حدّ (٣

١) أقدمنا على افراغ هذه الحقائق الفلسفيّة في قالب شعري وان ألجئنا الى الاكتفاء بكلمة في ما تضيق عن بعضه ضخام المجلّدات لأنّنا لم نجد بين ابناء النهضة العربيّة مَن عُني بتقريب الفلسفة الى اذهان قومهم فسهّل عليهم اتباع الكاتب في مقالة طويلة لا محلّ فيها الّا للبراهين العقليّة ولم يزل الشعر تُلبس فيه الحقيقة ثوبًا يرتئيه الخيال ويطرّزهُ وصفُ مشهدٍ تبصرهُ العين او عاطفة تصيح في القلب أدنى عندنا الى الافهام. وبعد فانّ اتّباعنا هذه الخطّة في النظم او العدول الى مقالات نثريّة متوقّف على ما يكون من حكم الادباء في قصيدتنا هذه . . . . وقد اجتنبنا وضع الفاظ جديدة حيث مسّت الحاجة لانّ لنا رأيًا في ايجادها لا بدّ من تفنيده وتبديده قريبًا ان شاء الله

٢) الكلام في العقل ينكر من ضعفه ما بدا واتّضح لمّا افاض فريق في مدح قواهُ حتى صار عندهم الحَكَم الوحيد لا حقيقة الّا ما كان لهُ ظاهرًا وما لا يصل اليه عمال وخرق فأنكروا من ثمّ الوحي لأنّهُ ليس في الحقائق ما لا ينتهي اليه العقل فيحتاج الى موحٍ

٣) ليس من العجب ان روحًا مجرّدًا عن الهيولي يحرّك جسمًا يُقاس بالاصبع كجسمنا ولكنّ العجب في ان يكون ذاك الروح مقيّدًا بهذا الجسم على صغره كما ترى في العقل

أهوَ عني بالذاتِ والكونِ مفصو ... لٌ يعمُّ الورى ولا يتعدَّدْ (١
قبَسٌ ما أضاء للعينِ لولا م ... الشمسُ في مشرقِ العُلى تتوقَّدْ
موجةٌ لا تلاطِمُ السيفَ لو لم ... يكن اليمُّ قد أردَّ وأزبدْ (٢
لا فعقلي أراهُ فيَّ ومني ... لا تزيلاً عندي يُعالُ (٣ ويُرقَدْ
لا يعمُّ الأنامَ مثلي خصيصاً ... واحداً منفرداً كما أنا مُفرَدْ
ذاك زعمٌ به أتانا ابنُ رشدٍ ... وابنُ رشدٍ بزعمهِ لم يَرشُدْ
أمِ جميعُ الأشياءِ بالذاتِ فردٌ ... لستَ عنهُ بمعزلٍ او بمُبعَدْ (٤
ذاتُها أنت وهي أفلاذُ ذاتٍ ... لكَ في مُفسِحِ الفضاءِ تمدَّدْ (٥
أنت كالعينِ وهي كالماءِ يجري ... انت كالشمسِ وهي نورُكَ يمتدْ
انت كالكهرباءِ تخفى وتبدو ... هي كالبرقِ والرعودِ وتُشهَدْ (٦
جهلتْ أنها الإلهُ وخُصَّ م ... العقلُ بالعلمِ بينها وتفرَّدْ (٧
ربِّ حاشاكَ ان ينالكَ وصفاً ... ما الى هذه الزوائلِ يُسنَدْ
لا يزالُ الحؤولُ يعملُ فيها ... كلُّ رسمٍ أثبتُّها فيهِ مُفسَدْ (٨

١) ذهب ابن رشد احد فلاسفة العرب الى ان العقل الذي يدعوهُ ارسطو العقل المنفصل مفصولٌ عن الجسد كيانًا متحدٌ به اتحاد الصورة بمادتها اتحادًا عرضيًّا وهو واحد في كل الناس. ولهذا الكلام نتائج فلسفيَّة ودينيَّة عظيمة الاهميَّة نضرب عنها صفحًا الآن ولا يعني ان العقل ان كان واحدًا للبشر كلهم جاز لهُ ان يدَّعي بنوع ما انَّ لا حدَّ لهُ وان كان بعدُ أقصر من ان يبلغ اللانهاية

٢) البيتان لايضاح نسبة عقل الافراد الى العقل العامّ فانهُ العقل واحد كالشمس ولكلٍّ منهُ قبَس يستنير بهِ أو كالبحر ولكلٍّ جزء من الشاطئ موجة تلاطمه — السيف شاطئ البحر. وأردَّ البحر هاج وكثرت امواجه

٣) عالَهُ كفاهُ معاشهُ ومؤنهُ

٤) لا يتسع لنا المجال هنا لذكر المذاهب العديدة التي بدت في اعصر مختلفة تُنكر الهًا ارفع من هذا العالم خلقهُ وكوَّنهُ وهي ترى الله والعالم واحدًا ولا بدع ان ادَّعى اذ ذاك العقل ان لا حدَّ يقيِّده وانهُ هو الله او جزء منهُ

٥) تمدَّد تشدَّد

٦) ليس من يجهل ان البرق والرعد مصدرهما الكهرباء

٧) الضمير في « جهلتْ » لهذه الاشياء المادية فانها من نفسها ما عرف العقل من نفسهِ

٨) لا نريد بالرسم هنا ما في العقل من تصوُّرات ذوات هذه الاشياء فان الذوات على ما

هي تُطوى مثل الرداء وتَبلى هي كالغيم يومَ ريحٍ تبدَّدْ
انت ما فيك محدَثٌ وقديمٌ باقيًا انتَ انت لا تتجدَّدْ
ربِّ انت الوُجودُ لا غدَ فيهِ لا ولا أمسِ بل حضورٌ مؤبَّدْ (١
قد سألتُ الخشاش (٢ عنك وما في باطنِ الأرضِ من ترابٍ وجلمَدْ
وسألتُ النباتَ يسكرهُ الطلُّ م فيثوي على الصعيد مُوسَّدْ
وسألتُ الوهادَ يبكي بها الماء م سماءً فيها سحابًا تلبَّدْ
وسألتُ الزهورَ تبسم عن صا في عقيقٍ وفضَّةٍ وزبرجدْ
وسألتُ الاطوادَ مستودَعَ الحكمة م من اقدمِ العهود وأرشَدْ (٣
وسألتُ الاطيارَ تاقي بأذنٍ م الغصن سحرًا لوقعهِ يتميَّدْ
وسألتُ البحار تقذفُ بالأموا م جِ منقضَّةً تشقُّ الصاردَدْ (٤
وسألتُ الشمسَ المنيرة أمْ م الحصب تحيي الممات تُذكي المُجمَّدْ
وسألتُ البدرَ الحزين اليف م الصمت سهرانَ والخلائقُ هُجَّدْ
وسألتُ الثواقبَ الزُّهر تسري سابحاتٍ ما بين مثنًى ومَوحدْ
كلُّ هذي سألتُ عنكَ فقالت إرْقَ عنَّا لسنا إلهك واحمدْ (٥
نحنُ خلقٌ من بعد ان لم نكن او جَدَنا وهو حافظٌ ما اوجدْ
هو ادنى منَّا الينا وعنَّا لسنَ الكائناتِ ذاتًا وابعَدْ (٦
عالمُ الكونِ حاويًا غيرَ محويٍّ م تعالى عن أن يُضمَّ ويُحشَدْ (٧

في النقل لا تتغيّر ولكنّنا نريد رسمها كما هي خارج النقل مع اعراضها كالرسم الفوتوغرافي مثلاً

١) الفرق بين الابد والزمان ان الاوّل حضور دائم ثابت والثاني لا ثبوت لهُ

٢) الخشاش حشرات الأرض

٣) قلت ان اقدم العهود ارشدها لأنَّهُ زمان كان آدم في فردوسهِ جنتهم والله يرشده ويهديهِ ولبس وصفنا هنا فلسفيًا

٤) الصَّلْوَدد الصخر الصلب

٥) معنى هذه الابيات مقتبس من القديس اوغسطينوس: (Confess., Lib. X, c. VI)

٦) الله قريب من كل شيءٍ فهو في كل مكان حافظ كل ما خلق غير أنَّهُ ذاتيًا ابعد الكائنات عن هذا العالم الذي نراهُ فهذا متغيّر وهو لا يتغيّر هذا حادث وهو لازم الوجود الخ

٧) قلت ان الله موجود في كل مكان ولكنَّهُ غير محويّ في ما وُجد فيهِ والّا لزم ان يكون

ولهذا انّي التفتُّ ارى انّكَ م في كل ما أشاهدُ توجدْ
ربِّ اني شهدتُ انّكَ في الما لم لا ذاتهُ وما زلتُ اشهدْ (١
ربِّ ماذا إذن أهابَ (٢ بهذا م العقل حتى اتى بما لا يؤيّدْ
ربِّ رحماكَ انّهم افسدوهُ م ولكمْ اعجبَ المديحُ فأفسدْ (٣
ربِّ لستَ المقيمَ للعقل عذرًا ان يكن ضلّهُ المديحُ وشرّدْ
انّهُ ربِّ خادعٌ نفسهُ ليس م حقيقًا بان يُحامى ويُنجدْ (٤
عذرهُ ضعفهُ ويكفيهِ ذلاً يدّعي قوّةً وبالضعف يُعتدْ
ليتهُ يسمع الذي انا أرويهِ م فيدري ان قد طغا وتزيّدْ (٥
انا اروي لهُ واصدقُ كم قا لَ بوصف الحيوةِ قولًا مُفنّدْ
عالهُ يترك الذي فوقهُ ان كان في ما من دونهِ لا يُتدّدْ

٢

الحيوة

أبنتَ الهديل عدَتكِ العدى أنوحًا سجعتِ الضحى ام غنا (٦
أشاقكِ زيحُ الصباح لثامَ م الدُجى شجاكِ اليفٌ نأى
اذا كان ذاكِ فشدوكِ نوحٌ ونوحكِ شدوٌ اذا كانَ ذا (٧
مسستِ الفؤادَ ولم تفصحي فهجتِ وأغريتني بالبكا

محصورًا محدودًا ومن كلام للقديس اوغسطينوس مخاطبًا النزّة الالهيّة « أم لا تحتاج حاويًا الكلّ ان يحويك شيءٌ لانّ ما تملأهُ تملأه حاويًا اياه » (Confess., Lib. I. c. III)

١) لأنّ الله كما تقدّم موجود في كل مكان بعيد ذاتًا عن كلّ شيء

٢) أهابَ الراعي بغنمهِ صاح بها وهو هنا بمعنى دفع وحدا

٣) أفسدَ العقلَ مَن اقامهُ الحكمَ الفرد في كل حقيقة

٤) لئن مدح قوم العقل فانّما هم بعقلهم مدحوهُ فكان العقل مصدر ضلال لنفسهِ

٥) طغا جاوز القدر والحدّ . وتزيّد الرجل في حديثهِ زاد فيهِ ما ليس منهُ

٦) المراد بنت الهديل الحمامة لانّ الهديل صوتها كما قال المعرّي :

أبنات الهديل أسعدنَ أو عد نَ قليل العزاء بالإسعاد

وعدَتكِ العدى اي جاوزتكِ وتحوّلت عنكِ

٧) لأني لا افهمها ولا أميّز بين نوحها وشدوها فكلاهما لي واحد

اذا ملك القلبَ شأنٌ يردُّ اليهِ جميعَ الشؤونِ الفتى
وقد تشتكينَ الذي أشتكي وِدادًا قديمًا وعهدًا خلا
وقد ترتجينَ الذي أرتجي ولكنَّهُ عودُ ما قد مضى
بكيتُ لسجعكِ بنتَ الهديلِ ولم يُبكني صدعُ صَلدِ الصفا
لأنَّكِ يغريكِ بُعدُ الأليفِ وذا لا يحسُّ اذا ما انفرى
وزانتكِ انت حُلى للحيوة وذا عُطلٌ لم ترَنهُ الحلى
وفيَّ جميع الذي فيكِ منها وان كنتُ أرفعَ منكِ بها (١
ولولا حياتُكِ لم تسجعي ولولا حياتيَ لم أبتلى
فما هيَ هذي الحياةُ التي سجعتِ بها فأثرتِ الشجا
يقولونَ ما في الحياةِ جديدٌ وانَّ جمادًا وحيًا سوا
وما غيَّرَ الماءَ بالذاتِ أنْ ثوى جَمَدًا في الذُرى او جرى (٢
ولا غيَّرَ الصوتَ معناهُ أنْ رماهُ امرؤٌ او رماهُ صدى
ذُرَاتٌ تحرَّكُ ليس الحيو ةُ إلَّا نتاجَ انضمامِ الذُرا (٣
فكُوِّنَ منها نباتُ الرهادِ وكُوِّنَ منها زهورُ الرُبى
وكُوِّنَ منها سَجينُ البحارِ وكُوِّنَ منها طليقُ الفضا
وكُوِّنَ منها الكيانُ الصغيرُ امير الخلائق مولى الحجا (٤
اذا لم يكن كافيًا للحيوة م الحراكُ فتنجدهُ الكهربا (٥

---

١) الضمير في «منها» للحيوة وهي في الانسان تشمل ما في النبت والحيوان وتزيد عليهِ العقل

٢) يزعمون أن لا فرق بين المادَّة ساكنةً في الجماد او مستمرَّة الحركة في الحيّ كما انَّهُ لا فرقًا جوهريًا بين الماء سائلًا في الوهاد او جامدًا في الجبال

٣) يدّعون ان ليس في العالم الّا ذرّات تتحرَّك تختلف الاجسام باختلاف انضمامها الى بعضها ومنها كُوِّنَ كلُّ ما نراهُ من جماد وحيٍ

٤) الكيان الصغير الانسان المدعوّ عالمًا صغيرًا وهو حقيق بهذا الاسم لسببين امَّا اوَّلًا فلأنَّهُ جامع صفات كل الكائنات ففيهِ ما في الجماد وما في النبات وما في الحيوان وفيهِ ما في الارواح العليا . وامَّا ثانيًا فلأن الاشياء ترتسم في عقلهِ كأنَّهُ ضمَّها الى نفسه

٥) هذا فريق آخر رأى ان الحركة والذُرّات لا تكفي لإبداء الحيوة ففزع الى الكهرباء والحرارة وما ظهر من قوى الجماد وما لم يزل خفيًّا مما لم تمتد يدُ اليهِ

وما في الجمادِ من الظاهراتِ وما فيهِ من غامضات القوى
فيُعرَفُ اذ ذاك كنهُ الحيوة ويُكشَفُ عمّا تُسِرُّ الغطا
إلهيَ سبحانك القولُ هذا وتشهدُ لي قولُ من قد غوَى (١
ألَمْ تحوِ ما سجعتْ فبكيتُ سوى ما أصمَّ الصخور حوَى (٢
اذا الزهرُ طفلُ الجمالِ ابتسامُ م الرياضِ النواضر تجلى البها
تتوقُ السماء الى عطرهِ فتباعُ بالدرّ منهُ الشذا (٣
ولا تُمكِنُ الشمسُ من ان تراهُ اذا لم تجُدْ بعميم الضيا
وليس تنالُ الصَّبا لثمَهُ اذا لم تلاعبهُ كفُّ الصبا
شبيهٌ بما حولهُ من ترابٍ يُداسُ ولا عطرَ فيهِ ولا . . .
اذا الحملُ القاتد الامّ يعدو ويقفزُ مختلجاً كالظبا
كأنَّ برجليهِ مطّاطةً اذا لمس الارضَ حالًا ترا (٤
يخدُّ القطيع هنا وهنا لا يميلُ بفيهِ طريُّ الكلا (٥
فأيُّ مضيقٍ رآهُ أتاهْ وايُّ حَلوبٍ رآها ثنا (٦
وتسمعُهُ الامُّ يثغو فتثغو وتعدو اليهِ تغذُّ الخُطى (٧
وترأمهُ حين يدنو فيهوي على الضرعِ يمتصُّ درًّا حلا (٨
يشابهُ في فعلهِ الصخرَ يجهلُ م معنى الفراقِ ومعنى اللقا
اذا الابُ يرجع عند المسا من الشغل قاسى جليل العنا
قضى اليومَ حرثًا وزرعًا ليحيي بما هو يحييهِ بعد الردى (٩

١) غوى ضلَّ . وجملة « وتشهد لي » معترضة بين المبتدأ والخبر
٢) ما لم موصول يراد بهِ الحمامة المذكورة في اوّل القصيدة
٣) المراد بالدرّ هنا الندى
٤) ترا وثب وقفز ٥) الكلأ العشب
٦) الحَلوب الشاة تُحلب . وثنَا صاح وصوّت
٧) غذَّ السيرَ أسرع
٨) ترأمهُ تعطف عليهِ . والدَّر اللبن
٩) قد يكون الانسان بعد موتهِ حيوةً لما كان حيوتهُ وذلك اذا عاد جسمهُ ثرًى فألقيت فيهِ الحبوب فعاشت بهِ وقد كان يحيى بها

يرى زوجهُ وقفتْ بانتظا ... رهِ تحمل الطفلَ ضافي السَّنا
فيُلقي الأداةَ ويَبقي بعيدًا ... وكلُّ عناء النهار انقضى
يمدُّ يديهِ ويدعو الصغيرَ ... وهذا اذا ما دعاهُ زَقى (١
وصفَّقَ يبسمُ عن لؤلؤ ... نثيرٍ ونحوَ ابيهِ هوى
يَودُّ الوصولَ اليهِ ولكنَّهُ م ... بعدُ واهي القُوى ما مشى
وقد وقفَ الأبُ عنهُ بعيدًا ... ليبصرَهُ ماشيًا لا جنا
فتمسكهُ أمُّهُ باليدينِ ... فيقبل نحو الأبِ الخيزلى (٢
فيرفعهُ حينَ يدنو اليهِ ... كأنَّ الوليدَ نعيمٌ دنا
يُقبّلهُ وهو يلطمُ لحيًا ... لناعمِ خديهِ منهُ أذى
يمدُّ بهِ ساعديهِ فيَرقى ... وتضربُ منهُ اليدانِ الهوا
وتبسم للمشهدِ الامُّ كلُّ م ... السعادةِ بابنٍ وزوجٍ ترى
يُماثلُ مع عرسهِ وابنهِ ... بما اظهروهُ سكوتَ الحصى
لعمريَ بين جمادٍ وحيٍ ... من الفرق ما لا ينالُ الحِقا
فأصلُ الجمادِ ذراتٌ تحللُها م ... او تُركيبها الكيميا (٣
ولستَ ترى جسدًا ذا حيوةٍ ... اذا لم يكن من حيوةٍ نشا
وهذا الجمادُ اذا ما تَبلَّو م ... رَ هندسةً وقياسًا رعى (٤

١) زَقى صاح

٢) الخيزلى مشية فيها تثاقل وتفكك

٣) بعد ان قال ان بين الجماد والحيّ فرقًا واضحًا لا يُحجب شرع بتفصيل هذا الفرق فذكر اوّلًا ما كان منهُ بين اصل الجماد واصل الحيّ فالاوّل يبدو بتحليل كيماوي والثاني لا يبدو الّا اذا أنتجهُ حيّ مثلهُ

٤) يقال تَبلّور الجماد اذا حصلت لهُ صورة وهيئة هندسيّة بانتقالهِ بطيئًا من كونهِ غازًا او مائعًا الى كونهِ جامدًا ولكلّ جسم صورة خاصّة بهِ اذا تبلورَ تفصلهُ عن غيرهِ. وقد رأى البعض في ذلك قربًا بينَ الجماد والحي لان لكليهما هيئة وصورة خاصّة الّا اننا نرى ثمَّ ما يفرقهما لا ما يقرّبهما لانَّ الجماد اذا تبلور رُوعيت فيهِ الاقيسة الهندسيّة وكان في تركيبهِ وصورته من البساطة ما يدلّ على الموت والسكون وهذا الحيّ يتركّب ولا قياس هندسي يحفظهُ بل تحفظهُ قوّة يدلّ على وجودها ما فيهِ من ميل في الخطوط وتعقيد في التركيب ولو ان تلك القوّة ليست فيهِ لماجلّهُ الاخلال

وذا الحيُّ مالَت بتركيبهِ م الخطوطُ ودونَ قياسٍ جرى
كثيرُ الضميم مثالَ الوفاقِ عديمُ النظام نظاماً غدا (١
ترى كلَّ ما فيهِ يسعى لخيرِ م العموم ودفع الأذى أينما . .
وتمضي عليهِ القرونُ وكلُّ قريبُ الوجودِ كنائي الفنا (٢
اذا لم يَحِلْ بالجمادِ غريبٌ على حالهِ ظلَّ طول المدى
وذا الحيُّ ليس يلاقي سكوناً فاما استقرَّ فذاك الثَّوى (٣
يحرّك ليس ينمي نفسهُ زماناً اذا ما تقضَّى قضى (٤
جنينٌ فطفلٌ فيَفَعٌ فيَضعفُ فكهلٌ فشيخٌ فبعضُ الثرى (٥
وهذا الجمادُ اذا ما نما بضمِّ غريبٍ اليهِ نما
وما الحيُّ ينمو بضمٍّ ولكن بفعلٍ يحيلُ اليهِ الغذا (٦
فان يكن الحقَّ ما يدَّعون وأين من الحقِّ ما يُدَّعى
فهذي الحرارةُ والكهرباء وهذا الحراكُ وباقي القوى (٧
ليُبدوا الحيوةَ بتأليفهـا فتتركَ ما كان يبدو لنا

---

١) يضمّ الحي من الذرات عدداً لا يُحصى بيد انهُ مثال الوفاق كما يبيّن البيت التالي وقد قيل في البيت السابق ان الحي جرى دون قياس فهو من ثمَّ عديم النظام غير انهُ رغماً من ذلك نظام وقياس اوّلاً بما فيهِ من الاتفاق بين اجزائهِ وثانياً بحفظ صورتهِ في كل افرادهِ فهي قياس لها

٢) تمرّ القرون وكلّ مولود من الحي جديد يماثل ما فني من زمن بعيد من ذلك الجنس ومن هنا يتّضح انَّ في الحيّ قياساً

٣) ليس الجماد ان يعمل مؤثراً في نفسهِ فاذا صُرف عنهُ ما يحيل بهِ من حالتهِ بقي عليها أبداً والحيُّ بعكس ذلك ليس يلاقي سكوناً فإن في سكونهِ هلاكهُ وفناءهُ . والثَّوى الهلاك

٤) قيل ان الحي ليس يلاقي سكوناً ولكنَّ حركتهُ المستمرّة ليست من الخارج بل من داخلهِ وهذا اعظم فرق بين الجماد والحي الجماد لا يعمل الّا في غيرهِ والحيّ يعمل في نفسهِ الى امد لا بدَّ بعدهُ من ان يموت . وكلامنا هنا في الحيوة النباتيَّة والحسيَّة فقط

٥) ما ذُكر في هذا البيت من تفصيل حيوة الانسان يُطلق على كل حي

٦) ينمو الجماد ويزيد بضمّ غريب عنهُ يظلّ عنهُ غريباً ذاتاً وان قُرِن اليه والحيّ ينمو بان يُحيل اليهِ غذاءهُ ويجعلهُ بعض ذاتهِ . وانَّ بين الجماد والحيّ فروقاً اخرى وفي ما ذكرناه كفاية

٧) ذُكر الحراك بين القوى مجاراةً للخصوم والّا فحركة الانتقال ليست قوّة بل نتيجة قوة

يقولون هذا لنا لا يتمّ ولكنّهُ تمّ في ما مضى
بوقتٍ بهِ اظهور الحيوةِ على الارض أكملَ ما يُقتضى
وسوف يُنالُ اذا ما بلغنا من العلم بعض الذي يُرتجى
ألا ما مضى ليس فيهِ دليلٌ وما سيجيءُ فسوف ترى .
وقد يزعمُ البعضُ انَّ الحيوة اتت ارضنا من اراضي السما
جراثيمُ قد بَرحت دارَها تطوفُ الفضاء فحلّت هنا
او انَّ النيازك جاءت بها فلاقت على الارض كلَّ احتفا
فعاشت تَنقَّلُ من حالةٍ الى حالةٍ من كيانٍ إلى . . .
نباتٌ بلا حاسّةٍ حيوانٌ لطيفُ الحواسِ امرؤٌ ذو نُهى
وقد يدَّعي البعضُ ان لم يكن على ارضنا للحيوة ابتدا
فمن ازلِ الدهر بانت عليها وكانت لظىً حين كانت لظى (١
فلِمْ هذه الضحكاتُ وهذا التمحُّل في قولهم والمِرا
ألا كلُّ ذا لكفاه الاله عن الكونِ إن هو منهُ دنا (٢
فبي يا سماءُ ويا ارضُ سمعاً ويا بحرُ مَهْ وانصتي يا ذُرى (٣

١) اعجب لهذا الانسان اذا حيل بينهُ وبين الوصول الى الحقيقة او لم يشاء الاقرار بها ظاهرة لامر في النفس أسرع الى ابعادها عنهُ كأنَّهُ بذلك بلغ راحة العقل وأحال عنهُ عناءها وانت ترى ان هؤلاء لمَّا لم يتمكّنوا من ايجاد الحياة بتركيب الجماد لجأ بعضهم الى زمن ماضٍ قديم ونظر البعض الى الكواكب فرأى فيها مصدر الحياة ومقرّها ودعاها اراضي السماء كأنَّهُ لم يبق مجال للبحث في كيفيّة نشوء الحياة هناك فضلًا عن استحالة وصول الجراثيم حيّة الى ارضنا لانَّ اشعّة الشمس تميتها في الطريق . وقد رأى هذا المحال بعض فقالوا انَّ الحياة أتت ارضنا بها النيازك وهي هذه الحجارة التي تتساقط من السماء . ومن العجب ان يقول هذا من يعرف شدّة الحرارة التي تمزق هذه النيازك بمرورها في الهواء وسقوطها على الارض . وقد رأى صحّة كل هذه برابر (Preyer) فزعم ان الحيوة لم تبتدئ على الارض وأنَّما كانت عليها منذ الازل واذا قلت ان الارض كانت قبلًا كرةً نارّية اجابك : كانت الحيوة نارًا حتى اذا بردت الارض تغيّرت الحيوة . وفي هذا منتهى التحكّم والتمحّل وهو حطّة بقدر الفلاسفة

٢) لقد أتى الخصوم بكل ما ذُكر للتخلّص من تداخل الله في شؤون العالم وايجاد الحيوة بقوّته . وكفاهُ من الشيء صرفهُ وصدّه

٣) نعمت استمع للحديث

أيبتدعُ اللهُ هذا الوجودَ فيُضحي الوجودُ عليهِ حَمى
إلهي لكَ الكونُ اجمع ملكٌ فتفعلُ في ما حوى ما تشا
فإن يَزِنِ الأرضَ نورُ الحياةِ فإنَّكَ مصدرُ ذاكَ الضيا
وان ينعشِ الارضَ منها النسيمُ فليس لهُ من سواكَ نشأ (١
حيوتَ بها الارضَ لمَّا الزمانُ الذي كنتَ حدَّدتَ قبلاً أتى
فأخرجتِ الارضُ نبتاً نزهرًا أجلَّ طرازٍ لابهى رِدا
فطافَ بانواعهِ الحيوانُ م القفارَ وخدَّ (٢ هواءً وما
فصاغَ لكَ الشكرَ نورٌ زها وصاغَ لكَ الشكرَ طيرٌ شدا
ولا شكرَ ثمَّ لأنَّ ليس عا قلٌ ما افضتَ عليهِ دَرى
ولا روحَ في النبت والحيوا نِ مهما ادَّعى غيرُنا وارتأى
فليس بافعالها من دليلٍ يُبينُ أنِ الروحُ فيها ثوى (٣
ولكنَّها صورٌ قد رمقت اليها موادٌ أعدَّت لها (٤
الى ان ختمتَ بآدم ما بقولكِ كُنْ في الكيانِ بدا

١) النّشاء مصدر نشأ ٢) خدّ شقّ

٣) ذهب البعض الى ان في النبت والحيوان نفساً روحية. وهولاء ايضاً بمنزل من الحقّ فان افعال النبات والحيوان كلّها ماديّة ولو كان ثمّ روح لظهر فعل يُنسب اليها. وغريب انّ هولاء يبدأون مما بدأ منهُ من قال أن لا فرق بين الحيّ والجماد وان اختلفت النتيجة كل الاختلاف فان كلا الفريقين يزعم ان ليس في المادّة الّا قوى طبيعيّة وكيماويّة ردّ اليها البعض قوى الحيوة وهذا هو الفريق الذي لا يرى فرقاً بين الجماد والحيّ. واقصاها عنها الفريق الثاني ولمّا لم يجد وسيطاً بين المادّة والروح قال ان في النبت والحيوان روحاً. ولا يصحّ ان يُنسب الشكر الى النبت والحيوان فإنّهُ يقتضي معرفة العلّة والمعلول وليس ثمّ عقل تحصل به هذه المعرفة

٤) لا يثنيهم عن انكارنا وجود الروح في النبت والحيوان أنّنا لا نجد فرقاً بينهما و بين الجماد ذاتياً فنحن نرى ان كلّ جسم مركّب من مادّة وصورة وكلتاهما من ذاته. فالمادّة وهي ما يُدعى المادّة الاولى او الهيولي لا صورة لها بنفسها ولا يمكنها ان توجد بدون ان تتّحد بالصورة والصورة ايضاً لا توجد الّا اذا اتّحدت بالمادّة فهما ملازمتان وان بعض الصور ارفع من بعض فترتقي المادة من أدناها الى اعلاها وليس نفس النبات والحيوان الّا من هذه الصور. امّا نفس الانسان الروحيّة فانّها تبلغ ارفع ما يمكنها الوصول اليهِ بتجرّدها من المادّة وان كانت مرتبطة بالجسم الهيولي

قرنتَ بهِ مادةً معَ روحٍ فتمَّ لضدَّين فيهِ اتحا
فذا الحيُّ لا ما ادَّعوا والحيا ةُ فعلٌ بهِ لازمٌ لا سوى
وهذي مراتبُها في المرادْ وهذا نشوءٌ وهذا ارتقا
وهذا هو الحقُّ مَن يلتمسْ بهِ بدلًا فهو منهُ برَا
وَرِثناه نحفظُهُ ثمَّ نُورِ ثهُ ليس يقربُ منهُ البلى (١
ونشكرُ مَن قد هدانا الصراط م القديمَ فنهْ مفاضُ الهُدَى
وإمَّا شكرنا فشكرٌ عليهِ درَى الفضلَ منهُ وغُرَّ اللُّقَى
الهي لكَ الحمد هذا الكيانَ برأتَ ولم تتركنهُ سُدى
وانت الحيوة ومنكَ الحيوة وكلُّ كمالٍ اليكَ انتمى
ومنكَ الينا ابتداء الوجودِ ومنَّا اليكَ بهِ الانتها

*

ربِّ عفوًا فقد بدى الحقُّ للعقـ ـلِ صريحًا ولن يعودَ فيُجحَدْ
ايها العقل ان حصرتَ عن الحـ ـقِّ فبادر الى الهكَ تُنجَدْ (٢

١) من المضحكات ان امين افندي الريحاني في مقالتهِ « بين العلماء واللاهوتيين » في البرق عدد ٦١ يدعي ان « فرائص الاكليروس ارتعدت عند اول ظهور عقيدة النشوء والارتقاء » فأحيلُ امين افندي على تاريخ الفلسفة في النصف الثاني من القرن الماضي ولو كان عندي الامين بحيث يراهُ غيري لأحلتهُ على ذاكرتهِ فيرى ثمَّ مؤلفاتٍ تكاد لا تُحصى لفلاسفة الكنيسة (كذا) يثبتون فيها ما ورثوهُ من الحقائق (امين افندي يدعوها اعتقادات !) لا يحابون دروين او سواه ولن يخشى سيف الحقيقة من الباطل انثلامًا. ومن الغريب ان الامين بعد ان ذكر ارتعاد فرائص الاكليروس عند اوَّل ظهور عقيدة النشوء والارتقاء لم يذكر ابتهاجهم وقد « اخذت الآن عقيدة النشوء والترقي بالتغيّر. والترقي وترقيها هذه المرَّة الى اسفل لا الى أعلى » فكافي بهِ ينكر على الاكليروس حقَّ امتلاك البشاشة وهي من « جواهر الحيوة الثلاث الثمينات » أو يخاف من ابتهاجهم على بشاشته فانهم انَّما يبتهجون بالحقيقة ومن الناس من تذهب الحقيقة ببشاشتهِ

واغرب من هذا ان الامين ينكر على العقل ان يبحث في الحقيقة وفي اصل الانسان ومصيرهِ ويدعوهُ الى اجتناب تنازع العلماء واللاهوتيين وهو بعد هذا يريد من الانسان ان يحافظ على عقلهِ. فكيف يكون هذا يا امين افندي تُفقدنا العقل وتريد منَّا ان نحافظ عليهِ ؟ هذا مثل من يثقب اسفل الجرَّة ليحفظ ماءها. ألا ابن من الفلسفة من يرى العاقل من لا عقل لهُ ولولا ظني بالامين انَّهُ قطن لبيب لخشيتُ ان يكون قولهُ هذا نتيجة اختباره نفسهُ وصاحب البيت أدرى

٢) حَصِرَ من الشيء تعذَّر عليهِ الوصول اليهِ

ايها الناس لا تضأوا فإنَّ م الكونَ للواحد المكوَّن يشهدْ
واعبدوا الله واتقوه فمن بعد م حيوةِ الفنا حيوةٌ تخلَّدْ

اولياء الله في لبنان

نظرٌ تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ب

﴿ باخوس ﴾ هو القديس الشهيد باخوس رفيق القديس سرجيوس او سركيس واللبنانيون يكرمونهما كليهما معاً فنذكره مع القديس سرجيوس في محلّه

﴿ باسيليوس ﴾ هو القديس باسيليوس الكبير اسقف قيسارية في بلاد قبادوقية ومنشئ الحياة الرهبانية في انحاء آسيا الصغرى. ولد سنة ٣١٦ للمسيح من أسرة صالحة تُكرم الكنيسةُ معظمَ افرادها لقداستهم وبعد ان درس العلوم الشائعة في زمانهِ على اشهر المعلمين في القسطنطينية وأثينا عدل الى العلوم الدينية وجحد العالم واباطيلهُ واخذ مبادئ العيشة الرهبانية من سيّاح مصر في الصعيد ثم عاد الى وطنهِ ونشر في بلادهِ النسك والزهد فحوّل القفار الى اديرة زاهرة بالفضائل. ولما دُعي بالرغم منهُ الى ادارة كنيسة وطنهِ صار قدوةً لكل اساقفة زمانهِ بما ابداهُ في منصبهِ من الفضل العميم. ولم يخفَ ان يعارض الملوك انفسهم للمدافعة عن حقوق الكنيسة فقاسى من الاريوسيين ومن الملك والفرس اشدّ الاضطهادات لكنهُ انتصر منهم جميعاً وبقي في ادارة شؤون كنيستهِ الى سنة وفاتهِ في ١ ك ١ من السنة ٣٧٩. وعيدهُ في الكنيسة الشرقية في ذلك اليوم مع القديس غريغوريوس النزينزي. امّا الكنيسة اللاتينية فتعيّد لهُ في ١٤ حزيران يوم ارتقائهِ الى النصب الاسقفي. واللبنانيون لاسيما الروم منهم والرهبان يكرمونهُ وقانونهُ شائع بين الرهبان الملكيين. تجد ترجمتهُ في اعمال القديسين للبولنديين في ١٤ حزيران. اطلب ايضاً مكتبة القديسين اللاتينية (BHL 153) واليونانية (BHG, 37) والشرقية (BHO, 40)

﴿ بطرس الرسول ﴾ هو القديس بطرس عامة الرُسل ونائب السيّد المسيح في تدبير كنيستهِ جمعاء الذي استشهد في رومية مع القديس بولس الانا المصطفى على عهد نيرون الملك المغتصب سنة ٦٨ للميلاد بعد ان ساس الكرسي الانطاكي سبع سنوات

والكرمي الروماني ٢٥ سنة (اطلب المشرق ٩ : ٦١١) . والكنائس الشرقية عموماً تحتفل بذكره كالكنيسة اللاتينية في ٢٩ حزيران . والشرقيون حتى الروم منهم والنساطرة واليعاقبة كانوا يستعدّون لعيده بصوم طويل وهم اليوم اكراماً له يتقطعون عن اكل اللحوم والبياض . وكفى بذلك دليلاً على اقرارهم برتبته السامية في مصاف الرسل ورئاسته على كنيسة المسيح . وفي لبنان عدّة كنائس على اسم الرسولين يرتقي تاريخ بعضها الى زمن قديم كدار بطرس العاقورة . راجع جميع السنكسارات الشرقية في ٢٩ حزيران ومكتبة القديسين اللاتينية (BHL, 966) واليونانية (BHG, 207) والشرقية (BHO, 205)

﴿ بندليمون ﴾ هو اسيا الشهيد الذي سبق ذكره لكنّهُ يكرم بهذا الاسم في بجدرفل في بلاد البترون وفي كنائس الروم كافّة .

﴿ مار بولا ﴾ هو القديس بولا الناسك اوّل الحبساء الذي كتب سيرة حياته القديس ايرونيموس (اطلب مجموع الآباء اللاتين لمين P. L. XXIII, 17-28) . خرج سائحاً الى براري الصعيد ايّام دقيوس الملك فعاش منفرداً عيشة الملائكة ممارساً لكل اعمال الزهد والصلاح الى ان أوحي الى القديس انطونيوس الكبير بان يقصده في منسكه فقعل واجتمع به واقتسم معهُ رغيفاً من الخبز أتى به غرابٌ كان يأتي لبولا قبل ذلك كل يوم بنصف رغيف . ولمّا طلب من زائره أن يأتيهُ برداء كان وهبهُ اياهُ القديس اثناسيوس ليدفن به جسدهُ خرج انطونيوس ليأتي به وما كاد يعود الى منسك بولا حتى اراهُ الله نفسهُ صاعدةً الى السماء بصحبة الملائكة فلفّ جسدهُ الطاهر في رداء اثناسيوس ودفنهُ في حفرةٍ حفرها بيراثنهما اسدان كان الله ساقهما من البرّية لتلك الغاية . توفي القديس بولا في ١٠ كانون ٢ سنة ٢٤٣ وعمرهُ نحو ١١٥ سنة . ومار بولا مكرّم في لبنان وعلى اسمه بعض اديرة للرهبان و بعض كنائس . وعيدهُ في الكلندارات الشرقية في ٥ ك ٢ . ولهُ ذكر في اليوم العاشر وفي ١٦ منهُ . امّا الكنيسة اللاتينية فتذكرهُ في ١٥ من هذا الشهر . اطلب ترجمتهُ في مروج الاخبار (ص ٤٠) وفي تراجم البولنديين (Acta SS, I, 200) في ١٠ كانون الثاني ك ٢ . واطلب ايضاً مكاتبة القديسين اللاتينية (BHL, 957) واليونانية (BHG, 204) والشرقية (BHO, 200)

﴿ بولس الرسول ﴾ المعروف بالاناء المصطفى ورسول الامم . قصّة اهتدائه

وكثير من مآثره مزبورة في سفر اعمال الرسل . استشهد مع القديس بطرس الرسول وهو يُكرم معهُ في يوم واحد ويُذكر خصوصاً في غد العيد كما انَّ ذكر اهتدائهِ واقع في ٢٥ ك ٢ . اطلب مكاتب القديسين الثلاث : اللاتينية (BHL. 953) واليونانية (BHG, 202) والشرقية (BHO, 195) . واكرامهُ منتشر في كنائس لبنان

ت

﴿ تادروس ﴾ يُكرم مار تادروس في اصنون قرب زغرتا وفي مشمش في بلاد جبيل ويسمَّى ايضاً تاودورس . واعلم ان كثيرين من الشهداء عُرفوا بهذا الاسم واشهرهم تادروس الشهيد الذي وُلد في اماسيا من اعمال بُنطس وتجنَّد في العسكر الروماني وعُرف لذلك باسم تيرو (tiro) اي المتجنّد فعرَّب الشرقيّون اسمهُ بالتيروني . وقد استشهد هذا في عهد ديوقلطيانوس ومكسيميانوس في اوائل القرن الرابع . وانَّما ادخل الكُتاب في ترجمتهِ عدَّة اخبار غريبة كما في قصَّة القديس جرجس لا حاجة لذكرها . وعيدهُ في الكلندار الماروني في ٨ شباط وفي الكلندار اللاتيني في ٩ تشرين الثاني . اطلب ترجمتهُ في مروج الاخبار (ص ١١٠) وفي مكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 1170) واليونانية (BHG, 249) والشرقية (BHO, 200)

وكثيراً ما يخلط الكتبة بين هذا الشهيد وبين تاودورس آخر شهير كان ايضاً جندياً وقيل قائد جند في ايَّام القيصر ليقينيوس في اواسط القرن الرابع استشهد في هرقلة وعيدهُ في الكنيسة اليونانيَّة في ٧ شباط امَّا في الكنيسة اللاتينية ففي ٩ تشرين الثاني . وربَّما نسبوا الى الواحد اعمال الآخر ويدعوهُ اليونان بالقائد (στρατηλάτης) اطلب ايضاً كتاب الاب دولهاي اليسوعي في القديسين الجنود : (Delehaye *Les légendes grecques des saints militaires*, p. 151)

﴿ تلالاوس ﴾ او ثلالاوس يكرمهُ الرهبان اللبنانيون وقد عرف رجلان بهذا الاسم فالواحد شهيد استشهد في ايَّام الملك نومريان سنة ٢٨٤ في بلاد قيليقية وكان اصلهُ من لبنان يتعاطى الطبَّ فلمَّا أبى ان يجحد ايمانهُ قُطع رأسهُ في عين زربة (اطلب كتاب الاب لامنس تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ١ : ١٠١) وذكرهُ وارد في اعمال القديسين والكلندارات الشرقية وفي كلندار ربَّان صليبا : (Peeters *Le Martyrologe de Rabban Sliba*, 153 et 183) في ١٠ أيار راجع مكتبتي

القديسين اليونانيَّة (BHG, 242) والشرقية (BHO, 200). اما تلالاوس الآخر فذكرهُ واقع في الكلندار الماروني في ٢٧ شباط. قال في سنكسارهم نقلًا من التاريخ الرهباني لتاودوريطس (Theodoretus: *Hist. religiosa*, c. 27) انهُ كان من سكَّان الثغور فذهب الى مدينة جبة فرأى هناك تلًّا عاليًا بعيدًا عن المدينة عشرين غلوة فيهِ مسكن للشياطين (اي الاصنام) فآثر النسك هناك فشيَّد لهُ كوخًا سكنهُ ومارس فيهِ اعمال النسك ٣٠ سنة ومات بالسلام. عاش في القرن الخامس للمسيح اطلب مكتبتي القديسين اليونانية (BHG, 242) والشرقية (BHO, 251) والظاهر انَّ هذا الناسك هو المكرَّم في لبنان ليس الاوَّل

ج

﴿ جرجس ﴾ هو القديس الطائر الشهرة في الشرق والغرب معًا. وعيدهُ واقع في كل الكنائس في ٢٣ نيسان. امَّا اخبارهُ فمضطربة جدًّا غلبت عليها الاقاصيص المختلقة العجيبة وقد روينا شيئًا منها في المشرق بنسبة المائة السادسة عشرة لاستشهادهِ (المشرق ٦: ٣٨٥ و٥٢٦ ثم في ١٠: ٤١٤) وقال في السنكسار الماروني عنهُ انهُ « كان من مدينة برجه في بمفيلية فقبض عليهِ الوثنيُّون لانهُ هدم تماثيل الاصنام فشدُّوهُ اوَّلًا ثم البسوهُ خفًّا من حديد مسمَّرًا بقدميهِ وسحبوهُ وراء خيل غير مروَّضة. وخلَّصهُ الله من هذا كلِّهِ. ثم طرحوهُ في اتون مضطرم فلم يؤذهِ واخيرًا صلبوهُ ورموهُ بالنشَّاب وهو مصلوب فاقام على الصليب ثلاثة ايَّام ثم استودع روحهُ بيد الربّ ». فترى انهُ لم يذكر استشهادهُ في بيروت ولا قصَّة التنين. وبالاجمال نقول انَّ غاية ما يُعرف عن هذا القديس انَّهُ كان جنديًّا نصرانيًّا وانهُ مات في سبيل الايمان في عهد ديوقلطيانوس نحو سنة ٣٠٤ للمسيح. اطلب اعمال القديسين (Act. SS., Apr. III, 101) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 502) واليونانية (BHG, 93) والشرقية (BHO, 73)

ح

﴿ حوشب ﴾ يُكرَّم هذا القديس في بقاع كفرا وبعض جهات الجبَّة ووادي قاديشا وقد بقينا محتارين مدَّةً في امرهِ. وقد طلبنا من حضرة الاب بترس من جماعة البولنديين رأيهُ فيهِ فاجاب انَّ حوشب تصحيف « حدبشابا » بمعنى عبد الاحد وهو كاسم دومنيك عند اللاتين. وحدبشابا (ܥܒܕ ܚܕܬܐ) احد السيَّاح الذين يكرمهم السريان في طور

عبدين وانهُ ذكر في كلندار ربّان صليبا (ص ١٧٧) وهو يُسمّى هناك سمعحا (حوشب) ويقال عنهُ انهُ كان من تلامذة صمويل القرطميني وانهُ اشتهر بعمل العجائب. ورد ايضاً ذكرهُ في رحلة ساخو (Sachau, 589) وعيدهُ في ٨ آذار — امّا الموارنة الذين طلبنا رأيهم في هذا القديس فأجابونا ان حوشب صورة شرقية لاسم اوسابيوس اليوناني وهذا رأي السمعاني في كتابهِ سلسلة البطاركة الانطاكيين فانهُ ذكر (ص ٣١) البطرك التاسع المسمّى اوسابيوس قال ويُدعى حوشب. وكذا اجاب ايضاً حضرة الخوري يوسف مخلوف من بقاع كفرا مستنداً على السنكسار الماروني وعلى كتاب الدويهي. واذ قد تسمّى كثيرون باسم اوسابيوس فرجّحوا انهُ اوسابيوس اسقف سيساط الذي عيدهُ في ٢٢ حزيران وصورتهُ في كنائس الموارنة بهيئة اسقف واوسابيوس هذا قد جاهد في سبيل الايمان وقاوم المتشيعين لبدعة الاريوسيين في أيام قسطنطيوس ووالنس الاريوسيَّين ومات شهيد الايمان على يد امرأة هرطوقية ألقت على رأسهِ آجرّةً فخدشت رأسهُ سنة ٣٧٩. والسنكسار اللاتيني يذكرهُ في ٢٢ حزيران امّا الشرقيّون ففي ٢١ منهُ

د

(دمتريوس) هو مار متري اطلبه في حرف الميم

﴿ دومط ﴾ ويقال دوماطيوس وضومط هو قديس شهير تعدّدت الكنائس والاديرة المقامة على اسمهِ في لبنان كجهات البترون وفي جران وفيطرون والبوار وزوق ميكائيل والبوشرية الخ. واللبنانيّون يلتجئون اليهِ خصوصاً في الامراض العصبية. امّا القديس دومط فهو دوميطيوس الشهيد الانطاكي الذي نشر ترجمتهُ القديمة حضرة الاب ڤان دين غين (Van den Gheyn) اليسوعي في النشرة البولندية (Analecta Bolland., XIX.285) وخلاصتها ان دومط الذكور اصلهُ من بلاد فارس وُلد في اواخر القرن الثالث او اوائل الرابع للمسيح وكان وثنيّاً واسمهُ ابّار فتنصّر في شبابهِ على يد بعض دُعاة الدين وهجر وطنهُ فترهّب في مدينة نصيبين وتروّض في اعمال النسّاك ثم انتقل الى رأس العين فسكن دير القديسين سرجيوس وباخوس وبعد ان صار كاهناً عاش منفرداً في جبل قورش وكرّمهُ الله باصطناع المعجزات وهدى كثيرين من عبدة الاصنام الى الايمان فعرف بامرهِ يوليانوس الجاحد وامر بقتلهِ فقتلوهُ رجماً نحو السنة ٣٦٣ للمسيح. عيدهُ في الكنائس الشرقيّة والغربيّة في ٧ آب. ويكرمهُ السريان

في ٤ ت ١ (اطلب كلندار الكنيستين للسمعاني (Assemani : Kal. U. E., I. 238) وكلندار الكنيسة الانطاكية للبيروني في المشرق (٥ : ٦٦—٦٧) . امّا السنكسار الماروني فيذكر ترجمة القديس دومط على شكل آخر فقال انهُ كان في ايام والنس الاريوسي واقيم من جملة وزراء الملك وانهُ كان يحثُّهُ على اضطهاد الكاثوليك فعاقبهُ الله بداء المفاصل فاستفاق وترك كفر الملك وخدمتهُ فتنسَّك وتشرَّف بعمل الآيات. ويلتجئون اليه في داء المفاصل فيدعونه دومط الفالج (له بقية)

الكتاب الابيض

رواية معرَّبة بقلم احد الاباء اليسوعيين (تتمَّة)

فراق في عين الامير أدبُ الاخوة ولطفهم واراد ان يستطلع حالهم ونسبهم وبلدهم فقال مستفهماً: « من تكونون ايها الاولاد الادباء ؟ » — قال البكر مشيرًا الى اخوتهِ: سيّدي الامير انك ترى امامك اولاد التاجر المرحوم ملكيور الموسر الذي كان لهُ في الصدق والاستقامة مع الناس وفي معارفهِ في فنون التجارة واساليبها المتنوّعة ما هو اطيب في النشر واحسن في الأثر. لكنهُ بعد ان ترقَّى الى العُلى بامانتهِ وترقَّى الى ذرى المجد بسليم طويَّتهِ طرقتهُ بوائق الاحداث واتلفته في الدقماء بعد العزّ والرفعة. فاصبحنا الآن يتامى لا نملك شروى نقير فترانا هائمين في وجهنا لا ندري الى اين نسند رأسنا. بَيْدَ أن رجاءنا بالله وطيد واملنا بالمستقبل بكين

— قال الامير بحنوّ والدي : اولادي اطلبوا مني ما تشاؤون فاني اعطيكموهُ بطيبة خاطر

قال يوحنّا: سيّدي لستَ مديونًا لنا بشيء ولكن ان رأيتنا اهلًا لخدمتك خدمناك بامانة وصرنا في حماك فاختبرنا لعلَّك تُسَرّ بحسن سلوكنا

قال الامير: بل اسعى في اموركم ريثما تبلغون رتبةً تمكّنكم من اكتساب معاشكم بشرف فتُحيون ذكر والدكم ملكيور

ثم التفت الى يوحنّا وسألهُ ماذا يحبّ ان يتولّى من الاعمال ليبلغ مرامهُ

قال يوحنّا: انّ غاية ما اتمنّى أن اخدم وطني واخوض معامع القتال في سبيل ملكنا العزيز كارلوس التاسع

— ما اشرف نفسك يا يوحنّا وما اعظم همّتك فها انا أرسلك الى وزير الحربيـة لينظمك في فرقة من الجنود الملكيّة واوصيه بك كي تتدرّب على كلّ آداب الحرب تحت نظارة اشهر القوّاد. وهاءنذا اقلدك حساماً شرّفهُ اجدادي بقراع الابطال ورغموا بهِ معاطس صناديد الرجال وعهدي بك انّكَ توليهِ فخرًا جديدًا بمآثرك واعمالك الاثيلة

اجاب يوحنّا: اني أقسم بضريح والدي اني أعيد هذه الصمصامة الى مكانها ودمُ العدى يقطر من صفحتيها

ثم التفت الامير الى ابن ملكيـور الاوسط وقال: وانت يا جول أتريد ان ترافق اخاك فتتجنّد معهُ

— انّ قلبي يحدو بي الى جنديّة أخرى اعلى مقامًا تفوق جنديّة الارض شرفًا وعظمًا

— وما تلك ؟

— اني أروم ان اخدم وطني ببذل النفس والنفيس في صلاح القريب فاخدم الاجساد والنفوس معًا. فانّ الله يدعوني الى الكهنوت فيـا حبّذا لو استطعتُ يومًا ان ارشد الضالّين واعزّي الحزانى واهذّب عقول الاحداث وافتح ابواب السماء لمن يبرح دار الفناء

— ان كان الامر كذلك فنعم ما نويت يا جول واعلم انّ اسقف هذه المقاطعة احد اقربي ومن اعزّ اصدقائي فسأكتب لهُ بان يجعلك في مدرستهِ الاكليريكيّـة لتحرز فيها الآداب الكهنوتيّة والمعارف الدينيّة حتى اذا بلغت منها الكفاية تجرّدت لخدمـة النفوس. ويا ليتني اعيش الى يوم اراك فيهِ تمثّل بفضائلك سيرة الكاهن الالهيّ الذي تقصد الاقتفاء بآثارهِ

ثم القى الامير بنظرهِ الى اصغر الاخوة وخاطبـهُ قائلًا: وانتَ يا عزيزي ايمار ايّ اخريك تتبع ؟

— انا مُغرًى بالفنون الجميلة فاني منذ بلوغي اراني مندفعًا الى حبّ الجمال ورسم محاسن الطبيعة بالنقش والتصوير. فما اسعد حظّي لو أُتيح لي بان ادرس هذا الفنّ على ابرع الاساتذة في احدى المدارس المختصّة بهِ

— كُنْ مطمئنّ البال يا بُنيّ فانّ في جوارنا مدينة اثينيون التي اشتهر فيها عدد من كبار المصوّرين وقد فتحوا هناك مكتبًا للاحداث الذين يرغبون مثلك درس فنّهم

الشريف وانا اتكفّل بنفقات دروسك هناك فتحظى بجلّ مرامك

فقال يوحنا: سيّدي قد طوّقت جيدنا بقلائد نعمتك وجعلتنا أسرى معروفك فاليوم قد ثبت لنا صدق ما كتبهُ ابونا المرحوم في كتابهِ الابيض:

من يَفعل الخير لم يَعدَم جوازيَهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناس

فانّا انقذنا ابنتك من النصّابين ولم يكُ لنا بانقاذها كبيرُ فضل وها انتَ تُثيبنا على فعلنا مائة ضعف فجازاك الله خيرًا وانشأ في اجلك كي تُسَرَّ يوماً بما تشاهدهُ من حُسن جميلنا

*

مرّت على هذه الاحداث سبع سنوات كانت فرنسة في خلالها أُصيبت بضروب المحن فانّ الحروب المدعوّة بالحروب الدينية كانت انتشبت بين الاهلين فقام البروتستنت الكلوينيّون المعروفون بالهوغنوت واثاروا الفتن في كل انحاء الدولة فجعلوها دار حرب وعاثوا فيها عيث العدوّ الالدّ حتى ظنّ الكثيرون ان الفساد استشرى بحيث لا يُرتَق فتقُهُ وانّ الداء تفاقم فلا يؤسى كَلمُهُ

لكنّ الله لم يشأ انّ ابنة الكنيسة البكر تذهب ضحيّة البدع الجديدة فألهم الملك كرلوس التاسع ان يجمع شتات المملكة ويجبر كسرها فالتجأ الى قوم من الكاثوليك الامناء من الأُسر الشريفة واستنهض همّتهم ودعاهم الى مقاومة المبتدعين فلبّوا دعوتهُ وقامت الحرب على ساق بين الحزب الملكي واصحاب الثورة في عدّة مقاطعات

وكان الامير ساڤوازي اوّل من اجاب الى ملتمس الملك كرلوس فاستدعى عددًا وافرًا من اهل ايالتهِ وجهّز العُدَد وسرّب الخيل وانضمّ الى الجيش الملكيّ فساروا الى جهات بروڤنسه جنوبيّ فرنسة حيث العدوّ كان ممشّشًا واثقًا بخيلهِ ورجلهِ. فما لبث الفريقان ان أذكيا نار حربٍ عبوس اتّقد سعيرها وتأجّج أُوارها فتبارزت الرجال وتصادمت الابطال

وكان الامير ساڤوازي في مقدّمة فرقتهِ يناوش العدوّ القتال بقلب اصلب من الصخر فعرف العدوّ انّهم لا نجاح لهم ما لم ينتكوا بذلك القائد فتألّب عليهِ فرسانهم وحملوا عليهِ حملة الرجل الواحد فسطع الرَّهج من سنابك الخيل وترجرجت الارض تحت اقدام الكُماة واذا بصوت قد سُمع بين القوم: قد فُزنا بأنصار الملك وها

سقط اميرهم. وللوقت تداعت الاصوات وتجاوبت اصداء الجبال واشتبكت الهيجاء واشتجرت الاسنّة ووقع الامير عن فرسهِ بين الجرحى والقتلى

وهم لذلك اذ ظهر فارسٌ صادق البأس شديد المراس ونزل في حومة الوغى كالبرق اللامع فجالد وجاهد وجاذب وحارب حتى عدَّهُ العدوّ ليث غابةٍ او شيطاناً ماردًا خرج من قعر الجحيم لكفاحهم فذُعروا ونُخب لُبهم واستُطير قلبهم فولَّوا مُدبرين وَمَنحوا الملكيين اكتافهم وانهزموا وقد اضلَّ الله سَعْيَهم وخيَّب آمالهم

فلمَّا رأى الفارس الفرار انَّ العدوّ قد انكسر وتبدَّد شذر مذر أسرع الى ساحة الحرب وطلب بين اكداس الجَرْحى الامير الصريع ليضمّد جراحهُ او يفوز بجثّتهِ ليودعها اللحد بما يليق بها من الاكرام. فلم يزل يبحث عن ضالّتهِ حتى سَمع نباح كلبٍ كان لم يفارقهُ طرفة عين في حربهِ فصرخ « مَهيَم يا فرَّاس » واقترب من الكلب فاذا بهِ ينبش بين الصرعى ويتشمَّم رائحةً كان عَهِدَها من ذي قبل فساعدهُ الفارس وما فتئ ان وجد الامير مضرَّجاً بالدماء وهو على آخر رَمَق مغشيٌّ عليهِ فاسرع وعصب جراحهُ بعصائب ابتزَّها من ثياب القتلى ثم حملهُ على جوادهِ وركب هو وانتهر فرسهُ قائلاً: « هيَّا بنا يا ريح ». فصار الجواد ينهب الارض نهباً حتى وصل الى مأمن في قرية محالفة لحزب الملك فسلَّم الامير الى طبيبٍ كان هناك واوصاهُ بهِ

ثم امتطى جوادهُ ورجع ادراجهُ الى ساحة الحرب والكلب فرَّاس يتقدَّمهُ. فلمَّا وصل الى المكان ترجَّل واخذ من جديد يطلب جريحاً يسعفهُ او بائساً ينقذه من المكروه وكأنَّ كلبه فرَّاس ادرك مرامه فجعل يبحث بيدَيهِ حتى كرَّر نباحه فاستدعى نظر مولاهُ فاقترب من الكلب واذا برجلٍ لابسٍ لبس الكهنة الأسود كان أتى هناك ليخدم الجرحى ويزوّدهم بالاسرار قبل وفاتهم فأصيب برصاصة كسرت ساقه وصرعتهُ حتى لم يمكنه ان يُبدي حراكاً من كثرة الالم فحمله الفارس على جوادهِ وأتى بهِ مسرعاً حيث كان الامير فسلَّمه الى الجرَّاحين لينظروا في امرهِ

ثم عاد الفارس ثالثةً الى عرصة القتال لينفّس كُرْبة الجرحى فسمع في طريقهِ انيناً ضعيفاً كأنَّه صوت مكروب بلغت نفسه التراقي فارسل فرَّاساً يرتادُ الاحوال فبعد قليل عاد اليهِ ينبح فتبعه الى شجرةٍ هناك واذا تحتها شابٌّ يناهز العشرين من سنّهِ أصيب بضربةٍ على امّ رأسهِ كادت تكون القاضية. وكان بجانبهِ صورة زاهية الالوان في منتهى

الاثنان تمثل احوال الحرب في كل هيئاتها فأعجب الفارس بالصورة وحملها مع الفتى المسكين على فرسهِ وانقتل راجعاً الى حيث نقل الامير والكاهن سابقاً

وكان الليل في تلك الاثناء قد مدَّ رواقهُ وعاد الجيش الظافر الى محلّتهِ واخذ الجند يتبادلون اطراف الحديث ويتسآلون عن تفاصيل حربهم فأقرُّوا جميعاً بأنهُ لولا فارسُ يُهمة دخل مصافّ الفريقين وبدَّد شمل العدوّ لكان ذلك اليوم شؤماً مشؤوماً على الدولة وشرعوا يقتصُّون آثارهُ ليشكروا فضلهُ فلم يجدوا لهُ خبرًا. فصاروا يطلبون اميرهم وهم يظنُّون انهُ قُتل وانَّ جثته في ساحة الوغى

امَّا الفارس الباسل فكان في مطاوي الامر عاد الى القرية حيث وجد الامير والكاهن والممرّضون يُعنَون بامرهما وهما لا يزالان مغشيًّا عليهما فاستدعى الجرَّاحين وطلب اليهم ان ينظروا في حالة الشابّ وجعل هو ايضاً يخدم الجرحى ويترقَّب كل حركاتهم وكأنَّ ما اصطنعه بهم جذب قلبه نحوهم وهو لم يعرف منهم الَّا الامير

فبقي الفارس الى منتصف الليل يخدم اولئك المبؤوسين حتى رآهم قد ضُمّدت جراحاتهم وخفَّت اوجاعهم وغلب هو عليه النُعاس فاطرح على الحضيض قريباً منهم بعد ان ربط فرسه ريحًا وترك فرَّاساً عندهُ

وما مرَّ عليهِ هزيعٌ من الليل حتى سمع ضجّة على باب المنزل فجعل الكلب ينبح بشدَّة كأنَّهُ يهاجم عدوًّا فانتبه مذعورًا وصرخ بأعلى صوتهِ « صَه يا فرَّاس ودَعنا ننام » . ثم قام الى الفرس وهو يصهل واذا بلصٍّ يحاول ان يختلسه والكلبُ يمانعه طاقة جهدهِ . فلمَّا رأى اللصّ انَّ امرهُ انكشف فرَّ هاربًا ونجا تحت ستر الظلام

وكان الفتى صاحب الصورة اذ احسَّ بالضوضاء شعر بحالهِ وسمع اسم الكلب « فرَّاس » فتذكَّر انه اسم كلب والدهِ وكان منذ سبع سنوات قد ابتعد عن مسقط رأسهِ ولم يعرف ما جرى بأخويهِ يوحنا وجول. فخُيِّل له انَّ الفارس الذي نجَّاهُ هو اخوهُ الكبير وانَّ الفرس هو ريح فرس ابيهِ والكلب كلبهِ فرَّاس. فلما هزم الفارسُ اللصَّ وعاد الى مكانهِ ليضطجع صرخ اليهِ الفتى : ناشدتك الله يا صاح الستَ يوحنَّا ابن ملكيور ؟

— وكيف تعرف اسمي ؟

— اليس هذا فرَّاس كلبُ ابينا ملكيور وهذا الفرس فرسهُ ريح وانت ابنهُ

البكر . اعلم اني انا اخوك الصغير ايار كنت منذ ايام سمعتُ بانتشاب الحرب فقصدت ساحة الوغى لأصوّر عن عيان حركات الجند واحوال القتال في مكان معتزل فكدتُ انجز العمل اذ مرّ بي جنديٌّ هاربٌ امامكم فرآني وضربني ضربةً اليمةً افقدتني الشعور ولولا ان الله ارسلك لانقاذي لمتُّ كنتُ ودّعتُ الحياة

فلمّا سمع يوحنا هذا الكلام رمى بنفسهِ على عنق اخيهِ ايار وقبّلهُ والدموع تسيل من عيونهِ وشكر الله الذي خلّص اخاهُ على يدهِ

وبينما هما يطلقان العنان لفرحهما ويتبادلان عبارات الحبّ ويتذاكران الزمن القديم كان الكاهن الضجيع افاق من غشيتهِ فسمع بعض كلامهما وعرفهما وصرخ :

أأنتما هنا يا يوحنّا وايار ؟ . فليكن الرب مباركًا اذ جمعنا في هذا اليوم وانا اخوكما جول كاهن الله . انني لمّا عرفتُ بقرب وقوع المعركة بين الجيش الملكيّ وعسكر الهوغنت توسّلت الى اسقف الابرشيّة وقد مرّ على سيامتي شهران فقط بان يسمح لي ان اخدم الجرحى في ميدان الحرب فاذن لي وبقيت مدّةً افتح لكثيرين ابواب السماء وكنتُ قريبًا من الامير اذ جندلهُ الاعداء فاسرعتُ الى اسعافهِ فاصابتني رصاصةٌ فوقعتُ بلا حراك ولا اعلم ماذا جرى لي بعد ذلك . وهاءنذا اراني مع اخويّ العزيزين بعد سبع سنوات فارقتهما لاستعدّ لدرجة الكهنوت

قال هذا وكان كلامهُ ينفذ في قلبي اخويهِ فتأثّرا لاستماعهِ ايّ تأثير وتقرّب منهُ يوحنّا وقبّلهُ والثم يديهِ وبلّهما بدموعهِ . امّا ايار فكان يذرف الدموع على فراش ألمهِ . ثم قضى الاخوة تلك الليلة يسبّحون الله الذي جمع شملهم وجعل الحرب وسيلة لتلاقيهم

ثم اخبر يوحنّا اخويهِ بوجيز الكلام كيف انتظم في الجنديّة وتمرّن على آداب الحرب وانهُ كان ينتظر بفروغ الصبر فرصةً ليظهر فيها تفانيهُ في سبيل وطنهِ فلمّا بلغهُ انّ الحرب الاهليّة ثارت بين جنود الملك واصحاب الشغب ألحّ على قائدهِ بان يرسلهُ الى ساحة الوغى فجاء بعد السير الحثيث ونزل في مجال الحرب اذ كادت تدور رحاها على الامير سافوازي فانقضّ انقضاض الصاعقة على العدوّ واعمل في رقابهِ ذلك الحسام الذي قلّدهُ اياهُ الامير قبل سبع سنوات حتى ضعضع اركانه

*

مرّ على اجتماع الاخوة ثلاثة اشهر وكان الاخوان جول الكاهن وايار المصوّر شفيا

من جراحها. امّا الامير ساڤوازي فانّهُ كان نُقل الى قصرهِ حيث اهتمّ بامره ابرع الاطباء فحسنت حالهُ وعرف ما اتاهُ يوحنا من المآثر الجليلة والاعمال الاثيرة فارسل واستدعاهُ الى قصرهِ واثنى اطيب الثناء على بسالتهِ واقطعهُ الاقطاعات الواسعة وطلب لهُ من الملك وسام الشرف فاناله ما طلب. وكذلك اعلم اسقف الابرشيّة بحسن سلوك الكاهن جول فجعلهُ قانونيًا على كنيستهِ الكاتدرائيّة. اما ايمار فارسل الامير الصورة التي رسمها في موقع الحرب لتُعرض في معرض فنيّ عظيم في باريس فنالت الجائزة الاولى

فما كان هذا النجاح الباهر لأن يُنسي الاخوة وعدهم بان يحضروا في تمام سبع سنوات الى ضريح ابيهم فاتوهُ في اليوم المعيَّن وقدَّم جول الذبيحة المقدَّسة لراحة نفس والدهم. امّا ذاك الشيخ المسكين الذي اخذ على نفسهِ حراسة ضريح ملكيور وعرف ما ناله ابناؤهُ من الفخر فأتاهم مهنّئًا فجعلوا له راتبًا يعيش بهِ بقيّة ايام حياتهِ. فكان لسان حالهم يردّد ما كتبه ملكيور في الكتاب الابيض

من يفعل الخير لا يعدم جوازيهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناسِ

مطبوعات شرقية جديدة

LUDWIG VON SYBEL : CHRISTLICHE ANTIKE. II Bd, Plastik, Architectur u. Malerei. *Marburg, Elwert*, 1909, in-4°, illustré.

العاديّات النصرانيّة

وصف حضرة الاب سبستيان رنزفال في المشرق (١٠ : ٨١١) الجزء الاوّل من العاديّات النصرانية فوقع وصفهُ موقع الاستحسان لدى المؤلف فشكرهُ في مقدّمة هذا الجزء الثاني. ولولا غياب الاب المذكور لحقَّ لهُ ان يصفهُ للقرّاء كما فعل بالقسم السابق. ولعلّهُ يفضّلهُ على ذاك في بعض الاشياء. وخصوصاً في حياده عن مَسّ الدين فانّ المؤلف عرف انّهُ اثريّ ومؤرخ وليس من ارباب الدينيّات فحصر كتابتهُ في الامور التي هو متضلّع فيها فتتبّع الآثار النصرانيّة من هندسة وبناء ونقش وتصوير وأحسن في بيان خواصّها. ولهُ مُقدّمة جامعة تحتوي لباب آرائهِ في الفنون الجميلة لدى اليونان والرومان والشرقيين (Hellas, Rom u. d. Orient) لكنّهُ لا يذهب مذهب الكاتب سترزيغوسكي (Strzygowski) وذويهِ الزاعمين بانّ فنون الشرق اثّر كثيرًا في

صنائع الغربيين. وهذا التأليف بلغ الغاية في حسن طبعه ووفرة صوره المحفورة بالنور غالياً ومنها ثلاث بالالوان الزاهية فتستلفت اليها انظار الاثريين ر.ش

LEONHARD BAUER : DAS PALAESTINISCHE ARABISCH. DIE DIALEKTE DES STAEDTERS U. FEILAHEN, Grammatik, Uebungen u. Chrestomathie. 2to Vollstaendig umgearbeitete Aufl, *Leipzig, Hinrichs*, 1910, VIII-256.

اللهجة العربيّة الدارجة في فلسطين

انّ صاحب هذا التأليف لم يقصد به التعليم النظريّ بل العمليّ وغايتهُ ان يفيد السيّاح القادمين الى فلسطين لاسيما الالمانيّين معرفة اللغة الشائعة بين اهل المدن والقرى ولذلك لم يصوّر الالفاظ بحروفها تكن بصورها الاجنبيّة. وقد راج هذا الكتاب بحيث احتاج المؤلف الى تجديد طبعه وفي صدره تقريظ العالم الالمانيّ الاستاذ دلمان وهو دليل كاف على حسن مزاياهُ . وممّا لحظناهُ نحن في هذه الطبعة انّ المؤلف لم يفرق فرقاً جلياً بين الالفاظ الالمانيّة وترجمتها العربيّة المكتوبة بالحرف الغربي فينتج من ذلك بعض التباس. والأولى ان تكتب الالمانيّة بحرف روماني والعربيّة بحرف ايطاليّ تمييزاً لكلتيهما وزيادةً في الايضاح ل.ر

C. BROCKELMANN : PRÉCIS DE LINGUISTIQUE SÉMITIQUE, traduit de l'allemand par W. Marçais et M. Cohen, *Paris, Geuthner*, 1910, pp. 224, in-12.

فقه اللغات السامية

هذا الكتاب وضعهُ باللغة الالمانيّة سنة ١٩٠٦ الدكتور كرل بروكلمن الشهير بتآليفهِ في الفنون الشرقيّة ونظمهُ في مجموع اللغويات التي تُنسب الى غوشن (Collection Goeschen) فنقلهُ الى الفرنسويّة المسيو مرساي مدير مدرسة الجزائر والمسيو كوهن الملحق بكليّة باريس وهو يشتمل على تاريخ اللغات الساميّة ثم على اصول الخطوط الساميّة وآخراً على لهجات جلّ اللغات الساميّة وتصريفها دون نحوها وتراكيبها لما يستلزم ذلك من الشروح الطويلة. وهذا الكتاب مع صغر حجمهِ من افضل ما كُتب لاهل المدارس عن اللغات الساميّة والابحاث المتعلّقة بها فيقف الدارس على ما يتذاكرهُ العلماء من هذا القبيل. وهذه الترجمة الفرنسويّة قد طُبعت بعد مصادقة المؤلف عليها وانما أُضيف اليها عدّة افادات بخصوص اللهجات الشائعة في بلاد المغرب وكنّا وددنا لو تحاشى

المترجمان بعض الالفاظ الغريبة التي لا تنطبق على ذوق الفرنسويين كلفظة spiran-tisation بدلاً من spiration. ونتمنى لهذا الكتاب انتشاراً واسعاً ب. جرون

M. Attaja : Skazka o Kamar-ez-Zaman *Moskwa*, 1908, pp. II-72.

حكاية قمر الزمان

هو احد الكتب التي اهدتها الينا ادارة مدرسة اللغات الشرقيّة في موسكو يحتوي حكاية قمر الزمان منقولة عن كتاب الف ليلة وليلة (راجع طبعة بيروت ٣: ١٧٥—٢٢٤) وقد نقلها من الطبعة المصريّة وصححها وضبطها بالشكل لاجل افادة طلّاب اللغة العربية ميخائيل افندي عطايا البيروتي معلّم اللغة العربية في المدرسة المذكورة. ومما يُنقص من فضل هذا الكتاب كثرةُ اغلاطهِ الطبعية لاسيما في الايات ولا يعجب من ذلك من لهُ ادنى المام بالمطابع الشرقية في روسيا فان مرتّبي الحروف قلما يعرفون اللغات الشرقية. ولو اردنا استقراء كل اغلاط الكتاب لطال بنا الكلام وعليهِ نرجو من المصحح اصلاحها على قدر الامكان في الطبعة الثانية ليصير الكتاب الذي لا نقص فيهِ الّا من هذا الوجه على غاية ما يُرام وتريد فائدته لطالبي العربية

ا. كراتشقوفسكي

Abbâ Takla Marjam fils de Samhâràj du monastère de Sihat : MANUEL ÉPISTOLAIRE, *Rome*, 1902 (1909), in-12, pp. 56 en geez.

مراسلات في اللغة الحبشيّة

قد سبق مكاتبنا الاديب عبد الله افندي ميخائيل رعد فبيّن لقرّاء الشرق (٨ : ١٠ و ٣١٤) خواصّ اللغة الحبشيّة واقسامها وعرّفهم هناك بلغة الاحباش المقدّسة المعروفة بالكيز (geez) تنشيطاً لدرس هذه اللغة اراد احد ادباء الحبش المسمّى ابا تقلا مريم من رهبان دير سيحات ان يجمع او ينشئ رسائل متعدّدة في كل ابواب المكاتبات كالسلامات والتهاني والتعازي والمعاملات فبلغ المجموع ٥٦ صفحة قدّمهُ للاستاذ فرنشكو غاليّنا من اعضاء المكتب الشرقي في نابولي فاحبّ المذكور ان ينشر هذا الكتاب الفريد وعهد بطبعهِ الى احد طباعي رومية السيو دي لوجي فجاء على غاية ما يُرام من الاتقان. وقد اطّلعنا على هذه الطرفة الحبشيّة فوجدناها مفيدة لدارسي اللغة الحبشيّة بين الاوربيين لكثرة موادّها وحسن انشائها مع دقّة وضعها لعادات الحبش

الأهلية وصفاً مدقّقاً. فنهنئ المؤلف بعمله ونشكر كل من ساعده على نشره بالطبع الاب ماريوس شان

The Nestorian Monument, an ancient Record of Christianity in China with special reference of the expedition of Frits V. Holm. Edited by Dr Paul Carrus, *Chicago*, 1909, pp. 42.

اثر مي نغانغو النسطوري في الصين

سبق لنا في المشرق غير مرّة (٣: ٨٥٠ الخ) وصف هذا الاثر الجليل الراقي الى سنة ٧٨١ للمسيح وقد لخّصنا محتوياته وهو الى اليوم لا يزال موضوع بحث العلماء. فمَن شهده آخراً السائح الانكليزي «فرتس هولم» فوصفهُ من جديد. والكتاب الذي نحن بصدده يحتوي هذا الوصف المنشور بهمّة الدكتور كاروس. وقد راجعناهُ فلم نجد فيه شيئاً يستحق الذكر بعد الوصف الواسع الذي نشرهُ الاب هنري هفره (H. Havret) اليسوعي المرسل في الصين في ثلثة اجزاء مطوّلة وعشرات من التصاوير الفوتغرافيّة وقد رسم الأثر بالتدقيق مع بيان صورته السريانية عن طبعة خاصّة تولّينا صنعها في مطبعتنا فارسلناها الى شانغاي للاب المذكور. وقد تعجّبنا انّ صاحب هذا التأليف لم يُشر الى ذلك العمل السابق الذي أثنى عليه جميع العلماء العارفين بالآثار الصينيّة والمعدود من اجلّ منشورات المرسلين اليسوعيين الشهيرة باسم (Variétés sinologiques) التي تُطبع في مطبعة رسالتنا في شانغاي ل. ش

Le Prologue-Cadre des Mille et une Nuits, les Légendes Perses et le livre d'Esther par Em. Cosquin, Extrait de la Revue Biblique, *Paris, J. Gabalda*, 1909, pp. 80.

فئة الف ليلة وليلة وسفر استير

انّ في سفر استير مشاكل تاريخيّة يصعب حلّها على المنتقدين فترى الكتبة الذين ينكرون الوحي يطلبون لحلّها وجوهاً غاية في الغرابة فمن ذلك انّ البعض زعموا مؤخّراً انّ قصّة استير رواية خياليّة لا صحّة لها في الواقع استعارها بعض كتبة اليهود من قدماء العجم فنقلوها من الاساطير الفارسية التي شاعت بعدئذٍ بين العرب في كتاب الف ليلة وليلة وخصوصاً في فاتحة الكتاب حيث يذكر الملك شاهزمان والملكة شهرزاد. فيزعمون انّ استير هي شهرزاد كما انّ شاهزمان هو الملك احشورش ويسمون سنداً لهذا الزعم

لن يُؤيّدوه ببعض الحجج التي يطول هنا شرحها. فتصدّى لهذه الاقوال الباطلة احد الكتبة الفرنسويين من مراسلي المكتب العلمي في باريس الكاهن عمانوئيل كوسكين وفنّدها تفنيداً لم يُبق من ذلك البناء الوهمي حجراً على حجر فراجع كل ما يُعرف من اصل روايات الف ليلة وليلة بالفارسيّة والهنديّة وغيرهما وبيّن بادلّة اسطع من النور انّ مزاعم المادين للاسفار المقدّسة خالية من كل اساس علمي. فشكرنا الله الذي يُلهم اهل العلم الصحيح بان ينتصروا للحقائق الراهنة ويكشفوا ظلام الشبهات ل. ش

ابدع ما نُظم في الأخلاق والحِكم

تاليف الاديب يوسف افندي بن عبد الغني ستّو الحسيني

طبع في مصر سنة ١٣٢٣ (ص ٢٤٠)

انّ في الشعر العربيّ الجاهلي والاسلامي من القصائد الحكميّة المثلة لمكارم الاخلاق والباعثة على كمال الآداب ما يحسن بهِ أن يُطبَع في صفحات القلوب وترسخ معانيهِ في ذاكرة الناس عموماً واذهان الاحداث خصوصاً. ومن ثمّ نثني على همة جناب الكتبيّ يوسف افندي ستّو الذي جمع عدداً وافراً من الحكم المنظومة للشعراء المفلقين وقسمها ابواباً وذيّلها بتراجم ناظميها. وبين هذه الطرائف المستطرفة عدّة منظومات جادت بها قريحة جامع الكتاب تحت عنوان « مقيّد ارابده ومؤلف شوارده » وهي ليست دون اقوال الاقدمين لفظاً ومعنى وانسجاماً. وخلاصة القول قد طابق اسم الكتاب مسمّاه فجاء ابدع ما نُظم في الاخلاق والحكم. ويا ليت الكتاب ضُبط بالشكل الكامل وحُلّيت بعض مُعضلاتهِ اللغويّة لكان افضل دستور لتعليم المدارس. وان شاء الله يُسدّ هذا الخلل في طبعة ثانية ل. ش

ترقّي العائلات في تربية البنات

جمعهُ جناب الكتبي الاديب يوسف افندي صفير

طبع في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ١٤٤)

قليلة هي الكتب التي وُضعت في بلادنا لتهذيب الفتيات فترشدهنّ الى الاخلاق الكريمة وتروّض اطباعهنّ في الاطوار الاولى من حياتهنّ ما دُمن في الدار الوالديّة وتنكّب بهنّ عن العادات السيئة التي يصعب عليهنّ استئصالها ان لم يتداركنّ الامر في حداثة سنّهنّ. وقد احسن الاديب صاحب مكتبة المدارس بجمعهِ افضل ما كُتب من ذلك في

للقطرين السوري والمصري فسبكهُ سبكاً حسناً وصدَّرهُ بمقدمة عمومية في التربية وشروطها ثم ألحقهُ بثلاثة ابواب في فصول متعددة ضمَّنها اقوال اولئك الكتبة في آداب الفتاة الباطنة كالدين وما يتوط بهِ من الفضائل ثم الآداب الظاهرة ونظام حياة الفتاة في رعاية جسدها وحسن تصرُّفها في حركاتها وسكناتها ولبسها وكلامها. ثم الآداب الاجتماعية وما يختصُّ بسلوك الفتاة مع قريبها مباشرةً باهل بيتها ثم الغرباء. فنثني على همَّة جامع هذا الكتاب ونتمنَّى لعملهِ رواجاً ل. ش

خواطر في الحبّ والزواج

بقلم كامل افندي توتونجي (في حلب بمطبعة صدى الشهباء ١٩١٠ ص ٦٢)

خواطر ادبية واجتماعيَّة نقلها الكاتب الاديب عن تأليف طبيب افرنسيّ وضمّ اليها شذرات مفيدة « التقطها من كتب شتى . . متحامياً كل ما يمسّ الشواعر الادبيَّة والتربية » فجاء كتيبهُ جامعاً لكثير من الاقوال والاخبار اللاحقة بهذا الموضوع محرّضاً على الاداب وناهياً عن المنكر فاستحقَّ منَّا الثناء. ا. ر

شذرات

* تقليد احمد باشا الجزار للامير يوسف الشهابيّ الحكم على بلاد الشوف * ارقنا جناب الاديب يوسف افندي صفير على مرسوم لاحمد باشا الجزَّار تاريخهُ سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨١ م) وفيهِ يقلّد الامير يوسف ابن ملحم الشهابي حاكم بلاد الدروز الولاية على جبل الشوف فنثبتهُ هنا بحرفهِ ليلم من الشياع شاكرين لطف الاديب الذي اعارنا اياهُ :

« صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى فخر الامراء اسمعيل ابو اللمع والى مشايخ وعقَّال ورعايا مقاطعة المتن عموماً يحيطون علماً نعرّفكم انَّهُ كما تقتضي القوانين المرتبة والعوائد السالفة الى ملتزمين المقاطعات بموجب شرط توليات العهدة ان يتسربلوا الخلع الفاخرة ويكونوا مصرّفين بالحكم ويضبطوا ويربطوا ويجب على امراء ومشايخ وعشائر ان يكونوا مأدّين الطاعة غير مخالفين حسب القوانين لاجل اداء غرش الميري بوجه الاستقامة وحسن الخدامة كما سلكوا الذين سلفوا ولأن الواقع يغاير ما تقرَّر لانهُ في السنة المباركة واجب مارت سنة ثلاثة وتسعين ومائة والف قد التزم من لدننا مقاطعة جبل الشوف افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير يوسف الشهابي وسربلناهُ

الحامة الفاخرة ان يكون متصرفاً حكومة جبل الشوف مادياً (موذياً) الاموال الميرية التي بذمته وعهدته تماماً والآن حضر لدينا المومى اليه وترامى على بساط مراحمنا وتقرر لدينا بعد التأكيد شتات حاله ونزاحه من محل حكومة جبل الشوف وذلك من كثر الفساد والفتن الصايرة من الاشقياء العصاة اولاد علي جنبلاط لاجل تلاف وعدم الامير يوسف فهذا الفعل يغاير رضانا ولا نقبلهُ كلياً لانهُ عدم اصغاء لاوامرنا الشريفة قاصدين السلوك بالعصاوة واقاموا حاكم عوض الامير يوسف مع علمهم انهُ متصرف من لدننا ومادياً (وموذياً) غرش الميري وصدق الخدامة كما ينبغي والاشقياء المرقومين قاصدين اشهار عصاوتهم مقتفين آثار من سلفوا . فلما تأكد لدينا السعي والفساد من هؤلاء الخارجين خالاً جهزنا عساكرنا المنصورة وحزم الرأي لدينا بعد التوكل على الله تعالى وهو نعم المصير قاصدين المغازاة في سبيل الله لانتقام وقصاص العصاة الخارجين مجردين سيف الانتقام لحسم آثارهم ودمار ديارهم ولمن يكون من احزابهم وبتاريخهِ موجهين العسكر المنصور صحبة الامير يوسف متقدماً ومسرعاً وبعدهُ نهض بكامل عساكرنا وتحرك ركابنا الشريفة من مدينة صيدا ونوقع السيف بسفك دماء الاشقياء اين ما كانوا مستقرين . وعزة الله العلي الاعلى لازم ادمر ديارهم واسفك دماءهم فبناء على ذلك اصدرنا لكم بلوردينا هذا من صيدا فبعد سماعكم فحواهُ السامي تكونوا حائدين عن الاشقياء المرقومين وكلمن يلاصقهم يكون خارجاً عن خاطرنا ورضانا ويوقع في الندم حيث لا ينفع واطاعتكم الحميدة مأكدة (مؤكدة) لدينا فلا يحتاج تكرير . اعلموا واعتمدوا ذلك غايت (غاية) الاعتماد والحذر ثم الحذر من الخلاف في ٥ صفر سنة ١٢٥[١] *

تزويرات دينية لا يزال بعض الجهال يتناقلون صلوات ينسبون اليها مفاعيل عجيبة فيعرضون بذلك الدين للسخرية فمن هذا القبيل صلاة مار قبريانوس والصلاة التي زعموا انها وُجدت في قبر السيد المسيح والصلاة المنسوبة الى القديسة بريجيتا وغير ذلك مما لم تصادق عليهِ الكنيسة . وقد أرسلت حديثاً الى ادارة المشرق صورة صلاة يوزعونها في الجبل هذا منطوقها :

* (الختم في صدر المنشور) : « وما توفيقي الا بالله . . . خاتم بهر . . . الجزار احمد »

الي نطلب منك أيها الرب الازلي ان تشفق على الجنس البشري وتنجينا من كل خطيئة باستحقاق دمك الثمين لكي نملك معك الى الابد

فهذه الصلاة المصنوعة قد دعوها « سلسلة الصلاة » وزعموا انَّ « واضعها رئيس اساقفة اورشليم وانَّ كل من يكتبها تسعة أيام متوالية ابتداؤها حين وصولها اليه ويرسلها الى تسعة اشخاص مختلفة يحصل على فرح عظيم في اليوم التاسع والله ينجيه من كل المصائب والذي يمتنع عن نشر هذه الصلوة يُعرض للمصائب وحالاً تنقطع السلسلة ». تلك هي الخزعبلات الصبيانيَّة التي يتداولها اولئك الاغرار. فنكرّر قولنا للقرّاء انَّهُ لا يجوز لاحد ان يطبع او يوزّع شيئاً من هذه الصلوات المصنوعة الّا برخصة ارباب الدين وامناء الاساقفة الاجلاء. وكل صلاة لم يصادق عليها الرؤساء تُعدّ باطلة

مخطوطات جبل سينا عاد الاثري الروسي بنسفاي (Benesvie) من رحلته الى جبل سينا حيث اكتشف ٩٢٦ كتاباً من المخطوطات اليونانيَّة اكثرها من سير القديسين القديمة وقد اخذ منها رسوماً تبلغ ١٢٠٠ رسم

اسئلة واجوبة

عُرضت علينا عدَّة اسئلة في حقوق الاساقفة ورؤساء الرهبان بخصوص ربط الرهبان ووكالة الاوقاف لنجيب عليها في المشرق الّا اننا رأينا الاوفق العدول عن البحث في مثل هذه الامور الخاصَّة علانيةً اذ ليس في نشرها فائدة للعموم فان اراد السائل جواباً فليطلبهُ شفاهاً او كتاباً من احد علماء اللاهوت

وكذلك سُئلنا عن الصوم عند الشرقيين وشروطهِ من حيث السنّ والصورة والمادَّة وجنس المآكل فلمَّا كانت الاراء مختلفة جداً في الامور المنوطة بهذا الشأن نُحيل السائل الى رؤساء كنيستهِ. وما يقال اجمالاً ان الولد عند الشرقيين يلتزم بالصوم اذا امكنهُ الامر دون مشقَّة. والصوم يبتدئ منذ نصف الليل الى الظهر ولا يجوز في هذا الوقت شرب الماء ولا الأكل البتَّة هذا فضلاً عن الانقطاع عن المآكل المحرَّمة من لحم او بياض ما لم تُنطَ فسحة في ذلك. ويا ليت الرؤساء الشرقيين يجدّدون هذه المسائل بتدقيق كما تفعل الكنيسة الرومانيَّة ليطمئن فكر المؤمنين ويجري معاهو الذمَّة على خطَّة واحدة في حلّ هذه المشاكل الوضعيَّة

ل. ش

المشرق

مدافن برج حمُّود وسنّ الفيل

للاب راول دبريب اليسوعيّ احد اساتذة مكتبنا الطبي

في شمالي شرقي بيروت على مسافة كيلومترين منها وراء نهرها يوجد في ارض لبنان قريباً من قريتَي برج حمُّود وسنّ الفيل بعض مغاور منقورة لدفن الموتى . فهذه المدافن تستحقّ ذكرًا كآثار لبنانيَّة قديمة فخصصنا لوصفها بعض صفحات المشرق

اذا وصلتَ الى كنيسة برج حمود المعروفة بمار درمط فلتَ من الشمال الى الجنوب قاصدًا سنّ الفيل لا تلبث ان تبلغ الى آكام قليلة الارتفاع ترى في اعلاها على خطّ مستقيم في طول كيلومتر او كيلومترين سلسلة صخور كلسية راقية الى الطور الجيولوجيّ الثانوي . وهذه الصخور على شكل صفائح واسعة ممتدَّة في بعض انحاء وهي ذات صلابة الّا انّ تحتها طبقات كلسيَّة متفتِّتة يختلط بها شيءٌ من الحرّارى الصلصاليَّة البيضاء فهناك أغوار تكوَّن بعضها بفعل المياه وحفر بعضها الآخر الاهلون لاستحضار الكلس الحجريّ فصارت كاسراب اتخذوها بعد ذلك كمدافن للموتى

*

واوّل هذه الاسراب موقعهُ على مسافة نحو عشرين متمًا من كنيسة مار درمط كان لهُ مدخلٌ مسدود منذ سنين عديدة . فلمّا عرف المهندس عبد الله افندي طعمه باني البحث عن المغاور المجاورة دلّني الى منفذ آخر تغطّيه الاشواك كان اهل القرية اشاروا به اليه كمنفذ الى سرداب سرّي موقعهُ على جانب الطريق المؤدية من بيروت الى جنينة الباشا واسفل منها بنحو متر ونصف

فلما رأيت هذا المدخل لم أعِرهُ بالاً ثم عدتُ فاعتبرتهُ بتأنٍ فرأيتهُ مركَّباً من الصخر الكلسي الشبيه بالصخور المنقورة التي وجدتها في جوار الناحية فاستنتجت من ذلك انَّ هناك ايضاً غوراً يتَّصل تقريباً على خط مستقيم بمدافن قديمة كنتُ وقفتُ عليها. فبعد البحث وسَبر المكان تحقَّقت وجود المغارة. ثم عدتُ اليها بعد ايَّام وسعيتُ في تنظيفها وفتحها فأمكنني الولوج اليها ومعرفة حقيقتها

وكان على الباب ركامٌ من الحجارة والاطلال فبعد نزعها ولجنا الى باطن المغارة فاذا هي قاعة واسعة مربَّعة مستطيلة مسقَّفة وكلها منقورة في الطبقة الصخريَّة الصلصاليَّة المارّ ذكرها . وحول هذه القاعة قد حُفرت ايضاً في الصخر بنظام ست عشرة غرفة مدفنية صغرى يُدخل اليها من القاعة الكبرى اربع منها في وجه الداخل ثم خمس على يمينهِ وخمس على شمالهِ واثنتان على جانبي المدخل كما ترى في الصورة الاولى (ص ٣٢٣)

والقاعة الكبرى طولها تسعة امتار في عرض سبعة. والغرف الصغرى طول الواحدة منها ثلثة امتار في عرض متر وسنتيمترين. وفي احدى هذه الغرف الصغيرة على سواء الارض ثلثة أضرحة منقورة على شكل عمودي بالنسبة الى طول الغرفة وكل ضريح طولهُ متران وخمسة سنتيمترات وعرضهُ ٨٠ س . وعليهِ يكون تكسير مساحة المغارة ١٢٠ متراً مربَّعاً على التقريب

ثم انَّ علوَّ كل غرفة يبلغ متراً ونصف متر اما الاضرحة فعلوّها ٦٠ س. وسقف القاعة الوسطى علوهُ متران و٢٠ س فوق الحضيض الحالي وشكلهُ كالمقد فيهِ استدارة خفيفة. وفي وسط السقف حجرٌ بارز امَّا طبيعي وامَّا صناعي فيهِ ثقبٌ باشروا بعملهِ كأنَّهم ارادوا ان يعلقوا فيهِ شيئاً. وكان لهذا السقف في اقصى بعدهِ عن المدخل كوَّتان اعدَّهما اصحاب المغارة كما يظهر لتغيير الهواء. الَّا انَّهما قد سُدَّتا حديثاً لمَّا فُتحت طريق العربيَّات المارَّة فوق هذه المغارة على علوّ متر او متر ونصف من سقفها. فالعملة سدُّوا الكوَّتين بحجارة كبيرة يراهما الناظر من داخل القاعة. وفي فصل الشتاء تسيل مياه الامطار الى المغارة نافذةً اليها من خلال السداد فتصبح شبه بركة كما ترى في الصورة الفوتغرافيَّة التي رسمناها بعد امطار شهر آذار الاخيرة

وكانت جدران القاعة الكبيرة مطليَّة بالملاط صوناً للصخر من التفتُّت الَّا انهُ بطول

الزمان قد تلف الملاط وتفتَّت الصخر وقد بقي شيءٌ من ذلك الملاط قُرى عليه بعض النقوش الخشبية باون كمِد وهي عبارة عن خطوط متوازية تراها فوق سقوف الغرف الثانوية

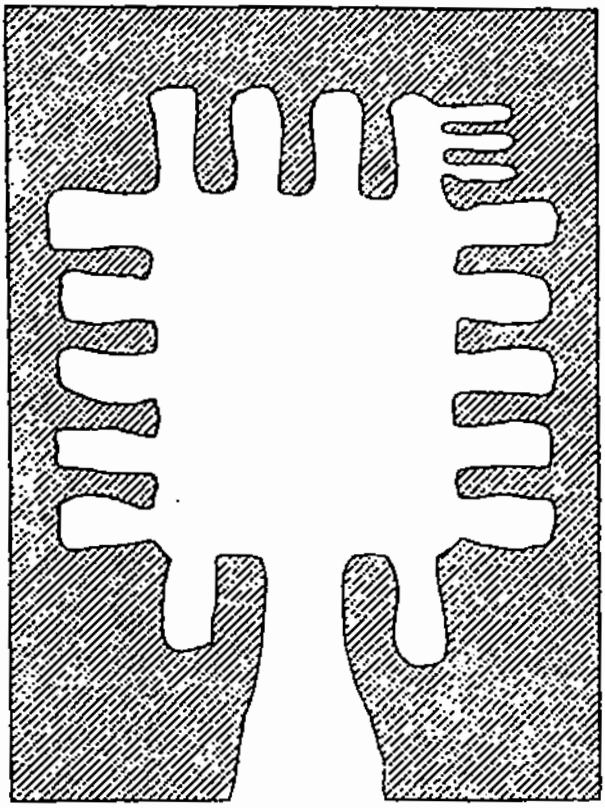

رسم مغارة برج حمُّود ومدفنها القديم

وقد وجدنا معظم تلك الغرف مملوءة بعظام الموتى فمنها ما كان متراكماً مختلطاً ومنها ما كان مبثوثاً بلا نظام خصوصاً في القاعة الكبرى ما يدلُّ على قلَّة اكرام نحو رمم القبور

ومن هذه العظام ما هو في تمامه والارجح انها من جثث قُبرت في المغارة ذاتها لم

ينالها شيء من أذى تربة المقابر . وبعضها الآخر لاسيما المركومة منهـا في غرفتين او الملحودة في قليل من التراب كانت سابقاً كما يغلب على ظننا مدفونة في المقابر ثمَّ نُقلت الى هذا المدفن

ويؤيد ظني هذا ما بلغني من أنَّ اكتشاف تلك المغارة قد تمَّ اوَّل مرَّة في عهد متصرف لبنان رستم باشا الذي عُني بفتح الطريق المارَّة قريباً منها فوجدوها ملأى من العظام القديمة . وفي اثناء ذلـك صدر الامر بتحويل مقبرة مار دومط الى محلٍّ آخر فجُمعت عظامها وجُعلت في جبانة كنيستها العتيقة . الَّا انَّ تلك الكنيسة أُخربت بعد مدَّةٍ وبُنيت بدلاً منها الكنيسة الحديثة فنُقلت العظام من الجبانة الى المغارة ثم نقلوا ايضاً أطلال الكنيسة وبقاياها الى ما وراء الطريق فسدُّوا بذلك المدخل النافذ الى مدفن برج حمود

ومذ ذاك الوقت اضحت طريق نهر بيروت الى جسر الباشا احد متنزَّهات البيروتيين الشائقة فترى كل يوم عجلات الأسر الغنيَّة تقطع تلك الطريق ذهاباً واياباً فيُسمع صوت دواليبها فوق المغارة ويدوي في باطنها دويَّ الرعد . ولا خيَّل لاولئك المتنزِّهين انَّ جلبَة عجلاتهم تكاد تبعث من سباتهم الموتى المدفونين هنالك

*

دَعنا نواصل السَّير من برج حمود الى سن الفيل . فبعد خمس دقائق ترى على وجه الارض رؤوساً ناتئة من الصخور الكلسيَّة التي سبق لي عنهـا الكلام . فان تقدَّمت قليلاً رأيت في وسطها باباً وجهتُهُ الى الشرق وما ذاك الباب سوى مدخل المغارة المدفنيَّة الثانية التي نريد وصفها

وهذا المدخل كما تراه في صورتنا (عدد ٣) يُشبه مدخل المدافن الفينيقيَّة القديمة التي ترتقي الى العهد اليهودي الروماني ومثلهُ كثير في جهـات فلسطين فواجهتهُ على شكل مربَّع متساوي الزوايا منقورة في الصخر قد قُوِّر وسطها ففُتح وعلى جوانب الفتح افريز من الحجر لتُطبَق عليه الصفيحة الكبيرة العموديَّة التي كانوا يتَّخذونها كباب

وبقرب هذا الصخر صخور أُخرى تُرى حولها وفي مقدَّمتها منحوتة ايضاً وذلك دليل على انَّ هناك وُجدت بناية شيَّدوها في مقدَّمة المدفن كأثر أُقيم تذكاراً للموتى . ولعلَّ المغارة كانت مستندة الى دار أُخرى مأهولة . وهذا عندنا الارجح لأنَّنا وجدنا في هذا

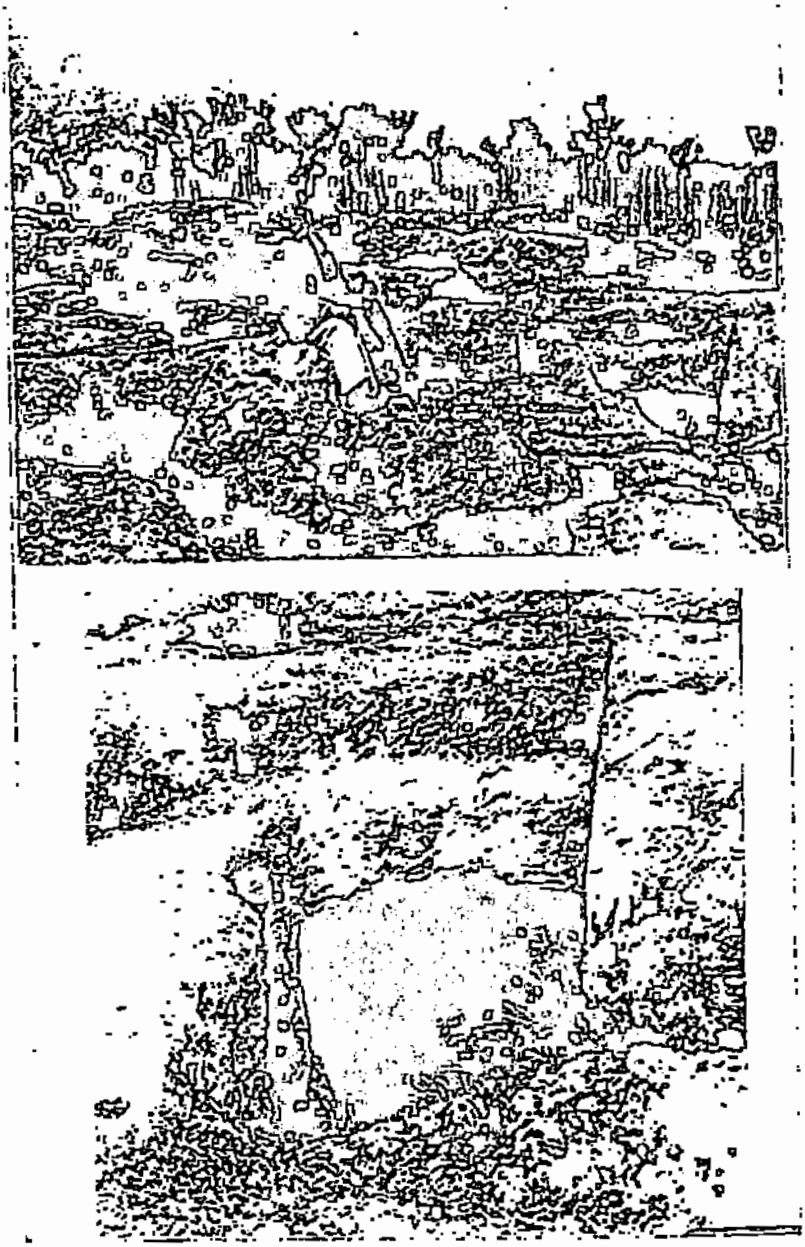

صورة المداخل الى مدافن سنّ الفيل

الأكمة المشرفة على سنّ الفيل ستّة بيوت غيرها قديمة منقورة في الصخر حول المدافن او قريباً منها كأنّ قدماء الاهلين كانوا يدفنون موتاهم بجوار مساكنهم او في داخلها .

وهذه المغارة قياسُها ستّة امتار طولاً في مثلها عرضاً ولا يرتفع سقفها عن مدخلها الّا ارتفاعاً قليلاً . وهو كالسقف الذي سبق ذكرهُ الّا انّهُ يميل في انحناء حتى يبلغ الحضيض كأن الذين حفروا هذه المغارة تتبّعوا تركيبها وانحناءها الطبيعي الذي هو في هذا المكان اعظم من سواه

امّا ارضها فكأرض المغاور الأخرى المجاورة لها تتحدّر الى اسفل والظاهر انّ الفلّاحين كانوا اتخذوها كبيت لدواجنهم فتراكمت على الحضيض ازبالها وقاياتها حتى لم يبقَ شيءٌ من آثار القبور القديمة . ومع هذا ترى على جدرانها من الجانبين اطراف الاجران التي كانت توضع فيها اجساد الموتى

*

وعلى مسافة بعض الامتار من هذه المغارة على المنعطف الغربي موقع مدفن ثالث وهو داخل ساحة مسيّجة لاسكندر افندي ابي عكر صاحب كرخانة سنّ الفيل لا يُرَى في الخارج من امرهِ شيءٌ . فتمرُّ بحوش كانوا قديماً يصطنعون فيهِ الكلس المتصلّب في الماء وعلى يمينك اتون صغير مُهمل منذ عهد قديم وامامك رحى كانوا ينقعون فيها قطع الكلس لكنّ حركتها بطلت منذ سنين طويلة وعن شمالك بناية صغيرة من الواح كانت مخزناً . وفي اقصى الحوش باب حديث البناء يظنّهُ الناظر مدخلاً لآخور او لقبو

فدخلنا في هذا الباب واذا امامنا منظرٌ مهيب ادهش عيوننا فبدلاً من الآخور او القبو الذي كنّا في انتظارهِ لاحت لنا مغارة عظيمة واسعة الارجاء مرتفعة السقف منوّرة بانوار خفيفة اخذ منظرها بمجامع قلبنا . ولعمري لو رأينا مغارةً كهذه في احد كهوف لبنان وفي باطن اغوارهِ لما كان اخذ منّا العجب مأخذهُ كما جرى لنا عند ولوجنا في هذه المغارة التي انكشفت لعياننا على بغتة في ارض لا تكاد ترتفع عن سواء الحضيض

وقياس المغارة ٢٨ متراً في الطول وعرضها ستّة امتار . وسقفها اعلى من سقوف المغاور السابقة لكنّهُ يختلف في ارتفاعهِ فتارةً يبلغ ستّة امتار وتارة ينحني حتى لا يزيد على اربعة امتار وربّما قلّ عن ذلك . وهذا السقف الطبيعيّ البالغ السعة تسندهُ في وسطهِ سارية ويركز في اطرافهِ على الصخر الاصمّ الذي لم يُنحَت عند حفر الفور

ومن اعتبر هذا الكهف العظيم حسبهُ مغارة سانح او منزل متعبّد مما ألفهُ قدماء النساك في جبال لبنان وغيره . الّا انّ هذه المغارة لم يُبقها سكّانها على هيأتها الأولى فانهم سعوا في تحسينها وهندستها وقرروا جدرانها وازالوا نتوآتها وساوَوْا اوقابها ثم جعلوا على جدرانها ملاطاً ليقيها من آفات الزمان وكذلك مهّدوا حضيضها ووطّأوهُ بمركّب من الحوّارى والتربة الصاصاليّة فصار المكان كحجرة رحبة اتخذها اصحابها في توالي الازمان كمحل ثم كمحلّ صناعة لاستحضار صفائح البلاط ثم كمنزل لتربية القزّ واخيرًا كآخور وصوان للعجلات . وقد بقي من هذا الكهف سقفهُ على بساطتهِ القديمة وهيئتهِ الاثريّة شهادةً على اصله

قلتُ ان الباب الذي دخلنا منهُ حديث العهد الّا انّ مدخل المغارة لا يزال سالمًا لحُسْنِ الطالع وهو على صورتهِ الاصليّة بعد ترميمهِ نوعًا وهو مع ذلك في غاية الشبه لمدخل المغارة السابق ذكرها فانّهُ على هيئتهِ التربيعيّة واقيستهِ وقد نُقر مثلهُ في الصخر وجُعل لدائرتهِ افريز ليسندوا اليهِ صفيحةً كصفيحتهِ عموديًا . وفي هذا الشبه دليل قاطع على انّ هذه المغاور من اصل واحد جُعلت لغاية واحدة . وما هذه المغارة الّا مدفن قديم وان فُقدت كل آثارها الدالّة على المقصود منها

وفي قمر هذه المغارة كما في مغارة برج حمّود كوّة واسعة لدخول الهواء ومن المحتمل انّ هذا الثقب قد وسّعهُ اصحاب المحلّ فجعلوهُ منفذًا مستديرًا ليجري اليهِ الهواء من الخارج ويستضيء ساكنوهُ باشعّة الشمس

*

وقبل ان نختم هذه السياحة الاثريّة فلنلقِ النظر الى المدافن المتعدّدة التي ترى في اعالي سنّ الفيل . فما يقال عنها بالاجمال انّها كلّها على طرز واحد تكاد اقيستها تتساوى وبعضها مداخل لا يرتفع اعلاها عن حضيض الارض الّا انّها مسدودة ما خلا مدفنين (انظر صورتها ع ٥ و ٦) نُزلت اطلالها فقس عليهِ بقيّة المدافن . فترى المدخل مربّعًا يكاد يتساوى طولًا وعرضًا . والمدفن مسقّف فيهِ عادةً ثلاثة اجران لثلاثة من الموتى نُقرت في الصخر على ثلاثة جوانب الغرفة وجهة الباب فارغة وكان الباب يُغلق بصفيحة من البلاط عموديًا كما تدلُّ عليه الثقوب الباقية على دائرة المدخل . وهذه الغرف تكتنفها عادةً منازل يسكنها الناس . ولذلك قد سبق لنا القول بانّ هذه الاقبية

كانت مدافن اهليّة كما يقرّ بذلك الاثريون في حكمهم عن مدافن فلسطين . امّا عهد هذه الآثار فانّهم يرقونهُ الى عهد مملكة اليهود والفتح الرومانيّ

وعلى طول المشارف الصخريّة التي تمتدّ عند سنّ الفيل تُرى بقايا قرية قديمة فهناك على مسافة كيلو متر بن آثار منازل منقورة في الصخر كانت تُوهل بالناس بينها اقبية دفنوا فيها موتاهم . وهناك ايضاً صهاريج كانوا يجمعون فيها مياه الامطار بعضها كصهاريج الرومان على شبه زجاجات الخمر والقوارير مملطة بالكلس المتصلّب في الماء وبعضها مربّعة تختلف اقيستها وكثيراً ما هي مطويّة في باطنها . وترى هناك بعض القبور المكشوفة على شكل النواويس نُقرت في الصخر الّا انّ اطباقها قد تلفت . وفي كثير من هذه المساكن حُفَر مستديرة قطرها من متر ونصف الى ثلاثة امتار منقورة ايضاً في الصخر كانوا يجعلون فيها المراجل او يركّبون المعاصر

وكل هذه الآثار قديمة بلا مراء غير انك لا تجد عليها كتابةً او رسماً او دليلاً ما تستند اليه لتعريف اصلها او زمانها بضبط . وممّا يرشدنا الى ذلك غير الادلّة السابق ذكرها من صورة المداخل وهيئة الصهاريج ما يُشاهَد على طرف تلك القرية القديمة جنوباً فهناك فضاء واسع ترى فيه قطعاً من الخزفيّات الرومانيّة كالخزفيّات المكتشفة في اطراف بيروت او في جهات الرمل المجاور لها

وزيادة على ما مرّ بك دليل آخر على زمن تلك المغاور ما يوجد فيها من قطع الحجريّات التي ألفها الرومان القاطنون في فينيقية . اما ملاط الصهاريج المذكورة الشبيهة بالقوارير فانّهُ كملاط الصهاريج الرومانيّة المكتشفة في هذه الجهات . وكذلك كعوب الفسيفساء فانهُ يوجد منها كميّة في الاماكن التي نبحث عنها وهي كقطع الفسيفساء التي كان الرومان يبلّطون بها منازلهم في هذه البلاد وفي رمال بيروت ونواحي المدينة كثير منها

فكلّ هذه الدلائل تؤدي بنا الى القول الراجح بانّ الآثار الموجودة في مشارف سنّ الفيل راقية الى عهد دولة اليهود وفتح الرومان . ومن هذه الآثار المغاور التي وصفناها آنفاً فلا بُدّ اذاً من ترجيح كونها من الوقت عينهِ

ثم انّنا نعرف ان المدافن الاهليّة كانت تعمّ جهات لبنان الّا ان الاغوار التي اتّخذوها لهذه الغاية هي اقدم عهداً فدفنوا موتاهم حيث سبق غيرهم الى حفرها . وكثيراً

ما جعلوا تلك الاغوار كمستودع للعظام مما نقلوهُ من المقابر او اقبية الكنائس . كما ذكرنا في وصف مغارة برج حمّود . ولا جرم انَّ ابحاثاً جديدة تزيدنا افادة عن ذلك وتؤدي بنا الى تحديد زمن هذه الآثار القديمة

وما لا ينكرهُ أحد انَّ موقع برج حمّود وسنّ الفيل بين لبنان ونهر بيروت لمن احسن المواقع التي يستطيع سكناها البشر لطيب هوائها وبرودة نسيمها حتى في فصل القيظ فلا ريب انَّ الناس استوطنوها منذ سالف الأيام . وعلى ظننا ان بني آدم اتخذوا هذا المكان فاستعمروهُ قبل الزمن التاريخيّ في طور الظرّان والدليل على ذلك ما يوجد في منعطفَي روابيهِ من أدوات الظرّان كالفؤوس الحجريّة والمقاطع والشفار والنصال المحدَّدة والمساحي التي تُرى منبثّة في تلك الجهات فناهيك بهذا شاهداً على قدم سكنى الانسان في موقعها . والسلام

سلسلة اساقفة الملكيين

لحضرة الاب الخوري الفاضل الاب كيرلس شارون (تابع لما سبق)

انظر السنين السابقة من المشرق

٧ قارا

قارا مدينة قديمة في سوريّة المجوّفة وراء الجبل الشرقي شمالي النبك تبعد ثلاث مراحل عن دمشق كان لها كرسيٌّ اسقفيٌّ وقد ذكرها لوكيان في الشرق المسيحي (١ الّا انَّهُ لم يتثبّتها فدعاها *Ecclesia Comes Charrorum* . ونسب اليها اساقفة كانوا على غيرها كاساقفة لارسا وحرّان ومن مزاعمهِ انَّ اوّل اساقفة قارا جيرنسيوس وقد بيَّن كلزر (Gelzer) في تأليفهِ عن آباء المجمع النيقاويّ انَّ هذا كان اسقفاً على لارسا وكذلك روى لوكيان بين اساقفة قارا المسمّى يوحنّا وقد اشتبه عليهِ اسم كرسيهِ الاسقفي فرواهُ على صور شتّى لا يمكن تحقيقها . كما انهُ جعل في عداد اساقفة قارا احد مشاهير الكتبة الملكيين ثاردورس المعروف بابي قرّة وانّما كان هذا كما ثبت اليوم اسقفاً على حرّان

أ (دادا) لعلّهُ الاسقف الوحيد الذي ذكرهُ لوكيان فنستطيع ان ننسبهُ الى

١) اطلب كتابهُ (Lequien : *Or. Chr.*, II, 849—850,)

مدخل منارة اتخذت سابقاً كدفن

منارة برج حمود الدفنية

كرسي قارا . واسمهُ مع التصريح باسم كرسيهِ مدوَّن في جملة الآباء الذين أمضوا اعمال المجمع الخلقيدوني في آخر جلستهِ السادسة لكنَّهُ لم يحضرها وقد ناب عنهُ بالامضاء مطران دمشق ثاودوروس كما ترى في مجموع اعمال المجامع لمانسي (١ وامضاؤهُ على ما رواهُ لوكيان « Δάδα πόλεως Χαναναίων » وقد تصحف ايضاً اسم المدينة في آخر رسالة امضاها دادا المذكور وهي الرسالة التي وجَّهها اساقفة دمشق الى ملك الروم لاون الاوَّل سنة ٤٥٧ فيدعى اسقف قارا هناك « episcopus Comoranus » (٢

٢=٨ (كرستوفورس) في خزانة الكتب الشرقيَّة المصونة في المتحف البريطاني (٣ انجيل مخطوط بالسريانيَّة بالقلم الملكي ففي ظهر الصحيفة ١٦٢ كتابة بخطّ ميخائيل احد اساقفة قارا عاش على ما يظهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . وفي الكتابة يذكر اسماء ثمانية من اسلافهِ على كرسيهِ دون ان يعرّف زمانهم . وكل هؤلاء لا ذكر لهم في الآثار التاريخيَّة اللهم الا واحد منهم المسمَّى اثناسيوس . واوَّل اسقف دوَّن ميخائيل اسمهُ يُدعى كرستوفورس يليه اسطفان ثم يعقوب ثم لوقا ثم سمعان ثم سرجيوس ثم يوسف ثم اثناسيوس

٩ (اثناسيوس) المذكور في جدول ميخائيل السابق قد ورد ذكرهُ ايضاً في ورقة تُرى اليوم ملصوقة على احد مخطوطات خزانة القبر المقدَّس (٤ . والمخطوط المذكور عددهُ ٤٠٨ ومحلّ الورقة في الصحيفة ٨١ وهي مكتوبة باليونانيَّة الَّا انَّ لهجتها عاميَّة كثيرة الاغلاط . ولنا شاهد آخر على اسقفيَّة اثناسيوس (٥ المذكور تجدهُ في كتاب الانجيل الموصوف آنفاً الذي فيهِ جدول ميخائيل . فهناك توقيع باسم اثناسيوس مع تاريخ ذلك التوقيع في ٨ (؟) آذار سنة ١١٣٦ م

١٠ أ (ميخائيل) هو صاحب الكتابة المتضمنة لقائمة اساقفة قارا . وزمانهُ يُعرف

---

١) اطلب مجموع اعمال المجامع لمانسي (Mansi : *Collectio Concil.*, VII, 169)

٢) راجع مانسي (Mansi, VII, 559)

٣) Fonds Syriaque, n° 250

٤) اطلب تقويم تلك الخزانة (Catal. de Papadop.—Kerameus. II, 526) في المخطوط اليوناني المذكور في وجه الصحيفة ١٦٢

٥) في وجه الصحيفة ١٦٢ من مخطوط لندن

بالترجيح اذ قام خلفاً لاثناسيوس اعني في اواسط القرن الثاني عشر او في قسمهِ الاخير

١١ (افثيموس) في الانجيل السرياني الملكي السابق ذكرهُ كتابة لاحد اصحاب افثيموس اسقف قارا يقال فيها انَّ افثيموس هذا توفي في ١٧ تشرين الثاني من السنة ١٢٥٩

١٢ (يوحنَّا) جاء ذكرهُ في كتابة معلَّقة على المخطوط اليوناني الموسوم بعدد ٥٣٤ من مخطوطات القبر المقدَّس (١ في ظهر الصحيفة ٦٠ يقال في تلك الكتابة انَّ وفاة يوحنَّا اسقف قارا حدثت يوم الثلثاء في ١٠ ايار من السنة ١٤٢٩ . واسمهُ مذكور ايضاً في آخر كتاب سواعيَّة مخطوط بالقلم السرياني الملكي في برلين (٢ في وجه الصحيفة ٢٥٨ كما يأتي: « كتبهُ الحقير في الاحبار حنا اسقف . . » وقد سقط اسم المدينة وهي قارا بلا شكّ لانَّ الكتاب وُجد في دير عطيَّة قريباً من قارا وتاريخهُ يوافق زمن يوحنَّا اسقف قارا

١٣ (مكاريوس) يُستدلّ على اسقفيَّتهِ وزمانهِ من كتابين مخطوطين بالسريانيَّة والقلم الملكيّ في خزانة كتب برلين احدهما عددهُ ٣١٦ ورد في آخرهِ انَّ كاتبهُ مكاريوس اذ كان اسقفاً على قارا . والكتاب الآخر عددهُ ٣٠١ مكتوب في احدى صحائفه في ظهر الصحيفة ١٩٤ انَّهُ تمَّ في ١٠ آذار سنة ١٤٧٨ في ايَّام مكاريوس المذكور . فلم يقع اذن موتهُ الَّا بعد هذا العهد

١٤ (*) خُتم الكتاب السرياني الملكي المصون في برلين تحت العدد ٣٠٣ بكتابة عربيَّة بالشعر العامّي في ظهر الصحيفة ١٥٩ منها كتابة مؤدَّاها انَّ كاتبه « ابراهيم بالاسم كاهن ابن اخت اسقف قارا في السنة ١٥ — » فالتاريخ كما ترى غير كامل لا يمكن قراءته الَّا ٧٠٤٥ (١٥٣٧) للمسيح . اما ابراهيم المذكور فمن المحتمل ان يكون هو الكاتب المسمَّى باسمهِ الذي خطَّ في هذا العهد مخطوطات اخرى وهناك يدعو نفسه « ابراهيم ابن مقاريوس اسقف قارا » . ولعلَّهُ غيرهُ لانهُ هنا لا يُذكر اسم الاسقف ويدعو نفسهُ « ابن اخت » الاسقف ليس ابن الاسقف ومن ثم يكون الاسقف غير مكاريوس

١) اطلب خزانة كتبه (Pap. —Kerameus. II, 579)

٢) اطلب تقويم مخطوطات برلين السريانية للعلامة ساخو (Cat. Sachau, N° 299)

١٥ (يواصاف) عند جناب الكاتب الاديب حبيب افندي زيات (١ قنداق (κονταχάριον) كتبه بيده يواصاف اسقف قارا يوم الاربعاء في تشرين الثاني من سنة تاريخ آدم ٧١٣٩ (١٦٣١ م). ثم جمع يواصاف المذكور كما سترى اسقفيّة مدينتي صيدنايا وقارا وتوفي سنة ١٦٤٦ او ١٦٤٧

١٦ (غريغوريوس حدّاد) كان اصلهُ من دير عطيّة ثم صار كاهنًا عالميًا بوضع ايدي البطريرك كيرلس طاناس الذي دعاهُ متّى ثم ترهّب في دير المخلّص حتى سقّفهُ على قارا البطريرك غير القانونيّ اثناسيوس جوهر قبل انتخابهِ الشرعي لذلك المقام سنة ١٧٦٠ وتسمّى غريغوريوس. فبقي على قارا الى السنة ١٧٦٨ وفيها اعلن بطاعتهِ للبطريرك الشرعي تاوضوسيوس دهّان الذي وكلهُ بتدبير كرسيّ بيروت مع كرسيّ قارا. وكانت وفاتهُ سنة ١٧٩٥ في دير المخلّص

١٧ (يوسف صفر) رسمهُ مطرانًا على قارا البطريرك مكسيموس الثاني حكيم في وقت تسقيف اثناسيوس جوهر لغريغوريوس حدّاد عليها (٢. وقد ورد اسمهُ كمطران قارا في التقارير التي كُتبت في امر النزاع بين اثناسيوس جوهر ومكسيموس حكيم وفي صكّ انتخاب اثناسيوس جوهر ثانيةً سنة ١٧٦٥ (٣. وكذلك ذُكر في رسوم الرهبنة الشويريّة التي اثبتها البابا اقليمس الثالث عشر في ٢٢ ايلول سنة ١٧٦٤ ويُدعى فيها اسقف قارا ثم اضاف الى ذلك اسم اسقفيّة حمص شرفًا وتوفي سنة ١٨١٠. وهو آخر اساقفة قارا

٨ اساقفة بيروت

اطلب في المشرق (١: ١٩٦—١٩٨) ما قيل في مدينة بيروت وتاريخها وهاك ما يُعرف من امر اساقفتها الملكيين. وليس اوّلهم جنّاديوس كما روى حبيب افندي الزيّات في خزائن كتب دمشق (ص١٦٢) نقلًا عن بولس بن زعيم الحلبيّ في تاريخ بطاركة انطاكيّة فان كلزر (٤ صحّح ذلك وبيّن انّ جناديوس كان احد اساقفة اقليم

١) اطلب كتابهُ خزائن كتب دمشق وضواحيها ص١٥٧
٢) اطلب التواريخ الشويريّة نسخة دير حريصا (ج ٢ ص ١٢)
٣) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٣)
٤) اطلب كتابهُ في آباء مجمع نيقية (Patrum Nic. nomina p.64,)

عربيّة وان رواية اسمه هناك Γενάδιος Ἰεβούνδων اي جنّاديوس ب يبوندون ويبوندون هذه في عبر الاردن هي حشبون او حسبان

١ (اوسابيوس) اسقف يبرود احد الذين امضى باسمهم في المجمع الخلقيدوني ثاودورس رئيس اساقفة دمشق . فيكون اوّل اسقف معروف ليبرود (١

٢ (توما) كان هذا مشايعاً لبدعة القائلين بالطبيعة الواحدة فنفاهُ الامبراطور يوستينوس اذ لم يقبل المجمع الخلقيدوني بعد حرم الآباء لساويروس الانطاكي (٢

٣ (الياّ) هو الاسقف الذي لهُ وضع القديس يوحنّا الدمشقي كتابهُ دستور الايمان (περὶ ὀρθοῦ φρονήματος) فقدّمهُ الياّ لبطرس مطران دمشق كما مرَّ في ترجمة بطرس (اطلب المشرق ١٢ : ٩١١ واعمال آباء اليونان لمين ج ٩٤ ص ١١٢١)

٤ (يواكيم) اسقف يبرود كان في القرن الخامس عشر وقد ذكر عنهُ بولس بن زعيم في تاريخ بطاركة انطاكية انهُ حضر سنة ١٤٥١ انتخاب مرقس اسقف صيدنايا لكرسي انطاكية البطريركي (٣

٥ (يوحنا) نقل المشرق (٥ : ٩٥١—٩٥٢) نبذةً عن احد مخطوطات حمص العربيّة ألف سنة ١٥٧٢ وكُتب في اوائل القرن الثامن عشر بيد يوسف بن عبد الله ابن يوسف الشدياق من كفر خلدا في ناحية البترون فيُقال هناك انَّ يوحنّا اسقف يبرود سنة ١٥٣٩ وحضر مجمعاً ملّياً عُقد في قارا

٦ (اثناسيوس) كان هذا من بلدة دير عطيّة وكان اسمهُ قبل تسقيفه ابراهيم وكان راهباً اذ يدعو نفسهُ بالتوحّد . فاقامهُ مكاريوس الثالث اسقفاً على يبرود ومملولا . امّا تاريخ ذلك الواقع فكان كما روى بولس بن زعيم ونقلهُ عنهُ جناب حبيب افندي زيّات (خزائن كتب دمشق ص ١٦٢) في ١٥ شباط سنة ١٦٤٧ . وفي الامر نظر لانَّ مكاريوس لم يجلس على الكرسي الانطاكي الّا في ١٢ كانون الاوّل سنة ١٦٤٨ فلا بُدَّ من تأخير اسقفية اثناسيوس ما لم يُقَلْ انهُ سُقف على يد سلفه انتيشوس الساقزي

---

١) اطلب مجموع المجامع لمانسي (Mansi, VII, 169)

٢) اطلب تاريخ ميخائيل الكبير السرياني حيث نقل كلام يوحنّا الاسيوي (Michel le Syrien II,172)

٣) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٢)

٧ (جرمانوس) كان جرمانوس اسقف يبرود احد الاساقفة الذين انتخبوا لكرسي انطاكية بعد مكاريوس الثالث حفيدهُ الكاهن قسطنطين زعيم سنة ١٦٧٣ وتسمّى كيرلّس الخامس (١

٨ (غريغوريوس حدّاد) من الرهبانيّة المخلصيّة. سبق لنا القول في ذكر اساقفة قارا بانّ البطريرك ثاوضوسيوس دهّان وكلّ الى هذا الاسقف سنة ١٧٦٨ تدبير كرسي يبرود فتولى الامر الى سنة وفاتهِ سنة ١٧٩٥

٩ (يوسف صفر) قلنا سابقاً بان يوسف صفر خلف غريغوريوس حدّاد في اسقفيّة قارا وتدبير ابرشيّة يبرود الى وفاتهِ سنة ١٨١٠

١٠ (اكليمنضوس مطران) بعد وفاة يوسف صفر أُلحقت ابرشيّة يبرود بابرشيّة بعلبك فسامها السيّد اكليمنضوس مطران الراهب الشويري. وفي سنة ١٨١٩ اثار بطريرك الارثدكس سرافيم الاضطهاد على الكاثوليك فجاء اكليمنضوس مطران الى يبرود وسكنها الى وفاتهِ في ٣ تموز سنة ١٨٢٧

١١ (اثناسيوس عُبَيد) خلف هذا اكليمنضوس مطران في اسقفيّة بعلبك ونظارة ابرشية يبرود فبقي في تدبيرها الى ان طلب منهُ استعفاءهُ السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم ليقيم بدلاً منهُ غريغوريوس عطا. توفي السيد عُبيد سنة ١٧٥٠

١٢ (غريغوريوس عطا) كان مولدهُ في زحلة في ١٤ نيسان سنة ١٨١٥ ثم دخل في الاكليروس العالي فعهد اليهِ السيّد مكسيموس مظلوم اسقفية يبرود في ٢٠ شباط سنة ١٨٤٩ واضاف اليها كرسي حمص وحماة. كانت وفاتهُ في ٣ كانون الاوّل سنة ١٨٩٩ بعد ان دبّر ابرشية يبرود نيفاً وخمسين سنة

١٣ (فلابيانوس كنوري) خلف السيد غريغوريوس عطا في مقامهِ على حمص وحماة ويبرود في ٢١ ت ٢ سنة ١٩٠١ وهو يدبّر اليوم تلك الابرشية بغيرة ونشاط. ومولد سيادتهِ الخنشارة ثم دخل الرهبنة الشويريّة

٩ اسقفيّة تدمر

تدمر هي المدينة العجيبة الشهيرة بابنيتها وآثارها العاديّة وتملّك الملكة زنوبيا (زينب)

١) خزائن كتب دمشق (ص ١٦٣)

عليها (اطلب المشرق ١ : ١٩٦ الخ) وهذا ما يعرف من امر اساقفتها :

١ (مارينوس) ورد اسمهُ في جملة الاباء الموقعين على اعمال المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ (١

٢ (يوحنّا) امضى ثاودوسيوس مطران دمشق اعمال المجمع الخلقيدوني في جلسته السادسة باسم يوحنا اسقف تدمر الخاضع لكرسيه . وقد تكرّر اسمهُ ايضاً في سنة ٤٥٧ في ذيل الرسالة التي كتبها اساقفة اقليم دمشق لمّا قُتل بروتاريوس الاسكندري (٢

٣ (يوحنّا) كان هذا من مشايعي ساويروس الانطاكي فامر الملك يوستينوس بان يُطرد من كرسيه سنة ٥١٨ (٣

٤ (يواتيس) كان هذا من بيت الساميري ودخل الرهبنة الحنّاويّة الشويريّة ثم أُقيم اسقفاً على تدمر في النصف الاوّل من القرن التاسع عشر ولا نعرف عنهُ الّا القليل

٥ (مكاريوس سابا) سُقف على تدمر شرفاً في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ وعُهدت اليه النيابة البطريركية على القطر المصري . وسيادتهُ مولود في حلب سنة ١٨٧٤ . وقد بقي كرسي تدمر شرفيًّا عند الروم الارثدكس ايضاً . وممن أُقيموا على هذا الكرسي اثناسيوس رئيس دير القديس سبيريدون في بلاد الفلاخ سنة ١٨٣٠ ثم ساروفيم احد الاساقفة الذين ردّوا دعوة البابا بيوس التاسع لحضور المجمع الفاتيكاني(٤

١٠ اسقفيّة زحلة

كرسي زحلة حديث العهد . وقد ظنّ البعض ان زحلة كانت تدعى سابقاً سلوقيّة والصواب انّ سلوقيّة مدينة على مصبّ نهر العاصي وهي التي تُعرف اليوم بالسويديّة وانّما العرب دعوها بهذا الاسم نقلاً عن تآليف البوزنطيين الذين يسمّونها « Σουέδιον » كما دعتها الكاتبة حنّة كومنان . فلمّا دخل العرب بلاد الشام نقل الروم كرسي السويديّة الى معلولا فبقي عليها اسم سلوقية حتى بعد انتقال اصحابها الى زحلة فيدعو الروم في

١) اطلب جدول آباء نيقية (H. Gelzer : *Patrum Nicen. Nomina*, 14, 82, 100)

٢) اطلب مانسي (Mansi VII, 169 et 559)

٣) اطلب تاريخ يوحنّا اسقف آسيا منقولاً في تاريخ ميخائيل الكبير (Michel le Syrien II, 172)

٤) اطلب منشورات مكتب رومانية (Documents inédits de l'Acad. Roumaine)

يومنا اسقف زحلة بصاحب ملوقية (١ . امّا الروم الملكيون الكاثوليك فانّ اساقفتهم فيها دُعوا اوّلاً باساقفة فرزل والبقاع منذ سنة ١٧٢٤ ثم اضافوا اليها زحلة وذلك سنة ١٧٧٤

١ (اثنيموس) بعد وفاة اثناسيوس جوهر قام الحزب الكاثوليكي في الشام وطلب له خلفاً كاثوليكيًا خاضعًا للكرسيّ الرسولي فاختاروا ساروفيم طاناس ابن اخت اثنيموس صيفي اسقف صيدا الّا انّ القوانين كانت تقضي بوجود ثلاثة اساقفة لتكريس البطريرك فسقّف ناوفيتوس نصري اسقف صيدنايا وباسيليوس فينان اسقف بانياس احد كهنة ملولا المسمّى اثنيموس فجعلاهُ اسقفاً على الفرزل ثم اجتمع الثلاثة الاساقفة وقلّدوا البطريركية كيرلُس طاناس في ٢٠ ايلول سنة ١٨٢٤

وكان اثنيموس من الرهبانيّة المخلّصيّة . توفي سنة ١٧٧٥ على رواية القس انطون بولاد وسنة ١٧٦٨ كما روى في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين وكانت وفاتهُ في مزرعة القريعة ودُفن بدير المخلّص

٢ (يوسف فرحات) قال القس انطون بولاد كان من المحترم ونذر الرهبانيّة سنة ١٧٣٨ وارتسم كاهنًا سنة ١٧٤٥ ثم صار اسقفًا على كرسيّ الفرزل فسامهُ البطريرك ثاوضوسيوس دهّان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٥ وتوفي في زحلة في ٢٩ حزيران سنة ١٧٩٣

٣ (باسيليوس جباه) وقيل الجبلي اصلهُ من يبرود دخل الرهبانيّة المخلّصيّة ونذر فيها سنة ١٧٥٢ وصار كاهنًا سنة ١٧٦٠ . ولمّا كانت السنة ١٧٩٥ اختارهُ البطريرك كيرلُس سيّاج اسقفًا على الفرزل وزحله وبقي في تدبير كرسيّهما الى سنة وفاته ١٨١٢ . هكذا روى القسّ انطون بولاد بخط يدهِ في آخر التوخيكون الذي الّفهُ القس يوحنّا العجيمي في نسخة مكتبة الآباء اليسوعيين (ص ٣٥٠) وفي تاريخ طائفة الروم الملكيين للمطران غريغوريوس عطا (ص ١٩٤) بعض اختلاف في السنين

٤ (مكاريوس الطويل) كان دمشقيّ الاصل فترهّب في دير المخلّص ونذر النذور الرهبانيّة في ٢٩ حزيران سنة ١٧٧٩ ورقي رتبة الكهنوت سنة ١٧٧٩ وصار رئيسًا عامًا لرهبانيّته ثم رسمهُ البطريرك اغابيوس مطر اسقفًا على الفرزل وزحله سنة ١٨١٢ لكنّهُ لم يدبّره الّا سنة واحدة اذ وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريركي في

---

١) اطلب كتاب تشاكوني Cecconi, III,71

العام التالي سنة ١٨١٣ في ٢٩ ت ٢ وتوفي في ٣ ك ١ سنة ١٨١٥ ودُفن بكنيسة دير المخلّص

٥ (اغناطيوس عجُوري) كان حلبيّ الاصل ومن اكليروسه العلماني وسقف على كرسي دياربكر بيد البطريرك اغناطيوس القطّان ثم نقلهُ الى كرسي الفرزل وزحلة سنة ١٨٥٦ فدبّره الى سنة وفاتهِ في آب من السنة ١٨٣٤. وعُرف بهمّته وتقواهُ وهو اوّل من طاف في شوارع زحلة بالقربان المقدّس فانقطع بسبب ذلك الطاعون الفاشي فيها(١

٦ (باسيليوس شاهيات) اصلهُ من حلب واخوهُ هو غريغوريوس اسقف حلب الذي مرَّ ذكرهُ (المشرق ١١ : ٥٤٣) وكان كلاهما من الرهبانيّة الشويريّة ففي ٧ ايار سنة ١٨٣٦ سُقف باسيليوس على كرسيّ الفرزل وزحلة بوضع ايدي الطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم فبقي عليهِ الى سنة وفاتهِ في ١١ كانون الثاني ١٨٦٤ . ومن آثارهِ تشييدهُ لكنيستهِ الكاتدرائيّة في زحلة

٧ (امبروسيوس عبده) هو ابن ميخائيل عبده اصلهُ من حلب سيم اوّلاً اسقفاً على القلّاية الاورشليميّة سنة ١٨٦٠ فبعد وفاة السيد باسيليوس شهيات نقلهُ البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٦٦ الى كرسي الفرزل وزحلة فساسهُ بغيرة عشر سنوات ثم استقال في ٢٨ كانون الاوّل ١ سنة ١٨٧٥ وعاد الى اورشليم فتوفّي في العام هناك المقبل

(ملاتيوس فكّاك) اصلهُ من دمشق وفيها ولد سنة ١٨٢٩ وبعد ان خدم مدّة في دوائر الحكومة خصَّ نفسهُ لخدمة الله وانضمَّ الى اكليروس زحله واختارهُ مدّة السعيد الذكر البطريرك اكليمنضوس يخوث كاتباً لاسراره ثم رُقّي الى درجة الكهنوت سنة ١٨٦٥ وصار نائباً بطريركيًّا. ولمّا استقال السيّد امبروسيوس عبدُه سنة ١٨٧٥ سقّفهُ كخلف لهُ على كرسي فرزل وزحلة والبقاع البطريرك غريغوريوس يوسف في ٢٣ ت ٢ ١٨٧٦ وبعد ثلاث سنوات نُقل الى كرسيّ بيروت فدبّر ابرشيّتها الى سنة وفاتهِ في ١٦ تموز سنة ١٩٠٤

٩ (اغناطيوس ملّوك) كان مولده في بعلبك في ٢٣ نيسان سنة ١٨١٥ وسُمّي جرجس ثم خدم كرسي زحله بصفة شمّاس وكاهن اسقفي ونائب بطريركي

١) وقد اثنى على فضائله الاب مبارك بلانشة اليسوعي وكان قدم حديثاً الى بلاد الشام لاستئناف الرسالة اليسوعيّة فيها Rabbath : *Documents inédits* II, 131—133

وايكونومس نحو اربعين سنة حتى جلس عليهِ برتبة اسقف في ١٨ ايلول سنة ١٨٨١ ودُعي اغناطيوس. توفي سنة ١٨٩٨

١٠ (كيرلُس مغبغب) هو المطران الحالي. تلقَّى الدروس الدينيَّة في رومية واقيم رئيساً على مدرسة عين تراز وقد اختارهُ البطريرك بطرس الجريجري خلفاً للسيِّد اغناطيوس ملُوك فسامهُ في الاستانة في ٢٨ ايار سنة ١٨٩٩. وقد تجوَّل مدَّة في انحاء اوربَّة واميركا لتحسين شؤون كرسيهِ وسيادتهُ معروف بفضلهِ وغيرتهِ ادامهُ الله زمناً طويلاً لخير ابنائهِ

١١ اسقفيَّة الزبداني

الزبداني بلدة في البقاع في حلف لبنان عند منتصف طريق السكَّة الحديديَّة بين دمشق وبيروت شهيرة بخصب تربتها وكثرة اثارها

١ (*) جاء في اعمال البطركيَّة القسطنطينية (١ ان ميخائيل الثاني خلف البطريرك باخوميوس على كرسيّ انطاكية سنة ١٣٦٧ او ١٣٧٠ ارسل الى القسطنطينية صورة ايمانهِ (٢ مع اسقفين احدهما مطران هليوبوليس اي بعلبك والثاني اسقف زبدايا (ἐπισκόπου Ζεβεδαίου) فزبدايا هذه على ما نرى هي الزبداني ما لم يُقل انَّهُ علم للاسقف المرسل الَّا انهُ يرجح انَّ زبدايا اسم بلدة فكما دعا الاوَّل مطران بعلبك دعا الثاني اسقف الزبداني

٢ (ميخائيل) افاد الارشيدياقون بولس زعيم في تاريخهِ بان مجمع الاساقفة انتخب لبطريركية انطاكية في سنة ١٤٥١ مرقس اسقف صيدنايا فسمَّى ميخائيل الرابع وكان من جملة المنتخبين ميخائيل اسقف الزبداني (٢

٣ (*) وصف الاب لويس شيخو في المشرق (٥: ٩٥١—٩٥٢) كتاباً مخطوطاً فيهِ اسماء عدَّة اساقفة من جملتها اسم احد اساقفة الزبداني في تاريخ سنة ١٥٢٩ والكتاب طقسي خُطَّ سنة ١٧٥٢ واسم الاسقف محوٌ يقال هناك انَّهُ اسقف الزبداني.

---

١) اطلب Miklovich et Müller : *Acta Patr. Const.*, II, 248—9

٢) اطلب خزائن كتب دمشق لحبيب افندي الزيَّات (ص ١٠١)

٤ (يواكيم) قد وقّع يواكيم اسقف الزبداني (ἐπίσκοπος Ζεβεδαίου) مع كيرلس دبّاس مطران الحوران على عريضة كتبها تاوفانوس بطريرك القدس تاريخها ٥ تشرين الاوّل سنة ١٦١٧ (١

٥ (جراسيموس) اسقف الزبداني حضر مجمعاً عُقد في دمشق سنة ١٦١٤ على عهد البطريرك مكاريوس الثالث كما روى بولس الزعيم للنظر في دعوى مطران حمص ابن العميش (البقية لعدد آخر)

المناديات الدمشقيّة في الاثمار الشاميّة

للاب سليمان غانم اليسوعي

وهب الخالق المنّان دمشق الفيحاء وقراها المجاورة ارضاً خصبة وماء غزيراً وهواء سليماً وشمساً محيية . فكثرت فيها الاشجار المثمرة والفواكه اللذيذة واحرار البقول والرياحين العطرة التي يطيب للاذن سماع ذكرها ووصفها كما يطيب للّسان المناداة باسمها وللعين حسن منظرها وللشمّ شذا ريحها ولليد نعومة ملمسها وللذوق حلاوة طعمها . فيتمتّع سكّانها بهذه العطايا الفاخرة « فيأكلون ويشبعون ويسمنون ويتلذّذون بجودة العظيم » (نحميا ٩ : ٢٥) ويخاصون لهُ الحبّ والعبوديّة والاكرام وينطقون بحمده وشكره على الدوام .

امّا بعد فان الباعث لوضع هذه المقالة هو سماعي الباعة الجوّالين ينادي كل منهم بيعه في ازقّة دمشق . فيمرّون كل يوم وكل النهار رافعين اصواتهم يتغنّون بنغم ونبرة وعبارات تميّز محمولهم عن سواه وتشوّق السامعين الى مشتراه فجمعت من مناديهم ما حوى نكتة او ملحة تفكيهاً للباحثين في العوائد المحليّة او الملتقطين شذرات العربية ثم اضفت اليها شروحاً زراعيّة وتجاريّة اخذتُ معظمها عن الخواجا فرنسيس ديوس الدمشقي احد ملّاك الزبداني . جزاهُ الله خيراً في الدنيا والاخرة

١) هذه العريضة نُشرت في المجلّة الارثوذكسيّة Νέα Σιών (ج ٢ ص ٢٨٥–٢٨٧)

٢) اطلب رحلة مكاريوس Belfour : *The Travels of Macarius*, II,476

واسأل ابا الانوار ان ينعم عليَّ بشيءٍ من حكمة سمّي سليمان الذي « تكلَّم في الشجرة من الارز الذي على لبنان الى الزوفى التي تخرج في الحائط » (٣ ملوك ٤: ٣٣)

ارجو القارئ اللبيب ان يتأمل في اعمال البارئ النباتيَّة ويهتف مع اوليائهِ (دانيال ٣: ٧٦): « باركي الرب يا جميع انبتة الارض. سبحيهِ وارفعيهِ الى الدهور »

ولدى البحث والاستقصاء في المملكة النباتيَّة اتَّسع مجال الكلام فلزم تقسيمهُ الى اقسام وتجزئتهُ الى اجزاء. ولئلَّا يملَّ القارئ من طول المقالة اقتصرت اليوم على ذكر بعض الاثمار والاشجار البلديَّة داعياً اوَّلًا « الشجر المثمر » الى تسبيح اسم الله القدوس (مز ١٤٨: ٩ و ١٢) وهاكها مسرودة على ترتيب الحروف الهجائيَّة:

١ في الاجاص

الاجاص كثير في التل ومنين وجهاتهما. وقليل من الهامة الى الزبداني. وينبت في كل ارض الَّا ان الحمراء السمينة التي لا صخر فيها اصلح لهُ ويعيش فيها نحو ٣٠ سنة اذا عُني بهِ. واثمار الاجاص ستَّة اشكال:

١ (العثماني) وهو كبير وكثير وطيّب (ورطلهُ من ٤ الى ١٢ ق)

٢ (ابو زبلة) وهو كثير ودون (وقنطاره من ٣٠ قرش الى ٥٠)

٣ (الطعم صيفي) ويبلغ كبر السفرجلة. وهو جيّد وقليل (ورطله من ق ٢٧ الى ٣٧)

٤ (الشتوي المدرَّر) وهو على شكل التفَّاحة ولذيذ. واصلهُ من اشتورا

٥ (الشتوي المطاول) الذي لهُ عنق كالعادي. وهذان الشكلان يُقطفان بعد عيد الصليب (رطلهما من ٦ الى ١٢ ق)

٦ (العرمط او البرّيّ) ولبُّهُ مبرغل (يشبه البرغل) ويبقى مزّ الطعم وان نضج. والنابت في البساتين لشربهِ الماء اكبر من النابت في الجبال

ويطعَّم ابو زبلة والعرمط من الاشكال الجيّدة

ويزهر الاجاص في آذار ويؤكل في آب وينضج ابو زبلة قبل العثماني ويُنادى هذا: « ابو زبلة لا تأكل. هذا عثماني يا رايق »

وخشب الاجاص يستعمل قوالب للطباعة فانهم يطبعون في دمشق بعض النقوش

الملوّنة على اغطية اللحف والمناديل واغطية الرأس ويستعملون السمّاق للون الاحمر والفوّة والجهرة للون الاصفر . ويستعملهُ النجّارون الفرنج في بعض اشغالهم الثمينة

٣ في التفاح

يُضرب المثل هنا في التفاح الزبداني كما في العنب الداراني والمشمش الهاماني فيبلغ التفّاح الزبداني ١٥ قنطاراً وفي اوّلهِ في ايار الى نصف حزيران يبيعون ٥ ارطال منهُ بقرش ويُطعم البقر والغنم ما يسقط منهُ لكثرتهِ . وعُشر التفاح والفواكه يبلغ في دمشق ٦٥,٠٠٠ قرش ومجموع عشرها كله الف ليرة في السنة

لا ينجح التفاح الّا في الارض السمينة السوداء او الحمراء فيعيش فيها في نحو ٣٠ سنة وفي غيرها يموت بعد ١٠ سنين . ويجب سقيهُ في الاوّل في كل عدّان (٨ ايام) لئلّا يهلك في اوّل سنة ويكتفي بعدئذٍ بالشرب كل ٢٠ او ٣٠ يوماً

والارض المحصّاة (التي يكثر فيها الحصى او البحص) توافقهُ وتوافق كل الشجر لانها تحفظ لاصلها الرطوبة والبرودة . والتفاح يزهر في نيسان وان اصابهُ مطر يرمي زهرهُ (يعتش) ولا يحمل . وخشب التفاح يستعمل للوقيد هنا مع ان الفرنج ينتفعون بهِ في اعمالهم الدقيقة كثيراً . ويؤكل في ايار

وفي الزبداني اربعة عشر نوعاً من التفاح وهي :

١ (السكارجي) وهو تفاحها الشهير . لونهُ ازرق اوّلاً ثم يسودّ بعد النضج وهو لا حامض ولا حامض في اوّلهِ ويطيب بعد نضجهِ . ولهُ رائحة ذكية تميّزهُ عن سكارجي وادي برّدى الذي هو دونهُ قيمةً . وتبلغ شجرتهُ في مضايا كبر الجوزة فتحمل قنطاراً . ولا يضرّ نقلهُ الى البلاد البعيدة فيبقى صحيحاً على حالهِ

وتفرخ اصوله بكثرة حتى انهم يبيعون من نصبهِ بقيمة عشرين الف قرش في السنة

ويخبر ان السير رود قنصل انكلترّة في دمشق من نحو خمسين سنة اشار الى اصحاب الاملاك في الزبداني ان يستخرجوا من التفاح شراباً (cidre) كما يفعل الاورپيون في بلادهم فجرّبوا ولم ينجحوا لجهلهم الطريقة . فقطعوا حينئذٍ شجرهُ لكثرتها وحرقوها وباعوها فحماً . (رطل الكبير بقرش والصغير ١٠ بارات الى ١٢٧ب)

٢ (السكّري) وهو طيّب ولهُ خدّ احمر وخدّ ابيض . ويوجد منهُ كثير في بلودان ودارياً ويبقى في بلودان الى عيد الصليب وكلّما نضج طاب بخلاف السكّري الزبداني

فاذا طال فات طعمهُ (فوخر) وذهب حسنه . ويُباع قنطار السكّري والدرشاوي والفضي ١٥٠ ق الى ٢٠٠

٣ (الدرشاوي) وهو نوع من السكّري المتأخر (اللقيس) ولونهُ احمر . وكلّما نضج طاب . ولا يكثر الّا بالتطعيم

٤ (الفضّي) وهو ابيض وتخضرُّ بزرتهُ اذا نضج

٥ (الهاماني) وهو احمر مع زرقة وتفاحته كبيرة يُنسب الى الهامة

٦ (الشامطي) وهو اصفر ولذيذ (ورطلهُ من ٢٠ ب الى قرش)

٧ (الناعم) وهو حار مع طرف حموضة . ويوجد في البساتين الزينبيَّة في دمشق

٨ (العراقي) وهو احمر وابيض وتحمل شجرتهُ قليلًا الّا ان التفاحة تبلغ كبر السفرجلة (ورطلهُ بقرشين)

٩ (الخلاطي) وهو حار وحامض وقليل

١٠ (الشتوي البلدي) وهو ازرق ويدوم سنة بعد القطف وهو كالسكارجي لونًا وطعمًا وحجمًا ورائحةً

وقيل لي في يبرود ان افخر تفاح عندهم يُدعى الفاطمي والخشخشي .

وينادى التفاح في دمشق :

« كل تفاحه خدّ يا تفاح — مال الزبداني يا جناني — مال داريّا يا سكّري — مال الزينبيه مختّر يا ناعم — بخّر الشوره (المنديل) مال بيبيلا يا جناني »

وقد جاء ذكر التفاح في سفر الامثال ونشيد الاناشيد والنبي يوئيل . فقال في سفر الامثال (٢٥ : ١١) « الكلام المنطوق به في اوانه تفاح من ذهب في سلال من فضّة » وفي سفر الاناشيد (٢ : ٣) : « كالتفاحة في اشجار الغابة كذلك حبيبي بين البنين قد اشتهيتُ فجلست في ظلّهِ وثمرهُ حلو في حلقي . . . قوّوني بالتفاح » وفيه قولهُ (٧ : ٨) : « عَرْف انفكِ كالتفاح » . وجاء في سفر يوئيل (١ : ١٢) : « الكرم جفّ والتين ذبل والرمّان والنخيل والتفاح وجميع اشجار الصحراء ذوت فذوى السرور عن بني البشر »

٣ في التوت

جاء ذكر التوت في انجيل القديس لوقا (١٧ : ٦) فقال الرب : « لو كان لكم ايمان مثل حبّة الخردل كنتم تقولون لهذه التوتة اقتلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم »

والتوت ينبت في كل ارض و يعيش نحو الف سنة الّا انهُ يضوُل (يترقرم) بعد الخمسين . ولا يسأل عن الماء والخدمة الّا ان ايراده يزيد بهما وفي الارض السمينة . وتكبر التوتة في الزبداني كسائر الاشجار وهم يبعدون التوتة عن اختها من ٢٠ الى ٢٥ قدماً لئلّا تشتبك الاغصان . وخشب التُوت يستعمل لدواليب الحلالة (حلّ الحرير في القرى) ولدواليب الدوارة التي تهيئ خيطان الحرير للسدى وللنوارج (في الزبداني)

وثمر التوت خمسة اشكال وهي :

١ (الشامي) الشهير وهو اصغرها يكون اسود غامقاً وحامضاً ويُؤكل بسكر او بدونه . ويُصنع منهُ وحدهُ شراب يُحفظ في القناني (ورطله من قرشين الى اربعة ق والباقي من ١٧ الى ٢)

٢ (الحلبي او الرُطب) وهو ابيض

٣ (المرمشي) وهو ابيض واحمر

٤ (المصري) وهو كالشامي لوناً الّا انهُ حلو واكبر منهُ

٥ (التزّي) وهو ابيض وصغير

ودود التز لا يربّى اليوم في قرى الشام الّا في الزبداني وقدسيّا ومضايا وسرغا وبتين . وتباع فياجلها (شرانقها) في كراخين لبنان (الاقة من ١٦ ق الى ٢٠)

وفي الجيل الماضي لمّا كانت الدودة البلديّة في عزّها كانت الزبداني تحلّ وتبيع لدمشق نحو ٣٠,٠٠٠ اقة حرير . وكان درهم البزر يغلّ ست اقق شرانق . وكانت الاقة تعطي ٤٥ درهماً حريراً . اما اليوم فالدودة الاجنبيّة لا تعطي الّا ٥٠٠٠ اقة ودرهم البزر لا يعطي الّا اقة فثلاث . واقة الشرانق لا تعطي الّا ٢٠ درهماً وان اقبلت المواسم لا تتجاوز ٤٠ درهماً

وينادي الباعة على التوت :

« يا شامي على الله الشفا — شامي يا عوافيه — حلواني يا توت — بارد وحار يا توت — اصل الحلاوة يا توت — مابأس يا توت — بلح يا توت — نازل عليك الندى يا توت »

ويضرب المثل في سرعة التوت فيقال : « لا تكن كشجرة اللوز بل كشجرة التوت » لان اللوز يزهر في نصف شباط ولا يطعم الّا في حزيران اما التوت البرّي فيخرج ورقهُ في العشر الاوّل من نيسان وبعد ١٣ يوماً يأكل الدود ورقه والناس تأكل

ثمره بعد خروج ورقه بشهر . ولا يخفى ان توت القزّ نوعان : (البري) ويأكلهُ الدود مدّة عشرين يوماً الى الفطرة الثالثة . (والجوّي) ويأكله الدود من ٢٥ يوماً الى ٣٠ . وثمره يؤكل بعد ظهور الورق بخمسة واربعين يوماً . (ويباع رطل الورق من ٢ ب الى قرش)

٤ في التين

ان الفلّاح يحبّ غرس التين لانهُ ييبس ثمرهُ كالعنب والمشمش . والتين يصحّ في ارض دون انما يجب الاعتناء بهِ في اوّلهِ ثم تكش ارضه كل سنة ويعيش نحو ١٢٠٠ سنة

ويضرّ بهِ البرد القارس وبهِ يصحُّ المثل : « البرد في الشام يفعل بالشجر وفي حلب بالحجر وفي بر مصر بالبشر » ونحو كل عشرين سنة تحدث عاصفة (زمبتة) قوية تميت التينة حتى اصلها فيقطعها الفلّاح الى التراب فتفرخ اغصاناً جديدة يبقى بعضها

التين لا يزهر وينبت ورقه في آذار او في نيسان ويظهر الثمر مع نمو الغصن مدة شهرين ويؤكل في آب . والديقور هو الباكورة وهو قليل . ومن اراد ان يسرع الثمر في النضج دهنه بالزيت

والتين مغذٍ كالخبز والفلّاح بعد اكلة الصبح يأخذ منهُ اوقيتين او ثلاث اواق يأكلها في النهار ويصبر الى العشاء . وماء التين المغلي مفيد للسعال

وورق التوت علف للبهائم وعوده يحرّك بهِ الدبس السخن ليجود فيصير كالطحين الناعم ولا يجرغل كالرمل . ومن ليس عندهُ رَوْبة لبن يحرك الحليب بعود اخضر حديث القطع فيختثر . وللتين ٥ اشكال وهي :

١ (الملكي) وهو املاها وابيض وكبير . وافضل اشكاله البعل لعدم سقيه فاذا سقي يدوّد (ورطله من ٢٤ ق الى ٣)

٢ (الشتوي الهاماني) وهو احمر وابيض ويدوّد كالسابق (ورطل البلدي ٤ ق والهاماني ٦ الى ٧)

٣ الحامض الجمّالي) وهو لا يؤكل الّا مطبوخاً (رطله ٢٠ ب)

٤ (الحامض السوري) وهو احمر وابيض يروق المنظر ويكون كثير الحموضة (رطله ١ ق)

٥ (البتيلي) وهو صغير ودون يأكلهُ الصغار . وبتيلا قرية شامية (لهُ بقيّة)

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

الخيانة والغدر

عيس العلويّ في منازل البرامكة . باب على حدة . مائدة عليها شمعة مشعلة

المشهد الأول

ياسر (١

ياسر قد آن الوقت الذي عاهدتُ الفضل عليهِ وقرُب منتصفُ الليل ولم يأتِ بعد . وانا ادور في انحاء القصر مترصّدًا قدومهُ ساهرًا سهر البخيل على دنانيره عساني افوز بما وعدني بهِ الرشيدُ يوم اهداني الى جعفر إن اتيتُهُ بدخلة اخبارهم ومصادر اسرارهم . يحسبوني صادق النيّة صافي الطويّة وانا أعلاهم بحار الكلام في طيّهِ سمٌّ قاتل (سكوت) .

على اني اذكرُ الايام التي مضت ايام كنتُ في هرقلة اعيشُ بالدلال والتقى في بيت الطريق ابي سرجيس . فاحاطت بنا جنود الرشيد واذ لم يتمكّنوا من المدينة قهرًا ارادوها غيلةً فكنت انا الخائن القيتُ اليهم بمفاتيح المدينة سرًّا واتيتُ الى معسكرهم فجحدت ديني وكفرتُ بمعتقدي فكان جزائي الاسر حتى اصبحتُ بعد العزّ والكرامة ذليلًا اقضي العمرَ بالمجون والعهارة والفجور ولا اصل اليها الّا بالمكر والخديعة (٢ . فهذا جعفر لم ارَ منهُ الّا كل

١) اجمع المؤرّخون على انّ الرشيد اهدى هذا العبد الخائن الى جعفر ليطلعهُ على اسرار البرامكة ٢) امثال هذا العبد كثيرة في التاريخ . امّا فتح هرقلة فتجد وصفهُ في المسعودي (٦ : ٢٤١) وابن الاثير (٦ : ٧٠) وغيرها

مليحة : لبابُ كرم . وعتقُ منظر . وجودةُ مخبر . وتراهةُ نفس . وكمالُ خصال . وانا اسعى عليهِ فاجعل مفاخرهُ مقاذر ومكارمهُ مثالب . فبئس الخيانةُ وبئس تابعوها (١

كم من مرّة تقززتْ نفسي من الدنس ونبض الدم في مفاصلي نفرةً عن الخساسة واستكرهت روحي دناءتي فعزمت على ان اقوم كالابن الشاطر واذهب الى بلادي فارمي بنفسي على اقدام البطريق واسالهُ الصفح عمّا كان.

(سكوت)

أيعفو عني ؟ عظمُ الجرم قد سدَّ بوجهي ابواب الرحمة. لات حينَ ندامةٍ . لا رجاء لمن كفر بقومهِ واهلهِ ودينهِ وربهِ. قد مضى ما مضى وليس الى العَود على الاعقاب سبيل. فلم يبقَ لي الان الّا اتباع خطّتي. وما الدنيا الّا غنيمة يتسابق اليها الناس والجواد من فاز بها بايّ اسلوب كان. هذا مناي ... اني اسمع همساً. هلمَّ تفتح الباب السرّي لعلَّ الفضل بانتظارنا (يخرج)

المشهد الثاني

يدخل يحيى البرمكي وجعفر وجيفر

جيفر — نعم ابتِ. لبثتُ في قصر الخُلد مع اخويَّ والخليفة الصغير وجبريل طبيبك فرحين لنجاة ضيفنا الشيخ الكريم. هذا سبب تأخري عن العودة

يحيى — يا للعجب !

جعفر — انتَ سمعتَ إصدار العفو عن الشيخ

جيفر — اجلْ سيدي. لمّا طلب المأمون خلاصهُ اجاب الرشيد بطيبة خاطر ووكل الى الفضل بن الربيع ان يُطلق سبيلهُ غدًا

يحيى — ولِمَ لم يُعلمنا الخليفةُ بذلك ؟ لكنهُ اعلم الفضل عدوَّ العلوي وعدوَّنا

جعفر — ان الرشيد متقلّب الاراء يعفو ويغضب في ساعة واحدة لكني لأعجبُ من حلمهِ الآن وقد تركتهُ يتلظّى غيظاً والفضل يُغريهِ على الفتك بالعلوي

(١) ابن عبد ربه (٣:٢٦)

يحيى سبحانَ مَن بيدهِ قلوب الملوك يديرها كيفما شاء. انهُ القدير الرحيم بالعباد

جعفر انا ذاهب لاعلمهُ أن العفوَ صدر فيهِ

جعفر ما الذي بيدك ؟

جعفر تفّاحة في غير اوانها. اعطانيها جبريل هديّة لك. كدتُ انساها. انظر ابتِ فيها رقعة

جعفر هاتِ

جعفر وانا مسرع الى مخدع الشيخ (يخرج)

المشهد الثالث

يحيى البرمكي . جعفر

جعفر (يأخذ الرقعة ويقرأ):

« يُعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغُ عنك كما يروغ الثعلبُ »

وما معنى ذلك ؟

يحيى اراد جبريل ان يحذّرنا من مكيدة

جعفر هو هذا لكن ما يكون الامر ؟

يحيى يريد الرشيد قتل العلويّ

جعفر وقد عفا عنهُ !

يحيى هي خديعة ليتمكّن من العلوي ونحن في أمن لما اضمر من الشرّ جاهلون

جعفر اوَ تظنُّ انَّ الرشيد مع ما يظهرهُ من التورّع والعبادة يقدم على نكث العهود وسفك الدماء ؟ او هل يُلقي في طيّ النسيان ما كتبهُ بيدهِ من صكوك الامان ليحيى بن عبدالله. فلا حبّذا الذين بالعهود يكفرون

يحيى دع عنك هذه الاوهام فان الرشيد سريع الغضب ثائر المخيلة يجمع بين التقوى والقساوة. [فكم من مرّة لم يكد ينجز ركعاتهِ في الصلاة الّا وامر بالسيف والنطع فهدر الارواح وتطع الاعضاء تحت السياط والعمد تقطيعاً وهو ينظر الى الدماء تتدفّق واللحمان تتناثر حواليهِ وانا ادعوهُ

الى الشفقة بلا جدوى (١] . والان فهذا شيطانهُ الفضل بن الربيع وهو شرس الخلق وحشيُّ الطباع وقد تملَّك على افكارهِ وارائهِ يُسهّل لهُ سُبُلَ الجور. فلا عجب من كيدهِ وظلمهِ . . امَّا نحن فعلينا ان نتلافى مـا هو أولى بالتلافي فنطلق سبيل العلوي عاجلًا

جعفر لكنك لا تجهل سيدي ما في اطلاقهِ من الجرأة والتعرُّض للمهالك فسوف يتَّخذ الواشون حفظنا للعهد وسيطة لتأجيج نار البغضاء في وجهنا (٢

يحيى قد وقعت الاقضية اللازمة والحقوق الواجبة فيجب ان لا يكون لنا هوادة ولا اغضاء ولا جبن اثرةً للحق وقياماً بالعـدل وبرًّا في اليمين. هو الدين يقضي بانجاز العهود ولو عرَّضنا بارواحنا وبولدنا للهلاك

جعفر صدقتَ يا ابتِ. الدين الدين يوجب علينا هذا. فلنعرّفنَّ العلوي بابنهِ موسى

يحيى انظر : على جانب الرقعة كتابة. (يقرأ) « سيقتلهُ عند منتصف الليل »

جعفر ايكون هذا ؟ (اضطراب)

يحيى يا لهُ من هذا الاثم الفظيع

جعفر قد اقترب من الليل نصفهُ . ما العمل ؟

يحيى فلنسرع باطلاقهِ قبل ان يحدث حدث. هاتِ رسالتك الى الفضل بخراسان

جعفر فُقدت فلم اجدها

يحيى ان في منازلنا قومًا غششة يخدعوننـا. لا بُدَّ من الاسراع . ادعُ العلوي وجعفرًا

جعفر ها هما آتيان

---

١) اطلب في الاغـاني والطبري والفخري والمسعودي الخ حوادث كثيرة تثبت ما ذكر. وهاك مثلًا واحدًا ننقلهُ عن الطبري (٣: ٣٣٤) « اخبر ابن جامع المَرْوَزي عن ابيهِ قال : كنتُ في من جاء الى الرشيد باخي رافع فدخل عليهِ . . فسمعت الرشيد يقول : إنَّا لله وانا اليهِ راجعون . . . ثم دعا بقصَّاب فقال : لا تشحذ سكّاك اتركها على حالها وفصّل هذا الفاسق ابن الفاسق وعجّل ولا يحضرني اجلي وعضوان في جسمهِ . فقصّله حتى جعله اشلاء . فقال : عُدَّ اعضاءهُ . فعددتُ لهُ اعضاءه فاذا هي اربعة عشر عضوًا . فرفع الرشيد يديهِ الى السماء فقال : اللهمَّ كما مكنتني من ثارك وعدوّك فبلغت فيهِ رضاك فمكّني من اخيهِ . ثم أغمي عليهِ وتفرّق من حضر »

٢) اطلب الفخري (٢٨٨) وابن بدرون (٢٤٦) والطبري (٣: ٦٦٤) وسائر المؤرخين

المشهد الرابع

يحيى البرمكي . العلوي . جعيفر . جعفر

جعيفر نعم سيدي الشيخ غداً تعود الى الحرية فقد سمعتُ الرشيد يأمر بفكّ قيودك

العلوي سقياً لك من بشير . كنتُ ليها الاسياد بين نائم وساهر تتلاعب بي الهواجس والاوهام تارةً تريني خيالاتٍ لا يزال رسمُها مطبوعاً في فؤادي كأني مطلق الحريّة اسيرُ حيثُ شئت . وقد اتيتُ ابني موسى بعد السنين الطوال فعانقتهُ وقبّلت وجنتيه . وطوراً يتخيّل لي أنّ ذئاباً ضارية احاطت بنا فاختطفته من بين ذراعيّ وجعلتْ تنتاشه على حين لا استطيع ان اضمد كلومه الدامية وانجيه من بين مخالبهم

يحيى صدق منامك في فاتحته وقاك الله من الخاتمة

العلوي قد أشكل عليّ كلامك

يحيى إنّ الرشيد قد أظهر في كلامه البرّ واضمر الضرّ . فما وَعْدهُ بخلاصك إلّا خديعة تمكّنهُ منك فريسةً هيّنةً . فهو عازم على قتالك الساعة قبل ان يُسفر الصبح

جعيفر يا ويله !

العلوي لا حول ولا قوّة الّا بالله ! . اتقِ الله يا ابن خالد في امري ولا تتعرّض الى دمي فتخفر ذمتك

يحيى طب قلباً . . . .

العلوي إن الحسدة بغوا علي ورموني بما ليس فيّ وتقوّلوا عليّ الاقاويل كذباً وانا وتربةِ اجدادي ما أحدثتُ حدثاً ولا آويتُ محدثاً (١

---

١) قال ابن الاثير (٦ : ٦٢) . ان الرشيد دفع يحيى بن عبد الله . . الى جعفر فحبسهُ ثم دعا به ليلةً وسالهُ عن بعض امره فقال لهُ : إتّقِ الله في امري . . . فوالله ما احدثتُ حدثاً ولا آويت محدثاً . فرقّ لهُ وقال اذهب حيث شئتَ من بلاد الله . قال : كيف اذهب ولا آمنُ ان أُوخذ . فوجّه معهُ من اداه مأمنه . وبلغ الخبرُ الفضلَ بن الربيع من عينٍ كانت لهُ من خواصّ جعفر فرفعهُ الى الرشيد

جعفر لا يزال الرشيد يسعى في هلاك آل علي

العلوي او لم يكتفِ الرشيد بما فعل وبمن ذبح منّا والحق حقنا [فان «ابانا عليًا كان الامام وهو اوّل المسلمين اسلاماً ومن ولده الحسن والحسين سيّدا شباب اهل الجنة . فاين حظّكم من الخلافة يا بني هاشم ؟ وكيف ورثتم ولاية علي واولاده احياء» ؟ (١)]

يحيى اخفض من كلامك فاني اخاف المنافقين والخوّان

العلوي لا — أوَ انكر الرشيدُ صكّ الامان هذا الذي كتبهُ لي بيدهِ فأشهدَ عليهِ جلّة بني هاشم وشهدتم عليهِ انتم فارسلهُ مع هدايا فاجبتُ الى الصلح وتركتُ الالوف من احزابي شحًّا بدماء العباد وزهدًا بالدنيا . فألقاني في مطمورة لولاكم لمتُّ فيها من العذاب وهو الآن يريد قتلي (٢

امّا والله لكأني باخي النفس الزكيّة وابراهيم قتيل باخمرى يقولان للعباسي وقد ضيّق عليهما : لن ينقضي عنا يومٌ من البلاء الّا انقضى عنك معهُ يومٌ من الرخاء حتى نقضي جميعًا الى يوم ليس لهُ انقضاء يخسر فيهِ الظالمون (٣

جعفر ان الوشاة يزعمون انّك تطلبُ البيعة لنفسك

العلوي لا ومَن بسط الارض ورفع السماء لم يَدُر هذا في خَلَدي ولو أني اردت الخلافة لمَا اجبتُ الى الصلح يومَ عظمتْ شوكتي في الديلم وخراسان ومصر والشام واجتمع اليَّ المرشّحون من الامصار . فقد كبرتُ وجرّبت الرجال وسبرتُ الدنيا فزهدتُ وطلبت الانقطاع الى العبادة . وبرهانًا لقولي هاك صكّ مبايعتي للرشيد ولابنهِ المأمون كتبتُهُ بيدي

يحيى (يأخذ الصكّ) سكّن الروع فلا يصل اليك الرشيد بضرّ والبرامكة احياء . فان شهامتنا ودينا يقضيان علينا بخلاصك ولو كان الهلاك جزاءنا . فاذهب حالًا قبل وقوع الفاتلة

العلوي انكم لكرام اشراف

---

(١) الاربلي (٥١ و ٨٠) بالحرف الواحد

(٢) ابن الاثير (٦ : ٤٤) والاغاني (١٧ : ٤٣) والطبري (٣ : ٦١٢) والمسعودي (٦ : ٣٠٠)

(٣) المسعودي (٦ : ١٩٤—٢٠٥) والفخري (٢٩ و ٢٦٥) وابن الاثير (٦ : ٥٩)

يحيى وقد حان الوقت لأعلمك بسرٍ طالما طويتُهُ في صدري. اتذكرُ ابنك موسى يوم اختُطِف من بين يديك طفلًا رضيعًا (١

العلوي كيف لا وذكرهُ لا يزال يُثير اشجاني ويسكب عبراتي ؟

يحيى (لجعفر) يا موسى بن يحيى قبّل يد ابيك

العلوي جعفر ابني ! !

جعفر انت ابتِ (يتعانقان)

العلوي انت جعفر ابني وقرّة عيني موسى ؟ تعال يا ولدي ومهجة فؤادي اضمّك الى صدري فان قلبي لبعادك قد بردت حركتُهُ وكادت تزول الروح من جسدي

جعفر يا ابتاه !

يحيى ها العقد الذي كان في عنقه ساعة اراد الجنود ذبحه

العلوي هو هو. هذه الاعين النُجل والجبين الوضّاح سيماء ولد عليّ

جعفر قد طالما حنّت اليك عظامي ودمي وقلبي فجمعت لك الزهور وبلت الى رؤياك وتُقت الى محادثتك! كم بكيتُ لمّا عرفت أني يتيم ولم ادرِ انك انت ابي (يقبّل يده)

جعفر سبحان من أتا كما بالفرج بعد اليأس

العلويّ فله الشكر والحمد فانهُ ردَّ عليَّ ولديَّ ابراهيم عبد الله وموسى جعفر

جعفر اذن عبدالله اخي !

العلوي هو اخوك ابراهيم

جعفر (بفرح) احمدك الله على ما اوليت من النعم

العلوي وبعد الله فلكم يا معشر البرامكة الكرام أشكر وعلى ايديكم البيضاء أثني. ولا قِبَلَ لي بالقيام بحق نعمكم وحرمة آلائكم. فلم أرَ ولم اسمع بجود ومروءة وورع ودين كما رأيت في منازلكم. فلو فاخرت الدنيا بالمأثور من خصائص نفوسكم فعال من سواكم من لدن آدم الى ان ينفخ في الصور ويبعث اهل القبور لمّا باهت الّا بكم ولا عزّت في الفخر الّا عليكم.

١) ذكر هذا ابن الاثير (٥: ٢١٢) في خبر محمد بن عبد الله العلوي

فاني اسير معروفكم ورهين كرمكم . اقسم بكل ما هو عزيز وشريف اني سأنشر محاسنكم وابثُّ عرف مناقبكم ما دامت الروح في جسدي (١

جعفر لا ادري ما اقول . فاني فرحٌ للقيان ابي لكن دعني ان ادعوك باعزّ الاسماء انت ايها الجدّ الكريم وانت ابت الحبيب (يقبّل يد يحيى وجعفر) قد رَبيت في حجركما كابن من ابنائكما فكنتُ موضع حبكما وحبهم . والآن كيف انهض بواجب منتكم وانا طفل صغير ؟ فليس لي الّا الدعاء الى الله ان يحفظكما وذويكما بنعمته ويقيكما ويقيهم كيد الاعداء . انهُ اللطيف بالعباد

يحيى وقانا الله واياكما كيد الظالمين

جعفر ان الوقت حرج وفي ضياع دقيقةٍ واحدةٍ لخطرًا فاذهبا مسرعين على طريق خراسان وانا لاحق بكما ان شاء الله

العلوي كيف ارحل وادع اولياء نعمتي في خطر من اجلي

يحيى استحلفتك بالله يا ابن عبدالله ان تسرع بالسفر الساعة سالًا قبل ان تُبثّ العيون في طلبك فلا باس علينا انما الخوف كل الخوف عليك

جعفر خذ خاتمي يعرفهُ اخي الفضل فيكرمكما (٢

يحيى ان الليلة باردة خذ ردائي (للعلوي)

جعفر (لجعفر) إلتحف بهذا

يحيى واذهبا شاءكما السلام

العلوي بماذا اكافئكم ؟ ان الله وحده وليُّ ثوابكم

جعفر سألت الله ان اموت حبًا بكم يا آل برمك

يحيى أسرعا رافقتكما السلامة في الحلّ والترحال (يخرجان)

---

١) نخبةٌ ممّا ذكر المؤرخون كابن عبد ربّه والمسعودي والفخري في مدح البرامكة

٢) كان الفضل واليًا على خراسان . اطلب الطبري (٦٣١)

المشهد الخامس

جعفر . يحيى

يحيى قد تمّ الامر

جعفر (على حدة ينظر الى الخارج باضطراب منذ برهة) اني اسمع حركةً

يحيى صوت الفضل بن الربيع

جعفر كيف يندسُّ في منازلنا سرًّا كاللص ؟

يحيى فانختف عسانا نطّلع طلع مراده (يُطفئ الشمعة)

جعفر سادعو الينا بعض الخدم (يخرج من آخر المرسح)

يحيى أعنّا يا رب وقدّر بحكمتك ما شئت فاني لاوامرك مطيع (يختفي في غرفة العلوي)

المشهد السادس

الفضل . ياسر

ياسر هذا المكان . فكن لِمَ تريد الدخول ليلًا على العلويّ ؟

الفضل دَعْ ما لا يعنيك واكتفِ بما امرتك

ياسر سمعًا وطاعةً

الفضل كأني رأيتُ نورًا ساعة دخولي وسمعت صوتًا

ياسر ان الجميع عهدتُهم في سنة النوم

الفضل كأني بعلي بن ابي طالب يردُّني مجرّدًا في وجهي سيفًا ذا حدّين (باضطراب) ويتوعدني بالانتقام ان سفكت دمًا زكيًّا

ياسر (على حدة) او يريد قتل العلوي اوانا الشريكُ لهُ في الجريمة !

الفضل ألا ترى احدًا ؟

ياسر لا

الفضل اين مخدعُ العلويّ ؟

ياسر هنا

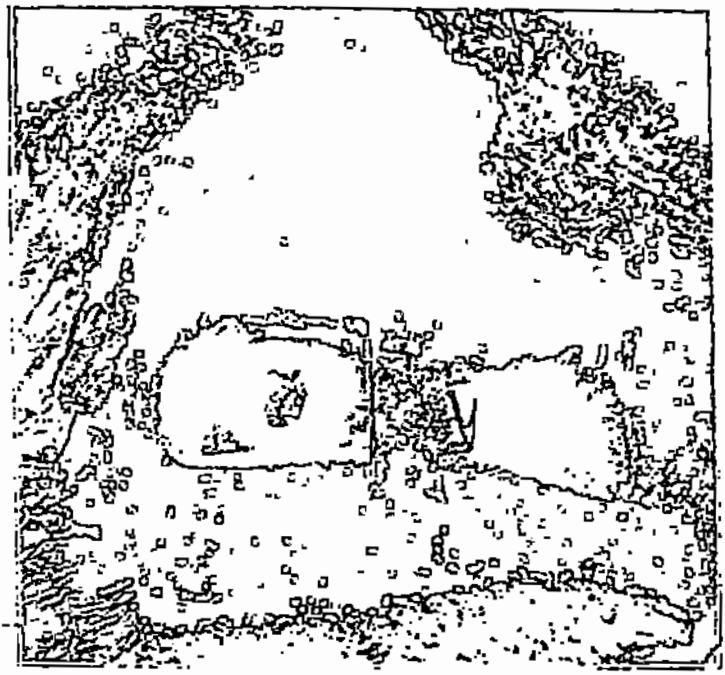

مقابرة سنّ الفيل المتّخذة قديمًا كدفن للموتى

الفضل لاقتلنك بسيف جدّك علي (ضجّة)

يحيى (يخرج) عُدْ ايها النذل الخوّان (يدخل جعفر وبعض الخدم)

الفضل قد اخطأتْ يناي فنجا العلويّ

يحيى اترعوا عنهُ سيفهُ

جعفر لا بُدَّ من قتل هذين الخائنين

يحيى كلاَّ. اغمدوا سيوفكم

جعفر دعنا نقتلهما

يحيى امرتكم بحق الابوّة

جعفر من اراد القتل فهو قاتل وما جزاء القاتل الّا الموت

يحيى امرتكم بحق سيادتي. ألستُ السيّد في منزلي

جعفر لا موضع للحلم بمن يغدر بالنيام

يحيى ان العجلة عاقبتها وخيمة (ينظر الى سيف الفضل الملقى على الارض ويقلّبهُ)

جعفر ذو الفقار سيف الرشيد (١

يحيى هو هو

جعفر بئس المكر وقبحاً لذويه

يحيى قد ظهرت اعمالكَ يا ابن الربيع وانهتك الحجاب عن دناءة اصلك (٢ وانحطاط قدرك وخساسة طبعك فلا حاجة لتدنيس سيف برمكي بدم لئيم غدّار او عبد خائن (يشير الى ياسر). حلّوا رباطهما. اذهبا واعلما مَن ارسلكما ما سمعتما ورأيتما

الفضل لَسفكُ دمي اهونُ عليَّ من عفوكم. والله سانتقم شرّ انتقام واتبع العلوي على طريق خراسان فاشفي غليلي من دمه وأرتع بكم كبيرًا وصغيرًا

---

١) ابن الاثير (٥: ٢٢١) والمشرق (٣: ٥٧٩)

٢) كان الربيع ابو الفضل لقيطاً والفضل هذا مرميًّا بالفواحش. اطلب الفخري (٢٢٩–٢٤٠) وسائر المؤرخين

ياسر وانا سأطلع الرشيد طلع اسراركم وأبلغهُ يا جعفر امر الحسن والحسين (١ ومروقك عن الدين

جعفر يا لله (يخرج الفضل وياسر)

يحيى اذهبا الى لعنة الله. وانتم عودوا الى أمرتكم (يخرج الخدم)

المشهد السابع

يحيى. العلوي. جعيفر (جعفر على حدة مضطرب)

جعيفر ما هذه الجلبة ؟

العلوي اصحيح أنَّ لصًّا اراد بكم شرًّا ؟

يحيى نذل لئيم الفضل بن الربيع ارسلهُ الرشيد ليقتلك بسيف جدّك

العلوي ذو الفقار (يقبّلهُ) اعدّه عليٌّ للكفرة وابن هاشم يجرّده على العلويين

يحيى ستلحق بك الجنود على طريق خراسان فالبث في بغداد متنكرًا

العلوي لا يجمل بي ان ادعكم هدفًا لسهام الرشيد والجو. فها اني سائر اليه فريسة باردة يكون فيها خلاصكم

يحيى كلّا لا نرضى بذلك. على الحرّ انجاز ما وعد. فقد أمّنتُك يوم دعوتك من الديلم فلا اخفر الان ذمتي

جعيفر انا اموت عوضًا عن الجميع

يحيى سألتك بالله ألّا تتأخر عن الذهاب فان بقاءك لا ينجينا وفيه هلاكك. ونحن فعلى الله توكّلنا

العلوي ساقضي ما امرت. اللهم لا تدع الحق يغلبه الباطل (يخرج العلوي وجعيفر)

المشهد الثامن

يحيى . جعفر

جعفر (باضطراب) اسمعتَ ما توعّدني به ياسر ؟

(١ يُلمح الى قصة العبّاسة اخت الرشيد مع جعفر وولدَيها الحسن والحسين والى ما نُسب الى جعفر من الزندقة

يحيى قد جرى ما جرى وليس رجاؤنا الّا بالله . ان نفسي تحدّثني بزوال قريب (١

جعفر وانا كذلك فقد ركبت امس الى كنيسة فوجدت على احدى جدرانها حجرًا عليه كتابة لا تُفهم فأحضرت تراجمة الخط فاذا فيها ابيات تشاءمتُ منها

يحيى الم أوصِكَ الّا تسير الى الكنائس جهارًا فيرمينا الناس بالزندقة (٢

١) ذكر المؤرخون أنّ يحيى البرمكي رأى في نومه رؤيا تنبئهُ بقرب زوال نعمتهِ . اطلب ابن عبد ربّه (٣ : ٢٦)

٢) حكى ابن بدرون (٢٢٤) وابن خلكان (١ : ١٢٦) والميلاوي (٩٥) أنهُ لمّا فهم جعفر التغيّر من الرشيد ووصل الحيرة ركب الى كنيسة بها لبعض الامر فوجد فيها حجرًا عليهِ كتابة لا تُفهم فاحضر تراجمة الخطّ وقال في نفسهِ : قد جعلتُ ما فيهِ فألاً لما اخافه من الرشيد وارجوه . فقُرئ فاذا فيهِ :

ان بني المنذر عامَ أنقضوا بحيث شاد اليمنَ الراهبُ
اضحوا ولا يرجوهُ راغبٌ يومًا ولا يرهبُهم راهبُ
واصبحوا أكلًا لدود الثرى وانقطع المطلوب والطالبُ

فحزن جعفر وقال : ذهب والله امرُنا

ونقل ابن قتيبة في عيون الاخبار (٧١) شعر بن للاصمعي في البرامكة وهما :

اذا ذُكر الشرك في مجلس انارت وجوه بني برمكِ
وان تُليت عندهم آيةٌ اتوا بالاحاديث من مزدكِ

ولعلّ الصواب من مزدك والمزدكية شيعة معروفة . ونقل بيتين لشاعر آخر :

ان الفراغ دعاني الى ابتناء المساجدْ
وان رأيي فيها كرأي يحيى بن خالدْ

وقد جعل كثير من المورخين سبب نكبة البرامكة او احد اسبابها ما عُزي اليهم من الزندقة والالحاد . كرر الشكوى الطبري (٣ : ٦٦١) ناقلًا كلام محمد بن الليث في جعفر البرمكي حيث سمّاهُ : « حاسد يكيد الاسلام واهلَهُ ويحب الالحاد واهلَهُ » اطلب خلا ما ذكرنا سالفًا الشبراوي في كتاب الاتحاف (٢٤٩ و٢٥٢) حيث ذكر علاقات ابي قابوس النصراني مع البرامكة . والاربلي (١٠٦-١٠٧)

— وزد على ذلك ان الرشيد تغيّر على النصارى بعد فتكه بالبرامكة فقتل الدمشقي المتنصّر ابا الروح وهو المعروف بالقديس انطونيوس الهاشمي ذكره ابن العبري في تاريخهِ المدني (طبعة بيجان ص ١٢٢) والبيروتي (٢٩٢) اطلب المشرق (٥ : ٨) وتجد خبرهُ في احدى المخطوطات القديمة المحفوظة في مكتبتنا الشرقية

اخبر الطبري في تاريخ سنة ١٩٥هـ (٧١٢ م) « ان الرشيد امر بهدم الكنائس بالثغور وكتب الى السندي بن هاشك يأمره بأخذ اهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئةَ المسلمين في

جعفر كنت اظنُّ ما رأيتهُ من كيد الرشيد سحاباً يمرّ وشيكاً وسكرةً يُفيق من سورتها

يحيى فقد كذّب العيان ظنّك . [امّا انا فقد حنّكتني الايام فرأيت الخلفاء العباسيين يتتابعون سائرين على الغدر والجور لا يذكرون احسان محسن ولا صدق خادم . دولتهم ذات خداع ودهاء . ولولانا لاضطرب حبلهم وذهبت دولتهم . امّا اليوم فقد داخل الرشيد حسد بني هاشم وبغيهم فسوف يكفر بنعمنا ويفتك بنا] (١

جعفر ان كان الامر كذلك فجزاء سيئةٍ سيئة مثلها . الظلم بالظلم والبادئ اظلم

يحيى سكّن الجاش فاليوم يوم الروية

جعفر ما قامت دولة بني العبّاس الّا بنا اما كفى الرشيد أنّا تركناهُ لا يهتمّ بشيءٍ من امر نفسهِ وولده وحاشيتهِ ورعيتهِ وملأنا خزائنهُ اموالًا

يحيى كم نهيتك عن منادمتهِ فلم ترتدع فكانت دائتك عليهِ اصل كل شر (٢

جعفر اليس هو الذي اجبرني على الامر ؟

يحيى وقد باريتهُ بالكرم

جعفر هو مالنا حلالًا جمعناهُ وكرمًا فرّقناهُ

يحيى ان الملوك لا تحتمل المباراة

جعفر اني لا أبالي فان البرامكة امراء البلاد لهم تُطيع الجنود والقوّاد

يحيى خفّض من كلامك

لباسهم وركوبهم » . وقال المسعودي (٦ : ٣٦٣) في سبب نكبة البرامكة : « امّا الظاهر فاحتجان الاموال واتهم اطلقوا رجلًا من ابي طالب كان في ايديهم وامّا الباطن فلا يُعلم وقد ذُكرت اشياء والله اعلم بها » فهل هذا الباطن والسرّ الذي لا يُعرف هو ميلهم للدين النصراني ؟ والله اعلم

١) منقول بحرفهِ عن المسعودي (كتاب التنبيه ٣٤٦) والفخري (٢٠١-٢٠٢) والطبري وغيرهم

٢) اخبر الجهشياري (٢٠) قال : كان يحيى ينهى ابنهُ عن منادمة الرشيد ويقول لهُ : إن مَن خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم . حتى انهُ قال للرشيد : يا امير المؤمنين انا اكره مداخلة جعفر لك ولست آمنُ أن ترجعَ العاقبةُ عليَّ منك . اطلب ايضاً الطبري (٦٧٦)

جعفر اني غدًا سائر اليه فان جاهرني بالعداوة جاهرتهُ بها

يحيى لا تجاهر واذهب مسرعًا فأعدّ لنا ملجأً في خراسان نختبي بهِ فان نجونا اليوم لا نجو غدًا. فقد دبَّت عقارب السعاية من كل جانب واختاق علينا النمّامون كل سوء وشرّ وتغيَّر الرشيد علينا فلا رجاء لنا

جعفر سافعل. أما والله لكأني بالوعيد قد اورى زنادًا يسطع . فهلّا سهلًا بني العباس فبي والله سَهُل لكم الوعر وصفا لكم الكدر والقت اليكم الامور ازمّتها فلا يكن الكفر بالنعم جزاء الاحسان (يخرج)

المشهد التاسع

يحيى

اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني نعمك عندي فاسلبني — اللهمّ ان كان رضاك ان تسلبني مالي واهلي وولدي فاسلبني الّا جعفرًا (سكوت). اللهم ان ذنوبي جمّة لا يحصيها غيرك . اللهمّ ان كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي في الدنيا وان احاطت بسعي وبصري حتى ابلغ رضاك ولا تجعل عقوبتي في الآخرة (١ (تمّ الفصل الثالث)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عمرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الرفيق او الدرجة الثانية من الدرجات السفلى

بلغني بعد اشهر انَّ الطالب الذي حضرتُ دخولهُ في الماسونيَّة برع في «كاره» فطلب من رؤساء المحفل ان «تُزاد أُجرتهُ (٢» فيُرقّى الى درجة فوق درجتهِ وهو يتلهَّب شوقًا

---

١) ابن الاثير (٦ : ٦٣) والفخري (٢٨٩) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٦) والطبري (٦٧٤)

٢) هذه صورة رسالة رسميَّة كتبها من عاليه في ٣ ك ١ سنة ١٩٠٩ طالب ماسوني (نمكت من اسمهِ) يلتمس فيها ان يرتقي الى درجة رفيق:

حضرة رئيس واعضاء محفل السلام الموقَّر

غب المصافحة الاخويَّة (الماسونيَّة) ابدي بما انَّهُ قد مضت عليَّ المدَّة القانونيَّة وانا بدرجة

ليعلم شيئاً من الاسرار التي وُعد بكشفها له اذ تحقّق انّ المصافحة الماسونيّة ومعرفة الانوار الثلثة الكبيرة (اي كتاب الرسوم الماسونيّة ثم الزاوية والبيكار) والانوار الصغيرة (اي الشمس والقمر والرئيس المحترم) مع الوقوف على اسماء جاكين وطوبلقاين وبعوز والصفّقات والرفّصات وبقيّة السفاسف الماسونيّة ما كانت لتشفي حرقتهُ وتنقع غلّتهُ. وكان امتعض بالخصوص لدى فكرهِ انّ النور الذي لاح لأعينهِ في شركة الماسون لم يخرجهُ بعد الى سنّ الرشاد اذ عمر الطالب لا يتجاوز الثلاث سنوات. فيا لله اهذه هي المواعيد التي خدعهُ بها الاخرة! ولكن كيف يرجع القهقرى بعد الأيمان المحرّجة التي ربط بها نفسهُ امام فئة الماسون؟ فحدا بهِ خجلهُ من حالتهِ الى ان يطلب التقدُّم في الماسونيّة لعلّهُ يرى في الدرجة الثانية ما لم يَفُز بهِ في الاولى. فوعدوهُ بتقدير شغلهِ «وزيادة اجرتهِ» (بالمقلوب)

فلمّا تعيَّن يوم ترقية الطالب الى درجة الرفقة طلبتُ الى اخي «الجاسوس الجزويتي» بان يتمنى بهذا اللقب الثاني فاروّح بالي عن اشغالي المتراكمة بحضور تلك الحفلة الهزليّة. فأجاب الى ملتمسي واعلمني بالكلمة السرّيّة التي يجب الاعلان بها قبل ان يفتح لي الحاجب باب المحفل. فكانت هذه المرّة «شبُولت» اي سُنبلة اشارةً الى ما ورد في سفر القضاة (١٢: ٦) فاتقنتُ لفظها لئلّا يصيبني ما اصاب الافرانميين لمّا قتلوا لو لفظهم لهذه الكلمة فكانوا يقولون «سبُولت» فلا يحسنون تهجية الشين

وفي عشيّ احد أيام آذار اذ كان الليل دامساً والمطر متهاطلاً — والماسون يغتنمون تلك الليالي لاجتماعاتهم خوفاً من العيون الراصدة — سرتُ واخي الجاسوس الى «محفل لبنان» حيث كان يترأس الاخ ∴ ن.ج. وينوب عنهُ الاخ ∴ ر.ش. ولم يكن وقتئذٍ الاخ شاهين مكاريوس الأكاتم اسرار وهو الذي صار بعدئذٍ احد احبار الماسونية المعظّمين وقد سبق انّ مجموع القابهِ الشرفيّة ينيف على خمسة عشر سطراً. وكان احد مديري المقتطف الاخ ∴ ف.ن. خطيب المحفل وكانت سوق للماسونيّة وقتئذٍ رائجة واسعارها غالية يدفعون للدخول فيها ١٢ ليرةً. امّا اليوم فلا تتجاوز الليرة او الليرتين (يا بلاش!) ما يدلّ على هبوط سوقها. وكان طالبُنا قد دفع ذاك المبلغ عند دخولهِ

المبتدي اتيتُ بعريضتي طالباً «زيادة اجرة» لكي ازداد نشاطاً في خدمة العشيرة (الماسونيّة) ومهندس الكون العظيم يحفظكم اخوكم ∴

الّا انّ الشرف الجديد الذي كان ينتظره بترقيه الى درجة الرفيق « زيادةً لاجرته » اقتضى ان يسلف دفع ثلاث ليرات أُخرى

فدخلنا المحفل وكان مزدانًا على التقريب مثل زينته يوم قبول الطالب الّا بعض الرموز والاشعرة والعلامات التي يخصّون بها هذه الحفلة فيعلّقونها على الجدران فترى مثلًا فوق رأس « حضرة المحترم » شعارًا من الورق الشفّاف على شكل نجم ذي خمس زوايا في وسطه الحرف (G) السرّي (انظر الصورة في العدد السابق ص ٢٨٨ ع ١ و ٦) وينيرون هذا الشعار بسراج من ورائه. ولهذا النجم صورة ثانية يجعلونها من جهة الشرق يدعونها « الكوكب الساطع » (Etoile Flamboyante) . وفي صدر المحفل طاولة عليها كُرتان تمثلان الواحدة الكُرة الارضيّة والأُخرى كرة السماء مع بعض الآلات الماسونيّة التي تدخل في « تكريس » الرفيق. ويمينًا وشمالًا العمودان جاكين وبعوز فوقهما كُرتان مع الرموز التي مرّ وصفها وتصوير اشكالها اعني المطرقة (الشاكوش) والزاوية والشاقول والمثلّث والبيكار المفتوح الرأسين الى فوق. وعلى جانب العمود جاكين الحجرُ النشيم الذي ذكرناهُ. وفي اطراف المحفل واعاليه صور النجوم والشمس والقمر الى غير ذلك من البهرجة التي اعتادها الماسون ليؤثّروا في مخيّلة الاغرار ويوهموا البسطاء بهذه المظاهر انّ شيعتهم مشروعٌ جليل فينبهروا من هذه التهاويل الباطلة

ولمّا انتظم المحفل ولبس الاخوة شاراتهم الشريفة وتحقّقوا كالمرّة السابقة انّ « الهيكل نظيف » لم يدنُهُ احدٌ من الدخلاء بل لم يحضرهُ احد من طلبة الدرجة الاولى طرق الرئيس هذه المرّة بمطرقته خمس طرقات. فانتصب الاخوة وطرقوا مثلهُ صارخين: « هوزه ! هوزه ! هوزه ! » فاردف المحترم: « الزموا مكانكم أيها الاخوة » فجلسوا

ثم عمد المرشد الى الطالب الذي كان قائمًا ينتظر اوامر الرؤساء وعلى صدره مئزر (وزرة) درجته معلّق اعلاهُ في عنقه كالصغار ولا يجوز لهُ ان يتمنطق به الّا على هذه الصورة ما دام طالبًا وسنُّ الطالب كي سبق ثلاث سنوات . فجعل المرشد في شماله زاريةً وامرهُ بان يحملها على كتفه كالفاعل ثم قادهُ الى باب « الهيكل » فبعد الطرقات والاسئلة والاجوبة المألوفة عن الطارق واسمه وحالته سأل المحترم الاساتذة والرفقة عن تصرّفه (بالمعنى الماسونيّ) فمدّوا عينهم ثمّ ضربوا بها افخاذهم اشارة الى رضاهم

فتقدّم الطالب ماشياً مشية درجته ممثلاً ثلاث مرّات صورة الزاوية بعقب رجليه وسلّم على الرئيس وقام بين العمودين منتصباً ورجلاه على صورة زاوية. فاخذ « المحترم » يُلقي عليه الاسئلة ويحمد نشاطهُ في درجته الاولى ويعده بايقافه على اسرار جديدة من الماسونيّة ثم امرهُ بالجلوس في جهة الجنوب الشرقي فجلس وبقربه الاخ « المرشد فتلا هذا على مسامعه خطاباً طويلاً روى لنا زبدتهُ جناب « السامي العظمة » شاهين بك مكاريوس « استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليمي » ... ومؤسس محفل مكاريوس لدرجة الاساتذة المعلّمين ... وحائز لدرجة النخل والصدف ودرجة ٣٣ وغيرها .. ورئيس محفل ادريس الخ الخ » في كتابه المعنون « كتاب الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (١ (ص ٥٣)

« لمّا كانت الماسونيّة علماً نامياً (وخبّاً سامياً) فحينما كنتَ مبتدئاً جلستَ في جهات الشمال الشرقي من المحفل وقد جلستَ الآن في الجنوب الشرقي (فطوباك طوباك لهذا الترقي) ليتبيّن لك التقدّم الذي صرت اليه في العلم (اي علم ؟ وماذا تعلّم ؟) فانّكَ صرت شغّالاً بناءً حرّاً (وكان من قبل عبداً !) عادلاً مستقيماً (ما اسرع ما تعلّم العدل والاستقامة في الماسونيّة !) واني الآن اوصيكَ وصيّةً (افتح اذنيك !) واما واثق منك ان لا تتحوّل عنها مطلقاً (بنعمة الروح الماسوني !) وتتذكرها دائماً وهي ان تستمرّ على ملازمة الادب والفضيلة والصدق (وكل هذه الاشياء لم يتعلّمها الانسان الّا بفضل الماسونيّة !) ويجوز لك الآن (وغير الماسون لا يجوز لهم ذلك !) ان تمدّ نظر البحث الى اسرار الطبيعة والعلوم التي كانت مستورة عنك (فالماسونيّة اذن هي عنكرة العلوم والبحث عن اسرار الطبيعة وغيرهم جهّال بكُم عميان !) »

واردف جناب البك قائلاً: ثم يقدّم لهُ آلات العمل المختصّة بالبنّائين الاحرار وهي الزاوية القائمة وخيط الشاغول ويقول لهُ (ص ٥٤):

« انّ الزاوية القائمة تنظم بها وتضبط جميع زوايا المباني وبها تصير المادّة النشيشة بالشكل اللازم المطارب (ما احذقكم يا ماسون باصول البناء !) والميزان لتسوية الاوضاع الافقيّة وتحقيقها (ان كنت تفهم ايّها القاري فبالك !) وخيط الشاغول لضبط الاوضاع الراسية وتكيفها على اساساتها. وبما انّنا سائر الماسونيين لسنا بنّائين فعلاً بل بنّائين رمزاً (وافّاكين نعمّايين فعلاً ورمزاً !) فتطبق هذه الآلات على آدابنا (التي عدم العلامة لها علامة!) هكذا (اسمعوا خطاب فرد الفانوس السحريّ وافهموا !): الزاوية القائمة للادب والتهذيب. والميزان للمساواة. وخيط الشاغول للعدالة والاستقامة في الاعمال مدّة الحياة وبالادب والتهذيب والاستقامة وحسن

١) هذا الكتاب من أكذب الكتب الماسونية وُضع كبقيّة التآليف المطبوعة في بلادنا من الماسون لتعظيم الشيعة وستر اسرارها الصحيحة تحت ظواهر فريّة خادعة

القصد تمشّم (١ في الارتقاء الى منازل المجد (والماسونيّة كما اثبتنا تنكر وجود حياة أخرى) التي هي مصادر الاعمال الصالحة (كذا) »

ثم قام الرئيس ثانيةً وقام معهُ الاخوة واستلّوا سيوفهم وتلوا دُعاء كالادعية السابقة الى مهندس الكون الاعظم (وهذا الدعاء يُتلى فقط في المحافل التي تحافظ بعدُ على ذكر ذلك المهندس). ثم سأل « المحترم » الطالبَ أهو مستعدٌّ للامتحانات الجديدة التي يريدون بها اختبار فضلهِ وصدق نيّتهِ. فأمّن الطالب وجعلوا يموّهون عليهِ بالسياحات كما فعلوا عند قبولهِ طالبًا الّا انّ السياحات هذه المرّة رمزيّة عقليّة كما يزعمون والغاية منها ان يشربوهُ بعض جرعات من الخمر الماسونيّة او قل بالحري ان ينفثوا فيهِ شيئًا من سمّها

فالسياحة الأولى هي سياحة العلوم (!) فسألوهُ ما رأيهُ في العقل البشري وفي اصل العالم وتكوينهِ وفي بعض العلوم الطبيعيّة. والجواب على هذه الاسئلة مدوّن في دفتر فكان الطالب يقرأ كل جواب (ما اشطرهُ!) فيزيد الرئيس على جوابهِ ملحوظاتٍ أخرى فيها تلميحات الى تعاليم الاديان لاسيما النصرانيّة وتكذيبها بوجه خفيّ فمن ذلك ما قالهُ عن اصل الدنيا وتركيبها وقدمها مثبتًا لرأي القائلين بقدم الدهر ومقابلًا بين اقوال بعض الفلاسفة الوثنيين او الملحدين وآيات الكتاب الكريم مشيرًا الى نفي هذه دون تلك . فسمعتهُ يقول (٢ ما تعريبه :

« انّ عالمنا هذا هو إلٰه الفلاطونيين الذي دعوهُ « الكلّ العليم » . . . قد زعمت التوراة ان تكوين الدنيا سبق المسيح باربعة آلاف سنة (٣ الّا انّ تاريخ الصينيين وبعض الامم الشرقيّة يرقّون تكوين العالم الى مئين من ملايين السنين (كذا). والفلاسفة يكذّبون كل هذه الاقاويل والخرافات. فانّ علم النجوم وعلم طبقات الارض اصدق من تلك المذاهب الباطلة. وكان موسى يظنّ انّ العالم لا يشتمل على شيء سوى سيّارتنا هذه (٤ وانّما موسى قد غلط في زعمهِ هذا غلطًا عظيمًا (وافظع منهُ كذب الماسونية) . . . »

---

١) تمشّم في كتب اللغة يابس. فما احسن اختيارهُ لهذه اللفظة للدلالة على يُبس الماسونيّة وعقم ثمرتها ٢) اطلب كتاب راغون وكلاوُل السابق ذكرهما ص ١٢٧ و ٢٢٣

٣) قد قلنا مرارًا عديدة انّ التوراة لم تثبت تاريخًا للعالم وما ورد فيها من ذلك لا يدلّ على سلسلة متواصلة ولذلك تعدّدت الاراء حتى بلغت تيّفًا وخمسين رأيًا بين آباء البيعة ومفسّري الكتاب المقدّس. والكنيسة لم تبتّ في ذلك حكمها. وعليهِ فلا بأس ان يقال انّ العالم كوّن منذ الوف عديدة من السنين ٤) اين علّم موسى هذا التعليم ؟ فانظر خيانة الماسون

وفي بعض المحافل التابعة للطريقة الاسكتلنديّة يلقون فيها اسئلة على الطالب في واجبات الانسان نحو قريبهِ ونفسهِ وكثيرًا ما يسكتون عن اسم الخالق عزّ وجلّ والفرائض التي يجب على المخلوق القيام بها نحوهُ كأنهُ تعالى لا وجود لهُ

ثم قام الاخ ه. المرشد وترع من يد الطالب الزاوية فجعل بدلًا منها مطرقة ومقراضًا ودار بهِ حول المحفل حتى وصل الى جهة الغرب وأراهُ هناك شعارًا مكتوبًا عليهِ اسماء الحواسّ الخمس فأقرأهُ اياهُ وعاد بهِ الى مكانهِ فألقى عليهِ المحترم خطبةً على حواسّ الانسان ومعناها وفائدتها وكيف تُبنى عليها المعارف البشريّة ملمحًا الى بطلان العلوم الدينية التي تفوق مشاعر الآدميين. وختم خطبتهُ بشرحهِ لهُ معنى « النجم الساطع » قائلًا انَّ هذا الكوكب من شأنهِ ان ينير عقلهُ ويوقفهُ على واجباتهِ في الماسونيّة لصلاح الانسانيّة وازالة الاوهام من عقول البشر

ووُليتْ هذه السياحةَ الاولى سياحةٌ ثانية تدعى السياحة الهندسيّة فقاد المرشدُ الطالبَ بيدهِ حول المحفل الى قرنة أخرى وجد فيها كتابةً تحتوي اسماء الطُرُز الهندسيّة الاربعة اي الدوريّة والايونيّة والقورنثيّة والطراز المركّب. فلمّا رجع الى مكانهِ شرح لهُ الرئيس معنى تلك الطُرُز الهندسيّة ناسبًا الى الماسونيّة شيئًا من مفاخرها زورًا

وفي السياحة الثالثة أرَوْهُ اسماء الفنون الجميلة: الادب والهندسة وعلم النجوم والرياضيّات فأعقبها الرئيس بخطبة ثالثة عن معناها خالطًا الغثَّ بالسمين

وفي السياحة الرابعة وجّهوا نظر الطالب الى الكُرَتين المثلثتين الارض والسماء وجعل الرئيس يتشدّق بمعانيها الرمزيّة على طريقة مضحكة فيخلط في كلامهِ بين اقوال الفلاسفة وبعض اقوال السيّد المسيح مشعرًا بان المسيح كأحد الفلاسفة الاقدمين لا فضل لهُ عليهم

وخُتمت هذه السياحات بسياحة خامسة سار فيها الطالب فارغ اليدين (وكان في السياحات السابقة يحمل بعض ادوات الفعلة) فداروا بهِ في قاعة المحفل ثم عاد الى مكانهِ فخاطبهُ الرئيس مرّة خامسة بتعظيم الشغل عمومًا والشغل الماسوني خصوصًا

وامرهُ بعدها بان يضرب بمطرقتهِ على « الحجر الغشيم » ثلاث ضربات ثم قال لهُ بأنَّ الهيأة الاجتماعيّة كهيكل عظيم دُعي الماسون الى تشييدهِ (اعني تقويضهُ) فكلّ اخ مدعوٌّ ليكون عاملًا في هذا البناء والعلوم التي رأى رموزها في سياحاتهِ انّما هي الادوات

لهذا العمل . وكانت في خطبة الرئيس تلميحات الى تعاليم النصرانيّة التي يزعم انها مناقضة لتلك العلوم فبذر في عقل الرفيق بذوراً من الشكّ في الاسفار المنزلة والمعتقدات الدينيّة يطول شرحها . وكفى بما روينا سابقاً ادلّةً ناطقة على نيّات الماسون السيئة وما تكنّهُ صدورهم من البغض لكل دين ولكل وحي

وقد ختم الماسون هذا اللعب الثاني لقبول الرفيق برتبة « تكريسه » كما فعلوا مع الطالب وذلك انّهم اقاموهُ بازاء الهيكل الماسوني وطلبوا منهُ ان يجدّد القسَم الذي حلف بهِ سابقاً انّهُ لا يكشف شيئاً من اسرار الماسونيّة حتى على اعزّ اهلهِ واصدقائهِ وانهُ اذا حنث بيمينهِ يرضى بان يُسَلّ قلبهُ من صدرهِ وتُقطّع اعضاؤهُ اربًا . فقام الرئيس وجرّد سيفهُ فجعلهُ على رأس المترشّح واعلن بموجب السلطان المُعطَى لهُ من المجلس الماسونيّ الاعلى انّهُ يقبل فلان الفلاني في عداد الرفقة . وبعد ان طرق خمس طرقات بمطرقتهِ على صفيحة السيف نزل من عرشهِ الى الرفيق وقبّلهُ على خدّيهِ وفمهِ . ثمّ عاد الى كرسيّهِ وشرح لهُ ما اكتسبهُ من الحقوق بترقيتهِ الى هذه الدرجة اخصّها انهُ لا يعود يعلّق وزرتهُ الماسونيّة في عنقهِ كالصغار لكن يثنيها على بطنهِ (يا لشرفهِ !) وانهُ منذ الآن فصاعدًا يمكنهُ الجلوس عند العمود الجنوبي وغير ذلك من الامتيازات والانعامات التي تسحر العقول وتفتن الالباب بعزّها وعظمتها

وعلّموهُ كما فعلوا بالطالب الاشارات واللّمسات الجديدة والمصافحات التي يتعارف بها الرفقة والاخوان وما هي الكلمات السرّيّة التي يجب عليهِ ان يتقنها ليفتح بها ابواب الفرج لدى رصفائهِ . وكذلك لقّنوهُ المشية الخاصّة بدرجتهِ وبقيّة الجزعبلات (الزعبرات) التي يطول هنا شرحها وافادوهُ انّهُ بلغ السنة الخامسة من عمرهِ (طلعت اسنانه !) واعطوهُ كأساً فيهِ عدّة اسئلة واجوبة يطرحونها عليهِ كشبه التعليم اوّلها :

س أرفيقٌ انت ؟
ج نعم (بنعمة الاخوة الماسون وخرافات الماسونيّة !)
س اين كان قبولك ؟
ج في محفل عادل وكامل (كوّيس ورخيّص وابن الناس !)
س لايّ سبب طلبت قبولك بين الرفقة ؟
ج لأعرف الحرف ج (G) (فيكون سلك الحرف !)

وقس على هذا بقيّة الاسئلة الموافقة لطفل عمره خمس سنوات (لا يميّز بعد الالف من المادنة) نستحي ان نُضيع وقتنا باطالة الكلام فيها

الاستاذ وهي الدرجة الثالثة في الماسونية

هذه الدرجة كمال الماسونيّة يبلغ فيها الاخ سنّ الكهولة (اي سنّ السبعة) ويحقّ له ان يترشّح من بعده للرئاسة بين اخوته . ومن ثمّ يسهل عليه لطلب هذه «الزيادة العظيمة في الاجرة» ان يفتح ثالثة كيسهُ ويؤدي للمحفل هذه المرّة ايضاً خمس ليرات ليس الّا !!

وكنت دائماً اسمع انّ حفلة قبول الاستاذ في الماسونيّة اوقع في القلوب من سواها تظهر فيها تلك «المشيرة» في هيئتها الصحيحة فرغبتُ الى اخي «الجاسوس الجزويتي» هذه المرّة ايضاً ان يفتح لي الابواب الموصدة فأحضر هذا الملعب الثالث او قل هذه «المأساة» لانّ «تكريس» الاستاذ اشبه بالرواية الفاجعة في المراسح على الاقلّ في ظواهرها ان لم تقل في باطنها

ففي احد ايّام آذار عُقدت حفلة من هذه الشاكلة في «محفل السلام» ودُعي اليها «اخي الجاسوس» فتستّرتُ انا بأذيالهِ واختلستُ اللفظة السرّيّة فانفتحت امامي بقوّة «خاتم سيّدنا سليمان» ابواب الاسراب الماسونيّة (١

وكان «الهيكل» الماسوني في ذلك اليوم لابساً حدادهُ وجدرانُهُ مغشّاة بالاسود وهم يدعون الهيكل وقتئذٍ باسم «حُجرة الوسط» وجهتهُ الشرقيّة «دهبير» . وكانوا جعلوا على السواد شققاً بيضاً ورموزاً محزنة كجماجم وعظام وهياكل موتى وما اشبه منها حمراء ومنها بيضاء . امّا جهة الشرق فكانت مكسوّة بالزرقة عليها شقق من الذهب وكان الهيكل مظلماً في جهتهِ العليا لا يخفّف ظلمتهُ سوى نور شمعتين ليقرأ المرشدان دورهما (وقت اللعب!) . وكانوا اعدّوا نورين اخضرين من جهة الشرق مع عدّة انوار لتوقد في وقتها فتبهر النظر بزخرفها

١) المعلومات التي نثبتها هنا مأخوذة من كتب الماسون الرسميّة اخصّها الكتاب الفرنسويّ المطبوع في باريس بامر المجلس الماسوني الاعلى سنة ١٩٠٦ وهذا عنوانهُ Instruction pour le 3e Grade Symbolique-MAITRE-*Paris, Secrétariat général du G.·. O.·. de France, 16 rue Cadet, 1906*

ثم انهم كانوا جعلوا في صدر القاعة دكّةً يجلس عليها الرئيس وامامهُ شبه المذبح وعلى احد جانبي المذبح جمجمة ميت في داخلها شمعة موقدة تزيدها بهجةً ! . وعلى الجانب الآخر السيف الماسوني والزاوية والبركار وامام الرئيس الذي يدعونهُ هذه المرّة « الجزيل الاحترام » مطرقةٌ لكنّها مكسوّة بقطن ليُسمَع من ضرباتها صوت اجشّ. وعلى جانبي المذبح العمودان جاكين وبعوز فوقهما الماءان كآنية مدافن القدماء وامام العمودين يقع المرشدان وبايديهما لفافة ورق عليها كتابة

وفي وسط الهيكل امام « الجزيل الاحترام » تابوت أضجعوا فيهِ آخرَ أستاذٍ دخل في هذه الرتبة ورجلاهُ ممدودتان الى الشرق وهو مسجّى بشرشف اسود وعلى وجههِ منديل ابيض ملطّخ بالدم وعند قدميهِ بيكار مفتوح وعند راسهِ زاوية ماسونيّة وعند وسطهِ غصن من الاكاسيا (اطلب الصورة)

وكان الاخوة في تلك الحفلة لابسين كلّهم الثياب السود وفي ايديهم القفافيز (الكفوف) البيض وهم يُبقون على رؤوسهم قبعاتهم ويغرزونها حتى تبلغ عيونهم ويمسكون في ايديهم سيوفهم موجّهين برؤوسها الى الارض

فتقدّم الرئيس وجلس على الحضيض عند الدرجة التي يُصعد منها الى المذبح وكانت هيئتهُ كهيئة رجل مكروب كاسف الوجه مضطرب البال لا ينيرهُ سوى نور الجمجمة التي على مذبحهِ ليقرأ دورهُ

فبقي الاخوة في هذه الحالة كالمشنوق بازاء مشنقتهِ لا ينبسون ببنت شفةٍ كأنّهم أُخبروا بموت ابيهم او امّهم وهم مع هذا يعضّون على شفاههم لئلّا يأخذ منهم الضحك مأخذهُ

وبعد هنيهة قام « الجزيل الاحترام » وطرق بمطرقتهِ كعادتهِ في الجلسات السابقة وتحقّق لدى المرشدَين والمنتهَين والحاجبَين انّ « الهيكل نظيف » لا يدنّسهُ (سواي) احد من الخوارج فاعلن بافتتاح الجلسة

وكانوا في اثناء ذلك اخذوا الرفيق المترشّح لدرجة الاستاذ فعرّوهُ من معظم ثيابهِ واخذوا احذيتهُ وعلّقوا في عنقهِ حبلًا طويلًا ادارو بهِ حول وسطهِ ثلاثاً ثم سحبهُ كالمجرم الاخ الغول « والمرشد الاوّل حتى بلغوا باب الهيكل فطرقوهُ كطرقة الرفيق

فالمحفل لدى سماعهِ هذا الصوت تظاهر انّهُ تأثّر منهُ للغاية وصرخ الجزيل الاحترام قائلًا :

« هذه دقّة رفيق فمن هو ذاك الرفيق الجسور الذي يحضر هنا كأنّهُ يريد ان يسخر بوجنا »

ثم طرق طرقةً وصرخ بصوتٍ ابحّ الى الحارس لينظر من الآتي فبحث الحارس عن الطارق واعلم « الجزيل الاحترام » بالقادم فاضطرب الإخوان لقدومهِ وأبدوا من الاسف اعظمهُ كأنّهم وقفوا على قاتل الاستاذ المطروح في التابوت

ثم امر الجزيل الاحترام بادخال الرفيق ليقفوا على حقيقة امرهِ فادخلوهُ حافياً نصف عريان مشنوقاً بحبلهِ وهو يمشي القهقرى ووجههُ الى الباب وظهرهُ الى الشرق واقاموهُ بين العمودين وكان المرشد الاوّل والاخ الغول ينخسان صدرهُ العرّى بنصل سيفهما وبقي المحفل صامتاً واجماً مدّة على هذه الحالة الى ان تفوّه اخيرًا الرئيس ببعض كلمات متقطعة وسأل الرفيق ماذا أتى يطلب أَوَ ليس هو قاتل ذلك الاستاذ المسكين الذي جثتهُ في التابوت

ثمّ جعلوا يلقون عليهِ الاسئلة ويفتشونهُ ويفحصون ايديهُ وجسمهُ لعلّهم يجدون اثرًا لدم القتيل . ولمّا انتهوا من فحصهم وعرفوا انهُ ليس بالقاتل اخذ الجزيل الاحترام يخطب امامه معظّماً لمقام الاستاذ الفقيد مطرئاً لاعمالهِ الشريفة في الهيئة الاجتماعيّة متهدّدًا الرفيق المترشح لدرجة الاستاذ بكل ضروب الويلات ان كان خائناً ينوي السوء لجماعة الماسون . وكان يخلط في خطبتهِ عدّة اقوال في الفضيلة (الماسونيّة) وحرّيّة الضمير وغير ذلك ممّا الفهُ هؤلاء الخطباء المنوّهون من البلاغة المطنطنة الفارغة المعاني

وولي هذا الفصلَ الاوّل من الملعب فصل آخر يحقّ لهُ ان يُكتَبَ بحروف الذهب لحلاوتهِ

فانّ « الجزيل الاحترام » التفت الى المترشح قائلًا : « لعلّكَ يا اخي تجهل سبب كآبتنا فلا بُدَّ ان نعلمكَ ما هو الداعي لحزننا »

وللحال اقترب المرشد الاوّل مع الاخ « الغول » فكشف الواحد الغطاء الاسود عن رأس التابوت وابرز الثاني المنديل الملطّخ بالدم الذي على وجه الضجيع فتأوّه الرئيس قائلًا :

« اترى ايها الرفيق ؟ . فهذا هو الباعث لحزننا والسبب لمطلان دورنا فانّ احد اخوتنا قد وقع صريعاً وقد قتلهُ بعض الأئمّة الاوباش الذين كانوا من درجة الرفقة مثلك فقُلْ لنا صادقاً أَوَ ليس عندك علم بهذه المكيدة الشنعاء ؟

فانكر الرفيق قطعيًا واردف الجزيل الاحترام:

« فان كنت بريئًا من دمهِ فعليك ان تركي قصك بدليل محسوس . فاقترب من جثّتهِ وبيّن برباط جاشك انك لست تخاف من ان يقوم الميت ويبكّتك من اثمك ».

فعاد المرشد والاخ القول وقرّبا الرفيق من التابوت وهو يمشي اليهِ القهقرى دون ان يراهُ ممثلًا في مشيتهِ هيئة الزاوية (كما ترى في الصورة التي رسمناها). ولمّا بلغ قرب التابوت قُضِيَ عليهِ بان يتخطّاهُ ثلاثًا على هيئات مختلفة وتاكّد ان في التابوت جثّةً حتى وصل الى طرف رجلَي الميت وظهرهُ الى وجههِ بحيث لا يراهُ. فحينئذٍ قام الميت دون ان يحسّ بهِ المترشّح وتأمّص من التابوت فتركهُ فارغًا واختلط ببقيّة الاخوة

وفي اثر ذلك باشر « الجزيل الاحترام » بقصّة القتيل وتفاصيل قتلهِ بعد ان اوجب على الرفيق بالاقسام المحرّجة ان لا يبوح بالاسرار التي يريد ان يكشفها لهُ لاحد من البشر طول عمرهِ. وكان الرفيق في وقت سماعهِ لهذا الخبر المفجع قائمًا وعلى جانبيهِ من ورائهِ قليلًا المرشدان الاوّل من يمينهِ وفي يدهِ زاوية من حديد والثاني عن شمالهِ ماسكًا قاعدةً حديديّةً ايضًا

امّا قصّة الميت فهذه خلاصتها لا يسعني ان اوريها بتفاصيلها لطولها المملّ: زعم « الجزيل الاحترام » انّ سليمان كان اتّخذ لبناء هيكل اورشليم استاذًا ماهرًا يُدعى حيرام او ادونيرام عارفًا بكل فنون الهندسة حافظًا على اسرارها فحسدهُ ثلاثة من البنّائين من ذوي درجة الرفقة يُدعَون يوبيلوس ويوبيلاس ويوبيلوم فطلبوا منهُ ان يفشي لهم بسرّ صناعتهِ وشعار التعارف بين الاساتذة. فابى حيرام وتآمر عليهِ الثلاثة ليقتلوهُ واتّفقوا على ان يسدّوا في وجههِ طرق الخلاص لئلّا يفلت من ايديهم. فلقيهُ يوبيلوس اوّلًا في الباب الجنوبي فضربهُ على امّ رأسهِ

(وبينما الجزيل الاحترام كان يخبر بهذه الضربة طرق المرشد الاوّل بزاويتهِ طرقةً شديدة على قفا المترشّح فكاد يسقط الّا انهُ « اكلها على السكت »)

قال الجزيل الاحترام: فلما رأى حيرام ما حلّ بهِ هرب الى جهة الغرب واذا هناك يوبيلاس مترصّدًا لهُ فضربهُ بقاعدتهِ على صدرهِ كادت تقتلهُ

وهنا ايضًا ضرب المرشد الثاني المترشّح على صدرهِ بقاعدة الحديد التي بيدهِ ليذيقهُ شيئًا من آلام حيرام. صحّتين !)

قال الجزيل الاحترام وفي آخر الامر فرَّ حيرام الى الباب الشرقي رجاء ان ينجو من اعدائهِ واذا هناك البنّاء يو بيلوم الذي ضربه بشاكوشهِ في جبهتهِ فقتله

(وهنا تكرَّم الجزيل الاحترام بصفعة على المترشح فضربه بيدهِ الشريفة على جبينهِ بمطرقتهِ. فكانت ثالثة الاثافي. فبلعها المترشح هنيئاً مريئاً وهو مطمئن. بل تسلَّط عليهِ من ساعتهِ ملاكا الموت اي المرشدان فقلباهُ ظهرًا لبطنٍ وطرحاه شاء ام ابى في التابوت كأنَّه هو حيرام المقتول بدسائس اولئك الرقعة. وهندسوا جسمهُ وذراعيهِ ورجليهِ على شكل الزاوية الماسونيَّة ثم غطَّوهُ بالغطاء الاسود وتركوهُ ساعةً على هذه الحالة اللطيفة)

وفي مطاوي ذلك واصَلَ « الجزيل الاحترام » رواية حيرام بحيث كان (يسمعها المترشح للاستاذيَّة دون ان يرى ما يجري حوله) فوصف ما أُصيب بهِ الفعلة (اصحاب ورشة حيرام) لمَّا طلبوا استاذهم فلم يجدوهُ وما قاسوهُ من الآلام ولبسهم للحداد حزناً عليهِ. وكيف قاموا لينتشوا على جثَّتهِ

وهنا قام الاخوة كلّهم وصاروا يدورون في المحفل كأنَّهم أُصيبوا بشعورهم لفقد حيرام وصاروا يبحثون في زوايا المحفل لعلّهم يجدون آثارهُ (كما يفعل الصبيان بلعبة الطنّيش) وبعد اللتيَّا والتي رأوا اخيرًا التابوت الممدود ففكَّروا بسمّو ادراكهم انه من المحتمل ان تكون جثَّة حيرام في ذلك التابوت فجعلوا يدورون حوله ولا يجسرون ان يقتربوا منهُ (مثل البسينة والجردون) حتى رأوا اخيرًا غصن الاكاسيا فاستدلُّوا بهِ على الميت واخذوا يرفعون بكل احتراس الغطاء عن وجه المترشح (البهلول) فرأوا جثَّتهُ فنادوا بالويل والثبور. واخذ جزيل الاحترام « يُنَسدِس » الميت فامسك اصبعهُ متلفظاً باسم « جاكين » وكأنَّهُ احسَّ بالاصبع تنفصل عن جسم الميت فصرخ: « ماك بناك » اي « انفصل اللحم عن العظام ». ثم اخذ الاصبع الأخرى بقولهِ « بعوز » فوجدها ايضاً متفكّكةً عن العظام فصرخ ثانية: « ماك بناك ». وهنا حدثَ عن حزن هؤلاء « الجاديب » ولا حرج

وبعد هذا ابتدأ الفصل الثالث من هذه الرواية المزليَّة التي هي احقّ بشعورذي النَّوَر منها برجال اصحاب عقل سليم

فبعد ان كفكفوا العبرات (وهي الدموع التي ينسبها الفرنج للتماسيح larmes de crocodile) والعرب للصيَّاد الذابح للعصافير في شدَّة البرد فتدمع عيونهُ). جعل

هيئة الهيكل الماسوني

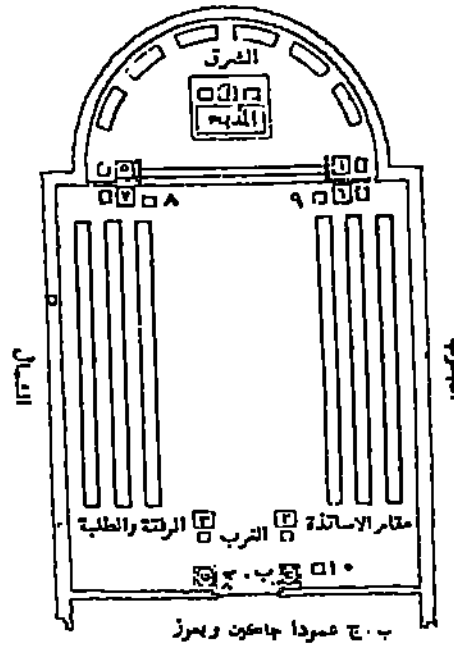

١ الرئيس المكرّم
٢ الحارس الاوّل
٣ الحارس الثاني
٤ الخطيب
٥ كاتب الاسرار
٦ حامل الصندوق
٧ الاخ المضيف
٨ المرشد
٩ الاخ المهيب (الغول)
١٠ الحاجب

محنة الاستاذ

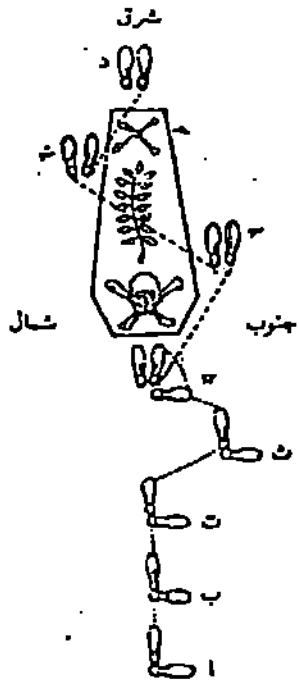

ا ب ت ث ج ح خ د هيئة الاستاذ متقهقرًا الى تابوت حيرام مثلا الزاوية الماسونية. ورأس الميت الى الترب مواجهًا للشرق وفي الوسط غصن الاكاسيا

الاستاذ الرفيق الطالب

مع وزراتهم واشاراتهم

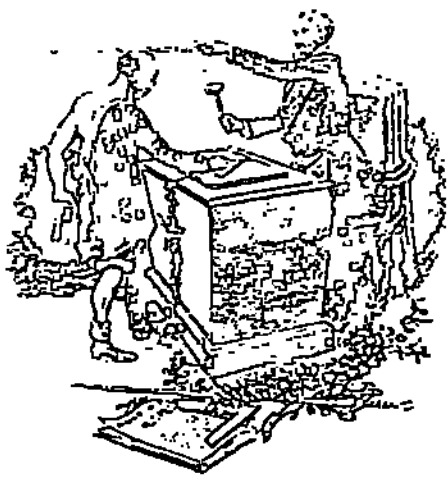

تكريس الاستاذ

الاخوة يتساءلون كيف يسدّون مسدّ ذلك الاستاذ الميت وهل يستطيعون ان يحظوا به ثانيةً. فلم ييأسوا من الامر بل ابدوا امامهم بان يفوزوا بالمرغوب

فحينئذٍ اشار الرئيس الى الاخوة « المهندسين للهيكل الماسوني » بان يزيلوا ما فيه من شارات الحداد وينيروا كلّ الانوار المعدّة في القاعة وخصوصاً في جهة الشرق المسمّاة دهير

وبينما هم يفعلون ذلك تقرّب الجزيل الاحترام من المترشح في تابوته وجعل يحركهُ ثم دعا المرشدَين الى مساعدتهِ فاخذوا يقيمون الميت شيئاً فشيئاً دون ان يكشفوا عن رأسهِ وعينيهِ لئلّا يرى إعداد زينة المحفل ثم جعلوهُ على هيئات مختلفة ليمثّل بها الزاوية الماسونيّة كأنّهم بقوّة تلك الزاوية يعيدونهُ الى الحياة فلم يلبث « الجزيل الاحترام » ان يشعر بقيامتهِ فقبّلهُ ثلاث مرّات صارخاً « موابون » اي قام

فابتهج الاخوة وازالوا الحال التابوت من مكانهِ فظهرت القاعة مشعّة بالانوار كما يجري كل سنة في يوم سبت النور عند احتفال الكنيسة بقيامة المسيح ولا مراء انّ الماسون يفعلون ما يفعلون متقلّدين الكنيسة كما يتقلّد القرد ما يرى صنعهُ امامهُ. ولعلّهم يريدون ان يشيروا الى انّ قيامة السيّد المسيح لا صحّة لها كقيامة ميّتهم الحيّ

ولا أُطيل الكلام عمّا جرى بعد هذه القيامة الهزليّة فانّ الجزيل الاحترام اوصى استاذنا الجديد الوصايا الطويلة وامرهُ بان يجثو راكعاً امام المذبح ويقسم القسَم المعتاد. فحلف بانهُ لا يهتك اسرار درجتهِ وانهُ يخدم العشيرة خدمة نصوحة وانهُ اذا حنث بقسمهِ يرضى بالذلّ والهوان وصنوف المصادرات وضروب الموت. ثمّ قام الجميع ومدّ الجزيل الاحترام سيفهُ على رأس المترشح وضرب بشاكوشهِ على صفيحة السيف تسع ضربات واعلن بقبولهِ في درجة الاساتذة. وانتهوا من هذه الحفلة الظريفة بأن علّموهُ كيف يمشي الاساتذة وكيف يتعارفون وكيف يتصافحون وما هي شعاراتهم والفاظهم السرّيّة وكم هي السنّ التي بلغوها في درجة الاساتذة وهي السابعة من عمرهم اعني انهم دخلوا سنّ التمييز. وتجزت الحفلة بعد طرقات وصرخات جديدة: هوزه! هوزه! هوزه

هذه هي الرتبة الماسونيّة التي عليها المعوّل في تلك العشيرة فتراها في سخافاتها وخرافاتها المجاوزة كالرتبتين السابقتين (١. فيا لله كيف يمكن ان بشرًا فيهم ذرّة من

١) وكأنّ شاهين بك مكاريوس « استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليمي الخ الخ » خجل

العقل يلقون بانفسهم في هذه الشيعة التي تسخر منهم وتعاملهم معاملة البهائم وهي توهمهم بأنها تريدهم رفعةً وتنوّر اذهانهم وتجعلهم من جهة خصوصيّة فوق رتبة بقيّة الناس وما هم عندنا الّا اغرار اغبياء يتلاعب بهم رؤساء الماسونيّة تلاعب المرّ بالقار والصرّاف بالدينار. ارشدهم الله الى سواء السبيل (لها بقيّة)

البرتقال : زراعتهُ وآفاتهُ

للسيو اوغست جوفر الفرنسويّ نزيل بيروت

﴿ تعريفهُ ﴾ البرتقال شجرة من الفصيلة المعروفة بالنارنجيّة يدعوها العلماء « aurantiacées » هي مترادفة الاوراق عديمة الاذينات ذات زهور بيضاء فاتحة كأسها قصير جرسيّ الشكل وأسديتها مندغمة في صفّ واحد وقلمها اسطواني لها ثمر كرويّ ذو قشرة جلديّة مُفصّل الى حُصَص عديدة مؤلفة من لبّ ذي عُصار وفيها بزور عديدة

﴿ انواعهُ ﴾ للفصيلة النارنجيّة ضروب مختلفة اخصّها البرتقال الذي نحن في صدده (oranger) والليمون سواء كان حامضاً او حلواً (citronnier) والكُبّاد والشكالة (cédratier)

﴿ اصلهُ ﴾ اصل النارنج وانواعهُ من بلاد الهند ومنها انتشر في بقيّة انحاء المعمور كعدّة نباتات و بقول مختلفة ودراجن الحيوان. وقد ذكر النارنج قدماء الكتبة كالشاعر اللاتيني ورجيليوس في قصائده الفلاحيّة والكاتب اليوناني ديوقريطس وغيرهما كثيرين ممّن افاضوا في وصف هذه الشجرة وخواصها الصحيحة او الموهومة . ثم عُني العرب بعد ذلك بزراعتها وشاعت في البلاد التي فتحوها كالعجم والشام والاندلس والمغرب والجزائر

من كشف تزعبلات هذه الدرجة فلم يصفها في كتابه الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة وانّما اشار اليها اشارة خفيفة بقوله (ص ٨٢) « في هذه الدرجة رمز من رموز القبر والموت اللذين يتبعهما نور البعث » ونحن نعلم انّ الماسون لا يعتقدون مطلقاً بالبعث الّا من يمهل بينهم اسرار الماسونيّة كما بيّنّا سابقاً

﴿ اسماؤهُ ﴾ تعدَّدت اسماء هذا الشجر عند العرب حتى وقع فيها بعض التباس فانَّ اشهر اسمائهِ عندهم النَّارنج اشتقُّوا اسمهُ من الفارسيَّة نارنك اي احمر اللون ومنهُ اخذ الفرنج اسمهُ في لغاتهم مع بعض إبدال في الحروف فقال الاسبانيُّون « naranga » والبرتغاليُّون « laranga » والايطاليون « arancia » والفرنسويون « orange ». ومن اسمائهِ عندهم الأُتْرُج والأُتْرُجّ والأُتْرُنج ويقال تُرُنج وهي فارسيَّة ايضاً وربَّما دلَّ بها البعض على النارنج والاصح انها صنفٌ منهُ كبير الحجم يُعرف في الشام بالكبَّاد ويدعوهُ الفرنج « cédrat » ومنهُ نوعان آخران يدعونهما « ponci-re » او « bigarade ». وقد ذكر الشعراء الأُتْرُجّ قبل الاسلام قال علقمة بن عبدة:

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَفْحُ العَبِيرِ بِها كأنَّ تَطْيابها في الأَنْفِ مَشْمُومُ

ثم انَّ كتبة العرب يعدّدون للنارنج عدَّة اشكال منها القسطيّ والقرطبي والصيني. ومن اسمائهِ عندهم الليم او الليمون استعارةً من الفرس ايضاً وهو الاسم الذي شاع في هذه البلاد الَّا ان الليمون في الاصل نوع آخر وهو المسمَّى عند الفرنج (citron) او (limon) ويكون حلوًا او حامضاً ويُدعى الحامض بالمراكبي

امَّا اسم « البرتقال » ويقال « بردقان » و « بردقال » الشائع في القطر الشامي فانَّهُ تعريب (Portugal) كأنَّ اهل هذه البلاد اخذوا بعض اصنافهِ من البرتغاليين فنسبوهُ الى تلك الدولة والصواب انَّهُ من الهند فانَّ المسعوديّ ذكر في مروج الذهب (٨ : ٣٣٦) انَّ الخليفة العبَّاسي القاهر بالله كان لهُ « بستان غرس فيهِ النارنج وحُمل اليهِ من البصرة وعُمان ممَّا حُمل من ارض الهند ». وكذلك نقل صاحب الفلاحة النبطيَّة قول الكلداني : «النارنج نبات هندي ويُفلح في البلدان سيما المائلة الى الدَّفء » وصرَّح بذلك ابن العوَّام في كتاب الفلاحة : « شجر النارنج والأُتْرُجّ المدوَّر جُلب من ارض الهند بعد الثلثمائة (للهجرة) فزُرع بعمان ثم نُقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يُعهَد ولا يُعرَف (١ » . ومن شهود العيان على زراعة الليمون في

١) اطلب كتاب الاب لامنس في الالفاظ المشتقة من العربيَّة Lammens : *Mots français dérivés de l'arabe*, 1887.

سواحل الشام في القرن العاشر للمسيح الرحالة العجمي نصري خسرو فانهُ خصَّ بالذكر في كتابهِ سفر نامه مزارع الليمون الحلو والحامض في حدائق طرابلس (١

امَّا اهل الجزيرة والمغرب فدعوا النارنج باسم « الصينـــة » كما ذكر ابن العوَّام . اشارة الى الصين لظنهم انَّ النارنج منها . وذكر لهُ ابن العوَّام اسمين آخرين لم نجدهما في غيرهِ وهما البستانبون والزمبوع (٢ . ومهما كان من اسمهِ فانهُ يذكر في تربيتـهِ فوائد تدلُّ على اعتناء العرب بفلاحتهِ في جهات الاندلس . وممَّن اتسع في ذكرهِ خصوصاً بعض كتبتهم لشيوعهِ في بلادهم كابن العوَّام المذكور وابن حجَّاج وابن فاضـل وابي الخير والكظامي وغيرهم

﴿ خواصُّهُ ﴾ لسنا نتَّسع في بيان خواصّ البرتقال واصنافهِ وقد سبقنا الى ذلك جناب الاديب توما افندي كيَّال في مقالتهِ الحسنة عن برتقال صيدا في المشرق (٦ : ٢٨٩—٣٠٠) وانَّما نعلم انَّ كتبة العرب قد افاضوا في شرح منافعـهِ غذاء وشرابًا ومعالجةً لبعض الادواء وفي اقوالهم القثّ والسمين الَّا انَّ كلامهم دليل واضح على اعتنائهم بزراعة شجرهِ ودرسهم لطباعهِ وتحسينًا لاشكالهِ وتنميةً لثمرهِ . ولا يزال اهل جنوبي اسبانية الى يومنا يصرفون الهمَّة في تربية البرتقال ولاسيما في مقاطعة بلنسية والنحـاء الاندلس . وقد اشتهرت خصوصاً حدائق البرتقال في كرختي وقسطيلونة التي تُرسَل ثمارُها الى كل جهات اوربَّة . ومثلها في الحسن مزروعات مرَّاكش والجزائر وعلى الاخصّ في بليدة وكذلك انحاء تونس . امَّا برتقال يافا وصيدا فهو اعرف من ان تطرى في فضلهِ . ولعلَّ بلاد امركة الشماليَّة وعلى الاخصّ كاليفرنية هي التي بلغت فيهـا اليوم مزروعات الليمون الغاية في الحسن ومثلها في جنوبي اوربَّة . وها نحن نقتبس ممَّا نشرهُ الاختصاصيُّون في ذلك من الابحاث المفيدة في الفصول الآتية

﴿ التربة الموافقة للبرتقال وكيفيَّة زراعتهِ ﴾ ذكر المسعوديّ في كتاب مروج الذهب (٢ : ٤٣٩) انَّ النارنج الهنديّ لمَّا نُقل الى العراق والشام «عُدِمت منهُ الروائح الحمريَّة الطيِّبة واللون الحسن الذي يوجد فيهِ بارض الهنـد لعدم ذلك الهواء والتربة

(١ Voyages de Nasri Khosrou (éd. Schefer) 40—12

(٢ اطلب كتاب الفلاحة طبعة باريس Cl - Mullet : *Le livre de l'Agriculture d'Ibn - al- 'Awâm* I 292

والماء وخاصيّة البلد ». وعلى ظنّنا انّ في قول المسعوديّ غلوًّا ولعل فقدان بعض خواصّه الاصليّة انّما كان لقلّة الاعتناء به . وممّا لا يُنكر انّ الفصيلة النارنجيّة قابلة للزكاء والنموّ فترى جذورها تتأصّل في اعماق الارض ومن ثمّ تحتاج الى تربة كثيرة تكون مع ذلك خفيفةً ناصعة اللون ولا بُدّ من التعميق في حراثتها الى حد مِتر ان امكن لتزيد بذلك محاصيل شجرها ولا تقلّ من ٦٠ سنتمترًا بل هذا لا يكاد يكفي لنموّها ووفرة جناها . وشجر البرتقال يأنف من الكلس والاراضي الكلسيّة . ويستحبّ الارض الرمليّة المعتدلة الصلابة الحمراء او السوداء التي يكون باطنها رطبًا فتتوفّر اثماره وعلى الاخصّ اذا كانت الارض تحتوي شيئًا من النباتات المستحجرة لما تتضمّنهُ من الحامض الفسفوريّ في هيأة فسفات الكلس . واذا كانت التربة بالغة العمق اخذت الجذور مداها من الانتشار وتكون الشجرة زاهيةً باسقة تعلو الى ستّة امتار

ويحسن بالزارع ان يجعل بين الشجرتين مسافة كافية تبلغ ستّة او سبعة امتار لئلّا تشتبك اغصانها فتتروح الشجرة ويتلاعب الهواء في الافنان وتنفذ اشعّة الشمس في كلّ اقسامها . هذا اذا كانت التربة دسمةً عميقة امّا اذا كانت الارض ضئيلة وصاحبها لا يستطيع ان يصلحها بالسماد المخصب فيكفي ان تُبعَد الشجرة عن اختها مسافة خمسة او ستّة امتار فقط

وشجرة البرتقال تحتاج الى اربعة عناصر تستمدّ منها غذاءها وهي الازوت والكلس والحامض الفسفوريّ والبوطاسا . فالازوت قليل في الارض ما لم تحفظ بشيء منهُ ممّا أُودع فيها قديمًا من نقاية النباتات المتحجّرة بيد انّ هذا ايضًا ينفد بعد قليل لأنّ جذور الشجرة تمتصّهُ وتفنيه فلا بُدّ لها من كنيّات جديدة فتُعطَى سمادًا وسرقينًا لما في هذه المواد من سنولفات النوشادر ونيترات الصودا المحتوية للازوت

ويدخل الكلس في عصارة الليمون وفي ثمره وتركيب أنسجته ولكن لا تحتاج الشجرة منهُ الّا الى كنيّة نزرة زهيدة وفي الارض غالبًا ما يكفي البرتقال منهُ . واذا زادت في التربة كنيّة الكلس تأذّت منهُ الشجرة فلا تنمو واصفرّت اوراقها واتت باثمار صغيرة

والحامض الفسفوري سواء وُجد في التربة او نُقل اليها يكون عادةً على صورة فسفات الكلس ومنهُ مقالع عظيمة في الجزائر يستخرجونها من الارض ويُحيلونها الى

الحامض الفسفوري ويجعلونها في التربة فتمتصُّهُ الاشجار على انَّ الارض تحتوي منهُ على بعض كميات اذا تراكمت فيها بقايا الحيوانات او النباتات المستحجرة . والآن كثيرًا ما يسدُّون مسدَّهُ بالسَّماد الكيموي الصناعي الشبيه بمقالع تونس والجزائر . ومن المعلوم انَّ جذور الاشجار تحتاج الى كميَّة وافرة من هذا العنصر فلا بُدَّ ان تعالج الاشجار بهِ كلَّ سنة فتُعطى لهذه الغاية شيئًا من سلفات البوطاسا الذي يُباع في المتجر

ثم انَّ للحامض الفسفوري فائدةً أُخرى فكما انَّ الازوت يُنمي النبات ويقوّي الاغصان واقسام الشجرة الخضراء كذلك الحامض الفسفوريّ يسعف الشجرة على توليد ازهارها وعقد ثمارها لكنَّ الثمار لا تنضج الَّا على شرط ان تنال الجذور من الارض البوطاسا اللازمة لهذه الغاية

هذا وكل يرى انَّهُ من المستحيل ان نعيّن هنا قاعدةً عموميّة لبيان ما تحتاج اليهِ كل ارض من العناصر المارّ ذكرها لاختلاف التُّرَب عن بعضها في التركيب وتباينها في الكمّ والكيف

وما يقال بالاجمال انَّ مسألة السماد من الامور الهامَّة في زراعة البرتقال كما في غيرهِ من الاشجار . فانَّ القدماء وقد تبعهم في ذلك الاندلسيُّون كانوا يدمّلون مزارع البرتقال بزبل الماعز وفرث الخيل والسرجين البشريّ فتأتي الاشجار بجنًى وافر . على انَّ السماد الحيواني قليل وغالي الثمن فلا يُمكن اصلاح التربة بهِ اذا كان المُلك رحب الفناء متَّسع الارجاء فتقتضي اذن الحاجة الى السَّماد الصناعيّ المعروف بالكيمويّ وان لم يُحصَل عليهِ يمكن ان يُعتاض عنهُ بنفايات الصوف وقطع الجلد البالية وقُصاصات الشعر والوَبَر التي تحتوي على جانب من الازوت ولا تتحلَّل الَّا بُبطٍ وطول زمان . الَّا انَّ تسميد الارض يحتاج مع هذه الموادّ الى شيءٍ من فسفات الكلس والبوطاسا

واعلم انَّ السماد الكيمويّ قد نال في هذه السنين الاخيرة حظوى عند ارباب الفلاحة فاتَّخذهُ ايضًا اهل جنوبي اسبانية ولاسيما سكَّان ولاية بَلِنسية لتسميد مزارع البرتقال . فتحسَّنت بهِ الارض وزادت المحاصيل الَّا انَّ الطمع لا يعرف حدودًا فانَّ الاهلين اذ رأوا إقبال الناس على ثمارهم ورواج اسواق ليمونهم في جهات البلاد حتى انَّ الزارع منهم الذي كان لا يملك سوى هكتار واحد من الارض امكنهُ ان ينال

بعد قليل ثروة واسعة عوّلوا على زيادة تحسين الثمر وتوفيره اكثر واكثر فاتت الاشجار باثمار عجيبة في كبرها ورونقها الّا انّ ذلك اضرّ بطعمها وافقدها حسن ذوقها وكانت اذا صدرت من بلادهم الى غيرها كفرنسة وانكلترّة وهولندة لا تبلغ اليها الّا وتلفت وتهرّأت فحصل من ذلك خسران عظيم حتى كسد سوق ذلك الثمر الاسبانيّ . وجرى لهم ما جرى للدجاجة التي كانت كل يوم تبيض لصاحبتها بيضةً من ذهب فلمّا طمعت هذه في زيادة المحصول وبالغت في علف دجاجتها انشقّت حوصلتها ففقدت الربح الاوّل

واعلم انّ البرتقال ما خلا السماد يقتضيه ماء غزير ففي الصيف ينبغي ان تُسقى الاشجار سقيًا متواترًا بحيث لا تبقى جذورها يابسة على عمق خمسة او ستّة سنتمترات من وجه الارض

ثمّ يلزم ايضًا ان يُعنى الزرّاع بالشجر ليحفظهُ نظيفًا وينزع عنهُ الاعشاب الفضوليّة التي تُضعفهُ وادراكًا لهذه الغاية فليكرّر فلاحة الارض او نكشها بالمعول فانّ لذلك عدّة فوائد منها انّ اعشاب الربيع اذا استؤصلت بالقلع وطُمرت في الارض اصبحت من افضل السماد للشجر

وقد سبق القول انّهُ يحسُن ابعاد الشجرة عن اختها نحو مترَيْن فانّ هذه المسافة تفيد الشجر ايضًا من وجه آخر اذ تسمح للزرّاع ان يحرث الارض وحرثُها افضل لتوفير الاثمار من النكش الذي لا يُبالَغ به الحفر

ومن الامور المهمّة في تربية البرتقال قطع اغصانهِ وتقليمها . فانّهُ من المعلوم الثابت بالتجربة انّ الاغصان المنبسطة افقيًا يكثر حَمْلُها بخلاف الاغصان العموديّة التي ترتفع الى علُ فانّها لا تثمر او يكون ثمرها قليلًا جدًّا . وهو ملحوظ جدير بالاعتبار في خدمة الشجرة وتقليمها وتوجيه اغصانها حتى تقوى اخشابها ويزيد جناها . ولا بُدّ ان تبقى اوساط الشجرة فارغةً خاليةً من الاوراق وتُقطع الاغصان القريبة من الارض . فاذا تمّ ذلك كانت الاثمار متوفّرة كثيرة المائيّة حلوة المذاق

وهذا النوع من تقضيب شجر الليمون قد شاع اليوم في اميركة ليس فقط للاسباب الآنف ذكرها بل لسبب آخر اجدر بالاعتبار وهو سلامة الشجرة من الهوامّ الضارّة . فانّ الفصائل التي نُقلت الى هذه البلاد من اميركا واليابان والصين واوربّة كثيرًا ما

تصحبها الجراثيم المُمْدِيَة والهوامّ والموادّ العفونيَّة التي تجد في رطوبة الاغصان وسَطاً موافقاً لنموّها فتزداد بعد حين وتنتشر في كل اجزاء الشجرة فتمتصّ كل قوّتها وتُضعفها حتى تذوي او تصبح ضئيلة قليلة الآثار. والحال انَّ اشعَّة الشمس ونفوذ الهواء بين اوراق الشجرة وافنانها لمن أنجع الوسائط لمقاومة تلك الجراثيم الوبيئة وملاشاتها. هذا فضلاً عمَّا يسقط بالتقضيب من الحشرات التي تتراكم على الاغصان فاذا قُطعت هذه تُنقل الى مكان بعيد لئلا تعود الهوامّ فتعيث بالشجرة (لهُ بقيَّة)

مجلّة النعمة والاسفار المنزلة

للاب انطون رباط اليسوعي

نشرت مجلَّة «النعمة» الارثوذكسيَّة مقالة في قانون الاسفار الالهيـة جارت فيه البروتستانت فانكرت وحيَ قسم جليل من الكتاب المقدَّس خلافاً لما تعتقدهُ الكنيسة الجامعة عموماً «والكنيسة الشرقيَّة اليونانيَّة الارثوذكسيَّة» خصوصاً وزعمت ان ما ترتئيه المجلَّة المذكورة هو معتقد كنيستها تسلَّمتهُ من الرسل الاطهار فكانت وما برحت معتصمةً بهِ لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيير. ثمَّ حاولت اثبات رأيها باقوال الاباء القديسين كأنَّهم يرتئون ما ترتئي

ولمَّا كان كلا الزعمين مخالفاً للحقيقة وكانت ١ً الكنيسة الارثوذكسيَّة بريئة من التهمة التي وصمها بها صاحب المقالة اذ هي ناضلت كالكنيسة الغربيَّة في وجه البروتستانت عن وحي هذه الاسفار الالهية بصوت مجامعها وبطاركتها وعلمائها

ثم كان ٢ً الاباء القديسون شرقاً وغرباً يؤمنون اصدق ايمان بوحي الاسفار المذكورة ويجلّونها ويستشهدون بها استشهادهم بغيرها من الكتب المنزلة

اخذنا على عاتقنا اظهار الحق دفاعاً عن ايمان الكنيسة الارثوذكسية وعن معتقد الكنيسة الجامعة فنشرنا في مجلة الشرق (١٢: ١ . ٨ — ٨٣٠) بحثاً لاهوتياً تاريخيًّا مسهباً نظرنا فيه نظراً علميًّا في القضيَّة الاولى وهي معتقد الكنيسة بوحي هذه الاسفار. وأجلنا الى فرصة اخرى القضية الثانية التي موضوعها معتقد الآباء القديسين في الاجيال الاولى من الكنيسة ريثما نرى جواب مجلة النعمة. وكنَّا اثباتاً لمقالتنا قلبنا كتب الارثوذكس

انفسهم وجامعهم وتعاليمهم واستخلصنا منها اهمّ الشهادات المثبتة معتقد الارثوذكسيين في وحي هذه الاسفار ولخّصناها في اربعة براهين وهي كما يلي :

١ ان الكنيسة المسيحية عموماً والكنيسة الشرقيّة خصوصاً قد اعتبرت دون انقطاع الترجمة السبعينيّة كمجموعة صادقة وكاملة للاسفار الالهيّة . وهذه المجموعة لم تعتبر الاسفار المجادَل فيها ذيلاً للكتاب المقدّس لكنّها ضمّتها مختلطة بعضها مع بعض بلا ميزة ولا اشارة البتّة تنبئ بها أنّ هذه الكتب الهيّةٌ موحًى بها من الله للبشر وتلك كتبٌ بشريّة فقط لا حظّ لها من الوحي الالهي . فلو لم تقبل الكنيسة هذه وتلك كاسفار منزلة على حدّ سواء لما حفظت على ممرّ الاجيال هذا الاختلاط في مجموعتها المقدّسة ولكانت افرزت بين الكتب الموحى بها لتكون قاعدة الدين المسيحي وبين الكتب التي لم يوحِ الله بها . والّا عرّضت الكنيسة ابناءها للضلال وحاشاها من ذلك

٢ ان « مجمع القبّة » الذي يُلحقهُ اليونان بالمجمع المسكوني السادس يحيلنا لمعرفة الجدول الكامل والصادق للاسفار الالهيّة الى الجداول التي نشرها قانون الرسل الخامس والثمانون وقانون مجمع اللاذقيّة وقانون مجمع قرطجنة وان قابلنا بين هذه الاحكام الثلاثة استخلصنا قانوناً او جدولاً يضمّ اسفار الكتاب المقدّس برمّتها وهذا الجدول يحتوي على الاسفار التي انكرها صاحب مقالة النعمة خلافاً لايمان كنيسته وسبقتهُ البروتستانت الى انكارها

٣ ان الكنيسة الرومانيّة تقبل هذه الاسفار ككتب قانونيّة وقد اعلنت رسميًا معتقدها في المجمع التريدنتيني وانزلت الحرم على من يتجرأ على انكار وحيها فلو كانت الكنيسة اليونانية لم ترضَ بقانونية هذه الاسفار لما سكتت عن اعتقاد الكنيسة الرومانيّة في امر هامّ كهذا ولما رضيت بحرم من يخالفهُ ولكانت عابت على الغربيين هذا الضلال المبين وهي التي لم تدع عادة غريبة صغيرة او كبيرة الّا وانتقدت عليها امرّ الانتقاد . ولكنّك اذا تصفّحتَ كل ما كتبهُ الشرقيّون في ضلالات الغربيين — وقد عدّوها بالمئات — مع انكارهم لكثير من احكام المجمع التريدنتيني لا تجد ذكرًا « لضلال الكنيسة الرومانيّة » في قانون الاسفار الالهيّة . او ليس انكار كلام الله الموحى بهِ للبشر اهمّ من « قصّ الشعر وحلق اللحى واحناء الركب يوم السبت والجلوس على الكراسي والمقاعد في اوقات الصلاة » وغيرها من الامور التي عاب بها الروم الكنيسة الرومانيّة .

فسكوت الكنيسة الشرقيَّة هي بمثابة اقرار صريح باتفاق المعتقد بين الطرفين في قانونيَّة الاسفار الالهيَّة

٤ً ان الكنيسة الارثوذكسيَّة شهدت مراراً بمعتقدها في قانونيَّة الاسفار التي انكرها البروتستانت وذلك في مجامعها وشهاداتها الرسميَّة وتقارير امانتها كما اثبتنا ذلك بالنصوص الصريحة المتعدّدة المنقولة عن احكام المجتمعات الارثوذكسيَّة سنة ١٦٣٨ و١٦٧٠ و ١٦٧١ و ١٦٧٢ و ١٦٧٣ الخ وشهادات الكنائس اليونانيَّة في جزائر الارخبيل وكتب المعلّمين الارثوذكسيَّة المُعتبرة وتآليفهم المحتوية لعقائد الكنيسة الارثوذكسيَّة كملاتيوس سيريغوس وبطرس موغيلا والبطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي واسطفان ايافرسكي وقسطنطين اركونوموس وستورزا وغيرهم كثيرين ممّن اثبتنا شهاداتهم حتى شهادة البطريركيَّة الانطاكيَّة الارثوذكسيَّة التي نشرت بالطبع في بيروت سنة ١٨٧٠ هذه الاسفار ودافعت عن قانونيَّتها حسب تعليم الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة دحضاً لمزاعم البروتستانت

هذه جلُّ براهيننا اثبتنا فيها معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة ودافعنا عمَّن اراد ان يلحق بتعليمها ضلالاً من هذا القبيل ونحن نعتبر ان من تأمّل فيها بعين تريهة لا يمكنهُ الّا الإقرار بان هذه الكنيسة كانت ولا تزال تؤمن بوحي الاسفار التي انكرها البروتستانت وتجرأ على انكارها صاحب المقالة الارثوذكسي في مجلّة النعمة

على اننا قد تحاشينا في كلامنا كل ما من شأنه ان يثير الخواطر مسندين اقوالنا الى النصوص والكتب الارثوذكسيَّة متقيّدين اللسق العلميّ واصفين الكتبة المخالفين بآدب الكلام وارقّه. لكنَّ كاتب مجلّة النعمة ابى ان يجارينا في المجاملة وينظر معنا نظراً علمياً عسى تنكشف الرغوة ويحصحص الحقّ لذوي النيَّات السليمة باحتكاك الافكار فيقلّ عدد الامور المختلَف عليها بين الشرقيين والغربيّين. فلم يرضَ الكاتب المذكور الّا نقل البحث من مجلس الدرس الى ميدان التقريع والخشونة خلافاً لما كنا نأمله من ذوق كاتب النعمة. واذ لسنا من فرسان هذا الميدان وكانت مقالته الاخيرة لم تأتِ ببرهان جديد ولم تمحُ ولا سطراً من الثلاثين صفحة التي كتبناها في معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة تركناهُ وشأنه وعُدنا الى بحثنا العلمي في معتقد الكنيسة الجامعة في قانونيَّة الاسفار التي انكرها البروتستانت وموعدنا في عدد قادم ان شاء الله

وكنّا انتهينا من كتابة هذه الاسطر اذ اتتنا مجلّة الكلمة الامركيّة تدقّ على نغمة شقيقتها وادّعت أنّنا « تحكّكنا » زوراً بكنيسة الروم الارثوذكسيّة . كأنّ كاتب النغمة بتسطيره مقالتهُ عن الاسفار الثانويّة لم يتحكّك بكنيستنا اوّلاً ولم يزيّف معتقد الكنيسة الرومانيّة بوحي الاسفار الثانويّة فيريد ان نسكت لهُ وقد امرنا بطرس الرسول ان نكون مستعدّين ان نؤدي الحساب عن ايماننا . امّا تمييز صاحب الكلمة بين الاسفار الموحى بها في الدرجة الاولى والاسفار الموحى بها في الدرجة الثانية فلا يرضى بهِ عالمٌ اذ ليس للوحي درجات فالوحي امّا ايجابي وامّا سلبي ليس بينهما وسط . فان ثبت فهو كلام الله الذي لا يزول وان زالت السماء والارض

الرصافيّات والريحانيّات

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان صحّ ما قيل انّ الشِعْرَ مِنَ الشعور فذلك لعمري نعم الاشتقاق فان الشاعر المُجيد هو الذي لا يندفع الى تقصيد القصائد الّا اذا حداهُ اليهِ عاملٌ يحيك في صدرهِ ويؤثر في جنانهِ فتنبعث قريحتهُ الساكنة وينطق لسانهُ الجامد بشعرٍ هو صورة محسوساتهِ الباطنة فيتغنّى بهِ . وذلك ما يُفرز الشاعر عن الناظم فانّ الشاعر يُترجم عن شواعرهِ وما الوزن سوى آلة في يدهِ ليثّ عمّا تضمّنتهُ مشاعرهِ امّا الناظم فيكتفي بالقالب ويهتمّ بالصورة الخارجية وطنطنة الالفاظ وبهرج الكلام . ذاك حليّ تنقاد لهُ المعاني فتخرج من فيهِ مكسّرةً بما يليق بها من الالفاظ وهذا ميّت مسجىً بكفنٍ نظيف نثرت عليهِ الزهور لتستر عن جمودهِ :

اذا نظم اللسانُ بما حواهُ جنانُ المرء فادعُهُ باسم شاعرْ
وان سبق الشعورَ لزومُ وزنٍ فما هو بالحقيقة الّا نابرْ

ولعلّ هذا الشعور هو الذي امتاز بهِ الشعر الجاهليّ عن سواهُ فانّ الشعراء الاقدمين كانوا اذا تغنّوا بالقريض جعلوا نظمهم ترجمان جنانهم ولسان وجدانهم . فلمّا ظهر الاسلام وضع صراراً على افواههم حتى ان صاحب كتاب الاغاني وابن قتيبة وغيرهما نقلوا عن قدماء النقّادين قولهم انّ الشعر ذهب رونقهُ مع الجاهليّة ويؤيد ذلك

ما حُكم به على إمام الشعراء الأوّلين على ما روى قوم من الادباء : انّ امرء القيس اشعر الشعراء بيده لوازهم وهو قائدهم الى النار (١ . وقد اعرب الجهابذة عن اعتبارهم للشعر الجاهليّ بضروب شتى نكتفي بحكمهم من شعر الاخطل قال ابو عمرو (اغاني ٧: ١٢٧) : لو ادرك الاخطل يوماً من الجاهليّة ما فضّلت عليه احداً . ومثلهُ قول ابن عيدة عن ذي الرمّة (اغاني ١٦: ١٥٥) : انّ به خُتم الشعر العربي . وذو الرمّة من المخضرمين . والحقّ يقال انّ الشعراء المفلقين بعد الجاهليّة لا يكادون يتجاوزون عدد الانامل ولن اعملت نظر الانتقاد في معظم دواوين الشعراء الذين قاموا بعد الطور الجاهليّ رأيتها غالباً حسنة القشرة عديمة اللباب تكثر فيها انواع البديع وصنوف الاشكال المزوّقة والتفنّن في التشابيه وحسن اللفظ والتعبير . امّا شعور النفس فتراهُ مفقودًا اللهمّ الّا في بعض القصائد القليلة التي قالها اصحابها عن جفن مقروح وقلب مجروح وعواطف حسّاسة وضروريّات مأسّة كبعض المراثي والزهديّات واوصاف الاحوال

ومن آفات الشعر بعد الجاهليّة حصرهُ في بعض ابواب قليلة لا يخرج الشعراء عن دائرتها الضيّقة كالمديح المبتذل والغزل البارد والنسيب التّفه والرثاء الممل امّا اذا طلبت شيئاً من اوصاف عجائب الكون او الحوادث الاجتماعيّة وامور السياسة او العلوم المستحدثة فلا تجد منها الّا ما لا يفي بمقصودك ولا يبرّد غليلك . وقد كنّا نطلب في بعض دواوين القرن الماضي لدى وضعنا لتاريخ آداب القرن التاسع عشر شذرات تلذّ مطالعتها فنثبتها في مقالتنا كامثلة يُسَرُّ بها القرّاء فلا نكاد نجد فيها ضالّتنا

وها قد انتهت والحمد لله هذه الحالة الحرجة منذ اختلطت الناشئة العصريّة بالامم المتمدّنة ودرست آدابهم وشعرهم وادركت ما في دواوينهم من المواضيع الشائقة والمنظومات الرائقة في كل ابواب الكتابة فكأنّهم استيقظوا من منام او افاقوا من غفلة واخذوا يقتصّون في العربيّة مدارجهم ويقتفون آثارهم فجاء الشعر العصريّ على رونق جديد مرتديًا بثوب قشيب يتدفّق رقّةً ويستفيض حسناً فترى المسلمين والنصارى يتبارون في هذا الميدان ويأتي كل شاعر بما لم يدرُ على الحسبان

وممّا ظهر مؤخّرًا من المصنّفات في عالم الآداب كتابان الواحد نظم والآخر نثر

١) اطلب الاغاني (٧: ١٢٠) والمزهر (٢: ٣٣٩) والعمدة لابن رشيق (ص ٦٣)

ذلك شعر بحت وهذا يتقلّد الطرائق الشعريّة وكلاهما موسوم باسم كاتبه : الرصافيّات وهي القصائد التي جادت بها قريحة احد افاضل بغداد المسلمين معروف افندي الرصافي. والريحانيّات لامين افندي الريحاني اللبنانيّ الماروني فاحببنا ان نصفهما للقرّاء فنقدّر كلًّا منهما قدره

١ الرصافيّات

هي مجموع زهاء مئة قصيدة في ٢٣٠ صفحة نظمها الرصافي شاعر بغداد فاجاد بها واصاب المرمى ولمّا مرّ في بيروت قاصدًا الاستانة لينشئ فيها جريدة « العرب » اقنعهُ رصفاؤهُ بان ينشر ديوانهُ فلا تتضعضع منظوماتهُ بالتفرّق والشتات فرضي بذلك وتعهّد جناب محيي الدين افندي الخيّاط بان يتولّى الطبع في غيبة الشاعر بل علّق على قصائده تيسيرًا لادراك معانيها شروحًا لم يسمح لهُ مرضٌ عرض لهُ بان يتمّ منهُ سوى ثُلُثَيهِ

وقد قلّب جناب متولّي الطبع قصائد الرصافي فحصرها في اربعة انواع فجعل في الباب الاوّل الشعر الواصف للكون إجمالًا فدعا منظوماتهِ الكونيّات. وضمّن الباب الثاني القصائد المنوطة باحوال الهيئة الاجتماعيّة فسمّاهُ الاجتماعيّات. وعنون الباب الثالث بالتاريخيّات لتضمينهِ فيهِ القصائد التاريخيّة. وختم الديوان بالوصفيّات وهو الباب الرابع وآخر الابواب. وقد شعر جناب القائم بهذا التبويب انّ فعلهُ لا يتجاوز التغليب والترجيح اذ يمكن نظم بعض هذه القصائد في ابواب شتى

ومهما كان من امر تنظيم المنظومات فانّنا نقول بالاجمال انّ هذا الديوان من ابدع ما أتت بهِ اقلام المحدثين لا ينقصهُ الّا شيء قليل ليُجعل كدستور الشعر العصريّ في ايدي احداث المدارس يشحذون بهِ قرائحهم ويقتبسون من أنوارهِ ليحرزوا أسرار الكتابة. وممّا نشنّاهُ لكمالهِ ان يُضبط بالشكل الكامل وان تُنزع عنهُ بعض الاوصاف الشقيّة التي وان لم تبلغ المجون وخرق الآداب فمن شأنها ان تثير في مخيّلة الصغار اهواء القلب الباطل كوصف الراقصات (ص ١٦٥ وص ٢٠٩) والقبلة في القلائل (ص ٢٢١) وما رأى الشاعر في بك اوغلي (ص ١٧٤) والمرسح (ص ٢١٧) يُضاف اليها ابيات قليلة تحصر الفضل في حدود ضيقة كقولهِ في مسامحة الصديق (ص ٢١٢) :

وسامحْ صديقًا قد اساء بفعلهِ ثلاثًا سوى من ذلك الفعل ينقضُ
وبعد ثلاثٍ دَعْهُ فغيرَ مُسامحٍ فرَفْضُ الذي دامت اساءتُهُ فرْضُ

فاين ذلك من قول السيّد المسيح لبطرس (متّى ١٨ : ٢٢) انهُ يجب اذا اخطأ اليك اخوك ان تغفر لهُ ليس سبع مرّات فقط بل سبعين مرّة سبع مرّات

فهذه وامثالها لو نُزّه عنها الديوان لاوصينا بهِ كل ارباب المدارس واثنينا بهِ الثناء التامّ دون استثناء ولا شذوذ

وقد قدّمنا الملحوظات على ثنائنا لئلّا تبقى عثرةٌ في طريقنا فنقول انّ الرصافيّ في ديوانهِ قد حقّق تعريف الشاعر بملء معناهُ فانك لا تكاد تقرأ بيتاً من ابياتهِ الّا وتتأكّد ان قائلهُ يُترجم عمّا طُبع عليهِ ذهنهُ واختمر في لبّهِ فينطق لسانه بما كاد يفور بهِ جنانه وايمُ الحقّ انهُ صدق حيث قال عن نفسهِ (ص ١١٢):

الشعر منتقرٌ في لمتكر ... ولستُ للشعر في حال بمُفتقر
دعوتُ غرَّ القوافي وهي شاردةٌ ... فأقبلت وهي تمشي مشيَ متئد
وسلّمتني عن طوعٍ مقادتها ... فرُحتُ فيهنّ اجري جريَ مقتدر
اذا أقمتُ اقامت وهي من خدمي ... وايما سرتُ سارت تقتفي اثري
طابقتُ لفظيَ في المعنى فطابقهُ ... خلواً من الحشو مملوءاً من العبر
واجودُ الشعر ما يكسوهُ قائلهُ ... بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر . . .

فهذا الوصف للشعر ينطبق كلّ الانطباق على ما يطلبهُ اهل زماننا من الشعراء المحدثين . وقد بيّن الرصافي على صورة مبتكرة كيف تخيّل لهُ الشعر العصري وذلك في قصيدتهِ التي صدّر بها ديوانه وعنوانها « العالَمُ شِعرٌ ». وقد اعرب فيها عن دقّة نظر في الشعر الصحيح وشروطه وفنونهِ التي عليها مداره وهذا اوّلها:

قرأتُ وما غيرُ الطبيعة من سِفرِ ... صحائفَ تحوي كل فنٍّ من الشعر
أرى غُرَرَ الاشعار تبدو نضيدةً ... على صفحات الكون سطراً على سطر
وما حادثاتُ الدهر الّا قصائدٌ ... يفوهُ بها للسامعين فمُ الدهر
وما المرء الّا بيتُ شعرٍ عروضهُ ... مصائبُ لكن ضربُهُ حفرةُ القبر
تُنظّمنا الايّامُ شعراً وانّما ... تردُّ المنايا ما نظمنَ الى النثر

ثم تنقّل بين السماء والارض والبحار فوصف كثيراً من مناظر الطبيعة واحوال البشر وبيّن ما فيها من المحاسن الشعريّة. ودونك واحداً من هذه الاوصاف:

ويوم بهِ استيقظتُ من هجعة الكرى ... وقد قدَّ درعَ الليل صمصامةُ الفجر
فأطربني والديكُ مُشجٍ صياحهُ ... ترنّمُ عصفورٍ بزقزق في الوكر
وممّا ازدهى نفسي وزاد ارتياحها ... هبوبُ نسيمٍ سجسجٍ طيّب النشر

مار منصور دي بول

شفيع الشركات الخيرية الكاثوليكية وخصوصاً الشركة المنتسبة اليه

فقُمتُ وقامَ الناسُ كلٌّ لشأنهِ كأنَّ ضجيجَ البيتِ في ساعةِ الثغرِ
وقد طلعت شمسُ النهارِ كأنها مليكٌ من الأضواءِ في عسكرٍ بحرِ
بدت من وراءِ الأفقِ ترفُلُ للملى رويدًا رويدًا في غلائلها الحُمرِ
غدت تُرسِلُ الانوار حتى كأنها تُسبلُ على وجه الثرى ذائبَ التبرِ
الى ان جلَت في نورها رونق الضحى صقيلًا وفي بحر الفضاء غدت تجري
وأهدت حياةً في الشعاع جديدةً الى حيوانِ الارضِ والنبت والزهرِ
فقلت مشيرًا نحوها بمفارةٍ ألا انَّ هذا الشعرَ من ابدعِ الشعرِ

على انَّ جناب الرصافيّ لم يكتفِ بأن يُوضح في شعره أنه عالمٌ بفنون القريض واقفٌ على شروطهِ مُدرك لخواصّه بل هو يُعرب في كل مقاطيعه عن نفس رقيقة كجُلَيدة ادوات الفوتغراف التي لا ينفذ اليها شعاعٌ من النور الّا تأثّرت من روى المحسوسات فرسمت صورتها بكل تدقيق وضبط. وهاكم نحن نثبت من شعره فقرات تشهد على قولنا. فمن ذلك روايته لقصّة مطلّقةٍ قُضي على زوجها بمفارقتها لحانهِ بالطلاق على غرّةٍ دون تروٍّ فافتتح القصيدة بوصف تلك الظلومة قائلًا (ص ٥٢—٥٦):

بدت كالشمس يحجبها الغروبُ فتاةٌ راعٍ تفرقها الشعوبُ
مترّهة عن الفحشاء تَودُ من الخَفِرات آنسةٌ قروبُ

ثم انتقل الى تعريف سبب الطلاق وظروفهِ وما لحقَ بالزوجين لسببهِ من الكآبة:

حليلة طيّب الاعراقِ زالت بهِ منها ومنهُ جما الكروبُ
رعى ورعت فلم ترَ قطّ منهُ ولم يرَ قطّ منها ما يريبُ
توثّقَ حبلُ ودّهما حضورًا ولم ينكث توثّقهُ المنيب
تغاضب زوجها المُلطاء يومًا بامرٍ للخلاف بهِ نشوبُ
فأقسم بالطلاق لهم يمينًا وتلك أليّةٌ خَطَأً وجُوبُ
وطلّقها على جهل ثلاثًا كذلك يجهل الرجل النضوبُ
رافق بالطلاقِ طلاق بتٍّ ذوو فُتيا تعصّبهم عصيبُ
فبانت عنه لم تأتِ الدنايا ولم يعلق بها الذمُّ المعيبُ

فظلّت وهي باكية تنادي بصوتٍ منهُ ترتجف القلوبُ
لماذا يا غيب صرمتَ حبلي وهل اذنبتُ عندك يا مجيبُ
وما لك قد جفوت جفاء قالٍ وصرتُ اذا دعوتُكَ لا تجيبُ
أينَ ذنبي اليَّ فدتك نفسي فاني عنه بعدئذٍ أتوبُ
اما عاهدتني باللهِ ان لا يفرّق بيننا الّا شعوبُ
لئن فارقتني وصددت عني فقلبي لا يفارقهُ الرحيبُ...

فأطرق رأسهُ خجلاً وافضى وقال ودمع عينيهِ - ربُ
نجيبةُ أقصري عني فاني كفاني من لظى الندم اللهيبُ
وما والله هجرك باختياري ولكن هكذا جرت الخطوبُ

وكأنَّ الشاعر احسَّ بما كان في تلك الفتوى من الظلم فقال:

ألا قل في الطلاقِ لموقعيهِ بما في الشرعِ ليس لهُ وجوبُ
غلوتم في ديانتكم غلوًّا يضيق ببعضه الشرعِ الرحيبُ
اراد الله تيسيرًا وانتم من التعسير عندكمُ ضروبُ
وقد حلَّت بأمتكم كروبٌ لكم فيهنَّ لا لهم الذنوبُ
ومَن حبلُ الزواجِ ورقَّ حتى يكادَ اذا نفختَ لهُ يذوبُ

واحسن ختامها بقولهِ:

لعلَّ الله يحدث بعدُ امرًا لنا فيخيبَ منهم من يخيبُ

وارقَ من هذه الابيات وصف الشاعر لأمِّ اليتيم وهي رواية ينشقّ لها الجلمود الاصمّ. فقال بعد مقدّمة جميلة (ص ١٠٧—١١١):

وبيتٍ بكتْ فيه الحياةُ تعاسةً ولاحت بوجه العابس المتجهّمِ
بهِ ألفت الايامُ اثقالَ بؤسها فهاجت بهِ الاحزانُ نافرةَ النعمِ
كأني أرى البنيانَ فيهِ مهدَّمًا وما هو بالخاوي ولا المتهدّمِ
ولكنَّ زلزالَ الخطوبِ هوى بهِ الى قعر مهواة الشقاء المجسّمِ
دخلتُ بهِ عند الصباحِ على التي سقاني بكاها في الدجى كأس علقمِ
فالفيتُ وجهًا خدَّد الدمعُ خدَّهُ وشعرَ جفنٍ بالبكا متورّمِ
وجسمًا نحيفًا انهكتهُ همومهُ فكادت تراهُ العينُ بعضَ توهّمِ
لقد جلست فوق التراب وحولها صغيرٌ لها يرنو بعينَي مُيتّمِ
تراهُ وما ان جاوز الخمس عمرهُ يُدبر لحاظَ اليائسِ المتفهّمِ
بكى حولها جوعًا فغذّتهُ بالبكا وليس البكا الّا تعلّة معدمِ
واكبر ما يدعو القلوبَ الى الأسى بكاء يتيمٍ جائعٍ حول أيّمِ
وقفت وقد شاهدتُ ذلك منهما لمريمَ ابكي رحمةً وابن مريمِ
وقفت لديها والاسى في عيونها يكلّمني عنها ولم تتكلّمِ
وساءلتها عنها وعنهُ فاجهشت بكاء وقالت ايها الدمع ترجمِ
ولمّا تناءت في البكاء تضاحكت من اليأس ضحك الهازئ المتهكّمِ

ثم وصف الشاعر ما دار بينهُ وبين امّ اليتيم من الحديث:

فقلتُ وفي قلبي من الوجدِ رعشةٌ أيحنونةٌ يا ربِّ فارحم وسلّمِ

ومذ مَرضتْ للابن منها الثقافةُ اشارت اليهِ بالمدامعِ أنْ قُمِ
فقام اليها خائر الجسمِ فانثنت عليهِ قضتْه بكفٍّ وبِمِعْصَمِ
وظلّتْ لـه ترنو بعينٍ تجودهُ بفذٍّ من الدمع الغزيرِ وتوأمِ
فقال لها لمّا رآنيَ واقفاً أُردِّدُ فيهِ نظرة المتوسّمِ
سَلي ذا الفتى يا أُمِّ أين مضى الى وهل هو يأتينا مساءً بمطعمِ
فقالت لهُ والعين تجري غروبُها وانفاسُها يقذفنَ شعلةَ مُضرَمِ
ابوكَ ترامت فيهِ سفرةُ راحلٍ الى الموتِ لا يُرجى لهُ يومُ مُقدَمِ
مشى ارمنيًّا في المساهد فارقت بهِ في مهاوي المارتِ ضربةُ مُسلِمِ
على حينِ ثارت للذوائب ثورةٌ أتت من حزازاتٍ الى الدين تنتمي
فقامت بها بين الديار مذابحٌ تخوّض منها الارمنيّون بالدمِ
ولولاكَ لاخترتُ الحسام تخلّصاً بنفسيَ من اتعابِ عيشٍ مذمَّمِ
فانت الذي اخّرتَ امّكَ مريمًا عن الموت ان يودي بأمّكَ مريمِ

أمريمُ مهلاً بعض ما تذكرينهُ فانّكِ ترمين الفؤادَ بأسهُمِ
أمريمُ ان الله لا شكَّ نائمٌ من القوم في قتل النفوس المُحرَّمِ
أمريمُ فيما تحكمين تبصّري فان انت ادركتِ الحقيقة فاحكمي
فليس بدينٍ كلُّ ما يفعلونهُ ولكنه جهلٌ وسوءُ تفهُّمِ...

الى ان قال في الختام:

وظلّتْ لها ابكي بعينٍ قريحةٍ جرتْ من اماقيها عُصارةُ مَندَمِ
بكيت وما ادري أأبكي تضجّراً من القوم ام ابكي لشقوة مريمِ

وليست رواية « اليتيم في العيد » (ص ٨٦—٩٣) ومأساة « الفقر والسّقام » (٦١—٧١) باضعف دليلًا على رقّة عواطف الشاعر لا يتصفّحهما القارئ الّا تسيل من مآتيهِ العبَرات فيرثي لأحوال اولئك المبؤسين ويثني على الشاعر الذي بكى فأبكى ولبس شواعر الحنان والرحمة على المنكوبين فحنّ عليهم القلوب واورثها الشفقة على مصابهم

ومثلها دليلٌ على كرم اخلاق الشاعر ولطف طباعهِ قصيدتاهُ في « الصديق المضاع » (١١٨—١٢٢) و« اليتيم المخدوع » (٧٥—٧٦) وسمَ فيهما بسمة العار الاصدقاء المماذقين المتمحّلين الناكثين للعهود ثم النصّابين الذين لا يرثون لضعف الاحداث فيعرّضونهم للتهلكة رجاء الربح الخسيس فكأنَّ شعر الرصافي صدًى لقولهِ تعالى (لوقا ١٧: ١—٢): « الويل لمن تقع عن يدهِ الشكوك فانهُ خيرٌ لهُ لو عُلّق في عنقهِ حجرُ الرحى وطُرح في البحر من ان يشكك احد هؤلاء الصغار »

على انَّ نفس الرصافيّ ليست رقيقةً فقط لكنَّها ايضًا ابيَّة حميَّة لا يسوسُها ظالمٌ خُطَّة خَسْفٍ فجمعت هكذا بين الشهامة واللين وبين الأنفة والتعطّف . ولو شئنا ان نثبت قولنا في عزَّة نفس شاعرنا لاتّسع بنا المجال . وقد ضربنا عدَّة شواهد على قولنا في ما نقلناهُ من شعر الرصافي في مقالتينا السابقتين الحماسة الدستوريَّة (في المشرق ١٢ : ٨١—٩٦) ومنظومات الوقائع الدستوريَّة (في المشرق ١٢ : ٨١—٩٦ و ٦٤١—٦٦٤) ومن هذا القبيل قصائد غرّاء تستفزُّ حماسُها نفوس سامعيها فتتّقد مع نفس قائلها غيرةً وحميّة فلا تعود ترضى بالذلّ والصغار . فاسمع رعاك الله ما ترنَّمت بهِ اوتار قريحة الشاعر في وقت الاستبداد فقال في « تنبيه النيام » (ص ٧٧—٧٩) :

عجبتُ لقومٍ يخضعون لدولةٍ يسوسهمُ بالمُوبقات عميدُها
وأعجبُ من ذا أنَّهم يرهبونها واموالها منهم ومنهم جنودُها
اذا وُليت أمرَ البلادِ طُغاتها وساد على القوم السَّراة سَودُها
وأصبحَ حرُّ النفس تعلو كرامها يُردُّ مهانًا عن سبيلٍ يريدها
وصارت لئامُ الناس تعلو كرامُها وهاب ليدًا في النَّشيدِ بليدُها
فما أنت الَّا ايُّها الموتُ نعمةٌ يعزُّ على امل الحفاظِ جحودها

ومثلها قولهُ يخاطب وطنهُ بغداد في « ايقاظ الرقود » من مخمَّس طويل كلّهُ ناطقٌ عن نخوة عربيَّة صادقة (ص ٨٠—٨٦) :

اليكِ اليكِ يا بغدادُ عنّي فاني لستُ منكِ ولستِ مني
ولكني وان كبر التعجّي يعزّ عليَّ يا بغدادُ اني
اراكِ على شفا هولٍ شديدٍ . . .
ترقّى العالمون وقد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
ومن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بني بغدادَ قطنا
الى كم نحن في عيش القرودِ . .
حكومةَ شعبنا جارت وصارت علينا تنبذُ بما اشارت
فلا احدًا دعتهُ ولا استشارت وكلُّ حكومةٍ ظلمت وجارت
فبشّرها بتمزيقِ الحدودِ . . .

ومثلها تحمّسًا قصيدتهُ المعنونة « رقية الصريع » (٩٦—٩٨) اوَّلها :

يا عَدلُ طال الانتظارُ فعجّلِ يا عدلُ ضاقَ الصبرُ منكَ فأقبلِ
كيفَ القرارُ على امور حكومةٍ حادت جميعًا عن الطريقِ الأمثلِ
في الملك تفعل من فظائع جورها ما لم تقُل وتقولُ ما لم تفعلِ
أضحت مناصبُها تُباعُ وتُشترى فغدت تُفوَّضُ للغبي الاجهلِ

تُعطى مُؤجَّلة لمن يبتاعها ومتى انقضى الأجلُ المسمَّى يُنزَلِ
سوقٌ تُباع بها المراتبُ سُمِّيت دارَ الخلافة عند من لم يعقلِ

وليست دونها اباء وترفعاً قصيدة « سُوء المنقلب » (٩٩–١٠٤) مطلعها :

بغدادُ حسبُكِ رقدةً وسُباتُ أوَ ما تخشَّكِ هذه النكباتُ
وَلَمَتْ بكِ الاحداثُ حتى اصبحت ادواء خطبكِ ما لهنَّ أساةُ

وهذه القصائد كان الشاعر انشدها قبل الحكم الدستوري وابقاها في مدافن النسيان لئلّا يعود إشهارها عليه وبالًا . فلمّا أُعلن بالدستور اورى زناد قريحته فقال تلك الحماسيّات التي نقلنا عنها قطعاً صالحة . لكنَّ الرصافي أحكمُ من ان ينخدع بالبهرجة ولم يلبث ان يرى نقائص كثيرة في الدستور واصحابه فلم يسكت عنها ورشقها بأسهم شعره المطبوع منها قصيدتهُ الحديثة التي لم تُرْوَ في ديوانه فوصف هذه الاحوال السيئة فقال :

شكايةُ قلبٍ بالأسى نابضُ العرقِ انى قائم الدستور والعدل والحقِّ
ملوك عَلَى كل الملوك ثلاثة لها الحكم دون الناس في الفتق والرتقِ
وأقسم اني لا أكون لغيرها مطيعاً ولو من اجلها ضُربت عنقي
فهل ايها الدستورُ تسمع شاكياً بك اليوم يرجو ان يرى غصة الشرقِ
لقد جئتَ من أفق الصوارم طالعاً علينا طلوع الشمس من منتهى الافقِ
فصادفت منّا أمّةً قد تمشّقت لقاءكَ حتى جاوزت مَبلَغ المشقِ
ولم نبدِ عنفاً حين جئت وانما هتفنا جميعاً بالوفاقِ وبالرفقِ
وظلّنا نرجّي منك للخرقِ راقعاً ولكن تراخى الامر متّسع الخرقِ
بك اليوم اشقانا الأولى انت مُسعِد لديهم فيا قُبح المُسعِد المُشقي
نراك بايديهم عَلَى الخلق حجّةً وانت عليهم حجّةً لا على الخلقِ
قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به وسدُّوا على من حولهم منبع الرزقِ
كأنّا لهم شاةٌ فهم يحلبوننا وكم مخضوا أوطاننا مخضة الزقِّ
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها ولم يتركوا للساكنيها سوى المذقِ . . .
فما نحن الّا كالظماء وانهم كساقٍ بريّا الماء عذباً ولا يسقي . . .
ألم يبصروا للعدل غير طريقهم فان طريق العدل من اوضح الطرقِ
وماذا عسى يجدي سقوط وزارة اذا لم تقم أخرى على العدل والصدقِ
مضى كاملٌ من قبل حلمي وان جرى كما جريا حُقّي قبلتما حُقّي . . .
فيا ايها الدستور فاقضِ بما ترى وأبرقْ ولكن لا تكن خُلّب البرقِ
ولسنا نريد اليوم حكماً عليهم ولكن نناديهم وندعو الى الحقِّ
تعالوا الى امرٍ نساويهِ بيننا وبينكم في الجلّ منهُ وفي الدقِّ
فان يفعلوا هذا فيا مرحباً بهم والّا فيا سحق المعاند من سحقِ

وما يعجبنا خصوصاً في شعر الرصافيّ تفنُّنهُ العجيب في الاوصاف فانك تراهُ على شبه الطائر الرشيق يتقلّب بكل خفّة في ارجاء السماء وفي اطراف المعمور ويتنقّل بين الرياض والقفار وبين الجبال والوهاد يدقّق النظر في كل مشاهد الطبيعة فيستعير منها محاسنها ويدمجها في شعرهِ دون تكلّف. والامثلة على ذلك عديدة كقصيدتهِ «بني الارض» (ص ٢٤) و«من اين الى اين» (ص ٢٧) وفيها يخاطب كل اسرار الكون:

يا قرّة الجذب أطلقيني من ثقلة اوجبت هناني
لولاكِ لولاكِ يا شكالي لطرتُ كالنور في الفضاء . . .
وانتِ يا كهرباء سرٌّ بدا وما زال في غشاء
عجائبُ الكون وهي شتّى فيك انطوت ايّما انطواء . . .

ومثلها في قصيدتهِ «ألكني يا ضياء» (ص ٤١):

أجدّكِ يا كواكبُ لا ترينا بياناً منكِ يخبرنا اليقينا
كأنّ السامَ العلويَّ سفرٌ نطالعهُ ولسنا مُفصحينا
نحاول منهُ اعرابَ المعاني بتأويلٍ فنرجع مُعجمينا
كواكبُ في المجرّة عائماتٌ سكت في بحر فسحتها السفينا . . .
تردُّ الغايات اذا رأتنا لو انتظمت لها عقداً ثمينا . . .

ومثلها المعارف الحديثة والعلوم العصريّة فانّ شاعرنا البغداديّ عرف من اين تُؤكل كتفها فاستمدّ منها كثيراً من اوصافهِ كقوله في وصف القطار (ص ١٦٨):

وفاطرةٍ ترمي الفضا بدُخانها وتملأ صدرَ الارض في سيرها رُعبا
لها منخرٌ يُبدي الشواظَ تنفّساً وجوفٌ بهِ صار البخار لها قلبا
تمشّت بنا ليلاً تجرّ وراءها قطاراً كصفّ الدوح تسحبهُ سحبا
فطوراً كصفّ الريح تجري شديدة وطوراً رخاء كالنسيم اذا هبّا
تساوى لديها السهلُ والصعبُ في السُّرى فما استسهلت سهلاً ولا استصعبت صعبا
تدكُّ متون الحزن دكّاً وانها لتذهب سهل الارض في سيرها ذهبا
يمرُّ بها العالي فتعلو تلفّتاً ويعترض الوادي فتجتازهُ وثبا
وتخترق الطودَ الأشمَّ اذا انبرى وقد وجدت من تحت قنّتهِ نقبا
برنّ بجوف الطود صوت دريّها اذا ولجت في جوفهِ النفقَ الرحبا
لها صيحةٌ عند الولوج كأنها تقول بها يا طود خلّ لي الدربا . . .

وفي شعر الرصافي غير ذلك من المحاسن يقضي علينا حرَجُ المكان بالسكوت عنها وفي ما سبق ما يشهد على صدق مديحنا فعسى كلامنا يبعث في قلوب قرّائنا الرغبة في مطالعة هذا الديوان الفريد وفي شعرائنا اقتصاص آثارهِ الطيّبة

٢ الريحانيات

أسكرتنا الرصافيات فكادت تُنسينا الريحانيات. وانّا لعمر الحق كنّا نودّ ان نطرئ نثر اللبناني كإطرائنا شعر البغدادي وقد قدّمنا انّ الشعر بالمعاني اكثر منهُ بالوزن. وزادنا في مطالعتها شوقاً انّ بعض الكتبة مدحوا « سموّ خيالها الشعري ودقّة مسلكها النظري » وادّعى صاحبها انها « شعر منثور » فطلبنا فيها صورتها الشعريّة « المنسوجة (كما قالوا) من خيوط الشمس والملوّنة بألوان الحقول » او معانيها الفلسفيّة والاجتماعيّة بيد أنّا عُدنا من الوجهين بخفّي حنين

امّا الصورة الشعريّة فاني لستُ انكر انّ في انشاء الريحاني بعض الشبه بمقالات العصريين من الكتبة بين الفرنسويين والانكليز والايطاليين فجرى في العربيّة مجرى اولئك الكتبة في لغاتهم وكثيرون من أدبائنا المحدثين اخذوا منذ سنين ينهجون هذا المسلك وليس هو بالوعر ولعلّ بعضهم يلتجئون الى زخرف الانشاء وتزويق الكلام ليستروا فقر معانيهم وعقم افكارهم وعلى كل حال لو قابلنا بين انشائهم وانشاء الريحاني لما رأينا فرقاً بينهُ وبينهم بل منهم من يفوق عليهِ في معرفة اللغة وفضلهُ في ابتداع التشابيه وابتكار التعابير اللطيفة

ثم انّ للشعر مزيّةً أخرى لا نُدحة عنها لناظمه نريد سداد الكاتب والصواب في كلامهِ قال الشاعر:

فان لم تجد قولاً سديداً تقولهُ فصمتُك عن غير السَّداد سدادُ

فان كان السداد فرضاً واجباً على الشاعر فما قولك بهِ على الناثر. وهيهات ان يحلي الريحاني كتاباتهِ بهذه الصفة كما سترى

فهلمَّ الآن الى الوجه الثاني من المزايا المنسوبة الى الريحانيات اعني المعاني البليغة والحكم الاجتماعيّة والنظر الفلسفيّ حتى انّ البعض سمّوا كاتبها « بالفيلسوف الصغير »

اي والحقّ انّهُ لصغير وأصغرُ الصغار لأنّ الفلسفة كما أجمعَ على تحديدها ارسطو وكبار الحكماء من بعدهِ هي معرفة الاشياء بعللها القاصية والله سبحانهُ وتعالى علّة العِلَل وسَبَب كل المسبَّبات يؤدي بنا الى معرفته نور العقل فضلاً عن الايمان. وترى الريحاني في كثير من كتاباتهِ يجهل تلك العلّة القصوى ويلقي في العقول زوّان الشكوك في وجودهِ تعالى وفي اصل الكائنات وغايتها. فاسمع أيها القارئ وردّد كلمة السيّد المسيح

على صليبه : « اغفر لهُ يا ربّ فانهُ لا يدري ما يفعل » ولا ما يقول . وتحقّق ما في كلامهِ من النَّفَس الشعريّ زه ! زه! قال (ص ٢١٧) سامحهُ الله :

« الجرذان في قبوكَ لا يعرفون ما اذا كان القبو ثابتًا الى الابد او الى حين ولا يعرفون مَن شيّدهُ ولماذا . انما هم يعيشون في زاوية منهُ او بالحري في ظلماتهِ فيجدّون في طلب رزقهم ويدافعون عن انفسهم ويهربون من وجه الحيوانات المتسلّطة عليهم فيضاعفون نسلهم ويضاعفون في ذلك عذابك هذه زبدة حياتهم ومصلها في القبو الذي بنيتَهُ لنفسك لا لهم . والبشر في هذه السيّارة الصغيرة التي تُدعى الارض انما هم سبلٌ شأنك كالجرذان فانّنا نسل كأحقر المخلوقات في الظلمات ولا نعرف ما اذا كان العالم ثابت (كذا) الى الابد او الى حين ولا نعرف الغاية التي من اجلها شُيد هذا القبو الذي يُدعى الارض ولا الغاية من وجودنا فيهِ ناهيك من قصد البناء العظيم الذي . . . حسّ ! انما نحن كالجرذان » (كذا بحرفهِ)

فما ابدع هذا الكلام الشعري في فم « الفيلسوف الصغير » بل « الجرذون الكبير » ! وهو الاسم الذي اختارهُ لنفسهِ فليتمتّع بهِ . ومثل هذا قولهُ في محلّ آخر (ص ٢١٤) انّ الفلاسفة كلّهم حتى اليوم « لم يورثوا العالم سوى الاوهام والشكوك » وان « الكون كيفما نظر اليهِ العالِم يظلّ فوق علمهِ » فما احرى بالانسان ان يعود الى الهمجيّة ويعيش كالعجماء اذ لم يستطع على قول « الجرذون » ان يقف على بعض حقائق الكون والحياة !

وقس على هذا اقوالًا كثيرة بل مقالات واسعة يُستشفّ منها روح الكفر بل يجاهر بهِ علنًا دون حياء ولا خجل كمقالتهِ عن فُلتير (ص ١٦٠) حيث يحضّ كل اديب سوري (كذا) ان « يخرج من عالم الخرافة المظلم الى بلاد الحرّية العامرة فيذهب توًّا الى فُلتير ليقدّم لهُ الجزية » وما ادراكَ مَنْ فُلتير ؟ أوخم الكتبة وارذلهم الذي خان وطنهُ وباع دينهُ وقوّض اركان كل تمدُّن وهيئة اجتماعيّة . ومثلهُ جان جاك روسو الذي شرّفهُ الريحاني بمقالةٍ كفلتير . فاسمع وصف السيّد جمال الدين الافغاني لهذين الرجلين الاثيمين واقض القضاء الواجب في الريحانيّات وصاحبها . قال ولله درُّهُ من قائل :

« الشعب الفرنساوي شعبٌ كان قد تفرّد بين الشعوب الاروبيّة . . فرفع منار العلم . . وصار مشرقًا للتمدُّن في سائر الممالك الغربية . . . . حتى ظهر فيهم « وولتير » و « روسو » يزعمان حماية العدل ومنالبة الظلم والقيام باثارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبي وأحييا ما بَلي من عظام الدهريّين ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما انّ الآداب الالهيّة جعليّاتٌ خرافيّة كما زعما انّ الاديان مخترعات احدثتها نقص العقل الانساني وجهر كلاهما بانكار الالوهيّة . . . فاخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنساويين ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسويّة . . . والاضاليل التي بثّها هذان الدهريّان « ولتير وروسو »

هي التي اضرمت نار الثورة الفرنسويّة ثم فرّقت بعد ذلك اهواء الامّة وافسدت اخلاق الكثير من ابنائها . . . واوغلوا في سبل الخلاف . . . حتى تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية . . . »

فهؤلاء وامثالهم من الأنذال هم الذين مدحهم الريحاني وطلب من كل سوري اديب ان يقدّم لهم الجزية بخ ! بخ ! فنعم المادح ونعم الممدوحون !

فليس عجب بعد هذا ان كان الريحاني يصوّب سهام كفره الى الدين النصراني خصوصاً بعد نبذه كل دين . ولا يظنّنّ ادباء المسلمين انّ الريحاني يعتبر ديانتهم لقوله (في الصفحة ٢٢٠) :

« من اجلّ ما قرأته في الكتب المقدّسة نغمة القرآن فهي صلاة جديرة بان يردّدها بقلب حيّ كل انسان كل يوم من السنة : اياك ربّ نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم »

فانّ كاتب هذه الاسطر يسخر من دينهم كما يسخر من دين نفسه لانّ على زعمه (ص ٢١٤) اي دين كان يمكنهُ ان يثير القلب من الانسان « ولا فرق ان يذكر المرء مع الدراويش او يسجد مع اليسوعيين او يغتسل في نهر الغنج مع البوذيين » (كذا)

وقد حكم في محلّ آخر (ص ١١٢) بما يهتك ستر غباوته حيث قال ان « المسيحيّة في حالتها الحاضرة لعدوّة المسيح وان يسوع وكنيستهُ على طرفي نقيض »

هذه بعض اقوال رجل ماروني يبصق في وجه ديانته علانيةً وما تقزّز بعض كتبة الجرائد من الثناء على كتابه ! !

وان كانت هذه معتقداتهُ في الدين فانّ مبادئه الادبيّة على مثال دينه فانّ الريحانيّات في كل صفحة من صفحاتها تتضمّن مبادئ ماتبة سيئة واصولاً فاسدة ثوريّة فتارةً يشنع على اصحاب السلطة الدينيّة وتارةً يزري بكل سلطة مدنيّة حيناً (ص ١٦٤) ينسب الى الحبر الاعظم ما هو براء منهُ اغراء به وحيناً يحرّش الفقراء على الاغنياء وطوراً يستمع التسميات الباطلة فلا يرى في كل ما هو شريف جليل سوى دغل وخداع ومكر . واذا رفع عملاً صالحاً لا ينوي الّا تنكيس صالح آخر كأنّ الخير عدوٌّ للخير . اسمع بعض « بذوره للزارعين » (ص ٢٠٨) :

انّ حسنة واحدة تأتيها خير من ليالٍ بالصلاة تحييها (كأنّ الصلاة ليست من الحسنات !)

انّ التعبُّد في الصالحات لا في تمتمة الصلوات (كأنّ المصلّين بيناوات يتمتمون ولا يدرون ما يقولون !)

ربَّ صغار يلبون اصدق من شيوخ يتورَّعون (كأن الشيوخ المتورّعين مراءون منافقون مثلهُ !)

ربَّ عمنة في موبقات الوجود اصحّ ديناً من راهبات السجود (انظر رعاك الله كيف يحكم هذا الكاتب بأولئك الملائكة اللواتي يصرفن حياتهنّ باضمار غضب الله بصلواتهنّ . وكأنهُ ليس بخرجنّ مئات من راهبات المحبّة اللواتي يخدمن كل المرضى البائسين بمحبّة سماويّة !)

رُبَّ كافر عمّال للخير احبُّ الى الله من راهب في الدير (كالريحاني مثلاً الذي يقضي حياتهُ في البرّ والصلاح وكل يعرف مبرّاته العديدة !!)

فيرى القرّاء انَّ هذا الكتاب اقبح ما طُبع الى اليوم في الشرق من التآليف الكفريّة ونتعجّب انَّ طبّاعاً ينتسب الى الطائفة المارونيّة تولّى نشرهُ وشارك بذلك المؤلّف بكفره كما يشاركهُ باعة هذا الكتاب وقرّاؤهُ دون رخصة من المفوّضين بذلك . فانَّ قوانين البيعة تضرب بالحرم من يسعى بكتابة مثل هذه المصنّفات ومدحها في الجرائد ونشرها في الاسواق . وأملنا كل الامل من رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة ان يحذّروا ابناءهم من قراءة هذا التأليف لئلّا ينفث فيهم سمّهُ . فشتّان بين الرصافيات والريحانيّات وشتّان بين خمر وخلّ .

مطبوعات شرقية جديدة

K. Jnostranzew Persidskaja literaturnaja tradizija w pierwije wieka islama. *S. Petreburg*, 1909.

تأثير آداب لغة الفرس في تآليف العرب في صدر الاسلام

لا يخفى على احد ممّن له المام بتاريخ العرب القدماء وآدابهم ما كان للدولة الساسانية من التأثير عليها في كل احوالها فقد تبيّن من ابحاث المستشرقين العديدة ما اقتبسهُ الاسلام مع توالي الأيام من معتقدات قدماء الفرس وعوائدهم . امّا ارازهم السياسية فتأثيرها قد تجاوز حدّ الدولة العبّاسية الى الدول غير العربيّة التي قامت على أنقاضها . فان كتاب « سياسة نامه » الذي ألّفهُ نظام الملك وزير الدولة السلجوقيّة الشهير ليس الّا مرآة التمدّن الساساني . لكنَّ اشدّ ما كانت قوّة هذا التأثير في آداب اللغة العربية في القرون الاولى للهجرة ولا حاجة الى ذكر تقلبات كتابَيْ « الف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » فان من المعلوم أن العرب اخرجوا هاتين الدرّتين الثمينتين من بحر آداب بني ساسان كما استمدّها هؤلاء من كنوز الهند . ولم يكتفِ العرب

بهذين التأليفين بل ترجموا او لخّصوا في لغتهم عددًا من كتب قدماء الفرس في العلوم ولاسيما في الآداب والحكم والمواعظ. ولو راجعت كتاب الفهرست لابن النديم لوجدت فيهِ ذكر نيف واربعين مؤلفًا من هذا الصنف. ومع اتّساع هذا الباب قلمًا طرقهُ اهل البحث وهو لعموي مسلك وعر لان معظم تلك الكتب قد لعبت بها ايدي الزمان ولم يصل الينا منها إلّا النزر اليسير مع ما يستدل عليهِ من شواهد مؤلفي العرب ولذلك يجب على الباحث في هذا الموضوع ان يكون لهُ الاطلاع الواسع والخبرة التامّة بقسم كبير من الكتب الادبية كتأليفات الجاحظ وابن قتيبة والبيهقي وابن مسكويه وكثيرين غيرهم. ولكن كل ذلك لا يجديهِ نفعًا اذا لم يكن لهُ إلمام تامّ بآداب اللغة البهلويّة فإن اسماء الكتب او المؤلفين في الفهرست المذكورة قد ذهبت بها ايدي الضياع وتصحّفت وتحرّفت بحيث لو رآها المؤلف نفسهُ لما عرفها الّا بعد تأمّل وفكر. وهذان الشرطان اعني سعة الاطلاع على المصادر العربيّة والمعرفة التامّة بالآداب الساسانيّة متوفّران في المستشرق الروسيّ قسطنطين إينوسترانسيف فانّهُ خصّص قسمًا كبيرًا من تأليفاتهِ العديدة التي يقدّرها علما اوربا حقّ قدرها التنقيب عن تأثير آداب بني ساسان في احوال العرب وآدابهم. وقد سبقت منهُ في هذا الموضوع ابحاث عن كتاب « آئين نامه » وعن اعتقادات الفرس في الزجر والفراسة حسب شواهد العرب وعن عيد النيروز عند بني ساسان وعن لعبة الصولجان وغير ذلك ممّا لا يسعنا تعدادهُ. وها قد رأينا بعين المسرّة تأليفًا جديدًا لهذا المستشرق الفاضل وجدنا فيهِ من آثار سعة المعرفة ودقّة النظر ما عهدناهُ في تآليفهِ السابقة. ولا يبعد ان يكون البحث الجديد اعلى منهُ طبقة بكثرة فوائدهِ. وهاك ملخّصهُ : بعد نظر اجمالي في احوال الدولة الساسانيّة واصلها ومتميّزاتها انتقل المؤلف الى البحث عن الاماكن التي بقيت فيها الآثار الادبيّة بعد فتح العرب والاشخاص الذين كانوا يعتنون بحفظها فبيّن بادلّة تاريخيّة عديدة ان نطاقها كان منتشرًا في بلاد طبرستان وخراسان ولاسيما فارس قلب الدولة القديمة. وساعد على حفظ هذه الآثار الثمينة الموبذون اي كهنة الفرس والحزب المعروف باسم الشعوبيّة. وتلك البقايا كانت منطوية على انواع عديدة بينها كتب التاريخ والعلوم والآداب والحكم. وقد دقّق النظر في ما كتبهُ ابن النديم في فهرستهِ من اسماء المؤلفين او المترجمين او الكتب وردّها الى الاصل مصلحًا كل ما فيها عن تحريف او

تصحيف. ولم يكتفِ حضرة المؤلف بالبحث الاجمالي في هذا الموضوع بل دقّق النظر في تآليف الكتّاب الذين لهم شهرة خصوصيّة بمعرفة آداب الفرس كابن مسكويه وابن المقفع وعمر بن الفرّخان وعلي بن عبيد الريحاني وكتاب التاج الذي ذكرهُ ابن قتيبة. وجاء كتابهُ على هذا الوجه خزانةً في هذا الموضوع وهو مذيَّل بفهرس يسهّل استعمالهُ لكل من يريدهُ. وهنا فليسمح لنا الكاتب المجيد ان نستزيدهُ من الابحاث في هذا الموضوع وحبّذا لو اتحفنا بكتاب يجمع فيهِ كل ما تقرَّر من تأثير الدولة الساسانيَّة على دولة العرب من كل جهاتها فان المؤلف قد برهن في مقالاته العديدة على استعدادهِ التام للقيام بمثل هذا العمل. وقد جعل الكاتب تأليفهُ هذا تذكاراً لمعلّمهِ المرحوم البارون روزن ونحسبُ احسن مدحٍ للكتاب قولنا انهُ جدير بهذا العالم الذي هو شيخ المستشرقين في روسية ا. كراتشقوفسكي

La Clé de la Conversation Abyssine. Vocabulaire, Phrases, Conversations. Verbes et Correspondance. Par le Chevalier A. Raad et B. Ghaleb. *Imprimerie Catholique, Beyrouth* (*Syrie*). 1910, pp. 288

مفتاح المكالمات الحبشيَّة

نوّهنا في العدد السابق (ص ٣١٥) بوصف الكافلير عبد الله افندي رعد للُّغات الشائعة في الحبش لاسيما الامهريَّة التي هي اللسان الذي يتكلَّم بهِ اهل تلك البلاد. فتسهيلاً لدرس هذه اللغة قد اتّفق جنابهُ مع احد المتاجرين في تلك الاصقاع فوضع كلاهما كتاباً صغير الحجم لطيف الصورة ضمّناهُ معظم ما يحتاج اليهِ المهاجرون الى الحبش للتكلّم بلغة اهلها كالمفردات والجمل والتعابير والمكالمات والمكاتبات وذلك باللغة الافرنسيَّة والحبشيَّة واضافا اليها صورة لفظ الحبشيَّة بالحرف الافرنجي فنحضُّ كل من يُعنى بدرس اللغة الامهريَّة ان يجعل هذا الكتاب كدليل يرجع اليهِ في كل مشاكلهِ لعموم فوائدهِ. وهو مطبوع في المطبعة الكاثوليكية بالاتقان المعهود

Internationales Taschenbuch für Orientalisten. Herausgegeben v. Rudolf Haupt. 2er Jahrgang 1910, *Leipzig*, 1910. XXXI-270. Mk, 4.80.

مفكرة المستشرقين

نثني على همّة صاحب هذه المفكرة الكتبيّ رودلف هوبت في ليبسك الذي رأى ما للمستشرقين من الطور العظيم في عالم الآداب فوضع لهم السنة الماضية كتاباً

يتخذونهُ كوسيلةٍ للتعارف والتعاضد. فصار لتأليفهِ رواج. وفي هذه السنة عاد الى طبعهِ وحسَّنهُ كثيرًا وضمَّنهُ كل ما من شأنهِ ان يزيد علماء الشرقيات تقرُّبًا وائتلافًا وقد افتتحهُ بملخَّص تراجم موتى السنة وألحق ذلك بقوائم التواريخ التي يحتاج اليها المستشرقون يليها نظر في الحفريات والاكتشافات الشرقيَّة الحديثة وفي اثرها جدول المستشرقين وعناوينهم وقائمة الجمعيَّات الشرقيَّة والمجلَّات التي ينشرها علماء الشرق واسماء ارباب الامور في الدول الشرقيَّة. وجعل مسك الختام ٢٥ صورة شمسيَّة بديعة لمن توفَّاهم الله حديثًا من المستشرقين جزاهُ الله خيرًا

ل. ش

السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية

بقلم الفيكونت فيليب دي طرَّازي (بيروت ١٩١٠ ص ٤٨٢)

كثيرًا ما استنهضنا الهمم على درس التواريخ الشرقيَّة وجمع آثارها ورغبنا الى العارفين ان يتحفونا بسير الاسلاف الاماجد الذين زيَّنوا مفرق الشرق المسيحي الكاثوليكي بجليل اعمالهم وتفانيهم وعطَّروا الخاءه بعرف غيرتهم وفضيلتهم وتمنَّينا لو اطَّلع الخلف على ما احتملهُ السلف في سبيل الدين والوطن فيكون مثالهم عبرةً وقدوةً ولهذا نثني اطيب الثناء على همة الفيكونت فيليب دي طرازي الذي اتحف طائفتهُ واتحفنا بهذا السفر الخطير وقد وصف حضرة المؤلف في مقدَّمتهِ ما عاناهُ من الاتعاب اثمَّ شتات المصادر التي اخذ عنها قال:

« انَّ الاخبار المنسوقة في هذا التاريخ قد التقطتها من كتابات مهجورة او رسائل منثورة او كتب حديثة وقديمة او كراريس مهملة . . او صكوك وبراآت الخ . . ثم قابلت بعضها ببعض لتفريق الغث من السمين وللتوفيق بين تباين اقوال الكتبة الصادقين . . وزيَّنت الكتاب برسوم بعض الاساقفة التي اتاح لي الحظ ان اتوصَّل اليها . . »

وقد تتبَّع المؤلف سلسلة الاساقفة السريان الكاثوليكيين والمتكلكين في ماردين واورشليم والموصل وبغداد وحلب وآمد ودمشق والجزيرة وحمص وحماة ومذيات وطرابلس والرها وبيروت في هذه القرون الاخيرة نقلًا عمَّا يُوثق بهِ من النصوص الاصليَّة ذاكرًا تاريخهم وواصفًا احوالهم وعائلتهم واعمالهم فجاء كتابهُ مؤلَّفًا غزير الفوائد يقدِّرهُ العارفون حقَّ قدرهِ وقد طالعنا بمزيد الثناء على همَّة الكاتب الفرامينَ والبيوردايات اللاحقة باخبار البطاركين اندراوس اخيجان وبطرس الرهاوي وهي من الآثار العزيزة

التي يصعب الحصول عليها. ولا شك ان اقبال القرّاء على مطالعة « السلاسل » يستحث المؤرخ النشيط على مواصلة العمل فيستحق الشكر والثناء من مريدي تاريخ الشرق عموماً وابناء ملّته خصوصاً ا. ر

كتاب الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية منهم

الفَّهُ الامام الاستاذ ابو منصور عبد القاهر . . . البغداديّ المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) . وقف على طبعهِ وضبطهِ وتعليق حواشيهِ محمد بدر احد اعضاء الجمعيّة الملوكيّة بايدنبرج ومحرّر بدائرة المعارف الاسلاميّة بليدن (هولندة). طُبع في القاهرة بمطبعة المعارف (ص ٢٩٠)

يسرُّنا ان ننظر لاوّل مرّة اديباً مصريًّا مسلماً يجري على مثال المستشرقين في نشر كتاب قديم. ولا غروَ فانَّ محمّد افندي بدر درس في المانية وحاز شهادات كلّياتها . ومما وقف عليهِ في مكتبة برلين الشرقيّة سفرٌ جليل لاحد كتبة القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح فاخذ رسمه بالفوتغراف وطبعه في مصر طبعاً متقنًا وقدّم عليهِ المقدّمات في تعريف الكتاب وفهرس اسماء المذكورين فيهِ على حروف المعجم. وهو مصنَّف مفيد جدًّا لتعريف اصحاب الشيع والمبتدعين في الاسلام وبيان اقوالهم وآرائهم الدينيّة كتأليفَي الملل والنحل للشهرستاني ولابي حزم الاندلسيّ . ومع استحساننا لهذا الاثر كنّا احببنا لو نقل محمّد افندي بدر كما يفعل الاوربيّون ترجمة مؤلف الكتاب عن ابن خلكان وابن قتيبة ومعجم البلدان لياقوت وعن طبقات الشافعيين. وكذلك لم يُحسن الدلالة [ص (١) ٢٥] الى كتاب الحاج خليفة. وممّا كنّا نتمنّاهُ لزيادة حسن هذه الطبعة بعض التذييلات والحواشي التي يحتاج اليها المطالع وان شاء الله يتمّ كل ذلك في طبعة جديدة فيصير هذا الكتاب قدوةً لكل من ينشر اثرًا قديمًا ل. ش

كتاب الذِمم في احوال الامم

للدكتور و. ف كرنتس عرّبه القس بشاره بارودي (المطبعة الامركانيّة في بيروت ١٩٠٩ ص ٦٤)

ان مؤلّف هذا الكتيّب قد طرق في صفحات قليلة ابوابًا كثيرة وابدى احكامهُ الشخصيّة في كثير من المسائل الادبيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والتجاريّة والتاريخيّة الخ التي لا يتجرأ العالم على حلّ بعضها الّا بعد طول النظر والمطالعة والتنقيب. ولذا تراهُ قد جمع في كلامهِ بين الصريح والغامض والصحيح والمشبوه والممكن والمحال والضروري والمفيد فاصاب احيانًا المرمى واخطأهُ مرارًا ولو اردنا نقد كلامهِ لكتبنا

مجلّدات. وممّا نأخذهُ عليهِ سكوتهُ عن اساس اتحاد الامم وترقيها وهو الدين القويم والمبادئ الادبية وعن عوامل المدنيّة التي نشرت كنيسة المسيح الحقيقية لواءها في كل قطر وصوب حتى بين الشعوب الهمجية (١ كما نأخذ عليهِ تخصيصهُ بالاطراء البلاد التي نشأ فيهِ وتكلّم بلغتها تاركاً ما لغيرها من الفضل على العالم في جانب العدل والانصاف والموازرة والخير العام. امّا ما جُعل على هامش الكتاب من السؤالات التي علّقها الكاتب او الناشر لتُعرض على الدارسين فيتناظروا في الجواب عليها ويتباحثوا فلا ندري ما نقول فيها لما نجدهُ في نصوصها من التطرُّف او الحكم السابق سماع الدعوى. ودونك مثلاً نأخذهُ عن الفصل الاوّل ايضاً. قال: « هل تأخُّر جنوبي اوربا مسبب عن احكام الإعدام الكثيرة التي اصدرها اصحاب السلطة وقت الاضطهاد؟ » فقد جمع في سطر واحد اربع او خمس قضايا تاريخية واجتماعية ودينية وادبية وغطّاها برداء الابهام ولم يثبت ما يفهم بتأخر جنوبي اوربا ولا ما يريد بوقت الاضطهاد ولا بأحكام الاعدام الكثيرة فعرَّض بهذه الاسئلة قرّاءهُ الى الاوهام دون جدوى. وقس عليهِ الباقي ا. ر

المجالي التاريخية في ترجمة الراهبة هندية

الجزء الاوّل. بقلم القس بولس عبّود القسطاوي

طبع في بيروت في مطبعة التوفيق سنة ١٩١٠

تذكّرنا بعد مطالعة هذا الكتاب اسم رواية حديثة للاديب امين افندي ظاهر خير الله دعاها « المرأة ملاك او شيطان » اي والحق وهذا التأليف دليل جديد على صحّة ذلك. على انّ بعض النساء لا يبلغنَ قمر الاثم الّا بالتدريج فيكنَّ في اوّل الامر سليمات النيّة صادقات الفكر الّا انهنَّ يستسلمنَ الى بعض اهواء النفس الامّارة ويلقين اليها مقاليد امرهنَّ دون ان يجاهدنَ لقامها من قلبهنَّ فيُضحين بعد قليل أسيرات للاهواء

١) وقد احسن جناب الاديب عبد الوهّاب افندي التبّر بانتقاده على بعض مزاعم هذا الكتاب (في الاقبال ع ٣٤١) كقولهِ مثلاً في الصفحة ١٤: « عُرض على جميع الملوك والدول ما عدا البابا والسلطان ان يُمضوا معاهدة مبنيّة على مبادئ مسيحيّة نظمها القيصر » فاردف جناب المنتقد: « قال (صاحب الكتاب) انّ هذه المعاهدة مبنيّة على مبادئ مسيحيّة فلهم المعذرة على عدم عرضها على جلالة السلطان بذاك الوقت لكن يا تُرى ما الذي حملهم على عدم عرضها على قداسة البابا اما هو مسيحي ومن الذين يتفانون بالمبادئ المسيحيّة نرجوهُ التبيان . . . »

الباطلة مخدوعات بمخيلتهن حتى يخلعن العذار ويرمين كثيرين بشرهن . وهذا ما يلوح لنا من ترجمة الراهبة هندية التي يغلب على ظننا انها كانت في بدء حياتها صالحة ترغب حقيقة في خدمة الله الا ان المجد الباطل استولى عليها فارادت ان تنشئ اخوية خصوصية رغماً عن نصائح مرشديها الاولين الآباء اليسوعيين الذين لم يردوها عن فكرها الا لعلمهم بأميالها المنحرفة فأبت النصح وتركوا ارشادها وانتقلت منذ سنة ١٧٥٠ الى دير بكركي حيث لعبت ادواراً عجيبة أدت الى بذر القلاقل ونشر الفساد في كل انحاء لبنان الى أن توسط في الامر الكرسي الرسولي وحسم الداء بقوة بعد ان كاد يتفاقم فأيس من شفائه . والحق يقال اننا بعد قراءتنا هذا الكتاب خيل لنا أننا حلمنا حلماً او اصابنا كابوس مؤلم فلم نكد نصدق مضامينه لولا الآثار المتعددة المثبتة بصحة الخبر فردّدنا مع بعض من قرأوه مثلنا يا ليت هذا الكتاب لم ينشر فينكي ما اندمل من الجروح ل.ش

شذرات

المقتطف والاستاذ هكل كنا اخذنا على صاحب المقتطف في عدد سابق (ص ٢٣٨) سكوته في مقالته على الدروينيين هكل عن مكر ذلك الكاتب وتزويراته الغريبة لتأييد رأيه بالكذب والبهتان وكأن غيرنا ايضاً نبهوا فكر مدير المقتطف الى الامر فاقر بسذاجة في عدد نيسان (ص ٤٠٨) بخطإ ذلك الخداع وان اجتهد غاية امكانه في تخفيف ذنب لو صدر من غيره لشدّدت المجلة عليه نكيرها . ومما اعتذرت به لتصرف اللوم عنها انها نقلت كلامها عن «سكلو بيذا تشبرس» المطبوعة ١٩٠٦ . وهو عذر اقبح من ذنب لان المجلات العلمية لا يمكنها ان تجهل ما طنطنت بها المجلات منذ ثلاث سنوات حتى علم بالامر كل قراء الجرائد الا مديري المقتطف !! ولا تظن ايها القارئ ان اصحاب المقتطف كفوا بعد هذا عن قولهم في النشو والارتقاء سواء كان على المذهب الدروينيّ او على رأي هكل ودونك مثالاً جديداً على لزومهم خطة الدهريين جواباً على من سألهم هل يقضي مذهب النشو بان الروح مادية فاجابوا :

لا يقتضي مذهب النشو والارتقاء ان تكون الروح مادية بالمعنى الذي تفهمه من المادة (وماذا تفهمون من المادة ؟) ولكن من العلماء من يذهب الى ان ما ندركه بالحواس ونسميه مادة

هو حركة في جواهر المادَّة الاصليَّة (وما هي تلك الحركة الاصليَّة ؟) وحينئذٍ فلا مانع من ان تكون الروح مادّيَّة والمادَّة روحاً اي يكون الوجود شيئاً واحداً يتكيَّف على كيفيات مختلفة فيصير هواء وماء وتراباً ومعدناً وشجراً وحيواناً ولا يستبعد العقل ان تكون الروح والمادَّة من اصل واحد ولا يستبعد ان يكون التراب والورد والفرس من اصل واحد . . . .

وبينما يخلط المقتطف بين المادَّة والروح قامت مجلَّة الهلال فوضعت مقالةً مطوَّلةً في عدد نيسان (ص ٤٠٢) لم تكتفِ ان تنكر فيها صحَّة السبرتسم مع كونها دافعت هي عنهُ مراراً وفي اعداد المقتطف الاخيرة عدَّة مقالات في ذلك بل انكرت ايضاً وجود الارواح فضربت بنوع آخر على نغمة المقتطف قالت وبئس القول الذي يردّهُ العقل والنقل معاً :

كل الاديان القديمة تقول بوجود الارواح . . وما زال الاعتقاد بوجودها عاماً في الاجيال التاريخيَّة حتى كانت النهضة العلميَّة في التمدُّن الحديث واساسها العلم الطبيعي المبني على المشاهدة والاختبار . .

وقس عليهِ بقيَّة المقالة التي عاد فيها صاحب الهلال الى سفسطتهِ السابقة وادَّعى فيها انَّ العلم ينكر ما تثبتهُ الاديان كأنَّ العلم والدين متناقضان !!

تتابع الاديان وهاك دليلاً آخر على فلسفة اصحاب المقتطف في عدد مارس من هذه السنة (ص ٣٠٧) فهناك فصل عنوانهُ « تتابع الاديان » نُقل فيهِ عن الاستاذ سايس بانَّ جبل موريا حيث قدَّم ابراهيم ابنهُ للرب كان قبل الخليل حرَماً دينيًّا وانَّ في بلاد النوبة كان معبد لقدماء المصريين اتَّخذهُ من بعدهم النصارى ثم المسلمون في اثرهم فاستنتج المقتطف من هذا التتابع انَّهُ « قلَّما ينشأ دين في مكان من الامكنة الَّا واقتبس شعائر الدين الذي كان من قبلهِ في ذلك المكان » فيا لها من نتيجة لم نجدها في المقدِّمات فكيف نسي اصحاب المقتطف قواعد المنطق وهم « دكاترة في الفلسفة » . معلوم ان جامع الامويين في دمشق كان قديماً كنيسة وكانت هذه الكنيسة هيكلاً للرومان قبل النصرانيَّة أفيجوز لك ان تقول انَّ الديانة التالية اقتبست من شعائر الديانة التي سبقتها وانَّ الاسلام مثلاً اخذ في دمشق عن النصرانيَّة كما ان النصرانيَّة اخذت عن الوثنيَّة . وعلى فرض انهُ وُجد شيءٌ من العادات الدينيَّة متشابهاً بين هذه الاديان المتتابعة افيكون ذلك سبباً للقول بانَّ الدين التالي اخذ من السابق وان يبني اصحاب المقتطف على هذا الاساس الضعيف بناء زعمهم الباطل الذي اشعروا فيهِ بتساوي كل الاديان في كونها جعليَّات واختراعات بشريَّة ؟

اسئلة واجوبة

س وردت علينا الرسالة الآتية من احد مشايخ طرابلس فنثبتها بالحرف :

«قد قالت احباؤنا المسيحيون انّ الاب والابن والروح القدس اله واحد ومن المعلوم بداهةً انّ الواحد غير قابل التجزّئ فاشكل عليّ امر الدفن هل دُفن المسيح باللاهوت والناسوت ام افترقا فان قلتم افترقا تكونوا حكمتم بان اللاهوت غير الناسوت وثبت انهُ اكثر من واحد وان قلتم بدفن الجهتين تكونوا حكمتم بدفن اللاهوت وهذا غير جائز »

هل دُفن المسيح باللاهوت والناسوت

ج يعلم كل النصارى انّ وقت موت السيّد المسيح لم ينفصل لاهوتهُ عن ناسوتهِ بل كان اللاهوت في تمامهِ مع الجسد المقبور كما كان مع النفس المنحدرة الى مقام الابرار في البنبوس المسمّى ايضاً بالجحيم ولا ينتج عن ذلك البتّة انّ اللاهوت دُفن لدفن جسد المسيح اذ لم يلحق اللاهوت اذًى بما حلّ في الناسوت كما انّ اللاهوت لم يأكل ولم يشرب ولم يمت لمّا كان المسيح في طبيعتهِ البشريّة يأكل ويشرب ويموت. اذ انّ الاكل والشرب والموت امور مختصّة بالناسوت دون اللاهوت ومثلهُ الدفن. وان احبّ المستفيد ادراك ذلك في مقالة مطوّلة فليراجع المقالات الدينيّة التي نشرناها في المشرق لبولص الراهب اسقف صيدا وقد طبعت على حدةٍ

س التي علينا لحد الكهنة عدّة اسئلة في الغفرانات وكيفيّة استفادة الانفس المطهرية منها

فنقول بالاجمال انهُ من الامور المقرّرة التي يثبتها اللاهوتيّون بالادلّة النقليّة انّ الغفارين التي تمنحها الكنيسة للمؤمنين تفيد النفوس المطهريّة وتخفّف اوجاعها بعد الموت وتساعدها على التكفير عن خطاياها امّا حدود هذه المنفعة واختصاصها وكيفيّة انتفاع النفوس بها فكلّ ذلك منوط بعلمهِ وارادتهِ تعالى لا يمكننا ان نقطع بهِ ومن ثمّ لا يمكننا ان نجيب السائل عنها

س ومثلنا متى جرت في الكنيسة صلاة التبشير ثلاث مرّات في النهار

ج هذه الصلاة اوّل من امر بتلاوتها القديس بنارنتورا في القرن الثالث عشر فتقدّم الى رهبان مار فرنسيس وهو رئيسهم بان يصلّوا السلام الملائكي ثلاث مرّات لاكرام سرّ تجسّد ابن الله. ثم انتشرت هذه العادة بين المؤمنين لمّا منح البابا يوحنا الثاني والعشرون غفرانًا لمن يتلوها صباحاً وظهراً ومساء وذلك سنة ١٣٢٧ واوصى بها الاحبار الرومانيّون والمجامع لاستدرار نعمهِ تعالى وردّ آيات غضبهِ ل. ش

المشرق

الكليّات الكاثوليكيّة في المعمور

نظر للاب لويس رترفال اليسوعيّ

هي المدارس تُنشأ في أنحاء المعمور فتحيي البلاد بالمعارف وترفع العباد عن الدقماء. فيعرف المرء انهُ بعقلهِ خصوصاً انسان ليس بجسمهِ الذي لا يفرزهُ عن العجماء. على انَّ تلك المدارس مهما اتَّسع فيها نطاق العلوم وراجت اسواق المعارف فانَّها لا تأتي بالثمار المقصودة ما لم يُحيِ الدين تلك العلوم البشريَّة ويوقف الانسان على مصدر كل علم واصل كل حكمة سبحانهُ وتعالى الذي دعا نفسهُ في الكتاب الكريم (١ملوك ٢ : ٣) ربَّ العلوم. وان فُصل الدين عن العلم انتفخ بهِ الانسان على قول الرسول المصطفى (١ كور ٨ : ١) واصبح علمهُ لهُ آفةً بمثابة سيفٍ يلعب بهِ الجاهل فيُسيء استعمالهُ ويجرح بهِ نفسهُ. ولهذا السبب قد اعتادت الشعوب ان تعهد الى ارباب الدين تثقيف عقول الاحداث لعلمهم « بانَّ شفتَي الكاهن تحفظان العلم » كما يقول النبي ملاخي (٢ : ٧) وعلى الاخصّ لكي يُعنى الكهنة بترويض النفس على الآداب بينما يهذّبون العقل ويزينونهُ بالمعارف

وان ألقينا النظر الى تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة وجدنا عنايتها منذ لجيالها الاولى مصروفةً الى تنظيم المدارس وقتل الجهل في عقول ذويها وذلك حتى في ايَّام الاضطهادات والضغط على النصرانية. ولنا على ذلك برهان جليل في مدرسة الاسكندريَّة حيث اشتهر اولئك الاساتذة الكبار بنتان واقليمس الاسكندري واوريجانس المعلّم. وما بقي من آثارهم حتى اليوم دليل قاطع على مجاراتهم لمشاهير زمانهم

وما نالت الكنيسة حريتها بانتصار قسطنطين الكبير حتى نهضت بهمة عظيمة لنشر العلوم في كل انحاء المسكونة. فبفضلها أنشئت تلك المدارس الكبرى في حواضر البلاد التي قامت بدلاً من مدارس اليونان والرومان وأدّت للعلوم خدماً مشكورة لولا انّ امم البرابرة زحفت كسيل جحاف على جهات اوربّة وافنت آثار تلك المعاهد فقضي على الكنيسة ان تعود الى العمل فتُحيي ما دثر من رسوم العلوم فكانت الرهبانيّات الكاثوليكيّة لاسيما الرهبانيّات البندكتيّة اكبر مساعد على ادراك هذه الغاية الجليلة ولولاها لفقد معظم ما اتّصل بنا من آثار قدماء الفلاسفة وائمّة العلماء

امّا البلاد الشرقيّة فانّها اشدّ ما كانت مديونة للكنيسة في حفظ كنوزها العلميّة فكانت كبار مدنها كصروح للمعارف يقصدها كل من يبغي الاستقاء من مواردها. فانّ مدارس القسطنطينيّة وفلسطين والشام ومصر كانت كلّها تزدحم فيها الطلبة وبُقيت على ازدهارها الى ظهور الاسلام. ومثلها مدارس بلاد الجزيرة وما بين النهرين وعلى الاخصّ مدرستا الرها ونصيبين اللتان اصبحتا في الشرق كنارتين ساطعتين اكتحل بانوارهما الوفٌ من الدارسين. وقد وُجدت في هذه السنين الاخيرة رسومهما وقوانين دروسهما التي تدلُّ على سعة فضل رؤسائهما. وقد جرت على تلك الآثار الطيّبة مدارس اخرى متعدّدة في جهات غيرها حتى تخوم العجم وانحاء الارمن وحدود الهند

ولمّا خمدت حركة الامم الفاتحة التي انحدرت من بلاد الشمال وتقسّمت بينها مملكة الرومان في اطراف اوربّة ورجعت مياه السلام الى مجاريها أسرعت الكنيسة الى تشييد صروح العلوم ورفع منارها رغماً عما وجدتهُ في قلوب تلك الطوائف المستجدّة التي كان جلُّ همّها التهوّر في مطامع الوغى وايقاد سعير الحروب. ولا يسعنا هنا ان نصف المدارس التي نالت شهرة منذ القرن السابع الى الحادي عشر وتولّى انشاءها الاحبار الرومانيّون وارباب الدين في ايطالية وفرنسة واسبانية وانكلترّة والمانية. فانّ لمدارس تلك البلاد تاريخًا لا نستطيع في الحاضر الخوض فيه لسعة نطاقه وانّما نقول بالاجمال انّ العلماء الذين شرّفوا تلك الاعصار انّما تخرّجوا في المدارس التي كانت بجوار كل دير من أديار الرهبان او في حمى الكنائس. وقد خلّفوا لنا من التآليف عددًا وافرًا فمنها ما اخذتهُ يد الضياع ومنها ما نجا من تيّار الزمان فيشهد لاصحابها بسموّ المدارك وتوقّد الاذهان فتكاد لا تجد باباً من ابواب المعارف البشريّة الّا طرقوهُ وان لم يبلغوا شأو الذين

اتوا من بعدهم فتوفّرت لديهم الوسائل واستفادوا من ذخائر علوم الاقدمين التي انقذتها الكنيسة من مخاليب الدهر (اطلب مقالة المشرق ٦ : ١٥ — ٥٤ في الكنيسة والعلوم الفلكية)

على انّ تلك المدارس مع عظم شأنها لم تَفِ بحاجة العموم الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم رغبةً في طلب المعارف فسعى ارباب الدين بوضع الكليّات يعلّمون فيها مجمل العلوم المعروفة في تلك الازمنة . فاتّفق الاحبار الرومانيّون وملوك الدول على انشاء تلك المعاهد على اصول ثابتة واوقفوا عليها الاوقاف الواسعة للقيام بنفقات اساتذتها فكانت كليّة بولونية في شمالي ايطالية اوّل مدرسة جمعت شروط الكليّات . فأُنشئت سنة ١١١١ . وقد غلبتها شهرةً بعدها في اواخر القرن الثاني عشر كليّة باريس التي أضحت في مقدّمة الكليّات بأساتذتها وحسن نظامها وسمعة المتخرّجين فيها . وعلى مثالها أُنشئت كليّة اوكسفرد في انكلترّة ثم تعدّدت الكليّات حتى عمّت كل اطراف الممالك بل توفّرت في المملكة الواحدة حتى بلغت العشرات فانّ فرنسة وحدها قبل الثورة الكبيرة كانت تحتوي على عشرين كليّة . وكان لليسوعيين كليّات عديدة في بلاد شتّى يتزاحم فيها الطلبة لحسن تدبيرها وشهرة اساتذتها

امّا نظام تلك الكليّات وما كان يُلقى فيها من الدروس فكانت تختلف مع البلاد لكنّ العلوم التي كانت تُدرس عادةً في تلك الكليّات كانت تدخل في احد هذه الفروع الخمسة اي الآداب (البيان والخطابة والفلسفة) والعلوم الطبيعيّة والفقه الديني والمدني والطب واللاهوت . وكان الدارسون في الغالب يجتمعون في احياء خاصّة بهم على اختلاف جنسيّاتهم واذا انهوا دروسهم قدّموا الامتحانات عنها فنالوا الشهادة عليها

وبقيت تلك الكليّات قروناً عديدة تؤدي للمعارف اجلّ الخدم الّا انّ البعض منها بدسائس المبتدعين سمت شيئاً فشيئاً بان تستقلّ من نظارة الكنيسة وتدبّر امورها على هواها فدخلها روح الاستبداد وجاهرت بمناصبة ارباب الدين فلمّا قامت الثورة في اواخر القرن الثامن عشر وقلبت اوربّة ظهراً لبطن ذهبت ايضاً بكثير من تلك الكليّات وقام بدلاً منها في الدول المستحدثة كليّات أُخرى مبنيّة على المبادئ الجديدة النافية للدين او المضيّقة عليه فلا تجعل لتعليمه الّا المقام الثانوي

فرأى الكاثوليك في هذه الحالة اجحافاً بحقوقهم ونهضوا في عدّة بلاد ليتلافوا

الامر وينشئوا الكليات الحرة التي يجاور فيها الدين مقامه اللائق بشأنه فيتعلم فيها الطلبة العلوم الدينية الكاثوليكية كعلم الكلام واللاهوت وعلم الحق القانوني والعلوم الكتابية والتاريخ الكنسي ثم العلوم الدنيوية ايضاً كالفلسفة والطب والحق المدني والآداب واللغات الشرقية والعلوم الطبيعية دون ان يدس في تعليمها شيء من الاضاليل التي اعتادت المدارس العصرية ان تنفثها بحجة العلم والعلم منها مناط الثريا

ولم يخف على الكاثوليك ما تقتضيه تلك الكليات من النفقات الطائلة والضحايا المتنوعة فلم يثبط ذلك عزائمهم وشمروا عن ساعد الجد وافرغوا كنائن المجهود حتى اخرجوا مقاصدهم الى حيز الفعل وانشأوا نحو ثلاثين مدرسة جامعة في بلاد مختلفة تراها اليوم رغماً عن مزاحمة الحكومات وتوفر ماليتها والوسائل التي لديها زاهرة نامية لا ينقصها شيء من اسباب الرقي والتقدم. وها نحن نسرح الابصار في تلك الكليات ليعرف قراؤنا ما للدين من القوة في المشاريع العظمى وكم للايمان من الفعل العجيب اذا ما قام العمل. ونتخذ لهذا النظر قائداً احد مشاهير كتبة الفرنسويين السيد بودريلار رئيس الكلية الكاثوليكية في باريس فانه لما حضر اليوبيل الالفي الذي احتفلت به كلية لوفان في العام الماضي وضع كتاباً خصوصياً وصف فيه الكليات الكاثوليكية المنشأة في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين في فرنسة والخارج (١

*

اول كلية كاثوليكية أزهرت في القرن التاسع عشر هي الكلية الغريغورية المعروفة ايضاً بالمدرسة الرومانية كان اقامها البابا غريغوريوس الثالث عشر في القرن السادس عشر ووكل ادارتها الى الآباء اليسوعيين فبقيت في ايديهم مائتي سنة عامرة زاهرة وسقطت بالغاء رهبانيتهم. فلما بعث البابا بيوس السابع الرهبانية اليسوعية من قبرها في العشر الثاني من القرن التاسع عشر عادت الى ادارة تلك الكلية وبلغتها اوج الفخر بتعليمها وفيها علم الطبيعيات والهيئة رجال يعدون من اكبر رجال العصر كالاب ڤيكو (Vico) والاب پيانشياني (Pianciani) والاب سكي (Secchi) الذي

---

١) وهذا هو اسم الكتاب: Mgr. Baudrillart : Les Universités Catholiques de France et de l'Etranger. *Paris, Poussielgue,* 1909, pp. 120.

مرّت في المشرق (٦ : ٦٦١) ترجمتهُ . ولمّا ضبطت الحكومة الايطاليّة سنة ١٨٧٠ تلك المدرسة اقام اليسوعيّون كلّيّةً حرّةً في محلٍّ آخر واضطرّوا الى ان يدرّسوا فيها العلوم الدينية العليا فقط ومع تلك المعاكسات تُعدّ هذه المدرسة اليوم من اعظم الكليات الكاثوليكية يبلغ عدد تلامذتها ١٥٠٠ طالب يقصدونها من كل اقطار العالم

وفي العام الماضي انشأ بيوس العاشر ذلك المكتب الكتابي المنوط بتعليم الكتاب المقدّس وبكلّ العلوم اللاحقة بهِ وانتدب الى تدبيرهِ ايضاً الآباء اليسوعيين فيُعتَبَر هذا المكتب منذ الآن بمثابة كُلّية جديدة تُبنى عليها اطيب الآمال

والكلّية الثانية التي أُنشئت في اوربّة بعد تجديد الكلّية الرومانية انما كانت كُلّية لوفان من اعمال بلجكة . هذه المدينة ايضاً اشتهرت في القرون السالفة بكُلّيّتها التي ازهرت مدّة اربعمائة سنة واندثرت رسومها بعد الثورة الفرنساويّة وانضمام البلاد الى هولندة . فلمّا تحرّرت من ربقة البروتستانت اسرع الحزب الكاثوليكي الى انشاء كلّية كاثوليكية محضة في لوفان سنة ١٨٣٤ . ولتذكار هذا العمل الجليل اقام الكاثوليك البلجكيّون في شهر ايّار من السنة المنصرمة اعياداً شهيّة دعوا اليها كل الكليّات فاجاب الى دعوتهم ارباب تلك النوادي العلمية حتى البروتستانت ولم يردّ الدعوة غير الكُلّية الباريسية المعروفة بروحها العدائي للدين

وكان لتلك الحفلات من الرونق والأُبّهة والعظمة ما ألجأ اعداء الكنيسة انفسهم الى الاقرار بانّ للكثلكة مقاماً رفيعاً لا يجاريها فيهِ احد . حتى انّ جريدة ليناج (Gazette de Liège) الكاثوليكية لم تجد اوضح دليل الى شرف الكثلكة من جمع اقوال اعداء الدين واقرارهم بمفاخر الكنيسة مرغومين

وقد ترأس تلك الحفلات الكردينال مرسيه (Mercier) رئيس اساقفة مالين وهو احد المتخرّجين في كُلّية لوفان فخطب الخطب الدينية المتحمسة التي رقصت لها قلوب الحضور فاستقبلوها باصوات البهجة والاستحسان وكان القاصد الرسولي الوفد من الحبر الاعظم و١٤ اسقفاً يحفّون بالكردينال ويولون ذلك المشهد ابهى رونق . وحضر تلك المواسم كل اساقفة بلجكة وكان يتصدّر في جملة الحضور ثمانية من وزراء الدولة البلجكية بيزّتهم الرسمية واوسمتهم الشرفية وكأنهم من طلبة الكلّية النائلين شهادتها . وممّن

زيّنوا تلك الحفلات بحضورهم نوّاب نحو الف جمعيّة او شركة أنشأها رجالٌ من متخرّجي كلّيّة لوفان اقبلت اليها وفودهم ونكاتهم شاراتهم وراياتهم الخاصّة. وكان للرتب الدينيّة تلك الاعياد التقدّم على سواها وعُقدت جلسات عموميّة بحثوا فيها عن احوال الكلّيّة وتاريخها ومفاخرها وتوسيع نطاقها

والحق يقال انّ كلية لوفان قد حقّقت كل امـاني الكاثوليك فانشأت فروعاً لتدريس كل العلوم الدينيّة والادبيّة والاجتماعيّة والعلميّة والفنيّة مع درس اللغـات الغربيّة والشرقية لم يَفُتها شيءٌ من المعارف العصريّة والاكتشافات الحديثة وكل ذلك دون ان تتحمّل الامّة شيئاً من الضرائب كما ترى في كليات الحكومة الأُخرى وقد بلغ في السنة الاخيرة عدد الدراسين فيهـا ٢٣٠٠ يقوم بتدريسهم ١٢٠ استاذاً من ائمّة العلماء. وكانت جُمعت قائمة مؤلّفاتهم في كل ضروب المعارف البشريّة فبلغت خمسة مجلّدات ضخمة أُضيف اليها اعمال التلامذة المتخرّجين على ايديهم. امّا مشاهير الرجال الذين نالوا شهادة تلك الكلّية فيبلغ الالوف بينهم ١٤ مطراناً او اسقفاً وعدد لا يُحصى من الكهنة والرهبان والعلمانيين والكتبة والاقتصاديين والصنـاعيين والمهندسين الذين بفضلهم استحقّ وطنهم مع صغره ان ينظم بين كبار الدول

ولو اردنا ذكر بعض الذين تفتخر بهم الآداب في ايّامنا من اساتذة لوفان لأتسع بنا المجال وكفانا القول بانّ اللغات الشرقيّة اصابت في لوفان ما حقّ لها من الاعتبـار بهمّة بعض المستشرقين البلجيكيين كالسيّدين لامي (Lamy) وابلوس (Abbeloos) للسريانيّة وفليكس نافـ (F. Nève) للارمنيّة والسيّد دي هرلي (de Harley) للغة السنسكريتية والاب فرجه (Forget) للعربية وغيرهم كثيرين

وفي آخر يوم تلك الحفلات جرى الكاثوليك في موكب عظيم بكل ابّهة ونظام في شوارع المدينة ومرّوا امام رؤساء الدين فما انتهت الحفلة الّا بعد ثلاث ساعات كامـلة عدّها الحضور انتصاراً باهراً للكثلكة والدين

*

وان انتقلنا من بلجكة الى فرنسة وجدنا فيها آثاراً طيّبة من العلوم تنبئ باقدام الفرنسويين الكاثوليك في كل المشاريع الخطيرة. كانت الدولة بعد الثورة الفرنسويّة قد احتكرت التعليم بايعاز الفرمسون فلم تسمح لاهل الدين ان يشربوا قدحاً من كوثره

الّا مصوباً بايدي الموسومين بتهمة الحكومة والمجارين لها في مبادئها الفاسدة

ولمّا جرت الحرب السبعينية بين فرنسة والمانية شعرت الدولة عند حلول تلك الضربة بيمينه تعالى فأرخت مدّةً عن خناق الكاثوليك وسمحت لهم سنة ١٨٧٥ بانشاء كليات مستقلّة على نفقاتهم الخاصّة. فنهض الفرنسويّون على مألوف اريحيتهم وتبرّعوا بالمال الوافر ففتحوا خمس كليّات كاثوليكية جهّزوها بما تستدعيه العلوم العصريّة من اللوازم وهي باريس وليل وليون وانجه وطولوزا بلغ اليوم معدّل تلامذة كل واحدة منها ٤٤٠ طالباً وهذا لعمري قليل بالنسبة الى كلّية لوفان الّا انّهُ في ذاته كثير لأنّ الحكومة استرجعت شيئاً من الامتيازات التي منحتها اوّلاً ثم لا تزال تضايق عليها خوفاً من المزاحمة. وفي كل هذه الكليّات رجال اختصاصيّون يمشون في مقدّمة علماء بلادهم في كل شُعبة من شُعَب العلوم العصريّة لو حاولنا اثبات اسمائهم فقط لما كفت عدّة صفحات فمنهم الكتابيّون واللاهوتيّون كفيكورور (Vigouroux) وفيليون (Fillion) ومنجنو (Mangenot) والاب اليسوعي داليس (d'Alès) ومنهم الفلاسفة التطاسيون كديدير (J. Didiot) والسيد اليساً بلان (Mgr. E. Blanc) ومنهم الاثريّون كاوليس شفاليه (U. Chevalier) والسيّد دوشان (Mgr. Duchesne) ومنهم المؤرّخون كالسيّد بودريلار (Mgr. Baudrillart) والاب بيزاني (Pisani) ومنهم علماء الرياضيّات والفلك والطبيعيّات والجيولوجيات كالاب جوبار اليسوعي (P. Joubert) والسيو لموان (G. Lemoine) والسيو برانلي (Branly) الشهير باكتشافات التلغراف اللاسلكي وفقيد العلوم لاباران (Lapparent) وعشرات غيرهم . وبينهم المستشرقون كالسيد غرافين (Mgr. Graffin) والاب نو (Nau) والبارون كارا دي ڤو (Carra de Vaux) ولكلّهم مصنّفات عديدة لو جُمعت لتألّف منها مكتبة واسعة . وقد تكلّف الكاثوليك على هذه الكليّات فوق العشرين مليوناً لكنّ الله قد كلّل اتعابهم بالنجاح بعدد لا يُحصى من الفقهاء والاطباء والعلماء الذين يشرّفون اليوم دينهم بمعارفهم

وان اعتبرنا بلاد النمسة وجدنا انّ دولتها لم تفصل رسمياً الدين عن التعليم ولذلك جعلت في كليّاتها فروعاً للّاهوت والفلسفة وما يتعلّق بهما وهي التي تعين اساتذة تلك الفروع وتدفع لهم رواتبهم . ومن ثم لا نذكر تلك الكليّات كمدارس كاثوليكية

محضة . ثم انَّ تلك الكليَّات قديمة باقية على نظامها القديم . ومما أُنشئ فيها في القرن السابق كليَّة انسبرك (Innsbruck) في مقاطعة التيرول حيث يُعلِّم الآباء اليسوعيُّون العلوم الدينيَّة والفلسفيَّة واللغات الشرقية فنالت بهم تلك الكليَّة شهرة واسعة

وما قولهُ عن نظام كليَّات النمسة يصحُّ قولهُ في كليَّات المانية المتعدِّدة التي هي كذلك تحت سيطرة الحكومة تنوط بها في كل امورها . ولاجل هذا لا يمكنُنا ان ننظم هذه الكليَّات في جملة الكليَّات الكاثوليكية لانك تجد في كلية واحدة معلِّمين معادين للدين مع غيرهم من انصاره المخلصين

ومن الكليَّات الكاثوليكية المستقلَّة التي أُنشئت منذ عهد قريب كلية فريبورغ من اعمال سويسرة تولَّى انشاءها رجلٌ همام من أُسرة كاثوليكية عريقة في القدم تشرَّف اجدادُها بخدمة الطوباري كانيزيوس اليسوعي رسول سويسرة نزيد به المسيو بيثون (Python) مدير المعارف في مقاطعة فريبورغ الكاثوليكية ونائب إيالته في شورى وطنه . فهذا لمَّا رأى انَّ للبروتستانت في سويسرة ثلاث كليات وما يصيب الكاثوليك بسببها من الضرر الادبي لم يألُ جهدًا حتى جمع المال اللازم لانشاء كلية كاثوليكية مبنية على اصول الدين الكاثوليكي دون ان ينقصها شيءٌ من اسباب النجاح والترقي في الآداب العصريَّة . وقد فتح منشئ هذه المدرسة ابوابها لاساتذة مختلفين منهم فرنسويون ومنهم المانيُّون يعلِّم كل منهم بلغته كما انَّهُ لم يختصَّ التعليم بناشئة بلاده لكنَّهُ تقبَّل الطلبة الذين يقصدون فريبورغ من كل البلاد وهذه السنة العشرون لانشاء تلك الكليَّة . ولمَّا اجتزنا مدينة فريبورغ قبل اربع سنين سُررنا ايَّ سرور بزيارة تلك المدرسة ورأينا في نجاحها ما تجاوز ظنَّنا فيها . ونظام هذه الكليَّة على مثال كليات المانية والنمسة اما معلِّمو القسم الديني فيها فهم الآباء الدومنيكان الذين ينشئون مجلَّة لاهوتية بالفرنسويَّة

وكانت اسبانية الى هذا العهد الاخير خالية من كلية كاثوليكية . واملَّ الكاثوليك لثقتهم بحكومتهم ما كانوا ليخافوا على ايمانهم من خطر لأنَّ ارباب الامر كانوا في الغالب يراعون قوانين الدين الَّا انَّ الروح العصري اخذ يفشو بينهم بمساعي الماسونية فاراد الكاثوليك ان يصونوا كنز ايمانهم من آفات الكفر ومنذ سنتين اجتمع اعيان

الكاثوليك ونخبة الأكليروس الرهباني والعالمي واتفقوا على انشاء كلية كاثوليكية محضة يعلمون فيها العلوم الدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية فعيّنوا لذلك خمسة عشر استاذاً من وجوه العلماء بينهم راهبان يسوعي واوغسطيني ثم باشروا تعليمهم بكل نشاط وفتحوا مع ذلك ثلاث مختبرات اودعوها كل ما يُساعد الدارسين على اتقان دروسهم ومعرفة الحركة العلمية في العالم. والامل معقود على نجاح هذه الكلية فيقوى اصحابها على ردّ جماح اهل الكفر ومعرّة الالحاد

وكما ابى الاسبانيون الكاثوليك ان تُحرم بلادهم من كلية لا يشوبها سوء المعتقد كذلك ارادت ارلندة الكاثوليكية ان تجعل لابنائها حمىً يلتجئون اليه لدرس العلوم الجديدة دون ان يستنشقوا ريح الاضاليل الوبئية التي تهبّ عواصفها في جوارهم بواسطة الشيع البروتستانية المتغلبة على الممالك البريطانية ويصونوا وديعة ايمانهم الذي لاجله جاهدوا الجهاد الحسن مدّة ثلاثة اجيال بنيّف. ثم انّ الكاثوليك الايرلنديين كانوا يتخرّجون سابقاً في مدرسة دوبلين المعروفة بمدرسة الثالوث (Trinity college) الّا انّ تلك المدرسة ما كانت لتفي بحاجات التمدّن العصري فسعوا غير مرّة ليخرجوا هذا الفكر الى حيز الوجود وحتى الآن كانت الاحوال تحول دون مرامهم حتى تمكّنوا مؤخّراً بعد اتفاقهم مع الحكومة الانكليزيّة ان ينشئوا في دوبلين كلية كاثوليكية ينال فيها الكاثوليك كل امتيازات المدارس الكلية كبقية الانكليز دون ان يُضطرّوا الى حضور دروس معلمين يبخسون حقوق مذهبهم

*

دَعنا الآن نجتاز بحر الاوقيانوس ونستقري العالم الجديد فانّنا نرى هناك دلائل لامعة على همّة الكاثوليك لرفع منار الاداب وتعزيز العلوم في مطاوي القرن المنصرم

واوّل ما نلقاهُ في الشمال كليتا كيبك ومنتريال في بلاد كاندا وكلتاهما تُعرف باسم كليّة لاڤال لانهما ثمرة مساعي مديري مدرسة لاڤال الاكليريكيّة التي انشأها سنة ١٦٦٢ الطيّب الذكر السيّد لاڤال. ففي السنة ١٨٥٢ رأى الاكليروس الكاناديّ واعيان الكاثوليك في تلك البلاد انّ مواطنيهم محتاجون الى مدرسة عُليا يتخرّج فيها شبّانهم ويجارون بها كليّات بقيّة البلاد فأقيمت اوّلاً كليّة كيبك وبعد ٢٥ سنة رأوا انّ منتريال اصبحت كعاصمة البلاد بنموّها فانشأوا فيها كليّة ثانية ألحقوها بكليّة

كيبك . والكليتان في ترقٍّ متواصل يبلغ عدد معلميهما ١٩١ ويربي عدد الطلبة على الالف . امّا العلوم التي يتلقّنها الطلبة فالآداب الخاصّة والفنون الجميلة والفقه والطبّ والفلسفة والعلوم الدينيّة العليا واصول الصنائع . والكليتان في كاندا كعضنين حريزين في وجه المعادين للدين الكاثوليكي وشاهدين جليلين على انّ العلم والدين شقيقان يجريان معاً دون اختلاف ولا نزاع لخير العباد وترقي البلاد

ولن انحدرنا من كاندا الى الولايات المتّحدة وجدنا للكاثوليك ثلاث كليات يفتخر بها الاميركيّون وتستقي منها الناشئة موارد العلوم العليا صافيةً لم يرنّقها روح الكفر . فالاولى كلّية سان لويس في بلاد ميسوري انشأها اليسوعيون بعد عودتهم الى اميركة بزمن قليل سنة ١٨٢٩ ولا تزال حتى اليوم في نظارتهم يقصدها الطلبة المتخرّجون في ٩ مدارس اكثرها تحت تدبيرهم . وبعض هذه المدارس ترقّت حتى اضحت شبه كليات فعُرفت بهذا الاسم ككلّية كريتون (Cricghton University) وكلّية ماركت (Marquette University) . ويناهز عدد طلبة كلية سان لويس الالف طالب منهم ٢٥٠ للطبّ يعلمهم فروع هذا الفنّ ٥٤ استاذًا او مرشدًا

والكلّية الثانية في مدينة جرجتون (Georgetown) يديرها الآباء اليسوعيون الذين انشأوها سنة ١٨٥٤ وهم يعلمون فيها ٦٠٠ طالب العلوم النظريّة والرياضيّة والفلكيّات والطبّ والفقه . وقد وقفنا في السنة ١٩٠٤ على مذكّرة يوبيلهم الخمسيني فاخذنا العجب ممّا هم عليه من التقدّم في العلوم المستحدثة لم يفتهم شيء من الاختراعات الحديثة لتهذيب طلبتهم

امّا الكلية الثالثة فهي احدث نشأةً لكنّها اشمل لفائدة العموم في اميركة الشماليّة ألا وهي كلية واشنغتون (Washington) كان ظهورها سنة ١٨٨٤ بهمّة اساقفة الولايات المتّحدة عضدهم في ذلك قومٌ من المحسنين فجهّزوا الكليّة على طرز اكبر الكليّات وادرّوا عليها الاوقاف الواسعة فلم ينقصها شيء من اسباب النجاح وقد منحها البابا لاون الثالث عشر امتيازات خاصّة في السنة ١٨٨٩ . وهي لا تزال حتى اليوم في تحسين متواصل لكنّ طلبتها قليلون حتى الآن لا يزيدون على ١٢٠

وفي اميركة الجنوبيّة كلّية واحدة كاثوليكيّة مركزها في سنتياغو من اعمال شيلي انشأها سنة ١٨٩٥ رئيس اساقفة تلك البلاد السيّد كازانوفا (Mgr Casanova)

تجمع بين العلوم الثانويّة والعلوم العليا الدينيّة والمدنيّة وهي على ساقٍ من النجاح يقدّم طلبتها امتحانهم بازاء فاحصين تعيّنهم الحكومة المحليّة فينالون الشهادات المؤذنة بصلاحيتهم

ولم ينس السيّد بودريليار الذي اخذنا عنهُ كثيرًا من المعلومات السابقة كليّتنا الكاثوليكية في بيروت وهي الكلية الوحيدة الكاثوليكية في آسية بل أحسن في ذكر تاريخها ونظامها وترقّيها وما ادّتهُ من الخدم للممالك العثمانيّة والبلاد المجاورة. لاسيما بعد انشاء مدرستها الطبيّة بمؤازرة الدولة الفرنسويّة. فنشكر السيد الكاتب على لطفهِ ونثني على صدق وصفهِ لم يخلّ في شيءٍ منهُ الّا في قولهِ (ص ٥٦) انَّ اساتذة الطبّ يُعيّنهم وزير المعارف في فرنسة والصواب انَّ الذي يعيّنهم هو الاب كنشليار المدرسة بمصادقة وزير الخارجية المذكور. وهنا كان يمكننا ان نتّسع في تعريف كليّتنا الّا اننا نكتفي بما سبق الشرق وكتبهُ في سنتهِ الرابعة سنة ١٩٠١ عن يوبيل الكليّة الفضي (ص ١ — ١١) وفي السنة الحادية عشرة (ص ٣٤١—٣٥٤) عن العرس الفضي للمكتب الطبي فليُراجع الفصلان

وفي الختام لا يسعنا الّا ان نثني على همّة الكنيسة الكاثوليكية وابنائها الغيورين الذين علموا كما علم اسلافهم انَّ العلم الصحيح احسن عضد للدين لا يمكنهُ الّا ان يزيدهُ تأصّلًا في القلوب السليمة ولذلك ما انفوا أن يضحّوا في سبيلهِ النفس والنفيس ليشيّدوا في جهات العمور تلك الصروح الشاهقة التي اودعوها صفوة المعارف البشريّة واباب العلوم العصريّة ليكون الجميع على بصيرة بان الكنيسة الكاثوليكية لا تنال من ترقّي المعارف سوى الفخر والعزّ لان الله الذي انشأها هو إله العلوم كما هو إله الدين فباعتزاز العلم يعتزّ الدين الصحيح كما ان الدين الصحيح ينشر معهُ حيثما حلّ لواء العلوم البشريّة مهما تقوّل بعض المتشدّقين الذين يردّدون كالببغاء مزاعم اعداء الدين انار الله عقولهم وهداهم الى سواء السبيل

المناديات الدمشقيّة في الاثمار الشاميّة

للاب سليمان غانم اليسوعي

* اصلاح غلط * مرَّ في العدد السابق (ص ٢٤٠) انَّ تفاح الزبداني يكون ١٤ نوعاً ثم لم يُذكر منهُ الّا عشرة. امّا الاشكال الاربعة الاخيرة اي الشتويّ الساماني والحامض الجبّالي والحامض الصوري (ليس السوري بالسين) والبيبليّ فقد رُويت في المشرق بالغلط مع اشكال التين الخمسة ص ٢٤٣. امّا اشكال التين فها نحن نذكرها هنا على تمامها

٤ التين (تابع)

وللتين ٥ اشكال وهي:

١ (الملكي) وهو احلاها ويكون ابيض كبيراً. وافضل اشكاله البعل لعدم سقيه فاذا سُقي دوَّد (ورطلهُ من ٢٧ الى ٣ ق)

٢ (كعب الغزال) وقلبهُ ابيض او احمر (ورطلهُ من ق ١٢ الى ٢)

٣ (العسليّ) وينضج بعد الاوّلين. دُعي بذلك لحلاوته

٤ (الاسود) وهو قليل كبير الحبّ او صغيره. وقلبهُ احمر ولا يبيس

٥ (الشتويّ) وهو قليل ايضاً. وينضج في التشارين والّا يسقط في كانون وليس هنا تين بقراطي

وينادي الباعة على التين: «بعل يا تين — يشرب من ميَّة الثلج يا بعل — تين بدّا ما بيتبدّى — حلبون بلادك يا بعل — ابيض يا تين — ابيض ولاوي وصاحبهُ تيس (كذا) معرّاوي هالتين الدبلان»

ويُجلب اجود التين من قرى بدّا وحلبون والذريج في القلمون الفوقاني وهو اجود واصغر ما يُباع في بيروت. وهو غير مطبوع — وتين بسيما مشرّح الّا انهُ دون سواهُ حلاوةً. وجارود رجهاتها تمتاز ايضاً بتينها الحلو وعنبها ورمّانها

وقد تكرَّر ذكر التين في الاسفار المقدَّسة فيخبرنا سفر التكوين (٣: ٧) انَّ الابوين الاوّلين بعد خطيئتهما في جنَّة عدن خاطا لهما مآزر من ورق التين. وروى في سفر العدد (١٣: ١٤) انَّ الوفد الذي ارسلهُ موسى الى ارض كنعان ليتجسَّسها اتى بشيءٍ من اثمارها منها عنقود عنب حملوهُ بعَتَلَةٍ بين اثنين مع شيءٍ من الرمّان والتين — ولمّا خاصم بنو اسرائيل موسى الكليم في البرّيَّة (عدد ٢٠: ٥) تذمَّروا منهُ لكونهِ

« اتى بهم الى موضع خبيث لا زرع فيه ولا تين ولا كرم ولا رمّان ولا ماء للشرب » — وفي محلّ آخر (تث ٨ : ٥) يعدهم موسى ان حفظوا كلمتهُ تعالى بانهُ يعطيهم ارضاً صالحة ذات انهار ماء . . . . ارض حنطة وشعير وكرم تين ورمّان وعسل » — ولمّا اراد الكتاب ان يصف ما نالهُ الاسرائيليّون من السلام في عهد سليمان قال (٣ ملوك ٤ : ٢٥) : انّ كل واحد كان يسكن تحت جفنتهِ وتينتهِ

وذكر الانبياء التين مرارًا . فانّ اشعياء (٤ مل ١٨ : ٣١ واش ٨ : ١) وصف لحزقيّا قرصاً من التين ليبرئ قرحتهُ — وشبّه اشعيا (٣٤ : ٤) سقوط جند السماء « بسقوط الورق من الكرم والسّقاط من التين » — وشبّه ارميا النبي المجلوّين الى ارض الكلدان . بزبيلين احدهما مملوء تيناً طيّباً جداً والآخر تينهُ خبيث لا يمكن اكلهُ

وكثيرًا ما ضرب الكتاب المثل بالتينة . فمن الامثال القديمة التي ورد فيها ذكر التين مثل الشجر المجتمعات ليمسحنَ عليهنّ ملكاً . (في سفر القضاة ٩) فاعتذرت التينة عن قبول الملك لئلّا تفقد حلاوتها وثمرها الطيّب باستعلائها على الشجر . وجاء في امثال سليمان (٢٧ : ١٨) : « من يحرس تينتهُ يأكل من ثمرها ومن يرعَ سيّدهُ يمجّد » وكذلك السيّد المسيح في انجيلهِ الطاهر فانّهُ بنى امثالاً عدّة على التينة فتارةً (مت ٢٤ : ٣٢) يريد أن نستدلّ على وقوع اليوم الاخير كما نستدلُّ على دنوّ الصيف من اغصان التينة ونموّ اوراقها . وتارة (مت ٧ : ١٦) يؤكّد انّ الرجل الشرّير لا يأتي بعمل صالح كما انّهُ لا يُجنى تين من العوسج . وحيناً يثبت (لو ١٣ : ١٦) سوء منقلب الانسان ان لم يأتِ بثمر صالح كما تُقلَع التينة التي يُعنى بها البستاني فلا تثمر ثمرًا فتُلقَى في النار لئلّا تشغل المكان سدًى . وكذلك افادنا المخلّص بلعنتهِ للتينة التي لم يجد فيها ثمرًا انّ الرب في اليوم الاخير يلعن اولئك الذين قضوا حياتهم دون عمل خير فيلقَون في النار المؤبدة كالحطب اليابس

هذه بعض الآيات التي استمدّ فيها الكتاب الكريم تعاليمهُ الخلاصيّة من التينة افادةً للبشر وايضاحاً للحقائق الادبيّة

٥ الجَنْرك

ويقولون جَنْرك وفي التركيّة جَرْلك وهو الخوخ الصغير ويريدون بالخوخ الاجاص (prune) . وهو يزهر بعد اللوز بقليل في اوائل آذار ويؤكل بعد شهر قبل نضجهِ

ويدوم الى ايار. وفي الزبداني يُطعمون الخوخ البرّي وخوخ الدب جنركاً اما في دمشق فيخرج الجنرك من بزرته او اصله

والجنرك ثلاثة اشكال: السكّري العادي والسكّري الاستنبولي والحامض. ويؤكل وحدهُ او معقودًا بالسكّر وارخصهُ الحامض يُباع رطلهُ بثلاثين بارة والعادي بقرش ونصف والاستنبولي ٢٧ ق. ويحسن الجنرك في الربوة. لكنَّ اهل الهامة الى الزبداني لا يحبُّون غرسهُ بل يفضّلون عليهِ غيرهُ من الاشجار وذلك لانهُ ينضج قبل سواهُ من الاثمار فيتهافت الناس عليهِ ويكسرون اغصانهُ فتتلف الشجرة. والجنرك يجب سقيهُ كل اسبوع او اسبوعين والّا فلا يثمر. ومناديات الباعة عليهِ :

« يا مال الربوة هاجنرك — احمر يا جنرك — سكّري او تفّاحي عسال يا جنرك — للمعقود يا جنرك — عبّي الاترميز يا جنرك (والاترميز اناء من زجاج) »

٦ الخوخ

الخوخ في اصطلاح اهل الشام الاجاص (prune) وهو في كتب العرب الدراقن (pêche) اما الاجاص فيريد الشاميُّون بهِ الكمثرى (poire). ونبع الخوخ الزبداني فلا يقلُّ مقتنى فلّاحها عن ٢٠٠ شجرة. وقد كثر في بعض السنين حتى بيع الحمل منهُ بثلاثة قروش. وهو يزهر في نيسان ويؤكل في حزيران. ولا يعيش بلا ماء الّا البرّي منهُ. واشكالهُ خمسة :

١ً (قيصري حلب) وهو اسود كبير يبلغ حجم البيضة والناس يرغبونهُ لطيب طعمهِ ورخصهِ فانَّ الرطل منهُ يباع من ٣٠ بارة الى ٣ ق

٢ً (الاوردي) وهو ابيض واحمر ولا ينضج كلهُ بوقت واحد وهو قليل

٣ً (القاسمي) وهو على شكل القيصري واكبر. وهو ايضاً قليل

٤ً (القزازي) يكون حارًا وازرق دُعي كذلك لانهُ على لون زجاج دمشق

٥ً (الاجاصي) الذي ينضج وفيهِ طرف حموضة

وينادون على الخوخ: « قيصري حلب يا خوخ — بزرهُ من حلب يا خوخ — يروّق الدم ويزوّل الهمّ يا خوخ »

ويرد دمشق من الخارج خوخ يابس مربّى بالسكّر يجهل الدمشقيُّون عملهُ. واليهود في دمشق يشترون الخوخ اليابس الذي يسقط بكثرة في الزبداني بنحو ٣٠ بارة الرطل. وقد اصطنع بعضهم من الخوخ بدلًا من المشمش قردينًا فكان اسود اللون طيّبًا

٧ في خوخ الدبّ

هو خوخ حامض او جَنْرك كبير حامض يُقطف في ايلول ولا يؤكل لحموضته الّا مطبوخاً مع اللحم او المحشي او اليبرق وهو اخضر في اوّله ثمّ يسودّ اذا نضج والمناداة عليه : « خوخ الدبّ يا جَنْرك — حامض يا خوخ (او) يا جَنْرك »

٨ في الدراقن

ويقال الدرّاق هو في اصطلاح اهل الشام الخوخ كما سبق . والدراقن يزهر بآذار ويؤكل في آب . ويعيش شجرهُ من عشر سنين الى عشرين سنة على قدر حسن التربة والاعتناء به . والشائع عند اصحابه انّ ورقهُ كمّ له ولذلك يجمعونهُ في كانون عن الشجرة ومن تحتها فيلقونهُ خارج البستان في محلّ بعيد . امّا الدواب فانّهم يعالجون بورقه المذكور جراحها اذا دوّد الجرح فيدقّون الورق ويضعونهُ كرهم في مكان الداء فيهرب الدود

ولشكال الدراقن في دمشق ثلاثة : ١ً (النّيرابانى) نسبة الى نيرابان من اراضي الصالحيّة وهو ابيض لهُ صوفة وبزرتهُ مرّة ويقال له الغشى ايضاً رطلهُ من ١٢ الى ٢ ق

٢ً (الاستنبولي) ولهُ خدّ ابيض وخدّ احمر

٣ً (الزهري) وهو صغير وبزرتهُ حلوة وهو اغلى من الجنسين السابقين رطلهُ من ٤ ق الى ٦ الّا انهُ لا يطيق السفر . ومناداة الباعة على الدراقن : « ابيض يا نيرابانيّ — اكلهُ شفا بزره دوا يا نيرابانى — دراقن زهري . يا زهري طاب — هرّب الناطور يا زهري — يرحم اللي نصبهُ يا نصب الملوك . مال الجنائن طاب . اطيب من العوّامة (والعوامة عندهم عجينة خمير مقليّة بسيرج ومنزلة بقطر السكّر)

٩ في الجوز

تنبت براعمهُ (شباشيله) ثمّ ورقهُ في آيار ويؤكل في ايلول ولمّا تطلع الثريّا في حزيران تسقط الجوزة العاطلة . ويكثر الجوز في بساتين دمشق وفي غوطتها ولاسيما في التلّ ومنين وهو كبير ولذيذ . وهو يطلب ارضاً رطبة وماء . والارض البعليّة جوزها قليل ويعيش شجرهُ الى الف سنة واكثر . وقلبُ الجوز ابيض او اسمر او اسود فالابيض ما اصابتهُ حرارة الشمس والباقي ما غابت فيه الرطوبة القليلة او الكثيرة

تباع اوقيّة الجوز على خلاف اجناسه من قرش الى ٢ . ويدخلون قلب الجوز في

المعجونات والحلويات كالبقلاوى والمعمول والكنافة ويُمزج بالزبيب والقمح المسلوق. امّا خشب الجوز فيرغب فيهِ النجّارون فيصطنعون منهُ الآنيـة والقباقب والرفوف وضروب الاثاث

والجوز الشامي اربعة اشكال: ١ً العـادي. ٢ً الفرك وهو رقيق القشرة تُكسر قشرتهُ بالفَرْك. ٣ً النجيل وقشرتهُ صلبة جدًّا لا يُستخرَج قلبها الّا بالجهد. ٤ً البعلبكي ويُدعى ابا منقار لانَّ لهُ شبه المنقار. ويُنادى الجوز: « مال التلّ يا جوز — تازا وجديد يا جوز — تما اعمل مازا يا جوز — للمونة هلجوز — ابيض قلب الجوز ابيض »

امّا ذكر الجوز في الكتاب المقدَّس فقليل منهُ ما جاء في سفر نشيد الاناشيد (٦: ١٠): « نزلتُ الى جنَّة الجوز لانظر الى ثمر الوادي وارى هل ازهر الكرم ونوَّر الرمّان»

١٠ في حبّ الآس (الحنبلاس)

لا يوجد الآس بكثرة في غير الصالحيَّة وحبُّهُ ابيض وكبير وحلو ويُسقى كثيرًا. وهو يزهر في آخر ايّار ويؤكل في اوّل تشرين ويحلو بعد المطر. والجبلي منهُ صغير وحبُّهُ اسود وصغير وكثير البزر. ومن عوائدهم انهم يضعون اغصـان الآس على القبور. وفي وقفة رمضان وعيد الضحيَّة يحمل منها فلّاحو الصالحيَّة حزمًا يبيعونها. ويوم العيـد يخرج الناس الى المقابر فيزينون بها المدافن

وورد ذكر الآس في الكتاب المقدَّس كعلامة الخصب والبهجة قال اشعيـا (٤١: ١٩) « اجعل في البريَّة الارز والسنط والآس وشجر الزيت واجعل في الصحراء السرو والسنديان والشربين جميعًا ». وقال في محـلّ آخر (٥٥: ١٣): « عوض العُلّيق ينبت السرو وعوض القرّاص ينبت الآس » اطلب ايضًا سفر زكريا النبي (١: ٨ الخ)

وينادى حب الآس (الحنبلاس): « طاب اكل الحنبلاس (او) حب الالاس (او) حب الجنـاين طاب — حلي الجنايني يابا حلي — اطيب من السكّر يا ابني — حوشناه من زقاق ضيّق هلحنبلاس. (او) من الحواكير. (او) من الصالحيَّة »

١١ في الرمّان

الرمّان ينبت في كل تربة ولكن يُقتضى سقيهُ مرَّتين او ثلاث مرَّات في الصيف. وهو يزهر في نيسان وينضج ثمرهُ في ايلول. وانواعهُ ثلاثة:

أً (الحلو) ويقال فيه: « انقع الحلو الرمّان الحلو وانقع الحـامض الرمان

الحامض » وهو صنفان : (الملّاسي الماوردي) وتكون قشرتهُ ملساء وحب بزرته دقيقة يباع رطلهُ من ٢٧ الى ٣ ق . (وابو حلقوم) وهو سميك القشرة كبير البزرة والحبّة رطلهُ يساوي قرشاً الى ١٧

٢ (الحامض) يتّخذون منهُ الشراب وثمن رطلهِ من قرش الى قرشين

٣ (اللفّان) وهو المزّ بين الحلو والحامض رطله من ٣٠ بارة الى قرش وينادون على الرمّان : « رمان حلو يا ماوردي — حلو الرمان يا ملّاسي — للشراب هالرمّان — صليبي يا حامض (الصليبي الذي يُقطف بعد عيد الصليب) »

وقشر الرمان دواء للدودة الوحيدة . ويستعملونهُ في الصناعة للصباغ الاسود وللزاج

والكتاب الكريم ذكر الرمان في آياتهِ التي نقلناها في فصلي التفّاح والتين . وذكرهُ ايضاً في جملة الحلي التي اتّخذوها لكبير الاحبار وزينة الهيكل فتقلّدوا شكل الرمّان . جاء في سفر الخروج (٣٩ : ٢٤) انّ موسى جعل لأذيال جبّة هارون رمّانات من سمنجوني وارجوان وصبغ قرمز وزّ مشجور . وكذلك روى سفر الملوك الثالث (١٤ : ٤٢) انّ سليمان صنع ٤٠٠ رمّانة من نحاس ليزين بيت الرب . وكأنّهم كانوا يشربون عصيرهُ كما تدلّ عليهِ آية نشيد الاناشيد (٨ : ٢) حيث قال : « واسقيك الخمر المطيّبة وعصير الرمّان »

١١ في الزعبوب والزعرور

الزعبوب حبّ احمر على حجم الجنزرك ينمو في الاراضي الشمسيّة في الحامة والفيجة ووادي بردى وبزرهُ يشبهُ البنّ وقد يزهر في نيسان ويؤكل في ايلول يباع رطلهُ من قرش الى ١٧

امّا الزعرور فهو حبّ صغير مثل حبّ الميس يأكلهُ عابر السبيل وشجرتهُ سياج للبساتين

ويُنادى على الزعبوب : « بلح . او عجوه . او تمر محنّى يا زعبوب — اكل الوليدات يا زعبوب — الله يخلّيك للوليدات يا زعبوب — عبّي الجيبه يا زعبوب — جمال وراحة يا زعبوب — شرنّ برنّ يا زعبوب — بزرك بنّ يا زعبوب — تنتين حمل جمل يا زعبوب »

(التتمّة لعدد آخر)

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

المذبحة

قصر الرشيد . سدّة للخليفة

المشهد الأوّل

الفضل . الرشيد . مسرور . ياسر

الرشيد يا للعار! يا لخيبة الآمال!

الفضل سيّدي

الرشيد اهكذا تُشير عليَّ بقتل العلويّ فأعوّل عليك في انجاز مرامي فتعود بصفقة خاسر ذليلًا غيرَ اهل ان تُذبح بسيف برمكي! أتدعُ بين ايديهم سيفي ذا الفقار شاهدًا عليَّ! يا للفضيحة ويا للعار!

الفضل لا عارَ عليك يا امير المؤمنين

الرشيد كيف لا عارَ والبرامكة يُذيعون الخبر في بغداد فتتناقلهُ الافواه من مكان الى مكان فيُضحي الخليفة سُبَّةً على السنةِ الناس يَعزون اليهِ التخلّق بالتقى والعبادة واضمار المكر والخديعة

مسرور حاشاك ان يُلبسك هؤلاء المَرَدة ثوبَ الصَّغار

ياسر مُرْ ما تشاء فلا تلقَ منّا الّا عبيدًا طُوَّعًا

الفضل نحن معشر الأمناء نقوم بما تُسندُ الينا من امضاء عدلك واظهار حقّك

الرشيد اني لعاجز!

الفضل « انما العاجز من لا يستبدّ »

مسرور فاستبدّ اخيرًا سيّدي. قل كلمةً فنستأصل شأفة البرامكة عن آخرهم

الفضل ان فيهم يحق ما قالهُ سديف:

لا يغرّنك ما ترى من فعال إنّ تحت الضلوع داء دويًّا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها بعكيًّا (١)

الرشيد ما الراي وما التدبير؟

الفضل ان البرامكة ارادوا الوصول الى مرامهم بالدهاء والمكيدة ففاجئهم بالقصاص قبل ان يشهروا اسرارك فيستفحل الامر

الرشيد ما اسهل القول واصعب الفعل

الفضل وان تأخرتَ ساعة عن قتلهم وتركتَ جعفرًا يخرج من قبضتك استعان بنقفور وبسلطان الفرنجة حيث بعث بعبدالله ثم اقام البيعة للعلوي فزلزلك عن ملكك واباد دولة آل العباس وعفّى ذكرهم الى الابد

ياسر ان جعفرًا يُضمر لك الشرّ ولا يزال يتهدّد امير المؤمنين ويسخر به امام الخاصّ والعام. أما سمعتَ ما قالهُ لاسمعيل الهاشمي؟

الرشيد وما قال؟

ياسر ما اكل الرشيد الخبز الّا بفضلي وما قامت دولتهُ الّا بي فوالله لئن عاندني ولم يسرْ طوع خاطري لتكونَنّ جرأتهُ وبالًا عليه

الرشيد يتهدّدني جعفر انهُ خدّاعٌ نفسهُ. يُهينني ويستذلّني وتربة المهدي لأرجعنّ سهمهُ الى نحرهِ. لكن ما الحيلة؟ إني لعاجز لا اتجرّأ على صعاب الامور

الفضل (يركع) سألتك بالله يا امير المؤمنين وبتربة المهدي وبشرف نفسك ان تأخذ بناصر الخلافة العبّاسيّة والّا تدعها عرضةً للذلّ والشنار فان جعفرًا فعل ما ينكس الابصار ويسربل اعقابك بثوبٍ من العار

الرشيد بيّن مقالك ثكلتك امك والّا قتلتُك

الفضل سَلْ ياسرًا ومسرورًا

ياسر ان بني برمك قد مرقوا عن الدين القويم واسرّوا مقالاتٍ ومبادئ

---

١) مجاني الادب ٥ عدد ٢١٣ والشعر قد قيل في بني امية

ينكرها كل مؤمن صادق

مسرور ان جعفرًا قد اذل عترةَ المهدي (١

الرشيد وما مُرادكم ؟

مسرور الامان

الرشيد لكم الامان

مسرور سل زبيدة تطلعك على امره مع العبّاسة (٢

الرشيد ان كنتم كاذبين قتلتكم شرَّ قتلة. جهّز يا فضل امري باهلاك البرامكة عن اخرهم

الفضل نعم سيّدي (يخرج الرشيد)

المشهد الثاني

الفضل . مسرور . ياسر

الفضل قد فزنا بالمراد. ان زبيدة شريكةُ سرّنا وهي من الدّ اعداء جعفر. فسوف تُؤجج نار الغضب في صدر الرشيد. امّا الحكم فقد اعددتُهُ وكتبتهُ منذ ايّام لا ينقصه الّا توقيع الرشيد (يخرجهُ من جيبه ويقرأ): «... ان يُقتلَ البرامكة وتمحى آثارهم ويُمحق ذكرهم وتُخرب دورهم ويُباحَ ذمارُهم وتُقبض اموالهم. ومن ذكرهم سرًّا او علنًا كان الموت جزاءهُ». قد حان وقت الاخذ بالثأر فطبْ قلبًا يا ابن الربيع وافرح بالغلبة وبلوغ الاماني

مسرور ونحن ما جزاؤنا ؟

الفضل قصور البرامكة مشحونة بالذهب والدرر والحلل والاموال. وهي لنا

ياسر وانا قد قمتُ باعباء ما أمرتني به رغمَ المصاعب. فما يكون حظي ؟

الفضل تُرفع الى معالي الرتب وترتع في مراعي اللذات تبعًا لاهوائك المعهودة

ياسر هذا جزائي (بحزن)

١) تلميح الى حكاية العباسة

٢) الاتليدي (١٦١) وغيره

مسرور انظر . ارى البرامكة قادمين الى قصر الرشيد اجابة لدعوته والجموع تحيط بهم

ياسر وهم يجهلون أننا واقفون لهم بالمرصاد

مسرور وأنْ قد اقتربت ساعتُهم

الفضل لكن اخاف جبنَ الرشيد وتردّدَهُ وقصَر همّتهِ عند الخطوب الصعاب لاسيما اذا قابل جعفرًا ويحيى

مسرور ان نجح اليوم مسعانا نلنا النصيب الاعلى والّا هلكنا لا محالة

الفضل لذا خذ يا ياسر هذه البدرة فاذا رأيتهم قد دخلوا الباب فأرمِ بالدنانير بين القوم واستورِ زناد الفتنة وأعلمهم أن الرشيد عازم على قتل يحيى وذويهِ ظلمًا وحسدًا إن لم يأتوا لخلاصهم فيهيج هائج الغيظ بين الشعب وتضطرم نائرةُ الثورة في قلوبهم فيكثر الهرج والمرج ونحن نرى هنا في امرنا .

ياسر نعم الراي (يخرج)

الفضل (لمسرور) وانت سرْ مسرعًا الى قائد الحرس ومُرْهُ من قبل الرشيد ان يكون على حذر من فتنة ارادها البغاة ولا تتأخّر فاني ارى الرشيد عائدًا

مسرور لله درُّكَ من داهية (يخرج)

المشهد الثالث

الفضل . الرشيد (ثم مسرور وياسر)

الرشيد (وحده في اوّل الوسح) يا جعفر ما كافأتني ولا عرفتَ حقي . يا جعفر لقد خُنتني . يا جعفر ألمْ أُملّك محلّ نفسي فتدرت بي ولم تتبصر في مغبّة الامور — اللهمّ انك تعلم ان البرامكة قد وجب عليهم القتل وانا أستخيرك فخِرْ لي (١

الفضل سيّدي دونك الامر تبعًا لارادتك

الرشيد هات . عجلتَ يا ابن الربيع عجلتَ (ينظر الى الصك ثم يردّه) ما اقساك !

١) الاثليدي (١٧٣)

يُبكى علينا ولا نبكي على احد لنحن اغلظ اكبادًا من الإبلِ (١

لا استطيع ان ارقع على مثل هـذا الحكم. أقتلُ مَن ربيتُ في حجره ودرجتُ في عُشهِ وكان سببَ خلافتي! كم من مرّة دعوتُهُ ابتِ. أقتـل جعفرًا رضيعي وخليلي. اقتل الاولاد والنسـاء كبارًا وصغارا. ظئري مَن ارضعتني وعطفت عليَّ واحبَّتني فكبرتُ في حضنها وترعرعت بين ذراعيها. ولدا جعفر دمٌ من دمي — لا. لا استطيع. قد تراخت مفاصلي ونهكتني الحمّى وانهدّت قواي (يلقي بنفسهِ على كرسيهِ)

الفضل ما العمل؟

(صراخ من الخارج:) حيًّا الله البرامكة — البرامكة سلاطين البلاد

الرشيد ما هذا؟

الفضل ارى البرامكة قادمين عليك في موكبهم

الرشيد وما هذه الاصوات؟

الفضل تعظيماً بهم. هم السلاطين!

الرشيد يا لله! ما الحيلة؟

الفضل انظر الى هذا الموكب. يُحيط بالبرامكة القوّاد والشرفاء والامراء والعمّال. إن الجموعَ على باب البرامكة وامير المؤمنين ما على باب داره احد. انظر الى دوابهم الستَ ترى اعجازها الى قصرك. هذا هو الاستخفاف بعينهِ (٢

الرشيد لا اصبر على هذا

(صراخ من الخارج:) حيًّا الله البرامكة

الفضل يلقون بالصرر يمينًا وشمالًا ليجتذبوا الجماهير الى الفتنة (٣

(صوت من الخارج:) الخليفة... جعفر ويحيى...

الفضل لا اعي تمام الكلام لكني احسبُ القومَ يطلبونَ ترعـكَ عن الخلافة وتسليمها للعلوي وللبرامكة اصحابهِ

---

١) قالهُ الرشيد بعد ما فتك بالبرامكة

٢) الانليدي (١٦٧)

٣) كانت صلات يحيى لمن يعرض لهُ في طريقهِ مائتي درهم (الاربلي ١١٧ والفخري الخ)

الرشيد هو هذا. لا اصبر على الذلّ والهوان. (يصفق) مسرور

مسرور امير المؤمنين

الرشيد احشد الحرس حول منزلي وانذن للبرامكة ولاطفهم فاذا دخلوا اوقف جنودهم وغلمانهم بخدعة ثم مل بجعفر الى القبة التركيّة وتُحيط به الجنود (١

مسرور نعم

الرشيد وانتظر اوامري (يخرج مسرور) كفاني ذلًا وهوانًا . فالموت الموت جزاؤكم يا آل برمك ولو ثارت عليَّ البلاد وعرّضتُ بدولتي الى الخراب وبروحي الى الهلاك

الفضل هذا يحيى قد دنا يخطر الخلاء

الرشيد بايِّ لسان اخاطبهُ وقد دعوتهُ ابي. إني لعاجزٌ

الفضل لستَ بعاجز. لكن لا تدع الاهواء تسطو عليك فالحزم يقضي بانتهاز هذه الفرصة لتفكَّ القيود التي بها قيَّدوك وتغضب لشرف العبّاسيين الذي اذلّوهُ وتأخذ بثار الدين الذي جحدوه وتهدم اركان الشرّ الذي اثبتوه

الرشيد . لا بدَّ. لا بدَّ. اللهمَّ انك تعلم ان البرامكة قد وجب عليهم القتل وانا استخرتك فخرتَ لي (٢ (يجلس الرشيد والفضل ويدخل يحيى)

المشهد الرابع

الرشيد . الفضل . يحيى

يحيى السلامُ على امير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتهُ . . . (لا احد يجيب)
يا للعجب حتى الفضل لا يقف لسيّده (٣

الرشيد دعه . ليس الخائن باهل للاكرام

يحيى ومن ذا الخائن ؟

الرشيد انت ايها الشيخ الخدوع المكّار يا ناكر الجميل وكافرًا بالنعم

---

١) الطبري والفخري وسائر المؤرخين

٢) ابن الاثير وغيره

٣) الطبري (٣ : ٦٦٩)

يحيى يعلم الله اني أخلصتُ الخدمةَ لامير المؤمنين

الرشيد اقتُلك على بيت المال تجمعت القناطير المقنطرة لكَ ولولدك سلباً واختلاساً

يحيى قد افترى علينا الحسَدة زوراً. فنحن ملأنا بيوت الخليفة اموالاً ورفعنا عن الرعايا ما كان العُمّال الظالمون يحتلونهم من الاثقال باستبدادهم وجورهم. فتلنا ما نلناهُ بجَدّنا واخلاص خدمتنا. على انّا لا نزال لك اصدق العبيد. فمالُنا وديارُنا وضياعنا وكل ما نملك هو لك فان اردتَ قبضهُ فانت السيّد المطاع

الرشيد وما هذه المواكب والوفود التي تغدو وتروح على ابوابكم. أأصبح البرامكة الاسياد والخلائف ؟

يحيى إنّنا عبيدُك وخَدَمك ووزراؤكَ واصحابُ جيوشك ودواوينك. فان لم تكن الوفود على بابنا فعلى باب مَن تكون ؟ إنّما بابنا من ابوابك

الرشيد واين صاحبك يحيى بن عبد الله العلويّ ؟ (١

يحيى اطلقتُ سبيلهُ

الرشيد وانا امرتُك مراراً ان تقتلهُ فخالفتني ! وشدّدتُ امس على جعفر في التحفظ عليهِ فاطلقتهُ !

يحيى انّما اطلقتهُ استناداً على ما كتبتَهُ لهُ انت يا امير المؤمنين بخطّك من الامان وما اخذت على نفسك من الأيمان الغليظة فاشهدتنا وامراءك على صدق نيّتك وندبت اليهِ ابني الفضل فاجاب العلويّ آمناً واثقاً بعهدك وشهادتنا. فما ذنبي ان كنتَ عدلت عن فكرك ؟

الرشيد اوَ تجهل ان الفقهاء قد افتوا بانتقاض صكّ الامان ؟

يحيى فتوى كاذبة جبريّة لا شرعيّة قال بها ابو البختري تدلّساً وتزلفاً

الرشيد ان العلويّ بعد الامان فعل وصنع ودعا الناس الى نفسهِ فانتقض العهد

يحيى ذلك ما قالهُ الزُبَيري بنُ العوّام واذ جمعتَه مع العلويّ تمنّع اوّلاً عن الحلف بيمين البراءة مرتاءاً ثم حلف بها فما خرج من المجلس الّا وضرب

(١ الاغاني (١٧ : ٤٣)

برجله ومات (١

[ذاق الزبيري غِبَّ الحنثِ وانكشفت من ابن فاطمةَ الاقوال والتُّهم]

الفضل يا امير المؤمنين ما هذه الجرأة! ايتطاول العبد على سيّدهِ ؟

الرشيد لقد عدوتَ طورك وتهتَ في كِبرك فساكسر من زهوك وأقيم عليك شواهد مكرك. اليست هذه رسالة جعفر بامرك الى اهل خراسان توصيهم بالعلوي. اتنكرها ؟ (٢

يحيى. لا أنكرُ الحقَّ فالحقُّ سيفٌ على الكاذبين. هي رسالة الى الفضل ابني عاملك على خراسان اوصيهِ ان يُحسن ضيافة الشيخ ويُجري عليهِ شيئاً من المال يعيش بهِ في الزهد والعبادة

الفضل ليست اقوالك الّا اباطيل مختلقة واكاذيب منمّقة

يحيى دعِ السبَّ يا ابن الربيع فهو من صفات اللئام. ولو عرفتَ مَن الشيخ الذي لعاملك لما اسمعتَهُ من الكلام فحشاً. أترضى يا هرون ان يُهان على مرأى منك ومسمع شيخٌ طالما دعوتَهُ اباك. وبيتَ في حجرهِ ورضعتَ مع بنيهِ فكان سبب خلافتك يوم عزم الهادي على خلعك وعرّض بنفسهِ للموت حبًّا بك فمكّنك من السلطان وقام واولادهُ إخوانك باعباء الخلافة ورونقها احسن قيام عن نيَّة سليمة وخدمة صادقة (٣

الرشيد كانت صادقة فنسدت منكم السرائر وانكشفت الضمائر. خاتلتموني بالرفق وقاتلتموني بالكيدة رجاء خلعي عن الخلافة وتولية العلوي بدلًا مني. والله لا اصبر على هذا

يحيى برئتُ من حول الله وقدرتهِ ان كنت اضمرتُ قط لك ولولدك شرًّا

الفضل لو كنتَ صادقاً فيما تقول لتقدّمتَ الى العلوي ان يبايع امير المؤمنين

الرشيد لا يرضى ابن ابي طالب بهذا ولو قُطّع اربًا

يحيى هاك صكَّ مبايعتهِ. فاي سبيل لنقض الامان وسفك دم زكي ؟

---

١) الطبري (٣: ٦١٣–٦٢٤) والفخري (٢٦٦–٢٦٧)

٢) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن بدرون (٢٤٧)

٣) الطبري (٥٧١ الخ) وابن الاثير (٦: ٢٤) والفخري (٢٧١) والمسعودي (٦: ٢٨٠)

الفضل اتحتمل سيّدي هذه الجرأة ؟

الرشيد الستُ الخليفة المطلق الحكم في رعيّتي ؟

الفضل اليس لامير المؤمنين ان يفعل ما يشاء فلا يُعارضهُ احدٌ في احكامهِ ؟

الرشيد الستُ سيّد الاجسام والارواح ؟

يحيى كلّا

الفضل كفرٌ على غدر

الرشيد ما هذا الكفر !

يحيى ناشدتك الله يا امير المؤمنين ان تعي كلامي . لله وحدهُ السيادة . اقامك على عبادهِ « فاذا حكمتم فاحكموا بالعدل » تذكّر ما نقشتَ على خاتمك « العظمة والقدرة لله » « فكن من الله على حذر » (١

الفضل ايُجيبُ العبدُ سيّدهُ !

الرشيد ما هذه المبادئ المريبة ! كأني بك تُنكر اني الخليفة

يحيى اعرفك سيّدي وليّ نعمتي امير المؤمنين وليس لي سيّدٌ على الارض سواك

الرشيد كذبت وخدعتَ . الموتُ الموتُ جزاؤكَ (سكوت)

يحيى (بهدو) اتقِ الله يا امير المؤمنين فيما ولّاك من رعيّتهِ ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد صدقتُ لك النصيحة ومحضتُ لكَ الطاعة وشددتُ اواخيَّ ملكك فسهّلتُ لك الوعور وذلّلتُ الامور وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور وتصدّيت للمهمّات واظهرتُ رونق الخلافة حتى سمّى الناس ايامك ايام العروس (٢ فكم ليل تمام فيك كابدته

ومقام ضيق فرّجته بيانٍ ولسانٍ وجَدَلْ

واني وولدي ابرياء مما عزا الينا الكاذبون اعداؤنا واعداؤك . فالله الله في دمنا لا تهرقهُ بظنّ قائل او بغي باغٍ (٣

---

١) الاربلي (٨١) وغيره

٢) الفخري (٢٧٠) والمسعودي (٦ : ٢٨٨)

٣) المسعودي (٦ : ٣٠٢) وابن الاثير (٦ : ٦٥)

الرشيد ليس الامر ظنًّا ولا بغيًا وقد اذلَّ جعفر وُلد العبَّاس

يحيى كم من مرَّة نهيتهُ عن منادمتك. الم اقل لك يا امير المؤمنين اني اكره مداخلة جعفر لك ولست آمن ان ترجع العاقبة علينا منك فلم ترضَ (١. فاي ذنب لي وانتَ اردت ذلك فحدث ما حدث منذ اعوام وندم جعفر على ما فرط

الرشيد لا لا. انتم قوم مردة كفرتم بنعماني ومرقتم عن ديني ودين آبائي واتخذتم الزندقة لكم محجة وهدَّ اركانِ الدين غايةً. فالقتل القتل جزاؤكم. لا بد من احراق هؤلاء المحرقين (٢. (يصفّق) مسرور

مسرور لبّيك

يحيى سيّدي مهلًا مهلًا. قد دنت منيّتي ولي كلام اقولهُ لك. اني واولادي ابرياء مما عزوت الينا من المكر والخديعة والزندقة. فالدين الدين اوجبَ علينا حفظ العهود اذ كفرتَ انت بها فانّا نؤمن بالله الواحد الصمد لا جاحدين ولا كافرين ونصدّق كلّما انزل الله على اوليائهِ الصادقين. اما الآن فقد تقدَّم الخصم الى موقف الفصل وانت على الاثر والله حكم عدل لا يجور فتقدم فتعلم (٣

ستعلم في الحساب اذا التقينا غدًا عند الاله مَن الظلومُ
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبَّهْ للمنيَّة يا نؤومُ
الى الديَّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

الرشيد الحكم الذي رضيتَ بهِ في الآخرة هو اعدى الخصوم عليك وهو لا يُردُّ قضاؤهُ

---

١) اخبر البلاوي (٢٠) قال: «قال ابن جرير: كان يحيى ينهى ابنهُ جعفر عن منادمة الرشيد ويقول لهُ: انَّ من خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم. حتى انَّهُ قال للرشيد: يا امير المؤمنين انا اكرهُ مداخلة جعفر لك ولستُ آمنُ ان ترجع العاقبة عليَّ منك». اطلب ايضًا الطبري (٦٧٦) والفخري (٢٨١) وابن خلكان (١٢٤)

٢) يشير الى عبادة النار عند المجوس والى عقاب الزنادقة

٣) ابن عبد ربّه (٢: ٢٢٢) والاربلي (١١٨) وابن بدرون (٢٤٣)

يحيى الى الله فيا نابنا نرفع الشكوى فتي يده كشف المضرّة والبلوى (١
رضيتُ بهِ وجعلت الله بيني وبينك فهو يأخذ لي غدًا حقّي منك في الموقف الاعظم

الرشيد مسرور . السيف والنطع . قيّد الشيخ

يحيى دعني اذهب الى عيالي فاوصي

مسرور لاسبيل الى الذهاب لكن اوصِ

يحيى كل مال لي ولولدي فهو صدقة وكل عبد لنا حرّ وكل من لنا عنده وديعة او حقّ فهو في حلّ (٢

المشهد الخامس

الرشيد . الفضل . المامون . الحسن . الحسين . جبريل (على حدة يحيى مقيّد يحرسهُ مسرور) ياسر

المامون (الى يحيى) الى اين تذهب يا جدّ ؟

يحيى الى الموت يا ولدي

المامون قف يا مسرور ناشدتك الله . ابتِ ابتِ (سكوت)

الفضل (على حدة) لا حول ولا . . . من اعلم المامون بالامر . سر يا ياسر وعجّل بالثورة ولتعلُ الاصوات

المامون يا امير المؤمنين . يا ابتاه

الرشيد ما لك ؟

المامون جدّي يحيى وعمي جعفر بالقيود !

الحسن والحسين . ابونا وجدّنا

الرشيد ولدا جعفر ؟

الحسن ولدا عبدك جعفر

المامون استحلفك بالله وبتربة المهدي وبحبك لي

---

١) المسعودي (٦ : ٤٠٥) وابن خلكان (٥٢٠)

٢) الطبري (٦٧٨) والاربلي (١٠٦)

الرشيد من غمط نعمتي واعتدى وصيّتي اعجلتهُ عقوبتي (١

المامون استبقهم لعدوك ابتِ

الرشيد واي عدوّ اعدى منهم ؟

جبريل كذب الواشون وحياة سيّدي (٢

المامون وإن كان هناك ذنب فكلُّ ذنبٍ وان عظم صغيرٌ في جنب عفوك

جبريل انهم إخوان دولة امير المؤمنين واركانُ دعوتهِ فليبرّ بهم توسعاً فقد علم الانام انه لا يتعاظمه عفوٌ ولا يتكاءده صفح

الرشيد حدٌّ من حدود الله

جبريل يا امير المؤمنين اجعل رحمتك ذنباً من الذنوب التي تستغفرُ عنها

الرشيد عِظَم الذنوب امات خواطر العفو

الحسين امين الله هب اولاد يحيى لجودك ليها الملك الهمام (٣

الحسن ارحم ضعفنا وقلّة حيلتنا

الفضل لا تسكن يا امير المؤمنين الى حلاوة ما يجري من القول على السنتهم فان عدتَ عن قصاصهم اذنبت الى الله وهددت ركن الدولة

المامون قبّح الله وجهك يا لعين (٤ ابتِ لا تدع المكرة يسطون على حكمتك ونهاك (سكوت الرشيد مضطربٌ ومتردّدٌ في امرهِ)

[جبريل (على حدة)

ما رمى الدهر آل برمك لمّا ان رمى مُلكهم بامر بديعِ
ان دهراً لم يرعَ حقّاً ليحيى غير راعٍ حقّاً لآل الربيعِ (٥]

---

١) ابن عبد ربه (٣:٢٨)

٢) كان جبريل بن بختيشوع يعرف للبرامكة فضلهم. اطلب البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (٢٩٦) وغيره

٣) الشعر لابي قابوس النصراني يستعطف الرشيد

٤) اطلب في الجزء السادس من تاريخ بغداد تاليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور ص ١٤ الخ (طبعة كلر سنة ١٩٠٨) اقوال المامون في الفضل بن الربيع وصفاتهِ وسيئاتهِ

٥) المسعودي (٦:٤٠٢)

الرشيد ان الاقدار نافذة والاحكام جارية والبغي حتف الانسان والمكر سهمٌ في نحر صاحبه

(الحسن والحسين يقبلانِ متذلّلَين على اقدام الرشيد ويقبلانها)

الحسن ابونا جعفر رضيعُك

الحسين يحيي جدُّنا من دعوتَهُ اباك

الرشيد ما اسمك يا قرّة العين ؟

الحسن الحسن

الرشيد وانت ؟

الحسين الحسين

الرشيد واللهِ يعزّ عليَّ حسنُكما وجمالكما . لا رحم اللهُ من ظلمكما

الفضل ان في التأخير ندامة

المامون ايت استحلفك بكل ما هو لديك عزيز . بحق حبّك لي

الرشيد ما العمل ؟

الفضل العجلة العجلة . انجز حكمك والّا . . .

ياسر (يدخل) ظئر الرشيد على الباب (١ مع حفيدها جعفر

الرشيد ويحك . امُّ جعفر . امي ! او ساعية ؟

ياسر نعم كاشفة وجهها سادلة شعرها محتفية في مشيها

الرشيد لقد احتضنتني يومَ ماتت امي وارضعتني مع الفضل وجعفر فأدعوها امي واتبرّك برأيها وقد آليتُ الّا احجبها وان استشفعتني اشفعتُها . ما الحيلة ؟

الفضل لا تأذن لها

الرشيد أدخل حفيدَها ودَعها

الفضل إن لم أُسرعْ باثارة الفتنة خاب سعيُنا (يخرج)

الرشيد ربَّ كبدٍ غذتها وكربةٍ فرّجتها وعورةٍ سترتها

---

١) اطلب ابن عبد ربه (٣ : ٢٨–٣٢) وغيرهُ من المؤرخين تجد وصف هذا المشهد

المشهد السادس

الممثلون الحاضرون وجعفر

الرشيد ما شأنُ جدّتك امّ الرشيد ؟

جعفر هذا ما تقوله لك : ايعدو علينا الزمان ويجفونا الاعوان ويمكرُ بنا الخُوّان وقد ربّيتُك في حجري واخذتُ برضاك الامان من عدوّي ودهري؟

الرشيد وما ذاك ؟

جعفر ظئرك وابوك بعد ابيك واخوك جعفر رضيعك ووزيرك ونديمك (١

الرشيد امرٌ قضاؤهُ سبق وغضبٌ من الله نفذ

جبريل يمحو الله ما يشاء

الرشيد وهذا ممّا لم يمحُهُ الله

جعفر الغيب محجوب على النبيين فكيف عنك ؟

الرشيد فاذا المنيّة انشبت اظفارها الفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

الحسين ما امّ الرشيد ليحيى وجعفر بتميمة يا امير المؤمنين

الحسن وقد قال الاوّل :

واذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الاعمالِ

المامون ابتِ . أذكُرْ خدمتهم وارحمْ حالهم وهَبْ لهم رضاك

الرشيد اذا انصرفت نفسي عن الشي لم تكدْ اليهِ بوجه آخر الدهر تُقبلُ

جبريل ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتهم يمينك فانظر ايَّ كفٍّ تبدّلُ (٢

الحسن قل للخليفة ذي الصنائع م والعطايا الغاشيهْ
وابن الخلائف من قريش م والملوك العاليهْ
ان البرامكة الذين م رُمُوا لديكَ بداهيهْ
عمّتهمُ لك سخطةٌ لم تبقِ منهم باقيهْ

---

١) الطبري (٥٧٣)

٢) المسعودي (٥ : ٤٦١)

فكأنهم مما بهم أعجازُ نخل خاويهْ
صُفرُ الوجوه عليهم خلعُ المذلّة باديهْ
بعد الامارة والوزارة م والامور النامية
اضحوا وجلّ مناهمُ منك الرضا والعافيهْ

الحسين يا عطفةَ الملك الرضى عودي علينا ثانيهْ

الرشيد يا آل برمك انكم كنتم ملوكًا عاتيهْ
فعصيتمُ وطغيتمُ وكفرتمُ نعمانيهْ
هذه عقوبة من عصى مَن فوقهُ وعصانيهْ (١

« قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

جعفر (يفتح حقًا ثمينًا كان يحمله)

الرشيد ما هذا ؟

جعفر ذوائبك وثناياك غمستها جدّتنا في المسك وحفظتها تبرّكًا

الحسين كم من مرّة قبّلناها ودعونا لك بالبقاء (الرشيد يلثم الحقّ ويبكي)

المامون تحنّن ابتِ

الحسن نستشفع اليك ونستعين بالله عليك بما صار معنا من كريم جدك وطيب جوارحك

الرشيد ان الله يأمركم ان تردّوا الامانات الى اهلها (يريد ارجاع الحُق الى جعفر)

الحسن والله يقول « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »

جبريل « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٢

(صراخ من الخارج :) يحيى والبرامكة .. نطلب حياة البرامكة

الرشيد ما هذا ؟ (يدخل الفضل)

---

١) والقصيدة طويلة . اطلب الاتليدي (١٧٦) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٢) والعباس الملكي (نزهة الجليس ١ : ٢٢٩) وابن بدرون (٢٤٠) واليهقي (المحاسن والمساوئ ٥٧٣) الخ

٢) ابن عبد ربه (٣ : ٢٧) والاغاني (١١ : ٥٤)

الفضل ان مدينة السلام قامت فيها الثورة على قدم وساق والجميع يريدون المبايعة بالخلافة لصاحب البرامكة

الرشيد (يرمي بالحُقّ الى جعفر) خُذْ يا مسرور الق بيحيى في حبس الزنادقة (١ وضيّق عليه وائتني برأس جعفر ولا تراجعني (٢

يحيى يا من لا يموت ارحم من يموت (٣ (يخرج مع مسرور)

الرشيد (للفضل) هات الصك بابادة البرامكة عن آخرهم (يختمه) جنّد الجنود حول منزلي وفرّق الجموع ولو ضرباً وقتلاً

الفضل نعم

الرشيد وبث العيون في طلب العلوي وابنيه عبد الله وانس ابن ابي شيخ (٤ وابراهيم بن عثمان (٥ وكل من انتمى الى البرامكة. فلا امان لاحد منهم

المامون ابي

الحسن والحسين. ارحمنا

الرشيد يعزّ عليّ حسنكما وجمالكما. لكن (على حسدة) لا بُدَّ من قتلكما مع ابيكما وامكما

الحسن يا لله

الحسين نموت جميعاً! يا لله!

الرشيد (لياسر) إلحقني بالحسن والحسين مع بعض الخدم الى تخدع اختي العباسة لانجاز مرامي

ياسر نعم سيّدي

الرشيد ومن ذكر البرامكة فلأصنعنّ به وأمثّلنّ — (للمامون) تعال

المامون دعني ابكِ (يخرجون جميعاً)

الفضل فزنا بالمراد (يخرج)

---

١) ابن خلكان (١٢٥) ٢) الاتيلبدي (١٧٤) وسائر المؤرخين

٣) كلمة قالها المأمون عند موته. اطلب المسعودي (٧: ١٠٠-١٠١) وابن الجوزي (٢٢٥)

٤) الطبري (٦٨١) والاربلي (١٠٧) وابن الاثير (٦: ٦٥-٦٦)

٥) الطبري (٦٩٩)

المشهد السابع

الحسن . الحسين . جعفر . ياسر

جعفر الى اين ذاهب بهما ؟ (الحسن والحسين يتعانقان وينوحان)

ياسر اما سمعتَ ؟ الى الموت

الحسن اموت ولا اقبّل امي الحبيبة

الحسين اموت ولا ارى ابي آخر نظرة

الحسن لا اريد ان اموت

جعفر (يناجي نفسه) هذه ساعتك يا ابن علي . (الى ياسر) دعني اقوم مقام احدهما

ياسر لا سبيل الى ذلك

الحسين تموت حبًّا بنا ! لا لا

الحسن انا افديك بروحي !

جعفر اهربا واتركاني مع ياسر

الحسن والحسين . لا لا

ياسر هذا ما يفتت الاكباد — (الى جعفر) ودّع اخويك واذهب عاجلًا

جعفر ساخلّصهما او اموت

ياسر لا سبيل الى ذلك

جعفر هذا خاتم الوزير قيمتهُ اموال . استر عليَّ يستر الله عليك

ياسر بيأن عندي . . ان لم يرجع الحسن فجعفر بدلًا منه

الحسين لا اريد ان اموت

الحسن وانا لا اريد

جعفر (للحسن) خذ ردائي واخرج حالًا

الحسن لا . لن تموت عوضًا عني !

الحسين لا ادع اخي يموت وحده

الحسن (لاخيه الحسين) اهرب ودعني

الحسين اذهب انت وانجُ

الحسن انجُ انت انك الاصغر

جعفر سر مسرعاً فان جدتك بانتظارك عساك تخلصهما وتخلصنا

الحسين العق بالمامون صديقك وسل الرشيد خلاصنا

الحسن سأذهب عساني اخلصهم واخلصكم او اعود فاموت معكم (١ (يخرج)

ياسر (للحسن) عجّل

جعفر اخي الحسين

الحسين انت يا جعفر تقوم مقام اخي (يتعانقان)

جعفر ستموت سوية

الحسين ما اصعب الموت . يا ربّ قوّني

ياسر لا بد من الاسراع والّا عرف الرشيد ان الحسن قد نجا

جعفر تقتلني!

الحسين عجّلتَ يا ياسر عجّلت

ياسر لا بد (يستل خنجرًا ويذهب بجعفر والحسين الى ما وراء الستار)

جعفر يا من لا يموت ارحم من يموت

(غناء محزن يليه صوت الحسين عن بعد:)

الحسين يا من لا يموت ارحم من يموت (٢

١) نقل المستشرق كاترمير (Quatremère) في المجلّة الاسيويّة (Journal Asiatique I. 1861) عن كتاب ديوان الانشاء ان احد ولدَي جعفر من العبّاسة نجا من الموت واليه ينتسب حي من احياء ربيعة . واخبر التوبري ان الامير شهاب الدين احمد كان يدّعي انهُ من نسل جعفر والعباسة . والله اعلم

٢) كانت نكبة البرامكة ليلة السبت اوّل صفر سنة ١٨٧ هجريّة (الطبري ٦٨٥ وغيره)

قانونيّة الاسفار الثانية

للاب انطون رباط اليسوعي

سبق لنا شرح موضوع هذا البحث في مقالتنا الاولى (المشرق ١٢: ٨٠٠ ثم ١٣: ٣٢٦) وهو ان الاسفار الالهيَّة في العهد العتيق على قسمين: قسم كُتب باللغة العبرانيَّة ولا يزال محفوظاً في هذه اللغة وهذا يقبلهُ اليهود والنصارى بلا نزاع ككتاب الله الموحى بهِ عزَّ وجل ولا ينكرهُ مسيحي. وقسم فُقد نصُّهُ العبراني الاصلي (١ او أُنزل باللغة اليونانيَّة فحفظهُ لنا اليهود الاسكندريّون في مجموعتهم اليونانيَّة المسمَّاة المجموعة السبعينيَّة. فبحثنا عن هذا القسم الثاني: هل الاسفار التي لم تُحفظ في النسخة العبرانيَّة (وهي طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ وباروخ وسفرا المكابيين ومقاطيع من سفرَي دانيال واستير) هي اسفار منزلة من الله او موحى بها من الله بحسر المعنى على مثال الاسفار المقبولة من الكنيسة ككلام الله او انَّ تلك اسفارٌ مفيدة تقويَّة لكنَّها ليست كلام الله بحصر المعنى بل كلام البشر كغيرها من المؤلفات. وهذه الاسفار قد سمَّاها بعض المؤلفين اللاتينيين في القرن السادس عشر الاسفار الثانية ليميّزوها عن الاسفار الاولى المحفوظة في التوراة العبرانيَّة

﴿ قانون اليهود ﴾ تضاربت الآراء في حقيقة القانون اليهودي للاسفار الالهيَّة ومحتوياته. فشكَّ الفلسطينيّون بوحي الاسفار الثانية لانهم لم يتثبَّتوا سلسلة الانبياء الملهمة لهذا الوحي كما اخبرنا يوسيفوس المؤرّخ اليهودي الفلسطيني (٢ عن مواطنيهِ ومعاصريهِ. امَّا اليهود الاسكندريون فقد ذهب قوم من العلماء المدقّقين انهم كانوا يعتقدون انزالها وانَّها من الوحي فهي والاسفار العبرانيَّة على حد سواء. قال العلَّامة البروتستنتي داڤيدسون (٣: «انَّ مسلك اليهود اليونانيين ونسخ توراتهم تؤكّد انهم كانوا يعتبرون الاسفار الاولى والثانيَّة على حد سواء في الاجلال والاكرام» ويؤيّد ذلك

١) الّا سفر ابن سيراخ الذي اكتشف العلماء آخراً قسماً منهُ بالعبرانيَّة

٢) اطلب ردَّهُ على ابيون Joseplius contra Appionem, l. I, *ed. Didot, II. 141*

٣) اطلب كتابهُ في تاريخ القانون Davidson : *The Canon of the Bible*, London 1877, p. 181..

انهم كانوا يقرأونها في مجامعهم ويضمّونها الى مجموعتهم لا كذيل مُلحق بها بل كقسم منها ويدافعون عنها بالنفس والنفيس دفاعهم عن كتاب الله . هذا ما اثبته الرّبان زونز (Zunz) الاسرائيلي وغيره من علماء التلمود

ولكن من اين هذا الاختلاف بين سكّان اورشليم وضواحيها وبين اليهود المشتتين في الامصار ؟ ذلك سؤال لا يورد عليه العلماء جواباً شافياً . والذي يرضى به الكثيرون هو ان اليهود المتغرّبين قد اخذوا هذه الاسفار عن اخوانهم الاورشليميين ونقلوها الى لغتهم ومجموعتهم فحفظوها مصونةً . امّا نصّها الاصلي فقده الفلسطينيون لاسباب نجهلها ومن ثمَّ ابطلوا قراءتها في الحفلات وجعلوا يضربون عنها صفحاً حتى اصبحوا يشكّون في وحيها لان التلاوة في المجامع كانت لديهم اثبت برهان عمليّ للوحي . وعلى إثر انتشار الدين النصراني واستعار الجدال بين المسيحيين وبين اليهود في النبوات المثبتة للاهوت المخلص جعل هؤلاء ينكرون صدق الترجمة السبعينيّة ويحطّون من اعتبارها ولا يرضون الّا بما حُفظ نصّهُ مصوناً في توراتهم العبرانيّة نابذين التراجم بما فيها . حتى اضطرَّ اوريجانوس ان يجمع مجموعتهُ البديعة للنصوص الكتابيّة فعيّن ما يمكن استخدامه للجدال مع اليهود وما ينكرون وحيَهُ فلا يرضون به برهاناً

ومهما كان من امر اليهود فان قانون الاسفار الالهيّة قد سلّمهُ المسيح وديعةً الى كنيستهِ المعصومة عن الغلط . فمن تعليمها وحكمها نستقي ينبوع الخلاص ومعرفة الحقيقة . فان كان اليهود مع عظم اجلالهم لهذه الاسفار لم يثبت لديهم وحيُها كما شهد يوسيفوس فقد أُزيل الشك بالحكم الذي اشهره الرسل الاطهار كما سترى

١

﴿ قانون كَتَبة العهد الجديد ﴾ اعتاد كتبة العهد الجديد ان يشيروا الى مجموعة معروفة في ايامهم يسمونها « الكتابة » او « الكتابات » او « الاسفار » τὴν γραφήν, τὰς γραφάς عنها يأخذون الآيات النبويّة نقلاً بالحرف او يلمحون الى النصوص تلميحاً لكنّهم لم يصرّحوا بمحتويات هذه المجموعة . اجل ان استادهم يثبت وحي الاسفار المنقول عنها لكنهم لم يسندوا اية الى سفر عوبديا ولا نحوم ولا الى نشيد الاناشيد ولا الجامعة ولا استير ولا عزرا ولا نحميا وهي كلّها اسفار اوّليّة يقبلها اليهود والمسيحيّون معاً . ومن طرف آخر يشير الكتبة المُلهمون من الله الى نصوص مأخوذة من

الاسفار الثانية كما اثبت ذلك كثير من العلماء البروتستنت انفسهم مثل ستير (Stier) وبليك (Bleek) وڤرنر (Werner) وغيرهم. قال فرّار (Farrar) المعلّم البروتستنتي (وهو من الكتابيين المهتمين في أيامنا) في شرحهِ على رسالة بولس الى العبرانيين ان بين وصف الحكمة الالهيَّة في سفر الحكمة وبين وصفها في الرسالة الى العبرانيين شبهاً هذا حدُّهُ حتى ان قوماً ذهبوا الى ان المؤلف واحد (١. وقال في موضع آخر ان كتبة العهد الجديد كانوا يتداولون مطالعة هذه الاسفار ويألفونها (٢ واردف قولهُ: قابلْ مثلاً آية الرسول في النصّ اليوناني (عبر ١: ٣) حيث وصف الابنَ الوحيد ضياء مجد الاب وصورة جوهرهِ ووَصفَ صاحب سفر الحكمة للحكمة الالهيَّة المراد بها اقنوم الابن حيث قال (٧: ٢٦) انها ضياء النور الازلي ومرآة عمل الله النقيَّة وصورة جودتهِ. قابل ايضاً بين قولهِ في الرسالة الى العبرانيين (١١: ٣٤) وسفر المكابيين الثاني (٦) وبين رسالة يعقوب (١: ١٩) وابن سيراخ (٥: ١٣) الخ تجد تلميحاً صريحاً يثبت معرفتهم لهذه الاسفار واستعمالهم لها

هذا واذا نظرنا الى ذات النص الذي كان الرسل والانجيليون يتداولونه استنتجنا ما مرادهم بالمجموعة المقدسة او الكتاب المقدس. فان الآباء القديسين سبقوا واكّدوا ان كتبة العهد الجديد كانوا ينقلون نصوصهم حسب النص السبعيني. قال القديس ايريناوس تلميذ القديس پوليكربوس في كتابه الثالث ضد الهرطقات (٣ داحضاً من ينكر من الهراطقة النص السبعيني « ان المبتدعين اذا ما تلونا الآيات كما ترجمها السبعون شيخاً يعارضوننا بتعة طالبين نصاً آخر ». ثم قال: « ان الرسل الابرار يتفقون تمام الاتفاق مع هذه الترجمة وهي تتفق مع التقليد الرسولي فان بطرس ويوحنا ومتى وبولس والآخرين ثم الذين خلفوهم قد بشّروا بالبشارة كما هي في ترجمة اولئك الشيوخ ». وقال اوريجانوس العلامة في القسم الثامن من شرحه على الرسالة الى الرومانيين: « يجب ان نعلم ان الرسل قد تبعوا في كل نصوصهم تقريباً الترجمة السبعينيّة. . . (٤ » واقرّ

١) في قولهِ هذا مبالغة لا نرضى بها البتّة لكنها تؤيد زعمنا الطلب ص ٥٦ من كتابهِ في الرسالة الى العبرانيين HEBREWS, Farrar (Cambridge Bible.) *London*, 1902.

٢) Which reveal familiarity with this literature

٣) اطلب مجموعة آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. VII, 905)

٤) مجموعة مين (Ibid. XIV, 1174, 1265)

القديس ايرونيموس المدافع اشد الدفاع عن النص العبراني ان المجموعة السبعينية هي « الترجمة المستحسنة والمقررة من الرسل » (١ وامثال هذه الشهادات كثيرة. وقد اثبت علماء زماننا هذا الحكم فبيّنوا ان بين الثلثمائة وخمسين نصاً بالتقريب التي نقلها كتبة العهد الجديد عن العتيق او ألمحوا اليها تجد ثلثمائة بنيّف منقولة عن المجموعة السبعينية ونحواً من خمسين من المجموعة العبرانية. فمن السبعينيّة نقل بطرس ويعقوب ولوقا كلّ نصوصهم ونقل عنها بولس ويوحنا ومتى اكثر النصوص

ومن ثم نقول: ان ما لا ريب فيهِ ولم يُنكَر ان هذه المجموعة السبعينية كانت في زمن الرسل كما هي الان تضم الاسفار الاولى والثانية على حدّ سواء. وهذه المجموعة هي التي سلمها الرسل للكنيسة كمجموعة الكتاب المقدّس المنزل من عند الله وحفظتها الكنيسة دون تغيير البتة. ومن ثم وجب الاستنتاج ان هذه المجموعة تحتوي اسفار الله الموحى بها منهُ عزّ وجلّ وبالتالي ان الاسفار الثانية موحى بها من الله كالاولى على سواء

ويمكننا ان نعرض هذا البرهان بنوع آخر: يثبت التاريخ انهُ منذ زمن الرسل الى أيامنا اعتادت الكنيسة الجامعة في الشرق والغرب عادةً عامّةً وثابتةً وغيرَ منقطعة ان تجمع في مجموعة واحدة تسميها الكتاب الالهي الاسفار الاولى والثانية معاً بلا اشارة ولا ميزة ولا تفضيل بين سفر وسفر. ولمّا كان لا يمكن تعليل عادة كهذه الّا عن التسليم الرسولي وجب القول ان الرسل قد سلّموا للكنيسة هذه المجموعة مثبتين ضمناً انها بتمامها ومحتوياتها هي كتاب الله. والّا فقد عرّضوا الشعب المسيحي لخطر عظيم وهو ان يقبل ككلام موحى بهِ من الله ما كان الله بريئاً منهُ — وحاشاهم من ذلك وهم شهود عدل اقانيم المخلّص ليثبتوا بالبشارة والكتاب الالهي حقيقة دينهِ القويم — وكان الواجب على كنيسة المسيح ان تفرز في مجلّداتها بين اسفار الله واسفار البشر على عادة اليهود انفسهم لان كلام الله معصوم عن الضلال والانسان ايّاً كان معرّض للغلط. ويؤيد برهاننا ان اكثر الداخلين في الدين النصراني لم يكونوا يستطيعون الّا مطالعة الترجمة

(١ وهذا نصهُ بالحرف Versionem ab Apostolis approbatam, *Migne*, PP. LL. XXV, 1292)

السبعينيَّة كالحدي الحبشي وابلوس الاسكندري « الطويل الباع في معرفة الاسفار الالهيَّة » (اعمال ٨ : ٢٧ و ١٧ : ١١ و ١٨ : ٢٤) وغيرهما من سكَّان رومية وتسالونيكي وافسس الخ . فلو كانت هذه المجموعة مخلَّة تخلط بين كتب الله وكتب البشر لوجب على الرسل وعلى من جاء من بعدهم ان يفرزوا بين هذه وتلك ويبيّنوا بتعليمهم او استعمالهم انهم يعتبرون هذه الهيَّة وتلك بشريَّة . هذه قاعدة للايمان وتلك ارشاداً مفيداً . ولكننا لا نجد نصاً او اشارة او عملاً يطلعنا على هذا التمييز او بالحري نجد خلاف ذلك اي ان الاباء الاوَّلين خلفاء الرسل كانوا يستعملون كلا النوعين من الاسفار ككلام الله . وهذا يقودنا الى البحث في راي الاباء في الاسفار الثانية

﴿ قانون الآباء الاوَّلين في القرون الثلاثة الاولى ﴾ لا ريب ان الكنيسة الجامعة معصومة في تعليمها واذا اتَّفق معلّموها على تقليد ثابت صريح في امور الدين كان اتفاقهم برهاناً تعليمياً لا ينكره مسيحي (اطلب مقالة سيادة الاسقف رفائيل هواويني في الكلمة ٥ : ١٠١ سنة ١٩٠٩) من عصمة الكنيسة المسيحيَّة ومجامعها المسكونية وهو يوافقنا في ذلك

ولهذا البرهان الابوي التقليدي شروط اخصُّها ان يكون الآباء متفقين اتفاقاً شاملاً او يكاد ان يكون شاملاً لان العصمة لجماعتهم لا لبعضهم . نعم قد يضلّ هذا وذاك لاسباب شخصيَّة او مكانية امَّا جهلاً بالتقليد وامَّا استنتاجاً علمياً مغلوطاً لقضية نظريَّة فيخالف فيها معتقد معاصريه ومسلكهم التقليدي ويبقى غلطه الشخصي محصوراً في مكانه وزمانه لا يتعدَّاهما حتى اذا ما أُعيد النظر في الموضوع او نُقّب في حقيقة التقليد ساد الحق وازهق الباطل . ولمَّا كانت مسائل التقليد الكنسي غايتها استطلاع التعليم الذي سلَّمه الرسل الاطهار للكنائس التي اسَّسوها ازدادت اهمية الشهادات باقتراب عهدها من الرسل ومعاصريهم

فاذا ما استقرينا كل ما اورثنا آباء القرون الثلاثة الاولى من المقالات والآثار والعوائد في شأن الاسفار الالهية الثانية مثلاً رأيناهم متَّفقين في اجلالها واعتبارها اذ يصفونها بذات العبارات التي اعتادوها في نقل آيات الاسفار الاولى كقولهم : « جاء في الكتاب . يقول الكتاب الالهي . يحكي النبي . يتكلَّم الروح القدس . تقرأ في الكتابات الالهية » الخ ويخلطون بينها وبين غيرها من ايات الاسفار الاولى ويسندون اليها اقوالهم

في المباحث الاعتقادية والارشادات الادبية جاز او بالحرى وجب علينا ان نستنتج انهم يؤمنون بان الله اوحى بها كغيرها من الاسفار لتعليم البشر وتهذيبهم. ولا يمكننا ان نعزو الجهل لهؤلاء الشهود الاجلاء كما فعل كثير من البروتستنت كأنَّ الآباء لم يتروّوا حق التروّي في مسلكهم. تلك تهمة لا يفتريها عليهم الّا من انكر اساس التعليم المسيحي فالآباء والمعلّمون قد اخذوا خلفاً عن سلف عادةً لم يحيدوا عنها وهي برهان صريح لما استلموهُ من الرسل الاطهار انفسهم في شأن الاسفار الالهية

وقبل ان نورد شهاداتهم يجب ان نستلفت نظر القارئ الاديب الى امور هامّة وهي : ١ً ان الآثار القديمة المحفوظة قليلة بالنسبة الى ما حفظته لنا الاجيال التابعة — ٢ ان الاباء الاوّلين كثيرًا ما كانوا يتباحثون مع اليهود المعارضين للنصرانية او يرشدون الداخلين حديثًا من الدين اليهودي الى الدين المسيحي ومن ثم كانوا ولا شك يؤثرون الاستشهاد بما كان اليهود يقبلونهُ بلا تردُّد — ٣ً ان الاباء لم يستشهدوا بكثير من الاسفار الاولى ذاتها لانهم كانوا ياتون بالآيات حسب حاجات الظروف والشعب الموكولة اليهم عنايته — ٤ً ورغمًا عن كل هذا تجد في جدولنا التالي نصوصاً كثيرة تثبت اعتقادهم بوحي الاسفار الثانية وان كنا لم نذكر الّا القليل من الكثير

١ (القديس اكليمنتوس) ويقال اكليمنضوس واقليمس الحبر الاعظم الروماني تلميذ الرسل والجالس على كرسيّ بطرس الهامة في اواخر القرن الاوّل للمسيح واوائل القرن الثاني. وما من احد يجهل ما كان لرسائله في الاجيال الاولى من الاعتبار والاجلال كمعاصر للرسل ورأس الكنيسة. ففي رسائله نصوص من سفرَي الحكمة وابن سيراخ في عداد الآيات الكتابيّة المأخوذة من سفر الامثال وغيره من الاسفار الاوّلية . وقد ذكر اخبار طوبيا ويهوديت واستير وسوسان في ما ذكر من اخبار العهد القديم ومن مروياته في رسالته الاولى آيتان نقلهما من سفر الحكمة (١٢:١٢) والحقهما بنص المزمور ١٨ « السماء تذيع مجد الله ». وغير ذلك كثير تجده في مين في مجموعة الآباء اليونانيين (١: ٢١٥ و٢٦٧ و٣١٩) وجداول العلّامة فونك (Funk) في ذيل مجموعته المعتبرة للاباء الرسوليين

٢ (القديس برنابا) في الرسالة المعزوّة للرسول برنابا والتي يرتقي تاريخها الى سنة ١٢٠ مسيحيّة نجد آية منقولة بالحرف الواحد عن ابن سيراخ (٤: ٣٦) وهي قولهُ :

لا تكن يدك مبسوطةً للأخذ مقبوضة من العطاء. وهو يلمح مرّتين الى سفر ابن سيراخ (اطلب Funk ١: ٥٤ و٩٥)

٣ (هرماس) (١٤٠—١٥٠م) له رسالة جليلة موسومة باسم «الراعي» ذكر فيها آيات قليلة من العهد العتيق لكنّك ترى فيها مرّة او مرّتين تلميحاً الى نصوص ابن سيراخ كما اثبت فونك في جدوله

٤ (القديس پوليكربوس) (+ نحو ١٥٥) الشهيد العظيم تلميذ يوحنا الحبيب في رسالته الى اهل فيلبس (عدد ١٠) نقل نصاً من طوبيا (٤: ١٠) في جملة آيات اخرى من العهدين العتيق والجديد (جدول فونك ١: ٣٠٩)

٥ (القديس يوستينوس) الفيلسوف الشهيد (+ نحو ١٦٧) في جداله مع تريفون اليهودي يذكر خصمهُ مراراً بالاسفار الالهية التي يمكنهُ استعمالها لاثبات لاهوت المخلّص لكنهُ يضرب عنها صفحاً في الجدال لئلّا ينكرها عليهِ اليهودي ولذا يسند اقوالهُ عادةً الى الاسفار الاوّليّة المقبولة من الخصم وقد ذكر مع ذلك بين الآيات المنزلة نصاً في الجدال هو هذا: «فلنكمُن للصديق فانهُ ثقيل علينا يُقاوم اعمالنا ويُقرّعنا». وهو مأخوذ من سفر الحكمة (٢: ١٢) اطلب مجموعة مين (٦: ٦٤٣ و٦٩٢ و٧٥٦ الخ)

٦ (اثيناغوراس اليوناني + ١٧٧) في الآثار القليلة الباقية من اعماله يستشهد بآية من الاسفار الثانية كما ترى في مجموعة مين (٦: ٩٠٨)

٧ (القديس ايريناوس الشهيد (+ ٢٠٢) الذي تتلمذ لپوليكربوس تلميذ الرسول يوحنا وهو من اجل الشهود الرسوليين ينقل نصاً من سفر الحكمة ويقبل باروخ ومقاطيع دانيال كاقوال الانبياء. اطلب كتابهُ في الهرطقات في الجزئين الرابع والخامس (مين ٧: ٩٨٤ و١٠٣٤ و١١٠٨ الخ) والشهادة المنقولة عنهُ ص ٤٣٨

٨ (اكليمس الاسكندري ٢١٧) الشهير بمعارفهِ الكتابيّة تجده في كتاب «المعلم» وفي كتاب «منتخباته» يستشهد في كل صفحة بعدد من آيات الاسفار الاولى والثانية بقولهِ عن هذه وتلك على حد سواء «قال الرب» «قالت الحكمة» (ἡ Σοφία اي الحكمة الالهيّة) قال «المعلم» (ὁ παιδαγωγός اي الكلمة الالهية) وقد احصى بعضهم الآيات الثانية التي استشهد بها صريحاً في قسم من مؤلفاته فوجد نحواً من ٥٠ آية من سفر الحكمة و٦٠ من ابن سيراخ و٣ من طوبيا و٣ من يهوديت

و ١ من المكابيين (مين ٨: ٣١٣ و ٣٥٧ و ٩٦٩ و ١٠٨٩ الخ)

٩ (القديس هيبوليتوس) الشهيد (+ نحو ٢٣٥) تلميذ القديس ايريناوس. وهو اوّل من شرح الاسفار الالهيّة من الغربيين تراهُ في الآثار الباقيــة من مؤلّفاته يشرح المقاطيع الثانية كغيرها من الفصول الكتابيّة ويستشهد بالحكمة وبغيرها من الاسفار في كتابهِ التعليمي المعنون « اثبات الدين المسيحي ضد اليهود » (مين ١٠: ٦٨٩ ٧٦٩ و ٧٩٣ و ٨٠٥ الخ)

١٠ (ترتليانوس المعلّم) الذي اشتهر في اواخر القرن الثاني والثلث الاوّل من الثالث ينقل آيات عديدة من يهوديت والحكمة والمكابيين الخ ذاكرًا بصريح الكلام اصلها الالهي كما اعتاد في غيرها من النصوص الكتابيّة. (مين ٢: ٢٠ و ٨١ و ٢٥٣ و ٢٦٥ و ٩٦٠ وغيرها كثير)

١١ (الرسومات الرسوليّة) يرتقي عهد الاقسام الستّة الاولى منها الى اواسط القرن الثالث وهي تنقل آيات من كل الاسفار الثانية خلا المكابيين مستشهدةً بها استشهادها بغيرها من آيات الكتاب المقدّس

١٢ (القانون المسمّى الكلاراموتي Codex Claramontanus) كُتب في اواسط القرن الثالث ونشرهُ لاوّل مرّة العلّامــة تيشندورف (اطلب صورتهُ الفوتوغرافية في معجم الكتاب المقدّس لفيغورو (٢: ١٤٨) وهو جدول الاسفار الالهيّة القانونيّة المقبولة من الكنيسة المسيحية في اواخط القرن الثالث وهو يعدّد كل الاسفار الثانية كما تقبلها الآن الكنيسة ويحصي اسطر كل سفر بالتقريب

١٣ (اوريجانوس) الشهيد تلميــذ اكليمنس الاسكندري أعلم العلماء في الاسفار الالهية وصاحب المقابلة الجليلة بين نصوص الكتاب المقدس. يستشهــد بآيات عديدة من الاسفار الثانية ويسميها الكتاب المقدّس والسفر الالهي والكلام الالهي كما يسمّي غيرها من الاسفار الاولى وقد احصى بعضهم هذه الآيات فاذا بهِ قد استشهــد ١٠ مرّات بطوبيا و٣ بيهوديت ونحوًا من ٢٠ مرّة بالحكمة و ٧٠ بابن سيراخ ومرّة بسفر المكابيين الاوّل و١٥ مرّة بسفر المكابيين الثاني وذلك في مقالاتهِ الجدالية ضد قلسوس (Celse) وفي شروحهِ على الكتاب المقدّس. ومن اقوالــهِ في اليهود الذين ينكرون بعض اسفار من الكتاب انهُ « يجب علينا ان لا نُصغي لاقوالهم وخزعبلاتهم

ولن نعتبر كتاباً مقدساً الهياً ما نقلهُ لنا التراجمة السبعون لان هـذا هو الكتاب الذي اثبتتهُ السلطة الرسولية (مين ١١: ٥٩)

وقال عن خبر سوسان « ان الاشرار قد قطعوه من الكتب المنزلة لكننا نقبلهُ مُنزَّلاً ونستعملهُ برهاناً في وجههم » (مين ١٢: ١٠٥)

وقال في السبب الذي لاجلهِ جمع مجموعتـه مقابلاً بين النصوص الكتابيَّة انهُ ليست غايتهُ ان يُتعلَّم الكتاب الالهي من اليهود لكنهُ اراد ان يعرف المسيحي كيف يجادلهم فيورد لهم الايات المقبولة في نسخهم لئلا يهزأوا بنا كأننا نجهل ما في ايديهم وما في ايدينا. هذا ملخص كلامهِ (اطلب نصهُ الكامل في مين ١١: ٦٠)

وقال ايضاً (مين ١٢: ٧٨٠) مبيناً السبب الذي كانت لاجلـهِ تقرأ الكنيسة الاسكندريَّة بعض الاسفار على الموعوظين بمعزل عن غيرها: « ان في كلام الله يوجد ما هو شبيه بالحليب في الطعام الجسدي اعني بذلك التعليمَ الواضحَ السهل كما هي التعاليم الادبيَّة التي تُعطى عادة للمبتدئين في الدروس الالهية فاذا تُرئ على مثل هؤلاء شيء من الاسفار الالهيَّة لا صعوبة فيهِ كما هو سفر استير او يهوديت او طوبيـا او سفر الحكمة يقبلونهُ بطيبة خاطر. اما اذا تُلي سفر العدد فينفر ذوقهم من طعامهِ ».

ورغماً عن هذه البراهين المثبتة رأي اوريجانوس قد اعترض بعض البروتستنت بنص اورد فيهِ اوريجانوس جدول الاسفار الاولى ضارباً عن الثانية صفحاً ولكنهم لو قرأوا الفقرة بتمامها لفهموا ان هذا المعلم يتكلم عن قانون اليهود لا قانون النصارى. قال (مين ١٢: ١٠٨٤) (Οὐκ ἀγνοητέον ὅτι καὶ τὸ εἶναι τὰς ἐνδιαθήκους βίβλους, ὡς : Ἑβραῖοι παραδιδόασι, δύο καὶ εἴκοσι, ὅσος ὁ ἀριθμὸς τῶν παρ' αὐτοῖς στοιχείων ἐστίν) ومعناها: « لا يجب ان نجهل ان الكتب القانونيَّة كما يعتبرها اليهود اثنان وعشرون على حساب الحروف الابجديَّة عندهم » . . وبعد ان ذكرها ختم كلامهُ بقولهِ: « هي اذاً اثنان وعشرون حسب اليهود » وهكذا يُحلّ المشكل بكل سهولة

٤) (القديس قبريانوس) الشهيد (+ ٢٥٨) لا تكاد تجد صفحـة من مؤلفاتهِ الَّا ويستشهد فيها بآيات من الاسفار الثانية مصدّرًا ذلك بقولهِ: « يتكلم الروح القدس في الكتاب المقدَّس » « يعلمنا السفر الالهي قائلاً » الخ. ففي القسم الاوَّل فقط من كتاب « الشهادات » المنتخبة من الاسفار الالهية ضد اليهود وفي رسالتهِ لفورتوناتو

عن « الاستشهاد » ينقل ١٤ آية من سفر الحكمة و٢٢ اية من ابن سيراخ و٨ من سفري المكابيين و٥ من طوبيا الخ وهو يصف كتابهُ بقولهِ « انهُ يريد ان يجمع التعاليم الالهيَّة التي تنازل الله وعلمنا اياها في الاسفار التي اوحى بها لنخرج من ظلمات الضلال الى نور الحق » الخ (مين ٤ : ٦٥١ — ٧٨٠) . حتى انهُ اراد ان يثبت وجوب اعادة العماد المعطى من الهراطقة (اطلب مقالتنا في المشرق ١٣ : ٨٩) باية ابن سيراخ (٣٤ : ٣٠) « من اغتسل من لمس الميت ثم لمسهُ فماذا نفعهُ غسلهُ » وقد غلط في معنى الآية لكنهُ شهد بان السفر الذي استند اليهِ هو سفر الهي منزل

١٥ (القديس ديونيسيوس) الاسكندري (+ ٢٦٤) في الآثار الباقية من مقالتهِ للدفاع عن التعليم الخلاصي ضد بولس الصُّميصاطي يستشهد مراراً بسفر الحكمة وبطوبيا وابن سيراخ لاثبات عقيدة الايمان (اطلب اعمالهُ طبعة دي ماجستريس ص ٢٤٥ و٢٦٦ و٢٧٤)

١٦ (القديس غريغوريوس) العجائبي (+ نحو ٢٧٠) يستشهد بباروخ وطوبيا وابن سيراخ (مين ١٠ : ١١٧٥)

١٧ (رسالة المجمع الملتئم في انطاكية سنة ٢٧٢ ضد بولس الصميصاطي) يستشهد فيها الآباء بآيتين من سفر ابن سيراخ كما يستشهدون بغيرها من الاسفار

١٨ (ارخيلاوس) السوري (+ نحو ٢٨٠) في مجادلتهِ مع الهراطقة يستشهد بسفر الحكمة (مين ١٠ : ١٤٧٤) وهذه الشهادة ثمينة لدينا لقلَّة النصوص السريانية في جيلهِ وهي تثبت ان هذه الاسفار كانت معتبرةً كالهيَّةٍ في كنائس ما بين النهرين في القرن الثالث

١٩ (القديس مثوديوس) الصوري (+ نحو ٣١١) فهذا قد ناصب اوريجانوس في بعض ارائهِ ولكنهُ اتَّفق معهُ تمام الاتفاق في الاستشهاد بابن سيراخ والحكمة ويهوديت الخ (مين ١٨ : ٣٧ و٤١ و٤٧ و٢١٢ الخ)

(الخلاصة) ليس برهان اثبت من هذا البرهان الذي فيهِ بيَّنَّا لا رأي شاهد واحد لكن معتقد الكنيسة المسيحيَّة في الشرق والغرب معاً بفم آبائها الاجلاء المتسلسلين الى عهد الرسل الاطهار

قال العلَّامة البروتستنتي الشهير روس (Reuss) (في تاريخ القانون الكتابي

ص ٩٩) « ان اللاهوتيين في تلك الاجيال لا يعرفون العهد العتيق الّا حسب الترجمة المسمّاة السبعينيّة ولذا لا يجعلون فرقاً بين ما نسمّيه اسفاراً قانونيّة اولى وثانية او ابوكريفا [على زعمه] فانهم يستشهدون بهذه الاخيرة بكل ثقة كما يستشهدون بالاولى مع قس العنوان الاجلالي وينسبون اليها ذات السلطة التي ينسبونها لتلك وهذه السلطة مؤسسة على انها مثل الاولى موحاة من الله على حد سواء »

ولمّا كانت الكنيسة المسيحيّة معصومة عن الغلط في تعليمها اذا اتّفقت اراء معلميها في امر تعليمي وجب ان نستخلص ان هذا التعليم في وحي الاسفار المسمّاة اسفاراً ثانية هو عقيدة من العقائد المقدّسة . نعم قد حدث في القرنين الرابع والخامس بعض الشك والجدال في هذه العقيدة لعدم وجود حُكم فيها صريح يخصم الجدال ولكن هذا الشك لم يتجاوز الافراد ولم يكن الّا شكّاً علميّاً لا شكّاً عمليّاً مستنداً الى التقليد الكنائسي كما سترى

ولعلّ معترضاً يعترض على هذه الايات العديدة المأخوذة عن نيّف وعشرين كاتباً من اقدم كتبة النصرانيّة بشهادة واحدة نقلها اوسابيوس في القرن الرابع (مين ٢٠ : ٣٩٦) حيث روى رسالة لا تتجاوز العشرة الاسطر كتبها القديس مليتون في اواسط القرن الثاني لصديق يُدعى اونسيموس يخبرهُ فيها انّهُ زار الاماكن التي جرت فيها حوادث شعب الله (اي الاراضي المقدّسة) ونقل هناك جدول اسفار العهد العتيق فاقتصر على الاسفار الاولى دون الثانية

جوابنا على هذا الاعتراض : ١ً ان اوسابيوس ينبّه القارئ ان الكلام هنا عن جدول الاسفار المقبولة من الجميع بلا معارض . ونحن نقرّ ان الاسفار الثانية تعرّض لها اليهود الفلسطينيون في القرون الثلاثة الاولى ثم انهُ وقع في وحيها جدال بين بعض الآباء في القرنين الرابع والخامس . ٢ً ان مليتون ينقل القانون الذي توصّل الى معرفتهِ في زيارتهِ لفلسطين . وهذا تلميح صريح الى قانون اليهود في تلك الازمنة فلو اراد قانون الكنيسة جمعاً لما احتاج الى السفر وهو المعاصر للقديس بوليكربوس تلميذ يوحنّا الرسول ولهُ في الكنائس الرسولية التي كان يقيم في ظهرانيها ما يطلعهُ على معتقد النصارى . ٣ً قد نسي مليتون في قانونهِ سهواً او عمداً سفر استير وهو من الاسفار الاولى التي لا جدال فيها . افيُقال لذلك ان مليتون ينكرهُ فكيف يزعم الزاعم أنهُ ينكر الاسفار الثانية

لانهُ سكت عنها. ٤ً لا نعرف لميتون غير هذه الرسالة الوجيزة التي نقلها اوسابيوس بعد مائتَي سنة ونيّف فلو كانت لنا مقالات وعظات لميتون لاستطعنا معرفة رأيهِ الصريح. ٥ً واخيرًا هب ان ميتون يخالف رأي الاباء فاي حجّة علينا ونحن نستشهد باقوال الآباء الكنسيين ونبحث عن اتّفاقهم شرقًا وغربًا؟ (البقية لعدد قادم)

اولياء الله في لبنان

نظرٌ تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ روحانا ﴾ ليس روحانا اسمًا علمًا وانّما هو كلقب من السريانيّة (ܪܘܚܢܐ) اي الروحاني والملاك لُقّبَ بهِ اللبنانيون قديسًا شريفًا يُدعى قرياقوس او كيرياكوس وابتنوا على اسمهِ اديرة وكنائس. كان مولدهُ في اوائل سنة ٤٤٩ للمسيح في مدينة كورنثوس وهو ابن اخي اسقفها بطرس احد المجاهدين عن الايمان في المجمع الخلقيدوني. فما كاد يبلغ سنّ الرشاد حتى انكبَّ على اعمال الزهد والبرّ وفي تلك الاثناء سمع ما كان القديس افثيميوس يأتيهِ من مآثر اولياء الله فابحر الى بلاد فلسطين ليتتلمذ لهُ فأرسلهُ القديس الى دير الانبا جراسيموس فبقي هناك تسع سنوات يرتاض في كل اعمال البرّ حتى عُرف بقداسة سيرتهِ وجرت على يدهِ المعجزات والكرامات العديدة. ثم عاد الى دير مار افثيميوس ودبّر رهبانهُ احسن تدبير وكان قدوةً لجميع النسّاك وناصب المبتدعين الذين ظهروا في فلسطين. توفي قرياقوس بشيخوخة صالحة في سنة ٥٥٦ للمسيح وعمرهُ ١٠٧ سنوات. وكتب سيرتهُ باليونانيّة احد كبار المؤرّخين الموثوق بهم كيرلس البيساني وعيدهُ واقع في ٢٩ ايلول اطلب اعمال البولنديين وترجمتهُ في اليوم المذكور (Acta SS., Sept. VIII, 147-158) ومكتبة القديسين اليونانية (BHG. 65). وقد دُعي القديس روحانا في بعض الكلندارات المارونيّة بالمرتل ولا نعلم سبب تسميتهِ بذلك. وجاء في كلندار آخر طُبع في رومية سنة ١٧٥٢ باوّل النويسة في تاريخ ١٢ ك ١ ما حرفهُ «سيريديون الاسقف وهو روحانا». ولم نجد في غير هذا الكتاب ان القديس سيريديون وهو احد اساقفة قبرس في ايّام قسطنطين

دُعي باسم روحانا. ولعلَّ صاحب الكلندار خُدع باسم سيريديون المشتق من لفظة لاتينيَّة ويونانيَّة دخيلة معناها الروحاني

﴿ روكس ﴾ هذا القديس فرنسوي الاصل انتشرت عبادتهُ في انحاء لبنان على يد المرسلين الفرنسيين فشُيّدت على اسمهِ عدَّة كنائس. كان مولدهُ في منبليه (Montpellier) سنة ١٢٩٥ وفيها توفي سنة ١٣٢٧ وعمرهُ ٣٢ سنة. كان مولدهُ عجيباً استرهبهُ ابواهُ من السيّدة البتول بصلواتهما بعد عقم طويل ونشأ في حجرهما محمولاً بحسن طويَّتهِ الى كل اعمال الصلاح. ولمَّا توفي والداهُ وهو في ريعان الشباب باع كل امواله الوافرة وفرَّق ثمنها على البائسين ثم سمع بفشوّ الطاعون في مدن ايطالية فسار اليها واخذ يتجوَّل في الخانها يخدم المطعونين بغيرة لم تعرف المال فشرَّفهُ الله بشفاء المصابين حتى كان يحسم الداء بدعائهِ حيثما يحلّ وبعد ان نجَّى رومية من الوباء سافر الى بلزنة ففعل فيها ما فعل في غيرها من المعجزات على انهُ أُصيب فيها بداء عُضال وبقي طريح الفراش مهملاً من الجميع فأبدى في اوجاعهِ صبرًا جميلاً. وقيَّض الله لهُ كلباً كان يأتيهِ كل يوم برغيفٍ من الخبز. ثم شفاهُ الله والهمهُ ان يرجع الى اوطانهِ وكانت الحروب وقتئذٍ قائمةً فيها على ساق فحسبهُ البعض جاسوساً متنكِّرًا فحملوهُ الى والي مدينة منبليه وهو عنهُ فلم يعرفهُ وسكت القديس عن اصلهِ فالقي في سجن مظلم قضى فيهِ خمس سنوات في ممارسة اسمى الفضائل حتى دنت وفاتهُ فكرَّمهُ الله بعدَّة معجزات. ولمَّا مات عرفهُ اهل وطنهِ وأكرم مذ ذاك الحين في كل انحاء اوربَّة وظهرت شفاعتهُ خصوصاً في ايام الطاعون. اطلب اعمال القديسين في ١٦ آب وفيهِ واقع عيدهُ (Acta SS., Aug. III, 380) ومكتبة القديسين اللاتينيَّة (BHL. 1055) اطلب ايضاً كلندار الكنيستين للاب نيلس (Nilles : *Kalend. utriusque Eccl.* I. 287)

﴿ رومانوس ﴾ ورد في السنكسارات المارونيَّة التي اطَّلعنا عليها ذكر قديسين بهذا الاسم ففي ٢٧ شباط ذكر رومانوس المدعو أبا الرهبان. وفي ١٨ تشرين الثاني رومانوس الشهيد ويذكرونهُ ايضاً في ١٥ آذار. واقدمهما هذا الشهيد الذي روى اوسابيوس قصَّتهُ في تاريخ شهداء فلسطين في الفصل الثاني. قُتل شهيدًا في انطاكيَّة في عهد ديوقلطيانوس وغاليريوس. قيل انهُ كان من أُسرة شريفة وترهَّب في الاقفار

المجاورة لبلده فلمّا اشتدّ الاضطهاد على النصارى عاد الى وطنهِ وجاهر بايمانهِ في السيّد المسيح فقُتل خنقًا بعد العذابات الشديدة نحو سنة ٣١٠ وقُتل معهُ ولد صغير يُدعى بارولا كان شهد بصحّة ايمان النصارى. وقد اثنى على الشهيدين القديس يوحنّا فم الذهب في خطبة تجدها في جملة اعمالهِ. اطلب مكاتب القديسين اللاتينيّة (BHL,1059) واليونانية (BHG, 225) والشرقية (BHO, 225)

ولعلّ اللبنانيين يكرمون رومانوس الاخر اي ابا الرهبان المدعوّ بالعجائبي وذكرهُ واقع في الكنيسة اللاتينيّة في ٩ شباط (Acta SS., Febr. II, 295-296) وقد ذكرهُ تاودوريطس في جملة السيّاح الذين اشتهروا في ايام تاودوسيوس الصغير اي في القرن الخامس وذكر اعمالهُ وعجائبهُ في تاريخهِ الرهباني في الفصل ١١ اطلب مجموعة الآباء اليونان لمين (Migne, PP. GG., LXXXII, 1393) ومكتبة القديسين اليونانيّة (BHG, 225) وكان اصل هذا القديس من قيليقية فتتلمذ للقديس زوزيموس الناسك في جبال انطاكية وعاش عيشتهُ اللائكيّة فعظّم الله اسمهُ في موطنهِ

وفي ميناون الروم في ١ تشرين الاوّل ذكر رومانوس المرتّل الذي حقّهُ ان يُكرم في نواحي الشام. واصل هذا القديس من حمص ثم تخرّج في الآداب في بيروت ورقي فيها الى درجة الشمّاس ثم رحل الى القسطنطينيّة وخدم في كنيستها. واذ كان يوماً نائماً ظهرت لهُ البتول وقدّمت لهُ كتاباً وامرتهُ ان يبتلعهُ ففعل وانتبه من نومه واذا لسانهُ يلهج بمدائح العذراء الطاهرة فأخذ يصنّف الاناشيد اليونانيّة في ذكرها فكتب نحو الألف أنشودة وقد ادخلت الكنيسة اليونانيّة كثيراً منها في تسابيحها وصلواتها. ازهر هذا القديس في أيّام الملك انستاس في اواخر القرن الخامس واوائل السادس. اطلب اعمال القديسين للبولنديين (Acta SS. Oct. I, p 53-56) وكلندار الكنيستين للاب نيلس اليسوعي (Nilles : *Kalend.*, I, 293)

﴿ ريشا ﴾ هذا ايضاً لقبٌ سرياني (ܪܝܫܐ) معناهُ الرئيس او الامير لقديس ذكرهُ شاع في اطراف لبنان. واسمهُ الصحيح الكسيوس كان ابن احد امراء رومية المدعو اوفيميانوس واشتهر في اواسط القرن الخامس. قيل انهُ في ليلة عرسهِ توارى من بيت ابيهِ وركب البحر وجاء متنكّراً الى بلاد الشام وزار مدينة الرها ثم رجع الى بيت والدهِ وعاش هناك مجهولاً في كوخ ذليل ومات فيهِ فاعلن الله قداستهُ لاهلهِ ولكلّ

سكّان رومية وعُرف برجل الله وقد روينا في المشرق (٨: ٦٥٠—٦٥٨) مختصر قصّته مع المديحة التي ينشدها السوريّون لذكره. وعيدهُ في جميع الكنائس الشرقيّة واقع في ١٧ آذار امّا الكنيسة اللاتينيّة فتذكرهُ في ١٧ تموز وكذلك في سنكسار ماروني حديث وقع في يدنا. وفي الكلندار القديم للكنيسة المارونيّة الذي نشرناهُ في المشرق (٨: ٨٦٩—٨٧٤) ورد ذكرهُ مع القديس جرجس في تاريخ ٣ تشرين ١. اطلب اعمال القديسين في المجلّد الرابع من تموز (Acta SS., Jul. IV, 251-253) ومكاتب القديسين اللاتينيّة (BHL, 48) واليونانية (BHG, 8) والشرقية (BHO, 10) وكلندار الكنيستين (Nilles, *Kalend.*, I, 123) ومن العجب انّ صليبا الكاتب اليعقوبي ذكر الكسيوس كشهيد (Peeters : *Le Martyrologe de 'R. Sliba*, 149 et 178)

ز

مز زخيا ✠ يُكرَم في اماكن متعدّدة من لبنان وخصوصاً في عجلتون (كسروان) وفي الصالحيّة (الفتوح). وقد بيّنا مرتابين في اسمه واخباره لانّ اسم زخيا كالاسماء السابقة لقبٌ معناهُ البار (ܙܟܝܐ) وهو اسمٌ يشمل كل اصفياء الله بلا ميزة. وكنّا نسمع البعض يقولون انهُ تعريب إينوقت (Innocent) وقد اشتهر كثيرون من القديسين بهذا الاسم. وكان يؤيّد هذا الزعم انّهم يعرّبون اسماء الاحبار الرومانيين المدعوّين اينوقنت باسم البابا زخيا. ثم خطر على بالنا انّ زخيا هو كزكّي في السريانيّة (ܙܟܝ) فيكون القديس زخيا هو القديس زكّي المذكور في انجيل لوقا. ولم يزل الريب يخالجنا حتى وقفنا على كلندار الموارنة في كتاب القدّاس والرسائل. وهناك يُذكر القديس زخيا في ٣١ آب حيث يقال «امّا كنائس مار زخيا فليراجع ٦ كانون الاوّل» فبهذه المراجعة افادنا انّ القديس زخيا هو القديس نيقولا لوقوع عيده في ذلك اليوم وانّ اسم زخيا بالسريانيّة ترجمة نيقولا باليونانيّة ومعنى كليهما الظافر. امّا ترجمة القديس نيقولا فمروفة تجدها مطوّلةً في تاريخ ٦ كانون الاوّل من مروج الاخبار (ص ٧٥٧) خلاصتها انهُ وُلد في بتارة من اعمال ليقية ورُقّي بالهام من الله الى درجة الاسقفيّة على مدينة ميرا وكانت حياتهُ سلسلةً متواصلة من كل اعمال الخير. وقد جاهد في سبيل الايمان على عهد ليقينيوس وحضر المجمع النيقاوي فرذل شيعة الاريوسيين. وتوفي في اواسط القرن

الرابع. وذخائره تُكرم اليوم في مدينة باري من اعمال ايطاليـــة على شاطئ بحر الادرياتيك. اطلب ترجمتهُ في اعمال الآباء اليونانيين (PP. GG. T, 116, p. 317-356) ثم في مكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 890) واليونانية (BHG, 178) والشرقية (BHO, 177) وفي كلنـدار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 347). والقديس نيقولا يُكرم في جميع الكنائس في ٦ كانون الاوّل ولا نعلم سبب نقل عيده عند الموارنة الى ٣١ آب

س

﴿ سابا ﴾ احد مشاهير القديسين المكرَّمين في كل طوائف الشرق وعلى الاخص عند الروم الملكيين وفي جميع اديرة الرهبان وللموارنة كنيسة في اده على اسمه. وعيدهُ واقع في جميع الكنائس الشرقيـة والغربيَّة في ٥ ك ١ وقد ذكرهُ صاحب الكلندار الماروني الذي نشرناهُ في المشرق (٨ : ٨٧٢) في تاريخ ٢٦ تشرين الاوّل. كان مولدهُ في بلاد قابدوقية سنة ٤٤٠ وتوفي سنة ٥٣٢ بعد ان قضى في مناسك فلسطين واديرتها ٧٦ سنة صرفها بممارسة الفضائل كلها وعاش عيشةً اشبه بعيشة الارواح الطوباويَّة ودبَّر عددًا لا يُحصى من الرهبان وشيَّد الدير المعروف باسمـه قريباً من اورشليم حتى ذاع صيتهُ في كل المعمور وكاتبهُ ملوك الروم ليتبرَّكوا بدعائه. والقديس سابا دافع عن الايمان بكل نشاط ضد البدعة الاوطاخية واثباتاً للمجمع الخلقيدوني. كتب سيرتهُ احد معاصريه كيرلُّس البيـاني (PP. GG., T, 104, p. 594) اطلب مكتبتي القديسين اللاتينية (BHL, 1074) واليونانية (BHG, 226) وكلندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 344)

﴿ سـاسين ﴾ هو احد القديسين الذين انتشر ذكرهم في لبنان لهُ في بعض جهاته مزارات يزورونها يوم عيده الواقع في ١٥ ايلول كما جاء في كتاب قدَّاس الموارنة. واسمهُ الصحيح سيسين وفي اللاتينية (Sisinnius) وقد عُرف بهذا الاسم كثيرون في بلاد المغرب ومصر وما بين النهرين (اطلب المشرق ٥ : ٧ وفيه ذكر سيسين الجاثليق الخراساني). اما القديس المكرَّم في لبنان فقد اثبت السنكسار الماروني حياتهُ في ٢٣ تشرين الثاني فقال انَّ سيسين عاش في أيام الملك ديوقلطيانوس وكان في مدينة كوزيكس (Cyzique) فامسكهُ واليها وعرض عليه عبادة الاصنام فأبى وبعد

العذابات الشديدة أُلقي في السجن فبقي مكبَّلًا بالحديد الى عهد قسطنطين الملك فنال الحرّية ودافع عن الايمان ضدّ اريوس في مجمع نيقية ثم رقد بالرب. اطلب مكتبة القديسين الشرقية (BHO, 237) حيث يُشار الى ترجمة القديس التي وجدت بالحبشية فنُشرت في مجموعة كتبة النصارى الشرقيين للخوري شابر وجاء ذكر هذا القديس ايضاً في كلندار صليبا في تاريخ ٢ آذار (Peeters : *Martyrol. de R. Sliba*, 177)

﴿ سركيس وباخوس ﴾ هما الشهيدان الجليلان اللذان سبق الشرق (٥: ٩٤٥–٩٥١) ولخّص ذكر جهادهما واستشهادهما في بربالسّة (وهي بالس) والرصافة (سرجيوبوليس) في نواحي الفرات فاتا في سبيل الايمان المسيحي على عهد مكسيميان غاليريوس بامر الوالي انطيوخوس نحو سنة ٣٠٧ للمسيح فنالا بعد موتهما من الاكرام في انحاء الشرق ما لم ينلهُ الّا القليلون من الشهداء. وفي لبنان عدّة كنائس واديرة على اسمهما. وعيدهما واقع في ٧ تشرين الاوّل في كنائس الشرق والغرب معاً. الّا انّ ربّان صليبا في كلندارهِ ذكرهما في ٦ أيّار (Peeters, l. c., 153 et 185) اطلب ترجمتهما في البولنديين (Act. SS., Oct. III, 871-882) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 1102) واليونانية (BHG, 229) والشرقية (BHO, 231) وكلندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 298)

﴿ سمعان العمودي ﴾ ليس بين سيّاح سوريا قديس احرز لهُ سمعةً في العالم بعجيب سيرتهِ ومعجزاتهِ كالقديس سمعان العمودي. ولهُ فضل على لبنان ايضاً كما روى حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار (١: ١١٢ والمشرق ٤: ٣٠٤). اما اعمال القديس والآثار الباقية من مقامهِ في قلعة سمعان فقد ذكر ذلك الاب بولس جوون (في المشرق ٢: ٣٩٩–٤٠٨). كان مولدهُ في سيسان سنة ٣٩٢ وزهد في العالم وعمرهُ ١٣ سنة فقط واقطع الى اعمال النسّاك بنشاط عظيم في البراري والاقفار حتى تقاطرت اليهِ الزوّار فصعد فرارًا من لجاجهم على عمودٍ مرتفع فعاش بين السماء والارض نحو اربعين سنة جعل في مدّتها عمودهُ كنبر خطب فيهِ الى العالم كلّهِ بقداسة حياتهِ اكثر منهُ بكلامهِ. وكانت الشعوب القاصية نفسها تتزاحم حول عمودهِ لتنال بركتهُ وتسمع ارشاداتهِ وكان لقبائل العرب من اصحاب الوبر والمدر حظٌّ كبير من تعاليمهِ وقد هدى منهم الوفاً مؤلفة الى النصرانيّة. كانت وفاة القديس في سنة ٤٥٩ مسيحية. وقد كتب

حياتهُ شاهد عياني ثقة تاودوريطس المؤرخ في كتابهِ التاريخ الرهباني في الفصل ٢٦ . وعيد هذا القديس واقع في كنائس الشرق في ١ ايلول اما الغربيون فيذكرونهُ في ٥ ك٢ . اطلب ترجمتهُ في مروج الاخبار ص ٢٨ وفي اعمال البولنديين (Act. SS. Jan. I, 269-274) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL., 1151) واليونانية (BHG, 237) والشرقية (BHO, 245) وفي كاندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 267) . امَّا ربَّان صليبا فقد جعل ذكرهُ في ٢ ايلول (Peeters, l. c., 159 et 193) . وفي كاندار الكنيسة الانطاكية للبيروني (المشرق ٥ : ٦٧) ورد ذكرهُ « شمعون صاحب العمود » في ٢٧ تموز

ش

﴿ شربل ﴾ هو الاسقف الرهاوي الشهيد الذي شُيِّدت بعض الكنائس على اسمهِ في لبنان كسماد وغيرها كان اوَّلاً كاهنًا للاوثان ثم رأى عجائب القديس برسيما اسقف الرها فآمن واعتقد وخلفهُ على كرسيهِ ولمَّا ثار الاضطهاد على النصارى في عهد طرابانوس قيصر اوقعهُ حاكم البلد ليزياس مع اختهِ باباي وامتحنهما بالعذابات مدَّة الى ان قضيا استشهادهما في سنة ١٢١ للمسيح . وعيدهما في الكنائس السريانية في ١٤ تشرين الاوَّل . ويذكرهما الموارنة في ٢٩ كانون الثاني . وفي الكلندار الماروني الذي نشرناهُ (في المشرق ٨ : ٨٧٢) ذكر مار شربل في ١ ت ١ . وكذلك يكرِّر ذكر شربل واختهِ عند السريان في ٥ ايلول . اطلب ترجمة القديسَين في اعمال البولنديين في المجلَّد الرابع من كانون الثاني (ص ٥٣٨) ونشر سيرتهما مطرَّلة الاب بيجان اللازري في اعمال الشهداء السريانية (ج ١ ص ٩٥–١١٩) . وكذلك راجع مكتبة القديسين الشرقية (BHO, 230) وكاندار الكنيستين (Nilles, l. c., I. 416)

﴿ شلّيطا ﴾ هذا ايضًا لقب سرياني (ܫܠܝܛܐ) اي المسلَّط والحاكم . قال في السنكسار الماروني في ٢٠ تشرين الاوَّل ان اسمهُ ارتيميوس (Artème) وانهُ كان من اقارب قسطنطين الكبير فوُلِّي على مصر ولذلك عُرف باسم شلّيطا . ولما تملَّك يليان الجاحد امر بعذابهِ لثباتهِ في الدين النصراني فمات شهيدًا سنة ٣٦٣ . والبعض يجعلون استشهادهُ في انطاكية . والاصح انَّهُ قُتل في الاسكندريَّة . وقد ارتأى العلَّامة بول الَّار (P. Allard) في كتابهِ عن جوليان الجاحد ان ارتيميوس لم يمت شهيدًا بل

قُتل في ثورةٍ لاحتكاره القمح. وقد سعى غيره ان يثبتوا وجود رجلين باسم ارتيميوس وحتى الآن لا يزال الامر مشبوهاً. وعيد هذا القديس في اغلب الكنائس واقع في ٢٠ تشرين الاوّل. والارمن يكرمونهُ في ١٩ منهُ والقبط في ١٥ منهُ. وصاحب الكلندار الماروني الذي نشرناهُ (في المشرق ٨: ٨٧٢) ذكرهُ في ١٨ تشرين ١. اطلب البولنديين (Act. SS. Oct., VIII, 856-884) ومكتبة القديسين اليونانية (BHG,26) وكلندار الكنيستين للاب نيلس (Nilles, l. c., I, 304). واللبنانيّون يبالغون في اكرام القديس شليطا تجد لهُ في الجبل عدّة اديرة وكنائس ويستشفعون بهِ لحيواناتهم

ثم ان السريان يذكرون قديساً آخر باسم القديس شليطا اشتهر في القرن الرابع وكان ناسكاً اصلهُ من مصر فجاء مع القديس ارجين وتنسَّك في جهات ما بين النهرين وبلاد فارس ورجع كثيرين الى الايمان بعجائبهِ فاقام الموتى وابطل الطاعون. والسريان يلتجئون اليهِ في الامراض الوبائية. كانت وفاتهُ في نواحي انطاكية وعيدهُ واقع في ١٩ ايلول. وقد ذكرهُ ربّان صليبا في ١٥ تشرين الثاني (Peeters, l. c., 142 et 167) اطلب ايضاً مكتبة القديسين الشرقية (BHO,225) واعمال الشهداء السريانية للاب بيجان (ج ١ ص ٤٢٤—٤٦٥) ولعلَّ اللبنانيين يمزجون بين الشهيد والناسك

﴿ شينا ﴾ يُكرَم مار شينا في كفيفان وفي محلات أُخرى ومعنى اسمهِ في السريانية (حَمعُلُ) السلام والسعد وهو لقب قديس يُدعى ابراميوس. جاء في السنكسار الماروني في تاريخ ١٥ ايلول البار ابراميوس الملقَّب شينا من بلد انطاكية كان وثنياً على اللصوص واراد ان ينهب ديراً للراهبات فتزيَّا بزي الرهبان مع اصحابهِ ودخل الدير لينهبهُ فاستقبلتهُ الراهبات وغسلت احداهنَّ رجليهِ اتضاعاً ثم اعطت الغسالة راهبةً مريضةً مقعدةً فاذهبت هذه بالماء. ولاجل ايمانها شفيت. فلما رأى ابراميوس الامر تحيَّر وتخشَّع قلبهُ وتاب ثم ترهَّب وتلقَّب باسم شينا لانهُ رمى بسيفهِ واعطى الراهبات الامان وتبعهُ رفقتهُ فعاشوا عيشة صالحة معهُ وردَّ عدداً وافراً من الوثنيين بارشاداتهِ ورقد بالسلام. وفي كتاب القداس الماروني وارد ذكر القديس شينا في ٣١ آب مع القديس زخيا. وقد ذكرهُ ربان صليبا في كلندارهِ في تاريخ ١٦ ايلول راجع طبعة الاب بيترس (Peeters, l. c., 160) مع الحاشية التي علَّقها حضرتهُ على ذكر هذا القديس (ص ١٩٥) وعلى ظنهِ ان شينا تصحيف شيلا او سيلا احد منشئي الاديرة في حرَّان والله اعلم (لهُ بقية)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الرابع

الأسرار الماسونيّة

رأينا في الابواب السابقة مظاهر الشيعة الماسونيّة ونظامها الداخلي القريب الذي يتركّب من الثلاث الدرجات الاصوليّة اي الطالب والرفيق والاستاذ ومن اجتماع هؤلاء تتألف المحافل. ولكن يا ترى اهذه هي كل الماسونيّة والى هذه تنتهي الاسرار الموعود بها المنتسبون الى فئتهم ؟ فاين ذلك النور والعلم والتمدّن الذي لم يزل رؤساء الشيعة يلوّحون به امام تبعتهم في محافلهم ألعلّهم اذا عرفوا اسم «جاكين ربعوز» وتعلّموا المشية الماسونيّة والاشارات الخفيّة وادركوا سرّ قصّة حيرام وقتله على يد الرفقة الظالمين بلغوا قصوى السعادة ونالوا هناء العيش ؟ فيجيبنا على ذلك بعض الماسون انّ الماسونيّة لا تتجاوز هذه الاسرار وان عليها مدار الماسونيّة كلها. وان راجعت الكتب الماسونيّة التي نُشرت في العربيّة بهمّة الاخوة الكرّمين ، جرجي زيدان وشاهين مكاريوس والياس الحاج وانيس الخوري تجدها كلّها مقتصرةً على بعض ما نشرنا لا تكاد تبوح بها الّا بالتحفظ الكلي وبعد أن نظّف اولئك الكتبةُ شيعتهم غاية جهدهم لتظهر في اعين القرّاء كالعروس المجلوّة المزيّنة التي يأخذ منظرها بالقلوب. فما ترى أهؤلاء الكتبة مخدوعون جهّال لا يدرون حقيقة الماسونيّة وما في زواياها من الخبايا فذلك من المحتمل لأننا نعلم حق العلم انّ كثيرين من الداخلين في الماسونيّة يقضون حياتهم وهم لا يرون فيها بأساً ولعلّهم يحسبونها جمعيّة خيريّة لمساعدة البائسين. على انّنا اذا قضينا بذلك على بعضهم لاسيما في هذه البلاد التي لم تظهر الماسونيّة بعد بصورتها الحقيقية لا يمكننا ان نطلق هذا الحكم على الجميع. فانّ قسماً من الماسون وهم الرؤساء والقادة عارفون بلا شك انّ وراء الدرجات الثلاث درجاتٍ أخرى سرّيّة لا يعلم بها الجميع. أفلا ترى مثلاً انّ شاهين بك مكاريوس بين القابه التي يفتخر بها في صدر كتابه عن الدرجة الماسونيّة الاولى يدوّن كونهُ «حائز للدرجة ٣٣» فكفى بذلك دليلاً الى انّ في الماسونيّة درجات عليا تبلغ ٣٣ درجة . فما هي رعاك الله هذه الدرجات. وما لشاهين بك لم يُقدنا بها

علماء اقرى انَّ الماسون يرقون الى هذا السلّم العالي ذي الثلاث والثلاثين درجة لمجرَّد تفريج البال والتفرُّغ لرصد الكواكب (على البُقّ) او ليس الاحرى ان يقال انَّ تلك الدرجات بناء لاحق بذلك الاساس المثلَّث الذي وصفناهُ ولا ترضى الشيعة ان يبقى كل اولادها « في سنّ السبع سنوات » وهي سنّ الاساتذة كما مرَّ بك بل ترقّي بعضاً منهم اقوى بنيةً واصلح لغاياتها فتسقيهم روح الماسونيَّة القحّ

وان سألتنا انعرف شيئاً صحيحاً عن تلك الدرجات السريَّة أجبنا أنَّنا نعرفها كلّها ولدينا من تآليف الماسون الحقية ما يملأ عدَّة اعداد من المشرق الّا انَّ وصفها بالتفصيل لا يفيد القرّاء شيئاً جديداً فنكتفي بنظر عمومي منها فنقول :

رأى ائمة الماسونية انَّ في كثرة الداخلين في عدادهم خطراً على جمعيَّتهم فاتَّفقوا على ان يُبقوا درجاتها الثلاث للعموم (للعميان) ويُنشئوا للخاصَّة (للمفتحين) درجات أُخرى لا يبلّغونهم ذروتها الّا بعد الامتحانات المتوالية فيشربونهم سم الماسونية نقطةً نقطةً حتى يعتادهُ مزاجهم ولا يأنفوا من نتنائهِ . امَّا عدد هذه الدرجات فيختلف على حسب الطرائق الماسونية فالطريقة الفرنسويَّة تناهز درجاتها العشرين وربَّما اختصرتها باربع او خمس درجات لانَّ الفرنسويين طبعاً لا يحبُّون الطول ويقفزون كالغزلان بينما يدبّ غيرهم كالسلاحف . اما الطريقة المعروفة بمصرانيم فتتجاوز درجاتها العشرين . واكثرها عدداً الطريقة الاسكوتلنديَّة التي تبلغ ٣٣ درجة . وعليهِ يكون وطنيُّنا شاهين بك مكاريوس بلغ السماء الثالثة كالرسول المصطفى (٢ كور ١٢ : ٢—٤) وسمع مثالهُ « كلمات سريَّة لا يحلّ لانسان ان ينطق بها » . وهذه الدرجات على اختلاف الطرائق تتَّفق في اشياء كثيرة فنذكر هنا نتفاً من بعضها تزيد قرّاءنا معرفةً بخبث هذه الشيعة . فمنها درجة « المختار » (Élu) « والمختار العظيم » (Grand-Élu) و « الكاهن الماسوني » (Prêtre Maçon) « وفارس الشمس » (Chevalier du Soleil) « وفارس السيف » (Chevalier de l'épée) و « فارس الشرق والغرب » (Che-valier d'Orient et d'Occident) و « الصليب الوردي » (Rose-Croix) و « الحبر العظيم » (Grand pontife) و « أمير لبنان » (Prince du Liban) و « استاذ اعظم لهيكل اورشليم » (Grand Commandeur du Temple de Jérusalem) و « الفارس القدُّوش » (وان شئت قل « الفارس الكديش »)

(Chevalier Kadosch) ولكل هذه الدرجات طقوس ماسونيّة خاصّة وامتحانات (تلفيقيّة) وملابس شرفيّة وشارات سرّيّة ومشية رمزيّة وطرقات اصطلاحيّة

ففي درجة المختار يظهر الاخوة لابسين الحداد وعلى جانبهم اليسار وشاح نقشوا عليه جمجمةً وعظم ميتٍ مع سيفٍ مجرّد وحول النقش قد كتبوا « الظفر او الموت ». وكذلك يُعدّون مغارةً مظلمة يدخل فيها المرشّح لهذه الدرجة بسراج ضعيف فيجد ممثّلاً شبه رجل يزعمون انهُ قاتل حيرام فيأمرونهُ ان يأخذ بثار القتيل فيقطع رأسهُ ويأتي به الى المحفل ظافرًا. فيردّد الاخوة كلمة « نقام » اي تمّ الانتقام

وفي درجات « المختار العظيم » و« الكاهن الماسوني » و « فارس الشمس » و « فارس السيف » يفيدون المرقّى اليها انّ ذاك الذي يجب الانتصار لهُ ليس هو حيرام وما حيرام الّا رمز الحريّة وقاتلهُ السلطة الدينية اي النصرانية التي يُقتضى عليهِ ان يناجزها القتال حتى يظفر بها ويُفني « تلك الخرافات الدينيّة » التي تمنع الانسان عن بناء الهيكل الماسوني اي هيكل الحريّة والمساواة والاخاء. وللتشنيع على الدين تجدهم تارةً يمثّلون في المحافل حريّة الانسان على شبه أسيرٍ مكبّل بالقيود التي قيّدهُ بها ارباب الدين فيؤمر المرشّح للماسونيّة ان يفكّ تلك الاغلال وتارة ينصبون ثلاث جماجم يجعلون على الواحدة منها تاجًا كتاج الحبر الاعظم ويتقدّمون الى المرشّح ان يضربهُ بخنجر . وفي رتبة « الكاهن الماسوني » يتقلّدون الكهنوت الموسوي والكهنوت النصراني تفاقًا فيقدّمون شبه الذبائح والتقادم كالخبز والخمر والزيت والحليب ويصرّحون بان الكهنوت ليس هو وضعًا الهيًّا وانّ الكهنوت الصحيح هو الكهنوت الطبيعي الخالي من كل وحي المبني على القوى الطبيعيّة والعقل البشري ويسلّمون الاخ . كتاب السُّنَن الطبيعيّة الذي يقوم مقام الانجيل . ومجمل القول انّ هذه الدرجة تقليد سخري لاسرار الكنيسة . وتأتي من بعدهِ الدرجات الاخرى كفارس الشمس وفارس السيف ليمكّنوا في قلبهِ البغض للدين القويم ويجعلوا الماسوني جنديًا شاكي السلاح مستعدًّا في كل آن وآن ان يجرّد سيفهُ على ارباب الدين ويسعر لمناهضتهم حربًا عوانًا لا تضع أوزارها طول الحياة

وفي درجتي الفارس القدوش والصليب الوردي وهما اعلى الدرجات الماسونية تتّضح الاسرار وتنكشف الخبايا ففي درجة القدوش يعلم المترشّح حقيقةً انّ العدوّين الكبيرين في العالم الواقفين في طريق الماسونية والمانعين لها من الفوز انّما هما السلطة

اليابويّة والسلطة الملكيّة يضيفون اليها السلطة العسكريّة فتلك على زعمهم الحيّة المثلّثة الرؤوس التي ينصبون في محفلهم تمثالها فيجعلون على الرأس الاوّل تاجاً حبريًا وعلى الثاني تاجاً ملكيًا وعلى الثالث سيفاً مجرّدًا. وذلك هو التنّين الذي ينبغي للماسوني قطع رؤوسه الثلاثة — ولمّا كان السيّد المسيح لذكره المجد هو النصير الكبير للسلطة بقوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فانّ الماسون يناشبون الحرب المسيحَ قصدهُ وذلك خصوصاً في درجة «الصليب الورديّ» حيث يسخرون بابن الله وبمشائه السرّي وبصليبه وموته ويزعمون انّ الحروف الاربعة التي نصبها بيلاطوس فوق صليبه «INRI» اي يسوع الناصري ملك اليهود لها معنيان الاوّل انّ اليهود قتلوا المسيح لآثامه والثاني انّ «الطبيعة كلّها تطهّر بالنار» (igne natura renovatur integra) فتقوم النار الماسونية بدلًا من نار الروح القدس الحالّة على التلاميذ فتجعلهم نفساً وجسماً في قبضة ابي اللهيب وشيخ النار ولا احد يجهل من هو. ويتمّ شعار الماسونية في مجلاه الاخير وهو «لا إله ولا سيّد» فالانسان هو هو «الإله المستقلّ بنفسه» يفتكر ما يشاء ويقول ما يشاء ويفعل ما يشاء. ليس لاحد حقّ بان يطالبهُ على ما ينويه او يقولهُ او يأتي بفعله ولو ارتكب اعظم المنكرات. فهذه خلاصة الدرجات الماسونية تجدها في كتبهم السرّية (١ موضحةً دون خجل ولا حياء. فيجدّفون علانيةً على كل الاسرار المقدّسة ويهزأون بكل التعاليم الدينية ويصرّحون بعبادة الطبيعة حتى في ارجاسها التي تندى لذكرها خجلًا وجوه كلّ من لم تقتل في نفسه شواعر الحياء. امّا تلك الاسرار المزعومة كالالفاظ السرّية والخزعبلات الصبيانيّة التي يعظّمونها في اعين تبعتهم ويحلّفونهم بان لا يبوحوا بها الى احد تحت طائلة اشدّ العذابات فكلّ ذلك من التمويهات التي يتّخذونها كتهاويل باطلة ليصرفوا بها نظر الداخلين في الماسونية ويشغلوا فكرهم عن اسرارها الصحيحة التي هي كما قلنا نزع الشعائر الدينيّة عن قلب الانسان وتمثيل النصرانية خصوصاً كالعدوّ العظيم لكل تقدّم ولكلّ رقيّ

١) اطلب خصوصاً الكتب الآتية: Manuel pratique du franc-maçon—Recueil précieux de la Maçonnerie Adonhiramite — Clavel: *Hist. pittor. de la Maçonnerie* — Teissier: *Manuel général de la Maçonnerie* — Deschamps: *Les Sociétés secrètes et la Société.*

الباب الخامس

مجلس الشورى في الماسونية

الدرجات العليا التي اشرنا اليها في الباب السابق هي درجات شرفية ليس لاصحابها حظ في رئاسة الماسونية العامة وانما يحق للمتصبين فيها ان يختاروا لرئاسة المحافل كالاساتذة وان يحضروا المحافل التي تختص بدرجتهم او الدرجات التي دونها. اما القضاء والتنفيذ والحكم على عموم الماسون فليس لهم منهُ شيء. فذلك كلهُ في ايدي اصحاب الثلاث الدرجات المعروفة بالرئيسية فهي وحدها الضابطة للحكم فللدرجة ٣١ القضاء وللدرجة ٣٢ تنفيذ ما قُضي بهِ وللدرجة ٣٣ الحكم والتدبير. ولا يدخل هذه الدرجات الا من وُجد في الدرجات السابقة اهلاً بذلك المقام فأثبت اهليتهُ بصفات خاصة وسجايا فريدة (بالمعنى الماسوني) فيختارون الواحد بين الالف ويخولونهُ الرتبة كالوف عادتهم بعد الامتحانات والطقوس المضحكة والاقسام المحرجة على حفظ السر وعلى الامانة في خدمة الماسونية وتعزيز مبادئها. ولاصحاب هذه الدرجات الثلاث اجتماعات سرية يبحثون فيها عن احوال الماسونية ويتفقون على ما يريدون تبليغهُ الى ذوي الدرجات السفلى بحيث يجب على هؤلاء الطاعة والخضوع دون ان يعلموا من اي مقام تصدر تلك الاوامر. بل لا يعرف البتة اصحاب الدرجات العليا شيئاً مما يحدث في الدرجات التي فوق درجتهم. اما ذوو الدرجات السامية فيكنهم دائماً أن يدخلوا في محافل الذين هم اوطأ منهم درجة. فترى انَّ في الماسونية تلك الطاعة العمياء حقيقةً التي ربما نسبوها الى اليسوعيين فانَّ طاعة « الجزويت » مفتحة اذا اطاعوا لرؤسائهم لا يطيعونهم الا لوجه الله بصفة كونهم نوّاب الله وذلك فقط في كل امر صالح موافق لوصايا الله وتعاليم البيعة المقدسة بخلاف الطاعة الماسونية التي يجري عليها افرادهم دون ان يعلموا من يأمر وما سبب امره وهل امرهُ مطابق للآداب او لا فيندفعون الى تتميم الاوامر كالبهيمة التي يسوقها السائق بالعصا والمنخس

وبهذه الوسائط الشائنة اضحت الماسونية وثيقة العروى متسعة النظام وهي في تأليفها وتدبيرها قد تقلدت الكنيسة الكاثوليكية لبلوغ غاياتها كما تشبهت بها في امور اخرى سبقت الاشارة اليها فكأنها حكمت انها لا تستطيع محاربة الدين بافضل من

سلاحه . لكنّها تخالف الكنيسة في امرين الاوّل في مقصودها الذي ترمي اليه وهو نقض الدين والسلطة الشرعيّة . والثاني في الوسائط الملتوية والخفيّة التي تتّخذها . فبينما ترى في الكنيسة الطاعة المقدّسة للسلطة الروحيّة من الشعب للكهنة ومن الكهنة للاساقفة ورؤساء الاساقفة والبطاركة ومن هؤلاء للرأس المنظور الذي اقامه السيّد المسيح كنائب له على الارض وكل ذلك بتمام المعرفة وعلى حسب القوانين التي لا يجهلها احد من المسيحيين ترى الماسون يقيّدون بنفوسهم لطاعة عمياء لرؤساء يجهلونهم وفي امور لا يجوز لهم البحث عن سببها وقانونيّتها وغايتها

ولا تظنّنّ انّ الماسون الذين في الدرجات السُفلى وحدهم مكبّلون بهذه القيود يرسفون باغلالهم مرغومين بل ينال الضغط حتى ذوي الدرجات العليا الذين يزعمون انّهم رؤساء في الشيعة لانّ زعماء الماسونيّة انفسهم يجهلون بعضهم وربّما اتتهم الاوامر من حيث لا ينتظرونها وباسماء رجال قد تنكّروا وغيّروا اسماءهم الحقيقيّة وتلقّبوا بألقاب مستعارة لا يعرفها الّا افراد قليلون ممّن يُتّخذونهم كأوساط بينهم وبين بقيّة الماسون . واذا أبى هؤلاء الطاعة عدّوهم كالخائنين وجرت في حقّهم أحكام لا مناص لهم منها دون أن يستطيعوا المدافعة عن نفوسهم من تبعتها بحيث يجوز القول مع أحد الكتبة الذين ارتدّوا بعد زمان عن الماسونيّة : « لعمري ما من عبد مظلوم تُضبط عليه الحرّيّة كما تضبط الماسونيّة حرّيّة تبّاعها اجمعين من اكبرهم منصباً الى ادناهم رتبةً » وايّد ذلك بخبر رواه احد كبار المؤرخين كرانتو جولي في كتابه عن البابويّة والثورة حيث ذكر انّ احد زعماء الماسونية الخفيين الملقّب باسم « نوبيوس » سُقي سمّاً لأنّه نقد بعض رسالات ماسونيّة سرّيّة وقعت في ايدي عمّال الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر فسمّه شيوخ الماسونيّة لئلّا يُقبض عليه ويضطرّ الى افشاء اسرار الجمعيّة . ولمّا اراد يوسف مزيني (J. Mazzini) سنة ١٨٣٦ وهو شاب داخل في الماسونيّة منذ سنين قليلة ان يقف على الزعماء الحقيقيين الذين تأتيه من لديهم الاوامر اسرّوا اليه لن يكفّ عن التفتيش لأنّ الخنجر مسنون مهيأ لعقابه

وممّا اثبته آخرًا بعض العارفين باسرار الماسونيّة ممّن امكنهم كسر طوقها من عنقهم كبدغان (Bidegain) في كتابه عن السرّ الماسونية (Masques maçon-niques) وكوبان البانلي (Coppin-Albancelli) في كتابه (Le Pouvoir

(occulte contre la France انّ زعماء الماسونية طرقاً شتى من المكر يخدعون بها ذريهم فانهم اذا رأوا رجلاً مستعداً لقبول اسرار الماسونية متأهباً لخدمة مصالحها جامعاً لصفات التدبير يكشفون لهُ اغمض الاسرار دون ان يمرّ في الدرجات السُفلى والعليا فيصبح رئيساً ولا احد يعرفهُ من الماسون غير الذين اختاروهُ

وكذلك يعافون عن الترقي في سلّم الدرجات الذين يرغبون في ضمّهم الى شيعتهم ليتباهوا بهم . فهكذا يصنعون مع بعض الملوك فانهم يختارونهم كرؤساء الماسونية شرفاً ليصفو لهم الجوّ في ظلّ حمايتهم . وهكذا صنعوا مع بعض وجوه بلادنا فانّ الماسون في دمشق بعد السنة ١٨٦٠ ارسلوا الى الامير عبد القادر شهادةً بديعة الالوان اعلنوا فيها انهم اختاروهُ كاحد مقدّميهم ومذ ذاك الوقت كانوا يفتخرون باسمهِ كما فعل شاهين بك مكاريوس في فضائل الماسونية (كذا) (ص ١٥٥—١٨٧) وجرجي زيدان في كتاب تاريخ الماسونية حيث بالغ بقولهِ (ص ٢٠٠) : « دخلت الماسونية الى دمشق بمساعي الطيّب الذكر المغفور لهُ الامير عبد القادر الجزائري » . والصواب ما ذكرنا كما اكّدهُ لنا بعض الثقات من اسرة الامير . وكان الماسون قصدوا ان يضمّوا على الطريقة نفسها الى جماعتهم السيّد جمال الدين الافغاني الّا انهُ عرف غايتهم ولم يرضَ أن يكون كطُعمٍ لسنّارتهم يصطادون باسمهِ السذّج

الباب السادس

المحافل الماسونيّة في سوريّة وملحقاتها

علمتَ في الفصول السابقة اجمالاً ما يتركّب منهُ الهرم الماسوني في ظاهرهِ وباطنهِ وفي سرّهِ وعلنهِ . ولعلّك تطلب منّا أيها القارئ العزيز ان نفيدك شيئاً عن حالة الماسونية في العالم ثم نوقفك على حالتها في هذه البلاد مع مبلغها من الماسونيّة العموميّة فنقول :

يؤخذ من القائمة الرسميّة التي نشرها في جرنال القوائم الباريسي (Journal de Statistique de Paris) سنة ١٩٠٧ في الصحيفة ٢٠٨ الى ٢٢٠ احد زعماء الماسون الحائزين الدرجة ٣٣ الاخ ∴ شرل ليموزان (F∴ Charles M. Limousin) انّ في العالم ١٠٦ ايالات ماسونيّة (Puissances maçonniques) ففي اوربّة منها ٢٤ وفي اميركة الشمالية ٥٢ وفي اميركة الجنوبيّة ٢١ وفي استرالية ٧ وفي افريقية ٢ . وهي تحكم على نحو ٢٠,٠٠٠ محفل ومع كثرة هذه المحافل والايالات لا

يبلغ عدد الماسون مليونين معدّل كل محفل مئة عضو. وهذا بعيد عن العدد الذي يزعمهُ البعض من انّهم ١٥ مليوناً فدونك جدول اهمّ الايالات مع عدد محافلها والاعضاء المنضمّين اليها

البلاد	المحافل	عدد الماسون
ايالة انكلترّة	٢,٦٠٠	١٣٠,٠٠٠
« اسكوتلنده	١,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
« ارلنده	٤٥٠	١٥,٠٠٠
« فرنسة (شرق فرنسة الاعظم)	٤٠٠	٢٧,٠٠٠
« فرنسة الانكوتلنديّة	٨١	٥,٠٠٠
« ايطالية	١١٥	٣٠,٠٠٠
« برلين	١٣٧	١٥,٠٠٠
« برلين الملكية	٦١	٧,٠٠٠
« المانية	١٢٨	١٢,٠٠٠
« اسبانية	٥٩	٢,٥٠٠
« اسوج	٣٥	١٢,٠٠٠
« اميركة الشمالية	١,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
« اوسترالية	٧٠٠	٣٠,٠٠٠
« اميركة الوسطى والجنوبيّة	٥٥٠	١٠٠,٠٠٠

فمن هذه القائمة الرسميّة ترى انّ معظم انتشار الماسونيّة حاصل في البلاد البروتستانيّة ولا غروَ فانّ المبادئ البروتستانيّة تمهد الطريق للماسونيّة وكلا المذهبين مبني على حريّة الضمير. على انّ الماسونيّة اضرّ واسوأ في البلاد الكاثوليكية كفرنسة وايطالية واسبانية فترى اعضاءها مع قلّة عددهم في جلبة عظيمة تدوي لها الآذان وتقشعرّ لها الابدان. والسبب واضح وهو انّ الشيطان يجد في تلك البلاد مقاومةً لم يجدها في الاقطار البروتستانيّة فانّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها ادركت الخطر العظيم الذي يتهدّد الممالك والهيئة الاجتماعيّة بفوز الماسونيّة ولذلك لم تزل بصوت احبارها وخطبائها وكتبتها تبارز تلك الشيعة الكفريّة وتبلي البلاء الحسن في محاربتها

امّا الماسونيّة في هذه البلاد الشامية فانّها كانت الى ايّام الدستور في حالة حرجة كما يظهر من تاريخ الاخ ٠٠ جرجي زيدان في الصفحة ١٩٦ من كتابهِ قال جناب

هذا المحقق (الذي نستغرب ضحكاً كل مرّة نفتح كتابهُ تاريخ الماسونيّة العام وفيهِ من العجائب ما يُنسي جراب الكردي) انّ اوّل محفل تأسّس في سوريّة « قد تأسس في بيروت سنة ١٨٦٢ تحت رعاية الشرق الاعظم الاسكوتلاندي بشرق فلسطين نمرة ٤١٥ وترأس عليهِ كثير من الاخوة الافاضل . امّا لغتهُ الرسميّة فالفرنساويّة » . ويفيدنا جنابهُ انّ امور هذا المحفل لم تنل نجاحاً فتوقّفت اعمالهُ من السنة ١٨٦٨ الى السنة ١٨٨٨ حيث تجدّدت لهُ الرخصة « فرُمم هيكل اورشليم بعد جلاء بني اسرائيل » . وعلى ظننا انّ هذا محفل فلسطين قد مات ودُفن رغماً من افتخار شاهين بك مكاريوس بكونهِ احد اعضائهِ

ثم افادنا جناب جرجي افندي زيدان انّ في السنة ١٨٦٩ تأسس في بيروت محفل آخر تحت رعاية الشرق الاعظم الفرنساوي بشرق لبنان ولغتهُ الرسميّة هي العربيّة امّا مخابرتهُ مع الشرق الفرنساوي فبالفرنساويّة . وكان رئيسهُ في اوّل ايّامهِ الاخ ٭ جرجي الخوري ثم ترأس نقولا حجي وكاتب اسرارهِ الاخ ٭ مكاريوس كما يظهر من ورقة رسميّة هي لدينا تاريخها في ٨ شباط سنة ١٨٧١ . ولدينا ايضاً قائمة الاعضاء الذي دخلوا فيها وهم ١٠١ اغلبهم من الروم والبروتستانت والمسلمين واليهود مع بعض افراد من الكاثوليك الموارنة والملكيين والارمن . وكانوا يدفعون للدخول ١٢ ليرة . وهنا فصل مُضحك عن اعمال هذا محفل لبنان والسبب عن عدم نجاحهِ نوويهِ بالحرف عن جرجي افندي زيدان ليرى القرّاء خوف الماسون من جماعة الجزويت وقد ادّعى مع ذلك الاخ ٭ شاهين مكاريوس وفرة عددهم في المحافل البيروتيّة (! !) قال :

« والى هذا المحفل انضمّ كثيرون من اعيان البلاد وعلمائها ورجال حكومتها (كذا) على اختلاف مذاهبهم فكان رابطاً لكلمتهم ناهضاً لهم على الاعمال الخيريّة (وما هي !) فكثيراً ما قدموا على مشروعات عظيمة (مثل اي !) تعود الى تأييد الدولة والامّة ورفع شأنها . وانّما عيبهُ كعيب غيرهِ من الجماعات الماسونيّة انهُ ينمل ما يغطهُ تحت طيّ الخفاء (ولِمَ ؟) فلا يرى من العالم الخارجي الّا مقاومةً واضطهاداً (مساكين الذئاب الذين يضطهدهم الخراف !) يحولان دون اتمام المشروع فضلاً عمّا يقود اليهِ الاضطهاد من التنوط (اسكوم لئلّا يقتلوا حالهم) وتنور الهمّة . واشدّ مقاومي الماسونيّة (اه ! اه !) في سوريّة (بل في العالم كلّهِ) جماعة الجزويت وقد انشأوا لهذا الغرض وغيرهِ جريدة دينيّة في بيروت دعوها جريدة البشير وموضوعها مقاومة كل المذاهب والاديان الّا المذهب الكاثوليكي والايقاع بكل الجماعات الّا جماعة الجزويت (هذا صحيح يا افندي ! ما اعظم خرطاتكم يا ماسون !) وليس غرض كتابنا التكلّم عمّا وراء ذلك (الحق معك) »

ثم اردف جناب الكاتب قولهُ بفصل مفعم اسفًا وتأوُّهًا على الماسونية وما لحقها من الشدائد التي تفوق على اضطهادات الوثنيين للمسيحيين في اوّل الكنيسة فاعدّ من اخصّ تلك الاضطهادات ان رؤساء الكاثوليك ابوا حسنةً تصدَّق بها الماسون على فقرائهم (كذا) فاقرأ وارثِ لهذه الشيعة المنكودة الحظّ قال (ص ١١٨):

« قس على هذا كثيرًا من مثله وتأمَّل بما اقيم في طريق الماسونية من مثل هذه العقبات التي تفور لها الصم وتُكرَه من اجلها الاعمال (وا اسفاه!) امَّا العامَّة فلا تسأل عمَّا غُرس في اذهانهم من الكره والاحتقار لجماعة الماسون حتَّى اصبح اسمهم مرادفًا لادنى صفات الاحتقار عندهم (او ليس الحقّ معهم ان يحتقروا من ينكر وجود الله ويقاوم الدين كما اثبتنا من اقوالكم!) فكانوا اذا ارادوا المبالغة في وصف احد الكفرة او المنافقين لا يجدون انسب من قولهم فارماسون (كما انَّ الماسون اذا ارادوا شتم الكاثوليك ما وجدوا انسب من قولهم جزويت!) للافادة عمَّا في ضميرهم فهي عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق محتال وما شاكل (وما صوت الشعب الَّا صوت الله!) . . .

ثم يتهلَّل جنابهُ فرحًا من تغيير هذه الحالة السيئة فينشد نشيد الخلاص قائلًا:

امَّا الآن وقد ازهرت سوريا وعلى الخصوص مدينة بيروت بالعلم والفلسفة (!!) وتعدَّدت فيها المدارس (اهذه مدارس الماسون!) والجرائد (ذات الصبغة الماسونية!) وانتشرت فيها حريَّة الافكار واستنار العامَّة بالمبادي الحقيقية (وما هي! اي معاداة الدين في كل مظاهره) فلم يَعُد السوريُّون على ما كانوا عليهِ من مثل ما تقدَّم لكنَّهم اصبحوا ينظرون الى الماسونيَّة نظر الاعتبار والى ابنائها نظرهم الى رجال العلم (ومن هم هؤلاء العلماء!) واصحاب النفوذ (لكثرة جلبتهم وصخبهم كما اظهروا في مسألة فرّر!) وبعد ان كان هؤلاء الاعضاء يتستَّرون في اجتماعاتهم (كأنَّهم لم يتستَّروا الى اليوم!) اصبحوا يفتخرون بذلك اللقب (اذكر لنا يا جناب الكاتب اسماء الذين يفتخرون بذلك وانشر اسماءهم اذا لم تستحي!) افتخارهم باشرف الالقاب واصبح المراريج (مثلنا نحن الصبيان!) يودُّون لو انَّهم في عدادهم ليجتزئوا من ذلك الشرف (فسوت دون ان نُعطى لنا نقطة من هذا الكوثر الماسوني!) وما ذلك الَّا لأنَّ الحق (اي الكذب) يعلو (اي يُدحق) ولا يُعلى عليهِ (ولا يسود) ولا بدَّ من احقاقهِ (اي ازهاقهِ) لانَّ الباطل كان زهوقًا» (بالحقّ نطقت فيصح ان شاء بهِ المثل في الماسونيَّة فوز الباطل لساعة امَّا الحق ففوزهُ الى قيامة الساعة) . . .

وقد أُنشئ في بيروت بعد تاريخ الاخ ه. جرجي زيدان محافل اخرى كنَّا نودّ ان مؤرخي الماسون يلخِّصون لنا اعمالها الخيريَّة والعلميَّة والاجتماعيَّة التي اتوها واذا هي طنطنة كلام ليس الَّا كمحفلي فلسطين ولبنان. فمن هذه المحافل محفل زهرة الآداب وهو ايضًا قديم نسي الاخ ه. جرجي زيدان تعريفهُ وقد تأسس سنة ١٨٧٣ فبلغ عدد

اعضائهِ الاربعين . وفي سنة ١٨٧٥ خطب فيهِ الاخ ".". حبالين خطبةً رشتها الطيّب الذكر المطران يوسف الدبس بالحرم وارتقت الحكومة بايعازهِ ذلك المحفل مدّة ثم عاد الى عقد حفلاتهِ وفي سجلّاتهِ السريّة خطبٌ لاديب اسحاق بينهنا خطبة طعن فيها بالحكومات وخصوصاً بالدولة العثمانيّة . فترى الماسون لا يعظّمون دولةً ما لم توافق اغراضهم والّا رشقوها بالسنة حداد

وقد أُنشئ بعد ذلك في بيروت محفل فينيقية ومن اعضائهِ شاهين بك مكاريوس كما ترى في القابهِ . وقد اثبت في كتابهِ الآداب الماسونيّة (كذا) ارجوزة قرأها في هذا المحفل (ص ٢٠٧) موضوعها مدح ابناء الارملة

ومن المحافل الماسونيّة الحديثة محفل السلام تأسس تحت رعاية المحفل الاكبر الاسكوتلندي غرة ٩٠٨ ولدينا قرار بامضاء رئيسهِ الاخ ".". الدكتور اسكندر بارودي تاريخهُ غرّة شباط سنة ١٩٠٧ . وذكرنا في عدد سابق رسالة احد الطالبين «زيادة الابرة» فيهِ — ومنها المحفل العثماني جاء آخرًا احد شيوخ الماسونية المصريّة الاخ ".". سكاكيني ليفتحهُ في بيروت والى الآن لم تطلع براعيهُ (بعده بالكافوليّه)

امّا لبنان فقد أُنشئ فيهِ محفل صنين في الشوير سنة ١٩٠٤ تحت حماية الشرق القطبي الاسكوتلندي الاعظم في ايدنبورج غرة ٩٦٩ ولدينا قانونهُ المطبوع سنة ١٩٠٥ ويُذكر هناك انّ رئيسهُ الاخ ".". فارس بشاره مشرق تسلّم البراءة السامية (كذا) التي أُرسلت اليهِ مع وفد خصوصي من قبل «الاخ المحترم الدكتور اسكندر نقولا بارودي»

وقد أُنشئ في هذه السنة محفل آخر في المعاملتين باسم محفل «المغارة السوداء» فاستحسنّا هذا الاسم وتذكّرنا مغارة اللصوص التي تكلّم عنها الربّ . وما احرى بكل هيكل ماسوني ان يُدعى بهذا الاسم اذ غاية الماسون من انشاء تلك المحافل كما بيّنّا انما هي اختلاس الايمان من عقول السذّج ونصب المكايد لكل سلطة دينية ومدنية

وقد افادنا الاخ ".". جرجي زيدان انهُ ما عدا محافل بيروت «قد أُقيمت محافل عديدة في دمشق وحمص وحلب وعينتاب وانطاكية وآدنه» ولم يعرّفنا شيئًا من اعمالها الطيّبة . وانما نعرف عن دمشق انهُ أُنشئ فيها محفل يُعرف بمحفل سوريّا دخلهُ عدد من المسلمين والروم الارثدكس وبعض الروم الكاثوليك ونعلم ايضًا انّ اصحاب الشيعة هناك كما في بقيّة الامكنة منسوبون الى الزندقة يشير اليهم من يعرفهم اشارة من باع

دينهُ بدنياهُ . كذلك في القدس الشريف محفل ماسوني يُدعى محفل سليمان الملوكي (كريس ورخيص) . وفي يافا محفل اسكلة سليمان وشاهين بك مكاريوس احد اعضائهما الشرفيين . امّا مصر فقد تعدّدت محافلها حتى اناف على العشرين (وصار الالف قنطاره بدرهم)

هذا وان للماسونية ما عدا محافلها ودرجاتها واعضائها « المكرّسين » ملحقات تُعدّ كذنب لذلك التنين يسحبهُ من ورائهِ حيثما حلّ فريد تلك الجمعيّات التي ينشئها الماسون وينفخون فيها روحهم الشرّير بواسطة نفر قليلين من ذويهم . فيكون اصحاب تلك الجمعيات طوع بنانهم وهم لا يدرون . وتجد مثل هذه الجمعيّات في كل بلد احتلّتهُ الماسونية . وقد رأينا في بيروت وجوارها مثل هذه الجمعيّات التي كانت منقادةً لاوامر الماسون ومعظم اصحابها يتبرّأون من الماسونية كما حدث في غزير وجبيل وجزّين والبترون وزحلة وامكنة اخرى في هذه السنين الاخيرة .

فنختم هنا هذا القسم الثاني الذي قصدنا فيهِ تعريف نظام الماسونية ودرجاتها واسرارها . وفي قسم ثالث ان شاء الله نبين آداب الماسونية الصحيحة مستندين كما فعلنا سابقاً الى اقوال الماسون مع استعدادنا التام الى الاقرار بخطإنا ان اراد الاخوة المثلّثو النقط ان يكشفوا لنا غلطنا هدانا الله واياهم الى كل حقّ وخير فانهُ السميع المجيب

اليوبيل الذهبي

لشركة مار منصور دي پول البيروتية (١٨٦٠–١٩١٠)

نهنئ كل اعضاء شركة مار منصور دي پول البيروتيّة لبلوغها السنة الخمسين من تاريخ انشائها في مدينتنا فما احرى هذه الجمعيّة بان تشكرهُ تعالى الذي اختارها لتنشر في حاضرتنا لواء الاعمال الخيريّة فتظهر لكل ذي عينين انّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة حريصون على عمل الخير اكثر منهم على الكلام الفارغ . وان كان الله لا ينسى قدح الماء البارد المُعطى باسمهِ فكم يكون ثوابهم عظيماً على مئات الالوف التي صرفوها وعلى اعمال البرّ التي باشروها فكم من يتامى ربّوهم وصغار هذّبوهم وغرباء آووهم وفقراء سدّوا عوزهم ومحبوسين زاروهم ومرضى عادوهم ومنكوبين عزّوهم وهم لم يبتغوا

في كل ذلك غير وجه الله افليس لهم يقول تعالى في يوم الدين : « تعالوا يا مباركي ابي رِثوا الملك المُعدّ لكم منذ انشاء العالم لاني جُعت فاطعمتموني وعطشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني وعرياناً فكسيتموني ومريضاً فعدتموني ومحبوساً فأتيتم اليَّ . فالحق اقول لكم انكم كلما فعلتم ذلك باحد اخوتي الصغار فبي فعلتم » . وكنّا نودّ بمناسبة هذا العيد الخمسيني ان نفصّل تاريخ شركة مار منصور دي پول فعاقنا عن ذلك ضيق المجال فأجّلنا هذه المقالة لعدد قادم ونكتفي هذه المرّة بتقدمة تهانئنا الحميمة للشركة مع اثبات القصيدة العامرة الابيات التي نظمها حضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة الزاهرة

ر . ش

كلمة في البرّ وعمّاله

لحضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة

لكلِّ امرئٍ في كل عصرٍ فعائلُ ... على الفضلِ والاصل التليد دلائلُ
تفاوتتِ الأخلاقُ والخَلقُ في الورى ... فعُدّت بألفِ الألفِ تلك الشمائلُ
مِنَ الناسِ مَن يَصبو الى اللهوِ والوَنى ... ومنهم لهُ عن مطمحِ النفسِ شاغلُ
ومنهم أناسٌ اسيرُ ملذّةٍ ... بطينٌ خسيسٌ فاقدُ الحسِّ خاملُ
ومنهم سما نفساً وقلباً وقالباً ... تُشير اليهِ بالبنان الأماثلُ
ومنهم من المعنى خلِيٌّ كأنهُ ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلُ
اذا المرءُ لم ينفع ويُولِ مآثراً ... فسيّانِ وجدانٌ وموتٌ يُعاجلُ
لعمرُكَ خيرُ الناسِ مَن فاض فضلُهُ ... وشرُّ الورى شخصانِ نذلٌ وباخلُ
وأولى بني الانسان بالمجد والثنا ... قَوولٌ فَعولٌ باسطُ الكفِّ باسلُ
ومَن يُؤثِرِ الحُسنى على نفعِ ذاتهِ ... فذاكَ الذي فيهِ تناهت فضائلُ
فذكرُكَ يا « منصورُ » تحصيلُ حاصلٍ ... ولا يقتضي أن يُسهبَ القولَ قائلُ
نهجتَ الى فعلِ المبرّةِ منهجاً ... بهِ الناسُ أجراقَ السماءِ تُساجلُ
لقد عمَّ منكَ الفضلُ غرباً ومشرقاً ... ورَسمي (١ حُسناكَ البريّةَ شاملُ
فلمّا هَمَت من نصفِ قرنٍ نوائبٌ ... بلُبنانَ فاضت من نداكَ جداولُ
حَييتَ وتحيا في جسومٍ اماجدٍ ... قلوبُهمُ للبائسينَ منازلُ

(١ . المطر الذي ينعش الارض

هم خمسةٌ (١ « اخشى اقولُ الاملُ » ولكن بكفِّ اللهِ تلك الأناملُ
فاربعةٌ منهم اجابوا إلهُهم الى دعوةٍ فيها التنعُّمُ كاملُ
فقال لهم : قد كنت ظمآنَ جائعاً سجيناً وعُرياناً ودمعيَ هاطلُ
سقيتم وأطعمتم وزرتم كسوتمُ ألا فادخلوا دارًا بها السعدُ نازلُ
قد انضمَّ أمجادٌ اليهم أكارمٌ كأنهمُ للمكرُماتِ جحافلُ
فصالوا على جيش المصائب والضنى فخرَّت صرعاتٍ لديهم نوازلُ
كُماةٌ حُلاهم همّةٌ ومحاسنٌ وغُرٌّ فعالٍ لا قنًا ونياصلُ
يُنيلونَ برًّا والثغورُ بواسمٌ ولا تمامُ اليُسرى بيمنى تناولُ
غياثٌ للهوفِ وغيثٌ لبائسٍ ونورٌ لمن عن منهج الحقِّ مائلُ
وأمُّ العجايا (٢ واليتيمُ بهم يَرى فؤادَ أبٍ يحنو وفضلًا يُواصلُ
وبلسمُ مكلومٍ وسلوى ورادعٌ لمن كبَّلتهم في السجونِ سلاسلُ
وعُكّازُ مَن قد قوَّس الدهرُ ظهرَهُ وأعذبُ وِردٍ تستقيهِ الأرامِلُ
كأنهم للخيرِ جيشٌ عرمرمٌ فكلٌّ على سُودِ النوائبِ حاملُ
فللهِ تأسيسٌ بنى اللهُ أسسهُ وشادت مبانيهِ سَراةٌ افاضلُ
لقد قال ربُّ الجودِ : من يُعطِ بائساً فمع ربِّهِ تلك المبرَّةَ فاعلُ
وشربةُ ماءٍ لا يضيعُ ثوابها فكيف بمن للمالِ والنفسِ باذلُ
لكمْ حينَ عِرضٌ في البرايا وحرمةٌ وحُقِّقَ دمعٌ فوق خدَّينِ سائلُ
وكم أسرةٍ أخنى عليها زمانُها فأفضالُ مِفضالٍ ستورٌ سوادلُ
وكم غادةٍ عذراءَ ظلَّت مصونةً ولم تُلقها في المنكرات غوائلُ
وكم عَبَثت في سيِّدٍ دُهمُ دهرِهِ كما لَعِبَت بالمعرَباتِ العوامِلُ
فهل من فتًى في مأمنٍ من زمانهِ وهل من صروفِ الدهرِ تحمي معاقلُ
فما الفقرُ فقرَ المالِ عارًا وخزيةً اذا لم تكن قادت اليهِ الرذائلُ
وما الاصغرُ الرنّانُ مجدًا ومفخرًا « ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ »
قصورٌ سرورٌ ثروةٌ وممالكٌ « وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ »

١) مؤسسوها واركانها
٢) جمع عجي وهو من فقد امّهُ

فما المالُ الّا لعبةٌ بين صِبيةٍ يُولي ويأتي مثلها يتناقلُ
فلا يصحبُ الانسانَ للرمسِ مالهُ ولكنْ فعلَ الخيرِ لله واصلُ
تذكَّرْ أيا مَن قام يكثر سجدًا فانك يوماً نحو ربّك راحلُ
ويا شارب الصهباء قدك تلذُّذ هناك فتى شاحب الجسم ناحلُ
ويا حائلًا (١ في متنِ نهدٍ مُطهَّمٍ هناك فتى شوكَ القتادةِ ناهلُ
ويا من غدا ثوبُ الحريرِ يشوكُهُ هنالك عُريانٌ على الباب سائلُ
ويا باذلًا مالًا جُزافًا للذةٍ تسوءُك عُقباها كذاك تجاهلُ
حنانيكَ يا ذا المالِ برُّكَ مغنمٌ بدارٍ فمحمودُ المبرَّةِ عاجلُ
فطوبى لمن قد قام يقرض ربَّهُ ويكثر ما يبقى وليس يزايلُ
فطوباكُمُ يا من غرستم محاسنًا يفيض عليها من جداكم وابلُ
فبيروتُ تُطريكم وتذكرُ عُرفكم ولبنان فاحت عنه تلك الخمائلُ
فقرُّوا بذا اليوبيلِ عينًا وأنعموا ودام لكم مجدانِ حالٌ وآجلُ

مطبوعات شرقية جديدة

M. H. Viollet : Description du Palais de Al-Moutasim et de quelques monuments arabes peu connus de la Mésopotamie (Mémoires de divers Savants à l' A. I. B., T. XII, 2de partie). *Paris, Impr. Nation.*, 1909.

وصف قصر الخليفة المعتصم وبعض آثار ما بين النهرين

قد حظينا منذ شهرين بمعرفة مؤلف هذا الكتاب الذي عهدت اليه الدولة الفرنسوية بعثةً علميةً جديدة الى بلاد الجزيرة والعراق فرافقتهُ ثانيةً في سفره قرينتهُ المترجمة الشهيرة. اما التأليف الذي نحن في صدده فهو ثمرة رحلةٍ سابقة تجشَّمها المؤلف سنة ١٩٠٧ واكتشف فيها من الآثار ما تجاوز كل مأمولٍ ولاسيما بقايا قصر الخليفة العباسي المعتصم ابن هارون الرشيد المعروف بدار الخليفة في سامرَّة الرقَّة وآثار قصر العاشق على خمسة كيلومترات من سامرَّة وغير ذلك من الابنية التي وصفها ورسم صورها البديعة

١) حال في ظهر فرسه استوى

المقسمة على ٢٢ ورقة فكاد يخلب النظر بدقتها. وهذا الكتاب مما تتزين به المكاتب ويحسن باهل الشرق ان يجعلوه في دواوينهم. ذلك الى هوادة سعره (٨ فرنكات). فهيهات ان نجد في مطابع الشرق ما يقرب من محاسن هذا الكتاب ورخص ثمنه. ومما لم يكترث له المؤلف ونحسبه كخلل في كتابه انه لم يُحسن نقل الاعلام العربية وتمثيلها بالحروف الاوربية مع انّ العلماء قد اصطلحوا اليوم على كتابة هذه الالفاظ ورسم حروفها. فان شاء الله يُصلح ذلك في طبعة جديدة ل. ر

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES : THE IRSHAD AL-ARIB ILA MA'RIFAT AL-ADIB *or* Dictionary of learned Men of Yakût, *edited by* D. S. Margoliouth, D. Litt., *London*, *Luzac C°*, 1910, vol. III. Part I, XV-218.

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب لياقوت الحموي

سبق لنا في العام الماضي (في المشرق ١٢: ١٢٨) تعريف هذا الاثر الجليل الذي وضعهُ في تراجم الادباء احد كبار الكتبة ياقوت الرومي صاحب معجم البلدان. وقلنا هناك انّ النسخة الاكسفرديّة التي نُقل عنها هذا الكتاب غير كاملة وهي وحيدة في جنسها. فالاستاذ المستشرق د. س. مرجليوث نعى بطبع الموجود مؤمّلاً بان احد الادباء يرشدهُ الى نسخة أخرى اكمل من نسخة اكسفرد. واليوم قد اتمّ في هذا القسم الاوّل من الجزء الثالث ما بقي من تلك النسخة وهو عبارة عن ٢١٨ صفحة تحتوي طرفاً من تراجم الادباء الذين يبتدئ اسمهم بحرف الحاء. فاتقن طبعهُ كما فعل بالقسمين الاوّلين واستعان لضبطهِ ببعض كتب الادباء لاسيما في اواخر النسخة حيث تشوّهت بعض اوراق الاصل. ومما افاد جناب الطابع فسُررنا لهُ غاية السُّرور انّ احد اساتذة مدرسة الآباء اليسوعيين في برمياي جناب محمّد عبّاس هدى حضرة الطابع الى نسخة فيها قسمٌ كبير من هذا المعجم تبلغ نحو جزءين مما تمّ طبعهُ. وهو مخطوط في السنة ٦٧٩ (١٢٨٠ م) فان شاء الله ينبئنا قريباً جناب المسيو مرجليوث بانهُ وقف على بقيّة المفقود من هذا السفر الجليل. ومما اعجبنا في هذا الجزء تراجم ابي علي الفارسي (٩—٢٢) وابي هلال العسكري (١٣٥—١٣٩) وخصوصاً سيرة ابي سعيد السيرافي (٨٤—١٢٥) وفيها تلك المناظرة الجليلة التي جرت بين ابي سعيد ومتى بن يونس في المنطق والنحو وكان جناب الطابع نشرها سابقاً ونقلها الى الانكليزيّة في المجلّة الاسيويّة الانكليزيّة

١ ، ٤ الطابعان الماسونيان للشرق الفرنسي الاعظم والمجلس الفرنسوي الاعظم
٢ محفل ماسوني مزيّن ٣ الفارس قدوش ٦ فارس الصليب الوردي
٥ و ٦ صور ماسون من الدرجات العليا

سنة ١٩٠٥. هذا ومع ما قلنا عن سقم الاصل فلا عجب ان وقع في طبعه بعض اغلاط. وما الكمال الا لله ل. ش

P. C. Chûron : Histoire des Patriarcats Melkites, T. II. *fasc.* I. pp. 400, *Rome*, 1910.

تاريخ البطريركيات الملكية للاب كيرلس شارون

هو التاريخ الجليل الذي وقف الاب العلامة كيرلس شارون سنين طوالًا من حياته لجمع موادهِ المنثورة فدرسها درساً انتقادياً واستخلص ما رآهُ اقرب الى الحقيقة فنشر كثيراً من فصولهِ في مجلة اصداء الشرق. ولمّا كملت لديهِ الموادّ وحان وقت ضمّها الى بعضها في تاريخ منفرد اعاد فيها النظر ودقّق في التفاصيل وزاد عليها معلومات عديدة توصّل اليها في مكاتب الشرق والغرب فجاء سفراً معتبراً لا مثيل لهُ في تواريخ بلادنا من حيث دقّة البحث والجدّ وراء الحقيقة ووفرة الموادّ وتعداد الآثار. وقد تلقّينا الآن الجزء الاوّل من المجلد الثاني وهو يحتوي تاريخ البطريرك المثلث الرحمات مكسيموس مظلوم الذي تُغني شهرتهُ عن وصفهِ لما ازدان بهِ من الهمّة والدراية والاقدام على الامور العظام لخير طائفته الكريمة وتحريرها من ربقة الاضداد وتوسيع نطاق ابرشيّاتها ورسالاتها ورفع شان طقوسها وعوائدها فترك بين ابناء الطائفة الملكية ذكراً لا يمحوهُ مرور الاعوام. ولم يحجم حضرة الكاتب المدقق عن ذكر ما ترآى لهُ من الهفوات في اعمال هذا البطريرك الخطيرة مسنداً احكامهُ الى الآثار العصريّة والنصوص التاريخيّة وما الكمال الا لله عزّ وجلّ. على ان هذه النقائص قليلة في جانب ما للسيد مكسيموس من السجايا الفريدة ولا يسع المطالع لتاريخ الاب شارون الّا ان يكرّر معهُ ان البطريرك مكسيموس شهم نادر المثال في الغيرة والهمّة. ونحن نثني على معارف الكاتب ونرجو لكتابهِ نجاحاً عظيماً ا. ر

E. Mangenot : La Résurrection de Jésus. G. Beauchesne et cie; Paris, 1910, pp. 404, Pr. 3f, 50.

قيامة السيد المسيح

ليست غاية مؤلف هذا الكتاب ان يثبت قيامة المخلّص بل قد حصر بحثهُ في دائرة خصوصيّة اي الردّ على الاعتراضات التي اخترعها الاباحيّون لابطال هذه العقيدة الجوهريّة. ففي مقدّمتهِ تتبّع بعض المشاكل التي لشاعها سابقاً اعداء النصرانيّة ليؤيّدوا

رأيهم الباطل وكانوا يعدّونها من البراهين القاطعة وقد ظهر بعد ذلك بطلانهـا لاعين الجميع ثم انتقل الى ايضاح مزاعم المحدثين فعرضها بكل قوّتها مستندًا الى اقاويلهم دون ان يخفي شيئًا من حججهم ثم تخطّى الى تزييف تلك الآراء في قسمين فقدّم في القسم الاوّل شهادة الرسول المصطفى القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل قورنثوس (ف ١٥ عدد ٥—٨) وتاريخها بين السنة ٥٢ الى ٥٧ م اعني بعد قيامة الرب بعشرين سنة. ففحصها فحصًا علميًا على مقتضى القوانين المقبولة بين كل العلماء وكشف عن غوامض معانيها وازال مشبوهاتهـا وبيّن ردًّا على اقوال الملحدين ان القديس بولس لم يقل مطلقًا انّ الرب قام بجسد غير جسده بل اوضح صريحًا انّ جسد الرب هو جسده الذي صُلب ثم بُعث لكنهُ في هيئة المجد والبهاء لا كما كان في الذلّ والهوان. امّا القسم الثاني فقد ضمّنهُ المؤلف شهادة الاناجيل القانونيّة الاربعة وجعلهُ كالقسم الاوّل ثلاثة فصول بحث فيها بالتوالي عن حقيقة قيامة الرب ثم عن شهادات النساء الصالحات والرسل الحواريين والتلاميذ البالغ عددهم الى خمسمائة الذين كلهم في ظروف مختلفة شاهدوا الرب بعيونهم وادّوا شهادتهم امام الحكّام وسلاطين الارض رغمًا عمّا قاسوهُ من المحن لم يجبرهم على اداء الشهادة غرضٌ الّا الحقّ. ثم فحص المؤلف اعتراضات المعترضين وبيّن ضعفها وانتقل الى البحث عن خواصّ جسد الرب بعد قيامتهِ على حسب رواية الاناجيل المقدّسة. وألحق الكتاب بلاحقين الاوّل في صَلب السيّد المسيح والثاني في صعودهِ الى السماء جعلهما كتتمّة للابحاث السابقة. فترى ما لهذا الكتاب من الخطر العظيم وغاية ما نتمنّى انّ المؤلف وهو اليوم احد كبار اساتذة الاسفار المقدّسة يوسع دائرة ابحاثهِ ولا يقصرها فقط على اعتراضات اعداء الدين بل يجعل كتابهُ كتابًا مستوفيًا في بيان هذا المعتقد واصولهِ ونبوات الانبياء عنهُ وسوابقهِ وتواليهِ ليجد القارئ في كتاب واحد كل ما يختصّ بهذه العقيدة التي هي اساس الدين المسيحي الاب ي. ديلنيفر

René Duboscq : Les Etapes du Sacerdoce. Paris, Bloud et Cie. 1910. 1 vol in-16. Pr. 1f, 75.

الكهنوت ودرجاتهُ

انّ الكهنوت عماد النصرانيّة اذا سقط تلاشت معهُ ولذلك قد سمت الكنيسة في كل اطوار حياتها الطويلة ان تعزّز هذا السرّ وتُعدّ لخدمة الهياكل كهنةً جامعين لكل

صفات البرّ والقداسة ليقوموا باعباء مهنتهم القيام الحسن كما انها وضعت لرتب درجات الكهنوت صلوات غاية في التقى تملأ القلوب تخشعاً. وهي تفيد ليس فقط المترشحين لدرجات الكهنوت بل لكل مسيحي يبتغي معرفة ديانته. فتسهيلاً لهذه الغاية قد جمع مؤلف الكتاب المذكور آنفاً كل ما من شأنه ان يفيد معرفة الرتب والدرجات الكهنوتية مع بيان اصلها وفصلها وغايتها ومعانيها الرمزية والحقيقية. فنوصي به كل محبي الاسرار المقدسة من الاكليريكيين والعلمانيين ل. ر

K. Krumbacher : Populaerre Aufsaetze, Leipzig, Teubner. 1901, XII-388 p., *Prix broché* 6 Mk.

ابحاث عمومية

فقدت الآداب اليونانية آخراً احد جهابذتها الدكتور كرومباخر مدير المجلة البوزنطية الالمانية (Byzantinische Zeitsch.) من اساتذة كلية مونيخ وعمره لا يتجاوز ٥١ سنة فكانت وفاته ضربة اليمة على الدروس اليونانية التي خدمها خدماً جليلة لا تنسى بمؤلفاته المتعددة الاثيرة. وكان قبل هذا المصاب بقليل جمع في كتاب واحد جملة ابحاث متفرقة يبلغ عددها ٢٤ بحثاً نشرها في مجلات علمية مختلفة وضمنها كثيراً من المعلومات في احوال اليونان القدماء والمحدثين وفي تاريخهم وجغرافيتهم وعاداتهم وألبس هذه المقالات اثواباً قشيبة خاطها قلمه المتفنن فاتى كتابه كوداعه الاخير لعالم اليونان بل لحياة نافعة قضاها كلها في الشغل والنشاط فختمها بخدمة اخيرة للآداب اذ وفّر على العلماء تعب التفتيش عن تلك الشذرات المتضمنة ل. ر

العروة الوثقى

طُبعت على نفقة حسين محيي الدين الجبّال صاحب جريدة ابابيل

في مطبعة التوفيق لنسيب افندي صبرا سنة ١٣٢٨ ص س — ٢٧٧

— ظهرت العروة الوثقى الى عالم الوجود في باريس في تاريخ ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ وانقصف غصنها رطباً في ٢٦ ذي الحجة لثمانية اشهر من عمرها القصير. على انّ من الاغصان ما لا يحتاج الى زمن طويل ليورق ويزهر ويثمر فذلك ما جرى للعروة الوثقى بهمّة مدير سياستها الكبير السيّد جمال الدين الافغاني ومحرّرها الاول الشهير الشيخ محمّد عبده. ففي تلك المدّة رمت الجريدة الى غايتين احداهما

سياسية لماكنة الاحتلال الانكليزي في مصر وهو غرض ليس من شأننا الخوض في غماره وعندنا انَّ السيّد جمال الدين لو عاد الى الحياة لرأى في الاحتلال الانكليزي اليوم غير رأيهِ سابقًا لما صارت اليهِ مصر حاضرًا من الترقي والأمن ونهاية الاستبداد وان كان الانكليز لا يقصدون في سياستهم سوى منفعتهم الخاصّة. وقد ادرك الامر جناب الشيخ محمّد عبده بعد عودتهِ الى مصر فرأى الانكليز بعين خاليـة من التحزُّب والتعصُّب. فمن هذا القبيل لم نجد في اعادة طبع العروة الوثقى الّا افادةً تاريخيـة في احوال المصريين قبل ٢٥ سنة. اما الغاية الثانية فهي خدمة الآداب والسعي في صلاح الأمّة وذلك غرضٌ اشرف توخّاهُ السيّد الافغاني في مقالات هذه الجريدة كما جعلهُ نُصب عينهِ في كتاباتهِ السابقة والتالية. فلو لم يكن سوى هذا النفع من تكرار طبع العروة الوثقى لكانت اهلًا بهِ. فنشكر جناب الهمام حسن افندي محيي الدين الحبّال على هذه المأثرة الادبية ونحضُّ محبي الآثار العربية على النظر فيها ل. ش

الاستمناء

تأليف الدكتور ه. فورنيه وتعريب الدكتور مقصود

طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٩١٠ ص ط – ١٦٠

عادة قبيحة يستسلم اليها بعض اغرار الشبّان فلا يلبثون ان يتزفوا قواهم بل دم حياتهم فتطرأ عليهم الاسقام من سلّ وانحطاط في القوى وامراض عصبيَّة شتى ربّما بلغت بهم الى حدّ الجنون. فعمد الدكتور مقصود الى كتاب افرنسي وضعهُ احد كبار اطبّاء باريس فنقلهُ الى العربيّة وفيه وصف هذا الداء القتّال واسبابهُ ومعاولاتهُ وعلاجهُ. وعندنا انَّ افضل طريق لعلاجهِ ما سها عن ذكرهِ المؤلف نريد العلاج الديني لاسيما الاقتراب من الاسرار المقدَّسة كالاقرار بالذنوب الى الكاهن وتناول القربان الاقدس ورسوخ خوف الله في قلب الشاب وكثيرًا ما رأينا شبّانًا اقلعوا عن تلك العادة السيّئة بهذه الوسائط بعد ان كادت عادتهم تودي بحياتهم. ومن ثم لا يذهلنا ما نقلهُ المؤلف في كتـابهِ عن الدكتور تود (Tode) انَّ شابًا متديّنًا اكدَّ لهُ « انَّ تأمُّلهُ في الصليب اثّر عليهِ في ترك الاستمناء اكثر من مطالعتهِ لتأليف الدكتور تيسو عن تقبيح هذه العـادة ».

وهذا الكتاب لا تصلح قراءتهُ للشبان وانّما يفيد الآباء والأمهات ردًّا لاولادهم عن اجتراح هذا الاثم الشنيع الذي يجنون بهِ على نفوسهم بل على الهيئة الاجتماعية كلّها ل. ش

Ni Ephèse ni Panaghia-Capouli mais Jérusalem. Etude critique et historique sur LE LIEU DE LA MORT DE LA Ste VIERGE. Par Jean Marta Missionnaire apostolique et chanoine du S. Sépulcre, *Jérusalem. Impr. des PP. Franciscains,* 1910, p. 70.

وفاة مريم العذراء في اورشليم

انَّ وفاة السيّدة البتول في اورشليم قضيَّة تاريخيَّة اتَّفق على صحتها اهل الشرق والغرب معاً حتى ذهب المؤرّخ تيلمون في القرن السابع عشر الى أن وفاتها السعيدة قد جرت في مدينة افسس مستنداً لتأييد زعمه الى نصّ مُبهم من اعمال المجمع الافسي. ولمّا وجدت حديثاً في جوار افسس في باناغيا كاپولي آثار كنيسة قديمة على اسم السيّدة ارتأى البعض انَّ تلك الكنيسة قبرت فيها العذراء قبل انتقال جسمها الطاهر الى السماء. وتزييفاً لهذين الرأيين وضع حضرة قانوني القبر المقدّس الخوري حنّا مرتا هذا الكتاب وشحنهُ بالشواهد التاريخيَّة التي تنفي هذا الزعم الباطل بل اثبت انَّ السيّدة الطاهرة لم تسافر مطلقاً الى جهات افسس خلافاً لبعض القائلين بذلك. فنهنّئ حضرة الخوري مرتا على انتصاره للحقّ وقشع سحاب الاعتراضات التي لاذ اليها الخصوم ولعلّنا نعود الى هذا البحث مرّة أخرى ان شاء الله بمناسبة عيد انتقال العذراء ونقتبس شيئاً من انوار هذا الكتاب ل. ش

H. BEHMER, Prof. à l'Univ. de Bonn. Les Jésuites, ouvrage traduit de l'allemand avec une introduction et des Notes par G. Monod M. J..., *Paris*, A. *Colin*, 1910, pp. LXXXIII-505. P^r. 4 fr.

اليسوعيّون

خُدعنا بما وصفت به هذا الكتابَ المجلّةُ الانتقاديَّة (RC., 1910. p. 233) حيث قالت «انَّ مؤلّفهُ وضعهُ متوخّياً فيه روح الانصاف نحو رهبنة طالما تحامل عليها اعداؤها وشنّوا عليها الغارة دون تعقّل». فهذا ما حدا بنا الى الرغبة في مطالعته وهو تأليف بروتستاني لاحد اساتذة كليَّة بون في المانية وترجمهُ الى الفرنسويَّة احد ائمَّة البروتستانت في فرنسة المسيو مونو وصدّره بمقدّمة مطوّلة في الرهبانيَّة اليسوعيَّة. فما اشدَّ ما كانت خيبة آمالنا لمّا وقفنا على الكتاب وتصفّحناهُ واذا هو صورة حيَّة لاوهام البروتستانت وتخيّلاتهم الباطلة في اليسوعيين وهم لم يعرفوا شيئاً من امرهم سوى التشنيعات والمنكرات التي يتناقلها جزافاً اعداء اليسوعيين منذ ٣٥٠ سنة دون ان

يجهدوا نفوسهم على التفتيش والانتقاد ونبـذ الغرض الاعمى . فكيف يا ترى يمكن الكاتب ان يحكم الحكم العدل في الرهبانيَّة اليسوعيَّـة والقديسُ اغناطيوسُ على قولهِ في اوائل كتابهِ كان منقادًا للعمل ليس بروح الله ولكن بقوَّة مخيلتـهِ التي كانت تصوّر لهُ الرؤى كما يشاء . وسيّانِ عندنا بعض المدح والقدح الذين تراهما في هذا الكتاب لليسوعيين فاننا اذا اردنا تزييف اقوالهِ لما كفى بضعة مجلّدات وحسبنـا لنقض مزاعم كاتبيْهِ ان نحيلهما الى كتاب آخر وضعهُ البروتستاني نويمان (Dr V. NAUMANN (Pilatus) : Der Jesuitismus. *Regensburg*, 1905, pp, 590) وهو قد لقَّب نفسهُ « بيلاطس » فزكّى الرهبانيَّة اليسوعيَّة من كل المثالب الموجَّهة اليها من اعدائها وختم كتابهُ بكلمة بيلاطس لمَّا ابى الحكم على المسيح قائلًا (يوحنَّا ١٩ : ٦) : « اني لا اجد فيهِ علَّة » . وفي هذا برهان جديد على انَّ الرهبانية اليسوعية حقَّقت فيها قول سمعان الشيخ في المسيح الذي انتمت هي الى خدمتـهِ (لوقا ٢ : ٣٤) : « قد جُعلت . . . هدفًا للمخالفة » ل . ر

AUSWAHL PSEUDODAVIDISCHER PSALMEN. Arabisch u. Deutsch. herausgegeben v. Ove Chr. Krarup. *Verlag v. G. E. C. Gad-Koebenhavn*, 1909, ٣٠-30.

زبور داود الاسلامي

بينما كنَّا ساعين في نشر خطابنا الذي القيناهُ في مؤتمر كوبناغ عن بعض الكتب الدينيَّة المنسوبة زورًا الى الاسفار المقدَّسة والاناجيل واضفنا اليهِ قسمًا من المزامير المنسوبة من كَتَبة مسلمين الى داود نقلًا عن نسخة مكتبتنا الشرقيَّة واثبتنا ذلك في مجموع مكتبنا الشرقيّ (ج ٤ ص ٣٣–٥٦) كان احد المستشرقين العلَّامة كراوب معتنيًا بنشر بعض المزامير من هذا الزبور الاسلامي نقلًا عن نسخ اخرى اكتشفها ونقلها الى الالمانيَّة ولما عرف بما نشرنا ارسل الينا كتابهُ فقابلنا بين تآليفهِ وتآليفنا فتحقَّقنا انَّ النُّسخ التي وقف عليها تخالف نسختنا لا بل قد اطَّلعنا نحن ايضًا على نسخة ثانية من هذا الزبور فوجدناها مخالفة لهذه النصوص فاستدللنا من هذا التبايُن على انَّ زبور داود المزعوم هو كتاب مصنوع وُضع بعد الهجرة واستفاد صاحبهُ من تآليف مزوَّرة لليهود وغيرهم وادخل فيهِ بعض آيات مزامير النبي داوُد الصحيحة ل . ش

شذرات

البرق والريحاني — سمى صاحب جريدة البرق بعقد حفلة يودّع فيها الريحانيّ اصدقاؤهُ قبل سفرهِ وما كنّا لنعترض على هذا العمل او نؤاخذ المحتفلين في شيء لولا انّ الخطباء اتّخذوا ذاك المجتمع كفرصةٍ ليرشقونا بسهامهم بل يشرّفونا بملامهم. فذكر ضمنًا في ذاك النادي الشريف خطيبُ الماسونيّة وشيخها الاخ ٭ اسكندر عازار وخرج اسمنا من فيهِ مُطيَّبًا برائحة العَرَق العسّافي اللذيذ فجعلهُ « كالمازا » . وذكرنا « بالخير » جناب الشيخ الاخ ٭ ابراهيم منذر فقابل بين « هذا » (اي الجبّار الريحاني) « وذاك » (اي القزّم الاب شيخو) فأكلناها « على السكت وعن بُعد » ولقد سمى صديقنا الشيخ اسكندر عازار ان ينشف دمعنا بان جعلنا « انسيكلو بيدا نقّالة » تعزيةً لنا عن فشل الحزب الاكليريكي بازاء رجل عصرهِ ونسيج وحدهِ امين افندي الريحاني « مغضوب الجزويت » الذي ابى ان ينتظم في حزب « جزويت الروب كورت » . العفو يا جناب الشيخ انّنا نضنّ على ثوبنا فلا نريد ان يشينهُ الريحاني حتى ولو قُصر ذيلهُ فصار من جنس « الروب كورت » ولكن يعزّ علينا ان نرى رجالًا ذوي عقل يعظّمون كاتبًا كالريحاني انكر وجود الله وجعل البشر « جرادين » لا يعرفون شيئًا من امور خالقهم (راجع مقالتنا السابقة في المشرق) جحد دينهُ جهارًا في كتابهِ المحالفة الثلاثيّة فاستهزأ بكل اسرار الديانة المسيحيّة كالثالوث الاقدس وتجسّد المسيح وبتولية العذراء التي يعتقدها كل النصارى حتى اخوتنا الروم كجناب الشيخ اسكندر عازار والشيخ ابراهيم منذر . تهكّم بكل رؤساء الدين وتهدّدهم بالسيف والنار . اطرأ في مجتمعهِ الاخير في برمّانا المدارس اللادينيّة وجعل اصلاح البلاد فيها افنكون تجاوزنا طورنا إنْ تصدّينا لمثل هذا الرجل وقد امر السيّد المسيح ان نعتبر كوثني وعشّار من لم يسمع من الكنيسة ؟ وان كان اصحاب الريحاني لا يقبلون شهادتنا فليسمعوا ما كتبهُ مهاجرو اميركة عن كتابهِ المحالفة الثلاثيّة وهم مع ذلك ليسوا من « جزويت الروب كورت » . وقس عليهم بقيّة الادباء :

قال ضومط فاعور : من يكتب هذا يجب ان يُساق الى البيمارستان

قال نقولا عوض : كاتب هذا الكتاب يلزمهُ طبيب يفحص دماغهُ

قال الشيخ فيليب نصار : ملعون ملعون كل من يقرأ او يكتب مثل هذا الكتاب
قال شكري الغريب : لو كان السوريّون ذوي حماسة حقيقيّة لقرأوا للكاتب والطابع مقالة حيّة تمسّهما كيف بعيان العذراء او المسيح
طيب سوري : يجب طرد هذا الكتاب عن ظاولة كل اديب كما طرد المسيح اللصوص
يوسف الحداري : لو عرف الحمار والثعلب ما يقول بلسانهما هذا المخلوق الساقط لجاءت حوافرهما ببرهان على ان احقر الحيوان اسمى من الانسان الذي يزلّ به اللسان
قال سليم ابو شقره : كتاب سفيه ذميم لا يجوز لصاحب بيت ان يأخذهُ الى بيتهِ
قال الياس بطرس كرم : تنبذ هذا الكتاب نبذ الحذاء المرقّع لان السوريين يرسلون الى الدار كل نشرة تتعرّض للتالوث الاقدس وبكارة العذراء نكاية للكاتب والطابع
رزق شمي : عالريحان بجوي خذوهُ عالج . . . (المرحاض)

فليتعطّر البرق واصحابهُ بهذا الريحان الذكيّ الرائحة ! وليقس القرّاء على مثال هذا الكتاب بقيّة كتب الريحاني وكلّها من البستان عينهِ !

تراجع الكثلكة هذا عنوان قطعة نشرها المقتبس في عددهِ السابع (رجب الاخير ص ٤٣٧) زعم فيهِ نقلاً عن الراهب الفرنسيسكاني يوسف كاب (الذي لم يفدنا احد عن شخصيّتهِ شيئاً حتى من اخوتهِ الفرنسيسكان) ان كنيسة رومية راجعة القهقرى منذ سبعين سنة لأنَّ قوماً من الكاثوليك بلغ عددهم ثمانين مليوناً ضعُف ايمانهم حتى لا يعتنون لاوامرهِ ونواهيهِ فاستنتج صاحب المقتبس « انهم متخلّون عن الكثلكة » . فتعجّبنا من غيرة الكاتب على صلاح الكنيسة الرومانيّة ولديهِ في امّتهِ كثير ممّا يمكنهُ ان يشغلهُ عن تبعة كنيسة رومية . فهب يا جناب الكاتب انَّ احصاء الراهب كاب صحيح افيستنتج عن ذلك انَّ الكثلكة في تقهقر ؟ كلّا ثم كلّا . فانَّ هؤلاء الثمانين مليوناً لم يجحدوا الكثلكة وان ضعُف ايمانهم ولم يمارسوا فرائضهُ . فماذا يقول كاتب المقتبس عنّا لو زعمنا انَّ المائة والخمسين مليوناً من المسلمين الذين لا يحجّون الى البيت الحرام ولا مرّة في عمرهم ليسوا على المذهب الاسلامي ؟ أفلا يعدّ كلامنا لغطاً ؟ . هذا وانَّ في الكثلكة من الفرائض ما ليس في دين آخر كاعتقاد الاسرار الفائقة للعقل والطاعة التامّة لرؤساء الدين في الايمان والآداب والقول بعصمة الحبر الاعظم والاعتراف باخفى الذنوب الى الكهنة ومحبّة العدوّ والزواج بواحدة بلا طلاق واشياء كثيرة لا بدَّ فيها من قهر الانسان لذاتهِ . أفعجبٌ مع هذا ان يوجد بين الكاثوليك عدد غفير ممن يخلّون بوصايا كنيستهم . ولو صحّ احصاء المقتبس لكانت نسبة الكاثوليك

غير المتمين لفرائض دياناتهم الى متمميها نسبة الواحد الى الثلاثة بل اقلّ لانّ الاحصاءات الاخيرة التي نقلها البشير حديثاً (١٤ أيار) تفيد انّ عدد المسيحيين ٥٣١ مليونًا (الكاثوليك منهم ٣٠٠ مليون) وانّ المسلمين ١٧٥ مليونًا وربع. وما نعلمه اكيدًا انّ الكثلكة في غرّ دائم وان نقص عددها في بعض الامكنة زاد في مكان آخر. وليراجع صاحب المقتبس مقالتنا في الكثلكة في اواخر القرن التاسع عشر (في المشرق ٤: ١٠٠٩ و١٠٨٧). ثم انّ في هذا الاحصاء ما لا يصدّق كقوله عن ستّة ملايين ونصف كاثوليك في روسيا ضعف ايمانهم فيقتضي ذلك بان يكون عدد الكاثوليك في روسيا نحو ٢٠ مليونًا وهذا لم يقل به احد وغير ذلك ممّا يبين لنا انّ الكاتب رمى الكلام على عواهنه اتاره الله

كتاب البابا الى ڤلتر قلنا في العدد السابق (ص ٣٩١) انّ الريحاني افترى على احد الاحبار الرومانيين اذ نسب اليه التحامل على الدين الاسلامي وقد وقفنا على صحّة الخبر في مجموع اعمال ڤلتر المطبوع في باريس سنة الثورة الفرنسويّة ١٧٩٢ ففي المجلّد الثالث منهُ تحرير خبر المراسلة التي جرت بينهُ وبين الحبر الاعظم بندكتوس الرابع عشر وذلك سنة ١٧٤٥ اذ كان ڤلتر لم يخلع بعد عذار دينهِ مجاهرًا بالكفر فوضع روايتهُ الشعريّة المدعوّة بالتعصّب او محمّد النبي. فالريحاني بدلًا من ان يلوم ڤولتر صاحبهُ رفع حافرهُ على الحبر الاعظم وذلك لان البابا اجاب على رسالة ڤولتر شاكرًا لهُ هديّتهُ بابسط ما يمكن رجلًا اديبًا ان يجيب على اديب. وكان ڤلتر في رسالتهِ طعن في الاسلام فلم يُشر البابا الى كلامهِ البتّة. وهذا منطوق رسالتهِ الاصلي بالطليانيّة:

« Settimane sono ci fu presentato da sua parte la sua bellissima tragedia di Mahomet, la quale leggemmo con sommo piacere. Poi ci presentò il cardinale Passionei in di lei nome il suo eccellente poema di Fontenoy . . . »

وبقية الرسالة المكتوبة في ١٩ ايلول سنة ١٧٤٥ لا علاقة فيها مع الرواية. وهذا تعريب رسالة الحبر الاعظم:

« في هذا الاسبوع قد قدّموا لي من قبلكم رواية محمّد الجميلة التي التمسوها فقرأناها بغاية المسرّة. وقدّم لي باسمكم الكردينال باسوني قصيدتكم الغرّاء المؤلفة في واقعة فونتناي . . »

فهذا الذي عدّهُ الجردون الكبير اهانةً للاسلام مع انَّ اسنانهُ لم تقرض قلتر ناظم هذه القصيدة وفي رسالتهِ الى البابا تشنيع للاسلام ولصاحبهِ فانظر انصاف الرجل وخبثهُ

اسئلة واجوبة

س سألنا من سيدنا جناب كاتبنا توما افندي كيّال أنمرف شيئاً عن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومهِ للقاضي ابي الحسن علي الجرجاني (المتوفى سنة ٣٩٢ ه (١٠٠٢ م) فهل طُبع او يوجد منهُ نسخ في مخازن اوربّة وغيرها

كتاب الوساطة

ج هذا الكتاب كان سابقاً مشهوراً بدليل ذكرهِ في يتيمة الدهر للثعالبي (ج ٣ ص ٢٣٨) وفي كشف الظنون للحاج خليفة (ج ٦ ص ٤٣٥ من طبعة لندن) امّا نسخهُ المخطوطة فعزيزة جدًّا وقد راجعنا فهارس مخطوطات اوربّة كلّها وفهارس مصر والاستانة فلم نجد للكتاب ذكرًا وانّما سمعنا انَّ في الاستانة نسخةً منهُ و[illegible] انَّ احد ادباء صيداء حاصل على مثلها والله اعلم

س سأل احد خدمة النفوس ما هي قوانين الكنيسة بخصوص اشتراك الكاثوليك مع غير الكاثوليك في الدينيات وهل يجوز لكاهن كاثوليكي ان يسمح لغير كاثوليكي ان يقرأ في كنيستهِ للشعب او يرتّل او يخدم القدّاس وهل يجوز للكاثوليكيّ ان يعضد بالهِ عملًا دينيًّا غير كاثوليكي كمدرسة او بناء كنيسة وغير ذلك او هل يستطيع الاسقف يسمح لهُ بذلك ؟

اشتراك الكاثوليك بالدينيّات مع غير الكاثوليك

ج انَّ مبادئ اللاهوت الادبي واضحة في هذا الباب. لا يجوز مطلقًا للكاثوليك ان يشتركوا مع غير الكاثوليك بالدينيّات وكذلك لا يجوز لهم ان يتّخذوا اصلواتهم ورتبهم الدينيّة وخدمة القدّاس احدًا من غير الكاثوليك لانَّ كل ذلك من شأنهِ ان يطبع في عقول المؤمنين انَّهُ ليس فرقٌ جوهري بين الكاثوليك وسواهم وهذا ضلال واضح وكذلك لا يجوز عضد ايّ عملٍ ديني كان وُضع لتعزيز ديانة غير كاثوليكيّة ما لم تكن مشروعات خيريّة ليس لها صبغات دينيّة. وعلى هذا البناء اجاب المجمع المقدّس مرارًا عديدة من سألهُ عن هذه المشاركات الدينيّة فانكر جوازها ليس فقط كاحكام وضعيّة يمكن تغييرها بل كاحكام راهنة مبنيّة على اصول لاهوتيّة مقرّرة لا يختلف فيها اثنان ومن ثم لا يستطيع الاسقف ان يسمح بها ل. ش

المشرق

شركة مار منصور دي بول

لمة تاريخيَّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

ان من العلامات المميِّزة لكنيسة المسيح الحقيقيَّة والسمات الخاصَّة بها دون سواها محبَّة ابنائها للقريب تبعاً لقوله تعالى (يو ١٣: ٣٥) : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبُّون بعضكم بعضاً ». فترى الكنيسة حيثما اناخت ركابها ومدَّت اطنابها أسرعت الى مساعدة ذوي البأساء ولسعاف المصابين بالنكبات والمبتلين بتوازل الدهر وبلايا الحياة في كل مظاهرها وضروب آفاتها بين كل عباد الله على اختلاف مللهم ونحلهم لتشفي على قدر استطاعتها كل داء وتلطّف كل وجع وتسدّ كل حاجة. حتى انَّ احد كبار فلاسفة القرن المنصرم امكنهُ ان يقول في نادٍ حافلٍ ضمَّ اليه كثيراً من ارباب الاديان المختلفة : « اقول ولا اخاف ان ينكر عليَّ احد منكم قولي انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي اعظم منشئة للاعمال الخيريَّة في العالم. فان رأيتم بلداً توفَّرت فيهِ المساعي الخيريَّة تأكَّدوا انَّ للكثلكة فيها يداً طويلة بل اوفى الاسهمة فان المشروعات الخيريَّة تنبت تحت اقدامها كما تنبت الأزهار في الرياض بعد هطلان الامطار ». ولكلّ عمل من هذه الاعمال المبرورة التي اخذت الكنيسة على عاتقها القيام بها تاريخٌ عجيب لا يتصفَّحهُ القارئ الَّا عظَّم الله ومجَّدهُ في ما الهمهُ لعباده من طرائق الاحسان. فمنها ما يرتقي الى قرون عديدة فلا تنحصر تفاصيل اخبارهِ في مجلَّدات ضخمة ومنها ما هو أحدث عهداً نشأ في الازمنة المتأخرة فظهرت آثارهُ الطيِّبة في كل الاقطار

ولعلَّ القرن السابق الذي استفحل فيهِ الشرّ وانتشر روح الكفر كان من أغنى القرون باعمال الخير نحو القريب اذ رأى الكاثوليك انَّ في المشروعات الخيريَّة أحسن جواب على اهل الكفر ففيهِ قامت جمعيَّات رهبانيَّة لا تُحصى لمعالجة كل الاسقام المادّيَّة والادبيَّة معاً. بل نشأت جمعيَّات دينيَّة بين العالميّين انفسهم اقدموا فيها على كل اعمال الصلاح بنزاهة عجيبة وتفانٍ يذهل العقول

وفي هذا اليوم نلقي بنظرنا الى احدى هذه الجمعيَّات الخيريَّة التي عطَّرت العالَمين بشذا مبرَّاتها فامتدَّت فروعها الى بلادنا منذ خمسين سنة واحتفلت شركتها الوطنيَّة مؤخَّراً بعرسها الذهبي فهنَّأناها بهذا الموسم البهيج ووعدنا ان نفرد لتاريخ الشركة العموميَّة مقالة ها نحن نقوم بوعدنا فنسرد بمجمل اخبارها في هذه الصفحات ليرى القرَّاء ما عملتهُ شركة واحدة في الكنيسة من الاعمال العظيمة ويقيسوا عليها بقيَّة الجمعيَّات الخيريَّة التي يطول ذكرها

ولا نحتاج لعمري الى دليل بعيد لتأييد هذا القول فانَّ في الاسقفيَّة العليَّة وسواحل الشام وانحاء فلسطين ووادي النيل ما ينطق لسان حالهِ بصحَّتهِ فانَّ اربعة اخماس المشروعات الخيريَّة التي تُرى فيها يقوم بها الكاثوليك من مستشفيات ومياتم ومستوصفات وملاجئ ومآوي ليليَّة وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين وايواء الغرباء وتربية اللقطاء وتهذيب الاحداث وعلاج المتوهين. فيصحُّ في كل آن تكرار قول الشهيد القديس لورنسيوس للمغتصب الذي كان يطلب منهُ ان يدلَّهُ على كنوز الكنيسة: « ليس للكنيسة كنز آخر سوى الفقراء وذوي الاسقام »

*

في احدى ليالي الشتاء من سنة ١٨٣٣ كان نخبة من الشبَّان الكاثوليك مجتمعين في احد النوادي التي كان انشأها المسيو بالي (M. Bailly) من علماء باريس في عاصمة فرنسة لينشر بين الشبيبة العلوم العصريَّة موآخيةً لمبادئ الدين وكان اتى في تلك الليلة الى ناديهم بعض رصفائهم غير الكاثوليك الدارسين معهم في كليَّة باريس فوقعت بينهم مناظرة في العقائد حمي وطيسها الى أن قام أحد اولئك المدعوّين فقال: « كفاكم ايها الكاثوليك الافتخار بايمانكم فأروناً شيئاً من اعمالكم فانَّ الشجرة تعرف من اثمارها على قول الانجيل ». فكانت هذه الكلمة اشبه بجرية في قلب البعض من

السامين المتحمسين في الدين فصرخ واحد منهم: هيا بنا الى عمل الخير. وقاموا من ساعتهم وآلوا على نفسهم بان ينشئوا جمعية خيرية غايتها اعانة الفقراء وزيارتهم في اكواخهم لسدّ اعوازهم. وفي تلك الليلة ارادوا لهم شاهدًا على صدق عزمهم فانهم نقلوا ما كان بقي عندهم من الوقود الى طائفة فقيرة لتصطلي به وقضوا آخر فصل الشتاء بلا نار. وما مرّ عليهم ايام قليلة حتى أنشأ ثمانية منهم شركة جعلوها تحت شفاعة القديس منصور دي بول إمام الجمعيات الخيرية في القرن السابع عشر الذي اختاره الحبر الاعظم لاون الثالث عشر سنة ١٨٦٦ كشفيع لكل الشركات الخيرية في العالم الكاثوليكي. وكان اولئك الشبان كلهم في ربيع العمر ليس بينهم الا واحد تربى سنه قليلًا على العشرين. وكان في مقدمهم فردريك اوزانام الشهم الهمام الذي كان جامعًا في شخصه كل صفات العقل والقلب فاشتهر مدة حياته كلها بعلمه الواسع وتقاه لربه فوضع هؤلاء لفتهم قوانين مملوءة حكمة وتجردًا واختاروا لهم استاذهم المسيو بالي كرئيس لجماعتهم الخيرية وجعلوا لهم ايامًا معلومة يجتمعون فيها ليتباحثوا في حاجات البؤساء والطرائق الكافلة باسعافهم. وعينوا لكل فريق منهم بعض العيال من المساكين يزورها كل اسبوع ويحمل اليها ما امكنه من الحسنات

هكذا كانت بداية تلك الجمعية الصالحة التي أشبهت في نشأتها حبة الخردل الانجيلية وهي اليوم تمدّ اغصانها الى اقاصي المعمور. وكان وضع اساسها في اواسط شهر ايار من السنة ١٨٣٣ ولم يكن للاكليروس في انشائها مدخل الا ان اصحابها اتخذوا لهم بين ارباب الدين كهنة وكلوا اليهم امورهم الروحية وارتشدوا بمشورتهم واستضاءوا بنبراس فضائلهم وعرضوا عليهم قوانينهم وصدروهم في جلساتهم العمومية وهم مع ذلك مستقلون في العمل وفي تنظيم جماعتهم. وكان مجموع ما انفقه اعضاء الجمعية من الدراهم على البائسين في سنتهم الاولى لم يبلغ الف فرنك اذ لم يكونوا اغنياء وهم وقتئذٍ من جملة الدارسين واكثرهم ليسوا من باريس وانما قصدوها لدروسهم موقتًا

وكان فكرهم ان يبقوا ثمانية تجمعهم رابطة الصداقة والدين الا ان المثل كما قيل مُعدٍ صالحًا كان او طالحًا فما لبث عددٌ من الشبان ان طلبوا الانضواء الى جماعتهم فتبلورهم حتى اناف مجموعهم على المئة بعد سنة وازداد بذلك دخل الشركة فامكنهم ان يوسعوا نطاقها ويوزعوا على المحتاجين مبلغ الفي فرنك. وكان من جملة بنود جمعيتهم

أن لا ترصد من المبلغ المجموع شيئاً لمستقبل الجمعيَّة بل تصرفهُ كلَّهُ على البائسين متكلةً على قولهِ تعالى: أعطُوا تُعطَوا وبالكيل الذي تكيلون يُكال لكم ويُزاد. وقد ثبت ذلك بالحرف في شركة مار منصور فانَّها مُذ عُرفت غايتها وعلم ذوو الحميَّة والدين ما ترمي اليهِ من الاغراض الاجتماعيَّة الجليلة تواردت اليها الحسنات وتقاطر اليها المشتركون من انحاء باريس وطلبوا بالحاح الانضمام اليهـا حتى ضاقت بهم معاهد الاجتماعات وقُضي على المسيو بالي ان ينشئ فروعاً جديدة لجمعيَّتهم فصارت فرعين ثم ثلاثة فروع ثم اكثر من ذلك فنتج عن هذا التقسيم انَّ الباريسيين زادوا اقبالاً على جمعيَّة مار منصور دي بول حتى بلغ عدد المنتمين اليها في السنة الرابعة ٢٣٧ شاباً في مقتبل العمر اقلعوا عن الملاهي التي اعتادوها وقت دروسهم ليوقفوا نفوسهم لعمل الخير وزيارة الفقراء ومساعدة البائسين وكان لكلّ فرع اجتماعاتهُ القانونيَّة يجري فيهـا على موجب القوانين المنشأة سابقاً . وكان متقدّمو كل فرع يعقدون جلسات خاصَّة يتَّفقون فيها على نظام واحد فيبقى الروح واحداً والغاية واحدة

وفي تلك الاثناء انهى بعض اولئك الشبَّان دروسهم في باريس فعادوا الى اوطانهم وكان اوَّل ما حاولوا انشاءهُ في مسقط رأسهم جمعيَّة كجمعيَّة باريس كانوا يشركونها بشركة العاصمة ويسيرون فيها على قوانين الجمعيَّة الأمّ ويخصُّون قواهم ومالهم بخدمة المنكوبين. فكنتَ ترى في مدن ليون ونيم ورانّ وديجون وتولوز ونانسي ومتس وليل وكبار جمعيَّات ينعشها روح شركة باريس فتجاريها في كل مساعيها الخيريَّة

وكان الاساقفة في فرنسة ينظرون اوَّلاً الى الشركة بعين الحذر خوفاً من ان يسري الى اعضائها شيءٌ من روح العصر والاستبداد الديني الَّا انَّهم ما فتئوا ان تبيَّنوا صدق ايمانهم وشدَّة غيرتهم على الدين وطاعتهم التامَّـة للرؤساء الروحيين فاخذوا من ثمَّ يشيدون في محامدهم ويطرئون اعمالهم ويحثُّون المؤمنين على الانتظـام في سلكهم لاسيما بعد ان اطَّلع الحبر الروماني غريغوريوس السادس عشر على مآثر الشركة واصدر في اثباتها براءةً تاريخها ١٠ ايار سنة ١٨٤٥ ضمَّنها الثناء الطيّب على همَّة رؤسائهـا وتراهة اعضائها ومنحهم جميعاً نعماً روحيَّة غزيرة. وشفع ذلك ببراءةٍ ثانية أُعطيت في السنة عينها في تاريخ ١٢ آب أيَّد فيها منطوق الرسالة الاولى واضاف اليهـا هبات جديدة من فيض الكنوز الرسوليَّة . فكان لهاتين البراءتين احسن وقع لدى المؤمنين

اجمالًا واصدر الاساقفة عدّة مناشير دعوا فيها رعاياهم الى موالاة الشركة ومناصرة اعضائها. فانتشرت ايّ انتشار ليس فقط في فرنسة بل في بقيّة انحاء اوربّة .

وكان رئيسها الاوّل المسيو بالّي لا يألو جهده في تمكين اصول الشركة وتوسيع اشغالها وحفظ روحها. وسعى حفظًا لوحدتها في تنظيم مجالس شورى منها خاصّة في كل مدينة ومنها مركزيّة في كل دولة او ناحية وجعل مرجع الجميع الى مجلس شورى عامّ يُعقَد سنويًا في باريس. وكان يكاتب بذاته او بمعاونيه المجالس المركزيّة والجمعيّات الخصوصيّة وفروعها فيشكر تارةً وتارةً ينشّط الهمم وحينًا يرشد وحينًا آخر يقوّم ما يرى من الاعوجاج. وكان في كل سنة يكتب رسالة عموميّة لكلّ الجمعيّة ليوقفها على نموّ الشركة ويؤدّي لها النصائح الابويّة ليزيد الاعضاء تفانيًا في سبيل الخير وخدمة المساكين. ولدينا كثير من هذه الرسائل التي تظنّها اذا قرأتها لاحد افاضل الاساقفة او آباء الكنيسة لا لرجل عالمي

على انّ تراكم الاشغال والتقدّم في السنّ دفعا المسيو بالي الى ان يطلب من شورى الجمعيّة ان تقبل استعفاءه سنة ١٨٤٤ فأجابوا الى طلبه آسفين فاختاروا له كخلفٍ مُحسنًا ذائع الشهرة وكبير الهمّة المسيو غوسّان (Gossin) فباشر بالعمل بمزيد النشاط. الّا انّ صحّته الضعيفة اضطرّته بعد ثلاث سنين الى تقدمة استعفائه فأُجيب مُلتمسه واقاموا بدلًا منه رجلًا مقداماً ذا فهم متوقّد وحبّ ملتهب للفقراء كان هداهُ الى اتمام واجبات دينه الاب دي راقينيان اليسوعي والواعظ الشهير في كاتدرا باريس المعروفة باسم « نوتردام » وهو احد الاشراف اسمهُ بودون دي موني (Baudon de Mony) فاستلم اشغال الشركة في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٤٧ وبقي على رئاستها نحو ٤٠ سنة الى غاية حزيران سنة ١٨٨٦ فتضى تلك المدّة الطويلة بجميع اعمال الرحمة التي خلّدت ذكره في قلوب مئات الالوف من البشر الذين عرفوا فضلهُ ونالوا صدقاته الوافرة. وقد سطّر سيرتهُ العجيبة احد كبار الكتبة الاب شالّ (Schall) فاجازت جمعيّة العلوم الفرنسويّة هذا الكتاب واهدت وسام الشرف لمؤلفه . والتأليف عبارة عن سلسلة متواصلة لكل المبرّات التي اتاها المسيو بودون تلطيفًا لاسقام البشريّة حبًّا به تعالى فقط

وكان فردريك اوزانام اكبر منشئي الشركة كساعدٍ لرئيسها على عهد المسيو بالي اوّلًا ثم في ايّام خلفيه المسيو غوسّان والمسيو بودون شاطرهم كل الاتعاب والمشقّات في

انجاح مساعيهم الخيريّة ولم يزل يتنقّل في انحاء فرنسة ويكتب ويخطب حتى كلّل الله مساعيهُ بالنجاح التام. ثم رأى انَّ اعمال الخير لا تختصّ ببلدٍ واحد فرحل الى ايطالية وانكلترّة وبلجكة واسبانية وانشأ فيها كلّها فروعاً لشركة مار منصور وانعشها بروح الدين والحبّ الخالص للقريب. وكان مع ذلك وزعماً عن الاسقام التي تتناوبهُ لا يملّ من الكتابة يوماً فألف عدّة تآليف خطيرة جُمعت في مجلّدات عديدة تردان بها مكاتب الخاصّة ونال بسببها امتيازات شتى وجوائز كبيرة كان يوزّعها على البائسين. بيد انَّ تلك الاشغال ما لبثت ان أنهكت قواهُ فلبّى خالقهُ بعد مدّة فمات ميتةً صالحة في مرسيلية والصلاة آخر ما تلفّظت بهِ شفتاهُ وذلك في ٨ ايلول سنة ١٨٥٣ في يوم عيد ميلاد البتول الطاهرة التي كان متعبّداً لها عبادة خاصّة. فظهر اوزنام في موتهِ اعظم منهُ في حياتهِ فافاض الكل في حسن سجاياهُ وشرف نفسهِ وزهدهِ في العالم وتفانيهِ في خدمة ابناء جنسهِ كما اطرأوا وفرة اعمالهِ الادبيّة والاجتماعيّة مع ان عمرهُ لم يتجاوز الاربعين

وكانت جمعيّة مار منصور يوم وفاة منشئها الاوّل قد بلغت مقاماً اثيلاً وكل محبي الخير ينزون اليها بعين الرضى والاعجاب. وقد ظهرت محاسنها في العام المقبل لمّا استدعى بيوس التاسع رئيسها وعمدتها الخاصّة الى رومية وباركهم بركةً واسعة وناولهم القربان الاقدس بيدهِ واسترسل في الثناء على همّتهم وتبرّع على جمعيّتهم بمبلغ ١٣,٥٠٠ فرنك مع ما كان عليهِ الكرسي الرسولي في ذلك الوقت من الضيق. وتهلّل البابا فرحاً لمّا سمع خلاصة اعمال تلك الشركة الزاهرة التي بلغ اوانئذٍ عدد اعضائها عشرات الوف بعد ان كانوا ثمانية في بدء الامر وكانت فروع الجمعيّة منبثّة في كل الاصقاع وعددها ٢٨١٤ فرعاً بحيث تناولت فروعها كل ممالك اوربّة وكثيراً من بلاد اميركة وآسية وافريقية واستراليا اما وارداتها السنويّة فكانت تبلغ نيّفاً وثلاثة ملايين من الفرنكات وكانت لم تتجاوز كما سبق الف فرنك في السنة الاولى

فعاد اصحاب العمدة من رومية وصدورهم تتأجج غيرةً لمواصلة اعمالهم الخيريّة وتنميتها شاكرين لإمام الاحبار الذي منح للجمعيّة ثلاث براءات اعربت عن سموّ رضاهُ عنهم وخوّلهم من الانعامات والامتيازات ما زاد في نشاطهم وضاعف همهم في مؤاساة اخوتهم المحتاجين وجعل لهم في رومية كردينالاً محامياً ينظر في شؤون شركتهم

ولم يكن همّهم الوحيد زيارة العيال الفقيرة واسعافها بالصدقات بل اضافوا الى ذلك اعمالًا أخرى شريفة أنفقوا في إنشائها الملايين من الفرنكات كمآوي للاطفال اللقطاء . وملاجئ ليل للفرباء . ومدارس مجانية لتثقيف الصغار . ومعامل صناعيّة يتعلّم فيها اولاد الفقراء حرفًا يرتزقون بها لمعاشهم . ومطابخ اقتصاديّة لمن يعدمون القوت اليومي . ومخازن يوزّعون فيها الكسوة الضروريّة للمحتاجين . ومستوصفات للمرضى والمحبوسين . ومنازل للعجزة ومدارس ليليّة وغرف قراءة ونوادي للجنود وغير ذلك من اعمال الرحمة التي كانوا يأتونها لخدمة القريب دون تمييز المذاهب والاديان

وفي السنة ١٨٨٣ أقامت الجمعيّة اعيادًا شائقة بنسبة يوبيلها الذهبي فاوفدت الفروع الخاصّة من كل انحاء المعمور وفودًا يمثلونها في باريس حيث ظهرت لكل العيان عجائب المحبة الكاثوليكيّة التي جمعت في وحدة العمل والغاية الشريفة اناسًا من كل الاقطار وكافّة لغات العالم . وكذلك جرت في رومية مظاهرات فخيمة فكرّر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر آيات حبّ الكرسي الرسولي لجمعيّة مار منصور دي بول ووهب رئيسها وسام كرمندور القديس غريغوريوس الكبير . ولمّا كتب في العام التالي منشوره الشهير في حالة الفعلة أثنى فيه اطيب ثناء على شركة مار منصور وحرّض الكاثوليك على الاقتداء بآثار اصحابها . وكان بلغ في سنة العيد الذهبي عدد المنتمين الى الشركة نحو ٧٠,٠٠٠ يؤلفون اكثر من ٣٠٠٠ جماعة محليّة ويجمعون في السنة نيفًا وثمانية ملايين من الفرنكات يوزّعونها على ١٢٠,٠٠٠ عائلة . امّا مجموع ما كانوا فرّقوه في سبيل البرّ منذ ابتداء الجمعيّة فكان ينيف على مئة وثلاثين مليونًا من الفرنكات . وكان قوم من اعداء الكنيسة اذ رأوا ما ينال الدين من الفخر بسبب جمعيّة مار منصور جعلوا يناصبونها ويغرون الحكومة الفرنسويّة على أصحابها فضايق عمّال الدولة على رؤسائها وسعوا في تشتيت نظامها الّا انّ كثيرين من الكتبة والخطباء والسياسيين اخذوا بناصر الجمعيّة ونفوا عنها الشكايات الباطلة التي موّه بها اعداء الدين وجه الحقيقة ولم يزالوا يدافعون عن حقوقها ويذبّون عن حوزتها حتى اخمدوا معاديها واعلنوا بفضل اربابها العميم

ثم عادت الجمعيّة الى اعمالها الخيريّة بنشاط غريب فأقبل عدد لا يُحصى من المحسنين وطلبوا ان يشتركوا معها . فطرق المسيو بودون ابوابًا جديدة من الخير قام بها اصحاب

الشركة كتربية اليتامى وتعليم الجهّال اصول الدين وتنظيم الزواجات غير القانونيّة ودفن الموتى والصلاة على نفوسهم

ولمّا اعتزل المسيو بردون اشغال الجمعيّة في السنة ١٨٨٦ كما سبق لترعُّك صحّته وكبر سنّه (وكانت وفاتهُ في ٩ حزيران ١٨٨٨) قام باعباء عمله المسيو باجس (A. Pagés) اتّفقت اصوات الشورى على القاء مقاليد الشركة الى درايته وهمّته القعساء. فتعقّب آثار سلفه بحميّة وبذل نفسهُ في إنجاحها . ووقعت في تلك الاثناء سنة اليوبيل الكهنوتي للاون الثالث عشر فعقد الموسيو باجس في رومية حفلة كبيرة حضرها ١٥٠٠ نائب من فروع الشركة المنبثّة في اربع خوافق الدنيا ثم حظوا بالمثول امام الحبر الاعظم وتقبيل اقدامه في ٨ شباط سنة ١٨٨٨ فوجد البابا في عددهم وغيرتهم تعزية عظيمة ولاسيما اذ قدّم لهُ الرئيس قطرًا بديعًا كان يحوي اسماء كل فروع الشركة في العالم باجمعه وهي بالغة ٤,٢٠٠ فرع تضمّ اليها نيفًا و ٨٣,٣٠٠ من المشتركين ينيف مجموع حسناتهم على عشرة ملايين من الفرنكات قضى امام الاحبار العجب من نموّهم وكثرة اعمالهم فزوّدهم باغزر بركاته الرسولية

ومنذ تلك السنة لم تبرح هيئة جماعة مار منصور بل كانت تزيد عامًا بعد عام عددًا وجودًا. ولمّا اغتالت المنيّة في ١٨ ايلول سنة ١٩٠٣ المسيو باجس دُعي الى رئاسة الجمعيّة المسيو بولس كالون (P. Calon) وهو رئيسها الحالي الذي يقتصّ آثار اسلافه فزادت الشركة بحسن سعيه نموًا وفضلًا وقد وقفنا على لائحة الجمعيّة ومجموع وارداتها وصادراتها للسنة الماضية فاذا هي بالغة عددًا لا يكاد يصدّقهُ القارئ لولا تفاصيلهُ بلدًا فبلدًا فانّ مجموع المبالغ التي جاد بها المشتركون خمسة عشر مليونًا من الفرنكات وُزع منها ثلاثة عشر مليونًا ونصف على الموزين وذوي الاسقام والمصابين بكل انواع الآفات. وفرنسة وحدها مع كثرة مبرّاتها الخارجية تدفع الثلث من هذا المبلغ العظيم. امّا مراكز الجمعيّة وفروعها فبالغة ٦٠٠٠ ينيف عدد المشتركين فيها على ١٠٠,٠٠٠ وكلّها مرتبطة بروابط الالفة والاتحاد مع المجلس الاعلى في باريس تجري في جمع الصدقات وتوزيعها على القوانين العموميّة التي وُضعت قبل ٧٥ سنة. والاعضاء مع اهتمامهم باسعاف القريب لا ينسون العناية بتقديس نفوسهم فلهم في اجتماعاتهم صلوات يتلونها وقراءات روحية يسمعونها ويحضرون سويّة الذبيحة الطاهرة وفي كل سنة يُدعَون

الى رياضات تقويّة وممارسات دينيّة من شأنها ان تنمو في قلوبهم نار المحبّة في خدمة ربّهم واعانة قريبهم

*

وكان بودّنا ان نتتبّع ولو بوصف وجيز اعمال شركة مار منصور في كل مملكة ودولة ليقف القرّاء على ما أتته من المشاريع الخيريّة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيّة غير انّ ذاك الوصف مهما كان قليلًا لا تحصره المجلّدات فكيف بالصفحات . وانّما نذكر هنا الفروع الشرقية التي نمت بيننا من تلك الدوحة الوارفة الافنان

وعلى ما يظهر لنا انّ الاستانة العلية كانت اوّل مركز في الشرق لشركة مار منصور وذلك سنة ١٨٥٤ بعد حرب القريم فكان لزيارات الاخوة للمنكوبين ولاسعاف الفقراء على اختلاف نحلهم احسن وقع في قلوب اهل العاصمة عموماً حتى انّ كثيرين تبرّعوا بمالهم بيد سخيّة ليوزّعها اعضاء الجمعية على المحتاجين. وفروعها اليوم ستّة

وما لبثت ازمير أن اقتدت بمثال الاستانة فأُنشئت فيها فئة للجمعية أتت باثمار شهيّة تحت ادارة الآباء اللازريين ثم نمت فانقسمت الى فرعين

اما قطر الشام فكان فيه فضل التقدّم لمدينة بيروت في عقد اوّل شركة لجمعية مار منصور وكان تاريخ انشاء ذلك الفرع في ٧ أيار سنة ١٨٦٠ اعني قبل حوادث الشام ولبنان المحزنة بنحو شهر فقط بعد ان اتّفق عليه خمسة رجال من الطوائف الكاثوليكية في المدينة اعني بهم الافاضل بطرس ديشان اللاتيني وراجي اده ونقولا قاطي المارونيّان وانطون عيد صبّاغ الروم الكاثوليكي الملكي وميخائيل فرج الله الارمني اجتمعوا لاوّل مرّة في دير الآباء اليسوعيين القديم بحضور رئيس الرهبانيّة اليسوعية العام الاب ريمند استيف الشهير بالاب سايلن واختاروا لرئاسة الشركة بالصوت الحي بطرس ديشان

ومنذ ذاك الوقت اخذت الشركة البيروتية تنمو وتزداد وتُثنى بكل اعمال الصلاح على مألوف عادة الجمعيّة العموميّة وانضوى اليها قوم من الاشراف وذوي الرتب السامية الدينيّة والعالميّة منهم بطاركة كالسيّدين يوسف والرغا وغريغوريوس يوسف الاوّل واساقفة كالسيّدين طوبيّا عون وانطونيوس قندلفت ومنهم متصرّفون في لبنان كالمرحومين فرانقو باشا وواصا باشا ومنهم قناصل دول وامراء وشيوخ كجورج لورلّا ونقولا بك سيوفي والامير فارس شهاب والكنت نصر الله دي طرّازي والشيخ شديد

بك جبيش وغيرهم كثيرين تجد اسماءهم مُدوَّنة في خلاصة اعمال الشركة السنويَّة

وبعد قليل ضاق نادي الجمعيَّة بالاعضاء فقُسمت الشركة الى عدَّة فروع خاصَّة تبلغ اليوم خمسة وهي جمعيَّات قلب يسوع ومريم العذراء ومار يوسف والقديس لوقا والقديس جرجس تجمع في كل سنة نيفًا و ١٥,٠٠٠ غرش يصرفونها في سبيل البرّ وان حُسب مجموع ما انفقتهُ الجمعيَّة منذ نشأتها الى اليوم كاد يبلغ ثلاثة ملايين من الغروش. فكفى بذلك دليلًا على عظم فضل الجمعيَّة ووفرة مبرَّاتها جازى الله المشتركين فيها وكل المحسنين اليها الف خير. وقد قام الاخوة ما عدا زيارة الفقراء باعمال خيريَّة اخرى متعدِّدة ففتحوا معهدًا لليتامى ومكاتب مجانية للصغار وناديًا لرعاية العملة ومدارس للاحد وغير ذلك من الأعمال الجليلة التي اكسبت شركتهم اعتبار العموم دون استثناء. وقد اصدرت الجمعيَّة نشرةً شهريَّة ظهرت سنة ١٨٦٣ كانت تحتوي فصولًا مفيدة وكانت نشرت قوانينها اوَّلًا سنة ١٨٦١ واعادت طبعها موسَّعةً سنة ١٨٦٣ في مطبعتنا

وقد دبَّر الجمعيَّة في هذا نصف القرن رجال ذوو عقل صائب ودين واسع ونزاهة تامَّة وكرم حاتمي نذكر منهم المرحومين بطرس ديشان (P. Deschamps) الذي اضحى اسمهُ مرادفًا للغيرة والاحسان فانعم عليهِ الحبر الاعظم بوسام «البابا والكنيسة» ويوسف برطاليس (J. Portalis) مثال الرأفة والبرّ. وراجي اده الذي تفانى في خدمة الشركة ٣٠ سنة بلا ملل. وبشاره الخوري الذي سردنا في المشرق (٣: ٩٧ — ١١) اعمالهُ الطيِّبة. وغير هؤلاء ممَّن حفظت الجمعيَّة اسماءهم في سجلَّاتها بل طبعت ذكرهم في صفحات قلوب اعضائها إذ ادَّوا لها من الخدم المشكورة كالآباء اليسوعيين هنري دي برونيار (H. de Prunières) وفرنسيس بدور (F. Badour) وبولس غرنيه (P. Garnier) والخوريين الفاضلين جبرائيل ملحمه واغناطيوس الحاج

ولا عجب بعدما قلنا ان تكون الجمعية البيروتية نالت غير مرَّة من فضل القضَّاد الرسوليين في سوريَّة الثناء الطيِّب على مساعيها بل تلطَّف الحبر الاعظم بيوس التاسع وأعرب عن سموّ رضاهُ من الشركة واعمالها في براءة تاريخها ٢٢ ك ٢ سنة ١٨٧٠. وقد جاء في الشهر المنصرم دليل جديد على تعطفات نائب المسيح على الارض اذ ورد الجمعيةَ رقيمُ بخطايد قداسة الحبر الاعظم يهنئ فيهِ الجمعية على بلوغها السنة الخمسين

ويمنح اعضاءها البركة الرسولية وغفرانًا كاملًا على الشروط المعتادة

ومما يعود فضلهُ نوعًا الى شركة مار منصور في بيروت أنها كانت اكبر محرّك لانتشار الجمعيات الخيريّة في هذه البلاد بمثل ذويها وتحريضاتهم شفاهًا وكتابًا. وكان الدمشقيون اسرع من غيرهم في اقتناء معالم شركة بيروت فأنشأوا جمعية ازهرت واثمرت بزمن قليل حتى اضطروا الى قسمتها الى عدّة فروع تبلغ في يومنا الستّة ومدخولها ينيف على ٢٠,٥٠٠ غرش في السنة. ومثلها في النجاح ووفرة الواردات الفروع الاربعة من جمعية مار منصور في زحلة والمعلقة التي تتصدّق على المحتاجين كل سنة بأزيد من عشرة الاف غرش. وكذلك الشهباء فانَّ جمعيتها المنشأة سنة ١٨٩٨ بهمّة الآباء اليسوعيين على قدم من النجاح لها بعد بيروت المقام الثاني في كثرة الاحسانات على المساكين فانّها صرفت في العام السابق نحو ٣٠,٠٠٠ غرش في اعمال الخير. وفي غزير جمعية تحت ادارة الآباء اليسوعيين تسكب في السنة في حجر الفقراء ٢٦٠٠ غرش. ويقال انَّ مثلها في بسكنتا

وفي مصر والاسكندريّة وطنطا والمنيا جمعيات خيريّة لمار منصور دي بول كما في الشام اكبرها جمعية القاهرة المنقسمة الى اربعة فروع توزّع على البائسين كل سنة اكثر من ٧٠,٠٠٠ غرش يليها جمعية الاسكندريّة البالغ واردها فوق ٤٠,٠٠٠ غرش يوزّعها الاعضاء على ذوي الحاجات

وفي فلسطين ثلاث جمعيات لمار منصور في القدس الشريف وبيت لحم ويافا لم نقف على وارداتها. وكذلك في آطنة جمعية يبلغ مصروفها السنوي على الفقراء ٨,٠٠٠ غرش

فترى من هذا النظر الاجمالي ما جرى بواسطة جمعية مار منصور من المبرّات العديدة التي تبهج القلوب سرورًا وتثلج الصدور فرحًا وتعزّي الانسان عمّا يأتيه الاشرار والفرسون من الاعمال السيئة فانَّ ابناء الله ليسوا بافشل في البنيان والعمران من ابناء الظلمات في خراب صرح المجتمع الانساني. فالله نسأل ان يزيد عدد الصالحين فانّهم ملح العالم ولولاهم لانتشر الفساد وعمَّ الدمار

ويسرّنا ان نختم هذه الاسطر بنقل فقرات من خطبة للحبر الاعظم بيوس العاشر القاها في نيسان المنصرم في مجمع عام عقدهُ لاستقبال عمدة جمعية مار منصور فقدّم

رئيسهم باسم الجمعية لقداسته التهاني بمناسبة اليوبيل الحبري (١) فاجاب كبير الاحبار:

« فنحن نحيّيكم بالسلام يا أبناء شركة القديس منصور دي بول الاعزاء ونشكركم على التعزية التي تقدّمونها لقلبنا ليس فقط بالتهاني التي أعربتم لنا عنها بمناسبة يوبيلنا الكهنوتي بل ايضاً بأعمال خيرتكم وثمار مبرّاتكم. أجل ان حبّة الخردل التي زرعها فردريك أوزانام سنة ١٨٣٣ صارت شجرة عظيمة باسقة ناشرة اغصانها على العالم باسره فها قد مضى على شركة القديس منصور دي بول ٧٦ سنة وهي لا تزال زاهية في فرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندة وسويسرة وجهات اميركا الشمالية والجنوبية والكانادا واستراليا حتى في بولونيا الروسية والكنغو البلجيكي وبذلك أصبحت ملجأ لجميع المتلمذين للخير المتجندين لاعمال الرحمة من جميع أمم الارض.

« فنحن نسرّ معكم ايها الابناء الاعزاء جدا النجاح العجيب الذي نرغب في ان نراه دائماً في شركتكم ولذلك اننا نوصيكم بان تكونوا قبل كل شيء رجال المحبة الفاعلة بواسطة الايمان. وفي اعمالكم الخيريّة اسألوا الله ان يرشدكم لانهُ اذا ارتفعت أيديكم كل يوم نحو العلي بواجب الصلاة قبل ان تمدّوها نحو أنواع الشقاء البشري لتخففوها تنالون قوة وعوناً لتقبلوا بالنفوس الشاردة الى الحق سبحانهُ وتعالى. فلتكن حسناتكم لا كحسنات بقيّة الناس بل حسنات رجال مسيحيين ينظرون في الفقير شيئاً مقدساً ليس فقط لانهُ مخلوق على صورة الله بل لكونهِ يمثل شخص المسيح مخلصنا والهنا. . .

« أنتم تزورون وتساعدون يسوع المسيح بشخص الفقراء ثم انكم تصادفون أحياناً في زياراتكم الخيريّة جميع البلايا الطبيعيّة مضافة الى البلايا الادبية وتلقون اناساً تعساء ساقطين في وهدة الكفر والخلاعة مأسورين للخطية غائصين في الفساد والرذيلة وقصارى الكلام أناساً حرموا ذواتهم بنفوسهم من الخيرات الحقيقية الدائمة وأصبحوا بعيدين عن الايمان وعن الكنيسة والاسرار. لكن ثقوا بالله لان ملائكة السلام ترافق خطواتكم نحو هؤلاء المنكودي الحظ المساكين الذين وغماً عن شقائهم العظيم وذلهم المفرط يحفظون في قلوبهم ونفوسهم كنوزاً مخفية من بقايا صفات طبيعية نادرة الوجود ومن استعدادات حسنة نحو الفضيلة بل تجدون وسم العماد المقدس حياً في نفوسهم وبقايا الدين والايمان لا تزال منتشة في افئدتهم فيسهل اذن على محبتكم المداومة حناناً وصبراً ان ترجو بل ان تتحقق خلاصهم. . . »

« ان الروح الشرّير يلقي في قلوب الكثير من الاشقياء الريبة من الكاهن والبغض لهُ فيعرقل كل مساعيهِ الخيريّة سادّاً في وجهِ بحيل جهنميّة كل الابواب لئلا يقرب النفوس ويخلصها. اما أبناء القديس منصور دي بول فيتسمون وظيفة رسل المسيح تحت ثوب العلمانيين ولذلك يسهل عليهم الدخول في البيوت حيث يعدّون الطرق للكاهن الذي يستطيع الوصول بواسطتهم بدون مانع الى النفوس وهكذا يفعل ابناء القديس منصور دي بول بواسطة زياراتهم للبيوت فيأتون بأيام قلائل في الرعايا المسيحية ما تأتيهِ غيرة الراعي الرسولية من الخير مدة سنين طويلة كيف لا

---

١) الطب مجلّة الجمعية ١٩١٠ ص ١٣٣ – ١٣٦.

أيها الابناء الاعزاء ونرى ان الله يشاء ان يأتي بواسطتكم أعمالاً عجيبة نظير عماد غير المؤمنين وتثبيت الحديثين في الايمان وزوال التسرُّر بالزواج للقدس وهداية المراطقة وارجاع الخطأة الى التوبة والتقدم المتواتر الى سرّي التوبة والقربان الاقدس وبناء الكنائس وتأسيس المدارس المسيحية الخ . فهذه هي ايها الابناء الاعزاء الانتصارات الباهرة التي تأتيها نعمة الله بواسطتكم . . .

وختم ذلك بالادعية الحارّة لنموّ الجمعية واتزل عليها وعلى كل مؤلزريها اوفر بركات ابي المواهب التي نستمدّها نحن ايضاً من صميم القلب لكل عملة الخير وبالخصوص لكلّ من نشروا في بلادنا لواء المحبة للقريب تحت شفاعة مار منصور طالبين من اله الرحمة أن يثيب المتوفين منهم ثواب الرب الكريم الذي لم يترك دون جزاء فلس الارملة وقدح الماء البارد المعطى باسمهِ وان يفيض اسبغ نعمهِ على القائمين بعدهم بهذا المشروع الجليل ولاسيما الذين ترأسوا سابقاً الشركة البيروتية مع جناب رئيسهم الحالي المفضال القانوني البارع انطون بك شحيبر كي تزداد الجمعيّة في ايامهِ عدداً وفضلاً امين اللهمّ امين

سفينة بطرس

بقلم حضرة المثوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة

دَعْ ذكرَ أطلالٍ أبَتْ تتهدَّمُ ... واترك حُداةَ بالجمالِ ترنَّموا
وذرِ العقيقَ وحَوْمَلاً والرَّقْمَتَيْنِ ... لِحالفٍ بَدْوٍ باللوى يتنعَّمُ
واهجرْ سُعادَ وعبلةَ وعُنَيْزَةً ... إنَّا لفي عصرٍ يُجلُّ ويُكرَمُ
فأسِكْ لنا بِكْرَ القوافي مُنشِدًا ... فَصْلَ الخطابِ فقدرُ شعرك يَعظُمُ
وأسرد مواعيد المسيح لبطرسٍ ... بعد السؤال كمن أتى يستفهمُ
سِمعانُ يا سمعانُ قُلْ لي معلناً ... أتحبّني ؟ . . . فأجاب انك تعلمُ
فأجابهُ : انت الصفاةُ وفوقها ... أبني أساسَ كنيسةٍ لا تُهدَمُ
واليك ألقي بالمقاليد واعدًا ... أبدًا فلن تقوى عليك جهنَّمُ
ما قد حللتَ أحلّهُ وربطتَهُ ... أنا رابط او ما تُحرِّمُ يُحرَمُ

إحرس خرافي واحتفظ بحظيرتي فعصا رعايتها اليك تُسلَّمُ
انا معكمُ لِلمنتهى لا تجزعوا فثقوا بوعدي وَاثبتوا لا تسأموا
فاذا أضطُهِدتم فافرحوا وتهلّلوا فلكم بِدار الخلد اجرٌ اعظمُ . . .
عبثاً يريش بنو الظلام نِبالَهم فتجرحهم منها النِصالُ تُصمّمُ
كم غارةٍ شعواء شنُّوا فانثنوا وقلوبُهم من خيبة تتحطّمُ
نسجوا عَلَى نَول النفاقِ جَلابباً للدين منها الأونُ اسودُ أسحمُ
حبطت مساعيهم وبان خداعهمُ والافكُ شفّافٌ لدى مَن يَفهمُ
فتستّروا كَوطاوطٍ خوف الضيا والبومُ يزعجهُ الشعاعُ ويُولمُ
قد حاولوا محو الشرائع قصد أن يخلو لهم جوٌّ وتُكسَرُ ألجمُ
أنفَ الشكيمةَ جامحٌ متمرّدٌ والشرعُ يمقتهُ الزنيمُ المجرمُ
واللصُّ يبغي لو تُبادُ عدالةٌ والثور في اجفانِ أرمدَ حِصرِمُ
والطهرُ في كبد المفاسد حربةٌ والشهدُ في مُعتلٍ ذوقٍ عَلقَمُ
قالوا : العدوُّ كنيسةٌ فتحالفوا يا قومنا وتكاتفوا وتنظّموا
لا تدّخروا كذباً ولا غدراً ولا لؤماً ولا عِرضاً ولا . . . لا ترحموا
وخذوا الوسائلَ في فساد شبيبةٍ دكُّوا البناء من الأساسات أهدِموا
غشّت ضغائنُهم على ابصارهم فدجا النهارُ وجنَّ ليلٌ مظلمُ
بهم الأذِيّةُ فطرةٌ كقنافذٍ كيف انثنوا نشبوا رياشاً تكلمُ
لا يذكرون سوى عيوب لفقت انَّ الذُّباب على القُروحِ يُحوّمُ
ان شاهدوا قسّاً نظيفاً ثوبُهُ صرخوا: اصلبوهُ ويلهُ يتنعّمُ
وإذا رأوا متقشفاً متزهّداً قالوا: ضنينٌ يشتريهِ الدرهمُ
أو أبصروا رُسل السلام بمنزلٍ بهم المساوئُ والفسادَ توهّموا
او عاينوا متنحياً مُستأسراً بكتابهِ قالوا : امرؤٌ مُتعظّمُ
زعموا : رجالُ الدين قومُ سياسةٍ فقضوا عليهم بالسكوت وألزموا
قالوا لهم: صوموا وصلّوا واسجدوا ولنا اخضعوا وعَلَى ارادتنا أختموا
لا تبرحوا بابَ المعابد واصمتوا صمتاً أتمَّ اذا أتينا نلهمُ
ناجوا الالهَ وسبّحوهُ بسرّكم وحذارِ ثم حذارِ أن تتكلّموا

لا تنظروا لا تسمعوا لا تنطقوا ... لا تغضبوا إن شئتمُ أن تسلموا . . .
واذا رنا شزرًا اليهم دفعوهم ... هرعوا الى أبوابهم واستترحموا
ملأوا الفضاء تشدقًا بمبادئٍ ... ولهم تغيّرُ كلَّ آنٍ أنفُسُ
ما كان منذ الامس أبيضَ ناصعًا ... أضحى عليهِ اليومَ ثوبٌ اقتمُ
فلتُترَكِ الحرباء تبدل لونها ... وشباطُ يُقشعُ تارةً ويُغيمُ
كم من صبيٍّ لا يُجيد قراءةً ... قد هبَّ في اسمى المعارفِ يحكمُ
فقد ادّعوا فهمًا وعلمًا باهرًا ... فأصخ تجدهم ببغاء تُتمتمُ
تخذوا المنابر والجرائد ساعدًا ... ومساعدًا في ما القلوبَ يُستمُ
يدري بارجاء النوادي منهمُ ... كفرٌ واقوالُ الخنى وتهكُّمُ
تغلو الحجارة لو أردنا كلّما ... فقروا شدوقًا بالحجارة نلقمُ
فجوابنا حفظ السكوت ترفعًا ... عن أن ينازلنا العيُّ الطِنطِمُ
أيرومُ آلُ الغيّ دكَّ كنيسةٍ ... ولساسُها في جلمدٍ لا يُثلَمُ
مضت السنونَ مع القرونِ ولم تزل ... في صلد صخرتها القرونُ تحطّمُ
ألفانِ بل آلافُ اعوامٍ خلت ... وبنو الغوى شحناؤهم تتضرّمُ
كم حملةٍ حملوا فعادوا نُكّسًا ... والقلبُ مكلومٌ وعينٌ تسجمُ
هذي سفينةُ بطرسٍ ما راعها ... إعصارُ عصرٍ اوخِضَمٌ خِضرمُ
كفُّ الاله تقودُها وتديرها ... أيدولها بحرٌ يعجُّ ويلطمُ
ندري ونعلمُ مُقبلًا من مُدبرٍ ... فمن الغداةِ الأمسِ قام يترجمُ
لا يبلغ في ما نالها وينالها ... فذواتُ أثمارٍ تهزُّ وترجمُ
واذا تكاتفت الخصومُ لحربها ... فلأنَّ مُلكَ جهنّمٍ لا يُقسَمُ
والذئبُ لا يسطو على أمثالهِ ... أبدًا ولا لسعَ الافاعي أرقمُ
ومن الامور المُضحكاتِ المُبكيا ... تِ ضجيجُ فتيانٍ بما لم يعلموا
رفعوا عقيرتهم وصاحوا بالورى ... قُوموا وهبّوا استيقظوا يا نوّمُ
جاءتكمُ الحريّة الغرّاء في ... أيّامِ نورٍ فامرحوا وتنعّموا
ما الحلُّ والتحريم غير خرافةٍ ... فبدارِ متنَ المنكراتِ تشمّوا
لكمُ الكنائسُ والقلانسُ والنفا ... ئسُ والذخائرُ والجواهرُ مغنمُ

حرّيةٌ حرّيةٌ يا قومنا فمن المحرّم أن يُقالَ مُحرّمُ
إنّا لفي عصرٍ جديد يقتضي ديناً جديداً للخلاعة يبسمُ
لا نهيَ فيهِ ولا أوامر آمرٍ أعمى أصمُّ أشلُّ أيدٍ أبكمُ
كفّوا اكفّ قديمكم يا آلهٌ كيما الى شهواتنا نستسلمُ
ما عيشنا ونراهُ فينا صارخاً: إن تمتطوا ثبج المعاصي تأثموا
دكّوهُ من أسٍّ لهُ وبهِ ادّنوا اربابهُ والنارَ فيهِ أضرموا
فلقد أقام لنا حواجز نهيهِ وغدت مبادئهُ تصدُّ وتلجمُ
هذا هو السببُ الذي من اجلهِ وثب الطلاحُ على الصلاحِ يُدمّدمُ
وصَمُوا الديانةَ مدّعين بأنّها حجرٌ بهِ عثرَ الحجى وتقدّمُ
يا صبية الامس أخفضوا اصواتكم كذبت ظنونكم وساء توهّمُ
فالدينُ ركنُ تقدّمٍ وتمدّنٍ ولهُ بنشر العلم فضلٌ أقدمُ
رقّى الشعوب ولم يزل يرقاها خصمُ التقهقرِ خِدنُ من يتقدّمُ
عاشت مُساواةٌ وعاش إخاؤنا حرّيةٌ نبغي ولا نتبرّمُ
نُخلي لها طيَّ الشفافِ منازلاً فالدينُ يأمرنا بذاك ويرسمُ
أجهلتمُ تعليم مَن هو قائلٌ «فكبيركم مَنْ قام فيكم يخدمُ»
«أعطُنَّ قيصر ما لقيصرَ عندكم والله ما لله» أوفوا تغنموا
حرّيةٌ وإخاء مساواةٌ وما ضاهى زرعنا غرسها ونقومُ
أرواحُنا وجسومنا عنها فدًى لا تزعموا سوءاً بنا لا تزعموا
نحن الحصونُ لها ونحن جنودُها وحماتها وكماتها لا أنتمُ
كنّا ولم نبرح نجاهر في الملا هذي الثلاثُ الى التقدّمِ سُلّمُ
قدكمُ هذارٌ واتركوا ذرّ الرما دِ لغاية سفلت وقصدٍ يلؤمُ
فالدينُ أرفعُ من تناظر فتيةٍ عمهوا قلوباً عن محاسنهِ عمُوا
أو ما يرون رجالهُ فلكم أتوا عملاً بهِ كلُّ البسيطة تنعمُ
كم عادَ حقٌّ ضائعٌ بجهادهم او راق مفتكرٌ وأغمد مخذمُ
غلّوا يد الطاغي بجرأتهم كما فتحوا ذراعيهم لمن يتظلّمُ
غوثُ الضعيف وغيث من هو بائسٌ هولُ البغاة وأمُّ من يتيتمُ

ونصيرُ ملهوفٍ وكوكبُ تائهٍ ... ولكلّ مكلوم الحشاشة بَلسمُ
قد طرّقوا جيد الانام مكارماً ... فسَلوا تواريخ التمدُّن تُفحموا
علمٌ . واعمالٌ . تُقىً . فضلٌ . هُدى ... عَنهم . لهم . فيهم . اليهم . مِنهمُ
ما راعهم قطُّ البحارُ الزاخرا ... تُ ولا القفارُ ولا النَّوى واللهذمُ
يَتسابقون الى الصلاحِ كأنما ... في بذل انفسهم يَلذُّ المطعَمُ
زَرعوا الحقائقَ في البلاد فأينعت ... اذ قام من شهدائهم يروي الدمُ
ما غاب عن أُفقِ الكنيسة نجمةٌ ... الّا تألّقَ في عُلاها أنجمُ
كلّا ولا أخلى العرينَ غضنفرٌ ... إلّا أنبرى يَحمي حماها ضيغمُ
ستظلّ ثابتةً الى يوم القضا ... وشبابُها متجدّدٌ لا يَهرَمُ
أبشر اذن يا مَن يسوءك قولها: ... «لا تَرنِ لا تسرق فربّك يَنقمُ»
تَبكي وتضحك من تقفُّر صبيةٍ ... زعموا بها حَلَّ القضاء المبرَمُ
هذي السفينةُ ربُّها ربّانها ... تَروي بامواج تَهيجُ وتهجمُ
لم يجهلوا فضلًا لها فتجاهلوا ... «فالفضلُ مثل المسكِ لا يتكتَّمُ»
ساروا على سُبل الضلال تعمُّدًا ... «فالحقّ مثل الصبح لا يتلثَّمُ»
قد انكروا حسناتها لمقاصدٍ ... والله ادرى بالقلوب واعلمُ
ربّي أزحْ عنهم دياجير الغوى ... وبحمد برّكَ كل شيء يُختمُ

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

البكاء والندم

خرائب دور البرامكة . على جنب كومة من الحجارة

المشهد الاوّل

سكوت وظلمة . يمرّ بعض الشخصين كالمجنون وغيره ينظرون الى الخرائب ثم جوق من المرتلين يلبسون الحداد وينشدون الرثاء على لحن «الموالي» (١ و ينوحون على البرامكة

يا دارُ اين ملوك الارض اين القُرسْ اين الذين حموها بالقنا والتُرسْ
قالت تراهم رِمَمْ تحتَ الاراضي الدُرسْ وغراب البين اتى ورفرف حواليا (٢

(سكوت)

ياسر . ومسرور

ياسر ولمَ اتيتَ بي الى خرائب البرامكة في هذا الليل المدلهمّ ؟

مسرور إن الفضل بن الربيع لا يزال منذ تقلّد الوزارة (٣ حريصاً على قتل اصحاب البرامكة

ياسر تبًّا لهُ من حسود ماكر لا يطيب لهُ عيش الّا اذا سفك الدماء ويتّم الاطفال وخرّب البلاد

---

١) قيل إن اول من انشد هذا الغناء بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم « يا موالي » وبالجمع « يا مواليا » فصار يعرف بهذا الاسم

٢) « الموالي» لاحدى جواري البرامكة ترثيهم

٣) استوزره الرشيد بعد الايقاع بالبرامكة

مسرور فقد أعلِم أن قوماً يأتون ليلًا الى هذه الاطلال الشاخصة من دور البرامكة يُنشدون شعرًا ويوحون على مواليهم وانسبادهم فعظم عليهِ الخطب واعلم بهِ الرشيد فأمرني ان اتي واياك نستتر بين الجدولن فاذا جاءوا قبضنا عليهم (١

ياسر ألم يكتفِ الرشيد بما صنع باغراء وزيرهِ هذا اللئيم. لقد قبض على البرامكة واستباح اموالهم وقتل منهم ومن حاشيتهم ومواليهم نحوًا من الف نفس ومثّل فيهم وشنّع ومَن بقي سالمًا لا يقدر على كسرة خبز (٢

مسرور او هل بقي احد منهم ؟ لقد افناهم عن آخرهم

ياسر بقي عبادة امّ جعفر ظنّ الرشيد نراها في ثياب رثة تطوف الازقّة تسأل شيئًا تقتات بهِ. وقد سمعتُها في يوم اضحى تطلب من المارّين جلد شاة تجعلهُ لها دثارًا وقد كنتُ رأيتها في مثل هذا اليوم وفي خدمتها اربعمائة وصيفة في الخزّ والديباج. هذا مما يفتّت الاكباد ويصدع الحلاميد (٣. وقد بقي خلا عبادة ابن لجعفر

مسرور ابن لجعفر ؟ ألم تذبح ولديهِ سويّة مع العبّاسة بينما كنتُ افكُّ جعفرًا من قيد الحمار الذي قيدته بهِ واجرّه خارجًا لأحزّ راسه (٤

ياسر دعني دعني فقد أثرت فيَّ خيالات طالما جهدت ان امحيها من فكري فلا تزال تتراءى لي كأني صنعتُ الساعة ما صنعت. هنا هنا تمَّ الامر

مسرور وكيف كان ذلك ؟

ياسر لما اخذت الحسن والحسين تقدَّم اليَّ جعفر . . .

مسرور ابن العلوي الذي تبنّاهُ البرامكة ؟

ياسر هو. فسألني أن ادع احدهما ينجو واقتلهُ عوضًا عنهُ واعطاني هذا الخاتم جزاء فرضيتُ

---

١) هذه القصّة نقلها المؤرخون جميعهم

٢) الاتليدي (١٧٤) والمسعودي (٦:٤٠٨)

٣) المسعودي (٦:٤٠٦) والاربلي (١١٠) والاتليدي (١٨٠)

٤) الطبري (٦٧٨) والاربلي (١٠٦)

مسرور وبعد ؟

ياسر فذبحتهُ مع الحسين. ثم احضر الرشيد عشرة من الفعلة اجلادًا ودعا العباسة اخته فحزّ رأس ابنها في حضنها وهي تنوح وتعول واستلّ خنجرًا فطعنها . ثم جلس على كرسي وامرنا فوضعناها بجلاها وثيابها في صندوق وحفرنا هنا حفرةً فدلّينا الام والولدين ورددنا التراب (١

مسرور يا لها من قساوة يربريّة !

ياسر وزبيدة تنظر من خلال المقصورة فرحةً لما كان بينها وبين جعفر من العداوة (٢

مسرور وكيف لم يُنشر الخبر بواسطة الفعلة ؟

ياسر لان الرشيد امر بهم فخُيّطوا في جواليق وثقلوا بالصخر والحصى وزُجوا في وسط دجلة (٣

مسرور يا لله من هذا الامر الفظيع ! كيف وصلتَ يا ناقص القدر الى هذه الدناءة !

ياسر لا يحسن بك السب يا قاتل جعفر وانت سبب تكدير عيشي . انت بمكرك سهّلتَ عليَّ ركوب الكبائر . انت علّمتني الغدر . انت يا عبد السوء اغريتني على الانقياد للفضل ذلك الخائن المكّار فكفرتُ بنعم قوم اشراف واختلقت عليهم الاكاذيب فنجح مسعاك ومسعى شيطانك ابن الربيع وتركتني ذليلًا حقيرًا ينخزني الضمير بمهازه ويشدّ عليَّ بمنخسه وزوازه

مسرور اكفف عن الشطط لسانك والّا قتلتك

ياسر فلتبكِ على عتاك البواكي يا عبد ونصف رُجيل اراك ستلقى هوانًا . ويحك ان قدّمت رجلًا او تجرّأت على كلمة سوء قبضتُ عليك واتيت بك مقيّدًا امام الرشيد فاعلمته بما عوّلت وابن الربيع عليه من اذلال الدولة العباسيّة وتسهيل الامر في الاندلس لبني امية . اتريد ؟

ياسر صهْ . وقعُ اقدام

مسرور امير المؤمنين ! وما اتى به الآن الى هذا المكان ؟

---

١) الانليدي (١٠٧) اطلب ايضًا المؤرخين في وصف مقتل علية اخت الرشيد

٢) المسعودي (٦: ٣٢٧) ٣) الانليدي (١٠٧)

المشهد الثاني

الرشيد . الفضل . الاصمعي . اسحق . ياسر . مسرور

الرشيد لم يأتِ احدٌ بعد ؟

مسرور لا يا سيّدي

الرشيد اذهبا (يتنحّى مسرور وياسر الى آخر المرسح)

الفضل ما هذا الارق الدائم . فانك لا تنام الليل (١

الرشيد لا ازال ضجراً حزيناً مغموماً

اسحق كيف يكون على قلبك ضجر او غمٌّ وقد خلق الله اشياء كثيرة تزيلها وانت قادر عليها

الفضل هلمَّ بنا من هذه الاماكن المخيفة نطلع فوق سطح قصرك ننظر الى النجوم واشتباكها وتلألُئها وعلى القمر وحسن طلعته فقد آن وقت ظهوره

الرشيد لا تلتفت نفسي الى شيءٍ من ذلك

اسحق سِرْ بنا الى الحديقة نتفرّج بين الاشجار ونتنسّم روائح الازهار ونسمع تغريد الاطيار

الرشيد لا يلذّني شيءٌ من هذا

اسحق اركب سفينتك على دجلة فترى المراكب المتسلسلة على المياه وتسمع حدو الملّاحين او فانزل الى الاصطبل فانظر الى الخيل العربيات وحسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم واشهب وكميت . . .

الرشيد ما تهمُّ نفسي الى شيءٍ من هذا . دعني انظر الى آثار منازل البرامكة عسى الله يفرّج عني حزني . ما هذه الابيات ؟

اسحق كُتبت بفحمة على الجدار المنهدم (٢

الرشيد (يقرأ) :

يا منزلاً لعب الزمان باهلهِ فأبادهم بتفرّقٍ لا يُجمعُ

---

١) تجد في كثير من المؤرخين والرواة وصف ارق الرشيد

٢) الاتليدي (١٨٠)

إنَّ الذين عهدتهم في ما مضى كان الزمانُ بهم يضرُّ وينفعُ
اصبحتَ تفزعُ من رآك وطالما كنّا اليك من المخاوفِ نفزعُ
ذهب الذين يعاشُ في اكنافهم وبقي الذين حياتهم لا تنفعُ

الفضل ايقدم الناس على مدح البرامكة ؟ لأصنعنَّ بمن كتبها وافعلنَّ

الرشيد دع عنك . صدق والله قائلها . مات يحيى وجعفر ومات الجود والكرم . لو كانا في الحياة لفرّجت عنهما

الفضل ألا تزال تذكر اعداءك وتردّد هذه الافكار السيئة

الرشيد صهْ لا امّ لك . اتحفظ يا اصمعي شعر الزبير بن دحمان ؟

الاصمعي نعم

الرشيد أعدْهُ عليَّ (يجلس على حجر)

الاصمعي من للخصومِ اذا جدّ الخصام بهم يومَ النزال ومن للضُّمر القودِ
وموقفٍ قد كفيتُ الناطقين بهِ في مجمع من نواصي الناس مشهودِ
فرّجتهُ بلسانٍ غير ملتبسٍ عند الحفاظ وقول غير مردودِ

الرشيد ويحك . كأن الشاعر يصف يحيى وجعفرًا (١

اسحق ما رأيتُ لك سرورًا منذ قتلتَ البرامكة . فلأي شيءٍ قتلتهم ؟

الرشيد لو علمتُ ان قميصي يعرف السبب الذي قتلتهم بهِ لاحرقتهُ (٢

الفضل قومٌ كفرة انزلتَ عليهم عقوبتك

الرشيد أقالوا عليهم لا ابا لابيكم من اللوم او سدّوا المكان الذي سدّوا
حملونا على نصحائنا وكفاتنا وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلمّا صرنا الى ما
ارادوا لم يغنوا عنهم (٣

---

١) اخبر صاحب الاغاني (١٧ : ٧٤) قال : كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الاسف عليهم والتندّم على ما فعلهُ بهم فقطن لذلك الزُبير بن دحمان وكان يتنبّه فتناه يومًا : « من للخصوم » فقال لهُ الرشيد : اعد فاعاد . فقال لهُ : ويحك كأن قائل هذا الشعر يصف بهِ يحيى بن خالد وجعفر ابن يحيى . وبكى ووصل الزبير صلة سنية

٢) ابن بدرون (٢٢٥ و٢٢٦) والاربلي (١٠٦) نقلًا عن الصولي والميلاوي (٤٣) وابن خلكان (١٢٤) .

٣) الميلاوي (٤٣)

الفضل انك يا امير المؤمنين منذ ابدتهم اصبحت اعظم الخلفاء لا يتعرّض لك احد في ملكك تقول للسحابة: أمطري حيث شئتِ فان خراج الارض التي تمطرين فيها يجيء اليّ (١

الرشيد اني اتعب الخلفاء خاطرًا واعظم الناس همًّا وغمًّا (٢

الفضل لا موضع للغمّ وقد ساد السلم والامان في الدولة يوم ابطلتَ كيدهم ومكرهم

الرشيد ايُّ سلمٍ وايُّ أمنٍ وقد احاطت بنا الاعداء من كل وجه ونقض نقفور العهود ثانيةً (٣ ظنًّا ان قد سقطت الدولة بسقوط البرامكة فتحرك الروم واحتشدوا واجمعوا على مبادأتنا بالغزو. اما البلاد فقد ثارت فيها الفتن والبدع وعظمت سلطة بني امية في الاندلس يهزأون بالرشيد ودولته وانت وزيري لم تستطع ان تكسر شوكتهم كما فعل جعفر. وهذا رافع بن الليث قد شقّ عصا الطاعة فتغلّب على سمرقند وقتل عاملنا وليس من يتجرأ على الخروج لمحاربته سواي (٤ اما ملك الفرنجة فلا ندري ما كانت نتيجة الوفود فان كان قد علم رسولنا عبد الله العلوي حفيد البرامكة بما حدث اثار في صدر زعيم النصارى نار الغيرة على الاخذ بالثار فوقعنا في شرّ بليّة من جميع الاطراف. من لي باحياء البرامكة فيردّوا المياه الى مجاريها

(سكوت)

هيهات ليس يُردُّ امسُ الى الغد — لا امّن الله من اغراني على قتل البرامكة ما رأيتُ رخاء بعدهم ولا وجدت لذةً ولا سلامًا ولا راحة. لوددت لو شوطرتُ عمري وغُرّمت مالي وملكي وتركت البرامكة على حالهم (٥ . لكن قد قربت منيتي وحانت ساعتي فيرى بعدي اولياء العهد ما يرون

١) مجاني (٣: ٩٨) نقلًا من كتاب الاعلام لقطب الدين النهروالي
٢) مجاني (٥: ٢١٧) نقلًا عن النهروالي
٣) الطبري (٦٩٦)
٤) الطبري (٧٠٧) والفخري (٢٦٦)
٥) الاربلي (١٠٧)

اسحق أعيذك بالله يا امير المؤمنين ان تقول هـذا. اني لارجو ان يبقيك الله لنا مدى الدهر

الرشيد تنحوا عنا (يبقى الرشيد واسحق في مقدمة المرسح) .
يا اسحق اني ميتٌ عن قريب فقد اقترب صفر وهو الشهر الذي قتلتُ فيه جعفرًا ويحيى فسأموت فيه

اسحق يا امير المؤمنين جعلنا الله فداءك إني ارى دمًا ظاهرًا ووجهًا ناصعًا وشبابًا زائدًا ومنّةً قويّةً وروحًا طيبة فمتّعك الله اكثر مما عمّر من ملوك الارض وفتح لك ما فتح على ذي القرنين ولا ارى رعيّتك فيك سوءًا

الرشيد مل بنا قرب هذا الجدار حتى أسرَّ اليك سرًّا كتمتهُ عن الجميع . امانةً في عنقك ألّا تخبر بما ألقي اليك احدًا

اسحق يا سيّدي هذه مخاطبة الاخ لاخيه وانا عبد يخاطبني مولاي مثل هذا ؟

الرشيد هنا على صدري وظهري قروح واريتها بخرق وادوية ومراهم

اسحق منذ كم هذا ؟

الرشيد ظهرت يوم قتلتُ جعفرًا وذويه

اسحق يا لله !

الرشيد ولم أطلع عليها الّا الفضل بن الربيع ومسرورًا ظنًّا بهما خيرًا فاما الفضل فقد اخبر الامين فوالله لئن بقيتُ لاتركنّهُ يهيم في طلب الخبز حتى يشغله ذلك عن اذاعة السرّ ومسرور قد اعلم المأمون بمأتي زلّتي . وما منهم احدٌ إلّا لهُ عينٌ عليّ . فاي حياة تصفو لي واعزُّ ولدي يُحصي انفاسي ويستحثُّ علّتي . ولقد بلغ من تبرّمهم بي وبحياتي أني اذا أردتُ الركوب جاءوني يبرذون قطوف ليزيدوا في علّتي وجروحي فاكرهُ ان أظهرَ هذا لهم فيستوحشون مني ومتى استوحشوا أظهروا من العداوة ما كان باطنًا والعامّةُ لهم ارجى والخاصّة اميَل وانا كالخائف بينهم أصبحُ فلا أطمع في المساء وأمسي فلا اطمع في الصباح (١

(١) الطبري (٧٣١) وابن الاثير (٦ : ٧٤) والاربلي (١٣٣)

اسحق سيداويك جبريل باذن الله

الرشيد هذا جزاء فتكي بالبرامكة فلا ينجع فيَّ دواء

ان الطبيب بطبّهِ ودوائهِ لا يستطيع دفاع محذور القضا

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبري مثلهُ فيما مضى (١

اسحق من ارادك بكيد اراهُ اللهُ ذلك الكيد في نفسهِ

الرشيد سمع الله دعاءك . والآن استحلفتك بالله ان تصدقني

اسحق سيدي

الرشيد انظر الى يدي . أترى عليها اثر دم ؟

اسحق لا إنها بيضاء كالثلج

الرشيد لا ازال اغسلها واطيبها ومع ذلك اراها ملطخة بالدم . انظر . ها اثر الدم

اسحق خيالات واوهام

الرشيد لا لا . هذا دم يحيى . هذا دم جعفر . هذا دم العباسة . هذا دم الاطفال . هذا دم البرامكة (باضطراب) اين انا ؟ ما هذا التراب المنثور . هنا قتلتُ اختي . هنا قتلتُ الحسن والحسين . هنا قُيّد جعفر بقيد البهائم . هنا القي اليَّ برأسهِ يشخب دماً — (يزداد اضطرابهُ) — دعني يا جعفر ما هذا السيف الذي لا تزال تسلّهُ عليَّ الليل والنهار . دعني وحق حبّنا القديم . دعني وحق اخوّتنا . كفرتُ بك . قتلتُ اولادك . سفكت دماءكم ظلماً وجوراً . دعني دعني (يرمي بنفسهِ على كتف اسحق والجميع يحيطون بهِ)

الفضل قد ألمَّ بالرشيد جنّة يجب اطلاع الامين عليها

مسرور هذا مَسٌّ

الفضل صدقتَ

اسحق صه يا مكّار

الرشيد لا تذرّ عليَّ التراب يا يحيى . أقِلني أقِلني (يخرج كالهارب من يسار المرسح ويتبعهُ الجميع بسكوت)

---

١) كان الرشيد يردّد هذه الابيات وهو على فراش الموت (المسعودي ٦ : ٣٥٧)

المشهد الثالث

عبدالله بن يحيى العلوي (يدخل من آخر المرسح بتحفظ)

عبد الله كأني سمعتُ صوتاً. لكن لا ارى احداً بين الخرائب ما هذا الانقلاب. تركتُ منازل البرامكة يوم سرتُ رسولاً الى قارله ملك الفرنج جنّة الدنيا وزهرتها فالفيتها اطلالاً بالية وجدراناً شاخصة ينعق فيها البوم والخفافيش. تركتُ جعفرًا يجرّ ثوب العزّ والفخار في المحافل مسودًا والى الخليفة موفدًا فاستقبلت شلوهُ على جسر بغداد جثّة شوّهها الموت تحوم عليها الغربان. هنا ودّعت ابي الجليل ولم ارو منهُ الغليل وقبّلتُ اخي جعفرًا ولم ادرِ عندئذٍ أنا شقيقان من صُلب واحد فسرت يحفّ بي الامراء والقوّاد. اما الآن فعدت سرًّا والرشيد بثّ العيون على أثري واهدر دمي ولا اعلم هل ابي واخي في الحياة وبينما كنتُ اقطع القفار والبحار واكابد الاتعاب والاخطار توطيدًا لملك الرشيد ورغبةً في عقد رباط المودّة بينهُ وبين زعيم الفرنجة كان الرشيد يسبي ويذبح ويقتل ويمثّل (يجلس)

يا أيها المغترُّ بالدهرِ والدهرُ ذو صُرفٍ وذو غدرِ
لا تأمنِ الدهر وصولتهُ وكن من الدهر على حذرِ
ان كنت ذا جهلٍ بغرّتهِ فانظر الى المصلوب بالجسرِ
كان الوزيرُ القائم المرتضى ردا النهى والفضل والذكرِ
وكانت الدنيا باقطارها اليهِ في البرّ وفي البحرِ
بينما كان جعفرٌ في ملكهِ عشيةَ الجمعة بالقصرِ

(١) اخذنا هذا المشهد عن رؤيا الرشيد وهو ذاهب الى طوس. اطلب الطبري (٣: ٧٢٥) الخ وغيره وقابل مع المسعودي (٦: ٢٢٠ و ٣٥٩). قال صاحب الاغاني (١٧: ٤٦): رأى الرشيد في نومهِ كأن امراة وقفت عليهِ واخذت كفّ تراب ثم قالت لهُ: هذه تربتك عن قريب. فاصبح فزعاً وقصّ رؤياه. فقال لهُ اصحابهُ: وما هذا؟ قد يرى الناس اكثر مما رايت واغلظ ثم لا يضرّ. فركب وقال: اني لارى الامر قد قرب. فبينا هو يسير اذ رأى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر اليهِ فقال. هذه والله المرأة التي رأيتها. ثم امرها ان تاخذ كف تراب فتدفعهُ اليهِ ففعلت. فبكى وقال: هذه والله التربة التي أريتُها.

اذ عثر الدهرُ بهِ عثرةً يا ويلنا من عثرة الدهرِ
وزلّت النعل بهِ زلّةً كانت لهُ قاصمة الظهرِ
فغودرَ البائسُ في ليلةٍ م السبت قتيلًا مطلع الفجرِ
وجيء بالشيخ واولادهِ يحيى معًا في الغلّ والاسرِ
والبرمكيين واتباعهم من كان في الآفاق والمصرِ
كانما كانوا على موعدٍ كموعد الناس الى الحشرِ
واصبحوا للناس احدوثة سبحان ذي السلطان والامرِ (١ (يقوم)

كم من مرّة — وقد أنبأني جبريل في غربتي بما حدث — كم من مرّة هاجت فيّ ثورة الغضب فرأيتُ عدلًا أنْ أحمل الشرّ بحملهِ وأجزيَهُ بمثلهِ فأطلع سلطان الفرنجة على حقيقة الحال وأسألهُ ان يغضب لمن هريق دمهم البري جورًا ويأخذ بناصر المظلومين. لكن النخوة العربيّة وما تعلّمتهُ في منازل البرامكة من شرف النفس وحفظ المواثيق وقهر الاهواء في سبيل الوطن ردعني عن هذا القصد

يكاد القلب من جزعٍ يطيرُ اذا ما قيل قد قُتل الوزيرُ
امير المؤمنين قتلتَ شخصًا عليهِ رحاكمُ كانت تدورُ
فمهلًا يا بني العبّاس مهلًا لقد كُويتُ بغدركم الصدورُ (٢

ولم يبقَ لي الآن الّا النوح والبكاء على من تجرّعوا كأس المنون على حين لم استطع أن اضمد كلومهم الدامية واقبّل عيونهم الناثرة. فاستطلع الاخبار عن ابي واخي ثم اسير الى الرشيد فاعلمهُ بنجاح الرسالة واسلّمهُ التحف والهدايا وأسألهُ جزاء اتعابي ان يعجل بقتلي فالحق بمن أكرمهم وأحبهم

الآن استرحنا واستراحت ركابُنا وامسك من يُجدي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد امنتِ من السرى وطيّ الفيافي قفقفًا بعد قفقفِ
وقل للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ ولن تظفري من بعده بمسودِ

١) المسعودي (٦ : ٤٠٠) القصيدة لعلي بن معاذ

٢) هذه الابيات قالها احد الشعراء يوم قتل المتوكل وزيرهُ محمّد بن عبد الملك الزيات. اطلب الفخري (٢٠٢)

وقل للمطايا بعد فضلٍ تطلّني وقل للرزايا كل يوم تجدّدي
ودونك سيفاً برمكيًّا مهنداً أصيب بسيفٍ هاشميّ مهنّدِ (١
(يقول عبد الله هذه الابيات بحزن سائرًا بتتابع الى الوراء ويغيب عن الابصار)

المشهد الرابع

العلوي . الحسن (يدخلان من مقدّمة المرسح يمنًا . والعلوي مستند على ذراع الحسن)

الحسن تقدّم يا ابتِ . لا ارى احداً (يضع بساطاً وكرسيًّا من حديد يجلس عليه العلوي)

العلوي ولما رأيت السيف جندل جعفرًا ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيتُ على الدنيا وايقنت انّما قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
لأيكم ابكي أللفضل ذي الندى ام الشيخ يحيى او لمحبوبنا موسى
ام الملك المصلوب من بعد عزّة أمَ أبكي بكاء المولات على الثكلى
لكلّكمُ ابكي بعينٍ غزيرة وقلبٍ قريحٍ لا يموت ولا يحيى
لئن زال غصن الملك عن آل برمكٍ فما زال حتى اثمر الغصنُ واستعلى
بني برمك كنتم نجوماً مضيئة بها يهتدي في ظلمة الليل من اسرى (٢

الحسن أبتِ لئن اصبحتَ للناس آية لقد بلغت الغاية ولئن زال ملكك وخانك دهرك فلقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الارامل والايتام عطوفاً وباهل الضيم والفاقة لطيفاً فعشت حميداً مودوداً ومت مظلوماً مفقوداً

أصبتُ بسادة كانوا عيوناً بهم نسقى اذا انقطع الغمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضريمُ نارٍ وللعبرات من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعاً ودولة آل برمكٍ السلامُ
فلم أرَ قبل قتلك يا ابن يحيى حساماً فلّهُ السيفُ الحسامُ

١) الشعر للرقاشي وقيل لابي نواس وقيل لاشجع (المسعودي ٦ : ٤٠٣) وابن الاثير (٦ : ٦٤) والطبري (٦٨٥) ابو الفداء (٢ : ١٨)

٢) المحاسن والمساوئ للبيهقي (١٢٢) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٢) والاربلي (١١٠) ابن خلكان (١٣٧) والتنوخي في كتاب الفرج بعد الشدّة (٢ : ٢١) والميلاوي (٢٥)

أَلهو بعدكم واقرُّ عيناً علىَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وانتم رفات داسهُ القوم اللئامُ
وجعفرُ ثاوياً بالجسر أبات محاسنهُ السمائمُ والقتامُ
امَّا والله لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ (١

العلوي كفَّ عن البكاء بنيَّ

الحسن دعني أنُحْ على اهلي وذويَّ (غناء ونوح) (٢

العلوي لم يبق لي الان الا ان انظر الى عبدالله اخر نظرة وأضمَّهُ الى صدري فقد أنبئتُ بقرب عودته ثم اذهب الى الرشيد طالباً اليه ان يذبحني فيجمعني بابني جعفر وبالبرامكة خلاني واسيادي

الحسن وانا ارافقك فقد سئمتُ الحياة بعد فقد اهلي

المشهد الخامس

العلوي . الحسن . عبدالله (وقد عاد عند سماع النوح)

عبدالله ابتِ انت هنا ؟

العلويّ من الرجل ؟

عبدالله عبد الله ابراهيم ابنك (يتعانقان)

العلويّ دعني اموتُ الآن فقد رأيتُ وجهك

عبدالله واين جعفر؟

العلوي هنا تحت هذا التراب المنثور

الحسن ونفسهُ في ظلال الجنَّة (سكوت)

عبدالله قتلهُ الرشيد !

---

١) ترمة الجليس (٢ : ٢٢٤) والطبري (٦٨٧) ابن عبد ربه (٣ : ٢٢) وابن خلكان (١٢٦) والقصيدة لسليمان بن برمك وقيل للرقاشي وقيل لاشجع وعزاها ابن الرشيق في كتاب العمدة (ص ٢٣) لابي قابوس الشاعر النصراني يشفع بمن بقي من البرامكة عند الرشيد . وزاد قائلاً : فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامير العظيم من الشفاعة والرثاء

٢) خذ ما شئت من مراثي الخنساء وغيرها من الالحان المحزنة

الحسن مات عوضاً عني ليخلّصني . واسفاه !

عبدالله لله درُّك يا اخي من كوكب باهر ونجم زاهر أفَلَ قبل اوانهِ وغار في التراب وكانت القلوب افلاك بيانهِ . تموت ولم تتجاوز الثامنة من عمرك . فصن لمارد قصفتهُ الرياح وزهرة رائعة نثرتها يد الظالمين (غناء محزن)

الحسن كفّا من النوح فأنا انا جديرٌ بالبكاء والنحيب فقد داهمتني الاحزان من كل جانب ورمتني سهام المنيّة فصدعت مني الفؤاد وكسرت الاعضاء وفتّت الاكباد . هنا اخوتي وامي واهلي اضحت عظامهم تحت اطباق الثرى رفاتاً . وهناك جثّة ابي تنتاشها العقبان وتحدق بها النسور . هنا ألقي برأس ابي في ترس وبدنهُ في نطع والرشيد ينظر اليهِ وهناك مات البرامكة كسرت عظامهم الاعمدة وحطمت جباههم الحجارة

أأبكي على اهلي من لا يزال ذكرهم يهيج احزاني ويُثير اشجاني . او اندب ابنك قرة عينك وعيني ومهجة فؤادك وفؤادي جعيفرًا الذي مات عوضاً عني لينجيني من الموت

وان تكُ في قبر فانك في الحشى وان تكُ طفلًا فالاسى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يُبكى على قدر سنّهِ ولكن على قدر الفراسة والاصلِ

لقد خدعتني يا فلذة الاكباد خدعتني يا جعيفر أخيَ الحبيب خدعتني باطفك وكرم سجاياك فخاصتُ لكني كنت سبب موتك وشعلةً ارقدت الاحزان في قلب ذويك . مَن لي بالموت فأعوّض عمّا فرط . اتغفر لي يا جدّ وانت يا اخي عبدالله

العلوي بُنيَّ كف عن البكاء وليكن الرجاء عزاءك

عبدالله فسوف يُلبس الله عظام من فقدناهم مجدًا فيقومون يوم العرض مكلّلين بتيجان السعادة

العلوي مات جعيفر شهيد حبّهِ وقياماً بحقوق المعروف فنجّى فرعاً كريمًا من البرامكة فانَّ شهامتهُ عزاني اذ كنتُ انا مجلبة حقد الرشيد على اهلك ووسيطة اتّخذها الوشاة فأوقعوا بقوم كرام ذوي دين صادق وشيم عالية . فانت يا ابن البرمكي انت احرى بالثناء وانا احق بطلب العفو

الحسن غفر الله لنا جميعاً

عبد الله كأني لسمع صوتاً

العلوي لم نرَ قط في هذه الخرابات سوى جبريل يأتينا بما نقتات به ولولاهُ لمتنا جوعاً

الحسن هو جبريل

عبد الله ومن ذا الذي معهُ ؟

المشهد السادس

العلوي . عبد الله . الحسن . المامون . جبريل

(في اثناء المشهد الخامس والسادس يمرّ الرشيد واصحابهُ في اقاصي المرسح ثيبون تارةً وتارةً يظهرون)

المامون اخي الحسن ألا تعرفني ؟

عبدالله ابن الرشيد هنا !

العلوي (لجبريل) هكذا أطلعتَ القوم على سرّنا

جبريل لا خوف عليكم

المامون اخي الحسن ألا تعرفني؟ أنسيت ما تعاهدنا عليهِ من الاخاء مدى العمر ؟

الحسن عرفتُ عبدالله المامون مَن كنتُ أحبُّهُ كأخ. لكني ابغض ابن الرشيد

المامون سألتك بالله ان تقبلني

الحسن اليك عني فانَّ في القارب حزازات وسخائم لا تبلى

المامون دعني اصافحك

الحسن لا تمتني يد ابن الرشيد

المامون ما ذنبي انا وقد مت كمدًا !

جبريل اصفحوا فالله يحب الرحمة

المامون كفى ابي وكفاني ما لقينا من العذاب

الحسن ابن قاتل ابي وامي واخوتي! كلّا كلّا

المامون سألتكم بالله . . .

المشهد السابع

يدخل بنتة مسرور وياسر

مسرور اجيبوا امير المؤمنين

جبريل مسرور هنا ! يا لله ما العمل ؟

المامون قف يا عبد السوء

مسرور المامون مع اعداء الرشيد اعني يا ياسر

ياسر اعينك على موالي !

عبدالله (لمسرور) لا تمدّ الى احد يداً دنسة

مسرور يا ياسر

عبدالله (يستلّ سيفهُ ويتبع مسروراً خارج المسرح) خذها ضربة قاتلة (ثم يعود)

ياسر والآن هاءنذا ايضاً ياسر العبد الخائن فاقتلني يا عبدالله

(يهجم عبدالله على ياسر)

جبريل قف سألتك بالله (ضجّة)

المشهد الثامن

يدخل الرشيد واصحابهُ

الرشيد اغمد سيفك يا عبدالله

العلوي الرشيد هنا ؟

الحسن قُضي الامر

المامون يا ابتاه

الرشيد وانت بُنيَّ هنا !. لا باس. قد سمعتُ كلّما قلتموهُ ووعيتهُ

المامون سألتك بالله ألّا تقتلهم

العلوي دع عنك ذلك يا ابن الرشيد. وانت يا هرون هاك طلبتك قد بلغتَ المنى .
جرّد ذا الفقار سيف جدّي واغمدهُ في صدر ابن علي ها صدري فاطعني

الحسن ان يدي بيد يحيى بن عبدالله . هاك يا هرون ابن جعفر البرمكي وابن

العباسة . قتلتَ اباهُ وامَّهُ واخوتهُ وذويهِ جميعاً فلا يحسن بهِ ان يعيش بعدهم . جرّد سيفك وأمِت اطهاراً وألحقهم بمن اهرقت دمهم ظلماً وجوراً

عبدالله وانا ايها الرشيد كنتُ سائراً اليك فاتيتَ اليَّ . قد قمتُ باعباء الرسالة وعدت اليك بما يوطد اركان ملكك فتركتُ تحف سلطان الفرنجة ورسائلهُ مع الاحمال على باب المدينة واني لقد انجزت ما امرتني بهِ ورتقت الفتوق التي لا يزال يحدثها الفضل بن الربيع هذا الخائن في دولتك واذا اطلعت على الرسائل حصحص لك الحقّ وانكشفت الرغوة عن الصريح فعرفت من الامين ومن المكّار

الفضل لا تصدّق هذا المقال

الرشيد (للفضل) صهْ لا امَّ لك

عبدالله فاتيتُ سرّاً انوح على اسيادي والثم آثار اقدامهم واقبّل ثرى اجداثهم والان اسألك جزاء اتعابي ما اعددتهُ لكفاتك واصفيائك فليس حظي باحسن من حظّهم . انتضِ حساماً ضرّجتهُ بدماء آل علي بن ابي طالب وآل برمك هاك دماً زكيًّا فاسفكهُ . انت اهل لذلك

ياسر اقتاني . انا سبب كل ما جرى . جنيتُ على البرامكة كذباً باغراء الفضل هذا اللعين . امتني فاني ظالم ولينجُ البري

المامون سألتك بالله ان تصفحَ ابتِ والّا فاقتلني معهم فاني والوفا من رعاياك نواصل البكاء ليلاً ونهاراً على فقد البرامكة

الرشيد كفى . كفى . قد طال اضماري الاسف واظهاري القساوة باغراء من اغراني فعلى البرامكة ابكي وانوح (يبكي) (١

ايا سبتُ يا شرَّ السبوت صبيحةً ويا صفرُ المشؤومُ ما جئتَ أشأما
أتى السبت بالامر الذي هدَّ ركننا وفي صفر جاء البلاء مصمّما (٢

فقد والله لم التقِ رخاء بعدهم . أضنكتني الامراض . واحاطت بي الاعداء

١) الاغاني (١٧ : ٧٤)
٢) الطبري (٦٨٥) والمبلاوي (٩٥)

وجانبني الاصدقاء . وانذرتني الخوارق والآيات . اذا اضجعتُ على فراشي كأني على وقودٍ ملتهبة ينخزني الضمير بمهازه . واذا سرت تراءت لي اشباح مُدلة عليَّ . لم ينجني منها مواصلةُ الصلاة واستماح الغفران والحج ماشياً (١ . لوددتُ لو شوطرت عمري ولم آتِ بما اتيت (سكوت)

فعليكم يا آل برمك ابكي ولذكراكم احفظ وعلى اياديكم البيضاء أثني وعمّا جنيت من الاثم الفظيع اعضّ البنان ندماً واسفاً . فلو كان يفديكم سفك دمي وبذل روحي لما بخلت بها عليكم يا من كنتم غرّة عصري وتاجاً على مفرق دهري (٢ ومعتصماً الجأ اليهِ في علني وسري واسوةً اقتفي معالمهم في سيري واخوان صفا الوذ بهم في عسري ويسري . فليس لي الان الّا ان اعلن باسفي وندمي على مسمع من الكبير والصغير (٣ أتعفو عني يا فرعاً كريماً نجاه الله من ظلمي فاصبح الوريث الوحيد لمآثرهم . انا هرون الرشيد اسألك بحق حبك لابيك وحزنك عليهِ ان تصفح عن ذنبي . ألا تجيب شيئاً ؟

المامون فليكن لنا عفوك عزاء ورجاء يوم الدين

الحسن قاتل ابي واهلي !

جبريل اذكر شيمَ ابيك وما رضعتهُ في حجره من المبادئ الدينيّة والتقى واصفح بُنيَّ

الرشيد اقتلني باسم ابيك واهالك والّا متُّ كمدًا

الحسن غفر الله لك اثمك

الرشيد شكرًا لك ربّي

المامون عاهدني على الاخاء كما سبق

الرشيد عش في قصري مع المأمون وكن لهُ اخاً

الحسن لا افترق عمّن هما لي اب بعد ابي واخ بعد اخي

---

١) الفخري (٢٦٤)

٢) الفخري (٢٦٩)

٣) لم تتفق اقوال المؤرخين في هذا الامر فذهب قومٌ انهُ اسف واضمر الاسف وقومٌ انهُ اعلنهُ مرارًا

الرشيد لستُ اهلاً ان يزين ابن جعفر منزلي — (للفضل) هات يا خائن خاتم الوزارة واذهب الى لعنة الله وحرّ سقر. اولى لك. فلا تجاورني ولن رأيتك قتلتك. ولولا ان سفك دمك هو عار عليّ يوم فزتُ بالعفو من البرمكي لهدرتهُ

الفضل وجزاء سيئة سيئة مثلها (يخرج)

العلوي بئس مَن باع دينهُ بدنياه فلم تربح تجارتُهُ

الرشيد (لياسر) انت اردتَ الدفاع الان عن هؤلاء. كن حرًّا لوجه الله

ياسر ساسير الى بلادي واعيش في النسك والعبادة تعويضاً عمّا فرط مني

الرشيد (لياسر) حسن. (لعبدالله) كن يا عبد الله وزيري وقم باعباء الدولة كما قام بها يحيى وجعفر

عبد الله ان نفسي لا تطاوعني على هذا

الرشيد عيشوا يا كرام في قصري فقد ملكتكم كل ما كان عليه البرامكة ووليتكم على الوزارة والحجابة والامارة

العلوي سألت امير المؤمنين ان يعفينا ويمكننا من الذهاب الى البلاد البعيدة نعيش فيها في الخلوة والعبادة ونموت كراماً

عبد الله وان اجاز لنا اتينا كل عام الى هذه الخرائب نحج الى كعبة الشرف والدين والوفاء فنذكر البرامكة ونندب الدنيا على فقدهم

الحسن سلام على الدنيا اذا ما فقدتمُ بني برمك من راحين وغادِ

الرشيد يا آل برمك انكم تحت الثرى اعلى واشرف من ملوك عاليهْ
فانا مليك الارض احسدكم واحسد قبركم يا ليت ضمّ عظاميهْ
الله اكبرُ ايها العظماء والحكام م فاعتبروا بهذه الداهيهْ
فاذا حكمتم فاحكموا بالعدل لا تبغوا فعقبى البغي نار حاميهْ
وبصالح الاعمال لا بالظلم تدّ م خرون في الدارين نعمى ساميهْ (١

(تنتهي)

١) او فليقل الرشيد هذه الابيات :

يا آل برمكَ ما اسى مناقبكم فلحدُكم كعبةٌ حجّت لها الامَمُ
يا جعفرَ الجود يا فضل المحاسن يا يحيى الزمانِ دماكم كيد من ظلموا
هدمتُ مزّي بكفي اذ سمعتُ الى قولِ الوشاةِ فاصمى قلبي الندم

العواطف الشريفة

رواية للخوري اسطفان البشعلاني (ملخَّصة من الافرنسيَّة)

١

دامت الحرب بين امراء المانية المصلحين وبين امبراطورها وامرائها الكاثوليك من سنة ١٦١٨ الى ١٦٤٨ فعُرفت بحرب الثلاثين سنة وهي تنقسم الى اربعة ادوار: ١ً دور الاشراف وهو قتال فردريك الخامس منتخب باڤارية والامبراطور فردينان الثاني. ٢ً الدور الدنمركي المشهور بتدخل كرستيان السادس ملك الدنمرك في شؤون المانيا. ٣ً الدور الاسوجي وقد عُرف بانتصارات غرستاف ادولف ملك اسوج الذي قُتل في أُترن. ٤ً الدور الافرنسي وفيه نرى ريشليو يساعد المصلحين قصد الخفض من شان النمسة الى ان حملت انتصارات فرنسة اخيراً الامبراطور فردينان الثالث على توقيع معاهدة وستفالية

فالى هذا الدور الاخير ندعو القارئ الكريم ليتبعنا الى جهة سبسارت من بلاد المانيا في اواخر سنة ١٦٤٤ في ليلة ارخى الظلام فيها سدولهُ واختفت نجومها وقرس بردها فاستحجر التراب وجمدت الاشجار والمياه في الانهار. وكان الجليد يتكسَّر فيُسمع له انين كأنهُ شكوى الحزين وانضمَّ الى هذا الانين صوت العاصفة التي كانت تهبُّ من بعيد على الجبال

وكان فارسان غساويَّان ممتطيان جوادين كريمين يسيران في أجمة كثيفة وهما يبحثان عن الطريق المثلى وقد التحفا بدثارين طويلين يجللان الجوادين. وكان احدهما فتى يدلُّ وجههُ على الحدَّة لابساً بزَّة ملازم وكل ظواهره تنبئ بانهُ فارس مجرَّب. اما الآخر فكان كهلاً قد ارتسمت في وجهه ملامح الغم الشديد واللطف وارخى ضفائر شعره حول جبهته المجعَّدة واطرق رأسهُ كأنهُ يحتمل واضياً متاعب سيره في ذلك الليل

جودوا بصفح على من خان عهدكُمُ فاصفحْ شيمتُكُمْ من قبلُ والكرمُ
فلو درى الناسُ عُقبى البغي لاجتنبوا كيدَ الطُّغاة فلا يَطغون ان حكموا
تفقهوا يا أُلى الاحكام واعتبروا ولا تجوروا فانَّ اللهَ ينتقمُ

البهيم ويشجع جواده الذي كان يتعثر بجذور الاشجار المكسورة. لا يشكو برداً ولا ظلاماً ولا تيهاً

وللحال صاح الملازم الفتى : متى ينجلي هذا الليل الطويل. فقد اجتمعت فيه الظلمة والبرد والخوف من الذئاب ومن عدو طارق

قال الآخر : اهذا هو البأس الذي امتاز به ابناء جرمانية الاشدّاء وما الشكوى يا فيليب الّا لتزيد المحن شدةً فاصبر على الشدّة وضع نفسك فوق المصاعب

فقال الملازم : أَوَ تظنّني يا مولاي الامير الاي أبلغُ ما بلغتهُ انت من العزيمة والصبر على الشدّة فانت اصلب عوداً من شجر هذا الغاب ولقد عجبتُ من ثباتك في مواقف الحروب العديدة التي شهدتها. كنت صبوراً في القتال ثبتاً في الهزيمة رصيناً في الفوز كبيراً عند تقلبات الأيام يحترمك الجيش ويحبك الامبراطور ويهابك العدو. على انني العن هذه الحرب التي جرّت على البلاد والعباد انواع البلاء والفقر

قال الامير الاي : لا تمادَ يا فيليب في السير مع تيّار الهواجس والفكر فنحن ندافع عن واجب مقدّس فاذا وخطك الشيب ذهبتْ منك هذه الحدّة او يليق بنا ان نترك الدفاع عن دين تلقّنا شواعرهُ عن والدين فارقونا ولم يفارقنا ذكرهم ؟

فأثّر هذا الكلام في قلب الشاب وذكر بعد نسيانهِ ايام الصبا فقال : نعم لقد علّمتني والدتي الصالحة محبّة الله وتكريم الدين. ان نسيها وقت الصلاة كانت ترتفع مع نفوس اولادها الى الله عزّ وجلّ بمنتهى الورع. آه لقد ماتت والدتي واختي وقُتل والدي في بعض الحروب !

ثم صمت فيليب وتزاحمت الافكار في مخيلتهِ. امّا الامير الاي الذي كان من قبل رابط الجأش فاخذت تتقسّمهُ الهواجس وتنبّد من اعماق الفؤاد فسمعهُ الشاب فصاح : عفواً يا مولاي الاميرال بل يا ابي الحنون لقد احزنتُك على غير قصد وحرّكت ساكن اشجانك

فاجاب بصوت منكسر : « نعم لقد آثار حديثك فيَّ مرارة نفس كتمتُها وذكّرني بشدائدي واحدةً فواحدة لقد صبرتُ وتأسيت بغيري ممّن أُصيب باعزّائهِ الّا ان ذلك لا يشفي جراح أبٍ وزوج تعيس . . لم اكن وحيداً يا فيليب من قبل فقد كنت مقيماً في دوقية باد أنعم بمسرّات العائلة والحبّ الطاهر فهناك امرأة شريفة عرّفتني ما في الحيرة

من الغبطة وعرّفني فقدُها ما يفعل الحزن في القلب

« ولقد رزقني الله ولدين قرّت بهما عيني اذ جمع فيهما كمالات والدتهما ولكن ما عتّم ان أُشهر الحرب ورأيت الوطن يدعو ابناءه وشعرتُ زوجتي اليونورا بحرج الموقف فأخفت عواطفها وكانت تسبق الى تشجيعي بقولها: ان الله والوطن يدعوانك فلا تتوقّف عن تلبية الدعوة . وقد تمكنتُ بعد سنتين من الرجوع الى اهلي لاعانتهم استعدادًا لفراق مرّ . لله ما اجمل ما كانت صورتها عندما ودّعتها آخر مرّة ! اني اراها دائمًا في احلامي تبتسم وذكرها الجميل اثمن كنز اصونهُ . وقد خطف الموت مني ولدي غستون فعظم المصاب عليّ ولكني صبرتُ وانصرفت بكلّيّتي الى ابنتي الوحيدة . . .

« انني شريف الاصل غير ان والديّ لم يُبقيا لي سوى شعار اسرتهما . وصلتُ الى الجنديّة من صباي واقترنت في الخامسة والعشرين من عمري بامرأة مثلي لا مال لها غير أنها كانت قنوعة مقتصدة تعتبر سعادة العائلة احسن سعادة . وكانت مَجَريّة الاصل فلمّا مرضت خُيّل لي ان رجوعها الى وطنها يعيد اليها العافية بعد ما عجز عنها نطس الاطبّاء . فعرضت ذلك عليها فتورّدت وجنتاها وقالت : اني لم اترك بلادي الّا لاعيش معك يا كرستيان . . . أرغب العود الى بلادي ولكني ضعيفة الآن فنؤجّل ذلك الى وقت آخر . . . وقد كانت المسكينة تبسم للحياة والموت يعانقها

« وما لبثتُ ان نادتني الحرب ولم يسعني الوقوف دقيقة لئلّا أُحسب جبانًا ولانّ حَمْل السلاح مهنتي التي تعيش منها عائلتي . اواه يا فيليب عندما ودّعتني اليونورا وضمّتُ ولدي غستون الى صدري كنتُ اتمنّى الموت في تلك الساعة . ولم يمضِ على سفري شهران حتى قضت زوجتي وقضى بعدها غستون باسابيع قليلة ومن هذا تعرف كم قاسيت وربّما عاجلني الشيب . انني سرت حيثما قادني الشرف الذي منعني عن تلبية نداء الحنو . امّا ابنتي ماتيلدا فابن ماتت ؟ ذلك ما يجهلهُ هذا الاب التعيس . وقد كنتُ لمّا علمت بموت زوجتي قبل موقعة لُتزن دعوت الموت في ساحة يلقى فيها كثير من الابطال الشبّان موتًا مجيدًا فلم تُصبني رصاصة ولم يمسّني حسام . قضي عليّ بان اعيش . . . فاعيش لكي اتعذّب

« وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى أُنبئت بفاجعة مؤلمة وتلك انني كنت وكّلت امر ابنتي ولها من العمر تسع سنوات الى امرأة فاضلة كانت صديقة لوالدتها

فقبلت الوكالة وطرّقت ابنتي بعقود الحنان غير انهُ بعد زمن قليل نزل بالقرية التي كان فيها منزلنا فرقة من الجنود الغاة وذهب كل شيء طعاماً للسيف والنار وهلك خلق كثير ونجا الباقون هرباً . وخُطفت ماتيلدا ولم نتمكّن من الوقوف لها على اثر مع ما بذلنا من التفتيش . ولزيادة البلوى أُصبتُ بعد ذلك بجرح تركني في ساحة القتال بين حي وميّت وبعد مدّة عدتُ الى الحياة بالعناية واستأنفتُ البحث عن ابنتي فذهب تعبي ادراج الرياح وكان يعذّبني خوفي من ان تكون ماتيلدا ذهبت ضحيّة التعصّب بصفة كونها ابنة جندي كاثوليكي . وماذا يحلّ بي اذا كانت ابنتي أُبعدت الى مكان تعيش فيه عيشة الرذيلة ! فكان هذا الفكر يمزّق احشائي تمزيقاً وافضّل ان تكون ماتت الف مرّة ولا يلحقها هذا العار »

وهنا انحنى الامير الاي على عنق جواده وتمادى في البكاء والنوح

فاخذ فيليب يشجعهُ ويحرّضهُ على الصبر فقال الامير الاي : « لقد اصبتَ فما تنفع الشكوى فالامثل بي ان اخفي حزني واجعل صدري مركزاً حصيناً انقش عليه اسماء احبّائي الثلاثة . ولا غروَ انك كنت اوّل من عرف سرّ بلواي وحزني بعد ان كتمتهُ ثماني عشر سنة »

قال هذا ومدّ يدهُ الى فيليب فاخذها الملتزم وقبّلها ونثر عليها لؤلؤة من الدمع

ثم استطرد الامير الاي الكلام قال : « اني غنيّ الآن ويا ليتني كنتُ فقيراً مثل يوم كنت امالك فيه مع أُسرتي ذلك الكنز الذي اوتيتهُ من السماء . وكم من رجل يسحب مثلي ذيول الغنى والجاه كالاسير الذي يرسف بقيوده الثقيلة . وكلّما كنت احاول تخفيف ويلات التعساء بتجديد ابتسامة على شفة تراءت لي صورة ابنتي وهي صفراء متوجعة فلماذا ارى تلك الروح التي شاء الله ان ينقلها اليه والى اليونورا مرفرفة حولي »

ثم سكت وسكتت الريح ايضاً واخذت تظهر الطريق لعيني المسافرين بنور الفجر ونزلا الى الوادي واذ لم يعرفا الطريق قصدا محلّ اجتماع الناس ثم طرق اذنيهما صوت جرس فضّي يقرع « التبشير » في الكنيسة القريبة فاراد الامير الاي ان يدخل بيت الله استرجاعاً لقواهُ التي فقدها في تلك الساعة بتلك الذكرى المؤلمة فسأم جوادهُ الى الشاب ودخل حتى اذا صار عند المذبح سجد واستغرق في التأمل

٢

ربط فيليب الجوادين بحديد المقبرة وتبع الامير الاي فسجد مفكرًا بوالدته ونظر نظرة الشفقة والاحترام الى ذلك الرجل الذي فتح له قلبهُ. ولمَّا همَّ الامير الاي بالخروج اذا بفتاة تحمل طفلًا وراء كاهن وقور فنظر هذا الى الامير الاي واسرَّ الى الفتاة كلماتٍ فأصغت اليهِ الفتاة ثم دنت من الامير الاي وقالت بأدب: قد كان حضرة الاب رضي ان يكون عرَّابًا لهذا الطفل الفقير الَّا انَّهُ اذ رآك هنا رغب الى جنابك ان تتنازل وتقوم مقامهُ

قال: لا ادري ايتها الفتاة ما الذي حمل حضرة كاهنكِ على هذا الطلب

قالت: لان الطفل ابن جندي وبزَّتك تدلُّ على مقام رفيع في الجنديَّة فانت اذًا أليق لحظِّ الولد من كاهننا الوقور

فتأثَّر الامير الاي لهذا الايضاح ورضي بان يكون عرابًا للطفل. ثم سألتهُ الفتاة: وماذا تريد ان تسميه ؟

قال: لم افتكر بهذا لكن فلنسمِّهِ فيليب... ونظر الى رفيقهِ

قالت: امَّا والدته فقالت لي: اطلبي يا لويزا الى المحسن الذي يكون عرابًا لابني ان يسميهُ كرستيان

فقال متعجبًا: «كرستيان؟ ما هذا الاتفاق انا ايضًا أُدعى بهذا الاسم». وتهلَّل قلب الامير آلاي منذ ذلك بمن صار لهُ ابنًا روحيًّا فكشف القناع عن وجههِ فرأى وجهًا غاية في الجمال ثم دنا من الكاهن فحيَّاهُ باحترام وسألهُ بعض معلومات عن والدَي المولود

فقال: انَّ اباهُ يدعى ريشار وهو دانمركي سمعتُ انَّهُ جندي باسل نبيه واقد كان خليقًا بالمناصب الرفيعة لولا فقره وكونهُ اجنبيًّا وكثيرًا ما رأيت ام الولد مفكرة متألمة ولمَّا احتاجت الى مساعدتي الروحيَّة رأيت منها نفسًا سامية غاية في العفاف وهي صابرة على ما نالها من البلاء فعسى ان تكون ولادة هذا الطفل طالع سعدٍ لهذه الشهيدة المسكينة

فشكر الامير الكاهن وتقدَّم الى جرن العماد واعطى الولد اسمهُ وقبل ان يستأنف سفرهُ وضع قبلةً ابويَّة على جبهة كرستيان الصغير ثم اخرج من جيبهِ كيسًا من القطيفة الحمراء مطرَّزًا بالذهب وسلَّمهُ الى لويزا قائلًا: هوذا نفقات العماد

وسألهُ الكاهن عمَّا اذا كان يمرّ بهِ ثانيةً فاجاب: بعد ثلاثة اسابيع في مثل هذه الساعة اكون هنا ان شاء الله فان كان لولدي كرستيان حاجة امكنك ان تقولها لي ايها الاب بعد رجوعي

قال: ليباركك الله ويَصُنْ هذه النفس الكريمة فترى من عائلتك كل سعادة انت اهل لها

فصافح الامير الاي الكاهن وشدَّ يدَهُ قائلًا: « لا يمكن ان يُجاب دعاؤك يا ابتِ لان عائلتي في السماء ولا حظَّ لي... » وغطَّى وجههُ بمنديلهِ وانصرف مع فيليب والكاهنُ ولويزا يشيعانهما حتى اذا غابا عن العيان دنا الكاهن من المذبح يصلّي لاجل ذلك الشريف واتَّت لويزا الولد باعتناء وسارت تريد منزل الجندي المسكين ولا شيْ يكدّرها سوى عبارة الامير الاي الاخيرة. فقد دعي الولد كرستيان بحسب رغبة والدتهِ وكان عرَّابهُ غنيًّا قويًّا والكيس المطرَّز يحتوي كميَّة من الذهب كل ذلك ممَّا يخفّف بلوى ريشار وزوجتهِ اللذين احبَّتهما محبَّة شديدة

فدخلت الفتاة ووجهها يطفح بشرًا الى حيث كانت امرأةٌ في السادسة والعشرين من عمرها قد اتَّسمت في وجهها علائم القلق والحزن وعلاها الاصفرار ما لم يُبقِ على شيْ من جمال ذلك الوجه. وكانت راقدة على فراش من القش فيلوح من كل احوالها ما يحمل على الشفقة وينبئ بما بلغت اليهِ من الشقاء. اما الغرفة فكانت حقيرة تحتاج الى الضروري والناظر اليها يدرك كيف ان العناية قد تخفي الشقاء تحتَ ستار النظافة والترتيب. ثم صاحت الفتاة: ها قد رجعتُ اليك يا سيدتي ببشائر سارَّة فلا تحزني. ان كنتِ فقدت بناتك الثلاث اطفالًا فابنك هذا يتمتع بصحة عجيبة وسوف يعيش ان شاء الله

قالت المرأة بصوت ضعيف لكنَّهُ حلو: اشكر لك يا ابنتي هذه الكلمات المعزّية

قالت: وان ابنك سُمّي كرستيان

فضمَّت المرأة يديها وهتفت: كرستيان! يا لهُ من اسم كريم محبوب

قالت: وان عرابهُ احد الجنود العظام على كتفيهِ رمانتان من ذهب وصدرهُ مرصَّع بالاوسمة وهو ابيض الشعر ملاحهُ كملاحكِ

قالت المرأة: لا ريب في انهُ متقدّم في الجندية ولو كان ابي حيًا لكان متّسمًا مثلهُ بسمات الابطال لانهُ كان بطلًا والآن فان نفسي تحدّثني بشيءٍ عنهُ

قالت لويزا: وهذا العرّاب الكريم اذ علم بانكم لستم اغنياء اعطاني نفقات العماد

فتوردت وجنات المرأة خجلًا وقالت: ولماذا قبلتِ يا ابنتي إحسانًا

قالت: اه! يا سيدتي لو سمعكِ الرجل الحزن جدًا او تظنين ذلك احسانًا فلقد دنا مني وضمَّ كرستيان الى صدرهِ واعطاني الكيس قائلًا: «هذا الفلوني». وطرحتُ الكيس بين يدي المريضة ولمَّا رأت ما فيهِ من الذهب هتفت: «اني اسأت فيما قلتهُ لان صاحب هذه العطيَّة ابن نعمة وانا فقيرة يا لويزا ومنذ اسابيع لم يقبض ريشار معاشهُ وماذا كان اصابنا لولا هذه العطيَّة». ثم ضمَّت ولدها الذي ابتدأت السعادة معهُ وقبل ان تلفّ الكيس وتصونهُ ارادت التمتع برؤية تطريزهِ واذا بها صاحت صيحة التعجُّب «اني! اني!» وسقطت لا تعي على وسادتها فاسرعت الفتاة الى معالجتها حتى افاقت من غشيتها ونظرت الى الكيس باكية وقالت متمتمةً للويزا التي لم تفهم شيئًا ممَّا جرى: «انظري يا ابنتي الى هذا التطريز فانهُ شعار أسرة والدي وهو يمثل سلاحهُ وكنت اظنهُ من سنين عديدة قد مات. الزيادة عذابي علمتُ الآن بانهُ حي. فاين هو واين سار لاتبعهُ؟ آه! آه اني لن اراهُ الى الابد». فتبسَّمت لويزا تبسُّمًا ملائكيًا وقالت: «بعد ثلاثة اسابيع تشاهدين والدك كما وعد الكاهن. اه! لقد اصبتُ اذ قلت بان ملامحه كملامحك»

وكانت ماتليدا تتقلَّب بين الخوف والرجاء وهي لا تصدّق بانها ترى والدها ثم تمالكت واخذت تسأل الفتاة اسئلة كثيرة بيَّنت لها دون شك ان العرّاب هو ابوها. وكانت تنتظر رجوع زوجها ريشار حتى اذا كان المساء بشرتها لويزا بقدومهِ ثم دخل وكان في الثلاثين من عمرهِ تلوح عليهِ سيماء اللطف يرتدي بثوب اونباشي فدنا من الفراش وهتف بصوت يذوب رقَّةً: لقد اسرعتُ يا عزيزتي لاراكِ واعانق مولودنا الصغير وابشرك بان سفيرًا من قبل الامبراطور اتى بنفسهِ لينقذنا المعاش المتأخر فهذه النقود لك يا ماتليدا وقد وددتُ لو رأيتِ هذا الرجل الفاضل يشجعنا ولقد شاقني منظرهُ فكان يشبهك بحق الشبه

فصاحت المرأة وقد القت نفسها على ذراعي زوجها : ان هذا الذي أعجبتَ بهِ يا ريشار هو ابي ..

— لله ما تقولين ؟

قالت : « وهو عرّاب ولدنا كرستيان الصغير وهوذا كيس منهُ عليهِ شعارهُ غير ان هناءنا لم يتمّ اذ لم أرهُ وهو يجهل كوني موجودة » . ثم قصّت عليهِ كل ما حدث فكان يضمّ تارةً زوجته وتارة ولدهُ ويقول : لقد قاسى كثيرًا لاجلك ولكن الحمد لله لقد زالت أيام النحس !

ثم رأت ماتيلدا زوجها قد تغيّر وجههُ واراد الابتعاد عنها اخفاء لعواطفهِ فلحظت اضطرابهُ فسألت عن سبب تألمهِ فلم يستطع الّا ان يصرّح لها بقولهِ : انك تلاقين والدك بعد فراق مرّ غير انّهُ اذا رآك فقيرة مجهولة مريضة وهو غني مشهور قوي انكرك ولعن الحظّ الذي جعل صلةً بينك وبيني . بل انكِ انتِ اذا رأيت نفسك محفوفة بمجالي العظمة واسباب النعمة هل تعودين تعترفين برفيقك الجندي المُعدم الذي لا يكاد يقوم بمعاشك حتى بثمن دمهِ ؟

فاصفرّ وجه ماتيلدا لكلام زوجها وكانت تعلم رقّة شواعرهِ فادركت حالًا ما يجول في صدرهِ فاخذت يديهِ وقالت علنًا : ان ابي ذو نفس سامية فهو يباركك ويدعوك ابنًا لهُ . ولو فرضنا ان شواعرهُ تغيّرت وانكرت علاقتي معك افيسعني ان انساك . اتعتقد ان الثروة تفرق بينك وبين زوجتك فلا تجعل هذا الريب يجرح قلبي . ولو كان اجتماعي بوالدي الذي اشتاقهُ يحول بيني وبينك فاقسم لك بانني انكر حقوقي البنوّية محافظةً على الحقوق الزوجيّة والأمومة

فاخذ ريشار يدي امرأته وضمّهما الى صدرهِ ودموع الفرح والشكر تترقرق في عينيهِ وقال : ماتيلدا انك كنت دائمًا في عينيّ اكمل مخلوقات الله واليوم صرتُ احسبكِ حقيقةً كملاك بصورة انسان

٣

مضت ثلاثة اسابيع والكاهن ينتظر رجوع الامير الاي وبعد انتظار ساعة في الكنيسة اذا بهِ قد اقبل فانحنى امامهُ الكاهن وطلب اليهِ ان يشرّف منزلهُ فلبّى الامير الاي الى اشارتهِ ومضى معه وبعد ان استقرّ بهما المقام قال الكاهن : « تعذرني يا مولاي

اذا القيتُ عليك بعض اسئلة ربما خفيتُ اهميتها عليك». فاحنى الامير الاي راسه علامة القبول واستطرد الكاهنُ قائلًا : اريد اعرف هل الشعار المرسوم على الكيس الذي اهديتهُ لفليونك هو شعارك

— لا شك بذلك

— او هل لك عائلة ؟

— كان لي رفيقة محبَّة واولاد ظرفاء وكلهم خُطفوا مني

— بالموت ؟

قال الامير آلاي : حبَّذا لو خطف الموت الجميع فقد كان لي ابنة بقيت حيَّة بعد امها واخيها خطفتها يد قاسية وعذَّبوا البنت بما ارادوا ان يعذبوا الاب

فسألهُ الكاهن : واذا كان الذين خطفوا ابنتك ابقوا على حياتها ؟

فبُهت الامير الاي وتغرَّس بالكاهن وقال : اني افضل يا ابتِ بان تكون ابنتي ذهبت شهيدة على ان تحيا حياة العار . ولو فرضنا انهم ابقوا على حياتها وآدابها الاولى التي وضعتها مع الحليب ولم ينزعوا من قلبها الطهارة التي هي فخر المرأة لبقيتُ في ريب مخيف من جهتها . تبارك الله في احكامهِ ويا ليت عظام ماتيلدا ترتاح في زاوية من الارض ابلُّها بالدموع وارشُّها بالزهور !

فتمزَّق قلب الكاهن لهذا المشهد المؤثر وجال الدمع في عينيهِ وقال : اني لاعجب من عواطفك الشريفة ايها الامير فقليل هم الذين يخضعون مثلك لاحكام العناية الالهيَّة واقلُّ منهم من يضحون من راحتهم في سبيل الشرف والفضيلة والآن فاسمح لي بان اسألك : اذا رُدَّت اليك ابنتك وهي مزينة بالفضائل التي تلقَّنتها اولًا فهل يزول شكك ؟

فلم يفهم الامير الاي هذه الالغاز وكان ينظر الى الكاهن كمن أُصيب في عقلهِ لكنَّهُ تغلَّب على هواجسهِ وعزا هذه الملاحظة لسبب بعيد عن خاطرهِ فقال : اني احترم يا ابتِ الداعيَ الحامل لك على هذه الاسئلة التي تؤلمني وان كنتُ لا افهمها واجيبك بانني اذا رأيت ابنتي المحبوبة على الحالة التي وصفتها فبلا ريب يشعر قلبي بفرح لا يوصف ولكن من يؤكد بانها خرجت ظافرة من محيطٍ كلهُ اثمٌ ؟

قال : يؤكد ذلك سيرتها الصالحة وحياتها المقدَّسة وقد حان لي ان اكشف

القناع وابشرك بان ابنتك حيَّة وقد استحقَّت اكليل الاستشهاد الذي ذكرتهُ لي وهي على الارض فبلاؤها وجهادها وثباتها في الصلاح وقناعتها وتواضعها كل ذلك يجعلها مثال الفضيلة والشرف. ان ذكرك لم يفارقها دقيقة مدَّة ثماني عشر سنة وقد قاست مع زوجها مشقَّات الحياة وحبُّها ثابت الَّا ان الله عزى قلبها الكسير بعد ان فقدت ثلاث بنات بمولود جديد عمَّدتهُ منذ ثلاثة اسابيع وصرتَ انت عرَّابهُ فسمَّيتهُ انت كرستيان

وكان الامير الاي الذي لم يحنِ جبيناً في الحروب جاثيًا امام الكاهن وشفتاهُ ترتجفان ووجهه ممتقع وذراعاه مبسوطتان. فهتف وهو لا يكاد يعي « اين هي ؟ اين ابنتي ؟ يجب ان اراها او امرت » . فتقدَّم الكاهن وفتح بابًا مزدوجًا في الحائط فظهر من ورائهِ امرأة جاثية على ذراعيها طفل وخلفها جنديٌ شابٌ مطرقٌ عليهِ سمات الاضطراب فصاح الامير الاي: « ماتيلدا يا ماتيلدا أأنت هي يا ابنتي ؟ » وترامى الاب والابنة على بعضهما وبعد معانقة طويلة وقبلات ودموع نهضت ماتيلدا وامسكت زوجها بعزَّة ونبالة قائلةً: هوذا يا ابي زوجي المحبوب ريشار الذي كان مخلِّصي وملاكي وحارسي وهو جدير بمحبَّتك ورضاك

ففتح الامير الاي ذراعيهِ وقال: هلُّم يا ابني ريشار فقد صار لي منذ الآن ثلاثة بنين . . . فشكرًا لك يا رب على كل هذه النعم !

وكانت ماتيلدا بحاجة الى الراحة فالحَّ الكاهن على الامير الاي وعلى ابنتهِ وزوجها بان يقيموا في بيتهِ ريثما تصحّ ماتيلدا من ضعفها فشكروا فضلهُ وسكنوا في جوارهِ

وبعد ان ملكت ماتيلدا تمام العافية بعد ايَّام اخذت تقصّ على والدها حديثها اذ كان ريشار في مهمتهِ العسكريَّة والكاهن في وظيفتهِ الرعائيَّة ولويزا منشغلة بكرستيان الصغير قالت: « انني خطفت قسرًا من بيت حارستي يوم نهب الدغركيُّون القرية التي كنَّا فيها وحملني جندي منهم يدعى أسوالد على جواد لهُ الى كوخ امرأة فقيرة اعتنت بي فبكيتُ ودعوتك وما من مجيب ونفرتُ اوَّلًا من الجندي رغمًا عن عنايتهِ بي ثم عدتُ فسألتهُ ان يرجعني الى مكاني فاجابني بان لا سبيل الى ذلك قائلًا: « لان اباكِ مات في الحرب وحارستك قضت خوفًا وهلعًا وقد كنت اريد ارجاعك الى ابيك وان كان عدوًّا لنا ولم يكن خطفُك الَّا انتقامًا منهُ » . ولمَّا وضعت الحرب اوزارها حملني على جواد لهُ الى بلادهِ وكنت اذ ذاك في العاشرة من عمري ولمَّا وصل وجد امرأتهُ قد ماتت فحزن

جداً ولكنهُ تعزّى بي وتبنّاني اذ لم يكن لهُ ولد

« ولا اقدر اصف لك ما رأيتهُ من مروءة أسوالد ومحبتهُ فانهُ كان بعد تركهِ الجندية يشتغل في معمل لكي يعولني حتى مرض ومات بعد ان اوصى بي شقيقةً له اخذتني الى بيتها ولاطفتني اوّلاً لكنّها تغيّرت بعد ذلك واخذت تعذبني عذاب الشهداء وكان لها ولد وحيد يدعى ريشار رثى لحالي ولاطفني مخفّفاً احزاني وعذابي . وفيما كنت احنُّ شوقاً الى الوطن مرضت والدة ريشار سنة كاملة كنت اخدمها اصدق الخدمة حتى تعجّبت وطلبت مني الصفح عن اساءتها اليَّ

« اخيراً ماتت وخرجتُ من بيتها وعزمتُ على الخدمة والاستعطاء لاحصل معاشي فعرض عليَّ ريشار مساعدته بعد ان عرف قصّتي واخيراً طلب اليَّ ان اقترن به والحياء والادب يمنعانهِ عن ذلك زماناً . فلمّا رأيت مروّته وشرف عواطفهِ واخلاصهُ وضعت يدي بيدهِ واتّخذتهُ لي رجلاً »

واستأنفت ماتيلدا حديثها قالت : « وبعد زواجنا باع ريشار ما يملكه لاجل نفقات الطريق فلمّا وصلنا الى هذه الناحية انخرط في سلك الجندية وعانى بثمن دمهِ وجُرح في الحرب مراراً واحتمل عذاب الجندية بلا شكوى »

ثم سألت والدها عمّا حمل اسوالد على ان يخبرها بموتهِ فقال : « انني بعدما خُطفت جرحت جرحاً مميتاً وشاع في الجيش انني متُّ »

*

بعد هذا الحديث بخمس سنوات اي سنة ١٦٤٩ كان الامير الاي ساكناً قصراً فخماً في مقاطعة باد وقد اعدَّ مائدة جلس اليها ومعه ابنتهُ ماتيلدا وحفيدهُ كرستيان الصغير والى جانبهِ لويزا الامينة ثم دخل رفيقه القديم فيليب الذي صار اميراً الايا وصهره ريشار الباسل الذي ارتقى في الجندية الى رتبة بيكباشي . ودخل بعدهما الكاهن الغيور وهنّأ الجمهور على ما رزقهم الله من السعادة فقال : بارك الله بكم يا اعزائي وبيوم عُقد فيهِ الصلح واستتبَّ الامن وعاد السلام الى العيال ذلك اليوم الذي لا يوازيهِ الّا يوم قدّمتُ ماتيلدا وزوّجها للاميرال النبيل « صاحب العواطف الشريفة » . فليحيَ الامير ! فليحيَ كل اهل الفضل والمروءة !

حماسة البحتري

لمحة ادبيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

الحماسة في اللغة الشدَّة والباس وفي اصطلاح ارباب الادب مجاميع شعريَّة ضمَّنوها كثيرًا من منظومات الاقدمين لاسيما التي غلبت عليها المعاني الدالَّة على التحمُّس والبسالة في الحروب . وكان اوَّل من طرق هذا الباب حبيب بن اوس الشاعر الشهير بابي تمَّام الطائيّ وضع حماستهُ في عشرة ابواب افتتحها بالشعر الحماسي فكان لمجموعهِ من الرواج ما ضاعف شهرتهُ حتى قيل انَّ ابا تمَّام في اختيارهِ للشعر اشعر منهُ في نظمهِ لهُ

وذلك ما حدا بغيرهِ من الادباء الى ان يقتصُّوا آثارهُ ويجاروهُ في العمل ويضعوا المجاميع الواسعة التي ضمَّنوها اجود ما عثروا عليهِ من اشعار الاقدمين مباشرةً باهل الجاهلية ثم المخضرمين ثم المُولَّدين. فتعدَّدت الحماسات حتى ان الحاج خليفة في كتابهِ «كشف الظنون» عدَّد منها بضع عشر وقد اخنى الدهر على بعضها فاخذتها يد الضياع كحماسة الاعلم الشَّنتمري (١ المتوفَّى في اشبيلية سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م). وحماسة علي بن الحسن المعروف بشُتَيم الحلّيّ (٢. والحماسة العسكريَّة (٣. وقد نجا بعضها الآخر مع عزَّة وجودها في خزائن الكتب كحماسة الخالديَّين وهما الاخوان ابو عثمان سعيد وابو بكر محمَّد ابنا هاشم اللذان اشتهرا في خدمة سيف الدولة الحمداني صاحب حلب في القسم الآخر من القرن الرابع للهجرة وحماستهما معروفة بالأشباه والنظائر منها نسخة في المكتبة الخديويَّة (اطلب فاتحتها ج ٤ ص ٢٠٢) . وكالحماسة البصريَّة في المكتبة عينها (٤ : ٢٢٩) لصدر الدين عليّ بن ابي الفرج البصريّ الذي قُتل بامر ملك المغول هولاغو سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) بعد ان خدم مدَّةً امير حلب

١) ذكرها صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب عبد القادر البغدادي (ج ١ ص ٥٢٦ وج ٣ ص ١٦٥)

٢) اطلب كشف الظنون (طبعة لندن ج ٣ ص ١١٦)

٣) فيهِ (٣ : ١١٦)

الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ابا المظفّر يوسف وحماستهُ تُضاهي حماسة ابي تمّام. وكحماسة ابي الحجّاج يوسف بن المحمّد البيّاسي الذي ولد في بيّاس مدينة في الاندلس ثم رحل الى تونس حيث توفي سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وفيها أَلّف حماستهُ التي لم يبقَ منها سوى بعض الفصول في احد مخطوطات خزانة غوطا من اعمال المانية (*Auzug*, Gotha, 13) قال الحاجّ خليفة (٣:١١٥) انهُ وضعها في مجلّدين وصنّفها في تونس في شوّال سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٩ م) جمع فيها ما اختارهُ واستحسنهُ من اشعار العرب جاهليّها ومخضرميها واسلاميّها ومولّديها — وكحماسة ابي السعادات هبة الله عليّ الشجري العلوي المتوفّى سنة ٥٤٢ (١١٥٠ م) وعلى ظنّنا انّها الحماسة الموسومة في مخطوطات باريس بالعدد ٦٠٨ تاريخ خطّها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) كانت في خزانة كتب العلّامة شيفر : (Blochet : *Catalogue des Mss. Or. de Mr C. Schefer.* p. 45) واسم المؤلف هناك ضياء الدين هبة الله (ابن) علي بن محمّد بن حمزة العلويّ. قال الحاجّ خليفة (٣:١١٦) في وصف هذا المخطوط « هو كتاب غريب احسنَ فيه. ذكرهُ ابن خلكان »

على انّهُ ليس بين هذه البقايا الشريفة السالمة من تيّار الزمان ما يستحقّ ذكرًا كحماسة ابي عُبادة الوليد بن عُبَيد الشهير بالبحتريّ. فانّهُ اذ رأى ما نالهُ وصفهُ وقرنهُ ابو تمّام من السُّمعة الطيّبة بتأليفه للحماسة قصد تجاراتهُ فوضع لوزير الخليفة المتوكّل الفتح بن خاقان حماسةً عارض فيها حماسة حبيب بن اوس. وقد ذكر ابن خلكان حماسة البحتري في تآليف هذا الشاعر في ترجمته. وكذلك ورد ذكرها في كشف الظنون للحاجّ خليفة في باب الحماسات. الّا انّ ذلك التأليف مع حسنهِ كما سترى كاد يتلف في جملة ما طُمس من آثار الادهار لولا همّة احد المستشرقين الهولنديين ل. ڤرنر (L. Warner) الذي عثر في القرن السابع عشر على نسخة منهُ في الاستانة فابتاعها وارسلها لتودع في خزانة دولتهِ في ليدن حيث تُرى اليوم في جملة مخطوطاتها الثمينة وهي كواسطة تلادتها (de Goeje et Houtsma: *Cat. Cod, Arab.* ed., 2^a, p. 385) وهذه النسخة راقية كما يظهر من ورقها وحبرها وخطّها الى القرن الخامس عشر للميلاد وهي مُتقَنة جدًّا حُلي وجهها الاوّل بالذهب والنقوش وذلك « برسم الخزانة الصميديّة العلويّة الأجلّيّة الفخريّة » كما ورد في مقدّمتها اشارةً الى احد الامراء

المماليك في مصر ممّن لم يصرّح باسمه . وقد كُتبت هذه النسخة بخطّ نسخي جلي مُحكم على ورقٍ صفيق وضُبط قسمٌ منها بالشكل . وهي في ٤٠٠ صفحة وفي كل صفحة ١٥ سطرًا

وقد امتازت هذه الحماسة بعدّة امور . منها وفرة ابوابها فان البحتري جعلها ١٧٤ بابًا ضمّنها معظم المعاني الادبيّة التي دارت على السنة شعراء العرب

ومنها ايضًا عدد الشعراء الذين رُويت عنهم بعض اقوالهم فانّهم يبلغون نحو الثمانة اكثرهم من شعراء الجاهليّة والمخضرمين . ولم يذكر الجامع من عهد العبّاسيين سوى نفر قليلين اخصّهم صالح بن عبد القدّوس . وكفى بذلك دليلًا على سعة محفوظات البحتري للشعر القديم

ومنها ايضًا حُسن الاختيار . فانّك في هذا المجموع الواسع لا تكاد تجد بيتًا واحدًا يمجّهُ الذوق السليم . فان البحتري يلوح في كل شذرة منهُ نقّادًا صحيحًا للشعر بصيرًا بمحاسنه

ويلحق بهذه الصفات مزيّةٌ أخرى يعرف ارباب الادب فضلها نريد بها تحاشي صاحب الاختيار في مجموعهِ لكلّ معنًى بذيءٍ تنبو عنهُ الاسماع ولكلّ لفظة تمسّ آداب الشبيبة . ولعلّ هذا المجموع هو الوحيد الذي يخلو من كل مجون . بل لا ترى فيهِ اثرًا للنسيب والغزل فيَصلُح لأنّ تتداولهُ احداث المكاتب دون الخطر على آدابهم وان يودي بهِ ارباب المدارس . فانّهُ احسن كتاب مدرسيّ يودعونهُ في ايدي الطلبة

هذه بعض صفات البحتري وقد اخذنا العجب انّ المستشرقين لم يكونوا بعدُ نشروا هذا الاثر النفيس وانّهم كانوا فمارا لو وقفوا على نسخة ثانية منهُ ليعرضوهُ عليها ويصلحوا ما وقع فيهِ من الاغلاط

ولمّا كنّا في هولندة سنة ١٨٩٢ اطّلعنا على هذا الكتاب فسبّتنا محاسنه وأسرعنا الى نسخهِ مع قلّة الوقت الذي كنّا نستطيع ان نصرفهُ هناك فأمكنّا ان ننقلهُ بسبعة ايّام فقط . وكنّا قصدنا نشره سابقًا لولا تراكم الاشغال حتى الحّ علينا بعض الاصحاب فاجبنا الى ملتمسهم وباشرنا بطبع هذه الحماسة في العام الماضي سنة ١٩٠٩ في مجموع آثار مكتبنا الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale) فظهر منها اكثر من نصفها ثم انجزنا العمل في هذه السنة وألحقناهُ بفهرس واسع للشعراء المذكورين

في الكتاب على ترتيب حروف المعجم مع ايراد ما قالهُ كل شاعر من الابيات في كل بحر وقافية. ثم عدنا فطبعنا الكتاب على حدةٍ طبعةً مستقلّة لافادة الادباء.

واذ كنّا على وشك النجاز ونحن نشتغل في حواشي الكتاب وبيان رواياتهِ وتذييلهِ بالملحوظات اذ بلغتنا نسخةٌ منهُ مرسومة بالتصوير الشمسي على اجود منوال وابدع مثال بهمّة اساتذة ليدن مع فهرسين للاعلام والقوافي على طريقة غير الطريقة التي اتبعناها. وهذه الطبعة متقنة جدًّا مرسومة على ورق مصقول غاية في الصفاقة والحسن فكأنَّ الحاصل عليها يحصل على النسخة الامّ بل اتى الرسم اجود من الاصل لكثرة العناية بهِ وها نحن قد اثبتنا هنا صفحة من هذه النسخة تنويهًا بمحاسنها كما أننا نشكرُ الشكر الجسيم كل من تولّى هذا العمل وخصوصًا لجنة أدباء ليدن الذين خصُّوا بهذه التحفة قسمًا من تركة فقيد الآداب الشرقيَّة دي غوي (Fondation de Goeje) ثم نثني ايضًا على همّة العالمين صاحبي الفهرسين د. س. مرجليوث (D. S. Margoliouth) و ر. غاير (R. Geyer) فالحق يقال انَّ هذه الطبعة طُرفة من طرف الدهر فلا نتعجّب بعد هذا انَّ ملتزمي طبعها جعلوا ثمنها مائتي فرنك. وقد جاءت هذه النسخة في اوفق فرصة لتساعدنا على تأليف ذيل طبعتنا وعلى الاخصّ لاصلاح بعض اغلاط وقعت في نسختنا التي اضطُرنا كما قلنا ضيقُ الوقت الى ان نسرع فيها غاية السرعة وكذلك لعين السبب كنّا سهونا عن نسخ ابيات قليلة فامكننا اثباتها في الذيل بعد المقابلة مع الاصل

وممّا استفدنا ايضًا من هذه الطبعة المرسومة بالتصوير الشمسي انّنا نقّحنا كثيرًا من الاغلاط الواقعة في النسخة الامّ فانَّ ناسخها مع اتقانهِ لها لم يُحسن ضبط الفاظ منها بل روى بعض اماكن بالفاظ فاشرنا الى ذلك في ذيل طبعتنا

وجعلنا هذا الذيل على شكلين شكل منهُ اودعناهُ اصل الحماسة البحتريَّة مع فهارس الاعلام والقوافي واصلاح الاغلاط مع بعض ملحوظات قريبة المنال. وهو الذي نشرناهُ لافادة الشرقيين خصوصًا الذين لا تهمّهم الملحوظات العلميَّة والروايات وجعلنا ثمنهُ ١٥ فرنكًا

امّا الشكل الثاني فتذييلهُ اطول يبلغ المائة صفحة ويحتوي على روايات كل عدد وما ورد فيهِ من الابيات في كتب الادب على ما اعتادهُ المستشرقون في طبعاتهم

الانتقاديَّة مع الملحوظات اللغويَّة والتاريخيَّة وها قد نجز ايضاً طبع هذه النسخة التي قصدنا فيها خدمة المستشرقين لتعرض في مكاتب العلماء والخزائن العموميَّة . وجعلنا ثمن هذه الطبعة الثانية ٢٥ فرنكاً الَّا الذين سبقوا فاكتتبوا على نسخة او اكثر منها . وفي الختام نتمنَّى ان يبحث ادباء الشرق على نسخة ثانية من هذه الحملة للمقابلة ولاصلاح ما طرأ على نسخة ليدن من الشوائب . ونشكر كل من آزرنا في العمل من الرهبان اخوتنا

البرتقال : زراعتهُ وآفاتهُ

للمسيو اوغست جوفروا الفرنسويّ نزيل بيروت (تابع)

﴿ هوامّ البرتقال ﴾ يتهدَّد البرتقال آفةٌ عظيمة ألا وهي عدَّة هوامّ صغيرة دقيقة لا تكاد تبصرها العين الَّا انَّها كثيرة الشرّ فتتحامل على شجره واذا تسلَّطت على أنصابها ازدادت بعد قليل حتى انَّها تشمل كل اقسامها وفروعها واوراقها وثمارها فتفتك بها فتكاً ذريعاً وتُتلفها بعد زمن وجيز ما لم يتلافوا شرَّها . وللبرتقال اعداء غير هذه الهوام كحشرات مختلفة تسري اليها وتُحلّ بها الاضرار . وقد سبق القول انَّ تقضيب الشجرة وقطع اغصانها غير النافعة لممَّا يزيد قوَّتها على دفع تلك الهوامّ بما يدخل في اعطاف الشجرة من النور المحيي والهواء الناشف وكلاهما دواء ناجعٌ ضدَّ الهوامّ والحشرات ولذلك يختار الامركيُّون لزراعة البرتقال الامكنة المكشوفة للنور والرياح كالتلَل المرتفعة المعرضة للشمس اليابسة الهواء ولا يدَعون اغصانها تتكاثف ليجري بينها الهواء . وقد لحظوا انَّ المزروعات التي على هذه الشاكلة كثيرة الجدوى وافرة المحاصيل بخلاف الاشجار التي تكون في الامكنة الواطئة او الكثيرة الرطوبة على شواطئ الانهار وسواحل البحر فانَّها تكون عرضاً للآفات التي اشرنا اليها

﴿ بيان الاضرار التي تلحقها الهوامّ بالبرتقال ﴾ اضرارها على نوعين فالضرر الاوَّل انَّها تمتصّ مائيَّة الشجرة كما تسحب الطاسة الماء من المعين لانَّ لهذه الهوامّ الصغيرة أجهزةً طبيعيَّة تمكّنها من الشجرة اخذها فوهتها المستطيلة التي هي كمغرز تنفذهُ في انسجة الشجرة او قشرتها او ورقها او ثمرها فتنفث فيه نوعاً من السم الذي

يُلحق بها الأذى. فاذا كثرت هذه الهوامّ ترفت قوّة الشجرة. والضرر الآخر هو ما تفرزهُ هذه الحشرات من الندى الدبق الذي يمتدّ على الشجرة وقشرتها وجذورها فيختمر وباختماره يلتصق بها شبه عصارة سوداء تسدّ مسامّها وتمنعها من التنفُّس فتصبح الشجرة بين آفتين باطنة فظاهرة تؤدّيان بها الى العطب

﴿ تعريف هوامّ البرتقال ﴾ انّ الهوامّ التي تُصيب باذاها شجر الليمون واثمار البرتقال على نوعين: نوع منها محميّ (cochenilles protégées) ونوع أكشف (cochenilles nues). فالمحميّ منها اذا ضرب اطنابهُ على شجرة واختصّها بطعامهِ انفذ فيها خرطومهُ الصغير ولا يلبث ان يُفرز مادّة شمعيّة تسيل فوق جسمهِ فتُصبح لهُ على شبه الترس يقيهِ من آفات اعدائهِ وهذه المادّة تلتحم مع الشجرة حتى تبقى الهامّة في كنفهِ لا يزحزحها شيءٌ عن مكانها. امّا النوع الاكشف فانّهُ يبقى على حركتهِ ويتنقّل من مكان الى آخر او تحملهُ الريح او الطيور الى جهات شتّى وهذا النوع لا يفرز مادّة شمعيّة كالسابق او تكون تلك المادّة فوق جسم الهامّة دون ان تلتحم بالشجرة فتحملها الهامّة معها حيثما سارت

﴿ وصف النوع الاوّل ﴾ هذا النوع الذي يشمل الهوام المحميّة يؤذي شجر الليمون والبرتقال اشدّ الاذى. وهو على اشكال مختلفة تتفق كلّها بالمادّة الشمعيّة التي تصونها. فمنها شكل مستطيل (la cochenille longue) اصلهُ من الصين وانتقل منها الى جهات اميركة . ومنها شكل ارجواني (la cochenille pourprée) يُرى في كل البلاد التي تستنبت البرتقال وهو من اعظم الهوام ضررًا بها. وهذان الشكلان يعرفهما العلماء باسم ميتيلاپسيس (Mytilapsis) ومنها شكل احمر (la cochenille rouge, Aspidiotus) وهو على عدّة ضروب. ومنها ما هو اسود اللون وبعضها يكون مشمّق مُفلّس (cochenille glume, parlatoria). وقد وجدنا في سواحل الشام خصوصًا الشكل الارجواني والشكل الاحمر والشكل المفلّس . وكل هذه الاشكال متشابهة في اطوار حياتها وعملها. واذا حانت انشاها توفّر بزرها ويبقى مصونًا تحت كنف المادّة الشمعيّة التي تستر الام الى أن تنفقس بيضها بعد حضانة طويلة . ويكون الصغار غاية في الدقّة الّا انّ العين المجرّدة تميّزهم وتراهم في تمام البنية مع صغرهم فيتهافتون على اوراق الشجرة واغصانها واثمارها ويغرزون فيها خرطومهم الطويل

وينظرهم الراقب يكبرون بامتصاصهم لها على انَّ حياتهم العمليَّة قصيرة لا تدوم الَّا بضع دقائق وان طالت بلغت ساعةً ونصف وبعد قليل يفرزون المادَّة الشمعيَّة التي سبق القول عنها فتشتدّ وتلتحم فوقهم الى ان يقوم بدلهم طور جديد. وهذا الترس المشمّع يختلف لونًا على حسب اجناس الهوامّ فيكون اصفر او احمر او ازرق او اشقر وكذلك تختلف اشكالهُ فمنهُ المفلطح ومنهُ الطويل او البيضويّ الشكل. والاناث منها تُنسل مرَّتين فيلتحم سلحُها بالشمع الذي تفرزهُ. امَّا الذكر فانَّهُ يُنسل اربع مرَّات وكبرهُ نصف كبر الانثى واذا تمَّ نسولهُ الرابع تجنَّح وطار. فيمرّ عليهِ الى تمام اطوارهِ نحو خمسة او ستَّة اسابيع في الصيف وفي الشتاء تطول هذه المدَّة. فالأنثى اذا لصقت بمكان من الشجرة وغرزت فيهِ مَصَّها لا تتحرَّك البتَّة وإن تلف ترسها الشمعيّ الواقي لها فاصابها الهواء ماتت من ساعتها. وتحمل الانثى كل مرَّة من ١٠٠ الى ٥٠٠ ذرَّة فيتوالد هؤلاء حتى يبلغوا بعد قليل الوف الالف وملايين الملايين وذلك في فصل واحد من السنة فترى من ثم كم يستدعي دفع آفتها من العناية والاجتهاد الى أن تُنظَّف الاشجار من بقاياها

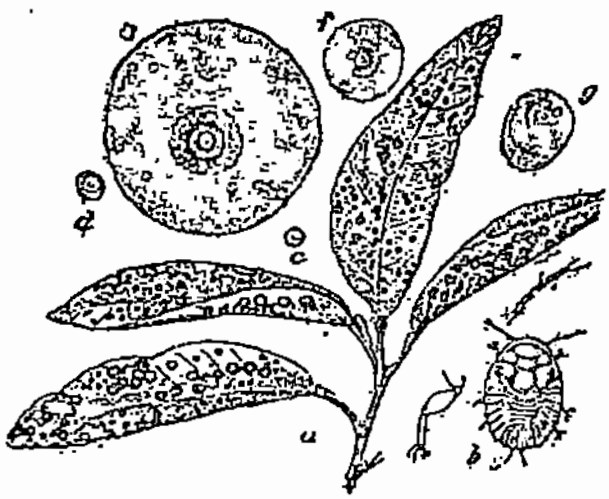

هامَّة البرتقال من الجنس المستر مكبَّرةً في كلّ اطوار حياتها

﴿ وصف الصَّنف الثاني ﴾ قلنا انَّ هذا الصنف يمتاز عن الاوَّل بانَّ اشكال الهوامّ تتحرَّك طول حياتها وتتنقَّل والبعض منها لا يفرز شيئًا من الموادّ الواقية لهُ من الآفات. امَّا البعض الآخر فانَّهُ يفرز مادَّة شمعيَّة كالصنف الاوَّل غير انَّ هذه المادَّة ترافق الحشرات لا تلصقها بالشجرة كتلك. ويوجد ضربٌ منها يُفرز

مادَّة قطنيَّة او شبه الدقيق وكل ذلك مما تحرس بهِ نفسها وتقي صغارها من آفات الهواء واحوال الجوّ وضروب الاعداء الذين يترصَّدونهم وهذا الصنف يشتمل على عدَّة انواع اخصها نوع الليكانيوم (Lecanium) الذي لا يفرز شيئاً من الموادّ لوقاية نفسهِ ويكون لمَّا اسود اللون او نصف كروي او مستطيل الشكل . وحشرات هذا الصنف تُشبه الصنف الاوَّل في حياتها وولادتها ونموّها

هامَّة البرتقال من الجنس المكشوف عند امتصاصها الشجرة

﴿ علاج للبرتقال من آفتهِ ﴾ لعلاج البرتقال من الهوامّ المتسلطة عليهِ طريقتان . الاولى بان تُرَشّ الاشجار بموانع مسمومة فاذا امتصَّتها الهوام تسمَّمت وماتت ثم انَّ تلك الموانع تسيل على الشجرة وتنفذ تحت الستر الواقي للحيوان فينحلّ سترها وينكشف عنها فتتلف . والطريقة الثانية هي طريقة الغازات السامَّة فانَّ الزرَّاع يسلطها على الشجرة بالتدخين وتتنسَّمها الحشرات فتموت

(الطريقة الاولى) انَّ اخصّ الموانع التي تصلح لقتل الهوامّ المعادية للبرتقال انَّما هو البترول لانَّ البترول من شأنهِ ان يُحلّل كل الاجسام الدهنيَّة كالموادّ التي تفرزها الهوامّ وتقي بها نفسها وهو اذا أصابها فعل فيها فعل السمّ . الَّا انَّ البترول المستعمل لذلك يكون على صورتين فمنهُ المستقطر (au Distillé) لأنهم يتَّخذون لذلك ما بقي من البترول المعدني بعد استقطاره وهو المسمَّى مازوت (Mazout) في فرنسة وتبيعهُ كل الشركات التي تستخرج البترول من مناجمهِ . امَّا تركيبهُ فيكون هكذا لكل مئة لتر يؤخذ ثلاثة لترات من البترول المستقطر ويضاف اليهِ ١٠٠ غرام من الصابون و ٢٠ غراماً من الصودا الحيَّة . هذا للبرتقال . امَّا الليمون (citrons) فيتَّخذون لهُ خمسة لترات من البترول و ١٥٠ غراماً من الصابون و ٢٥ غراماً من الصودا مع ٩٠ لتراً من الماء وانَّما اضافوا الى المزيج شيئاً من الصودا لانَّ لولاها لما تحلَّل البترول في الماء . وكذلك يجعلون نحو خمسة لترات من الماء الحارّ في المزيج ثم يعمدون الى مضخَّة (مرشَّة) ويرشّون الشجرة بذلك المزيج من كل جوانبها ويخلطونهُ خلطاً محكماً

ويكون هذا العلاج انجع وافضل اذا كان الزارع كما قلنا سابقاً يسبق وينظِّف

الشجرة بقطع الاغصان المتطفلة وإزالة الزوائد التي تمنع نفوذ الهواء والشمس اليها

واعلم انَّ البترول يتَّخذ على صورة اخرى نريد البترول المصفَّى (pétrole raffiné ou lampant) المعروف ايضاً باسم كيروزان (Kérosène) فيأخذون منهُ ستَّة لترات يمزجونها باربعة لترات من الماء الحار و ٩٠ لترًا من الماء البارد ويجعلون في المزيج ٣٦٠ غرامًا من الصابون السكّي المعروف بالصابون الاسود ويرشُّون المزيج على الشجرة بالمضخَّة كما مرَّ

وقد تحقَّق ارباب الزراعة انَّ العلاج بالبترول على نوعيهِ فعَّال يفني بعد قليل آثار الهوامّ وهو مع هذا قليل الكلفة لاسيما البترول المُستَقطَر. ويكرَّر العلاج ثلاث مرار في السنة في شباط وايار وآب

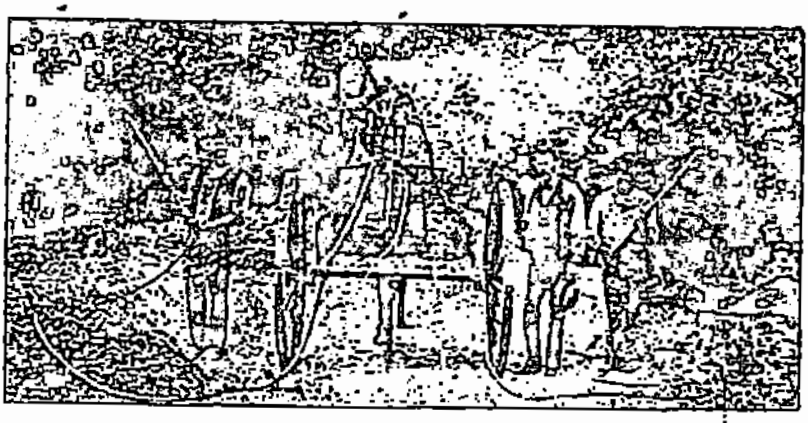

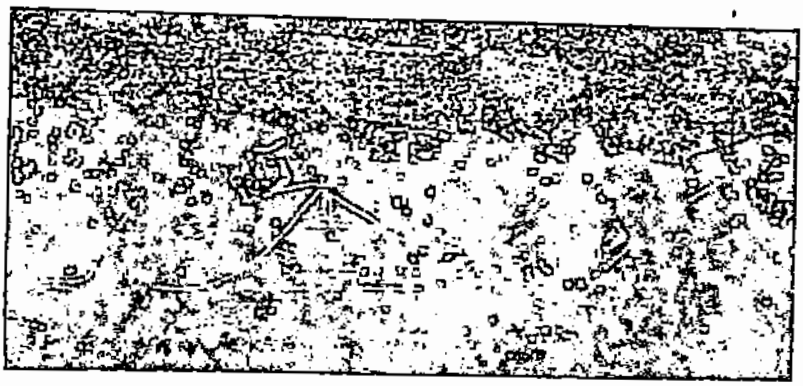

مضخَّتان لرشّ البترول على شجر البرتقال

و يلحق بهذه الطريقة مزيج آخر اي بالراتينج (résine) بدلًا من البترول فيخلطون كيلوغرامين من الراتينج مع ٥٠٠ غرام من الصودا و ٣٥٠ غراماً من الصابون السمكي. فيغلون هذه المواد في إناء يملأنهُ بنحو اربعة اصابع من الماء ويمزجونهُ حسنًا الى ان يُصبح لونهُ كالقهوة السوداء والافضل ان يُرَشّ وهو حام.

وكذلك شاع في بعض البلاد لاسيما اميركة الشمالية استعمال مزيج ابيض يدهنون بهِ اشجار الليمون وهو يتألف من ٥ كيلو من الكلس الحجري و٣ كيلو و ٣٠٠ غرام من الكبريت فيغلونها في ١٥ لترًا من الماء ثلاث ساعات في اناء من الفخّار (لأنَّ الكلس والكبريت يؤثران في النحاس) ثم يزيدون ٨٥ لترًا أخر ويدهنون الشجرة كلها بهذا المزيج الابيض بعد شهر آذار لئلا يضرّ بالاغصان الجديدة. ويُشترط ان يكون الكلس ناعماً صافياً مغربلًا وكذلك الكبريت مُصفًّى . وقد شكر هذه الطريقة كل من استعملها فانها نجّت مزدرعات الليمون من الهوامّ الضارّة

(الطريقة الثانية) اي طريقة الغازات تقوم بتدخين غاز الحامض السياندريك (acide cyanydrique) وذلك بان تجعل كمّيّة من الحامض الكبريتي في اناء ويغمسون فيهِ سيانور البوتاسيوم (cyanure de Potassium) فللحال يتصاعد من هذا التركيب ذاك الحامض السامّ اي الحامض السياندريك الذي لا يستنشقهُ حيوان الّا مات بريحهِ القتّال وعليهِ يلزم في استعمالهِ اتخاذ كل الاحتياطات والوسائط الواقية

خيمة لتدخين البرتقال بغاز الحامض السياندريك

من اضراره وقد عملوا لذلك خيماً واسعة من الجنفاس السميك او من المشمع فينشرونها بواسطة اخشاب وبكرات فوق بعض الاشجار من البرتقال بحيث تغطي الخيمة الشجرَ من كل جانب ثم يجعلون في داخل الخيمة الماء من الحامض الكبريتي ويلقون في الاناء من خارج الخيمة قطعاً من سيانور البوتاسيوم فينبعث ريح الحامض في الخيمة كلها ويمتدّ في كل اقسام الشجرة ويقتل كلّ ما عليها من الهوامّ . ثم ينقلون الخيمة الى اشجار أُخرى ويكرّرون العمل حتى تُدَخَّن الاشجار كلها . امّا المركّب فتكون كمّيّاتهُ على هذه النسبة:

سيانور البوتاسيوم	٣٠ غراماً
الحامض الكبريتي	〃 〃
الماء	٦٠ 〃

ويجوز ايضاً اتّخاذ المركّب على هذه الصورة:

سيانور البوتاسيوم	٥٠ غراماً
الحامض الكبريتي التجاري	٧٠ 〃
الماء	١٠٠ 〃

ونكرّر هنا تنبيهاً على متّخذي هذه الطريقة ان يجتنبوا استنشاق الحامض المنبعث من هذا المزيج لئلّا يُصابوا بسمّ الذعاف ولذلك الاولى ان يضعوا اوّلاً الماء في الاناء ثم الحامض الكبريتي ويُلقوا اخيراً السيانور عن بُعد

وهذه الطريقة افضل من الطريقة الاولى اذ لا تترك جرثومةً ضارّةً الّا انها كما رأيت ذات خطر وهي ما عدا ذلك تقتضي نفقات بالغة بخلاف الطريقة الاولى التي يسهل استعمالها وقد وُضعت لذلك عدّة ادوات تعين الزارعين في عملهم كالمضخّات والآلات الرشّاشة (pulvérisateurs) والتساطل (الحيّات) التي يستعينون بها للعمل . ولكن يجب على الزارع ان ينظّف هذه الآلات ويغسلها بعد استعمالها لئلّا تتلف بعد زمن قليل وتذهب فائدتها

وكذلك يحسن بنا ان نذكر القرّاء بانّ لهوامّ البرتقال والليمون اعداء جعلهم الله كدواء لذلك الداء ألا وهي حشرات صغيرة تُدعى كُكْنيال (coccinelles) اخصها الجنس المنتشر في اوستراليا (coccinelles d'Australie) قد طُبع على معاداة هوامّ البرتقال فاذا وُجد حيث تعيث ناجزها القتال ولا يزال يكرّر عليها

الغارات حتى يُتلفها بعد زمان قليل كما رأى اهل بيروت منذ عامين لمّا أُصيب البرتقال بآفة الهوام فاستحضر بعضهم من اميركة حشرة الكككينال فانتشرت وغت غزًا غريبًا ونظّفت حدائق بيروت من زحفات الهوام الضارّة

هذا ما رأينا ان نلحّضهُ هنا لقائدة الشرقيين. ومن اراد المعلومات الواسعة في ذلك فعليهِ بكتاب نقلناهُ الى الفرنسويّة وطبعناهُ سنة ١٩٠٤ هذا اسمهُ:

Maladies des Orangers. Cochenilles et Mites des Citrus par G. L. Marlatt. Traduction avec Commentaires par *Auguste Geoffroy. Cannes*, 1904.

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٦ الآداب الماسونيّة

عرفنا من الفصول السابقة ما هي الماسونيّة وما هي الغايات الملتوية التي ترمي اليها وما هو نظامها الخفي والعلني. بقي علينا ان نتقصّى آثارها ونتتبّع اعمالها المنبئة بحقيقة امرها فان الشجرة على قول الربّ تُعرَف من ثمرها اذ لا تستطيع شجرة صالحة ان تأتي بثمر رديّ ولا شجرة رديئة بثمر صالح فلا يُجنى من الشوك عنب ولا من العوسج تين. ومثلهُ قول العرب: كل اناء ينضح بما فيهِ

وقد دعونا هذا القسم من مقالاتنا بالآداب الماسونيّة ونحن مستنكفون من الجمع بين هاتين اللفظتين المتنافيتين كقولنا النور المظلم او العسل المرّ ألا انّنا رأينا الماسون يفتخرون بآدابهم فاضطررنا الى موافقتهم في الاسم ريثما يلوح لنا ما تحت هذه اللفظة من المعنى. وكم اسم دون جسم! وعليهِ نستميح عذرًا من قرّائنا لتزيين مقالتنا بهذا العنوان الفخيم فانّهم يرون قريبًا ان شاء الله ان الآداب الماسونيّة كالقبور المجصّصة التي اشار اليها السيّد المسيح (متى ٢٣: ٢٧) فانّها جميلة من خارجها وهي مملوءة في الباطن نجاسةً ونتانة

اعلم انّ الادب في تعريف الفلاسفة عبارة عمّا يُحترَز بهِ من جميع انواع الخطأ.

وكثيرًا ما يراد في اصطلاحهم تهذيب الاخلاق البشريّة وتثقيفها على ما يقتضيه العقل السليم. ولمّا كان البشر من مخلوقات الله المستدلّين بالنطق على وجود خالقهم وقد وُجدوا على الارض ليعيشوا بالتعاضد والاخاء في الهيئة الاجتماعية وهم مع ذلك افرادٌ مركّبون من نفس وجسد وقوًى عقليّة نتج عن ذلك عدّة فرائض او واجبات ينبغي عليهم ان يقوموا بها اوّلًا نحو البارئ سبحانهُ وتعالى رب العالمين. ثم نحو القريب في اطوار المجتمع الانساني فيؤدي بعض الناس للبعض الآخر ما يستوجبون من الحقوق. واخيرًا يضاف الى ذلك واجبات الانسان نحو نفسهِ لبلوغ غايته في الارض

وها نحن نستقري هذه الواجبات في ثلاثة ابواب لنرى كيف يقوم بها الماسون

الباب الاوّل

الماسون وواجبات الانسان لربّ العالمين

١ اعتقاد وجود الله

انّ رأس كل المعتقدات البشريّة وجود اله واحد واجب الوجود ازليّ قادر على كل شيء عالم بكل شيء خالق كل شيء بمشيئتهِ يحتاج كل مخلوق اليهِ ولا يحتاج هو الى احد. قال الرسول المصطفى في رسالتهِ الى العبرانيين (١١: ٦) ان الذي يدنو الى الله يجب عليهِ ان يؤمن بأنهُ كائن. وكل هذه الصفات العلويّة تؤخذ من النتائج العقليّة التي يمكن الانسان ان يستفيدها بنظر الادراك حتى ولو فُرض ان الوحي لم يشهد بها

والحال انّ الماسونية وفقًا لمبادئها الكفريّة تنكر حقيقة وجود الخالق. وليس هنا الكلام على بعض افراد الماسون الذين يجهلون اسرار عشيرتهم او لم يبلغوا بعد الى معرفتها تمامًا. وكذلك نستثني بعض البلاد التي لم تبلغ فيها الماسونية مداها فتخاف من المجاهرة بالزندقة. وانّما كلامنا على الشيعة الماسونية من حيث هي جمعية قائمة بذاتها تجري عمومًا بموجب قوانين سرّيّة يعرفها بعض اعضائها المتقدّمين فيها. وكان هنا حقّنا بان نكرّر الشهادات التي سبقتنا فدوّنّاها في كرّاستنا الأوّل حيث اثبتنا انّ الماسونية تعادي كلّ دين حتى الدين الطبيعي فتنفي وجود الخالق او اذا تلفّظت باسمهِ ارادت ليس الهًا قائمًا بذاتهِ بل الطبيعة ومجموع الكائنات. ولو اردنا لأتينا بشواهد أُخرى تزيد قولنا اثباتًا. فهاك مثلًا ما خطب بهِ الاخ . فرنند فور (Fernand Faure) في

المؤتمر الماسوني السنويّ سنة ١٨٨٥ وخطبتهُ نُشرت في اعمال ذلك المؤتمر السرّيّة ص ٧٠٦ (Bulletin du Grand Orient, 1885, p. 706) : « اني أُعلن بينكم صريحاً انهُ من الواجب علينا ان ننفي من العقول ليس فقط التعاليم الاكليريكيّة ولكن كل نفوذ دينيّ على اي صورةٍ كان. فكل اعتقاد ديني اساسهُ ما وراء الطبيعة (كالاله غير المنظور) انما هو ضعف في عقل الانسان »

ونشر قبلهُ الاخ ∴ زيل (Zille) في النشرة الماسونيّة الالمانيّة المطبوعة في ليبسيك في ١٥ ك ١ سنة ١٨٦٦ ما اعلن بهِ الاخ ∴ دي غاغرن (Ch. de Gagern) في مجتمع الماسون الذي عُقد تلك السنة : « علينا نحن الماسون ليس فقط ان نرقى فوق طبقات كل الاديان بل نتحرّر ايضاً من كل اعتقاد وجود الهٍ ايًّا كان ». ثم ختم صاحب الجريدة زيل ما رواهُ اخوهُ بالماسونيّة قائلاً : « فترى من ثمَّ انَّ صَرح الاستبداد الروحي قد سقط وانَّ المتحرّرين عن كل اعتقاد قد فازوا ظافرين حتى انهُ لم يبق الآن احد يؤمن بالله وبخلود النفس غير البُله والحُمقى » كذا!

وكان قبل ذلك سنة ١٨٧٥ الاسقف الاميركي السيّد مرتين نقل قراراً سرّياً وقف عليهِ لاحد زعماء الماسونية في عاصمة برلين جاء فيهِ قولهُ : « انَّ تصوُّر الله هو ينبوع وركن كل استبداد وكل ظُلم » كذا !

وطبقاً لهذا المعتقد امر كبير رؤساء المحافل الماسونيّة في ايطاليا سنة ١٨٧٨ ان يستبدل رؤساء المحافل سؤالاً كانوا يلقونهُ سابقاً على طلبة الماسونية وهو « ما هي واجباتك نحو الله » فقرّروا ان يُلقى بدلاً منهُ السؤال الآتي : « ما هي واجباتك نحو البشريّة (١

ولم يكتفِ الماسون بان ينفوا ذكر الله في مجتمعاتهم بل اتّفقوا على نفيهِ ايضاً من كتب التعليم في كل المدارس المنوطة بالحكومة فنجح مسعاهم في بعض الدول كفرنسة

ولعلّ القارئ يقول لنا انَّ الماسون في بلادنا ليسوا على هذا الاعتقاد فانهم يؤمنون بهِ تعالى ويجاهرون باعتقادهم. انَّ جوابنا على ذلك ان الماسونية في بلادنا منوطة خصوصاً بشرق فرنسة الاعظم فان كان الرأس لا يؤمن بالله أفلا يجوز نسبة الزندقة الى الاعضاء ؟ وان صحّ قول الشاعر :

(١ اطلب نشرة العالم الماسوني (Le Monde maçonnique 1878, p. 204)

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينَهُ فان القرين بالمقارنِ مُقتدِ

فكم بالحريّ يصحّ قول الآخر:

اذا شئتَ ان تقتاس أمر عشيرةٍ وأصلاحها فانظرْ الى من يَقُودُها

ويحسن بنا ان ننقل هنا ما اخبر به شاهين بك مكاريوس « من الدرجة ٣٣(١) » في كتابه « فضائل الماسونيّة » (كذا) في الصفحة ١٢٥ تحت هذا العنوان « بدعة الشرق السامي الفرنسويّ » قال:

وقام الشرق الفرنسوي الذي يتبعهُ محفل لبنان في بيروت ببدعة جديدة (اعني بدعة تُضاف الى بدع سابقة) نسردها للقارئ بالاختصار

جرت العادة انّ كل المشارق الماسونيّة والمحافل الكبرى لا تضمُّ اليها من لا يعتقد وجود الله وخلود النفس (وقد بيّنّا كذب هذا الزعم بشواهد كافية) . . . فخطر لبعض اعضاء الشرق السامي الفرنسوي (بل قُل لعمدته ورؤسائه الكبار لانّ الاعضاء لا يستطيعون شيئًا الّا بايعاز الرؤساء) إلغاء هذا البَنْد وعدم سؤال الطالبين عن الاعتقاد بالله والخلود (وبالحري جحودهما كما بيّنّا) وانقسم لهذا السبب الشرق السامي (!) الى قسمين قسم موافق لرأيه وقسم غير موافق لهُ (والصواب انّ المنشّحين بين الماسون كلهم وافقوا) ولمّا علمت به المشارق السامية والمحافل الكبرى عدّتهُ مناقضًا للعهود الماسونية وناقضًا لاهمّ اساساتها (والاحرى ان يُقال اتهم خالفوا من الفضيحة فتنبعث راتحة الماسونية المنتنة) فنشرت في جرائدها ومحافلها كلها اعتبار الشرق السامي الفرنسويّ ناكثًا للعهد مخالفًا للمبادئ الطاهرة (وقد علمت وستعلم طهر الماسونية !) مناقضًا للتعاليم الادبيّة وحرّمت على اعضائها زيارة كل المحافل التابعة لهُ اذا كانت تصرّ على الغاء الاعتقاد بالله والخلود (وكلّنا نعلم انّ الشرق الفرنسويّ مُصرٌّ على نكرانه اما الحزب الماسوني فكان جعجعة بلا طحن واحتجاجًا لستر عورة الشيعة) . ولمّا بلغ محفل لبنان هذه البدعة الحديثة (المنكشفة بعد احتجاجها) قام اخوانهُ وقعدوا (بل قعدوا وناموا) لهذا الخبر وكنتُ في مقدّمة القائلين بالخروج عن طاعة الشرق السامي الفرنسويّ اذا اصرّ على بدعته الجديدة (ما اعظم شهامتك عافرم يا شاهين ! وماذا صنعت ؟ اسمعوا المزعبرجي) واجتمعتُ باخواني اعضاء المحفل واتّفقنا فكتبنا الى الشرق السامي الفرنسوي انّنا لا نرغب في الغاء السؤال عن الاعتقاد بالله والخلود (اي نكرانهما علانيةً) وانّنا لا نحبّ حذف هذه العبارة من قانوننا فاجابنا الشرق السامي نحن اعملوا ما تريدون وابقوا كما كنتم » فسُررنا لذلك ولا يزال محفل لبنان يسأل هذا السؤال ويعتقد هذا الاعتقاد الى الآن

---

١) توفي شاهين بك في اواسط الشهر حزيران المنصرم بغتةً فحضر امام ربّه مزداناً بسمات الماسونية والتاجا الشرفية التي عدّدها في صدر كتيبه وهي تستغرق نصف الصفحة من هذه المجلّة . فلا شكّ انهُ يكون بازاء الديّان لمن الماسونية والتاجا وذويها

فأمسكْ ايها القارئ عن الضحك ودعنا نسأل المرحوم شاهين بك الاسئلة الآتية وان كان الموت اسكتهُ عن الجواب فنطلب الى اخوتهِ بالماسونية ان يجيبونا . عرفتم ايها الجماعة انَّ الشرق الفرنساوي السامي الذي انتم تحت حكمهِ ألغى ذكر الاله وحقيقة خلود النفس أفما كان هذا كافياً لتعلموا بأنَّ الماسونية مبنية على الزندقة وجحود الخالق ؟ تقولون انكم لم تُسَرُّوا بهذا الخبر وقمتم وقعدتم لهُ . ولكن ماذا يفيدكم القيام والقعود ان بقيتم مرتبطين معهُ بروابط الطاعة ؟ تقول يا شاهين انكم « تهدَّدتم بالخروج عن طاعة الشرق السامي اذا اصرَّ على بدعتهِ » وقد أصرَّ ولا يزال مُصراً على كفرهِ وانتم لا تزالون تحت حكمهِ فاذن انتم موافقون لهُ على زندقتهِ . وبعد الوعد والوعيد كيف انتهت المسألة ؟ يقول شاهين بك أنهم كتبوا (بكلّ احترام) الى الشرق الفرنسويّ « انهم لا يرغبون في الغاء السؤال عن الاعتقاد بالله والخلود ولا يحبُّون حذف هذه العبارة » والنعم من هذه الكتابة كأنَّ ماسون سوريَّة محتاجون الى اجازة شرق فرنسة السامي ليؤمنوا بالخالق ! وهكذا انتهى تهدُّدهم بالعصيان والاحتجاج على تلك المشيرة المعطّلة الكافرة . وتمَّ سرورهم اذ علموا بان الشرق السامي بقي هو على ضلالهِ ولكن سمح لهم ان يعملوا ما يريدون . فالآن عُدْ ايها القارئ الى القهقهة وأنظر مماحكات الشيعة الماسونية وتحقَّق بلا شك انها متأصلة في الكفر وان كان في المشيرة بعض الأغرار الذين لا يعلمون الحقيقة فقد ظهر الحق وزهق الباطل !

وان اردت شهادة صريحة على نكران الماسون في بلادنا ايضاً بوجود الخالق فراجع ما نقلناهُ في المشرق (ص ٣٩٠) عن الريحانيَّات (المجوسيَّة) حيث جعل ذاك الكاتب الوقح البشر عموماً كجرادين (ولذلك دعوناهُ بالجردون الكبير) لا يفقهون شيئاً من امور العالم ولا يعرفون أهذا العالم صانع ام لا فيعيشون ويموتون كالبهائم !!!

٢ الماسونية والمعتقدات

ان كان الماسون ينكرون الخالق فما قولك بالمعتقدات الدينيَّة التي اوحى بها الله على يد انبيائهِ وخصوصاً بواسطة ابنهِ الالهي الكلمة المتجسّد لخلاص البشر قال الشرق الفرنسوي السامي في نشرة سنة ١٨٩٥ (Bulletin du Gr. Orient, Août-Sept 1895, p. 310) : « قرَّرت عشيرة الماسون بأنها تأبى اعتقاد اي حقيقة دينيَّة كانت »

وليس هذا القول رأياً خاصاً بمحافل الماسونية الفرنسويَّة بل يشمل الماسونيَّة عموماً .

والدليل على ذلك انّ الماسون سنة ١٨٦٩ لمّا علموا بقرب عقد المجمع الفاتيكاني في رومية ارادوا هم ايضا ان يجتمعوا لإعلان مبادئهم فاجتمع منهم في نابولي ٧٠٠ نائب عن المحافل الماسونية في كل انحاء المعمور وكان بينهم نائب عن جهات سوريّة وترأّس هذا المحفل الرئيس ه. ريكردي وافتتح كلامهُ بقول اليهود من المسيح امام بيلاطس (لوقا ١٩: ١٤) « لسنا نريدهُ ملكاً » ثم اتّفقوا على نشر اعلان ضمّنوهُ المبادئ الماسونيّة على هذه الصورة كما نشرتهُ وقتئذٍ جريدة الماسون الرسميّة في فيرّنسة :

« انّ الموقعين بذيلهِ نوّاب أُمَم العالم المتمدّن المختلفة الملتئمين في نابولي للاشتراك بالمجمع المضادّ (اي المضاد لمجمع الفاتيكان) يثبتون المبادئ التابعة. يعلنون حرّية العقل ضدّ السلطة الدينيّة واستقلال الانسان ضد استبداد الكنيسة والحكومة ثم يطلبون استقلال المدرسة الحرّة المجرّدة من تعليم ذوي الكهنوت. وهم لا يعرفون للعقائد البشريّة اساساً آخر الّا العلم . يعلنون الانسان حرّاً ويقرّرون ضرورة ملاشاة كل كنيسة رسميّة . . . . »

ويشبه هذا القرار كفراً وتهتّكاً اعلان نائب المحفل الاكبر في برلين ما تعريب بعض فقراتهِ :

« انّ ذوي الافكار الحرّة يقرّرون ويعلنون حرّية الضمير وحريّة البحث (اي انتقاد عقائد الدين) وعندهم انّ العلم هو الاساس الوحيد لكل معتقد فهم يرفضون اذن كل عقيدة بُنيت على اساس الوحي ايّاً كان . . . . »

وليس حكمُ الماسون في بلادنا عن المعتقدات الدينيّة مختلفاً عن حكم عشيرتهم في بقيّة اقطار المعمور اسمع « الثعلب » وما ادراك من « الثعلب » هو امين ريحاني الذي اتّخذ لنفسهِ هذا الاسم وما أطيب ذوقهُ في اختيار الالقاب لنفسهِ كالجردون والثعلب. قال الثعلب في كتاب المحالفة الثلاثيّة حيث يسخر بكل الاديان وقبل الكلّ بديانة نفسهِ (ولذلك حكم احد الاميركيين بان يُلقى كتابهُ في الجحيم. اطلب المشرق ص٤٧٨)

« لم تعلّموني الّا الخرافات والمزعبلات والاوهام . . لو كان للربّ ثلاثة اقانيم لكان النزاع بينها (كذا) سائداً ابداً ولمّا تمكّن من تكوين هذا العالم (ص ٨٥) » . . . اني لا اعتقد بالاله الانساني الذي تصوّرتهُ لنا باوصاف وهميّة مبهمة لا نستطيع ان ندرك منزاها (ص٨٦) . . . لا اعتقد بالحكم. اني احتقر ربكم البشري (٩٠) . . . انّ الولادة تنفي البكارة اي انّ الامّ (يريد السيّدة ام الله) لا تكون قطّ عذراء (١٠٧) . . . .

وقس عليهِ بقيّة تجاديف هذا الثعلب الوسخ وكان الاولى ان يخصّ بنفسهِ اسم « الحمار » الذي جعلهُ في كتابهِ اسماً لاحد مناظريهِ وارادبهِ الاكليروس الشرقيّ !

٣ الماسونيّة والاسرار

ان الديانة لا تقوم فقط بالمعتقدات فانّ السيّد وضع اسراراً سبعة يجد فيها المؤمن مدّة حياته ينبوع النعم التي تحيي نفسهُ وتقوّيها على تجارب الحياة وتزيدها كل يوم صلاحاً وبرّاً الى ان يفوز بالاكليل الذي وعدهُ الله لمن يعمل الصالحات ويجاهد في سبيله فيثيبهُ في ملكوته بالخلاص الابدي. فهذه الاسرار قد حاول الماسون قطع مياهها وافرغوا كنانة الجهد في ابطالها. فمن اقوالهم التي تفوّهوا بها في مجتمع الماسون سنة ١٨٩٥ ونشروها في نشرتهم الرسميّة (Bulletin du Gr. Orient ٭٭, 1895, p.310): «انّ الماسونية تُعلن جهاراً انها تعتبر كلّ الفرائض الدينية كأعمال ضارّة بالانسان وبكمال البشريّة في عقلها وآدابها». وكان اولاد الارملة قبل ذلك بسنتين قرّروا في اجتماعاتهم ما تعريبهُ الحرفيّ (Bullet. du Gr. Or. ٭٭, 1893, 368-372) «لا يسوغ لاحد من الماسون ان يُرقّى الى شورى العشيرة الماسونية الّا بأن يعرض صكّاً ويمضيهُ باسمه مصرّحاً بأنّهُ هو واولاده الصغار لا يشتركون مطلقاً بالفرائض الدينيّة»

وقد علم الماسون ما في الاسرار الكاثوليكية من القوّة لتوطيد الدين في القلوب وقوّ الايمان فسعوا بابطالها واذ هبط مساهم اخذوا منذ سنين يتقلّدون الاسرار الكاثوليكية فوضعوا عماداً ماسونياً وزواجاً ماسونياً ودفناً ماسونياً وقد اكثروا المظاهرات والخطب «والزعبرات» لعلّهم يصدّون المؤمنين عن ممارسة اسرارهم الدينيّة فزيّنوا محافلهم واقاموا الاعياد المبهرجة واوارا الولائم وكل ذلك رجاء منهم ان يصرفوا النظر عن اسرار الكنيسة المحيية. وقد اخذ الماسون يتحفونا بمثل هذه «التلفيقات» في بلادنا ايضاً فان القطّم في عدده ٦٣٧١ في ٢ مارس المنصرم وصف لنا حفلة زفاف ماسوني عُقد في محفل النجاح وهنّأ بلادهُ على انّ الماسون صاروا يجاهرون بحفلاتهم ومع هذا استحى ان يصرّح باسم العروسين. وكنّا عزمنا على نقل هذا الفصل كلّهُ لولا طولهُ ففضّلنا ان نرسم هنا صورة العماد الماسوني والزواج الماسوني والدفن الماسوني وتلك الصور ادلّ على كل خزعبلاتهم

٤ الماسونية والكنيسة

كما انّ السيّد المسيح اوحى الى العالم بالحقائق الدينيّة والمعتقدات والاسرار الخلاصيّة

العماد الماسوني

(لا بالماء ولا بالروح القدس)

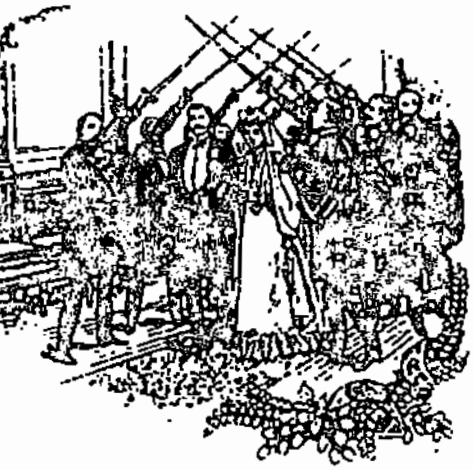

حفلة العرس

(في ظلّ السيوف رمزًا الى الخصام بين الزوجين والطلاق ال

العروسان امام رئيس المحفل كاهن الماسونيّة !

الجنازة الماسونيّة (بلا تعزية ولا رجاء)

كذلك أقام لحفظها وللذبّ عن حياضها جمعيّة منظورة مركّبة من رأس منظور ورؤساء قانونيين واعضاء مرتبطين بوحدة الايمان ووحدة الاسرار ووحدة الطاعة وهم يسيرون الى وحدة الغاية اعني خلاص نفوسهم الابديّ. وهذه الجمعيّة قد قبلت من منشئها مواعيد الثبات الى منتهى الدهور رغماً عن كل قوّات الجحيم (متى ١٦: ١٨). على انّ الماسون لم يقنعوا بهذه المواعيد فانّهم حملوا حملةً واحدة على حجر الزاوية الذي تكلّم عنهُ الربّ (متى ٢٢: ٤٢—٤٤) وهم يؤملون تحطيمهُ ذاهبين عن قولهِ تعالى: «ومن سقط هو عليهِ يطحنهُ». فمن الشواهد الناطقة بسوء مقاصدهم ما نقله السيّد مرتين الامركي سنة ١٨٧٥ عن احد تقاريرهم السرّيّة فنشرهُ بالطبع:

«انّ الديانة الكاثوليكية هي أكمل وانفع قتيل لتصوُّر الله الباطل (كذا) وانّ مجموع عقائدها هو انكار الألفة بالذات فالماسون يفرضون وجوب العمل على ابطال النصرانيّة بسرعة وعلى ملاشاتها واستئصالها بكل الوسائل حتى بالقوّة الجبريّة وبالثورة وانفتن» كذا

وقد كان الماسون اوّلاً اختاروا للدلالة على الكنيسة الكاثوليكية اسماً ملتبساً لئلّا يدرك السذّج غايتهم فدعوها «الحزب الاكليريكي» لكنّهم اليوم اماطوا القناع ولم يُبقوا في الامر ابهاماً قال احد ائمّتهم (اطلب الكتاب المدعو La gran-de Ennemie, p. 35): «انّنا كنّا سابقاً ندعو اعداءنا بالحزب الاكليريكي (le clericalisme) تحفّظاً ومراعاةً للرسميّات وانما غايتنا الصحيحة التي نجاهر بها في محافلنا انما هي محاربة الكثلكة لأنّ كليهما واحد ليس بينهما فرقٌ يُذكر»

وقال آخر مثلهُ (في الكتاب عينهِ): «انّ الغاية التي نرمي اليها ان ننزع الدين النصراني من فرنسة بكل الوسائط الممكنة واخصّها بأن نضيّق على الكثلكة شيئاً فشيئاً الى ان نخنقها تماماً بما نسنّهُ ضدّها كل سنة من الشرائع حتى نقفل كل الكنائس ... فالكثلكة والماسونية عدوّان لدودان لا تنتهي الحرب بينهما الّا بموت احدهما»

وقال زعيم الطريقة السكوتلنديّة ديمون (Desmons) الذي توفي في هذه السنة: «قد التحم القتال بيننا وبين الكنيسة فحيثما يقوم الرجل الاسود (اي الكاهن) فليظهر الرجل الحرّ (اي الماسوني) وحيثما ينصب ذاك صليبهُ فلينشر هذا لواءهُ»

(لهُ بقيّة)

ألوهيّة الرجل الاسرائيلي

ردّ على جريدة العرب للاب لويس شيخو اليسوعي

نشر حضرة مبعوث آيدين محمّد عبد الله في جريدة العرب في تاريخ ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ فصلًا عنوانهُ « لكلّ أمّة مفسدون » كتب في جملتهِ ما نصّهُ :

« اني ارى من الفضول مداخلة نصارى العرب فيما يدور من المباحث بين العرب والترك لأنَّ الترك اذا ذكروا العرب فلا يتصوَّرون غير المسلمين اذ هم لا يتمثَّلون وجود رجل عربي يقول بألوهية رجل اسرائيلي ولا يقول بنبوَّة رجل عربيّ قائل لهُ «انا بشر مثلكم» على حين انهُ يرى لذلك النبي العربي كتاباً معجزاً كالقرآن »

فكان مؤدَّى هذه الفقرة ان النصارى لا حقوق لهم في المباحث السياسيَّة الدائرة بين العرب والترك اذ لا تنال تلك الحقوق غير المسلمين ولن المسلمين عرباً كانوا او تركاً يعدُّون اعتقاد النصارى بلاهوت المسيح هذياناً لا يخطر على فكر رجل عاقل

قلنا انَّ الكاتب بتسطيرهِ لهذه العبارة جنى جنايتين فاساء الى القوانين الدستوريَّة وجرح عواطف طائفة كبيرة من رعايا الدولة العثمانية . امَّا اساءتهُ الى الدستور فظاهرة اذ حاول ان يحصر الحقوق الدستوريَّة في احد عناصر الدولة دون سواه وذلك مبدأ ينافي توًّا جوهر الدستور الذي هو مبني على الحريَّة والاخاء والمساواة بين كل عناصر الدولة دون تمييز في مذاهب اصحابها . فكلّهم عثمانيُّون ليس الّا . ولا غرو انَّ قوماً من النصارى ردُّوا على مدَّعي كاتب جريدة العرب بل تصدَّى لقولهِ المسلمون انفسهم كاصحاب المؤيد وصاحب المنار والمفيد والاتحاد العثماني وفي ردودهم الكفاية اذ ليس من شأننا الخوض في السياسيَّات كما انَّنا لا نتعرَّض للكاتب في ما قالهُ عن نبي الاسلام وهو حرٌّ في معتقدهِ يدين باي دين شاء

امَّا مسُّ الكاتب لكرامة طائفة شريفة من طوائف الدولة فذلك في قولهِ « انَّ الترك لا يتمثَّلون وجود رجل عربي يقول بألوهية رجل اسرائيلي » وهو كلام فيهِ من التحقير ما يمجّهُ ذوق رجل اديب ويعدُّهُ النصارى كاهانة لدينهم اذ حسبَ الكاتب من الامور المستحيلة ان يتصوَّر تركيٌّ رجلًا عربيًّا يقول بألوهية المسيح فكانهُ يدَّعي

انَّ مذهب النصارى بالوهيـة السيّد المسيح ضربٌ من الجنون لا يمكن الاتراك ان يتصوَّروا رجلًا من العرب العقلاء يتمذهب به

فيا لله أإلى هذا الحدّ من الغرابة يبلغ دين النصرانية ؟ او يكون العرب في مقام هكذا رفيع من الدين حتى انَّ عربيَّتهم لا يمكنها ان تقوم مع الدين النصراني ؟ فالى هذين القولين يرجع قول صاحب « العرب » وكلاهما فاسد كما سترى

١ ليس في تعاليم النصرانيَّة شيء من الغرابة

كل يعلم ان الدين المسيحي قام خلفًا للدين الاسرائيليّ فاخذ النصـارى كل ما اوحى بهِ الله الى انبياء بني اسرائيل وحفظتهُ الاسفار المقدَّسة التي هي في ايدي اليهود وايدي المسيحيين على حد سواء . ومما تحتويهِ هذه الكتب المنزلـة توحيد الله والوعد بمجيء المسيح . وفي كليهما ايضًا يتَّفق النصارى واليهود . ومن ثم ليس التوحيد خاصًّا بالعرب وقد عرفهُ اليهود قبلهم بالفين وخمسمائة سنة وورَّثهُ عنهم النصارى فقالوا بهِ ولا يزالون يثبتونهُ بالبرهان عقلًا ونقلًا . فالى هنا ليس شيءٌ من الغرابة في الدين النصراني كما ترى

قلنا انَّ اسفار اليهود تتضمَّن ايضًا ما خلا التوحيـد الوعد بمجيء المسيح الَّا انَّ اليهود يخالفون النصارى في وقت مجيئهِ فينكرون انهُ اتى حتى الآن على عكس النصارى الذين يدافعون عن ذلك ويثبتونهُ بالادلَّة المتعدّدة التي سبقت عهـد المسيح ورافقتهُ وتبعتهُ . والمسلمون يوافقوننا في حقيقة الامر فيقبلون بمجيء المسيح ويزيّفون معنا رأي اليهود

فان كان المسيح قد أتى وهو موعود الامم وقد اصطنع العجائب التي يقرُّ بهـا المسلمون فضلًا عن النصارى واثبت كونهُ رسولًا من الله لا يبقى الَّا ان تُقبَل تعاليمهُ كتعاليم الله الذي ارسلهُ ولا يجوز للانسان ان يتردَّد في صحَّتها اذا ما تحقَّق انها لهُ . والحال انَّ النصارى قد اخذوا عن الحواريين وتبعتهم تلك التعاليم بعد المسيح بسنين قليلة فتراها مدوَّنةً في الانجيل الطاهر الذي دعاهُ القرآن (سورة المائدة) « هدًى ونورًا ومصدقًا لما بين يديهِ (اي المسيح) من التوراة وموعظة للمتقين » وليس احد ينكر انَّ الانجيل الطاهر يصرّح بالوهية المسيح وبتثليث الاقانيم في التوحيد ولا نظنّ ان حضرة المكاتب ينكر علينا ذلك

ولعلّهُ يقول انَّ انجيلنا محرَّف فليتفضَّل جنابهُ ويبيّن التحريف مـا هو ومتى وقع وعلى يد من كان . فان قال تحرَّف قبل الاسلام سألناهُ كيف امكن القرآن ان يجعلهُ بعد التحريف « نوراً وهدًى » ؟ وان قال بعد الاسلام احلناهُ الى النسخ المخطوطة من الانجيل الباقية الى يومنا وعهدها راقٍ الى ٣٠٠ سنة قبل الهجرة وهي منقولة الى عدَّة لغات ولا تجدها تختلف عن الانجيل الذي يتداولهُ النصارى في عهدنا (راجع مقالتنا في الاناجيل القانونيَّة والاناجيل الزور في المشرق ١١ : ١٩٤—٢١١)

ولا يقولنَّ الكاتب انَّ الوهيَّة المسيح وتثليث الاقانيم ينفيـان التوحيد كلَّا فان السيّد المسيح قد صرَّح بانَّ وحدانية الله في طبيعتـهِ وجوهرهِ وكمالاتهِ تقوم بتثليث الاقانيم وان كنا لا ندرك هذا السرَّ بتمامهِ لعظمتهِ . ولا عجب ونحن لا ندرك اموراً كثيرة من اسرار الطبيعة القريبة منَّا . امَّا الوهية المسيح فنستطيع ان نثبتها من القرآن نفسهِ حيث يقول في سورة النساء : (انَّ المسيح كلمة الله . . وروح منهُ) فان سألنا ائمَّة الاسلام عن تعريف كلمة الله وروحهِ اجابنا الشيخ سعد الدين التفتازانيّ : كلمـة الله كلامهُ وهو قديم قائم بذاتهِ » واجابنا الامام الغزَّالي : « كلمة الله ازلي قائم بذاتهِ »

فان كان المسيح كلمة الله وكانت كلمة الله شيئاً ازليًّا قديماً قائماً بذاتهِ نتج عنهُ ضرورةً انَّ المسيح هو اله متأنس اذ ليس شيءٌ ازلي قديم قائم بذاتهِ غير الله

ومثل هذا قولهم في روح الله فانَّ صاحب كتاب الانسان الكامل يحدّ روح الله « الروح الالهي هو . . . روح الارواح المنزَّه عن الدخول تحت كلمة كن يعني انهُ غير مخارق لانهُ وجه خاصّ من وجوه الحق قام بهِ الوجود » . افيوجد شيءٌ غير مخارق منزَّه من الدخول تحت كلمة كن وهو احد الوجوه التي يقوم بها الحق غير الله ؟ . فالمسيح اذن هو الله . فما ابعد هذه الاقوال عن زعم الكاتب بانَّ تركيًّا لا يعقل وجود عربي يقول بالوهية المسيح

٣ ان العربية لا تمنع العرب عن القول بالوهية المسيح

رأيت في الباب السـابق انَّ الدين النصراني ليس هو من الغرابة على شيءٍ وان الاسرار التي يعلّمها ليست هي اختراعاً منهُ بل اخذها من الوحي الالهي فان ثبت ذلك افيحطّ اعتقاد هذه الاسرار من شأن العرب ان امنوا بهـا . كلَّا ثم كلَّا اذ انَّ البشر

مهما كان مقامهم من العظمة لا يتذللون بقبول الوحي بل على عكس ذلك يتشرفون باعتقاده. ولا يستثنى العرب من هذا الحكم. وفي حقيقة الواقع نرى قبل الاسلام في بلاد العرب قبائل متعددة من العرب العرباء دانت بالنصرانية بل كان نصارى في نفس قريش وعمّت النصرانية دولًا تامة كغسّان وملوك الحيرة وملوك كندة وبعض حمير ولنا في ذلك فصل مطوّل ننشره قريبًا ان شاء الله. وبقيت النصرانية في بعض جهات العرب كتغلب وطي حتى بعد الاسلام هـذا فضلًا عمّن تنصّر من المسلمين غير مرغومين منهم احد سلاطين مراكش الذي توفي في رهبانيّتنا اليسوعية. فترى انّ محمّدًا عبد الله ألقى الكلام على عواهنه ولم يتروّ في ما كتب في حقّ النصرانية اكثر ممّا تروّى في كتابته في حق الدستوريّة. وما كان اغناهُ عن هذا الكلام الذي جاء منزّقًا للقلوب ومهيّجًا للنصرانية ونحن في اشدّ الحاجة الى ضم القوى لتزيد اتحادًا وترقّيًا

مطبوعات شرقية جديدة

An arabic History of Gujarat by 'ABDALLAH MUHAMMAD BIN 'OMAR AL-MAKKI al-Asali, Ulughkhani. ed. by E. Denison Ross Ph. D. Vol. I. *London. J. Murray.* 1910, XV-390

القسم الاوّل من تاريخ كجرات لعبد الله محمّد بن عمر المكيّ الاصفي ألُغخاني

ان حكومة الهند الانكليزيّة ساعية في نشر الآثار الشرقيّة التي تفيد تاريخ الاقطار الهنديّة الواسعة او بعض جهاتها. وممّا عُنيت بنشره على نفقتها آخرًا تاريخ لبلاد كجرات يُدعى ظفر الواله بمُظفّر وآله وضعهُ احد أدباء القرن العاشر للهجرة المدعو عبد الله ألُغخاني وقد قسمهُ قسمين سمّاهما دفترَين ففي الدفتر الاوّل دوّن تاريخ سلاطين كجرات الذين ملكوا عليها من السنة ٧٩٩ الى سنة ٩٨٠ (١٣٩٦ — ١٥٧٢) وفي الثاني وصف بقيّة الدول الاسلاميّة في الهند منذ القرن الثاني عشر الميلاد الى السادس عشر. وهو تاريخ فريد لا يوجد منهُ الّا نسخة واحدة بخط مؤلفه ولـو الطالع قد سقط من اوّلها بعض الصحائف. وهذه النسخة وجدها في مدرسة كلكوتا الوطنيّة جناب المستشرق دنيسون روس فنشرها بغاية ما امكنهُ من الضبط. وهذا القسم يتناول

الدفتر الاوّل فقط وسيليه الدفتر الثاني وفي نيّة جناب الطابع ان ينقل الدفترين الى الانكليزيّة ويضيف اليها الحواشي والفهارس فنهنئ كل من عُني بهذا العمل لوفرة فوائده ولقلّة ما لدينا من اشباهه في العربيّة ل٠ش

INCUNABULA, XYLOGRAPHICA ET TYPOGRAPHICA 1455-1500

Lagercatalog. 586 - Joseph Baer und C°, Frankfurt A. M. Hachstrasse, 6

اقدم الآثار المطبعيّة من السنة ١٤٥٥—١٥٠٠

أتحفنا محلّ الكتبي الالماني الشهير يوسف باير بنسخة من اقدم الآثار المطبعيّة التي نُشرت بعد اكتشاف فنّ الطبع في المانية وايطالية وبقيّة البلاد الاوربيّة بين السنتين ١٤٥٥ و ١٥٠٠ وهذا المجموع الفريد مجلّد واسع ينيف على ٣٠٠ صفحة وضمّنهُ جناب الكتبي وصف نحو ٧٠٠ كتاب من الكتب التي طبعت آنئذٍ في كل فنّ من الفنون العلميّة وقد غلب عليها المواضيع الدينيّة لأن الدين كما هو معلوم يتقدّم على بقيّة المعارف في حياة كل الشعوب . وكثير من هذه الكتب قد طُبع طبعاً متقناً لا يكاد يسبقهُ في حسنهِ اليوم اهل المطابع فكان ورقهم من اجود الورق وحروفهم من ابدع الحروف . وقد رسم صاحب الكتاب بعض صفحات من تلك التآليف كأمثلة فتراها آخذةً بالعيون لحسن صورها . وترى كثيراً من هذه التآليف مزيّنة بالتصاوير المرسومة على الخشب حفراً بيد حافرين بارعين كانوا يقضون حياتهم بنقش تلك الرسوم فاراد ايضاً جناب الطابع ان ينقل منها شيئاً في مجموعهِ واذا هي طُرَف جميلة تنبئ بحذق اهلها . وهذه الكتب عزيزة الوجود يبلغ ثمن البعض منها لندرتها الى عشرين الف فرنك وازيد . وصاحب هذا المجموع هو مستعدّ لبيعها لأنها خاصّتهُ وقد نشر كتابهُ لتعريف خواصّها الفريدة ل٠ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES. VOL. XII.—Introduction à l'Histoire des Mongols de FADLALLAH RASHID ED-DIN par E. Blochet, *Leyden, E. J. Brill*

مقدّمة تاريخ المغول لفضل الله رشيد الدين

ليس بين التواريخ الفارسيّة تاريخ اوسع واشهر من التاريخ الذي ألّفهُ الوزير

رشيد الدين فضل الله وزير السلطان غازان الذي مات قتلاً سنة ٧١٨ (١٣١٨ م) ألّفهُ بامر مولاهُ وضمّنهُ تاريخ العالم منذ انشائهِ الى ايامهِ وقد اتّسع خصوصاً في تواريخ قبائل الترك واجيال المغول ودولهم في حدود الصين وختاي والهند وكشمير وخوارزم بحيث أضحى تاريخهُ كوردٍ يستقي منهُ كل الكتبة الذين اتوا من بعدهِ . وكان قوم من المستشرقين قصدوا نشر ما صبر من هذا المجموع الكبير على آفات الدهر لاسيما الفرنسوي نابغة عصرهِ دي كاترمير (Et. de Quatremère) الذي نشر قسماً منهُ وقدّم عليهِ مقدّمات تُعدُّ كتحفة من تحف العلم الغرّاء . وقد عادت اللجنة المنسوبة الى جون ولكنسون جبّ فعوّلت على نشر هذا التاريخ بتمامهِ في ثلاثة مجلّدات والكتاب الذي نحن الآن في صددهِ كمقدّمة لذلك الأثر الجليل تولّى تأليفهُ احد علماء باريس المسيو باوشه من نظّار خزانة كتب باريس الشرقيّة فبحث فيهِ عن كل ما لهُ علاقة بتاريخ رشيد الدين فعرّف المؤلف ووصف احوالهُ وترجمتهُ وزاد عدّة معلومات على ما سبقه اليهِ دي كاترمير ثم استطرد الى بيان تأليفهِ مجموع التواريخ والاصول التي رجع اليها وما لهُ من الفضل في سياقهِ وما نقلهُ من غيرهِ من الكتبة وكيف انهُ كشف القناع عن عدّة معمّيات منوطة بتواريخ المغول ودولهم وسلالاتهم . ثم ألحق الكتاب بفهارس غاية في الضبط فجاءت هذه المقدّمة احسن دليل على انّ العلوم الشرقية لا تزال في فرنسة معزّزة رفيعة الشأن فنهنئ جناب المؤلف الذي عرفناهُ كاحد انصار الآداب ذا عزيمة لا يدركها الفشل ونتمنّى ان يتحفنا قريباً باصل جامع التواريخ وينجزهُ في اقسامهِ الثلاثة فيكسب شكر كل محبي الشرقيّات ل . ش

CORPUS SCRIPTORUM CHRISTIANORUM ORIENTALIUM. SCRIPTORES ARABICI-TEXTUS — I. Eutychii Patriarchæ Alexandrini Annales. Pars posterior; accedunt Annales Yahia Ibn Said Antiochensis. Conjuncta opera ediderunt *L. Cheikho, B. Carra de Vaux, H. Zayyat* — II. SYNAXARIUM ALEXANDRINUM. T. I. fasc. III ed. *I. Forget*, — III SEVERUS BEN EL MOQAFFA'. T. I, fasc. II. Beryti e Typographeo Catholico, 1909-1910

تاريخ ابن بطريق ويحيى بن سعيد الانطاكي – السنكسار الاسكندري – تاريخ ابن المقفّع

مرّ لنا في السنين السابقة ذكر المطبوعات النصرانيّة الشرقيّة التي اتّفق على نشرها بعض علماء اوربّة تحت نظارة الخوري شابو . وهذه المطبوعات تشمل عدّة لغات كالقبطيّة

والحبشية والسريانية. والقسم العربي منها تُعنى بنشره مطبعتنا الكاثوليكية. فما نجز طبعهُ في هذه المدَّة الاخيرة الكتب الآتية. اوَّلها تتمَّة تاريخ سعيد بن بطريق من الهجرة الى زمن المؤلف في القرن العاشر وذلك نقلًا عن نسخة مخطوطة في مكتبتنا الشرقية مع مراجعة روايات عدَّة نسخ أُخرى في باريس. وقد الحق البارون كارا دي ڤو بهذا التاريخ مُلحقاً ليحيى بن سعيد الانطاكي يتضمَّن اخبار القرن العاشر من السنة ٩٣٨ للمسيح حيث انتهى ابن بطريق الى السنة ١٠٢٧. وهذا الملحق لم يُنشر منهُ قبلًا سوى قسم صغير بهمَّة البارون فون روزن (B^on von Rosen) المستشرق الروسي الشهير. وقد أُضيف اليهِ في ذيلهِ وفي اخرهِ روايات عن عدَّة نسخ مخطوطة منها نسخة للاديب حبيب افندي الزيَّات ونسخة وجدناها في مدرسة الثلاثة الاقمار في البلدة فتلطَّف اصحابها وسمحوا لنا بنسخها. وهذا التاريخ من الآثار الجليلة يحتوي افادات جمَّة عن النصرانية في ايَّام الدولة الفاطميَّة — والكتاب الثاني الذي نجز طبعهُ مؤخَّرًا هو الربع الثالث من السنكار الاسكندري الحاوي لذكر القديسين في الشهور القبطيَّة الآتية اي تتمَّة هتور ثم كيهك ثم طوبه الى اوائل امشير (اطلب المشرق ٨: ٩١٢). فلا يبقى لنهاية العمل سوى ربع واحد. وقد قام بنشر هذا الاثر حضرة الخوري فورجه البلجكي نزيل كليتنا سابقاً وذيَّلهُ ببعض الروايات والملحوظات — اما الكتاب الثالث فهو تاريخ بطاركة الاسكندريَّة لساويروس بن المقفَّع الذي كان نشر منهُ قسمهُ الاوَّل جناب المستشرق الالماني سَيْبُلد سنة ١٩٠٤ (المشرق ٧: ٧٣٢) ثم انقطع عن العمل الى هذه السنة فنشر منهُ قسماً ثانياً يتناول تراجم ثلاثة عشر بطريركاً من اثناثو خلف بنيامين في سنة ٦٧٣ للميلاد الى يوساب المتوفَّى سنة ٨١١. وهذه الطبعة باقية على اصلها مع لهجتها العاميَّة واثمَّا ذيَّلها الدكتور سَيْبُلد ببعض الروايات نقلًا عن مخطوطات شتَّى

ل. ش

الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي. الجزء الثاني من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٠ (ص ٣١٠)

عرف قرَّاء المشرق هذا الكتاب ومحتواهُ وقد اخذنا نشرهُ تباعاً في مجلَّتنا منذ

ثلاث سنوات فلم تزل نواصل تأليفهُ حتى انجزنا آخرًا الجزء الثاني منهُ فأربى مجموع الجزءين على ٣٤٠ صفحة . ومع سعة هذا الكتاب وكثرة ما امكنّا جمعهُ من تاريخ أدباء القرن المنصرم نحن مقرّون بما فيهِ من النقص اذ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب في بعض جهات الشرق العربي لاسيما البعيدة منّا بل والقريبة ايضًا لقلّة ما دُوّن فيها ولصعوبة الاتصال الى ما بقي منها مشتّتًا في خزائن الخاصّة . فأملنا من لطف القرّاء ان يغضُّوا النظر عن هذه الشوائب ويفيدونا بما لديهم من المعلومات لعلّنا نجدّد قريبًا طبع هذا الكتاب فنصحّحهُ ونزيدهُ تحسينًا فيكون كدستور يُرجَع اليهِ ويوثق بهِ في معرفة الآداب في القرن السابق حيث نشأت تلك النهضة العجيبة التي نستمدُّ اليوم من فضلها ونستقي من مواردها الطيّبة ل . ش

دروس التاريخ الاسلامي

تأليف الاديب محيي الدين افندي الخيّاط

القسم الاوّل يشتمل على مجمل تاريخ صاحب الشريعة الاسلاميّة

طُبع في بيروت بنفقة والتزام المطبعة المصريّة سنة ١٣٢٨ (ص ٦٢)

اهدتنا المكتبة الاهليّة العامرة هذا الكتاب الذي وضعهُ الكاتب الشهير محيي الدين افندي الخيّاط لافادة المدارس الاسلامية . وهو كمقدّمة دروس اخرى للتاريخ الاسلامي يُلحقها بهِ قريبًا . وقد راجعنا الكتاب فوجدناه مزدانًا بصفات الكتب المدرسية من حسن تنسيق واختصار وايضاح افتتحهُ المؤلف بنبذة تمهيديّة في التاريخ وقع فيها بعض اغلاط لا بُدَّ من اصلاحها في طبعة ثانية كقول جنابهِ (ص ٦) انَّ البعض قالوا «انَّ البشر وُجدوا قبل الهجرة المحمّديّة باربعة الاف سنة» والصواب «قبل ميلاد السيّد المسيح» . وكان الاولى ان يضرب جنابهُ صفحًا عن قول القائلين دون ادنى سند علميّ (ص ٦) بانَّ البشر وجدوا قبل الهجرة «بملايين من السنين» فهذه اوهام وترّهات لا يجوز ان تُذكر في كتاب تعليم . وكذلك لم يقل مؤرخو الفرنج (ص ٦) بانَّ الصينيين والمصريين «وجدوا على سطح الارض منذ ستّة آلاف سنة تقريبًا» بل يقولون انَّ تاريخهم يقتضي مدّة نحو عشرة الاف سنة قبل المسيح وهذا ممّا يمكن التسليم بهِ . ولنا على بقية الكتاب ملحوظات أخرى يطول بنا ايرادها . وممّا لا نسلّم بهِ قول المؤرخ بانَّ

الامم (ولم يستثنِ النصرانية) كانت في حاجة الى الدين الاسلامي (ص ١٢ و١٣) ويؤخذ من القرآن ان محمّدًا أرسل الى ذويهِ فكلّمهم بلسانهم ل. ش

الرسائل المصريّة

تأليف الخوري بطرس البستاني

طُبع في المطبعة السلفيّة ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٣٦٢)

كانت مجاميع المكاتب التي تُنشر قبل عشرين سنة لافادة احداث المدارس مزوّقة الكلام كثيرة تكلّف الالفاظ والاسجاع زهيدة المعنى قليلة الجدوى لا تكاد توافق الذوق السليم والآداب العصريّة حتى قام بعض ادباء الشام لاسيما النصارى فعدلوا عن تلك الطريقة وأنشأوا كتبًا تفنّنوا في اختيار مواضيعها وحسن سبكها دون تصنّع ولا تعمّل فراجت سوقها وتعقّب غيرهم آثارها. ومما وُضع آخرًا من هذا القبيل الرسائل المصريّة لحضرة الخوري بطرس البستاني من اساتذة العربية في كليّتنا فانّه اتّسع في المواد اتّساعًا عجيبًا ووضع في كل ابواب الكتابة التي يحتاج اليها الاحداث في اطوار حياتهم رسائل متعدّدة جمعت بين سهولة الانشاء وانسجام الكلام وبلاغة المعاني جاريًا على موجب الافادات التي صدّر بها كتابه حيث وضع عشرين فصلًا في آداب الكتابات. فنحن على يقين بأن كل من يطلع على هذا الاثر الجليل من ارباب المدارس يسرع الى اتّخاذهِ كدستور لتعليم فن المراسلات. هذا ونشير الى حضرة المؤلف ان يُلحق في طبعة ثانية كل باب من المكاتبات ببعض المواضيع يترك انشاءها للطلبة ليرتاضوا بترسيمها ل. ش

QUESTIONS HISTORIQUES. Le Schisme de Photius par J. Ruinaut, *Paris, Bloud et Ce, pp.* 61

انفصال فوطيوس عن الكنيسة الرومانية

هذا الكتاب داخل في مجموع الابحاث التاريخيّة التي تولّت نشرها احدى الجمعيّات الفرنسويّة وليس في الحقيقة بحث اعظم خطرًا من هذا في القرن التاسع للميلاد اذ تمّ انفصال بوزنطية عن رومية. على انّ ذلك الحادث العظيم لم يجرِ على بغتة فانّ

اساقفة بوزنطية مذ يوم رأوا ملوك الروم اتخذوا القسطنطينية كدار السلطنة وجّهوا نظرهم الى الاستقلال عن رومية ايضاً في الروحيّات مستندين الى مبدإ سياسي مضادّ لتعليم الانجيل وتقليد الاباء فلم يزالوا (الّا البعض منهم ممّن عُرفوا بقداسة سيرتهم) يغلبون ذلك المبدأ خطوةً خطوةً حتى جعلوا بوزنطية كرسيًا مستقلًا عن حكم رئيس اساقفة سالونيك ثم خوّلوهُ دون رضا الاحبار الاعظمين امتيازات البطريركيّات ثم رفعوهُ فوق رتبة بطريركي الاسكندريّة وانطاكية الرسوليّين فلم يبقَ في طريقهم شيءٌ يحول دون مطامعهم في الرئاسة غير الحبر الروماني فقطعوا اخيرًا تلك الرابطة التي كانوا يرونها مذلّة لنفوذهم وسيطرتهم على كنائس الشرق واحتجّوا للدفاع عن عملهم بحجج لا طائل تحتها ليستروا بها نقض طاعتهم. فصاحب هذا الكتاب المسيو روبنو قد بيّن ذلك في هذا التأليف فبحث عن اصول الانشقاق واسبابهِ قبل عهد فوطيوس متتبّعاً تاريخ بوزنطية بنظر عام قدّمهُ على كتابهِ. ثم انتقل الى تاريخ فوطيوس وفصّل اطوار حياتهِ واثبت ما كان لهُ من الصفات والعلم الواسع وكيف شوّه تلك المحاسن بحبّهِ المفرط للرئاسة فسعى طاقة جهدهِ في مماحكة القديس اغناطيوس صاحب الكرسي القسطنطيني ودسّ لهُ الدسائس حتى نفاهُ وجلس بدلًا منهُ على الكرسي القسطنطيني. ولمّا عرف بذلك البابا نيقولا الاوّل حكم لاغناطيوس ضدّ فوطيوس الذي شقّ العصا وجاهر بخلع الطاعة لرومية وبلغت في ذلك جسارته الى ان عقد مجمعًا من الاساقفة اتباعهِ وحرم فيهِ البابا. لكنّ الاحوال تغيّرت بعد مدّة بقتل الملك ميخائيل المعروف بالسكّير نصير فوطيوس وولاية باسيل المقدوني فاجتمع مجمعٌ قانوني عُزل فيهِ فوطيوس وأُعيد اغناطيوس الى كرسيهِ الّا انّ موت اغناطيوس فتح بابًا جديدًا لمطامع الدخيل واجتهد بترضية البابا يوحنّا الثامن فوعدهُ المواعيد الباطلة وكانت وفاة فوطيوس سنة ٨٩١ على انّ الكرسي القسطنطيني بعد وفاتهِ عاد الى طاعتهِ لامام الاحبار وبقي الامر على ذلك دهرًا الى عهد البطريرك ميخائيل كرولاريوس الذي قطع نهائيًا العلاقات مع رومية. هذا ما احتواهُ الكتاب الذي نحن بصددهِ ولولا ما اخذهُ الكاتب على نفسهِ من الاختصار لرأيناهُ مخلًّا في ايضاح عدّة مسائل لم يثبتها بالاسانيد الكافية وقد اوضحها غيرهُ من المؤرّخين الموثوق بهم المتزّهين عن كل غرض في الكتابة كالالماني فوغت (Vogt) والكردينال هرغنروتر (Hergenrother) الاب ب. كسانتاكيس

والبرهيم الشهيد

رواية تمثيلية تاريخية نثرية بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

بيروت في المطبعة الكاثوليكية

لا حاجة الى وصف هذه الرواية ومحاسنها بعد أن تفكّه قرّاء المشرق بمراجعة فصولها في اعداد المجلّة منذ اوّل هذه السنة. وغاية ما نقول — ولا نخاف في قولنا لومة لائم — انّ هذه الرواية هي الى اليوم الرواية العربيّة الوحيدة المبنيّة على التاريخ الشرقي الصحيح مع مراعاة اصول فن الروايات. ولا عجب بعد ذلك مما نالته من الاستحسان كلّ مرّة مثّلها تلامذة مدارسنا في بيروت ومصر والاسكندريّة وهـا قد جُمعت في كتاب مستقلّ مطبوع بغلاف جميل النقش زاهي الالوان فيستطيع كل من أحبّ ان يسرح في محاسنها الانظار ويستفيد من معانيها والفاظها ل.ش

صناعة الانشاء في التأبين والرثاء

لحضرة الخوري يوسف العشيقي

طُبع في المطبعة السليمية (عشيت) سنة ١٩١٠

صاحب هذا الكتاب من الوعّاظ الذين يُسرّ الناس باستماعهم لبلاغة كلامهم وفصاحة عبارتهم. وله في ذلك عدّة خطب ألقاها في احوال مختلفة وفي نيّته ان ينشرها بالطبع لافادة الجمهور وها هوذا قد اختار منها عشر خطب في التأبين والرثاء فطبعها في مطبعة عشيت واضاف اليها عظةً في المحبة. وقد تصفّحنا هذه الخطب فوجدناها اهلًا برجل ضليع بالخطابة متفنّن في ضروب الكلام محسن لصناعة الانشاء يستخلص من احوال الموتى تعاليم للاحياء يستعدّون بها للاقاة ربّهم. ولولا شيء من التصنّع في هذه الخطب وبعض المبالغة في مدح المؤبّنين لقلنا انّها اجود مثال لمن يريد ان ينسج على منوالها ل.ش

هدايا أرسلت الى ادارة المشرق

١) برنامجات سنويّة عن السنة ١٩١٠ : ١ً لشركة مار منصور دي بول في بيروت (ص ٢٥) = ٢ً لاخوية الانفس المطهرية (ص ٤٠) = ٣ً لجمعيّة مار افرام السرياني (ص ١٦) = ٤ً لجمعيّة كنز الرحمة الكلدانيّة (ص ٩) = ٥ً للجمعيّة الخيرية الارثوذكسية (ص ٢٢).

٢) قوانين جمعيّات : ١ً اتحاد عثماني قلوبي نظامنامهٔ اساسي سنة ١٣٢٩ . وهو قانون نادي الاتحاد العثماني بالتركيّة والعربية (ص ١٧) = ٢ً قوانين جمعيّة شبان مار لويس غونزاغا التابعة لاخويّة الامّ المزينة (ص ٨) = ٣ً قانون جمعية الاتحاد العثماني في القاهرة (ص ١٩)

٣) رسالة رعائيّة في نهج الطريقة المسيحيّة وهو منشور سيادة المطران انطون عريضه رئيس اساقفة طرابلس الشام لصوم سنة ١٩١٠ الذي حاول الماسون الناءُ فحبط مساعيهم (ص ٣١)

٤) رسالة من الزائرين الرسوليين الى عموم الرهبانيّات الثلاث المارونية البلديّة والحلبيّة والانطونيّة (ص ٤٥)

٥) المدارس اللادينية . نظر تاريخي اجتماعي بقلم ر. السوريّ (ص ١٦)

٦) بيان وظهور العلّة في جسم مجلس الملّة الماروني (ص ٢٢)

٧) لآلئ فلسفيّة لبعض تلامذة مدرسة القديس بطرس في بسكنتا (ص ١٥)

٨) المسئلة اللبنانيّة : نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول مع مقدّمة وحواشي بقلم يوسف افندي السودا La Question Libanaise : *Règlement organique et Protocoles* طبع في مصر (ص ٤٠ + ٣٠)

٩) زبدة الاراء في الشعر والشعراء جُمعت بقلم حليم ابراهيم دمُوس . طبعت في منتريال كندا (ص ١٩)

١٠) الحاجيّات والكماليّات وفي اي منهما نحن الان . خطبة للدكتور كامل سليمان الخوري عيسى (ص ٢٢)

١١) صرك الثباي طمانى محرري ع . عرفان بر جوق نجربه وتتبع اوزرينه مرتب اولوب برآى ظرفنده قراءتى تعليم ايدر — درسعادت ١٣٢٥ — ١٣٢٨ (ص ٧١)

شذرات

معموديّة المراطقة نشرت مجلّة المشرق مقالات دينيّة اثبتت فيها ان المعموديّة لا تكتسب شيئاً من ايمان خادم السرّ وبرارته ولا تخسر لكفره وخطيئته (المشرق ٩ : ١٦١ و ٢٠٤) وبيّنت ان المجامع لم تحكم بنكران المعموديّة المعطاة من المبتدع اذا حفظ النيّة والمادّة والصورة المفروضة (المشرق ١٣ : ٨٩) فكان

من ثمَّ اللاتيني والماروني والقبطي الخ نصارى حقيقةً كالارثوذكسي معتقدين بمعموديَّة المسيح لا كفَرة ولا وثنيّين واذا ارتدَّ الهرطوقي الى حضن الكنيسة الحقيقيَّة تائباً قُبل كاخٍ ضلَّ فعاد عن ضلاله او كالابن الشاطر لا كالغريب ولا كعابد الاوثان . فكتبت مجلة الكلمة الامركيَّة مقالة غريبة المنهج ختمتها بما ننقلهُ بالحرف الواحد (ص ١٥٣) :

(الخلاصة) « ان كنيستنا القويمة الرأي الارثوذكسيَّة المشهورة بمحافظتها الشديدة على تسليم الرسل القديم وتعليم الآباء والمجامع المسكونية القويم كانت ولا تزال تجري في مسألة عماد الهراطقة والمشافين مجرى المدبّر الروحي الحكيم . ففي الاماكن والبلاد التي تأمن فيها شرَّهم وتؤمل امكانيَّة استمالة كثيرين منهم الى الارثوذكسيَّة تجري على خطَّة التساهل والتدبير الكنائي فتقبل معموديَّة اولئك منهم الذين يتعمدونها قانونيًّا باسم الاب والابن والروح القدس كما تفعل الآن الكنيسة الارثوذكسيَّة الروسيَّة مع اللاتين وبعض الجماعات البروتستانتيَّة في بلادها حين اتحادهم بالكنيسة الارثوذكسيَّة . اما في الاماكن والبلاد التي تخشى فيها وقاحتهم وشرورهم وتحرُّشاتهم بها ولا امل لها بامكانيَّة استمالتهم الى الارثوذكسيَّة فتجري على خطَّة الدقَّة والصرامة معهم فلا تقبل معموديَّتهم كما هو الجاري الآن في جميع البطريركيات الارثوذكسيَّة اليونانيَّة »

(نقول) قد اخذنا العجب والاسف كل مأخذ وما كنَّا لنصدّق مثل هذا الكلام لولا صراحتهُ . فهل يرضى الكاتب الجليل بهذا المبدأ الذي يجعل سرَّ المعموديَّة المقدَّس — وهو باب الاسرار المسيحيَّة واساسها — عرضة لتقلبات الزمان والمكان تكون صحَّة السرّ او عدمها امورًا لاحقة بالتساهل هنا والصرامة هناك ؟ افتكون المعموديَّة حقيقيَّةً في الكنيسة الروسيَّة الارثوذكسيَّة وغير حقيقيَّة في الكنيسة الانطاكيَّة الارثوذكسيَّة وبالتالي يكون زيد مثلاً مسيحيًّا في موسكو وثنيًّا في سورية . وهَبْ انهُ سافر من هذه البلاد — حيث كان يحسب غير مسيحي — فاستنار بنور الحق ودخل في الكنيسة الروسيَّة الارثوذكسيَّة ثم رُسم كاهنًا او اسقفًا بدون ان يُجدّد عمادهُ ثم عاد الى الاوطان . ايعود الى ما كان عليهِ قبل العماد فينكر أنَّهُ اسقف وكاهن ومسيحي . لا لعمر الحق انَّ هذا أقولُ نجلّ سيادة صاحب الكلمة عن الرضى بهِ مهما كرَّر علينا التصريح ا . ر

السكك الحديديَّة في العالم — افادت المجلَّة الالمانية (Archiv fur Eisenbahnwesen) التي تبحث عن كل امور السكك الحديديَّة انَّ طول هذه السكك الحديديَّة بلغ في آخر سنة ١٩٠٩ نيفًا ومليون كيلومتر بزيادة نحو ٢٥,٠٠٠ على العام السابق وكان طول هذه السكك في آخر سنة ١٩٠٨ ٩٨٣,٨٦٨ كيلومترًا . واميركة الشمالية لها السبق على كلّ الدول في ذلك فانَّ طول سككها اذا

حُسبت الولايات المتَّحدة وكَنَـدا يبلغ نحو ٤٠٠,٠٠٠ كيلومتر اعني اكثر من ثلث مجموع السكك في العالم كلهِ واذا اضفتَ اليها سكك اواسط اميركة وجنوبها انافت سككها على نصف سكك العالم. ومجموع السكك الحديديَّة في اوربَّة لا ينيف على ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر منها ٦٠,٠٠٠ لالمانية ومثلها بالتقريب لروسيَّا. ثمَّ فرنسة ٥٠,٠٠٠ ثم النمسة ٤٣,٠٠٠ ثم بريطانيـة العظمى ٣٨,٠٠٠. ومجموع السكك الحديديَّة في آسيا كلها لا يزيد عن ٩٥,٠٠٠ كيلومتر وفي افريقية ٣١,٠٠٠ وفي استراليا ٢٩,٠٠٠

البنّ في البرازيل — انَّ مجموع ما يُجنى سنويًّا في العالم من البنّ ما كان يتجاوز قبـل سنة ١٨٧٥ ٧,٠٠٠,٠٠٠ كيس ووزن الكيس ٦٠ كيلو. امَّا اليوم فكاد يبلغ ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ كيس فالبرازيل لهُ من هذا المحصول السهم المعلَّى فانَّ تلك البلاد تغلّ وحدها خمسة اسداس المجموع لانَّ مجتنى البن بلغ في البرازيل في السنة ١٩٠٧ ١٨,٠٠٠,٠٠٠ كيس اكثرها من مقاطعات سان بول. امَّا بقيَّة البلاد كجزائر انتيل وجاوة وبورنيو واليمن فانَّ مجموع محصولهـا كلها ٤,٠٠٠,٠٠٠ فقط. واكثر الناس شربًا للقهوة البلجكيُّون فانَّ الواحد منهم يشرب سنويًّا ٧ كيلو ونصف

طائر طويل العمر — افادنا من معلولا حضرة الخوري باسيليوس عيسى ان الخواجا موسى بن يوسف دروبي من معلولا بينما كان يشتغل في كرمهِ في نيسان المنصرم اذ وقع بقربهِ عدَّة كراكي منها واحد اكبر كاد يتلف هرمًا وعليهِ نمس اي قمل الدجاج فلمَّا رآها وثب عليها فقرَّتْ منهُ الَّا كبيرها المُنهك القوى فتأمَّلهُ واذا في رجلهِ سوارة (اسوار) عليها كتابة فقطع رجلهُ واخذها مع السوارة وهي من معدن ابيض. امَّا الكتابة فقرأها حضرة الخوري باسيليوس وشاهدها كثيرون وهي مكتوبة باللاتينيَّة وتاريخها سنة ١٦٧٦ كتبها احد المربّين للطيور اسمهُ كوزبنت من بودابست في بلاد المجر لعلَّهُ فعل ذلك اختبارًا لمعرفة طول سنها امَّا الكتابة فهذه صورتها

[1] ORNITH. KOZPONT

BUDAPEST. HONGRIA. 1676

(المشرق) لا نريد نحكم في امر هذه الكتابة قبل ان نطَّلع على الاسوار ونتبيَّن قدمهُ وها نحن مرسلون هذا العدد من المجلَّة الى بودابست فنطلب ايضاحات عن صاحب الكتابة وزمانهِ وسنعود الى ذلك مرَّة اخرى ان شاء الله

اسئلة واجوبة

س سألنا من سان فرنسيسكو يوسف افندي ناصيف: ١ً ما هي حالة القناصل العثمانيين في اميركة أهم قناصل رسميون لهم حقوق قناصل الدول في البلاد الاجنبيَّة ام هم شرفيُّون فقط ٢ً لاي سبب لا يجوز لكهنة بلاد الغرب ان يتزوَّجوا بخلاف الكهنة الشرقيين

القناصل العثمانيُّون في اميركة – زواج الكهنة

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ نصب القناصل العثمانيين في اميركة حديث العهد تعرفهم الدول الاميركية كعمَّال لاشغال المهاجرين يتوسَّطون بينهم وبين دولتهم لكنَّها لم تخوِّلهم الامتيازات التي يتمتَّع بها قناصل الدول في جهات الشرق . وهم شرفيُّون اكثر منهم رسميُّون . وجوابنا على (الثاني) انَّنا سبقنا فكتبنا في المشرق (٩ : ٨٠٠ – ٨١١) بحثًا مطوَّلًا عن زواج الاكليروس وردَّدنا بادلَّة متعدِّدة على ما كتبتهُ مجلَّة النور (المنطقيْ) وبيَّنا هناك كيف الكنيسة اعتبرت في كل زمن تبتُّل الكهنة من واجبات الكهنوت وكيف دخلت العادة في الشرق بان يُسمح للكهنة المتزوِّجين قبل الكهنوت ان يعيشوا بصحبة ازواجهم وما انتج ذلك من الانحطاط في الاكليروس الشرقي

س سألنا ر . س احد ادباء البلدة ما هو رأينا في ماسونيَّة الملك ادورد السابع الذي رسم المقتطف صورتهُ بالهيئة الماسونية (يونيو ١٩١٠ ص ٥٢٥)

الملك ادورد السابع والماسونية

ج سبق لنا في المشرق انَّ الماسونيَّة تخوِّل بعض الملوك امتيازات الماسون وتجعلهم رؤساء شرف دون ان توقفهم على شيءٍ من اسرارها . وقد قبل بعض الملوك هذه الميزة لغايات سياسيَّة املًا منهم ان يتلافوا بذلك دسائس الماسون او يعدلوا بها عن دولهم لمناصبة الدول المادية لهم . ومنذ اواسط القرن الثامن عشر اعتاد الماسون ان يرتِّبوا شرفًا ولاة العهد في انكلترَّة على شيعتهم فلمَّا كانت سنة ١٨٦٨ وجَّهت الماسونيَّة الى ادورد السابع وهو ولي العهد شعار اساتذة الماسونيَّة فقبل رئاسة الشيعة ولا نراهُ في وقت ملكهِ انظ باسمها او تعزَّز بعبادتها . وزد على ذلك انَّ الماسونية في البلاد البروتستانية لم تبلغ في التهتُّك والكفر مبلغ العشيرة في البلاد الكاثوليكية لأنَّ اعداء الماسونية الكبار ليسوا البروتستانت وانَّما هي الكنيسة الكاثوليكية والصخرة البطرسية التي لا تقوى عليها قوَّات الجحيم

ل . ش

السنة الثالثة عشرة العدد ٨ آب سنة ١٩١٠

المشرق

حفلة توزيع الجوائز

بقلم حضرة الخوري مارون الخوري غصن مدرس البيان في مدرسة الحكمة

إن يوم توزيع الجوائز على تلامذة المدارس في مشهد مشهود من الاقرباء والادباء والعظماء والوجهاء لأشبه بيوم القضاء العام فيظهر الحاصلون على الجوائز السنيَّة والاكاليل البهيَّة وعلى وجوههم رونق البشر والابتهاج ويذهب المقصرون والكسالى وعلى وجوههم جهومة الفشل وذلّ الخزي فمن كان يخشى أن يظهر امام ذلك المحفل الحافل بمن اشرت اليهم وليس على رأسه اكليل فلاح ولا في يده جائزة تؤذن بنجاح يبذل اقصى ما في وسعه ليحوز السبق رغبةً في أن تجتليهُ العيون مكلَّلاً بغار الظفر متأبطاً من الجوائز ما هو لديه افضل من الجواهر

فاستحساناً لهذه العادة الحميدة انشأتُ محاورة شعريَّة تمثل حال التلامذة في ختام السنة المدرسيَّة وهي ذات اربعة ادوار . الاول يمثل تلميذاً قد جدَّ واجتهد ولم يكن لهُ من الذكاء ما يضمن لهُ إحراز الاكاليل فاصبح كئيباً يخشى ان يعود الى اهله صفر اليدين . والثاني يمثل تلميذاً لا يعبأ بشيء ولا يهتمُّ بسوى الراحة والاكل والشرب فتفقد حفلة التوزيع ويبهر لمعانُ الجوائز عينيه فيعلم انهُ لم يكن الّا في غرور فيندم ولات ساعة ندم . والثالث يمثل تلميذاً ليس بالكسلان ولا بالمجتهد وهو يخشى ان لا يكونَ لهُ من الجوائز نصيب فراح يندبُ بحفلة التوزيع حسداً ويقبح هذه العادة الحميدة . واما الدور الرابع وهو الاخير فيمثل تلميذاً استعان بذكائهِ واكبَّ على الدرس والعمل فحاز اسنى الجوائز وانستهُ هشاشة الاهل وبهاء المكافأة ما كابد وقاسى وراء اقتباس المعارف والعلوم وراح يتفاءل بالخير في مستقبل الزمان

سمعان (س) جرجي (ج) هارون (م) ميشال (مش)

س لقد عبر العام المعذّب للنفسِ وصرنا على وشكِ النشور من الرمسِ
ويا طالما بتُّ الليالي ساهرًا مُكبًّا على كتبي لأفلح بالدرسِ
وجيشُ بعوضِ الليل قد رنَّ بوقُهُ وصال عليَّ صولَ عنترةَ العبسي
وكم مرَّةٍ اجفلتُ من وطء قادمٍ وباغتني القسيسُ بُعدًا لذا القسِّ
فقد نالني منه شديدُ مضرَّةٍ قصاصٌ وصمتٌ طيَّ ذيّالك الحبسِ
ولا بأسَ في تلك الشدائد كلها اذا نلتُ ازهارَ التقدُّم من غرسي
كأني باتعابِ الدروسِ تزول إنْ رأيت اكاليلَ النجاحِ على راسي
ولكنَّ آمالي بذاك ضعيفةٌ وما ليَ من ذنبٍ فلم أهُ بالامسِ
ولكن هو الله العجيبُ بحكمهِ قربَّ بليدٍ نالَ مقدرةَ النفسِ
ومثلي وراء النُجحِ يركضُ باطلًا وليس يرى في جيبهِ الدهرَ من فلسِ

(ثم يجلس على كرسي حزينًا فيدخل جرجي ويقول):

ج انا اهزأُ بالكلِّ ولا اعبأُ بالشغلِ
فلا يشغلني همٌّ بلى اهتمُّ بالاكلِ
ولا آكلُ الا ما يردُّ الجسمَ كالفحلِ
ولا العبُ في الشمسِ ولكن في حمى الظلِّ
ولا اركض في مشيي انا امشي على مهلِ
ولا انهض قبل الظهرِ م من نومي فمن مثلي ؟
فنوم الصبح والظهرِ هما عندي كما « المحلي »
ولا اجهد في الدرسِ متى كنت بلا عقلِ
ولا ارضى بان أبقى خفيًّا في دُجى الذلِّ
ولكن لقنّي ان أفوقَ الكلَّ بالشكلِ
وأدعى شابَّ عصرِ م فيروني زينةَ السُبلِ
لذا أعنى بصفِّ الشعرِ م والازهارِ والفلِّ
بغيرِ اللهوِ لا ألهو بلى بالزمرِ والطبلِ

وبالرقص وبالبسطِ وذا قولي وذا فعلي
ولا اكره انسانًا سوى الاستاذ والشغلِ
وبيت الدرس والنظّا رِ والفرض مع الذُّلِ
سموتُ الكلَّ من بعدي كما قد فقتُ من قبلي
سلوا الله أيا حظًّا رُ يبقيني لدى اهلي

(ثم يجلس على كرسي أخرى قبالة سمعان وبيده شبّابة يعزف بها)
(يدخل مارون متهكّمًا فينظر الى الجوائز فيقول):

لله من هذه الجوائزِ إنها لجديرة بجماعةِ الصبيانِ
عارٌ عظيمٌ أن يشوّك مفرقي بأكلّةِ الاوراقِ والعيدانِ
لكنني أسعى وراء لبانتي بنُهى الشيوخِ وهمّةِ الشبّانِ
لو قامَ في ذهني نوالُ جوائزٍ لجريت في الميدان مع أقراني
وتركتهم خلفي سلاحفَ تبتغي ادراكَ شأوِ سوابقِ الغزلانِ
ولطِرتُ في فلك الدروس محلّقًا نسرًا يذلّلُ معشر العُقبانِ
وجرى قطارُ الجدِّ متّي مُزريًا بتزاحم العجلاتِ والركبانِ
قال الرسول المصطفى برسالةٍ قد خطّها باشارةِ الرحمانِ
إني اصارعُ لا لأحرزَ باطلًا ورقَ الذبول ويابسَ الاغصانِ
بل انني اسعى لاظهر حائزًا اكليل مجدٍ دائم اللمعانِ
يا من غدوا متبجحين بنيلهم كتبًا تُباع بابخس الاثمانِ
هيّوا الى موسى صُغيرٍ فالجوا بزُّ عنده لماشرِ الجرذانِ
الحملُ منها نشتريهِ بشلكٍ والحمرُ في اسعارهِ غرشانِ
قدكُمْ أيا اصحابُ زهوٌ ليس ما احرزتمُ بالدرِّ والمرجانِ
كلّا وليسَ أعزَّ من بيضِ الأنوقِ م ولا يُكلّف شيبةَ الغربانِ
لا لا وليسَ « بيور ارثورٍ » فقد فتحتهُ أمسِ عساكرُ اليابانِ
وسيطبول الروس دُكّت لم إذن هذا التفاخر معشرَ الفتيانِ
كلٌّ تأبّط حزمةً يزهو بها فكأنهُ ملكٌ عظيمُ الشانِ
أو قلْ هو الحمّالُ راح محمّلًا ومثقّلًا بصغارةٍ وهوانِ

مش (يدخل مكللا متأبطا جوائزه ويقول):

حملي خفيف أيا خِلّي ويا طربي لو زاد ما قلتُ يا ويلي ويا حَرَبي
هذي الجوائزُ يا صحبي افضّلُها على جواهرِ هذي الارض والذهبِ
حصّلتُها بعد كدٍّ وافرٍ وعنا وراء علمٍ بشقّ النفسِ مكتسبِ
يا طالما قد سقينا الكتبَ من عرقٍ فازهرت ذهباً في روضةِ الادبِ
ضفرتُ منهُ اكاليلاً تتوّجنا في محفلِ الاهل والاحبابِ والطربِ
وعرّشتْ فوقنا الآمالُ ناضرةً منها تدلّت عناقيدٌ كما العنبِ
وربّما ثعلبٌ وافى وحاولَ أن ينالَ منها فلم يظفر بذا الارَبِ
فراحَ والقلبُ منهُ مفعمٌ كدرًا وقال يسترُ نيرانًا من الغضبِ
ما ذي العناقيدُ الّا حصرمٌ تفِهٌ ولو يفوز لنادى آه يا طربي

م (بغضب) أميشالُ ما التلميحُ

مش هذا جزاء من

يندّدُ في أمرٍ حميدٍ ينشّطُ
وفي بيرةِ العام المباركِ يلتهي بما عن مراقي النُجح والمجدِ يُسقطُ
فيأتي ختامُ العامِ ويلاً يعمّهُ وفي محفلِ التوزيع يا صاحِ يتنطُ

س (واقفا) أميشالُ لقد قلتَ الصوابا وحقّك ان تفوز وان تُثابا
ولكنني انا لم ألهُ قطعًا بشيءٍ لا ولم اطرح كتابا
وبتُّ الآن أندبُ سوءَ حظي ولا ارجو لاتعابي ثوابا
سأرجع نحو أمي اليوم صفر اليدين وذاك يملأني اكتئابا

م

مش (يأخذ بيد سمعان ويكلّمهُ همسًا):

أيا سمعانُ لا تيأس فإني رأيت هناك ما يشفي التظني
رأيتُ هناكَ جائزةً كأني عليها شمتُ سمعانًا كأني

م (وقد كان يُنصت اليهما):

بربّكَ قلْ رأيت كذلك إسمي ؟

مش نعم

م شكرٌ اليك الان مني

مش أراكَ رجعتَ أيا صاحِ عمّا م ارتأيت ونعم الرجوع تمّا
م هو المرء فاسلمْ حسودٌ يحبُّ م التفاخرَ طبعاً حديثاً وقدما
فإن رام امرًا وقصّر عنهُ يصيرُ يندّدُ بالامرِ ذمّا
وقد كنتُ حاولتُ نيلَ جزاء لتلأ أسامَ من الاهلِ وعما
وكنتُ أؤملُ أني اكونُ من الاوّلينَ ذكاء وعلما
ولكن بكلِّ السباقاتِ كانت ظنوني تخيبُ وأفحمُ فحما
لهذا عراني يأسٌ وحزنٌ وصرتُ كمن قد اصابتهُ حُمّى
فارجو السماحَ بما قد هفوتُ فقد قلتُ ما قلتُ غضباً ورغما
س كذاك أنا قد تذمّرتُ جهرًا ولم اقبل لالهيّ حكما
فارجع عما نطقتُ بهِ واسأل ربّيَ صفحاً وحلما
وأشكرهُ من صميم فؤادي فقد ملأ الصدرَ بشرًا وحزما
م بعد ما قد فرَّ جيشُ الكربِ وتولّتكم حمّا الطربِ
لا يليق ترك ذاك قانطاً (مشيرًا الى جرجي)
يطلبُ السلوى بنقر القصبِ
ربَّ طيرٍ راقصٍ من ألمٍ كلُّ حالٍ سُبيتْ عن سببِ
ج (يغني حزينًا متأثرًا مما سمع ورأى):
يا فؤادي بسهامِ رشقوكَ وباظفارِ المنايا مزّقوكَ
س ارى غناءكَ يا خلّي اخا ندمٍ والآنَ كنتَ طروبَ القلبِ والنغمِ
ج لا يخدعنك يومًا ثغرُ مبتسمٍ فالطيرُ يرقص مذبوحاً من الالمِ
م (ضاحكًا) ما كنتُ أحسبُ أنَّ الغمَّ ينزلُ في
قلبٍ تعوّدَ غير الغمِّ والسأمِ
مش (لجرجي) سرِّ الهمومَ وطبْ نفسًا فقد قشعت
انوارُ عُطلتنا جيشًا من الظلمِ
ج اليوم نورٌ وليلٌ آمٍ واحربي نورٌ لمجتهدٍ ليلٌ لمتّهمِ
س ماذا ألم تجتهد في الدرسِ مطّلباً دُرَّ العلوم ألم تكتبْ ألمْ ألمِ
ج بلى ملأتُ بيوتَ الدرسِ من ورق سطّرتهُ لأني عن كثرةِ الكلمِ

م وكم رأيناك وقت اللعب في شغلِ
ج قد كنتُ ادرسُ قاموساً أخا نِقَمِ
س الحمدُ للهِ بعد الضيقِ ترتعُ في حرّيةٍ شُريتْ بالسيفِ والقلمِ
ج يا حبذا الاسرُ في اعماق مدرستي حتى أعوّض من ماضيَّ بالندمِ
فالنفس من جزعٍ قامت توبخني مُرًّا لأني بعبء الدرسِ لم أقمِ
مش دعْ ما مضى وابتهج صدرًا فنحنُ على وشكِ اجتناء المنى في منتدى النعمِ
ج يا من يبشّرني اني انالُ ولو قُصاصةً فيُزاحَ العار عن لحيي
مش لا بدَّ يا صاحِ ان تحظى بجائزةٍ
ج (يقف ويصيح) وحيٌ اتاكَ أمْ أنتَ الثاقبُ الفهمِ
مش لستُ النبيَّ ولا بالفهمِ منفردًا بل انتَ تخبطُ في داجٍ من الظلمِ
نسيتَ أنكَ موسيقي وقد طرِشت جدراننا وبلوتَ الناسَ بالصممِ
ج (صائحًا فرحًا) لا ما نسيتُ وحقِّ «الباسِ» (١ مُنتفخًا
والطبلِ والزمرِ والاوتارِ والنغمِ
م هيّوا إذن تنتظر إشراق منيتنا
ج إشراقَ جائزةٍ حصّلتها بدمي
مش ولا نكن غامطينَ الدهرَ نعمة من آلائهِ فوقنا تنهلُّ كالديمِ
م للدهرِ نشكرهُ
س والحمد ننشرهُ
ج والفضل نذكرهُ
الجميع في حسنِ مختتمِ

١) اي آلة التوبة (Basse)

السرّ المقدس

رواية تاريخيّة للاب انطون رباط اليسوعي (١)

اخبر الراوي قال: قضيت السنين الطوال في انكلترة استاذًا للفلسفة الافرنسية في احدى كلياتها فتعرَّفت بكثيرٍ من علماء الانكليز الاعلام ووجهائهم الممتازين بالآداب والمعارف ففي احدى السنين قصدت ان اغتنم فرصة العطلة المدرسية فازور بلاد ارلندة وكان لي رفيق حليف جمعتني واياه مهنة التدريس وعلائق الوداد اسمهُ جون ويليم شبرد (John William Shepherd) وهو قس من قسوس البروتستنت في مقتبل العمر تلقَّى المعارف في كليَّة اكسفورد فنبغ فيها بذكاء الفهم وتوقُّد المخيلة وذلاقة اللسان ولطف المعاشرة لكنهُ كان شديد التعصب في مذهبهِ البروتستانيّ يجاهر ببغضه للدين الكاثوليكي والاستهزاء بتابعيه وكان قد فاز بقصبات السبق في فنّ الجدال فاعتاد عليهِ وتمكن فيهِ وفاق على من سواه فصار حبّ الجدال فيهِ طبيعة ثانية لا يرى لذَّة الَّا اذا ما تحرَّش بالعقائد الكاثوليكية وشنَّع في كل نادٍ اسرارها مسندًا اقوالهُ الى الكتاب المقدس على زعمه

ولمَّا نشأت الحركة الدينية في كليَّة اكسفورد ودخل الكثيرون من علمائها في حضن الكنيسة الرومانية تلقَّت الجرائد والمجلَّات هذا الخبر وطنطنت فيهِ على حسب نزعاتها والقت تفاصيلهُ اليومية على بساط الرأي العام فاضحى الشغل الشاغل للشعب الانكليزي باسره. وكان صديقي من اشدّ الاخصام لمريدي الكنيسة الرومانية لا يدع فرصة تفوته للانتقاد والاستهزاء. امَّا انا وإن كاثوليكي المولد والمنشأ فقد كنتُ قليل الالمام بالمسائل اللاهوتيَّة ضعيف الايمان لكنَّ نائرة الجدال كانت تحتمني فاذا ما سمعتُ بقدح في معتقدي تجدَّدت فيَّ روح الدين فدافعت عنهُ قدر الاستطاعة لكني كنتُ أوثر السكوت على المباحثة إمَّا حياء وامَّا كسلًا وخوفًا من الفشل

(١) نقلناها بتصرُّف عن مقالة تاريخية نشرها منذ نصف قرن الكاتب الافرنسي برتلماوس موريس (Barthélemy Maurice) في مجلة باريس (Revue de Paris)

زرتُ والقس جون مدينة دوبلان عاصمة ارلندة ومنها جعلنا نطوف في الاماكن التي يؤمّها السيّاح لنضارتها وبهاء مشاهدها الى ان حططنا الرحال في باناغر (Banagher) ومنها ركبنا عربة تقلّنا الى اثلون (Athlone) فلم نبلغها في ذاك النهار لحادث طرأ على العربة فألجئنا الى المبيت في قرية لا تُرَلّ فيها الّا حانة حقيرة لم ترُقْ في اعيننا لخلوّها من عوامل الرفاهية. وبينا كنا متردّدين في امرنا اذا بشيخ جليل الطلعة كلّهُ الشعر الابيض باكليل الجلال تقدم الينا فبادرنا بالسلام وعرض علينا خدمهُ. ولدى تفرّسي فيه عرفت انهُ كاهن كاثوليكي فذكرت لهُ حيرتنا فتبسّم وقال: انتما في ضيافتي هذه الليلة إن شئتما انكما ستجدان عشاء بسيطاً وسريراً نظيفاً في بيت الخوري الكاثوليكي الفقير. قال هذا ومدّ الينا يده بتلطف يدعونا الى مرافقته فلبّينا الدعوة بطيبة خاطر. لكني تذكرت طباع رفيقي القس وحدّتهُ في الجدال مع الكاثوليك فخشيت شرّ العاقبة فهامست جون بالافرنسية أن دَعِ الجدال جانباً ولا تُنغّص علينا وعلى الشيخ مبيتنا. فنظر الكاهن اليّ مبتسماً وقال بالافرنسية: قد سمعتُ كلامك ورعيتُهُ فاني تلقيت الدروس الكنسيّة في مدرسة «سانت اومر» (Saint-Omer) (بفرنسة) قبل ستين سنة فافهمُ جيداً الافرنسية وإن صعب عليّ الان استعمالها لطول المدّة

قلتُ: ان رفيقي من نبغاء اكسفورد ذكيّ القلب متحمّس في البروتستانية

فاجاب الكاهن: اهلاً به وسهلاً فان الذكاء وصدق السريرة والتحمّس في المذهب من اجمل الصفات المحبّبة

— لكنهُ يحبّ الجدال فاذا ما نزل في ميدانه عكّر علينا لذّة ضيافتك...

فقاطعني جون أن لا خوف على تعكيرها وانهُ قد طالما تمنّى ان يلاقي كاهناً بابويّاً جليلاً مثل ضيفنا الكريم فيستطلع رأيه في مسائل مذهبه

فاجاب الخوري مثلياً وقال: لا اخشى الجدال لقد كنت مشغوفاً به أيّام كنا نتعاطى الدروس الفلسفية واللاهوتية ولكن قد مرّ عليّ نصف قرن خدمت فيه هؤلاء السذّج ليلاً ونهاراً في حاجاتهم الروحية وكثيراً ما سعيتُ وراء منافعهم الزمنية فصدئ الذهن وخفّ العلم في كاهن القرية لندور المطالعة. ومع هذا لا بأس من ارضاء صديقنا الاديب بعد الراحة وتناول الطعام ولي امل وطيد ان المناظرة بيننا ستكون ودادية اخوية

فشكر جون للكاهن مجاملته وكرّر مصافحتهُ

ولما بلغنا المنزل دُعينا الى مجلس متقن في صدره صليب كبير وعلى احدى جهاته صورة الخطيب الارلندي اللوذعي اوكونل (O'Connell) وجلسنا على مائدة نظيفة عليها طعام بسيط ومُغذٍ فأكلنا ونحن نعجب للطف معاشرة الشيخ وجميل محادثته وشرف منهجه ما استغربناه في كاهن فقير وقرية مجهولة فكنا كائنا في مَياءة كبير من سيرة الانكليز قد حطّ بهِ الدهر فلم يحفظ من الامجاد القديمة الّا عزّة الطباع وأنس الكلام مع ما يُحيط بهِ من ظواهر الفقر والمسكنة

ولم نكد ننتهي من العشاء حتى تحرّش وفيقي بالشيخ وقال: بما ان العشاء قد تمّ بالهناء وقد شكرنا كرمك وادبك فأجز لي بالسؤال:

كيف يجوز لكم معشر البابويين ان تؤمنوا بالاستحالة وان كأس خمر كهذه التي اشربها تتحوّل الى دم المسيح ؟

فاجابه الكاهن بتعقّل وعلم وسمو معارف وقوة جدلية نادرة المثال وجعل يشرح المعتقد الكاثوليكي مثبتاً ذلك بآيات الانجيل والرسائل واعمال الكنيسة الرسولية وعوائدها الليتورجيّة واقوال الآباء القديسين شرقاً وغرباً فكان قلبي يرقص فرحاً افوز الكاهن الروماني . وكلما اعترض جون فنّد الشيخ اعتراضه بوجيز الكلام القاطع واذا تحوّل عن الموضوع اعادهُ اليهِ مبتسماً وقائلاً : هذه عادتكم معشر البروتستانت ان تنتقلوا من بحث الى بحث ومن آية الى آية ومن اعتراض الى اعتراض والواجب ألّا نطرق بحثاً جديداً قبل استيعاب البحث الذي نحن فيهِ

قال جون : إلا انكر عليك قوة البراهين لكنني لم اقتنع فلا ازال متردّداً في الامر لصعوبة تصديقهِ . ومهما كان من الاستحالة فاني ارى في كنيستكم امراً غريباً تسمُّونهُ الاعتراف وهذا لن ارضى بهِ البتة . كيف ابوح باسراري لانسان مثلي فينشيها ؟

وما كاد جون ينطق بهذا الكلام حتى رأيتُ الشيخ قد علاه الاصفرار وتغيّرت سحنتهُ وتقطّب جبينهُ وقال : انكما تحتاجان الى الراحة فدعنا من هذه المسائل

قال جون : اتترك لي الفوز الهيّن وتهرب من ساحة الحرب ؟

فاجابهُ الشيخ : حاشا ان اقرّ لك بالفوز لكن الجدال في هذا السرّ الاقدس يُثير فيّ عواطف واشجاناً قد مرّ عليها خمسون عاماً ونيّف وهي لا تزال تحرق قلبي

فاجابهُ جون: لا شكَّ ان المشق والغرام... فقاطعهُ الكاهن بحدَّة: لستَ على شيءٍ من الصواب ولا لسمح لك ان تهزأ بالقدسيَّات

فاشرتُ الى جون ان يخفض من كلامهِ فلم يرضَ فصرخ بصوت عالٍ: لا اهزأ لكني لا ارضى ان تذهب امرأتي او ابنتي فتحادث رجلاً غريباً. فاجابه الكاهن: دَعْ هذه الاقاويل لذوي الكفر او الجهل من الدرجة السفلى فاني لاربأ بك عنها

قال جون: وزد عليهِ اني اذا قتلتُ او ارتكبتُ جريمة لا سمح الله لا ارضى ان ابوح بسرّي الى من يفشيه

قال الكاهن: اذًا لا تعرف ما هو سرّ الاعتراف

اجاب جون: اليس اصحابك البابويون يسمحون بافشائهِ لمعرفة قاتل القتيل مثلاً

قال الكاهن: كلّا ثم كلا. ثم اغرورقتْ عينهُ فسالت دمعة على خدّهِ المتجعّد واردف كلامه قائلاً: الجأتني الى الدفاع والى التكلم عمّا يلوذ بي فاسمع ان شئت حكايتي

ثم جعل يقصّ علينا خبره وعلامات التأثر بادية عليهِ ونحن نصغي اليهِ بملء سمعنا واني اذكر هذا الخبر ولا انساه وقد طالما حلمتُ بهِ فكنتُ اردّده طول الليل فيقشعرّ بدني

قال: ان هذا الخبر قد انتشر منذ سنين وتناقلت الافواه والجرائد تفاصيله بالرغم مني فلست ملوماً في اعادته على مسامعك وانتَ برّ كلامك الجأتني الى الامر:

« اني من أسرة ارلندية عريقة الحسب حفظت الدين الكاثوليكي خلفاً عن سلف فكان حفظ هذا الدين الشريف سبباً لانحطاط منزلتنا بين الانكليز وخسران ثروتنا وقد اتخذهُ الوشاة والمضطهدون وسيلة لمطاردتنا حتى فقدنا معظم الارزاق وعشنا في الستر وحفظنا ديننا ودين آبائنا. وكان ابي قد لجئ ايام الاضطهاد الى فرنسة فخدم الجيش الافرنسي كاميرآلاي ومات في الخدمة تاركاً ولدين احدهما اكبر مني سنًّا (قال هذا وتنهّد)... وانا. فدخل اخي في الجنديَّة وانا اخترت الكهنوت وبعد ان تلقَّيت العلوم الكنسيَّة في سانت اومر رُسمتُ كاهناً سنة ١٧٩٠ وعدت الى دوبلان حيث خدمت الرعية مدةً بالمواعظ وسماع الاعترافات

« ثم ترقّى اخي في الجندية حتى جُعل قائدًا للآلاي الملكي الارلندي. ولما اشتعلت

نيران الثورة الافرنسية جاء الى وطنه ليقضي مدة بين ذويه فجعل يتردد على المراسح ومحلات اللهو قتلاً للوقت على زعمه وترويحاً للنفس وأمي تحرضهُ على تركها والتزيّن بصفات ابيه الكريمة فيعدها ثم يعود فينسى المواعيد . وقد كان ذا قلب طيّب صادق السريرة لكن متلهب المخيلة سريع الغضب . فحدث في احدى تلك اجتماعات اللهو بينه وبين احد الحاضرين نزاع افضى الى الاهانة فتداعيا الى المبارزة وخرجا غضبين وهما يتواعدان

« وبعد ساعتين من تلك الليلة وُجد خصمهُ قتيلاً يختبط في دماه غير بعيد عن المرسح وقد طُعن بسيف في صدره . فجاء القضاة الى محلّ الحادثة ونظروا الى القتيل فاذا سيفه لا يزال في غمده . فاستنتجوا انهُ قُتل غيلة لا مبارزةً . ولقوا ساعتهُ ودراهمهُ في جيبه فاقرّوا انهُ لم يُقتل طلباً للمال لكن انتقاماً . فوقعت شبهة القتل على اخي وثبت ذلك بشهادة من حضر منازعتهما في تلك الليلة وخروجهما معاً وتوعُّدهما الواحد للآخر

« ولما قُبض على اخي وسُلّ سيفهُ من غمده اذا بنصله مكسور ولم يُحر المسكين جواباً عن سبب ذلك فانكر الجريمة كلَّ الانكار ولم يستطع اثبات غيابه عن محلّ الحادثة فكانت الظروف باسرها تشهد عليه حتى اني مع حبي لهُ وثقتي بصدق سريرته لم استطع تبرئة ساحته في سرّي . وكلما زرتهُ في حبسه ارشدهُ رجاء ان استجلبهُ الى التوبة لكنّني كنت اسمعهُ ينكر القتل ويستشهد الله فلا ارى سبيلاً الى تكذيبه مع انَّ الظواهر توجب ذنبهُ واذا ما اردت مسح دموع والدتي مبيناً لها عدالة الحكم ناحت واعولت وغضبت عليَّ وانكرت ان ابنها اقترف هذا الاثم

« ثم اخذت القضية مجراها الشرعي وأُجل الحكم على السجين الى ما بعد فسحة التفصح

« وكنتُ في هذه المدة اسعى في خلاص اخي او على الاقل في ايجاد الظروف المخففة لسوء فعله ولا اهمل واجباتي الكهنوتيّة في القاء المواعظ وسماع الاعترافات . فوعظت مساء الجمعة العظيمة عن آلام المخلّص وموته وكأن ذكر اخي السجين قد زاد في انفعالي وتخشعي حتى عمل كلامي في نفوس الحاضرين فتقدَّم الكثيرون منهم في تلك الليلة الى منبر التوبة فسمعت إقرارهم ساعاتٍ طويلة حتى اضناني التعب فقمت

وقد خلت الكنيسةُ من المؤمنين وغشيها الظلام . فاذا بيد تجرّني بثوبي وصوت رجل يدعوني لسماع اعترافه فسألته ان يعذرني لاني واهي القوى فيذهب الى غيري او يعود صباح السبت . فاجاب انهُ غريب ولا يعرف احدًا ولا يُريد ان يعرفهُ انسان او يشاهدهُ مخلوق وانهُ قد تأثّر من عظتي وهو يرغب في كشف ضميره عندي لانهُ في حاجة عظيمة الى التوبة . فلبّيتُ طلبهُ وعدت الى كرسيّ لاسمع اقرارهُ

« وهنا اعذراني اذا ما كرّرت عليكما ما حدث في السرّ بيني وبينه لان الامر قد اشتهر منذ اعوام فتناقلتهُ الجرائد . قال الرجل : اني قد ارتكبت جريمة القتل في ظروف اسألك ان تجيز لي بايرادها لاني في حاجة الى اظهار خفايا قلبي عساني اجد سلامًا . وذلك اني من كتبة احد البنوك في دوبلان ووظيفتي الان توزيع اوراق اليانصيب الملكي اللندني فقد بعتُ في هذه الأيام الاخيرة الى صديق اعرفهُ احد الاسهم واخذت النمرة حسب العادة فجعل السهم في محفظته الى الغد وكان موعد سحب الجوائز . وفي مساء اليوم وردتنا قائمة الاسهم الرابحة فاذا نمرة صديقي قد ربحت خمسة آلاف ليرة انكليزيّة . فطمعتُ بالمال وكنت لصديقي في المكان الفلاني ساعة خروجه من المرسح فقتلتهُ واخذتُ النمرة من المحفظة وقبضت المال

« فعند سماعي هذه التفاصيل كنت كمن يتقلّب على الجمر فقلتُ : انت اذن قاتل فلان واخي المتّهم بالقتل سيحكم عليهِ بالموت . فبُهت الرجل واضطرب وقال : وانتَ الاب فيتر غراهام (Fitz-Graham) والقائد المحبوس المتهم ! هو اخوك ؟ يا ويلاه . اردت ان اعترف لدى كاهن لا يعرفني ولا يعرفهُ وها انا رميت بحالي في التهلكة

قلت : سكّن الروع انا اخوه وكاهن الرب ولكن . . . فقاطعني قائلًا : قد اعترفتُ الى كاهن المسيح وسرّ الاعتراف سرٌّ مقدس فلا اخالك تفشيه

قلت : لا تخف اعرف قداسة السرّ وثقل واجباتي ولكن أرضى ان ينجو القاتل ويموت البار وتموت امي حسرةً عليهِ وتفقد اسرتنا حقوق الحسب بذنب لم ترتكبهُ

قال : ذلك لا يعنيني فاطلب اليك ان تقسم ويدُك على هذا الصليب انك لا تُفشي سرّي

قلت : قد اقسمت منذ سنوات ولا اخون بقسمي . فقام المعترف وهجم عليّ يريد قتلي . فدافعتُ عن روحي ووعدته بالأيمان المحرجة اني لا اكشف سرّهُ لمخلوق

وسألتهُ ان يعود اليَّ في الغد لنرى في الامر

« خرج ولم انظر الى سحنتهِ لئلا يشكَّ في قسمي وعند ما غاب عن الابصار خرجت من وراء الستار وعدت الى مخدعي وقد اثَّر فيَّ الحادث اسوأ تأثير فقضيتُ الليل في البكاء والصلاة واخذت كتاب اللاهوت فقرأتُ ان السرَّ يلزم الكاهن ولو عرَّض بنفسه الى الموت (taceat etsi moriturus) فجدَّدت عهدي امام الله اني انجز واجبي ولو عرَّضتُ بكل عزيز الى الهلاك

« ولما اصبح الصباح ذهبت الى اخي المحبوس فسمعتهُ يستشهد الله على براءته ويستغيث بي طلباً للدفاع عنهُ فعزيتهُ ما استطعتُ بالامال الدينيَّة والدموع ملء عيوني والسرّ يقتلني. ثم عدتُ الى الكنيسة ولبثتُ فيها النهار وقسماً من الليل انتظر الزيارة عساني اجد سبيلاً لنجاة اخي من الموت واسرتي من الذلّ

ولما عاد المسيحيون الى منازلهم وخلت الكنيسة من الناس وانا لا ازال في الكرسي تقدم اليَّ الرجل فجعلت احادثهُ واحرّك في قلبهِ الندامة وابيّن لهُ عظم ذنبهِ واحثهُ على المحبوس مثبتاً لهُ أنهُ سيُحكم عليهِ بالموت وتلحقهُ الام الارملة الى اللحد

فاجاب: «لا انكر شيئاً من هذا لكني لا اريد ان اموت». فخوَّفتهُ من عذاب جهنم فكرَّر جوابهُ انهُ لا يريد ان يموت. فعرضت عليهِ ان يسافر الى فرنسة او غيرها من البلاد ويكتب شهادة مغفلة التوقيع بتبرئة ساحة المُشتبه بهِ فيتردَّد القضاة بالحكم او يؤجلونهُ او يبدلون القتل بالحبس المؤبد. فلم يرضَ مدَّعياً انهُ بذلك يخسر ما بلغ اليهِ من الثروة وما لهُ من الآمال بالنجاح. فبيَّنت لهُ ان المال مختلس فلا بدَّ من ردّه لاهل القتيل. فلم يقبل. فتحركت في قلبي عوامل الغضب فتوعدتهُ باللعنات الالهيَّة وكانَ صوتي قد ارتفع لحدَّة كلامي وتأثري ففاجأني وبيده مُدية يريد قتلي ثم عاد الى السكينة وكرَّرت لهُ المواعيد بحفظ سرّه فخرج وقد قطعتُ آمالي وأيست من نجاة اخي. قمت الى منزلي والحمّى تشتعل في ضلوعي فالقيت نفسي على الفراش تتنازعني عوامل القنوط والحزن والالم حتى غُشي عليَّ وغبت عن الصواب ولبثت اياماً في هذه الحالة بين الموت والحياة لا ارى ولا اسمع. ولما عدتُ الى رشدي رايتني في فراشي والسيد المطران رئيس اساقفة دوبلان يخدمني ويعزّيني وكان يحبني محبة الاب لابنه فزارني في مرضي ولعلَّ هذيان الحمّى قد جعلهُ في ريبة من سرّي فخشي سوء العاقبة فاخذ

على عاتقه تمريضي وخدمتي الليل والنهار

«واوّل كلمة قلتُها: اخي ماذا صار بهِ؟ فعزّاني الراعي وحرّضني على التسليم لارادة العلي وذكّرني بالصلاة وهدأ روعي. ولم يمضِ علينا يوم او يومان وقد تعبتُ من المرض وجاءت امي لتعودني وهي تبكي على بكرها وقد حُكم عليهِ بالاعدام والمطران يعزيني. ونحن كذلك اذ سُمع صوت البوق بشير الموت...»

قال الكاهن هذا واغرورقت عيناه بالدموع فتقدّمنا اليهِ نشاركهُ في الحزن ونتلهف للهفته. ثم اردف كلامهُ: «وقد كانوا اتوا بالسجين المسكين في موكب حافل ليموت في ميدان المدينة موت القتلة المجرمين فيكون عبرة لمن اعتبر...

«مات مشنوقاً. ثم قطع الجلاد الحبلَ فوقعت الجثة على الحضيض ولستلّ خنجراً فطعنه في صدره وصرخ باعلى صوته: هذا جزاء القاتل المكار. ثم كسر الجلاد سيف اخي وقال: هذا سيف القائد فيتزغراهام الخائن. ثم جيء بآرمة اجدادنا الشريفة فحُطّمت تحت المطارق. وقُبض على ما بقي لنا من المال والارزاق فدُفع كل ذلك الى اهل القتيل تعويضاً. امّا امي فما لبثت ان لحقت بابنها الى القبر وهي تكرّر شعورها بمرارة بكرها وترجو الاجتماع معهُ في السماء

قال جون: وكيف عُرف القاتل وانتشر السرّ؟

قال الكاهن: تركتُ دوبلان واتيت الى هذه القرية الحقيرة واتخذت اسم الاب فرّنك لئلّا يعرفني احد فعشتُ في الخفية اخدم الشعب وابكي على موتاي واصلّي عليهم. فلم تمضِ سنتان واذا بامر عاجل من اللورد حاكم ارلندة يدعوني حالاً الى دوبلان. فاتيت وهناك عرفت الحقيقة. كان القاتل الحقيقي فتح محلاً تجارياً فنجحت مساعيه واقترن بابنة شريفة غنية لكن شيطان المال كان لا يزال يغريه على الآثام فدسّ السم لحميهِ ابي امراته ليستولي على ثروته فلم ينل المرام هذه المرة فاكتُشف السمّ وحُوكم وقُضي عليهِ بالإعدام. فتاب واقرّ بالجريمة الثانية والاولى معاً بجميع تفاصيلهما واشهد الحكام على صدق اقراره. فوردت الاوامر باعادة الشرف الى عائلة فيتزغراهام فأُخرجت عظام اخي من مقبرة القتلة المجرمين ودُفنت بالاكرام العسكري وجدّدوا لنا آرمة الحسب وردّوا الينا الاموال المحجوزة. وتناقل الجميع هذا الخبر رغمَ ارادتي حتى اشتهر. امّا انا ففرّقت المال على الفقراء وعدت الى قريتي وصار لي فيها نصف قرن

ثم قام الاب فرنك وقال: انكما ايها الصديقان في حاجة عظيمة للنوم فقد مضى من الليل نصفهُ. هلمَّا بنا... فقمنا الى فرشنا والقلب مُفعم بعواطف الانذهال

فما وفي الغدِ ودّعنا ضيفنا الجليل وواصلنا سياحتنا وكان جون قد تغيّبت اطواره وجعل يتكلم عن البابويّة والبابويين باكرام وانعطاف وقد قال لي مرة إنهُ يريد أن يدخل في حضن الكنيسة الرومانية ويرشّح نفسهُ لدرجة الكهنوت. لكنهُ جاءتهُ في تلك الاثناء رسالة من خطيبته تدعوه لزيارتها فافترقنا وهو الان شخص ممتاز في الكنيسة الانكليكانيّة العليا لكني اعرف جيدًا انه اذا تكلم عن الكاثوليك عموماً وعن سر الاعتراف خصوصًا نطق بلهجة الوقار وسموّ الاعتبار

سلسلة اساقفة الروم الملكيين

لحضرة الخوري الفاضل الاب كيرلس شارون (تابع لما سبق)

١٢ اسقفية صيدنايا

ورد في المشرق (٩: ١٠٤٨) كلام في تاريخ صيدنايا وآثارها فليُراجع. امَّا قول الذاهبين الى انَّ صيدنايا هي ذات مدينة دنابا (١ فهو زعم ضعيف السند ومن ثمَّ لا نعدّ في جملة اساقفة صيدنايا الاسقفين ثاودورس واولوجيوس اسقفي دنابا كما اراد حضرة الاب قسطنطين الباشا (٢

١ ﴿ يوحنَّا ﴾ اوَّل من يمكنُنا اثبات جلوسهِ على كرسيّ صيدنايا تاريخيًا انَّما هو يوحنَّا اخو الكاهن بولس خاطر الذي علَّق حاشيةً على ميناون مخطوط لشهر تشرين الثاني في السريانية تاريخهُ سنة ١٢٠٧ يفيد فيها القرَّاء بانهُ اسقف صيدنايا وانَّ الكتاب خاصَّتهُ. وهذا الاثر موجود اليوم في مكتبة الواتيكان (٣

١) اطلب مجلَّة الشرق المسيحي (ROC, IX, 276 seq)

٢) اطلب مقالتهُ في اساقفة صيدنايا في مجلَّة اصداء الشرق (Echos d'Orient, VIII, 78) وفي هذه المقالة اضافات على جدول اساقفة صيدنايا كنت نشرتهُ (سنة ١٩٠٤ ص ٢١١)

٣) اطلب جدولها (Fonds syriaque, n° 78 fol. 199)

٢ ﴿ بطرس ﴾ جاء في كتابة معلّقة على الصحيفة الثانية من احد مخطوطات الواتيكان السريانيّة الملكيّة الذي عدده ١١ بانّ الاغاغسط يحيى بن عيسى بن اليّا نال رتبتهُ عن يد بطرس اسقف صيدنايا. وتاريخ الكتابة ٤ تشرين الثاني سنة ١٥٧٥ للاسكندر الموافقة لسنة ١٢٦٤ للمسيح

٣ ﴿ اثناسيوس ﴾ وجد جناب الاديب حبيب افندي الزيّات في خزائن كتب دمشق (ص ١١٩) اسم هذا الاسقف في آخر كتابين سريانيين محفوظين في دير الشاغورة في صيدنايا وقفهما على الدير المسمّى بابن الكاهن دومط من قرية الكفور في بلاد طرابلس سنة ٦٩٣٩ لآدم الموافقة لسنة ١٤٣١ للمسيح على عهد اثناسيوس اسقف المدينة

٤ ﴿ دوروثاوس ﴾ نقل حبيب افندي المذكور (ص ١٠١) عن مقدّمة الارشدياقون بولس زعيم على رحلة البطريرك مكاريوس الى بلاد النصارى التي فيها اختصر تاريخهُ الكبير عن بطاركة انطاكية فقال انّ البطريرك دوروثاوس الاوّل الذي وكل الى احد اساقفة المجمع الفلورنتي التوقيع باسمهِ كان اوّلًا اسقفًا على صيدنايا

٥ ﴿ مرقس ﴾ اسقف صيدنايا علّق على احد مخطوطات المكتبة الواتيكانيّة (١ سنة ١٤٤٦م كتابةً بالكرشونيّة مع شعارهِ باليونانية. وممّا روى الارشدياقون بولس زعيم (خزائن دمشق ص ١٠١) انّ مرقس المذكور رُقّي الى السدّة البطريركية الانطاكيّة بعد دوروثاوس الاوّل وتسمّى ميخائيل الرابع وذلك في ١٤ ايار سنة ١٤٥١

٦ ﴿ يوحنّا ﴾ في مكتبة القبر المقدس في القدس الشريف كتاب عربيّ مخطوط عدده ١١ فيهِ الانجيل الطاهر قد كُتب سنة ٧٠٠٨ للعالم و ١٠٥ للهجرة اي سنة ١٥٠٠ للمسيح وذلك كما يقال في عهد دوروثاوس الثاني بطريرك انطاكية ويوحنا اسقف صيدنايا (٢

٧ ﴿ * ﴾ في كتاب عربي مخطوط وجدهُ في حمص الاب لويس شيخو

١) اطلب تقويمها السرياني (Ms 74, fol. 124)

٢) اطلب فهرست كيكيليدس لهذه المخطوطات (Kykylidès p. 13)

ووصفهُ في المشرق (٥:٩٠١-٩٠٢) اسماء عدَّة اساقفة كانوا سنة ١٥٢٩ منهم « اسقف على صيدنايا » لم يُصرَّح باسمهِ

٨ ﴿ مرقس ﴾ قد أخلف هذا كتابةً علَّقها سنة ١٥٤٩ على ميناون لشهر آذار هو الآن بين مخطوطات مكتبة الواتيكان . والكتابة في الصحيفة ٦٤ من المخطوط

٩ ﴿ ميخائيل ﴾ ذكر حضرة الخوري قسطنطين الباشا (١ كتاباً للروم الملكيين يخصّ دير المخلص قرب صيداء يقال في آخرهِ انَّ الكتاب كان في ملك الشماس موسى ابن سليمان ابن الشماس ميخائيل بن زويتة الذي صار اسقفاً على صيدنايا . وروى حضرتهُ ايضاً كتابة اخرى في احد مخطوطات القبر المقدس العربيَّة (عدد ٦٦) مؤدَّاها انَّ سليمان ابن المرحوم ميخائيل اسقف صيدنايا قرأ ذلك الكتاب سنة ٧٠٨٥ لآدم (١٥٧٧ للمسيح) فمن ثم يكون ميخائيل المذكور دبَّر كرسي صيداء في اواسط القرن السادس عشر

١٠ ﴿ سمعان ﴾ لنا عدَّة آثار تنبئ بوجودهِ وتدبيرهِ لكرسي صيدنايا وطول مدَّتهِ في هذه الرتبة فمن ذلك ما سُطِّر في مخطوط سرياني ملكي موسوم بعدد ١٣٨ في باريس اشار اليهِ العلَّامة روبنس دوتال وهو يحتوي ميناون شهر آذار خُتم بكتابة دوَّنها الكاهن حنا بن جرجس الصيداوي في أيام الاسقف سمعان مضمونها انَّ ذلك الميناون كُتب برسم الكاهن يوحنَّا بن ابراهيم الذي وقف الكتاب على كنيسة قرية مارونة قرب دمشق . ولسمعان نفسهِ كتابة في مخطوط الواتيكان السرياني (عدد ٧١ صحيفة ٢٢٨) تاريخها ١١ كانون الثاني ١٥٨٠ . ولهُ ايضاً في مخطوط آخر (عدده ٣٤٧) كتابة تاريخها ١٠ و ١٦ أيار سنة ٧١٣٢ لآدم (١٦٢٤ للمسيح) يُستفاد منها انهُ وجد في الكتاب نقصاً لبعض ورقاتهِ فاستدركهُ . وفي سنة ١٦٢٧ ورد اسم سمعان في جملة من ذكرهم الارشدياكون بولس زعيم لما عُقد في رأس بعلبك المجمع للحكم في دعوى اغناطيوس الثالث عطيَّة وكيرلس دبَّاس المتنازعين على البطريركية . فتكون اسقفيَّة سمعان دامت على الاقلّ ٥٤ سنة من السنة ١٥٧٣ الى ١٦٢٧

١) اطلب اصداء الشرق (٨:٨٧)

١١ ﴿ يواصاف ﴾ يظهر انَّ كرسي صيدنايا في هذا الوقت أُضيف الى كرسي قارا فان يواصاف الذي سُقف على قارا سنة ١٦٣١ وُلي ايضاً تدبير كرسي صيدنايا سنة ١٦٤٦ كما يتَّضح من توقيع يواصاف نفسهِ على كتاب قداس ملكي كان في مكتبة المرحوم السيّد اقليميس داود في دمشق الشام (خزائن كتب دمشق ص ١٠٢) اما موتهُ فوقع بعد ذلك بقليل اي نحو السنة ١٦٤٧

١٢ ﴿ باخوميوس ﴾ اصلهُ من جزيرة ساقص سامهُ على صيدنايا وطنيُّهُ البطريرك افتيخيوس الساقصي (١ في مدَّة بطريركيتهِ القصيرة التي لم تتجاوز السنة ١٦٤٨. وكان ذلك بعد وفاة يواصاف. ومما رواهُ حضرة الخوري قسطنطين باشا انَّ افتيخيوس البطريرك ارسل باخوميوس المذكور الى بلاد الكرج لجمع حسنات المؤمنين فبقي هناك سنين طويلة ثم عاد الى صيدنايا وفيها توفي. وقد نقل حضرتهُ هذه الافادات عن مكاريوس الثالث معاصر باخوميوس (٢

١٣ ﴿ لاونسيوس ﴾ اسقف صيدنايا اختار مع غيرهِ من الاساقفة لكرسي انطاكية الكاهنَ قسطنطين زعيم ابن الارشدياكون بولس الذي دُعي باسم كيرلُس الخامس سنة ١٦٧٢ (٣ غير ان لاونسيوس المذكور عادى بعد ذلك كيرلس ووافق الاساقفة المجتمعين في ٢٥ آب سنة ١٦٨٦ على خلعهِ وانتخاب اثناسيوس الرابع دبَّاس بدلًا منهُ

١٤ ﴿ * ﴾ اشار جراسيموس بلاديوس البطريرك الاسكندري في تختيكون الكنائس الارثذكسية الذي كتبهُ نحو السنة ١٧٠٠ الى « اسقف صيدنايا » دون ان يصرّح باسمهِ. ولعلَّهُ الآتي ذكرهُ

١٥ ﴿ جراسيموس ﴾ اسمهُ على ما روى الاب قسطنطين الباشا (٤ مذكور

---

١) وليس افتيميوس الثاني كرمة كما تصحَّف ذات مرارًا

٢) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, VIII, 87)

٣) هذا التاريخ اثبتهُ دليكانيس (Délicanis, 153) ويؤيدهُ صك المجمع القسطنطيني في تلك السنة لعزل البطريرك المذكور. ومن ثم لا توافق جناب حبيب افندي الزيات الذي جعل الامر في سنة ١٦٧٣

٤) اطلب اصداء الشرق (Echos d'Orient, VIII, 87)

في عريضة قدّمها للكرسي الرسولي تجدها اليوم في خزانة مجمع انتشار الايمان والعريضة لساروفيم طاناس الذي صار بعد ذلك بطركاً باسم كيرلس السادس فيها يقول انهُ اعاد الى طاعة الكنيسة الرومانية جراسيموس اسقف صيدنايا في السنة ١٧١٧. ويقول حضرتهُ انهُ وجد كتابة اخرى تاريخها سنة ١٧٢٠ تدلُّ على ان جراسيموس لم يزل اذ ذاك في قيد الحياة

١٦ ﴿ ناوفيطوس نصري ﴾ هو اشهر اساقفة صيدنايا كان حلبي الاصل ودخل الرهبنة الشويريّة (١ وقد تكرّر اسمهُ في تواريخها. وقد زعم القس كيرلس حدّاد ان تسقيفهُ على صيدنايا تمَّ سنة ١٧٠٥. الّا انَّ قولهُ هذا دون سند. لانَّ الانفصال بين الروم الارثدكس والروم الكاثوليك لم يتمّ بعد فليس محتمل ان يكون سُقّف ناوفيطوس نصري قبل موت جراسيموس الذي كان حيًّا في السنة ١٧٢٠ . وما لا يُنكر ان ناوفيطوس كان اسقفًا على صيدنايا منذ السنة ١٧٢٤ وحضر انتخاب كيرلس طاناس وتكريسهُ. وكانت وفاتهُ في رومية كما روى حضرة الخوري الكسيوس كاتب (٢ في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١

١٧ ﴿ اكليمنضوس ﴾ اقام كيرلس طاناس خلفًا لناوفيطوس نصري في سنة وفاتهِ اكليمنضوسَ الراهب المخلّصي الحلبي الاصل (٣. الّا انَّ سيلوستروس القبرصي البطريرك الدخيل عارضهُ بتسقيف رجل من حزبهِ يُدعى ايروتاوس جاء ذكرهُ في مجمع عقدهُ سيلوستروس سنة ١٧٦٥ لاقامة انثيموس مطرانًا على بغداد (٤. أمّا اكليمنضوس فاضطرَّ ان يهرب من وجه سيلوستروس الذي اثار عليهِ حاكم دمشق اسعد العظم فالتجأ الى دير المخلّص حيث وكل اليهِ البطريرك كيرلس طاناس نظارة بعض الضياع وسمّاهُ اسقف فلسطين. وحضر اكليمنضوس مجمع دير المخلّص سنة ١٧٥٩

---

١) وليس الرهبنة الخاصة كما زعم الخوري قسطنطين الباشا Echos, VIII, 361 et IX, 160

٢) اطلب المشرق (٣: ١٠٦٨–١٠٧٢) وراجع ايضًا سيرة هذا الاسقف التي نشرها حضرة الاب انطون رباط وطبعها على حدة وهي من اجلّ الآثار

٣) اطلب خزائن كتب دمشق (ص ١١٢)

٤) اطلب مانسي (Mansi, XXXVIII, 849-850)

حيث استعفى كيرلس طاناس وكانت وفاتهُ في دير القمر سنة ١٧٨٤ وعمرهُ ٩٥ سنة فقبر في كنيسة مار الياس وهو آخر اساقفة صيدنايا. ومن بعدهِ أُضيفت تلك الابرشية الى ابرشيَّة دمشق. وكذلك الروم الارثدكس لم يقم فيهم اسقف على صيدنايا غير برنابا خاف ايروتاوس. كما تشهد على ذلك كتابة ضريح تاريخها اياول من السنة ١٧٧٩ وكان الواقف عليها حبيب افندي الزيَّات (١

١٣ اسقفية معلولا

اطلب في المشرق (٩: ١٠٤٣—١٠٤٨) وصف معلولا وما يروى من آثارها. فنكتفي هنا بذكر اساقفتها

١ ﴿ اثناسيوس ﴾ اوَّل اسقف نعرفهُ عليها اثناسيوس اقامهُ على هذا الكرسي مكاريوس الثالث زعيم سنة ١٦٤٩ في اوائل بطريركيتهِ وكان اسم اثناسيوس اوَّلاً ابراهيم واصلهُ من دير عطيَّة. ثم ترهَّب. هذا ما نقلهُ حبيب افندي الزيَّات عن بولس زعيم الارشدياكون في تاريخ سنة ١٦٤٧ في ١٥ شباط والصواب على ما نظن ١٦٤٩ لانَّ مكاريوس لم يتولَّ كرسي انطاكية الَّا السنة ١٦٤٨ في ١٢ كانون الاوَّل. وقد قلنا سابقًا انَّ اثناسيوس المذكور تولَّى تدبير كرسي يبرود ومعلولا معًا

٢ ﴿ * ﴾ يُذكر ايضًا اسقفٌ على معلولا دون تعريف اسمهِ بين الاساقفة الذين انتخبوا سنة ١٦٧٢ البطريرك كيرلس زعيم. وكذلك رفع الاسقف المذكور دعوى ذلك الانتخاب مع من رفعهُ الى المجمع القسطنطيني لابطالهِ وهناك ايضًا لم يصرَّح باسمهِ (٢

٣ ﴿ * ﴾ سنة ١٧١١ كان على معلولا اسقف لم يُعرف اسمهُ رحل الى بلاد الكرج لطلب الحسنات فامرهُ البطريرك اثناسيوس الرابع بالرجوع الى كرسيهِ فلم يرجع فألحق البطريرك حينئذٍ بمنشور تاريخهُ ٢٤ تموز سنة ١٧٢١ ابرشيَّةَ معلولا بابرشية صيدنايا. وبقي الامر على ذلك الى ان أُلحقت كلتاهما بابرشيَّة دمشق كما سبق القول

(١ (Echos d'Or., VII: 216)

(٢ اطلب اثار ديكانس (Délicanis, 155-159)

رحلة القس خدر الكلداني

من الموصل الى رومية وما جرى له في طريقه وفي المدينة المقدسة

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

ليست هذه اوّل مرّة تذكر مجلّة المشرق اسم القس خدر فانّها روت بعض اخباره ولمعاً من اناشيده في السنتين الرابعة (٤ : ٨٥٢) والسابعة (٧ : ١٩٠٦) وممّا أوقفنا عليه من آثاره الجليلة حضرة الخوري الفاضل بطرس عابد خادم كنيسة الكلدان في القاهرة لمّا رحلنا في العام المنصرم الى مصر كُتَيِّب قديم خُطَّ بيد القس خدر عينه كما يظهر. وفيه تفاصيل رحلته من الموصل الى رومية العظمى. ثم يُخبر ما جرى لهُ في امّ المدائن في السنين العشر الاولى التي قضاها هناك وكأنّهُ اراد ان يواصل العمل فيدوّن بقية الحوادث التي جرت له فانقطع عنها بغتة لطارئ طرأ عليه. وفي هذه الرحلة اوصاف عديدة منها تاريخية ومنها وجدانية تفكّه قراءتها القلوب وتبهج الالباب. وتمهيداً لمطالعتها نختصر هنا تاريخ حياة القس خدر ليعرف قرّاؤنا عظم شأنه وعلوّ مقامه وهذه الخلاصة استفدناها من عدّة كتابات ارسلها لنا المثلّث الرحمات غبطة البطريرك عبد يشوع خيّاط وسيادة المطران ادّي صليبا رئيس اساقفة سعرت والقس بطرس نصري وغيرهم

ولد القس خدر في تشرين الثاني من السنة ١٦٧٦ في الموصل. واتقن منذ حداثته ستّ اللغات الكلدانية والسريانية والعربية والتركية. وكان تابعاً للبدعة النسطوريّة الى السنّ الثلاثين. وكان مغرماً بالمدروس والمطالعة فاراد ان ينشئ اسكولاً اي مكتباً لبني ملّته يعلّمهم فيه الكلدانية والعربية. فأدرك غايتهُ ونال منيتهُ فان هؤلاء الطلبة نموا وزادوا فوق الخمسين وكانوا يتقاطرون الى مكتبه من قرى الموصل ومن بغداد وكركوك وبقي في التدريس نيّفاً وثلاثين سنة

وفي اثناء ذلك رقّاهُ بطريرك طائفته ايليا التاسع المعروف بمار اوكين الى درجة الكهنوت. وسلّمهُ اولاد اخيه ليتخرّجوا في اسكوله وكانت الحركة الكاثوليكية قد

نمت في اثناء ذلك في جهات الموصل والعراق وما بين النهرين فاستلفتت انظار القس خدر فاخذ يدرس كتبها ويتردّد على الرسالين الكبوشيين الذين كانوا في الموصل الى ان تحقّق صحّة الديانة الكاثوليكيّة فنبذ اضاليل نسطور وجاهر بالدين الكاثوليكي بل اخذ ينشره بين اهل ملّته ولاسيما تلامذته. وقيل انّ اهتداءه تمّ في السنة ١٧٠٠ للميلاد فكاتب البطريرك الكاثوليكي يوسف الثاني الذي كان يومئذٍ مقيماً في آمد واعلن له بايمانه

فغضب النساطرة من جحود القس خدر لبدعتهم واخذوا يضطهدونه سرًّا وعلناً. وزاد حنقهم عليه سنة ١٧١٩ اذ جاء القس اندراوس اسكندر الماروني الى الموصل مرسلاً من الحبر الاعظم اقليمنضوس الحادي عشر (١٧٠٠—١٧٢١) لجمع مخطوطات شرقية من جهات العراق كما فعل سابقاً في مصر والشام فساعده القس خدر وارشده الى ضالّته. فاغتاظ البطريرك النسطوري على القس خدر وتهدّده بالحرم. وقام من بعد اليًّا التاسع ابن اخيه خلفاً له وهو اليًّا العاشر فحرم القس خدر وتوعّده بان يسلّمه الى حاكم الموصل ان لم يجحد الكثلكة فابى القس خدر الاذعان الى اوامره. فطلب منه ان يتظاهر فقط بالنسطوريّة ويبقى كاثوليكيًّا في قلبه فاجاب بجراءة: حاشا لي ان اكون ذا قلبين ولسانين فان افعل ذلك ابدًا. واستغنم الفرصة ليفرّ هارباً من وطنه على بغلة فيزور القدس الشريف ثم يرحل الى رومية. ولحقه في طريقه احد تلامذته الشماس كوركيس ابن الشماس عوديش (عبد يشوع) الرسام فتبعه الى رومية ودخل في مدرسة انتشار الايمان لكنّ عرضاً طرأ عليه في السنة الرابعة من دروسه اضطرّه الى ان يعود الى وطنه

وبقي القس خدر سنةً في طريقه ودخل رومية السنة ١٧٢٥ مسيحية وهي سنة اليوبيل الذي يقام كل ٢٥ سنة في عاصمة الكثلكة ونزل في منزل السيّد اثناسيوس سفر السرياني المقيم في رومية. وبعد مدّة تشرّف بتقبيل اقدام الحبر الاعظم بنديكتوس الثالث عشر (١٧٢٤—١٧٣٠). وفي رحلته وصف بعض مآثر هذا البابا الجليل وحضر وفاته وروى خبرها كما ذكر انتخاب خلفه اقليمنضوس الثاني عشر (١٧٣٠—١٧٤٠) وعاش مدّة في عهد بنديكتوس الرابع عشر (١٧٤٠—١٧٥٨) وكانت وفاته في ايّام هذا البابا سنة ١٧٥٥ وله من العمر ٧٦ سنة. وكان القس خدر في مدّة اقامته في رومية منقطعاً الى الدروس والتأليف فوضع عدّة مداريش واناشيد كلدانية وعربيّة وألّف كتاب

الترجمان وهو معجم كبير في ثلثة مجلّدات في الآرامية والعربيّة والتركية اشتغل فيه مدّة سبع سنوات وكان املهُ ان يُطبع في مطبعة انتشار الايمان الّا انَّ الاحوال حالت دون تحقيق الآمال ولا يزال الكتاب باقيًا مخطوطًا الى يومنا منهُ ثلث نسخ بخط يدهِ الواحدة في رومية والثانية في دار بطريركية الكلدان في الموصل والثالثة في دير سيّدة الشرفة. وقد قدّم على معجمه عدّة قصائد عربية وسريانية جعل الاولى منها تقدمة الكتاب للبتول العذراء الطاهرة والثانية مدح فيها البيعة الرومانية — وكانت الرسالة الكبوشيّة في الموصل أُصيبت في غضون ذلك بضربة اليمة فقُتل رئيسها ظلمًا وأُبطلت الرسالة فسعى القس خدر بتجديدها لدى المجمع المقدّس ولمّا لم يفُز بالمرام وجّه فكرهُ الى الرهبانية الدومنيكانية فاجاب رؤساء المجمع الى ملتمسه وأرسل الدومنيكان الى الموصل سنة ١٧٥٠ فكان الدين الكاثوليكي بذلك مديونًا لهذا الرجل الغيور. وكان القس خدر عارفًا باللغة الايطالية فامكنهُ برومية ان يختلط باهلها ويدرس طباعهم ويفقه امورهم كما ترى برواية اخباره ان شاء الله

قصة احوال القس خدر والمصيبة التي جرت على راسه وبسببها هرب من الموصل وانطلق الى مدينة رومية ليحتمي بها لاجل الايمان الكاثوليكي

١ اخبار القس خدر قبل خروجهِ من الموصل

لمّا كانت السنة اعيط (١٧١٩) مسيحيّة في شهر كانون الاوّل جاء القسيس اندراوس اسكندر الماروني (١ الى مدينة الموصل التي هي نينوى مُرسلًا من قبل البابا الروماني مار اقليمنطوس الحادي عشر الذي كان ارسلهُ ليشتري كتبًا عن طائفة الكلدانيين الذين هم النساطرة فبقي ثلاثة ايام في الموصل ولم يقدر احد من القاثوليقيين يساعدهُ ويقضي غرضهُ الى ما (الى ان) دلّوهُ على القس خدر صاحب الاسكول (٢ فارسل خلفهُ واخبرهُ بسرّهِ وقال: يا اخي القس خدر انا جائي من طرف البابا اشتري

---

١) هو احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية كان اصلهُ من قبرس واستخدمهُ الاحبار الاعظمون في جمع المخطوطات الشرقية من مصر والشام وما بين النهرين فجمع منها جانبًا كبيرًا في المكتبة الواتيكانية واشتغل مع السماعنة لطبع بعضها. توفي نحو السنة ١٧٤٠

٢) الاسكول لفظة كلدانية مشتقّة في الاصل عن اليونانية ومعناها كتّاب التلاميذ والمدرسة

كتباً وما يقدر احد غيرك يقضي لي هذه المصلحة لكونك صاحب اسكول ولك جاه عند الناس. فقال له القس خدر: حباً وكرامةً على الرأس والعين لاجل كرامة البابا اقضي لك ايش ما تريد

ثمَّ اخذهُ القس خدر الى بيتهِ هو وخادمهُ الشمَّاس ميخائيل بن حوَّا الحلبيّ (١ المارونى واجلسهم في بيتهِ وتقاعد بخرجيَّتهما (اي النزم المصروف عليهما) وصارا يأكلان ويشربان من عندهِ وينامان في بيتهِ مقدار شهرين ولم يدَعهما ان يُخرجا (يصرفا) شيئاً من عندهما الى ما اشترى للقس اندراوس كل ما اشتهى من الكتب العربيَّة والكلدانيَّة والسريانيَّة. ولمَّا اراد الخروج من الموصل قال القسّ اندراوس للقس خدر: يا اخي انَّ البابا اقليمنطوس قد وصَّاني ان اجيب ولدين (اجيْ بولدين) من اولاد النساطرة ليتعلَّما في مدرسة انتشار الايمان للمجمع المقدَّس وانا قد اخبرت عندك هذا كوركيس (٢ منهم عتلهُ طيّب للغاية أُريد ان تعطيهِ لاوذيهُ معي ليتعلَّم العلوم ويجيْ (يرجع)

وفي السنة ٢٠٣٤ يونانيَّة (١٧٢٢ م) مات مروكي النسطوري المدعوّ مار اليَّا (٣ بطرك النساطرة في شهر كانون الاوَّل سنة ١٧٢٢ مسيحيَّة وارتسم عوضهُ ابن اخيهِ دنحا (٤ المدعوّ ايضاً مار اليا بطركاً على النساطرة ورسموهُ بطركاً في عيد الميلاد من السنة المذكورة وتكرَّز (تكرَّس) بطركاً في دير الرُّبان هورميز (٥ على جانب قرية القوش البعيدة مقدار قوناغ (٦ واحد عن الموصل التي هي نينوى على جانب نهر دجلة

١) من أُسرة بيت حوَّا الشهيرة والمطران جبرائيل حوَّا كان وقتئذٍ احد الاثنة المنشئين للرهبانية المارونية مع حرمانوس فرحات وعبد الله قرألي

٢) هو الاوَّل من جدول تلامذة القس خدر الوارد ذكرهُ. وهو يدعوهُ الشمَّاس كيوركيس ابن الشماس عوديش (اي عبد يشوع) ونعتهُ هناك بالرئيس والخليفة على تلامذتهِ دلالةً على نجابتهِ

٣) اطلب المشرق (٣: ٨٨١)

٤) البطريركية عند النساطرة وراثة من العم الى ابن الاخ. اما دنحا المذكور المسمَّى ايليا العاشر فاطلب المشرق (٣: ٨٨١-٨٨٢)

٥) يريد دير مار هرمزد او هرمز الشهيد الذي هو اليوم في ايدي الكلدان الكاثوليك وقد زرناهُ في تشرين الثاني من السنة ١٨٩٥ وهناك قبور عدَّة بطاركة من النساطرة مع دستور ايامهم وتاريخ حياتهم

٦) القوناغ في التركية المرحلة اي سفر يوم

وفي السنة ١٧٢٣ مسيحيَّة في شهر ايلول اتى مار باسيليوس مطران آمد (١ الى الموصل من قبل مار يوسف بطريرك الكلدانيين ليزور مار اليا بطرك النساطرة ويهنئهُ في البطركية ويرشدهُ الى ايمان البيعة الرومانية. وحيث علم بهِ النساطرة بوصوله الى الموصل قام القس شمعون والقس عبد الرزّاق مع رؤساء النساطرة في بلد الموصل ومضوا الى قرية القوش وهناك جمعوا على المطران باسيليوس جماعة من الفلاحين وهمُّوا بقتلهِ. فالمطران من خوفهِ هرب من الموصل. وحيث علموا بانهُ قد جاب معهُ مكتوباً من مار يوسف بطرك الكلدانيين (٢ الى القس خدر ليرسمهُ مطراناً على بلد الموصل جاؤوا ومسكوا القس خدر وارادوا ان يسلّموهُ بيد حاكم الموصل ليحبسه ويعذّبه ويأخذ منه جريمة (غرامة) كبيرة. فهو اختفى. ولكن ارسل البطرك اليا النسطوري مكتوباً ليقرأوهُ في البيعة وكان مضمونه هكذا: بانَّا قد حكمنا على القس خدر ان يكون ممنوعاً من البيعة ومن التقديس ولا احد يدخل الى بيتهِ ولا احد يتكلّم معه. وفي تلك الساعة ضبطوا الاسكول من يدهِ وبقي مقدار ثلثة اشهر محبوساً في بيتهِ ما يقدر يطلع برَّا (خارج) بيتهِ

وانا الفقير القسيس خدر أعلمك يا اخي القارئ باني بقيت سنة واحدة على هذه الحالة وسلّمتُ نفسي للخطر والموت وما كففتُ عن التعليم والارشاد بايمان البيعة المقدَّسة الرومانيَّة

وبعد السنة كثير من المحبّين ارادوا ان يُصالحوني مع البطرك اليا النسطوري لكي يكن اولاد الاسكول ان يأتوا باطمئنان ويتعلّموا في مدرستي. فطلب مني البطرك ستين قرشاً جريمة فرضيتُ ثم رحت اليهِ لأُسلّم عليه فاراد ان اكتب له شلوطاً (٣ اعني اني اعتقد بنسطور واشتم البيعة المقدَّسة الرومانية فانا الحقير القسّ خدر قلت للبطرك: «حاشا الله من ذلك. ولو قطعتَ لحمي شقفاً شقفاً واعطيتَ جسمي لحريق النار لا اكفر بالبيعة الرومانية ولا اشتمها» فاغتاظ عليّ البطرك واراد ان يسلمني ايد

---

١) راجع مقالة الخوري بطرس نصري في اساقفة الكلدان (المشرق ٩: ٦٤٥)

٢) هو البطريرك الكاثوليكي يوسف الثالث (اطلب خلاصة اعماله في المشرق ٣: ٨٨١)

٣) كلمة كلدانيّة (ܫܛܛܘܠܐ) بمعنى توقيع وصورة ايمان

الحاكم فحيث ابصرت القضيّة الجارية عليّ هربتُ من الموصل ونويتُ ان أُسافر الى بلد رومية (١

وكان هَرَبنا في شهر آب سنة ١٧٢٤ و ٢٠٣٥ يونانية. وانا الفقير القسيس خدر في يوم الذي طلعت من الموصل كان لي من العمر ٤٥ سنة لأنَّ ميلادي كان في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩٨٩ يونانية ١٦٧٩ مسيحية. ولما خرجت من الموصل منفيًا من يد الهراطقة كانت نيّتي اوّلًا ان ازور قبر المسيح في القدس الشريف وثانيًا ان اتوجه الى رومية امّ المدائن لأحضر فيها سنة الغفران (٢

١) هنا في الاصل بعض التكرار فاكتفينا بنقل ما ذكر الراوي مرّةً واحدة

٢) هذا الغفران كان يُمنح اوّلًا كل ٥٠ سنة ثم جُعل كل ٢٥ سنة وكان وقوعهُ سنة ١٧٢٥.

وقد ذكر القس خدر هنا اسماء بعض الكتب التي تركها في الموصل منها المطبوع والمخطوط وهي نحو ٣٠ كتابًا اكثرها كتب الاسفار المقدّسة والرتب الكنائسيّة ومن جملة ما ذكر فيها كتاب الفردوس (اي فردوس الرهبان) سرياني — كتاب مار اسحق سرياني — شهير دوباري سرياني — كتاب سيامر كرشوني — كتاب مار افرام عربي — كتاب قصص عتيقة كرشوني — كتاب كليلة ودمنة عربي — كتابان عجايب — كتاب تصريف عربي — كتاب شرح المغني في علم النحو

ثم ألحق هذا باسماء تلامذته الذين كانوا يتعلّمون في اسكوله قال « وهؤلاء اولاد الاسكول الذين كانوا يتعلّمون في اسكولي في حين تقيي من الموصل: اوّلهم الشماس كوركيس ابن الشمّاس عوديش (عبد يشوع) وهو الرئيس والخليفة عليهم — الشمّاس عبد الاحد واخواهُ كوركيس وشمعون اولاد حنّا لهوكي (؟) — الشماس شمعون ابن الشماس يوسف — الشماس عبد الله ابن اسحاق — يونان واخوهُ سفر اولاد الخواجا شماس قدسي — وابن عمهم عبد الاحد بن خوجا ارميا واخوهُ زكريّا — زمريا بن اوراها بن مقدسي عبد العزيز — عبد الكريم بن الياس — سحّار عبد الاحد واخوهُ توماس اولاد الياسحّار — شكر بن عبد النور — عبد العزيز بن ابراهيم زرقون — شكر بن الخواجا عبدال — عبد الله وعبد الاحد وايليا ثلثتهم اولاد القس حنا عرمز بن عبد قرياقوس — كوركيس وداود اولاد الخواجا شماس ارميا — حنا واولاها اولاد الخوجا شماس زكريا — عيسى ابن خوجا عبد الاحد — توما بن داود قس مازار — عرمز بن عبد الاحد الصباغ — كوركيس بن حنا الفلّاح — ميسّر بن ارميا الصباغ — عبد الاحد وارميا اولاد محفوظ الصباغ — حنا بن الياس الحكيم موسى بن عبد الرزّاق البنّاء — ايليا بن عبد العظيم الكرجي — توما ابن خدر الطوبجي — قرياقوس بن سليمان البنضمجي — عبد بن مقدسي البناء — ايليا بن مقصود السباغ — ابراهيم بن كوركيس البناء — ايليا بن فتح الله الكزبر البابوجي — فتحي بن عبد الكريم الصباغ — يوياقيم بن فرنسيس البلانجي — عبد الله بن ميخا البنّاء — شكري وعبد السلام وارميا اولاد الخواجا عبد الرحيم — كوركيس بن قس مقصود — فرنسيس ابن الشماس حنا البنّاء — مندي ابن الشماس عبد الرزّاق الشطاح — عيدون بن عبد النور النسر — عوديش وهو طير

٢ من الموصل الى حلب

خرجنا من الموصل في ٢٢ آب. وبعد اوّل قوناغ حلّينا في خان اسماعيليّات (١. وثاني قوناغ نزلنا في اسكي موصل. وثالث قوناغ نزلنا في تلموز. ثم في قلعة عين ماء مقدار ساعتين وفي جانبها قبر عبدال الجزري. ورابع قوناغ حلّينا في تختكان (٢. وخامس قوناغ نزلنا في دمير قابي وهناك قبر القس حنا على جانب نهر الماء. وسادس قوناغ حلّينا في الجراحية وحلّينا هنا الكروان (٣ وسرنا الى نصيبين. واليوم السابع قمنا من نصيبين ودخلنا الى ماردين يوم الجمعة. وكان الدرب قوناغين رحناهُ (قطعناهُ) في يوم واحد ودخلنا ماردين اليوم ٢٧ من شهر آب ونزلنا في بيعة الرُّبان هرمز (اي كنيسة الكلدان)

وبعد شهرين جاء الشماس كوركيس من الموصل في شهر تشرين الثاني وبقيت في ماردين خمسة اشهر و١٢ يوماً وقدّسنا هناك ١٥٠ قدّاساً ثم طلعنا من ماردين في ٨ شباط يوم الاثنين اوّل الصوم الكبير. وحلّينا اوّل قوناغ في مغارة الفرس على جانب قرحصار. ويوم الثلاثاء حلّينا ثاني قوناغ في قرية دعيمي. ويوم الاربعاء حلّينا ثالث قوناغ في مغارة ددا قرقين. ويوم الخميس رابع قوناغ حلّينا في مغارة اوران شهر (٤. ويوم الجمعة خامس قوناغ حلّينا في مغارة العسلي. ويوم السبت سادس قوناغ حلّينا في الجلاب على جانب الرحا وهناك جنب المياه صلّينا صلاة رمش (٥ الاحد الثاني من الصوم وعونيته (٦ التي اوّلها (ܐܒܐ ܕܪܚܡܐ ܕܐܠܗܐ) وبعد الغروب تعشّينا وقمنا شلنا

الجنة واخوهُ توما اولاد عبد المسيح العبيد — شماس خدر ابن الشماس موسى البغدادي. الجملة ٥٤

١) هذه طريق القفول في البرّية تسير من الموصل الى ماردين نحو الشمال الغربي في ٨ الى ٩ ايام

٢) ويُدعى ايضاً خان التختك

٣) الكروان في الفارسيّة القفل

٤) اوران شهر ويُقال ويران شهر مدينة قديمة كثيرة الآثار. وكان ابراهيم باشا زعيم الاكراد اتّخذها كمركز لسلطته في هذه السنين الاخيرة واستبدّ بها

٥) اي صلاة المساء

٦) العونيت (ܥܘܢܝܬܐ) هي كالنشيد والتسبحة

(حملنا) ودخلنا مدينة الرها قبل نصف الليل

ونزلنا في الخان الذي على جانب المدينة وبقينا فيه اربعة ايام وزرنا كنيسة السريان (١ التي في الرها وهي كنيسة صغيرة على اسم الرسولين بطرس وبولس . وكنيسة الارمن وهي كبيرة على اسم العذراء (٢ . وفي الرها عين ماء تنسب الى خليل الرحمان ابينا ابراهيم وفيها سمك كثير (٣

ويوم الخميس طلعنا من الرها وحلّينا في خان جار ملك (جهار ملوك) وعلى جانبه قرية وفيها جامع مكلّف (اي فخيم) وهو كان القوناغ السابع . ويوم الجمعة ثامن قوناغ نزلنا في مدينة البيره (٤ وهي على جانب شط المراد وهو شط الفرات . ويوم السبت تاسع قوناغ حلّينا في قرية المزار وفيها رحاتين (رَحيان) وبساتين ومياه كثيرة . وهناك بين الاشجار صلّينا رمش ليلة الاحد الثالث من الصوم الذي عونيّتهُ (ܬܠܬܝܢ ܕܨܘܡܐ) ويوم الاحد عاشر قوناغ حلّينا في جمفور لي مغاره . ويوم الاثنين حادي عشر قوناغ حلينا في قرية تختزين في خان صغير بجانبها . ويوم الثلثا ثاني عشر قوناغ دخلنا مدينة حلب في ٢٤ من شهر شباط . ومكثنا فيها على الخراج الجديد وتعوّقنا خمسة عشر يوماً الى ما (الى ان) أطلعوا لنا التذاكر الجدد وما صار لنا وقت وزمان لنلحق زيارة القدس الشريف

فلاجل ذلك بقينا في حلب وعيّدنا عيد القيامة فيها وكان وقوعه في ٢٨ آذار للسنة المذكورة (١٧٢٥) وزرنا كنيسة الموارنة مار الياس الحي وكنيسة مار جرجس الروم وكنيستي الارمن السيدة والاربعين شاهداً وكنيسة العذراء السريان . ولما كنت في حلب صارت فتنة عظيمة بين الموارنة وكان سببها انّ المطران جبرائيل (٥ وضع بعض شروط على الموارنة فمنهم أذعنوا لقبولها ومنهم لا . والذين ما قبلوها سلّموهُ للحاكم

١) يريد كنيسة السريان اليعاقبة

٢) في هذه الكنيسة قبر القديس افرام السرياني

٣) وهي بركة الخليل يوقف المسلمون على سمكها الاوقاف ومثل هذه البركة بركة اخرى في طرابلس مملوءة سمكاً ومثلها في منبج قرب الفرات

٤) هي المعروفة باسم بره جك حيث يُقطع الفرات

٥) هو جبرائيل فرحات الذي تسمّى بالمطران جرمانوس . اطلب ترجمتهُ في المشرق (٧ : ٤٦ الخ ثم ٨ : ٤٠٥)

فسكنهُ الحاكم وحبسهُ مع ثلثة قسوس من اتباعهِ واخيرًا أسطت طائفة الوارنسة جريمةً (غرامة) نحو اربعة الاف قرش فاخرجه الحاكم من الحبس ونفاهُ من بلد حلب. وصارت هذه الفتنة من البغضة والحسد

وبعد شهر ايضاً جاء من بطرك الروم (١ القاطن يومئذٍ في إسطنبول اسطاديكون وهو مكتوب فيهِ حرم لمطران الروم مع خمسة قسوس قاثوليقيين . وحيث قرأوهُ في كنيسة الروم قام بعض الشبّان من القاثوليقيين ومزّقوا مكتوب البطرك وقام وكيل البطرك وراح اشتكى عليهم للحاكم وحبس منهم كثيرًا في الجنازير واخيرًا خسروا جريمة اثني عشر الف غرش اعطوها للحاكم

٣ من حلب الى رومية

ثم نحن قعدنا في حلب ستين يومًا كاملًا وقدّسنا خمسين قدّاسًا عند الباطرية (٢ في كنائسهم التي هي في الخانات وطلعنا من حلب في ٢٤ من شهر نيسان المبارك فحلّينا اوّل قوناغ في قرية حوار وهناك صلّينا رمش الاحد الخامس من القيامة الذي عونيتهُ (ܒܝܘܡܐ ܕܫܒܬܐ ܕܩܝܡܬܐ). وثاني قوناغ حلّينا في قرية شيخ مندو وكان يوم الاحد. وثالث قوناغ حلّينا على جانب النكر الذي يقال لهُ جسر مراديس لأنهُ جسر مراد وكان طوله نحو خمسة اميال وكان يوم الاثنين. ورابع قوناغ وهو يوم الثلاثاء دخلنا الاسكندرونة ونزلنا في كنيسة الافرنج عند البادري (٣ وقدّسنا في كنيستهِ خمسة قدّاسات وبقينا في الاسكندرونة تسعة ايام

ثم طلعنا منها يوم الاربعاء ليلة خميس الصعود الواقع في ٦ ايار. واليوم الخامس وصلنا الى قبرس وكان يوم الاحد وعند الغروب رمينا مرسى المركب وهذا الاحد كان السابع من القيامة وعونيتهُ اوّلها (ܩܕܡ ܕܫܒܬܐ ܕܩܝܡܬܐ) وزرنا قبر لعازر الذي

١) هو الثاسيوس الرابع الذي تردّد كثيرًا في ايمانهِ تارةً يدّعي الكثلكة وتارةً ينحاز الى الروم الارثدكس وقد حضر المجمع القسطنطيني سنة ١٧٢٥ وصادق على اعمالهِ المضادّة لتعاليم الكنيسة . ويقال انهُ اعلن بايمانهِ الكاثوليكي قبل وفاتهِ

٢) يريد المرسلين اللاتين (Padri) وكان منهم وقتئذٍ في حلب الفرنسيسكان والكبوشيّون والكرمليّون واليسوعيّون

٣) يريد المرسل الكرملتاني الذي كان هناك

احياهُ سيّدنا يسوع المسيح لانهُ كان اسقفاً على جزيرة قبرس (١ وعلى قبره كنيسة كبيرة وهي في يد الروم. وهناك ايضاً كنيستان كبيرتان بيد الفرنج ولها بساتين واشجار كثيرة وفي الكنيسة الواحدة التي هي للبادريّة الكبوشيين قدّسنا تسعة قدّاسات وبقينا اثني عشر يوماً

ثم طلعنا من قبرس يوم جمعة الذهب (٢ الواقع في ٢١ ايار. وفي اوّل حزيران وصلنا الى قرّمان وفي الخامس منهُ وصلنا الى جزيرة رودس وبقينا فيها يوماً واحدًا واخذنا منها ماء وسافرنا. وفي ١٠ منهُ وصلنا الى جزيرة كنديا (٣ وفي ١٥ منهُ وصلنا الى كوجك درمالي (٤ وهي قرية على رأس جبل وبقينا فيها ثلاثة أيام وقدّسنا قدّاساً واحدًا في بيعة الفرنج لانَّ اهل القرية كلهم روم واخذنا منهم طعاماً وماء وسافرنا. وصارت الريح ضدّنا فمررنا على جزيرة مورا (٥ ورمانا الريح على جهة تونس الغرب وجاء علينا غراب (٦ من القرصان (٧ وما ضرّونا الّا انهم ابصروا مركباً من المغاربة فتحاربوا معهُ وكان فيه اربعون رجلًا فقتلوهم ونهبوا المركب. ولكن قُتل منهم اثنا عشر رجلًا

ثم انطلقنا الى جزيرة لمبيروزي (٨ وهي صغيرة طولها نحو ميلين وعرضها ميل واحد وفيها بيعة على اسم سيّدتنا مريم العذراء فبقينا فيها يومين وقدّسنا فيها قدّاسين وملّينا (وملأنا) اوعيتنا منها ماء وانطلقنا وكان اليوم الخامس من شهر تموز واليوم الذي دخلنا فيه لمبيدوزي كان يوم الاحد النور سرديل (٩ الذي هو اوّل سابوع القيظ

ثم صار الريح ضدّنا فرمانا على بلد البربر (١٠ ثم مرّينا (مررنا) على جزيرة سردينيا

١) هذا راي بعض الرواة. ومنهم من يزعم ان لعازر نُفي الى غالية مع اختيه مريم ومرتا وانهُ سُقف على مرسيلية

٢) هي الجمعة بعد عيد النصرة

٣) وهي كريت

٤) من جزائر اليونان

٥) جزيرة كبيرة جنوبي اليونان وهي اليوم تحت حكمهم

٦) الغراب سفينة طويلة حربيّة

٧) هم لصوص البحر والكلمة معرّبة

٨) تدعى اليوم لمبادوزه (Lampeduza)

٩) كلمة كلدانيّة

١٠) يريد طرابلس الغرب

09.

A.·. L.·. G.·. D.·. G.·. A.·. D.·. L'.·. U.·. N.·. I.·. V.·. E.·.
D.·. G.·. O.·. D.·. F.·.

L.·. Le Liban
.·. de Beyrouth
Les Juillettes (F.·. M.·.)

Au Grand Orient de France

TT.·. CC.·. FF.·.

S.·. S.·. S.·.

Au moment où la France républicaine vient de porter le dernier coup à la Puissance clericale, au nom de la Solidarité Maç.·., nous venons vous demander de nous aider à nous débarrasser nous aussi du joug clérical.

Pour cela nous n'hésitons pas à recommander chaleureusement à votre fraternel et bienveillant accueil le F.·. C.·. F.·. Olivier, directeur et fondateur de l'Institution Française laïque de Beyrouth.

Le F.·. Olivier va plaider en France la cause de l'enseignement laïque en Orient et, en combattre ce vieux préjugé qui consiste à prétendre que l'influence Française ne peut se propager que par les congrégations.

Convaincus que nous serons bientôt dans cette juste campagne, nous vous présentons TT.·. CC.·. FF.·. avec nos remerciements anticipés l'expression de nos sentiments fraternels.

p.·. Le Vénér.·. et Lieut.·.

Le 1er Surv.·.
Alb.·. Bourdon

Le G.·. Expert
Mad. J. Billiet

Le 1er Surv.·.
Kalil Abad

Le Surv.·. du Vénérable de la L.·.
Malaux

Le G.·. Expert
Ch. G. Gardet

ثم جئنا الى كورسكا وصارت علينا فورطنة (١ عظيمة حتى كادت تغرقنا . واليوم السابع عشر من تموز وصلنا الى اليكورنه (٢ وكان يوم السبت ليلة الاحد الثالث من القيظ ونزلنا في النزريت (٣ وفيه صلّينا صلاة رمش الاحد المذكور الذي عونيتهُ (ܚܕܬܟܢܫܬܐ) ثم بقينا في النزريت عشرين يوماً وطلعنا منهُ يوم الجمعة ٦ آب الذي هو عيد التجلي . ويوم السبت انطلقنا الى مدينة بيزا وهناك صلّينا رمش الاحد السادس الذي عونيتهُ (ܡܫܚܢܐ ܕܡܪܝܡ ܕܫܘܬܦܐ) وطلبنا اجازة من الطران لنقدّس وحيث لم يُعطِ لنا الدستور رجعنا ثاني يوم الى اليكورنه وبقينا فيها ستّة أيام

ويوم السبت ١٤ آب وقت الظهر نزلنا بالمركب وسافرنا وفيه صلّينا رمش الاحد السابع من القيظ وعونيتهُ (ܚܕܬܟܢܫܬܐ ܕܫܘܬܦܐ) ويوم الاحد الذي كان عيد انتقال السيّدة في نصف شهر آب صار لنا ريح طيّب موافق لسفرنا وصباح يوم الاثنين وصلنا الى مدينة جيده فيكه (٤ وركبنا على عربانة (عَرَبَة) وسافرنا . ويوم الثلثاء وقت الظهر دخلنا الى رومية ونزلنا عند ابينا الاسقف اثناسيوس سفر (٥ وهو ساكن في كنيسة على اسم العذراء وقد بقي رجلًا اختيارًا (شيخًا) عمرهُ خمس وثمانون سنة

وصف رومية – سنة اليوبيل – واحتفالاتها

وصار دخولنا الى رومية في ١٧ من شهر آب سنة ١٧٢٥ وهي السنة المقدّسة وفيها الغفران العام لجميع الزمنين . وفي هذه السنة اتت من جميع الامصار اجواق اجواق من النصارى لينالوا هذا الغفران العام الكائن في روميّة الكبرى امّ المدائن والدين

ويوم الاربعاء بعد دخولنا الى رومية بيوم واحد رحنا زرنا سيّدنا البابا بنادكتوس الثالث عشر وقدّمنا عرضحال للمجمع المقدّس لاجل الشماس كيوركيس لكي يقبلوهُ

١) كلمة إيطالية بمعنى النوء

٢) وهي المعروفة بليفورنو (Livourne)

٣) من الايطالية (Nazareto) وفي الفرنسوية (Lazaret) وهو ما ندعوهُ اليوم الحجر والكرنتينا

٤) يريد شيتيتا فيكه (Civita Vecchia) مينا رومية

٥) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٨ : ٥٤٢) لحضرة الخوري اسحاق ارملة

في مدرسة انتشار الايمان التي يقال لها « بروبكنده فيده » (de Propaganda Fide)

ويوم الخميس زرنا الكنائس التي حولنا . ويوم الجمعة زرنا كنيسة مار بطرس وهي عجيبة في حشمتها وكبرها ومذابحها ودعائمها تحيّر عقول الناظرين وما تجيء للوصف وليس مثلها في الدنيا كلها

ويوم السبت زرنا قدّمنا طاعة لكاتب البابا وهناك جدّدنا اعتقادنا واخذنا ورقة دستور لتقدّس في جميع الكنائس . ويوم الاحد الذي هو اوّل اسبوع اليا الذي عونيتهُ (ܐܝܠܝܐ) في ٢٢ آب سنة ١٧٢٥ قدّسنا في كنيسة مرت مريم . ويوم التالي صار مجمع الكردينالية في مدرسة بروبكند فيده وفي ذلك المجمع قبلوا الشماس كيوركيس . ويوم الثلاثاء دخلوهُ في المدرسة في ٢٤ آب

(لها بقيّة)

السرّ المَصون في شيعة الفَرْمسون

الماسونية وواجبات الدين (تابع)

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ الماسونية وارباب الدين

عرفت الماسونية انّ الدين القويم قوّادًا وكُماةً يتقدّمون جيشهُ الروحي ليناجزوا القتال كل من يتصدّى لمناهضته ألا وهم ارباب الدين الذين سلّمهم السيّد المسيح السلطة المعطاة لهُ من ابيهِ السماوي حيث قال (لوقا ١٠ : ١٦) : « من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني ومن احتقرني فقد احتقر الذي ارسلني » . وقال جلّ من قائل (متى ٢٨ : ١٨) : « قد أُعطيتُ كل سلطان في السماء والارض فاذهبوا وتلمذوا كل الامم . . . فها انا معكم كل الأيام الى منتهى الدهر » . غير انّ هذه الآيات كلها معدودة لدى الماسون كواعيد فارغة فاخذوا على نفوسهم ان يبيّنوا بطلانها ولذلك تراهم لا يألون جهدًا في معارضة ارباب الدين في كل طبقاتهم

جاء في كتاب الدرجات الماسونية الذي طبعهُ الاخ ادغار مُنتايل (Edgar Monteil) لحفل كليمانت اميتيه (Rituel de la Clémente Amitié, p,6) :

« انّنا الاعداء الالدّاء لكلّ نظام يحصر الحرّيّة الشخصيّة ونحن خصوصاً اعداء النظام الديني. فانّنا نُعلن جهاراً باننا اخصام كل الكهنة وكل الرهبان »

٦ الماسونية والبابويّة

وهذه العداوة التي طُبعت عليها الماسونية لارباب الدين تنال قبل الكلّ رئيس الدين الكاثوليكي اعني به نائب السيّد المسيح على الارض وإمام الاحبار قداسة الحبر الاعظم فانّ الماسونية منذ نشأتها ترلت في الميدان لمناصبة رئيس الكنيسة لعلمها بأنّهُ وحدهُ قادر على كبح جماحها وكسر شوكتها وكثيراً ما ظنّت انّها ستفوز بغيتها قريباً واعلنت بوشك انتصارها فرجعت خائبةً مخذولةً

ولنا على عداوة الماسونية للكرسي الرسولي شواهد لا تُحصى يمكننا ايرادها منذ نحو مئتي سنة الى يومنا الحاضر. وكثير من الدرجات الماسونية ليس لها غاية أخرى سوى إثارة البُغض على البابويّة ولاسيما درجة الفارس قدُوش (الكديش) فانّ الماسون وقت تكريسه يجيزونهُ في اربع غرف: الاولى غرفة سوداء على شبه القبر فيها تابوت يصرخ من باطنهِ احد الاخوة للمترشّح: « ان كنت غير مستعدّ لتتهوّر في اعظم المخاطر فارجع الى الوراء » . ثم غرفة بيضاء يدعونهُ فيها الى تعظيم نور العقل. ثم غرفة خضراء يدعونها اريوباغوس يحضر فيها الاخوة بسيوف مسلولة وهيئة مهيبة يحرّضونهُ على طلب اسرار الطبيعة. واخيراً غرفة حمراء مكتوب عليها « الموت او الظفر » يعرضون عليه تماثيل ثلاث حيّات على الواحدة منها تاج البابويّة المثلث يأمرونهُ بضربها بحديدٍ وهو صارخ « الانتقام » فيسيل منها الدم بوفرة فيعلمونه انّ عدوّ الماسونية لا بل كل الانسانية انّما هو بابا رومية فيجب اتخاذ كل الوسائل لثلّ عرشه ونقض سلطته (١

وقال الاخ م. راغون في كتابه شرح الرموز الماسونية (Ragon : *Cours d'initiations*) المُصادق عليه رسمياً من شرق فرنسة السامي: « ان رتبة الفارس قدُوش مسكُ ختام الماسونية وأقصى غاياتها وفي هذه الدرجة يظهر روح الماسونية القحّ وينكشف معنى الرموز السابقة في الدرجات التي دونه . . فيعلم الاخ الماسوني انّ الغاية التي ترمي اليها عشيرتنا انما هي دمار البابويّة باي طريقةٍ كانت »

وقال الرئيس الثاني لشرق بلجكة السامي في خطبته التي القاها في ١٤ ايلول

(١ راجع كتاب إكرت في الماسونية (Eckert : *La Franc-Maçonnerie*, I, 333)

سنة ١٨٧٨ باسم اخوته الماسون: « لا بُدَّ من سقوط رومية وخرابها الى آخر الدهور »

وليس هذا الكلام شتشقة لسان او التفاظاً بلا معنى فان التاريخ الصادق منذ اوائل القرن الثامن عشر يذكر المساعي السيئة التي التجأ اليها الماسون لمصارعة البابويَّة وتقويض اركانها. والحوادث المشئومة التي جرت في أيام الاحبار الرومانيين بيوس السادس وبيوس السابع وغريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع الى هذا العهد حيث اضطُرَّ ثلاثة باباوات الى ان يخرجوا من عاصمتهم الى شبه المنفى ثم قُبض ظلماً على المملكة البابويَّة وحُبس الاحبار الرومانيُّون في سجن الفاتيكان فكلُّ ذلك واشياء كثيرة غيرها انَّما كانت ثمار مكايد الماسونية كما دلَّت عليه اقراراتهم واوراقهم السرِّيَّة التي وقف عليها الشُّرط البابويُّون وارباب البحث والمرتدُّون عن الماسونيَّة

وممن شهد من الشرقيين على نيَّة الماسونية في محاربة البابوات صاحب المنار الاسلامي والشيخ محمد عبده (السنة السادسة ص١٩٦ والثامنة ص١٠١) حيث صرَّحا بانَّ الماسونية تقصد « مقاومة سلطة البابوات » لكنَّهما لم يصيبا بقولهما انَّ سبب تلك المقاومة انما كان لمحاربة البابوات للعلم والحرِّيَّة فانَّ الاحبار الرومانيين لم يحاربوا قط العلم الصحيح والحرِّيَّة الصحيحة مهما ادَّعى الماسون زوراً

وقد رأينا مؤخَّراً تحامل بعض الماسون على البابويَّة فكتبوا في جرائدهم فصولاً لتنكيس السلطة البابويَّة بنسبة تعيين المجمع المقدَّس ازواراً يصلحون بعض شؤون الرهبانيات المارونية ونسبوا الى رومية الاغراض السافلة فقام انصار الحق وأفحموا هؤلاء الكتبة وفنَّدوا مزاعمهم الكاذبة في الاحوال والبشير

٧ الماسونية والاساقفة والكهنة

الاساقفة ورؤساء الكنائس الخصوصيَّة كما انَّ الحبر الاعظم رئيس الكنيسة جمعاء فهم يسوسون المؤمنين تحت نظارة خليفة بطرس الرسول ويرشدونهم الى الخلاص. فلا غرو انَّ الماسون يخصُّونهم بالبغض كما يبغضون نائب المسيح على الارض

وآيات البغض الماسوني للاساقفة اكثر من ان تُحصى وقد ظهرت بالخصوص في فرنسة منذ ربع قرن على صور شتى فكان الماسون تارةً يقيمون الدعاوي الزوريَّة على الاساقفة ويُحضرونهم الى المجالس كالجُناة وتارةً يقطعون عنهم رواتبهم دون دواعٍ موجبة. وبلغ بهم الهوى الاعمى الى ان ضبطوا الدور الاسقفية وباعوا اثاثها. فخرج

الاساقفة من هذه المحن كالذهب المصفّى من البوتقة وقلبهم يتلهّب غيرةً على الايمان

وما لنا نطلب الدلائل على قولنا بعيدًا وقد رأينا منذ زمن قريب ما تكنّهُ الصدور الماسونيّة من الحزازات للسلطة الاسقفيّة. فان السادة الاجلّاء الذين يرعون ابرشيّات بيروت وجبيل وبعلبك وطرابلس وزحلة ادركوا بالشواهد المحسوسة في هذه السنين الاخيرة ما يضمرهُ لهم الماسون من المعاكسات ليعرقلوا اعمالهم وينصبوا لهم المكايد ترويجًا لنيّاتهم الفاسدة

وما نقولهُ عن الاساقفة يقال ايضًا عن الكهنة عمومًا فتسمع الماسون يخطبون في كل ناد عن الحزب الاكليريكيّ ويفيضون في معايبهِ على زعمهم ويكتبون الكتابات البذيئة في حقّهِ وان وجدوا فيهِ نقصًا زمّروا فيهِ وطبّلوا. وان قام احد هؤلاء الكهنة وتصدّى لسيئاتهم تهدّدوهُ بالقتل ورشقوه بألسنة حداد واخترعوا الاكاذيب الشنيعة ليبخسوا من شأنهِ كما فعل الماسون في جبيل مع حضرة الاب بولس عاقوري الموسل الغيور

وقد سمعنا آخرًا احد عقلاء لبنان من العلمانيين يتلهّف على حالتنا الجديدة فيقول انّ جبلنا كان قبل عشرين سنة مقام الراحة ومأوى السكينة والسلام اذا زارنا السائح طرّبنا وتمنّى ان يعيش في جوارنا واليوم جاءت الماسونيّة فدخلت لبنان وجعلت في كل قريةٍ حزبين حزب العقلاء مع الكهنوت وحزب الجهّال مع اعدائهم جرّدت بينهما سيوف الخصام واضرمت نار الفتن حتى عادت السكنى في بعض انحاء جبلنا جحيمًا بعد ان كانت نعيمًا

٨ الماسونيّة والرهبانيّات

ثم انّ في الكنيسة عيشةً فُضلى نهج السيّد المسيح طريقها للنفوس الصالحة التي لا ترضى بالفضل المتوسّط بل تبتغي الكمال بممارسة اسمى الفضائل وخصوصًا بابراز النذور الثلثة الرهبانيّة: الفقر والعفّة والطاعة التي تجرّد صاحبها عن حب الغنى والملاذّ الجسديّة والاستمتاع بالحريّة المطلقة لينقطع نفسًا وجسمًا لخدمة الله فيصبح بذلك اشبه بملاك منهُ بانسان

وكانّ الماسون رأوا في هذه العيشة السماويّة ما يندّد باعمالهم الباطلة ويرذل سوء تصرّفهم فأصلوا حربًا عوانًا على الرهبانيّات عمومًا فلا يعتقدون محفلًا في بلد الّا تواطأوا

على معارضة الرهبانيّات زعماً منهم انّ الرهبان عثرةٌ في سبيل التمدُّن وانّ التقدُّم العصري لا يبلغ مداهُ من الرقيّ ما دام الرهبان في قيد الحياة فينسبون الى بعضهم الكسل والى بعضهم المطامع الدنيئة والغايات الخبيثة الى غير ذلك ممّا اعتاده هؤلاء « الاحرار » فلا يأخذهم سأم في الكذب والتشنيع ريثما يفوزون ببغيتهم

وترى الماسون يباشرون الحرب بمناهضة اليسوعيين لعلمهم بانّ رهبانيّتهم أنشئت لتتقدم في الدفاع عن الكنيسة فاذا ما قووا عليها تباشروا بالنصرة على بقيّة الجيش . فتراهم لا يألون جهدهم في محاربة تلك الرهبانيّة التي وصفوها باقبح الاوصاف ودعوا ابناءها « بالجزويت » فجعلوا اسمهم هولًا مهولًا لا يسمهُ البعض الّا تنمّروا غيظاً كالثور اذا عاين شقّة حمراء هاج وماج وتحامل لينطح بقرنيهِ كلّ من يلوّح بها . فكذلك الماسونيّة اذا استشمّت رائحة الجزويت اصابها ضرب من الجنون فلا تخمد حتى يُبعَد عدوّها عن نظرها

وتاريخ هذا العداء يرتقي الى اوائل الماسونيّة في القرن السابع عشر اذ كانت الرهبانيّة بلغت اوج عزّها فاحرزت لها جانباً عظيماً من المفاخر سواء كان بالوعظ او بالتأليف او بالاعمال الرسوليّة وعلى الاخصّ بالتعليم اذ كانت تهذّب معظم الشبيبة في كل الدول وتنشر لواء العلوم في اغلب مدن اوربّة . فحرّكت عوامل الحسد والبغض اعداء الدين عليها . وقامت الماسونيّة واخذت على نفسها مصارعة الرهبانيّة اذ عرفت انهُ لا يقوم لها قائم ولا يقرّ لها قرار مع بقاء تلك الرهبانيّة التي مبادئها على طرفي نقيض بالنسبة الى المبادئ الكفريّة فتضافرت المحافل الماسونيّة في كل البلاد لتحقيق امانيها وجعل اصحابُها مدّة خمسين سنة بنيّف يدكّون ذلك البرج المتين بمنجنيقات كذبهم وخداعهم وضروب حيلهم وسعوا لدى ملوك البوربون بالنساء الرهبانيّة من بلادهم تارةً بالتهويل وتارةً بالمواعيد الباطلة وبتزوير الكتابات النفاقيّة المنشورة باسماء اليسوعيين وبتجسيم الهفوات التي أتاها بعض الرهبان جهلًا او ضعفاً حتى هيّجوا عليهم دول العمور الكاثوليكية فنفّوا منها بواسطة وزراء الدول

وكان هؤلاء الوزراء كلّهم منتمين الى الماسونية كشوازول (Choiseul) في فرنسة وبمبال (Pombal) في البرتغال واراندا (Aranda) في اسبانية فألحّوا على الملوك بعد نفي اليسوعيين بان يطلبوا من الحبر الروماني الغاء الرهبانيّة فاذعنوا لهم

وجعل الماركيز يتهدّدون الحبر الاعظم اقليمس الرابع عشر بفصل بلادهم عن الكنيسة ان أبى تضحية اليسوعيين فاجاب البابا الى ملتمسهم بعد التردّد الطويل خوفاً من وعيدهم منفّذاً للشر الأخف كما يفعل المجروح فيضحّي عضواً من اعضائهِ مرغوماً لئلا يفقد بدنهُ. فماتت الرهبانية بحكم رأسها وابيها رئيس الاحبار الّا بعض البلاد القليلة كروسيا وبعض جزائر اليونان وامكنة في انكلترة حيث لم يُعلَن بالغائها على مقتضى امر الحبر الاعظم فعاشت خاملةً وكان ذلك سنة ١٧٧٣

فما تمّ الامر حتى انشد الماسون في انحاء البلاد نشيد الظفر وتباشروا بقتل الكثلكة عمّا قليل. وصرخ فلتير الكافر « انّ البابا ضحّى لنا حرسهُ فهيّا الآن بنا الى الانتصار التامّ ». وثارت وقتئذٍ تلك الفتن الجهنميّة واشتدّت الانواء على الكنيسة حتى انّها كانت اغرقت السفينة البطرسيّة لولا مواعيد المسيح الثابتة ودامت تلك الحال السيّئة نحو اربعين سنةً حتى عاد الحبر الاعظم بيوس السابع ظافراً الى عاصمتهِ رومية فكان اوّل امر عُني بتنفيذهِ احياء الرهبانية اليسوعية سنة ١٨١٤ وكان قبل ذلك اثبتها في روسية ثم اعادها لمملكة صقلّية مصرّحاً بان تلك الشرور التي حلّت بكنيسة الله انما كان احد اسبابها الاوليّة الغاء رهبانية يسوع

وهنا حدّث ولا حرَج بما اصاب الماسونية من الغيظ بعود الدّ اعدائها . فتحفّز اليسوعيّون ثانيةً لمحاربة حزب الكفر مهما يصابهم في جهادهم من الضّربات لأنّهم عالمون احقّ العلم بأنّ الفوز الاخير يكون لشعب الله ولانصار الدين

ومن عجيب الامور انك اذا رأيت الفوضى سائدةً في بلد او تربّع في دَست الملك اعداء الكنيسة الكاثوليكية وجدتهم يسدّدون اوّل سهامهم الى الرهبانيّات الكاثوليكية وعلى الاخصّ الى الرهبانية اليسوعية كما جرى في المانية وسويسرة وايطالية وفرنسة في القرن المنصرم لعلم الماسون بكساد بضاعتهم مع وجود الرهبان فيستثنون من الحرّية والاخاء والمساواة التي يتشدّقون بها قوماً ليس لهم من ذنب سوى محاماتهم عن الدين ودفاعهم عن الكنيسة .

ولو جمعنا هنا كل الشواهد التي تثبت قحة الماسون واستبدادهم ودسائسهم المتنوّعة في مناهضة كل من لا يرتأي برأيهم ولا يوافقهم في مشربهم لأخذ العجب القرّاء وعرفوا صحّة قول صاحب سفر الرؤيا (ف ١٣) في وصفهِ للماسونية تحت صورة

وحش رمزي يحتكر لنفسه ولذويه كل سلطة وعمل ويقوم في وجه كل من لم يتسم بسمته

وقد رأينا حديثاً ما صنعتهُ الماسونية الفرنسويَّة بعد ان حكمت بتشتيت شمل الرهبان وكانت تدَّعي انَّهم هم العائقون لتقدُّم البلاد وانَّ اموالهم ستغني الشعب الفرنسوي . فما وصلت الماسونية الى غايتها بالزور والبهتان واحتكرت تعليم الاحداث في مدارسها اللادينية حتى قامت الناشئة الجديدة تأتي من الفظائع ما لم يخطر على بال فتوفرت الجرائم بين الاحداث بنوع غريب منها حوادث الجنون والانتحار والقتل الى غير ذلك مما اتت به القرارات الرسميَّة التي لا يمكن انكارها . اما اموال الرهبان التي استصفتها فانَّها لم تُفد الامة شيئاً وقد تقسَّمها بينهم الماسون واشتروها بالبخس الاثمان وتلاعبوا بالاملاك والرياش والاثاث حتى رُفع الامر الى المحاكم وثبت اختلاس الماسون للملايين من الفرنكات كما عُرف من دعوى دواز (Duez) فضُحوا وسُربلوا بالعار الَّا انَّ للماسون وجوهاً اصلب من الجلاميد لا يهمُّهم شيءٌ من الفضيحة لتأييد حجَّتهم

ولا تظنَّنَّ انَّ الماسونية في هذه البلاد الطف جانباً وارقَّ طباعاً فانَّها فرعٌ من تلك الدوحة وابنة لتلك الامّ ومن اشبه اباهُ فما ظلم . واليك شاهداً على قولنا : لمَّا تمكَّن الفرمسون من نفي الرهبانيات الفرنسويَّة رقصت لهذا الخبر قلوب ماسون بيروت فارسلوا عريضةً اوقعوا عليها اسماءهم الكريمة وفيها يطلبون من الشرق السامي في فرنسة ان يساعدهم على تلافي الخطر العظيم الذي يتهدَّد سوريَّة لوجود الرهبان فيها . وقد حصلنا بنوع عجيب وان شئت فقل بواسطة « الجزويت الجواسيس » على النسخة الاصلية من من هذا الرقيم الشريف الموجَّه من محفل لبنان فرسمناهُ بالفوتغراف وهاك تعريبهُ :

لمجد مهندس الكون الاعظم وتحت نظارة شرق فرنسة السامي (١

الى شرق فرنسة السامي

ايها الاخوة الاعزَّاء

سلام وتعاضد — محفل لبنان شرق ٭ بيروت في ٣ تموز ١٩٠٢

قد اتينا باسم الضمان الماسوني في حين ضربت فرنسةُ الجمهوريةُ القوَّةَ الاكليريكيَّة الضربة

١) هذا العنوان بالفرنسوية لم يذكر بصورته بل بحروفه الاولى وهذا تمام صورته :
A la gloire du Grand Architecte de l'Univers et sous les auspices du Grand Orient de France.

القائلة نلتمس منكم بان تساعدونا نحن ايضاً على النجاة من الخطر الاكليريكي لنتملّص منهُ
وبناء عليهِ لا نشكّ في ان نوصيكم الوصاة الحسنة لمن ولائكم ومؤاخاتكم بالاخ ٭٭ الاعزّ ٭٭
اوليفيه مدير ومنشئ المكتب العالمي الفرنسوي في بيروت . فان الاخ ٭٭ اوليفيه قصد فرنسة
للدفاع عن مشروع للتعليم العالمي في الشرق ولمحاربة ذلك الوهم الباطل المبني على الزعم بانَّ
النفوذ الفرنسويّ لا يمكن نشرهُ الّا بواسطة الرهبانيات

وبينما نحن منا كدون بأنكم (ستُساعدونهُ (١) في هذه الحملة العادلة نتقدّم لكم ايها الاخوة
٭٭ الاعزّاء ٭٭ تشكُّرنا سلفاً مع بيان حاسّياتنا ٭٭ في غيبة الرئيس المكرّم
المرشد الاكبر
م . ي . بيطار

الناظر الاوّل	الناظر الثاني	الخطيب	كاتم اسرار المحفل
اسكندر ٭٭ بارودي	خليل عارف	ا . د . زروبي	بوصاة منهُ
			ن . ا . طراد

فلا شكّ ان فرمسون بيروت طلبوا تنفيذ قوّة المبادئ الدستوريّة اعني الحريّة والاخاء والمساواة لانهم يعرفون باننا نكدّر صفاء عيشهم فعسى ان يخلو بنقينا الجوّ لتنبرة الماسونية فتبيض وتصفر كما تشاء او بالحري تستأنف الحملة على الاساقفة والاكليروس العالمي كما فعلت في فرنسة وفي غيرها من البلاد فانّها لا ترضى قط بالرهبان وحدهم فاذا ابعدت الرهبان وقبضت على املاكهم حملَ جيشها على كافة الاكليروس وسلبتهُ اخر لقمةٍ من خبزهِ . فكل ذلك مدوَّن في لوائح الفرمسونيّة وقد ظهرَ بالفعل في كل البلاد التي قوي بها ساعدُها وفاز سهمها

وربما اذاقتنا الماسونية من اثار فضلها ما هو اطيب من ذلك فانّها تستحلي دماء الرهبان حيثما تجدهم في طريقها يسعون في إحباط مساعيها . فهكذا فعلت في العام الماضي في برشلونة لمّا قُتل الاثيم فرّير احد زعماء الماسونية وهكذا فعلت السنة ١٨٧٠ في ايام النهضة الفرنسويّة . وكذلك في ايام الثورة الكبرى عام ١٧٩٢ ولدينا اسماء اصحاب هذه الفتن وكلهم من الماسون الاحرار المترمين بعواطف الحريّة والاخاء والمساواة !!

ودونك شاهداً جديداً على لطف طباع الماسونية وقوّة حججها وصفاء نيّاتها ألا وهو كتاب أتانا بهِ البريد الاخير تاريخهُ ٢٩ ايار سنة ١٩١٠ من ريو دي جانيرو (كذا

(١) هذه اللفظة قد نسيها الكتبة في رقيمهم الفرنسويّ

ولعلهُ من بيروت من تزوير اهل الشيعة تزويه دون القطع بصحته) يتهددنا اصحابنا الماسون بالسيف والخنجر لفظائع ارتكبناها عدّدوها في رسالتهم الشريفة التي نشبتها بالرسم الشمسي ليتأكد القرّاء صحّة المثل « الجنون فنون » فاسمع واعجب واستعدّ لتشييع جنازتنا قريباً لانّ سيف الماسونية مسلول فوق هامتنا . وهو تهديد صبيانيّ لا نكترث لهُ فان تمّ ذلك فعلاً أعربت الشيعة مرّة أخرى عن شهامة ذويها وعن حذاقتهم بردّ حجج مناظريهم او بالحري باتخاذ البراهين القاطعة اي قطع رؤوس الذين يكشفون سيئاتهم . وهذا لعمري نعم الجواب المزكي للماسونية والمبرّئ لها عن آثامها . فان كان دمنا يلذّ الماسون فلا نضنّ بهِ كما لم يبخل بهِ قبلنا الوفٌ من ضحايا شيعتهم الدمويّة ونحن نعلم انّ دم الشهداء ازكى زرع الدين واقمع سمّ للكفر

(لهُ بقيّة)

عجائب الدهر

للشاعر المجيد ر . ب .

يا دهرُ لا بدعَ ان تُدعى أبا العجبِ تمسي وتصبح في جدٍّ وفي لعبِ
طوراً تهشُّ ضحوكاً باديَ الطربِ وتارةً تلتظي عيناكَ من غضبِ
فمن حروبٍ الى سلمٍ الى شغبِ

نراكَ في كل آنٍ ضارباً وترًا مردّداً نغماً تقضي بهِ وطرا
عينٌ تغمضها عن مشرٍ وترى بأختها ريبةً في فعل من طهرا
أنّى تقلّبكَ ريحُ المكر تنقلبِ

يطيبُ لي الموت بل تصفو مناهلهُ في ذا الزمان الذي يختال جاهلهُ
والغدرُ نال المعالي فيهِ فاعلهُ والبطل اضحت رحياتٍ منازلهُ
والمنكراتُ غدت ممدودة الطُنُبِ

قد امست النفسُ من دنياي آنفةً لما اشاهد أزماعاً زعانفةً
ترمي بسهم الخنى قوماً غطارفةً ولا تزال على الإفساد عاكفةً
تسير في الناس سيرَ السوس في الخشبِ

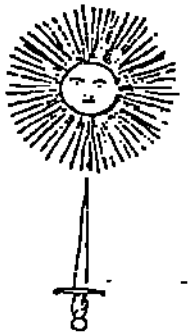

L. H. Y. A. XI. Q.

جمعية الجيش الابيض

لدى الكنيسة العظمى

المعسكر السادس

فلسطين

الى جمعية الجزويت في بيروت في بيقة.

حيث ان بدأ جمعكم الشريرة اصبح معروفاً لدينا ما هو معروف لديكم تماماً

وحيث ان جمعنا هذا أسس خصيصاً لمنع جمعكم وبدأ الشرير في جبل العالم المنير بضياء الشمس الابيض

وحيث انكم انتم اللذين اغتلتم المرحوم بتريكوس فريرو وسيا بالرصاص المانزغلي في الكنيسة المعسكر الاول ٤٤٤ في ١٩٦٥ اسبانيا.

وحيث انكم انتم اللذين قتلتم المرحوم الشيخ ابراهيم البانزهي شيبا المانزغلي في المعسكر الاول في المعسكر F.S.A.B. XIII افريقيه

وحيث انكم انتم اللذين قتلتم ابن اخوه السيد حبيب واد خليفه في مدرسة الملاحية في القدس. المانزغلي رتبة كوب الشاة الافريقية

لهذه الاسباب. ان مجلس ربودين جانيرو قد قرر بجلسته الاخيرة تلاوة عن وصايا اللوح الابيض. في البرج الاعظم ان يقضي

اولاً. ان تسرعوا بارجاع حبيب البانزهي من المدرسة الانجليزية التي هو فيها الآن الى والدته.

ثانياً. ان تبادروا حالاً بنشر رسالة بيرانذم الجزويتية تؤدوها المرحوم بتريكوس فريرو سابقاً وتعترفوا انكم انتم قتلتموه

ثالثاً. ان تنشروا رسالة اخرى تبرئوا بها سبب موت الشيخ ابراهيم الذي سببتموه لكم من هذه الجناية التي ارتكبتموها.

المهلة العطاة لكم هي اربعة وعشرون اسبوعاً من تاريخه.

اذا لم تنفذوا الترقية. ولم تذعنوا لمطالب مكم اعلاه. فليكن معلوم معشر الجزويت ان جيشنا الابيض المسروس بالاشعة البنفسجية هو غير جمعية الماسون الذليلة العاجزة عن نصائحكم بالتنصيف.

ان السيف اصدق انباء من الكتب. ان جمعية الماسون ضد برد اولاً لكم. ولكن جيشنا هي عنبر او سيفاً لطائفة الجزويت الشريرة.

صدر من الكنيسة العظمى. المحفل الابيض. المعسكر السادس الزنة السورية البيقية. الدرع الابيض. ٥ ـ الامر الاسباني الصادر من كنيسة جبل طارق من البرج الابيض ٥٥٥ ت ٢٦ ايار سنة XIII الجمعية.

وسنة ١٩١٠ اجنبية.

Rio de Janeiro, 14. de Junho de 1910 F.

منهم يُباهي بأجدادٍ له قِرَدَهْ ووجهه مُثبتٌ للناس معتقدَهْ
على ملاحمه دعواه مُستندهْ تبًا لجدٍّ وتبًا للذي ولدَهْ
لا تحسدنَّكَ يا ابن القرد في النَّسبِ

والبعض قد جاهروا بالكفر في علنٍ قالوا : إلهكمُ قد كان في زمنٍ
فنحن حرَّرنا عصرٌ لنا مدني من الإله ومن دينٍ ومن وطنٍ
ومن عواقبَ بعد الدفن في الترب

والبعض يُحذون حذو الهرّ اذ طمروا ما كان يُخجلهم لو فيه قد ظهروا
تخبَّأوا تحت سُجف الخبث واستتروا وقال قائلهم : لسنا بمن كفروا
لا نمتُ الدين بل ما جاء في الكتبِ

إنَّا بعصرٍ لطيف الذوق والسَّمعِ والدينُ لا ينثني في كل مجتمعِ
يقول منتهرًا كفُّوا عن القذعِ والمكر والشرّ والافساد والجشعِ
ذي نغمةٌ لم ترُقْ لنا ولم تطبِ

نرى وصايا يوجه العصر عابسةً لو تحذفون لنا يا قوم سادسةً
منها وسابعةً ولو مؤانسةً لما رأيتم من الدنيا معاكسةً
بل كان يجثو لكم كلٌّ على الرُّكبِ

رصيبةٍ حملوا الدنيا وما حملتْ فأيقظوها باقوال لهم ثقُلتْ
لم تشرقِ الشمسُ والامطار ما هطلتْ والارضُ لا تكتسي عشبًا وما وصلتْ
الّا بأمرهم الانوارُ من شهبِ

لولا نصائحهم ما احرز الظفرا طوغو وقيصرُ لو يصغي لما انكسرا
ولو أصاخت لهم باريس ما غمرا ماءٌ رأوهُ بجوف الغيم مُستترا
قالوا : أشرنا وكان الماء في السحبِ

قالوا : نصحنا ملوك الارض في عددٍ فيما يخصّ نظام الجيش والمُددِ
والسِّلم والحرب والتجهيز والمددِ وما حرمنا بني الغبراء من رَشَدِ
ألم تقِ الارضَ من نجمٍ ابي ذنبِ ؟

كم من قلائد صاغتها يراعتُنا او من مشاكلَ حلّتها براعتُنا
علمٌ ونصحٌ وارشادٌ بضاعتُنا سياسة الملك . والدنيا صناعتُنا

قُدْنا الفيالقَ في الهيجاء « بالقصب » !

قلنا . . . أشرنا . . . وأسهبنا مقالتنا للشرق والغرب ابدينا سياستنا
وكم بذلنا اذي تاج مشورتنا . . . يا ساسة الكون قد نرجو افادتنا

برلينُ في مصر ام فاليرُ في حلب ؟

وبعضهم قد ملا غدرًا مناصبنا ورام من بعد خلس ان يُناصبنا
يا آكلًا حقنا خَتْلًا وسالبنا ما يمنح العدلُ من قدم مذاهبنا

هل مثل سيرك سيرُ النبلُ والحسبِ

ان كنت من شيعة الماسون كن عَلَنًا لا في الخفاء لهم وفي الجهار لنا
حتى مَ حتى مَ تبغي ان تبلبلنا خادعتَ مُفردنا خاتلتَ مُجملنا

فلا تطول حبالُ الخبث والكذبِ

أيا أبا جعدةٍ ما انت بالحملِ بالله تخلع ثوب المكر والحيلِ
فاترك مراكزنا واذهبْ بلا جدلٍ الى محافلَ قد غرّتك واحتفلِ

ودع لنا إرثَ جدٍّ طاهرٍ وأبِ

يا جاحدًا ملّةً قد قمت تخذلها بايّ دينٍ وإنصافٍ تمثّلها
توليك فضلًا ومنك السمُّ يقتلها ما ذي الفعال التي قد جئتَ تفعلها

القيت قومك في الويلاتِ والحرب

وقد نرى قزمًا أحفى شواربهُ أطرى الأولى عدموا ذوقًا مشاربهُ
فرامَ مَن يزدريهِ ان يُداعبهُ فقال : ذا فيلسوفٌ لنْ تُقاربهُ

اهل البلاغة من عُجمٍ ومن عربِ

فظنَّ اقوالَ مَن بمن شخصهِ سخروا مدحًا فتاه دلالًا وهو يفتخرُ
وهبَّ يهذي ومنهُ الحمق ينتثرُ فصفّقت فتيةٌ قد راقها الهذرُ

وفتّحت شدقها عُجبًا بذا الصخبِ

فقام يأتي خرافاتٍ على نفرٍ فصاح امثالهُ : ذا مُصلحُ البشرِ
اوحى الالهُ اليهِ كلَّ مستترٍ فاقت معارفه عرّافة النوَرِ

مهما يُسَلْ عن خفايا كوننا يُجبِ

قالوا إشعيا اتى هذه نبوّتهُ والبعض بَلعامُ بل قالوا رفيقتهُ

قد اثبتت عقله السامي كتابتهُ كما تؤيد فيه الوحي خطتهُ
عما قليل يُرى في جملة النُصُبِ
يا معجبين بذا « الجرذون » لا تدعوا (١ منكم لآلئهُ تُسبَى وتُنتزعُ.
دعوهُ بالترب من بيروت يرتبعُ هناك قصرٌ فسيحٌ لائقٌ يسعُ
امثال مفخركم في ترلهِ الرَّحِبِ
وقام شخصٌ شبيه بالذي سبقا قد اورث الارض من تهديده القلقا
قال لركبوا البحر او ان ختتم الغرقا اني لكم فاتح من تحته نفقا
يا قوم سيروا اهجموا في عسكر لجبِ
اني أرقتُ دماني فانظروا جسدي وأضرمت غيرتي النيرانَ في كبدي
قولوا . . أشيعوا . . . فيا لله من اسدٍ به غنًى عن شفار البيض والمددِ
بما ينضِّده من لؤلؤ الخطبِ

١) لقّب الريحاني كلّ الناس بالجرادين وادّعى انهم لا يعرفون شيئاً من امر خالقهم في قطعة رواها لهُ المشرق (ص ٢٩٠) فدعاهُ لذلك بالجردون الكبير . امّا مبلغ الريحاني من العلم والفلسفة فدونك ما كتب آخراً الى البشير عنهُ احد اصحابهِ الذين عرفوهُ احسن معرفة في اميركة . .

« قد اكون أعرفَ الناس بامين افندي لانني عرفته في الوطن وثابرتُ على تعهده بعد المهاجرة وكان قد وضعهُ احد ابناء الوطن هنا في مدرسة كاثوليكية لم يتقاضَهُ الفاغون عليها سنتاً واحداً فكان يجب ان يحافظ على شرف المحسنين اليهِ . . . وقد طبع كتاب « المحالفة الثلاثية » في مطبعة الهدى وذلك في غياب صاحبها فردّ عليهِ صاحب جريدة الهدى وفنّد مزاعمه . . . وليس في المحالفة الثلاثية غير السرقة من كتب ثولتير وروسو وتولستوي كما يثبت لكل من اطلع على كتابات هؤلاء الناس بل كل ما كتبهُ الريحاني مسروق . فالتساهُل الديني مثلاً مسروق من كتابات ارثور بريسبون منشئ رئيسات الجرنال الماتي (Evening Journal) ومن خواطر الهدى الا في الكفر فرجع الرجل في ذلك الى المحامي (Ingersoll) الذي نال بعض الشهرة في الولايات المتحدة . . . والريحاني يتناول مجلة صغيرة تطبع هنا وتدعى (Philistine) فكل من قرأها قرأ مقدمة الريحانيات فيها . وعندي ان الريحاني اكبر لص ادبي فكيف يُغرّ بهِ بعض القوم عندكم ويقدّرون ما يضعهُ من الكتابات وضعاً اصلياً وكتابة مبتكرة . وما هذه الاهمية التي اوجدتموها لهُ عندكم ولم تكن لهُ . فيظهر لنا ان كل من رجع من المهجر وكان لهُ شيء من الادب والذوق في الكتابة عددتموه فيلسوفاً وهو لا يكون شيئاً مذكوراً بيننا او لا يكون على الاقل الا اديباً لا ميزة لهُ تذكر فكل ريحاني وكل . . . فيلسوف عندكم ! . . . »

يا فارس الجيش غيّر هذه النغما ... وفّق وصالح وأصلح ان تشا أمما
واترك حروباً وغاراتٍ وسفك دما ... اخشى عليك اذا ما العسكر التحما
فعظمُكَ الهشُّ لا ينجو من العطبِ

وذَرْ شؤوناً لنوّاب لنا رصدوا ... قد عاركوا الدهر لم تنقصهم الفِطَنُ
فكثرة القول تأتي بعدها الفتنُ ... يا من به قد غدا يعتزّ ذا الوطنُ
دع ساحة البرج للبطّيخ والعنبِ

قد لبّكت بعضهم في سعيه اللّبكه ... فرام صيدا فلم تنجح له شبكهْ
فسبَّ بحرًا قليل الخير والبركهْ ... اذ خانهُ السعدُ والتقدير والحركهْ
فقام يهجو ومنهُ القلب في لهبِ

فقال تبًّا لكم ابناء أرمنةٍ ... لا تذكرون سنا فضلٍ ومنزلةٍ
كم قد أتيت بأفعالٍ مخجلةٍ ... ألقت بني الدين في حزنٍ وبلبلةٍ
ألم تروا أنني اهلٌ الى الرتبِ !!!

يا منكرينَ جميلًا سوف انتقمُ ... ستندمون وما يجديكمُ الندمُ
إمّا بسيلك رجال الدين أنتظمُ ... أو الرئاسةِ او نارٌ لها ضرَمُ
انتم وقودٌ لها لا يابس الحطبِ

منهم فتى خلتهُ فهّامةً فطِنا ... فقلت هذا اديب عقلهُ رصِنا
لكنّ اياضهُ ابدى الخفيَّ لنا ... لكم نرى ودّمًا نخالهُ سِننا
كم ارقمٍ ارقطٍ ينابُ في العُشُبِ

وقد نشاهدُ كهلًا يحملُ العلما ... أمام صبيانِ عصرٍ امرهُم عُلما
أما أراهُ صفاء الخمرة اللِّمَا ... بيضاء من ثلج عمر فوقها ارتكما
يا عابد الكاسِ كاسُ الموت عن كثَبِ

وكم رأينا غبيَّ القلب إمّعةً ... قد اسمع الناس دون الطحن جعجعةً
طورًا يقول نخوض اليوم معمعةً ... منها الديانات قد تمسي مزعزعةً
وتارةً يرتدي اثواب مرتهبِ

تالله يضحكنا تهديد شرذمةٍ ... بالخبث والكذبِ والالحاد مُعلمةٍ
مهلًا رويدًا ايا ابناء أرمنةٍ ... نزري بما جئتمُ من كل ملأمةٍ

لم يلتصق صدأٌ في خالص الذهبِ

بعوضةٌ وقفت يوماً على جبلٍ من بعد ما طنطنت في صوت مخذولِ
قالت له: هل بُهظتَ اليوم من ثقلي اجابها الطود يا مسمولة المقلِ
ما جُلتِ في البال كيف الخوف من تعبِ

قالوا: عدوُّ الورى اكليرسٌ نهبوا بيتَ الارامل والايتام قد سلبوا
لم يبقَ من ذهبٍ الّا به ذهبوا كم من خطايا وشنعاء قد ارتكبوا
مُدَّت يداهم الى المساوب والسلَبِ

انّا نسلّم فيما قلتمُ جدَلا وما عليكم سوى ان تحضروا مثلا
لا بل نقول لكم ذا القسُّ قد اكلا مالًا لزيد وذا الخوريُّ قد نذُلا
انّا نشاركم في اللوم والغضبِ

قولوا فلانٌ أتى نكرًا وقد غدرا إنّا لأوّل من يرمي له الحجرا
اولى بكم ان تقولوا القول منحصرًا ومن يظلُّ على الانياب قد كشرا
فلا سبيلَ لنا في برء ذي كلبِ

فلنفترض انّ زيدًا قد أتى عملا أنصلبُ الدينَ والكهنوت والرُّسلا
فيا طبيبًا أزِلْ من جسمك الملالا واترك اناسًا اباةً فضايهم شملا
ما قام يهجو نبيًّا غيرُ ذي جربِ

يا قوم مهلًا فكوبُ الصبر قد طفحا اهنتم الربَّ والأديانَ والصُّلحا
كفّوا اذاكم فما من ظالمٍ نجحا فالوعلُ يا معشري إن صخرةً نطحا
اوهى القرونَ ولم يظفر بطلبِ

اولياء الله في لبنان

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ع

﴿ عبدا ﴾ يذكر السنكسار الماروني هذا القديس في ١٦ أيار ومثلهُ الكلندار الماروني السنويّ . ومما يروى في السنكسار من اخباره انهُ كان من تلاميذ الرسل نصَّرهُ

يهوذا الرسول الذي بشّر بالمسيح في بلاد خراسان والعراق. واقامهُ اسقفاً على بابل وانهُ مات شهيداً سنة ٤٢ للميلاد مع سبعة قسوس في عهد يزدجرد. وكذا روى ايضاً حضرة القس عمنوئيل البعبداتي في تاريخ الرهبانية الانطونيَّة (ص ١٨٣ — ١٨٨). وفي هذه الرواية نظرٌ لاسباب منها انَّ رسالة القديس يهوذا في فارس لا يُعرف شيءٌ من تفاصيلها. ومنها ذكر الملك يزدجرد او ازدشير وهم ثلاثة بهذا الاسم كان الاوَّل في اواخر القرن الرابع للميلاد. وكان الثاني وهو ازدشير بن بهرام جور في اواسط القرن الخامس وعاش مار عبدا في أيام الاوَّل وسُقف على المدائن وكان الملك يكرمهُ لكنَّ الغيرة حملتهُ على هدم احد هياكل المجوس فاغتاظ الملك لذلك وامرهُ بتجديد بناء الهيكل فأبى الاسقف وفضَّل ان يموت شهيداً فقُتل مع عبد يشوع الاسقف وغيرهِ من الشهداء نحو السنة ٣٧٤ او ٣٧٥ اطالب خزانة كتب القديسين الشرقيَّة ص ٢ (Peeters, BHO, 2). وقد استشهد في فارس قديس آخر باسم عبدا في عهد ازدشير الثاني في السنة ٤٢٠ وعيدهُ في ٣١ آذار في الكنيسة السريانية وجاء ذكره في كلندار ربَّان صليبا : Peeters) *Le Martyrologe de Rabban Sliba, 150 et 178*) قتل شهيداً مع الشمامسة هرمز وشينا وبنيامين. ويُكرم هؤلاء الشهداء ايضاً في ٥ ايلول (BHO, *ibid.*) وفي لبنان عدَّة كنائس واديرة على اسم مار عبدا منها مار عبدا المشمّر نسبةً الى مكان بعينهِ في وادي قديشا وفي بكنيَّا وعيدهُ في ٣٠ آب ومار عبدا هرهريَّا وغير ذلك

ف

﴿ فوقا ﴾ هذا القديس شهير في كنائس الشرق والغرب ويرتقي عهدهُ الى أيام الرسل. سُقف على مدينة سينوبا من اعمال بُنطُس فلما امر الملك طرايانوس بقتل المسيحيين الذين لا يكفرون بدينهم سيقَ القديس فوقا الى والي المدينة فاعترف بايمانهِ ودافع عنهُ دفاع الابطال غير مكترث لاصناف العذابات حتى قُطع رأسهُ في العشر الاوَّل من القرن الثاني للمسيح. وعيدهُ في كنائس السريان في ٢٢ تموز. وكذلك تكرمهُ الكنيسة اليونانية في هذا النهار وقد اثنى عليه القديس يوحنا فم الذهب في مياسمرهِ وذكر نقل ذخائرهِ الى قيانا من اعمال غالية ويُذكر هذا الشهيد في ايَّام أُخرى فيذكرهُ السريان في ٢٢ ايلول ويروون انَّ الملسوعين بالافاعي كانوا يزورون كنيستهُ في انطاكية

فيشفون (١. وذكرهُ البيروني في كلندار الكنيسة الانطاكيـة الذي نشرناهُ في المشرق (٥: ٦٧) في ١١ تموز. ورد اسمهُ في كلندار الرُّهان صليبا Peeters, *ibid.* 154, (185 في غرَّة حزيران وقال هناك ان اهل البحر يلتجئون اليهِ. وكان للقديس فوقا في مشارف لبنان كنيسة ذكرها المؤرخ بروكوب في القرن السادس (اطلب تسريح الابصار للاب لامنس ١: ١١٥) ولهُ كنيسان في غدير وفي جهات البترون في كفور العربي. راجع ايضاً اعمـال البولنديين (المجلد السادس من ايلول ص ١٩٤—٢٩٩) وخزائن كتب القديسين اليونانيَّة (BHG, 215) واللاتينيـة (BHL, 994) والشرقيَّة (BHO, 217) وكلندار الكنيستين للاب نيلس (Kalend. utr. Ecclesiae, I, 220)

ق

﴿ قبريانوس ﴾ ليس قبريانوس هذا اسقف قرطجانَّة الشهيد العظيم الذي اشتهر في القرن الثالث للمسيح واستشهد سنة ٢٥٨ وعيدهُ واقع في ١٤ ايلول لكنَّهُ قبريانوس آخر اصلهُ من مدينة انطاكية من اعمال بلاد بيزيدية كان في عهد ديوقلطيانوس الملك يتعاطى السحر فطلب منهُ احد الوثنيين ان يميل اليهِ قلب فتاة بتول تُدعى يوسطينا فلمَّا جرَّب فيها سحرهُ لم يَفُزْ بمرام واخذهُ العجب من ذلك فسأل الشيطان عن سبب عجزهِ فاجابهُ ان السحر لا فعل لهُ في قلوب المؤمنين من النصـارى. فعرف بذلك قوَّة الايمان بالمسيح وتنصَّر ومات شهيدًا مع يوسطينا قريباً من نيقوميـدية. وعيدهما واقع في الكنيسة اللاتينيَّة في ٢٦ ايلول امَّا الكنائس الشرقيَّة فتذكرهما في ٢ تشرين الاوَّل. وقد دخل التزوير على اعمال هذين القديسين ونسبوا اليهما اشيـاء غريبة ملفَّقة بقي منها بعض الاثر في كتاب يدعوهُ العامَّة «كتاب قبريانوس» ويعلقونهُ في اعناق اولادهم جهلًا. اطلب اعمال الشهيدين في مجموع اعمال البولنديين (المجلد ٧ من ايلول ص ١٨٠—٢٤٣). اطلب ايضاً مكاتب القديسين اللاتينيَّة (BHL, 308) واليونانية (BHG, 63) والشرقية (BHO, 33) ومروج الاخبـار في تراجم الابرار

١) ولعلَّ وجود هذه الكنيسة في انطاكية حمل البعض على وضع استشهـاد القديس في انطاكية. ويزعم غيرهم انهُ وُجد شهيـدان باسم فوقا الواحد في سينوب كما ذكرنا والآخر في انطاكيـة يُعيَّد لهُ في ٥ آذار

(ص ٥٥٩) وعلى اسم القديس قبرياقوس كنيسة في دير كفيفان

﴿ قرياقوس ﴾ مرَّ في المشرق (١٣ : ٤٤٣) انَّ القديس روحانا الناسك لسمهُ قرياقوس. فليُراجع . وكلامنا هنا عن قديس آخر يُكرم في بعض انحاء لبنان كِشيًا وجاج نزيد بهِ ولدًا صغيرًا يُدعى قرياقوس او قيريقوس (Cirycus, Quiricus) كان عمرهُ ثلاث سنوات لمَّا دُعيت والدتهُ يوليطا الى عبادة الاوثان فأبت الامر مستكرهةً وحُكم عليها بضرب السياط فضُربت. وكان ابنها قرياقوس حاضرًا فاراد الوالي اسكندر ان يلاطفهُ لكنَّ الطفل اخذ بالعويل والصراخ فرماهُ الوالي على درجات المجلس فقتلهُ وقُطع رأس امهِ بعدهُ. وقع ذلك في مدينة طرسوس من قيليقية. وقد كتب احد المعاصرين تاودورس استف قونية اخبار شهادتهما. اطلب اعمال البولنديين (Act. SS., IV Jun. 14-23) وعيدهما في كنائس الشرق في ١٥ تموز وفي السنكسار الروماني في ١٦ حزيران. راجع مكاتب القديسين اللاتينيَّة (BHL, 271) واليونانية (BHG, 47) والشرقية (BHO, 46) وكلندار الكنيستين : Nilles (Kalend. utr. Eccl., I, 211) ومروج الاخبار (٣٢٩) حيث دُعي الشهيد باسم كيروس

﴿ تزما ودميانوس ﴾ قد اختلف الكتبة في هذين القديسين واصحُّ ما يُقال فيهما انهما كانا من بلاد العرب يتعاطيان الطبابة وكانا مؤمنين بالسيد المسيح يدعوان الناس اليهِ بمعجزاتهما وتطبيبهما للمرضى مجانًا وكانا يتنقَّلان في اقطار الشرق حتى وصلا الى مدينة آجية او ايجية من اعمال قيليقية فاوقفهما الوالي ليزياس نحو سنة ٢٩٧ واذ لم يمكنهُ ان يقنعهما بجحود دينهما لا بالوعد ولا بالوعيد امر بقتلهما فقُتلا وانتشرت عبادتهما في كل الانحاء. اما عيدهما فيُحتفل بهِ في أيام شتَّى في ١٧ حزيران وفي ١ تموز وفي ٢٧ تشرين الاول وفي ١ تشرين الثاني ولعلَّ تكرار اسمهما حمل البعض على الزعم بانَّهُ وُجد غيرهما باسمهما ومهنتهما وهو زعم فنَّدهُ البولنديون (Act. SS., VII, Sept. 400-409) اطلب تراجم الابرار (ص ٥٦١) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 297) واليونانية (BHG, 54) والشرقية (BHO, 50) وكلندار الكنيستين (Nilles. l. c., I. 198) ويذكر ربَّان صليبا في كلندارهِ (Peeters. l. c., 141) انَّ النساء العاقرات يلتجئن الى هذين الشهيدين لينلن

اولادًا — وقد وجدنا في سنكسار ماروني (مخطوط) في تاريخ ٢٨ آذار ذكره قزما الحلبي ، ويُقال هناك انهُ كان من احدى قرى حلب ونسك في سيق الاردن واشتهر بالفضائل والآيات وتوفي مملوءًا قداسةً على اننا لم نجد لهذا القديس ذكرًا في غير هذا الكتاب

﴿ قيرلُس ﴾ هو الشهيد البعلبكي كان في عهد يليانوس الجاحد وكان شمّاسًا فهاج الوثنيّون على النصارى في مدينة بعلبك وامسكوا قيرلُس وشقّوا صدرهُ واستخرجوا كبدهُ فأكلوهُ كالوحوش وكذلك هجموا على عذارى مسيحيّات فاذاقوهنّ اصناف العذابات والإهانات التي يستنكف القلم من ذكرها وكان ذلك سنة ٣٦٢ للمسيح . اطلب اعمال البولنديين في ٢٩ آذار (Act. SS., III, Mart., 771) ومروج الاخبار (ص ١٩٣) .

ل

﴿ لبّاوس ﴾ او لابي يُكرَم في حصرون . جاء في السكسار الماروني في ١٤ تشرين الاوّل انهُ احد السبعين تلميذًا ويُدعى تدّاوس ويقولون تادي التلاميذ . اطلب ايضًا السكسار الماروني القديم الذي نشرناهُ في المشرق (٨ : ٨٧٢) . والبعض يجعلون لبّاوس هذا الرسولَ يهوذا المدعو تدّاوس ويذكرونهُ في ٢٠ او ٢١ آب ويزعمون انهُ استشهد بالرها . ويذهب غيرهم الى انهُ استشهد في بيروت كما روى حضرة الاب لامنس في تسريح الابصار (ج ١ ص ١٠٠) وذكر كنيسة مشيّدة على اسمه في هذه المدينة في القرن السادس للمسيح اطلب مكتبة القديسين الشرقية (BHO, 125 et 250)

﴿ ليسيناوس ﴾ ليس على اسم هذا القديس كنيسة في لبنان . وكان احد تلامذة القديس مارون الناسك ذكرهُ تاودوريطس في تاريخه الرهباني (Theodoretus HR., c. XXII) ويدعوهُ باسم آخر ايضًا اي تلاسيوس ويروي عنهُ انهُ اخذ الطريقة النسكية عن القديس مارون وانقطع الى اعمال الزهد والتقشّف في قرية تِلّيمة (Tillima) ثم في ترغالة (Targala) فاشتهر بقداسته العجيبة حتى انّ سكان بلاد قورش كانوا يتقاطرون اليه ليسمعوا كلامهُ وينالوا بركتهُ وكانوا يأتونه بالمرضى فيشفيهم وبالمسكونين فيطرد منهم الابالسة . وامتحنهُ الله بالبلايا والاسقام فصبر عليها صبرًا جميلًا كايوب الصدّيق . ويذكر تاودوريطس انهُ قصدهُ ليتمتع برؤياهُ ورأى من فضائلهُ فوق ما كان يسمع . وذكرهُ واقع في ٢٢ شباط اطلب مكتبة القديسين

اليونانية (BHG, 241) ومجموع الاباء اليونان لمين (Migne, PP.GG. LXXXII, 1425)

م

﴿ مارون ﴾ هو القديس مارون النساك الشهير الذي ازهر في القرن الخامس للميلاد ولا يُعرف من امره غير ما رواهُ عنهُ تاودوريطس اسقف قورش في اقلّ من صفحتين (Theodoret. : HR., c. XVI) فذكر انهُ عاش في القفار بجوار مدينة قورش وانّ شهرة فضائله السامية عمّت البلاد المجاورة حتى كان الزوّار يتزاحمون عند منسكهِ وينالون على يديهِ من النعم السابغة الروحيّة والزمنيّة ما زاد الناس رغبةً في التقرّب اليهِ والارتشاد على يديهِ. ولما توفي حصل نزاع بين اهل تلك الجهات للحصول على ذخائرهِ المقدسة. واخذ عن القديس مارون طريقتهُ النسكيّة بعضُ الرهبان فتتلمذوا لهُ في بلاد قورش كليسيناوس السابق ذكرهُ ويعقوب وغيرهما. اطلب ترجمة القديس مارون في مروج الاخيار (ص ١١١) واطلب كذلك مكتبة القديسين اليونانية (BHG. 164) ومجموع اعمال آباء اليونان لمين (Migne. PP. GG. LXXXII. 1417) وقد خصّ حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار (ج ٢: ٥٨) بابًا مطوّلًا غاية في الافادة لبحث جغرافيّ في سيرة القديس مارون. امّا اكرام القديس مارون فشائع في كل انحاء لبنان يعتبرهُ الموارنة كأبي طائفتهم واليهِ ينتسبون

﴿ مارينوس ﴾ اطلب «مارينا» في باب النساء الصالحات الشهيرات في لبنان

﴿ ماما ﴾ ويقال ماماس احد كبار الشهداء في النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد ولد في قبادوكية وعاش خاملًا في اعين الناس يرعى المواشي غير انهُ كان متّصفًا باطيب الخصال التي جعلتهُ لدى الله عزيزًا. فان ابويهِ كانا مسيحيين حُبسا لاجل الايمان فولدتهُ امهُ في الحبس وربّتهُ بعد موتها امرأة مسيحية. ولمّا تشدّد الملك والريانوس على النصارى دُعي ماماس الى مدينة قيساريّة ليقدّم الضحايا للاوثان فانكر ذلك بكل شهامة وفضّل المنية على الاثم فقُتل شهيدًا نحو السنة ٢٧٤ وعمرهُ لا يتجاوز ١٥ سنة. وجرت بشفاعتهِ كرامات عديدة فانتشر ذكرهُ في الآفاق. وفي لبنان على اسمهِ كنائس

اما عيدهُ في الكنائس الشرقيــة فواقع في ٢ ايلول (راجع المشرق ٥ : ١٨٥) . وذكرهُ رَبّان صليبا في ٣ ايار . وفي الكلندار الماروني القديم الذي نشرناهُ (المشرق ٨ : ٨٧٤) يُذكر في ١٠ آب . اما الكنيسة اللاتينية فتكرمهُ في ١٧ آب . راجع اعمال القديسين للبولنديين (Act. SS., III Aug. 423-446) ومكــاتب القديسين اللاتينيــة (BHL, 771) واليونانية (BHG, 143) والشرقية (BHO, 132)

﴿ متري ﴾ وهو دمتريوس الشهيد كان من أُسرة شريفة من مدينة تسالونيكية (سالونيك) وكان يؤمن بالمسيح ويجاهر بايمانهِ . ويدعو اليهِ اهل وطنهِ . فلمَّا اضطهد مكسيميان نصارى الشرق لاجل دينهم كان دمتريوس ممن أثاروا عليهم غضب الوثنيين فحبسوهُ . فظهرت في حبسهِ آيات جديدة حدت بمكسيميانوس الى قتلهِ وقتل الذين نصَّرهم . وذلك سنة ٣٠٣ م . وكان على اسم القديس كنيسة عظيمة بديعة النقوش في سالونيك اكتشفوا آثارها الجليلة منذ سنتين . وعيد القديس متري واقع في ٨ تشرين الاوَّل . ويذكرونهُ ايضاً في ٢٦ منهُ . وهو عند الروم في هذه البلاد اشهر منهُ عند غيرهم شيَّدوا لهُ عدَّة كنائس منها كنيسة مار متري في الاشرفيَّة . اطلب ترجمتهُ في اعمال البولنديين (Act. SS., IV Oct , 50-209) واطلب مكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 320) واليونانية (BHC, 70) والشرقية (BHO, 58)

﴿ موسى الحبشي ﴾ قيل إنَّ اصل هذا القديس من الهند والمراد بالهند بلاد ليبية المجاورة للحبشة . ولد في النصف الاوَّل من القرن الرابع وكان عبدًا اتاتد عسكر لكنَّهُ لسوء سيرتهِ طردهُ من خدمته فجمع موسى قوماً من اللصوص وعاش معهم بالنهب والسلب مدَّة حتى هداهُ الله على يد بعض السيَّاح فتاب توبةً نصوحاً وانقطع الى اعمال النسك مع فئة اللصوص الذين انتسبوا بمثلهِ وتتلمذ مدَّةً للقديس مكاريوس رئيس الرهبان وعاش ٤٠ سنة ممارساً لاسمى الفضائل وكرَّمهُ الله بالمعجزات . وكانت وفاتهُ في اواخر القرن الرابع . وعيدهُ واقع في ٢٨ آب وعلى اسمهِ اديرة وكنائس في امكنة شتى من لبنان . اطلب ترجمتهُ في البولنديين — (Act. SS.,VI Aug., 199 — 212) وراجع مكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 878) واليونانية (BHG. 181) والشرقية (BHO, 170) والكنز الثمين في اخبار القديسين (٣ : ٤٣٤)

﴿ مينا ﴾ هو احد مشاهير الشهداء في عهد الملك ديوقلطيانوس كان اصلهُ

من مصر متجنّدًا في بلاد فريجيا فلمّا اضطهد الوثنيّون النصارى لديهم كان مينا احد الذين ضحّوا حياتهم في سبيل ايمانهم نحو السنة ٣٠١ ونال لاجل ذلك اكرامًا جزيلًا في كل اقطار الشرق ولاسيما في مصر حيث كان الزوّار يحجّون الى مقامهِ من كل البلاد وقد وُجدت حديثًا آثار هيكلهِ القديم ليس بعيدًا عن الاسكندريّة. وعيدهُ واقع في ١١ تشرين الثاني. اطلب اعمالهُ في نشرة البولنديين السنويّة (Analecta Boll., III, 258-270) وراجع المشرق (٥ : ٧) ثم مكاتب القديسين اللاتينيّة (BHL, 364) واليونانيّة (BHG, 175) والشرقيّة (BHO, 163) وكلندار الكنيستين (Nilles : *Kalend. utr. Ecc.*, *I.*, 320)

ن

﴿ نوهرا ﴾ قرأنا في سنكسار ماروني مخطوط في تاريخ ٢٢ تموز ان نوهرا هو الشهيد لوجيوس كان من مدينة منهور من بلد فارس وطاف مبشّرًا بايمان المسيح وبلغ مدينة بترون في بلد فونيكي وفيها تمّت شهادتهُ وهو الشفيع في وجع العينين ولهذا سمّاهُ السريان في لغتهم نوهرا اي نورًا وهو معنى اسمهِ لوجيوس . ويسمّى هذا القديس لوقيوس ودعاهُ السيّد تورلس بهنام بني في كلندارهِ (ص ١٧٦) باسم لوقا. وكذلك اختلفوا في مكان استشهادهِ فقيل في فارس وقيل في قبرس وقيل في الاسكندريّة وقيل في طرابلس اطلب المشرق (٤ : ١٦١ و ٥ : ٦٨) وذكرهُ صاحب الكلندار الماروني القديم الذي نشرناهُ في المشرق (٨ : ٨٧٢) في ١٣ تشرين ١ وذكر في ٢١ آب (المشرق ٥ : ٦٨) ووجدنا في سنكسار ماروني مخطوط في تاريخ ١١ شباط ما نصّهُ : « لوكيوس اسقف ادرنه ورفقتهُ الشهداء » ولا نعلم اهو القديس نوهرا او غيرهُ . وكذلك ورد في مجموع البولنديين في ١٢ حزيران وفي السنكسار الروماني في ٢٤ ك ١ اسم لوسيان ويرى الاب لامنس في تسريح الابصار (١ : ١٠٢) انهُ لوقيوس الذي نحن في صددهِ والله اعلم . وما لا يُنكر انّ القديس نوهرا احد الشهداء المشهورة كرامتهم في لبنان وسواحل الشام شُيّدت على ذكرهِ كنائس شتى منها كنيسة في جوار بيروت

ي

﴿ يعقوب المقطّع ﴾ هذا شهيد جليل يُكرم في كل كنائس الشرق : ولد

في بلاد فارس وتجنّد لخدمة وطنه فأحبّهُ الملك يزدجرد لما كان متّصفاً بهِ من الصفات ولم يزل يلحّ عليهِ بترك دينهِ حتى تمجّس لكنّ اهلهُ واقاربهُ حتى امرأتهُ انفصلوا عنهُ ولم يريدوا ان يعرفوهُ فارعوى تائباً واعلن بايمانهِ امام الملك فامر بتقطيع اعضائهِ فمات شهيداً سنة ٤٢٠ وعيدهُ في ٢٧ تشرين الثاني. والموارنة في لبنان خصّوا بذكرهِ بعض كنائسهم. اطلب مروج الاخيار في تراجم الابرار (ص ٧٢٥) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 610) والشرقية (BHO, 91) وكلندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 636)

﴿ يعقوب الناسك ﴾ هو احد تلامذة القديس مارون الناسك في القرن الخامس ذكرهُ تاودوريطس في تاريخهِ الرهباني في الفصل ٢٦ منهُ (Migne, PP.GG. LXXXII, 1432) وافاض في فضائلهِ وقال عنهُ انهُ اخذ الطريقة النسكية عن استاذهِ مارون ثم سكن في جبل قرب قورش يبعد عنها ثلاثين غلوة حيث أتى باعمال عجيبة وصار قدوةً لكثيرين وردّ عدداً من الوثنيين الى الايمان وقد زارهُ تاودوريطس وشاهد احدى معجزاته اذ اقام ولداً من الموت وعيدهُ في ٢٠ شباط ويذكرهُ بعضهم في اليوم التالي. اطلب مكتبة القديسين اليونانية (BHG, 108)

﴿ يوحنا الحبيب ﴾ هو الرسول صاحب الانجيل الرابع وسفر الرؤيا والرسائل. اخبارهُ واردة في الانجيل واخبار الرسل بشر بالايمان في آسية الصغرى ورعى كنيسة افسس وبعد ان امتحنهُ دومطيانوس دون ان يغلب ثباتهُ نفاهُ الى جزيرة بطموس وتوفي في شيخوخة صالحة. تكرمهُ الكنيسة اللاتينية في ٢٧ كانون الاول. اما الكنيسة الشرقية فتعيد لهُ عيداً في ٢٦ ايار. وفي لبنان على اسمهِ معابد ومذابح شتى. اطلب مكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 638) واليونانية (BHG, 129) والشرقية (BHO, 104)

﴿ يوحنا فم الذهب ﴾ هو احد الاقمار الثلثة التي يستنير بها الشرقيّون ولاسيما الروم الملكيين. كان مولدهُ في انطاكية سنة ٣٤٧ وتلقّى الآداب على اشهر معلّمي زمانهِ وبعد ان تنسّك مدّةً عاد الى انطاكية فخدم كنيستها بصفة شمّاس ثم كاهن وواعظ بليغ وكاتب مضلّع بكل الفنون ثم دُعي الى رئاسة كرسي البطريركيّة في القسطنطينيّة فساس رعيّتهُ سبع سنوات (٣٩٧ — ٤٠٤) بكل غيرة وقداسة دون

مراعاة للوجوه فاثار عليه بغض الملكة اندوكسيا فسعت بنفيه مرّتين . فمات في المنفى في كومانة من اعمال بنطس . وعيدهُ في الكنيسة اللاتينيّة في ٢٧ ك ٢ وفي الكنيسة الشرقيّة في ١٣ تشرين الثاني . اطلب مكتبة القديسين اللاتينية (BHL, 647) واليونانية (BHG, 122) والشرقية (BHO, 113) راجع ترجمتهُ في مروج الاخبار (ص ٨٢) وكتاب نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب للاب دي كوبيه ولجناب خليل افندي البدوي المطبوع سنة ١٨٩١

﴿ يوحنا مارون ﴾ يُكرمهُ الموارنة في لبنان وخصوصاً في كفرحي في جهات البترون . دونك ما ورد عنهُ في السنكسار الماروني ملخَّصاً في ٢ آذار وهو اليوم الواقع فيه عيدهُ قال : « ولد يوحنا مارون في قرية تُدعى سروم من اعمال انطاكية من ابوين مؤمنين شريفي النسب . . . فسلّماهُ منذ حداثته للمدارس ليتهذَّب بالعلوم . . . ثم ترهَّب في دير مار مارون . . . واغيرتهِ على الايمان سيم اسقفاً على البترون ليحفظها من البدع . . . فعُني بالوعظ والتأليف وجاهد ضد القائلين بالمشيئة الواحدة . . وبعد وفاة تاوفانوس بطرك انطاكية اقيم بطركاً وثبَّتهُ البابا سرجيوس وجرت لهُ في انطاكية اضطهادات اضطرَّتهُ الى ان يهرب الى لبنان وحينئذٍ انفصل شعبهُ عن باقي الطوائف وسُمُّوا موارنة انتسابًا الى مار مارون المعظم . . وبعد ان جاهد في سبيل الايمان وألف التآليف توفي سنة ٧٠٧ »

﴿ يوحنا الصدقان ﴾ اخبارهُ كلّها مدرجة في الانجيل الطاهر . وقد ذكرهُ يوسيفوس اليهودي في العاديات اليهوديّة (Ant. Jud. XVIII, 5) . والكنائس الشرقية والغربية تتّفق على اكرامهِ فتذكر ميلادهُ العجيب في ٢٤ حزيران وقطع رأسهِ في ٢٩ آب بامر هيرودس انتيباس . اطلب اعمال البولنديين (Act. SS., IV Jun. 591) ثم مكاتب القديسين اللاتينية (BHL. 636) واليونانية (BHG. 117) والشرقية (BHO. 109)

ويعرف الشرقيّون غير هؤلاء القديسين باسم يوحنّا كالقديس يوحنا الدمشقي والقديس يوحنا السُّلمي والقديس يوحنا الكوخي الّا انَّ شهرتهم قليلة في لبنان . وسنذكر في عدد آخر ان شاء الله القديسات اللواتي يكرمهنَّ اللبنانيّون

(التتمّة لعدد آخر)

المناديات الدمشقية في الاثمار الشامية

للاب سليمان غانم اليسوعي (تابع)

١٣ في السفرجل

السفرجل يزهر في نيسان ويؤكل في تشرين الثاني. والريّان منهُ اي الشبعان ماء افضل من البصل. واجودهُ في الزبداني ثم في قطنة ثم في الهامة. ويقال انَّ رأس السفرجلة اطيب من اسفلها بخلاف البطيخ الاصفر ويباع القنطار منهُ من ٤٠٠ الى ٤٠٠ قرش ويصنعون من السفرجل نوعين من المربّى. الواحد وهو الاجود يُصطنع من عصير الثمرة مع السكّر فيبقى سنة في البيوت. والآخر كلُّهُ من اللبّ ولا يدوم طويلًا. والسفرجل دواء للاسهال لانهُ يقبض

ينادي عليه الباعة: «شافي العليل يا سفرجل — اطيب من نجاص عثماني يا سفرجل — قدّ البطيخه ... — شو بدّي استذكر منك كل عضّه بغصّه ... — للظلطه ... للملك يا سفرجل — بلدي يا سفرجل — مال الهامة يا نبات — حلو يا نبات — معقود السفرجل يا نبات»

١٤ في الصبّار

يزهر الصبّار في ايّار ويؤكل في آب ولا ينبت الّا في الصالحية وهو قليل ودون البيروتي حسنًا تُباع المئة منهُ من ٦ الى ٧ قروش. وينادون عليه:

«جبليه يا ناهيه — مال الجبل يا حلوه — صبّاره حلوه يا ناهيه — حلوه تما بلّ قلبك — كتب كتب. كوسايه مقليه يا حلوة»

١٥ في اللوز

شجرة اللوز قديمة في بلاد الشام وفلسطين. ورد ذكرها في سفر التكوين (تك ٣٧) اوّلًا في قصّة يعقوب اذ كان يتّخذ عصيًّا من اللوز يقشّرها فيجعلها في حياض الماء حتى اذا جاءت الغنم وشربت اوحمت عليها في الربيع. وكذلك اوصى يعقوب بنيه بان يقدّموا ليوسف هديّة في مصر كان اللوز من جملتها (تك ٤٣: ١١) وفي سفر العدد انَّ عصا هارون التي ازهرت في خباء المحضر انضجت لوزًا (عدد ١٧: ٨)

وشجرة اللوز تنبت على سواء في الارض الجيدة وفي الارض الماطلة (القرقيمة) كما ترى في باردان. ويزهر اللوز في شباط او آذار ويؤكل في حزيران ويُزرع بزرةً فينبت بعد سنة اذا سلمت البزرة من الصقيعان. واللوز ثلاثة اشكال العادي والفرك والعقابيّة

١ (العادي) وهو كبير او صغير وينبت في بلودان يساوي المدّ مجيديًا ونصف

٢ (الفرك) وهو اللين القشرة تُفرَك القشرة باليد فيتقشّر. والمدّ منه بمجيدي

٣ (العقابيّة) وهذا الصنف لا يوجد الّا في منّين يعرض على قدر اصبعين ويعوّج كثيرًا وتكبر اللوزة حتى يبلغ ثقل اللوزتين اوقية. ولا تؤكل الّا خضراء او مكبوسة بخلّ. ورطل العقابيّة يباع بخمسة قروش وتكثر شجرتها بالتطعيم فقط. امّا المناداة عليها فقولهم: «عقابيّه يا عوجا — كبرت هالعوجا — صارت خيار هالعوجا»

١٦ في الليمون

الليمون يزهر في الربيع ويؤكل منذ تشرين الثاني وافضلهُ في كانون الثاني وهو سبعة اشكال:

١ (البرتقال) ويُجلب من صيدا ويافا ويُنادى عليه: «من صيدا (او من يافا) يا بردقان — يا الّي استوى هالبردقان — طاب وحلي هالبردقان — اطيب من البقلاوى هالبردقان — دشّروا النشوره (وهي عجين محشوّة قشطة حليب) واجوا اكلوا منهُ هالبردقان — تنتين بتلاته يا بردقان (اي ثمرتان بثلاث نخاسات)

٢ (الحامض) وهو مرغوب في دمشق ومزروع في اغلب الدور ويُباع منهُ القليل وهو اجود ممّا يرد من صيدا وبيروت فيُباع المجلوب على صيت البادي وينادى عليه: «بلديّ يا ليمون — طيّب يا حامض — مال الحاكورة طيّب». ويزهر هذا الجنس في آذار ويؤكل في ايلول

٣ (الحلو) وهو قليل في دمشق وانما يرد اليها من لبنان

٤ (الكبّاد) يُزرع في الدور كالحامض ويُنادى عليه: «للظلطه يا كبّاد»

٥ (الفرسكين) وثمرهُ اكبر من الكبّاد وهو قليل ويُنادى عليه: «فرسكين للمربّى»

(النارنج) وهو المعروف في لبنان بابي صُفَير يُستعمل قشرهُ للمربّى ومن زهره يُستخرج ماء الزهر ويُنادى على زهره: «عتر انكركه عتر»

٢ (يوسف افندي) لم يدخل الشام الّا حديثًا فنهُ بعض شجرات فقط ويجليرهُ من الخارج فينادون عليهِ : « يوسف افندي : أكل الوُزر يا افندي — يوسف افندي خذ من عندي — تلبهُ احمر يوسف افندي — طلع على الارض لبس الموضه »

وتُباع العشرة البرتقالات من الصيداوي ٢٧ ق ومن اليافوي ٧٧ ورطل الحامض البلدي ٤ ق والخارجي من ٢ الى ٢٧ والكبادة ق ١ الى ٢ ورطل المربى ٢٤ والنارنجة بنحاسة ورطل ماء الزهر من ١٨ ق الى مجيدي

وخشب الليمون الحامض والنارنج اغلى من خشب المشمش ولونهُ اصفر ويستعمل للتطعيم ولعمل شعيرات صغيرة مدوَّرة في ظهر الكراسي واقمم (بز) النارجيلة . والبرد يضرُّ كثيرًا الليمون كما يؤذي التين

١٧ في المشمش

يطلب المشمش ارضًا سمينة ويحب سقيهُ مدَّة خمس او ست سنوات لانهُ قليل في البعل ويعيش من ٥٠ الى ٦٠ سنة . يزهر في آذار ويؤكل في ايار ويُستعمل خشبهُ رفوف طاولة للحمّامين وللقباقب مثل الجوز والصفصاف وهو سبعة اصناف :

١ (الحمويّ) وهو ابيض دقيق الجلد ولا يطيق السفر فيؤكل في البلد

٢ (الحموي اللقّيس) وينضج بعد تمام الاوّل وهو اكبر منهُ ولدى اكلهِ ترى بزرتهُ مشقوقة فيهِ وتكون حارة . ويشبّه بالعوّامة

٣ (البلدي) وهو احمر غامق واجودهُ في الهامة وجوبر . فالهاماتي اظرف منظرًا وألذّ طعمًا وهو اخضر . والجوبري افضل منهُ نقوعًا

٤ (الكلابي) يصطنعون منهُ القمرّدين ويقال لهُ ابو البلدي لانهم يطعمونهُ من البلدي

٥ (العجميّ) وهو ابيض وكبير وطيّب جدًّا قبل تمام نضجهِ

٦ (الشحميّ) يكون على لونين ابيض من جهة واحمر من أخرى وهو كبير ويقرب طعمهُ من الحموي الّا انهُ انشف ويستعمل للمربّى

٧ (السنديانى) وهو ابيض مع بعض حمرة وينضج قبل الاصناف السابقة

امّا مناديهم على المشمش فهي : « يا لله عَلْحموي — عوّامه مقطّره هالمشمش — مال جوبر يا بلدي — خميره يا بلدي — الطعم ماورد يا بلدي — دايب (ذائب) ومستوي

يا ابو البلدي — يا حلاوته هالقمر (هالقمردين) — نقوع (او منقوع) الصحن بمتليك ».
وينادون في آخر موسمه: « تودّع من هالمشمش الحمويّ تودّع »

ويخرج من دمشق نحو ١٠,٠٠٠ قنطار مشمش مع النقوع وقمر الدين . وبساتين المشمش الوف يصدر من احدها ٧,٠٠٠ مدّ بزرًا ويرسل الى اوربّة فيستخرجون منهُ زيتاً للدهان . ورطل الحموي قرشان الى ٤ ق والبلدي ٢٧ الى ٣٠ . والكلابي ١ الى ٢ . والسنديانى ٢ الى ٢٧ . ولفّة القمردين (رطل) من ٥ الى ٧ . وان وضع فيها بزر مشمش حلو بيعت بتسعة قروش . ولفّة قلب البزر ٨ ق

١٨ في الزيتون

يحتاج شجر الزيتون الى ارض سمينة وخدمة فيُسقى ماء كل ١٥ يوماً . وهو يزهر في أيار ويطعم في ت ١ . وخشبهُ يصلح للوقيد ويكثر بيعهُ . والعادة هنا ان الباعة اذا اتوا بدابّة محمّلة حطباً يتبعونها وفي ايديهم الفؤوس فيقطعون الحطب قطعاً صغيرة في الأزقّة قدام بيت الشاري . والنجّارون يتّخذون خشب الزيتون لتطعيم الخزائن . والزيتون في دمشق خمسة انواع :

١ (المصعبي او الاخضر) وحبّهُ كبير يُقطَف قبل ان يسودّ فيوضع أياماً في ماء الكلس والقلي ليحلو طعمهُ ويرسل الى الاماكن البعيدة حتى اميركا . وينبت هذا النوع في لبنان وبيروت . يُباع المدّ منهُ بمجيدي ونصف

٢ (التفاحي او المجرّح) وحبّهُ كبير اسود فيجرحونهُ ويضعونهُ أياماً في الشمس ليذبل ثم يجعلونهُ في الزيت للمؤنة وهو اطيب من الأوّل يساوي مدّهُ من ٤٠٠ الى ٥٠ قرشاً

٣ (الجلّيط او الجلط) وحبّهُ اسود وطويل كالعنب الزيني وكأنّهُ زيت وهو اغلى من الاشكال السابق ذكرها . ولفلانه يدخرون منهُ قليلاً . ورطلهُ من ٥ الى ٦ ق

٤ و٥ (الدان والصوري) وحبّهما صغير اسود كزيتون الشويفات فيؤكل ويستخرج منهُ الزيت البلدي . والمدّ منهما مجيدي

والباعة ينادون على الزيتون: « دان يا زيتون — يا مرّانه عالزيتون »

ومن فوائد الزيتون المشهورة زيتهُ . واجود الزيتون في دمشق البلدي يجلبونهُ من

عربين وهو بارد للمعدة فيحبُّهُ البعض لذلك والبعض يكرهونهُ لرائحتهِ وعلى ظنهم انَّ رائحتهُ الكريهة انما تحصل بسبب اختمارهِ اذ يجمعونهُ كوماً متراكمة على بعضها . ولذلك يقولون انَّ اجود زيت ما ثقل حبُّهُ من الشجرة الى المعصرة ومنهُ المثل « من الشجر للحجر » ورطل الزيت البلدي من ١١ الى ٢٠ قرشاً ويجلبون الزيت من كلس ومن لبنان ويشترون رطلهُ من ١٥ الى ٢١ ق ومن راشيا وحاصبيا ورطلهُ من ١٢ الى ١٣ ق

وفوائد الزيت كثيرة منها تركيب الصابون البلدي وقد غلا الزيت هذه السنة فبطلت المصابن . والبعض يكسرون نوى الزيتون بآلات حديديَّة على حجر الطحن فيستخرجون منهُ زيتاً عكراً يسوّد الصابون فيشتريهِ الفلاح ومن المثل « كُلّه عند العرب صابون »

وقد كرَّرت الاسفار المقدَّسة ذكر الزيتون مباشرة بغصن الزيتون الذي اتت بهِ الحمامة بعد الطوفان (تك ٨ : ١١) . ومما امر بهِ الرب في سفر الخروج (٢٣ : ١١) أن يترك الاسرائيليُّون ثمرهُ للمساكين كل سبع سنوات . وان لا يراجعوا خبط زيتونهم بل يتركوا ما بقي في الاغصان للغريب واليتيم والارملة (تث ٢٤ : ٢٠) . وقد دخل شيء من خشب الزيتون في ابتناء هيكل اورشليم (٣ مل ٦ : ٢٣–٣٣) . وكانوا في عيد المظالّ يخرجون الى الجبل ويأتون لعملها باغصان الزيتون والآس والنخيل (نحميا ٨ : ١٥)

وكذلك كثرت تشابيه الكتاب المقدَّس بالزيتون والزيت فان ابن سيراخ يشبّه الحكمة بالزيتون النضير (٢٤ : ١٩) . ويُشبِّه الصدّيق في سفر المزامير بالزيتونة الغضَّة (٥١ : ١٠) وبنو الصديق بفروع الزيتون (٢٧ : ٣) . وشبَّه ارميا (١١ : ١٦) شعب الله بزيتونة خضراء جميلة ذات ثمر انيق . وفي مثل الاشجار الذي ضربهُ يوتام لاهل سيحم أبت الزيتونة الملك على الاشجار قائلةً : « أأدع زيتي الذي لاجلهِ تُكرمني الآلهة والناس واذهب لاستعلي على الشجر ؟ » . وقال داود النبي على خلاف ذلك (مز ٥٥ : ١٨) ان اللعنة تحلّ في عظام المنافق كالزيت

ومثلهُ في عهد الجديد تكرّر ذكر الزيتونة لاسيما يوم دخول السيّد المسيح الى اورشليم اذ جاءتهُ الجموع بسعف النخل واغصان الزيتون صارخةً : هوشعنا بابن داود . وكان صلاة السيّد المسيح قبل آلامهِ في بستان الزيتون وقد شبّه القديس بولس (روم

٦:١١) شعب الله بالزيتون الصريح والامم بالزيتونة البريّة . وفي الرؤيا شبّه يوحنا الرسول النبيّ ايليا ورفيقهُ اخنوخ بزيتونتين

اما الزيت فجاء ذكرهُ في العهدين القديم والحديث نيّفاً ومئة مرّة اشارةً الى خواصّهِ واستعمالهِ لمسح الملوك ولايقاد المصابيح ولدهن الجسد والرأس ودلالةً على الغنى والخصب والفرح . ومما اوصى بهِ السيّد المسيح تلاميذهُ (مرقس ٦:١٣) أن يمسحوا المرضى بالزيت ليشفوهم ففعلوا . وكذلك يقول الرسول يعقوب في رسالتهِ الكاثوليكية (٥:١٤) : « هل فيكم مريض فليدعُ كهنة الكنيسة وليصلّوا عليهِ ويمسحوهُ بالزيت باسم الرب . . . وان كان قد ارتكب خطايا تغفر لهُ » (لهُ بقيّة)

المدارس العلمانيّة والاديان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

أُنشئت في انحاء الشرق كمصر والاسكندريّة وسلانيك وازمير وبيروت المدارس العلمانية بايعاز بعض الجمعيّات اللادينيّة فادّعت انّ غايتها نشر العلوم « مع رعاية الاديان كلها على السواء فلا يسوغ اقلّ سعي في استمالة احد الى طائفة دون أخرى ولا شيء من التصدّي للمعتقد والمذهب على الاطلاق » (ص ٦ من كتاب الكلّيّة العلمانيّة المطبوع في زحلة) . ويُقال هناك (ص ٧) انّ « اساس التعليم العلماني على التساهل واحترام جميع الاديان توسّلاً الى محو النفار والشقاق اللذين مبعثهما ذميم التعصّب . . فلا تُعلَّم فيهِ نظريّات دين من الاديان . . . على أنّ للطلّاب تمام الحرّيّة والاطلاق في قضاء واجباتهم الدينيّة وغيرها ممّا يفرضهُ مذهب كل واحد منهم لا يعارَضون في شيء من ذلك قطعاً بل تُبذل لهم كل وسيلة لازمة لاجرائهِ »

هذه مواعيد المدارس العلمانيّة فلا يهمّنا ان ندخل تلك المدارس لنتحقّق صدق مواعيدها فالامر منوط باهل الوطن الذين يريدون ان يسلّموا فلذ اكبادهم لتلك المدارس ليتلقّنوا فيها العلوم كما يجب على الوالدين ايضاً ان ينظرا ما هي آداب المدارس التي يختارونها لاولادهم لئلّا تفسد اخلاقهم وهناك الطامّة العظمى

فنضرب صفحاً عن كل ذلك لننظر ما اعلنت به تلك المدارس من تعريف تعليمها الادبي فنقابلهُ مع تعاليم الاديان. ورد في كتاب الكلية العلمانية (ص ٢٦)

« والتعليم الادبيّ العلمانيّ مستقلّ عن التعليم الدينيّ. نعم. ولكن لا يعاكسهُ . . . فهما على خطّين متوازيين لا يتقاطعان ولا يتماسّان ابدًا ولا المعلّم العلمانيّ يقيم نفسهُ مقام الوالد او مقام معلم الدين كمن يستغني عنهما في تربية الناشيء كلّا ولكنهُ انما يساعدهُ مساعدة . . . اما الكتاب الذي وضعاه في ايدي التلامذة لدرس الفلسفة الادبيّة فهو الادب في المدرسة تأليف «Payot» وهو كتاب اجتماعي كبير ومؤلفهُ هذا شهير » (وزاد في ص ٢٨): « يعرّبهُ التلامذة ويشرحونهُ بمساعدة الاستاذ شرحًا دقيقًا وافيًا »

فالكتاب الذي اتّخذتهُ تلك المدارس العلمانية كدستور لتعليم الآداب يُدعى بالفرنسويّة « La Morale à l'école » صاحبهُ جول پايو (J. Payot) اودعهُ خلاصة الآداب المجرَّدة عن الدين وهو يزعم أنهُ لا يعاكس الدين. وللمؤلف عينهِ كتاب آخر لهُ علاقة مع الكتاب السابق وضعهُ لمعلّمي المدارس ليساعدهم في شرحه اسمهُ دستور الادب « Cours de morale » فعلى هذين الكتابين مبنى التعاليم الادبيّة في المدارس العلمانية فلننظر صحّة قول اصحاب هذه المدارس بانّ هذه التعاليم لا تمسّ الاديان

١ من المعلوم انّ الاديان الشائعة في بلادنا الشرقيّة ثلاثة اقدمها دين اليهود ثم النصرانيّة ثم الاسلام وهي تتّفق في عدّة اشياء ولا ترضى بان احدًا يتعرّض لها وان نعل عدّتهُ من اعداء الدين. واوّل هذه الحقائق وجود الله عزّ وجلّ فكل هذه الاديان تعتقد أنهُ تعالى الاله الوحيد الواجب الوجود الذي لا أوّل له ولا آخر القادر على كل شيء والعلّة الاولى لكل العلل وهو لا علّة له

هذا مفتتح تعاليم أديان الشرقيين لكنّ اصحاب المدارس العلمانيــة لا يرون هذا الرأي فاسمع فتوى المسيو پايو في دستور الآداب (ص ١٩٠)

« انهُ من الامور المستحيلة المضادّة للعقل بان يُفترض علّة اولى للعالم (il est absurde de supposer une cause première de l'Univers) لانّ هذه العلّة تكون بلا علّة سابقة ومن جهة أخرى لا يدرك عقلنا وجود سياق علل لا غاية لها »

فما ابرع فيلسوف المدارس العلمانية في نكرانهِ لوجود الخالق فكأنهُ يقول: « كيف تُسمّي الله العلّة الاولى أفيمكن ان تكون علّة الّا معلولة من غيرها. ثم يناقض نفسه

بقوله « انَّ سياق علل لا نهاية لها لا يدركهُ عقلنا » فوقع بين مشكلين غرق في تيَّارهما لنكرانهِ وجود الله . قد فهمتَ يا مسيو پايو انَّ سياق علل غير متناهية من الامور المستحيلة فكيف لم تستنتج مع كلّ الفلاسفة فضلًا عن اصحاب كل الاديان : « اذن لا بُدَّ من القول بوجود علَّة اولى لكل المعلولات لا علَّة لها ندعوها الواجب الوجود ؟ فما اصدق ارباب المدارس العلمانيَّة في قولهم انَّهم لا يمسُّون الاديان » !

٢ وكما تتَّفق الاديان على الاقرار بوجودهِ تعالى عزَّ وجل كذلك كلُّها صوت واحد في اعتقادها لحدوث العالم . فانَّ العقل والنقل يبيِّنان صريحًا انَّ ما كان ماديًا متناهيًا ناقصًا محدودًا ليس بواجب الوجود من ذاتهِ لا بُدَّ لـه من محدث يخرجهُ من العدم الى الوجود او يُقال بوجود سلسلة علل غير متناهية وذلك مستحيل كما سبق القول لپايو فلا بُدَّ اذن من الاقرار بان العالم مُحدَث

اما المسيو پايو معلم الآداب العلمانية فيرتأي غير ذلك في كتابهِ دستور الادب (ص ٢٦ و ٢٧) فانه من جانب ينكر وجود العدم (Le néant hypothèse absurde) ومن جانب آخر لا يرضى بوجود الخالق كما مرَّ او يزعم بانه « قوَّة مجهولة يسمّيها البعض باسم اله والبعض بالصدفة والبعض بالطبيعة » (ص ٢٧) (cette Puissance Inconnue que les uns appellent Dieu, d'autres le Hasard, d'autres la Nature)

فينتج عن هذا الكلام انَّ العالم قديم لا صانع لـه وانَّ الذين يدَّعون بانَّه يوجد قوَّة فوق العالم لا يعلمون شيئًا من تلك القوَّة وسواء ان يقال انها الاله او الصدفة او الطبيعة . هذا ما يعلّمه اصحاب المدارس العلمانية لتلاميذهم المسلمين والنصارى واليهود

فاعمري انَّ فلتير الكافر لم يبلغ الى هذا الحدّ من الكفر وهو القائل انَّهُ مهما بحث عن العالم زاد تحقُّقًا بانَّ سببهُ الله كالساعة التي لا توجد دون ساعاتي ركَّبها فقال :

Le monde m'embarrasse, et je ne puis songer
Que cette horloge existe et n'ait pas d'horloger.

٣ ومما تتَّفق عليهِ الاديان الثلثة انَّ الله خلق الانسان في حالة الكمال الَّا انَّهُ لم يبقَ في تلك الحالة السعيدة فهبط من فردوس عدن واضطُرَّ الى ان يفلح الارض ويقوم بحاجاتهِ بالعناء والتعب ويأكل خبزهُ بعرق جبينهِ الى ان يعود الى التراب بالموت

وتبعهُ اولادهُ فورثوا من جهلهِ واستقامهِ جيلًا بعد جيل وانْ امكنتهم بمساعيهم الخاصَّة وبجمع قواهم وترقّيهم العلمي وعيشتهم المدنيَّة والوحي على ايدي رسلهِ تعالى ان يخفّفوا وطأة البلايا التي تحدق بهم

لكنَّ مسيو پايو يرى ان كل ذلك لا اصل لهُ فعرض في كتابهِ دستور الادب » (ص ١٩١) تعليم دروين بل زاد عليهِ ما لم يَقُل بهِ دروين فزعم هنالك انَّ العلماء زيَّفوا اعتقاد خلقة العالم (L'idée d'une création fut abandonnée) وانَّ عالمنا هذا الازلي بعد ملايين من السنين تكوَّن فصار من تلقاء ذاتهِ كُتلةً باردة القشرة . ثم نشأت الحياة من الجماد فتقلَّبت في كل اطوارها من النبات الى الحيوان ومن الحيوان الى الانسان وان الانسان كان اوَّلًا بهيمة عجماء تحوَّلت بسنَّة الترقي الى حيوان ناطق . هذا ما يعلّمهُ اصحاب المدارس العلمانيَّة لاولادهم فيقتلون فيهم كلَّ حاسَّة شريفة اذ يجعلونهم اولاد القرود والعجماوات فما اصدقهم بقولهم لا يتعرَّضون للاديان !

٤ الاديان الثلاثة في الشرق اي الاسلام والنصرانيَّة واليهوديَّة تقول كلّها بضرورة الدين وباجلالهِ وحفظ تعاليمهِ والدفاع عنهُ . لكنَّ المسيو پايو لا يرى في الدين الَّا مجموع خرافات لا طائل تحتها يتمسَّك بها البشر جهلًا دون سند . وقد وصف (ص ١٩٩ من كتاب دستور الادب) إله اليهود كإله همجي بربري وكملك شرقي مستبدّ يتقلَّب من حالة الى حالة كيفما يشاء ودون تعقُّل (كذا) . ووصف الاسلام (ص ١٩٩) بما لا نحبُّ اثباتهُ هنا ترفعًا . ونعت النصرانية (ص ١٩٨) بعدوَّة التقدُّم . ولا عجب لأننا نعلم انَّ المسيو اولار منشئ هذه المدارس قد صرَّح بفكرهِ غير مرَّة انَّهُ لم يقصد في انشائها الَّا مناقضة كل دين راجع في المشرق (١٢ : ٨٧٩—٨٨٠) ما نقلناهُ من خطبتهِ الفرنسويَّة حيث قال : « ما لنا نظنُّ نجاهر بأننا لا نرمي الى تقويض اركان الدين . . . لماذا هذا التمويه ؟ فلنقُل صريحًا إننا نسعى في هدم اركان الدين » . فمن كان لهُ اذنان سامعتان من النصارى والمسلمين واليهود فليسمع !

٥ ومع اكرام النصارى والمسلمين واليهود لدينهم يقرُّون ايضًا بوحيهِ تعالى الى رسلهِ وانبيائهِ ويقرُّون بوجوب اعتقاد الوحي لانَّ الوحي كلام الله الذي لا يستطيع الانسان نبذهُ دون ان يخالف مشيئة خالقهِ فان اتى الرُّسل بشيءٍ من المعتقدات

والفرائض وتحقّق المرء صحّتها فما عليهِ الّا الاذعان لاوامر ربّهِ اذ هو العبد والربّ هو السيّد الذي وجبت طاعتهُ

والمسيو پاير في كتابيهِ اللذين شاع درسهما بين اصحاب المدارس العلمانيّة ينكر الوحي ويعتبرهُ كأمر فريّ مختلق ووهم كاذب اخترعهُ ذوو الغايات من ارباب الدين. كيف لا وهو ينكر وجود الخالق كما مرَّ بك. وقد خصّ المسيو پاير فصلًا كاملًا من كتابهِ « دستور الادب » (ص ٢٠٢–٢٠٤) لنفي كل وحي من الله فيزعم انَّ ما ظنَّه الناس وحيًا ليس هو الّا « اضغاث احلام وترهّات غلبت على عقول بعض المجاذيب والمصروعين والمتوهين تناقلها الناس وظنّوها جزافًا اقوالًا علويّة وفيها ما فيها من الاكاذيب التي بيَّن العلم العصري بطلانها كخلقة العالم وتكوين الابوين الاوّلين والخطيئة الاصليّة والطوفان الخ » (ص٢٠٣). وزاد على ذلك « لا بل انه لخطر عظيم ان يقبل الانسان وحيًا من الله لانَّ ذلك يبطل اجتهاد الانسان وبحثه الحرّ » (La croyance, en une révélation directe faite par Dieu présente de graves dangers : elle tend à rendre inutile le travail et la libre recherche ما اعظم اكرامكم للاديان يا ارباب المدارس العلمانيّة !

٦ وكما ينكر پاير الوحي ينكر الكتب المنزلة وكل سلطة دينية من شأنها ان تقيّد حريّة الانسان لأنَّ العقل على زعمهِ بلغ اليوم من القوّة والاتّساع ما يغنيهِ عن التوراة والكتب الالهية والسلطة الدينيّة (راجع الصفحة ٩ من مقدّمة كتاب پاير في دستور الادب) وعليهِ يناقض هذا الكاتب توًّا كل معتقدات اديان الشرقيين دون استثناء. ويلقّن اصحاب المدارس العلمانية تلك المبادئ الفاسدة اولادهم

٧ من الحقائق الاوّلية التي لا يشكّ فيها احد من اصحاب الاديان الشرقيّة الثلثة الاسلام واليهوديّة والنصرانيّة انَّ للانسان نفسًا خالدة لا تموت بموت الجسد فتبقى من بعدهِ حيّة مؤبّدة. فاسمع ما يعلّمهُ پاير لتلامذة المدارس العلمانيّة في كتاب دستور الادب (ص٢٩٧): « انَّ اعتقاد خلود النفس قد نال حظًّا من سنّة الترقي. طالما ظنَّ الناس انَّ نفس الموتى تتجوّل وهي نصف مادّيّة حول الامكنة التي كانت تتقوّت فيها وتُكرَم. امّا اليوم فنقرّ بجهلنا المُطلق لحياة توجد بعد الموت. فعلى الانسان ان يتخيّل مهما شاء. الّا انهُ لا يجوز لاحد ان يدعو غيرهُ الى مقاسمة اهوالهِ او يقينهِ في ذلك ».

ثم يشرح ما يمكن تصديقهُ من خلود النفس اعني « انَّ نفس اجدادنا هي تبقى فينا » !

٨ المسلمون كالنصارى واليهود يقولون بحياة أُخرى ينال فيها البشر جزاءهم من الخير والسعادة اذا كانوا من الابرار والصالحين ومن الشرّ والعقاب اذا اساءوا السيرة في حياتهم وكانوا من الطالحين وكتبهم تنطق كلها بهذه الحقائق. لكنَّ اصحاب المدارس العلمانية يعدّون ذلك من السفاسف واقوال العجائز. فانَّ پايو معلّم الآداب العلمانيَّة يكرّر في كل تآليفهِ انَّ الانسان لا يعرف شيئاً مما وراء حياتهِ فعليهِ ان لا يطمح بنظرهِ الى عواقبهِ من نعيم وجحيم وهو يرى انَّ تنشيط الانسان بوعد الجزاء يخالف شرفهُ فانَّ النفوس الشريفة تعمل الخير حبًّا بالخير مع قطع النظر عن كل جزاء. وكذلك الخوف يجب على الانسان ان ينفيهُ من قلبهِ فان ذكر الجحيم والعذابات الابديَّة لمَّا يجعل المرء نكساً جزعاً فيقلق فكرهُ ويشوّش عقلهُ ويمنعهُ عن الكمال. ومن وجّه حياتهُ الحاضرة الى حياة أُخرى فانفقة الطبيعة بعد الموت جعل الحياة الحاضرة كواسطة الى الأُخرى والحال ان حياتنا الحاضرة هي غايتنا القصوى. هذا ما تجدهُ مكرَّرًا في كتب پايو في صفحات عديدة وخصوصاً في كتاب دستور الادب ص ٩ و١٠ من المقدّمة وص ٢٠٨ و٢٠٩ و٢٣٢) بل بلغ بهِ الكفر (في الصفحة ٢١٨) الى ان قال « مَن علَّم الناس انَّ ثوابًا او عقابًا في الآخرة يأتي بذلك عملًا منافياً للدين (irréligieux) وموجباً للشكوك scandaleux » (كذا) . وفي الصفحة ٢٢٤ ينكر وجود السماء والجحيم فيزعم انَّ السماء او الجحيم هما ما يشعر بهِ الانسان من البسط او من القلق اذا عمل الخير او ارتكب الشرّ

٩ كل الاديان دون استثناء تثبت وجوب الصلاة والدعاء الى الخالق ليطلب الانسان نعمتهُ تعالى ويستمدّ معونتهُ. اما مسيو پايو معلّم الآداب العلمانيَّة فقد مسخ الصلاة وانكر وجوبها ووصف الصلوات التي اعتادها النصارى والمسلمون واليهود كأعمال حيوانية لا يدخل فيها شيءٌ من التعقُّل والادراك. (راجع الفصل ١٧١ من كتاب دستور الادب ص ٢٠٥ و٢٠٦)

هذه بعض مزاعم پايو معلّم الآداب العلمانية التي فُرض على المدارس العلمانيَّة درس كتبهِ وشرحها. نعم ان معظم ما نقلناهُ قد ورد خاصَّة في كتاب المعلّم (Cours de morale) الّا انَّ كتاب التلميذ (La Morale à l'école) يحتوي

تلك التعاليم مستترة محجوبة فيكشف المعلم حقيقتها كما تراها في كتابه الآخر لا بل كشفوا عن نيّاتهم الكفريّة حتى في كتاب التلميذ مثلاً في الصفحتين ٢٣٠—٢٣١ حيث يقال انّ اعتقاد وجود الله واصل العالم واصل الانسان وغايته كلّها مزاعم لا يمكن اثباتها ولا تتّفق عليها الآراء . فلينظر العقلاء من الشرقيين صدق قول ارباب تلك المدارس بان تعليمهم لا يمسّ الاديان وليتحقّقوا انّ اساقفة فرنسة عملوا بكل حكمة وصواب بتحريم كتب بايو وزملائه التي ألّفوها للمدارس العلمانية ولنقض كل دين لا بل قاموا باهمّ واجباتهم اذ رذلوها وشجبوها جازاهم الله خيرًا وصان بلادنا من الكفر

اين توفّيت السيّدة البتول

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

في احد اعدادنا السابقة (ص ٤٧٥) مدحنا كتابًا حديثًا في الفرنسويّة لحضرة قانوني القبر المقدّس الخوري حنا مرتا بيّن فيه صحّة رأي القائلين بانّ السيّدة العذراء مريم امّ الله لم تمت كما زعم البعض في افسس بل في اورشليم . ولقرب وقوع عيد انتقال البتول في اواسط الشهر آب التالي رأينا ان نعود الى هذا البحث ونقرّر رأي حضرة المؤلف وندعمهُ ببعض الشواهد

*

انّهُ من المعلوم الثابت انّ مريم العذراء بنعمة حبلها الطاهر البريء من الخطيئة الاصليّة كانت مُعفاةً من الموت الجسديّ الذي هو ثمرة الخطيئة الاصليّة (روم ٦ : ٢٣) لكنّ الله الذي اسلم ابنهُ الحبيب فداء عن العالم ولم يُعفِهِ من الموت اراد ايضًا ان تكون البتول الطاهرة مثالًا للمؤمنين في موتها الصالح وذلك على خلاف زعم البعض انّها لم تمت وانتقلت الى السماء حيّةً . وانما كان الموت بابًا اجتازتهُ قبل ان تنال الجزاء الوافي عن اعمالها واتعابها ليس فقط في نفسها كبقية اولياء الله الابرار تكن في جسدها ايضًا اذ لم يشاء الربّ انّ ذلك الجسد الطاهر الذي منهُ كوّن الروح القدس جسد ابنهِ الالهي يُصاب بادنى فساد ومن ثمّ وقع بعثها من القبر بعد برهة وجيزة وانتقل جسدها الى السماء حيث ينال بصحبة جسد السيّد المسيح الاكرام والمجد اللائقين به قبل يوم

البحث الاخير. هذا ما اثبتهُ المشرق (١ : ٩٢٥) في مقالة لحضرة الخوري ميخائيل ألوف بيَّن فيها حقيقة هذا السرّ بل اضاف اليها شيئاً عن مكان وقوعهِ دون ان يتَّسع في المقال فاقتضى استئناف البحث فنقول:

اوَّلاً انَّ الانجيل المقدَّس لم يُفدنا الَّا النزر القليل عن حياة السيّدة البتول بل سكت عنها تماماً بعد حلول الروح القدس على التلاميذ فسدًّا لهذا الخلل ينبغي لنا ان نتتبَّع آثار التاريخ والعاديات النصرانية لعلَّنا نقف على الخبر الصحيح. وكان المسيحيُّون مدَّة اجيال متعدّدة يرون انَّ وفاة امّ السيّد المسيح وانتقالها الى السماء قد جريا في اورشليم ولم يكد يقوم احد من العلماء لنقض هذا الواقع. الى ان ابدى في الامر شكًّا تيلمون (Tillemont) احد المؤرخين الفرنسويين في القرن السابع عشر وتبعهُ في قولهِ بعض المحدثين الذين اكتشفوا قريباً من افسس في الموضع المعروف بيناغيا كپولي على بعض آثار من كنيسة قديمة على اسم العذراء. فزعموا انَّ هناك كان قبر القديس يوحنا الرسول وقبر السيدة. وأيدوا زعمهم برواية جملةٍ وردت في رسالة آباء مجمع افسس سنة ٤٣١ يقولون فيها انَّهم حرموا نسطور في تلك المدينة «حيث يوحنا الحبيب والعذراء امّ الله مريم القديسة» ففسَّروا هذا القول بان افسس تحتوي على قبري يوحنا ومريم البتول

غير انَّ هذا الرأي الحديث لم يزل حتى الان ضعيفاً اذ انَّ آثار الكنيسة لا تدلّ ضرورةً على وجود القبرين كما زعموا فضلاً عن انَّ قول آباء المجمع يمكن تأويلهُ على غير طريقة بأن يقال مثلاً «حيث يُكرم يوحنا الحبيب ومريم ام الله»

ولا يلزم قولهم بان يوحنا الحبيب كما روى في انجيلهِ (١٩ : ٢٧) بعد ان اوصاهُ السيد المسيح على الصليب بأمهِ اخذ مريم الى خاصَّتهِ فتكون البتول رافقتهُ في سفرهِ الى افسس فعاشت معهُ الى موتها هناك. لأنَّ يوحنا لم ينتقل من بلاد اليهوديَّة الى أفسس الَّا بعد تفرُّق الرسل ورحلتهم النهائيَّة الى بلاد المعمور ليبشروا بالسيد المسيح. والرأي الغالب اليوم انَّ ذلك لم يتمّ الَّا بعد السنة ٥٠ للميلاد اعني بعد انشاء كنائس اليهوديَّة والجليل والسامرة وبعد عودة الرسولين بولس وبرنابا من رسالتهما في جهات آسية الصغرى وعقد المجمع الاورشليمي لحلّ مشكل السنن اليهوديَّة هل تلزم المتنصِّرين من الامم ام لا. فان كان الامر كذلك لا بُدَّ من القول بانَّ مريم العذراء لم ترحل قطّ الى افسس

لأنَّ معظم التقاليد القديمة تثبت انَّ حياة البتول لم تتجاوز ٦٥ سنة فتكون وفاتها وقعت قبل تفرُّق الرسل وقبل رحلة القديس يوحنا من فلسطين. وبهذا لا يبقى داعٍ للقول بانها رافقت يوحنا الى افسس. وهذا الامر قد بيَّنهُ حضرة الخوري مرتا في فصل واسع وأيَّدهُ بشواهد الآباء والمفسرين بحيث لا يبقى وجه لانكاره

اما الرأي الآخر الذي يجعل في القدس الشريف وفاة البتول وانتقالها الى السماء فانَّهُ اقدم واثبت واعمّ. والادلَّة على ذلك منها تاريخيَّة ومنها طقسيَّة ومنها اثريَّة

١ (الادلة التاريخية) اقدم شاهد تاريخي صريح على وفاة البتول وانتقالها في القدس الشريف يرتقي الى نحو السنة ٣٨٠ وهو للزائرة سلفيا او بالحري ايتيريا (Gamurrini: *s. Silviæ Peregrinatio, p.* 128) حيث قالت انَّ مريم العذراء توفيت في جبل صهيون. ويليه شاهد آخر في السنة ٤٥١ للمسيح وهو مدوَّن في كتاب لبطريرك اورشليم يوفنال ارسلهُ الى الملك مرقيان على ما روى نيقيفورس المؤرخ (ك ١٥ ف ١٤) وكان مرقيان سأل البطريرك اين دُفن جسد العذراء مريم فاجاب البطريرك انَّ جسد البتول نُقل الى السماء. اما مكان دفنهِ ففي بستان الجسمانية في سفح جبل الزيتون

ولنا في القرن السادس شاهد لاحد قدماء السيَّاح وهو الشهير بأنطونين دي بليزنسة رحل الى الاراضي المقدَّسة سنة ٥٧١ فيروي انهُ زار كنيسة مريم في وادي الجسمانية حيث يُرى قبر البتول الذي فيهِ وُضع جسمها الطاهر قبل ان يُنقل الى السماء

وهذه الشواهد مقرَّرة ساطعة لا يمكن انكارها. ولنا مع ذلك ادلَّة أُخرى تبيِّن انَّ هذا التقليد يرتقي الى ما وراء القرن الرابع ايضاً وذلك في كتاب عربي يُدعى اخبار يوحنا السليح في نقلة امّ المسيح سمّي في طبعهِ مكسمليان إنغر (Max. Enger) في المانية سنة ١٨٥٤. وهذا الكتاب منسوب زوراً الى احد آباء الكنيسة في القرن الثاني وهو مليتون من سردي لكنَّهُ قديم جداً وقد بيَّن المتولي لطبعهِ انهُ كُتب في اليونانية في القرن الرابع ونقل صاحبهُ اشياء كثيرة عن كتاب أقدم منهُ يرتقي عهدهُ الى القرن الثالث. وهذا الاثر يحتوي بالتفصيل خبر وفاة العذراء مريم ثمَّ انتقالها الى السماء في اورشليم بحضور الرسل الَّا توما الذي حضر بعد وفاتها بثلاثة أيام فلما طلب ان يُفتح قبرها ليودّعها الوداع الاخير وُجد القبرُ فارغاً فتحقَّقوا انَّ الجسد نُقل الى السماء. ومثل هذا ما روي لديونسيوس الاريوباجي تلميذ الرسل الَّا ان العلماء تحقَّقوا ان

الكتب المنسوبة اليه وُضعت في القرن السادس

وفي هذا القرن السادس عينهِ نجد شواهد أخرى تاريخية منها رواية القديس غريغوريوس لسقف طور المؤرخ الاوّل لشعب الفرنج (PP. LL, tom. 74, p. 708) وهو يُصرّح بوفاة العذراء وانتقالها في المدينة المقدّسة

اما القرنان السابع والثامن فانّ الشواهد المثبتة لما نحن في صددهِ لمتعدّدة وردت لكتبة مختلفين جنساً وبلداً ولغةً كايزيدورس الاشبيلي وألديفنسوس واندراوس الاقريطشيّ وجرمانوس القسطنطيني وبيدا المكرَّم ويوحنا الدمشقي وغيرهم ايضاً. وفي كلام يوحنا الدمشقي ما يُشعر بانهُ روى عن مصادر موثوق بها واخبار عريقة في القدم

ولا نتتبّع بعد هذه النصوص روايات المؤرخين لكثرتها وانما نخصّ بالذكر الشواهد العربية. منها ما نقلناهُ في المشرق (٧ : ٤١٠) عن كتاب يُنسب للقديس اثناسيوس وهو نصّ جليل اتّسع فيهِ كاتبهُ عن تفصيل نياحة امّ الله وقبرها في الجسمانية وانتقالها الى السماء

وقال المقدسي في كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ١٧١ من طبعة ليدن): «وادي جهنم ... فيه بساتين وكروم وكنائس ... وسطه كنيسة على قبر مريم». ومثلهُ مجير الدين الحنبلي في كتاب الانس الجليل (٢ : ٤١١) ذكر «قبر مريم في كنيسة في داخل جبل طور زيتا تسمّى الجسمانية وهو مكان مشهور يقصدهُ الناس للزيارة من المسلمين والنصارى وهذه الكنيسة من بناء هيلانة ام قسطنطين»

وفي تاريخ ابن الراهب الذي همنا بطبعه في مجموع كتبة النصارى الشرقيين (٥٢ — ٤٨) يقال انّ تاودوسيوس الكبير «هو الذي بنى كنيسة الجسمانية»

وقال الادريسي في نزهة المشتاق (Palaestina, ed. Gildemeister, 8): «واذا خرجتَ من باب الاسباط سرت في حدود (حدور) مقدار رمية سهم فتجد كنيسة كبيرة حسنة جدًّا على اسم السيّدة مريم ويعرف المكان بالجسمانيّة وهناك قبرها»

وفي تاريخ مخطوط للقدس الشريف من مخطوطات مكتبتنا الشرقية يرتقي الى نحو ٣٠٠ سنة لاحد المسلمين (ص ٧٣): «ولما ماتت مريم عليها السلام دُفنت بالكنيسة المعروفة بالجسمانية خارج باب الاسباط في ذيل جبل طور زيتا وهو مكان مشهور يقصدهُ الناس للزيارة من المسلمين والنصارى»

٢ (الادلة الطقسيَّة) من اثبت الادلة التي تؤيّد رأي القائلين بموت العذراء في اورشليم الاعياد الطقسيَّة التي تحتفل بها الكنائس الشرقيـة والغربيَّة. انهُ من الامور المقرَّرة التي يمكن اثباتها بالشواهد الناطقـة انَّ كنائس الشرق والغرب كانت تقيم عيدًا حافلًا لوفاة العذراء وانتقالها الى السماء منذ اواخر القرن السادس وكان هذا العيد المدعو في الغالب نياح العذراء واقعًا في ١٨ كانون الثاني فامر ملك الروم موريق (٥٨٢ —٦٠٢) ان يُنقَل الى ١٥ آب. الا انَّ الملك المذكور في رقيمهِ يذكر انَّ هذا العيـد كان معروفًا في السابق. وكذلك البابا سرجيوس (٦٨٧—٧٠١) يذكرهُ كعيـد قديم. ولعلَّنا لا نتجاوز حدود الحق ان قلنا ان هـذا العيد يرتقي الى القرن الخامس بل الى اواخر القرن الرابع ويثبت هذا الرأي وجود العيد في الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة منذ القرن الخامس كاليعاقبـة والنساطرة. وفي صلوات كل هذه الكنائس وطقوسها ما يُشعر بان موت العذراء وانتقال جسمها الى السماء قد وقعا في اورشليم. وقد جمع العلَّامة بومشتارك (Baumstark) في مجلة الشرق المسيحي (Oriens Christianus, IV, 371—392) عددًا وافرًا من النصوص الطقسيَّة في السريانيَّـة والكلدانية والقبطيَّة والروميَّة تثبت الامر باجلى برهان

ويُضاف الى هذه الشواهد اناشيد وتسابيح قديمة في طقوس الحبشـة والارمن. والرأي العام ان احدى التسابيح التي ينشدها الموارنة والسريان في يوم عيـد السيدة مؤلفها القديس افرام في القرن الرابع وفيها ذكر اورشليم (١

٣ (الادلَّة الاثريَّة) اقدم دليل اثري انما هو كنيسة الجسمانيَّة حيث يُرى قبر العذراء فارغًا وهذه الكنيسة اليوم في ايدي الروم الارثذكس. وقد مرَّ لنا في الشواهد التاريخية انَّ ذكرها يرتقي الى الجيل الرابع

ومن الآثار التي تدعم هذا المذهب عدَّة تصاوير بوزنطية تُرى في كنائس

١) اطلب في مجلَّة الابحاث مقالة واسعة في عيد انتقال العذراء وما يتوط به من الآثار للخوري العلامة لوهير Etudes religieuses, 1866, 514—555 L'abbé le Hir: *De l'Assomption de la Ste Vierge et les divers apocryphes qui s'y rapportent.* واطلب ايضًا مجلَّة الشرق المسيحي (Orient Chrétien. 1910, p. 162) مقالة في آثار جديدة عن نياح العذراء

القسطنطينيّة وفي اديرة جبل اتوس وفي نقوش بعض كنائس اليعاقبة وفي كلّها تجد البتول مصوّرة على رشك وداع الحياة الزائلة وحولها الرُسل والاصدقاء من نساء ورجال فترى لبسهم وهيئتهم كهيئة اليهود فكلّ ذلك يبيّن انّ المصوّر اراد الدلالة على اورشليم لا على افسس او غيرها (راجع المقالة السابق ذكرها لبومشنارك (١)

فهذه الدلائل على ما نظنّ كافية لتنفي كل شكّ عن مكان وفاة العذراء وانتقالها الى السماء. وعلى كل حال هي مرجّحة على الادلة التي يستند اليها المدافعون عن أفسس فانّ حجّتهم لا تُقنع البتّة والله اعلم

مطبوعات شرقيّة جديدة

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH DE BEYROUTH, MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE, III, 2, pp. 454, et IV, 565, *Beyrouth, Imp. Catholique*, 1909-1910

ظرف لاساتذة المكتب الشرقي في كلّية القديس يوسف

وصفنا لقرّائنا (في المشرق ١١: ٩٥) الثلثة الاجزاء الأولى لهذه الظرف العلميّة التي باشرها مكتبنا الشرقي منذ خمس سنوات فاستلفتت اليها انظار علماء الغرب حتى اطرأوها في مجلاتهم الاختصاصيّة فنشّطوا عزائمنا وحضّونا على مواصلتها - وهاذان الجزءان ثمرة اشغال اساتذة كلّيتنا في العام المنصرم والعام الحالي. ومن اطّلع على مقالاتها تحقّق انهما يجاريان اعمال افاضل المستشرقين بكثرة موادّهما وتفنّن علومها والتدقيق في ابحاثها. ومن العلوم التي نالت حظّاً وافياً في هذين الجزءين الآثار الكتابيّة المختلفة في انحاء الشام كالكتابات العربية في جبل الطور للاب لامنس. والكتابات اللاتينية واليونانية للابوين جلابرت وموترد. والكتابات الارامية في التدمريّة والفينيقية للاب س. رتزفل. ومنها علم العاديات كشف من اسرارها اشياء كثيرة الاب رتزفال المذكور. ومنها علم التاريخ الشرقي في نحو ١٥٠ صفحة للاب لامنس. ومنها علم الآثار الادبية كحماسة البحتري التي نشرها الاب لويس شيخو واردفها بالحواشي والروايات. وكالرسالة الدرزيّة الموسومة بالقسطنطينية نشرها الابوان يوسف خليل ولويس رتزفال

١) اطلب ايضاً معجم الاثريّات المسيحيّة والليتورجية Diction. d'Archéologie chrétienne et de Liturgies, *art.* ASSOMPTION

ونقلاها الى الافرنسية . وكترجمة القديس برلعام المكرَّم في جبل الاقرع للاب بولس بيترس من جمعية البولنديين نقلاً عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية . وكمقالة للاب ل . شيخو في بعض آثار مصنوعة تناقلها كتبة العرب في التوراة والزبور والانجيل . وكمقالة مطوَّلة للاب . الون في نُحاة الاقباط وتآليفهم اللغويَّة في العربية . وكثير من هذه المقالات مزيَّن بالتصاوير البديعة والرسوم المتقنة التي تزيدها شأناً في اعين العلماء ومن ثمَّ لا عجب انَّ اصحاب اكثر من خمسين مجلَّة اختصاصية طلبوا المبادلة مع هذه المجموعة العلمية فقدَّروا بذلك قدرها ل . ش

BIBLIOTHECA HAGIOGRAPHICA ORIENTALIS. Ediderunt Socii Bollandiani, Bruxellis, 1910, XXIII-287 (*Imprimerie Catholique, Beyrouth*).

مكتبة القديسين الشرقيَّة

ان الآثار المنوطة باعمال القديسين تتَّسع يوماً بعد يوم حتى انَّ مجموعها كاد يبلغ مكتبةً كاملة . وليس كلامنا هنا عما يؤلفهُ الادباء من تراجم الابرار فانَّ تلك التآليف تُعَدّ سنويًا بالمئات بل عن آثار القديسين واعمالهم التي كتبها القدماء . فنُشرت بالطَّبع منذ اكتشاف فن الطباعة سنة ١٤٥٠ الى يومنا . فرأى البولنديّون ان البحث عن تلك الآثار يستدعي التفتيش الطويل في عدَّة بلاد زمن ثم وضعوا جداول لتلك المطبوعات توقف ارباب التأليف على كل ما طُبع من ذلك . وكانوا وضعوا اوَّلاً جدولاً طويلاً في مجلَّدين كبيرين اودعوهما قوائم المطبوعات اللاتينيَّة (BHL) ثم ألحقوهما بمجلَّد ثالث عن المطبوعات اليونانيَّة (BHG) وقد تكرَّر طبعهُ . وكان ينقص العلماء جدول ثالث في المطبوعات الشرقية عن القديسين فما انَّ حضرة الاب بيترس من الجمعية البولنديَّة قد سدَّ هذا الخلل وطبع مكتبة القديسين الشرقية في مطبعتنا الكاثوليكية وكتابهُ عبارة عن وصف ١٢٥١ كتاباً مما طُبع في السريانية والارمنية والقبطيَّة والحبشية والعربية محتويًا لاعمال القديسين التي صنَّفها قدماء الكتبة وقد ذُكرت اسماء القديسين على طريقة حروف المعجم وكل كتاب يوصف اوَّلهُ وآخرهُ ومحلّ طبعهِ . وقد قدَّم حضرة المؤلف على كتابهِ مقدِّمات مفيدة كتعريف الكتب التي استند اليها وجدول الشهور عند السريان والارمن والحبش والاقباط وختمهُ بالفهارس المفيدة للقديسين وللمؤلفين . فجاء الكتاب

دليلًا جديدًا على همّة الآباء البولنديين الذين لا يزالون منذ ٣٠٠ سنة يشتغلون في اعمال القديسين كما انهُ آية في حسن طبعهِ الذي يشهد لمطبعتنا بمجاراتها لاجود المطابع الاوربيّة ل.ش

M. Reynès-Monlaur. JÉRUSALEM, Les derniers Pas. *Paris, Plon*, 1910, p. 295

خطوات المسيح الاخيرة في اورشليم

هي رحلة الى الناصرة والقدس الشريف تتبّعت فيها الكاتبة البارعة والسيدة التقية رينس مونلور خطوات المخلص في الايام الاخيرة من حياتهِ وآلامهِ ووصفت ما شاهدت بالعين حاضرًا وما تخيّلته بالقلب في الماضي من الامكنة والاشخاص والحوادث عن معرفة تاريخية كتابية لا تُنكر مزدانة بتقوى نادرة المثال وذوق سليم في الانشاء يجعلان كتابها رواية لذيذة ودليلًا لا يَملّ الزائر التقي من مطالعتهِ . فنوصي بالكتاب محبي اوصاف الاراضي المقدّسة ا.ر

PETITE BIBLE ILLUSTRÉE (Ecker, traduction par un Père de la Cie de Jésus). *Paris, Bloud* et Cie, 1909

توراة صغيرة مصوّرة

كان البروتستانت سابقًا صرفوا كل همهم الى طبع التوراة في لغات شتى وعلى احجام مختلفة لزعمهم بانَّ التوراة وحدها كافية للخلاص . امّا الكاثوليك الذين يعتبرون تعليم الكنيسة الشفاهي بمثابة كلام الله والاسفار المقدّسة فانّهم كانوا اقلّ اهتمامًا بذلك لاسيما انَّ طبع التوراة في اللغات الدارجة كان محظورًا على الكاثوليك دون مصادقة رؤساء الكنيسة عليها ودون تذييل آياتها المبهمة بالشروح . ولهذا ترى الطبعات الكاثوليكية للكتاب المقدّس محصورة العدد قليلة الانتشار بين العامّة لكنَّ كثيرين قد سعوا في هذه السنين المتأخرة بان يسهّلوا للشعب قراءة الكتب المقدّسة باللغات الدارجة فطبعوهُ على صور شتى وعلّقوا عليهِ التعاليق التي يقتضيها المقام ومن احسن ما طُبع من ذلك توراة صغيرة الحجم مزيّنة بالتصاوير عُني بترجمتها الى الافرنسية احد الآباء اليسوعيين وأُتقن طبعها اي اتقان . وهذه الطبعة ما كادت تخرج الى حيز الوجود حتى تهافت عليها القرّاء واتخذها ارباب المدارس كتابًا مدرسيًا لطلبتهم . والحق يقال

انّنا سُبينا ايضاً بمحاسنها واسرعنا الى تبطير هذه الاسطر لترغيب الشرقيين العارفين بالفرنسويّة في اقتنائها الاب ظيار

S. Kanazawa : The Common Origin of the Japanese and Korean Languages. *Tokio*. 1910. pp. 41

وحدة اصل اللغتين اليابانية والكوريّة

اهدانا الاستاذ كانازاوا الياباني مدرس اللغات الاجنبيّة في كليّة توكيو (اليابان) هذا الكتيب الانكليزي الذي موضوعه وحدة اصل اللغتين اليابانية والكوريّة فطالعنا المقدمة فاذا فيها ان اليابان وكورية كانتا في الأيام القديمة ارضاً واحدة لا بحرٌ بينهما يسكنهما شعب واحد وتُسمع فيهما لغة واحدة. فتذكرنا ما قرأناه في الجرائد عن رغبة اليابان في ضم كورية الى مستعمراتها وليست وحدة الاصل واللغة الّا برهاناً جديداً اتخذه السياسيون لانجاز مقاصدهم. على انّنا لا نستطيع ان نحكم في تاريخ اليابان القديم ولا في المقابلات اللغوية بين لغته واللغة الكورية لكننا لا نتمالك عن الاعجاب من نهضة اليابان العلميّة وتحريض مواطنينا على اقتناء آثار ذوي النشاط والوطنيّة ا.ر

Dr C. H. Becker : L'Islam et la Colonisation de l'Afrique. *Paris*, 1910, pp. 24

الاسلام واستعمارات افريقية

خطبة القاها على مسامع اعضاء الجمعيّة الافرنسية الاستعماريّة في باريس في شهر كانون الثاني ١٩١٠ الدكتور بكر الالماني ونشرها بالطبع ولو اردنا شرح موضوعها الديني والتاريخي والسياسي والاستعماري وتبيان ما في اراء الاستاذ من الغث والسمين وابداء رأينا في بعضها لكتبنا مقالة طويلة لكن الظروف لا تسمح بطرق هذا الباب فاكتفينا بالاشارة . ا.ر

I. V. Kratchkovski : Vostotchnii Phacultet Universiteta S. Iosipha v. Beyrut. *S. Peterburg*, 1910, p. 41

المكتب الشرقي في كليّة القديس يوسف

مؤلف هذه المقالة احد نزلاء بيروت ومستشرقي روسيّة الافاضل قدم الى بلاد الشام ليرسخ قدمهُ في العلوم الشرقيّة ولاسيما في درس العربية وقد كتب فصولاً عديدة عن الشرق وعاوميه وآدابه. واذ كان احد حضور الدروس الالقاة في مكتبنا الشرقي احبَّ ان يخص بهِ مقالة موسعة افتتحها بنظر عمومي عن ترقي الآداب في مصر والشام

في القرن التاسع عشر لاسيما بعد ان توفَّرت فيها المدارس بساعي الرسالات الدينيَّة من بروتستانت وكاثوليك وعقَّب ذلك بوصف اعمال الرهبانية اليسوعيَّة ومدارسها ومطبعتها ومنشوراتها العلميَّة. ثم انتقل الى المكتب الشرقيّ ووصف نظامهُ ودروسهُ ومن انتابهُ من الدارسين. وفي الباب الثالث عدَّد مآثر الاباء اليسوعيين منذ السنة ١٨٨٠ الى السنة الحالية. وابدى في كل ذلك ملحوظاتهِ الخاصَّة وختم المقالة متمنّياً للمكتب الشرقي نجاحاً واتساعاً. فنشكر حضرة الكاتب على حسن ظنهِ بنا ونطلب معهُ الى الله ان يوفقنا الى زيادة نشاط في خدمة العلم واصحابهِ في انحاء الشرق ل. ش

نخبة من امثال فنلون

عرَّبها نثرًا ونظماً الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي

المطبعة الكاثوليكية في حلب ١٩١٠ (ص ٢٢)

عرف قرَّاء المشرق ما لشعر حضرة الاب الجليل من المتانة والطلاوة كما شهدت لهُ « النجوى » و « الكون والعبد » وغيرها من القصائد الفرائد. وهذه النخبة وان قلَّت صفحاتها فقد جلَّت فوائدها وابانت ما للشاعر المجيد من القدرة على القريض وطرق اي باب شاء من ابوابهِ فعليهِ الثناء ولهُ الشكر ا. ر

مجموعة الاناشيد الروحية

للسيد يوسف دريان مطران طرسوس شرفًا

بيروت ١٩٠٩ (ص ٢٦٦)

نثني اطيب الثناء على مشروع صاحب السيادة المطران يوسف دريان في اصلاح لغة الاناشيد القديمة الشائعة وابراز معانيها الجليلة في قالب صحيح لا ينكرهُ العالم ولا يصعب فهمهُ على الساذج. فانَّا ممن يقدّرون قدر هذه المنظومات الروحية التي ورثها الاباء عن الاجداد وورثناها عنهم وكنَّا نأسف لركاكة كثير من ادوارها ونتمنَّى لو يجيل فيها عالمٌ شاعرٌ تقيٌّ نظرهُ لاصلاحها فيُحفظ ما لا حاجة الى ابدالهِ وينقَّح ما لا بُدَّ لهُ من تنقيح ردًّا لسهام المنتقدين وحفظاً لشرف الصلوات الروحية من شين اللحن والركاكة. وقد قلَّبنا كتيّب صاحب السيادة فوجدناهُ قد سدَّ الخلل في كثير من هذا فجاءت الاناشيد صحيحة التركيب صادقة المعاني. على اننا قد نخاف انكار البعض على سيادته

تبديلاً مهماً في الترانيم الكثيرة التداول على ألسنة الشعب كترنيمة « يا أمّ الله يا حنونة » اذ يصعب عليهم تغيير ما اعتادوهُ . ويا حبّذا لو أُشير عند الاستطاعة الى مؤلفي هذه الاناشيد الروحية فانَّ بعضها لشعراء معدودين ا . ر

مبادئ الفلسفة القديمة

مجموعة فيها كتاب ما ينبغي ان يقدَّم قبل تعلُّم فلسفة ارسطو وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة تصنيف ابي نصر الفارابيّ

عُنيت بتصحيحهِ ونشرهِ المكتبة السلفيَّة ١٣٢٨—١٩١٠ في مطبعة المؤيد : بر—٢٤

اتتنا جرائد الاستانة الاخيرة تتضمَّن قوانين المطبوعات في الدولة العثمانية . فما اجدر بالمصريين أن يتأمَّلوها ايضاً ويكفُّوا عن سرقة ما تقدَّم في نشرهِ غيرهم من الأدباء . وهذا الكتاب يُضاف الى الجدول الواسع (ولكن غير الكامل) من المطبوعات الاوربيَّة التي سرقها المصريُّون ونسبوها الى نفسهم كأنَّهم هم الذين عُنوا بنشرها اوَّلاً (راجع نظرنا الانتقادي في المطبوعات المصريَّة في المشرق ١١ : ٤٣٠) وهاتان المقالتان اللتان ابرزتهما المكتبة السلفيَّة وحفظت حقوق طبعهما الى نفسها (اعني الى السارق) قد ابرزهما عالمان من علماء المانية مرَّتين . فالمرَّة الأولى نشرهما العلَّامة شمادرس (A. Schmoelders) في بنَّة سنة ١٨٣٦ ونقلهما الى اللاتينيَّة (Documenta Philosophiae Arabum) وعلَّق عليهما تعليقات واسعة . ثم عاد الى نشرهما سنة ١٨٩٢ في ليدن العلَّامة دياتاريشي (Fr. Dieterici) من اساتذة برلين (مع غيرهما من المقالات الفارابيَّة التي سرقها ايضاً المصريُّون كألوف عادتهم) وزيَّنهما ايضاً بالملحوظات ونقلهما الى الالمانية . فبعد ردّ المال الى اصحابهِ لا نستطيع الَّا ان نلوم من يأتي بهذه الاعمال السيئة ويقطع رزق العلماء واهل الادب دون افادة العلم في شيء ل . ش

شذرات

الطير القواطع كتب لنا حضرة الخوري اوغوستينوس سردي الرومي الملكي الكاثوليكي من منزل الالمان في القدس الشريف . رسالة حلَّ فيها مشكل

طائر معلولا السابق وصفهُ (ص ٥٧٩): « قرأت ما ادرجتموهُ في العدد السابق من مجلتكم الغرّاء للسنة الحاضرة تحت عنوان « طائر طويل العمر » فاستغربت الامر جداً واستفتيت عنهُ حضرة الاب الفاضل إرنست شميتس (Ernest Schmitz) اللمازري رئيس منزل الالمان الكاثوليك في القدس فتاني بجواب شافٍ أطلع عليهِ القرّاء الكرام. (اما حضرته فمن مشاهير العلماء الخبيرين بعلم الطير وقد انشأ متحفاً للطيور والحيوانات في مدينة فونشال في جزيرة ماديرا (Madère) حيث اقام أربع وثلاثين سنة. وحال استلامهِ رئاستهُ الجديدة في القدس في اواخر سنة ١٩٠٨ شرع في إنشاء متحف آخر في المنزل المذكور يجمع فيهِ الطيور والحيوانات الفلسطينية والسورية وهو عمل خطير الشأن لم يسبقه اليهِ احد للآن في بلادنا. فمن زار المدينة المقدسة يمكنهُ أن يرى في هذا المتحف من مكنونات بلادنا ما لم يخطر بباله وجودها من ذي قبل)

« في ٥ نيسان من السنة الماضية ١٩٠٩ أمسك احد الآباء اللمازريين الفرنسيين حضرة الاب بيكو (Picot) طائراً يُدعى « القَلَق » او في لغة اهل العراق « ابو حُدَيج » وهو ما تُسمّيهِ العامة في سورية « ابو سعد » وكان في احدى رجلي هذا الطائر أسوار من المعدن الابيض المعروف بالألومينيوم وعليهِ الكتابة التي ذكرتموها مع اختلاف في العدد فقط وهذه صورتها .

ORNITH. KOZPONT

BUDAPEST. HONGRIA 293

« وكان قد وقع هذا الطير مع قافلة من شكلهِ في جوار بركة مميلّا غربي مدينة القدس شمالاً ويُرى الآن في المتحف المذكور مُصبَّراً بعد ان طاف اوربا وآسيا وافريقية. ولو اعتبرنا العدد الذي يُقرأ على الاسوار تاريخاً لكان طيرنا اكبر سنًّا من طائر معلولا بل لكان من غرائب الدهر والحال ان هذا الطير لا يُعمّر اكثر من عشرين او ثلاثين سنة على الأغلب

« فاليكم الآن بعض فوائد لحلّ مشكل السوار وكتابتهِ. انهُ يوجد في اوربة جمعيّات علمية لمعرفة الطير منها جمعيّة بودابست عاصمة بلاد المجر وهذه تُدعى « Ornith. Kozpont » تحت رئاسة السيو أوتو هرمان (Otto Hermann). فكلمة كوزبنت مجريّة ومعناها « جمعية » فليست اسم علم لرجل . كل سنة يمسك

اعضاء هذه الجمعية في شهري حزيران وتموز (وهما زمان حضان البيض وانفلاقها عن الفروخ عندهم) عدداً يُذكر من اللقالق الصغيرة وغيرها من القواطع التي تؤم بلادهم. (وقد أمسكوا سنة ١٩٠٨ نحو ثمانمائة من شكل اللقالق فقط ومن جملتها الذي ذكرته آنفاً) فيضعون في رجل كل منها سواراً ويجعلون لكل طائر عدداً خاصاً به يقيدونه في سجلات الجمعية مع اسم الطير حامله والمكان وتاريخ النهار الذي أمسك فيه واسم عضو الجمعية الذي أمسكه ثم يطلقون سبيلها فتهجر بلادهم في شهر ايلول وهو آخر الصيف طلباً للبلاد الحارة والكثيرة المأكل وما كل هذه الطيور الضفادع والحيات وما شاكلها من الزحافات البرية والمائية

« فبهذه الطريقة قد تقرر لدى العلماء ان هذه الطيور تقصد جنوب افريقية في فصل الشتاء فتصل مستعمرة الناتال (Natal). اما مراحلها فهي اذا اتخذنا اوربا نقطة الاجتماع جبال البلقان فضواحي الاستانة حيث تقطع البوسفور (او بوغاز الدردانيل جنوباً) ثم تمر بآسيا الصغرى فسورية وفلسطين بطريق حلب فالبقاع والشام ووادي الاردن الى ان تقطع ترعة السويس فوادي النيل الى جنوبي افريقية. وهكذا تمر ببلادنا مرتين في السنة في ايلول ونيسان فتقضي في اوروبا نحو اربعة اشهر او خمسة

« وقبل ختام هذه المجالة ارجو من حضرة مكاتبكم الفاضل ان يحقق هل الطائر الذي ذكره هو طائر الكركي ام اللقلق (ابو سعد) فانهُ يوجد بين الاثنين بعض المشابهة اذ الشكلان من طائفة الطيور الطويلة الارجل (échassiers) الا ان الكركي (la grue) اصغر من اللقلق رمادي اللون في خدهِ لمعاتٌ سودٌ رفيع المنقار منفوخ الذنب ابتره على شكل العُظامة او الحشية من ملابس النساء (la tournure) وهي الوسادة التي تضعها بعض النساء لتعظيم العجيزة. اما اللقلق (la cigogne) فاكبر جثة من الكركي واطول عنقاً وساقاً واعرض منقاراً وابيض اللون وقد يكون اسوده الا انهُ قصير الذنب وليس في ذنبهِ النفخة التي تميز الكركي. امّا النمس الذي وجد على طائر معلولا فليس بقمل الدجاج كما ذُكر بل كل جنس من الطير لهُ حشرات خاصة بهِ (parasites) تتسلط عليهِ فتعيش فيهِ وتموت معه

« فسبحان من خلق الطيور على اختلاف اجناسها واشكالها فيهديها في سيرها العجيب فالمُسبحة الطيور المجنحة. وكل نسمة فالمُسبح الرب ! »

مرصد كساره — انَّ للمظاهر الجويَّة في البقاع شأناً كبيراً ولذلك كانت تحتاج الى عالم يدوّنها. فمنذ سنتين انشأ حضرة الاب برلوتي اليسوعي مرصداً في كساره على طريق سكّة حديد الشام قُبيل المعلّقة واخذ يرصد حركات الجوّ والتقلّبات الفلكية كهبّ الرياح والضغط الجوّي وهيئة الغيوم ودرجة الحرارة وكميَّة الرطوبة والامطار الى غير ذلك ممّا يدوّنهُ ثلاث مرّات في النهار ثم ينشرهُ في لائحة شهريَّة تُرسل الى المراصد الاوربيَّة. وممّا يهتمّ به خصوصاً حضرة المدير الزلازلُ الارضيَّة فقد نصب لذلك آلات دقيقة تدوّن من تلقاء نفسها حركات الارض حتى البعيدة. فلا غرو انَّ العلماء يعرفون قدر هذا المعهد العلمي الذي هو دليل جديد على همّة المرسلين في خدمة العلوم في انحاء الشرق

احتجاج الماسون — احتجَّ من زحلة المسمّى « فارس بونعوم » على مقالاتنا في الماسونيَّة فنورد احتجاجهُ صاحب لسان الاتحاد في عدد ٧٤ فقرأنا ما كتب لعلّنا نجد في كلامهِ ما يحوجنا الى تبرئة الماسونية فجاء احتجاجهُ احسن برهان على صحَّة منقولاتنا فانهُ بدلاً من ان ينقض حججنا ويُبطل شواهدنا العديدة من كتب الماسون الناطقة بجحودهم بنزله وبحارد النفس وبمعاكسة كلّ دين وكل سلطة دينيَّة ومدنيَّة حاول انْ يقابل بين اسرار الكنيسة المحيية واسرار الماسونية المخجلة وبين الطقوس الالهيَّة والرُّتب الهزلية الجارية في محافل الماسون وبين مجامع الاكليروس الدينية واجتماعات الماسون السياسية والثوريَّة. فيا جناب فارس بونعوم يظهر انك لم تتوغَّل بعد في اسراب الماسونية فنعذرك كما نعذر صاحب جريدة الاتحاد الذي على قوله « افسح لك مجالاً بين اعمدة جريدتهِ بكل ارتياح لانهُ لا ينشر غير الحقيقة » وهو مع ذلك لم يجسر بنفي شاهد واحد من شواهدنا لأنَّهُ ماسون في كل البلاد !

القسم المضحك — بيَّنا في مقالاتنا عن الماسونية بعض صور الأقسام التي يحلف بها الماسون عند دخولهم في الجمعيَّة واعدين تحت طائلة اكبر العقاب بأنَّهم لا يكشفون شيئاً من اسرارها. وكأن الماسون خجلوا من تلك الأقسام فاستخرجوا من دفائن اعداء الرهبانية اليسوعية قسماً مضحكاً ادَّعوا انَّ اليسوعيين يقيّدون به انفسهم نحو رؤسائهم فطبعوهُ دون الدلالة على الطابع ومحلّ الطبع فكفى بذلك دليلاً على كذبهم. وها نحن نتعهَّد بدفع مئة ليرة لكل من يمكنهُ ان يبيّن صحَّة هذا القسم. فهيّا على الربح !

اسئلة واجوبة

س ذكر لنا احد الزوّار العائدين من القدس الشريف اكتشاف كنيسة قديمة على جبل الزيتون توفّق اليهِ حضرة الاب كراي من الآباء البيض في الصلاحية وسألنا اتعرف شيئاً من امرها

كنيسة قديمة في جبل الزيتون

ج روى اوسابيوس المؤرخ في حياة قسطنطين (ك ٣ ف ٤٣) انَّ القديسة هيلانة ابتنت على جبل الزيتون كنيسة لذكر صعود الرب وهذه الكنيسة معروفة. وذكر ايضاً انها شيّدت كنيسة اخرى في مكان آخر من الجبل حيث كان السيّد المسيح يجمع تلاميذهُ ويعلّمهم ويكشف لهم اسرار كنيستهِ وكان ثمَّ مغارة. وهذه الكنيسة هي التي ورد ذكرها في رحلة القديسة سافيا (او بالحري ايتيريا) نحو ٥٠ سنة بعد تشييدها (Gamurrini : *S. Silviæ Peregrinatio*, 83) ودعتها باسم ايليونا (Eleona) وذكرت ما يجري فيها من الرُّتب الدينيَّة. وكذلك ذكرها رحالة بوردو في القرن الرابع. ويقال انَّ حضرة الاب كراي اكتشف كثيراً من آثارها وسواريها ونقوشها وبعض كتاباتها وهناك على ما يقال صنَّف الرسل دستور الايمان

س وسأل جناب الاديب يوسف افندي صفير من هو حبيب بن جريز مطران الموصل الذي ذكرهُ حمزة الاصفاني في تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (ص ٨٠ و٨١) ونسب اليهِ كتاباً في اخبار اليونان

حبيب بن جريز مطران الموصل

ذكرهُ ابن النديم في كتاب الفهرست ٩٧ و٣١٧ ودعاهُ بحبيب العطّار وذكرهُ ابن قتيبة (Wüstenfeld, 46). وكان في اوَّل امرهِ راهباً في عمر (دير) سعيد قريباً من الموصل وترأس عليهِ ودعاهُ السمعاني بابي سعيد الارشمندريت (BO, II, 446) وقال انهُ رُشح لبطريركية النساطرة سنة ١٠٢٨ للمسيح لكنَّهُ لم ينلها وسُقف على الموصل. وتسمَّى بعبد يشوع. قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبَّاء (١: ٢٠٥): «عبد يشوع بن بهريز مطران الموصل كان صديقاً لجبريل بن بختيشوع وناقلاً لهُ». ولعلَّ الكتاب الذي ذكرهُ حمزة هو كتاب الاخبار الذي نوَّه بهِ ابن النديم (ص ٩٧) وفي الصفحة ٣١٧ من الفهرست ذكر لهُ كتاباً اخر في العطر ل.ش

السنة الثالثة عشرة العدد ٩ ايلول سنة ١٩١٠

المشرق

معبد سيّدة التعزية في تعنائل

لحضرة الاب اسكندر توران اليسوعي

اذا ركب المسافر قطار السكة الحديديّة من بيروت الى الشام وقطع حزون لبنان وبطونهُ فتجاوز آكام صوفر مارًّا بالاسراب المتوبة هنـاك لا يلبث ان يُشرف على مناظر فتّانة تأخذ بمجامع الابصار فيرى عيانًا عند الأُفق سلسلة الجبل الشرقي ينتصب في جنوبها جبل حرمون كأنهُ شيخ جليل يسمُّ بثلوجهِ الغرّاء وينطح بقرنهِ عنان السماء ثم يكشف نظرهُ شرقًا على رُبى متباينة العلوّ في وسطها بقايا مدينـة عاديّة اشتهرت قديمًا بمدينة الشمس وتُعرف اليوم ببعلبك فيها من الآثار الخطيرة ما تحير لهُ الالبـاب وحولها الحدائق الغنّاء ذات الاثمار الطيّبة . واذا انحدر بهِ القطار على منعطف لبنـان قرّت عينهُ بمشاهدة بطاح فسيحة تغطيها كل صباح الابخرة المتصاعدة من مجاريها المائيّة ألا وهي سهول البقاع الشهيرة بخصبها

البقاع عبارة عن وادٍ متّسع موقعه بين سلسلتي لبنان والجبل الشرقيّ الموازي لهُ يمدُّ كلاهما بمياههِ المنصبّة على معاطفهِ فيرويهِ ويغنيهِ بالغلّات الطائلة . وقد عرف القدماء هذا الوادي فدعوهُ بسوريّة المجوّفة (Cœlésyrie) واشاروا الى عمرانهِ . ولعلّ خصبهُ بلغ في عهدهم من الغنى والثروة ما لم تعهد لهُ شبهًا الاجيال التابعة . فهناك كانت مدن زاهرة كبعلبك شمالًا والنجر او كليس لبنان جنوبًا . وهنـاك قامت مزارع القمح على ساق فيقتات منها الاهلون ويمتار منها الرومان لعاصمة القياصرة حتى دُعيت سهول البقاع بأهراء رومية

ففي تلك الصحراء عند سفح جبال أمانة وصنّين في بقعة تُدعى تعنائل في معبد

مجاور لدير يسكنهُ الرهبان اليسوعيّون تُكرم صورة عجائبيّة للعذراء مريم تُعرف بسيدة التعزية. وتاريخ هذه الصورة مرتبط بتاريخ الدير فنبدأ بذكر هذا ثم نردفهُ باخبار الصورة المقدّسة فنقول:

كانت ارض تعنائل قبل خمسين سنةً ارضاً بوراً مُهملة لا تكاد مع خصبها تأتي بثمار. فلمّا كانت السنة ١٨٦٠ وجرى في الشام ما جرى من الأحداث الفاجعة التي اخترمت بالموت العدد العديد من نصارى لبنان وفي جملتهم خمسة من رهبان الجمعيّة اليسوعية في زحلة ودير القمر توفّر عدد اليتامى الذين لصقوا في الدقماء واصبحوا فريسة الفقر يتضوّرون من الجوع. فقام الآباء اليسوعيين بهمّتهم المألوفة وجمعوا من ارتلك البائسين نحو الثمانمائة ففرّقوهم على اديرتهم في بيروت وبكفيا ومعلّقة زحلة ثم مدّوا ايدي الاستعطاء لكل المحسنين في فرنسة فنالوا من كرمهم ما سدّ عوز المكروبين لمدّة. ثم سعت الدولة الفرنسويّة لدى الحكومة العثمانية وطلب نابوليون الثالث من الباب العالي تعويضات تُدفع لعموم المصابين بتلك الدواهي الدهياء. فكان من جملة ما نالتهُ فرنسة قطعة من الارض واسعة الافناء موقعها جنوبي طريق الشام القديمة وشمالي طريق العربات التي كانت شركة فرنسويّة باشرت في فتحها. وكانت تلك الارض كما يشهد عليه الشيوخ تغمرها المياه المستنقعة كثيرة الاوبئة والحميات الّا انّها كانت تستطيع ان تتحوّل بالشغل والعناية الى املاك عامرة مخصبة. فتلك الارض سلّمتها فرنسة الى الآباء اليسوعيين ليس بصفة مالك بل على سبيل التمتّع والاستثمار ليقوموا باعمالهم الخيريّة وتربية اليتامى وتعويضاً عمّا فقدوهُ بالنهب والحريق

فهناك حلّ الآباء اليسوعيّون وباشروا باعمال الحراثة ليعيدوا لتلك الجهات شيئاً من رونقها القديم. وكانوا مع اجتهادهم في تحسين التربة يسعون ايضاً في خدمة اهل القرى المجاورة وارشادهم وتزويدهم بالاسرار المقدّسة

وكانوا في اثناء الامر يدوّنون ما يعثرون عليه من التقاليد القديمة والآثار التاريخيّة المتعلقة بخواص البقاع. وقد جمع فقيد العلم المرحوم الاب بلوس مرتين في تاريخ لبنان كثيراً من التقاليد الراقية الى عهد البشر الاوّلين فمن ذلك زعمُ العرب انّ نوحاً بعد الطوفان سكن البقاع وغرس الكرمة ويجعلون مدفنهُ في الكرك قريباً من معلّقة زحلة. وهذا التقليد قد ذكره في القرن الثالث عشر ياقوت في معجم البلدان (٤: ٢٦٢) فقال:

«الكرك قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم اهل تلك النواحي انه قبر نوح عم». وقد روى سيّاح الفرنج مثل هذا القول في رحلهم (تاريخ لبنان ص ١٦٩—١٧٤). ومن المحتمل ان الكرمة نُصبت في هذه الجهات منذ سالف الازمنة وغابر القرون فزكا زرعُها ونمت واتت بتلك الخمر اللبنانيّة التي اطرأها غير مرّة الكتاب الكريم. وليست عناقيد العنب المنقوشة في جدران هيكل بعلبك سوى اشارة الى شيوع الكروم في جهات البقاع. وهكذا تأوّل بعض المستشرقين اسم «كساره» وهي ارضٌ على جانب سكّة الحديد بين المعلّقة وسعدنايل للآباء اليسوعيين فيها كروم نامية فاشتقّ هذا الاسم من الآرامية «صصنا» ومعناها الخصب والريع دلالةً على ما كان فيها من مزارع الجنّة

ومما زاد الرهبان اليسوعيين رغبةً في سكنى البقاع انّ الانجيل الطاهر يشير الى مرور السيد المسيح في سهولها كما رجّح الامر حضرة الاب الفرد دوران في خطبة القاها سنة ١٩٠٨ في نادي كلّيّة القديس يوسف عن رحلة السيد المسيح الى فينيقية فاثبتها المشرق في بعض اعداده (١١: ٨١—٩٢) قال الخطيب (في الصفحة ٨٧): انّ السيّد المسيح بعد مروره في تخوم صور وصيدا كما روى القديس مرقس (٧: ٣١) توجّه الى تخوم المدن العشر. فيتبادر الى الفهم انهُ لم يرجع القهقرى بل سار وتلامذتهُ توًّا الى تلك الجهات وكانت اقرب طريق الى المدن العشر ان يجتاز لبنان فيقطع البقاع ماراً بطريق سهلة كانت تمتدُّ حول الجبل الشرقي الى بانياس او بالحري من جهة الشمال بطريق معتزلة كانت تمرُّ في راشيّا الى قطنة

فيسرّنا نحن اهل تعنائل ان نتصوّر السيّد المسيح على موجب هذا الرأي منحدرًا من مشارف لبنان في طريقٍ اعتادها الاهلون منذ قرون عديدة فبارك بمسيره جهات البقاع التي حظينا بسكناها. وهي الطريق التي يسلكها المشاة والمكارون حتى يومنا ولم تمحُ آثارَها سكّةُ العربات والسكّة الحديديّة فتراها تتحدّر على معاطف لبنان مارّةً في قريتي المريجات ومكسة حتى تبلغ سهل البقاع فتسير على جوار ارض تعنائل وتحدُّها جنوبًا كما جاء في الفرمان الشاهاني المعطى للدولة الفرنسويّة ثم تسير الى المرج وتقطع نهر الليطاني في عبره عند قرية اسطبل ومنهُ تتّجه الى الجبل الشرقي

انّ القول بمرور السيّد المسيح في البقاع رأي راجح لا يمكننا أن نقطع بصحّته وانّما يفيد المؤمنين تُقى وتعزيةً. وما لا يختلف فيهِ اثنان انّ هذه الجبال التي تُحدق بمعبد

السيّدة هي جبال تكرّر ذكرها في الاسفار المقدّسة فينتصب من عن جنوبه جبل حرمون الذي يرتم مع تابور لاسم الربّ (مز ٨٨: ١٣) وعلى شماله جبل سنير او صنين وفي غربه جبل امانة وكلاهما قريب من ارض تمنائل . فكأنّ سليمان الحكيم كان يسرّح بنظره في مشاهد هذه الجبال الثلاثة اذ كان يحرّر سفر نشيد الاناشيد . والحق يقال أنهُ ليس من مكان اوفق لاستجلاء محاسنها فبعد ان اطرأ جمال عروسه الرمزيّة بقوله (نش ٤: ٧): « كلّكِ جميلة يا خليلتي ولا عيب فيك » اردف بقوله داعيًا لها الى العزّ والمجد: « هَلُمّي معي من لبنان فتُكلّلي . . . انظري من رأس أمانة من رأس سنير وحرمون ». فكأنّ النبيّ شبّه طهر عروس الروح القدس بالتاوج الغرّاء التي تكسو هذه الجبال وكأنّ قمم هذه الاطواد تذكّرهُ بالآكام الدهريّة التي يدعو اليها خليلتهُ لترتفع فوق السفليّات والمساكن الارضيّة فتُكلّل بالمجد

تلك هي المواطن التي تلطّفت ملكة السماء فاجتبتها لتتجلّى لعبّادها وتدرّ عليهم بدرائع نعمها تحت اسم سيّدة التعزية في كنيسة بهيّة خطيرة البناء شيّدها منذ سنين قليلة احد رؤساء دير تمنائل فرسم هندستها بنفسه واهتمّ ببنائها وابدع في نقشها وزينتها وبعد ان كان مقام البتول في معبد صغير لا يكفي لعدد الزوّار اضحى اليوم مزارًا لفئات من نصارى القرى المجاورة ومدنها كبعلبك وزحلة يتناوبون في زيارة هذا المشهد الجليل بينهم الشيوخ والشبّان . النساء والاحداث . الفقراء واهل الثروة يأتون الى معبد السيّدة طورًا ليشكروها على نعمة اسبغت بها عليهم روحًا او جسمًا وطورًا يحجّون اليها ليستمدّوا بركاتها ويلتمسوا من فضلها عارفةً جديدة فتراهم يخرّون ساجدين على اقدام السيّدة مستحرّين بالصلاة امام صورتها العجائبيّة التي انتهت الى جيتهم لتخصّهم بمكارمها بعد ان سكبت على بلاد غيرها سجال نعمها كما سترى في تاريخها الآتي

*

في اواسط القرن التاسع عشر كان الطيّب الذكر السيّد دوبوش (Mgr Dupuch) اوّل اساقفة مدينة الجزائر عهد الى آباء الرهبانيّة اليسوعيّة إدارة مياتم ابرشيّته لأنّ الدولة الفرنسويّة كانت قد استولت على تلك الاقطار فرأت أن افضل طريقة لاستعمارها ان يُرسل اليها اللقطاء والمتيتمون من احداث فرنسة ليتخرّجوا منذ نعومة اظفارهم في اشغال الحراثة وضروب الصنائع حتى اذا بلغوا سنّ الشباب يقطعونهم

الإقطاعات فيقومون باعمال الزراعة والفلاحة وينتفعون بغلات تلك الاراضي المهملة بدلًا من ان يعيشوا في فرنسة في الفقر واجتناء الجنايات . فاجاب الاسقف الجليل الى دعوة الحكومة الفرنسوية ورأى في اليسوعيين قوماً اهلًا لهذا العمل محنكين في اعمال التربية لا يسأمون من مشاقها واتعابها ويتفانون في نجاحها فوكل اليهم تخريج اولئك اليتامى وتهذيبهم بالآداب فما خاب فيهم ظنُّهُ

ومما عُني به رئيس الرهبان انهُ ابتاع سنة ١٨٥٠ ارضاً واسعة الارجاء واقعة في املاك احدى القبائل المجاورة للجزائر تشبه كل الشبه ارض تعنائل قبل فلاحتها بكثرة مستنقعاتها وهوائها الوبئ وما يغطيها من القصب والاعشاب الباطلة حتى ظنَّ كثيرون انها لا تصلح للزراعة وشكُّوا في نجاح الرهبان وتحسين تلك البقاع بالفلاحة . غير انَّ اليسوعيين كانوا وضعوا رجاءهم على الله فلم يستسلموا الى الفشل وباشروا بالعمل وغماً عن العوائق التي كانت تحول دون عزيمتهم فلم تخب آمالهم

وكان بين الرهبان الذين دعاهم الرئيس الى تدبير الشغل اخٌ مساعد يُدعى فافيرو (Fr. Favero) اصلهُ من مقاطعة بيامنتي من اعمال ايطالية وكان اهل الثورة طردوهُ من ديرهِ مع بقيَّة اليسوعيين فجاء الى الجزائر لخدمة الرسالة . وكان المذكور رجلًا همّاماً شديد العزم ثبت الجنان لا تثني همَّتهُ الموانع فلبَّى دعوة رؤسائهِ بكل طيبة خاطر لكنَّهُ اشترط عليهم شرطين احدهما ان يسمحوا لهُ بأن يأتي من طورينو وطنهِ برسم صورة عجائبيَّة كان متعبّدًا لها منذ حداثة سنهِ تدعى سيدة التعزية . والآخر ان يُطلَق على الارض التي حاولوا فلاحتها اسم « ارض التعزية » اشارةً الى صورة العذراء . فما كان من الرؤساء الّا ان اجابوا الى طلبتهِ بطيب الخاطر ومدحوا حُسن عبادتهِ

وان سألت ما اصل تلك الصورة ولاي سَبَب أُطلق عليها اسم سيدة التعزية فنجيب انها مُكرَّمة في مدينة طورينو منذ القرون الوسطى فاشتهرت هناك بعجائبها التي زادت فيها ثقة المؤمنين فكانوا يقبلون اليها من نواحي ايطالية ليستشفعوا بها ويلتمسوا بركاتها . وممن اكرموا هذه الصورة الاكرام الخاصّ القدّيسان العظيمان كرلس بورومايوس رئيس اساقفة ميلانو وفرنسيس دي سال اسقف جنيفا . ولمَّا عاد الحبر الاعظم بيوس السابع من منفاهُ في سافونة اراد أن يزور هذه الصورة المقدَّسة ليشكر البتول على نجاتهِ من ايدي اعداء الكنيسة بمنوال عجيب.

فالاخ فاثيرو الذي كان رضع مع حليب امّهِ العبادة نحو البتول كثيراً ما كان يحثو في شبابهِ امام هذه الصورة فيجد في اكرامها قوّة وسلواناً فما انتقل الى الجزائر حتى فكّر في نشر العبادة نحو سيّدة التعزية وكان لا يشك البتة في انّ العذراء الطاهرة تخصب تلك الارض القفرة وتساعدهُ في تحويلها الى جنّة فيحاء

ففي شهر أيار من السنة ١٨٥١ وصلت الصورة المطلوبة من ايطاليا الى ميتم اليسوعيين في الجزائر . وكان الاخ المتعهّد لها اسرع فشيّد مشهداً صغيراً اصطنعهُ من الالواح وزيّنهُ على قدر استطاعتهِ واتّفق مع اخوته الرهبان والاولاد اليتامى واهل تلك النواحي بان ينقلوا الصورة الى المحلّ المختصّ بها في موكب عظيم ورونق بديع . فتمّت تلك الرتبة بكل ابّهة وجُعلت الصورة في ذلك المشهد ريثما ينتهي بناء الكنيسة الجديدة التي نجز تشييدها بعد بضع سنوات

وما جلست البتول على منصّتها حتى اخذت تُفيض سيول النعم الروحيّة والهبات الماديّة على كلّ سكّان تلك الانحاء . فكنت ترى كل يوم العدد الغفير من يتامى الميتمين اللذين كانا هناك تحت نظارة الآباء اليسوعيين ومن اهل الجيرة والمستعمرين يقبلون الى معبد سيدة التعزية زرافات ووحداناً فتارةً يأتونها بطاقات الزهور وطوراً يزيّحون صورتها او يتلون امامها الورديّة ويسعون غاية جهدهم بان يستلفتوا انظارها ويكتسبوا مِنّتها

والحقّ يقال انّ العذراء السيّدة لم تضنّ بمواهبها على اولئك البنين ولو اردنا ان نفصّل ذكر ألطاف البتول نحوهم لطال بنا الكلام . فمن ذلك انّ احد اليتامى وقع من عجلة تحت دواليبها ومرّت العجلة على ساقيهِ فالتجأ الى العذراء التي كان اعتاد اكرامها وتزيين صورتها بالازهار . فقام دون ان يُصاب بأذى . وأُصيب آخر ببصق الدم حتى انّ الاطباء وجدوا حالتهُ مخطرة فحضّهُ الاخ فاثيرو على طلب الشفاء من سيدة التعزية وصلّى هو من اجلهِ فشفي تماماً بعد زمن قليل

وجمحت بغيرهِ فرسٌ شموس فجرت بهِ الى نهر عميق ذي جسر متهدّم فقطعهُ سالماً وهو قانط من النجاة فنسب خلاصهُ الى العذراء التي كان سلّم على صورتها قبل ركوبهِ

وسقط على احدهم حجرٌ كبير فرضّ ساقهُ ولم يجد الجرّاح وجهاً لشفائهِ بغير قطع الساق الّا انّ الشاب جعل يلقي بمقاليد امرهِ الى البتول فيتوسّل اليها بحرارة فما لبث ان نال بشفاعتها ما طلب منها فسلمت ساقهُ وشفي تماماً

وكانت الأُمهات خصوصاً اذا حلّ باولادهنّ مصاب يُسرعن الى معبد سيدة التعزية بكل ثقة وايمان فيُعدْن الى بيوتهنّ ظافرات شاكرات حتى انهُ جرى على السنتهنّ كمثل « اذا أُصيب اولادنا بسوء نلتجئ الى سيدة التعزية. ونقدّم لاكرامها شمعة نوقدها أمام صورتها فلا تخيب آمالنا »

وليس في نيّتنا ان نثبت هنا صحّة تلك الكرامات المنقولة عن سيدة التعزية او ان نحكم حكماً قاطعاً بأنها من المعجزات الخارقة الطبيعة في حصر المعنى كما تفهمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة لأنّ كثيراً منها يمكن تعليلهُ بالوسائل الطبيعيّة الّا انهُ لا يُنكر كونها نعماً خاصّة جادت بها البتول نحو المتعبّدين اليها او ألهمتهم اياها لخيرهم

وقد رسخ الامر في قلوب العَمَة واهل تلك الجهات فضلًا عن اليتامى الذين تخرّجوا في ميتم الجزائر حتى انهم ألفوا تلك العبادة بقيّة حياتهم

*

فهذه الصورة بقيت في الجزائر مكرّمة معظّمة ثلاثين سنةً وهي هي التي تُرى اليوم في كنيسة تعنايل فتجدّد في البقاع آيات حبّها نحو الاهلين كما فعلت سابقاً في ارض افريقية

ففي السنة ١٨٨٠ لمّا اصدر جول فرّي الوزير الماسوني حكماً في تشتيت شمل الآباء اليسوعيين من فرنسة وملحقاتها اضطرّ الرهبان ان يقفلوا ميتمهم في الجزائر ويطلقوا سبيل عدد وافر من اولئك المنكودي الحظّ الذين كانوا يُعنون بتهذيبهم . وتفرّق الآباء في امكنة شتّى وكان بين الذين هاجروا الى بلاد الشام احد قدماء اليتامى ممّن تربّوا في الجزائر ثم انتظموا في سلك رهبانيتنا اليسوعية يدعى الأب كيرن (P. Kirn) فكان المذكور مغرماً بعبادة مريم العذراء مبالغاً في اكرام صورتها العجائبيّة المنصوبة في ميتم الجزائر . فلما بلغهُ امر رؤسائهِ بان يأتي الى بلاد الشام ويتقلّد رئاسة دير تعنائل كان اوّل فكرهِ بان يصحب معهُ صورة سيدة التعزية ليكرمها اهل لبنان كما اكرمها نصارى الجزائر . فبارك الرؤساء هذا الفكر الصالح ونقل الاب المذكور معهُ ذلك الكنز الثمين ليغني به جهات الشام

وكأني بمشارف لبنان ومفاوز البقاع حيّت تلك العذراء عند قدومها الى تعنائل فتهلّلت مردّدةً قول الحكيم: « هَلُمّي يا سلطانة من جبال أمانة وسنير وحرمون . .

هَلُمّي فتُكلّلي بالمجد . . فنقيم لك عرضاً عن هيكل الجزائر مقاماً آخر اهلاً بجلالك ترتفع فيه أدعية المتعبدين لك في سهول البقاع الى سرّ عرشك . هَلُمّي يا أيتُها العذراء الملقّبة بارز لبنان فنشيد لك مشهداً تحدق به اشجار الارز . وانت المدعوّة الوردة السرّية والزنبق بين الشوك سينتشر حول معبدك عرف الزهور العطرة وشذا الورد والسوسن . . وان كان اولادك يتامى الجزائر قد تفرّقوا ايدي سبأ فستجدين حولك فقراء وايتاماً غيرهم يلوذون بشفاعتك ويستترون تحت كنف حمائك فتقومين لهم مقام احنّ الأمهات كما أنهم يكرمونك اكرام أبرّ البنين »

وها قد مرّ اليوم على هذه الصورة ٣٠ سنة منذ حلّت بيننا كضيف كريم فسكنت اوّلاً في معبد صغير بسيط ثم استولت على مقامها الجديد . فلم يكد يمرّ عليها يوم واحد ولاسيما في أيام الربيع والصيف دون ان يقدم عليها بعض الزوّار شاكراً لها نعمتها او ذاكراً لها بعض حاجاته الروحيّة او الزمنيّة . واذا وقع يوم ميلاد العذراء وهو يوم عيدها ازدحمت الجموع في كنيستها ثم أُخرجت صورتها المباركة في موكب مهيب تتقدّمها جماهير الزوّار بالنظام والتقى فتُحمل في وسط الغابات والاشجار بينما تتصاعد الى الجوّ اصوات الاناشيد الروحية وترتفع الى السماء أدعية القلوب الحارّة فتعطّفها على الاخصّ فئات اليتامى الذين يأوون الى بيتها المدعوّ لذلك بيتم سيدة التعزية

وهذه الصورة الجميلة هي كما قلنا سابقاً مرسومة عن الصورة الاصليّة التي تكرم في مدينة طورينو برخصة خاصّة من رؤساء كنيستها وقد اجتهد المصوّر ان يمثلها تمثيلاً دقيقاً كأنها هي كما يشهد على ذلك رقيم الرؤساء المذكورين . لا بل سعى المصوّر في ان يزيد نظرها حنوّاً كأنّه نظر أعطف وأحبّ الأمهات فانّ ذلك النظر في الصورة الاصلية يدلّ على لين وانعطاف اما صورة تعنائل فترى فيها عيني العذراء كعيني ابنها يسوع ايضاً ترشقان الناظر اليها بسهام نافذة الى قلبه فتجعلانه حيثما سار فهو نظر أم رحوم وسلطانة جليلة يجمع بين الحنوّ والمهابة فيحرّك كل عواطف النفس على مقتضى استعداد كل زائر فاذا شخص الرجل بنظره اليها لا يسأم من التأمل في محاسنها . وقد روت اخبار الجزائر انّ كثيرين من زوّار مياتم الجزائر كانوا يمرّون بازائها ولا يعيرونها بالاً فاذا رأوا الاحداث يجثون امامها ويحيونها بالسلام ويبتسمون بنظرهم اليها تحرّكت شواعرهم وتغيّرت افكارهم وانابوا الى الله بعد أن اهملوا خدمته فجثوا هم ايضاً امام الصورة تائبين

صورة

سيدة التعزية

في تنائل

مستعطفين. واخبر احد المستعمرين انّ نظر البتول أثّر فيهم تأثيرًا عظيمًا وبعد ان سعى بان يُصلّب قلبهُ ويقهر عواطفهُ لم يتمالك من ان يقرّ بذنوبه الى كاهن وتاب توبة نصوحًا. وقد اراد بعضهم ان يصف هذا النظر العجيب فنعتهُ «بنظر الام» وكُتب ذلك في ذيل الصورة

والحق يقال انّ سيدة التعزية منذ شرّفت البقاع اعربت عن حُبّ امّ عطوف فتحت لسكان هذه الجهات افلاذ اكبادها وجادت بنعمها على كل طالبيها. ولقد عرف الاهلون سريعًا كرمها الفائض فاخذوا يتردّدون الى هيكلها ويقدّمون لها التضرّعات ويوقدون الشموع امامها ويتناقلون ذكر النعم التي نالوها من مراحمها. فكم من مرّة سمعناهم يقصّون علينا اخبارهم العجيبة فهذا يخبر بان ولدهُ عوفي من مرض ثقيل بشفاعتها وذاك يؤكد بانّ ابنهُ الاخرس نطق بعد ان زار معبدها. وغيرهُ يُعلن بان مواشيهُ كانت ضحيّة داء عضال فنجت منهُ بعد ان نذر نذرًا لسيّدة التعزية. وآخرون ينسبون اليها سلامة غلّاتهم من الآفات وبيوتهم من العدوى. ولو لم نظفر على شاهد آخر يثبت صحّة اقوالهم غير وفرة زوّار المعبد لكفى بذلك دليلًا قاطعًا نظرنا عيالًا بتمامها بل قُرى كاملة قصدت كنيسة السيدة سائرةً اليها من البقاع وزحلة وبعلبك. وكم رأينا نساء نحيفات الجسم بل كريّات الاصل أتين حافيات طاويات من امكنة بعيدة ليفّين بنذورهنّ عند هيكل العذراء بعد ان فزنّ برغائبهنّ.

ومما خُصّ به هذا المزار التقوي انّ موقعهُ في مكان قفر معتزل عن الضوضاء والجلبة فاذا اتاهُ الزائر شعر في صميم قلبه بعواطف التُقى والسلام على خلاف بعض المزارات التي تصبح في ايام اعيادها اشبه باسواق حافلة تتجمهر فيها الجماهير فيطلقون البندقيّات ويقيمون الالعاب والمراقص ويتغنّون بالاغاني العشقيّة ويشربون المسكرات فتلعب الخمرة بالرؤوس وتجري بين الجموع المشاجرات والخصومات التي تستدعي مداخلة الحكومة وتوقيف الجناة. فهذا ما نراهُ في بعض قرى لبنان في ايام الاعياد المختصّة بذكر السيدة واولياء الله. فهيهات ان تجد شيئًا من ذلك في تمنائل فانّ كل شيء يتمّ هناك بنظام وتقى ولا يأتي الزوّار الّا لغاية صالحة ولا نستثني من ذلك يوم عيد السيدة فانه مع وفرة القادمين الى حضور العيد وتباين مللهم وطوائفهم تجدهم جميعًا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة لا يقصدون سوى اكرام البتول بكل ورع وعبادة فيمشون بالترتيب

خاشعين ساكتين لا يسمع بينهم الّا صوت الصلاة والتضرع او الترانيم التقوية واذا بلغوا الى وسط الغابة حيث تنتصب صورة العذراء يقفون حولها فيسمعون عظة يلقيها عليهم احد الخطباء في معنى العيد ثم يمنحهم بركة الصورة فيعودون ادراجهم بالنظام ثم ترفضّ جموعهم وكلهم ألسنة ناطقة بحسن الرتبة وتقاها وشكر العذراء ومدح معبدها

ونحن نختم هذه الاسطر رافعين الى مقام سيدة التعزية اكفّ الضراعة فنطلب من شفقتها ان تملك على قلوب سكّان هذه السهول وتبارك اعمالهم وتشمل بنظرها خصوصاً ميتم تمنائل واولاده وتصونهم نفساً وجسماً من كل الآفات وتبلّغهم بعد العيشة الصالحة الى دار البقاء حيث يشكرون فضلها نحوهم ويشاركونها بالافراح السرمديّة

المجامع والدواوين والدوائر الرومانيّة

للاب لويس معلوف اليسوعي (نقلاً عن البشير)

ان قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيداً برسالته التي بدؤها «Sapienti consilio» الصادرة بتاريخ ٢٩ حزيران سنة ١٩٠٨ ادخل بعض الاصلاحات على المجامع الرومانية المؤلفة منذ عهد سيكستوس الخامس واضاف اليها غيرها وفصل الدوائر الادارية عن القضائيّة وجدّد لهذه الاخيرة ديوان الروتا (Rote) الذي يعلوه لبعض الامور ديوان التوقيع (Signature) العالي وهو بمنزلة ديوان التمييز

وقد رأينا ان نلخّص لفائدة القرّاء اختصاصات هذه المجامع والدواوين بحسب النظام الجديد

١ً مجمع التفتيش

S. Cong. du Saint Office.

يرأس مجمع التفتيش قداسة الحبر الاعظم نفسه. امّا اختصاصات هذا المجمع فهي المحافظة على كل ما يتعلق بالايمان والآداب فلهُ وحدهُ ان يحكم في امر الهرطقات ومتعلقات البدع وهو دون غيره يهتمّ بامر الغفرانات وشروطها سواء كان من الوجهة النظريّة او العمليّة

ثم انهُ وان كان للاسرار مجمع خاصّ فيظلّ لمجمع التفتيش مع ذلك ملء

السلطة للحكم في المسائل الاعتقادية المتعلقة بامور الزواج وبسواها من الاسرار وفي الموانع الناشئة من اختلاف الدين والمذهب

٢ً مجمع المجالس الكردينالية
S. Cong. Consistoriale.

يُقسم هذا المجمع الى فئتين ممتازتين فمن خصائص الاولى ان تمدّ موادّ البحث في المجالس الكردينالية وتُعنى في انشاء الابرشيات الجديدة وتأليف الدواوين الكنائسيّة في البلدان التي لا ترجع في امورها الى مجمع انتشار الايمان المقدس. ومن خصائصها ايضاً قسمة الابرشيات وانتخاب الاساقفة والمديرين الرسوليين ومعاوني الاساقفة . ولها ان تجري الفحص القانوني عن اهليّة المرشحين وتبحث عن صحّة معتقدهم. واذا كان الانتخاب وانشاء الابرشيّات او قسمتها لاماكن خارج ايطاليـة فللوزارة البابويّة أخذ المعلومات اللازمة واجراء ما ينبغي اجراؤه اولاً ثم تعرض النتيجة على المجمع الذي كلامنا فيه

اما الفئة الثانية من هذا المجمع فتهتم بكل ما يتعلّق بادارة الابرشيات التي لا ترجع في امورها الى مجمع انتشار الايمان المقدّس وتسهر على ان يقوم الاساقفة ورؤساء الكهنة بالواجبات المفروضة عليهم وتطلع على التقارير التي يرفعها الاساقفة عن حالة ابرشياتهم وتامر باجراء الزيارات الرسولية وبعد ان تفحص نتيجتها وتعرض خلاصتها على قداسة الحبر الاعظم تامر بأخذ التدابير اللازمة او المفيدة. ومن خصائص هذه الفئة ايضاً الاهتمام بادارة ونظام وتدبير وعلوم المدارس الاكليريكية

وان حدث ريب في احدى المسائل ولم يظهر جليّاً لايّ من المجامع المقدسة يعود النظر فيها فلهذا المجمع الحكم في ذلك وتعيين جهة الاختصاص

ويرأس هذا المجمع قداسة الحبر الاعظم بوزارة الكردينالين سكرتير مجمع التفتيش والوزير البابوي. ولقداسته ان يضمّ اليها من يشاء

٣ً مجمع الاسرار
Cong. de la Discipline des Sacrements.

يُعنى هذا المجمع بكل القوانين المتعلّقة بنظام الاسرار السبعة خلا الامور التي

مرجعها الى مجمع التفتيش كما ذُكر او الى مجمع الطقوس كاحتفالات منح الاسرار وقبولها

وعليه يكون من خصائص هذا المجمع منح التفسيحات الزواجية في المحكمة الخارجية سواء كان للفقراء او للاغنياء وتصحيح الزواج من الاصل وحلّ الزيجة غير المكتملة وفصل المتزوّجين واعلان البنين شرعيين. ومن خصائصه ايضاً كل ما يتعلق بنظام سائر الاسرار كمنح التفسيح للمتقدمين الى سر الكهنوت والتفسيحات المتعلقة بالمكان والزمان والشروط في قبول الافخارستيا واقامة الذبيحة الالهية وحفظ القربان المقدس الى غير ذلك من امثال هذه الامور

ولهذا المجمع اخيراً ان ينظر في المسائل المتعلقة بصحة الزيجة او سر الكهنوت و بنظام الاسرار. لكنه اذا ارتأى وجوب النظر في هذه المسائل بحسب الطريقة القضائيَّة فحينئذٍ يتخلّى عنها لديوان الروتا

مجمع ايضاح تعاليم المجمع الفريدنتيني
Cong. du Concile.

وظيفة هذا المجمع الاهتمام والعناية بكل الشؤون العائدة الى نظام الاكليروس العلماني والشعب المسيحي العام. فمن خصائصه اذاً ان يسهر على حفظ وصايا الكنيسة كالصوم والقطاعة واداء العشور وحفظ الاعياد وان يفسح للمؤمنين من هذه الوصايا عند الاقتضاء. وبه يناط تدبير كل ما يختص بالخوارنة والقانونيين والجمعيَّات والشركات التقويَّة والاوقاف والمشاريع الخيريَّة وحسنات القداسات والرواتب الكنسيَّة والعقارات والاموال المختصة بالاكليروس

٥ مجمع الرهبانيات
S. Cong. des Religieux

تنحصر سلطة هذا المجمع في شؤون الرهبان والراهبات سواء كانوا من ذوي النذور الاحتفالية او البسيطة. فبه يناط امر كل المشاكل التي تحدث بين الاساقفة والرهبان او الراهبات او بين الرهبان او الراهبات وهو بمثابة محكمة اختصاصيَّة للنظر في كل الدعاوي النظامية. اما ما سوى ذلك فيحال على ديوان الروتا

٦ مجمع انتشار الايمان المقدس
S. Cong. de la Propagande.

تنحصر سلطة هذا المجمع في البلدان المعروفة بالرسالات حيث لم يتمّ بعد تنسيق

نظام السلطة الكنائسيَّة بكاملهِ او ان كان قد تمَّ كما في الهند واستراليا واليابان فهو لا يزال في حالة النشوء

وبموجب احكام الرسالة الجبرية Sapienti قد ارتفعت سلطة مجمع انتشار الايمان المقدَّس في اوربة عن الاقاليم الكنائسيَّة الآتية اعني انكلترة واسكتلندة وارلندة وهولندة وابرشية لكسمبورج وفي اميركة عن اقاليم بلاد كندا والارض الجديدة والولايات المتحدة. هذا وان سلطة المجمع تمتد الى عموم النيابات والمديريات الرسولية والرسالات غير ان قداسته امر بان مجمع انتشار الايمان يحيل الى المجامع الخاصة كل المسائل المتعلقة بالايمان والزواج ونظام الطقوس المقدَّسة

اما ما يختصّ بالرهبان والراهبات فان كان يتعلق بهم من حيث هم مرسلون فهو يختصّ بهذا المجمع. اما اذا كان من حيث هم رهبان فيحال الى مجمع الرهبانيَّات

ولمجمع انتشار الايمان فرع خاص يهتم بشؤون الطرائف الشرقيَّة وهذا الفرع يحفظ كل اختصاصاتهِ الماضية. وقد ضُمَّت الى هذا المجمع لجنة اتحاد الكنائس المنفصلة

٧ً مجمع فحص الكتب

S. Cong. de l'Index,

كان هذا المجمع اذا ما رُفع اليه امر كتب تخالف تعاليمها للتعاليم القويمة يهتمّ بفحصها ومنعها عند الاقتضاء. فامر قداسته برسالته Sapienti بان يعنى هذا المجمع نفسه علاوة على ذلك بالتفتيش والبحث عن الكتب والنشرات التي تستحقّ المنع وبتنبيه الاساقفة الى ان يسهروا السهر الكلي على ما ينشر في ابرشياتهم من الكتب فيوجّهوا انظار الكرسي الرسولي الى ما كان منها مخطراً

٨ً مجمع الطقوس

S. Cong. des Rites.

وظيفة هذا المجمع فحص وتنظيم كل ما يتعلق مباشرةً بطقوس واحتفالات الكنيسة اللاتينيَّة فقط. قلنا « فقط » لان مرجع الطرائف الشرقيَّة في هذه الامور ايضاً هو الفرع الخاصّ بها في مجمع انتشار الايمان المقدس

فمن خصائص مجمع الطقوس اذاً ان يسهر على حفظ الطقوس والرتب في اقامة الذبيحة الالهية ومنح الاسرار وان يمنح التفسيحات الضروريَّة والانعامات الشرفيَّة سواء كانت شخصية او محلية زمنية او دائمة

واخيرًا اليه يرجع الاهتمام بكل ما يتعلق بامر تطويب اولياء الله وتثبيت قداسة القديسين بعد فحص اعمالهم ومعجزاتهم وبامر الذخائر المقدسة

٩ مجمع الاحتفالات

S. Cong. de la Cérémoniale

خصائص هذا المجمع هي كما كانت من القدم اي ترتيب الاحتفالات التي تقام في بلاط الحبر الاعظم وفي معبده الخاص والعناية بتقرير ما تقتضيه حقوق الاسبقية بين الكرادلة وسفراء الدول وما يجب اجراؤهُ من مراسيم التشريفات في الاستقبالات الرسمية

١٠ مجمع الشؤون الكنائسية الخارقة العادة

S. Cong. des Affaires Eccles. Extraordinaires

يعنى هذا المجمع بالامور التي يعهد اليه الحبر الاعظم بفحصها بواسطة الكردينال وزيره وبنوع خاص بالامور التي لها علاقة بالقوانين والشرائع المدنية والتي تتعلق بالاتفاقات والمعاهدات المبرمة مع الدول

١١ مجمع الدروس

S. Cong. des Etudes.

وظيفة هذا المجمع تنظيم الدروس في الكليات والمكاتب التي تحت سلطة الكنيسة حتى التي تكون منها بادارة الرهبانيات والنظر في ما يراد انشاؤه من الكليات والمكاتب والموافقة عليه واعطاء ادارتها سلطة منح الدرجات الاكاديمية

الدواوين

١ ديوان التوبة الرسولي

S. Pénitencerie Apostolique.

تنحصر سلطة هذا الديوان في ما يتعلق بالضمير ولهذا ليس من خصائصه حلّ موانع الزواج حلًا علنيًا ظاهرًا بل ذلك من خصائص مجمع الاسرار . ومن خصائص ديوان التوبة انهُ يمنح الانعامات الروحية ويحلّ ويفسخ ويبدل ويصلح ويرذل لكنهُ يعمل ذلك كله في محكمة الضمير الباطنية. واخيرًا هو الذي ينظر في المشاكل اللاهوتية الادبية ويحلها

٢ً ديوان الروتا
S. Rote Romaine.

قد جدّد قداسة الحبر الاعظم ديوان الروتا وعهد اليه النظر في المسائل القضائية وهذا الديوان يكون تارةً بمثابة محكمة ابتدائية وتارةً بمثابة مجلس استئناف حسب قوانين مقرَّرة. وهناك امور وظروف يكون فيها حكمهُ حكماً باتًّا لا يستأنف ولا يميَّز

٣ً ديوان التوقيع
Signature Apostoliqne.

هذا الديوان هو بالنسبة الى ديوان الروتا كمجلس اعلى او كمحكمة تمييز

الدوائر

١ً دائرة الختم الرسولي
Chancellerie Apostolique.

يرأس هذه الدائرة احد كرادلة الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة ومن خصائصها ارسال الرسائل الرسولية التي يكون توقيعها على الرصاص (sub Plumbo) والمتعلقة بانشاء ابرشيات جديدة وبامور الكنيسة العامَّة

٢ً دائرة الداتاريا الرسولية
Daterie Apostolique.

يرأسها احد كرادلة الكنيسة الرومانية المقدَّسة ووظيفتها البحث عن اهلية المرشحين لقبول الرواتب الكنسية غير المختصة بالديوان الكردينالي المحفوظة للكرسي الرسولي. وانشاء وارسال الرسائل المتعلقة بمنح تلك الرواتب والتفسيح من الشروط اللازمة لمنحها

٣ً دائرة البلاط الرسولي
Chambre Apostolique.

رئيس هذه الدائرة نيافة الكردينال كمرلنغ الكنيسة الرومانية المقدَّسة ووظيفتها ادارة املاك وحقوق الكرسي الرسولي الزمنية خصوصاً مدَّة فراغه

٤ً دائرة الوزارة البابويَّة
Secrétairerie d'Etat,

يرأسها نيافة الكردينال وزير الحضرة البابويَّة وهي تتألف من ثلاثة فروع: يهتم الاوَّل بالامور الخارجة العادة الواجب عرضها على فحص المجمع المختصة به. والثاني

يهتم بالامور الاعتيادية وبمنح ألقاب الشرف الأكليريكية والمدنية ما عدا المحفوظ منها لقيّم البلاط البابوي . والثالث يهتم بارسال البراءات الرسولية التي تُحيلها اليه المجامع

رحلة القس خِدْر الكلداني

من الموصل الى رومية وما جرى لهُ في طريقهِ وفي المدينة المقدسة (تابع)

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

٥ وصف اليوبيل الروماني – كنائس وذخائر – حفلات دينيَّة ومدنيَّة

وكان سيّدنا البابا بنادكتوس (الثالث عشر) فتح اربعة ابواب في اربع كنائس (١ وهي كنيسة مار بطرس وكنيسة مار بولس وكنيسة السنجوان (٢ وهي على اسم مار يوحنا المعمدان ومار يوحنا الانجيلي وفيها راس بطرس ورأس بولس وفيها تابوت العهد وعصاة موسى النبي (٣ وكنيسة سنتا ماريا ماجور (٤ وهي على اسم سيّدتنا مريم وفيها صورة العذراء التي صوَّرها بيدهِ لوقا الانجيلي لمَّا كانت سيّدتنا مريم في الحياة . وهذه الكنائس الاربع لا يوجد افخر منها في رومية ولكن كنيسة مار بطرس افخر من الكل . وما لها مثيل في الدنيا ابدًا . وفي هذه الاربع الكنائس يصير الغفران كل خمس وعشرين سنة مرَّة واحدة . وفي كل كنيسة يفتح سيّدنا البابا بابًا واحدًا وبذلك الباب المقدَّس يدخل الزوَّار ليربحوا الغفران الكامل وتُمحى الخطايا التي فعلوها في كلّ حياتهم بشرط ان يندموا عليها بعد اعترافهم بها وان يزوروا في نهار واحد الكنائس الاربع وزيارتهم تتمّ في سبع ساعات

١) هذه الابواب تُفتَح في سنة اليوبيل برونق عظيم ليدخل منها الزوَّار

٢) سنجوان تعريب (San Juan) او (San Giovanni) اي كنيسة مار يوحنَّا

٣) لعلّ الراوي خُدع بما روى فان تابوت العهد قد فُقد عند جلاء بني اسرائيل الى بابل وفيهِ كانت عصاة موسى وقد نقلنا كلامهُ على علَّاتهِ

٤) Santa Maria Maggiore اي كنيسة مريم الكبرى وهي التي بناها في القرن الرابع البابا ليباريوس بعد حدوث آية عظيمة في ذلك المكان حيث ظهر ثلج في وقت اشتداد القيظ على حسب وعد البتول لبعض اهل رومية

وانا الحقير القس خدر زرتُ هذه الكنائس خمس مرّات . وابصرت في روميـة الزّياحات التي عملوها كل يوم في هذه السنة المقدّسة فانّها ما تحيّ للوصف فترى القسوس لابسين بدلات والشمامسة في ايديهم العلامات والسناجق والصلبان فيطوفون كل يوم في المدينة ويزورون الكنائس . وكان قد جاء خلقٌ لا يحوط بهِ احصـاء من الشرق والغرب لاجل هذه السنة المقدّسة ونالوا فيها الغفران

ولما كانت ليلة عيد الميلاد التي هي خاتمة السنة المقدّسة اتى سيّدنا البابا بنادكتوس ليكسّر الباب المقدّس الذي لمار بطرس وسدّهُ بيدهِ والكلس كان في طشت من فضّة والمالج من ذهب وبيدهِ بنى اثني عشر حجرًا وصقلهـا بمالج الذهب في الكلس . ثم ساعدهُ الكردينالـة في البناء واتمّ المعلّمون باقي العمل . ولما قدم البابا ليباشر بهذه الرتبة عملوا لهُ زيّاماً لا يصير مثلهُ في الدنيـا حيث اجلسوهُ على كرسي وحملوهُ الى محلّ البناء وهو لابس بدلة ثمينة للغاية وعلى رأسهِ تاج مرصّع بالجواهر وكان يمشي قدّامـهُ البطاركة والمطارين والاساقفة والكردينالية وكلهم التيجـان على رؤوسهم وشموع موقـدة في ايديهم . وكان الجنود حولـهُ لابسين دروعًا من حديد ساحبين الحربات والسيوف المسلولة وتزلوهُ من سرايتهِ بهذا الزياح وادخلوهُ في هيكل مـار بطرس . وكان خلقٌ عظيم في الهيكل والارواق وحوش الكنيسة نحو مائة الف نفر من رجال ونسـاء . وثاني يوم الذي كان واقعًا فيهِ عيد الميلاد قدّس البابا في مار بطرس وحمل ذخائر القديس وصعد على درابزين في مكان عالٍ في الكنيسة وبارك بها على الشعب ووهب غفرانًا كاملًا لمن حضر هناك وكملت السنة المقدّسة ورجع كل انسان الى بلده

وفي يوم خميس الفصح من السنة ١٧٢٧ رحتُ زرتُ كنيسة السنجوان التي هي على اسم يوحنا المعمدان ويوحنا الانجيلي في صحبة الرهبان الموارنة (١ وكان رئيسهم ابونا القسيس يوسف صاحبي فتوسّل الى رئيس الكنيسة ففتح لنـا بابًا صغيرًا وارانا عصاة موسى النبي التي شقّ بها البحر والى الآن ما بليت . وكذلـك ارانا شقفةً من عكاز هارون الكاهن وغطاء تابوت العهد ومائدة الخشب التي اكل عليها السيّد المسيح

١) هم الرهبان الحلبيّون اعظاهم الاحبار الرومانيّون دبرًا وكنيسة القديسين الشهيدين مرقس ومرشلينوس

مع تلاميذهِ وصورة سيّدنا يسوع المسيح التي صوَّرها لوقا الرسول وكانت هذه الذخائر كلها موضوعة في صندوق من بلّور. ولما رأيناها شملني فرح لم يحصل لي مثلهُ في كل حياتي (١

واصعدونا خارج الكنيسة الى مكان عالٍ فيهِ درجات كثيرة يصعدون في كل واحدةٍ منها ثم يسجدون ويصلّون مرّةً ابانا الذي والسلام عليك ويمشون على ركبهم لينالوا الغفرانات. وهذه الدرجات هي التي كانت في ديوان فيلاطوس وهناك سحب اليهود سيّدنا المسيح ورموهُ من اعلى الدرج الى آخرهِ حتى تخضّب الدرج من دم المسيح (٢. فالملوك المسيحيّون قلعوا الدرجات من مدينة اورشليم وجابوها الى رومية ونصبوها في بيعة يوحنّا المعمدان ويوحنا الانجيلي المسمّاة كنيسة لاتران التي على اسم المسيح. وفوق الدرج كنيسة صغيرة وفيها صورة المسيح بعينهِ التي صوَّرها مار لوقا الانجيلي وعليها باب حديد ما ينفتح سوى في خميس الفصح وبعض أيام مواسم في السنة. ودخلتُ فيها مع الرهبان في عيد القربان المقدّس الذي يحكم في الاسبوع الثاني بعد القنطيقستي (اي العنصرة) وشاهدت تلك الصورة وابصرتُ المسيح بعينهِ فطوبى لعيوني التي شاهدتهُ

وفي اليوم ٢٤ من حزيران الذي فيهِ عيد مار يوحنّا المعمدان رحتُ الى كنيسة مار سليسطروس بابا رومية وهناك دير للراهبات الفرنسيسكانيّات ورأيت فيهِ رأس يوحنّا المعمدان في صندوق من بلّور كان موضوعاً على الهيكل وهو الرأس الذي قطعهُ هيرودس واعطاهُ لهيروديّا وشملني لذلك فرح لا يعلم بهِ الّا الله. والكنائس التي في

١) بعض هذه الذخائر لا صحّة لها كتابوت العهد ومحتوياته وانّما نروي ما كتبهُ القس خدر تاركين عليهِ العهدة في ما رواهُ ومن اراد زيادة شرح فليراجع مقالتنا المعنونة « قدس الاقداس وذخائرهُ » (في المشرق ٩: ٨٤٤–٨٥١) حيث ورد ذكر هذا التابوت وصورة المسيح وغير ذلك من الذخائر مع الانتقاد عليها

٢) لم يرو الانجيل شيئاً من ذلك. امّا الدرج فقد صعدهُ السيد المسيح بعد جلدهِ وتكليلهِ بالشوك فخضبهُ بدمهِ. وهو المعروف اليوم بالدرج المقدّس (Scala Santa) ويُكرَم قرب الكنيسة المعروفة بالصليب الاورشليمي (Ste Croix de Jérusalem) حيث جُمعت اكثر ذخائر آلام المسيح كالصليب المقدّس وعنوان الصليب وقطع من اكليل الشوك وحربة الجندي. وهذه الكنيسة قريبة من كنيسة مار يوحنّا اللاترانيّة فالقس خدر ألحقها بكنيسة لاتران لفرجا وجعلها على اسم المسيح

رومية مع اديرة الرهبان والراهبات لا يُحصى عددها وسمعتُ انها اكثر من ١٦٠٠. وكذلك المارستانات اعني بيوت المرضى كثيرة جدًّا

وفي السنة ١٧٢٨ زوّج سلطان اسبانية ابنهُ علي بنت سلطان البورتغال (١ فاراد انكرديناك نائب سلطان اسبانية ان يعمل لهُ فرحًا وفرجةً في رومية مثل ما يعمل الترك « دوللمه (٢ » في بلاد الاسلام فعمل برجًا عاليًا مثل القصر في الميدان الذي قدّام مدرسة المجمع المقدّس. وكان علوُّ البرج ١٥٠ ذراعًا وركّبهُ من ورق وملأ الورق بارودًا وزيّنهُ بحلي الذهب كلها ورق حتى كان منظرها يخطف بصر الناظرين - وجعل في راس البرج شبابيك وتصاوير عجيبة العمل ليس لها مثيل. وجعل حول البرج درابزينات فيها قنبرات ورق محشوّة بارودًا وتماثيل بشر وخيل كلها ورق محشوّة بارودًا وزيّنوا البلد بعدد لا يُحصى من الشموع والمشاعل. وقضوا شهرين في عمل البرج

ففي اليوم المعيّن الساعة الثالثة من الليل اجتمعت كل اهل البلد وضربوا النار في ذلك البرج فدوت الضجّة في كل المدينة حتى كان يظنّ الناس من صوت تلك الصواعق انهُ صارت القيامة. وكانت القنابر ترتفع في الجوّ كأنها صواعق وترمي شرارات النار على رؤوس الناس كأنها تحرقهم ولكن بلا ضرر لاجل الفرجة والضحك. وكان المتأمل يظنّ انّ النار والكبريت ينزلان من السماء كما في عهد سادوم وعامورا. وهم يعملون هذه الفرجة كلها ليذكّروا الناس في الجحيم والعذاب الذي يتعذّب فيهِ الخطأة. اللهمّ جيرنا (أجرنا) وخلّصنا منهُ بحولك وقوّتك آمين. والنار التي كانت تتأجج في البرج كان دخانها اسود مدلهمًّا لا يُرى فيهِ شيءٌ ثم يصفو الدخان فيُرى احمر. وقد صرفوا على هذه الحرّاقة اي برج الورق خمسة عشر الف قرش اسكوت روماني. وكل اسكوت عشر جوليات والجولية هي البغداديّة السالكة في الموصل وكان يضربون بآلات الموسيقي لسلوة الناس شيءٌ ما يسعهُ العقل.

٦ ذكر آثار مختلفة وحفلات واعياد

وفي سنة ١٧٢٧ م ادخل سيدنا البابا في مدرج القديسين ثمانية رهبان اثنين من

١) ملك اسبانية فيلبّوس الخامس وابنهُ فرديند السادس واسم ملك البرتغال يوحنّا الخامس

٢) دوله والاصحّ طوله بالتركيّة المحشوّ بالبارود

اليسوعيين (١ واثنين من الفرنسيسكان من السوكلند (٢ ومطرانًا واحدًا (٣ وراهبة من الدومنكان (٤ واثنين آخرين. وفي السنة ١٧٢٨ ادخل في مدرج القديسين القديسة انيسة الدومنيكانية (٥ وكلهم قدَّسهم في كنيسة مار بطرس. وفي السنة ١٧٢٩ جعل في رتبة القديسين مار يوحنا من جرمانية (٦ وقدَّسهُ في كنيسة السنجوان (San Giovanni) بزيَّاح ما لهُ مثيل مدَّة الصوم الكبير

وفي هذه السنة في خميس الفصح دخلت الى بستان قسطنطين الملك الذي هو داخل كنيسة السنجوان حيث كانت سراية الملك قسطنطين ولما تحول من مدينة رومية وانتقل الى الشرق فبنى مدينة القسطنطينية جعل سرايتهُ كنيسة على اسم مار يوحنا المعمدان ومار يوحنا الانجيلي فدخلت بستانها في صحبة الرهبان المارانة وابصرت قامة المسيح مركبة على اربعة عراميد وعليها طبق فدخلت انا الحقير القس خدر تحتها وقدَّرتُ قامتي على قامة المسيح فطلعت قامتهُ اعلى من قامتي بعرض اربعة اصابع

وذلك البستان حولهُ روافات وفيه دعائم مرمومة مفتولة مُقَرْمطة مزخرفة تخطف بصر الناظرين. وفيه العمود الذي وقف عليه الديك فصاح لمَّا كفر بطرس بالرب وعليه ديك مصوَّر من حجر كانهُ يصيح. وفيه حجر سنَّاقي طولهُ وعرضهُ نحو ذراع واحد وهو الحجر الذي وضع عليهِ الشُّرطُ ثياب المسيح لما عرَّوه فاقترعوا عليها. وجنبهُ عمود غاية في اللطف مشقوق فلقتين من فوق الى تحت كان في باب هيكل سليمان فانشق ساعة صلب المسيح وقد وُضع كل فلق على جانب الاخر فهذه الآثار وغيرها ايضًا كانت سابقًا في بيت المقدس فجمعها قسطنطين وارسلها الى رومية. وابصرتُ ايضًا في ذلك البستان اصنام المصريين التي صاحت لما دخل يسوع الطفل الى مصر. واشياء كثيرة ما عرفتُ اسماءها فما كتبتُها

---

١) هما القديسان لويس غنزاغا واستانسلاوس كُستكا

٢) السوكلند (Cioccolanti) طغمة من الرهبان الفرنسيسيين دُعوا بذلك لأن لون ثوبهم يشبه الشوكولاتا. والقديسان المشار اليهما جاك دالّا ماركا وفليكس دي كانتاليس

٣) يريد القديس اندراوس كورسيني اسقف فايزولي

٤) القديسة كاترينا من بولونيا

٥) اسمها اغنس دي مُنتبلشيانو

٦) يريد جان دي كابستران الذي انقذ بلاد المجر من اعدائها

ويوم احد القيامة دخلتُ هذه كنيسة السنجوان وكان فيها ناس لا يحصى عددهم فصعد مطران الى راس طغمة المذبح وهو من حديد مزخرف بالذهب والفضة يخطف ابصار الناظرين بحسنه . وهناك رأس مار بطرس ومار بولس ورأس زكريا ابي يوحنا المعمدان وشعر سيدتنا مريم العذراء وثوبها وعصابتها مصبوغة بدم ابنها الذي جرى على رأسها لما كانت تبكي تحت الصليب وثوب يوحنا المعمدان وثوب يوحنا الانجيلي وذخائر قديسين كثيرين ما لهم عدد من الرسل والشهداء والمعترفين من جملتها عظام القديسة بربارة وهناك ايضاً اناء فيه دم من جنب المسيح وهو الذي جرى لما طُعن بالحربة وقطعة كبيرة من الصليب الحي الذي صُلب عليه المسيح . فكل هذه الذخائر موضوعة في علب صغار وكبار منها فضة ومنها ذهب وبلور وجواهر تخطف بصر الناظرين . فالمطران يحملها ذخيرةً ذخيرةً ويبارك بها على الجموع . وفي تلك الساعة تعوي الشياطين وتصيح في داخل المجانين (المسكونين) واصواتهم ترعب كل الناس . وقد ابصرنا مجانين كثيرين الذين شفوا في تلك الساعة ورجعت اليهم عقولهم

وهذه الزيارة تصير كل سنة يوم عيد قيامة الرب فيعرضون هذه الذخائر في كنيسة السنجوان وفي كنيسة سنتا ماريا ماجور السابق ذكرها في الساعة العاشرة من النهار . وفي يوم الاثنين ثاني عيد القيامة تصير الزيارة في كنيسة مار بطرس ويعرضون الذخائر التي فيها . فهناك راس مار اندراوس الرسول اخي شمعون الصفا وذخائر جميع التلاميذ وقديسين كثيرين لا يحصى عددهم وجميع آلات آلام المسيح ولكن جسد مار بطرس ومار بولس لا يزورهما احد لانهما في تابوت من فضة وفي قبر من حديد . وعلى طغمة رأس قبر مار بطرس ثلاث ذخائر يباركون بها وهي اولاً رمح الحديد الذي طُعن به جنب المسيح ثم قطعة من الصليب الحي موضوعة في بلور مرصع بالذهب والجواهر . ثم صورة وجه المسيح على محرمة (منديل) وذلك انهُ لما كان حاملاً صليبهُ ليُصلَب وهو عرقان جاءت امرأة ومسحت وجههُ بالمحرمة فتصوَّر وجههُ فيها وهذه هي صورة المسيح الحقيقيَّة فيبارك بها المطران على الشعب فيأخذون البركة ويعشون وتبتدئ الشياطين تصيح في جوف المجانين وترهب الناس . وهناك ايضاً صورة بطرس وبولس اللذين رآهما قسطنطين الملك في

الحلم لما آمن واعتمد على عهد البابا سلبسطرس

ورحتُ الى كنيسة سان جورجيو اي مار گورگيس (جرجس) وهناك رأسهُ موضوع في صوان من فضَّة والصوان موضوع على ثرونوس (١ المذبح . وفي كل سنة يوم عيده يخرجونهُ و يباركون به الناس . وهناك ايضاً حربة الرمح التي طعن به التنين وقد قبلتُها بفمي

وفي الثلثاء من عيد القيامة تصير الزيارة في كنيسة مار بولس وهي خارج مدينة رومية على بعد ميل ونصف والناس كلهم يطلعون ليزوروها في هذا اليوم ويكشفون فيها صليباً من خشب عليه صورة المسيح التي كانت تتكلَّم مع القديسة بريجيتا . وعلى مذبح مار بولس ذخائر قديسين كثيرين موضوعة في آنية ثمينة مزخرفة بالفضَّة والذهب . وكل الزوَّار ينالون الغفران في هذه الأيام الثلثة لعيد القيامة : يوم الاحد في السَّنجولن ويوم الاثنين في مار بطرس ويوم الثلثاء في كنيسة مار بولس وهي كنيسة كبيرة عظيمة فيها عواميد كثيرة من الرخام و٢٤ عموداً من الحجر السَّاقي (٢ . وهناك بساتين كثيرة ودير كبير عظيم ومجمع رهبان كثيرين من رهبنة مار بنادكتوس اي مار مبارك

وبعدما رجعتُ من زيارة مار بولس دخلت كنيسة سنتا ماريا دال پو پلو (del Popolo) التي على جانب كنيسة الارمن ديسباكه (؟) وكنيسة مار نيقولاوس . وابصرت فيها اولاداً صغاراً وبنات صغيرات عمرهم عشر سنين ازيد وانقص قد اتوا للكنيسة ليتقرَّبوا اوَّل قربان وكانوا لبسوهم على زي الملائكة اعني كتَّاناً ابيض ملوَّناً باحمر واصفر واخضر وعلى رؤسهم اكاليل البنين اكاليل شوك والبنات اكاليل ازهار معمولة بصنعة المعلمين وعليهم اجنحة ملوَّنة بذهب . فطلعوا امامهم بالزيَّاح والسناجق والصلبان وهم يمشون بالصلوات والترانيم والشموع بايديهم فاذا ابصرهم انسان لا يستطيع ان يميزهم من ملائكة السماء والذي ابصر في حلمه ملاكاً نورانياً يصدق كلامي

ويوم الخامس والعشرين من شهر نيسان عيد مار مرقوس الانجيلي تجتمع كل

١) من اليونانية (Θρόνος) اي السدَّة والعرش

٢) وهذه الكنيسة احترقت وخربت فجدَّد بناءها البابا بيوس التاسع وهي اليوم من ابدع كنائس رومية فيها من الآثار وضروب الرخام الفاخر والنقوش ما يعزُّ وجود مثلهِ في غيرها

الرهبنات في كنيستهِ وفي اوّل ساعة من النهار يصلون زيّاحاً عظيماً ويخرج الرهبان صفوفاً صفوفاً ولكل رهبنة سنجقها فيمشون من كنيسة مار مرقس الى كنيسة مار بطرس بالترتيل والصلوات والطريق بين الكنيستين طولها نحو ميلَين

وفي اليوم الرابع من شهر آب عيد مار دومنيقوس اي مار عبد الاحد رحت فزرت كنيسة سانتا سابينا (١ وابصرت قلاية مار دومنيقوس التي سكن فيها وزرع قدّام قلايتهِ شجرة الليمون. وابصرت الشجرة خضراء تزهر والتُرُنج معلّق عليها ولها اليوم خمسمائة سنة وما يبست ولهذه الكنيسة دير كبير فيهِ راهبات الدومنيقانيين وهو على سور مدينة رومية. وهو مكان نزه لطيف وعالٍ يجري تحتهُ نهر طيبروس الكبير. وعلى جانبهِ دير سانتو صلاوس (كذا) اعني القديس رجل الله (٢ الذي جاء الى بلد الرها وقصّتهُ في بلادنا معروفة وكان ابن حاكم رومية ورجع الى بيت ابيهِ مثل فقير شحّاد وسكن في باب بيت ابيهِ سبع عشرة سنة وما عرفوهُ. ويوم الذي مات فيهِ دقّت جميع نواقيس مدينة رومية فارتجّت المدينة لمّا سمعت دقّ النواقيس من ذاتها ونزل البابا الى كنيسة مار بطرس وهو يبكي مع الكردينالية وجاء ملاك اخبرهم عن القديس رجل الله فراحوا وتباركوا منهُ كما هو مذكور في قصّتهِ وبنى لهُ ابوهُ كنيسة جنب دارهِ وهناك يسكن الرهبان. وقد ابصرتُ المكان فرأيتهُ مثل جنّات النعيم هو مكان عالٍ مشرف على النهر وعلى كل مدينة رومية

واليوم الخامس من شهر آب عيد سانتا ماريا ماجور على الثلج (٣. وتُسمّى كذلك لأنهُ كان في رومية رجل ذو مال كثير وما كان لهُ اولاد وكان محتارًا ايش يسوّي في المال فظهرت لهُ العذراء وقالت لهُ: اذا ابصرت الثلج على تلّ فابنِ لي هناك كنيسة. وثاني يوم ابصروا ثلجاً في هذا المكان في أيام الحرّ الشديد فبنى كنيسةً عظيمة على اسم سيّدتنا مريم العذراء. فكلّ سنة يوم تذكار العيد يسيرون الى هذه الكنيسة باحتفال عظيم بالصلوات والتراتيل ويقدّسون فيها وينثرون ورد النسرين الابيض ذا الرائحة الطيّبة فينزل على رؤوس الجماعة على شبه الثلج وتمتلئ الكنيسة من رائحة العبير تذكارًا للاعجوبة

١) وفيهِ مقام الراهبات الدومنيكانيّات في رومية ٢) وهو المعروف في هذه البلاد بالقديس ريشا وعند الفرنج بالكسيس (اطلب المشرق ٨: ٦٥٠) ٣) اطلب الصفحة ٦٥٦

ويوم عيد السيدة في نصف شهر آب رحتُ زرتُ كنيسة ريجينا جيلي (Regina coeli) وابصرتُ فيها صورة العذراء وهي مصوَّرة مثل السلطانة وكانوا لبَسوها لبس الملكات وفي يدها صولجان الملوك من ذهب وعلى رأسها تاج مركَّب من اثني عشر كوكبًا وهي جالسة على كرسي ملتحفة بالنور والقمرُ والسماء تحت ارجلها وحولها اثنا عشر ملاكًا لابسين زي الملائكة وهو شيء لا يوصف غريب عن العقل اذا ابصرهم الانسان يذهل عقلهُ ويطيش

ويوم غفران مار فرنسيس (٢ آب) رحتُ الى جبل الذهب حيث قطعوا فيهِ رأس مار بطرس اي سان بيطرو مانطوريو (San Pietro Montorio) وابصرتُ تحت المذبح الكبير القديس الشهيد مار مكسيميانوس تحت البلّور وهو صحيح لم يفسد فوجههُ ويداهُ وزنداهُ ورجلاه وساقاهُ وكل جسده صحيح كأنهم امس دفنوهُ

وفي السنة ١٧٢٩ اختلَّ عقل الشمّاس كوركيس فما بقي يقدر يدرس. وما نعرف أهذا الامر كان من الله او من الشيطان او الناس الاشرار حسدوهُ وعملوا لهُ سحرًا (١). والمذكور بقي في المدرسة اربع سنين فتعلَّم القراماطيق ثمَّ كمَّل علم الفصاحة في سنتين ورابع سنة دخل في علم الفلسفة وتعلَّم ثلثة اشهر وبعد ذلك اختلَّ عقلهُ. وفي آخر السنة بعد ان عالجهُ الطبيب حكيم البابا وما انتفع ارسلهُ المجمع المقدَّس مع البادري فرح رئيس رهبان السوكلند الى بلد اللاذقيَّة وكان خروجهُ في ١٤ ايلول من هذه السنة

وفي ٢٥ ايلول صار رعد عظيم في رومية ورقعت صاعقة في كنيسة ترينيتا (Trinità) اعني بيعة الثالوث الاقدس. ونزلت اولًا في بيت الاخوية واحرقت نصف البيت وصعدت الى قبة الهيكل فثقبتها وشقت اساس الهيكل ونزلت على دكَّة المذبح فكسرت الرخام وهي تنتجّ وتتأجج وتلتهب ونقبت اماكن كثيرة من الهيكل من بلاط تقريشهِ وكان في الهيكل القس حنا المصري القبطي فطلع هاربًا من باب الهيكل. ثم اختفت ولم تنهدم قبة الكنيسة لأنها كانت مرصصة برصاص الّا ناحيةً منها خارجة التي انهدمت

١) لا حاجة تحيل الامر الى ذكر السحر والشيطان. وهذا امرٌ طبيعي يحدثُ لدارسين كثيرين

وفي هذه الكنيسة بيمارستان فيه خير عظيم ولهُ اخوة يلبسون ثوباً احمر والحقير انا القس خدر مكتوب في اخويتهم . ومن قوانين الاخوة ان يغسلوا ارجل الزوّار ويخدموهم على المائدة وجميع الزوار الذين ياتون الى رومية ينزلون اولاً في ذلك البيمارستان ويبقون فيه ثلاثة ايام ياكلون ويشربون وينامون فيه مجاناً . وهو طول السنة لا يخلو من الزوّار وكل ليلة يوجد فيه مائة ومائتا نفر الى خمسمائة والف وازيد وانقص وفيه ناس كثيرون من الخدام والطباخين والعمال لا يُحصى عددهم ويصرفون كل سنة على الزوار الوفاً ووبرات من الدراهم وخصوصاً في اسبوع الآلام والفصح حيث يأتي خلق كثير ويعملون لهم مأكولاً طيباً وافراً ويضعون قدام كل واحد تسعة اشكال من الطعام ويجيء ايضاً بعض من الكردينالية المشتركين بالاخوية فيغسلون ارجل الغرباء الزوار . والذي يغسلون رجليه يبخشونهُ (يهدونهُ) نصف قرش(١ وازيد وفي بعض الاوقات ايضاً يجيء البابا ويغسل ارجلهم ويبخششهم كل واحد ذهباً(٢ ازيد وانقص . وبيت غسل الارجل كبير يسع ازيد من ستين رجلاً فيه دكة عالية يجلسون عليها وتحتها دكة واطئة فيها ينبوعان من الماء الواحد بارد والاخر حارّ فيغسلون ارجلهم فيه وينشفون ارجلهم بمناشف بيض نظيفة ويقبلون ارجلهم حتى ولو كانوا مرضى او فيهم قروح فيقبل اولاً البابا قروحهم ثم الكردينالية وما احد يتقزز ابداً لانهم اخوة المسيح . ثم يداوي اخيراً الحكيم قروحهم . وهذه الخدمة تصير كل ليلة طول الازمنة والدهور

وفي الاحد الثالث من شهر ايلول يصير زيّاح عظيم في كنيسة سان مرجاير (San Marcello) وذلك انهم يضعون صورة العذراء على منبر عظيم وفي قلبها سبع حربات مشكوكة دلالة على الاحزان التي احتملتها في حياتها وخصوصاً الحزن الذي حزنت به على ابنها وهو مائت موضوع في حجرها . فترى وجهها في هذه الصورة مصفرّ اللون وهي باكية تحسبها امرأة حيّة حقيقيّة . وفي هذه السنة لبستُ ثوبها واشتركت باخويتها وفرض عليّ الكاهن خادمها أن أصلي كل يوم طول حياتي سبع مرات الصلاة الربيّة والسلام الملائكي ذكراً لآلام العذراء

وفي ٢١ من شهر ايلول عيد مار متى الانجيلي يصير في كنيسته زيّاح عظيم اكراماً

١) القرش كان يساوي قديماً نحو الريال المجيدي اليوم
٢) اي ديناراً رومانياً وهو الاسكوت

لدم مار فرنسيس الذي جرى من يديهِ ورجليهِ وجنبهِ لمّا صوَّر الملاك جروحات المسيح في جسمهِ . فيجتمع جميع رهبان مار فرنسيس والكبوجيين والسكولنـد والاخوة الاصغرين ليكرموا ذلك الدم وهو موضوع في زجاج من بلّور مرصّع بالذهب فتبقى ذلك اليوم يرقّ الدم ويتماوج وبعد ذلك يبيس

وفي اوّل احد من شهر تشرين الاوّل يصير زيّاح الورديّة لمار دومنيقوس ويخرجون صورة العذراء على عرش مرصّع بالذهب وهي مزيّنة بالاقمشة الذهبية وابنها في حضنها وعلى رأسها ورأسهِ تاج من ذهب وعلى صدرها وصدرهِ الجواهر واللؤلؤ ويحمل العرشَ ناس كثيرون وحولهُ شموع كثيرة فيمشون باحتفـال عظيم لا يوصف وهم يصلّون في الطريق صلاة الورديّة . وكنت انا ايضاً ماشياً مع اخويّة الورديّة

واليوم الرابع من تشرين الاوّل عيد مار فرنسيس رحتُ زرتُ كنيستـهُ في الريفا (S. Francesco a Ripa) ودخلتُ القلّاية التي كان يسكن فيها القديس ووجدتُ فيها الخشبة التي كان عمالها لهُ مخدّة ليسند رأسهُ اليها وهو نائم على الارض

واوّل يوم من تشرين الثاني عيد جميع القديسين يصير عيد عظيم في رومية وثاني يوم فيهِ تذكار الموتى الذين في المطهر يدوم ثمانية ايّام يزورون فيها كنيسة مار غريغوريوس الكبير بابا رومية وجميع الكنائس ويعملون جنازًا عظيماً في هذه الثمانيـة ايّام وكل يوم في كنائس الاخويّة يصلّون للموتى ساعتين بعد الغروب بانغـام تقويّة لا توصف ويشعلون في الكنائس شموعاً بلا عـدد ويفتحون قبور الاموات ويعرضون جثثهم مجرّدة من اللحم اي هيا كل اجسادهم اليدين والرجلين والرأس والقوصرة اعني قفص الصدر ويتصبونهم في الكنائس ليبصرهم الناس ويرتعدوا من قبحهم . ويضعون على رأس الواحد تاجاً كأنهُ سلطان وعلى الآخر تاج الكهنوت كأنهُ بابا او بطرك او مطران وعلى آخر اكليلاً كأنهُ ختن . ويجعلون في يد واحد سيفاً كـأنهُ جلّاد وفي يد آخر معولاً كأنهُ بنّاء او فاعل وبعضهم يمسكونـهُ ميزاناً كأنهُ بائع او شارٍ يبيع زائدًا او ناقصاً ويجعلون في يد غيرهم ساعةً رمليّة كأنهُ قد ضيّع ساعات عمرهِ ومـا كسب منها ساعةً واحدة في التوبة ليكسب ملكوت السماء . فمن ينظر هذه الجثث يتوجّع قلبـهُ ويندم على خطاياهُ . ويقدّسون في هذه الثمانية ايّام قداديس كثيرة لاهل المطهر والناس يعملون صدقات للمساكين ويعطون دراهم للقداديس ما شاء الله

وفي عيد مار استانسلاوس اليسوعي الذي يصير في ١٣ تشرين الثاني وهو القديس الذي ثبّتهُ البابا مع جملة ثمانية قديسين سنة ١٧٢٧ رحت لازور جسدهُ في كنيسة مار اندراوس في مونطي كوالّو (Monte Cavallo) قبال سراي البابا (اي الكويرنال) وكنيستهُ صغيرة ولكن قوي لطيفة وفيها دير عظيم كبير للغاية وفيهِ بستان كبير لطيف عجيب لا يمكن وصفهُ يسكن فيهِ الرهبان اليسوعيّون المبتدئون سنتين للتجربة ثمَّ يخرجون ويُقسَّمون على بقيَّة الاديرة. فطلعتُ وزرتُ قلّاية القديس لانهُ كان من المبتدئين وقبل ان يكتمل التجربة مات في عمر ١٨ سنة وقد صوَّروا صورتهُ على منقوش في قلّايتهِ صورة لطيفة ما وجدتُ مثلها ابدًا وهي كشخص نائم والازهار حولهُ (١

وفي يوم عيد مار اندراوس الذي يصير في ٣٠ تشرين الثاني لهذه السنة ١٧٢٩ قد عمل الكردينال بشاطرر (٢ الفرنساوي حرّاقة عظيمة في بيادسا ناونا Piazza Navona) لانهُ ولد لسلطان فرنسة ولد ذكر (le Dauphin) فعملها عجيبة فريدة وقد تكلّف على ما سمعنا لهذه الحفلة خمسين الف اسكوت (Scudi) روماني وعمل الحرّاقة من رأس البيادسا الى آخرها ونصب منارتين كبيرتين من خشب مصوَّرتين تصاوير عجيبة وصوَّر على رأس كل واحدة سلطانًا واحاطهما بالفشك والبارود وعمل قلوعًا وبيوتًا ودعائم اشياء تدهش العقل وعمل درابزينات وشمل شموعًا ومشاعل ما لها عدد وعمل بركتين في كل بركة شادروان (٣ ينبع نبيذًا من ثلاث فتحات فاجتمع الوف وربوات من الفقراء وشربوا حتى سكروا وصار فرحة في هذه الليلة ما صار مثلها برومية مرة اخرى وفيها شعلوا النار في البارود فكان ذلك المنظر من ابدع ما يكون وعدد الخلق لا يحصيهِ الّا الله

وقبل عيد الميلاد بثلاثة ايام مات راهب من دير اراجيلي (Ara Cœli) اي المذبح السماوي من رهبنة السوكلند لمار فرنسيس وكان اسم الراهب فرنسيس بويبين فعرضوا جسمهُ ستة ايام في الكنيسة وكان يفوح من جسمهِ روائح لذيذة اطيب من المسك والعنبر وعمل عجائب كثيرة. ولما سمع البابا بعجائبهِ امر بان يُجعل جسده في صندوق ومهره بمهره (ختمهُ بختمهِ) ووضعهُ في قلاية لئلا يسرق الناس جسده وينظروا ان

١) هذا التمثال يُعَدّ من التحف صنعهُ احد كبار النحّاتين المسمّى لوغرو (Le Gros)

٢) تصحيف ambasciadoro اي سفير - (٣ الشادروان بالفارسيَّة الفوّارة

كانت تكثر عجائبهُ فيقدسونهُ . ومن بعض فضائله انهُ كان يأكل مرة واحدة في النهار فيأكل البقل مخلوطاً بالرماد ويشرب الماء ممزوجاً بالرماد (لهُ بقية)

قانونية الاسفار الثانية

بحث لاهوتي للاب انطون رباط اليسوعي (تتمة)

اثبتنا في مقالتنا السالفة (المشرق ١٣ : ٤٣٦) حقيقة وحي الاسفار الثانية وقانونيتها باقرار اباء الكنيسة المسيحية الجامعة شرقاً وغرباً مدة ثلاثة قرون متتابعة . ونقلنا شهاداتهم مع شهادات المجامع الملتئمة في ايامهم وبينا انهُ لم يقم عندئذ من يعارض المعتقد العام . وفي هذا كفاية لكل من يؤمن بعصمة الكنيسة الجامعة عن الغلط في تعليمها . وغنيّ عن التبيان ان التعليم الالهي لا يتبدل مع الزمان والمكان فهو هو الحق كان وسيكون وما اعتقدتهُ الكنيسة المسيحيَّة في القرون الاولى لا تزال تحفظهُ وديعة على مرّ الأيام مؤيدة بأيد مؤسسها الالهي فلا تتغلب عليها ابواب الجحيم . لكن هذا التعليم الالهي هو وديعة سلّمها المخلّص الى الكنيسة الجامعة لا لكل فرد من اعضائها ولو قديساً وملفاناً عظيماً فقد يغلط هذا وذاك بل قد تضلّ مجامع مكانيَّة برمتها فلا يؤثر غلطها في التعليم المسيحي لأن العصمة للكنيسة جمعاء ولرأسها المنظور اذا ما علّم تعاليم الخلاص كنائب المسيح وراعي الرعاة

ولفهم ما سبق لا بدّ من النظر في هذه الحقائق الموحى بها من الله وتمييز بعضها من بعض . فقد تكون الحقيقة وحياً جلياً لا يحتاج الى زيادة ايضاح علّمهُ المسيح لهُ المجد في انجيلهِ الطاهر بصريح العبارة وكرّره الرسل والتلامذة على مسامع معاصريهم مثال ذلك ايماننا في سر الثالوث الاقدس وسرّي التجسد والفداء الخ . وقس عليه اعتقاد الكنيسة بوجود كتب منزلة الهية اوحى بها الروح القدس بفم الانبياء وحفظها الشعب المختار . فهذه وامثالها لا يشكّ فيها مسيحي حقيقي ان لم يُفشِ الضلال على بصيرتهِ فينبذ الدين القويم ظهرياً وينحاز الى الكفر او الهرطقة

وقد تكون الحقيقة الموحى بها صريحة في ذاتها او نتيجة اولية لحقيقة اخرى لكنها

لم تأتنا بنص بيّن تام التبيان كبعض الصفات البشرية في الاقنوم الثاني المتجسد فيبحث فيها العلماء الكنسيون وينظرون في الايات الكتابية والتعاليم الرسولية مرتبطة بعضها مع بعض الى ان يصلوا الى الحقيقة إما بذواتهم فيتّفقون في التعليم في انحاء المسكونة واما اذا اجتمعوا في المجامع المسكونية فنظروا في الامر بفطنتهم ونقّبوا في التقليد الكنسي وآراء الآباء فيسود الحق بالهام الروح القدس ويحدّدون العقيدة تحديداً معصوماً عن الغلط الزاماً لكل مسيحي

وقد تكون الحقيقة لم تنزل في آية يُلجأ اليها عند الحاجة لكنها سُلّمت بالتقليد وحُفظت في عوائد الكنيسة الرسولية فجرى عليها الخلف بعد السلف فكان مسلكهم شهادة للتعليم الرسولي. ولعلّ الغيوم تحجب ضياء الحقيقة لا في الكنيسة الجامعة لكن في بعض انحائها او في افكار البعض من معلميها وذلك اما لالتباس التقليد في امكنتهم واما لانحيازهم الى مبدإ اعتبروه صادقاً وليس له من الصدق الا الظواهر. فتراهم من ثم يتجاذبهم طرفان فيسلكون مسلكين مسلك التقليد الكنسي ومسالك ما اعتبروه علماً فاذا ما تكلموا في مواعظهم ومقالاتهم الدينية والجدلية اثبتوا العقيدة متمسكين بالتقليد الرسولي. واذا ما تباحثوا جعلوا يترددون في الامر فيخالفون بالكلام ما اعتادوه بالعمل وفي هذا تناقض بيّن قد يظهر لهم ويزيدهم ريباً فلا يبثّون حكماً مقرّين تواضعاً بقصر معارفهم ومعلنين كما صنع القديس اغسطينوس مراراً انهم يفضلون ان يكونوا تلامذة من ان يكونوا اساتذة

لكننا لا بد لنا من ان ننبّه القارئ اللبيب ان التعليم الديني ليس تمثالاً ميتاً او « موميا » لُفّت في اقماطها وسلّمت من المسيح او الرسل او المجامع السبعة وديعة تصان في لحدها بلا حراك ولا نموّ ولا ظهور. كلّا هو تعليم حيّ سلّمه المخلّص الى كنيسته المعصومة عن الغلط لتحفظه فالسماء والارض يزولان وهو لا يزول ولا يتبدّل ولا يضمحلّ. لكنه له صفات الحياة فيزداد مع الأيام وضوحاً وصراحة فما كان بُرْعماً في القرون الاولى قد يصبح زهرة زاهرة وثمرة لذيذة. وما كان جوهرة تغطّيها الرمال قد تنجلي فتبهر الابصار. وذلك بتنقيب علماء الدين وزيادة تأملهم ومناظرتهم في المبادئ والتعليم والتقليد ولا يكون هذا الا بمراقبة الكنيسة التي وعدها المسيح ان يكون معها الى منتهى الدهور فيعصم الروح القدس تعليمها ويرشدها الى كل ما هو حق. ومن ثم لا بدّ

للكنيسة المسيحية من تعليم حيّ دائم معصوم عن الغلط . وليس في ما قلنا ما يجعل التعليم الالهي عرضة للتبديل والتغيير اذ ليس هنا لا تبديل ولا تغيير لكن زيادة وضوح او اظهار لكنز عُرف ولم يُستخرج من معدنه او جلاء لجوهرة لم يتلألأ اوّلاً بهاؤها فلما حان الزمان بانت كما هي ولن جهلها بعض القدماء . ألا ترى مثلاً ان المجامع المسكونيّة قد حدّدت مئات من الحقائق على مرّ الاجيال فكان الاباء يتناظرون فيها اوّلاً الى ان انجلى الحق وزهق الباطل

وليس في هذا تحقيرٌ لمعارف بعض الآباء واللافتة العظام الذين قد طبّق مجدهم الآفاق واضحت مؤلفاتهم اطهر وانقى ينبوع نستقي منهُ مياه التعليم الالهي نقيّة صافية لكن عصمتهم في التعليم المنزل محدودة في اتفاقهم كشهود التقليد لا كاساتذة وفلاسفة ينفرد كل برأيه عن غيره ويروي لما يراهُ صواباً

هذه مبادئ لاهوتيّة يجب ان يحلّها القارئ اللبيب محلّ الاعتبار والفهم قبل البحث في موضوعنا ليكون على بصيرة

ومن ثم نتخطى خطوة في البحث فنقول: ان وحي الاسفار القديمة عقيدة انزل الله في شأنها آيات جليلة لكنهُ لم ينزل نصاً صريحاً في عددها وتمييز ما هو موحى به مما ليس له حظ من الوحي . فلجأنا تعليم الرسل الذين بعثهم الرب ليبشروا ويعلموا ويتلمذوا الامم وهذا التعليم نعرفهُ من مسلكهم ومسلك خلفائهم الاقربين واقوالهم واخبارهم او بكلام اصرح بتعليم كنيسة المسيح الحقيقية الرسولية عمود الحق ووريثة الاسرار وحافظة وديعة الايمان . وقد بينا في ما سلف ان مسلك الاباء الاقدمين يرشدنا الى معرفة الاسفار المنزلة وتعدادها ارشاداً جلياً لا مردّ عليه . لكن لما كان هذا مسلماً به فلم ترَ الكنيسة حاجة الى تحديده لان من عاداتها ان تكتفي بعوائدها التقليدية ولا تحدد عقائدها الّا عند مسيس الحاجة وعند تعرُّض المخالفين لانكارها . فقد ثبت هذا المسلك وقبلت الاسفار الثانية كاسفار الهية منزلة ومن ثم اجلّتها كما تجلُّ غيرها من الاسفار رغماً عن انكار اليهود لها

وقد حدث في القرنين الرابع والخامس جدال نظري في قانونيّة الاسفار التي نحن في صددها فتردّد بعض الاباء القديسين في تحقيق قانونيتها لانكار اليهود لها ولعدم وجودها في التوراة العبرانيّة وخصوصاً لعدم وجود حكم مجمعي مسكوني يقودهم

في بحثهم وقد الجأتهم مراراً حاجات الجدال مع اليهود في تلك الاعصر ان يقتصروا على ما يقبله الخصم من البراهين فكان ذلك سبباً لان يجعل بعضهم ميزة بين الاسفار الاولى المقبولة من الطرفين وبين الاسفار التي ينكرها الخصم حتى سميت الاولى « الاسفار المقبولة من الجميع بلا مناظرة ولا جدال » (ὁμολογούμενα) والثانية (ἀντιλεγόμενα) اي التي يجري الجدال في وحيها

لكن العناية الالهية لم تسمح بخسارة شيء من التقليد الرسولي فلذا ترى الآباء يحفظونهُ عملاً وان شكُّوا بالامر نظرياً فيسندون اسس عقائد الدين الى تعليم الروح القدس في الاسفار الثانية كما يفعلون في استنادهم الى الاسفار التي لا يُناظر في وحيها . وقد جمعنا هذه النصوص فاذا هي تُربي على المئات فعدلنا عن نشرها في مقالتنا هذه خوفاً من الاطالة المملة مكتفين بالتلميح الى مؤلفات اوسابيوس القيصري ولوسيفوس الكالياري وهيلاريوس واثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيصصي وقيصاريوس وابيفانيوس واوبتاتوس وامبروسيوس وافرام وافراهات وكيرلس الاورشليمي ويوحنا فم الذهب واغسطينوس وكيرلس الاسكندري وروفينوس الخ

ولئلا تبقى ريبة في فكر القارئ الاديب نرانا مضطرين ان نورد هنا اهم اقوال الآباء المناقضة لقانونيَّة الاسفار الثانية ونفسّر ما يمكن تفسيرهُ مكتفين فيما سواهُ بما قدمناهُ من الشروح

١ (القديس اثناسيوس) اورد في رسالة لهُ جدولَ الاسفار القانونيَّة واحصاها اثنين وعشرين ثم ذكر الاسفار الثانية ووصفها أنها مفيدة ومقدَّسة لكن ميزها عن الاسفار القانونيَّة

نلاحظ على الاعتراض ١ ان القديس قد جعل بين الاسفار الثانية سفر اسثير وهو من الاسفار الاولى — ٢ يلتمح هذا التقسيم الى عادة الكنيسة الاسكندريَّة في تلاوة الكتب المفيدة لحديثي الايمان كما سبق وذكر ذلك اوريجانس (وقد نقلنا نصهُ في المشرق ص ٤٤٤) — ٣ ان القديس يستعمل كل الاسفار الثانية قائلاً عن الايات التي يوردها ما يقولهُ عن سائر الايات الكتابيَّة ويجعلها برهاناً دينياً قاطعاً لانها كلام الله وحكمة الله

ἡ σοφία τοῦ Θεοῦ. ὁ τοῦ Θεοῦ λόγος. τὸ ἐν ταῖς γραφαῖς γεγραμμένον

هكذا استشهد بابن سيراخ والحكمة مراراً مع غيرهما من النبوات وايات الانجيل

والرسائل لاثبات لاهوت الابن الحكمة الالهية ولاهوت الروح القدس وذلك في مقالته البديعة ضد الاريوسيين وفي رسائله التعليمية الى سرابيون والى اساقفة مصر وليبيا ويستعمل مرارًا غيرها من ايات سائر الاسفار الثانية (مين ٢٥: ٢٠ و ٢٤ و ٣١ و ٨٨ و ٢٥٢ الخ) وقد احصينا في الجزئين ٢٥ و ٢٦ فقط اكثر من خمسين شهادة لوحي الاسفار الثانية. فهل من برهان اثبت لحقيقة معتقده ومعتقد معاصريه من كاثوليكيين وهراطقة في وحي هذه الاسفار

٢ (القديس هيلاريوس) وصف السرّ الموجود في الاحرف الابجديّة العبرانية ثم قال: «ولذا فشريعة العهد العتيق تحصى في ٢٢ سفرًا ليقابل عدد الاحرف ... وقد اضاف قوم اليها طوبيا ويهوديت لتكون ٢٤ سفرًا فتضاهي عدد الاحرف اليونانية». وعلى هذا النصّ نلاحظ ١ً اعتقاد بعض الكتبة الاقدمين كشف غوامض الاسرار ومطابقتها للحقائق وليس في هذه المقابلات شهادات كتابيّة او تقليديّة — ٢ً ان هيلاريوس قد نقل نص اوريجانس بحروفه وقد شرحنا هذا النص في المشرق (ص ٤٤٤) — ٣ً يستعمل هيلاريوس الاسفار الثانية كالهية في كثير من مؤلفاته

٣ (القديس كيرلس الاورشليمي) يوصي المؤمنين ان يتجنبوا مطالعة الكتب الكاذبة المختلقة التي الحقها الهراطقة بالاسفار ثم يورد جدول الاسفار الالهية التي يتفق عليها الجميع ويحرضهم على مطالعتها وحدها قائلًا: ان كنت لا تعرف الاسفار التي اتفق عليها الجميع فلمَ تضيع الوقت فيما يتردّد به

ὁ γὰρ τὰ παρὰ πᾶσιν ὁμολογούμενα μὴ εἰδώς, τί περὶ τὰ ἀμφιβαλλόμενα ταλαιπωρεῖς μάτην

(مين ٣٣: ٤٩٦ الخ) نقول ينتج من هذا النص ان الاسفار الثانية كانت موضوع الجدال في زمانه وان الكنيسة الاورشليمية لم تكن تقرأ للشعب الّا الاسفار الاولى حافظة عادة اليهود القديمة خلافًا لعادة الكنيسة الاسكندريّة. وهذا نُسلّم به لاسيما وانا نرى القديس يثبت مرارًا العقائد الدينية في خطاته عن دستور الايمان البديعة بآيات من الاسفار الثانية (مين ٣٣: ٥٤٤ و ٦٤٠ و ٧١٦ الخ)

٤ (القديس ابيفانيوس) الف كتابًا في اسرار الاوزان والقياسات وهناك عدّد الاسفار القانونية الاولى تارةً ٢٢ وتارةً ٢٧ سفرًا ليثبت انّ في العدد سرًّا خفيًّا ثم

قال: « ان سفري حكمة سليمان وابن سيراخ وان كانا مفيدين وعظيمي القيمة لكنهما لم يُحصيا في هذا العدد ولذا لم يُجعلا في تابوت العهد » (مين ٤٣: ٢٧٧) نجيب ان هذا التصريح ينبئ بأن القديس يذكر الاسفار التي قبلها اليهود الفلسطينيون في قانونهم وقد بيّنا في ما سلف ان قانون الكنيسة المسيحية اوسع من قانون اليهود الفلسطينيين (المشرق ٤٣٦) ولا نظن ان القديس يخالفنا وهو الذي قرّع أبيوس المبتدع بقوله: لو كنتَ مولودًا من الروح القدس لوجب عليك ان تطالع السبعة والعشرين سفرًا منذ خليقة العالم الى زمن استير والتي اعتادوا ان يعدوها ٢٢ والاناجيل الاربعة ورسائل بولس الاربع عشرة.. وكتب الحكمة لسليمان وابن سيراخ وبكلمة واحدة كل الاسفار الالهية ثم تحكم.. (مين ٤٢: ٥٦٠). فهما انهُ يذكر سفرين من الاسفار الثانية في عداد الانجيل ورسائل بولس ويلحق ذلك باشارة الى غيرهما من الاسفار الالهيَّة التي لم يذكرها. اما استعماله للاسفار الثانية فلا يحتاج الى ايضاح (مين ٤١: ٣٥٧ و ٤٢: ١٧٧ و ٣١٦ و ٤٣: ٢٠ الخ)

٥ (غريغوريوس النزينزي) احصى الاسفار القانونيَّة ٢٢ سفرًا على مرتين في احداهما لم يذكر سفر استير وفي الثانية وصفه بأنهُ مقبول من الناس ومرفوض من غيرهم ثم احصى اسفار العهد الجديد ولم يذكر رؤيا يوحنا بين الاسفار القانونيَّة ثم ختم كلامهُ قائلًا هذا هو القانون الذي لا يُشك فيه ولا يجادل كانه ترك عمدًا ما كان موضوع البحث في ايامه (مين ٣٧: ٤٧٢ و ١٥١٣)

٦ (روفينوس) يجري مجرى سائر الكتبة ويدافع عن المقاطيع التي انكرها هيرونيموس افضل دفاع ولا يرضى الّا بما يسلّمهُ الاباء حسب النص السبعيني لكنهُ ينقل جدول الاسفار الاولى تبعًا لنص القديس اثناسيوس ومع كونهِ ينكر في محل آخر استعمال الاسفار الثانية لاثبات العقائد تراهُ مع ذلك ينقل آياتها لتأييدها ويكرّر ضرورة قبول المجموعة السبعينية ثم يقول ان بطرس الرسول الذي جلس على الكرسي الروماني اربعًا وعشرين سنة قد سلّم ولا شك خلفاءهُ الاسفار التي يجب عليهم استعمالها لتحقيق التعليم الالهي وهي الاسفار المحفوظة في المجموعة السبعينيَّة

٧ (القديس هيرونيموس) عاش سنين طويلة في الشرق ودرس اللغة العبرانيَّة وعاشر علماء اليهود وعنهم اخذ جدوله المخالف لجدول الكنيسة الجامعة. ولكنه تردّد

مرارًا في الامر فتراهُ تارة يرضى بالاسفار الثانية ويستعملها كاسفار الهية حسب التعليم الرسولي الشائع وتارةً ينكرها حسب تعليم اليهود في زمانهِ او يتردَّد في وحيها ولو اردنا تعداد النصوص التي فيهِ يظهر اعتقاده بوحيها لطال بنا الشرح على انهُ يقرّ مرارًا عند نكرانهِ الاسفار الثانية بانهُ يخالف بذلك معتقد الكنيسة الجامعة في عصرهِ لكنهُ يستند الى معتقد المعلّمين الاسرائيليين ومن ثم يبيّن جليًّا ان قانون الكنيسة اوسع من قانون اليهود فغلطهُ شخصي يعود اليهِ لا الى الكنيسة

هذه هي اهمّ النصوص التي اعترضوا بها علينا اوردناها كما هي وشرحناها شرحًا كافيًا لكل طالب للحقيقة ولا بدَّ من ان نقابلها باقوال الاباء والكتبة المديدين المدافعين عن قانونيَّة الاسفار الثانية وهي كثيرة جدًّا ولكننا حبًّا بالايجاز نكتفي بايراد الاحكام العامَّة والمجامع التي عُقدت في هذين القرنين وشهدت شهادة صريحة لمعتقد الكنيسة الجامعة وهذه هي:

١ (المجمع النيقاوي) ذكر القديس هيرونيموس في معرض كلامهِ عن سفر يهوديت ان المجمع النيقاوي المقدَّس قد امر ان يُقرأ هذا السفر كغيرهِ من الاسفار القانونية وايّد كاسيودورس العلامة في القرن السادس هذا الكلام ناشرًا نصًّا يُعزى الى المجمع النيقاوي . وكذلك المجمع قرطجنة الى نص عزاهُ الى المجمع النيقاوي في قانونية سفر يهوديت وغيره من الاسفار الثانية . لكن العلماء في ايامنا على رأيين : قوم يدافعون عن حقيقة هذا الحكم المجمعي ويعتبرون انهُ كان تهذيبيًّا فقط لا تعليميًّا ولذا لم يعمّ الكنيسة الجامعة وقوم ينكرون حقيقتهُ والله اعلم

٢ (قانون شلتنهام) سنة ١٨٨٥ وجد العلَّامة ومسن (Mommsen) بين مخطوطات فيليبس (Philipps) في شلتنهام (Cheltenham) جدولًا للاسفار القانونية يرتقي عهده الى سنة ٣٥٩ مسيحية عنوانه: جدول الاسفار القانونية للعهد القديم . وهو يتضمن كل الاسفار الاولى والثانية على حد سواء ويعدّد اسطر كل سفر من الاسفار وقد عرف قيمتهُ العلماء الكتابيون مثل برسشن (Preuschen) وتزان (Zahn) الالمانيين وترنر (Turner) الانكليزي فنشروا فيهِ المقالات المفيدة ويظهر انهُ نص الجدول الرسمي للاسفار القانونية في كنائس افريقية نقلًا عن جدول الكنيسة الرومانية

٣ (الحبر الاعظم داماسيوس) (٣٦٦–٣٨٤) لهُ حكمٌ في الاسفار القانونية التي يجب قبولها وفي الاسفار الغير القانونية وهو جدول رسمي يحتوي على كل الاسفار الثانية مع الاولى وقد درسهُ درساً انتقادياً العلامة تيال (Thiel) وغيره من العلماء.

٤ (مجمع برنة اي هيبونة) (٣٩٣) اجتمع فيه مع القديس اغسطينوس جلّ الاساقفة الافريقيين ونشروا جدول الاسفار القانونية بتمامهِ مع كل الاسفار الثانية وزادوا انهُ يجب ان يُطلب من الكنيسة الرومانية اثبات هذا الحكم. وهذا النص هو الذي لا تزال الكنيسة الشرقيَّة والغربيَّة تعوّل عليهِ. تجدهُ في مجموعة المجامع (مانسي ٣: ٩٢٤)

٥ (مجمع قرطجنة الثالث) (٣٩٧) حضره القديس اغسطينوس مع ٤٤ اسقفاً وبددوا الحكم في قانونيَّة كل هذه الاسفار حسب نص المجمع الهيبوني (مانسي ٣: ٩٢٤)

٦ (الاسفار القانونية في الكنيسة الرومانية) (٤٠٥) في سنة ٤٠٥ اهدى هيرونيموس شروحهُ على نبوَّة زخريا الى صديقهِ القديس اكسوبيروس اسقف تولوزا فما كاد هذا القديس يطالع ما ذكرهُ هيرونيموس في الاسفار الثانية حتى كتب الى القديس اينوشنسيوس الحبر الروماني يستفتيهِ فجاءهُ الجواب معلناً ان الجدول المسيحي للاسفار القانونية يضم كل الاسفار الثانية والاولى على حد سواء خلافاً لما قد ذهب اليهِ المخالفون (مانسي ٣: ١٠٤٠)

٧ (مجمع قرطجنة السادس) (٤١٩) حضره القديس اغسطينوس ايضاً وجُدّد فيهِ الحكم في قانونيَّة الاسفار الثانية وزيد على النص: هذا الحكم يجب ان يعرض على اخينا وشريكنا في الكهنوت بونيفاسيوس اسقف رومية وغيره من اساقفة تلك البلاد ليُثبت «لاننا هكذا استلمنا من الاباء» (مانسي ٤: ٤٣٠)

ويظهر من مقابلة التواريخ ان هذه المجامع الثلاثة اعلنت بتقليد الكنيسة منكرة ما ارتآهُ القديس هيرونيموس خلافاً لهذا التقليد الرسولي. فقد اظهر سنة ٣٩٠ هيرونيموس متقدمتهُ على الترجمة التي نقلها عن العبراني ملمحاً الى شكّهِ بالاسفار الثانية وردَّد هذا الكلام سنة ٣٩٤ فكان جواب كنيسة افريقية في مجامعها الثلاثة ما ذكرناهُ من اقوالها

٨ (قانون الكنيسة الرومانية سنة ٤٩٦) المعزو الى الحبر الاعظم جيلاسيوس في مجمع حضره ٧٠ اسقفاً وفيهِ نشر جدول الاسفار القانونيَّة وجدول الاسفار الغير القانونيَّة ففي جدول الاسفار القانونيَّة تجد كل الاسفار الثانية كما هي الآن وهذا الجدول هو الذي سبق فنشرهُ البابا داماسيوس

٩ حكم الحبر الاعظم القديس هورميسداس او هُرْمزد (٥١٤—٥٢٣) فانهُ اعاد نشر حكم سلفيه داماسيوس وجيلاسيوس في قانونيَّة الاسفار الثانية

وانا نقف عند هذا الحد تاركين الشهادات الماخوذة عن النسخ القديمة والترجمات التي ترتقي الى القرنين الرابع والخامس فان في ما كتبنا ادلَّة لا ينبذهـا الَّا المعاند والمكابر او الذي ينكر عصمة الكنيسة

الخاتمة: هدئ الجدال وساد السلام ولاسيما في الشرق بعد مـا ابرز مجمع القبة حكمه جـامعاً بين النصَّين المختلفين وحاكماً بقانونية الاسفار الثانية (اطلب مقالتنا الاولى في المشرق ١٢ : ٨٠٠ الخ) فلا تكاد تجد في الشرق مخالفاً واما الكنيسة الغربية فلبثت محافظة على تقليدها لكن مؤلفات القديس هيرونيموس كثيرًا ما القت الشكَّ في عقول البعض لعظم الاعتبار الذي ناله القديس المتان في الاجيال المتوسطة الى ان قام البروتستنت فانكروا الاسفار الثانية كما انكروا كثيرًا من العقائد فحرموم الشرق والغرب (المشرق ١٢ : ٨١٥ الخ) وحصحص الحق وزهق الباطل والحمد لله (تت)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عمرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

الماسونية والآداب الاجتماعيَّة

وقفنا في الباب السابق على مبادئ الماسونية الصادقة بخصوص الدين واهلهِ ونقلنـا عدداً وافرًا من الاقوال الرسمية التي فاه بها زعماؤها فكلها تنبئنا بان الغاية التي ترمي اليها تلك الشيعة انما هي ثلّ عرش الدين وتقويض اساسهِ ونفي معتقداتهِ ومعـاداة اربابهِ وتبديد شمل نظامهِ الالهي

دعنا الآن نوجه النظر الى الماسونية لترقب معاملاتها مع الهيئة الاجتماعية ومع ارباب السلطة المدنية ومع كل طبقة من الطبقات التي تتركب منها الالفة البشرية

١ الماسونيّة والهيئة الاجتماعيّة

خُلق الله الانسان اجتماعيًا فان احوالهُ وحاجاتهِ المختلفة منذ ولادتهِ الى موتهِ تدلّ على انهُ خُلق ليعيش في جماعة غيره من البشر فيستفيد منهم ويفيدهم كاحد اعضاء ذلك الجسم العظيم الذي لا يقوم بغير الائتلاف والتعاضد. ففي هذا المركّب العجيب الرأسُ المدبر والعقل المفكر والقلب المحيي والعينان الناظرتان والمشاعر الحاسّة والاعضاء العاملة لا يخلّ منها عضوٌ بواجباتهِ الّا تأثر المجموع وتهدّدتهُ الاسقام. ذلك هو الصرح الشامخ الذي ابتنتهُ ايدي الخالق ووطدت دعائمهُ فاذا مسّهُ احد بأذى تزلزل البناء برمّتهِ واصبح عرضة للآفات والخراب

ماسونيّ من ذوي الدرجة ٣٣
مع شاكوشهِ وآلاتهِ المعدّة بتدمير الهيئة الاجتماعيّة

فهلمّ نبحث عن فعل الماسونية بهذا البناء الالهي واعتبار « البنائين الاحرار » لهذه العمارة المشيّدة بيد الخالق. واوّل ضربة سعت الماسونية بان توقعها في الهيئة الاجتماعية نشرها للمبادئ الفاسدة بخصوص اصل العمران البشري

تعلّم الاديان — ولم ينقض حتى الآن علمٌ صحيح تعليمها — بان الله خلق الابوين الاوّلين فجعلهما جذرًا للشجرة العائلية واوجد من العيلة العشيرة ثم القبيلة ثم الشعب ثم الدول بقوة كلمتهِ الخالقة: « اكثروا واغرا

واملأوا وجه الارض ». فكانت نتيجة هذا التعليم ان البشر عدُّوا نفوسهم اولاد أب واحد واغصان دوحة واحدة امتدت فروعها فظلت كل انحاء المعمور

اما الماسونيَّة فتنكر هذا الاصل الشريف وتجعل المادة ابديَّةً تترقى من تلقاء نفسها بكرور الدهور كآلة عمياء الى ان يتحفَّض جمادُها فيلد النبات ويتحوَّل النبات الى حيوان ويُنسل الحيوان انساناً همجيًّا ذا عقل ضعيف يقوى بالتجربة والاحتكاك. تلك مزاعم واوهام جعلها الماسون بمثابة المبادئ الراهنة فنشروها ترويجاً لغاياتهم السيئة ليقنعوا من اصطادوه بشركتهم انهُ لا شيء يلزمهُ من الفرائض والواجبات نحو العمران البشري فلهُ الحقُّ ان يتابعهُ ظهرًا لبطن كما يشاء اذ ليس في العالم رأس ولا مرؤوس بحق الطبع وانما الفضل للجسود الجريء الذي تساعده الاحوال

قال الاخ ∴ راغون في كتاب شرحه الرموز الماسونية (١ : « لا حق لاحد سواء كان ماسونيًا او لا بان يشرح كُنه الطبيعة عموماً وطبيعة الانسان خصوصاً فيستخرج منها شرائع وتعاليم يفرض بها على جميع البشر. وكل من استعان بسلطة الهٍ ايًّا كان ليسنَّ شرائع وتعاليم على الناس فهو كاذب خدَّاع ». فيكون مؤدَّى قوله الى ان تعاليم الفلسفة العقليَّة كالشرائع الدينية لا تلزم الانسان في شيء فهو مُعتَق من كل واجب نحو اي سلطة كانت ان روحيَّة وان مدنيَّة مهما شهد لهُ العقل والوحي على خلافهِ

وقال الاخ ∴ كلافل (٢ : « ان مسعى الماسونية العظيم بان تمحي بين البشر كل تمييز يفرق بينهم كشرف الاصل والاديان والمذاهب والاوطان . . . بحيث يصبح الجنس البشري عائلة واحدة فالدرجات الماسونية من طالب ورفيق واستاذ انما هي كمينة واستعداد لبلوغ تلك الغاية »

وقال الاخ ∴ لويس بلان في تاريخ الثورة (٣ يصف وَيسهوبت شيخ الماسونية ومنشئ الماسونية المنورة : « انَّ ويسهوبت فكَّر في مشروع عظيم أشبه بمشاريع الجابرة واخرجهُ الى حيز الوجود وذلك انهُ عرف ما في اجتماع الوف من الناس على الامر الواحد من القوَّة اذا تولى انسان ذو عزم تهذيبهم بنظام وتدريج الى أن يصبحوا رجالاً جدداً

١) اطلب تاريخهُ الفلسفي Ragon: *Cours philosophique et interprétatif*, p. 343

٢) اطلب كتابهُ Clavel: *Hist. pittoresque de la Maçonnerie*, p. 213

3) L. Blanc: *Hist. de la Révolution*. t. II, 85

ويصيروا اطوع من البنان لرؤساء سرّيين فينقادوا لهم بطاعة عمياء لا تستنكف من الموت نفسه. فان فئة كهذه تستطيع ان تضغط على كل القلوب وتشل الملوك انفسهم وتدوس كل الدول على غير علمها بل تقود اوربة جماء الى ما تشاء من الغاء الخرافات الدينيّة ونقض كل سلطة ملكية ومحو كل امتياز اصلهُ النَّسب الموروث والفضل في ذلك كلهِ لويسهوبت »

٢ً الماسونية والملوك

ليس غرضنا هنا ان نبحث عن افضل هيئة الحكومات في الدول أهي السلطة المطلقة او السلطة المعتدلة بالدستور او سلطة الجمهور فاننا نعلم انَّ كل سلطة وسخ قدمها في دولة ورضي بها الاهلون تعتبرها الكنيسة كسلطة شرعيَّة يجب الخضوع لها مهما اختلفت هيئتها وفقاً لقول بولس في رسالتهِ الى الرومانيين حيث يقول (روم ١٣— ٨) : « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فان لا سلطان الّا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله فمن يقاوم السلطان يعاند ترتيب الله . . . »

ومع اعتبارنا لكل هيئات السلطة شرعيةً لا بد من افادة القارئ بان الهيئة الحاكمة قبل السنة ١٧٩٠ في معظم الدول الاوربية ان لم نقل كلها انما كانت الملكية فكان الناس يحسبون ملوكهم كظلّ الله على الارض ويكرمونهم بمنزلة نوّاب سلطتهِ وان وجدوا فيهم خللاً ونقصاً تحتملوه خوفاً من شرّ اعظم يحلّ بهم اذا خلعوا نير طاعتهم

امّا الماسونيَّة فانها منذ قامت على قدم وأمّلت في تغليب مبادئها أصلت الحرب العوان على كل ذوي السلطة المدنية ولاسيما على الملوك. وكانت ذرّية بُربون هي الضابطة ازمّة الامر في الدول الكاثوليكية فزحفت الشيعة عليهم زحفة النمورة الكاسرة على فريستها وقد استخدمت لبلوغ غايتها ما اعتادتهُ في هياكلها المظلمة من ضروب الخداع والمكر والخبث والدسائس فساق ذووها بعد أن تقيَّدوا سرًّا بالاقسام المغلّظة الملكَ لويس السادس عشر الى منقع الذم ثم قتلوا ابنهُ لويس السابع عشر وتحاملوا على بقية ممالك البربون فنفوا اصحابها من مراكزهم. وما كانت الثورة الفرنسوية غير لهيب تلك النار الآكلة التي أججها الماسون في محافلهم ثم اضرموها في انحاء اوربة حتى التهمت

اقاصي البلاد ولم يخمد لظاها الا بعد ان قلبتها ظهراً لبطن كبركان يقذف بحممه فلا يترك ولا يذر ويحوّل كل ما يمسّهُ الى خراب ودمار. وليست هذه الامور مبنية على الحدس والتخمين بل ظهرت بشواهد تاريخيّة اضوأ من النور كما اقرّ بهِ الماسون في كتاباتهم السريّة بل يفتخرون بها كل حين افتخار الابطال بمآثرهم الخطيرة واعمالهم الاثيرة. ولو انكر علينا ذلك احد القرّاء اتينا لهُ بالشواهد اللامعة والادلة الساطعة التي لا يمكن ردها مع اسماء الماسون الذين أفتوا بقتل الملك بغضاً بساطتهِ ليس الّا

وليس امر لويس السادس عشر امراً منفرداً جرى عن فتنة موقتة في ساعة يعمي الهوى بصيرة العقل لكن الماسونية قد جعلت قتل الملوك ونصب المكايد لاصحاب السلطة من ديدنها لأن كثيراً من رموزها وعلاماتها وشاراتها في الدرجات العليا ليست سوى تمهيد لمعارضة الملوك وثلّ عروشهم يكشفون معانيها السريّة شيئاً فشيئاً لمن يرونهم كفوءاً لذلك. منها الحروف L.·.P.·.D.·. التي كانوا ينقشونها على اوسمتهم ومعناها (lilia pedibus destrue) « اسحق الزنابق بارجلك » يريدون بالزنابق ملوك البربون وهي شعارهم المعروف — ومنها الحيّات الثلاث التي سبق ذكرها وعلى رأس احدها تاج ملكي يؤمّ الماسوني بقطعهِ. وقد اختصر الاخ ديدرو (Diderot) اعمال البنائين الاحرار بهذا الشعار « ينبغي ان يُشنق آخر الملوك بمصران آخر الكهنة »

ولم يبق هذا الشعار قولاً فارغاً فان الذي يطالع تاريخ الازمنة المتأخرة من ايام الثورة الفرنسوية الى يومنا يجد ان عدد الآثام السياسية المجترحة ضد الملوك واهل السلطة في هذه المدة القصيرة يفوق ما ورد من ذلك في الف سنة وازيد. ولا نظن ان دولة واحدة نجت تماماً من مكايد الماسونية فلم تبكِ على بعض ملوكها او رؤسائها الذين ذهبوا ضحية الجمعيات السريّة. قتلوا في اسوج غستاف الثالث. قتلوا في فرنسة ابن الملك شرل العاشر الدوك دي باري. قتلوا في روسية اسكندر الثاني واسكندر الثالث. قتلوا في النمسة الملكة اليصابات. قتلوا في ايطالية الملك همبرت الاول. قتلوا حديثاً في البرتغال شرل الثاني. هذا فضلاً عن الذين سعى الماسون في قتلهم فحبط مسماهم كما جرى للملك لويس فيليب وللامبراطور نابوليون الثالث وللقيصر نيقولا الثاني وللملك الفونس الثاني عشر وغيرهم كثيرين

وليس بغض الماسون للملوك وحدهم بل لرؤساء الجمهوريات ايضاً فهم ضحّوا

اجازة أستاذ أعطيت لاحد الماسون وفيها كثير من رموز الشيعة كالعمودين جاكين وبعوز وتماثيل آلهة رومانيّة وهيكل ماسونيّ وآلات هندسيّة واشارات مسيحيّة شتى محوّلة عن معانيها الاصليّة وغير ذلك من التاويل العظيم المنظر الفارغة المغير . كُتبت هذه الاجازة في سنة التاريخ الماسونيّ ٥٨٤٦ (كذا) ويوصى بالاستاذ الجديد كل اخوته الماسون

لانتقامهم غرسيا مورينو رئيس جمهورية خط الاستواء من اعظم رجال عصره الذي لم يقترف اثماً آخر سوى قيامهِ في وجه الفوضى فضربهُ الماسون ومات صارخاً : « ان الله لا يموت » . وهم الذين قتلوا سنة ١٩٠٢ ماكينلي رئيس الولايات المتحدة

ومن هؤلاء الملوك والرؤساء من كانوا منتظمين في الماسونية الّا انهم حاولوا ان يخلعوا نيرها الممقوت او يستقلّوا بالعمل فما لبث الماسون ان ذكّروهم بمواعيدهم تارة بالسيف وتارةً بالسمّ وحيناً بالقنابل المنفجرة كنابوليون الثالث لمّا اطلق عليهِ الماسوني اورسيني قنبلتهُ فنجا منها . وغيرهم لم ينجوا كالرؤساء غامبتّا وسادي كرنو وفيلكس فور الذين قتلوا بدسائس اخوتهم الماسون . ومثلهم دي ناست (de Nast) وستروماير (Stromayer) . نشنا جمعيّة اوربّة الفتاة . وكُتزبو (Kotzebue) والكنت دي روسي (C. de Rossi) وآخرًا بطرس باشا غالي ولكل واحد منهم قصّة لا تبقي ريباً في فظائع الماسونية

وانّما هذا بعضٌ من عدّ وقطرة من بحر فانّنا لو اردنا ان نتبع آثام الماسونية لما كفت المجلّدات الضخمة اذ لا يمرّ علينا سنة بل شهر دون ينقل الينا البريد شيئاً من مآثر الماسون . وقد نقلنا سابقاً شهادة احد كبار المؤرخين البروتستان الذي اكّد صريحاً بانهُ لم يجرِ منذ السنة ١٧٩٠ الى زمانهِ مُصاب أليم الّا وللماسونية فيهِ يد طولى . بل ترى الماسون اذا جرى انقلاب في دولة نسبوا الامر الى ذويهم وعدّوه مأثرةً تُذكر لهم فتشكر

والشيع السرّية هي كألوف عادتها لا تجاهر بعداوتها لكن تسير مع كل دولة بالرأي شأن الحية تحت الزهور حتى اذا سنحت الفرصة نفثت بسمها القتّال . واذ نحن نكتب هذه الاسطر نرى تحت اعيننا كتاباً فرنسويًّا عنوانهُ « La Girouette maçonnique » ما يمكن تعريبهُ « بأبي براقش الماسوني » فيثبت فيهِ كاتبهُ ل . تورماتان (L. Tourmentin) بالنصوص العديدة تقلّب الماسونية في معاملاتها مع كل دولة جديدة فاذا ظهرت دولة اسرع الماسون وسجدوا امام الشمس الشارقة وعظموا الدولة الحديثة وقدموا معاويض الولاء والطاعة حتى اذا أمنوا ضربائها عادوا الى دسائسهم الخفية واحتجبوا وراء ستار محافلهم المظلمة . ومن يقرأ هذا الكتاب لا يتمالك عن الازدراء بهذه الشيعة الدنيئة النفس التي تتزيّا بكل الازياء لتبلغ غاياتها الوخيمة

٣ الماسونية والشعب

يتبادر الى الفهم مما سبق ان الماسونية لا تعاكس الملوك الّا لتحرّر الشعب وتفكّ اغلالهُ كما تزعم وتعيد لهُ سلطتهُ المسلوبة. وكثيرًا ما تسمع الماسون يردّدون بل الاشداق ان السلطة للشعب وان الشعب هو الملك الذي يجب ان يتقلّد الحكم واشياء كثيرة مثل هذه توهم السامعين بان الماسون يشتغلون لخير الشعب وان غايتهم كفّ الظلم عن اعناقهِ لينال الحرّية والمساواة. فكأني بهم يصرخون الى الشعب كالسيد المسيح لذكرهِ المجد: « تعالوا الينا ايها المضنكون والثقيلة احمالهم ونحن نريحكم »

فدعنا ننظر ما تحت هذا الكلام من الدسم وما تحت القشرة من اللبّ. واول ما يكشف لك كذب الماسون انهم لا يقبلون في محافلهم الفقراء والعملة ورجال الشغل الّا الذين يمكنهم ان يدفعوا مبلغًا وافرًا لينالوا « ذلك الشرف السامي ». فان كان الماسون يحبون الشعب فما لهم لا يجعلون لهُ حصّة في اعمالهم ويستشيرونهُ كما يستشيرون اخوتهم بالشيعة ؟

والصحيح ان غاية ما يطلبون من الشعب ان يسوقوه كالاعمى الى مآربهم ويكون في ايديهم كآلة صمّاء للفتن والثورة يتسترون وراءها فتكون المسئولية على الشعب لا عليهم (والفلّة على العميان). وليس كلامي قولًا بلا سند. ورد في قوانين الماسونية التي طبعها شرق فرنسا السامي سنة ١٩٠٢ (ص ٩) (١ : « لا يستطيع احد ان يُنظم في سلك الماسونية ويحصل على حقوقها ما لم يكن حاصلًا على وسائط كافية لمعاشهِ ضامنة لشرفهِ ». فكيف يتدنس الماسون بعد هذا بمخالطة العملة والفلاحين وعموم الشعب (تعقّلوا يا مجوبين !)

وجاء في النشرة الرسمية التي طبعها زعماء الماسون سنة ١٨٩٠ (Bulletin du Gr.·.O.·., 1891, p. 560) : « يلزم ان يبقى هيكلنا محروسًا مصونًا لا يدخلهُ غير الناس المعتبرين (الاوادم) كما هي العادة الجارية بيننا وعلى مألوف تقاليدنا الماسونية. ولكنّنا نريد ان تكون جماهير الشعب تحت يدنا نستعين بها العمل ». افسمعتم ايها

1) Constitution et Règlement général de la Fédération du G.·.O.·., 1902. p. 9

البسطاء الذين تمشون « كالطرش » تحت رعاية هؤلاء القادة ؟ مرادهم منكم أن تطبخوا الطبخة فيأكلوها هم هنيئة مريئة

هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

وكان ڤلتير الماسوني يسمي الشعب ارباشاً (la Canaille)

وان قال قائل : انهُ من المعلوم ان الماسونية تسعى في نزع السلطة عن الملوك والاشراف لكي تعهد بها الى الجمهوريات والجمهوريات يديرها الشعب باختياره نوّاباً ينوبون عنهُ في مجلس الامة . أجبنا ان غاية الماسونية ليست هي انشاء الجمهوريات وانما الجمهوريات في يدها كواسطة الى الفوضى وقلب كل سلطة وان شككتَ من صحة قولنا فاسمع ما فاه به ويهويت منشئ الماسونية المنوَّرة (١ :

« قد سمعتونا ونحن نقرّع بالاستبداد والظلم اللذين يتّسم بهما الملوك والاشراف ولا تظنوا ان الشعب المتملك والمشترع يخلو منهما كلّا ثم كلا . فاي حق يا ترى للاغلبية ان تضغط على حريّتي وتخضعني انا والعددَ الاصغر لاوامرها . . . ان السلطة الجمهورية هي كبقية الهيئات المتسلطة فكلّها منافية للطبيعة البشريّة . . . ان عيشة الطبيعة ان يكون كل الناس احراراً متساوين لا تحصرهم الشرائع ولا تقهرهم السلطة يستوطنون الارض كلها كيفما شاؤوا وحيثما شاؤوا » . اعني ان اقصى غاية الماسون ان يجعلوا الناس همجاً اعمالاً يعيشون كالحيوانات في البراري والقفار . وتلك كانت تعاليم الماسوني الكبير جان جاك روسو التي نشرها بلا حياء في تآليفهِ الوخيمة وخصوصاً في كتابهِ المعروف بالعهد الاجتماعي (Contrat social) والماسون بمدحهم لهذا رجل السوء يصادقون على مبادئهِ الفاسدة او بالحريّ يردّدون كالببغاء ما يسمعون

٤ الماسونية والوطنيّة

طُبع الانسان على حبّ وطنهِ وارضهِ التي نشأ فيها واستنشق نسيمها وحكى لغتها وألف عاداتها وتدبّر بسننها . فاذا سمع اسم الوطن رقصت لهُ جوارحهُ وطرب سمعهُ واذا اضطر الى فراقهِ كئب وتحسّر كأنهُ فقد قسماً من هنائهِ

(١ اطلب Fava: *La Franc-Maçonnurie Doctrine, Histoire*, Gouvernement, p. 52

وقد تخالف الماسونية في ذلك مشاعر سائر البشر فان كلمة « الوطن » لذويها كلمة فارغة من المعنى واسم بلا جسم. ومما يشهد على صدق قولنا ما اوردناه في الفصل السابق من الشواهد الواضحة. وهذه اقوال اخرى تزيد الامر بياناً

قال ويسهوبت منشئ الماسونية المنورة (١): « ان وطن الماسون الاحرار ليس هو انكلترة او اسبانيا او المانيا او فرنسة بل العالم كلهُ . . فاتركوا اذاً مدنكم وقراكم واحرقوا بيوتكم . . . كونوا احراراً متساوين فتكونوا اولاد المصور كله وابناء العالم اجمع . اعرفوا كرامة المساواة والحرّية فلن تخافوا على الاطلاق حريق المدن والقرى التي تدعونها وطنكم سواء كانت رومية او ڤيانّة او باريس او لندن او الاستانة. هذا هو السرّ العظيم الذي كنّا نصونهُ عنك ايها الاخ والصديق الى يوم بلوغك الى هذه الاسرار ». فترى انّ الماسوني لا يعرف وطناً آخر ألا العالم. وما سوى ذلك فاولى بالحريق والدمار

واوضح من هذا ما ورد في تعليم الجندي (Catéchisme du soldat) الذي سعى بنشره احد شيوخ الماسونية الاخ « الان (Allemane) . حيث يقال في تحديد الوطن ما تعريبهُ الحرفيّ: « الوطن خيال باطل وكذب محض. ان الوطن هو كل ما يغتصبنا وما يجب علينا بغضهُ » (كذا)

وفي هذه السنين الاخيرة كان الماسوني هرڤه (Hervé) مفرغاً كنانة جهده في معاكسة الجندية ونشر الكتابات المهيجة للجند على قوادهم معلناً بان الجندية عارٌ على الانسانية وان عصيان المتجندين واجب مقدّس. واشياء كثيرة كهذه بثّها في الجرائد ووزعها في ثكنات العساكر. وقد وافق كثير من الماسون على اقوال هرڤه منهم الاثيم فريّر الذي قُتل في العام الماضي بعد محاكمته الشرعية فهبّ الماسون في اقطار العالم للدفاع عنهُ . وهؤلاء يزعمون ان الرايات الوطنية آية الظلم والاستبداد فيجب ان تلقى في المزابل. بل انشأوا جرائد يسبّون فيها الجندية ونظامها . منها جريدة پيوپيو دي يون (le Pioupiou de l'Yonne) التي اهان صاحبها شرف العسكرية باقذع الكلام وانظع الشتم فأُقيمت عليه دعوى في اوسار (Auxerre) فارسل رئيس محفل الماسون هناك قراراً الى القضاة يعلن فيه ان كل الماسون يصادقون على اقوال الكاتب

---

١) في القسم التاسع من دستوره في الفصل الذي عنوانهُ « La Mage et l'Homme roi »

وانهم أنفقوا من مالهم لنشر مقالاته (١ ومن جملة ما كتب المذكور تحريضهُ للجنود بقوله: « اقتلوا ضباطكم مهما كانت درجتهم في العسكر . . اخلعوا نير التقاسيم الدولية وانزعوا التخوم البلديّة بل أنفوا عنكم كل وطنية »

ولما خان دريفوس وطنهُ وباع لالمانية اسرار عسكرية فرنسة ولاحت خيانتهُ كنور الشمس لم يزل الماسون اخوتهُ في قيام وقعود مدة بضع سنوات حتى تمكنوا من تبييض ذلك الحبشي بصابونهم العجيب

وقد بلغ بغض الماسون للوطن الى انهم قرّروا على مشايعيهم اذا كانوا في حرب ورأوا بين الاعداء ماسونيًا كفّوا عن محاربته . . ال الاخ « بولي (Bouilly) في خطبة وجّهها الى الجنود المنخرطين في الشيعة: « يا الحرب اياكم ان تميزوا بين امة وامة وبين زي عسكري وآخر فانظروا فقط الى اخوانكم في الماسونيّة وتذكّروا الاقسام التي ربطتم بها نفوسكم (٢ »

وقد وضع الماسون علامة خصوصيّة يتعارف بها الجند في ميدان الحرب فلا يقاتلون بعضهم بعضًا اذا رسمها احدٌ امامهم

فما قول ماسون بلادنا في كل ذلك؟ أتظنّ في قلوبهم العثمانيّة والحميّة الوطنيّة على هذه المبادئ الفاسدة او يقومون بواجبهم الدينيّة في تضحية كل نفس ونفيس حتى الوطن العزيز للماسونيّة سيدتهم؟

ونجعل مسك الختام لهذا الفصل ذكر ما جرى بين اعضاء المؤتمر الماسوني الدولي المنعقد في باريس سنة ١٩٠٠ تحت نظارة الرئيس « لوسيبيا (Lucipia) فانهم طلبوا « بان تنشأ لجنة دوليّة يسعى فيها اعضاؤها بعضد المبادئ الماسونيّة وخصوصًا بانشاء جمهوريّة واحدة تعمّ كل العالم (٣ » . . ا اعزّ الأوطان على قلوب الماسون ! !

٥ الماسونيّة والانانية

ان كان الماسون يضحّون الوطن على مذاهبهم واكلهم فما قولك بالعائلة فانها ليست اعزّ شأنًا واحقّ اكرامًا من الوطن

---

١) اطلب (Manuel antimaçonnique par J. TOURMENTIN, p. 59)

٢) ورد هذا الخطاب في النشرة الماسونيّة المدعوة الكرة (Le Globe) (ج ٤ ص ٤)

٣) اطلب ديلامار (ص ٥٢) Delamare: *Le Franc-Maçon voilà l'ennemi,*

وضع الله العائلة اساساً اوّل للمجتمع الانساني . فربط الابوين برباط من الوداد والوحدة لا يحلّهُ البشر ووجّه عنايتهما الى تهذيب اولادهما ليرثوا فضلهما من بعدهما

وقد عرفت الماسونيّة ان مساعيها في خراب الألفة البشريّة تذهب ادراج الرياح ان لم تباشر بمناجزة القتال للعائلة ولكل افرادها فنصبت مناجيقها على هذا الحصن لتدكّهُ وتساويهُ بالدقعاء

١ ﴿ رأس العائلة ﴾ الاب في العائلة رأسها وسندها والحامي عن ذمارها فاذا اهمل واجباتهِ نحوها تضعضعت وتلاشت . فالماسون لا يألون جهداً في اجتذاب ارباب العيال الى شيعتهم ليقودوا بهم على سائر افراد العائلة

روى المؤرخ كراتينو جولي (١ ان بين الاوراق السريّة التي اكتشفها وزير الدولة البابويّة وكتبها اليهودي المتنكر تحت اسم بيكولو تيغري (Piccolo Tigre) من زعماء الماسونيّة الداخليّة في ١٨ ك ٢ سنة ١٨٢٢ تعليماً هذا تعريبهُ الحرفي :

« انَّ الامر الجوهريّ في استمالة الناس الى جماعتنا انّما هو إفراد الرجل عن عائلتهِ وإفساد اخلاقهِ . . . فاجتذبوهُ واسجبوهُ واذا ما فصلتموهُ عن امرأتهِ واولادهِ وجسّمتم لهُ مشاقّ الواجبات الاهليّة ومصاعب البشة البيتيّة وقبّبوا اليهِ البشة الحرّة وانتثوا في قلبهِ السأم من الديانة ثم خاطبوهُ بما يحبّب اليهِ الماسونيّة وادعوهُ الى الانخراط في مصاف المحفل الماسوني الاكثر قرباً »

وبين الاقسام التي يرتبط بها الماسون في بعض المحافل وخصوصاً في الماسونيّة المعروفة بالمنورة ما نصّهُ العربي : « اني اقطع كل العلاقات الجسديّة التي تربطني باحد من الناس سواء كان اباً او اماً او اخواناً او اخوات او زوجاً او اقارب او رؤساء او محسنين او غيرهم ممن اقسمتُ لهم بالطاعة ووعدتهم بالولاء والحب »

٢ ﴿ الزواج المدني ﴾ ومن اقوى الاسباب التي تصون العائلة وتنميها وتؤهلها لخدمة الالفة ان يعيش الابوان بالوفاق الدائم فيلزم الرجلُ امرأتهُ والمرأة رجلها فيصيران جسداً واحداً طول حياتهما دون ان يمكن انساناً ان يحل ما جمعهُ الله . ومن ثم كانت الشرائع المدنيّة في كل انحاء اوربّة تتفق مع السنن الالهيّة في منع فكّ الزواج قياماً بوصيّة السيّد

١) اطلب كتابهُ : الكنيسة الرومانيّة بازاء الثورة L'Eglise Romaine en face de la Révolution, II, 104

المسيح الذي اعاد الزواج الى شرفهِ الاول وثبّت اركانهُ (مت ١٩: ٤-٩) وابطل ما سمح بهِ موسى قساوة قلوب بني اسرائيل

امّا الماسونيّة عدوّة المجتمع الانساني فانها رأت في الزواج المدني وسيلة كبيرة ونصيراً فعّالاً لادراك غاياتها بسواغيّة الطلاق حيثما أمكنها بل سعت لدى الدول بان تلغيهُ من دساتيرها الشرعيّة لتفتح للاهواء والخلاعة بابًا واسعاً بسَنّ الزواج المدني الذي ينفي الله ورجال الدين من حفلة الزواج كأنّ هذا السرّ صك مبايعة بين اثنين يجوز لهما ان يتصرفا بهِ كيفما شاءا ويطلاه اذا عنّ لهما فيمرّضا الاولاد لكل الاخطار بعد افتراقهما

قال الماسوني هلفتيوس (Helvetius) في كتابهِ عن الانسان (De l'Homme c. 3.): « اذا كفّ الزوجان عن الحب المتبادل ودخل النفور في قلبهما فلأي سبب يُقضى عليهما بان يعيشا معاً ... ان الشريعة القاضية بالاقتران غير المنفصم انما هي شريعة بربريّة ظالمة

ويسأل رئيس المحفل المترشح لبعض الدرجات الماسونيّة: « ما رأيك في الطلاق ؟ » فيجيب: « انّ السنّة القائلة بمنعهِ مخالفة للطبيعة »

وكان الماسوني ڤولتير في المعجم الفلسفي (في مادّة طلاق Divorce) سبق فقال: « ان الطلاق التام والزواج قبل وفاة المطلّقة بامرأة اخرى حق طبيعي » . لا بل يرتأي « ان الزنى ليس بمحظور اذا تسامح الرجل بامرأتهِ لغيره » (في المعجم الفلسفي في مادّة زنى Adultère)

وقال احد شيوخ الماسونيّة دورفويل (d'Orfeuil): « ليس الزنى باثم في شريعة الطبيعة . ولو بقي البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كاهن مشتركات بينهم (١) »

٣ ﴿ المرأة ﴾ هي الركن الثاني الذي تقوم بهِ العائلة وكما خوّل الله للاب القوّة والنشاط والجد في العمل للدفاع عن العائلة والقيام بحاجاتها كذلك أعطى الام التؤدة والانس وطول الأناة لتربية الاولاد وترويض اخلاقهم فتعدّهم ليكونوا يوماً عضداً للاوطان . وقلّما يحيد الولد عن تعاليم امهِ اذا احسنت تهذيبهُ في حجرها وفقاً لما جاء في المثل: « علمٌ في الصغر نقش في الحجر »

---

(١) اطلب كتاب ديشان في الجمعيّات السريّة (Deschamps: *Les Sociétés secrètes* I, 118)

فالماسون حاولوا ايضاً دكّ هذا الركن العائلي كما عمدوا الى تقويض الركن الاول. فتراهم في كل مؤتمر ماسوني يكرّرون الرجاء باجتذاب المرأة الى محافلهم لتحريرها كما يزعمون وما غايتهم الّا ان ينزعوا عنها الدين ويلقوا بها في ردغة الفساد

وقد اجتهد الماسون منذ رسوخ قدمهم في انكلترة وفرنسة في اواسط القرن الثامن عشر ان يفتحوا محافل انثوية فلم ينجحوا في هذا المشروع الّا نوعاً فانّهم جمعوا عدداً من النساء التائقات الى الحرّية وادخلوا في تلك المحافل كثيراً من العادات التي رأوها جديرة باستلفات النساء كالآدب والمراقص والمياكل المزدانة بالحليّ والخطب النسائيّة والوقوف على بعض الاسرار والاجتماعات المختلطة من ماسون يدعونهم « فرسان الورد » وماسونيّات يُعرَفنَ « بعرائس الورد » فما لبثت ان تعطّرت المحافل من اريج ذلك الورد النقيّ فجرى ما جرى واضطرّت الحكومة ان تقفل « تلك الكراخين ».

ثم عاد الماسون مراراً فاستأنفوا فتح المحافل الانثويّة لعلمهم بانّ النساء من اقوى العوامل للفوز بالمرغوب اي نسف الدين ونشر الفساد

قال الاخ ه. بوكيه (Beauquier) في حفلة ماسونيّة عُقدت في بزانسون سنة ١٨٧٩: « تأكدوا انّنا لسنا منتصرين تماماً على الخرافات (اي الدين) الّا يوم تُشاركنا فيه المرأة بالعمل فتمشي في صفوفنا وتجاهد معنا »

وقال سنة ١٨٩٩ اصحاب مؤتمر بولوني (Boulogne-sur-Mer): « يجب علينا ان نكسب المرأة. فايّ يوم مدّت الينا يدها فُزنا بالمرام وتبدّد جيش المنتصرين للدين »

وفي السنة التالية في مجتمع الماسون العموميّ قام الرئيس بوفره (Bouvret) فقال: « لا بُدّ لنا ان نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا الحرّة فنخلّصها من نفوذ الكهنوت (١) »

وقد أُنشئت في هذه العشر السنين الاخيرة عدّة محافل مختلطة مركزها في باريس ولندن تحت اسم « الشورى العامّة العليا المختلطة Suprême Conseil universel mixte » ولا غرو انّها اتت بثمارها الطيّبة من حرّية الفكر والعفاف الماسونيّ !

---

١) اطلب الكتابين الآتيين: المرأة عند الفرمسون Tourmentin: *La Femme chez les Francs-Maçons*, وكتاب الماسونيّة والمرأة G. Soulacroix: *La Franc-Maçonnerie et la Femme.*

٤ ﴿ الولد ﴾ هو منتهى حبّ الوالدين وغاية الألفة البيتيّة فينشأ الصغير مشمولاً بانعطاف والديه ينال منهما قوتهُ وبقيّة حاجاتهِ فترشدهُ الطبيعة وضميرهُ معاً الى طاعة علّتي وجودهِ واكرامهما طول حياتهما والى خدمتهما في شيخوختهما

وقد اعترضت الماسونيّة على هذه الواجبات البنويّة وانزلت الوالدين والاولاد منزلة الحيوانات غير الناطقة فتارةً تجعل المحبّة الوالديّة محبّة شهوانيّة خسيسة وتارةً تنكر على الابوين حقوق الطاعة والوقار من قبل اولادهما بعد سنّ الرشاد وحينًا تعلّم الاولاد نبذ السلطة الوالديّة . قال الماسونيّ هلفتيوس (في كتابهِ عن الانسان ف ٨) : « ليس الوثاق الذي يصل البنين بالآباء شديدًا متينًا كما يُظَنّ . . . والوصيّة الآمرة باكرام الاب والامّ تثبت انّ محبّة البنين للوالدين هي اقرب الى العادة والتربية منها الى الطبيعة » . كأنهُ يقول لولا انّ الابوين يلقّنان اولادهما الطاعة والحبّ لهما لما ارشدتهما الطبيعة وصواب العقل الى ذلك

وقال ديدرو الماسوني صديق ڤولتير في كتابهِ عن الآداب العموميّة : « انّ سلطة الآباء على البنين ليست مبنيّة الّا على المنافع الخاصّة التي يؤمّلون تحصيلها منهم »

وقال الماسوني رينول (في كتابهِ عن مذهب الطبيعة ك ١٨ ع ١٢) : « ان سلطة الآباء على بنيهم تزول حين يتمكّن البنون من القيام بأود معيشتهم »

ومثلهُ دالمبر رصيف الماسون واحد ائمتهم (راجع مادّة الاولاد في دائرة المعارف المعروفة بالانسكلوپيديا) قال : « من المقرّر ان خضوع البنين لوالديهم لا يجب ان يدوم الّا في الوقت الذي يكون فيهِ الاولاد في حالة الجهل والعجز »

وقال ويسوريت منشئ الماسونيّة المنورة (في كتاباتهِ الاصليّة ك ٢ ف ٢) : « ان السلطة الابوية تزول حين يبلغ الولد اشدّه فاذا اراد الاب ان يحفظ سلطتهُ بعد ذلك على بنيهِ تجاوزَ حقوقهُ وألحق الاهانة باولاده »

وورد في كتاب الخطيب الماسوني (Willaume: *L'Orateur franc-maçon.* p. 456) « ليست معرفة الجميل واجبًا لازمًا على البنين لوالديهم وانما هي شيء اختياري . والولد اذا بلغ سنّ الرشاد أعتق من حكم الطاعة لوالديهِ »

وقد علّم الماسون بعض الاولاد في فرنسة اذا ما ادّبهم اهلهم او ضربوهم أن يقيموا الدعاوي على والديهم ليزجوهم في الحبس

فكل هذه الشواهد تنطق بلسان حالها عن اعتبار الماسونية للعيشة العائلية . فالويل ثم الويل لمن يلقي بنفسه بين مخالبها (لهُ بقية)

لا يمكن ولا يجوز
ان تكون المدارس علمانيّة بلا دين

نظر فلسفي للاب لويس شيخو اليسوعي

علمتَ حفظك الله من مقالتنا المعنونة « المدارس العلمانيَّة والاديان » (في المشرق ص٦٢٠) ان المدارس اللادينيَّة — مهما زعم اربابها — تعادي كل اديان الشرقيين وتنسف معتقداتهم نسفًا بانكارها لوجود الخالق وخلود النفس ووقوع الوحي والثواب والعقاب . اثبتنا ذلك من نفس الكتب التي يتَّخذها اصحاب تلك المدارس كدستور لتعليم طلَبتهم الآداب فانتزعنا منها عدَّة نصوص تنفي الحقائق الدينيَّة التي يتَّفق في صحتها النصارى والمسلمون واليهود على سواء

وها نحن الآن نوسّع نطاق هذا البحث فنبيّن من وجه آخر انَّ منشئي المدارس العلمانيَّة لا يمكنهم ان يحترموا جميع الاديان ويجعلوا تعليمهم مستقلًّا عن كلّ دين كما يزعمون وهذه المرَّة نضرب الصفح عمَّا يُعلِّمهُ اولئك الاساتذة وانَّما نبحث بحثًا نظريًّا فقط فنقول : اوَّلًا ان المدارس العلمانيَّة لمجرَّد استقلالها عن التعليم الديني هي معادية ضرورةً للدين . اعني انهُ لا يمكن مطلقًا ان تتجرَّد المدرسة عن الدين دون ان تعاديهُ . وثانيًا اذا افترض انَّ مدرسة يمكنها الحياد عن الدين تمامًا فلا يجوز لها ذلك نظريًّا وادبيًّا وان فعلتْ اقترف اصحابها اثمًا كبيرًا

١ من المستحيل ان تحيد المدارس العلمانيَّة عن الدين دون معاداته

ليس الكلام هنا عن بعض المدارس الخصوصيَّة العالية التي يقتصر اصحابها على تعليم العلوم النظريَّة كالرياضيات والجبر والهندسة او العلوم الفلكية كالهيئة والنجوم او العلوم الجغرافية او اللغوية لاسيما اذا كانت تُلقى تلك الدروس في نوادٍ عمومية كما هي

العادة في الكليات على مسامع شبان في مقتبل العمر او حضور احرار يتصرفون باعمالهم كما يشاؤون فيحذرون من تحامل العلمين على الدين

وانما نتكلم عن المدارس الاولية والثانوية داخلية كانت او خارجية مما اخذ اربابها على نفوسهم ان يقوموا بتعليم الولد وتهذيب عقله وترويض اخلاقه وتخريجه في الاداب الحسنة ومواصلة التربية البيتية التي باشر بها ابواه فلم تسمح لهما الاشغال بانجازها فيعهدان بذلك الى المدارس لينوب اصحابها عنهما ليس في التعليم فقط لكن في التهذيب الذي لا ينفصل عنهُ . فنقول انَّ هذه المدارس لا يمكنها ان تضرب الصفح عن الدين بل تدكَّ اركانهُ شاءت ام ابت وهذه براهيننا:

١ انَّ الولد اذا بلغ سنَّ الرشاد وانجلت عن عقله غياهب الجهل وجَّه من وقته نظر بصيرته الى ذاته فيرى جسده مع كلّ مشاعره وحواسّه المختلفة . يشعر بنفسه التي منها ينال النموّ والحسّ والحركة . يدرك ما في تلك النفس من القوى العجيبة كالفهم والنطق والارادة بينما يرى الحيوانات العجماء خالية من ذلك . يسمع في باطن قلبه صوتاً سرّياً يردعهُ عن فعل الشر ويسوقهُ الى عمل الخير . فيخطر على باله لا محالة ان يطلب سبباً لكل ذلك ليعرف من هو علّة وجوده وما اصلهُ ومن غرس في قلبه تلك الشواعر . فهما يبالغ في البحث تزيد رغبتهُ في حلّ هذه المشاكل . واذ يرى بقربه معلميه واساتذته الذين وُكلت اليهم تربيتهُ فلا بدَّ ان يعرض عليهم الاسئلة في كلّ ذلك . فماذا يكون رعاك الله جواب اولئك المهذبين ان كان تعليمهم مستقلاً عن الدين ؟ فان اجابوه انهم لا يعلمون زادوه ريباً وعذاباً وان انكروا عليه وجود الخالق كما ورد في كتبهم اوقعوه في وهدة الكفر

٢ وكما يريد الولد ان يعرف سبب وجوده يتوق الى معرفة مصيره فيجول في فكره امرُ نفسه . فليت شعري ما هذه النفس وما تركيبها ؟ أهي قسم من جسدي هيولية مثلهُ ؟ ولكن كيف تعقل وتفهم ؟ واذا مات الانسان هل تموت معهُ النفس وتضمحلّ ؟ ألا يبقى شيء منهُ بعد موته كالهرة والكلاب التي تُلقى على المزابل ؟ فان بقي ماذا يحلُّ به ؟ وان نفني كلّنا ونتلاشى فما لنا نجهد نفسنا « فلنأكل ونشرب فانّا نموت غداً » (اشعيا ٢٢ : ١٣) . فقل لي ناشدتك الله ان كان الولد في مدرسة علمانيَّة مستقلّة من كلّ تعليم ديني ولا يوجد احد يكشف لهُ اسرار حياته بل يتكرون امامهُ خلود النفس

(كما ورد في كتب تعليم هذه المدارس) أيكون فعلهم هذا حياداً عن الدين او ليس هو بالاحرى معاداةً للدين ؟

٣ انَّ الولد لا يقصر نظرة على نفسهِ لكنهُ يرى حولهُ عالماً كبيراً : سماء مرصَّعاً بالنجوم الساطعة . ارضاً منمَّقة بالازهار العطرة . بحوراً زاخرة جبالاً راسية شمساً نيِّرة بدراً منيراً . فهل صنع او قام او قعد وجد الطبيعة في طريقهِ فما هذه الطبيعة ؟ ومن اخرجها الى حيِّز الوجود ؟ اوليست هي دهريَّة ؟ ولماذا تسود عليهِ وتحكم على اعمالهِ . فلولا الشمس لمات برداً وعاش في الظلمة . فما لهُ لا يعبد الشمس ؟ فماذا يصنع ارباب المدارس اللادينيَّة ليزيلوا هذه الشبهات . ان قالوا انهم لا يعلمون خدعوا الولد بمذهب اللاادريين وان نكروا وجود مبدع الكون زال حيادهم المزعوم وزجّوا بالولد في اعماق الكفر

٤ تعرض للولد منذ حداثة سنهِ كما يعرض لبقيَّة البشر في حياتهم مشاكل تشغل فكرهُ ولا تدع لهُ راحة ريثما يحلّها . بخصوص نفسهِ أهي مادّية او روحيَّة زائلة او باقية زمنيَّة او مخلدة ؟ . بخصوص الشريعة ايكون الانسان حرّاً يقول ويفعل ما يشاء او هو مقيَّد بالشرع وبمشيئة مشترع يقضي عليهِ بالعمل ؟ . بخصوص رؤسائهِ الروحيين والزمنيين ألهم عليهِ حقوق ام لا ؟ . هذه واشياء كثيرة اخرى تنخس قلوب البشر منذ صغرهم وتبقى فيها كالاشواك ما لم يُزلها تعليم المعلم وتهذيب المدارس . فان كان هذا المعلم يعدُّ كل ذلك من الخرافات ويضرب الصفح عنهُ افليس هو المسئول عمَّا يطرأ على الولد في حياتهِ من اسباب القنوط ؟ وان تنازعتهُ الاهواء كسفينة لا دفَّة لها وألقتهُ في تيَّار الالحاد وفي لجج الكفر واسلمتهُ دون سلاح الى مذاهب الماديين والاشتراكيين والفوضويين ألا تكون هذه العاقبة نتيجة تعليمهِ اللاديني ؟

٥ انَّ اولاد المدارس العلمانيَّة كغيرهم . مهما صمَّموا آذانهم سوف يسمعون اسم الله عزَّ وجلَّ او يقرأونهُ في بعض الكتب وكذلك يطَّلعون على اخبار خلقة العالم وسير الانبياء واشياء كثيرة اذا سكت عنها المعلمون لا يمكن لاولاد ان يجهلوها . فماذا يقول عن ذلك كلهِ ارباب المدارس العلمانيَّة افليس يدرجونها في سلك الخرافات التي لا اصل لها فيحيدون عن الاستقلال الذي زعموه ويعادون الدين ؟

٦ ثم انَّ الولد اذا ترعرع لا يلبث ان يشعر في قلبهِ بتلك الاهواء التي تتنازع نفسهُ فتحملها تارةً الى اليمين وتارةً الى الشمال . يحملهُ صوت الضمير الى عمل الخير لكنَّ

الشرّ يقوى عليهِ ويجذبهُ. فما ترى من يستطيع ان ينصرهُ على ناموس الشرّ الذي في اعضائه وينقذهُ كما يقول بولس الرسول (روم ٧: ٢٤) من جسد الموت وناموس الخطيئة ؟ او كيف يساعدهُ اساتذة المدارس اللادينيَّة في ذلك الجهاد الذي تؤدي فيهِ الكسرةُ الى العطب والدمار. افيقولون لهُ: لازمْ شرفَ نفسك ؟ فما هذا الشرف ومن الذي يقضي بهِ عليَّ ؟ فان كان لا اله يثيبني على حسن العمل ويعاقبني على سوء الفعل فكل الاعتبارات البشريَّة باطلة لا تمنعني عن شيءٍ من الآثام: الزنى الخلاعة السرقة القتل وبقيَّة المحظورات. اما الشرف فيستطيع الانسان ان يصونهُ بالمراء وكم شريف في اعين البشر هو اثيم شرّير في اعين الله وفي اعين نفسهِ !

٧ وان تورَّط الولد لضعفهِ في الاثم والعادات السيئة واستسلم لاهواء قلبهِ فكيف يقيمهُ اصحاب المدارس العلمانيَّة ويعيدونهُ الى طريق الفضيلة التي جار عنها ويحرّكون في قلبهِ الندامة على فعلهِ. أفلا يعجزون عن ذلك ما لم يلتجئوا الى الدين العامل الوحيد في قلب الانسان للانابة الى الله. كما انهم لا يستطيعون البتَّة ان يلهموهُ الصبر في اوجاعهِ او ينهضوا همَّتهُ في فشلهِ وعدم نجاحهِ او يقوُّوا في عضدهِ عند بطرهِ واشرهِ

وخلاصة القول انَّ المدارس اللادينيَّة على رغم من انها لا تستطيع الحياد عن الدين فاماً تعاديهِ واماً تقرُّ بمناصرتهِ

٢ لا يجوز للمدارس الدينية الحياد عن الدين وان امكنها الحياد عنهُ بالتمام

ولكن هَبْ انَّ المدارس الدينيَّة تستطيع ان تجهل تماماً واجبات الدين وتضرب صفحاً عن التعليم الديني أفيجوز لها ذلك في نظر العقل وفي جانب الادب. كلَّا ثم كلَّا

أ قال الكتاب (١ يوحنَّا ١: ٥): انَّ الله نور ليس فيهِ ظلام البتَّة. وهذا النور الباهر يتجلَّى للانسان في كل حركاتهِ وسكناتهِ يلوح لهُ في باطن نفسهِ كما يظهر لهُ حولهُ في الطبيعة التي تحدق بهِ. فان رفع نظرهُ الى السماء نطقت السماء بمجدهِ تعالى وان شخص الى الشمس ضعف نورُها عن نور وجودهِ تبارك وتعالى. فان كان الامر كذلك فكيف يجهل اصحاب المدارس العلمانيَّة كيان الخالق ؟ او ليس سكوتهم عنهُ اثماً فظيعاً ولو امكنهم الحياد عن الدين ؟ وان تجاهل اصحاب تلك المدارس كأنَّ الله لا يستحق اعتباراً في اعينهم أفلا يأتون عملاً منكراً ؟ وقل مثل ذلك عن تلك القضايا الدينيَّة التي يحتاج اليها كل انسان لتدبير نفسه ولصونها عن الاثم وتزيينها بالفضيلة فان اخفاءها

لارباب المدارس عن طلبتهم عرّضوا بهم الى فساد الاخلاق وتلك الطامّة العظمى

٢ انّ المعارف البشريّة والعلوم الادبية لا يمكن ان يتمتّق فيها الانسان دون ان يجد علاقةً بينها وبين مصدرها الاوّل وركنها الثابت الذي هو الله تبارك اسمهُ لأنهُ تعالى هو اله العلوم (١ ملوك ٢ : ٣) كما هو خالق الكون فليس علمٌ الّا يصدر عنهُ وينتهي اليهِ . فمن جهل الله او تجاهل ألا يهين عزّتهُ ويعترف جرماً بسكوتهِ عنهُ ؟ بلا مراء . ألا ترى كيف يُطرى البشر فضل عالم كبير اكتشف شيئاً من قوانين الطبيعة واسرارها المجهولة فما قولك باله الطبيعة الذي وضع تلك القوانين العجيبة واودع الكون تلك الاسرار أيجوز ان يُنبَذ نبذ النواة فيُعتبر كلا شيء . فيا لله اي اثم اكبر من هذا ؟

٣ ليس الله فقط مبدع الكون واصل كل المعارف لكنّهُ ايضاً ربّ الارباب وسيّد السادة الذي لمشيئتهِ يخضع كل ما في السماء وعلى الارض لانهُ لم يخلق العالم الّا لمجدهِ كما انهُ لم يبرئ الانسان من العدم الّا ليسبّحهُ ويخدمهُ . فكيف يستطيع ارباب المدارس اللادينيّة ان يذكروا واجبات الولد نحو اهلهِ ومعلّميهِ ورفقتهِ وينسوا حقوق الخالق على عبادهِ ؟ أفلا يستحقّون ان يسمعوا تقريع الله لبني اسرائيل اذ نسوا خدمتهُ (ملاخي ١ : ٦) : « الابن يكرم اباهُ والعبد يكرم سيّدهُ فان كنت انا ابًا فاين كرامتي ؟ وان كنتُ سيّدًا فاين مهابتي ؟ » . وهذا اللوم ينال جميع البشر فكم بالحري اولئك الذين تعهّدوا بتربية الصغار ليقفوهم على واجباتهم فكيف يهملون الواجب الاوّل الذي يلزم المرء نحو ربّهِ والهِ ؟ . انيشمل العدل جميع المخلوقات فيُعطى كلٌّ حقّهُ الّا الله كأنّهُ لا حقّ لهُ على مصنوعات يديهِ ؟

فما اصدق ما قالهُ الكردينال لوسون في منشور اذاع قطعاً منهُ البشير في عددهِ الاخير الصادر في ٢٧ آب حيث قال :

« لا يمكننا ان نقبل الحياد الذي يرفض الدين ويحتقرهُ الى حدّ انهُ يعتبرهُ كشيء لا طائل تحتهُ فلا يستحق ان يكون من جملة موادّ التعليم . . . ولهذا نعدّ هذا الحياد شرًّا كبيرًا

« انهُ شرّ لانهُ يعاكس حقوق الله الذي ينبغي ان يكون لهُ المقام الاوّل في كلّ مكان ولا يسعنا ان نلزم الحياد نحوه . انهُ شرّ لانهُ يعاكس ما للوالدين من الحقوق في

تربية بنيهم تربية توافق معتقدهم الديني . انهُ شرّ لانهُ يعاكس ما للولد من الحق في ان يتهذب ويتعلم في مدرسة تكون لهُ بمثابة العائلة يقوم اصحابها مقام الوالدين في علم هو اشرف العلوم واشدّها ضرورة . انهُ شرّ لانهُ بمعزل عن الدين لا يتسنّى تربية رجال صالحين فاضلين تحتاج اليهم العائلة والهيئة الاجتماعيّة والحكومة . انهُ شرّ لان الغاية منهُ كما صرّح ذووه انما هي دكّ صرح الدين في وطننا »

هذا ما قالهُ نيافة الكردينال لوسون ونعدّ كلامهُ كسلك ختام هذه النبذة الوجيزة

(6) كتاب الهمز

عن ابي زيد سعيد بن اوس الأنصاري

رواية الشيخ ابي الفضل عمر بن عبيد الله بن البقّال

عن ابي الفتح محمّد بن احمد بن ابي الفوارس الحافظ

توطئة

مرّ بنا في عامنا الماضي (في المشرق ١٢ : ١٦١) مجموعاً قديماً خُطّ سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م) وقف على مضامينهِ الحسن بن محمّد الشهير بالصغاني فاجازهُ . وهذا المجموع كان يتألف من ستّة آثار منها لغويّة ومنها ادبية تبلغ ٣٠٠ صفحة لكن بائعهُ الدمشقي املّا بالربح افرد كل اثر وحدهُ ولحسن الطالع امكن حضرة الاب انستاس الكرملي ان يقتني هذه الاقسام المفرطة فتلطّف واوقفنا عليها . فنشرنا منها اثرين اعني ديوان السموأل في (المشرق ١٢ : ١٦٤—١٧٨) وكتاب فضائل الكلاب لابن المرزبان (١٢ : ٥١٥—٥٢٢) . وها نحن اليوم ننشر اثراً ثالثاً من هذا المجموع اعني كتاب الهمز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري وتآليف ابي زيد كلّها عزيزة لم يُنشر منها غير النوادر جمعهُ الشيخ اللغوي سعيد الشرتوني . وكتاب المطر والماء واللبن نشرناهما في المشرق ثم طبعناهما في مجموعنا « البلغة في شذور اللغة » (ص٩٩ و ١٤١) . وكتاب الهمز من الآثار الجليلة التي ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ١٧٢ من طبعة لندن) وكانت يد الضياع اخذتهُ لولا اكتشاف هذه النسخة الفريدة . وقد ذكر الحاج خليفة كتابين آخرين في الهمز للاصمعي ولقطرب وهما مفقودان . امّا كتاب ابي زيد فيبلغ في الاصل ٤٨ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطراً . وكان في مقدّمة الآثار الستّة التي ذكرناها يبتدئ بالصحيفة السادسة وكان لهُ في

الاصل مُلحق لابي زيد ايضاً اسمهُ « تحقيق الهمز » لكنهُ تضعضع فلم يبقَ منها الا اسطر قليلة فضربنا عنهُ صفحاً . ومما ينبغي التنبيه اليهِ انَّ كتابة الهمز في الاصل تخالف نوعاً الاصول الجارية اليوم في كتب النحويين فتارةً تُكتَب الهمز مع نقطتي الياء نحو « نُبِئَت » وتارةً تكتب بلا كرسي « ذُرءة » و « أذءرتُ » وحيناً يُكتب كرسي الهمزة دونها نحو « تَعْبِيَة » وكثيراً ما كُتبت الهمزة في غير مكانها مقدَّمة او مؤخرة عن حرفها او ترسم الهمزة دون حركتها . وكذلك وقع في الاصل بعض اغلاط اصلحناها في موضعها بوضع خطَّين اعتنين [ ] . فوجب التنبيه الى ذلك

ل . ش

(6') بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ أنعمتَ فزِدْ

اخبرنا الشيخ ابو الفضل عُمَر بن عبيد الله بن عُمر البقَّال الفقيه بقراءتي عليهِ فأقرَّ بهِ قال : اخبرنا الشيخ ابو الفتح محمَّد بن احمد بن ابي الفوارس فيما قُرئ عليهِ وانا اسمع في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب سنة ثنتي عشرة واربع مائة . قال : حدَّثنا ابو القسم عُمَر بن محمَّد بن يوسف بن جعفر الكاتب يوم الخميس النصف من رمضان سنة خمس وستين وثلثمائة . قال حدَّثنا ابو عبد الله محمَّد بن العبَّاس بن محمَّد بن ابي محمَّد اليزيدي قراءةً علينا من لفظهِ وانا اسمع في صفر سنة خمس وثلثمائة وسمعنا قبل ذلك مرَّةً اخرى في سنة اربع وثلثمائة قال : اخبرني ابو جعفر احمد بن محمَّد اليزيدي عمي في سنة خمسين ومائتين قال : قرأتُ على ابي زيد الانصاريّ هذا الكتاب :

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : يُقال نُؤْتُ بالحِمْلِ أَنُوءُ بهِ نَوْءًا إِذَا نهضتَ بهِ ونَاءَ بِيَ الحِمْلُ أَي نُؤْتُ بهِ ، وتقول : ناءَ النجمُ يَنُوءُ نَوْءًا إِذَا سقطَ ، وتقول : نَأَتَ الرَّجُلُ يَنِئُ نَئِيًا ونَهَتَ يَنْهِتُ نَهِيتًا وهما واحد غير انَّ النَّئِيت اجهَرُهما [اجهرُهما] (7') صوتاً ، وتقول : أَنَتَ الرجلُ يَأْنِتُ أَنِيتًا وهو مثلُ النَّئِيت ، وتقول : نأَمَ الرجلُ يَنْئِمُ نَئِيمًا وزَأَرَ يَزْئِرُ زَئِيرًا . والنَّئِيمُ أَهْوَنُ الزَّئِير

وتقول: أَنَأْتُ اللحمَ إِنَاءَةً وأَنْهَأْتُهُ إِنْهَاءً فهو مُنْهَأٌ ومُنَاءٌ (ممدود). وَنَاءَ اللَّحْمُ يَنِيءُ نَيْئًا ونَهِيَ اللحمُ يَنْهَأُ نَهْئًا ونَهَاءَةً (ممدود) ونُهُوءَةً، وتقول: أَنْبَأْتُهُ بالأَمرِ إِنْبَاءً، وتقول: نَسَأْتُ الإبلَ في ظِمْئِها فانا أَنْسَأُها نَسْئًا اذا زِدْتَها في ظِمْئِها يومًا او يومين او اكثر من ذلك. وتقول: نَسَأْتُ اللَّبَنَ أَنْسَأُهُ نَسْئًا وذلك اذا تأخذ حليبًا فتصبُّ عليه ماءً واسمهُ النَّسِيءُ على فَعِيل. وتقول: نَسَأْتُ الإبلَ عن الحوض فانا أَنْسَأُها نَسْئًا اذا اخَّرتَها عنهُ. نَسَأَتِ الماشيةُ تَنْسَأُ نَسْئًا اذا سَمِنَتْ. وكلُّ سمينٍ ناسِئٌ. وتقول: نُسِئَتِ المرأةُ تُنْسَأُ نُسْئًا اذا كان عند اوّل حَبَلِها وهي امرأة نَسْءٌ (على زِنة فَعْل) ونساء نُسُؤٌ ونُسُوءٌ (على زِنة فُعُل وفُعول). وتقول: قد انتسأت منك النساء اذا (7a) تباعدت عنهُ. وتقول أَنْسَأْتُهُ الدَّيْنَ إِنْسَاءً اذا اخَّرتَهُ عنهُ واسم ذلك النَّسِيئَة. وتقول نَدَأْتُ اللحم أَنْدَأُهُ نَدْءًا اذا مَلَلْتَهُ في المَلَّة والجمر. والنَّدِيءُ الاسم مثل الطبيخ. ويقال: للحُمْرَة التي تكون في الغيم النُّدْءَة ثم الى جانب مَغْرِب الشمس او مَطْلعها، وتقول: نَبَأْتُ على القوم أَنْبَأُ نَبْئًا اذا طلعتَ عليهم، وطَرَأْتُ على القوم أَطْرَأُ طَرْءًا وطُرُوءًا، وصَبَأْتُ عليهم أَصْبَأُ صَبْئًا وصُبُوءًا اذا طلعتَ عليهم. وتقول: نَبَأْتُ من ارضٍ الى اخرى. فأنا أَنْبَأُ نَبْئًا ونُبُوءًا اذا خرجتَ منها الى أُخرى، ونَتَأْتُ فانا أَنْتَأُ نَتْئًا ونُتُوءًا اذا ارتفعتَ وكلُّ ما ارتفع فهو ناتِئٌ.

وتقول: نَكَأْتُ الجُرْحَ أَنْكَأُهُ اذا قَشَرْتَهُ، وتقول: نَزَأْتُ بينهم أَنْزَأُ نَزْءًا اذ حرَّشتَ بينهم، وتقول: نَصَأْتُ الناقةَ أَنْصَأُها نَصْئًا اذا زَجَرْتَها، وتقول: نَشَأْتُ أَنْشَأُ نَشْئًا اذا شَبِبْتَ ونَشَأَتِ السَّحابةُ نَشْئًا، وتقول: نَئِفْتُ من الطعامِ أَنْأَفُ نَفْئًا، وتقول: نَأْنَأْتُ رَأْيِي نَأْنَأَةً (8a)

اذ خلَّطتَ فيهِ تخليطاً فلم تُبرِمهُ ، وتقول : ناوأتُ الرجلَ مُناوأةً اذا عاديتَهُ .

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ بَسأتُ الرَّجُلَ أبسأ بِهِ بَسْأً وبُسوءاً . وبَهأتُ بِهِ بَهْأً وبُهوءاً وهما واحدٌ وهو استناسكَ بِهِ ، وتقول : بَرأتُ من المرضِ فانا أبرؤ وأبرأ بُرءاً وبُروءاً (فعولاً) هذا من لغة اهل الحجاز . وسائر العرب يقولون : بَرِئتُ من المرضِ أبرأ بُرءاً وبَرِئتُ من الدَّين أبرأ بَراءةً ، وتقول : أبدأتُ من ارضٍ الى اخرى اذا خرجتَ منها الى غيرها إبداءً ، وتقول : بُدِئَ بِهِ فهو مَبدُوءٌ اذا اخذهُ الجُدَرِيّ والحصبة وتقول : بدأتُ بالأمرِ بدءاً ، وتقول : بكأتِ الشاةُ تبكأ بكأً وبكؤتْ تبكؤ بكاءةً وبكأً اذا قلَّ لبنها وهي شاةٌ بكيئةٌ ، وتقول : بذأتُهُ أبذأهُ بذءاً اذا ذممتهُ ، وتقول : وُبِئتِ الارضُ فهي تُوبأ وباءً ووباءةً وهي موبوءةٌ وارضٌ وبِئةٌ (على وزن فِعلة) . وقال القُشَيريون : وَبِئتِ الارضُ (8r) تبأ وأوبأتِ الارضُ إيباءً وهي ارضٌ مُوبِئة ووَبِئة اذا كثُر مرضُها ، وتقول : أبأتُ عليهِ مالهُ أبيئهُ إباءةً اذا أرحتَ عليهِ إبلهُ او غنمهُ ، وتقول : بأرتُ بُؤرةً فانا أبأرُها بأراً اذا حفرتَ بُؤرةً تطبخُ فيها وهي الإرة ، وتقول : وأرتُ إرةً فانا أئرُها وأراً ، وتقول : بَوَّلَ الرجلُ يبأل بألةً اذا صغُرَ ، وتقول : بُؤتُ بالذَّنب أبوءُ بِهِ بَوءاً اذا اعترفتَ بِهِ . وباءَ الرجلُ بصاحبهِ بَوءاً اذا قُتِلَ بِهِ وبأوتُ على القومِ أبأى بأواً اذا فخرتَ عليهم ، وتقول : أبأتُ القوم منزلاً إبأةً وبوأتُهم تبويئاً وذلك اذا نزلتَ بهم الى سَنَد جبلٍ او قُبُل نهرٍ . والاسم المَباءة والبيئة وهي المنزل ، وتقول : أبستُ الرَّجُلَ آبِسُهُ أبساً اذا قهرتَهُ . قال العجّاج :

لِيُوثُ هَيْجًا لَمْ تُرَمْ بِأَبْسِ

(يقول : بَقْهر) ، وتقول: أَبَّنْتُ الرجلَ تَأْبِينًا اذا بكيته بعد الموت . قال رُؤْبَةُ :

فَامْدَحْ بِلالًا غَيْرَ ما مُؤَبِّنِ

(يقول : غير هالك) ، وتقولُ: بَؤُسَ الرجلُ يَبْؤُسُ بَأْسًا اذا كان شديد البأس ، وفي (٩٣) البُؤْس: قد بَئِسَ يَبْأَسُ بُؤْسًا وبَئِيسًا

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ قد رَزَأْتُ الرَّجُلَ أَرْزَأُهُ رُزْءًا ومَرْزِئَةً اذا اصبتَ منهُ خيرًا ما كان ، وتقول : رَبَأْتُ القومَ أَرْبَأُهُمْ اذا كنتَ لهم طليعةً فوق شرفٍ فالاسمُ الرَّجُلِ الرَّبِيئَةُ ، وتقول : أَرْجَأْتُ الامرَ إِرْجاءً اذا أَخَّرْتَهُ ، وتقول : أَرْفَأْتُ السَّفينةَ إِرْفاءً اذا قرَّبتَها من الأرض . وتقول : رَفَأْتُ الثَّوبَ أَرْفَأُهُ رَفْأً . ورَفَأْتُ المَلَكَ تَرْفِئَةً اذا دَعَوتَ لهُ . وتقول : رَافَأَنِي الرجلُ في البيع مُرافَأَةً اذا حابَاكَ فيهِ ، وتقول : رَمَأْتِ الإبلُ في المكانِ تَرْمَأُ رَمْأً ورُمُوءًا اذا أقامت بهِ ، وتقول : رَثَأْتُ اللَّبَنَ أَرْثَأُهُ رَثْأً اذا حلبتَ على حامضٍ . والاسمُ الرَّثِيئَةُ ، وتقول : رَقَأَتْ عَيْنِي تَرْقَأُ رَقْأً اذا جفَّ دمعُها ، وتقول : رَدُؤَ الرجلُ يَرْدُؤُ رَدَاءَةً اذا كانَ فاسدًا ، وتقولُ : رَوَّأْتُ في الأمرِ تَرْوِئَةً وتَرْوِيئًا اذا نظرتَ فيهِ ولم تَعْجَلْ بجوابٍ ، وتقول : رَأَبْتُ الصَّدعَ رَأْبًا اذا شَعَبْتَهُ (٩٤) ، والرُّؤْبَةُ ما أَدْخَلْتَ فيهِ من غيرهِ . ورَئَمَتِ النَّاقةُ وَلَدَها تَرْأَمُهُ رِئَامًا اذا أَحَبَّتْهُ . وتقول : أَرْأَمْتُ الجُرْحَ إِرْآمًا اذا داوَيْتَهُ حتى يَبْرَأَ فَيَلْتَئِمَ . وقد رَئِمَ الجُرْحُ رِئَامًا حَسَنًا اذا الْتَأَمَ ، وتقول : رَؤُفْتُ بالرَّجُلِ أَرْؤُفُ رَأْفَةً ورَآفَةً . ورَأَفْتُ بهِ أَرْأَفُ كلٌّ من كلامِ العَرَبِ ، وتقول : رَهَيْأَتُ رَأْيِي رَهَيْأَةً اذا لم

تُحكِمُهُ، وتقول: رَابَأْتُ الشَّيْءَ مُرَابَأَةً اذا اتَّقَيْتَهُ فكُنْتَ لهُ مُتَّقِيًا، وتقول: رَاءَيْتُ الرَّجُلَ مُرَاءاةً وَالاسمُ الرِّئاءُ، وقد رَأَيْتُ الرجلَ تَرْئِيَةً اذا أَمسكْتَ لهُ المِرْآةَ لِيَنْظُرَ فيها، وتقول: رَأْرَأَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ رَأْرَأَةً اذا كانَ يُدِيرُهُمَا وهو رَجُلٌ رَأْرَاءُ العَيْنَيْنِ، وتقول: أَرْدَأْتُ الرَّجُلَ بنَفْسِي إِرْدَاءً اذا كُنْتَ لهُ رِدْءًا وهو العَوْنُ، وتقول: أَرِنَ البَعِيرُ أَرَنًا اذا مَرِحَ مَرَحًا، وتقول: قد رَأَسَ زَيْدٌ القَوْمَ يَرْأَسُهُمْ رِئاسَةً وهوَ رئيسُ القَوْمِ، وتقول: أَرَرْتُ المَرْأَةَ أَوْرُهَا أَرًّا ورَطَأْتُها أَرْطَأُها (10ر) رَطْأً وهُمَا واحدٌ وهو مُجامَعَتُكَ اياها، وتقول: أَرِبَ الرَّجُلُ أَرَبًا في الحاجةِ وأَرُبَ يَأْرُبُ إِرْبًا وإِرْبَةً في العَقْلِ. ويُقالُ في الحاجةِ: لي قِبَلَكُمْ إِرْبَةٌ

﴿ ويقال في باب آخر ﴾ زَنَأْتُ في الجَبَلِ أَزْنَأُ زُنُوءًا وَزَنَاءً [وزَنْئًا] اذا صَعِدْتَهُ. قال الرَّاجز:

وَتَرْقَ إلى الخَيْراتِ رَنْأً [زَنْئًا] في الجَبَلْ

وتقول: تَزَأْزَأْتُ من الرَّجلِ تَزَأْزُءًا شديدًا اذا تَصاغَرْتَ لهُ وفَرِقْتَ منهُ، وتقول: زَكَأَتِ النَّاقَةُ بِوَلَدِها تَزْكَأُ زَكْئًا اذا رَمَتْ بهِ عِنْدَ رِجْلَيْها، وتقول: إنَّ فُلانًا لَزُكَأُ النَّقْدِ إذا كان حاضرَ النَّقْدِ، وتقول: زَأَدْتُ الرَّجلَ أَزْءَدُهُ [أَزْأَدُهُ] زَأْدًا إذا رَعَيْتَهُ، وتقول: قد إِزْرَأَمَّ الرَّجلُ فهوَ مُزْرَئِمٌّ اذا غَضِبَ، وتقول: قد زَأْبَرَ الثَّوْبُ يَزْأَبِرُ فهوَ مُزْأَبِرٌ اذا خَرَجَ زِئْبِرُهُ، وتقولُ: أَزَمْتُ يَدَ الرَّجلِ آزِمُها [آزُمُها] أَزْمًا وهوَ أَشَدُّ العَضِّ. وأَزَمَ علينا الدَّهْرُ يَأْزِمُ أَزْمًا اذا اشتدَّ وقلَّ خيرُهُ. وأَزَمْتُ (10ر) الحَبْلَ آزِمُهُ أَزْمًا إذا فَتَلْتَهُ. والأَزْمُ ضربٌ من القَتْلِ، وتقولُ: أَزَلْتُهُ [أَزَلْتُهُ] آزِلُهُ أَزْلًا إذا حَبَسْتَهُ، وتقول: زَأَبْتُ القِرْبَةَ أَزْأَبُها اذا حَمَلْتَها ثُمَّ أَقبلتَ

بها مسرعًا والحملَ وما حَمَلْتَ مِنْ ثِقْلٍ ، وتقول : وَزَّأْتُ الوِعاءَ تَوْزِيئًا إذا شددتَ كَنْزَهُ ، وتقول : إِزْبَأَرَّ النَّبْتُ وَالْوَبَرُ اِزْبِئْرارًا إذا نبتَ ، وتقول : هَزِئْتُ بالرَّجلِ أَهْزَأُ بِهِ هُزْءًا ومَهْزَأَةً ، وتقولُ : قد اِزْلَأَمَّ القومُ اِزْلِئْمامًا اذا اِرْتَحَلُوا ، وتقول : أَزَّيْتُ الحَوْضَ تَأْزِيَةً وَآزَيْتُهُ [وآزَيْتُهُ] إِيزاءً إذا جعلتَ لهُ إِزاءً وهي صخرةٌ او ما جعلتَهُ وِقايَةً لِصَبِّ الماءِ حينَ يُفْرَغُ الدَّلْوُ

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز آخر ﴾ قد ذَرِئْتُ أَذْرَأُ إذا شِبْتَ وَالاِسْمُ الذُّرْأَةُ ، وتقول : قد ذَؤُبَ الرجلُ فهو يَذْءَبُ [يَذْؤُبُ] ذَأْبَةً [ذَأَبَةً] اذا كانَ ذِئْبًا خُبْثًا وَدَهاءً ، وتقول : أَذْءَرْتُ [أَذْأَرْتُ] بصاحبِهِ إِذْآرًا [إِذْآرًا] إذا حَرَّشْتَهُ عليهِ وَأَوْلَعْتَهُ بِهِ . وقد ذَئِرَ الرَّجُلُ حينَ أَذْءَرْتَهُ (11٣) ، [أَشِرَ] الرَّجلُ أَشَرًا وَأَرِنَ أَرَنًا وَهُمَا وَاحدٌ وهوَ النَّشاطُ ، وتقول : أَدِرَ الرَّجلُ يَأْدَرُ أَدَرًا اذا اِمْتَلأَ صَفْنُ خُصْيَتِهِ وهوَ جِلْدَتُهُما ، وتقول : أَفِرَ الرَّجلُ يَأْفِرُ أَفَرًا اذا وَثَبَ وَعَدَا ، وتقول : قد أَكَرَ الرَّجُلُ يَأْكُرُ أَكْرًا اذا اِحْتَفَرَ أُكْرَةً في النَّدِيرِ فَيَجْتَمِعُ الماءُ لَهُ فيها فَيَغْتَرِفُهُ صافيًا

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ أَشْطَأَتِ الشَّجَرَةُ بِغُصُونِها اذا أَخْرَجَتْ غُصُونَها ، وَأَجْفَأَتِ القِدْرُ بِزَبَدِها إِذَا أَلْقَتْهُ ، وتقول : أَلَبَ الرَّجُلُ يَأْلِبُ أَلْبًا إذا جمع عليكَ القومَ وَحَرَّشَهُمْ . وَأَلَبَ تَأْلِيبًا مثلهُ . وتقول : أَلْبُهُ معي اي هَوَاهُ وَضَلْعُهُ . وهو أَلْبٌ علينا اي ضَلْعٌ علينا ، وتقول : تَأَوَّهْتُ تَأَوُّهًا وهو من قول الرَّجُل : أَوَّه ، وتقول : تَأَلَّهَ الرَّجُلُ تَأَلُّهًا إذا نَسَكَ . قال رُؤْبَة :

سَبَخْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

وتقول: تَأْتَأْتُ بالتَّيس تَأْتَأَةً اذا دَعَوْتَهُ لِيَنْزُوَ فقلتَ لهُ: تَأْ تَأْ، ويقال: حَأْحَأْتُ بالكَبْش اذا أَشْلَيْتَهُ اليك (١١٢). فقلتَ لهُ: حُوْحُوْ، وتقول: أَتَبْتُ المَرْأَةَ تَأْتِيبًا وهي مُؤْتَبَةٌ وذلك إذا دَرَّعَها دِرْعًا والاسمُ الإِتْبُ وهي الآتَابُ للدُّرُوعِ، وتقول: قد أَزَّ الشَّيْطَانُ الرَّجُلَ فهو مَأْزُوزٌ اذا أَغْوَاهُ. وتقول: أَزَزْتُ الرَّجُلَ على صاحبه اذا حَرَّشْتَهُ عليه، وتقول: أَتَأْرْتُ القَوْمَ بَصَرِي إِتْآرًا اذا أَتْبَعْتَهُمْ بَصَرَكَ. قال الشَّاعِرُ:

أَتَأْرْتُهُم بَصَرِي وَالآلُ يَرْفَعُهُمْ حَتَّى اسْمَدَرَّ بِطَرْفِ العَيْنِ إِتْآرِي

وتقول: تَثَاءَبْتُ تَثَاؤُبًا والاسم الثُّؤْبَاءُ، وتقول: مَئِقَ الرَّجُلُ يَمْأَقُ مَأَقًا وَمَأَقَةً وهو شِدَّةُ البُكَاء. وقال رُؤْبَةُ:

عَوْلَةُ ثَكْلَى وَلَوَلَتْ بَعْدَ المَأَقْ

والمَأَقُ اذا بَكَى وفَرَغَ سَمِعْتَ شَيْئًا يَخْرُجُ مِنْ صَدْرِهِ شَبِيهًا بِالحَشْرَجَةِ، وتقول: أَفَقَ الرَّجُلُ على الأَمْرِ يَأْفِقُ أَفَقًا والأَفَقُ الغَلَبَةُ، وتقول: أَلِقَ الرَّجُلُ أَلَقًا فهو مَأْلُوقٌ اذا أَخَذَهُ الأَوْلَقُ وهو شِبه الجُنُون. قال الشَّاعِرُ:

تُرَاقِبُ عَيْنَاهَا القَطِيعَ كَأَنَّمَا يُخَالِطُهَا مِنْ مَسِّهِ مَسُّ أَوْلَقِ

(١١٣) وتقول: أَسْأَدْتُ السَّيْرَ إِسْآدًا إِذَا دَأَبْتَهُ، وتقول: ائْتَنَفْتُ ائْتِنَافًا. وَابْتَدَأْتُ ابتداءً [أَبْتَدَاءً] وهما واحدٌ، وتقول: مُلِئَ الرَّجُلُ مُلَاءَةً فَهُوَ مَمْلُوءٌ وهُوَ المَزْكُومُ، وتقول: تَدَأَّمْتُ الرَّجُلَ تَدَأُّمًا اذا وَثَبْتَ عليه ورَكِبْتَهُ. وتقول: قد تَدَأَّمَنَا المَاءُ اذا غَمَرَكُم تَدَأُّمًا. قال رُؤْبَةُ:

تَحْتَ ظِلَالِ المَوْتِ إِذْ تَدَأَّمَا

(يقول: اذ غَمَرَكم)، وتقول: أَكَّدَ عَلَيْهِ العُقْدَةَ تَأْكِيدًا وَوَكَّدَهَا

تَوْكِيدًا إِذَا أُحْكِمَ عَقْدُهَا ، وتقول : أَنْبَتُ الرَّجُلَ تَأْنِيبًا اذَا عَيَّرْتَهُ فِي وَجْهِهِ ، وتقول : بَدَأَ اللهُ الخَلْقَ وأَبْدَأَهم سَوَاءً . قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ . وقال : قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ، وتقول : جاءني أَمْرٌ ما مَأْنَتُ له مَأْنًا ولا مَأَلْتُ له مَأْلًا اذا لم تَسْتَعِدَّ له ولم تَشْعُرْ بِهِ ، وتقول : قد تَأَثَّلَ الرَّجُلُ مَالًا تَأَثُّلًا اذا اتَّخَذَهُ . وقد أَثَّلَ اللهُ مالَ فُلانٍ اذا أَزْكَاهُ . قال رُؤْبَةُ (12٣) :

أَثَّلَ مَلْكًا خِنْدِفِيًّا فَدْغَمَا

وتقول : قَدِ انْتَلَقَ الْبَرْقُ والسَّيْفُ وغيرُهُ انْتِلَاقًا اذَا بَرَقَ فترى لهُ انْتِلَاقًا (لهُ بقيَّة)

نقد الريحانيَّات

للاب لويس شيخو اليسوعي

بشرتنا الجرائد المحليَّة بصدور القسم الثاني من الريحانيَّات وزعم الزاعم انَّ هذا الجزء لا يحتوي شيئًا يمسّ كرامة الدين والآداب . فسررنا لهذا الخبر واستجلينا الكتاب لعلنا نستنشق هذه المرَّة من الريحانيات عبيرًا طيبًا ليس فيهِ شيءٌ من وخامة القسم السابق (اطلب المشرق ص٣٨٩)

ولكن ما كدنا نقلب الصفحات الاولى من الكتاب حتى تحققنا انَّ هذا الغصن من تلك الدوحة وانَّ الموسج لم ينبت تينًا وانما ازدانت فقط فروعهُ ببعض الازهار فظنَّ الناظر ان الشجرة غيَّرت جوهرها او انها صارت طيبة الثمار بالتطعيم . ونحن لا ننكر انَّ لهذه الموسجة زهرًا بل ثمرًا ولكن هيهات ان يستطعم صاحب ذوق مثل هذه الازهار والاثمار البريَّة التي لا يمكن جناها الاَّ بتخديش ايدي قاطفها من بين الاشواك الدغلة

نظر عامّ

يشتمل هذا القسم من الريحانيات على نحو ثلاثين قطعة قسمها صاحبها الى ثلاثة اقسام: خطب ومقالات وشعر منثور تختلف صورة وتتشابه طريقة ومعنى

من سرّح النظر في الريحانيّات فقرأ منها فصلاً سواء دُعي خطبةً او مقالةً او شعرًا منثورًا ثمّ أطبق الكتاب واراد اجتناء ثمرة قراءته بقي مرتابًا قلقًا لا يعلم ماذا اراد الكاتب ان يلقّنهُ وماذا استفاد هو من مطالعته. سمع الفاظًا طنّانة وعبارات رنّانة واقوالًا مبهرجة وانتقادات في كل طبقات الكون وتنديدًا بالهيئة الاجتماعيّة والحكومات والحكّام وغير ذلك ممّا لا يُحصى عدّهُ امّا المقصود من كل تلك الحركة فيبقى مبهمًا مستغلقًا فيعود القارئ صفر اليدين لم يعِ شيئًا ممّا قرأ او سمع كأنّهُ دخل الى دكّان بائع « خرده » يجد في حانوته خلطًا من كل الادوات ونفايةً من كل المبيعات لا يستوقف نظرهُ منها الّا الشيء القليل وربّما خرج فارغًا كما دخل

فقس عليه بضاعة الريحاني اذا استعرضها احد لا يدري ما يحكم في صاحبها أهو فيلسوف؟ كما دعاهُ البعض الّا انّ الفيلسوف اذا تكلّم بنى كلامهُ على موضوع معلوم بيّن اصولهُ وفروعهُ وعلّلهُ ومعلولاتهِ ومقدّماتهِ وملحقاتهِ فجاء كلامهُ كالبناء المرصوص يقوم كلّهُ على اساس واحد ويرتفع في الجوّ شامخًا متينًا مهيبًا لا يراهُ الرائي الّا أفاض في سموّ عقل مهندسهِ. وترى الريحانيّات على خلاف ذلك اشبه بمرادّ معدّة للبناء مكوّمة على بعضها بلا نظام ولا رابطة. فهيهات ان يدعى صاحبها فيلسوفًا. وغاية ما يمكن التسليم بهِ انهُ مُتفلسف يرى ذاتهُ من طينة مخالفة لاهل جنسهِ مباينة لابناء زمانهِ فيحكم كالفريسي بازاء العشّار انّهُ ليس كبقيّة البشر بل هو « كابراهيم الخليل » دعاهُ الله من « بين الوثنيين » ليعيش معتزلًا عن الاشرار في « وادي الفريكة » قال (ص ٨):

« وجدتُ نفسي بين قوم يأكلون ماشين. ويقرأون آكلين. ويعدّون النقود راكضين. ويعبدون الاوثان قائمين قاعدين. بل يقدّمون ارواحهم واجسادهم ضحية لآلهة ما سمت باسمائها العصور الغابرة. عشتُ زمنًا بين قوم يقال انهم مسيحيون ولكنّهم في الحقيقة وثنيّون. وثنيّون بتزيّهم وبطرهم. وثنيّون بأخلاقهم وشعورهم. وثنيّون بمطامعهم واستئثارهم وثنيّون بتعدّد آلهتهم (الخلاصة ليس مسيحي غير الريحاني ناكر اسرار الديانة المسيحية والشاتم لبتوليّة العذراء راجع المشرق ص ٥٤٣) . . . فخرجت من بين هؤلاء المشركين طالبًا في البريّة رتبي مثل

ابراهيم . . . وفررتُ هاربًا الى النريكة » (الّا ان هذا ابراهيم الجديد لم ينوِ باعتزالهِ عبادة ربّهِ حقيقةً بل عبادة الطبيعة كما صرّح (ص ١٠) بقولهِ: « انا للطبيعة وانا اليها راجعون » !!

فهذه كل فلسفة الريحاني اي « قلّ وسفّه » كما قال البستي . ولكن ان كان حظّهُ من الفلسفة قليلًا اليس هو خطيبًا مصقعًا كما يزعمون ؟ فكم رأيناهُ قام في الجمعيات ينثر درر اقوالهِ فيشنّف بها مسامع الحضور فصفّقت لهُ الايدي وحيّتهُ الاصوات وبيّتهُ ؟

نقول اننا لم نسمع خطبة لامين افندي الريحاني فلعلهُ كان سحرنا برنّات صوتهِ وبحسن القائهِ وايمائهِ . فقُضي علينا بان نقصر حكمنا على خطبهِ المطبوعة فنقول: ان الغاية التي يرمي اليها الخطيب انما هي الاقناع يأخذ لهُ المتكلم موضوعًا ما امّا دينيًّا واما ادبيًّا واما سياسيًّا واما صناعيًّا فيحدده ويقسمهُ ويربط اقسامهُ بعضًا ببعض ويؤيدها بالادلة العقلية والنقلية والامثال والتشابيه ثمّ يحضّ السامعين على العمل بقولهِ ولا يخرج عن موضوعهِ حتى يكون السامع ارتوى منهُ وشبع فيعود راضيًا بقول الخطيب مقتنعًا ببراهينهِ مستعدًّا للعمل بتعليمهِ . ولا نرى من كل ذلك في خطب الريحاني الّا الزهيد القليل . فانظر اي خطبة شئتَ من خطبهِ تراها مثل كشكول المكدّين او كسفينة نوح فيها من كلّ ضروب الحيوانات الطاهرة والنجسة . خذ مثلًا اجودها واحدثها « قيمة الحياة » التي ألقاها في صيداء في منتصف آذار المنصرم (ص ٦١ — ٨٢) فان الموضوع جميلٌ من شأنهِ ان يشحذ قريحة خطيب مقتدر ومقوال بليغ . فافتتح الريحاني خطبتهُ بما يناسب المقام من مدح الصيدونيين لكنهُ جنح الى الهزل فأفسد هذه المقدمة بما ذكره من الالفاظ الغريبة بقولهِ (٦٧ — ٢٨) :

« يمكنني ان احدثكم في عضارطة السياسة ودماقينها الذين يلوجون اعالها ويلهوقونها او في زرازرة يمشون في الارض سهللًا . . . او في فطريف كبير ترنّحهُ الدنابر وحدتهُ على اذنيه الحمير . . . »

وقد سوّد صفحة تامّة من « هذا الملك » الى ان صرّح بموضوعهِ « قيمة الحياة » فباشر بسؤال ملتبس ألحقهُ بجواب اكثر التباسًا وذلك في اوّل خطبتهُ حيث يحتاج السامع الى الوضوح وتحديد الموضوع ليعرف ماذا يريد الخطيب ان يعرضهُ عليهِ قال:

« اسألكم سؤالًا : لو علمتم حق العلم انّ الحياة صدفة من صدف الطبيعة وان لا سابق قصد لها ولا لاحق لا قوّة مدركة وراء المهد ولا وراء اللحد فترسلها وتبثها عقلًا وروحًا (تيّال الي

فهموا !! – وبكلمة اخرى لو تأكدتم انَّ الحياة مأدبة محض والموت ضجعة ابدية كيف تعيشون يا ترى وكيف تعملون لتزفروا من قيمتها وتجنوا اللذيذ من ثمارها . . . »

ويردف كلامهُ بكلامهِ على صورة مبهمة فلا تعلم أيريد ان يثبت لنا وجود عالم آخر نسند اليهِ آمالنا ام ينتهي كل شيءٍ معنا في القبر . ولعلَّهُ يقصد انَّ حياة الانسان تترقى من بعده بالنشوء حتى تستحيل الى جوهر اللاهوت كما يزعم الهنود والقائلين بمذهب الحلول . قال (ص ٧١) :

« اني ممَّن يعتقدون بالنشوء والارتقاء ولا حاجة الى ان يؤيد العلماء اعتقادي فاني لمؤيدهُ بما امرتهُ وبما اجهلهُ من لوح هذا الوجود من الحياة ومن الاكوان . . . . . اؤمل ان ارى ولو بعد موتي بملايين من السنين روح الانسان متجلية في كل مظهر من مظاهر الله ! »

ولعلَّك أيها القارئ لم تدرك بعد « قيمة الحياة » فتنتظر من الخطيب تعريفها الا انَّ جنابهُ رأى الأوفق ان يحيد عن هذا المقام الحرج ليقرّع اهل عصرهِ الذين ينهمكون في الاشغال ولا يطلبون غير حطام الدنيا فيلوم كل الناس العلماء والسياسيين والتجار والاغنياء والكتبة وارباب الدين كأنهُ هو قاضي ربّ العالمين وقدوة الجميع ومثالهم ولا ينسى غير عيوب نفسهِ (٧٢–٧٣) :

« نعيش اليوم كما لو كانت الحياة منحصرة في البورص والمخزن وغرفتي الطعام والنوم . . . نعيش كما لو كنا آلات هضم . . . فالسياسي لا يرى في الحق قوة تستحق الاعتبار ان كان الحق يؤيدهُ في ضلالهِ وفسادهِ . ورجال الدين يصمون آذانهم عما جاء في كتب الدين من سديد التعاليم ويستخرجون من بعض الايات والعقائد قواعد تمكنهم من الضغط على الانفس والعقول لتكون لهم في ذلك سلطة ما انزلها الله على احد من الناس (الا على الريحاني ليسبّ الناس) . . . والتي فيها يعيش كما لو كانت الاموال تقيهِ الموت وتكسبهُ الخلود . . . »

وقس على هذا صفحتين قام فيهما الريحاني كابي زيد المشعوذ في مقامات الحريري خطيباً زاهداً في الظاهر ماكراً في الباطن . وبدلاً من ان يفيدنا شيئاً عن قيمة الحياة بأن يعلمنا كيف نصرفها في عمل الخير او مساعدة البائسين او خدمة الوطن والانسانية اخذ يخبط خبط عشواء فجعل تارةً يعرّض برؤساء الدين او باهل الدولة وحيناً يهذي بذكر شروط نهضة الشرق وتارة يفتي من علوّ مقامهِ بان الحياة كلها فاسدة لم يدرك اسرارها غير « فيلسوف الفريكة » قال (٧٤) :

أجَلْ انَّ الحياة اليوم سواء كانت في ارقى مظاهرها الاوربية او في افخم مظاهرها الشرقية

انما هي حياة خاشئة فاسدة ناقصة هي عند الاوربيين محض مادّية تجاريّة واست عندنا لا ماديّة تُترف ولا روحيّة. . حياتنا. . . إنْ هي الا ألعوبة في روحيّاتنا واضحوكة في ماديّاتنا. . . »

وعندي انّ اعظم اضحوكة ان يسمع الحضور لهذا الهلس وهم لا يضحكون . ولمّا كاد الخطيب ان ينهي خطبتهُ تذكّر انّهُ لم يَخُض بعدُ في الموضوع فاراد استدراك الخلل فقال (ص ٧٦):

« وما اني وصلت الى الحدّ الذي ينبغي ان نعرّف عندهُ الحياة لنعرف كيف نقيس قيمتها »

لله درُّك يا خطيب قد جعلت الذنب في الرأس والرأس في الذنب. ولكن لا بأس. دعنا نسمع تحديد الحياة فنقرّ بمعرفة الخطيب وحسن تعبيره عن فكره قال (٧٦):

« مهما تقدّم يتّضح لكم (لم يتّضح لنا شيء!) انّ الحياة اصلًا انما هي قوّات عقلية روحية ماديّة تظهر في الناس بمقادير متباينة ناقصة ولكنّها كامنة بالقوّة وغير محدودة في كل نفس بشريّة. . . انّ في كل منّا قوًى غير محدودة من هذه الينابيع الثلاثة تظهر فينا او في نفسنا بمظاهر شتى طوعًا لاحوال نعقلها اذا اعتبرنا ولاسرار لا نستطيع اليوم ادراكها. هذه هي الحياة نظريًا »

لم تُصب بتحديدك يا جناب الفيلسوف فانّك ذكرت بعض مظاهر الحياة في النبات والحيوان والانسان لكنك لم تعرّف الحياة ثم انّك جمعت بين قوات متنافية كالروحيّة والماديّة ولم تبيّن كيف الروح والمادّة يقومان معًا كما انك لم تُفدنا عن الفرق الموجود بين القوات العقليّة والقوات الروحيّة ولم تعلمنا ما هو الرابط بين الينابيع الثلثة. والنار الحرى كان الاولى بك ان تسكت عنها من ان تُشير اليها وتتركها دون حلّ

وليس لفظ « خطيبنا » دون ذلك في تحديده للحياة « عملًا » فانّهُ يسرد العبارات دون علاقة ويكثر من التشابيه المبهمة شأن المبهرج الذي لا يعلم ما يقول. اسمع وافهم (ص ٧٦):

« واما عملًا — آه لو كانت حياتنا الدنيا ابتسامة دائمة. . آه لو كانت حلمًا من احلام الشعراء او لحنًا مطربًا مفرحًا من الحان الموسيقيين. الحياة في نظر احد التدبيين انما هي عقاب الانسان في هذا العالم. وفي نظر الفيلسوف هي سلسلة من حديد المصائب فيها حلقات قليلة من ذهب العزاء والهناء. وفي نظر الشاعر هي هيئات هيولية محزنة لاسرار سامية غامضة. . . وفي رأي سيّدنا سليمان كل شيء باطل وقبض ريح. وفي رأي جمهور الناس انما الارض وادي الدموع ». (ونتعجب كيف نسي الريحانيّ تحديد الحياة لبعض المزمرين « الحياة بصلة يتشرها الانسان بعين دامعة! »)

وان كنت أيها القارئ لا تفهم بعد ذلك ما هي الحياة عملاً فلومن نفسك او اسأل الريحاني لعلّ الله يفتح عليه بشيء اوضح. وكأنّ خطيبنا بعد الكلام الفارغ الذي ملأ به ١٤ صفحة عاد اخيرًا الى رشده فأتى بامر معقول في ختام خطبته فقال (ص ٨١):

«انّ قيمة حياتنا اليوم ما تزرعهُ في القلوب من البرّ والصلاح وفي العقول من العلم والحكمة. قيمة الحياة ما يعود الينا من ثمار الحبّ الذي تزرعهُ في صدور الناس. قيمة الحياة ما يأتي به كل منّا من الصالحات الباقيات مادّيّة كانت او عقليّة او روحيّة. . . . رجل المستقبل الذي يعيش لنفسه ولربّه وللانسانية في وقت واحد. انّ حياة مثل هذا الرجل لكنز من كنوز الدنيا وقيمتها لا تُقدَّر ولا تُحدّ»

هذا ولو اردنا انتقاد كل فصل من فصول الريحانيّات بانصاف وحاولنا افراز غثها من سمينها لما كفت المجلّدات. ولكن لا بُدّ ان ننظر في شعره

قصد الريحاني نهج مسلك جديد في الكتابة العربيّة اعني ما دعاهُ الشعر المنثور على مثال ما عرفهُ الانكليز بالشعر الحرّ غير المتقيّد بالوزن والقافية الّا ما يصطلح عليه كلّ كاتب من الادوار والسّجعات على طريقة السُّوَر العربيّة. وللريحاني عدّة فصول على هذا النمط نرى فيها تعسُّفًا كثيرًا وتصنُّعًا. كقوله في فاتحة الفصل المدعوّ «ريح سموم» (ص ١٨٦):

وبربّك القيوم. ما الذي تظنّهُ يدوم

صوت سمتهُ في الكروم. وقد مرّت عليها ريح سموم. فجفّت الارض وعادت جزرة كثيرة الكلوم

سقطت الجنان عن قنائلها. وفزعت اوراقها الى النجوم

صوت صارخ من وراء النجوم. (ولا غرو انهُ صوت البوم). ما الذي تظنّهُ يدوم

وختمها بقوله (١٩٠):

بلى وربّ السماء والنجوم. لا يُفلح المستكبر الظّلوم. ولن تدوم الّا آثار النفوس الذكية السامية ووجه ربك الحي القيّوم

وافضل ما نظمهُ الريحاني في هذا قسم الشعر النثري فصلهُ المعنون «فؤاد» (١٩٧—٢١٤) قالهُ عند مهد ابن اخته فؤاد يوسف صادر ثم في جانب لحده. وفي هذا الفصل عدّة معانٍ لطيفة وعواطف رقيقة مع ما فيه من الطول المفرط وبعض التخيُّلات البعيدة والاستنباطات الباردة التفهة كقوله (٢٠٨):

وأقبل سرّتك لرمز فيها بلغ جميل
ففي السرّة سلسلة الحياة التي لا تتمّ حلقاتها ان لم تُقطَع
يقطعها الانسان فيعيد وَصلَها الله (افتِ ما افبح ذوقك !)

نظر خاصّ

هذا نظر عموميّ في اقسام الريحانيات الثلاثة لاح لنا منها انّ صاحبها ليس بفيلسوف ولا خطيب ولا شاعر يحصر الكلمة . فما هو اذن ؟ هو كاتب ذلق اللسان كثير الشقشقة لا يرى حولهُ في الهيئة الاجتماعية ولا سيما في وطنهِ غير الفساد والتقهقر فوقف نفسهُ لاصلاح الخلل وفيهِ يصح قول المثل : « ايها الطبيب اشفِ نفسك »

وان شئت ان تعرف ادوية طبيبنا النطاسيّ فيمكن اختصارها بالابواب الآتية :

١ ﴿ الغاء الاكليروس ﴾ انّ الريحاني في كلّ فصل من فصولهِ يسلق ارباب الكهنوت بلسانهِ الحادّ فتارةً يجعل الكاهن (ص ١٣) رجلًا « متعاطيًا للجريزة متاجرًا بالحقيقة مكثرًا من الخزعبلات . . شرًّا لازمًا للبشر » . وتارةً (ص ٥١) يدعوهُ « عدوّ الآداب » وحينًا يسمي تعليمهُ (ص ٣٧) « الخرافة السوداء » او ينسب اليهِ انحطاط لبنان واهلهِ (ص ٢٧) واختراعات كلّ العبادات الباطلة (ص ٥١) فيهيج الخواطر على الكهنة ليمحي أثرهم (٥٢ — ٥٣) . وكأنّ الريحاني نفسهُ ادرك ما في كلامهِ من التحامل الباطل فاقرّ بهِ اخيرًا في خطابهِ الذي القاه في برّمانا قبل سفره حيث قال في المصلحين الجدد اي « البنائين الماسون اخوتهِ » (ص ١٠٧) :

« مصيبة هذا الجيل العزيز في امثال اولئك البنّائين المحترمين الذين يناهضون الاكليروس يومًا ويومًا يترلّفون اليهِ ليسلبوهُ النفوذ والسيادة . كنّا في الماضي نقول انّ بلاءنا من الاكليروس واما اليوم فما لنا أُحيّلي الاكليروس الى جانب هؤلاء الذوات المصلحين . سكين الاكليروس اللبناني ا صرخة واحدة اقدتهُ وكأني بالبنّائين والمصلحين يصرخون اليوم في وجههِ قائلين : اشلح تريح . هذه حال الاكليروس اليوم وحال المصلحين »

وكان الاولى بك يا ريحانيّ أن تقرّ بذنبك وتستغفر الله والناس عن كتاباتك التي بخستَ فيها الف مرّة شأن الاكليروس وتحاملت عليهِ زورًا

٢ ﴿ التعليم اللادينيّ ﴾ يطرئ الريحاني في امكنة عديدة من كتابهِ التعليم اللادينيّ فيجدهُ انجع دواء لاصلاح الهيئة الاجتماعية وتوحيد العناصر قال اصلحهُ الله (ص ١٦٨) :

« سيأتي عندي ان كانت الحكومة فرديّة استبدادية او حرّة نيابية ان لم تُباشر الحكومة في

تدمير حصون الجهل اذاً يعود الجهل فيدمّر حصون الحكومة . ولا يتم لها ذلك الّا في تأسيس المدارس العموميّة الوطنية مجرّدةً عن كلّ صبغة دينية (كذا) حيث اولاد المسلمين والمسيحيين واليهود والدهريين يتلقّنون كلهم العلوم على استاذ مدني واحد وتحت سقف واحد ومن كتاب واحد وعلى طريقة وطنية واحدة »

هذا الدواء اقبح من الداء ! راجع مقالتينا السابقتين في المدارس اللادينية (ص ٦٢٠ و ٦٩٠) فيهما تفنيد قول الكاتب لا بل هو يفنّد نفسهُ في محلّ آخر حيث قال (ص ١٠٩) عن المدارس الدينيّة البروتستانيّة :

« لا يصلح حالنا ادبيًّا ودينيًّا غير المدارس الاعدادية العلمانية الوطنية والتربية الاميركية الحقيقية »

فكيف سها عن ذلك او كيف نسي فضل معلميه الكاثوليكيين الذين ربّوهُ وعلّموهُ مجّانًا . وها هوذا يدعونا الى آداب المدارس اللادينيّة التي عرّفها بعضهم تعريفًا حسنًا فسمّاها « آداب البراليع »

٣ ﴿ التساهل الديني ﴾ جدد الريحاني في هذا القسم من الريحانيات (١١٣—١٤٠) طبع كرّاسة كان نشرها في اميركة ضمّنها مبادئ الزنادقة القائلين بمساواة كلّ الاديان واختراعها البشريّ فبيّن بتكرار طبعها ما هو عليهِ من قلّة الدين . ومن اراد الوقوف على كذبهِ فليراجع مقالتنا التي نشرناها في المشرق عن هذا التساهل المزعوم (١٢ : ٢٠٥—٢١٥) حيث أزلنا كل التباس في ذلك

٤ ﴿ روح الثورة ﴾ هذا الترياق الاخير الذي اعدّهُ الريحاني لاصلاح حالتنا فانّهُ يكرّر غير مرّة مديح الثورة ولا يكتفي بالانقلاب السياسي بل يطلب الثورة الروحية (ص ٣٧—٣٩) والحرّيّة التامّة اي ان يكون الانسان مطلقًا من « القيود العائلية والاجتماعية والدينية والسياسية » ويعظّم رجال الثورة « ڤولتير وروسو وديدرو . وباكونين وكالفين ولوثيروس » ويدعو الى الاقتداء بالثورة الفرنسويّة . هذا واشياء غيرها تدلّ صريحًا على ان روح الثورة اعمى بصيرة الريحانيّ فقام بيننا كالرسول الداعي اليها . فبئس الاصلاح اصلاحك يا جاهل وساءت أدويتك ولو استنرت بنور عقلك ونور ايمانك الذي رضعتهُ مع الحليب لتجلّى لك الحق وهديتَ اليهِ غيرك فارجع كابن الشاطر الى بيت ابيك تشبع من خبز الحقيقة الذي فقدتهُ بابتعادك عن مصدر كلّ نور وحقّ !

مطبوعات شرقية جديدة

J. Guibert, Supérieur du séminaire de l'Institut Cath. de Paris: I. A l'Entrée de la Vie. in - 12, 200 pp. = II. Le Caractère. pp. 250 = III. La Piété. pp. 390 = IV. La Bonté. pp. 194 *Paris. ancienne librairie Poussielque (J. de Gigord). rue Cassette* 15,

تآليف ادبية لترويض الشبيبة

مؤلف هذه الكتب الاربعة قضى قسماً من حياته في تهذيب الشبان فيعرف حق المعرفة اخلاقهم وسجاياهم واحسن طريقة لاكتساب ثقتهم. فتراهم يتهافتون على كتبه الادبية تهافت العطاش على مناهل المياه. والدليل على ذلك رواج كتبه بين الناشئة وتكرار طبعها. وليست هذه المصنفات بليغة الانشاء فقط لكنها طيبة الزبدة وافرة المعاني تجمع بين اللذة والافادة فاذا باشر القارئ بمطالعتها لا يطبق الكتاب حتى ينتهي الى آخر صفحاته. ففي كتابه المعنون « مدخل الحياة » يتعلم الشاب كيف يتصرف مع كل الذين يحدقون به من اهل واقارب ورفقة وكيف ينظم حياته ليستفيد منها ويفيد غيره. وفي كتابه المعنون « بالخلق » يجد ما يستعين به لترويض خلقه وتزيينه بالصفات التي تؤهله لكل الاعمال الشريفة. وقس عليه بقية الكتب التي تؤدي بالشبان الى القيام بدعوتهم في الهيئة الاجتماعية وعليهم المعول قريباً في سياسة اوطانهم ورفع منارها. فنحض كل ارباب المدارس على نشر هذه الكتب بين طلبتهم فانها من افضل ما يوضع في ايدي الاحداث من التآليف الادبية

ل. ر

J. Leday: Les Sciences pour tous. Initiation à la Chimie - la Physique - la Géologie etc., in 12. pp. VIII - 392. 2 fr. *Ibidem.*

العلوم العامة

لايزال نطاق العلوم يتسع يوماً بعد يوم فاضطرت وزارات المعارف في كل البلاد الى ان تفرض على الدارسين مواد جديدة يصعب عليهم تلقنها ان لم يباشروا بدرسها منذ حداثة سنهم فيزينون عقولهم باصول تلك العلوم قبل ان يتفرغوا بعدئذٍ لاحراز فروعها وشعبها. فلادراك هذه الغاية قد وضع المسيو لوداي كتاباً جامعاً ضمنه في نحو ٤٠٠ صفحة مبادئ كل العلوم المستحدثة كالكيميا والطبيعيات وعلم طبقات الارض وعلم

الصحّة واتقاء الامراض الوبئية وتركيب الموادّ الصناعية . وغير ذلك مما يصلح خصوصاً لطلبة المدارس الشرقية ذكورها واناثها . وهذا الكتاب بخس الثمن مع وفرة ما يتضمّنهُ من الابحاث في كل باب من ابواب العلوم المستحدثة ل . د

The Dîwân of Ḥassân B. Thâbit, edited by Hartwig Hirschfeld Ph. D. (Printed for the Trustees of the « E. J. W. GIBB MEMORIAL ») *London, Luzac and Co.*, 1910. pp. 124-92

ديوان حسّان بن ثابت

حسّان بن ثابت اوّل شعراء الاسلام عاش زمناً طويلاً في الجاهلية وطالت مدّتهُ فبلغ عهد بني امية . كان شعرهُ متفرّقاً فجمعهُ محمّد بن حبيب وهذّبهُ تلميذهُ ابو سعيد السكّري . وقد نُشر ديوانهُ بالطبع اوّلاً في تونس وفي الطبعة المحمّديّة سنة ١٢٨١ (١٨٦٤) ثم طُبع في مصر ألا انّ هذه الطبعات الشرقية قليلة الاتقان كثيرة الاغلاط خالية عن المقدّمات والتفاسير المفيدة فقام العلّامة هرشفلد ووقف نفسهُ لهذا العمل حتى انجزهُ وهذه الطبعة مصدَّرة بمدّة فصول عرّف فيها المتولي للعمل صاحب الديوان ومقامهُ بين الشعراء وخواص شعره ثم وصف النسخ المخطوطة التي راجعها لضبط الديوان وهي اربعة في لندن وبرلين وباريس وبطرسبورج فروى القصائد مضبوطة بالشكل وزاد على ذلك ما وجدهُ من شعر حسّان متفرّقاً في كتب الادباء مع الروايات والملحوظات والافادات التاريخية واللغوية التي في كتب اللغة وتآليف الائمة والحقهُ بفهرسين لأعلام الرجال ومعجم الامكنة حتى جاءت هذه الطبعة ممتعة تُنسي الطبعات السابقة فنشكر شركة « جب » التي أدخلت هذا الديوان في جملة مطبوعاتها الشرقية القائمة بنشرها ل . ش

LE FONTI ARABICHE NEL DIALETTO SICILIANO. Vocabolario etimologico compilato dal P. Gabriele Maria da Aleppo. e dal suo allievo C. M. Calvaruso. Parte I, *Roma Loescher*. XXXII—442, 1910

الاصول العربية في اللغة الصقلية

احتلّ العرب في القرون الوسطى شرقي اوربّة وجنوبها فاختلفت مدّة ملكهم في تلك الانحاء واثّروا في عادات اهلها ولغاتهم على حسب طول اقامتهم بينهم . وقد بقيت صقلية تحت حكم العرب نيّفاً ومائتي سنة حتى خلفهم عليها النرمنديّون في

اواسط القرن الحادي عشر الّا انّ كثيرين من المسلمين اخلدوا بعد ذلك الى الجزيرة وتعاطوا فيها اعمال التجارة والفلاحة كما شهد عليهِ ابن جبير الاندلسي في رحلتهِ الى صقلّية. ولا غروَ انّ اولئك العرب خلّفوا من بعدهم عدّة آثار منبئة بسكناهم ولاسيما في لغة اهل الجزيرة. وكان العلماء المستشرقون اشاروا سابقاً الى ذلك غير انّ حضرة وطنيّنا الخوري الاب جبرائيل كشيدر الكبوشي استاذ العربيّة في بالرمة رأى ان يفرد لهذا البحث كتاباً كاملاً فسعى بصحبة احد تلامذتهِ الاديب كالفاروسو ان يجمع الالفاظ العربيّة التي في اللغة الصقلّية وهي تناهز الالف لفظة فرتّباها على طريقة المعجمات وانتقدا على اصولها المزعومة وبيّنا اصلها العربي او رجّحا عربيّتها بالشواهد والادلّة التي امكنتهما. وقد وجدنا غالباً انتقادهما صحيحاً وبراهينهما مقنعة الّا في بعض الالفاظ التي رأينا بيّناتها ضعيفة ولا يسعنا هنا انتقادها فندع لغيرنا النظر في صحّتها. وقد جاء الكتاب مؤلّفاً ضخماً حسن الطبع واسع المواد. وسوف يعقبهُ المؤلّفان بجزء آخر تتمّة لابحاثهما اللغويّة. ونحن نشكر حضرة الاب جبرائيل على هذه الخدمة الجليلة التي اداها مع تلميذهِ الى الاداب الشرقية ونتمنّى لكتابيهما رواجاً ل. ش

تاريخ

الكتاب المقدس

للعهدين القديم والجديد مزيّن ببعض التصاوير ترجمهُ الخورفسقفوس موسى سركيس عن مؤلّفهِ العلّامة الاب شوستر اقترحهُ عليهِ الآباء اللعازريّون الالمانيّون

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٠ ص ٢٩١

ليس كتابٌ مدرسي كمنتخبات الاسفار المقدّسة لتهذيب الاحداث وتربية الشبيبة لأنّ في كلام الله من الخواصّ العاملة في القلب المنيرة للذهن ما لا يقربُ منهُ كتاب آخر. وذلك ما كان قصدهُ الطيب الذكر الاب يوحنّا بلو اليسوعي بمنتخباتهِ المدعوّة بالغصن النضير. ومما نال في هذه السنين الاخيرة شهرةً واسعة كتاب اختصرهُ الدكتور شوستر من اسفار العهدين القديم والحديث على طريقة مبتكرة تزيد الصغار شوقاً في

درسه فراج اي رواج في انحاء اوربة واثبتهُ نخومتة من الاساقفة واثنى عليه الحبر الاعظم بيوس العاشر ببراءة خاصة. فهذا الكتاب تولى ترجمتهُ الى العربية رئيس مدرسة الشرفة سيادة الخورفسقنوس موسى سركيس بايعاز الاباء اللعازريين في القدس الشريف وزادهُ حسناً حضرة الاب يوسف علوان بضبط قسم منه بالشكل ومراجعة مسوداته. ومن مزايا الكتاب انهُ مزدان بعدة تصاوير جميلة استُعيرت من كتابنا الغصن النضير والقلادة الدرية. ومنها ايضاً انهُ قُسم اقساماً مختلفة ومقاطيع متباينة الحروف فمنها كبيرة الحرف مشكلة ومنها بلا شكل ومنها بالحرف الاوسط وبعضها بالحرف الناعم الدقيق على حسب طبقات الدارسين واعمارهم من السنة السادسة الى الثانية عشرة فما فوق. فنوصي ارباب المدارس بهذا الكتاب فانهُ من افضل كتب التعليم لتخريج الناشئة المسيحية ل. ش

كتاب شركة العائلة المقدسة واخويتها

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٨)

انَّ الاخطار المُلمَّة بالعيال المسيحية المتهددة لايمانها وسلامها حملت احد افاضل الآباء اليسوعيين المسمَّى الاب فرنكو على انشاء شركة تصونها من الكفر والفساد الفاشيَيْن في عصرنا فوضع لها قوانين سهلة مشتملة على فوائد روحية جمَّة من شأنها ان تحيي الروح المسيحي وتغرس في قلوب الاولاد محبَّة الامور الدينيَّة منذ الصغر. فما لبثت الشركة المذكورة ان انتشرت في كل البلاد واثبتها السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر واغناها بالغفرانات والانعامات الروحيَّة وحرَّض رؤساء الكنائس وكافَّة المؤمنين على تأييدها والانضمام اليها. وقد عرف غبطة ماري الياس بطرس الحويك بطريرك الطائفة المارونية ما في نشر هذه الشركة من الخيرات العمومية فحرَّكتهُ غيرتهُ الرسولية على تأسيس اخويَّة لها تُساعد على نشرها واغنائها لتصون في اهل لبنان روح التقوى وكنز الايمان. وقد أمر غبطتهُ فأُلفت قوانين لهذه الاخويَّة اثبتها بسلطانه البطريركي وها قد طبعت حديثاً في مطبعتنا الكاثوليكة. وقد أُضيفت الى هذه القوانين بعض تراتيل روحية وزيَّاحات القربان الاقدس وقلب يسوع والعذراء ومماري يوسف. وثمن الكتاب قرشان. وهو يباع في بيروت في مكتبتي الافنديين موسى ويوسف صفير. وفي جونية عند الآباء المرسلين اللبنانيين وفي جبيل في انطوش الرهبان اللبنانيين ل. ش

كتاب سمير الليالي

الجزء الأول . اثر الاديب محمّد امين صوفي المكّري (الطبعة الثانية)

طبع بمطبعة الحضارة بطرابلس الشام سنة ١٣٢٧ (ص ١٩٨)

كان مؤلف هذا الكتاب طبعهُ طبعةً اولى سنة ١٣١٧ وجعلهُ عشرة اقسام ضمّنها ادبيّات شتى منها جغرافية ومنها تاريخية ومنها ادبية فراج كتابهُ حتى احتاج الى اعادة طبعهِ في السنة الجارية . وقد رأى جنابهُ ان يضيف الى الطبعة السابقة اضافات كثيرة اضطرّتهُ الى ان يجعل تأليفهُ اجزاء متتابعة . فهذا الجزء الاوّل مدارهُ على جغرافية الممالك الاوربيّة والدول الشرقية فيسرح الكاتب بنظرهِ في كل اقطار المعمور ويصف شيئاً من خواصها فيتنقّل معهُ القارئ بسرعة ودون ملل من بلد الى بلد ومن قارة الى أخرى حتى ينتهي من طوافهِ حول الارض بعد ٢٠٠ صفحة . فلا شك انّ محبّي الاسفار ووصف البلدان يجدون لذّةً وافادة في هذا الكتاب . على أنّنا لا نجزم بصحّة كل ما يرويهِ المؤلف فانّ بعض مروياتهِ ضعيفة او غير صحيحة كقولهِ (ص ١٩٣) انّ ملديف تعرف عند الافرنج بجزائر مالابار . وقولهِ (ص ٢٩٧) انّ ديانة الاحباش مزيج من النصرانية واليهوديّة والوثنية . وقوله (ص ٧٧) انّ ارميا اخو اسماعيل . واغرب من ذلك ما نقل عن الشيخ محمّد بيرم انّ في خزانة الفاتيكان « نسخة من الانجيل باللغة الحميريّة العربية مكتوبة قبل البعثة بنحو مئتي سنة » ورد فيها ذكر محمّد . فلو كان في رومية كتاب مثل هذا لعُدّ ثامن عجائب الدنيا وقد اطّلعنا على مخطوطات الفاتيكان العربيّة فما كان فاتنا اثر مثل هذا لو وُجد ل . ش

شذرات

سلطة اساقفة صيدنايا ارسل الينا حضرة الاب قسطنطين الباشا الملحوظات الآتية على مقالة الخوري كرلوس شارون في اساقفة صيدنايا (ص ٥٧٥) قال:

اوّلاً اني بقولي ان صيدنايا قامت مقام دانابا القديمة في مقالتي الفرنساويّة التي اشار اليها حضرة الاب شارون قد استندتهُ الى البطريرك مكاريوس الحلبي الذي يصلح

ان يعوَّل عليهِ بالحكم في مثل هذه المسالة اكثر من سواه (* اذ كان من اكبر المنقبين عن تاريخ وجغرافيَّة البطركية الانطاكية وقد نقل ذلك عن تختيكونات قديمة لا محالة وقد وقفت على بعضها كنسخة دير البلمند الراقي اصلها الى القرن الخامس عشر (١

ثانياً لا تصلح رسامة سمعان مطرانًا على صيدنايا سنة ١٥٧٣ على ما ذهب اليهِ حضرته اعتمادًا على ما ورد في قائمة مخطوطات باريز مما يحتاج الى النظر في اصل المخطوطات الذي ورد فيهِ اسم سمعان وكنيسة مارونة اذ لا يوجد في جوار صيدنايا بلد بهذا الاسم ولعلَّها تكون « معرونة » لانهُ على شهادة معاصرهِ وزميلهِ البطريرك مكاريوس بقي حيًّا الى ما بعد سنة ١٦٣٥ (٢. ثم انهُ ورد في سجل دير البلمند بالاتفاق مع شهادة مكاريوس انَّ هذا الدير تجدَّد على يدهِ سنة ١٦٠٣ وكان اوَّل رئيس عليهِ بعد رئاستهِ مدَّةً على دير كفتون في بلاد البترون ومن دير البلمند انتدبهُ البطريرك دوروثاوس ابن الاحمر (١٦٠٤—١٦١٢) الى اسقفيَّة صيدنايا (٣

ثالثًا بخوميوس رسمهُ اسقفًا على صيدنايا البطريرك افتيميوس الصاقزي قبل انضمام صيدنايا الى قارا كما روى مكاريوس على ما ذكرتُ هناك ومن ثم يجب ان يكون قبل يواصاف. الَّا ان حضرتهُ خالف ذلك وزاد عليهِ: اوَّلًا بانهُ دُعي هذا البطريرك افتيخيوس وادعى بان اسمهُ تصحَّف مرارًا. ثانيًا ان بطركيتهُ كانت قصيرة لم تتجاوز السنة. فلو راجع حضرته ما كتبتُ عن هذا البطريرك فيما استدركتهُ عليهِ في سلسلة مطارنة صور في المشرق (٩ : ٦٢٣) لما سقط في هذا الخطاء. وبيانًا لذلك نقول عن البطريرك مكاريوس انهُ سنة ١٦٣٤ انتُدب للبطركية ملاتيوس كرمة مطران حلب ودعي افتيميوس ومات اول يوم من سنة ١٦٣٥ وخلفهُ تلميذهُ ملاتيوس الصاقزي ودعي ايضًا افتيميوس باسم معلمهِ واقام في البطركية ١٣ سنة الى ان خلفهُ مكاريوس الحلبي سنة ١٦٤٨ ومن ثم لم يكن حينئذٍ بطريرك باسم افتيخيوس او افتيشيوس كما نقل لوكيان واليهِ استند البعض بدون نظر

---

*) لا يعرف من امر دانابا الَّا ما ذكرهُ بطليموس في جغرافيَّتهِ انَّها كانت بين تدمر ودمشق (المشرق) ١) راجع جريدة المنار السنة الثالثة صفحة ١١٧

٢) المنار في المحل المذكور والنعمة السنة الاولى صفحة ٢٢٦

٣) المنار السنة الرابعة ص ١٢٢ وجملة الكلمة في تاريخ دير البلمند

راماً عجبت من نسبته لي باني قلت ان المطران تاوفيطوس نصري كان من رهبانيتنا المخلصيّة وانما القائل بذلك هو المرحوم الخوري كيرلس حدّاد في تاريخه في النسخة التي هي اليوم في دير المخلّص اذ يقول ان تاوفيطوس كان متحدًا برهبنة المخلص ورُسم على صيدنايا بسعي المطران افتيميوس الصيفي. ولا اعلم كيف نُسب ذلك اليَّ. على اني كنت انكرت في المشرق كون المطران تاوفيطوس من الرهبانية الحناويّة قبل نشر ترجمة حياته بقلم احد افراد الرهبانية المذكورة اعتمادًا على ان سجلات هذه الرهبانية وتواريخها لم تصرّح بذلك. امّا الآن فقد زادتنا بيانًا ترجمة هذا البار بانهُ كان من رهبان دير البلمند الكاثوليك ورفيقًا ومتّحدًا بالعزم والايمان والوطن مع رهبان هذا الدير الحلبيين الذين هجروهُ واسّسوا دير الصايغ (لمّا أرسل هو ليباشر رسالة دياربكر) وبهذا الاعتبار يصلح ان يعد مع الرهبان الحلبيين الذين ينتسبون الى الدير المذكور كما عدهُ السمعاني في مقدّمة كتاب الفرائض بين الاساقفة الذين تفتخر بهم هذه الرهبانيّة المباركة

الطير القواطع — كنّا كتبنا لاحد اصدقائنا في بودابست الدكتور غلدتسير (Dr J. Goldziher) ليفيدنا شيئًا عن الطائر الذي وجد في معلولا (راجع المشرق ٥٥٩) وفي رجله اسوار عدده ١٦٧٦ مع كتابة من بودابست عاصمة المجر. فاجابنا حضرتهُ كما افاد حضرة الخوري اوغستينوس سردي من القدس (ص ٦٣٧) انَّ الطائر المذكور هو احد اللقالق الذي أطلقهُ المسيو اوتو هرمان رئيس جمعية الطير المنشأة في بودابست سنة ١٨٩٨ وانَّ العدد ليس هو تاريخ سنة بل عددًا ترتيبيًا لضبط الطيور. امّا طائر معلولا فكان اطلاقهُ في ٢١ حزيران سنة ١٩٠٩ من مدينة تيتاتليا (Tétetlea) في كُنتيّة باكس (Bács) في المجر. فنكرّر شكرنا لمن اتونا بالافادة ونحضّ اهل الوطن على اقتداء آثار الاوربيين في اهتمامهم بالعلوم الطبيعية

مجلّة النعمة والرئاسة البطرسية — رأت مجلّة النعمة الأرثذكسيّة انَّ نكرانها لوحي الاسفار الثانويّة المقدّسة لم يُجدها نفعًا بتفنيد المشرق لزعمها الباطل وها قد انتقلت مؤخرًا الى مبحث آخر فاستأنفت الحملة على رئاسة مار بطرس هامة الرسل. ونحن لا نأبى جدالها في هذا الباب ايضًا لكنّنا نشترط عليها ثلاثة شروط:

الاوّل حصر الجدال في مطالب معلومة لا يُحاد عنها الّا بعد حلّها تماماً . الثاني تعيين لجنة مُشكّلة من اشخاص خالين من الغرض يحكمون في ادلّة الفريقين . والثالث الحياد من كل كلمة مخلّة بالآداب او ماسّة للشخصيّات . فان رضيت بذلك فنحن مستعدّون لمباحثتها ويكفينا الآن لردّ مزاعمها ان نحيلها الى مقالتين اصدرناهما في المشرق (٥ : ٧١٦ و١٢٣) عن رأي القديس يوحنا فم الذهب في رئاسة بطرس وخلفائه على الكنيسة الجامعة

جمعية الماسونيّة يعلم الله انّنا لم نتعرّض للماسونيّة الّا لوقوفنا على سوء غاياتها واتّفاق اصحابها لا سيما زعمائها المتسترين بالظلمة على نقض اركان الدين والسلطة معاً . وقد اعلنّا غير مرّة بانّنا مستعدّون لاقرارنا بغلطنا اذا ما بيّن لنا احد خطأنا في نقلنا الشواهد العديدة المنبئة بآثام الشيع السرّية وحتى الآن لم نجد بين الماسون احداً نبس ببنت شفة . لكنّهم نشروا بعض الوُرَيقات بلا توقيع ولا ذكر مطبعة يسبّون فيها « الجزويت » الذئاب الخاطفة المحتجبين تحت ثياب الحملان ويعظّمون الماسون وشيعتهم منبع كلّ برّ وصلاح . وقد اتانا بعضهم بدلائل واضحة على صلاحهم بأن ارسلوا لنا الكتابات التهديديّة و« القنابل » القريبة الانفجار . فوجدنا في هذه التهديدات حجّة ساطعة على انّنا اصبنا الرمى وانّ الماسونية شعرت بانهتاك سترها . فعسى ان يفتح كلامنا اعين الذين خُدعوا ببهرجة الشيعة ودخلوها دون تروّ وهم لا يعلمون ما في زواياها من الخبايا فيسرعون الى تقيّئ السمّ قبل ان يسري الى جسمهم فيقتلهم لا محالة

جمعيّة الجيش الابيض اوقفنا الثقة على كاتب اللائحة التي رسمناها في عددنا السابق (ص ٦٠٠) الصادرة عن « جمعيّة الجيش الابيض » في ريو دي جانيرو . هذه اللائحة لاحد الماسون السوريين المهاجرين الى البرازيل اسمه جورج حدّاد وهو رجل مشهور بكفره وسيئاته يقرب المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وقد نقم على ابن اخيه الشيخ حبيب لدخوله في مدرسة الصلاحية في القدس الشريف فاختلق الكتابات المزوّرة وجعلها باسم الجمعيات السرّية لعلّه يثني المذكور عن عزمه فخاب املهُ . وقد ظنّ انّ لنا يداً في دعوة الشيخ المذكور فوجّه الينا تلك اللائحة التي نسب الينا فيها قتل الاثيم فرّير وتسميم الشيخ ابراهيم اليازجي وتهريب ابن اخيه . وقد قابلنا بين كتابة اللائحة المذكورة ولوائح أخرى وجّهها المشعوذ ج . حدّاد الى اعدائه فاذا هي شبيهة بالانشاء والخطّ والتلفيقات . ولهُ سوابق أخرى تدلّ على سوء سيرته

وقبح سريرته لا حاجة الى ذكرها هنا . وفي هذا الكفاية لتعريف ذاك البطل الماسوني وتبرئة ساحة الشيخ حبيب من التُّهم التي قرَّعهُ بها

هيكل والمقتطف — اخذنا العجب مما كتبهُ امين افندي المعلوف في عدد اوغست من المقتطف (ص ٧٢٥–٧٢٨) تحت عنوان الاستاذ « هيكل وتهمة التزوير » وغاية الكاتب ان يبيّن ان ما نُسب من التزوير لهكل لا صحّة لهُ وانهُ محض اختلاق من رجال الدين الكاثوليكي والبروتستاني . ثم وعد بانهُ ينشر في العدد القادم شيئاً من جواب هيكل . فنجيب انَّ حادث الدكتور هكل ليس هو جدالًا دينيًّا بين كافر ومؤمن وانما هو فقط مبحث علمي انفضح فيهِ هيكل بازاء كل اهل العلم ولم يجد لتفنيد مناظر دنّرت (Dennert) وتوت (Teudt) وبراس (Brass) سوى السبّ والشتم على مألوف عادة المغلوبين . فلما رأى هؤلاء انَّ هكل لا يجيب على ما نسبوهُ اليهِ من التزوير الفاحش كتبوا لاكبر علماء المانية وطلبوا منهم ان يفحصوا كتابات هكل ويعرضوا صورهُ المزوَّرة على هياكل اجنَّة صحيحة فاجاب ١٥ من ائمة علماء المانية وكلهم اقرُّوا بتزوير الاستاذ هيكل . ثمَّ خاف بقية العلماء المدافعين عن النشوء ان يكون عمل هكل قاضياً على مذهبهم فكتبوا لائحة نشروها في كل المانية ورذلوا عمل الاستاذ هكل لكنَّهم اعلنوا بانهم لا يعدلون عن رأيهم في مذهب النشوء . وناهيك بما كتب عن هكل شيخ فلاسفة الالمان في ليبسيك الدكتور وندت (Wundt) : « انَّ كتابات هكل الدالَّة على بعض مظاهر العلوم العصريَّة تعيدنا القهقرى الى ازمنة الظلمة حيث لم يوضع بعد فنّ المنطق وكانت العلوم الوضعية في مهدها » . فيا لها من ضربة قاضية على هكل فننتظر بعد هذا الحكم مقالة المقتطف لنرى كيف امين افندي يبيّض هذا الاسود

ثمَّ ننتهز هذه الفرصة لنعلم قرَّاءنا بان الراهب الفرنسيسكاني يوسف كاب الذي نقل عنهُ المقتبس (راجع المشرق ٤٧٨) فصل « تراجع الكثلكة » فرددنا عليهِ هو (على ما افادنا المقتطف ص ٧٢٧) « المستر مكاب » الذي جحد الرهبانيَّة والكثلكة وتزوَّج سفاحاً وكفى بذلك دليلًا على صدقهِ في مناهضتهِ للدين الكاثوليكي . فما كان احرى بمجلة المقتبس ان تتحاشى عن ذكره !

رحلة علمية الى الحجاز — طلب حضرة الابوين الدومنيكانيين

جوسن (Jaussen) وساڤينياك (Savigniac) من الحكومة السنية بواسطة سعادة سفير فرنسة في الاستانة ان يُسمح لهما بالسفر على سكة حديد الحجاز الى قريتي الملاء وحربية لينقلا ما فيهما من الآثار القديمة السابقة للاسلام فاجابت الحكومة الى رغبة السفير ورحل الابوان في الربيع الماضي الى حيث قصدا ومع ما وجدا هنالك من الصعوبات امكنهما ان يرسما ١٦٠ كتابة حجرية في اللغتين المينوية واللحيانية. واخذا عدَّة تصاوير فوتغرافية ورسوماً شتّى ورقما عادات الاهلين وابتاعا نقوداً عادية مختلفة. ومما ورد في الكتابات المذكورة اسم مدينة دَدَن فيرجح الرحالان انها المدينة المشار اليها في التوراة في سفر التكوين (١٠:٧) في سفر الأيام الاوَّل (١:٩) . وكان حضرة الابوين رحلا قبلاً في العام الماضي الى مدائن صالح فجمعا منها آثار عديدة نشراها في كتاب مستقل اثنى عليه العلماء بصوت واحد

أسئلة وأجوبة

س سألنا مستفيد بنبة كلامنا عن الطائر الطويل العمر ما هي اطول الحيوانات عمراً؟

اطول الحيوانات عمراً

ج يقال انَّ اطول الحيوانات عمراً بين ذوي الاربع الفيل فانَّ معدَّل سنيه مئة سنة ومثلهُ البغاء بين الطيور والحنش (esturgeon) والشَّبوط (carpe) بين الاسماك والسلحفاة وبعض الحيَّات بين الزحَّافات فكلها تبلغ المئة سنة . ودونها عمراً الغراب الذي يعيش ٨٠ سنة . امَّا اللَّقلق والهدهد والعقاب فتعيش من ٣٠ الى ٤٠ سنة

س سأل الاديب ل . ج من الاسكندرية كم هو عدد اليهود في العالم؟

عدد اليهود

ج يقال انَّ عدد اليهود في عهدنا كاد يتجاوز عددهم في أيام عزّهم في زمن سليمان فهم اليوم احد عشر مليوناً بنيّف قليل منهم في اوربة نحو ٩,٠٠٠,٠٠٠ وفي اميركة مليون وستون الفاً والباقون في آسية وافريقية . واكثر الاسرائيليين في روسية حيث يبلغ عددهم حسب الاحصاء الاخير ٥,٨٧١,٠٠٠ ثمَّ في النمسة والمجر يبلغون ٢,٢١٠,٠٠٠ ثم الولايات المتحدة ١,٠٥٠,٠٠٠ وهم في المانية ٦٢٠,٠٠٠ وفي تركيا ٤٨٠,٠٠٠ وفي بريطانية العظمى ١٨٤,٠٠٠ ولا يزيدون في فرنسة على ٥٤,٠٠٠ وفي مصر على ١٥,٠٠٠

ل . ش

المشرق

تأمين الحياة

نظر تاريخي واقتصادي للمكونت دوجو
وكيل شركة التأمين الفرنساوية المعروفة بلانسيونال

١ غاية التأمين

حُتم على الانسان ان يأكل خبزهُ بعرق جبينهِ ليحفظ اعزَّ ما لديهِ اي حياتهُ فانهُ لاجلها يضحي شغلهُ وتعبهُ وارجاعهُ ليصونها مما يتهدَّدها من المصائب او يترصَّدها من المعادين فذاك هو النزاع لاجل الحياة الذي يحدو به الى ان يحتفظ على نفسهِ ويؤمنها من آفات الدهر

على ان كلَّ هذه الاسباب الواقية والوسائل الاحتفاظيَّة لا تؤمّن الانسان على الموت وهو اعظم الاخطار التي لا مناص لهُ منها. قال بسكال الشهير: « ليس بيننا وبين السماء والجحيم والعدم غير حياتنا وهذه الحياة اسرع الاشياء عطباً وفناء »

فعطب الحياة وزوالها السريع ذلك ما حمل الانسان على تأمينها فساعدهُ على تحقيق امانيه في عهدنا التمدن والثروة. فانك لو اطلقت رائد النظر على تاريخ البشر الاوَّلين لرأيتهم يواصلون الشغل ليلاً مع نهار ليحصلوا على قوتهم اليومي فيصونوا حياة معرَّضة لاخطار الزمان. فكان الانسان في ذلك العهد يعدُّ للقرون التابعة رقياً وتقدُّماً فيسقي بدمهِ جذور عالمنا الحاضر ويكتفي هو باكتساب معاشهِ

غير انَّ حاجات الانسان كانت تزيد يوماً بعد آخر على قدر نموّ عيالهِ ومن العيال العشائر ثم القبائل ثمَّ المدن والدول فكان ذلك داعياً الى استملاك الاراضي وتوفير

الثروة لتوطيد اركان الالفة الاجتماعية . ودعائم هذه الثروة لا تكون ثابتة الّا بالاحتياط وتأمين المستقبل بسابق النظر الى احوال الدهر لئلّا تدهم الانسانَ صروفهُ على فور فتذهب برصيده . وما التأمين على الحياة الّا صنفٌ من الاحتياط اجلّ من سواهُ لفاعليهِ الاثيرة . وهذه اقوال لبعض مشاهير الكتبة تبيّن ما في تأمين الحياة من حسن النظر وتحقيق الامل

قال ا . دي جيراردان (E. de Girardin) : « انَّ التأمين غايةٌ تنزع اليها كل المشروعات السياسيَّة والدينيَّة »

وقال الاقتصادي ڤرمو (Vermot) : « لا يزال امر الغد يتهدَّد الانسان حتى يلتجئ الى التأمين فيريح فكرهُ وما التأمين سوى ضمان راهن ثابت على مُلك كان في الامس تحت خطر »

وقال المسيو بارون (A. Baron) : « اسلّم لك بان التأمين على الحياة لا يبعد ولا يقرّب ساعة الشيخوخة وأجل الموت لكنهُ يكفل للشيخ العاجز عن الشغل بقوتهِ اليوميّ وللارملة واليتامى بثمرة اتعاب رب البيت ومحصول اقتصادهِ اذا ما عاجلهُ الموت قبلهم »

وقال العلامة الشهير فرنكلين (B. Franklin) : « يأخذني العجب من تناقض الناس في اعمالهم فترى كثيرين يؤمّنون بيوتهم واثاثهم وسفنهم وبضائعهم وترى على خلاف ذلك ربَّ البيت يسهو عن تأمين حياتهِ وهي اعزّ كلّ مقتنياتهِ واسرع من سواها عرضة للخطر »

ولعلَّ كلمة سليمان الحكيم في سفر الامثال (٦ : ٦ — ١٠) تصحُّ في هؤلاء المتوانين اكثر من غيرهم حيث يذكرهم بالنملة التي تهتمُّ لمستقبلها « وتعدُّ في الصيف طعامها وتوعي في الحصاد أكلها » . فالحكيم العاقل هو الذي يسدُّ في وجهِ ووجهِ عيالهِ العوز والفاقة ما دام الامر بوسعهِ

٢ تاريخ الضمانات على الحياة

الاثينيون والرومان اول من ادرك منافع التأمين فانشأوا شركات للمساعدات المتبادلة الّا انها لم تبلغ ما بلغتهُ من النظام الشركاتُ الانغلوسكسية المعروفة باسم غلدس

(Gildes) والشركات الصناعية الشائعة في القرون الوسطى

وعلى قول المسيو ادلن (M. Adan) ان اول شركة تُعد كسابقة لشركات التأمين على الحياة ظهرت سنة ١٣٠٠ فدعيت التأمين العرضي (Casualty assurance) انشأتها جمعية التأمينات البحرية وسماسرة تأمينات لندن لفداء الاسرى الواقعين في قبضة القرصان المغاربة او في حوزة الترك . وقد أدّت تلك الشركة خدماً مشكورة للبحريين الّا انها مع تمادي الزمان تحوّلت اعمالها الى مضاربات ومقامرات أتلفت فوائدها وبدّدت نظامها منذ السنة ١٧٢٠ كما افاد الكاتب البارع فرنسيس(١ في تاريخ ضمان الحياة . على انّ بعض التجار عادوا سنة ١٧٦٦ واستأنفوا في انكلترة التأمين على الحياة فانشأوا شركة دعوها المنصفة (Equitable) فراجت سوقها وكثر طالبو الانحياز اليها وكانوا يجرون في معاملاتهم على جداول وفيات كان ضبطها بكل تدقيق العالمان بسكال وهالي (Halley)

امّا الفرنسيّون فأنشأوا شركة اخرى دعوها تُنتين (tontine) كان مبناها على قوانين تغلب فيها المقامرة وتخالف تماماً القواعد الجارية عند الانكليز

وفي تلك الاثناء جلس على كرسي الملك لويس السادس عشر فأُنشئت في عهده سنة ١٧٨٦ شركة التأمينات العموميّة الملكيّة التي استدركت الحال ووضعت لها قوانين مملوءة حكمة : فاثبتها الملك بمنشور مدح فيه المشروع وبيّن منافعهُ ومن جملة ما ورد هناك قولهُ : « انّ الملك عهد الى بعض اهل دولته بان يبحثوا عن شركات الضمان على الحياة المنشأة في اوربّة وعن نظامها وتأليفها فعرف بعد التحقيق انّ لتلك الشركات فوائد جمّة يمكن الفرنسويين ان ينالوا منها نفعاً اذا أُنشئت في فرنسة لانها تمكّن كثيراً من الاهلين ذكوراً واناثاً صغاراً وكباراً من تأمين حياتهم فينالوا لهم او لذويهم ريعاً معلوماً لشيخوختهم او لخلفهم من بعدهم . وقد تحقّق انّ هذه الضمانات من شأنها ان تخلّص من آفة الربا مبيع الرسالات وتؤمّن مستقبل المتعاهدين او مستقبل بنيهم من بعدهم فتوفّق بين المنافع الحاضرة والمستقبلة وتوثق بين افراد العيال عرى الحبّ والوفاق التي تؤدي الى سعادة الحياة الاجتماعيّة وتزيدها قوّة وارتباطاً »

---

١) اسم كتابهُ بالانكليزية : Francis: *Annals of life assurance.*

لكنَّ تلك الشركة ما لبثت ان تضعضعت مع ما اصاب فرنسة من الدواهي فجرفها سيلُ الثورة الجحاف وجعلها اثرًا بعد عين. ولمَّا صار الامر في ايدي نابوليون الاوَّل سعى البعض باستئناف هذا المشروع لكنَّهم اعتبروهُ كمقامرة ورهان فبخسوا من شأنهِ كما يظهر من كتابات پرتاليس (Portalis) وكرڤاتو (Corvetto) ومرلين (Merlin) من حاشية نابوليون

وبقي الامر كذلك الى السنة ١٨١٩ حيث انعقدت شركة قانونية للتأمين على الحياة ففي تلك السنة في ٢٩ ك ١ اصدر لويس الثامن عشر براءةً يثبت فيها شركة التامينات العموميَّة على الحياة. وفي اوائل العام التالي ظهرت الشركة الملكيَّة المعروفة اليوم بشركة « لانسيوتال » وكان تثبيتها في ١١ شباط سنة ١٨٢٠ . على انَّ هذه الشركات لم تنجح كثيرًا في اعوامها الاولى لقلَّة اكتراث الاهلين لفوائدها. ومما يدلّ على خمولها انَّ احدى الشركتين لم يتجاوز راس مالها للتأمينات على الحياة في السنة ١٨٢٥ مبلغ ٣١٧,٠٠٠ فرنك. ولم تتحسَّن هذه الاحوال بل زادت تقهقرًا لأنَّ رأس مال الشركة كان هبط في السنة ١٨٤٠ الى مبلغ ٢٣١,٠٠٠ فرنك. وفي تلك الاثناء كانت شركة ثالثة تشكلت للتأمينات تدعى شركة اونيون (l'Union) اي الاتحاد اثبتها الملك كارلس العاشر في ١٢ حزيران ١٨٢٩ فاهتمت كالشركتين السابقتين في توسيع نطاق التأمينات على الحياة لكنَّ العموم ظلّوا على جمودهم

على انَّهُ في السنة ١٨٤٠ حدث في فرنسة انقلاب في الرأي العمومي بخصوص معاملات الرقبى التي يتمتَّع بها الانسان طول حياتهِ لكنَّ تأمين الحياة بقي على حالهِ من الخمول بل عادت المضاربات والمقامرات التي كانت شاعت قبل الثورة الفرنسويَّة فتشكَّلت على اشكال متنوِّعة عُرفت بشركات زيادة الحياة (associations de survie)

فكانت نتيجة انتشار هذه الشركات الجديدة انَّها اضرَّت بالتأمين على الحياة ولم تأتِ بعظيم منفعة للعموم مدَّة نيف وعشرين سنة . وغاية ما بلغ رأس مال شركات التأمين الذي تقيَّد في سجلَّات الحكومة من السنة ١٨١٩ الى ١٨٥٩ « ٣٥١,٠٠٠,٠٠٠ » فرنك تقسَّمت على ٤٠,٢٥٨ معاهدة وكانت مع ذلك قد نشأت بعض الشركات الجديدة منها شركة فينكس (le Phénix) المعروفة بقرار ملكي في ٩ حزيران سنة

١٨٤٤ وشركة « الصندوق الابوي » (la Caisse Paternelle) المسجلة في ١٩ آذار سنة ١٨٥٠ الخ

وكان بدء نجاح شركات التأمين على الحياة سنة ١٨٥٩. فانَّ نظر العموم انصرف على بغتة نحو هذا المشروع الذي بقي حتى ذلك العهد نسياً منسيًّا مع كثرة فوائده فأنشئت جمعيات جديدة لهذه الغاية كشركة الموند والاور بان (le Monde, l'Urbaine) وغيرهما

ولم يتوقف هذا النجاح مذ ذاك الوقت الا قليلًا في السنة ١٨٧٠—١٨٧١ لمَّا نشبت الحرب السبعينيَّة بين فرنسة والمانية. لكنَّها كانت سحابة صيف انقشعت فانَّ الجمهور عاد منذ السنة ١٨٧٢ الى اقباله على هذه الشركات التأمينيَّة بمزيد ارتياح حتى انَّها لم تزل مذ ذاك الحين في ترقٍّ متواصل

وفي السنة ١٩٠٥ في تاريخ ١٧ آذار جعلت الحكومة كل شركات التامين تحت نظرها وفرضت لها تعرفةً يؤدّيها المشتركون. وهذه التعرفة حدَّدتها لجنة من نوّاب الحكومة المعروفين بخبرتهم بامور المال وقوانين المتاجرات ولا يجوز ابدالها على اختلاف المبالغ المضمونة فاذا أُهبطت عن حدود التعرفة بطلت المعاملة

٣ مفاعيل التأمين وفوائده

هلمَّ نبحث الآن عما يستفيدهُ الانسان الضامن لحياته سواء كان من حيث الأدب الشخصي والادب الاجتماعي ومن حيث الاقتصاد والماليَّة

١ من حيث الادب الشخصي اوَّل مفاعيل التأمين على الحياة انَّهُ يخوّل المؤمَّن راحة الفكر وسكون البال وينجيه من الخوف الذي كثيرًا ما يغلّ ايدي الناس ويخمد نشاطهم. قال سنيكا الفيلسوف: « ذاك يستحقُّ ان يُدعى ملكًا من نجا من الخوف ». فالانسان الذي يخلو من الخوف هو حقيقة ملك الكون فانَّهُ يباشر اموره بكل ثقة فان البحر عينهُ يكون طوع بنانه فيسلّمهُ ماله برباط الجأش اذا أمنهُ اذ لا يعود يخاف غرق سفنه

على انَّ الدواهي المتهدّدة الانسان ليست محصورة في اخطار البحار فمنها ما هو اعظم خطرًا نريد خطر الموت. دونك مثلًا على ذلك. هوذا زيد يريد ان يستثمر ماله

البالغ كمية من الدراهم فيباشر عملاً صناعياً او تجارياً . وبعد ان جاهد سنين قليلة ليبلغ ما يؤمله من الارباح يفاجئهُ الموت في تلك الاثناء . فماذا يخلف لاولاده ؟ في اغلب الاحيان لا يبقى الا تصفية المحل مع بقايا زهيدة من مال يأخذه الضياع . فهذا الفكر المؤلم ربما يصدّ الناس عن الاعمال الرابحة خوفاً من حادث يمكنهُ ان يرمي في وهدة الفقر نساءهم واولادهم . اما اذا أمّن الانسان حياتهُ فانهُ يبقى فارغ البال مرتاح الفكر فيستطيع ان يباشر بطمأنينة اي عمل كان اذ يعلم ان امرأتهُ وبنيه بعد موتهِ سيجدون رأس مالٍ يكفيهم مؤونة الذلّ والفقر

دعنا نأخذ مثلاً آخر من ذوي الطبقات السفلى فنعتبر حياة العمّة . ان ما يسئم غالباً عيشة العامل فكرهُ في المستقبل . اذا ما حلّت بهِ نكبة ما او اصيب بمرض او فرغ عنهُ الشغل تراهُ من وقتهِ في الضنك والفقر . فهذا الهمّ لا يدع لهُ هناء وراحة . فان استطاع ان يؤمّن حياتهُ خلا لهُ الجوّ وانكشف عن نفسهِ الثقل الذي كان يكربها فيطمئن بالهُ ويتشدد عزمهُ

وتزيد على ما تقدّم ان تأمين الحياة من شأنهِ ان يؤدب الانسان ويزيدهُ صلاحاً لانّ عملهُ مبني على روح التفاني وبذل الذات اذ يجرد فكر المرء عن الحاضر ليؤكد لذويهِ مستقبلهم فلا يعرّضهم لمؤونة الفاقة والحاجة . فمثل هذا التجرّد دليل على عواطف سامية وشاهد على نخوة ومروءة لا يأتيهِ المرء الا بممارسة فضائل ادبية عظيمة

٢ وليست فوائد التأمين اقل اعتباراً اذا اعتبرت الخير الذي يحصل منهُ للألفة ان التأمين يجعل بين طبقات الهيئة الاجتماعية ارتباطاً وثيقاً لانهُ يدفع المرء الى ان يعتزل العيشة المنفردة فيمتزج بالمجتمع البشري فيصير بينهُ وبين غيرهِ تضامن جديد في تبادل الصوالح . والتضامن المتبادل يُعَدّ من اوطد الدعائم لثبات الهيئة الاجتماعية . وهذا التضامن ارفع شأناً من سواه لأنّ الانسان يقدّر قيمة حياتهِ والأعمال التي يمكنه ان يأتيها بشغلهِ لمنفعة قريبهِ فيؤمّنها بمقدار زهيد من المال لئلّا تُفقَد تلك الاعمال بموتهِ ولهذا قد دعا الفقهاء هذا التضامن بالتضامن الاجتماعي اذ يفيد الألفة كلّها

وكأنّ العرب احسّوا بما في هذا التضامن من عظيم الجدوى . فانّ ابا الفرج الاصفهاني روى في الاغاني (٨ : ٨٣) انّ اعشى قيس اصاب مالاً كثيراً اعطاهُ اياهُ الاسود العنسي وكان امتدحه « فلما مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه فاتى عامة

ابن علاثة فقال له : أجرني . قال : قد أجرتك . قال : من الجنّ والانس ؟ . قال : نعم . قال : ومن الموت ؟ . قال : لا . فأتى عامرَ بن الطُّفيل فقال : أجرني . قال : قد أجرتك . قال : من الجنّ والانس ؟ . قال : نعم . قال : ومن الموت ؟ . قال : نعم . قال : وكيف تجيرني من الموت ؟ . قال : ان مُتَّ وانت في جواري بعثتُ الى اهلك الدية . فقال الاعشى : الآن علمتُ انك قد اجرتني من الموت . فمدح عامرًا

ومن خواصّ هذا التضامن انهُ لا يُراعي الاشخاص بما يمنحهم من الانعامات والرُّتب والحقوق بل يعتبر فقط الاحوال الطبيعيَّة ويقدّر ما بين الاشياء المتباينة من التوازن وما يطرأ عليها من الخطر على حسب قوانين ثابتة فكلّ مخاطرة تناسب قدرًا معلومًا مقرَّرًا في جدول مبني على الاختبار . فيُعطى كلُّ ذي حقّ حقَّهُ على قدر القسط الذي يريد تأمينهُ . اعني انَّ هذه المعاملات مبنيَّة ليس على العدل التوزيعي الذي يوزّع الخيرات والاثقال بالمعادلة على مقتضى صفات المرؤسين واحوالهم الاجتماعيَّة بل على العدل البَدَلي الذي يمنح كل فرد حقَّهُ المقرَّر مع حفظ مساواة الشيء للشيء . وهو المبدأ الذي تسعى الدول اليوم في تغليبهِ بناء على شعار الحرّيَّة والاخاء والمساواة كما اثبت ذلك المسيو فوليه في كتابهِ عن « العلم الاجتماعي العصري »(١) . وعلى هذا الاصول بُني التامين على الحياة . فانَّهُ قد توخّى العدلَ البدلي في كل امورهِ سواء كان في الغاية التي قصدها ام في القوانين العلميَّة التي بنى عليها معاملاتهِ . وانما مصدر نجاح شركات التأمين من مراعاة هذه الاحوال

٣ وان اعتبرت التأمين من حيث الاقتصاد وجدت ان سبب وجودهِ وغايتهِ الاولى انما هو اصلاح ما يتهدد رؤوس المال من الهبوط والتلاشي وذلك بواسطة اموال مرصودة لهذه الغاية لا يبطل إنتشارها والتعامل بها

اما المبالغ التي يدفعها طالبو التأمين فانها غالبًا زهيدة بالنسبة الى الاموال المضمونة وهي عادةً كميَّات قليلة يفردها الخاصَّة من دخلهم او هي اقساط خفيفة من النفقات العمومية التي تتكلفها المحلَّات التجارية والصناعية . وهذه المبالغ في اغلب الاحيان تُصرف بلا فائدة لولا انها تخصّص بهذا التأمين . ومع قلّتها لا تفتقد بالتأمين من يد

---

(١) اطلب كتابهُ M. Fouillée : *La Science sociale contemporaine*

صاحبها بل تُرَدُّ اليهِ بصفة رأس مال سواء كان لاهلهِ من بعد موتهِ او بصفة اقساط يربحها من معاملات الشركة اذا شاء ان يكون هو احد مشاركيها

وليس التأمين على الحياة مجرّدًا فقط لرأس مال مفقود بل هو ايضًا مثمرٌ ومولّد لارباح جديدة. الا ترى انهُ اذا مات المؤمَّن يعود رأس المال لاهلهِ وذلك بكل سرعة دون احتياجهم الى وقت طويل ليجمعوهُ باقتصاد بطيء

٤ اما من جهة المالية فللتأمين مفعولان. الواحد انهُ يجعل لصاحبهِ اعتبارًا ماليًا. فانَّ المؤمِن يتعاهد للمؤمَّن ان يتدارك ما يلحق بهِ من المضرّة على شرط أن يدفع طالب التامين مبلغًا معلومًا مناسبًا لما يريد تأمينهُ. فراس مال المؤمَّن كلُّهُ رأس مال رصدٍ وضمان بحيث يجوز القول انَّ عملهُ بتمامهِ مبني على الاعتبار المالي. والمفعول الآخر انَّ التأمين يُغني البلاد لأنَّ شركات التأمين تشبهُ المصارف (البنوك) وصناديق التوفير بما تجمعهُ من المبالغ الجزئيَّة حتى يحصل من مجموعها كميَّات وافرة جدًّا تمكّن الشركات من المعاملات العظيمة لا بل تفوق على البنوك وصناديق التوفير لأنَّ الاموال الموضوعة في البنوك وصناديق التوفير يجوز لاصحابها ان يسترجعوها اي يوم شاءوا فالصيارفة يضطرُّون الى رصد كميَّات وافرة من الدراهم ليؤدّوها عند الحاجة الى طالبيها. اما المال المودوع في شركات التأمين فانهُ يوضع غالبًا لازمنة طويلة فيسمح للشركات ان تستعين بهِ لمشروعات عظيمة وكثيرًا ما تقرضهُ للدولة فتستعيرهُ هذه لانشاء الاعمال العموميَّة. وعلى هذه الصورة تفيد التأمينات ماليَّةَ الدُّوَل

٤ اصول التأمينات وقوانينها

قال الاقتصادي بيشا (Bichat) في تحديدهِ للحياة: «انَّ الحياة مجموع القوى التي تقوم في وجه الموت» فبناء على هذا التحديد اتخذ اصحاب شركات التأمين جداول دعوها جداول الوفيات وكان الاولى ان تُدعى جداول طول الحياة فبنوا عليها حساباتهم وعيَّنوا لكل دور من ادوارها مبلغًا يدفعهُ المؤمَّن

اما طريقتهم لاتخاذ هذه الجداول فأن يعمدوا الى مواليد احدى السنين فيحسبون سنةً فسنةً عدد الوفيات الى ان ينتهوا الى آخر مواليد تلك السنة فيدوّنوا سنة وفاتهِ. وتسهيلًا لذلك يحصرون المواليد في عدد مقرَّر كألف او عشرة آلاف

على انَّ هذا الحساب ليس هو غاية في الضبط والتدقيق وانما هو بالتقريب والدليل عليه أنك اذا قابلت عدَّة جداول ولحظت نتائجها وجدتها تختلف اختلافاً كبيراً . ويعلل هذا الاختلاف امورٌ شتى منها انَّ عدد المواليد التي عيَّنوا وفياتها قليلة . ومنها احوال الزمان والمكان واسباب المعاش وغير ذلك من العلل الطبيعيَّة تختلف مع اختلاف الظروف وتغيير الاسباب الاجتماعيَّة والادبيَّة . لكنَّ هذه الاختلافات يمكن تخفيفها مع الزمان وتكرار المراقبة . وقد اتفقت اليوم كما سترى الاربع الشركات الكبرى لتأمين الحياة (وهي الاقدم عهداً ايضاً) على وضع جدول للوفيات تجري كلها على مقتضاه وهذا الجدول موسوم بحرفي A F اي التأمينات الفرنسويَّة

وما من شأنه ان يوضح للقراء صعوبة تدوين جدول تامّ الاهبة خالٍ من كل نقص ان يعتبر المرء ما يطرأ على حياة الانسان من الطوارئ المتباينة . فبعض هذه العلل طبيعيَّة كالسنّ والجنس والمكان الذي يقيم فيه ابن آدم . وبعضها عرضيَّة كنوع المعيشة والرتبة في العالم والصناعة وكثرة الشغل او قلته وكالغنى او الفقر . وزد على ذلك انواع الامراض المتعدّدة التي تعرّض الحياة لخطر الموت . وخلاصة القول ليس انسان الا وحياتهُ تتوقَّف على اسباب لا تحصى يؤثر كل منها في طولها او قصرها وهذه الاسباب لا يمكن تطبيقها على قاعدة عموميَّة اذ تختلف في كلّ فرد . فلو اراد اصحاب الشركات ان يفحصوا كلّ انسان بمفرده لَمَا امكنهم ان ينهوا شغلهم ومن ثمَّ بنوا اولاً حسابهم على التعديل وافترضوا انَّ الاختلافات الموجودة في حياة عدد وافر من الناس تتوازن فيحصل منها معدَّل يصحّ بناء قاعدة عامَّة عليه . ثمَّ افترضوا (ثانياً) انَّ ذوي السنّ الواحد يعيشون عدداً واحداً من السنين . ثمَّ قدَّروا (اخيراً) انَّ عدد المواليد في كلّ سنة ثابت لا يختلف وكذا اعتبروا عدد الوفيات مع قطع النظر عن مهاجرة الاهلين او زيادتهم فحصروا مجمل الافتراضات في هذه القواعد الثلث

أما جداول الوفيات فكان يمكنهم تدوينها على طرائق شتَّى منها الطرائق الثلث الآتية :

١ طريقة هالي (Halley) — كان يأخذ دفاتر الموتى وينظم عدد الوفيات في كل عام منذ سنة الميلاد الى الشيخوخة القصوى

٢ الطريقة الثانية مبنيَّة على احصاءات البلاد فيحصون الناس الذين في قيد

الحياة على حسب اعمارهم من ميلادهم الى اقصى شيخوختهم وبهذا يُعرَف عدد الاحياء من كلّ سنّ

٣ طريقة ديپارسيو (Deparcieux) — هذا وضع طريقة ثالثة مبنيّة على مبدأ علميّ اقرب الى الصحة من سواه. فانهُ يعمد الى عدد معلوم من البشر ولدوا في وقتٍ ما فيخصم منهم كلّ سنة عدد الموتى ليعرف الاحياء الباقين فيرجع بذلك عدد الوفيات في كل عام

وقد دوَّن كثيرون جداول الوفيات في فرنسة منهم ديپارسيو المذكور سنة ١٧٤٦ ودوڤيليار (Duvillard) ١٨٠٦ وديمونفران (Demontferrand) ١٨٣٦ وهوبار (Hubbard) ١٨٥٢ وشركات التأمين العامّة الثلاث سنة ١٨٦٠ وبوفيزاج (Beauvisage) ١٨٦٧ ودي كرتنكي (de Kertanguy) ١٨٧٤ ثم اشار وشرلون (Achard et Charlon) ١٨٧٦

وهذه الجداول مع دقّتها كانت تشمل كل العناصر من فقراء واغنياء واوساط وبهذا المعنى لم تختصّ بالقوم الذين يقبلون عادةً على تأمين الحياة. وممَّن لحظوا هذا الخلل فاستدركوهُ اصحابُ شركات التأمين الثلاث والمسيو دي كرتنكي لولا ان مراقباتهم كانت قليلة التكرار محصورة في عدد زهيد من المؤمَّنين وفي زمن كان الاقبال على التأمين ضيّق النطاق

فهذه الجداول مع نقصها بقيت زمنًا طويلًا كقاعدة كان اصحاب الشركات يرجعون اليها في حسابات التأمين حتى السنة ١٨٨٧ ففي الجلسة العمومية التي عقدها نوّاب شركات التامين الاربع اي لانسيوتال وشركة التامينات العمومية والاونيون والفنيكس في ٢٢ تشرين الثاني منها عوَّلوا على اصطناع جدول اضبط واكمل يجرون عليهِ بعد مراجعة سجلّات الشركات وتأميناتها منذ السنة ١٨١٩ الى غاية ك ١ سنة ١٨٨٧ ويضيفون اليهِ جدولًا خاصًّا لوفيات اصحاب المداخيل

فاللجنة المعيَّنة لهذه الغاية باشرت عملها بنشاط ولم تزل تواصلهُ حتى انجزتهُ سنة ١٨٨٩ فعرضت الجدولين اي جدول ذوي المداخيل (RF) وجدول اصحاب التأمين (AF) في معرض باريس العمومي فعيَّن وكلاء المعرض رجالًا من الاختصاصيين

ليفحصوهُ فبعد النظر المليّ والفحص المدقّق منحوا اصحابهُ جائزةً ممتازة ووهبوا الاربعة الذين اشتغلوا بضبطهِ اربعة انواط من ذهب

ولم تكتفِ الشركات بهذه التنشيطات بل خصّصت اناساً لمتابعة المراقبات واصلاح ما يجدونهُ مخلًّا ففعلوا وزادوا الجدولين تحسيناً في السنة ١٨٨٩ حتى بلغوا غاية ما امكنهم من الكمال في ضبطها سنة ١٨٩٢ ~~قرّروا اخيراً في ١ نيسان من تلك~~ السنة انّ الجدولين يعدّان مذ ذاك الحين كدستور ثابت مبني على الاختبار المتواتر فلا يجوز تغييرهما في شيء

فدعنا الآن ننظر كيف تصير المعاملة بين المؤمِّن والمؤمَّن. فالمؤمَّن يدفع للمؤمِّن مبلغاً ما (prime) ويطلب منهُ دَخلًا او راس مال. فينبغي على الشركة ان توفق بين رأس المال المطلوب منها والمبلغ الذي يجب دفعهُ ليمكنها ان تتدارك كل الحوادث الممكن وقوعها. فللحال يرجع اصحاب الشركة الى جدول الوفيات فيطلبون من المؤمَّن المبلغ المعادل لرأس المال الذي يريدهُ بعد معرفة سنّهِ وحالتهِ الصحيّة

فترى ان هذا المبلغ الذي تتقاضاهُ الشركة يختلف اختلافاً كبيراً على حسب شروط طالب التأمين فيمكنهُ ان يدفعهُ مرّةً واحدة او دفعات متعدّدة كما انهُ يقدر ان يزيد مع السنين او ينقص ويجوز ان يدفعهُ مدّة طول الحياة ليزيد بذلك رأس مالهِ او لمدّة سنين معلومة وكذلك يمكنهُ ان يدفعهُ لمنفعة شخص واحد او كثيرين. وكل ذلك مبني على حسابات راهنة مناسبة للاحوال المذكورة وان اراد المؤمَّن جاز لهُ ان يدفع المبلغ المطلوب اقساطاً كل سنة او يفعل ذلك مرّة واحدة لكل حياتهِ على مقتضى حسابات مقرّرة

وهذه المبالغ التي يؤديها طالبو التأمين لينالوا بها رأس مال ثابت فانّ شركات التأمين على الحياة تدخلها في خزائنها الاحتياطيّة فلا تستعملها في الاعمال التجاريّة بكنّها على مقتضى القوانين تشتري بها عقارات تستثمرها او بسندات ماليّة

فهذا نظر اجمالي عن تأمين الحياة وتاريخهِ وشروطهِ ولكلّ شركة لائحة خاصّة توقف الزبائن على احوالها وماليّتها وضماناتها. وقد طبعت حديثاً شركة لانسيوتال لائحتها بالعربيّة فمن اراد الوقوف عليها يطلبها من وكلاء الشركة في بيروت المسيو ميشال تيودور سكريني ابناء وجناب الكفاليار يوسف هنكه

عالم يوناني مجهول

الاب اثناسيوس القبرصي (١٥٧١—١٦٦٣)

للاب انطون رباط اليسوعي

لا تكاد تجد في مؤلفات اليونان او الروم المحدثين ذكرًا لهذا العالم الذي خدم الدروس اليونانية خدمة قدّرها المستشرقون الغربيون حقّ قدرها. كيف لا وهو الذي اغنى مكاتب باريس باكثر من ثلاثمائة كتاب يوناني مخطوط استعان بها العلماء فنشروا كثيرًا من مصنّفات الاباء والكتبة الشرقيين وهذه الطبعات هي المعوّل عليها حتى الآن وإن سعى المدققون في أيامنا فجدّدوا نشر اكثرها بالطبع على نسق افضل انتقادًا واكمل نظامًا

ولد اثناسيوس في جزيرة قبرص نحو سنة ١٥٧١ ولما شبّ دخل في سلك الكهنة اليونان وتفرّغ للدروس والتنقيب وقد زانهُ الله بذاكرة غريبة وجلَد على القراءة والكتابة وشغف في مطالعة الكتب القديمة والحديثة وكان ذا نية سليمة يرغب في معرفة الحقائق الدينية وينفر عن الضلال والتمويه. وفي سنة ١٦٠٦ امّ القسطنطينية ليواصل ابحاثه واقام فيها نحوًا من خمس عشرة سنة. وهناك قادته الرغبة في استقراء المعارف الفلسفيَّة واللاهوتية والتسكن فيها الى قرع باب المرسلين اليسوعيين الذين جاءوا الى القسطنطينية في تلك السنين وسعوا في ضمّ الروم الى الكنيسة الجامعة. فقبل كثيرون الاتحاد بعد ان ظهرت لهم الحقيقة. ومن المرتدين الخوري اثناسيوس القبرصي او البياني كما وقع مرارًا اسمهُ ὁ ἐν ἱερομονάχοις Ἀθανάσιος ὁ Ῥήτωρ ونظنّهُ اغتنم هذه الفرصة فتعلّم اللغات اللاتينيَّة والايتاليانية والافرنسية حتى برع فيها كما تشهد لهُ بذلك رسائلهُ العديدة المكتوبة بهذه اللغات

وفي نحو سنة ١٦٣٥ نجده في عاصمة الكثلكة مواصلًا المطالعة والتاليف وفي سنة ١٦٣٩ جاء الى باريس واقام فيها اربع سنوات نشر في خلالها بالطبع ثلاثة كتب فلسفية ولاهوتية اهدى الاوّل الى سيغيه (Séguier) المهردار والثاني الى الكردينال

ريشليو (Richelieu) وزير المملكة والثالث الى اشيل دي هارله (Achille de Harlay) الذي كان سفيراً في الاستانة وبعد عودته زهد بالعالم وسيم كاهناً ثم اسقفاً على بلدة سان مالو (Saint-Malo) ونظن ان الكتب طُبعت على نفقة المهدَى اليهم

وقبل الشروع بوصف رحلة اثناسيوس الى الشرق لابتياع الكتب لا بدّ من توطئة وجيزة وهي ان تلك الأيام كانت ايام غيرة على الكتب والآثار العادية فسعى الملوك والامراء والموسرون في جمع شتات المخطوطات القديمة وانشاء المكاتب والمتاحف يعتبرونها من اهمّ الوسائل لترقي المعارف والعلوم لا يبخلون بالذهب الرنّان في سبيل الحصول عليها حتى ان هذه الرغبة اضحت قاعدة او قل بالاحرى زيًا او « مودَة » — وهذا الزي — كان لا يتمّ الجاه الّا به فلا يخلو قصر او منزل رفيع من مكتبة او متحف يليق بثروة صاحبه وكل يسعى ان يفوق على معاصريه بتمثال بديع الصنعة او مجموعة مسكوكات نادرة او مكتبة تحوي اثار عتيقة جليلة . وكان الرهبان كالبندكتيين واليسوعيين وغيرهم في مقدمة الساعين في جمع الاثار التاريخية رغبة في نشر اعمال الاباء والكتبة الاقدمين من لاتين ويونان وغيرهم وقد سبقهم جميعاً الى هذا العمل في القرنين الخامس عشر والسادس عشر نيقولاوس الخامس في رومية والكردينال اليوناني بساريون في البندقية والامراء الديسيون (Médicis) في فيرنسة والملك الافرنسي فرنسيس الاول في فونتينبلو (Fontainebleau) قرب باريس فجرى الخلف على اثار السلف . ولما انتشرت الرسالات وزاد عدد المرسلين الافرنسيين في الشرق في الثلث الاول من القرن السابع عشر ازداد التحرّي للمخطوطات والمسكوكات وكثيراً ما كان الملوك والوزراء والجمعيات العلمية يطلبون الى القناصل والمرسلين ان يختاروا لهم من الاثار اجلّها لا يخشون بثمنها ولا يبخلون . نخص بالذكر لويس الرابع عشر والكردينالين ريشليو ومازاران (Mazarin) والوزيرين سيغيه وكولبر (Colbert)

وقد وجدنا في مخطوطات الوزارة الخارجية في باريس مفروضاً بالايتالياتية كتبه الخوري سركيس الماروني سنة ١٦٤٢ الى ريشليو اشترى الكتب السريانية والعربية من جبل لبنان كما انّنا قرأنا مراراً في رسائل المرسلين تلميحاً الى مشترى كتب مخطوطة في انحاء سورية لمكاتب اوربة . وقد تتابعت في القرنين السادس عشر والسابع عشر البعثات العلمية لهذه الغاية الى الشرق بهمة سياح ومرسلين لا يزال ذكرهم محفوظاً في

المكاتب العامة بالثناء نخص بالذكر بعض الفرنسيين مثل غلّان(Galland) والاب فانسلب (Wansleb) وبولس لوقا (P. Lucas) والخوري سڤين (Sevin) وفورمون (Fourmont) والآباء اليسوعيين بينيه (Besnier) وسوميه (Sou-ciet) وبسون (Besson) وهذا الاخير كان مرسلًا في حلب . فكانت نتيجة هذا السعي وهذه النفقات جمع كثير من الاثار التي يجدها الان الشرقيون والمستشرقون في مكاتب اوربة عموماً وباريس خصوصاً ولولا جمعها لأبادتها يد الزمان كما ابادت كثيراً غيرها وذلك لقلة اكتراث الشرقيين الاقدمين باثارهم وكتبهم

ولنعُد الآن الى رحلة الاب اثناسيوس فان سينيه رأى في الكاهن اليوناني رجلًا عالماً قديراً على انجاز مرغوبه في استجلاب المخطوطات اليونانية فارسلهُ سنة ١٦٤٣ الى القسطنطينية وزوّده بالف دينار (écus) مع رسائل التوصية الى السفير فسافر اثناسيوس وجعل يطوف الاديرة

قال السفير لاهي (La-Haye) في تاريخ سنة ١٦٤٤ : « ان الاب رومانوس الكبوشي الذي كان مزمعاً ان يسافر الى لبنان لمشترى المخطوطات قد منعه المرض عن السفر اما الكاهن الرومي (اثناسيوس) فاني بانتظار الكتب التي وعدني بها »

وبعد سنتين ارسل اثناسيوس الى باريس ٤٦ مخطوطاً اشترى اكثرها من قبرص وطنهِ وما لبث ان سافر الى جبل اثوس بامر الوزير مازاران لكنه لم ينجح في سفرته لان الرهبان على ما اخبر السفير ابوا تسليم الكتب بدون إجازة البستانجي باشي القائم على احوال الاديرة . فعاد اثناسيوس الى الاستانة بعد ان اقام اربعة اشهر في جزيرة لمنوس ثم عاود رحلته مصحوباً باجازة البستانجي باشي فطاف الاديرة واشترى نحواً من ١٥٠ كتاباً نفيساً . ولم يكن الوحيد في البحث عن المخطوطات فان البطريرك نيكون الروسي ارسل ارسانيوس سوخانوف الى اثوس لذات الغاية فاخذ نحواً من ثلاثمائة كتاب هي الان في لمكتبة المجمع في بطرسبورج . ولبث اثناسيوس مدة في تراقيا وتساليا ومقدونية وابتاع عدداً من الكتب عاد بها الى القسطنطينية وقد طالت سفراته مدة عشر سنوات . وفي سنة ١٦٥٣ اراد الذهاب الى رومية لتجديد الطاعة للحبر الاعظم فاعطاهُ السفير اجمل التوصيات مثنياً على ذكائهِ وهمّتهِ وذمتهِ . ونجده سنة ١٦٥٥ في باريس حيث طبع خمسة مجلّدات جدلية اهدى منها اثنين للكردينال مبادا

(Spada) واثنين لسيفيه وواحداً للملك لويس الرابع عشر

وكان قد احضر معهُ ١١٦ مجلّداً مخطوطاً اخذها سيفيه ووعده بقيمتها ولم يقم بالوعد لاسباب نجهلها فكان هذا الخلاف بينهُ وبين صديقهِ القديم سبباً لاحزانهِ في ايامهِ الاخيرة فتوفاه الله في باريس في ١٣ اذار ١٦٦٣ ولهُ من العمر ٩٢ سنة وورث سيفيه اوراقهُ وهي الان مع سائر المخطوطات اليونانية التي استحصلها وعددُها ينيف على الثلاثمائة في مكتبة باريس الاهلية ومكتبة سانت جنفياف . اما مواضيعها فهي الاسفار الالهية واعمال كثير من الاباء القديسين والكتبة اليونانيين المبرزين كيوحنا فم الذهب وباسيليوس وديونيسيوس الهليقرناسي وزوزيموس وديودورس وبوليبيوس وغيرهم

وهكذا اغتنى الغرب من كنوز الشرق ومع اسفنا لفقدان تلك المآثر من بلادنا نشكر الله على وقوعها في ايدي من قدّروا هنالك حقّ قدرها ولو بقيت في الشرق لذهبت ضحية الجهل او تقلبات الاحوال كما حدث لكثير غيرها من الكنوز العلمية والاثرية التي نجدها الآن في الغرب ولا نجدها الّا هناك . ويا حبذا لو جمع أولو الامر فتات الماضي الباقي في الزوايا او المعروض في الاسواق والّفوا منها مكاتب اهلية او طائفية لخدموا الدين والعلم والوطن افضل الخدم واشرفها

رحلة القس خدر الكلداني

من الموصل الى رومية وما جرى لهُ في طريقهِ وفي المدينة المقدسة (تابع)

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

وفي السنة ١٧٣٠ مات البابا بنادكتوس الثالث عشر يوم الثلثاء من اوّل اسبوع الصوم الكبير في ٢١ شباط فعملوا لهُ جنازاً فوق بالكابلّة اي في كنيسة سراية البابا (١ ثم نزّلوهُ الى كنيسة مار بطرس وكان المطارين يحملون التابوت فادخلوهُ الكنيسة بالصلوات وهو لابس لبس الكهنوت ووجههُ مكشوف ووضعوهُ في بيت السنطسو (٢

١) يريد المعبد الكنسي (La Chapelle Sixtine) البديع الهندسة والنقوش والتصاوير

٢) من الايطاليّة Santissimo اي القربان الاقدس ولهُ معبد خصوصي في كنيسة مار بطرس

اي بيت جسد الرب داخل درابزين الحديد وخلّوا رجليه خارجاً ليقبلهما الناس وتركوه مسمودًا ثلاثة أيام وكل الناس اتوا ليكرموه. واجتهدتُ انا الفقير القس خدر بان اقبل رجليه في تلك الأيام الثلثة فما قدرتُ من تزاحم الناس وخفتُ ان يدوسوني فامرت تحت ارجلهم. وبعد ذلك قبروه في الليل وعملوا لهُ كاتافلكو (catafalco) اي سريرًا شبه القبر او التابوت في وسط هيكل مار بطرس كان علوهُ مائة ذراع وطولهُ مع عرضهِ نحو خمسين ذراعاً وصوّروا فيهِ تصاوير وزيّنوهُ زينةً تخطف الابصار وهو من خشب وملفّف بكتّان وقماش ومحلّى بماء الذهب. وجعلوا عليه وحولهُ شموعاً ما لها عدد ولا حساب. وكان الكردينالية والمطارين يجتمعون حول ذلك القبر فيصلّون لراحة نفسهِ. وبقوا على ذلك مدّةَ ثلثة أيام واخيرًا فلّشوهُ (فكّوهُ) ورفعوهُ. وكانوا صرفوا عليهِ ازيد من عشرة الاف قرش

ثم فتحوا سراية البابا التي فوق كنيسة مار بطرس وبنوا فيها أوضات (غرفًا) من خشب وقماش للكردينالية وخسروا على ذلك البنيان نحو مئة الف قرش ودخلوا للقنقلاوي (١ المحبسة التي بنوها وسدّوا جميع الابواب عليهم لكيما يختاروا بابا جديدًا

واعلم الآن كيف يختارون البابا. اوّلًا يعملون قدّاساً في كنيسة مار بطرس على اسم الروح القدس لكيما هو الروح القدس يختار بابا قديساً بارًّا عادلًا صالحًا مستحقًّا لتلك الرتبة السامية. ثم يخرج الكردينالية بالزياح من كنيسة مار بطرس ويدخلون بالقنقلاوي ويسدّون الابواب كلها عليهم بالحجارة والكلس وما يخلّون غير الشبابيك مفتوحة ويقيمون عساكر تحت الشبابيك ينظرون لئلّا يرسل احد من الملوك او غيرهم مكاتيب بالخفية للكردينالية يقولون لهم: فلان نريدهُ بابا وفلان ما نريده. ويخلّون بابًا واحدًا من جميع الابواب غير مسدود لكنهُ مغلق مقفل لهُ مفتاح بيد الكردينالية ومفتاح من خارج بيد الوزير الاعظم وعلى ذلك الباب عساكر مسلّحة مزرّدة بلبس الزلوخ (الدروع) والحديد يحرسونهُ بالليل والنهار لئلّا يدخل احد عند الكردينالية ام يخرج الى ان تجتمع جميع الكردينالية الموجودين في بلاد النصارى

وعوضًا عن البابا يحكم كل يوم ثلاثة كردينالية ويدخل اليهم الوزير الاعظم

١) من الايطالية (Conclave) ومعناها المكان المقفل يسكنهُ الكرادلة معتزلين عن الناس ليختاروا الحبر الاعظم

ويتشاور معهم في الحكم ويضعون المشنقة في حرش كنيسة مار بطرس حتى اذا عمل احد ذنباً للحال يشنقونهُ لانهم يخافون ان تحدث فتنة في البلد من عدم الحاكم . ويبنون بنايات من خشب وعمائر على ابواب سرايات البلد وينصبون البيارق وتبقى العساكر مسلّحة ليلاً ونهاراً والطوبات والمدافع محشوّة بالبارود حول القامة (١ . والجند محصّنون البلد من جميع الاطراف من خوف الاعداء لئلاً يكبسوا البلد الى ما (ان) ينتخبوا بابا جديداً

امّا الكردينالية فانهم كلّ يوم يعملون قدّاساً داخل القنقلاوي على اسم الروح القدس ويطلبون من الله بالدموع والصلوات والخشوع ان يلهمهم (يهديهم) الى رجل قديس صالح بارّ ليصيّروهُ بابا . وبعد ان يكملوا صلاة الصبح يمشي كل كردينال الى قلّايتهِ ويتفكر في من ينتخب بابا ويطلب من الله ان يلهمهُ . ثم يجتمعون في قاعة كبيرة ويجعلون طاولة مثل الصفرة قدام الكردينالية وعليها اوراق مطبوعة فكل واحد من الكردينالية يأخذ ورقة من تلك الاوراق ويكتب اسمهُ فيها ويمرها داخلاً ويكتب اسماً آخر خارج الورقة ويمرها ثانياً ويقول قد اخترتُ الكردينال فلان فهو مستحقّ ان يصير بابا . وكذلك يصنع كل الكردينالية . ثم يجتمعون كلهم داخل كنيسة القنقلاوي ويأتون بزنبيل مغطّى بحرير وكل واحد من الكردينالية يتقدّم الى المذبح ويقوم قدّام الثرونوس امام جسد المسيح ويرفع يديهِ الى السماء والورقة بيدهِ ويقول : « يا الهي انا اعتقد واحقق كما في ذمّتي من غير رياء ولا أأخذ وجوه انّ هذا الكردينال المكتوب اسمهُ في ورقتي يستحق ان يكون وكيل مار بطرس ونائب المسيح وان يحكم على سائر المسكونة عوضاً عن المسيح » . وهكذا يصنع كل واحد من الكردينالية ثم يرفع غطاء الزنبيل ويرمي مكتوبهُ . ثم يتقدّم الوزير ويكشف غطاء الزنبيل ويخلط المكاتيب كي لا احد يعرف مكتوبهُ ثم يقوم ثلاثة كردينالية قدام الجميع ويفتحون المهر الفرقاني الذي فيهِ اسم البابا المنتخب وجنبهم يازجي (كاتب) يدوّن الاسماء . وهكذا يفتحون كلّ مكتوب بالتبعيّة فاي كردينال طلع اسمهُ اكثر من ثلثي الكردينالية فذلك يصير بابا . مثلاً اذا كان عدد المنتخبين ستين كردينالاً يكون البابا ذاك الذي طلع اسمهُ ٤١

١) اي قلعة سنت انجلو (Fort S'-Ange) التي في وسط المدينة

مرّة أما اذا طلع اسمهُ ٣٩ مرّة فقط فلا يصير ويعيدون الانتخاب بعد حرق المكاتيب كلها لئلا يفتحها احد ويبصر اسامي الكردينالية الذين انتخبوا البابا فيصير من قبل الملوك عداوات على بعض المنتخبين ويبقى الانتخاب بتمام الحرّية دون مداخلة الملوك لأنّ انتخاب البابا ما هو تحت حكم السلاطين لكن تحت حكم الروح القدس وارادة الكردينالية . وكل يوم يعيدون الانتخاب مرّتين يصنعون هذا الامر ويحرقون المكاتيب الى ان تتمّ الشروط ويصير لاحدهم اصوات ثلثي الكردينالية . ويقام وكلاء على الكردينالية يحكمون عليهم وبعدما يحرقون اوراقهم يمشي كل واحد الى قلّايته ويقفلون عليهم لئلا يجتمع ناس مع ناس ويصير بينهم مخالفة واحزاب ويتعطّل امرهم . وكل يوم صباحاً يخرج جميع الرهبان الذين في المدينة بالزّياح من اديرتهم ويحملون سناجقهم ويصلّون في الطريق بانغام حسنة حتى يبلغوا سراية البابا ويتقدّمون قدّام القنقلاوي ويدخلون في باب كنيسة مار بطرس ويتوسّلون الى الله كي يقيم عليهم ابًا صالحاً رحوماً بارًّا . وكذلك تعمل جميع الاخويّات . وانا الفقير القس خدر كنت امشي مع اخويّة ترينيتا اي الثالوث الاقدس

ثم وقت الغداء والعشاء تجيء خدّام الكردينالية راكبين على الكرُوسات والعربانات وحاملين طعام الكردينالية فيجيئون الى الدواليب الفاتولة ويدخلونهُ منها للكردينالية لانهُ ما في موضع آخر لذلك اذ كل الابواب مسدودة بالحجر والكلس . وعلى كل فاتول او دولاب يجلس واحد من حكّام البلد ومطران وعساكر ويفتحون كل اوعية الطعام لئلّا يكون فيها مكاتيب حتى الخبز يقشّرونهُ وهكذا يصنعون كل يوم . وانا لمّا كنتُ امشي الى مكتبة مار بطرس واعلّم الكتابة لاسطفان ابن اخت الخوري يوسف الماروني (اي الشمّاني) كاتب البابا كنتُ اتفرّج عليهم (١

ثم بعد ما قضوا في القنقلاوي ازيد من اربعة اشهر انتخبوا اليوم ١٩ من تموز الكردينال كورسيني (Corsini) رئيس اخويّتنا الثالوث الاقدس وصيّروهُ بابا

فلاوقت طلع كردينال من الشبّاك الذي على ارواق مار بطرس وقدّامهُ صليب والوزراء حولهُ وكان خلق كثير قدّام الارواق في حوش مار بطرس ينتظرون نتيجة

١) قد خصّصنا في المشرق (٦ : ٦٧٨ و ٧٢٧) مقالتين لوصف الرتب الجارية عند موت البابا وانتخاب خلفهِ

الانتخاب فصرخ الكردينال بصوت عظيم وقال: « ابشركم بان فلان صار بابا ». وكان في يده اسم البابا مكتوباً فرماهُ من يده وكل من تعلق الورقة بيده يأخذها ويذهب يبشر اهل البابا فيأخذ منهم دراهم كثيرة كحلوانه

ثم فتحوا القنقلاوي وتزلوهُ بزيّاح وبهجة محمولاً على الكرسي الملكي واجتمع كل البلد الوف وربوات صارخين: « يعش البابا يعش البابا » حتى وصل صريخهم الى السماء. وما كان اعظم من تلك الفرجة وادخاوهُ الكنيسة وحولهُ العساكر مزرّدة بالحديد والزلوخ والارماح بايدي بعضهم وفي ايدي غيرهم السيوف المسلولة. وكان الكردينالية والمطارين ماشين بالزيّاح قدّام البابا الى ما (ان) وصلوا الى المذبح الكبير الذي على قبر مار بطرس ووضعوا كرسيهُ قدّام الثرونوس العالي ليشاهدهُ جميع الناس وجاءت كل الكردينالية فقبّلوا يديه ورجليه وتصافحوا معهُ وجاءت الاساقفة والمطارين والبطاركة فقبّلوا رجليه وركبتهُ فقط. وكان النغمون يرتلون انغاماً تقيّة غاية ما يكون ودعوا اسمهُ قليمنضوس الثاني عشر. ثم اخيراً بارك الشعب وانصرفوا

واعلم ان الكردينالية عند ما يختارون البابا يرسمونهُ في داخل القنقلاوي اسقفاً على رومية. ثم عندما ينزلونهُ الى كنيسة مار بطرس ويجلسونهُ على الكرسي يصيّرونهُ بطركاً على ايطالية ويضعون على راسه تاجاً من ذهب مقرّناً. ويوم الاحد التالي ينزل البابا فيقدّس في مار بطرس بزيّ بطرك. فيضعون فوق راسه خيمة من ذهب يحملها اثنا عشر رجلاً ويحمل ايضاً كرسيهُ اثنا عشر رجلاً والكرسي من ذهب فيدخلونهُ الكنيسة ثم يجارونهُ الى رواق الهيكل بالصارات والزيّاح ويضعون على راسه تاج البابويّة المدوّر المنسوج من اللؤلؤ وفيه جواهر ما لها ثمن وهناك يصيّرونهُ بابا على كل المسكونة كأنهُ نائب المسيح وخليفة مار بطرس الجالس على كرسيه. ثم تجتمع الخليقة كلها في حوش مار بطرس الذي يسع الوفاً وربوات فيصرخون صرخة عظيمة تصل الى السماء: « يعش البابا يعش البابا ». ثم يبارك عليهم ويصرفهم. فهذه بالاختصار العادات الجارية في انتخاب البابا

ثم في اليوم التالي يطلع البابا من سراية مار بطرس ويسير الى سرايته الرسولية مال البابويّة التي في مونطي كوالو (Monte Cavallo) اي تلّ الخيل (١ ويمشي

١) يريد قصر الكويرنال الذي اغتصبهُ الطليان واسكنوا فيه الملك

بالزيّاح والهلاي (١ والطبلخانات خلفهُ والسباهيّة (Spahis) والاغاوات والقضاة قدّامهُ والوزير الاعظم قدّام كرُوسه. وتمشي حولهُ العساكر بالملابس الفاخرة والسيوف المسلولة والرماح والزلوخ ويزيّنون قدّامهُ الطريق والطاقات وينشرون على البيوت اقمشة الحرير ويصير هلاي اكبر من الوزير الاعظم

ثم بعد كم يوم يطلع من مار بطرس فيسلمون لهُ مفاتيح الكنيسة من ذهب كأنهُ نائب المسيح وكما سلّم سيّدنا المسيح المفاتيح لمار بطرس ثمّ يطلع بزيّاح وهلاي اكبر من الاوّل. ثم يركب حصاناً ابيض بحلي فاخر وهو لابس حريرًا ابيض والكرديناليّة حولهُ يركبون على بغال حمر وهم لابسون الاحمر ثم يُعدّي الى كبيدوليو (٢ اي بيت الحكم فالوزراء والقضاة يسلّمون لهُ مفاتيح المدينة ويعتزلون عن الحكم. ثم يمشي الى كنيسة السنجولن التي فيها كانت سراية قسطنطين الملك على رأسهِ تاج الملك الكبير (tiare) اشارة الى كونه سلطان الدنيا يقدر يعزل الملوك وينصبهم (٣ فيثبت حكمهُ روحانيًا وجسدانيًا. وهذا الزيّاح الاخير يصير مثل زيّاح السلاطين ففي عبورهِ يسجد لهُ كل من حضر من نصارى ويهود وهراطقة واهل بقيّة الملل. انتهى انتخاب البابا

وفي ٣١ من تموز الواقع فيهِ عيد مار اغناطيوس مؤسس الرهبنة اليسوعيّة دخلتُ الى كنيسة الجيسو (Gesù) اعني يسوع وشاهدت صورة القديس فوق المذبح معمولة بالفضة والذهب والجواهر وحولها اربعة اعمدة من لازورد تساوي اربعين الف قرش (٤ ويساوي النقش الذي حولها ستين الف قرش. وطلعتُ الى قلاية القديس فابصرت فيها ذخائر وجواهر ما لها ثمن وفيها مذبح ملبّس بالدرّ واللؤلؤ والمرجان والزمرد والعقيق وصور مختلفة من جواهر وشمعدانات من عقيق لا يوجد في الدنيا لا في الهند ولا في السند ولا في الترك ولا في العجم شبه تلك الصناعة وتلك الجواهر فانها شيء يدهش العقول ويحيّر الابصار

وبعد ان جلس البابا قليمنضوس على كرسي مار بطرس بشهر عمل زيّاحاً عظيماً اجتمع لهُ جميع الرهبانيات بسناجقهم فقدّس اولًا في كنيسة الجرتوسين(Chartreux)

١) الهلاي كلمة فارسية يراد بها التهلّل وصوت الفرح

٢) لفظة مصحّفة من كابيتوليو (Capitolio) ٣) في هذا القول مبالغة

٤) سبق انّ القرش كان يساوي في ايّام القس خدر نحو الريال المجيدي

اعني الرهبان الساكتين ثم خرج من الكنيسة بالزياح ودخلوا في البستان الذي بقربها وهو كبير بمقدار الفي ذراع طولاً بعرض ومشوا بالصلوات والبابا ملثم يصلي المسبحة وخلفهُ الكردينالية والمطارنة وطلعوا منها ودخلوا كنيسة سانتا ماريا ماجور وهناك بارك البابا على الشعب ومنح غفرانًا كاملًا لمن يصوم ثلاثة أيام ويزور كنيسة مار بطرس او السنجوان او سانتا ماريا ماجور ويعطي صدقةً للفقراء كل واحد على قدر حالهِ ويدعو للبابا ليمنحهُ الرب نعمةً ويحلّ عليهِ روح القدس ويعطيهِ التوفيق في الحكم ليحكم بالعدل والانصاف ولا يرسم اساقفةً او كهنةً الّا الذين يستحقّون ويجعل في أيامهِ الصلح والسلام بين الملوك المسيحيين ويرتدّ في أيام رئاستهِ المراطقة الى الايمان المستقيم والحنفاء والكفرة الى ايمان المسيح. وهذه الباعوثة يصلّيها اهل رومية بشوق ثلاثة أيام ويقضونها بزيارة الكنائس الثلث المذكورة واعطاء الصدقة وينالون فيها غفرانًا كاملًا عن جميع خطايا حياتهم حتى اذا مات منهم احد في هذه الأيام يتوبة صافية يسير الى ملكوت السماء دون ان يجتاز بنار المطهر. وكلّما يصير بابا جديد يمنح مثل هذا الغفران

وبعد ذلك بمدّة شهرين آخرين اي في الاحد الثاني من قدّاس البيعة (الواقع في تشرين الثاني) صار زياح البابا الاخير من مار بطرس الى السنجوان فزيّنوا الطريق كلّهُ والطاقات والجدران بالحرير والديباج وفي كباوجينا (١ عملوا قنطرة كبيرة في الساحة وصوّروها صورًا مختلفة بماء الذهب صرفوا عليها ازيد من ثلاثة الاف قرش حتى يدخل فيها البابا بالزياح وما خلف القنطرة المذهبة في الطريق الذي يؤدي الى سنجوان زيّنهُ اليهود بالاقمشة وكتبوا في الاوراق كلمات عبرانيّة من التوراة لمدح البابا ليديم الله دولتهُ. ولما مرّ البابا كان اليهود جميعهم قائمين وهم لابسون ثياب الاعياد فخرّوا ساجدين امامهُ صارخين: ليعش سلطاننا البابا. وكان البابا جالسًا على كرسي ذهب يحملهُ حصانان ابيضان والسياسيّة والكوليريّة والبرنجية (٢ اعني الاغاوات والامراء قدّامهُ راكبين على خيل وواحد ماسك الصليب قدّامهُ وفي جانبهِ شيخ مشايخ رومية اعني الوزير

١) بالايطالية (Campoceno)

٢) الكوليريّة (cavalieri) اي الفرسان والبرنجية اي الامراء (principi)

الاعظم ولما طلع الى كبيدوليو (١ اي دار الحكم سلّم لهُ الوزير مفاتيح البلد الواحد من فضة والثاني من ذهب في صينية ذهب فأخذهما البابا ثمَّ اعطاهما اياهُ ليتسلم الوزارة. فحينئذ ضُربت المدافع ودُقت الابواق وكانت العساكر كلها خلف البابا: اوَّلاً الجواويش لابسين الاحمر وعلى رؤوسهم الريش وكانوا راكبين الخيل وهم في غاية الفرح. ثم وراءهم فرق اخرى لابسين ازرق وفي ايديهم السيوف المسلولة . وخلفهم السولدات (soldati) اي العسكرية (٢ والاجناد ماشين وبايديهم التفنكات (٣ كل جوقة بجوقتها وكان عددهم نحو ثمانية آلاف. وكان الكردينالية راكبين على بغال خلف البابا. ثم جاء البابا ودخل السنجوان ووضعوا على رأسه تاجاً من لؤلؤ مرصعاً بجواهر وحملوهُ على الكرسي وزيَّحوهُ في الكنيسة واعطوهُ مفاتيح الكنيسة مفتاحاً من ذهب ومفتاحاً من فضة كأنهُ صار اسقفاً على تلك الكنيسة وهي رأس كنائس رومية. فلاجل ذلك كل مرة يصير بابا جديد يجعلونهُ اسقفاً عليها كما يوكّل البابا كردينالاً او مطراناً على بقية الكنائس فاذا تعيَّن الكردينال على كنيسة يسلّمونهُ مفاتيحها فيبقى يحكم عليها ويعزل وينصب اما كنيسة السنجوان فما يحكم عليها غير البابا لانهُ اسقفها

سلطنة التعليم المسيحي

ويوم الاحد الثاني من الدنح (اي الغطاس) يجيء سلطان البراطور (٤ اي سلطان متعلمين التعليم المسيحي. وذلك ان كل خوري برو كيان (٥ يجمع ابناء رعيَّتهُ المتوكل عليها فيجمع البنين والبنات ليعلّمهم اصول الدين وذلك يوم الاحد في الساعة الواحدة بعد الظهر فالبنون لهم معلّمون قسوس وشمامسة والبنات لهنَّ معلّمات نساء اصحاب اسكول يعلّمنهنَّ وينصبون في الكنيسة برده (برداية اي ستاراً) بين البنين والبنات

وفي كل سنة يعملون مجمعاً من اساقفة ومطارين ومونسنيورين وعلماء وفلاسفة ورهبان ويجمعون الاولاد الشاطرين غاية ما يمكن من كل مدينة رومية يجمعونهم في

١) اي كابيتوليو (Capitolio) كما سبق

٢) من الفارسية ومعناها الجنود وهي في الاصل حرس الكلاب وبما عرف البنكشارية

٣) التفنكة لفظة تركيَّة معناها البندقية والبارودة

٤) كذا في الاصل وهو تصحيف امبراطور (imperatore)

٥) من الايطالية (parrocchiano) اي خوري رعيَّة

الكنيسة التي في مدرسة الحكمة اعني كُليج سابينا (Collegio della Sapienza) ويقف هناك قوم من الاجناد والعساكر ويدخلون الاولاد الذين اشتهروا بشطارتهم مقدار مائتي ولد ليختاروا واحداً يقيمونهُ سلطاناً على كل اولاد رومية وقبل ان يبتدئوا يجيء فرمان من طرف المجمع المقدس فيطالع واحد من الاولاد ويقرأه امام الكل وفيهِ مكتوب: « انظروا بان تقيموا سلطاناً الذي يغلب كل الاولاد بالمجادلة واعملوا بالحق والعدل ولا تنظروا الى وجه الغني وترذلوا المسكين ولكن يكن الكل الشريف والدنيء بالسواء »

ثم يقيمون الاولاد امام المعلمين وكل واحد بيدهِ كتاب التعليم المسيحي فيجادلون الاولاد ويحزرونهم ويقولون لهم رأس الاصحاح فيتمسون باقيهُ عن ظاهر القلب ويحضُّون الاولاد على ان يعترضوا بعضهم على بعض فكل من غلط ليس بكلمة فقط ولكن بحرف واحد يدفعونهُ الى خلف لكنَّ الاساقفة المتوكلين يعطونهُ حلواناً من الصور والايقونات ويصرفونهُ . وكلما قلُّوا يزيد جزاؤهم الى ان يبقى خمسة فالذي يغلب بينهم ذلك يملك السلطنة ويصير الاربعة الآخرون وزراءهُ واكابر دولتهِ

ويكون في ذلك الوقت السلطان العتيق الذي كان ملك في العام السابق حاضراً في الكنيسة وعليهِ لباس الملك وهو جالس على كرسيهِ . فعند ما يملك الجديد يجيء الملك العتيق ويرفع التاج عن رأسهِ ويجعلهُ على رأس خلفهِ وكذلك يعطيهِ قضيب الملك من الذهب ويناولهُ السيف ويتقدَّم الاسقف ويعلق على صدرهِ صليباً من ذهب . وفي تلك الساعة تضرب الطباخانة ويهتفون بالابواق ويصير ضجَّة عظيمة في الكنيسة ثم يجلس الملك على الكرسي ويبتدئون بالصلاة والترميز والتربيح ثم يخرج الملك مع وزرائهِ ويركب على كروسة اي على الهودج ويمضي الى عند البابا ليقبِّل يديهِ فيتمم عليهِ البابا باشياء كثيرة من ذخائر فضَّة وذهب ثم يمضي ايضاً الى عند الكردينالية فيتممون عليهِ ويصير حاكماً على الاولاد طول السنة وكلامهُ مقبول عند البابا حتى اذا احتاج احد الى امر عند البابا يقدر ان يقضيهُ لهُ . ويعطيهِ البابا فرماناً يجعلهُ شريفاً حتى اذا عمل في كبرهِ خطأً يستوجب القتل والصلب يصفح عنهُ مرَّةً وان عاد يُقتل سراً كالاكابر لئلَّا يصيبهُ فضيحة قدَّام الناس

وفي آخر يوم من سنة ملكهِ يلبسونهُ لبس الملوك والتاج على رأسهِ ثم يمشي قدَّامهُ

عساكر متسلحة كلهم اولاد صغار ويجيء هو راكباً على الكرّوسة ويدخل الكنيسة التي بقرب الكامره الوطني (Camera dei Monti) التي هي بيت خزانة الاموال ويقال لها بيت الرحمة. فيعملون لهُ منبرًا في الكنيسة ويطلع يجلس عليهِ مع الوزراء والخيمة على رأسهِ فوقها بيرق وهو لابس كلبس سلطان النمسا (١ ويسمع القدّاس الكبير في نصف النهار وعندما يقرأ الكاهن الانجيل يقوم عن الكرسي ويسلّ سيفهُ مشيرًا بذلك الى انهُ ناصر الانجيل امام غير المؤمنين. ثم يصير الزيّاح فيسجد الجميع سواه فانهُ يقوم ويخترط سيفهُ ويمسكهُ بيدهِ مسلولا كناصر ايمان المسيح ضدّ الكفّار وفي ختام القدّاس يطلعون حول الكنيسة ويزيحونهُ مع جموع كثيرة والاساقفة خلفهُ وهو لابس لبس الملوك ويسير وراءهُ حاجب يمسك ذيل البرفير الذي عليهِ ويركب اخيرًا عربانة ويمشي ليتغدّى ويعدّون لهُ غداء كالملوك. والمساء يجيء الى كنيسة سابينا كما ذكرنا ويعملون سلطانًا جديدًا. وهذه قصّة الملك ابصرتُها بعيني انا الحقير القس خدر في بلد رومية. والبابا يعطي تذكرة لابي السلطان اذا اشترى لحمًا طول السنة التي يكون فيها ابنهُ سلطانًا ليتهاود معهُ القصّابون فيعطونهُ انقص مما يشتريهِ الناس. وهذا سلطان التعليم المسيحي في كل يوم احد طول السنة يلبس لبس الملوك ويجلس على كرسي في كنيسة معلمهِ التي تعلّم فيها عندما يجتمع الاولاد الصغار ويجادلون في التعليم المسيحي ليبصروهُ ويتنشطوا بمثلهِ على الدرس (التتمة لعدد آخر)

المناديل الدمشقية في الآثار الشامية

للاب سليمان غانم اليسوعي (تتمة)

١٩ في العنب

في الزبداني وبساتين دمشق ١٨ صنفًا من العنب:

١ (الزيني) وهو ابيض وطويل وكثير وهو عنب داريّا الشهير (العنب الدارانيّ) يباع قنطارهُ من ١٥٠ الى ٣٠٠ قرش

---

١) يشير الى ما خُصّ بهِ سابقًا ملوك النمسا من المُلك الروماني الذي كان الاحبار الرومانيّون يقلدونهم اياهُ

٢ (الاحمر الجبيلي) وهو عنب دوما الشاميّة وليس منهُ في لبنان وهو ينضج في آب ويدوم الى اوّل كانون . رطلهُ بقرش

٣ (العاصمي الحلواني) يقال لهُ القرشي لانهُ « يقرش » بين الاسنان وهو احمر وعنقودهُ كبير وحبُّهُ كبير ايضاً ومتفرّق ومدوَّر (مدعبل) مثل الكرّة (الكلّة) الحجريّة التي يلعب بها الصغار . ويُرسل الى الجهات واذا عُلّق في البيوت بقي نصف سنة دون ان يذبل . وبعد سنة يجفّ قليلاً ويؤكل كانهُ قُطف حديثاً ولا يصلح للزبيب والدبس والخمر والعرق . ورطلهُ يساوي من ٣٧ الى ٦ ق

٤ (العُبَيْدي) وهو ابيض وتحمل جنتهُ كثيراً . ترد منهُ القناطير من زحلة الى دمشق . والقنطار في موردهِ ٢٥٠ ق

٥ (القاري) هو اسود وحبُّهُ اكبر من العبيدي . ورطلهُ قرش الى ١٧ . وقيل لي في قارا انّ الاسود يُقسم عندهم الى « مريمي » وهو اجود اصنافهِ والى « جماليس الكلاب » ولهُ حبّ اسود وحب احمر وحب حصرم اخضر وهو دون

٦ (مخّ البغل) هو اسود ايضاً لكن حبُّهُ صغير ولهُ عنقود كبير ويصلح للخمر

٧ (البعلبكي) حبّتهُ نصفُها احمر ونصف الآخر ابيض وهو يصلح للاكل

٨ (الخُنَيْري) اذا نضج يبقى منظرهُ اخضر كالحصرم الّا انهُ لذيذ

٩ (بيض الحمام) وهو لا ابيض ولا احمر بينَ بين وطعمهُ طيّب

١٠ (المسكاوي) دُعي بذلك لأنّ فيهِ طعم المسك

١١ (بزاز الكلبة) لهُ حبة طويلة ودقيقة

١٢ (اصابيع العروس) يكون على شكل العنب الزيني وانّما قشرتهُ اسمك منهُ

١٣ (العاصمي الكذّاب) يكون حبهُ متجنّحاً وعنقودهُ اظرف من الحلواني لكنّه دونه حلاوةً

١٤ (القاصوفي) هو الذي يقال له في زحلة « اشكال » ودُعي بالقاصوفي لسهولة انقصاف عنقودهِ

١٥ (البقاسميّ) هو ابيض طويل الحبّ يكثر في مجمدون (لبنان)

١٦ (الدَّرْبَلي) هو ابيض حلو طويل الحبّ خفيف البزر واكبرهُ في دربل

ومنه يصطنعون الزبيب الدربلي الشهير خصوصاً في جارود والرحبية ويُباع قنطار زبيبه من ٤٠٠ الى ٥٠٠ ق

١٧ (الشتويّ الابيض) حبهُ صغير كالعبيديّ وهو حلو وقاسٍ كالحلواني ويقطف قبل تشرين الثاني ويبقى طريًا لا يذبل طول الشتاء ورطلهُ قرش

١٨ ـ (المحتاويّ) هو ايضاً شتوي ويقطف بعد عيد الصليب ويباع من كانون الثاني الى اوائل نيسان وهو اكثر واغلى من السابق ورطلهُ من ٣ ق الى ٦

ويتخذون من العنب الدبس وهو نوعان (الزبيبي) وهو دبس القرى الشامية الى الزبداني ويصنع منهُ زبيب العنب الاحمر (والعنبيّ) وهو دبس الزبداني وما وراءها ويصنع منهُ عصير العنب الاخضر . وقد ذُكر الدبس في سفر التكوين (٤٢ : ١١) حيث اوصى يعقوب بنيه بان يقدموه الى يوسف في جملة الهدايا

امّا الكرمة فقد ورد ذكرها في الكتاب الكريم مع ثمرها وعصيرها نحو ٤٠٠ مرّة وهي الشجرة الوحيدة التي ذُكر غرسها (تك ٩ : ٢٠) على يد نوح وتعدّدت اوصافها في الاسفار المقدّسة واوصاف خمرها . وكفاها فخرًا انّ السيد المسيح شبّه ذاتهُ بها اذ قال : « انا الكرمة وانتم الاغصان (يو ١٥ : ١) وكفى عصيرها مجدًا ان المخلّص لذكره السجود جعل الماء خمرًا في اوّل آياته في قانا الجليل (يو ٢) وقد شربها وسقى منها تلاميذهُ الاطهار في العشاء السرّي (لو ٢٧) ثمّ حوّلها الى دمهِ الزكي قائلًا (مت ٢٦) : « اشربوا هذا كلّكم لأنّ هذا هو دمي للعهد الجديد » .

ومن غريب ما ذُكر في سفر المكابيين الاوّل (٦ : ٣٤) انّ المحاربين كانوا اذا ارادوا تهييج الفيلة يُرونها عصير العنب والتوت . وممّا خصّهُ الكتاب بالذكر كروم دمشق (يهوديت ٢ : ١٧) وخمر حلبون (حزقيال ٢٧ : ١٨) . امّا اليوم فلا تجارة في دمشق للخمر . ويزهر العنب في نيسان ويؤكل بعد شهرين واطيبهُ في آب ومنهُ المثل : « في آب . اقطف العنقود ولا تستهاب » . امّا مناديات الباعة على العنب فهذه اشيعها :

« يا سال داريًا يا زيني — عنب الزين دوالي . دخلك يا والي . دوا لي — مال دوما هالاحمر — دراقن قلب هالعنب الاحمر — الاحمر دبّاس والزيني الماس — هذا حلواني يا بعلبك . هذا حلواني يا معلّل اكاه — حطّ كرلك (انكزلك العوينات) ونعا شوف هالعنب حطّ — تودّع من العنب تودّع . دبّس العنب . هدّوا خيامه . يا حينه يخلص » .

ويقولون في اكله: « حبّه وحبّه اكل العنب . تنتين تنتين حشه وادب . تلاته تلاته اكل الدبب »

وينادون على الزبيب: « دربلي يا زبيب . يا موّانه عالزبيب . بلا بزر ياقشلميش(١) »

٢٠ العناب

تزهر شجرتهُ في أيار . ويؤكل اخضر في تموز واحمر في ايلول وهو قليل . تباع اوقيّة الاخضر ٢٠ باره والبالغ من قرش الى ١٧ . والمناداة عليه: « عنب عنّاب وهديّه للاحباب »

٢١ القجلجق

هو ثمر يشبه البلح وطعمهُ لذّاذ لا حامض ولا حلو يأكلونهُ بلا سكّر او معقودًا به وينادون عليه: « للمعقود يا قجلجق »

٢٢ الجوز الهندي

ينادون عليه: « يا الله عالهند — يا مال الهند — الهند بلاده — عاود حمل جوز الهند — يا الله عالمكسّر يا جوز الهند — تعوا خذوا من الثلاثين للستين » اعني انّ الجوزة تباع من ٣٠ بارة الى ٦٠ بارة . واوقيّة الجوز الملبس ٦٠ باره

والجوز الهندي اذا أُفرغ من ثمره يُتخذ لشرب التنباك فمنهُ النارجيلة باسم شجرة النارجيل وهي شجرة الجوز الهندي

معظم الاثمار السابق ذكرها تجنى في دمشق الّا الجوز الهندي . وقد يباع غير ذلك في اسواقها ممّا ينمو في بلاد شتى كالبلح والنخل والموز والانكدنيا فنكتفي بما سبق خوفًا من الاطالة المملّة (٢

صناعة الطوب والقرميد

للدكتور توفيق سابه

يقول المثل الافرنسي: « ما من جديد تحت الشمس » ومن ينكر حقيقة الامثال

---

١) القشلميش زبيب صغير اشقر لا بزر لهُ يرد من الخارج والبعض يضعونهُ في المطبوخات

٢) للمستشرق القنصل الالماني في دمشق الدكتور وتستين (Dr J. G. Wetzstein) مقالة كلّها فوائد في اسواق دمشق وعادات اهلها نشرها في المجلّة الاسيويّة الالمانية Der Markt in Damascus. ZDMG, XI, 475-525

وما تحويه من الحكمة ... لاريب بان الكثيرين من القرّاء سيستغربون استهلال مقالي بمثل هذا الكلام ولكن من يصحبني في بحثي هذا حتى النهاية يتأكد صدق العبارة ويكرّر معي انهُ حقيقةً ما من جديد تحت الشمس

اوقفني امركيٌّ صديق والدي في احدى المجلّات العلميّة على مقالٍ صغير كلّه فائدة فاحببت سرده هنا مفصّلاً نظرًا لعلاقته بشرقنا المحبوب وعظيم اعمال اهله القدماء فهو على ظني لأجدر بالمطالعة من حوادث السياسة العقيمة الفائدة التي تكثر منها جرائدنا العربية . ومداره على صناعة الطوب والقرميد وتاريخ هذا الاكتشاف

تلك القطعة الترابيّة التي اصبحت في ايّامنا هذه تحفظ راس المثري في قصره الفخيم كما تقي الفقير المسكين في كوخه الحقير من حرّ الصيف وقرّ الشتاء . تلك القطعة المختلفة الحجم واللون باختلاف البلد وتربته والتي كثر انتشار نوع منها في لبناننا خصوصاً حتى في اعلى جباله فزادت دوره جمالًا وأضافت على رونق طبيعته وبديع مناظره ثوبًا جديدًا هي اقدم مما نظنُّهُ اذ يرجع اختراعها لابناء الشرق . هي الحاجة ام الصدفة التي اولدت هذه الحجارة الاصطناعيّة منذ نحو ٦٠٠٠ سنة وقد تأكّدت حقيقة الامر مؤخّرًا البعثة الامريكية من الآثار والكتابات القديمة التي وجدوها في خربة مدينة يسميا القديمة من بلاد ما بين النهرين وكلها تدلّ على ان الكلدانيين اول من استعمل الخزف (الفخار) لبناء دورهم بشكل يختلف طبعاً عن الشكل المعروف اليوم وكان ذلك قبل المسيح بالوف من السنين . ولا غرو فانَّ مدير البعثة المذكورة يقول انهُ لا يُستغرب ان تكون وُلِدَت صناعة الطوب في تلك السهول الواسعة التي تمتدّ ما بين دجلة والفرات حيث لا صخر يوجد وما للحجارة من أثر . وقد حققت قولهُ كثرة الآثار الموجودة . اما القرميد فكان اذ ذاك بيضي الشكل اوّلًا ميبساً بحرارة الشمس ثم اصبح بعد مدات مربعاً كما يستعملهُ اليوم عرب البادية واهل البلاد الشرقية كالبك والبقاع وحماة الخ ... ولم يكن يُستعمل لبناء الأكواخ فقط بل كانت تُبنى بهِ القصور والمعابد الدينية ولذلك قلتُ انَّهُ ما من جديد تحت الشمس حتى ولا الطوب ايضاً انما الجديد هو الشكل والهيئة واللون . اما « الماركة » فاسمها فقط جديد وصانع القرميد والطوب الحديث يتقلّد بدون ان يشعر ما قد سبق وعمله سلفهُ الكلداني منذ ستّة الاف سنة . وقد عرفت البعثة نفسها ان الماركة الاولى التي استعملها الكلدان لم تكن سوى اثر الاصبع الأبهام

لكنهم اخذوا مع انتشار استعمال الطوب ينوّعونها ويكيّفونها حتى اصبحت كعلامة مميّزة لكلّ سلالة ملكت. وبكرور السنين اختلف شكل الطوبة ايضاً مع اختلاف طبقات الشعب لان الملوك وعظماء البلاد اختصّوا نفوسهم بشكل واستعمل الشعب شكلاً آخر. فالماركة وجد منها غير الاولى التي ذكرناها بهيئة خط بسيط وهذه مع تلك هي اقدم ما تحقّقتهُ البعثة ثم مع تغيير الهيئة الملكية تغيّرت العلامة فمنهم من أضاف الى الخطّ البسيط خطاً وخطّين عامودين ثم افقيين ثم خطوطاً موروبة الخ

وفي سنة ٣٨٠٠ ق.م. امتلك الساميون بابل فاصطنع ملكهم سرجون طوباً خصوصياً لبناء قصره وامر بطبع اسمه والقابه الملوكانيّة عليها كعلامة مميّزة وهكذا صنع من بعدهِ خلفهُ الى ان تبوأ العرش الملك العظيم نبوكدنصر الشهير فأنقص حجم الطوب وختمهُ باسمهِ واتّخذهُ لبناء قصرهُ الفخيم وهياكل بابل العظيمة

ولم تقف الهندسة القديمة عند هذا الحدّ بل كان الإتقان يزداد مع السنين حتى انهُ في سنة ٢٨٠٠ ق.م. اخذ البابليون يصطنعون قرميداً خصوصياً لبناء اعمدة الهياكل وزخرفة جدران القصور وعمل النوع المعروف اليوم بالكورنيش. اما الجفصين والطين فكانا مجهولين وبقي الطوب يبنى بدون مادّة غريبة حتى ار بعين جيلاً ق.م. حيث ابتُدئ باستعمال نوع من الزفت كانوا يلتقطونهُ من جوار نهر الفرات ولم يعرف الكلس الّا بعد مئات من السنين على ايّام الملك نابوبولاصار او قبلهُ بقليل

هذا ملخّص ما قرأتهُ في المجلّة الانكليزيّة عن بعض اعمال اهل الشرق ومنهُ يتّضح ان صنع الطوب (او القرميد الذي ليس هو الّا زيادة تفنّن) هو صناعة شرقيّة وطنيّة. ويستدل لنا من هذا الاكتشاف وسواه انهُ يمكننا بالاجتهاد والدرس ان نجاري اهل الغرب بكافّة اعمالهم

هذه صناعة من مئة يمكنها ان تشغل الألوف من العملة وتدرّ المال الكثير على الاغنياء لو أُتقن العمل واستوفيت الشروط المطلوبة من هؤلاء ومن الحكومة. فيُفرض على هذه زيادة الرسم الجمركي على ما يرد الينا من البضاعة الاجنبيّة من صنف القرميد والطوب وتسهيل العمل على مباشريهِ وتنشيطهم بالمساعدة المعنوية. امّا العملة فيترتّب عليهم اتقان صنعهم بعد درسهِ اصولياً والثبات على العمل

كتاب الهَمْز

عن ابي زيد سعيد بن اوس الأنصاري

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ كِنْتُ عَنِ الأَمْرِ كَيْنَةً اذا هِبْتُهُ ، وتقول : هَدَأْتُ [هَدَأْتُ] هَدْءًا نحو جَنَأْتُ [جَنَأْتُ] جَنْأً فِي مَعَانِيها ، وتقول : يا زَيْدُ قَدْ نَأْنَأْتُ في أَمْرِكَ نَأْنَأَةً اذا توانى عنه ، وتقول : دَأْدَأْتُ الإبلَ دَأْدَأَةً وهو مِثْلُ جَرْيِ الفَرَسِ دُونَ الرَّبَعَةِ وهي أَشَدُّ السَّيْرِ وفَوْقَ الشَّدِّ ، وتقول : لَأْلَأَتِ النَّارُ اذا لَمَعَتْ وَبَرَقَتْ ، وتقول قد : إِزْدَأَبَ الرَّجُلُ إِزْدِئَابًا اذا حَمَلَ ما لا يُطِيقُ ، وتقول : سَوْأَتُ عَلَيْهِ ما صَنَعَ تَسْوِيئًا اذا عِبْتَ عليهِ رَأْيَهُ ، وتقول : إِبْتَأَسْتُ بالأَمْرِ اِبْتِئَاسًا اذا بَانَكَ عَنْهُ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ ، وتقول : اِمْتَأَقْتُ اِمْتِئَاقًا اذا لَقِيتَ صاحِبَكَ بَعْدَ طولِ غَيْبَتِهِ ، وتقول : تَكَأْكَأْتُ تَكَأْكُؤًا اذا ذَعَبْتَ على مَشَقَّةٍ ، وتَكَاءَدَنِي الذَّهَابُ اليك اذا شَقَّ عليك . قال رُؤْبَةُ :

وَلَمْ تَكَأْدَ [تَكَاءَدْ او تَكَأْدَ] رِجْلَتِي [رجلتي] كَأْدَاؤُهُ

(13r) قال الشاعر :

ولقد أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَئِرُوا لِقَتْلَى عَامِرٍ وَتَغَضَّبُوا

وتقول : ذَأَمْتُ الرَّجُلَ أَذْءَمُهُ [أَذْأَمُهُ] اذا حَقَرْتَهُ وَذَمَمْتَهُ ، وتقول : ذَيَّأْتُ اللَّحْمَ تَذْيِيئًا إِذَا أَنْضَجْتَهُ حِينَ يَسْقُطُ لَحْمُهُ عن عَظْمِهِ ،

وتقول: ذَيِجْتُ من اللَّبَنِ وما كان من اللَّبَنِ أَذْأَجُ ذَأْجًا اذا أَكْثَرْتَ منهُ ، وتقول : وَذَأْتُ الرَّجُلَ أَذَأُهُ وَذْءًا اذا حَقَرْتَهُ ، وتقول : بَذَأْتُ الرَّجُلَ بَذْءًا اذا ذَمَمْتَهُ ، وتقول : بَذَأَتْ عَيْنِي فُلانًا بَذْئًا اذا لم تُعْجِبْكَ مَرْآتُهُ ولا حالُهُ ، وتقول : ذَأَبْتُ الإبلَ أَذْأَبُها ذَأْبًا اذا سُقْتَها ، وتقول : ذَأَلَتِ الإبلُ تَذْأَلُ ذَأْلًا اذا سارَتْ . قال الراجزُ :

مَرَّتْ بأَعْلَى السَّحَرَيْنِ تَذْأَلُ

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ قد دَنَأَ يَدْنَأُ دَنَاءَةً ودَنُؤَ يَدْنُؤُ اذا كان دَنِيئًا لا خَيْرَ فيهِ ، وتقول : دَأَلْتُ للشيءِ أَدْأَلُ دَأْلًا . ودَأَيْتُ لهُ أَدْأَى دَأْيًا اذا خَتَلْتَهُ ، وتقول : دَأَلْتُ (١٣٧) أَدْأَلُ دَأْلًا وَدَأَلانًا وهي مِشْيَةٌ شَبِيهٌ [شبيهة] بالخَتْلِ ، ويقال : الذِّئْبُ يَدْأَلُ للغَزالِ لِيَأْكُلَهُ . يقول يَخْتِلُهُ ، تقول : أَدَوْتُ للشيءِ أَأْدُو [آدُو] لهُ أَدْوًا اذا خَتَلْتَهُ . قال الشاعرُ :

أَدَوْتُ لهُ لِآخُذَهُ فَهَيَّبَتِ الفَتَى حَذِرًا

وتقول: دَفِئَ الرجلُ يَدْفَأُ دِفْئًا وهو رجلٌ دَفْئَانٌ وامرأةٌ دَفْئَى [دَفْأَى] وبيتٌ دَفِيءٌ وغرفةٌ دَفِيئَةٌ ، وتقول : دَارَأْتُ الرَّجُلَ مُدَارَأَةً اذا اتَّقَيْتَهُ ، وتقول : دَاءَ الرَّجُلُ يَدَاءُ اذا اصابَهُ الدَّاءُ ، ويقال للرجل اذا اتَّهَمْتَهُ : قد أَدْوَأْتَ إِدْوَاءً وأَدَأْتَ إِدَاءَةً سَمِعْتُهما من العرب . وأَتْهَمْتَ إِتْهَامًا ومعناهما واحد ، وتقول : دَاكَأْتُ القومَ مُدَاكَأَةً اذا زاحَمْتَهم ، وتقول : دَأَبْتُ أَدْأَبُ دَأْبًا وَدُؤُوبًا [ودُؤُوبًا] ، وتقول : دَرَأْتُ عنهُ الحَدَّ وغيرَهُ أَدْرَأُهُ دَرْءًا اذا أَخَّرْتَهُ عنهُ ، وتقول : دَأْدَأْتُ دَأْدَأَةً وهو العَدْوُ الشَّدِيدُ ، وتقول : وَدَأْتُ عليهِ الارضَ

تَوْدِيئًا اذا سَوَّيتَ عليهِ الارض ، وتقول : أَأْدَنِي [آدَنِي] الحِمْلُ يَؤُودُنِي أَوْدًا اذا أَثْقَلَكَ (14ˇ) ، وتقول : أَأْدَ الرجلُ يَئِيدُ أَيْدًا اذا اشتدَّ وقوِيَ ، وتقول : أَدْرَأَتِ النَّاقةُ بضَرْعِها فهي مُدْرِئٌ إِدْرَاءً اذا أَنْزَلَتِ اللَّبَنَ ، وتقول : دَبَّأْتُ عليهِ تَدْبِيئًا فانا أُدَبِّئُ عليهِ اذا غَطَّيتَ عَلَيْهِ وَوَارَيْتَهُ

﴿ وتقول في بابٍ آخر ﴾ سَأَبْتُ الرَّجلَ سَأْبًا وسَأَتُّهُ سَأْتًا وهما واحدٌ اذا خَنَقْتَهُ خَنقًا ، وتقول : سَئِبْتُ من الشَّرابِ أَسْأَبُ سَأْبًا [سَأَبًا] اذا شَرِبْتَ منهُ . ويقال للزِّقِّ العظيمِ : السَّأْبُ وجِمَاعُهُ السُّؤُوبُ . قالَ الشاعرُ :

إِذَا ذُقْتَ فَاهًا قُلْتَ عِاقٌ مُدَمَّسٌ أُرِيدَ بِهِ قَيْلٌ فَتُودِرَ فِي سَأْبِ

(وهو الزِّقُّ العَظِيمُ . والقَيْلُ الملكُ . والمُدَمَّسُ المَخْبُوءُ) ، ويقال : سَبَأْتُ الخَمْرَ أَسْبَأُها سَبْئًا وسَبَاءً اذا اشتريتَها . قال مَلِكُ [مالك] بنُ أَبِي كَعْبٍ الأَنصاريُّ :

بَعَثْتُ الى حَانُوتِهَا فَاسْتَبَأْتُهَا بِغَيْرِ مِكَاسٍ فِي الشُّوَامِ وَلَا غَصْبِ

(14ˇ) وتقول : سَبَأْتُهُ بالنار سَبْئًا اذ أَحْرَقْتَهُ ، وتقول : سَرَأَتِ الجَرَادُ سَرْءًا اذا أَلقت بيضها ورَزَّتهُ . والرَّزُّ ان تُدخِلَ ذنبَها في الارض فتلقي سَرْءَها . وسَرْؤُها بيضُها وكذلك كلُّ شيءٍ باضَ ، وتقول : سَرَأَتِ المرأةُ سَرْءًا اذا كَثُرَ وَلَدُهَا ، وتقول : أَسْأَرْتُ إِسْئَارًا اذا أَبْقَيْتَ من الطَّعَامِ والشَّرابِ او غيرِهِ والاسمُ السُّؤْرُ وجِمَاعُهُ الأَسْئَارُ . قال الشاعرُ :

صَدَرْتَ بِمَا أَسْأَرْتَ مِنْ مَاءِ مُثْقِرٍ صَدًى لَيْسَ من إِعْطَائِهِ غَيْرُ حَائِلِ

وتقول : قد أَسَاءَ الرجلُ إِسَاءَةً . وسَوَّأْتُ عليهِ تَسْوِيَةً [تَسْوِئَةً] وتَسْوِيئًا اذا عِبْتَهُ عليهِ ، وتقول : سَأَلْتُ سُؤَالًا ومَسْأَلَةً ، وتقول: سَلَأْتُ السَّمْنَ أَسْلَأُهُ سَلْأً والاسمُ السَّلَاءُ ، وتقول : سَئِمْتُ أَسْأَمُ سَأْمَةً [سَآمَةً] من الشيءِ وسَأْمَةً وسَأَمًا اذا مَلِلْتَهُ ، وتقول: سَأْسَأْتُ بالحِمارِ سَأْسَأَةً اذا زَجَرْتَهُ بِقَوْلِكَ : سَأْسَأْ ، وتقول : أَسْتُ القومَ أَؤُوسُهُم أَوْسًا اذا اعطَيْتَهُم (15ᵃ) والاسمُ الأَوْسُ وهو العَطَاءُ ، وتقول : سَأَوْتُ الثَّوبَ سَأْوًا وسَأَيْتُهُ سَأْيًا اذا مَدَدْتَهُ إليكَ فانْشَقَّ ، وتقول: سَئِفَتْ أَصابِعُهُ تَسْئَفُ [تَسْأَفُ] سَأْفًا [سَأَفًا] اذا تَشَقَّقَتْ ، وتقول : أَسْأَدْتُ السَّيْرَ إِسْآدًا إذا أَدْأَبْتَهُ

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ شَأَوْتُ القومَ شَأْوًا اذا سَبَقْتَهُم ، وتقول : أَخْرَجْتُ شَأْوًا من البِئْرِ وهو مثلُ الزَّبِيلِ من التُّرابِ والمِشاةُ [والمِشْآةُ] الزَّبِيلُ وما اخرَجْتَ بهِ تُرابَ البِئْرِ من شيءٍ . وتقول: شَأَوْتُ من البِئْرِ شَأْوًا اذا نزعتَ منها التُّرابَ ، وتقول : شَئِسَ مَكانُنا يَشْأَسُ شَأْسًا [شَأَسًا] وشَئِزَ شَأْزًا [شَأَزًا] اذا غَلُظَ واشتدَّ ، وتقول : شَنَأْتُ الرَّجلَ أَشْنَأُهُ شَنْأً وشَنَآنًا [وشَنْآنًا] وشُنْئًا ومَشْنَأَةً اذا ابغَضْتَهُ ، وتقول: شأْشأْتُ بالحِمارِ اذا دَعَوْتَهُ : تُشُو تُشُو. وقال رجلٌ من بني الحِرْمازِ وغيرُهُ : تُشَأْ تُشَأْ ، وتقول : شَنَفْتُ لهُ أَشْنَفُ [أَشْأَفُ] شَأْفًا اذا أَبْغَضْتَهُ ، وتقول : قد شَقَأَ الثَّابُ يَشْقَأُ شَقْئًا وشُقُوءًا اذا طَلَعَ (15ᵇ) . وشَقَأَ رَأْسَهُ بالمُشْطِ شَقْئًا اذا فَرَقَهُ والمَشْقَأُ المَفْرِقُ والمِشْقَاءُ (ممدود) المُشْطُ

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ كَلَأَ [كَلَأَ] القومُ سفينَتَهُم

تَكْلِيئًا اذا حبسوها . وكَلَأْتُ في الطَّعامِ تَكْلِيئًا . وأَكْلَأْتُ فيهِ إِكْلاءً اذا سلَّفتَ فيهِ وما أعطيتَ في الطعامِ من الدَّراهِمِ نَسِيئَةً فهي الكُلْأَةُ ، وتقول : كَافَأْتُ الرَّجلَ مُكَافَأَةً اذا صَنَعْتَ بهِ مِثلَ الَّذي صَنَعَ بِكَ ، وتقول : كَدَأَ النَّبْتُ يَكْدَأُ كُدُوءًا اذا أَصابَهُ البَرْدُ فَلَبَّدَهُ في الأَرْضِ أو عَطِشَ فأَبْطَأَ في النَّباتِ ، وتقول : كَثَأَتْ أَوْبارُ الإِبلِ فهي تَكْثَأُ كَثْأً اذا نَبَتَتْ . وتقول : كَثَأَتِ القِدْرُ كَثْأً [كُثْأً] اذا أَزْبَدَتْ لِلْغَلْيِ . وتقول : خُذُوا كَثْأَةَ قِدْرِكُمْ وهي ما ارتَفَعَ منها بَعْدَ ما تَغْلي . وكَثَأَ اللَّبَنُ اذا ارتَفَعَ فوقَ الماءِ وصفا الماءُ من تحتِ اللَّبَنِ كَثْأً ، وتقول : أَكْمَأَتِ الأَرْضُ فهي مُكْمِئَةٌ ، وتقول : إِسْتَكْفَأَ زَيْدٌ عَمْرًا نَاقَتَهُ اذا سَأَلَهُ ان يَهَبَها لهُ وولَدَها (16r) ولَبَنَها ووَبَرَها سَنَةً ، وتقول : كَثَأْتُ الطَّعامَ كَثْأً [كَثْأً] اذا أَكَلْتَهُ كما تَأْكُلُ القِثَّاءَ ونحوَهُ . وتقول : كَثَأْتُ وَسَطَهُ بالسَّيْفِ كَثْأً [كَثْأً] اذا قَطَعْتَهُ ، وتقول : إِكْوَأَلَّ الرَّجلُ فهو مُكْوَئِلٌّ اذا قَصُرَ والكَوْأَلُ القَصيرُ ، وتقول : قد اكْبَأَنَّ الرَّجُلُ اكْبِئْآنًا اذا سَخِطَ وَلَصِقَتْ نَفْسُهُ ، وتقول : كِئْتُ عن الأَمْرِ أَكِيءُ كَيْئًا [كَيْئًا] اذا هِبْتَهُ ، وتقول : كَئِبَ الرَّجلُ يَكْئَبُ [يَكْأَبُ] كَأْبَةً [كَآبَةً] اذا حَزِنَ ، وتقول : كَفَأْتُ الإِناءَ كَفْأً اذا قَلَبْتَهُ وأَكْفَأْتُ الشِّعْرَ إِكْفَاءً اذا خَالَفْتَ ما تقولُ فيهِ بِقَوافيهِ . وأَكْفَأْتُ في مَسيري اذا جُرْتَ عن الطَّريقِ القَاصِدِ . وقالَ ذو الرُّمَّةِ :

فَطَعْتُ بِهَا أَرْضًا تَرَى وَجْهَ رَكْبِهَا إِذَا مَا عَلَوْهَا مُكْفَأً غَيْرَ سَاجِعِ

(فالسَّاجِعُ القَاصِدُ . والمُكْفَأُ الجائِرُ) ، وتقول : لَكَأْتُ الرَّجُلَ

لَكِنَّا اذا جَلَدْتَهُ بالسَّوْطِ (16ر)

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز ﴾ قد صَأَى الفَرْخُ يَصِيءُ [يَصْيِي] صَيْئًا اذا صَوَّتَ . قالَ الرَّاجِزُ :

مالِي اذا أَرْعَاهَا صَأَيْتُ أَكَبَرٌ غَيَّرَنِي أَمْ بَيْتُ

وتقول : قد صَيَّأَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ تَصْيِيئًا [تَصْيِئًا] اذا غَسَلَهُ فَثَوَّرَ رَأْسَهُ فلم يُنَقِّهِ ، وتقول : صَئِبَ الرَّجُلُ من الماء يَصْأَبُ صَأَبًا . وصَئِمَ منهُ يَصْأَمُ صَأَمًا وهما واحد وهو شربُهُ من الماء او غيرِهِ من الأَشْرِبَةِ ، وتقول : صَبَأَ نابُ الصَّبِيِّ فهو يَصْبَأُ صُبُوءًا اذا طَلَعَ . وصَبَأَ الرَّجُلُ في دِينِهِ يَصْبَأُ صُبُوءًا اذا كان صابِئًا ، وتقول : صَدِئَ السَّيْفُ يَصْدَأُ صُدْءَةً [صُدْءَةً] اذا أَصابَهُ الصَّدَأُ وصَدَأَ (مفتوحٌ) ، وتقول : صَأْصَأْتُ من الرَّجُلِ صَأْصَأَةً اذا فَرِقْتَ منهُ ، وتقول : صَئِكَ الرَّجُلُ يَصْأَكُ صَأْكًا [صَأَكًا] اذا عَرِقَ فهاجَتْ منهُ رِيحٌ مُنْتِنَةٌ من ذَفَرٍ او غيرِ ذٰلِكَ وهي الزَّهْمَةُ ، وتقول : قد أَصْمَأَكَّ الرَّجُلُ فهو مُصْمَئِكٌّ اذا غَضِبَ ، وتقول : قد صَوْلَ البَعِيرُ يَصْوَلُ صَالَةً اذا أَكَلَ النَّاسَ وأَكَلَ صاحِبَهُ (17ر) وصَالَ صِيالًا (بغير همز) اذا صالَ على قِرْنِهِ وتَطاوَلَ

﴿ وتقولُ في بابٍ من الهمز ﴾ إِجْثَأَلَّ التَّبْتُ فهو مُجْثَئِلٌّ اذا اهْتَزَّ وأَمْكَنَ أَنْ يُقْبَضَ عَلَيْهِ . والمُجْثَئِلُّ من الرِّجالِ المُنْتَصِبُ قائِمًا ، وتقول : جَسَأَتْ يَدُ زَيْدٍ جُسُوءًا اذا يَبِسَتْ والتَّبْتُ اذا يَبِسَ فهو جاسِئٌ ، وتقول : جَثَأَ الرَّجُلُ يَجْثَأُ جُثُوءًا على الشَّيْءِ اذا أَكَبَّ عليهِ . قالَ الشَّاعِرُ :

أَغائِرَ لَوْ شَهِدْتِ غَداةَ بِنْتُمْ جُثُوءَ العائِذاتِ عَلَى وِسادِي

وتقول: جَنِئَ الرَّجُلُ جَنَأً أَكَ اذا كانت منه خِلْقَةً. ويقال منه: رَجُلٌ أَجْنَأُ ولا يَكُونُ في جَنَأْتُ الَّا فَاعِلٌ جانٍئ، وتقول: جَبَأْتُ عن الرَّجُل وغَيْرِهِ جُبُوءًا اذا خَنَسْتَ عَنْهُ. قال الشَّاعِرُ:

فَهَلْ أَنا إِلَّا مِثْلُ سَيِّقَةِ العِدَى إِنِ إِسْتَقْدَمَتْ تَحْرُ وَإِنْ جَبَأَتْ عَقْرُ

وتقول: جَبَأَتْ عَلَيَّ الضَّبُعُ جُبُوءًا اذا خَرَجَتْ عَلَيْكَ مِنْ (17ᵛ) جُحْرِهَا، وتقول: تَأَجَتِ الغَنَمُ تَتْأَجُ تُؤَاجًا اذا صاحت قال:

وقَدْ تَأَجُوا كَتُؤَاجِ الغَنَمْ

وتقول: جَبِزَ الرَّجُلُ جَأْزًا [جَأْزًا] اذا غَصَّ والجَأْزُ الغَصَصُ في الصَّدْرِ، وتقول: جَأْجَأْتُ بالإِبِلِ جَأْجَأَةً اذا سَقَيْتَها وَقُلْتَ: جِئْ جِئْ، وتقول: جَلَأْتُ الرَّجُلَ أَجْلَأُ بِهِ جَلْأً اذا صَرَعْتَهُ وَجَلَأْ بِثَوْبِهِ جَلْأً اذا رَمَى بِهِ، وتقول: جَفَأْتُ الرَّجُلَ جَفْأً [جَفْئًا] اذا صَرَعْتَهُ. وأَجْفَأَتِ القِدْرُ بِزَبَدِهَا إِجْفَاءً اذا أَلْقَتْهُ مِنْ نَوَاحِيها، وتقول: جَزَأَتِ الإِبِلُ عن الماء جَزْءًا وجُزُوءًا اذا اسْتَغْنَتْ بالرُّطْبِ عَنِ الماء، وتقول: جَزَأْتُ المَالَ مِنَ القَوْمِ تَجْزِئَةً [تَجْزِئَةً] اذا قَسَمْتَهُ. وتقولُ: أَجْزَأْتُ السِّكِّينَ إِجْزَاءً اذا جَعَلْتَ لهُ مَقْبِضًا وَهِيَ الجُزْأَةُ. وتقول: اجْتَزَأْتُ اجْتِزَاءً، وتقول: جَرُؤْتُ أَجْرُؤُ جُرْءَةً [جُرْأَةً] وَجَرَاءَةً. وتقول: لَجَأْتُ الى المَكَانِ لَجْأً [لَجْئًا] وَلُجُوءًا وَأَلْجَأْتُ الرَّجُلَ الى الشَّيْءِ إِلْجَاءً اذا اضْطَرَرْتَهُ إِلَيْهِ، وتقول: جِئْتُ أَجِيءُ مَجِيئًا وَجَيْئَةً [وَجِيئَةً] والاسْمُ الجِيَئَةُ [الجِيئَةُ] (18ᵛ)، وتقول: جَشَأَتْ نَفْسِي جُشُوءًا إِذَا نَهَضَتْ إِلَيْكَ، وجاشت قال عمرو بن الإِطْنَابَةِ:

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ نَفْسِي (١ مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وتقول: جَبِيَ الْفَرَسُ جُؤْوَةً والجُؤْوَةُ حُمْرَةٌ في سَوَادٍ وَالسَّوَادُ أَكْثَرُ، وتقول: جَأَرَ الثَّوْرُ جُؤَارًا اذا رَغَا، وتقول: أَجِمْتُ الطَّعَامَ أَجَمًا اذا كَرِهْتَهُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَيْهِ، وتقول: أَجِئَتِ الْأَرْضُ فهي مُجِيئَةٌ وهي أَرْضٌ مَجْأَةٌ اذا كَثُرَتْ جَأَتُهَا وهي الكَمْأَةُ الْحَمْرَاءُ، وتقول: أَجِرَتْ يَدُ الرَّجُلِ تَأْجَرُ أُجُورًا وَأَجَرًا وَذٰلِكَ اذا جَبِرَتْ فَبَقِيَ فيها عَظْمٌ وَهُوَ مَشْشٌ كَهَيْئَةِ الْوَدَمِ وفيهِ أَوَدٌ، وتقول: أَجَرَهُ اللهُ يَأْجُرُهُ أَجْرًا. وتقول: أَجَرْتُ الْمَمْلُوكَ فهو مَأْجُورٌ أَجْرًا وَآجَرْتُهُ [آجَرْتُهُ] أُوجِرُهُ إِيجَارًا في معنى أَجَرْتُهُ مُؤَاجَرَةً وَكُلُّ هٰذَا كَلَامٌ حَسَنٌ من العَرَبِ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: على أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ، وتقول: هَجَأَ غَرَثِي هَجْأً (18v) اذا ذَهَبَ. وَقَدْ أَهْجَأَ طَعَامُكُمْ غَرَثِي اذا قَطَعَهُ إِهْجَاءً. قال الشَّاعِرُ:

فَأَخْزَاهُمُ رَبِّي وَدَلَّ عَلَيْهِمُ وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ مَطْعَمٍ غَيْرِ مُهْجِيْ

وتقول: جَثِئَ [جَثِئُ] جَأْثًا وَهِيَ مِشْيَتُهُ مُوقَرًا حِمْلًا، وتقول: أَجِنَ الْمَاءُ يَأْجَنُ أُجُونًا اذا تَغَيَّرَ طَعْمُهُ وأَجِنَ (له بقية)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٦ الماسونية والأحداث

لكنّ الأحداث اذا بقوا في البيت الابوي مشمرين بنظر والديهما متورعين تحت اكنافهما نجوا غالبًا من مكايد الماسون. بيد انّ الماسونية وجدت طريقة أخرى لتوقع

---

١) وجاء في الهامش: الرواية « جشأت وجاشت »

الاحداث في حبائلها فانها منذ الثورة الفرنسوية تسعى باحتكار التعليم لتكون كل المدارس في حوزتها فتجعل كل الاحداث في قالب واحد وتطبع فيهم صورتها القبيحة اي الزندقة وفساد الآداب

فالماسونية اوّل من اشهر على رؤوس الملإ ذلك الشعار الملتبس بقولهم « يجب ان تكون المدارس مجانية وعلمانية والزامية » . وهي ثلاثة الفاظ كاذبة خدّاعة . فانّ مدارس الحكومة لا تقوم الّا بنفقات عظيمة وهذه النفقات لا يدفعها الّا الرعايا بالفرائض والاموال الاميرية التي يؤدّونها للدولة اذن ليست تلك المدارس مجانية

ثم انّ العلوم ليست مُلك فرعٍ من الناس او خاصّة ببعض الرجال فيمكن ايًا كان ان يتعلّمها ويعلّمها على شروط معهودة في كل اقطار العالم فكيف يريد الماسون ان يحمارها في ايدي العلمانيين كأنّ ارباب الدين بمجرّد لبسهم الثوب الاكليريكي او الرهباني اضحوا عاجزين عن التعليم او غير اهلٍ لهُ . فدعواهم بجعل المدارس علمانية هي اذن ظلم وجور بل قتلٌ لكلّ العلوم اذ انّ ثلثي التعليم في اقطار العالم في ايدي اهل الدين

وكذا قل عن منادانهم بالتعليم الالزامي فانّهُ مكر وخداع ايضاً اذ انّ قسماً كبيرًا من الاحداث في كل البلاد تضطرّهم حالتهم البائسة الى سدّ عوزهم فاذا نشأوا وامكنهم القيام بأودهم سعوا باكتساب رزقهم او فكّروا بمساعدة والديهم . وغاية ما تستطيع الدولة من ذلك ان تسهّل الدروس على الناشئة وترغّبهم في العلوم وتساعدهم على ادراك غايتهم منها . امّا الزام الاحداث واغتصابهم في ذلك فاستبداد وظلم . والدليل عليه انّ عدد الاحداث الدارسين في فرنسة كان اوفر قبل الثورة الفرنسوية حيث لم يُنادَ بالمدارس الالزامية منهُ في أيامنا كما بيّنتهُ الاحصاءات الرسمية

وما لا شكّ فيه ان الفرمسون بتعظيم المدارس المجانية العلمانية الالزامية لا ينوون خير الشعب او توسيع نطاق العلوم بل نشر مبادئهم الكفريّة ليس الّا . وهذه بعض اقوالهم التي لا تبقي شكًّا في نياتهم السيئة . قالت نشرة العالم الماسوني في عددها الصادر في تشرين الاوّل في سنة ٥٨٦٦ (وهو التاريخ الماسوني الموافق لسنة ١٨٦٦) :

« انّ تهذيب الاحداث حجر زاوية بنائنا الحرّ فيقتضي ان ننفي من لائحتهِ كل

تعليم مسيحي فانَّ مبدأ كل سلطة فائقة الطبيعة ينزع عن الانسان شرفهُ فلا بُدَّ من نبذهِ وتعويضهِ بتعليم مبادئ حرّية الضمير ... وعندي انَّ احسن طريقة لنشر الماسونية ان ننشئ المدارس الحرَّة (اللادينيَّة) »

وكانت محافل بلجكة سبقت في السنة ١٨٦٣ فأعلنت مناصبتها لكل تعليم ديني فقال محفل انفرس : « ان تداخل الكاهن في التهذيب لمَّا يُعدم الاولاد كل تعليم ادبي ومنطقي وعقلي . ونعدُّ كاعظم حاجز لنموّ الاحداث وترقّي قواهم تدريس التعليم المسيحي فانَّ العقل البشري اذا القى عن عاتقهِ هذه الاوقار التي تضلّه اصبح اكثر صدقاً واستقامةً وادباً »

وطلب محفل لياج ان تلغى شرائع التعليم التي كانت دولة بلجكة جاريةً عليها وقتئذٍ مدّعياً انها فاسدة « لأنها تمنح نفوذاً مشئوماً لخدمة الدين وبذلك تضادّ على خطّ مستقيم غاية الحرّية » . ومثلهُ محفل تامور الذي أعلن بغضهِ لكلّ تعليم مذهبي وطلب « ان يكون التعليم الزامياً لا يهتم البتة بالديانة بل يتجرَّد عن كل ادبية » كذا

وزاد محفل لوفان على ذلك بقولهِ « ان نفوذ الديانة الكاثوليكيَّة يقتل في عقول المتعلمين كلّ تقدُّم ونجاح ... لأنَّ الفقر والجهل مؤسسان على الانجيل » كذا

ولم يتأخر شرق فرنسا العظيم عن شرق بلجكة فدونك اللائحة التي اذاعها وقتئذٍ في نشرتهِ الرسميَّة بخصوص تعليم الاحداث:

١ً يقتضي الزام الاب او الام الارملة بدفع اولادها قسراً الى المدرسة

٢ً يجب نفي كل تعليم ديني

٣ً تُكتب اسماء الوالدين الذين لا يسلمون اولادهم على لوح يُعرَض جهاراً على واجهة دار الحكومة

٤ً واذا اصرَّ الوالدون ولم يسلموا اولادهم يُغرَّمون مرَّةً اولى جزاء نقدياً الى حدّ مئة فرنك وان ظلّوا على إبائهم يُحكم عليهم بالاشغال الشاقة من يوم واحد الى شهر او بالسجن من يوم الى خمسة

٥ً وان بقيت هذه الوسائط بلا جدوى يُفصل الولد عن حكم والديهِ . . .

ولم تبقَ هذه البنود محجوبةً في طيّ المحافل الماسونيَّة فانهم منذ خمسين سنة لم يمرّ على هؤلاء الاحرار عام واحد دون ان يقرّروها ويشتغلوا في تنفيذها ويكتبوا في جرائدهم فصولاً مطوَّلة في اثباتها او يخطبوا في المنتديات العمومية عن منافعها

قال الاخ ٭ فرنكولين (Francolin) في المجتمع الماسوني سنة ١٨٧٩ « نحن الماسون في مقدّمة التعليم العالماني والجمهوري فحيثما يوجد ولد او مدرسة فهناك ايضاً يدٌ ماسونيـة ». وقال الاخ ٭ كوينو (Cuénot) : « لنا التعليم والتهذيب لأنّ التهذيب الاكليريكي يولّد الجهل والفقر والتعصّب الاعمى التي بها تموت الشعوب »

وفي السنة ١٨٨١ لما سنّ مجلس العموم في فرنسة شريعة التعليم المجاني العالماني الالزامي تهلّل الفرمسون فرحاً ونسبوا الفوز بها الى مساعيهم. قال الاخ ٭ لوبلتيه (Lepelletier) : « انّ الشريعة التي سنّها حديثاً مجلس العموم في التعليم المجاني العالماني الالزامي انما هي الشريعة التي سبقنا فقرّرناها في محافلنا منذ سنين عديدة بحرفها الواحد فقد حصلنا اخيراً على مرغوبنا »

وتوطيداً لهذه الشريعة استأنف الماسون عملهم فسعوا في نفي كل الرهبان والاكليريكيين عن التعليم. وكان الاخ ٭ جول فرّي (J. Ferry) قائدهم في هذه الحملة وهو احد وزراء الحكومة فطلب من مجلس الندوة « أن لا يُسمح بالتعليم مطلقاً لأي كان من الرهبان رغماً عن صلاحيته ونواله الاجازة الرسمية » وذلك هو البند السابع الذي عُرف « ببند جول فرّي ». لكنّ مجلس الاشراف لم يُصادق عليه. فانتقم فرّي والماسون انصاره بطرد اليسوعيين من مدارسهم ومعاكسة كل الرهبان في اشغالهم فأصلى بذلك في فرنسة حرباً اهلية زاد في إسعارها خلفاؤه في الماسونية حتى تام ولدك روسو ووضع شريعة اقبح من شريعة فرّي ألغى فيها الرهبانيات لاسيما الرهبانيات المهتمّة بالتعليم واثبتها بمساعدة الماسون في سنة ١٩٠٢ ومنذ ذاك الحين أُقفل نحو ١٢,٠٠٠ مدرسة للكاثوليك كان يتعلّم فيها نحو مليون من الاولاد لاسيما الفقراء من ذكور واناث. فانظر رعاك الله كيف ينشر الماسون « انوار العلم » وكيف يفهمون الحرّية والاخاء والمساواة. فحقّقوا ما كان سبق الخطيب الماسوني ٭ فرنند موريس (F. Maurice) فتاه به سنة ١٨٩٠ (اطلب نشرة الشرق الاعظم سنة ١٨٩٠ ص ٥٠٥) : « بعد عشر سنوات لا يتحرّك احد في فرنسة بدون حكمنا » (Dans dix ans, personne ne bougera en France en dehors de nous.)

وكلّ يعرف ما كان من امر المدارس المنشأة بدلاً من المدارس الاكليريكية وما انتشر فيها من الفساد والخلاعة حتى توفر عدد الجرائم على يد الشبيبة بنوع مهول.

ولما وقف اساقفة فرنسة على الكتب الكفريّة التي اتخذها اساتذة تلك المدارس كدستور لتعليم الادبي والتاريخي حرموا استعمالها تحت طائلة الخطإ المبيت. فاقام الماسون الدعاوى على الاساقفة واستدعوهم الى مجالسهم كالمجرمين وحكموا عليهم بالجزاء النقدي وحتى اليوم لم يخمد سعير هذا النزاع المشؤوم

وكان الفرمسون الالمانيون سبقوا فرنسة في ضبط المدارس ونفي التعليم منها. ولما كان اليسوعيون يُعدّون في كل بلد كعقبة في طريق الشيعة افرغ الماسون غاية مجهودهم في نفي هؤلاء الرهبان من المانيا فاظفرهم البرنس الاخ «* بسمرك بمرغوبهم بسنّ تلك الشرائع التي عُرفت باسم نزاع التمدُّن « Kulturkampf »

وكان بودّنا ان نتتبع الممالك دولةً دولةً فننظر ما هي مساعي الماسونية في كل بلد منها لنفي الدين ورفع منار الكفر الّا انّ هذا يطيل بنا. ونكتفي بذكر المدارس العلمانية واحتلالها في ديارنا الشرقيّة منذ عهد قريب فان اصحابها رحموا جهل الشرقيين وحثّوا على عماهم فارادوا ان يكحلوا عيونهم بضياء تعاليمهم المنيرة فاحتلّوا مدن الدولة العلية ومصر ليبثّوا في ظهرانينا بذور مبادئهم الحرّة وهم يزعمون انهم يحترمون كل الاديان وانما نفرها من تعليمهم حبّاً بالوئام بين العناصر والملل. وقد نشرنا سابقاً في المشرق (ص ٦٢٠ و ٦٨٠) مقالتين اثبتنا فيهما ان حياد هذه المدارس عن التعليم الديني تمويهٌ باطل وان اصحابها لا يطلبون سوى امر واحد وهو استئصال الدين والاعتقادات من قلوب الشرقيين. ومن اراد زيادة علم فليراجع الكرّاس الذي نشرناهُ آخرًا « الاحكام العقليّة في المدارس العلمانيّة اللادينية » وهو يُطلب من مطبعتنا الكاثوليكية

ومساعي الماسونيّة في اجتذاب الاحداث الى مبادئ الكفر وفساد الاخلاق لم تعُد اليوم تنحصر في المدارس بل تتناول الاطفال منذ ولادتهم وتتبعهم بعد نهاية دروسهم لتبثّ في قلوبهم تعاليمها الباطلة. رأت ما تصنعهُ الكنيسة بحنوّها الوالدي لتطبع في البابهم خوف الله وحبّ الفضيلة باسرارها المقدّسة ومشروعاتها العديدة الشاملة لاطوار حياتهم منذ نعومة اظفارهم الى ان يبلغوا مبلغ الرجال ويخدموا الوطن والدين. فقامت الماسونيّة لتعاكس كل ذلك وتقلّدت الكنيسة في مشروعاتها لترويج غاياتها السيئة فمثّلا وضعتهُ لذلك تقليد العماد المسيحي او التبنّي الماسوني وذلك انّهم يزينون

محفلهم بالزهور ثمّ يدخلون الولد وهم يدعونهُ بالذؤيب اي جرو الذئب (ما احلى هذا الاسم !) وتحمل الولدَ مرضعتهُ ويرافقها الاخوة الاحرار بوشاحاتهم الماسونيّة ويعيّنون للولد شبينهُ وشبينتهُ وبعد طوافٍ على شبه الزيّاح يجعلون الولد على مصدغة فيتقدّم رئيس المحفل الكلّي الاحترام ويلقي الاسئلة على الشبين والشبينة كما يفعل الكاهن في المعموديّة ثم يدعو للولد دعاء ماسونيًا كي يصير يوماً اهلًا باولاد الارملة الاحرار محرّرًا من خرافات الدين ثمّ يبخّر الولد ومرضعتهُ ويتلو باسم الصغير ابوهُ او وكلاؤهُ قسمًا مضمونهُ الوعد باتّباع سُنَن الاحرار ونبذ كل تعليم ديني. فحينئذٍ يقوم الرئيس ويجعل على صدر الولد مئزرًا ابيض (وزرة) ويسمّيهِ باسم رمزي او لقبٍ من الالقاب كشرّف او شريف وجمال او جميل فيُعَدّ منذ ذاك الحين كابن الماسون وربيبهم (١

فهذا هو العماد الماسونيّ وارادوا ان يتقلّدوا رتبة المناولة الاولى فيجمعون الصغار في سنّ السابعة من عمرهم ليوزعوا عليهم الزهور والحلويات وغير ذلك ممّا يحبّهُ الاطفال ويسقونهم خمرًا او حليبًا ومشروبات اخرى رجاء ان يشغلوهم عن الاسرار الدينيّة كالتثبيت والمناولة الاولى (٢

ورسم الماسون اعيادًا غيرها دعوها باعياد الشبيبة وجعلوها في ايّام اعياد الكنيسة املًا بابطالها واكثروا فيها المظاهرات المبهجة كالالعاب وتمثيل الروايات لكي يشربوا عقولهم الروح الماسونيّ. وفي كل هذه الحفلات لا يزلون يندّدون برجال الدين ويصوّرون التعاليم الدينيّة كخزعبلات لا طائل تحتها

قال احد مشاهير كتبة الرومان «ينبغي ان يُعامل الولد بكل وقار» (maxima debetur puero reverentia). وقد قرأنا مثل هذا في تحفة المنار الاسلاميّة في عدد الاخير الصادر في سلخ شعبان ١٣٢٧ (ص ٥٩٢)

« ان نفس الولد تُشبه الصحيفة البيضاء النقيّة وانّ سمعهُ وبصرهُ هما القلمان اللذان يكتبان فيها انواع العلوم ويرسمان فيها صور الاخلاق والآداب - فينبغي ان لا يسمع الّا حسنًا. يتحتّم هذا في طور التقليد الذي يسلّم فيهِ بكل ما يُروى ويحاكي كل ما يرى. وكلما قويت فيهِ

١) وقد نشرنا في المقالات السابقة صورة العماد الماسوني نقلًا عن كتاب الاخ *. كلافل (Clavel) في الرتب الماسونية

٢) اطلب كتاب سولاكروا المعنون بالماسونية والولد G. Soulacroix : *La Franc-Maçonnerie et l'enfant*, pp. 3-14

ملكة التمييز بنفسهِ بين الحق والباطل والحسن والقبيح يُذكَّر بالتدريج كل ما هو مُعرِّض لهُ من سيئات العالم وشروره بالاساليب التي تنفّره من الباطل والشرّ وترغبهُ في الحق والخير. ألم تر الى علماء التربية كيف يتحامون في كتب التعليم ذكر ألفاظ الجرائم والشرور والفحش والرفث لكيلا تشتغل نفوس النشء بها قبل ان تقوى بالحق والفضيلة وحبّ الخير »

فحبّذا القول لكنّ الماسونيّة اخذت على نفسها ان تبطلهُ فهي تنصب لنفوس الاحداث ضروب المكايد انتزع من قلوبهم بذر الفضيلة وكأنها لم تكتفِ بالتعليم اللاديني وتخاف عليهم بعد نهاية دروسهم من نفوذ الاكليروس قد انشأت جمعيّات للشبّان لينموا تحت ظلّها ويستمدّوا من روحها الى ان تتأصّل في قلوبهم المبادئ الكفريّة فيعيش الفتى ويموت على مقتضاها

ولبلوغ هذه الغاية انشأ الماسون منتديات مختلفة وشركات شتّى تقلّدوا بها ايضاً مجتمعات الشبّان الكاثوليك فيعدّون للنشء اصناف الالعاب ترويضاً لاجسامهم ويجعلون في ايديهم الجرائد المعادية للدين ويجمعون لهم مكاتب اكثرُ تآليفها الروايات الخلاعيّة او الكتب المعارضة للمعتقدات المذهبيّة. ويخطبون فيهم الخطب المشحونة بالاعتراضات التاريخيّة والادبيّة على تعاليم الدين

وكما اجتهدوا في هدم اركان التديّن من قلوب الذكور كذلك رأوا ان يقتلعوا من عقول الفتيات جذور الفضيلة والبرّ ففتحوا لهنّ المدارس اللاديئيّة لينلنَ منها التعاليم المجرّدة عن كل دين. فقام الماسوني كاميل ساي (C. Sée) وابتنى بمساعدة الحكومة الفرنسويّة عدّة مدارس انثويّة نفى منها اسم الله

امّا نتيجة كل هذه الاعمال فما لبثت ان ظهرت لعيون الجمهور فان شجرة التهذيب الماسوني اتت بعد قليل بثمار يحقّ للماسون ان يفتخروا بها كالاعتصابات في المدارس وروح العصيان والتمرّد وانتشار الفساد في الاخلاق والانتحارات وغير ذلك مما كان في السابق لا ذكر لهُ او يندر وقوعهُ بين الاحداث واتت الاحصاءات الرسميّة كشواهد لامعة على ما يتهدّد البلاد من الانحطاط ولم تستطع الصحافة الّا ان تنادي بالويلات وقد اثبتنا اقوال بعض محرّريها ممّن لا يُنسب اليهم التعصّب في الدين (راجع كراسنا الاحكام العقلية في المدارس العلمانية اللاديئية)

٧ الماسونية والدوائر السياسيّة

مرّ لنا بيان كذب الماسون عند ادّعائهم بانّ شيعتهم لا دخل لها بالسياسة . وها

نحن نريد هنا الامر وضوحاً بالادلة الجديدة

كتبت بعض الجرائد فصولاً تبيّن فيها انّ آفة لبنان تهافت بعض اهاليه على الوظائف. وكان الأولى بها ان تحصر الآفة في طلب « الماسون » للوظائف. فانّ خدمة الوطن بنزاهة وغيرة من الامور المشكورة. امّا الخراب فبأن يتولّى المناصب والادارات اشخاص لهم روابط سرّيّة مع الشيع الماسونيّة كما رأينا في هذه السنين الاخيرة. فانّ الماسوني حيثما احتلّ اضحى آلة في ايدي الجمعيات التي انتمى اليها وضحّى صوالح الوطن لمنافعه الشخصية او لمنافع اخوته المثلّثي النقط . . وفي اغلب الاوقات لا ينال الماسونيّ الرتبة المرغوبة الّا بمساعي اخوته الماسون الذين يعضدونهُ غاية طاقتهم سواء كان بلسانهم او بقلمهم او بنفوذهم فاذا اصاب المترشح مبتغاه وتقلّد المنصب المطارب اسرع الى ابداء شكره لرصفائه وسعى بتنفيذ رغائبهم في دائرة حكمه وبين العمّال الذين تحت ادارته

وما نراهُ في لبنان من هذا القبيل يظهر بوجه اجلى واوضح في بعض الدول التي بلغ عدد عمّالها الماسون اكثر من نصف الموظفين. امّا فرنسة فان هذا العدد كاد يبلغ فيها اربعة اخماس عمّالها الكبار ومن غريب ما استدلّ عليه اصحاب النظر في هذه السنين الاخيرة انّ الماسون قابضون اليوم على فرنسة كالاسد على فريسته مع انّ عددهم لا يزيد هناك على خمسة وعشرين الفاً. وقد حسب بعضهم عدد الماسون في مجلس الندوة ومجلس الاشراف فاذا هو نحو الثلثين ولو كانت روعيت نسبة الماسون الى غيرهم لما كان يحقّ لهم ان ينتخبوا ولا واحداً منهم لأن عددهم ليس بكافٍ لانتخاب مندوب واحد. فكيف يا ترى بادروا الى جمع الاصوات على رؤوس ذويهم حتى بلغ عددهم ثلثي المندوبين هذا سرّ من اسرار الماسونية بل قل انّها دسيسة من دسائسهم المألوفة فانّ المتشيعين لهذه الجمعيّات السرّيّة يجعلون جلّ اهتمامهم في مخافلهم بان يختاروا لمناصب الحكومة رجالاً يثقون بهم يكونون عادةً من الراقين في سُلّم الماسونيّة الى الدرجات العليا . فاذا اتّفقوا عليهم طلبوا منهم وثائق مكتوبة بخطّهم وممضاة باسمائهم يعدون فيها رؤساء الماسونيّة بأنّهم لا يألون جهداً في تعزيز المبادئ الماسونيّة ومناهضة الدين وسنّ الشرائع الكفريّة فيكونون طوع بنان رؤساء الشيعة . فاذا وعدوا عيّن زعماء الماسونيّة لجنة تجمع لهم اصوات المنتخبين

وليس كلامنا تحاملاً بلا سند فانَّ الامر قد ثبت الآن رسمياً بعد تفتيش اللجنة التي تشكَّلت في فرنسة منذ خمس سنوات وترأسها مندوب باريس ل. براش فانَّ هذه اللجنة قدَّمت تفاصيل بحثها لمجلس الأمة وطبعتهُ طبعاً مكرَّراً تحت هذا العنوان

LA PÉTITION CONTRE LA FRANC-MAÇONNERIE à la 11e Commission des Députés. Exposé présenté à la Commission par L. Prache député de Paris. *Paris, Hardy*. 1905, pp. 360.

ففي هذا الكتاب المراسلات التي دارت بين رؤساء الشرق الاعظم والمترشحين لمجلسي الأمة والاشراف وكلها مرسومة بالفوتغراف بحيث يظهر ظهور الشمس انَّ المحافل الماسونيَّة هي التي تختار المندوبين وهي التي تسعى بجمع اصوات الشعب عليهم

ولنا على ذلك شاهد آخر حديث من احد الماسون الذين ترغلوا في الماسونية وخلعوا اخيراً نيرها وهو المسمَّى جان بدگان (Jean Bidegain) فانَّهُ كشف كل دسائس الماسون في كتابهِ « المسوخ الماسونيَّة » (Masques et Visages Maçonniques) الذي طبعهُ في باريس سنة ١٩٠٦ وفيهِ ايضاً عدَّة مكاتبات سريَّة للماسون مأخوذة بالتصوير الشمسي تعلن جهاراً انَّ الماسون هم في فرنسة اصحاب الحكم وباشارتهم يتحرَّك المجلسان بحيث يجوز القول بانَّهم مملكة ضمن مملكة ودولة ضمن دولة. فان كان كل هؤلاء كذبة فما للماسون ساكتون اليس عار عليهم بان يفضحهم اخوانهم وهم خائنون واجمون فلولا انهم يعلمون بصحَّة تلك الشكايات لما صمتوا عنها وألقوا اعداءهم الصخر

وممَّا يزيد الامر بياناً تاريخ الندوة الفرنسوية فلو فحصتَ جلساتها منذ ٣٠ سنة ودرست الشرائع التي سُنَّت في مجلسيها لا تجد شريعة واحدة من الشرائع اللادينيَّة التي صادق عليها المبعوثون الَّا سبق الماسون وحرَّروها في محافلهم السريَّة ثم عرَّضها ذووهم في مجلس الأمة ليثبتها رسمياً فكانت الماسونيَّة على هذه الصورة هي اصل ومنبع كل الشرائع اللادينية المسنونة بعد ذلك في دار الندوة بل هم الذين عرضوا عليها السُّنن السياسية نفسها. وقد اقرَّ الماسون بذلك بل افتخروا بهِ قال الاخ ٣٠ لافار (Lafferre) مبعوث مقاطعة هيرو (l'Hérault) في خطبة عمومية في مجلس المبعوثين (٢٥ حزيران ١٩٠٤):

« انَّنا (اي الماسون) نجاهر امامكم بالافتخار فنقول: انَّ كل الشرائع الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة بل كل الشرائع السياسيَّة التي تشرَّفت بها الجمهوريَّة قد سبقت المحافل الماسونية ودرستها درساً

مدققًا . . . انَّ بموثي الجمهوريَّة الذين اتيتوا بتصويتهم الشرائع العلمانيَّة والشرائع المدرسيَّة (اللادينية) كان معظمهم من الماسون . . . ولو شئتم لوجدتم في سجلات المحافل الماسونيَّة مسودَّات اخوتنا جول فرّي وفلوكه (Floquet) وغيرهما كثيرين ممَّا عرضوهُ بعد ذلك في مجالسكم » (تصفيق استحسان من جهة الشمال اي من المبوثين الماسون)

وقال الاخ ∴ پيار دوفاي (P. Dufay) في محفل اتحاد الشعوب في ك ١ سنة ١٨٩١:

« اوكّد لكم انَّ الشرائع التي سُنَّت منذ عشرين سنة او تُسَنُّ قريبًا في مجلس الدولة كلّها قد تقرّرت سابقًا في محافلنا الماسونية كشريعة الطلاق والشرائع على الشركات (ضد الرهبانيَّات) وغير ذلك ممَّا لا يزال يدوي في آذانكم كفصل الكنيسة عن الدولة »

ونشرت جريدة التان في عدد ٨ آذار سنة ١٨٩٧ عن لسان احد اعضاء شورى الماسونية ما تعريبهُ:

« انَّنا مرتبطون مع السلطة السوبيَّة ارتباطًا متواصلًا فمعظم ما باشرهُ مجلس الدولة من الاصلاحات (؟) انَّما صار بالهام المحافل الماسونيَّة. فمن ذلك الشرائع المختصَّة بالتعليم العلماني والالزامي وكشريعة الطلاق وحريق الموتى واشياء اخرى كثيرة » نعم الاصلاحات !

وقال الاخ ∴ ماسي (Massé) في مجتمع الماسون سنة ١٩٠٣:

« هذا شرف الماسونيَّة انَّما تحمل تحت مطارقها في المحافل كل الشرائع التي يدور عليها البحث في مجلس السوم وفي الصحافة »

ولو اردنا لعدَّدنا كل الشرائع فردًا فردًا وبيَّنَّا انَّها بلا استثناء من وحي الماسونية ومن روحها الشرّير. ومن اراد زيادة معلومات فليراجع الكتب الآتية:

Michel le François : *Le plan Maçonnique* ; J. Tourmentin : *Le Syndicat des Arrivistes ou la Main-mise maçonnique sur l'Administration française* : Un patriote : *La Congrégation* du Grand-Orient ; J. Griveau : *vingt-cinq ans de gouvernement sans Dieu* : E. Abt : *La Franc-Maçonnerie et le gouvernement de la France* (Etudes, 1893³, p. 216–254)

فهذه الكتب وغيرها كثيرة تهتك ستر الماسونيَّة وتكشف تلاعب ذويها بالسُّنن والشرائع حتى ان احد اساقفة فرنسة صرخ قائلًا: « لسنا الآن في حكم الجمهوريَّة بل في حكم الماسونيَّة » (Nous ne sommes plus en République, mais en Maçonnerie)

وان شئتَ ان تعلم ماذا يحصل بالدراهم التي تجمع في المحافل الماسونية من

طالبي الدخول فيها او الترقي في درجاتها وهي تبلغ كميّات وافرة فالجواب انها لا تُصرف في سبيل الخير كما يزعم بعض الماسون لسدّ حاجات البائسين من الشيعة او من غيرها ولكن تُنفق لنوال الرتب والوظائف السياسيّة او لترويج الاعمال الماسونيّة . لا سيما في ازمنة الانتخابات العموميّة . وقد اقرّ كثيرون بذلك دون حياء (١ — ولو اردنا لطلبنا شواهد على ذلك من ماسونيّة بيروت ولبنان فانّ الجرائد المحليّة ذكرت غير مرّة ما أُنفق من المال لتقديم بعض الماسون في الدوائر السياسيّة فنكتفي بالاشارة

وكما افرغت الماسونيّة جهدها في الحصول على الوظائف السياسيّة كذلك لم تدّخر وسعاً في تخويل ذويها المناصب الشريفة في العسكريّة وفي حكم المستعمرات او القاطعات وفي الكليّات . اما العسكريّة فكلّ يذكر عمل وزير الحربيّة الجنرال الاخ «اندره (André) الذي اتّفق مع اخوته الماسون ليعزلوا من مناصبهم العسكريّة كلّ الذين لم يشاركوا الماسونيّة في كفرها او ارادوا المحافظة على مبادئهم المسيحيّة فوجد احد المبعوثين المسمّى غويو دي ڤيلنوف (Guyot de Villeneuve) كلّ المكاتبات السرّيّة التي كتبها الجنرال اندره ورؤساء الشرق الاعظم في ذلك فنُشرت بالفوتغراف وأُعلنت في الجرائد فكان اعلانها سبباً لسقوط الجنرال وانفضاح الماسونيّة

وكذا قل عن بقيّة الوظائف التي يحتكرها اليوم قوم من الماسون بصفة عمال للحكومة كرلاة للقاطعات ورؤساء للمستعمرات ونظّار لمشروعات عموميّة وعلى الاخص بصفة اساتذة في المدارس الكليّة والعلوم العليا فان هذه المناصب كلّها يُحرَم منها غالباً ذوو الاهلية لتجلي الماسون

٨ الماسونية والصحافة

اصبحت الصحافة في يومنا من اعظم العوامل لخدمة مصالح الناس بيد انّ الماسون قد جعلوها سلاحهم الخاصّ لتنفيذ مآربهم فليس بلد الّا وفيه عدد من الجرائد والنشرات التي باع كتبتُها اقلامهم من الماسون وانتظموا في الشيعة املاً بالربح فاصبحوا رهناء اوامرها يكتبون ما يأتيهم اياهم اصحابها كالببغاوات . وبلادنا الشامية لا تخلو من هذه الآفة والجرائد الماسونية فيها زادت على عدد الانامل وقانا الله من شرّها

١) اطلب الكتاب Le Syndicat des Arrivistes, 141—180

وقد وقفنا على تعاليم سرّية الشرق الفرنسوي الاعظم يبيّن فيها لزعماء المحافل شأن الصحافة وكيف يجب على الاخوة ان يدخلوا فيها ويستولوا على روحها ويحرّروا فيها المقالات المخالفة للدين وللتعاليم المذهبية وينشروا فيها الاخبار المخلّة بشرف الاكليروس وان لم يجدوا يختلقوها اختلاقاً ويزوّروها ولاسيما في امور العفّة ليبخس الناس بذلك قدر الدين (١. وهذه التعاليم كثيراً ما تبعها الماسون في بلادنا ورأينا من شكلها في بعض جرائد اميركة العربية كالزمان والحديقة وغيرهما . والاولى ان يقيم الاكليريكيّون الدعاوى على هؤلاء الكذبة ليقف العموم على مكرهم

وقد اضاف الماسون الى الجرائد الاوراق والاعلانات والكراريس الصغيرة التي يوزّعونها في كل موضع لتهييج الرأي العام على ارباب الدين بل لم يستحوا ان يصوّروا التصاوير الخلاعية من كل جنس ليدخلوا الفساد في اعين الناظرين ويطبعوهُ في قلوبهم

وكما استعان الماسون بالمطابع والصحافة لادراك غاياتهم كذلك تراهم مولعين بالخطب في النوادي العمومية والساحات حتى وفي المدافن لا تاخذهم لومة لائم . وكم سمعناهم في بلادنا يتشدّقون بخطبهم الملّة فتسئ الناس لو قام احد يقطع خطابهم ويُبكم افواههم

الباب الثالث

الماسونية والآداب الشخصيّة

تتبعنا الماسونية في آدابها الدينية وآدابها الاجتماعية فثبت لنا بالبرهان انها عدوّة الدين وخصم الهيئة الاجتماعية ليس لها من غاية سوى مناهضة السلطة الدينيّة والدنيويّة . بقي علينا ان نفحص آداب الماسون الشخصية من حيث هم افراد المجتمع البشري . ولا بدّ لنا في مقدّمة هذا الباب ان نُعلن بانّا لا نعمّم بحكمنا هذا كل الماسون وقد قلنا سابقاً انّ في بلادنا كثيرين منهم مَنْ لم يعرفوا من الماسونية الّا قشرتها فلا يشاركونها الّا في الاسم فليس كلامنا عن هؤلاء وانما نريد الماسون الذين عرفوا الشيعة حقّ المعرفة وجروا على مبادئها الباطلة

وغاية ما يقال في ذلك اجمالاً انّ الأدب الشخصي في الماسونية لا سند آخر لهُ غير

١) راجع في اعمال المؤتمر الماسوني سنة ١٨٩٩ قرار الاخ ** دوتيلو (Dutilloy) وفي مؤتمر ١٩٠١ قرار الاخ ** موسيل هوارت (M. Huart)

١

٢

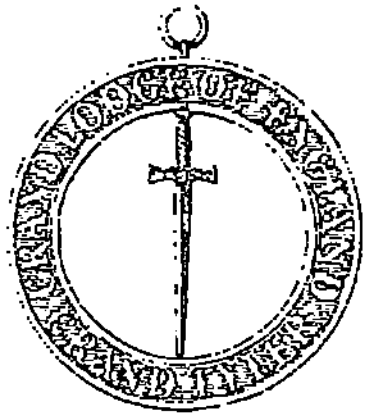

٣

٤

٥

٦

١ و٢ و٣ رموز وأعلام ماسونيّة لحامل الدَّلَم الأكبر ورئيس مجلس المقاصد العموميّة والحارس الخارجي الأكبر – ٤ الاخت ه. ماريا ديرام (M. Deraismes) منشئة الماسونيّة الانثوية – ٥ و٦ احراز ومسوخ ماسونية في الدرجات العليا

الأدب الماني (la Morale laïque) اي الخالي من كل دين المجرَّد عن اعتقاد وجود ديَّان يقضي على البشر. وانما مبناهُ على اعتبار الانسان لذاته والعمل على مقتضى الشرف والخير العامّ وغير ذلك من الالفاظ المطنطنة الفارغة التي لم ينخدع بها غير السذَّج وضعفاء العقل

انَّ الادب الشخصي الصحيح مبني على الشريعة الازلية التي كتبها الله في قلب كل انسان قبل ان يُعلن بها عزَّ وجلَّ على طور سينا لبني اسرائيل في وصاياهُ العشر والتي اختصرها السيّد المسيح في هاتين الوصيتين « أحبب الله من كل قلبك وقريبك كنفسك » وقد جعل تعالى حارسين لوصاياهُ في قلب كلّ انسان اي الوعد بالثواب لمن يحفظها والوعيد بالعقاب لمن يتجاوزها ويخالفها

فلما نبذت الشيعة الماسونية سلطة كلّ مشترع رأت ايضاً في صوت الضمير نوعاً من الوسواس فاسكتتهُ شاء ام أبى واستسلمت لكل الجنايات والمآثم

١ الرياء

هذا اوَّل مبدإ الماسونية الذي تلوذ به الشيعة عموماً . امَّا دليلنا في اثبات الامر بقريب. بيَّنا انَّ جمعيَّة الماسون سريَّة تحتجب على قدر استطاعتها تحت ستر الخفاء وحجاب الظلمة فان سعيتَ بكشف ذلك الستر او باستشفاف ما وراءهُ رذُوك غالباً او خدعوك بمظاهر باطلة او موَّهوا عليك بالاكاذيب الصريحة. ان سألتهم عن تعاليمهم ادَّعوا بما لا يصدقون بقوله. وان عرضت مزاعمهم على بعض الكتابات السريَّة التي وقف عليها طلبة الحقّ واشهروها على رؤوس الملإ وجدتهما على طرفي نقيض. فنتج من ذلك ومن اشياء أخرى عديدة انَّ الماسون اكبر المرائين والنصابين وانَّ آدابهم عموماً مهما زيَّنوها في اعين الناس رواغ وخبث وان اختلفت درجة ذلك الرياء حسب البلاد والاشخاص لأسباب يعرفها زعماء الشيعة (والمتَّحون)

١ فالماسونيّ مُراء في اسمه بحيث لا يجسر غالباً ان يقرّ به قدَّام الناس فيجعل على وجهه مسحاً لئلا يعرفهُ احد . وقد بيَّن ذلك المدعو بدگان (Bidegain) في كتابه « المسرح الماسونية » وقد دعاهُ بهذا الاسم اشارة الى خداعهم. والماسونيّ مُراء في اقواله اذ ينوي شيئاً ويتظاهر بآخر يصرخ « الحريَّة والاخاء والمساواة » ولا يريد الحريَّة الَّا لنفسه واستعباد كل من لا ينقاد لامره . هو مراء في اعماله يزعم انهُ

يطلب خير الانسانية وهو يعادي خير المجتمع الانساني . اذا طلب اصوات قوم ليصيب رتبة يتشدّق بحبّ الوطن وهو يضحي الف وطن لصوالحه . اذا احتاج الى الاكليروس رفعهُ الى السماء واذا استغنى عنهُ صوّرهُ بصورة الابالسة . يطرئ ارباب الامر وهو يسعى بقلبهم وقس عليهِ بقية اعمال الماسون التي نسمع بها كل يوم واختبرناها خصوصاً في هذه الآونة الاخيرة

وليست الماسونية في رياها الّا عاملةً بتعليم الاخ *ه ڤولتير القائل في تحليل الكذب : « لا يكون الكذب رذيلةً الّا اذا اضرَّ بصاحبه اما اذا افادهُ فيكون فضيلة عظيمة . . . اكذبوا يا اصحابي اكذبوا » بخٍ بخٍ !! . وقد سمعنا « فيلسوف الفريكه » (راجع المشرق ١٢ : ٧١٦) يدعو بايدًا كل لبنانيّ لا يسبّ ولا يكذب

٢ الخلاعة والفساد

ان الفضيلة لا تتمكّن في قلب الانسان دون جهادٍ ليقهر الاهواء التي تنازعها ويغلب الشهوات القائمة في سبيلها . ولكن هيهات ان يلجم تلك الشهوات غيرُ لجام الدين وخوفهِ تعالى واتمام وصاياهُ . قال احد كتبة العصر المسيو فوليه (Fouillée) وليس هو من اصحاب الحزب الاكليريكي : « لا يمكننا الّا الاقرار بان الدين اقوى لجام لحفظ الادب »

اما الماسونيّ والذين يجرون على سننهم فاشبه بفرس جموح خلع العذار وتاه في بيداء الضلال . فمنذ صار الحكم في قبضة ابناء الارملة بانت الخلاعة مبانيها . فمن ذلك توفّر اسباب الفساد بين مراسح قذرة وروايات مجونية وصور خلاعيّة واغاني بذيّة ومواخير سجة . وللماسونية في كل ذلك السهم الاوفر ولنا عليهِ شاهد جليل في كتاب رسوم ادخال النساء الى الماسونية الاخ *ه راغون حيث قال (ص ٢٢ و ٢٨) :

« لا دنس يدنّس الانسان الّا القذارة المادّيّة . . . امّا العفّة المطلقة فهي مرذولة عند المسونيين والمسونيّات لانها ضدّ ميل الطبيعة ومن ثم يبطل كونها فضيلة الفيّة »

واعمال الماسون في نشر الفساد متنوّعة منها الزواج المدني الذي انقذهُ الماسوني تاكه فاضعف روابط العائلة وفتح بابًا واسعًا للطلاق . ومنها الزواج العقيم الذي لا يخجل الماسون بنشرهِ بكل وقاحة حتى كادوا يتزفون في فرنسة قوّة الامة وحرموا وطنهم منذ

الحرب السبعينيَّة من نحو ١٥,٠٠٠,٠٠٠ نفس كما بيَّن امام الاقتصاديين (Leroy-Beaulieu: *l'Economiste français*, 1902)

وقال السيد دلامار (١): « انَّ الماسونية بنشرها اسباب الفساد والخلاعة قد اضرَّت بفرنسة اكثر من الحرب السبعينيَّة واخسرتها عدداً اوفر من الرجال ». وهذا التناقص في المواليد يحصل خصوصاً في المقاطعات التي الدين فيها اضعف قوَّةً والماسونية اعلى كعباً ومنها التعليم اللاديني الذي يُفسد قلوب الناشئة ويعرّض بها لكل آفات الرذيلة. فمنذ تربَّعت الماسونية في دست الحكم في فرنسة اي من السنة ١٨٨٠ قد زاد عدد جنايات الاحداث من سنّ السابعة الى السادسة عشرة نحو ستَّة اضعاف فكان عددها وقتئذٍ اقلّ من اربعة آلاف وهي اليوم اكثر من عشرين الفٍ حتى اقرَّ احد القضاة المسيو كويلو (Mr Guillot) بذلك فقال: « انَّ عدد جنايات الاحداث ينمو كل سنة بنموّ التعليم اللاديني »

٣ المضاربات

لا نخصّ الماسون بالمضاربات الّا انَّ مبادئ الماسونيَّة التي ذكرناها تولع كثيرين بفخاخها قال المسيو كريفو (P. Griveau) في كتابه الحكومة اللادينيَّة منذ ٢٥ سنة

« على قدر ازدياد الفساد يزيد طمع الانسان في الربح حتى يحصل على قسم اوفر من ملذَّات هذه الحياة بعد ضعف رجائه بالآخرة. على انَّ الربح لا يكون منتظماً الّا بالاقتصاد والعيشة المرتَّبة. وهيهات ان تكون العيشة نظاميَّة اذا كان اقصى مرغوب الانسان الخطوى بالجاه ورغد العيش فيطلب لهُ طريقة مختصرة للاستغناء. فيظنّ انَّهُ يجدها بالمقامرة والمضاربات التجاريَّة والعاب البورصة. والجرائد الماسونيَّة اوَّل سماع في رواجها ودفع الناس اليها. قال برودون (Proudhon): ان اعمال البورصة اضحت للقرن التاسع عشر بمثابة وصايا الله العشر ففلسفتهُ البورصة وادبهُ البورصة ووطنه البورصة ودينهُ البورصة. وكان لو اراد يعمّم قولهُ في كل اجناس المقامرات التي اصبحت اليوم قسماً من التمدُّن العصري لصحَّ ايضاً قولهُ. فانَّ المراهنات التي تصير سنويًّا في مرمح الخيل وسباقها في باريس تنيف اليوم على مئتي مليون فرنك. فيا لله كيف يُعدّ مثل هذا الجنون تمدُّناً فانَّ عيشة همج افريقية افضل منها ». ونكرّر قولنا انَّ

(١ Delamarre: *Le Franc-Maçon voila l'ennemi !*, p 39

الماسونية ليست وحدها علة هذه العدوى لكنّ مبادئها اللادينية تفشيها كثيراً . ولما قلّ الدين بمساعي الماسونية في بلادنا زاد هوس الناس بالمقامرات . وكل يعرف كم سقطت عيال بسببها وكم خصر رجال معتبرون شرفهم بعد استسلامهم لاخطارها . وكم . . . وكم . . . وان اردت الوقوف على سيئاتها فاحضر فقط ساعةً بين اللاعبين ترَ عجائب غرائب . ومثل مصر حاضر لذاكرة كلّ شرقي فانّ المضاربات التي جرت هناك قبل ثلاث سنوات قد اوقعت البلاد في وهدة الذلّ والخراب وافقدت اهلها كل اعتبار مالي

٤ السرقة

كان الاخ . . برودون وضع في تآليفه هذا المبدأ العجيب « انّ مُلك الارزاق سرقةٌ » . (Le propriété c'est le vol) . فما كان بين هذا التعليم ومذهب الاشتراكيين الّا قاب قوسين فادّعى الاشتراكيون وهم اخوة الماسون انّ لكل الناس حقوقاً متساوية في اغراض هذه الدنيا وحلّلوا النهب والسّلب كلّما رأوا نفوسهم في حاجة الى شيء او وجدوا غنيّاً يملك على ما يزيد عن حاجته . قال احد زعماء الماسونية ليريسو دي فارفيل (١ :

« ينبغي ان تكون ثروتنا على قدر احتياجاتنا فاذا كان مقدار اربعين ريالاً كافياً للقيام بأودنا اضحى تملّك مائتي الف ريال سرقةً ظاهرة جائرة . وان اختصّ الانسان لنفسه شيئاً كان عائداً اثماً في حقّ الطبيعة . فالاحتياج هو الاساس الوحيد لما نملكهُ . . . انّ الشرائع الاقيّة تقتصّ من السارق مع انّ السرقة عمل فضيلة تأمر به الطبيعة عينها . انّما الاغنياء الفجّار ويلٌ لكم اذ تبيعون الارزاق وتشترونها فانكم تتصرّفون بما ليس هو لكم فلا يستطيع البائع ان يبيعكموها ولا يجوز لكم ان تشتروها فانّها ليست لكم ولا لبائعكم »

فبناء على هذه التعاليم لم يزل الماسون في كل ثورة يهيّجون الغلة والغوغاء على منازل الاغنياء او اوقاف الكنيسة واديرة الرهبان فاستصفوا اموالهم وتقاسموها بينهم . وهكذا كانوا صنعوا في ايام الثورة الفرنسوية الكبرى وبعد ان وعد نابوليون بتعويض خفيف عن تلك المساوبات عاد الماسون وقطعوا ظالماً رواتب الاكليروس التي كانت ديناً واجباً على الدولة وكذلك سلبوا اموال الرهبانيات وكانوا من اوقاف المؤمنين وكانوا ادّعوا انها تبلغ ١٥ مليارًا وتكفي لسدّ حاجات الشعب الفرنسوي . فلما

---

١ طلب كتابهُ Recherches philosophiques sur le droit de propriété.

اغتصبوها وجدوا انها اقلّ من مليار واحد وبعد ان باعوها لم يفتّ منها غير الماسون كما ظهر في دعوى دواز (Duez)

وما قرئنا بمسألة پناما التي سوّدت وجوه كثيرين من الماسون وبينهم اصحاب الوظائف العالية والمبعوثون والوزراء. فبلغ ما فقدت فرنسة بسببهم ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. والعجب العجاب انّ اكثرهم بنفوذ الشيعة ذهبوا مبرّئين مزكّين

ولا تمرّ علينا سنة دون ان نسمع مثل هذه الاعمال المشينة كأمر روشات (Rochette) مثلاً التي هاجت لها الصحافة موخّراً

وما لنا نطلب البعيد أنسي الماسون انّ اخوانهم الموظّفين بينهم في الدرجات العالية افرغوا صندوق العشيرة غير مرّة فانّ اخبارهم مهما سعى الاخوة في كتمانها ظهرت للنور واعلن بها اصحاب البيت فضلاً عن « الجزويت الجواسيس »

وان كان هذا فعلهم بمالية جمعيّتهم فما قولك بمال الناس والشركات وغيرها. فان بعض الماسون وقتاً لمبادئهم يرونهُ حلالاً فيختلسونهُ بطرائق شتى وهم يعلمون انّ لاخوتهم في الشيعة الف واسطة تبريرهم اذا ابدى الصريح عن الرغوة

٥ القتل والانتحار

بين العلامات التي يتعلمها الداخلون في الماسونية عدّة اشارات تدلّ على قطع الرأس وفتح الصدر وبعج البطن. بل للسيف والخنجر في رتبهم مقام ممتاز فتارةً يتهددون به الطالب وتارةً يجعلونهُ على صدره وحيناً يضعونهُ في يده ويأمرونهُ ان يضرب به تصاوير شتى. قال الماسوني راكزن في شرح هذه العلامات « انهم ارادوا بذلك ان يأتمنوا الماسوني ويعلموهُ بانّ حياتهُ وحياة الناس طوع بنانه فيكون دائماً مستعداً لقطعها اذا اقتضى الامر وحكم عليه بذلك رؤساء الماسونية »

ولم يبق هذا في حيز الاشارات بل علّمهُ الماسون جهاراً. قال الماسوني فشت (Fichte): « كل شيء جائز لناهضة الذين يعارضوننا في اعمالنا: القوّة والغدر. السيف والنار. الخنجر والسم »

وفي أيام الثورة الفرنسوية شكّل الماسون في فرنسة لجنةً من الفداويين ليقتلوا كل من يرونهُ عائقاً في سبيلهم معترضاً لهم في اتمام مقاصدهم السيئة. وفي السنة ١٨٤٨

وصف العلّامة دي سامي في جريدة الديبا (Débats) شركة ماسونيّة تأسّست في ايطالية جعلت هذا المبدأ في مقدّمة مبادئها: « يجوز قتل الانسان المخالف لك في السياسة وخصوصاً اذا كان قديراً ذا سلطة ». وقد ذكرنا سابقاً بعض الذين قتلهم الماسون من المشاهير

اما الانتحار فقد علّمهُ الماسوني جان جاك روسو حيث كتب في تأليفهِ (Nouvelle Héloïse): « انّنا اذا قطعنا حبل حياتنا بالانتحار لا نرتكب اثماً البتّة. لا امام الله ولا امام الناس اذا ما كانت ثقلاً لنا . . . . لا بل انّ الذي يقتل نفسهُ يبيّن بانّهُ فيلسوف ورجل فاضل عظيم » كذا !. وفي الماسونية المنورة: « انّ الانتحار احسن ختام لحياة الانسان اذا وجد حمل الحياة ثقيلاً ». ولو اردنا تعداد الذين قتلوا حياتهم من الماسون وفقاً لهذهِ التعاليم لطال جدول اسمائهم منهم جان جاك روسو السابق ذكرهُ

٦ الخرافات الباطلة

انّ الذي يبتعد عن الله وعن الدين الصحيح كثيراً اما يذلّل نفسهُ باعتقاد الخرافات والدين الباطل. وقد كتبنا فصلاً في خرافات الملحدين (راجع المشرق ١١ : ٦٣٧) فبيّنا انّ الزنادقة اقرب من غيرهم الى تصديق الخرافات. ومثلهم الماسون فانّ بين ادواتهم التي يتباهون بها ما يشبه خزعبلات العجائز وبعد ان نبذوا ايقونات افاضل البشر والقديسين زانوا صدورهم بآلات الماسون كالزاوية والبيكار. وبعضهم قد اتخذ صور حيوانات سمجة كالخنازير وغيرها. بل وجدنا في تركة احد الماسون الذي تاب عن الماسونيّة واورثنا كل حليّهِ صور اصنام أعطيها في الدرجات العليا فاثبتناها افادة القرّاء. (اطلب الصورة)

ونختم باب الآداب الماسونيّة بما قلناهُ في اوّلهِ انّ الجمع بين لفظتي الادب والماسونية كجمع المتنافيات وجمع الظلمة والنور وان الادب الماسوني هو عدم الادب. فحذارِ حذارِ من الدخول في الجمعيّات الماسونيّة لانها قاتلة لكل ادب

(ستأتي البقيّة)

اولياء الله في لبنان

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

فصل في النساء القديسات المكرّمات في لبنان

في لبنان ما عدا الاولياء الذين ذكرنا لباب اخبارهم في مقالتنا السابقة بعض النساء الصالحات اللواتي يكرمهنَّ اهل الجبل فها نحن نسرد ايضاً خلاصة سيَرهنَّ تتمةً للفائدة واستيفاء للموضوع

﴿ افراسية البتول ﴾ ورد ذكرها في الكلندار الماروني في ١٣ آذار وفي ٢٥ ايلول. ازهرت في اواخر القرن الرابع والعشر الاوّل من الخامس. تنتمي الى والدين صالحين من سراة القسطنطينيَّة تكرمهما الكنيسة اليونانيَّة. ثم انتقلت بعد موت والدها مع امّها المسماة مثلها افراسية الى مصر وعمر الفتاة سبع سنوات فقط وكان لاهلها هناك ارزاق وافرة. وفي اثناء اقامتها في القطر المصري دخلتا في دير للراهبات لتزوراهُ فشغف قلب الابنة بمنظر العابدات ولم تشاء ان تنصرف عنهُ ولم تزل تلحّ على امّها وعلى رئيسة الدير حتى رضيتا بتبتُّلها فارسلت الى خطيبها في القسطنطينيَّة انّها اقترنت بخطيب اكرم واشرف منهُ. ولما توفيت امُّها في تلك الاثناء فرّقت افراسية كل اموالها على الفقراء وعاشت في ذلك الدير ٢٣ سنة بممارسة كل الفضائل الرهبانية واعمال النسك والتقشف. ومن جملة ما منحها الله من الكرامات طردُ الارواح النجسة. كانت وفاتها في ١٣ آذار من السنة ٤١٠ وعمرها ٣٠ سنة. اطاب ترجمتها المطوّلة في مروج الاخبار (ص١٦٥) وراجع مكتبتي القديسين اللاتينيَّة (BHL, 408) واليونانية (BHG,87) واعمال البولنديين (Act. SS., Mart. II,727)

وقد قرأنا في سنكسار ماروني مخطوط ذكر بتول اخرى بهذا الاسم في ١٨ أيار يقال هناك انّها كانت في أيام الملك مكسنتيوس وانَّ بعض الجنود اراد ان يغتصبها فنجّت نفسها منهُ بالحيلة فقتلها. ولم نجد ذكرًا لهذه الشهيدة في غير هذا السنكسار

﴿ اقويلينة ﴾ ورد ذكرها في السنكسارات اليوناني واللاتيني والماروني في ١٣ حزيران كان اصلها من جبيل من اعمال فينيقية وعاشت في عهد ديوقلطيانوس وفي

أيامهِ استشهدت. وذلك انَّها سمعت حقائق الايمان من اسقف المدينة فتقتها وهي حديثة السنّ ثم اخذت تسعى في تنصير اهل بلدها فسمع بذلك الحاكم ڤولسيان وارادها على جحود النصرانيَّة فأبت واحتملت لاجل ايمانها ضروب العذابات ثم قُطع رأسها في السنة ٢٩٣ للمسيح. اطلب ترجمتها في اعمال البولنديين (Act. SS., Jun. II, 673-678) وفي مكتبة القديسين اليونانية (BHG, 25) وكلندار الكنيستين (Kalend. utr. Ecclesiæ, I, 181) وكان صاحب مروج الاخيار نسيها في كتابهِ فأدرجت سيرتها في قطف الازهار من مروج الاخيار (عدد ١٧ ص ٥٢)

﴿ اليصابات ﴾ هي نسيبة العذراء مريم ووالدة القديس يوحنَّا المعمدان المذكورة في انجيل القديس لوقا والممدوحة هناك لاجل برارتها. اكرامها في لبنان شائع كشيوع اسم الصابغ. وكثير من النساء يسمَّينَ باسمها. وذكرها واقع في الكلندار الماروني مع قرينها القديس زكريا في ٢٥ حزيران امَّا السنكسار الغربي فيذكرها في ٥ تشرين الثاني

﴿ اوفيمية ﴾ تظنّ انها التي تُدعى في بعض انحاء لبنان فوميَّة. هي احدى البتولات الشهيرات باعمالهنَّ والمستشهدات لاجل الايمان. كان اصلها من خاقيدونة من اسرة شريفة معروفة بتقاها وايمانها. فتربَّت الابنة احسن تربية. وفي غضون ذلك اغتصب الكان ديوقلطيانوس ومكسيميانوس النصارى وامرا بقتل من لم يجحد هذا الدين فنال اهلُ خاقيدونة من ذلك محنٌ عديدة باغراء احد اعداء النصرانيَّة المسمى ايليانوس على يد حاكم المدينة برسكوس. واذ كانت اوفيمية معروفة بغيرتها واعمالها الخيريَّة دعاها الحاكم وامتحنها فلم يغلب ثباتها فامر ان تُلقى للسباع فعضَّها واحد منها بينما كان الباقون حولها كالحملان. وقع استشهادها سنة ٣٠٣ للمسيح في ١٦ ايلول. وانتشر ذكرها في كل انحاء الشرق. وعيدها واقع في الكنيسة اليونانية في ١١ حزيران. اطلب ترجمتها وتفاصيل اعمالها في البولنديين (Act. SS., Sept., V. 252—286) راجع ايضاً كلندار الكنيستين (Nilles: *Kalend. utr. Eccl.*, I, 207) ومكاتب القديسين اللاتينيَّة (BHL, 407) واليونانية (BHG, 86) والشرقية (BHO, 67)

﴿ بربارا ﴾ المرجَّح انَّ هذه البتول كانت من نيقوميدية. وكان ابوها مشركاً عريقاً بالشرك اسمهُ ديوسقورس اما ابنتهُ فاتاح لها الله نعمة الايمان على يد احد

علماء المسيحيين فثبتت عليه رغماً عمّا اصابها من ضروب التنكيل من والدها الشرس الاخلاق ومن حاكم المدينة مرقيانوس. وتمت استشهادها بقطع راسها . وعيدها في كنائس الشرق والغرب في ٤ كانون الاوّل وتُذكر في ١٦ منهُ وقد اختلف الكتبة في رواية اخبار هذه القديسة ومكان استشهادها وزمانها. والبعض يجعلونها من اهل بيروت كما روى صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ١٧) والبعض يزعمون انها من بعلبك ويذكرون انّها استشهدت مع القديسة يوليانة في عهد الملك مكسيمينوس نحو سنة ٢٣٦ وقد اثبتنا في المشرق (١:١١٣١ و١٢:٩٥٦) المديحة التي ينشدها العامّة في عيدها فلتراجع. اطلب ايضاً اخبارها في مروج الاخبار (ص ٧٥٣) وفي كلندار الكنيستين (Nilles, *l. c.*, I, 341) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 142) واليونانية (BHG, 32) والشرقية (BHO, 32)

﴿ ترازيا ﴾ هي قديسة حديثة العهد ولدت في اڤيلا من بلاد اسبانية سنة ١٥١٥ وتوفّيت في ١٤ تشرين الاول سنة ١٥٨٢ هي مصلحة رهبانية الكرمل اتت في حياتها باعمال عجيبة قلّما يأتي بها كبار الرجال. وقد انتشر اكرامها في الشرق على يد المرسلين اللاتينيين لا سيما الكرمليين. اطلب تفاصيل اخبارها في مروج الاخبار (ص ٦١٨)

﴿ تقلا ﴾ ويقال ثرثت (Θεκλα) تقلا. من مشاهير قديسات الشرق واقدمهنّ لكنّ اخبارها مضطربة تلاعبت فيها الايدي وكثرت الاقاصيص الضعيفة. والمرجح ان مولدها كان في ايقونية فلما مرّ القديس بولس بتلك المدينة مبشراً بالمسيح سمعت تعاليمهُ فتنصّرت وانفقت ماثلها على اعمال الخير. ونذرت العفّة فسمع بذلك خطيبها واغرى والي المدينة عليها فحكم عليها بالعذابات فلم يستفد شيئاً فاطلق اخيراً سبيلها فخرجت البتول من مدينتها واعتزلت في سلوقية من اعمال ايزورية. واهل معلولة يزعمون انها مدينتهم المسمّاة قديماً بارقية. وهم يُرون عندهم قبرها وكنيستها كانت وفاة القديسة تقلا في اواخر القرن الاوّل للمسيح في ٢٣ من شهر ايلول وقيل ٢٤ منهُ (اطلب كلندار الكنيسة البيزنطي في المشرق ٥:٦١) ويذكرها الموارنة في ١٥ ايلول ولهم كنائس على اسمها في وادي شحرور وبكاسين وغيرهما وفي كلندار صليبا اليعقوبي تُذكر في ٦ حزيران (Peeters : *Martyr. de 'Rabban Sliba*, 186 et 193)

وفي ٣٠ آب والسريان يذكرونها في ١٢ تشرين الثاني. راجع اعمال البولنديين (Act. SS., Sept. VI, 546—586) وكلندار الكنيستين (Nilles, l. c. I, 283) ومكاتب القديسين (BHL, 1161) واليونانية (BHG, 242) والشرقية (BHO, 252) ومروج الاخبار (ص ٥٥٤)

﴿ حنّة ﴾ امّ والدة الاله وزوجة القديس يواكيم. اخصّ ما نقلهُ عنها التقليد انّها كانت مثال البرّ والتقى وانّها كانت عاقراً فنالت من الله بحسن عبادتها ان تلد مريم العذراء. اطلب ترجمتها في مروج الاخبار (ص ٤٠٣) وعيدُها واقع في ايّام مختلفة. يذكرها الغربيّون في ٢٥ تموز والشرقيّون في ٩ ايلول و ٩ كانون الاوّل و ٢٥ تموز ايضاً اطلب البولنديين (Act. SS. Jul. VI, 233-297) وكلندار الكنيستين (Nilles. l. c. I, 222) ومكاتب القديسين اللاتينيّة (BHL, 89) واليونانيّة (BHG, 19) والشرقيّة (BHO, 14). وذكرها ربّان صليبا (Peeters, l.c. 189, et 194) في ٢٥ تموز حيث يدعوها «دينا» وفي ٨ ايلول

﴿ شموني ﴾ هي القديسة الشهيدة والدة الفتية المكابيين السبعة التي قُتلت مع ابنائها والمعازر الشيخ بعد اصناف العذابات لانكارهم الطاعة على الملك انطيوخوس ابيفانيس وكان يريد ان يضطرّهم على جحود شريعة موسى النبيّ. وتفصيل اخبارهم في سفر المكابيين الثاني في الفصلين السادس والسابع وذكر القديسة شموني شائع في كنائس الشرق وخصوصاً عند السريان والكلدان. وعيدها واقع في ١ آب ولها ذكر ايضاً في ١٥ ت ١. اطلب كلندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 230) وكلندار ربّان صليبا (Peeters, l. c., 190)

﴿ كاترينا ﴾ هي البتول الاسكندريّة العظيمة والشهيرة في الشرق والغرب. كان ابواها وثنيين الّا ان الله وهبها نعمة الايمان بطريقة عجيبة فاعتنقتهُ بكل حرارة بل دافعت عنهُ امام الملك مكسيمينوس لما قدم الاسكندريّة في سنة ٣٠٧ فحكم عليها بالموت بعد ان امتحنها بالدواليب الحديديّة وعذابات اخرى. وقيل انّ جسدها نقلتهُ الملائكة الى طورسينا والله اعلم (اطلب المشرق ٧ : ٧٦٥). وعيد القديسة في كل الكنائس في ٢٥ تشرين ٢. اما ترجمتها فتجدها في مروج الاخبار (ص ٧٢٢). راجع ايضاً كلندار الكنيستين (Nilles, l. c. I, 335) ومكاتب القديسين

اللاتينيَّة (BHG, 251) واليونانية (BHG, 5) والشرقيـة (BHO, 7) ونشرة البولنديين (Anal. Boll., XXVI, 13-32) حيث نُشرت ترجمة مخطوطة نقلًا عن احد كتب مكتبتنا الشرقية

﴿ مارينا ﴾ ويقال ماريا ومارينوس . جاء في السنكسار المارونيّ مـا ملخصهُ انَّهُ كان في بلاد الشام رجل من اتقياء المسيحيين كان لهُ ابنة تُدعى مارينـا فلمَّا توفيت زوجتهُ عزم على الترهب بعد زواج ابنتهِ لكنَّ هذه توسلت اليـهِ بان لا يفصلها عنهُ فالبسها لبس الرجال وسمَّاها مارينوس وترهبا معاً . وبعد مدَّة مات الاب وبقيت مارينا في دير الرهبان متنكرة الى ان ارسلها الرئيس يوماً الى مدينة لقضاء بعض حاجات الدير فباتت في خانٍ ليلةً . وكان لصاحب الخان ابنة مرهقة خطئت في تلـك الليلة مع بعض معشوقيها فحملت ثم اتَّهمت المدعوّ مارينوس بانه اغتصبهـا . فرُفع الامر الى رئيس الدير الذي عاقب الراهب وافرزهُ عن الرهبان وامرهُ ان يقوم بأود ابن الزنا من ابنة صاحب الخان فسكت مارينوس وقبل القصاص حبًّا بالله واعتنى بتربية الولد مدَّة ثم مات بعد ذلك بقليل . فقبل دفنهِ عرف الرهبان بانَّ الراهب المزعوم انثى وظهرت تهمة ابنة صاحب الخان التي اقرَّت بشهادتها الزور . وجرى على يد مارينا كرامات عديدة . فهذه القصَّة كشبه الروايات الخيالية والعجب انَّها تُروى بكل ظروفها في بلاد شتى كبيثينية ومصر وبلاد انكرج ما يدلّ على انَّها مصنوعة وقد جمع العلَّامة كاونيه (Clugnet) كل هذه الروايات في مجلَّد واسع دعاهُ ترجمة القديسة مارينا (Vie de Ste Marine) . وعيدها واقع في ١٧ تموز وقد ذكرها البيروني في كاندار الكنيسة الانطاكية في تاريخ ٣ تشرين الاوَّل (اطلب المشرق ٥ : ٤) ودعاها مارية الراهبة التي لبست ثياب الرجال وترهَّبت . راجع مروج الاخبار (ص ٣٨٨) واعمال البولنديين (Act. SS., Jul. IV, 286) ومكاتب القديسين اللاتينيـة (BHL, 813) والشرقية (BHO, 151)

﴿ مرتا ومريم المجدلية ﴾ هما الاختان اللتان خصَّصهما السيّد المسيح بنعم سابغة فاقام اخاهما ونزل ضيفًا كريمًا في بيتهما . وكانت مريم المجدلية خاطئة فتابت الى الرب وكفَّرت عن آثامها بندامة صادقة حتى استحقَّت ان يقول السيد المسيح عنها انَّهـا احبَّت كثيرًا فلذلك غُفرت لها خطايا كثيرة . واعمالها وردت في الانجيل الطـاهر وبقي

ذكرهما حيًّا في الكنائس الشرقية. اطلب ترجمتهما في مروج الاخبار (ص ٢٩٣و٤٠٦) وعيدهما واقع في شهر تموز في ٢٢ (مريم المجدلية) و٢٩ (مرتا) راجع اعمال البولنديين (Act. SS., Jul. V, 188 et VII, 6) والنشرة البولندية (Anal. Boll., XII, 296) ومكتبة القديسين اللاتينية (BHL,804 et 816) واليونانية (BHG, 162). واعلم انَّ اليونان يفرزون بين مريم المجدلية ومريم اخت مرتا والخاطئة

﴿ مرت مورا ﴾ تُكرم هذه القديسة في ميفوق وبلاد الجَّة وهناك دير قديم للرهبان البلديين على اسمها. وقد ورد ذكرها في الكلندار الماروني الذي نشرناه (في المشرق ٨:٨٧٢) في ١٠ تشرين الثاني وفي ٢٥ ايلول. وتُذكر في ٣ أيار وفي ٧ منهُ. والبولنديُّون يذكرونها في ٣ أيار (Act. SS., Mai II,381) راجع كلندار الكنيستين (Nilles, *l. c.* ,I, 151). كانت من نصارى الصعيد مقترنة بالزواج مع شمَّاس يُدعى طيموطاوس. فلما تملَّك ديوقلطيانوس واراد محو آثار النصرانية. دعا اريانوس الحاكم طيموطاوس ومورا الى التوثن فأبيا بسالة فعلَّقهما على الصليب وقتلهما صبرًا نحو السنة ٢٨٣ للمسيح

﴿ هيلانة ﴾ هي الملكة الشهيرة امّ قسطنطين الكبير. اصلها من الرها وهي التي حثَّت لزوجها قسطنس الدينَ النصراني واعدَّت لقبول هذا الدين قلب ابنها قسطنطين ومن شريف اعمالها اكتشافها لخشبة الصليب المقدَّس وتشييدها عددًا لا يُحصى من الكنائس في فلسطين توفيت السنة ٣٢٨. والكنيسة اللاتينية تكرمها في ١٨ آب امَّا الكنائس الشرقية فخصَّت اليوم الحادي والعشرين من أيار لذكرها مع قسطنطين ابنها. اطلب ترجمتها في البولنديين (Act. SS., Aug., III, 580) وراجع (Nilles, *l. c.* I, 163) ومكتبتي القديسين اللاتينية (BHG , 56) واليونانية (BHL , 563)

هذا ما وجدناه في لبنان اكثر شيوعًا من اكرام القديسين ولم نذكر كما رأيت السيدة البتول مريم العذراء امامها فوق كل اولياء الله. وقد امتاز اللبنانيُّون مع كل الشرقيين بعبادتهم الى والدة الله فلا تجد في جبلهم قرية تخلو من كنيسة وعلى الاقلّ من هيكل لذكر البتول. وكذلك مزاراتها عديدة يحجُّ اليها الناس ليتبرَّكوا بها وينالوا نعمها. وقد جمع الابوان بطرس مرتينوس (P. Martin) ويوسف غودار

(Joseph Goudard : *Marie au Liban*) آثار عبادة اللبنانيين نحو مريم العذراء فبلغت مجموعتها مجلداً ضخماً ولم يُطبع الا التأليف الثاني فقط بتصاوير بديعة . ولا نُطيل الكلام في اعياد العذراء عند الشرقيين لشهرتها . اطلب مكتبة القديسين اللاتينية (BHL, 791) واليونانية (BHO, 137) والشرقية (BHG, 147)

ثم انهُ لا بُدَّ ان يكون القارئ لحظ من جدول هؤلاء الابرار انَّ معظمهم لم يعيشوا في لبنان وانما كانوا من البلاد المجاورة كانطاكية وقيليقية وفلسطين ومصر ونواحي الفرات او كانوا يُكرمون في الكنائس السريانية عموماً او اشتهروا بعد الصليبيين بواسطة المرسلين . ومن غريب الامور ان القديسين الذين اشتهروا في سواحل الشام كالقديس لاونسيوس في طرابلس وشهداء صور وبعض سياح لبنان لم يعرفهم اللبنانيون وفي ذلك دليل واضح على ان الموارنة اتوا من جهات انطاكية وقورش وشمالي سوريَّة فداوموا على اكرام القديسين الذين ألفوا اكرامهم في تلك الجهات

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي

لمَّا باشرنا قبل عشرين سنة بنشر تأليفنا الموسوم بشعراء النصرانيَّة كان قصدنا ان نقدّم عليه فصلاً موسّعاً في النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة . لكنَّ الانسان في التفكير والله في التدبير فاضطرَّتنا الاحوال قبل نجاز الكتاب الى السفر الى البلاد الاجنبيَّة حيث قضينا خمس سنين منقطعين الى دروس اخرى شغلتنا عن الشرق وعن العلوم الشرقيَّة ولمَّا انكفأنا راجعين الى الوطن انثالت علينا الاشغال من كل وجه حتى انصرف فكرنا الى همّ كل يوم بيومه وتسويف الوعد الى أجل غير مسمًّى

على انَّنا لم ننسَ تماماً بوعدنا بل كنَّا في زيارتنا المكاتب العموميَّة في اوربَّة وابَّان دروسنا الخصوصية ندوّن ما يحضرنا من ذلك ونعدّ الموادّ لهذا البناء املاً بتشييده قريباً لا بل كنَّا اذا ما سنحت الفرصة نُسلف القرَّاء من تعليقاتنا قطعاً تجدها في بعض مقالاتنا في المشرق كنصرانية غسَّان (١ : ٥٠٩ و ٥٥٤) ودين امرئ القيس الشاعر الجاهلي (٨ : ٨٨٦ و ٩٤٩) وغير ذلك مما جعلناهُ كتمهيد لمقال اطول

وزد على ذلك انَّ التشديد الزائد في مراقبة المطبوعات كان يمنعنا عن ايضاح افكارنا كما كنَّا نودّ فكان الامر يخمد همّتنا و يثبط عزمنا

فاليوم والحمد لله قد توفَّر الطريق وتسهلت الامور فيجوز لنا ان نستوفي هذا البحث على قدر الامكان. ولنا على كتابته وسائل جديدة في ما سطَّره اصحاب الرحل الحديثة الى بلاد العرب وما نقلوهُ من الآثار القديمة كالكتابات الحميريَّة والنبطية والصفويَّة واليونانية وكالتصاوير والتماثيل التي وُجدت في اطراف جزيرة العرب مع ما نُشر في هذه السنين الاخيرة من التآليف المفقودة في السريانية واليونانية والعربية وما كتبهُ المستشرقون في هذه الاكتشافات فراجعنا كل ذلك لنقتبس منهُ انوارًا نستضيء بها في بنيَّات طريقنا

على انَّ البحث في النصرانية وآدابها يقتضي نظرًا سابقًا في جزيرة العرب واقسامها واهلها يليهِ بحث ملخَّص في اديان العرب القدماء قبل ظهور الدين النصراني وانتشارهِ في احياء العرب

١ جزيرة العرب : موقعها واقسامها واهلها

خصَّ الله جزيرة العرب بموقع عجيب كان سبب غناها وجعل لها حصنًا طبيعيًا يصونها من سيطرة الامم الفاتحة بما بسط فيها من المفاوز والصحارى القحلة . فتراها متوسطة بين آسية وافريقية ترتفق على سواحل بحر العجم والهند والقلزم من ثلث جهات وتزاحم من الشمال الشرقي الى الشمال الغربي بلاد العراق وما بين النهرين والشام ومصر . فكانت مجاورةً لمهد البشر الاوَّل تنظر الى نموّهم وترقيهم وفتوحاتهم وربَّما كانت وصلةً بينهم ومستودعًا لتجارتهم الَّا انَّها لم تدعهم يزحفون عليها ليضربوا فيها اطنابهم وان فعلوا على رغم منها كان دخولهم في براريها كسحابة صيف لم تلبث ان تنقشع فيعود اهلها الى استقلالهم

جزيرة العرب مربَّع مستطيل يمتدُّ من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وهو في جنوبهِ اعرض منهُ في الشمال و يبلغ سطحهُ نحو ٦٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع قسمها اليونان ثم الرومان من بعدهم الى ثلاثة اقسام : العربيَّة الصخريَّة وكانت قاعدتها سلع (סלע) المسمَّاة بترا (Petra) تمتدُّ خصوصًا في شبه جزيرة سينا . ثم العربيَّة القفرة غير

المأهولة اخصبها المنازات الواقعة في اواسط العرب في نجد وتهامة واليمامة الى جهات عمان والمهرة. ثم العربية السعيدة وهي اليمن لخصبها

اما العرب فلم يعرفوا هذا التقسيم وانما قسموا بلادهم الى عدّة انحاء اخصبها صحارى نجد في اواسطها يليها الحجاز مشرفاً على البحر الاحمر بينهما تهامة. وفي الجنوب الشرقي اليمن وحضرموت ومهرة في شمالها البحرين وعمان على سواحل بحر الهند. وفي شمالها الغربي الجوف واليمامة. ثمّ هجر او الاحساء على سواحل خليج فارس ثم العراق العربي وبوادي الجزيرة الى بادية الشام شرقي دمشق حيث حوران واللجا والصفاء والبلقاء وجولان الى برّية طور سينا

اما سكّان جزيرة العرب فقد قدموا اليها من الشمال واستوطنوها وكانت زحفات القادمين تتوالى فتدفع القبائل الجديدة امامها العشائر السابقة الى ان وجد هؤلاء البحر في وجههم وربّما تجاوزوه اذا وجدوا فرصةً تمكّنهم من قطعه كما فعلوا في الحبشة وفي مصر في عهد السُلالة المعروفة بالرعاة (الهكسس). وهذه القبائل لم تكن كلّها من اصل واحد فكان بينها قوم من ابناء كوش المنتسبين الى كنعان بن حام فسكنوا خصوصاً بعض جهات اليمن. الّا انّ معظمهم ينتسبون الى قحطان او قحطان من ذرّية سام. وقد فرق الكتاب الكريم بينهم (مزامير ٧١ : ١٢) فدعا الاوّلين سبا (סבא) والاخرين شبا (שבא). ويضاف الى الساميين منهم ابناء اسماعيل بن ابراهيم اخصّهم النبطيّون والقيدارّيون وابناء قطورة زوجة ابراهيم ومنهم المدينيّون وكانت سُكنى هؤلاء في بادية الشام وشرقي بحر لوط وفي شبه جزيرة سينا وقسم من الحجاز

٢ اديان العرب قبل النصرانيّة

ليس بحث أغمض من تعريف اديان العرب في الجاهليّة . وان استفتينا كتبة الاسلام في ذلك وجمعنا كل ما اثبتوه في تآليفهم التي نجت من تخاليب الزمان لما زاد مجموعها على اسطر قليلة. وكان ابن الكلبي ألّف كتاباً في اصنام العرب الّا ان كتابهُ قد ضاع ولحسن الطالع قد نجا معظمهُ بما نقلهُ عنهُ اصحاب معاجم اللغة وياقوت في معجم البلدان. وكذلك روى الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ٤٤) كتاباً آخر في الاصنام للجاحظ وهو ايضاً مفقود وقد جمع بعض المستشرقين كاردلف كراهل (L. Krehl : *Ueber die Religion der vorislamischen Araber*) والعلّامة

فلهوسن (Wellhausen : *Reste arabischen Heidentums*) ما عثروا عليه من ذلك على انَّ هذه المنقولات لا تشفي غليلًا وكثيرًا ما تجدها مضطربة متناقضة فلا تعرف الغثَّ بينها من السمين. ولعلَّ اوسع ما جاء في ذلك ما كتبهُ الشهرستاني في الملل والنحل واحمد بن واضح المعروف باليعقوبي وهذا نصُّهُ (طبعة ليدن ج ١ ص ٢٩٤ — ٦٩٦):

« وكانت اديان العرب مختلفة بالمجاورات لاهل الملل والانتقال الى البلدان والاستجاحات فكانت قريش وعامّة ولد معدّ بن عدنان على بعض دين ابراهيم يحجّون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظّمون الاشهر الحرم وينكرون الفواحش والقاطع والظالم ويعاقبون على الجرائم فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معدّ ثعلبة ابن اياد بن نزار بن معدّ. فلمّا خرجت اياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيّروا ما كان عليه الامر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد ان تطلع الشمس وخرج عمرو بن لُحَيّ واسمُ لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الى ارض الشام وبها قوم من العمالقة يعبدون الاصنام. فقال لهم: ما هذه الاوثان التي اراكم تعبدون. قالوا: هذه اصنام نعبدها نستمطرها فتُمطَر ونستسقي بها فتُسقى. فقال: ألا تعطوني منها صنمًا فاسير به الى ارض العرب عند بيت الله الذي تفد اليه العرب. فاعطوهُ صنمًا يقال لهُ هُبل فقدم به مكّة فوضعه عند الكعبة فكان اوّل صنم وضع بمكّة ثم وضعوا به إساف ونائلة كلّ واحد منهما على ركن من اركان البيت. فكان الطائف اذا طاف بدأ باساف فتلقّاه وختم به ونصبوا على الصفا صنمًا يقال لهُ « مجارز الريح » وعلى المروة صنمًا يقال لهُ « مطعم الطير » فكانت العرب اذا حجّت البيت فرأت تلك الاصنام سألت قريشًا وخزاعة. فيقولون: نعبدها لتُقرّبنا الى الله زُلفى. فلمّا رأت العرب ذلك اتّخذت اصنامًا فجعلت كل قبيلة لها صنمًا يسألون لهُ تقرّبًا الى الله فيما يقولون. فكان لكلب بن وبرة واحياء قضاعة ودّ منصوبًا بدومة الجندل بجرش. وكان لحمير وهمدان نسر منصوبًا بصنعاء وكان لكنانة سُواع. وكان لغطفان العُزّى وكان لهذيل وبعلة وخثعم ذو الخلَصة. وكان لطيّ الفلس منصوبًا بالجبلين. وكان لربيعة واياد ذو الكعبات بسنداد من ارض العراق. وكان لثقيف اللات منصوبًا بالطائف. وكان للاوس والخزرج مناة منصوبًا بقُدَيد مما يلي ساحل البحر. وكان لدوس صنم يقال لهُ سعد. وكان لقوم من عذرة صنم يقال لهُ شمس. وكان للازد صنم يقال لهُ: رئام »

واذا اضفت الى الاصنام المذكورة في هذه النبذة اسماء آلهة اخرى ورد ذكرها في المعاجم وفي بعض التواريخ والشروح كرضا ومناف وجَلَسد وسُمَير والقُصَير بلغ بك العدّ الى نحو ثلاثين صنمًا. واذا بحثتَ عنها وعن صفاتها وخواصها والامكنة التي شاعت فيها عبادتها وطرائق مناسكها وجدت الكتبة يتباينون ويتناقضون فلا يكاد

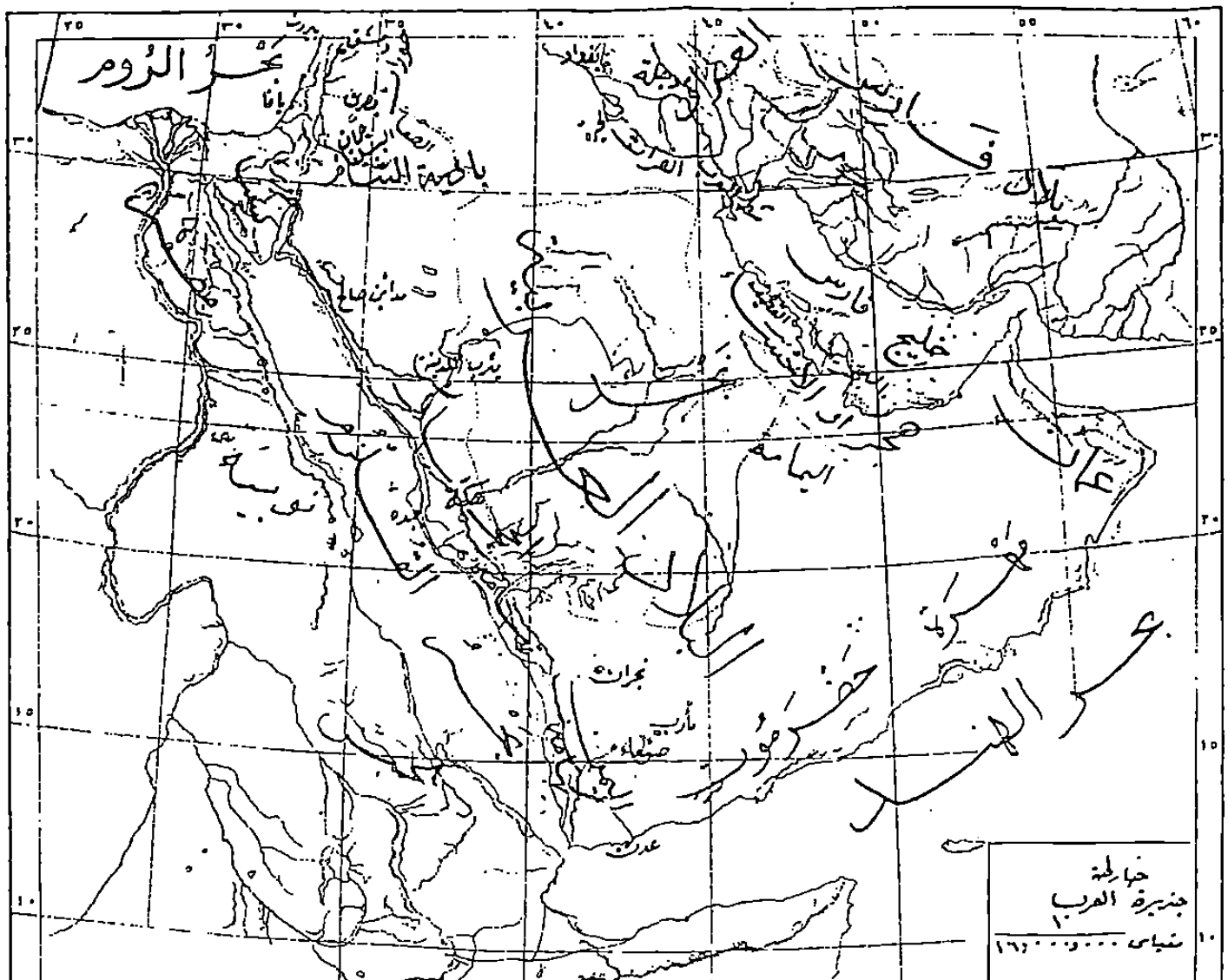
بحر الروم
بابل
فارس
خليج
اليمامة
نجران
مأرب
صنعاء
عدن
بحر الهند
جزيرة العرب
مقياس ١٦٠٠٠٠٠٠/١

يعوّل على كلامهم. ولعلّ كثيرًا من هذه الاصنام لم تُعبَد في جزيرة العرب كودّ وسُواع ويغوث ويعوق ونَسر الذين يقال عنهم انّهم من آلهة قوم نوح (اطلب سورة نوح ع ٢٢—٢٣). فاين هذا وما زعم ابن اسحاق وابن هشام انّ في الكعبة كان عدد الاصنام ٣٦٠ على عدد أيام السنة

وقد سعى المستشرقون ان يسدّوا هذا الخلل فاستخرجوا اسماء لاصنام أُخر عربيّة من اعلام الرجال المسبوقة باسم عبد كعبد الاسد وعبد تيم وعبد الحارث وعبد الدار وعبد عمرو وعبد المدان وعبد المطلب وعبد الملك وزعموا انّ المضاف الى عبد مدلولهُ صنم من الاصنام. وكذلك الاسماء المسبوقة بامرء كامرئ القيس وامرئ اللات او المختومة باسم ايل كشراحيل وخليل وشهيل وقسيل. ومنها اعلام عربيّة وردت في التواريخ اليونانيّة او الاسفار المقدّسة او الكتابات النبطيّة مركّبة من الفاظ دالّة على الاله مثل Ζαβδιηλ و Αραμηλος و שבטאל و נבטאל وغير ذلك

فهذه الأعلام وغيرها ايضاً ممّا يمكن جَمْعُها من المعجمات والآثار ولو ثبت انّها دالّة على أصنام العرب ومعبودات القبائل الّا انّها لا تفيدنا قليلًا لمعرفة خواصّها وسَدَنتها والامكنة والازمنة التي شاعت فيها عبادتُها وطرائق اكرامها والمناسك الخاصّة بها. وفي بعض رواياتهم عنها ما لا يقبلهُ العقل السليم ويردُّهُ النقد الصحيح كقول مؤرّخي العرب عموماً بانّ اوّل من اتى بالاصنام من بلاد الشام وجعلها في الكعبة انّما هو عمرو ابن لحي رئيس بني خزاعة لمّا طرد بني جرهم منها وتولّى مع قومهِ تدبيرها. فلدينا كما سترى شواهد تبطل هذا القول. ومثلهُ مزاعم أُخرى لا بُدّ ان تُعرض على محكّ الانتقاد فلا تُقبل الّا بالبرهان لانّ مؤرّخي العرب لم يدوّنوا رواياتهم الّا بعد الاسلام بزمن طويل فكتبوا ما تناقلتهُ الالسن شفاهاً فتضاربت رواياتهُ واختلفت صورهُ

فهلمّ نروي خلاصة ما ورد عن ديانة العرب في اقدم الآثار الحجريّة او في التواريخ القديمة مستندين في ذلك الى ما كتبهُ اوثق الكتبة مع ما جمعناهُ في مطالعاتنا العديدة. وهذا اخصّ التآليف الحديثة في هذا الصدد:

١ جزيرة العرب قبل محمّد في الآثار للعلّامة ف. برجه Berger (Ph.) : *L'Arabie avant Mahomet d'après les Inscriptions.*

٢ اديان العرب في الجاهلية لبرغمان Bergmann : *De Religione Arabum antelslamica.*

٣ العرب في الشام قبل الهجرة للعلامة دوسو Dussaud (R.) : *Les Arabes avant l'Islam en Syrie.*

٤ سُواع والعُزّى والكتابات البيبيّة Glaser (E.) : *Suwâ' und la-'Uzzu.*

٥ مقدّمة كريمه على تاريخ محمّد Grimme (H.) : *Mohammad.*

٦ ابحاث عن الشرق الاسلامي لهرتمان Hartmann (M.): *Der islamische Orient*, II, *Berichte und Forschungen.*

٧ ديانة عرب الجاهليـة للالماني كراهل Krehl (L.) : *Ueber die Religion der vorislamischen Araber.*

٨ تاريخ الشرق القديم لفرنسوا لنورمان وبابلون Lenormant (Fr.) et Babelon : *Histoire ancienne de l'Orient*, 9e éd.

٩ العرب القدماء للعلّامة نولدك Noeldeke (Th.) : *Arabs (anciens)* dans « Encyclopedia of Religion and Ethics ».

١٠ تاريخ العرب لكوسان دي برسفال Perceval (C. de) : *Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme.*

١١ بنو لخم في الحيرة لروتشتين Rothstein (G.) : *Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira.*

١٢ بقايا الوثنيّة بين قدماء العرب للمستشرق ڤلهوسن Wellhausen (J.) : *Reste arabischen Heidentums*, 2e éd.

هذا الى مقالات متعدّدة ظهرت في المجلّات الاسيويّة الفرنسويّة والالمانيّة والنمساويّة وفي نشرات أخرى شرقيّة كالنشرة الساميّة وغير ذلك

*

كان زعم رينان زعماً غريباً واراد ان يثبتهُ بالادلّة الوضعيّة لولا انّ الاكتشافات الحديثة جاءت كلّها نزيّفة لزعمهِ. ذهب المذكور الى انّ الشعوب الساميّة عموماً والعربية خصوصاً كانت تقول بالتّوحيد لا عن وحيٍ خاصّ بل عن غريزة لأنّ عقل الساميين على زعمهِ مطبوع من اصلهِ على البساطة فيوافق توحيد الله بساطة عقله. وكانت غايتهُ من ذلك ان ينكر الوحي بالاله الواحد لبني اسرائيل

فالآثار العربيّة قد كذّبت هذا المزعم كما كذّبتهُ اكتشافات بقيّة البلاد الساميّة. فانّ العرب في الجاهليّة عاشوا في الشرك مدّة قرون عديدة. اما شركهم فكان تأليه قوى الطبيعة اجمالاً والانوار العلويّة خصوصاً. ولا عجب فانّ قوماً كانت عيونهم ليلاً

مع نهار تشخص الى الاجرام النيّرة لم يلبثوا ان عظّموهـا حتى تحوّل تعظيمها الى اكرام وسجود لظنّهم انّ فيها قوى فائقة الطبيعة . ثم انّ العرب قبل توغّلهم في الجزيرة كانوا جاوروا الكلدان واخذوا منهم عبادة النجوم . ومـا لا شكّ فيه انّ عرب اليمن كانوا على ديانة الصابئين يعبدون الكواكب والسيّارات السبع . قال الشهرستـاني في الملل والنحل (طبعة لندن ١٣١) : « اما بيوت الاصنـام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت السبعة المعروفة المبنية على السبع الكواكب » يريد بالعرب اهل اليمن خصوصاً ﴿ الشمس ﴾ بل عمّت عبادة الكواكب كل انحاء العرب فكانوا يعبدونها في شمالي الجزيرة وفي غربيها وجنوبيها الغربي على صور شتى وتحت اسماء مختلفة . ولما كانت الشمس هي النيّر العظيم فانّ عبادتها بين العرب فاقت على سواها (١ تارةً يؤنّثونها وتارةً يذكّرونها ولدينا على صحّته شواهد باقية الى القرن السابع قبل المسيح فانّ بين الكتابات التي وُجدت في بابل كتابةً لتغلّتفلاسر يذكر فيها انتصاره على مدينة دومة الجندل وظفره بملكتها التي كانت كاهنةً للاله « شمس » : (A. Layard: *Inscriptions*, p. 72) . ومن الشواهد القديمة السابقة لعهد المسيح شهادة هيرودوتس الذي يصرّح في تاريخه (ك ٣ ف ٨) بانّ العرب كانوا يعبدون اوروتال (Οὐροτάλ) وهي لفظة مركّبة في اللغات الآراميّة من (אור) اي نور و(תלתא) كالعربية تعالى من فعل (תלה) اي علا والمعنى النور المتعالي واراد بهِ الشمس . والدليل عليهِ انّ هيرودوتس بعد ذكرهِ اوروتال اردف بقولهِ « وهو ديونيسيوس او بخوس » الذي كان عند اليونان اله الشمس . وكرّر ذلك الجغرافي استرابون (Strabon, XVI, 741) والمؤرخ اريان (Arrien, VII, 20) ومثلهم اوريجانوس في القرن الثالث للمسيح في ردّهِ على كلسوس (Origenes: *contra Celsum*, V, 37) . وكان النبطيّون يعبدون الشمس عبادةً خاصّة وكان لهم في عاصمتهم سلع (Petra) معبد كبير لاكرامها . وانما كانوا يدعونها باسم آخر وهو ذو الشرى (Δουσάρης) اي الاله المنير وقد ورد اسمهُ مراراً في كتابات عيون موسى ومدائن صالح وطور سينا (٢ . اما كون ذي الشرى يراد بهِ الشمس فالامر واضح من قول

١) وفي المعاجم العربيّة وبعض التواريخ « انّ شمساً كان صنماً لبني تميم وكان لهُ بيت وكانت تعبدهُ بنو اد كلّها وكانت سدانتهُ في بني ارس » . الّا انّهم لم يصيروا بمصر عبادتها

٢) وفي معجم البلدان لياقوت انّ ذا شرى كان صنماً لدوس وكانوا قد حموا لهُ حمى

استرابون الذي يؤكّد انّ النبطيين يعبدون الشمس (Ἥλιος). وكانوا جعلوا عيدها في ٢٥ ك ١ كما افادنا القديس ابيفانيوس في كتابهِ عن الهرطقات (Epiphanius. Hæres, 51). وزاد مكسيموس الصوري انّ النبطيين كانوا اتّخذوا صنماً لذي الشرى وهو حجر اسود مكعّب علوّهُ اربعة اقدام وعرضهُ قدمان (Maximus Tyr., c.38). ومن الاسماء التي شاع بها اسم الشمس في جهات العرب واكرموها على منطوقهِ « ذو الشارق » و« المحرّق ». وكانوا يصرّحون عن اكرامهم لها بان يتسمّوا باسمائها اذ وجدوا بين اسماء العرب مَن دُعوا باسم عبد الشمس وامرئ الشمس وعبد المحرّق وعبد الشارق . ومن اصنام جنوبي العرب « الذريح » ارادوا بهِ ايضاً الشمس الطالعة

﴿ القمر ﴾ ليس لدينا نصّ صريح ينوّه بعبادة العرب للقمر الّا ما يقال عن عبادة بني كنانة لهُ (Bergmann, 4) وكذلك قد عبدهُ الحميريون وبقيّة الصابئين مع السيّارات السبع . بل نرجّح انّ عبادتهُ شاعت في غير انحاء من الجزيرة وربّما جمعوا بينهُ وبين الشمس فعبدوهما معاً

﴿ العزّى ﴾ ومن اشهر معبودات العرب التي شهد لها قدماء الكتبة من يونان ورومان وغيرهم اللات يقول كتبة العرب (اطلب معجم البلدان لياقوت ٤ : ٣٣٦-٣٣٧) انّها كانت صخرة بيضاء مربّعة تعبدها ثقيف في الطائف كانوا اتّخذوا لها بيتاً فطافوا بهِ وجعلوا لهُ سدنةً . واليوم قد اجمع الاثريّون على انّ اللات هي الزهرة . ولنا على ذلك شهادة هيرودوتس المؤرّخ . قال في تاريخهِ (ك ١ ف ١٣١) : انّ العرب يعبدون الزهرة السماويّة (Ἀφροδίτη Οὐρανία) . وهم يدعونها أليتّا (Ἀλιττα) وقد اصلح اسمها في محلّ آخر (ك ٣ ف ٣) فدعاها الإلات (Ἀλιλάτ) وهو اختصار الالاهت كما اختصروا الاسم الكريم الاله فقالوا الله . ثم اختصروا الالات فقالوا : اللات . وكانت اللات معبودة في كثير من جهات الجزيرة ليس الطائف فقط كما زعم كتبة العرب فانّ الاثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر اللات ولاسيما في بلاد النبط في حجر وصلخد والبصرى حيث كان لها هيكل وفي انحاء حوران وحتى في تدمر . وتدعى هناك بالقاب تدلّ على مقامها كاللات العظمى وأمّ الآلهة . وكانوا يضيفون الى اسمها اسم المكان الذي تُكرم فيهِ فيقولون « لات صلخد » و« لات حبران » الخ

ودخل اكرامها بين اهل المدر وبين سُكّان حوران المتكلّمين باليونانيّة فنقلوا اسمها

الى اليونانيَّة على صورة « اثيني » (Ἀθηνᾶ) وهي عند اليونان إلهة الحكمة (Minerve) لكنَّ صورها واوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزُّهرة (Vénus) . ومما يدلُّ على انتشار عبادتها بين العرب كثرة الاسماء المركَّبة من اسمها كوَهبلات وتيم اللات وعمرو اللات وزيد اللات وغيرها ايضاً مما وُجد في الآثار والاعلام القديمة

وعُرفت الزهرة باسماء اخرى على مُقتضى احوال ظهورها مساء بعد غروب الشمس او صباحاً قبلها فكانت تُدعى نجمة المساء عَثَر وهي ايضاً استار او عشتر (Astarté) او عَتَرْعَتَا (Atargatis) اما نجمة الصبح فشاع اسمها العُزَّى اي الإلهة السامية . وجاء ذكرها باسم كوكب الحسن في ميامر اسحق الانطاكي (ص ١ : ٢٤٧) من كتبة اوائل القرن السادس وصرَّح بأنَّها هي الزهرة . واخبر بروكوبيوس المؤرخ في القرن السادس انَّ المنذر صاحب الحيرة ضحَّى للعُزَّى ابن عدوِّه الحارث ملك غسَّان وكان في يدهِ كاسير . وذكر العزَّى قبلهُ القديس افرام السرياني والقديس ايرونيموس . ثم روى القديس نيلوس من اشراف القسطنطينيَّة خبر ابنهِ الذي اسرهُ عرب البادية وارادوا تضحيتهُ لإلهتهم العُزَّى اي الزهرة عند طلوعها صباحاً لولا انَّ النوم تثاقل عليهم فنجا الولد وذلك نحو السنة ٤١٠ للمسيح . وفي تواريخ السريان انَّ احد ملوك الحيرة ضحَّى للعزَّى عدداً من البتولات المسيحيَّات . وكان كثيرٌ من العرب يتسمَّون باسمها فيُدعون « عبد العُزَّى » . ويظنّ العلامة نولدك انَّ الغرَّيين او الطربالين اللذين كان المنذر في يوم شؤمهِ يصبّ عليهما دم اوَّل وافدٍ انَّما كانا رمزاً عن العُزَّى (١

ومن اسماء العُزَّى ايضاً المناة كأنَّهم دعوها بذلك لسطوتها (٢ وعلى رأي ياقوت (٤ : ٦٥٢) انَّها كانت من الاصنام التي اتى بها عمرو بن لحي وانَّها اقدمُها . وقال في محلٍّ آخر (٤ : ٦٣٧) انَّ اللات أُخذت من مناة . وروى عن ابن الكلبي (٤ : ٦٥٢) انَّ مناة كانت صخرة وهذا كلُّهُ ينطبق على صورة العُزَّى واللات السابق ذكرهما . وكما دعوا عبد العُزَّى سمَّوا ايضاً عبد مناة وكان اخصّ اكرامها في هذيل قريباً من مكَّة وفي

١) وافاد الشهرستاني في الملل والنحل (ص ٤٣١) بانَّ قصر غمدان الشهير الذي كان في صنعاء انما كان بيتاً على اسم الزهرة

٢) اطلب دوسو « العرب في الشام قبل الاسلام » (ص ٢٢١)

يثرب. ومن اسماء الزهرة ايضاً « كَبر » ذكرهُ افتيموس الكاتب اليوناني (Pocock, 21) وقال انها من معابيد العرب وانّ كبر (χαβαρ) هي الزهرة او نجمة الصبح ودعاها قدرينوس المؤرخ كُبَر (χουβαρ)

وكان اهل الجاهلية عموماً ولا يستثنى منهم العرب يجعلون الآلهة ازواجاً لكل ذكرٍ انثاهُ فكان لإلهة الشمس تِرْبها وهو البعل من اصنام العرب ايضاً كان مكرَّماً في شبه جزيرة سينا وتسمّى بهِ العرب عبد البعل واوس البعل وربّما اشاروا بهِ الى الشمس. وكان ذكَر العُزّى الاله « عزيز » الذي وُجد اسمهُ في عدّة كتابات في جهات الرها وحوران. وكان ذكَر اللات « اللاه » وجدوا اسمهُ في آثار كتابيّة. وكان لعَتَر زوجها وهو الاله « موتيموس » الذي يُذكر مع « عزيز » (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

DAREMBERG - SAGLIO- POTTIER. Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, 44 *fasc.* (SIBYLLE-STAMNOS) *Paris, Hachette,* 1910

معجم العاديات الرومانية واليونانيّة (الجزء ٤٤)

يشتمل هذا الجزء على مقالات متعدّدة خطيرة واسعة العلم فمن اطولها مادّة « شمس » (SOL) وهي على قسمين قسمٌ منها للاثري كاهن (Cahen) يبحث عن الشمس في عرف اليونان. والقسم الآخر للعلّامة كومون (Cumont) عن الشمس كمعبود الرومان. ومثلها مادّة القُرْعة (SORTITIO) كتبها المسيو لوكريفان (Lécrivain) وبيّن طرقها المختلفة في الرتب الدينيّة والمدنيّة والعسكريّة الخ. ومثلها طولاً وفائدةً مادّتا مرآة (SPECULUM) للكاتب البارع دي ريدر (de Ridder) وابي الهول (SPHINX) لنيكول (Nicole). وبعض هذه المواد اقصر لكنّها متقنة ايضاً كمادّة (STADIUM) وهو الميدان للسباق والالعاب وضعها سورلان دوريني (Sorlin-Dorigny) ومادّة الرايات العسكريّة (SIGNA MILITARIA) للمسيو ا. ي. ريناخ (A. J. Reinach) ومادّة الختم والراية التجاريّة (SIGNUM) المسيو شابو (Chapot) ومادّة (SISTRUM) وهي آلة موسيقية لمسيو ساليو

(Saglio) ومادة (SIGILLUM) وهو التمثال الديني للمالمين بلانشه وبوتيه (Blanchet et Pottier) . وفي هذا كفاية للدلالة على خطارة هذا المعجم . وقد لحظنا انّ العلماء الأعلام الذين كانوا يكتبون سابقاً لا يزالون يواصلون فيه الكتابة كالعلّامة ش . ميشال (مادة SIRÈNES) وهلذ (SILVANUS) وبابلون (SOLIDUS, SICLUS) كما أننا سررنا بدخول علماء جدد في عداد كتبة هذا المعجم كالمسيو شابو (SOCCUS, SOLEA) . ومنهم احد اساتذة كليّتنا الاب ل . جلابرت (P. L. Jalabert) معلّم الآثار اليونانيّة والرومانيّة في مكتبنا الشرقي سابقاً فانّهُ كتب فصلاً محكماً في رتبة بعض العمّال المدعوّين (SOMATOPHYLAKES) وكان اكتشف على أثر قديم في جهات ما بين النهرين افادهُ معلومات عنهم . والامل معقود انّ هذا المعجم ينتهي قريباً (١ بهمّة المسيو بوتيه ومساعده النشيط المسيو سالير فيكون اعظم معجم العاديّات اليونانيّة والرومانيّة ظهر حتى الآن . ومما خُصّ به هذا الجزء فهرس مسبّق على المواد من حرف A الى حرف O أُتقن غاية الاتقان س . د

J. Bricout : L'HISTOIRE DES RELIGIONS ET LA FOI CHRÉTIENNE, *Paris, Bloud et Ce*, 1910, pp. 128.

تاريخ الاديان والدين المسيحي

يسوءنا ان نرى بعض العلماء يغضّون من علمهم بمماكسة الدين . فمن جملة هؤلاء الكاتب اليهودي س . ريناخ (S. Reinach) جمع في كتاب صغير دعاه باسم اورفوس (Orpheus) كلّ ما امكنهُ من الاعتراضات ليبخس من حقوق الدين النصراني فشحن كتابهُ بالمدّعيات الباطلة التي اضرّت بسمعته السابقة من عالم صادق مدقّق . وقد قام كثير من العلماء الكاثوليك وتتبعوا مزاعمهُ الباطلة ففنّدوا كثيراً منها بالادلّة الساطعة الّا انّ تفنيدها التام يقتضي شرحاً طويلاً . ومن جملة من نقضوا اقوال ريناخ مدير مجلّة الاكليروس الفرنسوي المسيو بريكو الذي وضع هذا الكتاب فبناهُ على اساس علميّ ليبين انّ الدين ليس هو اختراعاً بشرياً وانّ كثرة الاديان

١) انّ نشاط الكتبة في تتمّة هذا العمل قد اخلّ قليلاً بضبط طبعهِ فانّنا قد لحظنا في مقالة المسيو كومون (ص ١٣٨١) وحدها ثلاثة اغلاط Cet (sic) antique divinité, compagne *pour* campagne et encontestable (sic))

الكاذبة لا تنفي وجود دين صحيح وهو الدين النصراني وانَّ هـذا الدين مؤسس على اثبت الاركان نظريًا وتاريخيًا وانَّ مدَّعيات ريناخ هي المناقضة للعلم وانهُ لم يكتب ما كتب الَّا لنفث بغضه على الدين المسيحي ومن فعل ذلك لا يضرّ الَّا بنفسه

كناطح صخرةً يومًا ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنهُ الوعلُ ل. ش

كتاب مجموعة المحرَّرات السياسيَّة والمفاوضات الدوليَّة عن سوريَّا ولبنان من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٩١٠

تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن. الجلد الاوَّل (ص ٣٩٠) ثمنهُ ريال مجيدي للمشتركين وريال ونصف لغيرهم

خدم الشيخان الفاضلان البلاد بكتابهما هذا خدمة جليلة فسدّا خللًا كنَّا نأسف لهُ كلما قرأنا الجرائد وسمعنا الخطباء فانهم يتناقلون الحوادث والاحكام واحدًا عن الآخر فيزيدون وينقصون وندرُ مَن ينقّب في الاوراق الاصلية ويرجع الى المجموعات الرسمية فيأخذ عنها النصوص الصادقة بحروفها. وكل يعرف ان ابدال كلمة باخرى في مسائل هامَّة كهذه تبدل المعاني وتأتي باسوإ النتائج. فلا عذر الآن لمنْ اراد الكتابة او الخطابة في استقلال لبنان وامتيازاتهِ اذا تكلَّم عنها جزافًا على مثال من رايناهم وسمعناهم في هذه الآونة يدافعون عن بنود الدستور العثماني تارةً وينكرونها اخرى ولم يفقهوا معنى النص ولعلَّهم لم يطالعوهُ. اما موضوع هذا الجلد الاوَّل فهو المحرَّرات والمفاوضات التي جرت من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٥٩ في شأن لبنان واحواله من رسائل الوزراء والسفراء والقناصل والعمَّال ومذكَّراتهم الى غير ذلك من الآثار الجليلة التي لا يستغني عنها كاتب او اديب سوريًا كان او لبنانيًا

وبعد ان وفينا الكتاب حقّه من الثناء نطلب من صاحبيهِ الاديبين الاجازة لعرض ما نراهُ تتمَّة للفائدة المرغوبة: ١ً لم يذكر المعرّبان في ذيل بعض المحرَّرات الاصل الذي أخذا عنهُ وهذا امرٌ ضروري في مثل هذه الاسفار

٢ً نقلا الرسائل الانكليزية في تاريخ ١٨٥٧ — ١٨٥٩ عن الكتاب الانكليزي الازرق وحبَّذا العمل لكننا لا نكتفي بالنصوص الانكليزية فلا بدَّ لبلوغ الارب من نشر النصوص والمحررات الافرنسية ليحكم القارئ عن معرفة تامة . فعسى

ان يصل الكاتبان الى هذه النصوص فينشراها في الجلد الثاني — ٣ً كثيراً ما يحتاج القارئ الى حاشية او شرح يفيده عن وظيفة شخص او مقامه او اهليته ليقدّر اقواله حق قدرها — ٤ً لا شك انها يلحقان الجزء الثاني بذيل يسرد تاريخ المحرّرات مع اسماء اصحابها سنةً سنةً وشهراً شهراً مع جداول متقنة للاعلام والمواد. قدّرها الله على كل ما يؤول الى ترقي لبنان حقوقه مصونة ا. ر.

لمحة تاريخية في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح العثماني ١٥١٦
بقلم فيليب قعدان الخازن

Perpétuelle indépendance législative et judiciaire du Liban par PHILIPPE EL-KHAZEN.

يُغني العنوان عن وصف هذين الكرّاسين العربي والافرنسي فقد جمع الكاتب نصوصاً رسمية لا يُنكر الّا الجاهل اهميتها وذيّلها بالحواشي فاستحق طيّب الثناء ا. ر

كفاية الطالب وبغية الراغب في علم النحو

الفه القس يوسف الجميّاوي وضبطه واحكم تاليفه الخوري نعمة الله باخوس
الجزء الثاني كتاب التلميذ (ص ٢٥١—٧٣٠)

اثنى المشرق على الجزء الاول من هذا الكتاب ومدح الطريقة التي اتبعها المؤلف من سؤال وجواب وتمارين. وها هوذا الجزء الثاني يضاهي بكره اجتهاداً وفوائد متعدد الصفحات التي تنيف على السبعمائة كبير الحجم طويل الشروح يكفي الدارس ويغنيه لكن قد يكون الذهب ثقيلاً فينوء تحت عبئه الرجل فكيف بالصغير الطالب. ولا نعلم سبب احجام المؤلف الفاضل عن وضع الفهارس الضروريّة وامّا رأى تعدّد الصفحات فخاف ان يزيد عليها. ولنا امل ان يلخصهُ يوماً فيجعل الملخّص كتاباً للتلميذ ويحيل الاستاذ الى هذا المطوّل فتتمّ فائدتهما كليهما ا. ر

ديوان سلامة بن جندل

للاب لويس شيخو
طبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت (سنة ١٩١٠ ص ١٥)

سلامة بن جندل احد شعراء تميم في الجاهليّة ازهر في نهاية القرن السادس للمسيح وكان من المقلّين الّا انّ شعرهُ متين يرجع اليه اللغويّون في مشاكلهم اللسانية. وغاية

ما كان يُعرف لهُ قصيدتان بائيَّة فلاميَّة رويناهما سابقاً في شعراء النصرانية (ص٤٨٦) ثم اوقفنا جناب الاديب لوسي تريل بيروت في العام الماضي ا . كراتشكوفسكي على نسخة ثانية قديمة العهد ايضاً تُحفظ في مكتبة الاسكندرية فقابلنا بين النسختين وطبعنا الديوان اوَّلاً في المشرق (١٣ : ١٧١—١٩٠) وعُدنا فكرَّرنا طبعهُ على حدةٍ واضفنا اليهِ نحو ثلاثين صفحة ضمَّناها ملحوظاتنا واصلاحاتنا على الديوان مع الروايات والشروح التي عثرنا عليها في كتب الادباء فضلاً عن بعض المقاطيع الشعريَّة التي لم تردَ في الديوان وجدناها في التآليف الخاصة وهكذا نجا من الضياع هذا الاثر الجاهليّ ل . ش

دروس التاريخ الاسلامي

تأليف الاديب محي الدين افندي الخيَّاط

القسم الثاني . تاريخ الخلفاء الراشدين (المطبعة المصريَّة ص ٨٧)

ذكرنا منذ عهد قريب القسم الاوَّل من هذه الدروس . فما فتئ صاحبهُ الاديب ان الحقهُ بالثاني على نفقة والتزام المكتبة الاهلية في بيروت . وجدنا هذا الجزء فصيح اللفظ قريب المعنى حسن التبويب وقد جعلهُ المؤلف عشرة دروس وقسم الدروس الى فصول قصيرة يسهل على الطالب حفظها . وزاد على ذلك في آخر كل درس اسئلة تُلقى على الولد فتنبِّه فكرهُ الى مضامينهِ ثم خُلاصة هي كزبدتهِ . امَّا الاسانيد فان الكاتب لم يثبتها اختصاراً وانما هي المعهودة في التواريخ الاسلاميَّة العامَّة ولو راجع جنابهُ كتاب البرنس كايتاني في مصادر التاريخ الاسلامي L. Caetani : *Annali dell 'Islam* الذي ظهر منهُ اربعة مجلدات ضخمة تتناول ١٧ سنة فقط من اوائل الاسلام لوجد اشياء كثيرة رواها ثقات المؤرخين المسلمين ممَّا لم يعُد يستغني عنهُ كاتب التاريخ . وممَّا وهمَ فيهِ حضرتهُ قولهُ (ص ٢٨ « انَّ اهل حلب صالحوا ابا عبيدة على الجزية ثمَّ اسلموا كلهم » والصواب انَّ الذين اسلموا على ما ذكر البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٤٥ انما كانوا « حاضر حلب » اي اهل الحضر المقيمين في ارياف المدينة امَّا نصارى حلب فقال البلاذري (١٤٦—١٤٧) انهم « طلبوا الامان على انفسهم واموالهم . . . وكنائسهم . . فأعطوا ذلك فاستثنى عليهم موضع المسجد » . وعندنا عدَّة شواهد على ان النصرانية لم تنقطع في حلب بظهور الاسلام لا حاجة الى ايرادها هنا ل . ش

Rapport sur une Mission scientifique à Charfé (Liban) par M. L. Delaporte (extrait). *Paris Imp., Nat.*, 1908, pp. 50

بعثة علميَّة الى دير الشرفة

رأينا قبل اربع سنين مؤلف هذا الكتاب وهو احد الافاضل المستشرقين قدم بيروت ليطلّع على في ما جهاتها من المخطوطات السريانية فزار مكتبتنا الشرقية وذكر بعض آثارها وكانت غايتهُ وصف مخطوطات دير الشرفة فوصف ما وجدهُ من الكتب السريانية وصفاً موجزاً واضاف اليهِ وصف الكتب الكرشونية وعدد هذه المخطوطات ١٥٦ كتاباً يغلب عليها الطقسيات وبعض الاسفار المقدسة وشروحها . ثمَّ انتقل جنابهُ الى دمشق وحمص وذكر ما وقف عليهِ من المخطوطات السريانية ايضاً واخصّ ما وجدهُ في حمص نسخة كاملة من الترجمة الحرقلية مكتوبة على رقّ تتفرد ببعض المزايا فاتّسع في وصفها ولعلَّهُ يطبعها قريباً وفي آخر الكتاب بعض رسوم اشوريَّة وتدميريَّة اخذ صورتها وختم الكتاب برسوم فوتغرافية اخذ حضرة الاب جلابرت قسماً منها بالتصوير الشمسيّ . فنشكر المسيو دلاپرت على هذه الخدمة التي ادّاها للدروس الشرقية

J. —B. Chabot : Les Langues et les Littératures araméennes *Paris, P. Geuthner*, 1910. pp. VIII—43

اللغات الآراميَّة وادابها

حضرة الاب شابو هو اليوم في فرنسة في مقدّمة علماء اللغة السريانية وقد نشر من آثارها عدداً وافراً فطلب اليهِ بعض اصحابهِ ان يجمع في كتاب وجيز نظراً عمومياً عن تاريخ اللغات الآراميَّة وادابها فلخّصها في بضع خمسين صفحة توقف الطلاب على اخصّ ما امتازت بهِ اللغات الآرامية وما خلفتهُ لنا من الآثار الطيبة . والكتاب مع وجوزهِ مشحون بالفوائد يتصفحهُ القارئ بكل لذة فنوصي بهِ اهل بلادنا التي نالت من فضل الامم الآرامية مجداً مؤثلاً

ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ تصريف الافعال ودلالتها على الكتابات البابليَّة الاشوريَّة القديمة

Verbalsuffixformen als Alterskriterien babylonisch-assyrischer Inschriften von Carl Bezold in Heidlberg, 1910, C. *Winter, Heidelberg*. pp. 28 .

٢ رؤيا ديونيسيوس الاريوباجي للاب پترس

La Vision de Denys l'Aréopagite à Héliopolis par le P. Paul Peeters, *Bruxelles*, 1910, pp. 20

٣ وصف باب مدرسة برقوق في مصر للاستاذ غوتيل

A Door from the Madrasah of Barkuk, by R. J. H. Gottheil (reprint, form the JAOS)

٤ درسٌ اثري في هيكل اورشليم

Le Temple de Jérusalem, étude critique par Paul Berto, avec 10 Planches, 1910, pp. 76

٥ مقالة لحضرة الخوري جرج گراف من مياهر القديس يوحنا فم الذهب في العربيّة مع ترجمة بعضها الى الالمانيّة نقلًا من مجلّة المشرق خصوصاً

Arabische Chrysostomus-homilien, untersucht und zum Teil übersetzt v. Dr Georg Graf.

٦ لائحة تآليف ابي العلاء المعرّي البالغة ٧٣ كتابًا مع وصفها باللاتينيّة وهي مقالة حسنة ألّفها العلّامة د. سن مرجليوث ذكرًا لسنة المئة من مولد المستشرق الايطالي ميشال أماري

Index librorum Abu'l-'Ala Ma'arrensis, ed. David S. Margoliouth

٧ نبذة في تاريخ خوارزم القديم

Note sur un point de l'histoire ancienne du Khârezm par C. Inostrancev

٨ خطبة لاهوتيّة جدليّة في اثبات سرّ الارخارستيا بقلم المونسنيور بطرس حبيقه (ص ١٥)

٩ كتاب مبادئ التعليم المسيحي للاولاد الصغار للاب يوسف علوان اللعازري. طبع ثانية

١٠ الماسونية نظر تاريخي انتقادي اجتماعي بقلم ميخائيل يوسف ابي راشد تلميذ مدرسة عينطورا. طبعة التوفيق (ص ١٠)

١١ تأثري في لورد ليوسف ابي كرم اليرمأني. طبعة ثانية في مطبعة الحقوق (ص ٥٠)

١٢ برنامج جمعية طوبيا الآثار المارونية لدفن الموتى الفقراء لسنتها الثامنة والعشرين (ص ٦)

شذرات

إقرار الجاحد — استقال قبل ١٥ سنة احد اليسوعيين الالمان المسمّى هنسبروك (Hoensbroeck) نير الرب اللّيّن فخرج من الرهبنة ودخل في الشيعة البروتستانيّة في برلين وكتب ضدّ الرهبان والكاثوليك ما طنطنت به الجرائد المعادية للكثلكة كعادتها. واليوم قد زالت السُّكرة وجاءت الفكرة ومع كون الكاتب لم يرتدّ بعدُ تمامًا عن غيّه قد كتب في الجزء الثاني من ترجمة حياته الذي نشره مؤخرًا ما تعريبهُ (١):

(١) الطلب Revue pratique d'Apologétique, 1e, Sept, 1910, p. 860

لا اتردَّد في اقراري بانَّ وراء جدران الاديرة الرهبانية كنوزًا مدفونة من الفضائل السامية كاصفى حبّ لله وللسيّد المسيح واعظم تفانٍ لخير العموم. لا تظنّوا انَّ الذي دفع الرفاً من الرهبان الى ابراز نذور الفقر والعفّة والطاعة انّما هو سأمهم من الحياة والامر على عكس ذلك انّما ارادوا ان يحيوا حياةً كاملةً طاهرةً فطلبوها في اصفى موارديها ألا وهي تلك الحياة التي ذكرها الرسول بولس عند قوله (غلاطية ٢ : ٢٠) « انني احيا ولكن لست انا بل المسيح هو الذي يحيا فيّ »

ثم قابل بين الكثلكة والدين البروتستاني الذي كان انخدع به فقال:

« اني لم اجد في البروتستانية غير عمل بشري واهي السند . . . فكهنوتها ليس بكهنوت الاسرار المقدَّس والتاريخ النصراني وانما هو آلة في يد الحكومة المدنيَّة لخدمة رعاياها ليس في البروتستانيَّة شيء يوجب الحبّ ولا الاكرام. فان حياتها ينتهي بنقص وافلاس »

فيا ليت كاتب هذه الاسطر يتأملها بامعان فيرعوي عن غيّه ويعود ابن الشاطر الى بيت ابيه!

فارس الجيش الابيض علمت يا صاح من عددنا السابق (ص ٧١٨) من هو هذا الفارس البهمة الذي زوَّر باسم ماسون ريو دي جانيرو لائحةً تهدَّدنا فيها بالموت وهو المسمى جورج حدَّاد احد احرار البرازيل. وقد وقفنا لهُ على فصل جديد اعلن به عن صدق دينه وحسن منطقه فكتب في جريدة الحديقة (ع ٧٩) مقالة زعم فيها انهُ اكتشف سرًّا دينيًّا اطلعهُ عليه فكرهُ الماسونيّ ألا وهو سرّ تقدُّم السكسون وسبب تأخر اللاتين فرأى انَّ السكسون لم يتقدَّموا على سواهم الّا بسبب بروتستانيَّتهم امَّا الشعوب اللاتينيَّة فعلّل تأخرها بدينها الكاثوليكي ودعم زعمهُ بدليل آخر قاطع وهو انتصار اليابانيين على الروسيين المصحوبين من ارباب القلانس الحاملين الصلبان والايقونات والخرافات » بخلاف اليابانيين الحاملين النظام والترتيب ». امَّا « صدق دين الكاتب » فهو اظهر من ان يحتاج الى بيان فانهُ كما اقرَّ « روم كاثوليكي » بالوراثة ليس الّا » لكنَّ الوراثة فُقدت وضاع النسب اذ لم يرث من اجداده شيئًا من ايمانهم الذي لاجله كانوا يضحّون النفس والنفيس. امَّا « حسن منطقه » فظهر بمقابلة السكسون باليابانيين فنسب لكليهما النصرة. ولمَّا كان على قوله سرّ تقدُّم السكسون دينهم البروتستاني نتج انَّ سبب تغلب اليابانيين دينهم الوثني وعليه اصبح الشرك وعبادة الاصنام سرّ تقدُّم الشعوب. فما اقوى برهانك يا جورج وادقّ نظرك فان منطقك في القوَّة كدينك ودينك في الصدق كمنطقك!!! وان اردت دليلًا

على صحة قولك فراجع ما كتبهُ مكاتبنا البغدادي جان افندي بهلوان (في المشرق ٤ : ٨٤٤) في نجاح بلجكة اللاتينيَّة فانَّهُ يجد هنـاك انَّ سبب تقدُّم الشعوب انَّما هو دينها على شرط ان لا يدخل بينهم الماسون الاشرار ليخربوا ما يعمّرهُ الكاثوليك في سنين كثيرة . اطلب ايضاً في المشرق (١٢ : ٩٤٢) المقالة المنونة « خمس وعشرون سنة في سبيل الدين والوطن »

ترقي الكينماتوغراف كان الكينماتوغراف حتى السنة الاخيرة كآلة مبهجة يروّح بها النظّار انفسهم . لكن العلماء اتَّخذوها وسيلةً لاختباراتهم واكتشافاتهم . فانَّ الدكتور كوماندون (Dr Comandon) استفاد منهـا لدرس الجراثيم المدية والمكروبات فنجحت امتحاناتهُ . واليوم افادتنا المجلّات العلميّـة انَّ الدكتورين كستل (Kœstle) وريدر (Rider) استعانا بها لدرس الهضم والجهاز الهضمي في المعدة . وذلك إنَّهما يطعمان الانسان طعاماً فيهِ شيءٌ من عنصر الزرقونيوم ثم ينيران المعدة باشعَّة رنتجن فتظهر كل حركات المعدة وقت هضمهـا فيصوّرانها على جليدات حسَّاسـة (films) بين حركتي التنفُّس والشهيق ثم يدرسان الصور درساً مدقّقاً يوقفهما على حالة المعدة وهضمها . والمظنون انَّ الآلة التي وضعاها لذلك ستدخل قريباً في كل المستشفيات لفوائدها

الكينيتوفون ليس من احد يجهـل اليوم الآلتين المخترعتين حديثاً اعني الفونغراف والكينماتوغراف فيمثّل الواحد الاصوات ويرسم الآخر الحركات لكنَّ هذا الاختراع كان كمقدّمة لاختراع آخر سبق العلماء وتنبَّأوا عنـهُ اعني وضع آلة تمثّل الحركات وتُسمع الاصوات معاً بحيث ينظر الحاضر المنظورات ويسمع صوتهـا كما نبصر مَن يخاطبنا ونسمع صوتهُ . وهاك اليوم قد تمَّ ذلك عملاً بهمَّـة الطبيعي الشهير الامريكي اديسون الذي حقَّق هذه الامنيَّة بوضع آلتـهُ المدعوَّة بالكينيتوفون اي راسم الصوت والحركة فهذه الآلة تعرض على الحضور في وقت واحد حادثاً تاريخياً او رواية ينظر الحاضر كل حركاتهـا بالتصوير الفوتغرافي بينما يُسمع الفونغراف الاصوات الموافقة للحركات . فعمَّا قليل ستأتينا الالات المشـلة لروايات المراسح مع اصوات مشخّصيها وغنائهم وصورهم وللحوادث المهمَّة التي تجري في كل انحاء الدنيـا فلا تحتاج الجوقات ان تنتقل من بلد الى آخر . فسبحـان المودع اسرارهُ في قوات

الطبيعة فيكشفها بالتدريج لخلقه

رئاسة بطرس الرسول سُرنا بردّ مجلة المسرّة على النعمة واثباتها بالادلة القاطعة تلك العقيدة الأزلية اي تقدّم هامة الرسل على الكنيسة جمعاء ليس في الشرف فقط لكن في الحكم والتدبير ايضاً. فنهنئ الرصيفة على شهامتها ونتمنى لها كلّ نجاح في سبيل الوطن والدين

تعليم الاجانب كانت جريدة المقتبس في اوائل الصيف نشرت مقالة حسنة عنوانها « المدارس الاجنبية والمتخرجون منها » نقل عنها البشير (عدد ١٩٦٨) بعض فقراتها ومما كتبهُ وتنتقد ما حرفهُ :

« أسست المدارس الاجنبيّة في بلادنا بفضل المحسنين . . . من بعد ان حلّ الاجانب ربوعنا ورأوا ما نحن عليهِ من الجهل . . . نرغب فيها المسيحيّون اوّلاً للقرابة الدينيّة . . . فارتشفوا من مواردها العذبة واخذوا ينشرون ما تعلّموهُ حيثما حلّوا فعرفوا من الحقائق ما كان غامضاً . . . وكانوا قد تعلّموا من اللغات الفرنسويّة والانكليزيّة فاستعاروا بكتبها المختلفة الموضوعات فنشروا من تآليفهم وتآليف اساتذتهم . . . اسفاراً شتى طبعوها في مطابع الاجانب ايضاً وهكذا بدت طلائع النهضة العلميّة في منتصف القرن الماضي وكان الفضل فيها للاجانب ولمدارسهم ثم للعرب المسيحيين . . . وكان المسيحيون سبقوا السوى بما تلقّنوه في مدارس الاجانب من العلم والمبادئ الحسنة فبثّوا في البلاد روح الحريّة وروح العلم دون ان يميلوا الى دولة كما يتهمهم بعضهم . . . وهذا العلم الصحيح نجده فقط في المدارس الاجنبية المختلفة . . . فترى من تخرّج فيها لا يفضّل على حكومتهِ حكومة اخرى ولاسيما بعد اعلان الدستور لانهُ ابن البلاد فحقوقهُ في الدستور مقدّسة . . . واني لاعجب بعد هذا كلّه كيف لبعض ذوي الاغراض ان يتّهموا من تخرّج في تلك المدارس . . . انهم تشبّعت نفوسهم بالروح التربية وانفلتوا عن وطنيّتهم . . . ويميلون للحكم الاجنبيّ . . . فالاولى بنا ان نعترف لتلك المدارس بالفضل وان لا ننكر على مؤسسيها تلك الايادي البيضاء التي جادت علينا كرماً اوجه الله بتنوير اذهاننا وعقولنا فاصبحنا نميّز الخير من الشرّ فعرفنا الوطن والوطنية »

هذا بعض ما كتبتهُ جريدة المقتبس وهو يوافق لما نعرفهُ من تقرّب صاحبها الى الاجانب واخذهِ منهم العلوم ولكن يسوءنا انّ جنابهُ نسي هذه المقالة وكتب ما يخالفها في مجلّة المقتبس (عدد ٤ من المجلّد الخامس) فقال مثلاً (ص ٢٣٨ و٢٣٩):

« رأينا افاضل الطبقة التي نشأت من مدارس الفرنسيس والاميركان والروس في ادوار مختلفة فلم نشهد فيهم الّا النادر من يغار على وطنهِ كما يغار على نحرهِ . . . جنت مدارس الاجانب على

هذه البلاد اعظم جناية لانَّ المتخرجين فيها . . . لم ينفعوا الدولة حقّ النفع . . . الخ »

فشتّان بين القولين فمن نصدّق !

اسئلة واجوبة

س سأل احد المشايخ من غزير . ما السبب لذكر الكتاب المقدّس بعض الحوادث المخزية او الشائنة لاعراض بعض الاولياء كخطيئة داود مثلاً

الكتاب المقدس وذكرهُ للاعمال السيّئة

ج انَّ الله اوحى بهذه الاعمال واراد ان تُسطَّر لاسباب صوابية : الاول لبيان صدق الكتبة وزيادة ثقتنا بهم فانهم لو لم يرووا غير الاعمال الحميدة لارتبنا في نزاهتهم ويقينهم . الثاني كي يعلم قراء الكتاب ضعف الجنس البشري بعد الخطيئة الاصليّة فلا يتكل الانسان على نفسهِ ويبقى دائماً متواضعاً امام الله وفقاً لتعليم الرسول : من كان قائماً فليحذر ألّا يسقط . فان سقط الابرار أفعجب ان يسقط غيرهم . الثالثة كي يدرك المرء ثقل الخطيئة لمّا ينظر عاقبتها فيسرع الى التوبة عنها . الرابع وقد ذُكرت خصوصاً في شعب الله القديم خطاياهُ المتعددة وآثامهُ ليعرف الناس كم كانت حاجتهم ماسّة الى مجيء السيّد المسيح ليبطل سُنَّة الخطيئة ويقيم سنّة النعمة فشاعت القداسة بين الوف من البشر بعد ان كانت منحصرة في بعض الافراد القليلين

س سألنا احد الرهبان المارونة ما هي واجبات الراهب بخصوص الاصلاحات المطلوبة من رومية

الرهبان والاصلاحات

ج فليطلب الجواب من حضرة الزوّار الرسوليين فان المرجع اليهم في كل ما يخص الرهبانيات المارونية

س سألنا مرسل لاتيني من الكلدان الغريغوري المعروف بالحساب الغربي متى جرت عليه الطائفة الكلدانية

الحساب الغريغوري عند الكلدان

ج قبلهُ الكلدان بهمة بطريركهم يوسف اودو في حزيران من سنة ١٨٥٣ وكان الموما اليه جمع في دير مار هرمزد قريباً من الموصل مجمعاً لاصلاح شؤون طائفتهِ فكان استعمال الحساب الجديد من جملة الامور المصادق عليها ل . ش

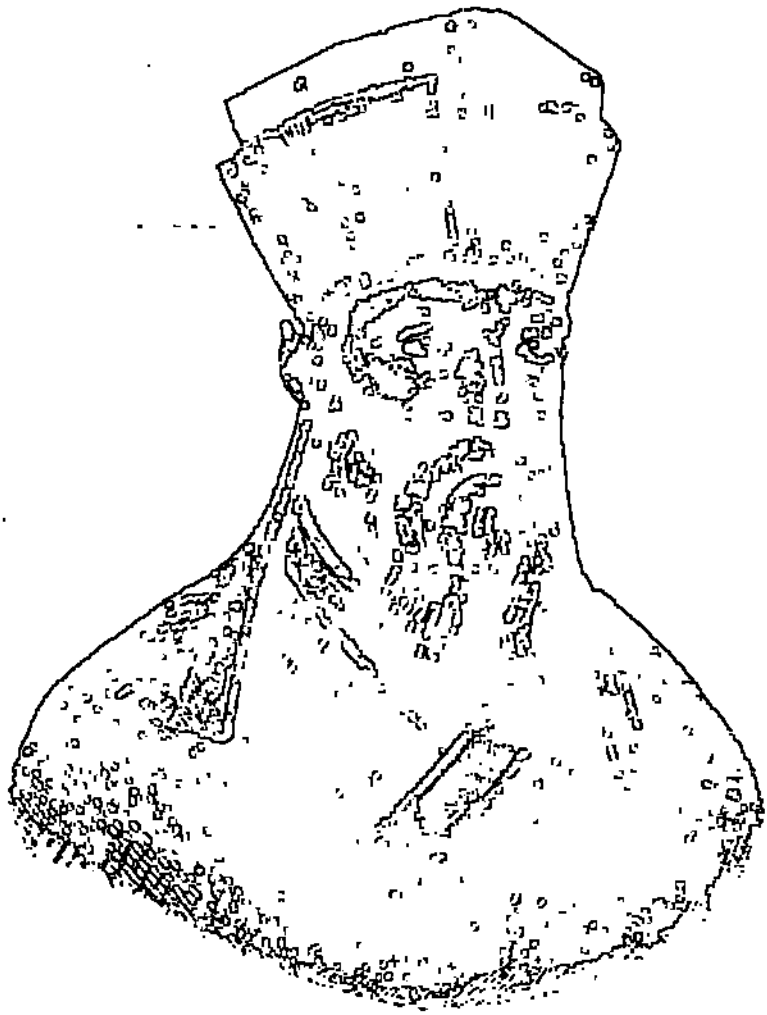

الاب ماتيو ريتشي اليسوعي
المرسل الاوّل في اقطار الصين († ١٦١٠)

المشرق

فتوح الصين

لرائد العلم وبطل الدين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

وافقت سنتنا الحاضرة تذكار المئة الثالثة لوفاة احد ابطال الدين ورواد التمدُّن الذي فتح بلاد الصين للامم الغربية فعرَّف اهل اوروبَّة بممالك اعظم شأناً وارقى مدنيَّةً واكثر عدداً من اميركة وسكَّانها. نعني بهِ المرسل الايطاليّ الاب ماتيو (متى) رِتشي سليل الرهبانية اليسوعية الذي اراد اهل وطنهِ ان يقيموا لذكرهِ في هذا العام محفلاً حافلاً عدَّدوا فيهِ مناقبهُ واطرأوا محامدهُ وذكروا ما تكلفهُ من المشقات قبل حصولهِ على اقصى امانيهِ من فتح ابواب الصين الموصدة في وجه الاجانب عموماً والاوربيين خصوصاً. وها نحن في هذه المقالة نروي شيئاً من مآثرهِ ونبيّن كيف اتصل بمواهبهِ الى عاصمة مملكة السماء وما ادَّاهُ ثمَّ للدين من الخدم المشكورة. ولا بُدَّ قبل تفصيل الخبر من المقدمات ليظهر منها فضل صاحب الترجمة

١ الصين قبل دخول اليسوعيين اليها

كتبنا في المشرق (٣: ٧١٣ و ٨١٥) مقالتين في تعريف الصين واهلها وخلاصة تاريخها ووصف اديانها صدَّرناهما بخارطة ماوَّنة فنحيل القرَّاء الى ما سبق لادراك ما سيأتي

انَّ الصين لموقعها في اقاصي الشرق بقيت قروناً عديدة كلغز العالم القديم فنشأت هناك دول كريمة وجرت حوادث عظيمة ما كان يبلغ من اصداء انبائها الَّا رنَّات

خفيفة ضعيفة حتى آذان الدُّول الكبرى التي بسطت سيطرتها من اواسط آسيـة الى غربيّها حتى نواحي اوربة

وكان الصينيّون في بلادهم الواسعة الارجاء يجدون مـا يفي بحاجاتهم لا ينوون تعدّي تخومهم لتوسيع نطاق ممالكهم وانما كانوا يفرضون كنـانة المجهود ليصرفوا عنهم مطامع الامم الاجنبية التي كانت تبلغهم اليهم اخبار فتوحاتهم. وكأنَّ الله كان جعل للصين حصنًا طبيعيًا يردُّ عنها غارات المعادين ففصلها عن العـالم القديم شرقًا وجنوبًا ببحار زاخرة لا يخوض اعبابها غير الذين باعوا نفوسهم رخيصةً وحصّنها شمالًا وغربًا بتناوز مجدبة وصحاري محرقة وجبال شاهقة لا يكاد يعرفهـا سوى عشائر قليلة من الشذّاذ والهمج اللهمَّ الّا قبائل التتر واجيال المغول الذين كانوا في جوارها فناجزوها القتال واذاقوها الأمرّين

امّا الامم البعيدة فغاية ما كانت تعرفهُ من امر الصين بعضُ مرافقها وأعراضها التجاريّة ولاسيما الخزّ الذي كانت تنقلهُ اليها القوافل بعـد الاسفار الطويلة. وكذلك استفاد اهل الغرب شيئًا عن احوال الصين ممن دخلها من دُعاة الدين النصراني في القرون الاولى للمسيح (راجع المشرق ٣: ٨٤٣) وخصوصًا في القرن السابع على ايدي بعض النساطرة الذين انشأوا في الصين كنائس تقلّبت احوالها مدّة نحو ٦٠٠ سنة ثم بهمّة المرسلين الكاثوليك من رهبان القديسين فرنسيس ودومنيك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وزادنا علمًا بالصين اهل الاسفار من عرب كالتاجر سليمان في القرن التاسع وابن بطوطة في القرن الرابع عشر ومن سريان كرّبان صوما في القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر ومن فرنج كمارقو باولو في الوقت عينهِ . فتجد في رحلهم التي نُشرت بالطبع فوائد جمّة خصّنا بعضها في مقالتينا السابق ذكرهما

وممّن سهّلوا المواصلات بين اقاصي الشرق والبلاد الغربية سلالة المغول المعروفـة باسم « يوان » فانَّ التتر والمغول منذ النصف الاوّل من القرن الثاني عشر كانوا يطمحون بنظرهم الى ممالك الصين ليستولوا عليها فلم يزالوا يزاحمون ملوكها ويضيفون الى دولهم اقسامًا من ولاياتها حتى فتحها قوبلاي خان حفيد جنكزخان وضبط زمام ملكها سنة ١٢٨٠ وجعل عاصمتهُ مدينـة خان بالق واسمها بالصينيّة پاكين اي قصر الشمال. وكان قوبلاي وخلفاؤهُ يكرمون النصارى ويطلقون لدعاتهـا الحرّيّة لنشر دينهم .

فامتدَّت النسطوريَّة في عدَّة مدن وكان لاصحابها كنائس وصفها الرحَّالة مارقو باولو . وكذلك نالت الكثلكة بفضل هذه السلالة المغوليَّة سهماً فائزاً فانشأ الرهبان الفرنسيسيُّون والدومنيكان رسالات مختلفة دعوا فيها اهل الصين الى ايمان المسيح ونما عددهم حتى انشأ الاحبار الرومانيون كرسيَّين اسقفيَّين في پاكين ثم في زيتون من اعمال ولاية فوكيان . وانت تلك الرسالات باثمارها اليانعة الى ان عاد الملوك الصينيُّون الوطنيُّون فاسترجعوا ملك اجدادهم وصار الامر في ايدي السلالة المدعوَّة « مِنغ » فملكت من السنة ١٣٦٨ الى ١٦١٦ . وكان اهلها يتشدَّدون على الاجانب ويسعون طاقة جهدهم في نفيهم والتضييق عليهم حتى لم يبق من النصرانيَّة غير الآثار القليلة

وفي عهد هذه السلالة اتَّخذ الصينيُّون كل الوسائل ليحصِّنوا موانئهم في وجه الغربيين حتى انقطعت عن اهل اوربَّة اخبارهم واضحوا نسياً منسياً كاميركة قبل اكتشاف كرستوف كولمب الَّا ان التجار البرتغاليين بعد الجهاد الطويل امكنهم ان يحصلوا على قطعة من الارض في مدينة ماكاو الساحلية كانوا يتاجرون فيها مع تجار الصين على شروط حرجة لا تسمح لهم بمخالطة اهل البلاد وبالخروج عن دائرتهم الضيقة

٣ رائد العلم

تلك كانت حالة الصين اذ قدم الى اليابان ذلك الرسول العظيم الذي اغنى كنيسة المسيح بعدد عديد من المؤمنين عزَّاها عمَّا فقدتهُ في اوربَّة بمساعي البدع البروتستانيَّة زيد به القديس فرنسيس كسافاريوس . فبعد أن بشر المذكور في اقطار الهند وعمد الالوف المؤلفة من الوثنيين في عدَّة ممالك وطاف في جهات اليابان وصبغ بعض ملوكها بياه المعموديَّة تحقَّق انَّ اهل اليابان يدرجون مدارج الصين فان امكنهُ ان يقنع الصينيين بصحة دين المسيح سهل عليهِ نشر النصرانيَّة في جزائر اليابان فسعى لدى ملك البرتغال ليرسلهُ بصفة سفير الى ملك الصين ولولا عوائق اعترضتهُ في طريقهِ لو تصرَّف احد عمَّال البرتغاليين لكان حصل على مرغوبهِ وشيكاً ومع هذا لم يكفَّ عن عزمهِ بل ركب تلك البحار وتجشَّم الاخطار حتَّى وصل الى جزيرة سانسيان بازاء سواحل الصين فمات هناك كموسى الكليم امام ارض الميعاد مقدِّماً لله اتعابهُ ليقوم بعض اخوتهِ الرهبان فينجزوا ما باشر هو بهِ وحال موتهُ دون اتمامهِ (٢ ك ١ سنة ١٥٥٢)

*

فكان دعاء فرنسيس كسهم رشق السماء فحنن قلب الله على تلك الامم المتكمة في ظلمة الشرك . وسمعهُ اخوتهُ اليسوعيون فاخذوا يسعون في اقتفاء آثار رائد قومهم وطليعة جيشهم . فبعد وفاتهِ بثلاث سنوات اراد الاب ملكيور بارتو (Barreto) رئيس الرسالة الهندية في سفرهِ الى اليابان ان يمرَّ على الصين فرصل الى جزيرة سنسيان فاتخذهُ عمَّال الصين والبرتغاليون كوسيط بينهم لمبادلة أسرى الدولتين فحظي بذلك عند الصينيين حتى سمحوا لهُ بان يذهب الى كانتون مقام احد نوَّاب الملك ويسكن فيها نحو شهر فعُدَّت هذه الرخصة كنحة لا سابق لها . بل نال ذلك دفعتين أخريين في السنين التالية لهُ ولبعض التجار البرتغاليين حتى جرت مذ ذلك الحين كعادة ان يقضي اولئك التجار شهرًا من السنة في كانتون . فكتب الاب بارتو الى اوربَّة مخبرًا بهذا الامر واردف كتابهُ بوصف ما لحظهُ من عادات الصينيين واحوالهم في دينهم ودنياهم

فكان لهذا النبأ احسن موقع في قلوب الاوربيين اجمالًا فعقدوا الآمال بقرب انفتاح ابواب الصين لمعاملات الغربيين . وزاد املهم قوَّةً بما أُتيح لاهل البرتغال في ذلك الوقت ان يوسعوا في ماكاو نطاق اعمالهم فأُعطوا ارضًا واسعة سمحوا لهم ان يتخذوها كمستعمرة يسكنونها ويقضون فيها كل اعمالهم التجاريَّة ولكن أُقيم في وجههم سدٌّ لم يسمحوا لهم بمجاوزتهِ جعلوا فيهِ بابًا واقاموا عليهِ حجَّابًا لئلا يختلط اهل الصين بالاجانب فما لبثت هذه المستعمرة ان نمت وازهرت وكثر فيها التجار البرتغاليون وابتنى فيها المرسلون ديرًا خدمةً لمواطنيهم ورجاء بقرب الدخول في انحاء الصين بل تجوَّل بعضهم في ولاياتها سرًّا الَّا انَّ انتظارهم لم ينل مفعولهُ التامَّ الَّا بعد ربع القرن

وفي السنة ١٥٧٤ تولَّى رئاسة المرسلين اليسوعيين في الهند واليابان رجل مقدام كان اصلهُ من اسرة شريفة في ايطالية يُدعى اسكندر فالنيانو (Alex. Valigna-no) فهذا ابحر الى الهند مع اربعين مرسلًا وزَّع قسمًا منهم في انحاء الهند للتبشير واخذ القسم الآخر الى اليابان . فلمَّا أرست سفينتهم في ماكاو منتظرةً لموسم الرياح الموافقة للسفر اخذ الرئيس الجديد يبحث عن الوسائل للولوج في الصين وانارة اهلها بضياء الايمان فاستحرَّ بالصلاة واستشفع بأدعية رسول اليابان ولزم انواع التقشفات ليفوز بالغاية المبتغاة . فكأنَّ الله اوحى اليهِ بقرب تحقيق امانيهِ فوكل الى احد ابناء وطنهِ الاب ميشال روجياري (Ruggieri) بأنْ يُوطِّن نفسهُ على لغة الصين واخلاقها ليدخل

قريباً ان شاء الله في قلب الصين . وكان لهذه الغاية ارسل سابقاً الى ايطالية يستدعي منها احد تلامذته الذي كان اخذ عنهُ العلوم وطاب على يدهِ التوهُّب في الرهبانيَّة اليسوعيَّة نريد بهِ الاب ماتيو رتشي ليشركهُ في العمل مع الاب روجياري فيكونا على أهبة للدخول في مملكة السماء . فما بلغ هذا الامر مسامع رتشي حتى طار لهُ فرحاً واسرع فودَّع الاوطان والاحباب لينال حظَّهُ من اتعاب المرسلين ويفتح للمسيح ممالك جديدة

والحقُّ يقال انَّ الطبيعة والنعمة كانتا زيَّنتا هذا الرجل نفساً وجسداً بالسجايا الفريدة والصفات النادرة التي تؤهل مثلهُ الى كبائر الامور . كان المذكور وُلد في مدينة ماشراتا من اعمال المملكة البابويَّة في ٦ تشرين الثاني من السنة ١٥٥٢ من والدين شريفين لم تزل سلالتهما معروفة في وطنها حتى يومنا الحاضر . وبعد ان درس في مدارس الآباء اليسوعيين ونال فيها قصب السبق على اقرانهِ طلب الانضمام الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة سنة ١٥٧١ فاحرز فيها الفضائل الرهبانيَّة ودرس في رومية على مشاهير عصرهِ العلوم الدينيَّة والدنيويَّة وبرَّز خصوصاً في درس العلوم الفلكيَّة والهندسة والرياضيَّات فاخذ عن علَّامة زمانهِ الاب كرستوف كلافيوس (Chr. Clavius) احد مصلحي الكلندار الغريغوريّ فسافر الاب رتشي من لشبونة عاصمة البرتغال في ٢٤ آذار سنة ١٥٧٨ ووصل الى الهند بعد اشهُر فاتمَّ في مدينة غوا دروسهُ وسيم كاهناً وعلَّم العلوم البيانيَّة في مدرستها حتى لاح الامل للاب ڤالينيانو بقرب فتوح الصين للمرسلين فطلبهُ الى ماكاو حيث وصل في ٧ آب سنة ١٥٨٢ فاجتمع بالاب روجياري وانكبَّ معهُ على درس اللغة الصينيَّة التي تُعدّ من اصعب لغات المعمور

وصل رتشي الى ماكاو فكان وصولهُ كمطلع عصر جديد واوَّلُ ما تبيَّنهُ من احوال الصينيين ميلُهم الى المعارف واعتبارهم للعلوم فاراد ان يتخذ العلوم كوسيلة لنقض الحواجز التي تفصلهم عن التمدُّن الغربيّ . وجعل لذلك يدرس بكل نشاط اللغة الصينيَّة ولم يكتفِ باللغة العاميَّة الدارجة عند الشعب كما صنع اخوتهُ بل شرع يدرس اللغة الفصحى واستجلب كتب قدماء الكتبة وحكماء الصين فتبحَّر فيها واقتبس من انوارها . ثم ارسل وطلب من اخوتهِ في الهند وايطاليـة كتب العلماء في كل فنّ مع الآلات الفلكيَّة التي كان ارباب الصنائع والمنجمون وضعوها مؤخَّراً لدرس الافلاك

والمظاهر الجوية واقاليم البلاد والغاية من ذلك ان يستعطف خواطر اعيان الصين ويقنعهم بتقدم اهل الغرب عليهم في العلوم

وزاده رسوخاً في رأيه ما حدث للاب روجياري في تلك الاثناء فانهُ كان رافق التجار البرتغاليين الى كانتون. وهو هناك اذ اتى اليها من الفيليبين الاسبانية وفدٌ من قبل نائب الملك ليعقد بين تلك الجزائر واهل الصين معاهدات تجارية تنفع البلادين وكان يرأس الوفدَ احدُ الاباء اليسوعيين المسمّى سانشز (Sanchez) فوصل الوفد الى كانتون وصار لهُ استقبال رسمي عظيم أثر في كلّ الناظرين. وكان الاب سانشز اتى بألطاف ثمينة في جملتها ساعة دقّاقة وآلات جميلة لم يعرفها اهل الصين فقبلوها شاكرين واكرموا مثوى صاحبها. ثم سمحوا لهُ وللاب روجياري الذي اتخذهُ كرفيقهِ وترجمانهِ ان يشيدا هناك معبداً موقتاً ليتمّا فيهِ فرائض دينهما. فاقام الابوان هيكلاً جميلاً زيّناهُ بالصور البديعة والنقوش الحسنة الآخذة بابصار الناظرين فكان الصينيّون اذا دخلوا منزلهما ينظرون ذلك المشهد فيتعجّبون منهُ حتى انَّ الوالي نفسهُ سمع بهِ وجاء ليزورهُ واستحسنهُ. ولمّا حان وقت رجوع الاب سانشز الى الفيليبين وانتهى الشهر الممنوح لاقامة تجار البرتغاليين في كانتون سمح الوالي للاب روجياري ان يقيم في حاضرتهم وان شاء ان يذهب الى مدينة تشاوكنغ وفيها مقام الوالي والعُمّال فيسكنها

فكانت هذه الرخصة ابهج بشرى للمرسلين اثلجت صدورهم فرحاً فشكروا عليها الله كنعمة سابغة ثم اسرع الاب روجاري ودعا من ماكار الاب رتشي ومرسلين آخرين فسكنوا بيتاً استأجروهُ في تشاوكنغ واقاموا هناك يقسمون وقتهم بين الصلاة ودرس الكتب الصينيّة

فما لبث الخبر ان انتشر في المدينة فشرع الصينيّون لاسيما الوجهاء والاعيان يتزاحمون في بيت المرسلين فيستقبلهم الآباء بكل لطف ويقضون الساعات الطوال في مؤانستهم والجواب على اسئلتهم العديدة عن الغرب واحوالهِ وآدابهِ فكان الآباء لا يملّون عن مباحثتهم في جميع الفنون بكل رزانة وكل حكمة حتى عظم الغرب في اعينهم وكانوا قبلاً يعدّونهُ كقرّ الجهل ويحسبون اهلهُ كهمج وبرابرة

على انَّ الاب روجياري وهو الرئيس كانت تضطرهُ خدمة الرسالة ان يتغيب عن تشاوكنغ فطلب من الاب فاليانو ان يعهد بالرئاسة الى الاب رتشي وبعد قليل

عاد الى اوربة ليوقف الحبر الاعظم سكستوس الخامس على نجاح رسالة الصين ويعد لها مرسلين جدداً يخدمونها ثم يعود بصفة سفير ناقلاً الى امبراطور الصين هدايا ثمينة من قبل البابا فيستعطفهُ بذلك وينال الحظوى منهُ للمرسلين

فضبط الاب رتشي زمام التدبير بكلّ حزم وضاعف همّتهُ لاستمالة الصينيين وعلى الاخص كبارهم ورؤساءهم . واذ رأى ان اللبس الاوربيّ مدعاة الى نفورهم منهُ ومن اخوتهِ استبدلهُ بزيّ علماء الصين فأرخوا لحاهم وأرسلوا شعورهم ولبسوا الطيالسة المنقوشة بتصاوير الأُسد وتسمّوا باسماء صينيّة وغير ذلك مما اكسبهم ثقة الاهلين

وعرض رتشي في احد معاهد الدار الآلات الفلكيّة والخوارط والساعات التي كان اتى بها من اوربة ونظمها على شكل متحف علمي فتقاطر الصينيّون الى رؤيتها وفي مقدّمتهم والي معاملة كانتون وحاكم المدينة فكانوا كلهم يقضون العجب من هذه الطُرَف التي لم ينظروها قطّ بل لم يسمعوا بذكرها

ولمّا استلفت نظر الوطنيين خصوصاً خارطة الكرة الارضيّة وقطار العالم فكانوا يرون صورة المعمور على هيئة جديدة لم تخطر على بالهم فسألوا الاب رتشي ان يشرحها لهم فكان يعدّد لهم قارات الارض واقسامها ودولها وممالكها ويقرأ اسماءها المكتوبة عليها فيتحقّق الصينيّون انّ بلادهم ليست سوى قسم صغير من العالم المعمور وكانوا سابقاً يعتبرونها كاربعة اخماس الدنيا ليس سواها الّا بحار واسعة في وسطها بعض الجزائر التي لا يبلغ مجموعها قدر ولاية واحدة من ولايات الصين فيحملهم نظر بلادهم على العُجب والكبرياء مع استحقار بقيّة الامم

فلمّا وقف زوّارُ المرسلين على اوهامهم الباطلة استزادوا الاب رتشي وطلب اليهِ الوالي ان يرسم لهُ خارطة الدنيا ويكتب فيها اسماء البلاد بالصينيّة ففعل وصوّر لهم خارطة كبيرة اتقنها كل الاتقان وضبط اطوالها واعراضها ومناطقها وبحورها وجزائرها وقاراتها واقاليمها مع اسامي كل الاقطار والبحور . فلمّا اتمّها اهداها الى الوالي الذي امر الطبّاعين ان يحفروها على الخشب على نفقتهِ ثم يطبعونها ففعلوا وبعد نجازها اخذ الوالي كل النسخ وارسلها الى كبار علماء الصين والى اصدقائهِ واعيان الدولة فكان ذلك داعياً لشهرة الاب رتشي بين اهل البلاد واعتبار الصينيين لعلمهِ ولمعارف اهل الغرب . واستفاد منها الصينيون امراً آخر وهو بُعد البلاد الغربيّة عن بلادهم فاطمأنّوا بذلك

ولم يعودوا يخافون غارات الاجانب فتساهلوا معهم

وعاد الاب رتشي وحسّن خارطتهُ وزادها اتقاناً فطُبعت بعد ذلك طبعات متعدّدة انتشرت في كل اطراف الصين. ثم اخذ باصطناع كُرين من الشَّبَه والحديد رسم عليها بالوان هيئة الارض وكان الصينيون يحسبون ارضنا منبسطة غير كرويّة فاصلح بذلك غلطهم وصوّر لهم كرين غيرها رسم عليهما صُوَر الكواكب والسيارات وشرح لهم حركات الافلاك. وصنع لهم عدّة ساعات شمسيّة اهداها الى رؤسائهم فعرضوها في بيوتهم كأثمن الأعلاق وانفسها فشاع اسم الاب رتشي ايّ شيوع فاتاهُ علماء الصين ليتباحثوا معهُ في العلوم الفلكيّة فكانوا يندهشون لسعة معارفهِ ويتبيّنون قصورهم عن ادراك شأو الغربيين

ومما زاد في قلوب الصينيين اعتبار مرسل الغرب ورقتهِ الكتب الاوربيّة التي كان عرضها في متحفهِ وكان كثير منها مُحكم الطبع بهي المنظر جميل التصوير حسن التجليد وكانوا يظنون قبلًا ان بلادهم تفرّدت بالطباعة اذ كانوا منذ اجيال عديدة يطبعون بالحفر على الخشب فسبقوا الاوربيين في هذا الفنّ لكنهم كانوا يجهلون فنّ الطبع على الحروف الرصاصيّة فتعجّبوا من ترقّي الطباعة الاوربيّة

وكان الاب رتشي لا يكتفي بان يفيد الصينيين بل اراد ان يجدي مواطنيهِ علماً بما يستفيدهُ منهم. واوّل شيء اصلحهُ من اوهام الاوربيين ظنّهم الباطل بانّ الصين والخطا (Cataï) صقعان مختلفان تفصل بينهما البحار. وكان اسم الخطا تغلّب على الصين منذ تملّك سلالة المغول عليها فكان اهل الاسفار اذا ذكروا الصين لم يذكروها بغير اسم الخطا كماركو باولو وغيرهِ. فتحقق الاب رتشي ان الخطا هي نفس الصين وانّما يُطلق هذا الاسم خصوصاً على شمالها وانّ ما ذكرهُ اصحاب الرحل عن تلك يصحّ في هذه تماماً وانّ عاصمة الصين المعروفة في تواريخ المسافرين باسم خان بالق هي مدينة پاكين بعينها وان بلاد الصين متاخمة لمفاوزات التتر وصحاري المغول

ومما ازال كلّ وهم في ذلك ان الاب ايرونيم كسافيه (Jérôme Xavier) اليسوعي الذي كان يبشّر بالايمان في بلاد المغول ويتردّد على ملكهم « السلطان اكبر » رأى في بلاطهِ رحالةً مسلماً كان أتى مع قافلة من پاكين المدعوّة خان بالق وانّ خان بالق هي عاصمة الصين فاراد رؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة ان يقفوا على صحّة الخبر فارسلوا

من الهنـد احد رهبانهم الاخ دي گويز (Benoît de Goes) مع تجـار كانوا يسافرون الى الصين كل خمس سنوات فرافقهم الاخ دي گويز وقاسى من الاتعاب ما لا يصف به قلم وقطع بصفة درويش وعابد بلاد تابول وكشغار وجهات المغول حتى بلغ سدّ الصين وجاور مدينة پاكين وكاتب اليسوعيين الذين كانوا في تلك الجهات لكنهُ مات قبل اجتماعهِ بهم. فلم يبقَ بعد ذلك ادنى شكّ في انّ الخطا هي القسم الشمالي من بلاد الصين

وكذلك اصلح الاب رتشي اغلاطاً كثيرة كانت وقعت في الخرائط المرسومة في اوربّة كتعريف تخوم الصين وامتدادها بحرًا وبرًّا فجعل علماء الجغرافيـة ينقلون عن معلومات المرسل ويسندون اليهِ اصلاحاتهم

فهذه الخدم وغيرها ادّاها الاب رتشي للعلوم الغربيّة اضرمت في قلوب كثيرين من اخوتهِ الرغبة في الاجتماع بهِ ومقاسمة اتعابهِ. لكنّ تلك المساعي الطيّبة كادت غير مرّة ان تذهب سدًى وتخيب آمال المرسلين لانّ ولاة الصين ما كانوا يحكمون الّا ثلاث سنوات ثم يغيّرهم الامبراطور وينقلهم الى وظائف أُخرى . فلما تغيّر الوالي الذي كان سمح للآباء بفتح دار لهم في تشاوكنغ اضطرُّوا الى ان يعودوا الى ماكاو . بيـد ان الوالي الجديد اذن لهم بعد قليل بالرجوع الى دارهم . وكذا جرى لهم مرّة او مرّتين بعد ذلك حتّى ان بعض خدمة الاصنام تمكّن مرّةً من طردهم بالقوّة من المدينـة فكانت حالتهم تلك الحرجة لا تكفل لهم بالغد . فاستدراكًا لتلك الاخطار كانوا لا يزالون يطلبون التقرُّب الى پاكين عاصمة الدولة لعلّهم يبلغون الى قصر الملك فينالون منهُ الرخصـة باستيطان الصين بطمانينـة فكر . الّا ان عمّال الدولة كانوا ينكرون عليهم الذهاب الى دار الملك خوفًا من سطوة السلطان ولاعلمهم بان احكام الدولة لا تسمح بدخول الاجـانب في كرسي الملك

فكان اليسوعيون على ما طُبعوا عليهِ من الجلَد والثبـات لا يقطعون الرجاء عن الوصول الى حاضرة الدولة . ولاسيما انّ كثيرين من كبار المملكة اذ عرفوا فضلهـم وتحققوا انهم لا يطلبون غير خدمة العلم والدين كانوا يوسعون كلّ يوم دائرة نفوذهم حتّى سمحوا لهم ان يسكنوا في مدينتي تشاوتشيو ونانكين ففتحوا لهم في كلتيهما دارًا . وكان الاب رتشي استدعى اليهِ من ماكاو شابّين مسيحيين اصلهما من عائلتين صينيّتين

تنصّرتا هناك وطلبا الدخول في الرهبانيّة اليسوعيّة فاجاب الاب رتشي الى طلبتهما وثقفهما في الفضائل الرهبانيّة ثم استعان بهما لاعمال الرسالة فادّيا لهُ خدماً عديدة وساعداهُ على الاخصّ في التقرّب من اهل وطنهما عند سعيهِ بالدخول الى پاكين

والحقّ يقال انّ رتشي كان يُعدّ كل ما صنع سابقًا كلا شيء ريثما يستطيع الوصول الى قلب الصين ويتقرّب من سلطانهِ الاعظم. فلادراك هذه الغاية كان يعمد عندهُ افخر الهدايا ليقدّمها للملك ويبالغ في الادعية واعمال البرّ ليسهّل لهُ الرب طريقهُ اليهِ. واذ رأى انّ اعيان الدولة الذين اكتسب ودادهم قاصرون عن مساعدتهِ جعل على الله اتكالهُ وسافر في حزيران سنة ١٥٩٨ الى پاكين مع احد الآباء والاخوين الصينيّين فوصل الى پاكين في ٧ ايلول بعد سفر طويل واقام في العاصمة نحو شهرين لكنّهُ لم يستطع الفوز بمرغوبهِ ولم يجد احدًا يبلّغهُ الى ابن ملك السماء او يخبرهُ بمجيئهِ فعاد الى نانكين بخفّي حنين

لكنّ رجل الله لم يستسلم الى القنوط والجزع بل واصل اشغالهُ وصلواتهِ مع اخوتهِ الى حين تأتي الساعة المعيّنة من الله الذي في يديهِ قلوب الملوك كما يقول الكتاب (امثال ٢١: ١). فاعمالهُ الصالحة كانت تستعطف اليهِ الخواطر حتى انّ الصينيين دعوهُ باسم «تشنغ يان» اي القديس وهو اسمٌ يخصّون بهِ كبار رجالهم فقط مثل كنفوشيوس مشترعهم وبعض الفلاسفة العظام

وكان رتشي لا يزال يترقّب الفرصة ليعود الى دار السلطنة ففي اواسط ايار من السنة ١٦٠٠ استأنف السير الى پاكين مع الاب دياگو پنتويا (Diego Pantoja) والاخوين الصينيين فطال بهم السفر ووجدوا في طريقهم من العوائق ما لم يكن في الحسبان وتعرّض لهم بعض العمّال ذوي الجشع والقحة فسلبهم قسماً من الالطاف المعدّة للملك وحاول قتل الاب رتشي وحبسهُ مدّةً لكنّ العناية الصمدانيّة نجّتهُ من كل الاخطار فبلغ پاكين سالمًا بعد سبعة اشهر

وكان الجالس آنئذٍ على سُدّة الملك رجلًا يُدعى تشان سونغ ويلقّب «فان لي» كان يتولّى الامر منذ سنة ١٥٧٣ وكان رجلًا عادلًا محبًّا للعلوم فاطلعهُ اهل بلاطهِ على خبر رتشي واعلمهُ بقدومهِ وبما اعدّهُ للملك من الهدايا فارسل ودعاه الى قصرهِ. فلبس المرسل ثوب الاساتذة الرسميّ وحمل الهدايا في ايدي الاخوين وبعض الخدم وحضر

امام الملك بعد ان قدَّم لهُ فرائض الاكرام كما هي العادة عند اهل البلاد. فرحَّب الملك بالقادم تجاه اهل بلاطهِ وألقى عليهِ عدَّة سؤالات عن بلاد الغرب اعجبتهُ وادهشتهُ معاً. ثمَّ اخذ الالطاف فرداً فرداً واستخبر عن معانيها وفوائدها. وكان في جملتها ساعة لم يُرَ مثلها في الصين ثمَّ نظَّارة جميلة ومجموع يهيّ فيهِ تصاوير آثار الغرب وابنيتهِ الفخيمة من قصور وكنائس ورسوم دقيقة ومناظر بهيَّة وتصاوير بديعة. واعجبتهُ خصوصاً خارطة العالم التي كان رتشي حسَّنها كثيراً. وكذلك اهدى الملك آلةً موسيقيَّة كانت تُسمع الحضور الحاناً اوربيَّة رخيمة فاستعظمها الملك واراد ان تُركَّب على نغماتها ادوار صينيَّة فألَّف لهُ الاب رتشي اغانيَّ عديدة ضمَّنها الحكم الادبيَّة فوقع ذلك من قلبهِ احسن موقع واظهر للوافد سموّ رضاه

ثم ارسل الملك سرّاً احد كبار دولتهِ واعلم رتشي ورفقتهُ بانهُ يريد ان يقيموا في باكين ولا يضطربوا من معاكسة بعض العمَّال لهم. وكان بعض حاشية الملك خافوا من اقامة الاجانب بينهم وعرضوا عليهِ بان يصرف المرسلين لئلَّا يستوطن اهل الغرب مملكةَ الصين وتبطل سُنَّة اجدادهِ الآمرين بنفي الغرباء من تخوم الدولة. فالملك سمع كلامهم ولم يُعِرهُ بالًا لكنَّهُ لم يمنح للاب رتشي منشوراً رسميًّا للسكنى في باكين كما كان يتمنَّى. وعلى كل حال رأى الآباء في تلك الرخصة الشفاهيَّة «اعجوبةً عظيمة اصطنعتها يمين العلي» وكان ذلك في اواخر كانون الثاني من السنة ١٦٠١

لما بلغ هذا الخبر مسامع الحبر الاعظم ورؤساء الرهبانيَّة اليسوعيَّة حتى طربت لهُ الافئدة وقدَّموا لله في كل انحاء اوربة الشكر الحميم على هذه المنَّة لما كان يُبنى عليها من الآمال لترقي العلوم فضلاً عن انتشار الدين القويم

اما رتشي ورفقتهُ فانهم اسرعوا الى اقتناء دار رحبة موافقة لغايتهم من الاختلاط باهل باكين ومؤانستهم والتباحث في العلوم معهم فنظَّموها احسن نظام وجعلوا فيها ما من شأنهِ ان يعظِّم التمدُّن الغربي في اعين الصينيين. وكان الملك يحبُّ الاجتماع برتشي وعيَّن لهُ اربعة مواسم رسميَّة كان يقبلهُ فيها مع عمدة اهل مملكتهِ في ساحة مخصَّصة بهم. وكان ايضاً يستدعيهِ سرّاً ليستطلع رأيهُ في احوال الغرب وعلومهِ ووكل اليهِ باصطناع خارطة جديدة للعالم ابهى وابدع من الخوارط السابقة ليزين بها بلاطهُ فقضى رتشي في عملها عدَّة اشهر فاستحسنها تشان سونغ للغاية وانعم عليهِ بانعامات شتى احرزت

لهُ سمعةٌ طيّبة بين كل رعايا الدولة فاخذوا يتواردون الى دار المرسلين زرافات ووحداناً . وكان رتشي يقضي قسماً كبيرًا من نهارهِ وليلهِ مع علماء العاصمة وافاضلها ويفسّر لهُ معنى الآلات التي في دارهِ وينقد آراء الصينيين في صورة العالم واقاليمهِ وتركيبهِ . ومما ابطلهُ من اوهامهم قولهم بانَّ العالم يتركّب من خمسة عناصر اي الماء والارض والنار والخشب والمعدن . وكذلك بيَّن لهم انَّ الارض ليست مربَّعة الشكل منبسطة وانَّ الصين ليست مركز العالم كما كانوا يزعمون واشياء كثيرة غيرها علموا منها تقدُّم الغربيين عليهم

ومن العلوم التي كان الصينيّون مولعين بها الهيئة والفلك لانَّ معارفهم كانت في الغالب محمولة على النظريات او على تقاليد قديمة اكل عليها الدهر وشرب . ووافق وجود الاب رتشي في پاكين وقوع كسوفٍ لاقمر فما امكن الفلكيين الصينيين ان يسبقوا بتعريف زمانهِ وعللهِ الّا ان رتشي عمل كل الحسابات وعرضها على الملك سلفاً فحدث الخسوف في وقتهِ كما افاد وعلَّلهُ بتوسّط الارض بين الشمس والقمر . فاقرَّ لهُ الجميع بسعة العلم واتَّخذوهُ منذ ذاك الحين كحكَم في كل مشاكلهم يذعنون الى قولهِ كما يذعن المتعلّم لاستاذهِ

قضى رتشي نحو عشر سنوات في پاكين مكرَّماً موقَّرًا من الجميع . ومع كثرة اشغالهِ صنَّف في الصينية عدَّة تآليف علميَّة طلبها منهُ الملك او عمّال الدولة وعلماؤها طُبع قسمٌ منها في الصين على الحجر وبقي قسمٌ آخر مخطوطاً حتى الان فما طُبع كتاب مطوَّل في الحساب ثمَّ ترجمة صينيَّة لستَّة كتب من هندسة اقليدس وكتاب في الهندسة المنبسطة وكتاب في وصف السماء والارض وكتاب في الاقيسة وكتاب شرح الكرَة السماويَّة وكتاب آخر في الشعر الصيني عن النجوم وكتاب في حساب مساحة المثلثات وكتاب في فنّ الذاكرة وكتاب في الصداقة اتقنهُ غاية الاتقان ونظمهُ الصينيون بين اجود آثارهم الادبيَّة . هذا فضلاً عمَّا كتبهُ رتشي في اللغات الاوربيَّة عن الصين ونقل عنهُ العلماء من اليسوعيين وغيرهم

وزد عليهِ ان رتشي لم يخدم العلوم في الصين بذاتهِ فقط بل خدمها خدمةً اعظم بخلفائهِ الذين استقدمهم من اوربة ليتهجوا طريقهُ في تعزيز المعارف فارسل رؤساء الرهبانيَّة اليسوعيَّة مدَّة ١٧٠ سنة عدداً وافرًا من علمائهم الى الصين فنشروا فيها العلوم

وعمّموا الآداب الغربيّة فصاروا وصلةً بين اقاصي الشرق والغرب . ولهم من التآليف ما يزيد على الالف . ولدينا قائمة ما طُبع في الصينيّة بهمّة الاوربيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر جمعها العلامة هنري كرديه سنة ١٩٠١ (١ وهي تحتوي وصف ٣٩٥ كتاباً في كل العلوم الدينيّة والدنيويّة منها ٣٠٠ بنيف للاباء اليسوعيين

وكان هؤلاء المرسلون يكاتبون في رومية وباريس وموسكو وفيئّة انئمّة العلم فيفيدونهم عن علوم الصين ويترجمون لهم كتبهم التاريخيّة والادبيّة حتّى اغنوا بتآليفهم مكاتب اوربّة . ولما كنا نشتغل في باريس سنة ١٨٩٢ في المكتبة العموميّة كان ناظرها المسيو زوتنبرج (H. Zotenberg) يرينا عدداً عديداً من المخطوطات التي تُحفظ في خزانة الكتب مما ألّفهُ اليسوعيون في الصين فيستقي من مواردها العلماء حتى يومنا هذا . وكان يردّد علينا قولهُ : « لولا اليسوعيون لبقيت الصين مجهولةً حتى القرن التاسع عشر »

ولما استأنف اليسوعيون رسالتهم الى الصين نحو السنة ١٨٤٠ تذكروا اسلافهم وطرقوا مثلهم باب العلوم فألفوا التآليف وأنشأوا مطبعتهم الكبيرة في شانغاي التي طبعت نحو مائتي كتاب مما يقرُّ لهُ الصينيون وعلماء الغرب بالتقدّم على سواه . ولهم مرصدان من اعظم مراصد العالم احدهما فلكي والآخر جوي ومغناطيسي يؤديان كل يوم الخدم المشكورة للسفن الماخرة مياه البحر الصيني . وفي كليّتنا اليوم احد مرسلي الصين الذي ألف تآليف لغويّة في المجازات الصينيّة اثنى عليها الاختصاصيون وتكرّر طبعها (اطلب المشرق ١٢ : ٣١)

والفضل في كلّ هذه الاعمال عائد خصوصاً الى الاب رتشي الذي نهج للمرسلين طريقة المعارف واستحقّ ان يُدعى رائد العلم في الصين

وقد عرف لهُ فضلهُ ملك الصين لما مات في ١١ ايار سنة ١٦١٠ فارسل من ينوب عنهُ لدى رفقته بتقدمة فروض التعازي ووهب للآباء اليسوعيين بصكّ امضاهُ بيده ارضاً واسعةً خصّها لمدافن المرسلين . وهي اليوم مقبرة الرسالة الكاثوليكيّة في

(١ وهذا اسم الكتاب Bibliographie des ouvrages publiés en Chine par les Européens au XVII° et au XVIII° siècles par Henri Cordier. *Paris, Imprimerie Nationale*, 1901, p. 75

باكين. فهذه النعمة الفريدة منحها الملك لاكرام الاب رتشي ويعدُّها اهل الصين كاعظم الانعامات. وكان المنشور الملكي في ذلك كمعرفة رسميَّة لحلول الاجانب في المملكة. اما بقيَّة وجوه الدولة وعلماء العاصمة فعدُّوا موت رتشي كمصاب وطنيّ وكتبوا في مدحه شققًا ثانيَة زانوا بها مدفنهُ (التتمَّة لعدد آخر)

الابوان السماوي والارضي

ارسل لنا الشاعران المجيدان حضرة الاب رافائيل البستاني وجناب الاديب احمد تقي الدين القصيدتين التاليتين البليغتي المعاني السامي الابيات وقد وجدنا بينهما علاقة فجمعناهما تحت العنوان السابق. فانَّ الاولى تحتوي وصفًا جميلًا لاعمال الآب السماوي ولعجائبهِ العديدة في خلائقهِ. امَّا الثانية فتنطق من عواطف الاب الارضي نحو ابنهِ الصغير وقرَّة عينهِ وموضوع آمالهِ. فلكليهما الشكر الجسيم ل. ش

١

سبحان الله في خلائقه

لحضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة العامرة

أفِقْ يا قلبُ من سُكرٍ بكاسِ الجهلِ لا الخمرِ
ألا أخرُجْ من دُجى ليلٍ فقد وافى ضيا الفجرِ
فقُمْ تنظرْ الى كونٍ عجيبٍ قد سبى فكري
أدِرْ لحظًا الى العليا ، وانظرْ بهجة الدرِّ
وقابَ في العُلى طرفًا فكمْ من كوكبٍ دُرّي
بأوقاتٍ وترتيبٍ وتنظيمٍ بها يسري
تأمَّلْ قبَّةً زرقًا زهتْ بالأنجمِ الزُّهرِ
سماءٌ أدهشتْ عقلي فهل في الجوِّ من سحرِ
أجيبي سائلًا يا شمسُ بل بُوحي بهذا السرِّ
فمَنْ قد زانَ افلاكًا وأعلاها مُذُ الدهرِ
ومَنْ ساقتْ يداهُ الغيمَ من قُطرٍ الى قُطرِ
ومَنْ أعلى جبالًا قد كساها الغيثُ بالزهرِ

ومَن أعطى رَوَاسيها أكاليلًا مِنَ الصَخْرِ
وأشجارًا وأزهارًا ذَكَتْ في عَرْفها العِطري
تُحَيِّيها فتُحْيِيها مياهُ السُحْبِ والنهرِ
ومَنْ ذا قد احاطَ الطو دَ بالغاباتِ والوَعْرِ
أجيلُ الطرفَ في ارضٍ وفي الأفلاكِ والقمرِ
لكَم أعجوبةٍ فيها وكم غُمضٍ وكم سترِ
فمن طيرٍ عَلا جوًّا كطيرِ الباز والنَسْرِ
ومنها قد شدَا في الرو ضِ فوقَ الاغصُنِ النُضْرِ
هَزَارٌ او كَنَارٌ او يمامٌ ناحَ او قُمْري
وكم من زاحفٍ ينْسا بُ في غابٍ وفي قفرِ
وكم ضارٍ بِبَيداء نظيرِ اللَيْث والنِمْرِ
أعاجيبٌ أعاجيبٌ واشكالٌ بلا حَصرِ
ومنها أورَثَ الافكا رَ ذَهْلًا منظرُ البحرِ
غريبٌ أمرهُ يا قو مُ في مدٍّ وفي جَزْرِ
كأنَّ اليمَّ قد آلى بأنَّ يَسْطو على البرِّ
به الأمواجُ كالاطوا دِ تُلقي القابَ في الذعرِ
فترغي تارةً غضبى تَحُمُّ الأذنَ بالهَدْرِ
وطورًا تنثني غجلى كمذعورٍ لدى الكسرِ
وكم في البحرِ آياتٍ ثنت عن عدِّها شعري
فمن ذا مبدعٌ كونًا عجيبًا حُسْنُهُ الفطري
فما لي أسألُ الاكوا نَ عن غُمضٍ بها وَفْرِ
فاحرى بي بأن أبدَا بذاتي ناظرًا أمري
ففي الغُمضُ كلُّ الغمضِ فيما ضمَّهُ صدري
فجسمي كلُّهُ سرٌّ عصى أمرًا لذي الخبرِ
فأدرى الناسِ من يدري بأنَّ الناسَ لا تدري
فما مِن كائنٍ الّا على شرعٍ لهُ يجري

وهل من صُدفةٍ في ذا أجبني يا أخا الكفر
اليس العقلُ يُنبينا ببنّاء لذا القصر
غدا اسمُ الله مكتوبًا على الأكوانِ بالتبر
وفيها ظلَّ محفورًا ويبقى ثابتَ الحفر
فلا يمحوهُ كُفّارٌ ولا جُهّالُ ذا العصر
ومن يبغي لهُ محوًا فلا يلقى سوى الخسر
ألا يا مُلحدًا مهلًا فلا تنفذ الى الهذر
فتُبْ للربِّ واستغفر وقم كفِّر عن الوزر
وقُلْ رحماكَ يا ربي أقِلْ خطوي من العثر
وهَبْني منك غفرانًا لِمَا قد جئتُ من نُكر
لك التسبيحُ والشكرا نُ في سرٍّ وفي جهر

٢

الى ولدي الصغير

لجناب الاديب الشيخ احمد افندي تقيّ الدين

ولي ولدٌ عمرهُ تسعةٌ ويا حبّذا التسعةُ الاشهرُ
شبيهُ الأزاهر لكنّهُ أغضُّ من الزهر بل أطهرُ
شبيه الكواكب لكنّهُ أتمّ من البدر بل أنورُ
لقد غاب عن ناظري أشهرًا حسبتُ الشهور هي الأدهرُ
وفي البالِ يخطر تذكارهُ وكيف ببالي لا يخطرُ
وأذكرهُ قائمًا قاعدًا وكلُّ ابٍ لابنهِ يذكرُ

رها انا أنستُ من غيبتي وآنسني وجهه المقمرُ
فقبّلتهُ ونسيتُ الحساب وهل يُحسب الشوقُ او يُحصرُ
فحدّق فيَّ وحدّقت فيه ومثلي الى مثلهِ ينظرُ
وطار اليَّ بدون جناحٍ يُريد الكلامَ ولا يقدرُ
فخفّت لهُ النفس تحتاطهُ كطيرٍ لأفراخها تغمرُ

ففي ناظريَّ الهنا ظاهرٌ وفي ناظريه الهنا يظهرُ
فشوق الفريد اليَّ كثيرٌ ولكنَّ شوقي هو الاكثرُ
واولادنا مثلُ اكبادنا فكيف على بُعدهم نصبرُ

فيا حُسنَهُ ولدًا لاعبًا ويا بهجتي والدًا ابصرُ
يُزقزق كالفرخ في عشِّهِ ويدرجُ كالفرخ بل اقدرُ
يحاول مشيًا ولكنَّهُ ضعيفُ القوى والقوى قُصَّرُ
فاحملهُ فرحًا لاعبًا وقلبي حواليهِ يستبشرُ
فيفترّ عن سنّهِ ضاحكًا وجانبها اختها تنظرُ
فيا سنَّهُ إكبري لؤلؤًا يحفُّ عقيقٌ بهِ احمرُ
ويا ريقهُ أعطني نهلةً فانَّك في ثغرهِ الكوثرُ
ويا خدَّهُ أعطني وردةً فانت شقيقٌ لها اكبرُ
ويا عينهُ إرحمي مهجتي فانتِ هو السحرُ بل اسحرُ
نصبتِ الجفونَ عمود الهوى وأسلاكهُ الهُدبُ والمحجرُ
وفي القلبِ مستودَعُ الكهرباء ومنهُ تجاري الهوى تصدرُ

أحبيبهِ من ولدٍ نائمٍ بهذا هو المسكُ والعنبرُ
تحومُ الملائك حول السرير تهزُّ السرير ولا يُشعرُ
وعينُ الاله لهُ حارسٌ وعين الحنوّ لهُ تحفرُ
ومن حولهِ والدٌ ناظرٌ ومن حولهِ أمُّهُ تنظرُ
فيا عين طفلٍ تنام الدُّجى ويا عينَ والدةٍ تسهرُ
سَلِ النجم عن سَهَرِ الأمهات فان النجوم بهِ اخبرُ
فسقيًا لثدي يغذّي الرضيعَ لوقت الفطام ولا يضجرُ

فكن ليَ يا ولدي طائعًا ففي طاعتي الظفر الاكبرُ
فاني اربيك حتى تشبَّ عن الطوق ان الفتى يكبرُ
اعلّمك العلمَ لا للتفاخر م بل للكنوز التي يُظهرُ
اعلّمك النظمَ لا للمديح فأكثرهُ كذبٌ مسفرُ

ولكن لاظهار صدق الشعور ولا خير في المرء لا يشعرُ
أعلمكَ الدينَ لا للخرافة م بل للكمال الذي يضمرُ
أعلمك الدين لا للتعصُّب م بل للسلام الذي ينشرُ
أعلمك الدين لا للتظاهر م بل للصلاح الذي يُستَرُ

فيا ولدي عش لنا زهرةً وحبلُ حياتك لا يقصرُ
فانَّ البنين ثمار القلوب ولا خير في الغصن لا يثمرُ

الزَّبْزَب او التُّفَّة او عَناق الارض

مقالة علميَّة تاريخيَّة لغويَّة انتقاديَّة ادبيَّة للاب انستاس الكرملي

١ (ورود هذه اللفظة في التاريخ) جاء في تاريخ الكامل لابن الاثير (٨: ٣٣ من طبعة سنة ١٣٠٣) ما نصُّهُ: في هذه السنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) في الصيف خافت العامَّة ببغداد من حيوان كانوا يسمُّونهُ الزَّبْزَب ويقولون انهم يرونهُ في الليل على سطوحهم وانهُ يأكل اطفالهم وربَّما عضَّ يد الرجل وثدي المرأة فقطعها وهرب بها فكان الناس يتحارسون ويتراءَون ويضربون بالطشوت والصواني وغيرها ليفزعوهُ فارتجت بغداد لذلك ثم ان اصحاب السلطان صادوا ليلةً حيوانًا اباق بوادٍ قصير اليدين والرجلين. فقالوا: هذا هو الزبزب وصلبوهُ على الجسر فسكن الناس (١. وهذه

١) قد اختلفت الروايات في ايراد نصّ ابن الاثير: فمن ذلك رواية حياة الحيوان الكبرى فقد روى «اسطحتهم» عوض سطوحهم. و«يد المرأة» عوض ثدي المرأة. و«فيقطعها» عوض فقطعها ولم يذكر «هرب بها». وقال: «وكان الناس يتحارسون منهُ ويتراءَون ويضربون بالطشوت» بدلًا من النص الذي اوردناهُ. وقد نقل صاحب دائرة المعارف هذا الكلام عن الدميري لا عن ابن الاثير. وفائدة جمع الروايات عظيمة. فاذا ثبت مثلًا ان نص الدميري كان في الاصل «أسطِحتهم» اتَّضح ان هذا الجمع فصيح. وفي نسختنا «اسطحة» ايضًا. وسوف نتكلَّم عن نسختنا بُعيد هذا. وكذلك جاءت رواية الاسطحة في كلام الدميري عن الضفدع فقد قال هناك: «يُظن انهُ يقع من السحاب لكثرة ما يرى منهُ على الاسطحة عقب المطر والريح» وهكذا وردت ايضًا في نسختنا» فاذا صح ذلك لم يبق وجهٌ لاعتراض الشيخ ابراهيم اليازجي اذ قال في الضياء (١: ٦١٠) «السطح وجمعهُ على اسطحة واساطح وهذا الثاني جمع الجمع هو من

دابّة تسمّى طيرة واصاب اللصوص حاجتهم لاشتغال الناس عنهم » . اه حرفه

وفي سنة ١٢٧١ ﻫ (١٨٥٤ م) وكان عمر كاتب هذه السطور ثماني سنوات وقع في بغداد مثل هذا الاضطراب وكان الخبر قد شاع في الصيف وما كان الناس يستطيعون ان يغمضوا اجفانهم ففي كل بيت كان واحد يسهر على التناوب مع اهل الدار خوفاً من ان يأتي الزبزب ويفترس واحداً من النائمين . ومضى صيف تلك السنة والناس تضرب الى الصبح على الطشوت والقدور وآنية النحاس على انواعها تنبيهاً للغافلين وتخويفاً للدابة المذكورة والبغداديون يزيدون خوفاً بما يروونه على اسماعهم بعض الذين يقولون انهم رأوه . ثم لما اقبل الشتاء قالوا : فرّ الزبزب من وجه الناس طالباً جبال بلاد فارس . ولم يتحقق احد اذا كان الامر صحيحاً

على ان حكاية الزبزب لا زالت حية على أفواه الجميع من يهود ونصارى ومسلمين وكل واحد يصفهُ باوصاف غريبة ترجع كلها الى قصر الارجل والايدي والى بياض يعلو ظهرهُ والى ان جلدهُ صفيق كجلد الخنزير الى غير ذلك . ومن الغريب ان اهل البادية يعرفونهُ ايضاً ويسمّونهُ باسماء مختلفة تختلف باختلاف القبائل كما سترى

٢ (قتل زبزب) شاع في شهر تشرين الاوّل من السنة الماضية ١٩٠٩ في ارض صدر المسعودي (١ ان قد ظهر في الليل الزبزب فوقع فزع في صدور الجميع ولاسيما النساء فلم يستطع احد ان يغمض عينيه . وكان يخرج في كل ليلة مقدار اربعين من شجعان الرجال وبايديهم البنادق الحديثة الوضع برصاص ضخم يفتك فتكاً ريعاً وهم يعسّون الليل كلّهُ في البساتين لينفضوها من هذا الضيف الهائل . وما زالوا على هذه الحالة حتى اليوم ١١ من شهر تشرين الثاني وبينما كان احد رعياننا من

اغلاط العامّة » . فاذا صح جمع السطح على اسطحة فجمع جمعهِ على اساطح صحيحٌ لا غبار عليهِ مثل أسنية وأساقٍ

واما «تراعى» فانهُ لم يُذكر في كتب متن اللغة الّا انهم قالوا راعى فثبت بذات الوقت تراعى . واما تراعق فلم يرد في دواوين لغتهم بل ولا زاعق . فاذا ثبت وروده وصحّ كان من المستدركات وممّاهُ يصيح بعضهم على بعض طرداً للنوم . — ومن هنا ترى منفعة جمع الروايات المختلفة الواردة في الكتب اللغويّة المختلفة بموجب قدومها والمقابلة بينها

١) المسعودي اسم نهر كان يصبّ في دجلة بين بستان الاباء الكرمليين حالاً وبستان حاسم محمد علي . وهو اليوم قد سدّ لما تراكم فيهِ من الرمال وكان اسمهُ في القديم نهر عيسى

الاخرة يتجوّل مع بعض الاعراب إذا بهؤلاء زعقوا زعقة قائلين : « ها هوذا الزبزب » وما كاد « الاخ أجيد المنتسب الى القديس يوسف » يسمع هذه الكلمات الّا واطلق بندقيتهُ مرّتين فأصابهُ . فأخذ الزبزب يهجم عليهِ فولّى الأعراب مولولين وَالهين . واما الاخ فاقدم عليهِ بقلب قُدَّ من جلمود حتى أصماهُ . وبعد قتلهِ اياهُ جاء الاعراب وهنّأوهُ قائلين لهُ : يكفيك شرفاً وشجاعة لن يقال عنك انك « قاتل الزبزب » (١

٣ (وصف الزبزب) بعد ان رأيناهُ رايَ العين سهل علينا وصفهُ ومعرفتهُ ولم نعد نسمع تلك الحكايات التي يلفقها ارلئك الاقوام الجهلة بخصوص امرهِ وآدابهِ واكلهِ وشرابهِ . فالزبزب من الحيوانات ذوات الثُّديّ من رتبة آكلة اللحوم من فرقة الماشيات على اخمصها . ومن مميّزاتهِ الخاصّة بهِ والفارقة اياهُ من سواهُ هي الراجعة الى نظام اسنانهِ . فمجموعها ٣٦ سنًّا . منها ٦ قواطع وناب وذلك في اعلى الفك واسفلهِ و ٨ أضراس في الفك الاعلى و ١٢ في الفك الادنى واشهر هذه الاسنان هي الدَرَنيَّة النابتة في الفك الاعلى وحجمها ظاهر لان عرضها يساوي طولها

والزبزب حيوان ينساح انسياحاً في مشيهِ (٢ وذنبهُ قصير لا يتجاوز ٢٥ سنتيمترًا وذلك من عجبهِ الى طرفهِ السائب . وهذا الحيوان ضخم الرقبة ومحيطها ١٧ سنتيمترًا ويداهُ اطول من رجليهِ وعارٍ يديهِ عن الارض ٢٠ س ورجليه ١٤ س . واظافيرهُ سوداء حادّة الراس ضخمة عند المفرز وهي ناشبة كل النشوب في اللحم . واظافير يديهِ اطول من اظافير رجليهِ ضعفين وهذا ما يمكنهُ من الحفر بسرعة وبسهولة كلية وهو

١) هذا الزبزب بعد ان قُتل نُقل الى دار الرسالة في بغداد فاخذهُ الاب بطرس ساري الكرملي وصَبَّرهُ وحنّطهُ وجعلهُ في معرض الحيوانات الراجعة الى الرسالة وهو يشاهد هناك الآن وفي ضيعتنا (ferme) فلّاحون واتفق انهُ بعد ان قُتل الزبزب راى الفلّاحون حُفرًا وآثار مخالب من وراء بيوتهم من الجهة المقابلة لنهر دجلة على طريق السابرين فظنَّ هؤلاء الساكنين ان اخوة ذلك الزبزب جاءت تثأر القتيل منها . فوقع رُعب في قلوبهم لا يشبههُ رُعب ولاسيما نساؤهم ولم يُرد بعد ذلك احد من الفلاحين ان يبقى في ضيعتنا . فاخذتُ في إفراغ روعهم فلم أفُزْ بطائل . فذهبتُ معهم لاتحقّق الامر فرأيتُ حقيقةً عدّة حُفر الّا اني لما فحصت آثار المخالب رأيتها خدش وخمش كلاب لا غير فضحكتُ وسكّنت جأشهم بعد العناء العظيم . وعلى مثل هذا الوجه تتولّد الخرافات وتنشأ وتشيع على الالسنة

٢) قال الجاحظ : الحيوان على اربعة اقسام : مشيٌ يمشي . ومشيٌ يطير . ومشيٌ يسبح . ومشيٌ ينساح . (اي يزحف على بطنهِ) ومشي الزبزب اقرب الى الانسياح منهُ الى العَدو

اذا حفر سربهُ جعلهُ مدوَّر المدخل . وطول اظافير يديهِ ٥ سنتيمترات وهي خمسة في كل من يديهِ ورجليهِ . ومحيطُ غلظ يديهِ ٢٠ س وطول الحيوان من طرف خطمهِ الى آخر طرف ذنبهِ ٩٧ س . وطولهُ من ترقوتهِ الى عَجب ذيلهِ ٥٧ س . وشعرهُ طويل طول الواحدة يختلف بين ٥ الى ٧ سنتيمترات . وشعر عجزهِ اطول من شعر بقية جسمهِ وشعرهُ يشبه شعر الخنزير متانةً . واذناهُ قصيرتان سوداوان ومختفيتان بين شعر رأسهِ وخطمهُ صغير قصير بالنسبة الى جسمهِ وعيناهُ صغيرتان براقتان . وللانثى ٦ أثدٍ اثنان منها على صدرها والاربعة الباقية على بطنها . وتحت العَجب نافحة مستعرضة الانفراج ترشح منها مادةٌ دُهنية سمكة ذَفِرة كريهة الرائحة . وهذه صورتهُ

والناظر الى هذا الحيوان للمرَّة الاولى يتخيل ان قد أُلقي على ظهرهِ دثار ابيض لان اعلى ظهرهِ ابلق وبقية جسمهِ اسود فاحم والبياض يغلب على السواد من جهة صفحتي بطنهِ يمينًا ويسارًا وبخلاف ذلك عند عجزهِ واما بقية ظهرهِ فيكاد السواد والبياض يكونان على تناسب محدود . وهذا البياض وهذهِ البلقة تمتدّ من اعلى عينيهِ الى آخر طرف ذنبهِ او يكاد . والبلقة لا تتجاوز اعلى يديهِ ورجليهِ وما يوازيها من بقية جسمهِ وطول امتداد البياض ٨٠ سنتيترًا

هذا وصف الزيزب الذي قتل في بستاننا . وهو يختلف بعض الاختلاف عن سائر الزيازب المنتشرة في سائر البلاد . ونحن نصفها هنا اتمامًا للفائدة . فنقول :

٤ (انواع الزيزب) اشهر انواع الزيزب هو : الزيزب المشهور وهو المعروف عند الفرنسيس باسم taisson او blaireau commun وفي اللسان العلمي meles taxus او meles vulgaris وطولهُ ٦٠ سنتيمترًا الى العَجب شعرهُ طويل ابلق

وهو على بطنهِ اسود وعلى كل صفحة من راسهِ جُدَّة سوداء وهو يعيش وحيداً ويأوي الى الغابات الغنيا. يحفر فيها سربهُ متعرجاً وعلى مَيْل في آخرهِ. وطعامهُ انواع الاثمار من الانواع الشبيهة بالعنب واذا لم تقع بيدهِ الاثمار اكل الفيران والجرذان والمناجذ والضفادع والحيَّات والجراد وسائر الدويبات كالوزغ ونحوها . وهو كثير الوجود في ديار الافرنج واميركة الشمالية يسميهِ اهل هذه البلاد الاخيرة باسم كركاجو (carcajou) وبلسان العلم (meles labradorica). وفروة الزبزب ليست من الجنس الفاخر ويتَّخذ السروجيون في بلاد الافرنج جلد هذا الحيوان ليكسوا بها أطواق الدواب او يصنعوا منها سيور العُدَّة. ويُتَّخذ شعرهُ لصُنع الهُلْبيَّات (pinceaux) أو لنوعٍ منها يسمونهُ زَبْزَبيَّة « blaireau » يستعملها الحلَّاقون لإذابة الصابون ولطخهِ على ما يُحلق من الشعر. وزبزب اميركة اصغر حجماً من سائر الزبازب المشهورة

ومنهُ الزَّبْزَب الهندي واسمهُ عند اهل تلك الديار بالي سور (Bali - saur) وبلسان العلماء (arctonyx) على ان الاختلاف بينهُ وبين سائر الانواع زهيد لا يكاد يُعبأ بهِ وربما سمَّاهُ الافرنج (blaireau ursitaxa) اي الزبزب الدُّبي

والزبزب يحب النظافة محبَّة عظيمة. وكثيراً ما يأتي الثعلب ويغلبهُ على مأواهُ فيتَّخذهُ لنفسهِ وكيفيَّة اخذهِ منهُ ان يوسخ مدخلهُ بالرجيع او بشيء آخر فيهرب الزبزب ولا يعود يرجع اليهِ. وهذا الحيوان يقضي ثلاثة ارباع حياتهِ مختفياً في وجارهِ ولا يخرج منهُ الَّا ليلاً والذكر يعيش بعيداً عن الانثى وكل منهما في مكمن وتلد الانثى ثلاثة اجرية او اربعة وذلك في الصيف والزبزب اذا أُخذ صغيراً وربِّي تربيةً يألف الانسان إلفاً غريباً فيصبح وديعاً حليماً ودوداً متملقاً يحبُّ صاحبهِ ويأكل كل ما يقع بيدهِ كالكلب. وقد فعل هذا الفعل احد قناصل المسكوب في البصرة قبل سنتين فنجح

وفي باجكة ومقاطعة الأردَين الفرنساويَّة يلتهي الناس بان يجمعوا بين الكلاب والزبازب في ميدانٍ محوطٍ فتتهارش وتتحارب وتتعاض حتى تنهك قواها او تموت

وصيد الزبزب من أخطر الصيد على الكلاب والناس . ولما كان الزبزب لا يستطيع الحرب لقصر يديهِ ورجليهِ بالنسبة الى كثافة جسمهِ فاذا هاجمتهُ الكلاب اضطجع على ظهرهِ ودافع عن نفسهِ الى ساعة موتهِ وذلك باظافيرهِ الطويلة القويَّة

وباسنانه الحادّة. وفلاحو الافرنج يصطادونهُ بان يُضروا الكلاب به ثم يقبضون عليه بشعب طويل اليد فياخذونهُ حيًا. او انهم يضربونهُ بالهراوي ضربًا اليمًا على رأسه حفظًا لجسمه وفروته من التخريق

٥ (منافعهُ الطبيّة) وكان الاقدمون يستعملون كثيرًا دهنهُ لبعض الامراض العضليّة واما اليوم فقد بطل استعمالهُ. وكذلك كان يفعل العرب واليونان والرومان. قال في التذكرة: «هو حارّ يابس في الثالثة اذا لم يأكل الميتة كان طيّب اللحم يحلل الرياح الغليظة ويمنع نكاية البرد ويُذهب البلغم وان اكلها صارت رائحتهُ زفرة سمكة ويصير قليل النفع وفروتهُ تسكن وجع المفاصل والنقرس والخدر والرعشة.» اه

٦ (اسماؤهُ عند العرب ومعانيها واصل اشتقاقها) اسمهُ المشهور في العراق عند الحضر من اهله: الزبزب او زبزب القبور لانهم يقولون ان الزبزب كثيرًا ما يحفر قبور الموتى لاكل الجثث اذا لم يحصل على طعامه وذلك اذا كان في البادية او في الفلاة. ومنهُ خوف اهل بغداد منهُ. واما لفظة الزبزب فهي ماخوذة من مادة ز ب ب التي تدلّ على كثرة الشعر ومنهُ الأزبّ والزبّاء والزبّ. واما سائر اسمائهُ فان الاعراب عندنا يسمونهُ ايضًا الغُرَيراء ويلفظونها الغُرَيرة والاسم مشتق من مؤنث الأغرّ وسمي بذلك لان الاغرّ ما كان من الخيل في جبهته غرّة والحسن والابيض من كل شيء والحال قد قلنا ان ظهرهُ ابيض وكذلك اعلى راسه الى قريب من عينيه فاسم الغريراء لا يخلو من وجه فصيح في تخريج معناه (١. وقد قال الشاعر واصفًا اياهُ:

لهُ من الليث ناباهُ ومِخلَبُهُ ومن غرير الظباء النحرُ والجيدُ

وبعض العرب يسميه الطَّبَرة كما ذكرهُ صاحب الكامل ونقلناه عنهُ في صدر المقالة. والطبرة تصغير كلمة «طابرة» من طبَرَ اي اختبأ لانهُ يختفي تحت الارض مدة تساوي ثلاثة ارباع حياته. على ان البعض يظنون انَّ اللفظة هي «طيرة» بالياء المثناة وهذا ايضًا لا يخلو من وجه صحيح للتسمية فيكون اللفظ ماخوذًا من طار بمعنى اسرع

١) ويجوز ان يُقال في الغُرَيراء: الغُرَيرة بمعنى «ذات الغُرَيرة» من باب حذف المضاف. والغُرَيرة تصغير الغُرّة وهي بياض في جبهة الفرس قدر الدرهم وكذلك هي في جبهة الزبزب

والطيرة تكون مقصورة من طائرة كما ان الطير قصرُ الطائر على ما يقرره بعض اللغويين ووصفهُ بالسرعة اليونان ايضاً فقد سموه (τρέχος) من فعل (τρέχω) اي طار بمعنى اسرع في المشي اسراعاً والمعنى الطائر للمذكر او الطيرة للمؤنث. وقد وردت لفظة الطيرة في بعض نسخ كتاب الكامل لابن الاثير مما يدل على ان هذا التصحيف قديم مشهور

ومن اسمائهِ « الثُّنَّاء او الثُّفَا » قال في التذكرة: الزيزب هو المعروف الآن بالثفاء وفي بعض النسخ الثفا (بالقصر) وهو حيوان اعظم من السنور يبلغ في حجم الكلب الكبير كثير الصوف مخطط الوجه ناعم يوجد في البر وقرب الغار ويصول بنابهِ على ضعف فيهِ. » اه. وقال في حياة الحيوان الكبرى للدميريّ (١: الثُّنَّا بالثاء المثلثة وبالفاء والالف في آخرهِ : السنَّور البرّيّ وهو قريب من الثعلب على شكل السنَّور الاهلي اه. قلتُ : وفي هذا الكلام نظر لان الثُّفَا (اذا كانت هذه الرواية صحيحة) هو حيوان كسنَّور البرّ وليس بهِ كما رأيت مما تقدَّم ايضاحهُ. واما اللفظة فلم نجدها في غير كتاب الدميري والتذكرة ونظن ان الرواية الصحيحة هي الثُّفَة او الثُّفَّة وكلاهما من اسماء الزَّيزب . اللهمَّ الَّا ان تكون اللفظة من ثَفَاهُ يثفوهُ بمعنى تبعهُ لانهُ يتبع صاحبهُ اذا ادَّبهُ وثقَّفهُ . على اننا نختار رأي التصحيف. قال الدميري في التفة : « التفة ويسمَّى عناق الارض والقُنجل (كذا في الاصل المطبوع) . وفي كتابنا المخطوط الذي تاريخ كتابهِ ٨٧٠ هـ — ١٤٦٥ م القُنجل بجيم او القُنحُل بحاء وهما بمعنى العبد. وكل هذه الروايات غلط والاصح القُنجل او القُنجل بنون او بفاء موحدة فوقية ثم نون ثم

١) رواية نسختنا الخطية هي « الثفاء » هكذا مضبوطة بثاء مثلثة مضمومة وبفاء موحدة مفتوحة والف ممدودة » ونسختنا قديمة تاريخ كتابتها سنة ٨٧٠ قد كُتبت ٦٢ سنة بعد وفاة الدميري مؤلفها وعلى النسخة التي خطَّها المؤلف نفسهُ وقد قرئت وصُحِّحت على عدَّة علماء وخطها جلي بديع مضبوط في اغلب المواطن. والصفحة الاولى مذهَّبة ابدع تذهيب وهذا نصّ ما ورد فيها: « المجلَّد الاوَّل من حياة الحيوان الكبرى. — تأليف الشيخ الامام العالم العلامة كمال الدين الدميري رحمهُ الله. — برسم الخزانة الشريفة المالكية الملكيَّة المؤيديَّة الشهابيَّة اجزل الله تعالى عاقبتها ». وقد تملك النسخة جماعة من اكابر العلماء كما يُرى ذلك من حقوقهم واسمائهم التي تُقرأ في الصفحة الاولى المذهبة المذكورة . وفي عدَّة مواطن من الكتاب فوائد جمَّة علَّقها العلماء بالفاظ وجيزة تدلّ على كثرة الايادي التي تعاورت هذه النسخة البديعة النادرة المثال

جيم) نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيده في غاية الجودة والملاحة . وربما واثب الانسان فيعقره ولا يطعم غير اللحوم . وربما صاد الكركي وما قاربهُ من الطير فيفعل بهِ فعلاً حسناً . وقد وصفهُ الناشئ في ابيات منها :

حلو الشمائل في اجفانهِ وطفٌ ... صافي الادم مضيرُ الكشح ممسودُ
فيهِ من البدر اشباهٌ توافقهُ ... منها لهُ سُفعٌ في وجهِ سودُ
كوجهِ ذا وجهُ هذا في تدوُّرهِ ... كانهُ منهُ في الاجفان ممدودُ (١
لهُ من الليث ناباهُ ومخلبهُ ... ومن غرير الظباء النحرُ والجيدُ
اذا رأى الصيدَ أخفى شخصهُ ادباً ... وثابهُ باقتناص الطير مزؤودُ (٢

وقال في حكمهِ : يُحرم اكلهُ لعموم النهي عن اكل كل ذي نابٍ من السباع . وقال بعض اصحابنا : انهُ السنور البريّ وانهُ قريب من الثعلب . وهو على شكل السنور الاهليّ . وفي حكمهِ وجهان : اصحهما التحريم لانهُ يأكل الفار . وقال في الامثال : قالت العرب : أغنى من التفّة عن الرُّفّة . والرُّفّة التبن . والاصل فيهِ فِهة وتفهة . قال حمزة (وفي مخطوطنا : خمرة) وجمعها تفات ورفات قال الشاعر :

غنينا عن حديثكمُ قديماً ... كما غني التُّفات عن الرفاتِ

ويقال ايضاً : استغنت التفة عن الرُّفّة . وذلك ان التفة سبع (٣ لا يقتات الرفة اصلاً وانما يغتذي باللحم فهو يستغني عن التبن . والمعروف في التُّفّة والرُّفّة . بتخفيف الفاء . وقال الاستاذ ابو بكر : هما مشدَّدتان وقد اورد الجوهري في باب الفاء فقال التفه والرفه . وفي الجامع . مثلهُ الّا انهُ قال : ويخففان . واما الازهري فانهُ اورد الرفه في باب الرفت بمعنى الكسر . وقال ثعلب عن ابن الاعرابي : الرفت التبن . وفي المثل : اغنى من التفه عن الرفت بالتاء . قال الميداني : وهذا من اصحّ الاقوال لان التبن مرفوت اي مكسور . اه .

١) وفي نسختنا الخطيَّة مَقْدُودُ ٢) وفي مخطوطنا : مَرْؤُودُ

٣) ان وهم العرب في اكل هذه الدابة الوحشية مبني على كونهم اعتبروها من السباع . وهم يعتبرون سبعاً كل ما كان ذا ناب (راجع الدميري في مادة الخنزير البريّ) ولمّا كانوا يعتقدون ان السباع لا تأكل الّا اللحوم نشأ هذا الوهم فيهم بخصوص الزربب . على ان الاصحّ ان هذا الحيوان هو من السباع والبهائم معاً . اي انهُ من الحيوانات التي سمّاها الجاحظ « المشتركة » فهي تأكل العشب وما ضاهاهُ كما تقدَّم القول في طعامهِ . كما تأكل ايضاً صغار الدويبات على حدّ الخنزير وما كان من فصيلة الزربب نفسهِ . وعلى كل حال فالتُّفّة لا تقتات الرفة البتّة

وقال في عناق الارض: دويبة اصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير وهو التفة الذي تقدم ذكرهُ في باب التاء. انثاة فوق. وقال في نهاية الغريب: قال قتادة: عناق الارض من الجوارح دابة وحشية اكبر من السنور واصغر من الكلب والجمع. عُنوق. يقال في المثل. لقي عناق الارض وأُذُني عناق. اي داهية يريد انها من الحيوان الذي يُصاد بهِ اذا عُلِّم (١. اه

ولم يذكر شيئاً عن مادة (النُّنْجل) او (القُنْجل) او (القُنْجُل) او (النُّنجل) وقد قال صاحب تاج العروس: القُنْجُل اهملهُ الجوهري. وفي اللسان: هو عناق الارض. ويُروى بالعين. وقد تقدم عن ابن خالويه. وقد ذكر صاحب التاج العُنجل بالعين والنُّنجل بالنون المنوطة بهذا المعنى ايضاً

وقال المرتضى في عناق الارض: دابة صيادة يقال لها التفة والعنجل وهي اصغر من الفهد طويل الظهر. وقال الازهري: فوق الكلب الصيني(٢ يصيد كما يصيد الفهد ويأكل اللحم وهو من السباع. يقال انهُ ليس شيء من الدواب يُؤَبِّر اي يُعفي اثرهُ اذا عدا غيرهُ وغير الارنب. وجمعهُ عُنوق ايضاً. عجيبتهُ: سياه كوش. قال: وقد رايتهُ بالبادية وهو اسود الراس ابيض سائرهُ ». اه

وقال صاحب التاج في التُّفَّة: دويبة كجرو الكلب. قال: وقد رأيتها او كالفارة

١) لا نرى كيف ان الكاتب استنتج هذه النتيجة وهي: « يريد انها من الحيوان الذي يُصاد بهِ اذا عُلِّم » فما هما المقدمتان الموطئتان لهذه النتيجة. وقد نقل هذا الكلام الغريب غير واحد من الكتبة على ما فيهِ من ضعف الاستنتاج. نعم ان هذا الحيوان اذا عُلِّم الصيد تعلَّمهُ. لكن بين ان تكون النتيجة هذه وبين ان لا ينتجها شيء: فرق عظيم. فليحفظ

٢) ورد في تاج العروس في مادة زأن: « كلب زِئْني بالكسر اي قصير ولا تقل كلب صيني كما في الصحاح » اه. وهكذا قال ايضاً سائر اللغويين. والحال ان صاحب التاج نفسهُ يقول هنا « كلب صيني » وكذلك قال سائر اللغويين. والجاحظ من اعظم اللغويين والعلماء قد قال في كتاب الحيوان (٣: ٦٥): « وقد كان في بني ضبَّة كلب زِئْني صيني يُسرَّج على راسهِ فلا ينبض فيهِ نابض » فقد جمع بين اللفظتين. والخلاصة انهم قالوا ويقولون كلب صيني كما يقولون كلب زِئْني (basset) لاسيما لانهم قد يبدلون من الزاي صاداً ومن الصاد زاياً ومنهُ: جاءتنا زَمْزَمَةٌ من بني فلان وصَمْصَمَةٌ. ونشزت المرأة ونشصت. والشرز والشرس وهو الناط الخ

وهذا نقلهُ ابن دُرَيد (١ . وقد انكرهُ الاصمعي (٢ . وقال الصاغاني: هذه الدابَّة من الجوارح الصائدة وكانت عندي منها عدَّة دوابّ وهي تكبر حتى تكون بقدر الخروف حسنة الصورة (٣ ويقال لها « الفنجل » و« عناق الارض » . فارسيتهُ : « سِياه كُوش » . وبالتركيَّة « قرا قُلاغ » (٤ وبالبربريَّة « بنه كدود » ومعنى الكل : « ذو الآذان السود » واكثر ما تجلب من البرابرة وهي احسنها واحرصها على الصيد . قال : واول ما رأيت هذه الدابة في مَقْدَشُوه » اه

اما سبب تسمية التفَّة بعناق الارض فلأن العناق هو الانثى من اولاد المعز والتفة شبيهة بعض الشبه للعناق . وسببه تسميتهِ بالتُّفَّة مأخوذ اما من التُّفّ وهو وسخ الظفر ومن باب التوسع مطلق القذر كما قالوا : تُفًّا لك : اي قذرًا وبعدًا . وذلك لوسخ كريه الرائحة عند منبت ذنبهِ كما رايت . او من التَّفه وهي القلّة والخساسة لقلَّة اعتبارهِ وخساستهِ فيقال في الاول التُّفَّة بتشديد الفاء وفي الثاني التُّفَة بتخفيفها وكلاهما فصيح .

واما الفُنْجل وقد ذكر لها ابن سيدة في المخصص (٨ : ٧٤) من الروايات الحَنْجَل والحُنْجُل والفُنْجُل . وفي التاج : الفُنْجُل ايضًا فكلّها راجعة الى الفُنْجُل من الفَنْجَلَة وهي تباعُد ما بين الساقين والقدمين . وهذا التباعد موجود خلقةً في التفَّة ولذا ترى مشيتهُ ضعيفة وهي الفَنْجَلَة والفَنْجَلَى . والمادَّة الرباعيَّة فنجل مأخوذة من ف ج ج ومنهُ الفَجَج وهو انفراج ما بين الرجلين عند المشي . ثم زادوا اللام وهي من الحروف الذُلق لزيادة معنى الرخارة فَجَلَ الشيء : استرخى . والأَفجل : المتباعد ما بين القدمين .

---

١) كذا وردت في جميع دواوين اللغة عند نقلهم كلام ابن دريد اي بالفاء الموحَّدة بعدها الف هاوية او مهموزة ثم راء بعدها هاء . والاصح كالقارة بقاف مثنَّاة فوقيَّة يعني الدُبَّة . وقد رأيتَ ان علماء الافرنج كانوا يظنُّون ان الزبزب نوع من الدبّ حتى اقسم سسوا نوعًا منهُ الدُبّ الزبزبي او الزَبْزَب الدُبّي (ursitaxa) فلا غُبار على كلام ابن دُرَيد وكان من العلماء الأعلام . فاحفظه

٢) قلتُ : ولا حقّ للاصمعي بعد هذا الشرح الظاهر ان ينكر على ابن دُريد قولهُ الصحيح

٣) كذا . وهي قبيحتها . الَّا ان الاذواق لا تكون في الجميع على اتفاق

٤) قلتُ : والآن يكتبها الترك قره قُولَق أو قُولاق

ثم زادوا النون فزاد في المعنى الرخاوة والضعف في المشي . فتأمل في اسرار اللغة العربية

واما ما يُنتقَد على من كتب على هذه المادَّة او هذا الحيوان فما عدا ما ذكرناهُ ما جاء في محيط المحيط في مادَّة ع ن ق. قال : وعناق الارض دابّة . . . يُقال لها التُّنة مفرد التُّنات . والاصحّ التُّنَّة مفرد التنات . وتابعهُ في هذا الغلط الاب بلو اليسوعي في معجمهِ الفرنسي العربي . وذكر صاحب دائرة المعارف الزَّبزب ونقل كلام صاحب العُباب في قولهِ : الزبزب دابّة كالسَّنور . ثم قال : « قال ابن الاثير في تاريخهِ الكامل في حوادث سنة ٣٠٤ » الى آخر ما هناك من الكلام وذكر اسمه (zabzab) كما في العربيّة ولم يَفتنِ لمعرفة هذا الحيوان وما لهُ من الاسماء الكثيرة عند العرب وكذا فعل القزويني كما مرَّ بك . وذكر قزميرسكي التُّنَّة وفسرها بالفرنسوي : (karakal, chat cervier) وهو غلط . وعلى هذا المثال ذكرها في عناق الارض والغلط واضح والاصح (blaireau) واما اللغوي الانكليزي لين (Lane) فمن بعد ان قال ان عناق الارض هو بالانكليزيَّة (badger) وباللاتينيَّة (ursus meles) زاد : « والظاهر أن هذه التسمية لا تنطبق كل الانطباق على ما يأتي من أوصافه وهذا كلامهُ بالانكليزيَّة : (But this application does not well agree with the following descriptions)

ثم نقل بعد ذلك ما خبط العرب فيهِ من الوصف . وقد بينّا ان ذلك لا يُعتدّ بهِ . ولا سيما بعد ان ذكروا ما يقابلهُ في الفارسية والتركية والعبرانية من الالفاظ الدالة عليهِ . فاذًا لا اعتداد بما قالهُ « لين » من الاقوال المشيرة الى العدول عن فكرهِ الاول . اذًا اسمهُ بالانكليزية (badger) لا غير

وقال صاحب البرهان القاطع في « سياه كوش : نوع من الحيوان اسمهُ بالتركية « قره قولق » تتخذهُ ملوك ايران للصيد . ويلازم الاسد كل الملازمة ويجاريهِ عدوًا » اه . وهذا المؤلف زاد وهمًا على وهم . فكون اسمهُ « قره قولق » امر معروف . واما كون ملوك ايران تتخذهُ للصيد وانهُ يلازم الاسد كل الملازمة ويجاريهِ عدوًا » فهذا لا ينطبق عليهِ بل يصح على الفُرَاتق او النمر او البريد وبالفرنسيَّة : (tigre royal ou ordi-

(naire فأين التفة وهي العناق عناق الارض او السياه كوش من البير او الفرانق او البريد . فالفرق عظيم

وقال المذكور في مادة « پروانك » وهو الفرانق : پروانك على وزن أيوانك حيوان وحشيّ اسمهُ بالتركية « قره قولاق » يتقدَّم الاسد بين يديهِ والوحوش اذا سمعت صراخهُ تنظر قدوم الاسد فتحيد عن سبيلها الى طريق آخر واذا بقي شيءٌ من صيد الاسد يأكلهُ هذا الحيوان اه تعريباً . فمن هنا ترى ان المؤلف خلط جملة امور خلطاً شنيعاً . فالمسمّى قره قولاق هو حقيقة التفة لكن التفة لا تتقدَّم الاسد ابداً بل تخافهُ فالذي يتقدَّم ويصيح بين يديهِ هو الفرانق اي البير كما صرَّح بهِ صاحب شفاء الغليل وغيرهُ من اللغويين والعلماء لكن البير لا يتدنَّى الى اكل ما بقي من صيد الاسد بل عند الحاجة يهاجم الاسد نفسهُ . فاين هذا من تحقيقات العلماء

وقال في النهاية : عناق الارض من الجوارح هي دابة وحشية اكبر من السنور واصغر من الكلب والجمع عُنوق وفي المثل : لقي عناق الارض وأُذُني عناق اي داهية يريد انها من الحيوان الذي يُصطاد بهِ اذا عُلِّم . اه

قلنا : ان كلام العرب لقي عَنَاقَ الارض وأُذُني عناق للدلالة على الداهية كلام يُشعر ان العرب كانت منذ القدم تخاف هذا الحيوان لصولتهِ وبأسهِ ومنهُ كلامهم المأثور . فليس اذاً اهل بغداد اول من خافهُ . ومثل صاحب النهاية قال صاحب الدرّ النثير

واما صاحب سمرّ الليال فقد قال في التفة دويبة كجرو الكلب او كالفارة . اه . وقد رايت سقط هذا القول . فالتفة اكبر من جرو الكلب فكيف لا تكون اكبر من الفارة او كالفارة . وقد مرَّ بك ان صحيح الرواية ان التفة هي كالفارة بقاف مثناة فوقية اي كالدُّبة . ومن العجب ان احمد فارس الشدياق لم يتثبت صحة هذا التفسير او التأويل وهو مشهور بتدقيقهِ اللغوي وتتبع اللغويين في خبايا محارزهم

وقال صاحب الاوقيانوس : الزبزب : على وزن غَيْغَب دابة وحشية اسمها پورصوق بالتركية وشكّار بالفارسية وهو عدوّ الاسد وينتفخ وينتفش عند المهاجمة . » اه . فقولهُ « اسمهُ بالتركية پورصوق وبالفارسية شكار » فصحيح اذ يصدق ذلك على التفة او عناق الارض . واما قولهُ : « وهو عدو الاسد » فالواقع يخالف هذه الرواية . وقد مرَّ ان عدوّ الاسد هو البير او الفرانق او البريد

وقال عاصم افندي في مادة الغرانق: الغرانق على وزن عُلابط الاسد. ويأتي بمعنى البريد وهو قاتل الاسد واسمهُ بالفارسية بَرْوانك ولا يمشي بين يدي الاسد ويُنذر الوحش به... قال المترجم (يعني مترجم القاموس وهو صاحب الاوقيانوس اي عاصم افندي) ان صاحب البرهان يفسر البَرْوانك بكلمة قره قولاق. اه المراد من نقله. فانظر كيف ان المؤلفين لا يتفقون في تعيين الالفاظ الاعجمية للالفاظ العربية لجهلهم علم الحيوان والاصحّ ان قره قولاق او قره قولاق او قرا قلاغ هو نفس البورصوق او البرسوق او البرسوق او البورسق او البورزوق او البورزوق فهي اسماء لمسمًّى واحد كما ان الاسماء العربيّة المتعدّدة لمسمًّى واحد. وكذلك اسمهُ بالفارسيّة شكّار او شَغار او شَغَر او شَغْرَر او شغارة ومثلهُ قياوار وقياور. وواهم وفتك. فالمراد بها كلها واحد. وقد اخذنا هذه الروايات واختلافاتها من عدّة دواوين لغويّة تركية وفارسية

واما أسماؤهُ العربيّة فكثيرة نجمعها هنا وهي: الزَّبزب (١ والغُرَيْرُ والغُرَيْرَة (١ والغُرَيْراء (٣ والطَّبَرَة. والطَّيْرَة. والتُّفَّة. والتُّفَّة. والشُّفَّا. والشُّفَّاء. والفُنْجُل. والقُنْجُل

١) الغُرَيْر وردت في كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات للدكتور جورج بوست الاميركاني في الجزء الاوّل من طبعة ١٨٦٩ ص ٤٣ قال: عناق الارض الاعتيادي (ميلس فولجارس) وهو الغُرَيْر. قلت ولعلّ اللفظة محرّفة عند بدو ديار الشام او عند مؤلّفها. والّا لما كان يقول: «وهو الغُرَيْر» ايزيد في تعريفه. والغُرَيْر تصغير الاغرّ على الترخيم كما قالوا في احمد: حُمَيْد. فيكون لفظ الغُرَيْر للذكر والغُرَيْراء وغُرَيْراء للانثى والتسمية توافق المسمّى اصطلاحاً ووضعاً

٢) الغُرَيْرة ذكرها دوزي في كتابهِ ملحق المعاجم العربيّة للدلالة على السنجاب تبعاً لبطرس القلعي (Pedro d'Alcala) ولا نرى كيف توافق هذه التسمية للسنجاب

٣) ذكر دوزي الغُرَيْراء قال: «ضَرْبٌ من الخراطين (Espèce de ver de terre) وهو يترجم قول احد العرب واسمهُ علي بن محمد ابي الفتح ابن ذرّجم الموصلي المتوفى في بغداد سنة ٧٦٣ ه ولهُ كتاب «منافع الحيوان» موجود منهُ واحد خطيّ في مكتبة الاسكوريال وهو يعرّف الغُرَيْراء بقولهِ: «الغريراء وهو دابة لهُ شعر» يريد بذلك: كثير الشعر. والّا فكل الدوابّ لها شعر. فظن دوزي ان معنى دابة هنا بمعنى «دودة الارض يعني الخراطين» والحال ان هذا الكلام من قول المؤلف. وعندنا ان الغُرَيْراء في كتاب منافع الحيوان هي نفس الغريراء عند اهل البادية المشهورة بزَبَبها اي كثرة شعرها اي الزبزب. وليس هذا اول غلط غلطهُ دوزي فان اغلاط كتابهِ تُعدّ بالمئات لا بالعشرات. واملنا نقتنده يوماً خدمةً لاهل العلم والادب

والنُّنجل · والتُّنحل · والعُنجل · وعناق الارض · والحَنجل · والحُنجُل · واغلبها مستدركة على اصحاب المعاجم وقد استخرجناها من عدة كتب كما تقدَّم نقلهُ وتفصيلهُ في محلهِ (١ ثم ان الزبزب يسميهِ بعض اهل بغداد في عدَّة محلات المدينة البَزَبز بالقلب

وخلاصة تعريفهِ : انهُ حيوان من ذوات الثدي من رتبة اكلة اللحوم من فصيلة العَتزة (mustélidées) يشبهُ بصورتهِ القارَة اي الدُّبة . وقد يأكل غير اللحم عند مسيس الحاجة (٢ . هذا ما اردنا تحقيقهُ خدمةً للعلم وابنائهِ ولاسيما خدمة للُّغة العربية التي يكثر في الفاظها العلمية الابهام لقلَّة التدقيق والتمحيص في الكلام . وربَّك وحدهُ هو العليم العلَّام

---

١) قد تكثر الالفاظ عند العرب لمسمًّى واحد وهم يعرّفون كل اسم على حدة وتعريفاً يختلف بعض الاختلاف او كل الاختلاف عن سائر معاني الالفاظ المرادفة فيوهمون بعلمهم هذا ان المعرَّف هو حيوان جديد او حيوان آخر غير معروف او هو غير المعروف باسم آخر . ولهذا كثر الوهم في الالفاظ العلميَّة . ولو علموا العلم الصحيح لأحالوا النظر على اللفظة المشهورة بدون تعريف جديد

٢) ومما يجب حفظهُ هو ان زبزب العراق يختلف عن سائر زبازب البلاد . مما تقدَّم وصفهُ في صدر المقالة ولهذا نسميهِ علمياً الزبزب العراقي : (meles aut taxus mesopotamius) واختلافهُ عن سائر ابناء جنسهِ ان زبزب العراق أكبر وليس في وجهه جدَّتان بيضاوان . ويزيد الفرق اذا ما عرفتَ وصف زبزب ديار الافرنج . قال الدكتور جورج بوست : « لونهُ ستجابي مائل الى الاحمرار الا وجههُ وبطنهُ فان الاول منهما ابيض ولهُ خط اسود ممتدّ من الانف الى ما وراء الاذن على كل من الجانبين والبطن اسود . طولهُ نحو قدمين ونصف »

ومما يحسن ذكرهُ هنا تفكهةً للقارئ ما حكى المذكور عن محبَّة هذا الحيوان لابناء جنسهِ قال : ان النُّرَير شديد المحبَّة نحو جنسهِ قال احد الصيَّادين : قتلتُ غُرَيراً فاوصلتُ لجثتهِ حبلاً لاجرَّهُ الى ضيعتي واذا بصيحة وظهر غريراء آخر فرميتهُ بحجارة لكنَّهُ دنا مني وابتدأ يلحس رفيقهُ الميت فكففتُ عن رجمهِ وطفقتُ بجرّ الميت كما تقدَّم . واذا بالغرير الحيّ امسك باذن الميت ومدَّد ذاتهُ عليهِ وهكذا انجرَّ الى وسط الضيعة ولم ينتبه الى تراكم الناس والكلاب . فلم يزل ملتصقاً بهِ حتى اماتوهُ فاحرقوا جسمهُ زاعمين انهُ جنّي

فوائد الورق

للاب انطون رباط اليسوعي

كتب العالم هنري دي بارڤيل (H. de Parville) في المجلة العلميّة فصلاً وصف فيه هديّة غريبة في بابها اهداها اليه احد معامل المنسوجات وهي كساء على نسق الكبود او « الساطة » من الورق الشفّاف الناعم المتين مفضّلاً تفصيلاً لطيفاً على آخر زيّ باريسي يُطوى فيُجعل في محفظة ويُحمل في الجيب زنتهُ خمسة واربعون غراماً فقط فاستعملهُ في السفر وقاية من البرد اذا قرس فالفاهُ من الطف التحف واخف الاحمال وانفع الامتعة

ثوب من ورق ! امرٌ يستغربهُ القارئ وهو يعتبر ان الورق لم يجعل الّا للكتابة او للف البضائع فما انّهم يستعملونهُ الآن بانواع عجيبة لكثير من الثياب والآنية وادوات المساكن والمطابخ اعني من الازيان الى الطياجن ويعتورن به البيوت الى غير ذلك من الغرائب. وليس الاختراع حديثاً فان اليابانيين قد سبقونا اليه وان كانوا لم يتقنوهُ في الماضي اتقانهم له بعد ان ترقوا في معارج العلوم الحديثة فبرّزوا على كثير من اساتذتهم. ولكي تفهم فائدة استعمال الورق كثياب الملبوس دفاعاً للبرد عن الانسان لا بدّ لك من ان تعرف ان احساس الانسان بالبرد ايام الشتاء متأتٍ عن انحطاط في درجة حرارة الجسم لانحطاط درجة الوسط او المقام المحيط به. وليست الغاية من الثوب الدافئ تدفئة الجسم لكن حفظ حرارته الداخليّة حتى لا تتبخّر فتنحطّ ولا حاجة في ذلك الى سمك الثياب وتعدادها وتثقيلها لكن الى اختيار ما لا ينقل من الحرارة الّا القليل ويدعوهُ العلم « السيّئ النقل » (mauvais conducteur) إما لاحتباك النسيج حبكاً مشتبكاً واما لانسداد مياسم السدي بما فيه من الزغب او الزئبر كما في الصوف واما لالتحام سطح المادّة كما في الجلد والمشمّع وما شاكلهما. والورق يشاكل الجلد والمشمّع في هذا الالتحام فهو لذلك من افضل حفّاظ الحرارة بل يفضل الجلد والمشمّع وغيرهما لرخص ثمنه وسهولة الحصول عليه

وهذه الواسطة يستعملها الكثيرون للدفاء في اوربّة فان الصيّادين اذا ما ساروا في

المستنقعات والسهول الرطبة لفّوا ارجلهم تحت الجوارب او فوقها بصفحة من الجرائد. واذا ما باغتهم المطر فبلّل ثيابهم ولا من سبيل لابدالها غطوا صدورهم وظهورهم بجريدة ولبسوا عليها الثياب . اما الفقراء في لندن فكثيراً ما ينامون ملتحفين بجريدة التيمس او غيرها من الجرائد التي تضاهي مُلاءةً بوسعها يستعطونها من المارّة او من ركّاب السكك الحديديّة وقد يتعاضون بها عن جوارب الصوف فتقيهم من الزمهرير

وإنّنا جرّبنا الامر بذاتنا في الاسفار والرسالات ايّام الشتاء فوجدنا في دفء الجرائد فائدة قد لا يجدها المطالع في قراءتها

لكنّ الورق العادي قليل المرونة لا يُثنى ولا يُركّب على التمثال كما يلصق به النسيج فسدّ الاختصاصيّون هذا الخلل بالامتناع عن تفريته وصقله فجاء لدنًا يشابه الاقمشة

ثم ان الورق سريع العطب يتمزّق لادنى حركة فكيف يقوم مقام الاقمشة وهو اذا خُدش او خُرّق لم يحفظ الحرارة الداخليّة فتفقد الغاية ؟

قد توصل العلماء الى حلّ هذا المشكل بان غمروا الورق في مزيج من الحامض الكبريتي (acide sulfurique) وغسلوه فاصبح عندئذٍ متينًا كأمتن الاقمشة لا تخرقهُ الوانع ايةً كانت ولا تنفذ فيه فجعلوا يصنعون منهُ الثياب فتباع الجوارب بفرنك ونصف فرنك والكفوف بثلاثة فرنكات والكبُود او الصدريّة بسبعة الى عشرة فرنكات وهي قيمة زهيدة لولا ان هذه الامتعة لا تحتمل الغسل فلا تُلبس الّا ايامًا معدودة . لكنّها ذات فائدة عظيمة في الاسفار اذا ما اراد الانسان ان يحمل عددًا من الثياب في حجم صغير وثقل خفيف. وقد اختبره اليابانيّون في حربهم الاخيرة فأعطوا كل جندي صدريةً من ورق يستعملها عند الحاجة فكانت لهُ خير معين على برد منشورية القارس . وهم يستعملون في بلادهم المناديل او المحارم من الورق تُباع العشرة منها بسنتيم واحد والشمسيّات الملوّنة والقناديل والمراوح وغيرها . . . . . .

ولم يكتفوا بذلك فانّهم زوّدوا كلّ جندي بالمقالي والطناجر والاباريق المصنوعة من الورق . ولكن كيف تصنع ابريقًا او طاجنًا من ورق ؟ ألا يحترق الورق في النار؟ كلّا . ويمكنك امتحان ذلك بنوع بسيط . خذ قطعة ورق واطوها على مثال علبة وعلّق اطرافها الاربعة بخيط ثم صبّ فيها الماء واجعلها على قنديل من روح النرق

(سبيريتو) او على شمعة فتُسخن الماء وتغليه ولا يحترق الورق وذلك على شرط ان لا يصل لهيب النار الى اطراف الورق الخالي من الماء . هذا هو المبدأ الذي بنى اليابانيُّون عليهِ عملهم فنجح اتمّ النجاح

ذلك اذا اعتبرتَ الورقة الرقيقة الخفيفة امَّا اذا ضممتَ هذه الصحائف الى بعضها وكبستَها كبساً محكماً استطعت ان تجعل منها مـا تشتهيهِ من الصور والتماثيل والانية . وصنعُها غاية في البساطة وذلك ان العامل ياخذ بيدهِ القالب او الطابع الذي يريد الصنع على مثالهِ كما يفعل سبَّاكو النحـاس او القُلْز (bronze) ويبلّ الورق بالماء والغراء ثم ياخذ ورقة بعـد الاخرى فيكبسها مستعيناً لذلك بآلة الى ان يملأ القالب فاذا ما نشفت أُخرجت قطعة واحدة متينة على صورة شمعدان لطيف او العوبة او صحن او تمثال او غير ذلك فيلوّنها بالالوان فتُعرض في المخازن او المجالس فتستلفت الانظار . وقد جعلوا يصنعون منها العصي الجميلة وذلـك أنهم يلفُّون الورق لفًّا محكماً على قضبان من حديد ثم يطبخونها وهي بين لوحين من الصاج يضغطان عليها فاذا ما أُخرجت من الفرن اخذها الخرَّاط واصلحها بمخراطهِ فدهنها الوانًا طبيعيَّة يظنّها المشتري عصيًّا من اكاجو نادرة المثال . ولهذه البضائع معامل منهـا معمل في بونتاموسون (Pont-à-Mousson) فيها نحو من الف صانع ومنها معامل أُخرى في المانية

ولم تقتصر هنا فوائد الورق فانك ان زدت في الضغط عليهِ بالمكابس الميكانيكية وطبختهُ قد يضاهي الحديد والفولاذ متـانة فيمتاض بهِ عن البلاط في الطرق والشوارع لانهُ يفضل الخشب بالمتانة والحجر بخفَّة الصوت وكليهما بالقيمة . وقد اتخذوا منهُ دواليب للعربات الممتازة ولبعض قطارات النامة في السكك الحديديَّة (wagons-lits) وهو انهم يكبسون الورق ثم يقطعونهُ بالآلات دولابًا يطوّقونهُ باطـار من فولاذ فاذا ما سار القطار السريع لم يسمع لهُ صوت على السكك الحديدي . ولا يفنى الفولاذ المحيط بالدولاب الَّا بعد سيرهِ ٥٠٠,٠٠٠ كيلومتر . وفي ولايات الالزاس معامـل لهذه الدواليب لكن طلبها قليل في اوربَّة

امَّا منازل السكنى من الورق فالأسبقية للشعب الياباني في بنائها الجأتهم اليهـا حالة بلادهم البركانيَّة فلا يكاد يخلو يومٌ من زلزال خفيف او عنيف فجعلوا هيكل المنزل من اغصان البامبو (bambou) متعلّقة بعضها ببعض ومدّوا عليهـا الورق خارجاً

وداخلًا واعتاضوا عن الزجاج بالورق الشفّاف . لكن هذه البيوت سريعة الحريق والغرق ويدخلها السارق كيفما شاء وزد عليه ان الانسان في الداخل معرّض للنظر من الخارج باسهل الوسائط . اخبرنا احد المرسلين ان صغار اليابانيين كثيرًا ما كانوا يخرقون باصبعهم طرف الحائط او النافذة لينظروا الى الغريب القادم اليهم من البلاد الشاسعة . لكن المنازل الجديدة التي عُمّرت من الورق في كثير من البلاد لاسيما في روسية هي على خلاف منازل اليابانيين فانها مبنيّة من قطع ضخمة من الورق المكبوس بالآلات بعد غمسه بالمواد المانعة للرطوبة والمضادّة للحريق فيجيء حائطًا كاملًا تُقصّ فيه نوافذ وشبابيك وتُبلّط الارض بقطعة واحدة كأنها العدسة المستعملة في بلادنا . فلا تعمل به نارٌ ولا ماء ولا يدخله برد . وقد قرأنا في الجرائد انّهم عمّروا حديثًا في احدى مدن نروج الباردة كنيسة عظيمة من ورق . والاغرب من كل هذا هو انهم جرّبوا سبك المدافع من ورق وتغطيتها بالفولاذ المكين فادّت الامتحانات الى نتائج حسنة لخفتها بمقابلة غيرها من المدافع

هذه فوائد جمّة قد يكون لها مستقبل ان كفى الورقُ الجرائدَ والمجلات والكتب وفاض عنها . وذهب قوم انها ستكون احسن واسطة للانتفاع من الوف وملايين من الكتب التي تقذفها كل يوم افواه المطابع وهي ممّا لا طائل تحته فلا تصبر على الأيام والله اعلم

رحلة القس خِدْر الكلداني

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

قصّة بعض نُرسَاين الى مملكة پيگو (فيجو)

سنة ١٧٣١ تعرّفت بقسيس اسمهُ دون جورجو فهذا جاء سكن في كليج پونطي سيستو (Collegio di Ponte Sisto) وحكى لي انهُ قبل خمس سنين ارسلهُ البابا بناد كتوس (الثالث عشر) مع راهب آخر (١ اسمهُ دون اندريا الى الهند

١) كان هؤلاء الرهبان من البرنابيين عُهدت اليهم رسالة بلاد برمانية السُّفلى المعروفة ايضًا باسم پيگو او فيجو (Pégou) في اوائل القرن الثامن عشر اشتهر بينهم الاب كَلْكي (Calchi) فوصل الى ملك تلك البلاد ونال منهُ رخصة التبشير بالدين المسيحي وعمّد كثيرين

ليتلمذا الكفار وعباد الاصنام بايمان المسيح فانطلق هو الى الهند الجوّاني خلف الصين وچين وماچين (١ ودخل الى مملكة پيكو او فيجوا وفيها حرّ غاية ما يمكن والناس جميعهم عريانون ما يلبسون شيئاً فهم مثل ما خلقهم ربهم يدورون كذلك بالاسواق فيبيعون ويشترون الّا الاكابر والاغنياء والاشراف فان لهم منديلًا صغيرًا يغطون بهِ وسطهم وكذلك النساء لكن الفتيات يلبسون (يلبسنَ) اساوير الذهب بزنودهم (بزنودهنَّ) وحجول الذهب بارجلهم (بارجلهنَّ) وعلى صدرهم (صدرهنَّ) الجواهر وفي آذانهم (اذانهنَّ) موارد من الذهب والزمرد ويشدُّون (ويشددنَ) في وسطهم (وسطهنَّ) زنانير من ذهب. واذا مات رجل منهم يحرقونهُ

والبابا كان ارسل مع هؤلاء المرسلين تقادم وهدايا فاخرة من رومية لسلطان الهند حتى يخلّي رسلهُ يكرزون بايمان المسيح فقبل السلطان هدايا البابا ورضي بان يكرزوا في مملكتهِ واعلن في الرعية كل من يشتهي ان يدخل في دين المسيح ويتنصر لا يخاف (يخفْ). فتلمذوا من تلك البلاد ازيد من ثلاثة الاف نفس وبنوا كنائس. ولكن الذين كانوا يؤمنون بالمسيح كانوا يحكمون عليهم بان يلبسوا ثوبًا واحدًا ابيض لكرامة العفة والحياء ودين المسيح وهكذا يفترقون عن عابدي الاصنام. وعملوا لهم قبورًا حتى اذا ماتوا لا يحرقوهم. وعلموهم الصلوات باللسان الهندي. وانما السلطان لم يعتقد بالمسيح لانهُ كان لهُ ٣٠٠ امرأة فحكم عليهِ المرسلون ان يطلقهنَّ (يطلقهنَّ) ويأخذ لهُ امرأة واحدة على مقتضى ناموس المسيح فما رضي ولا قنع واخيرًا ارسل هو ايضًا هدايا البابا بينها اثنتا عشرة جوهرة فاتى بها الراهب الذي ذكرتهُ مع غيرهِ ولاجل ذلك تركوا بلاد الهند واتوا الى رومية ولهم نيّة بالرجوع الى تلك الاقطار مرّة اخرى

وحكى لي دون جورجو انَّ هؤلاء اهل الهند اكلهم الرزّ فقط يسلقونهُ ويأكلونهُ وربما يأكلون ايضًا الخبز ولحم الخنزير ولا يأكلون لحم الغنم والبقر لانهم يعبدونها ولهم اثمار طيبة يأكلونها. وينزل عندهم المطر ثلاثة اشهر فقط في السنة. وفصل الشتاء حارّ عندهم مثل الصيف. ويركبون الخيل والدواب وهم عرايا (عُراة) ولهم عبيد وجوار يخدمونهم

١) بريد منغولية وتركستان الصينية

وحكى لي دون اندريا انهم عدّوا على جزيرة ولم يدخلوها لانّ الناس الذين فيها يأكلون لحم البشر وهم عُراة شبه الوحوش ما لهم بيوت مبنية ولكن يسكنون في الكهوف والمغاير (والمغاور) وآلة حربهم القوس والنشاب والذي يمسكونهُ من الناس يشكّون فيه سيخاً ويشوونهُ على النار ويأكلونهُ. واهل هذه الجزيرة ما لهم ملك ولا امير ولا شيء يقتاتون به غير الاثمار والحشائش. وحكى لي غير هذه الامور التي تشوش العقل. فتأمل ايها القارئ ايش خلق الله تعالى في الدنيا !

ودون اندريا هذا كان ساكناً جنب قلايتي مقدار خمس سنين. وكان البابا اقليمنطوس الحادي عشر ارسلهُ مع الكردينال الى چين وماچين وتلمذوا هناك كثيراً لكن هؤلاء كانوا يلبسون الثياب القليلة وما كانوا مفضوحين عريانين (عُراة) مثل اولئك. وعدّى على مليبار التي فيها جماعة من الكلدان والنساطرة. وبقي تسع عشرة سنة في بلاد چين وماچين ومات الكردينال وهو جاء لرومية. اما دون جورجو فقال لي: انا رحت للهند الجوّاني في البر والبحر ثمانية عشر شهراً في الرواح وتسعة عشر شهراً في المجيء. وسألتهُ لاي سبب ما يلبس الناس شيئاً. فقال: من كثرة الحرّ لان الشتاء عندهم احمى من الصيف وحرّهُ ما يقدَّر فلاجل ذلك منذ زمن قديم يعيشون عريانين. وحكى لي دون اندريا عن جزيرة في البحر يأكل اهلها الموتى. وعن جزيرة اخرى انّ اهلها اذا ماتوا حملهم اصحابهم الى الجزيرة الاولى فيشتريهم اولئك بدراهم ليأكلوهم وفي هذه الجزيرة معادن ذهب ومعادن فضة وجواهر كالياقوت والزمرد وغيرهما وهؤلاء كانوا في الهند الشرقية. ولكن الاسقف سفر راح لهند الغرب (١ فحكى لي وقال: رأيت منهم عرايا. وقبل مائتي سنة ما كان احد يعرف تلك النواحي فراحوا (فراح) الاسبانية وكشفوا على تلك الارض وضبطوها تحت حكمهم وادخلوا منها الوفاً وربوات في دين المسيح وجابوا لهم ثياباً من اسبانية ولبسوهم وجابوا لهم معلمين علّموهم الغزل والنسج والخياطة ليعملوا لهم كسوة وينتروا اجسادهم. وهذه هي التي يسمونها ينكي دنيا اي الدنيا الجديدة وهناك معادن ذهب وجواهر كثيرة

١) كذا دعوا سابقاً اميركة الجنوبيّة. وفي ترجمة الاسقف اثناسيوس سفر التي نشرها في المشرق (١١: ٥٦٣—٥٧٠) حضرة القس اسحاق ارملة ذكر سفرهُ الى الهند دون اميركا

موت السيّد تاوفيطوس نصري

وفي الاحد الثالث من الصوم في شهر شباط سنة ١٧٣١ انطلقت انا القس خدر مع مطران الروم (الكاثوليك) تاوفيطوس مطران صيدنايا ووقفنا في ساحة الكورسو (Corso) نتفرج اذ كان يجوز بالملاي (بالأبهة) بشاطور (اي سفير ambasciatore) مالطة ووقفنا على القرنيّة التي تمشي الى فونطانا (Fontana) وطريفي (Trevi) وكان خلق كثير وجت (فجاءت) الكروسة على الناس وداستهم فانا وقعت بين دواليب الحديد فاصابت رجلي فقط ولكن ما صابها ضرر كثير ولكن المطران تاوفيطوس الذي كان جنبي وقع وداستهُ الكروسة على نصف ظهره وكسرت عظامهُ وبعد خمسة ايام مات ودفنوه في كنيسة مدرسة المجمع المقدّس وبقي جسدهُ خمسة ايام بلا دفن وجسدهُ يعرق ويفوح منهُ روائح لذيذة حتى ان الناس قطعوا ثيابهُ واخذوها بركة فوضعوا لهُ ثياباً جديدة فعرق ايضاً فيها. ثم جاء كردينال رئيس المجمع وابصرهُ. واخيراً قالوا ان المرضى شفيت من ذخائر ثيابهِ. صلاتهُ معنا. وهذا الرجل قوي كان صديقاً معي (١

عيد مار لويس غنزاغا

وفي اليوم ٢١ من شهر حزيران كان عيد مار لويس (غنزاغا) اليسوعي الموضوع جسده في كنيسة سنت انياسيو (Santo Ignazio) اي مار اغناطيوس (٢ التي هي المدرسة الرومانيّة كليجو رومانو (Collegio Romano) وهذه المدرسة اكبر مدارس رومية (٣ فيها نحو خمسة عشر اسكولاً يدرس فيها نحو الفي ولد اسكولي. فدخلت اليها فأراني معلم اعترافي المطران جرجس (٤ القلاية التي سكن فيها مدار

١) اطلب من مطبعتنا ترجمتهُ الصالحة التي كتبها كاهنهُ القس اغناطيوس ونشرها حضرة الاب انطون رباط ونقلها الى اللغة الافرنسيّة

٢) وهي الكنيسة المسمّاة باسم يسوع (Gesù)

٣) وتعرف بالكليّة الغريغوريّة انشأها البابا غريغوريوس الثالث عشر ويدرس فيها اليوم الدروس العليا ١٥٠٠ طالب . اما الدروس الثانويّة فأبطلت سنة ١٨٧٠ لما احتلّت الجنود الايطاليّة مدينة رومية

٤) هو جرجس بنيامين الذي كان اسقفاً مارونياً فاستقى وترهّب في الرهبانيّة اليسوعيّة

لويس (١ وقلاية اخرى تعلم فيها مزينة بالفضة والذهب والحجارة الكريمة شيء يخطف ابصار الناظرين وكان فيها ذخائر وعظام القديس في حقق صغار كلها من احجار الجواهر الثمينة .

سفر القس خدر الى لوريطو لزيارة بيت العذراء

وفي سنة ١٧٣١ في ٢٤ من شهر ايلول وفيه كان الاحد السابع سابوع مار اليا الذي عونيته « ܕܚܝ ܠܝܠܐ » انطلقت انا النقير القس خدر بصحبة معلم اعترافي المطران جرجس اليسوعي وأبونا القس [(٢] الرئيس العام في رهبنة الموارنة اللبنانيين والمعلم الفيلسوف اللاهوتي اصطفان (السماني) انطلقنا جملة الى زيارة بيت العذراء في مدينة لوريطو (Loreto) الذي يقال له سنتا كازا دا لوريطو (Santa Casa di Loreto) فاستكرينا كاليسين (Calessi) عربانات كل واحد بثمانية عشر قرشاً اسكوت روماني فركبت انا والمطران جرجس على واحد والرئيس العام واصطفان على الكليس الآخر

فاول يوم طلعنا فيه من رومية تغدينا في ميخانة دي اوستريا (٣ كستيل نوو Os-teria di Castelnuovo) وتعشينا في جيويتا كستلانا (Giovita Castellana) . ومما وجدنا في طريقنا في هذا اليوم الاول جبل فيه محابس فاذا اراد انسان من الاغنياء والاكابر وغيرهم شرفاء ام ادنياء ان يتعبد لله وحده دون ان يدخل ديراً او يلزم نفسه بقانون رهبنة يطلع الى هذا الجبل ويأخذ له محبسة فيسكنها ويعبد الله هناك وما يتكلم مع احد بل تكون مفاوضته مع ربه فقط . وفي هذا الجبل محابس كثيرة وعليها خدام يخدمون الحبساء في طعامهم وضرورياتهم فيبقون هم في عبادتهم ليوم الموت . واذا شاء بعضهم ان يعودوا الى بيوتهم جاز لهم ذلك لأن تنسكهم ليس هو قانوناً رهبانياً يلزمهم بل عبادة اختيارية . ويوجد اليوم هناك كثير من اغنياء رومية واكابرها

---

١) قد زرنا هذه القلاية سنة ١٨٩٢ وبقربها قلايتان أخريان سكن الواحدة القديس يوحنا بركانس . اما الاخرى فعاش فيها مدة وطنينا المكرم ابراهيم جرجس الحلبي الماروني اليسوعي الذي مات شهيداً في الحبشة

٢) بياض في الاصل ٣) كلمة ايطالية (osteria) بمعنى النزل والخان . والميخانة مثلها

وفي اليوم الثاني من رحلتنا سرنا الى مدينة نارني (Narni) فتغدينا فيها ووصلنا المساء الى مدينة تيرني (Terni) عند اليسوعية وتعشينا ونمنا في ديرهم. وثالث يوم تغدينا في مدينة سبوليتي (Spoletti) في دير اليسوعيّة وتعشينا ونمنا في لوستريّة البوسطة التي هي الميخانة. واليوم الرابع تغدينا في لوستريّة التي على جانب النهر وتعشينا ونمنا في مدينة طولنتينو (Tolentino)

وكان وصولنا في اليوم الخامس الى سنتا كازا دا لوريطو وهو بيت العذراء وكان وصولنا في الساعة العشرين (اي بعد المغرب) وقدّسنا في بيت العذراء على مذبحها وقدّام صورتها التي صوّرها مار لوقا وكانت مزينة بالذهب والجواهر الثمينة التي ما تجيء للوصف ولا يوجد في خزائن الملوك مثلها لان الملوك المسيحيين والامراء قد ارسلوا لها افخر كنوز عندهم من مصوغات الذهب والجواهر. وبيت العذراء قد بُني فوقهُ كنيسة كبيرة وهو موضوع تحت قبّة الكنيسة ليس ملصوقًا بشيء فمن داخلهِ هو عتيق مسودّ مبني بالحجارة والجصّ مثل بنيان مدينة الناصرة لمّا كانت العذراء سنتا مريم ساكنة فيهِ عند مار يوسف خطيبها وهناك بشّرها ملاك الرب بمولد السيد المسيح وبهِ ربّت يسوع ثلاثين سنة. ثمّ في السنة ١٢٩١ مسيحيّة نقلتهُ الملائكة الى بلاد ايطالية (١ ووضعوهُ على مسافة مائة وخمسين ميلًا اعني خمسة ايام من رومية واوّل ليلة وضعوه هناك تراءت العذراء لاسقف تلك الديار وقالت لهُ: قد نقلت بيتي من الشرق الى الغرب ليكون تعزيةً للمسيحيين الساكنين في بلاد الغرب ويكتسبوا غفرانًا بزيارتهم لهُ كما يزار قبر ابني في القدس في بلاد الشرق. ولاجل التصديق غدًا تقدّر البيت وتقيسهُ وتذرع طولهُ وعرضهُ وعلوّهُ وترسل القياس الى مدينة الناصرة. فلمّا فعل طلع تمامًا لا ازيد ولا انقص

ثم بعد ما قدّسنا طلعنا من الكنيسة ودخلنا دير اليسوعيين فبتنا عندهم ثلاثة ايام. واليوم السادس قدّسنا في كنيسة العذراء لكن خارج بيتها. وفي اليوم التابع قدّست في بيت العذراء داخلًا قدّام صورتها ولكن اشترطوا عليّ ان اقدّم القدّاس لاجل سلطان فرنسة واذكر فقط اهلي واصدقائي. وبعد الظهر خرجنا من مدينة لوريطو وتعشّينا ثم نمنا في مجاراتا (Macerata) عند اليسوعيّة فادخلنا رئيس ذلك

١) اطلب مروج الاخبار (ص ٧٧١)

الدير الى كنيستهم وأرانا ذخائر القديسين موضوعة في بأور في آنية من ذهب وجواهر ثمينة . وكانت نحو مائتي ذخيرة من جملتها قطعة من الصليب الحي قبلتهُ بنعي وشوكة من اكليل الشوك الذي وضعهُ اليهود على رأس المسيح وأبصرتُ تلك الشوكة نصفها احمر مصبوغة بدم المسيح ثم سن مار بطرس وذخيرة من مار بولس ومن الاثني عشر رسولًا والانجيليين ومن القديسين الكبار كمار اثناسيوس ومار باسيليوس ومار افرام ومار غريغوريوس وفم الذهب وغيرهم من اكابر القديسين في الشرق . وكذلك من القديسين الغربيين كامبروسيوس واغسطينوس وفرنسيس ودومنيكوس وبرنردوس وغيرهم كثيرين . وبجنب المذبح كان مدفن بابا [(١] ولهُ ازود من مائتي سنة بما يلي وابصرتُ جسدهُ ممدودًا ووجههُ ويديهِ ورجليهِ وهو لابس لبس الحبروية

ومن يوم انطلقنا الى ضيعة الوادي (Valle) وقدَّسنا فيها وتغدَّينا في لوستري ثمَّ قمنا فسرنا الى قرية سراوز (كذا) وتعشينا وبتنا في اللوستريَّة . واليوم التاسع وصلنا الى مدينة فولينو (Foligno) وقدَّسنا هناك وتغدَّينا في لوستريَّة هيراقيلو . ثمَّ مررنا عائدين الى سبوليتي وتارني . وفي مساء اليوم العاشر سرنا الى مدينة اوتريكي وبتنا في الاستريَّة . وفي اليوم الحادي وصلنا الى قرية كستلنوو ووصلنا المساء الى رومية فكان مجمل سفرنا احد عشر نهارًا وعشر ليالي . فنحمد الله على هذه الزيارة المباركة ونشكر فضل العذراء مريم الكليَّة الطهارة التي اهَّلتنا لان نزور بيتها الشريف الذي ربَّت فيه يسوع ثلثين سنة

وهذا البيت يشبه بيوت الفقراء لكنَّهُ غني بالنعم وتأتيهِ النذور من الملوك والسلاطين والامراء والكردينالية والبرنجيبية (principi) والاكابر من الذهب والفضَّة والجواهر الثمينة اعني اللؤلؤ والمرجان والزمرُّد والياقوت والالماس شيء ما يسعهُ العقل ولا يملكهُ سلطان واحد من سلاطين العالم وهذه النذور هي صلبان وكاسات وقيلاسات (اي آنية) وتيجان ملوك مرصَّعة بالجواهر وشمعدانات من جواهر وغير اشياء ما نعرف اسماءها ومن جملتها جوهرة على قدر البيضة تضيء في الليل مثل الكوكب واشياء أخرى تحيِّر العقل . واشتريتُ كتابًا ايطاليانيًا عدَّدوا فيهِ اسماء جواهر المعبد وقدَّام صورة العذراء كان عشرون قنديلًا من ذهب وفي بيت العذراء حيث يقف

(١) بياض في الاصل ولا نعلم اي بابا يريد

الناس ليسمعوا القدّاس منة قنديل فضّة. وفي هذا البيت وجدتُ صحناً من فخّار كان يسوع يأكل فيه طبيخاً مع امّهِ مريم العذراء نكفّدوهُ (اي صفّحوه) خارجاً بالفضّة فقبّلتهُ ووضعتهُ على رأسي وكانت رائحتهُ مثل رائحة الفردوس معبّقة ولذيذة في الغاية ووضعتُ فيه مسبحتي

وبيت العذراء طولهُ مقدار ثمانية اذرع ولهُ اربعة ابواب فمن الباب الواحد يدخل الزوّار ثمّ يخرجون من الباب الاخر. والباب الثالث يدخلون منهُ ليزوروا صورة العذراء التي خلف الترونوس فيتباركون بتقبيل الصحن الذي اكل فيه يسوع ويباركون مسابحهم بوضعها فيه. وهناك ايضاً ثوب صوف من لبس العذراء ولبس يسوع ابنها ولبس مار يوسف خطيبها. وهذه الثياب في ثلثة صناديق صغار من البلور وحتى الآن تلك الثياب لم يدخل فيها العثّ. وهناك ايضاً غير اشياء من حوائج العذراء التي كانت في بيتها يتبارك بها الزوّار ثم يخرجون من الباب الرابع

وكنيسة لوريطو على قدر كنيسة قبر المسيح في القدس لكنها في الغنى والمال والجوهر والبناء والتزاويق هي افخر منها. ويقال عن سيّدتنا مريم العذراء انها كانت سمراء وانّ ابنها يسوع كان اشقر وكان وجه البتول ذا هيبة عظيمة مملوءاً من الحشمة والوقار وكل من كان ينظر اليها كان يمتلئ من الورع والعفة والهيبة ويمتلئ جسدهُ من الطهارة بنظرهِ لوجهها فقط

وفي السنة ١٧٣١ مات البادري كلوسي (Galluzzi) اليسوعي (١ في شهر ايلول وهذا الرجل كان كاهناً معلّماً وكاروزاً قديساً. ولمّا مات بقي ثلاثة ايام بلا دفن تفوح من جسدهِ روائح العنبر والمسك واعضاؤهُ تتلوّى وهو يعرق دائماً كأنهُ نائم غير ميت. وكان في بعض الاوقات ينتح عيونهُ فلمّا نقلوه الى كنيسة مار اغناطيوس أتت الناس لتتبارك بتقبيل رجليه. وكان البعض يقطعون ثيابهُ ويأخذونها للبركة وتزاحم حولهُ

١) هو الاب فرنسيس ماري گالوزي المتوفى في ٧ ايلول سنة ١٧٣١ كان من أسرة شريفة من مدينة فيرنسة ولد سنة ١٦٧١ ودخل في الرهبانية سنة ١٦٨٨ فقضى فيها ٤٠ سنة مدرساً لاسمى الفضائل. وقد أنشأ كثيراً من المآوي والمستشفيات والمشروعات الخيرية للفقراء وارشد الى الاعمال الصالحة عدداً لا يُحصى من اهل رومية وغيرها. مات ميتة الابرار فاثنى عليهِ الحبر الاعظم اقليمس الثاني عشر وكلُّ مشاهير عصره. ولهُ تصانيف عديدة في كل المواد الدينية تزاهق الاربعين تأليفاً

الناس حتى كادوا يقتلون بعضهم بعضاً من الزحمة للتبرك من جسده حتى احتاجوا الى ان يجيبوا اجناداً من السولدات (soldati) وفي ايديهم الحربات ليكفّوا عنهُ الناس وما استطاعوا. وحاصل الامر كل مدينة رومية رجالها ونساءها بنيها وبناتها قسوسها وشمامستها رهبانها وعلماءها مطارنتها وكرديناليّتها اتوا قاطبة وتباركوا منهُ والاجناد يُدخلون الناس بالدور اليهِ فبعضهم ينثرون على جسدهِ الازهار وبعضهم يبوسون يديهِ ويأخذون الازهار التي عليهِ بدلًا من ثيابهِ. وانا الحقير القسّ خدر بالعسف قدرت ان ادخل بين العساكر فوصلت اليهِ بعد ان كدت أُقتل من شدّة الزحمة. وبست يديهِ. صلاتهُ تكون معنا. وفي حياتهِ ايضاً بست يديهِ لكن بالحيلة. ويقولون انهُ قد احيا ميتاً في حياتهِ وشفى مجذوماً (ابرص) مقرّحاً بالدمامل فمسك الاب كلوسي اصبعهُ الملوثة مدةً وقيحاً ومصّها فشفي الرجل. وقد كتب اليسوعية حياتهُ بعد موتهِ فان كان الله يظهر عجائب خارقة على جسدهِ فيقدّسهُ (يثبت قداستهُ) البابا ويجعلهُ في مدرج القديسين بعد مائة سنة اقلّ ام اكثر

وفي سنة ١٧٣٤ يوم الجمعة ١٦ تموز مات هنديّ . . .

(حاشية) هنا ينتهي المخطوط الذي نقلنا عنهُ ولعلّ احدًا من كلدان الموصل او في مكتبتها البطريركيّة يجد نسخة ثانية فيها تتمّة هذه الرواية التي جمع فيها الكاتب كثيرًا من الفوائد التاريخيّة والاوصاف الدقيقة التي تجعل هذا الاثر من انفس الآثار الشرقيّة

كتاب الهَمْز

عن ابي زيد سعيد بن اوس الأنصاري

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ وتقول في باب من الهَمْز ﴾ خَفَأْتُ الرَّجُلَ خَفْئًا اذا صَرَعْتَ [صَرْعَتَهُ] ، وتقول : خَلَأْتِ [النَّاقَةُ] خَلْئًا وَخِلَاءً اذا حَرَنَتْ وَصَعُبَتْ . قالَ زُهَيْرٌ :

بِآرِزَةِ الفَقَارِ وَلَمْ يَخُنْهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ

وتقول: خَبَأْتُ الشَّيْءَ خَبْأً، وَخَسَأْتُ الكَلْبَ خَسْأً وَخَسَأَ بَصَرُهُ خَسْأً وخُسُوءًا اذا سَدِرَ، وتقول: أَخْتَأْتُ من الرَّجُلِ أُخْتِئَاءً اذا اخْتَبَأْتَ منهُ، وتقول: خَرِئَ الرَّجُلُ خِرَاءً وخَرْءًا وجِماعُهُ الخُرْآنُ والخُرُوءَةُ، وتقول: خَذِئْتُ لِلرَّجُلِ خَذْءًا اذا اسْتَخْذَأْتَ لهُ، وتقول: خَطِئْتُ من الخَطِيئَةِ أَخْطَأُ خَطَأً وأَخْطَأْتُ (19r) إِخْطَاءً والاسم الخَطَأُ، وتقول: خَجَأْتُ المَرْأَةَ خُجْأً اذا نَكَحْتَها

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ حَلَأْتُ الأَدِيمَ أَحْلَأُ حَلْأً [حَلَأً] اذا أَخْرَجْتَ تَحْلِئَهُ وَالتَّحْلِيءُ القِشْرُ الَّذِي فِيهِ الشَّعَرُ فَوْقَ الجِلْدِ. وتقول: حَلَأْتُهُ بالسَّوْطِ حَلْأً اذا جَلَدْتَهُ وحَلَأْتُهُ بالسَّيْفِ حَلْأً اذا ضَرَبْتَهُ. وتقول: حَلَأْتُ الإِبِلَ عَنِ المَاءِ تَحْلِئَةً وَتَحْلِيئًا اذا حَبَسْتَها عنهُ قَالَ الرَّاجِزُ:

لَطَالَا حَلَأْتُمَاهَا لَمْ تَرِدْ فَخَلِّيَاهَا والسِّجَالَ تَبْتَرِدْ
تَشْفِي بِبَرْدِ المَاءِ مَا كَانَتْ تَجِدْ مِنْ حَرِّ أَيَّامٍ ومن لَيْلٍ رَمِدْ

وتقول: أَحْلَأْتُ لِلرَّجُلِ إِحْلَاءً اذا حَكَكْتَ لهُ حُكَاكَةً حَجَرَيْنِ فَدَاوَى بِحُكَاكَتِهِمَا عَيْنَيْهِ اذا رَمِدَتَا، وتقول: حَطَأْتُ الرَّجُلَ حَطْأً اذا صَرَعْتَهُ، وتقول: حَثَأْتُ رَأْسَهُ بالحِنَّاءِ وتَحْثِيئًا اذا خَضَبْتَهُ بها، وتقول: حَشَأْتُ الرَّجُلَ بالسَّهْمِ (19v) حَشْأً اذا أَصَبْتَ جَنْبَهُ وبَطْنَهُ. وحَشَأْتُ المَرْأَةَ حَشْأً اذا نَكَحْتَها. وحَشَأْتُ بَطْنَهُ بالعَصَا حَشْأً اذا ضَرَبْتَ بِها بَطْنَهُ، وتقول: أَحْكَأْتُ العُقْدَةَ إِحْكَاءً اذا شَدَدْتَ عَقْدَهَا، وتقول: حَزَأْتُ الإِبِلَ حَزْءًا اذا جَمَعْتَهَا وَسُقْتَهَا، وتقول: حَمَأْتِ الرَّكِيَّةَ حَمْأً [اذا خَالَطْتَها الحَمْأَةُ] والحَمْأَةُ الاسمُ وأَحْمَأْتُها إِحْمَاءً

اذا جعلتها حمئة ، وتقول : حَضَأْتُ النَّارَ حَضْأً اذا أوقدتها ، وتقول : حَضَأَ الصَّبيُّ من اللَّبَنِ حَضْأً [حَضْأً] اذا ارتضع حتى تملّئ إنفحته اذا كان جَدْيًا وإنْ كانَ صَبيًّا فَبَطْنُهُ . والإنفحةُ كَرِشُ الجَدْيِ ما لم يأكُلْ فإذا أكلَ فهو كَرِشٌ ، وتقول : حَدِئْتُ بالمكانِ حَدْأً [حَدَءًا] وذلكَ اذا لزِقتَ بهِ . وتقول : حَدِئْتُ إليهِ حَدْأً اذا لجأتَ اليهِ وحَدِئْتُ إليهِ حَدْأً [حَدَءًا] وذلكَ اذا حَدِبْتَ [حَدِبْتَ] عليهِ ونصرتَهُ ومنعتهُ ، وتقول : إحبنطأتُ إحبنطاءً اذا انتفخ جوفُكَ

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز ﴾ ضبأتُ في الأرضِ ضَبْأً وضُبُوءًا اذا اختبأتَ ، وتقول: (20ر) أضاءتِ النَّارُ إضاءةً ، وتقول : ضَؤُلَ رأيهُ ضَأَالَةً [ضَآلَةً] اذا قَلَّ . وضَؤُلَ الرَّجُلُ ضَآلَةً اذا صَغُرَ ، وتقول : ضُئِدَ الرَّجل ضُؤَادًا وهُوَ الزُّكامُ ، وتقول: أضمأكَ (النبتُ) اضمئكاكًا اذا رَوِيَ واخضرَّ ، وتقول: ضَنَأَتْ [ضَنَأَتِ] المرأةُ ضنأً [ضَنْأً] وضُنُوءًا اذا وَلَدَتْ

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ طَأْطَأْتُ رأسي طَأْطَأَةً ، وتقول : طَئِشْتُ طَأْأً اذا أتخمتَ عن دَسَمٍ ، وتقول : طَفِئَتِ النَّارُ طُفُوءًا ، وتقول: طَرَأْتُ عَلَى القَوْمِ طُرُوءًا اذا أتيتَهم من غيرِ أنْ يعلموا بكَ ، وأطلنفأتُ أطلنفاءً اذا لزِقتَ بالأرض ، وتقول: لأطَ الرَّجُلَ لأطًا [لأطًا] اذ أمرَهُ بأمرٍ فألحَّ عليهِ أو تقاضاهُ الدينَ فألحَّ عليهِ وتقول: لأطتُ الرَّجُلَ لأطًا اذا أتبعتَهُ بصرَكَ حتى يتوارى عنكَ ، وتقول: أوطأتُ في الشعرِ إيطاءً اذا أعدتَ قوافيهُ ، وتقول : أطرتُ [أطرتُ] القوسَ اطرا [أطرًا] اذا حنيتها (ويقال حَنَى يَحْني وحَنَا يَحْنُو) وأطرتُ

السَّهمَ أَطْرًا (20ᵛ) اذا لَفَفتَ على مَجْمَع الفُوقِ عَقَبَةً وَاسْمُهَا الأُطْرَةُ .
وتقول : تَأَطَّرَتِ المرأةُ تَأَطُّرًا اذا أقامَتْ في بيتِها قال الشَّاعِرُ :

تَأَطَّرْنَ حَتَّى قُلْتُ لَسْنَ بَوَارِحًا وَذِبْنَ كما ذَابَ السَّدِيفُ المُرَهَّبُ

وتقول وَاطَأْتُهُ عَلَى الأَمْرِ مُوَاطَأَةً اذا وَافَقْتَهُ عَلَيْهِ ، وتقول : فَطَأَ الرَّجُلُ المرأةَ يَفْطَأُهَا فَطْئًا . وَرَطَأَها يَرْطَأُها رَطْئًا . وَشَطَأَها يَشْطَأُها شَطْئًا اذا نَكَحَها

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ ظَمِئْتُ ظَمأً [ظَمَأً] اذا عَطِشْتَ ، وتقول : ظَاءَرْتُ مُظَاءَرَةً اذا أخذتَ ظِئْرًا وَظَأَرْتُ النَّاقَةَ ظَأْرًا وهي نَاقَةٌ مَظْؤُرَةٌ اذا عَطَفْتَهَا على غَيْرِ وَلَدِهَا ، وتقول : هَذَا ظَأْمُ الرَّجُلِ وَظَأْبُهُ وهما واحد . وهما اللَّذَان يَتَزَوَّجَانِ الأُخْتَيْنِ كلُّ وَاحِدٍ وَاحِدَةً وقد ظَاءَمَنِي وظَاءَبَنِي اذا تَزَوَّجتَ أنت امْرَأَةً وَهُوَ أُخْتَهَا ، وتقول : دَأَظْتُ الوِعَاءَ دَأْظًا . قال الراجزُ (21ᵛ)

لَنْ نَدَى أَعْنَاقِهِنَّ المَحْضُ والدَّأْظُ حَتَّى لا يَكُونَ عَرْضُ [عَرَضُ]

الدَّأْظُ الامْتِلاءُ والعرضُ موضع ما تركتَهُ فلم تجعل فيه شيئًا . وقولهُ « فَدَى أَعْنَاقِهِنَّ المَحْضُ » يقول فَدَاهُنَّ من البَيْعِ والنَّحْرِ المحضُ استَغْنَوا بِهِ عن ذلك

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ عَبَأْتُ الطِّيبَ عَبْأً [عَبْئًا] اذا صَنَعْتَهُ وَخَلَطْتَهُ ، وتقول : ما عَبَأْتُ بِفلانٍ عَبْئًا اذا لم تَصْنَعْ بِهِ شيئًا وَعَبَأْتُ المتاعَ اذا هَيَّأْتَهُ وَعَبَّأْتُهُ تَعْبِئَةً كلٌّ من كلام العرب . وَعَبَّأْتُ الخيلَ تَعْبِئَةً وَتَعْبِيئًا . وتقول : هُوَ عِبْءُ وُجَاعَةِ الأَعْبَاءِ وهو الحِمْلُ والأَحْمَالُ قال الشَّاعِرُ :

الحامِلِ العِبءَ الثَّقيلَ عَنِ م الجَاني بِغَيرِ يَدٍ ولا شُكرِ

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ فَأَوْتُ رَأْسَهُ. فَأْوًا. وَفَأَيْتُهُ فَأْيًا بِالسَّيْفِ، وتقول: فَثَأْتُ المَاءَ فَثْأً اذا سَخَّنْتَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا سَخَّنْتَهُ وَفَثَأْتُهُ عَنِّي فَثْأً [فَثْأً] اذا كَسَرْتَهُ عَنْكَ بِقَولٍ أَوْ غَيْرِهِ، وتقول: فَجَأْتُهُ فَجأً [فَجْأً] وفَجِيتُهُ [فَجْئًا] فُجَاءَةً اذا لَقِيتَهُ. وهُوَ لا يَشْعُرُ بِكَ وَلَا تَشْعُرُ بِهِ (٢١٧)، وتقول: فَطَأْتُ الرَّجُلَ أَفْطَأُهُ فَطأً [فَطْأً] اذا ضَرَبْتَهُ بِالعَصَا او ضَرَبْتَهُ بِرِجْلِكَ، وتقول: فَأْفَأَ الرَّجُلُ فَأْفَأَةً وهُوَ رَجُلٌ فَأْفَاءٌ (ممدود) وهو الثَّقِيلُ اللِّسَانِ، وتقول: فَسَأْتُهُ بِالعَصَا فَساءً [فَسْأً] اذا ضَرَبْتَ بِها ظَهْرَهُ. وتقول: تَفَسَّأَ الثَّوْبُ تَفَسُّأً اذا تَشَقَّقَ، وتقول: فِئْتُ الى الأَمْرِ فَيْئًا [فَيْئًا] اذا رَجَعْتَ اليهِ وَفَاءَ الظِّلُّ فَيْئًا مِثْلُهَا. وتقول: أَفَأْتُ عَلَيهِم فَيْئًا [إِفَاءَةً] اذا أَدَرْتُ لهم فَيْئًا [فَيْئًا] أَخِذَ مِنهُم أَوْ أَخَذتَ لهم سَلَبَ قَوْمٍ آخَرِينَ فَجِئْتَهم بِهِ. وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، وتقول: فَقَأْتُ عَيْنَهُ فَقْءً [فَقْأً] وتَفَقَّأَتِ البُهْمَى اليهم تَفَقُّؤًا وَفَقَأَتْ فَقْأً [فَقْأً] اذا تَشَقَّقَتْ لَقَائِفُهَا عن ثَمرِهَا، وتقول: أَفْتَأْتَ الرَّجُلُ عَلَيَّ أَفْتِئَاتًا. إِذَا قَالَ عَلَيْكَ الباطل. وتقول: ما فَتَأْتُ أَذْكُرُهُ فتاءً [فَتْأً] اذا كُنْتَ ما تَزَالُ تَذْكُرُهُ. كَقَولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ، وتقول: فَأَدْتُ الصَّيْدَ فَأْدًا. اذا أَصَبْتَ فُؤَادَهُ. وتقول: فَأَدْتُ الخُبزَةَ (الخُبزَةَ) في المَلَّةِ اذا خَبَزْتَهَا فيها. والمِفْأَدُ الحَدِيدَةُ التي يُخْتَبَزُ بها والمِشْوَى، ويقال قَدْ تَفَشَّا [تَفَشَّأَ] بِالقَومِ المَرَضُ تَفَشُّؤًا (٢٢٠) اذا انْتَشَرَ فِيهِم. قال الشَّاعِرُ:

وَأَمْرٍ عَظِيمِ الشَّانِ يُرْهَبُ هَوْلُهُ وَبَغْيًا بِهِ مَنْ كَانَ يَحْسَبُ رَاقِيَا
تَنَشَّأَ إِخْوَانَ الثِّقَاتِ فَمَنَّهُمْ فَأَسْكَتَّ عَنِّي الْمُولَاتِ الْبَوَاكِيَا

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز ﴾ قَنَأَتْ أَطْرَافُ المرأةِ مِنَ الحَنَّاءِ قُنُوءًا اذا أَحْمَرَّتْ شَدِيدًا ، وتقول : قَمَأَتِ المَاشِيَةُ قُمُوءًا . وقَمُئَتْ قَمَاءَةً اذا سَمِنَتْ . وقَمُؤَ الرَّجُلُ قِمَاءَةً اذا صَغُرَ ، وتقول : قَرَأْتُ الكِتَابَ قِرَاءَةً ، وتقول : قُفِئَتِ الأَرْضُ قَفْأَةً اذا مُطِرَتْ وفيها نَبْتٌ فَحَمَلَ المَطَرُ عَلَى النَّبْتِ النُّبَارَ فلا تَأْكُلُ المَاشِيَةُ حتى يَجْلُوهُ [يَجْلُوهُ] النَّدَى أَوْ يَهْتَزَّ فَيَسْقُطَ ما عَلَيْهِ ، وتقول : قَضِئَتِ القِرْبَةُ فَهِيَ تَقْضَأُ قَضْأً [قَضَأً] وهي قِرْبَةٌ قَضِئَةٌ (قَضِئَة) على وزن فَعِلَة وهي الَّتِي قَدْ عَفِنَتْ وتَهَافَتَتْ والثَّوْبُ يَقْضَأُ مِنْ طُولِ النَّدَى وَالطَّيِّ قَضَأً . ويقال قَضِيَ حِسَابُ فُلَانٍ (22v) قَضَأً [قَضْأً] وقُضُوءًا وقُضْئَةً [وقَضْأَةً] وذلك اذا دَخَلَهُ عَيْبٌ ولم يكن صَحِيحًا وانَّ في حَسَبِ فُلَانٍ لَقُضْأَةً أَيْ لَعَيْبًا وهو الوصمُ أيضًا . وتقول : قد قَاءَ الرَّجُلُ يَقِيءُ قَيْئًا ، وتقول . أَقْثَأَتِ الأَرْضُ فَهِيَ مُقْثِئَةٌ اذا كانَتْ كَثِيرَةَ القِثَّاءِ وهذه أَرْضٌ مَقْثَأَةٌ . وتقول : قَبِئْتُ مِنَ الشَّرَابِ أَقْأَبُ قَأْبًا [قَأَبًا] أَي شَرِبْتُ مِنْهُ . قال ابو زَيْد : لَيْسَ في الأَرْضِ قَيْسِيٌّ الَّا يَقُولُ القُثَّاءَ بِرَفْعِ القاف

﴿ وتقول في باب آخر من الهَمْز ﴾ لَبَأْتُ اللَّبَأَ أَلْبَأُهُ اذا حَلَبْتَ الشَّاةَ لَبَأً وَلَبَأْتُ القَوْمَ أَلْبَأُهُم لَبْأً [لَبَأً] اذا صَنَعْتَ لَهُم لَبَأً وأَلْبَأْتُ الجَدْيَ إِلْبَاءً اذا شَدَدْتَهُ إِلَى رَأْسِ الخِلْفِ لِيَرْضَعَ لِبَأً وَاسْتَلْبَأَ الجَدْيُ إِذَا رَضِعَ هُوَ من تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ، وتقول : لَفَأْتُ اللَّحْمَ عَنِ العَظْمِ . واللَّفِيئَةُ البَضْعَةُ الَّتِي لا عَظْمَ فيها نَحْوُ النَّحْضَةِ والهَبْرَةِ

وَالوَذْرَةِ لا تُقالُ إلّا بَضْمَةٌ بالفَتْح مِثل القَصْعَةِ ويقول (23ˢ) لَطَأَ الرَّجُلُ بالأَرْضِ لَطْأً إذا لَزِقَ بِها ، وتقول : لَوُمَ الرَّجُلُ يَلْئُمُ (يَلْؤُمُ) لُؤْمًا وملمئة [وَمَلْأَمَةً] مِثْلُ مَأْمَةٍ . وتقول : أَلْئَمَ (أَلْأَمَ) الرَّجُلُ إلْأَمًا [إلآمًا] اذا صَنَعَ ما يَدْعُوهُ الناسُ عليه لَئِيمًا وهذا رجلٌ مِلْأَمٌ وهو الذي يَعْذِرُ اللِّئَامَ

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ قَدْ مَسَأَ الرَّجُلُ اذا مَجَنَ ومَرَنَ والمَاسِئُ المَاجِنُ . وتقول : مَأَسْتُ بَيْنَ القَوْمِ أَمْأَسُ مأسًا [مَأْسًا] اذا أَفْسَدْتَ بينهم ، وتقول : سَلَأْتُ النَّخْلَةَ والعَسِيبَ سَلْأً [سَلْأً] اذا نَزَعْتَ شَوْكَها وهو السُّلَاءُ وواحدتُها سُلَاءَةٌ وسُلَّاءَةٌ ، وتقول : مَنَأْتُ المَنِيئَةَ مَنْأً [مَنْأً] اذا جَعَلْتَ الجِلْدَ في الدِّبَاغِ والجِلْدُ مَنِيئَةٌ [مَنِيئَةٌ] ما لم يَخْرُجْ من الدِّباغ فاذا خَرَجَ من الدِّباغ فهو أَفِيقٌ وأَدِيمٌ ، وتقول : مَأَرْتُ بَيْنَ القَوْمِ ومَاءَرْتُ بَيْنَهم مُماءَرَةً اذا عَادَيْتَ بَيْنَهم والاسمُ المِئْرَةُ ، وتقول : أَمَأْتُ غَنَمَ فُلانٍ إمَاءً اذا صارَتْ مائةً وأَمْأَيْتُها لكَ اذا جَعَلْتَها له مائةً ، وتقول : مَأَنْتُ الرَّجُلَ أَمْأَنُهُ مَأْنًا اذا أَصَبْتَ مَأْنَتَه وهي (23ᵛ) ما بين سُرَّتِهِ وعَانَتِهِ وشُرْسُوفِهِ ، وتقول : مَأَوْتُ السِّقَاءَ مَأْوًا ومَأَيْتُهُ مَأْيًا اذا وَسَّعْتَهُ فجَعَلْتَهُ واسِعًا وكذلك الوِعَاءُ ، وتقول : قد تَمَأَّى السِّقَاءُ تَمَأِّيًا اذا مَدَدْتَهُ فاتَّسَعَ وتقول : مَرُؤَ الرَّجُلُ مُرُوءَةً ، وتقول مَلُؤَ الرَّجُلُ مَلَاءَةً ومَلَأْتُ الحُبَّ أَمْلَأُهُ مَلْأً والإناءَ وأَمْلَأْتُهُ ، وتقول : مَأْلَأْتُهُ عَلَى الأَمْرِ مُمَالَأَةً اذا سَاعَدْتَهُ عليه وتابَعْتَهُ ، وتقول : ما كانَ الطَّعَامُ مَرِيئًا ولقد مَرُؤَ مَرَاءَةً وأَمْرَأَنِي إمْرَاءً وهو طَعَامٌ مُمْرِئٌ (التتمة لعدد آخر)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧ الجهاد ضدّ الماسونيّة

تابعة

كتبنا فصولنا السابقة في تعريف الطائفة الماسونيّة وتألّفها واسرارها وآدابها لا عن بُغض ولا عن هوًى وكرّرنا غير مرّة أننا مستعدّون اذا ما اوقفنا احد انصار الشيعة على خطإ فرط منّا بان نُعلن بغلطنا ونستميح عذرًا ممّن ثلمنا عرضهم على غير حقّ . فما بلغنا الى اليوم من احتجاج الماسون غير وُريقات مخطوطة مطبوعة في مطبعة حيّ بن لي أُغفل فيها اسماء كاتبيها كأنهم خجلوا عمّا سطّرتهُ ايديهم من الشتم في حقّنا . وما كنّا لنبالي بهذه المثالب لو وجدنا فيها ما يستحق الذكر من تقويم لِعِوَج او تصحيح لغلط فكنّا نعود بالخيبة . وغاية ما كنّا نقرأهُ في تلك الكتابات انّ الماسونيّة شريفة المبادئ عظيمة الشأن كثيرة المبرّات ومدائح أخرى لا سندَ لها غير مزاعم قائليها ما كنّا لنسلّم بها دون دليل ولا برهان

وممن لم يستحي من التصريح باسمهِ الكريم جناب الافندي نعوم شقير في المقتطف (سنة ١٩١٠ ص ١٥٧) وبشير رمضان في مجلّة الكوثر (ص ١٦٧ — ١٧٤) وليست براهين الكاتبين المذكورين اقوى حجّة من الاخوة ". المتسترين فليت شعري بعد نحو مائتي شاهد نقلناها عن مصادر رسميّة وتآليف ماسون مشهورين في الشيعة مع ذكرنا اصفحات كتبهم العربية والفرنجيّة أفما كان يجدر بالماسون ان ينزلوا في ميدان البحث فاما ينكرون تلك النصوص العديدة واما يثبتون انّ الماسون براء منها او يؤوّلونها على غير وجوهها الظاهرة او يبيّنون تحريفنا لبعض معانيها . الّا انّهم لم يفعلوا حتى الآن شيئًا من ذلك . وخلاصة ما جاء في مقالتي نعوم افندي شقير وبشير افندي رمضان انّ الماسونيّة ليست كما صوّرناها بل هي جليلة المبدأ جليلة الغايات فيها الاعضاء الفضلاء وكبار الرجال تأسست لخدمة الانسانيّة ولا غاية لها سواها . واتّهمنا جناب بشير افندي بأننا قلنا في الماسونيّة « ما نريد لا ما يُراد » فان زعم الكاتب بهذا القول انّ روايتنا لاقوال الماسون كاذبة او محرّفة فهي تهمة فظيعة يقضي عليهِ الشرف بان يثبتها بالبيّنات

وان اراد انّنا لم نرو ما يريدهُ الماسون وكشفنا ما يحاولون اخفاءهُ لخداع الناس فهذا ما نقرّ بهِ وكل مقالاتنا السابقة تشهد على انّنا لم نخطئ الغرض

هذا ولا تزال نكرّر ما قلناهُ سابقًا انّ الماسونية تختلف اختلافًا كبيرًا على حسب البلاد التي يرسخ فيها قدمها فهي « كالي براقش في كل لون تكون » فانّ الماسونيّة في الدول اللاتينية كفرنسة وايطالية واسبانية عريقة في الكفر تجاهر بهِ ولا تستخفي . اما البلاد السكسونيّة والاقطار البروتستانية كانكلترّة والمانية والولايات المتّحدة فانّها احرص على اصول الدين والآداب الاجتماعية وقس عليهِ كل بلد حيث تخاف الماسونية الفشل والخذلان بمماكسة الدين . على انّ مبادئ الماسونية عمومًا مرجعها في آخر الامر الى دكّ صروح كل مذهب ونقض كل نظام

وبينا نحن نكتب هذه الاسطر اتانا شاهد جديد على انّ الماسون الدّ اعداء الدين والسلطة نريد ما انبأت بهِ اخبار البورتغال فانّ هذا الانقلاب السياسي قد تمّ خصوصًا بدسائس الشيع السرّية بعد قتلها قبل سنتين لملك دولتها ولوليّ عهدهِ وما كادت تستولي اليوم على الامر حتى جاهرت ببغضها للدين فدخل ذووها الى الكنائس وانتهكوا حرمة المعابد وحطّموا الصور والآنية المقدّسة واهانوا ارباب الدين فجرحوا وقتلوا ونفوا كل الرهبان اليسوعيين من مواطنهم وطردوا الرهبان والراهبات وليس لكل هؤلاء من ذنب سوى تعليمهم للجهال ونشرهم للعلوم وتفانيهم في سبيل اليتامى واللقطاء والعجزة ومرضى المستشفيات واعالة الفقراء . فهذه حرّية الماسون وهذه مساواتهم وهذا اخاؤهم افما قول بشير افندي رمضان وما قول نعوم افندي شقير؟ فلينصف المنصفون !

وها نحن تأييدًا لاقوالنا السابقة نباشر بقسم رابع ندعوهُ بالجهاد ضدّ الماسونيّة نبيّن فيهِ انّ اهل الدين وارباب الامر في كل اين وآن مذ تألفت الشيعة الماسونيّة اعني منذ اواخر القرن السابع عشر (ونسبتُها الى سليمان من خرافات العجائز) ومنذ ظهورها للعيان بعد الخفاء وجّهوا اليها الملام ورذل الاحبار الرومانيون اعمالها السرّية وحظروا على المؤمنين الانتظام في سلكها تحت عاقبة الحرم والقطع عن جسم الكنيسة . ثمّ نأتي باقوال الرؤساء الشرقيين والدول ومشاهير الرجال في حقيقة امرها ونذكر خصوصًا شواهد الذين اصطبغوا مدّةً بصبغتها وهداهم الله بعد معرفتها الى سواء السبيل فكشفوا عن آثامها الاستار . والله الموفق الى الصواب

١ مناهضة الاحبار الرومانيين للماسونية

قد اقام الله رؤساء كنيستهِ كرعاةٍ يسهرون على قطيع المؤمنين فيرشدونهم الى المناجع الطيبة ويعدلون بهم عن المراعي الوخيمة ومهاوي الضلال فان اهملوا الامر وتغافلوا في اتمام واجباتهم قويت ابواب الجحيم على البيعة وبطلت مواعيد السيد المسيح التي يزول السماء والارض وحرف منها لا يزول

(اقليمس الثاني عشر) بقيت الشيعة الماسونية بعد انشائها محجوبة في ظلمات الاجتماعات السرّيّة لم تقوَ على العمل الّا بعد خروجها من مهدها الاوّل في انكلترة وانتشارها في فرنسة والمانية وهولندة وبلجكة فانبعث ريحها الخبيث فرأى الحبر الروماني انهُ من الواجب اللازب ايقافها عند حدودها ففي ٢٧ نيسان سنة ١٧٣٨ ابرز اقليمس الثاني عشر براءتهُ التي بدؤها (In eminenti) اوضح فيها ما بلغ الكرسي الرسولي من اعمال الجمعيّات السرّيّة ومكايدها الخبيثة والاخطار التي تتهدّد بها الألفة الاجتماعيّة عموماً والمؤمنين خصوصاً الى ان قال ما تعريبهُ :

« انَّ الانباء العمومية قد افادتنا انَّهُ تألفت بعض الجمعيات السرّيّة تحت اسم فرماسون او بنّائين احرار واسماء اخرى شبيهة بهذا تختلف على اختلاف اللغات وانَّ هذه الجمعيات تزيد كل يوم انتشاراً وعُدوى ومن خواصها انَّها تضمُّ اليها رجالاً من كل الاديان والشيع يتظاهرون خارجاً بالآداب الطبيعية وهم يرتبطون بينهم بروابط الاسرار الغامضة على مقتضى ما سنُّوهُ لهم من السنن فتراهم يقسمون على التوراة وتحت طائلة اشدّ العقابات بانهم يسكتون ابداً عن اعمال جمعيتهم . على انَّ الاثم مهما اختفى لا بدَّ ان ينكشف يوماً وهذا ما جرى لتلك الجمعيات التي بلغ العموم شيءٌ من اعمالها السيئة فحرَّك في قلوبهم الريب في صحّة نياتها وتحقَّق العقلاء انَّ الانضمام اليها دليل على خبث الداخل فيها وعلى فساده . وحسبنا شاهداً على انَّ اجتماعاتها الخفيّة هي للشرّ لا للخير انَّها تبغض النور . وقد ازداد اشمئزاز الناس العقلاء من هذه الجمعيات الى حدٍ اوجب حملَ كل الدول على محاكمتها وتشتيت شملها . . .

« واذا فكَّرنا في الاضرار الجسيمة التي تنجم عن هذه الجمعيّات السرّيّة رأينا منها ما يوجب القلق سواء كان لسلام الممالك او لخلاص النفوس ومن ثمَّ بعد اخذ رأي اخوتنا الكرادلة وبعلمنا التام وبقوّة سلطتنا الرسولية حكمنا وقضينا بانَّ هذه الشركات

والجماعات المعروفة باسم الفرنماسون وبايّ اسم كان مثلهُ يجب رذلها ونفيها . وبناء عليه نرذلها نحن ونشجبها بقوّة هذا المنشور الذي نريد ان يكون مفعولهُ مخلّداً . والحالة هذه نحظر بحكم الطاعة المقدّسة على كل المؤمنين وعلى كل فرد من افرادهم من اي مرتبة او حالة كانوا من اكليريكيين او عاليين من قانونيين او غير قانونيين ان ينشئوا جمعيّات ماسونيّة او ينشروها او يساعدوها او يقبلوها في بيوتهم او يدخلوا فيها او يحضروا حفلاتها وذلك تحت طائلة الحرم يسقط فيه المؤمن بذات الفعل ودون تنبيه خاصّ ويحفظ لنا ولخلفائنا الحلّ من هذا الخطإ ولا نسمح لاحد ان يحلّ عنهُ دون رخصتنا اللهمّ الّا في ساعة الموت . . . »

(بندكتوس الرابع عشر) لما انتشرت البراءة السابقة هدأت قليلاً حركة الماسونية الى ان قام في الخلافة البطرسيّة البابا بندكتوس الرابع عشر فجعل انصار الماسون يعلنون بان براءة سلفهِ قد بطل عملها وان الحرم لم يعد ينال المنضمّين الى الجمعيّات السرّيّة . فلمّا بلغ الامر البابا بندكتوس وضع براءةً جديدة في تاريخ ١٨ ايار سنة ١٧٥١ اثبت فيها منشور سلفهِ وزاد في ايضاح حالة الماسونية وآثامها اوّلها (Providas) فقال :

« لكي لا يدّعي احد بأنّنا لم نقُم بما تفرضهُ علينا واجباتنا المقدّسة من العناية والتدبير انّنا عزمنا على تجديد واثبات براءة خلفنا اقليمس الثاني عشر وها نحن نكرّرها بحرفها ليعلم الجميع بأنّنا نوافق خلفنا في كلّ مراميهِ (وبعد ذكرها اردف قائلاً) : فانّنا نؤيّد هذا الحكم على الشيع الماسونية ويحملنا على ذلك عدّة اسباب (فالسبب الاوّل) انّ هذه الجمعيات تشمل اناساً من كل الاديان وكل النحل نكتفي بهِ دليلاً على ما ينال الايمان الكاثوليكي بهذا الاختلاط من الضرر . (والسبب الثاني) ان اصحاب هذه الجمعيات يتعاهدون اوثق عهدٍ على السرّ التام عن كل ما يجري في مخافلهم فيصحّ فيهم ما رواهُ الكاتب الروماني عن سيسيليوس فاقاليس في بعض امورهِ حيث قال : « انّ الاشياء الحسنة تحبّ الانتشار والشهرة اما الآثام فانّها تتستّر تحت حجاب السرّ » . (والسبب الثالث) انّ المنتظمين في سلك هذه الجمعيات يتقيّدون ذممهم بالأقسام المحرّجة على محافظة اسرارهم . كأنّ الانسان يجوز لهُ السكوت عن اسرار تمسّ صوالح الدولة او الدين اذا طلب منهُ ارباب الامر كشفها فيأبى محتجّاً بوعدٍ او قسم

باطل . (والسبب الرابع) انّ الدول العالمية كالسلطة الدينية قد اتّفقت في كل الاجيال على الغاء الجمعيات السرّيّة غير النظامية لما عرفتهُ من دسائسها وشرورها الجمّة (وهنا يعدّد البابا بعض القوانين التي سنّها الملوك لقطع هذه الجمعيات) . (والسبب الخامس) انّ هذه الجمعيات الماسونية قد انتبه الى مساوئها بعض ارباب الدول فابعدوا مشايعيها من تخومهم . (والسبب السادس) والاخير انّ اصحاب الفضل وذوي الحكمة مجمعون على انّ هذه الجمعيات لا خير فيها اذ لا يدخلها احد الّا لحقتهُ وصمة العار والشنار »

فترى انّ البابا بندكتوس وصف الجمعية الماسونية اوفى وصف وبيّن احوالها على احسن صورة وانّنا لم نقل في حقّها شيئاً الّا عُرفت به منذ زمن طويل . وكأنّ هاتين البراءتين أثارتا غضب الماسونية فتنمّرت لها غيظاً واخذت مذ ذاك الحين تشنّ الغارات المتوالية على كنيسة المسيح سرّاً وجهاراً حتى بلغ السيلُ الزُّبى وظنّ الملحدون انّهم انتصروا على الحق وزعزعوا الصخرة البطرسية وانما اثبتوا فقط بتحامُلهم عليها قوّتها الالهية

(بيوس السابع) ولما رجع الى الكنيسة سلامُها وعاد بيوس السابع بعد المحن المتعدّدة الى عاصمته رومية ظافراً اسرع الى ضرب الجمعيات السرّيّة بالحرم والعقوبات الكنسية . وكانت جمعيّة الفحّامين وهي فرع من الماسونية اخذت بمناصبة الدين ونشر لواء العصيان والفجور فاعلن المجمع المقدس الحرم عليها بحكمين خصوصيين . ثم دبّت دسائس هذا الفرع واستفحل شرّهُ فردّهُ ببراءة عمومية اوّلها (Ecclesiam) وتاريخها ١٣ ايلول سنة ١٨٢١ جدّد فيها احكام سلفيهِ السابق ذكرها في الجمعيات السرّيّة عموماً وفي جماعة الفحّامين خصوصاً وقضى بحرم كل المنتسبين اليها وانصارها والقارئين الكتبها

(لاون الثاني عشر) لهُ براءة جليلة في تاريخ ١٢ اذار سنة ١٨٢٦ كان حقّها ان تُرقم باحرف الذهب لما اودعها من الاوصاف الدقيقة لحِيَل الماسون ومكايدهم ولشُعَبهم وللشرور العظيمة التي افرغوا سجالها على العالم ولولا طول هذا المنشور البابوي لنقلناهُ كلّهُ بالحرف الواحد . واوّل هذه البراءة (Quo graviora) بيّن في فاتحتها انّ السيد المسيح وكلَ الى بطرس وخلفائهِ رعاية قطيعهِ ليذودوا عن حماه ويردّوا عنهُ هجمات الذئاب الكاسرة . ثم اردف بقولهِ انهُ ليس بوحوش اضرى من اصحاب الجمعيّات السرّيّة التي ناصبها خلفاؤه وخصّ ذكر فرعَيها الجديدين اي الفحّامين وجماعة

« الكليين » (Société universitaire) التي أنشئت في بعض الكليات المعادية للدين. ثم قال الحبر الاعظم :

« قد تقرّر انّ هذه الجمعيّات السرّيّة هي التي أوقدت نار الفتن في اوربّة بل اسعرتها في اقاصي البلاد بواسطة عمّالها الاشرار. ولما اجتمعت الدول وكبحت جماحها كان أملنا معقودًا برجوع السلام الى البلاد لكنّ الجمعيات السابق ذكرها عادت الى دسائسها واستأنفت حملاتها على كنيسة المسيح. فانّنا بكل اسف نرى كلّ يوم اصحابها ينتهكون حرمة الاقداس ويدنّسون بكتاباتهم كل صالح بارّ ويهيجون كل الاهواء الفاسدة على السلطتين الدينية والمدنية

« وليس كلامُنا ظنًّا وهميًّا بلا سند فانّ كتبهم التي ألّفوها تشهد عليهم فانّها لا تحترم دينًا ولا تكرم سلطانًا فينقضون اساس الألفة البشريّة ويعلّمون جهارًا مذهب الماديين ويتكرون ليس فقط لاهوت السيد المسيح بل وجود الله عينه. وقد وقفنا ايضًا على رسومهم وقوانينهم السرّيّة فاذا هي موافقة لهذه المبادئ المعطّلة

« وعليه بعد ان استشرنا اخوتنا المحترمين كادلة الكنيسة المقدّسة وبعد الروية وامعان النظر من ذات خاطرنا وبعلمنا الاكيد نحرم حرمًا مؤبّدًا وتحت العقوبات المبرزة من سلفائنا كلّ الجمعيات السرّيّة الحاضرة والمستقبلة التي تضمر الشرّ للكنيسة ولكل سلطة شرعية. ومن ثم نامر جميع المسيحيين اجمالًا وافرادًا من كلّ رتبة ومقام ودعوة . . . . . ان لا يستجازوا ابدًا بأيّة حجّة كانت الدخول في هذه الجمعيات او مؤازرتها سرًّا او علانية . . . . تحت عقاب الحرم الذي يسقط فيه المخالفون بذات الفعل ولا يقدر احد ان يحلّهم منهُ الّا نحن او احد خلفائنا ما خلا خطر الموت. ونحن نؤكد خصوصًا تلك اليمين المريعة التي يرتبط بها الماسون على ان لا يبيحوا لاحد باسرارهم بل يقبلوا الموت دون كشفها . وهو قسم باطل خالٍ عن القوّة لا يلزم صاحبهُ لأنّهُ مضادّ للديانة منافٍ للعدل »

وللحبر الاعظم في آخر هذه البراءة كلام نفيس يوجّهه الى كل اصحاب الامر في العالم من كاثوليك وغيرهم ويستحلفهم بالله وبحبّهم لاوطانهم « ان يقوموا في وجه هذه الجمعيات ويستأصلوا آثارها لئلا تثور تلك الافاعي السامّة فتنفث سمّها في البلاد مباشرةً بارباب الدولة وضابطي السلطة فيصبحون اوّل ضحايا لأولئك الاشرار الذين

لا يردعهم رادع ذمّة ولا يثنيهم خوف الله ».

(البابا غريغوريوس السادس عشر) في أيامه ضبط شُرَط الدولة البابويّة اوراقاً سريّة لتلك الجمعيات الاثيمة كشفت للعيان ما كان يعدّهُ اعضاؤها من الاشغاب والثورات وما ارتكبوهُ من الفظائع وضروب المآثم التي لم تخطر على بال بشر وانما ارشدهم اليها شيخ النار وحدهُ. فلما وقف عليها امام الاحبار ارسل في ١٥ آب سنة ١٨٣٢ الى العالم الكاثوليكي رسالتهُ البادئة بهذه الالفاظ (Mirari vos) يخرق فيها الستار المتحجّبة وراءهُ الماسونية ويفضح كل مساوئها

(بيوس التاسع) انَّ هذا البابا العظيم الذي شرّف الكنيسة بمآثره قد ذاق ايضاً الكاس المرّة التي مزجتها لهُ الماسونية بل شربها الى صبابتها فنُفي من حاضرته وقاسى صنوف العذابات الى ان غُصبت دولتهُ بدسائس الماسون وفُتحت ممالكهُ ظلماً فانهُ جرى على آثار اسلافهِ وقضى مرارهُ على تلك الشيعة الوخمة وعلى الاخصّ في خطابهِ الذي ألقى بهِ في مجمع الكرادلة في ٢٥ ايلول ١٨٦٥ حيث قال:

« أيها الاخوة المكرَّمون. ان ما بين الحيل والمكايد العديدة التي اعتصم بها اعداء الاسم المسيحي لمهاجمة كنيسة الله باذلين جهدهم — وان كان عبثاً — في خرابها وتدميرها ينبغي لنا بلا ريب ان نعدّ جمعية اولئك القوم المضلّين المعروفة بين العموم باسم الفرماسونية وهي الشيعة التي طالما تبرقعت ببرقع الظلام الدامس ثم آل امرها اخيراً الى الظهور بقحة لتنشر الخراب وتدمّر اركان الدين والمجتمع البشري »

ثم يذكر بيوس التاسع ما صنعهُ خلفاؤهُ لمناهضة تلك الشيع وما سعوا بهِ لدى الملوك ليدفعوا عنهم اخطار شرورها حتى قال:

« ويا ليت هؤلاء اصاخوا سمعاً لصوت اسلافنا وتصرّفوا في تلك الخطوب الجسيمة بشيء من النشاط والهمّة. فلو فعلوا لما كنا نحن وابانا نندب ونتأسف على ما بُلينا بهِ من تواتر الحركات والفتن ومن الحروب الدمويّة التي اشتعلت بها اوربّة كلها وكنّا نجونا من الخطوب والنكبات التي لم تزل محدقة بالبيعة المقدّسة »

وهنا يعدّد البابا ما ارتكبته الجمعيات الماسونيّة من الجنايات رغماً عمّا تدّعيهِ من الدعاوي الكاذبة بانّها جمعيّات خيريّة تريد تلطيف اوجاع البشريّة ثم اردف قائلاً:

« فماذا تحاول اذن هذه الشيع المؤلفة من أخلاط كل دين ومذهب؟ وماذا تقصد

من تلك الاجتماعات الخفيّة وبتلك الاقسام المغلّظة التي يبرزها الداخلون فيحلفون انّهم لا يبوحون بشيءٍ مما يتعلّق بها ؟ ولماذا تلك العقوبات الشديدة المانعة التي يخضع لها اصحابها اذا اتفق لهم ان ينكثوا بيمينهم ؟ لعمري لا بُدَّ انَّ تلك الجمعيّة التي تفرّ من النور طاقة جهدها تُضمر الشرور كما قال الربّ : من يفعل الشرّ يبغض النور

« وانظر رعاك الله ما اعظم الفرق بين هذه الاجتماعات التقويّة الزاهرة في الكنيسة الكاثوليكية حيث لا سرّ يحجبها ولا خفاء يكتنفها بل ترى كلّ رسومها وشرائعها بادية علناً لاعين الجميع والجميع يشاهدون ما يأتي به اصحابها من اعمال الخير والرحمة وفقاً لتعليم الانجيل . ومع هذا فانّا نرى بكل اسف انَّ بعض الدول تهين هذه الجمعيات المجمّلة بكل صفات الكمال التي من شأنها الصلاح واغاثة الفقراء فتبطلها بينما تقتبل او بالاقلّ تحتمل بلا معارضة جمعيات الماسون المستخفية وعدوّة الله والكنيسة والمتهدّدة لأمان الممالك » .

ويليه تجديد الحبر الاعظم لكل العقوبات الكنسيّة على الشيع السرّيّة وعلى من ينتمي اليها او يعضدها بايّ نوع كان

ولما امر البابا بيوس بتحرير التأديبات الكنسية في سنة ١٨٦٨ واعلن بالحرم المحفوظة للحبر الاعظم في براءته (Apostolicæ Sedis) جعل الحرم الرابع منها الدخول في الماسونية بما حرفهُ :

« ويسقط في الحرم المحفوظ الحبر الروماني من انضمّ الى البدعة الماسونية او الفحامية او الى غيرهما من البدع المجانسة التي من شأنها الجدّ والسعي سرّاً او علناً في افساد الكنيسة والسلطات الشرعية وكذا من يؤيد هذه البدع ومن يهمل الاعلام برؤسائها وزعمائها المجهولين ما دام مصرّاً على هذا الاهمال »

وكان المجمع المقدس قبل ذلك ابرز حكمياً صادقاً عليه الحبر الروماني في ٥ تموز سنة ١٨٣٧ ثم زادهُ ايضاحاً في ٢٧ حزيران سنة ١٨٣٨ فقضى بموجبه على كل الكهنة في سائر اقطار العالم ان ينكروا الحلّة على كل كاثوليكي مرتبط مع الشيع الماسونية بوثاق اليمين ما لم يجحد الشيعة قطعياً ومؤبّداً . وان منحوهُ الحلّ كان الحلّ باطلاً بلا فعل . ثم زاد بيوس التاسع على ذلك أنهُ احتفظ الحلّ لنفسه او لخلفائه كما رأيت

(لاون الثالث عشر) ولم يحد البابا لاون الثالث عشر عن منهج اسلافه في محاربة الماسونية بل رشقها مثلهم بسهام الحرم وزيّف تعاليمها وقبّح اعمالها التي اضحت خطراً عظيماً لتقويض اساس العمران البشري. وله خصوصاً في ذلك براعة مفعمة حكمة وبلاغة اولها (Genus humanum) كتبها سنة ١٨٨٤ وتتبّع فيها المبادئ الماسونية التي هي مبادئ الطبيعيين والمعطّلين واهل الثورات والفتن فاثبت بطلانها واشهر فسادها بكل شدّة ومن اقواله ما يبطل زعم الماسون بانهم يكرمون الاديان فقال:

« واذا كان الماسون لا يُكرهون الداخلين في سلكهم على اطّراح المذهب الكاثوليكي باللفظ الصريح فليس ذلك نافياً لاغراضهم بل مساعداً عليها لأنهم اوّلاً يتسنّى لهم بهذه الطريقة خداع السذّج والغفلة وتفسيح المجال لدخول الكثيرين. ثم انهم بقبولهم الناس على اي مذهب كانوا يتهيأ لهم ان يؤيّدوا بالفعل ذلك الضلال الجسيم الفاشي في هذه الايام وهو وجوب مغادرة المذهب جانباً وعدم الفرق بين جميع المذاهب وهذا لا شكّ مدرجةٌ للاشاة جميع الاديان ولاسيما الدين الكاثوليكي الذي لما كان وحدهُ الدين الحق كان في مساواته بسائر الاديان ضعةٌ عظيمة من قدره »

ثم بيّن الحبر الاعظم موافقة الماسون للطبيعيين في امور عديدة كنكرانهم للسلطة ونقضهم للشرائع الدينية والمدنية واستسلامهم الى كل المفاسد وركوب كل الشرور . الى ان ختم بالدعوة الى كل البطاركة والاساقفة كي يساعدوهُ على استئصال شأفة الماسونية ودلّهم على بعض الوسائل المعينة على ذلك بقوله:

« عليكم ان تكشفوا النقاب عن حقيقة الشيعة الماسونية ليراها الناس كما هي وان تعلّموا الشعوب وتنبّهوهم بالخطب الشفاهية او بالرسائل الرعائية الى مكائد مثل هذه الجمعيات في موالساتهم ومواعيدهم الكاذبة والى فساد آرائهم وقبح اعمالهم وان تبيّنوا لهم ما أقرّهُ سلفاؤنا غير مرة من انهُ لا يباح لاحد ولأية علّة كانت ان يتحيز الى شيعة الماسونيين اذا كان عندهُ الدين الكاثوليكي وخلاصه الابدي من منزلة الاعتبار والاهمية ما يجب ان يكون . وليحذر كلٌّ منهم ان يغترّ بالأدب العياني . فقد يظهر للبعض ان الماسونيين لا يلتمسون شيئاً مما يضاد بالوجه الصريح قداسة الدين والآداب فكفى هؤلاء ان يعلموا بان حقيقة هذه الشيعة وغايتها مبنيتان على الفساد والرداءة فلا يمكن ان يُباح لهم التحيّز اليها ومظاهرتهم لها بنحو من الانحاء »

ولم يزل بعد ذلك الطيّب الذكر لاون الثالث عشر يكرّر تنبيه المؤمنين على خباثة الشيع الماسونية ودعارتها ويحذّر الجميع من اخطارها. وكانت آخر براءة وجّهها للعالم الكاثوليكي في آذار سنة ١٩٠٢ كوصيّته الاخيرة لبني البشر كافةً وفيها يحذّرهم من تلك الشيع الخبيثة « التي لا همّ لها الّا التسلّط على الهيئات الشرعية فضلًا عن اثارة الحرب على الكنيسة وعلى الله معاً »

٢ روءساء الكنائس الشرقية والماسونية

انّ وباء الشيع الماسونية لم ينتشر في بلاد الشرق الّا من عهد قريب لا يتجاوز الخمسين سنةً وكان من امرها اوّلًا انّها عمدت الى الاستخفاء والاكتتام كمألوف عادتها لاسيما اذ رأت ان السلطة المدنية تعارضها في العمل ولا ترضى بنزعاتها بل لا تريد بذكر اسمها . ومما جرى لنا سابقًا انّا اردنا قبل عشر سنوات ان نكتب فصلًا في ماسونيّة الشام فلم يسمح لنا المراقب بنشرها وكان اذا رأى اسم الماسون واردًا في بعض المقالات يشطّب عليه ويحظر من نشره

(السيد يوسف قالركا) على ان الروءساء الروحيين في الشرق اذ شعروا بسريان الوباء الى رعاياهم اتخذوا له الاحتياطات ونبّهوا اليه افكار المؤمنين ولعلّ الطيب الذكر السيد يوسف قالركا البطريرك الاورشليمي على اللاتين كان اوّل من دلّ على هذه العُرّة في منشوره الذي طبعهُ في بيروت سنة ١٨٧١ وشرح بمزيد الاسف لابناء بطريركيته ما صنعهُ الاشرار في رومية وانتهاكهم لحرمة الكرسي الرسوليّ واستطرد الى ذكر الماسونية واعمالها الشريرة حيثما حلّت وقيامها على المسيح وبيعته المقدّسة وحضّ الشرقيين على اخذ حذرهم منها

(البطريرك جرجس شلحت) وبعد سنين قليلة تسرّبت الماسونية ودخلت في بعض مدن الشام حتّى وصلت الى الشهباء فقام في وجهها السيد البطريرك الغيور اغناطيوس جرجس شلحت بطريرك السريان الكاثوليك وارسل الى طائفته رسالة طبعها في حلب وتاريخها ١٤ ايلول سنة ١٨٨٩ ندّد فيها بالشيع السرّية ومآتيها الى ان قال:

« ونحرّض شعب الله الأمناء على وديعة الايمان القويم فيجتمعوا بروح واحدة وقلب واحد معنا نحن رعاة انفسهم للدفاع عن مبادئ الدين والآداب المعرضة

للانتقاض بسعي جنود ابليس الرجيم اصحاب الكفر واهل الشيعة الماسونية المتبثة في بلدتنا هذه والساعية في دمار ألفتنا المسيحيّة ادبيًا وماديًا باحتقار سلطانها وهدم اركانها . . .

« ولن سألتم ايها الابناء الاعزاء ما هي الماسونيّة يا تُرى ؟ نجيبكم إنْ هي الّا روابط وضوابط سريّة لنقض كل سلطان روحي وزمني تحت اقسام تهديديّة بالقتل لمن يفشي اسرارها وهي جمعيّة لا ديانة لها لانها تحتمل كلّ الاديان لتسخر بها وتداجي وتُنافق مع كلّ المذاهب فتفتخر لأنها تجمع في محافلها وأنديتها الكاثوليكيّ الذي يعتقد سرّ الافخارستيا والبروتستنتي الذي يكفر به . المسيحيّ الذي يؤمن بالمخلص ويسجد لهُ سبحانهُ لانهُ كلمة الله واليهودي الذي ينزلهُ منزلةً لنسان ماكر . . .

« ولن قلتم بماذا يتعامل الماسونيون في اجتماعاتهم السريّة ؟ قلنا انّ هؤلاء القوم الذين يحتقرون الطقوس المسيحيّة الاكثر تأثيرًا على النفوس ويسخرون باحتفالاتنا المقدّسة ويحسبونها كمظاهر منفرجات عالية يتعاملون في اجتماعاتهم بطقوس وعبادة مضحكة ومرعبة معًا وفيها يتلاعبون بالعقول السخيفة . وهذا ما تحققناه من تقريرات موثوق بها ومن الاوراق التي وُجدت بايدي المبتدين الراجعين من هذه الشيعة . . . فهي تكشف عن غشوش هؤلاء المتلاعبين بالعقول الساذجة الساعين في تدمير الالفة المسيحية لا بل الانسانية . فما يعلن بالطالب الاشتراك عند دخوله المرّة الاولى الى المحفل انهم يضعون عصابة على عينيه ويقودونهُ كحيوان اعمى ليقضي ثلاث رحلات كاذبة يسمونها رحلات الهواء والماء والنار ويمتحنون ثباتهُ بايهامهم اياهُ انهم يسقونهُ سمًا ويعرضونهُ لشرب الحار والمرّ ويخزون صدرهُ برأس الخنجر للتهديد وهو واقف امامهم عاريًا عن قسم من ملابسه ويرفعون العصابة عن عينيه في اماكن مظلمة موشحة بالسواد فيها اثرٌ من النور الصناعي الطفيف فيشاهد في بعضها جماجم موتى . . . (اطلب صورة هذا المشهد) ويستحلفونهُ بالاقسام الحاوية التهديد بالقتل اذا افشى اسرارهم . . . فهذه طقوس الداخلين في الدرجات الابتدائية واما طقوس ذوي الدرجات النهائية في اجتماعاتهم فهي وثنية وذات مظاهر ردية ومعاملات خالية من الادب وعبادات خالصة لابليس اللعين . . . كل ذلك يلتزم الماسونيون ان يكتموه تحت تهديدات القتل على المخالفين . أفما ان كتمانهم هذا وتحذيرهم يوجبان الحكم عليهم بانهم ضالّون ؟ »

ثم اتسع غبطة الكاتب في وصف اعمال الماسونية ووصف هكذا تلوّنها فقال ونعم القول:

« قلنا ان الماسونية لا تُعرَف لها شريعة حتّى اليوم والظاهر ان لا شريعة لها كما انهُ لا يوجد لها اعتقاد. على انها تحتملُ في محلّ قيامَ الحكّام وارباب النهي والامر وتمثلُ في محل آخر عروش الملوك وتقلب كراسي سلطنتهم. تتظاهر هنا بتكريم الزواج كسرّ مثلاً وتفتخر هناك بالطلاق وتبيح الزنى. فالخليق بها ان تُدعى حالتها توافُق المآثم والجرائم والكبائر مع ظواهر الفضيلة والاعمال الحسنة فتعرج على الجانبين فتعوذ بالواحدة وتغادر الاخرى مراعاة لهواها وقضاء لغاياتها. تبدي لنا اليد المتفاخرة التي توزّع الحسنات ترويجًا للمظاهر الفخيمة وتخفي اليد الاخرى القابضة على الخنجر لتقتل من يفشي اسرارها ويعصيها. تراها اليوم ذليلة وخاضعة محسنة. وغدًا تبدو لك جسورة سافكة للدماء.. يُشاهَد اصحابها مثلاً في بعض الاماكن من العالم مستترين بالرياء وانّما في غيرها فمن اصحاب الكومون وسافكي الدماء. وفي انحاء اخرى يتكونون من اهل الثورة الاشرار واليهود الجحود والرعاع والسفلة...»

وهذه الرسالة طويلة كنا نودّ نشرها برمّتها لولا ضيق المكان وقد ختمها الكاتب الجليل بذكر الحرم والعقوبات الكنسية التي قرّرها الكرسي الرسولي على المتشيعين بالماسونية ونهى رعاياه خصوصاً عن ادخال الكتب والرسائل والجرائد الماسونية المخالفة للايمان والاداب في بيوتهم وعن مطالعتها او السماح لاولادهم بالنظر فيها

(السيد البطريرك الياس حويّك) وكان لبنان بقي زمنًا طويلاً طاهرًا من رجس الماسونية حتّى عاد اليه بعض المهاجرين الى اميركة ممن باع هناك دينهُ بدنياهُ فبثّوا بعد عودتهم روح الشيع الماسونية بين مواطنيهم وأفقدوا بعض الجهّال كنز دينهم. وقد تصدّى غبطة البطريرك الجليل السيد الياس حويّك لغارات بني الارملة ووزّع على كل كهنة الرعايا منشور قداسة الحبر الروماني لاون الثالث عشر الذي سبق لنا ذكرهُ وامرهم بتلاوتهِ على مسامع المؤمنين وصدّرهُ برسالة ذكر فيها مساوئ الماسونية ومكائدها في لبنان وحرّض جميع ابناء طائفتهِ على تقيها ومعاكستها. ومما قالهُ غبطتهُ:

« انّ بعض ذوي الفساد... شرعوا من مدّة يسعون في تأسيس جمعيات سرّية متظاهرين بالتعاضد على عمل الخير ليخدعوا السذّج ويتملصوا من المسئولية تجاه

السلطتين الروحية والزمنية. وقد تقرّر لنا من اشخاص عديدين يوثق بصدقهم ان اولئك المفسدين يحاولون ان يبثّوا في بعض الجمعيات المارونية الروح الشرير تحت ظاهر مبدإ التكاتف على المشروعات الخيريّة ولن يبذروا فيها مبادئ الماسونية الوخيمة المضرّة بالدين والعمران المدنيّ. وليس مسيحي حقيقي يريد الانضمام الى شركة صفاتها كهذه مضادّة لتعليم الرب ولنظام الالفة البشريّة ... » . الى ان قال غبطتهُ:

« ولهذا لا يسوغ للموارنة ان يؤاخوا الجمعيات السريّة مهما كانت لأنها مشبوهة ومرذولة ... فما الداعي والحالة هذه للالتجاء الى الماسونية في هذه الديار سوى الحماقة والخفّة والطمع في الذين لا يفقهون جوهر الامور او لا يرجون التقدّم والفلاح من الاستقامة في الاعمال والصدق في الكلام بل من التعصب والجور والخلاعة. والذين لاجل تنفيذ مآربهم السيئة وارواء غليل مطامعهم القبيحة يستخدمون الوسائل وان كانت مضادّة للدين ومنافية لخير بني وطنهم وجنسهم لتوهمهم ان الحصول على مبتغاهم انما هو خير البلاد والعباد. ولو تأملوا ان الدين هو اساسُ كل توفيق وسلكوا بمقتضى تقليدات الاقدمين لامكنهم الوصول الى ما يتمنّون بشرف وفخر دون ان يتعرّضوا لغضب الله الرهيب. ولا ريب بان الله الطويل الاناة هو ايضاً شديد العقاب فلا يسمح بان شعبهُ المختار يذهب فريسة بعض الاغبياء اللذين طبعوا على الشرّ بل ينقذه من اشراكهم ويحفظهُ سالماً من مساعيهم المهلكة ... »

(السيّد كودنسيو بُنفيلي) وكان سبق سيادة القاصد الرسولي المنسنيور كودنسيو وحذّر من اشرار الماسونيّة في منشورهِ الذي تاريخهُ ٢٥ ك٢ ١٨٩٠ قال:

« لنَّ الاخطار المعرّض لها ايمان كل منكم ودينهُ كثيرة ... وخصوصاً بالمساعي الجهنميَّة المبذولة من الشيعة الماسونيَّة التي لا تزال حتّى في هذه الديار ايضاً تخدع المغفّلين والجهّال بانواع الخبث والمكر وبحجّة بعض الخير الظاهر ايضاً لكنها توجه جميع مساعيها ضدَّ الكنيسة المقدسة ورأسها المنظور الحبر الروماني جالبةً كل نوع من الاضرار على نفوسكم وعلى الدين بل على نفس الاجتماع المدنيّ. ومن ثمّة نناشدكم ايها الابناء الاعزاء باحشاء يسوع المسيح بان تحذروا جهدكم هذهِ المكايد الشيطانيَّة وترفضوا وترذلوا دون حياء بشري هذهِ الشيعة التي كثيراً ما رفضتها ورذلتها الكنيسة الكاثوليكيَّة. وان تدافعوا عن ايمانكم وتعترفوا بهِ بكل بسالة بالقول والفعل. ونطلب

اليكم ايضاً ان تصلوا دائماً لابي المراحم ان يخمد بحلمه الغضب المسبب من تجاديف هؤلاء الائمة واعمالهم الفاسدة . . . »

(نيافة القاصد الرسولي) السيد فرديناو جانيني قد انتهز فرصة اعلان الحكومة الدستورية ليحذر الشرقيين من الجمعيات السرية كسلفه بقوله :

« ونحرض عموم ابنائنا الاعزاء في هذه النيابة الرسولية على ان لا يسيئوا استعمال الحرية الجديدة بانضمامهم الى الجمعيات السرية المرذولة من الدين والعقل السليم لانها تكبلهم بقيودها السرية وتحرمهم الحرية الحقيقية اعز الكنوز واثمنها . فان الرجل المرتبط بجمعية سرية ليس برجل بل انه عبد في قبضة رؤسائه وهو لا يشعر . وبما اننا الان في عصر الحرية ويتسنى اعلان كل الاراء الصالحة الحرة ونيل كل الرغائب المحللة فما الغاية من كتم هذه الجمعيات السرية امرها ؟ فلا فائدة ترجى من السر ان كانت غايتها حميدة . ولهذا بعد ما نرى كل ما تبذله من العناية في سبيل بقائها سرية يسوغ لنا الحكم بانها تنوي نيات منكرة يرذلها كل ذي فضل وصلاح . فالسيد المسيح اراد ان نكون ابناء النور : « لتكونوا ابناء النور » (يو ١٢ : ٣٦) . انبذوا الظلمات اذاً . انبذوا اسرار الشيع المنكرة . لكم الحرية في ان تؤلفوا الشركات وتشكلوا الجمعيات للدفاع عن مصالحكم لكن فليكن ذلك ظاهراً وواضحاً للجميع كما يفعل الوطنيون الاحرار الذين لا يرون حاجة الى اخفاء اعمالهم وستر مقاصدهم . كونوا اذاً ابناء النور وحينئذٍ تكون جمعياتكم التي تستمطر عليها البركات الربانية من الان آلة لنجاح وطنكم الارضي وتمهد لكم السبيل لنيل السعادة الابدية في الوطن السماوي »

(سيادة المطران انطون عريضة) رئيس اساقفة طرابلس قد ضرب على الوتر عينه في رسالته الرعائية النفيسة التي وجهها الى ابناء رعيته فقامت بسببها قيامة الماسون فقال سيادته :

« ومنهم (اي من الضالين) ايضاً اولئك الذين لاغراض زمنية يتركون النور ويتبعون الظلام منحازين الى اعداء الدين نعني بهم اولئك الذين يسلمون ذواتهم الى تلك الجمعية السرية الملقبة بالماسونية ويقيدون ذواتهم عن غير معرفة باغلاظ الأيمان ويبيعون ضمائرهم خاضعين لأشد التهديدات حتى قتل النفس المحرم . وتلك الجمعية التي ظهرت في الغرب اخذت منذ امد قريب تنتشر في الاصقاع الشرقية وتنشر

مبادئها الفاسدة تحت طيّ الإصلاح وهي لا تقبل بين اعضائها الّا الاشخاص المنظورين ليتسنّى لها بهم ان تحصل على ما تبتغيه من السيادة ونحو الدين لكنها تحظر من ان تظهر لجميع اعضائها ما تبطنهُ من الشرّ ولأجلهِ قد جعلت لها اكثر من ثلاثين درجة وكل درجةٍ منها هي سرٌّ محجوب عمَّن لم يرتقِ اليها لأنهُ اذا عرف الحديثون فيها جميع اسرارها دفعةً واحدةً ينفرون منها ويمقتونها فلا تروج بضاعتها لديهم ومتى دخل فيها احدٌ تأخذ تنفث فيهِ سمَّ مبادئها رويدًا رويدًا حتى تجعلهُ صالحًا لخدمتها. والطعم الذي تنثرهُ لاصطياد من تروم ان تجذبهم اليها هو وعدها لهم بانها تساعدهم بجميع رغائبهم ومطاليبهم وتدافع عنهم في كل اعمالهم ممّوهةً على الحديثين منهم المتمسكين بدينهم انها لا تتعرّض ابدًا للدين ولا تقصد الّا خير البشريّة وتدبّر لهم من وراء هذا الستار الحائل لتوقعهم بشرّها . . . ولما كانت الشجرة تُعرف من الثمرة قد عُرفت مقاصد تلك الجمعية بما اتته من الاعمال المضادّة للدين وللمبادئ الصحيحة العائدة لخير الانسانيّة في اوربا خصوصًا وفي غيرها من القارات. ومن اقوال عمدائها وكتاباتهم الموجّهة صريحًا لنسخ الدين لاسيما الدين الكاثوليكي واضطهاد خدمه واتباعه بكل وسيلةٍ جائزةٍ كانت او غير جائزة وسعيهم بكل جدٍّ الى ابطال التعليم الديني وتحقير اسراره المقدسة ونقض وثاق الزواج المقرّر بالشريعة الالهية وعمالهم على محو اسم الخالق من عقول البشر لو قدروا مبتدئين بنسخهِ من المدارس والمعاهد العمومية وعلى اطفاء الانوار السماويّة على ما قال احدُ زعمائهم حتى لا يكون لهم شاغلٌ سوى في الاشياء الارضية . . لذلك قد حرمهم الاحبار الاعظمون ونشر هذا الحرم رئيس طائفتنا الاكبر السيد البطريرك الساهر بعين يقظى على خير طائفته بوانتنا باسف شديد نرى من بعد نشر هذا التأديب البيعي واعلان الحرم الذي يتهدّد النفوسَ افرادًا من الطائفة المارونية لا يزالون منضمّين الى تلك الجمعيّة السريّة غير مكترثين بنعي رؤسائهم العائد لخيرهم ومنفعتهم الروحية ويعرّضون ذواتهم لخطر الهلاك الدائم ويعملون على تقويض اركان طائفتهم والحطّ من كرامتها . فندب حظّ هؤلاء الاشخاص سائلين الرب الغفور ان يهديهم جادّة الصواب ويغفر لهم زلّاتهم ومساوئهم ويعاملهم برحمتهِ الواسعة . فنناشدكم بالله يا ابناء ابرشيتنا الاعزّاء ان تجتنبوا هذه الجمعية المحرّمة حتى اذا كان احدٌ منكم منحازًا اليها فليبادر حالًا الى تركها خاضعًا لمراسيم الكنيسة المقدسة . . . » (لهُ تابع)

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ومما يلحق بعبادة الكواكب والنيّرات العظمى عند عرب الجاهلية إكرامهم لزُحل والشِعرى والدَبَران والجبّار والثريّا يُستدلّ عليهِ من بعض اقوالهم او من أعلامهم كعبد الثريّا وعبد نجم وعبد الجبار. او تعظيمهم لبعض المظاهر الجويّة ومنها الاله قُزَح الذي كان يُكرَم قريباً من مكّة. وقد افادنا يوسيفوس الكاتب في كتابه العاديّات اليهوديّة (Ant. XV, 255) ان عرب آدوم كانوا يكرمون الهاً يدعوه (Κοζέ) ورأيُ العلماء انهُ قُزَح المذكور واليهِ نسبوا قوس الغمام

وكانوا يدلّون على آلهتهم بنعوت شتّى فان اصحاب الاسفار الحديثة في اليمن وفي جهات الصفا كغلازر (Glazer) ودوسو (Dussaud) وجدوا في الكتابات الحميريّة والنبطيّة تقادم لآلهتهم فمنها للاله مالك والاله رحمان والاله رحيم والاله عزيز السابق ذكرهُ. وربّما نسبوا آلهتهم الى بعض الامكنة التي كانوا يُكرّمون فيها مثاله ذو الشرى وذو خَلَصة وذات السلام

ومن الاصنام المذكورة في الكتابات الحجريّة وفي بعض الآثار القديمة والاعلام التاريخية موصوفات شتّى تدلُّ على اسماء معاني كالحسب والسعادة والغنى والعزّ منها الاله جَدّ والاله سَعد والاله رُضا والاله كُثرى والاله وَدّ والاله مَناف فهذه كلها كان العرب يكرمونها ويتفاءلون بها وينتسبون الى عبادتها فدعوا باسمائها عبد الجدّ وعبد الرُضا وعبد ودّ وعبد مناف. وجاءت اسماؤها جميعاً في الكتابات المكتشفة حديثاً. ويقول العرب ان اهل دومة الجندل كانوا يكرمون صنماً على اسم ودّ

وللعرب صنف آخر من الشرك شاع عند أممٍ كثيرة وهو تكريمهم لمواليد الطبيعة (fétichisme) من جماد ونبات وحيوان. فمن آثار تعظيمهم للجماد اكرامهم لحجارة بيضاء او سوداء كانوا يوقعونها موقع التجلّي للقوات العلويّة كانت تُكرم في بعض جهات اليمن والحجاز وبلاد النبط. وكان ذلك شائعاً عند غيرهم من اهل الشرق. فان هيكل الشمس في حمص كان محتوياً على حجر اسود يمثل اله الشمس وكان هليوغابال سادناً

لهُ قبل ان يتولى التدبير كقيصر روماني . وكان ذو خاصة مروة بيضاء . ومن آثار اكرامهم للجماد الانصابُ وهي حجارة كانوا ينصبونها في انحاء بلادهم ذكرًا لآلهتهم ويصبُّون عليها الزيت او الاقط او السمن او يطلونها بدم الذبائح ولعلَّهم اقاموها في بعض المواطن كتذكار لحادث جليل ارادوا تخليده بينهم فأكرموها الأخلاف وعظَّموها

وكذلك كانوا يقيمون المناسك لبعض الاشجار كالنخل . وقد روى الكتبة كياقوت وابن خلدون ان العزى كانت تكرم في نجران على صورة النخلة . وكذلك في نخلة اليمامة مكان قرب مكة (ياقوت ٤ : ٧٧٠) . ومنها ذات انواط قال ياقوت (١ : ٤٩٣) انها شجرة خضراء عظيمة كانت الجاهلية تأتيها كلَّ سنة لها فتعلق عليها اسلحتها وتذبح عندها وكانت في جوار مكة . وقد بقي شيءٌ من هذا الاكرام للاشجار حتَّى يومنا في امكنة حيث يعلق بعض جهَّال العرب وغيرهم اخلاقًا واسمالًا من الخرق في اغصان بعض الاشجار لينجوا من الحمَّيات

وكما عبد اهلُ الجاهليَّة الجماد والنبات عبدوا ايضًا بعض الحيوانات والطيور منها النسر الوارد ذكره في القرآن (٧١ : ٢٣) مع ودّ وسواع ويغوث . وممن شهد على كون نسر من معبودات العرب كتاب التلمود (في فصل عبوده زارا) لليهود وكتاب تعليم الرسول عدي في القرن الثالث للمسيح وكلاهما يدعوه باسمه الآرامي « نشرًا » وقد امتدت عبادة النسر بين الآراميين . ومنها « عَوْف » وهو اسم طائر صيَّاد واحد اسماء الاسد ورد ذكرهُ كاله في الاعلام فقالوا عبد عوف . وزعم البعض ان اسماء القبائل كاسد ونمر وكلب كانت تدلُّ سابقًا على بعض عبادة يقدّمها اصحاب القبائل لهذه الحيوانات . وقد بقي ايضًا اثر هذه العبادة في خدمة بعض الطيور والاسماك في انحاء الشرق كالرها وحلب وطرابلس فانَّا رأينا ذلك بالعيان

هذا نظر اجمالي في آلهة العرب ومعبوداتهم . ويلحق به عدَّة ابحاث يلزمنا الكلام عنها

(المقامات الدينيَّة) العرب امَّا اهل وَبَر واما اهل مَدَر فكان يصعب على القسم المتبدّي منهم ان يتخذ امكنةً ثابتة لاقامة عباداته ومن ثم كانت الفرائض عندهم بسيطة يقيمونها حيثما حلُّوا امَّا بتوجيه نظرهم الى الاجرام الفلكيَّة مع ذكر آلهتهم واما ببعض اعمال تقويَّة من سجود ودعاء وتقادم لاسيما في بعض اطوار حياتهم المهمَّة كولد بنيهم وتزويجهم ودفن موتاهم وفي بعض امكنة عالية يدعونها المشارف . وكان اكرامهم

الماسوني في الغرفة المظلمة بازاء تهاويل شتى حيث يُطلب منهُ ان يصنع وصيتهُ الاخيرة

لمواليد الطبيعة يوافق ايضاً حالتهم البدوية فيجدون منها شيئاً اينما ساروا كالانصاب وبعض الاشجار والطيور التي يعينونها ويزجرونهـا على مقتضى حركاتها يمناً او شمالاً. وكذلك يتيمّنون بالصيد السانح ويتشاءمون بالبارح. وكان الاب في عائلته والشيخ في قبيلته يقومان مقام الكهنة ويتوليان اجراء المشاعر الدينية باسم ذويهم

اما اهل المدَر وبالاخصّ الذين بلغوا منهم درجةً راقية من التمدُّن كالحيريين والنبطيين ودول الحيرة وكَنْدة وغسّان فما كانوا ليكتفوا بهذه العبادة البسيطة وانما خصّصوا لدياناتهم امكنةً يفردونها لذلك اما بمضارب كانوا يزينونهـا باصناف الجلود والاقمشة على شكل قبّة العهد في بني اسرائيل واما بتشييد بعض الابنية لهذه الغاية كان بعضُهـا فخيماً اثيراً كغمدان وبعض هياكل النبط مما ظهرت آثاره في هـذه السنين الاخيرة في مدينة سلَع وجوارها . وقد نقل الكاتب اليوناني ديودورس الصقليّ (Diod. III, 45) عن السانح الاقريطشي اغاثرشيدس في القرن الثاني قبل الميلاد وصفاً لثلاثة هياكل زارهـا في جزيرة العرب قريباً من سواحل البحر . وربما دعوا هذه الهياكل بالمساجد فان لفظة المسجد قديمة وردت في كتابات النبط المكتشفة حديثاً

ومن مقاماتهم الدينيّة الكعبات وهي بيوت مربّعة مرتفعة على اشكال الكعاب كانوا يفرزونها لدينيّاتهم منها ذو الكعبات في شمالي الجزيرة لبني اياد ومنها كعبة نجران والكعبة اليمانية حيث كان بنو خثعم يعبدون صنمهم المسمّى ذا الخلصة مع غيره من الاصنام . واشهر منها الكعبة الحجازيّة في مكّة واوّل من ذكرها في التاريخ ديودورس الصقلي في القرن الاوّل قبل المسيح حيث قال (ك ٣ ص ٢١١) « انّ في جهات العرب المجاورة لبحر القلزم هيكل يبالغ في اكرامه كل العرب ». وربّما سمّوا كعباتهم بالبيوت لانها كانت مكعّبةً . وكثر عدد هذه الهياكل في بعض الامكنة حتّى ان بلينيوس الطبيعي في القرن الثاني للمسيح عدّ منها ستين في مدينة سبا حاضرة اليمن و٦٥ في تمنة مدينة بني غطفان

وكانوا يتخذون لهذه المقامات حَرَماً اي يجعلون لها دائرة تحفظ حرمتها ولا يجوز لاحد انتهاكها وكان حَرَم مكة اشهرها . وكذلك كان يخدم هذه المقامات رجـالٌ يدعونهم كهنة او كُهّاناً ويريدون بهم الخبيرين بالاحوال الماضية والعرّافين . وربّما دعوهم سَدَنة اي خدَماً للمقدس يقومون بحاجاته وحاجات زوّاره . ومنهم من تسمّى باسم هذه

الامكنة كعبد الكعبة وعبد الدار

وكانوا يزينون تلك الهياكل بالتصاوير المنقوشة على جدرانها او ينصبون فيها التماثيل للاصنام على هيئات شتّى منها حجارة منحوتة بيضاء او سوداء ومنها صخور من العتيق وبعض الحجارة الكريمة او الصخور العاديّة كسعد معبود بني كنانة الذي فيه يقول الشاعر :

انينا الى سَعْدٍ لِيجمعَ شملَنا فشتَّتنا سَعْدٌ فلا نحنُ من سَعْدِ
وهل سَعْدُ الّا صخرةٌ بتنوفةٍ من الارض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ

ومن الاصنام ما كان يُمثّل اشخاصاً بعينهم يحملون في ايديهم شارات او امتعة يدلُّ على خواصهم الموهومة كودّ وهُبَل جعلوا في ايديهما اقواساً وازلاماً وكالشمس اتخذوا لها صنماً بيدهِ جوهر على لون النار وجعلوا لها بيتاً حجُّوا اليه . ونصبوا ايضاً اصنامهم في خارج الهياكل بقربها او على مشارف ليراها الناس كنائلة واساف ومناف

وكانوا يكرمون تلك الاصنام بمناسك مختلفة منها حجُّهم اليها افراداً او زرافات . وكانوا اذا اغتسلوا او توضّأوا يطوفون حول الصنم دفعات معدودة ويستلمون الصنم او يقبلونهُ ويتقربون منهُ بتلبية معلومة قد دوّن منها الكتبة بعضها كتلبية ذي الكفّين صنم دوس رواها ابن حبيب : « لبّيك اللهمَّ لبّيك لبّيك انَّ جرهماً عبادُك . الناس طُرُف وهم تلادك . ونحن اولى منهم بولائك » . وروى تلبية نسر : « لبّيك اللهمَّ لبّيك لاننا عبيد . وكأنّا ميسرة وانت ربنا الحميد » . وتلبية شمس صنم تميم : « لبّيك اللهمَّ لبّيك لبّيك ما نهارنا نجرهُ . ازلامهُ وحرُّهُ وقرُّهُ . لا نتّقي شيئاً ولا نضرُّهُ . حجّاً لربٍّ مستقيم برُّهُ »

ومن مناسكهم ايضاً انهم كانوا يسكبون السَّكب من خمر او زيت او حليب لاصنامهم ثم يجعلون امامها طعاماً يأكلهُ الطير وقد ستروا لذلك بعض آلهتهم "مطعم الطير"

وكانوا ايضاً يقصّون عند اوثانهم نواصي اولادهم او يحلقون شعورهم . او يرمون عندها الجمرات وهي الحَصَى كما اثبت ذلك احد كبار المستشرقين العلّامة شوڤين (١ .

وكانت العذارى ايضاً يرقصن حول الاصنام مسبلات ذيولهنَّ كما قال امرؤ القيس :

فدنَّ لنا سربٌ كأنَّ نعاجهُ عذارى دُوار في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

ومن اخصّ مناسك العرب الذبائح لاصنامهم وخصوصاً للّات والعزّى ومناة : فانهم

(١ اطلب كتابهُ في ذلك V. Chauvin: *Le jet des pierres au Pèler. de la Mecque.* Anvers, 1920

كانوا يرون في سفك الدماء وسيلة لاخماد غضب الآلهة وللتقرُّب منهم وطلب رضاهم وما كانوا يأنفون من تضحية البشر انفسهم كما سبق القول. وممن شهد على ذلك برفيريوس الفيلسوف الوثني (١ في القرن الثاني للمسيح « ان اهل دومة الجندل كانوا كل سنة يضحُّون لالههم رجلاً ثم يدفنونهُ بقرب المذبح ». وروى برركوبيوس اليوناني ومؤرخ سرياني قديم نشر اعمالهُ لند (Land) ان المنذر ضحَّى للعزَّى ابنَ ملك غسان اسيرهُ و٤٠٠ من الرواهب المتنسكات في بعض اديرة العراق. وقد اتسع نيلس من كتبة القرن الخامس بوصف غزوات اهل البادية لطور سينا وذكر قتلهم للرهبان الذين هناك وشرح خصوصاً ما حلَّ بابنهِ تاودولس الفتى وكيف اسرهُ اهل البادية من العرب فعوَّلوا على تضحيتهِ للعزَّى كوكب الصبح. وقد وصف الكاتب ما كان دارجاً عندهم من العادات في مثل هذه المناسك فنرويهِ هنا معرَّباً للدلالة على ديانتهم فقال يذكر تفاصيل ذبائحهم (٢:

« وليس لهؤلاء الصنج دين الَّا انَّهم يكرمون كوكب الصبح (العُزَّى) ويمرُّون لهُ ساجدين ويضحُّون لهُ اجود أسراهم الذين اخذوهم في الغزوات وهم يفضلون لذلك الشبَّان اذا كانوا في عزّ الشباب وصبيحي الوجوه. ويعدُّون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور اق يكوّموها وينتظرون الفجر حتى اذا لاح كوكب الصبح يضربون الضحيَّة بالسيوف ويشربون دمها. وعادتهم اذا لم يقع في يدهم احد من الاسرى ان يضحُّوا ناقةً من العبس خالصة البياض فيذبحونها ويدورون حولها ثلاثاً ثمَّ يتقدَّم كاهنهم او زعيمهم بكل رونق وهم يتغنَّون باغانيهم فيضرب بسيف اوداج الناقة ويتلقَّى دمها فيشربهُ ثم يركض الباقون ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نيئة ويسرعون في ذلك لئلا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس. . . »

ثم انتقل الكاتب الى وصف ما جرى لابنهِ المترهب معهُ في جبل الطور والذي كان اسرهُ العرب وعزموا على قتلهِ للعزَّى فقال راوياً لما سمعهُ من ابنهِ بعد ان نجا من الاسر:

« وكان هؤلاء الغزاة عزموا على تضحيتي لنجم الصبح فأعدُّوا كلَّ شيء للذبيحة في سحر اليوم التالي فاقاموا لذلك مذبحاً وهيَّأوا السيف والسكب والاقداح والبخور وكنتُ انا مُلقًى على وجهي على الحضيض امَّا نفسي فكانت مرتفعةً الى الله ادعو اليهِ بحرارة كي ينقذني من هذا

١) اطلب كتابهُ Porphyrius: *De abstinentia* II, 56

٢) اطلب اعمال الاباء اليونان لمين Migne, PP. GG. LXIX, 611

الخطر العظيم . . . وكان البرابرة قضوا قسماً كبيراً من ليلهم اكلاً وشرباً وقصفاً حتى غلب عليهم النوم فهجعوا الى الصباح ولم يستيقظوا الّا والشمسُ قد طامت وفات وقت الضحيّة . . . فلمّا رأوا ذلك اخذوني الى قرية تدعى « سونا » وصدّدوا بقتلي امام لعلها ان لم يفدني احد منهم . فرحمني احدهم ودفع فديتي واهتمّ شأني اسفف المحلّ وها انا الان عائد الى والدي »

وكانوا يصبّون دم الضحايا على الانصاب ويطلون به اجسامهم ويقسمون به ايمانهم عند حلفهم دلالةً على صدق مواعيدهم ومنها « اليمين الغموس »

بقيّة اديان الجاهليّة غير النصرانيّة

كان الشرك يعمّ كما ترى بلاد العرب في الجاهليّة ولا نريد ان نحدّد هنا زمنهُ هل امتدّ الى مدّة القرون التي سبقت الاسلام او هل شمل انحاء الجزيرة التي عرفت الاله الواحد الصمد فندع الامر لما بعد

وانما نضيف الى قولنا السابق ما عُرف من الديانات الأُخر في جزيرة العرب غير النصرانيّة بوجيز الكلام

(المجوسيّة) ديانة قدماء الفرس الذين كانوا يعبدون النار ويرون فيها صورة اللاهوت ويقرنون بها عبادة النور . اخذوا هذا الدين من كيومرت احد اجدادهم وخصوصاً من زرادشت حكيمهم . فهل أثّر هذا الدين في العرب فالامر ممكن بل هو محتمل لتقرّب بلاد العرب شمالاً من الفرس وخدمتهم لملوكهم . ومنّن اشاروا الى دخول المجوسيّة بين العرب ابن قتيبة فزعم انّ المجوسية كانت في تميم والله اعلم

(الصابئيّة) اذا اريد بها عبادة النجوم والسيارات السبع فانها انتشرت خصوصاً في جنوبي جزيرة العرب . اما اذا اريد بها شيعة المندائيين الذين لا يزال منهم بضعة الوف في العراق فانّ تأثيرها في العرب كان منحصراً ومنْ اراد تاريخ هذه الشيعة فعليه بالمقالات المطولة التي نشرها حضرة الاب انستاس في المشرق في سنواته الثالثة والرابعة والخامسة فانهُ استوفى فيها الكلام

ويلحق بدين الصابئين مذهب الحرّانيين الذين عبدوا النيّرات السماويّة مدة اجيال طويلة وكان لهم بيت في حرّان يعظمونهُ بقي الى خلافة المأمون فأُخرب . وكذلك المنّويّة المنسوبة الى ماني وتدعى ايضاً بالثنويّة لقولها بوجود مبدأين متناقضين هما النور والظلمة وآل امر هذه الشيعة الى الزندقة وقالوا قول الدهريين

(اليهوديّة) دخل اليهود في ازمنة مختلفة في جزيرة العرب فاستوطنوا في بعض

جهاتها . وعلى الاخص بعد جلاء بابل لما فرَّ بعض بني اسرائيل من وجه الاشوريين فتوغلوا في انحاء العرب . وحدث مثل ذلك بعد خراب اورشليم على يد الرومان اذ تشتت شمل اليهود . وكانت سكناهم خصوصاً ما وراء بحر لوط وفي جهات تيماء ووادي القرى في يثرب وخيبر وبعض احياء اليمن . ولم نعلم من اخبارهم الّا النزر القليل (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الكاثوليكي العامل

نقلهُ عن الافرنسيَّة الخوري يوسف ميلاد الحانك

طبع في المطبعة الانطونية في بيدا سنة ١٩١٠ (ص ٢١٦)

قد بلغنا الى زمنٍ يُقضى فيهِ على المسيحي ان يدافع عن ايمانهِ وان يسعى بصلاح قريبهِ ومناهضة العاملين على فسادهِ . ومن ثم سُررنا بان حضرة الخوري يوسف ميلاد الحانك احد اساتذة مدرسة الاباء اللعازريين في دمشق نقل من الافرنسيَّة كتاباً اثنى على مؤلفهِ قداسة الحبر الاعظم والاساقفة الاسبانيون وهو الاب بالو اليسوعي الاسبانيّ . ولما انتشر هذا التأليف نُقل الى عدَّة لغات لنفاستهِ اذ جمع فيهِ صاحبهُ وصف الفضائل التي يحقّ الكاثوليكي ان يتزيَّن بها في عهدنا مع ارشاد المؤمن الى كل اعمال الغيرة التي من شأنها ان تجذب القريب الى الصلاح وتنقذهُ من وهدة الضلال وذلك على طريقة قريبة المنال تشبه كثيراً طريقة صاحب الاقتداء بالمسيح . فنشكر حضرة المعرَّب على عملهِ ونحضّ المؤمنين على امعان النظر في هذا الكتاب والسير على موجب تعاليمهِ ل . ش

مطبوعات مطبعة المقتبس

اهدانا جناب الاديب محمَّد افندي كرد علي صاحب مجلَّة المقتبس ومنشئها البليغ الكتب التي نُشرت في مطبعتها وكان قسم منها طُبع في مجلَّتهِ ثم أُعيد طبعها على حدة تسهيلاً للمطالعة . فاوَّلها (رسائل البلغاء) جمع فيها ما وقف عليهِ من رسائل كاتبين جليلين يغني اسمهما عن وصفهما وهما عبدالله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وآثارهما هذه لم يُطبع منها الّا القليل كالدرَّة اليتيمة التي تولَّى طبعها سابقاً جناب الامير شكيب

ارسلان وكرَّر طبعها. ثم رسالة عبد الحميد الى الكتَّاب تجدها في مقدمة ابن خلدون وقد وقفنا على نسخ منها فيها روايات حسنة ندوِّنها في المشرق ان شاء الله. والثاني من هذه المنشورات (كتاب القضاة والنوَّاب) وفيه كلام مجمل عن تاريخ القضاء وولاية المظالم والقضاء في الدولة العثمانية واوصاف القضاة الشرعيَّة واحوالهم الاخيرة ونظرة في اصلاحهم وكلها فصول حسنة لجناب شكري افندي العسلي الدمشقي تدلُّ على علم كاتبها وعلى حصافة عقلهِ وحسن رأيهِ وتفيد اهل الشرع خصوصاً. والثالث (تاريخ الحضارة) للمسيو شارل سنيوبوس احد اساتذة كليَّة باريس. وهو تاريخ يجمع بين الافادة واللذة اصاب في فرنسة شهرة كبيرة لولا ان صاحبهُ متطرِّف لهُ احكام في النصرانيَّة لا تنطبق مع رواية الكتبة الموثوق بهم. على ان هذا القسم الاوَّل معتدل المشرب وقد احسن المترجم في تعريبهِ. والكتاب الرابع (غرائب الغرب) وهو تاريخ رحلة منشئ المقتبس الى بلاد الغرب فوصف فيهِ اجود وصف ما شاهدهُ من احوال الغربيين عموماً والفرنسويين خصوصاً فاجتمع بارباب وزار معاهدهم وتفقَّد متاحفهم ودرس عمرانهم ودوَّن كل ذلك بكتابهِ وعرضهُ على احوال الشرق وآدابهِ الاجتماعية وتمنَّى لبلاده ما وجدهُ بين الاجانب من الترقي واسباب الفلاح. وكانهُ سُحر بالتمدُّن الغربي حتَّى غبطهُ لبعض الشؤون التي نرى اضرارها اعظم من منافعها. ولجنابهِ في فصل تاريخ حضارة فرنسة عدَّة اقوال ينفيها التاريخ المدني الصحيح فضلاً عن التاريخ الديني فمن ذلك قولهُ (ص ١٣٨) «بان الكنيسة اصبحت (قديمًا) حكومة وسط حكومة». وقولهُ (ص ١٤١) «ان من العرب اخذ الفرنسيس فيما مضى حضارتهم». وقولهُ (ص ١٤٠) «ان مرسيلية مدَّة قرون كانت منبعث العلم الوحيد في بلاد غاليا» الى غير ذلك مما يطول بنا شرحهُ. ومع هذا فاننا نقرّ بان كثرة محاسن الكتاب تشفع في هذه الاقاويل غير السديدة ل. ش

رواية غادة عمشيت

تأليف السيِّدة عفيفة كرم (مطبعة جريدة الهدى في نيويورك)

كأني بعدد من الكتبة لا يستطيعون ان يكتبوا مقالة او ينشئوا رواية ان لم يتركوا العنان لقلمهم فيصبُّوا سيول انتقادهم على كل سلطة دينيَّة او زمنية فيصورونها باشنع صور الظلم والاستبداد وهم يستشهدون الله والناس أنَّ غايتهم مقدَّسة وان لا

رغبة لهم الّا في التقدُّم والترقّي الادبي والوطني والديني فقد جعلهم الله وجعلوا انفسهم قادة الشعب وأنبياء الاصلاح واساتذة الادب ورقباء الدين واصحابه . ولنا شاهد على قولنا في رواية « غادة عمشيت » للسيدة عفيفة كرم فان الموضوع جليل والانتقاد واسع الارجاء يشاركها فيه كل عاقل متديّناً كان او كافراً وهو الزواج المخالف لناموس الله والبشر او قل مع الكاتبة « بيعُ الرقيق » اذا ما زُوّجت طفلة من شيخ بالرغم عنها طمعاً من الوالدين بدراهم الخطيب فيظلمون ابنتهم ويجلبون عليهم وعليها شرّ الويلات . وهي عادة قبيحة جائرة بحقوق الانسان ينكرها العقل وتشدّد الكنيسة عليها النكير بحيث انها لا تعتبر زواجاً ما لا يتمّ بالرضى الصريح المتبادل واذا ما ضُغط على ارادة احد المتزوجين ضغطاً أبطل الرضى أبطل معهُ الزواج واعتُبر كأنهُ لم يكن . فما كان الاحرى بالكاتبة الاديبة ان تسرد اخبار روايتها وتأخذ بناصر المظلومات من جنسها وتدع السبّ والشتم جانباً لكان ذلك اليق واجمل بسيدة محتشمة تُعتبر من ذوات الذوق والادب والتدين . فاسمعْ واحكمْ :

« ان أكثر رجال هاتين الفئتين (اي الديانة والحكومة) ذوو استبداد وظلم وفساد وشرّ . . . فهؤلاء الذين جعلهم المسيح رعاة الغطمان يأكل اكثرهم الخراف ويتمسون بصوفها ويمتصون دماءها فيبعدون بعضها عن الحظيرة باعمالهم هذه ويسلمونهم الشرور ويسحقون البعض الاخر ضغطاً تحت صلبان اثقالهم وظلمهم ونير استبدادهم الخ . . . (ص ٢٦٦) »

وامثال ذلك كثيرة في الرواية . ولو شئنا ان نتنقد على نسق الرواية ووصف العواطف التي زيّنت الكاتبة بها ممثليها لطال بنا الشرح لما في كثير منها من الخلل والخلط بين الشواعر المتباينة وتأليه الحب البشري ونقل الافكار الاميركية الى رؤوس لم تألفها بل أُلقت سواها . ولو نظرت الكاتبة نظرة انصاف وتروّ لاصلحت وافادت ووجدت عذراً لدوائد لا تُستأصل الّا مع الايام ولا تخلو بلاد منها او مما يضاهيها

فليس الاب الجائر على ابنتهِ هو السبب الوحيد لما قد يحدث بين المتزوجين وفي العائلات من عدم ائتلاف القلوب وعذاب احد المرتبطين او كليهما . هي الدنيا تغش الناظر اليها نظراً سطحيّاً . هو القلب البشري قد يتقلّب مع الايام فيحبّ اليوم ما ابغضهُ بالامس او يبغض ما احبهُ والعاقل من تغلّب على الاهواء واحتمل المصيبة بحكم الواجب وحكم الدين . وقد اهدت الكاتبة روايتها الى الفتيات والسيدات اللبنانيات فلا نظن ان الرواية كما هي تجديهن نفعاً ادبياً

ا . ر .

J. Linder s. j: Die Heilige Schrift für das Volk erklaert, *Klagenfurth, St Josef-Vereinsdruckerei, in-4.* 1910

شرح الكتاب المقدس للعموم

باشر الاب لندر تأليف كتاب طلب منهُ اهل المانية ان يضمنهُ اخبار الاسفار المقدَّسة ويشرحهُ على طريقة قريبة المنال ويودعهُ خلاصة الاكتشافات الاثريَّة الحديثة. فاجاب الى دعوتهم بما عُهد فيهِ من الهمَّة والعلم وحضرتهُ كفٌ لمثل هذا العمل اذ درَّس الكتاب المقدَّس في مدرسة كلاغنفرت الاكليريكيَّة ثم في كليَّة انسبروك في النمسة وتجوَّل في جهات الشرق. وهذا القسم الاوَّل الذي ارسلهُ الينا من كتابهِ يحقق حسن ظن الجمهور في مقدرتهِ اذ لم يوفر شيئاً مما يزيد الناس اقبالاً في الكتب الحديثة من جودة الطبع وكثرة النقوش وجمال التصاوير فتجد في هذا التأليف كثيرًا من الآثار التي نُشرت متفرقة في كتب العلماء كاثر ميشا ملك مواب واثر عين سلوان ومجموع الكتابات السامية الى غير صور جميلة. ومما تثني عليهِ خصوصاً في هذا الكتاب محافظة المؤلف على الاراء الصوابيَّة المثبَتة من العلم الصحيح والتقاليد الصادقة فلا يجد القارئ عثرةً في مطالعتها. فيا ليت مثل هذا الكتاب يُنقل الى لغتنا العربيَّة لفائدة اهل بلادنا

الاب ب. جرون

Beihefte zur orientalistischen Litteratur-Zeitung, herausgegeben von F. E. Peiser. II. *Berlin*, 1908

ابحاث شرقيَّة

يحتوي هذا المجموع اربعة ابحاث مختلفة الطول في اربعة آثار شرقيَّة الاوَّل للدكتور شتارك (Stark) مداره على الكتابات الآرامية التي وُجدت حديثاً في جزيرة اسوان وسرَّ للمشرق فيها كلام واسع. والمؤلف زاد على ذلك ملحوظات مفيدة في يهود مصر ومستعمراتهم المختلفة هناك استنادًا الى بعض ايات الاسفار المقدَّسة. والثاني لفليكس برلس (F. Perles) يبحث في احد الكتب المصنوعة التي شاعت قديماً ونشرهُ المسيو تشرلس (Charles) سنة ١٩٠٨ اسمهُ عهد الآباء الاثني عشر وخصَّ نظرهُ بنقد لغتهِ الرَّبانيَّة وخواصها. والثالث للمستشرق اونغناد (A. Ungnad) يحتوي بعض كتابات في البابليَّة الحديثة مع ترجمتها الالمانيَّة وشرحها. والاثر الرابع والاخير عدَّد فيهِ المسيو هرتسفلد (Ernest Herzfeld) اسماء ١٨١ نباتاً ورد ذكرها في المخطوطات الحجريَّة

الاشوريّة وعرّف حقيقتها مع ذكر اسمائها العربيّة كما سمعها من اهل قبيلة جبُور في ريف العراق. فمن هذا الملخّص تستدلّ على فوائد المجموع الاب ب. جورن

Répertoire général annoté de la Législation et de l'Administration Egyptiennes (3 vols) — Les Codes Egyptiens annotés, par Philippe Gelat. *Alexandrie, J. C. Lagoudakis* 1906-1908 et *le Caire, n. Mitri* 1908

قاموس العام للادارة والقضاء ــ كتاب التعليقات القضائيّة

تأليف جناب الاديب فيليب بك جلاد

في مطبعة المعارف في مصر ومطبعة بني لافوداكي في الاسكندريّة

ساءنا ما كتبتهُ جريدة الفيد في احد اعدادها المؤخرة عن مدارس الاجانب وخصوصاً عن كليّتنا حيث قالت انهُ لم ينبغ من تلامذتها احد في العربيّة وانها لا تعرف لاحد منهم تأليفاً خطيراً. وفي تأليف الاديب فيليب بك جلّاد « مندوب قلم قضايا الحكومة لدى المحاكم الاهليّة وسكرتير ادارة المجموعة الرسميّة بنظارة الحقانيّة في مصر » شاهد جديد يضاف الى شواهد عديدة سبق لنا ذكرها (في المشرق ٥: ١٢٣—١٣٢) على بطلان هذا القول واحسن جواب على صاحبهِ. فانّا كنا عرفنا مؤلف هذه المصنّفات اذ كنّا نتلقّى العلوم معهُ على الآباء اليسوعيين في غزير فلم يزل منذ ذاك الحين يتقلّب في الدواوين الشرعية ويستلفت اليهِ نظر الحكومة المصريّة حتى احرز لهُ ثقة اربابها لاسيما بعد نشر تآليفهُ المتعدّدة في العربيّة والفرنسويّة اخصّها كتابهُ النفيس المعنون بقاموس الادارة والقضاء عن المدّة من السنة ١٨٤٠ الى ١٩٠٤ في ستّة اجزاء ضخمة في الفرنسويّة والعربية . ولهُ كتاب التعليقات القضائيّة على قوانين المحاكم المصريّة وهو الكتاب المعنون آنفاً . وكتاب الاحوال الشخصيّة للطوائف غير الاسلامية وهو اوّل كتاب صدر في نوعهِ جمع فيهِ المؤلف كل احكام المسيحيين والاسرائيليين نقلاً عن كتبهم الدينيّة ومجامعهم والامتيازات الممنوحة لهم من السلاطين العظام . ولهُ كتاب الآثار الرسميّة في الخديويّة المصريّة وهو يتضمّن الفرمانات السلطانيّة والعقود الدوليّة من السنة ١٨٤٠ بخصوص الخديويّة المصريّة. فهذه المؤلفات وغيرها كذلك ممّا لا يسعنا الّا التلميح اليهِ تنطق بفضل صاحبها وسعة علومهِ القانونيّة. نفع الله بهِ الاوطان سنين طويلة ل. ش

الدروس العثمانية

تأليف عثمان افندي رمضان (طبعة ثالثة في مطبعة الاقتصاد (١٣٢٨ ص ٨٠)

انَّ تكرار طبع هذا الكتاب دليل ظاهر على رواجهِ وعلى اصابتنا في الثناء على محاسنهِ في المشرق (٩: ١٠٥٧ و١٠: ١١٣٣) فنشكر للهادي هديتهُ ونتمنَّى زيادة في الاقبال على هذه الدروس بين ابناء الوطن لتربطنا مع العاصمة روابط اللسان كما تضمُّنا اليها عواطف الجنان ل.ش

الاسلام حافظ الذمم في ما بين الامم

تأليف عبد الوهَّاب افندي سليم التنير

بيروت. مطبعة الاقتصاد ١٣٢٨-١٩١٠ (ص ٤١)

يذكر قرَّاؤنا انتقادنا على كرَّاسة الذمم في ما بين الامم وما اخذنا على مؤلفها روبر ب. كرفتس ومعرِّب الكتاب القس بشاره البارودي البروتستانيين. وقد احبَّ جناب الاديب عبد الوهَّاب افندي سليم التنير ان يزيِّف مزاعم الكاتبين بخصوص الاسلام. وفي ردِّهِ هذا دليل على انَّ التأليف لم يجد حظوى عند مسلم ولا نصراني ا.ر

نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول

للمحامي يوسف افندي السودا

طبع في مطبعة المعارف في مصر سنة ١٩١٠ بالعربية والفرنسوية (ص ٦٠)

انَّ امتيازات جبل لبنان لمما يحسدهُ عليها كثير من البلاد. كما يظهر من هذا الكتيِّب الصغير الحجم الواسع الجدوى الذي اودعهُ صاحبهُ الاديب نظام الجبل معرَّبًا مع القرارات التي اتَّفقت عليها الدُّول بعد حوادث سنة ١٨٦٠ فأثبتها وعلَّق عليها عدة حواشي مفيدة وبيَّن ما طرأ عليها من التحويرات وكيف تتهدَّدها المصالح الخصوصيَّة. وقد قدَّم على ذلك فصلًا مفيدًا في بيان استقلال لبنان تاريخيًّا مستندًا الى بعض الشواهد التي نراها ادلَّ على منَّة الجبل منها على استبدادهِ بالحكم والله اعلم ل.ش

تقويم البشير ورزنامة المشرق

عاد تقويم البشير الى النور بعد احتجابهِ سنتين وقد لبس هذه المرَّة ثوبًا قشيبًا من الحسن يزيد القراء رغبة في مطالعتهِ وهو يتضمَّن من الفوائد والمعلومات ما يطول

تعداده وتجد فهرسهُ في العدد الاخير من جريدة البشير (٢٢ ت١ العدد ١٩٨٦) . اما روزنامة المشرق فهي على ما عرفها الكل من زهو الاوان وضبط الحسابات وقد اضيفت اليها فوائد جمّة علميّة وادبيّة ودينيّة ل.م

شذرات

الروم الكاثوليك الملكيون في الولايات المتّحدة — كتب الاب الصعودي شيمان في مجلّة اصداء الشرق (Echos d'Orient, XIII, 10) مقالةً عن المهاجرين الى اميركة من ذوي الطقس البوزنطي فافرد هناك فصلًا للروم الكاثوليك الملكيين نستعير منهُ الافادات الآتية . اوّل ما دخل المهاجرون السوريّون في الولايات المتّحدة سنة ١٨٨٦ وكانوا من طوائف شرقيّة مختلفة بينهم قليل من الروم الملكيين فبقوا هناك متفرّقين ولم يزل يزيد عددهم حتى ارسل اليهم غبطة السيّد غريغوريوس يوسف كاهنًا من طقسهم وهو القس ابراهيم بشوان احد ابناء الرهبانيّة المخلصيّة . فتجوّل بينهم بصفة مرسل وانشأ لهم رسالات في مدن مختلفة عيّن لخدمتها كهنة آخرين طلبهم من بلاد الشام لمساعدته . وكان وجّه اهتمامهُ اوّلًا لمدينة نيويورك ونال من اسقفها ان يفرز لهم قسمًا من الطبقة السفلى من كنيسة مار بطرس في حي بركلاي (Barclay) ليتيسّروا فيها طقوسهم لكنهم اليوم قد ابتاعوا لهم ارضًا واسعة في حي بروكلين (Brooklyn) ونيّتهم ان يشيدوا لهم فيها كنيسة

وقدم الى الولايات المتحدة عدّة كهنة بعد الاب بشوان واحتلّوا في مدن مختلفة وعمّروا كنائس واناطش . وهذه كانت حالة كنيستهم في العام السابق : بلغ عدد كنائسهم ومجتمعاتهم في الولايات المتحدة وفي حدود كندا اربعة عشر مقامًا . وبينهم كهنة يتجولون في المدن ليزوروا فيها ابناء طائفتهم المتفرّقين . وللروم الكاثوليك اربع كنائس كبرى في لورنس من مقاطعة مساشوستس وفي كاثلند في مقاطعة اوهيو وفي دوبوا من بنسلفانية وفي لاكروس في وسكونسن . وكنائسهم صغيرةٌ في بقيّة الامكنة لغلاء اسعار العقارات في المدن الكبرى . وربّما اجتمعوا في الكنائس المحليّة اللاتينيّة او في معابد خاصّة . امّا عدد الروم الكاثوليك في الولايات المتحدة فيبلغ من ٨,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠

واكثرهم في بلاد نيو انغلند وفي بنسلفانية وفي اوهيو وفي ايلينوا وكهنتهم ١٣ منهم سبعة رهبان مخلصيون و٤ رهبان شويريون و كاهنان عالميان من ابرشيّة بيروت. وليس لهم مدارس واولادهم يتعلمون في المدارس اللاتينيّة ولهم جريدة تدعى الكون تطبع في نيويرك واخويّة على اسم مار جرجس. هذا فضلًا عن ٢٠,٠٠٠ من الروم الكاثوليك الايطاليين والالبانيين الذين هاجروا من جنوبيّ ايطالية وصقلية والبانية الى اميركة

مؤتمر الماسون السنويّ في ايلول الماضي عقد الشرق الفرنسويّ السامي حفلتهُ السنويّة في باريس فكان من جملة الامور التي بحث فيها الاخوة «» ان يسعوا في ابطال العقاب بالموت (لكثرة المجرمين الماسون) وفي نشر الآداب العلمانيّة (اي اللادينيّة) وفي المراقبة الماسونيّة (اي التجسس لما كسة كلّ اعداء الماسونيّة واهباط كل من لم يوافقها في مبادئها الفاسدة) وفي الغاء المدارس المذهبيّة في اسبانية والبرتغال وغير ذلك مما يكشف للعيان فضلًا عن المفتّحين غايات الماسونيّة الصحيحة التي كانت سابقًا تخفيها غاية امكانها وتحظر على ذويها نشرها تحت عاقبة القصاص الصارم وهي الآن ظاهرة للعيان على رغم منها او تسل بالحري برضاها اذ لم تعد تستحي من فظائعها وآثامها في حقّ الامة الاجتماعيّة. وفي باريس اليوم جمعيّة وطنية اخذت على نفسها كشف المكايد الماسونية وازالة القناع عن مآثمها فمن اراد الوقوف على منشورات هذه الجمعية فليطلبها بهذا العنوان: (Bureaux de l'Association anti-maçonnique, *rue de Grenelles*, 42., *Paris*)

ومما بحث فيه اهل المؤتمر مراقبة الصناديق المالية في المحافل الماسونية لأنهُ ظهر انّ عددًا من الاخوة «» يحبّون دراهم الشيعة اكثر من مبادئها فيدخلون فيها ايلاًا واكياسهم من مالهم ولا حرج لأنّ هؤلاء يمشون على تعاليم الماسونية (اطلب المشرق السابق ص٧٧٢)

فمن هذه الخلاصة ترى انّ احوال الماسونية في اضطراب وحبالها في انتقاض حتى في مراكزها العليا. ولنا على ذلك دليل اوضح في ما جرى من الانقسام بين ماسون فرنسة فانّ فئة منهم أنِفوا مما اتاهُ اخوتهم من الاعمال السيئة التي وصفناها في مقالاتنا السابقة عن آداب الماسون فاجتمعوا في باريس في حزيران سنة ١٩٠٨ وحرموا (كذا) شرق فرنسة الاعظم واتفقوا على انشاء ماسونية «انظف». وقد وقفنا على خطاب

الدكتور پاپوس (Dr Papus) في هذا المعنى فكأنهُ وحزبهُ خجلوا من مآثم رصفائهم فرأوا انَّ الماسونية على شفا هار اذا بقيت على تطرُّفها ومعاداتها لكلّ دين ولكلّ سلطة

على الماسونية السلام — وليست هذه الاضطرابات في فرنسة وحدها بل حصل مثلها في المانية واميركة. وقد روى البشير (في عدده ١٩٩٤) عن الاهرام ما حدث من الخلاف بين الماسون في مصر لسبب انتخاب مجلس الادارة للمحفل الاكبر مما سُمع صداهُ من وراء جدران ذلك المحفل ووصل الى القهاوي وندية العموم فضلًا عن الخاصة ولم يسبق لهُ نظير في تاريخ الماسونية لاسيما اذ اراد البعض تعيين لجنة لمراجعة حسابات مجلس الادارة لاستدلالهم على التلاعب بمالية المشيرة. وقد اردف الاهرام انَّ كبار الرجال والموظفين العظماء الذين كانوا في الماسونية تركوها ولم يشتركوا في انتخاباتها وختم بقول « ماسونيّ بائس »: « اذا كانت هذه حالة الرؤساء الذين يحيطون بادريس بك (رئيس الماسونية في مصر) ويزينون لهُ كلّ عمل فقل على الماسونية السلام وعلى الحرّية السلام وعلى الله ما لنا واتعابنا والمشاقّ التي تكبدناها والسلام على من اتبع الهدى » بل قل من تسكّع في الظلام!

وكنّا سمعنا قبل هذا صدى ماسونية لبنان فاذا هو يضرب على وتر واحد فان جناب مدير المناظر في عدده ١٠١٧ ابدى اسفهُ على ما صارت اليهِ حالة الماسونية في الجبل من نزع اصحابها الى اغراضهم الخاصة وسهوهم عن خدمة المشيرة حتى رأى الكاتب « انَّ اكليروس لبنان يفضّل على الماسونية » (كذا) وما الطف هذه المقابلة!

المتطوّع في الجيش الابيض — اندنا القراء (راجع ص ٧١٨) عن اسم المشعوذ الذي تهدَّدنا باسم الجيش الابيض بالموت الزؤاف. ثم اثبتنا شيئاً من كتاباته الكفريّة (ص ٧٩٧) وقد ورد علينا اليوم شاهد جديد يؤيد قولنا بمزوّر تلك الصحيفة فأنَّ جريدة المنارة في سان بارلو نشرت في عدد ٥٦٦ الصادر في ١٤ ايلول ١٩١٠ تلك الرسالة التهديديّة التي صورناها في المشرق (ص ٦٠٠) واضافت اليها ما حرفهُ:

« وهناك (اي في الرسالة) رموز كثيرة منها رسم الشمس وخنجر تحتها رجمجمة والاضاء منهُ حرف غير واضح وحرف واضح صريحاً هو H (اي حدّاد جرجي). ونحن نعرف صاحب هذه الرسالة من خطّهِ المحفوظ عندنا فهو من غير جالية ريو دي جانيرو وهو شخص فرد لا يخلو من طرف الجنون. ولسنا الان لنصرّح باسمهِ بل نسألهُ وهو يعرف نفسهُ ان يقلع عن مثل هذا التهويل العقيم ». أفسمعتَ يا افندي ما يقولهُ عنك الذين يعرفونك ؟!

ميكروب الخصب — ليست كلّ الميكروبات مضرّة فان منها قسماً يفيد الحيوان والنبات. فمن مرويات المجلات العلميّة انّ الدكتورين رسل وهتشنصن اللذين عُنيا سابقاً بدرس الميكروبات الزراعيّة الضارّة والنافعة لقتل تلك وانماء هذه اكتشفا آخراً ميكروباً يقتل البكتريا اللازمة لخصب الارض فتوقفا لوضع علاج لهُ بالحرارة ومضادّات الفساد واعلنا اكتشافهما في المؤتمر الطبيّ الاخير وهو كما قيل اعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة الخوري غ. ح ما تولكم في الاب يوحنا بنطاس ومتى عاش وهل كتبهُ اللاهوتية يعوّل عليها وهل هي مثبوتة من الكنيسة وهل للاب المذكور كتاب فتاوى في اللاهوت الادبي

الاب يوحنا بنطاس

ج الاب يوحنا بنطاس خوري فرنسوي عالمي ولد سنة ١٦٣٨ وتوفي سنة ١٧٢٨ لهُ عدّة تآليف في مسائل الذمّة اكسبتهُ بعض الشهرة الّا انهُ ليس في الشهرة والعلم في منزلة بعض كبار اللاهوتيين كالقديس الفنس دي لغوري وكستروبالار وبوزنيو ولم تثبت الكنيسة تعاليمهُ ولا يعوّل على كلامهِ اذا انفرد برأيهِ وان كان من مستقيمي الايمان وتآليفهُ قد عتقت اليوم فلا يكاد يستند اليها احد

س وسأل مستفيد ما رأينا في ما كتبهُ مجلّة الكوثر في عدد شوال ١٣٢٨ ص ١٧٢ حيث قالت: « اذا نظرنا الى بلدتنا بيروت فقط نرى انّ اكثر الجمعيات المتشكلة فيها لعمل الخير اساسها الماسونيّة وان لم يكن الّا ساعدها مشروع المستشفى الذي في هذه الأيام الاخيرة لتخفيف ويلات المصابين بهذا الداء لكفاها عملاً حسناً »

الاعمال الخيريّة في الماسونيّة

ج كنا قرأنا نحن ايضاً هذه الاسطر وارسلنا بعض وكلائنا ليتحقق عند ذوي العلم والاستقامة صحة هذه المدّعيات فجاءنا مشدّداً النكير على هذه الاعمال الخيريّة المزعومة اذ لا يُعرف في كل بيروت مشروع واحد خيري تعضدهُ الماسونيّة. وان وُجد بعض الافراد من الشيعة يساعدون الاعمال الخيريّة فيفعلون ذلك بصفة محسنين لا علاقة لهم مع الشيع السريّة. فطلب من صاحب مجلّة الكوثر ان يفيدنا عن هذه الجمعيات الماسونيّة التي اشار اليها ويذكر صريحاً اعمالها والقائمين بمصالحها فندرج قولهُ في مجلتنا ليكون الناس على بصيرة من حسنات الماسونية المجهولة ل. ش

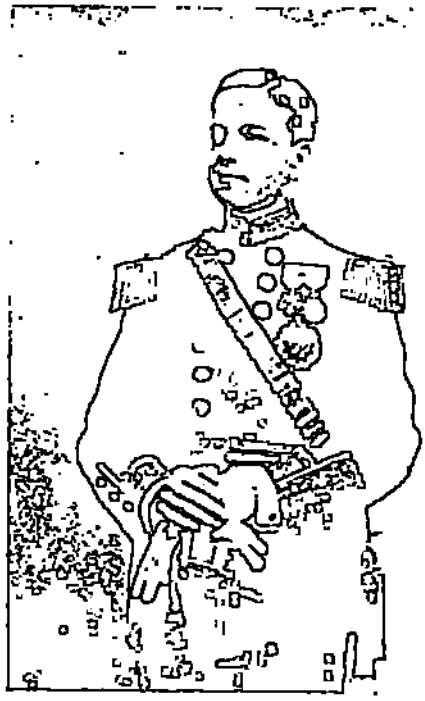

مانوئيل الثاني ملك البرتوغال

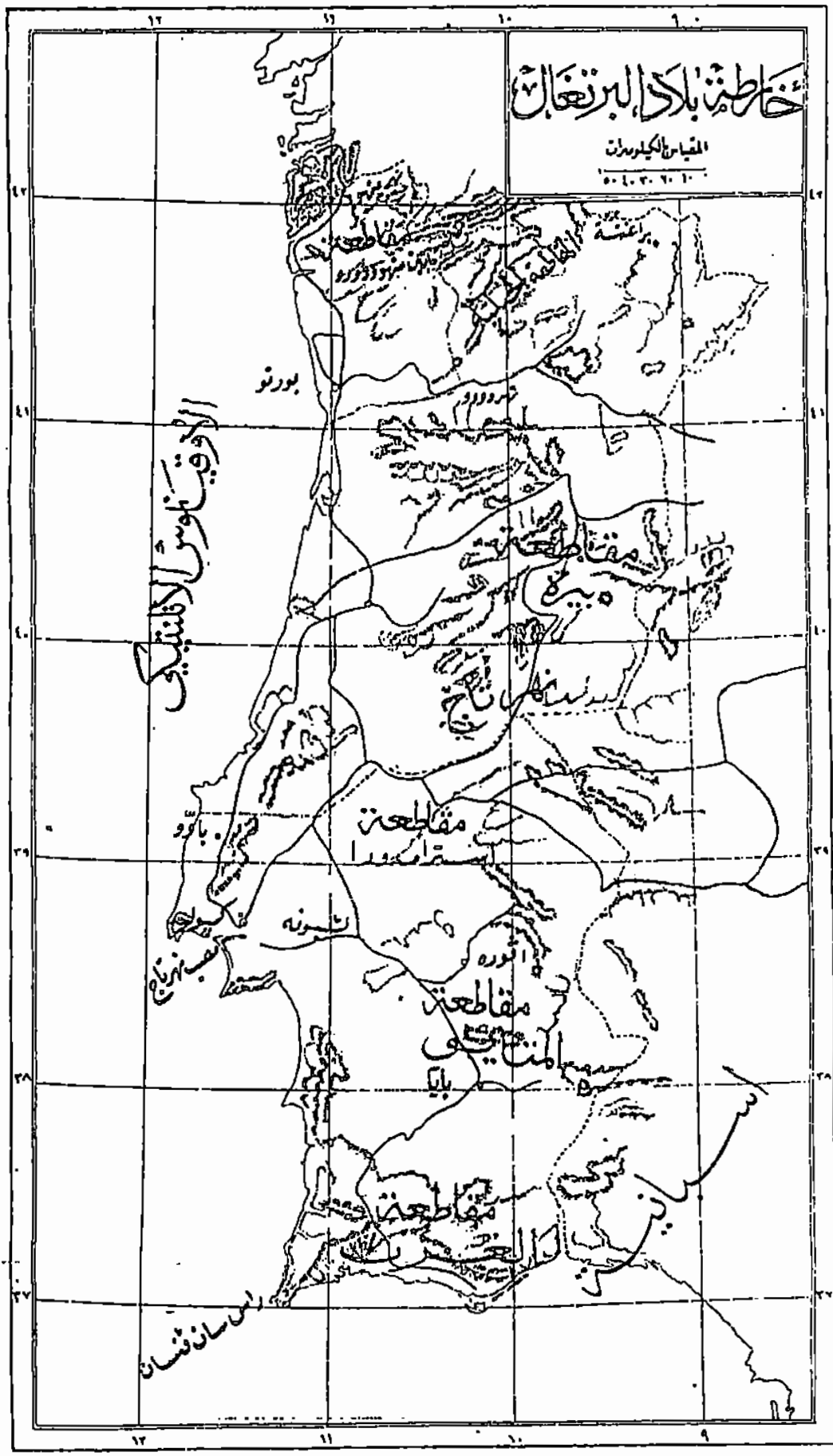
خارطة بلاد البرتغال
المقياس بالكيلومترات
مقاطعة
بورتو
مقاطعة
بيرة
مقاطعة
استرامادورا
باتو
لشبونة
مقاطعة
المنتيجو
باجا
مقاطعة
الغرب
الاوقيانوس الاتلنتيكي
اسبانيا
رأس سان فنسان

السنة الثالثة عشرة العدد ١٢ كانون الاول سنة ١٩١٠

المشرق

صدق المقال

في ثورة البرتغال

للاب لويس رترفال اليسوعي

وردت علينا تترى في الشهرين السابقين انباء البرتغال فتسارعت الى التقاطها الجرائد المحلية ورويتها على علاتها دون ان تميز غثها من سمينها. ثم تبعتها المجلات ولم تكن اصدق في رواياتها اذ كانت تنقل في الغالب الاخبار « الرسمية » التي ينظمها اصحاب الانقلاب الجديد من كل غبار يشوه الثورة او يصورها على غير صورة الكمال. فآثرنا السكوت و ينبأتنا الانباء الصادقة وروايات العقلاء المتجردين عن كل غرض يعمي البصيرة مع اختلاف مللهم و بلادهم

*

في ٥ من شهر تشرين الاول بينما كانت سماء السياسة في البرتغال تلوح صافية لا يشوب أديمها سحاب ولا يُشعَر في آفاقها صوتُ عاصفٍ او لمعانُ برق اذ انفجر بركانٌ كان لهُ في القلوب وقعٌ اسوأ من بركان صقلية واهول من زعازع مسينة. ففي ذلك اليوم اصبحت لشبونة عاصمة البلاد ميداناً لحرب اهلية لم تكن في الحسبان فان قوماً من ذوي الفتن واعداء السلالة الملكية تآمروا مع بعض ندّاد العساكر ولاسيما البحرية ولفيف من غوغاء الناس فتجمهروا وشغبوا وتفاقمت جلبتهم وملأوا المدينة صياحاً وتهديداً ثم تحزّبوا وساروا الى قصر الملك الذي اسرع وولّى كطريدٍ مُبحراً مع والدته

الملكة اميلي واقارب اهله الى جبل طارق ثمَّ سواحل انكلترَّة وتاركاً في ارض اجداده جثَّتي والده واخيه البكر اللذين ضحَّتهما الثورة عينها قبل سنتين فهُدر دمُهما

وبينما كان الملك يطلب النجاة بالهرب اغتصب اجلاف الثورة فساروا الى منازل اصحاب الدولة الامناء فقتلوا منهم وساقوا الآخرين الى الحبس حتى غصَّت بهم السجون. وقد رأى اهل الثورة على مألوف عاداتهم اعداء في ارباب الدين لاسيما الرهبان فوثبوا على اديرتهم فسلبوا ونهبوا وقتلوا وحرقوا ولم يخجلوا عن مطاردة الراهبات ملائكة السلام والحنان فهجموا على منازلهنَّ ومستشفياتهنَّ ومياتمهنَّ كأنهم يفتحون القلاع الحريزة. وما كان لكلّ هؤلاء من ذنب سوى تهذيب الاحداث وخدمة المرضى وتلطيف اوجاع كل البائسين ولم يعرفوا من السياسة غير الامانة لربهم واخلاص الطاعة لوليّ امرهم

قلنا انَّ الثورة الاخيرة لاحت في سرعة البرق وسُمعت زمزمة رعدها عن كثب دون ان يتوقَّع الناس حدوثها والدليل على ذلك انَّ الملك مانويل لم يجد في كل الدول غير الحفاوة وحسن الالتفات فانَّ ملك انكلترَّة كان أسمعهُ الطف عبارات التنشيط وارق التهانئ. ومثلهُ رئيس الجمهوريَّة الفرنسويَّة كان تودَّد اليه واحسن استقبالهُ. وكان الجميع يبنون على هذا الملك اطيب الآمال ويرون في شبابه داعياً جديداً الى استعطاف القلوب وتقريب الاحزاب التي كانت تتنازع البلاد فيترقَّى به الوطن وتتعزَّز شؤونهُ. هذا الى ما عُرفت به الملكة والدتهُ من عظم التُّقى ورقَّة القلب وكثرة المبرَّات التي اكسبت لها محبَّة الرعيَّة كلّها. فليت شعري أكان يستطيع احد ان يظنَّ بالغد سوءاً او يتوقَّع شراً بعد تلك السوابق

هذا ما كان يرتئيه العقلاء. الَّا انَّ العقلاء كثيراً ما يجهلون ما يجري في الظلمات ولا يحبُّون ان ينسبوا الشرَّ الى غيرهم مهما صدعت الحوادث السابقة بصحَّة الامور وانذرت ارباب السلطة ليأخذوا حذرهم من اهل الدعارة ويقوموا لهم بالمرصاد. كيف لا ودويّ تلك النكبات قد طنَّت لهُ كلُّ الآذان وتزلزلت لزمجرته كل الاركان. مَن لا يذكر ما حلَّ بملكٍ جليل من الخطب الاليم لمَّا اغتصب بعض الاوباش ودسُّوا للملك كارلوس الدسائس اذ كان يسعى في اصلاح دولته وتحسين امورها فقتلوهُ وولي عهده ظلماً وغيلةً في ١ شباط ١٩٠٨ وجرحوا ثاني اولاده. ولمَّا اراد اهل القضاء ان يُجروا

التحقيقات ليجازوا الأئمة على اعمالهم اتّفق المجرمون مع آل المحاكم ليشوّشوا الامور حتى خلطوا الحابل بالنابل وتخلّصوا من تبعة الجريمة فظهر من ثم انّ المتآمرين كثيرون وان بينهم من ذوي النفوذ والرُّتب العليا . فما كان احرى بالملك مانويل أن يتّقي كل هؤلاء الاعداء ولا يثق بهم وعرشهُ لا يزال نديًا من دماء اعزّ اهلهِ فآثر صوت الكرم والغفران . والعجب ممّن لاموهُ لهربهِ من ايدي الثائرين بعد ما رأى من حقدهم ما رأى !

*

ليست الثورة في البرتغال بنت يومها فلا بدَّ ان نوجّه النظر الى عواملهـا ليقف القرّاء على صدق الخبر ويروا كذب بعض الجرائد الشرقيّة التي علّلتها بغير عللهـا الصحيحة لكي تمرّه على اهل بلادنا ولعلّهـا نقلت دون تروٍّ الانباء الكاذبة التي أشاعها زعماء الثورة وطيّرها البرق عن لسانهم الكاذب وهـذا عندنا وعند كل رجل عاقل لا يعذر رجال الصحافة الذين لا يميّزون الزور من الحقّ اليقين فيبرّرون الأئمـة ويثلمون عرض اصحاب الفضيلة والبرّ المشهود لهم من كل مَن عرفهم حتى من اعدائهم

فاسمع رعاك الله ما سطّرهُ كاتبٌ كنّا نؤمّل منهُ الاعتدال فأتى بما لم يأتِ بهِ غير المتطرّفين . قال صاحب المقتبس :

وقد كان اوّل عمل للجمهوريين طردُ جماعة اليسوعيين من بلادهم واستصفاء الاديار والقضاء على الرهبان والراهبات لانّهم لم ينسوا بعدُ مسعى رجال الدين في مَقتل قرّر رجل الاسبـان الحرّ (زه ا زه ا) في العام المنصرم قتلهُ بواسطة الحكومة على ابشع صورة عرفت في عصر النور والمدنيّة (كذا !!) . . . وهكذا أهين رجال الدين ولاسيما اليسوعيّون وطُردوا او كادوا من البرتغال كما طُردوا من فرنسا من قبل وحُرم عليهم دخول سويسرا وتوشك سلطتهم (كذا) ان تتزعزع ايضًا في اسبانيا . . .

فترى من هذا الكلام انصاف الكاتب وفيهِ مصداق انتقاد عقلاء المسلمين لمحرّر المقتبس اذ اخذوا عليهِ غير مرّة قلّة اعتدالهِ . وأبعد منهُ تطرُّفًا مجلّة المقتطف في عددها الاخير (نوفمبر ١٩١٠ ص ١٠٣١) التي انتهز كتبتها فرصة الثورة البرتغاليّة ليحاملوا على الرهبان اليسوعيين كأنّهم اسباب هذا الانقلاب واصل كل الشرّ . فدونك بعض اقوالهم ليعرف القرّاء ما تكنّهُ صدور اصحاب هذه المجلّة التي نوّهنا مرارًا عديدة بآرائهم الفاسدة وبغضهم للدين

ساءت احوال البرتغال وتأخرت . . ورسخ في اذهان شعبها (اي الماسونيين كاصحـاب

المقتطف) ان السبب الاكبر لهذا التأخر هو من الاسرة الحاكمة ومن انقيادها لخدمة الدين ولاسيما للجزويت منهم (! ! . . . . والكراهة للرهبنات في البرتغال وفي غيرها من البلدان (!!) سببها الاكبر الكراهة للجزويت (كذا) ولا بدع فانَّ الجزويت رهبنةٌ هاجم وتخاصم (بل لها جيوش ومراكب حربيَّة كما يروي الماسون) ولا نكتفي بالدفاع مثل غيرها من الرهبنات (فانَّها لا تكفيها بان تصرخ آخ اذا ضربوا الدين بل تكشف دسائس الماسونية وهذا اعظم آثامها) . .

وهناك فصل طويل لخَّص فيه كاتب المقتطف تاريخ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في البرتغال وضمَّنهُ من الاغلاط التاريخيَّة ما يزيد عن حروفهِ ثم ذكر في آخرهِ طرد الجزويت واحتماءهم بدولة الانكليز فعيَّرهم لهربهم « من اضطهاد اخوانهم الكاثوليك » ولياذهم ببلاد البروتستانت

ولم يكد الجزويت يخرجون من البرتغال حتى قصد كثيرون منهم بلاد البروتستانت الهراطقة (كذا) لكي يحموا فيها من اضطهاد اخوانهم الكاثوليك (بل من اعدائهم الفرسون) اهل بلادهم (وانت تعلم انَّ الماسوني لا وطن لهُ وانَّهُ يضحّي الوطن لشيعتهِ) بل انَّ ملك البرتغال نفسهُ قصد الاحتماء بالبروتستانت الهراطقة والماسون اللاعين (ما اصدق نعت المقتطف للماسون وكتبهُ من اصحاب البيت !)

وقس على هذه الاقوال غير ذلك من اكاذيب الجرائد التي تتقشع انقشاع سحابة الصيف بما سيأتي :

قلنا ان للثورة البرتغالية عواملَ سبقتها فمنها قريبة ومنها بعيدة اصحُّها واصدقها ما اتفق عليهِ اوثق المؤرخين ممن لم تُعمِ بصيرتهم الاغراضُ والتشيع للماسونيَّة بل اقرَّ بهِ الماسون في كتاباتهم السريَّة نريد بهِ نهضة الكفر والزندقة التي عقد عليها الخناصر اولئك الفلاسفة الكذبة الذين قاموا في اواسط القرن الثامن عشر فزرعوا بتعاليمهم وكتاباتهم بذور الفساد والعصيان على السلطتين الدينيَّة والمدنيَّة واتخذوا لترويج غاياتهم كل وسائل الغشّ والمكر ووجهوا خصوصاً سهامهم ضدَّ الممالك اللاتينيَّة التي فيها قامت صروح الدين عاليةً ذُرى السلطة وثيقةً . وكان في مقدَّمة هؤلاء المبطلين ذلك الدهريان فلتير وروسو اللذان نعتهما وامثالهما السيد جمال الدين الافغاني « بالوباء المهلك والطاعون الجتاح وآفة الامم واشدّ الاعداء للنوع الانساني » فأفرغوا كنانة الجهد في نشر مبادئهم في كل انحاء اوربة . لكن هؤلاء المبطلين ما لبثوا ان وجدوا في طريقهم الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي كانت وقتئذٍ تتولَّى تهذيب الشبيبة في معظم الممالك اللاتينيَّة

فرأى الدهريون ان تعاليمهم السقيمة لن تفوز بسهم ما لم يقهروا اولًا اليسوعيين المدافعين عن اساس الدين والرافعين معهُ لواء العلوم والمدنيَّة فسعوا ليجدوا لهم انصارًا في كل مملكة من الممالك اللاتينيَّة يواطئونهم على اعمالهم . فما كان من ابليس الَّا أن افازهم بالمطلوب فسوَّل لهم رجالًا من ذوي المطامع ممن استهواهم الشر وغلب عليهم الفساد واستولوا بالخداع والبهتان على عقول الملوك فلم يزالوا يدسون لهم السمَّ في الدسم ويصوّرون اليسوعيين كاعداء السلطان ويخترعون ضروب الشكايات والكتابات المزوَّرة الى ان اقنعوا الملوك بطردهم من ممالكهم

وقد امتاز بين هؤلاء عمالة الاثم وزعماء الكفر وزير ملك البرتغال المركيز دي بمبال . كان اصلهُ من عائلة خاملة الَّا انهُ كان ذا حذق عظيم وعزم شديد فرحل الى انكلترة والمانية واختلط هناك باعداء الدين فاشبعوهُ بغضًا للرهبان لكنهُ اخفى تحت ستر المراء والخداع شواعرهُ السريَّة واخذ يتحبَّب الى اليسوعيين وبلغ به تملُّقهُ الى ان البس احد ابنائهِ ثوب رهبانيتهم فشكروه عند الملك يوسف الاوَّل واثنوا على تقواه وهمَّتهِ حتَّى اختارهُ وزيرًا لهُ . فما اخذ بمبال بتدبير الامور حتى شعر ما لسيدهِ من ضعف العزيمة والغبن في الرأي والحرص على سلطتهِ والخوف على حياتهِ . فتسلط على عقلهِ واقنعهُ بانَّ اشراف الدولة وجلَّة أُسرها اعداء ملكهِ يريدون ثلَّ عرشهِ فكان يخترع المكايد الخياليَّة فيوجس الملكُ منها فزعًا ويُسلم الى يدي الوزير كل اعدائهِ فيحبس ويمثَّل ويقتل ويستصفي الاموال كيفما شاء دون ان يصدر في حقهم حكمٌ شرعي او يُسمح لهم بتزكية نفوسهم . واذ رأى انَّ اليسوعيين لا يوافقونهُ على تلك الفظائع وخاف ان يطلعوا الملك على حقيقة الامر صبَّ عليهم سجال غضبهِ واتَّهمهم بتهم فظيعة لم تخطر على بال احد منهم فاوقفهم جميعًا دون محاكمة في البرتغال ومستعمرات اميركة حيث كانوا يتفانون في خدمة العبيد والهنود وشتَّت شملهم واذاق الالوف منهم ابرح العذابات وكبَّلهم بالحديد فالقاهم في سراديب منتنة حيث قاسوا من الاوجاع مدَّة عشرين سنة ما يأنف عن وصفهِ القلم ويسيل ذكرهُ من اعيننا العبرات ومات منهم بالحبس العدد العديد ممَّن فضلوا اشدَّ العذابات على الحريَّة بجحد الرهبانيَّة من جملتهم اثنان من ابناء اخوة بمبال . لكنَّ عدل الله ظهر اخيرًا بعد موت الملك وظهرت في الحاكم مظالم الوزير وآثار جورهِ واستبدادهِ فبرروا المظلومين وحكموا على الظالم ولولا رحمة الملكة لمات اسوأ

ميتة . وقد وقع موتهُ بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعية بقليل ومات خاملاً مبغضاً من كل اصحاب الفضل وبقيت وفاتهُ زمناً طويلاً دون دفن فوجدها اليسوعيون بعد قيامة رهبانيتهم في احدى قراني كنيسة اويراس سنة ١٨٢٩ فلم يلفوا مضطهدهم بل صلّوا عليهِ وخصّصوا اوّل ذبيحة قرّبوها لراحة نفسهِ فكان لفعلهم احسن وقع في نفس بمبال حتى دخل منهم اثنان في رهبانيتنا وكفّرا بتقاهما عن ذنوب جدّهما

تلك صفة بمبال الذي قام ماسون الغرب والشرق في هذه الايام للمدافعة عنهُ وجعلوهُ بمنزلة بطلهم فرّد . وان لم يرضوا بوصفنا لأنيناهم بشهادة لا يمكنهم الردّ عليها ألا وهي شهادة ڤلتير نفسهِ الذي كتب بعد قتل بمبال لرجل الله الاب ملاغريدا وبقية معاملاتهِ لليسوعيين ما تعريبهُ (١) : « ان عمل بمبال قد بلغ الغاية في المضحكات والنهاية في المستحيلات كما انهُ وصل الى اقصى الاعمال الهمجية » . فليسمع كتبة المقتطف الذين ادّعوا « ان المركيز بمبال هو اعظم سياسي قام في البرتغال »

ولو سرّحنا النظر في حالة البرتغال رأيناها بعد بمبال قد نزلت عن مقام عزّها الى حضيض الخمول بما جلبهُ عليها هذا الرجل من الاهوال . نعم انهُ حسّن بعض مادّيات بلادهِ وسعى بتحريرها من ربقة الممالك المناوئة لها الّا انهُ قسّم قواها في الداخل وذلّل نخوتها واقام فيها الاحزاب المتماكسة التي كانت تمتصّ حياة الدولة بمنازعاتها وبتضحية الخير العمومي لمصالحها الخاصّة

وكان حبل الدين قد انتقض بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة والضغط على الاكليروس العالميّ وبُطلان المدارس المذهبيَّة فقامت نشأة جديدة أُشربت منذ حداثتها روح الزندقة والتشكّك . وكانت الماسونيَّة خصوصاً ضربت اطنابها في تلك البلاد فنفخت فيها على مألوف عادتها مبادئ الثورة والخلاعة . واذ مُنح الشعبُ الدستورَ سنة ١٨٢٦ تفاقم الصدع واستفحل الشرّ . ولم تتحسّن الامور بعد انتقال الدولة الى أُسرة براغنزا سكس كوبرج سنة ١٨٥٣ فانَّ ساطة ملوك البرتغال كانت لا تزال تمزقها دسائسُ الشيع السرّيَّة وتتنازعها الاغراض الشخصيَّة . هذا الى عجز بعضهم عن ضبط ازمّة التدبير

(١) اطلب كتابهُ جيل لويس الخامس عشر في مجموع اعمالهِ L'excès du ridicule et de l'absurdité fut joint à l'excès de l'horreur. (*Précis du Siècle de Louis* XV, t. XXII des Œuvres de Voltaire, p. 35)

وتوانيهم في اصلاح الفساد ونقص المالية العمومية ما جعل الدولة على شفا هاوية

اما الكنيسة في البرتغال فانها كانت اصبحت في حالة حرجة وتضعضعت شؤونها بفساد الزمان فدخل في ذويها الذين لم يتهذبوا على الاصول المرعية روحُ الشقاق والعصيان وغابت على كثيرين منهم الاهواء الباطلة فصاروا عثرةً للمؤمنين بامثالهم وسوء تصرفهم. وكان الكرسي الرسولي لا يألو جهدهُ في انذارهم ودعوتهم الى الاصلاح الا انَّ تنبيهاته كثيرًا ما ذهبت أدراجَ الرياح فسقطت كرامتهم في اعين الناس واضطرُّوا ان يلبسوا في خارج الكنائس لبس العالميين

وكان الكثيرون لا يرون جبرًا لهذا الكسر الا برجوع الرهبان المنفيين من البرتغال فعادوا اليها واجتهدوا في حسم الداء بعد العياء. وكانت الرهبانيَّة اليسوعيَّة في جملة من رجعوا اليها بعد سبعين سنة من حبسهم ومصادرتهم ونفيهم لم يتقووا على مضطهديهم بل ردُّوا عوض الشرّ خيرًا وفقًا لاوامر سيّدهم. الا انَّ اعداء الدين لم يزالوا يترصَّدونهم ويضمرون لهم السوء حتى امكنهم في القرن السابق ان ينفوهم مرَّتين من اوطانهم مع انَّهم لم يشتغلوا بغير الوعظ والارشاد والتأليف وتهذيب الشبيبة في مدارسهم كجاري عادتهم حيثما حلُّوا. وكانوا يتحاشون كل تداخل في السياسة كما هو مفروض عليهم من قوانينهم بل لم يتقرَّبوا من الأسرة الملكيَّة التي كانت غالبًا تظهر لهم برودةً خوفًا من أن يُنسب لها الانقياد الى آرائهم

ولما تولَّى الملك كرلوس الاوَّل (١٨٨٩—١٩٠٨) نال اليسوعيون قليلًا من الحرِّية فامكنهم ان يوسِّعوا نطاق اعمالهم الخيريَّة ويُلقوا المواعظ والرياضات التقويَّة في المدن والقرى ويدافعوا عن حوزة الدين ويضاعفوا العناية في تربية الناشئة وتخريجهم بالعلوم العصريَّة. وكانوا يديرون مدرسةً كبيرة قريبًا من لشبونة يتقاطر اليها الشبان من كل انحاء البلاد. وكانوا فتحوا رسالةً في مستعمرات البرتغال في جنوبي افريقية لتبشير السودان وميلتم ومدارس لصغارهم. ومع عظم همَّة اليسوعيين البرتغاليين كانوا يذكرون بالاسف اعمال اسلافهم الزاهرة اذ كان عددهم تجاوز عدَّة آلاف وهم اليوم لا يبلغون نصف الالف لا يجدون حولهم عضدًا وسندًا. فكفى بهذا دليلًا على كذب القائلين بانَّ ملوك البرتغال كانوا تحت تدبير اليسوعيين يرتشدون بتعاليمهم. فهذه شكاية ليس فيها ذرَّة من اليقين اخترعها اعداء الدين الذين ينسبون زورًا للجزويت كل المنكرات!

وبقيت سياسة البرتغال الحرقاء في تقهقر وهبوط الى ان بلغت ميزانيتها عجزاً أفقدها كلَّ ثقة لدى الدول. فرأى الملك كرلوس انَّ الحالة تستدعي علاجاً قريباً فشدَّد العزائم وصمّم النيَّة على ان يرتق الفتق ويصلح الفساد ويعيد للدولة رونقها بضبط الماليَّة والاقتصاد. وساعده على ذلك وزيره فرنكو الذي كان يُعرَف بشدَّة عزمه وثاقب فهمه وكثرة مزاولته للامور فوضع مع حزب المحافظين عدَّة قوانين كان من شأنها تعزيز الدولة واصلاح ما دخل في الادارات من الخلل. لكنَّ اعداء الملك واخصّهم اصحاب الشيعة الماسونيَّة اخذوا يهيّجون عليه وعلى وزيره الرأيَ العامَّ وتواطأوا على قتله غيلةً فكان ما كان بهجوم قوم من الفوضويين على الملك واطلاقهم الرصاص عليه في ضحى غرَّة شباط سنة ١٩٠٨ فقُتل مع الملك وليُّ عهده وجُرح ابنه الثاني مانويل الذي خلف اباهُ في الملك وولّى فرنكو هارباً

ولما سعى الملك الجديد مع مجلس القضاة في محاكمة المجرمين للاقتصاص منهم وجدوا في طريقهم من العقبات ما اثبت لهم جليًّا بان الأئمة متعدّدون يستندون الى حزب شديد مرتبط بالماسونية ارتباطاً وثيقاً. فتعدَّدت جلسات المحاكم وطال القال والقيل دون فائدة حتَّى عُفي عن المجرمين وذهب دم الملك وابنه هدراً. امَّا الماسون فافتخروا بفوزهم وصرَّحوا بان الانقلاب من اعمالهم. وكان عدد المحافل الماسونيَّة بلغ وقتئذٍ ٢٧٠ محفلاً في البرتغال يرأس شرقها الاعظم المدعوُّ مغالاهس ليما (Magal-haes Lima) فكان هذا منذ زمن طويل يكيد للملكيَّة وينوي هبوطها وهو يتردَّد حيناً بعد حين الى فرنسة ليتَّفق مع ماسون باريس على قلب الهيئة الملكة. وكان في باريس انضمَّ الى محفل كوسوس في كانون الاوَّل سنة ١٩٠٧ وبعد ذلك بقليل قُتل الملك كرلوس فبأمهُ التهاني اخرتهُ الماسون على نجاح اصحابه. ولمَّا اراد انصاره ان يختاروهُ موظَّفاً في مجلس الندوة كبعوث لشبونة أبى ذلك وطلب ان يتعين كسفير دولته في باريس معلناً بانهُ في عاصمة فرنسة يساعدهم احسن في خدمة الجمهوريَّة

كان رجاء الماسونيَّة من مكيدة سنة ١٩٠٨ ان لا تُبقي احداً من السلالة الملكيَّة فيعلن اصحابها حالاً بالجمهوريَّة الَّا انَّ خلاص الملك مانويل جاء كقذًى في عينهم وكشجاً اعترض في حلقهم فاضطرُّوا الى انتظار فرصة اخرى لتنفيذ مقاصدهم. وقام الملك الشاب بين اهل دولته كموضوع آمالهم الوحيد وفرع دوحتهم النامي. والحقّ يقال انَّ

مانويل وعمرهُ اذ ذاك سبع عشرة سنة كان مجمَّلًا بالاخلاق التي تصلح للملوك من شهامة وعلوّ همة وتقى وحبّ الوطن والرعايا . وكانت اوّل كلمة قالها في مجلس الندوة كافيةً لتكسبهُ كل القلوب لاسيما بعد وزنهِ باهلهِ وحدادهِ : « اني في مقتبل العمر لا علم لي ولا خبرة فهاءنذا ألقي مقاليد امري بين ايديكم واثقاً بوطنيتكم وحكمتكم »

فما كان أحرى باهل البرتغال ان يسمعوا هذا ويتضافروا على العمل مع ملكهم ليخلصوا الوطن من اعدائهِ ويعيدوا لهُ عزّهُ السابق وهم ينظرون بقرب ملكهم امّهُ أميلي ملاك الرحمة والشفقة التي صرفت الملايين من الفرنكات في تشييد الملاجئ والمياتم والمستشفيات حتى انها كانت توزّع كل يوم بيدها مجاناً ما جمعتهُ من الادوية في مستوصف انشأتهُ لجميع المنكوبين

الّا انّ آفة البرتغال انقسامُ احزابها وتفرّق كلمة اعيانها فما لبثوا ان عادوا الى نزاعهم واختلافاتهم السياسيّة وتفضيل امورهم الخاصّة على شؤون الدولة . فتشكّلت وزارة دعوها وزارة الائتلاف والتودّد كان رئيسها الاميرال فريرا دا أمرال واظهر ذووها ضعفاً وفشلاً . ولما تجدّدت انتخابات المبعوثين قام رئيس جديد لمجلس النوّاب اسمهُ تاكسيرا دي سوزا الذي كان كل همّهِ مصروفاً الى مقاومة اهل الدين والجمعيّات الرهبانية كانها الخطر العظيم المتهدّد لبلادهِ بدلًا من استدراك الاخطار المائلة بعرش ملكهِ . ثمّ فتحوا باباً واسعاً لاعداء الملكيّة اذ منحوا عشرة كراسي جديدة للجمهوريين وكان لهم سابقاً اربعة فقط وعهدوا رئاسة بلديّة لشبونة الى انصار الجمهوريّة مع ما في العاصمة من الفوضويين واصحاب الفتن

وكان الجمهوريّون في اثنا ذلك يستنفدون الوسع في جمع قواهم وتوطيد نفوذهم وينشرون النشرات المهيجة ويقتنصون ضبّاط العساكر ورؤساء البحريّة بمواعيدهم وألطافهم . وكانت الماسونية تبثّ عيونها في انحاء البلاد وتحثّ محافلها على العمل وتنفخ روح الثورة بين الفعلة والفوضويين وتوحد كلمتهم حتى رأت ان الوقت قد حان والساعة قد ارفت لنفي السلالة المالكة التي دبّرت الامور في البرتغال منين من السنين

وكان الجمهوريون يعلنون بالامر سلفاً . فان الفنسو كستا احد زعمائهم كتب في جريدة (ماتين) في تاريخ ١ ايلول المنصرم : « لا بدّ من فوز الجمهوريّة وان اقتضى الامر

استعمال القوة واتخاذ السلاح لن نتأخر وانما نريد ان تكون ثورتنا لطيفةً فنقتل من مقاومينا من لا نرى بُدًّا من قتله » زه ! زه !

وبينما كانت هذه الدسائس تُعَدّ في الخفية والكلُّ واثقون بالسلام والهدوء اذ انقلبت الامور ظهرًا لبطن وعلم العالم المتمدن انَّ لشبونة في صباح ٥ تشرين الاول اضحت ساحة لحرب اهلية اسعرها البعوثون الجمهوريون مع زعماء الماسونية والمتحالفين معهم من الضباط والنقابة البحرية. وما كان يُعرَف من باعث لهذه الثورة الّا قتل بُمبَردا احد النوّاب المتوغلين في الماسونية قُتل في اليوم السابق بيد احد الضباط الصابين بالجنون - فنسب الماسون ومشايعوهم هذا الامر زورًا الى الملكيين وعرضوا جثّتهُ امام تمثال الحرّية واثاروا الشعب وفي اليوم التالي جرت تلك الامور المكدّرة التي سبق لنا الاشارة اليها ويعرف قرّاؤنا تفاصيلها وبعد أيام اخذوا جثة القائد كنديدو دوس ريس (C. dos Reis) الذي كان انتحر فطافوا بها المدينة مع جثة بُمبردا

ومن خواصّ هذه الثورة انَّ اصحابها الماسون جعلوها دينيَّة وسياسيَّة معًا واطلقوا العنان لكل اهواء الغوغاء وسفلة القوم الذين كانوا تنحوا فيهم البُغض للدين واهله باكاذيبهم وتُهَمهم الباطلة - وهذه شواهد لبعض من عاينوا تلك الحوادث الفاجعة من مراسلي الجرائد الانكليزية والفرنسوية الذين لا يَعدّون من انصار الكنيسة ولا من الموالين لارباب الدين قد نقلها البشير في اعداده الاخيرة

قال مراسل « الجرنال » في لشبونة في تاريخ ٩ تشرين الاول : « ان الحقيقة تضطرني الى الاقرار بان البغض لرجال الدين بلغ في القوم مبلغًا حملهم على اتيان اعمال بربرية فكان يُخيَّل لهم ان كلًّا من الاديار الرهبانيَّة حصنٌ ملكيٌّ حصين توفَّرت فيه الاسلحة والقذائف المدمّرة وانَّ الاديار تتصل ببعضها بانفاق عديدة تحت الارض . . . »

وبعد وصفه لما جرى من الفظائع في حق ارباب الدين من قتل وسلب ونهب ختم بقوله : « انَّ اعمالًا همجيّة كهذه لمّا يؤسف له كل الاسف ويسوّد وجه الجمهوريَّة الجديدة »

واشدّ من هذا لومًا ما كتبهُ مندوب الورننغ بوست البروتستاني : « انَّ الحكومة البرتغاليَّة الجديدة قد قضت على نفسها بالهلاك فقد يمكن ان تمرّ بعض اسابيع او

بعض الشهر قبل ان يوافيها الأجل لكنها ستكون ولا محالة دليلًا جديدًا على صدق المثل القائل: "من حاول ازدراد كاهن اختنق ونفق". واضاف الى ذلك ما يُبطل كل الشكاوى والشتائم التي سلق بها البعض ارباب الدين وهو احسن ثناء على الرهبان والراهبات المظلومين واعمالهم الخيرية في البرتغال: «اننا نتمنى لخير المرضى والمتقومين ان يوجد من يقوم مقام الرهبان في اعمالهم ومشاريعهم الخيرية خصوصاً في المستشفى الذي انشأهُ الدومنيكان في ستربال للمسلولين وهو عجيبة من عجائب اعمال الرحمة والبرّ ... وقد قرأتُ كل ما يرويهِ الجمهوريون عن اليسوعيين واحقق لكم اني لو كنتُ من مناهضي البابوية لمدتُ فمشيت تحت لوائها »

وقد ورد علينا عدة رسائل من آباء رهبانيتنا الذين كانوا في البرتغال ونجوا من ايدي الثائرين وبعضهم فرنسويون واسبانيون وكلهم لسان واحد على وصف ما لحقهم من الاذى والاهانات. فأُطلقت عليهم البنادق وقُتل بعضهم رمياً بالرصاص وافلت بعضهم متنكرين فتاهوا في الاقفار دون مأوى ولا طعام. وأُلقي منهم كثيرون في الحبس وعُوملوا معاملة القتلة واللصوص ولم يزالوا الى هذه الساعة يقاسون اصناف الآلام. وعُرض على بعضهم ان يجحدوا الرهبانية فيعودوا الى بيوتهم فآثروا البقاء مع اخوتهم « وهم فرحون كالرسل اذ حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا لاجل اسم يسوع » (اعمال ٥ : ٤١)

امّا ما أشاع اهل الثورة من أن الرهبان ولاسيما اليسوعيين اتخذوا الاسلحة ورموا القنابل على الشعب وما اشبه ذلك فقد ثبت لكل ذي نظر انهُ من تلفيقات اهل الثورة وترهات المتعصبين على الدين. فانَّ الحكومة الجديدة اسرعت فالغت القانون المسنون ضد الفوضويين ثم فتحت سجون المجرمين فاطلقت سراحهم لتبدلهم من الرهبان واهل الصلاح فاراد المجرمون ان يبدوا شكرهم لمن كسر اغلالهم فانضموا الى اصحاب الفوضى وحرقوا ونهبوا وقتلوا مثلهم بل بلغت القحة ببعضهم الى ان دخلوا اديرة الرهبان وكان هؤلاء قد أخلوا منازلهم فجعلوا يرمون القذائف من نوافذ القلالي فيوهمون الشعب بأنَّ الرهبان هم الذين يُقدمون على تلك الاعمال بما لديهم من العدد الحربية

وممن نجوا من ايدي اولئك الهمج الاب الفرنسوي اللعازري اسبينوز (M. Espinouze) فوصل الى باريس على آخر رمق بعد ضروب من البلايا والاهوال فاخبر عمّا شهدهُ من الفواحش في حق رجال الدين وكيف قُتل رئيسهُ الاب باروس غومس

(M. Barros - Gomès) اخو وزير الحربيّة سابقاً والاب الفرنسوي فراغ (M. Fragues)

قال الاب اسبينوز : ولمّا رأيت ما احدق بي من الاخطار وما نالني من الاهوال سرتُ متنكّراً في ساحات لشبونة لكنني ظننت مراراً بعديدة اني بلغت نهاية الحياة. وكنت ارى الوفاً مؤلفة من الارباش يطفرون كالمجانين منهم الجند واهل الحِرَف والنساء المتهتكات على رؤوسهنّ القبعات الفريجيّة (علامة اهل الثورة) وبايديهنّ البنادق وكل هؤلاء يتعقّبون آثار بعض المساكين من الرهبان فيسوقونهم الى مقام ارباب الثورة ويضربونهم على رؤوسهم ثم ادخلوهم في زريبة حيث جمعوا منهم ٣٠٠ واكثروهم يتهدّدونهم بالقتل اذا ما حاول احد المحافظين القيام في وجه الجمهوريّة وقد سمعت من الشتائم في حقّهم ما تطنّ له آذاني كما اني رأيت من سوء المعاملة نحوهم ما ذكّرني بثورة فرنسة الكبيرة وبأيام الكومون سنة ١٨٧٠ »

وممن حُبسوا من آباء رهبانيّتنا الاب تورانْ (Torrend) اخو رئيس ديرنا في تمايل فخلّصهُ من حبسهِ مع غيرهِ من الفرنسويين سفير فرنسة في لشبونة المسيو سان رينه تالياندييه القنصل في بيروت سابقاً . وقد نشر الاب المذكور تفاصيل توقيفهِ وحبسهِ وكان من معلّمي مدرستنا الكبرى في كيوليد ومما روى في رسالتهِ انّ الآباء اسرعوا الى تسليم اولاد مدرستهم الى اهلهم . ثم فتحوا ابوابهم لاهل الثورة الطالبين بالصراخ الهائل ان يسلّمهم الرهبان مدافعهم . فلما دخلوا وزاروا كل المدرسة لم يجدوا فيها سوى عدّة من بنادق « الخشب » التي كان الاولاد يتلهّون بها

واخبر مكاتب جريدة « الجرنال » راسمهُ « نودو » انّ اولئك الهمج كثيراً ما كانوا يتعرّضون لأذى السابلة على حجّة انهم من رجال الدين . واخبر عن نفسهِ انّ اهل الثورة ظنّوهُ « بادري » اي يسوعيّاً يحاول تعزيز حامية الأنفاق وانهُ لم يتمكّن من اقناعهم بالعكس الّا بعد شقّ النفس . وختم رسالتهُ بقولهِ : « انّ الحماقة البشريّة لا يُسبَرُ لها غورٌ »

ويُؤيد شهادة هؤلاء ما روى الاب غراب (P. Grappe) من رهبانيّة الروح القدس بعد نجاته من الثورة . فانّهُ رأى الثائرين يتراكضون في لشبونة الى دير اليسوعيين المسمّى كوالهاس (Quelhas) صارخين : ليمُت اليسوعيّون القتّالون . لانهم كانوا

سمعوا صوت قنابل أطلقت من الدير. امّا مطلقوها فكانوا بعض اصحاب الفوضى فعلوا ذلك تهييجاً للشعب. لأنّ رهبان الدير وهم قليلون اكثرهم عجزة وكانوا أوقفوا في اليوم السابق وألقوا في الحبس »

هذه مآثر الجمهوريّة وهذه نظائم الرهبان ! فتأمّل . وبينا نحن نكتب هذه الاسطر قد خطر على بالنا ما دوّنهُ التصصيّ الشهير بول فيفال عن اليسوعيين (وهو يصدق عن كل الرهبان اذ اطلق اهلُ الثورة البرتغاليّة عليهم جميعاً اسم « الجزويت ») قال: « يا جزويت يا جزويت ! أيها القتّالون الذين لا تقتلون قطّ وتُقتَلون دائماً. ايها المتغطرسون الذين دائماً تتذلّلون الى الدقعاء . . . أيها الطاعنون المفترون الذين لا يزال يُفترى عليكم فيتناولكم الثلب والطعن وتغضّون الطرف بل تجازون مضطهديكم خيراً بدلاً من الشرّ . أيها الجزويت انكم لغزٌ لا يُدرَك سرّهُ ومُشكل لا تُعرَف حقيقتهُ انتم وَرَثة عار الاله المتأنس. ولذلك لا استطيع بان افهم سيرتكم تماماً . . . بلى اني اعرف من امركم ما يكفي ليصيب حبّة قلبي ويجعلكم لديّ من اعزّ الاحباب فأفتخر بحبكم واجاهر بودادكم . ولعلّي اكتشفتُ السرّ الذي تصونونهُ ألا وهو حبّكم لصليب ربّكم هذا ما اوحاهُ اليّ صليبي (١ . . . »

وان سألت الآن: ماذا يكون من امر الجمهوريّة البرتغالية وما ظنّنا فيها. جوابنا انّ الشجرة تُعرف من اثارها وقد ظهرت للعيان اعمال الحكومة الجديدة فانّها منذ فجرها قد عُرف ما سيكون نهارها فانّ ونيسها الموقّت تاوفيل براغا اسرع وقرر طرد الرهبان الاجانب من كل البرتغال والمستعمرات امّا الوطنيون فيُقضى عليهم بترك

١) هذا بعض قولهِ بالحرف: Jésuites ! Jésuites ! Jésuites ! assassins qui n'assassinez jamais et qui êtes toujours assassinés ! orgueilleux qui baisez la terre ! . . calomniateurs qui buvez la calomnie, qui l'absorbez sans démenti et qui rendez le bienfait pour l'injure : Jésuites incroyables, Jésuites impossibles ! héririers de la divine infamie ! je ne vous comprends pas tout-à-fait . . . mais je vous comprends assez pour vous aimer passionément et pour éprouver une fierté peut-être coupable à le crier aussi haut que ma voix peut monter ! Je ne vous demande pas votre fameux secret, je crois le savoir ; mon Crucifix me l'a dit . . . (Paul Féval : *Jésuites* ! p. 243 seqq.)

الرهبانية او بالنفي من الوطن . وكذلك عزمت الحكومة الجديدة على فصل الكنيسة عن الدولة ووجوب استصفاء اموال الرهبانيات وابطال كل تعليم ديني والطلاق الاختياري والغاء كل الشرائع الاستثنائية حتى الشرائع المسنونة ضد اهل الفوضى ونشرت الراية ذات اللونين الاحمر والاخضر المراد بهما نفي كل دين والتعليم الوضعي وغير ذلك مما حكمت عليه جريدة الديبا بما تمريه (اطاب البشير ٢٨ تشرين ١) :

« اذا ما اصرَّ جمهوريو برتغال على اثبات خطتهم المادية للدين يطرحون بلادهم في مهاوي الخراب والدمار وقد رأينا البعض يُسرّون ويغتبطون بما فرط ولا يزال يفرط منهم من الاغلاط العظيمة . فان احدى الصحف الالمانية اخذت تتكلم من الآن عن تجزئة المستعمرات البرتغالية وتقسيمها . وبهذا موعظة كافية لمستامي زمام الجمهورية البرتغالية الجديدة » . وقالت جريدة بُست (Post) الالمانية : « انستطيع ان نركن الى البرتغال ونجعل ثقتنا فيها لادارة مستعمراتها الواسعة واهلها لا يمكنهم ان يدبّروا بلادهم وقد ظفرت فيهم الهمجية

ولكن هيهات ان يتعظ هؤلاء الرجال بقوال الحكماء وفي قلوبهم ما فيها من البغض للدين ومعاداة اهله والانقياد الى المبادي الثورية وتعاليم الماسونية . وستأتينا قريباً أصداء الفتن والقلاقل التي تنتظر الجمهوريين . ومما سبق يتضح للقراء خفّة كتبة المقتطف والمقتبس وقلة تروّيهم في ما كتبوه عن حزازات في النفس وهذا مما يحط من منزلة اصحاب المجلات

اما نحن فنوجه في الختام نظرنا الى الملك الطريد والى والدته الفاضلة وحاشيته الكريمة ونثني على ما ابداه عند خروجه من مملكته من عواطف الحب نحو وطنه واحتجاجه على الذين خلعوه ظلماً عن عرشه وهو لم يأتِ حتى الآن بأدنى فعل استوجب عليه الملامة لكنهُ يؤمل انَّ اهل مملكته يعرفون حقوقهُ ويردّون لهُ ما سلبهُ من ملك اجداده

وقد اختار الملك مانويل انكلترة كمقام ينتظر فيه ما سيقضي به الدهر المستقبل وطنه وقد لقي هناك قوماً من الرهبان مواطنيه الذين التجأوا الى الملجأ عينه وكلهم مستعدون ان يخدموا بلادهم بغيرة وتفانٍ اية ساعة تنفتح امامهم ابوابها

اما المغزى الذي ينبغي ان نستنتجهُ من هذه الحوادث المحزنة فهو ما سبق القديس

اوغستينوس واتسع في بيانه في كتاب مدينة الله فوصف هذا العالم كميدان تجري فيه حربٌ عوان بين مدينتين كبيرتين وهما مدينة الله ومدينة الشرّ والغش التي يسوسها الروح الشرّير. وما ثورة البرتغال سوى دَوْرٍ من هذه الحرب السجال التي تتناوب فيها الحملات فتظفر تارةً هذه وتارةً تلك على انّ الظفر النهائيّ سوف يكون بلا شك لمدينة الله بل قُل انّ يد الرب ظافرةٌ في كل واقعة. فانظر حفظك الله ما جرى في هذه المدّة الاخيرة من تحامل اعداء الكنيسة عليها كالشرائع المسنونة في فرنسة ضد الدين والاكليروس وكمضة الماسونيّة بسبب قتل فرّر وكدسائس الرئيس كاتالجس ضد الكنيسة في اسبانية وكقرار رئيس بلديّة رومية اليهوديّ والماسوني كاتان في رومية ضدّ الكرسي الرسولي وكالاعتصابات الفوضويّة التي تزداد وتنتشر في كل مكان فان كل ذلك كان دليلًا باهرًا على قوّة الكنيسة التي تضافرت عليها كل اعدائها دون ان يلحقوا بها فشلًا. أفلا ترى رعاك الله ما يجري في مقابلة هذه الغارات من انتعاش الايمان في قلوب كثيرين ومن آيات الحبّ والخضوع لحبر الاحبار ومن رجوع الالوف المؤلفة من غير المؤمنين الى حجر البيعة المقدّسة. ألا ترى ما جرى في منتريال من المظاهرات الجليلة التي قلّ ما جرى مثلها في اطوار التاريخ فنال السيد المسيح في سرّ قربانه الاقدس اكرامًا ليس له مثيل من نحو مليون من المؤمنين وخُذلت المسونيّة وانفضحت مكايدها الجهنميّة. ألا يسوغ لنا بان نصرخ كفرسيا موريتو في ساعة وقع مطعونًا بخنجر الماسون فتردّده الماسون البرتغال « انّ الله لا يموت » (Dios no muere)

النارجيل او جوز الهند

للاب انطون رباط اليسوعي

من اغرب الاشجار شأنًا واعجبها امرًا واكثرها فائدة شجر النارجيل (١ او جوز الهند الذي ينمو في البلاد الحارّة فان الشجرة تشبه النخل طولًا وتفضلها صلابةً فيتخذون منها الاعمدة والجسور للسقوف ويعبرون بها المراكب فتقوى على الماء سنين

---

١) من الفارسية تاركيل ومنها اشتقّوا التاركيلة لوعاء شرب التنباك

طويلة وللنارجيل سعف ممتدّ قد يتجاوز سبع اذرع فيضفرون اوراقهُ زنابيلَ وسلالاً وخصافاً وغيرها من الآنية ومن ضلوع نخلهِ كانوا يصنعون القسيّ . والان يعملون منها الكراسي والمجالس ويسيّجون بها البساتين والاحواش والحظائر ومن ليفهِ يصنعون الحبال للمراكب ويحيكون نوعاً من السجّاد المتين . لكن جلّ منافع النارجيل قائم في ثمرهِ . قال ابن البيطار في كتاب مفردات الادوية (٤ : ١٧٤) :

« النارجيل ويسمّى الرانج وهو جوز الهند . قال ابو حنيفة : هي نخلة طويلة تميل ثمرتها حتى تدنيها من الارض ليّاً . ولها اقناء يكون في القنو الكريم منها ثلاثون نارجيلة »

وزاد ابن بطوطة في رحلتهِ (٢ : ٢٠٨) :

« ومن خواصّ هذا الجوز تقوية البَدَن وإسراع السِمَن والزيادة في حمرة الوجه . . . ومن عجائبهُ انهُ يكون في ابتداء امره اخضرَ ثمّ قطع بالسكّين قطعةً من قشرهِ وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة ومزاجهُ حارٌّ فاذا شرب ذلك الماء اخذ قطعة القشرة وجعلها شبه المِلْعَقة وجرّد بها ما في داخل الجوزة من الطُعم فيكون طعمهُ كطعم البيضة اذا شُويت ولم يتمّ نضجها كلَّ التمام ويتغذّى بهِ . ومنهُ كان غذائي ايام اقامتي بجزائر ذيبة المهل مدّة اكثر من عام ونصف عام . ومن عجائبهِ انهُ يُصنع منهُ الزيت والحليب والعسل . فامّا كيفيّة صناعة (العسل) منهُ فان تعدّام النخل منهُ ويسمّون القازانيّة يصعدون الى النخلة غُدُوّاً وعشيّاً اذا ارادوا أخذ مائها الذي يصنعون منهُ العسلَ وهم يسمّونهُ الاطواق فيقطعون البذق الذي يخرج منهُ الثمرُ ويتركون منهُ مقدار اصبعين ويربطون عليهِ قدراً صغيرةً فيقطر فيها الماء الذي يسيل من البذق . فاذا ربطها غدوةً صعد اليها عشيّاً ومعهُ قدحان من قشر الجوز المذكور احدهما مملوءٌ ماء فيصبّ ما اجتمع من ماء البذق في احد القدحين ويغسلهُ بالماء الذي في القدح الآخر ويُنحّيهُ من البذق قليلاً ويربط عليهِ القدر ثانيةً ثم يفعل غدوة كفعله عشيّاً فاذا اجتمع لهُ الكثير من ذلك الماء طبخهُ كما يُطبخ ماء العنب اذا صُنع منهُ الربّ فيصير عسلاً عظيم النفع طيّباً فيشتريه تجارُ الهند والسند والصين ويحملونهُ الى بلادهم ويصنعون منهُ الحلواء . وامّا كيفيّة صنع (الحليب) منهُ فانّ بكلّ دار شبه الكرسي تجلس فوقهُ المرأة ويكون بيدها عصاً في احد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة ويحرشون ما في باطن الجوزة وكل ما يتحلّل منها يُجمَع في صحفة حتى لا يبقى في داخل الجوزة شيء ثم يُمرَس ذلك الجريش بالماء فيصير كلون الحليب بياضاً ويكون طعمهُ كطعم الحليب ويأتدم بهِ الناس . وامّا كيفيّة صنع (الزيت) فانهم يأخذون الجوز بعد نضجهِ وسقوطهِ عن شجرهِ فيزيلون قشرهُ ويقطعونهُ قطعاً ويجعل في الشمس فاذا ذبل طبخوه في القدور واستخرجوا زيتهُ وبهِ يستصبحون ويأتدمون ويجعلهُ النساء في شعورهنّ وهو عظيم النفع »

على ان النارجيل الطري الاخضر لا ينتفع منهُ الّا الاهلون ولا يصدرونهُ الى الخارج

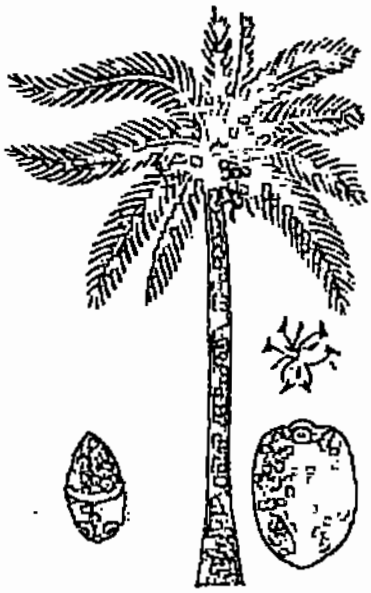

النارجيل وزهرهُ وثمرهُ

الا بعد نضجهِ وهو المعروف في البلاد. وقد راجت تجارتهُ في هذهِ السنين الاخيرة بعد ان اعتاد اهل مرسيلية ان يستخرجوا منهُ المواد الزيتيَّة ويستعملونها في صنع صابونهم الممتاز فورد منهُ الى جمرك مرسيلية نحو من ٦٢,٠٠٠ طن (وكل طن الف كيلو). ومنذ عشر سنوات زادت الكمية فبلغت ١٢٠,٠٠٠ طن وذلك لرواج السمن الصناعي الذي استُخرج منهُ

وكيفية ذلك هو انهم يطحنون مادَّة الجوز طحنًا بالآلات الى ان تصبح معجونًا يغلونهُ فيتدفق منهُ مانع زيتي يزيدون تنقيتهِ وتصفيتهُ من المواد الدهنيَّة والزيتيَّة فيتجمَّد سمنًا غاية في البياض والنظافة ولا رائحة لهُ ولا طعم خاصّ يذوب في الدرجة ٢٦ من المقياس المئوي ويحتوي على تسعين بالمائة من الدهن النباتي على مثال السمن الطبيعي. وقد دعوهُ لذلك كوكوز (Cocose) اشارة الى استخراجهِ من ثمر النارجيل وقد فحصهُ الدكتور هوبر فحصًا مدققًا فلم يجد فيه شائبة وطعمهُ يشبه السمن الطبيعي في كثير من الاطعمة وان كان لا يضاهيهِ ذكاء. لكن الكثيرين قد اقبلوا عليهِ لهوادة اسعارهِ وخلوصهِ من كل مضرَّة فأُرسل منهُ نحو من عشرين مليون كيلو من معمل مانيان في مرسيلية في السنة الماضية. وقد اخذ اهل الشام يستعملونهُ في اطعمتهم. ومن فوائدهِ ان لا بأس من استحضار الاطعمة بهذا السمن الصناعي في اوان الصوم بدلًا من الزيت الذي لا يستطيع كثيرون من اكلهِ. فترى كيف تسهل الاكتشافات الجديدة كل يوم للانسان قضاء حاجاتهِ فيحق لهُ الشكر لذاك الذي اودع في الطبيعة وسائل لا تُحصى تعينهُ على ادراك غايتهِ في عالمهِ ليزيد نشاطًا في طلب غايتهِ القصوى

توجيه الانظار

الى عوامل الافكار

للشيخ سعيد افندي الخوري الشرتوني

قد وُفِّقَ لهذه الأيام كما يعلم الجميع الدُّعاةُ الى ما به قوام السعادة من تهذيب الاخلاق وارشاد الأفكار واصلاح الاحوال ونشروا في ذلك ولا يزالون ينشرون الفصول الطوال. وكلهم يبغي للبلاد خيرًا وفلاحًا. بيدَ ان في بعض تلك الفصول من الآراء والمذاهب ما لا يؤدّي الى المقصود بل ما يُفضي بشبيهه الى ضدّ المطلوب. ولا اقيم النكير على ما اليه قصدوا. فلم يقصدوا سوءًا ولكنّهم ظنّوا بل أيقنوا انّ ما يشيرون به هو الطريق السويّ الى النجاح فزيّنوا للناس أن يسلكوهُ ليفوزوا بما يبتغون من انتشار السعادة وانبساط العمران. فحدا بي حبُّ الوطن أن أنشئ فصلًا اذكر فيه موارد الافكار ومناهل الاذهان التي تردُها ناشئة هذه الآفاق آملًا انّهُ يكون هاديًا الى ما أريد بالبلاد وما يريد بها اصحاب تلك الفصول من التقدّم الأدبيّ والعلميّ فاقول والله من وراء القصد:

عوامل الافكار هي ما يحدث فيها آثارًا مختلفة او متباينة فترسم تصوّرًا وتمحو تصوّرًا. وتغرس اعتقادًا وتقلع اعتقادًا حتى يعود المرء غير من كان فهي كعوامل الاعراب فهذه تُحدث أثرًا في أواخر المعربات من بين رفع ونصب وخفض وجزم كما هو معلوم لمن له اقلّ إلمام بالعربية. وتلك تحدث ما ذكرتُ من التصوّرات والاعتقادات وهذا هو الوجه في تسميتها بعوامل الأفكار. واخصّها ثلاثة: الجرائد والمدارس والكتب: وهي من علوّ الشان والجدارة بالبحث عنها بمكان النجم ألا وهي سمٌّ او ترياق. وداء او دواء. ونورٌ او ظلامٌ. فهي التي تُميت تعاليم الفلاح وهي التي تدل غياهب الضلال وهي التي تحيي صول الحضارة وتزرق دُجنّات الغواية وتستأصل من العادات قبيحها وتهدي الناس سواء السبيل وتبثّ لهم وجوهَ الفلاح وتبثّ بين ظهرانيهم انوار العلوم. وتفجّر لهم أنهار الثروة وتنشر فوقهم سرادق الأمان وتدير عليهم كؤوس الهناء. لكنّها لا تأتي بهذه الثمار الّا متى استنار اربابها بضياء العلوم والمعارف

واجالوا النظر في احوال البلاد وتطلّبوا معرفة العواقب ودقّقوا في ما تصير اليه الامور . فالالتفات الى مصاير الاحوال هو المقام الذي يُعرف به الحكيم من المتهوّر كما يعلم ذلك المجرّب الخبير والّا كانت كما سبق الانباء الاعاصير المدمّرة او الأوبئة المهلكة وان شئت فقل طغيان سيل شرّ عرم لا يبقي من اركان الراحة والفلاح ولا يذر . فدونك تفصيل هذا الاجمال

١ الجرائد

انّ الجرائد — وهي العامل الاوّل من عوامل الافكار — خطباء منبثّة في كل وجه من البلاد فكأنّ كل جريدة قائمةٌ على منبر في مشهد عام . خاصّ بالخواصّ والعوام . وليس فيهم الّا الصاغي المشتاق الى سماع ما تقول . وهي تفعل ذلك إمّا كلّ يوم او كل ثلاثة ايام او كل اسبوع او كل نصف شهر او كلّ شهر لا تأخذها سآمة . وقلّما تتخلّف عن مواعيدها : فهل يمكن ان لا ترتسم اغراض اصحابها او كتّابها في اذهان الكثير ممّن يدأبون مطالعتها ؟ فالحواب ذلك مما يستحيل تصوّره

فمن استخفّ بها فقد ضلّ ضلالًا مبينًا فهي تؤثّر في الافكار مثل ما تؤثّر « ضَرَبَ » في « زَيد » وتصبغ النفوس باللون الذي تحبّ . فاذا تقرّر ذلك كان لا بدّ أن يُقام لنتائجها ميزان ويُكبَر لها شان . فهذه الدُول على عظمتها تتذرّع بها الى نشر مقاصدها وتستعينها في الذّود عن حياضها

فمن اراد ان يعرف آثارها ويعجم عودها فلا بدّ ان يوجّه نظره اليها من ثلاثة أوجه والّا استعجم عليه أمرها : الوجه الاوّل الغرض الاصليّ الداعي الى انشائها . والثاني ما تتعرّض له وتخوضهُ من الابواب والمواضيع التي يطلبها ذلك الغرض . والثالث ما تستظهر به من الاساليب للاستيلاء على الافكار واجتذاب الاهواء

الداعي الى انشاء الجريدة او المجلّة

اذا اردتَ ان تعرف مشرب الجريدة والغاية التي تسعى اليها فوجّه النظر الى الغرض الاصلي من انشائها تظهر لك بذلك حقيقة مشربها وتتبيّن لعينك غايتها فتعرف حينئذٍ مشربها كما تعرف صديقك متى رأيتهُ

انظر بادئ بدء الى صاحبها ومسلكهِ وما عُرف به واشتهر منهُ والى الينابيع التي

تستقي منها اخلاقهُ وصفاتهُ والى الموارد العلميَّة التي ارتوى و يرتوي منها عقلهُ فهو لا يخلو اما ان يكون صحيح المشرب قويم المسالك مشهوداً بنقاوة النفس من أدران الدناءة واللؤم ريَّان الاداب من الينابيع الصافية مستنير العقل من مصابيح العلوم الوهاجة جديراً بان يخاطب الناس في الشؤون الادبيَّة والعلميَّة خليقاً بأن يجلس على كرسيّ الصحافة مضطلعاً بان يوقد لهم نبراس الهداية الى ما تحسن بهِ احوالهم المعاشيَّة دائباً ابداً في توخي ما يترتب على نشرهِ فائدة اجتماعيَّة

واما ان يكون مع صفة مشربهِ منحصر الغرض في إرضاء هواهُ واشباع نفسهِ مما يهواهُ وكل ما خلا ذلك من شروط الجريدة لا يراهُ مستوجباً العناية . وذلك كمن يكون هائماً بالاشتهار في الكتابة متيَّماً بجناء البلاغة منطلق القلب وراء عبارة يستفصحها او اسلوب يستحليهِ وليست المواضيع والمباحث والاخبار عندهُ بالداعية الأولى الى انشائها . فجريدة يكون الغرض ذاك علة ايجادها يُعلم ان اكبر همّ صاحبها ان يُوصف بنقاوة العبارة والسلامة من لوثة العجمة والالفاظ الرثة والتراكيب المستهجنة فمن يَعَف طبعهُ قراءة الكلام الهرّاء او الماطل ولا يهتمُّ موضوع البحث يكن ولا شكَّ من قرائها ولا غرو فهو وصاحبها فرخان في بغاث

واما ان تكون نزعة صاحبها الى اظهار ما عندهُ من قوة الاختراع العقلي والتوليد الفكري وبيان ما لهُ من سعة التصرّف في المعاني والتفنن في بسطها بحيث لو كان المعنى نواةً لحوَّلهُ شجرةً وهو من حيث عدم الاحتفال بماهيَّة المواد والمباحث ينتظم في سلك من انحصر غرضه في ارضاء هواهُ فمن يَرُقهُ منزعهُ يَمِلْ الى قراءة جريدتهِ

فلا تحسبنَّ يا هداك الله اني لا احفل بنصاعة العبارة وقوَّة التصرّف فهما يملاك البلاغة ومن اخصّ ما يحتاج اليهِ صاحب الجريدة او المجلَّة فكلاهما مما يبهج النفس ويهشّ لهُ القلب ويرفع فوق اسم الجريدة راية الفخر . لكن لا بدَّ معهما من تخيّر المواضيع والمباحث الجامعة بين بلاغة التعبير وكشف الحقائق الغامضة وحل المشكلات المستعصية وبثّ الاراء الصائبة ونشر المقالات المزيلة للأوهام التي يراها العوامّ وبعض المتحلين للعلم حقائق ثابتة

واما ان يكون غرض صاحبها الكسب بالمعاونة على مجاراة الاهواء والاستنصار لكل منتصر ولو جانياً او جائراً فتراهُ يطعن في العادل ويثني على الظالم ويخطّئ البريء

ويبرّئ المجرم لا يبالي الافتئات والافتراء كأنما وجهه قُدَّ من جلد جاموس. وهو في كلا الحالين لا وجهة لقلبه الّا كسب المال باي طريقة استطاع فكأنه تاجر سلاح لا تروج بضاعته الّا ايام الفتن والقتال فأقصى مُناهُ ان لا يُخمد لهيب الجصام ما بقي موقّى اذاهُ. فجريدةٌ ذلك غرض صاحبها اشبه بمنشفة الحمّام فلا تجد لها مقاماً حتى في صدور من يتوسلون بها الى نشر ما يريدون من رسائل الطعن في من لم يأتوا من الاعمال ما يرفضه الشرع او يردُّهُ القانون ولم يخرجوا في افعالهم عما يقتضيه نجاح المصلحة العامّة

وما اجدر جرائد من هذا الصنف ان توصف بالبراقشيّة لما تختلف مسالكها وتتباين مقاصدها فهي كأبي براقش(١

ابواب الجريدة ومواضيعها

ان الابواب والمواضيع في الجريدة هي احرى مواضع النظر وهي امّا علميّة او ادبيّة او تهذيبيّة. أما العلمية فلا يطرقها الّا عالم متبحّر واسع الاطلاع دقيق النظر شبيع العقل يهجم على المشكلات فيفتح ابوابها لمن كان يعجز عن حلّها. واما الادبيّة ونريد بها ما تتعلّق بفنون الادب فلا يتعرّض لها الّا من كوشف باسرار هاتيك الفنون وانكشفت لهُ غوامضها وذلّت لهُ صعابها. واما التهذيبيّة وهي المتعلّقة بترويض الطباع وتدميث الاخلاق وتقويم ما في الخلائق من الأوَد فخيرُ مَن يجول فيها من كانت افعالهُ واقوالهُ تصف سلامة آدابهِ وتجتمع الكلمة على بياض سريرته ونزاهة نفسهِ

فاذا جمعت المجلّة او الجريدة هذه الابواب الثلاثة كانت ضياء للعقل وغذاء للاخلاق فتُقبل عليها الخاصة والعامّة. ولكن اذا كان في مواضيعها ومباحثها ما تندفع بهِ النفوس الى اعمال لا يرتدّ منها الى فاعلها الّا رائحة خبيثة او كانت تسوق الضعف الى الآداب بطريقة خفيّة كانت المصلحة تدعو الى نبذها والاعراض عنها كما لو كانت تتصدّى للخوض في المسائل العلميّة والادبيّة وليست لصاحبها قدمٌ راسخة في العلوم والفنون بل هو قليل البضاعة ترى النادة لا اطّلاع لهُ على دقائقها ولا حظّ لهُ من الوقوف على اسرارها فلا تكون ابحاثهُ وتقاريرهُ الّا مشوبةً بالخطاء

الاساليب التي تستظهر بها الجريدة للاستيلاء على الافكار

لم اذكر هذا الوجه لأنهُ مبهم يحتاج الى ايضاح بل لأجعلهُ على ذكرٍ من الناظر في

(١) هو طائر اذا هُيّج انتفش فتتغيّر لونهُ الوانًا شتى

امر الجريدة. فهو من الوضوح بحيث اذا راجع المرء نفسهُ علمهُ من عند ذاتهِ فان اساليب الاستيلاء على الافكار منحصرة في اقامة البرهان والتلطف في الدعوة الى المقصود. فكل من حضر مجلس مناظرة بين اثنين استولى على فكرهِ كلام من غلب برهانهُ وقويت حجتهُ فيقطع للحال ان الحقَّ في جانبهِ . وكذا كل من حضر مجلس عتاب بين شخصين مال الى ألينهما عريكةً واقواهما حجةً وألطفهما عبارةً من دون ان يجذبه احد الى ذلك

واذا رأى رجلًا يتنازع دعوتهُ اثنان من الاولياء ولكن احدهما مع سخافهِ خشن المباشرة غير مأنوس المجالسة يظهر من جوانبهِ العُجب و يلوح على كلامهِ الكبر والآخر رقيق الحاشية منخفض الجناح حلو المحادثة لطيف المفاكهة علم من عند نفسهِ ان الرجل انما يجيب دعوة الحلو المحادثة لا دعوة الخشن المباشرة فالجريدة تستولي على الافكار بقوتين قوة البرهان وقوة حسن التعبير فلا سطوة لجريدة لا تجرد سيف الدليل القاطع. ولا تظهر بثوب البلاغة الجميل الرائع

٢ المدارس

المدارس — وهي العامل الثاني من عوامل الافكار — مراضع يربو الطلّاب على درّها. او موائد يتغذّون من طعامها او ينابيع يشربون منها او منازل يأوون اليها . وهي من اهمّ ما يجب البحث عن احوالهِ والتنقيب عن أغراضهِ. ولا غرو فالأب ينتقي لطفله ظئرًا صحيحة المزاج والآكل يبتغي طعامًا طيبًا والشارب يقصد المياه العذبة الصافية والخارج الى التنزّه يرتاد مكانًا طيب الهواء فيتعيّن على الباحث في شؤون المدارس ان يقسم البحث الى اربعة فصول فصل في الغرض من انشاء المدرسة وفصل في المعلّمين وآدابهم وعلومهم وفصل في العرفاء والنظّار وسيَرهم وأخلاقهم وفصل في الرئيس وعلمهِ والّا فلا يتسنّى لهُ الاتيان بالبيان الشافي في هذا الموضوع الذي هو اعلى في النظر الاجتماعي من سائر الموضوعات وذلك لاختصاصهِ بمن هم آمال المستقبل ورجال الغد واشتغالهِ باثارة عقولهم وتهذيب طباعهم. وهذا أُلمُّ بهذا البحث على الترتيب الذي ذكرت

الغرض من انشاء المدرسة

لا مراء ان الغرض من انشاء المدرسة بعد تعليم العلوم واللغات الاعجميّة المحتاج

اليها في المخالطات والمعاملات كالامة الفرنجية والانكليزية والطليانية انما هو غرض مشرب او مذهب في نفوس الاحداث والاتجاه بارواحهم جهة ذلك المشرب أو المذهب. فيستحيل ان تكون المدرسة حسنة الوجهة ان لم يكن الغرض من انشائها إشراب الصغار الاحداث اصولاً لها قوة أن تقف في وجوه المقاصد السيئة وترد من تأصلت فيهم عن ايقاع الاذى والاضرار بالناس وتربيتهم على التزام العادات المحمودة والآداب الظاهرة والباطنة حتى تكون سيرتهم ممتازة على سيرة من لم يتهذبوا في الآداب الباطنة التي هي الاخلاص والصدق والصبر والرأفة بالحاريج ورقة القلب واحترام الكبراء والعظماء والشيوخ والارتياح الى الانقاذ من البلايا وتنفيس الكروب واندفاع النفس الى الاعانة على كشف الضيم وما شاكل ذلك. وانت تعلم انه لولا تأصل هذا الاصل النقي الشريف في صدور المسيحيين الغربيين لم يقم في بلادنا مدرسة للدعاة الغربيين الذين اثاروا اذهان الالوف من الشوابّ والشبان ولا غرض يدفعهم الى هذه المأثرة الا نفع البشر وتنوير بصائرهم بانوار العلوم وطبع القواعد الادبية الصحيحة على الواح صدورهم

وربّ معترض يقول ان حاجة الطالب من المدرسة ان يتعلم العلوم و بعض اللغات الاعجمية التي يقتضيها الاختلاط بالأوربيين فيكفي ان يكون الموقف طويل الباع في ما يُقرأ عليه من العلم وما يؤخذ عنه من تلك اللغات قادراً على شرح الاصول وضرب الامثلة خبيراً بطرق التعليم ماهراً في اساليب التوقيف لا يثقل على المبتدئ بتطويل المسائل ولا بتوسيع الشروح لأن الذهن بعدُ في طفوليته فلا يقبل له بالاحمال الثقيلة (كما سيرد ذلك بصورة أوفى في فصل المعلمين) فحسب الطالب أن يكون شيخه ضليعاً في فنه. واما غرض منشئ المدرسة وسيرة الاستاذ فلا علاقة لهما بامر التعليم بتة فكيف كانت سيرة المعلم وبما كان غرض المدرسة فيما لا يعوقان الطالب عن تناول العلم ولا يجحفان ببلوغ أربه منه

قلت انّ هذا الاعتراض غير وارد بل هو شبهة ساقطة. الا ترى ان الطالب مخالط للمعلم خاضع لنظام المدرسة فان كان المعلم محمود السيرة مهذب الاخلاق كانت مخالطة التلميذ له كالاقامة بين الرياحين. وان كان لا سمح الله قبيح السيرة خشن الطباع كانت معاشرة التلميذ له كالثواء قرب الجيف. ومن المقرر الذي لا يشوبه ريب

ان المخالطة من اسباب العدوى في الامراض الجسمية فكيف لا تكون كذلك في الأدواء المعنوية ولله قول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينهِ فكلُّ قرين بالمقارَن يقتدي

ولا يمكن ان يكون نظام المدرسة الّا مبنيًا على الغرض الرئيسي الاوّلي من انشائها مسهّلًا السبيل اليهِ فان كان في نيّة منشئها إشراب التلاميذ الكراهة لشيء والحبّ لنقيضهِ رأيت الملك دالًا على ذلك قائدًا اليهِ

المعلّم وعلمهُ وآدابهُ

لا جرم ان المعلّم هو الذي يلقي بذور العلم في ذهن المتعلّم وهو المشير المقتدى والصاحب المتّبع فيتعيّن ان يكون بارعًا في فنّه خبيرًا بطرق تعليمهِ كثير البحث والمطالعة حتى يستطيع ان يكشف الغوامض ويحلّ المشكلات وان ينظر في الدرس الذي يلقيهِ على الطالب قبل ان يدخل المدرسة كما يتعيّن ايضًا ان يكون حميد الاخلاق محمود المعاشرة حتى يرى فيهِ الطالب مثال الأدب. فان قليل البضاعة مذموم السيرة أضرّ بالطلبة والقى في عقولهم الاغلاط وزرع الأوهام واعداهم بما هو مبتلىً بهِ من الامراض الادبيّة فاستعمال القاصر في علمهِ المذموم في مسلكهِ اثمٌ في حقّ الطلبة الذين هم ودائع في ايدي رؤساء المدارس. هذا ولا سبيل الى ايجاد المعلم الطويل الباع في علمهِ القادر على غرس اصول العلم في عقول الطلّاب الّا ببذل الاجرة الكافية حتى يستطيع ان يفرّغ ذهنهُ للنهوض بعبء التعليم . وكل مدرسة لا تحسن اختيار المعلمين فهي كالزارع الذي ليس عندهُ بذرٌ جيّد او كمن يكلّف من لا يُحكم البناء ان يبني لهُ صرحًا فيكون تحصيل الطلّاب كنتاج ذلك البذر واضطراب افكارهم عند عرض المسائل عليهم كذلك الصرح الذي ترتجّ جدرانهُ أيان عصفت بهِ هُوج الرياح

العرفاء والنظّار

انّ العرفاء والنظّار هم القائمون على حفظ الترتيب والنظام ألا وهم الذين يجالسون مع التلاميذ في اثناء الاستعداد للتعلّم. ألا وهم الألى يتنزّهون معهم في باحات معاهد العلم ويرافقونهم عند خروجهم الى المنازه وهم يتولّون الارشاد ويعلمون مبادئ التهذيب والأدب . فيجب ان يوقن كلّ من هؤلاء العرفاء والنظّار ان سوء سيرتهِ سمٌّ يُصَبّ في قلوب مَن اؤتُمن عليهم. وليعلم كلٌّ منهم انّ سوء التربية غلٌّ اثمٌ في عنقهِ

امام الله وامام الاجتماع البشري . لكن ان كان هؤلاء من اهل الفطنة والاخلاص بذلوا الجهد ليعزّزوا البلاد بشبّان يفخرون بالرصانة والصدق والاخلاق الكريمة فوق ما يفخرون بالعلم فينالون بما نشأوا اولئك الطلّاب على الآداب الصحيحة جلالةً قدرٍ عند ابناء عصرهم فان البلاد تنتفع بمعارفهم وتتجمّل بآدابهم وتستفيد من انتشار اخبارهم الجيّدة

الرئيس ومعلمه

لا ارى عبارةً مختصرة واضحة تفي بتعريف الرئيس أبلغ من ان اقول الرئيس كالرأس والمدرسة كالبدن نتعلم من ثمّة انهُ لا يتمّ الرئاسة الّا الحازم الحكيم العالم الواسع الصدر المخلص القصد المرؤض الاخلاق الذي ينظر الى المصادر قبل الموارد — ألا وانهُ هو الذي يضع القانون . وهو الذي يختار المعلّمين والعرفاء والنظّار ومدير الدروس ويختار الكتب ويقتسم الأوقات وهو المرجع العامّ لجميعهم فان لم تتوفّر فيه هذه الصفات فلا يحسن ان يضع للمدرسة قانوناً تجري عليه ولا يحسن اختيار المعلمين ولا يحسن القيام باعباء السياسة فيختلّ النظام ويقع الشقاق بين معلّم ومعلم او بين ناظر ومدير او بين تلميذ وناظر او بين معلّم وناظر اذ ليس هنالك رجل لهُ سطوة العقل والحزم فيُخشى سخطهُ ويرجى رضاهُ

وربّ قائل يقول ان مرجع التلاميذ في امر الدروس الى المعلّمين وفي امر السلوك الى النظّار والعرفاء فلا تبقى لهم علاقة بالرئيس وزد على ذلك ان النفقة في يد القيّم اي وكيل الخرج والدخل . وليت شعري اي اهميّة تبقى بعد ذلك للرئيس ؟ قلت ان جميع من يتولّون النظارة والادارة والتعليم ووكالة الخرج انما هم كالحواسّ التي يتوسّل بها العقل الى الحكم فان لم يكن العقل سليماً فما سلامة الحواس بكافية الاصابة في الحكم ولا بمغنية في ذلك شيئاً . وقصارى القول ان الرئيس بلا المعلّمين الحذّاق والنظّار الأدباء الاذكياء لا يقدر ان يقوم بمهمّته فانهُ يكون كرأس بلا عين ولا اذن ولا لسان . وان هؤلاء بدون الرئيس لا يستطيعون ان يقوموا بوظائفهم اذ يكونون كالحواسّ عند مرض الدماغ — فيكون المصاب بالتهاب الدماغ صحيح السمع والبصر ولكنه لا يسمع ولا ينظر فبينهما من تلازُم الاحتياج مثل ما بين الدماغ والحواسّ او مثل ما بين السيّار الكهربائي والقوّة الكهربائيّة فالمركب الكهربائي لا يستطيع ان يجري

بالركاب وان كان تامّ التجهيز الّا باتّصال القوّة الكهربائيّة به. والقوّة الكهربائيّة لا تقدر ان تحمل الركاب بدون العجلة الكهربائيّة فاذا وقع نقصٌ في احد هذين المتلازمين ظهر الخلل فنجاح المدرسة بل حياتها بالرئيس ولكن كل حذاقة الرئيس وحزمه وعلمه لا تغني شيئاً ان لم يتخيّر ممّن ينتحلون التعليم المَهَرة المهذّبين والبارعين المضطلعين فلا يضنّ عليهم بالاجرة الكافية والمكافاة على اتعابهم بل يطيّب قلوبهم ويوفّر لهم الوسائل الكافلة بنجاح تلاميذهم الحسيّ والمعنويّ حتى لا يقع الاجحاف بحقّ الطَلَبة المستودعين عنده المسلّمين لادارته وأمانته

٣ الكتب

قد مرّ بك في صدر هذا الفصل ان الكتب العامل الثالث من عوامل الافكار فاذا كان الناس حراصاً على الآداب متشوّقين الى غرس الفضائل العقليّة وانمائها في النفوس رفضوا كلّ كتاب يضرّ بالآداب ويذبل رياضها او يُضل السراةَ والعوامّ ويعرض عليهم الاوهام بصور الحقائق واوجبوا على الطلبة الاحداث ان يُقبلوا على الكتب الحافلة بما ينير العقل ويهذّب النفس. واذا كان لهم رعاية لكرامة لغتهم وهي الحافظة لجنسيّتهم والمنطوية على تاريخ آبائهم واجدادهم اقتصروا من التآليف العلميّة والادبيّة السليمة من آفات الاخلاق على الكتب البليغة ليردوا الموارد الصافية وتصير البلاغة فيهم ملكةً وحتى يكونوا في الملكة العربيّة كأنهم من صميم أهلها

والخلاصة ان الكتب التي تنشر بين ايدي الناس ان كانت علميّة يجب ان تكون بريئة من الاوهام حذارَ التضليل وسوء مغبّته وشرّ عواقبه. وان كانت ادبيّة يجب ان تكون خاليةً مما يشوّش الاذهان مهذّبة العبارة متينة التراكيب عربية الاسلوب. وهذا عصر التأنّق في الملابس والمباراة في التفخّم فلمَ لا يكون عصر التدقيق والتحقيق والتأنّق في الانشاء وتخيّر الصحيح من المبادئ والعادات

اقول ذلك لأن في كثير من المنشآت المصريّة اجحافاً بالتحقيق وتقصيراً في التدقيق وغارات على العربيّة تكاد تنتهك حماها كما ان في بعضها من الاوهام والشبه والمغالطات ما يفتح للمطالع ابواب الريب ويخرج من الصدور مبادئ شريفة صحيحة لا تعيش الاخلاق الكريمة الّا عليها ولا تنتظم المعاملات البشريّة الّا بها فان طباع

الاحداث كذائب الشمع والكتاب كالطابع فهو بهيئته اللفظية وحالته المعنوية ينطبع على صدور الاحداث فان تضمّن صواباً وتهذيباً ارتسما على تلك الطباع وان حوى خطاء وفساداً تمثّلا عليها

الخلاصة

تلك هي اخصّ العوامل الفكريّة اي الجرائد والمدارس والكتب التي اردنا توجيه الانظار اليها فلكلٍّ منها آثار في اذهان القرّاء والمتعلّمين بحسب نحوها فيترتّب على اصحابها ان يجعلوها مطالع اطواء العلوم ومزارع اصول المدنيّة الصحيحة البنية و ينزّهوها عن الركاكة والغواية و يبذلوا جهد الطاقة محاشاةً للخطاء في ما يكتبون ويعلّمون من منقول ومعقول. فغضُّ النظر عن هذه العوامل الثلاثة وما تفعله في العقول يؤدي الى إضعاف العلم واعتلال الآداب ومرض الاخلاق وحرمان الغرض المقصود. واقصى ما نتوخاهُ ان يجتهد الكتّاب وارباب المدارس ومؤلفو الكتب ان يجعلوا هذه الموارد الثلاثة صافيةً او ان يجعلوا هذه المصابيح الثلاثة منيرةً حتى تتابلهم البلاد ابداً بالشكر والثناء وتعترف انهم رجال العلم والتهذيب الذين يستنار بآرائهم ويُقفَّى على آثارهم و يعوَّل في ايجاد اسباب التقدّم عليهم وانّا لنأمل من الخواصّ والعوامّ ان يضافروهم لبلوغ القصد بان لا يضنّوا بالمال في هذا السبيل سبيل الفلاح. والله المسؤول ان تصل بنا الأيام الى حالةٍ تبشر البلاد بانّ عهد المكر والتأخر قد خلا وان عهد الصدق والتقدّم قد أتى وما ذلك على الله الكريم بعزيز

كتاب الهمز

عن ابي زيد سعيد بن اوس الأنصاري

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز ﴾ هَنَأْتُ البَعيرَ أَهْنَأُهُ هَنأً [هَنْأً] إذَا طَلَيْتَهُ بالهِنَاء وهو القَطْران، وتقول: هَنَأَنِي الطَّعَامُ يَهْنَأُنِي هَنأً وَهَنْئًا [وَهَنَاءً] وَمَا كان الطَّعامُ هَنِيئًا. وَلَقَدْ هَنُؤَ هَنَاءَةً وهَنَاءً

[وَهَنْأً] وهِنْئًا (تميمٌ تقول هَناء [هَنْأً] وقيسٌ هِنْأً. وصَرَعَهُ صِرْعًا تميميةٌ وصَرْعًا قيسيةٌ)، وتقول: هَرَأَنِي الْقُرُّ فهو يَهْرَأُني هَرْءًا اذا كاد يَقْتُلُكَ. وأَهْرَأْتُ اللَّحمَ إِهْراءً إذا طَبَخْتَهُ حتّى يَسْقُطَ اللَّحمُ عَنِ العَظْمِ، وتقول (24ب): قَدْ أَهْرَأْنَا فنحنُ مُهْرِئُونَ (كقولهم أَبْرَدْنَا فنحنُ مُبْرِدُونَ) اذا أَشْتَدَّ البَرْدُ عِنْدَ رَوَاحِ القَائِظِ، وتقول: هِئْتُ لِلأَمْرِ أَهِيءُ لَهُ هَيْئَةً [هِيأَةً] وتَهَيَّأْتُ تَهَيُّؤًا وانّهُ لَحَسَنُ الهِيئَةِ والهَيْئَةِ، وتقول: هَدَأَ الرَّجُلُ هُدُوءًا اذا سَكَنَ، وتقول: هَرَأَ الرَّجُلُ في مَنْطِقِهِ يَهْرَأُ هَرْءًا [هَرْءًا] اذا قال الخَنَى والقَبِيحَ وهذا مَنْطِقٌ هُرَاءٌ. قال الشّاعِرُ:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمُ الحَوَاشِي لَا هُرَاءٌ وَلَا تَزْرُ

وتقول: هُوِّتُ بالرَّجُلِ خَيْرًا أُهَوِّءُ بِهِ هَوْءًا [هَوْءًا] اذا زَيَّنْتَهُ، وتقول: انّهُ لَذُو هَوْءٍ اذا كانَ ذَا رَأْيٍ مَاضِيًا. قال العَجّاجُ:

لَا عَاجِزَ الهَوْءِ وَلَا جَعْدَ القَدَمْ

وتقول: هَدَأْتُ اللَّحمَ بالسِّكِّينِ هَدْءًا اذا قَطَّعْتَهُ، وتقول: هَنِئَتِ الماشِيَةُ تَهْنَأُ هَنْئًا اذا أَصابَتْ حَظًّا مِنَ البَقْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَشْبَعَ مِنْهُ

﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ قَدْ أَبِتَ يَوْمُنَا يَأْبَتُ أَبْتًا اذا أَشْتَدَّ غَمُّهُ في القَيْظِ (24ب)، وتقول: قد أَشْمَأَزَّ الرَّجُلُ أَشْمِئْزَازًا اذا ذُعِرَ مِن شيءٍ وهو المَذْعُورُ، وتقول: قد أَسْمَأَلَّ الظِّلُّ أَسْمِئْلَالًا اذا صارَ الى أَصْلِهِ. قال الشّاعِرُ:

يَرِدُ المِياهَ حَضِيرَةً وَنَقِيضَةً وِرْدَ القَطَاةِ اذا أَسْمَأَلَّ التُّبَّعُ

وأَسْمِئْلَالُهُ أَنْ يَرْجِعَ الى أَصْلِ العُودِ. والتُّبَّعُ الظِّلُّ، وتقول: قد

أحزألّ الإبلُ والقومُ أحزئلالًا اذا أجتمعوا ، وتقول : أزبأرّ النّبتُ والوبَرُ والشّعرُ أزبئرارًا اذا نبتَ ، وتقول : قد أقشأنّ الرّجلُ أقشئنانًا اذا غلظَ وجسأ . قال الرّاجز :

إنْ تكُ لدنًا لينًا فإنّي ما شئتَ من أشمطَ مقشئنّ

وتقول : أصمألّ الأمرُ إصمئلالًا اذا أشتدّ . والمصمئلّةُ الدّاهيةُ ، وتقول : قد أسمأدّ وجهُ الرّجلِ أسمئدادًا وجسدُه (وجسدُه) او رأسُه (رأسُه) اذا ورِمَ ، وتقول : قد أرفأنّ النّاسُ إرفئنانًا اذ سكنوا بعدَ الجولةِ . قال الرّاجز : (24ظ)

حتى أرفأنّ النّاسُ بعد المجولِ

وتقول : قد أتلأبّ الأمرُ أتلئبابًا اذا أستقامَ ، وتقول : قد أطمأنّ الامرُ إطمئنانًا اذا سكنَ والاسمُ الطّمأنينةُ ، وتقول : قد أنترّتِ القدرُ فهي مؤترّةٌ إيترارًا اذا أشتدّ غليانُها وغليُها ، وتقول أرأمتُ الرّجلَ على أمرٍ لم يكنْ من شأنهِ إرءامًا اذا أكرهتهُ عليهِ ، وتقول قد أكلأزّ الرّجلُ إكلئزازًا اذا أنقبضَ فلم ينبسط . وقد إنتزّ [أنترّ] الرّجلُ ايترارًا [أنتزازًا] اذا استعجلَ

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ ثمأتُ رأسهُ بالحجرِ والعصا فأنا أثمأهُ ثمئًا [ثمئًا] اذا شدختهُ . وثمأتُ الخبزَ ثمئًا [ثمئًا] اذا ثردتهُ ، وتقول : قد ثأرتُ القومَ ثأرًا اذا طلبتَ بثأرهم . قال الشّاعر :

ثأرتُ عديًا والخطيمَ فلم أضعْ وصيّةَ أشياخٍ جعلتُ إزاءها

وتقول : وثأتُ يدَ الرّجلِ وثاءً [وثئًا] وهي يدٌ موثوءةٌ ،

وَأَثْأَيْتُ (25') الحَرْزَ إِثاءً [إِثْاءً] اذا خَرَمْتَهُ وقد ثَنِيَ الحَرْزُ يَثْأَى أَثْأً [ثَأْى] (شديد مقصور). قال ذو الرُّمَّة :

وفَرْاءَ غَرْفِيَّةٍ أَثْأَى خَوارِزُها مُشَلْشَلاً ضَيَّعَتْهُ بَيْنَها الكُتُبُ (١

(قال ابو زَيْدٍ : ليس بين العَرَبِ رَجُلٌ يَخْرِزُ إِنَّما تَخْرِزُ النِّساءُ والرِّجالُ يَخْلِبونَ وَلا تَحْلُبُ النساءُ)، وتقول : أَثْأَيْتُ في القومِ إِثاءً [إِثْاءً] اذا جَرَحْتَ فيهم وهو الثأى [الثَّأْى]، وتقول : أَثا عَلَيْهِ يَأْثُو أَثْوًا اذا وَشَى بِهِ وَأَثَيْتُ آثِي [آثِي] إِثاوَةً، وقد أَفْرَشْتُ بِهِ إِفْراشًا وهما واحدٌ وهو أَنْ تُخْبِرَ بِعُيوبِهِ النَّاسَ، وتقول : قد أَثِرْتُ أَنْ أَقولَ الحَقَّ أَآثِرُ [آثِرُ] اثْرًا [أَثْرًا] وأَثَرَ الحَديثَ يَأْثُرُهُ أَثْرًا اذا حَدَّثَ بِهِ، وتقول : اسْتَأْثَرَ الرَّجلُ فهو مُسْتَأْثِرٌ اذا اسْتَغاثَ

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ تَلَكَّأْتُ تَلَكُّؤًا اذا اعتللتَ او امتنعتَ على صاحِبِكَ، وتَجَشَّأْتُ تَجَشُّؤًا والاسمُ الجُشَأَةُ (مفتوحٌ)، وتقول (29') : أَتَكَأْتُ أَتِكاءً والاسمُ التُّكَأَةُ (مفتوح)، وتقول : تَنَأْتُ بالبَلَدِ تُنُوءًا اذا وَطِئْتَهُ، وتقول : تَبَوَّأْتُ مَنْزِلًا تَبَوُّءًا اذا اتَّخَذْتَهُ مَنْزِلًا، وتقول : تَمَلَّأْتُ مِنَ الأَكْلِ والشَّرابِ تَملُّؤًا اذا شَبِعْتَ مِنْهُ وامْتَلَأْتَ، وتقولُ : أَلْتُ الإِبِلَ أَأُولُها [أَؤُوها] إِيالًا اذا سُقْتَها وَأَلْتُ [وأَلْتُ] اللَّبَنَ أَوْلًا اذا عالَجْتَهُ وَأَالَ [وَآلَ] اللَّبَنُ والبَوْلُ فهو يَؤُولُ أَوْلًا اذا خَثُرَ. قال ذو الرُّمَّة :

وَمِنْ آلِلٍ [آيِلٍ] كالوَرْسِ نَضْحًا كَسَوْتَهُ مُتُونَ الصَّفا من مُضْجَعَلٍ وَناقِعِ

(وهو الخاثِرُ). وَآلَ الى الحَقِّ يَؤُولُ أَوْلًا اذا رَجَعَ اليهِ،

١) وفي اللسان في مادّتي ثأى وشلّ : « اثأى خوارزُها مُشَلْشَلٌ »

وتقول: أَبَنْتُ الرَّجُلَ تَأْبِينًا اذا بَكَيْتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. قال الشَّاعِرُ:

لَعَمْرِي وما دَهْرِي بِتَأْبِينِ هالِكٍ ... ولا جَزَعٍ مِمّا أَصابَ فأَوْجَعا

وقال رُؤْبَةُ: فَامْدَحْ بِلالًا غَيْرَ ما مُؤَبِّنِ

(يقول: غَيْرَ مُبْكِيٍ. والتَّأْبِينُ مَدْحُ الرَّجُلِ بَعْدَ ما يَمُوتُ)

وتقول: تَرَأَّمَتِ النَّاقَةُ على وَلَدِها تَرَأُّمًا اذا أَرْزَمَتْ (26ر) وَحَنَّتْ حَنِينًا، وتقول: تَأَمَّيْتُ الأَمَةَ تَأَمِّيًا اذا اتَّخَذْتَها أَمَةً. قال رُؤْبَةُ:

يَرْضَوْنَ بِالتَّفْيِيدِ والتَّأَمِّي ... لَنا اذا ما خَنْدَفَ المُسَمِّي

وتقول: آمَتِ المَرْأَةُ تَئِيمُ ايمةً [أَيْمَةً] اذا بَقِيَتْ بِغَيْرِ زَوْجٍ، وتقول: قد أَفِنَ الطَّعامُ فهو يُؤْفَنُ أَفْنًا وهو طَعامٌ مَأْفُونٌ وهو الذي لا خَيْرَ فيهِ، وتقول: تَأَمَّمْتُ تَأَمُّمًا اذا اتَّخَذْتَ أُمًّا وتَأَبَّيْتُ تَأَبِّيًا وتَأَخَّيْتُ تَأَخِّيًا اذا اتَّخَذْتَ أَبًا وأَخًا، وتقول: أَبِيَ التَّيْسُ يَأْبَى أَبًا [أَبَى] شَدِيدًا. والأَبَاءُ داءٌ يأخذ والعَنْزَ والضأنَ وهو تَيْسٌ أَبِيٌّ وعَنْزٌ أَبْوَاءُ في تُيُوسٍ أُبْوٍ وأَعْنُزٍ أُبْوٍ وذلك ان يَشَمَّ التَّيْسُ بَوْلَ الأُرْوِيَّةِ او يَطَأَ في مَوْطِئِها فَيَأْخُذَهُ داءٌ في رَأْسِهِ فَيَرِمَ فَيَقْتُلَهُ فلا يَكادُ يَقْدِرُ على أَكْلِ لَحْمِهِ مِنْ مَرارَتِهِ وَرُبَّما أَبِيَتِ الضَّأْنُ مِنْ ذلكَ غيرَ انَّهُ قَلَّ ما يكونُ ذلك. قالَ الشَّاعِرُ لِراعٍ لهُ أَنْشَدَنِيهِ ابو المَهْدِيِّ:

أَقُولُ لِكَنّازٍ تَدَكَّلْ فانَّهُ ... أَبًا لا أَظُنُّ الضَّأْنَ مِنْهُ نَواجِيا

فما لكَ من أُرْوَى تَعادَيْتَ بالعَمَى ... ولاقَيْتَ كَلّابًا مُطِلًّا ورامِيا (27ر)

فان أَخْطَأَتْ نَبْلًا حِدادًا ظُبَاتُها ... عَنِ القَصْدِ لَمْ تُخْطِئْ كِلابًا ضَوارِيا

وتقول: قَدْ أَنَى للرَّجُلِ ان يَفْعَلَ ذَلِكَ يَأْنِي لهُ انًا [أَنًى].

وقد أَنَى الطعامِ فهو يَأْنِي لهُ إِنًا [إِنًى] اذا دَنَا من فَرَاغِهِ . (وتَمِيم تقول : قَدْ أَنَالَ لهُ فهو يُنِيلُ إِنَالَةً . وبعضُ العَرَبِ يقُول أيضًا : قد آنَ [آنَ] لهُ يَئِينُ له أَيْنًا ومَعْنَاهُمَا كُلُّهَا واحدٌ)

﴿ وتقول في باب من الهَمْزِ ﴾ قَدْ أَرْأَتْ [أَرْأَتِ] الشَّاةُ إِرْآءًا [إِرْءًا] فهي مُرْءٌ ومُرْئِيَةٌ اذا اسْتَبَانَ وِلَادُها (فأَمَّا النَّعْجَةُ فيقالُ لها قَدْ أَثْقَلَتْ اذا تَحَرَّكَ وَلَدُها في بَطْنِها لِأَنَّ حَيَاءَهَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ مِثْلَ المَاعِزَةِ) ، وتقول : آلَفَتِ الغَنَمُ فَهِيَ مُؤْلِفَةٌ اذا صارت أَلْفًا وقد أَلَفْتُهَا إِيلَافًا اذا صَيَّرْتَهَا أَلْفًا . وآلَفْتُهُ إِيلَافًا في مَعْنًى واحد اذا اسْتَأْنَسْتَ بِهِ واعْتَدْتَهُ . قال ذُو الرُّمَّة :

مِنَ المُؤْلِفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعَاعُ الضُّرَى في لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ

(27ᵛ) وتقول : قد أَلَّفْتُ بَيْنَهُم تَأْلِيفًا اذا جَمَعْتَ بينهم بعدَ تَفَرُّقٍ ، وتقول : أَتْتُ في السَّيْرِ أَوْنًا وهو السَّيْرُ الهَيْنُ ، ويُقَالُ : هذا خُرْجٌ ذُو أَوْنَيْنِ . وأَوْنَاهُ عِدْلَاهُ وهما جانِبَاهُ ، ويُقَالُ أَسِنَ المَاءُ يَأْسَنُ أَسَنًا اذا تَغَيَّرَ . وأَسَنَ المَاءُ يَأْسُنُ . ويُقال أَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسَنُ اذا غُشِيَ عَلَيهِ من رِيحٍ خَبِيثَةٍ وربَّما مات مِنها . قال الشَّاعِرُ :

التارِكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ يَمِيلُ في الرَّمْحِ مَيْلَ المائِحِ الأَسِنِ

ويُقال : تَلَمَّأَتِ الأرضُ على فُلانٍ تَلَمُّؤًا اذا استَوَتْ عليهِ فَوَارَتْهُ . قال الشَّاعِرُ :

وَلِلأَرْضِ كَمْ مِن صَالِحٍ قَدْ تَلَمَّأَتْ عَلَيهِ فَوَارَتْهُ بِلَمَّاغَةٍ قَفْرِ

وتقول : أَلْمَأْتُ عَلَى الشَّيْءِ إِلْمَاءً اذا احْتَوَيْتَ عَلَيهِ ، وتقول : قد ائْتَأَرَ الرُّمْحُ ائْتِئَارًا اذا غَلُظَ ، وتقول : أَبَرْتُ النَّخْلَ آبِرُهُ اذا

لَقَّحَتْهُ وهذا نَخْلٌ مَأْبُورٌ اي مُلَقَّحٌ. وأَبَرَتْهُ العَقْرَبُ تَأْبِرُهُ أَبْرًا اذا ضَرَبَتْهُ بِإِبْرَتِهَا، ويُقالُ أَشِرَ أَشَرًا اذا بَطِرَ (28ᵃ)، وتقول: تَفَاءَلْتُ تَفَاؤُلًا اذا أَرَدْتَ حاجَةً وسَمِعْتَ انسانًا يقولُ: يا سَعِيدُ يا أَفْلَحُ او يَدْعُو بِاسْمٍ قَبِيحٍ. والاسمُ الفَأْلُ، وتقول: تَمَالَأْنَا على الامر تَمَالُؤًا اذا أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ على الأَمْرِ، وتَرَافَأْنَا عَلَى الأَمْرِ تَرَافُؤًا نحو التَّمَالُؤِ اذا كان كَيْدُهُمْ وأَمْرُهُمْ واحدًا، وتقول: حَمَلَ فُلانٌ عَلَى القَوْمِ ثم تَفَاطَأَ عَنْهم تَفَاطُؤًا اذا انكسرَ عنهم ورَجَعَ وتَبَازَخَ تَبَازُخًا، وتقول: تَكَأْكَأَ الرَّجُلُ في كلامه تَكَأْكُؤًا اذا عَيِيَ بالكلام فلم يَقْدِرْ ان يَتَكَلَّمَ، وتقول: تَثَأْثَأْتُ عَنِ الأمر تَثَأْثُؤًا اذا أَرَدْتَ سَفَرًا او أَمْرًا ثم بَدَا لكَ تَرْكُهُ او المُقام. وتَأْثَأْتُ عَنِّي غَضَبُكَ تَأْثَأَةً اذا أَطْفَأْتَهُ عنهُ، وتقول: تَجَأْجَأْتُ عن الأَمْرِ تَجَأْجُؤًا اذا أَرَدْتَهُ ثم كَعَعْتَ عنهُ ولم أَتَجَأْجَأْ عَنِ الامر حتى وَاقَعْتُهُ، وتقول: تَذَيَّأَتْ لُحُومُ القوم تَذَيُّؤًا اذا تَقَطَّعَتْ فَتَسَاقَطَتْ وقد يُحْبَسُ اللَّحْمُ حتى يَتَذَيَّأَ بَعْدَ إِنْ يَنِيَ فَيَسْقُطَ عن العَظْمِ، وتقول: تَوَدَّأَتْ عَنِّي الأَخْبارُ اذا إِنْقَطَعَتْ تَوَدُّؤًا، وتقول: قد تَأَطَّ الرَّجُلُ في ضَجْعَتِهِ تَبَوُّطًا اذا أَمْسَى رَخِيَّ البالِ (28ᵃ) صالحًا غيرَ مهمومٍ، وتقول: تَرَأَّدْتُ في قِيامي تَرَوُّدًا شديدًا اذا قُمْتَ فَأَخَذَتْكَ رِعْدَةٌ في عِظامِكَ حينَ تَقُومُ

﴿ وتقول في بابٍ من الهمز ﴾ اكْتَلَأْتُ مِنَ الرَّجُلِ اكْتِلَاءً اذا احْتَرَسْتَ مِنهُ. واكْتَلَأَتْ عَيْنِي اكْتِلَاءً اذا حَذِرَتْ [حَذِرْتَ] امرًا فَأَسْهَرَكَ فَلَمْ تَنَمْ، وتقول: اخْتَتَأْتُ من الأَمْرِ اخْتِتَاءً شديدًا

اذا خِفتَ ان يَلحقَكَ من المشة [المَشَّةِ] شيءٌ او السلطان، وتقول: ارتَبأتُ ارتِبَاءً اذا أوفيتَ على شَرَف والرَّبيئةُ الطَّليعة. وَربأتُ القومَ أرْبَأهم رَبْأً [رَبْئًا] في معناها (وهي الرَّبايا محوّلة همزها معدولة من الكسر الى الفتح)، وتقول: أكفأتُ القومَ إكفاءً اذا أرادوا وجهًا فصرفتهم عنهُ الى غيرهِ، وتقول: حَصَأتِ النَّاقة حَصْأً اذا أكلتْ وشربتْ فاشتدَّ أكلُها او شُربُها او اشتدَّا جميعًا حتى تمتلئ، وتقول: سَبَأتُ القومَ سَبْئًا والرَّجلَ اذا جلوتَه. وسَبأ على يمين كاذبةٍ سبئًا اذا حلفَ (29') عليها كاذبًا، وتقول: هذأتُ العدوَّ هَذْءًا اذا أبدتَهم وأفنيتَهم وهذأتُه بلساني هَذْءًا اذا آذيتَه واسمعتَه ما يكرهُ

﴿ وتقول في باب من الهمز ﴾ أقرأتِ المرأةُ إقراءً فهي مُقرِئٌ اذا حاضتْ والقُرءُ الحيضةِ وجماعُها القُرُوء، وتقول: أسبأتُ لأمرِ الله إسباءً اذا أخبتَ لهُ قلبكَ، وتقول: أتكأتُ الرَّجلَ إتكاءً اذا أوسدتَه حتى يتكئ. ويقال: أوسدتُ ووسدتُ، وتقول: أصبأتُ على القومِ إصباءً اذا هجمتَ عليهم وأنتَ لا تدري بمكانهم ويقال: أصبأتُ وصبأتُ، وتقول: أفأتُه على الأمرِ إفاءةً اذا اراد امرًا فعدلتَه الى أمرٍ خيرٍ منهُ، وتقول: اكأتُ الرَّجلَ إكاءةً اذا أرادَ أمرًا ففاجأتَه على تيفةِ ذلك فهابَك ورجعَ عنهُ. وتقول: تيفةً وتَفيئةً (على فَعيلة)، وتقول: أنأتُ الرَّجلَ إناءً أنهضتَه وعليهِ حملُه حتى ينوءَ هو فينهضَ بهِ، وتقول: أبأتُ الرَّجلَ إباءةً (ممدود) (29') اذا خوّفتَه حتى ينوءَ على نفسهِ، وتقول: أكفأتِ الإبلُ إكفاءً اذا

كَثُرَ نِتَاجُهَا من بَعْدِ جِيَالٍ قبلَ ذَاكَ بِعَامٍ والكُفَّةُ نِتاج حَلوبَتِكَ مِن الإبلِ . قال ذو الرُّمة :

تَرَى كُفَّتَيْهَا تُنفِضَانِ ولم تَجِدْ لهَا ثِيلَ سَقْبٍ في النِّتَاجَيْنِ لَامِسُ

وتقول : جَنَّبْتُ الإبلَ تَجْنِيباً اذا لم تُنْتَجْ إلَّا النَّاقَةُ او الثِّنْتَانِ . ويُقال : أَنْتَجَتِ النَّاقَةُ وَنَتَجْتُهَا أنا أُنْتِجُ ، وتقول : نَسَأْتُ نَسْأً [نَسْأً] اذا حَلَبْتَ لهم اللَّبَنَ ثم صَبَبْتَ عليهِ الماءَ حتى يَكُونَ النِّصفَ او أَكْثَرَ ولا يكونُ من الحَلِيبِ قال الشَّاعِرُ :

سَقَوْنِي النَّسْءَ ثمَّ تَكَنَّفُونِي عُدَاةَ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

وتقولُ : أَنْهَأْتُ الأمرَ إِنْهَاءً اذا لم تُبْرِمْهُ ولم تُنْضِجْهُ

تمَّ كتاب الهمز بحمد الله وذلك في سحر الثلاثاء الثاني من ذي القعدة من سنة تسع واربعين وستماية (١٢٥١ م) والحمد لله اوَّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصَلواتهُ على رسولهِ محمَّد النبي وآلهِ الاكرمين وسلامه

(وجاء على الهامش بخطٍّ آخر) بلغت المقابلة بالاصل المنتسخ عنه وكتب الملتجئ حرم الله تعالى الحسن بن محمَّد بن الحسن الصَّغَّاني

(تنبيه) قد طبعنا هذا الاثر الجليل على حدة واضفنا اليهِ فهارس الفاظهِ على ترتيب حروف المعجم ل . ش

فتوح الصين

لرائد العلم وبطل الدين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

قطع ماتيو رتشي البحار وطوى البيد والقفار ليبلغ عاصمة الصين ويفتح تلك البلاد

للتمدن الاوربي فحقق الله امانيهُ واستبشر برقوده على « ابن مملكة السماء » المحجوب في مقاصير بلاطهِ الفخيم ولكن

ليس من يقطع طُرُقًا بطلًا انما مَن يتقي الله البطلْ .

نعم وتقي لم يقصد في اسفاره الطويلة مجرَّد النظر الى اقطار نازحة كثيرة العجائب او الاستمتاع بما فيها من المرافق او الارباح الخسيسة كلَّا بل لم يطلب خدمة العلوم البشريَّة وحدها مع عظم شأنها وانما اتخذ تلك العلوم كوسيلة الى غاية أسمى واشرف اي نشر الدين القويم بين الجماهير المجهرة من امم تاهز عددُها نجومَ السماء ورمل البحار وهي مع ذلك متسكعة في ظلمات الشرك لا تعرف من الدين غير خرافات الوثنيين وعبادة الاصنام السمجة

قد سبق لنا القول بانَّ النصرانية حاولت غير مرة الدخول في تلك الممالك القاصية وذلك منذ القرون الاولى للميلاد كما تشهد عليهِ عدَّة دلائل وتقاليد جمعها اصحاب البحث ولاسيما الاب آدم شال اليسوعي المرسل الصيني فنشرها كشهادة ارنوب في القرن الثالث للمسيح وشهادة القديس يوحنا فم الذهب في القرن الخامس . ثم استأنف التبشير في القرن السابع دُعاة النسطوريَّة وتاريخُ دعوتهم مدوَّن في عدَّة تآليف ولاسيما في الكتابة الحجريَّة العجيبة المكتشفة في سي نغانفو سنة ١٦٢٥ المكتوبة بالصينيَّة والسريانية الراقي تاريخها الى سنة ٧٨١ للمسيح (إطلب المشرق ٣ : ٨٥ وصورة القسم الاعلى من هذا الاثر ص ٩٢٠) . ثم وليتها الدعوة الثانية على يد المرسلين الفرنسيسيين والدومنيكان كما اشرنا اليها في العدد الماضي (ص ٨٠٢)

غير انَّ كوارث الدهر كانت توالت على الكنائس السابقة العهد فمحت آثارها وانقطعت عن الاقطار النصرانية بقايا اخبارها (١) . وذلك ما دفع اليسوعيين في اواخر

---

١) قد جمع حضرة الاب بروكر اليسوعي شيئًا مما وجد من تلك الاخبار الدارسة (J. Brucker: *Le P. Matthieu Ricci*, Etudes, 1910, Juillet.) ومما وجده اليسوعيُّون من آثار اولئك الناطرة قطعة من الاسفار المقدَّسة من الترجمة السريانيَّة البسيطة فيها اسفار الانبياء والمزامير واناشيد طقسية ارفقهم عليها احد المنادرة المسلمين سنة ١٧٢٧ ووصفها بعد ذلك العلامة المستشرق دي ساسي في المجموع الذي عنوانهُ Notices et Extraits des Manuscrits XII, p. 277-286)

القرن السادس عشر الى تجشّم الاخطار ومعاناة الاتعاب والاسفار ليغرسوا في الصين تلك حبّة الخردل التي تكلّم عنها الرب في انجيله فتنمو وتزكو حتى تأوي اليها طيور السماء. فهذا الامل كان يسند قواهم ويضاعف عزائمهم مهما طال انتظارهم وكاد يُمال صبرهم. ويخبر عن الرئيس الاوّل للرسالة الصينيّة الاب ڤالنيانو (راجع الصفحة ٨٠١) انهُ اذ كان مقيمًا في ماكاو كان يقضي الساعات بازاء الصخور المنتصبة في سواحل الصين وهو يتنفّس الصعداء ويفيض الدموع ويدعو الى الله بان تنفتح تلك الممالك لبشارة الانجيل فيسمع رفقتهُ صوت صلاتهِ وتنهداتهِ وكثيرًا ما كان يردّد قولهُ: «حتى متى ايتها الصخور تحولين دون رجائنا وتمنعينا عن الكرازة بدين الحق»

وقد رأيت سابقًا كيف فُتحت تلك الابواب المرصدة فدخلها رسل المسيح كما دخل الاسرائيليون ارض الميعاد. وكان اليسوعيون منذ قدومهم الى ماكاو وترولهم في حيّها المختص بالبرتغاليين اعني سنة ١٥٧٩ اخذوا يسعون في هداية الصينيين ثم فتحوا هناك مدرسةً جعلوها بعد ذلك كمركز رسالاتهم في الشرق الاقصى. ولعلّ اول صينيّ امكنهم اقناعهُ بجحود الوثنيّة انما كان شابًا اتاهم من مدينة كانتون مستنكفًا من عبادة الاصنام بعد ان خدمها مدّة بصفة سادن (بتز) فلما اوقفهُ المرسلون على بطلان الاوثان طلب ان يصطبغ بماء المعموديّة واظهر بعد ذلك من الثبات في الايمان ما ادهش الكل حتى انهُ قاسى العذابات وضرب السياط والحبس المستطيل والنفي دون ان يرتدّ عن النصرانيّة (١). فأثر هذا المثل في بعض الصينيين الساكنين في ماكاو فاخذوا يتقربون من المرسلين ويطلبون منهم ان يرشدوهم في تعاليم الدين فلبّى الاباء ملتمسهم في السنتين ١٥٨١ و١٥٨٢ وبعد اتقانهم لاصول النصرانية عمّدوهم واعتنوا بتهذيبهم ثم اظهر هؤلاء غيرتهم بان جذبوا كثيرين من اهل جلدتهم فتعلموا مبادئ الدين ونبذوا الوثنية وتعاليمها الباطلة

وكان وصول الاب رتشي الى ماكاو في تلك الاثناء كما سبق القول فضحى للواجب ما كان يجدهُ في قلبهِ من الغيرة للتبشير وهداية الوثنيين. وما كان الواجب سوى

---

(١) اطلب تاريخ الرسالات الكاثوليكية للبارون هنريون (Bᵒᵒ Henrion : *Histoire Générale des Missions Catholiques*, II, 36)

درس اللغة الصينيَّة كما بيَّنا. فافرغ الجهود في اتقانها مدَّة سنة كاملة لم يأخذهُ في ذلك سأم

وفي السنة التالية لوصول رتشي الى ماكاو اي سنة ١٦٨٣ توفَّق الاب روجياري فنال من لطف والي معاملة كانتون ان يسكن واخوتهُ في تشاوكنغ فدعا الاب رتشي اليها وفيها باشر بمؤانسة اهل الصين واتَّصل بعلمائهم كما مرَّ

وكان المرسلان في اوَّل الامر لا يتباحثان مع ادباء الصين في غير العلوم لئلا ينفروا منهما اذا عرضا عليهم النصرانيَّة فاقتصرا على العيشة القشفة والزهد بالدنيا وممارسة النضائل الرهبانيَّة فاضحى مثلهما اعظم داعٍ لاعتبار دينهما اذ كان اولئك العلماء يقابلون بين سيرتهما الصالحة وتُقاهما وسيرة ارباب الدين عندهم المعروفين بالبُعد المنغمسين في كل ملذات الدنيا واعمالها الزائلة . وكانوا خصوصاً يتعجبون من نزاهة نفسهما اذ لم يطلبا ربحاً خسيساً ولم يقبلا هديَّةً من احد الَّا ما لم تسمح اللياقة بردِّهِ فيعوّضان عنهُ بما هو ارفع قيمةً

ومن الوسائل التي اتخذها المرسلان ليعظّما دينهما في اعين الصينيين انهما خصَّا رهبةً كبيرة من منزلهما فزيَّناها افخر زينة وعرضا فيها الصور الدينيَّة بينها صورة بديعة للعذراء الطاهرة واقاما في وسطها مذبحاً كانا يقدّمان عليه كل يوم الذبيحة المقدَّسة . فكان الصينيون لا سيما كبارهم اذا دخلوا المنزل يمرُّون امام ذلك العيد ويتأملون ما عُلّق على جدرانهِ من التصاوير وعلى مذبحهِ من الآنية المقدَّسة فيسألون المرسلين عن معانيها فيجيب المذكوران على اسئلتهم ويفسران لهم العقائد المسيحيَّة فيأخذهم العجب من حُسنها وعظم شأنها وموافقتها للعقل وكان ما اختبروه سابقاً من سعة معارفهما بالرياضيَّات والفلكيَّات يزيدهم ثقةً بتعاليمهما الدينيَّة

وقد قلنا في ما تقدَّم انَّ بين المآثر النفيسة التي كان الاب رتشي اتى بها من بلاد الغرب فعرضها في متحفهِ كتباً بديعة الصنع محكمة الطبع بهيَّة التصاوير جميلة التجليد وكان بينها عدَّة تآليف نصرانيَّة دينيَّة كالتوراة والاناجيل فكان الصينيون ينظرون اليها بعين الاعجاب ويطلبون من المرسلَين ان يفسّرا لهم مضامينها فكان الابوان يعدّان ذلك فرصةً مناسبة ليشرحا لهم شيئاً من امور الدين واسرارهِ الالهية فتحيك في صدورهم وتؤثر في عقولهم

ومما ساعدهما ايضاً على رفع شأن الدين في اعين الصينيين درسهما لكتب فلاسفتهم القديمة فكانا يستخرجان منها ما يُثبت تعليمهما كوحدانيَّة الله وصفاته العلويَّة وتكوينه للعالم من العدم وغير ذلك مما وجدا آثاره في تآليف حكمائهم وذهلوا عنهُ بتوالي الاجيال. وكذلك التعاليم الادبيَّة فان الصينيين اثنوا على ما سمعوه منها من الابوين بل طلبوا ان تُكتب لهم وصايا الله العشر فكُتبت ووُزّعت على من رغب الحصول عليها. فكان توزيعها وسيلةً جديدةً لاكرام مرسلي الغرب الذين عرفوهما بالوليَّين. وكتب حاكم تشاوكنغ على باب دارهما كتابتين علقهما على جانبيه. تعريب الاولى: « هنا يسكن الرجال القدّيسون الذين قدموا من الغرب ». والثانية: « هنا تُفسَّر شريعة اله السماء الحقيقيَّة »

ثم رغب الصينيون الى الاب روجياري ان يؤلف لهم كتاباً يضمّنهُ مختصر التعليم المسيحي باللغة الصينيَّة العاميَّة وكان ذلك اوَّل تأليف نصراني وُضع في تلك اللغة فاصاب شهرةً واسعة. الّا ان الادباء لم يُقبلوا عليه لضعف لغته وللادباء هناك لغة خاصَّة يترفَّعون بها عن هجنة العامَّة فاراد الاب رتشي ان يسدّ ذلك الخلل بتآليف دينية بليغة اللسان لا يأنف منها العلماء فاخذ يضاعف همتهُ في درس تلك اللغة الفصيحة

وحدث في تلك الاثناء انَّ احد العلماء الذين كانوا يتردَّدون الى منزل المرسلين طلب التنصر وتلمذ لهما فجعل يُسعف الاب رتشي في كتابة تعليمه باللغة الفصحى حتى انجزه بعد مدَّة ونشرهُ فحظي الكتاب لدى المتأدبين وجعلوا يدرسونهُ ثم اعتمد ذلك الصيني العالم فاتخذه لمرسلان كمساعد لهما في شرح العقائد النصرانية وتبعهُ في التنصر نحو اربعين من مواطنيه

وفي السنة ٥٨٦ جاء الى تشاوكنغ مرسلان جديدان فتمكن الاب روجياري ان يخرج في صحبة احد الاعيان الى وطنه مدينة هانغ تشاو التي يدعوها كتَبة العرب « خنسا » فنزل اياماً كضيف في بيت الرجل وبشَّر بالدين المسيحي أمام كثيرين فطلبوا العماد لكن المرسل لم يمنحهُ اذن والد ضيفه اذ رآه طاعناً في السنّ ولابن احد كهنة الاصنام الذي الحَّ عليه في ذلك واظهر نشاطاً غريباً. اما الباقون فوعدهم بانهُ يرسل اليهم واحداً من اخوته ليزيدهم معرفة بالنصرانيَّة فيرشحهم لاقتبال اسرارها

ومن تآليف الاب رتشي الدينيَّة في تشاوكنغ كتاب في الصوم استحسنهُ الصينيون

وعرفوا به فضل الانقطاع عن المآكل زهدًا وتنسكًا وفضل المباشرين للاصوام.

وكان المرسلون قد لحظوا في اهل الصين جفاء وفظاظة نحو المتقومين والزمنى فاخذوا يتقربون من اولئك البائسين كل ما تسمح لهم الاشغال فيعزونهم ويحضونهم على الصبر الجميل ويحسنون اليهم بما لديهم من الادوية او المساعدات المادية فكان ذلك يكسب لهم حب الجمهور. وقد جازاهم الله بهداية بعض هولاء الصعاليك الى الايمان الصحيح وكان اول طالب للتنصر في تشاوكنغ مخلعًا عني الآباء بامره فتحقق بارتدادهِ قول الرب: « الفقراء يُبشَّرون »

وكانت مدة اقامة المرسلين في تشاوكنغ نحو سبع سنوات لم تضع فيها اتعابهم فكان عدد الذين تنصَّروهم هناك نحو مئة شخص كان بينهم بعض النساء الشريفات اللواتي بتناهنَّ وغيرتهنَّ اضحين قدوة لاهل المدينة. وكان الآباء يجرون بكل فطانة في تبشير الصينيين لا يمنحونهم سرّ العماد الّا بعد امتحان ايمانهم وثباتهم. وقد كتب احدهم في اواخر سنة ١٥٨٥ ما تعريبهُ: « اننا لم نعمد الّا قليلًا من الصينيين ممن شدَّدوا علينا الالحاح لتنصيرهم لئلا يتخذ الوثنيون من عملنا سببًا للهيجان. الّا ان هولاء القليلين ذوو ايمان حيّ يقومون بكل نشاط بفرائض الدين »

وفي اواسط السنة ١٥٨٩ تولى الحكم في تشاوكنغ رجل شكس الخلق شرس الطباع فأوعز الى المرسلين ان يغادروا المدينة فاضطرهم الامر ان يخرجوا منها. على انهم في غضون اقامتهم هناك كانوا اكتسبوا محبة كثيرين من الصينيين ولا سيما الادباء والاعيان ممن وقفوا على صحة امرهم وعرفوا عجزهم وبجرهم فلم يجدوا فيهم غير ما يحببهُ اليهم

وفي اثناء ذلك كان سفر الاب روجياري الى اوربة فتعيَّن الاب رتشي كرئيس الرسالة الصينية وانتقل الى مدينة وجد فيها بعض معارفهِ تدعى تشاوتشيو من ايالة كنتون مع الاب دي الميدا وهناك قدم عليهِ الصينيان الطالبان الترهب وتزيا بزي علماء الصين فلبس لبسهم وارسل شعرهُ مثلهم وارخى على شبههم لحيتهُ (كما ترى في صورتهِ) وكانت معرفتهُ للغة الصينية قد ازدادت حتى لم يعد يحتاج الى ترجمان

وسكن رتشي ورفقتهُ في تشاوتشيو ست سنوات قضوا في مدتها وقتهم بين الصلاة وخدمة العلوم كما صنعوا في تشاوكنغ

صورة قديمة تمثل الاب رتشي وتلميذهُ « بولس لي » المسمّى ايضاً « زي كولاو »
او « سيركوانغ كي » وزير الملك « ثان لي »

القسم الاعلى من كتابة مي تانغو السريانيّة
والصينيّة المكتوبة سنة ٧٨١ للمسيح

太僧天主教門都僧皇
哂嘶啷第五頃首拜
大明国国主御座下伏以
天主者吾人之大父母也

مطلع رسالة البابا سكستوس الخامس
الى ملك الصين سنة ١٥٩٠

وعزّى الله قلب رتشي باهتداء احد العلماء الذين كانوا يتناوبون اليهم ليأخذوا عنهم العلوم الاوربيّة. وكان اسم هذا الرجل « تشين تاي صو » وكان يحبّ المعارف ويتوق الى التقدّم في مكنوناتها فطلب من رتشي ان يلقي عليهِ دروساً في الرياضيّات وعلم النجوم والكيميا فاجاب المرسل الى رغبتهِ ودرّسهُ تلك العلوم مدّةً حتى برع فيها. وكان التلميذ في اثناء درسهِ يراقب اليسوعيين وبالاخصّ معلمهُ فكان يلحظ فيهم من التقى والفضل ما لم يعتدهُ بين افضل مواطنيهِ فطلب من الاب رتشي ان ينشر لهُ تعاليم النصرانية ففعل بطيب الخاطر. وما لبث الموعوظ ان عرف بطلان الشرك وزور مذاهب ملّتهِ في الصين فطلب ان يُنظم في سلك المؤمنين فرضي الاب رتشي وبعد امتحانهِ مدّة اشهر متوالية منحهُ سرّ العماد في اوائل شهر ايلول سنة ١٥٩٤ فكان تشين تاي صو لا يفارق معلمهُ ويمارس ما يراه فيهِ من الفضائل المسيحيّة وكان يساعدهُ في تنقيح الكتب التي كان يصنفها في الصينيّة

وفي تشاوتشيو انار الله عقل رجل آخر اسمهُ « زيكو لاو » او « سيو كوانغ كي » كان لارتدادهِ دوي عظيم فان هذا الصيني كان مولوداً في شانغ هاي سنة ١٥٦٢ وانقطع منذ حداثة سنهِ الى درس الآداب الصينيّة فنال بين اترابهِ قصب السبق حتى عُدَّ من ابرع الكتبة فجاء الى مدينة تشاوشيو وانشأ هناك مكتباً ازدحمت فيهِ الاحداث

واذ كان في بعض الايام مجتازاً امام منزل المرسلين احبَّ أنْ يدخل ليرى « رجال الغرب » فما فتح باب الدار حتى وقع نظرهُ على معبد الصلاة المزيّن بالصور الدينيّة اخذها صورة السيد المسيح لذكرهِ المجد التي أثرت في قلبهِ تأثيراً عظيماً فخرَّ ساجداً لها وهو لا يعلم من امرها شيئاً. ثم عاد الى مكتبهِ بعد ان سلّم على رفيق الاب رتشي المسمى لمازر كاتانيو دون ان يفاتحهُ في امور الدين الّا ان ذكر الصورة لم يبرح من ذهنهِ. ثمَّ تقدَّم « زيكو لاو » بعد ذلك في علوم الصين حتّى انهُ نال درجة المأذونيّة ثم الملقنة ورُشح للمناصب العالية بين اهل وطنهِ وعُدَّ من ائمة العلماء. وكان في اثناء ذلك يتردَّد من وقت الى آخر على المرسلين فيعرض عليهم مشاكل ذمّتهِ ثم يُعيل فيها النظر في عزلتهِ ويطلب الى الله ان ينير عقلهُ ويتشح عن قلبهِ ظلام الضلال فاستجاب الله صلاتهُ ومنحهُ قبل ارتدادهِ من النعم الخاصّة ما لا يمنحهُ الّا للقليل حتّى انهُ تعالى كشف لهُ شيئاً من اعظم اسرار النصرانيّة كسرّ الثالوث الاقدس كما اقرَّ بذلك. بيد

انهُ لم يتسرَّع بطلب المعموديَّة حتى أتقن كل تعاليمها وتبيَّن صحة كل معتقداتها فطلب العماد في غرَّة شهر تشرين الثاني سنة ١٦٠٣ في مدينة نانكين وعُرف بعد ذلك باسم « بولس لي » وبالدكتور « بولس زيكولاو » ولم يزل يتقلَّب في الرتب والوظائف حتى بلغ رتبة الوزير الاوَّل لدولته وتولَّى ديوان العلوم في بكين. وكان يؤدّي الآباء من الخدم الجليلة ما شكرهُ عليها الحبر الاعظم. وقد مارس الى آخر نسمة من حياته اسمى الفضائل المسيحية التي حبتهُ الى كل مواطنيه وهدى بامثاله الصالحة وارشاداته منين من الوثنيين بينهم العلماء والكتبة والمنادرة وانفق من ماله الخاصّ المبالغ الوافرة لتشييد الكنائس وانشاء الاعمال الخيريَّة وتعليم اهل وطنه. وكانت وفاتهُ سنة ١٦٣٣ مات ميتة الابرار فأقيمت في تشييع جنازته من الحفلات ما كان انتصاراً للدين الكاثوليكي. وقد كُتبت سيرتهُ الصالحة فنشرت بالطبع وفيها شواهد من جلَّة معاصريه تنبئ بعظم فضله. ولا يزال نسلهُ باقياً الى اليوم في زيكاواي قريباً من شانغ هاي (صورتهُ ص ٩٢٠)

فلنرجع الى الاب رتشي في تشاوتشيو حيث كان منكباً على التعلم والتأليف وهناك اعاد النظر في كتابه الدين المستقيم الذي خصَّهُ بالعلماء الصينيين وأتى فيه بكثير من الشواهد المنقولة عن تآليفهم القديمة في توحيد الله ورذل عبادة الاصنام وبقيَّة الحقائق التي هي كتمهيد لوحي الدين المسيحي. فانتشر هذا الكتاب انتشاراً عظيماً وطُبع اربع مرَّات قبل وفاة المؤلف وكان سبباً لرجوع عدد لا يُحصَى من الصينيين عن اضاليل الوثنيَّة الى اعتقاد النصرانيَّة. وكانت لغة هذا الكتاب غاية في البلاغة حتى ان امبراطور الصين كيان لنغ (١٧٣٦—١٧١٦) نظمهُ في سلك ابلغ التآليف الصينيَّة التي كان انشأ لها مكتبة خاصَّة. وكان قبلهُ الامبراطور كنغ هي (١٦٦٢—١٧٢٣) فحص الكتاب فحصاً مدقَّقاً فاستند اليه ليمنح حرِّيَّة التبشير بالنصرانيَّة في كل ممالكه وقد عرف هذا الكتاب اهلُ تنكين واليابان واقرُّوا بسموّ تعليمه

وقد اخبرنا سابقاً عن مساعي الاب رتشي ليبلغ الى عاصمة المملكة فيتقرَّب من سلطان البلاد وينال منهُ الحرِّيَّة لنشر الدين المسيحي في انحاء الصين. وكان الاحبار الرومانيُّون يحضُّونهُ على ذلك وينشطون همَّتهُ. وفي سنة ١٥٠٠ كتب البابا سكستوس الخامس رسالة الى ملك الصين فنُقلت الى اللغة الصينيَّة (اطلب صورة قسم منها في الصفحة ٩٢٠) وأرسلت مع هدايا الى ماكاو ليقدّمها اليسوعيون الى صاحبها

الا انّ آمالهم في الدخول الى العاصمة لم تتمّ الّا عشر سنين بعد ذلك كما بيّنّا

فلمّا فُتحت پاكين امام رتشي في اوائل سنة ١٦٠١ كما تقدّم واكتسب ثقة الامبراطور بما عرفهُ هذا من حكمتهِ وتبيّنهُ من سعة معارفهِ حتى جعلهُ من خاصّتهِ ما كان المرسل لينسى انهُ قبل كلّ مُرسلٍ باسم نائب المسيح القائل : « اذهبوا وتلمذوا كل الامم »

فبينما كان يقضي أيامهُ بخدمة الملك وتجهيز ما يطلبهُ منهُ من الادوات الفلكيّة وغيرها كان يرحّب بكل القبلين اليهِ من اعيان الدولة وكبار العُمّال ويتباحث معهم بامور الآداب والدين فلا يلبث ان يزيدهم رغبةً في الاطلاع على عقائد النصرانيّة فكانوا يطلبون منهُ كتباً توقفهم على خلاصة دينهِ فيهديهم الى تأليفهِ السابق ذكرهُ فيقرأونهُ بكل شوق ويطرئون تعاليمهُ السامية

بل كان رتشي سبق وعرض على الامبراطور نفسهِ شيئاً من امور النصرانيّة منذ يوم دخولهِ عليهِ فانهُ كان جعل في جملة الهدايا التي قدّمها « لثان لي » تصاوير بديعة تمثّل السيّد المسيح ووالدتهُ الطاهرة وبعض اسرار الدين فطلب منهُ الامبراطور ان يفسّر لهُ معانيها فلمّا اوقفهُ على حقيقتها قام واكرمها منحنياً امامها علانيةً فكان لعمل الملك وقع حسن في اعين اهل بلاطهِ واذ عرف الجمهور فعلهُ ازدادوا في اكرام دين الاجانب

وما مرّ على الاب رتشي سنة واحدة في پاكين حتى رأى كثيرين من اهل الحاضرة يطلبون التنصّر لكنهُ لم يُرد ان يصيّرهم بماء المعموديّة حتى تتأصل في قلوبهم جذور الايمان فكان يبالغ في تعليمهم ويفنّد الاعتراضات التي يسمعها من علمائهم حتى يراهم مستعدّين الجهاد في سبيل دينهم والتضحية دنياهم لخلاص نفوسهم

وكان بين الاوّلين الذين وجدهم اهلاً لقبول العماد ستّة نفر من اشراف الدولة وحاشية الملك نصّرهم السنة ١٦٠٢ كان احدهم من قضاة الديوان الملكي . والآخر زوجاً لاخت الامبراطور . وعمّد معهما ابن طبيب الملك . فكان لتنصير هؤلاء الرجال شهرة كبيرة حتى بين نساء الاشراف والنساء في الصين مقصورات محجوبات لا يستطعن الخروج من دورهنّ الّا نادرًا . الّا انهنّ لم يزلن يُلححن على ازواجهنّ ليسمحن تعليم النصارى حتى سمح لهنّ بذلك فكان الاب رتشي يذهب الى بيت يجتمعن فيهِ مع رجالهنّ فيعرض عليهنّ النصرانيّة الى أن يُحكمنَ اصولهُ فيعمّدهنّ . وقد أعلن الاب

رتشي في كتاباته بان اولئك المتعبّدات اظهرنَ نشاطاً عظيماً في اتمام الفرائض الدينيّة وجلبن غيرهنّ الى استماع التعاليم الدينيّة وساعدن المرسلين بما أنفقن على إعالة فقراء المتنصرين وتعليمهم

وفي سنة ١٦٠٤ رأى الاب رتشي انّ عدد المهتدين يزداد كل يوم فلا غنى لهم عن كنيسة واسعة تضمّهم فوافقهُ المتنصرون على رأيهِ وارادوا ان يشاركوهُ في هذا العمل. وكان في مقدمتهم « بولس لي » السابق ذكرهُ . فشُيّد البناء على طرز بديع ونُقشت الكنيسة نقشاً حسناً وزُيّنت بضروب التصاوير لكي يؤثر نظرها في كل الزائرين الذين جعلوا يتزاحمون ليروا « بيت إله السماء » كما كانوا يدعونهُ

على انّ هذا الرونق وهذا البهاء اثارا في قلوب عَبَدة الاوثان وتَبَعة دين بودا الحسدَ والبغض فأخذوا يضمرون الشرّ للمرسلين ويبثّون بين الناس التُّهَم في حقّهم. وممّا سعوا بهِ في معاكستهم القول بأنّهم قدموا الى بلاد الصين ليفتحوها للاوربيين ويسلّموها في ايديهم فنشروا هذه السعايات في كانتون وتانكين والامكنة التي رأوا فيها بعض النفوذ للمرسلين. فألقى الحكّام البعض منهم في الحبس في كانتون وصادروا واحداً منهم بالضرب فمات شهيد ايمانهِ . الّا ان الباطل زهق بعد قليل وظهر الحقّ وقام كثيرون من اصدقاء المرسلين فدافعوا عنهم واثبتوا براءتهم وكذب اعدائهم. فكانت نتيجة هذه المعاداة ان انتشر الدين النصراني حيث لم يُعرَف سابقاً

وكان الاب رتشي يضاعف الهمّة في تصنيف الكتب الدينيّة لينشرها في انحاء المملكة. ومما وضعهُ حينئذٍ كتاب مباحثات في المعتقدات المسيحية طبعهُ سنة ١٦٠٨ وضمّنهُ معظم المشاكل التي تخطر على بال اهل الصين مع حلّها . وصنّف كتاباً آخر تتبّع فيهِ اضاليل الشيع الوثنيّة وبيّن عقلاً ونقلاً بطلان كل واحدة منها. وكذلك وضع كتاباً في الفلسفة الادبيّة. هذا فضلاً عن الكتب العلميّة التي سبق لنا ذكرها ولم نعدّدها كلّها كاصول تاريخ الصين ومعجم اللغة الصينيّة والجغرافيّة الطبيعيّة ومجموع رسائل كتبها لاصحابهِ في اوربا تنيف على المئة عدّاً طُبع قسم منها فقط وتحتوي كلّها المعلومات الواسعة عن الصين واحوالها دينيّاً ودنيويّاً وهي تُحفظ في بعض مكاتب الخاصّة

فكل هذه الاشغال والاتعاب التي كان يتجشّمها الاب رتشي بهمّتهِ المعتادة ما لبثت ان انهكت قواهُ فنقلهُ الله بعد مرض قصير الى دار كرامتهِ ليكافئهُ على وفرة

اعماله الصالحة التي باشرها لمجده تعالى. وقد اثبتنا سابقاً ما خانهُ بعد وفاته (في ١١ ايار سنة ١٦١٠) من الذكر الطيب في قلوب الصينيين وما جرى لـهُ من الكرامة في حفلة جنازته

وكانت الكنيسة الصينيَّة قد اصبحت يوم وفاة منشئها شجرةً نضيرة الاغصان وافرة الثمار. فكان عدد المرسلين من عشرين الى خمسة وعشرين بينهم خمسة عشر كاهناً وهم يسكنون خمسة اديرة اخصها في كانتون وناتكين وباكين. اما عدد المتنصرين فكان ينيف على الالفين وهو لعمري عدد قليل بالنسبة الى تلك الممالك الواسعة لكنهُ كثير اذا اعتبرتَ ما لقي المرسلون من المشاقّ في اتمام مهنتهم ليدرسوا لغة الصينيين العويصة ولينالوا عندهم حظوى ويزيلوا ما تراكم على عقولهم من الاوهام

وزد على ذلك انَّ اولئك المتنصرين لم يكونوا في الغالب من رعاع القوم وسفلتهم بل من اشرافهم وعلمائهم ممن لا يقنعون الَّا بالحجج الراهنة لاسيما ان الدين النصراني كان يحظر عليهم كثيراً من عاداتهم الباطلة التي انطبعوا عليها اخصُّها تعدّد الزوجات ويلزمهم بعدَّة فرائض لم يألفوها كممارسة الاسرار والاقرار باخفى الذنوب والصوم في ايام معلومة. وكثيراً ما كان المهتدون يعرّضون بنفوسهم الى السخريَّة والهزء في اعين مواطنيهم الذين كانوا يعيّرونهم جحود دين اجدادهم

وقد اظهر هؤلاء النصارى الجدد صدق ايمانهم وثباتهم في الدين رغماً عن كل الاضطهادات والمصادرات فبعد وفاة الاب رتشي بخمس سنوات توفي الملك ثسان لي فامتحن الوثنيون اهلَ الايمان محناً شديدة دامت سنين طويلة دون ان يقلعوا من قلوبهم ذلك الزرع الجيّد الذي زرعهُ فيها الاب رتشي ورفقتهُ

وليس في نيتنا ان نروي اخبار تلك الكنيسة بعد مُنشئها وانَّما يحسن بنا القول انَّ اليسوعيين تتقفَّوا آثار رتشي ولم يحيدوا عن خدمة الدين والعلم بنشاط لم يعرف السأم مدَّة ١٧٠ سنة توالوا فيها هناك رهدوا الالوف المؤلفة من الصينيين لمعرفة خالقهم وتبعهم كثيرون من المرسلين من رهبانيَّات أُخرى ساعدوهم في جمع حصاد ربّ البيت

على ان انماء الرهبانيَّة اليسوعيَّة في اواخر القرن الثامن عشر كان ضربة لازبة على الرسالات الكاثوليكيَّة عموماً وعلى رسالات الصين خصوصاً. لكن الاب رتشي لم يهمل في السماء تلك الارض التي سقاها بعرق جبينهِ وارتوت من دماء غيرهِ من المرسلين

فنال بشفاعته ان يستأنف العمل في اواسط القرن الماضي عدّة رهبانيات تقاسم مرسلوها انحاء الصين لنشر الايمان فيها فكلّل النجاح مساعيهم . واليوم يبلغ عدد المتنصرين مليونًا بنيف يغلب على اكثرهم التحمّس في الدين كما اظهروه يوم ثورة البوكسر فمات منهم الوف شهداء ايمانهم . وللبسوعيين هناك رسالتان كبيرتان في معاملتي كيان تنغ وتشالي عدد المؤمنين فيهما ينيف على ٤٠٠,٠٠٠ ولا يقلّ في السنة عدد المتنصرين من الوثنيين على يدهم عن العشرين الفًا غير المواليد والاطفال . وقد شيدوا هناك نحو الفي كنيسة او معبد وانشأوا عددًا وافرًا من المياتم والمستشفيات ولهم مدارس زاهرة للذكور والاناث يدرس فيها نحو ٥٠,٠٠٠ من الصغار . والامل معقود بان اهل الصين الذين يسمون حالًا في التشبه بالاوربيين يدركون ايضًا بطلان دينهم القويم فيقبلون زرافات الى حجر الكنيسة المسيحيّة ويجدون هناك الحقّ والحياة اللذين رفع بينهم لواءهما الاب رتشي قبل ثمانية سنة . هذا ما نلتمسهُ من جودهِ تعالى فانه على كلّ شيءٍ قدير

المهاجر السوري

للاب انطون رباط اليسوعي

المهاجر السوري كتاب نشرهُ جناب الاديب جميل افندي بطرس حاوه احد التراجمة السوريين في خدمة ادارة مهاجرة الولايات المتحدة الاميركية وطبعتهُ جريدة الهدى النيويركية عدّد فيها المؤلف ما يجب ان يعرفهُ المهاجر السوري ويعمل بهِ فطالعناه بمزيد المسرّة . ولو لم يُنشر بالطبع فسهلت الاستفادة من مطالعتهِ على كل من لهُ رغبة في المهاجرة لنقلنا منهُ فصولًا على صفحات البشير والمشرق ودعونا الرصفاء الكرام الى تعميم انتشارهِ في كل الانحاء لما تضمّنهُ من الفوائد والاشارات الآتية الى خير المهاجرين وخير الوطن . فان كثيرًا من السوريين قد يغترّون بالآمال فيحسبون انهم اذا وطئوا ارض كولمبوس لا يعوزهم الّا المجارف لجمع سبائك الذهب وشذورهِ . وهم في ذلك جهلة او مغرورون فلا بدّ للمهاجر من ان يحسر عن ساعديه ويشمّر عن ساقيه ويكدّ ويجدّ ويواصل الشغل في المعامل او السفر في المفاوز و« الكشّة » او « الجزدان » على منكبيه يأكل خبزهُ بعرق جبينهِ حتّى اذا ما اثقل كيسهُ دراهم او دنانير كانت هذه انفاس حياتهِ وقطرات دمهِ

ضحاها على هيكل الاكتساب اللهمّ ان لم تصبهُ مصيبة فيخسر الصحة والحياة مع ما كان قد عقد عليه الامال

وليس هنا المقام لان نصف تاريخ المهاجرة وما عاناه الاوّلون من عوارض الطبيعة ومشاق الاسفار والذلّ والهوان وضروب الاسقام والموت في بلاد لا يعرفون طباع سكّانها ولغاتهم وعوائدهم وشرائعهم فشرعوا بالتجوال بالبضائع و « الكشة » على ظهرهم يئنون تحت عبئها الى ان جمعوا ما جمعوا فمات منهم فريق واستوطن فريق المهجر وعاد قسم الى مسقط رؤوسهم وقد هدّت الداهات قوى الكثيرين منهم وأضنت بنيتهم المتينة فعمّروا المنازل التي يعجب لرؤياها الراءي في القرى والمزارع فتحرّكت في قلوب ناظريها عوامل الطمع والمنافسة ولم يعتبروا ما تكلّفهُ اولئك المساكين من الاتعاب لتشييد تلك الابنية . اذ باعوا حياتهم رخيصةً ولم يطل تمتّعهم بثمرة ما زرعوا فودّعوا دنياهم وشيكاً

ومنذ نصف قرن لا يزال السوريون يؤمّون اميركة طلباً للمكسب وهم يُعدّون بالالوف فقد دخل الولايات المتحدة ٤٨٢٢ مهاجراً سورياً سنة ١٩٠٥ و ٥٨٢٤ سنة ١٩٠٦ و ٥٨٨٠ سنة ١٩٠٧ و ٥٥٢٠ سنة ١٩٠٨ فيكون المجموع ٢٢,٠٤٦ والعدد السنوي المتوسط خمسة الاف وخمسمائة سوري وذلك للولايات المتحدة فقط ولا نعرف احصاء المهاجرين الى غيرها لكننا لا نُرانا مخطئين اذا اعتبرنا هذا العدد ربع عددهم ونظنُّ من ثم انهُ يغادرنا في كل عام نحو من عشرين الفاً الى البلاد البعيدة . ولا يعود منهم ربع هذا العدد حتى ولا سدسهُ ولا ثمنهُ . فتامل

وقد اضاف المؤلف الى الجدول السابق عن السنين الاربع التي ذكرناها (١٩٠٥ — ١٩٠٨) افادات غيرها . فمنا روى ان عدد الذكور المهاجرين ١٥,٥٥٠ وعدد الاناث ٦٤٩٤ منهم ١٨,٢٠١ بين العمرين ١٤ سنة الى ٤٤ سنة وهو زمن تمام القوى الطبيعية الذي فيه تستفيد البلاد من سكانها فهذه ثمانية عشر الف عامل او عاملة خسرتها سورية في اربع سنوات فما قولنا عمّا خسرتهُ في خمسين سنة وزبجتهُ كل بلاد المهاجرة حيث يسير السوري كاميركة الجنوبية وجزائر الاوقيانوس ومستعمرات افريقية فضلاً عن البلاد المجاورة كمصر والسودان

وقد الحق المؤلف جداولهُ بملحوظات تنبئ عن ذكاء ومعرفة حبّذا لو تعلّمها المهاجرون ظهريًا وكتبوها على صفحات القلوب وعملوا بها في الغربة كقولهِ في ضرورة

النظافة والادب والسكينة والصدق. لكننا ننقل عنهُ ما قالهُ عن مهاجرة المرأة السورية سائلين القراء من كهنة وعوام وآباء وازواج ان يطيلوا فيها نظر الروية والفكر فانها جديرة بالاعتبار. قال (ص ٥٩):

« يبين لنا من الجدول الرابع انه « من عام ١٩٠٥ الى ١٩٠٨ هاجر الى الولايات المتحدة ستة الاف واربعمئة وستّ وتسعون انثى سورية وتزيد على ذلك مما اخبرناه ان خمسين بالمئة منهن يسافرن وحدهنّ وهنا اعظم العار والاخطار

« لا يحدينا الوعظ والتذكير بوجوب تحفّظ الاناث المنفردات على الطريق لاننا لا يأمنُ الشرور بعد فوات الشهور وحوّمان الشواهين عليهنّ والنسور ولو قُدّمت قاوجنّ من جلاميد الصخور ! لان المحيط الذي يكتنفهنّ من عوامل الساهرة والشاردين الفاسدين أدعى الى الهبوط والغواية من التحفظ والوقاية. وعليهِ نسأل الاباء والامهات والاقرباء والاصدقاء ان يمنعوا هذا النوع من المهاجرة على الاطلاق لانه عارٌ وشنار. وما لم تنفز الابنة بعائلة امينة تصطحبها على الطريق فيقاوحها في الوطن استر لها وموتها في الفاقة خير واشرف من موتها الروحي والادبي وتلطيخ الاسم السوري بالعار

« ولا بد من التلميح هذه المناسبة الى ان الكثيرين من السوريين القاطنين على الحدود الكندية والمكسيكية يفترصون فرصة مجيء البنات ويفترسونهن بالارضاء او الاغراء او الاغتصاب قبل ان يصلن الى اقاربهنّ في هذه البلاد وهي فعلة ذميمة وجناية شديدة على ان المال المتروك يعلّم الناس الحرام فانتبهوا. انتبهوا لبناتكم باكرام!»

وقال (ص ٨١):

« مرّت من ادارة المهاجرة في الباسو تكسس فتاة سورية من احدى القرى فغضّت الاهاب زامرة الشباب فسألها الرئيس: لمَ انتِ آتية الان الى الولايات المتحدة؟ — لابيع بالكنّة. وماذا كنت تعملين في وطنكِ؟ — كنت اساعد والدتي في البيت واطوف مع والدي في الكروم والبساتين لاقتطاف الاثمار!

« فرفع الرئيس نحوي عينيه وقال: « ألا تعجب كيف تتبدل معيشتها هناك بالزمة ان تكون هنا! . فتبسمت ابتسامةً عنيتُ بها:

امشِ وداخلي الـ مريرُ فلا تمرركو ضوء الثنايا

بلى — تأملت عند ما تصورتها مثلة « بالبقع والصرر » تتبطّن الغابات وتقطع الفلوات تحت رحمة الطبيعة وعرضة للخزي والعار. حتى تحوّل دماءها او حياءها دولارات يتنعّم بها ابوها الجاهل او زوجها البليد الظالم

كان للمرأة السورية في بداءة المهاجرة عذر بمساعدة زوجها . اما الان ! الان ! ! فالمرأة التي بثباتها و ناتها . باخلاصها واحترامها قد دعمت اركان الجالية السورية وعضدت بناءها فنسأل من اجلها الرأي العام — نسأل اولي المدارك والافهام ان يعملوا على دفع ظلامتها . وان يسمحوا لها

بالاستراحة بعد العناء على ازهار اكاليل من الندر. ضفرتها لنفسها في مصادمة الدهر!

« امّا بيع الحرير فأنصف واشرف من الكشة ولا ينكر ميزته على الكشة ذو نيرتين فقد هذّبها وعلمها النظافة والاقدام ومعرفة الحق والنظام الا ان لهُ نقائص اهمها استبداد البعض من الفتيات بارائهنَّ الفاصرة والاستهزاء بمشورة ذوي قرباهنَّ والتأمرك السطحي وغير ذلك اشياء. وخير دواء نراه لهذا الداء هو انشاء جمعيات للنساء اجتماعية تهذيبيَّة تبث مديراتها فيهنَّ مبادئ حفظ الحقوق. والامساك من الشرور والفرق »

هذا برضٌ من عدّ. وفي الكتاب فصول حسنة تتناول تاريخ المهاجرة السوريَّة في اميركة وما طرأ على المهاجرين من تقلُّب الاحوال مع ارشادات جمّة للمهاجرين وما ينتظرهم في اميركة من الاخطار وما يحسن بهم ان يتعاطوهُ من الاشغال يليها دستور الولايات المتحدة الخاصّ بالمهاجرين وطريق التجنُّس بالجنسيَّة الاميركيَّة

وفي الختام بعد تكرار الثناء على الكاتب الاديب نسأل الكتبة العارفين في انحاء اميركة ان يتحفوا قرّاءهم ويتحفونا بمقالات تكشف القناع عن احوال الجالية السورية الدينية والادبية والتجارية في الدول التي حطوا فيها رحالهم وعن عددهم بالتقريب فاذا ضُمّت هذه التقارير الصادقة في مجلد واحد سدّت خللًا وبيّنت حالة يروم الجميع الاطلاع عليها

شرف الكهنوت

لحضرة الخوري رافائيل البستاني في مدرسة الحكمة الغرة

فخرُ الملوكِ ومجدُ أجواقِ السما لم يأتنا شرفًا لكهنوتٍ سما
ثمَّ نظرِ الأيامَ نظرةَ باحثٍ فلعلّنا نُبدي الخفيَّ فنُفحما
ثمَّ نسأل التوراةَ والانجيلَ وا م لتاريخَ من عهدٍ مضى وتصرَّما
سَلها تُجبكَ بكلِ عصرٍ قد رأت في الكاهن البرِّ الالهَ تجسَّما
فاتاهُ ما لم تنلهُ ملائكٌ واليه سلطتهُ العليَّةَ سلَّما
هارونُ بعد اليبس أورقَ عودُه وزها وأزهر ناميًا كلَّ النَّما
أبناء لاويٍ تعاظم قدرُهم فقالهم كانَ القضاء المُبرَما

مَلكيصدقُ قد سما في وَسمهِ فدعوهُ ملكًا للسلامِ تعظُّما
والى بني الكهنوتِ ألقى رَبُّهم قدمًا بقلادِ الشؤونِ ترحما
قادوا الممالكَ والملوكَ الى الهُدى وَوَقوا شعوبَ اللهِ من سَفكِ الدما
اسكندرُ البطلُ الذي خرَّت لهيبتهِ الملوكُ جثا وظلَّ مُلَعثما
صرعتْه بالقدسِ الشريفِ مهابةٌ من حبرها السامي فتكَّصَ مُرغما
وكذاكَ آتيلا الذي قذفت بهِ يَسداه آسيًا كارِ جهنَّما
قد قال: تأبى النبتَ ارضٌ داسَها مُهري بسُنبكِهِ اذا غيظي طما
هدأتْ مراجلُهُ وولَّى القهقرى لمَّا رأى يومًا ليونَ الاعظما
كم غيرِ ذَينِ من الجبابرةِ الأُلى لجلالةِ الكهنوت خرُّوا جُثَّما
فاللهُ خصَّصهُ بصيبِ نعمةٍ وعليهِ وَسمي المراحم قد همى
فدعا ذويهِ الأصفياء وجُندَهُ واليوم بكتابهِ السامي وَما:
« مَن مَسَّكم قد مسَّ أحداقي ومَن يرشقكُم فشغافَ قلبي قد رَمى
إني مؤيدكم بروحي فاذهبوا واهدوا الضليلَ الى صراطِ أقوما
واشفوا الخلَعَ والضريرَ وأبرصًا داووا الأصمَّ واعرجًا والأبكما
اني انا مُختارُكم لا انتمُ فدعوا التردُّدَ نابذينَ « لُرُبَّما »
سترون من اجلي صنوفَ مطاعنٍ فأزروا بأعداء اذا فغروا الفما
فلأنتم نورٌ تُشقُّ به الدُجى ويميطُ سِترًا عن ضلالٍ لُثِّما
فلأنتم مِلحٌ فداووا فاسدًا وضعوا على دامي الكارمِ البلسما
لا تعجبوا من ظلم اقوامٍ لكم فلكَمْ أراقوا من جراحاتي دَما
فثقوا بوعدي واصبروا لا تيأسوا مهما بدا جوُّ الزمان مغيَّما
انا مَعكمُ انا معكمُ انا معكمُ مَنْ كان في فُلكي ايرهب خِضرما ؟
مَن يطلب الكهنوت يا قومي فقد طلبَ النضال ولا يهاب المخذما
واقام في الميدانِ لا نكسًا ولا وَكِلًا يقابلُ من عِداهُ الأسهما
ويُريشُ من جعباتِ نورٍ نبلهُ ويسلُّ من غمدِ الحقائق لهذما
فحياةُ كهنوتٍ حياةٌ قد حوت في كأسها شهدًا يَلذُّ وعلقما
مَن يشكُ في ذي الوليمةِ نازعًا عنهُ ثيابَ العرسِ ذلَّ واجرما

أمّا الذي لبس المعارف والتقى فيحلُّ ضيفاً مُكرَماً ومعظَّما
ويَنالُ ممّن قد دعاهُ حفاوةً وكرامةً وهشاشةً وتبسُّما »
ويقرُّ ربُّ العرس عيناً اذ يرى شبهاً لكاهن سرمدٍ يأوي السما

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مناهضة رؤساء الكنيسة للماسونيّة

﴿ بيوس الثامن ﴾ قد فاتنا في العدد السابق ذكر ما حكم به هذا البابا على الماسونية مع انّ مدّة رئاسته على الكنيسة لم تبلغ السنتين (١٨٢٩—١٨٣٠) فبعد جلوسه على كرسيّ الخلافة الرسوليّة ببضعة اسابيع كتب منشوراً الى جميع رؤساء الكنائس يُبيم فيه بسمة الرذل والحرم الشيع الماسونيّة وفيه يقول:

« انّهُ لمن واجباتكم يا الاخوة ان تتصدّوا للجمعيّات السرّيّة التي يسعى بتأليفها رجال مشاغبون من الدّ اعداء الله والامراء المتملكين نراهم يتفانون في خراب الكنيسة وتدمير الممالك ونشر الفساد في العالم كلّه فانّ هؤلاء الاشرار بعد ان نبذوا الايمان القويم فتحوا طريقاً مهيعاً لكل الجرائم والآثام. ولو لم يكن شاهد آخر عليهم سوى تلك الأقسام المحرّجة التي يرتبطون بها لحفظ اسرارهم لكفى دليلاً على انهم هم المسببون لكل النكبات والرزايا التي خرجت من هاوية الجحيم فصبّوها على الدين والممالك وزعزعوا اركانها . . . فانّ هؤلاء خلعوا كل عذار واستسلموا لكل الاهواء واقترفوا كل المآثم وفيهم يصحّ قول القديس لاون الكبير « ان شريعتهم الكذبُ والمراء وإلههم ابليسُ الرجيم ومعبودهم كلّ رجس فاحش يندى منهُ الجبين خجلاً . . . . »

﴿ السيّد البطريرك منصور براكُر ﴾ وممن سهونا عن ذكر اقواله في الماسونيّة

من بطاركة اورشليم اللاتينيين السيّد منصور براكو الذي خلف الطيب الذكر يوسف ڤالركا فجاراهُ في همّتهِ وصلاحهِ ومبرّاتهِ. فلمّا شعر بدسائس الشيع السرّيّة وجّه الى اضرارها انظار ابناء بطريركيّته في المنشور الذي اصدرهُ سنة ١٨٨٨ فطُبع في مطبعة الاباء الفرنسسكان. قال:

« لا يسعنا ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزّاء الّا ان نحذركم الآن من جمعيّة قصدت لو امكنها ملاشاة الديانة عن وجه المسكونة وابتغاء ذلك تُحاول ان تضمّ اليها في كل قطر تبّاعًا تستأصل من قلوبهم رويدًا رويدًا بحجة نجاح كاذب مادّي كل حاسيّة دينيّة حتّى تصيّرهم وثنيين محضًا. فما اغرب ما تنصبهُ من المكايد وتنهجهُ من الطرق وتستعملهُ من الفنون بهذا الصدد مراعاةً لحالة الافراد واميالهم موردةً لهم تارة اسباب التقوى وطورًا اسباب الاحسان والبرّ. غير انها بجميع ذلك لا تبتغي شيئًا آخر سوى حمل تبّاعها على ان يعتبروا كل اعتبار خيرًا ما طبيعيًا ونجاحًا دنيويًا يقوم بهِ في زعمها صلاح البشر الاعظم وسعادتهم ويستخفّوا بالخيرات الفائقة الطبيعة والالهيّة ويحتقروا الديانة المسيحية

« فممّا تقدّم يمكنكم ان تفهموا في اي لجةٍ من الشرور يرمي بنفسهِ ذاك التعيس الذي ينضمّ منخدعًا الى جمعية شريرة جهنميّة كالتي اشرنا اليها. فمن ثم يتحتّم علينا ان ننبهكم ونحذركم لئلا يقع احدكم في شرك عدو الديانة المسيحيّة الكثير الحيل والدهاء. »

﴿ السيّد البطريرك بولس مسعد ﴾ وفي السنة التالية رذل ايضًا الشيع الماسونيّة المثلث الرحمات السيد بولس مسعد بطريرك انطاكية على الموارنة واقام الحجّة على الاهانة التي ألحقها تبعة تلك الشيع بقداسة الحبر الاعظم لمّا نصبوا في رومية تمثال احد الكفرة المسمى جردانو برونو ومما كتبهُ حينئذٍ قولهُ:

« ان اعداء الدين الكاثوليكي (اي الماسون) ما برحوا يعملون بجمع قواهم الجهنميّة سرًّا وجهرًا على تقويض مبادئهِ الصحيحة وقلب مملكة المسيح في الارض لو قدروا بما يختلقونهُ من الوان المكر والخداع صارفين جدّهم وجهدهم الى ادراك غاياتهم ومقاصدهم القبيحة وهم يوهمون السذّج والمغفّلين انهم يعملون لخير الانسانية ونجاح العمران. . . فنحرصكم عمومًا من الاغترار بدسائس هولاء المبتدعين ونناشدكم

بالله ان ترعوا الوديعة المقدَّسة اي الايمان الكاثوليكي الذي تلقيناه من آبائنا والذي ما برح بنعمة الله حيًّا في صدوركم سالمًا من كل شائبة »

﴿ الطيّب الاثر المطران يوسف الدبس ﴾ وجدنا لهُ في رسالتهِ الرعائيَّة المؤرخة في غرَّة كانون الثاني سنة ١٨٧٥ ذكر الفرماسون ومساعيهم في تضليل ابناء ملتهِ وثبات هؤلاء في الايمان ونعت الماسونيَّة بالجنون. قال اجزل الله ثوابهُ:

« تأملوا في ان الابروتستنت يحاولون من نحو اربعين سنة ويبذلون كلّ ما في وسعهم ليطغوكم ويضلوكم ومع ذلك فاي نجاح لهم عندنا... ثمَّ كم تعب ويتعب الفرماسون واصحاب المذاهب الكفريَّة في ان يضلوا اناسًا منَّا ومع هذا كم واحدًا منا استطاعوا ان يطغوا ومن يجسر ان يظهر نفسهُ بيننا مصابًا بهذا الجنون! فواصلوا اذًا فخركم الى النهاية وداوموا التمسك بالحقّ... »

﴿ السيد ملاتيوس قسكاك ﴾ والى هذهِ الشيع الاثيمة اشار مطران بيروت وجُبيل على الروم الكاثوليك سلف السيد الحالي في منشورهِ الابتدائي الذي كتبهُ عند استلامهِ زمام التدبير سنة ١٨٧٩ حيث قال:

« فلا تصغوا سمعًا ولا تعطوا التفاتًا لتملقات ذوي الآراء الضالَّة الفاسدي الاعتقاد الذين بخبث شيطاني وبارشاد اركون الظلام الكذوب وابن الكذب الذي هو منذ البدء قتَّال الناس يخدشون آذان البسطاء والسذَّج بتعاليم اثيمة تتردى باشكال الحقّ والصلاح ولا سيما في هذه الازمنة التعيسة »

﴿ السيد كيرلس منغب ﴾ مطران زحلة والفرزل. بلغ سيادتهُ ان عدوى الماسونيَّة فشت بين ابناء رعيتهِ فندَّد بالماسون واعمالهم القبيحة ومنع عن سريّ الزواج والتناول الذين رآهم مصابين بذلك الداء. وبينما جحدوا الشيعة ونالوا الحلة عن خطيئتهم. وقد وافقهُ على ذلك آباء المجمع المنعقد في عين تراز

﴿ السيد جرمانوس معقد ﴾ اسقف اللاذقيَّة شرفًا صرَّح غير مرَّة باشمئزازهِ من اعمال ابناء الارملة وعدَّ الماسونيَّة في جملة المضلَّات الكبرى في مقالتهِ المعنونة اسباب الضلال في مجلة المسرَّة الغراء. ومما كتبهُ اخرًا هناك عن الشيعة في زحلة قولهُ وفيه استحسان لمقالاتنا نشكر عليهِ سيادتهُ:

« واما الديانة فقد انتشر عن الزحليين من عهد قريب انَّهم تجافوا عنها وانَّ

جمهوراً غفيراً منهم صاروا اعداء الديانة بانضوائهم الى الماسونيّة . . . غير اننا بعد الفحص والاستعلام من كثيرين تحققنا ان عدد الماسونيين في زحلة من طائفتنا هو بين الثلاثين والاربعين شخصاً واكثرهم ممن دخلوا الماسونية في اميركا فهؤلاء اذا فحصتَ ضمائرهم عرفت ان اكثرهم دخلوها مغرورين بسراب مواعيد اربابها بمساعدتهم وانها لا تضادّ الدين . والباقون قد فسد ايمانهم بعض الشيء بتضليل زملائهم فهم سائرون على طريق منتهاها الكفر والعياذ بالله . وقد صخبوا مدّة ومدّوا شرَك الماسونية في طريق الشبان والمتازين بتمامهم او شهرتهم . وربما كانوا استطاعوا ان يكسبوا كثيرين لولا ما حال دون مرامهم من اجتهاد رجال الدين في كشف الستار عن الماسونية بالوعظ والمخاطبات

« وقد ساعدهم على ذلك انتشار تلك المقالة الشهيرة التي نشرها المشرق المدعوّة « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » التي فضحت تلك الاسرار واعلنتها للكبار والصغار بهيئتها المخوفة فتوقّف نموّها وخرج بعض اعضائها ولولا طمع البعض بمساعدة الجمعية الماسونية لهم لنيل الوظائف ولامور اخرى زمنية لخرجوا منها بدون ابطاء . فيا ويح هؤلاء لاعتدادهم السراب ماء زلالاً وتفضيلهم الزمنيات على خلاص نفوسهم »

﴿ السيّد يوحنّا مراد ﴾ رئيس اساقفة زحلة قام في وجه جمعيّة غزير الملوّثة بقذر الماسونيّة لمّا اراد اصحابها ان يدخلوا الكنيسة حاملين الالوية المنقوشة عليها رموز الشيعة وخطب محرّضاً اهل البلدة على الحذر من خميرة الشيعة الفاسدة

هذا بعض ما بلغنا من اقوال السادة البطاركة والاساقفة الشرقيين في الماسونيّة ونحن نعلم حقّ العلم بان رؤساء الطوائف الكاثوليكية دون استثناء وعلى اختلاف الطقوس في مواعظهم وخطبهم ومحادثاتهم قبّحوا تلك الشيع المرذولة فقاموا احسن قيام بواجباتهم المقدّسة وحذّروا خرافيهم من مناجع الضلال والفساد

ومثلهم غيرة عدّة كهنة غيورين رقوا المنابر واماطوا القناع عن خبايا الماسونيّة كحضرة الاب برنردس غصن في دمشق والخورفسقس افرام ابيض في مصر . وغيرهم جرّدوا اقلامهم فكتبوا ما رأوه جديراً بالشيعة نخصّ منهم بالذكر المرسلين الرسوليين في الكريم الذين نشروا « خطبة في الشيعة الماسونية » زيّفوا فيها مزاعم الماسون واظهروا لكل ذي عين خبثها ومقاومتها للدين ومناصبتها لمبادئه القويمة . وكذلك فعلت مجلّة « الجمانية » تحت ادارة حضرة الاب يوسف علوان اللعازاري

رؤساء الكنائس الارثوذكسية

الكنائس الارثذكسية بقيت زمناً دون ان تنتبه الى اضرار الماسونية او غضّت عنها الطرف لكن الشرّ ما فتئ ان استفحل وظهرت اعمال الجمعيات السرّيّة في روسية وبالاخصّ النهيلست اي العدميين الذين نصبوا المكايد للدولة وحاولوا مراراً عديدة ان يقتلوا القياصرة وعمّالهم بدسائسهم فتنكوا باسكندر الثاني وضحّوا في اثره اسكندر الثالث حتى اصبح عرش القياصرة على بركان يتوقّع الجالسون عليه انفجاره من يوم الى آخر فرأى زعماء الارثذكسية انّهُ لا بُدَّ من الجهاد في سبيل الدين والآداب فاجتمع « السينودس المقدّس » وقرّر ان « يُمنع المنضمّون الى الشيعة الماسونية من الاشتراك بالجسد الطاهر والدم الكريم »

ثم عقدت الكنيسة المسكونية (القسطنطينية) مجمعاً لاصلاح شؤونها فكان من جملة ما قرّرتهُ وقتئذٍ « ان تعتبر الماسونية كناقضة للدين المسيحي واكبر عدوّ للايمان الارثوذكسي »

وتبعتها الكنيسة اليونانية في هذا الامر وحرمت تبعة الماسونية. وقد افادنا احد علماء الارثوذكس في دمشق انّ اسقف ثينا السابق ألّف كتاباً بيّن فيه معاداة الماسونية للسيّد المسيح ولتعاليمه الالهية ونعت فيه الماسون بقيمة ابليس وزعماء جيشه في محاربة الدين القويم. ثم طبع من هذا الكتاب عدّة ألوف وزّعها في المملكة اليونانية وأنفق عليها ما وصلت اليه يدهُ. ومما أكّد لنا ان هذا الاسقف قطع من الكهنوت كاهناً بعد ان تحقّق دخولهُ في الشيعة فأبسلهُ

واضاف العالم الدمشقيّ المذكور انّ الماسون يفسدون الدين الكاثوليكي والارثذكسي معاً فكما انهم يحاربون البابا لأنهُ رأس الكاثوليك كذلك يسعون باسقاط قيصر الروس لانهُ اقوى مُدافع عن الارثوذكسية وكما تشجبت الكنيسة الكاثوليكية الشيع السرّيّة كذلك فعلت الكنيسة الارثوذكسية

امّا كنيسة الروم الانطاكية فانها لم تبحث في هذا الموضوع على ما نظنّ لكنّها بحسب الترتيب المألوف لا تناقض ما قرّرتهُ كنيسة ارثوذكسية اخرى بعد الفحص الدقيق. وانما جرت في بيروت واقعة الجأت سيادة المطران جراسيموس مسرّة الى ان

يُعلن بفكره في امر الماسونية. وذلك في اوائل شباط من السنة ١٩٠٨ في حفلة دفن المرحوم جرجي نعمة سابا فأتى الماسون حينئذٍ باكليل عليه الشارات الماسونية ليضعوه فوق نعش الميت فامر سيادته بان يُخرج الاكليل من الكنيسة. فقام لذلك قيام الماسون وعدّوا هذا العمل الصالح تحاملًا على الماسونية وافتراء وتطاولًا وطبعوا نشرة (ادّعوا انها طُبعت في الاسكندرية) في ١٥ شباط سنة ١٩٠٨ هذه بعض اسطر منها:

عن الماسونية العموميّة في بيروت سلام

وبعدُ فلا يخفى بان لكل هيئة رأيًا في الحكم على ما يأتيه المرء في زمانه من الحسنات او السيئات. امّا نحن معاشر الماسون فقد علّمتنا مبادئنا ان نمجّد العمل الصالح ونجعلهُ مثالًا لنا ننسج على منواله. وان ننفر من السيئة ونقابلها بالرحمة او العدل بحسب ما تقتضي به الظروف

ولمّا كان ما اجراهُ وتبناه اندي (كذا!!) مترو بوليت الروم الارثدكس في بيروت في جنازة اخينا المرحوم جرجي نعمة سابا مخالفًا لرأي عقلاء الامّة فقد خطّأهُ السواد الاعظم من ارباب الوجاهة والادب لتحامله على الماسونية وفيها خيرةُ رجاله ونخبة محبّيه واقدر الآخذين بناصره في المشروعات المليّة وشكروا الماسونية على اخذها الامر بالحكمة والتعقل . . .

ثم ادّعى الماسون في هذه النشرة انّ سيادة المطران ندم على فعاله واظهر « احترامهُ للمبادئ الماسونية » وعليه طلبوا « صرف النظر عما جرى والترفّع من مقابلة الاساءة بمثلها عملًا بتعاليم المسيح !! ». وفي قولهم شاهد على اكاذيبهم المألوفة لأننا رأينا في مجلّة الكلمة المطبوعة في نيويرك (السنة الرابعة ص ٢١٨—٢٢٠ تحت ادارة سيادة الاسقف رافائيل الهواويني دفاعًا عن عمل مطران بيروت وتصويبًا لرأيه بقلم حضرة الخوري باسيليوس خرباوي. وقد بيّن هناك ان الماسونية والمسيحية على طرفي نقيض. وها نحن ننقل عن رسالته بعض فقراتها ليعلم القرّاء ان النصارى على اختلاف مللهم يرون في الماسونية رأيًا واحدًا اعني فسادها ومعاكستها للاديان. قال:

« يقول الماسون انّ الماسونيّة كالمسيحيّة (!) انما هي اعمّ منها وتمتاز باسرار لا تُكشف الّا لاعضائها فقط وتعاليمها باطنيّة خفيّة الّا عن اتباعها وهي لا تفرق بين الاديان قطّ والمسيحي والموسوي والمحمّدي الخ يمكنهُ ان يكون ماسونيًا ويبقى دينهُ لهُ وبالنتيجة يقبلون كل الاديان دون تمييز. فاذًا ليست الماسونيّة كالمسيحيّة اصلًا لأن المسيحية ليست فيها شيءٌ من الخفاء او الغموض وكل تعاليمها ظاهرة ويمكن لاي

اراد الاطلاع عليها . . . فالذي يدين بها فقط هو مسيحي . . . والذي يدين بغيرها ليس مسيحياً . . .

« ثمّ ان الماسونية تحذر على اعضائها اباحة شيء من اسرارها او تعاليمها الخصوصية وتُذنب المخالف . والمسيحية توجب على كل تابعيها المناداة بتعاليمها وتُذنب من لا يفعل ذلك « الويل لي ان لم ابشر » (١ كو ٩ : ١٢)

« الماسونية تعلّم بوجوب محبة الاخ « الماسوني » ومساعدته ومعاضدته الخ . والمسيحية تأمر بوجوب وضرورة محبة جميع الناس على السواء حتى الاعداء ومساعدة وعمل الرحمة مع الجميع بلا استثنا . . . .

« الماسونية درجات ورتب متفاوتة والمسيحية ديانة مكافأة ومساواة : الكبير فيكم ليكن لكم خادماً . . . وانتم جميعكم اخوة (لو ٢٢ : ٢٦ ومت ٢٣ : ٨) . . »

وواصلَ هذه المقابلة بين الماسونيّة والمسيحيّة فختمها بقوله : « فيتّضح اذاً مما تقدّم انّ الماسونية شيء والمسيحية آخر فلا اختلاط ولا اشتراك ولا جمع بينهما . . . »

ثم انتقل الكاتب الى الدفاع عن مطرانه . فقال : « لو تقاعد سيادتهُ عن فعل ما فعل لكانت الحكومة تظنّهُ ماسونياً مخالفاً لنظامها الذي يمنع هذه الجمعية رسمياً من البلاد ولآخذتهُ الكنيسة وجمعُ اكليروسها واعضائها لتفاوته عن اتمام واجباته الرعائية وخالف لوصية الرسول القائلة : « لتخضع كل نفس للسلطات الزمنية لانهُ ليس سلطان الّا من الله حتى انّ من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله . . . فبناء على ما ذكر نرى ان سيادة المطران كان معذوراً ومحقاً في عمله الذي لم يكن تعصُّباً اعمى بل محافظة على حقوق مقدّسة وقياماً بفرض واجب والسلام »

هذا بعض ما ورد في مجلّة الكلمة وفيه اثبات لما قلنا عن اتفاق الارثوذكس مع الكاثوليك في تأثيم الماسونية . وان اعترض علينا احد انّهُ يعرف اسقفاً من الارثوذكس منتسباً الى الماسونية . اجبنا انّ هذا الامر لا يعنينا فندع البحث عنهُ لغبطة رئيسه بطريرك الروم وقد اكتفينا هنا بذكر ما لا سبيل الى انكاره

البروتستانت

وكما قاوم الكاثوليك والارثذكس الشيع الماسونية كذلك قام في وجههم في

البلاد البروتستانية المتديّنون من اهلها وإنْ كان الماسون في الدول البروتستانية الين جانباً واحرص على مراعاة الدين. فما وقفنا عليه انشاء جمعية تُدعى « الشركة المسيحية الوطنية » (National Christian association) عُقدت في الولايات المتحدة وهي تسعى في مناهضة الماسونية فتنشر اذلك الورقات المتطايرة (tracts) ويخطب اعضاؤها في النوادي العمومية ولها في شيكاغو جريدة هي لسان حال اعضائها اسمها (the Christian Cynosure). ولا نشكّ في وجود جمعيّات مثلها في انكلترة وخصوصاً بين الانكليكان الّا انّنا نجهل خواصها وتركيبها

المسلمون

خُدع بعض المسلمين مدّةً بالماسونية في أيّام الاستبداد فظنّوها الوسيلة لينجوا بها من ظلم المستبدّين وجورهم. لكنّ كثيرين بعد أن اختبروا الشيعة وعرفوا خبث دخلتها اقرأوها الوداع وهكذا فعل الشيخ محمد عبده كما اخبر عن نفسه (في مجلّة المنار السنة ٦ ص ١٩٦ والسنة ٨ ص ٤٠١) وجحدها قبلهُ الشيخ جمال الدين الافغاني. وعرفنا بعض نخبة القوم من مسلمين ودروز كانوا بعد دخولهم في الماسونيّة يحذّرون اصحابهم منها بل يشيرون على كل من طلب رأيهم فيها ان يبعدوا عنها طاقتهم معلنين بانخداعهم فيها. وذُكر لنا انّ احد امراء الدروز في لبنان اوصى بنيهِ قبل وفاتهِ وصية واحدة الاحتراس من الماسون

ولدينا رسالة مطوّلة كتبها سنة ١٢٨٨ بعض ادباء المسلمين اشرنا اليهِ سابقاً واسمهُ عزّ الدين محمد بن علي الشامي العاملي واسم الرسالة « كشف الظنون عن حال الفرمسون » اوّلها: « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله عالم الاسرار ومسبل الستار ». ثم ذكر تنازع الناس في امر الماسونيّة بقولهِ: « وبعدُ فطالما وقع النزاع واضطرب الفكر وقُضي بالعجب في قضيّة هذه الطائفة المشهورة بالفرمسون فمن الناس من يزري عليهم ويتهمهم بالزندقة ومنهم من يذبّ عنهم ومنهم الساكت عن حالهم المتحيّر في امرهم والعمدة في ذلك اخفاء امرهم على وجه لا يمكن الاطّلاع عليهِ الّا لمن دخل مجلسهم وصار في جملتهم. وانا اذكر لك في هذه الجملة الخفيفة الحكم في ذلك على وجه يريح فكرك ويُزيح الهمّ عن قلبك »

ويعقّب الكاتب قولهُ بمقدّمات تدلُّ على حسن ذوقهِ وصواب عقلهِ الّا انّها تبين ايضاً انّهُ لم يطّلع على شيءٍ من اسرار العشيرة لشدّة حرص اصحابها على حفظها بل ظنّ كما قال انّ « اظهار شيءٍ من اسرارها من المحالات الاوليّة » ولذلك قد قصر الكاتب حكمهُ على الظواهر ولو عرف ما نشرناهُ من دقائقها لرشقها بسهام صائبة . ومع هذا فقد استدلَّ من هذه الظواهر على بعض مكنوناتها كما ترى من الاسطر التالية المنقولة عنهُ وفيها يبيّن الاخطار المائة بمن يدخل الماسونية من المسلمين . قال :

« هذه ثلاثة ادلّة عقليّة وشرعيّة تصدُّ العاقل عن الدخول في طريقة الفرمسون والانتظام في سلك اهلها . امّا (اوّلاً) فعدم معرفة ماهيّتها بل ولا غايتها الّا لمن دخل فيها . والذي نعرفهُ (١ على وجه الاجمال كما تواتر النقل بهِ عنهم وعن غيرهم انّ لهم مجلساً يجتمعون فيهِ وفيهِ او في داخلهِ محلّ للسرّ وهو في بلاد الشام موجود في مدينة بيروت فقط (٢ وان كان لهم مجالس في غيرها ولكن ليس فيها محلّ للانتظام في سلكهم غير بيروت الآن فمن اراد الدخول يكتب الى مجلس الجمعيّة يستأذن فاذا وصلت كتابتهُ سألوا من يثقون بهِ منهم او من غيرهم اذ لا يقبلونهُ الّا اذا كان عاقلاً غنياً من ذوي البيوت ولا يقبلون من كان مجنوناً او مغفّلاً او غير موثوق بهِ في تعقّلاتهِ ولا من كان من السَّفلة ولا من كان فقيراً لاسيما اذا كان يطلب هذا الامر لفقرهِ ولا يلتفتون الى شيءٍ وراء ذلك من مذهب او عدالة او صناعة او غيرها

« فاذا شهد عليهِ جماعة وختم الشهود على اسمهِ أُذن لهُ فيقدّم قبل دخولهِ مبلغاً من الدراهم قيل اقلّهُ اثنا عشر ذهباً ثمّ يرسم عليهِ تقديم ذهبٍ واحد في كل سنة وهذه الدراهم موضوعة في الصندوق يُعمل بها كباقي البنكات ويُصرف النتائج في مصالح مجلس الجمعيّة . . . ثمّ بعد دخولهِ هذا المجلس لا يُعلَم ما يصنع ولا ما يُصنع بهِ : غيّ ام رشاد . صلاح ام فساد . واذا خرج وسُئل لا يبدي شيئاً ولو قُطع رأسه .

« وعليهِ اذ جُهلت معرفة ماهيّة الجمعيّة وغايتها فلا يجوز الدخول فيها لأن كل طالب شيءٍ مع عدم معرفة ماهيّتهِ وغايتهِ طالبٌ جاهلٌ راكبٌ في ذلك متن مَعْمَى

١) هذه النقطة وما يليها جاءت في الاصل بين المقدّمات فاثبتناها هنا لعلاقة المعنى

٢) لأنّ هذه الرسالة كُتبت سنة ١٢٨٨ للهجرة ونُشرت سنة ١٢٩٠

خابطٌ خبط عشواء . فان (قلتَ) كفى من الفائدة إراحة النفس من تعب الطلب واخراجها من ظلمة الجهل الى نور العلم . (قلتُ) إراحتُها في الإعراض عن الخطر اولى وكلُّ عاقل اذا رأى شيئاً لا يدري حالهُ رأى الاعراض اجدر فاذا ادخل فيهِ نفسهُ وكان فيهِ شيءٌ مما يلوم نفسهُ عليهِ كانت جنايتهُ على نفسهِ واوقعها في اعظم مما فرَّ منهُ . . . . فان (قلتَ) الفائدة ظاهرة وهي تحصيل الاخوّية والتحابّ . (قلتُ) نعم هذه الفائدة لعلّها حاصلة . . . ولكن لا يحسن الدخول لاجلها مع عدم العلم بالماهية . والسمُّ القاتل في لين الاناعي . . .

« واما (ثانياً) فلأن دفع الضَّرر المظنون واجبٌ ودفع الضَّرر المحتمل حسنٌ عند العقلاء كما ظهر لك في المقدّمات اذ لا يجوز المخاطرة بالنفس لاسيما وليست هي الّا نفس واحدة . وانت في دخولك هذا البيت مع تصميم اهلهِ على عدم اظهار ما فيهِ كالداخل على بيت يحتمل فيهِ وجود عقارب تلدغ وحيّات تلسع وأُسود تبلع فانَّ العاقل يأبى دخولهُ وان احتمل وجود كُتب تنفع وثياب تلمع وجواهر تتشعشع . فان (قلتَ) ارى الداخلين فيها عقلاء ولا اراهم ينكرون على انفسهم شيئاً . (قلتُ) وما يدريك ولعلّهم ابتُلوا فصبروا وأُخذ على قلوبهم كما أُخذ عليها في اخفاء الماهية . على انهُ كيف يصحّ لك أن تتأسّى بهم لمجرَّد عقلهم وهل يُبتلى بالامور الكبار والداء العُضال الّا العقلاء ؟ وهل تعدُّ ابليس مجنوناً ؟ او تعدّ احداً من النصارى والمسلمين وغيرهم من ذوي العقول خارجاً عن حدّ العقلاء مع انّ كل طائفة منهم تُخطّئ الاخرى ؟ وهل ظهور العقل من شخص يحجزهُ عن الخطايا ؟ كلّا لا يقول بهِ جاهل فضلاً عن عاقل

« واما (ثالثاً) فانا نقول لمريد الدخول في هذا البيت عرّفنا مذهبك فان كنت لست من اهل الكتب السماويّة كالملاحدة والزنادقة وعبدة الاوثان فاصنع ما شئت . . . وان كنت من اهلها فلا يسوغ على شريعتك ان تدخل لهذا البيت وكلُّ من دخلهُ قبالك من اهل ملّتك من مسلمين ونصارى ويهود غافل عن وجه المنع فابيّنهُ لك . . .

« ولنتكلم على طريقة المسلمين اوّلاً فنقول : انَّ هذا البيت لا يُمنع منهُ احد من اهل النِّحَل لنحلتهِ واكثر اهلهِ في الهند مجوس خارجون عن الملل الثلاث وحيث صحَّ ذلك وكان هذا البيت مما يدخلهُ الملحد والموحّد فكيف تدخلهُ ايها المسلم اذا لم يظهر

لك منهُ الّا الاخويّة وهي لا تجوز في مذهبك وقد قال لك ربّك جلّ وعلا على لسان نبيّك عم: « ما جعل بينك وبين الذين عاديتم منهم مودّة . . . »

« وايضاً اذا فعل اخوك (الفرمسون) المسلم ما يوجب الحدّ من زنًا او سرقة او قتل وامرك إمامك وسلطانك بجلده او قطع يده او قتله وكان ممن دخل هذا البيت فما تصنع؟ ان فعلتَ بطلت الاخويّة وان تركتَ خالفتَ وليّ امرك الذي قال لك الله في حقّه: « أطيعوا الله ورسولهُ وأولي الامر منكم » وربُّك الذي قال: « الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والنفس بالنفس » وغير ذلك مما وجب عليك من اقامة الحدود

« وايضاً اذا دعاك الاخ الفرمسوني لطعامهِ وكان ممن يبيح لحم الخنزير وشرب الخمر وغير ذلك مما لا يُباح لك في مذهبك ولم يكن في السفرة طعام يُباح لك فان لم تُجبهُ فاين الاخويّة وان اجبتَهُ تركت دينك وخالفتَ شريعتك . . . . وان اردتَ ان اسرد عليك هذا واشباههُ لطال المجال واتّسع المقال وفيما ذُكر مُقنعٌ لكل ذي بال

« فان (قلتَ) لعلّ مبنى هذهِ الاخويّة على الامور الدنيويّة واما الدينيّة فلا. بل كلّ يبقى على ما يوجبهُ مذهبهُ . . . (قلتُ) على ذلك تكون الاخويّة جعليّةً اصطلاحيةً والمحبة ظاهرةً قشريّة لا تستأهل خسارة مال ولا دخولًا في مجهول ولا إتعاب فكر ولا غير ذلك مما يوحش قاصدي هذهِ الطريقة. ومثلُ هذا يحصل باقل من ذلك بلا كلفة ولا استيحاش. فانّ ما هو حاصل بين جملة من الدول في عصرنا هذا من المُداهنة والتحابّ والغيرة على بعضهم بعضاً والاتحاد حتى كأنّ الجميع دولة واحدة آكدُ من الاخويّة الفرمسونية على هذا التقدير مع عدم اخفاء شيءٍ من الامور موجب التهمة وشغل الفكرة. والمودّةُ الحاصلة من اهل دين مع بعضهم بعضاً بل اهل كل بلاد بل اهل كل حرفة او عمل آكدُ وآكد . . . . .

« وبالجملة ايها الحمّدي قُل ما شئت وقدّر ما اردت ان كانت هذهِ الاخويّة على النحو السابق فهي تبيح حمى الشريعة . . . فان قصدتها وادخلتَ نفسك فيها خالفت بل ألحدتَ ولا خير بخير بعدهُ النار ولا شرّ بشرّ بعدهُ الجنّة. وان كانت على النحو الثاني ذهب

تمسكَ ضياعاً ولا ارى لكَ فيها فائدة وهل هي اذ ذاك الّا مداهنة ومحبة كاذبة ودعوى غير صائبة...

« فاياك اياك ايها الحمَدي واذكر ما جاء في آثار النبوّة: « دَع ما يريبك الى ما لا يريبك ». وجاء ايضاً: « حلالٌ بيّن وحرامٌ بيّن وما بين ذلك شُبهات فمن ترك الشبهات أمن المَهلكات ». وجاء ايضاً: « اخوك دينك فاحتَطْ لدينك ». ومن حكم الشعر:

ونفسَكَ فاكرمْ عن امورٍ كثيرةٍ فانك نفسٌ بعدها تستعيرُها

« فدع طلب الجواهر من الباعة المكّاسين في الاسواق بالاثمان الغالية الكاذبين عليها لنفاقها واطلبها في معادنها. ومن يُعطها مجاناً اجلُّ عليك وارفع للتهمة عنك وأوثق لك. اطلب الشرف والعز من الله فانهُ لا يمنع سائلاً ولا يبخل بنائل... ومن يتوكل على الله فهو حسبهُ »

هذا بعض ما جاء في الرسالة. وقد اثبت فيها الكاتب انهُ لا يجوز ليهودي ولا لنصراني ان يدخلا في الطائفة الماسونية كما بين ذلك للمسلم فاكتفينا بالاشارة... الى ان قال في ختامها:

« فقد وجب على المسيحي ما وجب على المسلم من التوقّف عن الدخول في هذا الامر المجهول وسبحان واهب العقول والحمد لجلاله اوّلاً وآخراً وباطناً وظاهراً. وكان ادخال هذه الرسالة البديعة لخازن السوق البهيج (يريد كتاب سوق المعادن) عصر نهار الجمعة ثاني شوّال سنة ١٢٨٨ وذلك عقب اخراجها الغائب التصنيف بنحو ثلاث سنين والحمد لربّ العالمين »

ولدينا شهادة اسلامية اخرى في الماسونية وهي رسالة وجّهها قبل عشرين عاماً احد الشيوخ المسلمين الى البشير فأثبتتها الجريدة وها نحن ننقلها عنها بالحرف الواحد (اطلب العدد ١٠٤٦ الصادر في ١٠ ك١ سنة ١٨٩٠)

مقابلة جلية بين اليسوعية والمسونية في التعاليم السرّيّة

وهي رسالة جاءتنا من احد السادة العلماء المسلمين فاثبتناها بحروفها

ان اليسوعيين يعلّمون انهُ لا سلطان الّا من الله (رومية ١٣: ١) ويعلمون كما يقولون: اوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (متى ٢٢: ٢١). اما المسونيون فيعلّمون المساواة والحرّيّة والاخاء.

فانظر أيها القارئ اللبيب الى تعاليم الفريقين السرّية وكن انت الحكم في الفرق بينهما. على ان اطلاقنا التعاليم السرّية عليهما انما هو للمشاكلة اللفظيّة فان تعاليم اليسوعيين على صريح نص الكتاب المقدس ولا يخفى على المسونيين أنهُ ليس كتاباً سرّياً بل هو مطبوع ومنشور بين الخاصّ والعامّ في اكثر اللغات في ايدي اليهود والنصارى والاسلام باعظم الجهات. وتأمل أتحكم ان تعاليم اليسوعيين هي تعاليم مضادّة للحكومة السنية اي للسلطة السلطانية التي هي من الله ولمصلحة التمدّن الصحيح المؤسس على المصلحة المذكورة ام تحكم ان تعاليم المسونيين هي التعاليم المضادة لكلا الامرين معاً. ولا بد ان نزيدك ايضاحاً كي لا يموه عليك مموّه فنقول:

اعلم ارشدك الله تعالى ان مآل تعاليم اليسوعيين انهُ تجب اطاعة السلطان وانهُ يجب ان يراعى مقامهُ وان يكون مطاعاً وانهُ فرقٌ عظيم بينهُ وبين الرعيّة كالفرق بين الآمر والمأمور وذلك لكون السلطة من الله. واما مآل عقائد المسونية فهو بخلاف ذلك للمساواة (كما لا يخفى) فتأمل

واعلم ارشدك الله تعالى ان مآل تعاليم اليسوعية انهُ يجب الانقياد الى الشريعة التي شرعها الله تعالى وجعل السلطان قائماً بتنفيذها وذلك لكونها من الله. واما مآل تعاليم المسونية فهو بخلاف ذلك للحرّية (كما لا يخفى)

واعلم ارشدك الله تعالى ان مآل تعاليم اليسوعيين انهُ فرق عظيم بين المؤمن بالله وبين الكافر به وذلك لكون الايمان به واجباً وانهُ تجب اطاعتهُ كما تجب اطاعة السلطة التي هي منهُ. اما مآل تعاليم المسونية فهو بخلاف ذلك للاخاء الذي هو عندهم بين المؤمن والكافر وعابد النار والكواكب والطبيعي الدهري وغيرهم (كما لا يخفى) فتأمل

فهذه نبذة يسيرة جزئية في الفرق بين تعاليم اليسوعيين وتعاليم المسونية السرّية تكفيك ان كنت نبيهاً والّا سنزيدك ايضاحاً وتنبيهاً

عجبتُ لمن اقام بحجر بيت زجاجيّ بذلّ لاحتياج
ويرجم كل حصن لن يراهُ لاهوال الزلازل ذا انزعاج
فقلتُ لهُ ألا يا غرُّ مهلاً الم ترَ ان بيتك من زجاج

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الاوَّل

تاريخ النصرانية في جزيرة العرب

هيا بنا الآن بعد هذه المقدمات الوجيزة نبحث عن النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليَّة وهما البحثان اللذان جعلنا الفصول السابقة كتمهيد لهما

الباب الاوَّل

مبادئ النصرانية بين العرب

قلنا في مطلع كلامنا انَّ الافادات التي خلَّفها كتبة العرب عن الاديان الشائعة في جزيرتهم قبل الاسلام نزرة قليلة. وهذا القول يصحُّ ايضاً في النصرانيَّة مع انها كانت اقرب اليهم عهداً فاذا ذكروا الدين المسيحي لا يكادون يذكرون من تاريخه غير شيوعه في بعض القبائل. هذا اذا اعتبرت فصولهم الوجيزة التي خصوها بالاديان. بيد انهم في عرض كلامهم عن بعض عادات العرب وقصصهم وامثالهم ولهجاتهم تحدا بهم الامر الى ان يأتوا بمعلومات أُخرى عديدة تجدها متفرقة متشتتة في تآليفهم لم يجمعها حتى الآن العلماء المستشرقون لانشغالهم بالبحث عن آلهة العرب وعن تلك رموز دياناتهم القديمة ونشر ما وجده السائحون في بلادهم من الكتابات الحجريَّة في اللغات الحميريَّة والنبطيَّة والصفويَّة فضلاً عن اليونانيَّة واللاتينيَّة او ما استخرجوهُ بالحفر من الآثار بعد مخاطرتهم بالحياة

وكذلك ورد في كتب نصارى اهل الشرق ولاسيما قدماء الروم والسريان وبعض الكتبة اللاتينيين فوائد شتى عن النصرانيَّة في انحاء العرب دوَّنوها في معرض رواياتهم التاريخيَّة واوصافهم الاجتماعيَّة ورحلهم العلمية وفي اخبار بعض اولياء الله القديسين الشهداء او النسَّاك مما رأوهُ بالعيان او استفادوهُ من شهود عيانيين او كتبة موثوق

بهم فهذه المعلومات ايضاً عظيمة الشأن غالية الاثمان لم تُجمع حتى اليوم تماماً وانما روى منها بعض الكتبة فصولاً تحتاج الى توسيع وتكملة نخصّ منها بالذكر الكتب والمقالات الآتية ما عدا ما ذُكر من ذلك في التآليف التي عدَّدناها في الفصل الاول:

١ اعمال البولنديين : مقالة للاب كربنتيه اليسوعي في النصرانية بين العرب

1 E. Carpentier S. j. *De SS. Arethæ et Rumæ Commentarius* (Acta SS., X, Octob., 661—697).

٢ اصول النصرانية في بلاد العرب للعلامة رَيْت

2 Wright: *Early Christianity in Arabia*, London 1855.

٣ الشرق المسيحي للاب لوكيان

3 Lequien: *Oriens Christianus*.

٤ دي ساسي: مقالة عن تاريخ العرب قبل محمّد

4 Le Bon Sacy (S.): *Mémoire sur l'Histoire des Arabes avant Mahomet*.

٥ تاريخ الدول العربية بين المسيح ومحمّد

5 J. J. Reiskii: *Primæ lineæ Historiæ Regnorum Arabicorum inter Christum et Mohammedem*.

اعلم انَّ اقدم الآثار النصرانيَّة كما لا يخفى الاناجيل الاربعة وتاريخ اعمال الرسل للقديس لوقا ورسائل بعض تلاميذ الربّ الاوَّلين. وكلها من القرن الاوَّل للمسيح كما يقرُّ بهِ معظم الاباحيين فضلاً عن المؤمنين وإن كان اولئك يخالفون الكاثوليك في تعيين سنة كتابة هذه الاسفار واصحابها. فهذه الآثار لا تخلو من الدلائل على ان العرب نالوا شيئاً من انوار النصرانيَّة منذ بزوغ شمسها

ولعلَّ اوَّل من استحقَّ ان يُنظم من العرب بين تبعة السيد المسيح اولئك الشيوخ الذين عُرفوا بالمجوس فاتوا الى بيت لحم وأهدَوْهُ أنطافهم وسجدوا لهُ كما اخبر متى في انجيلهِ (ف ٢). اما كونهم من العرب او على الاقلّ بعضهم فانا على ذلك عدَّة بيّنات ترجّح هذا الرأي ان لم تجزم بهِ قطعيًّا. فمن ذلك اقدم نصوص الآباء والكتبة الكنسيين من القرن الثاني للمسيح الى القرن الخامس الذين يجعلونهم عربًا كالقديس يوستينوس في القرن الثاني في مباحثهِ مع تريفون. وترتوليان المعلم في كتابيهِ ضدّ اليهود (ف ٩) وضدّ مرقيون (ك ٣ ف ١٣). وكالقديس قبريانوس في القرن الثالث في ميمرهِ عن كوكب المجوس. وكالقديس ابيفانيوس في القرن الرابع في شرحهِ لدستور الايمان

(عدد ٨). والقديس يوحنا فم الذهب معاصره في الميمر الثاني على شرح انجيل متى. وهكذا فسّر هؤلاء الكتبة آية اشعيا النبي عن المسيح (ف ٦٠ ع ٦): « كثرة الابل تغشاكِ بكرانُ مدين وعيفة كلّهم من شبأ يأتون حاملين ذهباً ولباناً يُبشرون بتسابيح الربّ ». وسبق داوود فقال (مز ٧٢): « ملوك شبأ وشبأ يقرّبون له العطايا ». فانّ مدين وعيفة وشبأ كلها تدلّ على نواحي العرب. وعليها تدلّ ايضاً الالطاف التي قدموها للمسيح اي الذهب واللبان والمرّ وكلّها من مرافق بلاد العرب. فان ذهب انحاء العرب كان مشهوراً (١ وتنبأ داوود بتقدمته للمسيح (مز ٧٢) فقال: « يؤدون اليه من ذهب شبأ ». اما اللبان والمرّ فلا يكادان يُستخرجان من غير جزيرة العرب فيتّجر بهما اهلها كما شهد على ذلك قدماء الكتبة بعد سفر التكوين (٣٧: ٢٥). ثمّ يؤيد هذا الرأي قول المجوس في الانجيل لهيرودس بانهم رأوا نجم المسيح في الشرق فاتوا ليسجدوا لهُ فقولهم « في الشرق » يدلّ على بلاد العرب اكثر من سواها لوقوعها شرقي فلسطين فضلاً عن كون العرب يُعرفون بالاسفار المقدّسة ببني الشرق (وبالعبرانية בני קדם بمعناها) بل شاع هذا الاسم عند الرومان واليونان فاشتقوا منهُ Sarraceni و Σαρακηνοί . وزد على ذلك انّ النجم الذي رآه المجوس هو الكوكب الذي سبق وانبأهم بهِ بلعام في مشارف مُوآب (سفر العدد ٢٤: ١٧) لما قال « انهُ سيطلع كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل ». فتحققت النبوءة حيث تنبأ بها بلعام مرغوماً فتناقل العرب نبوّتهُ ابناً عن اب وراقبوا كوكبهُ حتى رأوهُ. ولا بأس من كون هؤلاء القادمين الى مهد المسيح يُدعون مجوساً. فانّ هذا الاسم كان يطلق عند العبرانيين على حكماء الشرق عموماً وكثيراً ما اثنى الكتاب الكريم على حكمة العرب في سفر أيوب وسفر الملوك الثالث (٤: ٣٠) وسفر باروك (٣: ٢٣). وقد شهد كتبة اليونان بانّ فيثاغورس الفيلسوف رحل الى جزيرة العرب ليأخذ الحكمة عن اهلها. بل صرّح بلينيوس الطبيعي بانّ بلاد العرب كانت بلاد مجوس (٢

---

١) قال سترابون ان الذهب لا يُحفَر في بلاد العجم لكن في بلاد العرب In Perside aurum nullum effoditur, effoditur tamen in Arabia (Strabo, l. XVI)

٢) اطلب تاريخهُ الطبيعيّ « Fuere in Arabia quos Græci et Latini « Magos » vocant (Plin., *Hist. Nat.* XXV, 5)

وفي الانجيل الطاهر شاهدٌ آخر على سبق العرب في معرفة السيّد المسيح وذلك لما ذكر المبشّرون متى (ف ٤ عدد ٢٤ — ٢٥) ومرقس (٣ : ٧) ولوقا (٦ : ١٧) في جملة الجموع المتقاطرة الى استماع تعاليم الربّ اهلَ آدوم والمدن العشر وما وراء الاردن. فلا شكّ ان صيتهُ يكون بلغ العرب القاطنين في تلك الجهات. بل ذكر الانجيل (متى ٨ : ٣١ ومرقس ٧ : ٣١) ان السيّد المسيح عبر الاردن وتجوّل في المدن الواقعة ما وراء ذلك النهر ومرّ بالمدن العشر (١ وصنع الآيات في بقعة الجرجاسيين. وكان اهل الحضر والمدر من العرب يسكنون تلك الانحاء. فلا يقبل العقل انّهم لم يقتبسوا شيئاً من انوار ابن الله الكلمة

ثم ما لبث العرب ان نالوا نصيباً طيّباً من الدعوة المسيحيّة وذلك يوم حلول الروح القدس على التلاميذ في العلّيّة الصهيونيّة كما اخبر القديس لوقا في سفر الاعمال (ف ٢) فانهُ صرّح بانّ العرب كانوا في جملة الذين عاينوا آيات ذلك اليوم الشريف وسمعوا الحواريين يتكلّمون بلغتهم العربية. فلا جرم انّ بعضاً منهم كانوا في عداد الثلثة الالاف المصطبغين ذلك اليوم (اعمال ٢ : ٤١) فلما عادوا الى بلادهم نشروا بين مواطنيهم ما رأوا وسمعوا من امر المسيح وتلاميذهِ

وبعد مدّة قليلة اثار اليهود على تلامذة الرب تلك الاضطهادات التي ذكرها صاحب الاعمال (ف ٨) فكانت على شبه الرياح التي تقوي الشجرة النامية وتزيد جذورها في الارض وتنقل بزورها الى امكنة اخرى فتزداد وتتوفّر. واوّل من يُذكر من الرسل انهُ دخل بلاد العرب هو الاناء المصطفى القديس بولس فانّهُ اخبر عن نفسهِ في رسالتهِ الى اهل غلاطية (ف ١ ع ١٧) انهُ بعد اهتدائهِ الى الايمان بظهور السيّد المسيح لهُ على طريق دمشق واعتمادهِ على يد حنانيّا التلميذ هرب من دسائس اليهود الى جزيرة العرب حيث اقام مدّة. فمن البديهي انّ ذلك الرسول الذي خصّهُ الله بدعوة الامم باشر مذ ذاك الحين بالتبشير فدعا الى النصرانيّة من رآهم من العرب مستعدّين لقبول دين الخلاص لئلا يحلّ بهِ ذاك الويل الذي كان يوجس منهُ فزعاً حيث قال (١ كور ٩ : ١٦) : الويل لي ان لم نبشر. وعليهِ فنصادق على قول الذين يجعلون بولس الرسول

١) اطلب في المشرق (١١ : ٨١) مقالة للاب الفرد دوران في رحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر

كاحد رسل العرب. وقد عدّهُ بعض كتبة الروم كاوّل الدعاة الى المسيح في بُصرى حاضرة حوران

ولمّا جرى نحو السنة خمسين للمسيح افتراق الرسل اذ ساروا الى اقطار المعمور ليقوموا بمهنة التبشير التي امرهم بها سيدهم كان لبلاد العرب نصيب حسن في هذه القسمة المباركة فان التقاليد القديمة تتواصل وتتفق على ان بعض الرسل تلمذوا امم العرب وقبائلهم من جهات مختلفة وقد جمع العلّامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقيّة في المجلّد الثالث القسم الثاني (Bibl. Or. III², 1-30) كثيرًا من شواهد كتبة اليونان والسريان والعرب تثبت كرازة الرسل في احياء العرب وفي اقطارها المتباينة كبادية الشام وجهات طور سينا واليمن والحجاز والعراق يذكرون منهم متى وبرتلماوس وتدّاوس ومتّيًا وتوما. وقد نقل بعض هذه الشواهد المؤرخون المسلمون نفسهم كالطبري في تاريخهِ (ج١ص ٧٣٧ — ٧٣٨) وابي الفداء في تاريخهِ (١: ٣٨) والمقريزي في الخطط (٢: ٤٨٣) وابن خلدون في تاريخ العبر (٢: ٤٧) والمسعودي في مروج الذهب (١: ١٢٧). هذا فضلًا عن بعض تلاميذ الرسل كفيلبس الشمّاس وتيمون وادّي او تدّاي ممن تناقل الرواة خبر بشارتهم بين العرب. وكفى دليلًا بهذه الشواهد المتعدّدة على انّ الدعوة النصرانيّة التي امتدّت الى اقاصي المعمور لم تهمل جزيرة العرب القريبة من مهد الدين المسيحي بل كان اهلها يُقبلون كل يوم الى فلسطين ويمتزجون بسكانها امتزاج الماء بالراح فيماماونهم ويتاجرونهم. وقد ذكر القديس ايرونيموس في شروحهِ على نبوة ارميا (ف٣١) ونبوة زكريّا (ف١١) انهُ كانت تقام اسواق سنويّة قريبًا من سيحم (نابلس) يأتي اليها عدد عديد من نصارى يهود ووثنيين يقصدونها المتاجرة من بلاد الشام وفينيقية والعرب. فلا نتعدّى اذن طورنا ان اكّدنا انتشار النصرانيّة في بلاد العرب منذ عهد الرسل. وبذلك تحققت نبوّات الانبياء الذين سبقوا وتنبأوا باهتداء العرب وايمانهم بالمسيح. قال النبي اشعيا بعد وصفهِ العجيب للسيّد المسيح (ف١١ع١ — ١٠) ذاكرًا الشعوب التي تقبل شريعتهُ فجعل منها آدوم ومؤاب. وكرّر ذلك في الفصل ٤٢ وعدّد قبائل قيدار وبلاد سلع (Pétra) وفي الفصل ٦٠ ذكر بين المستنيرين بانوار اورشليم وملكها الموعود مدينَ وعيفة وسبأ وقيدار والنبط وفيهِ يذكر قدومهم على المسيح ليهدوه الطافهم من ذهب ولبان. وكان النبي داوود (في مزمورَيهِ ٦٧ع٣٢ و٧١: ٨٠

— ١٠) سبق اشعيا في ذكر سجود العرب للمسيح وطاعتهم لـهُ . ومثلهما ارميا في فصلهِ التاسع حيث ذكر « افتقاد الرب للامم المختونين مع الغلف . . . أدوم وبني عمّون وموآب وكلّ مقصوصي الزوايا الساكنين في البريّة »

وفي السنة ٧٠ للميلاد تمّت نبوة المسيح عن خراب اورشليم فلم يبقَ فيها حجر على حجر وتفرّق بقايا اليهود شذر مذر بعد ان قُتل منهم وسُبي الألوف ومئات الالوف الّا ان من كانوا تنصّروا منهم كانوا بامر الرب سبقوا وخرجوا من المدينة وعبروا الاردن وسكنوا في مدن العرب التي هناك كما اخبر اوسابيوس المؤرخ (١ . فاستوطنوا تلك الاصقاع وكان يرعاهم اساقفة من جنسهم . وقد وجد اصحاب الآثار في ايامنا عددًا دثرًا من كتبهم الدينيّة كالاناجيل الاربعة وبعض اسفار التوراة وقطعًا طقسيّة واناشيد وصلوات وغير ذلك مما يشهد على نصرانيتهم وسكناهم زمنًا طويلًا في تلك النواحي . وهذه البقايا كانت مكتوبة باللغة الفلسطينيّة اي الآراميّة الشائعة في فلسطين . ولا ريب انّ العرب الذين حلّ بينهم هؤلاء النصارى اخذوا شيئًا من تعاليمهم واستضاؤوا بانوار دينهم

واذا استفتينا اقدم آثار النصرانيّة وما كتبهُ آباء الكنيسة الاوّلون في القرون الاولى للميلاد وجدناهم يذكرون الدعوة المسيحية في جزيرة العرب امّا تعريضًا وامّا تصريحًا

فمن تنويههم بذلك قولهم جميعًا بانّ الايمان المسيحي « منتشر في العالم كلهِ » فان صحّ هذا القول في البلاد القاصية حتى الهند والعجم وجزائر البحر أفلا يكون ايضًا صحّ بالحري في بلاد العرب المجاورة لمنبع الدعوة المسيحية . فترى القديس مرقس في آخر انجيلهِ (١٦ : ٢٠) مؤكدًا بانّ تلاميذ الرب « خرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات » . وبعدهُ بقليل كان يشكر بولس الرسول اهل رومية في رسالتهِ (١ : ٨) على انّ ايمانهم يبشّر بهِ في العالم كلهِ » . وفي رسالة القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل الى اهل افسس (PP. GG., V, col. 647) يذكر « الاساقفة الذين يرعون المؤمنين في العالم كلهِ ويتفقون جميعًا بالايمان » . ومثلهُ معاصرهُ القديس بوليكربوس الذي كان يدعو المسيح « راعيًا للكنيسة الكاثوليكيّة المنتشرة في العالم كلهِ » (ibid., col. 1035) فهذه النصوص وغيرها كثير تثبت صريحًا انتشار الدين المسيحي في العالم كلهِ فتشمل ايضًا بلاد العرب ولولا ذلك لَما امكن القديس اوغسطينوس

١) اطلب تاريخهُ الكنسي ك ٣ ف ٥ (PP. GG., XX, 221)

ان يقول في شرحهِ على المزمور ٦٦ (PP. LL. t. 36, col., 669) « نحن الكاثوليك منبثّون في الارض كلها لاننا نعلن بكل مكان ما للسيد المسيح من المجد ونشترك بهِ » ولمّا استطاع قبلهُ كيرلس الاورشليمي ان يقول في تعليمهِ الثامن عشر (PP. GG., t. 33, col. 1043) : « تُدعى كنيستنا كاثوليكية لأنها منتشرة في كل المسكونة من اقاصي تخوم الارض الى اقصى حدودها » . وسبقهما القديس قبريانوس فقال في كتاب وحدة الكنيسة (PP. LL., IV. col. 502) : « انَّ الكنيسة تُلقي اشعتها في كل المعمور » . وقال معاصرهُ القديس ايريناوس في كتابهِ ضدّ الهرطقات (PP. GG. VII. col. 550) : « انَّ الكنيسة المنتشرة في سائر العالم قد ورثت الايمان من الرسل وحفظتهُ بكل حرص »

وزاد عن هؤلاء ايضاحاً في اواسط القرن الثاني للمسيح القديس يوستينوس الشهيد من اهل نابلس في مباحثتهِ مع تريفون اليهودي (PP. GG., VI, col. 750) فعدَّ بين من دانوا بدين المسيح « الساكنين في الخيم واهل البادية » قال : « ليس مطلقاً جنس من البشر سواء كانوا من اليونان او البرابرة وبايّ اسم تسمَّوا حتى العائشين في العَرَبات (الاسقيثيين) والساكنين في الخيم الذين يرعون المواشي واهل البادية الذين لا يحلّون في بيت الّا وبينهم جموع يقدّمون الصلوات والقُربات للربّ باسم يسوع المصلوب »

وقال ايريناوس معدّدًا الشعوب التي دخلت بينهم النصرانيّة (PP, GG. VII. col. 554) وقد دعا العرب باهل الشرق كما روى مفسّروهُ : « هذا الايمان المسيحي هو اليوم منبثٌّ في العالم كلّهِ . . . فترى الالسنة مختلفةً والنفس واحدةً والقلب واحدًا سواء اعتبرتَ آل جرمانية او الايبريّين او القلتيين او سكّان الشرق او مصر او ليبية والامم التي في اواسط الدنيا فكلّهم يعتقدون اعتقادًا واحدًا يشبه ايمانهم الشمس التي تضيء العالم كلّهُ وهي واحدة »

وللمعلم ترتليان في اوائل القرن الثالث نصوص متعدّدة يؤكد فيها انتشار النصرانيّة بين كل شعوب زمانهِ مهما كانت بعيدة او مجهولة فما قولك بالعرب؟ قال في كتابهِ الى الامم (Ad Nationes, c. 8) « تأمّلوا انهُ لا يوجد اليوم أمّةٌ الّا ودخلت فيها النصرانيّة (non ulla gens non christiana) وفي الفصل السابع من ردّهِ على اليهود يعدّد في جملة المتنصرين ليس فقط الامم الخاضعة للرومان

« ولكن غيرها كثيرة كالسرمانيين والداقيين والجرمانيين والاستيشيين وقبائل مجهولة واقطار متفرقة وجزائر البحر ففيها كلها يُعرف اسم المسيح وفيها يملك »

وكثيرًا ما دعا الكتبة جزيرة العرب باسم الهند لاسيما جهات اليمن وقد شاع هذا الاسم بهذا المعنى (اطلب البولنديين في المجلد العاشر من اعمال القديسين من شهر ت ١ ص ٦٧٠) . واليها اشار القديس يوحنا فم الذهب في رده على اليهود (PP. GG., XXX, 500) قال: « انظر بأيّ سرعة انتشرت الكنيسة في كل اطراف المسكونة وبين كل الشعوب وذلك بمجرّد فضل الاقناع حتى انّ أممًا كثيرة تركت أديانها وتعاليم اجدادها وشيّدت هياكل لتعبد فيها الربّ فمنها ما هو واقع في ممالك الرومان كالاسقيثيين والمغاربة واهل الهند ومنها ما هو خارج عن تخوم الرومان الى جزائر بريطانية واقاصي العالم »

وبعضهم قد دعوهم صريحًا باسم العرب او الاسماعيليين . قال ارنوبيوس في القرن الثالث للمسيح يذكر الشعوب الوثنية التي بشّر بينها الرسل فأنشئت الكنائس لمن تنصّر منهم (ك ٢ ف ٥ و ١٢) : « انظروا العجائب التي جرت في انحاء المعمور منذ ظهور المسيح حتى انهُ لا يكاد يوجد الآن أمة عريقة بالهمجيّة ألا لطّفت خشونتها محبّةً به واخضعت عقلها للايمان بتعاليمه فاتّفقت على ذلك اجيال الناس المتباينة المختلفة طباعًا وآدابًا . ومما نقدر أن نحصيهُ من هذه الشعوب اهل الهند والصين والفرس والماديين والذين يسكنون في بلاد العرب ومصر وجهات آسية وسوريا . وفي كل الجزائر والاقاليم »

فترى انهُ احصى بلاد العرب في جملة من دان للمسيح في ذلك العهد . وقد ذكرهم المؤرخ سوزمان (PP. GG. I, 67, 1476) في القرن الرابع وافاد « ان بعض قرى العرب ودساكرهم يوجد فيها اساقفة » . وكذلك صرّح بذكرهم تاودوريطس في القرن الخامس في كتابهِ المعروف بدواء اضاليل اليونان (PP. GG. T, 88 p, 1037) قال: « ليس فقط قد خضعت للمسيح الامم الخاضعة لشرائع الرومان كالحبش المتاخمين لنبية وقبائل الاسماعيليين ... بل حتى غيرهم من الامم انحنوا رؤوسهم لتعاليم الصيادين وشرائع الانجيل كالسرماتيين والهنود والعجم والصينيين (Seræ) والبريطانيين والجرمانيين » . وقال مثل ذلك في محلّ آخر في كتابهِ المسمّى التاريخ الرهباني (PP. GG. I, : 82, q. 1471) (لهُ بقية)

مطبوعات شرقيّة جديدة

LE LIVRE DE JOB : Version éthiopienne, publiée et traduite en français par *F. M. Estèves Pereira* (PATROLOGIA ORIENTALIS, t. II. fasc. 5)

سفر ايّوب في اللغة الحبشيّة

هذا الكتاب احد مطبوعات المجموع المعروف بتآليف الآباء الشرقيين مضمونهُ سفر ايّوب بالحبشيّة تولّى طبعهُ احد العلماء البرتغاليين المسيو استاف بيريرا الشهير بمنشوراته في الحبشيّة . وهذه الطبعة مبنيّة على ثلاث نسخ قديمة منها نسختان في مكتبة باريس وفي خزانة الرحّالة المرحوم دابّادي (A. d'Abbadie) وكلتاهما منقولة الى الحبشيّة عن الترجمة السبعينيّة اليونانيّة . اما الثالثة المحفوظة في خزانة كتب اوكسفرد فمنقولة عن نسخة عربيّة مترجمة عن الاصل العبراني . فلا شكّ بانّ كل دارسي الاسفار المقدّسة يتلقّون هذا الكتاب بمزيد الشكر والثناء فيسهّل لهم فهم كتاب ايّوب الذي يُعدّ من اصعب التآليف الموحى بها في العهد القديم ر . ش

M. Lorge: Die Speisegesetze der Karaeer von Samuel el-Magrebi. *Berlin*, 1907, pp. 79-24

سُنَن المأكولات الشرعيّة

عاش في القاهرة في القرن الخامس عشر للميلاد موسويّ عالم من شيعة القرائيين يُدعى صموئيل الطبيب بن موسى المغربيّ فألّف كتابًا في السنن اليهوديّة دعاهُ كتاب الرشد (بالعبرانيّة ספר המנחות) وهو كتاب واسع في عدّة مقالات . فقد اختار احد الالمان المترشحين لرتبة الملفنة المسمّى مورتس لورج المقالة السابعة من هذا الكتاب التي مدارها على الاطعمة الشرعية عند اليهود والقوانين الجارية عندهم في ذبح المواشي . والكاتب قد خصّ ببحثهِ شيعتهُ القرائية التي كانت تخالف في عدّة امور رسوم الشيعة الربانيــة والتلمود لكنّهُ يقابل بين الفئتين فيستدلّ من هذه المقابلة على ما كانت تألفهُ كل منهما . وهذا الكتاب مكتوب بالعربية الّا انّهُ طُبع بالحرف العبراني وفي عربيتــهِ شذوذ عديدة تدلّ على اصطلاحات اليهود ولهجتهم الخاصّة ولفظ عامّتهم قبل اربعمائة سنة

وجناب الناشر لهذا السفر قد قدّم على كتابهِ مقدّمة بين فيها هذه الخواص وغيرها من المعلومات فافاد واجاد. وقد نقل ايضاً المقالة الى اللغة الالمانية الاب ب جرون

M. G. Lampakis: Οἱ ἑπτὰ Ἀστέρες τῆς Ἀποκαλύψεως. Athènes, 1909, pp. 476 avec 255 gravures.

— Ἔργα καὶ Κρίσεις ἐπ' αὐτῶν, Athènes.

كواكب الرؤيا السبعة

ورد في سفر الرؤيا للقديس يوحنا الحبيب (ف ١ عدد ١٦) ذكر سبعة كواكب رآها الرسول في يد السيّد المسيح لمّا ظهر لهُ في جزيرة بطمس فاوحى اليهِ باسرار المستقبل. وكثير من المفسّرين قد افردوا لشرح هذه الآية فصولاً من تفاسيرهم فذهبوا في ذلك مذاهب. ودونك تأليفاً جديداً لأحد علماء اثينة ومدرّس العاديات النصرانيّة في كليّتها المسيو لباكيس فانهُ وضع هذا الكتاب فجمع فيهِ بين علمَي الآثار والتفسير فأحسن وان لم يكن من رجال الدين. وقد قضينا في مطالعة هذا الكتاب ساعات لذيذة لما وجدنا فيهِ من الفوائد الجغرافيّة والتاريخيّة فتراهُ يصف احسن وصف المدن السبع التي وجّه الرسول الحبيب اليها كلامهُ في رؤياه كأفسس وازمير وبرغامة فيذكر عن كل مكان ما خلّف من المعلومات التاريخيّة والابنية والاخربة الدينيّة والعاليّة ولاسيّما الآثار النصرانيّة التي وقف الكاتب على بعض منها بهمّتهِ وابحاثهِ. كيف لا وهو استاذ العاديات النصرانيّة في وطنهِ ويشهد لهُ في سبقهِ بينهم ما كتبهُ العلماء في انتقاد كتابهِ. هذا ومما يُسرّنا في مطالعة تأليفهِ انهُ مع علمهِ عريقٌ في الدين يدافع عن ايمانهِ دفاع الرجل الذي يرتشد بآداب الدين القويم ويجاهر بايمانهِ بلا حياء. وقد استحسنّا ايضاً انشاءهُ فترى قلمهُ سيّالاً وكتابتهُ منسجمة حيّةً فيشعر القارئ بما يكنّهُ فؤاد الكاتب من الحبّ الوطنيّ دون تصنّع واملّهُ تجاوز في ذلك حدود السكينة والهدوء الّا انهُ عمل بمقتضى المثل «حبّ الوطن من الايمان». ومع ذلك لا يمكننا ان نصادق على قولهِ (ص ٤٠٨) في شرح آية يوحنا (ف ١٢ عدد ٢٣) حيث خصّ باليونان ما قالهُ الربّ عموماً عن الامم التي كانت مزمعة ان تمجّد اسمهُ. وكذلك لا نوافقهُ على قولهِ (ص ٤٦) بان مؤلف الرسالة الى العبرانيين هو التلميذ ابولّو. والرأي العمومي انهُ بولس الرسول. هذا وكنّا نودّ لو أُتقنت بعض التصاوير التي في هذا الكتاب فانها كثيرة لكنّ قسماً منها قليل الوضوح الاب ب. ك. Σανθακης.

F.-X. Kugler s. j.=I. Sternkunde und Sterndienst in Babel. 1er vol. XV-292, 23 planches, 2d vol., Ire partie, XVI-200, 2 planches = II. Im Bannkreis Babels., *Münster i. W.* 1907-1910

ابحاث في علوم الفلك والتنجيم عند البابليين

قد عُرف الآباء اليسوعيُّون الالمان بنشاطهم في درس الآثار البابليَّة عموماً والفلكيَّات خصوصاً. ومتن اشتهروا في ذلك الابوان ستراسماير (J. N. Strassmayer) وابنغ (Epping) فانهما فكَّا كثيرًا من اسرار العلوم الفلكيَّة ونشرا عددًا وافرًا من الزيجات والجداول التي وُجدت في حفريَّات بلاد اشور. وقد خلفهما في هذه المدَّة الاخيرة الاب فرنسيس كوغلر فجرى على آثارهما واتَّسع في البحث حتى اضحى اليوم احد العلماء المشار اليهم بالبنان. وكان لحظ ان البعض من مواطنيه المشهورين بكتاباتهم عن البابليين قد نشروا امورًا شتَّى أذهلت العقول وحيَّرت الالباب حتى ارتاب في صحَّتها الفلكيون المحدثون وودُّوا لو يقدر احد العلماء الضليعين بمعرفة الكتابات الاشوريَّة والعلوم الفلكيَّة المحدثة ينتقد مزاعمهم لاسيما العالمين الالمانيين هـ. ونكلر (H. Winckler) ويرمياس (A. Jeremias) فلم ينكف الاب كوغلر عن هذا الشغل الشاقّ فاعاد النظر في ما اكتُشف الى اليوم من الآثار الفلكيَّة في جهات بابل وفحصها فحصاً مدقَّقاً وضبط حساباتها حتى امكنهُ ان يُزيِّف آراء رُصفائهِ. وقد حضرنا في مؤتمر كوبنهاغ بعض خطبهِ في ذلك وحيث نقض تلك المزاعم بازاء اصحابها وازاء غيرهم من العلماء الذين عرفوا قدر الخطيب وصادقوا عليه. الَّا انَّ اولئك الذين عارضهم لم يسكتوا لهُ فكتبوا عدَّة مقالات في الجرائد العلمية فكان ذلك داعيًا للاب كوغلر ان يضع كتابًا واسعًا يبحث فيهِ عن تاريخ الفلكيَّات في بابل وما عرفهُ اهلها بخصوص النجوم الثوابت والسيارات ولاسيما الشمس والقمر وحركات الافلاك فردًا فردًا فجمع كل ذلك ونشرهُ وشرحهُ شرحًا مطوَّلًا في كتابين لم يدع فيهما شيئًا من الابحاث دون ان يبدي فيها رأيهُ مع ذكر الاسانيد المتعدِّدة التي استند اليها حتى اضحى تأليفهُ من ادقّ واوسع ما كُتب في علوم الفلك بين البابليين منذ الالف الثالث قبل الميلاد الى ظهور المسيح. وقد قرأنا في عدَّة مجلات علميَّة اوصافًا لهذا التأليف تدلُّ كلُّها على اعتبار كاتبيها للمؤلف ولسعة علمهِ واستحسانًا لخطَّتهِ في الجدال — ثم عاد حضرت الاب الى انتقاد ما اعترض عليهِ

خصومهُ في كتاب جديد كان كتتمّة لابحاثهِ السابقة مزيلًا ما بقي من المعمّيات والمشاكل من هذا القبيل. ونحن نضمُّ صوتنا الى صوت العلماء الاوربيين لنشكر حضرة الاب على تآليفهِ ونتمنى لهُ ان يعضد الحقيقة زمناً طويلًا ويزيدنا علماً في مجاهل البابليين جزاهُ الله خيرًا ل.ش

HISTOIRE DE BAALBEK par un de ses habitants Michel M. Alouf, 3° éd. revue et complétée, *Beyrouth*, *Impr. Cath.* 1910, pp. 163.

تاريخ بعلبك

هذه مرّة ثالثة يُطبع هذا التاريخ باللغة الفرنسويّة بهمّة مؤلفهِ. وقد طبعهُ سابقاً باللغتين العربية والالمانية وكل هذه الطبعات دليل بيّن على رواج الكتاب. ولا يكتفي صاحبهُ الاديب ان يكرّر العمل لكنّهُ يستفيد ايضاً ممّا يُرسل اليهِ الاثريّون من الملحوظات لتحسين كتابهِ ليجعلهُ اهلًا بذوي العلم فضلًا عن السياح الذين يقضون في اقطارنا أيامًا قليلة لترويح البال وبهجة الابصار ل.ش

كتاب عناية الرحمان في هداية السريان

لسيادة المطران ديونوسيوس افرام نقاشه رئيس اساقفة حلب على السريان الكاثلكيين
طبع بمطبعة صبرا في بيروت (سنة ١٩١٠ ص ٦٦٨)

للسريان الكاثوليك في تاريخ الكنيسة الشرقيّة آثار جليلة بقيت مدفونة الى هذه المدّة الاخيرة في زوايا النسيان حتى تحفّز منذ عهد قريب ذوو الهمّة ليبدُوا هذه الثلمة. فاتحفنا اوّلًا حضرة القس اسحاق ارملة بكتاب الزهرة الزكيّة (١ في البطريركيّة السريانيّة (اطاب المشرق ١٢: ٤٧٦) ثم عقبهُ الفيكنت فيليب دي طرّازي فنشر في اواسط السنة الحالية كتابهُ السلاسل التاريخيّة في اساقفة الابرشيّات السريانية (ص ٣٩٥). وهاهوذا اليوم كتاب ثالث اوسع بابًا واتمّ فائدةً كان يعتني بتصنيفهِ منذ سنين عديدة سيادة الراعي المفضال مطران السريان الكاثوليك في حلب دعاهُ «عناية الرحمان في هداية السريان» وهو يتناول اخبار الكنيسة السريانية منذ بشارة الرسل الى ايّامنا غير ان سيادة المؤلف قد نشر منهُ ما هو اقرب عهدًا الينا لحضور موادّهِ

١) لحضرتهِ تفنيد لرسالة كتبها راهب يعقوبي ارثوذكسي يدعى افرام برصوم انتقد فيها على كتابهِ انتصارًا لبدعتهِ فزيّف القس اسحاق اقوالهُ وبيّن اغلاطهُ العديدة واسم هذه الرسالة الرجعة

ورغبة كثيرين في مطالعته . ومن يسرّح النظر في هذا المجلّد الضخم يأخذهُ العجب مما راجعهُ كاتبهُ الجليل من التآليف العديدة والمنشورات المتفرّقة وقد راينا مرارًا عديدة بين اسانيد سيادتهِ كتاب الآثار الخطّية التي نشرها حضرة الاب انطون رباط بالفرنسويّة ومجلّة المشرق الحافلة بالمعلومات عن الكنائس الشرقية . وقد رتّب كل هذه المعلومات ابوابًا وفصولًا وقدّم على كل منها ملخّص مضامينهِ وسرد رواياته على طريقة متّسقة تلذّ مطالعتها وربّما استطرد الى ذكر امور الطوائف غير طائفتهِ والى اخبار الازمنة اذا وجد فيها فائدة لمعرفة احوال ملّتهِ . فلا عجب بعد هذا ان يكون وقع هنا وهناك بعض اغلاط عرضية يسهل اصلاحها او تحتاج بعض الفصول الى زيادة ايضاح وتدقيق . فنشير الى كل محبّي التاريخ الديني الشرقي ان يقتنوا هذا الكتاب الذي هو احد الكتب التاريخية الفريدة التي سطّرها الشرقيّون المحدثون ونطلب الى سيادته اذا نجز العمل ان يلحقهُ بفهرس واسع للاعلام ليتيسّر الرجوع الى فصولهِ ل . ش

الجاذبية وتعليلها

لجميل افندي صدقي الزهاوي

طبعت في مدينة السلام بمطبعة الآداب سنة ١٣٢٦—١٩١٠ (ص ٧١)

ينبّه صاحب هذا الكتاب في المقدمة قرّاءهُ « انّ اكثر ما كتبهُ في رسالتهِ هو ما علمهُ بنفسهِ او ظنّهُ كذلك في المادّة وقواها من غير أن يأخذهُ رأسًا من علوم المتأخرين من فلاسفة الغرب . . فليس من العدل احتقارهُ لمجرّد كون صاحبهِ شرقيًا او كونهِ ليس من خريجي مدرسة اكسفرد الجامعة » . كلا فحاشا لنا ان نحتقر رأي احد لانهُ شرقي اذ نطعن بذلك نفسنا وتردي ذاتنا بهذا الاحتقار الّا ان صاحب هذا الكتاب قد اتى في وريقات قليلة باراء خاصّة غاية في الضعف تناقض ما علّمهُ الوف وربوات من العلماء الذين شابوا في الدرس وانتقدوا ما كتبهُ غيرهم فلم يقبلوهُ الّا بالبرهان مع ما لديهم من الوسائل المتعدّدة للاختبارات فكيف نصدّق بغداديًا قام بعد « ان درس على نفسه » ليزيّف اقوال مشاهير العلماء لا في امر واحد ولكن في امور لا تحصى ممّا تُعدّ اكتشافاتها مفاخر للعقول النيّرة التي وقفت عليها بعد التنقيب الطويل وشقّ النفس . وعليهِ لا نعتبر هذا الكتاب الّا كملهاةٍ يتلهّى بها من لا معرفة لهُ بالعلوم الطبيعيّة . وكفى دليلًا على ثقابة عقل المؤلف الفصل الذي قرأناهُ لهُ آخرًا في المقتطف (ص ٩٦٢) الذي عنوانهُ

« مثل ارضنا في السماء » وفيه ما فيه من الاقاويل الغريبة التي كتب عنها احد قرّاء البشير « بأنها اقرب الى الاحلام والهذيان منها الى كتابة رجل عاقل » ل. ش

شذرات

حريق مكتبة الاسكندريّة — لم نلتبه الى سؤال ألقاهُ علينا الكاتب الاديب عبد الوهّاب سليم افندي التتير في احد اعداد النبراس (عدد ٣ ص ١٠٣ من سنته هذه الثانية) حيث روى جوابنا في المشرق (ص ١٦٠) على سؤال الشمّاس حبيب جرجس اسطفان في اوّل من ذكر حريق مكتبة الاسكندريّة على يد عمرو بن العاص. وخلاصة جوابنا انّهُ سبق الى القول بهِ عبد اللطيف البغدادي والوزير جمال الدين المعروف بابن القفطيّ في كتابهِ تاريخ الحكماء. فمن ثم ألقى علينا كاتب النبراس هذا السؤال: « هل لحضرة الاب لويس شيخو ان يذكر لنا رواية الوزير جمال الدين الشهير بابن القفطيّ المذكور وترجوهُ ان ينقل كلامهُ حرفيًا لا باختصار »

فنجيب بطيب الخاطر: هذا كلام الوزير بالحرف الواحد ننقلهُ عن طبعة ليبسيك التي طبعها الدكتور ليبرت (Dr J. Lippert) سنة ١٩٠٣ (ص ٣٥٤—٣٥٦) قال:

وعاش (يحيى النحويّ) الى أن فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندريّة ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى فاكرمه عمرو ورأى لهُ موضعًا وسمع كلامهُ في ابطال التثليث فأعجبه وسمع كلامهُ ايضًا في انقضاء الدهر فقتن بهِ وشاهد من حُججه المنطقيّة وسمع من الفاظه الفلسفيّة التي لم تكن للعرب بها أُنسةٌ ما ماله وكان عمرو بن العاص عاقلًا حسن الاستماع صحيح الذكر فلازمهُ وكان لا يكاد يفارقهُ ثم قال لهُ يحيى يومًا: إنّك قد احطتَ بحواصل الاسكندريّة وخمّست على كلّ الاصناف الموجودة بها فأمّا ما لك بهِ انتفاع فلا أعارضك فيهِ وما لا نفعَ لكم بهِ فنحن أولى بهِ. فأمر بالافراج عنهُ فقال لهُ عمرو: وما الذي تحتاج اليهِ. فقال: كُتُب الحكمة في الخزائن الملوكيّة وقد اوقفت المَوْطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفعَ لكم بها. فقال لهُ: ومن جمع هذه الكتب وما قصّتها. فقال لهُ يحيى: إن بطلوماوس فيلاذلفوس من ملوك الاسكندريّة لمّا مالك حُبّ الهِ العلم والماء وتقصّ عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن فجُمعت. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الامر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا. فاستكثر عمرو ما ذكرهُ يحيى وعجب منهُ وقال: لا يمكنني ان آمر فيها بأمر الّا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكتب الى عمر وعرّفهُ قول يحيى الذي ذكرناهُ واستأذنهُ ما الذي يصنع فيها فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيه: «واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنى وإن كان فيها ما يخالف

كتابَ الله فلا حاجة اليها فتقدَّمْ باعدامها ». فشرع عمرو بن العاص في تفرقتها على حمَّامات الاسكندريَّة واحراقها في مواقدها وذُكرتْ عدَّة الحمَّامات يومئذٍ وأنيتُها فذكروا أنها استُنفدت في مدَّة ستَّة اشهر فاسمع ما جرى واعجب

فترى انَّ رواية ابن القفطيّ اقدم وادقّ واوسع من رواية ابن العبري (اطلب مختصر تاريخ الدول ص ١٧٦) وانما اختصرها فقط ابن العبري . وهذا الامر قد صرَّح به كثيرون من المسلمين غير ابن القفطي كعبد اللطيف البغداديّ المعروف بتدقيقه في البحث والمتوفَّى قبل ابن القفطي وذلك في الفصل الرابع من كتابه الشهير عن مصر « الافادة والاعتبار » فذكر عن عمود السواري انَّهُ بقيَّة قبةٍ « فيها كانت خزانة الكتب التي حرقها عمرو بن العاصي باذن عمر رضي الله عنهُ »

وقد قال به من بعدهما المقريزيّ كما بين دي ساسي (Relation d'Egypte 240) . ولنا شواهد غيرها تثبت الامر لا بل تعمِّمهُ عن فتوحات البلاد وخصوصاً عن كتب علوم الفرس النفيسة كما اشار اليه في الفصل الرابع من مقدِّمة كشف الظنون (طبعة ليدن ١ : ٧٨ طبعة الاستانة ٢٥) الحاجّ خليفة حيث قال:

« كانت العرب في صدر الاسلام لا تعتني بشيءٍ من العلوم الَّا بلغتها وسرقة أحكام شريعتها وصناعة الطبّ . . . حتى يروى انهم احرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد »

وجاء مثل هذا في مقدِّمة ابن خلدون اطلب تاريخهُ (١ : ٣٢) حيث روى امر عمر بابادة كتب الفرس قال:

« فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الانساني متعدِّدون وما لم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل فاين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عليه بمحوها عند الفتح »

وزاد الحاج خليفة ايضاحاً في باب الحكمة قال (٣ : ١٠ طبعة الاستانة ٤٤٦) :

« انَّ المسلمين لمَّا فتحوا بلاد فارس واصابوا من كتبهم كتب سعد بن ابي وقَّاص الى عمر بن الخطَّاب يستأذن في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عمر رضي الله عنهُ : ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هُدًى هدانا الله بالهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله . فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها »

فهذه الشواهد لا يمكن انكارها وكلُّها لكتبة مسلمين فكيف نسب كاتب النبراس الى التعصب من رواها عنهم . على انَّ العلماء يرتئون ان المكتبة التي حُرقت عند الفتح الاسلامي لم تكن مكتبة البطالسة التي كانت تلفت سابقاً ولكن مكتبة اخرى دونها

الكتابة والكتب ودورها قرأنا في المقتبس في الجزء السادس

من السنة الحالية خطبةً في الكتابة والكتب ودورها للاديب احمد بك زكي جمع فيها كثيراً من الفوائد عن الكتب وانشاء المكاتب الّا اننا اشتممنا منها رائحة التعصب في بعض قطعها . فمنها اطراؤهُ البالغ لعلوم العرب وتأثيرهم في علوم الغرب . فانّ هذا كلامٌ قالهُ بعض المستشرقين قبل تمثقهم في البحث عن تاريخ تلك العلوم كسيديلو (Sédillot) ولوبون (Le Bon) واليوم قد زُيِّف قولهم غيرهم من العلماء فبيَّنوا انّ هذا التأثير في علوم الغرب كان محدوداً . وزد عليهِ انّ علوم اليونان اكثر مَن احرزها النصارى من السريان وغيرهم فنقلوها من اصلها ولولاهم لما عرف منها العرب الّا النزر القليل — ومنها قولهُ انّ القديس لويس التاسع تعلَّم من سلاطين الشرق أن ينشئ المكاتب العمومية وانّهُ « اصابهُ دخلٌ في عقلهِ فيدَّد شمل ما جمعهُ منها » وهو كلام مخلّ بشرف احد كبار الملوك لم نسمعهُ حتى اليوم مع كثرة ما قرأنا عنهُ . ولا نظنّ انّ القديس لويس احتاج الى ان يقتبس عن العرب « فكرة جمع الكتب » فانّ الغربيين كانوا منذ اجيال عديدة يحرزون الكتب ويجمعونها ويستفيدون منها ويفيدون . ولو ارادوا لأنشأوا بمن كانوا اقرب منهم اعني الاحبار الرومانيين الذين منذ الاجيال الاولى للنصرانية اهتمُّوا بذلك ومثلهم الرهبان قبل العرب بمدة طويلة لاسيما البندكتيون الذين انتقذوا من البرابرة الكنوز العلمية بحفظها وتعديد نسخها . ولو شئنا لأتينا على همّتهم بشواهد لا تُنكر — ومنها وصفهُ لحريق مكاتب اسبانية فانّهُ نسب الى الاسبانيين ما لا يقبلهُ عقل وكنّا وددنا لو ذكر لاثباته اسانيدهُ فلا ينقل جزافاً كلام بعض المتهوّسين . فهب انّ قسماً من الكتب العربية حُرقت في الحروب بين الاسبان وبين العرب افيقبل العقل انّ الكردينال كسيمنيس احرق « في يوم واحد الف الف كتاب » ؟ فها هذا مكتبة لندن ومكتبة باريس مع كثرة ما انفقتا وجمعتا من المخطوطات والمطبوعات منذ مئين من السنين لا يكاد يبلغ مجموع كتبهما هذا العدد افيجوز القول بانّ غرناطة كانت تحتوي الف الف كتاب خطّ ؟ . وقد زاد ضغثاً على ابّالة بقولهِ « وكان هذا الصنيع بعمل الايمان » فايّ ايمان اجاز ذلك ؟ وكانهُ اراد الايمان المسيحي الذي كان في كل آن اعظم ناصر للعلم . فلينظر جناب الخطيب المكاتب الغربية في يومنا فمن جمعها الّا النصارى ولولاهم لفُقدت كل مآثر العرب . وقد سمعنا الشيخ محمّد عبده يقول : « اذ كنتُ في تونس كنت اسمع صوت القرّضة تقرض ما في خزائنها من الكتب فالشكر

الف الشكر للفرنج الذين حفظوا لنا مآثرنا ». هذا فعل الغربيين في كتب الامم الاجنبية فما قولك بكتبهم ومآثر اجدادهم. فتأمل

اسئلة واجوبة

س سأل غ. ج. من ادباء البلدة ما السبب لتفضيل العهدين القديم والحديث للجهة اليُمنى على اليُسرى فيقال: ان المسيح جلس من يمين ابيهِ. وانَّ الابرار في الدينونة يكونون من يمين الديان

فضل الجهة اليُمنى على اليُسرى

ج هو اصطلاح غلب بين الشعوب الراقية لما يُرى عادةً من القوَّة في اليد اليمنى. والقوَّة مصدر العزّ والشرف وعلى هذا الرأي جرى كتبة العهدين القديم والحديث

س سُئلنا اين تُباع الكتب الفرنسويَّة المرّنة لاسرار الشيع الماسونيَّة

التآليف الماسونيَّة

أُنشئت في فرنسة جمعيَّة لمقاومة الماسونيَّة ومناصبة اعمالها القبيحة ونشر اسرارها ومكايدها تُدعى الشركة المناقضة للشيعة الماسونيَّة (Ligue antimaçonnique) ومقامها في باريس (Paris, *rue de Grenelle*, 42) ولها اليوم في كل انحاء فرنسة شركاء يرمون معها الى غرضها. وقد نشرت الى اليوم عدَّة تآليف تُطلع القرَّاء على دفائن العشيرة منها جريدة تصدر مرَّتين في الشهر عنوانها « فضح الماسونيَّة (La Franc-Maçonnerie démasquée) ومن منشوراتها القريبة العهد الدليل الماسوني (Répertoire Maçonnique) فيه اسماء ٣٥,٠٠٠ من المنتمين الى الماسونية في فرنسة ومستعمراتها مع ذكر الاسانيد التي عمدوا اليها في جمعها. فمن اراد الوقوف عليهِ فليطلبهُ من ادارة الجمعيَّة المذكورة. ولهذا الكتاب مقدِّمة ذات شأن. واصحاب هذه الشركة مستعدُّون ان يفيدوا مكاتبيهم عن احوال الماسونية والمنشورات الخاصَّة بها

س وسأل جناب نقولا فارس افندي باخوس لايّ سبب أُطلق على محفل الماسون الاكبر في فرنسة اسم « الشرق الاعظم » وليس « الغرب الاعظم »

ج ذلك لاسباب: اوَّلًا لادَّعاء الماسون بأنَّهم ينيرون عقول ذويهم والنور مصدرهُ من الشرق. ثانيًا لأنَّ الماسون ينسبون زورًا اصلهم الى الشرق. ثالثًا ليموّهوا على الغربيين الذين كانوا يعدُّون الشرق كبلاد العجائب. رابعًا ليتقلدوا الكنيسة التي تسمّي السيّد المسيح شرقًا كما دعتهُ الانبياء وتصلي لاجل ذلك متجهة الى الشرق. وعلى كل فان هذا الاسم احد اكاذيب الماسونية المعتادة ل. ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الثالثة عشرة من مجلّة المشرق ١٩١٠

العدد ١ (كانون الثاني) خواطر في رأس السنة للاب انطون رباط اليسوعي (١—٣) = وصف مكتبة قديمة من عمل النجار الشهير الخواجا عبده جرجي الدمشقي للاديب امين افندي ظاهر خير الله (٣—٨) = الرشيد والبرامكة. رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول للاب انطون رباط (٨—٢٤ ; ٢ : ١٠٠—١١٨ ; ٣ : ١٩١—٢٠٢ ; ٤ : ٢٥٢—٢٦٢ ; ٥ : ٢٤٤—٢٥٧ ; ٦ : ٤١٨—٤٣٥ ; ٧ : ٤٩٨—٥١٥) = علم استنباط المياه : اثر لاحمد الدمنهوري نشره الاب ل. شيخو (٢٤—٣٣) = السرّ المصون في شيعة الفرمسون (تابع) للاب لويس شيخو (٣٣—٤١) نظام الماسونية (٢ : ١٤٦—١٥٢ ; ٣ : ٢٢٥—٢٣٣ ; ٤ : ٢٨٢—٢٩١ ; ٥ : ٣٥٧—٣٧٠ ; ٦ : ٤٥٥—٤٦٦) الآداب الماسونية (٧ : ٥٣٨—٥٤٥ ; ٨ : ٥٩٢—٦٠٠ ; ٩ : ٦٧٦—٦٩٠ ; ١٠ : ٧٥٧—٧٧٤) الجهاد ضد الماسونية (١١ : ٨٥٠—٨٦٤ ; ١٢ : ٩٢١—٩٤٢) = الكتاب الابيض (رواية) لاحد الاباء اليسوعيين (٤٣—٥١ ; ٤ : ٢٠٧—٢١٣) نظر عام في إخص حوادث العام للاب لويس رتزفال اليسوعي (٥١—٥٨ ; ٢ : ١١٩—١٣٠) = قطرة مداد بمناسبة عيد الميلاد للاب رافائيل البستاني (٥٩—٦٣) = الاداب الدينية في القرن التاسع عشر (تابع) للاب ل. شيخو (٦٣—٧٠ ; ٢ : ١٢٧—١٤٤ ; ٣ : ٢١٦—٢٢٥ ; ٤ : ٢٦٣—٢٨١) = نصب لمبنى كنيسة في دمشق للمسيو نويل جيرون قنصل فرنسة في دمشق (٧١—٧٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٣—٧٦) شذرات ارجوزة ابن المبارك في الشطرنج (٧٧—٧٩) اسئلة واجوبة (٨٠) وكذلك في آخر جميع اعداد السنة

العدد ٢ (شباط) اولياء الله في لبنان (٨١—٨٩ ; ٤ : ٢٠٣—٢٠٧ ; ٦ : ٤٤٧—٤٥٤ ; ٨ : ٦٠٥—٦١٤ ; ١٠ : ٧٧٥—٧٨١) = عماد الهرامانة وعلّة الكلمة الارثوذكسيّة للاب ا. رباط (٨٩—٩٦ ; ٧ : ٥٥٧—٥٥٨) = نقائض جرير والفرزدق للاب انطون صالحاني اليسوعي (٩٦—١٠٠) = حسّ مالطة للاب بوقيه لابيار اليسوعي (١٢١—١٢٦) = مياسيا والقديس كيرلس للاب فلوران لافلي اليسوعي (١٤٤—١٤٩) = خطرات نسيم — عود على مثلث قطرب (١٥٨—١٥٩)

العدد ٣ (اذار) الدياميس الرومانية. خطاب للاب دي لاروه اليسوعي (١٦١—١٧١) = ديوان سلامة بن جندل نشره لاوّل مرّة الاب لويس شيخو (١٧١—١٩٠) = ترقي العلوم في السنة ١٩٠٩ للاب لويس رتزفال (٢٠٢—٢١٥) = مجكل والمقتطف (٢٢٨ ; ٥ : ٢٦٨ ; ٩ : ٧٤٩) = اثر قديم في اميركا (٢٢٩)

العدد ٤ (نيسان) رحلة أثريّة الى الاقصر وأسوان للخوري لويس ملحمه (٢٤١—٢٥٢) = الله والعقل والحياة (قصيدة) للاديب حبيب جرجس اسطفان (٢٩١—٣٠٢) = تقليد احمد باشا الجزّار للامير يوسف الشهابي الحكم على الشوف (٣١٨—٣١٩)

العدد ٥ (ايار) مدافن برج حمّود وسدّ النيل للاب راول دير يب اليسوعي (٣٢١—٣٣٨)

= سلسلة اساقفة المكيين (تابع) للاب كيرلس شارون . قار : (٢٢٨-٢٢١) سقفية بعرود : (٢٢١-٢٢٢) سقفية تدمر : (٢٢٢-٢٢٤) سقفية زحلة : (٢٢٤-٢٢٧) اسقفية الزبداني : (٢٢٧-٢٢٨) اسقفية صيدنايا : (٨ : ٥٧٥-٥٨٠ ; ٩ : ٧١٥-٧١٧) اسقفية معلولا : (٥٨٠) = المناداة الدمشقية في الاقطار الشامية للاب سليمان قسانم اليسوعي (٢٢٨-٢٤٣ ; ٦ : ٤١٣-٤١٧ ; ٨ : ٦١٥-٦٢٠ ; ١٠ : ٧٤٤-٧٤٧) = البرتقال : زراعتهُ وآفاتهُ للمسيو اوفست جوفروا الفرنسوي (٢٧٠-٢٧٦ ; ٧ : ٥٢١-٥٢٨) = مجلّة النحلة والاسفار المترلة للاب انطون رباط (٢٧٦-٢٧٩) = الرمانيات والريحانيات للاب ل . شيخو (٢٧٩-٢٩٣) = تتابع الاديان والمتنطف (٢٩٩)

العدد ٦ (حزيران) الكليات الكاثوليكية في المصور للاب لويس رتزفال (٤٠١-٤١١) = قانونيّة الاسفار الثانية للاب انطون رباط (٤٢٦-٤٤٧ ; ٩ : ٦٦٨-٦٧٦) = ضنة بالبوبيل الذهبي لشركة مار منصور دي بول البيروتية للاب ل . شيخو (٤٦٦-٤٦٧) = كلمة في البرّ وعمّاله (قصيدة) للخوري رافائيل البستاني (٤٦٧-٤٦٩) = البرق والريحاني (٤٧٧) تراجع الكشكة (ردّ على المقتبس) (٤٧٨) كتاب بندكتوس الرابع عشر الى فلتير (رد على الريحاني) (٤٧٩)

العدد ٧ (تموز) شركة مار منصور دي بول لمحة تاريخية للاب ل . شيخو (٤٨١-٤٩٣) = سفينة بطرس (قصيدة) للخوري رافائيل البستاني (٤٩٣-٤٩٧) = العواطف الشريفة (رواية) للخوري اسطفان البشلاني (٥١٦-٥٢٦) = حماسة البحتري للاب ل . شيخو (٥٢٧-٥٣١) = ألوهية الرجل الاسرائيلي (ردّ على جريدة العرب) للاب ل . شيخو (٥٤٦-٥٤٩) = طائر طويل العمر (٥٥١ ; ٨ : ٦٣٦-٦٣٨ ; ٧٤٧)

العدد ٨ (آب) حملة توزيع الحوائز للخوري مارون غصن الخوري (٦٦١-٥٦٦) = السرّ المقدس (رواية تاريخيّة) للاب انطون رباط (٥٦٧-٥٧٥) = رحلة القس خدر الكلداني من الموصل الى رومية للاب ل . شيخو (٥٨١-٥٩٣ ; ٩ : ٦٥٦-٦٦٨ ; ١٠ : ٧٢٥-٧٤٤ ; ١١ : ٨٣٥-٨٤٣) = عجائب الدهر (قصيدة) للشاعر ر . ب (٦٠٠-٦٠٥) = المدارس العلمانية والاديان الاب لويس شيخو (٦٢٠-٦٢٩) = اين توفيت السيدة البتول نظر للاب لويس شيخو (٦٢٦-٦٣١) = مرصد كاره — احتجاج الماسون — القسم المضحك (٦٣٤)

العدد ٩ (ايلول) معبد سيّدة التعزية في تمثال الاب اسكندر توران اليسوعي (٦٤١-٦٥٠) = الجامع والدواوين والدوائر الرسمانيّة للاب لويس معلوف اليسوعي (٦٥٠-٦٥٦) = لا يمكن ولا يجوز ان تكون المدارس علمانية بلا دين للاب لويس شيخو (٦٩٠-٦٩٥) = كتاب الحمز عن ابي زيد سعيد بن اوس الانصاري . نشرهُ الاب ل . شيخو (٦٩٥-٧٠٣ ; ١٠ : ٧٥٠-٧٥٧ ; ١١ : ٨٤٢-٨٤٩ , ١٢ : ٩٠٧-٩١٥) = نقد الريحانيات (الجزء الثاني) للاب لويس شيخو (٧٠٣-٧١٠) = جمعية الماسونية — جمعية الجيش الابيض (٧١٨)

العدد ١٠ (تشرين الاول) تأمين المياة للكونت دوجو (٧٢١-٧٣١) = عالم يوناني مجهول . الاب اثناسيوس التبرصي للاب انطون رباط (٧٣٢-٧٣٥) = صناعة الطوب والقرميد للدكتور توفيق سلاب (٧٤٧-٧٤٩) = النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للاب ل . شيخو

(٧٨١–٧٩٠ ; ١١ : ٨٦٥–٨٧١ ; ١٢ : ١٤٤–١٥١) = اقرار الجامد (٧٩٦) فارس الجيش الابيض (٧٩٧) الكيذاتوغراف والكيذاروفون (٧٩٨) تعليم الاجانب (ردّ على المقتبس) (٧٩٩)

العدد ١١ (تشرين الثاني) فتوح الصين لرائد السلم وبطل الدين الاب ل. شيخو (٨٠١–٨١٤ ; ١٢ : ١١٥–١٢٦) = الايوان السماوي والارضي: سبحان الله في خلائقه (قصيدة) للخوري رافائيل البستاني (٨١٤–٨١٦). الى ولدي الصغير (قصيدة) للاديب الشيخ احمد تقي الدين (٨١٦–٨١٨) = الزيزب او النفّة او عناق الارض للاب انستاس الكرملي (٨١٨–٨٢١) = فوائد الورق للاب انطون رباط (٨٢٢–٨٢٥) = الروم الكاثوليك في الولايات المتحدة (٨٧٧) مؤتمر الالسون السنوي (٨٧٨) على المأدبة السلام — المتطوّع في الجيش الابيض (٨٧٩)

العدد ١٢ (كانون الاول) صدق المقال في ثورة البرتغال للاب ل. رترفال (٨٨٣–٨٩٥) = التارجيل او جوز الهند للاب ا. رباط (٨٩٥–٨٩٧) = توجيه الانظار الى عوامل الافكار للشيخ سعيد افندي الشرتوني (٨٩٨–٩٠٦) = المهاجر السوري للاب ا. رباط (٩٢٦–٩٢٩) = شرف الكهنوت (قصيدة) للخوري رافائيل البستاني (٩٢٩–٩٣١) = حريق مكتبة الاسكندرية (٩٥٧–٩٥٩) الكتابة والكتب ودورها (ردّ على المقتبس) (٩٥٨–٩٦٠)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن الجاريّة ارجوزة في الشطرنج ٧٧
ابو زيد (سعيد بن اوس الانصاري) كتاب الهمز ٦٩٥ ; ٧٥٠ ; ٨٤٢ ; ١٠٧
اسطفان (الاديب حبيب جرجس) الله والعقل والحياة (قصيدة فلسفية) ٣٦١
انستاس (الاب الكرملي) الزيزب او النفّة او عناق الارض ٨١٨
البارودي (مراد افندي) ملحوظات على مثلث قطرب ١٨٥
الباشا (الخوري قسطنطين) ملحوظات على سلسلة اساقفة الروم الملكيين ٧١٥
البستاني (الخوري رافائيل) قطرة مداد بمناسبة عيد الميلاد (قصيدة) ٥٩ = كلمة في البرّ وعمالـه (قصيدة) ٤٦٧ = سفينة بطرس (قصيدة) ٤٩٣ = عجائب الدهر (قصيدة) ٦٠٠ = سبحان الله في خلائقه (قصيدة) ٨١٤ = شرف الكهنوت (قصيدة) ٩٢٩
البشلاني (الخوري اسطفان) العواطف الشريفة (رواية) ٥١٦
بوفيه لابيار (الاب اليسوعي) حمّى مالطة ١٢١
تقي الدين (الشيخ احمد) الى ولدي الصغير (قصيدة) ٨١٦
توران (الاب اسكندر اليسوعي) عيد سيدة التعزية في تماثيل ٦٤١
الجزّار (احمد باشا) تقليدهُ الحكم على الشوف للامير يوسف الشهابي ٣١٨
جوفروا (المسيو اوغست) البرتغال: زراعتهُ

وآفاتهُ ٢٧٠;٥٢١
جرون (الاب ب . اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٨٧٤ ; ٩٥٢
جيرون (المسيو نويل قنصل فرنسة في دمشق) نصبٌ لحسن كنيسةٍ في دمشق ٧١
خدر (القس الكلداني) رحلته من الموصل الى رومية ٥٨١ ; ٦٥٦ ; ٧٢٥ ; ٨٢٥
خير الله (الاديب امين ظاهر) وصف مكتبة نفيسة ٢
الدمنهوري (احمد) اثر في علم استنباط المياه ٢٤
درجو (الكونت) تأمين الحياة ٧٢١
دي لاروه (الاب اليسوعي) محاضرتهُ في الديامس الرومانية ١٦١
ديربب (الاب راول اليسوعي) مدافن برج حمّود وسن الفيل ٢٢١
ديلفسبغر (الاب ي . اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٤٧١
رباط (الاب انطون اليسوعي) خواطر في رأس السنة ١ = الرشيد والبرامكة (رواية) ٨ : ١٠٠ ; ١١٨ ; ١٩١ ; ٢٠٢ ; ٢٥٢ ; ٢٤٤ ; ٤١٨ ; ٤٦٨ = عماد المراطنة ومجلة الكلمة الارثوذكسيّة ٨٩ ; ٥٥٧ = مجلة النعمة والاسفار المقرلة ٢٧٦ = قانونية الاسفار المقدسة ٤٢٦ ; ٦٦٨ = السرّ المقدس (رواية تاريخية) ٥٦٧ = عالم يوناني مجهول ٧٢٢ = فوائد الورق ٨٢٢ = الماريجل او جوز الهند ٨٩٥ = المهاجر السوري ٩٢٦ = وصفهُ لبعض المطبوعات ٨٥ : ١٥٧ ; ٢١٨ ; ٢٩٥–٢١٧ ; ٤٧١ ; ٦٢٤ ; ٦٢٥ – ٦٢٦ ; ٧٩٢ ; ٨٧٢ ; ٨٧٦
رتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٧٢ ; ٢١٥ ; ٧١٠
رتزفال (الاب لويس اليسوعي) نظر عام في اخص حوادث العام ٥١ ; ١١٩ = ترقي العلوم في السنة ١٩٠٩ ٢٠٣ = الكليات الكاثوليكية في المصور ٤٠١ = صدق المقال في ثورة البرتغال ٨٨١ = لهُ وصف كتب ومطبوعات جديدة ٢٢٥ ; ٢١٤ ; ٤٧٠ ; ٤٧٢ ; ٤٧٥ ; ٧١١
سردي (الخوري اوغستينوس الرومي الملكي الكاثوليكي) الطير القواطع ٦٢٦
سلهب (الدكتور توفيق) صناعة الطوب والترميد ٧٤٧
شارون (الخوري كيرلس سلسلة اساقفة الملكيين (تابع) اساقفة قارا ٢٢٨ اساقفة بيروت ٢٢١ اساقفة تدمر ٢٢٢ اسقفيّة زحلة ٢٢٤ اسقفية الزبداني ٢٢٧ اسقفية صيدنايا ٥٧٥ ; ٧١٥ اسقفية سخولا ٥٨٠
شاي (الاب ماريوس اليسوعي) وصفه بعض كتب ٢١٦
شبسان (الاب الصعودي) الروم الكاثوليك المكيّون في الولايات المتحدة ٨٧٧
الشرتوني (الشيخ سعيد) توجيه الانظار الى عوامل الافكار ٨٩٨
شيخو (الاب لويس اليسوعي) علم استنباط المياه . اثر لاحمد الدمنهوري ٢٤ = السر المصون في شيعة الفرسون (تابع) حقيقة الماسونية ٣٢ نظام الماسونية ١٤٩ ; ٢٢٥ ; ٢٨٣ ; ٣٥٧ ; ٤٥٥ الآداب الماسونية ٥٢١ ; ٥٦٢ ; ٦٧٦ ; ٧٥٧ الجهاد ضد الماسونية ٨٥٠ ; ٩٢١ = الآداب العربية في القرن التاسع عشر (تابع) ٦٢ ; ١٢٧ ; ٢١٦ ; ٢٦٢ = نثره لارجوزة ابن الهبّاريّة في الشطرنج ٧٧ = اولياء الله في لبنان ٨١ ; ٢٠٢ ; ٤٤٧ ; ٦٠٥ ; ٧٧٥ = نثرهُ لديوان سلامة بن جندل ١٨١ = الرسائيات والرمانيات ٢٧٩ = تحفة بالبوبيل الذهبي لشركة مار منصور دي بول البيروتيّة ٤٦٦ = لمحة تاريخيّة في شركة مار منصور دي بول ٤٨١ = حماسة البحتري

٥٢٧ = أنوهيّة الرجل الاسرائيلي ٥٤٦ = نشرهُ لرحلة القس خدر الكلداني من الموصل الى رومية ٥٨١;٦٥٦;٧٢٥; ٨٢٥ = المدارس العلمانية والاديان ٦٢٠ = اين توفيت السيدة البتول ٦٢٦ = لا يمكن ولا يجوز ان تكون المدارس علمانية بلا دين ٦٩٠ = نشرهُ لكتاب العز عن ابي سعيد بن ادرس الانصاري ٦٩٥;٧٥٠; ٨٤٢; ٩٠٧ = نقد الريحانيات ٧٠٣ = النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٧٨١; ٨٦٥; ٩٤٤ = فتوح الصين لرائد العلم وبطل الدين ٨٠١; ٦١٥ = حريق مكتبة الاسكندريّة ١٦٠; ٩٦٠ ردود مختلفة : على جريدة الحريّة ١٥٨ على المقتطف ١٦٠;٢٢٧; ٢٢٨; ٢٩٨; ٢٩٩; ٧١٦ على المقتبس ٤٧٨; ٧٩٩ على البرق ٤٧٧ على الريحاني ٤٧٦ على الملسون ٢٢٧; ٦٢٩; ٧١٨; ٨٧٨ = لهُ في كل عدد تقريبات واوصاف كتب وشذرات واجوبة

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) نقائض جرير والفرزدق ٩٦

صفير (الاديب يوسف افندي) نشرهُ لقلايد اعطاهُ الجزّار على الشوف للامير يوسف الشهابي ٢١٨

غانم (الاب سليمان اليسوعي) المتاديات الدمشقيّة في الاثار الشامية ٢٢٨;٤١٢;٦١٥; ٧٤٤

غصن الخوري (الخوري مارون) حفلة توزيع الجوائز (محاورة شعريّة ٥٦١

غلبار (الاب اليسوعي) وصفهُ لبعض الكتب ٦٢٤

غلدتسير (الدكتور اغناطيوس) افادتهُ عن الطير النواطع ٧١٧

ك. ا. (اليسوعي) الكتاب الابيض (رواية) ٤٢; ٢٠٧

كراتشقوفسكي (المستشرق الروسي ا.) وصفهُ لبعض الكتب ٢١٥,٢١٤

كسانتاكيس (الاب ب. اليسوعي) وصف كتب ٩٥٢

معلوف (الاب لويس اليسوعي) المجامع والدواوين والدوائر الرومانية ٦٥٠

ملحه (الخوري لويس) رحلة أثرية الى الاقصر وأسوان ٢٤١

لافلي (الاب فلوريان اليسوعي) هياسيا والقديس كيرلس ١٤٤

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الثالثة عشرة من المشرق

الكتب العربية والسريانيّة الخ

ابي راشد (ميخائيل يوسف) الملسونية : نظر تاريخي انتقادي اجتماعي (٧٩٦)

ابي كرم (يوسف السمرّاني) تأثري في لورد (٧٩٦)

ارملة (القس اسحاق السرياني) لمة تاريخيّة في اديار ماردين القديمة (٧٦)

الفخاني (عبد الله الملكي الاصفي) تاريخ كجرات (٥٤٩)

البستاني (الخوري بطرس) الرسائل المصريّة (٥٥٤)

تغري بردي (ابو المحاسن) تكملة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٧٣)

توتونجي (كامل افندي) خواطر في الحب والزواج (٢١٨)
الكبير (عبد الوهاب افندي سليم) الاسلام حافظ الذمم في ما بين الامم (٨٧٦)
جرير والفرزدق ونقائضهما (المجلد الثاني) (٩٦)
الجيناوي (القس يوسف) كفاية الطالب وبغية الراغب في علم النحو (٧٩٣)
جلاد (فيليب بك) القاموس العام للادارة والقضاء — كتاب التعليقات القضائية (٨٧٥)
الحائك (الخوري يوسف ميلاد) كتاب الكاثوليكي العامل (٧٧١)
الحبال (حسين محيي الدين) العروة الوثقى (٤٧٣)
حبيقه (المنسنيور بطرس) اثبات سر الاوخارستيا (٧٩٦)
حسان بن ثابت ديوانه (٧١٣)
حلوه (جميل افندي بطرس) المهاجر السوري (٩٣٦)
الخازن (الشيخان فيليب وفريد) الجلد الاول من كتاب المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٩١٠ (٧٩٣)
الخازن (الشيخ فيليب قدمان) لمحة تاريخية في استقرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح الشهابي ١٥١٦ (٧٩٣)
الخياط (محيي الدين افندي) دروس التاريخ الاسلامي الجزء الاول (٥٥٣) الجزء الثاني (٧٩٤)
دريان (سيادة المطران يوسف) مجموعة الاناشيد الروحية (٦٢٥)
دموس (سليم ابراهيم) زبدة الاراء في الشعر والشعراء (٥٥٧)
رباط (الاب انطون اليسوعي) (رواية) الرشيد والبرامكة (٥٥٦)
الرصافي (معروف افندي) ديوان الرصافيات (٣٨١)
رمضان (عثمان افندي) الدروس العثمانية (٨٧٦)
الريحاني (امين) كتاب الريحانيات (الجزء الاول) (٣٨٦) الجزء الثاني) (٧٠٣)
الزهاوي (جميل افندي صدقي) الجاذبية وتعليلها (٩٥٦)
مركيس (الخورفسقفوس موسى) تعريب تاريخ الكتاب المقدس للعهدين القديم والجديد للاب شوستر (٧١٣)
السروجي (مار يعقوب) ميامر منتخبة (الجزء الرابع) (٧٥)
السكري (محمد امين صوفي) الجزء الاول من كتاب سمير الليالي (٧١٥)
شتو (يوسف افندي بن عبد الغني الحسيني) ابدع ما نظم في الأخلاق والحكم (٣١٧)
السودا (يوسف افندي) نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول (٨٧٦)
الشرتوني (الشقيقتان المرحومتان انيسة وعفيفة الخوري) نفحات الوردتين (١٥٥)
شاحت (الخورفسقفوس جرجس السريباني الحالي) نبذة من امثال فلون (٦٢٥)
شيخو (الاب لويس) السر المصون في شيمة الفرسون الكراس الاول (١٥٧) — حماسة البحتري (٥٢٧) — تاريخ ابن بطريق (الجزء الثاني) (٥٥١) — الآداب العربية في القرن التاسع عشر (الجزء الثاني) (٥٥٣) — ديوان سلامة بن جندل (٧٩٣)
صفير (يوسف افندي) الدر المنتخب من كتب الأدب (١٥٦) — ترقي العائلات في تربية البنات (٣١٧)
طرازي (الفيكونت فيليب) السلاسل التاريخية

في اساقفة الابرشيات السريانية (٣٩٥)
عبد القادر البغدادي (ابو منصور) كتاب الفرق بين الفرق (٣٦٦)
عبود (القس بولس النطاري) المجالي التاريخية في ترجمة الراهبة هندية (الجزء الاول) (٣٩٧)
عرفان (ع.) صوك ألبنباي عثماني (٥٥٧)
عريضه (سيادة المطران انطون) رسالة رعائية في نصح الطريقة المسيحية (٥٥٧)
العسلي (شكري افندي الدمشقي) كتاب القضاة والنوّاب (٨٧٣)
علّام (حنا علّام) قواعد الخطوط العربية (١٥٧)
العلّم (المنسنيور يوسف) تنزية الخاطئين في اعترافات مار اغوسطين (٣٣٦)
علوان (الاب يوسف اللازري) كتاب مبادئ التعليم المسيحي للاولاد الصغار (٧٦٦)
العشيّ (الخوري يوسف) صناعة الانشاء في التأبين والرثاء (٥٥٦)
عويس (الخوري بولس) قانون الدعاوي الزوجية الجزء الثاني (٨٥)
الفارابي (ابي نصر) له مجموعة فيها كتاب ما ينبغي ان يقدّم قبل تعلم فلسفة ارسطو وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة (٦٣٦)
فرنكو (الاب اليسوعي) كتاب شركة العائلة المقدسة واخويتها (٧١٤)
فورنيه (الدكتور ه.) تعريب الدكتور مقصود كتابه في الاشتباه (٤٧٤)
الكرمليون (المرسلون) كتاب رتب وعبادات كنائسية حسب عادة الطائفة المارونيّة (٣٣٧) – كتاب شركة العائلة المقدسة (٧١٤)
گراف (الخوري جرج) مقالة عن مياسر القديس يوحنا فم الذهب (٧٦٦)
كرد علي (محمد افندي) رسائل البلغاء (٨٧١) – ترجمة تاريخ الحضارة لـزيوبوس (٨٧٣) – غرائب الغرب (٨٧٣)
كرنتس (الدكتور و.ف.) كتاب الذمم في احوال الامم تعريب القس ب. بارودي (٣٩٦)
كرم (السيدة عفيفة) رواية عشيت (٨٧٣)
مرجليوث (العلامة د.س.) لائحة تآليف ابي العلاء المعري (٧٦٦)
المشلاني (نجيب افندي ملحم) التاريخ الكنسي (١٥٥)
نقاشة (سيادة المطران ديونوسيوس) كتابة عناية الرحمان في هداية السريان (٦٥٥)
ياقوت الحموي الجزء الثالث من ارشاد الاريب الى معرفة الاديب (٤٧٠)

مطبوعات اوربيّة

Abba Takla (Marjam) : Manuel épistolaire en geez (315)
Alouf (Michel M.) : Histoire de Bagdad (955)
d'Annezy (Jean) : Au Pays des Massacres. Saignée arménienne de 1909 (74)
Attaja (M.) : Skazka o kamar ez-Zaman (315)
Baer (Jos.) : Incunabula, Xylographica et Typographica (550)
Baudrillart (Mgr) : Les Universités Catholiques de France et de l'Etranger (404)

Bauer (Leonhard) : Das palaestinische Arabisch. 2te *Aufl.* (314)
Becker (Dr C. H.) : L'Islam et la Colonisation de l'Afrique (634)
Berto (Paul s. j.) : Ce que l'on sait sur la Topographie de l'ancienne Jérusalem (46)
= : Le Temple de Jérusalem (796)
Bevan (Anth. Ashley M. A.) : The Naḳâ'id of Jarir and al Farazdak (Vol. II. 1 et 2) (96)
Bezold (Dr. Carl.) : Verbalsuffixformen als Alterskriterien babylonisch - assyrischer Inschriften (795)
Blochet (E.) : Introduction à l'Histoire des Mongols de Fadlallah Rashid ed-Din (550)
Bœhmer (H.) Les Jésuites, traduit par G. *Monod* (475)
Bollandiani Socii : Bibliotheca Hagiographica Græca. 2de *éd.* (835)
—Bibliotheca hagiographica Orientalis (632)
Bretschneider (E. M. D.) Mediæval Researches from Eastern Asiatic sources (234)
Bricout (J.) : L'Histoire des Religions et la Foi Chrétienne (791)
Brockelmann (C.) : Précis de linguistique sémitique, traduit par *W. Marçais* et *M. Cohen* (314)
Chabot (J.—B.) : Les Langues et les Littératures araméennes (795)
Charon (Père Cyrille) : Histoire des Patriarcats Melkites (471)
Chefkho (A.) , **Carra de Vaux** (B^on^), **Zayyat** (H.) : Eutychii Patriarchæ Alexandrini Annales, pars posterior ; accedunt Annales Yahia Ibn Said Antiochensis (551)
Cosquin (Em.) : Prologue-cadre des Mille et une Nuits, les Légendes Perses et le livre d'Esther (74)
Darenberg, Saglio et Pottier : Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines. 41 *fasc.* (790)
Delaporte (L.) : Rapport sur une Mission à Charfé (Liban) (795)
Dubosc (René) : Les Etapes du Sacerdoce (472)
Ecker : Petite Bible illustrée (633)
Forget (I.) Synaxarium Alexandrinum (T. I, fasc. III) (551)
Frist v. Holm : The Nestorian Monument, an ancient Record of Christianity in China (317)
Gabriel Maria da Aleppo e C. M. Calvaruso : Le Fonti Arabiche nel Dialetto Siciliano (712)
Gélat (Philippe) : Répertoire général annoté de la Législation et de l'Administration Egyptiennes (875)
— Les Codes Egyptiens annotés (875)
Goldziher (Dr Ignaz) : Ein anonymer Traktat zur Attributenlehre (76)
—: Neuplatonische u. gnostische Elemente im Hadîṯ (76)
Gotthell (Dr R.) : Al Hasan ibn Ibrahim Ibn Zulak (76)
Graf (Dr Georg) : Arabische Chrysostomus-homilien (796)
Griffini (E.) : Intorno alle Stazioni lunari nell'astronomia degli Arabi (76)
Guibert (J.) : A l'Entrée de la Vie — Le Caractère — La Piété — la Bonté (711)
Haupt (Rudolf) : Internationales Taschenbuch für Orientalisten. 1910 (394)
Hello (Henri) : La F.·. - M.·. et l'Ouvrier.
Hirschfeld (Hartwig) : The Diwân of Hassân B. Thâbit. (712)
Jnostranzow (K.) : Persidskaja litoraturnaja tradizija w pierwijo wieka islama (392)
Kanazawa (S.) : The Common Origin of the Japanese and Korean Languages (634)
Kratchkovski (I. Y.) : Vostotchnii Phacultet Universiteta S. Ionipha (634)
Krarup (Ove Chr.) : Auswahl Pseudodavidischer Psalmen (479)
Krumbacher (K.) : Populaere Aufsaetze (473)
Krymsky (A.) : Jstorija Persii i jeja literatury (232)
—Jstorija Turcii i jeja literatury. (232)
Kugler (F.—X. s. j.) : Sternkunde u. Sterndienst in Babel, I et II (951) : Im Bannkreis Babels (954)
Lampakis (M.G) : Οἱ ἑπτὰ Ἀστέρες τῆς Ἀποκαλύψεως. (953)
Leday (I) : Les Sciences pour tous (131)
Linder (J. s. j) : Die Heilige Schrift, für das Volk erklaert (874)
Lorge (M.) : Die Speisegesetze der Ka-

rnacr von *Samuel el-Magrebi* (952)
Lux (Jacques) : Histoire de Deux Revues Françaises «la Revue Bleue et la Revue Scientifique» (153)
Mangenot (E.) : La Résurrection de Jésus (471)
Margoliouth (D. S.) : Dictionary of learned Men of Yakût (470)
— Index librorum Abu'l — Feda (796)
Marlatt (G.L.) Maladies des Orangers. Cochenilles et Mites des Citrus, traduit par A. *Geoffroy* (538)
Marta (Dom Giovanni) : Ni Ephèse ni Panaghia - Capuli mais Jérusalem (475)
Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth. T. III. 2, T. IV (631)
Meisterman (R. P. Barnabé O. F.M.): Guide du Nil au Jourdain (154)
Pelsor (F.E.) : Beihefte zur orientalistischen Litteratur (874)
Pesters (P. P. a. j) : La Vision de Denys l'Aréopagite à Héliopolis (795)
Pereira (F. M. Estêves) : le Livre de Job. Version éthiopienne (952)
Popper (William) : Abu'l - Mahâsin Ibn Taghri Birdi's Annals (vol. II. part 2) (73)
Raad (A.) et Ghalob (B.) : La Clé de la Conversation Abyssine (394)
Rabbath (P. Ant. a. j) : Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient (T. II. fasc. 1) (235)
Realencyklopaedie * Herzog - Hauck, Bd XXII Register (72)
Répertoire Maçonnique (960)
Reynès-Monlaur (M.) : Jérusalem, les dernières Pâques (633)
Ross (E. Denison) : An arabic History of Gujarat (549)
Rulnaut (J.) : Questions historiques. Le Schisme de Photius (554)
Schaade (Arthur) : Die Kommentare des Suhaili u. d. Abu Darr zu den Ulud-Gedichten (73)
Seybold (C) : Historia Patriarcharum Alexandrinorum Severi ben el-Maqaffa' T. I. fasc. II (551)
Spire (André) : Israël Zangwill (157)
Sybel (Ludwig von) : Christliche Antike. II Bd, Plastik, Architectur u. Malerei (313)
Triandaphyllidis (Man. A.) : Die Lehnwörter der mittelgriechischen Vulgarliteratur (234)
Viollet (M. H.) : Description du Palais de al-Moutasim et de quelques monuments arabes peu connus de la Mésopotamie (469)

فهرس رابع

لجميع مواد المشرق على ترتيب حروف المعجم.

* ا * الآداب العربية في القرن التاسع عشر (تابع) ٦٢ ; ١٢٧ ; ٢١٦ ; ٢٦٢
آلات مكبرة جديدة ٢٠٦
ابو زيد الانصاري وكتابهُ المنون بالهمز ٦١٥ ; ٧٥٠ ; ٨٤٢ ; ١٠٧
الآثار الشاميّة والماديات عليها ٢٢٨ ; ٤١٢ ; ٦١٥ ; ٧٤٤
اثناسيوس القبرصيّ العالم اليوناني ٧٢٢–٧٢٥
ادورد السابع والماسونية ٥٦٠
الابوان الساريّ والارضي (قصيدتان) ٨١٤
الاديان والمدارس العلمانية ٦٢٠–٦٢٦ لا يمكن ولا يجوز ان تكون المدارس علمانيةً بلا دين ٦١٠–٦١٥
ارسلان (الامير محمّد الفقيد) وغثالهُ ٧٦
اسبانية والمغرب ١١٦ اسبانية وفرّير واهمل الفوضى ١١٦–١٢١ ملك اسبانية والحبر الاعظم ١٢٦
استنباط المياه مقالة الدمنهوري في علمه ٢٤–٢٢

الاسفار الثانية وقانونيتها ٤٢٦؛٦٦٨
الاسكندريّة حريق مكتبتها ١٦٠ ؛ ٩٥٧
أسوان: رحلة اليها والى الأقصر ٢٤١–٢٥٢
الاعمال الخيريّة في الماسونية ٨٨٠
اقرار الجاحد ٧٩٦
الأقصر: رحلة اثريّة اليها ٢٤١–٢٥٢
الاكليروس وزواجه ٥٦٠
الله والعقل والحياة (قصيدة فلسفيّة) ٢٩١
المانية والدين ١٢٥ المانية والتحالف الثلاثي ١٢٩
ألوهيّة الرجل الاسرائيليّ (ردّ على جريدة العرب) ٥٤٦
الى ولدي الصغير (قصيدة) ٨١٦
أليفتين وآثارها ٢٥١
اميركا: اثر كتابي تاريخهُ سنة ١٣٦٣ وُجد في بعض اعمالها ٢٢٩
انطونيوس (القديس ابو الرهبان) ومديحهُ ١٥٩
انكلترّة والدين ١٢٥
الاوقيانوس واقصى غوره ٢٠٨
اولياء الله في لبنان: (القديسون) ٨١؛ ٢٠٢؛ ٤٤٧؛ ٦٠٥ القديسات ٧٧٢–٧٨١
ايطالية: ملكها والحبر الاعظم ١٢٦ ايطاليـة والتحالف الثلاثي ١٢٩
ابن توفيت السيّدة البتول ٦٢٦–٦٢١
* ب * الباباوات: حفلات جنازتهم وانتخابهم وتكليلهم ٧٣٥–٧٤٠ مناهضتهم للماسونية ٨٥٣–٨٥٨ البابا بيوس العاشر (اطلب بيوس)
البحتري وكتاب حماسته ٥٢٧–٥٢١
البرُّ وعدالهُ (قصيدة) ٤٦٧
البرامكة رواية تاريخيّة في الرشيد والبرامكة (اطلب الرشيد)
البرتغال وملكها ١٢٦ صدق المقال في ثورتها الحديثة ٨٨١–٨٩٥
البرتغال زراعتهُ وآفاتهُ ٣٧٠؛ ٥٢١
برج حمّود ومدافنها ٢٢١–٢٢٨
البرق والريحاني ٤٧٧
بطرس الرسول: سفينة بطرس (قصيدة) ٤٩٣–٤٩٧
البطريركيّات وامتيازها في تركيّة ٥٢
بلجيكة والكاثوليك ١٢٤
البنّ في البرازيل ٥٥٩
بنطاس (الاب يوحنّا اللاهوتيّ) ٨٨٠
بسال (الركيز دي) واليسوعيّون ٨٨٥
بيبان الملوك وقبور الفراعنة ٢٤٤
بيكو او فيجو: قصّة المرسلين الى مملكتها ٨٢٥
بيوس العاشر: كرمهُ ٥٦ هو والدول ١٢٦ ختام يوبيلهِ ١٢٦
* ت * تأمين الحياة: غايتهُ وتاريخهُ ومفاعيلهُ وقوانينهُ ٧٢١–٧٣١
التبشير واصل هذه الصلاة ٤٠٠
تتابع الاديان ٢٩٩
تدمر وسلسلة اساقفتها ٢٢٢
ترقي العلوم في السنة ١٩٠٩ ٢٠٢–٢١٥
تزويرات دينيّة ٢١١
تعليم الاجانب ٧١٩
التعليم المسيحي وحاجتهُ في روسية ٧٤٢–٧٤٤
تعاليل ومعبد سيّدة التعزية ٦٤١–٦٥٠
توجيه الانظار الى عوامل الافكار ٨٩٨–٩٠٧
* ج * جان درك وحفلات تطويبها ١٢٢–١٢٤
جبل الزيتون وكنيسة القديسة هيلانة ٦٤٠
جرير والفرزدق ونقائضهما ٩٦–١٠٠
جزيرة العرب موقعها واقسامها واهلها ٧٨٢ اديان اهلها قبل النصرانيـة ٧٨٢؛ ٨٦٥ تاريخ النصرانية فيها ٩٤٤
الجزويت الماسون (فكاهـة) ١٥٢ الجزويت واعداؤهم ١٨٥؛ ٥١٦–٥١٧ مقابلة بين اليسوعيّة والمسونية ٩٤٢ (اطلب اليسوعيّون)

الجوائز وحفلة توزيعها مباحثة شعريّة ٥٦١–
جرز الهند ٨٩٥–٨٩٧
* ح * حبيب بن جريز البطّار وتاريخه ٦٤٠
الحجاز: رحلة علميّة الى بلاده ٧١٩
الحريّة: ردّ على بعض اقوالها ١٥٨
حريق مكتبة الاسكندريّة والمؤرخون المسلمون
١٦٠ ; ٩٥٧
الحساب الفريغوري عند الكلدان ٧٣٠
حفلة توزيع الجوائز (مباحثة شعريّة) ٥٦١ –
٥٦٦
الحكومة العثمانية الدستوريّة ٥١–٥٢
حماسة البحتري ٥٢٧–٥٣١
حمّى مالطة ١٣١
حلايا: رحل الى جبالها ٣٠٧
حوادث العام المنصرم والنظر فيها ٥١ ; ١١٩
الحياة (قصيدة فلسفيّة) ٢٩٤ نظر اقتصادي
تاريخي في تأمين الحياة ٧٢–٧٣١
الحيوانات الطويلة العمر ٧٣٠
* خ * خدر (القس الكلداني) ورحلته
من الموصل الى روبية ٥٨١ ; ٦٥٦ ; ٧٢٥ ;
٨٢٥
خزّان اسوان ٢٥١
* د * دمشق اكتشاف نصب لحمى كتبتها
٧١ المناديات على آثارها ٢٢٨ ; ٤١٢ ; ٦١٥ ;
٧٤٤
الدوارع البحريّة الحديثة ١٢٨
الدولة العلية: نظر في احوالها سنة ١٩٠٩ ٥١–
٥٢
الدياميس الرومانية وآثارها ١٦١–١٧١
ديوان سلامة بن جندل ١٧١–١٩٠
* ر * رأس السنة وخواطر فيه ١–٢
رحل الى القطبين ٢٠٣ رحلة اثريّة الى
الاقصر واسوان ٢٤١–٢٥٢ رحلة القس
خدر من الموصل الى روبية ٥٨١ ; ٦٥٦ ;
٧٢٥ ; ٨٢٥
الرشيد والبرامكة رواية تمثيليّة تاريخيّة ٨ ;
١٠٠ ; ١٩١ ; ٢٥٢ ; ٢٤٤ ; ٤١٨ ; ٤٩٨
الرصافيات والريحانيات ٢٧٩–٢٩٣
رعمسيس الثاني وهيكله ٢٤٧
روايات (اطلب الرشيد والبرامكة) الكتاب
الابيض ٤٣ ; ٣٠٧ العواطف الشريفة ٥١٦
السرّ المقدّس ٧٦٧
روسيّة واحوالها ١٢٩–١٣٠
الروم الملكيّون الكاثوليك وسلسلة اساقفتهم
(تابع) ٢٢٨–٢٣٨ ; ٥٧٥ الروم الكاثوليك
في الولايات المتّحدة ٨٧٧
روية وآثار دياميسها العجيبة ١٦١–١٧١
مجامعها ودواوينها ودوائرها الرسميّة ٦٥٠
–٦٥٦ معابدها وآثارها وحفلاتها (اطلب
رحلة القس خدر)
رئاسة بطرس الرسول وحبلة النعمة ٧١٢–٧٩٩
ريتشي (الاب ماتيو اليسوعي) رائد العلم
وبطل الدين في الصين ٨٠١ ; ٩١٥
الريحاني ردّ على طعنٍ في القديس كيرلّس ١٤٤
–١٤٩ انتقاد ريحانيّاته (الجزء الاوّل) ٢٨٩
–٢٩٣ (الجزء الثاني) ٧٠٣–٧١٩ العرق
والريحاني ٤٧٧ شتمهُ الباطلة في حقّ البابا
بندكتوس الرابع عشر ٤٧٩
* ز * الزيداني واساقفتها ٢٢٧
الزبرب او التُّفة او عتاق الارض ٨١٨–٨٢١
زحلة وسلسلة اساقفتها ٢٤٤
زرفوس الدكتور اليوناني واكتشافهُ المزعوم
٧٩
الزلازل والانواء في عام ١٩٠٩ ٥٤–٥٥
زواج الاكليروس ٥٦٠
* س * سالونيك وكنائسها القديمة ١٥٩
سبحان الله في خلائقه (قصيدة) ٨١٥
السرّ المصون في شيعة الفرسون (تابع) ما هي

الماسونية ٢٤ النظام الماسوني ودرجاته ١٤٩ ; ٢٢٥ ; ٢٨٢ ; ٢٥٧ ; ٤٥٥ الآداب الماسونية ٥٢٨ ; ٥١٣ ; ٦٧٦ ; ٧٥٧ الجهاد ضدّ الماسونية ٥٨٠ ; ٩٢١
سفينة بطرس (قصيدة) ٤٩٣–٤٩٧
السكك الحديديّة في العالم ٥٥٨
سلامة بن جندل: ترجمته ودبرانه ١٧١–١٩٠
سلطنة التعليم المسيحي في رومية ٧٤٣–٧٤٤
سمن الكوكوز ٨٩٧
سنّ الفيل ومدافنها ٢٢١–٢٢٨
السنّة: خواطر في رأسها ١–٢ نظر في حوادثها ٥١ : ١١٩ ترقي العلوم فيها ٢٠٢
سيّدة التعزية في تمثال ٦٤١–٦٥٠
سينا: مخطوطات مكتبة طور سينا ٢٢٠
* ش * شرف الكهنوت (قصيدة) ٩٢١
شركة مار منصور دي بول ٤٨١–٤٩٣ فرعها اليروتي ويوبيله الذهبي ٤٦٦
الشطرنج: ارجوزة ابن الجاريّة في لعبه ٧٧–٧٩
* ص * صدق المقال في ثورة البرتغال ٨٦٥–٨٨١
صناعة الطوب والقرميد ٧٤٧–٧٤٦
صورة تقليد احمد باشا الجزّار الحكم على الشوف للامير يوسف الشهابي ٢١٨
صيدنايا وسلسلة اساقفتها ٥٧٥ ; ٧١٥
الصين وفتوحها على يد المرسلين اليسوعيين ٨٠١ ; ٩١٥ الصين قبل دخول اليسوعيين ٨٠١–٨٠٢
* طائر طويل العمر ٥٥٩ الطير القواطع ٦٢٦ ; ٧١٧
الطرابيش وصناعتها ٢٤٠
الطقوس الشرقيّة وحفظها ٨٠
الطوب والقرميد وصناعتهما ٧٤٧–٧٤٦
الطير القواطع ٦٢٦ ; ٧١٧
الطيران وفنّه ٢١٢–٢١٥
* ع * عالم يوناني: مجهول الاب اثناسيوس القبرصي ٢٢٢–٢٢٥
عجائب الدهر (قصيدة عصريّة) ٦٠٠–٦٠٥
العرب ولاهوت السيّد المسيح ٥٤٨ وصف جزيرتهم ٧٨٢ اديانهم قبل النصرانية ٧٨٢ ; ٨٦٥ تاريخ النصرانية في جزيرة العرب ٩٤٤
العربيّة: الآداب العربية في القرن التاسع عشر (تابع) أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر ٦٢ ; ١٢٧ ; ٢١٦ ; ٢٦٢ المستشرقون الاوربيّون في ذلك الوقت ٢٧١–٢٨١
العقل واقه (قصيدة فلسفية) ٢٩١ هل يستطيع العقل تبيان حقيقة قيامة الاجساد ٨٠
العلوم في السنة ١٩٠٩ ٢٠٢–٢١٥
عماد الحراطقة ومحبّة الكلمة ٨٩ ; ٥٥٧
عوامل الافكار ٨٩٨–٩٠٧
عيد الميلاد (قصيدة فيه) ٥٩–٦٢
* غ * الغقارين وربحها ٢٤٠ استفادة الانفس المطهريّة منها ٤٠٠
* ف * فارس الجيش الابيض ٧١٨ ; ٧٩٧ ; ٨٧٩
فتوح الصين لرائد العلم وبطل الدين ٨٠١ ; ٩١٥
فرنسا والفوضويّون ١١٩–١٢٢
الفراعنة وقبورهم ومياكلهم في الصعيد ٢٤٤–٢٤٩
الفرامسون (اطلب الماسون والسرّ المصون)
فرنسة وكرم اهلها ٥٦ حكمها الماسوني ٥٧ غيرة اساقفتها ٥٧–٥٨ نهضتها الدينيّة ١٢٢–١٢٤ برنامج بحريّتها وسقوط وزارتها ١٢٠
فسيفساء كنائس سالونيك ١٥٩
فلتر وكتاب البابا بندكتوس الرابع عشر اليه ٤٧٩

فيجو ومساكنها ٨٣٥
فيلة ومياكلها القديمة ٢٥٠
* ق * قنرا واساقفتها الروم الكاثوليك ٢٢٨
قانونيّة الاسفار الثانية ٤٢٦ ; ٦٦٨
القرميد وصناعتهُ ٧٤٧–٧٤٩
القسّم المضعك ٦٣٩
القطبان الجنوبي والشمالي والرحلة اليهما ٢٠٢
قُطرب: عود على مثلثهِ ١٥٨
القناصل العثمانيّون في اميركة ٥٦٠
قيامة الاجساد بازاء العقل ٨٠
* ك * الكاثوليك والكاثلكة : الكليّات الكاثوليكية في المسور ٤٠١–٤١١ تراجع الكثلكة المزعوم ٤٧٨ اشتراك الكاثوليك بالدينيّات مع سواهم ٤٨٠ الكثلكة في بلاد الصين ٨٠١ ; ٩١٥ نشرها في مملكة بكيو او فيجو ٨٣٥
الكتاب الابيض (رواية) ٤٢ ; ٢٠٧
الكتاب المقدس وسبب ذكرهِ لبعض الاعمال السيّئة ٧٣٠
كتاب الهزلابي زيد الانصاري ٦٩٥ : ٧٥٠ ; ٨٤٣ ; ٩٠٧
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومهِ ٤٨٠
الكرنك ومياكلهُ ٣٤٣
كريت ومسألتها ٥٢ ; ١٣٧
كسار ورصدها ٦٣٩
الكلدان واستعمالهم الحساب النريفوري ٧٣٠
كلوسي (الاب فرنسيس اليسوعي) ٨٤٣
الكلمة (مجلّة) انتقاد قولها في عماد المراطقة ٨١ ; ٥٥٧
الكليّات الكاثوليكيّة في المسور ٤٠١–٤١١
الكنائس الشرقيّة والماسونية ٨٥٩ ; ٩٢١
كنيسة دمشق القديمة وحماها ٧١ كنائس سالونيك القديمة ١٥٩ كنيسة القديسة هيلانة في جبل الزيتون ٦٤٠
الكهنوت وشرفهُ (قصيدة) ٩٢٩
كولونية والمؤتمر الكثوليكي فيها ١٢٥
كيرلّس الاسكندري وحاميا ١٤٤
الكينيتونون ٧١٨
الكينيانوغراف وترقّيهِ ٧١٨
* ل * لا يمكن ولا يجوز ان تكون المدارس علمانيّة بلا دين ٦٩٠–٦٩٥
لبنان مقالة في اوليائهِ القديسين ٨١ ; ٢٠٢ ; ٤٤٧ ; ٦٠٥ والقديسات ٧٧٥–٧٨١
لوريطو زيارة بيت العذراء فيها ٨٢٨
* م * الماسونية (اطلب السرّ المصون) الحكومة الماسونيّة في فرنسة ٥٧ الماسون والفوضى في اسبانية ١٢٠–١٢١ الفرمسون ورددهم ٢٢٧ الماسونية والملك ادورد السابع ٥٦٠ ماسون بيروت والجزويت ٥٩٨ احتجاج الماسون ٦٣٩ مناهضة الاحبار الروحانيين للماسونية ٨٥٢ رؤساء الكنائس الشرقيّة والماسونية ٨٥٩ ; ٩٢١ مؤتمر الماسون السنوي ٨٧٨ على الماسونية السلام ٨٧٩ الاعمال الخيريّة في الماسونيّة ٨٨٠ رؤساء الكنائس الارثوذكسية والماسونية ٩٢٥ البروتستانت والماسونيّة ٩٢٧ الماسون والماسونية ٩٣٧ مقابلة بين اليسوعيّة والماسونية ٩٤٢ شركة لمناقضة الماسونية وكشف اسرارها ٩٦٠ سبب تسمية محفلها الاكبر بالشرق الاعظم ٩٦٠
مالطة حتى مالطة ١٣٩
المجامع والدوائر والدوائر الرومانية ٦٥٠ —٦٥٦
محمد الخامس (جلالة السلطان) والخبر الاعظم ١٢٦ هو وروسيّة ١٢٠
المدارس العلمانية والاديان ٦٢٠–٦٢٦ لا يمكن ولا يجوز ان تكون المدارس علمانيّة بلا دين

٦٦٠–٦٦٥
مدافن برج حمّود وسنّ الفيل ٢٢١–٢٢٨
المذنّبات ٢١٠
المراكب الهوائيّة وفنّ الطيران ٢١٣–٢١٥
مرّاكش والاسبان ١١٩ ; ١٢٧
مرصد كسارا ٦٢٩
مريم العذراء ومكان وفاتها ٦٢٦ – ٦٢١ بيت العذراء في لوريطو ٨٢٩
المسلمون ذكر مؤرخيهم لحريق مكتبة الاسكندريّة ١٦٠ ; ٩٥٧ تتبعهم للاموييّن ١٢٧
المسيح السيّد ولاهوتهُ في دفتر ٤٠٠ الرهبنة
السيّد المسيح ٥٤٦–٥٤٩
سيد سيّدة التعزية في تمثال ٦٤١–٦٥٠
ملولا واساقفتها ٥٨٠
المغرب واسبانية ١١٩
المقتبس ردّ على مزاعم هذه المجلّة في تراجع الكثلكة ٤٧٨ في تسلم الاجانب ٧٩٩ في رهبان البرتغال ٨٨٤ في الكتب والمكاتب ٩٥٩
المقتطف ردّ على هذه المجلّة في دفاعها عن هكل ٢٢٨ ; ٢٩٨ ; ٧١١ في قولها عن نتاج الاديان ٢٩٩ في دعواها الزور على اليسوعيين البرتغاليين ٨٨٤–٨٨٥
مكتبة نفيسة ووصفها ٢–٨
المناجم الفحميّة ٣٠٨
المنادبات الدمشقيّة في الاعاد الشاميّة ٢٢٨ ; ٤١٢ ; ٦١٥ ; ٧٤٤
منصور دي بول (مار) وشركتهُ البيروتيّة ٤٦٦
نظر تاريخي في شركة مار منصور ٤٨١–٤٩٣
المهاجر السوري ٩٢٦
مؤتمر الماسون السنوي ٨٧٨
المياه : مقالة في علم استنباطها للدنهوري ٢٤–٢٢
مكروب الجدب ٨٨٠
الميلاد قصيدة بمناسبة عيده ٥٩–٦٢
* ن * الناريجل او جوز الهند ٨٩٥–٨٩٧
نابوليطس نصري مطران صيدنايا ومونتهُ الصالح ٨٢٨
النبراس (مجلّة) جواب على سؤالها في حريق مكتبة الاسكندريّة ٩٥٩
نجارة : وصف عمل نجاري بديع ٢–٨
النصرانية وآثارها القديمة في الديماس ١٦٨–١٧١ تاليفها الموافقة للعقل ٥٤٧ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليّة ٧٨١ ; ٨٦٥ ; ٩٤٤ مبادئ النصرانية بين العرب ٩٤٤
نظر عام في اهم حوادث العام ٥١ ; ١١٩
النعمة انتقاد على بعض اقوال هذه المجلّة ٧٩ مجلّة النعمة والاسفار المنزلة ٢٨٧ ; ٤٢٦ ; ٦٦٨ النعمة والرئاسة البطرسية ٧١٧ ; ٧١٩ نقائض جرير والفرزدق ٩٦–١٠٠
النسمة واحوالها الدينية ١٢٥ النسمة والتحالف الثلاثي ١٢٩
* ه * هاسيا والقديس كيرلس ١٤٤
هبو هياكل مدينتها ٢٤٨
الهراطقة وعمادهم ٨٦ ; ٧١٩
هكل والمقتطف ٢٢٨ ; ٢٩٨ ; ٧١٩
الهلال تقبيح قول هذه المجلّة في الارواح ٢٩٩
هلّاي ومدنيّتهُ ٢١٠–٢١١
الهواء والفلك وعلمهما ٢٠٨ المراكب الهوائيّة ٢١٣
هولندة واحوالها ١٢٥
هيلانة (القديسة) وكنيستها على جبل الزيتون ٦٤٠
* و * الورق وفوائدهُ ٨٢٢–٨٢٥
* ي * يبرود وسلسلة اساقفتها ٢٢١

اليد اليسرى وتسمية الكرامة اليها ٩٦٠
اليُسرى وفضل اليسرى عليها ٩٦٠
اليسوعيّون في البرتغال والمركيز دي پمبال ٨٨٥ (اطلب جزويت)
اليهود وعددهم في العالم ٧٣٠
اليونان والدولة العليّة ٥٢ اليونان ومشاغبيها ١٢٧

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٢٢ السطر ٢١ « تطرأوم » صوابهُ « تُطرِنُوم » = ١٢:٢٧ « الانتفاع » ص « الانتفاع » = ١١:٣٣ و١٢ « الزواية » ص « الزاوية » = ٢:٣٤ « لمبادئ العالم » ص « لمبادئ العلم = ١٥:٤١ « لتنفيد » ص « لتنفيذ » = ٢٥:٦٣ « روضهُ » ص « روضةُ » = ١٧:٦٨ « دقاقق » ص « دقائق » = ٢:١٣٩ والصواب انّ جريدة السلام كان ظهورها في الاستانة سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤–١٨٨٥) = ١:١٧٥ « شعر سلامة بن جندل » اطلب هذا الديوان في الطبعة التي طبعناها على حدة تجد عدّة اصلاحات وملحوظات بطول ذكرها هنا = ٩:١٨٣ « من الكامل » ص « من الطويل » = ١٧:٢٣٣ « الممالك السابقة . . . الروميّة » ص « الممالك السلاثيّة . . الروسية » = ١٦:٢٣٧ « قامة قيامت » ص « قامت قيامة » = ٢:٢٨٨ « الماسوس » ص « الماسوس » = ١٧:٢٩٠ « لنلانيّ » ص « العلانيّ » = ٢٩٣: ١١ « المُجَسَّد » ص « المُخَسَّد » –١٢ « هُسَّد » ص « هُجِّد » = ٥:٢٩٤ « لستَ » ص « لستُ » – ١٤ « أشاقك . . . شجاك » ص « أشاقك . . . ام شجاك » = ٥:٢٩٥ « يذريك » ص « يفريك » = ٤:٢٩٩ « ترى » ص « ترى » – ١٢ « كلُّ هذا لكفاه » ص « كلُّ هذا لكفاه » = ١١:٣٠١ « بدى . . . فيُجحَد » ص « بدا . . . فيُجحَد » = ١٤:٣٣٨ « بجودة » ص « بجوده » = ٧:٣٤٠ « في دمشق » ص « في الزعداني » = ١٤:٣٤٢ « سرغا » ص « سرغايا » = ١٢:٣٤٣ « والديقور » ص « والديفور » — ١٦ « وورق التوت » ص « وورق التين » = ١٢:٣٧٠ « جوفر » ص « جوفروا » = ١٢:٤٦٠ « يُتَّخذونهم » ص « يتخذونهم » – ٢٢ « مهيأ » ص « مُهيَّأ » = ١٧:٤٧٧ « اخوتنا » ص « اخوتنا » = ١١:٦١٥ و١٢ « للظاط . . للسالك » ص « للططاة . . للسلك » وكذلك ٢٢:٦١٦ = ٨:٦٢٨ « للزاترة سلفيا » والصواب انّ هذه الشهادة ليست لها بل للشمّاس بولس (Paul Diacre) في القرن السابع = ٧:٦٩٥ كتاب الحَمْز وقع في طبع هذا الكتاب بعض اغلاط طبعيّة أُصلحت في الطبعة المفردة = ١٦:٦٩٨ « إباة » ص « إباءة » = ٦٩٩ : ٢ « بَقَهْر » ص « بِقَهْر » ٧٠١ « رُوْبَة » ص « رُوْية » = ١٦:٧٠٢ « غَمرَكم » ص « قَمرَكم » = ٢٢:٧٢٠ « تدَّل » ص « تدلُّ » = ٢:٧١٠ « وحرية » ص « وخرية »

— ١٥ « والشَّيرط » ص « والشَّبوط » = ٧٥٣ : ١٢ « وَسَبا » ص « وَسِبا » = ٨٠٨ : ٢٥ « وأنَّ خان بالق » ص « وكان يؤكد ان خان بالق هي عاصمة الصين » = ٨١٠ : ٢٥ « واعلمهُ » ص « واعلموهُ » = ٨٣٨ : ٢٢ والصواب ان كنيسة يسوع غير كنيسة مار اغاطيوس في رومية فانَّ هذه احدى كنائس رومية الكبرى وتلك كنيسة المدرسة الرومانية

تمَّ

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Treizième Année

1910

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1910

TABLES DES SOMMAIRES

XIII° ANNÉE 1910

JANVIER

Le premier de l'an (Impressions) ! (p. 1) : *P. A. Rabbath s. j.*

Un Chef d'œuvre de menuiserie (p. 3) : *Mr A. D. Kheirallah.*

Les Barmécides (Drame en cinq Actes) (p. 8) : *P. A. Rabbath s. j.*

L'art de découvrir les sources. Traité de Damanhouri (p. 24): *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

Le Franc-Maçonnerie (suite) : Ce qu'elle est réellement (p. 32) : *Le même.*

Le Livre Blanc (nouvelle) (p. 42) : *P. A. C. s. j.*

Les principaux événements de 1909 (p. 51) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Noël ! (poésie) (p. 59) : *L'abbé R. Bostani*

La Littérature arabe au XIX° siècle (suite), (p. 62) : *P. L. Cheikho s. j.*

Une borne d'asile chrétien à Damas (p. 71) : *Mr le V.-Consul N. Giron.*

Bibliographie orientale (p. 72). — Varia — Poésie d'Ibn Habariah sur le jeu d'Echecs (p. 77). — Questions et Réponses (p. 80)

FÉVRIER

L'Hagiologie du Liban (p. 81) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le baptême des hérétiques d'après la Revue al-Kalimah (p. 89) : *P. A. Rabbath s. j.*

Les Naqaid de Jarir et de Farazdaq (p. 96) : *P. A. Salhani s. j.*

Les Barmécides (Drame historique en cinq Actes) (suite): (p. 100) : *P. A. Rabbath s. j.*

Les principaux événements de 1909 (fin) (p. 119) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

La Fièvre de Malte (p. 131) : *P. Paul Rovier-Lapierre s. j.*

La Littérature arabe au XIXe siècle (suite), (p. 137) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Hypatia et St Cyrille (réponse) (p. 144) : *P. Fl. Laffely s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : Organisation (p. 149) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Bibliographie orientale (p. 152). — Varia (p. 158) . — Questions et Réponses (p. 160)

MARS

Les Catacombes romaines (p. 161) *D'après le P. Delarue s. j*

Le Diwân de Salamah Ibn Djandal, d'après les Mss de Constantinople et d'Alexandrie (p. 171), *publié par le : P. L. Cheïkho s. j*

Les Barmécides (Drame historique en cinq Actes (suite (p. 191) : *P. A. Rabbath s. j.*

Le progrès scientifique en 1909 (p. 203) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

La Littérature arabe au XIXe siècle (suite) (p. 216) : *P. L. Cheïkho s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : les grades maçonniques (p. 225) : *Le même*

Bibliographie orientale (p. 232) — Varia (p. 237) .— Questions et Réponses (p. 240)

AVRIL

Une excursion à Louqsor et à Assouan (p. 241) : *L'abbé L. Malha.*

Les Barmécides (Drame historique en cinq Actes) (suite (p. 252): *P. A. Rabbath s. j.*

La Littérature arabe au XIXe siècle (fin) (p. 263) : *P. L. Cheïkho s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : l'apprentissage maçonnique (p. 282) : *Le même*

Dieu, l'Intelligence humaine et la Vie (poésie philosophique (p. 291): *Mr H. G. Stéphan*

L'Hagiologie du Liban (suite) (p. 302) , *P. L. Cheïkho s. j.*

Le Livre Blanc (nouvelle) (fin) (p. 306) : *P. A. C.*

Bibliographie orientale (p. 313). — Varia (p. 318) . — Questions et Réponses (p. 320)

MAI

Les grottes funéraires de Burdj Hammoud et de Sinn el-Fil (Liban) (p. 321) : *P. Raoul Desribes s. j.*

Les Titulaires Melchites de Qàra, Yabroud, Tadmor, Zahlé, et Zébdaneh (p. 328) : *P. Cyrille Charon*

Les fruits de Damas et les usages qui s'y rattachent (p. 338): *P. S. Ghanem s. j.*

Les Barmécides (Drame historique en cinq Actes) (suite) (p. 344) : *P. A. Rabbath s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : Les Grades de Compagnon et de Maître (p. 357) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Orangers, leur culture et leurs maladies (p. 370) : *M. Aug. Geoffroy*

La Revue an-No'mah et les Livres Deutérocaniques (p. 376) : *P. Ant. Rabbath s. j.*

Critique des Poésies de Rasâfi (الرصافيات) et de l'ouvrage de Rihâni (الريحانيات) (p. 383) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (p. 392) . — Varia (p. 398). — Questions et Réponses (p. 400)

JUIN

Les Universités Catholiques dans le monde (p. 401) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Les fruits de Damas et les usages qui s'y rattachent (suite) (p. 412) : *P. S. Ghanem s. j.*

Les Barmécides (Drame historique en cinq Actes) (suite) (p. 418) : *P. A. Rabbath s. j.*

Les Livres Deutérocanoniques et leur inspiration (p. 436) : *Le même*

L'Hagiologie du Liban (suite) (p. 447) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : Hauts grades. — Conseil supérieur. — La Maçonnerie en Syrie (p. 455) : *Le même*

Les Noces d'or de la Société de St Vincent de Paul à Beyrouth (p. 466) (Poésie) : *L'abbé R. Bostani*

Bibliographie orientale (p. 469) —. Varia (p. 477). — Questions et Réponses (p. 480)

JUILLET

La Société de St Vincent de Paul (p. 481) : *P. L. Cheikho s. j.*

La barque de Pierre (Poésie) (p. 493) : *L'abbé R. Bostani*

Les Barmécides (Drame historique en cinq Actes) (fin) (p. 498) : *P. A. Rabbath s. j.*

Noblesse de Sentiments ! (Nouvelle) (p. 516) : *L'abbé E. Bachalani*

La Hamâsah de Buhturi (p. 527) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Orangers, leur culture et leur maladies (fin) (p. 531) : *Mr. Aug. Geoffroy*

La Franc-Maçonnerie ((suite) ; La morale Maçonnique (p. 538) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Divinité de Jésus-Christ (réponse) (p. 545) : *Le même*

Bibliographie orientale (p. 549). — Varia (p. 557). — Questions et Réponses (p. 559)

AOUT

Les distributions de Prix (Dialogue poétique) (p. 561) : *L'abbé M. K. Ghosn.*

Le Secret ! (p. 567) : *P. A. Rabbath s. j.*

Les titulaires Melchites de Saydnaia et de Maloula (suite) (p. 571) : *P. C. Charon.*

Voyage du prêtre Chaldéen Khidr (XVIIIe siècle) de Mossoul à Rome (p. 581) : *publié par le : P. L. Cheikho s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) ; La Morale Maçonnique (p. 592) : *Le même*

Mirabilia ! (poème) (p. 600) : *L'abbé R. Bostani.*

L'Hagiologie du Liban (suite) (p. 605) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les fruits de Damas et les usages qui s'y rattachent (suite) (p. 615) : *P. S. Ghanem s. j.*

Les écoles laïques en face des religions de l'Orient (p. 620) : *P. L. Cheikho. s. j.*

Où est morte la Ste Vierge ? (p. 626) : *Le même*

Bibliographie orientale (p. 631 . — Varia — Les oiseaux voyageurs (p. 636) . — Questions et Réponses (p. 640)

SEPTEMBRE

Le Sanctuaire de N.-D. de la Consolata à Tanaïl (p. 641): *P. Al. Torrend s. j.*

Congrégations et Tribunaux romains d'après leur nouvelle organisation (p. 650): *P. L. Malouf s. j.*

Voyage du prêtre Chaldéen Khidr (XVIIIe siècle) de Mossoul à Rome (suite) (p. 656) : *publié par le P. L. Cheïkho s. j.*

Les Livres Deutérocanoniques et leur inspiration (fin) (p. 668) *P. A. Rabbath s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite): La Morale Sociale (p. 676) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Une école neutre est nécessairement antireligieuse (p. 690): *Le même*

Le Livre inédit du *Hamzah* par Abi Zaïd al-Ansâri (p. 695) : *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

Critique du 2d vol. de Rihâni (الريحانيات) (p. 703) : *Le même*

Bibliographie orientale (p. 711).— Varia (p. 715).— Questions et Réponses (p. 720)

OCTOBRE

L'Assurance sur la vie (721) *Comte du Jeu*

Un bibliophile oriental: le P. Athanase de Chypre (732): *P. A. Rabbath s. j.*

Voyage du prêtre Chaldéen Khidr (XVIIIe siècle) de Mossoul à Rome (suite) (p. 735) : *publié par le P. L. Cheïkho s. j.*

Les fruits de Damas et les usages qui s'y rattachent (fin) (p. 744) : *P. S. Ghanem s. j.*

Le fabrication des briques en Orient (p. 747): *Dr T. Salhab*

Le Livre inédit du *Hamzah* par Abi Zaïd al-Ansâri (suite) (p. 750) : *édité par le P. L. Cheïkho s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite): La Morale Sociale (p. 747) : *id.* L'Hagiologie du Liban (fin) (p. 775), *id.*—Christianisme et Littérature avant l'Islam (p. 781) » : *Le même*

Bibliographie orientale (q. 790). — Varia (p. 796). — Questions et Réponses (p. 800)

NOVEMBRE

Un Conquérant pacifique : le P. Matthieu Ricci (p. 801) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les deux Pères (poésies) (p. 814) : *L'abbé R. Bostani Mr Ah. Taqi ed-Din*

Un animal fantastique (p. 818) : *P. Anastase o. c.*

Les nouveaux usages du papier (p. 832) : *P. A. Rabbath s. j.*

Voyage du prêtre Chaldéen Khidr (XVIIIe siècle) de Mossoul à Rome (fin) (p. 835) : *publié par le P. L. Cheikho s. j.*

Le Livre inédit du *Hamzah* par Abi Zaid al-Ansûri (suite) (p. 750) : *édité par Le même.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : La lutte contre la Franc-Maçonnerie (p. 865) : *id,*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 865): *id.*

Bibliographie orientale (p. 871). — Varia (p. 877). — Questions et Réponses (p. 880).

DECEMBRE

La vérité sur les événements du Portugal (p. 881) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Le cocotier et la cocose (p. 895) : *P. A. Rabbath s. j.*

Moteurs intellectuels ! (p. 898) : *Cheikh S. Chartouni*

Le Livre inédit de *Hamzah* par Abi Zaid al-Ansâri (fin) (p. 907) : *édité par Le même.*

Un Conquérant pacifique : le P. Matthieu Ricci (p. 914) : *P. L. Cheikho s. j.*

L'émigrant syrien en Amérique (p. 926) : *P. A. Rabbath s. j.*

La gloire du Sacerdoce (poésie) (929) : *L'abbé R. Bostani.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : La lutte contre la Franc-Maçonnerie (p. 931) : *P. L. Cheikho*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 944): *id.*

Bibliographie orientale (p. 952). — Varia — Les historiens musulmans et la Bibliothèque d'Alexandrie (957). — Questions et Réponses (960) — Tables.

المشرق

تاريخ
سنتنا الجديدة

تلطف حضرة الجوري نقولا افندي الراهب الطبشي فاتحف المجلة بتاريخ لسنتها الجديدة فها نحن نثبته في صدرها شاكرين:

بشرقنا لاحت مجلة مشرق . فطالع خير العلم في خير مطلع
تمد ضياء الدين منها أشعة . تزق عن وجه الهدى كل برقع
قتاد عليها الحقيقة صورة . متى يلقها طرف الضلالة يخشع
لقد وقت للزائغين بتغريد . فيا ويلهم من قدها المتوقع
وقد بلغت كالبدر عمرا فأحرزت . كمالا بإذن الله غير مضيع
فدونك نور الحق أرخ بوجهها . تجلت به في سن عشر وأربع

١٩١١

نظر في احوال العام المنصرم

للاب فريس رئيس اليسوعي

يدخل المرء في كل سنة جديدة وهو يؤمل منها خيراً اوفر من السنة التي شيعها الا ان السنين تتوالى ويتوالى معها الشر والخير في جهاد متواصل فيظهر فضل الخير بغلبته للشر وبكسر شوكته. وهذه السنة التي قضى بها الخالق قد تحققت في العام الماضي في امور الدين والدنيا كما سترى

١ احوال الدين

يشوي الكنيسة اعداء كثيرون لكن الله قد اقام لتدبيرها رجالاً هماماً عاملاً محنكاً في الامور صائب الرأي متوقد الفكر فلا يكاد يرى الداء الا عاجله بالدواء او حسمه من اصله. فكلما حاول العدو اختراع حيل جديدة ليوقع ابناء الله في حبائله اسرع الخير الاعظم ووجه الانظار الى الاخطار المحدقة بهم. وهذه اخص الحوادث الدينية التي جرت في السنة المنقضية فمنها محزنة ومنها سارة. فيما نحن نروي منها في هذا الباب الاول ما ليس له علاقة خاصة بسياسة الدول مؤجلين ما يتوط منه ببعض البلاد الى الباب الثاني

انتشر ايام الاجبار في اوائل السنة ١٩١٠ باصطلاح الامور الدينية في تنازوية واعادة العلائق الرسمية بين جمهوريتها والكرسي الرسولي

بيد ان هذه الافراح عقبها بعد قليل حوادث كدرت قلب ابي المؤمنين فان اهل الشرور واعداء الدين اقاموا في ٢١ شباط في عاصمة الكثلكة حفلة تمجيد جوردانو برونو وهو الراهب الزنديق الذي دنس ثوبة الرهباني بآثامه في القرن السادس عشر فحكم عليه بالموت شرعاً

وفي نيسان حدثت مع الفاتيكان مسئلة روزفلت الرئيس السابق على الولايات المتحدة فتطاولت بها الجرائد مذمة على عادتها وخلطت في روايتها ما شاءت حتى باتت تتضح الحق وزهق الباطل ودونك تفصيل الامور على وجهها

كلٌّ يعلم انَّ في رومية قوماً من بدعة البروتستانت المعروفين بالمثودست لا همَّ لهم غير الطعن على الكنيسة والقدح في امام الاحبار فينشرون في المدينة التآليف السمجة والتصاوير الشنيعة والاوراق المجونيَّة ليحظُّوا من قدر رأس البيعة. وكانوا سيتوا فرسَّلوا في بعض الاعوام بفيربنكس (Fairbanks) نائب رئيس الولايات المتَّحدة ليبثوا الرأي العامَّ على نائب المسيح. فكان شرف الكرسي الرسولي يستدعي ان لا يعود روزفلت الى مثل هذه الاعمال المستهجنة فيحلَّ في دار اولئك المعتدين. لمَّا طلب ثلاثاً ان يزور البابا لم يجب بيوس العاشر الى ملتمسه ما لم يعد بانَّهُ لن يذهب الى زيارة المثودست وهو ليس من شيعتهم. فأبى روزفلت ان يتقيَّد نفسهُ بمثل هذا الوعد فارسل الحبر الاعظم اليهِ رسالةً أبدى فيها اسفهُ على عدم استطاعتهِ لاستقبالهِ. على انَّ روزفلت لم يزُر المثودست بعد ذلك لكنَّهُ اساء العمل باختلاطهِ مع الشيعة المسونيَّة وغضَّ بفمهِ من كلمة الحبر الاعظم في حاضرتهِ فبيَّن للجميع انَّ البابا احسن بعدم استقبالهِ. وما كانت هذه غلطة روزفلت الاولى بل كان اتهم عليهِ المصريين قبلاً فجرح عواطفهم بخطبهِ ثم سار الى باريس فاساء الادب باتتقادهِ لامور الحكومة وتكبيرهِ جهاراً على اعدائها مدَّعياً انَّ بلادهُ اعلم من سواها باحكام الاخاء والمساواة. كأنَّ الاميركيين لم يسهوا عن تلك المبادئ وهم الذين قتلوا بعد ذلك بزمن قليل عدداً وافراً من العبيد لأنَّ الاسود جاك جونسن كان غلب بالملاكمة الابيض جفريس!! على انَّ مواطني روزفلت ما لبثوا ان لاموهُ على تطاولهِ في الكلام وعدلوا عنهُ في الانتخابات الاخيرة.

وبينما كان شيخ الفاتيكان محتجاً على الاهانة اللاحقة بتاجهِ من قبل رئيس الولايات المتَّحدة السابق اخذت امور اسبانية ترتبك وتختلط متهدِّدةً لاحوال الدين في تلك الدولة الكاثوليكيَّة. يذكر قرَّاؤنا ما اتت بهِ الشيعة المسونيَّة من الهيجان والثورة بعد ان حُكم بالاعدام على احد زعمائها الأعمة اعني فرير فكأنَّ تلك الفتن اوجبت للملك الفنس الثالث عشر نزعاً فعدل عن خطتهِ في مقاومة النوضى املاً منهُ ان ينال السلام بتضحية حزب السلم والنظام لاعداء الدين. ففي ٩ شباط قدَّمت وزارة موره استقالتها فقام في النيابة عنهُ الوزير كاليجس وذووهُ فجرى بعد مدَّةٍ بعاداتهِ للكنيسة. ولمَّا جرت انتخابات مجلس الكورتس في شهر

أيار تألت الحكومة الاغلبيّة فبلغ عدد الاحرار ٢٢٧ بعد ان كانوا ١٠٣ فقط بخلاف المحافظين الذين هبط عددهم من ٢٤٠ الى ١٠٥ وصار الجمهوريون ٤٣ بزيادة ١٢ على الوزارة السابقة وظلّت بقيّة الاحزاب على حالها قليلة العدد. امّا مجلس الاعيان فكان اقلّ تطرّفاً. على ان الكلّ كانوا يترقّبون حدوث امور مخلّة بالدين فتحقّق ذلك بعد امد قريب ففي ٢٨ أيار نشر لساقفة اسبانية تقريراً اثبتوا فيه شرعيّة الجمعيّات الرهبانيّة فعارضهم كاناليجس في ٣١ منه بقرار اعلن فيه تنفيذ حكم سنة ١٩٠٢ الصادر في حقّ الرهبانيّات ليلزمها بطلب الرخصة لكنّه وقتئذٍ لم يجد بالعمل. وفي حزيران صدر أمر ملكيّ مناقض للمعاهدة المبرمة بين الكرسي الرسولي واسبانية في ١٦ آذار ١٨٥٠ والمجدّدة بحكم سنة ١٨٧٦ فتساهل مع الغير الكاثوليك ورخّص لهم بالمظاهرات الدينيّة. وفي ١٥ منه صار افتتاح دار الندوة فاعلن الملك في خطابه بسياسة الحكومة العلمانيّة فاستدعى ذلك احتجاجاً على الوزارة من قبل ارباب الاكليروس باسم كردينال طليطلة و٦٣ اسقفاً. لكنّ الحكومة لم تكترث لهذا الاحتجاج ففي تاريخ ١ تموز قرّر رئيس الوزارة الغاء القسم الديني وجعل عوضاً عنه صورة وعد بسيط

فاسفرت هذه الاعمال نار الحرب بين الحكومة واهل الدين ففي ٣ تموز قام الكاثوليك بمظاهرة مهيبة في وجه اعداء الدين. امّا كاناليجس فانّه زاد خبثاً وعيثاً ونشر في ٨ منه امراً عرف «بقضيّة القتل» حظر بموجبه على الجمعيّات الرهبانيّة الجديدة ان تتألّف في اسبانية وربّما تنحلّ مسألة الرهبانيّات. فاقام الكرسي الرسولي حجّة على هذا الفعل المخالف لعهد الكنيسة والندوة فرفض الوزير وانقطعت العلاقات بين رومية واسبانية واستدعي في غرّة آب سفير الملكة اليزابت دي اوخيدا (de Ojeda) الى مدريد. فكان ذلك داعياً الى استياء الكاثوليك الذين عزموا على المظاهرات العلنيّة وما كانوا ليرعووا لولا اوامر لساقفتهم. وما لبث البابا ان ارسل في ٢٨ آب الى الملك رقيماً يبيّن فيه مخالفة كاناليجس لكلّ الاصول المرعيّة وبطلان مدّعياته. امّا الكاثوليك فلم يعد يمكنهم ان يغضّوا على القذى وقامت جمعيّة مقاطعة بسكايا بتنظيم مظاهرات واسعة تعلن بتحالف الكاثوليك وعزائمهم في كل انحاء الدولة. فخاف الملك الفتى من سوء العقبى وسلّم الامر لوزيره ورحل

الى فرنسة وانكلترة. وما مرَّ على الكاثوليك بضعة أيام حتى اجروا مظاهراتهم السلميَّة باتفاقهم مع لسقتهم وكهنتهم وبرخصة الحكومة نفسها. فلمَّا كان يوم عيد الورديَّة المقدسة في ٢ تشرين الاوَّل قامت لسبانية الكاثوليكية في كل اطراف البلاد بحفلي دينيَّة قلَّما يُذكر مثلها في بطون التاريخ فكان الشعب في كل مدينة يخرج صفوفاً مؤلفة يزدحم فيها الصغار والكبار النساء والرجال دون صبغة سياسيَّة وكلهم يسيرون منشدين الاغاني الدينيَّة الحماسيَّة وفي ايديهم الورديَّة يتلونها بحرارة الشهداء فكانوا اذا وصلوا الى مكان معيَّن يحلقون حول مذبح أقيم في ساحة رحبة فيحضرون الذبيحة الالهيَّة ويقسمون قسماً محرجاً أنهم يبقون على ايمانهم ثابتين في دين المسيح وحبّ العذراء مريم والطاعة للحبر الاعظم. وقد اناف عدد المتظاهرين في بعض المدن الكبرى على المئة الف. وفي بعض الامكنة سعى اصحاب الفوضى ان يتعرَّضوا للكاثوليك فذهبت مساعيهم ادراج الرياح وقد ابدى كثيرون من الغرباء إعجابهم بايمان الاسبانيين حتى انَّ محرِّر جريدة سان سبستيان الفرنسويَّة اعلن جهاراً بان الحكومة سيصيبها الفشل ان كانت تعادي الكاثوليك

وكان اهل اسبانية قبل ذلك بشهر في ٧ ايلول عقدوا في ڤيش مؤتمراً احتفلوا فيه بذكر مولد احد كبار رجالهم في القرن الماضي جاك بلميس (D. Balmés) الكاهن الجليل والفيلسوف العظيم. وكان كاثوليك كنده في الوقت عينه يبهجون نظر الله بمظاهرات مؤتمرهم القرباني الذي سنذكره آنفاً

والحادث الآخر الذي آلم قلب ابي المؤمنين هو الانقلاب الذي حصل في البرتغال بمباغتي الشيعة المسونيَّة التي جاءت بشاهد جديد على معاداتها للدين. وقد أطلعناك في الجزء السابق قرأتنا على حقيقة تلك الوقائع المحزنة وما اتاه اصحابها من الاعمال الشنيعة والمسودة لوجه التمدن مع ما اختلقوه من الاكاذيب على ارباب الدين والرهبان. وقد وردت علينا بعد ذلك رسائل متواترة يصف فيها اصحابها ما قاساه الرهبان اليسوعيون من اصناف الهوان والمصادرات عند أسرهم وفي ايام سجنهم فعوملوا اسوأ معاملة حتى انَّ رئيس البرتغال الحالي حضرة الاب كبرال اقام الحجة علنا بلسان الصحافة على الذين اقترفوا هذه المساوئ نحو رهبانه وهم كلهم رجال فضل وفضيلة وعلم واسع لم يقدموا منذ نيف وخمسين سنة على

ادنى عمل استوجب الملام في اعين الحكومة او الشعب . ومن ثمَّ ما كان للجمهوريين من داعٍ الى تلك المعاملات غير بغضهم للدين

وقد كذب الذين صوّروا اليسوعيين البرتغاليين كساسة الدولة وضابطي السلطة الملكيَّة فانَّه كان معروفاً لدى الخاصّ والعامّ ان اليسوعيين لم يتداخلوا في شيءٍ من امور السياسة بل يحيدون عنها طاقة جهدهم حتى كاد الناس ان يعتبروهم كاجانب اكثر منهم كوطنيين فكانوا لا يدخلون على الملك الّا في الايام الرسميَّة مع غيرهم . ولمَّا طلبت الملكة اميلي كرشد لذمَّتها احدَ الآباء اليسوعيين احالوها الى غيرهم فتولَّى ارشادها احد الآباء الدومنيكيين ثمَّ الاب فراك اللازري الذي قُتل في الثورة الاخيرة . وانما كان الاب كجال السابق ذكرهُ في ايام رئاستهِ على مدرسة كبوليد ذهب مرَّةً الى بلاط الملك كارلوس قبل موتهِ بقليل ليشكرهُ عن هديَّة تآليفهِ التي ارسلها اليهِ متلطِّفاً ثمَّ قدَّم لهُ بدلاً منها مصنَّفاتهِ الشخصيَّة . وبعد ذلك بأيام جاء الى المدرسة المذكورة وليُّ عهد الملك مع اخيهِ مانويل فحضرا حفلةً ادبيَّة اقامها الطلبة . ومنذ تولى مانويل الثاني لم يجرِ بينهُ وبين اليسوعيين مواصلات مذكورة غير انهُ حضر الذبيحة المقدَّسة في مدرستهم في يومٍ اذ كان متجوِّلاً في الكلترَّة . فليت شعري اعذه هي اعمال سياسيَّة يستحقُّ بها اليسوعيون نقمة الجمهوريَّة حتى تلقيهم في السجن وتحكم عليهم بالنفي المؤبَّد وتستصفي كل اموالهم كأنَّهم ارتكبوا اقبح الجنايات وهم منذ نصف قرن لم يأتوا غير الاعمال المشكورة من تهذيب الشبيبة بالاداب والمعارف والقاء المواعظ وارشاد الجهَّال ووضع التآليف الدينيَّة والعلميَّة

فتلك هي حريَّة جمهوريي البرتغال واخلاقهم ومساواتهم . أو ما كان اولى بهم ان يجتهدوا اتقوغاه من حريق ونهب لمدرسة سنتوبال واديرة الرهبان والمكاتب النفيسة التي كانوا جمعوها بشقّ النفس لنشر العلوم . وقد اقرَّ اعداء اليسوعيين انفسهم بما اداهُ اولئك الرهبان من الخدم الجليلة التي تضيق هذه الصفحات عن تعدادها ولا نذكر هنا سوى امر واحد ينطق بلسان حاله عن اعتبار الخصوم لمآثرهم العلمية . انَّ الاب طوران احد اساتذة مدرسة كبوليد كان اكتشف نوعاً من القطر بحث فيهِ ابحاثاً دقيقة اذاعت صيتهُ بين رجال العلم الاختصاصيين فلمَّا أُلقي في الحبس مع اخوتهِ الرهبان طلب اليهِ زعيم الثورة افونسو كوستا ان يواصل ابحاثهُ العلميَّة على

فتنة الجمهورية وكاهد اساتذة كلية الحكومة على شرط ان ينفصل عن الرهبانية اليسوعية فكان جوابهُ كجواب الاب سكي في رومية لما ضبط الايطاليون مرصداً فيها انهُ يحيا ويموت مع اخوتهِ

هذا ولا نعود الى اثبات ما قررناهُ في مقالتنا السابقة « صدق المقال في ثورة البرتغال » بانَّ هذا الانقلاب كان عمل الماسونية وقد جاءت على ذلك شواهد جديدة لا تبقي ريباً في الامر فان جريدة « ماتين » الفرنسوية في عدد ٢٧ تموز كانت وصفت وصفاً مدققاً الاحزاب السرية التي أُنشئت لهذه الغاية مع فروعها وحلقاتها ورموزها ودسائسها واقسامها المحرجة تحت ادارة رؤساء مجهولين بحيث امكن افونسو كوستا تنبأ بالامر شهراً قبل وقوعهِ وذكر صريحاً بانَّ الثورة سوف تقتل من لا بدَّ من قتلهم وانها ستكون « حبيةً خليفة ». فيا حبذا اللطف واللين فانَّ قتل الابرياء ونهب دورهم وحبسهم ونفيهم فكلُّ ذلك تعدُّهُ الماسونية امراً « حبياً لطيفاً ». فليت شعري لو كان وُجد كلام مثل هذا في تآليف احد اليسوعيين لاوسعوا الرهبانية كلها شتماً وسربلوها العار ولتصلوا شأنها. امَّا الماسون فانهم يثيرون كل الثورات ويشغبون كل الشغب ويأتون كل المحظورات والمآثم ويتشدقون مع هذا بالحرية والاخاء والمساواة. وزه! وزه!

الَّا انَّ اصحاب الثورة لم يتبنَّأوا بعدُ بثمرة مكايدهم فانهم بعد ان اسعروا نيران الفتن وساقوا لسافل القوم الى الهيجان لم يعودوا قادرين على قهر جماح الشعب الذي جعل اليوم يطلب حظهُ من تدبير الجمهورية ولا يرضى بانَّ الذين استماتوا به يفوزون على الرغم يستبدون بالمراتب او يوزعونها على من لم يعترف بالجمهورية الَّا بعد الثورة. فلا يبقى لاصحاب البرتغال غير ان يرفعوا الى الله اكفَّ الدعاء ليرحم الامة البرتغالية وينجيها من مخالب اعدائها

ونعلم العلم الاكيد انَّ الخبر الاعظم لدى استماعهِ بهذه الاخبار السيئة انفطر قلبهُ حزناً. وكان قبل ذلك بخمسة عشر يوماً فاتهُ من قبل الماسونية هوانٌ آخر لمَّا خطب اليهودي والماسوني فاتن حكم رومية في ٢٠ ايلول يوم دخول الطليان الى امم المدائن فشحن خطابهُ باقذع الشتم والشنع المسبات في حقِّ امام الاحبار والسيد المسيح الذي ينوب عنهُ البابا في الارض. فكان لكلامهِ البذيء اسوأ وقع في صدر

بيوس العاشر والعالم الكاثوليكي باجمعه . فما لبث ابو المؤمنين أن اقام الحجة على رأس الملأ في رسالة علنية وجّهها الى وكيله الكردينال رسبغي ونشرتها جريدة الاوسرفاتوري رومانو في ٢٣ منهُ . ثم وردت الاحتجاجات متواترة من كل انحاء المعمور على ذلك الخطاب البذيء السافل ومثلهم صنع نائب حاكم بلدية فينا في جمعية حافلة حضرها وجوه العاصمة فوسم خطيب رومية بسمة السخافة وسربلهُ العار . بل احتجَّ على اليهودي قومٌ من غير الكاثوليك وكان مسكَ الختام احتجاج الجنرال بلو (Pelloux) احد رؤساء الوزارة الايطالية سابقاً واحد ضبّاط الجيش البيامنتي الذي فتح ثغر « بورتاپيا » فكتب الى لوزاتي رئيس الوزارة مقرّعاً للحكومة على سكوتها عن جرأة حاكم رومية وقحته ونسيان الايطاليين لقانون الضمانات التي تعهّدوا بحفظها نحو الكرسي الرسولي واعلن انهُ سيناقش الحكومة على هذا الخلل

ونهاية هذه الاهانة نحو شيخ الفاتيكان لم تكن سوى اخذ ثأر الماسونيّة على ما بلغها من انتصار الكنكنة في مؤتمر منريال القرباني الذي روى تفاصيل اخباره البشير في عدديه الصادرين في ٢٤ ايلول وغرّة ت ١ . وكانت الماسونية وقفت هذا المؤتمر بالمرصاد واعدّت في الظلمة مناجيقها لترميه بقذائفها فتوسّلت لادراك غرضها بوسائل الدهاء والخبث كأنوف عادتها ترمي الشكوك وتبذر الاكاذيب في حق ارباب الكنيسة فانكشفت « طبختها » وافتضحت سرائرها فقام اهل كندا متناصرين متعاضدين يقمعوا كلب الشيعة ويصونوا عن سبها بلادهم ومدارسهم

اما حفلات المؤتمر القرباني فبلغت من البهاء والرونق والجلال والتحمّس الديني ما يجعلها في مصاف افخم المظاهرات التي توّجت بها مفرق القرن المنصرم والجيل الحاضر وهي تشهد على قوة الشعوب ورقيها في معارج الفلاح اذا بقيت على سلامتها وغريزتها الطيبة فلم تنخرها دودة الماسونيّة ويمتص شبّتها روح الكفر والزندقة . ففي ٧ ايلول ضاقت كاتدرائية منريال برحبها عن عدد الجماهير المجمهرة فتقدم عشرة آلاف رجل الى المائدة الالهية . وفي ١٠ منهُ أقيم قداس حافل حضرهُ مائتا الف شخص . وفي ١١ منهُ ختم المؤتمر بطواف عظيم لاكرام القربان المقدس حضرهُ اكثر من خمسمائة الف نفس وطاف فيهِ ١٥٠,٠٠٠ مؤمن فرتجّت الارض بوطء اقدامهم ودوت انحاء الجو باصوات صلواتهم واناشيدهم الدينيّة وكان يتبع المؤمنين اجراق

الكنيسة في عدد ١٨٠٠ ثم الاساقفة ورؤساء الاساقفة والكرادلة لا يقلون عن ١٢٥ في اثرهم قاصد الحبر الاعظم الكردينال فانوتلي الذي بارك باقتران ذلك البحر المتموج المؤلف من رؤوس بشرية الخنت خاشعة امام ربها

وممّا اولى اصحاب المؤتمر في مغربال تعزية وارتياحاً انهم اقاموا حفلاتهم لاول مرة بعد الغاء ما كان ملوك انكلترة يتنزهون به في قسمهم الرسمي من نكران سر القربان الاقدس فيجرحون بذلك حاسيات رعاياهم الكاثوليك. فارسل القاصد الرسولي باسم الحضور تلغرافاً رفع فيه الى الملك جورج الخامس تشكرات المؤتمر باسره. والحق يقال ان الملك السابق ادوارد السابع لم يَنَلْ ذلك القسم الا مرغوماً لما كان يكنّهُ صدرهُ من الاعتبار لرأس الكنيسة الكاثوليكية ومن سمو الالتفات الى ابنائها كما ظهر منهُ غير مرة. فمنذ السنة ١٩٠١ سعى لدى مجلسي بريطانية العظمى بان تُلغى تلك الالفاظ المهينة. ولما عاجلهُ الموت قبل ادراك غايته صرّح خلفهُ جلالة الملك جورج بانهُ يرغب تحرير القسم رغبة حارة. فعُرض الامر على بساط المباحثة في مجلس الندوة ثلاث مرات في ٢٠ حزيران وفي يومي ٣١ و ٣٩ تموز فكانت الاغلبية الكبيرة موافقة لمذهب الكاثوليك. اما مجلس الاعيان فلم يكد يشاد المشروع منهم الا بعض الافراد فكان نجاز مصادقتهم على التحرير المذكور في ٢ آب وبذلك نال الكاثوليك شيئاً مما نحتهُ البروتستانية من حقوقهم ولم يَعُد عاهل انكلترة يعتبرهم في قسمه كوثنيين او عَبَدة خرافات

وهنا لا بدَّ من تنبيه القرّاء على تقدم انكلترة سنة بعد سنة في طريق التساهل الديني بعد تعصب التعنت ضد الكنيسة الرومانية. ومن مجالي الكثلكة في العام الماضي في بريطانية العظمى المؤتمر الفيوني الاول الذي عقدهُ كاثوليك الانكليز في ليدس فترأسهُ جاثليق انكلترة الكردينال بيرون والاورد حاكم الندوة الكاثوليكي ي. كنيل (J. Knill) . وممّا اتفق عليه اعضاء المؤتمر ان يسعوا في الغاء بعض الامتيازات الشرعية المستثنى منها الكاثوليك حتى اليوم كاختصاص البروتستانت برتبة لورد كانشلار الدولة ورتبة لورد نائب الملك على ارلندة. ومما ابيح الكاثوليك الانكليز اهتداء خمسة من كهنة البروتستانت الى حجر الكنيسة في وقت واحد

فظهر بذلك انَّ قوَّة الجاذبيَّة في الدين الكاثوليكي لا تزال تعمل عملها في قلوب البروتستانت. وفي الجدول الآتي ما ينبئك عن ترقّي الكثلكة في انكلترة منذ خمسين سنة :

السنة	عدد الكنائس	عدد الكهنة	عدد المدارس	عدد الدارسين
١٨٦٠	٥٨٧	٧٨٨	٩٩	١١,٠٠٠
١٩١٠	١٧٦٠	٣٦٨٧	١٠٦٤	٢٢٣,٠٠٠
الزيادة	١١٧٣	٢٨٩٩	٩٦٥	٢٢٢,٠٠٠

فترى انَّ الله لم يهمل كنيستهُ ويعزّي قلب نائبهِ على الارض في وسط الضيقات والبلايا لا بل تزيد هذه المكارهُ بيعة الله قوَّة ونموًّا شأن الانواء والزوابع التي تمدُّ في اعماق الارض جذور الشجرة وتنقل بذورها الى البعيد. فليس على الشعب المسيحي الَّا ان يتبع راعيهُ فهو يقودهُ الى المناجع الطيِّبة وينجّيهِ من مخالب كل الوحوش الضارية

ولعمري انَّ امام الاحبار لا يدع فرصةً لينعش فيها روح التُّقى في المؤمنين ويستنهض هممهم ليزيدوا غيرةً وصلاحاً. وهذا فعلهُ مع الاساقفة والرُّعاة كما فعل في ٢٦ ايار ببراءتهِ التي بدؤها « Editæ sæpe Dei » في تذكار المئة الثالثة لتقديس كرلس بروماوس رئيس اساقفة ميلان وتابقة الكهنوت في عصرهِ فانَّهُ عرضهُ عليهم كمثال الراعي الصالح الذي ضحَّى نفسهُ في سبيل قطيعهِ ليصونهُ من وباء الاضاليل التي فشت في عهدهِ : فكان لكلام البابا احسن وقع في القلوب الَّا انَّ اعداء الكنيسة حملوا هذا الكلام على غير معناهُ فهيَّجوا رأي البروتستانت الالمان على الكاثوليك وكاد يتفاقم الصدع بينهم لولا انَّ الحبر الاعظم بلسان وزير دولتهِ الكردينال مري دلفال أكَّد للحكومة الالمانيَّة انَّهُ لم يقصد في كلامهِ غايةً سياسيَّةً ولم يتعدَّ في شيء الحياة الدينيَّة. فازال هذا التبليغ كل سوء تفاهم وأفحم كل المعادين فخاب املهم في التقسيم بين الكاثوليك وحزب اليمين في مجلسي النوَّاب والاعيان

وفي ٨ آب اثبت الحبر الاعظم قراراً في المناولة الاولى اصدرهُ مجمع الاسرار الروماني فجعلهُ كتتمة لتقريرهِ السابق المؤرخ في ٢٥ ك ١ سنة ١٩٠٥ في شأن المناولة اليوميَّة. امَّا موضوع القرار الجديد فمدارهُ على سنّ المناولة الاولى التي اعتادت

بعض الكنائس ان تؤجلها الى العاشرة او الثانية عشرة من سني اعمار الاطفال . فقرّر البابا بيوس وفقاً لعادات الكنيسة الاولى وقانون المجمع اللاتراني الرابع (سنة ١٢٥١) انهُ « يتحتّم على الاحداث ان يتقرّبوا عند بلوغهم سنّ التمييز لئلّا يُحرَموا من ذلك الخبز الجوهريّ الذي هو سند المؤمنين وقوتهم اليومي في جهاد الحياة ». فحقّق الحبر الاعظم بهذا المنشور الشعار الذي توخّاهُ يوم تبوّأ على كرسي الخلافة البطرسيّة بان « يجدّد كل شيء في المسيح » (افسس ١ : ١٠). ولا غروَ ان يصدق فيهِ ما سبق السيّد الجليل دي سيغور (Mgr. de Ségur) فتنبّأ بهِ قائلاً : « انّ البابا الذي سيلهمهُ الروح القدس فيوصي بالمناولة اليوميّة سوف يجدّد العالم ويحييهِ ». فبقي على الاساقفة وكافّة رعاة النفوس شرقاً وغرباً ان يجاروا الحبر الاعظم في غيرتهِ ويجدّدوا الطريق لتعميم هذه العادة الحميدة حيثما امكنهم

هذا وانّ الراعي لا يجتزئ بان يقود خرافهُ الى المناجع المريئة والمناهل العذبة لكنهُ قابضٌ ايضاً على العصا ليزجر الضواري المتبدّدة فتطيعهِ او يردّ الشارد من حلاتهِ الى الحظيرة وذلك ما صنعهُ آخرًا راعي النفوس اذ رأى جماعةً من الكاثوليك يُعرفون بالسيليون (le Sillon) يتّخذون في جهادهم ضدّ الكفر وسائط ملتوية مغايرة لتعاليم الكنيسة وخطّتها المعتادة فوقع بين اساقفة فرنسة بعض الارتياب في امر هذه العصبة فكان بعضهم كالسيّد ميني (Mgr Mignot) لسبق ألّفي يستصوب اعمالها على عكس الكردينال اندريو رئيس اساقفة بوردو. فحسماً للخلاف كتب الحبر الاعظم رسالة الى اساقفة فرنسة خطّأ فيها اصحاب السيليون وجريدتهم المعروفة بيقظة الشعب (l'Eveil Démocratique) وحتّم عليهم بان لا يحيدوا عن تدبير اساقفتهم وينضمّوا الى رعاتهم وامر كتبة الجريدة ان يبطلوا جريدتهم او يجروا على غير خطّتهم السابقة. فما بلغت هذه الاوامر الى سيد رئيس الجماعة السيو مرك سانيه (Marc Sangnier) حتى اسرع واعلن بخضوعهِ التامّ لمشيئة كبير الاحبار وهكذا فعل معظم اصحابهِ فكانت طاعتهم موضوع الاعجاب العمومي وسبب سخطٍ عظيم لناهضي الكنيسة

وقد التجأ راعي الرعاة الى عصاتهِ في امر آخر تزيد الاضاليل العصريّة (le modernisme) التي كان قداسة البابا سبق فشجبها في براءتهِ « Pascendi » واوقف

الكاثوليك على دخائلها فهاج المتدعون لمقاومة الحبر الاعظم ثمَّ عدلوا الى السكوت لينشروا آراءهم سرًّا فجعلوا يبثُّون في ايطالية والمانية وفرنسة التآليف المختلفة والصحائف الطيَّارة والرسائل الفرديَّة وغير ذلك فبادر الاب الاقدس الى كسر شوكتهم ببراءة بدوها « Sacrorum Antistitum » لسقطهم فيها عن اسرارهم وامر امرًا لازبًا كل اساتذة الدروس العليا والواعظين ومعلِّمي الذمَّة بان يقسموا منذ السنة الحاليَّة قسمًا محرجًا يرذلون فيه تعاليم المصريين. وكذلك تقدَّم قدلستهُ الى طلبة المدارس الاكليريكيَّة ان يكفُّوا مدَّة دروسهم عن قراءة الجرائد والمجلَّات حتى احسنها لينقطعوا الى العلوم الواسعة التي يحتاجون الى حفظها والتعمُّق في موادّها. وقد ايَّد الحبر الاعظم حكمهُ هذا بقرار آخر الى المسيو ديكرتنس (M. G. Decurtins) رذل فيه مذهب هؤلاء المصريين في كتاباتهم الادبيَّة وذلك في ١٥ ايلول

فترى انَّ ربَّان السفينة البطرسيَّة لا يزال مراقبًا لاحوال الجوّ حذرًا من كل خطر يُلمُّ بالدين وكلت اليه حراستهم فلا جرم انَّ الله خصَّ كنيستهُ بابا عظيم يفتخر به كل العالم الكاثوليكي. ولم يقصر قداستهُ نظرهُ الى الدين والآداب فانَّهُ يبذل ايضًا جهدهُ في ترقية العلوم والمعارف البشريَّة ايضًا كما يدلُّ عليه المرصد الفلكي الذي صار تدشينهُ في الفاتيكان في ١٧ تشرين الاوَّل. وهذا المرصد قد عهد بتدبيره الى الاب هاكن اليسوعي احد خلفاء الاب سكي في العلوم الفلكيَّة في زماننا وقد اثنى الحبر الاعظم على همَّته غير مرَّة كما اطرأ معارفهُ الفلكيَّة ائمَّة علماء عصرنا

٢ احوال الدنيا

قبل ان نستقري احوال الدول ونتتبَّع ماجريات كل منها في العام المنصرم يحسن بنا أن نلقي عليها نظرًا عموميًّا يكون كخلاصة سياستها

لا يُنكر انَّ الريح التي تهبُّ على الدول انما هي ريح الاستقلال فانَّ الازمة الدستوريَّة تتهدَّد اكبر الدول. فهذه انكلترة التي كانت حتى اليوم تُشاهد الدول رصيفاتها ينتقلن ظهرًا لبطن وهي راسخة القدم لا تزعزعها انواء الثورة قد اصبحت اليوم عُرضةً للتقلُّبات السياسيَّة فانَّ طبقاتها السافلة نهضت نهضة الاسد الرابض

تطلب حقها من الامتيازات التي تفرّدت بها الاعيان فكأنها تُعلن بتلك حقوق الانسان التي نادى بها الفرنسويون سنة ١٧٨٩ . والمظنون انها ستفوز عاجلاً او آجلاً بمطلوباتها ورجاؤنا ان تنتهي هذه الازمة دون أن تُهرق الدماء كما جرى في فرنسة

وقد حصل مثل هذا النفور بين طبقات الدولة في المانية ولاسيما في بروسية بساعي الاشتراكيين الّا انّ الأزمة الالمانية اقتصاديّة اكثر منها دستوريّة على ان صداها سيكون لهُ فعل انعكاس في نفس المجلس العمومي وان تمّ بتحرير التصويت العام كما يطلبهُ الفوضويون زلزل آخرًا اركان العرش الملكي

وان زدتَ على هذا ثورة البرتغال وانتصار الديموقراطيين في انتخابات الولايات المتحدة والفتن التي وقعت في جمهوريتَي المكسيك والبرازيل وجدت ان الديموقراطية تتقدم وتنمو مع ما تسحبهُ وراءها من تهديدات الاشتراكيين والفوضى

هذا ولا تزال شبه جزيرة البلقان كنقطة الدائرة ومركز السياسة الاوربيّة العامّة . فبعد وقوع تلك المخاصمات بين الدولة العلية واليونان التي اقلقت الرأي العام بسبب كريت فجعل روّاد السلام يسعون بعقد محالفة الدول البلقانية تحت نظارة التحالف الثلاثي الذي انتظمت في سلكهِ تركيا اقلّهُ فعلاً كما يظهر لاسيما بعد هبوط القرض المؤمّل في فرنسة . على انّ تلك الدول مع رغبتها في انضمام الكلمة والاتحاد التام لا تزال مرتابة في اجرائهِ باحثةً عن توطيد موازنتها فبعد أن تقرّبت رومانية من الدولة العثمانية رأت بلغارية ان صالحها يقضي عليها بنسيان ما في صدرها من الحزازات نحو اليونان فتصافحها بوخارست . وقد سعت بان تسحب معها دولة الصرب . ومجمل القول انّ الدول كلها تصرخ السلام السلام وكلها تستعدّ للحرب استعدادًا حثيثًا . فمن مدة شهرين بلغ الضجة انّ انكلترة اخذت بامتحان مدافع اكبر من مدافع « دريد نوتس » البالغة سعتها ٣٠٥ ملمترات فأعلنت النمسة بانهُ ينبغي عليها تحرير السفن التي أمرت بتعميرها . وترى المتحالفين انفسهم يقلقون ويحذرون بعضهم من بعض فان ايطالية اوعزت بتحصينات ثغورها من جهة البندقيّة فاحتج ذلك عليها النمسة . وكذلك تنوت ايطالية مما بلغها انّ تركيا عزمت على تحصين بعض سواحل البانية حيث يمكنها ان تتبدّد التخوم الايطاليّة في شمالي برنديزي وليس لايطالية هناك ما يصونها البتّة

(لهُ بقيّة)

احفظ عتيقك

نظر لحضرة الخوري لويس دريان الماروني

ألم تقع عينك على صبي يرمي حجرًا في حوض ماء تنبعث عنه تموجات بشكل دوائر تتلاحق وتتسع كلما ابتعدت عن نقطة الدائرة حيث هذه تمرد على صفائها؟ أو ما نظرت عن بعد الى رجل يحط بطرقه الثقيل على صخر اصم فلا يصلك الصوت الا وقد رفع يده وخبت الصوت من حواليه؟

ذلك حالنا اليوم في بلادنا بل حال كل ضجة تعلو وتنتشر. فقد اخذت تموجات الكفر الذي مشى في الغرب ومضى على عهد نفتيه الواسع هناك خمسون سنة تدب في اثنائها بانواع شتى وتنتقل من طور الى طور. الا اننا نحن لم نر الحجر الذي وقع ولا الذي سبب لنا تموجاته بل بلغ الينا من مفاعيله وقد جهلنا ان يد الضارب على الصخر اخذت ترتفع

تحمسنا واندفعنا مع ذلك التيار لانه نشأ وترعرع في الغرب. والغرب في اعيننا منبت الحرية ومهد العلم العصري فتفتحت قلوبنا وعيوننا لرعي كل ما يجيئنا من تلك الناحية بلا بحث ولا روية. وقد كان الاجدر بنا ان نمر في حقلنا النابت ببذور اوربة وبيدنا المنجل ننقي بها للمشب المضر ونقطع القرطب والشوك

نحن اليوم على تحفز للكفر لاننا عطاش للتقدم سكارى بخمرة الحرية وقد ظننا ان الفكر لا ينطلق من عقال الحيون الا بالكفر اذ رأينا الغرب استاذنا في هذا الفن جامعًا الاثنين وقد وصلا اليه متقدمين اما سذجة فعلى استعداد للعود الى القديم من معتقداتها بعد ان تجربت خمسين عامًا عجمت في خلالها عود الكفر ومرت على صفحاته صفحة صفحة بخبرات الصواب وبغيه ما خلاه حقًا واصح العلم سلم تحت التجربة

واني لا اكاد اجد لاوربة عذرًا فيما وقعت فيه لانها كانت كمن سكر بخمرة الاكتشافات الجديدة وخطرات العلوم الجارية فكانت حالتها شذوذية لم يسبق لها

مثلها فاندهشت ابصارها بالانوار الجديدة التي سطعت عليها فظنّ العقل — ومن طبعهِ التكبُّر — ان اكتشافاتهِ تغنيهِ عن الخالق وعن شرائع الدين فرام الاختبار :

ففي منتصف القرن الماضي نفخ الوضعيُّون وهم الذين لا يعتقدون غير المحسوسات في اوربَّة روحاً جديدة وحملوا بها على كلّ ما لا يقع تحت الحواسّ حملةً عشواء وساعدهم على استمالة العقول الطريقة العلميـة الجديدة التي ملكت القلوب منذ ذاك الحين لما ظهر لها من النفع والخصب العجيب في الاكتشافات فنشر اغوسط كونت (A. Comte) راية العصيان بل النكران لله ولحق بهِ ليتره (Littré) ورنان (Renan) وستيوار ميل (Stuart Mill) الخ . ولا تظنّ ان العلوم الوضعيَّة هي التي دفعتهم الى ذاك الجحود بالبراهين القاطعة التي قدَّمتها لان موضوع هذا شيءٌ حسّيّ لا يرتفع الى ما هو فوق المحسوس فاذا هي تخطت بنتائجها الى الغير المحسوس والمطلق فقد خرجت عن دائرة اختصاصها المحدَّدة لها عقلاً ووضعاً فجاء فكرانهم ذاك عفواً بل كان عن هوًى بالجديد وشغف بالانانيَّة والحرية المطلقة يشهد عليهِ اعمال اغوست كونت المذكور ابي الوضعيين اذ أَلَّه الانسانية واقام نفسه رئيس احبار لها وبنى لها معبداً حتى توصل الى الشاذّ المضحك .

فجاء ذلك النكران ضربةً قاسية على الآداب وعبثاً كان يصيح بهم بول جانه (Paul Jannet) بالرجوع عن تلك الطريق المخيفة التي تطلق الانسان من كل قيد وترخي لهُ عنان الشهوات والله اعلم الى اين يكون مصيرهُ . امَّا هم فاصمُّوا آذانهم وعمدوا الى بناء مجتمع انساني جديد بلا دين ولا رب

وقد كان مذهب كُنت رائجاً منذ ذاك الحين رواج المذهب الوضعي فاستصنعوا لهم منهُ مبدأً عمليًّا يحفظ آداب البشر ويكون اساسهُ في محبَّة الواجب لاجل الواجب بلا نظر الى غاية من وراء الحياة فكانوا فيهِ كالتلاعب بالالفاظ . فلم تطل المدة حتى استبان لهم ضلالهم وفقهوا ما يكون من امر ذاك الحاجز الرقيق امام تيَّار الميل وزوابع الشهوات فانقلبوا عنهُ الى طلب آداب علمية تبنى على الحوادث الوضعيَّة اسوةً بباقي العلوم كالكيمياء والطبيعيات . فسعى بعضهم وجدَّ الى هذه الغاية كستوار ميل والفراد فوليه (All.. Fouillée) وهربار سبنسر (H. Spencer) واذ لم يكن لهم يد من وضع حدّ للتلذذ بالدنيا وغاية للاداب وللوجود بالاجمال فقد

وضعوها في خير الانسانية جمعاء. فما لا يضرّ هذه مباح وما يضرُّها ممنوع فكانت الانسانية وهي موجود عقلي قاعدة للاداب وللاعمال

ومن الظاهر ان العلوم الوضعيَّة لا تدلُّنا على الاصلح بلْ هي تخبرنا بما هو الشيْ وبما ليس هو فكان لا بدَّ لاصحابنا ان يستنتجوا من مبادئهم ما استنتجهُ لاڤي بروهل (Lévy Brühl) من ان علم الاداب ينحصر بدرس اعمال الانسان على ما هي كما تدرس عوائد الحيوانات من ذئب وضبع ونمر

وعلى هذا النمط بلغ الانسان الى الانطلاق من كل عقال يحجر عليهِ شيئاً من الحريَّة المطلقة ولم يبقَ امامهُ ما يوقفهُ عند حد او يمنعهُ عن مطلب. فما يعملهُ هو الصحيح الصوابي لانَّ الطبيعة تعمل فيهِ فلا يحقّ لنا الَّا ان ننظر في ذاك العمل كما هو كأننا في حادث طبيعي او تركيب كيماوي. وقد رأى بعضهم ان الانسانيَّة لم تزل مثقلة ببعض الشرائع تمسك عن الانسان شيئاً من الحرية فعمدوا الى تمزيق هذا الباقي الجليل ونبذهِ ليكون للانسان السلطان المطلق على ذاتهِ لا يشاركهُ فيهِ مشارك. لهذا قد ارتفعت من اوربة نغمات جديدة تطرب الاميال وتروق للشعور فقالوا مع هرفة (Hervé) : لتسقط الوطنيَّة. وصرخوا مع بول وفيكتور مارغريت (Paul et Victor Marguerite) : فليسقط الزواج الشرعي

ورأى غيرهم ان تلك النتائج لا تروي غليلًا فقاموا ينكرون كل شيْ في الكون الَّا الحوادث فكلُّ شيْ في العالم انما هو حوادث وظواهر ولا شيْ من ورائها واذا اختلفت بعضها عن بعض فاختلافها متأتٍ عن الكميَّة والكيفيَّة. فانظر من هذه اللمحة في مجرى الفكر في اوربة منذ خمسين سنة كيف تدرَّج العقلُ من نتيجة الى نتيجة وانتقل من هوَّة الى هوَّة حتى وقع في اللاشيْ. فالاساس اذًا فاسد بفساد النتيجة. ولا تسلْ عمَّا يصل اليهِ العقل البشري الضعيف متى شمخ بانفهِ على خالقهِ ومال عنهُ بعقلهِ وقلبهِ

ويقال ان الخطر يُفيق السكران من سكرتهِ. نظرتْ اوربة فاذا هي على شفير هاوية لا تعرف لها قرارًا بما تأبطتهُ من المبادئ الفاسدة واستندت اليهِ من الآداب فوقفت وقفة المتعجب من الوصول الى غير ما كانت تطمح اليهِ واخذت تتفرَّس فيما هو امامها ولم ترَ نجاة الَّا بالرجوع القهقرى. فكر الانسان خالقهُ فجرَّهُ الى نكران

الآداب فنكران الاشياء وانقلبَ من مطلِّ دهري الى لاشيئي . وقد رأوا بعيونهم بعد التجربة ان الدين لهو الاساس الوحيد الصادق للهيئة الاجتماعيَّة وللآداب وللوطنيَّة وللزواج ولكل شيءٍ حسن وصالح في الدنيا

فلا بدعَ بعد هذا اليوم ان يقوم عشرات من المفكرين في كل صقع ونادٍ يستصرخون الناس ويدلُّونهم الى الخطر اللاحق اذا لم يتداركوا الشر كبلفور (Balfour) ووليام جيمس (William James) وبورجه (P. Bourget) ولانسان (Lanessan) . وهلمَّ جرًّا وقد تتقوَّى هذه الحركة وتمتدّ وقد جرَّت وراءها كثيرين من قادة الفكر وائمَّة التعليم العالي : فالمفكرون اذًا هم اليوم في الغرب على غير ما نراه من نزعات الشرق

ولا تقل ان مجرى الاحوال في اوربَّة والحملة العنيفة التي حملها الجاحدون على الدين واهله يخالف ما نذكره لك . فنحن لا يهمُّنا ما يجول بين طبقات الشعب ويتحرك به الجماهير وبعض المفكرين من الطبقة الوسطى او المتطفِّلين على موائد الآداب ومن المعتاد ان السياسة تتأخر عن حركة الافكار خمساً وعشرين سنة على قول بعضهم . وانما يهمُّنا ما يجول في عقول كبار المفكرين وهم قادة الشعوب وعليهم المعوَّل في سير البشرية لان بيدهم القوة والسلطان الاعلى ولم يكن ارتداد برونتيار (Brunnetière) وكوبه (Coppée) وريته (Retté) وبورجه وهويسمنس (Huysmans) وفرلين (Verlaine) وغيرهم من كبار الكتبة الَّا مقدِّمات قريبة للحركة الجديدة الآخذة في الشيوع بين العلماء وارباب الفكر

تلك هي المراحل التي مرَّت بها اوربة منذ خمسين عاماً وبلغت بها الى حالة قاسية من القلق والانزعاج حتى تلبَّدت سماؤها بسحابات مدلهمَّة تنذر باخطار يرتجف لها الجسم هولًا . وقد رأينا انَّ من كان سيها البارحة اصبح خائفاً هلعاً منها اليوم . فاذا كان الكفر قد انبعث من اوربة وانتشر فسيهُ مبادئ فلسفيَّة عليلة ضعيفة ولكن ما الداعي اليه في ديارنا ؟ فاين الفلاسفة ؟ واين المبادي ؟ واين المذاهب ؟ فان قلتُ هوسٌ بالجديد لا اراني اغلط او عزوتهُ الى اميال القلب فلا تقوى على تكذيبي . اوربة ترفع كأس الكفر عن شفتيها لانها ذاقت طعمهُ ونحن نتهافت اليها

تهافت الظمآن. اوربة اخذت تفيق من سكرتها الطويلة بما رأت امامها من الاشباح المخيفة وتغمض عيوننا ونصم اذاننا وراء الكفر ركضاً. فاوربة في المخاض ونحن في اوله. فلنحفظ عتيقنا فهو اصلح لنا !

لمة تاريخية عن مشهد

القديس استفانس في اورشليم

(بنسبة عيد اوّل الشهداء في ٢٦ ك١)

لحضرة الاب اسطفان دومط الدومينيكي

ان القديس استفانس المعروف باول الشهداء كان احد السبعة الرجال الذين انتُخبوا برأي الاثني عشر رسولاً ليتمكّن هؤلاء من المواظبة على الصلاة وخدمة الكلمة ويصفهُ الكتاب العزيز بقوله: وكان استفانس مملوءاً نعمة وقوة وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب. ولمّا لم يستطع اعداؤهُ ان يقاوموا الحكمة والروح الذي كان ينطق بهِ هيجوا عليهِ الشعب ورؤساءه فاتوا بهِ الى المجمع واقاموا شهود زور يقولون انهُ نطق بكلمات تجديف وهكذا اتّهم هذا القديس واضاءت السكينة والوقار ظاهرة على وجههِ وسمات السرور والبهاء تكلّل محيّاه فتفرّس فيه جميع الجالسين في المجمع فرأوا وجههُ كوجه ملاك (اعمال ص ٦) وكانت حجتهُ قوية جداً لم يخشَ فيها لومة لائم فزادت من فائرة انتقامهم واخيراً هجموا عليهِ بعزم واحد ثم طرحوه خارج المدينة ورجموهُ (اع ص٧: ٥٧)

ان استشهاد القديس خارج المدينة قولٌ لا ريب فيهِ اذ انَّ نصَّ الكتاب صريح بذلك. انّما هنالك تباينُ آراء في الموضع الذي رُجم فيهِ. أكان ذلك في الجهة الشماليّة من المدينة او في الناحية الشرقيّة منها ؟ ولعلّ في سرد اقوال الذين كتبوا بهذا الصدد وصولاً الى الحقيقة

ان اوّل من ذكر موقع استشهاد القديس استفانس هو لوسيانس الكاهن وذلك في القرن الرابع برسالة تناقلتها علماء الكنيسة الاورشليميّة واثبتها القديس اغسطينس

في مؤلفاته (١ وعنهُ لخصتُ هذا التعريب قال: ان لوسيانس كاهن الكنيسة في كفر جمالا بعث برسالة الى سائر ابناء الكنيسة المقدَّسة يقول فيها:

« تلبيةً لاشارة ابينا خادم الله القديس اقتفى الكاهن رأيت ان أعلن لمحبّتكم في يسوع المسيح الثلاث رؤى التي تراءت لي من قبل الله اظهاراً وتعظيماً لذخائر الطوباوي استفانس اول الشهداء. بينما كنتُ في ليلة الجمعة الواقعة في الثالث من كانون الاول نائماً حسب عادتي في المكان المُعدّ لحفظ الامتعة المخصَّصة بخدمة الاسرار اختُطفت بالروح وشاهدت كاهناً ذا هيبة ووقار متَّشحاً بحلة كهنوتيَّة فاخرة وعلى صدره صليب وفي يده صولجان ذهب مسَّني به وبعد ان دعاني باسمي ثلاثاً كلمني باللغة اليونانيَّة قائلاً: « اذهب الى مدينة هالية (Helia) اي اورشليم وقل لاسقفها يوحنا القديس هذه الكلمات الى متى تمكث في السجن ولم انت بطيء علينا بفتح الابواب فلا بدَّ من أن نُعلَن في عهد اسقفيَّتك. أسرعْ الى فتح القبر الموضوعة فيه اجسادنا لكي يرسل الله بشفاعتنا العون السماوي لهذا الجيل الملتوي. وليس الاهتمام في ذاتي يوازي اهتمامي بالقديسين الموجودين معي المستحقين كل اجلال واكرام ». فقلت له: مَنْ انت يا سيدي ومن هما اللذان معك؟ فاجابني: انا جمليئيل الذي كنت معلماً لبولس الرسول في اورشليم والذي بالقرب مني في الجهة الشرقيَّة هو السيّد استفانس الذي لاجل ايمانه بالمسيح طرحهُ رؤساء الكهنة واليهود خارج المدينة ورجموهُ « تجاه الباب الشمالي على الطريق المؤدية الى سيدار » حيث بقي يوماً وليلة مطروحاً حسب امر رؤساء الكهنة عرضةً لوحوش البرية غير ان الله قد وقاه شرَّها فاسرعتُ انا جمليئيل رغبة في نيل شفاعة هذا القديس واخترتُ رجالاً اتقياء كنت عرفتهم في اورشليم ليأخذوا جسد القديس في احدى عجلاتي الى قرية لي تدعى كفرجمالا وهناك اقمتُ له مناحةً اربعين يوماً ثم دفنتهُ في قبر كنت اعددتهُ لنفسي. وفي القبر الثاني دفنت نيقوديمس الذي جاء الى يسوع ليلاً وكان قد قبل العمودية من ايدي الرسل. ولمَّا علم اليهود بذلك نزعوا عنهُ لقبهُ الاميري وطردوه فقبلتهُ انا جمليئيل في بيتي مقدِّماً لهُ معاشهُ الى ان توفَّاه الله فدفنتهُ مكرَّماً هذا السيّد استفانس. وكان لي ولد

١) اطلب المقالة ١١٢ في شرح انجيل القديس يوحنا والحلقة ٣١٨ و٣١٩ وفي ك ٢٥ الملحق في عجائب القديس استفانس صفحة ١٢٢

عزيز لديَّ قبل معي سر العماد المقدس توفي في العشرين من سنّهِ فوضعتهُ في القبر الذي دُفنت انا فيه...

« فقلتُ لهُ : في اي موضع نبحث عنكم ؟ فاجابني : في وسط البلد في حقل يُدعى « دلاجبري » اي « حقل رجال الله » ولكي يتأكد لوسيانس صحّة هذه الرؤيا صام وصلّى ملتمساً منهُ تعالى تكرارها الى ثلاث مرّات . ولمّا استجاب الله طلبتهُ اسرع الى الاسقف واخبره برؤياه فترح الاسقف بذلك وامره بالبحث في الموضع المعيّن وكان تراءى جمليئيل لراهب سليم الطوية يُدعى ميجه في الصورة التي ظهر بها قبلًا فقصَّ الراهب على لوسيانس رؤياه معيّناً لهُ موضع القبور ولمّا نبشوا عنها وجدوا ثلاثة توابيت فبشّروا الاسقف الذي اسرع مع اسقفين آخرين وذهب معهم جم غفير . ولمّا فُتح تابوت الشهيد اهتزّت الارض وفاح منهُ رائحة ذكيّة تفوق الوصف وكان بين الحاضرين اناس بهم امراض مختلفة فشفي منهم ٧٣ رجلًا شفاء تامًّا وشفي ايضاً من كان فيه روح نجس . فارتفعت اصوات الجميع بحمد الله وتسبيحهِ وحملوا ذخائر القديس حيث وضعوها في الكنيسة الاسقفيّة على جبل صهيون » وبعد ثبوت صحة هذه الحادثة عيّنت الكنيسة المقدسة عيدًا ذكرًا لاكتشاف ذخائر الشهيد

لا يخفى ان جمليئيل هذا كان معلماً للناموس (اع٥ : ٣٤) واوّل ما ذُكر في الكتاب المقدس كان عند مقاومة الكهنة امتداد الانجيل ومحاولتهم قتل الرسل فاشار عليهم جمليئيل ان لا يضطهدوا الكنيسة بقوله لهم : اذا كانت الديانة المسيحيّة من الناس فسوف تُنقض والّا فاذا اضطهدوها يُصادفوا محاربين لله . وكان معلماً لبولس في اورشليم (اع ٢٢ : ٣) وجاء في التقليد ان بطرس ويوحنا عمداه . وما كان ظهوره للكاهن لوسيانس الّا بعناية الهيّة فكما انهُ تعالى قد الهمهُ اولًا وشدد عزمهُ كي لا يبالي بالاخطار ويدفن جسد الشهيد هكذا قد دعاه ثانيةً ليعلن موضع استشهاده ويكشف عن ذخائره بركةً للمؤمنين . ولعمري ان تلك الارض التي شربت دم اول الشهداء وفيها كافح جندي المسيح الباسل وعليها جثا طالباً المغفرة لراجميهِ لَحريّة بمقام يُكرّم ويستشفع فيه هذا القديس اخمادًا لغضبهِ تعالى واستدرارًا لنعمه السماوية . وهذا ما حمل ايدوسيا (Eudocia) الملكة على تشييد كنيسة فخيمة في هذا المقام تدل بعظمتها على عظمة مناضلة هذا القديس وحبه لسيده

جاء في التاريخ الاسكندري (Chronicon Pascale, *Migne*, P.G. t. 92) عن ايدوسيا هذه انها كانت تدعى اثانائيس وهي ابنة فينوس هيركليس احد فلاسفة اليونان فجاد هذا الفيلسوف على فتاته بالعلوم الى ان بلغت شأوًا عظيماً الّا انهُ بخل عليها باموالهِ لانهُ اوصى بجميع مقتناه لولديه ولم يخصّص لابنتهِ سوى مايتي درهم لانهُ قال: « ان لها من المال ما ليس لغيرها نظيره » يشير بذلك الى سعة علومها ووفرة آدبها وفرط جمالها ولمّا لم يشركها اخواها بميراث ابيها جاءت مع خالة لها الى القسطنطينيّة وهناك اتّصلت ببلخاريا اخت الملك ثاودوسيوس الصغير وبسعيها اتصلت اثانائيس ان تكون زوجة اخيها بعد ان عمّدها الاسقف في كنيسة اول الشهداء في القسطنطينيّة ودُعيت باسم ايدوسيا. وقد مدح المعاصرون عظمة هذه الملكة واثنوا على براعتها في اللاتينيّة واليونانيّة وفي العلوم الفلسفيّة والهندسيّة. وذكر مرسلينس زيارتها الاولى لمدينة اورشليم ورجوعها حاملةً ذخيرة من ذخائر القديس استفانس حيث وضعتها في الكنيسة التي فيها وُسمت بسر العماد المقدس « ثمّ نُقلت هذه الذخيرة بعد ذلك الى كنيسة القديس لورنسيوس في رومية ». ووقعت بعد زمن وحشة ما بين الملك والملكة وانفرجت الحال بينهما وسبب ذلك كما اخبر مرسلينس انهُ بينما كان الملك ذاهباً الى الكنيسة يوم عيد الظهور الالهي قدّم لهُ احدهم ثمرةً شهيّة (قيل انها من فريجيا) فسرّ الملك واكرمهُ وبعث بها الى الملكة ومنها اتّصلت الى بولينس الذي اعادها الى الملك. فسأل هذا الملكةَ عن الثمرة فاجابتهُ انها اكلتها فخيّل للملك ان بالامر خيانةً فامر بقتل بولينس واعرض عن الملكة. فترفّعت عن ان تحتجّ لنفسها وعادت الى اورشليم حيث بقيت خاملة الذكر الى ان مات ثاودوسيوس واستلمت بلخاريا صديقتها زمام الملك فتصالحت مع بلاط القسطنطينيّة ولبثت في اورشليم تهتمّ بمشروعات خيرية فرفعت اسوار المدينة وبنت فيها كنائس واديارًا وملاجئ للشيوخ والمعوزين

ومن اعظم تلك الاعمال التي ابقت لها ذكرًا عاطرًا تشييدها كنيسة كبرى على اسم القديس استفانس شرعت في بنائها على عهد جوفينال بطريرك اورشليم وفرغت منها في ايام خلفهِ انسطاسيوس. وقبل مفارقتها لهذه الحياة خصّصت لهذه الكنيسة قسماً وافرًا من اموالها ووأست عليها الاب جبرائيل السانح وتوفيت هذه الملكة

براءة القداسة ودُفنت حسب ايثارها هذا. كنيسة القديس استفانس . فكيرلُس البيساني في معرض كلامهِ عن القديس افتيموس يمدح صفاتها ويلقّبها طوباوية. وبعد عشر سنوات من وفاتها جاءت حفيدتها المدعوة باسمها ايضاً ومكثت في اورشليم الى آخر حياتها ودُفنت حسب وصيتها في قبر محاذٍ لقبر جدّتها

مما لا ريب فيه ان ايدوسيا الملكة بنت كنيسة الشهيد في موضع رجمهِ عملاً بما كانوا عليهِ في ذلك العصر . فقد جاء في القانون ١٤ من مجمع قرطجنّة « انهُ عند بناء كنيسةٍ لاكرام احد القديسين ينبغي ان تشيَّد في موضع اقامتهِ او في مكان عذابهِ » الخ وليس غرضنا بهذه الفقرة سوى الدلالة على نظام الكنيسة في تلك القرون الخالية وكان هذا النظام مألوفاً لذلك العهد في جهات فلسطين اذ ان القديسة هيلانة شيدت كنائس شهيرة في اكثر الاماكن التي لها تذكارات مؤثرة. وقد بُنيت كنائس في جهات شتى اكراماً لاول الشهداء. افما كان الاحرى ان تُبنى كنيسة تفوقهنَّ عظمة في تلك الارض التي قدَّسها الشهيد وسقاها بدمهِ . قال باسيليوس اسقف سلوقية في احدى مواعظهِ . انهُ من الامور المقررة ان مشهد القديس استفانس كان معروفاً في اورشليم كمعرفة موقع الجلجلة والقبر المقدس كما ان رُفاتهِ وُضعت حسب ايثاره في الكنيسة التي تجاه اسوار اورشليم في مكان استشهاده . وجاء في حياة القديس افتيموس (١٠٣ء) ان ايدوسيا شيَّدت ديرًا وسيقاً هذا كنيسة اول الشهداء واقامت عليهِ جبرائيل الذي تهذَّب على يد افتيموس وبعد ان قام بشؤون الدير مدة ٢٤ سنة ابتنى لنفسهِ قلّاية قريباً من هيكل الصعود وكان هذا البار يختلي فيها اقتداءً بمعلمهِ من عيد الغطاس الى عيد النخل وفي غير هذه الايام كان يقيم في الدير وفيهِ توفاه الله بعمر ٨٠ سنة وأُثبتت برارتهُ بعجائب باهرة . وقد جاء ذكر كنيسة القديس استفانس في كتب عديدة اخصُّها لمَّا امتدت شيعة القائلين بالطبيعة الواحدة وكان انسطاس الملك يسهّل الانضمام الى مصافّ تابعيها فاجتمع في باحة كنيسة اول الشهداء كل رهبان فلسطين تحت رئاسة القديس سابا والقديس ثاودوسيوس وهناك صرَّحوا عن حماسة مقدسة بايمانهم الكاثوليكي وقال اقمريوس في تاريخهِ الكنسي ان ايدوسيا الملكة ابتنت لاول الشهداء مقدساً غاية في الاتقان والاتساع وهو على رمية سهم من المدينة وفيهِ دُفنت هذه الملكة (مين ك ١ ف ٢٢) . وقال السائح ثاودوسيوس ان

القديس لستفانس رجم خارجاً عن باب الجليل حيث توجد الكنيسة التي شيدتها ايدوسيا زوجة ثاودوسيوس الصغير (الارض المقدسة نوبر طبعة ١٨٧٧) ويذكر مؤرخو ذاك العصر انها كانت باقية الى ان قدمت عساكر الفرس وافتتحت مدينة اورشليم وسلبت غناها ودكّت مبانيها واحرقت كنائسها ودمّرت اديارها فكان حظّ دير ايدوسيا وكنيستها كحظّ غيرهما من الكنائس والاديار عرضة للخراب ومطعماً للنار

هدم الفرس كنيسة ايدوسيا سنة ٦١٤ وفي سنة ٦٣٧ امر صفرونيوس بطريرك اورشليم ببناء معبد صغير في مقامها اذ لم يتهيّأ له اذ ذاك ان يردّها الى رونقها الاصلي وعظمتها السالفة لتعسّر الاحوال عليه. وذُكر هذا المعبد سنة ٨٠٨ في سجل معابد المدينة المقدسة وفي سنة ١٠٩٩ وجد الصليبيون في الجهة الشماليّة معبداً على اسم القديس استفانس لانّ ريموند ديكويلس يقول ان الدوق والكونت دي فلندر والكونت دي نورمندي حاصرا المدينة من الجهة الشماليّة وامتدّ نطاق حصارهما من كنيسة القديس استفانس التي تقابل منتصف المدينة في الناحية الشماليّة. واثبت ذلك تودبوف بقوله ان روبر دي نورمندي حاصر المدينة في الجهة الشماليّة قرب كنيسة الشهيد الاول حيث احتمل بفرح رجمَ الحجارة لاجل اسم المسيح. وفي سنة ١١٠٦ جاء دانيال الزنيس الروسي وكان دخولهُ لاورشليم من الجهة الشماليّة فقال: في الجهة اليسرى بقرب الطريق توجد كنيسة القديس استفانس اول الشهداء. وهناك رجمهُ اليهود على بعد رمية حجر من جبل مسطّح (يعني الجبل المجاور لمشهد القديس وهو يطابق كل المطابقة لقوله)

غير ان معبد القديس استفانس خرب سنة ١١٨٧ خربهُ المسيحون انفسهم خوفاً من ان يجعلهُ السراكسة الذين جاءوا لحصار اورشليم ملجأً لهم واستمرّ ذكر استشهاد القديس ملازماً لتلك الناحية الشماليّة حتى ان كتب الزوّار في القرن الثالث عشر عند ذكرها باب اورشليم الشمالي تسميه باب القديس استفانس. فمن امثلة ذلك ما قال بوكردس سنة ١٢٨٣: «كان الباب الثالث الشمالي يدعى في العهد القديم باب افرائيم والان يسمّى باب القديس استفانس لان الشهيد رُجم خارجاً عن هذا الباب»

ان العناية الالهيّة التي الهمت الاب لوسيانس الى اكتشاف ذخائر اول الشهدا

هي التي قادت الاب متى ليكنت (Matthieu Lecomte) الافرنسي الدومنيكي الى ابتياع الارض التي سقاها شهيدنا المعظم بدمهِ

ما نال الاب متى نعمة الانخراط في سلك من اصطفاهم الله واختصَّهم بموهبة الكهنوت المقدس الَّا واظهر ما في فؤاده من الغيرة المقدسة على خلاص النفوس فجاهد الجهاد المفروض في القاء المواعظ والارشادات في كثير من مدن فرنسا وكان بمثابة اوعظ منهُ بكلامهِ . ولما كانت سنة ١٨٨٢ جاء برفقة زوَّار التوبة الذين يأتون كل سنة باهتمام وعناية الاباء الصعوديين لزيارة الاماكن المقدسة فشاهد ثمَّ ما لاورشليم المدينة العظيمة من المشاهد التي تأخذ بمجامع الفؤاد تأثيرًا وتفطر مرارة الكبد خشوعًا . ولتدبير الهي كان اوانذاك قد اكتشف عن اثار معبد شمالي المدينة فاتجهت افكار العارفين على ان هناك مشهد اول الشهداء الذي لم يكن ليخفى عليهم مكانهُ وهو معلوم لديهم انهُ في ظاهر البلدة . فرغب الاب في مشترى ذاك المكان علمًا منهُ انهُ هناك رُجم هذا الشهيد وبذلك يُحيي ولو ديرًا واحدًا من تلك الاديار التي كانت للاخوة الواعظين في اورشليم وضواحيها . فكتب لرؤسائهِ في هذا الشان فما كان منهم الَّا ان باركوا فكره الصالح ومدحوا حسن مسعاه . انما تمنَّع صاحب الارض عن المبيع لكثرة الراغبين فيها . ولمَّا كان الاب متى لا يشغل فكره شاغل عن الغرض الوحيد الذي ظلَّ يرمي اليهِ حياتهُ كلها وهو الوعظ عاد الى فرنسا وقد عهد بشراء الارض الى صديقيهِ الطيِّبي الاثر الاب ماري راتسبون والمسيو لنكلمه قنصل دولة فرنسا حينذاك وبمساعيهما تمَّ انعقاد المبيع يوم عيد القديس استفانس ممَّا يتبادر الى ان شهيدنا كان معينًا ونصيرًا للعمل . فسرَّ الاب متى بنيل مبتغاه وقبل ان يعود الى الشرق يتمم مدينة رومية قصد الاجلال والاعظام لاوامر رئيس الكنيسة . وكان على عرش بطرس السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر الذي قابلهُ كالاب الشفيق وفي الختام باركهُ وبارك كل من يؤازرهُ بشروعهِ فخرج من لدن رئيسه الاعلى مشتدَّ الازر قاصدًا اورشليم حيث باشر بنزع الاقذار عن ذاك المكان المقدس . وكان ما يكتشفهُ من الاثار الدالَّة على اصالة المكان يُشدِّد عزمهُ غير ان حياتهُ التي وقفها على المواعظ والاعمال الخيرية كانت انتهت على هذه الفانية فذهب لملاقاة ربهِ مذكورًا بفضلهِ وغيرتهِ

وفي خلال سنة ١٨٨٧ بوشر باعمال حفريّات فبانت تماماً جدران المعبد الصغير وظهر للمتأمل ان بعض احجاره منقول في الاصل من انقاض هيكل اقدم منهُ فضلًا عن انهُ لم يكن مناسبة بينهُ وبين ما كتب المؤرخون عن عظمة ايدوسيا واتساعها. وكان اوانئذٍ العلّامة كارين (Mr Guérin) موجوداً في القدس فاشار بمتابعة الحفريات مؤكداً بقرب الوصول الى الغاية المطلوبة وكان كما قال اذ لم تلبث ان ظهرت باتمّ وضوح اساسات كنيسة ايدوسيا القديمة واكتُشفت رسوم من الفسيفساء. منها قسم صالح باقية الوانهُ على جمالها لم يَشُبها ادنى تغيير الى يومنا هذا. وبانت مائدة المذبح وهي مخطّطة بخيوط صغيرة تفضي الى مجرى اوسع منها وبذلك دلالة على انهم كانوا في العصور الغابرة يغسلون المذبح قبل المباشرة في القداس. ووُجد قسم من الدرابزين الذي كان يفصل الخورس عن صحن الكنيسة وغير ذلك مثل قوالب للبرشان وأكلّة من الطرز القورنثي واساطين واعمدة كبيرة منها ما يبلغ استدارتهُ ثلاثة امتار وكلها تُعرب عن قدامتها وعظمتها السالفة. واهتدي الى مكان المذبح الذي ذكره ثاودوسيوس السائح وغالان (طبعة ١٨٦٥ صفحة ٥) قال : « في وسط كنيسة القديس استفانس مقام محاط بحاجز من حديد وهو منخفض عن مساواة ارض الكنيسة فيه مذبح قائم حيث رُجم اول الشهداء ورأى السماوات مفتوحة »

وذُكر هذا المذبح في سيرة حياة بطرس الايبرياني حيث روى « انهُ كان قادماً ذات يوم من بلدة واقعة شمالي اورشليم فدخل اولًا موضع استشهاد القديس استفانس لوقوعهِ في طريقهِ فنزل يصلي امام مستودع الذخائر »

واكتشف هذا الكنيسة على اثار دير القديس استفانس منها ممشى طولهُ ١٩ متراً وعلى جانبيهِ اعمال فسيفساء انما قد عملت فيها ظروف الزمان ولم يسلم منها سوى حجرة سفليّة فيها رسم حمل باقٍ لونهُ على جمالهِ الى الان (اطلب الصورة) ونُبش عن عدة قبور منها ما كانت تُسدّ بحجر واحد مما يذكّرنا بقول النسوة : « مَن يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ». وهي مدافن قديمة وعلى بعضها اعلام يونانيّة تشير الى انها خُصّصت فيما بعد بدفن رهبان الدير فقد كُتب على احدها « مدفن لِنونُس انسيموس شماس خاص بقيامة المسيح وبهذا الدير » . وهذا يطابق ما جاء في سيرة حياة القديس افتيموس من ان الرتب كانت تُعطى للرهبان

مع لبقاتهم ضمن اديرتهم . وعلى غيرها آيات عاوية منها « الرب نوري وخلاصي . . . بك اعتصمتُ يا رب فلا اخزَ الى الابد . . . الساكن في ستر العلي » . الخ

واكتُشف عن قبري ايدوسيا الملكة وحفيدتها المسماة باسمها وهما على ٢٦ خطوة من مذبح الشهيد وهي عين المسافة التي ذكرها انطونيوس البليزنسي الشهيد ومن بين تلك القبور سقف الآباء الحاليون ردهة تحيط بها القبور وجميعها منقورة في الصخر وكرّسوها منزلًا ابديًا لهم

وفي موضع دير القديس استفانس القديم بنوا ديرًا ومدرسة لتعليم الكتاب المقدس . وعلى اساسات كنيسة ايدوسيا قامت كنيسة الدومينيكان الحالية شُرع في بنائها سنة ١٨٩٥ وتكرست في ١٧ نيسان ١٨٩٨ واحتفل بتدشينها في ١٣ ايار سنة ١٩٠٠ وأُعطيت لقب باسيليكة صغرى (basilique mineure) بموجب براءة من قداسة البابا بيوس العاشر في تاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩٠٤ . امّا من حيث البناء فانها متقنة امام مدخلها ساحة وسيعة محاطة بالاروقة (وهي في مكان دهاليز ايدوسيا القديمة) وفي وسطها تمثال اول الشهداء هذا خارج الكنيسة وامّا داخلها فهي مثلثة الاسواق مفصولة باعمدة من الحجر الاحمر الصقيل وهي مشرقة مخينة بما فيها من النوافذ والكنيسة على هيئتها القديمة متجهة من الغرب الى الشرق وطولها من الباب الملوكي الى المذبح الكبير ٤٠ مترًا في عرض ٢٠ وعلو ١٩ وفي صدرها مذبح لاول الشهداء يُنزل اليه بثمان درجات وهو في مقام المذبح السابق وجهه مصنوع بالفسيفساء المذهبة يمثّل رجم الشهيد . ويعلوه مستودعٌ فيه ذخائره المقدسة ويحيط به الخورس من ثلاث جهات ومن محسنات تلك الكنيسة واتقان الهندسة فيها ان الواقف في اي جهة كانت من جهاتها يمكنه ان يرى هيا كلها الاثني عشر لان العمد الفاصلة بين اقسامها مصنوعة بشكل دقيق بحيث لا تمنع الحضور عن المشاهدة . وقد منح الاحبار الاعظمون انعامات لزائري هذه الكنيسة منها غفران كامل مرة واحدة في السنة وغفران مائة يوم يكتسب يوميًا

هذا وقد زعم بعضهم ان استشهاد القديس استفانس كان في وادٍ حملًا على ما جاء في هذه العبارة الطقسيّة وهي « ان حجارة الوادي عذبة لديه » ففسّروها حرفيًا ولم ينتبهوا الى ان المقصود بمعناها ليس وصف المكان بل الدلالة على ان الشهيد

واجهة كنيسة مار اسطفانس للآباء الدومنيكان في القدس

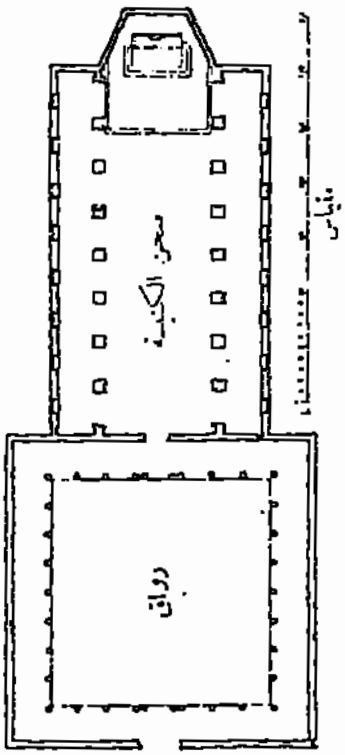

رسم كنيسة مار اسطفانس الحديثة

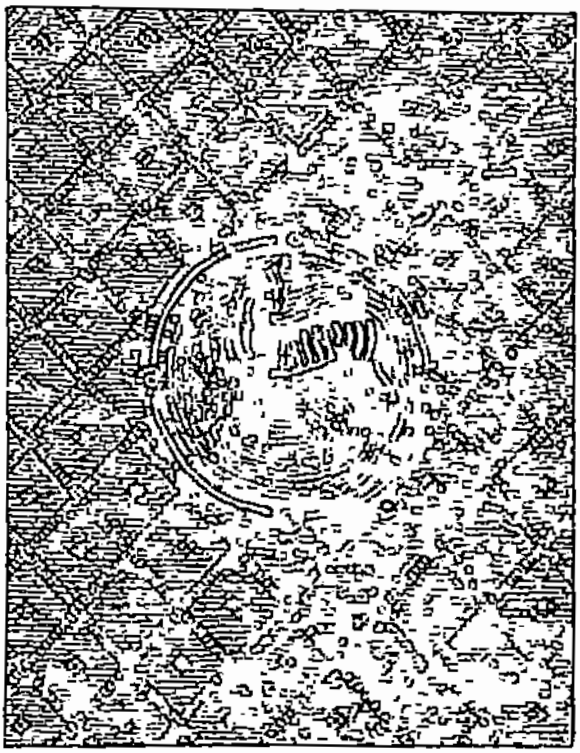

آثار اكتشفت في كنيسة مار اسطفانس القديمة

صورة الآثار الباقية من هيكل شحيم

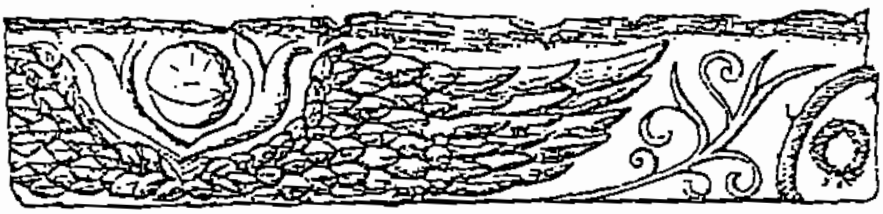

قطعة من نقش العتبة التي كانت تعلو باب هيكل شحيم (وسطها مع جهتها اليسرى)

استعذب الموت حباً بسيده ولم يجده مرّاً كجليات الذي اصاب حجرُ الوادي جبهتهُ (١صم ١٧: ٤٠و٤٩) ومن ثمَّ ظنوا ان الوادي المزعوم هو وادي قدرون الواقع في الناحية الشرقيَّة استناداً على قربهِ من المدينة اكثر من بقيَّة الاودية انما هناك تعددت عندهم الامكنة وكثرت المحلات وتشعَّبت الاقوال والاشارات فبينما كان البعض يبحثون عن محلّ الرجم في جهات مختلفة من ذاك الوادي كان آخرون يجعلون على المنحدر الشرقي او الغربي منهُ وليس لهم هناك سوى كلام محادثة ليس دليل ولا اشارات او شبهة تدعو الى الريب في صحَّة التقليد الحقيقي او تناقض شهادات المؤرخين القائلين ان استشهاد القديس كان في الناحية الشماليَّة حيث آثار كنيسة ايدوسيا لم تزل الى الآن تؤيد صحَّة اقوالهم وتثبت التقليدات الراهنة. وللعلامة حضرة الاب لاكرنج (R. P. Lagrange) كتاب في هذا الموضوع عنوانهُ "مشهد القديس استفانس" فيه تفاصيل كثيرة عن مشهد هذا القديس العظيم وقد دعم حضرتهُ اقوالهُ باسانيد شتى لا تبقي في صحتهِ ريبا. فمن اراد زيادة في الشرح فعليهِ بهِ وعنهُ اخذنا الرسوم التي اثبتناها في هذه اللمعة الوجيزة

الى الأمة البرتغالية

احتجاج اليسوعيين المنفيين من وطنهم

للاب لويس كبرال رئيس اقليم البرتغال على اليسوعيين

توطئة

الرهبانيَّة اليسوعيَّة تُضم اليوم الى ٣٥ اقليماً وتُضم الاقاليم الى خمسة اعمال او ايالات لكلٍّ منها نائب لدى الرئيس العام الذي مركزهُ في رومية. فاقليم البرتغال واحد من الاقاليم الخمسة التي تتألَّف منها ايالة اسبانية وعدد رهبانهِ يبلغ ٣٦٠ منهم ٣٠٠ في بلاد البرتغال والباقون في رسالات مستعمراتها في الزنبيز والهند وماكاو. فلمَّا حدثت الثورة الاخيرة جرى في حقّ الرهبان عموماً واليسوعيين خصوصاً من الفظائع ما ذكر البعض منهُ حضرة الاب لويس دترڤال اليسوعي في مقالتهِ المنونة «صدق المقال في ثورة البرتغال». وها هوذا احتجاج رسميّ رفعهُ رئيس اقليم البرتغال الى مواطنيهِ بازاء العالم المتمدّن ليعلم الجميع انَّ رهبانهُ لم يأتوا

عملًا وان زهيدًا يستوجب تلك المعاملات السيئة التي عاملهم بها الجمهوريّون ويتحقّق كل ذي بصيرة ان نفيهم من اوطانهم جور واستبداد ليس الّا. وبهذا تتلاشى الشكايات التي نقلتها بعض المجلّات والجرائد العربيّة دون تروٍّ ولا اعتدال (المشرق)

في مدّة الأيام الطويلة والكثيرة الاوجاع التي تمّ فيها خروج ابناء الرهبانيّة اليسوعيّة المضطرين الى النفي اذ طُردوا من وطنهم العزيز وعوملوا معاملة آثم الجُناة بعد ان قضوا حياتهم كلها يتفانون في خير القريب كنتُ انا غائصاً في لجة الهم مفكرًا في تنجية حياة اخوتي وفي طلب ارضٍ جديدة يواصلون فيها اعمال غيرتهم. فلم اجد ساعة من الراحة لأسمع اهل بلادي صوت الاحتجاج الذي كان يقضي بهِ عليَّ قلبي الوطني البرتغالي ثم شرفي كنصراني وراهب وكاهن فضلًا عن المسئوليّة التي انا حامل عبئها بصفة رئيس اخوتي

وانا في هذا الاحتجاج لا اتكلم سوى عن رهبان الجماعة اليسوعيّة الذين عُهد اليَّ امرهم وحدهم. على اني لا اتمالك عن ان اوجه سلامي الى اعضاء كل الرهبانيّات والاخويات الذين أعتبرهم كأعزّ الاخوان وأكرمهم كرفقتنا في ساعة المصائب وكأبطال الدين المضطهدين الذين شاركوا السيّد المسيح شركة ممتازة في حمل صليبهِ لأنهم أُهينوا وأُلقوا في السجون بل قُتل بعضهم فذهبوا ضحايا شريعتهِ وختموا بدم الاستشهاد حياةً قضوها في القداسة وتضحية النفس

الّا اني في الخطاب الذي اوجههُ الى وطني في هذه الساعة الجليلة يحقّ لي بان اقصر فيهِ كلامي على اولادي وابرز صوت الوجع الذي يقذفهُ من قلبي ذكر آلامهم فأحتجّ على رؤوس الاشهاد معلناً بانهم ابرياء من الآثام التي قرّفوهم بها

*

في وسط جيل الحريّة قام أناس يفتخرون بالتساهل الدينيّ فطردوا في لمحة عين باسم مبادئ المساواة من ارض البرتغال نيّفاً وثلاثمائة من مواطنيهم كانوا يسكنون في نحو عشرين منزلًا في قارة بلادهم او في مستعمراتها ما وراء البحار في افريقية وآسية واوقيانية. وذلك دون ان يثبتوا عليهم جنايةً واحدة او يسمحوا لهم بان يقولوا كلمة في الدفاع عن نفسهم او يعطوهم الوقت ليجمعوا اموالهم وكتبهم وتآليفهم التي صنفوها بعد اتعاب سنين عديدة من حياةٍ قضوها في الدروس المتوالية. فباسم

الحرية قد سُلب كل ذلك من ايدينا . قد عرّونا عن كل شيء . قد ضبطوا كل مقتنياتنا وادبرتنا . وبعض هذه الابنية لم نتوفق الى تشييدها الّا بما ادّخرناهُ من مصاريف مدارسنا بالاقتصاد والتقتير مع النزاهة التامّة . والبعض الآخر كان اشتراهُ اشخاص معلومون بالهم الخاص وسجّلوهُ شرعيًا باسمائهم . فالحكومة قد ضبطت هذه العقارات والاملاك بل استولت ايضاً على كل محتوياتها . فكانت في هذه الاديرة مجاميع علميّة من الطرز الاوّل كالتاحف والخزائن العلميّة وغرف المختبرات التي كانت في مدرستي كمبوليد وسان فيالي ممّا كان جمعهُ آباؤنا واخوتنا منذ خمسين سنة بنيف بعد فروغ الكدّ وصرف المجهود مع مساعدة بعض تلامذتنا الماليـة في كلّ شهر واريحية بعض اصدقائنا فاودعوها الالات والاجهزة وكل لوازم التعليم فان هذا الاثاث كان خاصّتنا من كل وجه ليس لاحد عليهِ حقّ

وقس عليهِ خزائن كتبنا التي كنّا سعينا في جمعها مدّة نصف قرن بالوسائل نفسها . وكذا اصونة ثيابنا التي يلبسها كل واحد منّا وقلانسنا التي لا تجد فيها ما خلا فراشاً بسيطاً وجهاز الاغتسال غير طاولة للشغل ورفوف مكتبة صغيرة تُنضَد فوقها رفقتنا في عزلتنا وأنساؤنا في الساعات التي نختلسها من الحديث الباطل بل نوفرها على اوقات الراحة الواجبة . فكلّ ذلك قد ألقي عليهِ القبض في ساعة واحدة وأعلن بهِ كمالِ الدولة وجُرّدنا نحن جزافاً وخلافاً لكل شرع وطُردنا من بيوتنا . ثمّ قادونا بينما كان يحدق بنا الجند وقوم شاكو السلاح فعرّضونا لسخريّة الأوغاد واهانات سفلة الشعب بعد ان أثاروا في قلوبهم البغضاء علينا بما اختلقوهُ في حقّنا من الاكاذيب فنشروهُ منذ زمان طويل في اسخف الجرائد وابذأ الصحائف

واذ سبق بعض اخوتنا وادركوا ما سيحلّ بهم من المعاملات السيئة فهربوا سار في اثرهم بعض الاشقياء وضايقوهم في الشوارع والحقول كأنهم الوحوش الضارية بل تأثّروا بعضهم واطلقوا عليهم البندقيّات كما تحقّقتُ ذلك واوسعوا كثيرين شتماً ونكساً . بل وُجد بين اخوتنا — وليكن مباركاً الربّ الاله الذي سبق وصار قدوتنا في احتمال هذه الاهانات العظيمة — وهبانٌ اجلّاء بعتق الاوباش في وجههم وعدُّوا ذلك الهوان كهزل والعوبة

انّ اسماء هؤلاء المظلومين لم تُقيَّد قطّ في سجلّات الشرط والجواسيس . يا حبذا

الجُناة الذين كانوا تركوا كل شيء وضحّوا كل محبوب ليخصّصوا نفوسهم دون امل في مجازاة بشريّة لتهذيب الناشئة في المدارس ولدعوة الشعوب الهمجيّة الى انجيل الخلاص في البلاد القاصية ولكل الخدَم مهما كانت شاقّة صعبة مكلّفين نفوسهم اعظم الضحايا. فما كان لاحد ان يثبت على كل هؤلاء ليس جناية فقط بل حتى اخفّ الذنوب رغما عمّا نشروهُ في حقّهم من الشكايات الباطلة والمدّعيات الفارغة في صحافة مجونية لو كتبتْ ما كتبتهُ من السخافات والشتائم البذيّة في اي بلد كان لأسرع أولو الامر الى تأديبها. ومع هذا ألقي اولئك الافاضل في الحبوس كأئمة فقاسوا من الاوجاع امرّها وفُصل بينهم وبين عالم النور

ولا يظنّنّ احد انّ كلامي هذا مبالغات يقذف بها الوجع من فمي. كلّا ثم كلّا فانّ ما كابدهُ الرهبان الطردا. وما لحق بالمحبوسين منهم من ضروب الأذى والعوز قد تجاوز كل ما استطيع ان اقول

فان سُمح لي ذكرت ما اصابني شخصيًّا فاني كنت وارثا من اهلي وراثة شرعية خصّصتها باقتنا. املاك وعقارات ومقتنيات شتى كانت مسجّلة في الحكومة باسمي. فهانذا قد اضطررتُ ان اخرج من وطني البرتغال صفر اليدين لا املك شيئاً غير الثوب الذي يسترني وهذا الثوب نفسهُ قد اشتراه لي احد الاصدقا. اذ لم يكن لي ما اتنكر به. امّا الدريهمات القليلة التي احتجت اليها لسفري حتى فرنسة فقد تصدّق بها عليّ احد المحسنين الذي لم اكُ اعرفهُ ولم يعرفني فاشكرهُ الان شكر الفقير المعرّى لاجل اسم المسيح

وهاك ما قاساهُ اخوتي الاعزّا. المحبوسون في سبيل الله من البؤس والضنك فاقول انّهم مدّة حبسهم في ثكنة فيلق الطوبجيّة الاوّل حيث كان يحكم ليس العسكر بل سفلة القوم وسُقّاطهم لم تُعط لهم حتى ملعقة ليأكلوا طعامهم الضروري وبلغة عيشهم وحجزوا عنهم المراحيض فلم يدعوهم يخرجون اليها الّا مرّة كل ثماني ساعات بل اعلنوا للمرضى منهم ان اختلافهم اليها خارجاً عن الساعات المعيّنة يعتبرونهُ كحجّة باطلة للتلهّي مع انّ عملًا بربريًّا مثل هذا كان كافيًا لقطع حبل حياتهم

وفي تلك الثكنة عينها كان الحرس يتهدّدون ليلًا باطلاق الرصاص كل من

يحاول النهوض من مكانهِ . وقد بلغت بهم القحة في الأيام الاخيرة من هذه المصادرات الهائلة أنهم ادخلوا في الحبس نساء متهتكات فاجرات اللواتي التزمن الخروج السريع متحيّرات خجلات رغماً عن قحتهنّ لما شاهدن في اخوتي من الفضيلة والوقار والاحتشام

ولمّا نُقلوا الى حصن كاخياس احتسبوا نفسهم في رغد العيش اذ وزّعوا عليهم فراشاً من التبن وضعوهُ على الواح بسيطة مع لحاف واحد ووسادة خشنة لأنهم كانوا يقابلون حالتهم مع سابق اوجاعهم في ثكنة العسكر

وقد عانى بعض اخوتنا الاعزّاء ما هو اعظم من الشدائد التي لقيها المحبوسون في ثكنة الطوبجيّة وذلك في حبس البادية الذي أُلقوا فيهِ قبل ان يُنقلوا الى ليسوادو فانهم كانوا ثلاثة وعشرين فحشروا مدة خمسة أيام في حجرة وسخة ضيقة لا تكاد تكفي لثلاثة رجال فقط وفي طول مقامهم لم يُسمح لهم البتة ان يخرجوا من هذا الكوخ الوخيم باي حجّة كانت ! !

نعم اني لا اجهل انهُ وُجد بين الضبّاط والجنود نفرٌ اشمأزّوا من هذه المعاملة السيئة فاظهروا اليسوعيين المحبوسين رفقاً بل ابدوا لهم الاكرام والوقار . فانَّ اخوتي الابرياء لم ينسوهم وانا باسم الجميع اشكرهم على رقة عواطفهم شكراً حميماً . الّا انَّ شفقة هؤلاء لم تحسن ان تُلطّف شيئاً من المكروه الذي لحق بالمظلومين مدّة هذه اسابيع الآلام الشبيهة بآلام الجلجلة

ولم يقفوا عند هذا الحدّ ولكن بعد طول هذه المضايقات والمصادرات وانواع العذاب لمّا حان وقت تنفيذ حكم النفي في هؤلاء ابناء البرتغال الذين كان ولا يزال قلبهم يستعر بالحبّ المضطرم نحو وطنهم العزيز قام الذين كانوا سلبونا كل شيء ووضعوا ايديهم على كل املاكنا العقارية والمنتقلة واجترأوا — ويا لها من جرأة مستهجنة — ان يطالبوا باجرة السفر الذين عوّلوا على اخراجهم من تخوم بلادهم قهراً — واذ قال احد الآباء لرجل من الضبّاط انهم لا يملكون شيئاً على الاطلاق اجاب الضابط بقولهِ : « فانتظروا اذن في حبسكم تحت قبضتنا الى ان يُصيبكم الوخم والعفن في فصل الشتاء فلا بُدَّ وقتئذٍ ان يجد اصحابكم الدراهم اللازمة لنجاتكم »

وبالواقع أُرسلت النقود لأن اهل البرتغال لم يتحالفوا كلهم على اضطهاد البرّ

والفضيلة فهبّت عائلات عديدة واكتتبت بالمبالغ اللازمة لسفرهم بل أرسلت لهم حسنات وافرة من ثياب واطعمة. ولمّا رأيتُ اخوتي الرهبان اذ وطئوا البلاد الاجنبيّة اغرورقت عيني دموعاً عند ما نظرتهم لابسين ثياب الصدقة التي كان تكرّم عليهم بها تلامذة مدرستنا كمبوليد اذ كانوا يتردّدون مرّة بعد أخرى على معلّميهم المضطهدين لاجل اسم المسيح. وهاءنذا عن بعد اتم شاكرًا ايدي كل هؤلاء المحسنين الكرام واقبّل وجنات اولئك الشبّان الاعزّاء الذين دون اشارة منّا البتة اسعفونا في ضيقتنا

وكان ينتظر ضحايا الظلم والاستبداد قبل سفرهم الى المنفى اهانةٌ اعظم من الاهانات السابقة وذلك انّ شيوخاً اجلاء وعلماء أعلاماً يكرمهم القاصي والداني لاجل سعة معارفهم ورهبانا ذوي فضائل تقضي بالعجب وشبّانا في مقتبل العمر ينطق صفاء وجههم بطهر قلوبهم قُضي عليهم جميعهم بان يمثلوا في دوائر التحقيق حيث دوّن العُمّال كل خواصّ اشخاصهم وتقاطيع اجسامهم فاخذوا صورهم الشمسيّة وقاسوهم الاقيسة الدقيقة حتّى عُقد اصابعهم كأنهم من كبار المجرمين لتُنشر في الجرائد هذه المعلومات والتصاوير الدالّة على عارهم. فلا يسعني الّا ان احتجّ خصوصاً على هذه الاذيّة التي انا قاصر عن وصفها ولولا حبُّ الرهبان لسيدهم المصلوب المعدود بين الأثمة لما صبروا على مثل هذا الضيم

على ان في اضطهادنا امرًا آخر لا استطيع ان اغضّ عنهُ الطرف في هذا الاحتجاج وذلك ان الحكم الذي اصدرتهُ حكومة الجمهوريّة الموقّتة في تاريخ ١٠ ت١ ١٩١٠ وخوّلتهُ القوّة الشرعيّة يصرّح بالغاء كل القوانين الاستثنائيّة. وفي الفقرة الثانية من البند الاوّل تُعلن بسبب هذا الالغاء بقولها: « انهُ لم يبقَ في الجمهوريّة البرتغالية عقابات دائمة او لوقت غير محدود ». والحال انّ الحكم الذي أبرز في حقّ الرهبانيّة اليسوعيّة يكذّب علانيةً هذا التصريح اذ قد سُنّ في حقنا قانون استثنائي فيهِ من الجور والاستبداد ما يُستغرَب صدور مثلهِ في جيل العشرين. قانون تقدّم بهِ ظالمٌ لم يُعهَد لهُ شبهٌ في الحكومات المطلقة والأبعد استبدادًا. وحتّى تظهر بنوع اجلى مناقضة الحكومة الجديدة لمواعيدها الحرّة قد أبرز في حقنا حكم نفي يفقدنا كل حقوق البرتغاليين وهذا الحكم هو حكم مؤبّد على هذه الصورة: « انهم لا يستطيعون ابدًا ان يعودوا الى اوطانهم »

ليس ما سبق سوى نظر عام اودعتهُ النزر القليل مما تكبّدناه من الاهانات والعذابات باسم الحرّية. ومن البديهيّ ان يسألنا هنا السائل قائلاً: تُرى ما هي الذنوب التي اوجبت عليكم هذه المعاملات الغريبة ؟

*

اني اقول في بادئ الامر انَّ الذين عاملونا بتلك المصادرات العنيفة الفظّة لم يذكروا حتّى الساعة الحاضرة ذنباً واحداً اقترفناه ليزكّوا بهِ فعلهم. وكذلك القانون الذي سُنَّ في نفينا سكت عن جنايتنا وانّما استند الى القوانين الماتة التي سنّها قديماً الوزيران بمبال (Pombal) واكويار (Aguiar) وأبطلها حكم هنتس ريبيرو (Hintze Ribeiro) فجدّد هذا الحكم الجديد في حقّنا تعنيفات لم يَعُد يُسمع بمثلها في عصرنا

ومن جانب آخر انَّ ما يدعونهُ بالرأي العام مهما هيّجوه علينا بسفسطات الصحافة العادية ولغط كتبة متهوّسين لم يصرّح بشكاية معلومة وانّما يدّعون علينا باسم هذا الرأي دعوات مبهمة ينقلونها عن كُتب القصصيّين العتيقة التي ألفها قوم أفكة أعمى قلبهم بغضُ الدين

فاني مهما بحثتُ ودققتُ في مطالعة المقالات المسطّرة باقلام اعداء اليسوعيين او الروايات التي يتناقلها في حقّنا البسطاء والجهّال لا اجد شكاية رموا بها غير ما جمعتهُ في هذه الفصول الستّة:

١ً تجهيز منازلنا بالاسلحة ونقبنا فيها الاسراب
٢ً ثروتنا الطائلة وسعينا في اصطياد الوراثات
٣ً قهرُنا الشبّان للدخول في جماعتنا
٤ً نظامنا السريّ
٥ تداخلنا في امور السياسة وبغضنا للجمهورية
٦ً نفوذنا الارتجاعيّ

فهذه هي الشكايات التي يكررها اعداؤنا في حقنا ولا يسعني الّا انَّ اجيب عليها جواباً مقنعاً بازاء وطني في حين تضغط عليَّ وعلى اخوتي يد الظلم فتقضي علينا بان نعيش بعيداً عن بلادنا كاسفي البال منكسري القلب

١ً (الاسلحة والاسراب) اقول دون ارتياب اننا لم نقتنِ قط سلاحاً وليس

في بيت من بيوتنا سرب او نفق مجهول . ولعلّنا كنّا أصبنا لو فعلنا فان هذا حقٌ من حقوقنا . ولمّا رُفعت الشكوى في اسبانية على بعض منازل الرهبان بانّ لديهم اسلحةً اجاب رئيس شورى الدولة امام مجلس الندوة : انّ هذا احوجتهم اليه احوال الزمان

ودونك ما جرى في مدرستنا في كمبوليد فانّ القوم دخلوها عنوةً وهجموا على منافذها وغُرفها فحطّموا كل شيء وفتحوا المخازن والقوا على الارض الكتب وبعثروا الاوراق وتهددونا بالقتل . افليس هذا دليلاً على اننا كنا احسنّا لو حصّنّا مدرستنا في وجه هؤلاء الزاحفين على الاقل لوقت قليل ريثما يسير الخبر الى الجند النظاميين ليسرعوا وينقذونا

انّما في حقيقة الامر ما كان لدينا وسيلةٌ للدفاع عن انفسنا . ففي هذه المدرسة الكبيرة والبناء الواسع ما كان عندنا سوى بندقيتين من بندقيات الصيد ليروّح بهما المعلمون انفسهم في أيام العطلة السنويّة في بستان ڤال دي روزال . ولم يخطر على بال احد من اهل المدرسة ان يستعملهما في ساعة هجوم القوم علينا

يقولون قد سُمع في ديرنا في كوالهاس (Quelhas) صوت الرصاص كما نقل البريد الخبر ولم يكذبه بعدُ احد . أعلمُ بانّ هذا الخبر قد شاع لكنّ شيوعهُ كذبٌ ومحض افتراء اذاعهُ نبأ رسمي ولم يكذّب تماماً حتّى الآن فبخس بعرضنا امام العالم . نعم ان مراسل جريدة « الوستراسيون » الباريسيّة روى عن لسان فريق لسبونة الذي اقامتهُ حكومة الجمهوريّة بانّ بعض رهباننا كما يظهر اطلقوا البنادق مع من اطلقها . الّا انه ليس بالامر العسير ان يعرف بالحقيقة من هم اولئك الذين كانوا لابسين ثوباً رهبانيًا واطلقوا الرصاص لأنّ الخداع انكشف في كمبوليد فهناك ايضاً وجدوا يسوعيًا كما زعموا اطلق سلاحهُ على القوم فقتلهُ اصحابهُ ووقع صريعاً على الحضيض ولمّا عرّوهُ عن ثوبه الرهباني المستعار وجدوا تحتهُ ثوب الجنديّة

ومما لا ريب فيه انّ دير كوالهاس لمّا ساوره القوم كان قد فرغ من سكّانه والرهبان اصحابهُ قد أُلقوا في الحبس منذ يومين . امّا الاسراب الخفيّة التي زعموا انّ اليسوعيين تولجوا فيها سرًّا ليطلقوا الرصاص على الشعب فانّها تخيّلات صبيانيّة واقوال فارغة لم يستطع شاهد واحد ان يثبتها حتّى الآن . وقد اعلن زائر رسمي للدير انهُ طاف كل انحاء المنزل فلم يجد فيه اسراباً غير اقنية البواليع

هذا ما لا يُنكر عن دير كواداس اما مدرسة كمبوليد فاني ازيد على ذلك بانّ دائرتهُ كانت مجهّزة باقنيــة عديدة للمجاري التي كانت تنقــل مياه الامطار الى الصهريج العظيم الذي ابتناهُ احد اسلافي من رؤسـاء الدير. وقد زار اهل الحكومة هذه الاقنية ايضاً وعرفوا حقيقتها. ومع ذلـك قد تجاسرت الصحافة المعادية للدين فرسمت فوهة احد هذه المجاري وكتبت تحت الصورة « هـذا مدخل اسراب المدرسة » فأيم الله اني ما كنتُ لأحسب انه سيأتي عليّ يوم أُبرئ فيه نفوسنا من جدّ بازاء العموم عن دعوى التسليح والاسراب السرّية . لأنّ هذه الروايات المنقولة عنّا في الصحافة المعادية لليسوعيين والجديرة بخرافات الف ليلة وليلة كثيراً ما كانت تُضحكنا انا واخوتي في الرهبانيّة ساعات العطلة فكنّا نروّح النفس بذكرهـا هزلاً وتفكُّهاً. ولمـّا اشاع البعض في العام الماضي بان اليسوعيين اخذوا في التسليح في مدرستهم كمبوليـد اتانا احد وزراء الدولة السابقــة واشار علينا بان نخزن ديرنا في الواقع استدراكاً للخطر ولردّ غارة الاوباش. فأجبتـهُ اننا مستعدّون لأن نضحّي نفوسنا فهيهات ان نتهدّد حياة احد

٢ (الغنى واختلاس الوراثات) انّ الرأي في ثروة اليسوعيين قد كاد يعمّ بلاد البرتغال حتّى انهُ كان شائعاً بين اصحابنا المخلصين فضلاً عن خصومنا

فهَبْ اننا في الحقيقة اغنياء. وانّ غنانا ليس خيالياً فـلا أرى في ذلك بأساً ولا كون الغنى الطائل ذنباً يستحقّ النفي. ولكن هـذا الزعم في ثروتنا القارونيّة من التلفيقات الكاذبة. ويا ليت رهبانيّتنا كانت تملـك الكنوز في البرتغال فانّنا كنّا صرفنا تلك الاموال في منافع الأمّة وخيرها لسدّ حاجاتها العديدة. الّا ان تلـك الكنوز وهميّة لم توجد قطّ. ولمـّا تعيّنتُ لرئاسة اديرتنا رأيتُني مرارًا عـديدة في الضنك والمشاكل الماليّة لا اعلم كيف اقوم بأود اخوتي الرهبان ومعاشهم

وكذلك ما يختصّ بتدبير اموال رهبانيّتنا فانّ الاشاعات الكاذبة التي يتناقلها الناس في ذلك لا يفي بها احصـاء. وقد كنتُ نويتُ سابقاً أن ألقي بهذا الخصوص خطباً عموميّة لولا انّ قرار الوزير هنتس ريبيرو في شأننا كان يضطرّنا ان نعيش في بلادنا مجهولين متنكرين فكففتُ عن الامر مرغوماً. وكنت ارى انّ ذلك القرار ضغطٌ منافٍ للعدل ولمبدأ الحرّية الصحيح مع ما كان في قلبي من الحبّ الصادق نحو

الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي اراها موضوع إعجابي ووقاري. واذ اجد الآن الفرصة لذلك فاقول:

انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في حكمها ونظامها مرتبطة بالوحدة امَّا في تدبير اموالها فهي على خلاف ذلك غاية في التفرُّد والانقسام فانَّ كل دير يدبّرهُ اصحابهُ فقط. وكل ما يرويه الناس عن صندوقنا العام الذي نصرف مالهُ في جماعتنا هو من الروايات الفريَّة التي بنى عليها اعداؤنا الاكاذيب العديدة. امَّا البرتغال فانَّ غاية ما امكن رؤساء الاديرة ان يفوزوا بهِ بعد الاقتصاد والتقتير ان يفوا بديونهم فلا يكاد يبقى لهم رصيد في آخر كل عام

ومن المقرَّر انَّ اديرتنا ما كانت تعيش الَّا من حسنات القداسات والمواعظ مع ما يتصدَّق بهِ علينا المؤمنون طوعاً. امَّا رواتب مدارسنا فانَّ ما كنَّا نصرفهُ منها لقوت تلامذتنا وحاجاتهم المختلفة ومنتزهاتهم مع النفقات العديدة لتجهيز لوازم تلك المدرسة لتبقى في مقامها التعليمي وترقّيها الدائم كما يظهر من اثاثها وادواتها المدرسيَّة لم توفر لنا المال الكافي لتتمة عماراتنا فأجلنا البناء سنين طويلة ومن ثمَّ ما كنَّا نستطيع ان نقبل سوى العدد القليل من الطلبة. وزد على ذلك ان اضطهاد الرهبانيَّات في سنة ١٩٠١ ارعب قلوب كثيرين من الاهلين وقلَّ بذلك عدد تلامذة مدرسة كهوليد فلم يمكنَّا مواصلة البناء. وبعد هذا صرتُ رئيساً على تلك المدرسة فحاولتُ تتميم الابنية وتقدُّم العمل نوعاً الَّا انَّ الكتابات التي كان يحررها قوم من اعدائنا ضدَّنا في هذه السنين الثلث الاخيرة اتت بنتيجة سيئة فاضطررنا كما في السنة ١٩٠١ الى ان نوقف البناء منذ عامين. فتلك هي الكنوز العظيمة التي تقتنيها مدارسنا!

وماذا اقول الآن عن الدراهم التي يلزم انفاقُها على دارسي رهبنتنا فانَّ دروس شبَّاننا تدوم سنين طويلة وتقتضي مصاريف طائلة فلو عرف اولئك الذين يفيضون الكلام من دون تروٍ عن سعة ثروتنا ما تستوجبهُ نفقات تهذيب شباننا لمَا تجاسروا ان يختلقوا تلك المزاعم الفارغة. فان الراهب اليسوعي يصرف بين خمس عشرة الى سبع عشرة سنة في الدروس والتهذيب الرهباني فيقضي سنتين في الابتداء ثم يتفرَّغ الى درس العلوم البيانيَّة ثم الفلسفيَّة ثم اللاهوتيَّة فضلًا عن زمن معلوم ليتدرَّب فيهِ على التعليم وفي كل هذه المدَّة لا بُدَّ لهُ من معاش ومصروف. وزد عليهِ انَّ

معظم الطالبين الدخول في رهبانيّتنا في بلاد البرتغال ليسوا من الأُسر الشريفة الغنيّة بل من عيال متوسّطة او فقيرة

فالنتيجة من هـذا انّ لمعدّل مئتي شمّاس يسوعي كان النصف منهم يتفرّغون للدروس في البرتغال او خارجاً عنها ما كان لدينا للقيام بمعاشهم غير ما خصّهُ بعض الرهبان لهذه الغاية من ميراث اهلهم بكرم وتراهة الّا انّ هؤلاء قليلون ومعظم الذين يدخلون في الرهبنة لم يورثوها شيئاً امّا لفقر عيالهم وامّا لسبب حاجة اهلهم الى حصّتهم فاوصاهم الرؤساء بان يوزّعوا المال على ذويهم . فينتج عن كل ذلك انّ رأس المال اللازم لتهذيب شبّاننا من الرهبان لا يكفي لنفقات معاشهم لولا ان اريحيّة بعض المحسنين من اغنياء البرتغال سدّوا نوعاً هـذا العوز بهباتهم . على ان هؤلاء المحسنين قليلون جدًا في وطننا وليس بينهم واحد اوقف على رهبانيّتنا وقفيّةً كبيرةً تشبه اوقاف المحسنين الى رهبانيّتنا في بعض البلاد وخصوصاً في الولايات المتّحدة في اميركا الشماليّة

ولذلك سببان الاوّل انّ الكاثوليك الواسعي الثروة قليلون عددًا في بلادنا والثاني كثرة الاوهام في غنى اليسوعيين . فذلك كان يعدل بكثيرين عن حبس شيء من مالهم على رهبانيّتنا فلم يحظوا بقسم من صدقاتهم . وان سألت كيف اذن يدّعون عنكم بأنكم تقتنصون الوراثات ؟ اجبتُ هـذه ايضاً من المثالب والافتراءات العظيمة في حقّنا فلا يسعني الّا ان انفيها عنّا بكل قوّة نفسي . اني لعالم ان اصحاب المراسح قد مثّلوا غير مرّة وروايات تشنّع اعمال اليسوعيين وتقبّحها كأنها امور واقعيّة مقرّرة وليست هي في الحقيقة الّا تكرارًا لما اخترعهُ اصحاب الكذب والبهتان في ثلم عرضنا في الاجيال السابقة . وما انا قادر على تأكيده عن البرتغال انهُ قلّما افتكر في رهبانيّتنا اصحاب الوصايا واثنان فقط منهم تركوا لنا في وصاتهم مالًا مذكورًا.

ولو كان تبرّع علينا غيرهم من تركاتهم كنّا استطعنا ان نوسع دائرة اعمالنا بواسطة التعليم والطباعة ونشر الدين وخدمة الوطن ليس فقط في اوربة ولكن ايضاً في بلاد ما وراء البحر . فكم من مرّة لمّا كنتُ ارى ما يخلفهُ بعض المحسنين للجمعيّات الخيريّة من الاموال العظيمة والاوقاف الواسعة لا سيما في بورتو كنت اقول لاخوتي

ليت شعري لو اصبنا قسماً زهيداً من هذه الموقوفات لترويج اعمالنا الرسوليّة لكان جمهور الناس صوّبوا الينا كل سهام التقريع والتشنيع

٣ (الدّعوات القهريّة) ما من احد يوجّه السلام الى رجل انتظم في اي شركة كانت اذا دعا هذا غيرهُ لينضمّوا اليها وذلك لاعتبارهِ تلك الشركة ولرغبته في ترقيتها. وهذه الدعوة تستوجب ثناء اعظم على قدر كمال الشركة المنوّه بها. وعليه لا حرج على الرهبانيّات ان تدعو اليها اولئك الذين تجدهم اهلًا للدخول في سلك ابنائها ليقيّدوا اسماءهم بين اعضائها

على انّ الرهبانيّة اليسوعيّة تشذُّ في هذا الامر عن سائر الجمعيّات. ولعلّ قولي هذا يذهل الكثيرين وهو عين الحق. في رسومنا وصاة صريحة تقضي علينا بأن لا نجتذب احدًا الى جماعتنا وغاية ما يمكننا صُنعهُ اننا اذا رأينا احدًا راغباً في الدخول بيننا نعضد دعوتهُ الالهيّة دون ان نضغط عليهِ باي نوعٍ كان. واني لمتأكّد أنّ اخوتي في الرهبانيّة جروا على هذه القاعدة. والحقّ يقال انّهم لو خالفوا هذه الفريضة لكانوا ليس فقط حادوا عن رسوم رهبنتنا بل لأتوا بعمل قليل الحكمة اذ انّ بين الاسئلة الاولى التي يلقونها على طالب الدخول في عدادنا سوءالًا هذا منطوقهُ: «هل احد من رهبنتنا جذبك الى التّرهب بيننا؟» وكأنهم يعلمون العلم الاكيد انّ الشبّان المدفوعين الى رهبنتنا على هذه الطريقة لا يثبتون في دعوتهم لأنّ التفاني الذي تقتضيهِ عيشة الرهبان اليسوعيين والتجرُّد الذي يستوجبهِ الخضوع لاوامر الطاعة يبلغان حدًا لا تقوم معهُ غير الدعوة الصحيحة المرسلة من الله. امّا الدعوة المبنيّة على سياسة البشر فعقيمة بلا شكّ

وزد على ما تقدم ان تهذيب الراهب عندنا وتخريجهُ في الآداب على مقتضى قوانيننا قبل ان يبرز نذورهُ الاخيرة لما يكفل بحريّتهِ التامّة لأنّهُ يبقى قابلًا لقطع كل العلائق التي تربطهُ مع الرهبنة بل تُقطع تلك الروابط فعلًا اذا لم يبرز بدعوة صادقة

وقد اتى خصومنا انفسهم بما يزكّينا من هذا القبيل فانّهم قبل بضعة اسابيع من اعلان الجمهوريّة نشروا في بعض الجرائد عدّة رسائل كتبها احد رهباننا الى شابٍ كان يطلب منذ زمن طويل الدخول في جماعتنا. فانّ هذه الرسائل تنطق

بلسان حالها عن فطنة كاتبها واعتداله وافكاره السامية المجرّدة عن كل غاية بشريّة فليراجعها العقلاء يجدوا احسن جواب على الافتراءات بحقّنا. اقول هذا عن الرسائل نفسها لا عن المقدّمات والملحقات المملوءة خبثاً وكذباً التي اضافها الصحافيّون للطعن فينا

٤ (نظامنا السرّي) لو صحّ ان يكون نظامنا سريّاً كما يقال أيليق برجال يدافعون عن الجمعيّات السرّية ان يضطهدونا لهذا السبب ؟ ولكن نردّ قطعيًّا هذه الشكاية الباطلة. فانّ رسوم الرهبانيّة اليسوعيّة والقوانين التي وضعها القديس اغناطيوس دي لويولا منشئها مشهورة تحتوي عليها كل المكاتب العموميّة فكلّ من شاء يستطيع ان يطالعها ويدرسها

وان قيل انّنا نعيش في البرتغال متنكّرين اجبنا انّ هذا قد حكم به علينا ارباب الامر المتّلين لدولة تدّعي انّها كاثوليكيّة وهي مع ذلك لم تجسر ان تمنع لرهبانيّة مثبتة ومعدوحة من الكرسي الرسولي الحرّيّة التي تتمتّع بها في البلاد البروتستانيّة فاقتضى الامر ان نتستّر تحت اسم « شركة الايمان والوطن » ونكتفي بشبه الحرّيّة بدلًا من النفي الذي كانوا يتهدّدوننا به. وقد استمسكنا بهذه الرخصة الضعيفة لنشتغل على قدر استطاعتنا لخير الدين ووطننا البرتغال

هذا ما فعلناه مرغومين اذ لم نكن راضين بحالتنا كأنّنا نخاف النور والشهرة. وفي الواقع كان الجميع يعرفوننا كما نحن. ولو اراد اصحاب الامر الحاليّون من الجمهوريين ان يتحقّقوا بانّهُ لم يكن لدينا داع يستوجب الاستخفاء فليراجعوا ما وقع بين ايديهم من لوائحنا حيث توجد اسماء كل واحد من اليسوعيين البرتغاليين مع قائمة وظائفنا. فان فعلوا عرفوا بانّنا نستطيع دون ريب ان نجاهر بحقيقة حالنا وانّ اشرف اسم يجدر بنا ان نفتخر به بعد اسم المسيحيين هو اسم رهبان جماعة يسوع

٥ (التداخل في السياسة وبغض الجمهوريّة) هذه الشكاية اسندوها الى عدّة مقالات ظهرت في مجلّتنا « السيّار » (Messager) ثم بنوها على ما لاح في جريدة « البرتغال » من الخطّة الهجوميّة واخيرًا على الروايات الخرافية المتعدّدة التي نشرتها الجرائد بنسبة الانتخابات الاخيرة

اقول انّ المقالات التي نُشرت في « السيّار » هي علميّة يقدر ان يطالعها كل من احبّ فانّ التعاليم الموضحة هناك في شأن اشتراك اصحاب الاصوات بسنّ الشرائع

وتنفيذها وفي تضامن اعضاء كل حزب بتسطير لائحته وتثبات تقاليده واجراء خطته هي كلها التعاليم المقرَّرة في كل الامم التي لا يعاكس تمدُّن اهلها حرّيّة ابحاث الكاثوليك الاجتماعية فيها كما هو جارٍ بيننا لسوء الطالع . والحق يقال انَّ هذه الحقائق راهنة ثابتة خارجاً عن بلاد البرتغال منتشرة انتشاراً واسعاً بفضل مناشير الاساقفة وتعليم الاكليروس وشيوع الجرائد والكتب المتواترة . امَّا في بلادنا فكانت هذه التعاليم مجهولةً ولاجل ذلك تلقَّى الجمهور ما نشرناهُ كبدعٍ واختراعات جديدة بينما يعدُّهُ الكاثوليك في سائر البلاد كنتائج ادبية ولاهوتية شائعة مبتذلة . ولكن هب انَّ آراءنا مخالفة لمذاهب غيرنا في هذا الامر وامور اخرى سواه فيا تُرى ايّ جنس من الحرّيّة يبقى لاهل بلدٍ إن كانوا في ريبة عمَّا اذا يجوز او لا يجوز للاهوتيّ ولكاتب ادبيّ ان يوضح رأيهُ في مجلّة عمومية عن احد الابحاث التي هو اعرف بها من سواهُ فيدافع عن صحّتها ؟ اليس هذا الريب نفيَ كل حرّيّة ؟

امَّا جريدة « البرتغال » فانَّ صاحبها نشر مؤخَّراً رسالةً بخصوصنا تعفينا عن الجواب وهو هناك يؤكِّد انَّ الرهبانية اليسوعية كانت براء من كل الكتابات التي نشرها في هذه المدَّة الاخيرة اي مدَّة جدالهِ العنيف مع خصومهِ

ولا اقول هذا كحجّة فارغة او كعذر كأني لا ارضى بحماسة الصحافة الكاثوليكية وخطّتها الباسلة . كلّا فان الحقيقة يجب الدفاع عنها بشهامة . أفلا ترى كيف يدَّعي اعداء الله لنفوسهم حقّ التحامل على خصومهم بكل كلام بذيّ فيتطرَّفون ما شاؤوا ولا يرعوون عن الكذب والثلب وكل الطرائق الذميمة . نعم انَّنا لا نستطيع ان نحاربهم بسلاحهم لأنَّ ذلك بعيد عن تعاليم الكنيسة وآدابها ولكن ألا يلزمنا على الاقلّ ان نشدّد عليهم النكير ونجيبهم الاجوبة المسكتة بلا غرض شخصيّ ولا تحفُّظ زائد ؟

هذا واني اعلم انَّ احدى جرائد الاباحيين نشرت مكتوباً خاصاً كتبتهُ لاحد الكاثوليك وحضضتهُ فيهِ على اسعاف جريدة « برتغال » . فأضرب اوَّلاً صفحاً عن سوء ادب الجريدة المذكورة التي تستند الى رسائل شخصية ولاسيما انَّها اضافت اليها اقوالاً عدائية لتؤوّل كلامي على هواها . ثمَّ اقول ان غاية ما يؤخذ من رسالتي اني اوافق الجريدة على خطّتها في عملها الاخير واستصوب طريقتها في المدافعة عن الدين

فاين الذنب في ذلك. ولو افترضنا ان احد اليسوعيين كتب المقالات الضعيفة التي لاموا الجريدة عنها أفي ذلك ذنب ما ؟ لا لعمري

ولنأتينَّ الآن الى الانتخابات الاخيرة فاني اعلن على رؤوس الاشهاد باني اكذب كل التلفيقات التي نشرها بهذا الخصوص صحافيون خالون من كل دين ولا ذمة لهم في حقّ الرهبان كاقوالهم العجائزيّة في اليسوعيين انّهم كانوا رافعين الصليب يطوفون في البلد ليجمعوا اصواتا لحزب النسيونالست وانّ وعّاظهم كانوا يتهدّدون بالجحيم كل من لا يصوّت للحكومة وغير ذلك من الخرافات التي يتناقلها قومٌ لا يعرفون من امور رهباننا وعاداتهم شيئاً. فانّ مثل هذه السخافات لم تخطر في بال احد منّا. لا بل اقول وان كان قولي يذهل البعض ان قايلين فقط من رهباننا ذهبوا الى التصويت. امّا سبب امتناعهم فلا يعنيني ذكرهُ هنا. وانّما اكتفي الآن بهذا القول انّ التصويت في الاحوال الحاضرة لفرضٌ واجب لا يجوز لاحد ان يمتنع عنهُ الّا على طريق الشذوذ او لاسباب ثقيلة. فانّهُ من الامور المعلومة انّ حكم الملكيّة الاخير جاهر بعداوتهِ للدين ولذويهِ وبعد ان تطاول اربابهُ في امور كثيرة على حقوق الكنيسة اخذ يضطهد الجمعيّات الرهبانيّة حتى عرف كلٌّ من لا يعمي بصرهُ عن مشاهدة النور انّ نيّاتهِ من هذا القبيل كانت عدائيّة كما ظهر في الاحكام التي صادق عليها الملك في اليوم السابق لخلعهِ وذكرتها الجرائد مؤخّراً بعد سقوط الملكيّة. فوالحالة هذه أكان يستطيع الكاهن الكاثوليكي ان يسكت عن تلك القارات وينسى واجباتهِ المقدّسة المفروضة عليهِ من حيث هو ربيئة لشعب الله ولا يشير الى الخطر اللاحق بالدين فيصرخ كالقديس يوحنّا السابق بازاء هيرودس « لا يجوز »

فمن هذا الوجه كما من وجوه أخرى قد رماني اعداء رهبانيّتنا بل شرّفوني بتُهَمهم واكاذيبهم فزعموا اني منذ توليت رئاسة جمعيتنا في البرتغال سرتُ على خطّة جديدة. فايم الحقّ لم يجدني احد قطّ بصفة رئيس اني تداخلت في امور السياسة او اشرتُ الى احدٍ من مرؤوسيّ الى ان يتداخل فيها. ليس لرهبانيّتنا سياسة غير سياسة الصلاة الربّيّة « ليأتِ ملكوتك ولتكن مشيئتك في الارض كما هي في السماء »

نعم اني لَعالم العلم الاكيد بانّ اعداء الله وكنيستهِ لا يمكنهم ان يغفروا لنا سيرنا على هذه السياسة الالهيّة وسعينا الدائم في اخراجها الى حيّز الوجود وليس سبب

اخر لبغضهم المطبّق لنا في كل زمان غير هذه الحطّة. فهما اختلفت الشكايات والدعاوي الباطلة التي احتُجّ بها في كل الازمنة وكل الامكنة لاضطهاد رهبانتنا فانك تجد الموجّهين الينا تلك الشكايات انما هم على الاطلاق اعداء الله واعداء الكنيسة الكاثوليكيّة

ولا اطلب برهاناً آخر لتأييد قولي غير الوقائع الجارية اليوم. يقولون اننا نحن اليسوعيين ألدّ اعداء الجمهوريّات وأنهُ ينبغي لاجل ذلك ان نُعامَل بقساوة اعظم من غيرنا. يا لها من حجة فارغة فانّ الرهبانيّة اليسوعيّة لا تنقم مطلقاً على الدول الجمهوريّة من حيث هي كذلك. والدليل عليهِ انّ كتبة رهبانيّتنا المعدودين كأئمّة الكتّاب في العلوم الفلسفيّة واللاهوتيّة دوّنوا في تآليفهم بكل دقّة الاصول التي هي اساس الحكومة الديموقراطيّة وذلك عند ما كانت كل دول اوربة خاضعة لاوامر الملكيّات المطلقة. واليوم ان سرّحنا النظر في رهبانيّتنا وجدنا ان افضل الاقاليم الراقية في معارج النجاح واعظمها تمتّعاً بالحرّيّة انما هي الاقاليم الواقعة في الجمهوريّات. مثال ذلك اقاليمنا الخمسة المنشأة في الولايات المتحدة في اميركة الشماليّة. فليس اذن ادنى مناقضة بين اليسوعيين والحكم الديموقراطيّ

وان قال قائل انّ اليسوعيين كانوا في البرتغال اعداء الجمهوريّين اجبنا انّ اليسوعيين حيثما حلّوا يؤيدون الحكومة المحليّة كما تفعل الكنيسة عينها. ولمّا كانت الحكومة ملكيّةً في البرتغال قبل زمن قليل جرى اليسوعيّون على هذه السُّنّة. وكان لليسوعيين سبب آخر لعدم رضاهم بالنهضة الجمهوريّة البرتغاليّة وذلك انّ هذه الجمهوريّة ليست الجمهوريّة النظريّة التي يعرف فضلها اصحابُ الابحاث الاجتماعيّة لكنّها جمهوريّةٌ وضعيّة تتركّب من اشخاص معلومين. ومن هم يا تُرى اولئك الجمهوريّون البرتغاليّون؟ رجال معادون للدين معطّلون يدافعون عن الالحاد والزندقة او قائلون على الاقلّ بتجرّد الحكومة الرسمي عن كل مذهب. هذا على وجه العموم بالنسبة الى معظم زعماء الحزب الجمهوري ما خلا بعض الافراد القليلين. فان كان الامر كذلك كيف كان يمكننا دون مناقضة لتعليمنا بل دون خيانة نحو مبادئنا الدينيّة ونكران حقوق الله على الهيئة الاجتماعيّة ان نجاري ثورةً تؤدّي بالحكم الى ايدي مثل اولئك الرجال. وتراهم اليوم بما يأتونهُ من الاعمال السيّئة يثبتون في

اعين العالم بانّنا احسنّا بمناهضتهم كما انّ الحكومة الملكيّة الاخيرة اثبتت باعمالها كم كان ظنّنا فيها باطلاً. على اني اقرّ جهاراً باني كنت دائماً اتخوّف مآثم الحزب الجمهوريّ وتعصّب هؤلاء المتشدّقين باسم الحريّة لكني ما كنت لاتصوّر انّ اعمالهم ستبلغ الى حدّ ما نراها عليه اليوم

٦ (الفعل الارتجاعيّ) قد فنّدت كل المزاعم الكاذبة التي يستند اليها اصحاب الحكومة الجديدة ليزكّوا نفوسهم من همجيّتهم ويتنصّلوا من دوسهم بالارجل لمبادئ الحريّة ومن اعمال ظلمهم واستبدادهم التي انا واخوتي اضحينا ضحاياها. فما بقي الّا حجّة واحدة يكرّرها الناس عند انقطاع حجّتهم في بيان صدق مدّعياتهم فيقولون انّنا ذوو نفوذ ارتجاعيّ

اقول يصدق اعداؤنا ان ارادوا بالفعل الارتجاعي روحَ الامانة والحب للكنيسة الكاثوليكيّة وتضحية نفوسنا لاجل السيّد المسيح وثباتنا الشديد على ناموسه دون ان نخلّ منهُ بحرف واحد. وكذلك يصدقون ان قصدوا بهذا النفوذ سعينا المتواصل في تأديب الناشئة وتعليمها في مدارسنا مع التفاني في تهذيبها على اصول الدين ليكون الطلبة مسيحيين صادقين ونغني البرتغال بجمّ غفير من الكاثوليك ذوي الشهامة والعمل المواظبين على الصلاة المتعدين ان يجدّدوا كل شيء في المسيح بواسطة كلامهم وامثالهم. وكذلك ايضاً ان ارادوا بالارتجاع اتّخاذنا كل الوسائل التي في امكاننا كالوعظ وتوزيع الاسرار والتعليم والصحافة لنولي الله المجد الذي يستحقّهُ ونخلّص ما استطعنا من النفوس. فان كان هذا مرادهم بروحنا الرجعيّ نعم انّنا نبرّ باثمنا فنحن رجعيّون قد اقترفنا اثم الارتجاع

ويا لهُ من اثم غريب ومن ذنب عجيب في بلد يصرخ ذووهُ الى اربع خوافق العمور « حريّة الضمير حريّة الكلام حريّة الصحافة ». نعم حبّذا الاثم الذي يقترفنا بهِ رجالٌ كانوا يتجنّون على الحكومة الساقطة بانّها تحصر الحريّة اذ كانوا في منتدياتهم وفي اعمدة جرائدهم يرشقون السلطة وأربابها بألسنة حداد ويهيّجون عليها كل الاهواء الباطلة . والعجب العجاب في ذلك انّ الذين اليوم يتحاملون علينا ويشنّون علينا الغارات هم هم اولئك الذين كانوا لا يزالون يكرّرون انّ كل انسان حرّ بنشر افكاره والدفاع عن آرائهِ

واي وسائل يا ترى توسّلنا بها لبلوغ غايتنا ؟ هل وجدونا في جنبنا الغير الى ارائنا ونقمنا منهم لمقاومتنا نتهجّم على بيوت الناس او نستولي قهرا على مقتنياتهم ؟ هل رأونا نتهدّدهم بالحبس او نسحبهم في الازقّة معرّضين لشتائم القوم او نلقيهم في السجن او نفصلهم عن هناء حياتهم الوطنيّة والاهليّة او ننفيهم عن مستقط رأسهم ابدًا ؟ كلّا ثم كلّا فانّنا لم نتخذ البتّة وسائل كهذه . وانّما يتّخذها اولئك الذين يعظّمون الحرّيّة وبدلًا من ان يقوموا في وجه خصومهم ويردّوا على براهينهم بالبراهين مثلها ويفنّدوا اقوالهم بالحجج الراهنة والطرائق الادبيّة يرون طريقة اسهل واقرب لادراك مآربهم بان يسدّوا افواه خصومهم بالقوّة وينفوا من تخوم بلادهم اولئك الذين ينشرون التعاليم المخالفة لتعاليمهم اذ لم يجدوا حتى الآن سبيلًا الى تفنيد ادلّتهم بغير الكلام الفارغ والسباب

فلدى نظرنا هذه اعمال الجور التي يتأفّف منها كل عاقل . لدى هذا النهب والسلب الفظيع . لدى هذا الاستبداد البالغ الذي تزيد شناعتهُ مع تهكّم اصحابه الذين يزعمون انّهم يصطنعون كل ذلك باسم الحرّيّة أفما يحقّ لنا بان ننشر هذا الاحتجاج ونُسمع وطننا صوتاً تخنقهُ العبرات صوت التأسّف والحبّ معاً

وبهذا الكلام الاخير قد كشفت عن اقصى افكاري ومكنونات صدري . فرغماً عمّا اشعرُ بهِ من المرارة لما لحق بالابرار من الظلم القبيح أوكد بان في قلوبهم غالبةً عواطف الاسف والغفران

نتأسّف لأنّنا نُفصَل عن وطننا العزيز الذي يريدون ان يصدّونا عن ان ندعوهُ بهذا الاسم لكنّنا نقيم على حبّنا لهُ حبًّا رقيقاً ما دامت فينا نسمة حياة . نتأسّف على كل هذه المشروعات الخيريّة التي خصصنا بها حبّة فؤادنا وخيار مساعينا . على هذه الكنائس التي بشّرنا فيها بالانجيل والقينا المواعظ . على هذا الاكليروس العالميّ الذي استحقّ شكرنا بلطفهِ وثقتهِ بنا . على هذه الجمعيّات الرهبانيّة التي كنّا نكرمها والتي نحسدها على ما يُترك لها من الحرّيّة لمواصلة اعمالها وان كانت دائرة هذه الاعمال اضحت لها حرجةً ضيّقة . نتأسّف على جماهير اهل الوطن الذين كانوا يبادلوننا الحبّ والاكرام . على الاصدقاء والمحسنين الذين كانوا في الجمعيّات التقويّة التي انشأناها لخير الرجال والنساء يقدّرون اعمالنا شاكرين ويمدّون بكل نزاهة ايدي المساعدة لتنمية

اثار غيرتنا. نتأسف على تلك الناشئة التي كنّا وددنا لو ضحّينا حبًا بها الف حياة

ونضيف الى شاعرة الاسف عاطفةً اخرى نجود بها من صميم القلب اي شاعرة الصفح والغفران. فان كان الربّ الاله امكنهُ ان يصرخ من علوّ صليبهِ «يا ابتاه اغفر لهم لأنّهم لا يدرون ما يفعلون» فلِمَ لا نردد نحن هذا القول في سبيل أناس ربّما طاوعوا في الغالب لمّا اضطهدونا دواعي الاوهام العمياء. ولِمَ لا نكرّرهُ في سبيل الذين جرّدونا من مقتنياتنا ونفونا وهم لا يعرفوننا الّا بما استشفّوهُ من وراء كتابات اعدائنا المملوءة بغضًا والمفعمة عداء

ومن ثمَّ في وسط دموعنا وبلايانا المرّة وبينما نقتات بخبز المنفى لا نزال نفكّر فيهم ونتضرّع الى الربّ الاله الذي ينير العقول ويمسّ القلوب ان يضيء ابصارهم بنور الحقّ الساطع. ونلتمس من جلالهِ تعالى أنْ تُساس بلاد البرتغال بروح الحرّية الحقيقيّة وانّ السيّد المسيح الذي هو «الطريق والحقّ والحياة» يقود وينير ويحيي الوطن الذي نحن مرتبطون بهِ باعظم روابط الحبّ

كتبهُ في مدريد في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٠

الاب لويس غنزاغا كبرال اليسوعي رئيس اقليم البرتغال

زراعة التبغ التركيّ في لبنان

للشيخ يوسف افندي الجميّل الاجزائي القانوني ورئيس اعمال المختبر الكيماوي سابقًا

توطئة

كثيرًا ما كنتُ اسمع في غضون دروسي الصيدليّة كبار التجار المتعاطين للتبغ اللبناني ولاسيّما اهل وطني بكفيا المتقدّمين على غيرهم في هذه التجارة يتذمرون ممّا اصاب بضاعتهم من التقهقر والهبوط في اسواق مصر حيث زاحمها التبغ التركيّ مزاحمة أدّت بعد زمن قليل الى رواجهِ العظيم مع كساد الصنف الكوراني

وقد خطر على بالي مذ ذاك الحين ان افحص كلّ هذه اجناس التبغ واحلّلها تحليلًا كيمويًا فباشرتُ بالامر في شهر ايّار من السنة ١٨٩٥ تحت نظارة استاذي العالم العلّامة والمأسوف عليهِ كثيرًا الاب سولوان اليسوعي في المختبر الكيموي الذي

جهّزهُ المكتب الطبّي الصيدلي الفرنسوي حيث كانت عُهدت اليّ ادارة اشغاله. ومما وجّهتُ اليه النظر خصوصاً حينئذٍ ما تحتويه ضروب التبغ من النيكوتين وهي اخصّ المواد القلويّة الضارّة التي يحتويها هذا النبات. فكانت نتيجة ابحاثي ما دوّنتهُ سابقاً في التأليف الذي صنّفهُ اخي الدكتور امين الجميّل سنة ١٨٩٧ في « قانون الصحة ». فكانت خلاصة مختبراتي انّ اصناف التبغ اللبناني حاصلة على مزيّة كبيرة وفضل عظيم على سواها بخصوص قلة النيكوتين فيها بيد ان التبغ التركيّ يفوق اللبناني برائحته الزكيّة التي يعتبرها اصحاب التدخين اي اعتبار

فمذ ذاك الحين فكّرنا في زراعة التبغ التركيّ في لبنان بعد اختيار بذوره رجاء ان نعمّم في الجبل تربيتهُ فنحصل بذلك على مزيّة التبغين اعني ذكاء رائحة التبغ التركيّ مع قلّة المواد الضارّة وعلى الاخصّ النيكوتين التي يمتاز بها التبغ اللبنانيّ

ففي السنة ١٩٠٥ خرجت هذه الافكار الى حيّز الوجود فنالت رضى اصحاب الخبرة في مصر بفضل مساعي ابني عمّنا كنج والياس الجميل اللذين يديران معملاً لهما كبيراً في المنصورة منذ اعوام مديدة. ولم تزل اختباراتنا الزراعيّة تتقدّم سنة بعد سنة في الوطن بالنجاح والرقيّ المأمولين. وفي السنة ١٩٠٨ نقلت من هذا التبغ الجديد كميّة وافرة الى انطلياس حيث أنشئ « معمل التبغ والسواكير اللبنانيّة » باسم يوسف جميّل وشركاه. وقد كان هذا المحلّ أعدّ سابقاً باتقان وجُهّز بكل اللوازم فدخلتهُ في وقت واحد كميّات من التبغ المستحضر للشرب على افضل الشروط واوفقها. وكان منهُ اصناف مختلفة على حسب اذواق الشاربين وقدرتهم الماليّة

فجاء النجاح حليف الآمال منذ الاوّل كما هو معلوم رغماً عمّا اعترضنا من العوارض والمعاكسات. فاخذت من ثمّ حركة الاعمال والاطماع بالارباح تتهافت على هذا الفرع الجديد من الزراعة الوطنيّة وتجارتها. ونهض اصحاب الهمم من كل صوب لينشئوا محلّات غيرها فمنها ما دارت اشغالهُ ومنها وهي الاكثر عدداً ما يؤمّل تمشيتها فعلاً. وهذا كان مقصودنا لمّا قاومنا احتكار التبغ في لبنان (١. فنتمنّى من

(١) نشكر كثيراً بهذه الفرصة لجميع الجرائد الوطنيّة والمصريّة وخاصّة البشير الاغرّ ما اظهروهُ من اضرار الرسم الذي نوت وضعهُ حكومة لبنان على علب التبغ اللبناني مع ما فيه من خرق امتيازات لبنان العزيز ونظامه

صميم القلب النجاح لهذه المشروعات كلها رجاء ان يجد فيها الجبل موردًا جديدًا لترقيه وتحسين احواله. وليست غايتنا من الصفحات الآتية غير خير الجمهور ليستفيد مواطنتنا من ثمرة اختباراتنا المتوالية لزراعة التبغ منذ سنين عديدة. ويا حبذا لو امكننا ان نوسع نطاق زرع الصنف التركي وتحسينه في لبنان وتنمية استثماره فتزيد بذلك موارد الربح والخصب في وطننا العزيز

بحث اول

في المشاتل

اختيار التربة

انَّ التربة التي تصلح لمشاتل التبغ يجب ان تكون من حيث تركيبها شبيهة بتربة استنباته. وعلى الزارع ان يختار ارضاً لينة متفتتة تتخللها المياه بسهولة. فلو كانت التربة جامدة صلبة لما تيسر نقل الغارس في الوقت اللازم الى مكانها فضلاً عن انهُ يمكن من جرّاء ذلك أن تتقصّف اصولها الفرعيَّة وغمّا عن كثرة سقيها بل يمكن ايضاً ان ينكسر جذرها المتأصل في التربة. زود على ذلك انَّ التربة الصلبة تحفظ الماء في الغالب مدَّة طويلة وليس ذلك موافقاً للغروس كما سترى

والتربة الملائمة لذلك هي التربة الحمراء الضاربة الى القرمزيَّة سواء كان لونها كثير النصوع او قليلهُ مع تضمُّنها شيئاً من الرمل. وتُصلَح صلابتها بان يزاد فيها الرمل فيُدمج بهِ سطحها بالمسلفة

استحضار التربة

ينبغي ان تُحرث التربة المعيَّنة حرثاً جيّداً خمس او ستّ مرّات تباعاً مرَّة كل يوم وبعد الفلاحة تُنزَع من الارض الحجارة والحصى وعلى الاخصّ ما ينبت فيها من الاعشاب الباطلة وذلك بسلف الارض دفعات متوالية وبكل عناية

ثم تُقسم الارض قطعاً متعدّدة يدعونها مساكب يكون عرض المسكبة مترًا اما الطول فكما شئت والأولى ان لا يزيد على خمسة امتار ليسهل مرور الصنّاع والفلّاحين وتصرُّفهم في اعمالهم كالسلف والسقي وغير ذلك. ويجعل بين المسكبة والمسكبة

فسحة نصف متر. ولتكن تقاطيع الارض حسنة الهندسة متساوية الخطوط مضبوطة بخيط البنّاء المربوط بوتدين على طرفي المسكبة

ويُرفَع سطح كل مسكبة عن الفسحة التي قربها بنحو ٢٥ الى ٣٠ سنتمترًا ثم تُحفر على دائرة الارض كلّها حفائر دون الفسحة المذكورة يكون عمقها من خمسة الى ستّة سنتمترات في عرض ٥٠ س تقريباً . والغاية منها ان تكون مسايل تجري فيها مياه الامطار عند انصبابها المدرار وتنحدر اليها مياه السقي الزائدة عند حاجة المشاتل ولا بُدَّ لهذا المسيل من منفذ لينصرف منهُ الماء عند الحاجة

امّا السبب لرفع سطح المساكب فلكي لا يتأخّر جفافها النوعيّ بعد المطر الجود والسقي الوافر لانَّ المشاتل تحتاج الى سقي متواتر ولكن يلزم ان تكون قاربت الجفاف قبل تكرار سقيها اذ انَّ الرطوبة الزائدة والمتواصلة تأتي بغروس ضعيفة ضئيلة قصيرة الساق

وبعد ان تسوَّى المساكب وتُسطَّح ينبغي ان يُسمَّد سطحها بسماد منعَّم ومغربل من زبل الماعز او الغنم على سمك نحو سنتمترين ونصف. ثم يسلفون وجه الارض سلفاً حسناً ريثما يمتزج السماد بالتربة ليكون سطح المساكب مختلطاً اختلاطاً سويًّا متجانساً على عمق نحو ستة سنتمترات. فاذا تمَّ اصلاح المساكب على هذه الصورة اصبحت قابلةً للبذور ولكن ينبغي ان يكون ذلك السطح حينئذٍ يابساً يبساً تامًّا

زرع البذور

سيأتي الكلام بعد هذا عن اختيار البذر وتجهيزه ونحن نفترض الآن انَّهُ حسن صالح فنبيّن هنا كيف يُزرَع. اعلم انَّ الغرام من البذر يبلغ نحو سنتمترين مكعّبين فاذا زُرعت هذه الكميَّة في مسكبة مربَّعة قياس كل جانبٍ منها متر بلغ عدد الانصاب المقيدة للغرس الثاني نحو الالف. وهذه البذور لا تُلقى توًّا في المسكبة لأنهُ يصعب بذلك حسن توزيعها واستنباتها . فالأولى ان تُخلط كما هو مألوف بدقائق منعَّمة كالرماد او الرمل ويفضَّل الرماد . اوَّلًا لسهولة استحضاره ثمَّ لأنَّ الرماد بسبب تركيبهِ يُعدّ من اطيب السماد واصلحهِ . ولهُ مزيَّة اخرى كونهُ سنجابيَّ اللون فالبذور اذا أُلقيت عليهِ ظهر لونها الاسود في اجزائهِ وتيسَّرت معرفة تقسُّمهِ

فيُؤخذ من طرفٍ مثلًا خمسة غرامات اي عشرة سنتمترات مكعَّبة من البذر

ومن الطرف الآخر يؤخذ الف سنتمتر مكعب اي ليتر من الرماد الجافّ المنخّل ثمّ يجعلون الرماد في صحيفة معدنيّة مستديرة مقعّرة ثمّ يكبّون شيئاً فشيئاً بذور التبغ في الرماد ولا يزالون يهزّون الصحيفة ليصير الاختلاط تامًّا. ثم يتحقّقون ادراك غايتهم بان يلامسوا الرماد بكفّ اليد ويقلبونهُ قليلاً منحرفاً من اسفل الى فوق فتظهر بذلك بذور التبغ منبثّة في وسط الرماد . ويتابعون تحريك الصحيفة الى ان يتحقّقوا كون البذر اختلط مع التربة اختلاطاً كاملاً ويزرعونهُ على مسافة خمسة امتار طولاً فيكون مجمل ما يُزرع من البذر خمسة غرامات تُنتَبت في خمسة امتار من المساكب فتكون المشاتل نحو خمسة آلاف يحسن بالزرّاع ان ينقلها الى مغارسها في اوانها

وان احتاج الزارع الى زرع اراضٍ واسعة من جنس بذور واحدة امكنهُ ان يخلط كميّات اوفر من الرماد والبذر ولكن يحسن بهِ وقتئذٍ ان يزن او يحدّد بالمعيار الكميّة اللازمة لكل قطعة ذات خمسة امتار

ويجوز ان تُبذر البذور باليد مختلطةً بالرماد فيلقيها العامل من علو ٢٥ سنتمترًا وينثرها نثرًا شديدًا بسرعة بحيث تنتشر الحفنة الملقاة من احدى جهتي المسكبة الى ما وراء مركزها ويواصل عملهُ هذا في تلك الجهة حتى يبلغ الطرف ثمّ يصنع كذلك في الجهة الموازية وعلى هذا المنوال ينال وسطُ المسكبة حصّتهُ من البذور اذ لم يبلغهُ من كل جهة غير قسم منها وتُصبح طبقة الزرع متجانسة والبذر منتثرًا على سطح المسكبة كلها على سواء

ولا بأس ايضاً ان تُذرَّ البذور المختلطة بالرماد بواسطة المُنخل فتُنخّل فوق المساكب بهدوء ولكن يجب على الزارع ان يخلط بيدهِ من وقت الى آخر ما بقي في المنخل لئلّا تطفو البذور بحركة المنخل فوق الرماد وهي اثقل منهُ نوعاً. وهذه الطريقة اضبط من سواها وتليق بالذين لا يحسنون نثر البذور بيدهم او يحتاجون الى زرع مساكب قليلة الاتساع. والاولى ان يختار الزارع وقتئذٍ زمناً صحوًا لا تهبُّ فيهِ الريح او يقي المُنخل من حركة الهواء بحصيرةٍ او ستار آخر يمسكهُ رجلان فوق يدهِ ويتبعانهِ في حركاتهِ

وبعد نثر حبوب التبغ تُكدَس المساكب كدساً خفيفاً وذلك بان تعمد الى

لوح يبلغ سمكهُ نحو خمسة سنتمترات وعرضهُ ٢٠ سنتمترًا في طول ٥٥ س ويُمرُّهُ على المسكبة بقبض طولهُ متر واحد مثبت في وسط اللوح فيجيزهُ على سطح المساكب ذهاباً واياباً بهدوء دون ان يرفع اللوح عنها اكثر من ٣ الى ٥ سنتمترات. ويكون العمل على شبه الزرع فيُبدأ بهِ من احدى الجهتين الى طرفها ثمَّ من الجهة الموازية كذلك . وان لم يحصل الزارع على آلة كالتي وصفناها امكنهُ ان يستعيض عنها بظهر مسحاة ساوية

واذا تمَّ كدس المساكب يذرّون فوقها طبقةً من زبل المعز او الغنم نحو سنتمترين ونصف بعد دقّهِ وغربلتهِ. وهذا السماد يُنثر اوّلًا فوق المسكبة نثرًا اجماليًا ثمَّ يُساوى على سطحها منظَّماً اماً باليد او بقطع ساوية من الواح الخشب عرضُها خمسة سنتمترات في طول ٥٠ س

وفي ذرّ الزرع يحسن بالزارع ان يجعل الوعاء على صدرهِ ويمسكهُ باليد اليسرى ثمَّ ينثر الرماد مع البذور باليمنى بحيث تكون المساكب على طرفهِ الايمن وهكذا يصنع في الكدس

وليلحظ الزارع الزمان فان رأى المطر قريباً اكتفى بهِ لسقي الزرع والّا فيعمد الى مِرَشَّة دقيقة الثقوب فيسقي المساكب من علوّ قليل لئلّا يسحي الماء بالبَذر او يخدّ المساكب. وانَّما غاية الكدس ليثبت البذر في مكانهِ على قدر الامكان فلا يدفع بهِ الماء. ولكي ينبت في ارض ماكنة معتدلة الصلابة لانها اذا زادت صلابتها ربَّما ضعف النبات عن مدّ عروقهِ في الارض فيضوّل. ومن منافع الكدس انَّ المشاتل تقوى اكثر على احتمال الجليد اذا حدث

واذا بقي الزمان على جفافهِ يجب سقي المساكب حيناً بعد حين كلَّ اربعة او خمسة ايَّام الى ان ينبت الزرع تماماً

والقاعدة في لبنان انَّ الوقت الموافق لزرع التبغ متوسّط بين اوائل كانون الاوَّل وآخر كانون الثاني. وان تأخر الى شباط فات وقتهُ

واذا كان الزرّاع كثير الارزاق ويخصُّ بالتبغ قسماً كبيرًا منها فالأجدر بهِ ان ينثر البذور في غضون ازمنة شتى ليستطيع عند نقل المشاتل ان يقوم بالعمل على فضاء منذ اوائل نيسان الى آخر ايَّار. فاذا اتَّسعت المساكب ولاسيما اذا قلَّ عدد

الفعلة قصر عليه الوقت. وهذا الاحتياط مفيد ايضا لاستدراك ما يمكن حلولهُ من الخسارة بسبب البَرَد او الجليد اللذين يتهدَّدان المشاتل السريعة النمو

واحسن طريقة لاتقاء اضرار الجليد والبرد ان تُبسَط فوق المساكب حُصُر او بواطير وانسجة غليظة كالجنفاص فتُعلَّق على علوّ ٢٠ او ٢٥ س وذلك بان تُغرز في الارض على اطراف المساكب اوتاد يدقونها متساوية على مسافة متر بعضها من بعض ويضمّون اليها الأقصاب. فان صفا الجوّ ازالوا الحصُر عن وجه المساكب في النهار امّا في الليل فتُغطّى ابدًا

في الجهات التي يقرس فيها البَرْد فيبلغ درجات واطئة الافضل ان تُجعل ألواح المساكب في أُطُر او جرّارات خاصّة بها لتنجو من آفات الشتاء وتنمو بسرعة. امّا في السُّهول وشواطئ البحر والاودية الدافئة فانَّ ذلك من النوافل وزيادة في الكلفة

وان شاء احد توفير الحصُر والبواطير امكنهُ ان يستبدلها باغصان الصنوبر الخضراء او بالاعشاب الدغلة والاشواك. فاغصان الصنوبر تصون المساكب في حرارتها وتُسرع إنباتها ولكن يُقتضى نزعُها قبل اشتداد المغارس لئلّا يُحجب عنها النور فتضعف بذلك. والدَّغل اقلّ حرارة وانّما يمكنهُ ان يُحفظ زمنًا اطول. وكذلك يصلح الدَّغل لوقاية الزريعة من البَرَد حتى بعد نموّها وذلك بأن يُعلَّق فوق اوتاد صغيرة. امّا اذا بلغ النبات نموًّا كافيًا فلا بُدَّ من نزع الاغطية عنهُ مهما كانت ليقوى بالنور ويشتدّ في وجه الانواء.

على انَّ السهول لا تحتاج غالبًا بان تُستَر بالاغطية ولاسيما اذا بُذرت الحبوب في كانون الثاني (لهُ بقيّة)

النابغة لويس باسطور

١٨٢٢–١٨٩٥

للاب جاك هرتو اليسوعي

نشر الكاتب الالماني البروتستاني الدكتور دينرت (Dinnert) كتابًا لخّص فيه احوال علماء الاجيال الاربعة الاخيرة من حيث الدين. فعدَّد ثلثمائة من العلماء

اشتهروا في هذه الحقبة بمعارفهم الطبيعيَّة واثبت انَّ ٢٤٢ منهم كانوا من ذوي الدين. امَّا في القرن التاسع عشر فقط فقد وصف ١٦٣ عالماً اثبت ان ١٢٤ منهم كانوا من المعتقدين اعتقاداً صادقاً بالخالق القادر على كل شيء وبالحياة الابديَّة يصرّحون بمعتقدهم ولا يستحيون منهُ و٢٧ لم يصرّحوا بهِ في مؤلفاتهم و١٢ فقط كانوا من المرتابين في الدين او الملحدين

وبين الأعلام الذين شرَّفوا الانسانيَّة في القرن التاسع عشر بدينهم وعلمهم معاً ورقّوا المعارف البشريَّة وخفَّفوا وطأة الاوجاع والآلام عن بني جلدتهم ونجّوا من العاهات الوفا لا تُحصى وفتحوا لخلفائهم فتوحات العلم الصادق امتاز العالم المشهور لويس باستور من ازدان مفرقهُ بتاج العلم فاقرَّ لهُ بهِ القاصي والداني ولم يُنكره عليهِ حسود او عدو لما ازدان بهِ هذا العلَّامة من صدق المعتقد وسمو المدارك وسلامة السريرة ولين الجانب فنال إجلال المخالفين والخصوم انفسهم

وُلد لويس باستور في فرنسة في مدينة دُول (Dole) من اعمال « فرنش كنته » من عائلة قليلة الثروة عريقة في التدين والآداب فكان ابوه يعيش من شغلهِ وعمل يديهِ. ولمَّا شبَّ تلقى العلوم اوَّلاً في مدارس اقليمهِ ثم ذهب الى باريس وعكف على العلم فنال منهُ حظاً وافياً ثم درس العلوم الطبيعيَّة فاتقنها حتَّى جُعل استاذاً للطبيعيَّات والكيميا في مكاتب عديدة الى ان نُقل الى باريس وجعل يتابع دروسهُ الدقيقة واكتشافاتهِ البديعة التي فتحت للعلوم ميداناً كان مقفلاً. واوَّل ابحاثهِ كان في صفات البلور واستقطاب النور حلَّا لمسألة عويصة عرضها على زملائهِ العالم الالماني ميتشرليك (Mitscherlick) فنال باستور بملحوظاتهِ شهرة كانت اول مرحلة من اكتشافاتهِ وشهرتهِ في عالم العلم

وما لبث ان جعل نصب عينهِ مشكلاً كان من ادق المشاكل الطبيعيَّة وهو سرّ الاختمار وسببهِ. كل يعرف بالعين مشاهد الاختمار في السوائل فان حفظت عصير الكرمة خمر فستحال سكَّر العنب الى الكحول واصبح خمراً طيبة ثم تطرأ عليها حوادث تبدل حلاوتها الى حموضة الخلّ ثم يتغيَّر الخلّ فيعفن وينفسد. وقس عليهِ ما يطرأ على الحليب وغيرهِ. فذهب العلماء مثل ليبغ (Liebig) وبرزاليوس (Berzelius) وغيرهما في هذا السرّ الغامض مذاهب شتَّى لم تكن الَّا من باب

النابغة لويس باستور

(١٨٢٢-١٨٩٥)

الحدس والتخمين. اما باستور فلم يكن ممن يرضى بغير البرهان العلمي فواصل التجارب في موانع اخرى الى ان اثبت بالمجهر والامتحان ان الاختمار متولد عن ذوات حيّة يحمل الهواء جراثيمها فيلقيها في الوسط المناسب فتتولد وتنمو. فاذا ما غليت السوائل فماتت الجراثيم ولم ينفذ اليها الا هواء نقيٌ معقَّم خالٍ من كل جرثومة امتنع الاختمار. فكان هذا الاكتشاف المبدئيّ اساساً علمياً جدَّد المعارف الطبيعيَّة وفتح باباً جديداً للبحث والتنقيب. وقد تتبعهُ باستور وحذا حذوهُ من يماثلهُ من المدققين فعاد على العلم باسمى الفوائد

وتابع باستور تجاربهُ واختباراتهِ في الحليب والخمر والجعة وغيرها. وكانت عندئذٍ الآفات الزراعيَّة ضاربة اطنابها في كروم فرنسة فاثبت ان الخلل الطارئ على الخمور مسبب عن ذوات حيَّة لاصقة بحبّ العنب تنمو مع خميرة الخمر فتضرُّ بالكحول واخترع الآلة التي دُعيت باسمهِ لتسخين الخمر الى الدرجة ٦٠ فتتلاشى الخميرات المضرَّة وتبقى الخمر نقيَّة لذيذة

ومن اجلّ مباحثهِ التي نجّت من الخراب قسماً هاماً من اقاليم فرنسة وعادت على بلادنا خصوصاً بالخير العظيم هو ما توصل الى اثباتهِ بشان دودة القزّ وذلك ان مرضاً عضالاً او بالحرى امراضاً كانت انتشرت في دود القزّ اهمُّها ما يسمَّى بَبرين (pébrine) وفلاشري (flacherie) وكانت عوارضها كثيرة تنتهي كلها بموت الدودة قبل الاوان فالحَّ العلّامة دوماس على باستور باسم الرحمة والانسانية ان يتفرغ للبحث في اسباب الداء وعلاجه ولم يرضَ لهُ عذراً. فشرع في الدرس الطويل والتدقيق وقد اقرَّ ان البحث كان شاقاً والنتيجة صعبة المنال الى ان عرف حقيقة السبب وشرحه شرحاً وافياً وبيَّن وسائط الوقاية في اختيار الفراش ومراقبة احوالهِ وفحص البزر فكُلِّل مسعاهُ بالنجاح التامّ رغماً عن كيد بعض الحسدة والمعاندين وذلك سنة ١٨٦٥

ولا بُدَّ هنا من ذكر حادث هامّ في حياة باستور العلمية اهتمَّت لهُ نوادي العلم ومجلّاتها وتناقلتهُ الجرائد فاصبح مدة شغلاً شاغلاً للقرّاء ينتظرون النتيجة. وذلك انه في سنة ١٨٥٨ قام احد العلماء المسمَّى بوشه (Pouchet) وزعم أن كائنات حيَّة تتولد في بعض المقامات خلواً من سابق حيّ واكد انهُ امتحن الامر علمياً

بدقّة لا ينكرها عليهِ اصحاب العلم واعتبرها امرًا لا ريب فيهِ . فقام قائم الماديّين لهذا الخبر وطنطنت لهُ جرائدهم كأنهم استغنوا عن خالق الحياة باسم العلم والعلمُ براء منهم كما اثبت باسطور وذلك انهُ اعاد امتحانات بوشه بغألفاها محلّة من ابواب عديدة بحيث ان صاحبها لم يتحاشَ فيها ما كان عليهِ ان يتحاشاهُ اثباتاً لمدّعاه بانهُ حسم كل موارد الحياة عن السوائل التي تتأثّر من الهواء المحيط فتختلف فيهِ كميّة على مقدار فسادهِ

وبعد الاخذ والردّ الطويل واقامة باسطور الامتحانات العديدة وتكرارها امام اللجن العلمية اثبت بطلان ما زعمهُ انصار التولّد الذاتيّ فأقرّ ولا يزال يقرّ كل عارف بان الحيّ لا يتولّد الّا من الحي . ولا يزالون يحفظون في باريس الزجاجات التي ختمها باسطور ولم تظهر فيها ظواهر الحياة منذ خمسين سنة ونيّف

*

خدم باسطور في ما سبق العلم وذويهِ خدمة جُلّى لكنهُ قد خدم الانسانية خدمة اعظم واجلّ وذلك بتخفيف اوجاعها « واستخدام الميكروب مطلّل هذه الاوجاع دواء لها ودافعاً عنها » كما جاء في تقريظ احد العلماء لباسطور . وذلك إنّهُ ارتأى رأياً حسبهُ بادئ بدء ظنًّا وتخميناً فاراد ان يتثبّتهُ بالتجربة وهو أن قد يكون مسبّب التخمير سبباً لكثير من الامراض المعدية التي تئن البشريّة تحت اعبائها فشرع ينظر في الاخلاط الفاسدة ويمتحن احوالها وصفاتها فما عتم أن شاهد اجساماً دقيقة جدًّا لم يجدها على الجسم السالم تختلف جنساً ونوعاً وقدًّا في كل مرض من الامراض وهي التي دُعيت ميكروباً اي « الحيّ الصُغَيّر » ولم يكتفِ باثبات وجود هذه الحُيَيوَيّات لكنهُ برهن انها هي عوامل المرض وذلك انهُ لقّح بنقاعة الاخلاط بهائم سليمةً فاصابتها الامراض وجرّب الامتحانات العديدة الى ان ثبت الامر فكشف سرّ العدوى وعرّف العدوّ الذي يجب شنّ الغارة عليهِ او التحفّظ من آفاته ومن ثم استطاع الجراحيّون ان يعملوا عمليّات غريبة كانوا يمتنعون عنها سابقاً خوفاً من العقبى فعرفوا بفضل باسطور ان يتّقوا لواحقها باتقاء الميكروب القتّال واستخدام الموادّ المعقّمة دفاعاً عن الارواح وهذا اصل ترقّي فنّ الوقاية الطبيّة والطبّ بكمالهِ . وقد اخترع العلماء كلمة افرنسية اشتقّوها من اسم هذا النابغة دلالة الى هذا الفن

فقالوا « pasteuriser » ما يمكن نقلهُ الى العربيَّة بلفظ التَّبسطُر اي الوقاية على مبدإ باسطور فجعلوا لهذا الفنّ آلاتٍ معروفة لتطهير الماء والنبيذ والجعة والحليب الخ

وقد توصل باسطور الى تربية هذه الحيويَّات وترتيب معيشتها بحيث انهُ خفّف سمّها فاستخدمها للتلقيح. واوّل ابحاثهِ كان موضوعهُ عن هيضة الدجاج وجمرة المواشي فنال نجاحا عظيما اجدى بفوائد لا تُحصى على العالم باسره وعلى فرنسة بنوع خاص حتى قال احد العارفين: ان اكتشافات باسطور عوَّضت على فرنسة الخمسة المليارات التي دفعتها لالمانية كغرامة حرب السبعين

ومن اعظم تجارب باسطور واجلّها فائدةً درسهُ لداء الكَلَب فتوصَّل بعد الجهد الجهيد الى معرفة ميكروبهِ والسبيل للشفاء منهُ فشفى بهِ لاوَّل مرَّة سنة ١٨٨٥ شابًّا مصابًا بهِ وما انتشر خبر الاكتشاف حتى قام العالم باسره يثني على باسطور ويشكرهُ أحرَّ الشكر وجعل المرضى يتواردون من المعمور زرافات طالبين العلاج فانشأت حكومات العالم مستشفيات لهذا الداء خلّصت من الموت الألوف المؤلفة

هذه نظرة عامة في اكتشافات باسطور لم نذكر بوجيز الكلام الّا القليل من الكثير. ولم تمت هذه العلوم بموت باسطور فلا يزال تلاميذه يرقّون مخترعات استاذهم ويوسّعون نطاقها لخير الانسانية. لكن الفضل للمتقدّم

*

بقي علينا ان ننظر الى الصفات الادبيَّة التي امتاز بها هذا النابغة فجعلت له بين علماء العصور المتأخرة مقاماً رفيعاً. كان باسطور ذا عقل ثاقب وفكرة وقّادة اذا ما شاهد مشهدًا او جرّب تجربة علميَّة سبق فتنبَّأ عمَّا سوف ينتج عنها من المفاعيل والتأثيرات كأنَّهُ يشاهد النتائج بالعيان. لكنَّ ذكاءهُ السامي وتنقيبهُ العلمي كانا لهُ كقائدين يقودانهِ الى البحث المدقّق فلا يرضى بما اكتشفهُ حتى يؤيدهُ بالامتحان. فاذا رأيتهُ يعالج الموادّ ويجدد الاختبارات فتارة يغيّر الظروف وتارة يقلبها الى عكسها فيقابل بين ما توصل اليهِ وتترقّى في سلّم التجربة العمليَّة درجة بعد درجة لا يخطو الى الثانية الّا بعد ان أثبت الاولى اثباتاً لا مردَّ عليهِ قلت انهُ تلميذ جاهل او عالم معاند لا يرضى بالبرهان الكافي الوافي الّا بعد استقراء كل ما يمكنهُ معرفتهُ.

هذا ما جعلهُ بمعزل عن كثير من الاغلاط التي ربَّما سقط فيها العلماء المكتفون بالنظر الى وجهٍ من الامور لا الى كل وجوهها. ولم يكن ممَّن يطلب العلم مباهاةً بهِ او ترويحاً لعقلهِ لكنهُ جعلهُ واسطة لخير البشر اخوتهِ فاذا ما عرف سرَّ مرض او مصيبة سعى حالاً طالباً للداء دواء. وكان ما خلا ذلك على جانب عظيم من الوداعة والمجاملة فيتحبب اليهِ كل من شاهدهُ او تعاطى معهُ وقد اقرَّ لهُ بالفضل والسبق حتَّى الحسَدة والمخالفون والمعاندون فاصبح مجدهُ نقيًّا من كل شائبة لا يختلف في الاقرار بهِ اثنان

وقد كان عالمنا حافظاً لدينهِ الكاثوليكي مُتَّبعاً شرائعهُ بامانة وصدق سريرة ولم يكن الدين حاجزاً يمنعهُ البتة عن الاكتشافات البديعة التي توفَّق اليها وعن ترقية العلوم والمعارف وقد صرَّح بذلك صاحب الهلال (٤ : ١٦٦) قال :

« وكان العلَّامة باستور حسن العقيدة لم يَفُه بكلمة تدلُّ على ارتيابهِ بوجود الخالق بل كان متين الاعتقاد بوجودهِ جلَّ وعلا الى آخر نسمة حياتهِ وفي ذلك عبرة لمن يظن المنافاة بين العلم والدين »

حبَّذا الاقرار. وقال مثلهُ اصحاب المقتطف (٩ : ص ٨٠٥)

« وكان كاثوليكيًّا شديد التديُّن استدعى احد قسوس الكنيسة قبل احتضارهِ واعترف اليهِ وتناول الاسرار المقدَّسة يوم الجمعة قبل وفاتهِ. وتظهر شدَّة تديُّنهِ وصحَّة عقيدتهِ من الخطبة التي خطبها في اكادمية العلوم لمَّا جُعل عضوًا فيها بدل الشهير ليتره وقد ندَّد فيها بمعتقد ليتره وغيره من المادِّيين والطبيعيين »

وها اننا ننشر بعض شذرات من هذه الخطبة البديعة نقلاً عن المقتطف (٧ : ١٦٧) : (١)

. . . « واني قد برهنت بالبحث عن اصل الجراثيم الحيَّة ان الحيات على ما قد تحقَّق لنا حتى الآن لا تحصل من القوى المتسلِّطة على المادَّة (كقوَّة الحرارة والنور والكهربائيَّة والجاذبيَّة) فخدمت بذلك التعليم الروحي الحصين عندكم وان كان قد أُهمل عند غيركم . . .

« ان ليتره اتَّبع فلسفة كونت فحكم بوجوب ترك البحث عن الله والغيبي واصل الاشياء وغايتها زاعماً انهُ لا يمكن لنا ان نعرف حقيقة هذه الامور بالعلم. ولذلك قال انهُ يجب نزع صورها من العقول. على اني لست ادري اي اكتشاف فلسفي او علمي اباح لهُ ذلك

---

(١) حبَّذا لو تأمل كتبة الهلال والمقتطف الادباء هذه الاقوال وفيها تفنيد لما خطَّهُ قلمهم غير مرَّة. ونطلب اليهم ان يتحاشوا ما يحمل الكثيرين ان ينسبوا اليهم اراء وغايات بعيدة عن الدين

الحكم او قضى بوجوب نزع تلك الصور من الاذهان . ألا ترون ان الكون محجّب بالاسرار وان الصور التي حكم ليتره بوجوب محوها من عقول البشر انما حصلت فيهم من تلك الاسرار . . .

« امّا انا فاني اجد الدلائل على وجود صورة النير المتناهي » او النير المحدود « في اذهان البشر ظاهرة في كل مكان واحكم من ذلك بان ما فوق الطبيعة مستكنٌّ في فواد كل انسان ولمّا كانت صورة الله في النفس من نوع صورة النير المحدود وكانت صورة النير المحدود محجّبة باسرار تبي القلوب والعقول فالبشر لا ينفكون البتة عن بناء المعابد لعبادة النير المحدود الذي يسمونهُ الله . . .

مات باسطور في ٢٨ ايلول ١٨٩٥ بعد ان تزوّد الاسرار ويدهُ اليسرى في يد امرأتهِ وباليمنى يحمل صليب المسيح فيقربهُ من شفاهِ ليقبّله القبلة الاخيرة . وما انتشر خبر وفاتهِ حتّى اشترك بالاسف عليهِ مع فرنسة وطنهِ المحبوب العالَم المتمدّن باسره وقرّظتهُ المجلّات والجرائد فنال مجداً لم ينلهُ على الارض ملك ولا سلطان . وارادت الحكومة الافرنسيّة دفنهُ في الپانتيون فلم يرضَ ذووه بذلك حفظاً لحرمة الدين لان الپانتيون كنيسة اختاستها الحكومة من يد الشعب الكاثوليكي لدفن رجالها الكبار . فدُفن في المحل الذي قضى فيهِ حياتهُ يخدم الله والبشر . اجزل الله لهُ الجزاء .

السرّ المصون في شيعة الفرْمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٩ مناهضة الدول للشيعة الماسونية

١٠ ورياهُ في الابواب السابقة لا يُبقي ريباً لذي بصر في أنّ اهل الاديان اعتبروا الماسونيّة كسمّ ذعاف للمذاهب الدينيّة على اختلافها وكآفة مُجحفة بالآداب وبسلام الشعوب . ولعلّ معترضاً يقول هذا رأي خاصّ بارباب الدين لأنّ الماسونية تعاكس مآربهم وتتصدّى لهم في غاياتهم الشخصيّة التي يسترونها تحت حجاب الدين . امّا أولو الامر واصحاب السياسة فليس كذلك والدليل عليهِ انّ كثيرين منهم داخلون في الشيعة مناصرون لها

لا نجهل انّ بعض اهل السياسة منحازون الى ابناء الارملة وهذا عندنا احد

الادلّة على انّ الماسونية لا تتحاشى امور السياسة كما تزعم زورًا بل هي ابنة بجدتها والمتولية الخفيّة لتدبيرها. لئلّا نكذّب الماسون في قولهم انّ الدول تعضدهم اللهمّ الّا الدول التي صارت ازمّة الامر في ايدي اشياعها كفرنسة منذ سنين والبرتغال مؤخّرًا. وها نحن نسرد الشواهد اللامعة على مناهضة كل الدُول للماسونية فترى انّ ارباب الدنيا كزعماء الدين يتّفقون في رذل الشيعة ونفيها وان قويت عليهم بدسائسها

لا حاجة ان نذكر هنا انّهُ من المبادئ المقرّرة التي يرشد اليها العقل السليم انّ الدول مهما كانت نزعاتها او هيئاتها ملكيّةً كانت او جمهوريّة. مطلقة او مقيّدة. استبداديّة او دستوريّة تريد اذا كانت قابضة على سكّان التدبير ان تحفظ سلطتها وتقوم بامور رعاياها دون معترض. واذا وقفت على من يناوئها فتّت في عضده وفلّت شباةَ كيده. وان فعلت ذلك بمن يجاهر بمناهضتها فما قولك بمن يتستّر في الظلمة ليدسّ لها الدسائس. وفي الواقع ان تصفّحتَ تواريخ الشعوب كلّها وجدت انّها تتّقي كل الاتقاء من الشيع السرّيّة واذا اتّفقت الى اكتشافها ضربت زعماءها وشتّتت شملها ومزّقتها شذر مذر لأنّ الداء الدفين انكى شرًّا واعظم بلاء من الداء المكشوف

وان صرفنا النظر الى الشيعة الماسونية خصوصًا التي فشا عدواها في اوائل القرن الثامن عشر وجدنا الدول متكاتفة متناصرة في كبح جماحها واستئصال شأفتها كما فعل الاحبار الرومانيّون الذين سردنا بعض اقوالهم في ما تقدّم. ولئلا يعزونا احد الى المبالغة نذكر كمألوف عادتنا كتب الماسون وسواهم من المؤلفين الموثوق بهم فنحيل اليها القرّاء وعنها اخذنا. واخصّها: كتاب تاريخ الماسونية لتوري احد زعماء الشيعة الذي يُعدّ كتابهُ كانجيل الماسونية Acta Latomorum *ou* Chronologie de la F.·. M.·. par Thory. *Paris*, 1815, I, p. 29—263 ثمّ تاريخ الاخ .·. كلافل Clavel : *Hist. pittor. de la F.·. M.·.* وكتاب بارويل في تاريخ اليعقوبية (اي السونية) Barruel : *Mémoires pour servir à l'Histoire du Jacobinisme.* Lyon, 1818 وكتاب الاب كونترله رئيس رسالتنا السوريّة في الثورة والماسونية Ganterelet : *la Révolution et la Franc-Maçonnerie* Lyon 1872 ثم كتاب بول روزن الشيطان وشركاؤهُ Paul Rosen : *Satan et Cie.* Tournai, 1888.

وقد اتبعنا في ذكر الدول طريقة الحروف المعجم ليسهل على الطالعين مراجعتها

١ (اسبانية) في سنة ١٧٤٠ اصدر فيلبوس الخامس ملك اسبانية حكماً في منع الماسونيّة في مملكته — في ٢ تموز ١٧٥١ جدّد فرديننذ السادس ذلك الحكم وأمر بان يُحاكم المخالفون كألدّ اعداء الدولة — في أيار سنة ١٨١٤ حكم فرديننذ السابع باقفال المحافل الماسونيّة ومحاكمة اعضائها المخالفين لاوامره كاكبر الجُناة والائمة

٢ (أسوج) امر فردريك الاوّل ملكها في ٢١ ت ١ بالغاء كل المحافل الماسونية تحت طائلة القتل على العاصي

٣ (المانية والنمسة) برز الامر باسم الامبراطور كرلوس السادس سنة ١٧٣٧ بمنع اجتماعات الفرمسون. وفي ٢٤ حزيران أوقف اعضاء محفل مانهيم. وفي سنة ١٧٣٨ عمّم الحكم على بلاد النمسة وبلجكة وتقدّم بنفي الماسون. ولمّا علمت الحكومة بانّ بعضهم يجتمعون سرًّا في ڤيانّة اوقفت ثلاثين منهم وزجّتهم في الحبس في ٧ آذار سنة ١٧٤٣ — وفي سنة ١٧٦٦ حكم يوسف الثاني امبراطور المانية بنزع الوظائف عن التابعين للشيعة الماسونية. وفي ١ ك ١ سنة ١٧٨٥ اصدر حكماً في مراقبة الماسونية واعمالها وذويها. وفي ١٧٨٩ تقدّم بالغاء كل المحافل دون استثناء وطلب ان يقسم بالله اصحاب المناصب العسكريّة بانّهم لا يدخلون البتّة بين الماسون وان حنثوا بان يُفرّزوا من رُتبهم ويُعاقبوا عقاباً شديداً — وفي سنة ١٧٧٥ نهى امير هلديسهيم عن الانضمام الى الشيع السرّيّة — وفي ٢٦ آذار سنة ١٧٧٩ حكم مجلس إكس لاشابال بمنع الجمعيّات الماسونيّة وان يعاقب ذووها بجزاء نقدي قدره مئة فلورين مرّة اولى ثمّ مئتين مرّة ثانية ثمّ ٣٠٠ مع النفي المؤبّد مرّة ثالثة — وفي سنة ١٧٩٤ حاول فرنسوا الثاني ان يلغي كل الاجتماعات الماسونيّة — وفي ١٨٠١ في ٢٣ نيسان جدّد فرنسوا الثاني كل الاحكام السابقة في نفي الماسونية وتجريد كل العمّال عن وظائفهم — وفي ١٨٠٣ وقف الشرط في ڤيانّة على نادٍ ماسونيّ فحُبس اصحابهُ وجُرّد الموظّفون منهم عن رُتبهم وكان بينهم الحاجب الملكيّ

٤ (انكلترّة) في ١٣ تموز سنة ١٧٩٨ وافق مجلس دولتها على نفي الجمعيّات السرّيّة. اما الماسونية فاستُثنيت من هذا الحكم على شرط ان لا تُنشأ محافل جديدة وان تُقيّد المحافل القديمة بشروط معلومة كمراقبة الدولة

٥ (ايطالية) دوق طوسكانة الكبير جان غستون ابرز سنة ١٧٣٧ حكماً في مقاومة الماسونيّة ونفي اصحابها — وفي سنة ١٧٣٩ أوقفت الحكومة في فيرنسة الماسوني المسمّى كوردالي وحكمت عليهِ بالسجن الطويل — في ٢٠ آب سنة ١٨١٤ أعلن في ميلانو امر فرنسوا الثاني بمصادرة الماسون واقفال محافلهم تحت عقاب الحبس واستصفاء مال الجمعيات وجزاء نقدي من ٢٠٠ ليرة الى ١٠٠٠ . (اطلب نابولي)

٦ (باد) في سنة ١٧٨٥ اعلن شرل فردريك كبير دوقيّة باد امرًا في مسانهم يقضي بمنع الجمعيّات السريّة وبتقييد كل العمّال بقسم الامتناع عنها وان خالفوا عوقبوا — وفي سنة ١٨١٣ في ٧ اذار جدّد حفيدهُ فردريك غليوم هذه الاوامر وطلب من كل عمّالهِ اعلانًا بخطّهم يعدون فيهِ بانهم لا يدخلون على الاطلاق في مثل تلك الجمعيّات

٧ (باڤارية) في ٢٢ حزيران ١٧٨٤ حظر اميرها شرل تيودور على كل رعاياهُ الدخول في ايّ جمعيّة سريّة كانت ما لم تثبتها القوانين — وفي السنة التالية في ٢٧ نيسان كرّر ذلك الامر وخصّص بالذكر الماسونية وشيعة المنوّرين — وفي ١١ ت ١ سنة ١٧٨٦ فاجأ الشرط محفلًا ماسونيًا وضبطوا اوراقهُ السريّة فنشروها واكتشفوا مكايد اصحابهِ الفاحشة وحكموا على رئيسهم ڤيسهوبت بالاعدام لولا انّهُ ولّى هاربًا من باڤارية — وفي ١٣ ايلول سنة ١٨١٤ ابرز الملك مكسمليان جوزف حكمًا في ابطال كل الجمعيّات السريّة في كافّة باڤارية

٨ (البرتغال) في سنة ١٧٤٢ امر الملك جان الخامس بالتفتيش عن الجمعيّات الماسونية ومنعها . واذ تحقّق الشرط ان الانكليزي المدعو « كوستوس » من اعضائها حُكم عليهِ باللومان اربع سنوات لكنّ ملك الانكليز اخرجهُ منهُ بعد سنتين — وفي سنة ١٧٤٣ اتّفقت السلطتان المدنيّة والدينيّة على مصادرة الماسون الى أن انفرطت قلادتهم — في سنة ١٧٧٦ أوقف الماسونيّان دالنكر (d'Alincourt) ودون اويراس (Dom Oyres) وحوكما — وفي اواسط ايّار سنة ١٧٩٢ امرت ملكة البرتغال البصابات بان يُقبض على كل الماسون في جزيرة ماديرا

٩ (بروسية) اصدر فردريك غليوم الثالث حكمًا في حصر الماسونية ومراقبتها فامر ان كل من ينشئ محفلًا جديدًا يُحبس عشر سنين في قلعة وان عدد المحافل لا يزيد على ثلاثة وان تدوّن اسماء اعضائها مع وصف احوالهم ومكان اجتماعهم

١٠ (البندقية) كانت جمهوريّة الى ان استولت عليها النمسة قبل ايطاليـة. ففي سنة ١٧٨٥ شـدّد السناتو النكير على الماسون وأقفل محافلهم ونفى عن الجمهوريّة الموظّفين منهم فيها مع سائر اهلهم — وفي سنة ١٨١٤ أطلق الامبراطور فرنسوا الثاني على البندقيّة امرهُ على فرمسون ميلانو

١١ (بولونية) أمر اوغست الثاني ملكها سنة ١٧٣٩ بإقفال كل المحافل الماسونيـة وعلّق على ابواب الكنائس براءة البابا اقليمس الثاني عشر — في ٣ ت ١ سنة ١٧٦٣ قرّر مجلس دَنتسيك في بولونية منع كل اجتماعات الفرمسون

١٢ (تركيّا) ما لبثت تركيّا ان شعرت بحركة الماسون في بلادهـا فاخذت بمناصبتهم ففي سنة ١٧٤٨ امر الباب العالي بان يُحدق الشُرط في الاستانة بمحفل ماسونيّ فيطرد اصحابهُ ويُخرب الّا ان ذويه التجأوا الى سفير الانكليز فأوقف عن العمل على شرط أن لا تؤازر الدول الاجنبيّة الجمعيّات السرّيّة وعلى الاخص الماسونية (١. ولا شكّ انّ في الدستور العثماني قوانين تحرّم الجمعيّات السرّيّة وقد جُدّدت تلك القوانين بعد اعلان الدستور واليها اشارت جمعيّة الاتحاد والترقي لمّا عقدت مؤتمرها السنوي فطلبت من الحكومة رجلًا يمثلها في ذلك المؤتمر لئلّا تُشبَّه بجمعيّة سرّيّة

١٣ (جَنوَة) اعلنت حكومة جنوة الجمهوريّة في ٢٦ آذار سنة ١٨٠٣ انّها تنفي كل جمعيّة سرّيّة وانّها تُحاكم الذين لا ينقادون لاوامرها كمشاغبين ومقلقين ثمّ اوقفت كثيرين من الماسون ونزعت عنهم امتيازاتهم ورتبهم

١٤ (الدولة البابويّة) انّ الاحبار الرومانيين ليس فقط حرموا الجمعيّات الماسونية بصفة كونهم خلفاء القديس بطرس ونوّاب المسيح ولكن بما انهم ملوك على رومية ولواحقها تأثّروا اعقاب الماسون في مملكتهم. ففي ١٤ ك ٢ سنـة ١٧٣٩ نشر الكردينال فارُو باسم البابا حكمًا بالقتل واستصفاء الاموال على كل من ينضوي الى الشيعة — وفي ٢٧ ك ١ من السنة ١٧٨٩ اكتشف العسس البابوي محلًّا ماسونيًّا في رومية فباغتوا اهلهُ الذين فرّوا هاربين الّا انّ سجلّاتهم واموالهم واوراقهم السرّيّة

١) اطلب تفاصيل هذا الامر في كتاب الآثار لتاريخ النصرانية في الشرق الذي نشرهُ الاب انطون ربّاط Rabbath : *Documents pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient*, I, 135.

وقعت في ايدي الكردينال حاكم رومية — ولمّا رجع البابا بيوس السابع الى عاصمته بعد الآلام الطويلة التي قاساها في منفاه امر الكردينال كُنزلفي وزير دولته بان ينشر امرًا ضدّ الماسونية بموجبه تُستصفى اموال المتحازين اليها — وقد سبق القول انّ الشُرَط البابويّ في عهد غريغوريوس السادس عشر وقفوا على مجموع اوراق الماسونيّة الخفيّة فذُعر لها كل من اطّلع على فحواها الذي تقشعرّ له الابدان

١٥ (روسية) كانت كاترينا الثانية ملكة روسية تعضد اوّلًا الجمعيّات الماسونية بايعاز فردريك ملك بروسية والفلاسفة المزعومين كفولتار وديدرو الّا انّها ما لبثت ان شعرت بدسائس الماسون وخافت ان يصيب دولتها ما اصاب فرنسة فعدلت عن حمايتهم وعهدت بتفتيش محافلهم الى شرطها سنة ١٧٩٤ — ولمّا تولّى بعدها الامر ابنها بولس الاوّل جعل اوّل اهتمامه الاحتراز من الجمعيّات السرّيّة وخصوصًا الماسونية فامر سنة ١٧٩٧ بنفيها من كل ممالكه — ومثلهُ عمل خلفهُ اسكندر الاوّل في بدء حكمه سنة ١٨٠١ فجدّد اوامر سلفه واثبتها. ولمّا لحظ بعد مدّة انّ هذه الشيع تتسرّب الى بلاده بواسطة الاجانب اصدر حكمين الاوّل في آب سنة ١٨٢٢ على كل متوظف في الحكومة يلزمهُ بان يخرج من الشيعة او يُعزَل من منصبه وفيه يأمر الاجانب اذا دخلوا روسيّة ان يقسموا قسمًا محرّجًا بانهم لا يشاركون تلك الجمعيّات مطلقًا وكذا قناصل الدول. والحكم الثاني تبعهُ بعد زمن قليل في تشرين الاول من السنة كان مؤدّاهُ انهُ ينبغي على كل اساتذة الكليّات وتلامذتها ان يتقيّدوا بالقسم فيحلفوا على الانجيل بانهم لا ينضمّون الى الشيعة الماسونيّة

١٦ (سردانية) في سنة ١٧٧٧ بلغ ملك سردانية فكتور اميداي الثالث ان مجلس لنبَرْدية جنح الى الماسونيّة فامر بالغائه حالًا — ثم ابرز في ٢٠ ايار سنة ١٧٩٤ قرارًا باستئصال الماسونية من كل بلاده. ولمّا كانت سنة ١٨١٤ في ٢٠ ايار استأنف الملك فكتور عمانويل الاوّل حُكم سلفه وشدّد على الماسون من عمّال الدولة وتهدّدهم بالحبس و بتجريدهم عن كل الوظائف اذا تشيّعوا لهذه الجمعيات السرّيّة

١٧ (سويسرة) اجتمع سنة ١٧٤٣ مجلس بَرن فأمر باقفال كل المحافل الماسونيّة. وفي ٣ آذار من السنة ١٧٤٥ قرّر المجلس بان يُلزم كل مشبوه بالماسونية ان يجحد القسم الماسوني الذي ابرزهُ عند دخوله في المشيرة وحكم بان كل من يعود الى

الاقتران بهذه الجمعيات يُجازى بدفع مئة دينار ويجرّد من رُتبتهِ وامتيازاتهِ — وفي سنتي ١٧٧٠ و ١٧٨٢ ألحّت ايالات سويسرة بتنفيذ احكام مجلس برن: ثم صادق عليها خصوصاً مجلس مقاطعة بال سنة ١٧٨٥

١٧ (فرنسة) كانت فرنسة من اوّل الدول التي تصدّت للماسونية. فانّ محكمة باريس المعروفة بفرقة الشاتلِه (Châtelet) ابرمت حكمها في منع الجمعيات الماسونية في ١٢ ايلول سنة ١٧٣٧ وحكمت على المسمّى شابلو بأن يدفع جزاء نقديًا مبلغهُ الف دينار لأنّهُ احلّ في بيتهِ جماعة ماسونيّة وسطمت باب بيتهِ مدّة ستة اشهر. ثمّ جدّدت هذا الحكم في ٥ حزيران سنة ١٧٤٤ ووضعت ضريبة ٣٠٠ فرنك على من يسمح للماسون بان يجتمعوا في منزلهِ وأُنفذ هذا الحكم في المسمّى لوروا — وفي ٢٧ ك ١ سنة ١٧٣٨ قبض رجال البوليس على الماسون المجتمعين في باريس لحفلة عيد الشيعة — وفي ٢٤ حزيران سنة ١٧٦٧ حصلت منازعات ومضاربات في محفل باريس الاعظم فاقفلتهُ الحكومة قسرًا

١٨ (مالطة) اعلن رئيس فرسانها الاعظم ببراءة البابا اقليمس الثاني عشر سنة ١٧٤٠ وتقدّم بالغاء النوادي الماسونية تحت طائلة العقابات الصارمة ثمّ نفى من الجزيرة ستة فرسان لحضورهم اجتماعًا ماسونيًا

١٩ (موناكو) في ١٧٨٤ قرّر امير موناكو إبطال كل الجمعيّات الماسونية من اعمالهِ مؤبّدًا ثمّ كرّر هذا التقرير في السنة التالية

٢٠ (نابولي) حكم ملكها دون كارلوس في ٢ تموز من السنة ١٧٥١ بملاشاة الماسونية في بلادهِ كشيعة مخطرة — ثمّ قام خلفهُ فرديننذ الثالث وحكم بعقاب الموت على المجتمعين في المحافل الماسونية وذلك في تاريخ ١٢ ايلول ١٧٧٥. وفي العام المقبل حُبس بعضهم ونُفي البعض الآخر. ثمّ جدّد فرديننذ اوامرهُ سنة ١٧٨١. وخلفهُ بعد زمان فرديننذ الرابع فتعرّض لجمعيّة الفحّامين الماسونية والغاها وتهدّد اصحابها بالمعاقبات العنيفة

٢١ (النمسة) أعلنت فيها نفس الأحكام التي أبرزت في المانية وكان الامبراطور المالك عليها واحدًا. فلتراجع وكذلك بلجيكة

٢٢ (هولندة) هي الدولة الاولى التي سبقت الكلّ في رذل الماسونيّة: بُحكم

ابرزته شورى ولاياتها السبع في ٣٠ تشرين الثاني من السنة ١٧٣٥ فأمرت بقطع دابر الماسون. ثمّ نفّذ هذا الحكم بعد قليل حاكم لستردام وتقدّم باقفال محفل تلك المدينة

فترى رعاك الله رأي الدول المتمدّنة كلّها في الماسونية ومشايعيها: ولم نقف عليها كلّها اذ نحن نتأكّد انّ احكاماً غيرها قد برزت ايضاً في القرن التاسع عشر في بلاد شتى كجمهوريّة شيلي وجمهوريّة خطّ الاستواء في عهد غرسيا مورينو. على انّ ما ذكرناهُ يكفي لاقناع كل من لا يكابر الحقّ بانّ صحيفة الماسونية سوداء لا يمكن تحويلها الى لون البياض كالحبشيّ الذي لا تجديه الصابون نفعاً لتغيير سواده. وكان يودّنا ان نثبت نصوص احكام الدول السابق ذكرها فانّ كثيرًا منها يصرّح بالاسباب الموجبة لمعاملة الماسونيّة بالشدّة كاستخفائها في الظلمات وخوفها من مراقبة اصحاب الامر ومكايدها المتعدّدة وتهييجها للاهواء والمطامع وإثارتها للفتن واتيانها الاعمال السيّئة. فهذه مثلًا بعض مقدّمات قرار دنتسيك في بولونية سنة ١٧٦٣ :

قد بلغنا امرٌ كدّرنا جدًّا وهو انّ بعض اهل الوطن من المتوظّفين وغيرهم عقدوا جمعيّة يدعونها فرمسونيّة وهم يدّعون انّهم يقصدون من انشائها اسعاف الفقراء واعمال الرحمة. واعضاء هذه الجمعيّة يجتمعون سرًّا ويريبون الناس باجتماعاتهم ويسعون بتنمية شركتهم بين اشخاص جهّال ولاسيما الشبّان الاغرار. وقد علمنا العلم الاكيد انّ اصحاب هذه الشيعة يتظاهرون بتعظيم بعض الفضائل مع انهم يقوّضون اركان الدين ويبثون روح الزندقة ويتعاهدون في جمعيّاتهم على حفظ اسرارهم بالاقسام الغليظة العظيمة ويدّخرون الاموال من اصحابهم لترويج مقاصدهم الباطلة ويتيسون في محافلهم رتبًا مضحكة لا تليق برجال عقلاء. فبعد الفحص المدقق رأينا ان وجود هذه الجمعيّة تفاقٌ في حقّ الدين واثمٌ ضدّ الشرائع المدنية وارباب الامر وامان البلاد . . . . . (ثم يتلوهُ ابراز الحكم مع تعداد العقوبات في من يخالفهُ)

١٠ اقرارات لبعض مشاهير الرجال في الماسونية

لا يسعنا ان نروي في هذا الباب كل ما كتبهُ عن الماسونية كبار الرجال من سياسيّين وأدباء وكتبة واعيان فانّ ذلك لا يكفيهِ عددٌ بل اعدادٌ من المجلّة وانّما نكتفي بذكر اقوال بعضهم فيقاس عليهم البقية وقد فضّلنا اقرارات الماسون انفسهم لأنها اقوى حجّة مع شواهد قليلة لغيرهم تؤيد اقوالهم

١ (شهادة جون روبنصون) كان هذا ماسونيًّا انكليزيًّا وكاتب اسرار اكادمية ادنبورغ فألّف سنة ١٧٩٧ كتابًا نفيسًا دعاهُ « الادلّة القاطعة على مكايد الماسون والمنوّرين ضدّ كل الاديان والدول » قال في مقدّمتهِ :

الدرجة ٣٠ في الماسونيّة وهي درجة قدوش (Ch. Kudosch) وكل علاماتها ، خز بلاتها

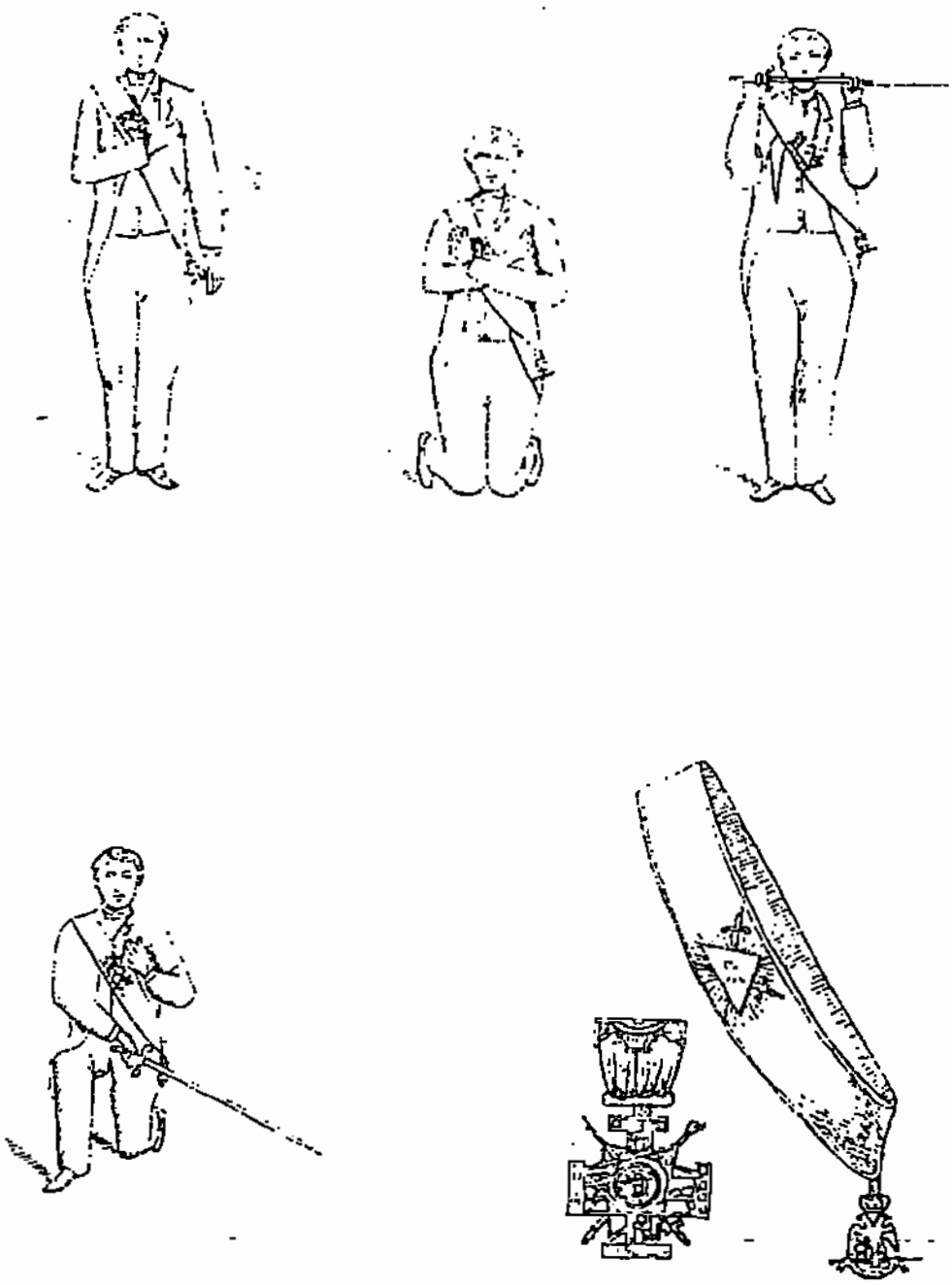

الدرجة ٣٣ وهي اقصى الدرجات الماسونيّة مع اشاراتها واوسمتها الرمزيّة

قد حصلتُ على الوسائط لأتتبَّع منذ خمسين سنة كل الدسائس التي دسَّها البعض على الدين بحجَّة مناهضة الخرافات الدينيَّة وعلى السلطة المدنيَّة بحجَّة تحرير الشعوب من العبوديَّة. وقد درستُ تسالم اولئك الكتبة وراقبتُ انتشارها فاذا هي كلُّها مرتبطة ارتباطاً لازماً مع الماسونيَّة ومذاهبها والحقّ يقال انَّ الشركة ليس لها غاية اخرى سوى نقض اركان المقامات الدينية كلها ودكّ اساس كل الدول المالكة في اوربَّة. واني رأيت عياناً انَّ اصحابها يواصلون مساعيهم لنشر مبادئهم بغيرة لا تعرف الملَل ولحظت انَّ الذين شاركوا الثورة الفرنسويَّة مشاركة اعظم انما كانوا اعضاء لتلك الشيعة السرّيَّة وجروا في ثورتهم على طريقة نظاميَّة سبقوا الى رسمها وتخطيطها. وهذه الشيعة لا تزال تسعى في الخفية بتحقيق غاياتها الشرّيرة ... فلو نجحت لقلبت الارض ظهراً لبطن وجعلت الدنيا منقعاً من الدم او شعلةً من النار. ولهذا ألفت كتابي ليطَّلع الناس على ما جمعتهُ من المعلومات في حقّها

٢ (شهادة الكنت هوغفتس) كان الكونت هوغفتس (Haugwitz) وزيراً لملك بروسية فردريك الكبير وماسونياً مثلهُ. فلمَّا كانت سنة ١٨٢٢ حضر المؤتمر الدولي المنعقد في ڤيرونة لمناهضة اعمال الجمعيَّات السرّيَّة التي هاجت في اسبانية ونابولي وبيامنتي وكان يصحب الملك غليوم الثالث فقدَّم للمؤتمر قراراً طُبع في برلين سنة ١٨٤٠ في المجموع المسمى « Dorrow's Denkschrifften, IV, 211-221 » فنعرّب عنهُ هذه الاسطر الوجيزة :

قد بلغتُ غاية أجلي فأرى انه من الواجب اللازب عليَّ بأن أُلقي نظراً عمومياً في الجمعيَّات السرّيَّة التي يتهدَّد سمُّها القتَّال الانسانية في ايامنا اكثر من سواها. وقصَّتها مرتبطة مع سيرة حياتي فلا بدَّ لي ان انشرها واذكر بعض تفاصيلها

وبعد ان فصَّل الكاتب تاريخ حياته الاولى وكيف انخدع بمظاهر الماسونية فدخلها ورغب في صعود سلَّمها ليزيد معرفةً بها ويعرف كنهها فقدَّمهُ اربابها في الدرجات حتى صار من رؤسائها وهو يعدُّ في مقتبل العمر. واخبر كيف كانت المحافل منقسمةً الى قسمين قسم ينكر وجود الخالق وينفي كل دين وقسم يقرّ بالله وبالديانة الطبيعيَّة وحدها. الى ان قال:

وكان الحزبان يتناقضان ويتسابَّان الَّا انهما كانا يتَّفقان في الغاية ويطلبان السيطرة على العالم وتملُّك الممالك والقبض على ازمَّة السياسة .... وفي سنة ١٧٧٧ عُهد اليَّ تدبير قسم كبير من عاقل بروسية فصار اليَّ الامر على ماسون بولونية وروسية. وقد عرفت وقتئذٍ الى ايّ درجة من التغفلان والسهو بل من الجهل والغرور تبلغ حكومات الدول اذ تغضّ النظر عن اعمال تلك الجمعيَّات التي هي حقيقة دولةٌ في وسط دولة. فكان زعماؤها يتكاتبون ويتراسلون كارباب

الامر ويتخذون لذلك العلامات الاصطلاحية بل كانوا يتصرفون فيما بينهم تصرُّف الدولة المستقلّة وغايتهم انْ يتسلّطوا على العروش والسلاطين . . . . وقد تحقّقتُ بالبينات المعتبرة التي هي اقوى من الشمس بانّ الرواية الفاجعة التي بُدئ بتمثيلها في فرنسة سنة ١٧٨٨ و١٧٨٩ مع ما لحق بها من الثورة وقتل الملك لويس السادس عشر والفظائع المرافقة لها كانت ثمرة الاقسام التي ارتبط بها ذوو الجمعيّات السرّيّة . . . وقد اعلنتُ برأيي الى الملك غليوم الثالث فثبت لديّا ان الجمعيّات الماسونيّة منذ درجاتها الاولى ساعيةٌ الى اقبح الغايات واشنع الاثام »

٣ (شهادة بْرويل) لبرْويل (Barruel) قصّة عجيبة اخبر بها في كتاب طويل دعاهُ تاريخ الشيعة اليعقوبيّة (اي الماسونية) في اربعة مجلّدات . فاخبر عن نفسهِ كيف ارتبط عن جهل بالمسونيين وهو يظنّ بهم خيرًا فجذبوهُ يومًا الى مأدبة اجتمع فيها الماسون وهو لا يدري فبعد الغداء أُقفلت الابواب وأُعلم بانّهُ في محفل ماسوني وطلبوا اليهِ ان يدخل في شيعتهم . لكنّ الشابَ انكر ذلك لعلمهِ بانّ شرفهُ وذمّتهُ يصدّانهِ عن تقييد نفسهِ بالاقسام الماسونية . ولمّا ألحّوا عليهِ خيّب آمالهم برفضهِ واراد ان يخرج لكنّهُ رأى الابواب مقفلة واذا بالاخوة قد اتّشحوا باوسمتهم وعلائمهم الماسونية واخذوا باقامة رتبهم ليخوّلوهُ الدرجات الاولى الثلث فابى كلّ الاباء وكان يجيب على اسئلة الرئيس الذي يعرض عليهِ الماسونية والطاعة العمياء لاوامر زعمائها انّهُ يعتبر احتفالاتهم كألعاب صبيانيّة ولن يصير ماسونيًا ابدًا . فتهدّدوهُ بالسيوف والموت فكان جوابهُ : « افعلوا ما شئتم فانا لا ارتبط مطلقًا بشيءٍ يضادُّ شرفي وضميري » . فلمّا رأى المجمع انّ الشابَ لا يقنع بكلامهم ولا يخاف تهديداتهم عدل الرئيس الى الحيلة واخذ يهنّئ الشابَ على ثباتهِ ويزعم انّهم فعلوا ما فعلوا لاختبار شجاعتهِ فصفّق الاخوة وهنّأوا الشاب بانضمامهِ الى الماسونية وبشّروهُ بتخويلهِ رتبة الاستاذ . فلمّا خرج برْويل كتم الامر في قلبهِ قائلًا : « بما اني صرت استطيع ان احضر جمعيات المحفل الذي ادخلوني فيهِ مرغومًا فها انا حبًّا بالخير العام اغتنم هذه الفرصة لاكتشف اسرار هذه الشركة حتى اذا جمعتُ المعلومات الوافية صنّفت كتابًا انشر فيهِ كل دفائنها » وهو الكتاب المعنون آنفًا طُبع في ليون سنة ١٨١٨ وقد صار اليوم عزيز الوجود لسعي الماسون في اتلافهِ ولدينا منهُ نسخة . وقد دعا هناك الماسونية باسم الشيعة اليعقوبيّة لأن اصحابها كانوا يجتمعون في دير القديس يعقوب في باريس بعد ان طردوا منهُ رهبانهُ الدومنيكان

٤ (شهادة دوق دي برونزويك) كان الدوق دي برونزويك (de Brunswick)

احد الرئيسين الكبيرين على الماسونية في المانية مع الدكتور تسندرف (Zinndorf) في اواخر القرن الثامن عشر فلمّا رأى ما جرى في اوربّة من الثورات والتقلبات وسقوط العروش حتى كادت البلاد تصير خراباً يباباً اجتمع برؤساء الماسونية واتفقوا على كتابة تبليغ الى كل شُعَب محافلهم السريّة. وقد وصف الرئيس في هذه الرسالة احوال اوربّة السيئة وصفاً تقشعرّ له الابدان وهو يقرّ بان ذلك الدمار قد صدر من قبل الماسونية ومن تضافر اصحابها في العمل. على انهُ يطلب للشيعة عذراً بقوله « انّ هذه الاعمال المذمومة انّما حدثت بتسرّع اهل المحافل وتهوّرهم في الثورات فاساءوا فهم غاياتنا وكان حقهم بان يسعوا بزيادة فطنة وتحفّظ » ثم يدعو الماسون الى التلاشي ليرتاح العالم من شرّهم. ودونك تعريب بعض اقواله المسجدية: (S¹ - Alb., 405)

قد بلغتم ايها الاخوة الى قمّة البناء الذي اردتم تشييده ولكن اعلموا انّ بسامي الخراب والدمار . . . كنّا نؤمّل انّنا اذا بلغنا تلك القمّة يتمتّع نظرنا بالنور غير ان النور الذي لقيناه هو ارهب واهول من الظلمة فوجدنا بناءنا قد انتقض وقد غطى الارض باطلاله . . . ان البنّائين الحاليين (اي الماسون) هم الذين اخربوا البناء لاسراعهم المفرط في العمل فلم يسمعوا صوت رئيسهم الصارخ لهم من علُ اياكم والتسرّع فهو مخالف للحكمة . . . فليعلموا ان جماعتنا كشبكة متلاحمة تضمُّ اليها بحلقاتها المتواصلة كلّ اسرار العالم فكان من الواجب ان يكون الماسون مرتبطين مع المركز الوحيد اذ انّ الماسونية واحدة وسرّها الاوّل انّما هو غايتها والسرّ الثاني هو وجودها ووسائلها . . . قد كان بيننا رجال ذوو سيرة مشكورة شرّفوا جماعتنا لكنهم بتهوّرهم اضرّوها فاستعملوا اقبح الوسائط لادراك غايتنا التي لم يحسنوا فهمها . . . ثم تطرّفوا الى حدّ انهم قتلوا بالسيف او احرقوا بالنار كل من رأوهُ مخالفاً لرايهم في المساواة والاخاء . . . فاخذ الجنون والبهتان يستولبان على العالم . . . فلقطع الشرّ من اصله يجب علينا ان نلغي جماعتنا فنستأنف العمل في وقت آخر لاصلاح الانسانية . . . »

وما كان هذا الالغاء سوى كلام فارغ تظاهر به الدوق دي برنزويك ليطمئنّ بال امراء المانية ورؤسائها وتغضّ الدول النظر عن الشيعة. وانّما فيه اقرار جليّ بالمنكرات التي اجترحتها الماسونيّة من فم احد شيوخها ونعم الشهادة

٥ (الكردينال كترلقي) كان الكردينال كترلقي رفيقاً للبابا بيوس السابع وكاتب اسراره واحد ائمة السياسيين في زمانه فحضر كل التقلبات السياسيّة التي حدثت في فرنسة وايطالية ثم كتب مذكراته التي تُعد من اجود التصانيف والذّها واوسعها فائدة. ومن آثاره رسالة وجهها الى البرنس مترنيك (Metternich) في ١٤ ك٢ سنة ١٨١٨ فيها شهادة جميلة على اعمال الماسونية بنبيء باستئناف حملاتها على اوربّة قال:

انّ الاحوال سيئة في كلّ البلاد ونحن نظنّ ان لا شيء يحوجنا على اتخاذ اقلّ الاحتياطات. اني هنا (في رومية) اواجه كلّ يوم سفراء اوربّة وأُفيض امامهم بالاخطار الماثلة التي تتهدّد بها الجمعيات السرّية ذاك النظام الالتي الذي ما كاد يثبت قدماً بعد شتاته. على اني ارى عظمى الدول لا يكترثون للامر ولا يُحرّكون ساكناً وهم يزعمون ان الكرسي الرسولي يوجس خوفاً بدون داعٍ ويذهلون من التنبيهات التي نوجّهها اليهم ليأخذوا حذرهم... سيأتي يوم تُصبح فيه الدول الملكيّة عزلاء دون محامٍ يردّ عنها غارات بعض التصابين الاوباش الذين لا يعبرهم احد بالّا. فان ابى ارباب الامر ان يتداركوا الشرّ قبل انتشاره وتفاقمه عرضوا بنفوسهم للندم والاسف حيث لا يجدي التأسّف فتيلاً »

ولدينا شواهد كثيرة يصدّنا عن نشرها ضيق المكان فنضيف اليها شاهدين حديثين:

٦ (احتجاج اعيان فرنسة على فظائع الماسونية) أا جرت في صيف سنة ١٩٠٩ مظاهرات الفوضويين ضدّ اسبانية وملكها لاعدام الاثيم فرير كتب عقلاء باريس واعيانها باقتراح الوزير السابق على خارجية فرنسة اميل فلورنس رسالة رفعوها الى الملك الفونس ورواها البشير في عدده ١١٣٧ الصادر في ١٣ ت ٢ وهناك احتجاج بديع ضدّ الماسونية ننقله هنا بالحرف:

« ... نرفع صوتنا باسم حرية الضمير والنظام العامّ الدوليّ ونجاح التمدن الكونيّ ونحتجّ بكل قوانا على مساعي الشيع الفوضويّة الماسونية الماجدة التي ترمي الى ان تتغلّب احكامُها على قضاء المحاكم وارادتها على قرارات السلطة العمومية واهواؤها على مصالح الامم الاوّليّة وتسعى بالاهانة والتهديد والتهويل في ان تضغط على استقلال الشعوب وتضمن للمجرمين من ذويها التملّص من كل قصاص وعقاب. ثم انها لعظيمة مسئوليّة الحكومات التي تناهضها وتقاومها لكنّ مسئوليّة الحكومة التي تخضع لها اعظم واشنع »

٧ (رأي اشتراكيّ في الماسونية) نشر الدكتور بوايه الاشتراكي آخراً مقالة في سياسة المسيو بريان وإدخاله في الوزارة احد زعماء الماسونية المسيو لافاو نقل عنها البشير:

« اننا لا نفقه البتة معنى سلوك المسيو بريان فاماً انهُ لا يدري ماذا يفعل وهذا لا نتصوره واماً انهُ يريد ان يُجلس الماسونية على منصّة الوزارة مكان الكثلكة وهذا لا نقبل به لاننا لا نريد في الحكومة لا الكنيسة ولا الماسونية غير انهُ اذا اضطرّنا الامر الى اختيار احداها فاننا لا نتردّد هنيهة في تفضيل الكنيسة على الماسونية وذلك لان ديناً معلوماً ومعروفاً من الجميع هو عندنا افضل من دين سرّي ولان كل الاديان تُعنى وتهتمّ بامر الفقراء والبائسين الّا الماسونية فانها لا تهتمّ الّا بمصالح ذويها وتحقيق رغائبهم الدنيئة »

١١ شواهد المرتدّين عن الماسونية

ان الارتداد عن الماسونية من الامور العسرة لما يقيّد الماسوني به نفسهُ من الاقسام

الفلتة فيظنُّ الكثيرون منهم انهم اذا فعلوا يحنثون بأيمانهم وانَّ الشرف يوجب عليهم الثبات في الشيعة. ولو علموا لعرفوا انَّ حلفهم باطل لا قوَّة لهُ على تقييد حريتهم اذ لا يجوز للماسونيَّة ان تطلبهُ من احد وسلطتُها وهميَّة كاذبة مختلسة كما انهُ لا يسوغ لرجل ان يقسم بهِ فيذعن لرؤساء لا يعرفهم ولاوامر مضادَّة لذمتهِ ودينهِ

ومما يوقف بعض الماسون عن جحود الماسونية خوفهم من العقوبات التي تهدِّدوهم بها عند ارتباطهم بحبالها جهلًا. غير انَّ ذلك الخوف خيالي في الغالب وجعجعة الماسون بلا طحن اذا جاهر المرتدون عنهم بمقاومتهم وناجزوهم القتال مصرحين بانهم يزدرون بتهديداتهم الباطلة. وها نحن هنا نذكر اسماء بعض المرتدين عن الماسونيَّة وما قالوا فيها بعد اختبارهم لخبثها ودعارتها

١ (اللورد ريبون) اللورد ريبون كان من اسرة انكليزيَّة بروتستانية عريقة في الشرف واحد اعيان الدولة تقلَّب في المناصب السامية واحرز لهُ مجدًا اثيلًا حتى قُلد في الهند رتبة نائب الملك. وكانت وفاتهُ في العام المنصرم ١٩٠٩ فهذا الرجل العظيم كان دخل في الماسونية في لندن وتقدَّم في درجاتها الى ان وُلي عليها واصاب وظيفة استاذها الاكبر الحاكم على محافلها العديدة في بريطانيا وارلندة. ففي ٢٩ اذار السنة ١٨٧٣ كتب البابا بيوس التاسع براءة الى اسقف اورلندا في البرازيل اعلن فيها انها لا يجوز للكاثوليك مطلقًا ان يتشيعوا للماسونيَّة وان فعلوا وقعوا تحت طائلة الحرم لانَّ تلك الشيعة عدوَّة كل دين وكل سلطة. فاوغر هذا الحكم الماسون غيظًا وطلب رؤساء محافل انكلترة من زعيمهم اللورد ريبون ان ينفذ اقوال البابا فوعدهم بذلك واخذ يدرس درسًا مدققًا تاريخ الماسونية واعمالها وطال درسهُ حتى استبطأهُ الماسون وذكَّروه بوعده فكان جوابهُ انهُ لا يزال يدرس رغما قليل ستظهر نتيجة دروسهِ. ومما مرَّت عليهِ بضعة اسابيع حتى جحد الماسونية جهارًا وتمذهب بالدين الكاثوليكي وعاش حتى موتهِ مذ ذاك الحين بكل ورع وتقى على موجب وصايا الكنيسة وتعاليمها

٢ (اللغوي الفرنسوي ليتره) شهرة اللغوي ليتره (Littré) كشهرة ضوء النهار في عالم العلم فان معجمهُ الفرنسوي يُعد كطرفة من طُرف الدهر ولهُ تآليف عديدة لغويَّة وعلمية عديدة كلها ذائعة الصيت. كان مولده سنة ١٨٠١ وتوفي سنة ١٨٨١. وقد امتاز المذكور بنشره مذهب التعطيل وجحود الخالق وكل ما يفوق الطبيعة المحسوسة على

مثال اوغست كونت حتى اعتُبر في فرنسة كخلفهِ في مذهبهِ وحرَّر زمناً طويلاً مجلّة كانت غايتها المدافعة عن هذه التعاليم الفاسدة. وكان قد انتظم في الماسونيـة يوم دخولهِ خطب في محفل الماسون الوزير جول فري خطاباً في العلاقة بين الماسونيَّة والمذهب الوضعي. الّا ان الله انار قلب ليتره في اواخر ايامهِ فاستدعى الكاهن الباريسي هوفلان (L'abbé Huvelin) فرذل الشيعة وتاب عن خطاياه توبة علنية وقبل اسرار الكنيسة مباشرةً بسر المعاد اذ لم يكن بعد معتمداً ولم يسمح ان يتظاهر الماسون بعد موتهِ بمظاهراتهم التلفيقية. فالقم هذا الارتداد افواه الماسون حجراً فصرخ احدهم المسمى غالوبان (Galopin) حنقاً: « اننا سننتقم بطبع تآليف ليتره الكافرة ونشرها بين الاحداث »

٣ (الجنرال دي سونيس) هذا الجنرال احد ابطال الكاثوليك في المدافعة عن حقوق الكرسي الرسولي وشهيد حبّ الوطن في الحرب السبعينيَّة كان من اعظم رجال عصره شهامة ودينًا. ومن غريب ما جرى لهُ في شبابهِ انهُ انضمَّ الى الماسونيَّة اذ كان يتدرَّب في آداب الجنديَّة في مدينة سومور باغراء احد الضبَّاط الذي اكد لـهُ انَّ الماسونيَّة شركة جليلة المبادئ ثم عاش مدة دون ان يذوق حلوها ولا مرَّها حتى صار ضابطاً فطلب منـهُ يوماً الفريق ان يتوب عن ضابط اخر دُعي الى مأدبة ماسونية فتعجب دي سونيس وقال: وانا ايضاً ماسوني فلماذا لم يدعوني الى مأدبتهم. فقال لهُ الفريق: ويحك أتكون ماسونيًّا ؟ — نعم واي شرّ في ذلك ؟ — اذن اذهب في رفقة الضابط لتنظر ما هناك — نعم ها اني ذاهب. فلمَّا وصل دي سونيس وفُتح لهُ الباب بعد اعلانهِ بالكلمة السرِّية راى المحفل في هيئةٍ استغربها للغاية فجلس على المائدة فما لبث ان قام الخطباء واخذوا يتشدَّقون بحريَّة الضمير وتقلُّص ظلّ الخرافات ودين المستقبل الى غير ذلك ممَّا لم تعتدْهُ آذان دي سونيس. فامتعض من تلك الاقوال وصبر حتى اخذ البعض من الماسون يطعنون بالدين الكاثوليكي واسراره ورؤسائه فلم يتمالك الضابط ان قام بغتةً من مكانهِ صارخاً: « ما هذا ايها القوم اراني قد سقطت في فخّ . . . كنتم زعمتم انكم تحترمون الدين وها انكم تنتهكون حرمتهُ فقد حنثتم بمواعيدكم وانا ايضاً لا اقوم بما وعدتكم ولا تعودون تنظرونني بينكم الى الابد. يعد مساوئكم »

قال هذا ورمى بفوطتهِ ولبس قبعتهُ رافعاً برلسهِ وناظراً الى الماسون شزراً

٤ (فكتور بيرار) كان فكتور بيرار (V. Bérard) فرنسويًا من الكاثوليك المتدينين وكان تخرج في مدرستنا الشهيرة سانت اشول (St. Acheul) قريبًا من مدينة اميان مثابرًا على ديانته حتى اقنعهُ احد اصحابهِ في بلاد الجزائر ان يدخل في الماسونية ليخدم فيها الانسانية كما زعم. فرضي بقولهِ وانضمَّ الى محفل بليزار سنة ١٨٤٦ لكنَّ ارباب الشيعة اذ عرفوا باستقامتهِ لم يكشفوا لهُ شيئًا من اسرارها حتى بلغ رتبة فارس قدوش (Kadosch) فارتاب في امرها واخذ يطلب من الله ان يميط عن بصره الضلال واذ كان يومًا يتلو سفر حزقيال النبي (ف ٨) وما قال هناك عن مكنونات الدعارة في هيكل الرب وراء جدران الهيكل لم يبقَ في عقلهِ ريب بخصوص الماسونية ورجاساتها فاتى الى احد الآباء اليسوعيين في مدينة الجزائر وسلمهُ ما لديهِ من اوسمة الماسونيَّة جاحدًا للشيعة ولاهلها. وهذه الاوسمة والوشاحات والمآزر والسيف الماسوني والاجازات قد أُرسلت كلها الى كليتنا في بيروت وهي في متحفنا « في قسم الزعبرات » وقد رسمنا شيئًا منها في الشرق سابقًا

٥ (كوبان ألبانسلي) ليس اليوم في اوربَّة رجلٌ قائم لمناهضة الماسونيَّة مثل كوبان البانسلي (Copin-Albancelli) فان لهُ قصَّة عجيبة. كان هذا الانسان تخرَّج في شبابهِ على مبادئ دينهِ الكاثوليكي الَّا انَّ الماسونيـة تصيَّدتهُ واجتذبتهُ بالخداع على مألوف عادتها فاقنعتهُ بان ينضمَّ اليها كشركة احسانية فدخلها مغترًّا بظواهرها ولم يزل يرتبك بحبائلها حتى وصل الى درجة الصليب الوردي. الَّا انَّ السنين التي قضاها في الماسونيَّة اماطت الحجاب عن بصيرتهِ فرأى انَّ الماسونية غير ما تصوَّرها وانَّها مخالفة لما وصفت بهِ نفسها فحاول ان يذكرها بالمبادئ التي تجاهر بها امام الناس لتُصلح احوالها لكنَّهُ رأى انَّهُ يخطُّ في الماء ويضرب في الهواء. فتقدَّم اليهِ حينئذٍ رجل من الماسونية الداخلية التي لا يطَّلع على اسرارها الَّا القليلون الموثوق بهم فدعاهُ الى ان ينحاز الى تلك الزمرة التي لا غاية لها الَّا اقتلاع جذور الدين والقبض على زمام تدبير الدول بدسائس لا يعلم بها الواحد في الالف من الماسون وانَّما رعاع الماسون في قبضتهم يتلاعبون بهم كيفما شاؤوا. فكان لهذه الدعوة وقعٌ عظيم في قلب كوبان البانسلي فقطع منذ ذاك الوقت قيود الماسونية وناشبها الحرب مُعلنًا بكل خباثاتها وارجاسها وعقدَ لذلك جماعةً لمناهضة الماسونية (Ligue antimaçonnique) وانشأ جريدة لهذه

الغاية سمّاها الباستيل (La Bastille) ثم استبدلها بجريدة « فرنسة الامس وفرنسة الغد » (France d'hier et France de demain) وهو لا يزال يوسع نطاق عمله حتى صار كثيرون من خارج فرنسة ينضمّون الى شركته بواسطة المذكور عدّة كتب واسعة ترمي الى الغاية عينها

٦ (الشيخ محمّد عبدو) بعد الاعلان بالدستور منذ عامين كتب احد الماسون في الثغر ما حرفهُ :

« الماسونية جمعية اخاء عموميّ لم ولن تشتغل قطّ بتنظيم الثورات لم ولن تتداخل بالامور السياسية ولا المسائل الدينية . . . فجمعيّة من اعضائها المرحوم الصدر العلّامة مفتي الاسلام في الديار المصريّة الشيخ محمّد عبدو ليست من الجمعيّات التي تخالف مبادئها الديانات »

نقل البشير هذه العبارة في العدد ١٩٢٥ الصادر في ٢٣ آب سنة ١٩٠٩ وافحم كاتبها بما نصّهُ :

فراجعنا « ملخّص سيرة الامام محمد عبدو » الذي نُشر في مجلّة المنار الاسلامية لمنشئها السيد محمّد رشيد رضا فاذا هو يقول في الصفحة ٤٠٢ من المجلّد الثامن سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥) : « انّ الاستاذ الامام رحمهُ الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد أكثر ابناؤها من دعوته الى محافلها بعد رجوعهِ من النفي الى مصر فلم يجب واهدوا اليهِ وساماً فلم يقبلهُ وقد سألتهُ عن حقيقتها مرّةً فقال : ان عملها في البلاد التي وُجدت فيها للعمل قد أنتهى وهو مقاومة الملوك والباباوات . . . واخبرني انّ دخولهُ فيها كان لغرض سياسيّ اجتماعيّ وانهُ تركها من سنين فلن يعود اليها » فما اصرح اعترافهُ بانّ غاية الماسونية « مقاومة الملوك والباباوات » اي كل سلطة

٧ (المرحوم سليم زحيل) كان احد اعضاء الماسونية منذ عدّة سنين الّا انهُ لمّا احسّ بقرب وقوع الاجل ارعوى تائباً واقتبل كل اسرار الديانة وغمّا عمّا اتّخذهُ اصحابهُ الماسون من الاحتياطات ليحيلوا بينهُ وبين الكهنة . وقبل موتهِ سلّم الى اخوات العائلة المقدّسة اوشحتهُ فحرّقتها بعد وفاتهِ

٨ (المرحوم جرجي صابونجي) كان من اسرة سريانية كاثوليكيّة يتعاطى فنّ التصوير وكان ارتطم بردغة الماسونية حتى ظنّ كثيرون انهُ لن ينجو منها . لكنّ الله رحمهُ رحمة واسعة . ودونك خبر اهتدائهِ على يد سيادة الخورفسقفس يوسف اسطبولي كما سطّرهُ بعد وفاتهِ بقليل بهذه الرسالة تلبيةً لدعوة الميت :

. . . اثرتُ ان اروي لكم ما وقع لجرجي بك صابونجي الشهير رحمهُ الله . لمّا جدّ بهِ المرض ونُقل الى مستشفى الراهبات الفازريات وثقلت عليهِ وطأة الداء عادهُ كثيرون من الرؤساء

الروحانيين وألحّوا عليهِ في الاقلاع عن مذهبهِ الماسونيّ والتوبة الى خالقهِ فعصى مقالتهم وما زلتُ ابتهل الى الله الرحيم في خلاصهِ فبينما انا اعالجهُ ذات يوم جرَّ بنا الحديث الى ذكر دينهِ الذي افرحَ شبابهُ فاندفع يقول لي: ما انا أيها الاب بجاحد لديني الذي نشأتُ عليهِ وانما اخاف ان يكيدني اهل الشيعة الماسونية ويدبّروا الحيل على اهلاكي ولا بُدَّ ان يشيع خبر اهتدائي في الجرائد فيلغهم. فذكّرتهُ بقول الرسول (روم ١٠ : ١٠) : « انَّ الانسان يؤمن بالقلب للبرّ ويعترف بالفم للخلاص » . فالمجاهرة بالدين عند الحاجة ولو ادَّت الى اكبر الاخطار لأمر واجب والله لا يحل من يضحّي في سبيلهِ كل شيء ليفوز برحمتهِ. فما زدتهُ على ذلك حتى اعترف اعترافاً عاماً وندم على كلّ خطاياهُ وتقرَّب مرّتين واخذ عليَّ ميثاقاً أن : « أعلنْ بعد موتي على عين من الناس وسمع اني في الماسونية خسرتُ مالي وصحتي وديني وانا اقول للشبّان السالكين على شاكلتي الويل لمن يكذّب بدين الله الويل للذي يعيش لهُ مطرحاً » . وما رسالتي غير القيام بوعدي للمرحوم

الخوري قسطنطين يوسف اسطمبولي

بيروت في ١٨ ك ٢ سنة ١٩١٠ على السريان في بيروت

فترى من هذه الاهتداءات التي ذكرناها — ويمكننا ان نذكر غيرها كثيراً — انَّ المهتدين يصرّحون كلهم بقباحة الماسونية وسوء اعمالها لاسيما في ساعة الموت حيث الانسان لا ينخدع ببهرجة العالم وحطام الدنيا وينظر امامه الديّان العادل الذي لا يخفى عنهُ شيء فيطالبهُ عن كل اعمالهِ ويجازيهِ عنها دون محاباة بالوجوه. فيا ليت الماسون يرتشدون بامثالهم ولا يعرّضون بنفوسهم الى الهلاك الابدي مفكّرين في آية الرسول (عبر ١٠ : ٣١) : « لا جرم انَّ الوقوع في يدي الله الحيّ امرٌ هائل » ! (لها بقية)

مطبوعات بيزنطية جديدة

De ineffabili bonitate SS. Cordis Iesu Contemplationes et Orationes. Edidit Card. Vives. *Pustet, Rome*, 1911

تأمّلات وصلوات في قلب يسوع. جمعها الكردينال فيفس

ان اسم جامع هذه التاملات والصلوات والعواطف التقويّة يغنينا عن الوصف الطويل والثناء والتحريض. وهو نيافة الكردينال ڤيڤس المشهور بعلمهِ وتقواه. وقد طالعنا فصولهُ فالفيناها مختارة من اصدق المناهل اللاهوتيّة وارقّ النجاوى الروحيّة التي تؤثر في القلوب التقيّة وتحرك فيها شواعر التعبّد والتزهّد والتفاني. والكتاب باللغة اللاتينيّة فنحض عارفي هذه اللغة من الكهنة الافاضل على اتخاذه موردًا يختارون فيهِ مواضيع تأملاتهم في كل صباح

ا. ر

Abû 'l-Mahâsin Ibn Taghri's Birdi Annals (vol. II, part 2 n° 2). Edited by **W. Popper**, *Berkelej, University Press*, 1910, pp. 129-297

تكملة النجوم الزاهرة في ملوك مصر

عرّفنا سابقاً ما لهذا التاريخ من الصفات وما لصاحبه من الفضل (المشرق ١٣ : ٧٣) وهذا القسم الجديد لاحق بسابق يتناول تاريخ ابي المحاسن من السنة ٤١١ (١٠٢٠م) حيث تولّى الخلافة الفاطميّة في مصر الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم بامر الله الى موت المستنصر محمد سنة ٤٨٧ (١٠٩٤) اعني قبل ابتداء الحروب الصليبيّة بقليل . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على عدّة نسخ . فنشكر متولي نشره ونتمنّى مواصلة العمل قريباً ل . ش

BEITRAEGE zum Diwân d. Ru'bah von R. Geyer, Wien 1910, pp. 78.

ملحقات على ديوان رؤبة

اعلمنا قرّاءنا سابقاً في المشرق بطبع ديوان رؤبة احد ائمّة الرجّازين عند العرب في زمن عزّ لغتهم واثنينا على جناب الاستاذ أهلوَرْدت المتولّي نشر هذه الاراجيز وقد كنّا وقتئذٍ تمنّينا لو تضاف الى الديوان الروايات والاصطلاحات التي توجد متفرقة في المعاجم وفي كتب الادباء على هذا الديوان . فها ان المستشرق ر . غاير قد سدّ هذا الخلل وجمع كل ما عثر عليه من الروايات المتفرقة في الكتب اللغويّة وغيرها من طبع وخطّ ونشرها ولا يقلّ مجموعها عن ٧٨ صفحة تدلّ على نشاط عظيم وهمة لم تعرف السأم . فنشكر صاحب هذا العمل المفيد ونحضّ ادباء الشرق على اقتناء الديوان وملحقاته ل . ش

DOM LECLERCQ : Les Martyrs. T. X. LE XVIII° SIÈCLE, *Paris Oudin et Cie*, 1910, pp. 454

اعمال الشهداء – شهداء القرن الثامن عشر

هذا القسم العاشر من مجموع واسع جليل الفائدة باشر بنشره منذ عدّة سنوات احد افاضل الرهبان البندكتيين حضرة الاب لوكلارك مجدّداً لعمل سلفه الشهير دون رينار (D. Ruinart) ومتمماً له فنشر اعمال الشهداء نقلاً عن آثارهم التاريخيّة الصحيحة جيلاً بعد آخر حتّى بلغ في هذا القسم شهداء الازمنة القريبة من عهدنا امّا الشهداء الذين يروي في هذا الجزء اخبارهم فازهروا في القرن الثامن عشر وماتوا في سبيل الايمان في انحاء شتّى في اقاصي الشرق كالصين والهند وتونكين ومنهم من قتلهم البروتستانت في هنغارية وفرنسة . وممن ذُكر استشهادهم شاب

ارمني كان جحد ايمانهُ جهلًا ثمَّ ندم على صنيعهِ فمات ببسالةٍ مكفّرًا عن ذنبهِ . وفي الكتاب ايضاً اخبار اليسوعيين الذين قاسوا انواع العذابات في لشبونة في أيام الوزير بمبال ووافق صدور هذا الكتاب في يوم اعلان الجمهوريّة في البرتغال ومصادرة اليسوعيين فيها كما جرى في القرن الثامن عشر فنُحيل كاتبي المقتطف والمقتبس الى مراجعة هذا التأليف ليعرفوا من كان بمبال وما هي اعماله التي اثنوا عليها . فترى عظم شأن هذا التأليف للوقوف على تاريخ الكثلكة مع انَّ صاحبهُ لم يذكر الّا البعض القليل من شهداء القرن الثامن عشر وعددهم اوفر من الذين روى اخبارهم ل . ش

مبادي العربية

في الصرف والنحو — السنة الثالثة والرابعة

للمعلم رشيد الشرتوني

الغايةُ من تأليف هذا الكتاب تسهيلُ درس اللغة العربيّة على التلامذة الذين كثيرًا ما يستوعرون مسالكها ويستثقلون تعدّد قواعدها . جرينا فيهِ على طريقة السؤال والجواب وميّزنا بين القواعد والشروح والفوائد والحقنا بكل باب تمارين مطابقة للموضوع . كان المرحوم رشيد الشرتوني استاذًا للغة العربيّة في كليتنا لما اقدمنا على العمل . فانجز بمراقبتنا ومؤازرتنا السنة الاعداديّة والسنتين الاولى والثانية من السلسلة وجعل يعدّ المواد للسنتين الثالثة والرابعة فعاجلته المنيّة مأسوفاً عليهِ ولم يُتمّ العمل على وجهٍ يُدني من الغاية المقصودة . فكان ان ابتعنا من ورثائهِ ما اعدّه وسعينا بانجازه وترتيبه وتكميله وتعليق فوائده وحواشيه مع وضع التمارين وذلك بمساعدة وهمة حضرة الخوري بطرس البستاني مدرس اللغة العربية في كليتنا . فجاء والحمد لله كتاباً وافياً بالغرض قريب المنال سهل العبارة سديد التبويب تامّ الفصول والشروح غزير المادة يضمن للطلّاب سرعة الاستفادة . فعسى ان يُصيب ارتياح الاساتذة ويعود بالنفع على الناشئة العربية بعونهِ تعالى ا . ر

كتاب الجنّ عند غير العرب

تأليف سليم بك عنحوري

طبع في مطبعة المقتبس بدمشق ١٣٢٨ — ١٩١٠

في هذا التأليف قسمان قسم يُثنى عليهِ وهو تمهيده الذي موذاهُ « الاديان اساس

العمران » فنقلهُ البشير في بعض اعداده. وقسم يستدعي بعض النظر فانَّ ما كتبهُ جناب سليم بك عن الجنّ ملتبسٌ اورد فيهِ كثيراً من خرافات الشعوب في الجنّ فاظهر بذلك كم يشرد البشر عن الحقّ اذا لم يرتشدوا بالعلم الثابت والوحي الصادق واستسلموا الى الاوهام. ولكنَّهُ أسمعَ في بعض اقوالهِ ما قد يستشفُّ منهُ انكار ما يعتقدهُ الدين القويم في الارواح الشريرة فجمع بين خرافات الامم والتعاليم الصادقة وبين معتقد النصارى ومزاعم الثنائيين في الهي الخير والشر وشتّان بين الامرين. كما ترى في ختام رسالتهِ :

ما بدأ يتفجّر في افق العالم الغربي نور العلم المبني على التثبُّت والاستقراء الحسي حتى اخذ يتقلّص في تلك الاصقاع ظلّ الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر بني الانسان . . . وكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا اشرق محيّا القرن العشرين من نافذة الدهر تلاشى او كاد مذهب من يرى انَّ في العالم المحجوب قوى تناوئ ارادة الله وتناهض عبادهُ كما يزعم الثنائيون من الامم. ومعظم المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايامنا هذه يذهبون الى انهُ قبل انقضاء هذا القرن لا يبقى على وجه البسيطة من يصدّق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحقّ عزّ وجلّ »

فانَّ في كلام الكاتب هنا وفي ما سبق ابهاماً كنَّا نودّ لو ازالهُ بصريح الكلام اذ نجلّهُ عن نكران عقيدة من عقائد الدين الذي يفتخر بهِ ويدافع عن حقيقتهِ ل. ش

كتاب الفلسفة النظريّة. او علم الحكمة البشريّة. تأليف الكردينال مرسيه رئيس اساقفة مالين في بلجيكه. المجلد الاوّل في علم المنطق بدلهِ. نقلهُ الى العربيّة وعلّق حواشيهُ حضرة الخوراسقف نعمة الله ابي كرم. طُبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٦٩)

انَّ العلوم الوضعيّة تترقّى كل يوم في بلادنا ترقياً عظيماً باتساع النفوذ الاوربّي ولا تزال الدروس الفلسفيّة ضيّقة النطاق منحصرة في فئة الاكليروس غالباً مع جليل عوائدها ووفرة منافعها لتهذيب العقل وازالة الاوهام الباطلة. ولعلّ الاكليريكيين انفسهم ما كانوا ليجدوا في العربيّة تأليفاً يفي بمرغوبهم مع ما طُبع في ذلك منذ نحو عشرين سنة. فسيادة الخوراسقف نعمة الله ابي كرم رئيس المدرسة المارونيّة في رومية العظمى واحد المتخرجين في مدرستنا الاكليريكية في غزير عمد لتلافي هذا النقص الى تأليف حديث في الفلسفة النظريّة اشتهر في اقطار الغرب وهو لاحد مشاهير اساقفة بلجيكة الكردينال مرسيه فنقل الى لغتنا قسمهُ المنطقي وكساه من قلمهِ ثوباً قشيباً قرّب فهمهُ من عقول المواطنين وقدّم عليهِ تنشيداً لمذهب

الظهورية وهم الوضعيون الذين لا يرون حقيقة ما وراء المحسوسات مع توطئة في ضرورة درس الفلسفة المدرسية في هذا العصر. ولولا ضيق المكان لنقلنا عنهُ فصولاً لفوائدهِ فنشكر المعرّب على عملهِ ونحضُّ محبّي الدروس النظريّة على الاقتباس من انواره. مؤملين صدور جزئه الثاني قريباً ان شاء الله ل. ش

كتاب سمير الليالي

الجزء الثاني. اثر الاديب محمد امين صوفي السكّري (الطبعة الثالثة)
طُبع بمطبعة البلاغة. بطرابلس الشام سنة ١٣٢٨ (٢٤٤)

عرّفنا في العام المنصرم (في المشرق ١٣: ٧١٥) هذا الكتاب وخواصّ طبعتهِ الثانية. وهذا الجزء يستحق ما قلناه في تقريظ القسم السابق ووفرة محتوياتهِ وتفنُّن صاحبهِ في المواضيع كالتاريخ والحكايات والنوادر والامثال والاختراعات والعادات والفوائد الصناعية واشياء كثيرة غيرها. وفيهِ مع ذلك من الروايات والمزاعم ما لا يصادق عليهِ الانتقاد الصحيح. أفيرضى مثلاً المسلمون بقولهِ (ص ٢٠٨) « انَّ كافة البدع والكوارث التي ابتُلي بها المسلمون ابتدأت من القرن الثاني الى اوائل القرن العاشر » حاصرًا الكمال في الدولة العثمانيّة؟ وكذلك لا نظن انَّ احدًا من العقلاء يقبل ما وصف بهِ الانكليز (ص ٢٥٦) « من الغدر وقتل الآباء والامهات لاولادهم وبالعكس ومن بيع الزوج لزوجتهِ وانَّ الحكم يقرّر لهم ذلك » فلو صحَّ ما كتب هناك لاصبح الانكليز من شرّ الامم. وقد تعجبنا ايضاً من ذكر المؤلف للطاولات المتحرّكة (٣٩٦) بين الملاهي الشتويّة (راجع المشرق ١: ٦٢) ومن ذكرهِ لسكة الشهادة (ص ٢٩٤) ولكتاب مخائيل فرج (ص ٢٩٦) القائل بزواج المسيحيين لاكثر من امرأة. فهذه الاقوال وغيرها من شأنها ان تُفقد هذا الكتاب شيئاً من اعتبارهِ فلا بُدَّ من تنقيحها في طبعة ثالثة ل. ش

شذرات

المجلّات الكاثوليكيّة العربيّة في اوّل سنة ١٩١١ لمّا ظهر المشرق في غرّة كانون الثاني سنة ١٨٩٨ لم يجد مجلّة كاثوليكيّة غيرهُ في العربيّة تبحث في العلوم الدينيّة وتذبُّ عن حوزة الدين القويم. وكانت سبقتهُ

مجلّة الكنيسة الكاثوليكيّة لمنشئها خليل افندي البدوي بمساعدة الآباء اليسوعيين فظهرت من السنة ١٨٨٨ الى ١٨٩٠ مرّتين في الشهر ونشرت عدّة ابحاث دينيّة في اللاهوت والفلسفة والتاريخ الديني ومشاكل الاسفار المقدّسة — ثم انطفأ نورها وظهرت في مصر مجلّة الاسد المرقصي لبعض الاقباط الكاثوليك فلم تطل مدّتها على ثلاث او اربع سنوات بعد ان خدمت الدين خصوصاً بتفنيد اضاليل الاقباط المتق اليعاقبة — وكأنّ مجلّة المشرق استنهضت همم الكاثوليك فارادوا ان يجاروها في خدمة الدين. فلمّا ظهر من ذلك الحين مجلّة المباحث الشهريّة لمنشئها حضرة الخوري جرجس فرج صفير نشرها مدّة السنة ١٩٠٤ في الاسكندريّة وكان معظم مقالاتها دينيّة فلسفيّة أقبل عليها القرّاء وودّوا لو طالت حياتها — وفي السنة ١٩٠٦ انشأ حضرة الاب يوسف علوان اللعازري في الاسكندريّة مجلّة صغيرة دعاها شركة نزع سيّدنا يسوع المسيح والغرض منها إنماء العبادة نحو آلام السيّد المسيح وضمّنها عدّة فقرات دينيّة واخبار تقويّة. وقد انتقل حضرتهُ الى بيروت منذ سنتين فوسّع نطاق نشرتهِ ودعاها بالجمانيّة وكتب فيها عدّة فصول دينيّة وتهذيبيّة ودفاعيّة وهي اليوم داخلة في سنتها السادسة — وفي ايّار من السنة ١٩٠٩ نشر حضرة الخوراسقف خير الله اسطفان في نيويرك عاصمة الولايات المتحدة مجلّة الحكمة لتعزيز جانب الدين والآداب في وجه الملحدين ونشر فيها مقالات حسنة فلسفيّة انتقاديّة ادبيّة فضلاً عن الابحاث اللاهوتيّة. فنتمنّى لها الثبات والنجاح — وفي اوّل حزيران منها انشاء الاباء المرسلون البولسيّون الافاضل تحت رئاسة ومراقبة سيادة الحبر الجليل كيريوس جرمانوس معقّد مطران اللاذقيّة المرّة وهي مجلّة بطريركيّة الروم الكاثوليك فاوعبوها ابحاثاً دينيّة لاهوتيّة تهذيبيّة علميّة حقّقت اسمها البهيج فسُرّت بها الخواطر لا سيما بين ابناء الطائفة الملكيّة الكاثوليكيّة فندعو لها بالانتشار الواسع والترقّي الدائم — وفي حزيران ايضاً من سنة ١٩٠٩ اصدر حضرة الخوري اسطفان ضوء المارونى مجلّة العثماني الشهريّة في بيروت ثمّ في البترون وابحاثها ادبيّة وتاريخيّة اكثر منها دينيّة — وظهرت بعد مجلّة العثماني بثلاثة اشهر مجلّة النديم الكاثوليكيّة جعلت غايتها « المحافظة على الحقائق والذود عن المبادي الادبيّة وتعزيز شأن الآداب المدنيّة » لمديرها جناب شاكر افندي عون ويغلب عليها الابحاث

الاجتماعيَّة والسياسيَّة — وبختام السنة ١٩١٠ سجعت مجلّة الورقاء في حلب بهمّة منشئها ومديرها سيادة الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الكاثوليكي فاتانا العدد الاوّل منها فرأينا صاحبها كالوف عادته مولعاً بالعلوم الفلسفيَّة والادبيَّات الشعريَّة والنثريَّة فلا شك انهُ سيحظى لدى محبّي التقاريظ والفنون الادبيَّة ويسرّنا انَّ المجلّة رُزئت منذ ظهورها بصاحب امتيازها المرحوم جورجي خيّاط فاملنا ان لا تنقطع حياتها بوفاته — وها قد استبشرنا في اوّل السنة الحاضرة بصدور مجلّة كاثوليكيَّة اخرى كوكب البريَّة تصدر كل شهر في المطبعة الانطونيَّة في بعبدا لبنان لصاحبها ورئيس تحريرها حضرة الاب يوسف الشدياق قصدها ان تخوض في كل الابحاث لاسيما الدينيَّة والادبيَّة. فنسأل الله ان يبقى كوكبها لامعاً ساطعاً

جواب الماسونيَّة دعونا ابناء الارمنة الى الجواب على شواهدنا العديدة التي نقلناها من كتبهم السريَّة وخطبهم الرسميَّة وكلّها تميط القناع عمّا في زواياهم من الخبايا. فكان جوابهم شتماً كالوف عادة المفخم الّا انَّ الجريدة الماسونيَّة لصاحبها « نقولا سابا بالاسكندريَّة » حاولت الردّ علينا في عددها ١٩ و٢٠ من السنة الثامنة (كذا !) فقرأناها ونحن في استعداد لتكذيب ما اشعناه عن اخوتها ان كنّا مخطئين. ولكن خاب الامل اذ لم نجد في العدد الاوّل ما يُشتمُّ منهُ رائحة التفنيد لشواهدنا حتّى انَّ المقطّم الماسوني نفسهُ (في عدده ٦٥٩٥) وجدهُ ضعيفاً. وفي العدد الثاني جاءنا الكاتب باقوال الدستور الماسوني عن وجود الله وخلود النفس كأنّنا لم ننقلها سابقاً في كراريسنا ولم نكذبها صريحاً بعرضها على تعاليم شيوخ الماسونيَّة في محافلهم ومؤتمراتهم وعلى دستورهم في فرنسة وغيرها حيث أُسقط وجود الله وخلود النفس. وكذلك بيّنّا انَّ كثيرين من الداخلين في الماسونيَّة انخدعوا بها ولم يعرفوا شيئاً من اسرارها فذكر الجريدة الماسونيَّة لمثل هؤلاء المغرورين او المتغرضين لا يدلّ مطلقاً على شرف الماسونيَّة فان كان هذا جواب الماسون فالاولى بهم ان يكتفوا بالسبّ والطعن كما فعلوا قبلاً وكما فعل مؤخّراً صاحب الرغائب في طرابلس (في العدد ١٥٧) وبعض الماسون من اصحاب جرجي حدّاد في ريو دي جانيرو بكتاب شرّفونا بهِ في الاسبوع الماضي فسطّروهُ بقلم مغطوط في « بواليع » العشيرة عنوانهُ « الاب لويس شيخو الشيطان الكافر الخنزير ». فلعمري ان هذه

الشائع هي الجواب اللائق بمن لا جواب عندهُ وكل اناء ينضحُ بما فيهِ

تنحل اهل جبيل كتب لنا بعض اهل جبيل يتنصّلون مما أساء بهِ ماسون عمشيت الى حضرة الاب بولس الماقوري المرسل اللبناني الجليل فشكرنا لهم ترفعهم عن الدنايا واثنينا عليها وتمنّينا لو تشبّه جيرانهم بهم فتُمحى آثار الماسونيّة من بين ظهرانيهم

اسئلة واجوبة

س سألنا احد المستشرقين في رومية: ١ً ماذا نعرف عن أفنون التغلبي. ٢ً لاي سبب دُعيت بعض مجامع الشعر بالحماسة. ٣ً ما الفرق بين الجذام والبرص. ٤ً ما هي الثياب المعروفة بالانبجانية وما هو الديباج الخسروانى

افنون التغلبيّ — الحماسة — الجزام والبرص — الانبجانيّة — الديباج الخسروانى

ج ١ً يجد السائل في كتابنا الشعراء النصرانيّة (١٩٤ — ١٩٦) ترجمة افنون التغلبيّ — ٢ً كتبنا فصلاً مطولاً في الحماسات واصلها (في المشرق ١٣: ٥٢٧ — ٥٣١) — ٣ً الجُذام (éléphantiasis) نوع من البرص يفسد منهُ الدم فتنتفخ الاعضاء وتسودّ وتتقطّع اطرافها امّا البرص (lèpre) فلا تنتفخ منهُ الاعضاء بل تبيضّ وتتكشط كفلوس السمك — ٤ً الانبجانيّة ثياب غليظة من الصوف منسوبة الى منبج على غير قياس فيقال كساء انبجاني ومنبجاني (اطلب تاج العروس في مادّة نبج ومعجم البلدان لياقوت ٤: ٦٥٥). امّا الديباج الخسروانى فنوع من الخزّ الفاخر منسوب الى خسروشاه من اكاسرة العجم (كذا قال الزمخشري في التاج)

س وسأل من الناصرة حضرة الخوري يوسف الصاروني ايجوز لكاهن يُسمَح لهُ بتقديس قدّاسين ان يأخذ حسنة احد القدّاسين ويقدّم الثاني لوفاء الزام آخر

حسنة قدّاسين في يوم واحد

ج لا يجوز لمن يُسمَح لهُ بتقدمة الذبيحة مرّتين في بعض الامكنة ان يقبل غير حسنة قدّاس واحد امّا القدّاس الثاني فيجوز لهُ ان يفي بهِ المفروضات التقويّة التي يشترك بها بعض الكهنة والمؤمنون للتقديس على نيّة بعضهم بعضاً كما ورد جواب في ذلك من المجمع المقدّس في ١٤ ايلول سنة ١٨٧٨ ل.ش

المشرق

ميمر للقديس كيرلُّس الاورشليمي

في دخول السيّد المسيح الى الهيكل

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

في ثاني يوم من شهر شباط الكنيسة تحتفل بموسم جليل هو كختام اعياد ميلاد الرب بالجسد وتتمّة افراح العالم بمجيء المخلّص فانهُ بهِ قد تحققت نبوّة ملاخي (٣: ١) في السيّد المسيح ويوحنّا السابق حيث قال: « هاءنذا مرسل ملاكي فيهيّئ الطريق امامي وللوقت يأتي الى هيكلهِ السيّد الذي تلتمسونهُ وملاك العهد الذي ترتضون بهِ ». وقد جاءت لآباء الكنيسة في هذا العيد اقوال بديعة وعظات مخشّعة. وممّا وجدنا فيهِ في لغتنا العربية ميمر يُنسَب الى القديس كيرلُّس الاورشليميّ كان يُقرَأ قديمًا في الكنائس في هذا النهار. فانهُ ورد في ثلاث نسخ من مخطوطات مكتبتنا يرتقي اقدمها الى القرن الرابع عشر فأحببنا نقلهُ لاكرام العيد

ونسبتُهُ الى القديس كيرلُّس الاورشليميّ تجعلهُ من اقدم الآثار النصرانية لأنَّ هذا القديس ازهر في اواخر القرن الرابع وتآليفهُ المعروفة تشهد لهُ كلُّها بالعلم الواسع وطول الباع في الدينيّات وكفى بهِ فخرًا انهُ نُفيَ من كرسيّهِ اربع مرّات لاجل الايمان المسيحيّ باغراء اشياع آريوس الذين زيَّف مرارًا اضاليلهم وكشف القناع عن خبثهم ومكايدهم. على انَّ اهل الانتقاد في القرون المتأخّرة ارتابوا في مؤلف هذا الميمر فالبعض ارتأوا انهُ للقديس كيرلُّس الاسكندري وغيرهم نسبوهُ الى بعض معاصري القديس يوحنّا الدمشقيّ في القرن الثامن وهو مُثبَت باليونانيّة بين اعمال القديس كيرلُّس الاورشليميّ في مجموعة مين (PP. GG. *Migne*, XXXIII, p. 1187) وعلى كلّ حال تراهُ من الآثار الجليلة التي تستحق الاعتبار. واما ترجمتهُ العربيّة فقديمة ايضًا ولا يبعد انها لعبد الله بن الفضل الانطاكي الذي روينا سيرتهُ سابقًا في المشرق (٩: ٨٨٦؛ ٩٤٤)

ميمر

لابينا القديس كيرلس بطريرك المدينة المقدّسة اورشليم

قاله على دخول سيّدنا يسوع المسيح الى الهيكل بعد اربعين يومًا من ميلاده

(قال) افرحي جدًّا يا ابنة صهيون ونادي بالتهليل يا ابنة اورشليم. اجتمعوا جميعاً يا سكّان مدينة الربّ في يومنا هذا. تزعزعي ايّتها الارض وانفتحي يا ابواب صهيون. اصرخي ايتها الجبال وتحرّكي بشدّة ايّتها الآكام وصفّقي (١ بالايدي ايتها الانهار (٢. اجتمعوا جميعاً يا سكّان صهيون بحضور الرب في هذا اليوم وانظروا اليه ولتجتمع اهل السماء في يومنا باهل الارض وليسبّح من كان في العلاء مع من كان في الارض للمسيح الساكن في قدسه. ويا اهل السماء وذوي السلطان اصحاب الستّة الاجنحة والعيون الكثيرة (٣ واهل الارض وما في الارض اجتمعوا جميعا ومثل الملائكة سبّحوا اليوم بالتمجيد والتهليل والفرح للصاعد الى اورشليم (٤ مدينة الربّ الملك العظيم

افتحوا الابواب لفاتح ابواب القبور عند احتمالهِ الصّلب من اجلنا. افتحوا الابواب لمن رضّض ابواب الجحيم التي كانت منذ الدهر (٥. للذي اغلق بقوّتهِ القاهرة ابواب الخطيئة ومكّن بالعجائب الباهرة ابواب البتوليّة. افتحوا الابواب للذي فتح لنا باب الفردوس المغلّق بمعصية آدم

اليوم اتى الذي من القديم كلّم موسى في طورسينا بلاهوتهِ فقدم ليتمّم الناموس فصار تحت الناموس الذي كان اشترعهُ لشعبهِ. اليوم اتى الرب من التيمن (٦ الى صهيون لتكمل نبوّات الانبياء السابقة عليهِ. اليوم حضر الرأس السماوي مع امّهِ الى الهيكل ويوسفُ حاملٌ لهُ قرابينهُ

---

١) هذا الصواب وفي احدى النسخ «شققي» وفي نسخة اخرى «سقّقي»

٢) راجع المزمور ٩٧: ٨ ٣) اشعيا ٦: ٢

٤) ويروى للساكن فيكِ يا اورشليم ٥) اشعيا ٤٥: ٢

٦) نبوّة حبقوق ٣: ٢

فيا بنات اورشليم اخرجنَ باجمعكنَّ فاستقبلنهُ . وشمعكنَّ فأظهرنَ . وبضوء الحقّ فأسرجنَ . وثياب العرس للمسيح العريس فألبسنَ (١ . ومع صهيون وجماعة الامم الذين لبسوا النور فاستقبلنهُ . والى الهيكل مع المسيح الرب فادخلن ومع الملائكة بالتسبيح فاصرخنَ وقُلن : قدّوس قدّوس قدّوس الرب القوي الصباؤوت امتلأت السماوات والارض من تسبحته (٢ . امتلأ جميع خلقه من خيراته . امتلأت اقطار الارض من احساناته . امتلأ جميع البشر من نزوله . امتلأت السماء والارض واسفل السافلين من رحمته . امتلأت سائر البرايا من عطاياهُ وجودهِ

فامّا الآن فجميع الأُمم تصفّق بالايدي الى كافّة اقطار الارض (٣ ليجيء اهلها وينظروا الى افعال الرب وتسبّح كل نسمة وتمجد اسمهُ ويرتّل كل انسان ويقول انّ ابن الله ظهر ابن اربعين يوما وهو من قبل الدهور . ارى صبيًّا صغيرًا وهو عتيق الأيام (٤ صبيًّا يُحتَمل وهو خالق الدهور . صبيًّا يرضع وهو يقوت العالم كلّهُ . طفلًا اراهُ والاها اعرفهُ . هو طفل يبكي وقد وهب للعالم الحياة والفرح . طفلٌ مُدرَج بالخرق وهو المدرجين بالخطايا يحلّ ويخلّص . طفلٌ في حجر امّهِ يتّكئ بجسدهِ ولم يُفقد منهُ وهو حقًّا في حجر الاب لم يبرح ومن السماوات لم ينفصل (٥ اراهُ طفلًا يجيء اليوم من بيت لحم الى اورشليم وهو من اورشليم العليا لم يبتعد . وُلد في بيت هو بناه وظهر في هيكل هو أسّسهُ . طفل على ذراعي سمعان محمول وهو على الشاروبيم جالس (٦ . الهٌ بالحقيقة يقدَّم ويُعرَف ويُسبَّح وهو للكل يطهّر ويقدّس . هو الأوّل وهو الآخر (٧ . هو القربان وهو المقرّب والمقرَّب . هو رئيس الكهنة وهو المذبح . هو الخلاص وهو المخلّص . هو المقدِّم وهو الذي يُقدَّم من اجل العالم . هو النار . هو الذبيحة وهو حطب الحياة وهو السكّين الروحانيّة (٨ . هو الراعي وهو الرعيّة . هو الذي اتى وهو الذي يأتي . هو السُّنّة وهو الذي يخضع للناموس (غلاطية ٤ : ٤)

---

١) متى ٢٥ : ١—١٠
٢) اشعيا ٦ : ٣
٣) المزمور ٩٦ : ٣
٤) دانيال ٧ : ٢٢
٥) يوحنا ١ : ١٨
٦) المزمور ٩٨ : ٣
٧) رؤيا ٢١ : ٦
٨) اشارة الى ذبيحة ابراهيم (تك ٢٢ : ٦—٨)

فلنأت اليوم يا اخوة بما يحقّ ليومنا هذا من قول المبشرين بسيدنا المسيح. اسمع ذلك من قول لوقا العجيب (لوقا ٢: ٢٢-٤٠) انهُ لمّا انقضت ايام الطهر كما هو مكتوب في سُنّة موسى صعدوا بيسوع الى اورشليم ليقدموهُ لله كما هو في ناموس الرب انّ كل ذكر فاتح رحما يُدعى قدوساً للرب (١. فصموئيل ولسحاق ويعقوب ويوسف وجماعة آخرون وُلدوا من العواقر بعد الاياس وفتحوا ارحام الأمهات وسُمّوا لله قديسين فامّا المسيح الواحد المولود من الوحيد وحدَه وُلد ولم يفتح ابواب العُذرة وليس هو مثل اولئك ولا يُدعى قدوس الله فقط ولكنهُ قدسُ الاقداس ومقدّس القديسين ورب الارباب وإله الآلهة والملك الذي يتقدّم على كل الملوك والمولود قبل كل مولود (٢ فهو الآتي الآن الى الهيكل ليتمّم الناموس

وقد كان انسان في اورشليم يقال لهُ سمعان وكان ذلك الرجل صديقاً ورعاً وموعاً من الروح القدس وكان قد أُوحي اليهِ من الروح القدس انهُ لا يرى الموت حتّى يعاين المسيح. ربّنا فاقبل الى الهيكل بالروح وعند دخول اهل الصبي بهِ الى الهيكل كعادة الناموس استقبلهُ سمعان وقبّلهُ وحملهُ على ذراعيهِ وسبّح الله وقال: الآن أطلق عبدك بسلام لأن عينيّ قد ابصرتا خلاصك الذي هيّأتهُ امام كل الشعوب نوراً لاضاءة الامم ومجداً لشعبك اسرائيل. من هو الذي يصف قوّة الله او من الذي يكرز بكل افعالهِ (٣. ها هوذا الذي أمسك الارض بقبضتهِ الذي علا كلّ شيء بقدرتهِ. الذي لا يسعهُ شيء قد وسعهُ حجر سمعان. هذا هو البارئ كل شيء من العدم. هذا هو الازلي الذي من قبل الدهور. الوحيد الذي لم يزل بالآب والآب بهِ (٤ ذو العرش والمجد ذو القوّة والقدرة ضابط كل شيء. الذي لا ابتداء لهُ ولا منتهى ولم يخلُ منهُ مكان الذي لا يوصف ولا يُجسّ ولا تدركهُ العقول الذي لم يزل ولن يزول. هذا هو مجد الآب والاقنوم الواحد المقوّم للجميع. هذا هو نور كل نور والاله من الاله هذا هو عين الحياة الذي من جوهر الآب خرج ولم يفارقهُ (٥. هذا هو الكنز الصالح الذي من اعماق القلوب يبرز. هذا هو ماء الحياة الذي وهب

١) احبار ١٢: ٦-٨ وخروج ١٣: ٢ ٢) رؤيا ١٩: ١٦
٣) اشعيا ٤٠: ٢ ٤) يوحنا ١٤: ١٠
٥) حكمة ٧: ٢٤ وعبر ١: ٣

الحياة للعالم (١) . هذا هو الشعاع الازلي المولود من الشمس الازلية . هذا الضوء غير المخلوق الذي مع الآب والروح يُسجد لهُ ويُسبَّح وهو ممجَّد منهُ وبهِ

هذا كلمة الله الذي تمَّم كل شيء بقولهِ . هذا الذي خلق الملائكة بغير اجسام وزيَّن ذوي القوَّات السماويَّة الذين لا يُرَوْن . هذا الذي ايَّد جنود الملائكة ذات الدرجات . هذا الذي نصب السماء مثل القبَّة فاقامها على غير اعمدة (٢) . هذا الذي مشى على البحر والسحاب . هذا الذي اسَّس الارض على المياه وقبض بكفِّهِ ماء البحور . هذا الذي حجز بين الظلمة والنور وزيَّن السماء بالكواكب فاجراها لمواقيتها والذي بيدهِ غير المخلوقة جبل آدم من طين

ثم ظهر في الزمان بحكمتهِ وأطلع خليقتهُ على نفسهِ . لبس صورة الانسان وهو على صورة الرب ومن اجل ذلك نقرُّ بهِ الهاً وانساناً . هذا هو الابن الكامل من الآب الكامل . الاله الحقّ من الاله الحقّ . قد اخذ صورتنا البشريَّة ولم تمتزج بشريَّتهُ بالهيَّتهِ لكنَّهُ اكرم طبيعتنا وجوهرنا باخذهِ الجسد منَّا فقدَّسنا دون ان يلحق نقص بلاهوتهِ . هو في السماء كامل وفي الارض كامل . وُلد في السماء بغير ابتداء ولا سنين تُعَدُّ لهُ وولد في الارض من غير زرع وهو خالق السماء وخالق الارض

اسمعي ايتها الامم وأنصت يا اسرائيل انَّ هذا هو الرب وانا سمعان احملهُ في حجري وبصوتٍ عالٍ ادعوهُ الهاً وسيِّداً واشهد عند الناس في الهيكل انَّ من اجل هذا الصبيّ قال داود النبي (٣) : « انصت يا شعبي لوصاياي وأصاروا آذانكم لقول فمي فمن الآن افتح فاي بالامثال وانطق بالاقوال القديمة التي سمعناها واخبرنا آباؤنا بها لئلَّا نكتمها عن ابنائهم بل نقصُّها على الخلق الآخر » . وايضاً من اجل هذا صاح اشعيا النبي وقال (٤) : « وُلد لنا ولد . وابنٌ وهب لنا . سلطانهُ على منكبيهِ ويُدعى اسمهُ ملاك المشورة العظمى معجباً موامرًا بالرأي العظيم الهاً مسلَّطاً رئيس السلامة وأبا الدهر الآتي » . وقال ايضاً داود من اجلهِ (٥) : « إله الآلهة يُرى في صهيون » . وقال ارميا (٦) : « هذا إلهنا لا نعدُّ معهُ الهاً آخر . علَّم سبيل الحقّ واخترع

---

١) يو ١٤:٤ ٢) ايُّوب ١٢:٢٦

٣) المزمور ٧٧:١-٢ ٤) اشعيا ٦:٩ ٥) المزمور ٨:٨٣

٦) هذه الآية ليست لارميا لكن للنبي اروك (٣:٣٦-٢٨) وهو تلميذ ارميا

كل طريق العلم واعطاهُ ليعقوب عبدهِ واسرائيل حبيبهِ وبعد ذلك على الارض ظهر وللناس خالط »

هذا الصبي الذي شقّ البحر لاسرائيل وغرّق فرعون واصحابهُ واعطى الناموس وأمطر المنّ وجعل عمود النار يتقدّم بين يدي اسرائيل ليقودهم وفلق الصخر وافاض منها انهار مياه وجعل لهيب النار في العُلّيقة مثل ريح الندى فحفظها ولم تحترق وجعل موسى يقاوم اهل مصر ويرعى شعبهُ اربعين سنة وقوّاهُ على صيام اربعين يوماً بلياليها. وكذلك هذا الصبي بعد اعتمادهِ من يوحنّا صام اربعين يوماً بلياليها. وبعد اربعين يوماً من انبعاثهِ وقيامتهِ صعد الى اورشليم العليا. وها هوذا يأتي اليوم اربعين يوما بعد مولدهِ من العذراء الطاهرة الى اورشليم السفلى ليكمّل الناموس واقتبلهُ سمعان الشيخ على ساعديهِ. فمن اجل هذا الصبي صاح حبقوق النبي وقال (١ : « الله من التيمن يأتي والقدوس من جبل أشعرَ ظليل. غطّى السماوات رضوانهُ وامتلأت الارض من تسبحتهِ ». وقال داود النبي (٢ : « اشكري للختن بتسبيحك. للطفل الذي بولادهِ اعطاك الحريّة »

عجبٌ انّ الهاً صار انساناً وربّ الادهار الولادةِ خضع ولابس الجلال لبس جسداً من ابنة داود. الغنيّ جاء الى الفقير والعتيق الأيام لفّتهُ مريم الطاهرة بالقماط. حامل السماوات حملهُ الشيخ سمعان على ذراعيهِ. لم يأنف رب الكهنة ومانح الغفران لبني لاوي ان يقدّم قربانهُ للكهنة فرخي حمام كان جاء بهما يوسف فقبلهما الكاهن من اجل الطفل. وقد دُعي سمعان الشيخ ليشهد على ولادتهِ لانهُ كان ثقةً وشهادتهُ مقبولة وكبرهُ وشيبتهُ يشهدان على حقيقة قولهِ اذ انهُ من اجل مسيح الرب أُعطي ذلك العمر الطويل لينظرهُ ويعرفهُ متجسداً وكان يجب ان يشهد الطاعن بالسنّ على ذلك عتيق الأيام الذي صار طفلاً في آخر الازمان فطول العمر قد مُنِحَهُ من اجل الابن الازلي. جلس الشيخ في طريق العالم ينتظر رب العالم ولذلك كان يبتعد منهُ الموت فكانت تجوز امامهُ الشعوب والخلائق وهو في الاحياء. ليفرز منهم الواحد الحقاني الذي هو الرب بالحقيقة حتى اذا ظهر حلّهُ من قيد الحياة واطلق عبده بسلام..

١) حبقوق ٣ : ٣ ٢) ليس في المزامير كلام بهذا اللفظ. وكذلك لم نجدهُ في الاصل اليوناني

عرف سمعان الصبي الذي تنبأ عنهُ موسى وقال (١ : « الرب يقيم لكم نبيًا من اخوتكم فمن لم يُطعهُ تفنى ايامهُ من الحياة ». وتنبأ عنهُ داوُد وقال (٢ : هناك الام صهيون تنادي وتقول رجل جبّار ولد فيها لنا وهو العليّ الذي اسّسها الى الابد ». وقال ايضاً (٣ : « الجالس على الشاروبيم ظهر قدّام افرام وبنيامين ومنسا . أقم قوّتك وتعال لخلاصنا أنِر بوجهك علينا فنخلص ». وقال ايضاً (٤ : « فالطيّ السماوات وانزل ومسّ الجبال فتدخن ». وقال ايضاً (٥ : « أقبلوا واعلموا اني انا هو الله وعلوتُ الامم وظهرتُ على الارض . رب القوّات معنا »

فمن اجل ذلك اعرفوا يا آل الامم وأيقنوا وانظروا أيها اليهود وتيقّنوا انّ لهذا الصبيّ تمجّد الملائكة ولهُ تسجد رؤوس الملائكة ومنهُ يرتعد ذوو السلطات ولهُ تسبّح القوّات ولهُ تخدم الشاروبيم وتتعبّد لهُ السارافيم وتطيعهُ الشمس ويقدّسهُ القمر وامامهُ تتحطّم ابواب الجحيم وتنفتح ابواب السماء وتُرضّض اغلاق الشيول (٦

هذا الصبي نفى الموت واخزى الشيطان وابطل اللعنة وسكّن الحزن وفدغ الحيّة وهدم الحاجز عن الجنّة وخرق صكّ التنّين ووطئ الخطيئة وازال الخديعة واقام السقطة وسلّم آدم ونجّى حوّاء ودعا الامم واضاء الحقّ بنورهِ . فمن اجل ذلك نستقبل هذا السيّد بفرح لا بتنعُّم الاجساد بل يكن سرورنا بالروح القدس . لا نفتخر بالشبع ونكن نسبّح بالروحانيّة لا نطرب بالشراب بل نعتصم بالتقديس لانّ هذا يوم فرحنا الاعظم . فلنهنّئ شيعتنا ومثل اولاد النور نوقد النور لنستقبل المسيح الرب بهِ لانهُ نور من نور والعالم منيرٌ . ولنبادرنّ بالدخول معهُ في هذا العيد ومع الملائكة نجتمع ومع الرعاة نُضئ ومع المجوس نسجد ومع بيت لحم نعيّد ومع صهيون نستقبل ومع الهيكل نقدّس ومع العذراء نحجّ ومع يوسف نقدّم ومع سمعان الشيخ نحمل حتى نكون معهُ داخلين في الخير كلهِ ونحظى بالملكوت المعدّ لاحبّائهِ . فليكن لنا ان ننالها بنعمة ربّنا يسوع المسيح الذي لهُ ولابيهِ ولروح قدسهِ المجد والاكرام الى ابد الادهار امين

---

١) تث ١٨ : ١٥–١٩ ٢) المزمور ٨٦ : ٥ ٣) المزمور ٧٩ : ١–٢
٤) المزمور ١٤٣ : ٥ ٥) المزمور ٥٨ : ٦
٦) ايوب ٣٨ : ١٧ والشيول كلمة عبرانية معناها الهاوية والقبر والجحيم

هل من دواء

قصيدة اجتماعية نظمها حضرة الخوري رافائيل البستاني في مدرسة الحكمة

أفِقْ من سُباتٍ يا يَراعُ لعلّما ... اذا استيقظتْ عيناكَ توقظُ نوّما
أهِبْ بالألى قد أطبق النومُ جفنهم ... ولا تجزعَنْ من وَغرِ غِرٍّ تحدّما
فلا ينثني الآسي ويغمد مِبضعاً ... سواءٌ بكى المكلومُ او قد تبسّما
ولا تكترثْ للعاذلين فانّما ... يُضجُّ من الشراط مَن قد تورّما
فخُطَّ على بيض الصحائف راسماً ... صحائفَ سوداً أبكت الشرق عندما

لأنها غدونا مُضعفةً بانقسامنا ... «ومن اقبحِ الآراء ان نتقسّما»
فهذا الى زيدٍ يلوذُ لغاية ... وذاك الى عمرٍو ويكرُّ اليهما !!...
فأصبحتِ الاحزابُ فوقَ عديدنا ... وكلٌّ لظى الشحناء في القلب أضرما
فمن ناصبٍ فخَّ الكنايد خِسّةً ... ومن مُوترٍ قوسَ النفاق ليَنقما
وكلٌّ يضحّي بالضمير وعِرضه ... ليُسقط نِدّاً او ليُحرزَ درهما

فلا مَبدأٌ ينهى ولا الدينُ وازعٌ ... اذا ما رأى بعضٌ لدى الخَتل مَغنما
فما كان في الاصباح أبيضَ ناصعاً ... فيُمسي لدى الغايات اسودَ أسحما
لكل ظروفٍ حُلّةٌ ومناهجٌ ... فدينٌ وقلبٌ رهنُ ايماء مَن وَما
لقد ألفَ المَينُ المكوثَ بأرضنا ... وأضحى لإدراك المآرب سُلّما
اذا قيل هذا الصبح والشمسُ قد بدتْ ... فمعناهُ أرخى الليلُ سُدلاً واظلما...

اذا كلّلتْ بعضَ المساعي وَضيعنا ... بنُجحٍ نرى رَوقَيه في كبد السما
وان حال بالرّكنِ في صفوة العلى ... ترآى لعينينا إلهاً تجسّما
ويزعمُ مالَ الشعب وِرداً صفا له ... وليسَ الورى الّا لما شاء خُدّما
وما الناسُ الّا سِلعةٌ رَهنُ امرهِ ... يبيع ويشري من يشاء ومثلما...
وما الدّينُ والدّستور الّا لغيرهِ ... فيغدو ويُمسي آذناً ومُحرّما

ولمّا دَوَتْ حرّيةٌ بمسامعٍ ... فقومٌ زها عجباً وآخرُ دَمدَما
فهذا رأى فيها حوائجَ قد ثنتْ ... يديهِ ولم تترك سبيلاً لِلَمّها

فصاح: عبادَ الله هبّوا فدينكم يقود اليه الدهرُ جيشا عرمرما
وتاهَ أناسٌ يمرحون وننتهم تقول لهم: صرحُ الشرائع هُدّما
فجلٌ وتحريمٌ ودينٌ وسنّةٌ طواها زمانٌ قد مضى وتصرّما

أتتنا مساواةٌ فأهلاً ومرحبا فهل ذلك المنوحُ يُمسي مُقوّما؟
وهل دينُ زيدٍ لا يزال كحاجزٍ يحولُ اذا ما شاء ان يتقدّما؟
وهل اصبح المثري الفخورُ مساوياً ندى العدل والقانون مَن كان مُعدِما؟
فترجو سراة القوم محوًا لوصمةٍ أرتنا من الأرزاء فذًا وتوأما
متى ساد في الشعب التساوي تكاتفوا وأزروا بتحزيب وهجرٍ او أنيما

أقايينُ مهلاً فالاخاء قد نأى فأذعرهُ هابيلُ يخبط في الدما
ثواك ترابٌ بالدماء خضبتَهُ وشُلّت يدٌ أردتْ بريئاً لتظلما
لمن يا تُرى ذاك المدنّس كامنٌ وتلك المواضي مثل أنياب ارقما؟
فما بالنا اذ كلّما حاولَ البنا أناسٌ لودٍّ هبَّ قومٌ ليهدما؟
تعقّلَ شرقٌ بالاخاء سلامةٌ ألا اسعوا بتقريب القلوب فنسلما

ويا قادةَ الافكار بالله لازموا ثبارًا على نهج من العلم أقوما
فما كلُّ مَن يدري من النحو بعضهُ تحدّثهُ نفسٌ ليُجريَ مِرقما
فلو تُرجمتْ في الغرب اقوالُ زمرةٍ لقيل أيا بسمرك مُتَّ لترحما!!!
أنيطوا بعقد القول درَّ حصافةٍ أيحظى بدرٍّ غيرُ من خاض بحرما؟
ولا تجعلوا تلك الصحائف آلةً تدور كما تبغي الرياحُ وكيفما...

يقولون: فينا قد تنشّى تعصّبٌ نقولُ لهم: معنى التعصّب أيما
فان كان ما تعنون حبًّا موطّدًا لدين لنبا أولى بذاك تعظّما
وان كان معناهُ إساءةَ غيرنا فقد كذب الواشي وانخطأ مَن رمى
نُريقُ على حدّ الظباة دماءنا ولا نتخطى حدَّ ما الله علّما
فطوبى لشعبٍ ظلَّ للدين حافظًا وويلٌ لمن ازرى بما الله حرّما

على مهلٍ يا جنّةَ الامس انكم سألتم على الدين المقدّس مخذما
تقولون دينٌ وارتقاءٌ بعصرنا نقيضانِ بل غولانِ قد فغرا فما

شَلَلْتم عن النَّهج القويم بزعمكم · فراقوا ببرهانٍ سديدٍ فنُفحما
هلمّوا نُجلْ طرفاً بحالٍ وما مضى · ز الدين للعرفان والعلم منجما
أليسَ رجالُ الدين في كل أعصرٍ · مثالاً لمن قدْ جدّ يبغي تعلما ؟

وقالوا: رجالُ الدين يسعون جهدهم · لكيما يظلّ الجهلُ فينا مُخيّما
لماذا اذن يا صاح للعلم شيّدوا · صروحاً لقد كادت تناطح أنجما ؟
فأيُّ علومٍ أوصدوا الباب دونها · وأيُّ اختراعٍ بات عنهم مكتّما . . . ؟
فلا تركب الأبحار بغيةَ شاهدٍ · فبيروت تغنينا « وقيتَ من العمى » . .
أتبغي بقاء الجهل في الشعب سائداً · ومن عيننا التدريسُ قد امطر الدما ! !

وقالوا: على ابن الدين تركُ سياسةٍ · فمن فرضهِ ان يلزم الصمت أبكما
وليس لهُ قولٌ بتنصيب خالدٍ · وإسقاط زيدٍ او بأمرٍ تحتّما
فيا سادتي اين المساواة بيننا ؟ · أبى اللهُ ان يدعو صفيّاً ليُحرَما
فما القولُ في راعٍ تناسى قطيعهُ · وتنظر عيناه السراحينَ هُجّما ؟
لئن جاز للافراد فكرُ سياسةٍ · ففرضٌ على ابن الدين ان يتكلّما

وقالوا: رجالُ الدين فيهم نقائصٌ · « أليسَ رجالُ الدينُ ابناء آدما » ؟
وقالوا: يُحبُّ البعضُ منهم تلذّذاً · « فمن منكمُ قد قامَ يلثمُ عاتما » ؟
وقالوا: يحبّون الفلوسَ وجمعها · « فمن منكم آوى الكهولَ وأطعما » ؟
وقالوا: فلان زلّ في العمر زلّةً · « فخذ حجراً يا من برئتَ لترجما »
وقالوا: فلان شوّهتهُ فظائعٌ · « نقولُ كما قلتم وما الدينُ أجرما »

دُعيتَ ايا ابن الدين فالبسْ لدعوةٍ · رداء نقيّاً بالصلاح مُتمّما
دُعيتَ لتنوير البرايا وهديهم · لك الويلُ كلّ الويل ان كنت مظلما ! !
ويا ملح ارضٍ كيف تُصلح فاسداً · اذا كنت عن اصلاح نفسك مُحجما ؟
وكن أيها الآسي ضناك مداوياً · لئلا يقالَ القولُ فيك تبكّما . . .
فان كنتَ لا تسعى لنيل فضائلٍ · وعلمٍ تخُنْ ديناً وربّاً مُعظّما

بني الشرق ليس الدينُ سلعةَ تاجرٍ · ينادي بها صِفرُ الأكفّ ليُفعما
لكمْ من فتى فيهِ تسامت ظنونُنا · فخيّب آمالاً لنفعٍ توهّما

فهذا جفا دينـاً ليملكَ منصباً وذاك لغـايات أحـطَّ وألأمـا
ومنهم كنودٌ رام كيـدَ رئيسهِ ولا ذنبَ في ذا غير ان كان مُنعما . .
ومنهم كطفل لا تجاريهِ أُمـهُ ليلعبَ في نار بكى وتظلّما . . .

بني الشرق هُبُّوا من رُقادٍ وغفلةٍ فنترعَ أضغانـاً ونُقصي تقدُّمـا
لئن نتّحد يا قوم قلباً وقالبـاً يذلُّ لنـا صعبٌ فنرجو تقدُّمـا
فهل يُرتجى هَدْيٌ بنور كواكبٍ اذا كان أُفق الرَّفق فينا مُغيّما ؟
هَلمُّوا نُنمّـذِ الطفل دَرَّ معارفٍ ودينٍ وإقـدام ونيـل فنغنما
فخيرُ الورى من كان بالعلم نيّرًا وفه منقادًا وفي الحرب ضيغمـا

جهينة الماسون والمدارس اللادينية

حديث جرى بين جُهَيْنَة احد وجهاء المسلمين (البك) واحد ادباء المسيحيين (الزائر)

ذهب « الزائر » المسيحي ليقوم بالواجبات الودادية في معرض عيد الفطر من شهر رمضان المنصرم نحو صديقهِ « البك » الموما اليه (وسميناه جهينـة الماسون مراعاة للظروف) وبعد ان تجاذبا ملياً اطراف الحديث دار الكلام على الماسونية فكان ما يأتي :

البك هل انتظمتَ في مصافّ المحافل الماسونيّة ؟

الزائر كلّا . ولن اريد الانخراط في سلك شيعة تسعى وراء عدم النظامين الديني والمدني

البك حسناً تصنع لأن ما من صاحب ضمير دخلها وسبر غورها الّا انسحب منها نادماً على ما فعل مغتاظاً مما سمعهُ ورآه فيها

الزائر وسعادتكم هل كنتم من عدد اعضائها ؟

البك نعم . واخجلُ من قولي « نعم » . ولكنني لم البث ان تركتُها ومنذ ثماني عشرة سنة لم ادخل محفلاً

الزائر وما الذي حمل سعادتكم على الانفصال عنها ؟

البك كنت قد دخلت الماسونية ظنّاً مني انها جمعية خيرية ادبيـة انسانية كما موّهوا وكذبوا عليّ . غير اني رأيتُ عكس القضية اذ وجدتُني بين قوم اكثرهـم ليسوا

من مقامي وليسوا على شيء من الادب والفضيلة فقضيتُ على نفسي بالانسحاب منها لئلا اقع في شرّ الاقذار اذ يُعرف المرء من قرينه

الزائر . عجبٌ . واين ما يقولون مظهرين للناس كافة ان غايتهم الحريّة والاخاء والمساواة وعمل الخير وتنوير الافكار والتعاون والتعاضد وخدمة الانسانية و . . . . و . . . . و . . . ؟

البك لا تنخدع يا صاح باقوالهم المخالفة لاعمالهم فقد جاء في القرآن الشريف: « يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم » . وما مثلهم الّا كمثل الطبل الذي يُلهي دَوداؤُهُ (صوتهُ) الامكنة المجاورة وداخلهُ اجوف صافر . او كمثل الفريسيين المرائين الذين ذكرهم في الانجيل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فقال عنهم انّهم كالقبور المكلّسة . وقد يصحّ فيهم قول العامّة « اقرأ تفرح جرّب تحزن » . هذا وانني قد اختبرتهم بنفسي ولا سبيل لانكار ما راتهُ عيناي وسمعتهُ اذناي

الزائر واين ما يجمعون من الاموال للتعاضد والتعاون ؟

البك يتعاونون في كل ما من شأنهُ ان يحقّق مقاصدهم السافلة . فاذا جمعوا الاموال فلغاياتهم الشخصية ومشاريعهم الخصوصية فقط . فالحريّة التي ينادون بها هي حريّة لنفسهم . وعلى غيرهم استعباد واستبداد . والاخاء الذي يجاهرون به خاصٌ بهم ولغيرهم حقدٌ وضغينة . والمساواة التي يقصدونها يرومون بها مساواة الناس تحت نير ماسونيّتهم . يجمعون الاموال لتنفيذ مآربهم الذاتية وقهر اخصامهم . واكثر الذين عرفتهم مشهورون بهضم حقوق الناس واختلاس اموالهم . ومنهم رجلٌ عرفتهُ جيّدًا وهو رجل اذا مرّ بالقرب منك يقتضي بعد مروره ان تعدّ اصابع يديك لترى ان لم يسرق منك احداها . . . . .

الزائر ماذا تعلمون عن الحفل العثماني الذي أُلف حديثًا في فرن الشبّاك ؟

البك غاية ما اعلمهُ هو ان احد زعماء الماسونية في الاستانة هو الذي بعث يكاتبني بك الى تأليف هذا الحفل

الزائر هل كان الامير عبد القادر الجزائري ماسونيًا كما يقول الماسون وكما جاء اخيرًا في الجريدة الماسونية الحرة بقلم صاحبها نقولا سابا ؟

البك لم يدخل الاميرُ الماسونية الّا ليطّلع على اسرارها فقط ولكن لمـّا انجلت لهُ الحقيقة تخلّف عن الحضور الى محافلهم ولم يأتِ شيئاً يدل على ماسونيتهِ فعلًا

الزائر هل كل من مبعوثي بيروت ماسوني ؟

البك انني اعلم علماً لا ريب فيهِ ان رضا بك الصلح ليس ماسونيًا ولن يكون ابدًا. امّا المبعوث الاخر فلا اعلم عنهُ شيئاً وان دخل في الشيعة لا يلبث ان ينفصل عنها لعلمي انهُ رجل خبير عالم حكيم عاقل كما فعل الشيخ محمد عبده والامير عبد القادر وكثيرون غيرهما وداعيكم. وانني اعلم ان بعض الذين دخلوها يروون التخلص منها وهم يترقّبون الفرص الموافقة للانسحاب

الزائر هل منعتم احدًا من الانضمام اليها ؟

البك كان يودّ نقيب الاشراف في مدينة (ط..) الانضمام الى اعضائها لو لم احذّرهُ وخيم العاقبة وسوء المصير فعدل عن قصده بعد ان كادت تزلّ بهِ القدم. وقد الحّ عليهِ بعضهم بالدخول فأبى وهو الى الآن لم يزل واضعاً نصيحتي لهُ نصب عينيهِ

الزائر ما رأي سعادتكم في المدارس اللادينية ؟

البك هي احدى نتائج الاعمال الماسونيّة ولا رأي لي فيهـا سوى ما قلتهُ لكم عن الماسونيّة. فالغاية واحدة والوسائط عديدة. وكل رب عائلة يبعث باولاده الى تلك المدارس يُلام اشدَّ اللوم. فاما ان يكون ساذجاً جاهلًا غاياتها الخبيثة مغرورًا بظواهرها الخدّاعة. وامّا ان يكون عالمًا بما هي عليهِ من الرذيلة والكفر فيرضى بفساد آداب واخلاق ولدهِ ويسلمهُ اليها ليقتل نفسهُ بسمّ تعاليمها الذعاف

وخلاصة القول ان الحريّة والاخاء والمساواة والنور والعلم والتعاون ومحبة الانسانية وكل ما يدّعونه زورًا وظلمًا وكذبًا موجود كلّهُ في قرآننا وفي انجيلكم فهم يريدون ان يحاربونا بسلاحنا ويعلّمونا من كتبنا وعنها وبها وفيها. ولا ارى من حاجة لترك الدين كي اتّبع ما هو منافٍ لهُ. هذا وانّ شريعة الدين لهي شريعةٌ اساسُها الله امّا شريعتهم فاساسها الشرُّ والكفر. وقد قال السيد جمال الدين الأفغاني: «الدين اساسُ العمران والكفرانُ فساد المدنيّة». فلِمَ نترك شريعة الله وننتمي الى شريعة سافلة فاسدة. واذكرْ ما قلتهُ لك في مبتدأ حديثنا وهو ان الماسونية كلها تُعرَّف على وجه الاختصار بهاتين الكلمتين: «اقرأ تفرح جرّب تحزن»

رسالة

في الفرق بين الروح والنفس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين الكتب المخطوطة التي اطّلعنا عليها في اواسط ايلول سنة ١٩٠٩ في المكتبة الخالديّة في القدس الشريف تلطف اصحابها باجازة نسخ ما شئنا منها كتابٌ نُظم في برنامجها في باب المجاميع الطبيّة يحتوي عدّة رسائل فلسفيّة طُبع البعض منها بعنّة الشيخ العلّامة طاهر افندي الجزائري . وممّا لم يُطبع رسالة لارسطاطاليس في النفس قد تلف قسمٌ كبير منها فذهبت بذلك فائدتها . وهناك رسالة اخرى نفيسة لم تطبع ايضاً عنوانها «رسالة في الفرق بين النفس والروح» يقال في اوّلها « الفها حنين بن اسحاق العبادي لمحمّد بن موسى المنجم » قال : « وقد اختلفوا فيها فقوم قالوا انها لحنين وقوم قالوا انها قسطا بن لوقا لعيسى ابن افرخشاه » فاستنسخناها لننشرها كتتمّة لما سبق نشره من هذه المقالات الفلسفيّة القديمة . والحق يقال انها اثر نفيس يدلّ على ما كان لصاحبها من سعة المعرفة بحكمة اليونان كارسطو وافلاطون وبطبّهم كبقراط وجالينوس نجمع في اوراق قليلة عدّة معلومات متفرّقة في كتبهم . والمؤلف قد اراد بالروح ما كان يفهمه اليونان باسم πνεῦμα والروم باسم spiritus في معناها الاصليّ اعني بمعنى النسمة المادّيّة التي في الانسان ليس بمعنى الجوهر المجرّد عن الجسد كما يُستدلّ من اصل اشتقاقها من فعلَي πνέω و spiro بمعنى قول العرب راحت الريح اذا هبّت ونفخت . وكان قدماء الحكماء يقسمون الروح بهذا المعنى المادّي الى قسمين يدعون قسماً الروح الحيوي (esprit vital) ويجعلون موقعهُ في القلب وقسماً الروح النفساني (esprit animal) يجعلون مركزه في الدماغ . وهذا الرأي القديم مبنيّ على ظواهر الحياة الّا انّ القدماء الذين كتبوا في ذلك وعنهم اخذ صاحب هذه الرسالة قد بالغوا بعض المبالغة بحيث يظهر من قولهم انّ الروح التي وصفوا قواها النباتيّة والحسيّة هي مبدأ مستقلّ عن النفس وليس الامر كذلك . فانّ اصول الفلسفة الصادقة فضلاً عن تعليم الكنيسة تقرّر في امر النفس انّها المبدأ الوحيد لاعمال الانسان سواء كانت نباتيّة او حسيّة او عقليّة وانّما مظاهر النفس تختلف على حسب عملها في نموّ الجسد وغذائه او في القسم المشترك فخصّ الروح بتلك الاعمال

اما النفس فقد اخذها المؤلف بمعناها الفلسفيّ اعني الجوهر البسيط الروحي الخالد البقاء المخلوق من الله ليتّحد بجسم هيوليّ وان امكنهُ ان يحيا دونهُ فلخّص في القسم الثاني من مقالته آراء القدماء بكل دقّة فجاءت مقالتهُ من اجود الآثار الفلسفية واستحقّت بذلك أن

تُنشَر لئلا تُفقَد فائدتها ولاسيما انَّ منها نسخةً وحيدة فقط تُحفَظ في خزانة مخطوطات غوتا من اعمال المانية (Pertsch: Arab. Handschr. zu Gotha. n° 1158). اما نسخة القدس الشريف فقديمة يرتقي تاريخها بالتقريب الى القرن الرابع عشر وهي مشرقة الخطّ مكتوبة على ورقٍ صفيق نسخها لنا من الاصل جناب محمَّد امين الدنف الانصاري فنشكر فضلهُ

بقي علينا تعريف واضح هذه الرسالة فان كاتب هذه النسخة بعد ان ذكر انَّ مؤلفها هو حنين بن اسحاق العبادي روى ما جاء من الخلاف بين العلماء في صاحبها أهو حنين بن اسحاق او قسطا بن لوقا. وعندنا انَّ مصنَّف هذه الرسالة ليس بحنين وانما هو ابن لوقا ودونك الاسباب التي تحملنا على نسبتها الى ابن لوقا :

السبب الاوَّل اننا راجعنا كلَّ جداول تآليف حنين بن اسحاق المدوَّنة في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٩٢٤) وفي تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (ص ١٧١ — ١٧٧) وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ١٨٤—٢٠٠) مع ما ذكر منها في كشف الظنون للحاج خليفة وما بقي منها في خزائن الكتب الشرقيَّة في اوربَّة فلم نجد ذكرًا لهذه الرسالة

والثاني اننا على خلاف ذلك وجدنا في التآليف السابقة ذكرًا لهذه الرسالة في جملة تآليف قسطا بن لوقا . فقد ذكرها ابو الفرج الورَّاق المعروف بابن النديم في الفهرست (ص ٢٩٥) وسمَّاها كتاب الفصل بين النفس والروح ومثلهُ جمال الدين القفطي في ترجمة قسطا بن لوقا (ص ٢٦٢) ودعاها كما في نسخة المكتبة المتالدبَّة « كتاب الفرق بين النفس والروح » وتبعهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٤٥) . امَّا النسخة الخطيَّة المصونة في مكتبة غوتا (Pertsch, n° 1158. p 369) فان الرسالة تُدعى فيها كما في فهرست ابن النديم « الفصل بين النفس والروح » ولا يُذكر فيها اسم مؤلفها وقد نسبها صاحب القائمة الى ابن سينا تخمينًا وحدسًا . والصواب كما روينا

والثالث انَّ لغة هذه الرسالة تدلُّ على انها لقسطا بن لوقا وليست لحنين لأنَّ عربيتها افصح وابلغ ممَّا نعرفهُ من تآليف حنين بن اسحاق الباقية الى زماننا . امَّا قسطا بن لوقا فكان مشهورًا بجودة انشائهِ كما اشار اليهِ اصحاب ترجمتهِ

والرابع انَّ هذه الرسالة عرفها النَّقَلة الى اللاتينيَّة (١ منذ القرن الثاني عشر للمسيح فترجمها المعروف بحنَّا الاسباني ونسبها الى قسطا بن لوقا (٢ (Johannes Hispalensis) فطبعت هذه الترجمة مرَّة اولى سنة ١٥٣٦ في مدينة بال (Bâle) ثمَّ أُعيد طبعها في مجموع فلاسفة

---

١) اطلب تاريخ المنقولات العربية الى اللاتينية F. Wüstenfeld : Die Übersetzungen Arabischer Werke in das Lateinische seit dem xi Jahrhundret.(p. 33)

٢) وقد دعاه المترجم « قسطنطين الافريقاني » اطلب قائمة المطبوعات العربيَّة في المتحف البريطاني (ج ١ : ٨٠٥) Ellis (A.G.) : Catalogus of Arabic Books in the British Museum.

القرون الوسطى (١ الذي نُشر سنة ١٨٧٨ بساعي باراك (Baruch) امّا الاصل العربيّ فلم يُنشر

وهنا لا بُدَّ ان نضيف الى قولنا كلمة في مؤلف الرسالة فنقول هو قسطا بن لوقا البعلبكي احد مشاهير علماء الدولة العبّاسيّة. قال صاحب الفهرست (ص٢٩٥) بعد ذكره لحنين: « كان يجب ان يقدَّم على حنين لفضلهِ ونبلهِ وتقدُّمهِ في صناعة الطب ولكن بعض الاخوان سأل ان يقدَّم حنين عليهِ وكلا الرجلين فاضل . . . وكان بارعاً في علوم كثيرة منها الطبّ والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لا مطعن عليهِ فصيحاً باللغة اليونانيّة. جيد العبارة بالعربيّة ». ونقل ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٤) عن سليمان بن حسّان ان قسطا « مسيحيّ النحلة طبيب حاذق نبيل فيلسوف منجم عالم بالهندسة والحساب » ثمَّ زاد عليهِ: « وكان جيّد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي واصلح نقولاً كثيرة واصلهُ يوناني. ومما روي من اخباره انهُ كان في ايام المقتدر قال ابن القفطي في تاريخ الحكماء: « دخل ايّام بني عبّاس الى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد الى الشام واستُدعي الى العراق ليترجم كتباً و يستخرجها من لسان اليونان الى لسان العرب وعاصر يعقوب بن اسحاق الكندي. وقد نقل صاحب الفهرست وابن ابي اصيبعة عن عيدانه بن جبرئيل بن بختيشوع انَّ قسطا اجتذبهُ سنحاريب الى ارمينية فاقام بها وكان بارمينية ابو الظريف البطريق من اهل العلم والفضل فعمل لهُ قسطا كتباً كثيرة جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الالفاظ في اصناف من العلوم ومات هناك فدُفن وبُني على قبره قبّة وأُكرم قبرهُ كإكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع ». (قال) : « فلو قلتُ حقاً قلتُ انهُ افضل مَنْ صنَّف كتاباً بما احتوى عليهِ من العلوم والفضائل وما رُزق من اختصار الالفاظ وجمع المعاني ». ثم ذكروا لهُ جدول تآليفهِ البالغ خمسين كتاباً بيّف فُقد اكثرها. وممَّا يؤسف على فقدهِ خصوصاً كتاب تاريخ كان دعاهُ الفردوس وكتاب نوادر اليونانيين ومذاهبهم وكتاب آداب الفلاسفة وكتاب الاوزان والمكاييل وكتاب المرايا المحرقة وكتاب القرسطون. وقد نجا من آفات الدهر كتابهُ اختلاف الناس في اخلاقهم وسيرهم وكتاب في العمل بالكُرة وكتاب الاسطرلاب وبعض نقول لكتب اليونان ككتاب اقليدس وكتاب الأُكر لثاودسيوس وكتاب اطولوقس في الطلوع والغروب. ولم يُطبع لقسطا بن لوقا الّا شيءٌ قليل فمن ذلك كتاب رفع الاثقال لأبرُن ترجمهُ من اليونانية وطبعهُ آخراً العلّامة كارا دي ڤو Carra de Vaux : Les Mécaniques de Héron d'Alexandrie وقد طبع في مصر كتاب الفلاحة اليونانيّة لقسطوس الفيلسوف الرومي فظنَّ الطابع انَّ قسطوس المذكور هو قسطا بن لوقا ولو حقَّق النظر لرأى ان قسطوس هذا ليس بقسطا بن لوقا وانما هو احد قدما اليونان وقد ترجم كتابهُ سرجوس بن هلبا

وممَّا لقسطا بن لوقا من الآثار المذكورة في جدول تآليفهِ ومحفوظة في مكتبتنا الشرقية جوابهُ الى ابن عيسى يحيى ابن المنجم وكان هذا وجَّه اليهِ والى حنين بن اسحاق رسالة دعاها بالبرهان

(١ وهذا عنوانها Costa-ben-Lucæ de differentia animæ et spiritus liber ex arabico in latinum translatus a Johanne Hispalensi .

ليثبت فيها دين الاسلام فاجابهُ قسطا برسالة مثلها والرسالتان بين مخطوطات مكتبتنا وكذلك لدينا جواب حنين على صورتين الواحدة على طريقة جدلية والاخرى على مبنىً فلسفي يثبت فيهِ النصرانية فهذه الصورة الثانية قد نشرناها في مجموع الابحاث الذي طُبع ليوبيل العلّامة نلدكه (١ وقد عدنا فكرّرنا طبعها في مجموعنا « مقالات لاهوتية قديمة (ص١٣١) »

هذه الرسالة

في الفرق بين النفس والروح

ألّفها حنين بن اسحاق العبادي لمحمّد بن موسى المنجّم

وقد اختلفوا فيها فقوم قالوا انها لحنين وقوم قالوا ألّفها قسطا بن لوقا لعيسى بن افرخانشاه (٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سألتَ اعزّك الله عن الفرق بين الروح والنفس وما قالت الاوائل فيهِ وقد رسمتُ في ذلك جُملًا استخرجتُها من كتاب افلاطن المسمّى فادن (٣ ومن كتابه المسمّى طيماوس (٤ ومن كتاب ارسطوطاليس وثاوفرسطس في النفس ومن كتاب جالينوس في اتفاق آراء بقراط وافلاطن ومن كتابه في عمل التشريح وفي منافع الأعضاء واستعملتُ

١) اطلب Orientalische Studien Theodor Noeldeke zum siebzigsten Geburtstag gewidmet, p. 282-291

٢) ويقال عادةً فَرَخان شاه. كان هذا متولّياً على ديوان الخراج ايام المتوكّل وخلفائهِ ذكرهُ الطبري في تاريخهِ غير مرّة ولم يذكر سنة وفاتهِ

٣) هو كتابهُ المدعو باليونانية Φαῖδων باسم احد تلامذة افلاطون

٤) وباليونانية Τίμαιος علم لبعض تلامذتهِ

فيها غاية الاختصار والايجاز لما شاهدتُ من كثرة أشغالك باعمال السُّلطان وضيق الزمان الذي لا يُمكنك فيه النَّظر في هذه الكتب وأرجو أن يكون فيما رسمتُ من ذلك مع معرفتك بالعلم الطبيعي ومراعتك فيه بلوغُ مطلوبك ان شاء الله تعالى

فأقول ان الذي يريد ان يعلم الفصل بين شيئين محتاج الى ان يعلم ماهيَّة كل واحد منهما اوّلًا لأنه غير مُمكن ان يفصل بين شيئين مجهولين ومع معرفة كل واحد منهما يعرف الفَصْل بينهما . واذ نريد ان نبيّن الفصل بين النفس والروح يجب اولًا ان نخبر عن النفس والروح ثمَّ عن الفصل بينهما . فلنبدأ أولًا بالقول في الروح اذ كان أسهل منهجًا ثم نتبعهُ بالقول في النفس

القول في معرفة الروح الحيواني

اعلم انَّ الروح جسمٌ لطيف(١) ينبثُّ في بدن الانسان من القلب في الشرايين فيفعل الحياة والنفَس والنبض وينبثُّ من الدماغ في الأعصاب فيفعل الحسَّ والحركة . وقد زعم المحمودون ممَّن عمل التشريح في الأحياء من الاطباء والفلاسفة انَّ في القلب تجويفَين احدُهما في جانبهِ الأيمن والآخر في جانبهِ الأيسر وهذان التجويفان فيهما دمٌ وروحٌ بل في التجويف الأيمن من الدم أكثر ممَّا فيه من الروح وفي التجويف الأيسر من الروح اكثر ممَّا فيهِ من الدم . وينبعث من التجوف الذي في الجانب الأيسر عرقان يصيرُ أحدهما الى الرئة فيكون به تنفُّس القلب وذلك ان القلب ينقبض وينبسط وبانقباضهِ وانبساطهِ يكون النَّبض في سائر البَدَن ولذلك صار النبض دالًّا على حركات القلب الذاتيَّة المستوية والمختلفة بسبب ضرر ينال القلب في نفسهِ او من بعض الاعضاء المُجاورة له . فالقلب اذا انبسط اجتَذَبَ بذلك العرقُ من الرئة شيئًا من الهواء الذي يصير اليها بالنفَس لترويح الحرارة الغريزية التي فيه وتكون مادَّةُ الروح الذي في تجويفاتهِ واذا انقبض القلب دفع بذلك العِرقُ الى الرئة ما تولَّدَ فيه من البخارات الدخانيَّة عن الحرارة النارية التي فيه واخرجتها الرئة عن البدن . وهذا العرق هو المعروف بالشريان الوريديّ وسُمّي بهذا الاسم لأن هيئةُ هيئة وَريدٍ وفعلَهُ فعلُ شريان . والعرق الآخر تسميهِ العرب الأبهَر وينقسم عند منتهاهُ من القلب قسمين احدهما يترقى في اعالي البدن

(١) راجع مقدَّمتنا حيث بيَّنا ما هو الرأي الصحيح في ذلك

فيتفرّع منه فروع من الصدر الى أعالي الراس يكون بها الحياة في هذا الجزء من بدن الانسان والاخر ينحدر الى اقاصي القدمين ويتفرّع منه فروعٌ يكون بها الحياة في الجزء المستقبل من بدن الانسان. وفروع جزءي هذا العرق المتفرقة في سائر البدن تسمى شرايانات وهي العلّة القريبة لحياة البدن الانساني بما يؤدي الى كل عضو من اعضائه من الروح الذي في تجويف القلب الذي في جانبه الأيسر. والدليل على ان حياة الانسان بهذا الروح ما نرى من خروجهِ في وقت الموت وحركة اللحى والفم والصدر لذلك والنَّفَس الذي يكون شبيهاً بالفواق والنَّفَس العالي وتسميهِ العامة النَّزع وخروجه من البدن يكون بالسُّبل التي يصير منها اليه الهواء. وذلك انه يخرج من تجويفي القلب الى الرئة في العروق التي ذكرنا انها تنفذ من القلب الى الرئة فيجذب الهواء ويُخرج البخارات الدخانية ثم من الرئة يكون خروجهُ في القصبة وينفذ من الفم. وخروجه من الفم يكون عند حركة الفم التي ينفتح فيها ولا ينطبق من ذاتهِ ثم يحتاج الى ان يُشَدّ لبطلان الحيوة بعد خروج ذلك الروح منه. فاما العلل التي يخرج لها هذا الروح من البدن اعني علل الموت وعلل سرعة خروجهِ وابطالهِ أعني سهولة النزوع وصعوبتهُ وعلى ظهوره في بعض الناس وخفائهِ في بعضهم وعلل الموت فجأة فانها خارجة عن غرضنا وتحتاج الى اوائل ومقدمات كثيرة من التركيب الطبي يطول شرحها فلذلك تركنا ذكرها. فقد ظهر بما قلنا ان الحياة تكون بالروح الذي في تجويفي القلب وان النبض والنفس لصلاح هذا الروح اعني لترويحه الهواء الوارد عليه من خارج ولإخراج البخارات الدخانية منه فقد ظهر أنّ الروح الذي في تجويفات القلب هو علّة الحياة والتنفُّس والنَّبض. وهذا ما يُحتاج الى معرفتهِ في الروح الحيواني الذي ينبوعه القلب

القول في الروح النفساني

امّا الروح الذي ينبوعهُ الدماغ ونفوذه الى سائر البدن في الاعصاب فانه يسمّى الروح النفساني وما دونهُ من الروح الحيواني الذي يكون في تجويف القلب. وذلك ان احد قسمي الشريان المعروف بالأبهر المنبعث من القلب الى اعالي البدن اذا انتهت اقسام عظم الرأس وقذت به اجتمعت وتركت بعضها على بعض وتشبّكت وانتسج منها نسيج

في هيئة الشبكة وانبسطت تحت الدماغ وتنفذ شرياناتها المنبسطة شيء الى باطن الدماغ يؤدي اليه روحاً من الروح الحيوانية الذي في تجويفَيْ القلب

وذلك ان الدماغ قسمان مقدَّمهُ وهو مُعظمه والآخر مؤخَّرهُ. وفي مقدَّمهِ تجويفان يفضيان الى فضاء مشترك في وسط الدماغ وفي مؤخره تجويف واحد منه يجري الى الفضاء المشترك للتجويفين اللذين في مقدَّمهِ فالشرايانات المنبثة من الشبكة التي تحت الدماغ الى باطنهِ تنتهي اوَّلاً الى أحد التجويفين اللذين في مقدَّمهِ فيؤدي اليه الروح الحيواني و ينفذ منه الى التجويف الآخر فيلطف فيهِ ويرقُّ ويتهذَّب ويتهيأ لقبول القوة النفسانية ويكون ذلك له شبيهاً بالهضم والاحالة الى روح ارقّ والطف واصفى

ثمَّ ينفذ من التجويف الى الفضاء المشترك لهما في وسط الدماغ ثمَّ من ذلك الفضاء المشترك الى التجويف الذي هو في مؤخر الدماغ في مجرى من الفضاء المشترك في وسط الدماغ الى مؤخره (كذا). وفي هذا المجرى قطعة من جرم الدماغ شبيهة بالدودة يرتفع في المجرى و ينهبط فيه وبارتفاعها ينفتح الثقب الذي بين الفضاء المشترك للتجويفين وبين المجرى وبانهباطها تسدُّهُ فاذا فتحهُ نفذ الروحُ من مقدَّم الدماغ الى مؤخرهِ وذلك ليس يكون الا عند الحاجة اليه عند تذكر ما نسي وعند الفكر فيما قد كان. فان لم ينفتح هذا المجرى ولم ينفذ الى مؤخر الدماغ لم يذكر الانسان ولم يحضره جوابات ما يُسأل عنه. وانفتاح هذا المجرى الذي يكون بارتفاع الجسم الشبيه بالدودة مختلف في الناس في السرعة والابطاء. فمنهم من يكون ذلك فيه بسرعة فيكون ذكيًّا سريع الذكر سريع الجواب ومنهم من يكون ذلك فيه بابطاء فيكون بطيء الذكر بطيء الجواب كثير الفكر. ولذلك يعرض لمن يذكر شيئاً ان ينصب رأسهُ انتصاباً شديداً بل يُميله الى ما وراء ويشخص بعينهِ الى فوق ليكون هذا من وضعه وهيئته مُعيناً على انفتاح المجرى وارتفاع ذلك الدودي الى فوق

فأمَّا الفهم والفكر والرأي والرؤية والتمييز فانهُ يكون بالروح الذي يكون في التجويف المشترك اللذين في مقدم الدماغ فاذا كان الانسان مفكرًا او مرويًا احتاج الى ان يكون المجرى الذي من الفضاء المشترك للتجويفين اللذين في مقدم الرأس الى التجويف الذي في آخره مسدًّا لينبثَّ الروح في ذلك الفضاء المشترك فيكون اقوى للفكر والوهم والرؤية والتمييز ولذلك ترى من يفكر يميل برأسه الى الارض ويكثر النظر

اليها وكانه يكتب كتابًا او يرسم اشكالًا ليكون ذلك معينًا على انطباق الجسم الشبيه بالدودة على ثقب المجرى الذي ينفذ منه الروح الى مؤخر الرأس

والروح الذي في هذا الفضاء اعني التجويف الاوسط يختلف في الناس فمنهم من يكون هذا الروح فيه رقيقًا لطيفًا صافيًا فيكون عاقلًا مفكرًا سائسًا مدبرًا عيزًا ومنهم من يكون الروح فيه على خلاف ذلك فيكون طيّاشًا او سخيفًا او أحمق او أبله

وينبعث من جزء الدماغ المقدم سبعة ازواج عصبًا فيها روح من التجويفين المقدمين الاول منها يتصل بالعينين فيكون به البصر وهو دون باقي العصب أجوف وذلك لحاجة البصر الى ان يكون الروح المنبعث اليه كثيرًا مجتمعًا متكاثفًا صافيًا لا يخالط جرم غيره

والثاني يتّصل بعضل المقلتين فيحرّكهما

والثالث يتّصل باللسان فيكون به حسّ الذوق

والرابع يتصل بالحنك

والخامس يتصل بالصماخين فيكون به حسّ السمع

والسادس ينحدر الى الاحشاء فينيلها الحسّ ويرجع شيء منه بعد الى الحنجرة فيحركها لانضمام فوهتها

والسابع يتصل باللسان فتكون به حركته وكل ذلك تفعله هذه الاعصاب بالروح التي تنبعث فيها من الدماغ الى هذه الاعضاء

والدليل على ذلك انهُ متى عرض عارض فسدّ مجرى الروح الذي في عصبة من هذه الاعصاب ومنعه من ان يصل الى العضو فانهُ يُعطل فعل ذلك العضو كالماء المجتمع في العين فانهُ يحول بين الروح الذي في العصبة وبين الناظر فيفعل العمى وكالابخرة والاخلاط التي تسدّ وتحول بينهُ وبين الصماخين وبين آلة الشم او آلة الذوق فيفعل الصَّم او بطلان المذاقة واللمس والشمّ . فاذا انفتحت تلك المجاري امّا بعلاج او بمقاومة الطبيعة للعلّة عاد العضو الى فعلهِ فصار صحيحًا مستويًا وينبعث من جزء الدماغ المؤخّر وهو جزء من الدماغ فينحدر من القفا كلها وعظم القطاة والعُصعص ويتفرق منه ازواج كثيرة من العصب فيما بين كل فقارتين زوج يفضي الى العضل فيكون به حركة اليدين والرجلين وسائر البدن

والدليل على ذلك انهُ متى ما نال هذه الاعصابَ ضربٌ من قطع او فسخ او انسدَّت المجاري التي فيها بطلت حركة ذلك العضو الذي كانت تنبعث اليهِ او ضعفت من الآفة فقد تُرى يدُ للفلوج صحيحةً لا علَّة بها في ظاهرها وهو عند وجود هذه الآفة في اليد لا يمكنهُ يحسّ بها شيئاً ولا يحسّ بها ولا يحركها . وكذلك يُرى ايضاً فيمن بهِ السكتة فتكون اعضاؤه صحيحةً مستويةً وهو لا يحركها ولا يحسّ بها شيئاً . فاذا عولجت هذه العلل بما يفتح مجاري الدماغ وضُمّدت فقارات الصُّلب وتُنقّى ارباب (اسباب) هذه العلل بالادوية الجاذبة من الدماغ المنقية للمجاري التي في الاعصاب والمفتحة لتلك السدد رجع الى الاعصاب الحسّ والحركة ان لم تكن العلَّة قد جاوزت مقدار العلاج وتكون (وتكن) الاعضاء قد ضعفت عن احتمال الأدوية

وربما عرض للروح التي في التجويفات كلها او بعضها آفة من سوء مزاج او مخالطة ابخرة رديئة فتفسد لذلك وتبطل افعال تلك الاعضاء وذلك ان الضرر والتغيُّر ان نال الروح الذي في التجويفين المقدَّمين كان من ذلك فساد الحواس . كالذي ينال من يدخل الحمَّام ويُطيل المكث فيهِ فيُظلم بصرهُ ولا يرى شيئاً وكالذي يهيج بهِ ايضاً مراراً فيُبخّر الى رأسه فيتصل ذلك البخار بالروح الذي في مقدم دماغهِ فيُظلم بصرهُ ولا يُبصر شيئاً . وكذلك يعرض في السمع وفي سائر الحواس فان حلَّت الآفة بالجزء الاوسط كان باقي اجزاء الدماغ سليماً فسد الفكر والتمييز فقط وبقي الحسّ والحركة مستويين كالذي يعرض في العلة التي تسمَّى ماليخوليا وهي اختلاط العقل وكالوسواس وفساد التمييز . فان حلَّت الآفة في اثنين من هذه التجويفات او ثلاثة واشتملت على الدماغ كلهِ كانت الآفة في التمييز والحسّ والحركة كالذي يعرض في الصَّرع والسكتة وما اشبه ذلك من العلل

فقد صحَّ ممَّا قلناه ان الروح في تجويفات الدماغ وانهُ يفعل افعالاً مختلفة امَّا الذي في التجويفين المقدَّمين فيفعل الحسَّ السمعيَّ والبصري والذوقي والشمّي وبعض اللمس ويفعل ذلك التخيُّل وهو الذي تسمّيهِ اليونانيون فنطاسيا . وان الروح الذي في التجويف الأوسط يفعل الفكر والتمييز والروِيَّة . وان الروح الذي في التجويف (الذي في مؤخَّر الدماغ) يفعل الذكر والحركة

فقد حصل لنا مما بيَّناه ان الروح في بدن الانسان روحان احدهما يقال لهُ

الحيواني ومادّتهُ الهواء وينبوعهُ القلب وينبعث في الشرايانات الى سائر البدن الانساني فيفعل الحياة والنبض والتنفّس. والآخر يقال له النفساني ومادّتهُ الروح الحيواني وينبوعهُ الدماغ ويفعل في الدماغ نفسهِ الفكر والذكر والروّية وينبعث منه الاعصاب الى سائر البدن فيفعل الحسّ والحركة

القول في النفس

اما النفسُ فانّ وصفها على حقيقتها صعبٌ مُقتاص جدًّا والدليل على ذلك اختلاف اجلّاء الفلاسفة وهم أفلاطن وارسطوطاليس وخروستس فيها وكذلك مَن بعدهم. الّا اننا نذكر الحدّين اللذين حدّهما بهما افلاطن وارسطو وشرحهما ويُحتجّ في تبيين ذلك من كل لفظةٍ فيهما ويتبع ذلك الإخبار عن قوى النفس فان ذلك ممّا يكتفى بهِ في هذا الموضع ويمكن ان نبيّن به غرضنا الذي هو الفصل بين الروح والنفس

القول في حدّ النفس لافلاطن

قال افلاطن: حدّ النفس جوهرٌ بسيط ليس بجسم محرّكٌ للبدن (١. واما ارسطو فانّهُ حد النفس بان قال: النفس كمالٌ اوّل لجسم طبيعي آليّ (٢. وفي حدٍ آخر غير الاول قال: حدّ النفس انها حيّ بالقوة (٣. ولنشرح هذين الحدين ولنبتدئ بالحد الاول الذي قاله افلاطن ولنبيّن ان النفس جوهر فنقول:

ان كلّ قابل للمتضادّات هو واحد بالعدد والواحد بالعدد لا يختلف ذاتهُ وهو جوهر والنفس قابلة للفضائل والرذائل وهي واحدة بالعدد كنفس افلاطن لا تختلف ذاتها والفضائل والرذائل متضادّان فالنفس اذا قابلة المتضادّات وهي واحدة بالعدد لا تختلف ذاتها فهي اذًا جوهر

ونقول ايضًا انّ محرّكَ الجوهر جوهرٌ والنفس محركة للجسد والجسد جوهر فالنفس جوهر

---

١) تحديد افلاطون للنفس ورد متفرّقًا في كتابَي فادن وتيماوس السابق ذكرها

٢) ورد هذا التحديد لارسطو في كتابهِ عن النفس (ك ٢ ف ١): Ψυχή ἐστιν ἐντελέχεια ἡ πρώτη τοῦ σώματος φυσικοῦ δυνάμει ζωὴν ἔχοντος

٣) هذا التحديد الثاني هو بنسبة النفس الى الجسد والى حياتها في المركّب

ونقول ايضاً ان النفس جزء من الحيوان لأن كلّ حيوان نفسٌ (١ وجسد والحيوان جوهر وجزء الجوهر جوهر فالنفس اذاً جوهر . فاذ قد تبين بالبراهين الصحيحة الواضحة ان النفس جوهر فلنبين اذاً ان النفس لا جسم

فنقول ان لكل جسم كيفيات محسوسةً وما لم تكن كيفياتهُ محسوسةً فهو لا جسم وكيفيّاتُ النفس الفضائل والرذائل . والفضائل والرذائل غير محسوسة فالنفس اذاً لا جسم

وايضاً فكل جسم لا يخلو من ان يقع تحت بعض الحواس او كلها والنفس لا تقع تحت الحواس لا كلّها ولا بعضها فالنفس اذاً لا جسم

وايضاً فان كل جسم امّا ان يكون متنفساً او غير متنفس فان كانت النفس جسماً فهي امّا متنفّسة او غير متنفسة ولا يمكن ان تكون النفس غير متنفسة ان كانت جسماً لانهُ يقع محال وذلك ان النفس تكون لا نفس . فان قلنا انها حيوان اي متنفسة يرجع القول علينا في نفس النفس أجسمٌ هي ام لا جسم ويتراقى القول الى ما لا نهايةَ لهُ فاذاً ليست النفس جسماً

وايضاً فان كانت النفس جسماً لطيفاً فليس يخلو ذلك الجسم من ان يكون اما روحاً خارجاً لطيفاً ينتشر في البدن كلهِ وامّا ناراً . فان كانت كذلك فلا يخلو ذلك الروح والنار من ان يكون لهما نوعٌ خاص وقوة خاصّة او لا يكون وذلك ان لم يكن لهما نوع خاصّ وقوة خاصّة فكل نار وكلُّ روح نفسٌ فان كان لهما نوع خاصّي فذلك النوع هو النفس

وايضاً ان كانت النفس جسماً فلا يخلو جسمها من ان يكون بسيطاً او مركّباً فان كانت جسماً بسيطاً فهي لا تخلو ان تكون ناراً او هواء او ماء او ارضاً (٢ وان

---

١) في هذا القول نظر فان العلماء يفرقون بين نفس الحيوان الاعجم وبين نفس الانسان فانّ نفس الحيوان جوهر يقوم بالمادّة ويفنى بانحلال الجسم امّا نفس الانسان فانّها جوهر قائم بذاتهِ لا تفنى بفناء المادّة اذ لها اعمال خارجة عن المادة تأتيها حتى بعد انحلال الجسد اي النطق والادراك

٢) هذا على قول القدماء بان الاستقصّات اربعة . وامّا اليوم فقد ثبت ان الاركان والاجسام البسيطة متعدّدة

كانت النفس احد هذه الاركان مجرّدًا اعني بلا قوّة ولا نوع خاصي يفارق فيه ما يشاركهُ في جنسهِ فانّ كلّ ما هو من جنسهِ نفسٌ . وان كانت النفس نارًا كان كل نار نفسًا وان كانت هواء كان كل هواء نفسًا وكذلك باقي الاركان . فان كان ذلك كذلك فكلّ جسم يحوي ذلك الاستقصّ فهو متنفّس اعني انهُ ذو نفس فان كان الهواء هو النفس كانت الرئة والعُروق الضّوارب والرّوق المنفوخ حيوانًا . وان كانت النفس ماء كان الاناء المملوء ماء حيوانًا وهذا من القول قبيح شنيع جدًا . وان كانت النفس ارضًا كانت النفس جسمًا مركّبًا فالنفس اذًا لا جسم

واذ قد تبيّن ان النفس جوهر غير جسم فلنبين على ايّ الجهات تُحرّك البدن

القول في تحريك النفس للبدن على ايّ جهة هو

فنقول ان كل متحرّك امّا ان يتحرّك بحركة محرّكٍ كالعجلة التي تتحرّك بحركة البقر واما ان يتحرّك من غير ان يحرّكهُ محرّك وذلك على اربع جهات : امّا يتحرّك بالشوق الى محرّكهِ كما يتحرّك العاشق من المعشوق . واما بالبُغض والمُنافرة كما يتحرّك العدوّ من عدوّهِ . وامّا ان تتحرك بالفعل الطبيعي كما يتحرّك الحجر من الثقل والثقل من نفسهِ غير متحرّك . واما ان يحرّكهُ سبب بادٍ بحركتهِ كما ان الصناعة علّة حركة الصانع . فلننظر بايها من جهات الحركة التي وصفنا تُحرّك النفسُ البدنَ اليها

فنقول ان النفس تحرّك البدن بالجهة الرابعة من النوع الثاني من التحريكات وهي انها تحرّك البدن وهي غير متحرّكة وتحرّكهُ بانها سببٌ بادٍ لحركتهِ اذ كان الانسان يفعل بها ويختار بها فالنجّار يحرك بانهُ يفعل والنفس تحرّك بانها تفعل وكما ان الصناعة علّة حركة الصانع وليس يتحرّك بحركتهِ فالنفس المحرّكة اذًا علّة لحركة الحيوان بالشهوة والفعل والنقلة وهي لا تتحرّك بضرب من ضروب حركات الاجسام لانها غير جسم

واذ قد شرحنا حدّ افلاطن الذي حدّ به النفس وبيّنّا معنى كل لفظة فيه فلنأخذ الآن في شرح حدّ ارسطوطاليس للنفس وقوله فيها

القول فيما حدّهُ ارسطوطاليس للنفس

فنقول ان ارسطوطاليس حدّ النفس بان قال انها كمالٌ . وذلك لانّ من الاشياء

ما هو بالقوّة ومنها ما هو بالفعل واذا كان الشيء بالفعل نعتٌ بالكمال وكمالهُ قبولَ النوع فبين هذه الجهات صارت النفس كمالًا لأن المنيّ حي بالقوة فاذا صار حيًّا بالفعل قيل انه قد كمل وكماله قبول نوعهِ اعني يكون ذا نفس حساسًا متحركًا بالارادة. فقد وجب بما قلنا ان النفس نوع للحي لا محالة اذ كانت كمال الحيّ وكمال الشيء هو قبولهُ لنوعهِ. واذ قد صحَّ ان النفس نوع وسمَّينا النوع كمالًا وجب علينا ان نلخص جهات الكمال على كم نوع يقال وعن اي جهة منها يضاف الى النفس

فنقول ان الكمال يقال على ضربين فمنهُ اوَّل ومنهُ ثانٍ : فالكمال الاوَّل في الانسان هو العلوم والصنائع. والكمال الثاني في الانسان معالجة ما يعلم من العلوم والصنائع . ومثال ذلك ان المتطبّب يُنسَب الى الكمال الاوَّل لعلمهِ بالطبّ فاذا عالج بما يعلم يُنسب الى الكمال الثاني. فللنفس كمال اوَّل لان النائم وان كان لا حسّ لهُ في وقت نومهِ فلهُ النفس الحاسَّة المتحركة بالارادة نوع وكمال فهو نوع وكمال للشيء فالنفس نوع وكمال للجسم

والاجسام ضربان: فمنها ما نوعهُ فيهِ طبيعي كالحيوان والنبات والنار والهواء والماء وكمالهُ حركةٌ دائمة في نفسهِ. ومنها ما يكتسبُ له نوعٌ بالصناعة كالباب والسرير. فالنفس نوع لجسم طبيعي لان الجسم ليس من افعال الصناعة . وقد يخالف النوعُ الطبيعي النوعَ الكائن بالصناعة لان النوع الطبيعي جوهر والنوع الصناعي عرَض فالنفس جوهر لانها نوعٌ لجسم طبيعي

والجسم الطبيعي على ضربين فمنهُ بسيط ومنهُ مركَّب فالبسيط مثل النار والماء والهواء(١) والمركَّب مثل الحيوان والنبات وليس النفس نوعًا لجسم بسيط بل لمركب وذلك لان كل ما له نفس فهو حي مستحيل ولا بد لهُ من غذاء يخلف مكان ما يتحلَّل منهُ ويُعين على نشوءهِ. والغذاء يحتاج الى ضروب من الآلات منها ما يحتاج اليه لمرور الجسم المُغتذَى وتجزئتهِ وتنفيذهِ كالفم والمريء والعروق في الحيوان والاوراق والقضبان في النبات ومنها ما حاجةُ الغذاء اليه ليحويهُ ويُحيلهُ الى ملاءمته كالمعدة للحيوان وكالشحم الذي في تجويف ساق النبات للنبات. ومنها ما حاجة الغذاء اليهِ لدفع فضولهِ

---

١) هذا على رأي القدماء في الاطقسات الاربعة

كالما للحيوان ومخارج الصمغ للنبات

وقد تكثر الآلة في الحي لكثرة تكامله وكثرة افعاله لانه اذا كان حياً كانت له اعضاء الحياة وهي القلب والدماغ وما يتصل بهما واذا كان حساساً كان له عصب وحواس. واذا كان متحركاً بارادة كان له عضل وعصب. واذا كان هذا هكذا فنعم ما قيل ان النفس كمال اول لجسم طبيعي آلي وهذا خاص جامع يعم كل نفس في جسم مستحيل. واما تغير لفظ الحد الاول وقصيده فكان ذلك حياً بالقوة فان المعنى في الحدين جميعاً واحد وذلك انه لم يعن بقوله ذا حياة بالقوة الا كونه جسماً طبيعياً آلياً فمعنى آلي وذي حياة بالقوة واحد. فهذا حد ارسطوطاليس الذي حد به النفس مع شرحه الذي شرحناه وايضاحنا كل لفظ فيه

القول في قوى النفس

واذ قد شرحنا حدي الفاضلين افلاطن وارسطو وبينا معنى كل لفظة في كل واحد منهما فلنخبر الان عن قوى النفس فنقول: ان قوى النفس الاولى التي هي كالاجناس لها في القوى وهي ثلاث اولها النامية والثانية الحساسة والثالثة الناطقة وقد تسمى هذه الثلاث القوى نفوساً بالاستعارة فيقال النفس المنمية والنفس الحساسة والنفس الناطقة وقد تسمى النامية طبيعية ونباتية. والنفس الحساسة بهيمية ومحركة بارادة. والنفس الناطقة عاقلة ومميزة ومفكرة فالنفس مشتركة للنبات والبهائم والانسان والنفس الحساسة مشتركة للبهائم والانسان والنفس الناطقة خاصة بالانسان

وافعال النفس المنمية التوليد والتربية والغذاء وذلك يكون بالاربع القوى التي تسمى طبيعية وهي الجاذبة والماسكة والمحيلة والمنفذة. وهذه القوى موجودة في كل منتز أعني في النبات والبهائم والانسان. وافعال النفس الحيوانية البصر والسمع والشم والذوق واللمس والتخيل وحركة الانتقال بارادة وهذه الافعال موجودة في كل حي اعني ذي حس في البهائم والانسان. وافعال النفس الناطقة الفكر والروية والظن والشك والعزم والعلم والذكر وهذه الافعال خاصة بالانسان دون الحيوان

القول في الفصل بين الروح والنفس

واذا قد شرحنا ماهية الروح والنفس فلنخبر الآن عن الفصل بينهما وذلك ان الروح جسم والنفس غير جسم . وان الروح يُحوى في البدن وان النفس لا يحويها البدن . وان الروح اذا فارق البدن بطلَ والنفس تبطل افعالها من البدن ولا تبطل هي في ذاتها . وان النفس تحرّك البدن وتنيله الحسّ والروحُ يفعل ذلك بغير الحس وانّ النفس تنيل البدنَ والحياة بتوسط الروح والروح يفعل ذلك بغير توسط . وان النفس تحرّك البدن وتنيله الحس والحياة بانها اوّل علّة ذلك البدن وفاعلة فيهِ والروح يفعل ذلك وهو علّة ثانية فالروح اذًا علّة قريبة لحياة البدن وحسهِ وحركتهِ وباقي افعالهِ البعيدة

وذلك ان بدن الانسان لمّا كان مركّبًا من اجزاء صلبة وهي العظام والغضاريف والاعصاب والعروق وما اشبه ذلك ومن اعضاء رطبة وهي الاخلاط اعني الدم والبلغم والمرّتين ومن الروح اعني الذي في تجويفات القلب والدماغ والشريانات وكان الروح أرقّ هذه الاجزاء والطفها وأصفاها كان أشدَّ قبولًا لافعال النفس من سائر اجزاء البدن وعلى قدر رقّتهِ ولطفهِ وصفائهِ قَبِلَ من فعل النفس . ولذلك قالت الفلاسفة ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن لان الانسان اذا كان مزاج بدنه في غاية الاستواء كانت افعال النفس في غاية الاستواء . ومَن قَصُر مزاج بدنهِ اعني الاعضاء التي فيها الروح عن الاعتدال المخصوص بها قصُر ايضًا الروح عمّا يجب لهُ من الرقّة واللطف وقصرت افعال النفس فيهِ بتلك النسبة ولذلك صارت قوى النفس في الصبيان ناقصة وفي النساء ضعيفة

وكذلك في الامم التي قد غلبت على امزجتها الحرارة والبرودة كالزنج والصقالبة ومَن اشبههم . وكذلك اختلفت افعال النفس فصار في الروح الذي في القلب افعال الحياة والنَّفَس والنبض فقط اذ ذلك الروح اقربُ الارواح الى الهواء واقلّها لطفًا ورقّة وصفاء . ثم الذي في التجويفات التي في مقدَّم الدماغ صار فيه الحس والتخيُّل لِمَا نالهُ من زيادة الرقة واللطف على ما في الروح الذي في القلب . ثم الروح الذي في التجويف الذي بعدهُ صار فيهِ الفكر والرويّة بفضل ما نالهُ من اللطف والرقّة على الروح الذي في مقدم الدماغ . ثم الروح الذي في مؤخرهِ صار فيه الذكر والحفظ

لما يحتاج في ذلك من فضل الرقة واللطف ايضاً اذا كان يريد ان يذكر شيئاً قد مضى وبعد عهده

وهذا كافٍ لما سألت عنهُ كفاك الله الهمّ ودفع عنك كل مكروهٍ واسعدك في الحياة والممات بجوده وكرمهِ انهُ هو الجواد

ليلة الدماء

رواية معرّبة بتصرّف بقلم حضرة الخوري مارون غصن استاذ العربيّة في كليّتنا

كان لخمّار حانةٌ منفردة في ضواحي بعض مدن ايطالية. فاتفق ذات يوم ان لم يَغشَها احد فجلس الخمّار وابناؤه يخضخضون الزجاجات في أقصى الحانة. فأقبل بقّار عند الأصيل ودخل فلم يرَ احداً فصاح: أما في الدار مِنْ ديّار؟. فهتف الخمّار من داخل وقد عرف القادم: اهلاً بيعقوب. واقبل يُرحّب بهِ ويؤهل كعادة الخمّارين إلى أن قال: لا رَيبَ ان قد احتدم عليك الحرّ في هذا النهار الوَمِد. فاجاب البقّار: لو كان الوَمَدُ وحدهُ لهان الخطب ولكنّهُ حرٌّ وغبار فقد ابتلعتُ منهُ ما لو فُرش في ارض هذه الحانة لكان لها بساطاً. فقال الخمّار مازحاً: آه لو انّ لنا شذور ذهبٍ عِداد ما ابتلعتَ من الذرّات! ما قولك؟.. الستَ على رأيي؟... فما تشاء ان تشرب على ذكر ذلك؟ أخمراً ام عرَقاً؟

فاجاب المسافر عليّ بكأس عرقٍ ينظّف حُلقومي

واذ كان الخمّار يسكب جلس يعقوب على كرسي واسند عصاه الى فخذه واخرج من جيبهِ منديلاً وجعل يمسح العرق عن وجههِ. ثمّ كشف عن ساعديهِ وهو يتأفّف قائلاً: بعداً للغبار وسحقاً بل أفّاً للمدن وطرقها فلقريتي برحتها وصخورها أحبُّ إليّ من المدن بضوضائها وغبارها.. ثمّ أبرقت أسرّتهُ فقال: «لكنّ السوق كانت رائجة. بارك الله في المدن ففيها السعي والعمل». ثم ضرب جيبهُ وهتف. اربعة آلاف فرنك في جيب يعقوب!.. اربع ورقات كل واحدة منها بالف.. فلقد رافقني التوفيق في ما بعت من البقر فربحتُ في كل زوج ٢٠٠ فرنك. فلو كانت

سائر الأيام كهذا اليوم لاستغنيت عن السعي والعمل وعشتُ في غبطة وهناء.

فهتف الخمّار منبهتاً: إذن... معك؟..

— لربع ورقات كل واحدة منها بالف فرنك.

فمدّ الخمّار صوتهُ قائلاً: بأ.....ف؟

— نعم بألف فرنك

— او لست تخشى عدواً ومعك ما معك؟

فاجاب يعقوب ضاحكاً: أمثلي يخشى؟... كأنك لا ترى هذه العصا... خذ رُزّها... فضلاً عن انّ في هذا الصدر ايماناً. هاك... انظر

ثم كشف عن صدره فبانت مَسْرَبَةٌ كأنها غابة وجذب خيطاً قد سوّده العرق ... فبدت ايقونتان علاهما الصدأ فلثمهما باحترام وقال: ترى هاتين الايقونتين؟.. احداهما تمثل القديس مباركاً شفيع المسافرين والثانية القديس انطون محامي المساكين. فحسبي بهما درعاً في وجه كل معاند اذا امتطيتُ غارب الليل وجبت القفار في رفقة الذئاب والضباع اذ اني واثق أن لا يمسّني أذى ولا ينالني مكروه

فقهقه الخمّار قائلاً: أيصدّق انّ مثلك ذكياً يكسب ٢٠٠ فرنك في بيع زوج بقر يعتقد مثل هذه الخرعبلات!

فشقّ هذا الكلام على يعقوب فاجاب ممتعضاً: ذلك هو معتقدي ولك معتقدك

فهزّ الخمّار رأسهُ وقال: امّا انا فلا دين لي ولا معتقد...

فاجاب يعقوب: انت معتقدٌ ان لا معتقد لك فانت اذن معتقد شيئاً... ثم مسد شاربيهِ وتعبّ الشراب وهتف: حبذا شراب يزيل الهم ويبعث الهمم. فلقد نهكني التعب والحرّ وكاد يخنقني الغبار

امّا الخمّار وقد كان يشتاق العَود الى ما همّهُ فقال: أو تحسب يا صاح انّ هاتين النحاستين اللتين تدعوهما ايقونتين...

فقاطعهُ يعقوب مغضباً وقال: اذا بدا لك يا صاح أن تمزح فلا بأس ولكن حذارِ حذارِ أن تسخر من الدين فلست أُطيق على ذلك صبراً

فغضّ الخمّار من صوتهِ وكظم غيظهُ وغيّر الحديث وقال: لك ما تشاء. فهل لك الآن ان تشرب كأساً ثانية؟

— لا بأس فانَّ طلبك لا يُردّ. ثم عاد الى ذكر ما قاساه من حرّ النهار وغباره..

وبعد ربع ساعة كانت الشمس قد توارت في الافق وارخى الليلُ سدولهُ ولم يكن يُسمع في تلك الفيفاء الّا وطء اقدام يعقوب راجعاً الى قريتهِ ولا أنيس لهُ في ذلك القفر الموحش الّا ظلّهُ. ولم يكن الّا قليل حتى هبّت الريح فعبثت بثوب يعقوب الضافي فصار يلوّح كانهُ طائر مدَّ جناحيهِ في الفضاء.

امّا الخمّار فخطر لهُ بعد ذهاب يعقوب خاطرٌ جهنّمي فصفّر لابنيهِ فاسرعا وهما ينشفان ايديهما باطراف مئزريهما فقال لهما: أرأيتما ذلك الاناق الذي ههنا» فأشرأبّت اعناق الولدين الى والدهما فاردف: «إنَّ مع هذا الفرّ ٤٠٠٠ فرنك!.. وهو اعزل لا سلاح لهُ وانّما يعتقد انهُ معزّز ببعض الايقونات. فدونكما معاجيل الطريق واسبقاه الى رأس الغابة السوداء.. وترصّداه مليًا حتى إذا بلغ اليكما فتكتما بهِ... وبعد ساعة تكون الاربعة الآلاف فرنك لنا.. أفهمتما؟»

فتمدم الكبير وقال: ليس ذلك بالمطلب الصعب. وأيّد الصغير زعم اخيهِ قائلاً: بل هو اسهل من السهل. ثم ذهبا يُعدّان ما يحتاجان إليهِ فعمد الصغير الى قضيب من حديد امّا الكبير فاستلّ مدية لها حلقة وشفرة مُرهفة وقال لابيهِ: أتشاء ان تخطف روحهُ اختطافاً؟. فتوقّف الاب لحظة ثم هتف: على مَن يسعى أن يتمّم السعي. وبعد أن نفض الشابّان الطريق مشيا حثيثاً فما لبثا أن تواريا عن العيان

وكان يعقوب مذ جنّهُ الليل وانتشرت فوقهُ اجنحة الظلام يسير تعباً متثاقلاً حتى بلغ الغابة السوداء فزاد استيحاشه بين اشجارها المتكاثفة واضطرّ ان يقصّر الخطى اتّقاء الاخاديد وحذرًا من الاغصان التي تعترض المارّين ثم اخذ يصعد في العقبة المؤدية الى الطريق

وبينما هو كذلك اخذت خناقهُ يدٌ كأنها من حديد. وكفٌّ شُثنةٌ أطبقت فمهُ فلم يكد يحتاط لنفسهِ حتى نزلت برأسهِ ضربة هائلة ضعضعت صوابهُ وجدّلتهُ على الارض صريعاً

فبقي المسكين زمناً غائباً عن الهدى ولمّا عاد اليهِ الرشد أحسّ بآلام مبرّحة وكان الدم يتفجر من جبينهِ وقد صبغ وجههُ. ونظر فاذا ثيابهُ قد تمزّقت وجيوبهُ قُلبت فعاد في حالةٍ يُرثى لها. فحاول الوقوف مرارًا فخانتهُ القوّة لكنهُ

تجلّد وجرّ نفسه الى بركة ماء قريبة وما اتاها حتى كاد يُغمى عليه وجعل يغسل الدّم ويُزيل الاوحال. فانعشهُ الماء قليلًا حتى استطاع ان ينهض فعرف قبعته وعصاه من بقايا ثيابه المبعثرة هنا وهناك. لكنهُ رأى من نفسه العجز عن أن يتمّم سيرهُ فيقطع ما تبقّى له من الطريق ففكّر انْ يرجع إلى الخمّار فيسعهُ هناك ان يتعافى قليلًا وفي الغد يستأجر عجلة تحملهُ الى قريته . . .

فراح المسكين يسحب جسمهُ المثخن بالجراح وادار ظهرهُ للغابة السوداء وقفل راجعاً على اعقابه

وفيما هو سائر كان يردّد في ذهنه ما جرى له فكان يشكر الله على نجاته ويحمده كل الحمد اذ وجد في طيّ قبعته الاربع الورقات التي كان رجاها . ولمّا جاز الغابة بدت السماء من فوقه وقد تألّقت على صفحتها زُهر النجوم . فجثا على قدميه وصلى قليلًا ثم اخذ الايقونتين وقد كان وجدهما قرب الحفرة التي أُلقي فيها وقبلهما بعواطف الايمان والشكر

. . .

مضى على الخمّار ساعة وهو مبلبل البال قلق الخاطر وعيناه الحمراوان تكادان تخرجان من وَقبهما . فعاد ابناه في اثناء ذلك فارغين ودخلا يبرران ويدمدمان . فلمّا علم ابوهما انهما قد رجعا خائبين تميّز غيظاً وصاح بهما :

يا لكما من غبيين احمقين اكيف لم تعودا بالمطلوب ؟

ثم اخذ يروح ويجيء كمن تخبّطهُ الشيطان

وكانت الحانة مضاءة بسراج والنور ينساب منها خلال الزجاجات وشبكات النوافذ فيشتبك في الخارج ببعض الخيالات فيتشخّصُ للناظر مشهد مشؤوم

هذا والابنان مطرقان خجلًا وهما يعتذران بما لم يُصِبْ من ابيهما غيرَ اذنٍ صمّاء

وبعد حين قال الخمّار لولديه : وهل اعدمتماه الحيوة في القليل

فأجابا جواب مَن قد فاز بالمنى وقالا : ورأسك لقد كدنا نطحنهُ طحناً

فقال الاب : او لم تجدا معهُ شيئاً ؟

فاجاب الكبير : كلّا وقد قلبنا جيوبهِ وبحثنا في جميع ملابسهِ حتى في نعليهِ فلم

نعثر على قُصاصة ورقة . فكشر الاب عن انيابهِ وانتهرهما قائلاً : بُعداً لكما من فدمين ابلهين

فاحتدم الكبير وقال : لو كنتَ مكاننا ماذا كنت صنعت ؟

فاجاب والشرر يتطاير من عينيهِ : لكنتُ بعد ما جدَّلتهُ حملتهُ الى ههنا وجلست على ضوء السراج اقلّبهُ ظهراً لبطن وابحث حتّى في اعماق جوفهِ

وفيما هو يقول ذلك اذا بيد مخشوكة تقرع الباب ولم يكن القارع للنتاب الّا يعقوب مصبوغاً بدمهِ . . . ولم يستطع الدخول لأن الباب كان مُزلَجاً . . فهبَّ الخمّار واسرع ليفتح وهو لا يكاد يصدّق ما يرى . فدخل يعقوب فتسلّط على الحانة سكوت الموت . وتولّى الجميع الهلع وأخذتهم الرعدة كأنهم رأوا ميتاً قام من قبرهِ وجاء ليحاسبهم فاصفرّت وجوههم واصطكّت أرجلهم وتحلّب العرق من جباههم وارتدّ الابنان الى الوراء يطلبان بايديهما المرتعشة حائطاً يعتمدان عليهِ . . امّا الاب فاستمرّ وحده واقفاً في وسط الحانة وعيناه شاخصتان الى يعقوب دهشةً وخوفاً

فقال يعقوب متلجلجاً : او يدهشك يا صاح ان تراني على هذه الحال ؟ . . فأرتج على الخمّار ولم يقوَ على الكلام . فكرّر يعقوب قولهُ ثم اشتدَّ عليهِ الهزال فلم يعد يتمالك الوقوف فاستلقى على الكرسي وقال للخمّار : عليَّ بكأس . . .

فأسرع الخمّار وهو لا يكاد يقوى ان يبسط يده ليسكب لهُ الشراب . . فلمّا بردَّ يعقوب غليلهُ قال : تصوَّر يا صاح اني وصلت الى الغابة السوداء . فكنت اجوزها وانا غير حاسب للدهر حساباً واذا بوغدٍ عاجل راسي بضربة زعزعتني فهويتُ الى الارض

فابتدر الخمّار الكلام وقال : او لم تعرف الضارب ؟

فاجاب يعقوب : كلّا . . .

فتنفس الجميع الصعداء وقشعت عنهم كلمة يعقوب غيمة الكرب . فدنوا اليهِ فشرع يقصّ عليهم ما جرى لهُ لكنَّ الخمّار عاجلهُ قائلاً : كأني بالاشقياء سلبوك جميع ما معك ! . .

فاجاب يعقوب بنغمة الظافر المنتصر : كلّا ! . . لم يسلبوني شيئاً . . كأنهم لم يطلبوا غير حياتي والبرهان ان الاربع الورقات لا تزال معي لم تمسها يد لص .

والايقونتان ايضاً !.. فكأن الشقي خشي اعينها الاربع وقد نظرت اليهِ شزرًا

فقال الخمّار بصوت مرتعش : واين كنت خبأت الاوراق ؟...

فقال يعقوب : اين ؟.. في بطانة قبعتي ..

وحينئذٍ خيَّم السكوت ثانيةً فوق الحانة . وتبادل الأشقياء نظراتٍ مشؤومة كأنهم يتسآلون . أنجهز عليهِ للحال أم نتربَّص قليلًا ..

اما يعقوب وقد كان مشغولًا بجراحهِ فلم يلحظ شيئاً فطلب اليهم سريرًا ..

فهتف الخمّار وقد ابرق وجههُ مسرورًا وقال : على الرحب والسعة ايها الضيف الكريم واذا لم يكن لنا سرير فرشنا لك الصدور وها اني اعدُّ لك سريري ... سريري انا

فقال يعقوب : ليس السرير لسوى بضع ساعات فلا داعي لانزعاجك

فاجاب الخمّار بصوت مضطرب كأنهُ لم يعد يملك نفسهُ فرحاً بالغنيمة القريبة وقال : لا انزعاج منك يا يعقوب ولا كرب اصلًا فيا مرحباً بك !!

...

كان يعقوب بعد ساعة مستلقياً على السرير في غرفة الطبقة العليا فوق الحانة وقد آلمتهُ الكلوم وبرَّحت بهِ الآلام . فكانت تلك الليلة ليلة الاوجاع فاستغرق هزيعاً من الليل ثم انتبه وقد تشرَّبتهُ الحمّى فأهوى برأسهِ الى الوسادة وجعل يعالج النوم من جديد علَّهُ يجد فيهِ مخفَّفاً لاوجاعهِ فلم يفلح . فعزم اخيرًا ان ينهض في طلب شيءٍ من الخلّ او غيرهِ ليفرك به بدنهُ . وراح يبحث في الظلام حافياً ونزل الدرج فلقي الباب المؤدي الى الحانة موصدًا . وبينما هو كذلك إذ سمع همساً فاعار اذنيهِ ليلتقط ما يقال فاذا الخمّار يقول : يا لكما من غِرَّين لا تجربة لهما . كيف لم تبحثا في القبعة وإنها لاوَّل مخبأ يُخبأ فيهِ ؟ . إليكما عني فما انتما الَّا عارٌ على ابيكما . عمَّا قليل تنظران كيف اتدبَّر الأمر . ألا امهلاني ريثما يكون قد استغرق في النوم فتريا ثمَّ هل يصلد لي زند أم يطيش لي سهم . ويرى يعقوب أنَّ ايقونتَيهِ لم تدفعا عنهُ الويلات

ثم اخذ يتبصر في الامر وينظر في الوسائل فقال : الأولى ان اميتهُ خنقاً فلا نضطرّ بعد ذلك ان ننزع ثيابنا . وإني قبل ان تبرد جثتهُ اقذف بها من النافذة الى

الحفرة التي تسرعان الان إلى حفرها تحت اكداس الدمن وليكن عمقها زُهاء ذراع

فلمّا سمع يعقوب ما سمع كاد يذهب عقلهُ فصعد للحال من حيث نزل ورجع الى غرفتهِ واخذ يتوسّل بذريعة تنيلهُ النجاة ولكن اين للهرب والحديقة من ناحية والطريق من ناحيــة . فاذا ربي بنفسهِ سقط قريباً من الحانة فانتبه لهُ اعداؤهُ او نبح عليهِ الكلاب فضلاً عن ان السقطة تفتح كلومهُ . هذا اذا فُرض انهُ لا يموت بسقوطهِ

وفيما هو يتفكّر ويتبصر خطر لهُ خاطر هائل فقال : إنهم لعازمون على قتلي . وما تلك بالمحاولة الأولى . وإني ارى ان الدين وشرائع الارض والسماء تُبيح الدفاع عن النفس وتحلّل قتل من اراد القتل

وكان الخطر ردّ لهُ كل قوى شبابهِ فنهض للحال يطلب سلاحاً يدرأ بــهِ عن نفسهِ . . ؟ . ولكن اين السلاح ؟ فليس في الغرفة مــدية . . ولا عصاً . . . وإذ كان يبحث بصر بقنينة عظيمة مملوءة ماء معدنيًّا كانت منسيَّة في زاوية من زوايا الخزانة وتلك لعمر الحقّ تكون في يد من لم يعرف الخوف نعم السلاح . فحسر عن يديهِ فبدا ساعدان مفتولان ووقف وراء الباب ينتظر في ذلك الليــل البهيم وهو فاتح عينيهِ ناشر اذنيهِ ليعرف ما يعدُّون لقتلهِ

وكان الاشقياء قد شرعوا في حفر الحفرة تحت اكداس الدمن ويعقوب يسمع باذنيهِ صوت تراب مدفنهِ وقد رفعتهُ مجارف الاشقياء والقتهُ الى جانب القبر

فقال احد الابنين : أفما يكفي هذا العمق ؟ . فانحنى الاب ونظر ثم اجاب : عمقًا ايضاً قدر ربع ذراع

فاستأنف الثلاثة الحفر صامتين . . . وبعد بضع دقائق توقّف الاب وقال لابنهِ الصغير : اين وضعت مدقّة الحديد ؟

— وراء الباب . ولماذا ؟

قال لقد عدلت عن رايي وبدا لي ان اسلبهُ الحيوة بضربة تسحق رأسهُ . فذلك خير من خنقهِ وأسرع لحتفهِ

ثمَّ دخل الحانة فعــاد بالمدقّة وهمَّ بالذهاب فخطر لهُ ان يستثبت عمق الحفرة ثانيةً وبعد ان تفحّصها قال : حسن . لكن الامر يتطلّب منتهى الانتباه فانتبها . واني

اقذف لكما به سخناً فتلقيانه للحال في الحفرة لئلا يبقى فيه رمق ثم تحثوا عليه التراب ولكن حذار حذار من سراج او شبه نور فحسبنا مارٌ ليكشف الامر . فهيا . . .

فاجاب الابنان : ها نحن ذان

وقال الاب : الان جاءت نوبتي . . .

امّا يعقوب فكان عند ذاك متسمراً بين الباب والحائط فسمع تامّة الخمّار يخلع نعليه ليختفي ثمّ اخذ في الصعود بمنتهى الهدوء والسكوت . .

فكان كلٌّ من البقّار والخمّار تحت الظلام يتجسس حركات صاحبه وكلاهما يحبس نفسهُ خيفةَ ان يدري الآخر به . .

فلمّا انتهى الخمّار الى قمّة الدرج توقّف لحظةً شأن من يتردّد قبل الاقدام على خطب فظيع . . ثمّ تقدّم بكل احتياط ففتح الباب وقارَ اليه مشياً على اطراف قدميه منتحياً ناحية السرير . . .

لكنهُ لم يخطُ خطوتين حتى ابتدره يعقوب بضربة هائلة على أمّ رأسه واتبعها بثانية وثالثة كما يعيد الحطّاب الضرب على جذع شجرة أبت ان تسقط . فثنى الخمّار ركبتيه وبسط يديه المتشنجتين بسطاً مخيفاً وخرّ صريعاً . فدمدم احد الشقيين من أسفل قائلاً : لقد تمّ العمل

فما كان من يعقوب إلّا ان نزع ثياب الخمّار وفيها مفاتيح الدار وتعجّل لبسها وألبس الجثّة ثوبهُ الموحّل الممزّق وعصب موضع الجرح ورمى بالاب الى ولديه

فسمعهما يجرّانه الى الحفرة فزجّا به فيها واندفعا يحثوان عليه التراب فصدق به المثل " من حفر حفرة لاخيه وقع فيها "

وقد كانت تلك الخلسة في عين يعقوب ثمينة فانتهزها وتسلّح بمدقّة الحديد إذ ان الزجاجة قد تحطّمت على رأس الشقي وأسرع الى الدرج فنزلهُ وهو لا يلوي على شيء . ولم يكن لينسى قبعتهُ وفيها الاوراق الماليّة تامّة براحة . فجاز الحانة خاويةً خاليةً وهياجهُ عظيم حتى لم يعد يشعر بألم جراحه . ووصل الى الباب البرّاني ففتحهُ ثم اقفلهُ وراءهُ واخذ الطريق واطلق ساقيه للريح

. . .

لم يمضِ على الحادثة ساعة حتى وفد الى الحانة خمسة جنود ومن ورائهم عجلة

فيها يعقوب. وكان ابنا الخمّار اذ ذاك جالسين في احدى زوايا الحانة يتحدّثان بغضب وقلق وهما يجهلان سبب اختفاء ابيهما فكان يُخيَّل اليهما انهُ يطوف البرّية فرحاً وجيوبهُ محشوة اوراقاً ماليّة. وانّهما لكذلك اذ فُتح باب الدار بغتةً وابصرا الجند قادمين فتولّتهما الدهشة وارتعدت فرائصهما لاسيما وقد نظرا من خلال حراب الجنود وجه يعقوب المدمّى. وقد كانا يحسبانهِ انهُ صار من سكّان القبور فوقفا مدهوشين شاخصين

فدنا زعيم الجند وقال للاخ الكبير: اين ابوك؟ فاجاب هذا متلعثماً: لا اعلم!

فانتهرهُ الزعيم قائلاً: إن كنت تجهل مكانهُ فتعال لأُريكهُ. واتّجه نحو الحديقة وتبعهُ الجمع والابنان ايضاً وقد كان القرويون اسرعوا جميعهم وراء الجنود ليعلموا ما الخبر. فامر الزعيم الولدين ان يستأنفا الحفر ففعلا مرغومين

وهناك... على مشهدٍ من الجنود نبش الابنان جثّة ابيهما!... فاخذ الجميع ذعرٌ شديد. وكانت جثة الخمّار مشوّهة لأن ولديهِ كانا وطئا وجههُ بارجلهما وخدّشا جسدهُ بمجارفهما

ولمّا ان بسطوا الجثة على رمال الحديقة كانت الشمس قد بزغت من وراء الافق وألقت اشعتها فوق تلك النواحي. فرأى الجميع عقاب الله وشاهدوا عدلهُ الرهيب!!

فرسم يعقوب على صدرهِ اشارة الصليب والتفت الى الجثة فقال: ليغفر لك الله

ثم ارتدّ الى الابنين وقال: ايها الاخوان إني ناصحٌ لكما ان تحملا كلٌّ منكما على صدره ايقونة حتى تكون لكما درعاً تتقون بها سهام البوائق وحرزاً يصونكما من شرّ النوازل والغوائل!... وما مرّ على هذا الحادث اسبوع حتى نال الولدان جزاء عملهما فشُنقا

زراعة التبغ التركيّ في لبنان

للشيخ يوسف افندي الجميّل الاجزائي القانوني ورئيس اعمال المختبر الكيماوي سابقاً (تابع)

نقف البزر (التنقيس)

نقف البزر (التنقيس) يتمُّ عادةً بعد بَذْره في الارض بعشرة أيام الى عشرين يوماً

وربَّما تأخر الى ثلاثين يوماً وذلك على حسب قوَّة الحرارة كما هو معلوم

والبعض من الزارعين اذا ارادوا تعجيل التفقيس اخذوا ماء فاترًا فجعلوا فيهِ البزر مدَّة ٢٤ ساعة ثم يبذرونهُ كما سبق . ومنهم من يسقي المساكب بماء يروّبون فيهِ زبل الطيور العتيق المعروف بالغوانو (guano) ولكن لا يجوز الالتجاء الى هذه الطريقة الَّا وقت الضرورة عند ما يسقط البرد او الجليد على المساكب « البكّيرة » او اذا فتكت بها الحشرات . لأن البزر الذي ينبت نبتاً طبيعيًّا تكون اغراسهُ اشدّ وافضل

امَّا اذا اردت تقوية الاغراس (الشتول) الصغيرة امكنك ان تسقيها في بدء الامر حيناً بعد اخر بنقيع الغوانو بمعدَّل ٣ كيلو في كل مئة ليتر من الماء ذلك ان رأيت نبات المساكب ضئيلًا . ولكنهُ من النادر ان يضطرَّ الزارع الى اتخاذ مثل هذه الوسائل . وعلى كل حال لا يجوز الافراط منهُ

السَّقي

ومتى ذرَّ (فقَّس) النبات تُسقى المساكب كل يوم او يومين او كل ثلاثة او اربعة ايَّام على حسب رطوبة التربة . والقاعدة في ذلك ان المساكب تُسقى اذا كاد يتمُّ جفافها فترى ورق اغراسها (شتولها) الصغيرة آخذًا في الميل لذبولهِ . فانَّ الاصول (الشلوش) تتعوَّد هكذا على العطش سريعاً فتتأصل في التربة لتنال منها الرطوبة وتتلقى الماء عند سقيها برغبة اعظم . ولا بأس اذا تأخر نموّ النبات ايَّاماً فانَّهُ يكون اشدَّ قوَّة واصلب عودًا . وبعكس ذلك اذا افرطتَ في السقي بقيت اصول التبغ رخوةً (حشيشيَّة) دون صلابة ولا شدَّة . بل ربَّما تجعَّدت الاغراس وتقبَّضت . ولا نعني بكلامنا ان يكون السقي قليلًا ناقصاً وانَّما المراد ان يكون كافياً معتدلًا لئلا تيبس اذا قلَّ سقيُها او تضؤل وتضعف اذا بُولغ في ريّها

متى رأيتَ الاغراس نبتت خمسة اوراق بعد السقي المعتدل الذي وصفناه عرفت بذلك انَّها تصلح لأن تُنقل للزرع . والاغراس الطريَّة لا تعلق بالارض الَّا اذا غُرست في وقت (طقس) مناسب ذي رطوبة وقليل الحرّ ويعقب غرسها (تشتيلها) مطرٌ كافٍ او سقيٌ غزير . امَّا الاغراس الكبيرة التي بلغ مثلًا عدد ورقها الثمانية فهي معرَّضة للجفاف والتلف لاتساع سطح ورقها . وان اردت علامةً لمعرفة نضج

المساكب ما خلا عدد الاوراق فعليك ان تنظر الى صلابة ساق كل غرسة أيثبت الساق بين الاصابع ويلتوي دون ان ينكسر فان وجدتهُ كذلك كان صالحاً للنقل (للانشتال)

نقل الاغراس (النصوب) من المساكب

اذا اعتمدت اقتلاع الاغراس (الشتول) الى المكان المعدّ لها فاسق المساكب بغزارة في مساء اليوم السابق للعمل ثم اسقها ثانية في صباح يوم نقلها باكرًا. وبعد ساعة من الزمان اي بعد ان يكون الماء نفذ في التربة ونشفت الاوراق يباشر العمّال او العاملات شغلهم فيقتلعون الاغراس برفق ولطف وذلك بأن يضمّوا الاوراق بين الاصبعين الإبهام (الباهم) والسبّابة ثم يسحبون الاغراس بلين بحيث تخرج اصولها سليمةً دون ان تضرّ بالاغراس المجاورة لها التي لم تبلغ نضوجها بعد

واذا اقتلع العامل الاغراس فردًا فردًا عدّها حتى يبلغ عددها الخمسين فيسلّم الحزمة للناظر. امّا الناظر فيتلقّى الحزم على لوح ويجعلها صفوفاً متعاكسة فيوازي رأسُ الحزمة ساقَ اختها على سواء. وبهذه الطريقة يكون وضع الحزم مرتّباً ويُستغنى عن ربطها بخيط فانّ الربط يضرّ الاغراس بضغطهِ عليها وترضيضها

وبعد ذلك يقيّد الناظر انواع الاغراس وعددها وارقام (غُر) المساكب والمكان المعدّ لها. ومن الواجب على الناظر ان يضبط تقييد عدد الحُزَم وكدسها مرّة واحدة لأن كثرة تقليبها وتداول الاغراس بين الايدي يؤثر فيها وينثر ما يعلق في جذورها من التربة التي تفيدها كثيرًا وتسهّل غرسها

واحسن طريقة لنقل هذه الاغراس ان تأخذ صناديق خشبيّة او علب كاز او سلالًا تفرش في اسفلها عشباً طريًا او حشيشاً مرطّباً بقليل من الماء فتبسط فوقها الاغراس حُزماً متعاكسة خمسين فخمسين بدون ضغط. ثم تغطي تلك الصناديق او السلال باعشاب طريّة غير مبلّلة بالماء. فاذا جُهّزت الاغراس كما وصفنا امكن الزارع ان ينقلها الى اماكن تبعد مسافة يومين اللهمّ اذا كان السفر ليلًا والهواء معتدل الحرارة

وافضل وقت لاقتلاع اغراس المساكب هو الصباح باكرًا او المساء قبل غروب الشمس بساعتين او ثلاث ساعات. واذا فرغ العامل من اختيار الاغراس يجب

سقي المساكب لتتساوى التربة حول ما بقي فيها من الفسائل الصغيرة التي تعرَّضت اصولها (شلوشها) للهواء وتجرَّدت عند اقتلاع الاغراس المجاورة

واعلم انهُ لا يوافق الاغراس المقتلعة ان تُغمس في الماء لأن ذلك يعرّضها للذبول. فان اقتضى الامر تأجيل نقلها وغرسها لمدة فالاولى ان تجعل في قبو او في غرفة طريَّة بعد ان تُرش الارض بالماء ثمَّ تجهز الفسائل بحيث تكون جذورها على المكان الرطب

والافضل ان تغرس الفسائل المقتلعة في يوم قلعها والسرعة في ذلك محمودة. ومن هنا تعلم الفائدة التي تعود على كل فلّاح اذا تولّى زرع مساكبهِ لنفسهِ وكذلك ما يناله من الفائدة أن يخصّ كل بقعةٍ من اراضيهِ بمسكبة لها اذا كانت اراضيهِ عديدة يبعد بعضها عن بعض

وينبغي على الزارع ان يرقّم على كل مسكبة رقماً (نمرة) ويقيّد في دفتر خاصّ جنس البذر المزروع فيها ووزنهُ وتاريخ بذرهِ ونقفهِ وبلوغهِ مع عدد الاغراس (الشتول) التي أُخذت منهُ وتعريف المكان الذي نُقلت اليهِ

وفي هذا الدفتر عينهِ تُدوَّن الملحوظات اليوميَّة المختصة بكل مسكبة كذكر سقيها بنقيع زبل الغوانو اذا جرى استعمالهُ وما تكون قد سبَّبتهُ الحشرات من الأتلاف مع ما اتخذ من الوسائل لإزالتها والنتائج الحاصلة منها

اعداء المساكب

اوَّلها (المالوش) وقد سبق المشرق (٣ : ٢٩٣) فنشر مقالة طويلة في هذه الهامَّة (الحشرة) لجناب الاديب سليم افندي اصفر مفتش الزراعة سابقاً في لبنان وهناك تجد وصفها وصورتها وطباعها وبيان اضرارها وطرائق إتلافها

واعلم ان هذه الحشرات من اسوإ الآفات لاغراس التبغ ليس لكونها تقرض اصول النبات كما يظن البعض ولكن لأنَّها تسعى وراء قوتها من الهوام الصغيرة التي تسمو في السماد فلإدراك هذه الغاية تفتح بمخالبها قنوات ومجاري قريباً من سطح الارض فاذا وَجدَتْ اصولاً لنبات او جذوراً قطَّعتها وقرضتها فلا تلبث الاغراس ان تتلف. والاسراب التي يحفرها المالوش تنتهي عادة بثقب عموديّ يبلغ عمقهُ الى

نحو ٣٠ او ٤٠ سنتيمترًا تضع الانثى بيضها في قمره . والبيض في كل حمل لا يقل عن ٣٠٠ بيضة

والمالوش يستطيب غالبًا الاراضي الرطبة والكثيرة السماد ولذلك يحسن بالزارع ان يحيد لمساكبه عن الاراضي التي اشتهرت بكثرة تلك الدويبة ويختار لتسميدها زبلًا ليس فيه شيء منها او من بيضها

ومن اراد ان ينجو من شرها على قدر الامكان جعل قبل غروب الشمس كومًا من السواد الطري في الخلاء المساكب فالمالوش يتراكض اليها ويقيم في وسطها . فعلى الزارع ان يعجل صباحًا قبل النهار ويحمل هذه الكوم في صناديق وينقلها بعيدًا من المساكب ثم ينشر السماد المنقول ويسحق بحجر المالوش المنتشر بينها واحدًا بعد الآخر ويمكنهُ ايضًا ان يلقيهُ في سطل يملأ نصفهُ ماء ويمزجهُ بقدح من كاز البترول . ويجوز ايضًا اذا لقي الزارع ثقب المالوش ومدخلهُ العمودي السابق ذكره ان يصب فوقهُ الماء الممزوج بالكاز رأسًا او شيئًا من الزيوت فان الكاز والزيوت تقتل الهوام خنقًا من ساعتها

انواع (الحلزون) والبزاق تثقب ورق التبغ وتتلف اغراسها فيلزم الزارع ان يبحث عنها صباح مساء فيقتلها

(الخلد) هو مؤذٍ بما يحفره من الاسراب والخنادق فالنجاة منهُ يجب ان توضع بقرب اوكاره فخاخ صغيرة . وممَّا اختبرتهُ آخرًا تنجح الاختبار انني وضعت في بصل صغير (قنَّار) شيئًا من السترنين فتهافت اليه الخلد فمات تسمًّا . ويمكنك قتل الخلد توًّا متى رأيت ارتجاجًا على سطح التراب يدلُّك على ان الخلد يحفر نفقًا هناك

(النمل) قد توفقنا الى طريقة بسيطة للتخلص من النمل هاك تفصيلها : احفر على مسافة نصف متر من وكر النمل حفرةً عمقها وعرضها نحو خمسة وعشرين سنتيمترًا وضع بهذه الحفرة إناء من تنك او نحاس مبيَّض وبالاحرى نصف تنكة كاز فارغة بنوع ان يكون اعلى حافة التنكة ارطأ قليلًا من مساواة سطح الارض ثم ضع في التنكة قليلًا من الماء بعد ان تذوِّب فيه شيئًا من السكَّر . ثم عُد الى الوكر وأحطهُ بالرماد واقِمْ على جانبي طريق النمل حاجزًا من رماد يمنع النمل من السير الى غير جهة الحفرة حيث تجذبهُ حلاوة السكَّر . وهناك يسقط ولا يمكنهُ بعد الخروج لان

جدران التنكة صقيلة وواقفة عامودياً . وبهذه العملية ترى ان معظم غسل الوكر لا يلبث ان ينتقل من قريته (عشه) الى الحفرة حيث يمكنك قتلهُ بالنار او بماء مُغلى

يوجد ايضاً بعضُ حشرات وديدان قد يمكنها ان تؤذي هذه البذورات والمزدرعات . على ان التخلص منها يكون بواسطة الماء الممزوج بالكاز او الفرمول او بالرماد الناشف صرفاً او ممزوجاً بسولفات النحاس او الرمل الرفيع الممزوج بالفرمول

وعلى كل يجب المحافظة في تلك الاماكن على العصافير اجمالاً وعلى الدوري منها خاصةً لانها تفتش عن هذه الحشرات وتغتذي منها وتصبح اكبر آفة لهذه الهوام والطيور لا تؤذي قط المساكب (لهُ بقيَّة)

الادهميَّة (الهيدميَّة)

او مغارة ارميا النبي

بقلم حضرة الاب فرنسيس دونكل من الآباء اللازريين الالمانيين

ان في المدينة المقدَّسة وضواحيها اماكن شتَّى تستحق الذكر والزيارة منها ما هو على سطح ارضها ومنها ما تحجبهُ في بطنها كالمغاور العديدة التي تُرى فيها او في جوارها فمن اعظمها شأناً واكثرها شهرة مغارة يعرفها المسلمون بالهيدميَّة ويدعوها النصارى مغارة ارميا النبي

وموقع هذا الكهف في خارج مدينة القدس الشريف في شمال سورها ليس بعيداً عن بابها المعروف بباب العمود وعن الدار الفخيمة التي ابتناها الكاثوليك الالمانيون الشهيرة بمنزل مار بولس

وقد أُطلق على هذا الكهف اسم مغارة ارميا لأن قوماً من اصحاب الآثار ذهبوا الى ان هذا النبي بعد حصار اورشليم وخرابها الاوَّل على عهد نبوكد نصَّر اعتزل فيها وناح هناك على المدينة المقدَّسة ورثى هيكلها وبكى على شعبها اسرائيل المَسوق الى جلاء بابل بل ارتأوا انَّ ارميا دُفن هناك

امّا اسمها الهيدميَّة عند العرب فهم يطلقونهُ ليس على المغارة فقط بل على الربوة والمقبرة اللّتين تعلوانها . وقد سألت سكّان القدس المسلمين عن اصل هذا الاسم فكان جوابهم انَّ اسم المكان قديم جدًا وانَّهُ دُعي كذلك باسم احد العارفين (الدراويش) المسمَّى « هيدم » الذي سكن هناك وانشأ طائفة الهيدميَّة . ولم يمكني ان اطّلع على شيء اكثر من ذلك عن تلك الطائفة ومُنشئها . ثم تقصَّيت في البحث فوجدت ان في قولهم صحَّةً غير انَّهُ وقع في الاسم تصحيف فقالوا « هيدم » ونسبوا اليه الطائفة « الهيدُميَّة » والصواب « ادهم » و « ادهميَّة » جريًا على قلب العامَّة لبعض الالفاظ كما قالوا « جَوز وتَمل » يريدون « زوج ولَمن » .

والدليل على ان اسم المحلّ هو الادهميَّة ما جاء في كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي الذي صنَّفهُ سنة ٩١٠ للهجرة (١٤٩٥م) فدونك ما كتبهُ عن التلّ والمقبرة التي يدعوها بالساهرة ثمَّ عن كهف الادهميَّة قال بعد وصفهِ لقبر مريم عليها السلام (طبعة مصر ج ٢ ص ٤١٢) :

* الساهرة * وهو البقيع الذي الى جانب طور زيتا (جبل الزيتون) من جهة الغرب . وعن ابراهيم ابن ابي عبلة في قولهِ تعالى « فاذا هم بالساهرة » قال (الساهرة) البقيع الذي الى جانب طور زيتا قريبًا من مصلّى عُمَر معروف بالساهرة . وفي حديث ابن عُمَر انَّ ارض المَحشر تُسمَّى الساهرة واصل الساهرة الفلاة ووَجهُ الارض وقيل الارض العريضة البسيطة والساهرة عند العرب الارض التي تبعث سالكًا على السهر للسُّرى فيها لينجو منها . ومعنى الساهرة ارض لا ينامون عليها ويسهرون . قلتُ : وهذا البقيع هو المعروف بالساهرة ظاهر مدينة القدس الشريف من جهة الشمال وبهِ مقبرة يُدفن فيها موتى المسلمين وبها جماعة من الصالحين والمقبرة مرتفعة على جبل عالٍ

* الادهميَّة * وسفل هذا الجبل كهفٌ من العجائب وهو زاوية للفقراء الادهميَّة داخل تحت هذا الجبل في صخرة عظيمة وتسمَّى منارة الكتَّان . والمقبرة التي هي الساهرة على سقف هذه المنارة بحيث انهُ لو امكن حفر القبور أسفلها لنفذ الى الكهف الذي هو زاوية الادهميَّة ولكن المسافة بعيدة فان الصخرة سمكة ضخمة جدًّا ويلتزم في هذا بأن يقال « احياء تحت اموات » وهذا الامر مُشاهَد عيانًا وقد عمَّر هذه الزاوية الامير تَنجك نائبُ الشام ووقف عليها هو وغيره من اهل الخير . وفيها قبور جماعة من الصالحين وعليها الانس والوقار

* منارة الكتَّان * ومقابل الساهرة من جهة القبلة تحت سور المدينة الشمالي منارة كبيرة مستطيلة وتسمَّى منارة الكتَّان ايضًا يقال انها تصل الى تحت الصخرة الشريفة ودخلها جماعة وحكوا عنها اشياء من الامور المهولة »

فيتَّضح من النصّ المذكور انَّ مجير الدين وصف مغارتين الواحدة تحت مقبرة المسلمين الشماليَّة وهي الشهيرة اليوم بالادهميَّة والاخرى تحت سور المدينة الشمالي يدعوها مغارة الكتّان. وبقي الامر مبهماً الى السنة ١٨٥٢ اذ كانت مغارة الكتّان مسدودة وكان بابها مطموماً تحت الردم. ففي تلك السنة سقط جزء من سور المدينة الشمالي ولاح مدخل عميق وظهرت المغارة المخفيَّة واذا هي كما وصفها مجير الدين في شمالي المدينة مقابلة لمنزل مار بولس الجديد خاصة الالمان الكاثوليك وبازائها مغارة ارميا التي دعاها الكاتب بالادهميَّة

هذا وانَّ مجير الدين ضرب صفحاً عن ادهم المنسوبة اليه هذه المغارة ولا شكَّ انه الوليّ الفقير الصالح الذي وصفهُ ابن بطوطة في رحلته (ج ١ ص ١٧٣ من طبعة باريس وص ٤٤ من طبعة مصر). فذكر هناك من ورعه انَّه اذ كان يتوضَّأ في نهر يتخلَّل احد بساتين بخارى رأى تفَّاحة يحملها ماء النهر فاكلها ثم وقع في خاطره وسواس من اكل مال الناس فدخل البستان واستحلَّ صاحبتها فأحلَّتهُ من نصف التفَّاحة لأنَّ البستان كان نصفهُ لها والنصف الآخر للسلطان وهو في بلخ فرحل الى بلخ وهي على مسافة عشرة ايَّام فاستحلَّ السلطان فتعجَّب السلطان من ورعه وزوَّجهُ بابنته فمات بعد قليل وخلَّف ابنا شهيراً بالزهد (١ مثلهُ دُعي ابراهيم. فجعلهُ السلطان وليّ عهده. لكنَّ ادهم آثر الزهد وطاف في البلاد سائحاً وتوفي سنة ١٦٢ هـ (٧٨٠م) وقُبر في مدينة جَبلة في بلاد النصيريين ولهُ على قبره زاوية يزورها النصيريَّة ليلة النصف من شعبان ويقيمون عندها موسماً حافلاً. امَّا نسبة مغارة ارميا النبي الى ادهم فالظاهر ان الامير منجك نائب الشام الذي ذكره مجير الدين جعل قوماً من الفقراء الزاهدين على طريقة ابن ادهم في الزاوية التي ابتناها هناك وحبس عليها الاوقاف فعُرفت بالادهميَّة. ويزعم البعض انَّ ابراهيم بن ادهم كان انشأ هذه طائفة الفقراء في البادية فانتشرت في امكنة اخرى

هذا وان مغارة الادهميَّة (الهيدميَّة) شائعة الذكر لا يجهلها احد من زوَّار القدس وقد وصفها كثيرون في المجلَّات وفي اخبار رحلهم الى الاراضي المقدَّسة. امَّا

(١) اطلب خبر زهد ابراهيم بن ادهم عن الشريشي في مجاني الادب (ج ١ ص ١٢)

تاريخها فلم يفتحلنا احد حتى الآن. فاننا اذا راجعنا التواريخ القديمة لا نجد لها اسما قبل الحروب الصليبية كما اشار الى ذلك الدكتور توبلر الالماني في مؤلفه (Tobler : *Topographie*. II B^d) اما بعد الصليبيين فسكنها الفقراء الادهميون كما ذكر مجير الدين في القرن الخامس عشر ونظن انها لم تزل منذ ذاك الوقت مأوى للدراويش السنيين كما هي الآن وهم يتقاضون رسماً من طالبي زيارة المغارة

وقد سبق انّ فوق المغارة تلّ يعلوها ولهذا التل صورة غريبة تستلفت الحاظ القاصي والداني . وقد وجّه اليه النظر خصوصا السيّاح الانكليز والاميركان البروتستانتيين منذ سعى بعضهم في السنين الاخيرة من القرن المنصرم في البحث والتفتيش عن جبل الجلجلة. فانه وُجد بينهم قوم دقّقوا النظر في هذا التل فتصوّروا انه يحاكي جمجمة الانسان لهُ في معاطفه شبه المحجرين للعينين وشبه ثقبي الانف وثغرة الفم وغير ذلك من الاختراعات الخياليّة الغريبة التي حدتْ بهم الى القول بانّ هذا التلّ هو جبل الجلجلة (١ الذي صُلب عليه السيد المسيح وانّ مغارة ارميا النبي هي القبر المقدس الذي قبر فيه. ومما زاد هؤلاء تمسّكا في رأيهم انّ مركز هذا التلّ على مفرق طريقين قريب من المدينة مشرف على احد ابوابها (٢ واثباتاً لزعمهم عمدوا الى تقليد وهمي نسبوه الى اليهود الاسبانيين المعروفين في القديم باليهود « السفرديم » وهو انّ هذا المحلّ كان يدعى عندهم « بيت الرجم » اي محلّ عقاب المجرمين فاستنتجوا من ذلك انهُ ولا ريب محلّ الجلجلة الحقيقيّة (٣

وكان السابق الى هذا الرأي الغريب في موقع الجلجلة على تلّ الهيدميّة هو المستر كوندر (Conder) المعروف بقلّة تروّيه في الابحاث وذلك سنة ١٨٧٨ ولم يقع زعمهُ عند احد موقع الصواب بل تصدّى له كثيرون فابطلوا زعمهُ حتى اتى سنة ١٨٨٢ الجنرال گوردون فتبنّاه واشهره بما كان له من النفوذ لدى الشعب الانكليزي

---

١) وزعم هؤلاء انّ يوحنّا اشار الى هذا المحلّ في انجيله حيث قال (١٩ : ١٧) : فخرج يسوع وهو حامل صليبهُ الى الموضع المسمّى الجمجمة وبالعبرانية الجلجلة

٢) ونسبوا الى هذا التلّ قول يوحنّا (١٩ : ٢٠) : « وهذا العنوان قرأهُ كثير من اليهود لأنّ الموضع الذي صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة »

٣) واليه نسبوا آية يوحنّا (١٩ : ١٨) : « وهناك صلبوهُ وآخرين معهُ »

فاخذ السيّاح البروتستانتيّون من انكليز واميركان يتسابقون مذ ذاك الحين الى تلّ الميدميّة بدعوى انّ ثمّ جبلَ الجلجلة وانّ بقربهِ قبر المسيح يريدون مغارة ارميا النبّي ويدعونهُ « قبر البستان » (١ وقد أُطلق على هذه الجلجلة المزعومة لهم مكتشفها او بالحري المتنصر لها فسمّوها جلجلة گوردون (Gordon 's Calvary)

هذا هو رأي هؤلاء المحدثين فتُرى ماذا يقول فيهِ العلم الصحيح ؟ نجيب اننّا نرى بكل اسفٍ انّ حبّ المعاكسة قد اعمى بصائر المرتابين بهذا الرأي فتركوا التقاليد التاريخيّة القديمة الراهنة التي تثبت موضع الجلجلة منذ الاجيال الاولى والتي رواها لنا ابو التاريخ الكنسي الشهير اوسابيوس القيصري وتمسّكوا بتقليد يهوديّ حديث العهد لا سند لهُ (٢ وذلك ما يثبت لنا ما هو مشهور عنهم انّهم يفضّلون الاساطير اليهوديّة ورواياتهم الفريّة على التقاليد الكاثوليكيّة الراهنة الحجج (٣

وليت شعري ما هي في الحقيقة هذه الجلجلة الجديدة ؟ خدعة وكذب . قال الاستاذ دوسترفلد في رحلتهِ (Düsterwald : *Erste deutsche Maennerwall-fahrt nach Rom u. Jerusalem*, 1900) : يوجد بقرب نزل الالمان الكاثوليك تلّ غريب يدعى « جلجلة الاميركان » وقد لقبهُ بعضهم بهذا الاسم اذ لم يقف لهُ على ذكر في التواريخ والتقاليد الثابتة . ولا يسعنا الّا ان نرفض هذا الزعم الباطل رفضاً باتّاً . اه

ومن غريب الامور ان الانكليز انفسهم بعد ان ابتكروا هذا الرأي واولدوه بسفاحاً انكروا اللقيط رضيعاً ونبذوه على قارعة الشارع فلم يلتقطهُ احد فامسى عليلاً ضئيلاً وصار على آخر رَمَق حتّى استدُّوا لدفنهِ غير آسفين على انقصاف عمرهِ

---

١) اشار الى قول يوحنا (١٩ : ٤١) « وكان في الموضع الذي صُلب فيهِ بستان وفي البستان قبر جديد . . . فوضعاهُ هناك »

٢) قال الانكليزي ولسون (Wilson) « انّ السفرديم لم يحلّوا في اورشليم قبل الجيل الخامس عشر امّا تقليدهم في موضع « بيت الرجم » على تلّ الميدميّة فلم نجد لهُ ادنى ذكر قبل الربع الاخير من القرن التاسع عشر »

٣) وذلك عملاً بالقول المأثور عندهم « لا بأس من الاحاديث اليهوديّة ونبذ الاقاويل الكاثوليكيّة » « Judaïca est, non olet ; Catholica sunt et hæc est alia res »

على ان بعض افرادهم كما بلغني اخذوا في هـذه المدّة الاخيرة يطلون النفس باحيانهِ لغايات يكتمونها . والدليـل على ذلك ما يدسّونهُ بين السلع القدسيّة فوقفتُ عليهِ صدفةً . فمن هذا القبيل تصاوير شمسيّة يعرضونها على الزوّار يعبرون عن فحواها بكتابات في اللغتين الانكليزيّة والفرنسويّة فالصورة التي تمثل الهيدميّة قد كتبوا في ذيلهـا من جهة بالانكليزيّة « جلجلة گوردون » (Gordon's Calvary) ومن الجهة الاخرى بالفرنسويّة مغارة ارميـا النبي (Grotte de Jérémie) كأنهم يساوون بين الرأيين فيخدعون الناس

ومن ذلك ايضاً مجموعة ثانية مؤلّفة من ٣٦ « كارت پوستال » فيهـا تصاوير شتى وفي لحف كل صورة شرح معناها باللغات الثلث الانكليزيّة والالمانيّـة والفرنسويّة ما عدا واحدة منها وهي الممثّلة للهيدميّة فانّهم كتبوا عنوانهـا بالانكليزيّة فقط جلجلة گوردون (Gordon 's Calvary) فـا تُرى قول كل منصف متزّه عن الاغراض في كل هذا التلاعب ؟ الّا انّ مختلقي هـذه البدعة التاريخيّـة لا يعتـدون لرواج بضاعتهم الّا على بعض السذّج الاغرار من طائفـة السيّاح الانكليز والاميركان

ولكن دعنا وهذه الدسائس الصبيانيّة . ولنرجعنّ الى التاريخ الصادق لعلّهُ يفيدنا شيئاً عن امر هـذا التل وهيئتهِ في ايام السيّد المسيح . قال العالمان الاثريّان گيران (Guérin) الفرنسوي وولسون (Wilson) الانكليزي انّ تلّ الهيدميّة كان في عهد المسيح على غير هيئتهِ اليوم . فتراه اليوم منفرداً وقد كان وقتئذٍ متصلاً بالجبـل المقابل لهُ داخل المدينة والمعروف عند الاقدمين بجبـل بيزيتا (Besetha) بحيث كانت المغارتان التي سبق لمجير الدين وصفهما اي مغارة ارميا ومغارة الكتّان كهفاً واحداً متسع الارجاء ذكره يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير ودعـاه بالمغاور الملوكيّة

وقد قُسم الكهف قسمين سنة ٤٣ للمسيح على عهد هيرودس اغريباً ليُبنى بينهما سورٌ ثالث لمدينة اورشليم وذلك ما اشار اليهِ يوسيفوس المؤرخ قال عن هذا السور : « انهُ يمرُّ وسط المغاور الملوكية » وقد هدم هيرودس سطحها واخذ حجارتها لتشييد السور ثمَّ حفر وسطها خندقاً تحصيناً للمدينة

ولما قام ادريانوس بعد هيرودس بنحو مائة سنة وسّع الحفرة واخذ من حجارة التلّ لترميم ما تهدّم من المدينة. وكذا فعل من بعده ملوك الروم بل رأينا مثل هذا في أيامنا لمّا قطع المسلمون حجارة من هذه الاغوار ليبنوا سور المقبرة التي تعلوها

وعليه يمكننا القول مع ولسون انّ الفسحة التي تفصل السور ومغارة الكتّان عن مغارة ارميا وتلّ الهيدميّة تكوّنت بعد الميلاد بتوالي الاعصار وانّ التلّ لم يكن على زمن السيد المسيح بالهيئة التي يُرى عليها اليوم وان انصار گوردون لفي غرور وضلال مبين اذ اخذوا دليلهم من شبه تلّ الهيدميّة بالجمجمة ليجعلوهُ جبل الجلجلة الحقيقي. وكفى بهِ الآن تفنيداً وبرهاناً. ولنا في مغارة الكتّان كلام خاصّ نفصّلهُ مرّة اخرى ان شاء الله

نظر في احوال العالم المتصرم

للاب لويس رنزفال اليسوعي (لاحق بسابق)

٢ احوال الدنيا

﴿ اسبانية ﴾ بيّنا في مقالتنا السابقة ما يتهدّد اسبانية من الاخطار بسوء تصرّف وزارتها الحاليّة نحو الدين وارباب واستفحال الثورة من جرّاء ذلك. ومن الدلائل الحديثة على الامر مكيدة كادها بعض الاوباش للوزير الكاثوليكي السابق المسيو ماورا اذ اطلق عليهِ مسدّسهُ في ٢٢ تموز في برشلونة فجرحهُ فقط

ولمّا ثارت فتنة البرتغال قلقت الافكار في اسبانية لسببها فخاف الاهلون من رجع صدى تلك الحوادث الفاجعة على بلادهم لكنّ الله نجّاهم من شرّها فأفرخ روعهم. واذ كان الملك وقرينتهُ يطوفان في انحاء المملكة استقبلتهما الرعايا بمزيد الأُبهة وغاية الاكرام وخصوصاً في بلنسية — ولكن يسوءنا القول بان المشاكل الدينيّة زادت ارتباكاً بعد ان صادق مجلس العموم في ٥ تشرين الثاني على القانون المعروف بالقفل ضدّ الرهبانيّات فنطلب من الله ان لا يعاقب الدولة بسبب هذه السُنّة الجائرة

وفي شهر ت١ وقع بين اسبانية ومراكش اتفاق على الامور التي تفصل الدولتين وتمّ الامر بهمّة وزير السلطان مولاي حفيظ وهو السيّد المقري (الذي يتخرج ابناه في كليّتنا منذ خمس سنوات) فرجاؤنا ان يكون هذا الوفاق ثابتاً. وقد اثنى الناس على اعتدال مولاي حفيظ فانّهُ كاد يجعل الريف مستعمرةً اسبانية. امّا الدار البيضاء وبعض الامكنة الواقع فيها الخصام فقد تنازل عنها للفرنسويين

﴿ المانية ﴾ انّ المانية اليوم في أزمة اقتصاديّة وصناعيّة وماليّة وذلك ما يثير خواطر الشعب على الحكومة كما اثبت ذلك المسيو مواساي (H. Moysset) في مقالاتهِ التي نشرها في مجلّة الكورسبندان. وقد بيّن في مقالتهِ الثالثة في شهر ت٢ من السنة المنصرمة كيف هبطت المانية العظيمة مع عزّها ورونقها ووثاقة شرائعها الى حالة تُنذر اهلها بالويلات حتّى صار الشعب في حاجة الى اسباب المعاش الاشدّ ضرورةً كالخبز واللحم واخذ يتهدّد الدولة او تخفّف عن عاتقيهِ عبء الفقر. ولعلّك تسأل ويا تُرى اين ذهبت الخمسة المليارات التي تقضّتها المانية من فرنسة كغرامة الحرب السبعينيّة. نجيب انّ هذه القناطير المقنطرة قد صرفتها المانية في تعزيز جيشها وتنمية بحريّتها وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها حتّى زادت المصنوعات عن طالبيها كثيراً فازدحم الفلّاحون في المدن ودخلوا المعامل الصناعيّة فاهملوا فلاحة الارض وما لبثت ان قلّت الاغلال وقلّت المواشي وزادت بذلك اسعار المأكولات الضروريّة بحيث لم تعُد تكفي اجرة العمّلة لابتياعها. وزاد الامر حرجاً بالنموّ المشكور لعدد سكّان المانية الذي بلغ في العام الماضي ٦٤ مليوناً وكان سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً بزيادة ٢٤ مليوناً فمن اين الخبز لكلّ هؤلاء. وانّ قلّ عددهم نوعاً لكثرة من يهاجر منهم الى البلاد الاجنبيّة والمستعمرات الخارجة. فلعمري انّ المانية اصبحت اشبه بامّ تميس باثوابها الفاخرة وقد جفّ ثدياها فلا تستطيع ان ترضع بنيها فيطلب الصغار قوتاً وليس من يجيب الى ملتمسهم. وبوسع الدولة ان تخفف وطأة هذا الداء العضال بأن تلغي الضرائب التي وضعتها على الغلّات والمواشي الواردة من الخارج لولا انّها تخاف من عجز يصيب ماليّتها وهي في حاجة ماسّة الى المال لتبقى في مقامها بين الدول. فينتج من هذا بين اهل الفلاحة والصناعة وبين الشعب واصحاب الامر منافرات واحقاد لعلّها تؤول الى سوء المنقلب وتتهدّد عرش السلالة المالكة عينها. والدليل على ذلك اتّساع نطاق

الجمعيات الاشتراكيَّة ونهضتها للعمل يوماً بعد يوم ولذلك ترى الاشتراكيين في كل آن يطلبون الانتخاب العام الذي توجس منهُ خوفاً الدولة المالكة

وفي ٩ آذار تحزَّب ١٥,٠٠٠ رجل من الاشتراكيين فطافوا شوارع برلين وهم يتغنَّون بلحن المرسلياز ويطالبون باصلاح الانتخابات. وفي ٢٧ آب تعصَّب منهم الالوف فتاجزوا الشرطَ القتالَ فمات قوم من الفريقين بمسمع الامبراطور ومرآه من نوافذ قصرهِ بل تعدَّدت المناوشات الدمويَّة حتَّى بلغ عددها سبع عشرة منذ ٢٧ ايلول الى ١٨ تشرين الاوَّل في برلين وغيرها. واذ نسب الامبراطور اصل حقوقهِ الملكيَّة الى الله في رسالةٍ وجَّه بها الى الرهبان البندكتيين في بورون (Beuron) احتجَّ عليهِ اهل الاشتراك والفوضى وقابلوا حقوقهم الالهيَّة بحقوقهِ وطلبوا من مجلس النوَّاب ان يناقش الوزراء في ذلك ليبلِّغوا احتجاجهم الى القيصر

فترى ان احوال المانيـة الداخليَّة في اضطراب. امَّا سياستها الخارجيَّة فأن الامبراطور في السنة المنصرمة زاد دولتي النمسة وتركيَّا مجاملةً لتوثيق عُرى الوفاق بين بلادهِ وبلادهما . وقد شعر المسلمون في الشرق بتقرُّب المانية الى عنصرهم لاسيا بعد القرض العثماني الاخير حتَّى ان المسلمين في الهند والعجم اصبحوا يعتبرون الامبراطور الالماني كمحامي الاسلام في العالم. على انَّ غليوم الثاني لا ينسى في ذلك صوالحهُ السياسيَّة ومنافع المانية الاقتصاديَّة

قد ثارت الخواطر آخرًا لسبب المفاوضات التي جرت بين الامبراطور وقيصر روسيَّة في بُتسدام عن دائرة نفوذهمـا في العجم وسكَّة الحديد البغداديَّة الَّا انَّ تصريحات البارون مارشل في الاستانة ولهجة المسيو بيشون في دار الندوة الفرنسويَّة وضعت حدًّا للاقاويل المقلقة

اما الكاثوليك الالمان فانهم عقدوا كمألوف عادتهم مؤتمرهم السنوي في اوسبُرغ في ٢٢ آب فأتى بثمارهِ المعتادة من اتحاد الكاثوليك وتعزيز قواهم في العمل

﴿ انكلترة ﴾ هي رصيفة المانية بل قرنُها والمتقدِّمة عليها حتَّى الآن في الثقابة البحريَّة والتجارة والصناعة والاستعمار. وفي العام الماضي قد جرت فيها امور ذات بال استوقفت كل الابصار. اخطرُها وفاة الملك ادورد السابع في ٦ أيَّار بعد تسع سنوات لملكهِ. كان مولدهُ في ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٤١ ثم اقترن بابنة مالك

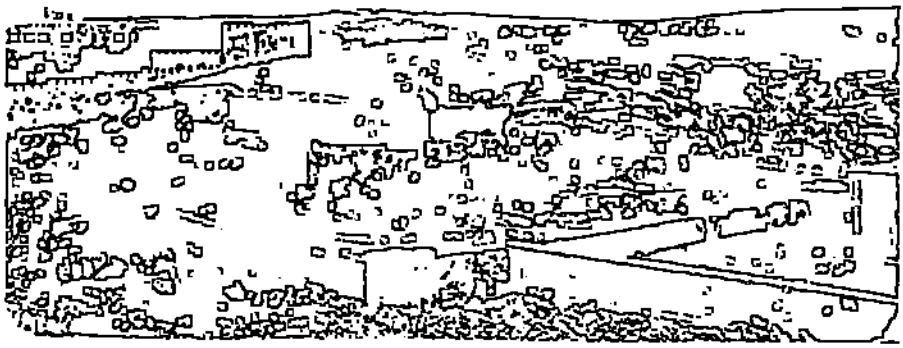

الادمية اي مغارة ارميا وفوقها مقبرة الساهرة للمسلمين وعلى جانبها دير مار اسطفانوس

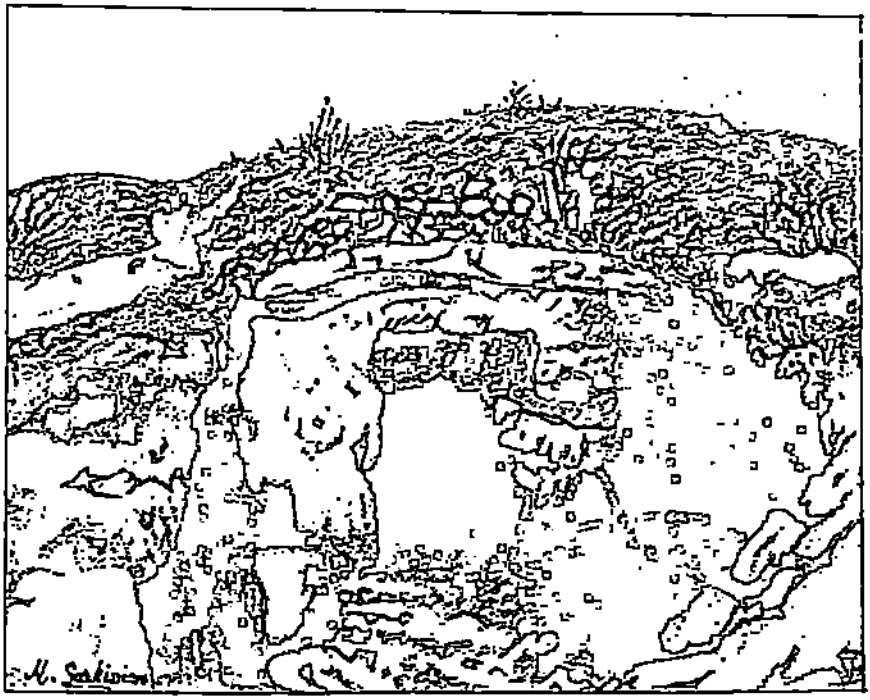

مغارة ارميا وقبر المسيح المزعوم على رأي گوردون

الدنيمرك الكسندرة سنة ١٨٦٥ وضبط زمام الملك في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٠١ فكان لوفاتهِ رنّة حزنٍ عمّت اوربّة كلها لما كان عليهِ من الخصال الفريدة والتضلّع من السياسة التي جعلتهُ ضامناً لترقي بلادهِ ولسلام الدول الاوربيّة. وقد شكرهُ الكاثوليك على حسن التفاتهِ نحوهم وولائهِ لارباب دينهم وخصوصاً الكردينال ڤون (Vaughan) رئيس اساقفة وستمنستر واخيهِ اليسوعي الخطيب الشهير الاب برنردس ڤون. وبعد تتويجهِ كان اوّل ملك منذ انفصال انكلترة زار رومية العظمى سنة ١٩٠٣ ودخل على قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر فطنطن لهذا الحادث عالم السياسة باجمعهِ. ولمّا قُتل سنة ١٩٠٨ ملك البرتغال دون كرلوس حضر الملك ادورد في كنيسة لندن الكاثوليكيّة قداساً اقيم لراحة نفس ابن خالتهِ ولم يبالِ بقال وقيل بعض المتطرفين من البروتستانت الذين زعموا انَّ اشتراكهُ في الدينيّات مع الكاثوليك لجدير بان يفقدهُ حقوق الملك. امّا وفاتهُ فوقعت وقت حدوث امور خطيرة في بلادهِ كان يُرجى منهُ ان يحلّ عقدتها بدرايتهِ. واملنا موطّد في خلفهِ وابنهِ الملك جورج الخامس الذي جعل يتقفّى آثار والدهِ وقد سبق لنا القول بانّهُ اظهر رعاية نحو الكاثوليك بالحاحهِ في تحوير القسَم الملكي والغاء ما يتضمّنهُ من التنديد بايمانهم وكانت حفلة دفن الملك في غاية الابّهة والرونق في لندن وفي قصر وندسور. والحداد الرسمي يدوم في المملكة سنة كاملة تجري في اثرهِ حفلة التتويج

وها هوذا نظرٌ عام في احوال انكلترة السياسيّة. كل يعلم ما حدث فيها من الازمة السياسيّة لمّا رفض مجلس الاعيان المصادقة على البرنامج الذي اتّفق عليهِ مجلس العموم ما لم تُطلب مشورة الاهلين. وهذه اوّل مرّة تصدّى الاعيان لمجلس الندوة في امر الماليّة فرأى المبعوثون في هذا التعرّض امرًا لا يُحتمل فجرى لذلك ما جرى من انتقاض المجلس وتجديد الانتخابات وفوز الاحرار الذين عند افتتاح جلسات الندوة طلبوا من الملك ان يكون مجلس المبعوثين مستقلًا في تعيين الماليّة بل حاولوا الغاء امتيازات الاعيان التي ورثوها منذ قديم الازمان وقد صادقوا في ٢٩ آذار و ١١ نيسان على قوانين جديدة تحصر سلطتهم في امر الماليّة والسُّنن التي جرى فيها التصويت المثلّث في مجلس العموم وفي طول مدّة الانتخابات الى خمس سنوات. وكأن الاعيان رأوا ما سيّئتهُ معارضتهم من العنف فصادقوا على البرنامج المسبّب لهذه الضغائن سنة ١٩٠٩

ثمَّ وقع في اثنـاء ذلك موت الملك فعاد الحزبان الى منافراتهم بعد حفلات الدفن فعُقدت لجنـة مؤلفة من مندوبي المجلسين جرت فيها المذاكرات والمفاوضات مباشرةً من ١٧ حزيران حتَّى بلغ عددها ٢١ جلسة فلم تأتِ بنتيجة. وكانت حركات شتَّى في بعض انحاء المملكة تُقلق الافكار لاسيما اعتصابات بـلاد الغال حيث لزم الشرط ان يدفعوا المعتصبين بالقوَّة والسلاح. ولم يجـد مستر اسكيث رئيس مجلس الامَّة حلًّا لهذا الخناق الَّا باستشارة اهل الوطن وتجديد الانتخابات بعد الغاء مجلس الندوة في ٢٩ ت٢. والامور حتَّى الآن لم تصطلح الَّا ان الاحرار لم يزالوا ظافرين. امَّا استقلال ارلندة النوعيّ فالاحوال لا تسمح بالحكم فيهِ.

هذا ما يختصّ باحوال انكلترة الداخليَّة امَّا سياستها الخارجيَّة فقد وجَّهتها في العام الماضي الى تقوية الروابط التي تجمع بينها وبين روسيَّة وذلك خوفًا من النفوذ الالماني في الشرق ولا سيما في تركيَّا حيث الالمـان لا يزالون يتقدَّمون عليها. وما لا يُنكر ان الملايين من المسلمين الواقعين تحت حكم بريطانية في الهند ومصر قـد اضحوا لهـا مشكلًا كبيرًا. فان الحزب المصري الوطني الذي اظهر شيئًا من نيَّاتهِ العدائيَّة عند قتل الوزير الشريف بطرس باشا غالي قد بلغ صدى حركتهِ حتَّى تخوم الهند وكانت ثوائر تلك البلاد قد ثارت سابقًا فلم تخمدها انكلترَة الَّا بتضحية قوم من اعيانها. وذلك ما دفع الانكليز الى اتخاذ الاحتياطات الشديدة في مصر والمظنون انَّ لبعثة اللورد كتشنر الى مصر ومنها الى السودان ثمَّ اجتماعهُ في بورت سعيـد مع اللورد منتو النائب الملكي في الهند علاقةً بالاحوال الحاضرة لتمكين السلطة الانكليزيَّة في بلاد الاحتلال

ولنا شاهد على سعي انكلترة في توطيد قواها بازاء مناوئيها ما تبادلتهُ قبـل بضعة اشهر من عبارات الولاء مع الولايات المتحدة والعنصر السكسوني الاميركي وذلك في الوليمة التي دعت اليها انكلترة اميرال الاسطول المتجوّل في جهات اوربا فانَّ هذا القائد عميد دولتهِ اعلن في النخب الذي شربهُ اوانئذ بانَّ كل سفن الولايات المتحدة بل كل الاميركيين دون استثناء مستعدُّون ان يضحُّوا النفس والنفيس في سبيل اخوتهم بوحدة الدم واللغة اذا قام يتهدَّدهم عدوٌّ ما. افليس في قوله اشارة الى الدولة التي تعتبرها اليوم انكلترة كخصمها الاعظم وان سكت الشارب عن اسمها ؟

﴿ ايطالية ﴾ لم يحدث في ايطالية شيء يُذكر سوى ما يأتي: في ٢١ آذار استعفى وزيرها سونينو فخلفهُ في ٣١ منهُ السنيور لوزّاتي وقد غام نوعاً اديم سمائها بما جرى من الاهانة لسفيرها في الاستانة على يد احد ساقة العربات الجهّال فقام الايطاليون وقعدوا لدى بلوغهم الخبر وغماً عمَّا ابداه من الاعتذار لدولة السفير وزراء الداخليَّة والعدليَّة والامور الخارجيَّة. على انَّ ايطالية بعد مدَّةٍ رأت في الرضا والسكينة خيراً وهي في دائرة التحالف الثلاثيّ. وقد بقي بين الدولتين امران لم يحصل بعد فيهما اتفاق اعني تدبير المستعمرين الايطاليين في طرابلس الغرب فانَّ علاقاتهم مع الدولة العليَّة لم تنتظم بعد على دعائم ثابتة. ومسألة الحُدَيدة الجارية فيها المناقشة

ومن الامور التي تشغل اليوم خواطر الايطاليين صلاتُها مع النمسة فاذا انتقض حبل المحالفة الثلاثيَّة التي ربط عُراها بسرك بروابط غير وثيقة لا بُدَّ ان تنتصب بازاء الدولتين مسألة التخوم والمقاطعات التي تطمع كلتاهما فيها اي البندقيَّة وجنوبي تيرول فتتقد بينهما شرر الضغائن. ولا غرو أن لا تصفو احداهما للأخرة وغماً عن تحالفهما فتنظر كل منهما شذراً لاختها كلما حاولت تسليحاً او تحصيناً او زيادة في السفن الحربيَّة فتجدَّد كل يوم المخابرات إزالةً للاوهام وحسماً لاسباب الرعب. فالى متى تدوم هذه الحالة الحرجة ؟

وفي العام الماضي عادت النكبات فدهمت ايطالية. منها الزلزال الذي حدث في ٧ حزيران في اقليتو فقُتل ٣٠ شخصاً. ومنها في تشرين الاوَّل داء الكوليرا الذي فشا في انحاء نابولي ورومية. ومنها ثوران بركان الوزوف الذي غطَّت حُمَمُهُ برمادها جهات جزيرة اسكيا وكابري وشعر الاهالي في غضون ذلك بهزَّات استُطير لها قلوبهم وقُتل كثيرون من جرّائها

— ﴿ بلجكة ﴾ فقدت بلجكة بوفاة ليوبلد الثاني (في ١٧ ك١ ١٩٠٩) رجلاً هماماً عظيم الشأن سامي الافكار ذا عزم ونشاط ملتهب الحبّ لوطنهِ. وقد اتى من المشروعات الخطيرة ما يكذّب زعم القائلين بانَّ الملوك الدستوريين لا نفوذ لهم ولا عمل وليسوا سوى ريشةٍ تتلاعب بها اهواء مجالس الأمَّة. فانَّ ليوبلد الثاني كمعاصرهِ ادورد السابع حقيق بأن يُنظم بين رجال عصره المعدودين ولعلَّهُ دُعي

بالكبير لو عاش في وقت آخر. وليس كلامنا هنا عن عيشتهِ الاهليَّة التي كانت مدَّةً عثرة لرعاياه لولا انَّ زواجهُ الاخير قوَّم عوجهُ وأصلح خللهُ قبل وفاتهِ ولستعدَّ للموت استعداد المسيحيّ المُنيب. وانما نتكلم عن اعمالهِ كملكٍ وسياسيّ فانَّهُ منذ تولَّى الامر سنة ١٨٦٥ لم يزل يجري في تدبيرهِ على خطَّة تشهد لهُ بطول الباع في الامور السياسيَّة والاقتصاديَّة والاستعماريَّة والعسكريَّة فانَّهُ نهض بدولتهِ الى مقام رفيع وعزَّزها بالصنائع واورثها كل اسباب التقدُّم في الداخل والخارج لاسيما باستثمارهِ للمستعمرات الافريقيَّة وباصلاحهِ للنظام العسكري فهذان خصوصاً عملاه اللذان ضحَّى لاجلهما حياتهُ ونجح فيهما نجاحاً تامًّا لاسيما الكونغو البلجكيّ الذي لاجلهِ قاوم كل المعاكسات حتَّى انهُ لم يخف مقاومة انكلترة نفسها ليضمَّها الى مملكتهِ فظفر بالمرام. امَّا المسائل الخاصَّة الدينيَّة والسياسيَّة التي كانت تقسم احزاب المجلس فانَّ الملك ليوبلد كان اخذ على نفسهِ الحياد فيها لئلَّا يثير بتداخلهِ الاهواء. ولعلَّهُ فعل ذلك لعلمهِ بان الحزب الكاثوليكي هو الفائز فلا يحتاج الى من يزيدهُ قوَّةً

وقد خلف ليوبلد ابنُ اخيهِ الملك البار المولود في سنة ١٨٧٥. وقد دخل العاصمة بكل رونق واحتفال في ٢٣ ك ١ من السنة ١٩٠٩. ولمَّا اقسم في ٥ شباط الحلف المألوف لحفظ الحقوق الدستوريَّة فاه بخطاب جميل اثَّر في قلوب الكل فزادهم املًا في حسن تصرُّفهِ. وكان اوَّل سفر باشرهُ مع الملك ان رحل الى فرنسة

اما احوال السياسة في بلجكة فحسنة بفضل الاغلبيَّة الكاثوليكيَّة في المجلس على انَّ الاحزاب المضادَّة للكاثوليك سعت في مناهضتهم وتقسيمهم فلم يفوزوا. وعدد المندوبين منهم بعد تجديد الانتخابات في ٢٢ ايار يبلغ ٨٦ يقومون في وجه ٤٦ من الاحرار و٣٣ من الاشتراكيين و١ ديموقراطيّ فيزيدون على مجموعهم بستَّة وكانوا سابقاً ٨ وكاد ان يحصل انقسام بينهم لولا انَّهم عرفوا انَّ الغلبة بالوفاق والاتحاد. ومن فضلهم انَّهم تصدَّوا في اواسط شباط لمشروع الطالبين نفي الدين من المدارس فاثبتوا المدارس المذهبيَّة

وقد وافق جلوس الملك الجديد افتتاح معرض بروكسل الدوليّ في ٢٣ نيسان فكان من ابدع المعارض التي أُنشئت حتَّى الآن. وقد بلغ عدد الزوَّار في بعض الايَّام ١٠٠٠٠٠ شخص ولعلَّ هذا العدد تضاعف يوماً وكان من زوَّارهِ ملك المانية وقرينتهُ

الّا ان النار لعبت في هذا المعرض غير مرّة وبالخصوص في ١٤ آب حيث اندلع لسان اللهيب فالتهم قسماً من المعروضات الاجنبيّة ولاسيما الانكليزيّة. ولحسن الحظّ كانت المعروضات مؤمّنة واكثرها ليس بالطُّرَف الاصليّة بل تقليدها. امّا اهل المعرض فانّهم اصلحوا بكل سرعة ما اتلفتهُ النار واظهروا ما طُبعت عليهِ همّتهم القصاء. ومن المقرَّر انَّ بلجكة اليوم تُعدّ اوّل دولة اقتصاديّة في العالم بالنسبة الى المساحات وعدد السكّان. وهي الخامسة بينها مطلقاً

﴿ هولندة ﴾ التي يمثّلها بيننا جناب قنصلها المسيو هوتس من رجالها الافاضل واحد المغرمين بالآثار الشرقيّة تسعى كشقيقتها بلجكة في توطيد استقلالها وقد ارادت في هذه المدّات الاخيرة ان تحصّن مرفأها « فلاسنغ » في زيلندة تحصيناً حربيّاً فلم تنظر انكلترة الى فعلها بعين الرضى خوفاً من تقرّب هولندة الى التحالف الثلاثيّ لكنّها ما لبثت ان غضّت نظرها بعد الايضاحات التي قدّمتها لها هولندة

شبه جزيرة البلقان والدول البلقانيّة

نضمّ هنا الافادات المنوطة بشبه جزيرة البلقان التي اضحت اليوم نقطة مركزيّة تدور حولها سياسة الدول بل قل انّها ربقة اخذت بخناقها والله يعلم متى تنفرج عنها وقد سبق لنا ذكر سياستها العامّة فبقي تفصيل احوالها دولةً دولةً مباشرةً باعظمها اي الدولة العليّة

﴿ تركيّا ﴾ هي مملكة واسعة الارجاء ايقظها الدستور من سِنَتها فانتبهت الى حالها لكنّها وجدت عند يقظتها ما يُحدق بها من المشاكل المتعدّدة لبعد ولاياتها غير المتلاحمة ووفرة عناصرها المتباينة واختلاف حاجات بلادها وتعدّد لغاتها واديانها. فان لحظتَ تخوم تركيّا من جهات البشناق والهرسك الى مرفأ مسقط ثمّ من حدود تونس الى سواحل البانية ظننتَها رقعة شطرنج بما عليها من الامم والقبائل التي تترقّى في سلّم التاريخ الى مهد البشريّة. فليت شعري من يقوى على توحيد كل هذه الألفاف والاحزاب المختلفة ؟ لا بل كيف يمكن توحيد ولاية منها على مبادئ الحريّة والاخاء والمساواة مع ما فيها من التقسّم والتحزّب وتفوّق الكلمة؟

وما لنا نطلب الشاهد على قولنا بعيداً ! ماذا اكتسبت بيروت منذ اعلان

الدستور من القوّة والتعاون والتعاضد في سبيل الخير العام ؟. كنّا تمنّينا من المناداة بالحريّة والاخاء والمساواة حتّى اذا جاءت ساعة العمل رأينا انفسنا كالمستيقظ من منام يذكر بتأسّف ما رآه من ضغوث الاحلام . لمّا قُسمت بلديّتنا الى قسمين أمّلنا منهما خيرًا وها قد عدنا الى البلديّة الوحيدة ولم نرَ شيئاً من الاصلاحات المأمولة . وقس عليهِ بقيّة المشروعات التي بقيت حبرًا على ورق بل كلاماً تتطاير بهِ الهواء . فمن لنا برجال عزيمة ونزاهة ينبذون النزعات الخاصّة والاغراض الشخصيّة فيضحّون نفوسهم للخير العام ولمنفعة الوطن . وقد بلغنا انهُ عُقدت جمعيّة جعلت هذه الامنيّة كفايتها واخذت تسعى في تأليف القلوب للدفاع عن المصالح الوطنيّة دون التفات الى طوائف الاهلين واديانهم . فيا ليت هذه الجمعيّة تقوى حتى تشمل قريباً كل انحاء المدينة وتجعل اصحابها يدًا واحدة في ترقية الشؤون العموميّة المادّيّة والادبيّة . وما نتمنّاهُ لبيروت نتوق اليهِ بالاحرى للدولة جمعاء ان تزيد امورها انتظاماً فتتوفّر ماليّتها وتتعزّز قوّتها وتتضافر عناصرها في توطيد سلطتها واسعاف ارباب امرها في تحقيق امانيهم

ودونك اخصّ ماجريات السنة المنصرمة . انتهت السنة ١٩٠٩ المنصرمة باستعفاء رئيس الوزارة حلمي باشا (في ٢٩ ك ١) لعدم اتّفاقه مع جمعيّة الاتحاد والترقي . فعُهد الى حقّي باشا عقد وزارة أخرى فتمّ الامر في ١٢ ك ٢ ١٩١٠ وتشكّلت الوزارة على الصورة المعروفة : طلعت بك للخارجيّة . وجاويد بك للماليّة . ومحمود شوكت للحربيّة الخ : وكانت مصادرات البضاعة اليونانيّة في اثناء ذلك تُلحق باليونان خسائر جسيمة في انحاء الدولة حتى استدعت احتجاج سفير اليونان غريباريس (Gryparis) ثم رئيس الوزارة ڤنيزيلوس (Venizelos) وقد دامت مدّة طويلة الى ان خفّت في هذه الآونة الاخيرة لمّا رأت الدولة العليّة بانّ سياسة ڤنيزيلوس ودّيّة حبيّة وانّ نيّاتهِ سلميّة لا يريد حرباً بين الدولتين فانقشعت السحابة المكدّرة صفاء الولاء بينهما . وهذه النتيجة الحسنة الدالّة على حكمة ڤنيزيلوس قد اكسبتهُ ثقة مواطنيهِ والدول المجاورة وقد ساعدهُ عليها غريباريس الذي دُعي في ٢٠ ت ١ من منصب السفارة الى وزارة الخارجيّة في اثينة والشائع الآن انهُ سيرجع الى مركزهِ في الاستانة

ومن الامور التي وجّهت اليها الدولة العليّة عنايتها في الخارج توثيق

الوئام بينها وبين دولتَيْ المانية والنمسة بناء على سياسة عبد الحميد السابقة مع ما تبع ذلك من تنظيم الجيش التركيّ على يد الجنرال « فون در غلتز » ثم المساعدات التجاريّة والصناعيّة من قبل المانية وبيعها للدولة بارجتين من بوارجها ثم اتّفاقها مع روسيّة والمانية في تخوم العجم. واخيرًا القرض الالماني بعد حبوطهِ في فرنسة فكلّ ذلك زاد عروة الوفاق ارتباطًا

وكذلك لحظ الرأي العام تقرُّب تركيًا من جارتها رومانية حتّى ظنّ بعضهم انّ بين الدولتين معاهدةً سريّة لكنّ الامر محصور بمعهدة تجاريّة فقط كما انبأت الاخبار الرسميّة وعلى كلّ حال شعرت بلغارية بحرج مقامها بين مملكتين قويّتين فاخذت تسعى بالانضمام الى سربيا والى الجبل الاسود ثمّ اليونان. ومن المعلوم المقرَّر انّ اليونان والبلغار يطلبون اليوم وسيلة للائتلاف السياسيّ والمذهبيّ فيما بينهم. وقد اشار اكسرخوس البلغار الى بطاريرك الفنار بانّهُ يرضى بالعود تحت حكمهِ وكذلك المبعوثون البلغار واليونان في مجلس الاستانة يفرغون جهدهم في ضمّ شتاتهم وتوحيد كلمتهم للمطالبة عن حقوقهم

غير انّ ارباب السياسة يودُّون ما هو افضل من ذلك فيرغبون في جمع كلّ الدول البلقانيّة في محالفة عامّة وفنيزيلوس يرمي الى هذه الغاية بسياستهِ. والامر لا يخلو من المشاكل العديدة

ومن الحوادث التي لهجت فيها ألسنة الجرائد في السنة المنقضية ابتعاد تركيًا عن صديقتيها القديمتين فرنسة وانكلترة. وقد علّل ذلك اوّلًا نظر تركيا الى بريطانية العظمى وامتداد سيطرتها على الهند ومصر حيث العنصر الاسلاميّ قويٌّ يبتغي التحرُّر من حوزتها ولاسيما في قطر النيل. وعلّلهُ ايضًا استياء انكلترة وروسيّة لجمع قوى تركيًا على تخوم العجم وبالعكس استياء تركيًا من احتلال الانكليز في آنجا من مرافئ خليج العجم. وزد على ذلك ما حدث بين فرنسة وتركيًا من المفاوضات بسبب التونسيين والجزائريين المقيمين في الدولة العليّة فنُبودلت بين الدولتين المذاكرات لوقوع حوادث شتّى في بيروت وازمير ودمشق. وكذلك تعدّي الجنود التركيّة على حدود تونس ثمّ اخرًا وخصوصًا رفضُ فرنسة للقرض التركيّ في ٢٣ ت١ بعد امتناع تركيًا عن القبول بالشروط التي طلبتها فرنسة. فكلّ ذلك قد أرخى

روابط الحب بين تركيا والدولتين اللتين ساعدتاها على فكّ اغلال الاستبداد الحميدي والظفر بالحكم الدستوري. وقد بلغ الجهل ببعض الكتبة الى أن تعدّوا كل حدود العدل حتّى انّ جريدة الرأي العام البيروتيّة تجاوزت في كلامها طور الادب واستحقّت ان يجري في صاحبها الحكم لمقالاته المهينة. والحمد لله قد اقرّ كثيرون من اهل تركيا الفتاة باعتدال فرنسة في مطاليبها ونسبوا الى طياشة بعض الاغرار ما كتبوه في حقّها. وممّا اتّفقت عليه نهائيًا الدولتان مسألة الجزائريين فانّ تركيا تعترف بهم منذ الآن فصاعدًا كعثمانيين اذا استوطنوا الممالك العليّة وكفرنسويين اذا كانوا ابناء سبيل. امّا مسألة التونسيين فانّ تركيا لم ترضَ ان تعترف بجنسيّتهم الفرنسويّة وتأبى قبول معاهدة بردو (Bardo) بين فرنسة والباي محمّد صادق

هذا في الخارج امّا الامور الداخليّة فممّا يستحقّ ذكرًا ما جرى من التنافر بين شوكت باشا وجاويد بك بخصوص حسابات الوزارة الحربيّة فكان جاويد يطالب بها ليضبط برنامجهُ السنويّ فرفضها شوكت باشا وكاد الامر يتفاقم لولا توسّط العقلاء.

ثمّ وقعت حوادث الكرك بعد نهاية الحرب الحورانيّة اذ اجتمعت بعض قبائل العرب مع قوم من الدروز كما يزعمون فهجموا على محطتي سكّة الحجاز في قطرانة ثمّ في الكرك وقتلوا عمّالًا وبعض الاهلين من النصارى ونهبوا غيرهم وحاصروا جبات راشيًا وحاصبيًا وكاد الفساد يستشري لولا انّ سامي باشا بادر الى تلك الجهات واتتهُ المدَد فبدّد شمل الثائرين واقتصّ من زعمائهم وردّ السلام لتلك الانحاء. ولا حاجة الى تفاصيل هذه البعثة وكلٌّ يذكر ما كتبتهُ جريدة البشير في ذلك. وبعد الحرب الدرزيّة أُرسل كثيرون من الدروز لينضمّوا الى العساكر الرابطة في ازمير ومقدونية لتختلط بذلك عناصر الدولة

وان سألت ما الخبر الصحيح عن امور البانية ومقدونية. اجبنا انّ الفتن فيها لم تخمد بعد. وقد سبّب تجريد الاهلين من اسلحتهم شكايات واشغابًا شتّى. وقد اعلن آخرًا حقّي بك في مجلس النوّاب بانّ اعظم اسباب الحركات الجارية بين الالبانيين انّما هو سوء تصرّف امرائها (البكوات) واستبدادهم وانّهُ لا بُدّ من اقامة عمّال منظّمين بدلًا منهم .

وكذلك قد اشتدَّ الكفاح بين الحكومة التركيَّة وبطريركيَّة الفنار حتَّى كاد يفضي الى قطع الصلات لكنَّ البطريرك المسكونيَّ ادرك ما يلحق بأُمَّتهِ من سوء المصير اذا اصرَّ على مطاليبهِ فتلطَّف واذعن للدولة. والظاهر انَّ الحكومة العثمانيَّة تبتغي اليوم ان تؤلِّف قلوب البلغار واليونان وتجمع بين الاكسرخس والبطريرك يواكيم ليستتبَّ السلام بين العنصرين المتعاديين. وهذا الوفاق سوف يُبنى على مادَّتين الاولى بان تُعطى الكنائس والاوقاف في كل رعيَّة للذين هم اوفر عدداً فيها من يونان او بلغار. والثانية ان اكسرخس البلغار يعترف برئاسة بطركيَّة الفنار الدينيَّة ويبقى مستقلًّا في تدبير ملَّتهِ. وقد جاءت زيارة النظَّار ورئيس مجلس المبعوثين للبطريرك بمناسبة عيد الغطاس دليلًا ساطعاً على الرغبة العامَّة في الولاء والمسالمة

وهل يا تُرى فازت الدولة العليَّة بما كانت تؤمِّلهُ من الترقي الاداري؟ انَّ الجواب على هذا السؤال متوقف خصوصاً على مسألة الماليَّة. وكلٌّ يعلم ان ماليَّة تركيَّا ليست على وفق المرام حتَّى انهُ يُخشى من ان تُصاب بازمة قريبة. فانَّ الدولة العثمانيَّة ترى انَّ رفعة شأنها لا تقوم الَّا بتقوية عسكريتها وبحريتها لتكون في عداد الدول الكبرى ومن المعلوم انَّ العسكريَّة والبحريَّة تقتضيان المبالغ الطائلة فترى برنامجها في ازدياد وبهما يزداد عجز الماليَّة وثقل الدَّين العمومي وربَّما حاول ارباب الامر سدَّ هذا العجز بخفض اجور العمَّال ورواتب اهل المناصب وهو اقتصاد يثير الشحناء ويدفع العمَّال على بيع ذمَّتهم بالرشوة. وليس القرض دواء. فانَّ القرض الالمانيَّ الاخير اخسر تركيَّا مبلغ ٤٠٠,٠٠٠ ليرة عثمانيَّة ولذلك تريد الحكومة ان تعود الى القرض الافرنسي فتستدين على شروط اخفَّ عبئاً

ويا تُرى اليس دواء آخر لداء تركيَّة؟ ألا يمكنها ان تجد موارد أُخرى لتوفير ماليَّتها؟ بلا شكٍّ فانَّ غنى الدولة العليَّة في اراضيها المخصبة سواء كانت في جهة اوربة او في جهة آسية فلو استثمرتها الدولة لأضحت لها كنزاً لا ينفد. ومن هذا القبيل المشروع الذي يسعى بتحقيقهِ الدكتور نجيب بك الاصفر فقام بعض الجهَّال بمعاكستهِ ودعوهُ هزلًا بالخطر الاصفر. نعم انَّ في هذا المشروع لخطراً ولكنَّ الخطر ليس هو على الدولة العليَّة بل على اعدائها الذين يريدون ان يصرفوا نظرها عن ثروتها الاكيدة التي تكسبها عزًّا وقوَّة اذا ما بوشر باستثمار تلك البوادي التي

تخاصمت عليها اكبر دول العالم لخصبها

وان شاء احد شاهداً على قولنا ضربنا لهُ مثل فرنسة التي لا تزال اغنى الممالك لغنى تربتها مع قلّة عدد سكانها بالنسبة الى المانية فانَّ التربة الفرنسويَّة تغني صاحبها وتصدُّهُ عن المهاجرة الى البلاد الاجنبيَّة. فلو اقتفت تركيا بفرنسة توفَّرت ماليَّتها واثرت شركاتها واتَّسعت دائرة اعمالها فربح منها الفلَّاح وتعزَّزت التجارة ونمت اسباب التمدُّن والهناء بعد سنين قليلة. فغاية ما نتمنَّى أن يدرك عقلاء الدولة الفوائد الناجمة عن هذا المشروع ويؤيدوه غاية امكانهم لخير تركيا وصلاحها الاعظم ويناهضوا من يتصدَّى لهُ جهلًا او عداء

هذا ولا ننسى ما حازتهُ الدولة العليَّة من الفخر بالتمرينات التي قامت بها جيوشها في ولاية ادرنة في فصل الخريف ورحلة جلالة السلطان محمد الخامس ليزور عاصمة اجداده. على انَّ الوطنيين اسفوا لفشوّ الكوليرا بين العسكر وفي الاستانة بعد تلك المآثر الجليلة

وقد تمَّ افتتاح المجلس منذ شهرين. والظاهر ان مجلس الاعيان معوّل على العمل بعد جموده السابق. ففي ٩ من شهر ك ٢ خطب حقّي باشا خطاباً دام خمس ساعات وافتتح كلامهُ بقولهِ انَّ الحكومة لا تقبل ان يتولَّى تدبيرها آل جمعيَّة الاتحاد والترقي. ثم حدثت في الجلسات التالية حوادث مكدّرة من تهديد وسبّ وشتم وافشاء طرائق التنكيل بالسجناء الالبان والبلغار والرجعيين ما سبَّب التنافر وانذر بقرب سقوط الوزارة

﴿ بلغارية ﴾ جرت في مطاوي السنة عدّة مناوشات بين جيوشها والجنود العثمانية في حدود الدولتين وقد ظهر انَّ الامور انقلبت نوعاً فآلت الى الهدوّ. وكذلك بيَّنَّا تقرُّب بلغارية من الدول البلقانية واليونان — ومما يُذكَر تغيرُ وزير الخارجيَّة في بلغارية فكان سابقاً بابريكوف الذي اضحى آلةً في يد الملك فرديننذ فيستعين بهِ لتنفيذ سياستهِ وهو داهية السياسة. فمنذ اشهر قام بدلًا منهُ مالنكوف الذي لم يشاء ان ينقاد لخواطر سيّدهِ فعلَّل ذلك بينهما نفوراً

﴿ الجبل الاسود ﴾ في ٢٨ اب رُقّي حكمهُ الى ملوكية برضى الدول

﴿ البرتغال ﴾ اوقفنا القرّاء على حقيقة الحال في ما جرى فيها من الانقلاب

الاخير. لكنَّ الاخبار التي وردت بعد مقالتنا (في المشرق ١٣ : ٨٨١) كشفت كلَّ دسائس اهل الثورة البرتغالية كشفاً فضح الماسونيَّة وجلبها العار. فانَّ جريدة الغولوا (le Gaulois) الشهيرة ارسلت على نفقتها الى لشبونة مراسلين يطَّلعون على حقيقة الاحوال فقاموا بمهمتهم احسن قيام وبيَّنوا بالبراهين الجليَّة انَّ هذه الثورة هي عمل الشيع الماسونية وحدها فهي التي جبلت بها وهي التي اولدتها ولم تزل تحضنها حتى سلَّطتها على الدولة الشرعية. ومن نتائج تفتيشهم ان الملك مانويل تصرَّف في كل وقت الثورة تصرُّف الابطال ولم يدع وسيلةً الَّا توسَّل بها لتكبح جماح الثائرين لولا انَّ كثيرين من قوَّاده وضبَّاطه وحاشيته المنتمين الى الماسونيَّة خانوهُ اقبح خيانة. ولم يشأ ان يبحر الَّا ليسير الى بورتو ليقود الفرق العسكريَّة لمحاربة المشاغبين لكنَّ القبطان الماسونيَّ اعتبرهُ كأسير ونقله الى جبل طارق فاشاعوا كذباً انهُ هرب

وقد أيدت كل ذلك جريدة «ماتين» المعروفة بآرائها الحرَّة فنشرت في تاريخ ١٢ ك ٢ من السنة الحالية رسالة من مراسلها في لشبونة يصرِّح فيها بان جمعيَّة الفحَّامين (اي الماسون) منذ عشر سنوات تُعدّ هذه الثورة في محافلها السريَّة وانَّ زعماءها الماسون كانوا تقسَّموا كل مناصب الجمهوريَّة بينما كانت الجنود المتحزِّبة تُقاتل في شوارع لشبونة فلمَّا جاء الضبَّاط وطلبوا حصَّتهم من الوظائف وجدوها في ايدي رؤساء الشيعة الذين اخذوا يتصرَّفون بالامر كسادة البلاد وباشروا بمعاداة الدين والرهبانيَّات ولذلك لم ترضَ جمهوريَّة الولايات المتحدة ان تعترف بالحكومة الجديدة

﴿ روسيَّة ﴾ اعلنت للعجم انَّها لا تستطيع ان تستدعي جنودها ما دام مواطنوها في خطر ومصالحها غير مؤمَّنة — في ١٠ حزيران صادق نوَّاب الدوما على الغاء استقلال فنلندة. وفيه نالت ايضاً الحكومة الاغلبية لتعمير سفن حربيَّة جديدة لاسطول بحر البلتيك. وهذه البوارج اربع سفن من شكل دريدنتس (Dread-noughts) التي يبلغ محمولها ٢٣,٠٠٠ طن طولها ١٨٠ متراً وهي تقطع في الساعة ٢٣ عقدة وقوَّة آلتها البخاريَّة تساوي ٤٢,٠٠٠ فرس وهي مجهَّزة باثني عشر مدفعاً من عيار ٣٠٥ ملمتر وبستَّة عشر عيارها ١٢٠ م م. هذا الى ١١ دارعة ونحو مئة نسَّافة و٢٨ غوَّاصة كان يتألَّف منها اسطول البلتيك. ولروسية ما عدا ذلك اسطول ثان في البحر الاسود لا تسمح المعاهدات بمروره في بوغاز الدردنيل

ومن الامور الحريَّة بالذكر وفاة الكاتب الروسي الشهير تولستوي في ١٩ ت ٢ مات فجأةً في احدى محطَّات السكَّة الحديديَّة بينما كان هارباً من وجه ذويهِ وكان عمرهُ يربي على الثمانين. مات وهو تحت طائلة حرم السينودس الكنسي لكنَّ الصوت العام يعتبرهُ كاحد كتَّاب روسيَّة المبرّزين ومشاهير رجالها . ولا يسمح لنا ضيق المجال بان نتسع هنا في وصفهِ وايراد ترجمتهِ وتعريف كتاباتهِ الاجتماعيَّة للدفاع عن العمّة وانَّما نُبدي الاسف على عبثهِ بالمعتقدات الدينيَّة كوجود الخالق والوحي فنفخ في قلوب ذوي البأساء روح التعطيل والالحاد

﴿ فرنسة ﴾ انَّ الشاغل الذي تهمُّ لهُ الافكار ميزانيَّتها التي لا تزال تزيد كل سنة وهي تبلغ للسنة الحاضرة اربعة مليارات و٣٠٤,٨١٠,٨٢٩ فرنكاً اعني بزيادة نحو ١٥٠ مليوناً على العام الماضي وهذه المبالغ سوف تزيد على ما يُرجَّح في العام المقبل. أليس هذا يا ترى عقاباً على ما استلبتهُ الحكومة ظلماً من اموال الرهبان وعلى ما تنفقهُ جزافاً لمحاربة الكثلكة بانشائها المدارس اللادينيَّة والمشروعات العلمانيَّة لتربية الشبَّان على المبادئ الحرَّة اي الكفريَّة

وقد لحق بعاصمتها باريس عقاب آخر ذلَّل نخوتها وضرب ماليَّتها نزيد فيضان نهرها « السين » في اواخر كانون الثاني وهو يتهدَّدها ثانية في هذا العام. وممَّا تكدَّرت لهُ الخواطر انَّ الدراهم التي ارسلها اهل الكرم من كلّ البلاد (ومنها ٣٠,٠٠٠ فرنك جاد بها الحبر الاعظم) لمساعدة المنكوبين تضعضع اكثرها في ايدي ذوي المطامع

وأُصيبت بعد ذلك فرنسة بنوائب أُخرى ظهرت فيها يَدُ الربّ الذي ضربها ليؤدّبها لعلَّها ترعوي الى الصلاح والاعتدال. فتوالت فيها الرزايا والخطوب بغرق الباخرة شانزي في ١٠ شباط شمالي جزيرة مينوركة ثمَّ الغوَّاصة بلوفيوز (٢ نيسان) وبفاجعة سكَّة الحديد الهائلة (٣ ايلول) وباعتصابات عملة السكك (١٠ — ١٣ ت ١) التي كادت تعرّض البلاد لاعظم الاخطار فسقطت الوزارة ثمَّ تنظَّمت مشوَّهةً بتنصيب لافار (Lafferre) صاحب السعايات السريَّة بالضبَّاط . وكذلك اكتُشفت سرقات دويز (Duez) وتصرُّفهُ مع اصحابهِ من ذوي المراتب العليا باموال الرهبان فأُوقف في ٨ آذار. وظهرت ايضاً مضاربات روشات (Rochette) واختلاساتهُ مع

ما لحق من عارها بالوزير السابق كامبانسو (ايلول)— وكذلك ألمّت بالجنود الفرنسويّة في مستعمراتها ملمّات شتّى في مرّاكش ومستعمرة ودّاي المجاورة لدارفور. ففي مرّاكش هجمت القبائل على الحملة الفرنسويّة مرّتين ولم تُردّ غاراتها الّا بفقد عدد من الجند في شهري حزيران وتموز امّا ودّاي فقد حدث فيها معركة دمويّة بين الفرنسيين واهل بلادها. والمظنون انّ هناك يدًا خفيّة تثير فيها تعصّب الاهلين ومن ثمّ طلبت فرنسة من انكلترة ان تُحدّد نهائيًّا تخوم البلدين

وان اضفتَ الى ما سبق فقد فرنسة لبعض اعيانها المعدودين كالكُنت دي ڤوكوي (Vte E. Melch. de Vogüé) في ٢٤ آذار والبرنس فرديناند دي اورليان والدوق دي ألنسون في ٢٩ حزيران والبار ڤندال (A. Vandal) المؤرخ الشهير في ٣٠ آب والاب الدومينكاني الشهير اوليفية (Ollivier) في ٢٠ ايلول رأيت انّ العام الاخير كان كثير النكبات اكبّ على فرنسة ببوائقه المبهجة وكأنّ حزب الاشرار أبى ان ينيب فهو لا يزال يناهض الدين ويقاوم إله السماء. فجمع الماسون مؤتمر التعليم اللاديني في توركوان في ٢٩ ايلول وخطب الوزير دومرك لتعزيز المبادئ الكفريّة. ولمّا رأوا بسالة اساقفة فرنسة في نبذ تعاليمهم دعوهم للمحاكمة فوجدوهم اصمّ من الصخر حتّى هنّأهم عن حماستهم اخوانهم اساقفة اسبانية وغيرها

وممّا طربت لهُ القلوب اليوبيل الذي أُقيم في كلرمون في ٢٥ اذار وهو يوبيل عظيم لا يقع الّا نادرًا عند موافقة ذلك اليوم لجمعة الآلام وهكذا كان في السنة المنصرمة. وقد جرَى من الحفلات في هذا النهار ما اوهم الزوّار انّ فرنسة كلّها تطايرت الى معبد السيّدة (N-D. du Puy) حيث تُكرَم صورة قديمة للعذراء الطاهرة وهناك تمثال البتول الذي صُبّ من المدافع المكتسة في حرب سيبستوپول علوهُ سبعة عشر مترًا ما خلا القاعدة التي هو منصوب فوقها

وقد سُرّت هنا النزّالة الفرنسويّة بتعيين قنصلين فاضلين لفرنسة قنصل بيروت العام جناب المسيو كوجه (Couget) وقنصل دمشق المسيو پيات (Pyat) كما سُرّت ببقاء جناب المسيو رستلهوبر (Ristelhueber) في وظيفته

﴿ النمسة ﴾ هذه الدولة تصافح جارتها المانية وتجري في سَمتها. لكنّها تخاف من ايطالية وتستعدّ لها بمياهها البحريّة— وفي ٢١ شباط أُعلن الدستور في

البشناق والهرسك. وتألف لها مجلس فيه ٨٨ من النوّاب منهم ٣٦ اورثدكس و٢٩ مسلمون و٢١ كاثوليك واسرائيليّان — وفي ١٨ آب بلغ الامبراطور فرنسوا جوزف السنة ٨٠ من عمره فزاره القيصر وشرب نخبهُ — وفي ٩ ايلول افتتح الكاثوليك مؤتمرهم الوطني في انسبروك من اعمال تيرول — وقد فُجعت النمسة بوفاة كبير رجالها السياسيين الكاثوليكي الهمام لوغر (Karl Lueger) فأُقيمت لدفنه حفلة قلّما يجري مثلها للملوك. وحضر الصلاة على نفسه جلالة الامبراطور وحاشيتهُ وسفراء الدول والوزراء والاعيان. وقد ابقى المذكور اسماً مخلّداً بتحريره لبلاده من العنصر السامي (الاسرائيلي) وتحرير العَمَلة من ظلم معنتيهم. ولمّا تولّى رئاسة بلديّة ڤينّة رقّى العاصمة ترقيةً يشكرها لهُ كل اهلها على اختلاف طبقاتهم واديانهم

﴿ اليونان ﴾ كان الانقسام بين الاحزاب منذ سنتين اضعف الدولة الى حدّ كاد يذهب بحياتها بل كاد يقلب السلطة المالكة حتى دُعي الى رئاسة الوزارة ڤنيزيلوس في اواسط تشرين الاوّل وكانت اوائل وزارته صعبة فلم يُعلَم أيقوم باعباء الامر بل قدَّم استعفاءهُ للملك جورج فلم يقبلها. الّا انهُ بحكمته واعتداله منذ مدّة قريبة قد كسب ثقة وطنهِ وابى ان يواصل دفاعهُ عن كريت كما فعل سابقاً لئلّا يطوّح اليونان في مشاكل جديدة. امّا اخبار كريت فتضاربة لا تُعرف حقيقتها

﴿ ايران ﴾ كلّ يعلم ما يُحدق بهذه الدولة من الاخطار اذ يملك عليها شاهٌ لا يزال ولداً ففي داخليّتها الاحزاب وتناوُب الوزراء في الامر وعلى ثغورها ثلث دول قائمة على اهبة الحرب صوناً لحقوقها ودفاعاً عن مواطنيها. وقد احتلّت الجنود الانكليزيّة ميناء لنجا بازاء جزائر البحرين فكان احتلالها داعياً لمفاوضات شتى سبقت الاشارة اليها واظهرت تقرُّب روسيّة الى انكلترة

﴿ الصين ﴾ خرجت من جمودها القديم وهي تتأهّب للحكم الدستوريّ الذي كان موعدهُ للسنة ١٩١٦ لكنّ اهلها طلبوا تقريب هذا العهد الى السنة ١٩١٣ واخذوا يستعدّون لذلك فعقدوا شبه دار الندوة واستدعوا الامبراطور وخطبوا الخطب الحرّة لكنّ هذه النهضة تتهدّد الاجانب كما تتهدّد الملكيّة المطلقة — وقد شعرت الولايات المتحدة ان مصالحها تستدعي تقرُّباً من الصين فسعت بالامر سعياً حثيثاً وقد امكنها آخراً ان تربط تلك الدولة بقرض قدرهُ ٥٠٠٠٠٠٠٠٠

دولار (اي ٢٥٠ مليون فرنك)

﴿ اليابان ﴾ احتلَّت كوريا احتلالًا نهائيًّا. ومما كدَّر صفاء سلامها مكيدة على حياة ملكها الميكادو وانَّما الدسيسة قد انكشفت وحُكم بالاعدام على لاحمي سداها — امَّا الازمة المالية وسدّ الخلل في تجهيز البلاد بالتلّات فامران لم تتوفق الدولة بعد الى اصلاحهما

﴿ افريقية ﴾ ذكرنا في ما مرَّ كثيرًا من امور بلادها المختلفة. ونزيد على ما سبق انَّ مصر اصبحت قذًى في عين انكلترَّة منذ رأى الانكليز استفحال الحركة الوطنيَّة ولاسيما بعد قتل الوزير بطرس باشا غالي وسفر الخديوي الى الاستانة واجتماعه بجلالة السلطان ووزيره. والمظنون انَّ انكلترَّة تتَّخذ قريبًا الاحتياطات اللازمة لتوطيد سلطتها. وكان الوطنيُّون قد عزموا على عقد مؤتمرهم في باريس فلم ترضَ الحكومة الفرنسويَّة بذلك واضطرُّوا الى اقامته في بلجكة — امَّا السودان فاحوالها في ترقٍّ وتقدُّم — نالت افريقية الجنوبية الانكليزيَّة الاستقلال وأُعلن بالامر وجرت الانتخابات لمجلسها قانونيًّا

﴿ اميركة ﴾ الولايات المتَّحدة. هي بلاد الحرِّيَّة التامَّة التي قلَّما تتمتَّع بمثلها بقيَّة الجمهوريَّات. وكان الحزب الجمهوريّ هناك متوليًّا للامر منذ سنة ١٨٩٦ وانَّما ظفر به الحزب الديموقراطيّ في الانتخابات الاخيرة في ٨ ت ٢ البالغ عدد مبعوثيه الآن ٢٢٠ ونالوا مع ذلك ١٥ منصبًا لحكم الولايات. امَّا الجمهوريُّون فهم ١٧٠ وكان اكبر المغلوبين في هذا العراك روزفلت الرئيس الاسبق

كاندا في العام الماضي جاهرت بارادتها الثابتة انَّها تبقى على استقلالها وتُدافع عن ايمانها الكاثوليكي ولغتها الفرنسويَّة. وكلّ يعرف ما نال فيها الماسونيَّة من الخزي والفضيحة بعد المؤتمر القرباني

جرت في ١٧ ت ١ في جزائر هاقانة اعاصير وانواء يظن العلماء ان بينها وانفجار الفيزوف وزلازل صقليَّة علاقةً

تناوبت في بلاد المكسيك الثورات وحتَّى الآن لم تتَّضح اسبابها والشائع انَّها صدى ثورة البرتغال وانَّ القائم بها مادبرو خصم رئيسها الحالي بورفيريو دياز الذي خدم وطنهُ خدمًا جليلة

وكذلك عمدت في البرازيل الجنود البحريّة الى الثورة فقتلوا احد الامراء وانزلوا الى البرّ ضبّاطهم وتهدّدوا بتدمير ريو دي جانيرو ولم يخلدوا الى الهدوء حتّى نالوا من المجلس المطاليب المجحفة بالسلطة

أقيمت الافراح العموميّة في جمهوريّة الارجنتين لمرور مئة سنة على استقلالها. وهذه البلاد راقية اليوم في سلّم الفلاح. وفيها عدد وافر من السوريين يقال انّ المهاجرين اليها منهم في السنة لا يقلّون عن ٦٠٠ وهم بالنسبة الى عدد غيرهم من الشعوب في الرتبة الثالثة. وقد ارسلت لهم الحكومة العثمانيّة قنصلاً جناب وطنيّنا وتلميذ كليّتنا الامير امين ارسلان

هذه زبدة الاخبار السياسيّة في العام المنصرم

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

النصرانية بين عرب الشام

اذا نظرت في خارطة الى بحر الشام وحدّدت مدينتيه الساحليّتين طرابلس شمالاً وعكا جنوباً ثمّ سرتَ منهما على خطّين متوازيين الى الشرق بلغ بك المسير بعد مرحلتين من طرابلس وثلاث الى اربع مراحل من عكّا الى مفاوز متّسعة تمتدّ على مدى البصر الى جهة تدمر فالفرات شمالاً والى مشارف الشام فالنجا وتلال الصفا حتى جبال الحوران وبلاده المتّسعة جنوباً فكلّ تلك النواحي الرحبة الارجاء التي تقيس نحو اربعمائة كيلومتر طولاً في مثلها عرضاً تُعرف اليوم ببادية الشام

ولم تكن هذه البادية في سالف الاجيال قفرة قليلة السكّان لا تكاد تجد فيها كاليوم غير قرى معدودة او بعض احياء البدو الذين يتنقّلون فيها مع مواشيهم انتجاعاً للمراعي. وانّما كانت بعد تملّك الرومان عليها في اوائل التاريخ المسيحي أصبحت كروضة غنّاء شيّد فيها اصحابها المدن العامرة لسكنى الاهلين وابتنوا الحصون الحريزة تأميناً للطرق وعزّزوا الزراعة والفلاحة وانبطوا الآبار وحفروا الصهاريج

لجمع مياه الامطار وخدَّدوا القنيّ لسقي المزروعات. والآثار الباقية من هذه الاعمال الى يومنا تنطق بعمران تلك الاصقاع وحضارتها الراقية

امَّا سكَّانها فكانوا من عناصر شتى بينهم الرومان المستعمرون لاسيما من الجنود الذين اتمُّوا مدَّة خدمتهم وجالية اليونان من الدول السابقة منذ عهد الاسكندر والسلوقيين ثم الوطنيُّون الشرقيُّون الذين احتلُّوا تلك البلاد لاستثمارها والمتاجرة فيها.

وكانت تلك الانحاء اوفق ما يتمنَّاه العرب لسكناهم فكان اهل الحَضَر منهم يسكنون القرى ويتعاطون اشغال الفلاحة. امَّا اهل الوبر فكانوا يرعون مواشيهم في الارياف ويرتزقون بلحومها والبانها واصوافها. وقد نما فيها عددهم حتى رسخت قدمهم وصار اليهم الامر

وكان الرومان في بدء احتلالهم يعدُّون العرب كخطر على البلاد لما اعتاده اهل البدو من الغزوات وشنّ الغارات والسلب والنهب فحاولوا غير مرَّة كسر شوكتهم غير انَّهم عرفوا بالاختبار انَّهم لا يظفرون بهم ظفرًا تامًّا ما لم يستنجدوهم ويستعينوا ببعض عشائرهم لقطع دابر الشذَّاذ الباقين منهم. فحالف الرومان شيوخ قبائلهم ودفعوا لبعضهم قسماً من السلطة على بادية الشام بصفة امراء او ملوك فكانوا يتصرَّفون مع اهل جنسهم تصرُّف السيِّد مع العبيد وربَّما زاحموا الدولة الرومانية كلما كانوا يشعرون بانتقاض حبلها او ضعف ولاتها. فترى النبطيين منهم في اواسط القرن الاوَّل للمسيح متقلدين الحكم على دمشق نفسها كما ورد عن الحارث ملكهم في رسالة بولس الرسول في رسالته الثانية الى اهل كورنثية (١١: ٣٢) وتبعهُ في الحكم غيرهُ من النبط. وقد افادنا تاقيتس المؤرخ في تاريخ طيطس بانَّ الرومان كانوا اتَّخذوا في مقدَّمة جندهم كتيبةً من العرب كانوا يتقدَّمون الجيش في محاربة اورشليم على عهد وسبسيانوس وابنهِ طيطس. بل كان الرومان يدفعون لبعض الفرق العربيَّة وظائف معلومة ليقوموا بحراسة التخوم الرومانيَّة من جهة البادية. وقد اخبر اميان مرقلينوس (Ammien Marcellin, XXV, 6) في ترجمة يليانوس الجاحد بانَّ بعض شيوخ هؤلاء المتحالفين قدموا على القيصر وشكوا اليهِ تأجيل الرومان في دفع رواتبهم فغضب يليانوس وزجرهم بقولهِ انَّهُ اعدَّ لهم حديداً (لقتالهم) لا ذهباً (لأجرتهم) فخرجوا ناقمين على الرومان ولحقوا بجيش العجم

وحاربوا يليانوس مع جيش سابور فكانت عليهِ الدَّولة

امَّا الديانة التي كانت عليها امم بادية الشام وقبائلها فكانت خلطاً من اديان الوثنيَّة فكان اليونان والرومان أتوا بمعبوداتهم المنوطة بالسيَّارات كالمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمرّيخ فاكرموها اكرام اجدادهم ومواطنيهم لها في اثينة ورومية. ونشر الفينقيُّون عبادة تمُّوز وعشتروت والبعل امَّا النبط فكانوا يفضِّلون ذا الشرى (Dusares) واللات وشمس ويَتع. ثمَّ اختلطت هذه العناصر المتباينة وتداخلت اديانُهم ببعضها واكرم كل قوم معبودات القوم الآخرين

وفي غضون ذلك ظهرت النصرانيَّة وقامت لمناهضة تلك الاديان كلِّها دون ان ترضى ان تختلط بها او تبادلها بشيء. والرجح ان الدين المسيحي دخل بلاد العرب من غربيّ الجزيرة من جهة الشام حيث انتشر بعد صعود السيد المسيح بزمن قليل كما ورد في سفر الاعمال. ولا يقبل العقل ان بولس الرسول رحل الى العربية كما جاء في رسالتهِ الى اهل غلاطية (١ : ١٧) دون ان يكون سبقهُ اليها احد من المتنصِّرين او خلَّف فيها اثرًا من دينهِ

والظاهر انَّ النصرانيَّة دخلت اوَّلًا في حاضرة حوران اعني بُصرى كما تشير اليهِ التقاليد القديمة التي تناقلها الكتبة اليونان والسريان ثمَّ العرب المسلمون من بعدهم فقد ورد في جدول دورتاوس السوري لتلامذة السيِّد المسيح السبعين انَّ تيمون احد الشمامسة السبعة المذكورين في سفر الاعمال (٣ : ٨) نشر الدعوة النصرانيَّة في مدينة بُصرى فعُدَّ كأس اساقفتها. وفي الروايات التي تداولها الكتبة النصارى عن الرُّسل واثبتها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة (ج ٤ ص ١ — ٢٠) انَّ البعض منهم تلمذوا العرب وخصُّوا بهم عرب بادية الشام وحوران كما يظهر من القرائن. وصرَّح بالامر القريزي في كتاب الخطط والآثار (ج ٢ ص ٤٨٣) عن متى الشَّار « انهُ سار الى فلسطين وصور وصيداء وبصرى ». وقال ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ١٥٠) : « ان برتلماوس بُعث الى ارض العرب والحجاز ». امَّا تدمر وباديتها فذكر سليمان اسقف البصرة في كتابهِ السرياني المعنون بالنحلة (Budge: *Book of the Bee.p.106*) انَّ يعقوب بن حلفا بشَّر فيها

على انَّ هذه الشواهد في الدعوة النصرانيَّة الاولى في بادية الشام تعمّ كل عناصر

الاهلين ولا تفرز العرب من سواهم فتبقي شكًّا في تنصُّرهم. الَّا انَّ ما يتبع ذلك العهد من الشواهد التاريخيَّة اصرح واجلى. فقد افادنا مؤرخو العرب انَّ القبيلة الاولى التي تولَّت على بادية الشام باسم الرومان لمَّا كانت قضاعة من قبائل اليمن ثمَّ غلبتها على الامر سليح ثمَّ جاءت بعدهما قبيلة غسَّان فملكت على تلك الجهات وبقي ملكها الى ظهور الاسلام. والحال انَّ هذه القبائل الثلث قد دانت بالنصرانيَّة على رأي اولئك المؤرخين. قال اليعقوبيّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ١ : ٢٣٤) عن قضاعة « انَّ قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب فصارت الى ملوك الروم فملَّكوهم فكان اوَّل الملك لتنوخ بن مالك بن فهم ... فدخلوا في دين النصرانيَّة فملَّكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب ». وكذلك بنو سليح فقد صرَّح بنصرانيَّتهم المسعوديّ في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) : « وردت سليح الشام فتغلَّبت على تنوخ وتنصَّرت فملَّكها الروم على العرب الذين بالشام »

امَّا نصرانيَّة غسَّان فهي من الامور التاريخيَّة الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان وقد جمعنا في مقالتين ضافيتين نشرناهما في المشرق (١٠ : ٥١٩ و ٥٥٤) البيِّنات اللامعة والشواهد الساطعة التي تثبت تديُّن غسَّان واحيائها وملوكها بالنصرانيَّة ردًّا على مزاعم كاتب بغدادي اغفل اسمهُ فنشر في المقتبس (٢ : ٣٨٢) رأياً خالف فيهِ مجموع المؤرخين من يونان وسريان وعرب. فمن اراد الوقوف على تلك الادلَّة فليراجعها في مظانِّها. ونضيف الى مؤلفي العرب الذين ذكرناهم هناك ابن رُسته في كتاب الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن ص ٢١٧) والمسعوديّ في كتابهِ التنبيه والاشراف (طبعة ليدن ص ٢٦٥) فكلّ تلك النصوص المتعدّدة لا تصرّح فقط بان النصرانيَّة كانت في بعض احياء غسَّان بل انَّها عمَّتها جمعاء. وقد فنَّدنا في مقالتينا المذكورتين ما اتى بهِ المخالف من الحجج لانكار هذا الرأي العام. ولا يؤخذ فقط من البراهين التي اوردناها بانَّ النصرانيَّة شملت كل بلاد غسَّان بل يتضح ايضاً انَّ هذا الدين غلب عليها منذ اواخر القرن الرابع للمسيح اعني قبل الاسلام بثلاثة اجيال كما ترى من اسماء اساقفتها في المجامع وتآليف الكتبة المتعدّدين وتراجم السيَّاح وآثار الكتابات والكنائس الباقية الى يومنا (لهُ تتمَّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

A. Palmieri O. S. A. Theologia dogmatica orthodoxa Ecclesiæ Græco - Russicæ ad lumen catholicæ doctrinæ examinata et discussa. T. I. Prolegomena, *Florentiæ*, 1911, pp. XXV-815

عقائد الكنيسة اليونانيّة الروسيّة بازاء التعليم الكاثوليكيّ

انَّ التآليف العديدة التي وضعها حضرة الاب العلّامة اغوستينو بالمياري في تاريخ الكنيسة الروسيَّة وعاداتها وتعاليمها اعدَّتهُ لوضع كتاب اعظم شأناً واوسع بياناً قد باشر بهِ آخرًا واعدانا مقدّماتهِ في جلدٍ ضخم مرصوص الابواب والفصول ضمّنهُ كلّ المعلومات التي ترقف اللاهوتي على تفاصيل الدروس الجارية اليوم في مدارس روسيَّة الاكليريكيَّة بل قل في جميع مدارس الكنيسة البوزنطيَّة التي تقتفي عادةً آثار الكنيسة المسكوبيَّة. وغاية المؤلف ان يستقري باباً باباً كل معتقدات الروس ويذكر ما لكتبتهم فيها من الادلّة والبراهين العقليَّة والنقليَّة ويعرضها على تعاليم الكنيسة الكاثوليكيَّة أملًا منهُ ان يلتقي الفريقان في وحدة الايمان ويبطل ما يعترض بينهما من النفور. فيا حبَّذا الغاية وكلّ رجائنا ان تتمّ رغبتهُ فعلًا وتحقّق امنيَّة السيّد المسيح بان يكون راعٍ واحد لرعيَّة واحدة — وقد جعل حضرة المؤلف هذا الجزء كتمهيد لكتابهِ جمع فيهِ كلّ ما من شأنهِ ان يقرّب فهم المجلّدات التابعة. فافتتح كلامهُ بفصل اوّل عرّف فيهِ تحديد اللاهوت كما يفهمهُ الروس منتقدًا ما وُضع في تعريفهم لهُ من التباين والخلل. ويلي هذا الباب بابان آخران غاية في الحسن والافادة روى المؤلف فيهما معنى المعتقدات وتقسيمها وترقّيها جيلًا بعد جيل منذ أوحى بها السيّد المسيح ورسلهُ الى المومنين. وحضرتهُ يتتبّع آراء اللاهوتيين الروسيين ويُعمل النظر فيها رأياً بعد آخر ويُثني على ما يجدهُ فيها ثابتاً مقرّرًا ويقوّم عوج المعوجّ منها. وبعد باب رابع بحث فيهِ عن اساليب التعليم اللاهوتيّ الصحيحة استقرى في باب خامس التآليف اللاهوتيَّة التي اتّخذها علماء الروس لتدريس اللاهوت في كرور الاجيال مباشرةً باوّلها واشيعها كتاب الايمان المستقيم للقديس يوحنّا الدمشقي الذي بقي كدستورها التعليميّ الى ان قام في القرون الثلاثة الاخيرة عدّة كتبة وسعوا نطاقهُ وألّفوا تآليف يصفها

الاب بالماري ويبيّن غثّها من سمينها . ثمّ يتخطّى الى باب سادس خصّهُ بتعليم اللاهوت المدارسي (Théologie Scolastique) المبنيّ على البراهين العقليّة فضلًا عن الادلّة الوضعيّة والذي سبق اليهِ القديس يوحنّا الدمشقي واقتصّ فيهِ آثارهُ للعلم الملائكي القديس توما الاكوينيّ . وقد فنّد حضرة المؤلف في هذا الباب مزاعم بعض المعترضين الذين شنّعوا على ذاك التعليم جهلًا وزورًا . والبابان التاليان مدارهما على الاسانيد الوضعيّة التي يرجع اليها اللاهوتيون الروسيّون منها قديمة كدساتير الايمان وقوانين المجامع الكنسيّة العموميّة والخصوصيّة وتقارير الآباء والملوك المؤمنين ومنها حديثة تبعت عهد المجمع الفلورنتيني كمناشير ودساتير مختصرة للايمان كتبها بطاركة القسطنطينيّة واجوبة في امور اعتقاديّة شتّى . وقد ختم الكاتب هذه الابواب بثلاثة فصول مبتكرة خصّها باللاهوت الجدليّ في روسيا وبيّن حقيقتهُ وشروطهُ وما يحتاج اليهِ من المعارف التاريخيّة وغيرها ليأتي الجدل بالثمرة المأمولة ولا يترك في القلوب نفورًا . فترى من هذه الخلاصة ما يحتويهِ هذا التأليف الجليل من الفوائد الجمّة التي تجعلهُ من اجود المصنّفات للاهوتيين عمومًا وللشرقيين خصوصًا . ومن فوائدهِ انّهُ نقل الى اللاتينيّة عدّة آثار روسيّة لا يستطيع الكثيرون فهمها في اصلها . وممّا احسن بيانهُ في كتابهِ حاجة الكنيسة اليونانيّة الروسيّة الى رأس يجمع شتاتها ويحدّد رسومها وينفي عنها ما وقع في تعاليمها واسرارها من الخلل وتداخل السلطة المدنيّة في نظامها وغير ذلك ممّا استند فيهِ المؤلف الى اصدق البراهين مستشهدًا في الغالب بكتبة الروس نفسهم دون ان يفوه بكلمة تجرح احساسات الشرقيين . فنتمنّى لهذا الكتاب انتشارًا كبيرًا وأملنا ان نجد تتمّتهُ عمّا قليل الاب ب . كسانتاكيس

F. Clemens Carmigniani ab Orentano : Elementa Theologiæ Fundamentalis, *Florentiæ*, 1911, pp. XXXI-353

مبادئ اللاهوت النظريّ

هو كتاب مُتقن الطبع يشتمل على اصول عقائد الايمان للمدارس اللاهوتيّة على طريقة منتظمة كثيرة الوضوح جليّة البراهين واخصّ مضامينهِ بعد المقدّمات الابحاث عن الدين اجمالًا وافرادًا ثمّ عن الوحي واخيرًا عن الكنيسة . وفي كلّ قسم يفنّد المؤلف مذاهب المبتدعين وخصوصًا اراء العصريين الواهنة . وخصّ بالنظر الديانات

الشائعة في المشرق وبيَّن ما للنصرانيَّة من الفضل عليها . وادلَّتهُ غالباً مختصرة لكنَّها مقنعة ثابتة فيبقى على المعلِّم توسيعها . فان شاء الله يتحفنا المؤلف قريباً ببقيَّة الاجزاء فيضحي كتابهُ كدستور التعليم اللاهوتي في المدارس الاكليريكيَّة لاحتوائهِ كل قضايا الايمان الكاثوليكيّ وتجرّدهِ عن كل رأي غريب وفقاً لرغائب الحبر الاعظم

الاب ق . زرشميتن

H. Hrozny: Die Abweichungen des Codex Vaticanus vom hebr. Texte in den Koenigsbüchern. *Leipzig, W. Drugulin,* 1909, pp. 75

اسفار الملوك في النسخة الواتيكانيَّة

نسخة الاسفار المقدَّسة السبعينيَّة المحفوظة في مكتبة الواتيكان من اقدم واضبط النسخ المخطوطة التي تُعرف من عهدنا يوقيها العلماء الى القرن الرابع للميلاد ولذلك يجب الدارسون للكتب المقدَّسة الرجوع اليها في انتقاد الاصل العبرانيّ الذي تداولتهُ ايدي الربَّانيين وتصرَّفت فيهِ بعض التصرُّف لاسيما بضبط حركاتهِ بالشكل . وممَّا نشرهُ مؤخَّراً احد المترشحين للماقنة في كليَّة تورنغ المقابلة بين اسفار الملوك في العبرانيَّة والنسخة الواتيكانيَّة فدوَّن ما وجده بينهما من الاختلاف فصلاً فصلاً واستنتج من المعارضة انَّ روايات الاصل العبرانيّ ليست هي دائماً الصحيحة بل امكنهُ ان يثبت بكل دقَّة وبشواهد نقليَّة عديدة انَّ الترجمة السبعينيَّة المخطوطة نُقلت عن اصل عبرانيّ مفقود كان اصحّ واضبط من النصّ الشائع في عهدنا . وبذلك اظهر فضل هذه النسخة واهميَّتها الاب ب . جوون

H. Petitot: Pascal, sa Vie religieuse et son Apologie du Christianisme, *Paris.* G. Beauchesne et Cie, 1911, pp. 427

پسكال : حياتهُ الدينية ودفاعهُ عن النصرانية

هذا كتاب جديد من جملة التآليف التي يتولَّى نشرها المكتب الكاثوليكي في باريس احسن في وضعهِ حضرة الاب الدومنيكاني پاتيتو . ولا غرو انهُ بالغ في التواضع حيث قال في آخرهِ « انَّ معظمهُ يتألف من اقوال اسلافهِ فحصَّتهُ فيهِ قليلة » لاسيما انَّ الذين كتبوا قبلاً في دفاع پسكال عن النصرانيَّة لم يكونوا لاهوتيين وعلم اللاهوت لا غنى عنهُ في مثل هذه الابحاث — فممَّا يلوح عموماً من عُرض الكلام انَّ المؤلف مُغرَم بعمل پسكال وجلُّ اهتمامهِ مع ذلك ان يكون منصفاً بحكمهِ عنهُ .

فقد اعجبنا وصفهُ لما اخذهُ بسكال في دفاعهِ من النصرانيَّة عن الذين سبقوه الى ذلك وما تفرَّد فيهِ عن سواه بالادلَّة التي استدلَّ بها بسكال دون غيره لاثبات صحَّة الدين النصراني كالدليل المدعو «بمشارطة الملحد» والدليل المبنيّ على شواعر النفس وعلى فساد الطبيعة وضعف العقل . فمن يتصفح هذه الفصول يفهم ما اصاب فيهِ بسكال وما لم يُصب . وممَّا يُستحسن ايضاً في هذا الكتاب ما اثبتهُ صاحبهُ عن اعتبار بسكال لادلَّة لسلافهِ العقليَّة والنقليَّة عن صحَّة النصرانيَّة خلافاً لمن زعم بعدولهِ عنها . فنثني على كل هذه الاقسام لكنَّنا نرى المؤلف بالغ نوعاً في تبرئة البدعة الجنسينيَّة (Jansénisme) حيث قال انَّ اصحابها اوقفوا معاصريهم في طريق التهامل الديني . والصواب انَّ بدعة جنسنيوس لم تُفقد الدين شيئاً بل نشرت إهمال الدين واوسعت نطاقهُ بمبادئها الصارمة . وكذلك بالغ المؤلف في قولهِ عن التراخي الديني في اواسط القرن السابع عشر وعليهِ لا نوافقهُ في معارضتهِ بين مزاعم الجنسينست وتعاليم القديس فرنسيس دي سال في التراخي — وكنَّا وددنا لو ميَّز المؤلف بدقَّة في كلامهِ بين ادلَّة الدين التي تولي الانسان اليقين التام والادلَّة التي تفيده يقيناً ادبياً فقط لا يتجاوز الترجيح وكذلك بين التعزية الروحيَّة التي ينالها الاتقياء في مناجاتهم لله او الخطأة عند توبتهم وبين الطرائق التي يخصُّ الله بها بعض اوليائهِ كالرؤى والكرامات . وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب جليل الفائدة وكدليل لمراجعة تآليف بسكال والوقوف على كنه تعاليمهِ الاب غ . نيران

Homiliæ selectæ Mar-Jacobi Sarugensis, edidit Paulus Bedjan Cong. Miss. Lazarista. *Lipsiæ, Otto Harrassowitz*, 1910, T. V. pp. XIX-905

ܡܪܝܐ ܕܣܪܘܓ ܡܠܦܢܐ ܕܣܘܪܝܐ

لم يقم في الكنيسة السريانيَّة بعد القديس افرام كاتب يستحقُّ اعتبار المستشرقين عموماً ونصارى الشرق خصوصاً كمار يعقوب السروجي وقد ابقى من الآثار ما يكاد يجاري في قدمهِ ووفرتهِ وتفنُّنهِ وبلاغتهِ ملفانَ الكنائس السريانيَّة جمعاء قد عُني لسببها كثارة الروح القدس . على انَّ اعمالهُ بقيت غالباً منزوية في زوايا النسيان حتَّى استخرجها من دفائنها حضرة وطنيّنا الهمام الاب بولس بيجان اللعازري الكلداني فطبع منها سابقاً اربعة مجلَّدات ضخمة بالحرف الكلداني الجميل مرَّ وصفها في المشرق

(٩ : ٨٧١) . وقد انتهى الينا منها اليوم الجزء الخامس وفيهِ خمسون ميمراً للسروجي في مواضيع كتابيَّة شتى من العهدين القديم والحديث وكلها بالشعر السرياني يبلغ معدَّل كل ميمر منها نحو ٤٠٠ بيت . فيأخذ العقلَ الاندهاشُ لجودة قريحة المؤلف وغزارة مادَّتهِ . فبلسان كل الكنائس الشرقيَّة نشكر حضرة الاب بيجان الذي احيا هذه الرسوم البالية ونتمنَّى ان يمدَّ الله في حياتهِ ليواصل مطبوعاتهِ النفيسة التي كاد يبلغ مجموعها الثلاثين عدًّا فشرَّف بها مواطنيهِ الشرقيين ل . ش

Die arabischen Schriften des THEODOR ABU QURRA, Bischofs von Ḥarrân (ca. 740–820) von Dr Georg Graf. *Paderborn, F. Schoeningh*, 1910, VI-336

آثار كير ثاودورس اسقف حرَّان المعروف بابي قرَّة

يذكر قرَّاؤنا الميمر النفيس في صحَّة الدين المسيحي الذي نشرهُ في المشرق (٦ : ٦٣٣) حضرة الخوري قسطنطين الباشا وقدَّمنا عليهِ نبذةً في تعريف مؤلفهِ الفضال ثاودورس ابي قرَّة معاصر القديس يوحنَّا الدمشقي . وما لبث حضرة ناشر هذا الميمر ان اتبعهُ بمجموع اوسع يتضمَّن ما وجدهُ من ميامر الكاتب المومأ اليهِ في مكتبة دير المخلِّص فعُني بطبعهِ في مطبعة الفوائد في بيروت وهي عشرة ميامر كلُّها درر يبلغ محتواها ٢٠٠ صفحة . فكان لهذه الطبعة دويّ استحسان لدى المستشرقين فتحفَّز لترجمتها الى الالمانيَّة حضرة الخوري جورج گراف احد المولعين بالآثار النصرانية القديمة فنقلها بعد ان قدَّم عليها المقدِّمات الواسعة في تعريف كاتبها وزمانهِ وتآليفهِ وآرائهِ اللاهوتيَّة والمجادلة التي تُنسب اليهِ في العربيَّة بحضرة المأمون الخليفة العبَّاسي . ثم ألحقهُ بترجمة ميمر آخر كان سبق الى طبعهِ احد العلماء الالمان المدعو ارندتسن (J. Arendzen) في اكرام الصور وهو أثر بديع فيهِ تفنيد شيعة محاربي الصور (اطلب المشرق ٦ : ١٠١٢) نقلاً عن نسخة خطيَّة وصفها حضرة الاب لويس معلوف ونقل عنها ميمراً آخر في تأنُّس الله الكلمة ورجَّح كونهُ لابي قرَّة لكنَّ الاب گراف لم يوافقهُ في رأيهِ فلم ينقل هذا الميمر الى الالمانيَّة . ثم انَّ لابي قرَّة ميامر مخطوطة في مكتبتنا سبق لنا وصفها كميمر العشَّار والفريسي وميمر التوبة وغير ذلك ممَّا يستحقّ الطبع والنقل فعسى حضرتهُ ان يطَّلع عليهِ قريباً ويضيفهُ الى طبعتهِ

مع ما اكتشفهُ في مكتبة السريان اليعاقبة في القدس الشريف . فنشكر الشكر الجزيل لحضرة المترجم ونتمنَّى لكتابهِ اعظم رواج ل . ش

مراثي وديوان المرحوم الياس صالح اللاذقيّ

عُني بطبعهِ نجلهُ رفيق افندي صالح

في المطبعة الوطنيَّة باللاذقيَّة سنة ١٩١٠ (ص ١٦٨)

اشرنا في الجزء الثاني من كتابنا الآداب العربيَّة (ص ١١٨) الى مؤلف هذا الديوان بيد انَّ معلوماتنا فيهِ كانت غير وافية فسُررنا اليوم لسدّ الخلل بهمَّة نجلهِ الاديب الذي نشر قصائده مصدَّرةً بترجمة حياتهِ لاسعد افندي داغر يُستفاد منها انهُ ولد من أُسرة وجيهة في اللاذقية في ٢٦ ك ٢ سنة ١٨٣٦ وخدم الدولة الاميركيَّة بصفة ترجمان لقنصليَّتها ثم آثر عليها خدمة الحكومة العلية كملتزم اعشار قضائي جبلة واللاذقية ثم كعضو محكمتها الابتدائيَّة الى ان أُصيب بداء عياء قاسى مضضهُ سنين طويلة بصبر حتى وافاهُ الاجل المتاح في ١٥ ايلول سنة ١٨٨٥ . وللمرحوم ما خلا ديوانهُ المشتمل على قصائد حسنة في كل ابواب الشعر خطبة في حقيقة التهذيب طُبعت في بيروت سنة ١٨٦٦ وكتاب بهجة الضمير في نظم المزامير طُبع في الاسكندريَّة سنة ١٨٧٥ وتكرَّر طبعهُ . ولهُ فضلًا عن ذلك عدَّة آثار لم تُطبع اخصُّها تاريخ وطنهِ اللاذقية في ثلاثة مجلدات نتمنَّى نشرهُ قريبًا . وكان الفقيد يعرف عدَّة لغات فعرَّب كتبًا كثيرة كقوانين ونظامات دولتهِ وكتاريخ مذابح سوريَّة لفرنسوا لوزمان الكاتب الشهير وسياحة المسيو بوجولا وغير ذلك . وكان الياس صالح تقيًّا ديِّنًا كما تشهد لهُ عدَّة مدائح في السيِّدة العذراء . واناشيد تجدها في ديوانهِ (ص ١٣٤—١٤٤) . ونظم المرحوم متين كثير التفنُّن وقد رثاهُ كثير من الشعراء ومن احسن ما قيل في تاريخ وفاتهِ قول الياس افندي نوفل من مرثاة :

دعاهُ اله العرش للسجد والهنا وقال عبادي مَنْ وفَى البرَّ ناجحُ
فيا من قدمتم فالرجا حبكم ويا ملائكتي زفُّوا اخاكم وصافحوا
فدارُ البقا للوفد أرَّخ رحيبةٌ أعدُّوا لهُ الاخدارَ فالياسُ صالحُ

دروس التاريخ الاسلامي

تأليف محيي الدين الخياط . القسم الثالث

طُبع في بيروت بنفقة والتزام المكتبة الاهليَّة في المطبعة الصُّرِيَّة (١٣٢٨ ص ٢٦)

مرَّ لنا وصف هذه الدروس دفعتين فاثنينا على ميزاتها واشرنا الى بعض نواقصها وهذا الجزء الثالث يتناول التاريخ الاسلامي مدَّة الخلافة الامويَّة . من السنة الهجريَّة ٤٠ الى ١٣١ قسمهُ المؤلف الى اثني عشر درساً في كل درس فصول وجيزة لاهمّ الحوادث تنتهي بتمرين وخلاصة . واذ قد طلب المؤلف في آخر المقدَّمة ان ننبههُ الى اصلاحات الكتاب نجيب الى طلبهِ فنقول انَّ الخارطة التي في اوَّل الجزء قليلة الاتقان ينقصها عدَّة أعلام ذُكرت في الدروس ولا يجد الطالب موقعها . ثمَّ انَّ الدروس والحوادث تتوالى دون رابط بينها وحقّ كل درس ان يكون كجسم فيهِ الاجهزة الحيويَّة والاعضاء والمفاصل الثانويَّة والكل ملتحم التحاماً وثيقاً . وكذلك لا تجد في هذه الدروس نظرًا عامًّا يشمل حالة الاسلام في دينهِ وآدابهِ وعلومهِ كما انَّها لا تعرّف سِيَر الخلفاء في صفاتهم واخلاقهم . — ثمَّ لم نتحقَّق من هو « البطريرك اليون او لاون » (ص ٦٦) لعلَّهُ يريد الملك لاون الثالث المعروف بمحطِّم الصور (ايقونوقلاست) ل . ش

رفيق الجندي المسيحي

حضرة الاب يواكيم دعبول الناصري الفرنسيسي

طُبع في اورشليم سنة ١٩١٠ (ص ١٢٦)

طالعنا هذا الكتيب فالفيناه كثير الفوائد قريب المأخذ سهل الحمل لائق بالجندي المسيحي اذ يجد فيه تعليم الدين النصراني في شرف الوطن والجنديَّة وواجبات الجندي الصادق نحو الله والسلطان والجنود اخوتهِ في الوطنيَّة مع فروض الخدمة والتضحية والامانة . وقد ألحق المؤلف كتابهُ بتعليمات تهذيبيَّة وملحوظات عمليَّة وصلوات ومعارف دينيَّة جليلة الفائدة فنثني على غيرة حضرتهِ ونسأل الله ان يحقق آمالهُ . ويا حبذا لو اهدى الرعاةُ والكهنة هذا الكتاب الزهيد القيمة والعظيم النفع الى كل جندي مسيحي يوم سفرهِ تذكارًا ومؤونة ادبيَّة ودينيَّة ا ر

شذرات

اثر صيني قديم في اميركة — في مؤتمر الآثار الاميركيّة الذي عُقد في بوينس ايرس في ايّار من السنة المنصرمة كانت الصين ارسلت كمثّل لها احد علمائها المسمّى « تام بوي ستيوم » فجاز في مدينة « تيوتيهواكان » وبينما هو يزور متحف عاديّاتها السابقة لعهد التاريخ اذ وقف هناك على بعض الآنية الزجاجيّة التي وجدت قديماً في قبيلة وطنيّة تُدعى « تولتيكاس » ففحص تلك الآنية واذا عليها كتابات صينيّة افاد المؤتمر عن معانيها فكان لهذا الاكتشاف وقع في قلوب الحضور وجاء كشاهد حيّي على رأي القائلين بانّ اوّل سكّان اميركا اتوها من قارة آسية

الرابطة — وما ادراك ما الرابطة (Le Lien) ؟ هي العدد الاوّل من « المجلّة العلمانيّة الشهريّة » التي اصدرتها في ثلاث لغات جمعيّة متخرّجي المدرسة العلمانيّة في بيروت « لتكون رابطة متخرّجي العلمانيّة بعضهم ببعض بعد خروجهم الى مدرسة العالم الكبرى ». فيظهر ان عدد الذين خرجوا منها بعد سنتها الاولى قد كثروا حتّى عدّتهم من متخرجيها الاقدمين (Anciens Elèves). وما كنّا لنتعرّض لهذه النشرة لولا انّها استندت الى كلامنا في المشرق فروت منهُ ما ظنّهُ البعض كثناء على مبادئها منقولاً الى الفرنسويّة. وقد اخذنا العجب من سكوتها على مقالتينا الضافيتين حيث بيّنّا انّ المدارس العلمانيّة التي تدّعي كونها لا تتعرّض للاديان هي آفة الاديان كلّها وضربة لازبة على كل مذهب وأدب وما هي غير آلة في يد الماسونيّة لتنفي في قلوب الناشئة اعتقاد وجود الخالق وخلود النفس والحقائق التي تتّفق اديان الشرق في قبولها وقد طبعنا هاتين المقالتين على حدة واضفنا اليهما شواهد مختلفة لمشاهير الرجال من نصارى ومسلمين. وكفى شاهداً على قولنا هذه الاسطر التي ننقلها بالحرف الواحد من دستور تعليمها الادبيّ (La Morale à l'école) الذي وضعتهُ المدرسة العلمانيّة في ايدي طلبتها وفيهِ شاهد واضح على انّها لا تنوي كما زعمت استناداً الى اقوالٍ لم تفقهْ معانيها من الانجيل والقرآن والحديث جمع القلوب بالاخاء بل الالحاد والتعطيل ومناهضة الانجيل والقرآن والحديث. قال پايو (Payot) مؤلف هذا التعليم (ص ٢٣٠ — ٢٣١):

Aucune croyance sur Dieu, sur l'origine du monde, sur l'origine et la destinée de l'homme n'est acceptée par tous ceux qui pensent ; nous ne pouvons faire sur ces questions que des suppositions !!!

وهذا القول يوافق تصريح منشئ المدارس العلمانيَّة المسيو اولار (Aulard) الذي جاهر بخطبة علنيَّة « انَّ غاية هذه المدارس معاكسة الدين » وقد كتبت عنهُ آخرًا جريدة التان (Le Temps) البروتستانيَّة فصلًا كشفت فيهِ مكرهُ وتعصُّبهُ الاعمى . ومن ثمَّ لا ندري كيف استطاعت بعض الجرائد الاسلاميَّة ان تثني على هذه المدارس وزادنا عجبًا انَّ مجلَّة العرفان (٢ : ٤٣١) نسبت الى المشرق « افتراء على القوم » (كذا) . ولو راجعت كتاب پايو (Cours de Morale) وقولهُ في الاسلام (ص ١٩٩) لشكرتنا الشكر الجزيل لقيامنا في وجه هذه المدارس الكفريَّة عدوَّة الاسلام كعدوَّة النصرانيَّة

نحن والكوثر — كلّ يعرف وَلَعَنا بالعلوم العربيَّة وآثارها وما نشرنا منها مكرّرين الثناء على كتبة العرب فتعجَّبنا ان صاحب مجلة الكوثر نسب الينا زورًا تقريع العرب بالهمجيَّة والتوحُّش فنقل كلامنا على غير معناهُ وحاول تفنيدهُ من اقوال الكتاب المقدس فخلط شعبان برمضان . فنسأل الكاتب اين وصفنا العرب بالهمجيَّة واين رميناهم بالتوحش ؟ فلو اراد الردَّ علينا لاقتضاهُ الامر ان يروي كلامنا بحرفهِ . كان الاديب عبد الوهَّاب سليم افندي التبّير طلب منَّا ان ننقل لهُ كلام الوزير جمال الدين ابن القفطي عن حريق مكتبة الاسكندريَّة فنقلناهُ (في المشرق ١٣ : ٩٥٧—٩٥٨) مع نصوص لكتبة مسلمين غيرهِ . فان استنتج صاحب الكوثر من هذه الاقوال توحُّش العرب فالامر لهُ وكان الاحرى به ان يلوم مؤرخي الاسلام اذ لا ملامة على الناقل . وان امكن حضرة الفاضل عبد الوهَّاب ان يأتينا بشواهد اقدم من هذه شكرنا لهُ فضلهُ — ثم رددنا على ما كتبهُ في المقتبس جناب احمد بك زكي اذ بالغ كلَّ المبالغة في تأثير العرب في علوم الغرب وبيَّنَّا تطرُّفهُ في قولهِ عن القديس لويس ملك فرنسة والكردينال كسمنيس فنقلت مجلَّة الكوثر بعض اسطر من كلامنا منفردةً عن قرائنها ولو اثبتت قولنا بالحرف لرأى القرَّاء من هم المتعصِّبون . امَّا اقوال التوراة في مدح العرب فلا علاقة لها بكلامنا وقد سبقنا الى نشر هذه

الآيات منـذ زمن طويل (المشرق ١ : ٦٩٩) اذ نحن ادرى من مجلة الكوثر بمفاخر العرب ولكنَّ الحقّ يعلو كلَّ شيءٍ

فريدريك الثاني والهلال — افتتحت مجلّة الهلال عددها الخامس من السنة الحاليَّة بترجمة فريدريك الثاني وعظَّمت الرجل حتَّى جعلتهُ « اعظم رجال التاريخ في القرون الوسطى » ويُستشفّ من كلامها انَّها لم ترفع قدر ذلك الملك الَّا لمقاومتهِ الاحبار الرومانيين. وقدَّمت على ترجمتهِ تمهيدًا فيهِ من الاغلاط التـاريخيَّة ما يسوّد صفحات المجلّة ويطول بنا تفنيدهُ فمن ذلك قولهـا بلا سند (ص ٢٦٠) بان الكوين (Alcuin) « تلقى العلوم عن العرب او ممَّن اخذ عن العرب من اليهود » ومثلهُ ضعفاً قولها انَّ شرلمان والجمع الـذي رأسهُ الكوين « ادخلوا في مدارس الاديرة وغيرها علوماً ترقّي العقـل كالموسيقي والهندسة والحساب والمنطق والنجوم ونحوها كما كانت تلقى في بلاد المسلمين » ونسيت المجلّة ان تثبت زعمها بالبرهان. ولا صحّة ايضاً لقولها (ص ٢٦٢) ان شرلمان « جعل للبـابا السلطة الوسميَّة في السياسة سنة ٧٥٥ في زمن البابا اسطفانس الثالث » ومعلوم انَّ شرلمان لم يملك الَّا سنة ٧٦٨ وان مدن ايطالية كانت قلَّدت الاحبار الرومانيين السلطة عليها منذ القرن السادس ردًّا لغارات البرابرة. وكذلك باطل قول المجلّة بان شرلمان « كان يولّي الاساقفة ورؤساء الاساقفة من تلقاء نفسهِ كانهُ رأس الكنيسة » . ثمَّ معظم ما روتهُ هناك عن البابا غريغوريوس السابع وهنريكوس الرابع اشبه بقصَّة مختلقة منهُ بتاريخ صادق فليراجع صاحب المقالة تاريخ هـذا البابا الذي كتبهُ مؤرخ بروتستاني شهير وغت (Voigt) فبرَّأ البابا من تلك التهم الكاذبة. ومجمل القول انَّ كاتب الهلال شحن مقالتهُ مزاعم باطلة كنَّا وددنا حرصاً على شرفهِ لو راجع قبل تسطيرها الاصول الثـابتة والكتبة الموثوق بهم

الجريدة الماسونيَّة — قرأنا فيها فصلًا جديدًا « لحضرة الاخ (اي الماسوني) الدكتور الفاضل حبيب افندي مالك » اراد فيـهِ الردّ على مقالتنا في الماسونيَّة وزعم انَّنـا شتمنا رجالًا ادباء بنفينا الادب عن الماسونيَّة. لكنَّ سهم الكاتب قد طاش بهذا الردّ اذ انَّنا لم نخصّ بكتابتنا احدًا من الماسون وانَّما بيَّنا فقط بشواهد اضوأ من النور انَّ الماسونيَّة بمبادئها تنقض اساس العمران الديني والنظام العالمي

أسئلة واجوبة

س سألنا الاديب ي. ص. من هو يوحنا مار ماكون الذي يذكره المؤرخون وهل هو ذات ناضر صفير ؟

يوحنا مرمفون

ج يوحنا مرمفون (لا مار ماكون كما جاء في تاريخ سورية ٧: ٣٣٦—٣٤٨) ارسلهُ الموارنة الى ملك فرنسة سنة ١٦٩٥ يطلبون منهُ ان يجعل الشيخ حصن الخازن قنصلاً على بيروت. وفي الآثار الخطية التي في ايدينا يدعوه البطريرك الدويهي « وكيلهُ » ويسميهِ الشيخ حصن « تابعهُ » ويوصيان بهِ « لانهُ ابن اجاويد ». اما حقيقة نسبتهِ الى ناضر صفير فلم نجد ما يثبتها او ينفيها وقد استغربنا كيف ان الدويهي قد ضرب صفحاً عن هذا الكافلير في تاريخهِ وهو معاصر لهُ ورسولهُ الى ملك فرنسة ولدينا الرسائل الخطية التي تشير الى ذلك تنشرها عند سنوح الفرصة ا. ر

س كتب لنا بعض المستفيدين: اذا كان عدد الحروف الشمسية ١٤ وعدد الحروف القمرية كذلك ١٤ كان مجموع الحروف الهجائية العربية ٢٨ حرفاً. فان الالف المدة الحرف الهاوي ليست حرف هجاء لانها لا تقبل الحركات ولا يُبتدأ بها ولا تأتي حرف لين بل هي ابدًا مدّ حركة الفتح ولا تكون اصلية في الالفاظ العربية الا في بعض الحروف كالف ما ولا وانى ومعلوم ان الحرف غير مشتق فلا يُعرف اصلهُ. وعليهِ فما الذي حدا ببعض المتكلمين عن علم العربية الى القول بان حروف الهجاء ٢٩ حرفاً. نرجو الافادة ولكم الفضل ا. ص

عدد حروف الهجاء

ج من زعم انَّ حروف الهجاء العربيَّة ٢٩ حرفاً لا يدقق في الكلام لأن الالف كما اثبت المستفيد ليست بحرف اذ لا تقبل الحركات ولا يُبتدأ بها . وانَّما الحرف الذي يجب الشروع بهِ هو الهمزة التي تُعدّ بين الحروف الحلقيَّة . ثمَّ ان الهمزة عينها ليست حرفاً تامًّا بل كاحدى الضوابط وهي تحتاج غالباً الى كرسيّ من حروف العلَّة. الَّا ان العرب حملوها على شبه الالف في اللغات الساميَّة كالعبرانيَّة (א) والسريانيَّة (ܐ) والحبشيَّة (አ) وهي فيها حرف حلقيّ قابل لكلّ الحركات وإنْ خُصَّت بالفتحة لذلاقتها. فاذا سمعتَ باسم الالف في حروف الهجاء وجب ان تفكّر بالهمزة (ء) او (أ) ومن ثمَّ لا يكفي ذكر الالف وحدها كما يفعل بعض اللغويين لكن يجب ان يلحقوها بذكر الهمزة التي هي حرف صحيح ودعاها لسان العرب لذلك « جزءًا من مدَّة بعد فتحة » فبها كليهما تبلغ حروف الهجاء ٢٩ حرفاً ل. ر

المشرق

الحركة العلميَّة في السنة المنقضية

يليها ملحق في ترعة بناما — ماضيها وحاضرها

للاب لويس رتزفال اليسوعي

يستدعي نظرُنا في احوال العام المنصرم (ص ٢ و ١٢٨) كلمةً في الحركة العلميَّة وترقي المعارف والصنائع البشريَّة في تلك المدَّة فنقول

﴿ المذنَّبات ﴾ يجوز ان تدعى السنة المنصرمة بسنة المذنَّبات لما ظهر فيها من هذه الاجرام الفلكيَّة الغريبة لاسيما مذنَّبَي جوهنسبورغ (او دراك) في كانون الثاني وهلّاي في آذار وفيما بعد (راجع مقالتنا في المشرق ١٣ : ٢١٠). فلسائل ان يسأل: وماذا استنتج العلماء من مرور ارضنا في ذنب كوكب هلّاي ؟ الجواب انَّ اللجان العلميَّة التي تشكَّلت لرصده لم تأتنا بعد بنتيجة ابحاثها تماماً والغالب انهُ لم يحدث شيء خارق العادة. وما اتَّفقوا عليهِ بلا خلاف انَّ ما يتوهَّمهُ البعض بظهور المذنَّبات من الشرور لا سند لهُ البتَّة في غير خيال اهل الخرافات

وقد تساءل البعض أيوجد علاقة بين هذه المظاهر الجويَّة وطغيان الانهار الذي حدث في بعض الامكنة وخصوصاً نهري السين واللوار في فرنسة. ان الامر لمحتمَل ولكن ليس لدينا دليل قاطع. على انَّ احد الفلكيين الفرنسويين قد انبأ بوقوع امطار وفيضانات غير اعتياديَّة مدَّة خمس سنوات. وقد يذكر اهل بيروت ما عطل عندنا من الامطار الغزيرة في يوم الزلازل التي دهمت مسينة

﴿ الراديوم ﴾ لم تنقطع مادام كوري (Mme Curie) بعد وفاة زوجها الفجائيَّة عن اختباراتها في الاجسام المشعَّة وقد عضدها في شغلها السيو ديبيارن

(Mr Debierne) فتوفق كلاهما الى استخلاص عنصر الراديوم من مركباته كما اعلنا ذلك للمجمع العلمي في باريس . وقد حصل لهما مرغوبهما بان عمدا الى عُشر غرام من كلورور الراديوم عالجوه بمركب من الزنبق استحضروه بالتحليل الكهربائي فألقي الزنبق بالاستقطار وبقي دقيقٌ من الراديوم الخالص لم يُرَ شبهُهُ سابقاً فاذا هو معدن ابيض براق يتأكسد سريعاً في الهواء ويسودّ واذا وُضع على الحديد لصق به وعلى الورق خرّقهُ واذ أُلقي في الماء حلّلهُ بعُنف. فكان لهذا الاكتشاف صدى استحسان في عالم العلم واهدت جمعيّة العلوم الملكيّة الانكليزيّة وسام ألبرت الى مدام كوري شكرًا لفضلها في اكتشافاتها المتواصلة. وكان البعض يظنّون انّ اكادمية العلوم الباريزيّة تقبل مادام كوري في عداد جماعتها الّا ان المسيو برانلي (Branly) استاذ الطبيعيّات في مكتب باريس الكاثوليكي ومكتشف مبدأ التلغرافيّة اللاسلكيّة نال اغلبيّة الاصوات في ١٤ ك ٢ . ثمّ انّ اعضاء تلك الجمعيّة لم يقرّروا حتى الآن أيقبلون بينهم نساء ام لا واغلبهم لا يرضى بذلك. وقد فكّر قوم في ان ينشئوا جمعيّة علميّة للنساء وحدهنّ

وفي ٢٠ تشرين الاوّل بشّر المسيو رمساي (Mr Ramsay) بريطانيةَ العظمى بانّهُ اكتشف لاستخلاص مركّبات الراديوم من عنصر البشبلند (pécheblende) الموجود في بلاد الغال طريقةً تزيد سرعتها ستّة اضعاف على الطرائق المألوفة

﴿ العلاج ٦٠٦ ﴾ بين الاكتشافات الطبيّة التي طبّلت لها الجرائد وزمّرت فوجدت في الاعلانات بها موردًا جديدًا للربح وامّل منها البعض شفاء الامراض الزهريّة المستفحة ما وقف عليه العلّامة اهرلخ الالماني احد اساتذة فرنكفورت وهو العلاج الموسوم بالعلاج ٦٠٦ لانّهُ اختبر قبلهُ ٦٠٥ تركيبات مختلفة لينال بها مركّبًا من الزرنيخ يقتل ميكروب الداء دون ان يضرّ بجسم الانسان. فهذا العلاج يتألّف من مركّب زرنيخي ذي ركن آليّ يسمّى باسم غريب « dioxyamidoar-sénobenzol » اي ثاني اوكسيد النشا مع مركّب الزرنيخ والبنزول. والغاية منهُ علاج العيون والداء الزهريّ بدلًا من الادوية المركّبة من الملح الهدرارجيري. فما ذاع خبر هذا الاكتشاف حتّى طنطنت لهُ الصحافة وأطرأت المكتشف الالماني ضاربةً الصفح عن الكيموي الفرنسوي بيشو (Béchaut) الذي سبقهُ الى تركيب مركّبات

الزرنيخ الآلية . وبالغت في مفاعيل العلاج كأنَّهُ الدواء الشافي لا محالة مع انَّ الاطبَّاء بعد ان خمد هوَس القوم تحقَّقوا انَّ في استعمالهِ لخطرًا أدَّى في بعض الاحيان الى فقد البصر بل الى فقد الحياة . على انَّهُ لا يُنكر انَّ هذا العلاج أتى بنتائج لم تكن في الحسبان

﴿ فنّ الطيران ﴾ نال هذا الفنّ في السنة المنقضية ترقيًا عظيمًا فانَّ عدد الذين تجنَّحوا بالاجنحة الصناعيَّة وركبوا متن الهواء فطاروا في الجوّ لم يَعُدْ يُحصى ولكن لسوء الحظّ قد طال ايضًا جدول ضحايا هذا الفنّ المستحدث . ومن جملة من ماتوا شهداء إقدامهم فكان لفاجعتهم رنَّة حزن بالغة الطيَّارُ شافه (E. Chavez) من اهل سافوا مات بعد فوزهِ بنجاح باهر . ففي الخريف المنصرم حلَّق طائرًا في الجوّ فاجتاز من فرنسة الى ايطالية فوق جبال سمبلون الشاهقة وكان اوشك ان ينزل في بلدة دومودوسولا وبلغ الى عشرين مترًا من الحضيض اذ سقطت آلتُهُ فجأةً وأُصيب المنكود الحظّ بجروح بليغة اودت بحياتهِ بعد اربعة أيام ونُقلت جثَّتهُ الى باريس بكل احتفاء واكرام

والحقّ يقال انَّ مسألة هبوط الطيَّارات وانحدار راكبيها الى الحضيض بسلامة من الامور التي تشغل اليوم افكار الجمهور . وممَّا تسعى فيهِ " عصبة الطيران الوطنيَّة " سعيًا حثيثًا ان تجد وسيلة فعَّالة لتصون حياة راكب الطيَّارة دون ان يفكِّر في حياتهِ شاء ام ابى . والظاهر انَّ للهواء داء كما للبحر فالراكب لجاوسهِ امام الرفَّاس يتأذَّى من دورانهِ ويمتصّ قسمًا من الغاز الذي يلقيهِ في وجههِ بحركتهِ فيصيبهُ تقزُّز وغثيان ودُوار . وكذلك عند هبوط الطيَّارة يُصاب حجاب الصدر بانخفاض يضغط على جهاز البطن فيُحدث ضعفًا رُبَّما يُغشى لسببهِ على صاحبهِ . ومن عجيب الامور التي ظهرت بالاختبار انَّ الساقط من علوّ مئات من الامتار ينجو من الموت بنوع اسهل من الساقط من علوّ عشرين مترًا فقط . كما ظهر مؤخرًا بسقوط احد الطيَّارين من علوّ ٣٠٠ قدم فلم يمت . والسبب انَّ الساقط من علوّ بالغ يمكنهُ ان يستعين بمظلَّة النجاة (parachute) وهذه المظلَّة لا فائدة منها عن علوّ خفيف

ويذكر المصريُّون ما جرى عندهم في عين شمس من سباق الطيران في العشر الاوَّل من شباط . على انَّ هذا السباق لم يكن حليف النجاح فانَّ الطيَّارات البسيطة

الاجنحة (monoplans) والمزدوجة (biplans) كانت اثنتي عشرة فقط يوم السباق بدلاً من ١٨ كانت أحضرت من اوربة ولمّا طارت جاءت الريح والرمل في وجهها فتعرقل سيرها ولعلّ ايدي الخصوم شوّشت أجهزتها اكثر من عوائق الطبيعة. وقد شاع انّ المتسابقين عازمون على تكرار العمل

وفي ١٧ آب تمّ في شرقيّ فرنسة سباق كان خطّرهُ ١٠٠,٠٠٠ فرنك وحدودهُ دائرةٌ معلومة فكان الظافر المسمّى لوبلان (Leblanc) غير ان الالمان لم يروا بعين لرضى طيّاري فرنسة يحلّقون في طيرانهم فوق تخوم بلاد الالزاس فاساءوا فيهم الظنّ

وفي ١٣ تشرين الثاني قطع الفرنسويّان لاغنيو (Lagnieux) ومرتينه (Martinet) الشأو بين باريس فبروكسل بمائتين وثماني دقائق (اقل من ٣ ساعات ونصف) على طيّارة مزدوجة الاجنحة. وفي ٢٥ منهُ ارتفع دركسل (Drexel) على طيّارته المفردة الاجنحة الى علو ٣٣٠٠ متر حيث لم يبلغ احد قبلهُ

﴿ فنّ المناطيد ﴾ لم يُنسِ الطيرانُ فنّ المناطيد والمراكب الهوائيّة. فانّ بعض هذه السفن الجويّة قطعت غير مرّة فرضة المانش بين فرنسة وانكلترة فاستحسنت. انكلترة هذه المناطيد وابتاعت احدها بثمن ١٠,٠٠٠ ليرة مقرّةً بفضل الصناعة الفرنسويّة ورقيها

فكان نجاح هؤلاء الركّاب داعياً لغيرهم ان يطمحوا ببصرهم الى ما هو ابعد شأوًا فان الاميركيّ ولمان (Wellmann) ركب في ١٥ تشرين الاول منطادًا كبيرًا دعاهُ « اميركا اتلنتك ستي » (America Atlantic City) وقصدهُ ان يقطع عليهِ الاوقيانوس فينزل في انكلترة وكانت مركبتهُ مجهّزة بادوات التلغراف اللاسلكي ليخابر البرّين فقطع ٨٥٠ ميلاً بتسع وستين ساعة بمعدّل ١٥ الى ٢٥ ميلاً في الساعة الّا انّ الضباب تكاثف عليهِ فتاهَ وانقطعت عن البرّ اخبارهُ حتى أيسوا من نجاتهِ لولا ان سفينة تدعى ترينت (Trient) انقذتهُ من الغرق. وبعد الفحص تبيّن انّ صابورة للركبة لم يُحسَن تعديلها. على انّ هذا الفشل لم يثبّط آمال غيرهم من الاميركيين. وممّا يُذكر لهم سباق عشرة مناطيد تطايرت في ١٧ تشرين الاوّل من مدينة سان لويس لربح جائزة كأس خصّها بذلك غردون بنّات (Gordon-Bennett) فتناوبت عليها النُّوب وسقط بعضها في البُحيرات فتُشلت من الغرق

﴿ فن البحارة ﴾ انَّ اصطدام المراكب البحريَّة كثيرًا ما يسبب للشركات خسائر عظيمة فضلًا عن غرق راكبيها ومن ثمَّ يتساءل مهندسو العمارات البحريَّة عمَّا اذا كان يوجد طريقة لاستدراك هذا الخطر العظيم بتوقيف السفينة على فور كما تُوقف قطارات السكك الحديديَّة بالحكمة او اللجام (frein) . وكان لهذا البحث شأن خطير بعد ان أغرقت سفينةُ بادي كالة (Pas-de-Calais) الغواصةَ بلوفيوز (Pluviôse) لان رائد السفينة عاين من علو مرصده مرقبَ (périscope) الغوَّاصة الذي يرتفع عن سطح الماء لرصد الأفق فاشار الى الخطر لكنَّ السفينة لم تُحسن لسرعتها وثقلها ان تثبت في مكانها او ترجع القهقرى عن كثب فجرى ما جرى . وقد اثبت آخرًا بالحسابات المدقَّقة المسيو برتين (Mr Bertin) رئيس مهندسي العمائر البحريَّة الفرنسويَّة انَّ الدوارع البحريَّة اذا لم تعكس الآلات في سيرها لا تقف تمامًا عن الجري الَّا بعد ٥٢ دقيقة و٥٨ ثانية اي نحو ساعة وان كانت السفن على حجم المركب دوتشلند احتاجت الى ساعة و١٣ دقيقة وقطعت في تلك المدَّة ٧٥٠٠ متر . امَّا اذا عُكست بغتةً آلات سير المركب فحركتهُ لا تبطل الَّا بعد قطعه مسافة مضاعفة لطوله . مثالهُ الدارعة ذات ١٥٠ مترًا فانَّها تسكن عن الحركة بعد قطع ٣٠٠ متر وقس عليه للمراكب الكبرى فان وَجدت الدارعةُ على هذا الطول سفينةً صدمتها لا محالة وكانت صدمَتُها اشدَّ واخطر على حسب وقت انعكاس آلة الدارعة . ففكرُ المسيو برتين مصروف الآن الى اختراع لجام يبطل حركة السفينة تمامًا في لمحة العين او اسرع ما يكون ويقال انَّهُ توصَّل الى هذه الغاية بجهاز خصوصيٍّ اختبرهُ فاتى بالنجاح والسرّ لا يزال مكتومًا

وممَّا افادت الانباء البرقيَّة انَّ الانكليز ساعون في عمارة مراكب تجاريَّة طولها ٢٥٠ مترًا تقطع الاوقيانوس في سرعة ٤٠ عقدة في الساعة ويكون محمولها ٥٠,٠٠٠ طنٍّ والمخابرات جارية مع شركات العمائر البحريَّة

ترعة بناما — ماضيها وحاضرها

نُلحق بباب النقابة البحريّة نظرًا اجماليًا في هذا المشروع الخطير الذي توالت عليه النوائب فكادت تدخله في خبر كان ثمَّ عاد اليه الاميركيّون وقصوى غايتهم ان يخرجوه الى حيّز الوجود. ونضرب هنا عن التفاصيل التي اثبتنا سابقًا جناب الاديب الشيخ انطون الجميّل في السنة السابعة من المشرق (٧: ١٤٥ — ١٥٢) اذ ليس في الاعادة افادة فنقول

﴿ ماضي ترعة بناما ﴾ يجوز القول بانَّ فتح ترعة تجمع بين الاوقيانوسين الاتلنتكيّ والهادي خطرَ على بال كبار الاقتصاديين منذ يوم عرفوا بالضبط هيئة اميركة وتقاطيع قسميها الجنوبي والشماليّ. قيل انَّ اوَّل من فكَّر في حفر ترعة بين البحرين لمّا كان انطونيو كلفاو (A. Galvao) عرض فكرهُ على كارلوس الخامس سنة ١٥٢٨. وفي السنة ١٧٨٠ عرض نلسون الاميرال الشهير على وطنهِ انكلترَّة ان يحفر قناة نيكاراغوا لسبب بحيرتها الّا انَّ المسيو دي همبولد سنة ١٨٠٤ ومن بعدهِ غليوم دي تاسو امير اورنجة سنة ١٨٢٦ ارتأيا تفضيل بناما. وكذلك فضَّلهُ احد المهندسين سنة ١٨٤٥: فطلب من الملك لويس فيليب الرخصة في فتح ذاك البرزخ

ثمَّ قام بعدهم فردينان دي ليسبس فاتح قناة سويس (١٨٥٩ — ١٨٦٩) وقدَّم نفسهُ لهذا العمل الجديد فتشكَّلت لجنة من المهندسين وتجوَّلوا في انحاء بناما مدَّة اربع سنوات لتقرير المشروع وتمهيد العمل فكانت نتيجة الابحاث في مؤتمر المهندسين ان تُحفر تُرعة مكشوفة على سواء البحرين من خليج ليمون في بحر انتيل الى مرفأ بناما يكون طولها ٧٤ كيلومترًا في عرض ٢٢ مترًا وعمق ثمانية الى تسعة امتار. وبوشر بالامر بالتزام عدَّة ملازمين ثمَّ اقتصروا على خمسة اقسام كبيرة قسمان على منعطف الاتلنتيك في امكنة عميقة بينها وادي ريو شاغرس (Rio Chagres) حيث يسيل سيلٌ جحاف. ثمَّ قسمان في جبال الكوردليار الوسطى المارَّة في مضيق كولابرا (اي الافعى). والقسم الخامس على منعطف البحر الهادي من جهة ريو غراندي (Rio Grande)

١) عرض هذا البرزخ يتراوح بين ٥٠ كيلومترًا و١٩٢ ك

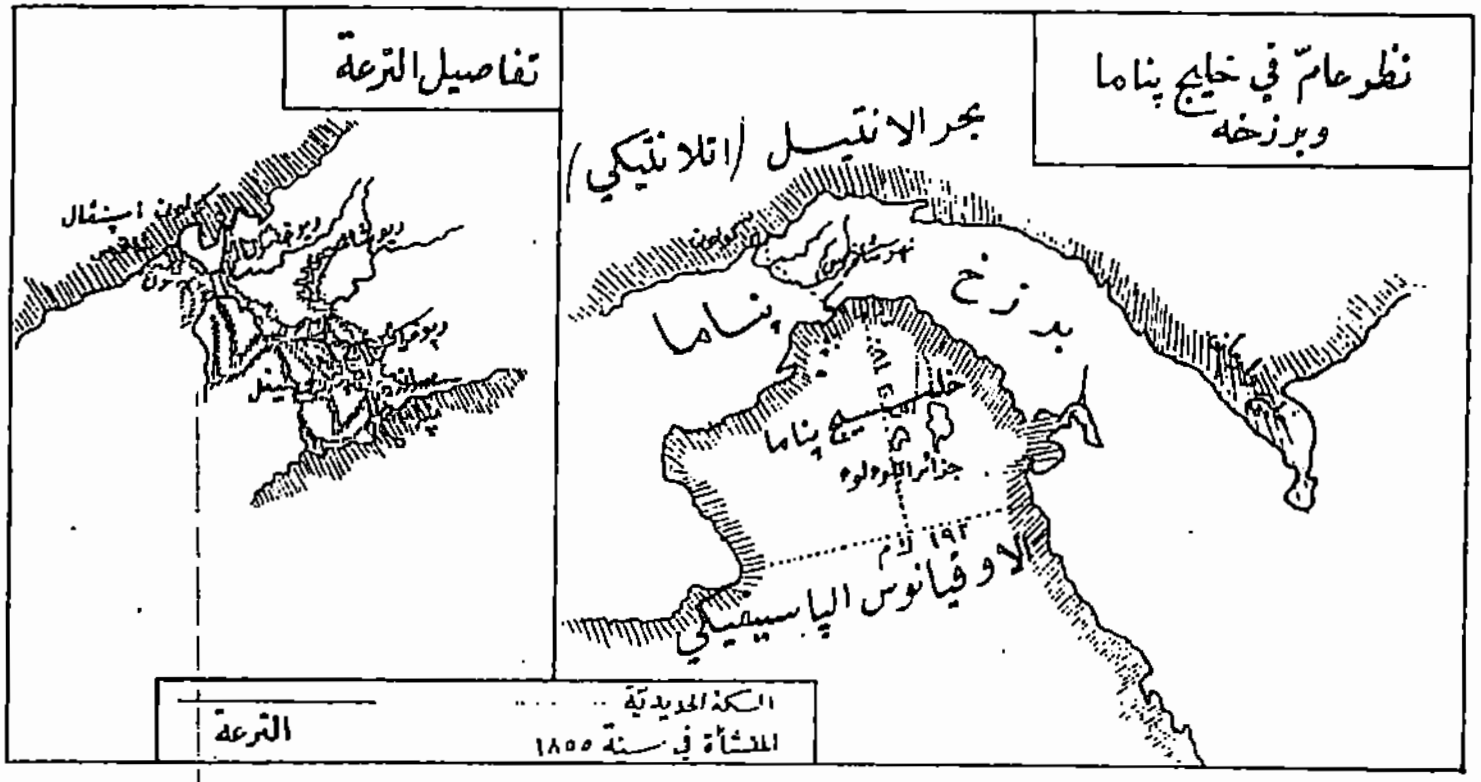
نظر عامّ في خليج پناما
وبرزخه
بحر الانتيل (اتلانتيكي)
برزخ پناما
خليج پناما
جزائر الموولوه
١٩٢ كم
الاوقيانوس الپاسيفيكي
تفاصيل الترعة
اسنشال
السكة الحديدية
المنشأة في سنة ١٨٥٥
الترعة

فلمَّا اخذ العمل بالتقدُّم أُنشئت شركة عموميَّة رأس مالها ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك مقسَّمة على اسهم ذات ٥٠٠ ف تُدفع قسطين. الَّا انَّ التبذير والتلاعب ما لبثا ان تسرَّبا الى هذا المشروع وتبدَّداه فاقتضى الامر إصدار قراطيس جديدة. وفي اثناء ذلك غيَّر المهندسون رسمهم فجعلوا القناة ذات حواجز (écluses). وفي سنة ١٨٨٨ عوَّل اصحاب العمل على قرضٍ جديد قدره ٧٢٠ مليونًا لم يرضَ بهِ مجلس الندوة الفرنسويَّة الَّا بصعوبةٍ ولم تفِ بهِ الاسهم واخذ الناس يتوقَّعون الافلاس

وكانت الاخبار تتناصر فتارةً تعظِّم صعوبات المشروع وتارةً تشير الى مطامع الملازمين وحينًا تنبئ باختلاس اقساط من المال. وكانت الولايات المتَّحدة في غضون العمل تجاهر بخوفها من تملُّك الفرنسويين للقناة او على الاقل من خروجها عن حكمهم فتُعلن فكرها في فتح ترعة نيكاراغوا ونهر سان جوان لانَّ تلك الطريق مع طولها اكثر اقتصادًا على زعمها

ثم طلب مجلس الندوة الفرنسويَّة بان يُرسَل مراقبون يبحثون عن العمل ويتحقَّقون حسابات الملازمين والمهندسين فكان تقرير روسو (Rousseau) منذرًا بالخوف وسوء الظنّ بمشروع بناما. وفي اواخر السنة ١٨٨٨ طلبت الشركة مهلة ثلاثة شهور لوفاء ديونها فأُنكر عليها طلبها. فاستمدَّ اذ ذاك فرديناند دي لسبس من الحكم المدنيّ ان تُشكَّل لجنة من الوكلاء. فذهبت مساعيهم ادراج الرياح. ثم اخذت الشكاوى تتوارد على الشركة الى محكمة باريس الابتدائيَّة في شهر كانون الثاني من ١٨٨٩ ولم تزل تتوالى حتَّى قضت المحكمة بالغاء الشركة فسقط مشروع بناما وبعد سقوطهِ اخذ القناع ينكشف عن ضروب من التبذير وابتزاز المال وانواع الرشوة والخداع تشيب لها رؤوس الاطفال حتَّى اصبح اسم بناما مرادفًا لكلّ مشروع خبيث ولازمة ماليَّة مُنكرة. وافتتح المدَّعي العموميّ المسيو كينه دي بوريار (Quesnay de Beaurepaire) في ١١ حزيران سنة ١٨٩١ تلك الدعوى الشهيرة التي دامت ١٧ شهرًا وانتهت بازمةٍ فضحت عددًا وافرًا من جلَّة الناس وارباب الامر بينهم المبعوثون والاعيان والوزراء والصحافيُّون ولاسيما ارباب الثروة من الاسرائيليين مثل رينـاخ وكورنيليوس هرتس وارتون. ولكثرة من اتَّسخوا بهذه الدعوة لم تلبث الازمة الماليَّة ان انقلبت الى ازمة سياسيَّة سقطت بسببها الوزارة وسربلت

فرنسة بالعار. على انَّ المحكمة لم تقض في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢ الَّا على فردينان دي ليسبس وعلى ثلثة من وكلاء الشركة الملغاة وعلى ايفل المهندس الاوَّل والملازم الاكبر (ثلاث سنوات بعد تشييده للبرج الحديدي المنسوب اليه في باريس ذي علوّ ٣٠٠ متر). فحدّث ولا حرج عن كثرة الذين فقدوا مالهم ممَّن خُدعوا بهذا المشروع وابتاعوا القراطيس املًا بالربح فلحقوا بالدقعاء.

﴿ مشروع بناما الجديد ﴾ ولكن ماذا جرى بعد ذلك بالبرزخ وبالاعمال التي انجزها المهندسون هل استولى الخراب عليها او طغت عليها المياه؟ كلَّا بل بقيت تلك الاعمال في حالة مرضية الى السنة ١٩٠١ حيث اجمع اعضاء مؤتمر الولايات المتَّحدة على استئناف الشغل بعد ابتياع حقوق الشركة الفرنسويَّة والتعويض الجزئي لأصحاب قراطيسها

وما قرَّر اصحاب المؤتمر ذاك القرار حتى حاولت الولايات المتَّحدة باجرائه عملًا دون تريُّث. وما كان الامر سهلًا لانَّ برزخ بناما كان من املاك اميركة الجنوبيَّة واقعًا في حكم جمهوريَّة كلومبيا التي حاضرتها بوغوتا. فما كانت الولايات المتَّحدة تستطيع التداخل في املاكها لكنَّها عرفت من اين تؤكل الكتف وكيف تحصل على مرغوبها فانَّ ايالة بناما كانت وقتئذٍ تغلي غليانًا لرغبة اهلها في الاستقلال فانتهزت الولايات المتحدة هذه الفرصة فالقت شبكتها في بحرهم وساعدتهم على نوال بغيتهم (١ ثم تفاقمت الفتن حتى اعلنت بناما باستقلالها في ٣ الى ٥ من تشرين الثاني سنة ١٩٠٣

وفي ٦ منهُ عيَّنت جمهوريَّة بناما كمعتمدها لدى الولايات المتحدة في واشنكتون الفرنسويَّ فيليب بونوفارلَّا (Ph. Bunau-Varilla) فما وصل الى مركزه حتى استقبلهُ روزفلت في ١٣ من الشهر الجاهر المعتمد امامهُ بان الجمهوريَّة الجديدة تُعلن بصيانتها لحقوق الشركة الفرنسويَّة القديمة. وبعد خمسة ايَّام اعترفت فرنسة بالحكومة

١) كانت كولومبيا في مؤتمر بوغوتا رفضت المعاهدة المعروفة بجاي هرّان (Hay-Herran) التي كانت عتيدة ان تمهّد السبيل لفتح ترعة بناما فادَّعت الولايات المتحدة انَّ رعاياها في خطر فارسلت قوَّات لحاماتهم فاستفحل الشرّ بذلك وقويت الثورة فنسب الكلّ هذه الفتن لتوسُّط الولايات المتَّحدة

الجديدة وعلى اثرها جرت بقيّة الدول. وفي يوم اعتراف فرنسة بجمهوريّة بناما امضى المسيو هاي (Hay) مندوب الولايات المتحدة ومعتمد جمهوريّة بناما بونوفارلّا عهدةً تخوّل الولايات المتحدة الحقّ بمواصلة ترعة بناما واشترطت الولايات المتحدة على نفسها انّها تحافظ على استقلال جمهوريّة بناما وتدفع لها مبلغ عشرة ملايين دولار وفي كل سنة ٢٥٠,٠٠٠ دولار وفاء لها عمّا تمنحها الجمهوريّة من حقوق تملّك الترعة واستثمارها مع الاملاك اللاحقة بها والجزائر الواقعة في مرفأ بناما. فالولايات المتحدة ان تتصرّف بها تصرُّفها باملاكها البريّة والبحريّة . وهذه العهدة صادقت عليها جمهوريّة بناما في ٢ ك١ سنة ١٩٠٣ ثم رئيس الولايات المتحدة في واشنكتون في ٢٣ شباط ١٩٠٤. فرأى الجميع في هذه العهدة تنفيذ الولايات المتحدة لرغائبها ومفعول سلطة الكبير على الصغير. نعم انّ جمهوريّة بناما حظيت بالاستقلال لكنها فقدت في الوقت عينهِ حقوقها على الترعة التي كانت خوّلتها العزّ والقوّة ـ وقد اخذت بناما تجري على مشترع دستورها في ١٤ شباط ١٩٠٤ امّا الناس فلا يعرفون من احوالها غير اعمال الترعة التي تعاينها الجمهوريّة لا كسيّدة بل كمامة لحساب غيرها

*

قلنا انّ الولايات المتّحدة استأنفت خطّ الشركة الفرنسويّة من كولون مدينة اوقيانوس الاتلنتيكيّ في بحر انتيل الى بناما على الاقيانوس الهادي. وكذلك عقدت مؤتمرًا دعت اليهِ مهندسي الدول مع مهندسي بلادها وقرّرت ان تجعل الترعة ذات حواجز لئلّا تحتاج الى حفر الجبال حفرًا عميقًا لتسوية الترعة مع سطح البحرين. وقد تعهّدت ان تنجز العمل في غاية سنة ١٩١٥ او غرّة ١٩١٦. ومنذ اليوم تتنافس مدينتا سان فرنسيسكو واورليان الجديدة في الحصول على شرف انشاء معرض عموميّ للاحتفال بنجاز المشروع. ولكن هل تتمّ يا تُرى تلك الترعة في هذا الموعد فانّ كثيرين من الاقتصاديين يشكّون في قرب نجاز العمل . وممّا كتب احد زوّار الترعة آخرًا الى البشير (في ٣٠ ك ١ ١٩١٠) انّهُ يرتاب في كون الترعة تتمّ قبل ١٢ سنة (اعني قبل سنة ١٩٢٢) لقلّة المال واخبر انّ الملازمين صرفوا في ايلول نحو الف من الفعلة لنفاد الاموال المعيّنة للسنة. وقد اطنب هناك في وصف بناما ورصيفتها كولون وترقّيهما وكذلك اشار الى تقدّم المدن الصغيرة التي وجدها في طريقهِ بين

كولون وبناما وقطع تلك المسافة بساعتين ونصف. ولا عجب من هذه المشاق لانَّ برزخ بناما ليس كترعة سويس فانَّ هذه كانت تتركَّب من الرمل والحصى امَّا تلك فتجمع ضروباً من العوائق التي جمعتها الطبيعة في المسافة الفاصلة كولون عن بناما كما يستدلُّ على ذلك المعتبر لخارطة اميركة الوسطى فانَّ هناك سلسلة جبال شاهقة ترتفع الى السحاب في غربيّ قارَّتي اميركة وتصل بين جنوبها وشمالها فتنعقد في وسطها. اعني جبال كوردليار الآند جنوباً والجبال الصخريَّة مع سيارًا نقادا شمالًا. فتلك عقدة لا يسهل قطعها وان كان عدد العملة الذين يشتغلون في ذلك لشبه بعسكر اذ لا يقلُّون عن ٢٥,٠٠٠ فاعل يعينهم في ادراك غايتهم عدد لا يُحصى من الآلات المستحدثة الهائلة المنظر السريعة العمل منها للقطع ومنها للنحت ومنها للثقب ومنها للتفتيت تزيدها قوَّة عوامل الهواء المضغوط والكهرباء.

وقد بلغ العمل هناك الى اشد نقطة صلابةً فترى الآلات الثاقبة يضغطها الهواء فتنطح الصخر وتهيّئ الانقاب للغوم التي توقد فيها فتنفجر طول النهار ولاسيما في ساعة اكل العملة اعني الساعة الحادية عشرة صباحاً والسادسة مساء حيث تصمُّ الآذان لدويّ انفجارها. واذا تفتَّت الصخر ترى المجارف الميكانيكيَّة في ذهاب واياب تنقل كلَّ مرَّة اربعة امتار مكعَّبة من الردم ويقال انَّ ما نُقل حتى الآن من هذه الانقاض (التعزيل) يبلغ قدرهُ ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب وقد بقي نحو ٨٥,٠٠٠,٠٠٠. هذا اذا تتابع الشغل على حالتهِ القانونيَّة ولم يحصل شيءٌ من الانخسافات وانهباط القطع الجبليَّة لا سيما في الامكنة الصلصاليَّة التي عند كولبرا. وكذلك لا يعلمون حتَّى الآن الى ايّ عُمق يجب الحفر لوضع اساس خزَّان او سدّ غاتون (Gatun) الذي قدَّروا عرضهُ ٤٥٠ مترًا وطولهُ ٢٤٥٠ م بحيث يمكن اصطناع بحيرة تكبيرها ضعف بحيرة ايطالية الكبيرة (Lac Majeur) ليجمعوا فيها المياه العرمرميَّة التي تسيل من ريوشاغرس. وكذلك لا يُعلَم ما سيحصل من الطوارئ بقرب مدينة بوكا (Boca) حيث يشتغل العملة في ازالة جبل بتمامهِ ليستمدُّوا منه الموادّ اللازمة لابنية القناة اذ هناك سيصير المرفأ الكبير ومدخل السفن من جهة البحر الهادي وكذلك من جهة بحر الانتيل في الاوقيانوس الاتلنتيكيّ عند مدينة كرستوبال قريباً من غاتون

وقد سبق انَّ هذه الترعة ليست متساوية السطح مع البحر لكن ذات حواجز وستكون الحواجز توأميَّة ليتسنَّى مرور باخرتين معاً ذاهبةً وآئبةً بحيث تُصعَد السُّفن شيئاً فشيئاً الى علوّ ٢٨ متر ويُهبط بها كذلك. وطول الترعة سيكون ٦٤ كيلومتراً واقلّ عرضهِ ٦٢ متراً (١. والحواجز التوأميَّة في ستَّة امكنة ثلاثة منها عند غاتون من جهة بحر الانتيل. والثلاثة الأُخر من جهة الاوقيانوس الهادي عند بدرو ميكال (Pedro Miguel) وميرا فلورس (Miraflores). وكلّ حاجز يكون طولهُ ٣٠٥ امتار في عرض ٣٦ متراً بحيث تستطيع اكبر السفن التجاريَّة كسفينة موريتانيا حالًا والدوارع الحربيَّة من جنس الدريدنوتس ان تمرّ بها

ولمَّا كانت ترعة بناما ملكاً للولايات المتحدة كما مرَّ الى حدود ثمانية كيلومترات من على ضفَّتيها مع جزائر الخليج ففكَّرت للحال بتحصين مدخلها من الاوقيانوسين. ففي ايَّار من السنة المنصرمة قدَّم كاتب اسرار الوزارة الحربيَّة جاكوب ديكنسون لرئيس الولايات المتحدة للسيو تافت رسماً فيهِ صورة التحصين باعظم ما يُعرف من ادوات الحرب ولعلَّ خوف الولايات المتحدة من اليابان حملها على اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة. ففي نيَّة الحكومة الاميركيَّة ان تجهّز الجزائر الواقعة على خمسة عشر ميلًا من البرّ بثلاث بطاريَّات وتعضدها بمدافع اخرى على مدخل القناة. وكذلك ستجعل بطاريَّة أُخرى في داخل القناة على مسافة ستة اميال من البحر للدفاع عن حاجزي ميرافلورس وبدرو ميكال ثم تشيّد من جهة الاتلنتيك مركزاً للجند على جبل كولبرا وتجهّز جبل البوشو (El-Bocho) ببطاريَّات بحملها ٦٠ مدفعاً. وقد طلب المستر تافت ان تخصَّص لهذا التحصين مبالغ يكون مجموعها ١٢,٤٠٠,٠٠٠ دولار. هذا فضلًا عمَّا يقومون بهِ من التحصينات في كوانتامانو في جزيرة كوبا حيث يجعلون اسطولًا عند مدخل بحر انتيل لمراقبة العدوّ. فترى من كلّ ذلك انَّ اميركة اذا نوت امراً لا يثني عزمها في تنفيذهِ شيءٌ من العوائق

---

١) يبلغ طول قناة سويس ١٦٢ كيلومتراً اي ضعفي قناة بناما ونصف. الَّا انَّ ترعة سويس متساوية سهلة الحفر وامكن المهندسين ان ينتفعوا من البحيرات المرَّة (les Lacs Amers) ومن بحيرة تمساح. وعرض ترعة سويس في سطح المياه من ٦٨ الى ١٠٠ متر وفي قعرها ٢٢ م. اما عمق الترعة فثمانية امتار و٥٠ س. وعلى جوانبها ١٣ محطَّة

أيُها الدين

أذاعَ رجالُكَ السرَّ المَصُونا فأبدَوا غامضاً وجلَوا يقينا
وأنضوا سترَ اوهامٍ وكانت تُمثِّلُ خلفَهُ الدنيا مُجونا
وتنشرُ من خلاعتها ضروباً وتُظهرُ من مساوئها فنونا
مشاهدُ حارتِ العُقلاءُ فيها وكانوا الناظرينَ السامعينا
عهدناكَ الذي يُغضي ويعفو اذا كثرت عيوبُ المذنبينا
وصوّاناً مكانُ السرِّ منهُ مكانَ الروح ممّن يجنونا
وانتَ تقول صفحاً عن مُسيءٍ ورِفقاً بالعبادِ الساقطينا
وان عثَرَ الرفيقُ فأنجدوهُ ومُدّوا الى إقالتهِ اليمينا
فهل غيّرتَ هاتيك السجايا وبدّلتَ الطباعَ وما دَرينا
وهل حوّرتَ تعليماً قديماً تناقلَهُ العبادُ الأوّلونا
أم اعتُصبتْ رجالك واستفاقتْ تُناصبُ شيعةً وتصونُ دينا
وتقطعُ فاسداً وتَلُمُّ شَعثاً وتضربُ عانثاً ثغرَ الحصونا

*

فلا واللهِ ما عارضتَ قلباً لغير الحقِّ يرفضُ ان يدينا
ولا قسّيتَهُ في وجهِ قومٍ يذوبُ الى عناقهمِ حنينا
وكنتَ ولا تزالُ حصينَ صدرٍ كتومَ السرِّ صوّاناً امينا
تلينُ متى رأيتَ اللينَ يجدي وتأبى مع التحاملِ ان تلينا
ولكنَّ العدوَّ يُريكَ شرّاً ويطلبُ منكَ ان تغضي الجفونا
ويُضرمُ في زروعِ بنيكَ ناراً وان قاومتَ سمّاكَ الخؤونا
وتُشبعُ كنْهُ خدّيكَ صفعاً ويأملُ ان تقولَ لهُ : رضينا
ويسألكَ التساهلَ او يسيّي رجالَك كلّهم متعقّبينا
يروعُ وان شعرتَ بهِ ينادي وويدكَ قد اسأتَ بيَ الظنونا
ويبذرُ فتنةً ومتى استطالتْ يقولُ بَنُوكَ كانوا الباذرينا

واتباعٍ لهُ احتسبوكَ سَدًا يثبّطُ عزمةَ المتمدنينا
قفلتَ بوجههم باب اللاهي وقتَ تُناوشُ المتهتكينا
فسامُوكَ العداوةَ واستناموا الى امالهم مستبدينا
فقلبهُمُ لمثلكَ ليسَ يصفو ومثلهُمُ بشرعكَ لن يدينا
يقولونَ السياسةُ لا توالي أناسًا اصبحوا مُتَوحّدينا
حقوقَ الدينِ نَبخَسهُم ونُبقي لنا الدنيا فهلّا ينصفونا ؟
وان وقعوا بسُفْلةٍ أقاموا اليكَ واقبلوا متسابقينا
وقالوا تحسُنُ الدنيا وتزهو اذا ما الدينُ كان لها قرينا

*

فيا عجبًا من الدنيا ومنهم اناسٌ بالتقلُّبِ حيَّرونا
فقد نُحنا فلم يبكوا وقنا ندقُّ فلا نراهمُ راقصينا
ومن شرِّ المصائبِ أن تُصافي عدوًّا ليس يُخلصكَ اليينا
حملنا منهمُ عَنَتًا وان لم يُحكَّمْ في القضيةِ مُنصفونا
كمذبوحٍ بسيفِ الظلمِ راضٍ ولا يرضى الجناةُ القاتلونا
صبرنا على أذاهم فاستحلّوا دماء رقابنا مُتنمّرينا
وكانوا كالثغاثِ فطارَ منهم زعانفةٌ غدوا مُستنسرينا
فصدَّتهم زعازعُ هائجاتٌ تُعيدهمُ بارضكَ مدقعينا
وشُهبٌ من بُزاة العلمِ اضحوا زرازيرَ الضلالةِ صائدينا
كشفنا منهمُ سرًّا وكانوا لهُ بينَ الاضالعِ صائنينا
وقد فسدت طويّتهم فامسوا باصناف الفواحشِ ناضحينا

*

واسرار الظلامِ بها ننادي على رؤس العبادِ مصرّحينا
فكيفَ يجوزُ سترُ السرِّ يومًا اذا ما كانَ فحشًا او كمينا
ومزلقةً لاقوامٍ وُجدنا لنحرس منهمُ حسبًا ودينا
وانّى صحَّ طبرُ مخبّآتٍ يكونُ نتاجُها داء دفينا
ودفنُ مفاسدٍ برؤوس قومٍ لِما قالَ السلَطُ يرضخونا

ودرُّ خناجرٍ بصدور شعبٍ لتخرقها وتجعلها جفونا
وتركُ الأفعوانِ لدى فراشٍ ليسهرَ في الرقادِ على بنينا
واخفاء الشرارةِ في هشيمٍ وتجلسُ فوقهُ متطامنينا
فلا وابيكَ هـذا شرُّ فعلٍ يقصِّرُ عنهُ جهلُ الجاهلينا
ويتركُ كل ملتفتٍ اليهِ كسيرَ القلب مبهوتاً حزينا
أمـا واللهُ يأمر ان نُجافي أخا جَرَبٍ ونطرحُ الزَّمينـا
ونقطع كل عضوٍ فيهِ داءٌ مخافة ان يضرَّ السالمينا
فلا اسفٌ على نفرٍ تهاووا باطباق الجهالة ساقطينا
محضناهم كثيرَ النصحِ بُقيا عليهم فاستمرُّوا تائهينـا
وهزَّ الدينُ فوقهمُ حساماً فكان كمن يخاطب مائتينا
لقد عقُّوا اباهم واستهانوا بامٍ تلطمُ الخدَّ الحزينا
وقاموا يُنذرونَ بني ابيهم باهوالٍ تُشيبُ المرضعينـا
يلاحهمُ التعاضد والتآخي وجندٌ في الشرور مجرَّبونا
تقودهمُ العباوة حيثُ شاءت وأنَّى شاء جهلٌ يتزلونا
يرونَ الفوزَ طيفـاً في منامٍ فيقضونَ الحياة معلّلينـا
تشدُّ ذراعهم آراء حيفٍ تردّدُ في مسامعهم طنينـا
اذا التفَّتْ جموعهمُ وأبدت مُناجزةً وعددتِ القرونا
وحرَّشها التضاغنُ واستفزَّتْ يناطحُ وعلُها الصخرَ المتينا
ويبصرُ من رجال الدين قوماً يخوضونَ المعامع ظافرينـا
لشقِّ غبارها خُلقوا وكانوا لمثلِ اليوم يطوونَ السنينا
يفدّونَ الحقـائقَ بالغوالي وبالارواحِ ايماناً ودينـا
فإن قعدوا تُقيمهمُ نفوسٌ ابيّاتٌ تُقيمُ القاعدينـا
تعودُ بهم الى العصر الخوالي وايامِ الجدودِ الاوّلينـا
الى وقتٍ به اجتمعتْ ملوكٌ تُبيدُ الدينَ والحقَّ المبينـا
فسادَ وعادَ من حلموا بفوزٍ بعركٍ رحى عصابتهِ طحينـا

*

ألا يا ايها الدينُ الذي لم تُهوِّلهُ رعودُ الكافرينا
وكانَ بمهدهِ طفلًا فأبلى ودانَ لهُ الطُّغاةُ المارقونا
أيجملُ بعدما اشتدّيتَ زندًا بقومكَ والرعاةِ المُفلحينا
أيحسُنُ ان يُسامَ بنوكَ خسفًا ويرضوا بالمهانةِ صاغرينا
أيجدرُ أن ننامَ على هوانٍ ونحملَ جورَ قومٍ عيّرونا
ونحنُ المدركونَ لما اردنا ونحن الى الغنائمِ سابقونا
ونحن الكاشفونا الضيمَ عمّن أقرّت فيهمِ الايامُ هُونا
ونحنُ المحسنونَ الى عدوٍّ ونحنُ لدى المصابِ مفاخرونا
ونحنُ العاملونَ وهم اناسٌ أماتَهمُ الخمولُ ويدّعونا
وفينا العلمُ علمُ الحقِ يمحو ضياءُ جبينهِ الجهلَ المشينا
حسامُ اللهِ يُحملهُ كماةٌ يُجرّدُ للصروفِ متى غُشينا
ندكُّ بهِ حصونَ الكفرِ دكًّا ونقضُ عزّةَ المتشامخينا
ونشحذهُ لشيطانٍ مُضلٍّ يدوفُ لنا بوِردِ الصدقِ طينا

*

رويدكَ ايها الدينُ المفدّى بأنفسِ اهلكَ المستقتلينا
يريدُ بقومكَ الظلّامُ سوءًا وربُّكَ لا يحبُّ الظالمينا
ويطلبُ منكَ اهلُ البغيِ ثأرًا فلا واللهِ ذلكَ لن يكونا
نُعيذكَ أن تُمسَّ ولا نروّي رُبانا من دماءِ المفترينا
وُلدنا في حماكَ وما عرفنا بانَّ لنا سواكَ ابًا حنونا
تعهّدنا رجالكَ فاستقينا وحبّكَ والفضيلةَ أشربونا
فيأبى اللهُ ان ننسى جميلًا ونأبى ان نكونَ الغامطينا
نهجتَ لنا الطريقَ الى المعالي فجزاها بهديكَ آمنينا
رأينا منكَ اشفاقًا وإنّا لنُخلصكَ المحبةَ ما حيينا
فُدْ يحميكَ انصارٌ كرامٌ تقومُ بهم حدودُ اللهِ فينا
تتيهُ بفضلهم عزًّا وتلقى بيُوسَ رأيهم شيخًا ركينا
يقولُ وليسَ معترضٌ ويقضي فنقبلُ الاوامرَ راضخينا

ويُطرُ نصحَهُ بصدورِ شعبٍ فينمشُ ضمنها ديناً مكينا
تخذناه عن الاجدادِ إرثاً ونورثهُ اذا متنا بنينا
ختمنا على القلوب بهِ وهذا شعارُ بنيكَ أنّى يظهرونا
وصبغةُ كاهنٍ ان شئتَ يُدعى بملءِ النحرِ خادمكَ الامينا

الخوري الياس الحايك

قانون

الوزير الاعظم في خلافة بني عثمان

للطفي باشا وزير السلطان سليمان الكبير

توطئة

بين المخطوطات التي خلّفها الاديب الحلبي والكتبي المرحوم احمد وهبي فحصلت عليها مكتبتنا الشرقيّة بعد وفاتهِ كتاب نفيس عنوانهُ « قانون بني عثمان » مجلّد بجلد اسود متين على صفحتيهِ ولسانهِ نقوش ذهبيّة طولهُ ٢٢ سنتي في عرض ١٤ س وهو يتألّف من ٢٩ صحيفة ومكتوب بخطّ مُشرق غاية في الوضوح على ورق صفيق. واسم المؤلف لم يُذكر لا في صدر الكتاب ولا في اثناء الكلام وعلى ظنّنا انّهُ الكتاب التركي المرقوم في مكتبة ڤينة عاصمة النمسة بعدد ١٨١٨ (Flügel : *Die arab.*, *pers. u. türk. HSS. z. Wien*, III, 252) والمدعو هناك « قانون نامهٔ احمد خان » اي قانون السلطان احمد الاوّل المالك من السنة ١٠١٢ الى ١٠٢٦ه (١٦٠٣—١٦١٧م) « من جمع مؤذن زاده عين علي باشارة الوزير مراد للسلطان احمد خان». وقد جاء في آخر نسختنا العربيّة ما نصُّهُ الحرفيّ :

« وكان الفراغ من نسخها في اثنين وعشرين يوماً خلت من شهر ذي الحجّة الحرام ختام سنة تسعة واربعين ومائة والف (١٧٣٧م) على يد العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي لطف ربّهِ القدير خليفة ابن احمد بن محمّد غفر الله لهُ ولوالديهِ ولجميع المسلمين الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين امين »

والكتاب قسمان مختلفان القسم الاوّل (ص١ — ٧٤) يتضمّن قانون بني عثمان ونظام دواوين دولتهم سنة ١٠١٨ ﻫ (١٦٠٩م) يقال فيهِ انَّ المؤلف قضى « مدّة في خدمة امانة الدفتر الخاقاني » واطّلع على امور الدولة فجمعها في رسالة واهداها الى مراد باشا . والكتاب يُقسَم الى اربع مراتب : « المرتبة الاولى في حصر العساكر المنصورة الخيّالة والمشاة ايش عدّتهم وايش قدر لهم من الطوفة وايش يخصّهم من الوظائف يوميّ وسنويّ . والمرتبة الثانية في معرفة عمارة البحر وما فيها من الرؤساء واللاوند والترسخانة وايش قدر وظائفهم . المرتبة الثالثة في بيان حاشية الملك نصره الله الذي لم يفارقونهُ (كذا) سفرًا ولا حضرًا . المرتبة الرابعة في معرفة الاغاوات والذين يأخذون المشاهرات والغلمان الذي (كذا) داخل السرايا العامرة وكم تكون عدّتهم » . ثمّ يقسم كلّ مرتبة الى فصول ويتتبع وظائفها رتبةً رتبةً وايالةً ايالة حتّى وظائف كتاب الدواوين والاطبّاء والمنجمين والبازدارية والخدّام والخيّاطين والطبّاخين وجميع اهل الحرف . امّا القسم الثاني وهو الذي احببنا نشرهُ هنا فاسمهُ في التركيّة « آصف نامه » وهو يحتوي قانون الوزارة العظمى وضعهُ الوزير الاعظم لطفي باشا . فالمذكور كان متجنّدًا في العساكر الهمايونيّة ثمّ تقلّب في الرتب حتّى رُقّي الى منصب بكلربك اي رئيس الضبّاط (Capitaine des gardes) بعد مصطفى باشا وقُلّد الوزارة ثمّ أُرسل بصفة سرعسكر اي كبير القوّاد الى محاربة البندقيّة في معاملة پولية (La Pouille) وجزيرة كورفو . ثمّ تغيّر عليهِ السلطان مدّة فعزلهُ ولمّا توفّي مصطفى باشا سنة ٩٤٥ ﻫ (١٥٣٨م) نصبهُ مكانهُ بصفة وزير ثانٍ حتّى تصدر في الوزارة العظمى الى السنة ٩٤٨ (١٥٤١) فأُحيل على التقاعد وتوفي بأجلهِ بعد قليل سنة ٩٥٠ (١٥٤٣) . وللطفي باشا بعض كتب ألّفها بالتركيّة منها كتاب « قانون نامهٔ عثمانيّه » ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (٤ : ٥٠٢) ولعلّ بينهُ وبين كتابنا الموصوف آنفًا علاقةً . ومنها كتاب تواريخ آل عثمان منهُ نسخة في مكتبة ڤينة . وكتاب المسائل في الفروع ذكرهُ الحاج خليفة (٣ : ٥٣٩) . وهذا الكتاب « آصف نامهٔ » الذي منهُ بالتركيّة نسختان في ڤينّة (Flugel, II, 78 et 226) امّا الترجمة العربيّة فهي بسيطة قريبة من اللغة العاميّة كثيرة الالفاظ التركيّة تركناها على اصلها وقد اصلحنا فقط بين هلالين بعض اغلاطها ل . ش

(الصفحة 75) قانون لطفي باشا

والحمد لله وحدهُ والصلاة والسلام على سيّد المرسلين
وحبيب رب العالمين سيّدنا محمد صلعم

لمّا بعد يقول راجي عفو ربّهِ القدير لطفي باشا الوزير بأني خادم الدولة العثمانيّة من عصر المرحوم بايزيد خان (١ وصرتُ غرس نعمتهم وداعي دولتهم. ولمّا كنتُ في الحرم الخاصّ في الداخل بعون الله تعالى حصلتْ غاية المعرفة والكمالات. وفي جلوس السلطان سليم (٢ طلعتُ من الجوخداريّة (٣ الى الخارج بخمسين عثماني (٤ متفرّقة. ثمّ بعدهُ صرتُ جشنكير باشي (٥ ثمّ قبوجي باشي (٦ ثمّ مير علم (٧. وبعدهُ يسّر (الله) لي سنجق قسطموني (٨. ثمّ بعدهُ بكلربكيّة قرمان (٩. وبعدهُ بكلربكيّة اناطولي (١٠ ثمّ بعد ذلك يسّر الله لي الوزارة العظمى في زمن السلطان سليمان (١١

وبعد خروجي من السراية العامرة عاشرتُ العلماء والفقهاء والصلحاء والظرفاء واصطحبتُ معهم وحصّلتُ جملة علوم ولمّا حضرتُ سلطان البرّين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين اعظم السلاطين واكرم الخواقين (١٢ ناصر عباد الله حامي بلاد الله

١) هو بايزيد الثاني تولّى السلطنة سنة ٨٨٦ (١٤٨١) الى ٩١٨ (١٥١٢)
٢) هو سليم الاوّل فاتح مصر والشام تولّى الامر سنة ٩١٨ (١٥١٢) ومات سنة ٩٢٠
٣) اي من جمهور الخدّام. اصلها من «جوخ» بمعنى الجمهور و«دار» لفظة النسبة
٤) العثماني احد النقود النحاسيّة الجارية في الدولة التركيّة كان كالقرش بيّنف في عهدنا وقد اختلف ثمنهُ مرارًا
٥) الجشنكير او الجشنيكير هو الخادم الموكل بطعام السلطان والوزراء اصلهُ من «جشني» بمعنى الذوق لانهُ يذوق الطعام قبل ان يقدّمهُ لمولاه
٦) القبوجي باشي الحاجب الكبير من «قبو» اي باب
٧) المير علم او امير العلم كان الحامل في الحروب راية رسول الاسلام
٨) السنجق اللواء والايالة. وقسطموني احدى ولايات الدولة العليّة
٩) البكلربك سيّد السادة يراد به الوالي الكبير ١٠) اي الاناضول
١١) هو سليمان الكبير المتولي السلطنة من السنة ٩٢٦ الى ٩٧٤ (١٥٢٠–١٥٦٦)
١٢) جمع خاقان وهو الملك

الغازي (الغازي) في سبيل الله السلطان سليمان أنعم عليَّ بالوزارة العظمى فرأيت تغيَّر في الديوان العالي بعض قوانين كنتُ اعهدها في الاوَّل (76) فاحتجتُ اني وضعتُ وحرَّرتُ هذه الرسالة ليتنفع بها كلَّ من جلس بعدي في الصدر العالي من الوزراء ذوي المعالي وسمَّيتها « آصف نامه » (١ حتَّى اذ تقرَّرت الوزارة على احد من الاخوان يعمل بها ولا ينساني من الدعاء ورتَّبتُها على اربعة ابواب

الباب الاوَّل كيف يحتاج حركة الوزير الاعظم وسلوكهُ واخلاقهُ وكيف تكون معاملتهُ مع السلطان

الباب الثاني في تدبير السفر

الباب الثالث في تدبير الخزينة

الباب الرابع في تدبير الرعايا

لمَّا حصلت لي العناية الازليَّة وتقلَّدتُ الوزارة العظمى رأيت احوال الديوان العالي غير منتظم فشمَّرتُ عن ساق الجدّ والاهتمام ورتَّبتُهُ سبعة اعوام ثمَّ بعد ذلك بسبب غرض المنافقين لاسيما لاخلِّص نفسي من كيد النساء ومكرهم (كذا) فرغتُ من الوزارة وتوجَّهتُ الى ناحية ادرنة (٢ الى الجفتلك (٣ الذي لي هناك واقمتُ فيهِ بالراحة وفراغ البال والخاطر ادعو الى الله سبحانهُ وتعالى باصلاح حالي واحوال العباد مع علمي انَّ هذه الدنيا سريعة الزوال وقريبة الانتقال فالعاقل الفطن اللبيب يكون (77) منها على حذر . ونسأل الله الكريم المنَّان ان يحفظ ملك بني عثمان من اخطار الزمان وعين كلَّ حاسد وشيطان

الباب الاول

في آداب واخلاق الوزير الاعظم
وكيف يحتاج (ان) يكون وكيف تكون معاملتهُ مع السلطان

اقول وبالله التوفيق بان يحتاج كلَّ من ولي الوزارة المذكورة (ان) لا يكون عندهُ غرض الى احد . وكلَّ شيء يفعلهُ يقصد بهِ وجه الله تعالى ويكون عملهُ لله في

١) « آصف نامه » اي كتاب آصف اشارة الى حكمة آصف الذي زعم العرب انهُ كان وزيرًا لسليمان يجاري سيِّده حكمةً

٢) ادرنة هي حاضرة الروملي (Andrinople) ٣) الجفتلك هو البستان وارض الحراثة

الله لأن ما فيه (لانهُ لا يوجد) منصب اعلى من درجة الوزارة حتّى انهُ يرقاهُ (يرقاها) ولا يكتم كلمة الحقّ ويقولها قدّام الملك كما هي. والامور التي تقع بين الوزير والملك يحتاج انها (ألّا) يظهر عليها احد حتّى ان الوزراء ايضاً لا يشعرون (كذا) عليها

ونورد حكاية مناسبة الى هـذا المعنى وهو انّ في زمن المرحوم سلطان سليم العادل الغازي (الغازي) كان اطّلع على عقـل بيري باشا (١ الدفتردار ورآه اهلاً للوزارة العظمى فقلّدهُ اياها. فيوم (فيوماً) من الأيام وقت العصر استدعاه الملك لاجل المشورة على امر خفيّ فامتثل الامر الشريف ودخل الى السراية العامرة واجتمع بالملك وبعد فراغهم من المشورة عاد الى الديوان فسألهُ مسيح باشا (٢ احد الوزراء قائلاً لهم (لهُ): في اي شيء انتازك الملك ولأيّ خصوص ارسل (78) طلبك؟. فبسبب تهجّمه على مثل هذا السؤال وبمشاهدة قلّة الادب منهُ كسر حرمتهُ واراد ان يعرض الى الملك في عزلهِ فشفعوا فيهِ بقيّة الوزراء حتّى انهُ عفا عنهُ

واما الذي يجب على الملك (فان) لا يكثر المرج والاختلاط مع النـدماء والمصاحبين وحقيق انّ الملوك ما (لا) تكون بلا ندماء لكن لا يكثر من الخلطة معهم. ويجب على الندماء ايضاً اذا حصل لهم التفات من الملك (ان) يقنعوا بالذي يعطيهِ لهم وباخلع السنيّة ولا يقارشوا (٣ امور الناس بل يكونوا في صالح نفسهم. ويجب على الملك اذا عرض لهُ الوزير الاعظم في امر ان لا يسفّهه ولا يردّ كلامهُ

وايضاً الوزير يتفقّد حاشية الملك ويعطي كلّ احد منصب (منصباً) على حسب مقامهِ حتّى لا يحتاج الى احد. ويكون مثل الطبيب الحاذق الذي يعطي لكل احد دواءهُ على قدر مزاجهِ وفي المحاربة اذا شاهد شجاعة من احد في طائفة العسكريّة يرقّيهِ ويزيد وظيفتهُ (وظيفتهُ). ولا يعطي الى جماعتهِ واتبـاعهِ زعامات (٤ بل

---

١) بيري باشا المذكور صار بعـد ذلك وزيراً اعظم في ايّام السلطان سليمان الكبير وصحبهُ في حرب بلغراد سنة ٩٢٧ (١٥٢١) ثمّ عُزل من منصبهِ سنة ٩٢٩ (١٥٢٣)

٢) مسيح باشا خدم محمّد الثاني فتح القسطنطينيّة فاتّخذهُ كوزيرهِ الاعظم وارسلهُ الى رودس ليفتحها فلم ينجح وعُزل. كانت وفاتهُ سنة ٩٠٦ (١٥٠٠)

٣) من الالفاظ العاميّة. مأخوذ من قولهم « قرّش بين القوم » اذا حرّش واغرى

٤) الزعامة في عرف اهل ذلك الزمان الدلوقة والاقطاعة (fief)

يكنيهم بالتيارات (١ وان اعطاهم يكون اعطاؤهُ لهم شيْ (شيئاً) يستر رَمَقهم ولا يضم سيفين (٢ وثلاثة الى بعضها ولا يعطي اولاق (٣ امر (امرًا) لاجل تغيير دواب (79) في الطريق الـذي قاصدهُ من خاصات الدفتردار (٤ والنيشنجي (٥ لأنَّ ما في حكم بني عثمان اوخم ولا انجس من قضيَّة الاولاق وهلاكهم (وإهلاكهم) لدوابّ النـاس بل اذا كان امر مهمّ لاجل اصلاح امور السلطنة العليَّة اذا أُعطي اولاق امر (امرًا) ما فيـه بأس لانَّ بهذا الشيْ تحصل راحة الى الفقراء من تسليط الاولاق عليهم وأخـذ دوابّهم وإهلاكها . وفي حال وزارتي وضعتُ في غالب المنـازل دوابّ برسم الاولاق

وكذلك اذا وقع شيْ لبيت وما يوجد لهُ وارث يحتـاج ان يُحطّ على طريق الوديعة في الابوب الى ان يظهر لذلك الرزق وارث فان طالت المـدَّة وما ظهر لهُ طالب يبقى يوضع في الخزينة . والفقير في زمن وزارتي اذا وقع رزق ميّت أُبقيه سبع سنين في الامانة الى ان يظهر لهُ وارث اضيفهُ (والّا اضيفهُ) الى الخزينة لأنَّ خلط اموال الناس بالظلم الى الخزينة السلطانيَّة من غير وجه دليلٌ على زوال ذلك الملك

وينبغي ان يُولّى على طائفة القول اغا (٦ ضابط يكون صاحب معقول . وكذلك كتَبَتُهم يكونوا اهـل فهم وفراسة ويوصيهم في ضبط العسكر لانهُ اذا كان العسكر مضبوط (مضبوطاً) يحصل راحة للوزير

ويجب على (الوزير) الاعظم ان يُفهم (80) الملك عن كلّ شيْ فيه صلاح الدولة والسداد ولا يتوقّف في ذلك ولا يتوهّم من عَزْل ولا من غضب اذ اظهر كلمة الحقّ . ويكون مواظب (مواظباً) على الصلاة (الصلوات) الخمس في الجمعة في منزله . ويكون بابهُ مفتوح (مفتوحاً) لاجل مصالح النـاس ويكون الاجتماع بهِ سهل (سهلًا) غير عسير . ولا يكون عندهُ غرض بـل يكون دائمًا في تطييب خواطر الناس

---

١) إي يكافئهم والتيار ماش يُعطى خصوصاً لقدماء الجند لا يتجاوز عشرين ألف عثماني

٢) يُراد بالسيف الولاية ٣) الاولاق الخيَّال صاحب البريد ٤) كانت وظيفة الدفتردار ان يختم بمؤونة الاستانة ٥) النيشنجي والنشانجي هو كالمبردار وصاحب الختم الشاهاني

٦) القول آغا او القول اغاسي هو رئيس البريد والضابط المتوكل على الحارس

ويحتاج اذا وقع خائن او سارق لا يفديهِ بمال بل يقاصصهُ (يقاصُّهُ) على قدر جرمهِ لانَّ الرشوة الى اصحاب المناصب مرض من غير علاج. واماً اذا احدًا (احد) من محبيهِ ذوي الاقتدار هاداهُ بشيءٍ لهُ (فلهُ) ان يقبلهُ. واماً الرشوة والبرطيل والعياذ بالله امر (فأمر) مشكل وداء ما لهُ دواء.

والوزير الاعظم خاصَّة المختصّ بهِ (١ اثنا عشر كرَّة (٢ يدخل لهُ منهُ مقدار عشرين حمل (حملًا) ويجيئهُ هدايا من امراء الاكراد ومارة (وإمارة) الاطراف شيءٌ بجملين وثلاثة مثل خيل وقماش وغيرهِ فيكون مدخولهُ في السنة اربعة وعشرين حمل (حملًا). والفقير بحمد الله تعالى في ايَّام الدولة العثمانيَّة هذا الشيء رأيتهُ يكفي لأنَّ كلَّ سنة لمطبخي ومهمَّات بيتي ولمصارفي خمسة عشر حمل (حملًا) ويتصدَّق (واتصدَّق) بخمس (بخمسة) احمال وخمس (خمسة) احمال توضع في خزينتي. ومن اموال الغنائم ومن البكلربكيَّة (٣ (81) الذي اتحقَّق انهُ وجه حلّ مثل رسوم اعشار وكلّ شيءٍ يجيئني اتصدَّق بهِ واصرفهُ الى وجه الخيرات. فالحمد لله الذي اكرمنا ومتَّعنا. واماً طريق الطمع فانَّهُ طريق قبيح ما لهُ غاية وفي القنع غناية لانَّ القناعة كنز لا يفنى وفيها انواع المنافع اللهمَّ لرزقنا القناعة

ويحتاج الوزير الاعظم (ان) تكون اوقاتهُ في مهمَّات السلطنة ومصالحها ولا يليق لهُ ان يتعاطى اللهو وسماع الآلات المطربة والاشتغال بها. ويحتاج ان يكون في المجلس ارباب المناصب كلّ من هو (كذا) يعرف موضعهُ ومقامهُ. لانَّ البكلربكيَّة تحت الوزراء. ودفترداريَّة المال فوق السناجق (٤ واغاوات الركاب (٥. وكذلك آغة الينكجاريَّة (٦ الكبير. وبعدهُ مير علم. وبعدهُ قبوجي باشي (٧.

---

١) اي مدخلهُ ٢) اكرّ وزن اربعين اردبًّا. اما الحمل فلا نعرف قدرهُ بالتدقيق

٣) البكلربك امير الامراء وكان هذا الاسم يطلق على اصحاب الولايات الكبار لاسيما الثلاث الممتازة الروملي والاناضول والشام

٤) السنجق والسنجاق العَلَم ويراد بهِ اللواء والمتصرّفيَّة

٥) ويُدعَون الركابداريَّة وهم الامراء الذين يسندون الركابات عند ركوب السلطان

٦) الينكجاريَّة (Janissaires) فرقة كانت تقوم بحراسة السلطان. أُبطلت في عهد السلطان محمود الثاني سنة ١٨٢٦

٧) القبوجي باشي اي الحاجب الاكبر (Grand Chambellan)

وبعده مير آخور (١ . وبعده جاقرجي باشي (٢ وجشنكير باشي (٣ واغاوات البلوكات (٤ . واما الدفتردارية يجلسوا (فيجلسون) فوق الناشنجي . فان كان الناشنجي قديم متمين (قديماً متميناً) صاحب لشتهار له ان يجلس فوق الدفتردارية. ودفتردارية للال والناشنجي متساويين (متساويان) في الجلوس مع القضاة والمدرسين ان كان بخمسين عثمانيّ (عثمانياً) او بستين له ان يجلس ويتصدّر . وباش دفتردار متساوى (متساوٍ) (82) مع قضات (قضاة) البلاد الثلاث . وكيخية (٥ الدفتردار يتصدّر فوق المتفرّقة (٦ والجشنكيرية . والسناجق يتصدّروا (يتصدّرون) على اغاوات الركاب . والمدرسين (والمدرسون) يتصدّروا (يتصدّرون) على اغاوات الركاب وعلى السناجق . والمتولين (والمتولون) على تولّيات السلاطين يتقدّموا (يتقدّمون) على الجشنكيرية والمتفرّقة

والكاتب مقدّم على الجاويشية (٧ لانّ في زمن السلطان سليم وقع نزاع بين كاتب وجاويش فانعرضت القضيّة على السلطان فرسم انّ الكاتب يتقدّم على الجاويش لانّ الكاتب في خدمة الامور الحقيّة والجاويش خدمته على الخارج . وكانت الينكجاريّة تتقدّم على الكتّاب والروزنامه‌جي (٨ . والمتفرّقة له الذي بالعاوفة لا تنعطى الّا للذي يظهر من الحرم الخاصّ ولا تنعطى لاحد من الخارج او يكون ابن بكلربكي او ابن دفتردار (٩ . والذي ما تكون زعامته ثمانين الف عثماني لا يستحقّ ان يكون سنجق (سنجقاً) . وحدّ السنجقيّة اربعمائة الف عثماني واغاوات الركاب يطلعوا (يطلعون) بثلثمائة وخمسين الف . وفي القانون ان يقوموا (يقوم) الوزراء للزعيم اجلالاً له . والزعماء غايتها الى الكاتب بخمسين الف عثماني . والجاويش باربعين الف عثماني . واذا أضيف (83) لهم ازيد يكون سبب قلّة سيوف التيمارات

١) اي امير الاسطبل (Grand Écuyer) ٢) هو صانع الحلويات
٣) اي رئيس السفرجيّة ٤) البلوك الفرقة من الجند
٥) الكيخية تصحيف كتخدا بمعنى القيّم والوكيل
٦) المتفرّقة فرقة من العسكر كانت ترافق السلطان في اسفاره
٧) الجاويش الضابط العسكري
٨) هو المتولي الحسابات اليوميّة والاعمال الجارية ٩) هذه الفقرة لا تكاد تُفهم

اكثر كلام الوزير الاعظم الى الملك: « پادشاهم (١ انا شلتُ هـذه الحملة من رقبتي وتكلّمتُ الصحيح. في يوم القيامة انت اعطى (أعطِ) جوابهُ ». ويتقيّد في استماع شكاوى الناس في الديوان . واذا جاء ايلجي (٢ من مكان يحطّ عليهِ بكجيّة (٣ يُعتمَد عليهم حتى لا يطّلع الايلجي على احوال السلطنة الواقعة. ويوصي البكجيّة انّهم لا يدروهُ كثير (يداورونهُ كثيرًا) ويكون مجتهدًا في الاسعار ووضع ثمن كل شيء لاجل تمشية حال الناس في البيع والشراء.

ولا يعزل ارباب المناصب بسبب شكاية رجل او اثنين فاذا تكرّرت الشكاوات ان كان على امير او على قاضي (قاض) يحتاج ان الوزير الاعظم يكتب لهُ (مكتوباً) يهدّدهُ وينصحهُ فان كان ما ينتصح ويتمّ مصرّ (مصرًا) على عنادهِ وتكثر عليهِ الشكوجيّة ينعزل من منصبهِ

ويحتاج انّ الوزير الاعظم يعامل كل احد بحسب مقامهِ ان كان اصحاب حسب او اهل معرفة وكمال ويراعي كلّ احد على قدر خدمتهِ ويعرف المستحقين والذي يتساهلوا (والذين يستأهلون) المناصب من هو مستحقّ ويوجّه كلّ منصب لمستحقهِ . وان كان رجل من جملة الرعايا ولا قط صاو (84) ابوهُ ولا جدّهُ سپاهي (٤ لا يليق بهِ الاسپاهيّة لانّ مثل هذا اذا انعمل سپاهي ينفتح باب ويصير غالب الرعايا ينهزموا (ينهزمون) ويروحوا يعملوا اسپاهيّة والله اعلم

الباب الثاني

في تدبير احوال السفر

فاذا احتاج الامرُ الى سفر حَسْبُ ان يصير سردار (٥ (سردارًا) على العسكر رجل من الوزراء او من الباشات (كذا) واذا صار في بعض الاوقات سردار (سردارًا) احد السناجق يمكن ان هذا الشيْ سيف (كذا) في القانون. وقبل

١) اي سيّدي الملك (Sire)

٢) الايلجي السفير الاجنبيّ ٣) يريد بالبكجيّة شبه القوّاصة

٤) السپاهي الفارس والخيّال في خدمة السلطان وامراء الدولة

٥) السردار كبير القوّاد

الجميع يتدارك الخزينة والذخيرة بقدر الكفاية. وان كان الملك يركب بنفسه في ذلك السفر يحتاج ان الوزير الاعظم يجمع الدفتردارية وجميع ارباب الديوان ينظر ايش قدر يعتاز خزينة وعسكر وفي اي مكان تنجمع الذخيرة وتتهيأ

واما الذي يجب على السلطان بان (فأن) يُحضر امير آخور ويأمره في تدارك الخيل والجمال والبغال. وفي الطريق يحتاج ان يكون مع السلطان عزبة (١ . وفي المنازل يحتاج ان يكون صيوان (٢ الوزير بعيد (بعيدا) مقدار (مقدارا) عن صيوان السلطان والسلطان يكون نزولهُ في وسط العسكر حتّى يبقى العسكر محتاط (محيطاً) بهِ من الاربع جهات وخيام العسكر يكونوا بعيدين (تكون بعيدة) عن صيوان السلطان مقدار ميل (8ح) وقدّام صيوان السلطان تنوضع خيمة الخزينة ويجلس الدفتردار يتعاهد الامور ومصالح المال في ذلك المحل

وفي القانون القديم انّ السلطان يعطي للوزراء والى قضات (قضاة) العساكر والدفتردارية وللنيشنجي والى امين الدفتر جمال (جمالا) تكفيهم لانّ هذا شيء مسطّر في دفتر السلطان سليم لمّا فتح جلدرات (٣ . وفي الطريق اذا السلطان طلب الوزير الاعظم يحتاج ان الوزير يسرع الى التوجّه الى عندهِ . وكذلك بقيّة الوزراء وسائر ارباب الدولة اذا طلب السلطان واحد (واحدًا) منهم يُسرع في التوجّه لركابهِ الشريف . والقراوول (٤ في كلّ ليلة سنجق من السناجق يطوف باطراف العسكر طول الليل يحرسهُ من كبسة العدوّ

وصيوان السلطان وحراستهُ كلّ ليلة على آغا من اغاوات البلوك . لانّ ممّا وقع في زمن السلطان سليم وهو متوجّه الى ديار بكر ارسل شاه اسماعيل بعض جواسيس معروفين بالشطارة واوصاهم على انهم (ان) يهجموا على صيوان السلطان ويعطوه النار فاذا التهب الصيوان وطلع السلطان الى خارج الصيوان يضربوهُ بالسكاكين

---

١) العزبة فرقة المسلّحين بالبنادق

٢) الصيوان ويقال صايوان الخيمة . من الفارسيّة « سايه بان » بمعناها

٣) كذا في الاصل والصواب چلدران احدى مدن ايران حيث السلطان سليم غلب اسماعيل شاه ملك العجم سنة ٩٢٠ (١٥١٤)

٤) القراوول والقراغول الحس والحرس

فجازوا بهذه الحيلة وانعرفوا وطلع من حقهم. فمن ذلك اليوم صار (86) كلّ ليلة يحرسهُ واحد من آغاوات البلوك

وفي محلّ الحرب لا يتقدّم الملك الى قدّام العسكر بل يقف خلف وقدّامهُ المدافع وآلات الحرب. وبعض الملوك انوضع في رجلين (ارجل) خيلهم القيود والمراد من ذلك حتّى ان الملك يتمّ واقف (واقفاً) ويقوّي قلب العسكر. ويكون عند الملك رجل مدبّر يأخذ بخاطرهِ ويبشرهُ على انّ النصر لهم. واذا الملك اعطى الى العسكر بخشيش (بخشيشاً) وقت الحرب بخلاف القانون ما فيهِ بأس. والذي يصير قشلقجي (١ على العسكر يكون ناصح ومستقيم (ناصحاً ومستقيماً)

وفي القانون (انّ) السلطان يعطي الى الينكشاريّة ذخيرة ستّة ايّام ثلثة ايّام في محاربة العدوّ وثلاثة ايّام لمّا يطلعوا (يطلعون) من المحاورة (المحاربة؟) لانّ السلطان سليم اعطى ذلك. ووقت الذي يقع الفتح الوزراء وقضاة العساكر والدفترداريّة يقبّلوا (يقبلون) ايادي الملك ويلبسوا (ويلبسون) الخلع مثل يوم العيد. والبكلربكيّة والسناجق وارباب المناصب البرّانيّة ايضاً يلبسوا خلع (يلبسون خلعاً). وبعض ارباب تيارات السيف (٢ اذا قصد قلّة الرواح للسفر وكان تيارهُ ستّة الاف عثماني يرسل مكانهُ مُلَبَّسَيْن. لكن هذا الشيء غير مقبول لانهُ يحتاج التيار يذهب بنفسهِ الى السفر الّا ان مات او كان ضعيف (ضعيفاً)

ويحتاج في السفر انّ الخزينة تكون قدر ما هي مرّتين لأن ربّما يقتضي ان الملك يفرّق (87) على العسكر بخاشيش ويحتاج ان يوقف على محاددة (كذا) العدوّ حكام (حكّاماً) معروفين بالشجاعة ويوصيهم بالحفظ والحراسة. والسلطان لمّا يكون في السفر ويصل الى صيوانهِ يعمل عراضة (٣ مثل عراضة دخولهِ الى السرايا. ومثل تداركهِ في سفر البرّ يحتاج تداركهِ البحر لانّها مهمّة

ومن بعض ما اتّفق ان المرحوم السلطان سليم الذي كان اكمل السلاطين

١) القشلقجي الموكول اليهِ ترتيب مواضع العسكر

٢) يريد بتيار السيف الذي ينال من الحكومة معاشاً بشرط ان يذهب الى الحرب او يرسل جنديّاً عن كل ثلاثة آلاف عثماني في السنة

٣) يريد بالعراضة استعراض الجيش

واشجعهم الـذي فتح مصر والشام وفاز بخدمة الحرمين الشريفين قال يوم (يوماً) من الأيام لابن كمال باشا المشهور (١ : مرادي اعمـل الترسخانة (٢ عدد ثلاثمائة حتّى انها تصير من الحصار الى كاغدخانة (٣ لانَّ في نيّتي فتح افرنجة . فردَّ لهُ الجواب : يا ملك الزمان انت مقيم في مدينة ولى (التي ؟) تعمُّها (يعمُّها) البحر واذا ما كان البحر امان ما تسري بهِ مراكب (كذا) وما لم تسير للمراكب وتعاود ما يحصل عمار الى اسلامبول (٤ » . فمع قضاء الله تعالى أَجلُ السلطان كان قد اقترب ومات ولم يتيسَّر لهُ الذي كان في خاطرهِ . ولكن ملكنا الذي هو الآن صاحب العـدل والاحسان السلطان سليمان خان لهُ تقيُّد واجتهاد في احوال البحر ومهمّاتهِ . وفي ايَّام دولتـهِ انتظمت احوال البحر واكثر همّتهِ الغزاة فيهِ

وفي الحقيقة عمارة البحر جناح آل عثمان الواحد . وعرضتُ على الملك نصرهُ الله « انَّ السلاطين الماضية كثيراً ملكوا البرّ لكن قليل مَن ملك البحر وغيرُنا (88) مجتهد في تدبير البحر اكثر منّا لكن يحتـاج ان يكون تدبيرنا غالب (غالباً) على الجميع » . فكان جوابُهُ : « كلامك صحيح يحتاج يصير مثل ما ذكرتَ فنصبتُ امين (اميناً) من جانب السلطنة العليَّة لاجل مصارف البحر » . وكان كلامي انَّ مهمّات البرّ ومصالح البحر نظامها (نظـامها) وانتظامها يكون من الوزراء والامراء سيماً لبياض وجوههم . اللهمَّ توكَّلتُ عليك وفوَّضتُ امري اليك انك على كل شيءٍ قدير

الباب الثالث

في تدبير الخزينـة

فاوَّلاً تدبير الخزينة من مهمّات السلطنة لانَّ السلطنـة لا تكون الَّا بالخزينة والخزينة ما تجتمع الَّا بالتدبير لا بالظلم لانَّ في زمن وزارتي رأيتُ الخزينة مشوَّشة

١) يُعرَف بكمال باشا زاده كان قاضياً على عسكر الاناضول واتَّخذهُ السلطان سليم كجليسهِ واستفتاهُ . توفي سنة ١٥٣٦

٢) الترسخانه والترسانه دار الصناعة ومعمل الاسلحة

٣) الكاغدخانه معمل الورق . ولعلَّ المراد انهُ يريد زيادة عمّة الترسخانة كعملة الكاغدخانة

٤) نظنّ انَّ معنى الجواب ان يفضّل السلطـان عمارة الاسطول على معمل الاسلحة لانَّ الاستانة محتاجة الى سفن تؤمنها من جهة البحر اكثر منها الى عسكر يحرسها في البرّ

وفي نقصان. ففي جلوس السلطان سليمان صارت الخزينة والمصرف بالسويّة لم يفضل شيء وبعض السنين ما تكفي الخزينة وتكمل (ويُكمَّل) المصرف من الخزائن العتاق الذي (الّتي) في الخارج وهذا سبب اختلال المُلك لانهُ يحتاج ان يكون المدخول اكثر من المصروف حتّى لا يصير نقصان لقانون السلطنة

وينبغي انَّ الوزير الاعظم دائماً يتفقَّد احوال الخزينة ويجتهد في زيادة المدخول اكثر من المصروف ولا يسعى في استكثار العسكر لأن اذا كان العسكر قليل (قليلًا) وعلى كلمة واحدة ويد واحدة انفع من كثير. ورأيت اذا كان العسكر (89) موجود (موجودًا) كما هو مسطور في الدفتر وكان خمسة عشر الف يعلانف ما هم قليلين (قلياون) واعطى مواجب (كذا) خمسة عشر الف رجل سنة بسنة شطارة زائدة

ويحتاج ان يفضل من مدخول الخزينة عن العلائف ومن مصرف السرايا والبحر والطبخ والاصطبل. ويحتاج ان الوزير اذا نصب باش دفتر في الاوّل يختبر عقلهُ ومعرفتهُ وتدبيرهُ وكتابتهُ. وبعدهُ ينصبهُ في الديوان ويفوّض اليهِ امور الاموال والذي يجب على الدفتردارية ان لا يكون تابع هوى النفس ولا في طمع بل يكون متقيّد (متقيّدًا) في الاموال السلطانيّة

وممّا وقع في زمن واحد من السلاطين انَّ ابراهيم باشا (١ (كان) غالب تقيّدهِ في سرايتهِ وفي بساتينهِ وكرهتهُ الناس وآخر الامر في فتح بغداد رأوا الخزينة اختلّت فبذلك السبب حلَّ عليهِ الغضب السلطاني

وايضاً يجب على الدفتردار ان لا يُعطي زائد (زائدًا) في المواجب (كذا) ولا يفرح (؟) بارباب التقاعد لكل بكلربكي ١٦٠ عثماني ولقاضي العسكر ١٥٠ عثماني والى كلّ وزير ٢٠٠ ع ولقضاة التخت لكل واحد ٨٠ ع ولكل سنجق ٧٠ ع وان صار تقاعد بالزعامة ١٢٠,٠٠٠ ع للوزراء و٨٠,٠٠٠ ع للبكلربكيّة. وللدفتردارية (91) ٦٠,٠٠٠ ع وللسناجق ٥٠,٠٠٠ ع والذي يكون امكدار (٢ ومستحق

١) ابراهيم باشا هو احد كبار الامراء في عهد سليمان الكبير. استوزرهُ السلطان وجعلهُ من ندمائهِ وقلّدهُ تدبير عسكرهِ ثم تنمّر عليهِ وقتلهُ سنة ٩٤٣ (١٥٣٦م) بعد فتح بغداد

٢) الامكدار صاحب السنّة النشاط. تركية

(مستحقًا) ينعطى مقاطعة بالامانة . ويجب على الدفتردار بانهُ قبل ما يوجه مقاطعة يتشاور مع الوزير ويعرض لهُ بسببها . وخزينة مصر ١٥٠,٠٠٠ ذهب خرجيَّة يجيب (يجيب ؟) الملك . محصَّل الكلام يحتاج ان يتفقَّد احوال الخزينة كل سنة بسنتها . اللهمَّ يَسِّر البركة في السفر والحضر بحرمة سيِّد البشر

الباب الرابع

في احوال الرعايا

اللازم على الرعايا اذا وقع سفر ان يطلع منهم الذي يتطلب من رجال اعاونة العسكر وحقيق انَّ طائفة التر هم مطيعين (مطيعون) السلطنة العليَّة لكن هم اهل طغيان . فلاجل ذلك لا يكلَّفوا (يكلفون) السفر . ودفاتر الرعايا مضبوطة في الدفترخانة . وفي كلّ ثلاثين سنة يتحرر . ويطالعوا (ويطلعون) من الدفتر الذي يكون مات ومن يكون مريض (مريضاً) وتكتب غيرهم ويقابل الجديد على الدفتر العتيق حتَّى لا ينقص عن الدفتر العتيق شيْ

واذا هرب رعايا من مكانهم الى مكان آخر الظلم (لظلم) يحتاج انهم يردُّوا (ان يُردُّوا) الى مواضعهم حتَّى لا تخرب البلاد . ومعتاد من الرعايا كركجيَّة (١ الى مراكب السلطنة (ان) يكونوا شباب (شباباً) قادرين من كل اربع خانات كركجيّ ومهما خدم لهُ من الخزينة كل يوم ٣٠ عثماني . واذا ظهر من احدى الرعايا خدمة زائدة (٩١) واستحقّ التيمار وصار اسپاهي لا يحمي اقاربهُ . وايضاً اذا كان عالم (عالماً) لا تنحمى توابعهُ . وسادات الاشراف من بني هاشم خالطهم ناس كثير من جملة الخلق بزعمهم انهم اشراف . يحتاج انَّ النقيب يتفقَّد ذلك والذي يكون غير صحيح السبب يخرجهُ من بينهم ولا ينعطى للرعايا وجه زائد . واذا كان احد من الرعايا مالهُ كثير لا احدًا يتعارض لهُ بمالهِ . لكن لا تلبس الرعايا بزيّ الاسپاهيَّة والعسكريَّة ولا يركبوا مثل ركوبهم

فهذا قانون الملوك السالفة رحمهم الله تعالى ونسأل الله الكريم ان يوفّقهُ للخير والسداد انهُ كريم جواد والحمد لله وحدهُ وصلى الله على من لا نبيّ بعدهُ

١) الكركجيَّة من التركي اصحاب الشغل والعمَّة

سياحة في اقليمَي الخرُّوب والشوف

بقلم حضرة الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

طلب الينا بعض الاصحاب الذين طالعوا مقالتنا « سياحة اسقفيَّة في بلاد بشارة » التي نشرناها على صفحات المشرق ان ندوّن لهم خلاصة ما جرى لنا إثر تجوُّلنا في ابرشية صيدا بامر سيادة رئيس اساقفتها الجليل المطران بولس بصبوص لتفقُّد شؤون ابنائهِ الروحيين في اقليمي الخرُّوب والشوف من اواسط شباط ١٩١٠ الى منتصف السنة الجارية فاجبنا اجابة طلبهم مع اعتقادنا بعجزنا عن ايفاء الموضوع حقَّهُ من البحث المدقّق فلنا الامل بانَّهم يغضُّون النظر عن قصورنا

١ من بيروت الى الجيَّة

كان سيرنا من بيروت في اصيل اليوم التاسع من شباط ١٩١٠ قاصدين قرى اقليم الخروب الواقع بين نهر الدامور المعروف عند الاقدمين بتامورا س (Tamyras) شمالًا ونهر الاولي (Bostrenus) جنوباً فركبنا العربة متوجهين الى قرية الجيَّة وكان المطر في ذلك اليوم يتهطَّل مدرارًا وتجري مياههُ كالسيول وكان حوذيُّنا يحثُّ الخيل بالسوط والزجر لتجري في طريق كثرت اوحالها وتبعثرت حصاها وتعاظمت حفرها وما زلنا نتقلَّب ذات اليمين وذات الشمال الى ان ادركنا صحراء الشويفات فخفَّ العناء وسهلت الطريق نوعاً وانقطع المطر بغتة ولمَّا اجتزنا الصحراء ألوت بنا العربة نحو سيف البحر فكنا نسمع عن يمننا زمجرة الامواج تُصارع الصخور المجاورة لطريق العربة ونشاهد على شمالنا انجاد لبنان وعلى قممهِ الجميلة ومنحدراتهِ الفتَّانة قرى مقاطعتي الغرب والشحَّار فتذكَّرنا ربوعاً اسعدنا الحظ بالتجول فيها ايام أوفدنا لهذا الغرض الطيِّب الذكر سيادة المطران يوسف الدبس وحيَّنا عن بعدٍ ذاك الشعب المبارك الذي كنَّا انسنا منهُ شوقاً عظيماً لاستماع كلمة الله

وبعد ساعتين ونيف عن بيروت وقفت بنا العربة امام خان خلده فقصد الاستراحة فجلنا بين بقايا العمد المضلعة والنواويس القديمة الشاهدة على مكانة خلده ايام كانت عامرة ولم نتمكَّن من المكث طويلًا اذ نفحت إعصار فنشص الغيم وارتخت

السماء فأسرعنا الى العربة التي اخذت تهدر بنا نحو الجيّة ولانهيال الامطار لم يعد بوسعنا تسريح النظر في المناظر التي تتوالى على المسافر فعبرنا جسر الدامور وكان النهر تأطّم وارتفعت امواجهُ المتكسّرة حاملةً معها جذور الاشجار التي اقتلعتها في مرّها وبعد نصف ساعة تقريباً بلغنا الجيّة ووقفت بنا العربة وسط حديقة غناء بين صفّين من شجر الاوكاليبتس فترجّلنا ودخلنا دارًا قد اكتنفتها تلك الاشجار والقت عليها من ظلالها جلباباً وابدرنا بالتحيّة صاحب تلك الدار الفاضل عبدالله افندي البستاني شقيق المرحوم الابرّ الخوري يوسف البستاني كاتب اسرار ابرشيّة بيروت فتلقّانا مع عائلته الكريمة بالبشر وانزلنا على الرحب والسعة

(الجيّة) على ما يقال اسم حديث زعموا انّ معناه التنانة اشارةً الى التنانة التي انبعثت من الحوت الذي كان ابتلع يونان النبي فقذف بهِ على ذاك الشاطئ ومات فأنتن ولم نجد لهذا التأويل سندًا. وقريباً من الجيّة مضيق ورد ذكرهُ في تاريخ الصليبيين (١ فدعوهُ «Passus-Daugiæ»

وعلى بعد بعض امتار من بيت عبدالله افندي البستاني مضيفنا بناية اسلاميّة قديمة تدعى نبي يونس قد غمرتها كثبان الرمال التي تواردت عليها من البحر ولا يرى منها سوى قبّتها البيضاء. فدخلناها فاذا هي اشبه بمنارة لا منفذ لها الآن وارضها اوطأ من عرصة الدار الخارجيّة وفي رأس احد عواميدها اكليل عمود قديم منقول من بنايات المدينة القديمة وهو لشبهِ بالطرز القورنتي: ويقوم بخدمة المقام شيخ من قرية برجا التي تبعد قليلًا عن الجيّة وحول المقام بعض الابنية لاستقبال الزوّار

امّا اسم الجيّة القديم فقيل انهُ بورفيريا وبهذا الاسم سُميت ايضاً حيفا ويظهر انّها لعبت دورًا مهمًّا في الاجيال السالفة ايام الفونيقيين وخلفاء الاسكندر والرومان نظرًا لحسن موقعها على البحر وخصب السهول المجاورة لها وتُرى حتّى الآن بقايا رمم ونواويس قديمة متقنة بهيئة اكتشف عليها مؤخرًا الفعلة تحت الرمال بينما كانوا يشتغلون في املاك سعيد بك البستاني وقد رأينا آثار فسيفساء معبد نصرانيّ صليبيّ

وممّا رواهُ لنا المؤرخون عن الجيّة في ايّام الافرنج ان المسلمين سلبوا خيل ملك قبرس هنري سنة ١٢٨٣ وهي تربع في سهل الجية فانتشب القتال بينهم وبين حامية

١) اطلب كتاب راي (Ray: *Les Colonies Franques de Syrie*, p. 519)

صيدا. وسكّان الجيّة هم المسلمون الذين يقطنون بالقرب من بني يونس وعددهم يبلغ ٣٥ متكلفاً واما الموارنة فيقطنون في القصبة وقصوبا وحارة بيت ماضي (١ وعددهم عبارة عن ١٩٠ متكلفاً. وفي الوسط بين حارة بيت ماضي والقصبة كنيسة سيدة النجمة التي بناها الامير بشير الكبير لشركائه اذ كانت الجيّة من املاك الامير الخاصة فوقفت ميراثاً لابنته الست سعدى ولعقيلته الست حسن جهان الجركسيّة وتدعى دارها اليوم بحارة الست وكان كاهن من عائلة حبيش المشايخ اسمهُ استفانوس يخدم دار الست والموارنة حتى ١٨٦٢. وهذا عرفناه من تاريخ منقوش على ضريح الكاهن داخل الكنيسة نوردهُ بحروفهِ:

من الكرام الحبيشيين منتقل في ثوب كهنوته بالرب قد رقدا
نادى على رسم تاريخ برحمته اني سميُّ استفانوس اول الشهدا

ومع توالي الزمان اشترى الموارنة والمسلمون قسماً من الجيّة من مالكيها وهم قوم يحبون الشغل اليدوي ويرتزقون من الزراعة ومحاصيلهم الحنطة والحرير واثمار البساتين التي غرسوها من امد قريب واستنبطوا لرواتها النواعير. والجيّة تابعة اقليم الخروب (٢ من قائمقاميّة الشوف والمدير من المسلمين مركزهُ قرية شحيم على الغالب

ويتبع خورنيّة الجيّة الموارنة الناطقون قرية بعاصير مع المسلمين في حي خاص بهم. وبعاصير قائمة على اكمة بديعة تطلّ على البحر وهي شرقي الجيّة تبعد عنها ساعة تقريباً وفيها آثار مدافن قديمة ومعبد نرجح كونهُ لعشتروت ولعلّ البعض يروق لهم اشتقاق اسمها من ܒܥܠ ܒܥܠܬܐ اي بيت عشتر ما لم يشتقّوها من العصر لمعاصرها

ولمّا كان غرضنا الاساسي من هذه الرحلة ارشاد النفوس قياماً بما انتُدبنا اليهِ القينا المواعظ في كنيسة النجمة منذ صباح اليوم التاسع من شباط الى العشرين منهُ

١) نسبة الى ماضي البستاني جدهم الاول

٢) هذه التسمية نظنّها مأخوذة من شجر الخرّوب المنتشر في هذا الاقليم بكثرة ومما يحار لهُ الفكر ان هذا الاقليم الحقير الآن كان نبيلاً مضى آهلاً بالسكّان وفيهِ آثار بنايات فخيمة كما سترى في مطالعة مقالتنا هذه وفي ذلك لعبرة فالارض كالسكان تشقى وتسعد. ويظهر ان العنصر الاسلامي كان قوياً في ايام الافرنج في اقليم الخرّوب وكثيراً ما قاصموا بالسيوف وتداعموا بالرماح وأحيط بالصليبيين في مواقع عديدة

فانسنا من الجميع اقبالاً ورغبة شديدة في طلب النفس. وانقطع حضرة الاب منصور سلامه الى ارشاد موارنة بماصير اذ كان يصعب عليهم ان يأتوا الجيّة لحضور المواعظ والعَوْد الى مساكنهم كل يوم

٢ من الجيّة الى الرميلة

في ٢٠ من شباط وفد علينا ابوان فاضلان من آباء الرهبانيّة اللبنانيّة البلديّة لمؤازرتنا في هذه الرسالة فغادرنا الجيّة في هذا اليوم قاصدين الرميلة وعلمان القائمتين غربيّ نهر الأَوْلى على مسافة نحو ١٢ كيلومترًا من الجيّة. ولمّا قاربنا الرميلة تخلّف الاب منصور عني مستصحباً احد الابوين الى علمان فواصلتُ طريقي مع حضرة الاب الاخر الى الرميلة

(الرُّميلة) تصغير الرملة واحدة الرمل موقعها على أكمة جميلة على علو ١٣٨ مترًا فوق البحر تقريباً وهي بين علمان جنوباً وسبلين شمالًا والجميليّة شرقاً والبحر غرباً تتوسّط بينه وبينها سهول رملية غليظة فسيحة قد استنبط فيها سكانُ الرميلة الآبار وجهّزوا النواعير ونصبوا التوت وبعضها يتموج فيها الزرع بخضرته وكان اذ ذاك قد اشتدّ وتقومت ساقهُ ونوّر النبت على جوانب تلك الربى والسهول فكساها ثوباً قشيباً منمنماً بشقائق النعمان والاقحوان الباسم الثغر والبنفسج المنتشر العرف

وقرية الرميلة من املاك آل جانبلاط المشائخ الدروز (١ وسكّانها شركاؤهم من الموارنة والروم الكاثوليك يبلغ عددهم ٣٥٠ نسمة والثلث من الروم الكاثوليك ولضيق ذات يدهم هاجر اكثرهم الى اميركا انتجاعاً للرزق عملًا بالقول المشهور:

وليس الرزق يأتي بالتمنّي ولكن ألقِ دَلْوَكَ في الدلاء
تجئكَ بمائها يوماً ويوماً تجئكَ بحمأةٍ وقليل ماء

وحالة المهاجرين من هذه الطبقة معروفة في اميركا

والكنيسة حقيرة على اسم مار انطونيوس واكثر حجارتها الضخمة مأخوذة من

١) ان اقليم الغروب كان من اقطاعات التنوخيين والمعنيين بعد اجلاء الصليبيين ثم صار اقطاعهُ لآل جانبلاط نحو سنة ١٧١٢ وهو من املاكهم كسبلين وعلمان والمغيرية والبرجين وغيرها وقد بيع قسم من هذه الاملاك

أنقاض بناية فخيمة قديمة اكتشفها بالحفر هناك من بضع سنوات سعادة مكريدي بك من نظار المتحف السلطاني. وهاك وصف البناية المرما اليها

في منتصف القرية الحقيرة شمالي العرصة التي اجرى فيها حمدي بك حفرياته بقايا آثار جليلة ادركها الدهر واصبح سماد القرية زينتها بعد ان كان ابناء آدم يتبرَّكون منها ويعفِّرون الجبين بترابها. ولم تبقِ الايام على غير مدخلها او رتاجها الفخيم القائم لجهة الشمال وهو مؤلف من اربعة حجار فقط: حجر واحد للقبَّة العليا وطولهُ ثلاثة امتار و٥٥ سنتي في عرض متر واحد وعلوهُ ١م و١٠ س وعلى جانبي المدخل حجران آخران والمكشوف منهما طول مترين فقط والباقي مطمور وعرض الجوانب ١م١٠ س وعلى كل منهما صورة نائتة قد عفَّت صروف الايام رسومها ويرجَّح ان الصورتين كانتا تمثلان ذكرًا وانثى امَّا القبة السفلى او موطئ الرتاج فغير ظاهر للعيان. وعلى بعد مترين من هذا الرتاج آثار ثلاثة ابواب ونظنّ انها بقايا ابواب الرواق الذي كان قائمًا امام الرتاج العظيم

امَّا ماذا كانت هذه البناية الفخيمة ذات الرتاج البديع. فقد أُرتج ذلك علينا لدى رؤيتنا البناء ولا نعلم أنشر مكريدي بك في احدى المجلات رأيهُ في ذلك. اما المقالع التي استُخرجت منها هذه الحجارة الضخمة فآثارها ظاهرة للعيان في شرقي القرية وشمالها ولأوَّل وهلة يظهر انَّ طريقة قلع الحجارة عند الاقدمين كانت نظاميَّة هندسيَّة تختلف جدًّا عن طريقتنا اليوم

امَّا العواميد العظيمة التي كانت تسند تلك البناية او تزينها فاكثرها مطروح على الحضيض عند الجُنَيْزة جنوبي البناء. وعلى طريق هذه العين المذكورة رأينا آثار فسيفساء قد انبال التراب عليها بفعل الزمان وهزَّات الزلازل التي اودت بالبناء وبما يجاورهُ. وقد عثرنا على مسكوكات كثيرة في عدادها مسكوكتان يرتقي عهدهما الى مئتي سنة قبل المسيح عرضناهما على حضرة الاب سبستيان رنوفال مدرِّس الاثريات في كليَّة القديس يوسف

وعلى بعد عشر دقائق من الرميلة شرقيَّها آثار مدافن قديمة في محل يدعى عريض البطم. وبالقرب منهُ محل آخر شمالًا يدعى عريض الرأس آثار عمد ضخمة متحطمة وآثار

آبار عديدة ونواويس فكل ذلك يدلنا على ما كانت عليه تلك الربوع من الحضارة خصوصاً ايام سوّدد صيدا.

امّا حالة الشعب في الرميلة وغيرها من اقليم الخروب فتدعو الى الاسف ويحقّ لراعي النفوس ان يردّد قول المخلص: انني مشفق على هذا الشعب المسكين. ولذا كسرنا لهم خبز البنين فقبلوهُ بالشكر وطلبوا الينا ان نعود اليهم بعد ان ودّعونا باكين

وقبل ان نغادر الرميلة اتفق لنا ان زرنا في سهلها القائم على الشاطئ جناب الشيخ الجليل شاهين نقولا القزي الكسرواني الاصل وهو والد الياس افندي شاهين القزي. فدلنا على اثر وقع تحت نظرهِ عند حفره ناعورة لري املاكهِ المجاورة لشاطئ البحر. فتوجهنا الى المحل لنظرهِ فاذا هناك خندق طويل على عمق خمسة امتار تقريباً من سطح الارض المرملة وفيهِ رُفات امرات غُيّبوا في ذاك اللحد جنباً الى جنب. وفي طرف هذا الخندق نصبٌ من الرخام البرّي عليهِ رسم صليب وبين العظام آثار قِسيّ ورماح وسيوف أفناها الصدأ والباقي عظام وجماجم تُرى اضراسها سالمةً مما يدل على ان القتلى هم رجال حرب وافتهم المنية في ساحة الوغى في شرخ الشباب فخدّ لهم رفاقهم هذا المضجع جنباً الى جنب وغيّبوا جثثهم في الرجم فطمرت مع توالي الزمان اجداثهم الرمالُ المتدفقة من البحر فظهرت الان صدفة

من الرميلة الى المغنية

وشوقيَ الرميلة قريةٌ يسكنها الموارنة والمسلمون تدعى المغيريّة فعزمنا بادئ بدء ان نذهب اليها توًّا من الرميلة ثم بدا لنا ان نعود على الاعقاب نحو الشمال على طريق البحر لزيارة الموارنة القاطنين مزرعة فوق شاطئ البحر تدعى جدرا وهي في منتصف الطريق بين الجيّة والرُميلة وارجأنا تفقُّد موارنة المغيريّة الى وقت آخر. وهناك فارقنا حضرة الاب منصور سلامه فاتبع مع رفيقهِ خطة القرى القائمة على ضفّة نهر الاولى الشماليّة فبعد علمان انتقل الى البرغوثية والجليلية وتعاهدنا ان نلتقي في دير القمر في جمعة الآلام او قبلهُ باسبوع

برحنا من ثم الرميلة صباح اليوم ٢٦ من شباط وشيّعنا ذاك الشعب المبارك حتى خارج قريتهم فطلبنا من صميم الفؤاد الى راعي اسرائيل الذي لا ينام ان يسهر على رعيته ويحفظ في قلبها خمير تعليمهِ المقدّس الذي اصلح بهِ فساد العالم الوثني. ولم يمض

علينا نصف ساعة حتّى بلغنا دار الياس افندي شاهين نقولا القزي الكسرواني المنبت وهو وجيه عائلته المنتشرة في جدرا والمنية. واصل هذه العائلة من البوار في كسروان فقدم نقولا جدّهم الى قرية المنية في اقليم الخروب ومن بضع سنوات هجر الياس افندي المنيّة مع والده الشيخ شاهين الى محل بالقرب من جدرا على سيف البحر يدعى وادي الزينه وبنى له فيه دارًا فسيحة. وهذا الوادي تبتدئ تشعّباتهُ من قرية شحيم على بعد خمس ساعات وينتهي الى البحر فيتكوّن منهُ ابّان تساقط الامطار سيلٌ رعيب يملأه الى جانبيه

فلمّا علم الياس افندي بقدومنا خفّ لملتقانا واشار علينا بالعدول عن التوجّه لجدرا القائمة فوق داره على مسافة ساعة اذ لا كنيسة في القرية وانهُ بطيبة خاطر يفرغ لنا محلًّا في بيته لإقامة المراسيم الدينيّة وسيوعز الى اقاربه في جدرا ان يأتوا لايفاء واجباتهم لاستماع الارشادات الخلاصيّة فشكرنا لهُ تلطّفهُ وتدينهُ وبتنا في داره حتى غرّة آذار وحفظنا لهذا البيت الكريم ذكرًا طيباً

وبعد ان انهينا مهمّتنا الروحيّة في وادي الزينه غادرناها في غرّة آذار عندما لاحت حواجب الصبح فسرنا على الاقدام ووجهتُنا قرية المنية

فألفينا منجدين في طريق حَزْن على يمينا مخفر العسكر اللبناني وعلى شمالنا تعاريج وادي الزينه وبينا نحن سائرون اذا بالغزالة تبدّت من وراء الجبل يخفرها جمال الطبيعة . وكان المطر الوسمي الذي سقط هذه السنة باكرًا دبّج الارض فكنا نسير والزرع على يمينا وشمالنا يمرّ عليها نسيم السحر فتترنّح متمايلة والاطيار تغرّد على افنان شجر الخروب والعضاه. وكثيرًا ما مررنا على طنافس من الازهار متنوعة الاشكال والالوان اشبه بالديباج وعليها الطل كاللؤلؤ والجمان المنثور

تخال الحباب المرتمي فوق نَوْرها الى سوق اعلاها جمانًا مبذّرا

وكنا تارة نُحزن وتارة نسهل الى ان ظهر امامنا بعد نصف ساعة في منفسح من الارض رَبْع دارس ترعى بين مبانيه الصماء شُلّةٌ من المعز والضان:

والدار قفرٌ والرسوم كما قد خطّ في ظهر الاديم قلمْ

فسألنا الراعي عن اسم الخربة فاذا هي خربة الفلّاطية فعجنا عليها وشاهدنا فيها آبار كثيرة وبعضها حتى الان يصلح لاستيعاب الماء وهو ممتلئ حتى فوهته. وهذه الآبار

كلهـا على طرز واحد فوهتها بيضوية الشكل ولبعة. وآثار اساسات المساكن وتقاطيعها ظاهرة للعيان وقد فعلت التقلبات الجوية بالحجارة حتى اصبح اكثرها ذات ثقوب منخورة كالقربال وتشغل هذه الرمم فسحة واسعة ما يدلُّ على انَّ هناك كانت دسكرة كبيرة

والى شمالي هذه الاخربة على مقربة منها اكمة مستديرة الشكل تدعى قلعة الحصن تعلو عن البحر نحو ١٥٠ مترًا يحدُّها شمالًا وشرقًا وادي الزينه العميق هناك والبحر في غربيها وامامهـا ساحة بديعة. وعلى طرف هذه الاكمة الغربي آثار برج قديم هُدم اكثره وعلى الاكمة آثار معاصر قديمة وبقرب البرج على منحـدر الاكمة الغربي اشجار من الخروب قديمة العهد اتقينـا تحت ظلهـا حرارة الشمس . ولم يكن بين الخرائب انيس وانما خرجت من زاوية البرج افعى عظيمة لاستقبالنا كأنها تدَّعي مع صغيرها بملك تلك الاطلال فاخلينا لها ربعها منهزمين نحو الطريق

ويجاور هذه الاكمة شرقًا اكمة اخرى بيضوية الشكل اقل ارتفاعاً منها وبينها رهوٌ من الارض يدعوها السكان قلعة ظهر البيدر ولم يبقَ من آثارها سوى مرقى للرتاج منقور في الصخر وهو عبارة عن ٦ درجات. ونقول بقصر الرأي ان هـذه الخرائب قديمة تعاقبت في سكناها امم متنوعة جددت بنـاءها في اطوار متوالية وكانت آخر امَّة عُنيت بترميمها امَّة الفرنج في الجيـل الثاني او الثالث عشر. ثم هُدمت على اثر الحروب والزلازل فتبدلت الـدار بانسها وحشًا وصارت قاعًا صفصفًا ينمي فيها البوم ليـلًا وتقصدها السائمة لكثرة آبارها المتجمعة فيهـا مياه الامطار الى ان يشتدَّ القيظ ولم يَبقَ في الآبار شُفافة فتهجرها القطعان ولا تعود ترى في الغلاطيَّة سوى الزمَّافات والافاعي السامَّة

ثم رمينا بابصارنا لآخر مرة على تلك الخرائب وقلنا نحوها مع الشاعر:

حيِّ ديارًا عا معارفنـا طولُ البلى وتراوحُ الحقُبِ

ثم اخذنا نتوقل الأكمة المبنيَّة عليها قرية سبلين الواقعة في علوّ ٣٠٠ م تقريباً فوق سطح البحر على مسافة نحو ساعة ونصف من ساحلها وموقعها جميل تحيط بها السهول الخصبة وتنمو في اراضيها اشجار الزيتون النضرة:

انَّ العروق اذا استرَّ بها الثرى أشرَ النباتُ بها وطاب المزرعُ

وسكان سبلين من المسلمين شركاء آل جانبلاط فاجتزنا القرية يحيّينا رجالها ونساؤها تأدباً. والنساء حاسرات الوجوه في هذا الاقليم لا يحتجبن بالخمار وبعد قليل من الزمن وصلنا الى عين ماء غدق غزير ذات سبيل قديم يدعونها عين كترمايا وكترمايا قرية بقربها على اكمة تعلو عن البحر ٣٦٥ متراً ولعلّ الاسم مأخوذ من العين بالتصحيف واصلها كفرمايا (ܟܦܪ ܡܝܐ) اي قرية العين او هي (ܟܦܪ ܡܝܠ) مستنقع الماء. وهذه العين مورد لكثير من القرى المجاورة كالمغنية وسبلين وغيرهما. وكان التعب اخذ منّا مأخذهُ ورشح جبيننا بالعرق وذبلت شفتانا ولساننا من العطش فاسترحنا بالقرب من تلك العين ورشفنا ماءها الزلال. ثم استأنفنا المسير واخذنا بالانحدار نحو مسيل ماء شتوي وما زالت تخفضنا ارض وترفعنا ارض حتى دخلنا قرية المغنية بعد ثلاث ساعات ونصف مذ فارقنا وادي الزينه وقصدنا بيت خوري الرعيّة فاذا بنا بازاء دار تراكمت امامها الاطلال فاصبحت كدمنة القرية. وكاهن المغنية يدعى يوسف القزي وهو شيخ قديم الايام من اقارب الياس شاهين افندي القزي فتحفّى بنا واكرم وفادتنا وفي صباح اليوم الثاني بدأنا مهمتنا في كنيسة القرية المقامة حديثاً على اسم النبي الياس. والموارنة في المغنية يبلغ عددهم ١٣٠ نسمة ويتبع هذه الخورنية موارنة المغيرية على بعد ساعة من المغنية وموارنة حارة سبلين وكترمايا وعين الاسد والشميس على بعد نصف ساعة من المغنية

المغنية موقعها على اكمة تعلو عن البحر نحواً من ٤٠٠ متر بين دلهوم وشحيم شرقاً (وهما قريتان كبيرتان يسكنهما المسلمون فقط) وجدرا ووادي الزينه غرباً وعن شمالها الشميس وعين الاسد (سكانهما موارنة) ثم برجا وهي قرية قديمة كانت قصبة تلك الناحية كما يدلّ عليها اسمها المعرّب عن اليونانيّة (πολίχνα) وسكانها اليوم من المسلمين وجنوبي المغنيّة سبلين وكترمايا والمغيرية وسنذكرها

واسم المغنية حديث وهي منسوبة الى آل معن لانها كانت من املاكهم قديماً ثم اتّصلت الى اعيان الدروز من آل نكد ثم الى آل حماده من بعقلين حالياً. والموارنة في المغنية شركاء والبعض منهم اشتروا لهم املاكاً في خارج قرية شحيم. ومركز المغنيّة بديع وفيها آثار قديمة من نواويس ومدافن وآبار مما يدلّ على انها كانت كبيرة آهلة بالسكان قديماً وهي تكشف على معظم قرى الاقليم ويمتدّ النظر منها

حتى اعالي قرى اقليم التفّاح جنوباً . فاذا سرّح الواقف على سطوحها النظر نحو الجنوب اشرفت لديهِ خياشيم جبـال عازور وروم ورأى البحر غرباً وانتهى بصرهُ شرقاً حتى تل الفخّار المكلّل بالاشجار

ولمّا كانت المزارع التابعة لهذه الخورنيّة يبعد بعضها عن مركز الرعية حتّى مسافة ساعة عمدنا الى زيارة ذاك الشعب في مزارعهِ وتوزيع خبز الحيوة عليهِ فاعددنا مُعدّات التقديس وذهبنا الى المغيرية في يوم كانت السماء تطشُّ فيهِ طشّاً خفيفاً حسبناهُ وداعاً لفصل الشتاء . ودخلنـا تلك المزرعة بين سماد البهائم فاقمنا الذبيحة الالهيّة في بيت حقير يصلح لزرب المواشي وانمـا شاطر البشر السكنى معهـا لفقرهم فذكّرنا ذلك بعذود بيت لحم . وموارنة المغيرية اشتروا سويّةً مع المسلمين مواطنيهم هذه المزرعة من ملّاكيها الاصليين آل جانبلاط والقوم هنـا يشتركون في الملابس والعوائد حتى يصعب التمييز بين النصارى والمسلمين . والنساء المسلمات والمسيحيّات يلبسن الخلخال ويحجّلن الاصـابع ويلبسنَ الكردان في العنق والمسلمات لا يلبسن الخمار ويحيين المارّين كما تفعل المسيحيّات . وقد مررنا بالقرب من تنور اتفاقاً فوقع نظرنا على نساء يدحين الرقاقة وينضجنها . فدعَونا الى الطعام وكنا نظن بانهن مسيحيات فقال لنـا رفيقنا : « لا وانما نحن هنا نعيش بوئام ولقد تعاونّا واشتركنا سويّةً في مشترى المزرعة ملكاً لترتاح من الشراكة » . وتعلو المغيرية عن البحر نحوًا من ٣٨٠ مترًا وهي واقعة بين مزبود شرقاً (وسكانها اسلام) والجبليّة غرباً ثم دير المخلص وحارة جون جنوباً يفصل بينهما النهر اليابس ودير المخلص على مسافة ساعة من المغيرية . ومساكن اهل المغيرية لا تكاد تصلح لزرب البهائم فوجدناها احقر من مساكن بلاد بشارة وبلاد الشقيف . فالحائط معظمهُ من اللبن والسياع (ولذا يكثر مرض الغبـار في الصيف فيؤذي الابصار وتكثر امراض العيون في هذا الاقليم) وبعض الحجارة التي هي اشبه بالحصى . والسقف تسندهُ بعض اخشاب ركيكة ضئلة ويضاف اليها بعض القصب ولذلك قلّما يتجرأون على امرار المحالة (المحدلة) على السطوح منعاً لسقوط الوكف فـاذا دهمهم المطر عمدوا الى بلّانة فرحوا السطح بها سدًّا للشقوق مخافة ان يدخـل الوكف الى البيت ولقد بلينا بمثل هذه الآفة في قرية المغيرية فبينا نحن نائمون آمنون سقط المطر بغتةً فاندلف علينـا الوكف كالسيل فلجأنا الى زاوية المسكن وتدثرنا

بلحافنا فلم يُجدِنا ذلك نفعاً لان الوكف انساب من القصب وعمَّ البيت فلم تكتحل عيوننا بنعاس طول ذاك الليل وتذكرنا قول الشاعر المصاب بالارق :

طردتُ الكرى عنهُ وقد مال رأسهُ كما مال رشّاف النخيل المرنَّحِ

وحبذا لو تمكنا من تعهُّد ذاك الشعب المسكين مرة اخرى وشاطرناه شقاءهُ المادّي مداواةً لشقائهِ الادبي ولقد يحلو لنا تذكّر ما قاسيناه من شظف العيش لان الله العادل يكتب اجرًا لعملة كرمهِ . ومن بعد عودتنا من المغيرية اممنا مزرعة الشتيس وعين الاسد القائمتين على مسافة نصف ساعة من المنيَّة عن شمالها وهناك فعلنا ما فعلناه في المغيرية وودَّعنا المزرعتين اخذين وجهتنا قرية الدبيَّة

من المنية الى الدّبيَّة — خربة هيكل شحيم

كان خروجنا من مزرعة الشتيس في اليوم الثامن من آذار نريد الدّبيَّة وذلك في يوم صافي الاديم نسيمهُ عليل وما مضى على سيرنا ثُلث ساعة واذا بنا بالقرب من خربة قديمة تبعد عن جادَّة الطريق على يمين المسافر الى الدّبيَّة نحوًا من ١٠ دقائق فسألنا رفيقنا : وما تلك الاطلال . قال : ندعوها كنيسة شحيم . ففكَّرنا لعلَّها بقايا كنيسة كان ابتناها الصليبيُّون فعزمنا على زيارتها فما اشدّ ما كان دهشنا لمَّا وقفنا امام مدخل فخم لهيكل عظيم من آثار الرومان . وهاك وصف البناية وموقعها وصورتها (١) :

هذا الاثر في ملك ملحم نجم المسلم من قرية شحيم في وسط الادغال على منحدر تل الفخارة شرقاً وعن جنوبهِ قرية شحيم التي تبعد ربع ساعة فيرى المسافر ربعاً اندثرت بفعل الايَّام رسومهُ فتبعثرت مبانيهِ ولم تُبقِ الَّا على اثر رتاج هيكل بديع الصنعة اوقف افكارنا ولم يرد ذكرهُ على ما نعلم في اسفار المتجولين وهو كما يظهر هيكل فينيقي من العهد الروماني

والبناء عبارة عن كعبة مربعة في طول ١٢ مترًا في مثلها عرضاً ومدخلهُ من

---

(١) ان حضرة الاب دي مرتيري رئيس الآباء اليسوعيين في جزّين قد تلطَّف فرافقنا بعد مدَّة في ١٣ من حزيران الى هذه الخربة واخذ صورة رتاج الهيكل بالتصوير الشمسي وقد تكرَّم حضرته فرسم باليد ما لم نتمكَّن من اخذه بالتصوير فلهُ منَّا جزيل الشكر نثبته على صفحات المشرق

الجنوب ولم يبقَ من هذا المدخل سوى قسم من جانبيهِ بطولَ مترين و٦٠ سنتي من موطأ الاقدام فصاعدًا وما تبقى أي العتبة العليـا والقوس او الفلق العلوي كما في عرف البنائين قد سقط داخل البناء مع سائر حجارة الجدران (١

وعلى الحجر الاوّل الباقي من جانب الرتاج على يمين الـداخل صورة نصفيَّة ناتئة طولهـا ٦٠ سنتي وعرضها المتوسط ٤٠ س قد شوَّهت الأيام شيئاً من جمال محياها ورأس الشخص مكلل بالثور فقدَّرنا انَّها تمثل الهاً شمسياً ورجح انهُ ابولون الروماني

وتحت هذه الصورة النصفيَّة صورة أُخرى بطول ٤٥ س ذهبت الأيام بسحنتها فلم نجسر على الجزم بهويتها فاخذنا صورتها الشمسيَّة

ثم يرى الـداخل عن شمالهِ على الجانب الآخر من الرتاج على الحجر الاول ايضاً العلوي البالغ طولهُ متران و٤٠ س صورة موازية لصورة ابولون القائمة على يمين الداخل على ما لسلفنا تمثل كاهناً مصرياً متشحاً بثوب طويل وهو واقف يمسك بيده الشمال وعاء الـدم او ابريقاً وبيده اليمنى شيئ اشبه بعصا معكوفة. ووجه الكاهن متجه نحو صورة ابولون كأنَّهُ يقرّب لهُ قرباناً ثم ترى على الحجر الذي يلي صورة الكاهن صورة تشوَّهت بقدم الزمان تمثل شبه المشعل او المحرقة

وعلى مقربة من هذا البناء بناء آخر يقابلهُ وهو على هيئتهِ وسعتهِ وانما رتاجهُ لم يَعُدْ لهُ أثر مطلقاً ولم يبقَ منهُ سوى الحائط الجنوبي بطولَ سبعة امتـار تقريباً وهو متداعٍ للسقوط واذا لم يكن هذا البناء معبداً آخر على موازاة المعبد الذي سبق لنا وصفهُ اولاً فربما كان مأوى لسدنة الهيكل الشمسيّ. وبين البنايتين مسافة ٣٠ متراً طولاً تقريباً. وفي هذه الفسحة ترى بقايا عمد ضخمة قد ركزها صاحب الملك ملحم

١) قد حاولنا مع بعض القرويين الذين كانوا بالقرب من الخربة اتفاقاً اقامة عتبة الرتاج العليا الساقطة داخل البناء فذهب تعبنا ادراج الرياح نظرًا لضخامة الحجر لان علوه ٧٥ سنتي في سمك ٧٥ س وطوله نحو ٣ امتار ونيف مطمور قسم منهُ في الارض. والجهة المرسوم عليها عناقيد عنب واكاليل مقلوبة متجهة نحو الارض فلم نتمكَّن من اخذهـا بالتصوير وانما رأينا بالقرب من هذه العتبة حجرًا بطول متر تقريباً عليهِ نقوش اشبه بصورة هلال وما حولهُ شبه صورة الحيَّة المصريَّة الخرافية المدعوة (ureus) وقسم من جناحيها وعلى حجر آخر بالقرب من هذا تتمَّة الجناح الايسر والحجر الآخر المرسوم عليهِ تتمَّة الجناح الايمن مكسور معظمه (انظر الرسم)

نجم كجدران لحفظ التربة على اصول اشجار الزيتون القائم هناك ونظن انهُ كان ثمَّ رواق بين الهيكلين والله اعلم

وبالقرب من الهيكل الشمالي على بعد بعض امتار يوجد نواويس منقورة في الصخر لها اغطية مثلثة الزوايا (en dos d' âne) وحول المعبد من جهة الشرق آثار شتَّى وآبار عديدة تنبئ بوجود دسكرة هناك

واذا سأل سائل فقال : كيف بُني هذا المعبد وامثاله في بلادنا ايام تملُّك الرومان وغيرهم . فنجيبهم انَّ الدين قد شغل في حياة الشعوب مكاناً عظيماً فكان الناس يرون انَّ اكرام القوَّة العلويَّة التي بها ينوط وجدانهم يستدعي تعظيمها بالابنية الفخيمة التي تمثل جلالها نوعاً . وكان ارباب السلطة ينعشون تلك الشواعر في قلوب مرؤوسيهم فيتفقون معهم على تشييد تلك المعابد الجليلة وينفقون عليها المبالغ الطائلة وربَّما كانوا يكرهون الاهلين على السخرة والضرائب لينجزوا اعمالها الجبَّاريَّة وهم يتحققون بانهم اذا انعشوا روح الدين في صدور العامَّة وجدوهم خانعين خاضعين لسلطانهم

واطلنا التجوال بين تلك الخرائب حتَّى انَّ رفيقنا سئم من اطالتنا وظنَّ اننا نفتش على دفائنها وكنوزها واننا نحكم الطلاسم فانتحينا جادَّة الطريق وواصلنا السير الى الدبيَّة موعد رسالتنا فوردنا بعد ساعة ونصف من مغادرتنا معبد شحيم وسط قرية البرجين وهي قرية اشتراها ايضاً الموارنة والمسلمون من آل جنبلاط وعدد الموارنة فيها يبلغ ٤٠ متكلفاً (كما في عرفهم) ولا معبد لهم وانما يتبعون رعيَّة الدبيَّة غير اننا زرناهم بعد مدة ووزعنا عليهم الاسرار في احد البيوت . والبرجين سميت كذلك من برجين شيَّدهما هناك الصليبيُّون لم تزل آثارهما قائمة حتَّى الآن وقد استخدم السكَّان معظم حجارتها لبناء بيوتهم الحاليَّة

وبعد ربع ساعة من الزمن دخلنا قرية الدبيَّة ونزلنا ضيوفاً على حضرة الاب الفاضل الخوري بولس البستاني خادم الرعيَّة احد تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية فاستقبلنا مع ذويه بغاية الاكرام وتحفَّوا بنا

وعند الصباح في التاسع من آذار عيد الاربعين شهيداً افتتحنا الرياضة في كنيسة القرية المشيدة على اسم القديس يوسف البتول (١ ويتبع خورنية الدبيَّة عدَّة مزارع

١) على عتبة هذه الكنيسة التاريخان الآتيان الاول باحرف سريانيَّة جاء في احد حقليه

تبعد عنها مسافة ساعة تقريباً وهي بنمرا والخريبة وبكشتين وبشلي والبرجين ومرج برجا والهليونة والبقيعة وبقعون وشمرين وظهر المغارة والفسقانية والزرانيه والدلهمية وعدد المترفين في هذه المزارع نحو ٢٠٠ تقريباً

(الدبيّة وموقعها وسكانها) تعلو الدبيّة عن البحر نحواً من ٧٠٠ متر وهي بين بكشتين شرقاً يكللها غاب من الارز البري والهليونة غرباً والبرجين جنوباً ومراح الطيت شمالاً واسمها الاصلي وكر الدُّبّة. روى لنا احد شيوخ عائلة البستاني ان جد فرع هذه العائلة الموجود الآن في الدبيّة (واصل العائلة من بقرقاشا) اتى فسكن اوّلاً قرية الدلهميّة من اقليم الخروب القائمة على ضفة نهر الدامور الجنوبيّة على بعد ساعة من الدّبية شمالاً. وكان شريكاً لعائلة درغم الدرزية من دروز دير القمر فاشتغل عند الشيخ مزارعةً (كما في عرفهم) ثمّ عمد الى المقاسمة فقدّم الدروز لهُ ولاولاده محلّاً غاباً يُدعى «وكر الدّبه» فاستوطنوه وبنوا فيه القرية الحاليّة وتكاثروا الى يومنا ومعظم القرية من عائلة البستاني والمستقرون في الدُّبية عبارة عن ٢٠٠ معترف والمهاجرون نحواً من ١٥٠ نسمة ولا حاجة لبيان ما خصّ الله به هذه العائلة من رجال العلم والحنكة والدربة فقد نبغ من الدبيّة اسقفان جليلان ذكرهما يملأ الافواه مدحاً. ومن الدبيه نشأ سليمان افندي البستاني عضو مجلس الاعيان ولهُ دار بديعة البناء على اكمة بكشتين القائمة شرقيّ الدّبية على مسافة نصف او ثلث ساعة منها

وكان الاقبال على استماع المواعظ عظيما وانما عزّ علينا ان نرى في الدّبية مدرسة

ما نقلهُ الحرف: «بسم الاب والابن والروح القدس امين لله لا لسواه هذا المكان بناه بسم يسوع ومريم ومار يوسف القس سمعان راجي عضو مولاه سنة ١٧٥٣ مسيحية». وفي الحقل الثاني باحرف عربيّة: «كنيستنا تبي العقول بكل رونق جميله. بتاريخها أمدح بتول زين البريّه. في زمان البطرك مار سمعان بطرس (عوّاد) والمطران جبرايل والقس سلطان البستاني راجي ممّن وقف على هذه السطور يصلي ابونا وسلام سنة ١٧٥٣». ثم يلي ذلك صحيفة أخرى مربّعة الشكل وعليها تاريخ توسيع هذه الكنيسة التي ربّما كانت الوحيدة في تلك النواحي. «في ايّام رياسة البطرك يوحنا الحلو وسّعنا هذا المكان الذي بناه المرحوم الخوري سمعان وكان الساعين (كذا) بذلك كافةً الخوري يوسف والخوري عبدالله ٥ والخوري عبدالله (البستاني) هو الذي صار فيما بعد اسقفاً على ابرشية صور وصيدا ٥ (اطلب المشرق ٨: ١٥٢)

للبروتستان قديمة العهد سعى بانشائها المعلم بطرس البستاني ولا مدرسة كاثوليكيَّة تناوئها. نعم اننا نعلم انهُ لم ينحز الى مذهب لوتيروس الّا العدد القليل من اهلها وانَّما لا يزال الخطر يتهدَّد ايمان الاحداث فعسى ان يتدارك الرؤساء هذا الامر بعنايتهم

واتفق انهُ في اليوم الخامس عشر من آذار سنة ١٩١٠ بينما كان الخواجه داوود حنا شاهين من الدبية يشتغل في املاكهِ في مزرعة الهليونة اذ عثر على آثار قديمة وكتابة يونانيَّة فحدا بنا حب البحث الى الذهاب لهذه المزرعة لنشاهد بامّ العين ما رواه لنا

الهليونة على مسافة نصف ساعة غربيّ الدّبية موقعها على بطحاء بين وادي بقعون شمالًا ودير الصفا او نهر الصفا جنوباً تعلو عن البحر نحوًا من ٥٠٠ متر وفيها آثار احجار رحى قديمة من الحجار الحورانيَّة البركانيَّة وآبار وخرائب كثيرة وبينها آثار معبد وجدت فيهِ قطعة من عمود الرخام البيري طولهُ ٣٦ س ومحيطهُ ٤٥ س والكتابة عبارة عن ثلاثة اسطر عرض السطر ١٣ س وهو عرض قاعدة العامود السفلى وهاكها بحرفيتها:

ΗΑΑΡΟΥΝΙ
ΧΡΗΕΤΕ ΚΑΙ
ΑΛΥΠΕ ΧΑΙΡΕ

فهذه الكتابة هي لضريح ميت في سطرها الاول اسمهُ وقد سقط اوَّلهُ وآخرهُ فبقي « آرو » ولعلهُ « عرو » وهو اسم سامي. والسطران الاخيران تأسف وسلام على الميت. ولا شيء في هذا الاثر يدلُّ على نصرانيَّة صاحبهِ

امَّا اسم الهليونة المطلق على هذه الخرائب فلم نتحقَّقهُ ولعلَّهُ مشتقّ من لفظة (Ελιονα) بمعنى المقام او الحيّ اليونانيّ لوجود بعض مستعمري اليونان في هذا المكان

وكان في عزمنا مواصلة مهمّتنا الروحيَّة في الدّبيَّة وجوارها لولا نبأ فاجع ورد علينا من القاهرة اضطرَّنا الى ان نتوجَّه الى بكاسين وذلك انهُ بلغنا خبر وفاة شقيقنا العزيز سليم مخائيل حرفوش توفَّاه الله في مصر في ١٢ آذار دون ان يترك من بعدهِ نسلًا فانقطع بوفاتهِ فرع بيتنا فأثَّر فينا هذا الخبر تكتنا سأمنا الارادة للريب...

الذي يحيي ويميت كما يشاء. وذهبنا الى مسقط رأسنا لنقيم مأتماً للفقيد بين الاقارب والاصحاب. وليسمح لنا القارئ ان نقطع هنا اخبار سياحتنا ونؤجل الى عدد آخر تفصيل رحلتنا الى الشوف والبقاع الغربي ان شاء الله

تجربة ابليس للمخلص

شرح كتابي لاهوتي

(متى ٤: ١—١٢ ولوقا ٤: ١—١٣ ومرقس ١: ١٢—١٣)

للاب انطون رباط اليسوعي

طلب الينا احد الادباء ان نشرح ما جاء في الانجيل الطاهر عن تجربة ابليس للمخلص ونجيب على استعلامات في شأنها عرضها علينا. فلبّينا الطلب:

﴿ الظروف ﴾ بعد ان عاش ابن الله المتجسد عيشة خفيّة مدّة ثلاثين سنة افتتح حياتهُ العموميّة فجاء الى يوحنا الصابغ ليعتمد فيتمّ بذلك كلّ برّ. ولمّا اعتمد انفتحت لهُ السموات ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة وحالاً عليهِ واذا صوت من السماء قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ

ثم قال المبشر ما خلاصتهُ: خرج يسوع الى البريّة فصام اربعين يوماً واربعين ليلة واخيراً جاع. فدنا اليهِ المجرّب قائلاً: ان كنت ابن الله فمُرْ ان تصير هذه الحجارة خبزاً. فدحض يسوع التجربة بكلام الكتاب. حينئذٍ اخذهُ ابليس الى المدينة المقدسة واقامهُ على جناح الهيكل وقال لهُ: ان كنت ابن الله فألقِ بنفسك الى اسفل. واذ لم ينجح الثلّاب بتجربتيهِ اخذ الربّ ايضاً الى جبل عالٍ واراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال لهُ: اعطيك هذه كلها ان خررت ساجداً لي. حينئذٍ قال لهُ يسوع: اذهب عني يا شيطان فانهُ قد كُتب: للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد. حينئذٍ تركهُ ابليس واذا ملائكة جاءت فصارت تخدمهُ

هذه اهمّ فِقَر النصّ الانجيلي نقلناها عن متى الرسول ولا يكاد يختلف عنها نصّ لوقا بشيءٍ سوى تقديم التجربة الثالثة على الثانية. امّا مرقس فقد اوجز ملخصاً الخبر بقولهِ: انهُ كان «يُجرّب من الشيطان وكانت الملائكة تخدمهُ». ولم يذكر كيف كانت التجارب وما هي ظروفها

﴿ حقيقة الخبر ﴾ نجده في الانجيليين الثلاثة وفي سائر النسخ والترجمات ولم يُشكّ قط في اصله . اما شرحهُ فقد اتّفق الآباء القديسون (١ على تفسيره تفسيراً صريحاً كما هو فكلُّهم يعتبرون حقيقة التجربة ظاهريًا . ولم يخالفهم كاتب معروف من الكاثوليكيين المحدثين . وقد جاراهم في ذلك الكتبة البروتستان المحافظون على صدق الكتاب المقدس . اما البروتستان المدعوّون احرارًا الذين القوا وحي الاسفار الالهيّة ظهريًا وهم جوقة عديدة وكل ناكري الوحي والمعجزات فانهم انكروا حقيقة الخبر كما انكروا سائر عجائب المخلّص وسعوا في شرحها شرحاً طبيعيًا او عزوها الى الخزعبلة او الى المخيّلة او الى المبالغة او الى غير ذلك من اختراعات فكرتهم الوقادة استنادًا لا على النقد التاريخي ولا على البرهان الاستقصائي لكن على مبدإ اتخذوه لهم حجّة لا يحيدون عنها وهو فكران ما فوق الطبيعة المنظورة والمحسوسة مهما ثبت الامر وتأكد بالبرهان وانتفت عنهُ وجوه الاختراع

﴿ معرفة الخبر ﴾ كيف توصل الانجيليون الى معرفة هذا الخبر ولم يشاهدوه بالعيان ؟ لا شك ان المخلص قصّهُ عليهم فحفظوه ونحن نراه مرارًا يكرّر على مسامعهم انهُ انتصر على العالم والشيطان وان اركون هذا العالم الشرير لا سلطة له عليه فقد يكون هذا تلميحاً الى ما اخبرهُ الرب عن فوزهِ الاول وتأييدًا لوصيتهِ ان يسهروا ويصلوا لئلا يسقطوا في التجارب فان الغلبة ينالها من يتسلح بالصوم والصلاة على مثالهِ (مرقس ٩ : ٢٨ ومتى ٢٦ : ٤١)

﴿ صوم المسيح ﴾ ان صوم المسيح اربعين يوماً واربعين ليلة ولم ياكل شيئاً (لوقا ٤ : ٢) من الامور التي تفوق القوى الطبيعيّة وقد سبقهُ مرّتين الى ذلك موسى كليم الله قبل ان يدفع الربّ اليهِ لوحي العهد (خروج ٢٤ : ١٨ وتثنية ٩ : ١٨) وصام ايضاً ايليا اربعين يوماً واربعين ليلة بفضل القوت العجيب الذي بعث الله به اليهِ حتى وصل الى جبل الله حوريب (٣ ملوك ١٩) . واذا سألت عن سبب هذا الصوم ولم يكن المسيح في حاجة مثلنا الى قهر النفس لتغلب الروح على الجسد . اجابك الآباء

١) خلا اوريجانوس وصاحب عظة تُعزى زورًا الى قبريانوس القديس فهما يشرحان التجربتين الثانية والثالثة بالتخيُّل لا بالحقيقة . ولم يتبعهما الآباء لوعورة هذا التفسير ومخالفته لصراحة النصّ وعدم رضاهم بقدرة ابليس على مخيلة المخلص

القديسون ما مُلخَّصهُ انهُ فعل ليكون لنا مثالًا فنقتدي بصومهِ. فقد سبق واعلن ان تلميذهِ سيصومون اذا ارتفع عنهم العروس (متى ٩ : ١٥). والآباء يلحقون بصيام المسيح الاربعيني في البريَّة الصيام الاربعيني المأمور بهِ في كنيسة الله والمرتقي عهدهُ الى زمن الرسل (١. وقد زاد الذهبي الفم انهُ عزَّ وجلَّ جعل غايتهُ التعويض عن إثم الحنجرة والآثام الجسديَّة التي سقط في هوتها ادم والبشر ايام الطوفان والصادوميين الخ. الى غير ذلك من الاسباب

﴿ معنى التجربة ﴾ وردت هذه الكلمة في الكتاب على معانٍ اهمّها ثلاثة: يقولون (اوَّلًا) «جرَّب الشيء» بمعنى امتحنهُ واختبرهُ لمعرفة حقيقتهِ وهو المعنى المعهود في العربيَّة. لكن اذا أُسندت اللفظة الى الله كان المعنى مجازيًا فليس المعنى انهُ تعالى يريد ان يتأكد مِثلَ البشر بالامتحان امرًا مجهولًا وانما المعنى انَّ الله يريد بالاختبار ان يظهر امام الناس ما هو عالم بهِ. وحاشاه من الجهل وهو الفاحص القلوب والكلى والناظر الى المستقبل نظرهُ الى الماضي والحاضر. كذا ورد في سفر التكوين (٢٢ : ١) ان الله جرَّب ابراهيم خليلهُ وامتحنهُ ليثبت ايمانهُ وخضوعهُ فسألهُ ان يُضحّي لهُ وحيدهُ محرقةً

ويقولون (ثانيًا) «جرَّب الانسانُ اللهَ» يُراد بذلك التجاسر عليهِ بالخطيئة والرغبة في استخدام قدرتهِ كما يريد الانسان لا كما يريد الله. قال موسى للشعب (تثنية ٦ : ١٦): «لا تجرّبوا الرب الهكم كما جرَّبتموه في ذات المحنة بل احفظوا وصايا الرب». قد نقل المسيح النصَّ دحضًا للشيطان (متى ٤ : ٧) وقال بطرس الرسول لحنانيا وسفيرة الكاذبين: ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب (اعمال ٥ : ٩)

ويقال (ثالثًا) جرَّبهُ فلان اذا حرَّضهُ على الشرّ فلتُعزى التجربة الى الشيطان والى الاشرار والى العالم والى الطبيعة. وامثال ذلك كثيرة. وبهذا المعنى لا يجرّب الله البشر لانهُ قدوس ويرغب في الصلاح والقداسة. قال يعقوب الرسول (١ : ١٣): «لا يقل احد ان الله قد جرَّبني فان الله غير مجرَّب بالشرور وهو لا يجرّب احدًا

---

١) راجع الاحكام الرسولية (٥ : ١٢) في مجموعة مين (١ : ٨٦٠) واوريجانوس: العظة الـ ١٠ على سفر الاحبار (في مين ١٢ : ٥٢٨) وهيرونيموس الرسالة ٤١ : ٣ (في مين ٢٢ : ٤٧٥)

بـل كل انسان تكون تجربتهُ باجتذاب شهوتهِ وتملقها لـهُ . ثم الشهوة تحبل وتلد الخطيئة والخطيئة اذا تمّت تُنتج الموت (١

﴿ التجربة الباطنيَّة والخارجيَّة ﴾ يقتضي اعطاء الموضوع حقّه من التدقيق ان ندرس كنه التجربة والتحريض على الشرّ او الميل اليهِ . فاننا اذا ما تأملنا في عواطفنا واميالنا مهما رغبنا في اعلائهـا وتنزيهها عن الدناءة ومهما سمونا الى المعالي نرانا لا نزال ننحدر بالطبع الى اسفل فاذا عوّلنا على انجاز حكم الضمير والقيـام بالواجب والسير على سبل الهدى اعترض بين ارادتنـا العاقلة وبين الواجب ايًّا كان حاجزٌ او مانع كأنهُ يصدّنا ويعود بنا القهقرى . وهو امرٌ باطنيّ مصدرهُ الطبيعة الامّارة بالشرّ والنافرة من كل ضغط يقيّدها فـلا يصل الانسان الى الواجب الّا بشقّ النفس والكفران باميالها . هذا ما وصفهُ بولس الرسول وصوّره تصويرًا بديعًا بقولهِ (روما ٧ : ٢٣ — ٢٥) : « اني ارتضي ناموس الله بحسب الانسان الباطن لكني ارى ناموسًا آخر في اعضائي يحارب ناموس روحي . . . الويل لي انا الشقي . من ينقذني من جسد الموت هذا . نعمة الله بيسوع المسيح ربنا » . وهذا ما اشترطهُ المسيح على تابعيهِ بقولهِ : « من اراد أن يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ ويتبعني » (متى ١٦ : ٢٤)

وقد يكون الحاجز او بالاحرى المحرّض والمجرّب مختلفًا عنّا كأنّ صوتًا سريًّا يوسوس لنـا الشرّ في زوايا القلب ويستغوينا . او يكون صوتًا جهريًّا يخرج من فم الاشرار فيسعون تارة بالسرّ في القاء بذر زؤانهم في حقل عقلنـا تحت مظاهر القمح الصالح فينمو فينا وننقاد الى مكرهم وتارة يصرّحون بسوء نيّتهم فلا يرضى بالشرّ

---

١) امّا قولهُ في الصلاة الربيَّة « لا تدخلنـا في التجارب » فالمراد ان لا يسمح الله ان يجربنا الشيطان والّا تجربة ثقيلة وان شاءت عنايته السماح بذلك فيعطينـا القوة لنفوز باعداء خلاصنا . وقد قال بولس (١ كو ١٠ : ١٣) : « ان الله امين فلا يدعكم تُجرَّبون فوق طاقتكم بل يجعل مع التجربة مخرجًا لتستطيعوا ان تحتملوا » . وقد نقل قبريانوس وطرطليانوس جملة لا تدخلنا « καὶ μὴ εἰσενεγκῇς » بقولها : لا تسمح ان نسقط في التجربة « et ne nos patia-ris induci in tentationem » واخبر اغسطينوس ان كثيرين من المسيحيين في افريقيـة كانوا يتلون فقرة الصلاة الربيَّة على هذا النوع . امّا قول يعقوب (١ : ٢) : « احتسبوا ايهـا الاخوة كلَّ سرور ان تقعوا في تجارب مختلفة عالمين انَّ امتحان ايمانكم يُنشئ الصبر » فكلمة « تجارب » مرادفة لمصائب واضطهادات وشدائد ايةً كانت وهو يعزّيهم ويشجعهم على احتمالها .

الّا ذوو الضمائر المكوية كما قال الرسول في رسالتهِ الاولى الى تيماثاوس (١ : ٥)

وكثيرًا ما يتواطئ العدوّان الداخلي والخارجي على غوايتنا فتتضاعف بالاتحاد قواهما ويصليان نفسنا حربًا عوانًا فيعرضانها لخطر لا ينجو منهُ الّا الجندي الساهر الباسل كما قال بولس (١ تيا ٥ : ٨) « اللابس درعَ الايمانِ والمحبةِ وخوذةَ رجاء الخلاص بنعمة يسوع » وان فُرض انَّ العدوَّ الداخلي كان مسالمًا او كان ضعيفًا مقيَّدًا ذلك لا يعدل بالعدوّ الخارجي عن اشهار الحرب وشنّ الغارة. لانهُ لا يخشى خزيًا ولا يحجم عن بثّ روحهِ وإن ثبتت لديهِ دلائل كسرتهِ وعودتهِ خائبًا

وما هذا العامل سوى الروح الشرير الذي أُنزل عن عرشهِ جزاء كبريائهِ فاضحى عدوًّا لله ولقديسيه وسماه الكتاب الحية الجهنميَّة والثلاب والقتّال والعدوّ والشيطان (متى ١٣ : ١٩ و ٣٩ ولوقا ١٠ : ١٨ ويوحنا ٨ : ٤٤ الخ) وقال الرسول بولس في رسالتهِ الى اهل افسس (٦ : ١١) : « ايها الاخوة تشدّدوا في الرب وفي قدرة قوّتهِ والبسوا سلاح الله لتستطيعوا مقاومة مكايد ابليس فان مصارعتنا ليست ضدّ اللحم والدم بل ضدّ . . . الارواح الشرّيرة »

﴿ أيليق بالمسيح ان يُجرَّب ﴾ في المسيح طبيعتان كاملتان الهيَّة وانسانيَّة فهو الاله بالذات وكلمتهُ والمساوي للاب في الجوهر قد شاء بجودهِ ان يتجسَّد بلا انتقال عن اللاهوت فارتدى بطبيعتنا البشريَّة واضحى في الزمان انسانًا كاملًا ليشفي امراضنا ويرثي لها ولذا « جُرِّب في كل شيء مثلنا ما خلا الخطيئة » (عبر ٤ : ١٥) (١ على انهُ لأ كان القدوس المنزَّه عن كل اثم وعن كل ما يُستشف منهُ اثر الاثم وكانت الطبيعة البشريَّة في الاتحاد قد حُفظت من كل شائبة وازدانت بأسمى المواهب المبرّرة اضحت منزَّهة عن كل تجربة باطنيَّة امكن حدوثها « باجتذاب الشهوة وتملُّقها » كما

١) قال بولس الراهب اسقف صيداء : « ان السيد المسيح من حيث هو كلمة الله قديم ازليّ ومن حيث هو ابن السيدة مريم هو محدَث زمني. ففعل المعجز بالطبيعة الالهيَّة واظهر العجز بالطبيعة البشريَّة. والفعلان للسيد المسيح الواحد. كما ان قطعة الحديد اذا هي أُحميت بالنار كانت من حيث النار تحرق وتضيء ومن حيث الحديد تقبل الشجّ والطيّ والقطع من غير وصب يدخل على طبيعة النار. والقطعة واحدة جامعة لطبيعتين طبيعة لطيفة غير داخل عليها عرَضٌ وطبيعة كثيفة قابلة للاعراض » وليس هذا الّا تشبيهًا يقرب الى عقولنا فهم السرّ الالهي السامي

قال يعقوب الرسول (١ : ١٣) لكنهُ ليس شيءٌ يخالف اللياقة في التجربة الخارجيَّة التي يثيرها الشيطان في الخارج ولا تؤثر في الداخل كما ان الفتاة النقيَّة الشريفة اذا عُرض عليها الشرّ فأَبت كلَّ الاباء ولم يخالج قلبها ادنى قبولٍ لا يُمسّ شرفها بل تزداد مجدًا وفخرًا. كذلك في المسيح. وزد عليهِ انهُ اراد ان ينهج لنا سبل الظفر والانتصار على مثالهِ رحمةً بنا وحنوًا كما سيُسلِّم نفسهُ يومًا للعذاب والاهانة والصلب حبًّا بنا

﴿ الشيطان ﴾ ولعلَّ قائلًا يقول: ألم يثبت نور العلم المبني على التثبت والاستقراء الحسي ان الاعتقاد بارواح تتأثر بني البشر وتناهضهم وتناوئ ارادة الله لهو خرافة اخذ يتقلَّص ظلُّها ويضمحل؟ ذلك ما قالهُ بعض الكتبة لكن العلم المبني على التثبت والاستقراء الحسي لا يعنيهِ امرُ الارواح لما بين المُستَدَين من التضاد فالروح هو ما لا يقع تحت الحس فكيف يثبتونهُ حسيًّا وكأني بمن ينكرون الروح كمن ينكرون وجود النفس الروحيَّة لانهم لم يعُدّوها بمضعهم ومشرطهم اذا شرَّحوا الجسد البشريّ. وقد سهوا في اعتراضهم عن معاني الالفاظ اكثر من سهو مَن يريد ان يلمس الصوت ويسمع النور ويتنشق السعة ويذوق الكم والكيف

اما حقيقة الارواح الشريرة ومناوأتها لله ولتدبيرهِ فالعهدان القديم والحديث قد مُلئا من ذكرها ففي اول صفحات الكتاب نرى الروح الجهنمي عدو الله والناس ساعيًا في اضلال الابوين الاولين. نجدهُ يتابع الكرَّة جيلًا بعد جيل الى ان ظهر الابن الالهي ففاز وفزنا معهُ بالغلبة. ولو لم نكن نخشى الخروج عن الموضوع لذكَّرنا الناكرين بالحوادث الغريبة التي طبَّق ذكرها الآفاق في هذه السنين الاخيرة والتي اشغلت عددًا من المجلَّات والجرائد. زيد بذلك السبريتيم او استحضار الارواح والابحاث اللاحقة بذلك

﴿ أيمكن ان يكون الشيطان جهل اولًا لاهوت المسيح؟ ﴾ نعم ذلك ممكن بل واقعيّ. فان اسرار الله في خلاص البشر لم تُكشف للانكته في السماء فهم لا يعرفون يوم الدينونة (متى ٢٤ : ٣٦) وكانوا يجهلون سرّ التجسد (١تيمو ٣ : ١٦) ويشتهون ان يطلعوا عليهِ (١بطر ١ : ١٢) فان كان ملائكة الله الابرار لم يطَّلعوا على هذا السرّ السامي الى ان كشفهُ الله لهم فما قولنا عن الاشرار. ثم ان الخليقة أيَّة

كانت لا تستطيع ان تعرف سرّ هذا الاتحاد الالهي في شخص المسيح المنظور ان لم يجتبها الاب بنعمتهِ او بوحيهِ (يوحنا ٦ : ٤٤) فالايمان هبة فائقة الطبيعة تأتينا من ابي الانوار. لذا نرى المخلص يطوّب بطرس لشهادتهِ حيث قال: « انت المسيح ابن الله الحيّ. فاجاب يسوع وقال لهُ: طوبى لك يا سمعان بن يونا فانهُ ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السموات ». وجازاهُ على شهادته اسمى جزاء. فقال لهُ: « وانا اقول لك: انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦ : ١٧ - ١٨) »

﴿ ارتياب الشيطان في حقيقة لاهوت المسيح ﴾ قد جهل الشيطان سرّ اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح او كان مرتاباً في حقيقتهِ وذلك لان الانبياء في العهد القديم كثيراً ما جمعوا بين الصفات المتعارضة في شخص واحد. تارة يصفونهُ ابناً لله مولوداً منذ الازل والاله القدير والقدوس ونور العالم. وطوراً يذكرون آلامه وصلبه. خذ مثلاً اشعيا الذي قال: « ودُعي اسمهُ عجيباً مشيراً الهاً جباراً ابا الابد رئيس السلام » ثم اردف كلامهُ قائلاً: « انهُ ينبت كجرثومة من ارض قاحلة لا صورة لهُ ولا بهاء. مزدرىً ومخذول من الناس ورجل اوجاع. انهُ قد اخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا فحسبناهُ ذا برص مضروباً من الله ومذلّلاً » (اشعيا ٦ : ٩ و٥٣ : ٢) وامثال ذلك كثيرة لم يظهر معناها جليّاً الّا بتعليم المسيح في حياتهِ العلنيّة وعجائبهِ وموتهِ وقيامتهِ حتى ان الرسل بعد القيامة كانوا لا يفهمون النبوات تمام الفهم كما نبهنا الانجيل مراراً (يوحنا ٢٠ : ٩ مثلاً) الى ان فتح المخلص اذهانهم ليفهموا الكتب (لوقا ٢٤ : ٤٥) بعد ان وبّخهم بقولهِ للتلميذين: « يا قليلي الفهم وبطيئي القلب في الايمان بكل ما نطقت بهِ الانبياء... ثم جعل يفسر لهما من موسى ومن جميع الانبياء ما يختص بهِ في الاسفار كلها » (لوقا ٢٤ : ٢٥) فكم بالحري قبل ذلك في افتتاح حياة المسيح العلنيّة. نعم قد يكون الشيطان شاهد الايات التي حدثت في اعتماد المخلص ورآه صائماً مشغوفاً بالصلاة لكن موسى قد صام اربعين يوماً وايليا قد صام ايضاً فما ادراهُ أهو نبي كسائر الانبياء او اعظم من نبي. أهو ابن الله بالطبيعة او بالمجاز. ولذا جرّبهُ ليتأكّد احد الامرين إمّا بصنع الاعاجيب كإله مستقلّ قادر على كلّ شيء او بعجزهِ عن اجتراحها. وان كان

بشراً محضاً فكان يؤمل الشيطان ان يلقيه في الغواية كما اغوى حوّاء بتجربة الحنجرة وموسى بعدم الثقة بالله وداود بالمجد الباطل الخ. وان كان بالحقيقة ابن الله الطبيعي أيرضى ان يُعرض عليهِ الكفر ولا يغضب وينفر عنهُ معلناً انهُ هو لا الشيطان ملك الكون الذي لهُ يحق السجود والعبادة

اما المخلص فلم يرضَ ان يجاري الشيطان على مرامه فابطل حيلتهُ وخذلهُ وردَّهُ دون ان يُطلعهُ على شيءٍ من اسرارهِ

﴿ او حمل الشيطان ربهِ الى جناح الهيكل او الى اعلى الجبل جسدياً او تخيُّلاً وهل اراه ممالك الارض حسياً ﴾ ليس في النصّ الانجيلي ما يُجيز اعتبار هذا الامر تخيُّلاً وإن ذهب الى ذلك بعض الاقدمين والمحدثين على شرط ان لا تعتبر الصورة في مخيلة المخلص من تأثير الشيطان. وذهب آخرون ان المسيح سار مشياً على الاقدام من البرّية الى الهيكل ثم الى الجبل . ومن ثمَّ جعلوا بين تجربة وتجربة مدة من الزمان . لكن عدد هؤلاء واولئك قليل جدًّا ولم يقبل رأيهم الشارحون. وجمهور المفسرين على ان نقل ابليس للربّ كان حقيقة وبنوع جسدي. والامر ممكن كما نقرأ عن حبقوق الذي نقلهُ الملاك (دانيال ١٤ : ٣٥) وعن فيلبس (اعمال ٨ : ٣٩). اما لياقتهُ وإنْ ظهرت لاول نظرة تنازلاً عجيباً من قبل المسيح فانَّ المتبصِّر الدّين لا يستغرب ذلك اكثر من استغرابهِ واعجابهِ عند ما يرى ابن الله المتجسّد طفلاً رضيعاً او هارباً من وجه هيرودس او جائعاً او مهاناً ومجلوداً ومصلوباً لان هذه كلها من نتائج سرّ التجسد العجيب وتبعاتهِ. امّا كيف اراه كل ممالك العالم ومجدها فقد ذهب الاكثرون ومنهم مار توما اللاهوتي ان الشيطان اشار الى ممالك العالم عن بعد ووصف لهُ ثروتها ومجدها

هذا ما رأينا فائدة كتابيَّة لذكرهِ. وهنا لا يسعنا الّا الاقرار بصلاح الله وجودتهِ الغير المتناهية فنسجد مع الرسول (فيلبي ٢ : ٦) لاسرار ذلك « الذي اذ هو في صورة الله لم يكن يعتدّ مساواتهُ لله اختلاساً لكنهُ اخلى ذاتهُ آخذاً صورة عبد صائرًا في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة فوضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب »

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ الجراب الماسوني

قد ضُرب المثل بجراب الكرديّ (١ لما يحتوي عليه من العجائب والغرائب من الخيط والابرة الى الحمار والمرآة ولذلك يضنّ بهِ صاحبهُ ويحرص عليهِ حرصهُ على حياتهِ بل لا يسمح لاحد ان ينظر الى ما فيهِ لئلّا يصيبهُ بالعين. وايمُ الله انّ جراب الماسونية ليس دون جراب الكردي سعةً بما يتضمّنهُ من المحتويات الغريبة ولذلك لا يحبُّ الماسون انّ غيرهم يتجسّسون بواطنهُ ليعرفوا ما هنالك بل لا يسمحون لكل ابناء الارملة ان ينقّبوا عن مضامينهِ دفعةً واحدة وانّما يخرجون لهم بضاعة جرابهم قطعةً قطعةً لئلّا يُبهرَ نظرهم بما في الجراب من الاعاجيب ومن ثم جعلوا لهم ٣٣ درجة (او اكثر) ليطيق بصرهم النظر الى التهاويل الماسونية شيئاً فشيئاً حتى يبلغوا الى معاينة شمسها الساطعة او قل يتكحّلوا اقصى ظلماتها المتكاثفة

على انّ الله قد اسعدنا فاتاح لنا النظر الى قعر ذلك الجراب فرأينا فيهِ شيئاً من كنوزهِ الثمينة فاحببنا ان نوقف عليهِ قرّاءنا لعلّهم يحظون ايضاً بلمحة الى تلك الخبايا فيزيدوننا عنها علماً

ونحن لا نتبع في هذا القسم من كلامنا ترتيباً خصوصياً فنعرض ما اختلسهُ نظرنا من اسرار الجراب كما يحضرنا فننتقل من جدّ الى هزل ومن درّة الى بعرة فيأخذ كل حصّتهُ من هذه الاقاصيص المأثورة والاساطير المنثورة ويزيد اعتباراً لتلك العصبة الشريفة التي خُصّت بكل تلك الحسنات المنيفة

١) ومثلهُ عند العرب كشكول المكدّي او الشحّاذ يجمع فيهِ ضروب المآكل كما تحضرهُ دون تمييز بين حلو وحامض وطيّب ونتن

١ المكتبة الماسونية العربيَّة

نبتدئ بوصف ما وقع لدينا من التآليف الماسونية باللغة العربية فان في وصفها افادةً لأنَّ اهل الشيعة يحافظون عليها غاية جهدهم ولا يحبُّون ان يطَّلع عليها الاجانب مثلنا ولذلك تراهم اذا طبعوا كتاباً اختاروا لطبعهِ مطبعة احد الاخوان واقاموا على حراستهِ ناظرًا منهم يوثق بامانتهِ لئلَّا يقع منهُ نسخة في يد غريب. وقد سعينا في الحصول على بعض هذه المصنَّفات فخابت مساعينا وعلى كل حال نذكر هنا ما عرفناه من هذه المطبوعات. ولا تظنَّ ايها القارئ الكريم انَّ هذه التآليف المطبوعة تحتوي تلك الاسرار الغامضة التي تخجل منها الماسونية. كلَّا فان اولاد الارملة قلَّما ينشرون اسرارهم الصحيحة التي يعلنون بها في محافلهم لاسيما في محافل الدرجات العليا وما كشفنا منها في مقالاتنا السابقة انما نقلناهُ عن نشرات أُخرى رسمية طبعوها بعد مؤتمراتهم السنويَّة او عن بعض تآليف سريَّة في اللغات الاوربية لم يجسروا أن ينقلوها الى العربية لأنَّ اهل الشرق لا يستطيعون حتى الآن ان يحملوا مثل هذه الاحمال الثقيلة كنكران وجود الله وخلود النفس والقول بقدم الدنيا وخلود المادة ونبذ كل دين. والمطبوعات الماسونية العربية في الغالب تكتفي بتعظيم شيعة الماسون وذكر خواصها والتمويه على البسطاء بوصف فضائلها مع بعض «فلتات» عن خزعبلاتها. فدونك هذه التآليف مرتَّبة على تاريخ سنين صدورها مع نُتَف من مضامينها :

١ «انكتر المصون في رموز ثلاث درجات الماسون» هو اقدم ما لدينا من كتب الماسون طبع سنة ١٨٨٧ (ص١٣٢) ولم يُذكر فيهِ اسم مؤلفهِ ولا مكان طبعهِ والمعروف انهُ لشاهين بك مكاريوس سننقل عنهُ شيئاً ان شاء الله في الابواب الآتية

٢ «تاريخ الماسونية العام. تأليف جرجي زيدان. طُبع بمطبعة المحروسة سنة ١٨٨٩ (ص٢٥٦)» في صدرهِ الشارات الماسونية»

نقلنا عن هذا الكتاب بعض فقرات وبيَّنَّا ما فيهِ من الاخبار المختلقة اذ رقَّى صاحبهُ الماسونية الى مهد الجنس البشري واضطرب في تاريخها ايَّ اضطراب حتى انهُ يظهر لكل عيان انَّ صاحبها اما خادعٌ ونحن نجلُّهُ عن هذه الصفة واما مخدوع فيقضي عليهِ شرفهُ ان يبحث البحث المدقَّق عمَّا سطَّرهُ عن غير علم صادق ويثبت الروايات

الصحيحة عن الماسونية (ان كان الاخوان يسمحون له بالامر). وترى مع ذلك في هذا الكتاب بعض معلومات عن تاريخ الماسونية الحديث ومحافلها ولاسيما في الشرق ما لا يخلو من الفائدة. اما ما جاء هناك من اللوائح والمؤتمرات فلا اصل له البتة الّا ما تبع السنة ١٧١٧ حيث أُنشئت الماسونية فانَّ لائحة كولونيا ضمها التي أَمَرْناها بالّا يشكّ فيها العلماء الاثبات. ولا ننكر انَّ قبل السنة ١٧١٧ وُجدت جمعيّات سريّة كانت ممهدةً لسبيل الماسونية الّا انها ليست هي. اما الجمعيّات التي أُنشئت في القرون الوسطى للبنّائين فلا علاقة لها مطلقاً بالماسونية غير الاسم الذي اختلسهُ الماسون في القرن الثامن عشر وتستّروا بهِ لبلوغ غاياتهم الخبيثة. فانَّ جمعيات البنّائين السابقة كانت مبنيّة على اصول الدين وغايتها التعاضد والتعاون في مصالح اصحابها وكان ارباب الكنيسة يتولّون نظارتها وينشطونها على عكس فعلهم بالماسونية

وعليهِ نكرر — ولا نخاف في انكارنا لومة لائم — زعم المؤلف وصاحب المقتطف (١٤ : ٢٠٥) بانَّ الماسونية غايتها الفضيلة وانَّ اليها انتسب بعض مشاهير الرجال الذين سبقوا القرن الثامن عشر كالفيلسوف باكون والكردينال ولسي. فان استطاع الماسون ان يثبتوا لنا الامر بالبرهان كنّا لهم من الشاكرين

٣ « النظامات العمومية المسنونة بمعرفة المجلس الشوروي السامي للطريقة الاسكوتانديّة القديمة العهد لفرنسة وملحقاتها . ترجمها من الفرنسويّة حضرة كلي الحكمة (كذا) الياس بك منسى رئيس محترم شابتر الكرنك الاكبر ومحفل العدل الموقّر بشرق مصر. طبعت بالمطبعة العمومية بمصر ليوسف آصاف عام ١٨٩٠ (ص ١٣٢) »

هذا الكتاب مصدَّر بالعلامات الماسونية كالسابق. وفي اوّلهِ قرار المجلس العالي المنعقد في ٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بامضاء « بروال درجة ٣٣ الحاكم الاكبر والمعلم والاستاذ الاعظم . و بيرار درجة ٣٣ السكرتير الاكبر ورئيس السكرتاريّة العمومية » تليهِ « النظامات العمومية المعدَّلة باتّحاد آراء المجالس العالية المجتمعة في لوزان بسويسرة ومصدَّق عليها بجلسة ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٧٥ » وهذه النظامات تحتوي ١٧٨ مادّة تشمل رسوم الماسون وامتيازاتهم ودرجاتهم ووظائفهم ومحافلهم وشروط قبولهم ومحاكماتهم ومعاقباتهم وبقية احوالهم. الّا انَّ كثيراً من هذه المواد وُضعت للتمويه على الاجانب كالمادّة ٢٠١ مثلاً وفيها يقال « ممنوع حتماً كل محادثة تختص

بالسياسة او بالديانة » وهو كذب محض باقرار شيوخ الماسون كما رأينا . ومما يستفاد من المادة ٢٣٩ « انَّ مجلس الشيوخ لدرجة ٣٠ المدعو الاريوباغس يتألف من سبعة ماسون حائزين لدرجة ٥٠٥٠٥٠٥٠٥٠٥٠ فارس المنتخب الاعظم القدُّوس » . ومن المواد ١٨٥ الى ١٩٥ ذِكر حسنات الماسون التي لا تُعطى الَّا لاعضاء الماسونية خلافًا لما يزعمون بانَّ جمعيَّتهم خيريَّة . ومن المادَّتين ٢٢٥ و٢٤٥ انَّ الاساتذة الماسون يُرقَّون من الدرجة ٣ الى الدرجة ٣٠ باحد واربعين شهرًا (ما اسرع ما يبلغون الكمال ؟) . ومن المادَّة ٢٣٢ انهُ « يجب عمل وليمة كل سنة لسائر اعضاء المجمع الاكبر اي الشابيتر » ومن المادَّة ٣٥٠ « انَّ شرب كاسات المحبة هي كما موضحة ادناه : ١ً كاس محبة فرنسا . ٢ً كاس محبة الحامي الاعظم القدُّوس . ٣ً كاس محبة الرئيس وجميع موظفي المحفل . ٤ً كاس محبة الشروق العظام . ٥ً كاس جميع الماسون السعداء والمنكودي الحظ الكائن (كذا) فوق البسيطة (وكيف لم يبلغ هؤلاء السعادة التي وُعدوا بها !) . وعند شرب هذا الكاس فالمحفل يعقد سلسلة الاتحاد » وقس على هذا بقية المواد

٤ « دستور المحافل المصريَّة الوطنيَّة التابعة لمشيخة البنَّائين الاحرار ذوي العهد القديم والراية العامَّة لمصحح ن . ص (تحزَّروا !) طُبع على نفقة المحفل الاكبر الوطني المصري بمطبعة التأليف اوَّل شارع الفجالة بمصر سنة ١٨٩٣ (ص ١٣٠) »

٥ « كتاب الآداب الماسونية . تأليف شاهين بك مكاريوس مؤسس محفل اللطائف ورئيسه درجة ٣٣ (وصاحب القاب واوسمة ماسونية تستغرق ١٢ سطرًا بالحرف الناعم) . طُبع في مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٥ » . هو الكتاب الذي اشرنا اليهِ غير مرَّة ورد في مقدَّمتهِ مصادقة المحفل الاكبر الوطني المصري الذي منح لصاحبهِ « النيشان الماسوني العالي » بامضاء ن . ص (السابق جهلهُ) كاتب السرّ الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري

هذا الكتاب يشبه التاريخ الماسوني الموصوف قبلًا اعني انَّهُ يحتوي اكاذيب عديدة مع بعض افادات . قسمهُ مؤلفهُ الى ٢٤ بابًا جمع فيهِ ما امكنهُ ليبيِّض صحيفة الماسونية ويجلو تلك العروس القبيحة المنظر والشنيعة المخبر ولو عُرض كلامهُ على الشواهد التي لا تُحصى مما قلناهُ في حقّ الماسونية لظهر معها على طرفي نقيض . فان صدق الماسون كذَّبوا بتزييف تلك الشواهد . ومهما قالوا يريبنا في احتجاجهم تستُّرهم فان الحق

يُسرّ بالنور والماسون يخافون من النور فهم اذًا ابناء الظلمة

٦ « الجوهر المصون في مشاهير الماسون » لشاهين بك مكاريوس المذكور. هذا الكتاب طبع نحو السنة ١٨٩٥ الّا أنّا لم يمكنّا الحصول عليه عند احد الادباء ولا في مكاتب مصر ولا بدع ان المؤلف شحنهُ كعادتهِ بالفوائد المخترعة ولعلّهُ ذكر عددًا عديدًا من المشاهير الذين لم يشمّوا مطلقًا رائحة الماسونية كنُوما بومبيليوس والكردينال ولسي والفيلسوف باكون وغيرهم كثيرين

٧ « الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية. تأليف شاهين بك مكاريوس السابق تعريفهُ طبع في مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٧ » في صدر الكتاب رسم « سعادة الفاضل ادريس بك راغب الرئيس الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصريّ » مع مقدمة في ترجمة الرئيس ورفع الكتاب الى مقامهِ

ليس في هذا الكتاب كلمةٌ واحدة توافق غرض الكاتب. فانّهُ جمع خلطًا من الاخبار الراقية الى الوف من السنين قبل المسيح ليثبت انّ الماسونية ابنة جماعات البنّائين التي وُجدت في كل جيل وليس شيءٌ اكذب من هذا الرأي. وهذه بعض اسطر تثبت لك صحة قولنا :

(قال في الفصل الاوّل ص ٧) قيل انّ موسى اوّل من نقل الاسرار المصريّة الى شعب اليهود ثمّ انتقلت الى اليونان بواسطة اورفه وهسّة تريبتولم (ما اشطر هؤلاء الماسون بالتاريخ!) ثم من هؤلاء الى الرومان الذين ازهرت في ايّامهم واصبحت تُضرَب بقوّتها الامثال. وكان نوما بومبيليوس (وفي الحاشية انّ ترجمتهُ في كتاب المؤلف الجوهر المصون في مشاهير المسون. كذا) اذ ذاك ملكًا على الرومان . . . فاقام بينهم مدارس كثيرة لعلوم متنوعة اخصها علم البناء . . . وكانت هذه المدارس صناعية دينية تعلّم تلامذتها الاسرار التي انتقلت اليها من المصريين »

وقس على هذا بقية الكتاب ونحن نخجل انّ كاتبًا اديبًا يدعو مثل هذا التأليف السخيف تاريخًا ! ! !

٨ « الدستور الماسوني العام للطريقة الاورشليميّة. عني بضبطهِ وطبعهِ وترتيبهِ شاهين بك مكاريوس استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليمي (صاحب الامتيازات المعروفة) صفحاتهُ ١٠٤ » على قطع صغير. ولم يُذكر لا محلّ ولا سنة طبعهِ. اما مواضيعهُ ومواده فكالدستور السابق ذكرها. ولا غرو فانّهُ من البضاعة عينها

٩ « كتاب فضائل الماسونية تأليف شاهين بك مكاريوس . طبع في مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٩ (ص ٢٣٢) » . وهو مصدَّر برسم المؤلف الكريم لابساً الوشاح الماسوني ومزيّناً باوسمة درجته مع الصدرة (الوزرة) الماسونية بجالساً على كرسي الرئاسة وفي يده المطرقة (الشاكوش) الماسونية (وقد رسمنا سابقاً هذه الصورة)

هذا الكتاب مجموع نحو مئة قصّة (أو قل بالحري اضحوكة) ماسونية ولولا ضيق المكان لنقلنا عنهُ بعض قصصه وحشّيناها بالحواشي التي تبيّن فضائل هؤلاء القديسين الذين لم يسبق مثلهم في تاريخ الامم المتمدّنة . وقد روينا لك منهُ سابقاً « بدعة الشرق السامي الفرنسوي » ثمَّ فصل « الجزويت ماسون » فقس عليهما بقية ابواب الكتاب فانها من « الفبركة عينها » . وها نحن نروي لك منهُ بعض امثلة (مساطر) تزيدك بهِ وبالماسونيَّة علماً

ففي الصفحة ٥٣ اخبر شاهين بك كيف نجا من الموت احد الماسون المدعو جورج كاروثر اذ وقع في ايدي اللصوص فارادوا قتلهُ لولا انهُ ابدى الاشارة الماسونية ففهم معناها زعيم اللصوص المدعو بيل اندرسن فترجّل عن جوادهِ وصافحهُ مصافحة الاخوان ورجع جورج كاروثر شاكراً للماسونية سبب خلاصهِ من الموت . على انَّ الراوي نسي ان يهنئ الماسونية عن ادخال اللصوص في محافلها . زه ! زه !

وفي الصفحة ٥٤ اخبر كيف السوري الماسوني « الاخ الياس فرزان » وقع ايضاً في مدينة اتلانتك سيتي في ايدي بعض الاشقياء وهو راجع ليلاً الى منزلهِ بعد حضورهِ حفلة ماسونيَّة فسلبوهُ مالهُ الّا انَّ الاخوة الماسون اوقفوهُ على اللصوص وردُّوا لهُ المسلوب . فترى ما يوجد بين الماسون والاشقياء من المرفة والقرابة ! وكلّ طير يأوي الى جنسهِ !

ومثل هذه الاخبار الظريفة قصّة رواها في الصفحة ١٩ « عن الاخ نقولا منسى احد تجار بيروت » كيف ضاع في ازقّة باريس وهو يجهل اللغة الفرنسويَّة فدخل المخازن وصنع الاشارات الماسونية فعرفهُ الاخوان واتوهُ بمن يتكلّم العربية وارشدوهُ سبيلهُ . لله ما اعظم قوَّة الماسونيَّة واشد نخوة اصحابها ! فانها كخاتم سيدنا سليمان تفتح الكنوز وتنجّي من كل الاخطار !

وفي الصفحة ٦٨ افادنا شاهين بك « اصل محبّته للماسونية » فأخبر انَّ احد اصحابهِ وقع في الضيقة فالتجأ الى صديق لهُ من الماسون فقدّم هذا عريضة لمحفل لبنان يلتمس

مساعدةً منهُ للبائس فنالها. قال شاهين بك: « وكنت صغيرًا فسمعتُ هذه القصّة ولم اصدّقها حتى سمعت صديقي يتحدّث بها فاستعظمت الامر وملتُ بجملتي الى محبّة الجمعيّة من الصغر » يا لله من كرم حاتميّ جذب قلب شاهين بك الرقيق! حقًا انّهُ من الامور الغريبة ان يتحنّن الماسون على الفقراء ولذلك لم يكذ يصدّقهُ شاهين بك وعدّهُ اعجوبةً جذبتهُ الى الماسونية

وفي الصفحة ١٠٠ اخبر المؤلف كيف ان ارملة احد الماسون كانت في حالة المرض الشديد فعلم بامرها « ابناء الارملة » فاحضروا لها طبيبًا ونقلوها الى المستشفى. فكيف لا نستعظم بعد ذلك فضائل الماسون ونشيد بفضلهم فانّ اعمالهم تستحقّ ان تُكتب بالتبر لا بالمداد وعلى صفائح المعدن لا على الورق!!

وقس على هذا ٢٢٨ صفحة كلّها فضائل من هذا الجنس!

١٠ « كتاب الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونية. تأليف شاهين بك مكاريوس طُبع في مطبعة التمدّن بشارع محمّد علي بمصر سنة ١٩٠٠ (ص ١٢٢) » ما اطول حبل المؤلف بالكذب فانّهُ صنّف هذا الكتاب كالكتب السابقة ليرفع شأن الماسونية وكل من يقرأ شيئًا منهُ يجدهُ لا يصدُق في شيء. وقد نقلنا عنهُ سابقًا بعض اقوالهِ وفنّدناها. ويدّعي المؤلف انّهُ في هذا الكتاب يعرّف الماسونية واسرارها ورموز درجاتها الاولى الثلاث. وغايتهُ كما في الكتب السابقة ان يبيّض حبشيًّا بصابونهِ السحريّ والامر مستحيل اذ لا ينشر من الامور الماسونيّة الّا ما يريد ويخفي ما في الزوايا من الخبايا

على انّ هذا الكتاب لا يخلو من المضحكات كقولهِ (ص ١٠٣) « ان سليمان بن داود ملك اسرائيل كان اوّل معلّم اعظم في الفراماسونية واسم امّهِ بتشابع » وانهُ « لم يكن لهُ من امّهِ (كذا) سوى اخ واحد ولسمهُ ابشالوم » حبّذا العلماء وحبّذا المؤرخون (راجع سفر الملوك الثاني ٣:٣). وكقولهِ عن حيرام ابي استاذ الماسونيين الذي يقيمون لهُ مأتمًا عند دخول الطالبين (ص ١١٧) انهُ « ابن ارملة من السوريين من سبط نفتالي كان ابوهُ صوريًّا يعمل في النحاس ... وانهُ كان متعرّفًا بالاخويّة الديونيسيّة. وانهُ الناشر لاسرار تلك الاخويّة » وعلمٌ جرًّا ممّا لم يصدّقهُ الكاتب نفسهُ

١١ « محفل الصدق الموقّر غره ٣٠٥ بشرق شبرا. هو تقرير عن ايرادات ومصروفات هذا المحفل المصري من ستمبر سنة ١٨٩٩ الى دسمبر ١٩٠٠ وفيهِ ملخّص

اعماله وجدول اسماء اخوانه. طُبع (في مصر) في شهر ستمبر سنة ١٩٠١ افرنكيّة (ص ٨٠) » مع صورة رئيسه محمّد عثمان وقد بحثنا في هذا الجدول عما يعطيه الاخوة الماسون للفقراء اذ يدّعون انّ جمعيّتهم جمعيّة خيريّة فلم نجد ذكرًا لبارة واحدة في غير مصالح الجمعيّة وهناك تعداد مصروفات شتى كالضريبة التي يؤديها المحفل لشرق فرنسة الاعظم !!! وغير ذلك

١٢ « الخلاصة الماسونية. الشذة الاولى معرّبة بقلم ايليا الحاج. طُبع في مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر سنة ١٩٠٠ (ص٣٣) وقد فكّنا القرّاء ببعض اقواله وفي صدره العلامات الماسونية كالنجوم المثلّثة والبرجل مع هذين البيتين :

انّ للبرجـل معنًى يا فتًى تُصبح الافكار فيه حائره
سوف يُنشى لـلورى دائرةً ويصير الكلّ ضمن الدائره

يحتوي على مقدّمة غريبة في الماسونيّة وتاريخها واعمالها (كما علمت) ثمّ يليها واجبات الماسون في ٩١ مادّة على سبيل النصائح والحكم تجد مثلها الوفا في سائر كتب الادب

١٣ « الدرجة الاولى. شرح لوحة الرسم ومقالات خاصّة بهذه الدرجة وضعتها لجنة من الاساتذة بملاحظة الاخ الكلّي الاحترام ادريس راغب بك استاذ اعظم المحفل الاكبر الوطني المصري (وهناك ستّة اسطر القاب) طُبعت ثانية بمناظرة الاخ المحترم ن. ص (السابق جهلهُ) السكرتير الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري في مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٢ (ص ١٠٧) »

هذا الكتاب الصغير مع صغر حجمه من أنسب الكتب لأن يُنشأ منهُ رواية هزليّة يستغرق حاضرها من الضحك مدّة تمثيلها. فهو يبتدئ بمقدّمة عمومية عن الماسونية وابنيتها الغريبة ورموزها (ص ١—١٣) يزعم صاحبها « انها وضعت على عوائد وطقوس تماثل عوائد المصريين القدماء الذين كانوا يخفون طرائقهم وتعاليمهم تحت اشارات واشكال هيروغليفيّة تُلقن لرؤساء الكهنة ». فيا شمپوليون ما لك لا تعود الى الحياة لتكشف لنا هذه الاسرار الجديدة كما اكتشفت سرّ الكتابة المصريّة !

ثم اردف قولهُ (ص ٢) بان « طريقة فيثاغورس كانت مؤسّسة على مبدأ يماثل

ذلك » وانّ « البناية الحرّة ليست فقط اقدم الجمعيّات بل اشرفها ايضًا لأنّهُ لا يوجد فيها حرف او رمز الّا ويحثّ على الصلاح والفضيلة ». فما نكم اذن ايّها الاحرار تضنّون علينا بهذه الاسرار لولا انكم تضمرون فيها غير ما تظهرون

وان اردت ايّها القارئ الكريم ان تعرف كيف هذه الامور تدلّ على الصلاح وتحثّ على الفضيلة فاسمع بداية هذه المكتوبات. قال الشارح :

« واني استلفتُ نظركم الى شكل المحفل فانهُ شكل متوازي المستطيلات منتظم (قد غُلبتما يا ارشميدس ويا اوقليدس !) طولهُ متّجه من الغرب الى الشرق وعرضهُ من الشمال الى الجنوب وارتفاعهُ من مركز الارض الى سطحها بل ارفع من ذلك حتى يصل الى السماء (مثل سلّم يعقوب !) والسبب في كون محفل البنّائين الاحرار مرموز لهُ بهذه الابعاد العظيمة هو الدلالة على انّ فنّ البناية عموميّ وانّ كرم البنّاء ليس لهُ حدّ الّا التبصّر ». افرحوا وغلّلوا ايّها المعارجيون فانّ صناعتكم تفوق مدارك الملائكة انفسهم !

ثمّ يذكر الشارح سبب وضع البناء من الشرق الى الغرب (قد تقلّدت الماسونية بذلك وضع الكنائس المسيحيّة لدعواها بأنّها منبع النور ... المظلم !) ويفصّل ما يحتويهِ الهيكل الماسوني من النقوش المبهرجة ومن الاعمدة الثلثة ودونك شرح هذا اللغز (ص ٥) :

فالثلاثة اعمدة التي تحمل محفل البنّائين الاحرار رمز لهذه الصفات الالهية وكذلك رمز الى سليمان ملك اسرائيل وحيرام ملك صور وح ... ١٠٠٠ (وا اسفاه على سكوت الشارح عن تفسير هذين الحرفين. فيا أبا الهول من لنا بمفسّر بارع ينجينا من اهوالك لعدم فهمنا ايّاها !) فسليمان لحكمتهِ في بناء هيكل اورشليم وحيرام ملك صور لقوّتهِ واعانتهِ لهُ بالرجال والموادّ وح ... ١٠٠٠ لمهارتهِ في تزيين الهيكل »

وقس عليهِ بقيّة المقدّمة التي لا يسعنا نقلها هنا حتى ينتهي الشارح بقولهِ (ص ١١) :

وفي كل محفل منتظم مؤسّس قانونيًا توجد نقطة داخل دائرة لا يمكن لبنّاء الحرّ ان يتحوّل عنها وهي محدودة بين الشمال والجنوب بخطّين مستقيمين متوازيين احدهما يدلّ على موسى والآخر على الملك سليمان (!!) وباعلى ذلك يوجد الكتاب حاملًا لسلّم يعقوب الذي يتّصل آخرهُ بالسماء. ولو علمنا مشتملات هذا الكتاب وعملنا بمقتضى نصوصهِ كالمتوازيين المذكورين لأرشدنا الى الحق الذي بهِ لا تشتّ ولا نُغَشّ وبدورانا حول هذه الدائرة لا بُدّ لنا ان نمسّ هذين المتوازيين ولو حفظ نفسهُ الماسوني هكذا فلا يخطئ ابدًا » (وهي العصة الماسونية !)

ثمّ افادنا الشارح بانّ هناك كلمة سرّيّة دعاها « ليفيز » فشرحها هكذا :

وكلمة ليفيز (Levis) تدلّ على القوة ومرسومة هنا بقطع معدنيّة مثبّتة في الحجر جهة

مقبض يمكن بواسطتها للبنّائين أن يحملوا الاثقال العظيمة لارتفاعات معلومة بدون ازدحام (ما شا الله يا حالة !) ويثبتون به الاحجار على قواعدها وكذلك هي رمز على ابن البنّاء الحرّ الذي يجب عليه ان يتحمّل حرارة النهار ومشقّاته (بحيث لا يعود يحتاج وقت الصيف ان يطلع لا الى عاليه ولا الى صوفر ! !)

فهذا الفصل الهزلي الاوّل يتبعهُ سبع مقالات من جنسهِ على طريقة السؤال والجواب ننقل عنها بعضها والدموع تجري من عيوننا لضحكنا على كاتبيها وعلى سخافة عقل من يشتغل بها (ص ١٥ الخ):

س يا اخ كيف كان اجتماعنا اوّلاً كبنّائين احرار ؟

ج على الزاوية القائمة (على الخازوق !)

س وكيف نؤمّل ان نفترق ؟

ج على الميزان ! (ميزان البصل)

س ولم الاجتماع والافتراق على هذه الصورة المخصوصة ؟

ج لانهُ بصفتنا بنّائين احرار يجب ان تكون اعمالنا على الزاوية حتى يمكننا ان نفترق على الميزان مع جميع بني الانسان وعلى الخصوص البنّائين الاحرار (نيّال اللي فهم !) . . . .

س كيف تبرهن للغير بانّك بنّاء حرّ ؟

ج باشارات ولمسات وخطوات تامّة حالة دخولي المحفل

س ما هي الاشارات ؟

ج جميع الزوايا القائمة والموازين والاعمدة هي علامات صادقة يُعرَف بها البنّاؤون الاحرار

س ما هي اللمسات ؟

ج هي لمسات مخصوصة حبّيّة يتعارف بها الاخوان في الظلام والنور

س هل تبيّن لي كيفيّة التقدّم الى الشرق ؟

ج أعطِني الاولى أعطك الثانية

س انا اخفي الاولى

ج انا احفظ الثانية . . . .

س بما انّ هذا المحفل مفتوح فيمكنك ان تنشر ما تريده من غير خوف

ج ب وفي وعلى (كذا بالحرف !)

س ب وفي وعلى اي شيء ؟

ج اقول (ب) برغبتي . (وفي) في باب المحفل . (وعلى) على طرف آلة حادّة توضع على صدري اليسار المكشوف

بالله عليكم يا ماسون ايمكنكم ان تلقوا هذه الاسئلة وتجيبوا عليها بغير ضحك ! فان كنتم تحبّون الروايات الهزليّة المحتاجون الى الاستخفاء لتمثيلها فهذه المراسح معدّة لذلك يدخلها من شاء فما بالكم لا تمثلونها امام الجميع فاوكّد لكم انّ الناس يدفعون اجرة حسنة لحضورها فتربحون ! . . . اسمع واضحك (ص ٢٢):

س هل للبنّائين اسرار ؟

ج لهم اسرار كثيرة ذات بال

س اين يحفظون هذه الاسرار ؟

ج في قلوبهم (ثم يقول: « انّ هذه الاسرار يشيرون اليها باشارات ولمسات وكلام مخصوص » ثم يردف):

س وبعضنا بنّائين احرار كيف نعرف هذه الاشارات ؟

ج بواسطة مفتاح (!!!)

س هل هو معلّق او موضوع ؟

ج معلّق . . . .

س في اي شيء يُعلّق ؟

ج يعلّق في خيط الحياة وفي محلّ التكلّم اعني ما بين الحلقوم والصدر

يا موليار و يا شكسبار لو عشتما في عهد الماسون لوجدتما لرواياتكما الهزليّة مادّة اكسبتكما شهرة فوق شهرتكما ومالًا قارونيًا اورثتماه اولادكما الى ابد الدهر ! ! . .

وما هذا الّا الفصل الاوّل تتبعهُ فصول اخرى على شكلهِ تضحك الثكلى دونك منها مثالًا آخر نأخذهُ من القسم السابع (ص ٩٧)

س لماذا نسينا بنّائين احرارًا ؟

ج لأننا احرار نحو . . . واحرار من . . . . (كذا)

س احرار نحو من ؟ . . . واحرار ممّن ؟

ج احرار نحو معاشرينا الصالحين واحرار من العيوب
س لو نقص بناء حرّ حائز لهذه الصفات فاين نجدهُ ؟
ج بين الزاوية والبرجل (هناك المغبابة !)
س ولمَ هناك ؟
ج لأنهُ بصلهِ على احدهما لا شكّ يوجد في الآخر (وبهِ السعادة !)

ولكن دعنا نكمّل وصف بقيّة المطبوعات الماسونيّة العربيّة :

١٤ « رسوم الدرجة الاولى الرمزيّة للمحافل الماسونية المصريّة نقّحها الاخ الكلّي الاحترام ادريس راغب بك (القابهُ) طُبعت ثانية في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٠١ (ص ٣٢) »

١٥ رسوم الدرجة الثانية ... ١٩٠١ (ص ٢٣)

١٦ رسوم الدرجة الثالثة ... ١٨٩٨

١٧ محفل السلام الاسكتلندي نمره ٩٠٨ (ص ١٤) بلا تاريخ ولا اسم مطبعة

١٨ « الدرجة الاولى الماسونية حسب طريقة المحفل الاكبر الاورشليمي . عُني بطبعها شاهين بك مكاريوس (القابهُ ١٣ سطرًا) طُبع في مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٥ (ص ٣٠) » يشبه الفصول المثبتة آنفاً

١٩ « القانون الداخلي لمحفل صنين ش ٣ الشويرمن سنة ١٩٠٤ الى ١٩٠٩ طُبع على نفقة محفل صنين في ١ ايار سنة ١٩٠٥ (ص ١٧) »

٢٠ « المجلّة الماسونية تحت رعاية محفل الحرّيّة الموقر التاسع للمحفل الاكبر الوطني لصاحبها ومحرّرها الاخ يوسف لفلوفه . السنة الاولى ١٩٠١ طُبعت في الاسكندريّة » وظهرت مدّة ثم انطفأ سراجها المنير

٢١ « الجريدة الماسونية لصاحبها ومحرّرها نقولا سابا بالاسكندريّة » . تظهر منذ تسع سنوات ولدينا منها بعض اعداد متقطّعة . وقد خلفت جريدة اللطائف التي كانت اوّل جريدة ماسونية بالعربيّة لصاحبها شاهين بك مكاريوس وهو عنترة الماسونية وفارسها المغوار

هذا ما وقفنا عليهِ من المطبوعات الماسونيّة (لهُ بقيّة)

النصرانية وادابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانيَّة بين عرب الشام (تابع)

على انَّ النصرانيَّة في بادية الشام ما كانت محصورة في غسَّان بل امتدَّت ايضاً الى القبائل العربيَّة من اهل الحضر والمدر الذين سكنوا في تلك الانحاء واختلطوا بمستعمريها فمن اراد ان يتتبَّع تاريخ النصرانيَّة بينها ينبغي عليهِ ان يجمع ما دوَّنهُ المؤرخون اليونان والرومان والسريان من انتشار الدين المسيحيّ في تلك الجهات اذ لا يجوز القول بانَّ النصرانيَّة لم تؤثر في غير الاجانب المتوطنين فيها

فممَّا رواهُ اوسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك ٦ ف ١٩) انَّ النصرانيَّة كانت في مبادئ القرن الثالث للمسيح راسخة القدم وافرة العدد في بصرى حاضرة حوران. وقد اخبر عن اوريجانوس المعلِّم الاسكندريّ الشهير انَّهُ رحل ثلاث مرَّات الى بُصرى. فالمرَّة الأولى استدعاهُ حاكمها الرومانيّ المدعوّ جاليوس سنة ٢١٧ ليفقههُ تعاليم الدين المسيحيّ وينصِّرهُ فجاء اوريجانوس الى بلاد العرب ملبِّياً دعوتهُ وبعد أن اتمَّ مرغوب الحاكم وعمَّدهُ رجع الى الاسكندريَّة. امَّا الرحلة الثانية فباشرها اوريجانوس كما افاد اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ٣٣) بسبب بيرلُوس مطران بصرى. فانَّ هذا الرجل كان من مشاهير اساقفة زمانهِ في بلاد العرب ألَّف رسائل ومقالات دينيَّة وادبيَّة فصيحة الالفاظ بليغة المعاني لولا انَّهُ شطَّ في كلامهِ عن لاهوت السيِّد المسيح فجرى بينهُ وبين الاساقفة معاصريهِ جدال وخصام ولمَّا لم يقنعوه ارسلوا الى اوريجانوس ليأتي الى حوران فباحث بيرلُوس المذكور وردَّهُ عن ضلالهِ فعاد المعلِّم الاسكندري الى حاضرة بلاد العرب وبعد ان اجتمع باسقفها وتحقَّق شططهُ عرض عليهِ الرأي الصحيح وأزال ريبهُ فجاهر بيرلُوس

بخضوعهِ للايمان المستقيم امام جمع من الاساقفة عُقد لذلك وانصرف اوريجانوس راجعاً الى الاسكندرية. ففي الشام هذ المجمع دليل واضح على نفوذ النصرانيَّة في بادية الشام ووجود اساقفة في مدنها كجرش (Gérasa) وربة عمّان (Philadelphie)

امّا المرّة الثالثة التي قدم فيها اوريجانوس الامام الى بادية الشام فكانت بسبب بدعةٍ ابتدعها بعض اهلها فزعموا انَّ النفوس تفنى بالموت كالاجساد ثم تُبعث يوم الدينونة معها لتنال الثواب عن اعمالها. فلمّا عرف اوريجانوس بهذا القول اسرع الى تفنيدهِ في مجمع ضمّ اربعة عشر اسقفاً وبيّن امام الجموع الملتئمة لاستماعهِ حقيقة تعليم الكنيسة فردَّ الضالّين وثبّت الايمان في قلوبهم وانكفأ منصرفاً الى مركزهِ (راجع تاريخ اوسابيوس ك ٦ ف ٣٧)

وكان قبل ذلك بمدّة اشتهر مبتدع آخر نصرانيّ من عرب الشام اسمهُ منيم (Monoimos) كان هذا كطاطيانوس (Tatien) تلميذاً للقديس يستينوس النابلسي والفيلسوف الشهيد لكنَّهُ خلط بين الآراء الفلسفيَّة والايمان كما ذكر تاودوريطوس في كتاب الهرطقات (Fab. Hær. I, 18) واتّضح مؤخرًا من كتاب القديس هيبوليتس الشهيد المدعو بفيلوسوفومينا (Philosophoumena)

وممّا يثبت ارتقاء النصرانيَّة واتساع دائرتها في بادية العرب انَّ منها خرج اوّل قياصرة الرومان النصارى. ونريد بهِ فيلبّوس العربيّ الذي ملك على رومية من السنة ٢٤٤ الى ٢٤٩. وكان اصلهُ من بُصرى ثمَّ تجنَّد في جيوش الرومان ولم يزل يتقلَّب في كلّ مناصب الجنديَّة حتَّى صار كبير رؤساء العسكر ووزير الحرب وصحب غرديان الثالث في محاربة الفرس. الّا انَّ الجند شغبوا على الملك واقاموا بدلاً منهُ فيلبّوس العربيّ. وكان فيلبّوس نصرانيًا كما تشهد على دينهِ الآثار التاريخيَّة ورسائل اوريجانوس اليهِ. وقد زعم البعض انَّ غورديان قُتل باغرائهِ الّا انَّ غيرهم ينكرون ذلك بتاتاً ولعلَّهُ لم يخلُ من الطمع فلم يدافع عن مولاه كما وجب عليهِ ولذلك قد اخبر اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٣٤) وصاحب التاريخ الاسكندري (Chronicon Alexandrinum). انهُ لمّا عاد راجعاً بالعسكر الى رومية مرَّ بانطاكية واراد ان يشترك مع النصارى في موسم عيد الفصح الّا انَّ اسقف المدينة القديس بابيلاس

تصدَّى لهُ ولم يسمح لـهُ بمشاركة المؤمنين الَّا بعد اعترافهِ بخطاياه وتقدمتهِ التوبة عنها (١ . وكانت ايام فيلبُّوس العربيّ ايام راحة وعمران للدولة الرومانيَّة وفي عهدهِ أقيمت الافراح العموميَّة في كلّ المملكة بنسبة مرور الف سنة على مدينة رومية ومن اعمالهِ تشييد مدينة «عمَّان» في حوران ودعاها باسمهِ «Philippopolis» ونالت بهتهِ النصرانيَّة سلاماً موقتاً فانتشرت ايّ انتشار الى ان فتك بهِ احد القوَّاد المدعو دقيوس وقتلهُ مع ابنهِ وتولَّى الامر مكانهُ . قال اوسابيوس (ك ٦ ف ٣٩) انَّ دقيوس هذا اثار على النصارى اضطهادًا دمويًّا بغضاً بفيلبوس سلفهِ . وفي تاريخ اوروزيوس (اوروشيوس) من كتبة القرن الخامس (ك ٧ ف ٢١) انَّ دقيوس قتل فيلبوس وابنهُ بسبب تنصُّرهما وعليهِ يكون موتهما استشهادًا . وقد جمع البولنديُّون في اعمال القديسين (Acta SS. Janv., II, 617 - 621) عدَّة شواهد تثبت ذلك . فكفى بهِ فخرًا لبلاد العرب انَّ اوَّل قياصرة رومية المتنصِّرين كان مولدهُ في ربوعها وسبق قسطنطين في تنصُّرهِ

كلّ ما سبق قد تمَّ قبل القرن الرابع فلمَّا نالت النصرانيَّة حرّيتها وخرجت ظافرةً من الدياميس زاد الدين بذلك رونقا وعزًّا في بادية العرب وكافَّة مدنها ولنا ادلَّة على ذلك في الكنائس العديدة التي تشيَّدت مذ ذاك العهد بكلّ انحاء حوران والصفا واللجا وجولان التي وُجد كثيرًا من بقاياها الجليلة الاثريُّون الذين تجوَّلوا في تلك الجهات كوادنتون (Waddington) ودي ڤوكويه (de Voguë) ووتشتين (Wetzstein) وراي (Rey) ودوشو (Dussaud) وآباء رهبانيَّتنا . وكلّهم وصفوا هذه الآثار ورسموا تصاويرها وذكروا تواريخها (٢

ومن هذه الآثار مئات من الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة وجدت في نيّف ومائة موضع فيها اسماء كنائس واساقفة ووجهاء من النصارى وعليها رموز نصرانيَّة لا شكَّ فيها كالصليب في هيئات مختلفة واوَّل حروف اسم السيِّد المسيح والانجر وسعف النخل والسمكة . ومنها ما يحتوي شعارًا دينيًّا صريحًا كآية التوحيد «الله

١) اطلب ايضًا تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٢٦)

٢) راجع كتاب وادنتون ودي ڤوكوية (Waddington et de Vogüe: *Syrie Centrale: Architecture civile et religieuse du 1er jusqu'au 7e siècle*, Paris, 1864)

واحد هو » وتسبحة السيّد للمسيح « قد انتصر المسيح » او « المسيح الـهٌ هو ».
وبين تلك الكتابات كتابة عربيّة سبقت الاسلام خمسين سنة باحرف عربيّة تاريخها سنة ٤٦٣ لبصرى اي ٥٦٨ للمسيح وُجدت في حَرّان وجاء فيها ذكر مشهد أُقيم تذكارًا للقديس يوحنّا المعمدان على يد احد شيوخ القبائل العربيّة المدعو شراحيل (١

وكذلك توفّرت شواهد المؤرخين الذين ابقوا لنا ذكرًا للنصرانيّة ولامورها الدينيّة والمدنيّة في بادية الشام. فمنها جداول الاساقفة الذين حضروا المجامع المسكونيّة الكبيرة التي سبقت الاسلام وبالاخصّ الاربعة الاولى في نيقيـة والقسطنطينيّة وافسس وخلقيدونية فهنـاك اسماء عدّة اساقفة اتوا من مدن بادية الشام وصادقوا على اعمال تلك المجامع بتوقيعهم واسماء بعضهم عربيّـة محض كالحارث او منقولة عن العربيّة كتاودولس تعريب عبدالله وثاودورس تعريب وهب الله

وكان هؤلاء الاساقفة من اهـل الحضر يسكنون مدن بادية الشام. الّا ان غيرهم كانوا يسكنون المضارب ويتنقّلون مع القبائل الراحلة الناجعـة المتقلّة في المجالات ارتيادًا لمراعي غنمها ومصالح ابلها. وقد بلغتنا اسماء بعضهم ممّن عُرفوا باساقفة الخيام وحضر بعضهم المجامع الكنيسيّة وامضوا عليها

واشتهر بعض اساقفة البلاد العربيّة بما خلّفوهُ من الآثار منهم القديس طيطس رئيس اساقفة بُصرى وضع عدّة تآليف اعظمها شأنًا ما كتبهُ في تزييف بدعة ماني والمانويين وكانت هذه التـآليف مفقودة حتّى توفّق الى اكتشافها في عهدنا بعض المستشرقين فوجدوها في السريانية ونشروها مع ترجمتها . وكان طيطس في عهد يليانوس الجاحد ولم يخف من تحذير شعبهِ عن كفر ذلك القيصر المارق

واشتهر في القرن الخامس الميلاد خلفهُ على كرسيّهِ القديس انطيفانر صاحب مصنّفات عديدة في مواضيع دينيّة شتّى كمقالات في ايضاح الايمان وميامر في الاعياد وردود على الهراطقة

وفي تاريخ كتبة اليونان كسوزومان وسوقراط وتاوفان وغيرهم من مؤرخي القرن الرابع الى اواخر السادس للمسيح فصول شتّى واخبار منثورة عن احوال الدين

(١ اطلب كتاب لو با ودي ڤوكويه (Ph. Le Bas et Waddington: *Inscriptions Grecques et Latines*, III, p. 565)

بين عرب الشام تنيدنا علماً عن سطوة النصرانيّة واجتذابها لقلوب اهل البادية لاسيما بواسطة السيّاح والنسّاك الذين كانوا يعيشون في قفارهم ويخدمون الله كملائكة متقمصين اجساداً هيولية. فكانت فضائلهم العجيبة والكرامات التي تجري على ايديهم من شفاء الاسقام وطرد الارواح النجسة واستمداد النعم الروحيّة والبركات الزمنيّة تجذب اليهم اهل المدن والقرى فلا يلبثون ان يسمعوا تعاليمهم ويستنيروا بارشاداتهم ويهتدوا على ايديهم الى جادّة الحقّ فيطلبوا الاصطباغ بمياه المعموديّة

قال سوزمان في تاريخه (Sozomène. H E, VI, c. 38) عن عرب الشام: « قد تنصّر كثير من العرب (هو يدعوهم بالشرقيين Σαρακηνοί) قبل زمان والنس (من ٣٦٤ الى ٣٧٨) ممّن اجتذبتهم الى الايمان المسيحي ارشادات الكهنة والرهبان الذين كانوا يعيشون في النسك والزهد في الانحاء المجاورة لهم عائشين بالقداسة ومجترحين المعجزات الباهرة ». ثم ذكر سوزمان ما اشرنا اليه سابقاً في دفاعنا عن نصرانيّة غسّان اعني رجوع قبيلة كبيرة كان زعيمها يدعى زوكومس (وهو ضجعم) فنال له احد الرهبان بصلواته الى الله ولداً ذكراً فاعتمد هو وكلّ قبيلته

واردف المؤلف ذلك بخبر ماوية ملكة العرب التي حاربت الرومان وغلبتهم واستولت على بلادهم الى تخوم مصر ولم ترضَ بصلحهم الّا على شرط بان يرسل الرومان الى مملكتها ناسكاً شهيراً يُدعى موسى خصّهُ الله بصنع العجائب وبقداسة الحياة فسُقف على العرب الذين تحت حكمها وكان عدد النصارى الذين وجدهم في دولتها قليلاً امّا هو فانار معظم رعاياها وعمّدهم

وفي القرن الخامس اخذ الرهبان يعيشون عيشةً اجتماعيّة بعد ان كانوا يعيشون منفردين في الاقفار والمرجّح انّ الاديرة التي ذكرها حمزة الاصبهاني وابو الفداء وغيرهما بُنيت في هذا الزمان. وكذلك الاديرة التي وصفها ياقوت الرومي في معجم البلدان كدير ايّوب في حوران (في قنوات على ما يظنّ وهي بلد ايّوب) ودير بَرَنَا ودير سعد ودير بصرى وقد بقي بعض هذه الاديرة مدّةً حتى بعد عهد الاسلام

وممّا زاد النصرانيّة ترقّياً في بلاد العرب عدد كبير من الاساقفة والكهنة والرهبان كانوا في ايّام الاضطهادات على عهد القياصرة الوثنيين او ملوك الروم المتشيعين لا يجدون على حياتهم اماناً الّا بان يهجروا بلادهم ويفرّوا الى انحاء العرب

وربَّما نفى المتعصبون هؤلاء المترفين بالايمان من بلادهم الى بلاد العرب ليذوقوا هناك مشقَّات العيش من الجوع والعطش والعري. وكثر عددهم في أيَّام بدعة آريوس. وكان بعض هؤلاء رجالًا ذوي علم واسع وفضل كبير كايليًا بطريرك القدس واوجان اسقف الرها وبروتوجان اسقف حرَّان. فكان المنفيُّون اذا احتلُّوا بين العرب سعوا في اثارة عقولهم وبيَّنوا لهم بطلان اوثانهم وأقنعوهم بجحد اضاليلهم

بل يذكر التاريخ جملة من الشهداء قُتلوا في سبيل الايمان في بادية الشام ومدنها كالقديسين كيرلُّس واكريلا ودومطيان المستشهدين في مدينة عمَّان على عهد ديوقلطيانوس وتذكرهم الكنيسة في ١٠ آب وكزينون وزيناس الشهيدين على عهده ايضاً سنة ٣٠٥. وذكر اوسابيوس القيصري (ك٨ ف ٢١) انَّ في زمن هذا الملك قُتل عدد لا يُحصى من الشهداء في بلاد العرب. وفي السنكسار الروماني عدَّة شهداء قُتلوا في بادية الشام في ذلك الاضطهاد عينه فيكرمون لشهامتهم في غرَّة آب. واستشهد فيها على عهد يابانوس الجاحد القديسان اوجان ومكاريوس المكرَّمان في ك ١. فلا غرو انَّ دم هؤلاء الشهداء أخصب زريعة الايمان واغاها في جهات العرب

وممَّا يقتضي التنبيه اليه انَّ النصرانيَّة في بادية الشام ثبتت في عزَّها الى ظهور الاسلام ونمت واتَّسعت حتَّى يجوز القول بانَّ الوثنيَّة تقلَّص ظلَّها حتَّى كاد يضمحلّ ومما يدلُّ على ذلك انَّ نصارى العرب الذين اجتمعوا مع الرومان لردّ غارات المسلمين في غرَّة الاسلام كانوا الوفاً مؤلَّفة يبلغ الكتبة عددهم الى مئة الف بنيف. فهذا العدد الوافر من المقاتلين يدلُّ على انَّ النصارى في بادية الشام كانوا ألوف الالوف فلا يكادُ يبقى بينهم مكان لاهل الشرك وعبدة الاصنام

هذا ولا ندَّعي انَّ النصرانيَّة الغالبة على بادية كانت صافيةً خالية من كلّ شائبة وشائل. كلَّا بل نعلم حقَّ العلم انَّ البدعة اليعقوبيَّة تسرَّبت الى تلك الجهات وكدَّرت صفاء الايمان بما ادخلتهُ من المعتقدات الباطلة في طبيعتي السيد المسيح. بل دخل الى بلاد العرب كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يؤمّاون رواج اضاليلهم في اخانها دون ان يلاقوا فيها زاجراً يزجرهم ولا وازعاً يزعهم. وكان بعضهم يفرّون الى جهات العرب لينجوا من مصادرة ملوك الروم الذين كانوا يريدون قهرهم على جحود اضاليلهم فيفضّل اولئك المتشيعون العرب الى بادية العرب (له بقيَّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

HERDERS KONVERSATIONS-LEXICON. 3te Aufl. Reich illustr. durch Textabbild., Tafeln. Ergaenzungs-Band. *Herdersche Verlagshandl.*, 1910. *Fribourg-en-Brisgau*, Lex. 4°, ca 1500 col.

دائرة الاحاديث الاهليّة لهردر

وصف المشرق (١٢: ٣٨٨) الطبعة الثالثة من هذه الدائرة التي نشرها الطبّاع الالماني هردر بمساعدة فئة من نخبة العلماء الكاثوليك فضمّنها كل ما يحتاج اليه الناس لحياتهم الدينيّة والمدنيّة على مثال دائرة « لاروس » الفرنسويّة. ومع ان هذا الكتاب الجليل حديث الطبع اذ لم يمرّ على قسمه الاوّل ثماني سنوات وعلى آخره ثلاث. اراد جناب ملتزمه ان يُضيف اليه ملحقاً يتضمّن ما استجدّ من الترقّي في كل ابواب المعارف في هذه المدّة الاخيرة كالمعلومات السياسيّة والاقتصاديّة والعلميّة والفنيّة فتجد فيه احدث ما اتّصل الى اكتشافه العلماء في فنّ الطيران والسُفن البحريّة وملحقاتها من الغوّاصات والمراكب الهوائيّة والقذائف الحربيّة والتلغرافيّة اللاسلكيّة والدرّاجات والادوات الموآدة للحركة وكلّ ذلك مع التصاوير الجميلة. وقد سرّنا انّا رأينا اسماء بعض المشاهير العصريين بينهم مشاهير الرهبان كالاب الدومنيكي شيل (Scheil) والاب البندكتي دون كبرول (don Cabrol) والآباء اليسوعيين دَلمان وفُنك وفيتا (Dahlmann, Fonck, Fita) الخ وزاد سرورنا بما وجدنا في هذا الملحق من المعلومات الجديدة عن بيروت كزيادة عدد اهلها وترقّي مدارسها وما استجدّ فيها من المشاريع بهمة الكاثوليك كمستشفى الراهبات الالمانيّات وما أُنشئ من خطوط الترامواي مع بيان الواردات والصادرات في مينائها. فنهنّئ محلّ هردر ونتمنّى لهذه الدائرة رواجاً كبيراً

ل. ر

PETER THOMSEN: Systematische Bibliographie der Palaestina-Literatur. Bd II. 1905-1909, Leipzig, Hinrichs, 1911, XX-315, pp. 80

الجزء الثاني من القائمة المطبوعات عن فلسطين

في كلامنا عن الجزء الاوّل من هذه القائمة اشرنا الى خطارة العمل وعظم شأنه

وكثرة فوائده لمن يريد الوقوف على ما نُشر من المطبوعات في كلّ اللغات عن فلسطين. وهذا الجزء الثاني يتناول كل ما طُبع من ذلك من السنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٩ ودونك اقسامهُ التي تنبئ بوفرة مضامينهِ : يشمل الفصل الاوّل كلّ الفهارس والقوائم والصُحف والمجلّات والدوائر العلميّة والنشرات الخاصّة التي بحثت عن فلسطين . يليهِ الفصل الثاني في المنشورات التاريخيّة العموميّة والخصوصيّة القديمة والحديثة مباشرةً بالطور السابق للتاريخ الى عهدنا مع تاريخ الصناعة. وفي الثالث المطبوعات الجغرافيّة التاريخيّة وفيهِ بيان الامكنة المقدّسة في العهدين القديم والحديث ورحل اهل الاسفار والخارطات. والفصل الرابع مختصّ بالآثار والعاديّات والكتابات في لغات شتّى منها الكتابات العربيّة. والفصل الخامس في المطبوعات عن الجغرافيّة الطبيعيّة والسياسيّة مع تعريف طبقات الارض والمآثر الجويّة. والفصل الاخير مختصّ بفلسطين الحديثة كتعريف اهلها وسكّانها من وطنيين واجانب ووصف تجارتها وخطوطها الحديديّة ومرافئها وصنائعها ومصارفها ومدارسها ومستعمراتها لا سيما اليهوديّة واديانها وبالاخصّ الاسلام وفي آخر الكتاب فهارس لاعلام الاشخاص والامكنة والمؤلفين والموادّ مع اصلاحات على الجزء الاوّل. فلا يسعنا الّا الثناء على هذا العمل الجليل ونشكر صاحبهُ خصوصاً لذكرهِ المقالات التي وردت في مجلّة المشرق وفي مجموع مكتبنا الشرقيّ عن فلسطين فنحضّ كلّ القرّاء على اقتناء هذا السفر الخطير وعلى مكاتبة صاحبهِ ليوقفوه على ما يكون فاتهُ من المعلومات ليضيفها الى طبعتهِ القادمة. وهذا عنوان المؤلف :

Dr P. Thomsen, Dresden A. *I. Christianstrasse*, 37 (ALLEMAGNE)

Trusen (H. W.) : GESCHICHTE VON GETHSEMANI. Inaugural-Dissertation z. Erlangung d. Doktorwürde. *Halle a. S.*, 1910, pp. 46

تاريخ الجسمانيّة

ورد ذكر الجسمانيّة في تاريخ آلام السيّد المسيح (متى ٢٦ : ٣٦) وفيها البستان الذي خرج اليهِ الربّ مع تلاميذهِ بعد العشاء السرّي فصلّى ثلاثاً حتى قدم يهوذا الاسخريوطي فسلّم فيهِ سيدهُ. فهناك مغارة للآباء الفرنسيسيين يقال انّ فيها صلّى الربّ وعرق دماً قبل تسليمهِ. وفوق المغارة صخر مستطيل يُدعى صخر الرُسُل

يزعمون انَّ الرسل المرافقين لسيدهم كانوا بقربهِ . ثمَّ اسفل منهُ حديقة يحيط بها سور تُدعى اليوم بستان الزيتون ينتهي جانبها الاعلى الى قرنة حيث يوجد قطعة من عمود داخلة في الحائط يقولون انَّ بقربها سلَّم يهوذا سيدهُ بعد تقبيلهِ . على انَّ هذه الاماكن قد اختلف الكتبة القدماء في تعيينها فاحبَّ احد ادباء الالمان ان يعيد النظر في رواياتهم لجمع كل ما ورد في التاريخ وتقليد السيَّاح عن هذا المكان مباشرةً بتاريخ يوسيفوس والانجيل . فكانت نتيجة ابحاثهِ الامور الثلاثة الآتية : اوَّلاً ان مغارة الجثسمانيَّة ليست هي كما يُظَنّ مكان صلاة السيِّد المسيح ثلاثاً ومقام تراعهِ بل المحلّ الذي اقام فيهِ الرسل وناموا كما تشهد عليهِ الشواهد المتعدِّدة الى القرن الرابع عشر دون استثناء . ثانياً انَّ موقع صلاة الربّ وتراعهِ انَّما كان عند الصخر المنسوب الى الرسل خارجاً عن البستان الحاليّ او اعلى منهُ قليلاً شرقاً او بميلة الى جنوبهِ . ثالثاً ليس من سند لتعيين مكان قبلة يهوذا وتسليمهِ للرب وانَّما ذلك محمول على الحدس والظنّ . ومن يتصفَّح هذا الكتاب يقرّ لكاتبهِ بدقَّة الفكر وكثرة البحث فيسلِّم لهُ بصحَّة القول . ويؤيدهُ ما اثبتهُ حضرة الاب برنباي الفرنسيسيّ في دليل زوَّار الاراضي المقدَّسة الذي طبعهُ سنة ١٩٠٧ (ص ١٥٧) . وكان بوسع المؤلف توطيداً لرأيهِ ان يذكر ما وجدهُ الآباء الفرنسيسيُّون من آثار كنيسة جنوبيّ صخرة الرسل فيرجّحون انَّها بقايا كنيسة ملكيَّة شُيِّدت تذكاراً لصلاة الربّ هناك الاب ي . ديلانسيز

R. Couzard : Ste HÉLÈNE. *Paris, Blond et Cie*, 240 pp.

سيرة القديسة هيلانة

للقديسة هيلانة فضلٌ لا يُنكر على العالم المتمدّن ففي حضنها وعلى ذراعيها نشأ قسطنطين فهذَّبت اخلاقهُ وحبَّبت اليهِ الآداب المسيحيَّة واعدَّت بامثالها واقوالها قلبهُ الى الدعوة السامية التي دعاهُ الله اليها فكان ملكاً ممتازاً بصفاتهِ ومسيحياً صادق المعتقد وشهماً مكرماً . والكتاب الذي نصفهُ يلخّص اخبار الأمّ وابنها ويذكر احزان هيلانة في زواجها وافراحها في امومتها وشرفها في ملكها وهمَّتها القصوى في بناء المعابد الفخيمة ذكراً مؤبداً للاماكن المقدسة . والكتاب ثمَّ تطيب مطالعتهُ للشرقي اشهرة القديسة في ظهرانينا ولفضلها العظيم باكتشاف الصليب المقدس علامة خلاصنا وسبب رجائنا ا . ر

Abbé A. Béry: S. Justin, sa Vie et sa Doctrine, *Paris, Bloud et Cie*, 63 pp.

القديس يوستينوس

لخص المؤلف سيرة هذا القديس العلّامة الشهيد وذكر تعليمهُ الديني في الثالوث والتجسُّد والشريعة والادب المسيحية . ومعلوم انَّ القديس يوستينوس من اقدم الكتبة المسيحيين واحد مواطنينا الاجلّاء. ولد في نابلوس سنة ١٠٣ وتنصَّر سنة ١٣٠ واستشهد سنة ١٦٥ — وكان قبل انضوائهِ الى الدين المسيحي فيلسوفاً نطاسياً وعالماً مذكوراً فاذ تنصَّر خصَّ علمهُ بالدفاع عن دين المسيح وفي سبيلهِ مات وصار لمؤلفاتهِ قدر عظيم فاليها يرجع محبُّو الآثار والنقد لمعرفة احوال المعتقد النصراني في ايامهِ فيتحقَّقون انهُ هو هو معتقدنا الحالي بالاله الواحد المثلث الاقانيم وبابنهِ المتجسد مخلصنا لم يطرأ عليه تغيير البتَّة ا٠ر

P. Charles : Le Dogme, *Bloud et Cie, Paris*, 63 pp.

المعتقد

بحث لاهوتي يدافع فيهِ الكاتب عن التعليم الصادق في وجه المبتدعين المحدثين لوروا (Le Roy) ولوازي (Loisy) ثم يشرح المبدأ المقبول في ديننا « في ترقي العقائد » مميزاً بين وجود الحقيقة ومعرفتها . وهو موضوع غاية في الخطارة النظريَّة والفائدة العملية لابطال سوء التفاهم وابادة كثير من الاعتراضات التي يلقيها اخوتنا المتصلون بالمجامع السبعة الاولى . ولا نظنّ ان المؤلف وفى الموضوعَ حقَّهُ من الشرح المناسب . وسوف نعود الى هذا البحث ان شاء الله في فرصة مناسبة ا٠ر

Traités inédits d'anciens Philosophes arabes

مقالات فلسفيَّة لبعض مشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى مع تعريب اسحاق بن حنين لمقالات ارسطو وافلاطون وفيثاغورس . طُبعت ثانيةً ونُقِّحت وزيد عليها . في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١١ (ص ١٥٦)

كنَّا طبعنا سابقاً هذه المقالات المنقولة عن مجلَّة المشرق فنال نشرُها الحظوى لدى الشرقيين والمستشرقين حتَّى قُضي علينا تكرار طبعها . فأعدنا فيها النظر لتنقيحها ثمَّ زدنا عليها آثاراً جديدة كنَّا ابرزناها في مجلَّتنا عن ابن مسكويه وقسطا ابن لوقا فجاء هذا المجموع الفريد وافياً ممتعاً محتوياً على أجلّ الابحاث الفلسفيَّة لائمة كتبة

العرب. فلا نشكّ انّ محبّي الوثائق القديمة يقبلون بكل رغبة على هذه الطبعة المستجدة اقبالهم على الطبعة الاولى ل.ش

دروس الصرف والنحو

القسم الاوّل. تأليف محي الدين افندي الخيّاط

طُبع في بيروت في المطبعة العصريّة

سعى الاديب المرحوم رشيد الشرتوني في تأليف سلسلة الدروس العربيّة المعروف « بالمبادئ العربيّة » فاقبل عليها القريب والبعيد ثم قام الكثيرون من الاساتذة في سوريّة ونهجوا ذات المنهج تسهيلاً على الطلبة والفوا الكتب الصرفيّة والنحويّة وجعلوها اقساماً متسلسلة تدريجيّة حسب سنّ الناشئ وترقيه فاظهروا بذلك حاجة بلادنا الى كتب مدرسيّة قريبة المنال حسنة السبك والترتيب. وقد نشر آخراً الكاتب الاديب محي الدين افندي الخيّاط القسم الاوّل من دروسه المشتملة على أوّليات الصرف والنحو فجاء كتاباً سهلاً لا يخلو من دقة نظر وحسن ذوق فله منّا الثناء. ا.ر

كتاب الهمز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي. واضاف اليه فهرسين وتصحيحات في آخره

طبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١١ (ص ٤٤)

هذا احد الكتب المفقودة لابي زيد الانصاري ممّا وقف عليه في دمشق عند بعض الكتبيين حضرة الاب انستاس الكرمليّ فسمح لنا بنشره في المشرق. وها نحن قد طبعناه على حدة وألحقناه بفهرسين يتضمّن احدهما الفاظ الهمز الواردة في الكتاب والآخر اعلام الشعراء المستشهد بهم مع بعض ملحوظات وتصحيحات تتمّة للفائدة. والنسخة التي روينا عنها جديرة بالذكر فانها راقية الى السنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) وفي آخرها اجازة الحسن بن محمّد الشهير بالصغاني الذي وقف عليها واجازها. وقد وقع فيها مع هذا بعض اغلاط اشرنا اليها ل.ش

كتاب التعاليم الانجيلية للعيال المسيحية

للاب اثناسيوس بوتشي الفرنسيسي. عرّبهُ الخوري يوسف العشيتي

طُبع في اورشليم في مطبعة الآباء الفرنسيسيين سنة ١٩٠٥ (ص ٤٠٢)

نشكر حضرة الاب الفاضل يوسف العشيتي الذي اطلعنا على هذا الكتاب

النفيس الجامع بين جودة الفحوى ومتانة التعريب وحسن الطبع . امَّا الفحوى فانهُ يورد لكل آحاد السنة واعيادها الكبيرة فصلًا شائقاً يتضمن لُباب التعاليم الدينيَّة الموافقة لذلك الاحد او لذلك العيد لأنَّ فيهِ خلاصة صلوات القداس والرسالة البولسيَّة والانجيل الطاهر المختصَّة بذلك الموسم . فاذا اطَّلع عليهِ المسيحيّ وجد لنفسهِ قوتاً روحيًا وافرًا يغتذي بهِ وقت استماع القدَّاس بل في طول نهارهِ ومع أهل بيتهِ . امَّا التعريب فقد اجاد فيهِ حضرة المترجم اذ أخرج الاصل الايطاليانى بكل ضبط وكساهُ بثوب من الطلاوة زادهُ حسناً وقدَّم عليهِ كلاماً بليغاً في فوائد التعليم المسيحيّ . امَّا الطبع فانَّهُ مُتقَن كل اتقان على ورق صقيل بحرفنا الاسطمبولي الجميل والفصول العلاميَّة المشرقة ولكلّ صفحة اطار انيق وفي آخر الفصول نقوش بديعة . فنحضّ كلّ العيال المسيحيَّة بان يتخذوا هذا الكتاب كرفيق حياتهم المسيحيَّة ودليل فرائضهم العائليَّة ل . ش

المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي

بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١١ (ص ٦٤)

كان حضرة الاب هنري لامنس باشر في المشرق في سنتيهِ العاشرة والحادية عشرة دروساً جغرافية عن اقطار الشام كانت نيَّتهُ ان يتابعها مدَّةً فيجعلها كتاباً مستقلًا يلحقهُ بكتابهِ « تسريح الابصار بما يحتويهِ لبنان من الآثار » فوضع في ذلك عدَّة مقالات ثم دعتهُ الاشغال الى سكنى مصر فرومية العظمى ولم يَعُد في امكانهِ ان يواصلها . فهذه الدروس مع كونها غير تامَّة هي غاية في الفائدة لمعرفة احوال سوريَّة وبعض ما كتبهُ العرب في وصفها في القرون الوسطى وذلك ما حدا بالمطبعة الكاثوليكية الى ان تنشرها على حدة . وامانا ان الظروف تسمح لكاتبها ان يعود يوماً الى تتمتها والله على كل شيءٍ قدير ل . ش.

مجموعة المحرَّرات السياسيَّة والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان

الجلد الثاني تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن

مطبعة الصبر في جونية سنة ١٩١١ (ص ٤٨٠)

يتابع الشيخان الاديبان فيليب وفريد الخازن نشرهما للمحرَّرات السياسيَّة التي

اثنينا عليها سابقاً (المشرق ١٣ : ٧٩٢) . وهذا الجلد الثاني يحتوي على نصوص هامَّة تتراوح بين ك ٢ و ت ١ من السنة ١٨٦٠ موضوعها الحوادث المشئومة التي خرَّبت الديار ويتَّمت الاطفال وأثكلت الامهات مع ما جرى عندئذٍ من المفاوضات الدوليَّة التي نتجت عنها احوال لبنان الحاضرة . كل ذلك تجدهُ مفصلاً في الصكوك والاساطير الكاشفة القناع عن محجوبات الاسرار وبواطن المكايد فانَّ مطالعتها لَمثا يُدمع العين ويدمي القلب . وقانا الله شرَّ الفتن والبغضاء . ا . ر

شذرات

اين السعادة — قصيدة عصريَّة لحضرة الخوري رافائيل البستاني :

أقصُوا الديانةَ والالهَ بعيدا ... وأتوا بمن يطوي الحياةَ سعيدا . .
هل من فتى خلعَ العذارَ وما ارعوى ... فصفتْ لهُ كأس الحرام ورودا ؟
هل من فتى ضلَّ السبيل وما انثنى ... فرأى بمنزلهِ السعودَ وُفودا ؟
هل من فتى تَخِذَ الفواحشَ خَلَّةً ... فغدا على طُغيانهِ محسودا ؟
ولربَّما ظُنَّ الاثيمُ بغبطةٍ ... فالطيرُ ترقصُ إنْ ذُبحنَ سُعُودا
فدَعُوا اليراعَ يخطُّ اوصاف الذي ... أضحى عن النَّهجِ القويم شرودا
هو عبدُ عبدٍ يدَّعي حرِّيَّةً ... أفليس اميالُ الفساد قيودا ؟
فيرى بهاءَ فضيلةٍ وسموَّها ... فيهيج اذ لا يستطيع صعودا
قد أوثقت منهُ الفؤادَ رذيلةٌ ... فأطاعَ منخفضَ الجناح قؤودا
ذكر الطهارةِ والبرارة منخزٌ ... يُدمي فيُشجي قلبهُ المفؤودا
فمن الرذيلةِ للفضيلةِ ناقمٌ ... حيثُ الخطا كتَنَ العقابُ رصيدا
يغدو الضميرُ المشتكَى والمشتكي ... بل قاضياً ومنفِّذاً وشهودا
عبثاً يحاولُ بالمحال تملُّصاً ... تأبى عليهِ جروحُهُ تضميدا
غشَّت بصيرتَهُ غيومُ رذائلٍ ... وتُريهِ عيناهُ التواضعَ سودا
فتهولهُ نارٌ تأجَّجُ في الحشا ... فيهبُّ يندبُ حظَّهُ المنكودا
قد نغَّصت عيشاً عليهِ حالةٌ ... فيها يُعاني الحزنَ والتكيدا

فيودُّ اطفاءَ الضمير بحنأةٍ ... « والنار تأبى بالهشيم خمودا »
ظمأُ الاثيم هو الأتونُ وانما ... يزداد بالحطب الوقود وقودا
فيؤمُّ اسبابَ المسرّةِ والصفا ... فيزيده ذاك الصفاء كمودا
حيث انثنى يدوي صراخ ضميره ... متهددًا ومبكتًا ومعيدا :
« يا ايها الساري المضلّ سبيلهُ ... في غير ربك لا تنال سعودا »
فينكس الراس الذي قد خدّدت ... منهُ الخدودَ رذيلةٌ تخديدا
ويُجيل طرفًا زائغًا منهُ غدا ... نورُ الهداية والنهى مفقودا
فأدرْ لحاظك باصفرار جبينه ... تقرأ جبانًا غادرًا وكنودا
حتى المساوي منكبيه واوشكتْ ... تاوي فتقصف ذلك الأماودا
فيسير في شرخ الشباب مقوّسًا ... فكأنهُ هرمٌ مشى مصفودا
تُلفيه طورًا حائرًا متذللًا ... متصاغرًا متملقًا رعديدا
وتراهُ حينًا مُفحشًا متغطرسًا ... فظَّ الطباع مخادعًا عربيدا
حنقًا على الدين القويم واهله ... فبهم يرى التأنيبَ والتنديدا
فيثور ثائرهُ ويُوتر قوسهُ ... كاللص ينظر شرطةً وجنودا
ويهيج بركانُ اللآمة قاذفًا ... حممَ السباب ولا يروم ركودا
ناسمُ الاله بسمعيه صواعقٌ ... قد اورثته الهمَّ والتسهيدا
فيودُّ لو يلهي ضميرًا ناخزًا ... فيهبُّ ينفي للاله وجودا
واذا أرتهُ وجههُ مرآتهُ ... نادى وقال : الاصلُ كان قرودا
فلمَ الطهارةُ والشهامةُ والتقى ... حسبي اتابع في السير جدودا...
لم تجدِ هذي السفسطاتُ مضللًا ... نفعًا ولم تذهب شجيً ونكودا
لم يترك الباغي الجحودُ الهَهُ ... بل انما ترك الالهُ جحودا
فالدين مثل البحر يقذف جثةً ... فسدت ليأمنَ نتنها والدودا
ما قولكم يا قومنا في معشرٍ ... لا يرهبون من الاله وعيدا
ما يمنع البعلَ الجحود وزوجهُ ... من ان يخونا موعدًا وعهودا؟
ويجذف «أكرم والديك» فما الذي ... يغني لندفع للخضوع وليدا؟
فاذا حذفتم شرع دين هيّئوا ... رحبَ السجون لرُدكم وحديدا...

أبت السعادة والمحبة والوفا سكناً على اسّ المحارم شيدا
سرُّ السعادةِ خطّةٌ محمودةٌ ما جاوزت للدين قطُّ حدودا
يا من يروم ولوجَ صرحِ سعادةٍ وسلامة فخذ التقى اقليدا
فالدين تعزيةُ النفوس وطيبها وسواه ليس الى الهناء رشيدا

الارقام الهنديّة الارقام الجارية بين العرب من الواحد الى العشرة والتي عليها مبنى بقيّة الاعداد تُدعى عند العرب بالارقام الهنديّة لأنهم اخذوها من اهل الهند ويدعوها الفرنج بالاعداد العربيّة لأنهم اخذوا صورتها من العرب الّا انّ احد علماء الفرنج الاب نو (l'abbé Nau) اكتشف في مكتبة باريس كتاباً لساويروس النصيبيني المعروف بسبُوخت تحت عدد ٣٤٦ من المخطوطات السريانيّة فيهِ لهذا الكاتب السريانيّ عدّة تآليف فلكيّة في الاسطرلاب والكسوف والخسوف ومنطقة البروج والحسابات السنويّة. وفي الصحيفة ١٧٠ من هذا الكتاب ذكر الاعداد العشريّة الجارية عند الهند فالمؤلف يطرئ هذه الطريقة لحساب الاعداد ويبين انّ اهل الهند يفضلون فيها على اليونان . فمن هذا النصّ قد حصّل الاب نو انّ العرب لم ينقلوا الارقام الهنديّة من بلادها رأساً وانّما اخذوها من السريان كما توصّلوا الى علوم اليونان بواسطتهم ايضاً ولولا السريان لفات العرب معارف كثيرة . وازهر سبوخت في اواسط القرن السابع وعليهِ لا صحّة لقول صاحب الهلال في عدد يناير (ك ٢) من السنة الحاضرة (ص ٢١٢) « انّ هذه الارقام اتت من الهند الى بغداد أيام المنصور او الرشيد » اذ عرفها السريان مئة سنة قبلهم (راجع مجلّة الشرق المسيحيّ (ROC. 1910, p. 250)

منشور سيادة الطران جراسيموس مرّة قرأنا في مجلّة اصداء الشرق (١٤ : ٤٨) ترجمة افرنسيّة لمنشور كتبهُ سيادة مطران بيروت على الروم الاورثذكس بنسبة مقالة البرنس ماكس الخوري الكاثوليكيّ يعرض فيها آمالهُ بالاتحاد مع الكنيسة الغربيّة فاثنينا على لهجة سيادتهِ ورقّة كلامه ولم نطلّع حتّى الآن على اصل هذا المنشور في العربيّة فنبدي فيهِ رأينا

مقالة التبغ توفّرت علينا المواد في هذا العدد فلم يمكنّا ان نروي شيئاً من هذه المقالة المستجادة. فان شاء الله ننشر منها قسماً مضاعفاً في العدد القادم

اسئلة واجوبة

س سأل من رومية احد المستشرقين لأيّ سبب نُسبت الثياب المنبجانية او الانبجانية الى منبج كما رويناه سابقاً (ص ٨٠) وهل كانت منبج مدينة صنائع منبج وصنائعها

ج يظهر انَّ منبج كانت غنيَّة بالانسجة الصوفيَّة ولا عجب لانَّ حولها المراعي المتّسعة التي كانت تسمح فيها المواشي. وكذلك اشتهرت بجرائرها وقد ذكر ابو الفداء (تقويم البلدان ص ١٧١) إنَّ مزارع التوت كانت كثيرةً في جوار منبج لتربية دود القزّ

س وسأل ايضاً من هم المناكب والعرفاء الذين كانوا في عهد بني امية المناكب والعرفاء

ج روى في تاج العروس عن الليث انَّ مَنكِب القوم هو رأس العرفاء. ثم شرح العريف بقوله انهُ رئيس القوم او هو القيّم بامور الناس. وعليهِ يكون المنكب اعلى رتبةً من العريف. والعريف هو كالناظر والمدير. وكانوا ايضاً يستعملون اسم العريف للضابط فيقال عريف على عشرة (اونباشي) وعريف على مئة (يوزباشي) الخ

س وسأل عبدالله افندي قصير من تلامذة الكليَّة الاميركيَّة هل تعتقد كنيسة السريان القدماء قضيَّة الاستحالة. وهل يوجد برهان على اعتقادهم هذا ومن الذين صرَّحوا بينهم بهذا الامر السريان القدماء وقضيَّة الاستحالة

ج السريان القدماء اتَّفقوا مع الكنيسة الرومانيَّة وجميع الكنائس الشرقيَّة في اعتقاد قضيَّة استحالة جوهر الخبز والخمر الى جسد ودم السيّد المسيح في القربان الاقدس. امَّا البراهين على ذلك فاكثر من تُحصى سواء كان في ليتورجيَّة السريان او مجامعهم او معلّميهم الكبار مباشرةً بالقديس افرام السرياني ثم القديس يعقوب السروجي وافراهاط ويعقوب الرهاوي. والشواهد على ذلك عديدة تستغرق مجلّدات كبيرة قد جمع قسماً منها السيّد لامي في كتابهِ المنون: اعتقاد السريان لسرّ الافخارستيا (Lamy : *De Syrorum fide et disciplina in re eucharistica*, Louvain, 1859) وعنهُ نقل سيادة الطيّب الذكر المطران يوسف الدبس في خطبتهِ التي عنوانها: في اثبات وجود جسد المخلّص ودمهِ حقيقةً في سرّ الافخارستيا بشهادات الكنائس السريانيَّة. طُبع في بيروت سنة ١٨٩٣ ل. ش

المشرق

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي

الانجيل الشريف هو الكتاب الموحى بهِ من الله عزَّ وجلَّ والتاريخ الصادق لسيرة ابنهِ الالهي المتجسد واعمالهِ وتعاليمه يؤمن بهِ النصراني شرقاً وغرباً ويعتبرهُ ركناً وطيداً لدينهِ القويم ودستوراً ادبياً واجتماعياً بهِ وفيهِ تمدُّن البشر وترقيهم في معارج الكمال. وينظر اليهِ غيرهُ بعين الاجلال كسفرٍ مُنزَّل من الله. ولا يسع العلماء الجاحدين السكوت عنهُ لانهُ اساس الدين المسيحي. فهم يعكفون الليل والنهار على دراستهِ درساً علمياً بحتاً رجاء ان يجدوا الى انتهاك حرمتهِ سبيلاً. لكن قد طاش سهمهم وجاءت نتائج نقدهم الصادقة مُؤيِّدةً بابدع منوال للمعتقد المسيحي خلافاً لما كانوا يؤملون

ومن ثمَّ رأينا ان نلخِّص خلاصة المعارف العلميَّة والانتقادية في هذا الموضوع ليزداد المؤمن بصيرةً في ايمانهِ فلا يعبأ بالاعتراضات التافهة التي يلقيها قومٌ جهلة وكي ينبذ المتردِّد تردُّدهُ ظهرياً اذا كان سليم النيَّة ولا يجرأ المعاند على ان ينكر ما اعتاد نكرانهُ عن جهل وعدم تروٍّ. وتمهيداً لذلك نقدِّم للقارئ المقدِّمات الآتية

١ معنى الوحي في الاسفار المقدسة

نحن معشر النصارى اذا ما قلنا إن الاسفار المقدَّسة في العهدين العتيق والجديد هي كلام الله او اسفار الهية موحى بها من الله او منزلة من عند الله لا نريد بذلك ان الله أنزلها آيةً آيةً وحرفاً حرفاً فوقها الكاتب كما سمعها من فم الله او ملائكتهِ

وقيدها بحروفها الاصليَّة. لكننا نريد ان الله عزَّ وجلَّ اذا ما قصد بسموّ لطفهِ ان يبلّغ البشر شيئاً من اسرارهِ حرّك باطناً كاتباً يختارهُ فيمثهُ على كتابة السِفْر المقصود ثم يمدُّهُ بأيدهِ الخاص ونعمتهِ الممتازة ويلهمهُ على اختيارهِ الحوادث والظروف والاعمال والاقوال التي شاء سبحانهُ وتعالى رقمها لفائدة عبادهِ وكان لهُ رقيباً وراشداً ودليلاً وعصمهُ عن الخطأ في نقلها وتسطيرها افراداً واجمالاً بحيث أنهُ لا ينقل الّا ما ألهمهُ الله اليهِ وكما ألهمهُ فيكون هو ككاتب مطيع في حوزة الكاتب الاسمى وطوع ارادتهِ. وربَّما كانت بعض الحوادث والظروف مجهولة من الكاتب فلا يصل الى معرفتها إلا اذا اوحاها الله اليهِ مباشرةً. او تكون معلومةً منهُ او ممَّا يستطيع معرفتهُ باستطلاع الاخبار واستفتاء الشهود والتنقيب والاستقراء. فلا حاجة عندئذٍ الى تنزيلها عليهِ لعدم الفائدة انما الله يلهمهُ كتابتها ويصونهُ في ايرادها عن الضلال وهذا كافٍ لأن يُعزى الكتاب اليهِ تعالى فيُقال كتاب الله والكتاب الموحى بهِ من الله لان الله هو المؤلِّف السامي لهُ باختيار مواضيعهِ ومعانيه والهام ناقلها وتحريكهِ على كتابتها بالنوع الذي اراده وعصمتهِ عن الخطأ في غضون تسطيرها من اوَّلها الى ختامها

على ان عمل الله هذا لا يبطل صفات الكاتب الطبيعيَّة من ذكاء واهليَّة ومعارف لغوية وفصاحة بديهيَّة ولا يخلقها فيهِ اذا كان ممَّن لم يحظَ بها لان الله يختار من يشاء وليس هو بحاجة الى النحاة والفصحاء ليلقي اليهم وحيهُ وليست الدروس اللغوية والبيانيَّة ممَّا يعوّل عليه في تلقين البشر سبل الهدى. ومن ثم لا يستلزم وحي الكتب المقدسة تنزيل الالفاظ وتنسيق التراكيب لكن يُقتصَر فيهِ عادةً على الحكَم والمعاني المعقولة فينقلها هذا في قالب فصيح وعبارة صحيحة سيَّالة وذاك في تركيب قد لا يخلو لغويًّا من التشويش والركاكة ولا يختلف المعنى في كلا النقلين. فشتَّان مثلاً بين فصاحة الشاعر اللاذعيّ النبي اشعيا وبين سذاجة الراعي النبي عاموس وكلاهما نبيّ ينقل آيات الله. كما اننا لا ننكر ما يمتاز بهِ انشاء الطبيب الاديب لوقا من رقَّة التعبير وانسجام العبارة اليونانيَّة عن انشاء غيره من كتبة العهد الجديد الذين ألفوا مثلهُ باليونانيَّة لكنهم يفتكرون بلغة صباهم فيُلبسون الصورة العبرانيَّة ثوباً اجنبيًّا يستشفُّها القارئ من ورائهِ

ولا عجب في ذلك فانَّ الله اذا ما اوحى لنا كلامهُ يريد لنا جوهر الدين ولبَّ الاداب ويقصد خلاص النفوس لا مباراة النحويين او تشور الحقائق وأعراضها وهو الناظر الى القلوب والنيَّات لا الى انسجام الكلام وتنسيقهِ

٢ البحث التاريخي والاعتقادي في اسفار الله

مرجع الابحاث في الكتاب المقدَّس عموماً وفي الانجيل الشريف خصوصاً الى وجهين اعني مضامينها الاعتقاديَّة وتاريخيَّتها فمن يعتبر الوجه الاوَّل ينظر فيها من حيث هي اسفار قانونية اوحى الله بها واسلمها للكنيسة التي أسَّسها على الارض واناط بهذه الكنيسة الحكم بحقيقة معانيها والدفاع عن حرمتها. فهي تحفظها مصونةً من كل تحريف وتثبت بآياتها حقيقة عقائد الدين وشرائع الآداب وتغذي بنيها بلباب تعاليمها. امَّا الوجه الثاني فانهُ يعتبر تاريخيَّة هذه الاسفار وينظر اليها من حيث هي تآليف بشرية فقط لانها وإن كانت الهية فالذين اختارهم الله لرقم آياتها هم بشر وهي موجهة الى بشر ومكتوبة في زمان ومكان وظروف لا تختلف بها عن سائر الكتب. ومن ثمَّ جاز لنا ان ننظر اليها نظرًا بشريًا ونبحث في زمن كتابتها وحقيقة نسبتها الى الانجيليين وبراءتها التاريخية من التحريف والغش وصدق شهادتها في حق المسيح

وهاتان الطريقتان الاعتقادية والتاريخيَّة كاختين تمتاز الواحدة عن الاخرى ولا تختلفان بل تتحدان وترتبطان ارتباطاً محكماً لوحدة مصدرهما الله اصل الايمان والعلم. فالتنزيل او الوحي بالاسفار القانونيَّة تشهد بهِ الكنيسة المعصومة عن الغلط وشهادتها حق وهي سبب كافٍ كافل لنعتقد كلام الله ونقبلهُ. اما البرهان التاريخي والاستقصاء العلمي فهما الاساس المنطقي الذي عليهِ يعتمد البناء الاعتقادي والَّا لكان اعتقادنا خضوعاً اعمى عن جهل لا عن اقناع عقلي. وحاشا الله « الذي هو نور وليس فيهِ ظلمة البتة » (١ يوحنا ١ : ٥) ان يريد الظلمات والجهل والعمى لعبادهِ وهو الآمر ان نكون دائماً مستعدّين للدفاع عن ثبات ديننا وصدقهِ « وللاحتجاج لكل من يسألنا حجج الرجاء الذي فينا » (١بطرس٣ : ١٥) ومن ثمَّ جعلنا بحثنا هذا علميًّا محضاً لا دينيًّا ضاربين صفحاً الان عن شهادة الوحي وعن براءة

الكتاب المقدَّس من كل غش وضلال كما يعلِّمنا ايماننا ومعتصمين بالمبادئ التي لا يُنكرها العقلاء على اختلاف معتقدهم. فاذا ما اثبتنا تاريخيًّا ومنطقيًّا اصل اسفارنا وصدقها اتخذناها حجة في ما يلي من الابحاث الدينيَّة الاساسيَّة.

٣ معنى كلمة الانجيل

الانجيل لغةً كلمة يونانيَّة لا عربيَّة (من εὐ وἀγγέλλω) يُراد بها البشرى والخبر المفرح سمَّى بها المخلص بشارتهُ الخلاصيَّة لانها الحقيقة المفرحة التي طالما تاق الآباء الى معرفتها واصبحت مرادفةً تارةً لتعليمهِ وتارةً لسيرتهِ. وعن المخلِّص اخذها الرسل والانجيليون فقد كرَّرها بولس وحدهُ ٥٨ مرَّة في رسائلهِ ووردت مرارًا في الاربعة الانجيليين وفي غيرهم من كتبة العهد الجديد. وقد تأتي مضافةً الى الله كما دعا بولس ذاتهُ (روما ١ : ١) : الرسول « المُفرز لانجيل الله الذي وعد بهِ من قبل على ألسنة انبيائهِ في الكتب المقدسة عن ابنهِ . . . » اي البشارة بالخلاص الموعود بها في الانبياء. وتأتي مضافة الى المسيح (روما ١٥ : ١٩ و ٢ كور ٢ : ١٢ الخ) يراد بها البشرى التي افرحنا بها المخلص بخلاصنا او ملخَّص تعليمهِ واعمالهِ. قال الرب (متى ٢٦ : ١٣) : « الحقَّ اقول لكم إنهُ حيثما كُرز بهذا الانجيل في العالم كله يُخبر بما صنعت هذه ». وقال بولس عن قوم انهم « لم يذعنوا للانجيل » (روما ١٠ : ١٦) ودُعي ايضاً « انجيل الملكوت » (متى ٤ : ٢٣) (وفي طبعتنا البيروتيَّة « بشارة الملكوت ») « وانجيل الخلاص » (افس ١ : ١٣) « وانجيل السلام » (افس ٦ : ١٥) « وانجيل مجد الله السعيد » (١ تيا ١ : ١١) « وانجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله (٢ كور ٤ : ٤) وقال بولس (روما ٢ : ١٦) « ان الله يدين سرائر الناس بحسب انجيلي بيسوع المسيح » اي بشارتهِ بتعليم المسيح ونقلهِ لهذا التعليم. وقال (غلاطية ٢ : ٧) انهُ ائتُمن على « انجيل القلف » اي البشارة للامم كما بشَّر بطرس لاهل الختان. فترى ان مرجع المعنى واحد وهو البشرى وإن تميَّز بالاضافة

ولم يلبث ان انتقل اللفظ من معنى المضمون الى معنى المتضمِّن اي من معنى البشرى والتعليم الخلاصي الى الكتاب الحاوي لتلك البشرى وذلك التعليم فترى في كتبة اواخر القرن الاوَّل واوائل الثاني كلمة انجيل تعني سفرًا او كتاباً يتضمَّن

تعليم المسيح واعماله وقد صرّح بذلك مرارًا كتاب التعليم المسيحي (Διδαχή) الذي يرتقي الى عهد الرسل اي نحو سنة ٨٠ او ٩٠ للميلاد وهكذا فهمهُ القديسون يوستينوس وايريناوس واقليمس وغيرهم من الآباء الاوّلين كما سترى

٤ الانجيل الشفاهي

بقيت التعاليم الخلاصيَّة مدَّة شفاهيَّةً يتناقلها الرسل والتلامذة ويكرزون بها انجازًا لامر السيد المسيح الذي لم يكتب شيئًا ولم يأمرهم بالكتابة لكن بالبشارة فيكونوا شهودًا لهُ في اورشليم وجميع اليهودية الى اقصى الارض (اعمال ١ : ٨) وهكذا يتلمذوا الامم ويعلموهم جميع ما اوصاهم بهِ معلمهم الالهي (متى ٢٧ : ٢٠) بعد ان رافقوهُ مدة ثلاث سنين وسمعوا تعليمهُ وشاهدوا عجائبهُ وشُغفوا بقداستهِ

أَجل لقد تفرَّق شملهم في الساعات الاخيرة من حياة المخلص لكنهم ما لبثوا ان عادوا الى رشدهم فتراءى لهم الرب بعد موتهِ مرارًا عديدة وفي هيئات شتَّى وأكل معهم ولمسوا يديهِ وقبَّلوا رجليهِ وتأكدوا حقيقة قيامتهِ فآمنوا بهِ اصدق ايمان. وبعد ان أيدهم الروح القدس بقوتهِ حسب وعد المخلص لهم استبدلوا من الخوف شجاعةً ومن التردّد جرأة فجعلوا يشهدون لما عاينوا من الخوارق وينشرون تعليم الخلاص ويكرزون بهِ في المدينة التي شهدت منذ خمسين يومًا آلامهُ وموتهُ وامام الشعب الذي طلب صلبهُ والمجمع الذي حكم عليهِ وهم يدعونهُ « البارّ والقدوس وحجر الزاوية ومبدع الحياة وخلاص العالم » ولم يخافوا اضطهادًا ولا حبسًا ولا ضربًا فاذا ما أُمروا ان يسكتوا عن اسم يسوع اجابوا انهم لا يستطيعون مخالفة ارادة الله (اعمال ٤ : ٢٠) واذا ما جُلدوا وعُذّبوا من اجل اسمهِ خرجوا فرحين لانهم وُجدوا اهلًا للعذاب حبًّا بهِ (اعمال ٥ : ٤١). وكانوا يلتمسون برفقة امّ يسوع فيكررون ذكرًا لهُ كما امرهم العشاء السري ويتأملون في ما رأوا وسمعوا فيعيدون تعاليمهُ ويتذاكرون بقصتهِ ويُعدّون نفسهم للموت شهادةً لموته وقيامتهِ (اعمال ٢ : ٤٢)

وقد حفظ لنا لوقا خطبًا القاها بطرس الرسول على مسامع الشعب ملخَّصها وصفُ بشارة يسوع الناصري واعمالهِ وقوّاتهِ وعجائبهِ ثم آلامهِ وموتهِ وقيامتهِ قال

(اعمال ١٠ : ٣٤) : « وقد ظهر علانيةً لا للشعب كله ولكن لشهود اصطفاهم الله من قبلُ اي لنا نحن الذين اكلنا وشربنا معهُ بعد قيامتهِ من بين الاموات وقد اوصانا ان نكرز ونشهد بأنهُ هو الذي عيّنهُ الله ديّاناً للاحياء والاموات ولهُ يشهد جميع الانبياء بان كل من يؤمن بهِ ينال مغفرة الخطايا باسمهِ » . هذا اول ملخص للبشارة الشفاهيَّة رواهُ سفر تاريخ الرسل الذي كتبهُ القديس لوقا وهو كتاب لم يُنكر جاحد حتى الآن حقيقته التاريخيَّة ونسبتهُ الى لوقا وتأليفهُ في ضواحي السنة ٦٥ للميلاد

ويمكننا ان نستخلص موضوع البشارة الشفاهية من رسائل بولس وكل يعرف انهُ كتب اخطرها شأناً بين سنة ٥٥ الى ٦٥ للميلاد اي ٢٠ او ٣٠ سنة فقط بعد موت المخلص وقيامتهِ وان نسبتها الى بولس الرسول وصدق مقالها وحقيقة تاريخها من الامور المسلَّم بها اجماعياً بين العلماء الاقدمين والمحدثين ولم ينكرها ولا جاحد في عصرنا (١ . ثم لما كان بولس لم يرَ المخلص في الجسد ولم يطلع على الانجيل الخطّي فلم يتعلَّم ما تعلَّمهُ الَّا بوحي من الله كما اخبر (غلاطية ١ : ١٢) وبشهادة مَن عرفهم من الرسل كبطرس ويعقوب ويوحنا فاذا ما جمعنا من رسائلهِ التلميحات الى حياة المخلص استخلصنا منها انجيلاً كاملاً لسيرة المخلص واعمالهِ وتعاليمه وصفاته . فتراه يوصي المسيحيين الاولين ان يحفظوا « وديعة الايمان معرضين عن الكلام العاملي المتلبس بالبدع وعن مناقضات ما يُسمى بالعلم زوراً (١تيمو ٦ : ٢٠) وان يستمرُّوا على ما تعلَّموه وائتُمنوا عليهِ (٢ تيمو ٣ : ١٤) وكتب الى اهل تسالونيكي : (٢ تسا ٢ : ١٤) : « اثبتوا وتمسكوا بالتقاليد التي تعلَّمتموها إمَّا بكلامنا و إمَّا برسالتنا » . والى تيموثاوس (١تيمو ٢ : ٢٠) : « تشدَّد في النعمة وما سمعتهُ مني لدى شهود كثيرين . استودِعهُ اناساً امناء اهلاً لأن يعلِّموه الآخرين » . ونرى الآباء الرسوليين الاولين يحفظون التعليم الشفاهي الذي استلموه من الرسل . قال پاپياس اسقف هيراپوليس (في فريجية) وتلميذ پوليكربوس الذي كان تلميذاً ليوحنا الرسول : « لا اظنّ ان الكتب باجمعها يُضاهي تعليمها ما تلقَّنتهُ بالتعليم الحيّ من الشيوخ » وقال القديس

١) تريد الرسائل المهمَّة المطوَّلة خلا الرسالة الى العبرانيين التي يتباحث العلماء في حقيقة نسبتها

ايريناوس : « كنت اصغي بكل قواي وعواطفي الى تعليمهِ (اي بوليكربوس) واطبعهُ لا على القرطاس لكن على صفحات قلبي واني لا ازال اردّدهُ في ذاكرتي وفكري (١ »

٥ الانجيل الحلي

لم يمضِ زمنٌ على هذه البشارة الشفاهية حتى جعل البعض يقيّدون بالكتابة فصولًا منها بالحرف الواحد كما سمعوها من الشهود العيانيين يحفظونها ذكرًا فيجعلونها موضوعاً لتأملاتهم. وليس لنا شاهد صريح على وجودها سوى تلميح لوقا في فاتحة انجيلهِ مع ما يؤخذ من نتائج الاقوال او بالحري الاحداس والظنون التي لا يراها الكثيرون بعيدة عن التصديق. وعلى كل فقد فُقدت هذه الوريقات فلم يبقَ لها من ذكر او اتخذها بعض الانجيليين آثارًا عرضوها على بعضها شأن المورخ المدقق واستخلصوا منها ما رأوه مطابقاً لما عرفوه مباشرةً بالعين او بالسمع فادخلوا شيئاً منها في اسفارهم ومن ثم اعتيض عنها منذ البدء بما هو اكمل واثبت نريد بذلك الاناجيل القانونية الاربعة

٦ الانجيل والاناجيل

اعتاد المسيحيون في الاجيال السابقة وفي ايامنا ان يستعملوا كلمة الانجيل تارةً مفردة كمجموعة واحدة لاربعة اسفار مضمونها واحدٌ وهو تعليم المخلص وسيرتهُ على الارض وغايتها واحدة وهي اثبات سرَّي التجسد والفداء بيسوع المسيح ابن الله ومخلص العالم. وتارةً بصيغة الجمع يريدون بها البشارة الخلاصيَّة وفقاً لكلٍّ من الكتبة الانجيليين وينسبونها الى كتبتها فيقولون انجيل متى وانجيل مرقس اي الانجيل على مقتضى بشارة متى او حسب كتابة مرقس. وهذا الوصف الاخير هو المعهود في النسخ القديمة وفي اعمال الآباء الاولين فتراهم يضيفون كلمة الانجيل الى المسيح ويزيدون « حسب متى » وقد يبدلون لفظة « حسب » باللام فيقولون « انجيل سيدنا يسوع لمتى الرسول » كما في طبعتنا البيروتية

١) راجع مجموع الآباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. XX, 297 et 485)

٧ الاناجيل الاربعة

لا تعرف كنيسة المسيح سوى اربعة اسفار للانجيل او اربعة اناجيل وتعتبرها تاريخاً صادقاً لسيرة المخلص ومورداً لاعماله واقواله ولا ترضى بسواها. وتؤمن انها الاسفار التي كُتبت بالهام الله على يد الشهود الاولين فصادقت عليها الكنيسة منذ الابتداء. ذلك امر لا ينكره مؤمن بالمسيح من اي طائفة ومعتقد كان ولم ينكره قط اصحاب البدع الهرطوقيَّة. فالاناجيل الاربعة يؤمن بها ويجلُّها اليوناني والسرياني والقبطي والارمني والبروتستان الخ على اختلاف نزعاتهم. وغنيٌّ عن التنبيه ان قوماً من الذين ذكرناهم قد انشقُّوا عن وحدة الكنيسة الجامعة منذ القرن الرابع والخامس فحفظوا ما حفظوا خلفاً عن سلف كما كان ايام اتحادهم مع الكنيسة الرومانيَّة ولا ترى في ايامنا جاحداً متطرِّفاً يتجرأ على نكران صحَّة الاناجيل الاربعة منذ القرن الرابع حتى ولا منذ القرن الثالث مهما بالغ في نكران الامور الجلية لان في مخالفة هذه الحقيقة التاريخيَّة ضربٌ من الجنون العلمي لا يختلف عن حماقة من يرى الشمس متلألئة في رابعة النهار وينكر ظهورها وذلك لكثرة ما ورد في ذلك من الشهادات العريقة في القدم والصريحة

على انَّنا ندَّعي انَّ اناجيلنا اقدم من القرن الثالث وانَّها ترتقي الى القرن الاوَّل والى معاصري المسيح انفسهم وانَّ كتبتها رسولان متى ويوحنا عرفا المسيح وعاشا معهُ ثلاث سنين ورأيا عجائبهُ وسمعا تعاليمهُ وشاهدا قيامتهُ المجيدة. وتلميذان مرقس ولوقا اخذا عن الشهود الاوَّلين واثبت معلِّماهما بطرس وبولس صحة روايتهما وبراءة نقلهما من كل ضلال. وحقق جمهور النصارى من رسل وتلاميذ وشهود صدق هذه الاسفار بقبولها ككلام الله وقراءتها الجمهورية في المجتمعات والمعابد حتى انتشرت في كل الكنائس شرقاً وغرباً ونُقلت الى لغات كل الشعوب المتمدنة

وقد سعى في السنين الاخيرة طائفة من زعماء العلماء الاباحيِّين وكبار اهل النقد الملحدين ان يبطلوا معتقدنا فوجَّهوا اهتمامهم الى جمع النسخ المخطوطة ودراسة النصوص القديمة وتقلية الشهادات جملةً جملةً وحرفاً حرفاً رجاء ان يدكُّوا هذا الصرح الانجيلي المرصوص فعاد سهمهم خائباً واقرُّوا لنا الان بصحة نسبة الاناجيل الاربعة الى كتبة معاصرين للمسيح كما سترى من شهاداتهم

٨ تقلب اراء العلماء

على اننا لا نكتفي بهذا الاقرار لان اقوال العلم او ما يسمّى علماً التي حقُّها ان تكون القول الفصل المثبت بالادلّة التي لا يردّ عليها نراها في المواضيع الدينيّة تتقلّب ظهرًا لبطن مع الايام فيعند هذا ما كفر به ذاك ويكفر بما عبده فها انّ آراء المعطّلين قد تغيّرت في شأن الاناجيل لا مرّة او مرّتين منذ مائة وخمسين سنة لكن مرارًا متوالية وذلك باسم العلم وبين المسنّين أئمة. هزأ ڤولتير فاعتبر السخريّة برهاناً لجاء ايخبورون (Eichbborn) وپولوس (Paulus) الالمانيان وعجبا من طياشة ڤولتير وجماعته وردّا عليه لكنهما طلبا طريقة اخرى لتزييف الاناجيل فبحثا بجدّ وارتأيا ان حلّ المشكل الانجيلي ونكران الدين النصراني يتمّان بنكران كل اعجوبة في الانجيل وشرح ما يُحسَب عجيباً بالاختراعات الطبيعيّة. وما عتم ان قام ستروس (Strauss) وهزأ من « تأويلاتهما الباردة » — هي كلمتهُ — واخترع التأويل التخيُّلي وذلك ان اخبار الانجيل بل شخص المسيح بالذات ليس الّا وهماً وتخيُّلاً ولذا لا بدّ من ان يكون قد عُرف الخبر وكُتب الانجيل مائتي سنة على الاقل بعد تاريخ المسيح لتُعطى المخيلة مجالاً لاختلاق هذه الاخبار. وقام بور (Baur) وحلقة علماء تونغ (Tubingue) فانكروا كل ما سبق وقسموا اخبار النصارى الى حزبين الحزب البطرسي والحزب البولسي ونظموا التاريخ كما شاءوا ونسبوا قسماً منهُ لبولس الرسول وقسماً لبطرس اثباتاً لمبدإهم. فضحك منهم الملحدون الافرنسيون وغيرهم من المتأخرين واختاروا في المذاهب السابقة ما طاب لهم اختياره الّا انّ العصريين يضحكون اليوم من جهل رنان وذويه فيقولون ان رنان ليس مؤرّخاً ولم يكتب تاريخاً لكنهُ قصصي روائي (romancier) يكتب رواية خياليّة بناها على الحدس والتخيُّل. ولا نظن ان العلماء الملحدين قد عقموا فانهم يلدون كل سنة اولادًا عديدين يُودَعون اللحد قبل ان يطول اجلهم في المهد فلا يبلغون اشدّهم وذلك لانّهم يجرون لا حسب مبادئ العلم لكن انجازًا لقصد وحيد وهو نكران الدين المسيحي

ولما كان الجاحدون في بلادنا يعيشون من فضلات الغرب وممّا كسدت سوقهُ من مذاهبهم فهي تأتينا مزدانة برياش الجدّة واصبح الكثيرون في حاجة الى توطيد التعليم الديني على اساس لا يتزعزع كان من الواجب ان نثبت حقيقة الانجيل التاريخيّة

٩ شروط الشهادة التاريخيَّة

ليس كل شاهد يستحق الاعتبار ويوجب الاقناع فريعًا كان خادعاً تبع الضلال وشهد شهادة زور او مخدوعاً شهد على ما لم يرَ كأنهُ رآه وعلى ما لم يسمع بهِ كأنهُ سمعهُ او ناقلًا لاخبار سبقت زمانهُ باجيال فخفيت عليهِ الحقائق واجرى مخيّلتهُ في اختراع القصص شأن الروائي او الشاعر . ولعلَّ صكَّ شهادتهِ قد اعتراه التحريف والزيادة والنقصان فلا يُعرَف ما هو لهُ ممَّا ادخلهُ عليهِ الناقلون والمصحّفون عمدًا او جهلًا فشوَّهوا الشهادة وافقدوها قدرها . كل هذه الشروط يُقضى على العالم المنقب عن كنه الامور ان يطالب بها ليبدي رأيهُ عن معرفة وتبصُّر ونحن الآن نجيل فيها النظر شأن العلماء الاثبات فنبحث :

اوَّلًا هل الانجيل الشريف صحيح النسبة الى من يُعزى اليهم من الشهود لانَّ الكتاب المزوَّر لا يُصدَّق ولا يُعبأ بهِ

ثانيًا هل اعترى نصوصهُ تغيُّر او تحريف فأفقدها قدرها واصبحت كأن لم تكن

ثالثًا هل المؤلفون جديرون بالاعتبار لا ضالُّون ولا مُضلِّون يمكن بل يجب قبول شهادتهم

هذه مباحث ثلاثة اذا أُثبتت بالبرهان جعلت شهادة الانجيل مرضيَّة كاملة لا ينكرها الَّا الجاهل او الكافر المتعنِّد والمكابر الذي يزعم بانَّ الرضى بها من الامور الاختياريَّة التي لا موجب لقبولها . وسنفرد فصلًا لكلٍّ من هذه الابحاث الثلاثة

الفصل الاوَّل

في نسبة الاناجيل الى اصحابها

نريد في هذا الباب ان نبيّن ان الاناجيل الاربعة التي يتداولها المسيحيون يرتقي عهدها الى الرسل الاطهار وأنها وحدها الاناجيل الصحيحة الحقيقيَّة التي تُنسب بكلّ حقّ الى اصحابها متى ومرقس ولوقا ويوحنا

ذلك امر يؤيّده البرهان التاريخيّ لانَّنا اذا ما نقبنا في الآثار القديمة وجدنا للمؤرخين الصادقين العارفين لا من المتأخرين فقط لكن من المعاصرين او بالقريبين الى ذلك العهد يشهدون لهذه الاناجيل ويعتبرونها ويجلّونها ويذكرون اسماء مؤلّفيها .

ولانَّ العلماء اجمعين يسلِّمون بانَّ الاناجيل الاربعة التي نعرفها هي التي كان يؤمن بها المسيحيون شرقاً وغرباً في اواسط القرن الثالث لم تعترها زيادة ولا نقصان ولا تحريف منذ ذاك العهد الى ايامنا وجب علينا ان نذكر ما لدينا من البراهين والشهادات القديمة التي سبقت هذا التاريخ متتبعين الكنائس شرقاً وغرباً

١ ﴿ شهادة الكنيسة المصرية ﴾ في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث اشرق في سماء كنيسة الاسكندرية كوكبان نيّران امتازا بضياء معارفهما الادبيَّة والدينيَّة وهما اقليمس الاسكندري (١٥٠ — ٢١٧) وتلميذهُ اوريجانوس (١٨٥ — ٢٥٤). ولد اقليمس الاستاذ من ابوين وثنيين ولمَّا ترعرع ودرس العلوم اعتنق الدين النصراني عن اعتقاد وطاف البلاد يسمع من الشيوخ الاولين ويأخذ عنهم التعليم الصادق ثم جعل منذ سنة ١٨٠ يلقي الدروس الادبية والدينيَّة في مدرسة الاسكندرية ويكتب المقالات البديعة في حقيقة الدين النصراني منها كتبهُ « الوصايات » « والمنتخبات » و « المعلِّم » وهو يتنقل فيها مئات من النصوص عن الاناجيل الاربعة المسيحية. واذ حرَّف كلسيانوس الهرطوقي نصاً من الانجيل اجابهُ اقليمس بما ترجمتهُ: « ان هذا النصّ مزوَّر لاننا لا نجده في اناجيل المسيح الاربعة ». ووصف الاناجيل ذاكراً اسم كتبتها (١ فقال مثلاً عن انجيل مرقس:

« هذا ما بلغني من الاقدمين عن انجيل المسيح حسب مرقس: « بينما كان بطرس يبشر جهاراً بالكلمة في مدينة رومية بالهام الروح وينشر الانجيل طلب كثير من السامعين الى مرقس الذي تبع بطرس مدَّةً طويلة وحفظ ما سمعهُ ان يكتب لهم ذلك ففعل واعطاهم سِفرهُ ولما علم بطرس بالامر لم ينشطهُ ولم يمنعهُ »

وقال عن يوحنا: « ان يوحنا كتب بعد المبشرين الاخرين لانهُ لحظ ان الاناجيل السابقة لم تسطِّر عن ترجمة السيِّد المسيح الَّا الامور الجسدية. فتلبيةً لدعوة حاشيتهِ وبعد وحي الروح القدس عزم على كتابة انجيل روحي ». يريد بذلك ان الانجيليين الثلاثة الذين سبقوهُ عرضوا خاصة اعمال الرب العلنيَّة امَّا يوحنا فاماط الحجاب ليري

---

١) راجع مجموع آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. VIII, 890, 1194 et XX, 1151)

بنوعٍ اكمل اللاهوت الـذي كان يحيي تلك الاعمال والاقوال ويرفع شأنها ويعظّم قدرها »

امّا اوريجانوس فهو النابغة الاسكندري الشهير الذي طبّق ذكرهُ الآفاق. خلف معلّمهُ اقليمنس فدرّس سنين طويلة في الاسكندرية وفي قيصرية فلسطين ولم ينكر عليهِ احد سموّ المعارف والمدارك. فقد شهد مرارًا على الاناجيل وعددها وكاتبيها الاربعة قال: « قد تعلّمنا من الاقدمين ان الاناجيل اربعة وهي وحدها تُقبَل بلا نزاع في كل انحاء كنيسة الله الممتدّة تحت السماء. فالاول كتبهُ متى الذي كان اولًا عشّارًا ثم صار رسولًا ليسوع المسيح وقد كتبهُ باللغة العبرانيّة لفائدة اليهود الداخلين في الايمان. وقد تعلّمنا انَّ الانجيل الثاني كتبهُ مرقس كما سمعهُ من بطرس. امّا الثالث فهو انجيل لوقا الذي كُتب لفائدة الامم واوصى بهِ بولس. والاخير هو انجيل يوحنا ». ولما كانت يد النسّاخ قد ادخلت بعض الاختلاف في نقل الاناجيل سعى اوريجانوس في جمع اقدم المخطوطات وقابلها مع بعضها وعيّن ممتازات كل نسخة عن اختها فلم يجد فيها اختلافًا مذكورًا وشرح الاناجيل شرحًا بديعًا ودافع عن حقيقتها في وجه الفيلسوف الوثني قلسوس (Celse) ونقل في غضون شرحهِ ودفاعهِ آياتٍ لا تحصى حتى انهُ من المستطاع ان يُجتمع الانجيل برمّتهِ من مؤلّفات اوريجانوس

٢ ﴿ الكنيسة الافريقيّة ﴾ في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث اشتهرت الكنيسة الافريقيّة (شمال افريقية) بعالمين اثاراهما بعلومهما كما اثار اقليمنس واوريجانوس كنيسة الاسكندرية وهما القديس قبريانوس الشهيد اسقف قرطجنة (١٨٠ — ٢٥٨) وطرطليانوس العلّامة (١٦٠ — ٢٤٠). وقد ترك لنا قبريانوس مؤلّفات جليلة اخصّها كتاب استشهد فيهِ بآيات الاسفار الالهية تجد فيهِ نصوصًا كثيرة منقولة عن الاناجيل المقدسة التي كان يؤمن بها شعبهُ ويدافع عنها حتى الاستشهاد فيؤثر الموت على ان يسلّم كتب الله الطاهرة الى ايدي الوثنيين

اما طرطليانوس فيعدّهُ قنسان دي لارنس الكاتب القديم في مقدمة العلماء اللاتينيين فقال: « ان طرطليانوس بيننا كاوريجانوس بين اليونان نعتبرهُ امير الكتبة »

١) مين: اعمال الآباء اليونان (Migne. PP. GG. XIII, 829 et XX, 581 etc).

كان طرطليانوس وثنيًّا درس وهو شاب العلوم الرومانية وبرَّز في علم الفقه وقادتهُ مباحثهُ الى النظر في المسائل الدينيَّة ورأى من شجاعة الشهداء وقداستهم ما اجتذبهُ الى الدين النصراني فاعتنقهُ مومنًا ودافع بالكتابة عنهُ احسن دفاع وإن ضلَّ في اواخر حياتهِ لجهلهِ سموّ رحمة المسيح وحنوّ كنيسته على الخطأة التائبين وانحاز الى حزب القساة المبتدعين . لكن شهادتهُ لا تنكر قيمتها لقدمهِ وكثرة معارفهِ فانهُ استشهد بالاناجيل نحوًا من الف مرَّة حتى ان احد العلماء الالمانيين المعطّلين روس (Reuss) في ايامنا الف كتاباً سمّاه « العهد الجديد في اعمال طرطليانوس » لكثرة ما نقل عنها من الآيات والقصص وهو يشهد لمؤلفي الاناجيل ويذكر اسماءهم ويبين حقيقة هذه النسبة استنادًا على التعليم المتواصل الى ايامهِ في الكنائس الرسوليَّة . قال في كتابهِ ضد مرقيون الهرطوقي : « ان الايمان ينبئنا في اسفارهم اثنان من الرسل وهما متى ويوحنا واثنان من الرسوليين وهما لوقا ومرقس » . وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور : « ان السلطة التي تثبت حقيقة لوقا (الذي كان يقبلهُ مرقيون) هي ذاتها تثبت حقيقة اسفار يوحنا ومتى ومرقس . وان عُزي السفر الاخير الى بطرس لان مرقس كان ترجمانًا لهُ كما يُعزى انجيل لوقا الى بولس » . وقال : « انا ادّعي ان انجيلي هو الحقيقي ومرقيون يدعي مدعاه في انجيله . انا اعتبر انجيلهُ مزورًا وهو يعزو الى التزوير . فمن يحكم بيننا الّا شهادة الزمان والتاريخ . . . فذاك الحقيقي ما هو الاكثر قدماً . وذاك الاكثر قدماً الذي كان في بدء البشارة . وذاك كان في بدء البشارة الذي كتبهُ الرسل انفسهم فتعتبرهُ الكنائس الرسوليَّة سفرًا مقدساً (١ وتجلّهُ لا الكنائس الرسوليَّة فقط لكن كنائس العالم باسره المتحدة بشركة سرّ الايمان . اما سفر مرقيون فامّا مجهول وامّا محروم لانهُ هو الفهُ او احد من ذويه . النحل تصنع اقراص العسل والزنابير تتقلدها » (٢ .

٣ ﴿ الكنيسة الاسيويَّة والغاليَّة ﴾ قام فيها شاهد ممتاز في الاناجيل المقدَّسة تزيد بهِ القديس ايريناوس العالم الشهير والشهيد الجليل . ولد في الشرق في

١) وهذا كلامهُ بالحرف : (Quod apud ecclesias Apostolorum fuerit sacrosanctum)

٢) راجع مين اعمال آباء اللاتين (Migne, PP. LL. II, 363, 365 etc)

القرن الثاني للمسيح بين السنتين ١١٥ الى ١٣٥ للميلاد وتتلمذ للقديس پوليكربوس (المستشهد سنة ١٥٥) خليفة الرسول يوحنّا الحبيب على كرسيّ افسس ولغيره من المعلمين . ثم انتقل الى غاليا وصار اسقفاً على ليون حاضرة بلادها وقُتل شهيداً سنة ٢٠٢ بعد أن ألّف التآليف الجليلة وردّ على هراطقة زمانهِ واثبت في كتبهِ معتقد كنيسة المسيح الحقيقيّة

فالقديس ايريناوس هذا قد ألف في ضواحي سنة ١٧٩ او ١٨٠ كتاباً جليلاً في خمسة اقسام دحض فيهِ اكاذيب الهراطقة وشهد فيهِ اجمل شهادة على حقيقة اسفار الاناجيل الاربعة واستند اليها مراراً عديدة ونقل عنها نصوصاً لا تُحصى في تزييف اقوال الهراطقة ونفي الاسفار المزوَّرة التي نسبوها الى الرسل وبيَّن لهم في اوَّل القسم الثالث انَّ الاناجيل الموحى بها اربعة ليس الّا وانَّ هذا العدد قد جمعهُ الروح القدس فلا يمكن ان يزاد عليهِ وانَّ الانجيليين قد كتبوا تلك الاسفار (المقدَّسة) وسلَّموها الينا لتكون اساس معتقدنا وعموده في المستقبل . . . هكذا نشر متَّى الانجيل مكتوباً للعبرانيين وفي لغتهم بينما كان بطرس وبولس يبشِّران في رومية ويؤسّسان الكنيسة . وبعد خروجهما (ἔξοδον من رومية او من الحياة ؟) مرقس تلميذ بطرس وترجمانهُ بلَّغنا في انجيلهِ الامور التي كان يبشر بطرس بها . وكتب لوقا رفيق بولس في سفر الانجيل ما كان يبشِّر بهِ معلِّمهُ . وآخرهم يوحنا تلميذ الرب الذي استحق ان يستند على صدر الرب فانهُ نشر هو ايضاً انجيلهُ اذ كان في افسس من اعمال اسية »

ثم قال وهو كلام يفحم كل معاند : « ان صحة الاناجيل الاربعة والاعتقاد بها متين بهذا المقدار حتى ان الهراطقة انفسهم يشهدون لها وكل منهم يجهد ان يثبت رأيهُ مستنداً الى نصِّها ولذا فشهادة هؤلاء المعارضين لنا في العقائد واستعمالهم لاناجيلنا تثبت وتوطد معتقدنا في صدقها . والاناجيل المقدسة اربعة فقط لا اكثر ولا اقلّ فلما كانت اقطار العالم الذي نحن فيهِ اربعة فقط والرياح الرئيسيَّة اربع ايضاً وكانت الكنيسة المنتشرة في كل الارض اساسها وعمودها الانجيل وروح الحياة وجب ان تستند على اربع دعائم ومن هذه الدعائم تتدفق ينابيع البرارة والحياة »

ولا يسعنا الّا ان ننقل فقرة من رسالةٍ كتبها ايريناوس وهو شيخ الى فلورينوس

الاسقف احد اترابه في شبابه ورفيقهِ في حلقة پوليكربوس قال: « كنتُ شاباً لمَّا رأيتك بالقرب من پوليكربوس فان تذكرات تلك الايام احفظها وهي لا تزال مطبوعة في اكثر من الامور الحاضرة. فانهُ يمكنني ان اذكر المكان الذي كان يجلس فيهِ الطوباوي پوليكربوس اذ كان يتكلَّم. يمكنني ان اصف سيرتهُ وسَيرهُ وصورتهُ. وكأني الآن اسمع كلامهُ والخطب التي كان يلقيها على الشعب وقصص علاقاتهِ مع يوحنا وغيره من الذين رأوا الرب وما سمعه منهم عن عجائب المسيح وتعليمه. وكل ما كان يلقيهِ علينا پوليكربوس كان مطابقاً للاسفار المقدسة لانهُ اخذه عن الشهود الذين شاهدوا كلمة الحياة (Λόγος) (اي المسيح) وقد انعم الله عليَّ فاصغيتُ الى كل هذه الامور وكتبتها لا على الورق لكن على صفحات قلبي واني اشكر الله لاني احفظها دائماً ككنز ولا انساها » (١

وهذه الشهادات البديعة تكفي ولو شئنا لنقلنا من مولفات ايريناوس سبع عشرة شهادة تشبهها. وفي كل صفحة من صفحاتهِ يستشهد بتعليم الاولين. فانهُ زار الكنائس الرسوليَّة ويعرف قائمة خلفاء الرسل واحداً بعد الاخر بلا انقطاع ولا يرضى الَّا بما علَّمهُ الرسل في كل اقطار العالم. وتزداد شهادات ايريناوس قيمةً واعتباراً اذا عرفنا انهُ كان سامي القداسة ثاقب الذهن دقيق النقد التاريخي والفلسفي كما شهد لهُ العلماء المحدثون مثل لايتفوت (Lightfoot) في كتاب محاضراته (Essays p. 268) وغيره بلا مخالف. اما الاقدمون والمعاصرون فكانوا يجلُّون ايريناوس ايَّ اجلال. فان الشهداء القديسين في ليون وڤينَّا (من اعمال فرنسة) في رسالتهم البديعة التي ارسلوها الى الحبر الاعظم الوثيريوس (نحو السنة ١٧٧) يسمونهُ « رجلاً ملتهباً غيرة عجيبة على عهد المسيح ». ووصفهُ طرطليانوس معاصره بقولهِ عنهُ انهُ « أعرَف واغزر شاهد للتعليم » وان مؤلفاتهِ «مملوءة فوائد ». وابيفانيوس سمَّاهُ « قديساً عجيباً وخليفة للرسل وفارساً دينياً مملوءاً من مواهب الروح القدس وغنياً بالاعتقاد الذي لا يشوبهُ غشٌّ وبالعلم المختار » . « واغسطينوس سمَّاهُ « المدافع عن الايمان الكاثوليكي والمعادل للرسوليين » وتيودوريطس دعاه « نور كنائس الغرب المقتدي بتعليم پوليكربوس » الخ

(البقيَّة لعدد آخر) .

(١ Migne VII: 844, 884 et XX 450 etc

مرحلة الاسرائيليين الاولى

بعد عبورهم البحر الاحمر

لحضرة الخوري لويس ملحه كاهن الموارنة في الاسكندرية

ممّا لا يتمارى فيهِ اثنان انَّ ما عثر ويعثر عليهِ علماء الآثار حيناً بعد آخر من بقايا قدماء الامم والشعوب الذين ورد ذكرهم في بطون الاسفار الالهيَّة مع ذكر الاماكن التي توطّنوها واستعمروها قد اجلى وما برح يجلي عن ايات الكتاب العزيز كثيراً من الشبهات والغوامض ولاسيما في هذه الاعصار الاخيرة لكثرة عدد البعثات والرحلات التي باشرها الاثريون قاصدين تلك الامكنة السحيقة فطووا بيدها واستنطقوا آثارها. ومن ثم أقبل علماء الكتاب المقدس على درس هذه الآثار والاماكن بدقّة نظر ومن اهمّ ما أحفوا بالبحث عنهُ الطريق الذي نهجهُ الاسرائيليون في البريَّة بعد عبورهم البحر الاحمر والمراحل التي كانوا يحلّون بها مرحلةً مرحلةً حتى ارض الميعاد واذ قد تسنَّى لنا أن نتوجَّهُ منذ عهد قريب الى « عيون موسى » وهي على رأي بعضهم المرحلة الاولى التي انتهى اليها شعب الله بعد عبور البحر الاحمر فخطر لنا اذ ذاك ان نكتب مقالة في تلك المرحلة نأتي بها على زبدة ما اقتبسناهُ من اقوال وآراء هؤلاء العلماء على صفحات المشرق الزاهر فنقول :

انبأنا صاحب سفر الخروج (فصل ١٥ع٢١و٢٢) بسير الاسرائيليين بعد قطع البحر الاحمر قال : « ثم ارتحل موسى باسرائيل من بحر القلزم وخرجوا الى برّيَّة شور فساروا ثلثة ايام في البريَّة ولم يجدوا ماء فأفضوا الى مارَّة فلم يطيقوا ان يشربوا من مائها لانهُ مرٌّ ولذلك سُمّيت مارَّة ». امّا اين موقع مارَّة هذه ؟ فذلك امر تضاربت فيهِ اقوال العلماء وتباينت ولاسيما ان مفسّري الكتب المقدسة كالقديس ايرونيموس وغيرهُ لم يرشدونا الى موقع مارَّة المذكورة وكذلك قدماء السيّاح الذين جاؤوا تلك الانحاء كالقديسة سلفية او ايتيريَّة في القرن الرابع وانطونيوس الشهيد في الخامس لم يعينوا لنا موقع تلك المرحلة البعيدة. فشدَّ علماء الاعصار الاخيرة مئزرهم لاكتشاف

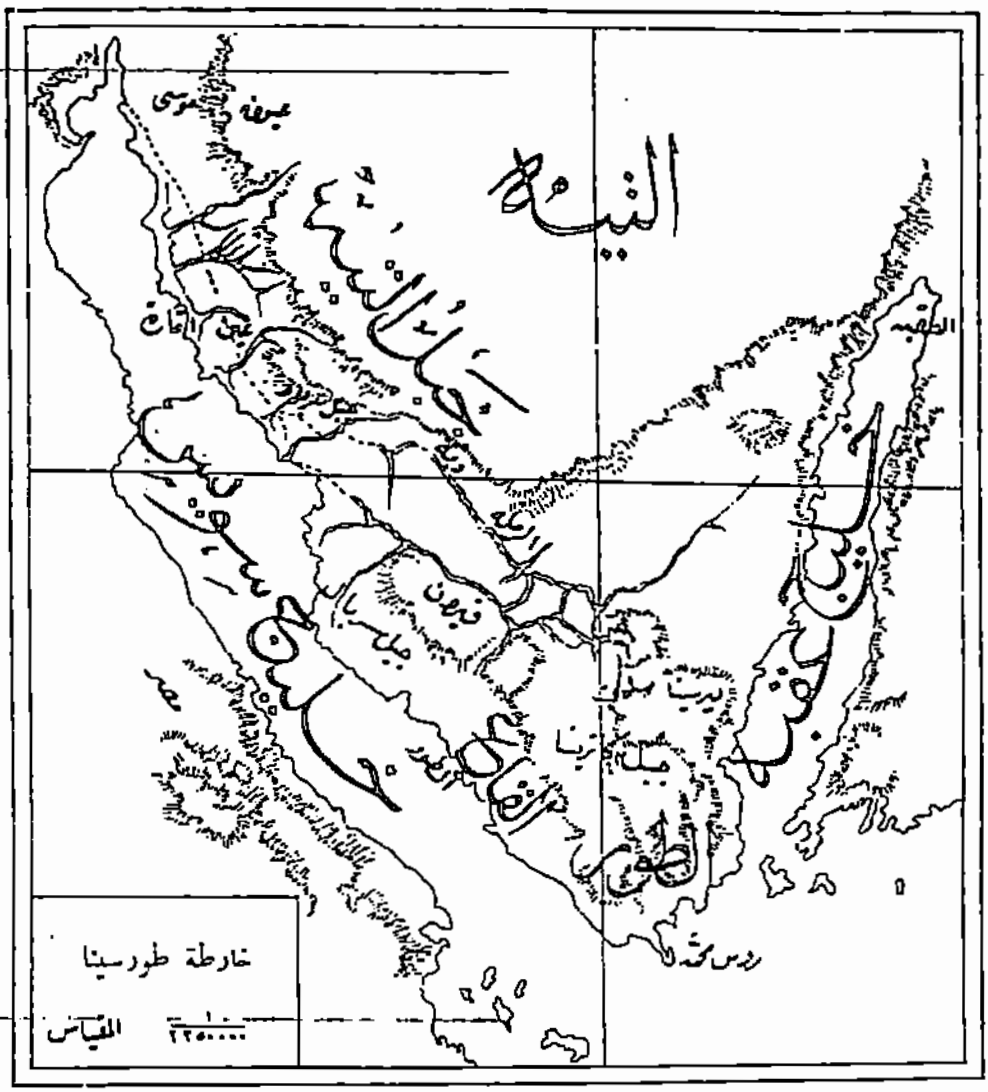
النيل
الطور
الطيبة
عين الماخ
جبل كاترينا
رأس محمد
خارطة طور سينا
المقياس
١ : ٢٢٥٠٠٠٠

هذا المكان ولكنهم قد اختلفوا فيما بينهم فقال فريق ان الاسرائيليين بعد ان عبروا البحر الاحمر جعلوا مرحلتهم الاولى في الموضع المعروف اليوم بعيون موسى (١ وسندوا قولهم الى تقليد شاع على قولهم بين سكّان تلك الجهات وانّما هو قول ضعيف المستند فيما يظهر. امّا اوّلاً فلانهُ لا ينطبق مع نصّ الكتاب القائل: « ان الاسرائيليين ساروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فافضوا الى مارّة » والحال ان عيون موسى لا تبعد عن سيف بحر القلزم الّا مسافة قريبة فالقول بانها ومارّة مكان واحد لا سند لهُ في الكتاب. اما ثانياً فلانَّ التقليد المنتشر في تلك الجهات يصعب اثباتهُ بالادلة الراهنة فليس هو بدليل كافٍ للجزم بان الاسرائيليين جعلوا مرحلتهم الاولى في عيون موسى بعد عبور البحر الاحمر ولعلهم مرّوا فقط هناك فحسبها الناس مرحلتهم الاولى

وذهب قوم الى ان « مارّة » الكتاب هي المكان المسمى اليوم عين « حوّارة » ولهؤلاء فيما يذهبون اليهِ من الادلّة ما لا يخلو من السداد فقالوا اولاً — اذا ثبت ان اجتياز الاسرائيليين البحر الاحمر كان في ضواحي مدينة السويس (٢ بحسب

١) ان عيون موسى واقعة شرقي مدينة السويس ولا تبعد عنها اكثر من اثني عشر ميلا وهي كائنة في وسط خميلة من النخيل وماؤها صافٍ ينبجس من الارض متدفقاً ذو طعم مالح يميل الى المرارة

٢) تعدّدت اراء العلماء في مسألة تعيين الموضع الذي منهُ اخذ الاسرائيليّون بعبور بحر القلزم. والذي عوّل عليهِ الاكثرون اليوم هو انهُ لمّا ادرك العبرانيون حدود البحر المذكور ساعتئذٍ ان حلّوا هناك بجوار الجبل المعروف اليوم بجبل « عتاقة » حيث كانت « بعل صفون » على الارجح لكي يتحفزوا للسير الى برّية سينا. فهناك فاجأهم جيوش فرعون فخافوا جدًّا بحيث لم يعدْ لهم سبيل ليلوذوا بالفرار من وجه عدوهم لان جبل عتاقة كان يمنعهم من جهة الغرب والجنوب عن اجتيازه لصعوبة مرتقاه ومياه البحر الاحمر تصدّهم عن بلوغ جهة الجنوب الشرقي ومركبات فرعون قطعت عليهم كل الطريق من جهة الشمال والشمال الشرقي فصرخوا حينئذٍ الى الرب فقال الرب الى موسى (خروج ف ١٤ ع ١٦): « ارفع عصاك ومدّ يدك الى البحر فشقّهُ فيدخل بنو اسرائيل في وسطهِ على اليبس ». فدخلوا وبدخولهم البحر من شاطئ الخليج الغربي قد اتبعوا خطًّا منحرفًا الى حد الشاطئ الشرقي والمظنون ان هذا الحد الذي انتهى العبور عندهُ هو النقطة التي يسار منها اليوم الى عيون موسى فارّة فجبل سينا (اطلب معجم الكتاب المقدس للاب فيكورو في مادّة البحر الاحمر) (Vigouroux: *Dictionnaire de la Bible*, V, 1215 seqq)

التقليد المجمع عليهِ في ايامنا فتكون المسافة من ضواحي المدينة المذكورة الى عين حوّارة نحو ثلاثة ايام ولا يخفى ما في ذلك من الاتفاق التام مع الكتاب الكريم حيث قال : « فساروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء . . . فافضوا الى مارّة » . وفي سفر العدد (ف ٤٣ ع ٨) : « وارتحلوا من امام الحيروت وعبروا في وسط البحر الى البرية وساروا مسافة ثلاثة ايام في برّية ايتام ونزلوا بمارّة »

قالوا ثانياً — ان ما المع اليهِ صاحب سفر الخروج بقولهِ : « ان العبرانيين ساروا في البرية ثلاثة ايام ولم يجدوا ماء » قد اثبتهُ اليوم اصحاب الرحلات الذين رادوا تلك القيعان الجرداء الواقعة بين البحر الاحمر وعين حوارة اذ لم يروا فيها شيئاً من الماء الّا بعض اعشاب وشجيرات ذابلة وحصى سوداء تملوها الرمال الامر الذي يسهّل التوفيق بين اقوالهم واقوال الكتاب بدون ادنى تكلُّف

قالوا ثالثاً — ان مشهد تلك الجهة البعيدة وموقع عين حوارة وخواصّ مائها كل ذلك ممّا يؤيد القول بانَّ هناك موقع « مارّة » الكتاب لان العين المشار اليها على ما قال الاب ڤيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة (١ هي واقعة على راس رابية صغيرة ذات تربة كلسية وقياس سطح مائها يبلغ مترًا وثمانين سنتيمترًا وعمقها يناهز الستين سنتيمترًا امّا طعم مائها فيختلف باختلاف الفصول لكنهُ لا يخلو من المرارة ابدًا حتى ان الناس لا يستطيعون ان يشربوا من هذا الماء ولا الجمال ايضاً الّا اذا اشتدَّ عليها سُعار العطش

ولا يُحفل بقول من زعم بان كمّيّة الماء الموجودة في عين حوّارة اليوم لا تكفي لارواء غليل الاسرائيليين ومواشيهم لانهُ لا بدَّ من ان يقال ان ماء تلك العين كان اغزر في ذلك العهد بنوع انهُ كفى الاسرائيليين مؤونة شربهم (٢

بقي ان نقول كلمة في الشجرة التي استعملها موسى لتحويل الماء المرّ الى عذب . فقد جاء في التوراة (خروج ف ١٥ ع ٢٥) :

« فصرخ (موسى) الى الرب فهداهُ الرب الى شجرة هناك فالقى منها في الماء

---

١) راجع كتابهُ : (Vigouroux: *La Bible et les découvertes modernes*, II, 452)

٢) اطلب معجم الكتاب المقدس للاب ڤيكورو في مادة « مارّه » Dictionnaire de la Bible. IV, 708)

فصار عذباً . . . » ولسائل ان يسأل أفي ذلك التحويل ما يُعزى الى قوّة فائقة الطبيعة او كان للشجرة المذكورة خاصّة طبيعية من شأنها ان تجعل الماء المرّ عذباً

نقول ان بعضاً من المفسّرين القدماء والسيّاح الذين طافوا في تلك الفلوات والمفاوز كثيراً ما قصدوا لماطة اللثام عن هذه المسألة ولكنهم لم يأتوا باقوال قاطعة يرضى بها العقل فقد روى يوسيفوس في كتاب العاديات اليهوديّة (١ ما نصهُ : « وهكذا لم يعُدْ يعلم موسى اية ذريعة يتذرع بها وكان شاعراً ببلايا الشعب كما لو كانت بنفسهِ لان جميعهم كانوا ملتجئين اليهِ فالامهات يرجونهُ ايرأف باولادهن والازواج بزوجاتهم وكل يستحلفهُ ليبحث عن مداواة شر عظيم كهذا ففي مثل هذه الحاجة الماسّة صرخ الى الرب طالباً من مراحمهِ ان يحوّل هذا الماء المرّ الى عذب فاعلمهُ الله بانهُ يمنحهُ هذه المنّة واذ ذاك اخذ قطعة من عود وقسمها الى قسمين وبعد ان القاها في العين قال للشعب : ان الله قد اجاب الملتمس وانهُ سيزيل من هذا الماء كل ما هو رديء بشرط ان ينفذوا كل ما يامرهم بهِ . فسألوه ماذا يجب عليهم عملهُ فامر الاشداء بينهم بان يستقوا من العين كمية وافرة من الماء مؤكّداً لهم بان ما يتبقّى يضحي صالحاً للشرب . ففعلوا وما لبثوا ان حصلوا على مفعول الوعد الذي وعدهم بهِ »

ولا نعلم ايكون هذا المؤرخ قد اختلق هذه الرواية او نقلها عن تقليد ما ومهما يكن من الامر فانهُ لم يوقفنا على جنس تلك الشجرة التي استعملها موسى

اما علماء اليوم فقد ذهبوا في ذلك مذهبين فقال قوم ان في امر القاء شيء من الشجرة التي اشار اليها الرب في الماء ليحوّلهُ من مر الى عذب لآيةً الهية ولعلهم استنتجوا ذلك من قول يشوع بن سيراخ (ف ٣٢ ع ٥) : « اليس بعودٍ تحوّل الماء عذباً حتى تعرف قوت الربّ »

وقال آخرون : انهُ طبيعي وعزوا ذلك الى خاصة طبيعيّة في تلك الشجرة بيد انهم قد اختلفوا في مسألة تعريفها فمنهم من سماها ادلفا (Adelpha) وهي نبات شديد المرارة ينمو في تلك الانحاء البعيدة . وقال « دون كلمات » في معجم الكتاب ان

(١ Joseph: *Antiquités Jud.*, III, 1, 3

الشرقيين يسمونها « النهقة » وزعم غيرهم انَّهم يصلحون المياه المرَّة بالفرقد (Peganum retusum) وهي شجرة صغيرة شائكة تنمو بقرب العيون وتثمر ابان الصيف حبوباً حمراء حلوة الطعم . ولعلَّ ذلك ما حمل بعض المحدثين ان يجعلوا مرحلة الاسرائليين الاولى عند عين جنوبي سويس على ثلاث ساعات فيها تُدعى عين الفرقد وقال فردينان دي لسبس في خطاب القاهُ في ننت (Nantes) عن ترعة السويس في ٨ كانون الاول ١٨٦٦ : « ان العرب كانوا يلقون في المياه نوعاً من فصيلة الشوك يحمل ثمرًا فيلطف مرارة الماء » وعندنا انهُ لا يزال في هذه المسألة غوامض واسرار لم يفتح العلم بعد مُقفَلها . ولعلَّهُ اقرب الى اليقين ان يُقال انَّ الله الذي ارشد عبدهُ موسى الى الشجرة جعل فيها ايضاً قوَّة عجيبة لتصلح طعم تلك المياه الغزيرة لتكفي تلك الجماهير المجمهرة وتروي غليلهم . وقد رأى الآباء في هذه الشجرة رمزًا الى صليب الربّ الذي ازال بعذوبتهِ مرارة مياه الحياة التي كان اجراها الله صافيةً من الفردوس لبني البشر ليحييهم فجاءت الخطيئة الاصليَّة وكدَّرت تلك المياه وحوَّلتها الى مرارة وبقيت على رنوقها ريثما اعادها عود الصليب الى صفائها

رحلة مهاجر لبناني

من بيروت الى البرازيل

للاديب حبيب افندي فريحه البشلاني

سافرنا من بيروت مساء يوم الاثنين في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٠ في باخرة افرنسيَّة من شركة « ماجري مريتيم » قبل غروب الشمس بقليل فكان منظر لبنان وهو يغيب عن اعيننا من اجمل ما تقع عليهِ العين والشمسُ ترسل آخر شعلة من نورها على اعالي جبالهِ فارسلنا معها آخر وداعنا الى كل الاهل والاحباب الذين فارقناهم

وكان عدد الركَّاب على ظهر الباخرة يبلغ المائتين ما عدا ركَّاب الدرجات الثلاث واكثرهم من حوالي الشام وجهات حوران ولم يكن اللبنانيون عددًا كبيرًا

وكان بعضهم يقصد القطر المصري . ولم يحدث لنا في سفرنا حتّى مرسيلية ما يستحقُّ الذكر. وفي ٤ تموز اضاء يوم الاحد بنوره فتمنّيت لو أُتيح لي ان احضر القداس الالهي في احدى كنائس لبنان ولكن هيهات ونحن على متن البحار. قمتُ امشي على سطح السفينة واخذتُ بيدي كتاب الاقتداء بالمسيح لاجد في مطالعته قوتاً لنفسي في ذلك اليوم الجليل اذ وقعت عيني على منظر ما كدتُ اصدّقهُ فرأيت في قاعة السفينة الوسطى كاهناً قد لبس حلّة التقديس ونصب مذبحاً لتقدمة الذبيحة الالهيّة وحولهُ بعض الكاثوليك من ذوي الدرجة الثانية اتوا ليسمعوا قدّاسهُ. فطرتُ فرحاً لهذا المنظر ودعوت رفقتي ليحضروا معي تلك الرتبة فتوفّر عدد الحضور حتّى خلتُ المحلّ كنيسة صغيرة أُعدّت لخدمة سيّد البحور ورب المفاوز المانعة فشكرت الله الذي يسّر لي لسماع القداس وانا فوق البحر وبين امواجهِ الخطرة

وفي اصيل ذلك اليوم ظهرت لنا جبال كرت ولم تقدر العين ان تميز تربتها هل هي مكسوّة بالاغراس ام ارض جرداء لبعدها عنا وغابت الشمس وهي امام اعيننا وجبالها شامخة كجبال لبنان العزيز ثم اختفت. ولم نعد نشاهد ارضاً مدة اربع وعشرين ساعة حتى ظهرت لنا جبال ايطاليا ومنظرها بهيج للغاية فهي مع وعورتها وعلوّها وانخفاضها مكسوة بالاحراج والاماكن القريبة مغروسة بالكروم فيروق العينَ منظرُها وكان البحر في ذلك اليوم هادئاً للغاية والنسيم يهوّم فيُسمع لهُ صوت لطيف. اما الشواطئ التي كانت حوالينا فهي جبلية فلا ترى ساحلاً ولا سهلاً بل منحدرات تنتهي عند البحر وسلاسل الجبال تتصل بالماء. ولكن مظاهر العمران والحياة بادية في هذه الاراضي لانها مكسوة بالاغراس ولا شك ان في تلك البلاد يداً تعمل بنشاط وقوة والجبال ليست مستحجرة بل كلها ذات تربة جيدة تقوم بالاغراس واعاليها مثل سفوحها مخضرّة نضرة. وكانت الباخرة تمرُّ قريباً من الشاطئ حتى امكننا ان نميز تربة الارض الحمراء وقد تمثّلت لاعيننا منحدرات « صليا » الوطن العزيز ومناظرها الطبيعيّة فكانت اجمل ما شاهدتُ. والغريب يتمثل امامهُ جبال بلادهِ فيشعر في نفسهِ بحنين

وبعد ان قطعنا بوغاز ايطاليا بقليل ترآت لنا قرى عديدة من حولنا وجزر

وتلال قائمة في وسط البحر ترى في احداها المعامل المستطيلة البناء حتى ظهرت لنا مدينة متينة ومدينة ريّة او راجيو اللتان أصيبتا في العام الماضي بتلك الزلازل التي جعلتها قاعاً صفصفاً

ولم تزل بيوت ريّة من خشب بطبقة واحدة مسقّفة بالتوتيا لكن منظرها جميل تكتنفها كروم العنب والزيتون اما مسينة فالعناية مبذولة بتجديدها لعظم شأنها كفرضة بحرية. وقد شاقتني هذه المناظر الفتّانة لا سيما عند الصباح والبحر هادئ يمرّ فوقهُ النسيم فيبدو لدينا منظران بهيجان البحر كانهُ قطعة اطلس منبسطة امامنا والخمائل الخضراء قد ارسلت عليها والشمس نورها فانعكست صورتها فوق صفيحة البحر فزادتهُ زرقةً وزادت الطبيعة جمالًا. ولا عجب اذا نبغ الشعب الايطالي في الفنون الجميلة كالشعر والتصوير والموسيقى فان من سكن هذه البلاد البحرية رسخت فيهِ ملكة الشعر لما يرى حولهُ من الاتساق والترتيب والمحاسن الطبيعية

ومررنا بجبل النار المسمى « سطرنبولي » وهو قائم في وسط البحر. وآخرُ ارض تنتهي عندها حدود ايطالية هي جبال سردينية. وبعدها اخذنا نمرّ امام اراضي فرنسة واول ما وقعت اعيننا عليهِ جزيرة كورسكا وطن الرجل العظيم نابوليون. ثم مررنا بطولون وهي موقع بحري محصّن بالقلاع والمدافع وفي اليوم نفسهِ تراءت لنا اعالي قبة سيدة النجاة في مرسيليا فانحنيت اذ ذاك مسلماً على امّ النجاة لاننا وصلنا بخير امام تمثالها وهو مادٌّ يديه يستقبل الزائرين. ثم ظهرت البيوت واخذت السفينة تدور قليلًا لتدخل المضيق وبدا لنا منظر مرسيليا العام ومررنا بجانب جزيرة « شاتوديف » (Château d'If) وفوقها قلعة وقبالتها ربوة عالية فوقها القلاع الحصينة وحولها المدافع ترى من فوق الباخرة مصوّبة الى البحر وعلى مقربة من هذه الربوة قام قصر لويس الرابع عشر يدلّ ظاهرهُ على قدمهِ وهو على النسق الشرقي مؤلف من اربع طبقات وموقعهُ من اجمل مواقع مرسيليا لانهُ يشرف على البحر والمدينة

﴿ مرسيليا ﴾ وخرجنا من الباخرة الى الجمرك ففتشوا حوائجنا واستقبلنا اصحاب اللوكندات عند الباب فركبنا عربة ونزلنا في نزل نظيف. وقد راينا كثيراً من مناظر مرسيليا الجميلة كجنينة الحيوانات والساحة العموميّة وكثيراً من

القصور العالية. واعظمُ هـذه المباني واعجبها واشدها تأثيرًا في النفس الكنيسة الكاتدرائيَّة فان القلم يقصر عن وصف ما فيها من الدقَّة والاتقان في الصناعة وهي اشبه بقلعة بطبك من حيث ضخامة الاعمدة وعلوّ القبب وليس في داخلها شيءٌ من الزينة غير ان الذي تقف عنـدهُ الافكار حائرةً هو الدقة مع الضخامة اذ ترى في وسط الكنيسة الاعمدة الكبيرة كالرولسي وقد قامت فوقها حنايا الاقبية وترى من جهة اخرى نقوش الفسيفساء الملوّنة المختلفة الاشكال ترصّع ارضها ترصيعاً بديعاً. وقد اعجبني التمثال الذي اقامهُ اهل مرسيليا لرئيس اساقفتهم السيّد دي بلزُنس (de Belsunce) الذي تفانى في خدمة رعيَّته ايَّام الوباء الذي دهم مرسيليا سنة ١٧٢٠ وقد كتب تحتهُ « تذكار عرفان الجيل للمنسنيور دي بلزنس من اهل مرسيليا » وقد وصف كثير من الكتبة مناظر مرسيليا فلا حاجة الى وصفها الان

من مرسيليا الى جبل طارق

وفي ١٦ تموز اقلعت بنا الباخرة من مرسيليا وكانت الشمس قد غابت ولم يبقَ منها سوى ذرَّات تلقي على الوجود نورًا ضئيلًا وكان البحر هادئاً ينشق عبابهُ امام السفينة فلا يحرك ساكناً اما السفينة فاسمها « اسبانيا » وهي من سفن شركة « ترانسبورت ماريتيم » الفرنساوية طولها ١٢٠ مترًا وحمولها ٣٠٠٠ طن تقطع في الساعة ٢٢ ميلًا وقد قضينا تلك الليلة ساهرين وتعرَّفتُ ببعض السوريين

﴿ برشلونة ﴾ وفي صباح اليوم الثاني اقبلت السفينة على مناظر جميلة من الغابات والكروم الخضراء تحوط مدينة جميلة متسعة الارجاء كثيرة المعاثر واقعة على شاطئ البحر وهي مدينة برشلونة احدى مدن اسبانية فلمَّا رست الباخرة واراد بعض الركاب النزول الى البر لم يُؤذن لهم لتفشّي مرض الجدري في البلد فحُرمنا من مشاهدة مدينة زانها العرب قديماً بآثرهم والوقوف على محاسنها

وقد ترآت لنا من السفينة مسلَّة عالية يعلوها تمثال الرجل العظيم « كرستوف كولمبس » فاتح العالم الجديد. ثم قبب الكنائس الكثيرة العالية القديمة وهي مسدَّسة الشكل مبنيَّة على الطرز الشرقي القديم ولعلها كانت مآذن. ومنظر المدينة العمومي يدل على انها كانت عامرة بالابنية الضخمة ولو لتصف الامبان لجلوها

عاصمة مملكتهم لما حوتهُ من العظمة والمنعة فضلاً عن انها مجرية وفيها المعامل التي تناطح الجو بمداخنها وهي كثيرة منتشرة في سفح الجبل الذي حولها

اما موقعها ففي منبسط من الارض ممتدة طولاً على شاطئ البحر من الجنوب الى الشمال تحوط بها سلسلة من الجبال وقد انتشرت في بطونها وسفوحها البيوت وحولها الخمائل النضرة والجنائن والكروم اليانعة التي تصدر منها الى الخارج ضروب العنب والخمور المشهورة

ولما كان ذلك اليوم يوم الاحد رأينا زوارق الاسبان البيتيَّة الحديثة الطرز تسير بقوة البخار من حولنا وفيها الرجال والنساء يتنزهون في ذلك النهار الذي صفا جوُّهُ واعتدلَ هواؤهُ وهدأت امواج البحر وسكنت عوامل الطبيعة وكانت تلوح على القوم سمات اللطف والجمال وكنا نعتبرهم من سلالة اولئك العرب الذين احتلُّوا الاندلس ونشروا فيه التمدُّن الشرقي . وكان الركَّاب يحيُّونهم على سبيل الهزل برفع الطربوش فيرقصون لهُ طرباً ويردُّون التحية بابتسامة

ثم سارت بنا السفينة ووجهتُها بلنسية وكانت الشمس مشرقةً ذات منظر مهيب والبحر هادئاً تلمع زرقتهُ فتسحر العيون وانَّ من يقف امام منظر الطبيعة الساحر يتهيَّب الصانع وعليه فانحنيتُ باحترام امام مظاهر الخلَّاق وآثاره العظيمة . وسرنا ساعات امام جبال عالية مخضرَّة وليس هناك سهول بل تلال وجبال واقفة عند المياه

بلغنا بلنسية قبل الظهر وهي من مدن اسبانيا تمتدُّ طولاً من الشمال الى الجنوب وموقعها في سهل فسيح وقد ساوت السفينة امام البيوت مدة ساعة ونصف ولم تقف امامها الَّا قليلاً فلم نتمكن من النزول اليها وهي لا تقلّ عظمةً عن برشلونة . وكانت تتراءى لنا عن بعد الجبال الشامخة فتذكَّرنا في عرض البحر جبال لبنان العزيز والغريبُ يحنّ الى بلاده فيطبّق كل ما يراه في طريقهِ من الجمال على جمال بلاده فقلت : «ايهِ يا وطني العزيز — فيك يرتع الكريم النفس الطاهر القلب القانع من الحياة بقليل من العيش بسلام وهناء . ولولا طمعي بالمال الذي تدفعني اليهِ الحاجة لمَا فارقتُ جمال طبيعتك ورغد عيشك انت وطن السعادة الارضيَّة وانني احسد من يتوسَّدون ترابك ويلتحفون بسمائك وعندي ان القاطنين في وديانك ومغاورك

بقناعة لهم اسعد حالًا ممن يسكنون القصور المملوءة شقاء. سلام ايتها البلاد التي انبتت هذه السعادة سلامَ نفسٍ فارقتكِ وهي حاملة روح اخلاصك العجيب هل يجذبني حبُّكِ اليك فأرجع وانضم الى القسم الذي انفصلت عنهُ بالجسم لا بالروح؟ لكنني لست اعلم ما يخبأهُ القضاء لي وما يكون من وراء هذه الحياة الجديدة التي انا قادم عليها

﴿ مالقة ﴾ وفي ٢٠ منهُ لما طلعت الشمس ومدَّت حبال اشعَّتها فوق امواج البحر المتحركة تداعبها مداعبة الوليد الذي ينشدها انشودة الصباح فيحمل النسيم نغماتهِ المطربة. وبعد ان مررنا بجبال وقرى اشرفنا على مدينة مالقة ومنظرها يدلّ على انها قديمة وتحققنا ذلك لمَّا رست الباخرة ونزلنا اليها وجلنا في شوارعها

وبينا كان عامَّة اهل مالقة يستعطون منا في الطريق والاسواق وعلى ظهر الباخرة وقت الغداء وثيابهم رثَّة كما تدلُّ مبانيهم على الفقر والشدَّة كنا نرى النساء والرجال من ذوي الثروة يمرُّون بجانب الباخرة عند المساء للنزهة وعلى النساء الملآت وهي بقية من عادات العرب الذين سكنوا تلك البلاد

وليس في مالقة سوى اثرين هما الكنيسة الكاتدرائيَّة وبقية قلعة قديمة ممتدة اطلالها وسراديبها من راس الجبل حتى اسفلهِ وهي فوق اكمةٍ علوها ثلاثمائة متر واقعة شرقي المدينة. وليس هناك سوى اطلال من آثار الدول العربيَّة كما اظنُّ وهي مؤلفة من جدران متردمة متقابلة يحوطها كلّها سور قديم ويتصل اليها من المدينة مع بُعدها طريق بل سرداب لا يقل طولهُ عن ثلاثمائة متر محاط بجدارين متردمين سقط سقفها ولقد افنى الدهر نقوشها الناتئة ولم يبقِ منها الَّا اثارًا قليلة. وبينما كنت ابحث عن كتابة عربيَّة عثرت على قطعة مربعة منحوتة في وسطها دائرة من حولها نقوش على الزوايا وهي من الحجر الناصع البياض يستدل منها انها من آثار العرب وهناك قطع كرنيش كانت موضوعة فوق الجدران. واذا وقف الناظر في راس الجبل رأى آثار هذا البناء وفي اسفلهِ جدار ضخم لا يقلّ عن المائتي ذراع طولًا وفي سفح الجبل مغارة بنى صدرها بالحجارة الكبيرة وهي منقوشة في الصخر وفيها غرف صغيرة فقلت في نفسي سبحان من تزول امجاد العالم امامهُ ومجدهُ دائم لا يزول

اما الكنيسة فزرناها قبل ان جلنا في المدينة فرايناها منها مشهدًا عجيبًا وقبل

وصفها اقول: اننا لمّا استأذنا في الدخول مشى امامنا ولد يدلّنا على الباب الخارجي لان الباب الكبير كان قد أُقفل فاوصلنا اليهِ ونادى سيدة هناك فتحت الباب وادخلتنا الى فسحة بجانب الكنيسة ثم دخلت امامنا الكنيسة فشاهدنا العجب العجاب من هذا البناء الضخم والنقوش التي استوقفت ابصارنا فانحنيت باحترام امام المذبح الكبير حيث كان القربان المقدس مذجوراً ثم سجدت وتلوت صلوة الزيارة وكان في رفقتي شابٌ مسلم اديب كنتُ استأنس بصحبتهِ لادبهِ وشهامتهِ فجعل يتقلّد حركاتي كلها فانتعشتْ في قلبهِ شواعر الدين

والواقف في باحة الكنيسة يرى انها بُنيت على شكل صليب فيشاهد عن شمالهِ ويمينهِ سوقاً تمتدُّ من الشمال الى الجنوب ومثلها من الشرق الى الغرب. وتظهر هذه الهندسة في سقف الكنيسة لانهُ على شكل صليب حُمل فوق اعمدة ضخمة من الحجر الملوَّن تعلوها القناطر والكرانيش. وقد رُسمت على دوائر القناطر صور القديسين والملائكة وهي كانها ناتئة وحُليت الدوائر بالذهب والالوان الزاهية. وحول الاعمدة بجانب الجدران بُنيت الهياكل وقد بنوا في وسط الكنيسة قسماً قائماً بنفسهِ وهو اشبه بقاعة ترى في داخلها الكراسي المرتبة وهي من خشب الجوز مكسوَّة بالحرير الملون وفي صدرها كرسي كبير فخيم خُصَّ برئيس الاساقفة. وفي وسط القاعة مِنضَدة عليها كتب الصلاة والموسيقى الكنسية مجلدة تجليداً قديماً فاخراً. على ان هذا البناء المختص بالارغن الكبير الذي وُضع فوقهُ مؤلف من ثلاثة جدران لانهُ يطلّ على الهيكل الكبير وهو ماثل امامهُ. اما الارغن فقد وُضع على قاعدة ممتدة على طول الحائط الشمالي وقسم منهُ على الحائط الجنوبي فوق قاعدة اخرى فلا يُرى الّا حائطان مؤلفان من ألسنة الارغن وابواقهِ الكبيرة. واما منفخهُ فهو عظيم جداً موضوع في اسفل حائط صدر القاعة فهو ينفخ في القسين على السواء. واظن انهُ لو نُفخ لملأ صوتهُ المدينة. والغريب انهم بنوا هذا القسم الذي يحمل الارغن ليستر باقي المذابح الصغيرة التي خلف البناء وعن جانبيهِ فلا يرى الجالس امامهُ سوى الهيكل الكبير ومن ورائهِ قاعة الارغن ومن فيها وعن جانبيهِ بابين كبيرين

اما ضخامة الابواب فهي بالغة حدّ الاعجاز لانها من الخشب المصفح بالحديد مسمرة بالمسامير الكبيرة الناتئة ومنها بابان غير مصفحين وقد اتقن الصنّاع عمل هذه

الابواب مع كبرها . اما الهياكل فهي كبيرة وصغيرة والكبيرة منها قد بنيت من المرمر والرخام فاجاد النحاتون في عملها كل الاجادة وان كنيسة مرسيليا الكاتدرائيّة مع جمالها ليست ككنيسة مالتة من حيث الصناعة والاتقان فضلًا عما فيها من الزينة النفيسة والطُرَف المستظرفة فكأن عظمة مالتة قد انحصرت في كنيستها

اما خارج الكنيسة فيدل على ان القواعد التي تثلمت زواياها هي اقدم عهدًا من الجدران التي قامت فوقها والفرق ظاهر بين القديم والحديث . على ان في احد جدرانها من الشمال باب قديم يعلو عن ساحة الكنيسة نحو مترين مما يدلُّ دلالة واضحة على وجود بناء سبق البناء الحالي ولعل ذلك البناء كان ديرًا او كنيسة اذ يُرى من جانبيهِ نقوش قديمة تمثل صور ملائكة وغيرها . وفوق قنطرة هذا الباب تماثيل المسيح ومريم العذراء والرسل وتمثال للمسيح يحمل كرةً وعلى جانبيهِ شعار البابويّة يحوط الكلَّ قنطرةٌ ناتئة حوت نقوشًا كثيرة فضلًا عن التخريم والمرائش وقد شوَّهت الأيام محاسن بعضها لقدمها

امَّا صدر الكنيسة فانهُ يذهل العقل فقد بُني على زاويتي الحائط قبَّتان عاليتان مؤلف كل منهما من ست طبقات من الاسفل حتى فوق تحوطها العواميد المضلَّعة وتعلوها الكرانيش والتماثيل . اما الطبقة السادسة فهي قبة ذات اربعة اقسام في كل قسم جرس فوقهُ ساعتهُ للدلالة على الاوقات . وقد دُهشتُ عند نظري باب الكنيسة الكبير الذي تزينهُ هاتان القبتان او البرجان فانهُ عجيب لم يترك الصنَّاع فيهِ مطمعًا لطامع . فهناك التماثيل والصلبان وصورة الثالوث الاقدس وشعار بعض البابوات واشياء كثيرة يعجز مثلي عن وصفها . امَّا الحائط الجنوبي فيلاصقهُ حائط متردم مما يثبت ان هناك بناء اخر اقدم عهدًا من هذه الكنيسة العجيبة

وكانت الشمس مالت الى المغيب وقد تعبنا من الوقوف فقفلنا راجعين الى البحر وبعد مدة اقلعت بنا الباخرة تقصد جبل طارق

جبل طارق وجزيرة مادبرا

وفي ٢١ منهُ ظهر لنا جبل طارق على مسافة قليلة ووقفت الباخرة بعيدة عن المرفأ اذ لا يجوز لها الدخول دون رخصة ثم سمعنا طلقات مدافع فنظرنا الى حيث ارتفع

الصوت فراينا العَلَم الانكليزي قد انتشر فوق احدى البوارج الراسية داخل المرفاء واطلقت المدافع عند نزول العَلَم وارتفاعه لهُ اجلالًا وترحيباً بالباخرة

ان جبل طارق لسان جبليّ داخل في البحر يمتدّ من الشمال الى الجنوب طولهُ لا يقلّ عن ثلاثة الاف متر وعرضهُ يزيد عن الالف وعلوه اربعمائة متر يتصل من الشمال ببلاد الاندلس وبينهما سهل منخفض والى غربيهِ مرفأ امين يصون شواطئ الجزيرة من صدمات البحر. ويقابل الجبل من جهة الغرب مدينة « الجزيرة الخضراء » التي عقد فيها ساسة اوربَّة المؤتمر الدولي في شؤون المغرب الاقصى - وعلى الجانب الغربي مدينة جبل طارق وكل مبانيها حديثة العهد وسكانها خليط من اليهود والاسبان والعرب وفيها الجنائن الفسيحة والحدائق الغنّاء. فضلًا عن ان شوارعها نظيفة منَّسقة وفاكهتها كفاكهة لبنان حلوة المذاق والتين فيها اسود بقطع كبير مستطيل

والجبل مقسَّم الى رؤوس واكمات وعلى راس كل اكمة منهُ قلعة او موقع حربي تعلوهُ المدافع الكبيرة يراها الواقف فوق الماء وقد اشرأبَّت اعناقها الطويلة تنظر الى البحر شزرًا. وفي بطون هذه الجبال الطرقات المتسعة تصونها الحواجز الحجرية من جانب البحر وتكسوها الاشجار الغضَّة حتى لا تكاد تظهر فيها الصخور. والجانب الشرقي منهُ شاهق قائم فوق البحر كالجدار كأن بعضهُ قُدَّ بزلزلة وجرفتهُ المياه وبقي البعض الآخر في مكانه

ولا يخفى ان جبل طارق اعظم حصون الدنيا لا تكاد بقعة منهُ تخلو من المدافع وهي عظيمة ترسل قنابلها الى كل جهات البحر وهي كالاكليل تكلَّلت بها هاماتهُ العالية ولقد خطر في فكري تذكار ذلك القائد العربي العظيم الذي فتح بلاد الغرب من هذا المعقل وهو اول من جعلهُ موقعاً حربيًا فسُمي باسمهِ « طارق » ولم يزل فيهِ برج قديم من تلك الحصون العربيَّة وهو فوق المدينة من جهة الشمال الشرقي. ولقد ذكرتني عينتهُ ومنظرهُ مجد تلك الامَّة التي أتت غازية بلاد الغرب وافتتحت اهمّ اقسامهِ. والحق يقال ان هذا الجبل حصن حصين اقامتهُ الطبيعة نفسها وقد رسا اصلهُ فوق المياه كالجبار العظيم يهزأ بما حواليهِ من القوات

وقد مكثنا في جبل طارق مدة ست ساعات ولما رجعنا الى الباخرة رايناها قد

غصّت بالركّاب وكلهم من الاسبانيين والظاهر ان جبل طارق محطّة يقصدها الاسبان المهاجرون من بلادهم للسفر وقد ازدحم المهاجرون هذه السنة لان الحكومة تجمع العساكر وترسلها الى الريف في المغرب لمحاربة السكان فيها واخضاعهم وكان عدد الركاب المذكورين ٤٠٠ واكثرهم فقراء وزاد عجبي لقصر قامات الشعب الاسباني فلا تكاد ترى بين الاربعمائة راكب ستة او سبعة طوال القامة وهم يحلقون شواربهم. ولقد سمعت بعضهم يغنّون فتذكرت حداء العرب لجمالهم وغناؤهم اشبه « بالعتابا » في بلادنا ولولا رطانتهم وعجمتهم لما ميّزتُهُ عن الغناء العربي القديم. وطريقة رقصهم قريبة كثيراً من رقص العرب

وقبل غروب الشمس سارت الباخرة وهي تئوء تحت حمل من الارواح فضاقت على رحبها وازدحم الناس ايّما ازدحام لكن ذلك لم يُلهني عن مراقبة البحر عند مغيب الشمس لانهُ كان كصفيحة من البلور يكاد يجمد من حرارة نورها. ومنظر المدينة جميل وحولها الخضرة والجنائن اليانعة. وفي ٢٢ منهُ كنا في الاوقيانوس الاتلانتكي وكانت امواجهُ تلاعب الباخرة ولم تكن تُحسَب شيئاً مذكوراً مع عظمتها امام عواصفهِ وكان منظر الركاب محزناً فهذا يبكي وتلك تصيح والاسبان بعيالهم ينوحون وتعالت الامواج فوق الباخرة مما يشيب لمنظرهِ الولدان وترهبهُ الاسود وقد ملئت الارض بالقيء حتى عافت نفسي الأكل والشرب وحُرمت النوم

وفي ٢٣ منهُ اكفهرَّ الجو وكانت الشمس تطلُّ من وراء حجابها احياناً ثم تحتجب وبعد قليل بدأت تظهر لنا سلسلة جبال وقد ارسلت عليها الشمس اشعّتها واخذت تبدو في قممها الاشجار وفي سفوحها العمائر وفي هضباتها خضرة تلمع تحت نور الشمس فكان المشهد بهيجاً تنبسط لهُ نفس الراكب المسجون في البحر. وما لبثنا ان وقفنا امام مدينة زاهرة بالبنايات الجميلة كانها الحجارة الكريمة ترصّع ثوباً اخضر او الحصى في الماء الصافي وهذه المدينة تدعى « مادبرا » وهي عبارة عن اسكلة بحرية واقعة في سفح الجبل الذي يحوط بها وتشبه اسكلة جونية في كسروان

ولما وقعت عيني عليها خرجت الزفرات من صدري دون انتباه لانني شاهدت صورة من صور الوطن العزيز وانفتحت جوارحي كلها لاستنشق ريّا الوطن وحبّ اهلهِ. فيا « مادبرا » انت صورة الوطن المحبوب حيث يقيم من تحنّ اليهم الروح وقد

شممت من نسماتك رائحة الامّ والولد والاخ والاخت وشريكة الحياة. احبُّ ان تطول اقامتي مقابل جبالك لانها تعيد عليَّ ذكرى الصبا ومراتعهُ وصرت احنُّ اليك حنيني الى من يحدثني باخبار وطني. ها انا واقف امامك واخاف ان تفوتني نظرة من نظراتك وتحيلي بوجهك عني فتمضي هذه الساعات القلائل ولا تملأ العين من منظرك. فيك الوديان والهضبات التي تشبه وديان « صليا » وهضباتها وفي اعالي جبالك شجر السرو يناطح السحاب كأنها اشجار الصنوبر في الوطن الذي لي في جنباته مواقف واحلام جميلة ليتها لم تمضِ

وفي ماديرا اصناف الفاكهة تحمل منها الباعة الى الباخرة العنب وهو لم يزل غير ناضج والاجّاص والخوخ والتفاح والتين والاشجار فيها جميلة منظمة. وليس في المدينة بنايات عظيمة سوى قلعتين الاولى قائمة فوق جزيرة في البحر من الجهة الشماليَّة تتصل من احدى جوانبها بالارض اتصالًا صناعيًا وقد رُفعت فوقها الاعلام الوطنيَّة والثانية الى الغرب وهي قلعة حربيَّة فوق البلدة قليلًا تطلُّ على البحر وفي جوانبها المدافع

امَّا عمائر البلدة فكلها جميل نظيف الظاهر تتمايل بينها اغصان السرو والليمون وفوقها الكروم. والظاهر ان لاهلها عناية خاصة بالزراعة لان الاقنية الحجرية والاسداد بادية للعيان. وفيها سكة حديدية تخترق المدينة على طولها وليس لها حوض ترسو فيه البواخر. وفيها الكنائس الفخيمة والقصور المنفردة العالية وفي اعلى الجبل دير عظيم تحدق به الاشجار. وعند ما غابت الشمس اعتضتُ عن نور الشمس بالكهرباء التي تنير المدينة كلها حتى الطرق البعيدة فكان منظرها جميلًا للغاية ولا أغالي ان قلت انَّ ماديرا مدينة الشعراء وارض الهناء على انها ليست احسن جمالًا من لبناننا العزيز

السفر في الاوقيانوس

ثم رفع القبطان علامة السفر فبارحنا المدينة وفي النفس شوق اليها فودَّعناها واودعناها سلامًا ارقَّ من النسيم واخذنا نسير في الاوقيانوس ونحن نتوكل على الله العظيم. وكان الجوّ يصحو تارة ويكفهرُّ اخرى فتذكرت صفاء جوّ لبنان واعتدال طبيعته وحسن نظامه فكل فصل من فصول السنة له نظام ثابت امَّا في هذه الانحاء

فلا تقدر تميز الصيف من الشتاء والخريف من الربيع . وها نحن سائرون في عرض المحيط وقد أثر بنا التعب ولم يعد يحلو لنا أكل ولا شرب ولا نوم.

﴿ الركّاب ﴾ وقد حان لي ان اكتب شيئاً عن اخلاق الركاب وعاداتهم وازيائهم . فكان في الدرجات الثلاث الف راكب فيهم الفرنساوي والايطاليـاني والمسكوبي والاسباني والالماني والبرتوغالي والسوري والصربي والبلغاري والكلداني والارمني والتركي والمغربي . فكانت السفينة عبارة عن معرض بشري تعرض فيه اصناف النـاس وازياؤهم ولغاتهم وشؤونهم وكان السوري اصلبهم عوداً شجاعاً يخشاه كل من رآه والسوريون يجتمعون على الغريب ويتفقون على مقـاومته ومتى انفردوا بانفسهم تخاصموا وتنازعوا

وقد رأينـا ملابس البلغار والسرب والمغاربة على اختلافها وسمعنا لغاتهم ورأيناهم يهزجون ويغنون ويرقصون . ولقد اعجبني غناء الروس وهم يؤلفون جوقاً من الاصوات تختلف في العلو والانخفـاض وهي متناسبة متوافقة يتألف منها « ارمونيوم » وعنـد نهاية الدور تصبح الاصوات كلها متساوية الّا صوت واحد ياتي بالجواب العالي وهو الطبقة العالية المقابلة للطبقة التي يتغنّى بها الجمهور . اما غناء البلغار والسرب فهو شبيه بالغنـاء الروسي ولكني سمعت بعض نساء اليهود الروس ينشدن نشيداً رخيماً يشبه قراره قرار النواح عندنا وهو قريب من لحن العشّاق التركي وهو اجمل غناء واطربهُ

﴿ البحّارة ﴾ لقد عرف النـاس ان رعاع البحّارة قوم قساة لا يحترمون احداً وكان الركاب يقاسون من فظاظتهم مـا هو امرّ من الصبر . فلمّا كان الحرّ يشتد قليلاً في بعض الليـالي كان بعض السوريين يبقون كراسيهم في مكان جلوسهم مـدة النهار فيرقدون عليها فراراً من رائحة مكان النوم لان اكثر الركاب قوم وسخون لا يعرفون للصابون وجهاً فضلاً عن ضيق المكان وعدم نظافته فانك لا تكاد تتحرك في سريرك حتى يضرب رأسك بسرير آخر فوقك . فعنـد السـاعة الثانية بعد نصف الليـل يبدأ البحّارة بالغسل فعوضاً عن ان يوقظوا الراكب بهدوء يرسلون على ظهره الماء البارد للمالح والانبوب واسع الفوهة فلا يشعر الراكب الّا وقد غمرتهُ المياه من كل جوانبه . لكن بعضاً من السوريين لم يمكنهم ان يطيقوا مثل هذا

فكانوا يهينون البحّارة بالضرب والشتم حتى امتنعوا اخيراً عن هـذه المعاملة وكان البعض الآخر يحتمل ذلك خوفاً ولا لوم عليهِ لانهُ من قوم الفوا الـذلّ فهم لشبه بالجثث المحمولة فوق خشبة البـاخرة. اما بقية الركاب من الدرجة الثالثة فكانوا كالماعز يرقدون تحت غطاء من السماء ويفترشون الارض اذلّاء بكل ما في الارض من الذل والبلاء.

وفي ٢٧ منهُ هدأ البحر وظهرت لنا سلسلة جبال فهلّل الركاب لانهم شاهدوا البرّ بعد ما غاب عنهم اربعة ايام متوالية فحمدت الله على السلامة وكانت هـذه الارض جزيرة « كابثرن » وليس فيها عمـارة وبعد ساعة ظهرت عن شمالنا جزيرة اخرى وعلى شاطئها قرية صغيرة تأخذ منها البواخر فحماً. وفي اليوم التالي ظهرت عن شمالنا جزيرة ايضاً ولمّا غابت الشمس هدأت حركة الركاب وسارت الباخرة تشقّ عباب البحر كانها سهم يخترق احشاء المياه فيرغي حولها ويزبد متعالياً ويرجع عنها مدحوراً

وفي ٢٩ منهُ سقط المطر وعَصَف الريح وهاجت امواج البحر ومن العجب ان يسقط المطر في اشد شهور الصيف حرًّا ولكن هذا شأن الطبيعة قرب خطّ الاستواء. وفي ٣٠ منهُ صفا الجوّ واعتدل الطقس وتساوى النهار والليـل فكانت تشرق الشمس عند الساعة السادسة وتغيب في مثلها مساء

وفي اول آب كنا في عرض ١٠° و٢١' دقيقة ولم يبقَ لنا الى باهيا سوى مسيرة ٩١٤ ميلاً وتساقط المطر وتعالت الامواج كأن البحر يريد ابتلاع السفينة. فوقفتُ فوق القدم لارى كيف يتلهى البحر حين هياجهِ بالباخرة وبالارواح التي عليها. فكان المنظر رهيباً والنفس تخشى الموت فـلا تتمالك من البكاء. ولكن ثقتها بالله تحيي فيها ميت الرجاء فهو يخلصها من الضيق ويوصلها بسلام الى الميناء. ولم تبرح من خاطري قساوة البحـارة وجحودهم وخفت ان يدهمنا غضب الله بسببهم وذكرت قول ابن سيراخ: « يا بني لا تساكن الشرير لئلا ينزل غضب الله عليهِ وعليك » فقلت : « اغفر لهم يا رب فانهم لا يدرون ما يعملون »

البرازيل

وفي ٢ منهُ ظهرت لنا اليابسة عن يميننا وهي لا تكاد تُرى بالعين المجرّدة ولا يقدر الشاعر ان يصور مـا قام اذ ذاك في نفوس الركاب من عواطف السرور

وراكب البحر يؤنسهُ منظر الارض لانهُ يعتصم بها من امواج البحر حينما تثور لابتلاعهِ فشكرنا الله تعالى لانهُ حفظ حياتنا . وفي ٣ منهُ اخذت الباخرة تدنو من الشاطئ البعيد وسرنا نحو اربع وعشرين ساعة امام ارض البرازيل ولم نستطع ان نميزها اهي آهلة ام ارض جرداء . ثم نظرنا اليها بالنظارة فاذ هي تربة كلسيَّة تكسوها الاحراج المتلاحمة الاغصان تُرى جذوعها الضخمة مع بعدها عنَّا وليست هذه الارض سوى تلال متساوية في العلو وبينها وهاد منبسطة . وهذه حالة ارض البرازيل فانها جبلية ولكنها اشبه بارض مصر وقد قامت فيها الاهرام

﴿ باهيا ﴾ ثم رست الباخرة امام باهيا (Bahia) بعيدةً عن الارض وليس لهذه المدينة مرفأ صناعي بل مرفأ طبيعي وهو عبارة عن جون بعيد الغور متسع الاطراف لا تتحرك امواجهُ مهما هاج البحر . وهذه المدينة عاصمة ولاية تدعى باهيا باسم المدينة كانت ايام الملكية عاصمة البلاد البرازيلية لتوسطها بين الولايات في ذلك العهد وكان لها مجد مضى وبقي منهُ القصور الفخيمة والكنائس الضخمة القديمة . وقد اخذت في هذه الايام ذكرًا دلّ على الالسنة لقيام الشعب البرازيلي بالاكثرية على انتخاب رجل البرازيل الوحيد السنيور « روي بربوزا » لرئاسة الجمهورية وهو من باهيا من الرجال العظام الذين حفظوا كرامة الامة والدولة سياسي محنك مشهود لهُ من ساسة اوربا فضلًا عن شهرتهِ الواسعة في التشريع والقوانين . لقد عاصر اواخر الحكومة الملكية وتولى اكبر مصالحها مثل مستشار الدولة الملكية لكن الحكومة الحاضرة واحزابها قاموا عليهِ وغلبوه في امر الانتخاب بعد ان كادت تهدّد البلادَ حربٌ ضروس لان الشعب يطلب هذا الرجل والحكومة وانصارُها القليلون لا يريدونهُ ففازوا بالحيلة واقاموا المارشال هرمس

وكانت هذه المدينة واقفة امام البحر بقصورها وقلاعها القديمة ومعاملها كانها تسلّم على البحر وهو يقبّل راحتيها . وموقعها فوق رابية يشرف منها قسم على البحر وهي منقسمة الى قسمين سفلي وعلوي وتراها تمتد طولًا امام البحر وتنعطف عليهِ من بعض جهاتها وبين القسمين جنائن في المنحدرات والموصل بينهما طريق التراموي تصعد عربتهُ وتسقط الاخرى لارتفاع المكان فهي اشبه بالمصعد الذي اتخذه

اهل مرسيليا للصعود الى كنيسة سيدة النجاة. ويوجد مُصعد اخر يوصل بين اسواق المدينة من الجهة الثانية

وكان منظرها جميلًا لا سيما في الليل لان الانوار الغازية والكهربائية تنير المدينة ولاتساق البنايات والشوارع كانت ضياؤها في قسميها تظهر ليلًا صفوفاً صفوفاً يعلو بعضها البعض آية في الجمال وفتنة للناظرين

وبارحت الباخرة مرفأ باعيا قاصدة ريوجانيرو العاصمة ثم طلعت الشمس من وراء البحر كانها غادة يكللها النور والنسيم العليل يهوّم منشدًا انشودة الصباح للطربة والبحر يحدج الارض بعينهِ الزرقاء فقلتُ : تبارك الله الذي خلق هذا الجمال وهذه العجائب تخبر بعظمتهِ

وفي ٥ منهُ صفا الجو فكان ذلك اليوم من اجمل ايام سفرنا واصبح البحر كانهُ قطعة واحدة لا يحركها شيءٌ الّا ما يرسمهُ النسيم من القبلات فوق المياه والباخرة تسير بسرعة ولا يشعر بها الراكب فكأن البحر اراد مصالحتنا قبل ان نبارحهُ فودّعنا مكفرًا عما جنتهُ امواجهُ وعواصفهُ

﴿ ريوجانيرو ﴾ وفي ٦ منهُ بعد ان غابت الارض عنا اربعاً وعشرين ساعة بدأت تظهر لنا جبال راسية في الماء وهي تتجلى امامنا كعرائس البحار ثم اخذنا نقترب من العاصمة وجبالها التي تحوطها كحصن طبيعي. اما الشواطئ القريبة منها فكانت مشهدًا غاية في الجمال فهناك جبال تناطح السحاب برؤوسها وهي اشبه بالخيالات التي كان يتصورها اليونان والرومان من صور الجبابرة تحرس البحر وهي كاهرام مصر لكن يكلّل هاماتها الاشجار والمدافع. وبعد الظهر دخلنا مضيقاً في البحر واخذت تظهر عمائر العاصمة والبحر يتسع امامنا حتى خُيّل لنا اننا دخلنا بحرًا جديدًا لان مرفأ المدينة متسع والماء فيهِ هادئ لا يتحرّك. وكنا نشاهد حولنا جبال شامخة في بطونها قلع صغيرة تشبه المخافر وامام كل مخفر تنّور محشو بالمدافع وهو مدور سقفهُ كروي وقد مدت المدافع رؤوسها من جوانبهِ الى البحر كانها الافاعي. وهكذا قل عن اعالي الجبال فانها مكللة بالقلاع فكان المشهد مهيباً لانني لم اسمع بسور طبيعي كهذا السور فانك متى مررت في المضيق يخيّل لك ان الجبال تسقط عليك لانها قُدّت قدًّا محكماً كانها حائط متساوي البناء مع علو عجيب. اما هذه

الجبال فهي صخرية ورملية نبتت فوقها الاشجار الباسقة تلطّف شيئاً من هيبة المشهد وبعضها مؤلف من حجر اسود

وهكذا قل عن الجبال التي تحوط البحر امام المدينة التي يتألف منها المرفأ وكان امامنا قلعة عظيمة مبنية بين جبلين مولفة من ثلاثة اقسام وهي قلعة معدّة لسكن حامية العاصمة واعظم تلك القلاع قلعة « برناگراندي » مقابل العاصمة يفصل بينها البحر ولم تقتصر الطبيعة على انها صانت البحر امام العاصمة بل انها تصون العاصمة بجبال تحوطها فهما كانت القوات البحرية لا تنال من العاصمة مراماً لان الموقع حصين منيع

ولما اقبلنا على المدينة ظهر لنا منظرها العمومي وهي تمتدُّ طولاً ثم تنحني من احد اطرافها حول البحر وقد انتشرت فيها البيوت مسافة لا يدرك الطرفُ اخرها وكانت الشمس قاربت ان تغور في اليمّ وقد تكسّرت اشعّتها على القصور والمنازل التي حاطت البحر فقلدتهُ بعقد من الالماس اللامع والبحر يلمع امامها بلون ذهبي لتكسُّر اشعة الشمس عليهِ مما ياخذ بمجامع القلب

ولقد احسن البرازيليون ببناء قصورهم الفخمة على الشاطئ حيث يرى القادم الجديد اجمل ما تقع عليهِ العين من الخمائل التي تكتنف هذه القصور وقد جُبلَت على اكمل ترتيب وبنوا في سفح جبل من الجبال المحدقة بالعاصمة معرضاً عمومياً مؤلفاً من اربعة وعشرين قسماً كل قسم منها قائم بنفسهِ يسع الالوف من النفوس وتكفلت كل ولاية ببناء قسم خُصَّ بها تعرض فيهِ مزروعاتها ومصنوعاتها من كل جنس ونوع. والى جانب هذه المباني مركز الوزارة الحربية بني كلهُ من الحجر الاسود البرازيلي وطُلي من الخارج بطلاء ابيض يجعل الحجر لامعاً وتظهر نقوشها كانها منحوتة فيه وعلى الجملة فانها غاية في الصناعة والاتقان

وعند الساعة الرابعة افرنجية حللنا ارض البرازيل وحمدنا الله تعالى الذي يجب حمدهُ على وصولنا بالسلامة فبعد ان قامت علينا قوات البحار تريد ابتلاعنا وطئنا ارض البرازيل وفي النفس حزن على فراق الوطن والاهل والاصحاب حتى اذا خرجنا من القارب راينا على الرصيف احد انفار البوليس يرقب حركات السائرين ولم يكن

يسمع على المينا حركة البتة فليس هناك بحّارة تزعجك ولا لصوص تنهبك بل هدوء متواصل وسكون دائم

قضيت في العاصمة مدة عشرة ايام جلتُ في خلالها لسواقها الرحبة وشاهدت الاماكن التي تستحق الذكر يرافقني ابن العم عبدو مخايل . واذا وفق الله وصفت في وقت آخر ما في العاصمة من الطُرَف وحالة سكانها لان العاصمة عنوان البلاد وساكنيها مثال للامة كلها . والله المسئول ان يقيّض لنا العود بسلام الى الوطن المحبوب انهُ السميع المجيب

زراعة التبغ التركيّ في لبنان

للشيخ يوسف افندي الجميّل الاجنائي القانوني ورئيس اعمال المختبر الكيماوي سابقًا (تابع)

غلب على الجمهور نوعٌ من الهوس فخيّل لهُ انَّ اصلح تربةٍ لزراعة التبغ (الدخان) انما هي الحمراء اللون . وذلك خطأ لأن اللون احدى الصفات العرضيَّة . ومن الشروط الجوهريَّة لصلاحيَّة التربة لزرع التبغ ان تكون سهلة التفتيت كثيرة المسامّ خفيفة خصبة معرَّضة للشمس (شميسة) فان جمعت التربة هذه الصفات وهي بيضاء فلا بأس منها فانَّها تُعتبر موافقة للتبغ . وعلى عكس ذلك تُعدّ التربة الحمراء غير صالحة لزرعهِ اذا كانت صلصاليَّة (دلغانيَّة) صلبة تتعمَّق شقوقها عند الجفاف . على انَّهُ لا ينكر انَّ وجود قليل من الحديد في التربة مفيد جدًّا للتبغ . والدليل عليهِ انَّ اجود الاراضي لزرعهِ انَّما هي الضاربة الى حُمرة متوسّطة بين اللون الفاتح واللون القاتم لاسيما ذات اللون القرمزي فانَّها التربة الفضلى

واعلم انَّ هذه التربة الحمراء السهلة التفتيت والخفيفة المعرَّضة لأشعَّة الشمس تكون اشكالًا يوافق كل شكل منها ضروباً خاصَّة من الدخان وهذا ما ينبغي علينا بيانهُ الآن

موافقة انواع التربة لانواع التبغ

يُقسم التبغ في اعتبار التجار الى ثلاثة اقسام عظيمة يحتوي كل قسم منها انواعاً متعدّدة في اصطلاح علماء النبات

فالقسم الاوّل يشمل التبغ العطريّ. وانواعهُ كثيرة منها الكردلي والينيجه والازمرلي ومنها الاشكال المعروفة باسم البصمة وغير ذلك

والقسم الثاني يعرف بالتبغ ذي الطعم الحرّ القوي المعتدل بين القليل والكثير كالصمصوم والبفرا والباشي يوغلي وبروساسيان والانواع مثلها

امّا القسم الثالث فهو الاعتيادي ذو الورق العريض الكبير المتكاثف الاشقر الناتح او الناصع. وهذا التبغ لا طعم لهُ ولا رائحة واضحة. ومنهُ الطرابزوني والدشوا وغيرهما والغرض من هذه الانواع الاخيرة هو اصلاح لون التبغ عند فرمهِ واعطاء حجم للسكاير بدون كلفة مهمة

فالتبغ العطريّ يكون عادةً قليل الغلّة وانّما يعتاض الزارع عن كميّتهِ بجودة صنفهِ ووفرة ارباحهِ واحسن تربة تكسبهُ تلك الرائحة العطريّة انّما هي التربة الحمراء القرمزيّة اللون الحصبة والرقيقة ذات الانعطاف فتنال من الشمس حظّاً وافياً وتقلّ رطوبتها

امّا التبغ المشروب المعروف بذي الطعم الحرّ فتصلح لهُ الارض الحمراء المسطّحة المرملة قليلاً «الشنيسة» وذات الخشونة والصلابة المعتدلة حيث لا تزيد الرطوبة عن الحاجة

امّا التبغ الاعتياديّ فيزرع في الاراضي المألوفة وفي السهول خصوصاً. وقد اعتاد الزارعون طمعاً في الربح ان يتّخذوا لهُ الاراضي القويّة الخصبة التي يسهل سقيها حيناً بعد حين اي اربع او خمس مرّات في وقت الزراعة. وضرورة الشمس لهذا النوع اقلّ من الانواع السابقة وان كانت ضروريّة لكل اصناف التبغ

وان اعتبرت ارتفاع الاراضي فوق سطح البحر فانّ افضل تربة للتبغ هي الاماكن المتراوح علوّها بين مئة متر الى سبعمائة م فوق البحر والتي تتردّد حرارتها بفصل الصيف في المقياس المئويّ بين ٢٥° و٣٢° فبذلك يستوفي التبغ نصيبهُ من البلوغ والنضوج. وامّا تربة السواحل الواقعة عند شواطئ البحر فانها لا تأتي بتبغ حسن فترى دخانها قليل الاشتعال لاختلاط الملح فيه. وكذلك الاراضي التي تُسقى بالنواعير ذات المياه المالحة لا تصلح مطلقاً لزراعة التبغ. وليست الاراضي المجاورة للطرق الكثيرة الغبار اصلح منها لهذه الغاية لانّ نبات التبغ اذا نضج ورقهُ ظهر على قفاه

وعند اصلهِ مادّة لزجة دبقة يلتصق بها الغبار وينفذ فيها فيخسر التبغ شيئاً من جودة طعمهِ كما انَّ السكاكين المُتخذة لهرمهِ تكلُّ بهذا الغبار وتفسد

امَّا الاراضي التي تعلو عن سطح البحر الى غاية الف ومئتي متر فانها تنبت تبغاً طيِّباً وذلك على شرط ان ينتهي الشتاء باكرًا بحيث يتمكَّن الزارع من تشتيل اغراسهِ في تربة جافَّة باكرًا وكذلك يشترط ان امطار الخريف لا تهبط قبل اوانها كثيرًا فتفاجئ الاغراس (الشتول) التي لم يتمّ بعد قطف ورقها او تبلّ الاوراق المعرَّضة للتنشيف في المناشر في الهواء. وبوجيز الكلام نقول يجب ان ينتهي « التشتيل » في اواسط أيار لينتهي القطف في اواخر آب . ومن هنا تعلم السبب الذي لاجلهِ تكون جودة التبغ معرَّضة للاخطار في الاماكن العالية كما يظهر منهُ سبب وفرة كتيانهِ هناك

إعداد التربة وحراثتها

ينبغي على الزارع ان يقتلع من الارض المعدَّة للتبغ الاعشاب المؤذية ويزيل عنها الاحجار بل كل حصى يكبر حجمهُ فوق البيضة امَّا ما كان دون ذلك فلا بأس منهُ بل انهُ مفيد وضروري لانهُ يحفظ للتربة بعض الرطوبة ويظلّل اصول النبات من اشعَّة الشمس بينما يعكس تلك الاشعَّة على الورق الذي ينتفع بها كما انَّ تلك الحصى تستدرُّ في الليل ندًى مُحيياً

وممَّا يتحتم على الزارع ان يحرث التربة حرثاً جيدًا حتى تنعم وان ينتقي لذلك الوقتَ المناسب على مقتضى المثل السائر في لبنان « الفلاحة يد ». امَّا ذلك الوقت فهو عند جفاف التربة بعد المطر اذ تسير فيها بسهولة سكَّة الفلّاح فتنفتّت التربة تحتها. وعلى خلاف ذلك اذا جرت الفلاحة في ارض رطبة فانَّ تربتها تكون متلاصقة قاسية فتتلبَّد او في ارض شديدة الجفاف فانَّ حراثتها تكون صعبة كثيرة النفقات

ومن الضروري ان تُفلح التربة على الاقلّ ثلاثة « اوجهٍ » كما يقولون ويفضَّل حرثها خمس دفعات فينال الفلّاح جزاء تعبهِ بجودة الصنف وحسن اقبالهِ

امَّا اوقات الحراثة فانَّ الاختبار دلَّ على توزيعها على الصورة الآتية : فالوجه الاوَّل يصلح لهُ اواسط تشرين الثاني الى منتصف كانون الاوَّل. ويتمُّ الوجه الثاني في شباط. والثالث في اذار . والرابع في الاسبوعين الاوَّلين من نيسان. والخامس

في الاسبوعين الاخيرين منهُ اذا توفقت « اليد » في ذلك

تسميد (تسويد) التربة

انَّ انتقاء السماد وتوزيعهُ وزمن دملان التربة واصلاحها بالسواد لمن الامور الهامَّة الجزيلة الشأن في زرع التبغ . واوَّل ما يجب على الزارع ان ينقيهُ من التربة كل سماد مشبوه بوجود الدويبات المضرة ولاسيما المالوش . وان اراد معرفة ذلك فعليهِ ان يأخذ شيئاً من ذلك السماد ويبسطهُ في مكان شموس كثير النور فلا يلبث ان يطَّلع على تلك الحشرات المؤذية وان صغيرة

وافضل سواد طبيعي تُصلح بهِ التربة انَّما هو سماد الماعز ثمَّ بعدهُ زبل الغنم فانَّ هذين النوعين أغنى بالأزوت والفوسفات والبوطاسة من سرقين البقر وروث الحصان واقلّ منهما كميَّة من الكلورور . وقد اثبت الاختبار انَّ العناصر الثلاثة الاولى لازمة لنموّ التبغ على عكس الكلورور الذي هو عنصر ضارٌّ بهِ ومقلِّل لاشتعالهِ

ثمَّ اعلم انَّ سماد الماعز والغنم ضربان : منهُ صيفي ومنهُ شتوي . فالصيفي هو الذي يدعوهُ العامَّة بالفرفور ويتكوَّن من زبل الماعز او الغنم صرفاً او ممزوجاً بقليل من البول . وهو زهيد النفع لدمل التربة وتسميدها بالنسبة الى الصنف الآخر لقلَّة ما يدخل فيهِ من الازوت لانَّ معظم هذا العنصر الذي هو من اهم اغذية النبات انَّما يفرزهُ الحيوان بالبول

امَّا السماد الشتوي فيعرفهُ العامَّة باسم « النكُّوب » وهو ما تجتمع في الآخورات والحظائر من الزبل الممزوج بالبول فيصبح كفراش للحيوانات في فصل الشتاء فترى الماعز والغنم تقضي عليهِ الايَّام والليالي الطويلة في عهد الامطار والبرد القارس . ولمَّا كان البول كما قلنا غنيًّا بالازوت يمتزج بالسماد حتى يختمر بهِ ويصبح « النكُّوب » بذلك عظيم الفائدة للتربة لما يشتمل عليهِ من كميات الازوت الوافرة على صورة توافق النبات موافقةً تامَّة فيسهل عليهِ ان يمتصَّ ذلك العنصر من السماد ويغتذي بهِ . ولذلك ترى اصحاب الخبرة يفضِّلون كثيراً زبل الشتاء على الفرفور

وان شئت ان تحفظ السماد فتدخرهُ من سنة الى اخرى وجب عليك ان تنكثهُ من حين الى آخر وان تجعلهُ طبقاتٍ ضخمة كثيفة تكون الطبقة من ٢٥ الى الى ٣٥ سنتمترًا الى ان يتمَّ جفافهُ فيكدَّس وقتئذٍ اكداساً كبيرة ويُترك في اقيسة

مقفلة . وبهذه الطريقة يصبح الزبل ناعماً موافقاً للتربة معدًّا لأن يُنثر على المساكب او المزارع عند الحاجة

ومما تقدَّم تظهر للزرّاع فائدة تبييت (تقيل) قطعان الغنم والماعز واقامتها في الحقول الزراعيَّة . فيجعلون فيها نحو مائتي رأس مدَّة خمس او ست ليالٍ في كل قطعة ارض (كدنة) تبلغ مساحتها نحو ٤٠٠٠ ذراع مربَّع . ولذا تعذَّر الامر لقلَّة المواشي فعلى الاقلّ لا يحرمون منهُ الاراضي المفضلة

وان كان الزارع لا يستطيع ان يجعل في ملكهِ قطيعاً من الماعز فمن اللازم ان يسمِّد اراضيهُ بغرارتين من الزبل النكُوبي لكلّ كدنة من الفلاحة . امَّا الغرارة فتوازي تقريباً ١٣٠٠ ليتر من المكاييل الاوربيَّة . وهذا السماد يلقى في التربة قبل الفلاحة الثانية (الوجه الثاني) بقليل اي مدَّة شهر كانون الثاني او في شباط . ويجب اجراء هذا التسميد كلّ ثلاث سنين . على انَّ السماد الطبيعيّ قليل في لبنان لقلَّة القطعان والمواشي نظرًا لانقراض احراجهِ وغاباتهِ الشهيرة سابقاً ممَّا يوجب الاسف كثيرًا وانَّما تحسن الاستعاضة عنهُ بانواع خصوصية من السماد الكيسويّ الملائم لزراعة التبغ كما باشرنا اختبارهُ فاتت التجربة بالفائدة المرغوبة (لهُ بقيَّة)

السرّ المصون في شيعة الفرْمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ اللغة الماسونية

عرف الماسون انَّ اسرارهم لا تلبث ان تُفشى فتفضحهم اذا ما دوَّنوها بالكتابة كبقيَّة الناس فتارةً تُفقَد بالبريد وتارةً تقع في ايدي الغرباء وحينًا يقف عليها ورثة الماسون بعد موتهم فكل هذه الحوادث تعرض تلك الدفائن لخطر الشهرة . فرأى بعضهم ان يتخذوا لمراسلاتهم الفاظًا سرّيَّة لا يعرف فحواها غير ابناء الارملة

فمن الطرائق التي عمدوا اليها لهذه الغاية طريقة الارقام كما يصطلح اصحاب الدول على اعداد معلومة يريدون بها حروفًا فيركّبون منها الفاظًا مقصودة . فدونك بعض ما اتفقوا عليهِ وجرى عندهم مجرى الابجدية الرقمية في اللغات الاوربيَّة وكحساب الجمّل عندنا

الابجدية الرقميّة للماسونية

A=٢٠	F=٢٠	K= ٩	P=٨١	U=٨٦
B= ٢	G=٣٠	L=١٠	Q=٨٢	V=٩٠
C= ٣	H=٣٣	M=٤٠	R =٨٣	X=٩١
D=١٢	I } =٣٨	N=٦٠	S =٨٤	Y=٩٤
E =١٥	J }	O=٨٠	T =٨٥	Z =٩٥

فان قصدوا لفظة مـا او جملة عبّروا عنها بالارقام. فخذ مثلاً لفظة ماسون (Maçon) فيكتبونها هكذا ٤٠,٢٠,٣,٨٠,٦٠ وقس عليهِ ما شئت من المفردات او المركّبات

وقـد اخترعوا طريقة اخرى لكتاباتهم فانهم اخذوا للحروف الابجدية الاوربيّة صوراً مختلفة عن صورها المعلومة فرسموا لها تقاطيع خاصة بنوها على هذا الشكل:

الالف باء الماسونية

AB	CD	EF
GH	I(J), L	MN
OP	Q(K), R	ST

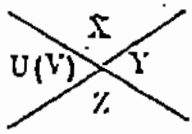

فدلّوا على كل حرفين بالزوايا او التقاطيع التي هما فيها وميّزوا الاوّل عن الثانية بنقطة في وسطهِ هكذا:

A= G= O= U, V=

B= H= P= X =

C= I, J= Q, K= Y =

D= L= R= Z =

E= M= S=

F= N= T=

فان اردت ان تكتب مثلاً كلمة محفل (Loge) فاكتبها:

وتكتب كلمة استاذ (Maître) هكذا: 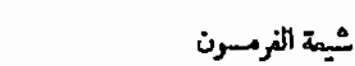

وللماسون اصطلاحات اخرى عديدة منها اختصارهم للألفاظ واكتفاؤهم برسم الحرف الاوّل منها او بعض حروفها فقط مع زيادة النقط الماسونية الثلثة (∴) ودونك شيئاً من هذه الالفاظ او العبارات المختصرة نقلها عن الاوراق الماسونية المطبوعة التي لدينا بالفرنسوية فمن الالفاظ المختصرة ما البعض منهُ:

Chanc ∴ = Chancelier (كنشلير)
Chap ∴ Chapitre (مجلس)
Cons ∴ Conseil (شورى)
Cons ∴ phil ∴ Conseil philosophique (الشورى الفلسفيّة)
Dig ∴ Dignitaires (المتوظّفون)
Fond ∴ Const ∴ (Loge) Fondée, Constituée (محفل منشأ ومثبت)
Maç ∴ Maçon (ماسون)
Off ∴ Officiers (الضبّاط)
Or ∴ Orient (الشرق)
Orat ∴ Orateur (الخطيب)
Sec ∴ Secrétaire (كاتب الاسرار)
Surv ∴ Surveillant (الناظر)
Trav ∴ Travaux (الاشغال)
Rep ∴ des Trav ∴ Reprise des travaux (استئناف الاشغال)
Tr ∴ Resp ∴ Très respectable (الجزيل الاكرام)
Ven ∴ Vénérable (الموقّر)

وهذه الحروف المختصرة المفردة

B ∴ = Booz (بوز)
C ∴ Constitution (دستور)
F ∴ Frère (اخ)
J ∴ Jakin (جاكين)
L ∴ Loge (محفل)
M ∴ Maître (استاذ)
M M ∴ Maçons (ماسون)
R ∴ Réglement (قانون)
S ∴ Salut (سلام)

وهذه الحروف المختصرة المركبة

E ∴ V ∴ = Ère Vulgaire (التاريخ الجاري)
G ∴ O ∴ D ∴ F ∴ Grand Orient de France (شرق فرنسة الاعلى)
L ∴ E ∴ F ∴ Liberté, Egalité, Fraternité (حرّية مساواة اخاء)
MM ∴ FF ∴ Mes Frères (اخوتي)
NN ∴ FF ∴ Nos Frères (اخوتنا)

R ∴ ✝ ∴ Rose-Croix (الصليب الوردي)

R ∴ L ∴ Respectable Loge (المحفل الموقَّر)

V ∴ L ∴ Vénérable Loge (المحفل المكرَّم)

S ∴ S ∴ S ∴ Stabilité, Santé, Solidarité (ثبات وصحَّة وتعاضد)

S ∴ U ∴ F ∴ L ∴ G ∴ Salut, Union, Force, Loyauté, Courage (سلام واتّحاد وقوَّة واستقامة وشهامة)

T ∴ C ∴ F ∴ Très Chers Frères (اخوتنا الاعزّاء)

T ∴ C ∴ et Ill ∴ F ∴ Très Cher et illustre Frère (اخيّا الاخ العزيز المكرَّم)

وهذه عبارات جارية في مكاتباتهم الرسمية:

A ∴ L ∴ G ∴ D ∴ G ∴ A ∴ D ∴ l'U ∴ A la Gloire du Grand Architecte de l'Univers (لمجد مهندس الكون الاعظم)

A ∴ N ∴ E ∴ S ∴ L ∴ A ∴ D ∴ G ∴ O ∴ D ∴ F ∴ Au nom et sous les auspices du Grand Orient de France (باسم وتحت رعاية شرق فرنسة الاعظم)

A ∴ M ∴ L ∴ E ∴ D ∴ L ∴ V ∴ A moi les Enfants la Veuve ! (اليَّ يا ابناء الارملة!)

وممَّا يكتبهُ ذوو الدرجة ١٨ في مقدَّمة رسائلهم الماسونية:

A ∴ N ∴ D ∴ L ∴ T ∴ S ∴ E ∴ I ∴ T ∴ Au nom de la Très Sainte et Indivisible Trinité (باسم الثالوث الاقدس غير المنقسم . وهم يريدون بالثالوث غير ما يعنيهِ النصارى)

اما اذا كانوا في الماسونية البيضاء فيكتبون:

S ∴ L'I ∴ D ∴ L ∴ D ∴ S ∴ D ∴ M ∴ I ∴ E ∴ P ∴ D ∴ A ∴ Sous l'inspiration de la divine Sagesse du Maître inconnu et près du Buisson Ardent (بالهام الحكمة الالهيَّة للرب المجهول وبقرب العوسج الملتهب)

وماسون طريقة مصرانيم يرقمون هذه الاحرف:

A ∴ L ∴ G ∴ D ∴ T ∴ P ∴ H ∴ S ∴ T ∴ D ∴ T ∴ A la Gloire du Tout-Puissant, Honneur sur tous les points du Triangle (لمجد الكلي القدرة عزٌّ على كل نُقَط المثلَّث!)

ويختمون هذه الرسائل هكذا:

P ∴ L ∴ N ∴ M ∴ A ∴ M ∴ C ∴ (Je vous salue) par les nombres mystérieux à moi connus (اسلّم عليك بالاعداد السرّيّة المعروفة منّي)

اما اصحاب الدرجات العليا فيكتبون :

S.·.E.·.A.·. D.·.l'U.·.P.·.D.·.N.·.S.·. Salut et affection dans l'unité paisible des nombres (سلام ومودّة في وحدة الاعداد الهادئة)

واذا استدعوا الاخوة الى محفلٍ ختموا ورقة الدعوة بهذه الحروف :

S.·.N.·.O.·.P.·.V.·.O.·.M.·. Surtout n'oubliez pas vos ornements maçonniques (ولا تنسوا خصوصاً حلاكم الماسونية)

وعندهم اختصارات اخرى لكل درجة من الدرجات الماسونية يرقمونها او ينقشونها على الاوشحة والمآزر التي يلبسونها في محافلهم يطول هنا تعدادها

وان سألت هل للماسون في بلادنا اصطلاحات كهذه في العربية . اجبنا ان اهل هذه البلاد لم تبلغ معرفتهم للغة الماسونية مبلغ الاوربيين ولعلّ بينهم قوماً لا يعرفون « المادنة من الالف » فلذلك تراهم في كتبهم المطبوعة قد استغنوا عن هذه المعمّيات واوضحوا تلك الرموز الغامضة

هذا وفي الماسونيّة اصطلاحات اخرى غير التي ذكرناها لو جُمعت لتركّب منها قاموس واسع وكلّها تشهد على براعة اصحابها وتفننهم او بالحري على خسافة عقولهم وتفرّدهم عن ابناء جلدتهم . وهذه الاصطلاحات اطلقوها على الفاظ وجمل معروفة فعنوا بها غير ما يعنيه سواهم من الناس . فدونك مفتاح بعض هذه الالغاز نذكرها تفكهة للقراء في فصلين نخصّ الفصل الاوّل بالالفاظ المختصة بالولائم والمآدب والفصل الثاني بالمعاملات الجارية

١ الاصطلاحات الماسونية في المآدب وشرحها

Amphore	(*signifie*)	Carafe	زجاجة الماء	(معناها)	الآجانة
Autel	»	Table	المائدة	»	المذبح
Barrique	»	Bouteille	القنّينة	»	البرميل
Bouclier	»	Assiette	الصحن	»	الترس
Calice, Canon	»	Verre	القدَح	»	الكاس او المدفع
Ciment	»	Poivre	الفلفل	»	الملاط
Dégrossir un solide	»	Couper la viande	قطع اللحم	»	يرقّخ الخشب

Drapeau	(*signifie*)	Serviette	الفوطة	(معناها)	البيرق
Grand Drapeau	»	Nappe	غطاء المائدة	»	البيرق الكبير والوشاح
Echarpe	»	*id.*	»	»	الوشاح
Fusion de neige	»	Eau	الماء	»	الثلج المذوّب
Glaive	»	Couteau	السكين	»	السيف
Mastiquer	»	Manger	أكلَ	»	عَلَكَ
Mastic, Matériaux	»	Mets	المآكل	»	الملوك او المواد
Mortier	»	Omelette	العجّة	»	الطين
Pierre brute	»	Pain	الخبز	»	الحجر الاصمّ
Pioche	»	Fourchette	الشوكة (الفرتيكة)	»	المعول
Plate-forme, échafaud	»	Table	السفرة	»	الصقالة
Plâtre	»	Sucre	السكّر	»	الكلس
Poudre faible	»	Eau	الماء	»	البارود الخفيف
— forte	»	Vin	الخمر	»	— القويّ
— fulminante	»	Liqueur	المشروبات الكحوليّة	»	— الملتهب
— jaune	»	Bière	البيرة	»	— الاصفر
— noire	»	Café	القهوة	»	— الاسود
Sable	»	Sel	الملح	»	الرمل
Tirer une canonnée	»	Boire	شرب	»	ضربَ المدفع
Travaux de mastication	»	Repas	الغداء	»	شغل الملك
Truelle	»	Cuillère	الملعقة	»	المالج

٢ اصطلاحات ماسونية في معاملاتهم

Buriner une planche	(*signifie*)	écrire une lettre	كتب رسالة	(معناه)	حفر لوحاً
— un balustre	»	rédiger un discours	صنّف خطاباً	»	نقر حديداً مشبّكاً
Colonne	»	Discours	خطاب	»	عمود
Couvrir le Temple	»	le fermer	اقفلهُ	»	غطّى الهيكل
Morceau d'architecture	»	Pièce de vers	قصيدة	»	قطعة هندسيّة
Pinceau	»	Plume	القلم	»	المقشة

Planche à tracer	(*signifie*)	Papier	الورق	(معناهُ)	لوح الرقم
— tracée	»	Lettre	المكتوب	»	اللوح المرقوم
— de convocation	»	Circulaire	ورقة استدعا	»	لوح الدعوة
Pleuvoir (il pleut)	»	Un étranger arrive	جاء غريب	»	امطرت (شتّت الدنيا)
Stalle	»	Chaise	كرسيّ	»	صفّة
Temple	»	Loge	محفل ماسوني	»	هيكل
Tuilage	»	Reconnaissance de Frères	استعراض الاخوة	»	تشخيص

وممّا يلحق بهذه اللغـة الماسونية الفاظ غريبة استعاروها في الغالب من العبرانية او من لغة اليهود المحدثين بعضها أعلام وبعضها موصوفات ما يدلُّ على تداخل اليهود في الشيمة بل على دناستهم الخفيّة على اعضائها كما اثبتهُ كثير من اهـل البحث. فمن الاعلام : توبلقـاين واخنوخ وسام وحام ويافث وبعوز وجاكين ويوثان ويهوذا ومرابون وموردا واردنّ وبنيامين وجياريم وزبولون وصهيون وملك سليمان. ومن الموصوفات شلوم (سلام) وحكمة وبعين وشتل (مثقال) وجبّار ويهوه وايل ادون وادوناي وعمانويل (من الاسماء الحسنى) وحرمة ولوريم وقدش وماك بناك وهللوليا وغير ذلك من الالفاظ التي يموّه بها الماسون على السذّج ليشغلوهم بالقشرة عن اللباب

وبعض هـذه الكلمات يونانية او لاتينية مثل كيريا (Κύριε) وفيداس (Fides) وسباس (Spes) وكاريتـاس (Charitas) استعاروها من الطقوس النصرانيـة ليضحكوا من سامعيها بتظاهرهم بالدين. وكل ذلك ممّا يخجل منهُ الرجل الاديب لكنّ الماسوني لا يخجل من شيء ليبلغ غاياتهِ السيئة

ويدخل في باب اللغـة الماسونية الفاظ سرّيّة لا يعرفها غير الماسون فيتعارفون بها فمنها ما يختلف كلّ ستة اشهر (Mot de semestre) بايماز الشرق الاعظم فيجب على كل الاخوة ان يعرفوها. وذلك عبارة عن كلمتين تبتدئان بحرف واحد يتلفّظ بهما الماسوني المجهول لاخيه عند الحاجة فيقول الاولى في اذنهِ اليمنى والثانية في اليسرى. مثالهُ : تعاضد وتصادق — علم وعدل — الخ

ومنها ما يُدعى بالكلمة المقدّسة (Mot sacré) وبكلمة المرور (Mot de

(passe فالكلمة المقدسة يتلفظ بها الاخوة بتمامها او مقطّعة حرفاً حرفاً . وربما حُظر عليهم لفظها جلالها . امّا كلمة المرور فيقولونها عند دخولهم المحفل الماسوني . والكلمتان تختلفان على حسب الدرجات الماسونيّة وعلى حسب الطرائق . فدونك الكلمات السرّيّة وكلمات المرور للدرجات المعروفة في هذه البلاد . فالكلمة المقدّسة للدرجة الاولى اي المبتدئ هي « جاكين » في الطقس الفرنسوي « وبعوز » في الطقس الاسكتلندي وكلمة المرور في الفرنسوي « تويلقاين » اما الاسكتلندي فليس لهُ كلمة خاصّة

وفي درجة الرفيق الكلمة المقدسة هي على عكس الدرجة السابقة اي « بعوز » للطقس الفرنسوي « وجاكين » للاسكتلندي . وكلمة المرور للطقسين « شبُولت » اي سنبلة

والكلمة المقدّسة لدرجة الاستاذ في الطقس الفرنسوي « ماك بناك » وللاسكتلندي « موابون » . امّا كلمة المرور فهي « جبليم » (على لفظ الجيم المصريّة) « وتويلقاين » للاسكتلنديّ

وللدرجة الثامنة عشرة اي « الصليب الوردي (Rose-Croix) فالكلمة المقدّسة « ي ن د ي » وهي الاحرف الاربعة التي كُتبت على صليب السيّد المسيح ومعناها في الانجيل « يسوع الناصري ملك اليهود » امّا الماسون فيشرحونها شروحاً أخرى مختلفة منها كفريّة ومنها صبيانيّة ولا يجوز لهم ان يتلفّظوا بها

والدرجة الثلاثون اي درجة القدوش او الكديش (Kadosch) اتّخذت لكلمتها المقدّسة لفظتين كفريتين يقول كل فريق واحدة منهما وهما « نقم ادوناي » و « فرش كل » . وبينما يلفظ الماسون هاتين الكلمتين يمسكون خنجراً فيوجّهون نصلهُ الى فوق كأنّهم يريدون ضرب رب السماء . ومعنى اللفظتين « نقمة الرب » « واتّضح كل شيء »

ومما يتعارف بهِ الماسون اسئلة واجوبة غريبة يلقيها الاخ على اخيه ليعرف بعضهم بعضاً . من ذلك سؤال اصحاب كل درجة عن سنّهم فيسأل الرئيس المبتدئ « كم يبلغ سنك » فيجيب « ثلاث سنوات » اما الرفيق فجوابهُ « خمس سنوات » والاستاذ « سبع سنوات بتيّف » الى ان يبلغ الى الصليب الوردي الذي عمرهُ ٣٣ سنة . اما القدوش فيجيب « انهُ لم يعد يحصي سني عمرهِ »

واذا اضفت ذلك الى اللمسات والطرقات والخطوات والازياء الماسونيّة مع

« زعبراتهـا » تحققت انّ الماسون قوم غرباء في اوطانهم او بالحري انّهم دولة ضمن دولة واعظم خطر على الدول وعلى الهيئة الاجتماعيّة كلها

٤ الطرائق او الطقوس الماسونيّة

سبق لنـا القول انّ الماسونية على الصورة المعروفة في زماننا حديثة العهد لا ترتقي الى ما وراء سنة ١٧١٧ فانّ في ٢٤ حزيران من تلك السنة اجتمع بعض اهل الغايات من اخلاط النـاس في احد منازل لندن فاتّفقوا على وضع الجمعية الماسونية « لتحرير البشرية » كما زعموا من نير السلطة الدينية والمدنية . وكان بعض اعضاء هذا المحفل مرتبطين سابقاً بجمعيات أُخرى سرية كانت تتناقل اسرار المانويين او اللادريين بين الشيع البروتستانية المتعدّدة اخصّها شيعة فاسدة خالعة لكل عذار تُدعى « الصليب الورديّة » (Rosicrucians) التي كانت تخفي اسرارها تحت حجاب الابحاث الكيميويّة . فهؤلاء نبـذوا اغراضهم الخاصّة وتواطأوا في العمل وعمدوا خوفاً من السلطة المالكة وضغط الحكومة عليهم الى اسم جماعات البنّائين الذين كانوا في ذلك الوقت معروفين في انحاء اوربّة عموماً وفي انكلترة خصوصاً بالتعاضد في الاعمال البنائيّة تحت رئاسة اساتذة كانوا يُعنون بتعليمهم وترقيهم وصيـانة حقوقهم والحكم بينهم في خصوماتهم . وكان للدين في هذه الجمعيات اليد الطولى فيرعاها الرهبان والكهنة والاساقفة بل الاحبـار الرومـانيّون انفسهم بنظرهم ويمنحونها النعم والامتيازات التي من شأنها ان تدفع عن اصحابها اسباب الظلم وتجلب لهم وسائل النجاح

فلمّا عقد هؤلاء المذكورون جماعتهم وكان بينهم الخادم البروتستاني جاك اندرسون والصليب الوردي ديزاغوليه (J. T. Desaguliers) وجورج پان (G. Payne) وغيرهم تولى احدهم وهو اندرسون تأليف قوانين الجمعية الجديدة وادخل فيها كثيراً من القاب ودرجات وبنود جمعيات البنـائين التي ذكرناها كأنها احد فروعها ودسّ فيها ما يوافق غاية الجماعة الجديدة او يقال بالاحرى انّهُ جعل كل اعمال البنـائين واقسامهم وآلاتهم ودرجاتهم وعاداتهم كرموز عن بناء آخر اي بناء ادبيّ زعموا انهُ عمران المجتمع الانساني وبناء الهيكل البشري على صورة جديدة ينفون عنها كلّ سلطان فيسير اهلها على مقتضى مبادئ « الحريّة والاخاء والمساواة » دون الخضوع لكنيسة او لحكم بشر »

وجعل اصحاب الجمعية المذكورة يسعون في نشر تعليمهم حيثما كانت الكنيسة والملكية عاليتي القدر واسعتي النفوذ كفرنسة وايطالية وبلجيكة والمانية ورأوا انَّ احسن واسطة لادراك بغيتهم ان يتخذوا لهم طقوساً سرّيّة فلا يضمّوا الى جماعتهم الّا الذين يرضون بقبول تلك الطقوس فعدّدوا الاشارات والامتحانات والشعارات الخفيّة والاوسمة يمنحونها للذين يرونهم حقيقين باتخاذ مآربهم

وكان اوّل طقس وضعوهُ ما يدعونهُ بالطريقة الاسكتلنديّة وضعوها سنة ١٧٢٨ عقبتها طريقة ثانيــة وضعها الماسون الفرنسويون في ليون سنة ١٧٤٣ ودعوها طقس الهيكل. ثمّ تعدّدت بعــد ذلك الطقوس الماسونية حتى بلغت بعد مائة سنة اربعاً وعشرين طريقة ولكل طريقة درجاتها يبلغ بعضها التسعين درجة مع اختــلاف الرتب والامتحانات والاوسمة واتفاق رؤسائها الكبار في الغاية القصوى اي الغاء الدين والسلطة

على ان هذه الطقوس او الطرائق ليست اليوم كلها في ازدهار بل قد أُبطل كثير منها لعــدم رواج سوقها. والطرائق التي لا تزال حتى اليوم جارية العمل انما هي اثنتا عشرة منها طريقتان للانكليز وهما طقس يورك والطقس الاسكتلندي القديم وطريقتان في فرنسة الطريقة الاسكتلندية الحديثة وطقس الهيكل وثلاثة لروسيا طرائق منسوبة الى واضعيها نسلر وتسنندورف وشرودر وكنيغ. وللايطاليين طريقة مصرانيم وللاسوجيين طريقة سويدنبورغ وللمكسيكيين طقس يعرف بالمكسيكي الوطني. اما الولايات المتحدة فلها الطقس الاسكتلندي القديم المقبول وعدد المنتمين اليه اكثر من سواهم

امــا الطقوس المعروفة في بلاد الشرق فمرجعها الى ثلاثة اي الطريقة الفرنسويّة والطريقة الاسكتلندية على ثلاثة انواعها كما هي جــارية في فرنسة او في انكلترة او في اميركة وطريقة مصرانيم الطليــانية. وهذه الطقوس في الغالب تقسم الى ٣٣ درجة اهمها الدرجات الاولى الثلث اي المبتدئ والرفيق والاستاذ وقد مرَّ شيءٌ من وصف رتبها وامتحاناتها وتعاليمها المضحكة فعليك بمراجعتها

ولهذه الدرجات اشارات وحركات ولمسات والفاظ سرّيّة يتعارف بها الماسون حتى في حضور الاجانب دون ان يشعروا بهم. ولهم في اجتماعاتهم مآزر (وزرات) واوشحة وقلائد عليها نقوش تشير الى كل رتبة ولا يدرك معانيها الصحيحة الّا الذين يستطيعون حملها دون ان ينفروا من الماسونية

وكذلك تُعطى لكل متشح للماسونية اجازة (دبلوما) تؤذن بقبوله ويختم عليها ذوو المناصب العليا يؤرخونها عادةً بالتاريخ الماسوني الذي يخالف تاريخ بقيّة الناس فيزيدون ٤٠٠٠ سنة على التاريخ النصراني المعهود فالسنة الحالية مثلاً هي عندهم سنة ٥٩١١

وقد اعتادوا ان يقسموا الدرجات الثلاث والثلاثين الى اربعة اقسام يميزون كل قسم منها باحد الالوان. فيدعون الثلاث الدرجات الاولى بالماسونية الزرقاء. يليها الماسونية الحمراء من الدرجة الرابعة الى الثامنة عشرة. ثمّ الماسونية السوداء الى الدرجة الثلاثين من بعدها الماسونية البيضاء التي فيها يحصل الماسون على نور الظلمات المدلهمّة

ومن المفروضات الماسونية ان يُفصل بين درجة ودرجة بمدّة من الزمان الّا ان بعض رؤساء المحافل يرون في العجلة ربحاً فيخوّلون لمتيازات الدرجات العالية لمن يدفع الرسوم بسرعة (تجارة مستعجلة كما حصل مراراً في بيروت ولبنان)

ومن العادات الماسونية ان اصحاب الدرجة الثامنة عشرة يصلون وليمة اجبارية في يوم خميس العهد او الجمعة الحزينة (وذلك اكراماً لآلام المسيح !!!)

وفي المحافل الماسونية عادات أخرى عديدة يستغرق ايرادها وشرحها مجلدات ضخمة نخاف ان يملّ القراء من خرافاتها العجائزيّة

٥ الجيش الماسوني

بعد نظرنا في طقوس الماسونيّة وطرائقها السرّيّة يجدر بنا ان نعتبر نظام قوّاتها وتركيبها ليعلم القرّاء كيف ركّب ابليس جيشه ترويجاً لمقاصده السيئة فنقول: انّ الماسونيّة العموميّة التي تمدُّ اليوم سيطرتها على انحاء المعمور تُقسم الى ايالات (Fédérations) او قوات ماسونيّة (Puissances maçonniques) وشروق عظمى (Grands Orients) او محافل كبرى (Grandes Loges) ومجالس شورى سامية (Souverains Conseils) فتدبير الماسونيّة في ايدي اصحاب الايالات والشروق العظمى فهم تتحدر الاوامر الى الدرجات السفلى. واقسامها في الغالب توافق اقسام الدول السياسيّة الّا انها ترتبط ببعضها ارتباطاً سريًا لا يعرفهُ الّا كبار زعماء الشيعة كما يثبته اقرار احد رؤسائهم المسمّى كارتيه لاتت (F. Quartier-la-Tente) نقلاً عن رئيس محفل البنا

قال في تقريره الذي وجّهه الى كل المحافل الماسونية سنة ١٩٠٨ « وقد تحققنا بعد البحث الخفيّ من الماسونيّة وتاريخها في كل البلاد وطقوسها وعاداتها كما اشغالها واعمالها ايضاً انهُ يوجد بين كل الشروق والمحافل المتفرّعة من المحفل الانكليزي الاول المؤسس سنة ١٧١٧ شبهٌ تام من حيث المبادئ والرموز والعادات المألوفة والروح وكفى بهِ دليلاً على ان الجمعيّات الماسونيّة القانونيّة كلها صدرت من مصدر واحد وترمي الى غاية واحدة وتحيا بروح واحدة ألا وهي روح الماسونيّة الفرنسويّة (اي روح الثورة والكفر) » (١ . وهذه الايالات تجري كما رأيت على طرائق او طقوس (rits) مختلفة اخصّها ما ذكرناه منها الطقس الفرنسوي والطقس الاسكتلندي وطقس مصرائم

ثمّ ان للايالات او الشروق العظمى اقساماً مدرجة تحت حكمها يدعونها معامل (ateliers) او محافل (loges) ويطلقون عليها اسم « شروق » فيقولون مثلاً شرق بيروت . ولهذه المحافل اسماء شتى كمحفل لبنان او محفل السلام . وكل محفل يختار مرّة في السنة متوظفيهِ اي الرئيس والخطيب والمعاون والناظرين وهم يدعون هؤلاء الخمسة « انوارًا » ويضيفون اليهم خازناً للصندوق ووكيلاً على الضيف ومن هؤلاء السبعة تتألف مشورة المحفل . ويختارون ايضاً كاتباً للاسرار ثمّ بوّاباً للمحفل يتجسّس الغرباء يدعونهُ الاخ المهيب (الاخ الغول) ثمّ متولّياً للرتب (سرّ تشريفات) ووكيلاً للمآدب (سفرجي) وحاملاً للراية الماسونية وغير ذلك من المناصب الشريفة !

امّا انشاء المحافل الماسونيّة فمن الامور السهلة . يجتمع سبعة اساتذة فيكتبون قراراً ممضى باسمائهم يرسلونهُ الى الشرق الاعظم ويؤدّون لذلك التعريفة المعيّنة . والماسون لا يحبّون كثرة الاعضاء في المحفل الواحد خوفاً من الضوضاء والفوضى . وممدّل هذه

(١ وهذا قولهُ بالحرف : « Nous avons constaté, écrivait le Gr .·. M .·. de l'Alpina, par une étude sérieuse de la Maçon .·., de son histoire dans chaque pays, de ses rituels, de ses usages, comme de ses travaux et de ses œuvres qu'il y a entre les Grands Orients et les Grandes Loges nées de la Gr.·. L.·. d'Angleterre en 1717 une similitude de principes, de coutumes et d'esprit qui démontre que toutes les associations maçonniques régulières sont parties de la même origine, poursuivent le même but et possèdent les mêmes aspirations . . . celles de la Fr .·. M .·. française »

المحافل لا يتجاوز غالباً خمسين رجلاً وفي البعض منها لا يزيد عددهم عن العشرة. وان اراد احد اعضاء محفل ماسوني ان يحضر جلسات غير المحفل الذي هو مسجّل فيه جاز لهُ ذلك بصفة زائر الّا انهُ لا صوت لهُ فيه ويشترط ان يحضر فقط مع ذوي درجته ومع الدرجات التي هي دونها ويجوز لهُ ان يخطب ويبدي رأيهُ ويتباحث

وفي كل سنة في كانون الاوّل يختار ذوو المحفل نائباً عنهم يرسلونهُ الى المجمع السنوي (Convent) الذي يُعقد في شهر ايلول ويحضرهُ مندوبو كل المحافل التي تنوط بالشرق الاعظم. وفي هذا المجمع يجري البحث عن احوال الماسونية العامّة وروابطها وترقيها ومالياتها. وهناك يجعلون على بساط البحث كل المسائل السياسيّة والدينيّة التي تريد الماسونيّة التداخل فيها او معاكستها. ففي هذه المجامع ترتّبت معظم الاحداث التي جرت وتجري كل يوم في حقّ الدين والضغط على سياسة الدول كالاحتجاج على قتل فرّير ومناهضة الحبر الاعظم وارباب الدين والرهبان وقلب دولة البرتغال وهلمّ جرّا

وفي هذا المجمع السنوي ينتخب المندوبون ٣٣ عضواً للشورى العموميّة يفوّضون اليهم عامّة سلطتهم تدبير الماسونيّة وتأييد مصالحها تحت نظارة استاذ اعظم (Grand-Maitre) وهم يدعون هذه الشورى « اللجنة الدائمة »

هذا هو نظام الماسونيّة الخارجيّ امّا النظام الخفيّ الذي يدير سرّاً هذا الجيش العامل ويتصرّف به على هواهُ فلا يعرفهُ الّا القليلون واليه مرجع الماسونية في الواقع يتولّاهُ رجال لا يتجاوز عددهم عدد الانامل وفي حوزتهِ ازمّة التدبير ينفذونهُ بواسطة الدواوين الماسونية

٦ الدواوين الماسونية

هذه الدواوين اشبه بوزارات الدول فمنها للداخليّة ومنها للخارجية ومنها للحربيّة ومنها للماليّة ومنها للعدليّة والحقانيّة ومنها للمعارف نذكر شيئاً عن كل واحدة

﴿ الوزارة الداخليّة ﴾ غاية هذا الديوان تنفيذ الاوامر السرّيّة التي اتّفق عليها مجلس الشورى الماسوني بين عامّة الماسون ووضع التبليغات التي يرونها موافقة لغاياتهم وهم يدعون هذه التبليغات قرارات ونظامات وديكريتات (كذا décreits) ويعيّنون اللجنات (القومسيون) لاجرائها. فدونك مثالاً على ذلك وهو « القرار الصادر من

المجلس العالي (كذا) بجلسته المنعقدة في ٢ ستمبر سنة ١٨٨١ » نقلهُ بالحرف الواحد عن مقدّمة النظامات العموميّة التي ترجمها من الفرنسويّة « حضرة كليّ الحكمة الياس بك منّى » (راجع وصف الكتب الماسونية عدد ٣)

انهُ بناء على ما رآهُ المجلس من لزوم مطابقة نظامات الطريقة العموميّة على ما عرضهُ محفل فرنسا الاعظم العمري وتصدّق (كذا) عليهِ من المجلس العالي بتاريخ ٣٠ ستمبر سنة ١٨٨٠ وبناء على تقرير التوميسيون الاداري والاجرائي المناط بالتعديلات الواجب الحاقها بالنظامات المذكورة

تأمر بما هو آت

(المادّة الاولى) ان النظامات الحاضرة التي اقترح عليها من المجلس العالي هي المعروفة بنظامات الطريقة العموميّة

(المادّة الثانية) كلّ نصّ مخالف لهذه النظامات الحاضرة ومما جاءت بهِ الاوامر والديكريتات والقرارات الصادرة من المجلس العالي او التوميسيون الاداري او من النظام الداخلي لمحفل مقترح ومصدّر عليهِ من المجلس العالي يُعتبر لاغياً من تاريخ نشر هذه النظامات

(المادّة الثالثة) انّ توميسيون المجلس الاعلى الاداري والاجرائي مكلّف بالاسراع في نشرها ورعايتها

(المادّة الرابعة) توزّع هذه النظامات بعناية رئيس الكرتاريّة العموميّة ابتداء من ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ صدر بجلسة المجلس الاعلى بالتاريخ المذكور اعلاهُ

الاعضاء	الاعضاء
بروال الدرجة ٣٣	بيرار درجة ٣٣
الحاكم الاكبر والمعلم والاستاذ الاعظم	الكرتير الاكبر ورئيس الكرتاريّة العموميّة

فترى انّ الماسونيّة تقضي وتحكم كارباب الامر والنهي . وهذه صورة قرارين آخرين ننقلهما عن كتاب شرح لوحة الرسم (راجع المكتبة الماسونية عدد ١٣)

(القرار الاول) دكريتو

نحن ادريس راغب

الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري

بعد الاطلاع على قرار اللجنة الدائمة بجلستها المنعقدة في ١٤ دسمبر سنة ١٨٩٧ القاضي بالغاء المادّة ٩٧ المختصّة بادوات المحافل من النظام العام

وحيث انّ المحفل الاكبر اعتمد القرار المذكور بجلسته المنعقدة في ٧ ابريل سنة ١٨٩٨

قرّر ما هو آت

(المادة الاولى) تُلغى من النظام العام المادة ٩٧ المختصّة بادوات المحافل

(المادة الثانية) على الاخ كاتب السرّ الاعظم تنفيذ امرنا هذا
حرّر بشرق القاهرة في ١١ ابريل سنة ١٨٩٨ (الامضاء) ادريس
كاتب السرّ الاعظم (الامضاء) ن . . . ص . .

(القرار الثاني) دكريتو

نحن ادريس راغب

الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصريّ

بعد الاطّلاع على المواد ١١٧ و١١٨ من الدستور الاساسي — وحيث انّ اللجنة الدائمة قرّرت بجلستها المنعقدة في ١٤ دسمبر سنة ١٨٩٧ بان الاخين (كذا) امين الدفترخانة الاعظم والمهردار الاعظم يكونا (كذا) اعضاء في اللجنة الدائمة وحيث ان المحفل الاكبر اعتمد ذلك بجلسته المنعقدة في ٢ ابريل سنة ١٨٩٨

قرّرنا ما هو آتٍ

(المادة الاولى) تعتبر وظائف امين الدفترخانة الاعظم والمهردار الاعظم من الوظائف العظام وليس من الضبّاط العظام ويعتمد تعديل المادّة ٣١ من الدستور الاساسي على حسب ذلك
(المادّة الثانية) يُضاف على المادّة ٦٤ من الدستور الاساسي هذه الجملة « ومن امين الدفترخانة الاعظم والمهردار الاعظم »
(المادّة الثالثة) على الاخ المحترم كاتب السرّ الاعظم تنفيذ امرنا هذا
حُرّر بمدينة القاهرة في ١١ ابريل سنة ١٨٩٨

الاستاذ الاعظم (الامضاء) ادريس
كاتب السرّ الاعظم (الامضاء) ن . . . ص . .

ويناط بهذه « الوزارة » ان يُعطى اصحابُ الدرجات الشهادات المؤذنة بترقّيهم في السلّم الماسوني والوزارات والاوشحة والاسلحة المختصّة بها وقد رسمنا سابقاً بالتصوير الشمسيّ اجازةً فرنسويّة من هذا الصنف فنكتفي بها مثالاً ولدينا منها اشكال مختلفة

﴿ الوزارة الخارجية ﴾ يهتمّ اصحاب هذه الوزارة الماسونية بالملاقي بين الماسون ليعرفهم الاخوة ويقبلوهم في محافلهم حيثما ساروا لاسيما اذا عُهدت اليهم بعض المأموريّات السرّيّة . ودونك مثالاً من ذلك ننقلهُ عن كتاب الدستور الماسوني العام لشاهين بك مكاريوس (ص ٥٨)

قال : « هـذه الشهادة (دبلوما) يُعطاها الماسوني الحائز الدرجة الثالثة درجة الاستاذ وبواسطتها يزور المحافل المتحابّة وغيرها ويُعرف فيها بصفته استاذًا ماسونيًا وهذه الشهادة لا تمنع المحافل الاخرى من امتحانه عند زيارتها وهذه صورتها :

نشهد بانّ الاخ ...

الذي وقع اسمهُ على حاشية هذه الشهادة تكرّس قانونيًا يوم — من شهر — سنة — وترقى الى الدرجة الثالثة في يوم — من شهر — سنة — في محفل — نمرة — التابع للمحفل الاكبر الاورشليمي وتسجّل اسمهُ في سجلّات المحفل الاكبر وبناء عليه اعطيت لهُ هذه الشهادة التي امضيناها باسمنا وختمناها بختم المحفل الاكبر الاورشليميّ في يوم — من شهر — سنة — للنور الحقيقي (اي التاريخ الماسوني) الموافقة سنة —

وهذه الشهادة لا تخوّل الاخ الدخول والعمل في المحافل الاخرى بغير الامتحان القانونيّ

(الامضاء) الاستاذ الاعظم (الامضاء) السكرتير الاعظم

والوزارة الماسونية الخارجية لا تكتفي بهذه العلائق مع الماسون الغرباء بل تهتمّ خصوصًا في ادارة الماسون وتدبيرهم في مناصبهم السياسيّة لاسيما في مجلس الاعيان والعموم لتنال بواسطة انتخاباتهم ما قرّرتهُ في مجالسها السرّيّة كتنفيذ بعض الشرائع ومناهضة بعض المشروعات وهذا هو السبب العظيم الذي يجذب الحكم الجمهوري الى الماسونية لانّ بواسطته تتلاعب بالمبعوثين كيف شاءت . ولدينا عدّة قرارات يُحتم فيها على « الاخوة » ان يصوّتوا في المجلسين ليس بمقتضى ذمّتهم ولكن وفقًا لاوامر « الشرق الماسوني » وان حاد احدهم عن هذه الاوامر عُدّ كخائن وناكث للعهد

﴿ الوزارة الحربيّة ﴾ كما انّ الماسونية تُعنى بالسياسة كذلك توجّه انظارها الى الحرب ايضًا لكنّ حربها ادبيّة تمتاز بعدّة خواصّ . فالخاصّة الاولى انّها تحارب بالصوت والقلم وكل الوسائل الممكنة الآداب والدين كما رأيت في الابواب السابقة . والخاصّة الثانية انّها تُفسد آداب الجند بما تنشرهُ في حقّ العسكر من المقالات المهيّجة لتثنيهم عن الطاعة لرؤسائهم وتبغّض اليهم مهنتهم على حجّة انّ الحرب من عادات البرابرة وانّ الوطن وهمٌ من الاوهام الكاذبة لان الناس كلهم اخوة . ولدينا كتاب فرنسويّ يثبت ذلك بنصوص عديدة من اقوال الماسون هذا عنوانهُ Georges Goyau : *L'idée de patrie et l'humanitarisme*, 3e éd. *Paris*, Perrin 1903 وربّما افشى الضبّاط الماسون باسرار دولتهم الى الاجانب كما فعل اليهوديّان

دريفوس وألمو او يمنعون زوراً من الترقي في مناصب الجندية الذين لم يوافقوهم في مشربهم كما حدث في فرنسة. والخاصة الثالثة انَّ الماسون في الحرب اذا رأوا احد الاعداء يصنع الاشارات الماسونية في ساحة الحرب كفّوا عنهُ وضحّوا الوطن لمشيختهم. ولم يستحي شاهين مكاريوس ان يذكر في كتاب فضائل الماسونية (ص ٦٧) ما يؤيد هذا القول برواية « الاسير الماسوني في موقعة واترلو » وهو يُعدُّ هناك شهامة ما هو خيانة محضة قال:

رأى احد القوّاد البلجيين في موقعة واترلو الشهيرة اخاً ماسونياً عرفهُ من قبل بين صفوف عساكر الاعداء. وكان الجيشان المتحاربان قريبين الواحد من الآخر فلمَّا اشتبك القتال رأى القائد انَّ اخاهُ الماسونيَّ اشرف على الخطر فاخترق جيش الاعداء وقبض على الاخ الماسوني واخذهُ اسيراً اليهِ بغير ان يمسَّهُ. وبعد انتهاء تلك المعركة المشؤومة ودَّع القائد ذلك الجندي الماسونيَّ واطلق سراحهُ مكرَّماً معزَّزاً (زه! زه!). امَّا الخطر الذي عرَّض القائد نفسهُ لهُ فهو اوَّلاً خطر القتل بين عساكر العدوّ. وثانياً خطر التهمة بالخيانة فانَّ جيشهُ توهَّم فيهِ الخيانة (ونعم ما فعل الجيش) لمَّا انقضَّ على صفوف الاعداء ولكن المحبَّة الاخوية التي تتأصَّل في قلب الاخ الماسوني تنفي عن مخيِّلتهِ الخوف وترمي فيها الشجاعة والشهامة (بل قل الخيانة للوطن. من لهُ اذنان سامعتان فليسمع!)

وقد اخذنا حتى في بلادنا نشمّ رائحة البارود الماسوني بل لم تأنف العشيرة من استعمال الديناميت كما فعل اصحابها في عاليه في العام الماضي وكما فعلوا في مساء ٢٤ اذار المنصرم في عمشيت مع احد المرسلين اليسوعيين الذي لم يكن لهُ ذنب سوى أنهُ وعظ رياضة في كنيسة البلدة امتثالاً لرغبة غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك وخلافاً لرغائب الماسون الذين هناك وكأنهم ممن استفزَّهم شيطان الطمع فجاهروا بالعصيان على رؤساء الدين (راجع جريدة البشير في عددها الصادر في ٢٨ اذار)

﴿ وزارة المالية ﴾ قلنا انَّ بين وظائف الماسونية الوكالة على صندوق العشيرة فهذا الصندوق تدخلهُ رسوم الدرجات الماسونية اذ لكل درجة رسومها فرسوم الدرجة الاولى ٣٠ فرنكاً وربَّما بلغت ٦٠ فرنكاً وازيد « للترشين والزنكينين » والدرجة الثانية ٢٥ فرنكاً والثالثة ٢٠ ف وهلمَّ جرَّاً. ومما يدخل الصندوق رسوم شهريَّة ورسوم سنويَّة وبعض تبرُّعات لابناء الارملة من الاخوان « البقرات الحلوبة ». امَّا المصروفات فتُنفق كلها على مصالح الماسون كنفقات الاجتماعات والمآدب الماسونية واستئجار المحافل

والمطبوعات الماسونية السرّية . ومن المصروفات « الضرائب » التي تؤدّيها المحافل المحليّة للشرق الاعظم ففي الصفحة ٣٠ من تقرير ايرادات . ومصروفات محفل الصدق في مصر نجد باباً خاصاً « للمنصرف الى فرنسة » يبلغ لسنة ١٨٩٩—١٩٠٠ ٢٤٨٠ قرشاً مصرياً . ومن المصروفات ايضاً ما يُعطى لبعض الماسون الذين تحتاج اليهم الماسونية فتساعدهم بالمال لا حبّاً بهم بل حبّاً بها . واخصّ المصروفات ما تدّخره المشيرة لترويج مقاصدها في اثارة الفتن ومعاكسة الدين فتارة تدفع المال لصحافيين ليناهضوا الاكليروس وتارةً تنفق المال على تمثيل الروايات الخلاعية او للائسة لكرامة الدين كما فعلت آخراً في بيروت لتمثيل رواية « اليهودي التائه » وحيناً تفتح خرقاً لقراءة الكتب الفاسدة او تسعف الذين تريد اختيارهم للمجالس العمومية او لشورى الدولة او للبلديّات وغير ذلك من الغايات التي يندى لها الوجه خجلاً

وكثيراً ما تنفق المشيرة شيئاً من مالها لتهدي الاوسمة للذين ترغب في ضمّهم الى محافلها او تعافي من تشاء عن الضرائب المألوفة . ودونك مثالاً عن هذه المعافيات ننقلهُ عن كتاب شاهين بك مكاريوس الآنف ذكرهُ (ص ٦٠) :

معافاة من الرسوم الماسونية ختم قدّمها الاخ الماسوني

باسم مهندس الكون الاعظم

ان الاخ — ادّى الرسوم القانونيّة في المحل الاكبر وفي محفلهِ من المدّة التي تمنحهُ المعافاة طبقاً للمادة ١٤٦ من الدستور الماسوني الاورشليمي وفي محفلهِ وفي جميع المحافل الاورشليمية الملتحق بها مع حفظ جميع حقوقهِ في تلك المحافل وقد أُعطيت لهُ هذه الشهادة بذلك

تحريراً في شرق غرة — ختم المحفل الاكبر كاتب السرّ الاعظم

اما اذا بقي شيء في الصندوق فكثيراً ما تتّهم الاخوان اصحاب الوظائف بين بعضهم كما سمعنا الماسون يتشكّون من ذلك مراراً . بل اخبرنا واحد منهم انّ صندوق المشيرة سُرق على زمانهِ خمس مرّات وليس فقط بايدي رعاع الماسون ولكن بيد كبار آل الشيعة وانتها الذين رأوا ذلك بالنسبة الى خدماتهم للماسونية فاوجبتهم النزاهة ان يُعطوا كل انسان حقّهُ (لهُ بقيّة)

صادق الشعر
في الامّ البكر

نظم حضرة الخوري الفاضل الياس الحايك هذه القصيدة العامرة الابيات في فرصة عيد بشارة العذراء فنثبتها شاكرين للناظم :

مـا حِيكَ شعرٌ صادقٌ لسواكِ ما عِيـلَ صبرٌ غيرَ يومِ جَفاكِ
ما ضاعَ مسكٌ مثل طهركِ نفحةً مـا ضاعَ جدٌّ في سبيلِ ولاكِ
ما قلَّ سعيٌ في اقتفائكِ ساعـةً ما جلَّ بذلُ النفسِ في مغنـاكِ
مـا مرَّ يومٌ في بعادكِ طيِّبٌ مـا مرَّ عيشٌ متمٍّ بهواكِ
ما عاشَ ميتٌ عن ربوعكِ معرضٌ مـا ماتَ حيٌّ ميتٌ برضاكِ
مـا أقترَّ غيرُكِ عن جمانِ زانفٍ الّا لاخذِ النـاسِ بالأشراكِ
كأسُ المحبَّةِ عنـدَ مينَةَ علقمٌ والمرُّ مـا احلاهُ من عنـاكِ
وقفُ الفؤادِ على سواكِ محرَّمٌ وممـاتهُ حِلٌّ متى ارضـاكِ
اسكرتِهِ من خمرِ حبكِ فاغتدى بوقاً يصوتُ داعياً بثنـاكِ
صيَّرتِهِ حبّاً تملّكهُ الهوى لا يرتضي عيشاً بغيرِ حمـاكِ
يهوى الحيـاةَ لربّهُ ولغيرهِ والحقّ ليسَ يعدُّهـا لسواكِ
تسطو عليهِ النائبـاتُ فلا يرى وجهَ الصفا الّا لدى لقيـاكِ
لكِ في الصدورِ منصّةٌ فتملّكي وتحكّمي سبحـانَ مَن ولّاكِ
في اوجهِ الغيـدِ الحسانِ طلاوةٌ لكنّها سقطٌ بجنبِ بهـاكِ
في الروضِ ازهـارٌ ينمُّ عبيرُها لكنّهـا سرقتهُ من ريّاكِ
للزنبقِ الزاهي بيـاضٌ ناصعٌ اضحى يذكّرنا جميـلَ نقاكِ
وبهِ تجسّم طهرُ ذيلكِ انّمـا فيهِ الذبولُ تجاهَ ذاكَ الزاكي
في الوردِ صنوكِ رونقٌ لكنّـهُ ينمو معَ الادغال والاشواكِ
ويرى مقـامكِ في الجمالِ فوجههُ يحمرُّ من خجلٍ متى يلقاكِ
في الارضِ جنّاتٌ زهتْ لكنما شتّان بين الارضِ والافـلاكِ

للبدرِ نورٌ ساطعٌ لو لم يكنْ نقصُ السرارِ يعيبهُ لحكاكِ
حَصَر الالهُ بكِ الجمالَ فيقولي ونواظري وجوارحي تهواكِ
اهوى فضائلكِ الحسانَ وليتني ابلى وأُصعَقُ إن مللتُ ثناكِ
اهوى تواضعكِ العميقَ ومن روى عنكِ الهدى يا زينةَ الاملاكِ
قد كنتِ تهوينَ التحجُّبَ والذي خلقَ التواضعَ بالبهاء كساكِ
وعينهُ كتبتْ بوجهكِ آيةً لا تحجبوا نورَ السراج الذاكي
غيري يحطُّ بباب غيركِ رحلَهُ ويرى التنزّلَ شرعةً بسواكِ
وانا الذي ما اهتزَّ عطفُ يراعهِ الّا لمنظرِ وجهكِ الضحّاكِ
فاذا تشبَّبَ بالاراكةِ شاعرٌ لي مرتعٌ ما مالَ نحوَ اراكِ
واذا بكى فانا بلشهرَ من « قِفَا » في غربة الدنيا اظلُّ الباكي
لا كان هذا القلبُ ان نبذَ التقى وابى التقيُّدَ في حمى اسراكِ
واذا طغى يبغي التحرّرَ فأرفقي باسيرِ فضلكِ واضربي بعصاكِ
ولترجعي ذاكَ البكودَ الى الثرى ان أمَّ غيركِ ساعةً وعصاكِ
حاشاكِ يا امَّ المراحم والرجا ان تهملي اسعافنا حاشاكِ
يا ما أحيلى العيشَ عندكِ امّنا ولكم يطيبُ مماتُنا بجاهكِ
تحيا بطاعتكِ القلوبُ وان غدتْ في النعش يُنعشها صدى ذكراكِ
فعليكِ يا امَّ الالهِ تحيّةٌ ممّن يذوقُ الشهد ان سقاكِ
وسلامنا مسكُ الختام نزفّهُ ورسولُنا جبريلُ نحوَ علاكِ

العلوم العربيّة

وحريق مكتبة الاسكندريّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ الكمال لله وحده. امّا اذا ألقيت بنظرك الى الارض واستقريت احوال المخلوقات وتتبّعت آثار الامم فترى فيها النقص من وجوه عديدة مهما كانت راقية في سُلَّم الحضارة ومعارج الكمال

ولا نستثني عن هذا الحكم جيل العرب انفسهم فانهم احرزوا لهم كغيرهم من الشعوب مفاخر تُذكر فتشكر ولا ينكرها الّا الذين اعمى التعصّب عقولهم او ضرب الجهل على بصائرهم. وهذا ما حدا بنا منذ ثلاثين سنة الى التفرّغ لدرس تواريخ العرب واحياء آثارهم وتجشّمنا لجمع تلك المآثر الاسفار العديدة الى اوربة ومدن الشرق حتى بلغنا عاصمة الخلفاء وخليج العجم وانحاء الهند طلباً لتلك الكنوز الثمينة في اواخر سنة ١٨٩٥ حيث كانت دماء الارمن تُهرق هدرًا في البلاد التي كنّا نقطعها فكدنا نذهب ضحيّة الظلم الحميدي والاكراد الثائرين. وقد اصبحت اليوم والحمد لله مكتبتنا الشرقيّة نسيج وحدها في الشرق تضاهي اجود خزائن الكتب الشرقيّة في اوربّا ينتفع بمطبوعاتها ومخطوطاتها العديدة كثير من أدباء الوطن والاجانب فضلًا عن رهبان كليّتنا

ومع ما نقرّ به من فضل العرب لا يسمح لنا الانصاف بان ننسب اليهم كل الحسنات كبعض المحدثين الذين لا يرون فضلًا الّا للعرب وينفون عنهم كل شائبة ولو امكنهم لقلبوا التاريخ ظهرًا لبطن لاثبات رأيهم. فتراهم اذا ذكروا اختراعاً او رووا لاحد اكتشافاً وما شاكل ذلك صرخوا للحال انّ العرب سبقوا اليه والفضل للسابق . واذا طلبت منهم برهاناً اتوك ببعض عبارات مبهمة نقلوها عن مخطوطات منسيّة لو عرضوها على امثالها في كتب اليونان والرومان والسريان والهنود لوجدوا كثيرًا من جنسها. وزادوا على ذلك انّ التمدّن العربي كلّهُ ثمرة تمدّن العرب في القرون الوسطى وانّ العلوم الاوربيّة ليست الّا فضلة من علوم العرب

فاقوال كهذه تدلّ على تطرّف ومبالغة لا يمكننا ان نسلّم بهما مهما كان حبّنا للعرب لأنّ الحقّ اولى وفينا يصحّ جواب ارسطو لمّا اخذ عليه بعض اصحابه مخالفتهُ لاستاذهِ افلاطون في بعض المسائل فقال: « الاستاذ صديقي والحقّ ايضاً صديقي لكنّ الحقّ احبّ اليّ من الاستاذ »

وبناء عليه رأينا أن ننفي عنّا تهمة احد كتبة الكوثر الذي نسب الينا زوراً هضم حقوق العرب لأنّنا كشفنا عن محيّا الحقيقة في بعض المسائل التاريخيّة واوردنا نصوص بعض المؤرخين المسلمين في مسألة حريق مكتبة الاسكندريّة بعد ان طلب منّا ان نروي له كلام جمال الدين ابن القفطي بحرفهِ

فلمّا هبّا قامت قيامة الكاتب وادّعى أنّنا بغمطنا هذا نسبنا العرب « الى الهمجيّة والتوحّش » وانّ كلامنا « زور وبهتان » وغير ذلك من العبارات اللطيفة التي لم يعوّدنا عليها الأدباء في مباحثاتهم . وزاد غيره في الكوثر فصولًا اخرى بعضها من قلم صاحب المجلّة وبعضها من قلم غيره فلزمنا انّ نردّ على هذه الاقوال بما هو احسن فنقول : يرجع قول مناظري مجلّة الكوثر الى امرين الاوّل أنّنا بهظنا حقوق العرب وانكرنا عليهم آدابهم الراقية وعلومهم السامية . الثاني أنّنا نسبنا اليهم ظلماً حريق مكتبة الاسكندريّة

١ آداب العرب وعلومهم

قبل ان نجيب على اعتراض المعارضين يجب أن نحدّد ما يفهمه كل العلماء الاثبات بكلمة العرب لتحصر نقطة البحث في مركزها . يفهم العلماء بالعرب القبائل والطوائف التي سكنت جزيرة العرب منذ عهد الطوفان الى الهجرة ثم خرجت من تخومها في أيام صاحب الشريعة الاسلامية فتحت قسماً كبيراً من آسية وافريقية وبعض جهات اوربّا . ولا يدخلون في العنصر العربي الشعوب التي امتدّت عليها سيطرة العرب كالقبط والسريان والكلدان واليونان والعجم الذين كانوا من رعايا دولة العرب واخذوا عنهم لغتهم بل دان كثير منهم بدينهم فان هؤلاء كما يقرّ به كل الكتبة المدقّقين ليسوا بعرب

يجب ايضاً ان نحدّد معنى الآداب والعلوم التي هي هنا موضوع بحثنا . فنقول انّ العلماء اجمالًا اذا تكلّموا عن آداب احد الشعوب لا يريدون فقط ما خُصّ به هذا الشعب بالصفات الطبيعيّة كالنجابة وتوقّد الفهم وطلاقة اللسان وقوّة العارضة وانّما يقصدون خصوصاً الآثار الكتابية التي خلّفوها من بعدهم فتشهد لهم على ما نفعوا به الهيئة الاجتماعية بخدمة العلوم وترقية المعارف والاكتشافات الفنيّة المختلفة

فاذا تقرّر ذلك خطونا الى نقطة الجدال فنقول : (اوّلًا) انّ ما نعرفهُ عن العرب منذ عهد الطوفان الى ظهور النصرانية محصور كلّهُ في بعض احداث تشهد للعرب بالفروسيّة والأنفة وعزّ الجانب وذكاء العقل اما الآداب والعلوم التي حدّدناها آنفاً فلم نسمع بذكرها ولم يروِ عنها شيءٌ اصحاب التواريخ القديمة وان وُجد في جنوبيّ

جزيرة العرب بعض الكتابات الحجريَّة فانَّها لصابئين ومدوَّنة في لغات غير اللغة العربيَّة ولا يستفاد منها الَّا معلومات قليلة تفيد خصوصاً معرفة الاديان الشائعة في تلك الانحاء.

(ثانياً) وان اعتبرنا العرب في الطور الذي امتدَّ بين تاريخ الميلاد وظهور الاسلام ولاسيما بعد تفرُّق القبائل اليمنيَّة في انحاء الجزيرة وقيام الدول العربيَّة من تبابعة ومناذرة وغساسنة وكنديين واضفنا اليهم دولة النبطيين في شرقي جنوبي الشام ودولة بني سيدع في تدمر ونواحيها وجدنا لكل هذه الدول تمدُّناً خاصاً لا يخلو من بعض الرونق والعزّ مع ما تقلَّدوا فيه البلاد المجاورة لهم ولكن اين هذا من تمدُّن اليونان والرومان والفرس معاصريهم. وان وجَّهنا خصوصاً نظرنا الى الآداب الكتابيَّة التي عليها مدار بحثنا وجدنا انَّ الكتابة العربيَّة لم تكد تخرج من لفائفها عند ظهور الاسلام وغاية ما يُعرف منها قبلهُ كتابتان قصيرتان لبعض كنائس النصارى في حوران وفي جهات الفرات وبقيَّة الكتابات امَّا نبطيَّة واما صفويَّة واما تدمريَّة. وكلُّها لا تتجاوز اعلاماً قليلة وعبارات اصطلاحيَّة زهيدة. وانظم منها شأناً الكتابات اليونانيَّة في حوران الَّا انَّ حصَّة العرب فيها لا تُذكر ثم الكتابات الحميريَّة التي سنبحث فيها في مقالتنا عن النصرانيَّة وآدابها بين عرب الحبشة

امَّا الآداب اللسانيَّة وعلى الاخصّ الشعر وبعض الفقرات النثريَّة من خطب وروايات وامثال فانَّ ما بقي منها مع وفرته لم يصل الى ايدينا صافياً نقياً بل تداولتهُ الايدي وتناقلتهُ الالسن حتى اخذ يجمعه الرواة في اواخر القرن الثاني للهجرة

اما بقيَّة العلوم فلا تجد منها اثراً محفوظاً بين العرب حتى علمي الطبّ والنجوم اللذين كان العرب اليهما في حاجة ماسَّة لسياسة ابدانهم ومعرفة ازمانهم

(ثالثاً) واذا انتقلنا بعد هذا الى الطور الثالث من تاريخ العرب اي منذ الهجرة الى اوائل الدولة العبَّاسيَّة لم نجد لدائرة العلوم بينهم اتساعاً كبيراً. وانما شرع العرب فقط بتوجيه النظر الى لغتهم ووضع مبادئها الصرفيَّة والنحويَّة ريثما قام سيبويه وغيرهُ من اهل العجم فصنَّفوا في القرن الثالث للهجرة الكتب اللغويَّة المنظَّمة. وكذلك اهتمَّ العرب المسلمون في اوائل الاسلام بحفظ القرآن ودرس لغته وشرائعه وقالوا الشعر ونظَّموا الدواوين وكان ذلك كلُّهُ باجتهاد بعض الافراد اما المدارس

القانونيّة والاساتذة الرسميّون وانشاء المكاتب وتصنيف الكتب وبالاجمال كل ما يعدّهُ العلماء تهذيباً عقليًّا (culture intellectuelle) فلا نعرف احدًا من كتبة العرب القدماء افادنا عنهُ علماً. فان امكن مناظرينا أن يكشفوا اللثام ... عن هذه الدفائن كنا لهم من الشاكرين

اما العلوم في زمن الدولة الاموية كالهندسة والرياضيّات والطبيعيّات وفروع الفلسفة والفلكيّات والجغرافية فلا يذكر التاريخ بين العرب رجلًا واحدًا يمكننا ان ندوّن هنا اسمهُ لنشر فضلهِ. وان ورد في كتاب الفهرست لابي الفرج بن النديم اسماء بعض المشاهير في هذه الفنون فكلّهم نصارى من الروم او السريان. ونعلم باقرار الكتبة المسلمين انّ الابنية التي شُيّدت في تلك الحقبة كالجامع الاقصى في القدس والجامع الاموي في دمشق والجوامع الاولى في مصر انّما كان بُناتها نصارى من الروم او الاقباط وآثار الهندسة اليونانيّة والقبطيّة فيها ظاهرة. امّا الطبّ فانّ صاحب الفهرست وجمال الدين القفطي وابن ابي اصيبعة وغيرهم ذكروا اسماء بعض الاطبّاء في ذلك العهد وليس بينهم من العرب غير اربعة وهم الحارث بن كلدة الثقفي الذي "تعلم الطبّ في ناحية فارس" وابنة النضر الذي روى الكتبة المسلمون تفاصيل موته ورثاء اختهِ قتيلة وكان اخذ ايضًا الطبّ والعلوم خارجاً عن بلاد العرب من الاحبار والكهنة ثمّ عبد الملك بن ابجر الكناني وكان نصرانيًّا مقيماً في الاسكندريّة متولياً فيها التدريس فاسلم بعد ذلك. والرابع ابن ابي رمثة التميمي يُقال عنهُ انهُ كان مزاولًا لاعمال اليد وصناعة الجراحة اي انّ طبّهُ كان عمليًّا عن تجربة ليس عن علم ومثلهُ زينب طبيبة بني اود. وكل هؤلاء لا يُذكر لهم كتاب صنّفوهُ. امّا الباقون فكانوا نصارى من غير العرب كابن اثال وابي حكم الدمشقي واولادهِ وتياذوق طبيب الحجّاج او يهودًا كماسرجويه

ولم يتّفق المؤرخون المسلمون في اول من صنف من العرب كتاباً في الاسلام وكلٌّ من اختلفوا فيهم لم يسبقوا اواسط القرن الثاني للهجرة قال الحاج خليفة في كشف الظنون (ص ٨٠ من طبعة ليبسيك ج ١ وص ٢٦ من طبعة الاستانة)

«واعلم انهُ اختُلف في اوّل من صنّف (في الاسلام) فقيل الامام عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج البصري المتوفى سنة ١٥٥ للهجرة (٧٧١ م) وقيل ابو النصر سعيد بن ابي عروبة

المتوفّى سنة ١٥٦ ﻫ (٧٧٢ م) ذكرهما الخطيب البغداديّ. وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ ﻫ (٧٧٦-٧٧٧ م) قالهُ ابو محمد الرامهرمزيّ ثمّ صنف سفيان بن عيينة ومالك بن انس في المدينة الخ »

ولم يذكر الرواة في هذا العهد احدًا من نقلة كتب اليونان-الى العربيّة غير النصراني الرومي اصطفن القديم نقل كتبًا لخالد بن يزيد بن معاوية كما روى ابو الفرج بن النديم في الفهرست (ص ٢٤٤) وذكر في محلّ آخر غيرهُ من نقلة النصارى دون تعريفهم فقال (ص ٢٤٢):

« كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمّى حكيم آل مروان وكان فاضلًا في نفسهِ لهُ همّة ومحبّة للعلوم خطر ببالهِ الصنعة (يريد الكيميا) فامر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصّح بالعربيّة وامرهم بنقل الكتب من الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي وهذا اوّل نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة

وزاد ابو الفرج بن النديم على قولهِ انّ اعمال الدواوين واقلامها كانت قبل ذلك بالفارسيّة والروميّة فجُعلت عربيّةً في عهد الخليفة عبد الملك او ابنهِ هشام. فترى ما كان مبلغ الآداب الكتابيّة حينئذٍ بين العرب في أيّام بني اميّة

الطور الرابع هو زمن النهضة العلميّة بين العرب في أيّام الدولة العبّاسيّة ظهرت هذه النهضة في خلافة المنصور وبلغت مداها في عهد المهدي ثمّ في زمن هارون الرشيد وعلى الاخصّ في زمن المأمون وخلفائهِ الواثق والمعتصم والمتوكّل وقد ساعدهم في هذه النهضة العدد العديد من نصارى السريان والروم ومن الموسويين ومعظم النقلة كتب الفلسفة والعلوم من اليونانيّة والسريانيّة كانوا نصارى كما انّ النقلة من الفارسية كانوا من العجم وترى مشاهير فلاسفة المسلمين (وكثيرون منهم ليسوا بعرب كابن سينا البلخي وابي بكر الرازي وابي الريحان البيروني وابي نصر الفارابيّ) قد درسوا على نصارى سريان كبشر بن متى شارح ارسطو (١ ويوحنّا بن حيلان استاذي الفارابيّ وكابي سهل المسيحيّ استاذ ابن سينا. واخذ غيرهم عن ابي زكريّا يحيى بن عدي الفيلسوف النصراني الشهير. وقد قال عنهُ المسعودي في اواسط القرن الرابع للهجرة في كتاب التنبيه والاشراف (طبعة ليدن ص ٢٢): « ولا اعلم في هذا الوقت احدًا

١) وفي مكتبة باريس من شرحهِ لارسطو نسخة جليلة غاية في الضبط

يُرجَع اليه في ذلك (يريد في علوم الاوائل) الّا رجلًا واحدًا من النصارى بمدينة السلام يُعرف بابي زكريّا بن عديّ » (اطلب ترجمتهُ في تاريخ ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٥)

فترى من هذه الخلاصة ان العلوم عند العرب لم تنشر الّا بعد ظهور الاسلام بمدّة طويلة ومع اقرارنا بفضلهم لا يمكننا الّا ان نقرّ ايضاً بفضل سواهم من الكتبة والمشاهير الذين ساعدوا العرب مساعدةً كبيرة . وكان النصارى مع حرج حالهم في اوّل الاسلام لا يزالون يستفرغون المجهود في انشاء المدارس وترقيتها في مدن عديدة قبل ان يفتح العرب مدرستهم الاولى في بغداد . فمن ذلك مدارس شهيرة كانت في الاسكندريّة وانطاكية والرها ونصيبين والحيرة وفي اديرة الرهبان كان يختلف اليها الدارسون . وكذلك المستشفيات والبيمارستانات نخص منها بالذكر بيمارستان جندي سابور الذي سبق البيمارستانات العربيّة

ونورد هنا بعض اقوال الكتبة المسلمين تأييدًا لما سبق لئلّا يظنّ احد انّ التعصّب هو الذي ساقنا الى كتابة هذا الفصل فمعاذ الله ان ننكر فضل العرب في اعمالهم لكن الحقيقة اضطرّتنا الى ان نعطي كل ذي حقّ حقّهُ . فمن هذه الشواهد قول القاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن عبد الرحمان القرطبي المتوفّى سنة ٤٦٢ (١٠٧١م) في كتابهِ «التعريف بطبقات الامم» (ص ٥٢ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة) وقولهُ هذا رواهُ ابو الفرج بن العبريّ في مختصر تاريخ الدول (ص ٢٣٥) :

انّ العرب في صدر الاسلام لم تُعنَ بشيء من العلوم الّا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطبّ فانها كانت موجودة عند افراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طُرًّا اليها . فهذه كانت حال العرب في الدولة الاموّية . فلمّا ادال الله تعالى للهاشميّة وصُرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبّت القطن من بيتها . وكان اوّل من عُني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور . . . ثمّ لمّا افضت الخلافة فيهم الى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هرون الرشيد تمّم ما بدأ بهِ جدُّهُ المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ وداخل ملوك الروم وسألهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلسفة فبعثوا اليهِ منها ما حضرهم فاستخار لها مهرة التراجمة وكلّفهم إحكام ترجمتها فتُرجمت لهُ على غاية ما امكن . ثمّ حرّض الناس على قراءتها ورغّبهم في تعليمها . . .

وقد رأيت في احد اعداد المشرق السابقة (١٣ : ٩٥٨) قول الحاج خليفة

مؤيدًا لهذا القول. ولهُ فصول اخرى تجدها في كتابهِ كشف الظنون طبعة الاستانة (ج١ : ٢٥—٢٦) تزيد الامر بياناً. وسبقهُ ابن طقطقى في الفخري الى مثل هذا القول (ص ٢٩٨).

وكذلك في مقدمة ابن خلدون الشهيرة عدّة فصول تثبت قولنا منها فصلهُ الذي عنوانهُ « انّ العرب ابعد الناس عن الصنائع » (ص ٣٣٧ من طبعة مصر) والفصل المعنون « في انّ حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم (ص ٤٧٧) وهذا بعض قولهِ بالحرف الواحد:

« من الغريب الواقع أنّ حملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الّا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبه فهو عجميّ في لغته ومرباهُ ومشيخته مع أن الملة عربيّة وصاحب شريعتها عربي. والسبب في ذلك أن الملة في اوّلها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداوة وانّما احكام الشريعة التي هي اوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتأليف والتدوين ولا دُفعوا اليهِ ولا دعتهم اليهِ حاجة الخ »

ثم ذكر ابن خلدون العلوم الشرعيّة ودخولها في حكم الصنائع واختصاصها باهل الحضر من العجم فقال:

« وأما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليهِ من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيهِ فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من حملة الصنائع والرؤساء ابدًا يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرّ اليها ودفعوا ذلك الى من قام بهِ من العجم والموالدين »

وانتهى الكاتب الى ذكر العلوم العقليّة فقال:

« وامّا العلوم العقليّة ايضاً فلم تظهر في الملّة الّا بعد ان غلب حملة العلم ومؤلفوهُ واستقرّ العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الّا المعرّبون من العجم شأن الصنائع كما قلناهُ اولًا »

وما قلناهُ في العلوم اجمالًا يمكن اثباتهُ في كل علم من العلوم الخاصّة الّا بعض علوم الاديان فانّ العرب اسرعوا الى درسها لحاجتهم اليها في كل احوال حياتهم

اليومية . لمّا بقيّة العلوم فانّ العرب لم يزاولوها بحرص ونجاح قبل اوائل القرن الثالث للهجرة

وفي هذا كفاية لاثبات مقصودنا . وقد بقي علينا ان نبحث في الامر الثاني اعني حريق مكتبة الاسكندرية فنفعل ان شاء الله في العدد الآتي (له بقية)

تمثال

جوبتير (المشتري) البعلبكي في السخنه

نبذة اثرية للاب سبتيان رتزفال اليسوعي

يسرّنا ان نتحف اهل الوطن بطرفة اثريّة مكتشفة حديثاً لم يسبقنا احد الى وصفها ويهمّ القرّاء الوقوف عليها . ألا وهي دمية تمثل صنم البعل معبود بعلبك وُجدت في العام المنصرم في « السخنة » وهي قرية موقعها على مرحلة خفيفة من تدمر شمالاً مع ميلة الى الشمال الشرقي على الطريق السائرة من تلك الحاضرة موطن الملكة زينب الى مدينة الرصافة والمتدّة الى الرقّة على ضفّة الفرات

ولا عجب في ذلك لانّ عبادة البعل وهو جوبتير او المشتري المعبود في بعلبك نالت شهرةً كبيرة في عهد الرومان ولاسيما في مفتتح القرن الثالث حيث قبض على ازمّة الدولة الرومانيّة امراء سوريّون فاخذ الجمهور يدين بدينهم ويعبد اصنامهم ومما يدلُّ على انتشار عبادة هذا البعل ما وجد من صوره وتماثيله في انحاء شتّى منها ما نُحت بالحجر ومنها ما سُكب بالشَّبه (البرونز) هذا فضلاً عن عدّة حجارة صغيرة نُقرت فيها صورة الاله فوجدها الاثريّون حيثما كان اليونانيّون مستعمرين في مدن العرب كمدينة بوزُولة ومدينة نيم ومدينة اتيون حتى في بلاد النمسة وغيرها . والاغرب من ذلك انّ الآثار المثلة لهذا البعل قليلة جدًّا في مدينة بعلبك بينما تُرى وافرةً عديدةً في بقيّة البلاد شرقاً وغرباً

وان وجّهت النظر الى الصورة التي رسمناها هنا وجدتها ناتئة الشكل منحوتةً في صخر كلسيّ علوّهُ نحو ٧٥ سنتمترًا وهيئة الاله لا تختلف عن هيئته المألوفة وكان

على جانبيهِ ثوران (١ والثور رمز اليهِ. وصورة الاله غاية في الجودة لم يُفقد منها سوى ذراعهِ اليمنى التي كانت تُلهب بالسوط. امَّا ذراع الشمال فيصوّرونها غالباً متنحّية عن الجسم وهي في صورتنا موضوعة على الصدر وفي يدها طاقة من السنبل رمز الخصب

وعلى رأس الاله سَفَطٌ صغير اصطلح القدماء على الاشارة به الى الآلهة الشمسيَّة . وممَّا يدلُّ في هذه الصورة الى سمة الشمس غُصَن شعر الصنم وخصائلهُ التي تتحدَّر على صفحتيهِ بوفرة وجمال رمزًا الى اشعَّة قرص الشمس

وكذلك ثياب الاله وحليتهُ لجديرة بالاعتبار وان كانت معروفة من صورهِ السابقة فانهُ لابس رداء طويلًا قصير الاردان ينحدر ذيلهُ الى قدمي التمثال والقدمان ظاهرتان مجرَّدتان عن الاحذية. امَّا الرداء فبديع النقش ترى تقاطيعهُ وطروزهُ الفاخرة فيتبادر فكر الناظر اليهِ انهُ ثوب من القصب الثقيل كانوا يزينون بهِ تمثال الاله في موسم اعيادهِ عندما كانوا يعرضونهُ لاكرام الجمهور

وممَّا يرى فوق الرداء منطقتان نُقشت على كل واحدةٍ منها ثلاث صور ففي وسط المنطقة الاولى ترى شاو بعلنا لابساً البزَّة الرومانيَّة وعلى يمينهِ صورة نصفيَّة تمثل الشمس مشعَّةً وعلى شمالهِ صورة نصفيَّة للقمر على هيئة انثى ووراء اكتافها الهلال. امَّا المنطقة الثانية فليس تشخيص صور الهتها امرًا سهلًا ما لم نرَ الاثر الاصليّ لانَّ الرسم الشمسي هنا غير واضح. والمرجَّح انَّ احدى هذه الصور الثلاث كانت تمثل الالهة ڤانوس (الزُهرة) زوجة الاله. وما لا شكَّ فيهِ انَّ هذه الصور كلها رومانيَّة كما ثبت بمقابلة الآثار الشبيهة باثرنا. فانَّ منطقة واحد منها تمثل الاثني عشر إلهًا من كبار آلهة الرومان. ويزيد ذلك ما تراهُ في بعلبك من التصاوير في سقف الرواق الخارجي من الهيكل الصغير فانَّها تمثل معظم آلهة اليونان والرومان

وفي لحف التمثال هذه الكتابة اللاتينيَّة

·I· O· M· H·
SEX· RASIVS· PROCVLVS· PRAEF COH· II· TRAC· SV·

١) والثوران محطَّمان وانَّما وجدوا راس ثور الشمال فوضعوهُ ضد اقدامهِ لمَّا صوَّروه

تمثال اله بعلبك المكتشف في جوار تدمر

تعريبها: لجوبتير الكلي الجود والعظمة البعلبكي

سكستوس دلسيوس بروكولوس رئيس فرقة الثراقيين الثانية السوريّة

فترى اذن انّ الذي اوقف هذه الصورة لاكرام اله بعلبك انّما هو ضابط عسكري رئيس فرقة كان مقامها في بلاد الشام. ومن المقرّر انّ الجنود كانوا يكرمون هذا الاله اكراماً خاصاً

ونكتفي هذه المرّة بالعجالة السابقة لئلّا يفوت علينا وقت نشرها وفي نيّتنا ان نعود الى وصفها وصفاً متّسعاً في مجموعة مكتبنا الشرقي الفرنسويّة

وفي ختام نبذتنا نقدّم لجناب كنشلبار قنصليّة فرنسة في حلب المسيو جيرون (Mr Giron) فرائض الشكر معلنين بهجته فانّهُ عرف ما لهذا الاثر من عظم الشان وتلطّف بارسال صورته الينا. امّا مكان وجود هذا الاثر حالاً فانّنا لا نشير اليه لئلّا نزعج صاحبهُ الذي اقتناهُ لكنّنا نهنّئهُ على امتلاكهِ اثر جليل كهذا يزين بهِ متحفهُ وهو بلا مراء من ابدع صور جوبتير البعلبكي التي اكتشفت الى عهدنا هذا

مطبوعات شرقية جديدة

I. Methodium orthodoxum fuisse, *Pragæ Bohemorum*, 1908, pp. 12 = II. Methodius Slavorum Apostolus quo sensu orthodoxus declaratus sit, *ibid.* 1908, pp. 28 = III Konstantinus - Cyrillus und Methodius die Slavenapostel. Kremsier, 1911, pp. 471, von Fr. Snopek Priester der Olmützer Erzdioecese

القديسان كيرلّوس وميثوديوس رسولا الصقالبة سيرتهما وايّامهما

عقد كاثوليك النمسا منذ خمس سنوات مؤتمرًا دينيًا علميًا في ڤالهاد (Velehra-de) حيث قُبر القديس ميثوديوس رسول الصقالبة فدعوا اليهِ كل الصقالبة المنفصلين ليتباحثوا في امر تاريخهم ومعتقداتهم ويزيلوا ما بينهم من النفور. فلبّى كثيرون دعوتهم وكان لذلك الاجتماع احسن موقع في القلوب وتشكّلت لجنة دائمة لمواصلة الابحاث في العنصر الصقلبي. فمن حضروا المؤتمر احد كهنة ابرشيّة المونس الخوري

فرنسيس سنوبيك من كتبة وطنه المعدودين ومؤرخيه المدققين. فالمذكور خص نظره بالبحث عن رسولي الصقالبة الشقيقين كيرلُس وميتوديوس فراجع في عدّة مكاتب اقدم ما كُتب فيها فصنّف في اللاتينيّة مقالة اولى ليثبت فيها استنادًا الى التواريخ الصادقة انّ الرسولين المذكورين كانا اورثدكسيّين اي مستقيمي الايمان ثم بيّن بمقالة اخرى انّ هذه الاستقامة في الراي انّما هي الامانة الكاثوليكيّة لانّ القديسين كانا متّفقين مع الكرسي الروماني بالطاعة التامّة وجميع التعاليم الدينيّة. وردّ على اعتراضات الصقالبة الذين زعموا انّ ذينك القديسين كانا مخالفين للمعتقدات الكاثوليكيّة. ثم عاد الى هذا البحث في السنة الحاضرة وصنّف كتابًا واسعًا في الالمانيّة جمع فيه كل الآثار التي اكتشفها في رسولي الصقالبة وتعليمهما وعرضهُ على ايمان بقيّة الكنائس الشرقيّة والغربيّة وبيّن مطابقتهُ التامّة لتعاليم الآباء والكنيسة الرومانيّة. فهذا الكتاب اوفى واصدق ما كُتب في القديسين كيرلُس وميتوديوس اللذين جدّد الحبر الاعظم لاون الثالث عشر ذكرهما واقام لهما في الكنيسة اللاتينيّة عيدًا سنويًا ونظم لاكرامهما القصائد البليغة. فنشكر لحضرة المؤلف همّته ونحرّض محبي التاريخ الشرقي على درس هذه المصنّفات الشرقيّة الجليلة ل. ش

Die Griechischen Gymnasien und Palaestren nach ihrer geschichtlichen Entwicklung. *Dissertation z. Doktorwürde v.* Karl Schneider, Soloturn. pp. 133

تاريخ الالعاب اليونانيّة

قد لعبت رياضة الاجساد في تهذيب اليونان دورًا عظيمًا. وكل يعرف ما كان للالعاب الاولمبيّة خصوصًا من الخطارة والشأن ألا وهي الالعاب التي اراد اليونان المحدثون تجديدها قبل بضع سنوات فدعوا اليها رسميًا كل الدول الاوربيّة. فحرّك ذلك في قلب احد طلبة كليّة فريبورغ الكاثوليكيّة الرغبة في درس تاريخ الالعاب اليونانيّة فجمع كل النصوص التي توجد متفرّقة في كتبة اليونان والرومان في هذا الموضوع ثم بنى عليها تأليفًا واسعًا بحث فيه عن اصل تلك الالعاب وانواعها وشروطها والميادين المخصّصة بها في المدن المختلفة والحضور الذين كانوا يتقاطرون اليها وجوائز السباق التي كانت تُعطى لاصحابها وتتبّع الامر الى اواخر عهدها في

القرن الثالث بعد المسيح. وقد قدّم المؤلف كتابهُ الى لجنة اساتذة الكليّة لينال منها رتبة الدكتوريّة. فاقرّ لهُ الفاحصون بالنجاح التامّ ل. ش

COURS D'APOLOGÉTIQUE CHRÉTIENNE ou Exposition raisonnée des fondements de la Foi, par le P. W. Devivier s. j., 20e éd., *Paris-Tournai, Casterman*. 1911, pp. XV — 528

المحاماة عن العقائد النصرانيّة

كثرت في عصرنا تآليف الملحدين واعداء الدين فلم يكادوا يدعون عقيدةً الّا صوّبوا اليها سهام تعطيلهم فرأى كثيرون من ارباب الكنيسة انهُ من الواجب ان يوضع للشبّان ولطالبي الحقيقة كتاب سهل المأخذ قريب المنال يجدون في ابحاثهِ خلاصة البراهين والادلة على معتقدات الدين المسيحي ليثبتوا ايمانهم ويردّوا على المعترضين. وقد وُضعت لذلك عدّة تآليف ومن اجودها ما وضعهُ الاب اليسوعي البلجكي دوفيفيه الذي جمع في كتابهِ اخص الابحاث الدينيّة والفلسفيّة والاجتماعيّة التي يتداولها اهل العصر ليثبت صحّة تعاليم الكنيسة فيها. وقد بلغ رواج هذا التصنيف مبلغاً كبيراً حتى تجدّد طبعهُ عشرين مرّةً وصاحبهُ لا يزال يحسّنهُ ويزيدهُ ضبطاً واتقاناً فيجد فيهِ الكاثوليكي نحو ١٢٠ باباً في اصول الدين عموماً والدين المسيحي خصوصاً ثمّ في كنيسة المسيح وخواصّها وتعاليمها ثمّ في المسائل التي كثر فيها القال والقيل كديوان التفتيش ومذبحة سان برتلمي والحكم على غليلاري ومساوئ بعض الباباوات وغير ذلك ممّا يكرّرهُ اعداء النصرانيّة دون ان يقتنعوا ببرهان. فنحض كل ارباب المدارس والشبّان على تصفّح هذا الكتاب ودرسهِ لردّ غارات المعتدين على دينهم الاب ف. تورنبيز

LEÇONS DE THÉOLOGIE DOGMATIQUE : Dieu — La Ste Trinité — Le Verbe incarné — Le Christ Rédempteur, par L. Labauche, *Paris*, 1911, *Bloud et* Cie, T. I, pp. III-388

دروس لاهوتية في وحدانيّة الله وثالوثهِ

انّ قصد مؤلف هذا الكتاب أن يجعل الدروس اللاهوتيّة الشائعة في المدارس الاكليريكيّة دروساً عصريّة موافقة لاحوال زماننا يجد فيها الكهنة والعلماء العلمانيون

الادلّة والبراهين التي يحتاجون اليها لتوطيد اركان الايمان في نفوسهم وفي قلوب الذين عُهدت اليهم مقاليد امورهم. وكان للمؤلف اصدر الجزء الثاني من كتابهِ قبل الاوّل فأثنت على علمهِ واستقامة آرائهِ وحسن اسلوبهِ معظم المجلّات الدينيّة وخصوصاً مجلّة التمدُّن الكاثوليكي التي يُعدّ كلامها كحجّة. وعلى رأينا انّ هذا الجزء افضل من الثاني لانّ كاتبهُ لم يُحسن فقط في ايضاح العقائد واثباتها بالادلّة العقلية والنقليّة لكنّهُ ايضاً يختصر تاريخ تلك العقائد وما طرأ عليها من البدع وهو يجري في ايراد براهينهِ على الطريقة المعروفة بالمدرسيّة مراعياً لقوانين المنطق وآداب الجدال دون ان يمس في كلامهِ شواعر مناظريهِ فلا يقصد سوى اظهار الحق لاسيما في المسائل التي تعدّدت فيها آراء المطعنين. وممّا استحسنّاهُ في كتابهِ انّهُ استفاد من التآليف الحديثة التي كشفت النقاب عن بعض الامور المبهمة. نخصُّ منها بالذكر البرهان الذي بناهُ على الانجيل في لاهوت السيّد المسيح (ج ١ ف ٢). وعلى عكس ذلك نراهُ قد بالغ في حكمهِ عن علم السيّد المسيح من حيث هو انسان لانّ المسألة ليست خالية من المشاكل وقد بحث في الامر مؤخّراً حضرة الاب لوبروتون (Lebreton) الذي يقرُّ لهُ كل اللاهوتيون بالعلم — وهذه بعض اغلاط طبعيّة وقعت في الكتاب اخصُّها في النصوص اليونانيّة يجب اصلاحها في طبعة ثانية فكتب ص ١٦ (ὑπόστασις) والصواب (ὑπόστασις) وص ١٨ (κυριος) صوابهُ (κύριος) وص ٢٦ (ἀχώριστος) صوابهُ (ἀχώριστος) وص ١٣٨ (raisonnement) والصواب (rayonnement)

الاب ب . كستاكيس

P. G. LINDER S. J. DIE HEILIGE SCHRIFT FÜR DAS VOLK ERKLAERT, 2 Lieferung, 1 Band, *Klagenfurt,* 1911, pp. 189-354

شرح الكتاب المقدّس للعموم

هذا قسم ثانٍ من التأليف النفيس الذي وصفناهُ في عامنا السابق (المشرق ١٣ : ٨٧٤) واثنينا على فحواه واسلوبهِ تصاويرهِ البديعة وهذا الفرع من النبعة ذاتها يجد فيهِ القرّاء تعليماً صافياً لا شائبة ترنق معينهُ قد نقل المؤلف مواضيعهُ من اجود الكتبة علماً واوثقهم روايةً وقرّب معانيهُ من شفاه الجمهور فيشرب هنيئاً سائغاً ويروى بزلالهِ العذب. وبالاجمال يقال انّ هذا الكتاب احسن ما يوضع في ايدي

بلادنا ومواطيننا من غوائل الفساد الذي شرع البعض بنشر لوائه بين ظهرانينا . فالله سبحانهُ سيسمع شكوانا اذا صمت اذان البشر عن سماعها فيمنّ علينا بعفوه ويغفر ما بدا من الاهانة بحق ديانة نحن بنوها وفي سبيلها تلذ اراقة الدم من اناس هم اخوان لنا في الوطنيَّة نطلب هدايتهم الى الخير وان جاهروا بالعدوان ورشقونا بسهام قتالة

لم يكن احد منا يظن ان المناداة بالحرية ستجر بنا الى وهدة المنكرات ولا ان الحرية الجديدة التي وعدت بها البلاد بعد اعلان الدستور ستنصرف قواها الى الشر فيقل انصار الآداب السليمة ولا يبقى للمبادئ الشريفة كرامة وحرمة

قدم الينا من عهد قريب اناس حملوا في صدورهم الفساد سلعة للاتجار ونقلوا الى بلادنا التي ما فتئت تحافظ على الاداب العموميَّة وشعائر الدين جراثيم الخلاعة وهي شر من جراثيم الاوبئة واستخفوا بنا واحتقرونا الى حد ان جعلوا شرف عيالنا وعفاف شبابنا ومعتقداتنا واسطة تكسب الدرهم . ونحن في ابتداء عصر جديد ودولتنا العزيزة في مستهلّ دور ترقي ولذلك يحتاج الوطن الى ناشئة سليمة من الامراض المعنوية نشيطة على عمل الخير لا تغض الطرف عن معاكسة ابداء مظاهر الخلاعة والفساد الذي من شأنهِ ان يضعف العزائم ويوهن القوى ويجعل الشعب فريسة الشهوات وعرضةً للذل والاستبداد . وهذا ما تبتغيهِ حكومة دستوريَّة حرة يهمها قبل كل شيء اعلاء شأن وطنها

ومما يجرح العواطف المسيحيَّة خصوصاً هو ان تعرض المذاهب المعروفة معرفة رسمية من الحكومة الجليلة للاحتقار ويظهر على المراسح رجال مرتدين باثواب رجال الدين ولا يمنعون من ذلك . وان تجعل بعض الطقوس الدينية الواجبة لها الكرامة موضوعاً للهزء والسخرية ويمثلها في محافل الخلاعة اناس لا دين لهم سوى حبّ المال ولا اله سوى العجل الذهبي . وقد شاهدنا من عهد غير بعيد مواطنينا المسلمين تاقين على احدى الجرائد لذكرها دون تعمد السوء في قصيدة كلمة يشتم منها امتهان شيء مكرم عندهم فقبح عموم الناس عمل الجريدة واطرأوا صنيع المحتجين . فنحن باسم العدالة والمساواة نطلب ايضاً احترام ديانتنا المقدسة وعدم مس كرامتها

ان الكفرة في بعض المدن الاوربيَّة اتصل بهم الكفر الى ان يقيموا الولائم الانيقة في يوم جمعة الآلام الذي جعلهُ المسيحيون تذكاراً لصلب السيد المسيح لهُ المجد واوجبت فيهِ الكنيسة الصوم واماتة الحواس بالمآكل الشهية تكفيراً عن الذنوب ولا يشعرون ما في ذلك من الخساسة والسقوط . فالمثلون الذين اقلقوا مدينتنا بمآثرهم مشوا على اثار هؤلاء الكفرة فاتوا في ايام الصوم المقدس ودنسوها وبينما كان الشعب المسيحي يتردد الى المعابد لاستماع كلام الواعظين وبينما كان المؤمنون يقرعون صدورهم جزعاً من تذكر يوم الدين الرهيب ويذرفون الدموع السخينة طالبين من الاله الشفوق غفران خطاياهم والصفح عن زلاتهم كنتم ترون في ساحات المدينة وشوارعها ابناء الهلاك يتملقون الشبان بالنشرات الخداعة ويجذبونهم الى مرلسح الخلاعة حيث كانوا يمثلون امامهم ما لا يليق ذكره بين اهل الادب والشرف

ومن غريب ما نشروه اعلان بروايات لعبوا ادوارها في الايام الاخيرة وفيهِ من التفاصيل ما تحمرّ لهُ الوجوه خجلاً وقد ورد فيهِ تنبيه بان حضور الشابات ممتنع . . . فيا سكان بيروت الى اين وصل بعضكم من الانحطاط حتى تطيقوا ان يوزع في بلدتكم مثل هذه الاذاعات المعيبة . ويا حماة الانسانيَّة كيف تصبرون على هذا العار ويا اهل المروءة هل فقدت منكم الحاسات النبيلة . ويا شبان بيروت أليس في صدوركم نفوس ابية وعرض تصرفونه من الادناس . او ان الفساد الذي يستطيع ان يهلك نساءكم واخواتكم لا يمكنهُ ان يلطخ باقذاره نفوسكم الكريمة

ان في تواريخ الشعوب البائدة أفراداً وضع الدهر على جباههم علامة العار لما اتوه من المنكرات وان في التواريخ اعصاراً حفظ ذكرها للخلق مرفوقاً بصفات التحقير ونعوته فاخذها الناس عبارة لكل ما يستقبحونهُ في اجيالهم . وما كان في الحسبان ان عصرنا هذا ووطننا سيكونان على شكل تلك الاعصار وانهُ ستأتي ايام يقولون فيها عنا ما نقولهُ عمن تقدَّمنا متهكمين . وما كان في الحسبان ان ثمار الحرية ستكون هكذا سامَّة او اننا نرى في جوفها دود الفساد قبل ان تنضج ويدنو قطوفها .

ولسنا نجهل ان كثيرين منكم ايها الاحباء اظهروا الاستياء مما كان وجاهروا بالاحتجاج صوناً للاداب ومحافظة على الدين ورحمة بوطن عزيز نفديهِ بالنفس . فلهؤلاء

من الناس الثناء الجميل وعند الديان العادل اجر لا يخيب املهُ

بقي عليكم ان تنظموا جيشاً سلمياً يحتاط لمثل هذه الحوادث المحزنة ويتخذ لاتقاء غوائلها كل ما يخولهُ القانون . وذلك واجب مقدس نحو الله تعالى وتجاه نفوسكم ووطنكم

فليستيقظ الغافلون وينظروا في الامر . ولترفع جميعنا الابتهالات للعزة الالهية لتهدي الضالين الى سبيل الخير . « فان مشيئة الله هي ان تسكتوا باعمالكم الصالحة جهالة القوم الاغبياء (١ بطرس ٢) وان ضايقكم الاشرار بالكلام فلا ترتجي عزاءكم » وقد يستغربون انكم لا تجارونهم في سرف تلك الخلاعة ويجدفون عليكم لكنهم سوف يؤدون حساباً للذي هو مزمع ان يدين الاحياء والاموات » (١ بطرس ٤) « والرب يعلم ان ينقذ الاتقياء من التجربة وان يبقي الاثمة الى يوم الدين للعذاب ولاسيما الذين يتبعون شهوات الجسد النجسة ويحتقرون السلطة وهم ذوو وقاحة وعجب لا يخشون ان يجدوا على اصحاب الجلال . . . يجدفون على ما يجهلون وسيهلكون في فسادهم آخذين اجرة الاثم » (٢ بطرس ٢) (تتمة)

الخائن يوداس اضحى يوداس الذي باع ربّه بثلاثين من الفضة شهماً عزيزاً لذوي الكفر وموضوع اجلالهم ومثالاً يقتدون به فسمى كاتب يُسمّى ديكاي في تاليف رواية تعرض صفات الهمام الفريد وتنقي صحيفته من العار والدناءة وقد مُثلت الرواية في نيويرك منذ امد قريب حضرها مخبّو يوداس وعشاقه ولعبت الشهيرة ساره برنهرت دور ابن جلدتها فاجادت وصفق لها الحضور مراراً . قالت الجريدة الماسونية اكسلسيور : وقد دُعيت ساره اربع عشرة مرة على المرسح فأعيد لها التصفيق واثنى الجميع على تمثيلها لدور الخائن البديع le traître idéal (قلنا) ولا نشكّ ان « مكرّم » اللوج الوجيه وعصبته سيسعون قريباً في اعادة تمثيل رواية الخائن على مراسح بيروت ولا يضنون لذلك بالنفس والنفيس خدمةً للدين والوطنيّة ورغبة في ترقي شباننا في معارج الاداب الحديثة ويحرضون ذويهم على اقتفاء اثار هذا البطل السامي الصفات وان يتحلوا بكمالاته فيزداد بذلك اعتبارهم جميعاً في ظهرانينا . ألم يبع دينه وربّه وشرفه بثلاثين من الفضة ؟ ا . ر

فريد الشهيد اخبرت « غازتة كولونيا » ان الماسون السياسيين

في لسبانية يطلبون من مجلس النواب اعادة النظر في دعوى فرير الذي يعتبرونهُ شهيدهم وقديسهم — وقد كان ظالماً وسلاباً وقتّالاً فهنيئاً لهم !! — عساهم يبرّئون ساحته كما برّأ قوم من الفرنسيين ساحة دريفوس . وقد دعوا بموخرًا اعظم قسيسه في حزبهم النائب ملكيادس الفارس ليكون خطيبهم في المجلس فبعد ان درس الفقيه اوراق الدعوى اكمل دراسة اعادها مقرًّا انهُ لم يجد خطأً شرعيًا ولو طفيفاً يسند اليه دفاعه وسألهم اعفاءهُ من ذلك ا . ر

اسئلة واجوبة

س سالنا مستفيد : ١ً ماذا يراد بولاية الكنيسة . ٢ً ما هي حقوق صاحب الولاية . ٣ً افقد صاحب الولاية حقوقه اذا اقام الكهنة الرعايون الخدم الدينية في الكنيسة المذكورة ٤ً الا يحق لكل كاهن مصرّف ان يقيم الخدم الدينية في هذه الكنيسة كما يشاء بلا مانع . ٥ً اذا حدث نزاع بين صاحب الولاية والكاهن المعين فمن لهُ الحكم والامر لفض المشكل

ج تجدون الجواب على كل ذلك في المجمع اللبناني وغيره من كتب القانون الكنسي : ١ً قال المجمع اللبناني (في الباب الاول من القسم الرابع عدد ١٨) : « ليس لاحد . . ان يُحرز حق الولاية باي وجهٍ كان ما لم يكن قد بنى كنيسة او انشأ وقفاً او معبدًا او جهز من مالهِ الخاص كنيسةً قد بُنيت ولا جهاز لها كاف . ٢ً قال المجمع اللبناني : « عند فراغ كنيسة الخورنية يلزم صاحب الولاية ان يسمّي في خلال عشرة ايام على مسمع من الفاحصين اكليريكيين جدراء بتنبيه الكنيسة الفارغة وان كان الولاية لاحد من اهل الكنيسة والتولية منوطة بالاسقف . دون غيره فعلى صاحب الولاية ان يقدم للاسقف من يراه الافضل بين من شهد لهم الفاحصون فيوليه . اما اذا كان مرجع التولية غير الاسقف فعندها يختار الاسقف الافضلَ من بين ذوي الكفاءة فيقدمهُ صاحب الولاية الى من يعنيه امر التولية . واما اذا كانت الولاية للعالميين فينبغي لمن قدّمهُ الولي ان يتقدم للامتحان عند الفاحصين فلا يُقبل الا اذا كان من ذوي الاستحقاق » اه . ٣ً كلا ٤ً كلا ٥ً الاسقف او البطريرك ا . ر

المشرق

وقفة عند قبر المسيح

للاب لويس شيخو اليسوعي

دُعيتُ في احدى السنين الى القدس الشريف لأُعدَّ قلوب مؤمنيها لعيد الفصح المبارك بالقاء المواعظ في بعض كنائسها. فلمَّا قدم سبت النور جذبني الى قبر السيّد المسيح جاذب الحب فخررت امامهُ ساجدًا وعفَّرت الجبين بازائهِ متذكرًا ما رواهُ الانجيليُّون عن جسد الربّ بعد موتهِ اذ قدم يوسف الرامي ونيقوديموس احد رؤساء اليهود وتلميذ يسوع سرًّا فانزلا جثَّتهُ الطاهرة عن الصليب بكل كرامة واودعاها اللحد بعد تحنيطها ودحرجا الحجر على باب القبر ومضيا الى سبيلهما

وانا غائص في تلك الافكار اذ مدَّ الليل رواقهُ على الارض وجاء وكلاء كنيسة القيامة فاقفلوا ابوابها واوصدوها بالمزاليج وانا لم اشعر بهم فبقيتُ تلك الليلة لا اعي لنفسي أأنا في عالم الاحياء او في معاهد الاموات وكأني حضرت بالروح ما جرى من الاسرار في ليلة احد القيامة قبل الف وتسعمائة سنة

وكان اوَّل ما هتف بهِ لساني ان قلتُ: أإلى قبر قد انتهى ذلك العزّ السامي والمجد الاثيل والرونق الباهر؟ اين التلامذة المتفُّون حول سيّدهم التفاف الهالة بالبدر والسوار بالمعصم؟ اين الجموع المتزاحمة لاستماع ذاك الذي «لم يتكلَّم مثلهُ بشر»؟ (يوحنَّا ٧: ٤٦) كيف غلب الموت من وعد تابعيهِ بالحياة او كيف صُرع في اللحد من كان يسمع صوتهُ مَن في القبور فيلبُّون دعوتهُ ويخرجون بامرهِ احياء؟

كنَّا نؤمل انَّ الناصري يفوز بالنصر. انَّ الجليلي يلتحف بالجلال. انَّ ابن داود

يجلس على عرش داود وانَّ عَقِب اسرائيل يفدي شعبهُ ويعيد لبني يعقوب عزَّهم السابق ويقيم من الحجارة اولادًا لابراهيم. فما اخيب ما كانت آمالنا وافرغ امانينا. فها قد انحدر ابن البشر الى ابواب الجحيم ودُحرج على قبرهِ حجرٌ ضخم وضبط القبر بختم الرومان وأُقيم عليهِ الحرس. فهيهات ان يُفلت الميت من مخالب المنون او يتجاسر بعض اصحابهِ فيختلسوا جسدهُ مكرًا او قهرًا ولا يلبث الفساد فيستولي على اسير القبور

وا اسفاهُ كيف تغيَّر النضار الخالص واكدرَّ الذهب الابريز. تبدَّدت الخراف بضربة راعيها. تلاميذ الرب قد هربوا. رفع احدهم عقبهُ على سيِّدهِ وكان امس يجالسهُ ويؤاكلهُ (مز ٥٤: ١٥) اعلن بطرس الهامة بأنهُ لا يعرفهُ وانكرهُ ثلاثًا لخوفهِ من صوت أمةٍ. أرى على جسم الميت آثار السياط وعلى رأسهِ خدوش اكليل الشوك وفي جوارحهِ ثقوب المسامير وفي جنبهِ شقّ طعنة الجنديّ. أليس هذا الذي شهد على رؤوس الملأ بان من يحفظ كلامهُ لن يذوق الموت الى الابد (يو ٨: ٥٢) وانهُ اتى العالم ليفجر على البشر ينابيع الحياة (يو ١٠: ١٠) فيا لهُ من جنون! هلمَّ اليوم يا اصحابهُ الذين انخدعوا بمواعيدهِ الباطلة والعنوا الكاذب. وانتِ يا ابنة صهيون اذرفي الدموع السخينة وابكي على خيبة آمالك. ويا مريم امَّ المصلوب احتجبي بالظلام لئلا يحلَّ عليكِ عارهُ. ويا من علَّتم نفسكم بالامـاني اقطعوا رجاءكم وانتظروا من غيرهِ خلاص اسرائيل

*

تلك كانت الهواجس التي تخالج فكري عند ذاك القبر فساورتني الاحزان وجرت دموعي كالطر المدرار فاقبلتُ أُريق كالماء. قلبي قُبالة وجهه تعالى فصرختُ: قد خدعتَنا يا ربّ وكذَّبت آمالنا. رأينا العميان ينظرون والصمّ يسمعون والعرج يمشون فآمنَّا برسولك اذ نعلم انَّ الله لا يسمع للخطأة ولكن اذا احد اتَّقى الله وعمل مشيئتهُ لهُ استجاب (يو ٩: ٣١). وقد استشهد بك ورفع بنظرهِ اليك لمَّا كثَّر الخبزات وقات بها الجموع ولمَّا اخرج لعازر من قبرهِ فزاد ايماننا بهِ وبشهادتهِ وهاهوذا الموت قد اسرهُ كمن سواهُ وختم على قبرهِ. نعم يا رب قد خدعتَنا ...

وانا اقول ذلك اذ سمعتُ صوتًا من القبر طرق مسامعي واوعب قلبي فكأنهُ

يقول: ما بالك تشكّ يا قليل الايمان ؟ لم أسبق واخبرك بهذه الامور سلفاً حتى اذا حلّت في وقتها لا يخامرك الريب فيرسخ الايمان في قلبك. كيف نسيت ما صرّحتُ به امام تلاميذي (لو ١٨: ٣١): «هوذا نحن صاعدون الى اورشليم وسيتمّ كلُّ ما كُتب بالانبياء عن ابن البشر فانهُ سيُسلم الى الامم ويُهزأ به ويُشتم وبعد انْ يجلدوهُ يقتلونهُ». فكيف يُنقض كلام الله ألا تعلم ان السماء والارض يزولان وحرف منهُ لا يزول

امّا هذا القبر الذي توانى فيهِ فهو مرقدي وفراش ليلهِ اضجع عليهِ وانام ثم استيقظ من سِنَتي (مز ٣: ٦) واخرج كالاسد من عريني فتسمع الارض كلُّها زئيري

قبري صدفةٌ حقيرة قد ضمّت في جوفها تلك الدرّة الثمينة التي سوف تبهر العالم ببهاء حسنها فيبيع طالب اللآلئ كل ما لهُ ويشتريها (متى ١٣: ٤٥)

هو الصندوقة الوضيعة لماسةٍ كريمة أودعت فيها قبل ان تُعرَض على نظر الشعوب فتسحر بجمالها القلوب وتفتن العقول

وُضع السراج قليلاً تحت المكيال وسيُرى قريباً على المنارة يشعّ نورهُ في اربع خوافق الدنيا (متى ٥: ١٥)

تولت شمس الشتاء وراء الغيوم فظنّ الجاهل انّها حُجبت ابداً ولا تلبث «ان تخرج من خبائها كالعروس الخارج من حجلتهِ وتبتهج كالجبّار للعَدْو في السبيل من اقاصي السماء خروجها والى اقاصيها دورانها وليس من يتوارى عن حرّها» (مز ١٨: ٦)

ظنّ العدى انّهم يحصرون البحر في بطن قبر وكيف يُحصر البحر المحيط في حوض صغير وهو يحطّم كل حواجز الطبيعة بمياههِ العرمرميّة ويغمر الجبال بطغيان امواجه (مز ٩٢: ٤؛ أيوب ٣٨: ٨—١١)

ظنّوا ان العطر الزكي يخفى عبيرهُ الارج ولا ينمُّ الطيبُ بعرفهِ اذا جُعل في قارورة فساء ظنّهم لان شذاهُ سينتشر سريعاً فيعطّر اقاصي المعمور (يو ١٢: ٣)

وقعت حبّة الحنطة في جوف التربة فداسوها بالارجل وفاتهم انّ تلك الحبّة ان لم تمت بقيت وحدها وان ماتت اتت بثمر كثير (يو ١٢: ٢٥) فلا تأسفوا عليها اذ طُحنت وعُرضت على النار فانّها تصبح خبزاً مغذياً لا لحياة فانية بل للحياة الابديّة لأني «خبز الله النازل من السماء والواهب الحياة للعالم» (يو ٦: ٣٣)

انا الجنتةُ الحقيقيَّة (يو ١٥ : ١) انا العُنقود الطيِّب الذوق هـا. ماذا طُرحت في المعصرة فسال دمي الزكيّ وعمَّا قليل يختمر مسطاري الذي يَسُرُّ الله والناس (قضاة ٩ : ١٣) لاني بُرُّ المختارين والسلافة التي تنبت العذارى (زكريا ٩ : ١٧)

لا تجزعوا على نخلتي اذا هبَّت عليها ريح صرصر فانَّ الإعصار يعمّق جذورها في الارض فيرتفع رأسها بجلال ويظلّل سعفُها قمم قادس (ابن سيراخ ٢٤ : ١٨) وتُغني عذوقها الخاء فلسطين

أنا كحبَّة الخردل اصغر حبوب البقول فزُرعت في ارض القبر لأُضحي قريباً شجرةً فنواء تستظلّ تحت اغصانها كل طيور السماء (مر ٤ : ٣١)

تراني الآن كدودة الابريسم فقدتُ حياةً فانية لبضع ساعات ريثما اتجرَّد عن بقايا الضعف والذلّ فاخرج من فيلجتي في حياة جديدة قد نبتت اجنحتي واصطبغت بالوان زهيَّة فاطير نحو السماء واحيا الى الابد

عهدك بي في هذا الصخر الأصم كالفرخ في بيضته لا ابدي حراكاً على انَّ روح ابي وروحي المنبثق من كلينا يرفّ عليَّ كما رفَّ على النمر في بدء الخليقة فانبعثت الحياة بقوَّته وقوَّتي

أنا الهزار الصادح جعلت في هذا القفص ليسكتني القانص الا انَّ صوتي الرخيم سوفَ يطرب قريباً مسامع كل الامم

انا النسر في وكره غداً أُحلّق في الجو فارتفع الى اعالي السماء واحمل بين مخالبي البشريَّة لارفع بها عن السفليَّات

دخلتُ في آلامي برتقة التجارب ومحصتني نار العذابات فاستأنفتُ فيها شبابي كالسُّنْدل (Phénix) الذي زعم الزاعم انهُ اذا هَرِم ألقى نفسهُ في الجمر فيعود اليهِ شبابهُ (١

انا جعلتُ لي الطاووس رمزاً فاخرج من مدفني مثلهُ مكتسياً بجسد ذي خواصّ عجيبة كما يخرج في الربيع بريشهِ البهيّ ذي الالوان الزاهية الآخذة بالابصار

*

وبينما كان يشنّف آذاني هذا الكلام العذب ويطرق مسامع قلبي فيترل عليهِ

١) اطلب المشرق (٩ : ٢٤٣)

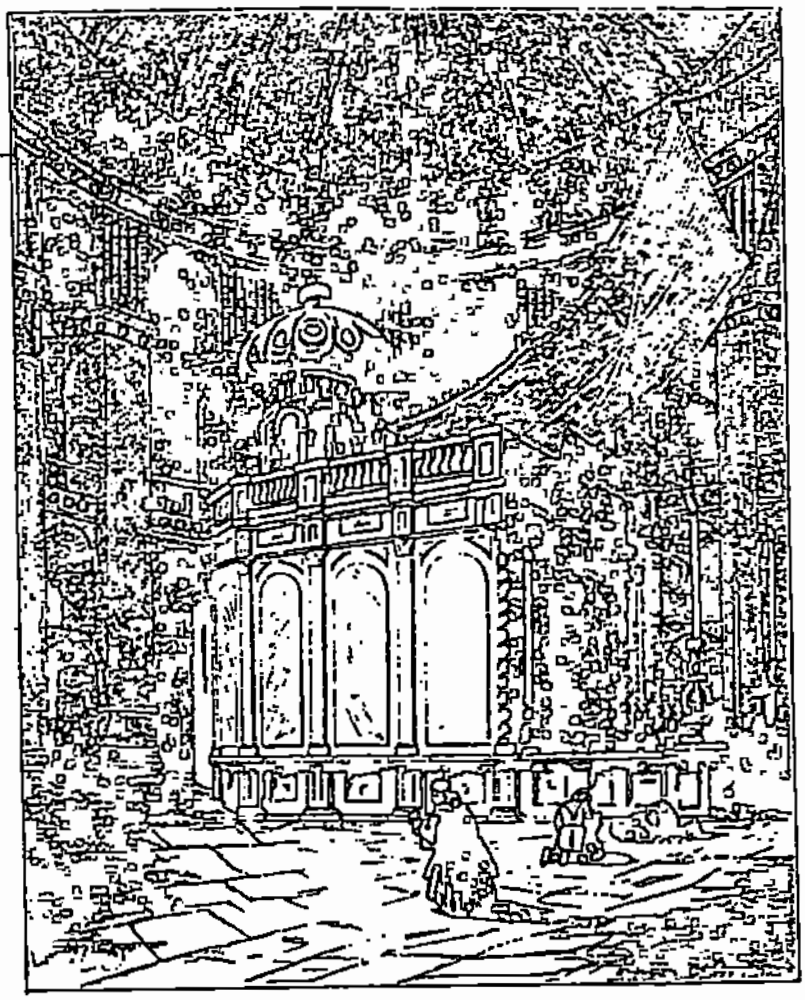

صورة
القبر المقدّس

كالندى على العشب وكالديمة على التربة اذ خيل لي بانَّ ضياء لامعة لاحت لبصري عن بُعد واذا بموكب جليل يقترب نحو الضريح ويمشي فيهِ الشيوخ البيض اللحى والسادة المهيبو الصورة والكهول المتسمون بسمات الوقار والشبان في عزّ القوة والبهاء والنساء الكريمات والعذارى الطاهرات. هذا بثوبهِ الملكي وتاجهِ المرصع وصولجانهِ الذهبي وذاك متسم بحلية كهنوتهِ الفخيمة وفي ايدي بعضهم سعف النخل شارة الظفر وغيرهم حاملون الكثّارات او جامات الذهب المملوءة بخورًا فحلّقوا حول القبر وسجدوا للميت صارخين (رؤيا ٦: ١٣): «البركة والكرامة والعزّة للحمل المذبوح فانهُ مستحقٌ ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوّة الى دهر الدهور»

ثمَّ قاموا متحنين والقى كل منهم الى اقدام الميت قبّلها معلناً بسموّ جلالهِ ومصرّحاً بفضلهِ العميم. فكان اوّل من حيّا بالسلام ضجيع القبر الابوان الاوّلان آدمُ وحوّاء: فصرخا باكيين انَّ آلامك يا ابن الله عقاب خطيئتنا ولكنَّ يا حبّذا الذنب الذي لاجلهِ نال العالم فادياً مثل هذا» (كلام الكنيسة في سبت النور). انت الضابط لمفتاح الهوّة فتغلقها وفي يدك مقاليد باب الملكوت الذي اوصدناهُ باثمنا

ثم جاء هابيل وقال: قد اهرق يا ربّ شعبك المختار دمك الزكي كما سفك قايين دمي لكنَّ ذبيحتك افضل من ذبيحتي ودمك ازكى من دمي فليترل على الارض ليطهرها من آثامها وليكن صوتهُ للرحمة ليس للعنة والانتقام كدمي (تك ٤: ١٠)

وقال نوح: هانذا قد ضاء قوس قزح الذي بُشرتُ به فلتطمئن الارض فان الطوفان لن يغمرها ثانيةً (تك ٩: ١٣)

وقال ابراهيم: بنعمتك يا رب انقذتني من اور الكلدان وجعلتني أباً لشعب كبير لكي احفظ ميراثك وبنسلي يتبارك اليوم جميع الامم (تك ٢٢: ٢٨)

واردف اسحق: كم يسرّني ان كنت مثالك في جبل موريا. فانت الكبش الذي ناب عني فضحّاهُ اي الخليل مشيرًا الى ذبيحتك المحيية (تك ٢٢: ١٣)

وقال يعقوب: بموتك ايها المسيح امتدّت تلك السلّم الرمزيّة التي اريتنيها في طريقي الى ما بين النهرين (تك ٢٨: ١٢) فصرتَ اليوم الوسيط بين السماء والارض بعد حلول غضب الاب على خليقتهِ الاثيمة

وصرخ يوسف: انت اليوم في قبرك كما جعلني اخوتي في الجبّ حسدًا وباعوني كما باعك الاسخريوطي ولكني اراك تتولّى قريبًا الحكم على الشعوب لتسدّ جوعهم الادبي كما سددتُ جوع المصريين المادّي (تك ٣٧: ٢٤ و ٤١: ٥٥)

وقام يهوذا قائلًا: قد سقط من يد نسلي عصا السلطان الذي وعدني به ابي يعقوب ريثما تقوم بدلًا مني يا منتظر الامم (تك ٤٩: ١٠) فاجلس يا ربّ على عرش اثبت واشرف استحققتهُ اليوم بآلامك وموتك

وجثا موسى على الاقدام شاكرًا لله ومعترفًا بمجيء ذاك الذي تنبّأ عنهُ قائلًا لبني اسرائيل (تثنية ١٨: ١٥ و ١٨): «يقيم الرب الهك نبيًّا من بينكم من اخوتك مثلي لهُ تسمعون .. قال الرب: ألقي كلامي في فيهِ فيخاطبهم بجميع ما آمرهم». ها قد تمّت اليوم هذه النبوة وبدمك الثمين يا حمل الله ينجو المؤمنون من شرور الابالسة كما نجا اسرائيل بدم الحمل الرمزي من ضربات مصر وبه تنفتح الابواب الدهريّة كما فُتحت ارض الميعاد

قال أيوب: ليست البلايا التي لحقت بي يا ربّ سوى اشارة الى ما ألمّ بك من الاوجاع فبصبرك تنال ملك الامم كما نلتُ الثروة والسعادة. فاليوم يسرُّني ان اكرّر ما وطّدتُ بهِ آمالي قائلًا (ايوب ١٩: ٢٥): «اني لعالم بانّ فاديَّ حي وسيقوم آخرًا على التراب.. ومن جسدي اعاينُ الله»

قال شمشون: قد حُبستَ أيها السيّد في هذا القبر كما حبسني الفلسطينيون في غزّة ليقتلوني لكنّك تفوقني قوةً واليوم تفتح ابواب الجحيم وتفك اغلال الموت كما اقتلعت انا باب المدينة وحملتهُ على منكبيَّ وخرجت من مضيقي ناجيًا (قضاة ١٦: ٣)

قال داود: قد انطقتني يا الهي في الزبور بكل اسرار حياتك وها هذا اراك في قبرك راقدًا لا يتجاسر الفساد ان يدنو من جسمك المقدس ريثما تخرج ظافرًا من الجحيم (مز ١٥: ١٠) ويصاب جليات بمقلاع صليبك فيخزى وينكسر الى الابد

وعقب داودَ سليمانُ ابنهُ منحنيًا ساجدًا وقال: انت يا ابن داود في قبرك اعظم مني في سرير ملكي وحكمتُك في صليبك اسمى من حكمتي فما احرى بملوك الارض ان يَفِدوا عليك فيجدوا في حكمتك الالهيّة فوق ما وجدَتهُ ملكة التيمن من حكمتي البشريّة. بنيتُ هيكل اورشليم بسنين طويلة وصرفتُ عليهِ المبالغ

الطائلة وهنا هيكل لسمي واحد نقضهُ اليهود فتقيمهُ بثلثة ايام عفواً (يو ٢ : ١٩)

ثم هتف يونان : ابتلعني الحوت فخرجتُ منهُ حياً بعد ثلثة ايام ولولا لاهوتك يا سيد لما نجوت من بطن القبر وما أفلتُّ من جحكم للوت ذاك التنين الذي لا يردُّ فريستهُ مهما عظم قدرها وقويت شوكتها فلك المجد يا محيي الرمم

قال اشعيا : انت اليوم يا ربّ كما وصفتُك في نبوَّتي : اراك مضرَّجاً بالدم وثيابك حمراء كدانس المعصرة (اشعيا ٦٣ : ٣) انت في قبرك لا صورة لك ولا بهاء مزدرًى ومخذولاً من الناس (اش ٥٣ : ٣) من أخمص القدم الى الرأس لا صحَّة فيك بل كلُّك كلوم وحبَط وجراحة طريئة لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُليَّن بدهن (اش ١ : ٦) اخذتَ عاهاتنا وحملتَ اوجاعنا فحسبناك ذا برص مضروباً من الله ومذلَّلاً (اش ٥٣ : ٤) على اني يا الهي سابتهج اليوم عند تحقيقك ما تنبأتُ بهِ عن قيامتك فاري هذا القبر ممجَّداً (اش ١١ : ١٠) واسيرهُ مطلقاً وذريَّتهُ بعد انبعاثهِ لا تُحصى عدًّا

وتذكَّر ارميا رثاءهُ فقال : ان دموعي تسيل كالينبوع لا على هيكل فانٍ اخربهُ ملك بابل واحرقهُ بالنار ولكن على هيكل جسدك الحيّ أيها المسيح الذي تروَّض اليوم وتهشَّم بالعذابات . لكنَّ املي عظيم بانَّ دموعي ستُكفكف واحزاني ستنتهي بقيامة هذا الهيكل غير المشيَّد بيد البشر فيفوق عزُّهُ على ابنية البشر ويدوم مجدهُ الى الابد

وانبرأ حزقيال فزاد على قولها : وانا اشكرك يا رب على انك منحتني اليوم ان اشاهد بالعيان ذلك الراعي الوحيد الذي وعدت بهِ شعبك على لساني (حز : ٣٤ : ٢٢) ودعوتَ بهِ داود كأبيهِ حيث قلت : واقيم عليهم راعياً واحداً ليرعاهم عبدي داود انا الربّ اكون لهم الهاً وعبدي داود يكون في وسطهم رئيساً

وما عتَّم أن تبعهم دانيال فقال : وشكري لك مضاعف يارب اذ انطقتني بالنبوَّة وعرَّفتني بواسطة ملاكك بعدد الاسابيع الباقية الى مجيئك الى العالم وتكفيرك عن خطيئة آدم وقتلك بيد اليهود وبذلك للشعب المختار وابدال الذبائح الدمويَّة بذبيحة الصليب (دانيال ٩ : ٢١—٢٧) فتمَّ كل ذلك حرفاً بحرف . ولشكرك ايضاً اذ اتَّخذتني كرمز حيّ الى موتك وقيامتك لمَّا ألقاني الحسدة في جبّ الأسود فنجوتُ منها بقوَّتك وكانت الدولة على اعدائي (دا ف ٦)

ثمَّ تقدَّمت في اثر ذلك فئة من الرجال الابرار أَلهم الرب ان يشاركوا ابنهُ الالهي في اسرار حياتهِ فعرفتُ في مقدَّمتهم يوسف البتول خطيب العذراء الطاهرة وسمعان الشيخ حامل الطفل يسوع في الهيكل ويوحنَّا المعمدانيّ المعدّ لطريق الربّ والمعترف بهِ امام شعب اسرائيل فكلهم كادت قلوبهم تذوب خشعاً امام قبر سيّدهم فسجدوا لهُ مطوّبين الساعة التي دعاهم لخدمة ابنهِ المتأنس

*

وكان القبر لا يزال في جمودتهِ وضجيعهُ لا يبدي حراكاً حتى اذا حان غلسُ الليل واخذ الصبح يتنفَّس ببلجتهِ سمعتُ دوياً كان اشبه بالرعد القاصف فارتجَّ المكان كما يرتجّ بزلزال عظيم فرأيت واذا الحجر العظيم قد دُحرج عن باب القبر ونور اسطع من الشمس اضاء حولهُ فسقط الحرّاس كالموتى واخذتني انا رعشة الهلع فارتعدت فرائصي وخارت قواي. ثمَّ رفعت بنظري الى السماء واذا بجوق من الارواح الملائكيَّة يتهلَّلون فرحين وينشدون نشيد الظفر: لقد غلب اليوم الاسد من سبط يهوذا اصل داود (رؤيا ٥: ٥) ثمَّ كرَّروا تسبحتهم يوم مولد المسيح: المجد لله في العلى وعلى الارض السلام للناس الذين فيهم المسرَّة (لوقا ٢: ١٤)

فانعشتني هذه الاصوات وازالت ما استولى عليَّ من الذعر والفزع فالقيتُ نظري الى القبر واذا هو فارغ وجسد الميت قد توارى عنهُ الَّا انَّ اللفائف والاكفان كانت في قعرهِ مطويَّة ملفوفة تشهد على فوز صاحبها بالموت كأنَّهُ يسخر بلسان حالهِ منهُ قائلاً مع النبي (هوشع ١٣: ١٤): ساكون هلاكك ايها الموت واكون استئصالكِ ايتها الجحيم. فأين غلبتك ايها الموت واين شوكتكَ. كيف افلتَّ من ايديك لسيرك. العلَّ سارقاً من تلاميذهِ اندسَّ سرّاً الى المدفن فسرق الجثَّة ليشيع بالكذب انَّ الميت حيّ (متى ٢٨: ١٣)

وانا افكر في ذلك اذ رأيت فوق القبر يسوع المصلوب متصبّاً بكل أبهة وجلال لباسهُ ابيض كالثلج ومنظرهُ كالبرق ومن جسمهِ تشعّ الانوار الساطعة لاسيما من جوارحهِ وقلبهِ حيث ثقبتهُ المسامير وطعنتهُ الحربة ووجههُ يضيء كالشمس في كبد السماء وعيناهُ كلهيب النار وفي يدهِ اليمنى راية الانتصار ومن فيهِ يخرج سيف

صارم ذو حدَّين وصوتهُ كصوت مياهٍ غزيرة. فلمَّا رأيتهُ سقطتُ عند قدميهِ كالميت فوضع يدهُ اليمنى عليَّ قائلًا: لا تخف انا الاول والآخر قد كنت ميتاً وها انا حي الى دهر الدهور وفي يدي مفاتيح الموت والجحيم (رؤيا ١: ١٥—١٨) واشار الى القبر وقال: هنا اضجعتُ ونمتُ وها اني استيقظت لاحيا الى الابد

قال هذا وتوارى عن العيان وبقيت غائصاً في بحر الافكار امام القبر الفارغ لا ادري ما اقول بل اضحى لي ذلك القبر كلغز لا يُفهم لهُ معنى فسألت الملاك الذي كان واقفاً على باب القبر: ما لك تحفظ هذا المكان وقد اصبح اثرًا بعد عين وقام المضجع فيهِ ؟ فاجابني قائلًا: انَّ لهذا القبر مجدًا لم ينلهُ غيرهُ فانَّ القبر للبشر ختامُ حياتهم ونهاية آثارهم ولو بلغوا ذروة المجد امَّا هنا فهو مبدأ الحياة ومُفتتح الآثار فهذا القبر الوحيد الذي قيل فيهِ (اشعيا ١١: ١٠): « اصل يسى يقوم رايةً للشعوب اياهُ تترجى الامم ويكون مثواهُ مجيدًا »

اجل انَّ هذا القبر سيُضحي قبلةً لبني البشر ومذ اليوم ستتوارد اليهِ طوائف

الناس لتقرّ بلاهوت ذاك الذي حلّ فيهِ بضعة ايام ولم يستطع الموت ان يقهرهُ هنا ستخرّ ساجدةً جباهُ العالمين. الى هذا المزار ستأتي الملوك والامراء والاحبار فيختلطون بالفقراء والصعاليك ويشهدون بلسان واحد لجلال وعزّة للضجع فيهِ. لاجل هذا القبر ستُشهر الحروب ويُناجز القتال واليهِ ستزنو الامم بانظارها حتى يعود صاحبهُ في اخر الازمان فيقوم بازلتهِ ويدين امامهُ جميع البشر « لانهُ لهذا مات المسيح وعاد حيًّا ليسود على الاموات والاحياء » (رومية ١٤: ٩)

بل اعلم وتأكّد انّ مناط آمال البشر على هذا الضريح الفارغ كما انهُ اساس ايمانهم لانّ المسيح « بكر الاموات » (رؤيا ١: ٥) و « باكورة الراقدين لأنهُ بما انّ الموت بانسانٍ فبانسان ايضاً قيامة الاموات فكما في آدم يموت الجميع كذلك في المسيح سيحيا الجميع » و « ان كان المسيح لم يقم فايمانكم باطل » ورجاؤكم بالقيامة باطل (١ قور ١٥: ١١)

قال الملاك هذا واحتجب عن نظري وعدتُ انا الى نفسي واذا بابواب كنيسة القبر قد انفتحت وجمهور الشعب يتقاطرون اليها ليقيموا موسم عيد القيامة فقمتُ من مكاني وانتظمتُ في سلكهم مردّدًا قول أيوب (١٩: ٢٥): اني لمؤمن بانّ فاديَّ حيّ. واني من جسدي هذا اعاين الله في اليوم الاخير

نظرة

في تقلُّب الحالات وحكمة تفاوتها والتفاتة الى البائس

لحضرة الخوري رافائيل البستاني من مدرسة الحكمة

هي الأيامُ عسرٌ او يسارُ كذا تبقى وليس لها قرارُ
فتأخذ عند إمساء يمينٌ لها ما في الصباح أتت يسارُ
فليس لحالها ابدًا ثباتٌ تظلُّ بنا كخُذروفٍ يُدارُ
فلم تُقبل على الانسان الّا تلا الاقبال صدٌّ او نفارُ
غنيُّ الامس يُصبح صفرَ كفٍّ وذو الإملاق يُغرقهُ الثُّغارُ

لكم من سيدٍ بذَخت قصورٌ ... بهِ قبلًا ومثوى اليوم غارُ
فلا تدري بما تطوي غداةٌ ... فليس للجِ ما يأتي بسارُ
كأنَّ المال ريشٌ في مهبٍّ ... وصرف الدهر إعصارٌ يُثارُ
فما بسمتْ لنا الأيام الّا ... كما بسمت ليوثٌ او غِمارُ
فانَّ الدهر قلّابٌ خؤون ... يُغير على الانام ولا يُغارُ
لعمرُك ما نعيمُ الارض فينا ... سوى طيف وفي الحلم المزارُ
كأنّا في يد الأيام نَرْدٌ ... تُنقّلنا وليس لنا اختيارُ
تفوقُ عديدَنا الحالاتُ فينا ... غنًى فقرٌ صفاءٌ واعتكارُ
فهذه حكمةٌ منهُ تعالى ... تجلّت مثلما يبدو النهارُ
أجبني صاحِ عن قوم تساوت ... مراتبهم ومالٌ وافتكارُ
فهل يبقون في ترفٍ ورغدٍ ... على ذي الحال ام يتاو الدمارُ
وهل ترقى صنائعُ او فنونٌ ... وهل تحيي مدائننا البِحارُ
وتوصل ارضنا اسلاكُ برقٍ ... ويطوي شاسعَ البيد القطارُ
وتزداد الصناعةُ كلَّ يومٍ ... بما قد قام يأتيهِ البخارُ
ويشرق من شموس العلم نورٌ ... بهِ يرقى العشارُ ويُستنارُ
وهل يعتدُّ في القوم اختراعٌ ... وما فيهِ لذا العصر الفخارُ
فمن ذا قام يغرس باجتهادٍ ... وما راقت لناظره الثمارُ
فكل صنيعةٍ ولها جزاءٌ ... وما لصناعةٍ ابدًا بَوارُ
فلم يستغنِ زيدٌ عن عُبَيدٍ ... ولا عن مريمَ استغنت نَوارُ
فهذا الكون رُكِّب مثل جسمٍ ... صغارُ الناس فيهِ والكبارُ
لكل في الورى نفعٌ وفضلٌ ... وما بالفقر تهجينٌ وعارُ
فربّك قسّم الارزاقَ فينا ... فما نقتنيهِ مالٌ مستعارُ
وانَّ تفاوتَ المنحات امرٌ ... صوابيٌّ يؤيدهُ اختبارُ
وذاك لتستمرَّ بنا صلاتٌ ... ويألفَ آنسًا بالجارِ جارُ
ويحتاجُ الغنيُّ الى فقيرٍ ... وذو عوزٍ يحركهُ اضطرارُ
رويدكَ كانزَ الدينار مهلًا ... ألا أمنذرٌ ان يضلّلك اغترارُ

فمالُك مالُ ربِّ الكلّ فاذكر انما الحاجات يُسعدك اذكارُ
فلا يُنسيك سامي القصر قوماً يضمُّ شتات غِلّتهم وجارُ
تسير بك العتاقُ كومض برقٍ وتبري رجلَ ذي الفقر الحجارُ
يكاد يُشاكُ جسمك من حريرٍ وعزَّ لستر عريانٍ ازارُ
أبت عينا اليتيم النوم جوعاً وفي إرضائك الطاهي يحارُ
لكم ذهبٍ ذهبتَ بهِ جُزافاً لتصفٍ او تلقّمهُ القمارُ
لكم مالٍ يُبادُ بغير حملٍ يُساق بهِ لمرفهِ الشنارُ
فذا مُلقًى صريع الجوع يبكي وذلك قام يصرعهُ الخُمارُ
وهذا كاد يبطنهُ دِمَقسٌ وذاك يئنّ ليس لهُ دثارُ
وهذا يكرع الصهباء صرفاً وتروي ذاك ادمعهُ القزارُ
لكم برنيطةٍ تكسو عُراةً فلو خفّت لما نقص لزدهارُ
لكم ذيلٍ كنسنَ بهِ طريقاً بفضلتهِ لذي فقر ستارُ
فيا متبرّجاتٌ في فضولٍ فبالاحسان لا الثوب افتخارُ
تُثقلنَ المعاصمَ باللآلي ويُحيي عترةً منها سوارُ
اصيخوا السمعَ يا ارباب يسرٍ الى ما نصّهُ ذاك المنارُ:
« كؤوس الماء ما عدمتْ جزاءً وما تعطونهُ فانا للعارُ »
لكم في الناس من بئسٍ تعيس كأنّ للدهر بات عليهِ ثارُ
ارامل ينتحبنَ ولا معزٍ وايتام أصيبيةٌ صغارُ
وذو سقمٍ على ارض طريحٌ تمنّى لو يخلّصهُ احتضارُ
فبرّ بي يا اخا الاحسان تدخل مكاناً لم يكن قبلاً يزارُ
وسرّح راندَ النظرات حيناً بعائلة يناصبها افتقارُ
يكاد يذيبها جوعٌ وحزنٌ وتبريحُ النوائب والصغارُ
تراها تستغيث ولا مغيثٌ أما يُرعى جوارٌ او ذِمارُ
تعلّل نفسها بلعلّ ذُلّا فيحييها رجاءٌ واصطبارُ
ترى هرماً يُعدُّ العظم منهُ تقوّس مثلما يبدو الاطارُ
فلولا نوحهُ اظننتَ ميتاً لوجه قام يكسوهُ اصفرارُ

تحيط به أصيبيةٌ ضالٌّ فيلهيهم ولا يجدي انتظارُ
فترجفُ منهمُ الاعضاء برداً فيا عجباً وفي الاكباد نارُ
يرومون الطعام ولا طعامٌ فيمرو منهمُ القلبَ انكسارُ
كأنَّ صراخهم في كلِّ صوتٍ سيوفٌ أرهفت منها الشفارُ
فتفري قلبَ والدةٍ وتجري دموعاً في الخدود لها انحدارُ
ألا يا ذاخرَ الآلاف عطفاً فضعْ البرَّ والحسنى ازدخارُ
فقرضُ البائسين جزيلُ ربحٍ أليس الله يا هذا يُمارُ
ألا وا خجلتاهُ فكيف يقسو لنا قلب وانسانٌ يُضارُ

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

في نسبة الاناجيل الى اصحابها (تتمة)

٤ ﴿ الكنيسة الفلسطينيَّة واليونانية ﴾ يشهد على معتقدها في النصف الاول من القرن الثاني الفيلسوف الشهيد يوستينوس. ولد هذا القديس في اواخر القرن الاول للميلاد في مدينة نابلوس (من اعمال السامرة) من والدَين وثنيين وبين قوم عبَدة الاوثان ولمَّا كان فتيهاً ذكيًّا تضلَّع منذ صباه في كل العلوم والفنون المعروفة في زمانهِ حتى برع فيها. ثم انارهُ الله بنور الايمان المسيحي فترك الاوثان واصطبغ بماء العماد نحو سنة ١٣٠ لكنهُ حفظ شارات الفيلسوف التي كان مزدانًا بها قبل تنصرهِ وجعل يطوف البلاد الشرقيَّة والمصرية واليونانية والرومانية يدرس الدين المسيحي على المعلمين وخلفاء الرسل الاوَّلين ويدافع عنهُ تجاه اليهود والوثنيين باللسان والقلم. وقد الف كتباً نفيسة عن الدين المسيحي عرضها على القياصرة دفاعاً عن النصرانيَّة ودحضاً للاوهام المنتشرة في العالم الوثني ضد تعليم الكنيسة وكانَ الاضطهاد الذي اثارهُ الحكام على المسيحيين الابرار ظلماً وعدواناً. وقد مات شهيدًا سنة ١٦١ للميلاد. وهو لعلمه وكثرة اسفاره وزياراتهِ للكنائس الرسولية شرقاً وغرباً شاهدٌ جليل لا تُنكر شهادتهُ ففي كتبهِ المحفوظة يذكر مرارًا للوثنيين

واليهود « الاناجيلَ التي كتبها قوم من الرسل » ويتقبل نصوصها واخبارها وقد نقل اربعين نصاً بالحرف و٣٥ بالمعنى. قال في رسالته الى القياصرة: « هكذا نجد في مفكرات الرسل التي ندعوها الاناجيل والتي سلّمتها الينا الاولون ونحن نؤمن بها. وفي يوم الشمس (اي الاحد) نجتمع في المدن والقرى ونقرأها جهاراً مع اسفار الانبياء » . ثم روى رسم سرّ القربان فقال: « ان الرسل في مفكراتهم المسمّاة بالاناجيل يذكرون ان المسيح صنع هكذا فانهُ اخذ خبزًا وشكر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي. اصنعوا هذا لذكري. وبعد الشكر قال: هذا هو دمي...». وقد وصف نزاع المسيح في البستان وعرق الدم ويقول انهُ « ينقلهُ كما تعلمهُ من اسفار الرسل وتلاميذهم » (١

٥ ﴿ الكنيسة الانطاكية ﴾ ولد طاطيانوس في ما بين النهرين نحو سنة ١٣٠ للمسيح وتتلمذ للقديس يوستينوس ونحو سنة ١٥٠ — ١٧٠ اراد ان يفيد اخوانهُ المسيحيين في الرها فنقل سيرة المخلص عن الاربعة الاناجيل وسبكها ببعضها سبكاً محكماً كرواية واحدة. وانتشرت « قلادتهُ » بين السريان حتى ابطلها رُبولا اسقف الرها في القرن الخامس لانَّ طاطيانوس كان حذف نسب المسيح منها فامر رُبولا الكهنة ان يحفظوا في كل كنيسة نسخة من الاناجيل الاربعة (٢ . فان عمل طاطيانوس) ونقلهُ للاناجيل الاربعة وانتشار تأليفه وترجمة هذا التاليف الى لغات أخرى يثبت ان المسيحيين في اواسط القرن الثاني كانوا يعتبرون اناجيلنا كالأسفار الوحيدة الصادقة التي يجب قبولها

٦ ﴿ كنائس فريجية ﴾ قال بابياس (٩٥ — ١٦٥) اسقف هيربوليس في فريجية تلميذ الرسل او الرسوليين وصديق پوليكربوس نقلاً عن الشيوخ الذين عرفهم: « الشيخ (الرسول) يوحنا كان يقول ان مرقس كتب بكل دقة اقوال المسيح واعماله ولم يعرف الرب ولم يرافقهُ لكنَّهُ رافق بطرس فكان بطرس يبشّر حسب حاجات السامعين من دون ان يتبع ترتيباً في نقل اخبار الرب »

---

١) مين اعمال آباء اليونان (Migne, PP. GG, VI, 429, 688, 717, 721 etc.)

٢) راجع المشرق (٩: ١٠٣) وكتاب ر. دوفال: الآداب السريانية (ص ٢٦)

وقال عن متّى : « متّى كتب اعمال الرب في اللغة العبرانيّة وكلٌّ كان يترجمها قدر استطاعته »

فهذه الشواهد عن رجلٍ عرف تلاميذ المسيح وعاش بينهم أثرت في كلّ العلماء منهم للاحد هرناك الذي قال عن انجيل مرقس : « لن يشكّك عالم في انّ انجيل مرقس الذي نتداولهُ هو هو السفر الذي يعزوه التقليد بصوت باپياس الى مرقس كاتم اسرار بطرس »

٧ ﴿ الكنيسة الرومانية ﴾ اكتشف في القرن المنصرم العلامة لويس موراتوري في دفائن مكتبة ميلانو مخطوطاً على رقّ يحتوي جدولًا لقائمة الاسفار القانونيّة التي كانت تقبلها الكنيسة الرومانيّة في اواسط القرن الثاني وقد اخنى الدهر على تلك الصحيفة فأفقد طرفها الاعلى لكن ما بقي منها يعتبرهُ العلماء شهادة ثمينة لمدّعانا فقد جاء فيها ما تعريبه : « سفر الانجيل الثالث حسب لوقا . وهذا لوقا كان طبيباً اتخذهُ بولس رفيقاً في اسفاره فكتب بترتيب سفرهُ باسمه لكنه لم يشاهد المسيح في الجسد . . . والسفر الرابع من الاناجيل ليوحنا احد التلاميذ . هذا لما الحّ عليهِ سائر التلاميذ والاساقفة اجاب : صوموا ثلاثة ايام وليُعلم كلّ اخاهُ ما يوحيهِ الله اليهِ » . ثم اردف كلامه قائلًا : « ولا عجب اذا كان يوحنا في رواياتهِ مثبتاً لامور لا يرتاب في تقريرها وهو القائل : الذي سمعناهُ الذي رأيناهُ بعيوننا الذي لمسته ايدينا نشهد ونكتب بهِ اليكم »

ويمكننا ان نزيد على هذه الشهادات شهادات اخرى اعرق في القدم حتى نصل الى زمن الرسل والتلاميذ وقبل وفاة عدد من الذين عرفوا الرب . ولكننا نقتصر بالنصوص الآتية فقط

١ً القديس تيوفيلوس اسقف انطاكية (سنة ١٨٠) نقل الفصل الاول من انجيل يوحنا في الكلمة المتجسد وشرحه مثبتاً للاهوت المسيح — ٢ً رسالة كنائس فرنسة المضطهدة الى كنائس الشرق : كُتبت في سنة ١٧٧ وهي تستشهد بانجيل يوحنا . ٣ً اثيناغورس الفيلسوف دافع عن الدين النصرانيّ امام القيصر الروماني مرقس اوراليوس ونقل في دفاعه نصاً عن يوحنا . ٤ً القديس پوليكربوس تلميذ يوحنا الحبيب يستشهد بآيات من الاناجيل ومن رسالة يوحنا الاولى . وقد مات شهيداً سنة

١٢٠ . ٥ القديس اغناطيوس اسقف انطاكية المستشهد سنة ١٠٧ يلمح الى آيات كثيرة وينقل آية من متّى وايات من يوحنا . ٦ الرسالة المنزوّة الى برنابا كُتبت سنة ٩٦—٩٨ فيها تلميحات الى آيات من الاناجيل . ٧ اقليمس بالحبر الروماني في رسالته الثابتة المكتوبة سنة ٩٣—٩٥ الى اهل قورنثية ينقل آيات من متى ولوقا . ٨ كتاب تعليم الرسل المكتشف حديثاً والراقي عهده على راي جمهور الباحثين الى سنة ٨٠ وعلى الاكثر الى سنة ٩٠ للميلاد ينقل خمس مرات ايات بحروفها من انجيل متى واية من لوقا ويلمح الى غيرها . وهذه الشهادات الثلاث الاخيرة سبقت موت يوحنا الرسول المتوفّى نحو سنة ١٠٢ للميلاد

فهذه سبع كنائس مشهورة في العالم النصراني وعشرون كاتباً ونيف يشهدون عن صحّة الاناجيل شهادة صريحة متناصرة عن معرفة واستقصاء . ولها اصحابُها عمّن هم اقدم منهم فتوصلنا شهاداتهم من كل الانحاء الى المصدر الرسولي والى الانجيليين انفسهم . واقرارهم يثبت معتقدهم شخصياً ومعتقد الشعب المسيحي الموكولة اليهم رعايته . وهم يتفقون اتفاقاً كاملاً ويشهدون ان البشارة الخلاصية محفوظة خطاً في اربعة الاناجيل كتبها رسولان كما رأيا باعينهما وسمعا باذانهما ورسوليّان نقلا عمّن سمعا ورأيا فقبل الشعب المسيحي شهادتهما لمطابقتها للبشارة الشفاهيّة وآمن بكلامهما واعتبرهُ اعتبار الكلام الحق . ولم تكن هذه الاسفار سرّيّة مخفيّة او صكّاً ميتاً مصوناً في الزوايا لكن سفراً وتعليماً حيّاً عرفه الجميع وعاشوا منه ودافعوا عنهُ حتى الموت

ولا يستطيع معترض ان يعزو الضلال او الغش للشهود الذين استشهدنا بهم لكثرة عددهم واختلاف بلادهم وقدم عهدهم وصدق علومهم وسمو فضائلهم . فقد استفتينا الشرق والغرب وآسيا وافريقية وايطالية وفرنسة الخ وتتبعنا الشهود واحداً بعد آخر حتى المعاصرين للرسل . ثم زد على ذلك انهم هم العلماء الاعلام الذين اشتهروا في العالم المتمدّن في عصرهم فاناروهُ بابحاثهم وصحة نقدهم ولم يكونوا ممّن يقبلون الكلام جزافاً لكنهم كانوا يتثبتونهُ بالمطالعات والاسفار والاستطلاع والتحري للتقاليد العريقة في القدم . وكانوا زينة الانسانية بفضائلهم وقداستهم ومات كثيرون منهم شهادة لحرية ضميرهم وصدق معتقدهم

*

يقول المثل اللاتيني « لا بأس ان نستفيد علماً حتى من العدو ». فمن ثمَّ يمكننا الان ان نزيد برهاننا إثباتاً مستشهدين بالمراطقة والوثنيين في القرن الثاني للمسيح. فقد قام منهم قوم منذ البدء جعلوا دأبهم مخالفة الكنيسة المسيحيَّة المتدنّة في كل الانحاء. وكلهم عملوا ما عملهُ المراطقة في كل الاجيال اي انهم حرّفوا الكلم عن معناه اثباتاً لبدعتهم. هكذا صنع باسيليدس في الاسكندريَّة (١ ووالنتينوس وتلاميذه في رومية (٢ ومرقيون (٣ فان ثيودوطس مثلاً تلميذ والنتينوس المرطوقي يستشهد ٧٨ مرَّة بالاناجيل القانونية منها ٢٦ بانجيل يوحنا. وكل هؤلاء المراطقة اشتهروا في النصف الاول من القرن الثاني واذ كانوا مقرّين بحقيقة الاناجيل الاربعة نرى الآباء يجادلونهم مستشهدين بالايات الانجيليَّة ومبيّنين مخالفة المراطقة للنص الالهي. فلو كان هؤلاء المبتدعون لا يومنون بالاناجيل لما دخلوا ميداناً يحارب فيه الخصوم هجوماً ودفاعاً بذات الاناجيل . أليس في ذلك شهادة على انتشار الاناجيل القانونيَّة في الكنيسة المسيحيَّة حتى ان اعداء الكنيسة انفسهم لم يتجرأوا على انكارها

وقد جعل الله لنا شهادة في اقوال الوثنيين انفسهم ففي اوائل القرن الثاني (وقيل في اواسطه) اشتهر عالم وثني يسمى قلسوس دعاهُ المؤرخون في عصرنا « فولتير القرن الثاني » فجعل غايته التنديد العلمي للدين النصراني من الكتب النصرانيَّة المقبولة شرقاً وغرباً فاتخذ الاناجيل الاربعة موضوعاً لانتقاده فدرسها احسن درس وعلق عليها الاعتراضات التي لا يزال يكرّرها الملحدون في ايامنا كانهم ابتكروها وهي قديمة العهد. فاجابه اباء الكنيسة والقموهُ الحجر. فمهما كان من امر اعتراضاته لانها ليست الان موضوع بحثنا فهو يشهد بان الانجيل النصراني المعوّل عليه يرتقي الى تلامذة يسوع وهو المنتشر في كل الانحاء قبل اواسط القرن الثاني (٤

١) اطلب ما رواهُ عنهُ افليبس الاسكندري (في مين مجموع الآباء اليونان ٨: ١٠٩٦ و١٢٩٩) واوسابيوس (مين ٢٠: ٢١٧) وابيفانيوس (مين ٤١: ٣١٤)

٢) ايريناوس (مين ٧: ٥١٧ و٥٢٤ و٥٢٢)

٣) طرطليانوس (مين مجموع الآباء اللاتينيين ٢: ٧٥٥) وايريناوس (في الآباء اليونان ٧: ٦٨٨ و٦٩٠)

٤) راجع (مين ١١: ٦٧٢ و٧١٠ و٨٥١ و٨٥٨ و٩١٠)

وقد يمكننا ان نزيد على ذلك الشهادات المأخوذة عن الترجمات القديمة وننتقد الانجيل انتقاداً ذاتياً فننظر في سماته وصفاته وانشائه ومضمونه ونبيّن من ذلك تاريخهُ لكننا نؤجل هذا البحث الى المقالات التابعة ونكتفي بما سبق

ولا يجوز لمخالف ان يعترض علينا بالاناجيل المزورة التي كتبها بعض الجهلة او لفقها بعض الهراطقة اثباتاً لدعواهم الباطلة فهي ليست مما يعترض بهِ على الاناجيل الحقيقيَّة لكنها كما قال بسكال الفيلسوف « من اصدق الشهود على صحَّة الاناجيل المسيحية فلولا وجود الدراهم الصادقة لما وُجدت الزائفة لان الزائف يُصنَع للتشابه بالصادق المقبول ». نعم انَّ هذا او ذاك يبذر الغشّ يوماً لكن الناقد لا يلبث ان يميزهُ فيلقيه عنهُ. هذا ما جرى للاناجيل المزوَّرة فان كلها تظهر لاول نظرة انها جاءت شروحاً لبعض فصول موجزة في التاريخ الانجيلي الاصلي او بثًّا لمبدإ خاص او تعليم باطل فاذا ما نقدها المتبصر وجد فيها برهاناً جديداً لانتشار الاصل الذي أُخذت عنه فزادت او نقصت ولم تلبث الكنيسة ان حرمتها والقتها في زوايا النسيان (١ ونبذها الشعب المسيحي وان احبَّها قوم من السذَّج لما فيها من الغرائب والعجائب والاخبار التي ضرب عنها الانجيليون صفحاً. قال رنان الجاحد: « لا يجوز باي نوع كان ان تُقابل الاناجيل القانونيَّة باناجيل الزور فهذه ليست الَّا شروحاً مسهبة وباردة وصبيانيَّة أُخذ غالباً موضوعها الاصلي عن ذات الاناجيل القانونيَّة ولم يُزد عليها شيء ذو قيمة » اطلب ايضاً مقالة في الاناجيل الزور (المشرق ١١: ١٩٤)

ولا يخالفنا في عصرنا عالم ولو جاحداً في ما سبق لنا اثباتهُ من حقيقة تاريخ الاناجيل ونسبتها الى الزمن الاول. قال تشندورف المكتشف للنص السناوي والناشر لعدد من المخطوطات القديمة: « يحقّ لنا ان نجعل في ختام القرن الاول لميلاد المسيح لا تأليف الاناجيل الاربعة فقط لكن ضمَّها الى بعضها في مجموعة او جسم قانوني » . وقال رنان الجاحد: « اني اقرّ ان الاناجيل الاربعة هي تقريباً (٢ تأليف الكتاب الاربعة الذين تُعزى اليهم »

١) نقل طرطليانوس (مين ١: ١٢١٩) ان الكنيسة حرمت اسقفاً وطردته من كرسيه لانهُ الَّف كتيباً ورغب في بواجبو فعزاه الى بولس الرسول (اطلب ايضاً اوسابيوس المؤرخ مين ٢٠: ٥٤٦)

٢) ليس لهذه الكلمة « تقريباً » معنى لكنْ

وقال الملحد الشهير في ايامنا هرناك: « لا بدّ من ان يقرّ العارفون والدارسون ان الترتيب التاريخي الذي جعلهُ التقليد للآثار المسيحيَّة الاصلية اي للاناجيل الاربعة هو ترتيب صادق ومن ثم يضطر المورخ ان يرضى بـه كما هو ولن ينكر كل ما يخالفهُ ». وقد لخّص احد العلماء الكتابيين اراء البروتستان والملحدين بقولهِ « انهم الان يجعلون تأليف انجيل متى ومرقس ولوقا في القسم الثاني من القرن الاول وانجيل يوحنا في السنين الاولى من القرن الثاني » وهذا ما تحرينا اثباتهُ في هذا الفصل

الفصل الثاني

في ان الاناجيل المقدسة لم يعترها تحريف

بعد ان اثبتنا حقيقة الاسفار الانجيليَّة ونسبتها الصادقة الى شهود عاصروا كاتبيها او قربوا من عهدهم واستشهدنا لاثبات الامر بالبراهين التاريخيَّة الصادقة شرقاً وغرباً علينا ان نخطو الى مسألة اخرى ليست اقلَّ شأناً من الاولى وهي براءة الاناجيل من التحريف. فلعلَّ المخالف يقول: « اني أؤمن بالانجيل أنهُ منزل من الله وانَّهُ كتاب الله اوحى بهِ تعالى وجعلهُ هدًى للبشر ورحمةً ولكن كيف تثبت ان هذا السفر الجليل بقي مصوناً كما انزلهُ الله وكما خطَّه الرسل المختارون ولم تُحرَّف يدُ الشيطان آياتهِ بالزيادة والنقصان والابدال فشوَّهت صدقهُ وافقدتهُ رونقهُ فاضحى الانجيل الشريف الذي يتداولهُ اليوم النصراني غير الانجيل الذي عرفهُ الاوَّلون »

وكأني بآخر يقول لي اذا اردتُ اثبات لاهوت المسيح والحكامهُ وتعاليمهُ مستنداً الى اخبار الانجيل او تلوتُ عليهِ آيةً او استشهدتُ بفصل: « مَن لي بان هذا هو النص الحقيقي وقد مرَّ على الكتاب سنون طوال وتداولتهُ الايادي ونقلهُ التراجمة من لغة الى لغة واكثرنا يقرأهُ في غير اللغة التي كُتب بها لاسيما وقد نشأت بين المسيحيين البدع والطوائف منذ الاجيال الاولى وهي لا تزال حتى يومنا تعادي الواحدة الاخرى وتخالفها في معتقداتها »

وزد على ذلك انهُ قام اليهود والوثنيون على المسيحيين منذ اول ساعة بشارتهم

رنان قد اعتاد ان يدع في كل ما يكتبه شيئاً من الشك والتردد

فشدَّدوا عليهم النكير واضطهدهم القياصرة وذبحوهم واحرقوا كتبهم ودمَّروا مذابحهم فلجأوا الى الدياميس « وتاهوا في البراري والجبال والمغاور وكهوف الارض معوزين مضايقين مجهودين » (عبر ١١ : ٣٧) فما ادراني لِمَ حفظوا كتبهم طاهرة من كل تحريف وكيف تُثبت ان اناجيلهم هي هي الاناجيل الاصليَّة

لقد اتينا بالاعتراض دون ان ننقص شيئاً من قوَّتهِ لنبين للقارئ ان ديننا لا يخاف البحث العلمي ولا يهرب من النقد والتنقيب بل يطلبهُ ويسعى وراءهُ خلافاً لمن يظن اننا نؤمن عن جهل وتسليم اعمى وانَّ اعتقادنا بلا اساس متين ونحن الحافظون لوصية هامة الرسل (١ بطر ٣ : ١٥) حيث اوصانا ان نكون مستعدين للجواب لكل من يسألنا عن حجج ايماننا ورجائنا وللدفاع عن ادلَّة عقائدنا وبراهينها . ونزيد على ما سبق ان براءة الاناجيل من التحريف لأمر غاية في الاهميَّة لان اعتبار الكتاب قائم بحفظ روايتهِ الاصليَّة فاذا حُرِّف كلامهُ وزيد فيهِ وأُبطل منهُ ضعفت ثقتنا بهِ وانحطت قيمته التاريخيَّة

ولعلَّ القارئ يوقفنا هنا معترضاً بكلمةٍ قالها القديس العلَّامة اغسطينوس « انهُ لا يومن بالانجيل لو لم يتسلَّمه من كنيسة الله ويتأكد صدقهُ بشهادتها المعصومة » فنجيب انَّ هذه الكلمة عميقة المعنى صادقة تمام الصدق وذلك لان التعليم الكنسي هو الحكَم القاضي بحقيقة قانونية الاسفار وتنزيلها ووحيها والشاهد للمؤمنين انها بمجملها ومفردها كلام الله الذي لا يُغش ولا يُغشّ ولان الكنيسة هي الحافظة لهذه الاسفار ولولا عنايتها وسهرها لَأَلحقت بها ظروف الزمان والمكان ما الحقت بسائر المؤلفات القديمة من التبديل والتصحيف . على انَّنا الان نضرب صفحاً عن عصمة الكنيسة ولا نستشهد بعوائدها وحرصها على كتابها الَّا كما يُستشهد بغيرها من الادلَّة التاريخيَّة المحضة ولا نطالب العالم والناقد الَّا بما يقضيهِ عليهِ حكم العلم والنقد المنزَّه عن الاوهام والمزاعم كما يليق بالعقل السليم والراي المستقيم

هذا واعلم انَّ التزييف او التحريف في كل كتاب يكون على انواع : منها ان يُعزى كتاب الى مؤلف هو براء منهُ كأنَّك تعزو الى امرئ القيس قصيدة هي بالحقيقة للمتنبي او لابي تمام . او تلحق بالطبري تاريخاً كتبهُ ابن خلدون . وهو اذا جاء عمداً كان التزوير بالذات وان جاء سهواً او جهلاً كان الخطأ المبين . فعلى اللغوي او

التاريخي كشف الزغوة عن الصريح واظهار الحق بمعارضة النسخ واستقصاء الشهود جيلاً بعد جيل ودراسة النصوص ونقدها مع عمل النظر في انشائها ولغتها واخبارها ونسقها عساه يهتدي الى الصواب. وهذا التزوير قد نفيناهُ عن الاسفار الانجيليَّة في مقالتنا السالفة بالبرهان والشهادات القديمة واقرار علماء عصرنا من مؤمنين وملحدين. ونزيده نفياً في بقيَّة مقالتنا هذه

ومن ضروب التحريف ان يطرأ على كتاب وضعهُ احد المؤلفين تزييف جوهري ينقلهُ من حالة الى حالة اخرى لما يدخل من التغيير في مواضيعهِ الهامَّة فيزاد عليهِ ويُحذف منهُ فيخسر من ثمَّ ما كان يستحقه من الاعتبار ويضحي مسخاً لا يُميَّز فيهِ بين الحق والباطل وبين كتابة المؤلف وتزييف المترجمين او تصحيف المصحِّفين. قابل مثلاً بين حكايات الف ليلة وليلة وبين الاصل الفارسي او اليوناني او العربي الذي أُخذ عنهُ اكثرُها تجد بينها اختلافاً غريباً فقد تصرَّف الناقل في ما قرأه او سمعهُ تصرُّف الروائي فزاد ونقَّص وغيَّر الظروف وبدَّل الاحوال كما شاءت مخيلتهُ. قابل بين زبور داود الذي يتداولهُ بعض كتبة العرب ومزامير النبي داود العبرانيَّة الاصليَّة الحقيقيَّة. قابل بين انجيلنا وبين الكتاب المزوَّر في القرن السادس عشر والموسوم باسم انجيل برنابا الذي تهافتت عليهِ مجلة المنار المصرية تهافتها على اكتشاف مهمّ (١ تجد كيف يكون التزوير والتزييف في الامور الجوهريَّة

ولعلَّ التزوير لا يقع الَّا في اقسام قليلة من السفر وان حُفظ نصّه اجمالاً لكن هذه الاقسام المحذوفة او المدخلة اذا كانت جوهريَّة في التاريخ فتُفقدت او دُسَّت دسّاً عُدَّ السفرُ مفقودًا او مشوَّهاً لاسيما اذا أُبدلت بنقيضها كما يفعل مزوِّرو الصكوك بحكّ بعض الالفاظ التي تغيِّر الشروط وابدالها بغيرها وكما يفعل النسَّاخ اذا ابدلوا عمدًا اسم البائع مثلاً باسم آخر او وسَّعوا حدود الحكان المبيع او نقصوه. او كما فعلت منذ امد غير بعيد جريدة الصباح الافرنسيَّة (le Matin) فافترقت اثم التزوير عمدًا وذلك انهُ حدث في احدى المدارس العلمانية عار يشين بالاداب فاطَّلعت الحكومة على تفاصيلهِ الرسميَّة والقت عليهِ الستار. لكن الجريدة المعادية نقلتهُ بالحرف الواحد

١) اطلب المشرق (١١: ٢٠٤ و ١٢: ٥٥٨)

وصدَّرتهُ بعنوان ضخم يستجلب الانظار قالت فيهِ ان الحادث قد تمَّ في احدى المدارس الاكليريكيَّة وهي تعرف افتراءها ولا تعبأ بهِ ترويجاً لغاياتها الكفرية

وقد زعم بعض الكتبة انهُ وقع مثل هذا التزوير في الانجيل الطاهر كأن المسيحيين قد بدَّلوا اياتهِ وحرَّفوها عن اصلها. وقد جاء على زعمهم في الانجيل الذي تداولتهُ ايدي المسيحيين في الاجيال الاولى ان المسيح هو بشرٌ محض لا ابن الله بالذات ولا مساوٍ لهُ وان الانجيل ينفي عن المسيح اللاهوت المزعوم وان فيهِ نبوات صريحة في مَن يأتي بعدهُ من الانبياء. فابطل النصارى هذه الآيات والنبوات لغايات في الصدور ونبذوا عبادة الله لعبادة الخليقة. ونحن نعتبر هذا الدعى افتراء محضاً لا على الدين النصراني وذويهِ فقط لكن على اصرح النتائج العلمية التي لا ينكرها من له ادنى المام بالتاريخ كما سترى في مقالتنا

وقد يُراد بالتحريف اختلاف النسخ بعضها عن بعض في الامور العرضية كالضبط في الاملاء والتركيب الصرفي او النحوي كما لو نقل المترجم المسند والمسند اليهِ من صيغة الفعل والفاعل الى صيغة المبتدإ والخبر او استعمل مرادفاً لكلمة لها مرادف كقولك « خبَّر وأخبر وروى » او لم يجرِ في ترجمتهِ على سنن القواعد النحويَّة والتراكيب الفصيحة (١ او اورد الحدث بلفظ الفعل بدلاً من لفظ الاسم. او اذا كان الناسخ قد اسقط سهواً التعريف في نسختهِ وحذف العاطف او سها عن كتابة آية او لم يُحسن قراءتها وغير ذلك مما يلحق ببعض الالفاظ او الجُمَل من الاحوال العارضة والتصحيفات الخارجية ومما يحدث لكل كتاب من اغلاط النقل مهما اجتهد الناقل واتعب فكرته لإنجاز عملهِ كاملاً. كل هذا من باب التصحيف العرضي الذي لا يمسّ جوهر المعاني ولا يُفقد التاليف ما يستحقهُ من الاعتبار

ولا ننكر وقوع هذا النوع من التصحيف في بعض المخطوطات الانجيليَّة لان حدوثه من الامور التي لا يمكن للبشر تحاشيها بدون اعجوبة دائمة لم يمدنا الله بها. لكنهُ اقام على الارض سلطة حيَّة وَكلَ اليها صيانة كتابهِ حتى من هذا التصحيف العَرَضي فتراها تحرّض علماءها جيلاً بعد جيل على هذا النقد العلمي خشية ان يلزم

١) اطلب في المشرق (٦: ٩٧ و ١١: ٦٠٣) امثالاً في الاختلاف اللفظي بين تراجم الاناجيل العربية مع الائتلاف المعنوي

الخطأ ولو آيةً من آيات الكتاب الكريم. هذا ما صنعهُ اوريجانوس وهيرونيموس وغيرهما على مرّ الاجيال بسعي الكنيسة ورضاها وتنشيطها. وقد قام في هذين القرنين الاخيرين طائفة من العلماء جدَّدوا هذا النقد العلمي لا على نسخة او نسختين لكن على اربعة الاف نسخة خطية كما ترى فجاءت نتيجة ابحاثهم اجلى شاهد وامتن برهان على براءة الاناجيل المقدسة من كل تزوير وتزييف وتحريف وتصحيف يُعبأ بهِ. ولعمري انَّ ذلك امر لم يُرَ في كتاب بشر ولم يخالج فكرًا امكان حدوثه وهي نعمة جُلَّى من الله الذي ادَّخر لايماننا الصادق فوزًا لا شبيه لهُ في عصر خنق فيهِ لواء الالحاد وتجرَّأ الجاحدون على الرب وعلى كتابه

وها انا نورد الان الادلة على براءة الانجيل من كل خلل وتحريف

لا نعرف حتى يومنا رجلًا لهُ المام بالتاريخ انكر علينا براءة الانجيل من كل تزييف منذ اواخر القرن الثالث الى ايامنا فادَّعى باسم العلم ان الانجيل الذي آمن بهِ مسيحيو القرن الثالث في كل البلاد المعمورة وكرز بهِ وعاظهم وشرحهُ علماؤهم في مئات من المجلدات التي لا تزال محفوظة هو غير انجيلنا الحالي او ان هذا الانجيل قد حُرِّف كلامهُ فزيد فيهِ فصل او أُنقص منهُ خبر او آية او تعليم او معنى هامّ وذلك لاستحالة هذا المدَّعى الذي يكذِّبهُ التاريخ والنقد والنسخ الراقية الى ذلك العهد

خذ الانجيل الشريف الذي يقرأه المسيحيون في كل اقطار العالم مترجمًا الى لغاتهم تَرَهُ واحدًا لا يختلف اللاتيني عن اليوناني عن السرياني عن الارمني عن القبطي الخ. وليس ذلك ناتجًا عن انتشار الكتب الطبعيَّة فان اختراع فنّ الطباعة لا يتجاوز وراء اربعة قرون ونحن في القرن العشرين للميلاد وقد كانت النسخ الخطيَّة مدَّة الف واربعمائة سنة وفيف الحافظة الوحيدة لكلام الله وان قيل يمكن تاويل ذلك بين الكاثوليكيين بسهر الكنيسة الرومانيَّة على الاسفار الالهية ومنع نشرها دون رخصة الرؤساء الشرعيين خشيةَ ادخال التحريف في نصوصها المقدسة. ولكن ها الكنائس الشرقيَّة بفروعها تشهد لذات الانجيل وتجلُّه وتحفظه مصونًا من كل شائبة

ولا حاجة للتنبيه ان الطائفة اليونانيَّة قد انشقَّت عن الوحدة منذ القرن العاشر او التاسع وسبقها الى ذلك اليعاقبة والنساطرة وفروعهم في القرنين الرابع والخامس وقد عاش كلٌّ من هؤلاء في وحدتهِ حافظًا ما تلقَّاهُ عن السلف من الاسفار الانجيليَّة

والكتب الطقسيّة ككنز ثمين. قلّب ان شئت نسخ الانجيل التي لا يزال المسيحيّون يتداولونها ويسمعون جهارًا في القداس تلاوتها ويعرفون عن ظهر قلبهم اياتها ويستشهدون بتعاليمها وتنقّب عساك تجد تزييفًا او تحريفًا يُعابُ به خلا ما سلّمنا بامكان حدوثه من التصحيف النسخي. فلم تمسّ يد للمبتدع كتاب الله رغمًا عن مناصبة بعض نصوصه لهرطقته فهو اذا الجأه الجدال حرّف المعنى فلواه الى معنى اخر او خالف النور المبين معاندًا لكن يده لم تجرأ على اثم التحريف والتزييف اللفظي لعظم اجلاله لكلام الله وخوفًا من تبكيت كل الكنائس ومناقضتها (١ (له بقيّة)

المهاجرة : منافعها ومضارّها

لحضرة الخوري يوسف العشي

لستُ اوّل كاتب طرقَ هذا الموضوع فقد تقدّمني كثيرون بين مقلّ مخلّ ومكثر ممل دون الاحاطة بجميع اطرافه بل اقتصروا على وجوه احرازها ادبية كانت او مادّية. ولما اصبحت المهاجرة اليوم من اهمّ المسائل التي تشغل معظم الشعب السوري ولاسيما اللبناني رأيت ان اتطرّق بالكلام اليها من حيث ضرورتها وفوائدها ومضرّاتها مبيّنًا ما عنّ لي اخيرًا من اسباب الاصلاح التي لا ندحة عنها بسبيل نجاح الامة والوطن . .

١ً ضرورتها

مَن نقّب عن احوال الامم والشعوب وتقصّى عن مواطنها يدرك لاول

١) ولا نستثني الان انجيل عدد من البروتستان فاننا في هذا البحث التاريخي نرضى بانجيلهم ونبرّئهُ عن التزييف الجوهري في الامور الهامة لانه لا يختلف عن الانجيل الحقّ باكثر من فقرتين او ثلاث وبتعريب آية او آيتين فنحن نتكر عليهم استبدادهم براجم في ابطال هذه الاسطر المترلة وان كان عددها لا يزيد على الخمسة عشر سطرًا والتعليم الذي تتضمنهُ يمكننا اثباتهُ من مصادر اخرى عديدة ونحرّم لذلك مطالعة انجيلهم. هذا ما نعتقدهُ انجازًا لأحكام الدين. على ان العالم والمورخ لا يحرم تاريخيًا براءة كتاب من التزييف وان وجده ناقصًا صفحة او صفحتين او اساء المترجم عمدًا او سهوًا نقل بعض كلمات. وسنعود في ما يلي الى الايات المحذوفة ونثبت حقيقتها التاريخية

وهلة هذا الميل الاختياري أو الاجباري الى المهاجرة . فما لنا الان والبلاد البعيدة عنّا بل ننظر الى ما حوالينا أوَ هل نجد قرية او مزرعة او مدينة لم يكن معظم اهلها من المهاجرين أو هل ينكر احد ما كانت عليهِ بلاد اليونان من الهمجية قبل ارتحال نِحَل الفينيقيين اليهم ؟ أوَ هل طمست آثارهم في اسماء شعوبهم ومدنهم ودياناتهم ومبادي تهذيبهم ؟ ومن أوصل اليهم حروف الكتابة سوى قدموس الفينيقي ؟ وبالجملة قد احرز اهل فونيقي لهم فخرًا عظيماً اذ جابوا البحار ومهدّوا المسالك وهذّبوا جميع الامم والشعوب التي هاجروا اليها في اسيا وافريقيا واوربا حتى امريكا كما ذكر بعض المؤرخين ؟ قال ارباب البحث ان الفينيقيين هم اول من ركبوا البحار وشقّوا عباب اليمّ . ولو استقرينا كل الممالك والقارات وبحثنا عن دمارها وعمارها لوجدنا السبب في المهاجرة منها او اليها

ولذ كنتُ حريصاً على معرفة عيال لبنان واصلها فلم اكن اتغاضى عن السؤال عنها في كل قرية او بلدة دخلتها فرأيت ان الحركة العاملة في دولاب هذا الكون انما كانت المهاجرة ولا نتكلف كثيرًا لاثبات ضرورتها لان ليس للانسان وطن حقيقي يكفل بنجاحهِ وراحتهِ من كل الوجوه وعليهِ يسعى وراء هذه الامنية ورائدهُ الامل فيقتحم الاخطار لبلاد بعيدة الشقّة متراخية السبيل . فالفينيقي لم تكن قرطاجنّة واليونانية واوربا وطنهُ وكذلك ليست اميركا وطن الاوربيّين ومع ذلك توطّنها هؤلاء واقاموا بها غير آسفين على بلادٍ نشأوا بها او وُلدوا فيها . اذًا المهاجرة من ضروريات المعيشة عند قومٍ لا يرون بوطنهم خيرًا يرجونهُ ولاسيما عند الشعب اللبناني الذي تنحصر ثروتهُ بالافراد . ومن عرف لبنان وصخوره وضيق اراضيهِ وانحصارهُ لا يتمالك من العجب بقناعتهِ وصبرهِ لان ما يرده من سهولهِ وجبالهِ لا يكاد يفي بقليلهِ ولمّا استقلّ بظروف تلك الايّام لم يكن الّا ليضغطهُ محدّدو تخومهِ ويشدّدوا النكير على اهلهِ بضيق نطاقهِ وانحصارهِ ضمن دائرة لا يقوم له بها قائمة فكأني بكبارهِ اوائلهِ لم يفطنوا لما يحلّ بهِ من الفاقة والحاجة في مستقبل الايّام لدن يكثر اهلوهُ اضعاف ما كانوا عليهِ فاقتضى له لبنان آخر يضمّ هذه الزيادة . ومن اين لهُ وتُحدق بهِ جبال لا يقدر او لا يجرأ او لا يأمن على اختراقها فلم يكن امامه إلّا البحر فاخترقهُ وخاض عبابهُ مخاطرًا بحياتهِ والحياة عزيزة . فكانت المهاجرة اذًا

ضرورية اولاً للتخلّص من نير الفاقة ثانياً للسعي في تحسين الحياة ثالثاً لضمانة المستقبل

٢ فوائدها

من درس احوال العالم الجديد وتفقّد مدنهُ وعواصمهُ وتمدّنهُ وعلومه واختراعاتهِ وتقدّم اهلهِ واسباب الراحة والهناء ادرك عظم فوائد المهاجرة اليهِ. ومَن قابل بين مدارسنا ومدارس بلاد المهجر وعلومنا وعلومهم وصنائعنا وصنائعهم وآدابنا وآدابهم يعلم مَن نحن وهؤلاء. لستنتج انَّ المهاجرة من ظلمة الليل الى نور النهار هي من اهم الاسباب للنجاح ومن اعظم الوسائط للثروة. ويمكننا ان نحصر هذه الفوائد تحت امرين يوافقنا عليها كل نزيه تجرّد عن الغرض: فوائد مادّيّة وفوائد ادبيّة

اما ما يخصّ الفوائد المادّية فشواهد العيان اصدق من شواهد اللسان ومَن عرف احوالنا فيما مضى وعرفها الآن لا يتمالك من العجب والانذهال عن هذا الانقلاب السريع. أو هل كان يخطر ببال ذلك الفقير الذي لم يملك شروى نقير ان يقتدي بالامم المتمدّنة ويشيد البنايات المرتفعة ويكسو بيتهُ بالاثاث الفاخرة التي لم يكن يحلم فيها بنومه؟ او هل دار بخلَدهِ ان يبتاع من معلمهِ اراضيهُ ويستدينهُ مالهُ لولا المهاجرة؟ أو لم تكفهِ مهاجرتهُ شرّ فاقته التي علمتهُ طرُق الاهانة والذل؟ ومما لا مشاحة فيهِ انهُ لولا المهاجرة لاصبح معظم اهالي لبنان دون مأوى إلّا بما يجود عليهم اصحاب الثروة من بيوت يأوون اليها واراض يستثمرونها مناصفةً. ولكن هل يقوم هذا النصف بأود هؤلاء العلة (الشركاء) الذين تتألف عيالهم من عديدين ولا حرفة في لبنان ولا مصانع ولا حركة .... على ان هذه الفوائد لم تنحصر في الفقير بل استعذب طعمها الغنيّ ايضاً بداعي تصاعد اسعار الاملاك والاراضي فان قطعة الارض التي كان اشتراها الغني بمبلغ خمسة او عشرة الاف غرش قد ابتاعها الفقير منهُ بعشرات الالوف وهكذا ازدادت ثروة الغني ايضاً بواسطة المهاجرة فضلاً عن السعة بوجود الدراهم التي خفّت عن اثقال المرابين الذين كانوا يسلفون المائة بخمسة عشر فصاعدًا واما الان فمن التسعة فسافلاً. وقصارى الكلام قد احدث للمهاجرين حركة حيوية في التجارة والمعامة لشغلت البنّاء والحداد والصانع والتاجر مما

تأول فائدته لابناء وطنه. ومن رفع اجور ذوي الفاقة غير المهاجر؟ اذًا للمهاجرة فوائد مادّية لا ينكرها عاقل كما ان لها فوائد ادبيّة اكثر قيمةً ولسمى منزلةً منها العلم وآداب المعاشرة وتولّي المناصب العالية الى غير ذلك ممّا يتعذّر الحصول عليه ونحن ضمن هذا الاطار ولا اسباب ولا وسائط ولا ولا.. فكم شبان كانت دواعي حالتهم حرمتهم من التعلم بالمدارس لولا المهاجرة. او لم يكن الانتقال من تحت السنديانة الى معاهد العلم العالية ومن معلم القرية الى اساتذة شهيرين ومن صرف الوقت بتهجية ط و ب ى الى اقاتة العقل بافانين العلوم من الفوائد الظاهرة؟ ولعمري كيف تتّسع معارف اصحابنا وهم بين جدران تحت الارض لم تتخطَّ معارفهم الزراعية غير القاء البذار في الارض وادواتهم غير المعول والرفش ومن ضروريات المعيشة غير المسراج؟ ... او كيف تتّسع معارفهم ومعاشروهم اناسٌ سذّج نشأوا بين الصخور والادغال. واين هذه من بلاد العجائب ذات الغرائب او هل كان يدور بخلد فلاحنا التلغراف اللاسلكي ومفاعيل قوة البخار ومخاطبة اثنين بين اميركا واوربا الى غير ذلك من الاختراعات والصنائع والفنون التي لم يكن يحلم فيها في سباته لولا مشاهدتها بعينيه والاضطلاع على اسرارها؟

ان الآداب تكتسب بمعاشرة اهلها والحال ان الشعب الاميركي هو شعبٌ عُرف بدماثة اخلاقه وحسن آدابه وقد ساعدني الحظ ان عاشرت الكثيرين من السوريين المهاجرين فرأيت بالحقيقة منهم اناساً اكدّوا لي ما كنت اعتقده بذكاء السوري وقرب مناولته وحسن استعداده

اما المراكز السياسية التي تقلّبوا فيها والمناصب العالية التي تولّوها لدى الحكومة فهي من اكبر الادلّة على نجاحهم وحسن استعدادهم ولولا التطويل لكنتُ عددت بعض هذه المراكز والمناصب ليعلم العموم فوائد المهاجرة هذا عدا عن تجارتهم الواسعة الاطراف وتولّيهم ادارة المعامل والفبارك وصنائعهم الدقيقة في كل الفنون

٣ اضرار المهاجرة

بعد ان استوفينا الكلام عن ضرورة المهاجرة وفوائدها يتسنّى لنا الان استيعاباً للموضوع بيان مضارّها من وجوه نذكرها بالتفصيل

ليست اضرار المهاجرة اقلّ من فوائدها. ١ً: اهمال الاراضي التي تشكو من قلّة العملة بحيث لا يرّ علينا سنون قلائل إلّا وتصبح اراضينا منبتاً للحسك والقتاد ومساكننا مأوى للشيوخ والعجز. ٢ً الاضرار بالنسل وتربية الاولاد وفقدان الحنوّ الوالدي والاحساسات البنويّة التي تضعف بالبعاد والفراق لا سنة بل سنين. ٣ً خرق حرمة الحرّيّة في بلاد الحرّيّة مما يندى له وجه الانسانيّة خجلاً. ٤ً التخلّق باخلاق السوء ومعاشرة ذوي الطبقة السافلة ونقل امراض شتى لم يعرفها اللبنانيّون سابقاً. ٥ً ما يأتيه المهاجرون من الاعمال المغايرة للدين والآداب معاً الى غير ذلك مما نقرأهُ في الصحف اليوميّة ... وليس بدعاً اذا حطّت هذه الاعمال من منزلة السوري وسوّدت ببعض صحائفه وجعلت الامريكي ينظر اليه شزراً حتى شدّد النكير عليه وحرمهُ كثيراً من الحقوق التي كان يتمتّع بها زمناً

واما الطرق التي تضمن فوائد المهاجرة هي الاعتدال والقناعة اولاً ثم الاعتماد على ما نقرّرهُ من القواعد المثلى الآتية: ١ً ان يصحب الرجل امرأتهُ ولا ينفصل احدهما عن الاخر. واذا كان لهم بنون فليحرصا كل الحرص عليهم بوضعهم في المدارس الدينيّة ويعتنيا بامر تثقيفهم وبث روح الدين ومحبّة الوطن بقلوبهم. ٢ً ليس الاعزاب في حاجة للتغرّب سواء كانوا شبّاناً او شابّاتٍ لئلّا تتشوّه محاسن آدابهم ويخرقوا ناموس الحرّيّة المقدس. ولا يخفى كم من الاخطار تتهدّد هؤلاء لتفقد جمال عفافهم وتحطّ من شأنهم. ٣ً ألا يعقد المهاجرون الشركات التجاريّة والماليّة مع الاغراب الذين لا دينَ لهم يردعهم ولا آداب تكبح جماحهم. ٤ً ألا يمتلكوا العقارات ويشيّدوا المنازل في بلاد الغربة لئلّا تغشي عيونهم محبة الحرص وينسيهم الجشع أنّ لهم وراء البحور شيخاً طاعناً في السنّ يرقب رجوعهم بفروغ الصبر ووالدة تشكو تصرفهم وبنين قرّحت جفونهم العبَرات وبيتاً صغيراً بين اشجار التوت والسنديان آواهم واهل واقارب يتفقّدون الطرقات علّهم يجدون مَن احبّتهُ انفسهم

٥ً كم يحسن بهم أن يتفقّدوا وطنهم كل مدة ولو كلّفهم ذلك المشاقّ وتكبّد المصاريف

٦ً فليتذكّروا دون انقطاع الغاية التي قضت عليهم بسفرٍ شاقّ الى بلاد بعيدة المزار نازحة السبيل مختلفة الجنس واللغة والوطن والمناخ والمشرب والدين ...

٧ فليذكروا اخيراً انهم ابناء أمة قد حافظت على دينها بدمها وعلى آدابها بما عزّ لديها. وليحذروا كل تقليد مغاير له والدخول في الجمعيات السرية لاسيما الماسونية التي تعلم سذاجة السوري فتتعبّهُ وتدرك طيب سريرته فتبني له من الامال قصوراً حتى تصطاده باشراكها دون ان يدرك من امرها شيئاً. هذا ما اردت إبرازهُ بهذه اللمحة عن المهاجرة لعلّ بها افادة

زراعة التبغ التركيّ في لبنان

للشيخ يوسف افندي الجميّل الاجزائي القانوني ورئيس اعمال المختبر الكيماوي سابقاً (تابع)

تسميد (تسويد) التربة (تابع)

ومعدّل ما يعوزهُ رأس الماعز من السماد كل سنة ما يزيد عن وزنهِ من ١٢ الى ١٥ ضعفاً. ويشتمل براز الماعز على ما يأتي :

١ الازوت	٠,٩١	غراماً في المئة
٢ الحامض الفسفوريك	١,٢٢	«

ويتضمن بولهُ منها :

١ الازوت	١,٦٨	غراماً في المئة
٢ الحامض الفسفوريك	٠,٠٠٥	«

امّا زبل الشتاء الذي يتركّب من مزيج ونقيع طال عهدهما فهاك ما يدخل فيهِ من العناصر مع مراعاة نسبتها

١ الازوت	٠,٦٥	غراماً في المئة
٢ الحامض الفسفوريك	٠,٢١	«
٣ البوطاس	١,٧١	«

فبناء على هذه التحليلات والمقادير قرّر علماء الزراعة الكيمويّون استعمال مُركّبات كيمويّة متنوّعة تحتوي على المواد السابقة بنسبة كمّيّاتها تقريباً ولكن باوزان وعيارات محصورة. وقد ارشدهم الاختبار الطويل المدقّق الى ان يحسنوا ضبط مقادير ذلك السماد الكيمويّ بحيث ينالون منهُ غاية ما يُستطاع من مفاعيله الطيّبة باقلّ ما يمكن

من النفقات دون ان يزيدوا في العناصر المذكورة شيئاً عمّا يحتاج اليه التبغ ليمتصّهُ ويستفيد منهُ لنموّهِ

واعلم انَّ مركّبات السماد الكيمويّ تختلف على اختلاف البلاد وخصوصاً على اختلاف اجناس التبغ . فانَّ الوصفات الشائعة في معامل اوربّة الكبرى قد وُضعت للتبغ الاوربيّ ذي الاوراق الكبيرة الغضّة الممتلئة والقليلة الاشتمال . ومن اشهر المعامل لاستحضار انواع السماد الكيمويّ في فرنسة بل في العالم كلّهِ معمل « سان گوبان » (S^t - Gobain) وعنده منها شكل موسوم برقم ٩ وهو نهاية في الجودة هذا تركيبهُ :

الحامض الفسفوريك المذوّب في الماء وحوامض الليمون	٦	في المئة
الازوت النوشادري	٥	
بوطاس السلفات	٥	

وعلى ظنّنا انهُ من الواجب تحوير هذا التركيب لتبغنا اللبناني باصنافهِ نظرًا لصغر ورقهِ وعطريّتهِ الخاصّة على الصورة الآتية

الحامض الفسفوريك	٧	في المئة
الازوت النتريك	١	
الازوت النوشادري	٧	
بوطاس السلفات اي الكبريتات	١٢	

فهذا المزيج في الغالب يجدي الورق ليناً ولدونةً مع متانة ودهنيّة وقلّة اضلاع وحسن لون وطيب رائحة . وهي الصفات التي ترغب العموم في الاقبال على تبغنا الشرقيّ

وقد قابلت بين هذا السماد الكيمويّ وسواد الماعز فوجدت انَّ كيساً منهُ وزنهُ مئة كيلو يوازي ثلاث غرارات من زبل الماعز اي ٣٩٠٠ ليترًا يتضمّنهُ من العناصر الكيمويّة المفيدة التي يمتصّها النبات فيتغذى بها بسهولة

ولمّا كان هذا السماد الاصطناعيّ من حيث تركيبهِ دسماً مغذياً يسهل على النبات الاغتذاء بهِ وتمثلهُ سريعاً كان من المناسب استعمالهُ كل سنة فيُلقى منهُ نصف كيس في كل كدنة فلاحة . ولا بأس من اتخاذ تراكيب مختلفة من السماد الكيمويّ وفقاً لطبيعة التربة وجنس التبغ لكنَّ ذلك يقتضي معرفةً تامّة بالموضوع

واجراء تجربات واختبارات في امكنة محصورة تحت نظارة مراقب خبير

ويُرشّ هذا السماد في شهر آذار على سواء امّا باليد كما يُبذر القمح وامّا باداة خاصّة وذلك بالتتابع في وجه الفلاحة الثالث بحيث لا يتجاوز بعد ذلك التأخير عنهُ اكثر من يوم او يومين فيمزج السماد جيدًا بالتربة

وقد يحسن استعمال السمادين المذكورين بالتتابع فتنثر مثلًا في وجه الفلاحة الثاني غرارة سواد على مساحة ٤٠٠٠ ذراع مربّع وهذه الغرارة تكفي لثلاث سنين ثمّ تبذر كل سنة قبل وجه الفلاحة الثالث على المساحة عينها خمسين كيلو اي نصف كيس من السماد الذي ذكرناهُ

ومهما اختلف نوع السماد فلا بُدّ ان يكون خالياً من الكلورور ويُلقى في التربة قبل التشتيل بزمن ما ليتمكّن من الامتزاج بالتربة جيّدًا. ولو ذرّ السماد في وقت التشتيل لأمكنهُ ان يجفّف سريعاً سطح الارض ويحرق اصول النبات وقد لا يمتزج على هذه الصورة بالتربة امتزاجاً كافياً فيبقى في ذلك الفصل دون فائدة

وحيث يكون العقار رخيصاً والسواد غالياً فيحسن ان يستعاض عن سماد الماعز بزرع بعض البقول كالفول والباقية والترمس او نباتٍ آخر من الطائفة القرنيّة. فاذا نمت هذه المزروعات تُحرث التربة حرثاً بالغاً بحيث تُدفن تلك النباتات في قلب الارض وتختمر بحرارتها وتتحوّل فيها الى تربة زراعيّة غنيّة بالازوت وهي تستمدّ هذا العنصر من الهواء الجوّي وتتشربهُ بواسطة فطريّات غاية في الدقّة تنبت في جذور تلك البقول وتتكون على شبه حبوب ناعمة مستديرة كأنها الثآليل

على انّك ان زرعتَ الارض ترمساً او فولًا او بقولًا من جنسها وجب عليك ان تنتظر تمام نموّها وقطف ثمرها فتفلحها بعد ذلك وتدفنها بالحرث في باطن الارض وهي لا تزال خضراء. ويسمّون هذه الطريقة بالتسميد الاخضر وهي تستدعي نحو سنةٍ من الراحة للارض يصحبها وجهُ فلاحةٍ وزرعٌ بلا غلّة في الوقت الحاضر

واذا اخصبتَ ارضاً على هذا المنوال واردتَ ان تزرعها تبغاً فزدْ عليها سمادًا كيمويًا كما كنت فعلتَ لو سمّدت التربة نصف سماد على الطريقة المشروحة سابقاً

ولقد أسهبنا الكلام في امر تسميد الارض لعظم شأنهِ ولأنّ عليهِ المعوّل في انبال زراعة التبغ وجودتهِ اذ لا يخفى انّ التربة التي لا تُصلح بالسماد يكون نباتها

ضئيلاً سقيماً ويكون ورقها مزولاً ذابلاً واذا جف ترى لونهُ شاحباً باهتاً خالياً من الدسم والمتانة يتفتت في ايدي العمّلة الذين يملّونه « ويُوَضّبونه » فيصعب حفظهُ في الطرودة. واذا شربهُ الشارب وجد طعم دخانهِ خفيفاً يهيج بسببهِ الحلق

وعلى خلاف الامر اذا كانت كمّيّة السماد زائدةً فما ساقُ التبغ نموًّا بليغاً وتوفّر ورقهُ متكاثفاً واصبح مفرط الدسم والغلظ فيصعب تجفيفهُ واذا جف كان لونهُ قاتماً وملمسهُ خشناً وهو يُسمّى حينئذٍ تبغاً بريًّا ومتى اشتعل سمع له اجيجٌ (تشرقط) وكان دخانهُ عَفِص الذوق خالياً من الرائحة العطريّة

امّا اذا كان التسميد معتدلاً فيبلغ ساق النبات نموًّا كافياً دون ان يتجاوز علوهُ مترًا يكون الورق قليل العضلات والضلوع وافي النموّ وبعد تجفيفهِ تراهُ لشقر او ذهبيّ اللون شفّافاً لَيِّن الملمس مكتنزًا ثابتاً واذا هرّمتهُ وجدت تبغك رفيعاً قليل الفضلات سهل الاشتعال دون اجيج (تشرقط) ودخانهُ حرّ الطعم ذكي يطيب في الحلق ويحلو

وغنيّ عن القول انّ الحشائش الغريبة المؤذية تنبت سريعاً وتزداد بعد وضع السماد فلا بُدّ من اتلافها بفلاحة حسنة تدفنها في الارض او بقتنيتها بالمسلفة في اوّل ازدهارها قبل ان تبزر. وعلى الزارع ان يقتلع خصوصاً الشيل والاشواك فيحرقها

في التشتيل

يُبتدأ بالتشتيل في لبنان اصوليًّا منذ اواسط نيسان الى اواخر ايار. ولا يجوز ان يُبدأ بهِ قبل ذلك الّا اذا كانت الاراضي خفيفة والتربة رقيقة. وكذلك لا يؤخر على الوقت المعين الّا للاراضي القويّة العميقة الرطبة. ثمّ انّ الشتول المغروسة باكرًا تعرّض للامطار الغزيرة فتنمو كثيرًا وسريعاً لكنّها تفقد كثيرًا من عطرها وربّما اصابت العفونة اصولها. وامّا الغروس (النصوب) التي يؤجّل زرعها فنموّها قليل وانّما تعوّض بجودة صنفها وطيبهِ عن قلّة استغلالها. ومع هذا تكون النصوب معرّضة لامطار ايلول قبل نضجها التامّ فاذا هطلت عليها تلك الامطار تشرّبتها واصبحت الاوراق التي لم تُقطَف بعد وهي الاوراق العالية بخسة الثمن كقيمة ورق التبغ المسقيّ. والورق بعد تشرين الاول لا يبلغ نضجهُ وتصبح مناشرهُ

الموجودة بالفلاء هدفاً للامطار التي تتلفها ما لم تُتَّخذ الاحتياطات الخاصّة الكثيرة النفقات

ويمكن التشتيل في النصف الاول من حزيران اذا كان لم يزل في التربة رطوبة وبالاحرى اذا كانت الطبقة الرطبة الواقعة تحت الطبقة السطحيّة لا يتجاوز عمقها من ١٥ الى ٢٠ سنتمترًا. واذا تأخّر التنصيب الى ما بعد ذلك ترى النصوب لا تعلق جيّدًا وما علق منها بالسقي القليل المتواتر يبقى ضئيلًا لان طبقات التربة العميقة تكون جفّت وماء السقي يسقط على وجه الارض فلا يلبث ان يتبخّر بفعل حرارة ايّام الصيف الطويلة وتبقى التربة حول الجذور صلبة. على انّك اذا كرّرت السقي وكان الريّ وافرًا ترى النصوب تثمر كثيرًا وليس فيها شيء من خواصّ التبغ المرغوبة فتكون اوراقها كبيرة الحجم غليظة النضوع صعبة الانقاد حادّة الطعم لا يُشعر لدخانها ذوق ولا عطر

فلزراعة التبغ وتربيته اذن وقت مناسب لا بُدّ من مراعاته يختلف نوعاً على اختلاف الامكنة والتربة والازمنة بين حدود نيسان وحزيران

ثمّ انّ الاراضي المعدّة لزرع التبغ تُقسم بحسب تقطيعها الطبيعي اقساماً يبلغ عرض كل قسم ٢٥ مترًا بالتقريب ويُجعل لكل قسم رقمٌ للدلالة اليه مع تعريف جنس التبغ المقصود زرعهُ وفقاً لتربته . ويُختار للتنصيب وقت جفاف التربة الى عمق خمسة سنتمترات على الاقلّ و٢٠ س. على الاكثر

ثمّ يؤلّف الوكيل افواجاً او زُمرًا من العمّال او العاملات قوام كل زمرة ثمانية او عشرة اشخاص ومع كل زمرة اربعة او خمسة اولاد او بنات ويضيف الى كل زمرتين فلّاحاً . فالفلاح يباشر بعمله باكرًا جدًّا فيخدّد الارض بالسكّة خطوطاً مستقيمة كما يعهدها الفلّاحون الماهرون ويجعل وجهتها من الشمال الى الجنوب (القبلي) ويبعد كل خط عن الآخر ٣٠ سنتمترًا تقريباً للتبغ الطريّ و٤٠ للانواع الباقية. ويجب ان يكون عمق الخدود او الثُّلَم (الثلوم) نحو ٢٠ س والعرض بين قمّة كل ثلمة نحو ٢٥ سنتمترًا . ومراعاة هذه الشروط تنوط ببراعة الفلّاح وحسن عمله. ويتبع الفلّاح عاملان في يد كل منهما مجرفة لتسوية اسافل الثُّلَم وتنقيتها من الحجارة الكبيرة

وكذلك يتقاسم افراج العملة كل قطعة بعد تخطيط الثَّلم بالسكَّة فالعاملان يسوّيان بالمجرفة اسافل الخطوط ويليهما غيرهما من العملة حاملين المغاريس فيكون مع العامل صحن عليه الانصاب (الشتول) فيحفر باداة خاصَّة ويغرس كل نصب في حفرته

وعلى هذه الصورة اذا تبع الزارعُ آثار الفلاح يسهل العمل لانَّ الاغراس اذا نصبها العملة سريعاً بعد تخديد التربة وتسويتها تجد ارضاً رطبة معدَّة لقبولها . ولو مرّ على الفلاحة اكثر من ساعتين او ثلاث ساعات لأصبحت تربة الثَّلم ناشفة في فصل الحرّ وهو وقت غرس الانصاب . وللشمس والهواء حينئذٍ فعلٌ اعظم لسعة الثَّلم وبسطها

امَّا المغاريس التي مرَّ ذكرها فهي ادوات صغيرة من خشب او حديد تجعل اطرافها على شكل الزاوية المستقيمة ⌐ فقسم من هذه الادوات هو المقبض (المسكة) بطول نحو ١٠ سنتمترات وقطرُها او سكُها من سنتمتر ونصف الى ٣ سنتمترات . امَّا القسم المجهَّز لحفر الارض فيكون طولهُ من ١٥ الى ٢٠ س وقسمهُ الاسفل مخروط الشكل ينتهي برأس محدَّد من فولاذ (بولاد) . وان كانت المغاريس من خشب فيصفَّح اسفلها من حديد ويجعل رأسها من فولاذ . فتكون على شكل سكَّة فلاحة صغيرة

امَّا الصحون فمن تنك وفي السوق منها كثير باثمان زهيدة . وقد اعتدنا نحن على ما يبلغ قطرهُ ٢٠ سنتمترًا وعمقهُ نحو ٥ س . فاذا باشر العملة بالشغل عمد الناظر الى صناديق النصوب الموضوعة في الظلّ فياخذ الحُزَم ويضع كل حزمة ذات ٥٠ نصبة على صحن فينقلها الارلاد الى العملة الزارعين ليغرسوها قباعاً بحسب اللزوم

ويجعل الزارع او الزارعة الصحن عن يساره وينصب الاغراس من اليمين الى الشمال على خط مستقيم وعلى العامل ان يمسك المغرس بيده ويغرسهُ نحرًا في الارض عموديًّا الى عمق ١٠ س الى ١٥ س في اسفل الثلم ويحرّك المغرس ذهاباً واياباً على موازاة الثلم ثمَّ يخرجهُ برفق بينما يأخذ بيده اليسرى غرسةً (شتلة) من صحن الاغراس بين اصبعي الابهام والسبَّابة وفي حين يُخرج المغرس من التربة تُدخل حالًا النصبة فيها الى منتصف الاوراق الاولى ويُردّ حينئذٍ عليها شيءٌ من التراب

بالغرس وتُنثر التربة برأس الغرس نثراً خفيفاً على مسافة خمس سنتمترات من الشتلة لتلبد التربة قليلاً حول الجذور ويثبت اصل الغرسة في الارض

واعلم انَّ السرعة في نصب الاغراس في الحفرة بعد اخراج الغرس منها لمفيدٌ جدًّا قبل ان ينهال عليها التراب الجافّ الناعم فان نفذ فيها لشغل قسماً من المكان المعدّ للاغراس فاضرَّ بها

وهكذا يتواصل العمل في نصب الاغراس الجديدة بعد أن تُترك مسافة ١٥ سنتمترًا بين كل نصبة اذا كان التبغ من الطبقة الاولى امَّا انواع الطبقة الثانية فالمسافة بين الانصاب ٢٠ س. ويمكن لضبط هذه الاقيسة ان يتَّخذ للغرس نفسهُ كمقياس فيجعل طولهُ ١٥ س. للصنف الاول و٢٠ للثاني و٤٠ للثالث

وبعد غرس الانصاب في ثقوبها يتبع الزارعين صغارُ العمَلة وبيدهم مرشَّات (اي اباريق كبيرة للسقي) بدون رشَّاشة بل « بزمولة » رفيعة فيصبُّون الماء على كل نصبة على قدر ٢٠٠ غرام اي قدح صغير يسكبونهُ على بعد ثلاثة او اربعة سنتمترات من ساقها. والافضل ان تُتَّخذ لسقي هذه الانصاب اباريق بزمولة ذات شعبتين بينهما حاجز من ٣ الى ٤ س. فالماء المسبوب يحيط دائرة الاغراس سريعاً وتماماً. ويكفي ساقٍ واحد عادةً لغارسين وعلى كل حال لا يوافق تأخير السقي عن الاغراس اكثر من ساعة او ساعتين. فانَّ تأجيل السقي في فصل الحرّ ولاسيما عند هبوب الريح الحارَّة كما يجري غالباً وقت التشتيل لمَّا يعرّض زرع التبغ الى الاضرار والتلف ويكفي في اكثر الاحيان أن تُسقى الاغراس مرَّة واحدة فلا يُكرَّر الَّا اذا كانت التربة جافَّة واشتدَّت الحرارة فظهر في الاغراس ذبول فيمكنك حينئذٍ ان تسقيها مرَّة ثانية في اليوم التالي او ما يليهِ فتُعطى كل نصبة نصف قدح ماء

والفلَّاح عادة يشلم في يوم بالسكَّة ما يُفلَّح في يومين على الاقلّ. ويكفيهِ ان يستعين بزمرتين او فوجين من العملة لغرس تلك المساكب وسقيها. ويُعدَّل يوم الفلاحة بمساحة ٤٠٠٠ ذراع مربَّع والهكتار الذي تكسيرهُ ١٠,٠٠٠ متر مربَّع يساوي ٢١,٧٨٦ ذراعاً مربعاً فيوازي خمسة ايام ونصف فلاحة تقريباً. وكل متر مربَّع يُزرع فيهِ من ٨ الى ١٠ اغراس بوجه الاجمال. وعليهِ يبلغ عدد هذه الاغراس لكدنة فلاحة من ١٢,٠٠٠ الى ١٦,٠٠٠ غرسة على حسب انواع التبغ وضروب التربة

وافضل وقت للتشتيل هو صباح النهار باكرًا اي من الساعة ٤½ الى ٩ والمساء من الساعة ٣½ الى ٧½ . امّا اذا كان الحرّ قويًا وتتجاوز درجة الحرارة ٢٥° من المقياس المئوي فالاولى ان يجري التشتيل مساء لأنّ الاغراس يمكنها ان تستفيد لتعلق في الارض من طراوة الليل . والايّام التي تصلح خصوصاً لتنصيب الاغراس هي الايّام الطريّة الهواء المغيّمة السماء فعلى الزارع ان يغتنم تلك الفرصة ويسرع الى العمل فيها

وممّا يجب الاعتناء به في اثناء التشتيل ان لا تُمرّس الاغراس ولا يُضغط عليها ولا تُلوى جذورها وان تُنقى الاغراس السقيمة العليلة فتُطرح . وكذلك ينبغي على الباقي ان لا يرشّ الماء على الاوراق فتحرقها الشمس ولا يسكب الماء قريباً من الساق فتصلب التربة حولهُ ويعسر نموّهُ

واذا نُصبت الاغراس لا تلبث بعد مدّة ان تذبل ثم تعود اليها نضارتها بعد ثلاثة او اربعة ايّام بالتدريج حتى تبلغ قوّتها تماماً بعد اسبوع من غرسها . وربّما ضويت بعض الانصاب حتى تظنّ انها تلفت لكنها بفضل رطوبة التربة تعود الى النموّ بعد ١٥ يوماً وانّما تبقى ضئيلة ان لم تتداركها بالسقي المتواتر . والاولى ان تستبدل الاغراس التي لم تتأصّل جيدًا بعد ثمانية ايّام بانصاب جديدة قويّة

ومن الزارعين من ينصب الاغراس في الارض المرويّة بالسقي فيكون عملهم سريعاً وسهلًا فانّهم يجعلون كل نصبة على طرف السبّابة فيُدخلونها في الارض بلا عناء فتعلق في الارض بعد قليل . انّما اصولها المطمورة تصبح متلبدة كالكتلة الواحدة وتنشف عند جفاف التربة ولا تمتدّ في بطن الارض وبذلك تضعف الاصول ثم النصبة معها . وهكذا ينخدع البعض بسهولة التنصيب في الاراضي الرطبة وبمظاهر النموّ في الايّام الاولى ثمّ يأسف بعد ذلك لما يصيب تلك الانصاب من الضعف والهزال

ودونك طريقةً جرّبناها بالعمل فنجحت : كنّا نجعل اصول الانصاب في مركّب من الطين هذه اجزاؤهُ

زبل ماعز مغربل	٣٠ غراماً
تراب ناشف	٤٠ «
سماد كيمويّ	٥
ماء كميّة كافية لتجعل المركّب لزجاً كعجين رخو	

فتملأ من هذا المزيج نصف الصحون وتُغرس فيها اصول الأنصاب . واذا حان وقت التشتيل تجعل على جذور كل نصبة قدر جوزة من المركّب المذكور وتغرسها بالمغرس في الحفرة المعدّة لها ثمّ تُغطّيها بتراب جافّ وترصّها قليلاً . فهذه الطريقة مفيدة جدًّا في الامكنة القليلة المياه لاسيما اذا كان الوقت معتدل الحرارة والارض الرطبة ليست عميقةً فانّ هذا الطين المزج حول جذور الاغراس يبقى رطباً مدّة بضعة ايام ويسهّل معيشتها ويجديها غذاء من السماد يصلح لتنميتها

وقد كنّا نجد نتائج حسنة ونصوباً فاخرة واقتصادًا في الماء والسماد لمّا كنّا نسلّم الزرع لمتعلّمة ذوي حذق ودربة لكنّ اجرة العملة كانت ترتفع لان العامل لا ينصب في الغالب على هذه الطريقة الّا نحو ١٥٠٠ نصبة بينما ينصب على الطريقة الجافّة ٢٥٠٠ نصبة

وقد ذكرنا هذه الطريقة لعلمنا انّها توافق من لم يتوفّر لديهم السماد والماء ويمكن الذين لهم مزروعات قليلة ان يتولّجوها بذاتهم

ويحسن ان يكون الطين المذكور سائلاً بالكفاية ولولا ذلك تكوّن كتلة حول الجذور فيمتنع امتدادها ونموّها كما ابنّاهُ في بحثنا عن التنصيب في ارض وَحِلة او حديثة السقي

وفي بلاد جبيل اراضٍ مجهّزة معدّة منذ القديم لزراعة الدخان وهي سهلة التفتيت تسقط ناعمةً لدى مرور سكّة الفلاح فيها . فيكتفي زرّاعو بلاد جبيل ان يحفروا الثلم قليلاً باليد الى ان يبلغوا التربة الرطبة ثم يضعون النصبة ويردّون على جذورها واسفل ساقها قليلاً من التراب ويرضّونها قليلاً ويسقونها على طريقة الزراعة بالمغرس على الناشف . وهذه الطريقة حسنة لكنها لا توافق الّا الاراضي المعدّة اعدادًا خاصًّا تامًّا . وعلى كل حال لا نرى لها كبير فائدة بل نفضّل طريقة الزراعة بالمغاريس على الناشف وهي اسهل للزارعين

ومنهم ايضاً من يتخذ طريقة زراعة جزيرة سامي (Samos) بأن يأخذوا شتولاً وهي لم تزل صغيرة اي نحو ٥ سنتمترات ارتفاعاً فيغرسونها في الارض بمغرس صغير ولا يسقونها بل يتركون امرها تحت رحمة المطر . على انّ نزول المطر غير

خاضع لسلطاننا ولا يعوّل عليه خاصة في ايّار . ولذلك نرى هذه الطريقة مرذولة في انحائنا

وبعد ان تعلق الجذور وتثبت في التربة فهي تبقى مدّة دون نموّ تكتها لا تلبث ان تهبّ الى الحياة فتنمو حتى تبلغ نحو ١٥ سنتمترًا . فحينئذٍ يجب اجراء ما يسمّونه « التخنيق » اي انهم يجمعون التراب من الجانبين ويحيطون به النصبة فتصبح مرتفعةً على رؤوس الثلم بعد ان كانت في قعرها . وبذلك ضمانة لحفظ الرطوبة حول الجذور بمنع التبخّر والجفاف ولاستنبات جذور جديدة رفيعة . والتخنيق يتمّ بواسطة المجرفة فانك تحفر قليلًا بهذه الاداة وتجمع التراب المحفور حول النصبة بحيث تصبح في اعلى الثلم بعد ان كانت في اسفلها كما سبق لنا الكلام . ويعقب التخنيق غالبًا اندفاعٌ في النصوب الى النموّ والاخضرار بل يمكننا القول ان النمو السريع يبدأ بعد التخنيق وبفضله ترى الاغراس آخذة في الارتفاع فتبلغ تباعًا ٣٠ ثم ٣٥ ثم ٤٠ بل ٦٠ سنتمترًا الى متر ولزيد

واذا التبغ الطريّ تجاوز هذا الارتفاع يكون ذلك دليلًا على كثرة السواد او كثرة الرطوبة فيفقد من عطره على قدر زيادته ويهبط ثمنهُ بمقدار زيادة وزنه . فان نجاح الزراعة لا يكون بالحصول على نصوب ذات مترين ارتفاعًا وورق كثير كبير بل ان تكون النصوب صغيرة وورقها معتدلًا صغيرًا

واذا اردت ان تعرف قبل القطاف والجناف جودة التبغ فانظر الى المادة اللزجة الدبقيّة الموجودة على قفا الورقة خاصّة عند اصلها والى مقدار غزارة تلك الدبقيّة فحينئذٍ ترى ان الورقة تكاد تكون كلها مغطاة بهذه اللزوجة ذات العطر الطيّب الذكيّ . والمادّة الدبقيّة هذه تقلّ بل تنقطع تمامًا بمقدار وفرة السقي كما انها تقوى بواسطة كثرة السماد (لهُ بقيّة)

تحت الثلج

للشاعر المجيد احمد افندي تقي الدين

بين الثلوج غدوتُ ذات نهارِ — والطيرُ قد فزعتْ الى الاوكارِ
الّا هزارٌ قد تكاثر شجوهُ — مثلي فغادرَها بدون قرارِ
انَّ الصبابة لا يبرّدُ نارَها — ثلجٌ وهل ثلج يبرّد ناري
هل للطيور صبابةٌ بُلِيتْها — ام هل لها في سجعها افكاري
انا طائر اعلو الغصون بخفّةٍ — واظلُّ معتذرًا الى الاشجارِ
في كل غصن أعتليه تاركٌ — اثرًا فهل لحمامةٍ آثاري
يا ساجعين على المنابر في الرُّبى — هل للربى دمع كدمعي جاري
لمشي على ثلج أذيب جمودَهُ — ضدّانِ يجتمعانِ دون شجارِ
الكهربائةُ تجمع الضدّين في الاجسام لا في الروح والاوطارِ

*

هل انت مثلي يا هزار ملوّعٌ — ام شاردٌ تشدو ولستَ بداري
ماذا السكوت وفي نشيدك سجعةٌ — ما ليس في شعرٍ من الاشعارِ
ان الصوامت في الوجود بيانها — يسمو بلاغةَ ناطقٍ مكثارِ

*

فاجابني هو دارجٌ من وكرهِ — يشكو ظلامتَهُ من الاطيارِ
حسدوه من شادٍ يفوقُ بسجعهِ — عصفورةَ الوادي وكلَّ هزارِ
فتآمروا لمكيدةٍ يبغونها — منهُ فعاف الوكر في آذارِ
ان التحاسُدَ قد فشا بين الورى — حتى سرى للطير والأحجارِ

*

فأجبتُهُ وانا المعنّى مثلهُ — هوّنْ عليك فلستَ اوّل ساري
الطير كالشعراء تشكو دهرَها — والحرّ في الدنيا غريب الدارِ
لكنما الاطيار لا تشدو على — قيدٍ ولا بحرٍ من الابحارِ
فتناؤها شتّى للذاهب حرّها — فوضٌ قواعدهُ بدون إسارِ

*

انشدتُ هـذا وانثنيتُ مودّعاً امشي ووجـدي كازدياد الواري
فاذا بهمسٍ قد دوى في مسمعي تحت الثلوج فهاج بي أكداري
فحضرتُ حتى شام طرفيَ زهرةً ذبلت بُعيد الثلج والإعصارِ
ولكم ارى بين الربى من زهرة ذبلت وكانت زينة الازهارِ
فاخذتُها ووضعتها في مهجتي وسقيتها من دمعيَ المدرارِ
فجرى بها ماء الحياةِ فأورقت ونضحتُها بالطيب من اطواري
فتلوتُ في اوراقها آيَ الثنا كالشمس رائعة بكل نهارِ

*

هي زهرةُ الآمال باكرَها الحيا من مدمعي بسحابةٍ مضمارِ
فتبسّمت في كنها نُقط الندى كتبسُّم الازهار في الاحجارِ
كانت تخطّيها الثلوج مُذلّةً اوراقها فتنوء بالاوقارِ
واليوم حلّت بالفؤاد تصونها نفس كما الأعلاقِ والاسرارِ

*

فكأنها البؤساء ما بين الورى يتقلّبون على شفير هاوي
ناءوا بأعباء المصائب وانثنوا يتمدّدون الى ذوي الايسارِ
وبهم توابعُ ما يسالم دهرُهم الّا وكانوا آيةَ الادهارِ
كم بين أكواخ القرى من انفس ان هُذّبت بهرَتك بالآثارِ
ان الشقا يَلِدُ القرائحَ مثلما في الجاهلية وَأْدُ ذات سوارِ
وكذا الشقا يَلِد القرائحَ مثلما تلد التجارب حكمة الاعصارِ
ان النفوس معادنٌ مطمورةٌ ما لم تُباشرها يد الحفّارِ
واخو الشقاء كزهرة متروكة اخنى عليها الثلج في آذارِ

*

يا معشر الادباء أقسمَ حظُّكم الّا يكونَ بغير لون القارِ
انتم بفحمة دهركم المالُها هل زينة الدنيا سوى الاحرارِ
فالمدُّ في اصدافها مكنونة مثل الاديب يضيءُ في الاطمارِ

المدارس الدوارس

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

نشر الاديب محمّد جميل افندي بيهم في الرأي العام (العدد ٢٩٠) مقالة تحت هذا العنوان ثم عقّبها بمقالة ثانية في المدارس الاجنبيّة (العدد ٢٩١) ودعا فيها اهل ملّته الى انشاء كلّيّة في بيروت تتلقّى فيها الناشئة الاسلاميّة العلوم العصريّة العالية فضلًا عن العلوم الدينيّة. وهي فكرة اثنى عليها صاحب الجريدة ورئيس تحريرها طه افندي المدوّر وزجو مثلهُ « من صميم القلب ان تتحقّق هذه الفكرة وليس بكثير على اغنياء المسلمين ان يتقدّم كل منهم الى معاضدة هذا المشروع والمضافرة على ابرازهِ لحيز الوجود »

وما كنّا لنتعرّض لكاتب هذه المقالة لولا انهُ في اثناء قولهِ عن مدارس الاجانب صوّب سهام الملامة الى كلّيّتنا في امور كان الاولى بجنابهِ أن يحيد عنها ولا نراها في شيء توافق الصواب فرأينا ان نكشف اللثام عن وجه الحقيقة

واول ما نأخذ على حضرتهِ قولهُ في افتتاح المقالة : « كما تُسرع السكة لالتقام الطعم غير متكرّة بالسنّارة التي داخلهُ وكما تغترّ الطيور بجوب الصيّاد فتقع بحبائله هكذا يُسرع ويغترّ بعض العثمانيين بمدارس الاجانب فيُصطادون بحبائلهم » فجعل بذلك كلّيّتنا وبقيّة المدارس الاجنبيّة سنارة صيّاد او حبالة قنّاص ليست غايتها الّا اصطياد من ينخدع بها. وهي لعمري شكوى لا تليق بمن خدمناهم اخلص الخدمة منذ نحو ثمانين سنة نتفانى في تعليمهم ورقيّهم لوجه الله

ويا ليتهُ اكتفى بذكر المسلمين لكنّهُ ذكر « العثمانيين » فتبيّن انّ بينهم العدد العديد من النصارى من كل الملل افيرى انّ هؤلاء العثمانيين قد اغترّوا بالاقبال على مدارسنا ؟ فما قول العثمانيين ؟

وممّا قالهُ جناب الكاتب في مقالتهِ ولا صحّة لهُ من الحقّ « انّ اليسوعيين اتوا بيروت ودولتهم غضبى عليهم فلاكتساب مرضاتها قد افتتحوا مدرسةً يتعهّدوا (كذا) على انفسهم بان ينشروا اللغة والمبادئ الافرنسيّة مع نشر العقائد

الكاثوليكيَّة » وكلّ يعلم انَّ اليسوعيين قد اتوا بيروت وبلاد الشام بامر الحبر الاعظم منذ القرن السادس عشر ثمَّ عادوا اليها بامره وليس لهم غاية سوى خدمة نصارى الشرق عموماً والكاثوليك خصوصاً بنشر الدين والعلم معاً ولهذا طلبهم البطاركة الشرقيُّون من الكرسي الرسولي. وكان قسم كبير من اليسوعيين من بلاد شتى كايطالية وبولونية والمانية وحتى اليوم ترى بينهم كثيرين من مواطن مختلفة ليسوا بفرنسويين وسياستهم جميعاً الحياد عن السياسة . امَّا تشرهم للُّغة الفرنسويَّة فكان سببهُ الحوادث التي قرَّبت الدولة العليَّة من فرنسة بعد حرب القريم واتساع نطاق التجارة بين الدولتين فطلب الاهلون منَّا تعليم الفرنسويَّة وكان معظم التعليم قبلها باللغة الايطاليَّة

ولن اعترض الكاتب بقوله انَّ في الحاضر العدد الاوفر من معلمي كليَّتنا افرنسيُّون وانَّهم يحبُّون وطنهم. فلسنا لننكر ذلك واين الذنب في هذا ؟ او ليس حبّ الوطن من الايمان ؟ ولكن هيهات ان نُضعف بذلك في قلوب تلامذتنا شواعر الحبّ لوطنهم. فانَّ مثل اليسوعيين كقدوة صالحة لطلبتهم فاذا رأوا معلّميهم محبّين لوطنهم وان اساء الصنع اليهم استنتجوا انهُ لاحرى بالعثماني ان يحبّ وطنهُ الذي يفيدهُ خيراً. وكم يسمعون رؤساءهم الفرنسويين يكرّرون عليهم ان يخدموا وطنهم اصدق خدمة وان لزم الامر يضحُّوا لاجله النفس والنفيس . فانَّ كلاماً مثل هذا قد سمعهُ تلامذتنا غير مرَّة من فم معلّميهم ويمكنهم ان يشهدوا على صحّتهِ. ومن ثمَّ لم يصدق الكاتب بقوله انَّنا بتعليمنا اللغة الافرنسيَّة « نريد قطع الرابطة بين افراد الامَّة ». وترى المسلمين انفسهم يعلّمون هذه اللغة في مدارسهم ويذهبون الى مدارس فرنسة لهذه الغاية على نفقة الدولة العليَّة افينسب الكاتب اليهم قطع الرابطة العثمانيَّة ؟

وان تجنَّب بعد ذلك طلبتنا لفرنسة افليس ذلك من العدل اذ انَّ شكر النعم لواجب على المنعَم عليهِ ولا يضرُّ مطلقاً بحبّ تلامذتنا لوطنهم. ومن ثمَّ نتعجَّب كيف سطَّر الكاتب العبارة الآتية « ونرى ابناءنا منقادين لتنفيذ مآرب معلّميهم الاجانب كما رأيناهم بالامس يوم تمثيل رواية اليهودي التائه يأتون اعمالاً نكبرها كل الاكبار » فكأنَّهُ اراد كالمسون ان يسكت تلامذتنا الذين لم يعرفوا في معلّميهم غير الفضل والفضيلة فيصادقوا على شتمهم والافتراء عليهم لمَّا قام

كثيرون من جميع الطوائف بينهم افاضل المسلمين من غير تلامذتنا فاستكبروا العمل ورأوهُ فظيعة في جانب الدين والانسانيَّة

ومما ليس لهُ في مقالة الكاتب نصيب من الصحَّة قولهُ انَّنا « لمَّا رأينا قلَّة اقبال المسلمين على مدرستنا اردنا بعد الدستور ارضاءهم ورفع عقبة من سبيلهم فسمحنا لابنائهم بعدم الدخول للكنيسة » وهو افتراء محض فانَّنا لم نقبل في مدرستنا احداث المسلمين الَّا اجابةً لالحاح والديهم لئلَّا يظنُّوا اننا نبخل عليهم بعلومنا . وقد اعرب كل من سلَّمونا اولادهم وفلذ اكبادهم عن ثقتهم بنا وشكرونا لحرصنا على آدابهم وملء حريَّتهم في دينهم ما لم يفضل الكاتب ان يرسل المسلمون اولادهم الى المدارس اللادينيَّة التي تضرّ باولادهم اعظم ضرر وهي الطامَّة الكبرى على مذهبهم

وفي تلك المقالة شكايات اخرى نضرب عنها صفحاً الَّا قولهُ « اعزَّ اليسوعيُّون مكانة اللغة الافرنسيَّة كما اغفلوا الاهتمام بلغتي البلاد فلم يخرج من مدرستهم تلميذاً (كذا) يحسن العربيَّة ولا واحداً (كذا) يعرف التركية »

فهذه الشكاية تتناول عدم اكتراثنا للغتين العربيَّة والتركيَّة . واني ادع هنا ذكر التركيَّة اذ الامر ليس هو مختصاً بمدرستنا بل يعمّ اكثر المدارس وقد سعينا غير مرَّة بتعليم التركية ولو مجَّاناً فلم يُقبل عليها التلامذة برغبة اذ رأوا انَّ درس هذه اللغة لا يجديهم نفعاً لمستقبلهم وانَّما اليوم حيث املوا خيراً فطلبوا منَّا تعليمها أجبنا الى دعوتهم بطيب الخاطر

امَّا العربيَّة التي قال جنابهُ انهُ « لم يخرج من مدرستنا تلميذاً (كذا) يحسنها » فاني كنت سابقاً قد فنَّدت هذا الزعم في المشرق في السنة ١٩٠٢ (٥ : ٩٢٣ — ٩٣٢) ردَّاً على احد كتبة المقتطف الذي كان اتَّهمنا بمثل هذه التهمة فادَّعى زوراً « انَّهُ لم يرَ مؤلَّفاً عربياً خطَّتهُ يد احد المتخرّجين في كليَّتنا وانَّ مدرستنا لم تعتني (كذا) الاعتناء اللازم باللغة العربية » فكان يكفينا ان نحيل جناب محمَّد جميل افندي بيهم الى تلك المقالة ليرى فيها احتجاجنا على المعترض وكذلك تلونا خطاباً اخر في هذا الموضوع عنوانهُ « درس العربيَّة » دوَّناهُ في المشرق سنة ١٨٩٨ (١ : ٧٠٢—٧٠٥) ينفي كل الاشاعات التي لا يزال البعض ينشرونها في حقّنا من هذا القبيل

على أنّنا احببنا ان نعود الى هذا الامر فنسرد هنا اسماء تلامذتنا الذين وضعوا تآليف عربيّة جديدة منذ السنة ١٩٠٢ الى اليوم ليتحقّق كل ذي بصر أنّنا لم نتغاضَ قط عن تعليم العربيّة وانّ درسها معزّز في كليّتنا كبقيّة المدارس الوطنيّة على الاقلّ ان لم نقل اكثر منها. ولأنّنا سهونا في مقالتنا السابقة عن ذكر بعض تلامذتنا الاقدمين في مدرستي غزير وبيروت اللتين سبقتا كليّتنا نتذكر هنا تآليفهم اتماماً للفائدة. وقد روينا الاسماء على ترتيب حروف المعجم بالاعداد كما فعلنا سابقاً

١ ابو سليمان (المعلم يوسف التيني) طبع سنة ١٩٠٣ روايتهُ لبدالونيع ملك صيدون في خمسة فصول وروايتهُ الشعريّة التاريخيّة لويس دي غزاغا ولهُ مع ذلك موشّحات وقصائد نشرناها في المشرق = ٢ ابو كرم (المنسنيور نعمة الله رئيس المدرسة المارونيّة في رومية) كمّل كتابهُ الجليل قسطاس الاحكام في ثلاثة مجلّدات. وعرّب كتاب الفلسفة النظريّة او علم الحكمة البشريّة للكردينال مرسيه وصدّر مجلّدهُ الاوّل بمقدّمات مهمّة = ٣ ابيض (الخورفسقس افرام) طبع الثلاثة الاجزاء الاخيرة من مواعظهِ البليغة المعروفة بدليل الفردوس = ٤ ابيلا (الاديب انيبال) انشأ في العام الماضي مجلّتهُ الزراعيّة الصناعيّة التجاريّة المصوّرة التي عنوانها مجلّة الاقتصاد تصدر مرتين في الشهر وقد كتب فيها تلميذا مدرستنا الاديبان جان وفرديناند ابيلا = ٥ ابيلا (الاب شرل اليسوعي) نشر فصولاً في المشرق = ٦ اده (الاب خليل اليسوعي) كتب عدّة مقالات نفيسة في المشرق في اصول البلاغة عند العرب وفي الشعر العربي وفي انتقاد تعريب الالياذة لسليمان افندي البستاني وفي المدارس والهيئة الاجتماعيّة وفي سلطة البابا الزمنيّة ونشر فصولاً منطقيّة لابن السّال = ٧ اده (الدكتور نجيب) لهُ في مجلّة طبيب العائلة عدّة مقالات طبيّة في موادّ شتّى ولهُ كتاب تدبير صحّة الحامل النفساء والطفل اثناء العامين الاوّلين. = ٨ ارسلان (الامير امين مجيد قنصل الدولة العليّة في البرازيل) لهُ عدّة مقالات اجتماعيّة في جرائد مختلفة ورواية لسرار القصور وغير ذلك وهو نسيب الاميرين محمّد مبعوث اللاذقيّة وشهيد الدستور واخيهِ امين مبعوثها الحالي من تلامذة كليّتنا ايضاً. كالامير والقنصل سامي ارسلان الذي لهُ بعض آثار لم نطّلع عليها = ٩ انستاس (الاب الكرملي) لهُ في كل اجزاء المشرق عدّة مقالات ادبيّة وتاريخيّة ولغويّة وفنيّة

يطول تعدادها نخصّ منها بالذكر مقالاته الطبيّة في خصائص الموازين العربيّة وفي وصف الخراعل وفي الخيل العراب وفي وصف الكويت. وله آثار في مجلّات كثيرة كالمقتبس والزهور والمرّة = ١٠ أيوب (الخوري توما السرياني) نشر في المشرق المنتخب من امثال حلب وعرّب سبع روايات

١١ باز (عزتلو سليم) وكيل المدعي العمومي في لبنان. له عدّة تآليف قانونيّة اخصّها شرحهُ على قانون المحاكمات الجزائيّة الموقّت الذي طُبع سنة ١٩٠٥ في المطبعة الادبيّة وفيها طُبع شرحهُ للمجلّة وشرحهُ لقانون المحاكمة الحقوقيّة كلّها من الكتب النفيسة = ١٢ برزي (السيّد اغناطيوس قلاده القبطي اسقف كرسي ثيبة والصعيد) من كتبه التي سهونا عن ذكرها كتابهُ الردّ الوثيق على مفتريات جمعيّة التوفيق وكتابهُ سقوط الحجّة اليعقوبيّة امام الصخرة البطرسيّة وكتاب برهان الايمان المنير على فساد نفح العبير اي كتاب اتفاق الطبيعتين والاقنوم الواحد في كلمة الله طُبع في المطبعة المرقسيّة الكاثوليكيّة وكتابهُ حجّة المؤمن البصير ضدّ ناكري الغفرانات وحلّ التطهير طُبع في المطبعة العموميّة في مصر وكتاب المقارنة بين الدين الكاثوليكي والمذهب البروتستاني في ثلاثة اجزاء وسيادتهُ معرّب كتاب دليل المصريين للاب جرجس مقار = ١٣ بركات (الدكتور فيليب) له في المشرق وغيره مقالات طبيّة = ١٤ بشاره المهندس (ادمون افندي) له كتاب في الريّ الصيفي في مصر الوسطى (المشرق ٩ : ٥٦١) وترجمة كتاب ويلكوكس في ريّ ما بين النهرين = ١٥ بيطار (الاديب ميشال) استاذ العربيّة في مكتب اللغات الشرقيّة الحيّة في باريس له في المشرق مقالات كاكليل الغار والاشباح في الاتراح وفصول شتى في مجلّة العالم الاسلاميّ في باريس

١٦ توما (السيّد البطريرك يوسف عمانويل) لمبطته مناشير وخطب ورسائل

١٧ ثابت (المرحوم شكري) له قاموس انكليزي عربيّ مُعدّ للطبع ونقل الى الانكليزيّة ادبيّات عربيّة لقدماء الكتبة

١٨ جلّاد (فيليب بك) مندوب قلم قضايا الحكومة لدى المحاكم الاهليّة المصريّة صنّف كتباً فقهيّة وشرعيّة جليلة في العربيّة والفرنسويّة منها كتابهُ المعنون بقاموس الادارة والقضاء عن المدّة من السنة ١٨٤٠ الى ١٩٠٤ في ستّة اجزاء

وكتاب التعليقات القضائيَّة على قوانين المحاكم المصريَّة وكتاب الاحوال الشخصيَّة للطوائف غير الاسلاميَّة وهو اول كتاب من جنسهِ. وكتاب الآثار الرسميَّة في الخديويَّة المصريَّة من اخطر المصنَّفات = ١٩ الجميّل (الخوري الياس) لهُ لمحة تاريخيَّة في البابا والمجامع السبعة المسكونية. وكتاب مختصر اللاهوت النظري. الجزء الاوَّل في الوحي الالهي = ٢٠ الجميّل (الشيخ انطون المترجم من الدرجة الاولى من نظارة المالية في مصر) انشأ السنة ١٩١٠ مجلَّتهُ الادبيَّة الفنيَّة العلميَّة الشهيرة بالزهور. ومن آثارهِ المصريَّة المطبوعة رواية السؤال او وفاء العرب رواية تشخيصيَّة ذات اربعة فصول وكتاب ابطال الحريَّة. وكان سابقاً يحرّر في البشير وكتب فصولاً في المشرق منها الامثال في فصول العام ونظر في الولايات المتَّحدة وترعة پناما وهو من محرّري جريدة الاهرام

٢١ الحاج (الدكتور الياس) نشر في المشرق مقالات في العلاج الكهربائي = ٢٢ حبيقه (المنسنيور بطرس) لهُ قصائد شتَّى وكتاب دوائر السريانيَّة في لبنان وسوريَّة. وكتاب المنارة اللبنانيَّة. ودليل التكلُّم في اللغة السريانيَّة والالقاب المرعيَّة في فرض الكنيسة المارونية. وشهادات الكنيسة السريانيَّة المارونية في وجود جسد المخلص ودمهِ في سرّ الافخارستيَّة وفي براءة العذراء من الخطيئة الاصليَّة. وقد سعى بنشر كتابي السيّد جرمانوس فرحات نجوى الكاهن والرياضة الروحيَّة = ٢٣ حبيقه (الاديب المرحوم نجيب) ذو الآثار الطيِّبة التي عدَّدنا بعضها سابقاً - قيل انهُ ألَّف او عرَّب خمس عشرة رواية. وقد عُقدت بعد وفاتهِ حفلة لذكر مآثرهِ واقيم لهُ ضريح من رخام على نفقة الادباء البيروتيين من مسلمين ونصارى ولاسيما تلامذتهُ = ٢٤ حرفوش (الخوري ابراهيم المرسل اللبناني) سعى في طبع التلقيَّات مع المرسلين الكرعيين. ولهُ في المشرق مقالات شتَّى في اديرة لبنان وفي الطقوس ولهُ وصف سياحة استقنيَّة الى بلاد بشاره وسياحة اثريَّة في اقليمي الشوف والجرُّوب = ٢٥ حرفوش (الاديب جرجي) منشئ جريدة كلمة الحقّ = ٢٦ حرفوش (المعلِّم الفاضل يوسف) انهى كتابة المراسلات التجاريَّة في اللغتين العربيَّة والفرنسويَّة وحنَّف كتاب المنتخبات العاميَّة في اللغة العربيَّة وكتاب الدروس الفرنسويَّة = ٢٦ الحويك (غبطة السيد مار الياس بطريرك الطائفة المارونية) مناشيرهُ ورسالاتهُ

الحبريَّة تنبئ بتضلُّعهِ بالعلوم وبآداب اللغة العربيَّة

٢٧ الخازن (الشيخ فريد) محرّر جريدة الارز عرَّب تاريخ جان درك وطبع مع جناب شقيقهِ ثلاث مجلَّدات من كتاب المحرَّرات السياسية والمفاوضات الدوليَّة عن سنة ١٨٤٠ الى ١٩٠٠ ونشر في المشرق رسالة فرنسيس الصليبيّ = ٢٨ الخازن (الشيخ فيليب) منشئ جريدة الارز لهُ مقالات سياسيَّة وادبيَّة وقصائد. ونشر اللمحة التاريخيَّة في استمرار استقلال لبنان التشريعي والقضائي منذ الفتح اللبنانيّ = ٢٩ خاشو (المهندس اميل افندي) نشرنا في المشرق مقالتهُ المستملحة في لبنان واشغالهِ العمومية وزراعتهِ وصناعتهِ ومستقبلهِ الاقتصادي وطبعناها على حدة = ٣٠ خليل (الاب يوسف اليسوعي) كتب في المشرق مقالات حسنة كالتعبُّد للبتول والرسالات اللاتينيَّة في الشرق وقِدم الانسان والاعتراف في اوائل النصرانيَّة ومقالة جنوة ومرسيلية ونشر رسالة قسطنطين الدرزيّ = ٣١ الخوري (امين افندي) صاحب دليل بيروت لهُ سلالم القراءة والمفتاح الذهبي لاتقان التكلم في الفرنساوي والعربي وترجمان المسافرين ونوادر شتى = ٣٢ الخوري (بشاره خليل) لهُ مقالات ادبيَّة. وطُبع لهُ في المشرق رواية الخادم الامين

٣٣ الدحداح (الشيخ سليم خطَّار) نشر في المشرق سلسلة اساقفة الابرشيَّات المارونيَّة وكتب في الارز = ٣٤ الدرعوني (الدكتور حبيب) لهُ في الجرائد وفي المشرق مقالات طبيَّة وادبيَّة = ٣٥ دريان (سيادة المطران يوسف مطران طرسوس شرفاً والنائب البطريركيّ في مصر) الَّف عدَّة تآليف منها كتاب الاتقان في صرف لغة السريان واللمعة الوفيَّة في كتاب رتب السيامذ الكهنوتيَّة المعروفة بالشرطونيَّة وثلاثة ابحاث في المرّدة وكتاب المغنم في تكريم سيدتنا مريم وعبادة الشهر المريمي او تأملات شهري ايار وتشرين الاوَّل طُبع في مصر مرَّتين والمقالة الوفيَّة في العبادة الحقيقيَّة لمريم العذراء عرَّبها من تأليف الطوباوي لويس غرينون دي منفرت طُبع مرَّتين في مصر وكتاب مجموعة الاناشيد الروحيَّة وجادَّة الفلاح في سبيل التُّقى والصلاح = ٣٦ دكدنيان (المرحوم الخوري نرسيس الارمني) عرَّب من الارمنيَّة وطبع القائد المأنوس لخادم النفوس = ٣٧ دلَّال (المرحوم الخوري ميخائيل الحلبي) فاتنا ان نذكر لهُ سابقاً تعريبهُ لبعض الروايات الادبية كاحسان الانسان وانسان

الاحسان (طُبع في مطبعتنا) والنفح العاطر في الفتى المهاجر (في مطبعة الاداب) = ٣٨ دومط (الاب لسطفان الدومنيكي) نشر في المشرق آخرًا مقالة عن مشهد القديس لسطفانوس في القدس الشريف = ٣٩ ديب (الخورفسقس يوسف) طبع الجزء الثاني من كتاب الدرر السنيَّة في واجبات ذوي الدرجات الكهنوتيَّة او روح الكهنوت (في المطبعة اللبنانيَّة)

٤٠ رباط (الاب انطون اليسوعي) نشر خمسة اقسام من كتابهِ النفيس الآثار الخطيَّة لتاريخ الكنائس الشرقيَّة في القرون الثلاثة الاخيرة. وكتب رحلة اوَّل شرقي (الخوري الياس الكلداني الموصلي) الى اميركة وترجمة الطيِّبي الذكر تاوفيطس نصري مطران صيدنايا وعبد الله قراعلي لتلميذهِ توما البدوي. ونشر روايتهُ التمثيليَّة في البرامكة والرشيد وكلها طُبعت على حدة. ولهُ في المشرق منشورات ومقالات منها دينية كمهاد المراطقة وقانونيَّة الاسفار المقدسة والانجيل الشريف ومنها اثريَّة في الكنائس الشرقيَّة ومنها علميَّة وادبيَّة الخ = ٤١ رنزفال (الاب سبستيان اليسوعي) لهُ في نشرة مكتبنا الشرقي السنويَّة مقالات اثريَّة غاية في الخطر وقد نشر في المشرق اقدم وصف لآثار دير القلمة وشذرات في الكتابات العبرانيَّة والفينيقيَّة وعرَّف المدارج البرديَّة الارامية المكتشفة في مصر وشرح آثارًا كتابيَّة قديمة في قبرس وشمالي سوريَّة. ووصف حديثاً تمثال لجوبتر البعلبكي = ٤٢ رنزفال (الاب لويس اليسوعي) مدير نشرة المكتب الشرقي ولهُ فيها آثار شتَّى. ونشر في المشرق مقالات جمَّة كالتنويم المغناطيسي ولمحاً سنويَّة في حوادث العام وتقدُّم العلوم. ولهُ نظر في الدستور العثماني ووصف قصر يلدز وفي الكليَّات الكاثوليكيَّة وثورة البرتغال

٤٣ سارَه (الاخ بطرس الراهب اللبنانيّ) نشر في المشرق قصائد عديدة كالضمير او عين الله وباقة ازهار لسيِّدة ايار والصلاة الشاملة ومدح البخار في جملة محاورة علميَّة لتلامذة صف البيان العربيّ طُبعت في المشرق = ٤٤ سبع الليل (الخوري اثناسيوس القبطي) لهُ مقالة في سلطة البابا على الاساقفة والبطاركة الشرقيين = ٤٥ سرسق (جرجي ديمتري) (١ طبع اخرًا في المطبعة الادبيَّة تعريب

١) احد تلامذة مدرستنا القديمة في بيروت. فكان سببًا بتشخيص اليهودي التائه شاهدًا حيًّا على شكره لاساتذته

كتاب التعليم الادبي . القسم الاول الاخلاق والآداب . وهو كتاب لم ينسَ فيه صاحبهُ غير ذكر الخالق والواجبات نحوهُ = ٤٦ سركيس (الاديب جرجي يوسف) نشر في الشرق سياحتهُ في سويسرة = ٤٧ سركيس (المنسنيور موسى) عرب تاريخ الكتاب المقدس للاب شوستز الذي طُبع في مطبعتنا بالتصاوير والشكل الكامل = ٤٨ سركيس (الاديب يوسف افندي ليان) ألف كتاب انفق الآثار في اشهر الامصار ونشر كتاب الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب (في مطبعتنا) ولهُ بعض مقالات في المشرق لاسيما وصف مخطوطات في تاريخ العرب والاناجيل قديمة وغير ذلك = ٤٩ سماحة (الاديب ميشال الياس) كتب مقالات مفيدة في المشرق منها تجاريَّة ومنها اقتصاديَّة او اجتماعيَّة كالتجارة الالمانيَّة في الدولة العليَّة وكاسرار النجاح في عالم التجارة وترقّي التراسل بسرعة التواصل وطوابع البريد والبورصة والمضاربات والعاب القمار وآفة القطن في مصر = ٥٠ سوداء (القانوني يوسف افندي) كتب مقالات في الحقوق في بعض الجرائد ونشر نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول . ومن تعريبهِ في المشرق الموكبان . وروينا قصيدتهُ في الحبر الاعظم بيوس العاشر التي نالت الجزاء في السباق الاسكندري

٥١ شحيبر (القانوني الاديب انطون بك) لهُ مقالات قانونيَّة وخطب ادبيَّة وقصائد في المشرق والبشير وبعض الجرائد = ٥٢ شلفون (الاب يوسف اليسوعي) طبع كتاب كنز اخويَّة الميتة الصالحة = ٥٣ شمالي (الخوري بشاره) نشر في مجلة انثروبوس النمساويَّة مقالات انيقة في عادات لبنان = ٥٤ شيّل (الاديب فيكتور) لهُ في المشرق قصيدة وداع المرسل لامّهِ = ٥٥ شيخو (الاب لويس اليسوعي) من تآليفهِ كتاب الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر في جزئين والسرّ المصون في شيعة الفرسون في خمسة اجزاء . والاحكام العقليَّة في المدارس العلميَّة والاحداث الكتابيَّة والتشابيه النصرانية في الشعراء الجاهليَّة . والاداب العربيَّة في عهد الجاهليَّة . وتاريخ النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة . وامة تاريخيَّة في القصادة الرسوليَّة في سوريَّة . واولياء الله في لبنان . والاناجيل القانونيَّة والاناجيل الزور . ونصرانيَّة امرئ القيس . والنصرانيَّة في غسان . ورحل مختلفة ومقالات شتى مع تعريبات في كل اعداد المشرق . ومما نشرهُ تاريخ ابن الراهب القبطي وتاريخ ابن

البطريق . وتاريخ محبوب المنجي (تحت الطبع) . وديوان السموءل . وديوان سلامة ابن جندل . وديوان التليس . وحماسة البحتري . واقدم نسخة لكليلة ودمنة . وروضة الاحداث في اطايب الاحداث . والبلغة في شذور اللغة . والطبعة الثانية من مقالات فلسفيَّة قديمة . ومقالات دينيَّة قديمة . وقانون بني عثمان المعروف بآصاف نامه . واسباب الطرب في نوادر العرب . وغير ذلك مما تجدهُ في فهارس المشرق السنويَّة

٥٦ صادر (سليم افندي) من مصنَّفاته التي لم نذكرها سابقاً او وضعها حديثاً روزنامة المكتبة العموميَّة ومنتخبات كتابيَّة وطقسيَّة وكتاب هديَّة الاحباب وذخيرة الآداب وزبدة الفوائد في الاربع قواعد وتعليم قراءة الخطوط العربيَّة وفردوس السرور تسلية الجمهور وجواهر الادب في خزائن العرب ويشتغل اليوم بنشر مجلة روائية دعاها الانيس = ٥٧ صادر (يوسف افندي) طبع حديثاً كتاب القراءة للبنات مزيَّن برسوم = ٥٨ صالحاني (الاب انطون اليسوعي) سعى في طبع نسختين خطيتين من ديوان الاخطل وجدَّد طبع منتخباته رثَّات المثالث والثاني في روايات الاغاني مع اصلاحات وشروح ونشر ملحقاً على ديوان الاخطل وكتب في المشرق فصولاً عن نقائض الاخطل وجرير ونقائض جرير والفرزدق ولهُ فيهِ اربعة ردود على المتطفل (قبل الولادة وبعد الموت) ومقالات لاهوتية في الطلاق عند المسيحيين وفي المعاد وغير ذلك = ٥٩ صدفاوي (السيِّد مكسيموس اسقف المنية والنائب الرسولي على الاقباط) صنَّف كتاب حجَّة المؤمن البصير في حقيقة محلِّ التطهير = ٦٠ صفير (الخوري نقولا) نشر فرض اخويَّة الميتة الصالحة = ٦١ صوما (الاديب بولس) نشر في المشرق مقالة في الشمع

٦٢ ضاهر (الاديب يوسف ناصيف) حرَّر مدَّة مع نعوم افندي لبكه جريدة الميزان الاميركية ثم انشأ جريدة البريد

٦٣ طحيني (المهندس اسكندر افندي) نشر في المشرق مقالات مستملحة كذكر الابطال في حرب الترنسفال ومعادن الرند الذهبية والتعدين في الترنسفال ومعادن الترنسفال غير الذهبية وفصولاً في الماس وتاريخهِ ومعادنهِ الافريقية وكبيرة الماس وشلالات فكتوريا = ٦٤ طراد (نجيب ابراهيم افندي) منشئ المحبَّة . وهو معرَّب اليهودي التائه في جزئين (شكراً لفضل معلميهِ !) = ٦٥ طرازي (الكنت فيليب)

هو مؤلف كتاب السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية ولهُ فصول تاريخية وادبية في الجرائد = ٦٦ طعمة (الخوري بولس) من محرّري البشير : نشر في المشرق مقالةً في صناعة السجّاد في عكّار وازمير = ٦٧ طنّوس (الخوري حنّا) لهُ عشر روايات تمثيلية وخطب ومواعظ وتعريبات وبعض المنظومات منها في المشرق الاسد الراعي وكلّكِ جميلة والاسقف الصالح وبعضها في البشير

٦٨ عبد المسيح (الخوري اندراوس الكلدانيّ) ألّف في نيويرك كتابين القواعد الجلية في اللغة الانكليزيّة والترجمان الانكليزيّ في اللفظ العربي = ٦٩ عبّود (الخوري بولس) نشر المجالي التاريخية في ترجمة الراهبة هنديّة في جزئين ولهُ حياة القديس انطونيوس ابي الرهبان العظيم = ٧٠ عطيّة (جرجي افندي) انشأ مجلّة المراقب وكتب في المشرق الرواية اللطيفة « الى الغد » ونشر ديوان نسمات الصبا = ٧١ العظم (صادق باشا المؤيد المتوفّى في العام الماضي) قيل ان لهُ عشرين كتاباً كما ورد في ترجمتهِ نعرف منها رحلتهُ الى الصحراء ورحلتهُ الى الحبشة = ٧٢ عقل (الخوري بطرس) لهُ في المشرق مقالة في اثبات وجود المظهر وعظات وخطب = ٧٣ علّام (المرحوم حنّا علّام) الخطّاط البارع والكلّ يعرفون خدمهُ للكتابة العربيّة ودفاترهُ الشهيرة = ٧٤ علوان (الاب يوسف اللعازريّ) انشأ نشرة نزاع السيّد المسيح ثمّ عنّيها بمجلّة الجمليّة ولهُ فيها مقالات عديدة والف كتاب اخويّة نزاع مخلصنا وكتاب الدرّ المختار في نظم حياة الشهيد بربوار وترجمة الطوباويّة جان درك وعرّب كتاب مبادئ التعليم المسيحيّ لقداسة البابا بيوس العاشر = ٧٥ عمّ (الكاتب ديب افندي) لهُ خطب ومقالات وقصائد شتّى طُبع منها قسم في الجرائد = ٧٦ عوراء (اخوان) من كتبة دواوين الحكومة السنيّة ولهم آثار في الجرائد = ٧٧ عويس (الخوري بولس) نشر عدّة كتب قانونيّة كقانون الدعاوي الزواجيّة في جزئين وكتاب المجمع الاقليميّ ومجمع الابرشيّة وزيارة الابرشيّة ولهُ ايضاً حياة القديس يوحنّا مارون ومكتبة الاسكندريّة والموت الحقيقي والموت الظاهر وترجمة افرنسيّة لقداس البيعة المارونيّة

٧٨ غانم (القانوني ابراهيم افندي) لهُ فصول عديدة سياسيّة وادبيّة في جريدة البشير = ٧٩ غانم (الاب سليمان اليسوعيّ) ألّف كتاب طغمة يسوع والبابا ولت

ونشر في المشرق المختار من امثال عكّار والمناديات الدمشقيّة في الاثار الشاميّة = ٨٠ غانم (يوسف خطّار افندي) الف برنامجة الجميل لاخويّة القديس مارون ومقالات متفرّقة = ٨١ غاب (الخوري بطرس المكرزل) وضع مع الخوري ميخايل غبريل مختصر اللاهوت الادبي = ٨٢ غبراء (القس برنردوس الراهب اللبناني) لهُ تأليف في تاريخ الموارنة = ٨٣ غريّب (امين افندي) حرّر مدّة جريدة المهاجر وصنّف بعض الروايات وانشأ في بيروت جريدة الحارس = ٨٤ غصوب (يوسف افندي) نشر في المشرق قصيدةً في سيدة لبنان وصنّف مع التلميذين الاديبين يوسف عكر وبشاره رعد كرّاسة « حول اليهوديّ التائه » = ٨٥ غوسمان (الاب فرنسيس القبطيّ) كتب عن السلطة التشريعية في الكنيسة

٨٦ فرح (الخوري جرجس صفير) نشر مجلّة المباحث وطبع الجزء الثالث من كتابهِ في الفلسفة. ومن تآليفهِ الجديدة الاخاء المتين بين العلم والدين والقواعد المنطقيّة للاب تونجيرجي مع تذييلات وشروح وقد انتهى من تعريب كتاب القديس توما المسمّى « ضدّ الامم » (Contra Gentiles) = ٨٧ فرح (الدكتور صبحي) لهُ مقالات ادبيّة وطبيّة = ٨٨ فيّاض (الدكتور نيقولا) لهُ خطب ومقالات ادبيّة وفنيّة وصحية وتعريبات وقصائد ظهرت في مطبوعات مصر

٨٩ قندلفت (السيّد باسيل اسقف يافا شرفاً) طبع ترجمة اخيهِ الطيب الذكر السيّد انطون قندلفت مع منظوماتهِ المعروفة بالقيثارة الشجيّة في التسابيح الروحية = ٩٠ قيقانو (يوسف افندي) حرّر سنين طويلة جريدة لسان الحال ونشر فيها عدّة روايات

٩١ كوبا (اندراوس) نشر في البشير رسالات عديدة عن اواسط اميركا. ولهُ في المشرق رحلة من بوردو الى غواياكيل

٩٢ لامنس (الاب هنري اليسوعي) انجز كتابهُ الخطير تسريح الابصار في ما يحتويهِ لبنان من الآثار في جزئين وكتب في المشرق مقالات فريدة في جغرافية سوريّة طبعت على حدة وغيرها في ابواب شتّى كسكّة حديد بغداد. والمكاتبات الرسمية بين الاحبار الرومانيين وملوك مصر. والبادية والحيرة في عهد بني امية. وكتابات عربية في جبل الطابور. ولهُ في نشرة المكتب الشرقي تأليف واسع في

معاوية اوّل ملوك بني أمية · ولهُ مقالات تاريخية واثرية شرقية في عدّة مجلات اوربية = ٩٢ لبُوس (القسّ اغناطيوس البتديني) ألّف كتاب المجاني الشهية من الحدائق الفلسفية وطبعهُ في بمبدا سنة ١٩٠٣ = ٩٣ لطفي (الدكتور لطف الله) لهُ بعض المقالات الطبية : منها في المشرق ردّهُ على المقتطف في اكتشاف ميكروب الحمّى الصفراويّة والقهار ثمّ الامراض العصبية

٩٤ مخلوف (نجيب افندي) كتب ترجمة نوبار باشا وما تمّ على يدهِ طبعها في المطبعة العمومية في مصر = ٩٥ مراد (الخوري شكر الله) صنّف رواية القديس انطونيوس البادويّ ودعوة الحبيب الى السرّ العجيب ومصباح الرشد في عجائب لورد وكلّك جميلة = ٩٦ مرتا (دون حنّا قانوني القبر المقدس) لهُ في المشرق مقالات نقديّة جليلة كمستدركات صرفيّة ونحويّة على تآليف العرب وابحاث لغويّة وكتب مقالات اثريّة منها عربية كذاهب العرب المسلمين عن مدفن النبي داود وابنهِ سليمان ومنها افرنسية عن مدفن العذراء مريم · وعن محكمة بيلاطس وغير ذلك = ٩٧ مردوس (الاديب يوسف) نقل كتاب الف ليلة وليلة الى الفرنسويّة في عدّة مجلّدات = ٩٨ مشحور (الاديب امين افندي) ألّف رواية بطل غسّان وحرّر في المشرق عدّة مقالات كطريق افرتا وخبز العفو وابن الامس ورجل الغد والذكرى فوق لبنان وحفلة عرس في قبائل الجركس ونشر مقالات اخرى في الجرائد تحت اسم مستعار · وحرّر بعض اعداد من جريدة البشير = ٩٩ مصري (الاديب حلمي افندي) نشر في المشرق قصائد حسنة كمخمّسهِ في السلم وقصيدتهِ عن نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة وقصيدتهِ على قبر فلتير = ١٠٠ معلوف (الاب لويس اليسوعي) مدير جريدة البشير نشر معجمهُ المُنجد وهو اوّل معجم عربيّ مدرسي مصوّر ونشر في المشرق آثارًا طيّبة منها كتاب السياسة لابن سينا ومقالة الياً مطران نصيبين في تعليم الآخرة واقدم اثر نصراني لابي قرّة · ومقالة في مؤلف دفع الهم وفصول اخرى عديدة في البشير = ١٠١ مثار (السيد كيرلّس البطريرك المستعفي) اهتمّ بطبع كتب كنيستهِ الطقسية · لهُ مقالة في الشهر المرعي في الطقس القبطي · وكتاب في اوريجانس وتعاليمهِ = ١٠٢ مكرزل (نعوم افندي) محرّر مرآة الغرب ومنشئ جريدة الهدى في نيويرك وهي من اعظم جرائد اميركة العربية ·

لهُ فيها مقالات عديدة وروايات وقصائد = ١٠٣ موسى (الخوري باسيل القبطي) لهُ خطاب عنوانهُ " متى تستقلّ مصر . وردّ على بعض المعتدين تحت عنوان " هيّا على الدفاع عن ايماننا "

١٠٤ نقّاش (المحامي الاصولي جان) لهُ فصول فقهية = ١٠٥ نقّاش (القانوني داود افندي) لهُ رواية البلد على الراسح ومقالات متنوعة فقهية وادبية = ١٠٦ نقّاش (الاديب فيليب) لهُ مقالات سياسية في الجرائد الوطنية

١٠٧ واكيم (الخوري فرنسيس المرسل الرسولي في اميركا) ألّف كتباً نافعة فلسفية ودينية منها الحرّية ولغز الحياة ومختصر في المناولة المتواترة ولهُ فصول لاهوتية في الجرائد الاميركية = ١٠٨ ورده (الاديب يوسف) سهوناً عن ذكر كتابيه قوت الارواح وتاريخ الملكيين

١٠٩ يزبك (المنسنيور يوسف) لهُ مقالات فلسفية ولاهوتية في جرائد اميركا

فيرى كاتب الرأي العام ومثلهُ كتبة المقتطف والمقتبس والمفيد ضعف مدّعاهم باهمال مدرستنا للغة العربية فهذه ١٠٩ اسماء لكتبة مختلفين تضاف الى اسماء الذين ذكرناهم سابقاً واذا جُمعت تآليفهم تاهز عددها الألف افيعرف المنتقدون على كليتنا مدارس كثيرة ألّفت في العربيّة تآليف مثلها بل نصفها فقط فليتكرّموا بالافادة . نعم انّنا نعلم انّ بين هذه المصنّفات الغثّ والسمين ولكن في كثرتها وفي ضروب فنونها دليل باهر على ما للغة العربية من المقام الرفيع في كليّة القديس يوسف

ولا يظنّنّ احد انّنا سردنا جدول المؤلفين من تلامذتنا كاملاً مستوفياً فنحن متأكدون انّهُ فاتنا اسماء كثيرين منهم ممّن لم نعرفهم او لم تبلغنا اسماء مؤلّفاتهم لبعدهم عنّا في مصر والعراق ونواحي اميركا فرجاؤنا انّ الذين يقرأون هذه الاسطر يزيدوننا افادةً لنصلح ما فرط منّا او ما سهونا عن ذكره

وكان حقّنا ان نضيف الى الجدول السابق اسماء عدد لا يُحصى ممّن تخرّجوا في مدارسنا غير الكلّية البيروتية كمدرستي الاسكندريّة ومصر ومدارسنا العديدة في انحاء بيروت وكل جهات لبنان وصنّفوا الكتب وانشأوا المجلّات ووضعوا الروايات التشخيصية وغيرها واشتغلوا بفنون الادب فلو فعلنا لزاد ذلك مناظرينا افحاماً وحجّتنا قوّةً

وكذلك لم نذكر المتخرجين في مكتبنا الطبي ودرسوا سابقاً في غير كليتنا فانَّ كثيرين منهم صنفوا التآليف في كل فروع الطب

ولم نذكر ايضاً الاساتذة الذين اشتهروا بالتعليم والكتابة في كليتنا وهم لم يدرسوا عندنا ولبعضهم شهرة واسعة نالوها بنظارتنا وتنشيطنا ومساعدتنا

وكم من خدم يؤديها للغة العربية بعض تلامذتنا الذين لم يصنفوا كتاباً وانما يلقون الخطب الدينية والعلمية او يشتغلون بالدوائر العمومية ودوائر الحكومة العلية او الحكومة المصرية يحامون الدعاوي الى غير ذلك مما يشهد لبراعتهم في الآداب العربية اذ ليس علم العربية محصوراً في التأليف والكتابة

وزد عليه الخدم غير المحصاة التي خدمت بها مطبعتنا الكاثوليكية الآداب العربية بالمصنفات الجليلة التي أجمع كل المتقدمين على حسنها واقرَّ المستشرقون بفضلها على سواها من حيث اتقانها وكمال طبعها وتوفير فوائدها وسعة ابحاثها

افلا يجدر بنا بعد ذلك ان ننسب الى التعصب الذميم ما كتبهُ جناب محمَّد افندي بيهم اذ عيرنا « اغفال الاهتمام بلغة البلاد » فالانصاف يا قوم الانصاف !

السر المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٦ الدواوين الماسونية (تابع)

الوزارة العدليَّة او الحقَّانيَّة من شأن هذه « الوزارة » الماسونية مجازاة الاخوة ومنحهم الامتيازات التي استحقوها في خدمة الماسونية . وربما اعطوا هذه الشهادات لبعض الاجانب غير الماسون ليفتخروا بهم ويتستَّروا وراءهم . دونك شهادتين ننقلهما من كتاب الدستور الماسوني السابق ذكرهُ (ص ٦١ و ٦٢)

١ صورة شهادة تعطى لرؤساء الشرف واعضاء الشرف في المحافل الاورشليمية

باسم مهندس الكون الاعظم

محفل – غره – تحت رعاية التاريخ

حريّة .·. مساواة .·. اخاء .·.

حضرة الاخ الغيور الفاضل

بعد التحية الاخويّة بناء على خدمتكم الماسونية السنين الطوال وما لكم من الايادي البيضاء في خدمة الانسانية قرّر محفل — بجلسته المنعقدة في — انتخاب اخوتكم رئيس شرف (او عضو شرف) فيه بموافقة اخوان المحفل وكان لهذا الانتخاب ساعة سرور بيننا تبادلنا فيها عبارات الاخلاص والثناء على اعمالكم الجليلة فنهنيكم من صميم الفؤاد ونسأل مهندس الكون الاعظم ان يديمكم لنصرة الانسانية والمبادئ الحقّة الشريفة ويوطّد بكم دعائم المساواة والحريّة والاخاء آمين

عن محفل

محل ختم المحفل — الرئيس —

٢ شهادة للاخوان الذين ينالون احد وسامات الماسونية وهذه صورتها :

باسم مهندس الكون الاعظم

بناء على التماس محفل — الموقر فلّدنا الاخ الفاضل — الوسام الماسوني — مكافأة لهُ على الخدم الجليلة التي خدم الانسانية بها وصار يحق له التحلي به في المجتمعات الماسونية القانونيّة

تحريرًا في سنة الاستاذ الاعظم السكرتير الاعظم

وبهذه الوزارة منوطة ايضًا الدعاوي بين « الاخوة » ومحاكمتهم لأنّ للماسونية قضاتها وحكّامها ومعاقباتها للذين ينسون مواعيدهم واقسامهم عند دخولهم فيها . وقد افادنا الاخ شاهين بك مكاريوس في كتاب الآداب الماسونيّة (ص ١٧٠) ما هي الجنايات التي تستدعي تلك الاحكام قال :

وتمتاز الجرائم الماسونية بعضها عن بعض بأهميّتها امّا ان تكون جسيمة او اعتيادية او متوسّطة . فامّا الجسيمة منها فاشهرها الحنث باليمين والخيانة او الاشتراك بها او السكوت عنها سواء كان القصد من هذه الخيانة الاضرار بصالح الشيعة عمومًا او العمل ضد احد محافلها بنوع خاص ومن ذلك التبرّؤ من الشرف وافشاء الاسرار ومخالفة الاوامر التي تتّفق عليها المجالس العالية . . . ومن ذلك عدم الامانة في ادارة الاعمال المالية والتلاعب باملاك المحفل . . والماسونية تكره

الشيعة التي يُقصد بها انتهاك اي بناء حرّ . . . وتعتبر هذا الاثم من الجنايات الكبرى فتشدّد عليه العقاب (امّا انتهاك حرمة الاكليروس وافاضل الناس فهو عندها من الفضائل !!)

ثم يذكر الجرائم المتوسّطة والاعتياديّة في كلام طويل وكلّها مختصّة بصوالح الماسون ليس الّا . امّا الواجبات نحو الله او نحو القريب من غير زمرتها فانّ الماسونية لا تعتبرها مهما بالغ الماسوني في نسيانها او في معاكستها . واثبت شاهين بك صورة حكمين صدرا في محفل لبنان بحق اخوين دعاهما ن . . . سنة ١٨٨٢ ثم ج م . . . سنة ١٨٨٩ كنّا وددنا اثباتهما هنا لولا طولهما ليرى القرّاء كيف الماسونية لا تحكم فقط في الجنايات المختصّة بالشيعة لكن ايضاً في امور مختصّة بمجالس الدولة القضائية اذ تعدّ نفسها دولة

﴿ وزارة المعارف ﴾ رأيت سابقاً كذب الماسونية في ادّعائها بانّها جمعية علمية فانّها وخدمة العلوم على طرفي نقيض . فما حاجتها اذن الى وزارة معارف ؟ نعم انّ الماسونية لا تُعنى بشيء من العلوم الّا انّها تعرف كيف تستطيع ان تنتفع بعلوم ذويها لنشر مبادئها فانّ كثيراً من التآليف التي توضع لمناهضة الدين وتقويض اساس الآداب انّما يُطبع بمساعي الماسونية . ومثلها الصحائف السيّارة فانّ الشيعة تفرغ مجهودها في امتلاكها وادارتها وانشائها لترويج مقاصدها السافلة . وكذلك الفصول الخلاعية والروايات التمثيلية الفاسدة فانّ للماسونية فيها اليد الطولى . وبهذه الوزارة منوط استبدال المدارس المذهبية بالمدارس اللادينية فتسعى غاية جهدها لنفي ارباب الدين والرهبان من التعليم كما فعلت في فرنسة والبرتغال مؤخّراً مهما اضرّ ذلك بتهذيب العقول ونشر العلوم وحرمان الوف الاحداث من التعليم

ومما تُعنى به خصوصاً « وزارة المعارف » الماسونية مراقبة المطبوعات التي تُطبع عن الشيعة وتاريخها واعمالها . وكل الكتب التي وصفناها سابقاً مصدّرة باجازة من رؤساء الماسونية دلالةً على انّه لا بأس منها . فترى انّ حرّية الطابع مقيّدة عند ابناء الارملة . الّا انّ الماسونية على وجه الاجمال لا تحبّ ان الاخوة يكتبون عنها فانّها تفضّل السرّ شأن الخفافيش التي تُسرّ بالظلمة ودونك رأي الرئيس الاكبر بلاتين (Blatin) في رأي شورى الماسونية الاعظم سنة ١٩٠٧ جواباً على من طلب نشر تاريخ الماسونية . فقال السكرتير في خلاصة الاعمال ما تعريبهُ :

« اما ما يختصّ بنشر تاريخ الماسونية فانّ الاخ بلاتين ... يقرّ بأنّهُ لمفيد تسطير تاريخها ولكن على شرط ان يتمّم ذلك بكل اعتناء وكل فطنة لأنهُ لا يصلح بنا نشر اشياء كثيرة في تاريخ مشيرتنا (١). وبالاجمال يجب على الاخوة ان لا ينسوا انّهُ لموفق لتقاليد الماسونية بأن يُسكت عنها وتقلّل الكتابة لئلّا يتّخذ اعداؤها هذه الكتابات كوسيلة لتفاسيرهم العدائية »

وقال الاخ ليموزان (Fr.·. Limousin) في جريدة اكاسيا (Acacia) الماسونية في تاريخ كانون الثاني سنة ١٩٠٨ : « اني مُصمّم على رأيي فاقول انّ الشرق الاعظم يبالغ في نشر المطبوعات . انّ افضل طريقة لحفظ سرّنا وشرطهُ الوحيد الاكيد ان لا يُطبع شيء عن الماسونية . لأنّ المطبوعات كالمرأة العجوز الثرثارة لا بُدّ ان تخونك في آخر الامر » (١

وهذه « الوزارات » الماسونية هي كعمدة الجيش الماسوني وتحتها الايالات او السلطات (Puissances) ثمّ المحالفات (Fédérations) او الشروق (Orients) ثم المحافل وقد مرّ لنا في الكراس الثاني قائمة تلك الايالات والمحافل وعدد اعضائها عن جرنال القوانم الباريسيّ وقد وقفنا على قائمة احدث من السابقة تاريخها ١ كانون الثاني سنة ١٩١٠ ظهرت في النشرة السنويّة للماسونية العمومية (Annuaire de la Maçonnerie Universelle. 1er Janvier, 1910) فجاء هناك انّ عدد

---

(١) وهذا كلامه بالحرف : « Pour l'Histoire de la Maçonnerie dont on vient de parler, le Fr.·. Blatin reconnait qu'il serait utile d'en écrire une, mais *avec beaucoup de soin et de prudence. Toutes les choses ne sont peut-être pas bonnes à dire dans l'Histoire de notre Ordre.*, Il ne faut jamais oublier du reste que d'une manière générale moins on écrit en Maçonnerie plus on demeure fidèle aux traditions des transmissions verbales, plus on est à l'abri des interprétations hostiles de ses ennemis » (Comptes-rendus des travaux du Gr. O. 1907, Janvier-Mars)

« Je persiste dans mon avis: le G. O. imprime trop, la condition par excellence du secret, la condition *unique* et certaine est de ne pas imprimer. La lettre moulée est une bavarde qui, tôt ou tard vous trahit » (Article du Fr.·. Limousin, dans l'Acacia, Janvier 1908, p. 28)

المحافل الماسونية في العالم يبلغ ٢٢,٤٤٧ محفلاً تشمل ١,٧٤٤,٨٧٨ ماسونياً فيكون معدّل كل محفل نحو ٨٠ عضواً. امّا الايالات فهي ٣ في انكلترّة اعني بريطانية العظمى محافلها ٢٨٠٠ وعدد اعضائها ١٥٢,٥٥٠ ثمّ اسكتلندة ومحافلها ٧١٢ فيها ٥٠,٠٠٠ عضو. ثمّ ارلندة محافلها ٤٨٠ واعضاؤها ١٨,٠٠٠ = و١٣ ايالة لالمانية فيها ٤٨٠ محفلاً و ٥٤,٢٠٠ ماسونياً = و١٠ ايالات للبلاد اللاتينيّة اي فرنسة ومحافلها ٥٤٣ وعدد الماسون فيها ٣٦,٧٠٠ ثم ايطالية ومحافلها ٣٢٧ مع ١٥,٠٠٠ ماسونيّ ثمّ البرتغال ومحافلها ١٤٨ مع ٢,٨٨٧ ماسونيّ ثمّ هولندة وفيها ١٠١ محفل و ٤٦٠٠ ماسوني ثمّ اسبانية ومحافلها ٧١ واعضاؤها ٣١٦٠ ثمّ سويسرة ومحافلها ٣٤ والماسون فيها ٣٦٤٦ ثمّ بلجكة ومحافلها ٢١ فيها ٧٠٠ ماسوني فقط ثمّ اليونان ومحافلها ١٩ مع ٤٩٥٠ عضواً واخرها رومانية فيها ٩ محافل و ٢٢٥ ماسونياً = ولاميركة الشمالية ٥٩ ايالة مع ١٤,٤٥٩ محفلاً و١,٢٧٥,٩٣٠ ماسونياً = ولاميركة الوسطى ٦ ايالات و ٢١٢ محفلاً و ٨,٢٠٦ ماسونياً = ولاميركة الجنوبية ٩ ايالات و ١٠٧٠ محفلاً و ٣٧,٣٩٤ ماسونياً = ولاوسترالية ٧ ايالات و ٧٥٠ محفلاً و ١٠,٧٢٩ ماسونياً وليس لبقية البلاد ايالات منفردة وانما لها محافل ففي المجر ٧١ محفلاً مع ٥,١٣٢ ماسونياً وفي اسوج ونروج ٣٨ محفلاً مع ١٦,٧٣٣ ماسونياً وفي دانمرك ١٢ محفلاً مع ٥,١٣٢ ماسونياً. وبقية المحافل في تركية وافريقية وآسية لا تزيد على ١٥٠ محفلاً فيها نحو ٢٠,٠٠٠ ماسونيّ

٧ الماسونية العاملة

فترى انّ الجيش الماسونيّ وافر العَدَد (وان لم يبلغ عدده ما زعم بعض المتجندين فيه في بلادنا) وهو مع هذا قوي النظام بل واسع الثروة كما افادنا شاهين بك مكاريوس فلم ينقصهُ شيءٌ ليأتي بالمآثر الجليلة وكان حقّنا ان نطالبهُ باعماله الخطيرة وها قد مرّ على تأليفهِ نحو مئتي سنة كما بيّنّا. وليس من جمعية تدّعي خدمة الانسانية وخدمة الآداب الّا وتستطيع ان تفتخر بمآثرها وتعرض على رؤوس الملا ما اتاهُ ذووها من المشروعات الاثيرة لخير الجمهور وصالح البلاد. وقد راجعنا للوقوف على هذه الاعمال الطيّبة كتباً عديدة للماسون وغيرهم لعلّنا نجد في تاريخها ما يستحقّ الذكر من حيث العلم او الآداب او خدمة الوطن الصادقة المنزّهة عن الاغراض السافلة فنقول امام الربّ الشاهد

على مكنونات القلوب انّنا لم نعثر على عمل واحد صالح قامت به الشيعة الماسونية لوجه الله . ولن تمكن الماسون أن يفنّدوا قولنا اسرعنا الى تخطئة ما سبق . لكنّنا لا نرضى بالمزاعم الفارغة بل بالشواهد الصحيحة مع بيان الكتب التي استندوا اليها ليمكننا مراجعتها

وعلى خلاف ذلك انّنا لم نجد في تاريخ الانقلابات العظيمة التي حدثت في عالم الكون والسياسة وفي الأحداث المشئومة التي سوّدت اخبار الدول في القرنين الاخيرين الّا وجدنا للماسونية فيها يدًا اثيمة يقرّ بدسائسها الفرمسون انفسهم فضلًا عن الاجانب فلتراجع الشواهد التي نقلناها قبلًا ولم يستطع الماسون ان ينقضوا شاهدًا واحدًا منها

وتأييدًا لقولنا ها نحن نروي بالاختصار بعض المكايد الماسونية الحديثة التي يعرفها الجميع فهي كافية لتسر بل الشيعة عارًا ابديًا

﴿ الماسون في ايطالية ﴾ قام زعيم الماسونية الاعظم في ايطاليا اليهوديّ ناتان رئيس بلدية رومية ونطق بخطاب كلّهُ شتم وقذف في حقّ اعظم سلطة ادبيّة في العالم وجاهر بانّهُ والماسون مستعدّون لاشهار الحرب لرئيس الكنيسة ونقض سلطانها ومحو اسمها . وبمساعيه تطبع في رومية جريدة « ازيزو » التي لا تخلو منها صفحة من التعيير والاهانة والحطّ من كرامة الكرسي الرسولي مع التصاوير السمجة وتهييج الرأي العام على الدين وقد اقرّ الفرضوي الذي اطلق العيار في كنيسة مار بطرس آخرًا بانّ هذه الجريدة قد اوغرت صدرهُ بغضًا للاكليروس حتى نوى على قتل حبر الاحبار

﴿ الماسون في اسبانية ﴾ انّ قضيّة فرّير سرٌّ من اسرار السياسة العموميّة بل الماسونية الجهنميّة فترى العالم كلّهُ كاد يتزعزع بسبب فوضويّ عرف الكلّ خبثهُ ومكرهُ ودسائسهُ وثبتت آثامهُ المتعدّدة بعد الحكم القانونيّ . فليت شعري اي بريء صالح وبطل شهم مات ظلمًا فصار لهُ من التعظيم ما صار لفرّير وما ذلك الّا لكونهِ احد رؤساء الماسونية تحرّك اخوتهُ في العالم كلّهِ للدفاع عنهُ وكادوا يقلبون السلطة المالكة في اسبانية بسببهِ ولعلّهم يفعلون وقد نصبوا في الوزارة احد انصارهم كناليجس تمهيدًا لقلب الملكية وترويجًا لسياستهم الخبيثة وقد باشر المذكور بمناصبة الكرسي الرسولي ومنح الامتيازات للشيع المضادّة للكثلكة والضغط على الرهبانيّات

﴿ الماسون في البرتغال ﴾ انّ الحوادث المؤلمة التي جرت فيها وقلبت احوالها ظهرًا لبطن فناءت البلاد تحت احمالها وامّا تؤدي بها قريبًا الى البوار ليست هي

كأنها سوى ثمرة الكايد الماسونية . فانّ الشيعة وحدها أسدت لحمتها وهي وحدها نصبت شراكها ومدّت حبائلها وهي وحدها بمكرها وخداعها وضروب دسائسها اخرجتها الى حيّز الوجود فخنقت بها حرّية الاهلين ونقت رهبانهم وتفلت مدارسهم وتهددت بالحبس رؤساء دينهم ورفعت بينهم لواء الكفر والفوضى بعد ان اعلنت بعزل ملكهم الشرعيّ . واذ قد تقدمنا حضرة الاب لويس رنزفال فنشر في المشرق ما يزيل كل شبهة عن مساوئ الماسونية من هذا القبيل فنحيل القرّاء الى ما كتبهُ العام الماضي في « صدق المقال في ثورة البرتغال » وفي هذا العام في نظره عن احوال العام المنصرم

﴿ الماسون في فرنسة ﴾ لا يأتينا بريد من فرنسة الّا وفيه على اعمال الماسونية وشرورها الفوائد الجديدة . فان الازمة الوزاريّة الحديثة كانت بلا مراء ابنة بجدتهم وثمرة دوحتهم . وقس عليها الاختلاسات الماليّة وكشف اسرارها الدولية و . . . و . . . وقد بلغ تفاقم الشرّ الى حد لم يُطقهُ الاشتراكيّون انفسهم فعقدوا في باريس في اوائل شهر نيسان الحالي . اجتماعاً عمومياً اشهروا فيه الحرب على الشيعة الماسونية ودعوها عدوّ الشعب والعمّال واعلنوا جهاراً بانهم ينزعون الثوب الاسود (اي الكهنة) على « الوزرة » الماسونية التي تتستر

﴿ الماسون في بلجكة ﴾ في هذه المدّة الاخيرة قامت الماسونية البلجكية وجمعت خيلها ورجلها لمحاربة الحزب الكاثوليكي الذي يضبط منذ ربع قرن ازمّة الامر وجعل بلجكة في رقيّ ومقام لم تنلهما كثير من الدول الاوربية وقد التجأ الماسون مثل اخوتهم في فرنسة الى الكذب والزنا وضروب المكر والخداع وهي اسلحة الماسونية المعتادة لينالوا الاغلبية في الانتخابات الّا انّ الكاثوليك يسهرون ويرقبون العدوّ ويضمّون قواهم لمحاربته وممّا قالهُ رئيس المجلس المسيو فوست (M' Woeste) في خطابهِ في ٢٣ آذار من العام المنصرم : « انّنا لن نألو جهداً في مناهضة اعمال الماسونية » وفي آذار الماضي اجتمع الكاثوليك وشرعوا في نشر مجلّة شهريّة مضادّة للماسونيّة (Bulletin antimaçonnique) تُطبع في بروسل (Bruxelles. 2 rue du Cypres) فنحضّ كل قرّائنا على استجلابها فانّ قيمة الاشتراك بها لا يتجاوز ثلاثة فرنكات للخارج واصحابها مستعدّون ان يفيدوا سائليهم عن كل امور الماسونية ويعطوهم المعلومات عن كل تآليفها وكشف اسرارها

﴿ الماسون في انكلترة ﴾ كانت الماسونية في انكلترة اسهل جانباً وارق طبعاً منها في البلاد الكاثوليكية الّا انّ المشاجرات السياسيّة التي حصلت في المدة الاخيرة بين الاحزاب الديمقراطية والمحافظين بيّنت صريحاً ما للجمعية من المساعي الخفيّة والنيّات السيئة في نقض حبل السلطة المالكة. فتألفت في انكلترة جماعات كاثوليكية وغيرها للتصدّي للماسونيّة الانكليزيّة

﴿ الماسون في البرازيل ﴾ قد اظهرت الجرائد المحليّة والاجنبيّة انّ الماسونيّة كان لها حصّة كبيرة في الثورة التي حصلت فيها وفي اعتصاب تجّارتها وقد فشلت الحكومة في وجهها حتى اضطرّت ان تمنح الامان للمجرمين. والماسونية هناك تخترع كل يوم الاكاذيب لتهيّج الشعب على ارباب الدين فمن ذلك انّ الجرائد الماسونيّة ادّعت ان الحكومة اكتشفت اسراباً فيها هياكل اولاد قتلهم الرهبان ولم تستحي الجرائد العربيّة ان تنقل هذه الاخبار الباردة. ومنها انّ الاخوة الماسون في سان بولو رشوا فتاةً صغيرة لترفع الى الحكومة خبر قتل ابنتين صغيرتين خنقتهما الراهبات ودفنّهما في بستانهنّ لكنّ حبل الكذب لا يزال قصيراً فانّ الحقيقة انجلت لكل العيان وافتضحت الماسونيّة. وقد تشرّفنا نحن ايضاً ببغض الماسونية البرازيليّة فانّ احد المهاجرين الى البرازيل والمنتمين الى « الجيش الابيض » ارسل لنا ثلاث رسائل كلّها شناعات وقباحات لو نشرناها لسوّدت وجه العشيرة في اعين كل الشرقيين لكنّنا لن نفعل لنحفظ كرامة مجلّتنا ولا ندنّس صفحاتها بما تحويه تلك الكتابات من الاوساخ التي لم تخطر على بال احد غير الماسون وكل اناء ينضح بما فيه

﴿ الماسونيّة في كندة ﴾ افادت جريدة البشير نقلاً عن اصدق الرواة ما جرى في منتريال في الصيف الاخير اذ آلت الماسونيّة وقصدت احباط مساعي الكاثوليك في المجمع القرباني واتّخذت لذلك كمألوف عادتها طرق الإفك والخديعة لولا انّ الكاثوليك اخذوا من الشيعة حذرهم واذ علموا في اي دار يعقد انصارها مجتمعاتهم استأجروا طابق الدار الاسفل وركّبوا في سقفه ميكروفوناً مكّنهم من الوقوف على دسائس « الاحرار » فاسرعوا الى نشرها واتخذت بذلك الماسونيّة وقام الشعب الكاثوليكي كرجل واحد لاكرام سرّ القربان ثمّ نهضوا نهضة الاسد لمقاومة الماسونية ورذل اعمالها الشيطانيّة

﴿ الماسون في تركيا ﴾ جاء في مجلّة المنار الاسلاميّة لصاحبها السيد محمد رشيد رضا في آخر عددها الاوّل من السنة الجارية سنة ١٣٢٩ ما نصّهُ :

« كان السلطان عبد الحميد عدوًا للجمعيّة الماسونيّة لاعتقاده انها جمعية سريّة وهو يخاف من كل اجتماع وكل سرّ وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وازالة السلطة الدينيّة من حكومات الارض كلها وهو يفتخر بالخلافة الاسلاميّة ويحرص عليها . وقد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه اصابع معروفة فاسسوا شرقًا عثمانيًا استاذه الاعظم طلعت بك ناظر الداخليّة واركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقي وانصارها من اليهود وغيرهم . ولاجل هذا نرى طلعت بك لا يبالي بسخط الأمّة ولا برضاها في ادارته التي استفاثت منها المملكة بألسنة ولاياتها كلها الّا ولاية سلانيك وكذا ادرنة فيما اظن وألسنة مبعوثيها حتى بعض الاتحاديين . وسلانيك هي الان مركز السلطة الحقيقية في المملكة وانما الاستانة مركز التنفيذ كأن حظ عبد الحميد ان تكون السلطة الحقيقيّة حيث يكون ما دام حيًا وان لم تكن في يده الخاطئة . وانا نتمنى ان لا يكون تصرف طلعت بك في الماسونية كتصرفه في نظارة الداخليّة . فاني والله لم اسمع من احد في الاستانة ولا في غيرها شهادة له بحسن التصرف ولا احصي عدد الشهادات التي سمعتها عن سوء تصرفه الذي اثره في اضطراب اكثر ولايات المملكة فسوء تصرفه في مسألة الارنؤود قد عُرف الان وان لم تظهر عواقبه السيئة كلها . واما سوء تصرفه في مسألة اليمن فقد ظهرت بوادره ونعوذ بالله من اواخره . نتمنى ان يكون تصرفه في الماسونية احسن حتى لا يجني عليها ولا على المسألة والدولة فان الفرق بيننا وبين فرنسة والبرتغال بعيد جدًا وان كان يراه هو والدكتور ناظم بك وبعض الزعماء قريبًا فليتدبروا ولا يغتروا بقوة الجمعية ولا بغيرها فطبيعة الاجتماع اقوى من تدبير الجمعيات وقد يكون مع المستعجل الزلل » اه

﴿ الماسون في سوريّة ولبنان ﴾ كل يعرف كيف رفعت الماسونية رأسها في هذه الحقبة الاخيرة حتى غوت كثيرين وادخلتهم في شيعتها على حجّة انّها ربّة الدستور وانّ في يدها الحل والربط في سياسة الامور وتقدّم البلاد وبعد ان كانت تتخفّى وتتستر في اوكار محافلها المظلمة . حاولت ان تنشر لواءها في الخارج فزادت في عدد محافلها في بيروت ولبنان حتى مرجعيون والمشغرة . وقد ظهرت حيثما كانت في مظهرها

الصحيح اعني عدوّة الدين والسلطة النظاميّة . والادلّة على ذلك متعدّدة منذ سنتين خصوصاً : فهذه المدارس اللادينية فانها كما بيّن حضرة مكاتبنا المسلم في مقالته جهينة الماسون (في الشرق ١٤ : ٩٣) « احدى نتائج الاعمال الماسونية » وهكذا اثبت نيافة قاصدنا الرسولي الجزيل الاحترام في منشوره . ولدينا من البراهين على ذلك شاهد حيّ وهو نوط يعطى لكل تلميذ من تلامذة المدرسة على احد وجهيه رقم من الارقام وعلى الوجه الآخر الشعار الماسونيّ « الزاوية والبيكار » كما ترى شكلهُ في الصورة

ومن اعمال الماسونية احتجاج الماسون في بيروت على قتل فرير الاثيم وهم لا ناقة لهم في امره ولا جمل لكنّهم اتاهم الامر من شرق فرنسة فاجابوا خاضعين مطيعين طاعة عمياء لم يعرفها « الجزويت »

ومنها التحزّبات التي صارت في انحاء لبنان للانتخابات العمومية والفتن المتوالية التي لم تخمد حتى الآن هبوتها وراح فيها البعض ضحايا الماسونية كما جرى في ساحل علما

ومنها مناهضة السادة الاساقفة والاكليروس والرهبان في انحاء شتى ولاسيما في المجالس الملّيّة لوضع يد العلمانيين على الاوقاف الكنسية

ومنها عصيان صاحب جريدة المهذب على رؤسائهِ وانحيازهُ الى الماسونية لتنفيذ مآربهِ . فبعد التنبيهات المتواترة دون فائدة رأى سيادة مطران زحلة السيّد كيرلّس مغبّة ان يرشق النعجة الضالّة بسهم الحرم فكان لعمامهِ احسن وقع في القلوب لكنّ المذنب لم يزد بذلك الّا شقاء وقد طبع « في القيوم » (كذا) ورقةً ضمّنها الشتائم على رئيسهِ ونسبها الى جماعة التوقي يريد الماسونيّة وبيّن جهاراً ما كان عليهِ من سوء السيرة واثبت حسن صنيع سيادة المطران بافراز النعجة المؤبّرة عن القطيع

ومنها حادث عمشيت الذي جرى قبل عيد الفصح بشهرين يوماً . فانّ الماسون في تلك البلدة في حيّها الاسفل اعتصبوا على رؤساء الدين منذ امد قريب وقاموا اوّلاً في وجه حضرة الخوري المفضال والمرسل اللبناني الغيور بولس الماتوري لاطلاعهِ على دسائسهم واكتشافهِ اوراقهم السرّيّة ومنذ ذاك الحين لم يزالوا يتآمرون على الكهنوت واهلهِ وادّعوا بلا سند انّ لهم حقوقاً على الاوقاف ولمّا كان غبطة البطريرك السيّد الجليل مار الياس الحويك يريد لهم خيراً ارسل لهم المنذرين والكهنة ليصلحوا شؤونهم ويردّوهم الى سواء السبيل فلم يرعووا . وقد اوفد لهم آخراً مرسلين يسوعيين

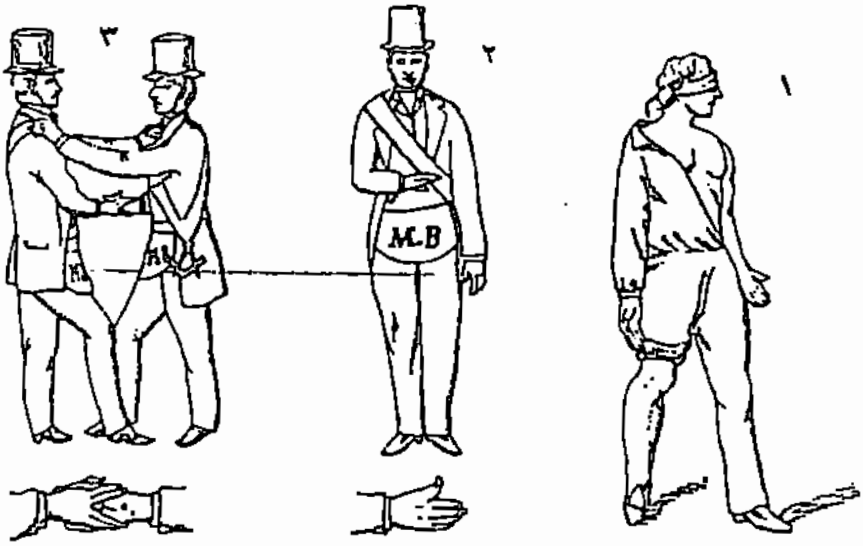

١ الطالب الماسوني عند إمتحانهِ وهو مغمّض العينين مجرّد عن قسم من ثيابهِ
٢ شارات الاستاذ وحركاتهُ ٣ لمسات الاستاذ ومصافحتهُ

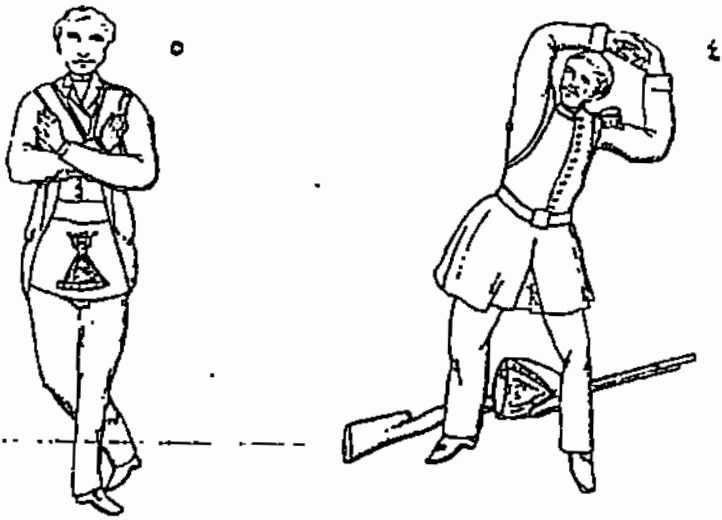

٤ استظلة الماسوني باخوتهِ في المطر ٥ الماسوني من رتبة الصليب الوردي

٧

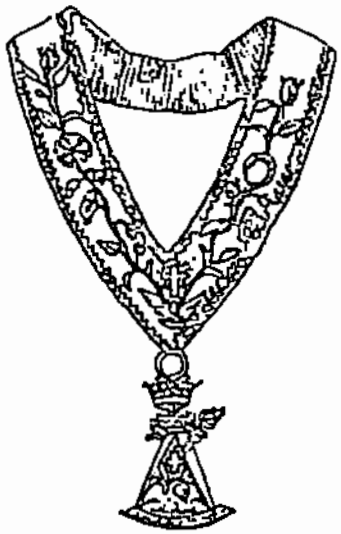

٦

٨

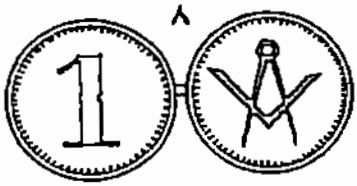

٦ وشاح الصليب الورديّ وعقده رومانيّ يطعن السيّد المسيح بالحربة ٧ صورة فارس قدوش (كديش) مصوَّر جثة جندي ٨ صورة نوط يُعطى في مدرسة بيروت الطائيّة كحرز لتلامذتها على احدى وجهيه رقم ١ وعلى الوجه الآخر الشارات الماسونيّة الزاوية واليكار

٩

٩ ختم الشرق الاعظم في دار السعادة

لعلمهِ بما لدى العموم من الاعتبار لهؤلاء الرهبان فما كان من الماسونية الّا انّها سعت جهدها لتمنع الرسالة وتصدّ الجمهور عن حضورها واذ رأت انّ مساعيها ذهبت ادراج الرياح التجأت الى قذيفة جهنميّة من الديناميت ألقاها اصحابها ليلًا على دار غبطة السيّد البطريرك حيث كان احد المرسلين مع رفيق من افاضل الكهنة فانفجرت وسُمع لها دويٌّ حتى جبيل على مسافة خمسة كيلومترات ولولا عناية الله الخاصّة لذهب الكاهنان ضحيّة تلك المكيدة الشنيعة. ولا نروي هنا ما احدث خبر هذه المأثمة من سيّئ التأثير في نفوس كل من لهم شاعرة دين بل ذرّة من المروءة والانسانيّة حتى تواردت الانباء البرقية والرسائل المتعددة تهنئ المرسلين بالنجاة وتبدي الأسف على ما اتتهُ الماسونية من الفظيعة. وكان لشدّ الناس تأثرًا من ذلك غبطة السيّد البطريرك الذي عدّ هذا العمل اهانةً شخصيّة بحقّ مقامهِ السامي وضرب بالحرم كل من شارك المجرمين بالاثم. وقد اهتمّ سعادة قنصل فرنسة لهذا الامر الخطير ورأت حكومة لبنان ان الحادث يستدعي التحقيقات لكشف المذنبين ومجازاتهم فعسى ان تنجلي الحقيقة قريبًا ولا يشفع ذهبُ الماسون بجريمة المذنبين بل ينالوا جزاء ما اتتهُ ايديهم الاثيمة

وبينما كان يدوي صوت ديناميت الماسون في عمشيت لم يشأ اخوانهم في بيروت ان يُنسَب اليهم الفشل في خدمة الشيعة فعمدوا الى بضاعة عتيقة لم يَرُج لها سوق في مراسح اوربّة ألا وهي رواية اليهودي التائه المثلّثة السقامة : في مؤلفها المعروف بفساد اخلاقهِ وخلاعتهِ. وفي معانيها المبنيّة على اختراع خيالي كاذب لا يقبلهُ العقل ولا يرضى بهِ حسن ذوق. ثمّ في انشائها الذي حكم أولو الانتقاد انّهُ ضعيف ركيك. لكنّ الماسون يتمنعون بالقليل واذ يرونا نقوم لمحاربتهم بالاسلحة النافعة التي تدكّ شيعتهم دكًّا ونرميهم بقنابل الدردنوط تراهم يحاربوننا ببارودة « بوفتيل ». فليس من عجب بعد ذلك ان نهض في بيروت كل من فيهِ عرق ينبض نخوةً ومروءة بين كل الطوائف والاديان من الوجهاء والافاضل الكثيرين مباشرةً برؤساء الملل المسيحيّة بلا استثناء فاحتجوا على الماسونية ونددوا بمبادئها السافلة واتفقوا على معارضتها ومنع لعب الرواية لا لأنها تُلحق بالدين او باليسوعيين أذًى وهم اعلى مقامًا من ان تبلغ اليهم مقاذر الماسون ولكن ليعلم الجميع بانّ بيروت والحمد لله لا تخلو من نفوس ابيّة لا ترضى بضيم اهل الفضل. ولمّا احسّ ابناء الارمنة بالخذلان القريب لم يجدوا لنجاح ما عوّلوا عليهِ الّا

اللواذ بالجند وقوة العسكر ليسكتوا قوماً انطقتهم الحمية والتحمس الديني فاخرجوهم كمذنبين وهم نخبة الشبان وزينة البلدان. وقام بينهم رجل همام حرص على شرف وطنه فاقتلع رايته التي خجل لما رآها تظلل مرسح قوم كانوا يحيّوا سابقاً الجيش والنقابة البحرية. وما تبلج صباح اليوم التالي حتى اخذ الاندهاش كل عقلاء بيروت من نصارى ومسلمين لتولج مدير البوليس في امر لا يعنيه بل يضاد للبادئ الدستورية ويخالف تماماً كل رغائب الحكومة السنية التي تسعى وراء اتحاد عناصر الدولة وصيانة شرف الدين فاخذ هو على نفسه ان يعضد الماسونية ويساعد تمثيل رواية خلاعية تمس كرامة الدين النصراني وتعرض للسخرية رهباناً عدتهم الدولة من اخلص خدمة رعاياها واعربت مراراً عن رضاها في جانبهم بل اوقف كمجرمين قوماً كان حقهم ان ينالوا جزاء عن صنيعهم وسام الشرف لانتصارهم للدين وللادب

فحدث ولا حرج عن استياء العموم من عمل الماسونية ورئيسها في بيروت الذي قضى تلك الليلة في المرسح كأنه في محفله الماسوني يأمر وينهي ويقضي بتوقيف هذا وطرد ذاك فانهالت المقالات تترى في كل الصحف (ما خلا الماسونية او المرتشدة بمبادئها) تلوم نشد الاوه كل من شارك جوق الممثلين في تشخيص اليهودي التائه واخذ بناصر اعداء الدين ولاسيما الاخ مدير المحفل الذي راح يتنصل من عمله ويتركى اذ فهم وقتئذٍ في اي ردغة اوقعته الماسونية. ولكن لات ساعة ندم بل وصل الامر الى ان فئة من الماسون انفسهم فتحوا اعينهم وادركوا شرور الشيعة التي كانوا انحازوا اليها مخدوعين بكذبها او دخلوها اتايات في الصدور وآمال دنيئة وكان بعضهم سبقوا وحذروا الرئيس من سوء العاقبة فلم يرضَ الا بتمثيل الرواية

ثم اتسعت دائرة الاستياء العام حتى تمدت تخوم بيروت فبلغت الى صيدا ودمشق وحلب وانحاء لبنان فجاءت الاحتجاجات من كافة الاهلين تستفظع اعمال الماسونية وتقيم عليها النكير وتذود عن حوزة الدين بل اتصلت بمركز الدولة وبالبلاد الاجنبية ووردت علينا جرائد افرنسية حرة وغيرها لا تتحزب للاكليروس وتأسفت مزيد الاسف لما حدث من امتهان كرامة الدين وذويه. وبلغت هذه الكتابات عدداً دثراً لو جمعت لتألف منها كتاب كبير ثم بلغنا ان الشاب الاديب صاحب الهمة يوسف افندي الغلبوني قد اهتم بجمعها وباشر بطبعها فاثنينا على نشاطه وتمنينا له النجاح في انجاز عمله

وممن لا يسعنا السكوت عن انتصارهم للحق وتقبيحهم لتمثيل الخلاعة وتحقير الدين على مراسح بيروت رؤساء الطوائف الكاثوليكية وعلى الاخص السيّدان الجليلان بطرس شبلي مطران بيروت الماروني وكيرلس مغبغب مطران زحله والفرزل والبقاع على الروم الملكيين الكاثوليك اللذان وجّها الى ابناء ملّتهما رسالتين طافحتين بالغيرة الرسوليّة

وكذلك نثني على صدق لهجة صاحب جريدة « صدى الجامعة العثمانية » الغرّاء جناب المسلم الاديب عبد الكريم ابي النصير اليافي واعضاء جامعته الكرام الذين اثبتوا في عدد ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٩ ما يُعرب عن اصالة رأيهم ونزاهتهم وينفي ما روته بعض الجرائد الاسلامية المنقادة الى عشيرة الماسون

وبعد هذه الشواهد لا نرى داعياً لانتقاد رواية اليهودي التائه التي طبعها الماسون تحت اسم كاذب (صادق الانبي) ودون تعيين مكان طبعها على خلاف قانون المطبوعات. وكفى بذلك دليلًا على بني الظلمة المتسترين في اوكار محافلهم شأن الخفافيش التي لا تطيق النظر الى النور. امّا الثماني الاسئلة التي طُبعت هناك على خارج غلاف الكتاب والتي وضعت الماسونية جائزة خمس ليرات لمن يكتب فيها اوفى مقالة فنحن نتعهد بان ندفع ليس خمس ليرات لكن خمسمائة ليرة لمن يمكنهُ ان يثبتها بالبرهان لا في مائة صفحة كما طلب لكن في صفحة واحدة ! ! فهيا ايها الماسون الى الربح القريب الوافر !

وبينا نحن نكتب هذه الاسطر في اعمال الماسونية وفظائعها اذ وردنا من شركة هافاس في تاريخ ٢٤ نيسان النبأ الآتي من الاستانة فروتهُ كل الجرائد المحليّة :

« امرت الحكومة باقفال المحافل الماسونية واعلنت انها لا تسمح بتأليف جمعية سرّية تحت اسم محفل وانها تعمد الى حلّها اذا اقتضت الحال »

فقطعت جهيزة قول كل خطيب

(لها بقيّة)

العلوم العربيَّة وحريق مكتبة الاسكندريَّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

٢ حريق مكتبة الاسكندريَّة

هذا البحث الثاني الذي قصدنا النظر فيهِ لانتقاد المقالتين الطويلتين اللتين حرَّرهما كاتب الكوثر في هذا الباب مشدِّدًا علينا النكير في نسبة ذاك الحريق الى العرب عند فتحهم الاسكندريَّة . والحقّ يقال انَّنا لم نبحث حتى الان في هذا الامر بحثًا علميًّا وانَّما اكتفينا برواية نصوص لبعض كتبة الاسلام القدماء ليس الَّا لننفي عن ابن العبري التهمة بابتكار هذا الخبر. وعليهِ فانَّ غضب كاتب الكوثر واقع على الرواة المسلمين ولا يمسّنا البتَّة وان كان احد يستحق النسبة الى التعصُّب فليس هو الناقل مثلنا بل هو الناكر لشواهد اهل ملَّتهِ وائمة كتبتها

ونعدُّ هذا كافيًا للدفاع عن شخصنا الَّا انَّنا نضيف الى هذا القول الاجمالي الملحوظات التالية التي من شأنها ان تمهِّد الطريق لتعريف الحق فنقول:

(اوَّلًا) انَّ احتجاج كاتب الكوثر بالحديث في ردِّ شواهد المؤرخين عن حريق مكتبة الاسكندريَّة لا محلَّ لهُ هنا في واقع تاريخيّ شهد لصحَّتهِ مشاهير كتبة الاسلام. قل لي ناشدتك الله لو اردتُ تزكية احد ائمَّة النصارى عن اثم قرَّفهُ بهِ المؤرخون أتُقبل حجَّتي لو اسندتُ الدفاع الى آية وردت في الانجيل الطاهر فاردَّ مثلًا جريمة القتل عنهُ بقولي أنَّ المتَّهم نصرانيّ وانَّ الانجيل يأمر بحبّ الاعداء وينهي عن القتل ؟ لا لعمري

(ثانيًا) كذلك لا ينفع الكاتب احتجاجهُ بكتبة الفرنج لاسيما القدماء فانَّهم لم يطَّلعوا على ما اكتشفهُ المستشرقون وارباب البحث المحدثون من المؤلفات القديمة فتحاملوا جزافًا على ابن العبري المؤرخ اليعقوبي الشهير ظنًّا منهم انهُ رمى الكلام على عواهنهِ واخترع هذه الرواية الكاذبة فانَّ ابن العبريّ توفّي سنة ١٢٨٦ ومولدهُ سنة ١٢٢٦ للميلاد وكان سبقهُ قبل ذلك كاتبان مسلمان من اوثق الكتبة رويا حريق مكتبة الاسكندريَّة على يد عمرو بن العاص بامر ورده في ذلك وهما عبد اللطيف البغدادي

المتوفّى سنة ١٢٣٢ مسيحيّة (٦٢٩ ه) في كتابهِ الشهير المعنون بالافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بارض مصر (ص ٢٨ من طبعة بولاق) والوزير جمال الدين علي الشهير بابن القفطي المتوفّى سنة ١٢٢٧م (٦٢٤ ه). ومن ثمَّ سقطت حجّة كل من نسب زورًا الى ابن العبريّ اختراع الخبر لتعصبهِ الدينيّ فزعموا انَّ شهادتهُ «مجروحة» وروايتهُ دون سند ولا دليل كما نقل الكوثر (ص ٤١٠)

(ثالثاً) ولا نرى كيف يثبت كاتب الكوثر قولهُ (ص ٤٦١) بان كتبة العرب نقلوا هذا الخبر عن غير مسلمين «فاغترّوا بكلامهم لسلامة نيّاتهم وصفاء ضمائرهم» فليتفضّل جنابهُ ويُفدنا عن اسماء الكتبة النصارى او اليهود الذين سبقوا عبد اللطيف وجمال الدين ابن القفطي فاخذ هذان عنهم لأنَّ دعوى مثل هذه لا تقوم الّا بالبرهان

(رابعاً) وزاد عجبنا من كاتب الكوثر اذ ردّ شهادات ائمّة كتبة ملّتهِ كابن خلدون والمقريزيّ والحاج خليفة وعبد اللطيف البغدادي وجمال الدين القفطيّ وكلهم معروفون كرجال فضل لم نجد احدًا من قدماء الكتبة زيّف شهادتهم او فنّد رأيهم او نسب اليهم قلّة التروّي في النقل ولاسيما ابن خلدون الذي هو المؤلف المسلم الوحيد الذي وضع في مقدّمتهِ قوانين الانتقاد التاريخيّ فكيف يجوز ان تُنبذ شهادتهُ دون ادلّة

(خامساً) ولا يقنعنا احتجاج الكاتب بقولهِ انَّ هؤلاء الكتبة رووا امرًا بعيدًا عنهم لم يذكرهُ المؤرخون الاوّلون. ولكن كم من التآليف القديمة قد تلفت اليوم وكان يعرفها هؤلاء قبلنا. أفيقبل العقل انَّ كتبةً مبرّزين كالذين ذكرنا رووا واقعاً كهذا دون سند او اخذوه عن كتبة ملّة اخرى دون الفحص والتروّي. وخصوصاً جمال الدين القفطيّ الذي كان وزيرًا مولدهُ في مصر وخلّف مكتبةً جليلةً وصفها ابن شاكر صاحب فوات الوفيات في ترجمتهِ (طبعة مصر ٢: ٩٦) وصنّف كتاب تاريخ مصر في ستّة مجلّدات من اوّلها الى زمن صلاح الدين

(سادساً) وعليهِ لا نرى في ردّ كاتب الكوثر (ص ٣٦٤) على جمال الدين ابن القفطي جواباً مقنعاً بل لم يفهم عبارة ابن القفطي فظنَّ (ص ٣٦٥) انَّ عمرو بن العاص حبس يحيى النحويّ واطلقهُ من السجن وليس شيءٌ من ذلك في رواية ابن

القفطي الذي روى قول يحيي لعمرو « ان يأمر بالإفراج » عن كتب اليونان ولا تبقى محجورةً فظنَّ كاتب الكوثر انَّ ابن العاص القى يحيي في السجن ثمَّ افرج عنهُ (١ فتأمل !. كذلك استعظم قول يحيي النحويّ لعمرو « يزيد كتب الحكمة في الخزائن الملوكيَّة . . . ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها » فقال انَّ كلاماً مثل هذا « ناتي المستحيلات » وهو على خلاف ذلك من اقرب الدلائل على صحَّته لأنَّ العرب الفاتحين لمصر لم يكونوا يعرفون اللغة اليونانيَّة بل لم يشتغلوا بالعلوم الَّا بعد ذلك بزمن طويل كما اثبتنا سابقاً افيُستغرب قول يحيي لعمرو : أنكم لا تحتاجون الى كتب مكتوبة في غير لغتكم فاسمحوا لنا بها لننتفع بها . فاين الغرابة في ذلك ؟ ومن هنا ايضاً ترى بطلان احتجاج كاتب الكوثر في نفيهِ صحَّة قول ابن القفطي عن عمرو انهُ « سمع من الفاظهِ (اي يحيي) الفلسفيَّة التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هالهُ » اذ بيَّنَّا انَّ العلوم الفلسفيَّة لم تدخل بين العرب قبل اواخر القرن الثاني للهجرة فلا عجب اذن لاندهاش عمرو بن العاص من علم يحيي النحوي

(سابعاً) وفي الشواهد التي نقلها كاتب الكوثر للردّ علينا ما يبيِّن جهارًا بانَّه نقل عن كتبة اوربيين ولم يراجع الاصول التي اخذوا عنها فنرجو من لطفهِ ان يفيدنا عن الاسئلة الآتية : ١ً أيعرف تاريخَي ابي حنيفة واحمد بن يعقوب اللذين ذكرهما ؟ (ص ٤١٢) . ٢ً من هو « ابن عصية » المذكور هناك . أفيريد بهِ ابن ابي اصيبعة ؟ فكيف حرَّف اسم كاتب اشهر من النهار . ٣ً لم نعرف تاريخاً « ليوسيكوس بطريرك الاسكندريَّة » كما ذكرهُ (ص ٤١٣) ولعلَّهُ يعني بهِ سعيد بن البطريق المسمَّى افتيخيوس او افتيشيوس وقد عُني بطبعهِ كاتب هذه الاسطر . ٤ً وكذلك لا نعرف كاتباً يسمَّى ألمسين (ص ٤١٣) . ولعلَّهُ اراد « جرجس بن العميد الشهير بابن العميد » . ٥ً وليتكرَّم ايضاً بالافادة « عن المؤرخ اورسيوس » ويثبت لنا

---

١) ومن غريب ما جاء في مجلَّة الكوثر من سوء الفهم انَّهُ ظنَّ انَّنا بذكرنا للرهبان البندكتيين الذين خلَّصوا من ايدي البرابرة كنوز العلوم اردنا العرب وكلّ يعرف ان كلمة برابرة (les Barbares) تُطلَق على الشعوب الشماليَّة التي فتحت مملكة الرومان في اوربَّا ولا تعني العرب البتة

شهادتهُ بالحرف مع ذكر الكتاب الذي وردت فيهِ . كما هو متعارف عند العلماء في ابحاثهم

ولنا على كاتب الكوثر غير هذه الملحوظات الّا انّنا نكتفي بما سبق فندخل في البحث عن مكتبة الاسكندريّة وما يُعرَف اليوم من تاريخها ومن امر تلفها مستندين الى اقوال العلماء المدققين الذين في هذه السنين الاخيرة امعنوا النظر في ذلك فنذكر خلاصة ابحاثهم

١ ﴿ ما هي مكتبة الاسكندريّة ؟ ﴾ كان في الاسكندريّة مكاتب متعدّدة واخصُّها مكتبتان شهيرتان (١ : الاولى مكتبة المتحف الاسكندري وكان موقعها في حي بروكيوم (Bruchium) انشأها على ما هو مرجَّح اوّل الملوك البطالسة بطليموس سوتير ووسَّعها ابنهُ بطليموس الملقَّب بفيلادلف اي محبّ اخيهِ ولم تزل تزداد بالتآليف النفيسة حتى انَّ عدد كتبها كان بالغاً في اواخر عهدها ٧٠٠,٠٠٠ على قول المؤرخ اولوجال الروماني (Aulu - Gelle, VII, 17) امّا المؤرخ تيت ليف (Tite-Live) على ما روى سنيكا الفيلسوف (Seneca, *de tranquill. anim.* IX, 4) فذكر انَّ عدد الكتب لم يتجاوز ٤٠٠,٠٠٠ وهذه المكتبة تلفت بالحريق سنة ٤٨ قبل المسيح لمَّا حاصر يوليوس قيصر مدينة الاسكندريّة على قول المؤرخين المذكورين

والثانية مكتبة السيرابيوم (Serapeum) المدعوّة بهذا الاسم لوقوعها في جوار هيكل سيرابيس وكانت تُدعى « بالمكتبة الفتاة » لانّها كانت اصغر من المكتبة السابقة (S' Epiphan. : *De mensuris*, 11) والمظنون انّها اغتنت بما جُمع فيها من كتب الخزائن الملكيّة التي كان عددها بالغاً ٤٢,٨٠٠ مجلّد ومن كتب مكتبة برغاما البالغة ٢٠٠,٠٠٠ كما ورد في تاريخ بلوتركوس (Plutarque, *Vie d'Antoine*, 58) وفي هذه المكتبة كانت بعض الكتب الثمينة كالتوراة العبرانيّة كما روى ترتليان (Tertullien, *Apolog.* 18) وكتراجم الكتاب المقدّس اليونانيّة لاكويلا وسوماخوس وتاودوطيون التي استفاد منها اوريجانوس

١) استندنا في ذكر هذه المعلومات الى منقولات حضرة الاب فافر (J. Faivre, s. j.) اليسوعيّ الذي اشتهر بابحاثهِ العاديّة عن الاسكندريّة وجمع فيها نصوص معظم الكتبة القدماء

٢ ﴿ هل تلفت مكتبة السيرابيوم في القرن الثالث او الرابع ﴾ زعم البعض انَّ هذه المكتبة أُصيبت بخسائر عظيمة في وقت الحروب التي جرت في الاسكندريّة على عهد كركلا وما بعده الى ايام ديوقلطيانوس ولكن ليس شاهد واضح على قولهم وانَّما رأيهم محمول على الحدس والتخمين . وقال غيرهم انَّ المكتبة الاسكندريّة تلفت في السنة ٣٨٩ لمَّا تولَّى البطريرك تاوفيلوس عمّ القديس كيرلُّس الاسكندري خرابَ هيكل سيرابيس بامر الملك ثاودوسيوس قالوا انَّ المكتبة وقتئذٍ تبدَّدت وتلفت واستدلُّوا على ذلك بشهادة المؤرخ " پول اوروزيوس " فرووا عنهُ " انهُ شاهد المكتبة خالية من الكتب بعد احراق كتبها بعشرين سنة اي سنة ٤١٠ " . فالجواب على ذلك انَّ تاوفيلوس لم يحرق شيئاً وانَّما اخرب فقط هيكل إله الوثنيين امَّا الابنية المجاورة للهيكل حيث كانت المكتبة فلم يمسّها كما افاد معاصرهُ المؤرخ ايفاغريوس (Evagre, *Hist. Eccl.*, *II.* ٦) بل لم يذكر احد من قدماء المؤرخين تبذير المكتبة وتضعضعها . وكان تاوفيلوس من علماء زمانهِ فلا يجوز ان يُنسَب اليهِ عمل كهذا الَّا بالبيّنات . امَّا شهادة " پول اوروزيوس " (Paul Orose, *Hist.* VI, 15) الذي يدعوهُ ابن خلدون اورشيوس ويستشهد بهِ مرارًا فانَّ كاتب الكوثر نقل كلامهُ كعادتهِ عن كتبة اوربيين لا يوثق بروايتهم ولو راجع تاريخ اوروزيوس الذي هو تحت نظرنا لرأى انَّ هذا المؤرخ لم يتكلَّم عن حريق هذه المكتبة بل عن المكتبة الاولى المحروقة على عهد يوليوس قيصر ومتى شاء بيَّنَّا لهُ ذلك بالبرهان فيرى كيف خلط اولئك الاوربيون ولم يحسنوا النقل

٣ ﴿ أيعرف شيء من امر هذه المكتبة الى ايام الفتح الاسلامي ﴾ ليس لدينا دليل يفيدنا شيئاً عن مكتبة الاسكندريّة بعد شهادة القديس ابيفانيوس المتوفَّى سنة ٤٠٣ . ومن الشواهد التاريخية المكتشفة حديثاً تاريخٌ وُضع بالسريانيَّة ونقلهُ الى اللاتينيَّة العلَّامة الايطالي اغناطيوس جويدي (Ign. Guidi : *Chronica Minora*, pars I, 22 et 23) فجاء هناك في تاريخ سنة ٦٠٠ اي قبل الهجرة باثنتين وعشرين سنة ذكر رجل اسمهُ بطرس يروى عنهُ انهُ فتح مدينة الاسكندرية لجيش الفرس ثم قال : « وكان بطرس المذكور فيلسوفاً منكبًّا على درس الحكمة منذ صغرهِ وكان قرأ في ذيل احد كتب مكتبة المدينة ما سيحلّ بها من الضنك . . . » . فقولهُ

« مكتبة المدينة » (ܒܝܬܐ ܕܡܕܝܢܬܐ) شاهد لامع على وجود مكتبة عموميّة لمدينة الاسكندريّة في ذلك الوقت على خلاف ما زعم البعض

﴿ ما رأينا في امر حريق المكتبة على يد العرب ﴾ لا يمكننا القطع بهذا الامر فانّنا نتردّد بين الايجاب والسلب. امّا الايجاب فاوّلاً لانّ الكتبة المسلمين سبقوا الى رواية الحادث كما رأيت ولا يقبل العقل انّهم نقلوا الامر دون ان يتحقّقوه وفيه ما فيه من قصّة حريق المكتبة. وثانياً لانّهُ لم يفنّد احد من بعدهم قولهم بل تناقلهُ المسلمون والنصارى دون اعتراض. وثالثاً لانّ غيرهم من الائمّة اثبتوهُ بما يشبهُ فرووا من حريق العرب للكتاب في العجم. وغيرها ما نقلنا شواهدهُ عن ابن خلدون والحاجّ خليفة وقد جمع المستشرق الشهير دي هامر شواهد اخرى لا حاجة الى ذكرها. ومن المحتمل ان يكون عمر بن الخطّاب خاف أن يجد اعداء العرب في تلك الكتب ما يقوّي عصبيّة الرعايا ويحملهم على نقض الطاعة للفاتحين وهم لا يعلمون مضمونها ويجهلون لغتها فيكون ذلك الفعل سياسة منهُ

امّا وجوه السّلب فاوّلاً لانّ ما رواهُ كتبة العرب من مسلمين ونصارى لم يروهِ احد من كتبة بقيّة الامم كاليونان واللاتين والاقباط وكان حقّهم ان يذكروهُ في تواريخهم ولعلّهم فعلوا في ما لم يبلغ الى ايدينا

وثانياً لانّ يحيى النحوي الذي يقال عنهُ انّهُ راجع عمرو بن العاص في شأن مكتبة الاسكندريّة لا يُعرف زمانهُ بالتدقيق. والعلماء في ريب من بلوغ حياتهِ الى عهد العرب فيزعمون انّ عمرهُ يكون بلغ نحو ١٣٠ سنة وهذا امر نادر جدًّا

وثالثاً لأنّ في رواية جمال الدين ابن القفطي ما يصعب تصديقهُ كتفريق الكتب على حمّامات الاسكندريّة فاوقدت مدّة ستّة اشهر. وكان للاسكندريّة اربعة آلاف حمّام. فلو بلغ عدد كتب المكتبة الملايين لقصرت عن ايقاد الحمّامات مدّة ستّة اشهر الّا ان يقال بتفريقها على حمّامات قليلة

فبين الايجاب والسّلب ينبغي على العاقل ان لا يتسرّع الى الحكم وربّما تأتينا الاكتشافات الجديدة بادلّة تزيل كل الشبهات وهذا آخر كلامنا في هذا الصدد

مطبوعات شرقيّة جديدة

Hugo Bunz : Kitâb itti'âz al-Hunafâ. . . von al-Makrizi. Inaugural-Dissertation zur Doktorwürde zu Tubingen.

كتاب اتّعاظ الحنفاء في اخبار الأئمّة الخلفاء للمقريزي

بين مخطوطات مكتبة غوطا الشرقيّة كتاب فريد للامام المقريزي لا يُعرف لهُ نسخة ثانية وهو كتاب اتّعاظ الحنفاء وضعهُ ذلك المؤرخ الشهير كتتمّة لتأليفه عقد جواهر الاسفاط في اخبار مدينة الفسطاط ليروي فيهِ مفصّلًا اخبار الدولة الفاطميّة في مصر. ولسوء الحظّ قد سقط قسمٌ من هذه النسخة فلم يستطع جناب المتولي لطبعها ان يتمّمها بغيرها. ومع ما في هذه النسخة من النقص تجد في ما حُفظ منها فوائد جمّة عن اصل الدولة الفاطميّة ونسبها وتقلّباتها ما يصعب جمعهُ من كتبة غيرهِ. وهناك بالخصوص فوائد اثيرة عن القرامطة غاية في الخطر. ومن يطّلع على هذه الاخبار يتحقّق ما كان للمقريزي من حسن النظر وسعة العلم والمعارف التاريخيّة. فنشكر المسيو « بُنتس » الذي نشر هذا الاثر ونتمنّى انّ احد ذوي الهمّة يلقى ما فُقد منهُ. والكتاب حسن الطبع طُبع في مطبعة دار الايتام في القدس الشريف. وانّما ينقصهُ فهرس واسع لاعلامهِ ل. ش

I. Maltese Pocket Grammar, by B. Roudanovsky = II. Quelques particularités du Dialecte arabe de Malte, 2e éd. par le même, Beyrouth, 1911 pp. IV-105

اصول اللغة المالطية وبعض خواصّها

انّ اهل مالطة يرتأون في اصلهم ولغتهم آراء غريبة لا توافق غالباً ما يستنتجهُ فيها العلم الصحيح. ومن مزاعمهم انّ لغتهم بقيّة من اللغة الفينيقيّة القديمة وهو زعم لا يمكن اثباتهُ بدليل مقنع. وفي هذه السنين الاخيرة قد تعدّدت الكتابات في اللهجة المالطية وقرّ رأي العلماء في انّها اللغة العربية بعينها مع كثير من الطوارئ التي طرأت عليها بفعل الزمان ودخول الفاظ وتراكيب اجنبيّة كثيرة فيها. وممن كتب في ذلك مؤخرًا الاديب رودانوفسكي فوضع اوّلًا مختصرًا انكليزيًا

ادرس لغة مالطة ثمَّ الحقهُ بكتاب ثانٍ ضمّنهُ ملحوظات شتّى في اللغة المذكورة اصاب في بعضها وشطَّ في بعضها الآخر فخطَّأهُ بعض اللغويين. على انَّ الكاتب رأى في انتقاد واحد منهم قلّة انصاف فكرَّر طبع ملحوظاتهِ بالفرنسويَّة ودافع عن رأيهِ وزاد ملحوظاتهِ ايضاحاً ودعمها بادلَّة جديدة. وكنَّا وددنا ان تدخل في ميدان البحث بخصوص بعض مزاعمهِ لولا انَّنا خفنا ان يتَّسع بنا المجال في هذا الامر الذي لا يعتني لهُ كثيرًا اهل بلادنا. وعلى كل حال نثني على مساعي صاحبهِ ونتمنَّى ان يواصل ابحاثهُ ليزيل الشبهات عن مكنونات عديدة لا تزال محجوبة عن نظر الباحثين ل. ش

E. Montet. De l'état présent et de l'avenir de l'Islam. Six conférences faites au Collège de France en 1910. *Paris, Geuthner*, 1911, in-8°, pp. 156

ست خطب في حاضر الاسلام ومستقبلهِ

ليس هذا الكتاب درساً متعمِّقاً في الاسلام وتاريخهِ وانَّما هو مجموع خطب جمع فيها صاحبها ما رآهُ اهمَّ واقرب الى عقول الجمهور في باريس. وقد صرف نظرهُ خصوصاً الى عقائد الدين الاسلامي وسنتهِ وعاداتهِ. وقد نبَّه في مقدّمتهِ انَّهُ اراد ان يكتب بكل نزاهة ولا تطرُّف. ولكن رأيناهُ في عدَّة اشياء مقصِّرًا امَّا جهلًا وامَّا سهوًا د. س

العبادة الثمينة لآلام المسيح واوجاع امّه الحزينة

تاليف القديس الفونس ليغوري عربهُ الاب ادوار سلزاني اليسوعي

بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩١١

خدم حضرة الاب سلزاني بلادنا سنين طويلة خدمةً رسوليةً تُذكر فتشكر. وخدماتهِ الان في نقل لباب تآليف القديس ليغوري ونشرها باللغة العربيَّة نعتبرها من اجلّ الخدم. فقد اتحف الاتقياء منذ عهد غير بعيد بكتاب « الطريق المستقيم » فاقبلوا عليهِ يغتذون من مواضيعهِ. اما كتاب « العبادة الثمينة » فيكون على مثال سلفهِ اليفَّ النفوس التقية ورفيقها ولاسيما في اسبوع الآلام. فنشكر للشيخ الجليل هديتهُ ونسأل الله ان يطيل في حياتهِ ليتحفنا بمثل هذين السفرين المختارين ا. ر

لباب الكتاب لطلاب العلم والآداب

بقلم القس مبارك ابي مارون المزرعاني اللبناني

طُبع في المطبعة اللبنانيَّة (جسر ضر بيروت) سنة ١٩١١ (ص ٢٠٠)

هذه منتخبات من الكتاب المقدَّس من العهد القديم جعلها حضرة المنتخب سبعين درساً في ٢٠٠ صفحة وطبعها بحرفنا الاسطنبولي وذيَّلها ببعض التفاسير اللغويَّة وغيرها فجاء مجموعاً مفيداً للمدارس. وكان يحسن بحضرة المنتخب ان ينبِّه في مقدَّمته انهُ استند الى ترجمتنا العربيَّة وننقل عنها قسماً من شروحه . والكتاب يطلب من جناب خليل افندي باخوس منشئ الروضة ل.ش

جواهر الادب في خزائن العرب

جُمع بعناية سليم افندي ابراهيم صادر صاحب المكتبة العموميَّة

الجزء الاوَّل . طُبع في المطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٤)

هذا المجموع على شاكلة مجاني الادب وقسم كبير منقول عنهُ . وهو في ثمانية ابواب وعدَّة فصول مضبوط بالشكل الكامل الَّا الباب الاخير المقتطف من كتاب الرسائل العصريَّة لحضرة الخوري بطرس البستاني والكتاب يصلح لكل المدارس يجد فيهِ الاحداث لذَّةً ومنفعة ليس فيهِ ما ينبو عنهُ الذوق السليم او تعثر بهِ آداب الناشئة ل.ش

كتاب القراءة للبنات مزيَّن برسوم عديدة

الجزء الاوَّل . جمعهُ يوسف افندي صادر

طُبع في المطبعة العلميَّة سنة ١٩١٠ (ص ٩٦)

الكتب المدرسيَّة المختصَّة بالبنات حتى الآن قليلة . وهذا الكتاب مما يفيدهنَّ لسدّ ذلك الخلل ضمَّنهُ مؤلفهُ فصولاً شتى في موادَّ مختلفة ادبيَّة واهليَّة ينصرف اليها غالباً عقل الفتيات وختم كل فصل بالفاظ منتخبة واسئلة تنبه فكر الابنة الى معاني الدروس وفحاويها وكنَّا وددنا لو وُضع في جملة موادِّهِ باب ديني في ذكر الخالق او الواجبات نحوهُ تعالى . امَّا الرسوم فحسنة ينقصها شيء من الوضوح والدقة ل.ش

القدر : مأساة ذات ثلاثة فصول

بقلم حضرة الاب برتلماوس ابراهيم صليبا ق.ب.

بمطبعة زحلة الفتاة في زحلة لبنان سنة ١٩١١ (ص ٧٧)

هذه المأساة الشعريّة والنثريّة احدى الروايات الادبيّة القليلة التي لم يدخل فيها الغرام فيستطيع الممثلون تمثيلها دون خدش وجه الادب . وفيها مع هذا عواطف شريفة واوصاف لاحوال مختلفة من شأنها أن تؤثر في قلوب الجمهور وتنكّب بهم عن جادّة الآثام وتحبب اليهم الفضيلة. ولولا دور « الكونتة » لحسن تمثيلها في المدارس. فنثني على مؤلف هذه الرواية ونتمنّى لعمله رواجا كبيرًا ل.ش

كتاب حديقة الجنان في تاريخ لبنان

بقلم حضرة الخوري اسطفان ضو.

طُبع في المطبعة الجامعة في البترون (لبنان) سنة ١٩١١ (ص ١٤٤)

انّ تاريخ لبنان من الموادّ التي تستفزّ همم الكتبة الوطنيين فيتوقون الى ان يستخرجوا دفائنهُ ويجعلوا اخبارهُ في ايدي صغار المدارس ليأتسوا بمفاخر الاجداد. وقد شحذ حضرة الخوري الفاضل اسطفان ضو. قريحتهُ فسطّر بقلم سيّال تلك المآثر مباشرة بسنة ٦٠٠ للمسيح الى عصرنا الحالي. وقد انهى في هذا القسم الاول اخبار لبنان من السنة ٦٠٠ الى ١٧٨٨ وذلك في ١٤٤ صفحة وهذا لعمري قليل اذا اعتبرت عدد السنين (١١٨٨ سنة) ولعلّهُ كان الاولى بحضرتهِ ان يبتدئ التاريخ منذ الصليبيين فقط لأنّ الاخبار السابقة ذلك العهد لا يُعبأ بها لاسيما حوادث سنة ٦٠٠ وما بعدها فانّهُ ليس من كاتب يمكنهُ ان يصادق على ما ورد هناك (ص ٥) انّ « احد اعيان البلاد الفرنساويّة قدم سنة ٦٠٠ الى سوريّا الثانية وتملّكها فسُمي شارلمان » وانّهُ « ولّى على مدينة انطاكية ابن اختهِ الملقّب عند العرب عبدون ». امّا تاريخ القرون المتأخرة فحضرة المؤلف اودعهُ عدّة فوائد كنّا وددنا لو دلّ على اسانيدهِ في ذكرها وسرّنا انّهُ نقل عن المشرق بعض الآثار القديمة . وممّا كان يمكن المؤلف ان يستفيد منهُ كتاب حضرة الاب انطون رباط المعنون بالآثار الخطّيّة في تاريخ الكنائس الشرقيّة وفيهِ معلومات عديدة عن لبنان لم ينتفع بها المحدثون

حتى اليوم . وان شاء الله يقبل الجمهور على هذا الكتاب حتى يُبادَر قريباً الى اصلاح طبعتهِ الثانية ل.ش

شذرات

اللغة الدوليَّة نسبتنا جريدة الرأي العام الى العصبيَّة لسعينا بتعليم اللغة الافرنسيَّة وفي ما جرى في مؤتمر بروكسل الاخير احسن جواب على انَّنا بذلك نخدم الصوالح العموميَّة فهناك تداول المندوبون الى المؤتمر في اختيار لغة تكون الرابطة بين الدول المتمدنة فرجَّح تسعة اعشارهم اللغة الفرنسويَّة على سواها لشيوعها ووضوحها وسهولة تعلُّمها ولم يعترض عليهم غير الالمان

الرهبنات الكاثوليكيَّة في المانية بينما تضطهد الحكومات الماسونية الرهبانيَّات في بعض البلاد ترى الحكومات العاقلة تقرُّ بفضلها وتفتح لها باباً واسعاً لمشروعاتها الخيريَّة. قالت مجلَّة المقتبس في عدد شهر صفر الاخير (ص ١٣٤) نقلاً عن المجلَّة الباريزيَّة

« روت المجلَّة الباريزيَّة ان عدد الرهبنات الدينية التي وقفت انفسها على بذل الاحسان ومعاونة الناس من نوع الانسان ما برحت آخذة بالانتشار في المانيا وقلَّ عدد البروتستنتية منها فالرهبنة الدياكوني او الشمامسة ٨٤ ملجأ منها ٥٤ في المانيا والباقي في غيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠٠ اخ و ٢٥٠٠٠ اخت الا انهُ قلَّ في العهد الاخير انخراط النساء في هذا السلك لانهُ قل الاعتماد عليهن في المستشفيات كما كان سابقاً ولكن يزيد عدد من يمرّض المرضى في بيوتهم عن ذي قبل. والرهبنات الكاثوليكية تنمو اكثر من غيرها فقد كان في بروسيا منذ ٣٥ سنة ٧٤٦ ملجأ فيها ٨٠٠٠ اخ واخت فغدت سنة ١٩٠٨ ٢١١٣ ملجأ اعضاؤها ثلاثون الفاً منهم اربعة آلاف اخ وستة وعشرون الف اخت اي ان الرهبنات الكاثوليكية قد زاد عددها اربعة اضعاف »

مذهب النشوء والعرب زعم صاحب الهلال في عدده الصادر في ابريل الاخير (ص ٤٣٤) انَّ العرب القدماء قالوا بمذهب النشوء والارتقاء وتوسَّعوا في ذلك ثمَّ قال « انَّ احسن الامثلة على ذلك قول ابي علي ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ » في كتابهِ الفوز الاصغر الذي طُبع في بيروت سنة ١٣١٩ فنقل منهُ بعض صفحات لتأييد رأيهِ. فراجعنا المنقول ولم نجد ما نواهُ صاحب الهلال عن

تفرّع جنس من آخر ولمّا ذكر الكاتب فقط كيف تتواصل مراتب المخلوقات ببعضها تواصلاً حتى اذا قربت مرتبة الجماد الى مرتبة النبات « فيقبل النبات اثر الحركة بالنموّ وحفظ النوع بالبذر » وكذا النبات فانهُ يختلف نوعاً وكمالاً حتّى يصير اهلاً لقبول اثر الحسّ فيصير في افق اعلى . ومثالها ايضاً مرتبة الحيوان فانها مع كونها في افق البهيمة تختلف اختلافاً عظيماً حتى تكاد تلحق من حيث التناسب الخارجي مرتبة الانسان حتّى لا يكاد يظهر بينهما الّا الفرق اليسير « اذا تجاوزهُ (الحيوان) انساناً » فمن يقرأ هذا الفصل بتروٍ يتحقّق انّ ابن مسكويه لا يريد بذلك تفرّع النبات من الجماد او الحيوان من النبات بل اتّصال حلقات الكون بعضها حتّى اذا بلغت كلّ مرتبة اقصى رتبتها فكادت تشبه الرتبة التالية « قبلت صورة اشرف » ولم يَقُل المؤلف انّ ذلك يتمّ بالنشوء والارتقاء كما ظنّ . ويكفي لبيان ذلك مراجعة بقيّة كتاب ابن مسكويه وهو يثبت وجود الخالق وحقيقة خلقهِ تعالى للمخلوقات ومراتبها « فتقبل الصور » منهُ تعالى عزّ وجلّ . والمؤلف يكرّر ذلك في بقيّة تآليفهِ وخصوصاً في كتابهِ تهذيب الاخلاق . فترى انّ صاحب الهلال لا يمكنهُ تأييد مذهبهِ بقول ابن مسكويهِ ومهما اخترع من السفسطات لا يستطيع ان يثبت لعاقل ما حاول بيانهُ « ان للحيوان عقلاً » كما اراد بيان الامر في هذا العدد من مجلّتهِ

المقتطف والدين قد قرأنا بالسرور ما كتبهُ صاحب المقتطف في ضرورة الدين في عددهِ الاخير الصادر في شهر ابريل ونتمنّى ان يزيد قولهُ ادعاماً بالدفاع عن اصول الدين كوجوب الخالق وتكوين الانسان والاعتقاد بالآخرة وخلود النفس فان الدين لا يثبت الّا بذلك

اسئلة واجوبة

س سأل من حلب الاديب ج . ب . اذا حرم الكاهن او سقط في خطيئة ثقيلة وفاه بكلام التقديس هل تتم الاستحالة والذبيحة ام لا

تقديس الكاهن الخاطئ او المحروم

ج اذا قدّس الكاهن المحروم او الخاطئ زاد على خطيئتهِ خطيئة النفاق

ولكن تمّ الاستحالة والذبيحة على شرط أنْ لا يهمل شرطاً جوهرياً من شروط التقديس لا بالمادّة ولا بالصورة

س وسال من صار جبلاغ في ولاية تبريز التاجر الموصلي ناصر افندي يوسف ريحاني هل المسيح كان تألم على الصليب في الطبيعة البشريّة فقط ام كان تألمه في الطبيعتين الالهيـة والبشريّة سويّة

تألم المسيح

ج كلّ مسيحيّ يعلم انّ اللاهوت لا يقبـل شيئاً من الآلام او من التغيير وعليـهِ لا يمكن القول بان السيّد المسيح تألم في طبيعتهِ الالهيّة لكن بالبشريّة فقط وهذا لا يمنع نسبة الالام والموت لابن الله لانّ في المسيح اقنوماً واحداً اقنوم الاله الذي كان يعمل الاعمال الالهيّة بطبيعتهِ الالهيّة والاعمال البشريّة بطبيعتهِ البشريّة كما يعمل الانسان الواحد اعمالاً حيوانيّة بقسمهِ الهيولي واعمالاً تفوق طور الهيولية بعقلهِ فيُنسب للاقنوم ما تأتيه الطبيعتان

س وسالنا احد كهنة غزير الموارنة عن مؤلف كتاب مكتبة الاسكوريال اللاتينيّة المطبوع سنة ١٧٦٠ – ١٧٧٠ (Bibl. Arabico-hispana) اهو حقيقة من غزير واذا يعرف عنهُ

مؤلف كتاب مكتبة الاسكوريال

ج مؤلف هذا الكتاب الجليل يُسمّى باللاتينيّة (Michel Casiri) واسمهُ الصحيح ميخائيل الغزيري الماروني ولد في طرابلس سنة ١٧١٠ ودرس في مدرستنا المارونية في رومية وصار كاهناً سنة ١٧٣٤ ثمّ رافق المنسنيور يوسف السمعاني لمّا جاء الى لبنان لعقد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٥ وكان الغزيري راهباً حلبياً فرجع الى دير رومية وعلّم اللغات الشرقيّة . وفي سنة ١٧٤٨ طلبهُ ملك اسبانية لتنظيم مكتبة مدريد المعروفة بالاسكوريال . فاشتغل مع بولس خضر الماروني ودوّنا قائمة المكتبة بكل اتقان في جزئين . وكانت وفاة ميخائيل الغزيري سنة ١٧٩١ في ١٢ آذار

س وسُئل صاحب الهلال (ص ٤٣٧) أكان الشاعر المهلهل متزوجاً فاجاب انهُ « لم يقف على خبر زواجهِ ولا يعرف مؤرخاً يذكر لهُ ولداً »

زواج المهلهل وبجاءة الهلالي

ج ان الادلّة على زواج المهلهل عديدة . وقـد ذكر في الاغاني (٩ : ١٨٢) امرأتهُ هند وذكر لهُ ابنةً اسمها ليلى وهي التي تزوّجها كلثوم بن مالك ل . ش

المشرق

مدينة السامرة وحفرياتها الحديثة

نظر تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي

من اجلّ الآثار التي خرجت الى عالم النور بعد احتجابها مدّة الاجيال المتوالية في قلب الارض عاديات مدينة السامرة التي استخرجتها حديثاً بالحفر بعثة اميركيّة فانبعثت من قبرها نافضةً الكفن الكثيف الطيّات الذي كانت سجّتها به الدُول منذ عهد الاشوريّين الى الفتح العربي فظهرت للعيان بقاياها اليهوديّة ثمّ اليونانيّة ثمّ الرومانيّة وكان في ظهورها دليل ناطق وشاهد حي على صحّة ما ورد في الاسفار المقدّسة عن اخبار السامرة وتواريخ ملوكها. فحدا بنا الامر الى ان نتحف قرّاءنا الكرام بوصف تلك الاكتشافات. على انّ ذلك يقتضي مقدّمة في تعريف مدينة السامرة وذكر لمعة من تاريخها ليدركوا خطورة هذه الحفريّات وما تحويه بلادنا من الكنوز الاثريّة التي لا تزال راقدة في مدافنها ريثما ترحمها يدٌ كريمة فتعيدها الى الحياة

١ نظر في مدينة السامرة وتاريخها

﴿ مدينة السامرة واسماؤها ﴾ اوّل اسم عُرفت به مدينة السامرة شَمْرون (שמרון) وقد زعم اوسابيوس في معجمه للاعلام (Onomasticon) انها شِمْرون المذكورة في سفر يشوع (١١:١ و ١٩:١٥) غير انّ هذا الرأي في يومنا مردود والمرجّح انّ شِمْرون التي افتتحها يوشع كانت احدى حواضر الجليل وموقعها قريب من عكّا وقد بقي منها آثار تُعرف حتى يومنا بالسامريّة. امّا شَمْرون

حاضرة السامرة بفتح الشين المعجمة فاوّل ما ورد ذكرها في سفر الملوك الثالث (١٦ : ٢٤) في زمن ملوك اسرائيل . امّا معنى اسمها فقيل المراد بهِ « مكان شَمَر » وشمر صاحبها . وقيل بل معناها « المرقب » لعلوّها وصلاحيتها للمراقبة والحراسة من فعل (שָׁמַר) بالعبرانيّة اي حرَسَ ونظر وراقب . وقد دعاها في سفر عزرا (٤ : ١٠) شَمرين وبقي عليها هذا الاسم الى ايّام هيرودس فدعاها باسم يوناني اشتقاقاً من سبستوس وهو اسم اوغسطوس قيصر باليونانية فعُرفت باسم (Σεβαστή) وشاع اسمها على هذا المنطوق . وقد عرفها العرب باسميها فدعوها « سامرة » طبقاً للاصل العبراني وسمّوها سَبَسْطية اشارةً الى اسمها اليوناني وبهذا الاسم تُعرف الى يومنا

﴿ موقعها ﴾ موقع مدينة السامرة في اواسط بلاد فلسطين كانت في قسم الناحية المعطاة لسبط افرائيم بن يوسف في شمالي غربي مدينة نابلس او شكيم على مسافة ستّة اميال منها في وادٍ متّسع وبقعة خصبة ذات تلال وربى بينها تلّ شمرين الذي عليهِ بُنيت المدينة وهي تبعد عن اورشليم ٣٠ ميلاً عن شمالها

﴿ تاريخها ﴾ اخبر مؤلف سفر الملوك الثالث ما وقع من الانقسام بين سبط يهوذا واسباط بني اسرائيل بعد موت سليمان ومُلك رحبعام ابنهِ فانفصلت الاسباط عن يهوذا واتّخذت يربعام بن ناباط لها ملكاً واقام هذا في شكيم مدّة ثمّ انتقل وخلفاؤهُ من بعده الى تِرْصة وسكنوها الى زمن ملكهم السادس عمري فنقل هذا كرسي الملك من ترصة الى السامرة . وكانت السامرة وقتئذٍ هضبة مرتفعة يسهل تحصينها في وجه الاعداء فاشتراها عمري سنة ٨٨١ ق.م من صاحبها شمر بقنطارين من فضّة اي نحو ٢٠,٠٠٠ فرنك من نقودنا فعمّرها وجعلها مدينة حريزة واتّخذها قصبة لمملكتهِ . وعلوّ السامرة فوق سطح البحر ٤٤٣ متراً امّا فوق السهول المجاورة فمئة متر فقط ومنها يكشف النظر غرباً بحر الشام وجنوباً وشرقاً جبال عيبال وافرائيم وقد اطنب الانبياء في عمرانها وخصبها وخمور كرومها

وبقيت السامرة حصناً حصيناً لاسباط اسرائيل حتى أُطلق اسمها على كل البلاد التي احتلّتها الاسباط اي كل الناحية الواقعة بين الجليل شمالاً واليهوديّة جنوباً والاردن شرقاً وبحر الشام غرباً . ودام ملك بني اسرائيل على السامرة ١٥٠

سنةً جرت في اثنائها الحروب وكثرت المنازعات بين ملوكها وملوك الشام وملوك يهوذا تارةً لهم وتارةً عليهم

وكان التوثن يزيد فيها نموًّا والشرك انتشاراً لاسيما عبادة البعل الفينيقي التي افسدت اخلاق اهلها وحرّكت غضب الله عليهم الى ان طفحت كأس شرورهم فتئت في السامرة نبوّة الانبياء فيهم لمّا زحفت عليهم جيوش اشور في اواخر عهد سلمناصر واوائل سرجون فتحتها ولاشت مملكتها وجلت اهلها الى ما بين النهرين

ثمَّ ارسل بعد قليل الملك اصارحدُّون قوماً اخلاطاً من مهاجري بلاد الاشوريين ليسكنوا السامرة فامتزجوا باهلها الباقين فيها ونشروا بينهم ارجاس دياناتهم الباطلة فصار دين السامريين معدوداً عند اليهود كدين فاسد رغماً عن بقايا من شريعة موسى فكانوا يبتعدون عنهم ابتعادهم عن الحنفاء واهل الشرك

وبقيت مدينة السامرة تحت حكم الاشوريين واخذت شيئاً فشيئاً تجدّد محاسنها وتستردّ منعتها حتى قدم الاسكندر ذو القرنين فكسر شوكتها نهباً وسبياً بعد عصيانها وارسل قوماً من اليونان والسوريين يستعمرونها فاستوطنوها ودانوا للملوك السلوقيين الى السنة ١١٠ ق.م وفيها استولى عليها ملك المكابيين « حنّا هركان » فقلبها ظهراً لبطن ودكّها الى اساسها اخذاً بثار محالفيه الذين اساء اهل السامرة الصنع اليهم

على انَّ الرومان عرفوا ما لموقع السامرة من الخواصّ فقام احد ولاتهم غابينيوس ورمّمها ثمَّ تبعهُ هيرودس الكبير واعاد لها رونقها السابق وبنى فيها الابنية الفخمة وطوّقها بسور وزخرفها بالاروقة والاعمدة والهياكل ودعاها باسم سبسطية شكراً لاوغسطوس قيصر الذى اتحفهُ بها

ومنذ عهد الميلاد يذكر المؤرخون سبسطية كمدينة عامرة. وقد دخلتها النصرانيَّة منذ اوائل الدعوة المسيحيَّة كما يظهر من اعمال الرسل حيث يُذكر تبشير القديس فيلبُّس فيها وكما يلوح ايضاً من الآثار القديمة وفيها جعل اوسابيوس القيصري والقديس هيرونيموس وتاودوريطس قبر القديس يوحنَّا المعمدان مع انَّ يوسيفوس في كتاب العاديات اليهوديَّة (ك ١٨ ف ٥) يؤكّد انَّ هيرودس انتيباس قتل يوحنَّا في ماكيرونتا ولعلَّ ذخائرهُ نُقلت بعد قتله الى سبسطية

وقد روى تاودوريطس في كتاب التاريخ الكنسي (ك ٣ ف ٧) انَّ الوثنيين

على عهد يليانوس الجاحد انتهكوا قبر الصابغ في سبسطية واحرقوا ذخائره . والظاهر انَّ المؤمنين امكنهم ان يخلّصوا منها قسماً فعادوا الى اكرامها وبنوا على ذكر المعمدان كنيسة باسيليقة ذكرها في القرن الخامس القديس هيرونيموس وعاينها السائح انطونينوس المعروف بالشهيد في القرن السادس . وذكر السائح القديس ڤيليبلد (S. Willibald) انهُ شاهد في سبسطية قبر القديس يوحنا السابق وقبري النبيَّين اليشاع وعبديا في القرن الثامن . وقد ورد ذكر اساقفة مدينة السامرة في جملة الآباء الذين حضروا المجامع المسكونيَّة الاولى كنيقية وخلقدونية

امَّا ما يُعرَف من امر سبسطية منذ التاريخ الاسلامي فزهيد جدًّا لا يفي بمرغوب فقد افاد البلاذري في كتاب فتح البلدان (ص ١٢٣) انَّ عمرو بن العاص بعد فتح غزَّة في عهد ابي بكر الصدّيق فتح بالامان سبسطية ونابلس وجعل الجزية على رقاب اهلها والخراج على اراضيها . وذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٣٣) سبسطية ولم يزد على قوله انَّها " بلدة من نواحي فلسطين وبينها وبين بيت المقدس يومان وانَّ بها قبر زكريَّا ويحيى بن زكريَّا وجماعة من الانبياء والصديقين وهي من اعمال نابلس "

ولمَّا صارت فلسطين في ايدي الصليبيين سعوا في احياء مآثرها الدينيَّة ولاسيما كنيسة القديس يوحنَّا المعمدان التي تُرى اليوم بقاياها وهي جامع البلدة والصليبيُّون على ما يظهر شيَّدوها في القسم الثاني من القرن الثاني عشر وتبعوا في تشييدها رسم الكنيسة القديمة الراقية الى القرن الرابع او الخامس . وطول هذه الكنيسة مع رواقها يبلغ ٤٨ مترًا في عرض ٢٣ م وكان لها ثلثة اسواق وقبُبها بيضويَّة الشكل على الطرز الصليبي . وفي شمالها الخربة بناء ضخم كان فيه مقام اسقف المدينة او فرسان القديس يوحنَّا تُرى على جوانبه ابراجهُ حتى الآن

﴿ سَبَسْطية الحاضرة ﴾ لم يبقَ اليوم من عاصمة السامرة غير قرية حقيرة لا يبلغ عدد اهلها الفًا . وهم يسكنون على حدود تلّ سبسطية وبيوتهم مبنيَّة من بقايا اخربة المدينة القديمة وترى في اواسط القرية الاعمدة المحطَّمة وقواعد العواميد المزخرفة واكلَّتها المنقوشة . وفي اعالي التلَّة اطلال الهيكل الذي شيَّدهُ هيرودس لاوغسطوس قيصر . ومن عن جنوب التلّ آثار الرواق الشهير لهيرودس ايضاً وكان

يبلغ طولهُ ١٧٠٠ متر في عرض ١٨ متراً تزينهُ المئون من الاعمدة البالغ علوّها خمسة امتار وقطرها نحو مترين وكان بعضها حجراً واحداً وترى حتى اليوم منها نحو مئة عمود بعضها قائمة وبعضها مطمورة في الارض تعلو فوقها المزروعات والكروم وكان الرواق ينتهي بمدخل فخيم وعلى طرفيهِ برجان مستديران من الحجارة المنحوتة. فكلّ هذه الاخربة تنطق بلسان حالها وتردّد ما قالهُ فيها ميخا النبي (١ : ٦) : « اني ساجعل السامرة كومة في الحقل ومغارس كروم وأُدحرج حجارتها الى الوادي واكشف أُسسها »

وسكّان السامرة اليوم كلّهم مسلمون امّا السَّمرة فلم يبقَ منهم حالا سوى ثلاثين او اربعين عائلة يسكنون مدينة نابلس وهناك كنيسهم وفيهِ يحفظون نسخة التوراة السامريّة التي يرقّون عهدها الى القرون السابقة للميلاد والمرجّح انها كُتبت بعد المسيح بمدّة طويلة

٢ حفريات مدينة السامرة

قرى انَّ سُبات مدينة السامرة كان عميقاً مطبقاً اذ حاول قومٌ من علماء الاميركيين ان يوقظوا الثقة فطلب سفير الولايات المتّحدة منذ اربع سنين امتيازاً من الباب العالي بمباشرة حفريات في تلّ سبسطية فكان جواب السلطان عبد الحميد موافقاً للرغائب. وما لبثت كليّة هارفرد في مقاطعة ماشوستس ان عيّنت جملة من اساتذتها ومهندسيها في مقدّمتهم العلّمون جرج رَيسنر (G. A. Reisner) وداود غردون لاين (D. G. Lyon) والمهندس كلارنس فيشر (C. S. Fisher) بمساعدة الدكتور غتليب شوماخر (Dr G. Schumacher) المقيم في حيفا . وكان احد المثرين الاميركيين في نيورك المستر جاكوب شيف (Mr J. H. Schiff) اخذ على نفسهِ كل نفقات الحفريات وابتاع تلّ سبسطية من اصحاب الاملاك بمبلغ ٣٣٦,٧٠٠ فرنك اعني بما يساوي سبع عشرة مرّة ثمنها الذي دفعهُ الملك عمري لشمر صاحبها الاول قبل ٢٨٠٠ سنة

فما انتشر هذا الخبر بين محبي العاديات التاريخيّة والكتابيّة حتى استبشروا بهِ خيراً واخذوا يترقبون بلّ الامل الاكتشافات المهمّة المنوطة باخبار دول عديدة تناوبت في الحكم على تلك الحاضرة منذ نحو ثلاثين جيلاً ومنهم من كان يطلّ

النفس بالوقوف على آثار كتابات عبرانيَّة او سامريَّة قديمة. بل كانوا يؤملون اكتشاف نسخة عاديَّة من اسفار الكتب المقدَّسة الى غير ذلك مما تتوق اليه النفس الراغبة وتعظِّمهُ المخيلة من تاريخ بني اسرائيل ودياناتهم وعمرانهم

وكان افتتاح الاشغال في تلّ السامرة في اواخر شهر نيسان سنة ١٩٠٨ . ووجَّه المهندسون نظرهم الى الربوة التي موقعها في غربيّ تل سبسطية لعلمهم انَّ تلك الناحية التي اتَّخذها هيرودس لابنيته الفخيمة وانَّها لذلك اعظم شأناً من سواها واغنى بالآثار القديمة فكانت دائرتها تبلغ عشرين غلوة. وما عتم الشغل أن قام على ساق الجدّ وتوفَّر عدد العملة حتى بلغ بعد قليل ٤٠٠ فاعل كانوا يحفرون على طريقة نظامية حفرًا واسعة في قلب الارض بلغ عمقها فوق العشرة الامتار ثمَّ عادوا وحفروا خنادق اخرى في امكنة غيرها من التلّ فتتبَّعوا على هذا المنوال طبقات اطلال المدينة دولةً دولةً منذ العهد الاسلامي الاخير الى زمن البوزنطيين. ثمَّ الرومان ثمَّ اليونان الى اقدمها زمناً اعني مملكة بني اسرائيل

على انَّ انعطاف التلّ وتحدُّره كان كثيرًا ما يعوقهم عن تتبُّع الطبقات فكان يحدث من جرّاء الحفر النظامي انخسافات تخلط الطبقات المذكورة ببعضها فاستدراكاً لهذا الخلل فضَّلوا حفر آبار مستطيلة الى اقصى ما يمكن من اساسات المدينة القديمة وابنيتها فاذا بلغوها فتحوا على جوانبها اسراباً واستخرجوا عادياتها ووصفوا اطلالها ثم فتحوا فوقها اسراباً اخرى عند اساس المدينة الثانية التي بُنيت فوق الاولى. وهكذا صعدوا طبقةً طبقةً الى اعالي التل

وداومت البعثة الامريكيَّة على شغلها اربعة اشهر ثمَّ عادت اليه في السنة التالية ١٩٠٩ بعد ان تأخَّرت قليلًا عن موعدها بسبب الانقلاب الدستوري الذي حصل وقتئذٍ لكنَّ اللجنة العاملة استأنفت العمل في غاية آيار وواصلتهُ بهمَّةٍ الى اوَّل اسبوع تشرين الثاني دون انقطاع اللهمَّ الَّا الآحاد وايام عطلة قليلة ثم كرَّرت العمل في السنة ١٩١٠

وكان العلماء ينشرون في مجلَّة كليَّة هارفرد (Harvard Theological Review) نتائج اعمالهم ويرسمون فيها الرسوم الهندسيَّة المنبئة بطرائق الحفريَّات ويصوِّرون ما يجدونهُ من العاديَّات فيصفونها وصفاً مختصرًا وعمَّا قليل سيتحفوننا بتأليف اوسع

يشتمل على كل مكتشفاتهم فيُحيون في اعيننا كلَّ مآثر مدينة اسرائيل الاوَّلية وقاعدة مملكتهم العظمى

على انَّ ما نُشر من هذه الاكتشافات في المجلَّات العلمية والكتابية وخصوصاً في اميركة وفرنسة هو كافٍ ليبيّن لقرَّائنا الشرقيين انَّ مساعي اللجنة الاميركية لم تذهب سدًى بل تثبت لمواطنينا ما يمكنهم ان يجدوهُ في انحاء عديدة من اوطانهم من العاديَّات الثمينة لو أُتيح لهم ان ينقبوا مجاهلها حيثما كانت مدنها القديمة. وها نحن نذكر هذه العاديَّات مباشرةً باقرب دولة الينا ثمَّ نرقى الاطوار الخمسة التي ميَّزها متولّو حفريَّات السامرة تحت قشرتها الظاهرة

وهذه القشرة العليا لا تتجاوز بعض الأقدام وهي تمتدُّ من الوقت الحاضر الى اوائل الفتح العربيّ فقلَّما وجد فيها ارباب الحفريَّات الَّا بعض آثار ابنية للصليبيين يعلو اكثرها فوق سطح الارض. ووجدوا ايضا تحصينات عزوها للعرب في القرون الوسطى وكان بينها اسرجة مختلفة عربية يبلغ عددها مئتي سراج والمرجَّح انَّ المسلمين عمدوا الى التحصينات التي سبقت عهدهم فرمَّموها وزادوها منعةً

وليست الاكتشافات الراقية الى الطور البوزنطيّ اعظم شأنًا فانَّ ملوك الروم منذ انتقلوا الى مدينة قسطنطين لم يروا في مدينة سبسطية ما يستدعي كبير همَّتهم او يستلفت اليها انظارهم. وانَّما بُنيت فقط في عهدهم الكنيسة الكاتدرائيَّة على اسم القديس يوحنَّا التي فوقها عمَّر الصليبيون كنيستهم. وممَّا ظهر بالاكتشافات الجديدة ابنية شتَّى ليس تحتها كبير امر ومنها ايضا نقود وآنية

واهمُّ من ذلك ما وجد من الآثار الرومانيَّة التي تسطّر بلسان حالها تاريخ تلك الدولة منذ فتحها بمبيوس في اواسط القرن الاوَّل قبل المسيح وابتدأ بعدهُ ترميمها واليها غابينيوس الى عهد قسطنطين. فهذه الحفريَّات الاخيرة بيَّنت بكل جلالها الابنية الفخمة التي باشرها هيرودس الكبير. وقبل كلّ يجب ذكر الهيكل الذي اقامهُ ملك اليهوديَّة لاكرام اوغسطوس كما رواهُ يوسيفوس في تاريخ الحرب اليهوديَّة (ك ١١ ع ٢) فقال انَّ هيرودوس شيَّد في وسط مدينة السامرة هيكلًا واسعاً خصهُ لاكرام قيصر وجعل للهيكل حمى يبلغ ثلاث غلوات نصفية اي نحو ٩٠ مترًا. وطول هذا الهيكل كما يلوح من اقيسته لا يقل عن ٤٠ مترًا وعرضهُ ٢٥م ووجدوا

رواقهُ ومذبحهُ الجميل الـذي كان يُصعَد اليهِ بست عشرة مرقاة. بل توفَّقوا الى اكتشاف تمثال عظيم في غاية الاتقان يمثـل رجلًا في هيئة ملك لابساً الدرع والبزَّة الحربيَّة الَّا انَّ رأسهُ مفقود والغالب انَّهُ شخص الملك اوغسطوس الـذي كان في وسط الهيكل . امَّا اساسات هذا الهيكل فتدلُّ على انَّ هناك سبق بناء اقدم عهداً يدلُّ طرزهُ على الشكل اليونانيّ بل فيها اقسام راقية الى ما وراء زمن اليونان

وكأنَّ الملوك الذين تبعوا عهد اوغسطوس قيصر لم يعايشوا شرف سلفهم بعين راضية فخصُّوا الهيكل بعبـادة الاله الروماني جوبتير كما يُستدلُّ عليهِ بعدَّة دلائل

ومن الآثار الهيروديَّة المكتشفة هناك بقايا مرسح كبير ومرمح ونادٍ متَّسع الارجاء للجمهور كلها مزيَّنة بالسواري والقواعد والاساطين والاكلَّة والنقوش . ومنها ايضاً مسكوكات على اسم هيرودس

وممَّا يرقى الى عهد الرومان ثلاثة انصاب فيها كتابات شتى على اسم بعض الحكَّام منها كتابة لأنيوس روفس تاريخها العشر الثاني من اوَّل قرن عهد الميلاد

ووجدوا ايضاً أسرجة رومانية مختلفة الهيئة وخزفيات متنوعة كآنية بيوت وغيرها ونقوداً رومانية عديدة

ومنها ايضاً كتابات تقادم للآلهة من جملتها " تقدمة للاله جوبتير العظيم لجنود من الفرقة العسكريَّة اليانونيَّة " سواء ربطت تلك الفرقة في مدينة سبسطية او مرَّت بها موقتاً . وتاريخ هذه الكتابة على ما يرجح في أيَّام سبتيميوس سابيرس في آخر القرن الثاني للمسيح وهـذا الملك كان يحبُّ مدينة سبسطية ويثني على امانتها بعد انتصارها لهُ فخوَّلها حقوق مستعمرة رومانية وخصَّ اهلها بامتيازات الرومان

وان تخطَّينا الى ما وراء عهد الرومان اتَّصلنا بالطور اليوناني الممتدّ من السنة ٣٣٢ الى السنة ٦٤ ق . م حيث صارت السامرة في ايدي اسكندر ذي القرنين والملوك اليونان السلوقيين . واخصُّ الآثار المكتشفة من ذلك العهد الخزفيَّات والنقود فالخزفيَّات ذات اشكال واحجام متباينة وبعضها ساذج وبعضها ملوَّن او منقوش امَّا النقود فتمثل في الغالب ملوك سوريَّة السلوقيين او البطالسة المصريين من ذهب وفضَّة ونحاس

وكأني بالقرَّاء ينتظرون بفروغ الصبر ان نفيدهم عن اكتشافـات الطور

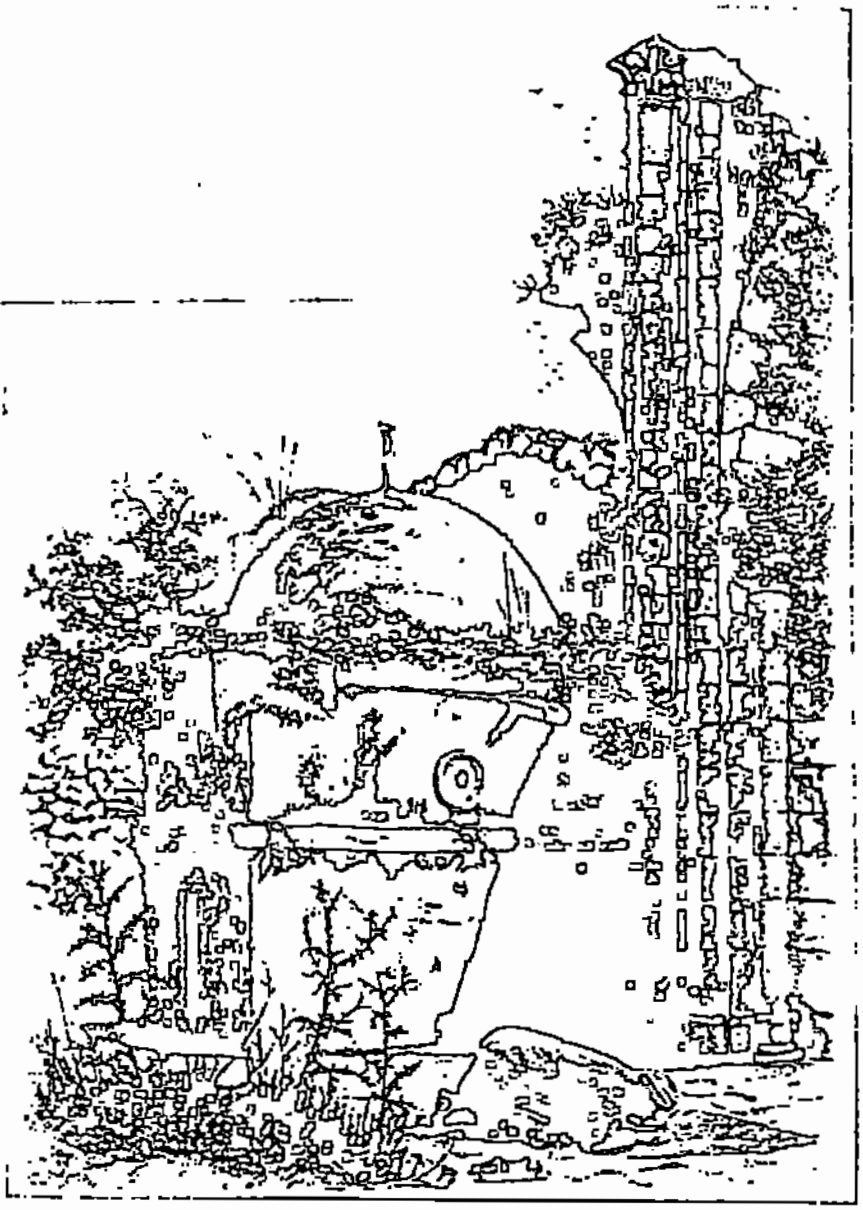

بقايا كنيسة مار يوحنا المعمدان في تلّ سبسطية (عن صورة قديمة)

الاسرائيلي فيطلبون بالحاح ما وُجد منها في مدينة سبسطيَّة فنقول انَّ بعض الجرائد كمألوف عادة المتسرّعين في نقل الاخبار روت اخباراً عجيبة دون ان تتحقَّق صحَّتها ولعلَّها خُدعت برواية احد اساتذة برلين الدكتور يهوذا (Dr. Yahuda) الذي نشر في جريدة تاغبلات (Tagblatt, 19 Janv. 1911) بانَّ لجنة الحفريَّات اكتشفت في السامرة جرَّة مقتنيات الملك آحاب ورسالة من ملك الاشوريين وصنائع فيها صكوك مبايعات وغير ذلك مما بنى الجمهور على اكتشافه الآمال الطيِّبة

على انَّ كثيراً من هذه الاخبار لا سند لهُ والصحيح من كل ذلك انَّ ارباب الحفريَّات بلغوا في الحفر الى الابنية المشيَّدة في عهد ملوك اسرائيل وقد عرفوها بالمقابلة مع الابنية اليهوديَّة المكتشفة سابقاً في لاكيش واريحا وغيرهما . وبين هذه الابنية بقايا قصور ملكيَّة يرجحون كونها لبعض ملوك اسرائيل كعمري (٩٣٠— ٩١٩) وآحاب (٩١٩—٨٩٦) وياهو (٨٨٣—٨٥٥) ويربعام الثاني (٨٢٣— ٧٧١) . ويؤيد هذا الزعم انهم وجدوا بين اطلالها قارورة من الرخام الابيض عليها كتابة مصريَّة ورد فيها اسم احد الفراعنة معاصري الملك آحاب وهو الفرعون اوسوركون الثاني (٨٧٤—٨٥٣)

وممَّا اصابوا هناك ايضاً من الآثار المعاصرة الملوك السامرة الاوَّلين قطع من الفخَّار المطبوخ (ostraca) رُقمت عليها كتابات عبرانيَّة بالحرف القديم الشبيه باقدم الكتابات المعروفة اليوم كمثل كتابة عين سلوان او كتابة الملك ميشا او كتابات اخرى نشرنا صورها في المشرق (٨ : ١٢٨) فهذه الخزفيَّات اتَّخذها الكنعانيُّون والاسرائيليُّون من بعدهم ليدوِّنوا عليها معلومات مختلفة فهي كمذكِّرات او اوراق دفع او بيان وَصل في ايامنا فكانوا اذا استحضروا الآجر واشتغلوهُ بالدولاب يرقمون عليهِ بالقلم العبراني القديم والحبر الجيِّد هذه الافادات ثمَّ يطبخون الآجر . وقد كان العلَّامة كلرمون غانو اكتشف شيئاً منها في جزيرة اليفانتين (١ . امَّا البعثة الامريكانيَّة فوجدت من هذه القطع الصاصاليَّة في مدينة سبسطية نحو ٧٠ قطعة وهذه الخزفيَّات في مصر تحتوي على معلومات مختلفة منها رسائل او معاهدات او

١) اطلب مقالتي الاب سبستيان رتزفال حيث وصف تلك الآثار الجليلة في المشرق (١٠ : ٦٧٣ و ١١ : ٥١، ١١٨)

صكوك امّا خزفيّات السامرة فكلّها على شكل واحد تتضمّن بيان دفع من مديون الى غريمه مع تاريخ السنة على هذه الصورة:

(عدد ١٣) في السنة العاشرة من ابيعزر لشمريو . جرّة خمر معتّقة لآسا . من التل

(عدد ٦) في السنة العاشرة خمر من كرم التلّة مع جرّة من الزيت الطيب . . . الخ

على انّ هذه المعلومات مع عقمها الظاهر لا تخلو من الافادة فانّها اوّلاً تثبت ما اعلمنا به الكتاب الكريم من حالة السامرة وغرس الكروم والزيتون على رباها وتفيدنا ثانياً معرفة لغة اهل السامرة في القرن التاسع قبل المسيح وهي العبرانيّة كما تُرى في الاسفار الالهية

ولها افادة ثالثة فانّها تبيّن انّ بني اسرائيل بعد انفصالهم عن الدولة اليهوديّة المالكة في اورشليم كانوا لا يزالون يحافظون على عبادة إلههم فانّ مركّبات اسمائهم من الاسم الكريم يتقدّمهُ لقب آخر نحو « يدعيو ومرنيو » (اي الله عالم والله سيّدنا) تدلّ على انّ بني اسرائيل لم ينسوا إله ابراهيم واسحاق ويعقوب واسم الله عزّ وجل مركّب عندهم من ياء وواو (יו) وهي صورة اخرى من اسمه تعالى مختصرة من اسم يهو (יהו) الذي كان شائعاً عند اليهود وكانوا يختصرونهُ بيَه (יה) في المركّبات

الّا انّ بعض هذه الاسماء السامريّة تدلّ على انّ الوثنيّة ايضاً كانت ابتدأت في الانتشار بين اسباط بني اسرائيل . فترى اسماء مركّبة من اسم البعل « كابي بعل » واسم العجل « كعجليو » اي « العجل الله » او خواصّ الآلهة الوثنيّة « كبعل رمز وبعل زكر » . فمن هذه الاسماء نفهم جيداً تعنيفات الانبياء ولاسيما ايليا واليشاع وعاموص وهوشع لبني اسرائيل بسبب عبادتهم لآلهة الفينيقيين التي كان البعل اخصّها واشهرها

فهذه الافادات كما ترى مع قلّتها لا تخلو من تأييد الاسفار المنزلة والأمل معقود بانّ الحفريّات المستقبلة تأتينا بما هو اوسع علماً فتُقرن اكتشافات الاميركان في تلّ سبسطية الى اكتشافات الانكليز في تل جزر التي انفقوا عليها ٥,٥٠٠ ليرة واكتشافاتهم الحديثة في جبل صهيون وتظهر بالمقابلة احوال اليهوديّة والسامرة في اوّل اعصار بني يهوذا واسرائيل . وقد نال الانكليز فرماناً يرخّص لهم حفر مدينة بيت شمس من اقدم مدن اليهوديّة . فلا غروَ انّ نشر كل هذه الدفائن يحيي تاريخ تلك الاعصار ويزيدنا معرفةً بما اوحى به الله الى كتبة العهد القديم

المواليد والوفيات في باريس

لمحة اجتماعيَّة للاب انطون رباط اليسوعي

لكل مدن العالم المتمدن احصاءات تُنشر في كل سنة فيدرسها الاجتماعيُّون ويعلِّقون عليها التنبيهات والاحكام فائدةً للهيأة الاجتماعيَّة وللافراد. وقد نُشر منذ عهد قريب الاحصاء المختص بباريس فاردنا تلخيص شيءٍ منهُ ومقابلتهُ مع سنين سالفة ولستخلاص بعض الفوائد

١ً (عدد الوفيات) تختلف الوفيات حسب الاعمار فتكثر بين الاطفال والشيوخ وتقل بين الشبان والكهول. وقد نقلنا شيئاً منها في الجدول الآتي:

في الف شخص	عدد الوفيات سنة ١٨٢٥	سنة ١٩١٠
من يوم الى ٤ سنين	« ١٥٧	٥٠
« ٥ سنين « ٩ «	« ٢١	٥
« ٢٠ « « ٢٥ «	« ١٩	٧
« ٧٠ « « ٧٩ «	« ١١٥	٨٨

ففي كل هذا لا خلاف بين النساء والرجال. امَّا في سن الكهولية فترى اختلافاً غريباً فان الوفيات بين سن ٣٥ و ٥٠ هي في الرجال اكثر منها في النساء وهذا معدَّلها:

في الف شخص	عدد الوفيات في الرجال	في النساء
من ٣٥ الى ٤٠ سنة	١٦	١٠
« ٤٠ « ٤٥	١٩	١٢
« ٤٥ « ٥٠	٣٤	١٤

ومن ثمَّ ينتج ان معدل العمر قد طال في باريس وذلك ثمرة المساعي الصحية والميجين والوسائط التي أُتخذت للوقوف في وجه الامراض المعدية ومنع انتشارها وايصال نور الشمس ونسيم الهواء النقي الى كثير من المنازل الحقيرة. فقد كان معدل الوفيات سنة ١٨٢٠ في الف شخص من كل الاعمار ٣٢ وسنة ١٨٨٤ كان ٢٤ والان يتراوح بين ١٨ و ١٧ . على ان هذا المعدَّل لا يُقاس عليهِ لقلة الاطفال

والشيوخ في باريس بمقابلة غيرها من المدن والقرى — وكلٌّ يعرف ان الموت يفتك خاصةً بين الاطفال والشيوخ — فان الكثيرين يأتون باريس شباناً او كهولاً للمتجر مزاولة الصنائع فاذا ما ضعفت قواهم وثقلت الاعوام على كاهلهم عادوا الى اوطانهم او نزحوا الى القرى والمزارع القريبة من العاصمة. وقد قوبلت الاعمار فاذا عديد من سكان باريس بين سنّ ٢٠ الى ٣٥ من الرجال والنساء لكنهم يقلّون في نحو سنّ ٢٣ الى ٢٥ سنة رجالاً ونساء كأن الشبان والصبايا اذا ما أمّوا العاصمة املاً بالفوز فلم ينجحوا وقطعوا الآمال عادوا الى مسقط رأسهم خائبين خلا قوماً غلبوا الصعوبات او عرّضوا نفوسهم واجسادهم للمهالك فإمّا لهم وإمّا عليهم

٢ً (عدد المواليد) ان عدد المواليد يختلف في باريس اختلاف الحارات الغنيّة والفقيرة. فإن كثيراً من الاغنياء جعلوا دأبهم مخالفة شرائع الله والطبيعة لا يطلبون من الحياة الّا لذّاتها وهم لا يعبأون بالقصاص الابدي والزمني اللاحق بالمخالفين. ولذا ترى للمواليد يتراوح معدلها السنوي بين ٦٤ الى ١٦٢ في الف امرأة مزوجة عمرها من ١٥ سنة الى خمسين سنة فمعدّل ٦٤ في الالف في الاحياء الغنية ومعدّل ١٦٢ في الالف في الاحياء الفقيرة. وقد توعّد الله الاغنياء بالويلات في الحياة الحاضرة والمستقبلة ولذا ترى فيهم قصاصاً عجيباً حتى على الارض فانّ الاحصاءات تثبت أن بين الف مولود في الحارات او المحلات الغنيّة يوجد من ٦٥ الى ٩٥ مولود ميت (mort-né) وهو امر غريب. أمّا اسبابهُ فكثيرة يعللها الاطباء والاجتماعيّون اهمّها عيشة النساء المترفهات المضحيات على مذبح الزينة والسهرات والملذات فلذة اكبادهنّ. اما الاحياء الفقيرة التي يسكنها الفعلة واصحاب العمل والتجار الصغار فلا ترى فيها ما تراهُ في الاحياء الغنيّة من هذه العلل والمعلولات. وقد انتشر هذا الوباء في كثير من المدن فهاج لهُ الاحصائيون والوطنيون والاطباء ونشروا المقالات. وبيّنوا الاخطار المنذرة بالخراب العاجل اللاحق بالنقص في الجيش المدافع عن الوطن. وانحطاط الآداب في العائلات وانتشار الامراض العصبيّة بكل انواعها في الالوف من السيدات كل ذلك نقلتهُ الجرائد الافرنسية في هذه الآونة على اختلاف نزعاتها. ولكن لا حياة لمن تنادي. فالانسان اذا ألقى الستار على احكام الدين وخنق صوت الضمير عرّض بنفسه وجسده وعائلته ووطنه الى الهلاك وهو لا يبالي

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

في ان الاناجيل المقدَّسة لم يعترها تحريف (تابع الفصل الثاني)

اثبتنا في ما سلف انَّ الاناجيل المقدَّسة بريئة من كل تحريف على الاقلّ منذ اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع الى ايامنا. ذلك امر لا يمكن انكارهُ الّا اذا اراد الانسان ان ينكر ظهور الشمس في رائعة النهار. فمرادنا الآن ان نرتقي في التاريخ الى ما وراء ذلك الزمن فنصل الى العهد الاوَّل من النصرانيَّة والى زمن تأليف الاناجيل فنرى أُحرِّفت في اول انتشارها او في الحقبة اللاحقة بذلك

﴿ اقرار العلماء ﴾ واول برهان نتخذهُ كحجَّة راهنة لاثبات هذه القضيَّة هو اقرار العلماء الملحدين والمعطِّلين في أيامنا على اختلاف نزعاتهم. فاننا لا نعرف منهم ولا واحدًا ادَّعى اننا حرَّفنا الانجيل او بدلنا آياتهِ بآيات اخرى او زدنا فيها او انقصنا منها. فلو كان لهم سبيل لانكار براءة الاناجيل من التحريف لما ضربوا صفحاً عن هذا الاعتراض وهم الساعون كل السعي حول الصخرة الانجيلية رجاء أن يزعزعوها فينشروا بتحطيمها لواء كفرهم. فتراهم يلتقطون كل ما تصل اليهِ يدهم الاثيمة وإن تافهاً وحقيرًا فيجعلونهُ سلاحاً ضدَّ الله ودينهِ ويموّهون على السذَّج فيغرونهم باسم العلم والنقد. والعلمُ والنقدُ براءٌ من اختلاقهم. وهذه الشهادة وحدها كافية لاقناع كل ذي بصيرة كما لو اردتَ اثبات دوران الارض فبرهنتَ على ذلك باقرار العلماء اجمعين وعدم وجود عالم يُنكرها في عصرنا (١

لكن على مَ تستند حجتنا وحجة العلماء في براءة الاناجيل من التحريف ؟

---

١) ان اعتراضات العلماء الملحدين في ايامنا مدارها على صدق مقال الرسل او حقيقة فهمهم لاقوال المسيح وعجائبه. وهو امر لا علاقة لهُ الان مع موضوعنا. فاننا في هذا الفصل نثبت فقط براءة الكتاب من التحريف وحفظهُ مصونًا كما خطَّته يد الكاتب. اما براءة الكتبة الاوَّلين من الغشّ والخداع اي انهم لم يُغشّوا في ما رأوا وسمعوا ولم يغشُّوا مخبرين بما لم يروا ولم يسمعوا فسننظر فيهِ علميًا في فصلنا الثالث

ان الحجة مؤسسة على التاريخ والنقد العلمي . واحر بهذين المصدرين شاهدين صادقين لا يُنكر عاقل قدرهما العلمي للاقناع

١ التاريخ

من تصفح تاريخ القرون الاولى للنصرانيَّة وتتبَّعها جيلًا بعد جيل تأكد صدق ما سبق لنا اثباتهُ بايراد النصوص والشهادات القديمة .وهو ان الاناجيل قد انتشرت منذ البدء في كل مكان ونُقلت الى لغات العالم المتمدّن وانها كانت موضوع الاجلال والاكرام عند المسيحيين اجمعين . وكلا الامرين اي الانتشار والاجلال يجعل تحريف النص الانجيلي مستحيلًا

١ ° انتشار الاناجيل ° تتبعنا في فصلنا الاول معتقد الكنائس الرسوليَّة في سورية ولسية ومصر وايطاليا وغالية (فرنسة) وشمال افريقيَّة الخ ونقلنا الشهادات العريقة في القدم التي شهد بها الكتبة الرسوليُّون باسمهم وباسم الكنائس الموكولة اليهم عنايتها . فاذا كلها منذ اواخر القرن الاول واوائل القرن الثاني تعرف النصّ الانجيلي وتعتقد انهُ النص الوحيد الحق والبشارة الصادقة التي اليها المرجع في معرفة سيرة المخلص وتعليمهِ الالهي وتستشهد باياته واخباره واقواله

فكيف يمكن تحريف كتاب قد انتشر منذ تاليفهِ وترجم الى كل اللغات وقُرئ علانية في المحافل والاجتماعات الدينيَّة ؟ اجل قد يمكن تحريف كتاب قد حفظتهُ جمعيَّة سريَّة في خفايا الزوايا ولم يطَّلع عليهِ الَّا انفار معدودون . امَّا الكتاب الذي يعتبره الصغير والكبير دستور معتقدهِ ويقرأهُ او يسمع قراءتهُ صباحَ مساء ويؤمن بأنهُ كلام الله المنزل فتحريفهُ امر ممتنع لا يرضى بهِ ذو بصيرة . ايّ عاقل يجرأ على تحريف مثل هذا الكتاب وكيف يصنع ؟ ايجمع النسخ المتفرّقة في العالم ليحرفها تحريفًا واحدًا ؟ وان حرَّف نسختهُ فها انا نحتج بعدد من غيرها . اينشر تزويرهُ بين ابناء بلدتهِ ؟ فنحتج عليهِ بالنسخ التي يقرأها اهل اقليمهِ وشعبهِ وكل شعوب الارض . ايسعى في بثّ سمّهِ بين معاصريهِ ؟ فنحتج عليهِ بالنسخ والترجمات الاقدم عهدًا وبنصوص الآباء القديسين التي لا يُحصى عديدها . ايحرّفها المرطوقي ؟ فها ان الكنيسة واقفة لهُ بالمرصاد تشجب تحريفهُ وتحرم زورهُ ؟ أو تجرأ الكنيسة

الجامعة الكاثوليكية على ذلك فتدخل النصوص المثبتة لاهوت المسيح وتبطل نقيضها ! وكيف يرضى بذلك الهراطقة النافون للاهوت المسيح ولم يعلنوا على رؤوس الملاء كفرها وهم الساعون في اثبات مذهبهم من انجيلنا لا من انجيل اخر . وإلّا لما قبلوا جدالا في آيات انجيلنا وقالوا: « اتونا بالانجيل الصحيح لنجادلكم فيه اما هذا الانجيل فقد حرفتموهُ وابطلتم منهُ ما شئتم وزدتم عليهِ ما شئتم فلا نرضى بهِ ولا نؤمن » . والتاريخ يثبت انهم لم يدعوا هذا المدّعى ولم ينكروا صحة الانجيل وبراءتهُ من الخلل لكنهم نووا معانية الى ارائهم الفاسدة

وكيف رضي العلماء الوثنيون انفسهم مثل قلسوس وبُرفيريوس فجادلوا النصارى متخذين انجيلنا موضوعاً لجدالهم وهدفاً لسهامهم !

ثم نسأل المعترض اين ومتى وكيف حرّف النصارى انجيلهم . فهل تمّ ذلك بعد انتشارهِ في الشرق والغرب وقد بيّنا ان ذلك غير مستطاع لما وراء الاقدام على مثل هذا من العقبات والمشاكل حتى ان التفكر فيه ضرب من الحماقة وتأتي المستحيلات . او قبل انتشارهِ وقد نشرت اسفارهُ تباعاً الاول في فلسطين والثاني في رومية والثالث فيها ايضاً او في فريجية والرابع في افسس . وكيف اتفق الجميع على ذلك وهم مشتتون في كل الاقطار شرقاً وغرباً . وقد دخل المئون والالوف والربوات في الدين النصراني قبل كتابة الاناجيل وانتشر الانجيل الشفاهي او البشارة بالاله المتجسد في العالم كلهِ (رومية ١ : ٨) ومات العدد العديد منهم شهادة لربهم ومخلصهم ولم تكن الاسفار الاربعة قد كُتبت بعد . واذا خان اللهَ احدُهم وكفر بعبادتهِ مزيّفاً كلامه عزّ وجل أيرضى الاخر بفعلهِ دون احتجاج ! اذا رضي بوليكربوس الازميري أيرضى اغناطيوس الانطاكي ! وان رضي اقليمس اللاتيني ايرضى اقليمس الاسكندري ! وان رضي باپياس الفريجي ايرضى ايريناوس ! وان رضي طرطليانوس ايرضى قبريانوس !

وتُرى لماذا هذا التحريف ؟ ماذا حملهم على ان يدخلوا في الانجيل ما يثبت لاهوت المسيح ! احيًا بالكفر عمداً وهم المتازون بتدينهم ونسكهم وزهدهم بالارضيات وتوقهم الى السويات . اعناداً ! ولِمَ هذا العناد وهم جزاء شهادتهم للمسيح الاله وايمانهم به « ذاقوا الهزؤ والجلد والقيود والسجن ونُشروا وامتحنوا وقُتلوا بحدّ السيف وساحوا في جلود الغنم والمعز وهم معوزون مضايقون مجاهدون » كما اخبر

بولس في رسالتهِ الى العبرانيين (١١ : ٣٦) وقال في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتوس (٤ : ١١) : « الى هذه الساعة نحن نجوع ونعطش ونُعرَّى ونُلطَم ولا قرار لنا ونتعب عاملين بايدينا . نُشتم فنُبارِك . نُضطهد فنحتمل . يُشنَّع علينا فنتضرع . قد صرنا كاقذار العالم كاوساخ يستخبثها الجميع » (١ ولِمَ ذلك ؟ من اجل الانجيل والمسيح الرب . فسفكوا جميعاً دماءهم الزكيَّة شهادة لدينهم . ألمثل هؤلاء يُعزى الكفر والخداع ؟ لا لعمري . ذلك لا يرضى بهِ عاقل يقدّر البراهين العقليَّة والنقليَّة قدرها . فصحَّ اذن قولنا بان تحريف الانجيل لمن الامور المستحيل حدوثها

٢ ﴿ اجلال الكنيسة للانجيل وسهرها على صيانتهِ ﴾ ان اجلال الكنيسة للانجيل الطاهر لامرٌ يعرفهُ القاصي والداني فانها تعتبرهُ وديعة ثمينة سلَّمها الله الى عهدتها ووكل اليها صيانتها . فالانجيل كلام الله المعصوم واسّ تعليم الكنيسة ودستور حقوقها ومجلة شرائعها . بنورهِ تستضيء ومن مياههِ ترتوي ومن اسرارهِ تغذي بنيها . على هذه الشريعة يعيش المسيحيّ وفي هديها يصبح ويمسي وفي التأمل بآيات هذا الكتاب يقضي النسّاك عمرهم زاهدين قارضين الدنيا قرضاً على منهاج المسيح . لذا نرى البيعة في اول عهدها تؤدّي الى الانجيل نفس الاكرام الذي تؤديه الى شخص ابن الله المعبود في القربان المقدس (٢ فكانت تقيم على جناحي المذبح خزانتين مستظرفتين تجعل في احداهما جسد ودم ابن الله المحتجب تحت الاسرار القدسيَّة وفي الاخرى سفر النصوص الانجيليَّة . واذا التأم الرعاة في المجامع رفعوا الانجيل على منصة في صدر المحفل اشعاراً بان المسيح الاله هو المترئس بحضور انجيلهِ والمسجل لما يُقرّر من الاحكام

ولم يزل هذا الاكرام سنَّة وان اختلفت ظواهرهُ مع الازمنة والامكنة والتقاليد . فاذا تُلي الانجيل في غضون الذبيحة الالهيَّة التي هي محور عبادة المسيحيّ انتصب الحضور وكشفوا عن رؤوسهم واصغوا بكل عواطفهم وطبعوا النصّ

١) ان رسالة بولس الاولى الى الكورنثيين اقدم عهداً من انجيل لوقا ويوحنا وربما اقدم من انجيل مرقس ومن ترجمة انجيل متى اليونانية

٢) اطلب توطئة الانجيل الطاهر في طبعتنا البيروتية

الالهي في ذاكرتهم يرددونهُ في الضيقات والشدائد. وكانت تناضل عن نصّهِ الشريف فلا تسمح بتعريضهِ للابتذال في ايدي الشركين وتجزم على لبنانها ايثار الموت على تسليمهِ. وفي اخبار قديسيها ذكر جماعات من المومنين سفكوا دماءهم حفظاً لحرمة الانجيل الطاهر. وكانت ساهرة عليهِ خشية ان يدسّ المزوّرون اناجيلهم المختلقة الى مجموعة اناجيلها فيُشتبه بين الحق والكذب والنور والظلمة. فاذا ما تجرأ مخترع فابتدع انجيلاً جديداً ابلتهُ وحكمت بنفاقهِ وبيّنت ميزة اناجيل المسيح الاربعة على اناجيل البدع العديدة. ولما كانت تخشى تسرُّب التحريف والتصحيف الى الاسفار المقدسة حكمت منذ اجيال بالحرم على كل نسخة تنشر بدون اذن الرعاة الشرعيين ومصادقتهم ومراقبتهم. وحتى يكون المسيحي على أمن من تلاوة النصّ الطاهر خالياً من خلل او غشّ اوجبت على الناشرين للاسفار ان يجعلوا على اول صفحات الكتاب توقيع الاسقف وختمه لتكون هذه الشهادة ضامنة لبراءته من الخلل

على ان مثابرة الكنيسة على صيانة النصوص لم تنحصر فيما ذكرناه لكنها لحقت بحفظ العبارة والالفاظ الكتابية على اصلها خلواً من ادنى تغيير يعرض عليه. تشهد لها بذلك غيرة معلميها على الأدراج او النصوص الخالية من التصحيف الخطّي وسعيهم وراء النسخ العريقة في القدم والمقابلة عليها. فمنهم مَن امتطى متن الاسفار من مدينة الى مدينة ومن دير الى دير ليعرض نسخته على نسخة جليلة حُفظت ككنز في قلاية او مكتبة. ومنهم مَن قضى العمر في دراستها وجمع القراءات المختلفة لتمييز غثّها من سمينها. كفى بامثال اوريجانوس وهيرونيموس عالمين في النقد اللفظي للاسفار الالهيّة اللذين لم يسبقهما الى كمالهِ في ايامهما احدٌ ولا تزال نتائج ابحاثهما معتبرة لدى العلماء اجلّ الاعتبار. ولما تغلّب البرابرة على التمدن النصراني لجأ علماء الكتاب الى الاديرة والصوامع فاصبح كل دير هامّ مدرسة ومعملاً مما يقضي الرهبان اعمارهم في نقل الاناجيل وغيرها من الاسفار المقدسة. وبعد انجاز الكاتب نسخته بما استطاع من الاتقان والضبط وقبل ان ينشرها بين المؤمنين كان يعرضها على اللجنة العلميّة المنتقدة المعينة في كل مجتمع رهباني ذي شأن فيعيدون فيها النظر ويقابلون بينها وبين النسخ الصحيحة ويصلحون ما فرط من قلم الكاتب من التصحيف ثم يوقّع عليها

المصحح اسمه شهادة للبقر. هذا ما نراهُ في ذيل مئات من المخطوطات الكتابية المصونة في المكاتب

ولمّا تكرم الله على البشر باختراع فنّ الطباعة كان نصّ الاسفار الالهيّة اوّل ما سعى الساعون بنشره وضبطه وما عتّم ان حكم المجمع التريدنتيني المقدس ان الكنيسة في حاجة الى نصّ رسميّ يعيد فيه العلماء النظر لاصلاح ما قد يكون قد فرط من التصحيف ولو في بعض المفردات فقط. فجاءت ثمرة نقدهم اللفظي تشهد لهم بصدق السعي وإن لم يستطيعوا عندئذٍ انجازهُ بنوع علمي اكمل كما صنع العلماء في ايامنا. ومن ثم يشهد التاريخ للكنيسة انها لم تغفل عن شيءٍ في ما يتعلق بصحة كتب الوحي وبراءتها من كل تحريف وتصحيف ولم يحدث حادث الّا تنبّهت لهُ ونبّهت الى تسديده

وكانت الامة المسيحية باسرها تشترك مع رعاتها غيرة ويقظة ومحافظة على نصوص الكتاب غير متسامحة في شيءٍ يفضي الى انثلامها. وحسبنا من ذلك ما رواه اوغسطينوس (١ فيما وقع في عهده وذلك انّ القديس هيرونيموس حين ترجم الكتاب المقدس ترجمتهُ المشهورة في اللاتينيّة اقتضت مطابقة الاصل العبراني ان يترجم في سفر يونان (٤ : ٦) لفظة קיקיון باجروعة Hedera وكان في النسخة اللاتينيّة المتداولة Cucurbita اي يقطينة. فلمّا تُلي هذا الموضع انكر الشعب هذه اللفظة اشدّ الانكار وصرّح بذلك في حضرة الاسقف ولم يطمئن حتى كُرّرت تلاوة الآية بحسب النص المألوف

ذلك دليل على تنبه الشعب الى حفظ النصوص المقدسة ونبذه كل ما يبدو مباينًا لحرمة الكتاب ونزاهته. ويقرب من هذه الرواية ما ذكره سوزومانوس المؤرخ (١ : ٢) عن خطبة القاها تريفيلوس اسقف لادرة في مجتمع الاساقفة في قبرص نقل فيها كلمة "سرير" في قول المخلّص للمخلّع: قم احمل سريرك وامضِ (مرقس ٢ : ٩) بلفظة σκιμπόδιον بدلًا من κράβαττον ذهابًا الى ان الاولى افصح. فلم يتمالك القديس اسبيريدون ان نهض وقال للخطيب: «الملك اعلم من الانجيلي في اختيار الالفاظ.» وخرج من المحفل لساعته

١) وقد نُقل الخبر في مقدمة الانجيل في مطبعتنا البيروتيّة

هذه ادلة على سهر الكنيسة وغيرتها على صيانة السفر الجليل . افيمكن بعد هذا ان يدعي علينا احد بالتحريف ؟

٢ النقد العلمي

النقد (من نَقَدَ الدراهمَ وغيرها اذا نظر فيها وميّزها ليعرف جيدها من رديئها) يقابلهُ بالافرنسية « critique » ويُراد بهِ النظر في الآثار التاريخيّة للتمييز بين الصادق منها والمختلق ولتثبُّت زمانها وبراءتها من التزييف ولدراسة نصوصها ومواضيعها . وهو علم قديم وان انكر بعض المحدثين قدمهُ تحقيرًا لاسلافهم من العلماء المدققين (١ ومهما كان من هذا الامر فان النقد العلمي اللفظي للآثار القديمة قد بلغ في أيامنا مبلغًا غريبًا لسعي الكثيرين في سنّ شرائعهِ وتعدد العلة المجدّين وسهولة الاطّلاع على المخطوطات في المكاتب العامّة والخاصة الى غير ذلك من الوسائط الآئلة الى النجاح . وقد اتاح الله لكتابنا القويم في عصرنا هذا برهانًا لا مثيل لهُ وهو ثمرة النقد العلمي الذي يتباهى بهِ العلماء ويفتخرون . وذلك ان عددًا من المعطلين والملحدين ارادوا ان ينكروا علينا كتابنا الشريف باسم النقد فدرسوا المخطوطات والترجمات والآثار التاريخيّة فجاءت نتيجة الابحاث خلافًا لما كانوا يرجون فكانت خدمة جلّى للدين المسيحي وشهادة علمية لا تنكر على براءة الانجيل من كل تزييف

ويمكننا ان ندعو هذا البرهان برهانًا ماديًا او حسيًا . فانهُ وان اعرب الناقدون في نقدهم عن بصيرة وذكاء وجدّ تذكر فيثنى عليها وذلك في تعيينهم لزمن المخطوطات وتنسيقهم لمصادرها وانتسابها الى بعضها وانتقادهم للقراءات واختيارهم لما هو الاصدق اصلًا وعهدًا والاقرب صوابًا لكنّ نتيجة ابحاثهم لمّا يدركهُ القارئ بالاستقراء الحسيّ ومقابلة النصوص فلا يحتاج في ذلك الى سموّ المعارف وثقابة العقل

---

١) دونك مثلًا بين الوف من الامثال يدلّ على اهتمام القدماء بالانتقاد . قال القديس اغسطينوس : ان اول فرض واجب على من يدرس الكتاب المقدس هو ان يجدّ كل الجد ليكون ما بيده من النصوص بريئًا من كل غلط وتصحيف (٢بين ٣٦ : ٤٦)

(مصادر النقد) اذا ما شاء عالم ان ينشر بالطبع ديواناً لشاعر مغاق مثلاً فلا يكتفي بنسخة حديثة العهد لكنهُ يسعى بجمع ما يُعرف من النسخ القديمة فيزور لذلك المكاتب العامة وينقّب في زوايا الخاصة حتى اذا ما وجد ضالتهُ درس النسخ وقابل بينها فاختار الاقدم عهداً والاصحّ نقلاً واستعان بسواها لضبط الابيات والكلمات. فقد تكون نسختهُ ثمينة نقلت عن المخطوطة الاولى لكن قد يكون الكاتب سها فاهمل بيتاً او قصيدةً برمّتها او لم يحسن القراءة في بعض المواطن او اشتبه عليهِ لحاوٌ الاصل من الحركات او النقط او الضوابط الى غير ذلك من اسباب الخطإ. فاذا ما قابل بين القراءتين او الثلاث او العشر انكشفت لهُ الحقيقة. وقد لا تنكشف فيستعين بالادباء الذي جمعوا المجاميع الشعريّة ونقلوا اخبارها عن نسخ ابادها الزمان وينقّب في اسفار الائمة اللغويين الذين كثر استشهادهم بفحول الشعراء ونقلهم لابياتهم ويطرق ابواب الذين علقوا الشروح اللغويّة والمعنوية على الدواوين وذيّلوها بالحواشي. حتى اذا ما ثبت النصّ الصادق ابرزهُ ظافراً لا يخشى لومة لائم

هذه المبادئ النقدية التي يجري عليها العلماء المستشرقون مثلاً في منشوراتهم العلمية. لكنهم كثيراً ما يسعون عبثاً وراء النسخ فهذا ديوان الاخطل لا يُعرف لهُ الّا اربع نسخ وديوان الخنساء محفوظ في ستّ او سبع نسخ وحماسة البحتري لا تعرف لها الّا نسخة وحيدة الخ. فاين هذا من كتابنا الشريف والآلاف من المخطوطات والترجمات والاستشهادات التي يلجأ اليها الناقد لاثبات النص الحقيقي. تلك وسائط علمية لم ينلها كتاب. علينا الآن ان نبين ما لدينا من المخطوطات والتراجم والاستشهادات في اسفار الآباء الاقدمين لمعرفة حقيقة النص الانجيلي

١ ﴿ النسخ المخطوطة ﴾ يمكننا ان نسمي عصرنا عصر الآثار القديمة التي أُخرجت من الزوايا بهمة اصحاب العلم فجمعت في المكاتب فسهلت على الراغبين دراستها

نعرف من نسخ الانجيل الشريف نحواً من اربعة الاف نسخة يونانيّة منها ١١٢ مكتوبة بالاحرف الكبرى (onciales) و٢٤٢٩ بالاحرف العادية (cursives) ويضاف اليها ١٢٧٣ مجموعة للمنتخبات من العهد الجديد كما كانت تقرأ في

الكنائس على مثال كتب القداس التي يستعملها الشرقيون . واقدم المخطوطات الانجيلية عهداً خمس نسخ يسميها الكتبة شيوخ المخطوطات وهي هذه:

١ النسخة الواتيكانية يرتقي عهدها الى القرن الرابع . ذهب قوم انها احدى الخمسين نسخة التي امر قسطنطين الملك بنقلها على نفقته هدية للكنائس تحت مناظرة العلامة اوسابيوس في نواحي سنة ٣٢٨ للميلاد وهي مصونة في مكتبة الواتيكان

٢ النسخة السيناوية وجدها العالم تيشندورف سنة ١٨٥٩ في طور سينا . وهي معاصرة للواتيكانية ومصونة في بطرسبرج

٣ النسخة الاسكندرية في لندن . ترتقي الى القرن الخامس اهداها كيرلس لوكاريس الى الملك كارلوس الاول الانكليزي سنة ١٦٢٨

٤ النسخة الملوكية او الافرايمية . ترتقي الى القرن الخامس ايضاً وهي من نوع الپاليمست ([illegible] حفّ ثانياً) اي المكتوبة مرتين . كتب اولاً على الرق نص الانجيل ثمّ حُفّ فخطّ عليها مقالات لمار افرام . وقد اعاد العلماء بالمواد الكيماوية صراحة النصّ الاول . محفوظة في باريس

٥ النسخة البيزية وجدها بيزا (Beza) في احد اديرة ليون عند ما نهب البروتستانت المدينة ثم اهداها سنة ١٥٨١ الى مكتبة كمبريدج . وهي باللغتين اليونانية واللاتينية . ترتقي الى القرن السادس

وخلا هذه المخطوطات المدعوّة بشيوخ النسخ يوجد عدد عديد اصغر سنّاً تضرب عنه صفحاً . وقد وجدوا مؤخّراً في خرائب بلاد الفيوم مقاطيع من الاناجيل . اخصّها الفصل الاوّل من متى ثمّ الفصلان ١ و ٢٠ من يوحنّا . يرتقي عهد كتابتها الى القرن الثالث

(الكتابة اليونانية القديمة) لا بدّ هنا من التلميح الى عوائد الكتابة في زمن الرسل . كان جمهور الكتبة يستعملون البردي فيولفون منهُ مدارج ينشرها القارئ للمطالعة (المشرق ٩ : ٨٥١) ولم يستعمل الرقّ الغالي الثمن الّا الموسرون ومن ثم ذهب العلماء ان اسفار العهد الجديد قد كُتبت اوّلاً على البردي فبادت لكثرة تداولها وسرعة عطب المادة اذا عرضت للهواء . وقيل انها بقيت محفوظة حتى القرن الثالث . امّا الكتابة اليونانيّة المستعملة في الزمن القديم فكانت على نوعين : نوع كبير يسمونهُ « onciales » يشابه الاحرف الكبيرة (majuscules) في اللغات الغربيّة يرقّون الكلمات تباعاً بدون فاصل ولا نقطة . (انظر امثالاً للعاديات المنشورة في

المشرق ١٣ : ٧١) ونوع عادي او مستعجل (cursives) يقابل الخط الافرنجي الدارج حيث ترتبط الاحرف بعضها ببعض . وفي كلا الحالتين لم يكن الخط سهل القراءة مميز الكلمات والجمل كما هو في أيامنا . ولا يستغرب ذلك القارئ اذا كان ممن لهُ المام بالخطوط العربيَّة القديمة التي كُتبت سبعة وثمانية وتسعة قرون بعد انجيلنا فانها كثيراً ما يشكل قراءتها لخلوّها من النقط المميزة ولاشتباه الحروف ببعضها فلا بدّ من اعمال الفكر وتدقيق النظر لحلّ بعض عباراتها

(تنسيق المخطوطات) ان كثرة المواد وتعدادها وتشتتها في عواصم البلاد قد تحول دون دراستها درساً كاملاً . لذا قام العلماء اولاً بجردها وتاليف الفهارس المسهلة على العملة معرفتها وتعيين زمانها وموطنها وخواصها ونقل قراءاتها الممتازة . ومن المبرزين في هذا العمل الانكليزيان وستكوت (Westcott) وهورت (Hort) والالماني تيشندورف (Tischendorf) مات هذا ولم ينشر خلاصة ابحاثهِ فطبعها تلميذهُ العالم غريغوري (Gregory) (١٨٨٤—١٨٩٤)

وقام بعدهم هـ . فون سودن (H. F. von Soden) الاستاذ في برلين واستعان بخمسة وعشرين عالماً كرّسوا حياتهم لهذه الغاية بمراقبتهِ ومناظرتهِ فتفرّقوا في المكاتب يعيدون الدرس والنقد كلٌّ في عدد من المخطوطات التي عُنيت لهُ دراستها . وقدّمت احدى السيدات الالمانيات الغنيات اليز كونيغس (E. Koenigs) « حباً بالانجيل والعلم » مبالغ تقوم بما احتاجت اليهِ هذه الرحلات من المصاريف والتكاليف العظيمة . وقد نُشر في هذه السنة المجلد الاول الحاوي في ٢٢٠٣ صفحات قسماً من الدروس المذكورة . وقد سبق هؤلاء علماء عديدون اخرون لا يسمح لنا المكان ان نذكرهم خوفاً من ملل القارئ الاديب

٢ ﴿ الترجمات ﴾ لا تنحصر مصادر النقد للنص الانجيلي بالمخطوطات اليونانيَّة فقط فان للترجمات القديمة شأناً عظيماً لتثبت النص الذي نُقل والحكم بين القراءات المختلفة . وما لا ريب فيهِ هو ان الرسل وخلفاءهم قد بشروا منذ البدء شعوباً واناساً يتكلمون باللغات اللاتينية والسريانيَّة والقبطية او المصرية وإن عرف عدد منهم اللغة اليونانيَّة واسسوا لهم كنائس . فلا شك ان الاناجيل وسائر الاسفار المنزلة قد نقلت منذ تلك الاونة الى لغات البلاد تسهيلاً لفهم مضامينها . ويثبت

التاريخ في القرن الثاني وجود ترجمات لاتينيَّة وسريانيَّة وقبطيَّة للاناجيل الطاهرة. امَّا الترجمات الارمنيَّة والحبشيَّة والنوطيَّة فلم تُعرف قبل القرن الرابع او الخامس

١ً (الترجمة اللاتينيَّة) نُقلت في النصف الاوَّل من القرن الثاني كما تشهد بذلك الآيات العديدة التي يذكرها طرطليانوس وقبريانوس وغيرهما من الكتبة اللاتين. وهذه الترجمة هي التي وصفها اوغسطينوس بقوله انها ثبتت الايمان في الازمنة الاولى. وسمَّاها هيرونيموس الترجمة القديمة. وذهب علماء عصرنا ان الاناجيل نقلت الى اللاتينيَّة في ترجمتين متباينتين احداهما في افريقية وعنها اخذ طرطليانوس وقبريانوس والثانية في غيرها من كنائس الغرب واليها تعزى النصوص المذكورة في اعمال ايريناوس اللاتينيَّة

وقد اعاد في القرن الرابع القديس هيرونيموس النظر في النسخ المتداولة وفي المخطوطات اللاتينيَّة القديمة العهد وقابل بينها وبين الاصل اليوناني واشتهرت منذ تلك الاجيال النسخة التي ضبطها هيرونيموس. وفي القرن السادس عشر سمت الكنيسة الرومانية بنشر نسخة لاتينيَّة رسمية سُميت النسخة المتداولة (Vulgate) وكان مؤخرًا (سنة ١٩٠٧) قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر الى العلماء البندكتيين ان يعيدوا النظر فيها تبعًا لنتائج النقد العلمي الحديث كما فعل العالمان وردسورث ووَيت (Wordsworth et White) فنشرا مؤخرًا نصًّا علميًّا للانجيل حسب الترجمة الهيرونيميَّة (١٨٨٩—١٩٠٥) بعد ان قضيا ثلاثين سنة من عمرهما في دراسة المخطوطات واعداد المواد. امَّا الترجمات القديمة فقد حُفظت في نسختين ترتقيان الى القرن الرابع ونسخة يُشكّ في تاريخها فهي من القرن الرابع او الخامس ونسخ عديدة من القرن السادس. وترجمة هيرونيموس حفظت في مخطوطات كثيرة ترتقي الى عهده

٢ً (الترجمة السريانية) للاناجيل الشريفة ثلاث ترجمات سريانيَّة الاولى تسمَّى النسخة الكورتونية باسم الانكليزي كورتون (Cureton) الذي اكتشفها بمصر سنة ١٨٥٨ ترتقي كتابتها الى القرن الرابع او الخامس وترجمتها الى القرن الثالث او الثاني. الثانية هي النسخة السيناوية المجددة الخط (palimpseste) التي وجدتها سنة ١٨٩٢ السيدة لويس Lewis في طورسينا ونشرتها مؤخرًا بالفوتوغرافيَّة

والترجمة ترتقي الى القرن الثاني والنسخة الى القرن الرابع او الخامس . الثالثة هي الترجمة للتداولة الشهيرة المسمّاة البسيطة . وخلا هذه نعرف القلادة التي جمعها نحو سنة ١٧٢ طاطيانوس من الاناجيل الاربعة وفُقد نصها السرياني لكنها حُفظت في الارمنيَّة والعربيَّة . وهذه الترجمة العربيَّة قد طُبعت في رومية سنة يوبيل البابا لاون الثالث عشر الكهنوتي بهمة الكردينال تشياسكا (Mgr Ciasca) وفي مكتبتنا الشرقيَّة اوراق قديمة منها (راجع المشرق ٤ : ١٠٥) . ولم يحكم العلماء حتى الآن حكماً فاصلاً في نسبة هذه الترجمات الى بعضها

٣ (الترجمات المصريَّة الخ) اقدمها عهداً الترجمة التي يسمّيها العلماء الترجمة الصعيديَّة المنجزة في القرن الثالث او الثاني ثم الترجمة البحيريَّة والفيومية الخ . ونضرب صفحاً عن الترجمات الحبشية والقوطية والارمنيَّة المرتقيات الى القرن الرابع والخامس

وبهذه الترجمات القديمة يتضاعف عدد المخطوطات الحافظة لنا نص الانجيل الطاهر حتى يكاد يبلغ سبعة الاف او ثمانية الاف يستطيع العالم المنتقد ان يعود اليها ليتثبت معنى الآية الحقيقي وخلو النص من التزييف والتحريف . ذلك امرٌ لم ينله كتاب فيستطيع ناشره ان يتأكد حقيقة نصه . فان العلماء اذا ما نشروا كتاباً او ديواناً نقلاً عن ثلاث او خمس نسخ او عشر نسخ اعتبروا عملهم جديراً بالاعتبار فلا يجرأ احد ان يدّعي عليهم التحريف . فما قولك بكتاب قوبل على سبعة او ثمانية الاف نسخة

٣ ﴿ اباء الكنيسة ﴾ وليس هذه المصادر الوحيدة لنقد النص الانجيلي واستقراء حقيقته . فلدينا شروح الاباء والكتبة المسيحيين على الانجيل وعظاتهم ومياميرهم ومؤلفاتهم الدينيَّة وهي تربو في الخمسة القرون الاولى على الثلاثمائة او الاربعمائة مجلّد ضخم . ولا نذكر الليتورجيات الجليلة وقصص الشهداء الصادقة والايات المحفورة على النواقيس والآثار العتيقة وغيرها من وسائط النقد العلمي . فان مدار كثير من هذه المؤلفات شرح النصوص الانجيلية تباعاً آيةً آيةً وكلمة كلمة . وليست مياميرهم الّا تفسير الفصل الانجيلي الذي يتلى على مسامع الشعب في حفلة ذاك اليوم مع الحث على الفوائد الاعتقادية والادبية المستخلصة من تعليمه . ومن

ثم فان استشهاد الكاتب بآية يضاهي شهادة نسخة خطية معاصرة لذاك الكاتب مع التصريح بما اعتقده في معناها

هذا مصدر جليل للنقد اللفظي والمعنوي لا تنكر خطارته لاسيما اذا كانت الايات قد نُقلت وشُرحت لا مرة ولا مرتين لكن الوفاً من المرات في الشرق والغرب بلفظها ومعناها الواحد بدون اختلاف ولا تباين ولا تضادّ . ايكون دليل اثبت من هذا للاطلاع على صحتها ومقابلتها مع ما بيدنا لنرى حظها من الصدق او التحريف ؟

وقد سعى العلماء في جمع هذه النصوص . فألّف ساباتيه البندكتي في القرن الثامن عشر ثلاثة مجلدات ضخمة دعاها الترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس نقلاً عن الآباء الاقدمين في القرون الاولى . ونشر علماء اكسفورد سنة ١٩٠٥ كتاباً جليلاً عنوانهُ « العهد الجديد في الآباء الرسوليين » ونشر غيرهم ابحاثاً خاصة في هذا الشأن موضوعها العهد الجديد في تآليف الاباء مثل العالم بوسه (Bousset) في ايات العهد الجديد المذكورة في اسفار القديس يستينوس . ورنش (Roensch) درسها في طرطليانوس . وبرنارد (Barnard) في اقليمس الاسكندري . وهرتش (Hautsch) في اوريجانوس الخ . ولكي نعطي مثلاً واحداً فقد احصى العلامة ده لاغرد (de Lagarde) في كتب مار اوغسطينوس ٢٩٥٤٠ آية منقولة من العهد الجديد

فهذه مصادر عديدة وصادقة ومعتبرة لا ينكر عاقل خطارتها وعظم قدرها قد دُرست درساً علمياً انتقادياً محضاً لا من النصارى والكاثوليك فقط لكن من الملحدين انفسهم . فما كانت النتيجة ؟

﴿ نتائج النقد العلمي ﴾ هذا ملخص النتائج الانتقادية في يومنا هذا :

١ ان الاناجيل بريئة من كل تزييف او تحريف معنوي تنقص حرمتها التاريخية اجمالاً في سائر اقسامها فلا يمكن القاء الشك على حفظها مصونة منذ كُتبت الى يومنا

٢ لا يجوز للعالم ان يبطل باسم النقد لا فصلاً من الاناجيل ولا حقيقة دينية ولا تعليماً ادبياً

٣ لم تمسّ يدٌ اثيمة الاناجيل لتحريف الايات الصعبة بالزيادة او النقصان

فان النصوص التي اعتاد الكفرة والمراطقة الاستشهاد بها لانكار بعض العقائد المسيحية كاية يوحنا (١٤: ٢٨) مثلاً تراها منقولة بالحرف الواحد بلا خلاف

٤ً تحتوي الاناجيل على نحو من اربعة الاف آية . فقد اثبت الآن العلماء الناقدون ٥٩ من ٦٠ جزءاً منها كما جاء في المنشورات الاخيرة . قال العالمان وستكوت وهورت: اذا نظرنا الى الايات الهامة فلا نرى الا اثنتي عشرة اية فقط تجد بين المصادر اختلافاً معنوياً في نصها فلم نستطع حتى الان البتّ في شأنها . ولنا امل ان متابعة الدروس النقدية تكشف القناع عنها

٥ً تتباين المخطوطات والترجمات في نقل النصوص الآتية او ابطالها : مرقس (١٦: ٩—٢٠) وهو ختام انجيله . ويوحنا (٨: ١—١١) في غفران المسيح للمرأة الزانية ولوقا (٢٢: ٤٣) في عرق الدمّ وظهور الملاك للمسيح المتنازع في بستان الزيتون الخ . وهذه اخصّ الآيات المهمة والمجادل في نقدها . تجدها كلها في عدد عديد من النسخ القديمة والترجمات الموثوق بها لكنها خلت من غيرها لاسباب نجهلها . خذ مثلاً ختام مرقس (١٦: ٩—٢٠) تجده في اكثر النسخ اليونانيّة القديمة وفي كل النسخ والترجمات اللاتينيّة والسريانيّة والقبطية . ومع ذلك لم ينقل في النسختين الجليلتين الواتيكانية والسيناوية تترك الكاتب هناك عموداً ابيض . ذهب قوم من المدققين ان النسخة الكريمة التي خطها الانجيلي المختار قد فسدت منها صفحة البردي الاخيرة الملتفّة على المدرج فكلّ من نقل عن النصّ الاصلي قبل تمزيق هذه الورقة الاخيرة حفظ الايات الاصلية ومَن نقل بُعيد ذلك ترك النصّ مبتوراً فاختلفت من جرّاء ذلك النسخ القديمة وقد لاحظ ذلك اوسابيوس في النسخ التي طالعها . فكأن كاتب النسختين الواتيكانية والسيناوية قد ترك المحلّ المعدّ لهذه الايات الاحدى عشرة ليستشير الوكيل الناظر على النقل . امّا سرّ اختلاف النسخ في الايات الاخرى فلا يزال مجهولاً . على اننا ندافع عن هذه الايات باجمعها ولا نشك في حقيقتها المنزلة وحقيقتها العلمية ونثق كل الثقة بنتائج الابحاث المستقبلة في شأنها . فقد سبق فالقى العلماء منذ ربع قرن الشك على عدد من الآيات وزعموا انها جزء من ثمانية اجزاء الاناجيل ولكنّ ترقي النقد لم يُبقِ ريباً فيها وسوف لا يمضي ربع قرن اخر الّا ويسلمون لنا ببراءة كل ايات الانجيل من كل تحريف وريب . ولا بدّ من تكرار

تنبيهنا السابق الى كون بحثنا هذا بحثاً تاريخياً علمياً محضاً بمعزل عن حكم الكنيسة المعصومة في وحي الاسفار الالهيـة وبراءتها من غش وتحريف . وان الايات التي لم يثبتها النقد العلمي حتى يومنا هذا لا تحتوي تعليماً اعتقادياً او ادبياً لا نجده في مواطن اخرى من الاسفار المنزلة حتى يستطيع المعاند ان ينسب التحريف الى اسفارنا الالهية

٦ واخيراً ليست الان غاية علماء النقد ان يثبتوا براءة الاناجيـل عن كل تحريف معنوي فان ذلـك قد ثبت واقرّ بهِ الجميع لكنهم يسعون وراء نص الاناجيل اللفظي والاملائي كما خطّته ايدي الانجيليين المختارين وهم آملون البلوغ الى المرام وما يكتشفونهُ كل يوم يوطّد هذه الآمال فان البردي المكتشف حديثاً في انحاء الفيوم والمكتوب في القرن الثالث يتّفق معنًى ولفظاً واملاء مع النسخـة الواتيكانيَّة . لكن لسوء الحظ لم يقرأ فيهِ الّا الفصل الاول من انجيل متى وفصلين من يوحنّا وقد بليت الفصول التابعة

﴿ الخاتمة ﴾ اذاً يثبت التاريخ والنقد واقرار العلماء المدققين من مؤمنين وملحدين ان الانجيل الشريف بريء من كل تزييف وتحريف وان ما قد طرأ على بعض نسخه من التصحيف اللفظي من جرّاء النقل يمكن اصلاحه علمياً وقد أصلح قسمٌ هامٌ منهُ بمقابلة النسخ والترجمات وتآليف الاباء . فلا يجوز لعاقل ان يدّعي علينا التحريف بل يضطرهُ البرهان العلمي ان يقرّ ان الانجيل هو بريء من كل شائبة . وقد بقي علينا ان ننظر في صدق الكتبة الانجيليين فوعدنا في عدد آخر ان شاء الله

(لها بقيّة)

الكلندار الحبشي

بقلم الكافلير الاديب عبدالله افندي رعد مدير جريدة الاحوال

١ حساب الزمن

السنة الحبشية هي نفس السنة المصريّة القديمة تتألف من اثني عشر شهرًا عدد ايام كل واحد منها ثلاثون يوماً على الاطلاق. ثم يزيدون في آخر هذه الشهور شهرًا ثالث عشر صغيرًا عدد ايامه خمسة ايام في السنين البسيطة وستة في الكبيسة يقال لهُ باغمن او اباغمن اي ايام النسيّ. والاحباش يحسبون السنين اربعةً اربعةً يدعون كلّ سنة باسم احد الانجيليين الاربعة والسنة الكبيسة هي عندهم سنة القديس لوقا. وهذا جدول شهورهم مع موافقتها للشهور القبطيّة والغربيّة:

بيان

لسماء الشهور الحبشية بحسب وضعها

الشهور الحبشية	الشهور القبطية	الشهور الغربية
١ مسكرام	توت	ايلول — ت ١
٢ طقمت	بابه	ت ١ — ت ٢
٣ هدار	هتور	ت ٢ — ك ١
٤ تخاس	كيهك	ك ١ — ك ٢
٥ طير	طوبه	ك ٢ — شباط
٦ يكاتيت	امشير	شباط — اذار
٧ مگابيت	برمهات	اذار — نيسان
٨ ميازيا	برموده	نيسان — ايار
٩ گنبوت	بشنس	ايار — حزيران
١٠ سنه	بؤنه	حزيران — تموز
١١ حمله	ابيب	تموز — آب
١٢ نحاسه	مسرى	آب — ايلول
١٣ باغمين	ايام النسي او اباغمن	ايلول

فمن منتصف شهر سنه الى آخر السنة يكون فصل الامطار الكبير ويدعونهُ

« كَمْتْ » وكذلك شهر يكاتيت وجزء من شهر مكابيت فهو فصل الامطار الصغير واسمهُ « بلك » او « بلاگه » . امّا بقيّة ايام السنة فهي كلها فصل اليبوسة ويدعونهُ « بگا » . والحبشة كغيرها من البلاد الواقعة ضمن خطّي الجدي الشمالي والجنوبي ليس فيها صيف وشتاء وربيع وخريف كما تقسم الفصول في بلادنا . على انّهم حفظوا في لغتهم هذه الاسماء نقلاً عن الكتب المقدّسة وهي اسماء لغير مسمّى في بلادهم

٢ ابتداء السنين

تبتدئ السنة الحبشيّة في اول مسكرام وهو عندهم عيد القديس يوحنّا المعمدان وهذا التاريخ يوافق عادةً ١١ ايلول من الحساب الغريغوري و١٢ منهُ في السنين التي تلي سنةً كبيسة

تنبيه — قبل اول مسكرام سنة ١٨٩٣ (١١ ايلول سنة ١٩٠٠) كان ابتداء السنة الحبشية التي تلي سنةً بسيطة يوافق ١٠ ايلول والتي تلي سنةً كبيسة كان يوافق ١١ ايلول . الّا انهُ منذ السنة ١٩٠٠ زاد يوم على هذا الفرق كما زاد على فرق الحساب الشرقيّ المنسوب الى يوليوس قيصر فان هذه السنة القرنيّة كانت بسيطة بموجب اصلاح البابا غريغوريوس الثالث عشر وكبيسة في السنة الحبشية واليوليوسية فنتج من ذلك زيادة يوم على هاتين السنتين الشرقيتين ومثل ذلك سيزاد يوم آخر على هذا الفرق كلّ مرة تُعدُّ فيها السنة القرنيّة بسيطة في الحساب الغريغوري

٣ السنة البسيطة والسنة الكبيسة

يحسب الاحباش سنةً كبيسة مرةً في كل اربع سنين على الاطلاق كما ذكرنا واذا اردت ان تعرف اية هي السنة الكبيسة في عُرف الاحباش فاقسم تلك السنة على ٤ فان كان الباقي ٣ بعد القسمة فهي كبيسة . مثلاً : تُحسب كبيسة في عرف الاحباش سنة ١٨٩٥ و١٩٠٣ و١٩٠٧ فيكون شهرها الثالث عشر ستّة ايام وتبتدئ السنين التي تليها في ١٢ ايلول

٤ الفرق بين السنة الحبشيّة والسنة الغريغوريّة

يفرق الحساب الحبشيّ ٧ سنين عن السنة الغريغوريّة من ١١ ايلول (او ١٢ منهُ في السنين التي تلي سنةً كبيسة) الى ٣١ كانون الاول . ومن هذا التاريخ

حتى ١٠ ايلول فالفرق ٨ سنين. مثلاً: السنة الحبشية الحاليّة هي ١٩٠٤ كان ابتداؤها في ١١ ايلول ١٩٠٩ فكان الفرق بينها وبين سنتنا الغريغوريّة ٧ سنين. ثم ابتدأت ١٩١١ في اول كانون الثاني الماضي وتبقى السنة الحبشيّة على حالها حتى شهر ايلول فتدخل السنة ١٩٠٥ ويصير الفرق عند ذلك ٨ سنين بدلاً من ٧

والغريب انهم يدّعون ان بدء تاريخهم من المسيح ولا نعلم كيف يصحّ هذا الادّعاء. والمسيحيون في العالم كلهِ يحسبون السنة الجارية ١٩١١ للمسيح ما خلا الاحباش الذين سنتهم ١٩٠٢ للمسيح ايضاً. وهم نفسهم لا يدرون سبب هذا الفرق وكيف جرى ويقولون انما نتبع حساب كنيسة الاسكندريّة. وها ان كنيسة الاسكندريّة كاثوليكيّة وغير كاثوليكيّة تحسب السنة الجارية المسيحيّة ١٩١١ ولعلّهم غلطوا في تعداد السنين في الاجيال السابقة التي لم يكن بينهم وبين العالم المتمدن اتصال (١. وهم يظنون انها مسألة دينيّة وعقيدة لاهوتيّة!...

٥ اسماء السنين

قلنا فريق هذا ان الاحباش يدعون سنيهم باسماء الانجيليين وان سنة القديس لوقا هي الكبيسة. فيقولون:

١	زمن القديس متى الانجيلي	سنة بسيطة
٢	« « مرقص «	« «
٣	« « لوقا «	« كبيسة
٤	« « يوحنا «	« بسيطة

فائدة ان شئت ان تعرف الى اي انجيلي تُنسب السنة التي تريدها فاقسمها على ٤ فان قُسمت بلا باقٍ فهي سنة يوحنا بسيطة. وان بقي ١ فهي سنة متى بسيطة وان بقي ٢ فهي سنة مرقص بسيطة. وان بقي ٣ فهي سنة لوقا الطبيب وهي الكبيسة

١) (المشرق) انّ سبب هذا الاختلاف بين تاريخ الحبشة وغيرهم انهم لمّا تنصّروا في القرن الرابع اخذوا تاريخ العالم الجاري في الكنيسة الاسكندريّة وهو يختلف بنحو سبع سنين عن تاريخ الكنيسة القسطنطينية. فانّ هذه تجعل سنة الميلاد ٥٥٠٩ وتلك سنة ٥٥٠٣ فحفظ الاحباش تاريخهم حتى بعد ان تركتهُ الكنيسة الاسكندريّة وتبعت تاريخ القسطنطينية

٦ جدول اول

لمعرفة في اي يوم من ايام الاسبوع تبتدئ السنون الحبشية (من سنة ١٨٩٦—٢٠٠٠)

الاحد	الاثنين	الثلاثاء	الاربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	ملاحظات
١٨٩٧	١٨٩٨	ك ١٨٩٩	١٩٠٥	١٩٠٠	١٩٠١	١٨٩٦	حرف ك الموضوع
ك ١٩٠٣	١٩٠٩	١٩٠٤	ك ١٩١١	١٩٠٦	ك ١٩٠٧	١٩٠٢	بجانب السنة الحبشية
١٩٠٨	ك ١٩١٥	١٩١٠	١٩١٦	١٩١٧	١٩١٢	١٩١٣	يدل ان تلك السنة
١٩١٤	١٩٢٠	١٩٢١	١٩٢٢	ك ١٩٢٣	١٩١٨	ك ١٩١٩	هي كبيسة
١٩٢٥	١٩٢٦	ك ١٩٢٧	١٩٢٣	١٩٢٨	١٩٢٩	١٩٢٤	
ك ١٩٣١	١٩٣٧	١٩٣٢	ك ١٩٣٩	١٩٣٤	ك ١٩٣٥	١٩٣٠	
١٩٣٦	ك ١٩٤٣	١٩٣٨	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٠	١٩٤١	
١٩٤٢	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠	ك ١٩٥١	١٩٤٦	ك ١٩٤٧	
١٩٥٣	١٩٥٤	ك ١٩٥٥	١٩٦١	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٢	
ك ١٩٥٩	١٩٦٥	١٩٦٠	ك ١٩٦٧	١٩٦٢	ك ١٩٦٣	١٩٥٨	
١٩٦٤	ك ١٩٧١	١٩٦٦	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٦٨	١٩٦٩	
١٩٧٠	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	ك ١٩٧٩	١٩٧٤	ك ١٩٧٥	
١٩٨١	١٩٨٢	ك ١٩٨٣	١٩٨٩	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٠	
ك ١٩٨٧	١٩٩٣	١٩٨٨	ك ١٩٩٥	١٩٩٠	ك ١٩٩١	١٩٨٦	
١٩٩٢	ك ١٩٩٩	١٩٩٤	٢٠٠٠		١٩٩٦	١٩٩٧	
١٩٩٨							

٧ موافقة التواريخ بين السنة الحبشية والسنة الغريغوريّة

اذا شئت ان تعرف اي يوم من السنة الغريغوريّة يوافق هذا او ذاك التاريخ طالع الجدولين الاول والثاني يدلّاك على هذا التاريخ . ولكي تسهل هذه المطالعة لا بد من معرفة الملاحظات الآتية :

اوّلاً ميّز التاريخ الحبشي المطلوب أتكون موافقته على التاريخ الغريغوري لسنة سبقت او لحقت سنة ١٨٩٢ ثم طالع في الجدول الاوّل تعرف اي يوم من ايام السنة الغريغوريّة يوافق ابتداء تلك السنة الحبشيّة الجاري بها ذلك التاريخ المطلوب

ثانياً متى عرفت يوم ابتداء تلك السنة طالع في الجدول الثاني تجد المطلوب . مثال ذلك لو شئت ان تعرف لاي يوم من السنة الغريغوريّة يوافق ١٥ مسكرام سنة ١٨٩٥ تجد انهُ يوافق ٢٥ ايلول . ثم قد قلنا فوق هذا ان السنين الحبشيّة متأخرة عنا

سبعةً من ١١ ايلول الى ٣١ كانون الاوّل و٨ من اول ك ٢ الى ١٠ ايلول (او ١١ منهُ في السنين الكبيسة) فأضف اذًا ٧ او ٨ الى السنة الحبشية يكن لك السنة المسيحية الغريغوريّة. في ١٥ مسكرام سنة ١٨٩٥ يوافق اذًا ٢٥ ايلول سنة ١٩٠٢

٨ جدول ثانٍ

لمعرفة في اي يوم من السنة الغريغوريّة تبتدئ السنة الحبشية وفي اي يوم منها تنتهي

السنة الحبشية	اسم الانجيلي التي تنسب اليه	تبتدئ في:			تنتهي في:			ملاحظة
١٨٨٩	متى	١٠	الجول	١٨٩٦ ك	٠٩	ايلول	١٨٩٧	ك بجانب السنة
١٨٩٠	مرقص	١٠	«	١٨٩٧	٠٩	«	١٨٩٨	الحبشية او الغريغورية
١٨٩١ ك	لوقا	١٠	«	١٨٩٨	١٠	«	١٨٩٩	يدلّ على ان تلك السنة
١٨٩٢	يوحنا	١١	«	١٨٩٩	١٠	«	١٩٠٠	كبيسة
١٨٩٣	متى	١١	«	١٩٠٠	١٠	«	١٩٠١	
١٨٩٤	مرقص	١١	«	١٩٠١	١٠	«	١٩٠٢	
١٨٩٥ ك	لوقا	١٢	«	١٩٠٢	١١	«	١٩٠٣	
١٨٩٦	يوحنا	١١	«	١٩٠٣	١٠	«	١٩٠٤	
١٨٩٧	متى	١١	«	١٩٠٤	١	«	١٩٠٥	
١٨٩٨	مرقص	١١	«	١٩٠٥	١٠	«	١٩٠٦	
١٨٩٩ ك	لوقا	١٢	«	١٩٠٦	١١	«	١٩٠٧	
١٩٠٠	يوحنا	١١	«	١٩٠٧	١٠	«	١٩٠٨	
١٩٠١	متى	١١	«	١٩٠٨	١٠	«	١٩٠٩	
١٩٠٢	مرقص	١١	«	١٩٠٩	١٠	«	١٩١٠	
١٩٠٣ ك	لوقا	١٢	«	١٩١٠	١١	«	١٩١١	
١٩٠٤	يوحنا	١١	«	١٩١١	١٠	«	١٩١٢ الخ	

تنبيه — اذا شئت ان تستغني عن هذا الجدول تستطيع ان تحسب هذه الموافقة في التواريخ اذا تذكرت ان: اوّلًا السنين السابقة لسنة ١٨٩٢ كانت تبتدئ في ١٠ ايلول ما خلا التابعة منها لسنة كبيسة فانها كانت تبتدئ في ١١ ايلول. ثانيًا السنين التابعة لسنة ١٨٩٢ تبتدئ في ١١ ايلول الّا التابعة منها لسنة كبيسة فتبتدي في ١٢ ايلول. ثالثًا السنة التابعة لسنة كبيسة هي تلك التي اذا قُسمت على اربعة لم تترك باقيًا بعد القسمة

(لهُ تتمّة)

زجلية على خراب طرابلس

واخذها من يد الصليبيين

نشرها حضرة الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

توطئة

مما عثر عليهِ حضرة الاب المدقق الخوري يوحنا مارون السبعلي المرسل اللبناني اثناء تجوّلهِ للرسالة في بلاد جبيل والبترون كتاب خطّي اودعهُ ناسخهُ مواضيع متنوعة على طريقة النساخ في بلادنا قبل شيوع المطابع فمن ذلك زجليات لابن القلاعي الشهير وزجلية لرجل اسمهُ سليمان من اشلوح (كذا يدعو ذاتهُ) اما اشلوح فعلى ما يظهر قرية من جهات طرابلس الا انّنا لم نتحقق موقعها ولعلّها اليوم قد خربت. وقد ضمّن هذه الزجلية المؤلفة من ستين بيتاً تفاصيل خراب طرابلس واخذها عنوة من يد الافرنج بعد ان ملكوها نحواً من مئة وثمانين سنة. واتفق اني اخذت اطالع الكتاب الخطي المشار اليهِ الذي كان استنسخهُ حضرة الاب السبعلي فاوقفت افكاري زجلية سليمان الاشلوحي لاسباب منها دقّة الشاعر في وصفه فتح المدينة وتاريخ اليوم الذي نُكبت فيهِ ووصف بناياتها وكنائسها وتجارها من البيزان والجنويين اي اهل بيزة (Pise) وجنوة (Gênes) وغير ذلك من الامور التي ترجح ان الشاعر معاصر للحادثة او قريب العهد منها ولا اقلّ من انهُ كان ذا اطلاع اذ طبّق وصفهُ وروايتهُ على ما رواهُ المؤرخون من عرب وافرنج كما سترى. وقد تمّ هذا الفتح على يد الملك المنصور سيف الدين قلاوون احد ملوك مصر من دولة المماليك البحريين الاتراك يوم الثلثاء رابع ربيع الآخر سنة ٦٨٨ (٢٧ نيسان ١٢٨٩). اما وزن الزجلية فيقرب على ما يظهر من البحر البسيط وان كان الشاعر لا يراعيهِ ابداً لجهلهِ العروض ولجهلهِ العربية وقواعدها فاتبع القطرة الشعرية دون مراعاة الاوزان التفاعيل فتدبّر بالروي والقافية كما اراد فكسر الفعل الماضي مثلاً (كان) وعلّم جزءاً مراعاة للقافية التي اعتبرها وهي النون المكسورة. ويظهر ان الشاعر ملكيّ المذهب لان وصفهُ الكنائس وزينتها ومنابرها في شعرهِ ينطبق على الطقس الشرقي الروم الملكي كما يلوح لدى المطالعة. وعليهِ فقد احببنا ان نزفّ هذه الزجلية لمجلّة المشرق الغرّاء كاثر فريد لانّها اقدم زجليّة لبنانيّة نعرفها. ونستميح من قرّائنا الكرام غض الطرف عمّا يجدونهُ من التقصير وعلى الله الاتكال

الزجليّة

١ يا حزن قلبي وما يخلى من احزانِ والقلب من الحزن شاعل بنيرانِ

٢ في طرابلس كان بدء القول يا حزني والقول من قبل هذا الشرح قد خانِ
٣ كان النصارى في كل الارض خيرهمُ وما بقي لهمُ ذكر ولا شانِ
٤ فقد تغلغلوا في البلدان وافترقوا في مصر في الشام في غزّه وحورانِ
٥ في بعلبك الى حمص الى حلبٍ الى المعرّةِ بل في اقصى بلدانِ (١
٦ الشمس تبكي عليهم كلما طلعت والبدرُ والنجم غرّار ومـيزانِ
٧ يا عينِ خلي البكا والنوح عادتكِ وابكِ على النصارى اين مـا كانِ
٨ وان بكيتُ فدمع العين محترق وان كتمت البكا في القلب نيرانِ
٩ قالت ليَ الناس يا مسكين مالكَ تبـ كي قلت يا اخوتي ألقلب تعبانِ
١٠ ابكي النصارى ابكي ما جرى بهمِ يوم الثلثاء يوم الشوم قد كانِ (٢
١١ قد دخل الترك في الاسواق هاجمةً في البرّ والبحر حاطوها بمن كانِ (٣
١٢ معهم سيوف تقدُّ الصخر اذ جُردت صرّعت القتلى فوق الارض كدسانِ
١٣ كم فارس قتلوه من بعـد سطوتهِ مضى محضّر على الاولاد حسرانِ
١٤ ما عدت تعرفهُ حتى تقلّبهُ تقول لا ادري شلوًا ام جثة انسانِ
١٥ كم شابّ قتلوه وامـه تنظره ويقول يا ميتي ذا اليوم من اين جاني

١) قال المؤرخون ان عكا التي لزمت الحيادة ابّان نكبة طرابلس لم تسلم بالرزية الا ممن هرب من هذه المدينة التعيسة طالبًا الاحتماء ضمن اسوارها ومنذ ذاك الحين ارجست عكا ان يلمّ بها ما الم بشقيقتها طرابلس . ولم تطل مدة الانتظار

٢) اجمع المؤرخون على القول بان طرابلس وقعت في يد قلاوون في ٢٧ نيسان سنة ١٢٨٩ وهو يوافق يوم الثلثا عملا بالقاعدة الحسابية المثبتة في تقويم البشير الصفحة الاربعين ومما تقدم يظهر ان سليمان كان يكتب لمعاصرين اشتهر عندهم ذاك اليوم كما نقول في لبنان « سنة السنين » لاشتهار الحادثة عندنا وقربها منا فتأمل

٣) قال ميشو (Michaud) في كتابه الثامن عشر في حروب الصليبين . « حمل السلطان قلاوون على مدينة طرابلس ومعهُ سبعة عشر آلة للحصار الضخمة العظيمة وظنها (المجانيق) وعهد الى ١٥٠٠ عامل بهدم السور واعمال النار اليونانية (feu grégeois) وبعد ٣٥ يومًا من حصارها دخلها واسلمها للسيف والنار وباع النساء والاطفال بابخس الاثمان » . وكل ذلك يطابق ما اوردهُ سليمان الاشلوحي من الشعر الحادي عشر الى الرابع والعشرين كما هو ظاهر في غير محالّ من قصيدته . اما قولهُ « الترك » فلأن دولة المماليك البحريين كانوا اتراكًا كما سبق . ولعلّهُ اراد بقوله « حاطوها بمن كانِ » اي احاطوها بالآلات والمنجنيقات

١٦ تقول ولدي حبيبي ما تكلمني يا نور عيني وما لي فيك سلطانِ
١٧ كم طفل امسى يتيم وامه تنظره يبكي محسّرًا على بزّه جيماني
١٨ وقد نهبوا الحريم اليوم يا حزني بنات وابكار مع نسا وصبيانِ
١٩ كم بنيّة سحبوها بعقصتها وتقول يا ميتي ذا اليوم من اين جاني
٢٠ لا مهر يُكتب ولا قسّ يكلّلني تخاطفوني وما اعلم مَن يتلقاني
٢١ وكم مليحةٍ اخذوها قبل ما طلعت فراح يذهب بها للكوق عجلاني
٢٢ يبيعها ويتخرج في دراهمها والدمع نازل على الخدين غدراني
٢٣ وتقول يا خالقي ترضى بما فعلوا من بعد عزي وخيراتي وغلماني
٢٤ امسيت وحدي وكل مَن جا يفتشني باعوا الاسارى كبيع الشاة والضانِ
٢٥ الارض تبكي ونور الشمس منخسف والبدر قال لسكتوا ذا حكم رباني
٢٦ هذه المدينة اريد اليوم اخربها اجعل مسكنها للبوم لوطانِ
٢٧ من كان يصدق ان طرابلس تخرب لولا تراها وننظرها بأعيانِ
٢٨ يا حيف تلك العلالي تصير منهدمة وما بقى لها اثرًا ولا حيطانِ (١
٢٩ قد كان لها سورًا شامخًا جدًّا وما كان له على الارض شبهٌ ولا ثاني
٣٠ فتُّ القصر ولقيت الويل طامرهُ اسود وطالع من الاطواق دخانِ
٣١ وبكيت لمّا رأيت الدار خاليـة وما ان كان بتلك الدار سكانِ
٣٢ قلت يا دار البرنس ترى ماذا بك اصبح فيك وما الخطى بانسانِ
٣٣ يا حيف على البرنس يا حيف سطوته جواري تخدمه وعبيد سودانِ (٢

---

١) كانت طرابلس محور التجارة في ايام الافرنج وكانت مينا حافلة بمراكب التجار وكان فيها اكثر من اربعة الاف حرفة وصنعة من انواع صنعة الحرير (طالع ما نقلهُ ميشو عن يعقوب دي ڤيتري (Jacques de Vitry) في وصفهِ مباني المدينة في كتابهِ الاوّل عدد ٣٣ ومارين سانوتي (M. Sanuti) في كتابهِ الثالث الجزء السادس الفصل ١١ ١٨ . هذا وقد امر قلاوون فدكّت المدينة الى الحضيض ولم يبقَ على شيءٍ من مبانيها

٢) كان البرنس بوهموند السابع (Boémond VII) امير طرابلس مات قبل فتح المدينة بمدة قريبة في ١٩ ت ١ سنة ١٢٨٧ وعقب موتهُ تنازع شديد بين والدتهِ وشقيقتهِ لوميًا على حقوق الامارة وشايع السكان احدى الاميرتين فساد التحزُّب والانقسام فضعف امر الاميرتين

٣٤ قد جاوبتني دار الشوم قائلة فرّقهم الدهر بئس الدهر ما كانِ
٣٥ لانك ترى اهلي من قبل ما افترقوا كانوا شباباً يحاكوا زهر نيسانِ
٣٦ راحوا وما تركوا لي من يؤانسني الّا طيور السما بومٌ وغربانِ
٣٧ اما الكنائس فقد زادت على حزني اصبحت من اجلها بالهمّ سكرانِ
٣٨ عهدي بها وهي بالاعياد مرهجة الشمع ينورها والكاهن فرحانِ
٣٩ يبات يقرأ للانجيل منعكفاً وفي الصلوة يقضي الليل سهرانِ
٤٠ تجي الخلائق للاعياد تحضرها نسا وصبيان وشيوخ وشبانِ
٤١ ويدور الكاهن بالزياح بينهم في ريحة البان مع الندّ غزرانِ
٤٢ نرى الشمامسة كالاقمار واقفة في الكتاتين شبه الثلج كتّانِ
٤٣ يقروا المزامير والالحان يتلونها وحيّروا الناس في اصوات الحانِ
٤٤ يا حيف كراسيها مع حسن أنبلها (١ فيها التصاوير لشكال والوانِ
٤٥ فيها يوحنا الدمشقي كان يعجبني ومطران سروسيس (٢ ودير سمعانِ
٤٦ ما تنظر العين احسن من عمارتها قبّات مليحة فيها ختمُ سليمانِ
٤٧ لمّا التصاوير من فضة ومن ذهب درّاً ولؤلؤاً وياقوتاً ومرجانِ (٣
٤٨ فيهن عواميد رخام جيدة حسنة ما كان عملها الا كشمع عسلانِ
٤٩ كم كعاب تمشت في جوانبها وكم قامت كغصنٍ من البانِ
٥٠ تمشي وتتمخطر في الحسن معجبة ويحير ناظرها باهت وحيرانِ
٥١ ومنية الشوم (؟) لا تنسى مودتها كم جنوي وكم من الف بيزانِ (٤

وفازت لوسياً وكان نائبها برتران من جبلة (Bertrand de Gibelet) وفي عهدها تمّ فتح طرابلس واغتنم الملك قلاوون هذه الفرصة لاخذ المدينة اذ حاول بيبرس من قبلهِ بعد اخذ انطاكية الاستيلاء عليها فلم يفلح فنال قلاوون بغيتهُ واعمل سيفهُ البتّار بسكّانها

١) الانبل من اليونانية (ἀνάβασις) وهو الساحة او المنبر الذي يُقرأ عليهِ الانجيل

٢) كذا. امّهُ اراد مطران طرسوس.

٣) قال المؤرخون ان قلاوون ربط الى اذناب الخيل التصاوير وجرّها في الاسواق. وهذه الاوصاف لمنسة الكنائس وصورها واتبلها وشماستها وتلحينهم المزامير كل ذلك يثبت ان الشاعر من الروم كما مرّ

٤) دسّ رئيس الميكليين لامير جبلة بان يضايق البيزان في طرابلس وينهبهم فاوغر ذلك

٥٢ والبعض منهم في الابحار اختنقوا وقد اكل لحمهم سمك وحيتانِ (١
٥٣ هذا قصيدي وهذه قصتي كملت في طرابلس يا اخوتي ذا القول اعماني
٥٤ يا حيف على البرنس يا حيف سطرته كأن ما كان لهم ذِكرٌ ولا شانِ
٥٥ حيفاً يقول الناس الله يرحمهم ويتنيحون في النعيم على طول الزمانِ
٥٦ قائلها شاعر لشلوح مسكنه (٢ مشهور بين الورى لسمعة سليمانِ
٥٧ هذه خبار من بعد ما افتجعوا تمت عليهم وقد كان الذي كانِ
٥٨ تمَّ ما قال اقليموس (٣ بحكمته قد يقتبوا لنا من كتب رهبانِ
٥٩ ان مدينة طرابلس تخرب ولا بدَّ لخرابها من حكم رباني
٦٠ يا رب ارحم قايلها وكاتبها واغفر لسامعها ولكل نصراني

الأَمَل

لبشارة افندي ابراهيم رعد احد طلبة كلية القديس يوسف

أملٌ في القلب ألقتهُ الحياةْ وسلاحٌ ضدَّ ليلِ النائباتْ
كم صغيرٍ في حضون الأُمهاتْ يرضع الحبَّ لبانَ الوالداتْ
انَّ قلب الام طيرٌ في الفضاء سابحٌ ما بين حزنٍ وهناء

صدرهم يومئذٍ عليه (طالع ميشو كتاب ١٨ في سرده حوادث سنة ١٣٨١. وقال ابن فرات المؤرخ العربي بان يومئذٍ عُمل على قتل امير جبلة)

١) قال ميشو حاول كثيرون من سكان طرابلس الهرب في المراكب فخانتهم الريح وارجعتهم الى الشاطئ فوجدوا منيتهم هناك. وهرب قسمٌ من السكان الى جزيرة صغيرة تدعى جزيرة القديس تقولا. قال ابو الفدا انه زار هذه الجزيرة بذاته بعد ايام قلائل من فتح طرابلس فلم يجد فيها سوى جثث تنبث منها النتانة

٢) يشير الى بعض نبوّات تنسب الى القديس اقليميس البابا تلميذ مار بطرس الرسول

٣) اين هي الشلوح ؟ لعلها خربة قرية الان في جوار طرابلس وندع البحث للمطالعين

في فؤاد الطفل يوماً حلَّ داء سلب الامَّ هناء وبهاء
فبكت حزناً وما يجدي البكاء الّا ان الدمع للقلب رجاء
وهناء الأمّ معقودُ اللواء بهناء الطفل والنَّسْلُ رجاء
ثمَّ قالت وهي ترنو للسماء سوف يفضي للمدى هذا الشقاء
اذا ما الأيام جاءت عابساتْ سوف تأتيني الليالي ضاحكاتْ
املٌ في القلب ألّفتهُ الحياةْ وسلاحٌ ضدَّ ليل النائباتْ

*

جلستْ والليلُ مسودّ الجهاتْ ترمُق الطفل بعين الوالداتْ
وتحيّيه كما حيّا النباتْ بارقَ الشمس ونورَ النيّراتْ
إيه ما أحلى صغيراً في سريرْ ولحاظ الام تسقيه النميرْ
انَّ لحظ الام كالطير يطيرْ ما لهُ عشٌّ سوى قلب الصغيرْ
وصغير القوم كالغصن النضيرْ قربَ ماء الحبّ والعشق الغزيرْ
نظرتْ للطفل والطرفُ قريرْ ثم قالت انني سوف اصيرْ
سأرى ذا الطفل شاباً في الحريرْ فيزول الهمُّ والحزن الكثيرْ
اذا ما الأيام جاءت عابساتْ سوف تأتيني الليالي ضاحكاتْ
امل في القلب الفته الحياةْ وصلاحٌ ضدَّ ليل النائباتْ

*

أراهُ في القصور العاليات والجنانِ الزاهرات المثمرات
فوق عرش المجد ما بين الشراةْ يجتني فيه ثمار المكرماتْ
ام اراه عالماً بين الانامْ ام شجاعاً عاشقاً حدَّ الحسامْ
يخدم الاوطان عاماً بعد عامْ ويرقّي القوم والقوم تيامْ
خادم الاوطان شهمٌ لا يُرامْ ذكرهُ يبقى ولو بعد الحِمامْ
يأتي بعد الموت يبكيه الحَمامْ يا حمام الروض يا باكي الكرامْ
هل ارى ذا الطفل ما بين العظام هل اراه رافعاً اسم السلامْ
اي نعم سوف اراهُ كإمامْ وحُسام قاطع رأسَ الخصامْ
اذا ما الأيام جاءت عابساتْ سوف تأتيني الليالي ضاحكاتْ

امل في القلب الفته الحياة وسلاحٌ ضدَّ ليل النائبات

*

نظرت نحو النجوم الساطعات والجروم اللامعات السائرات
قرأت فيها الاماني السابحات هكذا عاشت الى حين الممات
هكذا الآمال بحرٌ من رحيق كلُّ انسان بهِ امسى غريق
هي نِعمَ الزادُ للقلب الرقيق ورفيق للفتى في كل ضيق
هي بحر واسع الارجا سحيق يسبح المرء بهِ اذ لا يضيق
ويرى في عمقهِ خير العتيق ويخال القصد في ذاك العميق
إنْ هيَ الّا سرابٌ او بروق ان تُشَمْ تَخفَ فيها تروق
انما شِئنا سناها كي نذوق لذّةً من دونها الخمر الرحيق
اذا ما الأيام جاءت عابسات سوف تأتيني الليالي ضاحكات
امل في القلب ألفته الحياة وسلاح ضد ليل النائبات

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٩ قعر الجراب

رأيت أيها القارئ اللبيب في الجراب الماسوني اشكالاً والواناً اثبتت لك قولنا السابق انَّ الشيعة الماسونيَّة صفوة كل التعاليم الفاسدة والاعمال المنافية للآداب وان كان معظم اصحابها لا يعرفون منها غير نشرتها وانَّما العارفون بمكنوناتها يجلونها كالعروس المخطوبة لئلَّا ينفر الناظرون اليها من قبح رؤيتها ريثما تعتاد ابصارهم سماجة مخبرها

لكنَّ ما سبق من المعلومات المنقولة عن التآليف الماسونيَّة ليست بجامعة شاملة وذلك لِسَعة الجراب ووفرة محتوياته . وانَّما فتَّقنا الخرج واستخرجنا شيئاً من بضائعه مؤمّلين انَّ غيرنا يوسع الفتق ويستمدّ منهُ سلماً غيرها وكثيرة ما هي . على انَّ في قعر الجراب طرائق تستحقّ الذكر والماسون ساعون في اخفائها غاية جهدهم ولعلَّ تسعة اعشارهم يجهلونها تماماً

١ منشئ الماسونية ورئيسها

كتب القديس اوغسطينوس الملقان العظيم كتاباً نفيساً وسمهُ بالمدينتين مدينة الله ومدينة العالم فبيَّن انَّ لله عزَّ وجلَّ مدينةً خاصَّة يتولَّى بنفسهِ تدبير اهلها منذ انشاء الخليقة الناطقة ويرعاها بعينهِ الساهرة ويقودها في طريق الفضل وسبيل الفضيلة وسوف يواصل رعيتها الى أن تضمحلَّ الرموز وتظهر الحقيقة في اليوم الاخير حيث ينقل تلك المدينة الى مقامها الثابت ويكسوها فخراً وجلالاً ويملك عليها الى الابد

وقد جعل بازاء تلك المدينة الشريفة مدينةً أُخرى مدينة العالم التي يرعاها عدوّ الله ويتولَّى ابليس قيادة اصحابها فينفخ فيهم روح العصيان الذي اهبطهُ من مقامهِ يوم شقَّ عصا الطاعة لخالقهِ فصرخ مع زمرتهِ (ارميا ٢ : ٢٠) « لا اتعبّد » . ثمَّ طلب لهُ تَبَعةً بين البشر في كل اجيالهم يسوّل لهم ان يقتفوا آثارهُ وينضووا تحت رايتهِ ويناصبوا مدينة الله وجيشها النظامي بما يستطيعون من الوسائط مهما كانت جائرة فاسدة خبيثة

على انَّ فعل شيخ النار لم يظهر بكل قباحتهِ وسماجتهِ الَّا منذ انشأ الماسونية وجعلها كفرقتهِ الممتازة . وقد عرف لهُ هذه المنَّة بعض زعماء الماسونية واقرُّوا بفضلهِ على شيعتهم وحاولوا الدفاع عنهُ في عصيانهِ وعدُّوهُ شهامةً وحيَّوهُ بالسلام . قال الماسوني الاخ « برودون (Proudhon) بعد تجديفهِ على الله جلَّ وتبارك : « هلمَّ يا ستاتائيل يا من افترى عليهِ الكهنة والملوك هلمَّ لاقبّلك واضمّك الى صدري اني طالما عرفتك وعرفتني . نعم انَّ اعمالك يا حبيب قلبي ليست دائماً جميلةً وحسنة لكنَّها مفتاح ينحلّ لي بهِ لغز هذا العالم »

قال الاخ ٥°٥ سيرافينا : « اهدوا سلامكم للمصلح الكبير . هاهوذا ساتانايل المعظم ! »

وقال الاخ ٥°٥ ريتان الماسوني: « قد ظُلم ابليس ظلماً فظيعاً وانّما التقدّم العصري والتمدّن العامّ اظهرا اخيراً رفعة مقامه »

قال اليهوديّ لميّ (Lemmi) من رؤساء الماسونية الكبار في وليمة دُعي اليها رؤوس الشيعة : « لُشيد بذكرك يا شيطان يا ملك وليمتنا واقربك سلامي الطيّب يا ابليس وارفعُ اليك بَخُوري المقدس انت الذي قهرت يَهْوَه اله الكهنة »

وقالت جريدة المُلحد (l'Ateo) لسان حال الماسونية في ليفورنة : « ابليس هو رئيسنا . هو قائد الاصلاح البشريّ . هو المنتصر للعقل المطلق الحرّية »

وقد بلغ اكرام الماسون لقائدهم غير المنظور الى ان قصّدوا القصائد في مدحه والّفوا الاغاني ليتغنّوا بها في محافلهم بل انشدوها في المراسح كما فعلوا في طورينو سنة ١٨٨٢ حيث نظم الشاعر الايطالي اليهوديّ يوشع كردوتشي (Josué Carducci) غناء في تعظيم ابليس

ثمّ قام شاعر آخر رابيساردي (Rapisardi) ونظم قصيدةً في انتصار ابليس خزاه الله على السيّد المسيح لذكره السجود فاستقبلتهُ عمدة مدرسة بالرمو اللادينيّة مع معلّميها وطلبتها بالتصفيق واصوات الاستحسان

وفي ٢٠ ايلول سنة ١٨٨٤ طاف الماسون في جنوة ناشرين اعلام الشيعة في مقدّمتها « راية ابليس » وكذا فعلوا في ذلك اليوم سنة ١٨٩١ في رومية ذكرًا لفتح الجنود الايطالية لمدينة رومية سنة ١٨٧٠

وهذه العلاقات بين الماسونية ورئيسها الحقيقي ليست وهميّةً فانّ بين الرتب الماسونيّة ورموزها وتعاليمها الخفيّة التي يتلونها على ذوي الدرجات العليا اشارات واضحة الى ابي الظلمات فتراهم يتبرّؤنَ كرعيهم وامامهم الذي انتظموا في عسكره لمحاربة الربّ الاله وسيّد العالمين الذي يجدّفون عليه بملء افواههم ويقصدون ملاشاتهُ عن وجه الارض لو امكنهم . امّا اذا ورد في كتبهم اسمهُ تعالى فلا يريدون به سوى الطبيعة او ابليس الهم الحقيقي

وقد روى بعض الذين خرجوا من الماسونيّة بالاقسام المحرّجة انّ الشيطان يحضر

بنفسهِ بعض مجتمعاتهم السرّيّة في محافل الدرجات العليا وانّهم رأوهُ بالعيان. ودونك خبرًا يثبت الامر ويمكن تحقيقهُ من صاحبهِ وهو لا يزال في قيد الحياة وقد نقل روايتهُ الاسقف الالماني السيد مورين اليسوعي (Mgr Meurin) بما تعريبهُ: «كنتُ احد ضبّاط الجيش الفرنسوي وانتظمت وانا شابٌّ في الماسونيّة وترقيت في سُلَّم رُتَبها حتى بلغتُ درجاتها العليا الخفيّة فلم يبقَ عليَّ الّا ان اقسم قسمًا اخيرًا في محفل اجتمع فيهِ بعض افراد الماسون وكانت الابواب والكوى مقفلة بكل حرص وكان يقوم على حراستها المتوظفون منهم لا يدعون احدًا يدخل الّا بعد التنبيهات والاعلان باللفظة السرّيّة

« ونحن كذلك اذ رأيتُ بغتةً في وسط الجماعة شخصًا ذا هيئة غريبة قد ظهر وتصدَّر في المحفل وما لبثت ان تأكّدت انَّ الشخص هو الشيطان بالذات وطالما كنت اسمع من الاخوة الماسون انَّ وجود الله والشيطان والارواح كل ذلك من خرافات الكهنة وضعوها للتهويل وبلوغ غاياتهم السيئة

« فما رأيت تلك الرؤيا حتى تبلبلت افكاري واضطرب جناني فقلت: « ان كان الشيطان موجودًا وها انا اراهُ بعيني فلمَ لا يكون الله موجودًا ايضًا وأثر فيَّ ذلك الفكر حتى شغلني عن كل شيء وأبيت ان اقسم القسم المطلوب مني. وفي اليوم التالي انطرحتُ عند اقدام بعض الكهنة فأقررت بخطاياي ونلت عنها الحلّ. ثمَّ استقلتُ من الجنديّة ودخلت في جمعيّة الاوراتوريين »

قال السيد مورين: وما الضابط المذكور سوى الاب جوردان دي لا بسّارديار (Jourdan de la Passardière) الذي طلب بعد ذلك من رؤسائهِ ان يرسل للتبشير في الاقطار الاجنبيّة ثمَّ عاد الى فرنسة وترأس على الرهبان الاوراتوريين واختارهُ الكرسي الرسولي للرتبة الاسقفية شرفًا على مدينة روزيا (Rosea) سنة ١٨٨٤ ومقامهُ اليوم في مدينة ليون

٢ الماسون والصليب المقدس

اذا استقريتَ اوسمة الماسونيّة وقلائدها وحلاها كثيرًا ما تجد بينها صور الصليب على هيئاتٍ شتّى اما مربّعًا او مستطيلًا او منعطفًا ولكن اياك ان تنخدع بهذه الظواهر فانَّ الماسون يضمرون لهذه الصلبان معاني سمجة يكشفون عنها النقاب في درجاتهم

المالية ويمنعنا الادب ان ندوّنها هنا. اما الصليب المقدّس راية المسيحيين وعلَم الخلاص الذي مات عليهِ السيّد المسيح فداء عن البشر فانّ الماسون يسومونهُ خسفاً بل يهينونهُ في مجتمعاتهم السرّيّة. وقد اثبتنا في العدد السابق صورةً للمصلوب يطعنهُ الفارس القدوش (الكديش) بالحربة بدلًا من الجندي كما يخبر بهِ القديس يوحنّا في انجيلهِ وترى هذا الماسوني متّزرًا بمئزر درجتهِ نقلناها عن كتاب احد كاشفي الاسرار الماسونيّة المسمّى بُول روزن في كتابهِ « الشيطان وشركاؤهُ » (Paul Rosen: *Satan et Cie*, p. 295)

ودونك شاهدًا آخر على بغض الماسون لصليب الربّ رواهُ صاحب كتاب شيعة المسونيين عن نشرة فرنسويّة في تاريخ ك ١ سنة ١٨٨٤ قال:

« رغب الماسون في مدينة ك ... ان يجذبوا اليهم نجارًا اديبًا ليقيموهُ حارسًا وحاجبًا لمحافلهم فجعلوا لهُ راتبًا سنويًّا ٥٠٠ فرنك واسكنوهُ مجّانًا بيتًا وبستانًا ووعدوهُ بخمسة فرنكات عند دخول كل طالب جديد في الماسونيّة بل تعهّدوا لهُ بان يهيّئوا لهُ شغلًا في كل ايّام السنة وان يكلوا الى امرأتهِ اصلاح الاطعمة والاشربة لاعضاء المحفل ولبعض المحتاجين مع افراز نصيب منها لها ولاولادها

فسُرَّ النجّار بهذه الشروط ورآها نعمةً لهُ ولاهل بيتهِ بل جعل ينظر الى الماسونيّة بعين الاستحسان ويعدّها جمعيّة خيريّة ثمّ استشار امرأتهُ وطلب ان ينضمّ الى الجمعيّة

فبعد الامتحانات الاولى حان يوم قبولهِ بصفة استاذ فاجتمع اصحاب الرتب في المحفل وأُدخل المرشّح الى غرفة مظلمة حيث كان تابوت مغشّى بالسواد وبقربهِ شيء مغطّى بستار. فأغلق عليهِ باب الغرفة وجاء احد الاخوة فقال لهُ: « اقسم على هذا التابوت بانك تكون امينًا في حفظ السرّ والّا فهذا يكون عقابك ». قال هذا وكشف التابوت فاراهُ جمجمة ميت. ثمّ اماط الستار عن المحجوب الآخر فاذا تمثال المسيح المصلوب منبسطًا على الارض وفوقهُ سيفان متقاطعان وعلى جانبهِ حربة فاشار الاخ الى التمثال وقال للمرشّح بصوت يدلّ على عدم الاكتراث: « ضع يا اخي رجلك فوقهُ وقل: اني اجحدك ايّها المسيح »

فلمّا سمع النجار كلامهُ اقشعرّ جسمهُ خوفًا واضطرب ضميرهُ وصرخ بصوت تقطعهُ الزفرات: « كلّا لن ارضى بهذه الفاحشة ابدًا. لقد خدعتموني افتحوا لي الباب فاني اريد الخروج »

وكان الاخوة في الغرفة المجاورة فلمّا سمعوا جواب النجار دخلوا وجعل كل منهم يبذل قصارى الجهد في اقناع هذا المسكين بالجحود وقال لهُ احدهم: ما لك تتردّد بالعمل اليس المسيح كبقيّة البشر وان كان اكثر علماً من غيرهِ وغاية ما يقال فيهِ انهُ ادّعى النبوّة فصلبهُ اليهود

وقال آخر: « لا تُخِب املنا فيك فانّنا اعتمدنا عليك ووثقنا بك لانك رجل فطن عاقل فاطرح عنك هذه الاوهام وكن واحداً منّا »

فاجاب النجار بشهامة: « يا سادتي انتم تدعونني رجلاً عاقلاً فطناً والرجل العاقل لا يجحد ايمانهُ ابداً ومن ثمّ لا اقبل ابداً ارتكاب هذه الخيانة القبيحة . افتحوا لي اريد الخروج » . فاضطرّ الاخوة على رغم منهم ان يطلقوا سبيلهُ وعلموا هذه المرّة انّ مكايدهم لم تأتِ بنتيجة

٣ قدّاس الشيطان

اخبر السيّد دي سيغور في كتابهِ عن المسونيين (في الطبعة ٦٩ سنة ١٩٠٥ منهُ ص ٤٩) قال :

« انّ اعضاء محافل الماسون الداخليّة لا يتردّدون عن اقتراف أيّة فاحشة كانت ان نفاقاً او قتلاً . لمّا كانت ثورة النوضويين قائمة على ساق في رومية سنة ١٨٤٨ تحقّق الشرط وجود عدّة جمعيّات سريّة يلتئم اصحابها ليلاً . وكان من جملتها فئة تتألف من رجال ونساء يجتمعون في حي ترنستافيري فيقيمون ما كانوا يدعونهُ « قدّاس الشيطان » فكانوا اتّخذوا لهم مذبحاً مزيّناً بست شمعات سوداء واذا اجتمعوا جعلوا على المذبح كأساً وصينيّة ثمّ كان يقوم كل واحد من اولئك الحضور الجهنّميين ويقترب من صليب في جانب المذبح ويبصق في وجه المصلوب كاليهود في ليلة الآلام ثمّ يضعون في الكأس جزءاً من القربان المقدّس كانوا تناولوهُ صباحاً بالنفاق او اشتروهُ من بعض المنافقين المقترنين بالدين كيوداس اللعين وبعد السخريّة الشيطانيّة وضروب الاهانة يسحبون الخناجر ويطعنون القربان الطاهر طعنات متعدّدة . فاذا اكملوا تلك الشناعة الفظيعة اطفأوا الشموع وتواروا

« وقد انتشرت تلك الاعمال النفاقيّة القبيحة الى فرنسة فوجدوها بين ماسون بعض المدن كباريس وشالون واكس. فانّ رؤساء تلك المحافل كانوا لا يقبلون عضواً جديداً بينهم الّا ان يأتيهم الطالب يوم دخوله بالقربانة المقدّسة ويدوسها برجليه وغير ذلك من الاعمال التي تشمئز لها الابدان وتشيب لفظاعتها رؤوس الاطفال »

٤ الشيطان قتّال منذ البدء

هكذا وصف السيّد المسيح الشيطان الرجيم (يوحنا ٨ : ٤٤) ولمّا كانت الماسونيّة حزب عدوّ الجنس البشري لا تأنف هي ايضاً من قتل الذين تراهم عقبةً في سبيلها سواء كانوا من ذويها فنبذوا حكمها او من الاجانب الذين قاوموا سلطتها. قال السيّد دي سيفور في كتابه السابق ذكرهُ (ص ٥٠) : « ترسّم الماسون الجدارة للامور العظيمة في شابٍّ انتظم في سلكهم فرقّوهُ بسرعة حتى بلّغوهُ الدرجات العليا وكشفوا لهُ اسرار الماسونية الداخليّة. وما لبثوا ان حكموا بالقتل على احد معاديهم وعيّنوا الشاب كجلّاد يتمّم اوامر الشيعة فقُضي عليه ان يطيع امر رؤسائه مرغوماً ولم يزل يتقفّى آثار الغريم حتى ادركهُ في اميركا فدقّ عنقهُ وعاد الى فرنسة لكنّ منخس الضمير كان يتعقّبهُ ليلاً مع نهار فلا يدع لهُ راحة. ثم استأنف رؤساء الماسونيّة الحكم عليه بان يقتل رجلاً آخر من عُصاة الاخوان فعزم الشابّ على ان ينجو بنفسه دون انجاز تلك الاوامر الجائرة فهرب من باريس بعد ان تنكّر ناوياً ان يبحر الى الجزائر. غير انهُ في ليلة سفره اذ كان في احد فنادق مرسيلية بأنهُ احد الاخوان ورقةً مختومة قلما فضّها قرأ فيها هذه الالفاظ : « قد عرفنا مقصدك فلن تُفلت منّا. امّا الطاعة وامّا الموت »

فخرج من وقته مسرعاً وسار في طرقٍ معوّجة وهو يقرع سنّهُ ندامة على ما فعل بدخوله بين الماسون وبعد ايّام وصل الى دير الرهبان الساكتين المعروفين بالتراپستيّين (Trappistes) قريباً من بلاي (Belley) فالتجأ اليهم ليصونوا حياتهُ. لكنّهُ في اليوم التالي اتاهُ تهديد جديد هذه صورتهُ : « انّا في اثرك جادّون فعبثاً تلتمس لنفسك منّا محيصاً »

فاستولى على ذاك المسكين الهلع وكاد ينخلع قلبهُ جزعاً لعلمه انّ الماسونيّة لا تعفو ابداً فذهب واستشار احد الكهنة الافاضل في الدير وهو الذي روى القصّة

بتفاصيلها فسلّمهُ الى بعض شهماء المرسلين واوصاهم باخفائهِ فقطعوا وأفلت من ايديهم

ومما يشبه هذا الخبر ما دوّنتهُ جريدة الاونيفار الباريسيَّة في تاريخ ٣٠ تشرين الاوّل سنة ١٨٨٤ عن رسالة كتبها رجل من مقاطعة ساڤوا عن لسان كاهن خادم كنيسة بقرب مدينة شامبري قال :

عهدَ اليَّ اسقفي بخدمة هذه القرية قبل عشر سنين فبعد اشهر من خدمتي اذ خرجت يوماً من الكنيسة بعد اقامة القدّاس صادفت على الباب رجلًا غريباً مسندًا اليهِ ظهرهُ وكانت ثيابهُ وهيئتهُ تدلُّ على انهُ من ذوي النعمة وكان حذاؤهُ مكتسياً بالغبار الكثير يؤخذ منهُ انهُ مشى طويلًا فقال : سيّدي الكاهن ايمكنك ان تسمع اعترافي بخطاياي بعد فطورك . قلت : تفضَّل الى الكنيسة فانا مستعدٌّ لخدمتك الآن . قال : وذلك اوفق ولكن دعني يا ابتِ ان اعرّفك بحالي قبل الاعتراف لتكون على بصيرة من حالي

قال : اني رجل ايطالي وكنت كاتبًا عند زعيم الماسونيَّة وانتسبي الشهير وقد اوقعتني تعاسة الحظّ في اشراك الجمعيّات السرّيّة . فقبل ايّام قليلة بلغ رؤساء الشيعة انَّ احد الاخوة قد باح باسرارهم فالتأم الاعضاء وحكموا عليهِ بالقتل ووقعت القرعة عليَّ باجراء هذا الحكم . وقد كنت في حياتي ارتكبتُ آثامًا عظيمة ونبذت ظهريًّا الواجبات المفروضة على المسيحي لكنني لم الطّخ يديَّ بدم انسان . فلمَّا عرفت ما يطلبونهُ مني جاشت نفسي وهاج فيها القلق وعقدتُ العزم على الفرار من ايديهم الّا اني لا اشكُّ انهم سيدركونني لأن النجاة من انتقام الشيعة لمن اصعب الامور ومع هذا فاني لا اخاف حنقهم وأحبُّ اليَّ ان أقتل من ان أقتل . وها قد خرجتُ من بلدي ليلًا وسرتُ راجلًا فقطعتُ جبل سنيس مبتعدًا ما استطعتُ عن الطرق المطروقة . ولما بلغتُ اليوم هذه القرية سمعت جرس القداس فشعرت بصوت داخلي ينادي : انَّ الله هو الذي يدعوك . فدخلت وصلّيت وها انا آتٍ لاقرَّ امامك بخطاياي

(قال الكاهن) ثمَّ دخلنا الكنيسة ودام الاعتراف طويلًا اظهر الرجل في اثنائهِ ندامةً عظيمة فلما انتهى وحللتهُ من خطاياهُ قام شاكرًا وقال : يا لله كم خالفني رحوم صالح جواد فلربَّ خنجر يطعن فؤادي اليوم في احدى بُنيّات الطرق ولكن لا بأس من

الموت اذ اقررتُ بخطاياي نادماً عليها من صميم الفؤاد الّا اني اودّ لو تمكّنتُ من تناول القربان المقدّس ان كنتَ لا تراني غير اهل

فاجبتُهُ انّ القلب المطهّر بالتوبة لفي حاجة ماسّة الى ذاك الخبز السماويّ فيقوى بتناول جسد الرب المضحّى لخلاص الخطأة. فبعد ان تناول وشكر خرجنا معاً من الكنيسة فسألتهُ : الى اين الآن انت ذاهب ؟ فاجاب : ابذل جهدي ان ابلغ احدى المدن الساحلية فاركب البحر الى اميركا لكني على ريب عظيم من الوصول اليها سالماً. فعلى الله الاتكال وانت يا ابتِ اذكرني في الذبيحة المقدّسة

قال هذا وسافر ولا اعلم ما حلّ به

٥ الحرز الماسوني

رسمنا في العدد الماضي صورة نوط من النيكل على احد وجهيه الرقم ١ وعلى الوجه الثاني بيكار وزاوية من الرموز الماسونيّة واهل الشيعة قد تقلّدوا بذلك الايقونات التي يحملها النصارى ليتباركوا بشفاعة البتول او القديسين المرسومة عليها صورهم. وقد وقع في ايدينا مثالان لهذه « الايقونة الماسونيّة » واحدة منها أُعطيت في المدرسة العلمانيّة في البلدة كحرز يسهّل لطلّبتها امورهم لدى من يطّلع عليه من الاخوة. والثانية وجدت في احد النوادي حيث يجتمع الماسون . فان ابناء الارملة قد اتّخذوا هذه الرموز كحرز لهم بدلًا من صور اولياء الله بل عارضوا فيها الكنيسة كعادة القرد الذي يحاكي كل ما يراهُ في صاحبه. والماسون اذا تبنّوا طفلًا صغيرًا برضى والديه وسموهُ بسمتهم وعلّقوا على صدره حرزهم الماسوني ويزعمون انّهُ اذا أراهُ يوماً لاحد الاخوان استحقّ منهم المساعدة . وقد اخبرت احدى الراهبات في مستشفى اثنين ان امرأة غريبة جاءت المستوصف تطلب دواء لولدها الصغير المتوعّك المزاج . فاخذت الراهبة الطفل على ذراعيها وجعلت تلاطفهُ فرأت على صدره ايقونة صغيرة غريبة الشكل فسألت امّهُ : ما هذا. قالت المسكينة وهي خجلة : هذه ايقونة الماسونيين. فنفرت الراهبة ولاحت على وجهها امارات الاشمئزاز وشرعت توبّخ المرأة على اقتنائها سمة شيعة مرذولة حرمتها الكنيسة. فكان جواب الامّ التعيسة : « اني اذا انطلقتُ بهذا النوط الى رئيس احد المحافل الماسونيّة نلتُ على الاثر ما احتاج اليه

لمواصلة سفري ». فترى كيف يصطاد الماسون الفقراء بجاثلهم !

وقد رأينا غير هذه الشارات الماسونية وضعوها لزينة الصدر او لربطة العنق فبعضها يمثل الرموز الماسونية وفي بعضها رسوم حيوانات سمجة كقرود وخنازير يزدانون بها بدلاً من الصليب !!

وكذلك اتخذوا بطاقات مصوَّرة للبوسطة رسموا عليها الشعار الماسوني . منها بطاقة وقعت في يدنا فيها عمود «جاكين» وغصن القرَظ (الاكاسيا) والمثلث والشمعدان وصورة رأس طفل يشير باصبعه الى لزوم السكوت وغير ذلك من الخزعبلات الماسونية

٦ السرّ الماسوني الدفين

انَّ للماسون ذوي الرتب العليا الخفيَّة اوسمة ووشاحات يعطونها اصحابهم ويوصون باخفائها غاية جهدهم فيحجبونها عن العيان واذا احسُّوا بمرض مدنف سلَّموها الى احد الاخوان ما لم يمنعهم عن ذلك مانع . روى احد مرسلي رهبنة الآلام (Passionistes) قال : دعيتُ سنة ١٨٦٥ لأعود مريضاً مدنفاً على الموت في بروكلين من احياء نيورك في اميركا وكان المريض المانيًّا ولهُ ابنة وحيدة عريقة في الدين كانت ترغب ايَّ رغبةٍ في خلاص ابيها وهو احد اعضاء الماسونيَّة . فبعد ان استمعتُ اعترافهُ سألتهُ هل انخرط في احدى الجمعيَّات السرّيَّة ؟ فقال : نعم يا ابتِ اني ماسوني لكنَّك تعلم انَّ الماسونيَّة في اميركة ليست بشريرة . فاجبتهُ : كلَّا وانت على شطط فانَّ هذه الشيعة محرومة في ايّ بلد كان فينبغي اذن عليك ان تجحدها وتسلمني كل شعار ماسوني لديك

فاستصعب المريض كلامي لكنَّهُ كان ذا ايمان قدَّيل بتوقيعهِ صورة جحودهِ للماسونيَّة كما كتبتُها لهُ ثمَّ الححت عليهِ بان يعطيني منزرهُ وزاويتهُ وماجلهُ وكتاب الخدم الماسونيَّة وكانت كلها مودعة في خزانة قرب سريرهِ ففعل وظننتهُ مستعدًّا لاستقبال خالقهِ ثمَّ خرجتُ حاملاً تلك الغنائم منشرح الصدر لاني تمكَّنت ان انقذ نفساً من يد الشيطان

وكانت الفتاة التقية تنتظرني في فناء الدار فلما رأتني قالت : « هل اعطاك والدي كل شيء وتصالح مع الله تماماً ؟ » . فأريتها الادوات الماسونية فلمَّا تأمَّلتها قالت

بحزن : « ليس هنا كل شيء وقد بقي كتابة مختومة لا اعلم مضمونها وقد اوصاني والدي أن اسلمها كما هي لرئيس محفلهِ ولاشكَّ انَّ فيها سرًّا مهمًّا » .

(قال المرسل) فرجعت الى المريض وقلتُ لهُ : لمَ خدعتني يا عزيزي انت ماثل قريبًا تجاه منبر الديَّان فهل تظنّ انَّك تنجو من عالم السرائر وانت لم تسلمني كتابةً تحفظها لرئيس المحفل شأن سائر الماسونيين . فامتقع وجههُ واضطربت حالهُ وقال بارتباك : « لا يا ابتِ ما بقي عندي شيء البتَّة » . فالححتُ عليه ولكن عبثًا وكاد ابليس يظفر بغريستهِ بعد ان افرغتُ المجهود في اقناعهِ وهو ينكر وجود الكتابة . على انَّ الابنة الصالحة اذ رأتني تأخرتُ ادركت الامر ففتحت الباب بغتةً وانطرحت على ركبتيها قرب سرير والدها باكيةً صارخة : آه يا ابتاه خلّص نفسك وسلّم لحضرة الاب ما بقي عندك والّا امست ابنتك بعد وفاتك اتعس المخلوقات

قال الاب مضطربًا : انت تعرفين يا بنيَّة اني لم أبقِ شيئًا . قالت الابنة : « دع الكذب يا ابت انك كنت دائمًا حرَّ الضمير فلا يكن لي اسلك سببًا للخجل سلّم الاب تلك الورقة التي اوصيتني ان احملها الى رئيس المحفل »

فلمَّا سمع المريض هذا الكلام صرخ صوتًا عظيمًا وهو يتنهَّد : « لا لا يا بنيَّة لا يكونَ والدكِ سببًا لكدرك وانتِ لم تزالي فرحهُ وتعزيتهُ . فخذي هذا المفتاح واستخرجي منهُ الورقة التي فيهِ » . قال هذا ثمَّ سقط خائر القوى

اما الفتاة فاسرعت كالبرق واحضرت لي الورقة مطويَّة مختومة وقالت : « اشكرك يا رب فقد خلص ابي وتبرَّأ السرُّ تمامًا »

وكان لهذا الجهاد الذي عاينتهُ وقعٌ عظيم في قلبي وادهشتني شجاعة تلك الفتاة . ولم يعش العليل بعدها الّا بضع ساعات قضاها بكل تُقى وورع . وكان آخر ما نطق بهِ تلاوة افعال الايمان والرجاء والندامة . وقد فضضتُ امام ابنتهِ ختم تلك الورقة السرّيَّة فاذا فيها قسمٌ موقع باسمهِ بالدم لا بالمداد . وصورة القسم « انَّهُ يعد باصلاء حرب عوان ضدَّ الكنيسة والبابويَّة والملوك » ويضحّي في سبيل تلك الغاية كل نفس ونفيس والقسم مشفوع بكل اللعنات على من ينكث بوعدهِ . فسلّمت هذه الورقة الى المطران ولم يبق عندنا ريب بشرّ الماسونيَّة الجهنميّ

٧ الاعتراف الماسوني

انشأ السيّد المسيح سرّ التوبة ففرض على الخطأة بان يبوءوا بآثامهم الى الكهنة الشرعيين فاذا تابوا عنها نالوا الغفران بجلّة ممثل المسيح. وهذا السرّ رغماً عما فيه من المشقّة للطبيعة البشريّة يضحي مملوءاً عذوبة باقرار الخطأة الاختياري والصفح عن المآثم بفضل التوبة لأنّ نير الرب ليّن وحملهُ خفيف. وكأنّ الماسونية تقلّدت الاعتراف كما تقلّدت الاسرار لادراك غاياتها . والدليل عليه انّ جريدة البرق (l'Eclair) الفرنسويّة في تاريخ ٣٠ نيسان سنة ١٩١٠ نشرت اللائحة الماسونية الآتية التي يرسلها رئيس محفل باريس للطالبين الانضمام اليها فينبغي على الطالب ان يجيب عليها خطاً :

١ً اين تربّيت وتعلّمت ؟ = ٢ً من اي دين انت او كنت ؟ = ٣ً الى اي مدرسة ترسل اولادك ؟ = ٤ً من اي دين امرأتك واولادك = ٥ً ما هي حالتك الماليّة او اسباب معيشتك ؟ = ٦ً هل انت مستعدّ للموت ؟ = اشرح لنا باسهاب وصيّتك الادبيّة والفلسفية ؟ = ٨ً ما رأيك بالحبّ الحرّ او الزواج الحرّ (اي المحرّر من شرائع الدين) ؟ = ٩ً هل عدم التعدّي على حياة الافراد هو عندك مبدأ مقرّر = ١٠ً ما رأيك في اسقاط الجنين وقتل الطفل = ١١ً ماذا تفهم بحريّة الفكر = ١٢ً أتفهم بذلك وجوب عدم الايمان ؟ = ١٣ً ما هي آراؤك الفلسفية في الله والنفس والارواح والمادّة وهل لك في ذلك آراء فلسفية شخصية ؟ = ١٤ً هل انت من انصار الحرب والتجنّد المستمر = ١٥ً ما هي آراؤك السياسية والالفية = ١٦ً ما رأيك في حقّ التملّك = ١٧ً في حق التصويت العام = ١٨ً في حقوق مجلس الأمة والجمعيات السياسية = ١٩ً الى اي حزب تنتمي واي جمعية ؟ = ٢٠ً هل لك حق الانتخاب ولديك ورقة لذلك = ٢١ً عرّفنا بنوع جلي بطباعك ونقائصك وفضائلك = ٢٢ً هل انت اعزب او متزوّج او ارمل او مطلّق = ٢٣ً هل تبقى اعزب = ٢٤ً هل تتزوّج دينيًا ولايّ سبب = ٢٥ً هل لك اولاد شرعيّون او غير شرعيين = ٢٦ً اين درسوا او يدرسون او سيدرسون = ٢٧ً هل امرأتك ترضى بدخولك بيننا او لا = ٢٨ً هل هي تمارس فروض دينها — ٢٩ً هل ادخلتَ اولادك في دين ما = ٣٠ً وان صار لك اولاد اتدخلهم فيه بعد = ٣١ً كيف تريد ان تُدفن = ٣٢ً ما رأيك بحرق الجثة = ٣٣ً هل تحبّ ان

تمضي وصيةً بخطّ يدك تطلب فيها الدفن المدني = ٣٤ اي جريدة تقرأ = ٣٥ لو أمرت بعمل ما يضاد آراءك فاذا تصنع = ٣٦ ما رأيك في المسائل الحالية كالحرب وفصل الكنيسة من الحكومة والتجسس ؟

فهذه الاسئلة وغيرها ايضاً لم نرَها تفيد بنوع صريح استعباد الشيعة لذويها حتى تستولي على اقصى حركاتهم وسكناتهم فتمتصّ الامّ وحبّذا الابناء

٨ متفرّقات عن الماسونية الشرقية

هذه المتفرّقات من شأنها ان تصوّر الماسونية في هيئتها الصحيحة ننقلها عن كتبة صادقين منهم ماسون ومنهم من جحدوا الماسونية بعد ان انخدعوا بمظاهرها ومنهم من اشتشموا رائحتها الكريهة فعرفوا خبثها عن حسن روّية . وها نحن نقسم هذه المآثر اقساماً على حسب البلاد الشرقيّة التي تختصّ بها

اوّلاً الماسونية المصريّة

وضع السيد مصطفى بن اسماعيل المصري كتاباً طبعهُ في مصر ودعاهُ الهدية الاولى الاسلامية للسالك والامراء في الداء والدواء ، فخصّ فيه (ص ١٢٥—١٣٧) باباً مطوّلاً لداء الماسونية ننقل عنهُ بعض فقراته وفيه شواهد لامة على كفر الماسون ومعاداتهم للاديان قال (ص ١٢٥) :

« ومن العجب العجاب انّ المصريين ختموا صحيفة مروقهم بان استبدلوا مكارم دينهم ومناهج شريعتهم بتعاليم نحلة يسمّونها الماسونية تقضي اساساتُ واجباتها وتحتم مقتضيات سننها بان يوالي المسلمُ من حرّم الله ولايتهم ويزاخي عابد الوثن والاصنام والذين هادنوا وبالجملة صنوف الكفرة والمشركين اخاء يفتديه بالمال والعرض والروح فاذا دعا الداعي الى الانتصار لاخيه الماسوني الوثني مثلاً على مسلم من المسلمين فعهدُ الاخاء لا يلويهِ عن ارتكاب افظع الاضرار وانكر الاساء نحو المسلم المسكين . . .

« وقد عميت ابصار اولئك العلماء الازهريين والقضاة وحملة القرآن الذين اعتنقوا مذاهب هذه النحلة الماسونية عمّا يمارسون مطالعتهُ ليلاً ونهاراً في كتاب الله من احكام ولاية المؤمنين والبراءة من الكافرين الذين استحبّوا العمى على الهدى والحياة الدنيا على

الآخرة ولو كانوا آباءهم وابناءهم او عشيرتهم الاقربين . . . »

ثم نقل الكاتب عدّة اقوال من القرآن تنفي مثل هذا الاختلاط بالزنادقة ويؤنّب ارباب الدين عن تهاملهم مذكرًا لهم بيوم الدين. ولمّا كان المؤلف ممن وقعوا في حبائل الماسونية ثم انار الله بصيرهُ فعرف حقيقة امرها وتبرّأ منها بكتابين ننقل عنهما بعض قطعهما

والكتاب الاول وجّههُ الى السيد الشيخ ابي الهدى مرجع الامامة في دار السعادة « يرجوهُ فيهِ ان يدفع كتاب براءتهِ من النحلة الماسونيّة الى رئيسها المدعو ادريس راغب بك من اعيان مصر وكان نزيلًا اذ ذاك بدار السعادة » ثم شفعهُ برسالة ثانية مطوّلة يبين فيها مساوئ الماسونية . امّا الكتاب الثاني ففيهِ صورة كتاب البراءة للرئيس ادريس بك المذكور

فما كتب للسيد ابي الهدى (ص ١٣٠) : « اني بعثت اليكم بشهادة الماسونية وتقريرها طيّ كتابي لادريس الرئيس ولا اشكّ في انكم تتزلّتم الى دفع هذه الاوراق اليهِ عسى ان يهتدي ويتوب . . . ويرجاء أن يهتدي معهُ اهل مصر الذين ما تركت هذه النحلة منهم شابًا ولا شيخًا ولا اميرًا ولا حقيرًا ولا عالمًا من علماء العمائم ولا اديبًا ولا قاضيًا ولا فقيهًا الّا وكبّلتهُ في اشراكها فكانت العقبى ما تراهُ اليوم من العمل بجميع النواهي ونبذ جميع الأوامر من وصايا كتاب الله فنشت الفاحشة وعمّ المنكر في الاقوال والافعال والحركات والسكنات . . .

« وقد اخترتُ أن ابعث اليكم بكراسة تشتمل على الرسوم الخزعبلاتيّة التي تجريها المحافل الماسونية ابّان تكريس الطالبين لاعتناق هذا الضلال في أوّل درجاته . لتعجبوا من جهل هذه الأمة وسقوطها في أغوار هاويات الغيّ والزيغ باعتبارها الماسونية مستودعًا لاكتساب الفضائل والآداب دون دين الله الذي يتحدى بفضائله وآدابهِ امم العالم من مغارب الاوقيانوس الى مشارق الصين ومن شمال الروس الى ما وراء جنوب الترنسفاليين . وتنظروا كيف ان الاعداء سخّروا هذا القطر بالغلبة على الأخلاق لا بفتح القنابل والرماح . فآخى المسلم عبدة الاوثان والذين عادوا ومن هم على شاكلتهم من فرق المشركين والمنافقين واقتفى آثارهم في عاداتهم ولكن في القبيح منها وتطوّر

باطوارهم ولكن بالفاسد من بينها وتشرّب بمشاربهم ولكن بالتي تؤدي الى بلاء الخزي في الدارين . . .

« وانّا في هذا المقام لا نرى بأساً في استلفاتكم انتم والمتظاهرين معكم بمظهر الاخلاص لسيدنا المطاع امير المؤمنين الى امر القيام بالنصح له في أن يتعهّد بعض الذين نشأوا على التربية الغربية الافرنكية من ابناء وجوه الاستانة المسلمين وشبانهم الذين كنتُ ارى كثيراً منهم أبان لبثي بينهم في دار السعادة قد تفشّى في عروق البابهم دبيب الاضطراب والزيغ بتعاليم هذه النحلة الماسونية فاستهانوا بمكارم تنبيهات دينهم وعلقوا بمفاسد تلك التقاليد الاوربية بحذافرها فتعملون معهُ حفظهُ الله وأدام خلافته على استئصال شأفة هذه البدعة من بين المسلمين في دار السعادة قبل استفحال خطبها ودرءاً للسقوط فيما انتاب اهل مصر من جرّائها من سوء العقبى بضياع دينهم واستيلاء العدوّ عليهم ولصوق الفقر والفاقة بهم واتخذلهم بأمرّ صنوف الاهانة والمقت نعوذ بالله » . نعم القول وكأنّ الكاتب تنبّأ منذ ذاك بما ستأتيه الماسونية من الفوضى في الدولة . امّا كتاب براءته من الماسونية فهذه اخصّ فقراته :

« من عبد الله السيد مصطفى بن اسماعيل الى الوجيه النبيه ادريس راغب بك المستاز برئاسة المحافل الماسونية المصرية

« (امّا بعد) فاني أعتذر الى الله تعالى من جهلي الذي نازعني مع عامل الشبيبة وعنفوان النفس وتزيينات الشيطان الرجيم واستمالات اهل الضلالات فأسأتُ الى نفسي بدخولي في زمرة هذه النحلة أياماً غلبت عليّ فيها سوابق الشقاء لولا أن الله تبارك وتعالى تداركني برحمته وهداني الى تلاوة كتابه العزيز بعين جسمي فوعيت بتوفيقه تعالى بعين قلبي ما سلك بي الى سبيل الادب أمام الحكم الناطق به القرآن في وجوب البراءة من اهل هذه النحلة . وانه حكمٌ لا يسع كلَّ مسلم جهلُ معرفته بحال من الأحوال . وحذاق اهل النظر من المسلمين يدفعون هذه البدعة وينكرون هاته النحلة ويستشهدون على فسادها وعلى كونها ضالّةً مضلّةً . . . » (الى ان قال في الختام) :

« ومن حيث أن ولاية الله تعالى لعبده انما هي توفيقه اياه للطاعة والهداية . فالحمد لله الذي منّ علينا بالهداية وصدق التوبة ومَن تاب فقد تاب الله عليه . ومن حيث أن جنابكم قد امتزتم بالرئاسة لهذه النحلة وثبت لديكم اعترافي بهذا السياق

الذي شهد الله تعالى به والملائكة والعارفون لي من الناس فها أنا مرسلٌ اليكم بشهادة الضلالة وتقرير التثبيت مع هذا الكتاب ليصدر امركم لأهل هذه العصابة (من) رئاستكم بالتعريف والإعلان باقلاعي عنها والبراءة منها لتشهدوا ويشهدوا عليّ بذلك كما شهد الله تعالى وملائكتهُ ومن عرفني من الناس واطمع في الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب مسموعاً لديكم فيوفقكم بمنه وكرمه للهداية . . . وفي هذا القدر كفاية مع ما نظنه من أنكم من وجهاء مسلمي مصر والمسلم لا يسعه جهل هذه الاحكام . والسلام على من اتبع الهدى »

حرّر في يوم الثلاثاء المبارك لثلاثٍ خلون من شهر جمادي الاولى سنة احدى وعشرين وثلاثمائة بعد الالف . انتهى (لهُ بقية)

افتئات المقتطف على نقد المشرق

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد علينا العدد الاخير من المقتطف الذي تاريخهُ « مايو (أيار) سنة ١٩١١ فوجدنا بين مقالاته نبذةً خصّها جناب منشئهِ بمجلّتنا (ص ٤٣٤—٤٣٩) . ومن عجيب ما تحويه هذه المقالة انَّ كاتبها بعد سبع سنوات تنزّل عن رفعة مقامهِ وألقى بنظره السامي الى مجلّتنا التي كاد يجهلها بتاتاً ولولا اشارة بعض اصحابهِ لما عرف انَّ في بلاد الشام مجلّةً تدعى المشرق فاحتاج الى ان يطلبها من المكتبة الخديويّة مع انّنا لم ننقطع عن مبادلتهِ منذ ثلاث عشرة سنة فكأنَّ صاحب المقتطف لم يجد في المشرق ما يستحقّ الالتفات فكان يلقيها بين الاوراق التي لا فائدة من مطالعتها . امّا نحن فنؤكّد لجنابهِ انّنا نطالع نشرتهُ ونتتبّع فصولها باشتياق فاذا رأينا فيها ما يستحقّ الثناء اثنينا عليهِ كما فعلنا في عددنا السابق (٣٩٩) حيث ابدينا سرورنا لما كتبهُ منشئها في ضرورة الدين وان وجدنا ما يستدعي نقداً فعلنا ليس افتئاتاً كما زعم او بغيةً بالنقد الباطل ولكن لرغبتنا الشديدة في تحسُّن المقتطف شيخ المجلّات العربيّة في بلادنا فلا يلقى فيهِ قرّاؤه الّا كل مقالة نفيسة مفيدة خالية من كل شائبة فلا تصدم رجلهم بحجر عثرة

ثمَّ انتقل الكاتب الى نقد ملحوظاتنا على مجلَّة المقتطف في سنة ١٩٠٥ فوجد انَّنا لم نصب المرمى في ستَّة امور عدَّدها وفنَّدها. فقبل اثبات صحَّة نقدنا لا بُدَّ من ملحوظ نقدّمهُ عليها وهو بطلان المبدأ الذي بموجبهِ يتبرَّأ صاحب المجلَّة من تبعة ما يكتبهُ فيها غيرهُ او ينقلهُ عن غيرهِ فانَّنا لا نجهل انَّ المقالات العلميَّة التي يضعها الاختصاصيُّون في مجلَّة ما يكونون هم المسئولين عنها قبل الكل اذ لا يمكن ان يكون صاحب المجلَّة ضليعاً بكل المعارف متعمِّقاً في كل العلوم وكذلك اذا رأى خبرًا علميًّا في الصُّحف الخاصَّة فرواهُ تاركاً فيهِ العهدة على اصحابهِ. وانَّما الامر ليس كذلك في تدوين المقالات الفلسفيَّة والتاريخيَّة والادبيَّة التي تتضمَّن آراء غريبة منافية لمعتقدات كثيرين من العقلاء والعلماء ولارباب الدين فان اثبت صاحب المجلَّة مقالة مثل هذه كان هو المسئول عنها مثل كاتبها ومن ثمَّ اقتضى عليهِ او يرفض تلك المقالة او يدوّنها مع بيان قول الخصوم فيها فلا ينخدع القرَّاء بسماع المهاجم دون ان يعرف براهين المدافع وادلَّتهُ السديدة فان لم يفعل خان الحقيقة التي يجب عليهِ الذبّ عن حوزتها وكان محقوقاً كأنَّهُ هو الذي كتبها

وهذا امرٌ متعارف في الشرع وفي قوانين كل البلاد المتمدِّنة ألا ترى انَّ اصحاب الامر في كل الدول اذا نشرت جريدة او مجلَّة اخبارًا مخلَّة بالراحة العموميَّة او مقالة مهيِّجة للافكار او مضادَّة للسلطة حملوا اوَّلًا على صاحب الجريدة او المجلَّة فحاكموهُ وجازوهُ على فعلهِ وان لم يكن هو كاتب تلك المقالة او ناشر تلك الاخبار لعلمهم بانَّهُ هو صاحبها المسئول. فان كان هذا صحيحاً في امور السياسة كيف لا يصحُّ في ما هو أولى وافضل اعني امور الدين والآداب التي عليها مبنى ترقي العموم كما اثبت صاحب المقتطف في المقالة التي اشرنا اليها سابقاً واطرأناها. وملحوظنا هذا اثبت واصدق في المقالات التي يكتبها صاحب الجريدة او يختارها برضاه ويتصرَّف بها كما يشاء.

فان قرَّ ذلك ادرك صاحب المقتطف الداعي لانتقادنا على بعض كتاباتهِ وان كانت هذه الكتابات ليست الَّا روايات نقلها عن غيرهِ. وسيتَّضح قولنا من ملحوظاتنا الآتية على ما انتقدهُ في المشرق

﴿ الامر الاوَّل ﴾ لامنا صاحب المقتطف اوَّلًا لانكارنا عليهِ ما كتبهُ

في مجلّته (١٩٠٥ ص ٢٩) عن نابوليون وكفره بالمسيح ولسفه على كونه لم يصر بروتستانياً وعدم تصديقه بخلود النفس الى غير ذلك مما تنقضهُ الآثار التاريخيّة وتخالفهُ مرويّات الذين عاشوا مع نابوليون. فكان جوابهُ انهُ نقل عن كتاب اللورد روزبري في اواخر نابوليون وانَّ اللورد روزبري روى عن بعض اصحاب نابوليون ولاسيما غورغو احد اولئك الرجال. ونحن لا ننكر لمانة المقتطف في النقل كما انَّنا نعرف مقام اللورد روزبري بين اكابر عصره ولكن اما كان يحسن بالراوي ان يعرض مثل هذه الشكاوى الثقيلة على ما رواهُ كتبة آخرون يوثق بهم كماسون (Masson) وهوساي (Houssaye) ودوسونفيل (d'Houssonville) وفلنشنجر (Welschinger) الذين أطلعوا على اوراق سريّة مجهولة ونشروا في تواريخهم ما لا يتّفق مع مرويّات المقتطف ويبيّن ما طُبع عليه نابوليون من الدين رغماً عمّا صدر منهُ في حقّ الكنيسة ورئيسها من الظلم لمّا اسكرتهُ سلطتهُ. الّا انَّ نفيهُ الى جزيرة القديسة هيلانة افاقهُ من تلك السكرة وفاه بتلك الاقوال المسجدية التي نقلها عنهُ الجنرال برتران والمركيز دي منتولون عن لاهوت السيّد المسيح وشرف دينه الكاثوليكي ثم مات تائباً منيباً فهذه الشواهد وغيرها كثيرة لو اشار اليها صاحب المقتطف في مقالته لعرفت نابوليون حقّ المعرفة وما بقي القارئ متحيراً مضطرباً في امره

﴿ الامر الثاني ﴾ اخذ علينا ثانياً المقتطف كوننا نسبنا اليه التمييز بين ابناء الله وابناء البشر فجعل ابناء الله نسل آدم وابناء الناس الامم التي كانت في الارض قبل آدم ومنها الشعوب الصفراء مع انَّ وهذا القول هو للسائل الخواجا رشيد فارس ابو ريحان ليس لصاحب المقتطف. نعم الّا انَّ جوابهُ ملتبس فما معنى قوله انَّ «كتّاب النصارى ارتأوا هذا الرأي» وان «احدهم الّف كتاباً عنوانهُ السابقون لآدم الخ» افليس هذا الجواب مثبتاً لقول السائل بأنَّهُ توجد امم سبقت آدم وان قوماً مؤمنين يقولون هذا القول افما كان ينبغي على صاحب المقتطف ان يزيد على جوابه انَّ كل من يعتقد صحّة الاسفار الالهيّة لا يوافقون هؤلاء الكتبة الذين بجحودهم لكلام الله لم يعودوا بنصارى سواء كانوا من البروتستانت او من الروم او من الكاثوليك. افكان يكفي للمقتطف ان يقول فقط انَّ علماء التفسير لا

يوافقون على ذلك كأنهُ رأي عرضي يقوم مع الايمان المسيحي

﴿ الامر الثالث ﴾ اتسع صاحب المقتطف في ردهِ على قولنا بانهُ « وهم في تلقيب ابي الفرج ابن العبري بجمال الدين وجعلهِ ماطية وطنهِ قريةً » فقال انَّ لقب ابن العبري سبقنا الى ذكرهِ في مجاني الادب (٤ : ٣٠٥) وورد في دائرة المعارف وفي آثار الادهار . نقول ان روايتنا لهذا اللقب كانت في سنة ١٨٨١ لمَّا طبعنا مجاني الادب فوجدناهُ في كتاب كشف الظنون للحاج خليفة (٥ : ٣٨٧) ولعلَّ صاحب دائرة المعارف ومؤلف آثار الادهار نقلاهُ عنهُ وعلى كل حال انَّ هذه الترجمة التي نشرناها وقتئذٍ لا تزيد على بضعة اسطر وقد نشر حضرة الاب صالحاني ترجمة اوسع في مقدَّمة تاريخ مختصر الدول ثم نشرنا بعد ذلك فصولاً مطوَّلة عن اخبار ابن العبري وتآليفهِ في السنة الاولى المشرق جمعناها في كتاب منفرد في ٧٢ صفحة فما كان احرى بكاتب المقتطف أن يشير الى السائل بتراجمهِ وليس هناك اثر للقب المذكور والظاهر انَّ هذا اللقب هو لابي الفرج ابن الجوزي فأُطلق سهواً على ابن العبري . وتجد في كتابنا ايضاً ان ماطية كانت حاضرة ارمنية الصغرى ومن احفل مدن تلك البلاد بالسكان في ايَّام ابن العبري ولا تزال حتى اليوم عامرةً فلا يجوز ان تُدعى بقريةٍ استناداً الى مؤلف دائرة المعارف

﴿ الامر الرابع ﴾ ثمَّ عاتبنا صاحب المقتطف لردودنا عليهِ في مسألة « الجواد العالم » وقال انَّ كلامهُ عن ذلك الجواد روايةٌ لما جاء في مجلة المجلات الانكليزيَّة . نعم انَّنا نقرُّ بانَّ كاتب المقتطف في آخر المقالة ابدى ارتيابهُ في صحة رواية المجلة الانكليزيَّة بل كان الاحرى بهِ ان ينكرها قطعياً كما نفى الامر بعد ذلك في عدد آخر فنشكرهُ على هذه الافادة ويا ليت مجلة الهلال التي افتت بادراك ذلك الجواد ونطقهِ اسرعت الى تكذيب الخبر كما تسرَّعت في نشرهِ

﴿ الامر الخامس ﴾ رأى صاحب المقتطف انَّنا لم نصب في تخطئتنا لهُ في ما كتب في الصفحة ٤٩٨ من السنة ١٩٠٥ عن تسلسل الانسان والقرد من اصل واحد . والصواب انَّنا في المشرق (٨ : ٦٢٦) نقلنا ما رواهُ جنابهُ عن « برنارد اون » المدَّعي بهذا التسلسل « من اصل واحد في سلسلتين مختلفتين » ثم اثبتنا هناك ما قالهُ المقتطف ردًّا على هذا الخطأ . والمقتطف مصيب في هذه التخطئة التي كنَّا رددنا

ان تكون اصرح واوضح لينفي ما ورد مراراً في مجلّته في رأي النشوء الباطل فانَّ الاختلاف بين القرود والانسان ليس هو فقط « هوّة عقليّة لا يُسبر غورها » بل اختلاف الناطق عن غير الناطق واختلاف وجود الشيء وعدمه مهما كان بين الحيوان الاعجم والانسان من الشبه في الصورة والتركيب الهيولي . فرجاؤنا انَّ صاحب المقتطف يتبع في ذلك رأي العلماء الاثبات الذين يزيدون كل يوم ابتعاداً عن مذهب دروين في تسلسل الموجودات وترقّيها من الجماد الى النبات الى الحيوان الى الانسان ويتمسّك بمبادئ المقالة التي ترجمها عن ورخوف الالماني الشهير (في المقتطف ١٥ : ٦٤١) وهي تنافي المذهب الدروويني كل المنافاة

﴿ الامر السادس ﴾ كذلك احتجَّ صاحب المقتطف علينا لاستغرابنا ما دوَّنهُ في مجلّته (السنة ١٩٠٥ ص ٤٦٠) وذلك فصل عنوانهُ « دفاع الكلاب » عن لسان كاتبة انكليزيّة والحقّ يقال انّنا رأينا فيه ما يتجاوز حدود الذكاء والفطنة في الحيوان كما اشار اليه في مقدّمة القصّة وعلى كل حال انَّ تعقيب القصّة بما يدافع فيه الكلب عن نفسه ويفضّل ذاتهُ على الانسان من الامور المزليّة التي لا تليق بمجلّة علميّة كالمقتطف ويعتبر صاحبها ذلك الدفاع في آخر المقالة « تعقيباً حسناً » وان اعتبرهُ علماً حلت به الكاتبة فسطّرتهُ بنيّة سليمة وهو لم يحتمل البحث العلمي

فيرى منشئ المقتطف أنّنا في ردودنا السابقة لم نأتِ شيئاً غريباً . وغاية ما نتمنّاهُ ان تكون مجلّتهُ في مقدّمة المجلّات العربيّة الشرقيّة في ابحاثها العلميّة كما انّها ارقاها سنا واوسعها نفوذاً ان شاء الله

تاريخ جديد للكنيسة الارمنية

نظر للاب فرنسوا تورنيفز اليسوعي

تشبه الكنائس الشرقيّة دوحاً باسقاً متأصل الجذور في اعماق الارض ولوف الاغصان وقد امتدّت فروعها الى البلاد السحيقة فاظلت شعوباً عظيمة

لكنَّ اخبار تلك الكنائس بقيت زمناً طويلاً مجهولةً او مدفونة في خزائن بعض المكاتب لا يُعرف منها الّا النزر القليل حتى قام في هذه المدّة الاخيرة قوم من ارباب الهمّة فاستخرجوا تلك الكنوز من معادنها

ومن جملة الكنائس التي خرجت اخبارها من ليل الظلمات الى نور الوجدان الكنيسة الارمنيَّة التي بقي تاريخ اصولها ملتبساً حتى احيتهُ الآثار المكتشفة حديثاً وافرزت صحيحهُ من سقيمهِ . الّا انّنا نمتعض اذ نرى بعض الكتبة ينبذون ظهرياً شواهد التاريخ الثابتة فيبدلونها باوهام استولت على عقولهم فاعمت بصائرهم عن محجّة الحق . ولنا الى ذلك دليل باهر فتاريخ السيد اورمانيان بطريرك الارمن الغريغوريين الذي عنوانهُ الكنيسة الارمنيَّة وتاريخها وتعليمها وآدابها وحاضرها (١ نشرهُ في اللغة الافرنسيَّة في باريس

فانَّ هذا الكتاب يكاد يشمل كل الابحاث المختصَّة بالبيعة الارمنية كتاريخها القديم والحديث ومعتقداتها ونظامها وطقوسها وآدابها لولا انَّ كثرة هذه المسائل قد شغلت المؤلف عن التدقيق الواجب والاستقصاء المفروض . وما يستدعي الاسف فوق ذلك انَّ النتائج التي يستخلصها المؤلف من بعض المرويَّات هي مخالفة تماماً لاصدق الاخبار واوثق الشواهد التاريخيَّة

فمن ذلك مدَّعى السيد اورمانيان بانَّ الكنيسة الارمنيَّة كانت دائماً ابدًا مستقلة لا تنقاد لاوامر غيرها والسبب الذي يسند اليهِ هذه الدعوى انَّ تلك الكنيسة قد انشأها القديس تدَّاوس احد تلامذة السيد المسيح السبعين مع القديسين الرسولين يهوذا المدعو ايضاً تدَّاوس او لبَّاوس ثمَّ برتلماوس . وعلى رأينا انَّ في هذا المزعم قضيَّتين باطلتين : الاولى نظريَّة والثانية وضعيَّة فالقضية النظريَّة انَّ كل كنيسة انشأها احد الرسل هي كنيسة قائمة بذاتها مستقلة من حيث اصلها الرسولي والقضيَّة الوضعيَّة انَّ الكنيسة الارمنية راقية الى الرسل أنشأوها رأساً وكلا القولين باطل

من الامور الثابتة التي لا يختلف فيها اثنان ويؤيدها تعليم الانجيل والتقليد المتواصل وقوانين المجامع انَّ السيد المسيح اراد انشاء كنيسة واحدة نظاميَّة وليس كنائس منفصلة مختلفة عن بعضها . وما من احد ينكر انَّ هذه الوحدة او على الاقلّ هذا الارتباط الوثيق مستحيل ان لم يوجد بين اعضاء هذا الجسم الادبي رابط حقيقي يجمع بين اقسام كنيسة المسيح ويجعلها مشمعةً منظَّمةً ولا اتّساق ولا نظام الّا ان

(١ وهذا عنوانهُ : MALACHIE ORMANIAN : *L'Eglise arménienne, son histoire, sa doctrine,* in-8, 192. Paris, Leroux.

يكون لها رأس منظور تنقاد اليهِ وتخضع لهُ . فان فُقِد ذاك الرأس تضعضع الجسم وتفرَّقت اعضاؤهُ وفسدت شأن الغصن الذي ينكسر وينفصل عن الشجرة الام فلا يلبث ان يذوى ويجفّ ويعدم كل ثمرة

ومن خواصّ هذه الكنائس المنفردة المعروفة بالوطنيَّة انَّ الحياة الروحيَّة فيها تفنى شيئاً فشيئاً حتى تكاد تصبح شبيهة بالجثَّة المحنَّطة التي ليس لها غير صورتها الخارجيَّة وكذلك لا تجد في هذه الكنائس اثرًا للغيرة الرسوليَّة وهي لا تفكِّر في غير عنصرها وجنسيَّتها فهيهات ان تكون هذه كنيسة المسيح الذى امر تلاميذهُ قائلًا : « اذهبوا وتلمذوا الامم كلها » فلو اراد الرب كنيسة وطنيَّة لاقتصر على العنصر اليهودي واهمل تلك الامم مع كونهِ سفك دمهُ الزكيّ لاجلها وليس في المسيح كما قال الرسول لا يهوديّ ولا وثني ولا اقلف ولا مختون ولا يونانيّ ولا بربريّ بل كل الشعوب اصبحت اخوةً مرتبطة برباط الايمان الواحد والتعليم الواحد والرئاسة الواحدة فشتَّان بين كنيسة المسيح والكنائس الوطنيَّة الخالية من النظام الشرعيّ

وهذه الوحدة لا يمكن الَّا الاقرار بها لان السيِّد المسيح ما امكنهُ ان يتغاضى عنها والعقل السليم يقضي بها لئلَّا تصير الكنيسة فوضى لا رئيس لها - وان فتحنا الانجيل وقفنا على الآيات المنيرة التي تجاهر بها اخصُّها قول الربّ لبطرس الهامة (متى ١٦ : ١٥ — ١٧) : « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها »

هذه الآية في الترجمة الارمنيَّة واضحة وضوحاً اعظم من الترجمة الآرامية والترجمة السريانية فان العبارة انت الصفاة وعلى هذه الصفاة في الارمنية ([illegible]) تدلُّ على انَّ الرسول بطرس هو الذي يخوّلهُ السيد المسيح السلطة ليكون اساساً لكنيستهِ والاساس المحكيّ عنهُ لا يُراد بهِ هنا شخص المتكلِّم او الرسل عموماً بل شخص المخاطب المفرد اي سمعان بطرس فلو قصد المسيح ان يشير الى نفسهِ او الى الرسل لقال ([illegible]) او ([illegible]) فبقولهِ ([illegible]) أزال كل التباس

ولا إخال المؤلف يجهل النصوص الارمنيَّة التي وردت في تآليف عديدة لجثالقة ارمن منذ خمسة عشر جيلًا وكلّها تصرّح بان السلطة التامَّة على الكنيسة جمعاء قد أُعطيت للقديس بطرس ولخلفائهِ على كرسيّ رومية . وكأنَّ السيد اورمانيان نفسهُ

قد اقرّ بذلك اذ اثنى على بطاركة الارمن الذين عاشوا في القرن السادس عشر والسابع عشر واكثرهم قد جاهروا باعتقادهم لرئاسة الكرسي الروماني واعلنوا بسلطته وكتبوا في ذلك الكتابات المنبئة بمعتقدهم

ومنذ تجدّد كرسيّ اتشميازين في سنة ١٤٤١ الى غاية القرن السادس عشر لم يجد السيد اورمانيان من يستحق ذكرًا بين بطاركته ميخائيل السيواسي (١٥٤٢—١٥٧٠) لكنّهُ اغفل ذكر ما ابداهُ من الخضوع للكرسيّ الرسولي ولا نخالهُ يجهل انّ ذلك الرجل الشهير ارسل الى رومية نائبهُ ابجر الطوقاتي وسلّمهُ كتاباً بخط يدهِ الى البابا بيوس الرابع حيث يقول « كل ما تأمر بهِ قداستكم لرسولي اليكم نقبلهُ باطيب خاطر » . ولمّا دخل ابجر على نائب السيّد المسيح اعترف علانيةً « بانّ الحبر الروماني هو رأس العالم المسيحي كلّهِ وراعيهِ » (١

وقد اثنى السيّد اورمانيان ثناء اطيب على الجاثليق يعقوب الرابع الجلفاوي (١٦٥٥—١٦٨٠) ونعم ما فعل لانّ هذا الحبر الجليل يكرمهُ جميع الارمن حتى يومنا ويزورون قبرهُ في الاستانة حيث كانت وفاتهُ . وقد اخذنا العجب لما قرأناهُ في تأليف السيّد اورمانيان عن هذا الجاثليق حيث يزعم انهُ كان معادياً للكاثوليك . افلا يعلم سيادتهُ انّ يعقوب الرابع كان يودّ ان يسافر الى رومية ليقدّم لحبر الاحبار « الاقرار بخضوعهِ البنويّ لشخصهِ » وانهُ كتب رسالةً ختمها بحضور القاصد الرسولي السيّد غسباريني (Gasparini) والمرسل اليسوعي گيلي (Guilly) وكان مضمونها دستور ايمانهِ وفيهِ كلام اضوأ من النور في الرئاسة البطرسية قال : « واني اؤمن واعترف ان الكنيسة الرومانيّة العظمى الرسولية الكاثوليكيّة المقدّسة تملك السلطة التامّة العموميّة والعليا والرئاسة والسلطان (Plenum potestatis) على كل الكنيسة مطلقاً » (٢

١) راجع كتاب بلجي (Balgy) في رئاسة الكرسي الروماني وهو مطبوع بالارمنية في نيانًا سنة ١٨٥٣ (ص ٢٦٥-٢٦٦) وتاريخ ريناldي (Raynaldi) في حوادث سنة ١٥٦٤ (عدد ٥١) ومقالتنا عن ابجر الطوقاتي المنشورة في المعجم التاريخي الجغرافي الذي يسعى بطبعهِ السيد بودريار في باريس

٢) راجع كتاب بلجي المذكور ص ٢٧٥و٢٧٦ وكتاب المخطوطات الارمنية للاب داشيان ص ١١٢

فترى ان المبدأ الذي استند اليهِ السيد اورمانيان لا تعترف بهِ الكنيسة الارمنيَّة وانَّ انشاء الكنائس على يد الرسل ليس بحجَّة لاستقلال تلك الكنائس بالسلطة . ولكن هل يا تُرى يمكن السيد اورمانيان ان يثبت تاريخياً نشر النصرانيَّة في ارمينية على يد الرسل وانشاء كراسي اسقفيَّة فيها بواسطتهم ؟

قد راجعنا ما كتبهُ المؤلف في هذا الشأن وما قدَّمهُ من الادلَّة لاثبات زعمهِ فرأينا احتجاجهُ ضعيفاً وان حقيقتهُ التاريخيَّة ليست بمكينة . فانَّ تبشير التلميذ تدَّاوس او ادّي في ارمينية لا يستند الَّا الى قصَّة انجر ملك الرها وهذه القصَّة يعدّها العلماء في يومنا مصنوعةً . فانَّ اوَّل ملك تنصَّر في الرها انَّما هو انجر التاسع في القرن الثالث للمسيح فتصرَّف الرواة بهذا الخبر واستبدلوهُ بملك آخر يُدعى انجر ايضاً ويلقَّب بارخاما اي الاسود وهو الخامس من اسمهِ والمعاصر للسيِّد المسيح وبناء على ذلك اخترعوا رسالةً بين السيِّد المسيح والملك انجر وشفعوها بخبر تبشير تدَّاوس او ادّي في الرها بايعاز الرسول يهوذا او تدَّاوس المعروف ايضاً بلبَّاوس

وهب اننا سلمنا بصحَّة هذه القصَّة وبتنصُّر انجر في عهد المسيح فماذا يستنتج الارمن من ذلك ؟ فانَّ الرها ليست من بلاد الارمن وقصَّة انجر تؤكد انَّ التلميذ ادّي او تدَّاوس توفي في الرها وان هناك قبرهُ . فالارمنيّ الذي نقل هذه القصَّة في القرن الخامس سكت عن موتهِ في الرها واخبر انهُ سافر الى جهة الشرق اعني الى جهات ارمينية وانهُ فيها توفي شهيداً (١ وزاد القصَّة مبالغة

وكأن السيد اورمانيان شعر بضعف هذه الاسانيد وسقم قصَّة ادّي احد السبعين تلميذاً فعمد الى رواية اخرى احدث عهداً التي تنسب دعوة بلاد الارمن الى الرسول تدَّاوس او لبَّاوس وهو يهوذا احد الاثني عشر الَّا انَّ هذه الرواية اسقم من القصَّة السابقة كما يتَّفق عليهِ اليوم العلماء الاثبات الذين تعمقوا في درس الآثار

١) اطلب الصفحة ٤٦ من كتاب العلامة فيلبس (Phillips) الذي عنوانهُ تعليم ادّي (Doctrine d'Addai) وقابلهُ مع الترجمة الارمنية التي نشرها الاب اليشان (ص ٨ و ٢٨ و ٤٥–٤٦)

النصرانية القديمة. فعليه ان يراجع مثلاً ما كتبهُ العلّامة اوتو بَرْدِنهور (١ في الطبعة الثالثة من كتاب اعمال الآباء في مادّة تدّاوس او لبّاوس وعن تبشيره في مدينة الرها فيثبت ان قصّة الرسول تدّاوس او لبّاوس انّما هي ذات قصّة التلميذ تدّاوس او عديّ التي تصرّف فيها الكتبة فضاعفوها وجعلوها قسمين . ولدينا في المنقولات اليونانية الراقية الى القرن السادس والسابع كالميناون والتأليف المنسوب الى دوروطاوس نحو سنة ٥٢٥ ما ينافي الرواية الارمنيّة فانّ اولئك الكتبة يجعلون استشهاد الرسول تدّاوس وقبرهُ في بيروت (٢ فهذه الآثار كما ترى لا توافق زعم السيد اورمانيان . وكذلك ميخائيل الكبير في كتاب تاريخه نقل هذه الرواية لكنّ مترجمهُ الى الارمنيّة المسمّى اسحاق زعم ان بيروت احدى مدن ارمينية الداخلية (٣

وزعم غيرهم انّ القديس برتلماوس الرسول بشّر في ارمينية الّا انّ روايتهم ليست باثبت سنداً وذلك لانّ اقدم المؤرخين الارمن الذين رووا هذا الخبر كموسى الخوريني وزينوب دي غلوغ عاشوا بعد القرن السابع وليسوا بثقة ثمّ انّ الاخبار التي تروي دعوة القديس برتلماوس في ارمينية تشبه في امور كثيرة ما يُخبر عن غيره من المبشرين في اواخر القرن الثاني واوائل الثالث ولاسيما في قضية ادّي والابجر والعلاقة بينهما ظاهرة فيقال هناك انّ الرسول القديس توما ارسل برتلماوس الى بلاد

١) PATROLOGIE von Dr Otto Bardenhewer. p. 86, 3e ed., Fri-bourg - in-B., 1900, Herder

وهذه الطبعة الثالثة قد اتقنها صاحبها وزاد عليها واستفاد من المطبوعات الجديدة وقد اثبت هناك (في مادّة تدّاوس) انّ موسى الخوريني الكاتب الارمني الذي كان العلماء يعدّونهُ من القرن الخامس هو في الحقيقة احد كتبة القرن السابع (ص ٥١٢–٥١٥) وانّ كثيراً من الروايات التي نشرها في تبشير بلاد الارمن على عهد الرسل لا يوثق بصحّتها . وتجد في هذه الطبعة نصوصاً عديدة وشواهد لاقدم الآباء في رئاسة الكرسي الرسولي كشهادة اقليمس البابا تلميذ القديس بطرس وخانغو (ص ٣٥) وشهادة القديس اغناطيوس النوراني (ص ٣٠و٣٨) وشهادة القديس قبريانس (ص ١٧٠) وأبطاطوس الميلوي (ص ٢٧٠) الخ

٢) راجع ما نقلهُ عن احد مخطوطات قيسانّا الدكتور دوبشوتس (Dobschütz) في كتابهِ النفيس « صُوَر المسيح ورُسلهِ » (ص ١٨٨)

٣) راجع الصفحة ٢٦٦و٢٦٦ من ترجمة هذا التاريخ الارمنيّة المطبوعة سنة ١٧٦٨ جمعهُ العلّامة لنغلوا (V. Langlois) وقابلها بالاصل السرياني الذي اهتمّ بنشرهِ الاب شابو Chabot سنة ١٨٩٩ ص ١٤٧ من المجلّد الاوّل

الارمن فنصر اوكوغي اخت الملك سنادروغ فحنق سنادروغ على الرسول بسبب ذلك فامر بان يُسلخ حيًا وذلك السنة العشرين بعد استشهاد تدّاوس (١

فان كان احد يكتفي بهذه الشواهد المتأخرة ويدافع عن تبشير الرسل بين الارمن كما يُذكر في السنكسار فلا بأس وانّما لا يجوز لهُ ان يوجب على غيره تصديقها الى أن يأتي بحجج اقدم واثبت ولاسيما انَّ القديس يوحنا فم الذهب سبق وصرّح في احد مياميره (الميمر ٢٢ على شرح رسالة القديس بولس الى العبرانيين (Migne, P. G., vol. 63, col. 179) قائلاً انّنا نعرف حق المعرفة قبور القديسين الرسل بطرس وبولس ويوحنّا وتوما امّا بقيّة الرسل فلا احد يعلم اين دُفنوا

ومن هذا يتّضح قولنا بانَّ القضيّة الثانية التي استند اليها السيّد اورمانيان للدفاع عن استقلال الكنيسة الارمنيّة الغريغورية لا يوجب اقناعا

هذا وفي كتاب السيّد المذكور مسائل اخرى كان ينبغي علينا ان نعمل فيها النظر لننتقدها لولا ضيق المجال. ونحن على يقين بان العلماء لا يوافقونه في ما كتب عن تاريخ الكنيسة الارمنيّة في القرون الثلاثة الاولى كقوله ان القديس غريغوريوس المنوّر رسول الارمن جعل كرسيّهُ في ڤلارشاباد (اتشميازين) والصواب في شمالي غربي بحيرة وان. وكذلك لا يجوز القول قطعيًا بان القديس جعل ذلك الكرسي مستقلاً خلافاً لما كان جارياً في كل النصرانيّة بل كان كرسيّهُ متحدًا مع مركز السلطة الرومانيّة بواسطة كرسي قيصاريّة حيث كان وقتئذٍ الاسقف لاونطيوس

وفي الكتاب ايضا مزاعم غريبة كقوله ان الاسرار المقدسة كان عددها في اوائل الكنيسة اثنين فقط. واغرب من ذلك زعمهُ ان الكنائس التي معتقداتها اقلّ عددًا هي افضل مقاماً فيكون على هذا المبدأ الفرافقة افضل من المؤمنين والنبذون لكل وحي اولى من قابليه. ومثلهُ غرابةً زعمهُ ان اصلاح كنيسته يتمّ بتخويل رتبة الاسقفيّة لكهنة متزوّجين

فترى انَّ هذا التاريخ الجديد ليس من شأنهِ ان يزيدنا علماً بالكنيسة الارمنيّة او يمهّد السبيل لاتّفاق الكنائس بل هو حجر في سبيل البسطاء. لاسيما الارمن الغريغوريين الذين لا يمكنهم ان يمحّصوا اقاويل بطريركهم

(١ اطلب حياة القديسين بالارمنيّة للاب اوشر (J. B. Aucher) ج ٩ ص ٤٤٠

ومن اراد ان يقف على صحة كثير من هذه المسائل التي شوّهها السيد اورمانيان فعليه بكتاب وضعناهُ نحن ايضاً مؤخرًا في تاريخ ارمينية السياسي والديني حيث سعينا جهدنا في درس آثار الارمن القديمة والتمييز بين صحيحها وسقيمها وغثها وسمينها منذ اوّلها الى اواخر القرن الرابع (١ ومع ما نعلم من تقصيرنا في امور كثيرة لم نلقَ حتى الآن في ما كتبهُ عنهُ العلماء في المجلاتِ الّا التنشيط والثناء مع ملحوظات عرضيّة كنّا سبقنا واشرنا اليها في مقدّمتنا. فان شاء الله نتابع هذه الابحاث ونتمنّى ان يجارينا في البحث كل محبي التاريخ الارمني. والسلام

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثالث

النصرانيّة بين عرب النور والسلط والبتّنية

انّ نهر الاردن المعروف بالشريعة بعد خروجهِ من اغوار حرمون في جهات بانياس وجريهِ جنوباً فتتكوّن منهُ بحيرة الحولة يصب في بحر الجليل ثمّ يخترقهُ فيسيل متحدرًا الى الاعماق بين ضفّتين ترتفعان شرقاً وغرباً حتى يبلغ تحدُّرهُ نحو ٣٠٠ متر تحت سطح بحر الشام وينتهي الى بحر لوط فتلك الناحية التي يقطعها الاردن تدعى بالغور. وليست تلك الجهة ميلاً للنهر فقط بل تتّسع ضفافها وترتفع بالتدريج في سعةٍ يقدَّر معدّلها نحو ١٠ كيلومترات فيها البقع المخصبة والنواحي العامرة والعيون المتدفقة

وان لحظت عبر الاردن. وجدت وراء ضفافهِ شرقاً بلاداً واسعة تعلوها الجبال الشاهقة كجبل عجلون وجبل جلعاد وجبل نبو الى جبال مؤاب بينها المشارف

١) هذا اسم الكتاب:

HISTOIRE POLITIQUE ET RELIGIEUSE DE L'ARMÉNIE par François Tournebize, depuis les origines des Arméniens jusqu'à la mort de leur dernier roi (1393), *Paris, A. Picard*, 1911 in-8°, 872,

الفسيحة والاودية الكثيرة الخيرات والمناجع الطيّبة كالسلط والبلقاء وصحاري مؤاب تتّصل شمالًا ببادية الشام وجنوبًا بنواحي كَرَك وجهات النبط وشبه جزيرة سينا فهناك سكنت شعوب كبيرة كالعمونيين والموابيين والمديانيين. وكانت قبائل العرب البادية والحاضرة ممتزجة معها تتنقّل في جهاتها من اريافها الى صرودها طلبًا للمراعي او تسكن في المدر فتعنى بالفلاحة

فالنصرانيَّة وجدت لها في تلك الاقطار كلها بين اهلها المطبوعين على شظف العيش وسذاجة الاخلاق وبجانبة الترفه والبذخ تربةً صالحةً ما كاد يقع في ظهرانيها الزرع الجيّد حتى نما ايَّ نموّ. وكان حلول المسيحيين الاوّلين في تلك الجهات قليلًا بعد صعود الربّ ولاسيما لمّا ثار الاضطهاد الاوّل على تلاميذ الرسل (اعمال ٨ : ١) ولمّا جاء الرومان لمحاصرة اورشليم اذ خرجوا الى عبر الاردن بوحي من الربّ فاستوطنوا انحاءه كما اخبر ارسابيوس. ولا شكّ انهُ نال العرب قسمٌ من تلك النعم الروحيَّة التي افاضها الله على سكّان تلك الاصقاع فدانوا بدينهم

ومن الادلة التي تناقلوا بالتقليد فدوّنها المؤرخون تنصّر الضجاعمة الذين سبقوا الغسّانيين في ملك البلقاء. وقد حفظوا لنا اسم احد امرائهم فدعوهُ دؤاد بن الجولة المعروف باللثق وجعلوا مقامهُ في مادبا (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٥٣) وذلك في اواخر القرن الثاني للمسيح (١

ولمّا انتهى طور الاضطهادات على المسيحيين في القرن الرابع قسمت تلك النواحي ايالتين مدنيَّتين فدعيت الواحدة بفلسطين الثانية كانت حاضرتها مدينة بسان والاخرى فلسطين الثالثة كانت حاضرتها مدينة بترا او سلع. وقد بلغ عدد الكراسي فيها قبل الاسلام نيفًا واربعين كرسيًا يُعرف اسماء كثيرين من اصحابها الذين دبّروها ورعوا مؤمنيها فناهيك بذلك شاهدًا صادقًا على امتداد الدين المسيحي في العرب

وكان اكثر الدُعاة عمّالًا في نشر النصرانيَّة نسّاكها وسيّاحها الذين كانوا اتّخذوا لهم مآوي ومحابس يسكنونها معتزلين عن الناس ليعيشوا فيها عيشة الملائكة بالزهد

١) قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (طبعة ليبسيك ص ٣١٩) : « والضجاعم كانوا ملوكًا بالشام قبل غسّان ومنهم داود اللثق الذي يضاف اليه دير داود بالشام وقد ملك زمانًا (والضجاعم هم بنو ضجعم بن سعد بن سنيح بن عمران بن الحاف بن قضاعة)

وضروب المناسك الرهبانيّة فكان مثلهم يعمل في قلوب العرب خصوصاً ويجتذبهم الى دين اولئك الابرار فيطلبون منهم نعمة المعموديّة

ومما اخبر به القديس هيرونيموس في ترجمة القديس هيلاريون انّ هذا السائح الجليل الذي تنسّك في جهات غزّة سار الى مدينة الخلصة (Elusa) في البرّية جنوبي بحر لوط ليعود احد تلامذته وكان اهلها يدينون بالوثنيّة ويكرمون الزهرة على شكل حجرة فوافق وصوله اليها يوم عيد الزهرة فلما بلغهم قدوم القديس خرجوا لاستقباله واكرموه اكراماً جزيلاً مع نسائهم واولادهم وكانوا يطلبون بركته وكان قوم منهم نالوا بدعائه الشفاء من امراضهم فجعلوا يتوسّلون اليه بان يقيم بينهم فوعدهم بان يفعل اذا نبذوا عبادة الحجارة وآمنوا بالسيّد المسيح . فاجابوا الى طلبته ولم يدعه يخرج من بلدتهم حتى اختطّ لهم حدود كنيسة يقيمونها وكان ممّن تنصّروا على يد القديس كاهنهم وسادن اصنامهم . ومنذ ذلك الوقت وردت عدّة آثار عن نصرانية في الخلصاء ولما ساقتها منهم واحد يسمى عبد الله وسنذكر اعمالاً أخرى لهيلاريون

وممن دخلت النصرانيّة بينهم في تلك الانحاء امّة النبيط او النبط فهؤلاء كانوا ايضاً من العرب فأنشأوا دولة عظيمة ومصّروا لهم الامصار واتخذوا لهم مدينة عظيمة يدعونها بترا او سلع لا تزال آثارها الفخيمة تدهش كلّ من يقصدها . وقد مر لحضرة الاب جلابوت (المشرق ٨ : ٩٦٥—٩٧٣) وصف بعض ابنيتها العاديّة . وكان ظهور النبط نحو القرن الخامس قبل المسيح وما لبثوا ان اشتدّ ساعدهم واستفحل امرهم وصار لملوكهم شهرة واسعة واستقلّوا بالملك في القرن الثاني قبل المسيح وكان اوّلهم « الحارث الاوّل » ودام ملكهم الى العشر الاوّل من القرن الثاني بعد المسيح حيث تغلّب الرومان على بلادهم وكان آخر ملوكهم مالك او مليكوس الثاني (١٠٣ — ١٠٧) واصبحت بلاد النبط اقليماً رومانياً يتولّاه احد حكّام رومية

وكانت بترا معبراً لكلّ القوافل القادمة من مصر الى دمشق ومن جزيرة العرب الى فلسطين ومن العراق الى مصر ولذلك ازدادت ثروتها واشتهر اهلها بالمتاجرة . وبلغتها النصرانيّة قبل غيرها من مدن النبط وترى استيريوس اسقفها يلعب دوراً مهمّاً في عهد قسطنطين لمعاكسة البدعة الاريانيّة . ثم انتشرت النصرانية في بقية النبط

١) اطلب اعمال الآباء اللاتين Migne P. L., XXIII. col. 42

وتأصلت فيهم وثبتوا عليها حتى بعد ظهور الاسلام بمدة حتى انَّ بعض الكتبة يدعون نصارى العرب نبطاً . ولك مثال على ذلك في بعض مقامات بديع الزمان في المقامة القزوينية حيث جعل نصابهُ ابا الفتح الاسكندريّ نبطيًّا فيقول متظاهرًا بالاسلام :

ان اكُ امنتُ فكم ليلةٍ جحدتُ فيها وعبدتُ الصليبْ

وكذلك ضرب شعراء العرب المثل برهبان مدين وزهدهم . قال كثير عزَّة :

رهبانُ مدينَ والذين عهدتُم يبكون من حذر العقاب قعودا

وكانت نواحي الغور على ضفتي نهر الاردن اديرة عديدة يُعرف منها نحو العشرين قد اكتشف بعضها حضرة رئيس مدرسة الصلاحيَّة الفضال الاب ي . ل . فدرلين (R . P . J . L . Féderlin) ووصف اخربتها وصفاً مدققاً في مقالاته الفريدة التي نشرها في مجلة الارض المقدَّسة (١ في السنين ١٩٠٢ و ١٩٠٣ و ١٩٠٧ ولا شكَّ انَّ رهبان تلك الاديرة اجتذبوا الى الدين المسيحيّ من كان يجاورهم من عرب الحضر . بل لدينا دلائل على ترهب بعض اولئك العرب المتحضرين في هذه الاديرة اشهرهم القديس ايليا البطريرك الاورشليميّ فهذا كان عربيّ الاصل رحل من بلده الى دير نطرون في مصر وبعد ان ارتاض في الآداب الرهبانيَّة سكن مدَّة في دير ساباس على ضفة الاردن اليُمنى ثم رُقّي الى رتبة البطريركيَّة فدافع عن الايمان بغيرة شديدة حتى فضَّل النفي على موافقة المبتدعين ومات في أيلة سنة ٥١٣

وممن يستحقّ ذكرًا خصوصياً في تبشير العرب ودعوتهم الى النصرانيَّة القديس العظيم افتيميوس كوكب برّيَّة الاردن وجهات الغور فانَّ الله اصطفاهُ في اواسط القرن الخامس ليثير عددًا عديدًا من العرب ويهديهم الى سبيل الايمان فانَّ المؤرخ الشهير والراهب معاصره كيرلُّس من سيتوبوليس (Scythopolis) او بيسان روى في ترجمته تفاصيل ذلك الخبر الذي رواهُ حضرة الاب بيترس من جماعة البولنديين (في المشرق ١٢ : ٣٤٤—٣٥٣) نقلًا عن نسخة عربيَّة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة وخلاصتهُ انَّ احد الوثنيين يونانيّ الاصل المدعوّ اسباباط ولعلَّهُ اصبهبذ

١) اطلب LA TERRE SAINTE : Recherches sur les Laures et Monastères de la plaine du Jourdain et du désert de Jérusalem راجع ايضاً ما كتبهُ بلّاديوس الاسقف في تاريخهِ (المشرق ١٠ : ١٧٧) ويوحنَّا موسكوس في المرج الروحي

١ كنيسة بُصرى في حوران
(رسم العلّامة دي ڤوكويه)

٢ رسم الكنيسة المذكورة وهندستها

٣ قطع ضمن كنيسة اذرح في حوران

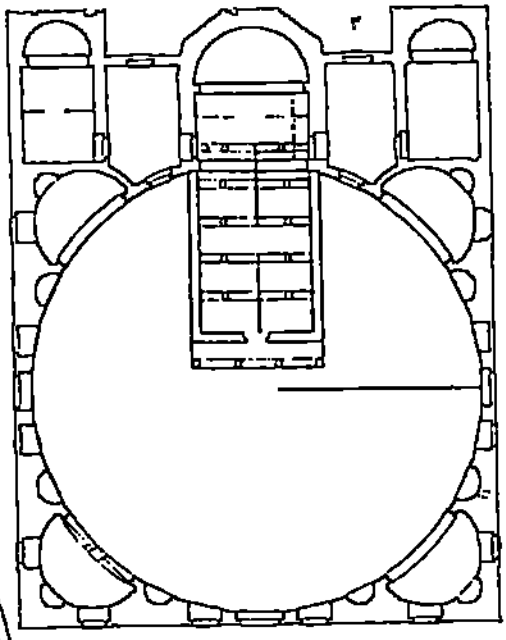

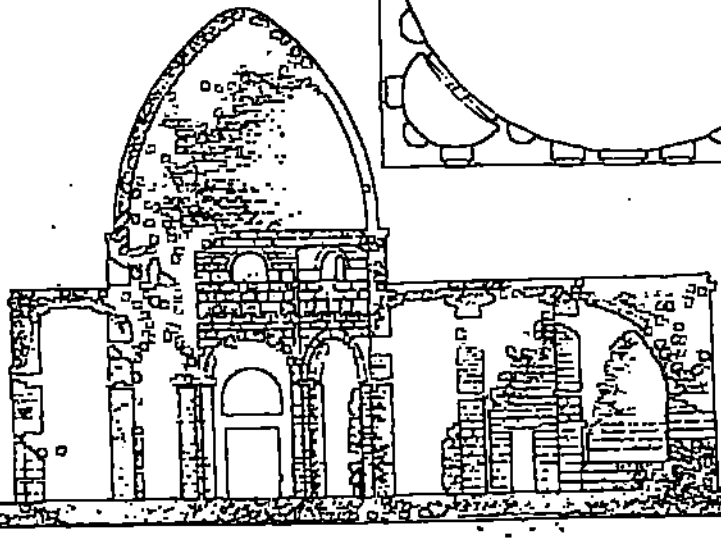

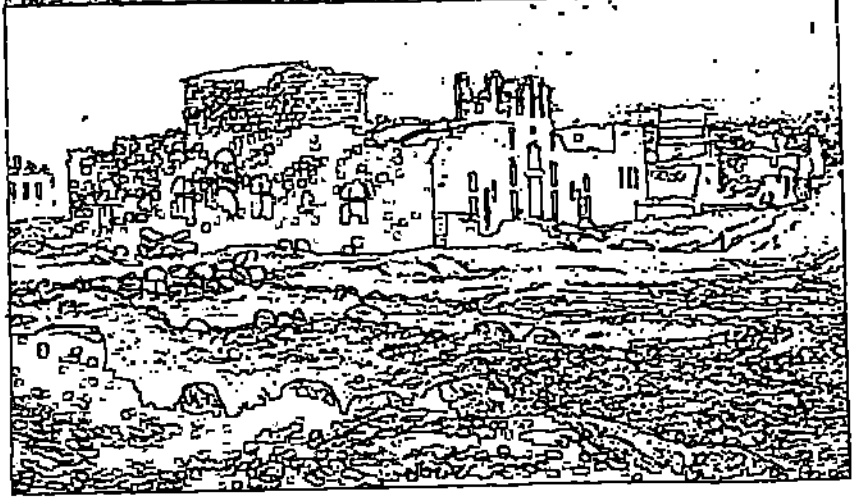

(Ἀσπέβετος) ولّاهُ ازدشير الملك لخوم العجم فلمّا اثار الاضطهاد على نصارى مملكته واخذ يصادرهم ويذيقهم ضروب العذابات جعلوا يولّون هاربين من العجم الى ممالك الرومان واسباباط لا يتعرّض لهم وغمّاً عن اوامر الملك فسعى المجوس بهِ لدى ازدشير ليعاقبهُ ففرَّ هو ايضاً هارباً الى اراضي الرومان حيث اكرم وقادتهُ اناطوليوس الحاكم وولّاهُ على القبائل العربيّة المنتمية لرومية

وكان لاسباباط ولدٌ يُدعى طرابون مصاب بالفالج افرغ ابوهُ في شفائهِ كل الوسائل دون فائدة فالتجأ اخيرًا بالهام من الله الى القديس افتيميوس فشفى الغلام ونصّر اباه ودعاهُ بطرس وعمّد كلّ آل بيتهِ وتبعهم في دينهم قوم كثيرون من العرب سعى القديس افتيميوس في تلقينهم كلّ عقائد النصرانيّة. ثمّ اجتذب مثلهم غيرهم من قبائل العرب خطّط لهم القديس افتيميوس حدود مدينة صغيرة ليست بعيدة من ديرهِ وامرهم ببنائها على رسم معلوم وحفر لهم بئرًا وابتنى لهم كنيسة ودارًا لزعيمهم. ثم اتّفق مع البطريرك يوفناليوس فجعل بطرس اسقفاً عليهم. واخذ كثيرون من العرب يتواردون الى منزلهم حتّى بلغ عددهم عشرين الفًا ودُعيت مدينة هؤلاء المتنصرين بالملحة (παρεμβολή) وتوالى الاساقفة عليهم حتّى اواخر القرن السادس مع ما المّ بهم من الضيقات والبلايا لا سيما بمعاداة قبائل العرب الوثنيين الذين غزوهم غير مرّة (١

والحقّ يقال انّ هؤلاء الغُزاة كانوا على مألوف عادتهِ شذاذ العرب يتلصّصون الاقفار فينهبون مخابس الرهبان واديرتهم ويسلبون ما يجدونهُ فيها. وقد اخبر كاسيانوس في خطابهِ السادس (Migne P. L., XLIX, col. 643-648) انّ هؤلاء الاشقياء هجموا على تقوع على مسافة ستة اميال من مدينة بيت لحم جنوباً فقتلوا رهباناً كانوا يعيشون في البراري بالنسك والتُقى ثمّ اخبر انّ اهل تلك الناحية ابدوا لذخائرهم اكرامًا عظيمًا ولا سيما جموع العرب الذين هناك وبلغت رغبتهم في اقتنائها الى ان وقع بينهم قتال للفوز بتلك الاجسام المقدّسة ». وكان ذلك سنة ٣٩٥ للمسيح. وفي هذا دليل على انّ عرب فلسطين كانوا يدينون بالنصرانيّة (لهُ بقيّة)

(١ اطلب ترجمة القديس افتيميوس لحضرة الاب جانيه الدومنيكي (F. R. Génier. O. P.: *Vie de St Euthyme le Grand*)

مطبوعات شرقية جديدة

LA BANAT SO'AD, POÈME DE KA'AB BEN ZOHAIR. publiée avec une Biographie du Poète, une Traduction, deux Commentaires inédits et des Notes par René Basset, *Alger. Jourdan.* 1910. p. 178.

قصيدة بانت سعاد

هذا اثر جديد من اجتهاد المستشرقين وعنايتهم بلغتنا . ان لاميّة الشاعر كعب ابن زهير التي مطلعها « بانت سعاد » من الشعر الجيّد الذي اقبل اللغويّون على درسه وشرحه منذ اوائل الاسلام . على اننا لا نخاف لومة لائم ان قلنا انّهُ حتى اليوم لم يُجمع فيها ما جمعهُ جناب المستشرق الفرنسوي الشهير رينه باسّه فانّهُ طبع مؤخرًا في الجزائر تلك القصيدة طبعاً متقناً ونقلها الى الفرنسويّة وذيّلها بشرحين لم يُنشرا قبلهُ وقدّم عليها ترجمة نظمها كاملةً مستوفية تكشف تماماً احوالهُ واخبار اهلهِ وامور زمانهِ ثم تتبّع تاريخ طبعها المتواتر وترجمتها الى اللغات الاوربيّة وسرد اسماء الشروح والتخاميس التي وُضعت فيها ونقل الروايات التي وجدها في المعاجم وكتب الادباء المطبوعة وبعض المخطوطات وختمها بفهرس الالفاظ المشروحة حتى جاء الكتاب كاملاً في كل اقسامهِ . فيا ليت ادباءنا يجرون على هذا المثال في مطبوعاتهم خدمةً للعلم والادب خدمةً مشكورة مخلّدة

ل . ش

THE GOLDEN LATIN GOSPELS in the Library of J. Pierpont Morgan . . . with critical introduction and notes by H. C. Hoskier. *New York, privately printed.* MCMX. cxvi-363

سفر الاناجيل اللاتينية المذهب

ليس هذا الاثر البديع ممّا يُشترى ويُباع فهو هديّة قدّمها لكليّتنا جناب الثري الشهير ومحب الكتب ج . بيربونت مورغن الاميركاني فاثنينا على انفاقهِ لقسم من ثروته الطائلة في خدمة العلم وشكرنا لهُ تلطفهُ في تخصيص كليّة القديس يوسف بنسخة من المائتين والخمسين نسخة التي طُبعت طبعة لا نبالغ ان سمّيناها سلطانيّة على نفقتهِ . أكرم بالاغنياء اذا اجلّوا الادب وقدّروا العلم فساعدوا باموالهم على نشر انوارهما . ذكرنا في مقالتنا عن النقد اللفظي للاناجيل (اطلب ص٤٢٣ من هذا

العدد) خطورة الترجمة اللاتينيّة وسعي قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر في اتحاف العالَم النصراني بطبعة علميّة انتقادية للنص المتداول . وقد طلب حضرة الاب غاسكه (Gasquet) البندكتي الانكليزي الى الموسر الشهير ان يجيز له بدراسة النسخة المذهّبة للاناجيل المحفوظة في مكتبته كلؤلؤة ثمينة فلبّى طلبه بكرم حاتمي ووكل الى العالِم هوسكير ان ينشرها نشرة علميّة فجاء هذا المجلد الفريد ثمرة الدروس الطويلة والتكاليف . وهذه النسخة ترتقي الى القرن السابع لكنها كما يظهر منقولة عن نسخ عريقة في القدم تمتاز عن النسخ المعاصرات لها بخصائص مهمّة لانفرادها بكثير من الروايات العتيقة الواردة بحروفها في مؤلفات اقدم الكتبة اللاتينيين . ولا يسمح لنا المكان من دراستها صفحة صفحة لكننا نثني اطيب الثناء على صاحبها وناشرها فان العلّامة قد صدّر الجلد بمقدمة علمية كلها فوائد ثم قابل بين هذا النص وبين عدد لا يحصى من المخطوطات اللاتينية واليونانيّة وغيرها فخدم الدين والعلم خدمة نقدّرها حقّ قدرها . وهذا السفر الجليل قد جاء شاهداً جديداً لما سبق لنا وصفهُ في براءة الاناجيل من التزييف والتحريف ١٠ر

Daremberg-Saglio-Pottier: DICTIONNAIRE DES ANTIQUITÉS GRECQUES ET ROMAINES. 45e fasc. (STAMNUS - SYSSITIA). *Paris, Hachette*, 1911

الجزء الخامس والاربعون من معجم العاديات اليونانية والرومانية

يتسارع اصحاب هذا المعجم الفريد الذي تتبّعنا وصف اقسامهِ السابقة الى تجازهِ القريب . فلا يسعنا الّا تكرار الثناء على كل من يشتغل فيهِ مباشرة بالعلّامة ساليو الذي تولّى اتمامهُ بعد وفاة المأسوف عليهِ دارنبرغ بمساعدة الاثريّ الشهير بوتيه . امّا الموادّ فيحرّرها الاختصاصيّون الذين يجمعون في كل باب خلاصة ما جاء في مكاتب واسعة مع الاشارة الى التآليف التي استندوا اليها واخصّها الآثار الاصليّة لقدماء الكتبة . وممّا استوجب شكرنا خصوصاً في هذا القسم مادّة القصدير (STANNUM) بقلم المسيو موريس بنيه (M. Besnier) ضمّنها مجمل تاريخ القصدير في الزمن القديم وتعدينه واستحضارهِ وفوائدهِ . ومادّة الاستار (STATER) المتّخذ كوزن ثمّ كنقد من النقود للعالمين لونرمان (F. Lenormant) وبابلون (E. Babelon) . واخطر منها مادّة التمثال (STATUA) وفيها نظر تاريخي اثري

للعلّامة ديونّا (W. Deonna) عن صناعة التماثيل وشيوعها بين القدماء ومشاهير صنّاعها بين اليونان والرومان الى غير ذلك ممّا لا يستوفي وصفهُ بوجيز الكلام . واستحسنّا المادّتين الفقهيّتين الماهدة (STIPULATIO) والوراثة (SUCCESSIO) للاثريين كوك (C. Cuq) وبوشه (L. Beauchet) يقف القارئ بهما على خواص الشرع الروماني اتمّ وقوف وبالاجمال نقول انّ هذا المعجم من شأنهِ ان يجعل لعلماء فرنسة سمعةً بعيدة ويكسبهم شكر كل محبّ العاديّات و.ش

EVANGILES APOCRYPHES. I PROTOÉVANGILE DE JACQUES, PSEUDO-MATTHIEU, EVANGILE DE THOMAS, annotés et traduits par C. Michel. HISTOIRE DE JOSEPH LE CHARPENTIER rédactions copte et arabe traduites et annotées par P. Peeters Bollandiste, *Paris*, A. *Picard*, 1911, p. XL-255

الاناجيل المصنوعة باسم يعقوب ومتى وتوما ورواية يوسف النجّار

يذكر قرّاؤنا الكرام المقالة التي افردناها في المشرق (١١: ١٩٤—٢٠٦) للاناجيل القانونيّة واناجيل الزور فوصفنا هناك عددًا وافرًا من الاناجيل المصنوعة وبيّنّا ما في درس هذه الآثار من الفوائد التاريخيّة وإنْ يعرف الكلّ انّها كتب مزيّفة لا اثر فيها من الوحي وضعها المدلّسون باسم الرسل بغيةً في رواجها . والعلماء الكاثوليك في أيامنا لا يأنفون من النظر فيها كما يدرس عالم الآثار القديمة التقليدات المستحدثة المزوّرة ليقابل بينها وكما يعرض نقّاد الدراهم النقود الصحيحة على المزيّفة ليعرف بخواصّ الجيّد من الردي . ولمّا تعدّدت نسخ هذه اناجيل الزور واختلفت صورةً ومادّةً اجتهد العلماء في مقابلتها على بعضها واصلاح اغلاطها ونقلها الى لغات اوربّية وتحشيتها بالملحوظات والشروح . فهذا ما صنعهُ آخرًا العالمان شرل ميشال والاب بيترس اليسوعي فنشر الاوّل الاناجيل المنسوبة الى الرسل يعقوب ومتى وتوما عن طبعة العلّامة تيشندروف ونشر الثاني رواية يوسف النجّار منقولة الى الفرنسويّة عن القبطيّة والعربيّة فنيل بذلك الانتفاع من هذه الآثار ونقدها العلمي ل.ش

MANUALE SACERDOTUM diversis eorum usibus accommodavit P. Jos. Schneider, s. j., ed. 17ª cura et studio A. Lehmkuhl s. j. *Coloniæ, J. P. Bachem*. 1910, XV-277 et VIII-640

دليل الكهنة

ما احوج كهنتنا الشرقيين الى كتاب جامع كهذا فمن يعرف بينهم اللغة اللاتينيّة

نحثهُ ان يقتنيهُ باقرب وقت فانهُ يجد فيهِ خلاصة فرائضهِ الكهنوتيَّة مجموعةً في كتاب صغير الحجم في نحو ٩٥٠ صفحة وهو على قسمين قسم عملي يفيد الكاهن في حياتهِ الخاصَّة وواجباتهِ الكهنوتيَّة الشخصيَّة من صلاة وتلاوة فرض وتقديس واعتراف ومناولة مع عدد وافر من التأملات والرسوم الوعظيَّة . وقسم علمي يرشد الكاهن الى رعاية النفوس في توزيع الاسرار واقامة الطقوس في كل المواطن الاجتماعيَّة والاعياد السنويَّة واطوار حياة الانسان من العماد الى الجنائز . وفي هذا القسم مجمل اللاهوت الادبي مع قرارات الكرسي الرسولي الحديثة المختصَّة بالكهنة والدليل على رواج هذا الكتاب بلوغهُ الطبعة السابعة عشرة التي عني بها خصوصاً بعد وفاة المؤلف احد علماء المانية المشاهير الاب اللاهوتي لهمكول اليسوعي ل . ش

E. J. W. Gibb Memorial, vol. xvii. The Kashf al-Mahjûb. The oldest persian Treatise on Sûfism by 'Alî B. 'Uthmân al-Jullâbî al-Hujwîrî, by Reynold A. Nicholson Litt. D., *Leyden, E. J. Brill,* 1911, pp. XXIV-443

كتاب كشف المحجوب لابي الحسن علي الغزنوي الجلابي

وجه علماء العاديَّات الشرقيَّة في هذه المدَّة الاخيرة نظرهم الى الملل والنحل التي عرفت في انحاء البلاد الاسلاميَّة سواء عُدَّ اصحابها من الاسلام او من الخوارج وربَّ عالم خصَّ مساعيهُ بدرس مذهب الصوفيين وآدابهم وطرائقهم وتعاليمهم في الممالك الاسلاميَّة كالعراق والعجم والهند وجهات الشام ومصر وقد اهتمُّوا لهذه الغاية بطبع اقدم مآثر الصوفية ليستخلصوا منها معلومات ثابتة عن الصوفيين . ومما اختاروهُ لدروسهم كتاب فارسي يُعتبر اقدم اثر للصوفيَّة بين العجم وضعهُ مؤلفهُ ابو الحسن عليّ الغزنوي في اواخر القرن الرابع للهجرة يحتوي خمسة وعشرين فصلاً وعدَّة ابواب لم يُطبع من اصلهِ الفارسي حتى اليوم غير طبعة هنديَّة سقيمة ولعلَّ احد علماء روسيَّة يسعى قريباً بنشرهِ نشراً متقناً . امَّا العلامة الانكليزي نيكلسون فانهُ اتحفنا بترجمة هذا الكتاب الى الانكليزيَّة وهو المجلد السابع عشر من المطبوعات التي نشرتها الجمعيَّة العلميَّة الموسومة باسم نصير العلوم الشرقيَّة وقيدها السيد " جيب " وقد قدَّم عليها المترجم تمهيداً حسناً بيَّن فيهِ صفات المؤلف ومحاسن

تأليفهِ وختمهُ بفهرسين واحد للاعلام الشخصيّة والمكانيّة والثاني للالفاظ الصرفيّة واصطلاحات اهلها فنشكرهُ ونتمنّى لكتابهِ انتشاراً ل.ش

فرّان البندقية

مأساة ذات خمسة فصول بقلم الاديب الياس افندي فيّاض

طبعت بنفقة المكتبة الاهليّة وفي مطبعتها في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٦١)

افاد المؤلف في صدر الكتاب انّهُ حضر تمثيل هذه الرواية بالسينماتوغراف في مصر فأثّرت فيهِ وبعد ان استفاد من احد الطليان تفاصيلها الواقعيّة كتبها في بضع ساعات. امّا الموضوع فحكم حُكمَ بهِ مجلس فلورنسة على فرّان يُدعى بترو تلسكا الذي وقعت عليهِ شبهة القتل وهو بريء من الجريمة وفي يوم تنفيذ الامر باعدامهِ ظهرت براءتهُ وكان سبق السيفُ العذل. وقد احسن الكاتب في تدبيج هذه الرواية وتنسيق ادوارها وان يظهر فيها شيءٌ من تسرُّعهِ في تأليفها - وكذلك ختامها يبقي في القلب اسفاً على المظلوم فضلاً عن كون المجرم لا يُجازى عن عمله ل.ش

اسرار يلدز

للكاتب الفرنسوي پول دي ركلا

نُشرت في اللطائف الاهليّة. بالمطبعة الاهليّة في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٤٨٨)

وُضعت هذه الرواية سنة ١٨٩٢ فصار لها شهرة في الصحافة الباريسيّة وغيرها لما احتوتهُ من وصف احوال الاستانة في عهد السلطان المخلوع عبد الحميد فهي تمثّل على صورة حيّة كثيراً ممّا جرى في بلاط يلدز من الاسرار الخفيّة والاعمال المستنكرة على يد الجواسيس واصحاب الاستبداد وقد جاء الانقلاب العثماني منذ ثلاث سنين فانكشفت عدّة مكتومات تؤيد ما سبق الى وصفهِ مؤلف هذه الرواية فزادتها وقعاً في النفوس مع حسن تعريبها بهمّة ادارة المكتبة الاهليّة ل.ش

الكتاب في الحساب

الجزء الاوّل. كتاب التلميذ. لحضرة الخوري بطرس الماروني

طُبع في مطبعة البلاغة في طرابلس الشام سنة ١٩١٠ (ص ١٣٨)

هذا اثر جديد يشهد على همّة تلامذة كليّتنا في خدمة المدارس الوطنيّة. وكان المؤلف نشر قبلهُ ترجمة رواية القديس انطونيوس البادوي وعرّب كتاب مصباح

الرشد في عجائب لورد (١ . وهذا التأليف في الحساب وُضع على اسلوب جديد قريب الفهم كثير الفوائد متعدّد التمارين وسيجعلهُ المؤلف على اربعة اقسام قسمان منها للتلميذ وقسمان للمعلم . فنثني على صاحبهِ ونتمنى للكتاب اقبالاً ورواجاً ل . ش

الزنبقة الذابلة

طُبع في المطبعة السليمية في عشيت سنة ١٩١١ (ص ٦٤)

غصن رطيب قصفتهُ المنيَّة في نضارتهِ اذ بدأت تتفتَّح لزهارهُ وتُرجى اثمارهُ وهو الفتى النبيه يوسف بن الخواجا فارس الخوري المتوفى في الثامنة من عمرهِ سنة ١٩١٠ فلم يشاء احد المتنشقين لعبير تلك الزنبقة قبل ذبولها ان يحرم اهلهُ ومواطنيهِ من عبيرها فجمع في كتاب ما جادت بهِ قريحة الشعراء والكتبة بنسبة هذا المصاب تلطيفاً للوعة والديهِ الاسيفين ل . ش

شرح قانوني لاهوتي في التناول اليومي

للخوري بولس عويس . طُبع في بيروت ١٩١١ (ص ٤٠)

عوَّدنا حضرة الاب صاحب هذا الكتيب على المقالات اللاهوتية والقانونية المدقَّقة وجاء شرحهُ هذا مثبتاً لما عهدناهُ فيهِ من صدق التعليم وعدم الخوف من الاقرار بالحقيقة التي من شأنها ان تسر ولا يُستى عليها . وقد الفينا كتابه هذا جامعاً لجلّ ما نُشر في هذا الموضوع الهامّ تحريضاً للمؤمنين حتى الصغار على المناولة اليومية ولا ينقصهُ الّا البحث عن المواطن التي يجوز فيها لذوي الطقوس المختلفة التناول في طقس غير طقسهم عند اختلاف الاشكال السرّيَّة كما يؤخذ من براءة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر التي اوَّلها « انَّ شرف الكنائس الشرقيَّة » . وهو خلل نؤمّل سدَّهُ ونحثُّ الكهنة والمرشدين الى مطالعة هذا الشرح لمعرفة احكام الكرسي الرسولي العائدة الى تجديد روح الايمان والتقوى بين المسيحيين ا . ر

لباب الكتاب نكرر توصيتنا بهذا الكتاب الذي جمعهُ القس الفاضل الاب مبارك المزرعاني وقد صرَّح باخر مقدَّمتهِ انَّهُ نقلهُ عن طبعتنا البيروتيَّة خلافاً لما وهمنا فيه

(١ وعليهِ يُصلح ما ورد في المشرق الاخير (ص ٣٧٣) حيث نسبنا هذين الكتابين للخوري شكر الله مراد

شذرات

الدين ومناهضوه

اهدانا حضرة الاب برتلماوس صليبا ق.ب. أحد اساتذة المدرسة الشرقيّة في زحلة هذه القصيدة العامرة الابيات فنتحف بها قرّاءنا:

يا رجال الأوطان جودوا بكاء ... واذرفوا الدمعَ بكرةً ومساء
وأعيدوا ذكر العصور الخوالي ... يومَ كانت ربوعنا زهراء
عهد خير ورقةٍ وعلومٍ ... فيه قد تاجي القبّة الزرقاء
مهبطَ الوحي كنتَ يا شرق قبلاً ... فضمتَ الآباء والانبياء
كنتَ بالأمس للديانةِ أمّاً ... وعماداً وصخرةً شمّاء
يا بني الشرق أين عزُّ جدودٍ ... بشذى الدين عطّروا الأرجاء
أين شمس العلوم والفضل غابت ... بعد أن كانت للعيون ضياء
ونجومُ الآداب والدين غارتْ ... فحُرمنا عَقيب ذلك الناء
فيكَ يا شرق عاش قدماً عظامٌ ... قد تفانوا بهمّة قعساء
لم يغاروا إلّا على نشر روحٍ ... تستحقّ المديح والإطراء
ولِمَ اليوم قام فيك رعاعٌ ... دأبهم أن يعزّزوا الفحشاء
لم يراعوا للدين حرمة عهدٍ ... بل عليه يواحارون العداء
وصراخُ الضمير نادى افيقوا ... من غرورٍ فلم يلبّوا النداء
يا دُعاة التعطيل رفقاً بشرقٍ ... يا دعاة الضلال خافوا السماء
هل نعيماً ترجون بعد ضلال ... لا لعمري بل ذلّةً وشقاء
لا تضلّوا فإنّما الدين نورٌ ... وسناهُ يبدّد الظلماء
هو للنفس روضةٌ وسرورٌ ... يُحيي فيها روح التقى إحياء
كم فقيرٍ في الدين صادف عوناً ... وحناناً ورأفةً وعزاء
من يربّي شبيبة الكون طرّاً ... ويداوي الخطوب والأرزاء
من يعول الايتام في صغر سنٍّ ... « من يعزّي الباكين والتعساء »
فرجالُ الإلحاد لاهونَ عنهم ... بفعالٍ تُندي الجبين حياء
لن يبالوا إن مات أو عاش عمرٌو ... ولذا إفكاً يدّعون الإخاء

إنَّ في الكفر صاحِ جوراً وغدراً إنَّ في الدين رحمةً ووفاء
إنَّ في الكفر صاحِ خوفاً ويأساً انَّ في الدين سلوةً ورجاء
إنَّ في الكفر ذلّةً وهواناً إنَّ في الدين رفعةً وعلاء

يا جنود المسيح والحقّ عشتم وحييتم لديننا نصراء
قد أمطتم عن العيون حجاباً كاد يخفي الغايات والاهواء
لا تخافوا فمن يكابد جهاداً سوف يلقى دار النعيم جزاء

※ وداع لشهر ايّار ※ نقتطف الابيات الآتية من قروض لطلبة الصف الثالث في كليّة القديس يوسف نظموها في ختام شهر ايّار وهي لا تخلو من مسحة ذكاء ونفس قريض فنثبتها تنشيطاً لقرائحهم مؤملين لهم مزيد النجاح

يا قومُ في هذا المساء نودعُ شهراً به حسناتُ مريم تنبعُ
فقفوا جميعاً وانثروا من حولهِ زهر الوفاء وبالسلامة شيّعوا
ايليا فرنسيس

لكنْ حذارِ من الدموع فاننا في ظلّ امّ إلهنا لا نبرحُ
أو تحسبون الامَّ تغذو طفلها شهراً تتنى بعد ذاك وتمرحُ ؟
جان جلخ

أيّارُ يا كامي الطبيعة حلّةً حسناء تُظهر قدرةَ الرحمانِ
لك كلَّ عام زورة تُهدي الى م الانسان رحمة ربّة الاحسانِ
فلئنْ رحلتَ فأنتَ أكرمُ راحلٍ ولئن أتيتَ فأنتَ طيَّ جناني
هذا لأنك شهر امّ قد علتْ بصفاتها وسمتْ بني الانسانِ
يوسف سجعان الخوري

على الطائر الميمون يا شهرَ أيارِ فنعماك قد فاضت علينا كأنهارِ
سلامٌ على من جمّلتك بذكرها فحاكيتَ حلاها ببهجة أزهارِ
جورج فارس

أيا شهرَ الازاهرِ لا تفارقْ قلوباً في هواك تذوبُ وَجدا
تني ازهار روضكَ ما بأمي يذكرني فأحفظ فيَّ عهدا
وإن كنت الرسول لأمّ ربّي فخذْ منّي تحيّاتٍ ووعدا
البر عقل

تمضي الشهور ولا يؤلم بُعدها فيها نُزانا بالمضايق تُرحمُ
أمّا بأيّار البهيّ فنحتسي كأس الهناء وبالمسرّة ننعمُ
عارف كنعان

مهلًا أيا شهر البتول ولا تسرْ حتى نخفّف عن فؤادٍ مُحرَقِ
يا ليت أيّامَ البتول طويلةٌ عفوًا! لها الادهارُ دون تفرّق.
إن المحبَّ الحُرَّ يبقى حبُّهُ طول الزمانِ مجدّدًا لم يخلق.
ميشال نعمه

أيا شهر «الحبيبة» لا تمجّلْ وتتركنا بحبّك مُغرمينا
ألا تدري بأنَّ القلبَ يشكو رحيلك والاسى أدمى الجفونا
إليكَ عن الفراقِ وكن شفوقا وردَّ اليوم افراحَ البنينا
جبران جريديني

أيا شهر البتول لك السلامُ يطيّبهُ القرنفل والخُزامُ
ففي ايامك الزهراء تبدو محاسنُ مَنْ لها قلبي مقامُ
فلا تُطلِ البعاد وعُد سريعاً فلا يُفني بنى أمّي الهيامُ
وديع صافه

لملاكِ يا أمّي اقدّم كلّما حضلتهُ في شهركِ المتبسم.
فخذيهِ يا أمّاه خير علامةٍ ممّن يذوب لذكرِ لفظةِ مريم
فرنان ارسابيوس

أيّارُ خذْ قبلَ الوداع تحيّةً لبتولنا أمّ الاله الاعظم
لا تنسَ تخبرها بأنَّ عبيدها لم يغدروا أبدًا بعهدٍ مُبرَمِ
لا لا فلا نرضى سواكِ مليكةً كلّا ولا ننسى. تحيّةَ مريمِ
خليل برغوت

التذكار المئوي للعلامة له ڤريه في ١١ اذار من السنة الحاضرة احتفل مجمع العلماء الفلكيين في باريس بالتذكار المئوي لمولد مديره السابق الطائر الصيت «له ڤريه» (Le Verrier) مكتشف السيّارة نبتون والذي دعاهُ علماء الهيئة «سيد علم الفلك الحديث». وقد عُرف بابحاثهِ منذ سنة ١٨٣٩ واثنى العارفون على دقّة حساباتهِ وعظم اكتشافاتهِ في اسرار النجوم والسيارات وما لبث

ان أُحصي في عداد اعضاء محافل العلوم وجُعل مديرًا لمرصد باريس وهناك قضى حياته في التنقيب والتدقيق ونشر المقالات فطبق صيته الافاق في كل انحاء اوربة

كان « له ڤرّيه » شديد التمسك بعرى الدين لا يستحي منهُ ولا يخجل البتّة فيتمم واجباته الدينية بجرأة وتواضع اكسبتاهُ الاجلال العام. وكان امام مكتبهِ صليب كبير رُؤي العالم مرارًا ساجدًا امامهُ طالبًا منهُ كشف اسرار الطبيعة لتمجيد اسمهِ عزّ وجلّ. ومن قولهِ ان دراسة الفلك والنجوم لأسمى الدروس المثبتة قدرة الخالق وحكمتهِ الغير المتناهية فلا يستطيع العاقل اذا ما نظر الى السماء الّا السجود للقدرة والاقرار بالربوبيّة. وقد جاهر مرارًا بمعتقده الكاثوليكي وحفظه لشرائع الله وشرائع كنيستهِ واجلاله لكتب الله المنزلة وقد قام في مجلس الشيوخ خطيبًا يدافع عن حقوق الكرسي الرسولي في وجه الثورة الايطاليـة. ولما اقتربت ساعته دعا الكاهن فاعترف بخطاياهُ بايمان واخبات ومن على فراش الموت كتب بيده المرتجفة الى عالم صديق لهُ ما ملخّصهُ :

ايها الصديق حرضتني مرارًا على اتباع خطوات معلّمنا الجليل كوشي (Cauchy) في حفظ شرائع الدين فاخبرك بفرح ان خوري « سان سولبيس » قد اعدّ نفسي للظهور امام سيّدها وصباح الجمعة يناولني جسد الرب فيا حبذا لو كنتَ في باريس لتزورني وتشاركني صلواتك

صديقك له ڤرّيه

وقد لبث « له ڤرّيه » ثلاثة اشهر مريضًا بالطحال وكان اذا داهمه عارض الالم يأخذ الصليب ويقبّله ويسند اليهِ راسه طالبًا الصبر الى ان توفاهُ الله (سنة ١٨٧٧) فأحرِ بالدين والعلم اخوين ا. ر

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة المتوري يوسف المتوري هل يجوز في الطقس الملكي الشرقي اقامة ذبيحتين على مذبح واحد

ذبيحتان على مذبح واحد

ج كانت عادة الكنيسة في اجيال النصرانيّة الاولى ان تجعل في كل بيعة مذبحًا واحدًا تُقدّم عليهِ ذبيحة واحدة واذا ما تعدّد الكهنة شاركوا الاسقف في القداس (راجع مقالة الاب باريزو في المشرق ١ : ٧٧٦) ولمّا كثر عدد المؤمنين جعلت

الكنيسة تنصب في كل بيعة عدّة مذابح كانت تُقام على كل منها ذبيحة واحدة يشيرون بذلك الى بكارة الكنيسة واقترانها الرمزيّ الذي حصل مرّة واحدة بين السيّد المسيح وخطيتهِ السرّيّة بيعة الله. ثم كثر بعد ذلك جمهور الشعب وتوفّر عدد الكهنة حتى سمحت الكنيسة باقامة عدّة ذبائح على المذبح الواحد غير ان الكنائس الشرقيّة عموماً واليونانيّة خصوصاً حافظت على عادتها زمناً طويلاً لكنّ حاجات المؤمنين وتوفّر الكهنة قد حدا بها اخيراً الى مجاراة الكنائس الغربيّة ورخّصت لها رومية بتعديد الذبائح على المذبح الواحد (الّا المذبح الكبير عند الروم الكاثوليك) لانّ خدمة الشعب اولى من مراعاة بعض الرموز التقويّة اذ الطقوس وُضعت للناس لا الناس للطقوس

س سأل من روبة احد المستشرقين: ١ً ما معنى قولهم في المثل الدارج: « الي مش شيمان من حليب امّه يشبع من ميّة تشارين ». ٢ً كيف يضبط اسم الشاعر عدي بن الرقاع. ٣ً ماذا يعرف عن المؤرخ ابي عبد الرحمان العتبي. ٤ً ما معنى قول الكتبة عنهُ انّهُ كان يتمحّن في نسبهِ

شرح مثل دارج الخ

ج نجيب على الاوّل انهم يريدون بالمثل الاشارة الى طيب مياه تشارين التي تُشبه في عذوبتها حليب الامّ. وعلى الثاني انهم يضبطون اسم ابن « الرقاع » بكسر الراء والقاف المخفّفة ككتّاب وكذا ضبطهُ في تاج العروس وقد ورد على صورة فعّال واعلّهُ غلط. وعلى الثالث انّ الكتبة لم يزيدوا شيئاً يُذكر على ترجمة العتبي في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ١٢١). وقولهم رابعاً انهُ كان يتمحّن في نسبهِ يريدون بهِ انّهُ كان ينتسب الى بلاد عمان

س سأل مستفيد عن اصل كلمة « العنصرة » للعيد المعروف
اشتقاق لفظة العنصرة

ج اصل هذه الكلمة عن العبرانيّة وقد جاءت في التوراة غير مرّة على صورة « عصرت » (עצרת) ومعناها هناك المحفل والختام. فمن حيث معناها المحفل ارادوا حفلة الاعياد الكبيرة وخصوصاً الفصح وعيد المظالّ ومن حيث معناها « الختام » ارادوا ختام الزمن الفصحي اي اليوم الخمسين بعد الفصح وهو العنصرة (اطلب مقالتنا في عيد العنصرة في المشرق ٩ : ٥٢٣ — ٥٣٠) ل. ش

المشرق

تحليل المياه اللبنانية

نظر للاب اندري روشه اليسوعي من اساتذة مكتبنا الطبي

مياه لبنان اعظم كنوزهِ اذ منها يستمدُّ الجبل كثيرًا من مزاياهُ الطيّبة وعليها معوَّل منافعهِ الزراعيَّة والاقتصاديَّة. ومن ثمَّ فان الدروس المنوطة باستنباطها وتوفيرها وحسن توزيعها لمن الامور التي من شأنها ان تستوقف الابصار ويتلقَّاها بالشكر كل لبنانيّ محبّ لوطنهِ بل كل سوري لانَّ مياه لبنان تسقي قسماً من انحاء الشام

امَّا نحن فمن حيث اشتغالنا بالطبّ احببنا ان نوجّه نظرنا الى مياه لبنان لنبحث عنها بحثاً علمياً فنحلّلها ونبيّن خواصَّها الصحيَّة وكنَّا وددنا لو سمحت لنا الاشغال باستقراء كل انحاء الجبل طولًا وعرضاً لتحليل مياههِ فنبني على ذلك الفحص نتائج مقرَّرة تزيد فائدتها بالمقابلة الَّا انَّ ضيق الوقت الذي امكننا صرفهُ في تفقُّد العيون اللبنانيَّة لم يسمح لنا بتتبُّعها في كل معاملات لبنان فقصرنا بحثنا على اخصّ عيون جهاتهِ الشماليَّة. امَّا الجنوب فلم نكد نزور عيونهُ الَّا ما كان منها على طريق السائر من بيروت الى جزّين مارًّا بدير القمر وعين زحلتا وبعض عيون البقاع

وكذلك يجب القول بانَّ فحصنا لمياه شمالي لبنان كان فحصاً اجماليًّا كما يستطيع الكيمويّ المتجوّل اجراءهُ بعيداً عن مختبرهِ اذ ليس في يدهِ كل الادوات التي يحتاج اليها لضبط العمل. فتحليلنا من هذا الوجه ايضاً لم يكن وافياً بكل الشروط لكنَّنا مع ذلك قد ادركنا الغاية المقصودة من تعريف الخواص المهمَّة التي للمياه وبيان كميَّات العناصر المختلفة التي تغلب عليها. فهذه التعريفات من شأنها ان تبيّن

لاهل لبنان نعمة الله اليهم بما وفَّرهُ في جبلهم من الاحواض الطبيعيَّة وافجرهُ من الينابيع السلسبيليَّة في كل مناطقهِ

١ نظر عامّ

قد حدَّدت لجنة الصحَّة في باريس الماء الطيِّب فقالت انهُ الماء البارد الصافي العذب المتزج الهواء الخالي من كل طعم ومن الموادّ الآلية ولا يدخلهُ من الاملاح المعدنيَّة الَّا كميَّة معتدلة فيكون طيباً جدًّا ان لم تتجاوز ١٠٠ ملغرام في الليتر ويكون حسناً صافياً اذا تراوحت كميَّتها بين ١٠٠ و ٢٠٠ ملغرام وهو شروب من ٢٠٠ الى ٢٥٠ وما فوق ذلك لا يُحتد شربهُ

وما يسوغ قولهُ عموماً عن مياه لبنان انَّها كلَّها حاوية لكميات من الكربونات وانَّها باردة زلاليَّة وذلك لانَّها تصدر رأساً من ذوبان الثلوج او تجري من احواض باطنيَّة مختلفة العلوّ تتجمَّع فيها المياه المتَّصلة بمثالج مرتفعة على قمم الجبال كما اثبت ذلك الجيولوجيُّون كالسيو دي لاپاران (de Lapparent) وحضرة الاب زمُّوفن اليسوعي. وعليهِ فانَّ هذه المياه باردة من اصلها وهي تنفذ في الارض بين الصخور الكلسيَّة وتنال شيئاً من المعادن المتزجة بها وتحلّل المركَّبات الكلسيَّة التي تتألَّف منها جدران قنيها الطبيعيَّة. وغنيّ عن القول انَّ برودة هذه المياه تخفّ مع طول مسيلها وبالعكس تزيد املاحها المعدنية وفورةً كما سترى في ما يأتي عند وصف طريقنا في الجبل فالمياه تكون ابرد واخفّ على مقدار توقُّلنا في اعالي لبنان لا يشذّ عن ذلك الَّا نبع واحد. وعلى خلاف الامر اذا ما انحدرنا الى اسافل الجبل ارتفعت درجة حرارة المياه وازدادت املاحها في الكيف والكم

٢ صعودنا الى مشارف لبنان من بيروت الى نهر العسل في اواسط آب سنة ١٩١٠

فلنقدّمن اوَّلاً ملحوظاتنا على مياه نهر الكلب الجارية الى بيروت فنجعلها كمقياس نعرض عليهِ بقيَّة المياه الجبليَّة. يفيد تحليل هذه المياه بعد مرورها بمصافي الضبيَّة انَّها من اطيب الماء الشروب اذ تجد في الليتر اي في الف غرام الكميات الآتية:

٧٠	ملغراماً	من كربونات الكلس
٠,٠٠ ٦٥	«	من الحامض الكربونيك
٢٨	«	من سولفات الكلس

مع بعض آثار من كلورور السوديوم اي الملح العادي ومن ملح المغنيسيا. وقبل

تصفية هذه المياه تكون مركَّبات الكربونات اوفر جدًّا

١ فاذا اخذنا هذه المياه كقاعدة يمكنًا ان نقابل بها عيون الجبل . فلنصعدنَّ اوَّلًا الى بكفيا التي موقعها فوق سطح البحر ٨٧١ مترًا. فالمنتظر انَّنا نلقى مياهها ثقيلة جدًّا وافرة بمركَّبات الكربونات الَّا ان الامر على خلاف ذلك وكأنَّ ينابيع بكفيًا تشذُّ عن القاعدة العموميَّة والاملاح الغالبة عليها انَّما هي املاح السولفات اي الكبريتيَّة فانَّ عين البلد الكبرى مثلًا تحتوي ١٣٠ ملغراماً من سولفات الكلس في كل ليتر وكذلك نبع الغابية الواقعة فوق بكفيًا يحتوي ٨٣ ملغراماً من سولفات الحديد. ومن ثم تُعتبر مياه بكفيًا كمسهلة اسهالًا خفيفاً . وذلك ما يخالف الظنَّ فيها

٢ وان صعدنا من بكفيًا الى قرية المروج على علوّ ١١٧٠ مترًا بلغ بنا المسير الى نبع بقاَّيع المعروف بنبع الصفصاف فتحليل مائهِ يدخل في القاعدة العموميَّة بما يحتويه من كربونات الكلس كعادة المياه الجبليَّة وهو بالغ ١٠٥ ملغرامات في الليتر . وكذلك درجات حرارتهِ تسقط الى ١١٫٥ وهي في بكفيًا بين ١٥ و ١٦

٣ دعنا الآن نسير الى اعالي الجبل حتى خان صنين ففي طريقنا نمرّ على ثلاثة ينابيع تجري في منبوخ في وطأ خفيف يتراوح علوّهُ فوق سطح البحر بين ١٤٣٠ الى ١٤٥٠ م. فان حلَّلنا مياه العين العليا التي تعلو العينين الاخريين بنحو ٣٠ مترًا وجدناها خاليةً من آثار السلفات لكنَّ مركبات الكربون زائدة نوعاً فتبلغ ١٥٠ ملغراماً في الليتر

٤ وبعد مسير اربع ساعات في مرتقيات صعبة ومعاطف جبال قفرة لا يسكنها ديَّار وتخذها الوهاد العميقة وتكسوها الشمس بانوارها المحرقة وصلنا الى خان صنين حيث نصبنا لنا خيمة لنبيت ليلنا على ربوة هناك كان مقياس ارتفاعها ١٦٨٠م وهناك ماء غزير يتدفَّق من ينبوعهِ تدفَّقاً ولا تزيد درجة حرارتهِ على ٦٫٥ ومن ثمَّ يُعَدّ من ابرد العيون الجبليَّة. امَّا محتوياتهُ المعدنيَّة فانَّها كعين الصفصاف في المروج بل يفضل ماؤهُ على تلك بخلوهِ من مركبات السولفات وكلورور الكلس . فيه ١٠٥ ملغرامات من بيكربونات الكلس. وان شربتهُ وجدتهُ زلالًا عذباً مريئاً مسهلًا اسهالًا خفيفاً فهو اجودُ مثال لمياه لبنان الطيِّبة التي يمتزج بها الهواء

٥ وفي غد ذلك اليوم تسلَّقنا الجبل وقطعنا البطون والحزون حتى بلغنا جهات

صعبة المرتقى كثيرة الحصى وشمس المساء تنوّر تلك الاصقاع بانوار زاهية تأخذ بمجامع الابصار وكانت قاربت الغروب لمّا وصلنا الى قرية صغيرة تُدعى انابكيش على ارتفاع ١٨٦٠ درجة ومارُها كماء نبع اللبن الوارد ذكرهُ فلم نقض فيها الّا ليلتنا فقمنا عند الفجر لنسير الى الناحية الشهيرة بالينابيع الثمانية

٦ واوّل ما لقيناهُ منها نبع اللبن الذي يفور في لحف قمم صنين على علوّ ١٦٩٠ مترًا. فتراهُ يتبجّس من فوهة واسعة يبلغ قطرها مترًا واحدًا على الاقلّ ولا يُسمع لتفجّرهِ صوت وترى حولهُ الصخر الاصمّ وليس هناك ظلّ ظليل ولا شجرة تتيك لظى الشمس. امّا الماء فكالجليد ببرودتهِ درجة حرارتهِ ٥,٥ بينما تبلغ حرارة الجوّ حولهُ ٢٥°. وهو من حيث مضامين فلزّاتهِ المعدنيّة يشبه عين خان صنين اعني ١٠٥ ملغرامات من كربونات الكلس في كل ليتر مع خلوهِ من آثار المغنيسيا الموجودة في ماء تلك العين

٧ وليس نبع اللبن فريدًا في جنسهِ وانّما يجاريه في طيبهِ بل يفوق عليهِ نبع آخر يدلُّ اسمهُ على عذوبة مائهِ نزيد بهِ نبع العسل الذي موقعهُ على ارتفاع ١٦٦٠ مترًا فوق البحر. وماؤهُ ذو زين ماء نبع اللبن برودةً اذ يبلغ ٦° من الحرارة لكنّهُ يفضل عليهِ بخفّتهِ بدليل كون كربونات كلسهِ لا يتجاوز ٨٠ ملغراماً في الليتر. وهو سلس لهضم الاطعمة. ونبع العسل يفور من الصخر بصوت عظيم يسمع عجيجهُ من مسافة بعيدة. فهو كسيل جحاف يتهجّم على حجارة مسيلهِ بقوّة شديدة كافية لتحريك ادوات معمل واسع

٣ انحدارنا من الجبل على طريق عزير

كنّا عوّلنا على تفقّد كل الينابيع التي في مشارق صنين لولا انّ المكارين زعموا انّ دوابّهم محتاجة الى علوفها فلا بدّ من الانحدار فاضطرّنا الامر الى مطاوعتهم وانحدرنا الى ميروبا فعزير

. مقام ميروبا على علوّ ١٣٨٠ مترًا فوق البحر ومياهها طيّبة غزيرة كما يدلُّ عليهِ اسمها لكنّها دون مياه نبع اللبن ونبع العسل فحرارتها تبلغ ١٣° بدلًا من ٦° وكذلك املاحها المعدنيّة اوفر وان تكن اقلّ ممّا يتبادر الى الظنّ فيها بعد انحدار

٣٠٠ متر. وفي مياهها من آثار السولفات والكلورور ما لم نعثر عليه المياه العليا وجملة الاملاح من كربونات وغيرها يوازي ١٠٥ ملغرامات في الليتر

وفي غابة الصنوبر القريبة من القرية مياه يزعمون انَّ فيها محاولًا من الحديد فحلّلناها لاثبات الامر فوجدنا ادواتنا قاصرة عن تعريف كميّته وذلك دليل على انَّ املاحهُ الحديديَّة نزرة قليلة يستدعي تحليلها محلّلات قويَّة. امّا غزير التي موقعها فوق البحر على ارتفاع ٣٨٠ مترًا فانَّ تحليل مياهها ينبئ بخواصّ غير مشكورة

وقد حلّلنا ماء نبع الفرح فاذا فيه رسوب وافر من الكربونات والسولفات ومن الاملاح الكلسيَّة موادّهُ المعدنيَّة تبلغ الى حد ٢٦٥ ملغراماً في اللتر منها ٢٣٠ ملغراماً من املاح الكلس و٣٥ من املاح المغنيسيا ولحسن الحظ ان وجود المغنيسيا يخفّف ثقل المركّبات الكلسيَّة

امّا ماء بلدة غزير الجاري من نبع المغارة فقد حلّلناهُ في بعض عيونه بماء الكلس فاذا هو ايضاً وافر الاملاح المعدنيَّة ففيه شيء من الكلورور الّا انَّ سولفاتهُ اقلّ من سولفات عين الفرح. امّا معدن الكربونات فيبلغ كميَّة بالغة حتى انَّ احد علماء الفرنج لوفور (Lefort) في كتاب عن المياه (Hydrologie) يجعل ماء كهذا في اقصى حدود الماء الشروب. امّا جادين (Jadin) فالطف حكماً فيه . وعلى كل حال لا نستطيع ان نعدّ مياه غزير في جملة المياه الطيّبة اذ يبلغ وزن كربونات الكلس الذي يوجد في ليتر منها ٢٨٥ ملغراماً فترى الفرق بينها وبين ماء نبع العسل الذي لا يزيد كربوناتهُ على ٨٠ ملغراماً

٤ رحلتنا الى الارز على طريق افقا ولقلوق

١ استأنفنا السير مع مكارينا الى شمالي لبنان لنواصل ابحاثنا في مياه الجبل فسرنا في يوم قانظ من غزير الى غينة البالغ ارتفاعها ١٠٦٠ مترًا فوق البحر فدلّنا بعض البيروتيين المصطافين في تلك الجهة الى نبع يفيد ماؤهُ لعلاج المعدة. فقصدناهُ فاذا هو نبع وسط برفوته وبرودته وكذلك املاحهُ المعدنيَّة ليست بقليلة فانَّ وزن كربونات كلسه ١٢٥ ملغراماً في الليتر. ثمَّ حلّلناهُ بنترات الفضَّة فرسب فيه رسوب ابيض باون وردي ثمَّ لون كمد ما يدلّ على وجود الكبريت فيه وليس في ذلك ما

يُستغرب لوجود المركَّبات الكبريتيَّة في جواره . وهذا ما يعلل فوائده لادواء المعدة

٢ ثمَّ واصلنا السير الى اعالي الجبل فبلغنا المشارف التي تجري فيها المياه الجليديَّة الخفيفة . وكان اوَّل ما لقينا منها نبع القدح في علوّ ١٤٦٠ متراً وكان وصولنا اليه في اصيل النهار . فرأينا الماء جارياً في قلب الصخر من شقّ عمودي يخرقهُ فائراً . ومن عن شمالهِ على بعد مئتي متر تنتصب صخور كلسيَّة جرداء عملت فيها المياه فنخرتها وقطَّعتها ومنها يعرف الناظر ما للمياه الباطنيَّة من القوَّة في قطع الصخور ونقب الاسراب وفتح الاغوار لتجد لها منفذاً تخرج منهُ . وكانت نتيجة تحليلنا لماء نبع القدح انَّ الليتر منهُ يحتوي ١٩٥ ملغراماً من كربونات الكلس وبعض آثار املاح المغنيسيا امَّا درجة حرارتهِ فلا تتجاوز ١١°

٣ ثمَّ سرنا نحو ساعة شمالاً في برِّيَّة قفراء لا تظلّلها شجرة فبلغنا ارتفاع ١٥٩٠ متراً فوق البحر واذا عند اقدامنا مياه تتفجَّر بين الصخور فذاك نبع الحديد ذو الماء الجليدي والعذب الزلال الخفيف على المعدة . تهبط درجة حرارتهِ الى ٨° وهو يتضمَّن في الليتر ١١٦ ملغراماً من الاملاح الكلسيَّة امَّا الحديد الذي نُسب اليهِ فلا اثر منهُ في تركيبهِ

٤ ولم نطل الاقامة عند نبع الحديد والشمس ترشقنا بسهامها الملتهبة فسرنا من ثمَّ الى منبطح افقيا حيث ينبجس ذاك النبع الذي كان يقصدهُ اهل فينيقية سابقاً فيحجّون الى ذاك الهيكل الفخيم التي تُرى بقربهِ آثارهُ الجليلة ويغتسلون بمياه ينبوعهِ المقدَّس وهم يزعمون انَّ احمرارهُ السنوي لاصطباغهِ مساءةً بدم الاله ادونيس (تموز) وموقع هذا النبع على علوّ ١٢٠٠ م من البحر . ويتَّصل النبع باغوار واسعة شهرتها دون حقيقتها تتفجَّر فيها المياه في فصل الشتاء ثمَّ تنقطع في الصيف . امَّا النبع فيفور امام المغارة وحرارتهُ عند منبعهِ ٩° ماءهُ بارد صافٍ سلس سهل المصاغ مبلغ كربونات الكلس فيهِ ١٨٠ ملغراماً في كل ليتر مع آثار لا يُعبأ بها من كاربونات المغنيسيا . ومياه افقا وافرة جدًّا ومنها يتكوَّن نهر ابراهيم بعد تحدُّرها من اربع شلَّالات وقت الشتاء . ومن ثلث في الصيف مع هبوطها نحو اربعين متراً فلو اتخذت تلك القوَّة لتمشية المعامل وتحريك آلات الصناعة لاستُخرج منها ما يوازي الف حصان بخاريّ . وهي قوَّة بليغة تذهب اليوم بلا فائدة ومن شأنها ان تغني لبنان بمواردها الطبيعية

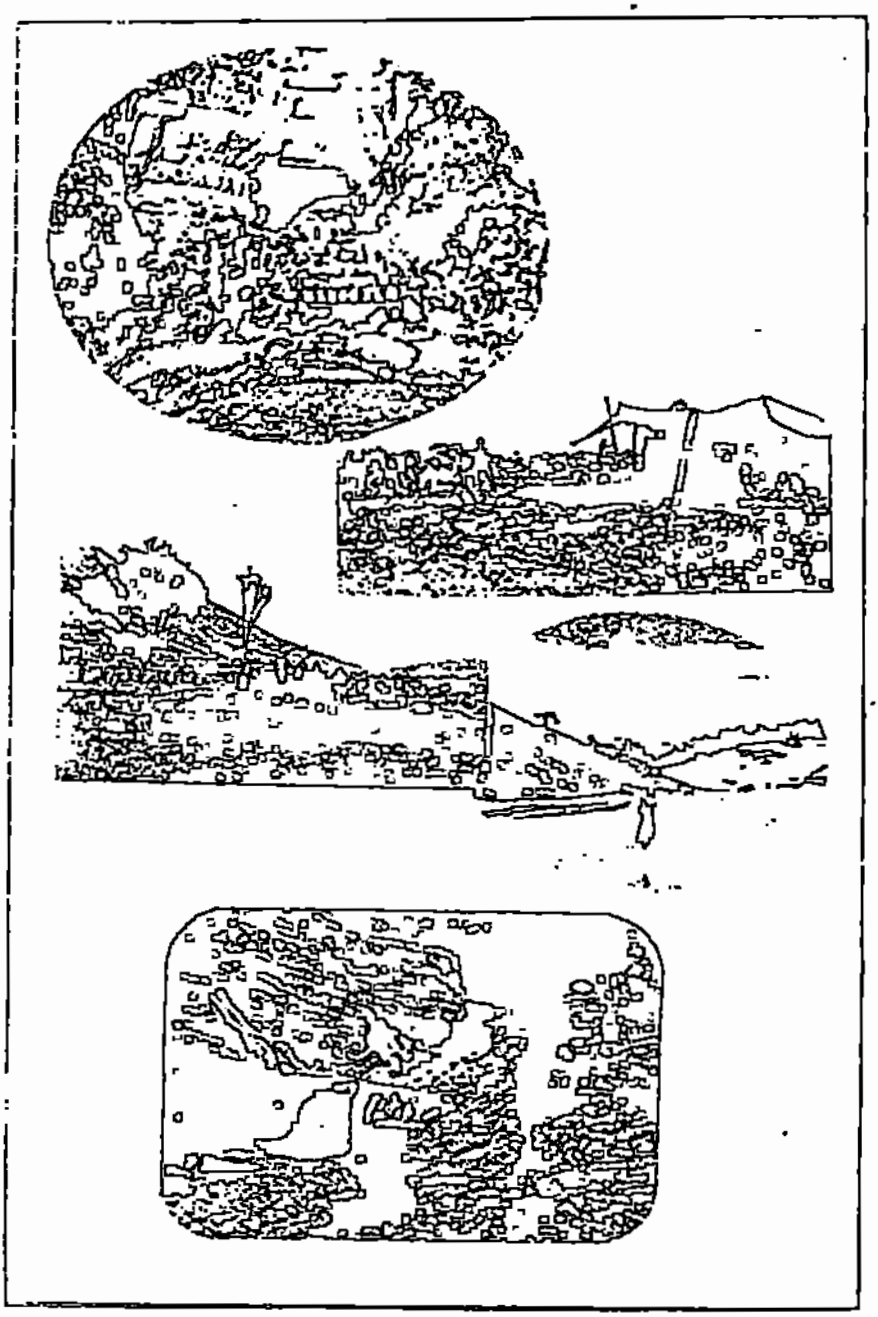

١ مغارة افقا واخربة هيكلها ٢ جهات البقاع ٣ نبع اليثونة وجوارها
٤ الارز مغطى بالثلوج ٥ شلالات افقا

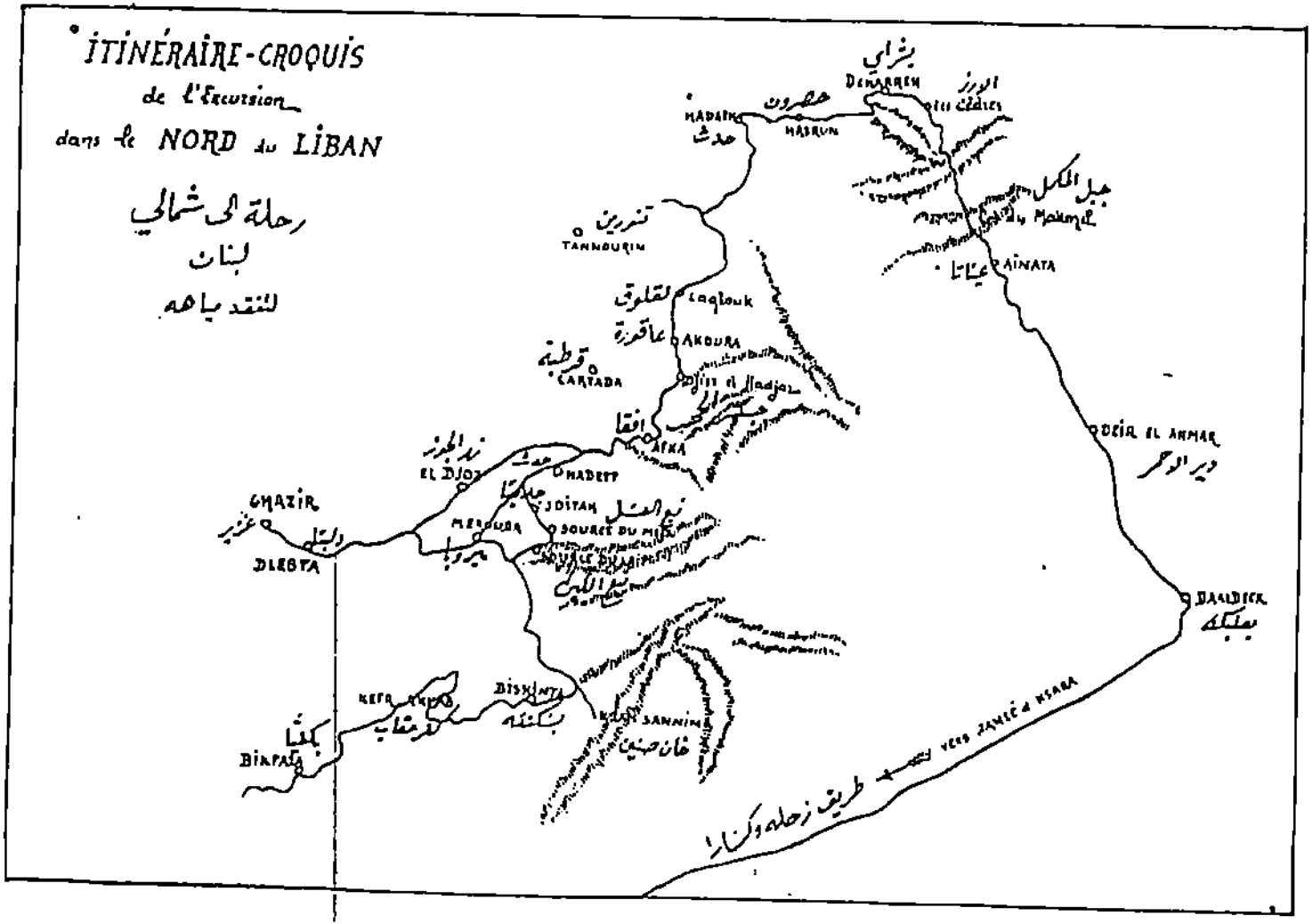
ITINÉRAIRE-CROQUIS
de l'Excursion
dans le NORD du LIBAN
رحلة الى شمالي
لبنان
للنقد ياهه
بشراي
DEHARREN
الارز
les Cèdres
حصرون
HASRUN
حدث
HADATH
جبل المكمل
Mt Makmel
تنورين
TANNOURIN
عينا
AINATA
القلوق
Laqlouk
عاقورة
AKOURA
قرطبة
CARTADA
افقا
AFKA
DEIR EL AHMAR
دير الاحمر
نهر الجوز
EL DJOZ
HADETT
JDITAN
SOURCE DU MEL
نبع العسل
GHAZIR
غزير
DLEBTA
دلبتا
BAALBECK
بعلبك
BISKINTA
بسكنتا
KEFR AKKA
كفر عقا
BIKFAYA
بكفيا
KHAN SANNINE
خان صنين
طريق زحله وكسارا
VERS ZAHLÉ & KSARA

٥ ثمَّ سرنا على جولد اثر منقوش من الهيكل القديم يطلّ على اعماق نهر ابراهيم ومشينا حيناً في طريق جبليَّة ادَّت بنا الى علو ١٤٢٠ متراً حيث دخلنا العاقورة. وفي وسط القرية قناتان واسعتان تنبعث منهما عينان غزيرتان شديدتا البرودة اذ لا يتجاوز مقياس حرارتها ١١° الَّا انَّ لهذه المياه مزيَّة تشذُّ بها عن بقيَّة مياه الجبل واليها اشرنا في اوَّل المقالة اعني وفرة املاحها مع برودتها . فوجدنا بالتحليل رسوباً من السولفات ظاهراً ثمَّ رسوباً وافراً من الكربونات وقد بلغ الكربونات في الليتر ٢١٠ ملغرامات. وفي هذه المياه معدن الكلسيوم

٦ على انَّ هذه الاملاح المعدنيَّة المفرطة خاصَّة بالعاقورة ثمَّ ارتفعنا الى اعالي الجبل حتى وصلنا الى علو ١٨٨٠ متراً وهناك مشرفٌ واسع قفر يتبع لقلوق وكان بعض البدوان نصبوا فيه خيامهم. ومياه لقلوق وتوابعها وافرة متعدِّدة تكفي لشرب معظم اهل لبنان وقد قضينا ساعات من نهارنا في تحليل عيونها فوجدنا ان حرارتها بين ١٠° و١١° وهي على خلاف العاقورة قليلة الاملاح المعدنيَّة تشبه بخفَّتها وسلاستها مياه نبع العسل فانَّ ماء عين راس الرج لا يحتوي اكثر من ٨٥ ملغراماً من كربونات الكلس في الليتر وهو نعمَ الماء الشروب. وبقرب هذه العين عين أُخرى اطيب منها تُدعى عين الغار كربوناتها لا يزيد ٤٥ ملغراماً في الليتر فكأنَّهُ ماء مستقطر لم نجد في الينابيع ما يفضلهُ من هذا القبيل لكنَّ هذا الماء لسوء الطالع قليل جدًّا يكاد ينبع قطرةً قطرةً في متمغاة

٧ وفي هذا اليوم عينهِ قطعنا مشارف لبنان وسرنا في طريق تشرف على تنورين وعلى غابة الارز وتكشف على الاودية والجبال حتى بلغنا حصرون. وكان وصولنا اليها في حين قامت الحرب على ساق بينها وبين بشرَّاي فكان اهل كل بلد يرقبون خصومهم فلا يتجاسر احد من الفريقين ان يجتاز الى القرية الاخرى خوفاً من اذى اهلها. وسمع مكاروننا بذلك فاستولى عليهم الفزع الَّا انَّنا اخمدنا جزعهم وسرنا الى البلدة بطمأنينة فاكرم اهلها وفادتنا ثم برحناهم بعد ساعات. وقد حلَّلنا مياه حصرون فاذا هي بين بين يزيد كربونات كلسها على مياه بيروت فيبلغ ١٧٥ ملغراماً في الليتر اعني توازي تقريباً مياه نهر الكلب قبل تصفيتها في الضبيَّة

٨ ثمَّ رقينا من حصرون الى بشرَّاي المستندة الى معاطف وادي قاديشا

حيث العلوّ فوق سطح البحر بالغ ١٤٩٠ متراً وقد حللنا مياه القاديشا عند منبعها من مغارتها فوجدناها ممتزجة بشيء من الاملاح فكميّة كربونات كلسها ١٣٥ ملغراماً مع آثار قليلة من سولفات الكلس. والقاديشا آخر ما يحتويه لبنان الشمالي من الينابيع فلم يبق لنا على اثره الّا العَوْد الى السهول بعد ان روّحنا النفس مدّة في غابة الارز الشهيرة وعلى قمم جبل المكمل الذي يبلغ علوّه ٢٦٥٠ متراً فوق البحر

٥ من المكمل الى زحلة

١ وجدنا في حلف المكمل بعد انحدارنا على جوانبه المحجرة والمتّقدة باشعّة الشمس قرية عيناتا ذات الماء الغزير البالغة برودتهُ ٧° فمياه هذه العين تخصب انحاء الجبل حيثما تجري فترى على طرفي مسيلها شجر الصفصاف والجوز الوارفة الظلّ. امّا موقعها ففي علوّ ١٧٨٠ متراً فوق سطح البحر فلا غرو اذن ان تكون مياهها سلسةً مريئةً اذ لا يزيد كربونات كلسها على ١١٠ ملغرامات في الليتر وما من اثر للسولفات وللكلورور. ومنبعها صادر كما يظهر من احواض المكمل الباطنيّة

٢ وفي صباح اليوم التالي سرنا ومجرى عيناتا حتى بلغنا سهلاً فسيحاً حرّقتهُ الشمس واتلفت خضرتهُ فقطعناهُ وانتهينا الى قرية اليمّونة التي لا يلطف لظى شمسها سوى الاشجار القليلة التي ترى عند نبعها واليمّونة تعلو فوق البحر ١٤٦٠ متراً ودرجة حرارة نبعها ٨° امّا نصيبها من كربونات الكلس فبالغ في الليتر ١٢٥ ملغراماً اعني ١٥ ملغراماً اكثر من عيناتا لارتفاع موقعها فوق اليمّونة ٣٢٠ متراً

وهنا مبحث طالما اشتبه على العلماء فيتساءلون أماء اليمّونة هو الماء المتدفق من نبع افقا او غيرهُ فالبعض يؤكدون الامر والبعض ينكرونهُ. فامّا الموجبون فيسندون قولهم اوّلاً الى موقع نبع افقا الذي هو اسفل من اليمّونة وموقعهُ ١٢٠٠ فوق البحر فيكون ارتفاع نبع اليمّونة فوقهُ ٢٦٠ متراً. وثانياً الى الاملاح المتشابهة التي في النبعين اي ١٢٥ ملغراماً من كربونات الكلس في اليمّونة و١٣٠ في افقا. ولا يخالف وجود آثار الكلورور في نبع نهر ابراهيم

امّا الذين ينكرون اتّصال مياه اليمّونة بنبع افقا فيبنون قولهم على برهان وضعي يصعب تفنيدهُ وتحقّقناهُ بعيننا وذلك انّنا كنّا قبل ستة ايام عند نبع افقا فرأينا مياههُ تتدفق سيولاً وها نحن اليوم عند بحيرة اليمّونة وقد امتدّت الشمس

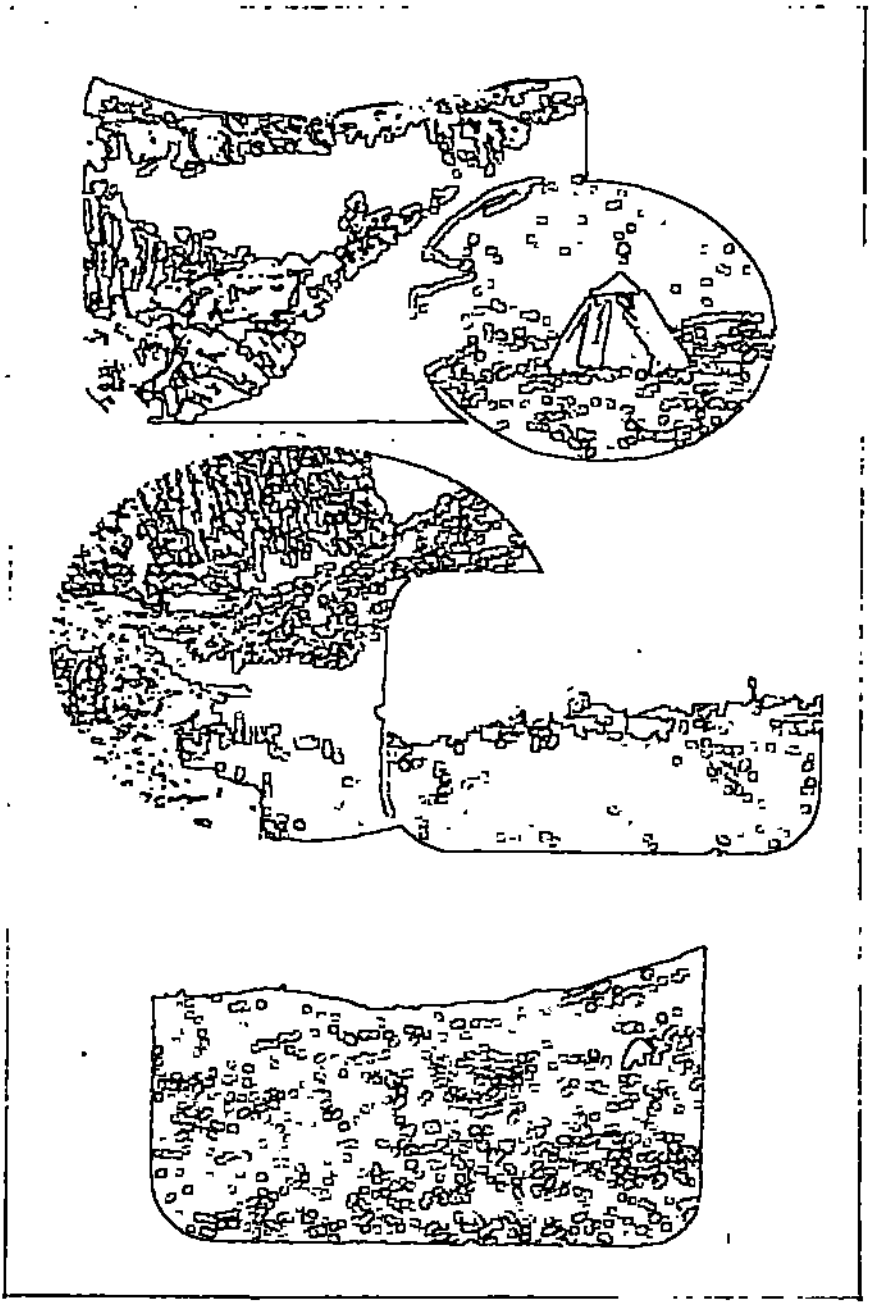

١ الجسر الطبيعي ٢ نظر خلف جبل صنين ٣ نبع اللبن ٤ بكفيا ٥ نبع العسل وبقعتة

مياهها وليس ماء سوى خيط الماء الفضي الذي يجري من النبع متقرقاً فكيف يا ترى تعليل وفرة مياه افقا ان كان اصلها من اليثونة ؟ والغالب على ظننا انَّ مياه اليثونة ومياه افقا مسيلان يستمدَّان موادهما من حوض واحد في قلب الجبل ثمَّ تفصلهما الصخور الكلسيَّة

٣ ثمَّ اندفعنا في انحدارنا الى دير الاحمر حيث اخذنا نصيباً من الراحة وهذه القرية في اقصى حاجة الى الماء الشروب فانَّ اهلها يشربون مياهاً وسخة يجمعونها من المطر في آبار لم يحسنوا صنعها او يستقونها من بعض المستنقعات الوخيمة واذا فضل شيءٌ من مياه عيناتا جرى اليها مكشوفاً معرَّضاً للشمس والوسخ حتى قريتهم

٤ وكان مسيرنا من دير الاحمر الى بعلبك التي تعلو فوق البحر ١٢٣٠ متراً وفيها نبع شهير بوفرتهِ وعذوبتهِ وبرودتهِ فانَّ درجة حرارتهِ ١٤ وقدر كربونات الكلس في الليتر منهُ ١٦٠ ملغراماً وهو من البيكربونات

٥ ثمَّ ركبنا القطار من بعلبك الى المعلقة وسرنا منها الى كسارا التي موقعها فوق البحر ٩١٨ متراً فوجدنا هناك ايام فراغ مكَّنتنا من تحليل مائها بكل ضبط وتدقيق فدرجة حرارة هذه الماء بين ١٥ و ١٦ . وعيار املاحها وحامضها الكربونيك كما يأتي في كل ليتر

الاملاح والحوامض	ملغرام
كربونات الكلس	١٧٣
الحامض الكربونيك	٠,٠٠٥
كلورور الكلس	١٧
رواسب املاح المنيسيوم والسوديوم والبوتاسيوم	٠,٠١٥

فليس هذا الماء من المياه الطيِّبة المحمودة

٥ ثمَّ حلَّلنا ايضاً مياه نبعي زحلة نبع الزويتيني ونبع البدوني فالاوَّل ينبع على علو ١٠٧٠ متراً وهو سهل طيِّب بارد ممتزج بالبيكربونات يبلغ كربونات كلسهِ ١٤٥ ملغراما مع بعض آثار من كلورور الكلس . والثاني يشبههُ ايضاً في عذوبتهِ وحسن مزاياهُ مع خلوهِ من آثار الكلورور ومبلغ كربونات كلسهِ ١٣٥ ملغراماً في الليتر . وبهما انتهينا من تحليل مياه لبنان الشماليَّة

٦ سياحة في البقاع وفي جنوبي لبنان

كنَّا وددنا لو تمكَّنا من تفقُّد ينابيع لبنان الجنوبيَّة لاسيما في جهات حوران وطبريَّة حيث توجد عيون مالحة او ممتزجة بغاز البترول وبالسولفور لولا وقوع بعض العوائق التي حالت دون اتمام قصدنا فاكتفينا بالتجوُّل في جهات البقاع وبسياحة عاجلة الى ناحية جزّين لم تطل مدَّتها على ستَّة أيَّام

امكننا ان نحلّل في البقاع اربعة عيون تختلف مياهها بالخواصّ اختلافاً عظيماً الاولى عين فرزل في سفح لبنان تحت المناور التي سكنها السيَّاح قديماً. فوجدنا ماءها زلالاً صافياً سائغاً مصقوعاً وقدر كربونات كلسها ١٣٥ ملغرام كنبع البردوني. (الثانية) عين شتورة القريبة من آكام الجبل وهي اكثر حرارةً واوفر املاحاً فيحتوي الليتر ١٦٥ ملغراماً من بيكربونات الكلس. (الثالثة) عين قبّ الياس تشبه عين شتورة. وقدر بيكربونات الكلس في الليتر ١٦٠ ملغراما. (الرابعة) عين ثعلبيا التي هي معتزلة عن الجبل وهي اقلّ صفاء من العيون السابقة فيها قليل من السلفات والكلورور وكثير من البيكربونات. ودرجة حرارتها بين ١٥ و١٦. ووزن كربوناتها في الليتر ٢١٠ غرامات وماؤها ثقيل على المعدة صعب المساغ

وان قطعنا البقاع فبلغنا اطراف الجبل الشرقيّ وجدنا ينابيع السُّوَيره فحلّلنا ماء ينبوع منها فاذا به مشبع بركبات الكلس فيبلغ قدر البيكربونات الذي فيه ٢٢٠ غراماً في الليتر يضاف اليه آثار السولفات والكلورور واملاح المغنيسيا

وكانت نتيجة سياحتنا الى جزّين اجمالاً انَّ جهاتها خالية من المياه الباردة التي لقيناها في مشارق الجهات الشماليَّة وان حقَّ لجزّين ان تفتخر بنهرها الجاري وبشلّالها الذي تثب منهُ المياه المزبدة الى الاسافل بجلبة عظيمة ومنظر مهيب. ولكن لسوء الحظّ ليست هذه المياه في حسن طعمها كحسن مجراها. وقد حلّلنا مياه نبعيها فوجدناها غير مرضية. فعين البلدة ثقيلة الماء يحتوي الليتر منها ٢٤٠ ملغراماً من كربونات الكلس. ومثلها في الثقل وفي مقدار الكربونات مياه نهر عزيبه ولعلَّ وزن الكربونات كان اوفر لأننا لم نحلّل الماء الّا بعد أيام اذ رسب قسم من الكربونات على صورة ذُرات بيضاء.

ثمَّ ملنا الى الشمال الى جهة دير القمر وفحصنا فيها مياه نبعيها فالنبع الاول هو نبع البلدة ويُسمَّى عين الشالوط وماؤهُ غزير يتفجَّر من كل النوافذ التي تُفتح لهُ. على انَّ هذا الماء كماء جزّين كثير الموادّ الكلسيَّة وبالتحليل يُري رسوبهُ الابيض فانَّ كميَّة الكربونات الكلسي فيهِ لا تقلّ عن ١٩٠ ملغراماً في الليتر فلا يُحسب من المياه الطيّبة. امَّا النبع الآخر فوقعهُ على بعد عشر دقائق من الدير وكنت اريد تحليلهُ في مكان نبعهِ الَّا انَّ ادوات التحليل التي كانت لديَّ لم تكن كافية لذلك فاخذت منهُ قناني حلَّلتها بعد اربعة ايَّام فوجدت في قعرها رسوباً كمدًا لم اتبيَّن حقيقتهُ. وكانت نتيجة التحليل انَّ الليتر من ذلك الماء لا يحتوي الَّا ١٠٠ ملغرام من كربونات الكلس وبعض آثار الكلورور. وذلك دليل على انَّ هذا الماء طيِّب خفيف على المعدة وانَّ اسم العين بعين المريض موافق لخواصّ مائها الطيّبة

وكان مسيرنا من دير القمر الى الباروك فعين زحلتا. ورأينا بالاختبار ان ماء ينابيع هاتين القريتين سهلٌ زلال ففي نبعي الباروك لا يزيد محتوى كربونات الكلس في الليتر منها على ١٢٠ ملغراماً. وكذلك نبع عين زحلتا يحتوي الليتر من مائها ١٢٥ ملغراماً من البيكربونات. وكنَّا ايضاً اجلنا تحليل مياه الباروك وعين زحلتا فنقلناها في القناني ولم نجد بعد خمسة ايَّام ادنى رسوب فيها. وناهيك بهِ دليلاً على طيبها

هذا وان اعتبرت مياه لبنان اجمالاً امكنك القول بانَّها باردة خفيفة تغلب البيكربونات عليها وقلَّة السولفات والكلورور (الَّا ماء بيكفيَّا) ومن خواصّ البيكربونات في الطبّ انَّهُ مسهل لَيِّن يدرّ البول ويفرز من الجسم فضلاتهِ والبيكربونات يحتوي شيئاً من الحامض الكربونيك الذي يسهِّل الهضم ويسكِّن الاعصاب ويقوي الجسم ولا عجب بعد ذلك ان ترى اللبناني في بلاد الغربة يتمنى شرب مياه جبلهِ الطيّبة ويتوق الى الينابيع المتعدّدة التي تسيل في كل معاطف وطنهِ ويفضّل تلك المياه على اجود الاطعمة واطيب المشروبات وينعت بلادهُ بعدن الفردوس الذي يدرّ فيهِ اللبن والعسل

الكلندار الحبشي

بقلم الكافلير الاديب عبدالله افندي رعد مدير جريدة الاحوال

الاصوام والاعياد في السنكسار الحبشي (تتمة)

اصوام الاحباش هي هذه: عدد ايامها

١ الصوم الاربعيني ٥٥ يوماً
٢ صوم الميلاد ٤٠ «
٣ صوم الرسل. يختلف حسب وقوع الفصح فيدخل في يوم معين بموجب حساب مخصوص وينتهي في عيد الرسولين بطرس وبولس
٤ صوم السيدة ١٥ يوماً
٥ صوم نينوى ٠٣ ايام
٦ صوم الاربعاء والجمعة من كل اسبوع

امّا اعياد البطالة فهي:

١ السبت والاحد من كل اسبوع. وقد تساهلت الكنيسة الحبشيّة مؤخرًا في حفظ السبت فامرت ان يعيّد بعد الظهر فقط

٢ الاعياد الآتية وهي اعياد شهريّة الّا انّهُ يحتفل بكل واحد منها احتفالًا خصوصيًا مرّةً في السنة:

١ عيد الاب كيرامنفس قدوس يقع في ٥ من كل شهر والاحتفال السنوي في شهر طقست
٢ عيد النانوث الاقدس « ٧ « « عمله
٣ عيد ميخائيل رئيس الملائكة « ١٢ « « هدار
٤ عيد عيد الدمة « ١٦ « « ياكاتيت
٥ عيد جبرائيل رئيس الملائكة « ١٩ « « تحاس
٦ عيد السيدة « ٢١ « « تحاسيه وهو عيد تاحوا
٧ عيد القديس جاورجيوس « ٢٣ « « هدار
٨ عيد القديس تكلاهيمانوت « ٢٤ « « في شهري تحاس وطر. الاول تذكار ولادته والثاني وفاته
٩ ذكر موت المسيح « ٢٧ « والاحتفال السنوي يوم الجمعة العظيمة
١٠ ذكر ميلاد المسيح « ٢٩ « « تحاس وهو عيد الميلاد الشريف

٣ الاعياد التي تحتفل مرّةً واحدة في السنة وهي هذه:

(مسكرام) ١ رأس السنة . يوحنا المعمدان = ١٠ ميلاد العذراء = ١٥ استفانوس الشهيد = ١٦–١٨ عيد رفع الصليب وهو ثلاثة ايام

(طقمت) ٤ عيد برتلماوس (بطالة في أكسوم فقط) = ١٢ متى الرسول الانجيلي وديمتريوس البطريرك الثاني عشر الاسكندري = ١٤ فيلبس الرسول = ٢٢ لوقا الطبيب الانجيلي ورفقته الشهداء

(هدار) ٥ عيد يوحنا الاسقف وتلميذه عيد = ٨ اكتشاف قسطنطين حلى عود الصليب الكريم = ١١ حنة جدة المسيح = ١٣–١٤ ثاني وثالث يوم عيد القديس ميخائيل (اليوم الاول منهُ في ١٢ هدار وقد ذكرناه في سلسلة الاعياد الشهرية) = ١٨ فيلبس الرسول

(تقمت) ٣ تقدمة السيدة الى الهيكل = ٤ اندراوس الرسول = ٢٨ باراموني عيد الميلاد الشريف ويدعى ايضاً عيد عمانوئيل = ٢٩–٣٠ عيد الميلاد الشريف وهو يومان

(طر) ٣ عيد الاب ليبانوس متى رئيس دير دبرا ليبانوس (بطالة في بعض المحلات فقط) = ٤ هجرة يوحنا المعمدان = ٦ ختانة المسيح = ١١–١٣ الظهور الالهي اي عيد الغطاس هو ثلاثة ايام = ١٥ عيد قرياقوس الشهيد وامه جوليطا (بطالة فقط في اريسا ودكاميري) = ١٨ حرق عظام القديس غريغوريوس الارشمندريت = ٢٢ القديس انطونيوس ابي الرهبان

(يكاتيت) ١ عيد القديس اندراوس = ٨ تقدمة المسيح الى الهيكل وتطهير العذراء امه = ١٠ يعقوب ابن الفيوس = ٣٠ وجود هامة يوحنا المعمدان وعيد البصابات امه

(مكايت) ٨ عيد متى الرسول الانجيلي = ١٠ اكتشاف الملكة هيلانة لخشبة الصليب المقدس = ٢٧ حبل حنة بوالدة الاله

(ميازيا) ١١ مكاريوس الاسقف والرتل بارد الملتاني = ١٢ يوحنا بركادوروس = ١٧ يعقوب الرسول ابن زبدى = ٣٠ رقس الرسول الانجيلي وبطريرك الاسكندرية الاول

(كنبوت) ١ عيد ميلاد السيدة = ١٢ نقل رفات القديس تقلاهيمانوت الى دير دبرا ليبانوس = ٢١–٢٥ ظهور السيدة العذراء في دير دبرا مطق في بلدة ماتاتا . وهو خمسة ايام = ٢٦ توما الرسول

(سنيه) ٨ تكريس كنيسة السيدة في بلدة مهاريب = ١٠ بوميل العالم باسره = ١١ كلوديوس الشهيد = ٢٠ تكريس اول كنيسة على اسم السيدة في اورشليم

(غمله) ٢ عيد تداوس الرسول = ٥ الرسولين بطرس وبولس = ١١ نتنائيل والرسول سمعان كلاوبا اسقف اورشليم = ٢٦ الاسقف سلامه اول مطارنة الحبش ورسولها

(خاميه) ١ عيد العذارى الثلاث بستيس واليس واغابيس = ٣ صوفيا الشهيدة واولادها الثلاثة = ٥ الاب فيلبس رئيس دير بيزا = ٦ مريم المجدلية = ٧ حبل حنة بوالدة الاله = ١٣ تجلي الرب على جبل ثابور = ١٦–٢٠ نياح السيدة وهو خمسة ايام ويزاد عليه عيد السيدة الشهري الذي يقع في ٢١ من الشهر = ٢٤ دبرا اكونا = ٢٦ موسى النبي واخته سارة امرأة اب الاباء ابرهيم = ٢٨ الآباء ابرهيم واسحق ويعقوب

(ايام النبي) ٣ عيد روفائيل قيدس

٤ الاعياد المنتقلة التي لا علاقة لها بالفصح وهي ثلاثة :

١ عيد التبشير او العيد السابق
٢ عيد النور
٣ عيد نولاوي او عيد راعي النفس

فهذه الاعياد الثلاثة تقع متابعةً في الثلاثة الآحاد الاولى من شهر تهساس. واذا كان بدء هذا الشهر يوم احد لا يقع بهِ عيد بل يكون الاحد الذى يليهِ عيد التبشير وبعده عيد النور وعيد نولاوي

٥ الاعياد المنتقلة التي تقع وسط الصوم الكبير وهي اربعة :

١ عيد جبل الزيتون
٢ ارصنا (وهو احد الثمانين)
٣ الفصح الناموسي
٤ صلب المسيح (وهو الجمعة العظيمة)

٦ الاعياد المنتقلة التي تقع في ايام الخماسين اعني بين الفصح والعنصرة وهي خمسة :

١ عيد قيامة المسيح او الفصح المسيحي المجيد
٢ عيد الكهنوت
٣ عيد الصعود
٤ عيد بارقليط او العنصرة

كيفية استخلاص الفصح في الكنيسة الحبشية

وما يتعلق بهِ من الاصوام والاعياد

للاحباش طريقة خصوصيَّة لاستخلاص عيد الفصح وما يتعلق بهِ من الاصوام والاعياد وهم يدعون هذه الطريقة « بحر الحساب ». واساس هذه الطريقة حساب تاريخ سنيهم الذي ينقص عن تاريخ عموم المسيحيين سبع سنين كما اشرنا سابقاً يزاد اليهِ تاريخ خلقة العالم وهو على زعمهم ٥٥٠٠ من المسيح الى آدم. فاذا اخذنا مثلاً سنة ١٨٩٦ حبشية تكون تلك السنة على حسابهم ٧٢٩٦ للخليقة . وهاك جذور هذا الحساب وهي اربعة : الترفنمان والوَمبر والحبَشتي والمَتش

١ حساب الترفنمان: يقسم الاحباش سني الخليقة الى دوائر كل دائرة منها

تتألف من تسعة عشر عاماً . والترفسان هو العدد الذي يزيد عن الدائرة الاخيرة . فاذا قسمنا السنة على ١٩ كان خارج القسمة هو عدد دائرة السنة وباقيه عدد الترفسان .

مثلاً : عام ٧٣٩٦ : ١٩ = ٣٩٨ والباقي ٥

فهذا العدد (اي ٥) هو ترفسان سنة ٧٣٩٦

٢ً حساب الومبر : اطرح ١ من الترفسان يكون لك ومبر تلك السنة

مثال ذلك ٥ — ١ = ٤ . فاذاً يكون ومبر سنة ٧٣٩٦ العدد ٤

(تنبيه) اذا كان الترفسان هو ١ فبالطبع يكون الومبر صفر .

٣ً حساب الحبشي : اضرب الومبر بعدد ١١ واطرح من الحاصل ٣٠ يكون لك الحبشي

مثال ذلك ٤ × ١١ = ٤٤ — ٣٠ = ١٤ الذي هو حبشي تلك السنة .

والحبشي هو تاريخ الشهر القبطي الموافق اول يوم من شهر مسكرام الذي هو بدء السنة الحبشيَّة

٤ً حساب المتش : المتش عندهم هو اول القمر من السنة الحبشيَّة وهو اصل الحساب الكنسي المعوَّل عليه في استخلاص الاعياد والاصوام المتنقلة . وهذا اليوم ينحصر بين ١٥ مسكرام و١٣ طقمت لا يقع لا قبل العدد الاول ولا بعد الثاني . ولمعرفة هذا اليوم اطرح الحبشي من ٣٠ والباقي هو يوم المتش

مثال ذلك : رأينا ان حبشي سنة ١٨٩٦ هو ١٤ . فاذا طرحنا ١٤ من ٣٠ بقي ١٦ وبما ان القاعدة تقول ان المتش لا يجب ان يكون لا قبل ١٥ مسكرام ولا بعد ١٣ طقمت فبديهي ان متش تلك السنة هو ١٦ مسكرام

واذ قد عرفنا كيفيَّة حساب هذه القواعد الاربع فلنشرع بحساب استخراج الاصوام والاعياد :

١ صوم نينوى

مبدأ عمومي . لا يقع صوم نينوي لا قبل ١٧ طر ولا بعد ٢١ ياكاتيت ويوافق وقوعه يوم اثنين

واذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع صوم نينوى اضف الى متش تلك السنة ١٢٠ ثم اضف ايضاً الى المجموع عدداً يدعى « ترساك » يختلف بين ٢ و٨ حسب يوم

الاسبوع الذي يقع بهِ متش تلك السنة واليك هـذه الاعداد:

اذا كان المتش يوم سبت فالعدد الـذي يضاف هو ٨ وان كان الاحد ٧ والاثنين ٦ والثلثا ٥ والاربعاء ٤ والخميس ٣ والجمعة ٢

وعليهِ اذا وافق متش تلك السنة يوم السبت فيضاف اليهِ ١٢٨ واذا كان يوم احد ١٢٧ ويوم اثنين ١٢٦ وهلمَّ جرًّا ثم يقسم المجموع على ٣٠ حتى تفرز الاشهر والباقي هو يوم نينوى

مثال ذلك: رأينا ان متش سنة ١٨٩٦ كان ١٦ مسكرام (وكان وقوعهُ يوم الاحد) اذن

١٦٠ + ١٢٧ = ١٤٣ ÷ ٣٠ = ٤ ويبقى كسر ٢٣

وبما ان المبدأ العمومي هو ان يوم نينوى لا يقع لا قبل ١٧ طر ولا بعد ٢١ ياكاتيت فبديهي ان ٢٣ يجب ان تعتبر من شهر طر. والنتيجة ان صوم نينوى في سنة ١٨٩٦ يقع في ٢٣ طر. وبعبارة اخرى ان صوم نينوى في تلك السنة يقع بعد يوم متش بـ ١٢٧ يوما تقسم هكذا ١٤ يوماً (بعد ١٦ الـذي هو يوم المتش) من مسكرام وشهر طقمت كله ٣٠ يوماً وشهر هدار كله ٣٠ يوماً وشهر تهاس كله ٣٠ يوماً و ٢٣ من طر

١٤ + ٣٠ + ٣٠ + ٣٠ + ٢٣ = ١٢٧

٢ اول الصوم الاربعيني

مبدأ عمومي: لا يقع اول الصوم الاربعيني لا قبل ١ ياكاتيت ولا بعد ٥ مكابيت ويوافق وقوعهُ يوم اثنين

اذا اردت ان تحسب في اي يوم يكون اول الصوم الاربعيني اضف الى يوم نينوى ١٤ يوماً واطرح من المجموع ٣٠

مثال ذلك: رأينا ان صوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ١٤ = ٣٧ − ٣٠ = ٧

وبما ان المبدأ العمومي يقول ان هذا اليوم لا يقع قبل ١ ياكاتيت ولا بعد ٥ مكابيت. فالعدد ٧ يعني اذاً ٧ ياكاتيت الذى هو يوم دخول الصوم الاربعيني

٣ عيد جبل الزيتون

مبدأ عمومي: لا يقع عيد جبل الزيتون الّا يوم احد بين ٢٨ يا كاتيت و ٢ ميازيا فاذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع هذا العيد اضف الى يوم نينوى ٤١ افرز من المجموع الاشهر التام والباقي هو تاريخ وقوع العيد

مثال ذلك: رأينا ان صوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ٤١ = ٦٤ − ٦٠ (افراز شهرين) = ٤

وبما ان المبدأ العمومي يقول ان هذا العيد منحصر بين ٢٨ يا كاتيت و ٢ ميازيا فالعدد ٤ يعني اذًا ٤ مكابيت الذي هو يوم عيد جبل الزيتون

٤ عيد اوصنّا او عيد الشعانين

مبدأ عمومي: لا يقع هذا العيد الّا يوم احد وهو ينحصر بين ١٩ مكابيت و ٢٣ ميازيا

اذا اردت ان تعرف في اي يوم يقع هذا العيد اضف الى يوم نينوى ٦٢ وافرز الاشهر التام من المجموع والباقي هو تاريخ وقوع العيد

مثال ذلك: رأينا ان يوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ٦٢ = ٨٥ − ٦٠ = ٢٥

واذ يؤخذ من المبدأ العام ان هذا العيد منحصر بين ١٩ مكابيت و ٢٣ ميازيا فالعدد ٢٥ يدلّ على ٢٥ مكابيت الذي هو يوم وقوع احد الشعانين

٥ عيد الفصح الناموسي

مبدأ عمومي: يقع هذا العيد في اي يوم كان من الاسبوع. وهو ينحصر بين ١٥ مكابيت و ٢٣ ميازيا

اذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع هذا العيد اضف الى يوم المتش ١٩٠ وافرز الاشهر التام من المجموع والباقي هو تاريخ وقوع العيد

مثال ذلك: رأينا ان متش وقع في ١٦ مسكرام

١٦ + ١٩٠ = ٢٠٦ − ١٨٠ (افراز ستة اشهر) = ٢٦

وقد رأيت ان هذا العيد منحصر بين ١٥ مكابيت و ٢٣ ميازيا فدلول العدد ٢٦ الى ٢٦ مكابيت الذي هو تاريخ وقوع الفصح الناموسي

٦ عيد صلب المسيح (الجمعة العظيمة)

مبدأ عمومي: لا يقع هذا العيد الا يوم جمعة وهو ينحصر بين ٢٤ مكابيت و٢٨ ميازيا

واذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع هذا العيد اضف ٦٧ الى يوم نينوي وافرز من المجموع الاشهر التام والباقي هو تاريخ وقوع العيد

مثال ذلك: رأينا ان يوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ٥٧ = ٩٠ − ٦٠ (افراز شهرين) = ٣٠

وقد عرفت ان هـذا العيد منحصر بين ٢٤ مكابيت و٢٨ ميازيا فالعدد ٣٠ مدلوله ٣٠ مكابيت الذي هو تاريخ وقوع عيد صلب المسيح

٧ عيد قيامة المسيح او الفصح المسيحي

مبدأ عمومي: لا يقع هذا العيد الّا يوم الاحد وهو ينحصر بين ٢٦ مكابيت و٢٠ ميازيا

فاذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع هذا العيد اضف ٦٩ الى يوم نينوى وافرز الاشهر التام من المجموع والباقي هو تاريخ وقوع العيد

مثال ذلك: رأينا ان صوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ٦٩ = ٩٢ − ٩٠ (افراز ٣ اشهر) = ٢

ولان هذا العيد منحصر بين ٢٦ مكابيت و٢٠ ميازيا فالعدد ٢ يعني ٢ ميازيا الذي هو تاريخ يوم الفصح المجيد

٨ عيد الكهنوت

مبدأ عام: لا يقع هذا العيد الّا يوم اربعاء وهو ينحصر بين ٢٠ ميازيا و٢٤ كنبوت

فاذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع هـذا العيد اضف ٩٣ الى يوم نينوى وافرز الاشهر التام من المجموع والباقي هو تاريخ وقوع العيد

مثال ذلك: رأينا ان صوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ٩٣ = ١١٦ − ٩٠ (افراز ٣ اشهر) = ٢٦

ولانّ هذا العيد منحصر بين ٢٠ ميازيا و٢٤ كنبوت كما رأيت فالعدد ٢٦ يعني ٢٦ ميازيا الذي هو تاريخ يوم عيد الكهنوت

٩ عيد الصعود

مبدأ عام: لا يقع هـذا العيد الا يوم خميس وهو ينحصر بين ٥ كنبوت و٩ سنيه

اذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع هـذا العيد اضف ١٠٨ الى يوم نينوى وافرز الاشهر التام من المجموع والباقي هو تاريخ وقوع العيد

مثال ذلك: رأينا ان صوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ١٠٨ = ١٣١ − ١٢٠ (افراز ٤ اشهر) = ١١

ولانحصار هـذا العيد بين ٥ كنبوت و٩ سنية فالعدد ١١ يعني ١١ كنبوت الذي هو تاريخ يوم عيد الصعود

١٠ عيد بارقليط او العنصرة

مبدأ عام: لا يقع هـذا العيد الا يوم احد وهو ينحصر بين ١٥ كنبوت و١٩ سنيه

اذا اردت ان تحسب في اي يوم يقع هـذا العيد اضف ١١٨ الى يوم نينوى وافرز الاشهر التام من المجموع والباقي هو تاريخ وقوع هذا العيد

مثال ذلك: رأينا ان صوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ١١٨ = ١٤١ − ١٢٠ (افراز ٤ اشهر) = ٢١

وهذا العيد منحصر بين ١٥ كنبوت و١٩ سنيه وفقا للمبدأ العام فالعدد ٢١ يعني اذًا ٢١ كنبوت الذي هو تاريخ يوم عيد العنصرة

١١ صوم الرسل

مبدأ عام: تاريخ دخول هذا الصوم ينحصر بين ٢٣ كنبوت و٢٧ سنيه

اذا اردت ان تحسب يوم وقوع هذا الصوم اضف ١١٩ الى يوم نينوى وافرز الاشهر التام من المجموع والباقي هو تاريخ وقوع هذا الصوم

مثال ذلك: رأينا ان صوم نينوى وقع في ٢٣ طر

٢٣ + ١١٩ = ١٤٢ − ١٢٠ (افراز ٤ اشهر) = ٢٢

ودخول هذا الصوم منحصر بين ٢٣ كنبوت و٢٧ سنيه فالعدد ٢٢ يعني اذًا ٢٢ سنيه الذي هو تاريخ يوم دخول صوم الرسل

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

نغتنم هذه الفرصة لنلحق بالكلندار الحبشي كلندارًا آخر للسريان اليعاقبة وجدناهُ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية. وهذا الاثر مُلحق بمُعجم سرياني عربي منظَّم على حسب المواد طُبع قديمًا سنة ١٦٣٦ في رومية مع الترجمة اللاتينية للاب توما دي نثارًا الفرنسيسي (١. ونسختنا في ٣٣٩ صفحة مكتوبة بالكرشونية ترتقي الى نحو ٣٠٠ سنة ينقص بعض صفحات من اوّلها. والكلندار في آخر الكتاب من الصفحة ٢٢٢ الى ٢٢٨ يدعوهُ الكاتب قوديقوس ومعناها الجدول ويكتب الاعداد بحروف الجمَّل وهو يفيد بالمقابلة مع كلندار الحبش وهم ايضًا يعاقبة كالسريان كما تعلم ومع كلندار الموازنة الذي نشرناهُ سابقًا (في المشرق ٨ : ٨٦٤) وكلندار كنيسة انطاكية (فيه ٤ : ٤٢٢ و٤٧٩). وها هوذا بحرفهِ:

(332) باسم الاب والابن والروح القدس

نكتب قوديقوس الاعياد

(تشرين الاوّل وهو ٣١ يومًا وهو رأس سنة السريان) اوّل يوم فيهِ مار ادي ومار آبي = ٧ مار سرجيس ومار بخوس = ١٥ اسيا واشميا الحلبي(٢

(تشرين الاخير ٣٠ يومًا) اوّل احد فيهِ ܗܘܦܥ ܚܕܫܐ (تقديس البيعة) = ٢١ حنانيا (الراهب في) دير الزعفران = ٢٧ يعقوب ܡܪܕܘܬܐ (المقطَّع) = ٢٩ يعقوب ܡܚܘܠܐ (المفتر وهو السَّرُوجي)

(كانون الاوّل هو ٣١ يومًا) (324) اوّل يوم فيهِ صوم الميلاد = ٤ مارت بربارا = ٦ مار زخا (اي نقولا) = ١٠ بهنام وساره اختهُ واربعون شاهدًا رفقتهُ = ١٥ يوحنّا العمدان والذي هو رأس الاعياد = ٢٥ عيد الميلاد = ٢٦ عيد السيّدة (اي تهنئتها) = ٢٧ قتل الاطفال

(كانون الاخير ٣١ يومًا) اوّل يوم فيهِ غريغوريوس وبسيليوس وهي ختانة الرب

---

١) وهذا اسم الكتاب:

THESAURUS ARABICO-SYRO-LATINUS R. P. F. Thomæ a Novaria O. M., *Romæ, Typis Sac. Congr. de Propag. Fide,* 1636

وهذا الكتاب قد طبع بعد وفاة الاب توما دي نوفارا وظنَّ المتولي لطبعهِ انهُ تأليفهُ والصواب انهُ لاحد السريان كما يظهر من نسخة مكتبتنا القديمة وانما ترجمهُ الاب توما الى اللاتينية فقط. وفي نسختنا فصول ليست في الطبعة الرومانية ٢) اهملنا كلمة مار اختصارًا

= ٦ عيد الدنح والعماد = ٧ عيد يوحنا المعمدان الذي هو قتلته = ٨ مار اسطفانوس = ٩ مكسيميوس ودومطو = (325) ١٥ عيد السيدة (سيدة الزرع)

(شباط ٢٨ يوماً وبالكبيس ٢٩) ٢ فيه ܕܥܠܝܬܐ اي دخول الرب للهيكل = ٣ برصوما (الاسقف اليعقوبي) = ٨ ساويرا (البطريرك الدخيل) = اول سبت في الصوم مار افريم ومار تداوس

(آذار ٣١ يوماً) ٩ فيه عيد الاربعين شاهداً = ٢٥ عيد البشاره

(نيسان ٣٠ يوماً) ٣ عيد مار انيا النبي النيور = ٢١ عيد مار اوجين = (326) ٢٣ مار جاورجيس الشهيد = وجمعة الاموات الذي قبل الاحد الجديد

(أيار ٣١ يوماً) اول يوم فيه مار ميخائيل واختهُ سيرس = ٢ مار زخا = = ٥ يوحنا الانجيلي = ١٥ عيد السيدة (السنبل) = وعيد الصعود بعد القيامة باربعين يوماً = برصوما الخميس الذي قبل فنطيقوسطي = وبعد القيامة بخمسين يوماً عيد الفنطيقوسطي = ويوم الاثنين بعدهُ عيد (327) مار اهرون = والجمعة التي بعدهُ جمعة الذهب

(حزيران ٣٠ يوماً) ٢٩ عيد فطرس وفولس = ٣٠ عيد الرسل الاثني عشر السليحيين

(تموز ٣١ يوماً) ٢ عيد الابهات المصريين الانبا بيشاي والانبا مقاريوس والانبا يوحنا ومكسيميوس ودرميطيوس = ٣ عيد مار توما = ١٥ قورياقس ويوليطا امهُ واندراس والجاي = ٢٩ مار يعقوب الملفان (الرهاوي)

(آب ٣١ يوماً) ١ عيد مرت شموني واولادها = ٦ عيد التجلي = ١٤ عيد مار عزازيل (الشهيد) = ١٥ عيد السيدة (انتقالها) = ١٦ مار سابا يولينا = ٢٦ ܕܟܠܗܘܢ ܢܒܝܐ ܘܩܕܝܫܐ (كل الانبياء والآباء)

(ايلول ٣٠ يوماً) ١ عيد مار ملكا = ٢ مار شمعون ܕܥܡܘܕܐ (العمودي) = ١٤ عيد الصليب = ٢٠ مار تاردوطا الذي هو (مكرّم) في دير وجع الرؤوس = ٢٤ مار دعط (كذا) = ٢٧ مار اغريفاس ولبرنطيوس (؟) (329)

(ويليه ١١ صفحة لحساب الاعياد والاصوام وفقاً للحساب الشرقي نذكرها في فرصة اخرى ان شاء الله)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الرابع
النصرانيّة في النجب وطور سينا

ان انحدرت من فلسطين جنوباً فسرت من غزّة على سيف البحر مارًا بالعريش حتى ترعة سويس ثمّ مددت من هاتين النقطتين خطّين متوازيين الى الجنوب انبسطت أمامك البراري الواسعة كبريّة سين وبريّة سور وبلاد الشراة والنّجب ثمّ يتشكّل لك شبه مثلّث مخروط رأساهُ الاعليان عند خليج سويس غرباً وخليج عقبة شرقا والرأس الثالث يدخل في البحر ويُعرف برأس محمّد. فهذا المثلّث الكبير هو شبه جزيرة سينا فيه بادية التيه التي تنقّل فيها بنو اسرائيل سنين عديدة وبريّة فاران. وهناك سلسلة جبال شاهقة كجبل غرندل وجبل سرابيط الخادم وجبل التيه وخصوصاً طور سينا او حوريب وجبل موسى وجبل سربال وجبل كاترين مع ما فيها من الاودية (انظر في المشرق ٩ : ١٠٦٨ خارطة طور سينا) فتلك البلاد كانت شمالًا في أيام بني اسرائيل مواطنَ للادوميين والعمالقة والمديانيين وقد كثرت فيها بعد ذلك قبائل العرب من بني اسماعيل والنبطيين فاستولت عليها واقتسمتها وكانت تتجوّل فيها على حسب حاجاتها كما يتجوّل الملك في مملكته والسيّد في املاكه دون ان تركز في محلّ مخصوص الّا اهل المدر منها فانها وجدت في بعض بقعها وواحاتها ما يقوم بلوازمها ومناجع مواشيها فاستوطنتها

فهذه البلاد الواسعة قدم اليها تلامذة المسيح ليدعوا الناس الى دين سيّدهم . وممّن ذكرهم القدماء الرسول برتلماوس فقالوا عنهُ انهُ « تلمذ بلاد العرب والنبط » يريدون جنوبي الجزيرة وهذه الجهات خصوصاً . وجاء في تاريخ القبط للمقريزي

(Wetzer: *Macrizii Historia Coptorum*, p. 14) انَّ متيَّاس (وهو الرسول الذي أُقيم بدلًا من يهوذا الاسخريوطي) سار الى بلاد الشراة (١ فبشَّر فيها بالمسيح وكانَ النصرانيَّة وجدت في تلك الانحاء ملجأً في قرون الميلاد الاولى نزعت اليهِ ولاذت بهِ رغبةً في التنسُّك والزهد او فراراً من اضطهادات الوثنيين فكان نصارى مصر والشام يرون في شبه جزيرة سينا مقاماً آمناً لا يستطيع العالم ان يكدّر فيهِ صفاء حياتهم الملائكيَّة ولا يقدر اعداؤهم القبض عليهم فكانوا يسكنون في اوديتها ووهادها او يرقون جبالها ليعيشوا فيها عيشة سماويَّة في مناجاة الله

ولنا على ذلك عدَّة شواهد ترتقي الى اواسط القرن الثالث للميلاد منها رسالة للقديس ديونيسوس اسقف الاسكندريَّة كتبها الى فابيوس اسقف انطاكية وصف فيها المحن والبلايا المتعدّدة التي نالت نصارى مصر بسبب اضطهادات الحنفاء وعبدة الاوثان لاسيما في عهد القيصر دقيوس فمَّا قالهُ (٢ : انَّ اسقف مدينة نيلوس هرب الى جبال العرب مع عدد كبير من النصارى فبعضهم ماتوا وبعضهم استعبدهم العربان الى ان افتداهم النصارى بالمال الكثير وبقي غيرهم منقطعين الى العيشة النسكيَّة . وقد اثبت البولنديّون في اعمال القديسين وبعض مؤرخي الكنيسة انَّ العيشة الرهبانيَّة في شبه جزيرة سينا وما وراء بحر القلزم سبقت عهد القيصر ديوقلطيانوس

وجاء في اعمال القديسين الشهيدين غلاقتيون وامرأتهِ اپيستام المولودين في حمص (٣ انهما نذرا لله عفَّتهما في الزواج ورحلا الى طور سينا حيث وجدا عشرةً من النسَّاك كانوا يعيشون هناك عيشة الابرار فاخذ العرسان عنهم آداب السيرة النسكيَّة وعاشا متفرّدين لاعمال البرّ غلاقتيون بين الرجالَ واپيستام مع النساء حتى بلغ خبر اولئك السيَّاح واليَ الرومان سنة ٢٥٠ فطلبهما وقتلهما شهيدين

ومع ما كان يلقى اولئك السيَّاح من انواع المشقَّات من القبائل الوثنيَّة التي تسكن جهات الطور والبراري المجاورة لارض مصر لم يلبث أن يؤثر في بعضها مثل

١) وفي طبعة مصر للخطط والآثار (٣ : ٤٨٣) انهُ سار الى الشرق ونظنُّها تصحيفًا

٢) اطلب مجموع اعمال آباء اليونان لمين Migne P. L., X col. 1505—6 وتاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٤١ و٤٢)

٣) اطلب مجموع متافراست (Migne. P.G., CXVI, col. 102)

اولئك الابرار حتى ارتدَّ منهم قومٌ الى الايمان ونظنّ ان القديس ديونيسيوس الاسكندري يشير الى هؤلاء المتنصرين في كتابه الى البابا القديس اسطفانوس الاول نحو سنة ٢٥٥ حيث يبشره بموافقة الكنائس الشرقيَّة على تعليمه بخصوص معموديَّة الهراطقة قال (١ : « وقد ترى رأيكم كلُّ الاقاليم السوريَّة مع بلاد العرب التي تقومون من حين الى آخر بضرورياتها والتي وجَّهتم اليها رسائلكم الآن ». فقولهُ « بلاد العرب » يدلُّ خصوصاً على ما جاور منها مصر كما يظهر من القرائن. وقولهُ « تقومون بضروريَّاتها » دليل حي على عناية الكرسي الرسولي في القرون الاولى بكل كنائس العالم حتى اقصاها لمساعدتها في حاجاتها الروحية والماديَّة

وفي هذه البلاد العربيَّة المجاورة لمصر بشَّر بالايمان احد الشهداء في عهد ديوقلطيانوس وهو القديس كيروس كما ورد في اعماله التي نشرها الكردينال ماي (٢ ونصَّر جمًّا غفيرًا من اهلها بكلامه ومعجزاته ثمَّ قتل شهيدًا

واشهر منهُ اربعون شهيدًا قتلهم العرب الوثنيون في سنة ٣٠٩. وكان هؤلاء تنسَّكوا في جنب جبل موسى فيعيشون هناك في الصوم والشغل اليدويّ فوثب عليهم اهل البوادي وقتلوا منهم اربعين وقد أُقيم لذكرهم دير ترى حتى يومنا آثارهُ ويدعى بدير الاربعين (٣ ويُعيَّد لهؤلاء الشهداء في تاريخ ٢٨ ك ١

ولمَّا فازت النصرانيَّة بتدثُّر قسطنطين رسخ الدين النصرانيّ في الخلاء طور سينا والبلاد العربيَّة الواقعة بجواره. وقد اخبر المؤرخون انَّ القديسة هيلانة شيَّدت كنيسة على طور سينا تذكارًا لما جرى فيه من الاعاجيب في عهد موسى وشعب اسرائيل. وزاد النسَّاك عددًا وانتشارًا في سائر اصقاع تلك الجهات. ففي غزَّة ونواحيها الشرقيَّة والجنوبيَّة اشتهر القديس هيلاريون المارّ ذكرهُ. ولا تزال آثار هذا

---

١) اعمال الآباء اليونان (Migne, P.G., X, 1314-5)

٢) اطلب (A. Mai : *Spicileg. Romanum*, IV, 230-241) اطلب ايضًا اعمال البولنديين (Acta SS, III Janv. 701)

٣) اطلب سياحة الاب ميشال جوليان اليسوعي الى سينا (M. Jullien : *Sinai et Syrie*, p. 140)

الرجل العظيم باقيةٌ هنـاك وقد وصفها في المشرق (١ : ٢١٣—٢١٥) السائح الهمام الكاهن لويس موسيل نزيل كليتنا سابقاً مع بيان موقعها وذكر تلامذة القديس الذين اخذوا عنهُ الطريقة النسكيَّة. وفي ترجمة حياتهِ التي كتبها القديس هيرونيموس معاصرهُ ما ينبئ باعمالهِ الرسوليَّة بين عرب تلك النواحي وقد اقام عدَّة اديرة في وسطانيهم في بريَّة غزَّة وجهات عين قادس وكان يتردَّد اليها ويرافقهُ الرهبان في سياحتهِ زرافاتٍ بلغ احياناً عددهم الفي راهب (١ . ولمَّا شاع خبر قداستهِ كان الاهلون يخرجون اليهِ افواجاً افواجاً وجماهير مجمهرة يتقدَّمهم الاساقفة والكهنة. وذكرنا سابقاً اكرام العرب لهُ في خلَّصة . واخبر الثقـة انهم كانوا يقصدونهُ في كل حاجاتهم فتارةً كان يلتمس لهم المطر في سنتهم وتارةً كان يشفي نوقهم من عاهاتها وكان يخرج منهم الشياطين او ينال لهم من الله البرء من امراضهم فردَّ النظر في مدينة العريش (Rhinocolure) لامرأة عمياء. وابرأ من مرض عضال شيخ مدينة أيلة النصراني المدعوّ اوريون (٢ . وذكر سوزومان في تاريخهِ الكنسي (ك ٥ ف ١٥) انَّ القديس شفى ايضاً في غزَّة جدَّهُ الافيان الذي اشتهر بعدئذٍ بتقاهُ وشيَّد اديرة وكنائس

وفي هذا القرن الرابع نُفي الى براري سينا والنبط رجال افاضل من الاساقفة والكهنة تقاهم الملك قنسطانسيوس الاريوسي كالقديسين اوجان وبروتوجان المنفيَّين من الرها الى براري العرب (عيدهما في ٥ ايار) وفي ترجمة القديس هيلاريون ورد ذكر الاسقفين القديسين دراكنتيس وفيلون المنفيَّين الى نواحي غزَّة. والى أيـلة نفى الامبراطور انستاس القديس ايليا بطريرك اورشليم وكان عربي الاصل كما مرَّ (٣. وكذلك اسقف ايلة الذي لاقى اعمال المجمع الخلقيدوني سنـة ٤٥١ كان عربياً ويدعى غوثاً

واخذت الاديرة تمتدُّ في اواسط بلاد سينا وتكثر حولها القبـائل المتنصرة

(١ : اطلب اعمال القديس هيرونيموس في مين (Migne, P. L., XXIII, 42)

(٢ (ibid. 37)

(٣ اطلب ترجمتهُ للاب جنيه الدومنيكي (Conférences de St Etienne, 1909-1910, p. 387-330)

واخصّ هذه الاديرة دير فاران الذي ورد ذكرهُ في كتاب المرج الروحي تأليف حنا موسكوس في القرن السادس للمسيح (١ . وقد اثنى هناك على رئيسهِ غريغوريوس الذي صار بعد ذلك بطريركاً على انطاكية . وكان دير فاران حافلاً بالرهبان الوطنيين وغيرهم ذكر الآباء منهم القديس سارانس رئيسهُ ثمَّ موسى الفاراني الشهير بقداستهِ وكراماتهِ

وفاران هذه كانت شهيرة في عهد الدولة الرومانيَّة واصبحت مدينةً كبيرة وافرة السكان وهي اليوم قرية حقيرة فيها نحو الخمسين بيتاً وهي تُدعى فيران موقعها في وادٍ كثير الخصب تنمو فيهِ الاشجار لاسيما النخيل وتجري فيهِ المياه العذبة فالنصارى دخلوا فاران ونشروا فيها دينهم حتى كاد يعمّ كل اهلها منذ القرن الرابع . وكان فيها كرسيّ اسقفيّ يذكر الروم في الميناون في ١٨ شباط اسقفها المدعو اغابيطوس او محبوب في عهد قسطنطين الكبير . وممَّن لا يُشكّ في تاريخهِ الاسقف نثراس او نثير في النصف الثاني من القرن الرابع وتلميذ القديس سارانس . وكان امير فاران نصرانياً يُدعى عوبديان او عبدان . وقد بقيت فيها النصرانيَّة معزَّزة رفيعة الشان الى القرن السابع وحجَّت اليها القديسة سيلفيا (اوكارية) في اواخر القرن الرابع في رحلتها الى الاراضي المقدَّسة والقديس انطونينوس الشهيد نحو سنة ٥٨٠ . وترى بين اخربتها حتى اليوم بقايا من كنيستها ومدافنها النصرانيَّة عليها النقوش المسيحيَّة كالصلبان والرموز الدينية واسم السيّد المسيح مختصراً

ومن الاديرة الشهيرة في التاريخ الكنسي دير ريث الذي موقعهُ بجوار مدينة الطور فهذا الدير توارد اليهِ الرهبان وذاعت شهرتهُ حتى طمعت فيهِ قبيلة همجيَّة كانت تسكن في سواحل مصر يدعونها بلاميس (Blemmeys) فاجتازت بحر القلزم واغتالت رهبانهُ سنة ٣٧١ وفرَّت هاربةً فلمَّا بلغ الخبر اهل فاران ساروا مع اسقف البلد وعوبديان الامير الى دير ريث وجمعوا جثث الشهداء ودفنوهم بكل اكرام . وقد روى اخبارهم اثونيوس الراهب الشاهد العياني لاستشهادهم

وقبل ان يقدّس هؤلاء وادي فيران وسواحل جبل الطور كان رقي قوم اخرون

١) اطلب اعمال الاباء لمين Migne P. L. LXXIV, 188–190

اعالي جبل موسى حيث كان التقليد عيَّن موقع مناجاة الكليم لربّهِ وحيث صعد اليّا الى جبل الله فانقطعوا على مثالها للالهيَّات. وقد مرَّ بك ذكر بعض هؤلاء النسَّاك في اواسط القرن الثالث. واخبر سولبيوس ساويرس (١ في سياحتهِ الى جبل سينا نحو السنة ٣٨٠ انهُ رأى راهباً كان يقطن اعالي سينا منذ خمسين سنةً . ثمَّ كثر عددهم فابتنوا لهم مآوي ليسكنوا فيها . على انَّ لصوص العرب الوثنيين والمعادين لاهل الحضر المتنصِّرين قدموا من شمالي الجزيرة وجهات الشراة وهجموا بغتةً على محابس الرهبان المتفرّقة في انحاء جبل موسى ووقع ذلك نحو سنة ٣٩٠ كما رواهُ احد الشهود العيان والكاتب اليونانيّ القديس نيلوس الذي مرَّ ذكرهُ وكان هذا من اسرة شريفة تولَّى نظارة الامور على مدينة القسطنطينيَّة ثمَّ استعفى ليتجرَّد لخدمة الله فرحل الى طور سينا مع ابنهِ تلودولوس وتنسَّكا في جبل سينا . فقتل العرب في هذه الزحفة سبعة من السيَّاح واسروا غيرهم وكان من جملتهم ابن القديس نيلوس الذي روينا شيئاً من اخبارهِ في باب تاريخ اديان العرب وقد نجا من ايدي الغزاة في مدينة الخلصة بهمَّة اهلها النصارى واستقنها (٢

ومذ ذاك الحين اخذ رهبان جبل سينا يتحصَّنون في وجه الغزاة ولمَّا صار الامر الى يوستنيان الملك ابتنى لهم الكنائس الفخيمة والابنية الحصينة وجعل في خدمة الرهبان بعض قبائل العرب المتنصِّرين اخصُّهم بنو صالح وقد عُرفوا بالجبليَّة . وكان الزوَّار اذا ما قصدوا الاراضي المقدَّسة يزورون ايضاً هذه الاديرة لينالوا بركتها وبركة اهلها . وقد ازداد عدد رهبانها حتى جُعل لطور سينا اساقفة عدَّدنا اسماءهم في مقالة نشرناها في اعمال المكتب الشرقيّ (٣

وكذلك اشتهر بين الرهبان بعض القديسين والكتبة كالقديس انستاس السينوي في القرن السادس . وليس اقلَّ منهُ شهرةً القديس يوحنا رئيس طور سينا المعروف

---

١) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne P. L. XX, 194, Sulpice-Sévère, Dial. I, 17)

٢) اعمال الآباء اليونان (Migne P. G., LXXIX, col. 678-700)

٣) اطلب الجزء الثاني من هذا المجموع (*Mélanges de la Fac. Or.* II, 408-421) Les Evêques du Sinaï

بالسُّلَّمي باسم اوكليماركوس كتاب ألفه دعاهُ سُلَّم الكمال وكان معاصرًا للقديس البابا غريغوريوس الكبير وكان بين القديسين مكاتبات رواها جامعو آثار الحبر الاعظم. وقد ذكرنا في المشرق (٧: ٩٩٣) ما تبرَّع بهِ ذلك البابا من الحسنات لدير طور سينا حيث انشأ يوحنَّا مأوى للعجزة والزوَّار

وفي اعمال القديس صفرونيوس بطريرك القدس تكرَّر ذكر طور سينا ورهبانهِ والزوَّار المتردِّدين اليهِ (١

وبعد ذلك بقليل استولى العرب المسلمون على شبه جزيرة سينا وقد قيل انَّ بين آثار طور سينا سجلَّات اعطاهُ محمَّد كامان لاهلهِ وبقي عندهم الى ايَّام السلطان الغازي سليم الاوَّل فاخذهُ الى القسطنطينيَّة (راجع في المشرق ١٢: ٦٠٩ و ٦٧٩) مقالتنا في عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى

ومن الآثار النصرانيَّة كتابات عديدة وجدت منقورة في الصخر او مكتوبة بالمغرة على جوانب وادي المكتَّب. فان السيَّاح كانوا اذا مرُّوا هناك كتبوا اسماءهم وطلبوا من الله الرحمة واعلنوا ايمانهم بالله الواحد ورسموا بعض العلامات المسيحيَّة كالصليب والانجر وسعف النخل والحرف الاوَّل من اسم السيِّد المسيح. وهذه الكتابات منها يونانيَّة ومنها قبطيَّة لا شكَّ في نسبتها الى النصارى. وبينها كتابات اخرى عديدة مكتوبة بالنبطيَّة ومن جملتها ما نصفهُ يونانيّ ونصفهُ الآخر نبطي وبعض العلماء يرتأون انَّها للوطنيين المشركين امَّا غيرهم فيرجحون ايضًا انَّها للنصارى منهم من قبائل تيم الله وكلب واوس ممَّن اعتقدوا النصرانيَّة بل تُرى العلامات النصرانيَّة عليها كما تُرى على اليونانيَّة والقبطيَّة وان لم يكن في منطوقها ما يدلّ على الدين المسيحي صريحًا ما لم يُقل انَّ تلك العلامات أُضيفت بعد ذلك العهد والله اعلم (٢

ومن البلاد اللاحقة بشبه جزيرة سينا بقعة واسعة في تخوم فلسطين عن جنوبها الشرقيّ كثيرة النخيل عرفها الكتبة اليونان ودعوها فينيقون (Φοινικών) اي مغارس النخل وقد ظنَّ البعض انَّ موقعها في وادي فيران الَّا انَّ كلام الكتبة

(١ اطلب اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G. LXXVII, col. 719, 2958, 3035, 3051)

(٢ اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (J. A., 1859¹ 5 et 194) وسياحة الاب ميشال جوليان الى سينا (ص ٧٧)

الاقدمين لا ينطبق عليها. والصواب انّها شمالي غربي وادي فيران وقيل انّ هناك مكاناً يُدعى بالنَّخل لكثرة نخلهِ فلعلّهُ هو مدلول كتبة اليونان. ففي القرن السادس كان يحتلّ هذا البقيعَ قومٌ من العرب من جذام ولخم وكان احد امرائهم يدعى ابا كرب. فروى عنهُ المؤرخ بروكوبيوس الغزّي (١ انّهُ كتب الى يوستنيان ملك الروم يقدّم لهُ ولايتهُ فشكرهُ الملك وجعلهُ اميرًا على كل قبائل العرب (phylarque) التي في جوارهِ فتولّاها باسم ملك الروم واخضع العرب لامرهِ. ولا شكّ انّ هذا الامير كان نصرانياً ولولا ذلك لما رَضي يوستنيان ان يرتّبهُ على بلاد كان الدين المسيحي قد مدَّ عليهم سيطرتهُ كالنبط وبني كلب وغيرهم. وفيهِ ايضاً دليل على نصرانيّة العرب المتوطنين لبقعة النخيل التي كان ابو كرب مالكاً عليها

وقد جاءت الاكتشافات الجديدة للسيّاح الاوربيين في بلاد مواب وآدوم والنبط مثبتة لهذه الآثار التاريخيّة القديمة فانّ الكاهن العالم نزيل كليّتنا سابقاً الدكتور لويس موسيل الذي تجوّل مرارًا في تلك الانحاء ووصف ما رآى بالعيان في مجلّدات ضخمة فرسم في تآليفهِ ما وجدهُ من الآثار كالرسوم والقبور والصلبان وغير ذلك منها في قصر المؤفَّر (٢ وفي العويرة (٣ وفي امّ الرصاص (٤ وممّا تُرى بقاياهُ الى يومنا آثار كنائس عديدة في امكنة شتى كمَبد والعرجاء وفار وفينان وحُسبان والكسيفة والمكاور والمحيّ بل يُسمّى بعضها اليوم باعلام تدلّ على دين اهلها كالكنيسة والنصرانيّة والدير (٥ بل وجد بين الاحياء التي تسكن حتى اليوم في تلك البوادي عادات نصرانيّة تدلّ على اصلها القديم كرسم الصليب والدعاء الى السيّد المسيح (٦

ومثلهُ سائح آخر جال في تلك الانحاء سنة ١٩٠٨ يُدعى دلمان (٧ فانّهُ وصف

---

١) اطلب كتابهُ في الحرب الفارسيّة Procopius: *De Bello Persico* I. 19

٢) اطلب كتابهُ (A. Musil: Arabia Petræa: I, Moab 194)

٣) فيهِ Ibid, III, 58 ٤) فيهِ Ibid I, 109

٥) فيهِ ايضاً Ib. I. 97, 109, 120, 134, 193, 273, 338, etc. II¹, 67, 105, 205, 273, 278; etc. II², 18, 26, 39, 45, 110, 119, 125, 142, etc.

٦) اطلب المجلد الثالث (Ibid. III, 297, 304, 316,) ٧) اطلب كتاب سياحتهِ (Dr Gustaf Dalman: *Petra und seine Felsheiligtümer*, p. 98)

نحو عشرين أثرًا نصرانياً وجدها في رحلته الى جهات النبط

وليس اقلّ منها شأناً ما رواه العالمان برونو ودومازفسكي في المجلّدات الثلاثة الضخمة التي دوّنا فيها اعمال بعثتهما العلميّة الى اقليم عربيّة (١ وقد مرّ وصفها للاب جلابرت في المشرق (٨ : ٤٥٧—٤٦١) في المقالة المعنونة السكّة الرومانيّة من مادبا الى عقبة وفي هذا التأليف الجليل وصف آثار جليلة للنصرانيّة لا يسعنا هنا وصفها

فيؤخذ من كل هذه الادلّة التي استدللنا بها انّ طور سينا والبلاد اللاحقة او المحدقة به كاد يعمّها الدين النصراني في القرن السادس وقد اقرّ بذلك المستشرق دوزي (Dozy) في مقدّمة كتابه عن الاسلام (٢ قال : « انّ شبه جزيرة سينا كلّها تقريباً كانت ارتدّت الى النصرانيّة وكانت حاوية لجملة من الاديرة والكنائس وكان عرب الشام يدينون بالنصرانية (٣ » (لهُ بقيّة)

مثَل الجرذان والهرّ

للاب انطون صالحاني اليسوعي

كل من له إلمام باللغة الفرنسيّة يعرف مثل الجرذان والهر للشاعر الافرنسي الشهير لافونتين وهي الثانية من الكتاب الثاني من مجموعة امثاله

وقد عثرنا على المثل ذاته في معجم لسان العرب في مادة « شدّ » قال : « ومن امثالهم في الرجل يحرز بعض حاجته ويعجز عن تمامها : بقي أشدّه . قال ابو طالب يقال انهُ كان فيما يُحكى عن البهائم أنّ هرًّا كان قد افنى الجرذان . فاجتمع بقيّتها وقلن تعالين نحتال بحيلة لهذا الهرّ . فاجمع رأيهنّ على تعليق جُلجل في رقبته فاذا رآهنّ سمعنَ صوت الجلجل فيرين منهُ . فجئن بجلجل وشددنهُ في خيط ثم قلن من

---

١) الطلب (R. E. Brünnow et A. v. Domaszewski : *Die Provincia Arabia*)

٢) الطلب Dozy : *Essai sur l'Hist. de l'Islamisme*, (traduction de V. Chauvin), p. 13

٣) وهذا كلامهُ : La presqu'île sinaïtique à peu près entièrement convertie, : renfermait nombre de couvents et d'églises ; les Arabes de Syrie professaient le Christianisme

يعلّقهُ في عنقهِ. فقال بعضهنَّ بقي الشدُّه. وقد قيل في ذلك: ألا أمروٌ يعقدُ خيط الجلجل »

ومعلوم ان صاحب لسان العرب محمد بن مكرّم الشهير بابن المنظور توفي سنة ٧١١ هـ اي سنة ١٣١١ م وانّ الشاعر الفرنسي لافونتين توفي سنة ١٦٩٥ فيكون الفرق بين وفاتهما ٣٨٤ سنة . ثم ان محمد بن مكرم نقل المثل عمن سبقهُ من كتبة العرب (١

الّا ان الكاتب العربيّ اورد المثل باسلوب بسيط وايجاز فصيح بليغ مُفيد. امّا الشاعر الفرنسي فانّهُ على جري عادته صوّر الامر للنواظر بتفصيل الظروف ونمّق وحسّن فسر الخواطر. فتراهُ يصف الهرّ كبطل صنديد يفتك بالاعداء اي فتك فلا يدع ولا يذر حتى كادت طائفة الجرذان تنقرض عن وجه الارض . ثمّ يبيّن بأجلى صورة فرصة زواج الهرّ واشتغاله بأغاني العرس عن الجرذان لتعقد اجتماعاً تبحث فيهِ عن حيلة تقيها شرّ العدوّ فيتفق رأيها على وسيلة تكون فيها النجاة. واذ ذاك يصف لنا احجامها واعتذار كل منها لما في تعليق الجلجل من الصعوبة والخطر. ثم يتطرق الشاعر للمغزى منددًا باولائك الذين يزدحمون لابداء الآراء ويتقاعسون ويتوارون عند وضع الرأي بالعمل

فترى من ثمّ ان المثل هو هو عند الشاعر الفرنسي والكاتب العربي

ولا ريب في ان الشاعر لافونتين لم ياخذ عن لسان العرب او عمّن ذكرهُ اللسان لان هذه التآليف التي لم تكن نُشرت بالطبع كانت مجهولة اذ ذاك عند الفرنج فضلًا عن انّ الخلطة العلميّة لم تكن بين الفرنج والعرب كما هي الآن

وقد طالعنا ما سطّرهُ مشاهير الكتبة في اصل مثل الهرّ والجرذان فتحققنا انه عند العرب اقدم منه عند غيرهم. ولعلّهم اقتبسوهُ من كتاب كليلة ودمنة. لانّهُ يوجد في بعض نسخ عربية خطية من هذا الكتاب (٢ بابٌ يتضمّن حكاية ملك الجرذان ووزرائهِ الثلاثة وفيها كلام عن تعليق جلجل في عنق كل سنور لتنتبه لهم

١) راجع الامثال العربيّة (فريتاغ 1 : ١٦٩ والميداني 1 : ٨٧) توفي الميداني سنة ٥١٨ هـ — ١١٢٤ م ٢) راجع كتاب كليلة ودمنة الذي عُني بطبعهِ سنة ١٩٠٥ حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي صفحة ٢٤٩ — ٢٥٩

طائفة الجرذان لدى ادنى حركة وتأخذ منهم حذرها وتنجو من الموت

هاك بعض فقرات نقتطفها من هذا الباب تدلّ على انّ مصدر الحكاية كتاب كليلة ودمنة: « . . . قال الفيلسوف مَن أحسن ان يختار لهُ مشيرًا ناصحاً ويتمسَّك بهِ تخلّص بهِ من شدائد عظام وأفاد بسببهِ فوائد كبارًا كما افاد ملك الجرذان من مشورة وزيره الناصح فائدة تخلّص بها هو وجميع الجرذان من الشدّة التي كانوا فيها

قال الملك: وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف: زعموا انهُ كان في ارض البراهمة بقعة تسمى دوران مسافتها الف فرسخ وكان في وسط البقعة مدينة تسمى ايدزينون كان عليها كثير من الخيرات وكان اهلها يتصرفون في معايشهم كما يحبون . وكان في تلك المدينة جرذ يسمّى مهراز وكان متملكاً على جميع الجرذان التي في تلك المدينة ورساتيقها . وكان لهُ ثلثة وزراء يشاورهم في اموره يسمى احدهم زوذامه وكان ذا عقل وحكمة وكان الملك معترفاً بفضلهِ ويسمى الثاني شيرع والثالث بغداذ . فحضروا يوماً وتفاوضوا في اشياء كثيرة الى ان انتهى بهم الكلامُ الى ان قالوا: هل في استطاعتنا ان نزيل عنّا ما قد توارثناه من اسلافنا من الفزع والخوف من السنانير او لا »

وبعد كلام طويل دار بين الملك ووزرائهِ يأتي ما نصّهُ :

« قال لهُ ذلك الوزير: الذي عندي ان تحضر جلاجل كثيرة ويعلّق كل جلجل منها في عنق سنور ليكون كلما ذهب وجاء سمعنا صوت الجلجل فنحذر منهُ ونأوي الى اجحارنا

قال الملك للوزير الثاني: ما الذي عندك فيما اشار به صاحبك . قال: لست بحامد مشورتهُ فهبنا قد احضرنا جلاجل كثيرة فمن يقدر منّا ان يعلّق واحدًا منها في عنق اصغر السنانير فضلًا عن ان يتقدّم الى ضواريها »

فممّا اوردناهُ من باب ملك الجرذان ووزرائهِ يتضح جليًّا ان نصيحة احد الوزيرين في تعليق الجلاجل وعدم استحسان الوزير الآخر تعليقهُ لصعوبة الامر كان الداعي لتأليف مثل الهرّ والجرذان كما هي في لسان العرب وفي مجموعة امثال لافونتين ولا يخفى ان كتاب كليلة ودمنة وُضع في اللغة السنسكريتية وهو يسمى فيها

بنتشا تنترا. وقد نُقل اوّلًا الى البهاوية ومنها نقلهُ البردَوط النسطوري الى الكلدانيَّة في اواسط القرن السادس للميلاد وقد وجد العلامة سوسين. هذه الترجمة في ماردين من نحو ٤٠ سنة فنشرها بالطبع العلامة بيكل. ثم ان عبد الله بن المقفع في القرن الثامن للمسيح نقل كتاب كليلة ودمنة الى العربيَّة ومنها نُقل الى اللغات الشرقيَّة كالعبرانيَّة والسريانيَّة والى اللغات الاوربيَّة كاليونانيَّة في القرن الثامن للمسيح والى الاسبانيَّة واللاتينيَّة والى بقيَّة اللغات الاوربية. وكل هذه الترجمات هي اقدم من عهد لافونتين. فامكنه من ثمَّ ان يطَّلع على ترجمة كتاب كليلة ودمنة ويقتبس منهُ. فموافقتهُ للكاتب العربي في وضع مثل الهرّ والجرذان على الهيئة ذاتها هي من باب العرض ارشدهما الى ذلك مثل كليلة ودمنة

زراعة التبغ التركيّ في لبنان

للشيخ يوسف افندي الجميّل الاجنالي القانوني ورئيس اعمال المختبر الكيماوي سابقًا (تابع)

أعداء النصوب

أشرنا في ما سبق الى اعداء المساكب وهي هي اعداء اغراس التبغ كما ان الوسائط لاتلافها وتلافيها هي ذاتها. على ان المالوش والنمل والحلزون (البزّاق) والخلد اقلّ ضررًا للاغراس والنصوب منها للمساكب لان هذه النصوب تبعد بعضها عن بعض اكثر مما كانت عليهِ في المساكب. ولكن لا يجوز التغاضي عنها بل يجب السعي الدائم في اتلافها قبل تكاثرها. وقد حذَّر بعضهم من دودة صغيرة سوداء تقرض ساق النصوب عند اصلها على سواء الخنيض وهي توجد خاصَّة في الاراضي الكثيرة الرطوبة. واذا كان منها في التربة فأخر ما امكن تشتيل الاغراس الى ان تجفّ الارض بعض الجفاف

ولا بدّ من ان نذكر بين اعداء الاغراس «قابيط» تشبه الجراد الصغير (الحرقص) فهي تثقب الاوراق وتفسدها. واحسن واسطة للتخلص من هذه الحشرات هي ان تربّي في تلك الاراضي بعض الديوك الهندية (الحبش) فتطلقها

حيناً بعد حين في مغروساتك وتلحظها لئلا تضرّ الزراعة فهي تنجيك من تلك الآفات لانها بوقت قليل تأكل تلك الدويبات. والعصفور الدوري ايضاً ينتك بالتبابيط الصغيرة

ومما يتسلّط ايضاً على مزروعات التبغ فيؤذيها نباتاتٌ فطريّة ميكرسكوبية (مجهريّة) وهي لا تُرى الّا في اراضي غُرست باكرًا او تكون رطبة قليلة الشمس. ودواء هذه الآفة رشّ تراب جاف على ورق التبغ او رش (بخّ) ذلك الورق بمحلول الفورمول المخفف بعيار ٥ او ١٠ في الـ ١٠٠ كما انهُ يجب ان تريد إبعاد النصوب بعضها عن بعض في الاراضي القليلة الشمس بالنظر لموقعها وهيئتها

قطف الورق

بعد نقل النصوب الى مغارسها بنحو اربعين يوماً مع تأجيل قليل اذا غُرست باكرًا في نيسان او بعض التعجيل اذا تأخّر غرسها يبدأ ازدهار التبغ ويأخذ الورق بالنضج تدريجاً من اسفل النبات الى اعلاه بحيث يتمّ في مدّة تتراوح بين ٢٠ الى ٦٠ يوماً بحسب نوع التربة ورطوبة الارض وحرارة الجوّ. ومن ثمّ نعدّل المدّة اللازمة لزراعة الدخان منذ وقت تنصيبهِ الى قطفهِ بين شهرين الى اربعة اشهر

ولا بُدّ من قطف الاوراق في اوان نضجها التامّ وهذا احد الشروط الجوهريّة للحصول على تبغ حسن. فلو عُجّل القطف والورقُ في خضرتهِ لبقي بعد تجفيفهِ مارنًا بخضرة ضاربة الى لون زنجاري غامق يكاد احياناً يقرب من السواد ويكون طعمهُ حادًا ورائحتهُ قويّة كريهة. امّا اذا تأخّر قطفهُ عن حينهِ والورق قد اصفرّ تماماً على ساق النبات اصبح بعد التجفيف اصفر فاتحًا ناشفاً لدى اللمس تفه الطعم خفيفهُ. وفي كلا الحالين يفقد قسماً من وزنهِ وطيبهِ

ودونك العلامات التي يُعرف بها نضج الورق:

١ً يتحوّل لون الورق من الاخضر القاتم الى الخضرة الفاتحة غير المتساوية مع الميل القليل الى الاصفرار

٢ تظهر عروق الورق على وجههِ متعمّقةً وتُرى معاً بُقَع صفراء منتثرة عليهِ تختلف صفاء ووضوحاً وهي في الاجناس الطيّبة أوضح واوفر

٣ً يحيط الورقةَ دائرةٌ دقيقة صفراء او شقراء ينجلي وضوحها خاصّةً عند

رأس الورقة. وهذه العلامة اوضح واهمّ من سواها. ولذلك يجب استلفات نظر العملة اليها عند القطف

والاوراق في كل ساق تختلف نوعاً فكل ثلاث الى اربع او خمس اوراق يقسمونها اقساماً على توالي ازمنة قطفها من القطفة الاولى الى القطفة السابعة او الثامنة. ولكلّ قطفة في جهات تركيًا اسم خاصّ فتسمّى الاولى ١ً ديب اي السفلى. ٢ً ديب باشي اي السافلة الكبرى. ثمّ ٣ً برنجانا اي الاولى بعد الدائرتين السُّفليين. ثم ٤ً ايكنجانا. ثم ٥ً اوچنجانا. ثمّ ٦ً دُرْتنجانا اي الثانية والثالثة والرابعة بعدهما. ثمّ ٧ً اوج ألتي اي الواقعة تحت العليا. ثم ٨ً اوج اي العليا

فيقطفون كل قطفة على حدة ويضبطونها برمّ لأنّ قيمة كل قطفة تختلف عن الاخرى اختلافاً هامًّا وتزيد على قدر الارتفاع من اسفل الساق الى اعلاه بنسب معتبرة حتى انّ الكيلو من جنس التكمية يباع ببعض ستيمات بينما يباع الكيلو من الصنف الاعلى ببعض فرنكات. وما يقال بالاجمال انّ قطعة الديب اي الصنف الاسفل هي تفهة الطعم خالية من العطريّة. والقطفة الثانية تفضل عليها نوعاً ثمّ يصبح طعم الدخان حرًّا قويًّا في القطفتين الثالثة والرابعة. ويزيد لطفاً وعذوبةً من الخامسة الى الثامنة مكتسباً بالتدريج عطريّة تفوح من القطفة السابعة وتبلغ الغاية في الثامنة حيث ينمّ عبير الاوراق الناعمة التي تسبق البراعم المزدهرة

واذا ازهر التبغ فقل انهُ بلغ تمام نموّهِ ولا يكاد يزيد عليهِ بعد ذلك

وان شئت توفير الورق عليك بقطع زهر الاغراس فتعود المائيّة الى الورق وتنميهِ. واذا ما عاد الزهر وتفتّح فاستأنفْ قطعهُ. وكثيرًا ما تنبت بعد قطع الازهار براعم جديدة تنبت ورقاً في اواسط الانصاب لكنّ هذا الورق الجديد ليس من الجنس الطيب ويلزم استئصالهُ لئلّا يضرّ بكميّة المحصول وعلى الاخص بحسن صنفهِ

ومتى حان وقت اجتناء البذور يجب ان تنتقي اجمل النصوب واشدّها ممّا تلوح فيها مميّزات كل نوع من التبغ وخواصّهُ فتختار الجنس الطويل الورق للتبغ السمسوني. والجنس المتوسط الورق للبسما. والجنس المستطيل الورق الشبيه بلسان الافعى للكردلي فتدع زهرها ينمو ثمّ تجني بزرها في وقتهِ. فتلك الأمهات اي النصوب

المعدّة للتبذير يُقتضى لها عناية خاصّة سنفرد لها ان شاء الله فصلًا في باب اجتناء البزر

ولنعودنَّ الى قطف الورق الناضج فنقول انَّ افضل وقت يناسب هذا العمل فالصباح باكرًا. فان بُوشر بهِ مع الفجر جاز ان يواصلهُ الى الساعة السابعة وبالاكثر الساعة الثامنة على حسب اختلاف حرارة النهار

والورق ان قُطف في طراوة الجوّ كان كثير المائيّة صقيلًا سهل القطف ويتيسَّر كدسُهُ على طبقات منظَّمة ويُنظم بسهولة في الاسلاك ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد بتوفير اجرة العملة التي تهبط الى ٥٠ في المئة مع حصولك على ورق سويّ نظامي (اصولي). وعلى عكس ذلك اذا جرى القطف مع ارتفاع الشمس واشتداد الحرارة اصبح الورق رخوًا متجعّدًا واذا كدستهُ حمي حالًا بعد قطفهِ

ومن الواجب ايضاً ان تكون الناشر في مكان الزراعة او قريبة منهُ ما امكن وعلى الفتيات العاملات المتوجات امر القطف ان يحملن سلالهنَّ (القواصيص) موسومةً بالنسر تحت مراقبة ناظر خبير بالعمل فيملأنَ القواصيص ثمَّ يشتغلن في بقيّة يومهنَّ بنظم الاوراق بالخيوط (اي الشكّ) في محلّ الشغل. فانَّ ما جنتهُ الفتاة مدَّة ساعتي القطف او الثلاث الساعات لا يتمُّ نظمهُ (شكُّهُ) الّا في ستّ او سبع ساعات. والعاملة تستطيع ان تشكّ في يومها من ٢٠ الى ٣٠ خيطاً وطول الخيط متران. وذلك على حسب براعتها في الشغل وعلى موجب مقادير الاوراق. وتختلف الاجرة على اختلاف الورق فتكون قليلة اذا كان الورق المشكوك كبيرًا وكثيرة اذا كان ناعماً صغيرًا

وعلى العاملات ان لا يجنينَ غير الورق الناضج فيقطفنهُ بحركة تامّة سريعة دون عُنف ويكدسنَ بنظام في اليد اليسرى الورقة فوق الاخرى بالضبط التام ما امكن. ومما يساعد الفتاة على حسن العمل وتنظيم الورق انها تكون اعتادتهُ في قطفها اليومي وفي قسم معلوم من الزريعة حيث تجد نوعاً واحدًا من التبغ بلغ درجة واحدة من النضج. والغالب في كل قطفة ان يكون حجم الورق على النصوب المختلفة متشابهاً على التقريب. ومتى بلغت كل حزمة حجمها توضع باعتناء في القاصوصة ثم تواصل العاملة شغلها الى ان تملئ قاصوصتها احزاماً واكداساً منظمة

وقد سبق انهُ يجب وضع رقم ثابت على كل قاصوصة حتى اذا امتلأت يستلمها

الناظر ويسطّر كشفاً يومياً يضمّنهُ تاريخ اليوم ونوع التبغ واسم المكان او قطعة للملك الذي منهُ قُطفت الاوراق مع بيان غرة القطفة بالنسبة الى قسم الساق الذي قُطفت منهُ ووزن القاصوصة بقبّان صغير نقّال

ومتى امتلأت القواصيص تُرسل الى الناشر حيث يكرّر وزنها. ناظرُ الناشر مراقبةً للحساب وزيادةً في الضبط

وتُفرَغ القواصيص بلطف وتُجعل الاكداس على سعةٍ ما امكن وامام العاملة التي عُنيت بجمعها. وعلى ناظر الناشر ان يراقب كل شيء ويدوّن هو ايضاً في لائحة يوميّة ما يختصّ بقطف الورق وتمام نضجه او عدم النضج ويقرّر في لائحتهِ معلومات ناظر القطف بعد اعادة النظر فيها

امّا طريقة شكّ الورق فتتمّ بمسلّات مفلطحة عرضها من ٥ الى ٨ ملّمترات يبلغ طولها من ٤٠ الى ٤٥ سنتمترًا اي نحو شبرين وسمكها في وسطها من ملّمتر الى ملّمترين مرقّقة الاطراف ذات رأس مطرّف محدّد الجانبين وتُثقب قاعدة تلك المسلّة ثقباً بليغاً. فاذا ارادت العاملة نظم الورق اخذت المسلّة قرب راسها بيدها اليسرى بين الابهام (الباهم) والسبابة وتمسك براحتها وسط المسلّة بينما يستند كعبها الى مفصل كوع العاملة. فتبدأ الفتاة باخذ الاوراق من امامها فتشكّها من ظهرها في الضلع المتوسّط على مسافة سنتمترين او ثلاث سنتمترات من كعب ذلك الضلع بنوع اصولي. ومتى امتلأ رأس الابرة ورقاً تُدفَع الاوراق الى اسفل مرة بعد اخرى حتى النهاية مع كدسها كل مرة لتصبح صفًا متلاصقاً

وتُعطى كلُّ فتاة صباحاً عشر مسلّات مسنونة مشحوذة جيّدًا ومتى تمّ شكّ خمس إبر تسلّمها العاملة الى عاملة اكبر منها تُعيَّن لكل عشر فتيات فتأخذ منهنّ تلك الابر المشكوكة. وهذه العاملة الكبيرة تأخذ خيطاً (مخيطاً) طولهُ نحو مترين وغلظ قطرهِ نحو ملّمتر (ونحن نوصي باصطناع هذه الإسلاك عند عملة في البلدة يبيعونها بموجب طلبنا حزماً فيها من ٥٠ الى ١٠٠ خيط) وبعد ان تنظم العاملة خيطها في ثقب الابرة ذي الاتساع الكافي تُخرج الابرة تدريجاً من الورق بحيث يأتي منسوقاً منظّماً ويمرّ الورق في الخيط دون ضغط ويكفي شكّ خمس مسلّات لخيط مخيّص واحد

واذا انتبت العاملة من الشكّ نقلت الشكاك الى ناظر المنشر فيستلمهُ ويعلّق على طرفيهِ عودًا صغيرًا كقضيب توت متشر في طول نحو ٥ سنتمترات مثقوب في منتصفهِ لاستقبال الخيط ومقصوص من طرفيهِ ليصير صقيلًا معدًّا لكتابة عدد الخيط اي رقمهِ . وبعد تقييد الناظر لنمرة الخيط واصلهِ ولسم العاملة التي شكّتهُ يضعهُ على المنشر لتجفيفه

وهذه المناشر عبارة عن موائد ذات أُطر (براويز) مربَّعة الزوايا طولها متران في مثلها عرضاً تُجعل على اربع قوائم ارتفاعها نحو اربعين او ٤٥ سنتمترًا . امّا الاطار (البرواز) فمكوَّن من قضبان او اخشاب طولها كما قلنا متران في عرض ٥ سنتمترات وسمك ٣ سنتمترات فتُسمَّر اطرافها ببعضها ثمَّ تثبَّت بالمسامير على القوائم . ومتى انتهى التنشير في المعامل الصغرى يدخلون المناشر كما هي الى داخل البيوت لكنها تشغل مكاناً واسعاً وتعوق حركات اهلهِ وبعضهم يتركونها خارج الدار فتتلف بفعل الهواء والشمس والمطر . ولذلك يتَّخذون في المعامل الكبرى مناشر منظَّمة ذات مفاصل وبراغي وشناكل يسهل تركيبها وتفكيكها فاذا تمَّ العمل فكَّكوها ونضَّدوها الى العام المقبل في بعض اطراف البيت وتسهيلًا لتركيبها تُجعل لها ارقام على مفاصلها ليُعرَف القسمان المتلاصقان مع العلامات الخاصَّة لتمييز كل إطار عن الآخر

وتُجهَّز على جانبي الأطار المتوازيين على مسافة كل ٥٠ سنتمترًا شناكل يُربَط فيها اسلاك معدنيَّة (شرانط) تُمدُّ من جهة الى اخرى . ثم توضع على الجانبين الآخرين المتوازيين على مسافات متساوية عشرة او ١٥ شنكلًا . فحيث يكون عدد الشناكل ١٥ تعلَّق المشاكيك ذات الورق الكبير وحيث يكون عددها عشرة يعلِّقون المشاكيك ذات الورق الناعم

ومتى تمَّ تجهيز الاسلاك (المشاكيك) ووضع على كل منها العود الموسوم بالنمرة كما ذكرنا يُعلَّق احد طرفي كل خيط من اليمين والآخر من اليسار بالشناكل مستندًا الى الاسلاك المعدنيَّة كي لا يهبط المشكاك بثقلهِ الى الارض

والناظر اذا علَّق خيطاً (مشكاكاً) قيَّدهُ على لائحتهِ اليوميَّة بنمرتهِ الخاصَّة وعدد نشرهِ . ومتى تمَّ تعليق الاسلاك في احد المناشر يُنقَل المنشر الى الظلّ لمدَّة

يومين. ولمّا كانت المناشر على حجم واحد سهل تركيب بعضها فوق بعض

ومتى مضى يومان على نشر الورق تراهُ يصفرّ بنوع محسوس فتُخرَج المناشر الى الشمس وتوضع بحيث تتّجه الاسلاك من الشرق الى الغرب

ولمّا محل التنشيف فيجب ان يكون معرّضاً للشمس (شمّيي) وللهواء الطليق حائداً عن التيار ذا حضيض سويّ نظيف صلب متلبد بواسطة الدلك (الحداثة) وتوضع المناشر صفوفاً مرتبة تفرق بين صفّ وآخر مسافةُ متر كما سبق . وبعد كل ستة مناشر ملتصقة يترك ممرّ عرضهُ نحو متر. وفي المساء توضع المناشر فوق بعضها ثلاثاً ثلاثاً وكلماً من منشرين فتغطّى بقماش ابيض يقيها من الندى في الليل كما انهُ يجب تغطيتها ايام الضباب الكثيف

وبحسب قوّة الحرّ يتمّ الجفاف باربعة او ثمانية ايام. وان شئت تمييز هذا النضج انظر قوام الورقة فانّها تصبح جافّة ذات لون قاتم ولو حفظت في وسطها لوناً اخضر ضارباً الى الاسمرار الذي يزول مع الوقت . ومتى تمّ جفاف منشر ما يُكشف في الليل لتلين الاوراق وتاخذ بعض الرطوبة كي لا تبقى سريعة التفتت. ومنذ الغد باكراً تنزّل المشاكيك عن المناشر ويربط طرفاها خمسة فخمسة وتعلّق صفوفاً في سقف المنزل المعدّ لها. ولا حاجة الى القول بان المكان يجب ان يكون بتمام النظافة عديم كل رائحة كريهة. وعلى السقف تُسمّر « قدد قرميد » على مسافة اربعين سنتيمترًا بين واحدة واخرى وفي كل واحدة توضع مسامير تفصل بينها مسافة ٣٠ سنتيمترًا لتعلق فيها كل حزمة مؤلفة من خمسة مشاكيك بترتيب يسهّل تمييزها حين اللزوم. وفي مستودع المشاكيك يجب ان يكون نوافذ كافية تسهّل تجديد الهواء بفتح الشبابيك في النهار الّا ايام الضباب وقفلها ليلاً. ويسير الحال على هذا المنوال مدة شهرين او ثلاثة اي الى ان يتمّ جفاف الورق فتسلم من العفن. وفي شباط تؤخذ المشاكيك فتوضع رزماً (بالات) في اكياس

قطف البذور

قد سبق لنا القول في كلامنا عن قطف الورق ان لأخذ البزر يُنتقى أجمل ما في الحقل من النصوب اي تلك التي تظهر فيها بأقوى مظاهرها مميّزات الجنس فيُعتمد عليها كأمهات. على انك متى اخذت نصبة ما للبذار وجب اتخاذ الاحتياطات الآتية :

١ً قطع البراعيم المتكونة منها الزهور الّا اربعين او خمسين برعماً الأسبق ظهوراً والاجمل منظراً

٢ً وبعد استبقاء البراعيم الجيدة تُقطع البراعيم التي تظهر بعد ذلك

٣ً لا تنزع من النصبة الامّ الّا طبقات الورق الثلاث او الاربع السفلى واترك الباقية اي ما يوازي ١٠ او ١٥ ورقة الى ان يتمّ نضج البذر

٤ً ومتى ضرب لون المحافظ المتضمّنة البذر الى الشقرة وقبل ان تتشقّق اقطع رؤوس الساق واشككها بساق العنقود بالمسلّة بذات الادوات وعلى الطريقة التي استعملتها للورق ثم انشرها في الشمس مدة نحو شهر في مجرى الهواء. ولكن اذا كان يخشى مفاجأة المطر او كان ضباب كثيف فيلزم ادخالها الى البيوت. وفي الليل تُغطّى كما يُغطى الورق على ما رأيت

ومتى تمّ جفاف المحافظ تأخذها من حيث وضعتها في الشمس وتدخلها في يوم جافّ في معظم حرّ النهار (عند الظهر) وتُعلّقها في سقف غرفة كثيرة الهواء. ومتى اردت نزع بذرها فافركها بيدك . هذا في المحافظ القليلة العدد اما اذا كانت كميتها كبيرة فتضعها في حجرة صقيلة البلاط وتدلكها بمدلكة محدلة خشبيّة او تخبطها بعصاً ثم تعرض البذر مدة يومين او ثلاثة على شراشف في مجرى هوائي في غرفة جافّة يدخلها الهواء بسهولة انما يكون البذر في الظلّ : ولتخليص البذر من القشور والفضلات التي تكون التحقت به تذرّهُ في مهبّ الريح كما يُذرّ القمح على صينيّة فيتخلص من القشور والاجسام الغريبة كقشر المحافظ . ولا بأس ايضاً ان ترمي البذر الخفيف الوزن لان هذا البذر هو من جنس دون. وحسنٌ ايضاً ان يمرّ البذر آخراً بالغربال لنزع الفضلات الاخيرة بل بالمنخل لتنقيته من الاعفار الدقيقة. وبعد ذلك يوضع البذر في اكياس من قماش ذي مسامّ دقيقة كقماش الاكياس التي يوضع فيها بزر التز في الشتاء. وتكون سعة الاكياس كيلو او نصف كيلو او ربع كيلو انما يُكتب على هذه الاكياس جنس البذر والتربة التي أخذ منها ثم تعلّق في سقف غرفة جافّة نظيفة ذات هواء كافٍ

ولا يجوز التغافل عن الحشرات المؤذية ولذلك نشير بتنقيل الاكياس كل اسبوعين او ثلاثة واغتنام هذه الفرصة للنظر فيما اذا كانت لم تزل سليمة من

الرطوبة والعفن والحشرات. ويجب خاصة السهر على وقايتها من الجرذان لان هذه الحيوانات تحب كثيراً هذا البذر فهو لذيذ لها ولا يشتمل قط على مادة سامة. ويمكن ايضاً حفظ كميات البذر الكبيرة في جرار او آنية خزفية ذات مسام تُسد بقماش وتوضع في مكان نظيف خالٍ من الرطوبة ذي هواء كافٍ وبحيث لا تؤذيه الجرذان والحشرات. وبهذه الطريقة تُحفظ البذور سنين. ومع ذلك يُفضَّل استعمال البذر قبل مضي اربع سنين على قطفه. ومن الموافق ان لا يُلقى البذر في الارض التي أُخذ منها لان التبديل والتغيير بين التربة والبذار لأمرٌ مفيد

وبعض الاصناف الخصوصيَّة كالبيا الفاخر الكاولاوي الاصل والسمون السوري والبفراوي البفراوي يجب استجلابها سنوياً من مصادرها الاصلية الى ان يتسنَّى للوطنيين ان يأخذوا من اراضيهم بذاراً جيد الاصل ثابت الموافقة طيب الارومة

(التتمة لعدد آخر)

كلمة في لبنان

لحضرة الخوري رافائيل البستاني في مدرسة الحكمة

أيها الطَّوْدُ ما لهذا العلاء ... يتسامى على ذُرَى الجَوْزاء
خلتَ في صهوة النجوم أتبغي ... في السماكين منزلاً للثواء (١
تتعالى نبك الشواهق حتى ... حكَّ يافوخها عنانَ السماء
شامخات العِرنين تيهاً وعجباً ... تتبارى في شقّ لوح الهواء (٢
كناطيدَ او قشاعمَ جذت ... صاعداتٍ لسُبَّة في اعتلاء
أيها الشيخُ الأَصيد المتسامي ... قدكَ زهوٌ خفِّض من الخيلاء
أمَشيبٌ شبَّتْ بهِ ناصياتٌ ... وسُرًى في مهايع الفلواء

---

١) حال الفارس في صهوة جواده

٢) العرنين الانف وقمة الجبل واللوح هو الهواء ما بين السماء والارض

أقَلَيتَ الثرى فرمت انتزاحاً ام ذحولاً تبغي من العلياء (١
مم تشكو وقد حييتَ سجايا رقَّ فيها تنزُّل الشعراء
نلتَ مجداً من طارف وتليدٍ راكباً متن العزَّة القعساء
لم تزدك السنون الّا جمالاً وشباباً غضاً نضير الصَّباء
قد كستك الهواتنُ النزُّ ثوباً يققاً باهراً وضيَّ البهاء (٢
وكاني بكوكب الصبح يأتي كسول السواطع الزهراء
فيرافيك ضحوةً بسلامٍ عبَّرتْ عنهُ ألسنُ الأضواء
ثم يدنو يمشي الهوينا حَيِيّاً يتهادى كالغُرْد عند الجلاء
مرسلاً من نُضاره شذرات رُصعت في اثوابك البيضاء
واذا ما دعاهُ غربٌ اصيلاً يمزج التبر في لُجَيْن الماء
احمر الوجه باصفرار لسيقاً لفراق وغربة وتناء
فكأني بهِ يروم فراراً اذ توارى في لجَّة الدأماء
وكأنَّ الركام ارخى قناعاً خائفاً عين حاسدٍ شنَّاء (٣
او رأى في اغداف سَدْلٍ مزيداً في اشتياقٍ لوجهك الوضَّاء (٤
ونسيم الصباح يسري بليلاً أرجاً من حدائقٍ غنَّاء
عجباً من قوى هواءٍ عليلٍ فيهِ اسرار صحَّة وشفاء
نَبَهات قد ضاع منها عبيرٌ ضاع كيما يهدي صراط الصفاء
ورياض تسبي النهى مزهرات طاب فيها جنى قطوف المناء
فاذا الريح حرَّكت وترَ النعمن م شدتْ طيرُها رخيم الغناء
من هزار فوق الاماليد يتار نغماتٍ بجانب الورقاء
ولكم جدولٍ ونبعٍ نميرٍ قد زرى بالعتيقة الصهباء
يتثنَّى بلَّورهُ في عقيقٍ (٥ فوق بُسطٍ من لؤلؤ الحصباء

١) قَلَى كره وابغض. والذحول جمع ذَحل وهو الثأر
٢) الهواتن المسطرة اي السحائب الهواتن . واليقق الناصع البياض
٣) الركام الغيم . والشنَّاء المبغض
٤) اغداف مصدر اغدفت الجارية القناع ارسلتهُ. والسدل الستر ٥) العقيق مسيل الماء

يتراءى درُّ الحصى لعيونٍ كجمانٍ بالتبّة الزرقاء
تردهي يا لبنانُنا في مجالي خالباتٍ بحسنها قلب رَاء
قد زكت في ثراك اغراسُ شعبٍ شعلة في حصافة وذكاء
من همام وباسلٍ وأبيٍّ وشهاب في الليلة الليلاء
ان اجالوا يراعةً في طروسٍ قصرت دونهم خُطى البلغاء
كم تآليفَ بل قلائد درٍّ قد تحلّت بفكرة عذراء
حيثما حلّوا حلَّ كدٌّ وجدٌّ بثبارٍ (١ وهمّةٍ شنّاء
يمتطون البحار في كسب رزقٍ ببضاعات من نهى ومضاء
ما ثنت عزمَهم فوادحُ دهرٍ بل ألانوا شكيمة الارزاء
جعلوا تحت اخمصٍ عقباتٍ حائلات دون المنى والرجاء
فيجوبون الارض شرقاً وغرباً طارحي دلو الكدّ بين الدلاء
ويعودون عَوْدَ يَعسوب نحلٍ بجنًى من نبات روض العناء
ورثوا من اجدادهم كنزَ دينٍ ونفيسَ المبادئ الغرّاء
ونفوساً تأبى شناراً وضيماً وقلوباً للنبل خير اناء
هم دروع ضراغمٌ صاعقات لحميم وغارة وعداء
فيلاقون الكارثات بقلبٍ لم ترُعْهُ نوازل البُرَحاء (٢
أخلصوا طاعةً وعزّوا نفوساً وصفوا في مودّة واخاء
وغدوا أسوة بحزمٍ وعزمٍ وعفافٍ وفطنة ووفاء

غير ان الازهار تشقى مراراً بمآوى لحيّةٍ وقطاء
هل خلت وردةٌ من الشوك يوماً او شقيقٌ (٣ من نقطة سوداء
فمن الاشواك التي نشبتْ في قلب لبنان عوسجَ الشحناء
ذاك يُنتمى الى عُبيدٍ وزيدٍ ذا لبكرٍ وذاك كالحرباء
كل نهج مستحسنٌ عند بعض ان دنا منهُ القصد المتنائي
فبلاد وساكنوها ونجح عند ادراك غاية كالهباء

---

١) ثبار ثبات ٢) البرحاء الشدائد ٣) زهرة شقيق النعمان

مثل حيتان في عباب مجار يتشكّون من سعير الظماء
ان تولّى بعض زمام شؤون قام يرنو بمقلة شوصاء
ويسوم الاقوامَ خسفاً وظلماً آمرًا ناهياً كحكم القضاء
واذا عنّ نيلُ امر لعمرو أسرجت للوغى عتاق الدهاء
من جثوّ ذلّا على ركبات ومساعٍ وزلفةٍ وانحناء
فاذا نال مأرباً فبلادٌ في امانٍ وغبطة ورخاء
ولئن عاكست رياحٌ شراعاً ملأت تشكواه رحيب الفضاء
وغدت هاتيك الدياجي نهارًا وارتدى الظهرُ دامس الظلماء
فينادي في كل نادٍ وحشدٍ: قد غدونا على شفير الفناء
يا ملوك الورى واصحاب شأن بادروا أسرعوا بلا ابطاء
ذُكَّ لبنان « يوم أخفق عمرو » وبأوربّا ضجّةُ الاصداء
فاقتضى في «لاهاي» عقدُ اجتماع تعتلي فيه صيحة الفقراء
قد بلينا يا قومنا باعتقاد اننا « شغل شاغل » الفجراء
وسلاطين الارض قد اشغلتهم حالنا في الاصباح والامساء
ان نطقنا ارتجّت عواصمُ غربٍ وجفا النومُ مقلةَ الأمراء
لا احاديث في الممالك تجري بسوى ما نبديه من آراء
ان خطبنا بل ان خبطنا بقولٍ نزعم الغرب مادّ من ضوضاء
وجرى ساسةُ باريس او برلين يعدون بغية الانباء
كم نسبنا للغير علّة خطبٍ واختلالًا ونحن جرثوم داء
كم دوى صوتنا «بلادٌ بلادٌ» وطماع النفوس تحت الغطاء
من يشاء البكاء والضحك يأتي في انتخاباتِ حضرةِ الزعماء
فيرى القوم مثل موج خضمٍ هيّجتهُ اعاصرُ الاهواء
من سعاةٍ غصّت بهم طرقات ومساعٍ يعجّها ذو الاباء
وشيوخٍ مهرولين سراعاً ساقهم سائق كقطعان شاء

٢٢) يرنوا ينظر وبمقلة شوصاء اي بنظر ملؤهُ الغطرسة والكبرياء

ألقموا ما قد ألقموهُ فلانوا لانقياد بأرسن الاعطاء
فاكتست منهم الوجوهُ سواداً من نصوع البيضاء والصفراء
قد ظننّا بعضاً مشايخ صُلح فرأينا منهم شيوخ مِراء
أين لبنانُ عفّةٌ في جدودٍ اين منها سجية الابناء
كلّما سار الناس في الرقي شوطاً سرتَ شوطين انّما للوراء
اين نبلٌ واين مجدٌ اثيل وإباء الاجداد والآباء
مطلع الشمس داهمتك الدياجي فخطا القوم خطوة العشواء
جُبل البعضُ من تراب خصامٍ ونزاع فاسترسلوا في الجفاء
ما اتفاق الآراء يا قوم شرط يقتضيهِ قانون نهج ارتقاء
فيقال الحقيقة ابنةُ بحثٍ واحتكاكٌ مولّد الكهرباء
ليس عاراً بروز فكرٍ ورأيٍ انما العار في خنى واعتداء
نحن في عصرٍ لا يسودُ بنوهُ بسباب او طعنة نجلاء
من رزايا لبنان شيعة بُطلٍ قذفتها الفرنج قذف القياء
أفعوانٌ ينساب تحت زهور غشّ قوماً بكاذب اللألاء
غلمةٌ ممّن قد بُلوا بعقولٍ فأذاعوا فينا وبيل وباء
اخفقوا سعياً في اكتساب معاشٍ لوّنى او لخطّةٍ عوجاء
فأتونا بشيعةٍ من جحيمٍ امطرت ارضنا غزير البلاء
تتخذوها شباكَ صيدٍ وكيدٍ ولكم قد صادت من الاغبياء
البسوا الافكَ ثوب رقيٍ وبرٍّ فاماط الزمانُ سترَ الرياء
فتراهم يُطرون ديناً جهاراً ويريشون سهمَهم في الخفاء
فمَالٍ خُصّت بها طائفاتٌ خلسوها كسائر الاشياء
أمروقاً من اعتقاد جدودٍ واغتصاباً لمنصب الأُمَناء
رتعوا في مناصب الدين ظلماً واتوهُ بغارةٍ شعواء
فكأني بهم كوارد ماءٍ قام يرمي الاحجار بعد ارتواء
يا بني لبنان الكرام كفاكم ضِلّةً في سياسة خرقاء
فاطرحوا جانباً وخيمَ شقاقٍ هل جهلتم انّ القوى بالوفاء

حاول الطامعون ان يجعلوكم في يديهم كآلة صنّاء
انشطوا من عِقال رقّ اناس قد تسمّوا بقادة الحلفاء
خدعوكم حبًّا بنيل مرام حرّكتهُ عوامل الكبرياء
فافتحوا الجفن قد بدا نور فجر وأزيحوا عنكم كثيف الغشاء
ايها النائمون قدكم سُباتٌ « انما الميت ميّتُ الاحياء »

السر المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

اوّلًا الماسونية المصرية (تتمة)

وليس ما قالهُ السيّد مصطفى في الماسونية المصريّة تحاملًا او افتئاتًا وانّما هو نتيجة اختبارهِ الشخصي بمشاركة اهل الشيعة. وقد جاءت في هذه السنين الاخيرة امور عديدة تؤيدهُ رغمًا عن تحصين الماسون لسرّهم. فانّهُ ليس خفيٌّ الّا سيظهر. فمن ذلك ما جرى في المحافل المصريّة من المراء والخصام والانقسام بسبب حسابات الجمعية والمنافسات في طلب وظائفها وغير ذلك ممّا حدا ببعض اعضائها الى الهتاف: « على الماسونية السلام » (راجع المشرق ١٣: ٨٧٩)

وقد ادّى الخلاف بين ارباب الماسونية المصريّة الى ان انفصل دولة البرنس عزيز باشا حسن عن الاستاذ الاعظم عطوفة ادريس بك راغب فأدّى ذلك الى احتجاج الاستاذ الاعظم عليهِ. وهاك ما ورد في ذلك في العدد ٦٥٩٥ من جريدة المقطّم في تاريخ ٢ دسمبر سنة ١٩١٠ قال:

« احتجّ عطوفة ادريس بك راغب الاستاذ الاعظم للمحافل المصريّة على دولة البرنس عزيز باشا حسن لانشائهِ محفلًا ماسونيًّا »

وكان قبل ذلك الاخ ** نقولا سابا نشر في العدد ١٧ من السنة الثامنة للجريدة الماسونية في تاريخ ٣ سبتمبر ١٩١٠ ما ينبئ بخلاف سابق زعم انّهُ انتهى فقال:

« انّ كل ما كان من الخلاف بين حضرة الثاني الاحترام (كذا) نائب الاستاذ الاعظم وبين بعض الاخوان المحترمين (كذا) قد زال والحمد لله بحكمة عطوفة استاذنا الاعظم الكلّي الاحترام (كذا) وعاد كل من المحترمين (كذا) المذكورين الى الاعمال وتصافح الجميع مصافحة الاخاء والوداد وألقى الذكر بتو الاوّل بذكر بتو آخر اعلاناً لهذا الاتفاق »

فترى انّ شعار الماسونية « حرّية ومساواة واخاء » لا يزال حبراً على ورق مهما تشدّق الاخوة المحترمون بمراعاتهم لهذا الشعار الكاذب

ولو تتبعنا اعداد الجريدة الماسونية لرأينا فيها كلّها ما يُستدلّ منهُ على الخلاف بين اولئك « الاخوة » فانّ في العدد الذي ذكرناهُ ما يفيد « ان محفل النيل الايطالي بشرق القاهرة شطّب بعض اعضائهِ وعددهم ثمانية واعلن شطبهم الى المحافل المصريّة »

وفي العدد التالي ١٨ في تاريخ ٢٣ سبتمبر يفيدنا تأسيس محفلين ماسونيين « ايزيس بشرق القاهرة واسكندر الاكبر بشرق الاسكندريّة » على غير نظام حتى كادت تُقطع العلائق بين هؤلاء « الاخوة »

وفيهِ مقالة عن الانتخابات الماسونية السنويّة تشير الى تحزُّب الاعضاء واتّفاق بعضهم لتأييد الرئيس السابق وهذا بعض قولهِ :

« يلتئم المحفل الاكبر الوطني المصري في ٢٩ سبتمبر في مركز السلطة (كذا) بالقاهرة .... لاجراء الانتخابات السنويّة للرئاسة العظمى والموظفين العظام (كذا) لعام ١٩١١ وستكون الانتخابات بالطريقة السرّية القانونيّة المتبعة في عموم السلطات وسننشر اسماء الاخوان الذين ينالون الوظائف الجديدة . واما الرئاسة العظمى فيمكننا ان نصرّح باسم من تكون لهُ من الآن وهو صاحبها اليوم . . . ويقوق تصريحنا هذا قول جميع البنّائين الاحرار انّ الرئاسة لم تكن الّا لهُ وانّهُ لم يكن الّا لها (كذا) . . . اطال الله بقاءهُ وزادهُ محبّة جميع العاملين في البناية (في الورشة) »

وممّا يدلّ على انّ مياه الصلح لم تعد الى مجاريها بين ابناء الارملة ما نقلتهُ الاهرام قالت :

« مساء الخميس الماضي (١٣ نيسان ١٩١١) عُقدت الجلسة العموميّة النصف السنويّة فظهر ثانيةً الخلاف الذي ظهر في اوّل العام بين سكرتيريّة المحفل الاكبر وبعض رؤساء المحافل المشهورين بالدفاع عن مشيرتهم . وسبب ذلك هو السؤال عن ميزانيّة المحفل واستهاظ بعضهم لتلك المصروفات وادّعائهم بان موظفي السكرتيريّة لتعسة غير قادرين على العمل والظاهر ان الخصام تجاوز جدران المحفل الى الخارج » (طلعت الريحة !)

وقد وقعت في ايدينا اوراق اخرى مخطوطة من « البنائين المصريين الاحرار » تفيد ان الخلاف لا يزال قائماً على قدم وساق بين اولئك المحترمين فالبناية الماسونية ان بقيت على هذه الحالة لا تنتهي بزمن قريب قال النبي داود (مزمور ١٢٦ : ١): « ان لم يبنِ الربُّ البيتَ فباطلاً يتعب البنّاؤن » فما قولك ببيت يُبنى لمناوأة الرب ومقاومة السلطة الشرعية التي منهُ !

وناهيك بهذه الشواهد ردًّا على ما ضمّنهُ محمد افندي سعيد المراغي من المديح للماسونية واصحابها في كتاب حديث وصل الى ايدينا آخرًا عنوانهُ « ما هي الماسونية وما هو الماسوني » طبعهُ في مصر فراجعناهُ بتأنٍّ لعلّنا نجد فيهِ غير ما افادنا شاهين بك مكاريوس وجرجي افندي زيدان وغيرهما فاذا الإناء يرشح بما في النبع عينهِ فلا يحتوي الكتاب غير ما طنطن بهِ اسلافهُ من تعظيم الاحرار واطراء مبادئهم المزعومة الحريّة والاخاء والمساواة وغير ذلك مما تنفيهِ اقرارات الماسون الضابطين لدفّة التدبير . امّا الشواهد العديدة التي نقلناها لبيان كفرهم ورقوقهم في وجه ذوي الامر ومعاكستهم للآداب ومعارضتهم للهيئة الاجتماعية فلم ينكروا منها شاهدًا واحدًا فكفى بسكوتهم دليلاً على صحّة اقوالنا

ثم نجد في معرض كلامهِ (وان تلميحًا) ما يدلُّ على النزاع الذي قام بين المحافل المصريّة قال (ص ٣٩):

« وهو (اي الاستاذ الاعظم ادريس راغب بك) صاحب السلطة الشرعيّة (على المحفل الماسوني الاكبر في مصر) ولم يؤسّس في مصر محفل وطني شرقي سواهُ . ثم خرج عليهِ بعض الافراد لغايات في صدورهم واستأنسوا باوهام كبرت في قلوبهم واعلنوا عن انفسهم انهم اسّسوا محفلاً اعظم سموّهُ بالمحفل الاكبر الاورشليمي منذ ثلاث سنوات (اي السنة ١٩٠٧) ولم يوفّقوا الى استصدار سلطة شرعيّة (كذا) من المحفل الاكبر الوطني المصري لانهم سلكوا سبيل التهاون في حقوق العشيرة واكثروا من فئات من الطبقة الاخيرة والخائنة من الناس (كذا) . . . ولقد دعاهم المحفل الاكبر الوطني المصري كثيرًا الى الهدى ونصحهم ليتركوا الوسواس ولا يشوّشوا على اذهان العامّة فكبر عليهم الرجوع الى الحقّ . . . فوجب علينا ان نحذّر الناس من الاغترار بهم (وبكم جميعًا يا ماسون !) والاعتماد على ارهابهم (واوهامكم انار الله ابصاركم !)

هذا فضلاً عمّا يحتويهِ الكتاب من الترهّات والمزاعم الصبيانية كزعمهِ انّ مباني الكرنك وهيكل الاقصر وغير ذلك من آثار المصريين انّما هي اعمال ماسونية !!! فيا لله كيف لا يندى جبين الماسون خجلاً من تدوين هذه الخزعبلات !

ثانياً الماسونية السورية واللبنانية

وليست الشروق الشامية بانوَر من الشروق المصريّة ولعلّها أظلمُ منها ودونك الشواهد على الامر تنقلها عن الماسون انفسهم او عمّن عرفوهم بالاختبار فلا يستطيع احد ان ينسبنا الى الاغراض والتحامل الباطل

حيثما ترى في انحاء الشام جمعية مستبدّة تقوم اماكنة السلطة الروحية او تكيد للنظام الشرعي فقل انّ هناك للماسونية يداً بل ايدي . فمن ذلك ما نشرهُ « متنوّرو شبيبة الروم الكاثوليك » في لائحة طبعوها في « دمشق في ٣١ تموز سنة ١٩٠٩ » تحت اسم « خطرات افكار » تحاملوا فيها على رئيس طائفتهم المنضال ولا تحامُل الدّ الاعداء على عدوّهِ وسعوا فيها ان يهيّجوا اهواء الشعب على راعيهم الجليل ونسبوا الى غايات سافلة كلّ مساعيهِ المبرورة

وليس دون هؤلاء الماسون قحةً وتطاولًا المنتسبون الى شيعة الاحرار في زحلة والمعلقة . ولمّا وجدوا كاهناً من شاكلتهم نسي واجباتهِ المقدّسة وخلع نير الرب اللين ونبذ تعاليم امهِ الكنيسة التي رضع لبانها لينضوي الى اعدائها فقُضي عليهِ بالحرم قام اخوتهُ الماسون وقعدوا ليدافعوا عنهُ وينشروا باسمهِ (من قلمهم) كتابات بثّوها بين الجمهور ونفثوا فيها سم العصيان والخلاعة ورشقوا فيها بسهام الشتم والهوان سيادة مطرانهم مثال الغيرة والبرّ الذي فضّل الطاعة لقوانين الكنيسة على مراعاة الاشرار . وما كانت سهامهم الّا طائشةً لم تؤذِ غير راشقيها وكفى دليلًا عليهِ انّ كل ذوي الصلاح استصوبوا عملهُ وتمنّوا لو حذا حذوهُ كل رؤساء الدين . وقد نال « الجزويت » قسم من الشرف الذي اصابهُ سيادتهُ من تعيير اعداء الدين وسبابهم فنرونا معهُ كالرسل « اذ حُسبنا مستأهلين ان نُهان لاجل اسم يسوع »

والعجب من « هؤلاء الاحرار » انّهم لا ينشرون نشرةً الّا غفلًا من اسماء كاتبيها لعلمهم بأنّهم اذا وقّعوها باسمائهم الكريمة عرف الناس من هم المتاجرون بتلك السلع الكاسدة . واعجب من ذلك انّ صاحبة فتاة الشرق لبيبه هاشم أحبّت ان تدخل في ميدان لا تدخلهُ النساء المتأدّبات فكتبت في مجلّتها فصلًا (في عدد ١٥ مايو ص ٣١٠) تندّد فيهِ براعي ابرشية زحلة والفرزل فتذكّرهُ بواجباتهِ فما احقّ بهذه الكاتبة

ان تجلس على كرسي موسى وتلقّن العلماء فرائضهم . وقد قامت في كل نادٍ خطيبة حتى في مدارس الالحاد تطرئ التعليم اللاديني . فلسنا نرى احسن جواب عليها مما كتبهُ الخليفة الهادي لامهِ لمّا رآها تتولّج امورًا لا تعنيها : « أما لكِ منزلٌ يشغلكِ او مصحفٌ يذكّركِ او بيت يصونكِ » . دعي يا رعاك الله القوس لباريها والسفينة لربّانها فانهُ ادرى منك بتدبير سكّانها

وكما استحسن جمهور المسيحيين عمل سيادة مطران زحلة بحرم العقوق كذلك صوّبوا فعلهُ لمّا رفض ان يمنح الاسرار في خميس الفصح للمتشيعين للماسونية اذ لا شركة بين المسيح وبليعال . ونعمَ ما صنع آخرًا لمّا أبى ان يجتز تجنيزًا دينيًا المتوفى في الماسونية دون توبة فلم يبقَ لاخوتهِ في الماسونية الّا ان يرافقوا نقيدهم الى قبره بأوسمتهم الماسونية فيدفنوهُ كما تُدفن العجماوات . وكان سبق ارباب الطوائف الكاثوليكية في دمشق فرفضوا قطعيًا ان يدفنوا ماسونيًا آخر ردّ الكاهن قبل وفاتهِ فكان موتهُ ودفنهُ عارًا على الماسونية كلها

وليست الماسونية البيروتية اصحّ جسمًا من شقيقاتها السابق ذكرهنّ . والدليل عليه ما صدعت به بعض الجرائد المحلية . ومما كتب الينا احد الاخوة المتقدمين في الماسونية (ف . م) والمنفصلين عنها قال :

« انّ زعيمَي الماسونيّة الاخ .·. الجزيل الاحترام ف . م . والاخ .·. ي . ح . ث . كانا يتاجران في ايّام الشتاء في السنتين ١٩٠٩ و١٩١٠ باعطاء الدرجة ١٨ بقيمة ست ليرات (يا بلاش !) وهي تجارة مستعجلة استفادا منها وافادا . ومعلوم انّ الارتقاء في الماسونية حسب القوانين من الدرجة الثالثة الى الثامنة عشرة يصير باثنين وثلاثين شهرًا امّا للذكوران فيعطيانها في اليوم التابع لقبول الماسوني في الدرجة الثالثة . . . وممّا يُفرض على اصحاب الدرجة ١٨ ان يعملوا كل سنة وليمة اجبارية يوم خميس العهد او في الجمعة الحزينة يسمّونها اغاب (agapes) ليفرحوا في آلام المسيح عند حزن بقية العالم المسيحي »

وكتب لنا آخر كتابًا ننقل عنهُ الاسطر التالية بحرفها :

« سيدي انا ماسوني وانشيت كما انشئ غيري فوجدت نفسي متعوبًا منها لكني لا اقدر اظاهر خوفًا من الانتقام وقد كتبت هذه الاسطر وقلبي يرجف . وما يمكنني ان اقولهُ انّ المنفعة في جمعيّة الماسون للذوات وبعض الافراد . امّا نحن فكآلة بين ايديهم ليدركوا منّا مآربهم او كجند تحت يد ملك ظالم . واذا اراد هؤلاء الذوات والمتقدّمون في الماسونيّة الحصول على شيء نالوه

بمساعدة بعضهم وانفقوا لنوال غاياتهم من مال الصندوق وسترو على بعضهم وافتوا على ظهر الحمير مثلاً (كذا) فترى محفل صنين افلس وأكل مال الصندوق واجرة المحل . . وهكذا بقية الرؤساء يصرفون مال الجمعية ويتنعمون مع عيالهم ونحن لا نعرف بشيء سوى « حضرة الاخ » ولسان حالهم يقول « يكثر الله الخير » لكي نربح على ظهرهم الوظائف . وقد ذكر الكوثر ان الماسون انشأوا جمعيات خيرية وهو كلام كذب ونفاق فانّ الذين دفعوا بعض الصدقات لهذه الغاية هم غير الماسون لان الماسوني المتقدم صاحب الوظيفة لا يطلع من كيسه ولا فلس وينبش من كيس غيره والقلة على الاتجارية »

فلا عجب بعد هذا ان ترى الاخوة المحترمين في حاجة دائمة الى الدراهم . وممّا افادتنا عمدة محفل السلام في تاريخ ٦ نيسان سنة ١٩١١ في لائحة وزّعتها على الاخوان ننقل عنها الاسطر الآتية :

« يسرّكم ايها الاخ العزيز انّ محفل السلام قد توفق مؤخراً الى مشترى بناية خاصة واقعة على طريق الشام . . لكي يحملها بعونه الله (!) ومدد الاخوان (افتح الكيس !) مركزاً عاماً لائقاً بالطريقة الحرّة (كذا) وبابنائها الكرام (!) على حد ما تفعله المحافل المرتقية . . . ولمّا كان لا بدّ من اجراء بعض التغييرات والاصلاحات في البناية . . . وكان صندوق المحفل لا يزال مديوناً بنحو اربعين الف غرش (لامانة وكلاء الصندوق!) فقد قرّر المحفل في جلسته القانونية بتاريخ ٢٦ آذار وجوب بسط الحالة الحاضرة لدى كل من اخواننا العديدين فانّ كلهم والحمد لله ممن يتوق الى ترقية محفله ويحسبه واجباً مقدساً . . . بناء عليه رأى المحفل انفاذ هذا الكتاب الى كل واحد من اخواننا الاعزاء يستحثهم على مدّ يد المساعدة (لعل احداً من ابناء الارملة يفرغ الصندوق كما فعله اخوانه سابقاً) »

ومن شهدوا على سوء حالة الماسونية السورية جناب عموم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى في عددَيه الصادرين في ٢٤ نيسان و١٧ أيار سنة ١٩١١ فاسمع واحكم . قال في عدد نيسان :

« الماسونية السورية اضرّ واشرّ هيئة عمومية اوجدها الاقتداء والجهل والتواطؤ . في الماسونية السورية المجرم والمتشرّد والبطال . في الماسونية السورية مزوّر الحوالات والشهادات . في الماسونية السورية المفلس والمتلاعب والهاضم . في الماسونية السورية المنهتك والمنهمك . في الماسونية السورية الجاهل والمتعصب . في الماسونية السورية المارق للتجر بالدين . في الماسونية السورية المنافق والمحزب . واقبح ما في الماسونية السورية انّ ٩٥ في المئة منها لا يفهمون الّا انّ فلاناً الكبير والملقب والمثري منهم فهم يريدون ان يقتدوا به ليكونوا « كباراً ومثرين وملقبين » ولو بالجوار والشفعة !

« في نيويورك اليوم حركة غريبة بين السوريين . هي انّ بعض المسرنيين عاملون على اغراء

الناس بالاتحاد معهم . . . حتى اذا انضمَّ يقول لهُ الجهلة المخادعون انهُ لا يستطيع الانسحاب الّا تحت خطر الموت !

« الماسونية السوريَّة في الوطن والمهاجر اكبر ضربة على الوطنيَّة والاخلاق الطيِّبة والاداب الشريفة . . . اكثر خونة اللبنانيين من الماسونيين واكثر مقلديهم ومفتدجيهم من المسونيين لانَّ « الرئيس » في سوريَّة اليوم ان يكون كل من يحسب نفسهُ شيئاً مسونياً . . . .

« انَّما نعلم انَّ المسيحيَّة الاصليَّة في وطننا ومثلها في كل البلاد توجب الابتعاد عن الماسونية سواء كانت الطائفة باباويَّة او ارثدكسية او غيرها . فاما ان يكون السوري من طائفتهِ واما ان يخرج منها وانَّما لا يجوز ان يكون وسطاً . وكل رجل دين باباويّ او ارثدكسي يتساهل على تعليم كنيستهِ مع الماسونية يكون اما جباناً لئيماً يتجر بالدين تجارة . واما ماسونياً متنكراً يخون كنيستهُ وواجباتهِ . . . .

« فاين هي الحرّيَّة الماسونية التي لا تطرّف فيها . واين هي المدارس او غيرها التي انشأتها الماسونيَّة السوريَّة وفي اي محلّ . واين هي المشاريع الوطنيَّة والانسانيَّة التي قامت بها الماسونية السوريَّة تحت السماء او في كبدها وفوق الارض او في قلبها . واين هو الخير الذي خصت لهُ الماسونية السوريَّة كمسونية (ما قول الكوثر !) ليس اسهل من التبجُّح والادّعاء ولكن اين هي الاعمال لا الاقوال . الماسونيَّة السوريَّة تسعى لجمع الاموال وتكثير عدد المتبرّعين وقد كان من بواكير اعمالها التواطؤ والتعصب . . . . »

وقول جناب الكاتب عن عمل الخير يذكرنا بما سمعناهُ من احد الشيوخ المسلمين الذي كان انخدع بالماسونية ودخل فيها وهو يظنّ انها جمعيَّة خيريَّة . فبعد ان حضر مراراً حفلاتها قام يوماً في المحفل خطيباً والقى على اخوانهِ هذا السؤال : «ان سألنا الجزويتُ : اين هي مساعيكم الخيريَّة ومدارسكم ومستشفياتكم ومياتمكم فماذا نجيبهم ؟ » فسكت الجميع ولا يزال السائل ينتظر جواباً حتى الان

وقال صاحب الهدى في عدد أيار :

« انَّ الماسونيَّة تدَّعي « الاغراض الادبيَّة » فقط دون تعرُّض لدين او سياسة الّا ان الماسونيين لم يتقيَّدوا بهذه الدعوى فهم يتداخلون في السياسة والدين . والانكى من كل ذلك انهم يحلّلون لانفسهم ما يحرمونهُ على الغير ويجيزون لاهوائهم واغراضهم ما يحظرونهُ على الناس فهم يقولون مثلاً انَّ التعصب ذميم او داء يجب معالجتهُ الى ان يشفى وهم اقبح واذمّ خلق الله تعصباً

« ويزعمون ايضاً انَّ المسونيَّة لا تغري احداً للانضمام اليها ولا تقبل من طالبي الانضمام الّا الفضلاء وهي في فروعها السوريَّة اكذبُ من كذب لانها تغري بالانضمام اليها وتقبل كل من يؤدي المرتب وليس فيها من الفضلاء الّا العدد القليل جداً (اعني العميان المغرورين بها)

« ويزعمون انّ الماسونية لا تحول دون قيام الانسان بواجباته الدينيّة والامر كذلك مع غير الموارنة الكاثوليك والارثوذكسيين الذين بعد ان ينضمّ الواحد منهم اليها يصير ضدّ كنيسته ودولته. وقد عرفنا رجلًا منهم اخذ يتعصّب ضدّ طائفته بعد ان نال الدرجة الاولى ولمّا نال الدرجة الثالثة اخذ ينادي بفضل الماسونيّة على كل دين وجمعيّة وهو من العلم والفهم على لا شيء او انّهُ بالكدّ يعرف ان يقرأ ويكتب. . والماسونيّة السوريّة تفتخر به في نيويرك !

ولن لم ترضَ بقول صاحب الهدى فهاءنذا اذكر لك قول ماسوني معروف وهو الاخ ٠٠ نعوم افندي لبكي الذي كتب في المهاجر العدد ١٠١٧ في ٣ حزيران ١٩١٠ فصلًا عن الماسون في لبنان نقتطف منهُ هذه الاسطر وفيه يقرّ الكاتب بجهاده في سبيل الماسونية وخيبة آماله في من ادخلهم فيها من اللبنانيين . ولا غرو فانّ الشجرة الرديئة لا تأتي الّا بثمر رديء كما قال الرب. اسمع :

« أتيح لنا بعد جهادنا في امريكة في سبيل انتشار التعليم الماسوني المقصود به الجامعة الوطنيّة من طريق الجامعة الانسانيّة (!!) ان نختبر بانفسنا ما صارت اليه الماسونيّة وتعاليمها في لبنان ويسرّنا ونحن لم نعتدّ الاصرار على شيء رأيناهُ صواباً ثمّ بدا لنا انهُ خطأ انهُ أُتيح لنا ان نندم على ما فرط منّا . كنّا نتوقّع ان نرى اللبنانيين ماسوناً فرأينا الماسونيّة لبنانيّة (وليس الذنب على غيرك فانّك زرعت الريح فحصدت الزوبعة !) »

ثمّ اردف قولهُ بكلام طويل بيّن فيه تطرّف محفل صنين وتعصّب اعضائه فبدلًا من ان يجعلوا (كما كان يؤمل الكاتب) الخصومة بين الاكليروس والماسونية خصومة ادبية في المبادئ والافكار (كذا) جعلوها خصومة سياسية لمقاومة النفوذ الفرنسوي الى ان قال وفي قوله عبرة للمعتبرين :

« كلّما قويت شوكة الماسونية في لبنان يضعف النفوذ الاكليريكي ومتى سقطت هيبة الاكليروس تنحلّ شيئاً فشيئاً وحدة الموارنة لانّ الرؤساء هم واسطة عقدها ولا بدّ لليد التي تقبض على زمام هذه الوحدة من قوّة او يفلت . ومتى انحلّت وحدة الموارنة يضعف اليد التي تقبض على زمامها تنحلّ ايضاً الرابطة التي بين الموارنة وفرنسة لانّ الاكليروس الماروني هو الصلة بينهما و يقلّ لذلك نفوذ الفرنسويين في سورية . هي خطّة من ارادوا الكيد للنفوذ الفرنسوي وتذرّعوا لذلك في ما تذرّعوا برئيس محفل صنين جعلوهُ الهَهُ في يدهم واستمدّوا لهُ من يوسف باشا شيئاً من نفوذ الكلمة . . . وليت النفوذ الذي أُمدّ به محفل صنين استُعمل على وجه مفيد لمصلحة الماسونية او لمصلحة البلاد . فانّ النفوذ بقبضة احقر الرهبان مهما أُمي استعمالهُ اقلّ شرّاً منهُ بقبضة فلان وفلان وفلان (الماسون) . . . وهؤلاء لا وازع لهم لا من العبادات ولا من الاداب

. « فانت ترى من ذلك وهو صفحة صغيرة من صفحات كبيرة انّ الماسونيّة الحاضرة غير

التي اردنا انتشارها في لبنان . . . . لذلك ندمنا على أننا ساعدنا هذه الماسونية وتمان لناس أننا كفرنا جا

« اذا كانت الماسونية هي ما يريد رئيس محفل صيّن ومن يلعبون به ويلعب هو جم ان تكون فنحن اذاً لا نقتصر على الكفر جا. نحن اذاً على جانب الاكليريكية فهي اسمى كثيراً وافضل جداً من هذه الماسونية » (فما رأيكم ايها الماسون بهذه الاقرارات !)

وقد صرّح بمثل ذلك الماسوني المتأمرك امين الريحاني في خطابه الاخير الذي القاه في برمانا قبل سفره ونشره البرق في تاريخ ٢١ أيار سنة ١٩١٠ قال:

« وايمُ الله لا نريد في لبنان الّا الوظائف. اقول وحقّ ما اقول ان بلاء لبنان وفساد حاله لمن مصلحيه. مصيبة الجيل اولئك الذين يصيحون في الاودية حبّاً باستماع صدى اصواتهم. اولئك الذين يضربون على وتر الاصلاح حبّاً بالاشتهار او خدمةً لمآرب احد المفسدين الكبار. اولئك الذين يصطادون بشبكة التمويه والتغرير الديناري. بلية لبنان اولئك الذين يزحفون على بيت الدين باسم الدستور فيصيرون في باب السراي مشنقة الدستور . اولئك الذين يصطبغون بصبغة الاحرار واذ يتبوّون كراسي السيادة يولون الحرية الادبار. اولئك الذين يصطبغون بصبغة الماسون يوماً ويوماً بصبغة المارونية فلا ماسونيين يُعرفون ولا بكركيين. مصيبة هذا الجيل العزيز في امثال اولئك اللبنانيين المعترمين الذين يناهضون الاكليروس يوماً ويوماً يتزلفون اليه ليسلبوهُ النفوذ والسيادة. كنا في الماضي نقول ان بلاءنا من الاكليروس. واما اليوم فيا ما احلى الاكليروس الى جانب هؤلاء الذوات المصلحين » (فيا ليتك تستفيد يا ريحاني من ملحوظاتك !)

والاضطرابات الحاصلة في الاسراب الماسونية ومداخلاتها في السياسة منذ نحو سنتين قد تجاوزت حدود المحافل واعلنت بها الجرائد فمن ذلك اعلان لرئيس محفل صيّن فارس مشرق (في العدد ٦٢٦٨ من لسان الحال الصادر في ٨ اذار سنة ١٩١٠) كذّب فيها الاخ نعوم افندي لبكي الذي كان اكّد في عدد المناظر ١٠٠٤ « ان معظم اعضاء محفل صيّن احتجوا على تداخل رئيسهم في السياسة »

ثم جاء في النصير في العدد ٦٣٤ منهُ الصادر في ٢١ اذار سنة ١٩١٠ باسم الياس مشرق تفنيد آخر لجريدة المناظر واحتجاج اعضاء محفل صيّن على رئيسهم فقال انّ عدد الاعضاء غير الراضين من سياسة الرئيس « يُعدّون على الاصابع ». ثم يبدي اسفهُ على اعلان الامر في الجرائد بدلاً من حفظهِ في سرّ المحافل. ويسعى بعدهُ بالمدافعة عن الرئيس فيقول انهُ يجوز لهُ المداخلة في السياسة لانهُ من رتبة تجيز لهُ ذلك وهو فوق الرتب الرمزيّة والعملية اذ بلغ الدرجات الادارية والفلسفيّة وغير ذلك مما يكشف القناع

عن مكايد الماسونية التي تدّعي أنها لا تتداخل بالسياسة ويبيّن انهـا وقعت في حيص بيص

ولنا على ذلك شاهد آخر في ما نشرهُ احدهم باسم « م » في البرق في عدده ١٢٤ الصادر في ٤ شباط من السنة الحالية ١٩١١ تحت عنوان اصحاب المبادي. قال يذكر الاختلافات بين الماسون والحكومة اللبنانية:

(قبل تعيين يوسف باشا وبعده) « اصبح من المبتذل ان نعيد ذكر المظاهرات التي أقيمت في بيروت احتجاجاً على تعيين يوسف باشا حاكماً للبنان. وكان في طليعة المتظاهرين محفل صنين وعلى رأسه فارس افندي مشرق بل كان لولب الحركة بدليل انهُ أرسل فارس افندي الى مصر فباريس لماكمة يوسف باشا مرفوقاً بمبلغ غير قليل من المال . وخاب الحزب الماكس يومئذٍ وحلّت ركاب صاحب الدولة في الليل فقالوا: حلّت الضربة القاضيـة على جماعة البنائين الاحرار فثبت فريق وانزوى فريق

(في محفل صنين) « ولبث بالاحرار ايدي سبا كما يقولون فاظهر فارس افندي همّـة لا اكفرها بلسّع شعث أصحابه فعقدوا جلسة الغاية منها الحث على الانضمام فتكلم فيهـا غير خطيب وان أنسَ لا انسى خطاباً لاصغر الحضور سناً يومئذٍ واثبتهم على القسم بعدئذٍ

« أثبت شيئاً مـاً يناسب منهُ هذا الفصل — قال بعد كلام طويل:

« ما بال اكثركم يتروي اليوم وقد كنتم — ومظفر باشا معكم — تتهافتون متظاهرين متفاخرين حتى اذا وضع يوسف باشا — وهو صديق الانكليزية — رجلـه على الرصيف انقلب الجميع قسـاً ورهباناً »

« ترون ان في استعداد يوسف باشا الانتقام من كل موظف منكم وقد بدأ بعدد غير قليل منذ وصوله الى اليوم فكونوا حكماء واقوياء فترغموه على العمل معكم لمنفعة البلاد »

« في ما المستُ به كفاية لتصوير الحالة بعد وصول المتصرف وكان ان الاتحاد اوجد قوّة سوف ترى كيف تبددت

(حادثة غزير الاولى) « احتفلت جمعيّة غزير بعيدها فقبل المتصرف أخم البسوا البرنس تاجاً ونصبوهُ عليهم ملكاً فارصد الى هناك قوّة كبيرة جاءت ببعضهم وتـرّب البعض الاخر الى بيروت وبينهم البرنس. وعمل الماسون يومئذٍ عملاً يذكر خصوصاً بعد ان لوقف البرنس في دائرة البوليس وكان هناك امرٌ مشدد بارساله الى المتصرفيّة فما هي الّا ساعة حتى رأينا الشيخ العـازار عائداً به الى اخوانه

(ضعف المتصرف) « وبعد ان رأى المتصرف ان الماسونية قوة في لبنان وان لها اربًا في عزل الامير قبلان لما انهُ ضربها في الزوق مرة اولى وفي غزير مرة ثانية — لما رأى ذلـك شاء مكرهاً ان يقترب منها فهزّ الامير في مركزه فعرف هذا سرّ هـذه الهزّة فالتمس الدخول في محفل الماسون فرُفض

« واعطى ذلك الرفض هيبة لاصحابه فارتى الامير قبلان على قدمي رجل لهُ دالّة على فارس مشرق وهو يومذاك رئيس المحفل فأدخل قبلان ولا علم للاخوان بدخوله لانَّ المحفل كان في عطلة الصيف. ولكنهُ ما انتشر الخبر حتى كانت القنبلة انفجرت

(قسم تسُد – والانتقام) « وكان رجال السياسة في المتصرفيَّة عمدوا الى قاعدة التفريق – فقالوا: نرمي قبلان بينهم فينقسموا فيضعفوا فنسود وهكذا كان

« وبعد ذلك كان فريق في جانب الحكومة يساعدونها حتى على الانتقام من اخوانهم الذين لا ذنب لهم سوى ثبوتهم على يمينهم التي توجب ملاحظة اعمال الحكومة من المتصرف الى اصغر مأمور والعمل في المشاريع العائدة بالنفع على مجموع اللبنانيين (!!)

(حادثة غزير الثانية) « وبعث الصدارة في الامس كتاباً الى المتصرف مع عريضة شكوى عليه قالت: انما رفعا اليها من كسروان فوشي بجماعة من غزير وهم من لم يشأوا ان ينضموا الى الحكومة وبينهم الخواجا فارس خطار البارد الذي كاد يذهب ضحية البرنس في حادثة غزير الاولى

(مسألة داود مجاعص) « وشاقة الاضطهادات حادثة الامس وقد قطعت حكومة لبنان تذكرة توقيف لداود افندي وطلبته من حكومة الولاية فكُبس في منزله مرّتين فقُدّر انهُ لم يوجد هناك وما هو بالهارب » (والصحيح انهُ استخفى ثمَّ هرب الى اميركة)

(الخلاصة) « بعد ان يطالع القارئ هذه السلسلة الوجيزة نسألهُ ان يحكم وجدانه في امر اصحاب المبادي هؤلاء » (لعلَّهُ يدرك تلاعب الماسون بساسة بلادهم!)

ونقل البشير عن المقطَّم في تاريخ ١٤ شباط ١٩١١ فصلاً عن هذه الحركات الماسونية في لبنان وتزوير اصحابها لمكتوب عن لسان المتصرّف رفعوهُ الى الصدارة العظمى ثم انكشاف دسائسهم اخرًا قال:

« في ٢٩ ايار و٣ حزيران سنة ٣٢٦ ارسل قائمقام كسروان السابق الى متصرف لبنان ثلاثة تقارير مؤدّاها ان بعضاً من ذوي المآرب في القضاء سعوا بطريقة سرية الى تختيم عرائض بالانة الترنساويَّة ضمنوها الشكوى من المتصرّف بحجة انهُ ابى على اللبنانيين الاشتراك في ارسال نواب منهم الى مجلس المبعوثان واغروا بعض مشايخ الصلح والمجلسيات على تختيمها بحجة انها عرائض استرحام من الباب العالي بفتح مرفا في اسكلة جونية ورفعوا تلك الشكوى التي لا اساس لها من الصحة الى المرجع الايجابي في الاستانة. وطلب القائمقام المذكور من المتصرف اطلاق يده في الاقتصاص من اولئك الكذبة المرجفين. على ان المتصرف لم يُعِرْ هذا الفساد التفاتاً في بادئ الامر الى ان ورد عليه امر سام من جانب الصدارة العظمى مؤرخاً في ١٢ ت ١ سنة ٣٢٦ يتضمن انهُ رفع اليها مكتوب غفل من الامضاء وفي طيه تحرير مصطنع مسند الى المتصرف بانهُ كتبهُ الى الامير قبلان بلمع بتاريخ ١٧ ت ٢ سنة ٣٢٦ يحضه فيه على ترويج مبدإ عدم الاشتراك في المبعوثان وفي آخره توقيع المتصرف وختمه

« ثم ورد على المتصرف ايضاً من مقام الصدارة العظمى امر سام آخر بتاريخ ٢٤ ت ١ سنة ٣٢٦ يتضمن ان الجمعيات في غزير وريفون وشحتول ومجلتون رفعت اليها شكاية تلغرافية بامضاء « قسطنطين خطار » ملخصها ان المتصرفية اصدرت اوامرها لمن يلزم بتعقب الجمعيات التي قدمت الشكوى على حكومة لبنان المحلية ووضع جميع الذين امضوا تلك الشكاية في السجون

« وبعد مفاوضة المتصرفية مع الصدارة اصدرت هذه امرها السامي اخيراً مؤرخاً في ٢٣ ت ٢ بوجوب توحيد هذه المسائل وسياقة مرتكبيها باشد عقاب بتطبيق عمل هذه الجمعيات على قانون الجمعيات . ومن مجمل ما تقدم يعلم ان الذين شكوا في الاول هم الذين اتبعوا شكواهم الاولى بالثانية وزوروا ذلك المكتوب عن لسان المتصرف استدراكاً لما توقعوه من طائل القصاص حين انكشاف فسادهم . وروجعت القيود في دوائر المتصرفية الاختصاصية ليعلم ما اذا كانت تلك الجمعيات مصادقاً على قوانينها فلم يتبين شيء من ذلك . وعليه فقد صدر الامر المتصرفي الى قائمقامية كسروان بتعقب اولئك المرجفين المزورين وعين مأمور كمدع عمومي للبحث عن الذين تجرأوا على ذلك الاختلاق والارجاف خصوصاً المشايخ والمخاتيرين الذين استخدموا اختامهم الرسمية لغير ما وضعت له . . . »

فيظهر لك من هذه المنقولات ما يصنعهُ هؤلاء الاحرار في لبنان والمبادئ الشريفة التي يجرون عليها وكيف يقلبون الامور حينما حلُّوا ظهراً لبطن ! وقانا الله من شرهم . فبعد هذا ان وقعت بين يديك ايها القارئ الاعزّ بعض خطب الماسون يطبّلون فيها ويزمّرون متشدّقين بمحامد عشيرتهم فاياك ان تنخدع بها فإن هي الّا اكاذيب تصدع بدسائس ابناء الارملة . وهاك صورة خطاب من هذا الصنف تلاهُ خطيب الماسونية في محفل السلام في ١٠ ك ٢ سنة ١٩٠٨ قال فيه :

« (اخواني الحديثين !) هنّأكم الرئيس بالاصالة عن نفسه والنيابة عن سائر الاعضاء لانضمامكم تحت لواء الماسونية الذي يستظل به نخبة رجال الادب (!!) في انحاء المعمور فلم يعد لي كلام بهذا الشأن . ولكني اغتنم الفرصة لاقول كلمة في الماسونية والظنكم ترغبون في الوقوف على شيء منها (نعم ان كان صحيحاً !) فاقول :

« ان منشأ الماسونية ضائع بين غياهب الزمان (كذا) ومهما يكن من امر منشأها فان واضعيها لم يكونوا الّا من محبي الانسانية الذين يرغبون في سعادة البشر يدلنا على ذلك ما تركوهُ من الاثار والمعالم التي سمعتم بعضها الان من الرئيس المحترم (يا ليتهُ كان دوّنها لنقف على كنوزها) والتي هي افضل ذخيرة يتناقلها الخلف عن السلف واحسن ميراث يتركهُ الاب الى بنيه . . .

« فالماسونية هي حبة زُرعت في تربة النشاط وسقيت بعرق الاقدام فأطلعت شجرة كبيرة كان الثبات في جذورها والقوة في ساقها والحرية في اغصانها والمساواة في ثمارها والاخاء في قلبها يجري من الجذور الى اطراف الاوراق متخللاً جميع الطبقات ليبعث فيها نسمة الحياة (ما احلى هذا الوصف لحبّة مجهولة يبحث عنها الماسون انفسهم ولم يجدوها !) . . .

أو هي نور سطع من احتكاك الدول فأنار ظلمات القلوب واظهر انبثر اضم جميعاً متساوون تجاه الحق والواجب اضم ابناء ام واحدة ووطن واحد . . . اخواني . . . يجتمع الماسون في هذا الهيكل وامثاله للنظر في شتاء الانسانية ودفعه بما تصل اليه يد الامكان (والشواهد السابقة بيّنت لك كيف يشقون الانسانية من اوجاعها وهم من اكبر اسباب بلائها !)

« ولا فرق عندها بين البرهمي والبوذوي والموسوي والعيسوي والمحمدي وخلافهم (وهي تزدري بكل دين !) لانها لا تقبل منهم في احضانها الا من عرف بطيب الاحدوثة (اي اصحاب الدسائس والفتن !) واعتقد بالقوّة المبدعة (اي الكفّار) وانصرف بقواه الى الفضيلة (الماسونية) وتبع سنن الاداب (الفاسدة) ومارس الاعمال الخيريّة (في خدمة الماسونية) واحب القريب (اي الاخوة الفرمسون) واعتبر العدل (ضدّ كل سلطة) شريعةً مقدسة من شرائع الانسانية ورأى فيه حياة كل ما في الوجود ومصدر كنوز العالم والواسطة الوحيدة لمحاربة عدوّي الانسانية وهما الجهل والشقاء . . .

« وهي تحتم على كل ماسوني باطاعة القوة الحاكمة ومساعدتها (اي قلبها ومحاكمتها) عند الاقتضاء باستتباب السكينة وبث روح الالفة والسلام بين افراد الناس توصلاً الى راحة العموم (!) وتأمر كل ماسوني بان يعلّم اخاه السير في سبيل الخير ويساعده في متاعب هذه الحيوة ويحميه من استبداد الجائرين ويدفع عنهُ ظلم المضطهدين وينقذه من مواقف الهلكة ولو تعرض الى اشدّ الاخطار. ومن قعد عن إغاثة اخيه المظلوم ساعة الضيق فقد ساعد الظالم في ظلمه وكان غير خليق بالاسم الماسوني الشريف (كذا)

« وفي الختام ايها الاخوان اقول : اذا رأيتم رجلاً وجد يتيماً فآواهُ ولقي عارياً فكساهُ وجائعاً فأطعمهُ وقاصراً فاخذ بناصره وضالاً فهداهُ سواء السبيل وجاهلاً سعى في تعليمه وساقطاً فقام لإنهاضه ومستجيراً فاندفع الى معونته ، وبالجملة كل اعمال الرحمة التي خُصّت بالابرار!) كالسهم أفات من الوتر او كالقنبلة أطلقت من فوهة المدافع فاعلموا ان ذلك الرجل ماسوني لا غش فيه (!!)

فمن لا يرتقص قلبهُ لهذه الاوصاف ويعدّ الماسونية كرهم لكل الاوجاع ودواء الادواء . ولا عجب بعد ذلك ان يجد الماسون في عشيرتهم كلّ سعادة تغنيهم عن نعيم الآخرة فلا يأمنون بغيرها . وهذه نبذة من خطاب آخر تبيّن لك رفعة مقام الماسونية وذلّ اعدائهم الجزويت . والموقّع لهذا الخطاب « بناء حرّ بقاعي » قال :

« ايها الماسون اعلموا ان يسوع المسيح (الذي لا تومنون به) ينظر الى اعمالكم بعين مملوءة من السرور ولذلكم من الاحرار المتبعين شرائعه بالفعل لا بالاسم (بل لا بالفعل ولا بالاسم) قد قال هذه الاية الكريمة : « طوباكم اذا طردوكم وعيروكم وقالوا عنكم كل كلمة شريرة من اجلي كاذبين افرحوا وتهللوا فان اجركم عظيم في السما » (الذي تعدّهُ الماسونية من اختراعات الكهنة)

« وانتم ايها الاباء اليسوعيون (الجزويت !) ان لقي ما تتكلمون به وتكتبون في جرائدكم ونشراتكم عن الماسونية والماسون دليل صريح (كذا) يثبت ما انتم عليه من سفالة المبدإ. عفواً (بل الف عفو) ربما تجرحكم هذه الكلمة (لا تجرحنا من افواه الماسون بل تشرفنا) ولكن الحقيقة يجب ان تقال وان جرحت . وانكم اعداء ليسوع الذي تماكسون مبداءه باطناً مع انكم تنتمون اليه ظاهراً (والماسون يماكسونهُ ظاهراً وباطناً !) : وبكلمة اخرى يثبت انكم الذئاب بثياب الحملان (اما الماسون فردمساء كالحملان وان لبسوا ثياب الذئاب زه !) : فتأكدوا ان اسم النار التي ترمون بها الماسون تقع عليهم برداً وسلاماً . (فاشربوا هنيئاً وكلوا مريئاً !)

والباقي على هذا المنوال يسوءنا انَّ ضيق المقام يمنعنا من ايرادهِ فانهُ آية من آيات الخطابة العصريَّة . وهذه بعض الفاظ ختام كلامهِ الجميل

« وانت ايها الشعب الكريم ! انك اصبحت حراً . فلا تغرنك اللحى فوق الثوب الاسود وأختص من هؤلاء المسيين انفسهم باليسوعيين (ونحن نفتخر بهذا الاختصاص) فان داخل هذا الثوب قلباً اشدَّ منهُ سواداً وتحت كل شعرة من تلك اللحى كمية عظيمة من الشرور وجرائم الفساد . . . فتبصَّر ايها الشعب الكريم واحكم بالعدل فساعة عدل خير من الف شهر عبادة (كذا) »

فما اوضح هذا الكلام وما ادلَّهُ على كرم اخلاق الماسونية التي تتفانى في تعزيز العدل وان لم تكترث للعبادة كأنَّ اول فرائض العدل ليس هو القيام بواجبات الانسان نحو خالقهِ . نعم افرحوا ايها الماسون وتهللوا ! بل احزنوا واكتئبوا لان عقابكم عظيم في يوم الدين ومسئوليتكم كبيرة بازاء الوطن والهيئة الاجتماعية

ومن ثمَّ نوافق من صميم القلب اللجنة اللبنانية المارونية التي نشرت في البشير ثمَّ على حدة لائحة تقيم فيها الحجة على تولية الماسون وظائف لبنان المختصة بالموارنة لانَّ الماروني بدخولهِ في الماسونية يتجرَّد عن صبغة دينية ويصبح آلة صماء في ايدي رؤساء المحافل السرية ولا يعود يستحق اسم ماروني وهو محروم من الكنيسة حرماً مختصَّ حلهُ بالحبر الاعظم . فان اختارهُ احد من الموارنة شاركهُ في اثمهِ . فنهنئ اذن اتفاق شيوخ الصلح آخراً في قضاء كسروان على رفض الاقتراع على عضو ماسوني للقضاء الاداري بدلاً من جرجس بك زوين وانتخاب عضو كاثوليكي معروف بصفاته الكريمة وهو عزتلو نعوم افندي جبرائيل باخوس . وذلك نعم المثل نتمنَّى ان يجري عليهِ كل اهل لبنان من اي طائفة كانوا في انتخاباتهم فراراً من شرَّ الماسونية خراب كل البلاد وآفة جميع العباد

(لها بقية)

نبأ من جزائر الفيليبين

لحضرة الاب دبونيس لنش اليسوعي

مرَّ بنا في الشهر المنصرم احد آباء رسالتنا في جزائر الفيليبين قضى في اطرافها ستّ سنوات يشتغل بين اهلها الوطنيين كلّ اشغال الرسالة من وعظ وتعليم وتوزيع اسرار ورعاية نفوس وتدبير احوال الى غير ذلك ممّا اوقفهُ على جميع امور تلك الجزائر فتلطّف وكتب لنا مقالة اجماليّة عن تلك الجزائر الشهيرة عرَّبناها لفائدة قرَّائنا

﴿ موقعها وتحديدها ﴾ جزائر فيليبين معدودة من جملة ارخبيل ماليسية الذي موقعه في اقاصي الشرق الاقصى في اوقيانية الاميركيَّة بين الاوقيانوس الهادي شرقاً وبحر الصين غرباً يحدُّها جنوباً جزائر الملوك وغرباً بلاد قمبوجيا وشمالاً بلاد الصين. وهي عبارة عن مجموع جزائر عديدة تختلف كبرًا وشأنًا يبلغ عددها ١٥٩٢ جزيرة بينها ١٢ جزيرة كبيرة اخصُّها جزيرة لوسون في الشمال الغربي وجزيرة مانيليا وسمار وميندور في الوسط ثم ميندانار وارخبيل جولو في الجنوب. ومساحة هذه الجزائر تبلغ نيفًا و٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع

﴿ تاريخها واسمها ﴾ وقع اكتشاف جزائر الفيليبين سنة ١٥٢١ وذلك بهمَّة البحَّار الشهير ماجلّان فدعاها الناس مدَّة ماجلّانيَّة باسم مكتشفها. امَّا هو فاطلق عليها اسم ارخبيل القديس لعازر لأنَّهُ توفَّق الى اكتشافها في يوم عيد هذا القديس الذي اقامهُ الربّ من الموت. وكلا الاسمين أُهمل بعد قليل بمساعي لويز دي ڤيلّالوبوس الذي تولَّى تدبيرها فسمَّاها فيليبين نسبةً الى ملك اسبانية فيليبُّوس الثاني. وكانت الفيليبين اوَّلًا من املاك البرتغاليين لكنَّها أُلحقت بمستعمرات اسبانية بعد زمن قليل سنة ١٥٢٩. وبقيت مذ ذاك الحين خاصَّة ممالك اسبانية فكانوا يرسلون اليها حكَّاماً يسوسون اهلها ويهتمُّون بمصالحهم وكان يساعدهم في تدبيرها قومٌ من اهلها يختارونهم لوظائف الحكومة ويقيمون منهم جندًا لحفظ السلام. امَّا الاسبانيُّون فكان عددهم فيها قليلًا. وكانوا قسموا البلاد الى ٣٠ ايالة جعلوا لكلٍّ منها رجالًا وكلوا اليهم تدبيرها والعناية بشؤونها

وكان الاسبان لمّا استولوا على جزائر الفيليبين قد احسّوا بما تقتضيه تلك البلاد الشاسعة من القوّة والنفقات العظيمة ليوطدوا فيها ملكهم فعدلوا الى القوّة الادبيّة ودعوا المرسلين لموازرتهم اخصّهم الاوغسطينيّون والدومنيكان واليسوعيّون فقام هؤلاء بمهمّتهم احسن قيام فكانوا يكرزون ويبشّرون ويعلّمون ويهذّبون تلك الشعوب الهمجيّة واذا حصل بينهم خصام او لحق بهم ظلم اسرع المرسلون واصلحوا ذات البين والتجأوا الى الحكّام الذين كانوا يمدّونهم بالوسائل الكافلة بحفظ السلام فما لبثت تلك البلاد ان تنصّرت ولانت طباع اهلها وجروا على تعاليم الكنيسة بكلّ وداعة وغيرة

ثمّ بقيت بلاد فيليبين الى هذه الغاية متمتعة بالوفاق والرفاهية لم يحدث فيها من المشاغبات الّا ما لا يُذكر منها ثورة الصينيين المستوطنين هناك في السنة ١٦٣٨ و١٦٣٩ فردعتهم الحكومة وكسرت شوكتهم وقتلت منهم عددًا عديدًا. ومنها احتلال الانكليز في مانيليا سنة ١٧٦٢ فانّهم استولوا على تلك الجزيرة وبسطوا عليها سيطرتهم ولم يقوَ الاسبان على مقاومتهم فقام احد المرسلين الكاثوليك المدعو « اندا » ودعا الوطنيين الى الجهاد ضد الانكليز البروتستانت الذين كانوا يبثّون اضاليلهم بين المؤمنين ويهيّجون الناس على الكنيسة الكاثوليكيّة فلبّى الوف من الوطنيين دعوة المرسل وساروا بشهامة لمقاتلة الانكليز فغلبوهم وطردوهم من جزائرهم لسنتين من استملاكهم عليها

وفي القرن التاسع عشر هاجر الى جزائر الفيليبين قوم من الاوربيين الذين كانت فشت فيهم عدوى الثورة فنفخوا هذا الروح بين اهلها ونصبوا لذلك المكائد واثاروا في القلوب الاهواء الباطلة لطلب الاستقلال وفي سنة ١٨٢٣ نشر المتعصبون راية العصيان الّا ان الدولة الاسبانيّة استدركت الامر وقصّت جناح الفتن فكبا زندها

وقبل خمس عشر سنة طمعت الولايات المتحدة في استملاك جزائر فيليبين بعد ان ادخلت جزيرة كوبا في حكمها فجعلت تبثّ بين الوطنيين الرغبة في خلع نير اسبانية وعضدت الجمعيات الماسونيّة التي جعلت ديدنها معارضة الحكومة الشرعيّة وكان الحكّام الاسبانيّون يتغاضون عنها ولا يكبحون شكيمتها حتّى تأجّجت نار الفتنة بعد مدّة وقام احد زعماء الوطنيين المدعو اغوينالدو سنة ١٨٩٦ وحارب الدولة

باغراء الاميركان. وانتصر على جنودها التي كانت تحت إمرة القائد بلانكو ثم ارسلت اسبانيا بدلاً منهُ بريمو دي ريفارا (Primo di Rivera) فلم يصلح الامور حتّى قدم رجل ذو مراس اسمهُ بولافيخا (Polavieja) فتعقَّب آثار اغوينالدو وعصبه مدَّة ٥٥ يوماً فغلبهم غلبات متوالية بلغ عددها ٥٧ غلبة سحقت قواهم وكسرت شوكتهم. الّا انَّ ذوي الغايات رفعوا الشكاوي على بولافيخا واقنعوا وزير الحربيَّة باستدعائهِ الى اسبانية وجعلوا خلفهُ دي ريبا كا الذي قوَّى الثورة بسوء تصرُّفهِ ودفع للثائرين ٤,٥٠٠,٠٠٠ فرنك. فنشط الامر عزائم اغوينالدو واصحابهِ واستأنف الحملة على الحكومة فانتهزت اميركة هذه الفرصة وطلبت من اسبانية ان تتنازل لها عن تلك الجزيرة وتعوّض لها بدفع كميَّة من المال فرضيت اسبانية سنة ١٨٩٨ واستولى ماكينلي على تلك المستعمرة التي كانت تُعدّ من اجلّ الاملاك الاسبانيَّة

امَّا الثائرون فما لبثوا ان شعروا بنير الاميركيين الثقيل وندموا على ما فعلوا باسبانية الرحومة ولات ساعة ندم وقسمٌ منهم لا يزال حتَّى اليوم ناقماً على الولايات المتحدة التي تسعى مع ذلك في ارضائهم وتحسين احوال الاهلين

﴿ رسمها الجغرافي ﴾ قد تحقَّق الجيولوجيُّون انَّ جزائر الفيليبين تُقسم الى قسمين كبيرين قسمٌ منها يلحق بآسية بلاد الشرق الاقصى لا سيَّما اليابان وجزائر الصين وقسم يرتبط بجزائر ماليسية الاوقيانيَّة. والارض فيها جبليَّة تتبلبل آكامها وجبالها دون انقطاع امَّا السهول فقليلة الاتساع قد تركَّبت ممَّا تجرفهُ الانهار بسيرها من التربة وتمريض الصخور

وليست جبال الفيليبين بالغة الارتفاع الَّا في قسمها الشمالي في جزيرة لوسون. وكثير من هذه الجبال تكوَّنت بفعل البراكين النارية فمنها ما انطفأت نيرانهُ الباطنيَّة ومنها ما لا يزال يقذف بالرماد والحمم والصخور. اخصُّها جبل أبو (Apo) البالغ ارتفاعهُ ٣١٤٥ متراً ومنهُ تتصاعد في كل حين ابخرة كبريتيَّة تُرى في قمهِ على شبه غيوم متكاثفة. وبركان جبل مالاسبينا (Malaspina) المرتفع الى ١٤٩٧ متراً فوق سطح البحر وتُرى في اعلاهُ شهب النار. وبركان جبل مايون (Mayon) الشهير بقذوفاتهِ الرماديَّة التي تبلغ مسافة ٣٠٠ كيلومتر بنيّف. وبركان جبل تال

(Tal) الواسع الفوهة الذي يدعوه الوطنيون باب الجحيم . والزلازل كثيرة في جزائر فيليبين بفعل تلك البراكين ومقاييس الزلازل في المراصد في حركة متواصلة لوفرتها وقد خربت بسببها عدة مدن وقرى

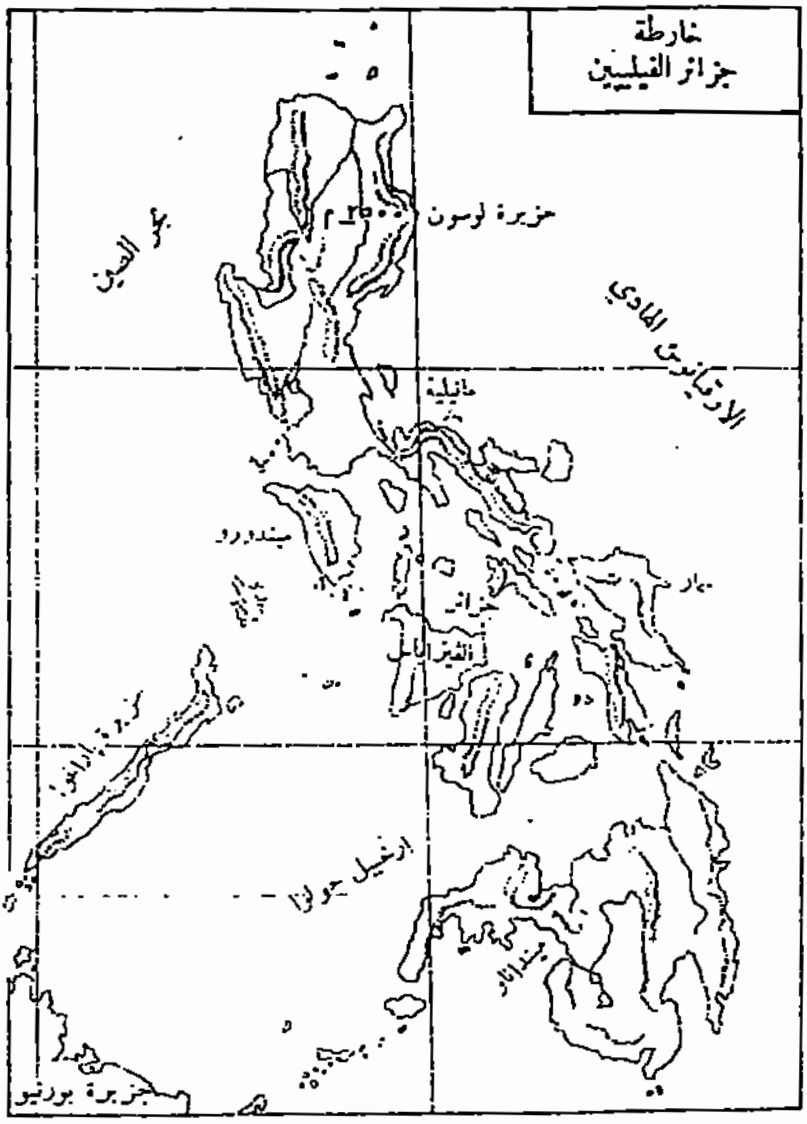

﴿ معادنها ﴾ هذه الجزائر غنيَّة بالمعادن من ذهب وحديد ونحاس وزئك الَّا ان الصنائع قليلة والحكومة الاسبانية لم تسعَ باستثمار تلك المعادن لما يقتضيهِ الامر من النفقات الطائلة. وكذلك تكثر في بلاد فيليبين مناجم الفحم الحجريّ الذي باشرت الولايات المتحدة بتعدينهِ. ومثلها ايضاً وفرةُ الحمّامات المعدنيَّة والمياه الغازية والكبريتيَّة التي تصلح لمعالجة عدَّة امراض وبعضها يتفجَّر انهارًا او يفور بشدَّة من قعر الارض على هيئات عجيبة

﴿ مناخها. انهارها. منابتها ﴾ مناخ جزائر الفيليبين يشبه مناخ البلاد البحريَّة الواقعة في اواسط خطّ الاستواء. فتغلب عليها الحرارة والرطوبة ولذلك يُعدّ هواؤها غير موافق للصحة الا ان الرياح التي تهب على الجزائر ترطب تلك الحرارة قليلًا وهذه الرياح تُعرَف بالمواسم (moussons) فتهبّ من نيسان الى تشرين من جهة الجنوب الغربي ومن تشرين الى نيسان من الشمال الشرقي وربما هاجت فيها اعاصير شديدة فدمَّرت قسماً كبيرًا من بلادها العامرة كاعصار سنة ١٨٨٢ الذي حلَّ على مدينة مانيلية فقلبها ظهرًا لبطن

وهذه الرياح تأتي بامطار غزيرة تُخصب تلك الجزائر وتوفّر غلّاتها وتمدّ انهارها بالمياه. ثم يتبع فصل الامطار فصل اليبوسة. ومن هذه الانهار ما يجاري انهار اميركة وفرةً وسعةً ليس طولًا كنهر كاغايان البالغ مسيرهُ مسافة ٣٥٠ كيلومترًا ونهر باسيغ الذي يصبّ في خليج مانيلية فتتركَّب منهُ بحيرة باي ونهر اغنوكرندى يمرّ بمنداناو طولهُ نحو ٤٠٠ كيلومتر وعرضهُ ٣٠٠ متر ومثلهُ نهر بانبامغا في جزيرة لوسون

فمن كثرة المياه ورطوبة الجوّ تزكو المزروعات في جزائر فيليبين وتغني البلاد باصناف المحصولات التي تدرّ على اهلها نعومة العيش. واخصّ هذه المحصولات الابازير والافاويه الطيّبة ولا سيَّما البنّ والارز ثمَّ قصب السكّر يصطنعون منهُ السكّر الاصفر غير المصفى. واوفر من ذلك التبغ الذي اشتهرت بهِ منداناو ومنسوجات القنب المنسوبة الى مانيلية. وعندهم تُصنع الحبال الكبيرة والقاوس البحريَّة. ومن الاشجار التي تنمو عندهم وتسمق الآبنوس والجوز الهندي الذي يصطنعون منهُ مُسكرًا يدعونهُ طوبا. ومنها الجميز والعَنبة. ولهم الغابات المتَّسعة الارجاء الكثيرة

الاشجار تسكنها القبائل الهندية الشاردة . وهناك اصناف النزلان والايائل . وعندهم نوع من الجاموس يدعونهُ كرابو ذو قرون متقوسة يتخذونهُ لنقل بضائعهم كالبغال

ومن اسباب ثروتهم ما يستخرجونهُ من البحار المحدقة بهم من ضروب الاسماك والثعبان . وعندهم عدة مغاصات للمرجان واللؤلؤ وانواع الاصداف الغالية الثمن لا سيما في بحر جولو جنوباً

﴿ سكانها واخلاق اهلها ﴾ يبلغ عدد اهل جزائر الفيليبين سبعة ملايين من النفوس اكثرهم عدداً قبائل ڤيزاياس يسكنون الجزائر المتوسطة وفي بلاد مانيلية عددهم نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ ثمَّ قبائل تاغالا في نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ وهم ارقى اهل تلك الجزائر حضارةً وادباً وسكناهم في جزيرة لوسون . ثمَّ قبائل ڤيكولو يبلغون نحو المليون . ثم المورو وهم اخلاط من المسلمين من عناصر شتى بعضهم من الصين والهند وماليسيه نحو نصف مليون . اما الاوربيُّون فلا يتجاوزون ٢٠,٠٠٠

واهل فيليبين الوطنيُّون دمثو الاخلاق لينو الجانب يكرمون الضيف ويأنفون من السرقة والخلاعة . وهم كثيرو القناعة يكتفون بالقليل لا يأكلون في الغالب الا الارز يأدمونهُ ببعض الأدام ولا يأكلون الخبز البتة الا الاجانب منهم . ولبس الوطنيين لا يزيد على ازار يشدُّونهُ على حقويهم والنساء منهم يتخذن فوق ذلك القلائد والحلي

فكلُّ هؤلاء الوطنيين للطف عريكتهم وحسن اخلاقهم كانوا يعيشون تحت حكم اسبانية بتمام الرضى يؤدُّون لأمرائها الجزية ويكتفون بما رزقهم الله من اسباب المعاش القريبة المنال . امَّا اصل هذه القبائل فمن اهل الجزائر الماليسية كانوا اذا ازداد عددهم في جزيرة ينتقلون الى جزيرة أخرى فيستوطنونها

ولا يشذُّ عنهم اصلاً ويخالفهم عوائد غير قبائل المورو وهذا الاسم بالاسبانيَّة يدلُّ على المغاربة وهم يخصُّون بهِ المسلمين الذين يسكنون في جنوب الفيليبين وهم كما قلنا عناصر مختلفة قد دخلوا في جزائر الفيليبين قبل مجيء الاوربيين وكانوا يطاردون الوطنيين وينزونهم الغزوات المتواصلة ويسبون نساءهم . فلمَّا قدم ماجلان وصارت الجزائر في حوزة الاسبان ناجزوهم القتال ولم يزالوا يتعقَّبون آثارهم حتَّى

دحروهم والجأوهم الى سُكنى الجزائر الجنوبيَّة والاخلاد الى السلم. وتراهم في انحائهم لا يختلطون مع سواهم من اهل الفيليبين ويُعنى بامورهم شيوخ منهم ولهم عادات غريبة يخالفون فيها كلّ سكّان تلك البلاد اخذوها من العناصر التي اختلطوا بها كاهل الهند والصين. ومن سننهم تعدّد الزوجات والطلاق. والحكومة منهم على حذر دائم لأنهم اذا وجدوا لهم غرّة تحاملوا عليها وحاربوا رعاياها واسترقوا كلّ الذين تصل اليهم يدهم. وقد اضطرّت الحكومة في اواسط القرن الماضي ان تزحف لمحاربتهم بالسفن الحربيَّة لتردّ غاراتهم. ومع كونهم مسلمين تراهم يجهلون في الغالب امور دينهم ليس بينهم الّا بعض الافراد يعرفون القراءة وهم يتكلّمون باللغة الماليسيَّة ويكتبونها بالحرف العربي

﴿ لغاتهم وآدابهم ﴾ في جزائر الفيليبين لغات متعدّدة تنيف على العشرين اشهرها لغة التيزايا التي يتكلّم بها نصف اهل تلك الجزائر. وللتغالا لغة اخرى دونها شيوعاً. ثمّ اللغة الماليسيَّة. وليس لهذه اللغات آثار قديمة غير ما جمعهُ منها الاوربيون فطبعوهُ بالحرف الاوربي كالامثال والاغاني والانساب والتقاليد التاريخيَّة وقد طبع احد الآباء اليسوعيين معجماً كبيراً لهذه اللغات التي بينها بعض التوافق كما ترى بين اللغات الاوربيَّة والعلماء يدخلونها في حيز لغات يدعونها باللغات البولينيسيَّة. امّا اللغة الاسبانيَّة فهي لغة الحكومة وكلّ المتمدّنين من الوطنيين يتعلّمونها في المدارس التي فتحها المرسلون

وهذه المدارس تُقسم اقساماً شتّى منها للعموم ومنها للاحداث المتأدّبين لاحراز العلوم العصريَّة وللآباء اليسوعيين في مانيلة مدرسة لتدريس العلوم العليا اصابت شهرةً عظيمة يبلغ عدد طلبتها ١٣٠٠ دارس وفيها قسم صناعيّ لتعليم الفنون الجميلة والصنائع. وكان عدد مدارسهم الكبرى قبل الغاء الرهبانيَّة في اواخر القرن الثامن عشر ثماني وكليتين. وللآباء الدومنيكيين اليوم مدرسة كليَّة تمنح شهادة اللاهوت في الفلسفة واللاهوت والآداب. وهم يديرون مطبعةً شهيرة تطبع الكتب في كثير من اللغات الاوربيَّة والاوقيانيَّة وينشرون جريدةً في الاسبانيَّة

ولليسوعيين في عهدنا مرصد فلكيّ مشهور في كلّ الدول يعوّل عليهِ ارباب السُفن في سيرهم الى الشرق الاقصى. وهذا المرصد كان انشأهُ الاب فورا (Faura)

منذ ستين سنة ثم قام بعدهُ احد كبار الفلكيين الاب ألكه (Algué) فوسَّعهُ وجهزهُ باكمل الادوات لرصد النجوم وتدوين كلّ مظاهر الجوّ من حرارة ورطوبة وثقل هواء ومطار وكهرباء وزلازل ورسوم فوتغرافيَّة للشمس والسيَّارات وهو مرتبط بعشرين مقاماً في انحاء شتَّى ترسل اليهم منها الارصاد فيجمعها اليسوعيُّون وينشرونها بالطبع ويوزّعونها على الاساكل وارباب السفن ولا تخرج سفينة من المرفأ دون هذه المعلومات. وقد أُنشئ منذ بضع سنوات مرصد آخر مغناطيسي في مانيلية يُعدّ من عجائب المراصد

ولما استولت اميركة على جزائر الفيليبين كانت عوَّلت على نفي الرهبان منها ثمَّ ما فتئت ان رأت ما الرهبان من النفوذ والاعمال الجليلة فعدلت عن فكرها. وكذلك ارادت انشاء مرصد فلكي على حسابها رجاء ان تستغني عن مرصد اليسوعيين لكنها ندمت على فعلها لمَّا ركنت الى معارمات ذويها ففقدت بعض سفنها الحربيَّة واتخذت مرصد الآباء اليسوعيين كمرصدها الرسمي ومنحت مديريه امتيازات عديدة للقيام باعمال الرصد ونشر ارصادهم فصار ذاك الصرح العلمي مثالاً لكل المراصد الدوليَّة. وللابوين فودا والكه اكتشافات فلكيَّة عديدة وارصاد لضبط انواء البحار ومعرفة حركات الاعاصير جعلت لهما شهرة فريدة بين كلّ علماء عصرهما

﴿ اديانهم ﴾ كان دين اهل الفيليبين لمَّا فتح بلادهم الاسبانيُّون قريباً من الدين الطبيعي يعتقدون بوجود إله عظيم يجعلون تحت امرهِ آلهة اصغر منهُ وما كانوا مع هذا يعبدون الاوثان الَّا انهم يكرمون الارواح ويقدّمون لها الذبائح ولم يكن لهم كهنة فيقوم مقامهم رؤوس العشيرة. وكانوا مع ذلك يخافون من السحرة ويعملون باوامرهم. امَّا الآداب فكانت محصَّنة يرعاها اولئك القوم ويعملون بما يلهمهم العقل السليم

وكان بينهم قبيلة واحدة تعبد الاصنام يدعونها مَنْدايا لم يزل منها حتَّى اليوم نحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة

فلما احتلّ الاسبان تلك البلاد اخذ المرسلون يسعون في دعوتهم الى النصرانيَّة واذ كانوا على صفاء نيَّة وطباع سليمة لم يصعب عليهم تنصيرهم حتَّى ان الكاثوليك

في تلك البلاد يبلغون اليوم تسعة اعشار الوطنيين يهتمّ بتعليمهم وتهذيبهم نحو الفي راهب من الرهبانيّات الاوربيّة وهم يثنون على تُقاهم وحسن سلوكهم . ولولا نفوذ بعض الاوربيين لكانوا قدوة لكل الفضائل المسيحيّة . والباقون منهم هم المورو المتلمون الذين لا يعرفون شيئاً من امور دينهم الّا تقليداً وهم يصلّون في اكواخ كالعرائش . ثم بعض الوثنيين الهمج الذين يعتزلون في الغابات . ولولا قلّة المرسلين لما بقي هناك وثنيّ . وكلّ من يحكم بنزاهة يقرّ بان الاسبانيين جروا في تلك البلاد على احسن سياسة اذ اطلقوا الحرّية اللازمة للمرسلين فساعدوهم بقوّتهم الادبيّة ونشروا التمدُّن الحقيقيّ في تلك الاصقاع التي قضى اهلها نحو ٤٠٠ سنة في الهناء بفضل لرباب الدين وموالاة الحكومة العاقلة

العلاقات بين الشرق والغرب

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

نبتدئ بعون الله فنعرض على القارئ الاديب زبدة ما جمعناه من الفوائد والمباحث التاريخيّة في العلاقات الدينيّة والادبيّة والسياسيّة والتجارية بين الشرق والغرب في القرون الاربعة الاخيرة . وليست غايتنا تأليف تاريخ كامل لكن اتحاف القراء مرة بعد المرة بنذالك مأخوذة عن المصادر العلميّة والآثار الخطّيّة يستطيع بواسطتها من يخلفنا من الكتبة ان يؤلف يوماً تاريخاً صادقاً يضمّ شتات الاخبار ويكشف الستار عن الاسرار فتكون معلوماتنا كحجارة أُعدّت للبناء يجدها البنّاء عند الحاجة . والله الموفق للصواب

علاقات بين الشرق والغرب

في الاجيال الوسطى

كان البحر المتوسط منذ القدم مجلبةً للثروة العظيمة التي نالتها الشعوب الساكنة على شواطئه وسبباً لارتباطها بعض ببعض وطريقاً لنشر لواء التمدن بينها وبين

الامم المتوغلة في بواطن اليابسة شرقاً وغرباً. فعلى سواحل هذا البحر ازهرت الدول الفينيقيَّة والمصرية واليونانيَّة والقرطجنيَّة والرومانيَّة وكانت كلما شاخت احداها قام مقام الدولة الهرمة دولة فتاة الى ان امتدَّت سطوة الرومانيين فدوَّخوا الشرق والغرب معاً. وكأن العناية الالهية سبقت فمهدَّت بهذه السيطرة والوحدة سبيلاً لانتشار الدين المسيحي في كل الاقطار. وجعلت تحيط هذه البحار مخطاً للترقي الديني والادبي والمادي معاً

واذا انحدرنا الان من مراقي التصورات العموميَّة الى موضوعنا في العلاقات بين الشرق والغرب رأينا انها كانت اوائل ملتحمة اشدَّ التحام بوحدة الدين والسلطة المالكة الى ان نُقلت عاصمة الملك من رومية الى القسطنطينيَّة وانفرط مع الأيام العقد الذي كان يربط انحاء العالم المتمدن فاصبح الشرق والغرب على طرفي نقيض كلٌّ منهما غريب للآخر لغة وعوائد وآداباً . لكن المسيحيين الغربيين لم يكونوا لينسوا مهبط الوحي وموطن المخلص وقبره فكانوا يحجون الى الاراضي المقدَّسة من كلّ صوب فيعفرون الجباه بثراها. وقد حفظ لنا التاريخ آثاراً جليلة لرحلهم. وفي اواخر القرن الثامن التحمت العلاقات بين كارلوس العظيم (شارلمان) وهرون الرشيد فبنى كارلوس في القدس الشريف منازل للزوار وارسل الحسنات الطائلة لتوزَّع على الفقراء المسيحيين الشرقيين كما تنبئنا بذلك الصكوك المرتقية الى عهد شارلمان تاريخ احداها سنة ٨١٠ م (١ حتى ان المدينة القدسة كادت ان تُعتبر مدينة مسيحيَّة (٢

وبينما كان مسيحيُّو الغرب يؤمُّون الاراضي المقدسة للتبرك كان التجار الشرقيُّون من روم وسوريين ومصريين يذهبون الى الغرب للمتجر حاملين المنسوجات البديعة يبيعونها باغلى الاثمان في القصور للمثريين من الطليان والاسبان والفوليين او الافرنسيين. وقد اخبر غليلموس الصوري ان عدداً من السوريين كانوا يتاجرون بالمنسوجات في فرنسة في القرن السادس (٣ وحفظوا هذا الاحتكار حتى اواخر القرن العاشر حيث

---

١) (de Guignes, *Mém. de l'Acad. des Inscript.* 1774, t. 37. p. 481)

٢) هكذا اخبر غليلموس الصوري في تاريخه (١ : ٢) : ita utsmagis sub imperatore Karlo quam sub dicto principe [هرون] degere viderentur

٣) تاريخه (٧ : ٢١ و ٨ : ١)

جعل قوم من الطليان من سكان مدينة امالفي (Amalfi) يزاحمونهم في ذلك فيأتون لمشترى البضائع الشرقيّة وينقلونها الى اوربة. وفي اواخر القرن الحادي عشر اسس هؤلاء في القدس شركة تجارية وعمروا فيها فندقاً او خاناً للتجار ومارستاناً للزوّار. هذا على ما نظنّ اول فندق غربي او بالحري مستعمرة تجارية اقيمت في البلاد السورية

وكان البندقيون (Vénitiens) قد سبقوهم في القسطنطينيّة فنالوا من الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني امتيازات تجارية وتخفيضاً في رسوم الدواوين (الكمارك) عند الدخول والخروج وما لبثوا ان تغلبوا على الامالفيين وزادوا نجاحاً وامتد لواء حكومتهم على السفن الماخرة في البحر واقاموا الفنادق والشركات التجارية في كثير من المدن المهمة فازدادت ثروة البلاد الشرقيّة وازهرت فيها المصانع وعادت التجارة على كلا الفريقين بالفوائد

ودامت الحال زمن الحروب الصليبيّة رغبة من الامراء النصارى في توسيع نطاق التجارة وترقي البلاد فكثر عدد هذه المستعمرات التجارية المنتمية الى البندقيين والى غيرهم كالجنويين والبيزيين (ايطالية) والكاتلانيين (اسبانية) والبروفنسيين (فرنسة) وعظمت شوكتهم وازدادت امتيازاتهم فاقاموا شركات في كثير من المدن كانطاكية واللاذقيّة وطرابلس وقيصرية ويافا وعكا الخ. وفي القرن الثالث عشر امتدت تجارتهم الى قبرص ومصر وبلاد المغرب ومملكة ارمينية واعطى ميخائيل بالبولوغس حيّ غلطة للبندقيين. على ان سقوط الممالك اللاتينيّة في الشرق قد كان بادئ بدء ضربة قاضية على هذه العلاقات التجارية فقطعها مدة بين الطرفين. لكنّ حاجات البلاد اضطرت الكثيرين الى تجديدها وكان حب المكسب اكبر محرّك لها لا سيما وان الغربيين كانوا قد اعتادوا في اللبس والطعام عوائد لم يرضوا تركها وقسم هامّ منها كالمنسوجات الغالية الثمن والتوابل والاباذير تأتيهم من الشرق او عن طريق الشرق فعاد التجار الى معاملاتهم وفتحوا الخانات والفنادق في كثير من الانحاء السورية وفي الجزائر وشمال افريقية ولم يزل عددها في ازدياد الى ايام تغلّب محمد الثاني على القسطنطينيّة (١٤٥٣)

كانت هذه المحلّات التجارية في الاجيال السالفة بهيئة ونظام يصعب علينا الان

فهمهُ لاختلاف احوالنا الحاضرة عن الاحوال الماضية. وذلك لانها كانت كمستعمرات مستقلة او كاحياء من احياء العواصم الغربيَّة نقلتها الضرورة او الفائدة الى الخارج من دون ان تبدل في احوالها شيئاً هاماً فكان الخان او الفندق الذي يسكنون فيهِ كبلدة صغيرة فيها يعيش السكان بمعزل عن جيرانهم الشرقيين وكان لكل شعب او عاصمة فندق خاصّ وذلك منذ القدم. وصف السائح سارّبروك (Sarrebrūk) في زيارتهِ للاسكندرية سنة ١٣٩٥ فنادق خاصَّة بالافرنسيين والبندقيين والجنويين والقبرصيين والاكريديين وباهل نابولي ومرسيلية وزبونة الخ. اما الشرقي فلم يكن يعرفهم عادة الّا باسم الفرنج (Franc) ذكرًا للافرنسيين الذين اشتهروا ايام الحروب الصليبيَّة بين بقيَّة الدول الاوربيَّة فتوسع الشعب باسمهم واطلقوهُ على كلّ الغرباء.

وكان لهذه الشركات قوانين ونظامات خاصة ورثوها خلفاً عن سلف واثبتها التقاليد واحكام سلاطين الشرق وامرائها بتمام الرضى جزاء الفائدة العائدة على البلاد من التجارة وحفظاً لموائد عريقة في القدم لم يُبدها كرور الاعوام. قال الفقيه المتضلع فيرو جيرو (Féraud — Girau) في كتابهِ عن المحاكم الافرنسية في الاساكل الشرقيَّة (١): «اذا اختلفت مأتان اختلافاً عظيماً في الدين والطباع والشرائع والعوائد فلا تُؤمل بينهما علاقات ثابتة الّا اذا نال الشعب المحتل مضض الاسفار فوائد تضمن لهُ امواله وحياته. والا فلا يهجر الوطن ويعرض بنفسهِ للاخطار في الغربة رغبة في مكسب مجهول ومن ثمَّ لا بدَّ لهُ من شرائع كشرائع بلاده تصونهُ وتضمن لهُ رغائبهُ.» على اننا اذا ما تصفحنا تاريخ التجارة في البلاد الشرقيَّة رأينا انها كانت منذ القدم في حاجة ماسَّة الى اموال الغربيين ومبادلاتهم. لذا نرى البيزنتيين في القرن العاشر يسهلون على التجار القادمين من ايطالية وفرنسة سبل المعيشة ويخففون ثقل الضرائب على بضائعهم او يعفونها تماماً ويخصُّونهم بحيٍّ او حارة فيها يعيشون كما يروق باعينهم. ولم يجد الامراء المسلمون بعد ان تغلبوا على كلّ انحاء الشرق عن هذه الخطة رغبةً منهم في توسيع نطاق المتجر واستدرار

(١) de la Juridiction Française dans les Echelles du Levant et de Barbaris T. I, p. 29

اموال الاجانب. وكثيراً ما ترى في الآثار العتيقة حكاماً يشكون عدم مقدرتهم على القيام بالحاجات وارسال المبالغ المطلوبة الى العاصمة لوقوف دولاب التجارة بين الاجانب او لعدم اقدامهم على المشترى. فلا عجب من ثمَّ اذا رأينا محمد الثاني الفاتح يجدّد للتجار الجنويين الساكنين في حي غلطة (القسطنطينيَّة) كل الامتيازات التي نالوها من سلاطين الروم وكانوا يجرون عليها قبل الفتح

وما استقرَّت قدمهُ في القسطنطينيَّة الَّا وسعى في اكتساب تجار الجمهوريَّات الايطالية ومنحهم كثيراً من النعم والفوائد والاختصاصات المسهلة عليهم السكنى في الاساكل والمدن ولذا نرى قبل فتح القسطنطينيَّة وبعدها فنادق لاكثر الامارات الايطاليَّة والافرنسيَّة في حلب ودمشق والاسكندرية وغيرها من المدن

ولا حاجة لوصف هذه الفنادق او الخانات وكثير منها معروف حتى الان في حلب وصيدا ودمشق الخ. هناك منازل التجار ومخازنهم يترأس عليهم القنصل كامير وقاض وحاكم يقضي بينهم ويحلّ المشاكل الطارئة عليهم ويدافع عن حقوقهم امام حكام البلاد فكان واياهم كدولة مستقلة في وسط البلاد المقيمين فيها. هذا اصل القنصليات والمعاهدات (Capitulations) والامة (Nation) وسنشرح احوالها مفصلاً في عدد قادم ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

MICHAEL JAN DE GOEJE par C. Snouck Hurgronje, traduction française par M. Chauvin avec portrait, *Leide, Brill* 1911, p. 94

ترجمة حياة الاستاذ دي غوي

رُزئت الآداب العربيَّة بل العلوم الشرقيَّة في العام الماضي باحد كبار المستشرقين الاستاذ الهولنديّ الشهير ميخائيل جان دي غوي الذي لم يزل منذ نحو خمسين سنة يُغني المكاتب بمنشوراته وتآليفه. وقد اسعدنا الحظ بان نجتمع معهُ غير مرَّة فوجدنا فيهِ قدوة العلماء ومثال الأدباء جامعاً بين العلم والعمل. ومن رآه وحادثهُ واختبر

سذاجة طباعهِ وتواضعهُ ما كان ليظنّ انّهُ من نوابغ عصرهِ . وكان مع كثرة اشغالهِ مستعدًا ابدًا لمساعدة من يقصدهُ ويعرض عليهِ مشاكلهُ . واذ طلبنا منهُ مرّة ان يعيرنا كتاب حماسة البحتري فخاف ان يُفقد هذا الكتاب الفريد تولّى لنا نسخ عشرين صفحة منهُ بكلّ تعطف . امّا تآليفهُ فكلّها من يتيمات الدهر ولو لم ينشر منها سوى مجموع جغرافيّ العرب في ثماني مجلّدات ضخمة لكفى بهِ تخليد ذكرهِ في عالم العلم وكم لهُ غير ذلك من المنشورات الفريدة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري والشعر والشعراء لابن قتيبة . فنشكر كلّ الشكر الاستاذ الهمام هرغروني على تصنيف ترجمة هذا الرجل العظيم وتدوين لائحة مصنّفاتهِ البالغة نيّفًا وثلاثمائة مصنّف . فان هذا الفقيد يستحقّ ان ينظم في سلك اولئك الهولنديين الذين خدموا حياتهم لخدمة الآداب الشرقيّة ولعلّهُ سبقهم ل . ش

Lammens s. j. Cours gradué de traduction Fr.- Ar. 1° p. 2° édit.

تمارين الترجمة الافرنسية والعربية جمعها الاب لامنس اليسوعي

القسم الاول (الطبعة الثانية)

لا حاجة الى تعريف هذه التمارين وقد تداولها الاساتذة والطلبة منذ عشرين سنة واثنوا عليها . اما هذه الطبعة الثانية فتمتاز عن الاولى بترتيبها تبعاً للصعوبة في الترجمة وبزيادة قطع جديدة منتخبة من الكتب الادبيّة المنشورة بالطبع والمخطوطة كالجاحظ وابن عبد ربهِ والمسعودي وابن بطوطة والقليوبي والقلقشندي وغيرهم كثيرين وقد طبع كل نصّ من العربي والافرنسي على حدة في جزء فيمكن استعمالها للترجمة من العربيّة الى الافرنسيّة ومن الافرنسيّة الى العربيّة فنثني اطيب الثناء على جامعها العالم ونحرّض كل ارباب المدارس على استعمالها ا . ر

Librairie Oudin : 1. Œuvres spirituelles de Louis de Blois T. I. trad. — 2. Recueil de Cantiques

١ . الاب لويس دي بلوا من اشهر المرشدين الاتقياء في القرن السادس . وهذا الجزء الاول من الترجمة الحديثة لتآليفه يتضمن صلوات ومشورات وعواطف تقوية يستطيع المسيحي ان يجعلها موضوعاً للتأمل . — ٢ . مجموعة تراتيل افرنسية مختارة لطلبة المدارس مطبوعة طبعاً محكماً وقيمت الكتيب زهيدة ٢٥ (سنتيماً فقط) ا . ر

مسرّات الحياة

تأليف اللورد افبري الانكليزي

عُرّبت ونُشرت في جريدة السودان في الخرطوم سنة ١٩٠٦ (ص ٢٥٦)

هـذا الكتاب من بواكير مطبعة الخرطوم احبّ احد محرّري جريدة السودان ان ينقلهُ الى العربيّة وهو حقيق بذلك اوّلًا لشهرة مؤلّفهِ الذى عرف بين الانكليز بسجاياه الطيّبة وحصافة عقلهِ وثانياً لما في هذا التأليف من خلاصة الحكمة البشريّة والآداب الاجتماعيّة تجدهـا في قسمين لكل قسم عدّة فصول اوّلها وجوب السعادة ثمّ بيان موقع السعادة في الواجبات ثمّ ملذات الكتب والاسفار ثمّ انتقاء الكتب ثمّ نعمة الصداقة وقيمة الوقت ولذّة السياحة والسفر ولذّة الوطن الى غير ذلك ممـا اعرب فيهِ المؤلف عن خواطرهِ على طريقة لذيذة بعيدة من كل ابتذال وتصنّع مع اصالة في الرأي ودقّة في الحكم. فنشكر المعرّب ونتمنّى لكتابهِ رواجاً بين الأدباء.

ل. ش

بستان السلوى

بقلم الخوري مارون غصن

طبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٩١١ (ص ١٤٤)

نشرت هذه الروايات في جريدة البشير تباعاً فاقبـل عليها القرّاء لجمعها بين الفكاهة والذوق والفائدة وقد احسن الكاتب في اختيار هذه المواضيع وتعريبها بتصرف عن الافرنسيّة ونشرها على حدة لتكون « بستان سلوى » للقارئ فيطابق الاسم المسمّى

ا. ر

ملتقى العبرات في رثاء حنا يوسف بركات

احد تلامذة مدرسة الحكمة

طبع في المطبعة اللبنانية على نفقة رفقاء الفقيد تلامذة الفئة الاولى سنة ١٩١١ (ص ٩٥)

هي عبرات وصلوات سكبتها عيون تلامـذة مدرسة الحكمة وقلوبهم على فقيدهم وفقيد كليتنا الشاب المأسوف عليهِ كثيرًا حنّا يوسف بركات الـذي لفظ

روحه الطاهرة غريقاً في لجة البحر في ٢٣ نيسان سنة ١٩١١ ولم يتجاوز سبعة عشر ربيعاً وقد جمعوا هـذه المراثي وطبعوها على نفقتهم شهادة تكرم خصال الفقيد واخلاص حبهم. ونحن نختار بعض ابيات شجية عنوانها « استغاثة الغريق » كتبها الشاب الاديب يوسف زين من صف المنتهين وهي الاولى في المجموعـة من قصائد التلامذة مستمطرين غيث البركات على نفس الميت وغزير ميـاه التعزية على ذويه ومحبيه :

هل لأمي ان ترى كيف انا ومياه البحر صارت كفنا
وترذّيتُ مطاريف القنا وعلى وجهي الحمام اعتلنا
فتعجبي ولو كنت غريق ؟ . . .

غبت عن دنياي في شرخ الشباب ليس بي من علة رطب الاهاب
وريح العمر مخضل الجناب ها انا ماضٍ الى يوم الحساب
يا اخلاني ارحموا « جان » الغريق . . .

كلما هبت نسمات الصبا بين اوراق الحزامى في الربى
بلغوا عني سلاماً اطيبا علّهُ يرتادُ أمـا وأبا
اذ به ذكرى الفتى الثاني الغريق

عند ما يدعوكمُ للسهدِ جرسٌ فيهِ انتباه الرقدِ
بادروا طرّاً لترك المرقدِ واذا البيعة جئتم في الندِ
فاذكروني ثم صلوا للغريق

فصلاةٌ منكم تكفي وما غيرها ارجو بكم ان ارحما
فعسى غيث دعاكم ان همى فوق رمسي يستثير الاعظما
ويبث الروح في جسم الغريق

ا . ر

اطرب الشعر واطيب النثر

من آثار قدماء الادباء واهل العصر

طبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٩١١ (ص ٢٨٧)

اصدرت مطبعتنا القسم الثاني من مجموع « اطرب الشعر واطيب النثر » الذي اودع بعض ما ورد في مجلة المشرق من المقاطيع النثرية التي يحبُّ الاحداث مطالعتها مما يكثر فيهِ وصف الحالات وتفكيه المخيلة ويحرّك في القلوب العواطف الرقيقة ويصرف العقول الى المدارك الشريفة مع ما تحتويه تلك الطرف من اساليب الانشاء.

التي ترشد الناشئة في حسن الكتابة والتفنن في الاغراض. ولنا الامل الوطيد بانّ المدارس تقبل على هذه الطبعة الجديدة اقبالها على الطبعة الاولى بل تزيد رغبة الطلبة فيها بعد اتساع موادها ووفرة مضموناتها وفيها ما ترى من مآثر الكتبة المصريين لا سيما الذين زاولوا الآداب الاوربيّة فاكتسبوا منها رقةً في التعبير وتصرُّفاً في المعاني فنقلوها الى لغتنا العربيّة واكسبوها مسحةً جديدة من البهاء. وبينوا لاهل العصر انّ اللسان العربي ليس بجثة محنطة بل هو جسم حيّ قابل للنموّ والحسن والقوّة لا يزال في ترقٍ دائم فيجاري بذلك الالسنة العصرية التي يفتخر الاجانب بخواصها

وما احوجنا الى مثل هذه المصنفات الجامعة بين المواضيع العصرية الجديدة وفنون الكتابة المستحدثة المتزّهة عن كل ما يخدش آداب الشبيبة. فرجاؤنا ان ارباب الاقلام يوفرون هذه التآليف فيخدمون بها المدارس اطيب خدمة ويكسبون شكر معلميها وطلّابها معاً

كتاب الواجبات

تأليف سامي بواكيم الراهي. طبع في سان باولو (البرازيل) ١٩١١

نظرنا في فهرس هذا الكتاب وطالعنا بعض فصوله ثم قفلناهُ ووقفنا متحيرين نفكر في المؤلف ومن شاكلهُ من السوريين الاذكياء الذين القوا عن عاتقهم كلّ مبدإ ادبي وديني ظنًّا منهم ان هذا هو الترقي والتمدُّن بالذات. قرأوا كتباً جمة فلم يميزوا بين غثها وسمينها ولما كانوا لم يتأسسوا على المبادئ الفلسفيّة والمنطقية ولم يدرسوا من الدين الذي وُلدوا عليهِ الا قشرته بل قل انهم لم يدرسوه البتة جعلوا التعاليم المادية المحضة وفلسفة اللذة الحسيّة جلّ الغاية كأن لا وجود لروح ولا لواجب ادبي ولا لدين ولا لرب ولا لحياة اخرى. قلّب كتاب « الواجبات » تجد انهُ يتكلم عن المخلوقات كأن هناك خالقًا لكنهُ ذكر الواجبات نحو الكثيرين حتى نحو العجماوات وضرب صفحاً عن الواجبات نحو خالقنا وخالقها. ابحث عن اصل الواجب وغايتهُ فلا ترَ لذلك جواباً واذا قرأت ان الانسان يطلب السعادة فافهم ان السعادة هي « ما تبلغهُ حواسهُ من اللذة والارتياح » (ص ١٦٨) « فمن شاء ان يكون سعيداً عليهِ

ان يقلل واجباته بحيث يستطيع ان يتمتع بكل راحة » الى غير ذلك من التعاليم الواطئة الدنيّة التي قد تجعل البهائم سعيدة لكن حاشا الانسان الذي زيّنهُ ربك بصفات التمييز والاختيار والشعور والحب والرغبة في السعادة الكاملة والدائمة ان يجعلها لهُ غاية ١٠ر

مجموعة المحررات السياسية عن سوريّة ولبنان ١٨٤٠—١٩١٠

الجلد الثالث تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن

اثنينا في ما سلف على هذا المشروع التاريخي وترسمنا فيه خيراً وقد جاءت الاجزاء الواحد بعد الاخر مثبتةً لثنائنا وحسن ظننا. وهذا الثالث يحتوي على المفاوضات الدولية التي يتراوح تاريخها بين ٢٦ ت ١ و١٥ آذار سنة ١٨٦١ في نحو ٦٠٠ صفحة كأنها فوائد واملنا ان يبلغ صاحبا الكتاب الفاضلان بغيتهما فيطّلعا على المحررات الافرنسيّة (ونعرف منها قسماً مهماً لم يطبع) ويعرباها تتمّة ضرورية لما نشراه من المحررات الانكليزية. فاذا ما انجزا العمل وضمّا اليه النصوص المتفرقة العظيمة الفائدة في تاريخ مذابح سنة ستين والحقا بكتابهما الجداول الكاملة خدما لبنان وسورية خدمة تاريخيّة لا ينكرها عليهما اثنان ١٠ر

اخوية دمّ يسوع الثمين

عربهُ الخوري نقولا صنيبر (طبع في بيروت سنة ١٩١١ ص ١٢٠)

كتيب تقوي جمع فيهِ صاحبهُ الفاضل قوانين اخوية الدم الثمين ورتبة درب الصليب وشروط تعليق الصلبان ١٠ر

شذرات

موت الكافر من نظم الاديب يوسف افندي غصوب احد طلبة كليّتنا:

قد كسا الدهرُ رأسهُ بياضٍ وكسا الشرُّ قلبهُ بسوادِ
وطوى العمرَ بين كفر فلهو فذنوبٍ فغرّةٍ فقسادِ

فضمير مثقَّل بالخطايا فسرورٍ محيطةٍ بالفؤادِ
صلَّب الكفرُ قلبَهُ فتراهُ من جرى الكفر مثل قلب الجمادِ
ليس فيه شهامةٌ وحنانٌ ليسَ فيه الى الحقيقة هادِ
احرق الكفر كلَّ عاطفةٍ فيه م كنارٍ تسعَّرت في الحصادِ
فدعا اللهَ والجحيم خيالًا جسَّمتهُ مآرب العبَّادِ
وارتمى في الحياة فوق خضمٍّ طافح من خلاعةِ الالحادِ
رَقَدَ العمرَ في الملاهي وحانت يقظةُ الموتِ بعد ذاك الرقادِ
فالحياة كطائرٍ في فضاء يسبقُ الطرفَ سيرُهُ التمادي

...

هكذا مرَّت الحياةُ سريعاً وتوارت مسرَّةُ الاعيادِ
واتى الموت منذرًا بمثولٍ وقضاء امام باري العبادِ
فتراهُ على فراشٍ حريرٍ وترى الداء ردَّهُ كالقتاد
فمن الداء جسمهُ في استعارٍ ومن الشرّ قلبهُ في اتقاد
فرأى النور مظلماً كالليالي ورأى الاهل حولهُ كالاعادي
وأتتهُ من الضمير سهامٌ مزَّقت صدرهُ مع الاكبادِ
فارتجافٌ يجيءُ تلوَ ارتجافٍ واحتدادٌ يجيءُ تلوَ احتدادِ
كلُّ شيءٍ على البسيطة اضحى لعذاب الاشرار كالجلَّادِ
ان رأت عينهُ السماء بليلٍ شامَ فيها ليالِيَ الافسادِ
او رأت عينهُ الصباح بيومٍ ذكَّرته برفقةٍ ارغادِ

...

اظهر اليأس في المهات فويلٌ لامرئٍ قانطٍ بيوم المعادِ

...

ثمَّ كان السكوت وانتشر الليلُ وبانت جماعةُ العُوَّادِ
ورأى الكافر السداد ولكن هالهُ منظر الهدى والسدادِ
وغدا يستر الحقيقة في القلب كنار سترتها في رمادِ

ثمَّ قال للموت والموت قد شدَّ م عليهِ بقبضتيهِ الشدادِ
« ايها الموت ما بكفكَ قل لي هل بكفك منجل الحصّادِ ؟ »
ايها الموت ما وراءك قل لي ما وراء تقوّض الاجسادِ ؟
هل حياةٌ تكون بعد ممات ام تموت النفوسُ في الالحادِ ؟
ايها الكون من بناكَ أربٌّ ام بنتكَ سفاسفُ القرّاد (١
ايها الموت . . لا . . بحقكَ . . ماذا لم تحن بعد ساعةُ الابعادِ

. . .

ايها الكافر المشكك مهلًا كل جسم يموت في الميعادِ
انما النفس لا تموت كجسمٍ فحياة النفوس للآبادِ
« خُلق الناس للبقاء فضلّت امة يحسبونهم للنفادِ »
انما ينقلون من دار اعمالٍ م الى دارِ شقوة او رشادِ »
« ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهادِ »
جادَ جادَ الاله بالنفس واعلم ان تلك النفوس للجوّادِ
قد حباك الاله نفساً كما م الزنبق طهرًا في ساعة الميلادِ
اين ضيّعتَ طهرها وجمالًا اين منهُ جواهر الاجيادِ
وقتلتَ الشباب بين الملاهي وكفرتَ بالقادر الوجّاد
وهو حيٌّ وقد براك لخيرٍ فقضيت الحياة بالافسادِ
هو حيٌّ وكل شيء على الار ض ينادي بفضلهِ والايادي
هو حيٌّ وقد فداك فكرٌ بصليبٍ وطعنِ قلب الفادي
كيف قلت بموتهِ وهو حيٌّ يا فقيد الهدى وعبد الفسادِ
هو حيٌّ وما ضيرك الا شاهدٌ صادقٌ لربّ العبادِ
قد حُسدت على حياتك لكن في مماتك ليس من حُسّادِ
سوف تلقى من الجحيم عذاباً ليس يفنى بدولة الآمادِ

حفريات سامرّا — قال ياقوت (معجم ٣ : ١٤) ما ملخصهُ :
سامّر مقصور سُرَّ مَن رأى بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا . . جدّد المعتصم

١) اشارة الى دروين القائل بان الانسان من القرد

(سنة ٣٢١ هـ) بناءها وعمر فيها القصور وسكنها وكان الخلفاء يسكنونها بعده الى ان قويت شوكة الاتراك واستبدوا بالملك وانفصلت دولة بني العباس فاضحت خراباً يباباً يستوحش الناظر اليها بعد ان لم يكن في الارض كلها احسن منها ولا اجمل ولا اعظم...اه

ففي حزيران ١٩١٠ سعى الرحالة هنري ڤيوله (H. Viollet) الافرنسي في اجراء حفريات علمية في هذه الخرائب الوحشة علّهُ يصل الى اثار عتيقة مفيدة فنجح مسعاه وقد نشر في مجلة المحفل العلمي الافرنسي (Acad. Inscript. et belles-Lettres, Avril 1911) نبذة مستطرفة وصف فيها قصر المعتصم كما ظهرت اثاره وبيّن هندسته وسعته ودرس ما جمعهُ وصوّرهُ من البقايا والنقوش والزخارف التي كانت تزيّن الجدران والعمد والدعائم والسقوف وارتأى ان عملتها لم يكونوا اعراباً لكن قوماً من الروم والاقباط والسوريين والبيزنطيين والاعجام وربما من الهنود فنسقوا قصور الخلفاء بما تعلموه في بلادهم. وقد اضحت على مرّ الايام مجموعة زينتهم فنا هو ما ندعوه في ايامنا بالفنّ العربي او الصناعة العربيّة. هذا واذا انجز الامير ڤيوله وعدهُ فنشر مقالتهُ المطولة في هذا الباب عدنا الى الموضوع لخطره وفائدته

ا ر

اسئلة واجوبة

س سألنا احد التزيريين من هو الكاهن الماروني الذي ساعد المصريين في تعزيز الآداب العربيّة عند نهضتها في عهد محمد عليّ

كاهن ماروني

ج هو احد رهبان الموارنة الحلبيين الافاضل الاب ارسانيوس قرداحي كان هذا درس في رومية اللغات الاوربيّة فاتقنها واحكم ايضاً اللغة العربيّة فلما اراد العلماء الفرنسويّون الذين كانوا يدرّسون العلوم العصرية في القاهرة مثل كارت بك وماريت ان يعرّبوا بعض تآليفهم انتدبوا الاب ارسانيوس المذكور فبقي زماناً في القاهرة ينقل مصنفاتهم الى العربيّة فاستحقّ بذلك شكر المصريين وغيرهم ل.ش

المشرق

مثل انجيلي او وكيل الظلم

للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب في اواخر القرن الثامن عشر احد مشاهير الملحدين فصلاً في وصف الانجيل حقّهُ ان يُرْجَم بالنبل فيعتبره كلّ تاركي الوحي بل كل ذي عقل صائب ومما قال: «ان في الاناجيل بساطةً تذهلني وسذاجةً تسحر عقلي ... ترى المسيح يعرض لسامعيهِ اسمى الحقائق واعظم الاسرار فيقرّبها الى اذهانهم دون عناء ولا مشقّة ولا يحتاج الى زخرف الكلام وبهرجة الالفاظ واساليب الانشاء لما في الحقيقة المجرّدة من القوّة والتأثير. فما قولك اذا نطق بها ذاك الذي قال انهُ الطريق والحقّ والحياة وتكلّم فمهُ من فضل ما في قلبهِ (متى ١٢: ٣٤)

وربما ظهرت هذه السذاجة الالهيّة بكلّ جمالها في الامثال التي تعشّقها السيّد المسيح فكان ينثرها من شفتيهِ كالدراريّ الثمينة فيلتقطها مَنْ لهُ اذنان سامعتان فيسمع ويُعمل نظر فكرتهِ في اصدافها فيستخرج ما تكنّهُ من التعاليم الخلاصيّة

على انّ تلك الامثال مع قرب فهمها لا تخلو احياناً من بعض المشاكل التي كانت تحتاج الى من يوضحها ويزيل لبسها ولذلك نرى المخلّص نفسهُ قد تولّى غير مرّة تفسيرها لتلاميذهِ كما فعل بشرحهِ لهم مثل الزرع الواقع على الصخر او في الشوك او في التربة الجيدة ومثل الزؤان الذي زرعهُ العدوّ في الزرع الجيد ونمى مع الحنطة. وقد بقي كثير من امثال الربّ في الانجيل الطاهر دون شرح فاعتاص على الشارحين بيان كلّ مشاكلها

فمن ذلك مثل طلب منّا احد ادباء البلدة جناب الكاثليق عبدالله افندي رعد تفسيره الّا وهو مثل وكيل الظلم الذي ذكره القديس لوقا في انجيله (١٦: ١—١٢)

وخلاصته انّ رجلًا غنيًّا كان له وكيل فوشي به اليه انّه يبذّر امواله. فلما دعاه سيّده وقرّعه بسوء وكالته وطلب منه ان يؤدي عنها الحساب شعر الوكيل بانّ تصرّفه السيّئ يؤدي به الى ان يُعزل عن الوكالة ويطرَد من خدمته فيضطرّه الامر امّا ان يزاول عمل الفلاحة وهو لم يُعتدها وامّا ان يستعطي ويعرّض للخجل امام الناس فلم يجد وسيلة للتملّص من هذين الامرين الّا ان يستدعي مديوني سيّده ويبدل الصكوك المؤذنة بديونهم له بغيرها تنازل لهم فيها بقسم من المال واعطاهم وصولًا في ذلك. وانّما عمل هذا رجاء ان يجد عند فصله من الوكالة اصدقاء يشكرون له عمله فيقبلونه في بيوتهم ريثما يجد له عملًا او وكالةً اخرى. فلمّا علم سيّد الوكيل بصنيعه اثنى على فطنته. فختم السيد المسيح هذا المثل بقوله: «وانا اقول لكم اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى اذا ادرككم الاضمحلال يقبلونكم في المظالّ الابديّة»

فطلب السائل اوّلًا كيف امكن الربّ ان يمدح وكيل الظلم ويثني على حكمته اذ استكتب مديوني سيده صكوكًا خصم لهم فيها قسمًا من دينهم بلا عدل واباد الصكوك الصحيحة وهذا العمل ليس حكمة بل خيانة. ثمّ طلب السائل ثانيًا معنى قوله «اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم» ايريد السيد المسيح ان نظلم ونقتني بمال الظلم اصدقاء وكيف يقبلنا هؤلاء الاصدقاء في المظالّ الابديّة اذا فنينا ومن هم هؤلاء الاصدقاء

الجواب

كلّا لا يريد الربّ في هذا المثل الثناء على الخائن ولا ظلم احد لنقتني لنا اصدقاء في الآخرة

وقبل الجواب على سؤال السائل لا بُدّ من استطلاع المثل المذكور والنظر في مقدّماته ولواحقه التي من شأنها ان تبيّن غاية المتمثل بها فنقول:

﴿ توطئة ﴾ انّ هذا المثل ورد في انجيل لوقا بين مثلين آخرين له معهما بعض الارتباط وهما مثل الابن الشاطر ومثل غنيّ السوء ولعازر الفقير فاراد الربّ ان يصف

بالامثال الثلثة ما ينال المرء من الجدوى او من الضرر في الآخرة باستعمال الاموال الزمنيَّة على طريقة صالحة او سيئة. فبيَّن بمثل الابن الشاطر الى ما يؤدي تبذير المال بالخلاعة والطيش حتى يصبح الانسان اشبه بالحيوانات فيحسدها على ذلك وخساستها ما لم يرعوِ فيتوب ويرجع الى عزّ مقامهِ وشرف منزلتهِ. وفي مثل الغني المتنعم بمالهِ المصلّب قلبه على لعازر الفقير قد مثَّل بنوع حيّ ما ينتظر الاغنياء الجفاة من العذاب الاليم في الآخرة حيث ينال الفقراء ثواب صبرهم وهم يعذَّبون بالنار الآكلة. امَّا مثل وكيل الظلم الذي نحن بصددهِ فضربهُ ليحرّك في قلوب الاغنياء عاطفة الحنوّ على الفقراء ليكفِّروا بذلك عن ذنوبهم فيشفع بهم الفقراء المطوَّبون عند الله وينالوا الرحمة منهُ كما رحموهم في الحياة فانَّ الرب قال: ارحموا تُرحموا وبالكيل الذي تكيلون يُكال لكم

﴿ غاية المثل ﴾ فالغاية اذن من ضرب هذا المثل ان يحضّ السيد المسيح ارباب المال على اعمال البرّ والرحمة عساهم يجدون بذلك لنفوسهم مناصاً من الديونة التي تنتظرهم والحساب الذي يُقتضى عليهم تأديتهُ يوم المعاد كما قال دانيال لنبوكدنصَّر (٤ : ٢٤): افتدِ خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين

والدليل على انَّ السيد المسيح قصد بهذا المثل رَذْل البخل ونَفْي الحرص الزائد على المال ما ختم بهِ المثل بقولهِ (لوقا ١٦ : ١٢): « لا يستطيع احد ان يعبد ربّين . . . لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال »

وهذا ما ادركهُ الفرّيسيون الذين قصدهم السيد المسيح بمثلهِ فقال عنهم القديس لوقا (١٦ : ١٤): وكان الفرّيسيون الذين هم بخلاء يسمعون هذا كلَّهُ ويستهزئون بهِ

﴿ وجه المثل ﴾ فاذ تبيَّن المقصود من هذا مثل الربّ يجب علينا ان نبيّن وجه المثل وانطباقهُ على الغاية المطلوبة. فان السيد المسيح كعادتهِ في امثالهِ لم يطلب لهُ مثلاً بعيداً بل اخذهُ من الماجريَّات القريبة اليوميَّة حتى ينتقل من الامور الزمنيَّة الى الامور الروحيَّة ومن المنظورات المحسوسة الى غير المنظورات المعقولة فاخذ مثال وكيل تولَّى تدبير اموال احد الاغنياء واساء التصرُّف بوكالتهِ الى ان نمي خبرهُ الى سيدهِ فعزم على طردهِ بعد محاسبتهِ. واذ عرف الوكيل انهُ لا ينجو من تبعة عملهِ طلب لهُ وسيلة ليتدارك ما سيحلّ بهِ من الفقر بفقدان وكالتهِ واتَّخذ وسيلة مذمومة

في ذاتها الّا انها موافقة لستر حالهِ بان اعفى مديوني سيدهِ من بعض ما عليهم لهُ. ووافقهُ المديونون على خبثهِ وخيانتهِ وما كانوا ازكى ذمَّة منهُ. وكلّ هذا ممَّا نراه يومياً بالعيان فذكرهُ السيد المسيح ليكون وقعهُ اعظم في النفوس. على انَّ هذا العمل مهما كانت شناعتهُ لم يخلُ في اعين البشر من فطنة وحكمة عمليَّة (او شطارة كما يقال) فمن هذا الوجه استحقَّ الوكيل ثناء سيده كما نرى البعض يستحسنون ملعوباً ظريفاً دالًّا على حسن نظر وان كان فيهِ شيءٌ من سوء العمل فيغضون النظر عن هذا ليلقوا بهِ الى ذاك ولعلَّ السيد المذكور مع ثنائهِ على فطنة وكيلهِ لم يكفَّ عن عزلهِ وطردهِ وفي الآية ما يرجح الامر حيث يسمّي ذلك الوكيل « وكيل الظلم » في وقت ثنائهِ على تدبيرهِ لمصالحهِ

﴿ من هو السيد المثني على عمل وكيل الظلم ﴾ ظنَّ البعض انَّ السيد الذي ذُكر في المثل استحسانُهُ لعمل وكيل الظلم انَّما هو الربّ الاله وهذا غلط ظاهر فانَّ سياق الكلام يدلُّ على انهُ سيد ذلك الوكيل اذ لم يأتِ بعدُ مغزى المثل وتخصيصهُ بالروحيَّات وهذا المغزى ورد بعد قولهِ « فاثنى السيد على وكيل الظلم لانهُ صنع بحكمة » حيث اردف فقال : « فانَّ ابناء هذا الدهر احكم من ابناء النور في جيلهم »

﴿ تخصيص المثل الواقعيّ بالروحيَّات ﴾ اذ ظهر لنا في ما تقدَّم من اين استمدَّ السيد المسيح مثلهُ وما هو وجه المثل ومَن ذاك السيد المحكي عنهُ فيهِ ينبغي ان نبيّن كيف طبَّق الرب هذا المثل مع الغاية التي توخَّاها. فلبيان ذلك ينبغي ان نقابل بين المثل والمقصود منهُ فنستقري وجوه المطابقة بينهما في الامور الهامَّة دون التفاصيل الدقيقة التي وردت في المثل زيادةً لتزيينهِ واستجلاباً لخواطر السامعين اليهِ

(اوَّلًا) من هو الغنيّ المحكيّ عنهُ في هذا المثل ؟ هو الله سبحانهُ وتعالى الذي وحدهُ اغنى كافَّة المخلوقات ولا سيما الناطقة بما تبرَّع بهِ اليها من المواهب واسبغ عليها من النعم

(ثانياً) من هو وكيل ذلك الغنيّ ؟ كلُّ انسان منَّا اعطاه الله خيرات هذه الحياة فركاها اليهِ ليحسن استعمالها ويستعين بها لآخرتهِ

(ثالثاً) ما المراد بالوشاية الى السيد واستدعاء المذكور لوكيلهِ للمحاسبة ؟ ذلك اشارة واضحة الى يوم الدين حيث يُطالب الانسان بازاء ملائكة الله وعدوّ

الجنس البشري عن وكالتهِ اي عن تصرُّفهِ بالخيرات التي نالها منهُ تعالى تسهيلًا لامر خلاصهِ

(رابعاً) ما الغاية من ذكر عمل الوكيل لترضية مديوني سيدهِ ؟ الغاية منهُ بَعْث الانسان الى استدراك الشرّ الملمّ بهِ في آخرتهِ بالاحسان الى الفقراء والبائسين فانَّ هؤلاء وان كانوا ايضاً من مديوني السيد الّا انَّ دينهم اخفّ وحسابهم أيسر والربّ يقبل شفاعتهم في الذين رحموهم وهو القائل يوم الدينونة : « الحقَّ الحقَّ اقول لكم انَّ كل ما فعلتم مع احد هؤلاء الصغار فبي فعلتموهُ » (متى ٣١ : ٤١)

﴿ مغزى المثل ﴾ لا يبقى فيهِ شبهة بعد الملحوظات السابقة . يجب على المثرين والاغنياء الذين عهد الله اليهم باموال هذا العالم ان يصرفوا جانباً من هذا المال في اعمال الرحمة لتستر صدقاتهم عن ذنوبهم ويشفع بهم عند الله اولئك الذين خفَّف الموسرون بنلاياهم في هذه الحياة كما صرف وكيل الظلم جانباً من المال الموكول اليهِ لينجو ممَّا كان يتهدَّدهُ بعد انفصالهِ عن الوكالة من سوء العقبى

﴿ حلّ المشاكل ﴾ بقي علينا ان نحلّ بعض المشاكل فيزول ما في المثل من الابهام

المشكل الاوَّل . هو مدح السيد المسيح لوكيل الظلم وهذا قد بطل بما تقدَّم فانَّ السيد المعنيّ بهِ هنا ليس هو الربّ الاله بل الغني صاحب وكيل الظلم . وثناؤهُ على وكيلهِ ليس هو ثناء مطلقاً كما يُثنى على عمل صالح بل هو ثناء مقيَّد على عمل فطنة وحسن تدبير احتاط بهِ الوكيل لنفسهِ مع قطع النظر عن جواز العمل شرعاً . بل يوجد في قول الكتاب « وكيل الظلم » ما يدلّ على استقباح جوهر الفعل . كما يظهر ايضاً من القرائن انَّ السيد المسيح فرق بين حذق الوكيل في تصرُّفهِ وسوء عملهِ حيث دعاهُ احد « ابناء هذا الدهر » وقابل بينهُ وبين « ابناء النور » وشتَّان بين ابن الدهر وبين ابن النور

المشكل الثاني . ما معنى مال الظلم في قول الربّ : « اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتَّى اذا ادركتكم الاضمحلال يقبلونكم في المظالّ الابديَّة » هل اراد بهِ مال الحرام الذي نظلم بهِ الناس فنصرفهُ في المبرَّات لننال بهِ خيرات الابديَّة ؟ كلَّا فان الربّ أطلق هنا اسم « مال الظلم » على كلّ الخيرات الزمنيَّة الموكولة الى

الانسان وذلك لسببين اوّلاً لانَّ هذه الخيرات لا سيما المال كثيرًا ما تكون داعياً للظلم بالمبايعات والمعاملات والدعاوى الباطلة والسرقات وغير ذلك. ثانياً لأن الانسان عادةً يتصرَّف بها تصرُّف السيد بمالهِ وهو وكيل عليها ليس الّا فيستبدّ بها ويؤدي بهِ استبداده الى ان يبخل بقسم منها على الفقراء والمحتاجين وذوي البأساء فهو من هذا القبيل ايضاً اشبه بوكيل الظلم اذ يبذّر اموال الله على غير هداية

ومن هذا يتضح ان مثل وكيل الظلم ليس فيهِ شيءٌ يخلُّ بتعاليم السيد المسيح في كلّ الاناجيل الطاهرة وبهِ تسقط حجّة يليانوس الجاحد وبعض الملحدين مثلهُ الذين خبطوا خبط عشواء لمّا زعموا بانَّ المسيح عمّم في هذا المثل التلاعب بمال الناس ولو تمعّنوا في كلامهِ تعالى لرأوا انهم في ضلال مبين

﴿ خلاصة القول ﴾ ليس هذا المثل سوى تحريض للمؤمنين ابناء النور كي يرتشدوا من اعمال ابناء الدهر الباطلة وبينما نرى هؤلاء لا يدّخرون وسعاً لادراك مآربهم الفاسدة وجب بالاحرى على اولئك ان يستفرغوا المجهود في ادراك غاياتهم الصالحة وخلاص نفوسهم. واقرب وسيلة الى ذلك ان يصرفوا حطام هذه الدنيا في اعمال الرحمة كما يتّخذ اهل العالم تلك الاموال على ايّ طريقة كانت امّا جورًا وامّا عدلًا للنجاة من اكدار هذه الحياة

كتاب

طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سعى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

كتاب طبقات الامم احد الكتب النادرة التي تعرّض فيها كتبةُ العرب لوصف العلوم بين الامم التي سبقت عهدهم. وان لم يبلغ صاحبهُ في ذلك شأو كتاب الفهرست لابي الفرج ابن

التدمر الّا انهُ جمع عدّة فوائد تدلُّ على نشاط في البحث وعلى رغبة في التحصيل ودقّة نظر في التدوين وكان اهل الاندلس يفتخرون بهِ ويروونهُ لاهل الشرق. وقد ذكر ابن الابّار في كتاب التكملة لكتاب الصلة (٣: ٤٦٢ من طبعة بحريط) عن عبدالله بن محمّد بن مرزوق البَحْصي انهُ لمَّا قدم الاسكندريَّة روى هذا الكتاب لابي طاهر السلفيّ

وممَّن عرفوا هذا الكتاب في الشرق ابو الفرج غريغوريوس ابن العبريّ فانهُ نقل عنهُ في كتابهِ تاريخ مختصر الدول (ص ١٥٨ و ٢٣٥ من طبعتنا اليسوعيّة) نبذتين مفيدتين في العرب وعلومهم. وكذلك عرفهُ الحاج خليفة فذكرهُ مرارًا في كتابهِ كشف الظنون فدعاهُ تارةً (في ٢: ٢١٨ من طبعة ليبسيك) التعريف بطبقات الامم وقال في وصفهِ انهُ كتاب صغير الحجم كثير النفع. وتارةً (٤: ١٢٣) كتاب طبقات الامم بل نقل عنهُ فصلًا طويلًا في علم الرصد (٣: ٤٦٥) وكفى بهذه المنقولات دليلًا على اعتبار القدماء للكتاب ومؤلفهِ

ومع عظم شأن هذا الكتاب ليس منهُ الّا نسختان كاملتان في خزائن الكتب الشرقيّة في اوربَّة وكلتاهما في مكتبة لندن تاريخ الواحدة (الموسومة بعدد ٢٨١) سنة ٩٨٢ هـ ١٥٧٤ م والثانية حديثة (عددها ١٦٢٢) كُتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٦٣ م. ويوجد منهُ تعليقات ومنتخبات في مخطوطات اخرى في مكتبتي لندن (العدد ١٥٠٣) وليدن من اعمال هولندا (العدد ٧٥٤) امَّا في بلاد الشرق فلا يُعرَف منهُ نسخة مخطوطة حتى اسعدنا الحظ على اكتشاف واحدة منها عند بعض الورّاقين في دمشق فحصلنا عليها قبل ثلاث سنوات بطريقة البيع فاطَّلعنا عليها بكامل الرغبة وقصدنا مذ ذاك الحين نشرها في صفحات المشرق فلم تسنح لنا الفرصة قبل هذا الوقت. وهذه النسخة لا يتجاوز عهدها مائتي سنة بل اقلّ من ذلك وليس فيها تاريخ وهي مكتوبة بخطّ جليّ شبيه بالقلم الفارسي على ورق صفيق ضارب الى الصفرة ومجلَّدة تجليدًا متقنًا بجلد وورق ملوَّن وأُطُر ذهبيَّة على الوجهين مع لسانٍ مثلها زينةً. والنسخة بالاجمال حسنة مع ما وقع فيها من الاغلاط التي امكننا اصلاح اكثرها فنبَّهنا عليها في ذيل طبعتنا

امَّا المؤلف فلا نعلم الّا القليل من امرهِ. وهذه ترجمتهُ كما رواها ابن بشكوال في كتاب الصلة (طبعة بحريط ص ٢٢٤) قال عنهُ:

« صاعد بن احمد بن عبد الرحمان بن محمَّد بن صاعد التغلبي قاضي طليطلة يكنَّى ابا قاسم راصلهُ من قرطبة روى عن ابي محمَّد بن حزم والفتح بن قاسم وابي الوليد الوقشي وغيرهم. واستقضاهُ المأمون يحيى بن ذي النون بطليطلة وكان متحرِّيًا في امورهِ واختار القضاء باليسين مع الشاهد الواحد في الحقوق وبالشهادة على الخطّ وقضى بذلك ايَّام نظرهِ وكان من اهل المعرفة والذكاء والرواية والدراية. وُلد بالمرِّية في سنة ٤٢٠ (١٠٢٩ م) وتوفي بطليطلة وهو قاضيها في شوَّال سنة اثنتين وستّين واربع مائة (١٠٧٠ م) وصلَّى عليهِ يحيى بن سعيد بن الحديدي. ذكر بعضهُ ابن مطاهر »

هذا ما وجدناهُ من ترجمتهِ على انَّ الكتبة تصرَّفوا في ايراد اسمهِ فسمَّوهُ ابن صاعد (الحاج خليفة ٤: ١٢٤) او صاعد المالقي (٢: ٢١٨) او القرطبي (٤: ١٢٣) وقد وهم الحاج خليفة في ذكر وفاتهِ مرَّتين في سنة ٢٥٠ والصواب ٤٦٢ كما مرَّ. ولابي القاسم صاعد المترجم عدَّة

تآليف جاء ذكر بعضها في كشف الظنون للحاج خليفة منها (٢ : ٦٢٦) كتاب جوامع اخبار الامم من العرب والعجم ذكرهُ في كتاب تعريف طبقات الامم كما سترى ومنها (٦ : ١١١ و ١٢٤) كتاب صوان الحكم في طبقات الحكماء. ولصاعد كتابان آخران ذكرهما لنفسهِ في اثناء كلامهِ عن علوم الهند والفرس دعاهُ كتاب مقالات اهل الملل والنحل وكتاب اصلاح حركات النجوم. كذلك روى النزيري (Casiri: *Bibl. Arab. Hisp.* II, 241) عن مخطوطات الاسكوريال انَّ لصاعد تاريخًا للاندلس وتاريخًا للاسلام وكل هذه الكتب مفقودة لا يُعرف منها شيء في خزائن الكتب العمومية ولعلَّها عند بعض الخاصَّة فعسى تخرج يومًا من دفائنها

(2) بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

قال القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد رحمهُ الله تعالى اعلم انَّ جميع الناس في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها وان كانوا نوعًا واحدًا يتميزون بثلثة اشياء بالاخلاق والصور واللغات (١

[الباب الاول: الامم القديمة (٢]

وزعم من عُني باخبار الامم وبحث عن سائر الاجيال وفحص عن طبقات القرون انَّ الناس كانوا في سالف الدهور وقبل تشعب القبائل وافتراق اللغات سبع امم

(الامَّة الاولى) الفرس وكان مسكنها في الوسط المعمور وحدُّ بلادها من الجبال التي في شمال العراق المتصل بعقبة حلوان والذي فيهِ الجماعات (؟) والكرج والدينَوَر وهَمَدان ونُمَّ وقاشان وغيرها من البلاد الى ارمينية والباب المتصل ببحر اذربيجان وطبرستان ومَرْلتان والبيلقان وارزن (٣ والشابران (؟) والريّ والطالقان وجرجان الى بلاد خراسان كنيشابور والمرو وسرخس وهراة وخوارزم وبلخ وبخارا

١) وزد عليها رابعًا الاديان
٢) ليس في الاصل ذكر للابواب وانَّما اوردناها تيسيرًا للطالب
٣) في الاصل إذان

وسمرقند وفرغانة والشاش وغيرها من بلاد خراسان الى بلاد بتجستان (١ وكرمان وفارس والاهواز واصبهان وما اتصل بهـا كلّ هذه البلاد كانت مملكة واحدة ملكُها واحد ولسانها واحد فارسي الّا انهم كانوا يتبايَنون في شيء يسير من اللغات ويجتمعون في عدد (3) الحروف وصورة تأليفها ويخرجهم اختلافهم بعد ذلك في سائر الاشياء من تلك اللغة كالفهلوية والزرّيّة (٢ وغيرها من لغات فارسون (كذا)

(والأمّة الثانية) الكلدانيون وهم السريانيُّون والبابليون وكانوا شعوباً منهم الكوثليون (كذا) والاثوريُّون والارمانيون والجرامقة وهم اهل الموصل والنبط وهم اهل سواد العراق وكانت بلادهم في وسط المعمور ايضاً وهي العراق والجزيرة التي ما بين دجلة والفرات المعروفة بديار ربيعة ومضر (٣ والشام وجزيرة العرب التي بين الحجاز ونجد وتهامة والغور واليمن كلّها مـا بين زبيد الى صنعاء وعدن والعروض والشِّحر (٤ وحضرموت وعمان وغيرها من بلاد العرب. وكانت هذه البلاد واحدة ملكها واحد ولسانها واحد سرياني وهو اللسان القديم لسان آدم عليـه السلام وادريس ونوح وابراهيم ولوط عليهم السلام وغيرهم (٥

ثم تفرّعت اللغة العبرانيّة والعربيّة من اللغة السريانيّة فغلب العبرانيُّون وهم بنو اسرائيل على الشام فسكنوها وغلبت العرب على البلد المعروف بجزيرة العرب المتقدّم ذكرها وعلى الجزيرة المعروفة اليوم بديار ربيعة ومضر فسكنوا جميع ذلك وانكشت بقيّة السريانيين الى العراق وكانت دار مملكتهم العظمى منها مدينة كالوادي (كالواذى)

(والأمّة الثالثة) اليونانيون والروم والافرنجة والجلالقة [والبرجان والصقالبة والروس والبُرغر (٦ واللان وغيرهم من الامم التي حوالي بحر نيطش وبحيرة مانيطش

---

١) كذا ولعلّهُ يريد سجستان

٢) كذا ولعلهُ تصحيف الزنديّة (le zend)

٣) في الاصل ومصر وهو تصحيف

٤) في الاصل والشجر وهو غلط

٥) هذا رأي لم يوافق عليهِ العلماء في يومنا بعد الاكتشافات الحديثة في جهات بابل وفي جزيرة العرب وغيرها. وكذلك قول المؤلف عن تفرُّع اللغات وعددها واختلافها فيهِ نظر

٦) في الاصل تبرجان والروس والبرغز بالغلط

وغيرها من المواضع التي في الربع الغربيّ والشمال من معمور الارض كانت مملكتهم ولغتهم واحدة

(والأمة الرابعة) القبط وهم اهل مصر واهل الجنوب وهم اصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وغيرهم من اهل المغرب وهم البرابر ومن اتّصل بهم الى بحر اقنابس (١ الغربيّ المحيط لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

(والأمة الخامسة) اجناس الترك من الجرجيّة وكيماك والتغزغز (٢ والخزر والسرير وجيلان وخوزان (٣ وطيلسان (٤ وكشك وبرطاس كانت لغتهم واحدة ومملكتهم واحدة

(والأمة السادسة) الهند والسند ومن اتّصل بهم لغتهم واحدة وملكهم واحد

(والأمة السابعة) الصين ومن اتّصل بهم من سكّان بلاد عامور بن يافث بن نوح عليه السلام مملكتهم واحدة ولغتهم واحدة

فهذه الامم السبعة كانت محيطة بجميع البشر وكانوا جميعاً صابئةً يعبدون الاصنام تمثيلًا بالجواهر العلويّة والاشخاص الفلكيّة من الكواكب السبعة وغيرها ثمّ افترقت هذه الامم السبعة وتشعّبت لغاتهم وتباينت اديانهم

[الباب الثاني: اختلاف الامم وطبقاتها بالاشتغال]

قال صاعد ووجدنا هذه الامم على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم طبقتين. فطبقة عُنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف. وطبقة لم تُعنَ بالعلم عناية تستحقّ بها اسمهُ بعد من امثلهُ (٥ فلم يُنقل عنها فائدة حكمة ولا رُوِيت بها نتيجة فكرة. فاما الطبقة التي عُنيت بالعلوم فثمانية امم الهند والفرس والكلدانيّون والعبرانيّون واليونانيّون والروم واهل مصر والعرب. واما

١) والصواب بحر قابس

٢) في الاصل ليساك والطغرغز وهو تصحيف

٣) في الاصل حوران وهو غلط. امّا جيلان ويقال گيلان فقريبة من الدّيلم. والسّرير على ما قال ياقوت في معجم البلدان (٣: ٨٨) مملكة واسعة بين اللان وباب الابواب اهلها نصارى

٤) في الاصل طيلستان وطيلسان. من اقاليم الخزر والديلم

٥) هذه العبارة في الاصل مبهمة

الطبقة التي لم تُعنَ بالعلوم فبقية الامم بعد من ذكرنا من الصين وياجوج وماجوج والترك وبرطاس والسرير والخزر (١ وحوران وكشل (؟) واللان والصقالبة والبُرغر (والبلغر) والروس والبرجان والبرابر واصناف السودان من الحبشة والنوبة والزنج وعانة وغيرهم

[الباب الثالث: الامم التي لم تُعن بالعلوم]

وانسب هذه الامم التي لم تُعن بالعلوم الصين والترك

فاما (الصين) فاكثر الامم عددًا وافخمها مملكة واوسعها دارًا ومساكنهم محيطة باقصى المشارق المعمور ما بين خطّ معدّل النهار الى اقصى الاقاليم السبعة في الشمال. وحظّهم من المعرفة التي [يدور فيها مناجد الامم (٢ اتقان الصنائع العمليّة واحكام المِهَن التصوّريّة. فهم اصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصَب في تحسين الصنائع

واما (الترك) فأمّة كثيرة العدد ايضاً فخمة المملكة ومساكنهم ما بين مشارق خراسان من مملكة الاسلام (5) وبين مغارب الصين وشمال الهند الى اقصى المعمور الشمالي. وفضيلتهم (٣ التي برعوا فيها واحرزوا خصلتها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها فهم احذق الناس بالفروسيّة والثقافة وأبصرهم بالطعن والضرب والرماية

واما سائر هذه الطبقة التي لم تُعنَ بالعلوم فهم اشبه بالبهائم منهم بالناس لأنّ من كان منهم موغلًا في بلاد الشمال ما بين آخر الاقاليم السبعة (٤ التي هي نهاية المعمور في الشمال. فإفراط بُعد الشمس عن مُسامتة رؤوسهم برّد هواءهم وكثف جوّهم فصارت لذلك امزجتهم باردة واخلاطهم فجّة فعظمت ابدانهم وابيضّت

١) في الاصل الجزر تصحيف
٢) الاصل مُبهم
٣) الاصل فضيلتهم
٤) ذلك وفقًا لتعليم القدماء كبطليموس ومَن تبعهُ الذين جعلوا الارض سبعة اقسام دعوها اقاليم وهي على شكل بسيطة. فافضل هذه الاقاليم الاربعة التي بين اقليمي الشمال والجنوب

الوانهم وانسدلت شعورهم فعدموا بهذا دقّة الافهام وثقوب الخواطر وغلب عليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم العمى والغباوة كالصقالبة والبُرغر ومن اتّصل بهم

ومن كان منهم ساكناً قريباً من خطّ معدّل النهار وخلقهُ الى نهاية المعمور في الجنوب فطول مقارنة الشمس لسُمت رؤوسهم أسخنَ هواءهم وسخف جوّهم فصارت لذلك امزجتهم حارّة واخلاطهم محرقة فاسودّت الوانهم وتقلقلت شعورهم فعدموا بهذا رجاحة (١ الاحلام وثبوت البصائر وغلب عليهم الطيش وفشا فيهم النوك والجهل مثل من كان من السودان ساكناً باقصى بلاد الحبشة والنوبة والزنج وغيرها

واما (الجلالقة والبرابرة) وسائر سكّان اكناف المغرب من هذه الطبقة فأمم خصّها الله تعالى بالطغيان والجهل وعمّها بالعدوان والظلم (٢ على انهم لم يوغلوا في الشمال فتلحقهم آفة البلاد ولا تمكّنوا من الجنوب فتقصر بهم طبيعة الموضع بل مساكنهم قريبة من البلاد المعتدلة الهواء. فاما الجلالقة فمساكنهم في مغارب بعض الاقليم الخامس وما يتصل بهِ من بعض الاقليم السادس واما البرابر فمساكنهم في مغارب بعض الاقليم الثاني وما يتصل بهِ من الاقليم الثالث (6) وبعض الاقليم الرابع ولكنّ الله تعالى يختصّ برحمتهِ من يشاء ويعدل بنعمتهِ عمّن يشاء.

واما سائر من لم اذكرهُ بشيء من هذه الطبقة فهم أسوة هؤلاء في الجهل وان اختلفت مراتبهم فيهِ وتباينت قسمهم منهُ لأنهم اجمعين مشتركون فيما ذكرنا منهم من انهم لم يستعملوا افكارهم في الحكمة ولا راضوا انفسهم بتعلّم الفلسفة الّا ان جمهورهم مع هذا وهم اهل المدن وخلافهم من اهل البادية لا يخلون حيثما كانوا من مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها من سياسة ملوكيّة تضبطهم وناموس الهي يملكهم ولا يشذّ عن هذا النظام الانساني ولا يخرج عن هذا التأليف التأليف العقل الّا بعض قطّان الصحارى وسكّان الفلوات والفيافي كرماغ البجّة وهمج عانة وغثاء الزنج وما اشبههم

١) في الاصل رجاجة

٢) لم يصب المؤلف بنسبتهِ اليهِ تعالى هذه الخصال وغاية ما يقال انّ تلك الامم اقلّ من سواها استعداداً للتمدّن. وكثير منها اليوم لا ينقصهُ شيء من اسباب الحضارة

[الباب الرابع: الامم التي عُنيت بالعلوم]

امَّا الطبقة التي عُنيت بالعلوم فهم صفوة الله من خلقهِ ونخبتهُ من عبادهِ لأنهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة العائمة لنوع الانسان والمقوّمة لطبعهِ وزهدوا فيما رغب فيهِ الصبي والترك ومن نزع منزعهم من التنافس في اخلاق النفس الغضبيَّة والتفاخر بالقوى البهيميَّة اذ علموا ان البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منها امَّا في الصنعة واحكام التصوير (١ وإتقان التشكيل فكالنحل المُحكمة لتسديس (٢ مخازن قوتها. والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتجويد تناسب الدوائر المُقاطِعة لها وغيرها من البهائم التي ظهرت منها الصنائع العجيبة والافاعيل الغريبة حتى ضربت العرب بها الامثال فقالت: «أصنعُ من الشُرفة» وهي دودة تكون في الحمص ويبلغ من صنعها ان تصنع بيتاً مربَّعاً من دقائق العيدان. وقالوا: «أصنع من تَنوط (٣» وهو طائر يبلغ رفقهُ في صنعهِ عشَّهُ متدلّياً من الشجرة. وامَّا في الجرأة والشجاعة (٦) فكالاسد والنمر وغيرهما من السباع التي تقاضى الانسان إقدامها ولا يدَّعي بسالتها. وكذلك ايضاً سائر القوى الحيوانيَّة من الجود والبخل وغيرهما فانَّ لبعض البهائم فيها مزيَّة على الانسان. وكذلك ضربت العرب الامثال فقالت: أنخى من ديك واجرأ من ليث ومن ذباب واختل من ذئب واخبث من ثعلب ومن ضبّ واخشع من كلب واظلم من حيَّة وأكسب من ذرَّة ومن نملة ومن دبّ واجبن من نعامة واهدى من قطاة واحذر من عقعق وابخل من كلب وألحّ من الحنّي واجبن من صِفرِد واروغ من ثعلب واصبر من عَوْد وأحنّ من ناب

وكذلك قوى الاجسام وصدق الحواس لا ينكر احدٌ انَّ حظّ بعض البهائم منها اوفر من حظّ الانسان. وكذلك قالت العرب في امثالها: ابصر عن عُقاب ومن فرس. وأصحّ من ذئب ومن ظليم. واضبط من نملة فانَّها تحمل النواة وهي اضعافها واسمع من قراد ومن سِنع ومن فَرَس بيهماء. واسمعُ من دُلدل وهو القنفذ الضخمة. واسرع من فرس. وسوى هذا ممَّا ضربوا فيهِ الامثال بانواع البهائم

١) في الاصل التصوّر
٢) في الاصل «فكل النحل. . . لتشديش» وهو غلط
٣) في الاصل قنوط وهو غلط وكذلك وقع بعض اغلاط في الامثال الآتية اصلحناها

فهـذا الغرض الشريف والمقصد الكريم من حبّ القوى الانسانيّة والكلف بالفضائل البشريّة والأنفة من مشاكلة البهائم والاباءة من مشابهة السباع. وكان اهل العلم مصابيح الدجى واعلام الهدى وسادة البشر وخيار الامم الـذين فهموا غرض البارئ تعالى منهم وعرفوا الغـاية المنصوبة لهم فصلاة الله عليهم ويا وحشة الدنيا لفقدهم. واذ قدّمنا هـذه الطبقة التي عُنيت بالعلم ثماني امم وكان قصدنا التعريف بعلومهم والتنبيه على علمائهم فنشرع في ذلك على حسب ما نذهب اليه من الايجاز والاختصار ان شاء الله تعالى

[١ العلم في الهند]

امّا الأمّة الاولى وهي (الهند) فأُمّة كثيرة القـدر عظيمة العدد فخمة الممالك قد اعترف (8) لها بالحكمة واقرّ لهـا بالتبرّز في فنون المعارف جميع الملوك السالفة والقرون الماضية. وكان ملوك الصين يقولون: ان ملوك الدنيـا خمسة وسائر الناس اتبـاع فيذكرون ملك الصين وملك الهند وملك الترك وملك الفرس وملك الروم. وكانوا يسمّون ملك الصين « ملك الناس » لانّ اهل الصين اطوع النـاس للملكة واشدّهم انقيادًا للسياسة. وكانوا يسمّون ملك الهند « ملك الحكمة » لفرط عنايته بالعلوم وتقدّمهم في جميع المعارف. وكانوا يسمّون ملك الترك « ملك السباع » لشجاعة الترك وشدّة بأسهم. [وكانوا يسمّون ملك الفرس (١ «ملك الملوك » لفخامة مملكته وجلالتها وانفاسة قدرهـا وعظم شأنها ولأنها حازت على الملوك وسط المعمور من الارض واختوت دون سائر الملوك على اكرم الاقـاليم. وكانوا يسمّون ملك الروم « ملك الرجال » لانّ الروم اجمل الناس وجوهاً واحسنهم اجساماً واشدّهم أسرًا

فكان الهند عند جميع الامم على مرّ الدهور وتقادم الازمان معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة واهل الاحلام الراجحة والآراء الفـاضلة والامثال السائرة والنتائج الغريبة واللطائف العجيبة وهم وان كانت الوانهم في اوّل مراتب السواد فصاروا في ذلك من جملة السودان فقد جنّبهم الله تعـالى سوء اخلاق السودان (٢

١) هذا ناقص في الاصل

٢) في الاصل: سوء الاخلاق والسودان. وهو غلط

ودناءة شيمهم وسفاهة احلامهم وفضلهم على أمم كثيرة من السُمر والبيض

ولبعض اهل العلم بأحكام النجوم في هـذا تعليل (١ وذلك انّهم زعموا انّ زُحل وعُطارد يتولّيان بالقسمة لطبيعة الهند. فلولاية زحل لتدبيرهم لسودّت الوانهم ولولاية عُطارد لذلك خلصت عقولهم ولطفت اذهـانهم مع مشاركة زُحل في صحّة النظر وبعد الغور فكانوا لهـذا حيث هم من صفاء القرائح وسلامة التميز وخالفوا بذلك سائر السودان من الزنج والنوبة والحبشان وسواهم. فلهـذا التحقوا بعلم العدد والاحكام (٩) بصناعة الهندسة ونالوا الحظّ الاوفى والقِدح المعلّى من معرفة حركات النجوم واسرار الفلك وسائر العلوم الرياضيّة. وبعد هذا فانهم اعلم الناس بصناعة الطب وأبصرهم بقوى الادوية وطبائع المولّدات وخواصّ الموجودات والوكهم السيرة الفاضلة والملكات المحمودة والسياسات الكاملة

امّا العلم الالهيّ فانهم مجمعون منـهُ على التوحيد لله عزّ وجلّ والتنزيه لهُ عن الاشراك بهِ (٢ ثمّ هم مختلفون في سائر انواعـهِ فمنهم براهمة ومنهم صابئة. فامّا البراهمة وهي فرقة قليلة العدد فيهم شريعة النسب عندهم فمنهم من يقول بحدوث العـالم ومنهم من يقول بأزلهِ الّا انهم مجمعون على ابطال النبوّات وتحريم ذبائح الحيوان والمنع في ايلامهِ. وامّا الصابئـة وهم جمهور الهند ومعظمها فانّها تقول بازل العالم وانهُ معلول بذات علّة العالم التي هي الباريّ عزّ وجلّ وتعظّم الكواكب وتصوّر لها صورًا تمثلها وتتقرّب اليها بانواع القرابين على حسب مـا علموا من طبيعة كل كوكب منها ليستجلبوا بذلك قواهـا ويصرفوا في العالم السفلي على اختيارهم تدابيرها. ويسمّون كلّ صورة من هذه الصور باسماء. [ولهم في ازمان المبدارة وأدوار الكواكب واكوارها وفساد جميع المولّدات من العناصر الاربعـة عند كل اجتماع يكون للكواكب في رأس الحمل وفي عودة المولدات في كل دور (٣ آراء كثيرة ومذاهب متفرّقة على حسب ما بينّا في كتابنا في مقالات اهل الملل

١) هذا التعليل المبني على مزاعم اهل التنجيم والفراسة باطل لا صحة لهُ

٢) ليس هذا بصحيح فانّ الشرك شائع في كل انحاء الهند. ولعلـهُ اراد ديانة البوذيين وفيها ايضًا ضروب من التعاليم الفاسدة الممزوجة بالاضاليل الوثنية

٣) هنا قد طرأ على الاصل بعض فساد

والنحل (١ ولبعد الهند من بلادنا واعتراض الممالك بيننا وبينهم قلّت عندنا تآليفهم فلم تصل الينا الّا طُرَف من علومهم ولا وردت علينا الّا نُبذ من مذاهبهم ولا سمعنا الّا بالقليل من علمائهم

ثمن مذاهب الهند في علوم النجوم المذاهب الثلثة المشهورة عنهم وهي مذهب السند هند ومذهب الازجير ومذهب الاركند (٢ ولم يصل (10) الينا منهم على التحصيل الّا مذهب السند هند وهو المذهب الذي تقلده جماعة من الاسلام والّفوا فيه الازياج كمحمّد بن ابراهيم النزاري وحنش بن عبد الله البغدادي ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي وغيرهم. وتفسير السند هند « الدهر الداهر » كذلك حكى الحسين بن الآدمي في زيجه

تقول اصحاب (السند هند) انّ الكواكب السبعة واوجاتها وجوزهراتها (٣ تجتمع كلها في رأس الحمل خاصة في كلّ اربعة آلاف الف سنة وثلثمائة الف الف سنة وعشرين الف الف شمسيّة ويسمون هذه المدّة مدّة العالم لانّهم يزعمون انّ الكواكب واوجاتها وجوزهراتها متى اجتمعت في رأس الحمل فسد جميع المكوّنات في الارض وبقي العالم السفلي خراباً دهرًا طويلًا حتى تتفرّق الكواكب والاوجات والجوزهرات في البروج فاذا كان كذلك بدأ الكون وعادت حالة العالم السفلي الى الامر الاوّل هكذا ابدًا الى غير غاية عندهم. ولكلّ واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات ادوارٌ ما في هذه المدّة التي هي عندهم مدّة العالم قد ذكرتها في كتابي المؤلف لاصلاح حركات النجوم (٤

واما اصحاب (الازجير) فانهم وافقوا اصحاب السند هند الّا عدد مدّة العالم فانّ مدّتهم التي ذكروها انّ الكواكب واوجاتها وجوزهراتها تجتمع عندهم في رأس الحمل هي جزء من الف من مدّة السند هند وذلك عندهم تفسير الازجير

واما اصحاب (الاركند) فانهم خالفوا الفرقتين الاوّلتين (كذا) من حركات الكواكب وفي مدّة العالم خلافاً لم يبلغني حقيقته

---

١) راجع المقدمة ٢) الفاظ هندية لم نطّلع على اصلها وسيأتي شرحها

٣) الأوج من مصطلحات علم النجوم ابعد نقطة من الخارج عن مركز الفلك. والجوزهر ويقال كوزهر عقدة الرأس والذنب في منطقة البروج ٤) اطلب المقدمة

ومما وصل الينا من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمى بالهنديَّة « نافر » وتفسيرهُ ثمار الحكمة فيه اصول اللحون وجوامع تآليف النغم

ومما وصل الينا من علومهم في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس (11) كتاب كليلة ودمنة الذي جلبهُ برزويه الحكيم الفارسيّ من الهند الى انوشروان بن قباد (١ ابن فيروز ملك الفرس وترجمهُ لهُ من الهنديَّة الى الفارسيَّة (٢ ثمَّ ترجمهُ في الاسلام عبدالله بن المقفَّع من اللغة الفارسيَّة الى اللغة العربيَّة وهو كتاب عظيم الفائدة شريف الغرض جليل المنفعة (٣

ومما وصل الينا من علومهم في العدد حساب الغبار (٤ الذي بسطهُ ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو اوجز حساب وأحضرهُ واقربهُ تناولًا واسهلهُ مأخذًا وابدعهُ تركيباً يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التواليد وبراعة الاختراع

ومما وصل الينا من نتائج فكرهم الصحيحة ومولَّدات عقولهم السليمة وغرائب صنائعهم الفاضلة الشطرنج. وللهند فيما يتركَّب من بيوتها من الاعداد المضاعفة رموزٌ اسرارٍ يعتقدونها من تقدمة المعرفة وغوامض يتخلَّونها من القوى الخارجة عن الطبيعة. ولعمري انَّ في ما يظهر عند استعمالها بتصريف قطعها من حسن التأليف وعجيب الترتيب لغرضاً جليلًا ومقصدًا فخماً لما في ذلك من التنبيه على وجه التحرُّز من الاعداء والاشارة الى صورة الجبلَّة في التخلُّص من المكاره. وكفى بهذا فائدة جمَّة وثمرة نافعة

ومما بلغنا ذكرهُ من علمائهم ببنية العالم وتركيب الافلاك وحركات النجوم كنكه الهندي فانَّ ابا معشر جعفر بن عمر البلخيّ ذكر في كتاب الالوف (٥ انهُ المقدَّم في علم

---

١) في الاصل قباد

٢) يريد اللغة البهلويَّة التي عنها نقل عبدالله بن المقفَّع وكان سبقهُ الى نقلها الى الكلدانية البردوط بوذ في القرن السادس للمسيح

٣) اطلب طبعتنا لهذا الكتاب عن اقدم نسخة خطيَّة مؤرخة

٤) يريد حساب الاعداد العشريَّة التي اخذهُ العرب عن اهل الهند وقد ذكرنا في المشرق (ص ٢٣٦) انَّ السريان سبقوهم الى معرفتهِ ولعلَّ العرب اخذوهُ عن اهل الهند بواسطتهم. ثم اخذهُ الفرنج عن العرب

٥) الحاج خليفة (١ : ٥٠)

النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر (١ ولم يبلغني تحديد عصره ولا شيء من اخباره غير ما ذكرناه عنه

٢ العلم في الفرس

واما الأمة الثانية وهي الفرس فاهل الشرف الباذخ والعز الشامخ واوسط الامم دارًا واشرفها اقليماً وأسوسها ماركاً ولا نعلم أمة غيرها دام لها الملك وكانت لهم ملوك تجمعهم ورؤوس تحامي عنهم مَنْ ناوأهم وتغلب بهم مَنْ غاربهم وتدفع ظالمهم عن مظلومهم (12) وتحتلهم من الامور على ما فيه حظهم على اتصال ودوام وأحسن التئام وانتظام يأخذ ذلك آخرهم عن اولهم وغابرهم عن سالفهم

قال صاعد ولاهل العلم بتاريخ الامم تنازع في مدة مملكة الفرس ليس هذا موضعُ ذكرهِ وقد اتينا باختلافهم في ذلك في كتابنا في جوامع اخبار الامم من العرب والعجم (٢

واصحُّ ما قيل في ذلك انَّ من ابتداء ملك كيومرث بن اميم بن الادّ بن سام ابن نوح ابي (٣ الفرس كلها الذي هو عندهم آدم ابو البشر عليهِ السلام الى ابتداء ملك منوشهر (٤ اوّل ملوك الطبقة الثانية من ملوك الفرس نحو الف سنة كاملة. ومن ملك منوشهر الى ابتداء ملك كيقباذ بن روع اوّل ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس قريب من مائتي عام. ومن ملك كيقباذ الى ابتداء ملك الطوائف وهي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وذلك عند مقتل الاسكندر لدارا بن دارا آخر ملوك الطبقة الثالثة من ملوك الفرس نحو الف سنة. ومن اوّل ملك الطوائف الى ابتداء ملك ازدشير بن بابك (٥ الساساني اوّل ملوك بني اسرائيل وهي الطبقة الخامسة من ملوك الفرس خمسمائة سنة واحدى وثلثون سنة. ومن ابتداء ملك ازدشير بن بابك (٥ الى انقضاء دولة الفرس من الارض وذلك عند قتل

١) هذه العبارة عن كنكه نقلها بحرفها ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (٣ : ٢٢)
٢) الطلب المقدمة ٣) في الاصل « الى »
٤) والفرس يقولون منوچهر
٥) في الاصل بابل وهو تصحيف

يزدجرد بن شهريار زمان خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنهُ في سنة اثنتين وثلثين من الهجرة اربعمائة سنة وثلث وثلثون سنة . فذلك ثلثة آلاف سنة ومائة سنة واربع وستون سنة . وانما ذكرنا مدّة ملكهم . وان لم يكن من غرض هذا الكتاب لترى بذلك فخامة مملكتهم وعظم سلطانهم . ولهذا ومثلهِ من سائر جلالتهم استحقّ ملوكهم عند سائر الملوك ان يُقال لهم « ملوك الملوك » على حسب ما قدّمنا قبل ذلك

واعظم فضائل ملوك الفرس التي اشتهروا بها حسن السياسة وجود التدبير لاسيّما ملوك بني ساسان (13) منهم فهم ملوك لم يكن في سائر الاعصار مثلهم رجاحة (١ احلام وكرم سيرة واعتدال مملكة وبُعد صيت

ومن خواصّ الفرس عناية بالغة بصناعة الطبّ ومعرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيرها في العالم السفليّ وكانت لهم ارصاد للكواكب قديمة ومذاهب في حركاتها مختلفة فمن ذلك المذهب الذي الف عليهِ ابو المعشر جعفر بن محمد البلخيّ زيجهُ الكبير وذكر انهُ مذهب العلماء المتقدمين من اهل فارس وكثير من علماء سائر النواحي

وحكى انّ مدّة العالم عندهم جزء من اثني عشر الف من مدّة السند هند وذلك ثلثمائة الف سنة وستون الف سنة وانّ هذه المدّة عندهم هي التي تجتمع فيها اوساط الكواكب خاصّة في رأس الحمل من غير ان يكون معها اوجاتها وجوزهراتها . وأثنى ابو معشر على هذا المذهب وقال انّ اهل الحساب من فارس وبابل والهند والصين واكثر الامم ممّن كانت لهُ معرفة بصناعة النجوم مجمعون على انّ اصحّ الأدوار دور هذه الفرقة وكانوا يسمونها بني العالم وبهذا الاسم كانت تسمّيها الامم الخالية من اهل هذه الصناعة على قديم الدهور . واما اهل زماننا فانّهم يسمونها بني اهل فارس

وللفرس كتب جليلة في احكام النجوم منها كتاب في صور درجات الفلك ينسب الى ازدرشت (٢ وكتاب التفسير وكتاب جاماستف (٣ وهو جليل جدًّا

١) في الاصل رجاجة ٢) كذا والمعروف زرادشت
٣) كذا في الاصل والصواب جاماساف

وذكر بعض علماء الاخبار انَّ الفرس في اوّل امرها كانت موحّدة على دين نوح عليه السلام الى ان اتى بوذاسف المشرقي الى طهمورث ثالث ملوك الفرس بمذهب الحنفاء وهم الصابئون فقبلهُ منهُ وقهر الفرس على التسرُّع بهِ فاعتقدوهُ نحو الف سنة وثمانمائة سنة الى ان تمجّسوا (١ جميعاً

وكان سبب تمجّسهم ان (14) زرادشت الفارسيّ ظهر في زمان يستاسب (٢ ملك الفرس وثلثين سنة خلت من ملكهِ ودعا الى دين المجوسيَّة من تعظيم النار وسائر الانوار والقول بتركيب العالم من النور والظلام واعتقاد القدماء الخمسة التي هي عندهم: الباريْ (تعالى عمَّا يقولون) وابليس والهيولى والزمان والمكان وغير ذلك من شريعة المجوسيَّة. فقبل ذلك منهُ يستاسب وقام بدينهُ وقاتل الفرس عليهِ حتَّى انقادوا جميعاً اليهِ ورفضوا دين الصابئة واعتقدوا زرادشت نبيًّا مرسلًا من عند الله عزَّ وجلَّ اليهم ولم يزالوا على دينهِ وملتزمين لشريعتهِ قريباً من الف سنة وثلثمائة سنة الى ان ضعضع ملكهم عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنهُ واحتوى على المدائن قاعدة عزّهم وطردهم عن العراق وما يتَّصل بها الى بلاد خراسان ثمَّ استأصل (عثمان) بقيَّة ملكهم بقتل يزدجرد بن شهريار آخر ملوكهم في خلافتهِ وذلك سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة وباد منهم خلق عظيم في الحروب الواقعة بينهم وبين المسلمين في يوم القادسيَّة ويوم جَلُولاء (٣ويوم نهاوَنْد وغيرها واسلم منهم جماعة وبقيت بقيَّتهم على دين المجوسيَّة الى الآن اهل ذمَّة كذمَّة اليهود والنصارى بالعراق والاهواز وبلاد فارس واصبهان وخراسان وغيرها من مملكة الفرس قبل الاسلام

٣ العلم عند الكلدان

واما الامَّة الثالثة وهم الكلدانيون فكانت امَّة قديمة الرئاسة نبيهة الملوك كان منهم النارودة الجبابرة الذين كان اوّلهم النمرود بن كوش بن حام باني المجدل الذي ذكرهُ الله تعالى في قولهِ (٤: قد مكرَ الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخرَّ عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون

١) التمجُّس الدين بالمجوسية وهي عبادة النار والشمس
٢) ويقال بِشْتاشْف وكيستاسب وكبتاسف
٣) في الاصل حلولاء غلط ٤) اطلب سورة النَّحل (العدد ٢٨)

وحكى ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني المعروف بابن ذي الدمينة(١ صاحب كتاب سرائر الحكمة وكتاب الاكليل وغيرهما انَّ ارتفاع سمك للجدل كان فيما ذكرهُ اهل العلم خمسة آلاف (15) ذراع وكان عرضهُ الف وخمسمائة ذراع. ويزعم البابليُّون انَّ هـذا النمرود البابليّ باني الصرح كان اوَّل ملوك الارض بعد الطوفان وكان منهم نمرود ابراهيم (٢ عليـهِ السلام وهو النمرود بن كنعان بن سنحاريب (٣ بن النمرود الاكبر باني الصرح. وكان منهم بخت نصر بن مروزاذان ابن سنحاريب (٣ من ولد نمرود الاصغر بن كنعان الذي غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً وسبى بقيَّتهم وغزا مصر وافتتحها ودوَّخ كثيراً من البلدان ولم يزل ملك بخت نصر ببـابل وجميع بلاد الكلدانيين الى ان ظهر عليهم الفرس وغلبوهم على مملكتهم وابادوا كثيراً منهم فدرست اخبارهم وطمست آثارهم

وكان من الكلدانيين علماء من اجلّ الناس فضلاً وحكماً متوسّعون في فنون المعارف من المهن التعليميَّة والعلوم الرياضيَّة والالهيَّة . وكانت لهم علوم بارصاد الكواكب وتحقُّق بعلم اسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها وخواصّ المولَّدات وقواها. وهم نهجوا لاهل الشقّ الآخر من معمور الارض الطريق الى تدبير الهياكل (٤ لاستجلاب قوى الكواكب واظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بانواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها فظهرت منهم الافاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السرّ

واشهر علمائهم عندنا واجلّهم هو هرمس البابليّ وكان في عهد سقراط الفيلسوف اليوناني. وذكر عنهُ ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالوف انهُ هو الذي صحَّح كثيراً من كتب الاوائل في علوم النجوم وغيرهـا من اصناف الفلسفة ممَّا كان فسد وانهُ صنَّف كتباً كثيرة في علوم شتَّى. قال ابو معشر: والهرامس جماعة شتَّى منهم الهرمس الذي كان قبـل الطوفان الذي يزعم العبرانيون انهُ خنوخ النبي وهو ادريس عليـهِ السلام. وكان بعد الطوفان (16) منهم عدَّة ذوو معرفة وتميز

١) ويعرف بابن الحائك توفي سنة ٣٣٦ ﻫ (٩٤٥ م)
٢) لم يأتِ في الآثار القديمة ذكر نمرود آخر غير البابلي ٣) في الاصل سنجادب
٤) يريد الهياكل ذات الطبقات السبع التي كانوا يبنونها للسيارات السبع

وكان المتقدّم منهم اثنان احدهما البابليّ الذي ذكرنا والآخر تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكّان مصر

قال صاعد: وقد وصل الينا من مذهب هرمس البابليّ ما دلّ على تقدُّمهِ في العلم من ذلك مذهبهُ في مطارح شعاعات الكواكب ومذهبهُ في تسوية بيوت الفلك. ومن ذلك كتبهُ في احكام النجوم مثل كتاب الطول وكتاب العرض وكتاب قضيب الذهب

ومن علمائهم بعد هرمس برجس صاحب كتاب اسرار النجوم في معرفة الفلك والدول والملاحم. ومنهم واليس صاحب كتاب الصور وكتاب اليرندج المؤلف في المواليد وتحاويلها والمدخل الى ذلك وكان ملكاً. ومنهم اصطفن البابليّ لهُ كتاب جليل في احكام النجوم وكان عند شعيب النبيّ عليهِ السلام

ولم يصل الينا من مذهب البابليين في حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ولا جملة (١ ولا عندنا من آدابهم في ذلك ولا من ارصادهم غير الارصاد التي نقلها عنهم بطلميوس اليوناني القلوذي في كتاب المجسطي فانهُ اضطرّ اليها في تصحيح حركات الكواكب المتحيرة اذ لم يجد لاصحابهِ اليونانيين في ذلك ارصاداً يثق بها (لهُ بقيّة)

تاريخ آداب اللغة العربيّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ظهر هذا التأليف حديثاً وقد دبّجهُ يراع كاتب اغنى بمؤلفاتهِ المكاتب الشرقيّة فاستحقّ ان يُعدّ بين اهل بلادنا كمثال النشاط والبحث وهو الاديب جرجي افندي زيدان منشئ الهلال. وقد اقبل الادباء على هذا المصنَّف الجديد إقبالهم على المصنَّفات السابقة فاثنوا عليهِ الثناء الطيّب الذي هو جديرٌ بهِ. ولسنا نشذّ عن هذه

---

١) قد اكتشف الاثريّون آثاراً فلكيّة عديدة في جملة المخطوطات السماريّة ونشروها بالطبع منهم الآباء اليسوعيّون الالمان سغراسايبر وايبنغ وكوغلر

الدائح ونحن اعلم بما يقتضيهِ كتاب مثل هـذا من المطالعات الواسعة والابحاث المملّة ودقّة النظر فبكل طيب خاطر نطرئ هـذا الأثر الجديد ونوصي بهِ اهل الادب عموماً وارباب المدارس خصوصاً

على انّنا نعلم انّ صاحب هذا الكتاب ارضى بنقيد عملهِ منهُ بمدحهِ مدحاً عقيماً لا يجدي بفائدة. وهذا ما حدا بنا الى درس الكتاب وامعان النظر فيهِ لبيان خواصّهِ الحسنة التي اجاد بها الكاتب الفاضل وذكر بعض مناقصهِ التي يحسن اصلاحها في طبعة ثانية لتحصل على كتاب كامل من كل الوجوه يمكن اتخاذهُ كدستور مدرسي في نوادينا العلميّة ومعاهدنا الادبية

*

واوّل ما سرّنا عند ظهور هذا الاثر الادبيّ انّ عالماً شرقيًّا ذا استعداد سابق ومعارف واسعة تصدّى لتأليف كهذا نحن فيهِ الى حاجة ماسّة فانّ ما نُشر من ذلك حتى الآن في اللغة العربية كخلاصة ادب اللغة لابراهيم افندي عبد الخالق وكتاب ادبيّات اللغة العربيّة للادباء عاطف بك ومحمد نصّار واحمد ابراهيم وعبد الجواد وعبد المتعال (الجزء الاول) وكتاب ادب اللغة العربيّة لمحمد حسن نائل المرصفي يدلُّ كلّها على ضرورة وضع كتاب مستوفٍ لتاريخ الآداب العربيّة فانّ مصنّفات هؤلاء الادباء مع فوائدها لا تفي بالمقصود وهي كما اقرّ صاحب الفضل صالح افندي علي في تقريرهِ على تاريخ الادبيّات العربيّة الذي قدّمهُ سنة ١٣٢٧ (١٩٠٩) لصاحب الدولة الامير محمد فؤاد باشا رئيس الجامعة المصريّة " صورة مصغّرة من كتاب مجاني الادب " الذي عنينا بنشرهِ قبل ثلاثين سنة ولا علاقة لهُ الّا يسيرة بتاريخ الادبيّات العربيّة

فمن هذا القبيل قد فاق جناب جرجي افندي على سلفهِ بل جارى الكتبة الاوربيين الذين وجّهوا النظر الى تاريخ آداب اللغة العربية كهامر برغشتال (Hammer-Purgstall) وبروكلمان (Brockelmann) عند النمسويين والالمان وكأربثنوت (Arbuthnot) ونيكلسون (Nicholson) عند الانكليز وكدي ساسي (de Sacy) وهوار (Cl. Huart) وسيديليو (Sédillot) عند الفرنسويين وكدي باردي (G. F. de Bardi) وبيزّي (Pizzi) عند الايطاليين

وكجرجاس (Guirgass) عند المستشرقين فانَّ التأليف العربيَّ الجديد اغزر من هذه المصنَّفات الاوربيَّة مادَّة واكثر بحثاً

ثم نثني على وفرة الابحاث التي طرق المؤلف بابها وتتبَّع نتائجها واسبابها واستلفت اليها انظار الادباء

وكذلك سعى الكاتب بتنظيم هذه الابواب المختلفة فقدَّم عليها المقدَّمات التمهيديَّة لتحديد آداب اللغة ثم ألحقها بمنشورات في آداب اللغة قبل الاسلام مباشرةً بالجاهليَّة الاولى ثم الجاهليَّة الثانية منذ عهد التاريخ الى الزمن السابق للهجرة ثم اوائل الاسلام عند ظهور صاحبهِ الى عهد الخلفاء الراشدين ومنهُ الى اواخر دولة بني اميَّة وبها ينتهي الجزء الاول من الكتاب

وترى المؤلف في كل باب يعرض ما يراهُ اقرب الى الحقيقة دون تطرُّف ولا مبالغة ذاكرًا في آخر الباب او في ذيل الكتاب الاسانيد التي اعتمد عليها لاسيما التآليف الاسلامية القديمة كالاغاني وعمدة ابن الرشيق والبيان والتبيين للجاحظ والعقد الفريد لابن عبد ربّه والشعر والشعراء لابن قتيبة والمزهر للسيوطي وتاريخ الرسول لابن هشام وبعض التواريخ العموميَّة وتراجم الاعيان واخبار البلدان وكذلك راجع عدَّة مطبوعات اوربيَّة سرد جدولها في اوَّل الكتاب

فكل هذه المحاسن وغيرها ايضاً مما لا يخفى على الادباء فضلهُ تجعل لهذا الكتاب مقاماً جليلًا وتحرز لصاحبهِ فخرًا نفع الله بهِ الآداب زمناً طويلًا

*

ومع ما عدَّدناه من محاسن الكتاب ووفرة موادّهِ وصعوبة جمعهِ لا عجب ان يكون وقع فيهِ بعض الخلل فنثبت هنا ما لحظنا من ذلك لينال عند تكرار طبعهِ سهماً جديدًا من الحسن ويزيد اعتبارًا في اعين الأدباء وها نحن نوردِ ملحوظاتنا على كلّ باب بالترتيب

١ً (المقدَّمات التمهيديَّة) تشغل هذه المقدَّمات عشر صفحات عرَّف بها الكاتب مفهومهُ بآداب اللغة ونعم ما فعل الَّا انهُ استطرد الى ما كان عنهُ في غنًى لانهُ لو اراد احد ايضاحهُ لاقتضى فصولًا واسعة فذكر نبذةً عن اسبق الامم الى العلم في وادي الفرات ووادي النيل وانتقالهُ منهما الى بقيَّة العالم وألحق ذلك بفصل

آخر في الآداب اليونانيَّة . وكلّ ذلك من النوافل وعلاقتهُ مع مقدَّمات الآداب العربيَّة بعيدة ولذلك لم يمكنهُ ان يقابل بين تلك الآداب الاجنبيَّة وهذه الآداب العربيَّة فكان ذكرها بلا فائدة

ثم عاد الكاتب الى موضوعهِ وخصَّ نظرهُ بالآداب العربيَّة وخواصها المميَّزة لها ثم قسمها الى ستة اقسام حسب اطوارها الستة اعني الخلفاء الراشدين ثمَّ بني اميَّة ثمَّ بني العبَّاس الى الاعصار الثلاثة الاخيرة المغولي والعثماني والحديث

وهناك اقوال رماها الكاتب على عواهنها بل بالغ فيها الى حدّ المغالاة وتجاوز كلّ معقول كقولهِ (ص ١٥) « انَّ العرب قدوة الناس في المعاجم العلميَّة والتاريخيَّة وفلسفة التاريخ » وكلّ يعلم انَّهُ ليس لدينا معجم علمي صحيح وانَّ العرب لم يكتبوا الَّا النزر القليل في فلسفة التاريخ . ومثلهُ قولهُ (ص ٢٠) « انَّ آداب اللغة العربيَّة اغنى آداب العالم » وانها « كانت اساساً لآداب كلّ امَّة ظهرت في اثناء التمدُّن الاسلامي او بعدهُ حتى في اوربَّا » فان اقوالًا كهذهِ لا تجوز علينا مهما كان حبُّنا عظيماً للغتنا العربيَّة ولآدابها

٢ (آداب اللغة العربيَّة قبل الاسلام) هو الفصل الاوَّل الذي جعلهُ الكاتب كمفتتح تأليفهِ وقد قسمهُ الى بابين ذكر في الاوَّل آداب اللغة العربيَّة في الجاهليَّة الاولى اعني من العهد السابق للتاريخ الى القرن الخامس للميلاد وفي الثاني آدابها في العصر الجاهليّ السابق للاسلام اى من القرن الخامس للمسيح الى الدعوة الاسلاميَّة . ومن العجب انَّهُ ختم الباب الاوَّل في اربع صفحات لم يذكر فيها غير امور يسيرة يرتاب في صحتها اخصها تاريخ حمورابي وشريعتهُ المكتشفة قبل عشر سنوات في شوشن فزعم انَّ حمورابي عربيّ الجنس وان دولتهُ في بابل دولة عربيَّة . وهو امر كثر فيهِ القال والقيل ولم يتفق عليهِ العلماء الاثبات فبنى عليهِ اساس كتابهِ وهو اساس رملي لا يجديهِ نفعاً ولو سلمنا لهُ بعربيَّة حمورابي . ثم زاد الامر التباساً بل خبط خبط عشواء لمَّا حاول (ص ٢٥ — ٢٦) ان يبيّن انَّ موسى الكليم استعار شريعة بني اسرائيل من شريعة حمورابي فتأثَّر اعقاب بعض المطلعين العصريين . العلَّة لم يعرف انَّ قوماً من كبار العلماء فنَّدوا تلك المزاعم الباطلة وبيَّنوا ما في شريعة موسى من الفضل على شريعة حمورابي ومن الاختلافات التي لا تحصى بينهما . امَّا ما يوجد بين الشريعتين من التوافق

فحملوه لا على نقل موسى لشريعة حمورابي بل على اسباب أُخرى يطول بنا هنا شرحها فما كان اغنى بجرجي افندي ان يدع هـذه الابحاث في اوّل كتابهِ ولا ينقل عن نيلسن ما نقلهُ من امر حوريب وموسى النبي فقال:

فيرى نيلسن انّ حوريب مكان عبادة على نحو ما اخذهُ العرب عن الصابئة العراقيين من تقديس الجبال واقامة الحرم او الحمى حول المعابد بحيث لا يطأهُ الغرباء وانّ الغنم التي كان موسى يرعاها هي غنم الحرم وانّ النار التي رآهـا من رموز الصابئة عن الكواكب فلم يستطع موسى دخول الحرم لانهُ غريب فادخلهُ حموهُ وجعلهُ كاهنًا وعلّمهُ قواعد الدين. وانّ حوريب اسم الكوكب الذي يُعبَد هناك وفي اي حال فانّ موسى تعلّم الشريعة من يترو وهي شريعة حمورابي فادخل كثيرًا من احكامها في شريعته »

فيا لله كيف تساهل كاتبنا ان ينقل مثل هذه السخافات فيمحو بضربة قلم كلّ ما جاء في سفر الخروج من تاريخ الوحي لموسى بل جعل موسى كاهنًا وثنيًّا من كهنة الصابئة يعبد الكواكب وكذّب كلّ الآيات التي وردت في الكتاب الكريم وجعلها خرافة. افهذا كلّ ما وجدهُ جرجي افندي لتاريخ اصول الآداب العربيّة ؟

بلى ذكر ايضا سفر أيوب (ص ٢٦) واناطهُ بالتمدُّن البابلي (وهو العربي على زعمهِ) « على اثر نزوح الحمورابيين من بين النهرين » وكل ذلك بلا دليل

وليس في هذا الباب شيء آخر وكان حقّنا ان نطالب الكاتب بمباحث عديدة هنا محلّها فسكت عنها. فيا ترى أما كان في تلك المدّة شعوب يسكنون جزيرة العرب وماذا كان اصلهم ؟ وما هي اللغات التي كانوا يتكلمون بها ؟ اكانت العربيّة من جملتها ؟ وماذا يعرف عنها في التاريخ وفي التقليد وفي بقايا اللغات التي تأخرت الى الجاهليّة الثانية ؟ فقد ذكر الكتبة اليونان والرومان بعد المسيح لغةً يدعونها عربيّة فما هي هذه اللغة ؟ كذلك روى العرب قصائد وامثالًا يرقُون بعضها الى الاجيال السابقة لطور التاريخ (راجع المشرق ٦ : ٤٨٩) افيمكن اثبات صحة تلك الآثار تاريخيًّا ؟ . وغيرها من الابحاث الجليلة التي لم تخطر على بال المؤلف وكان حقّهُ ان يخوض في غمرها بدلًا من ذكر حمورابي وشريعته وقد اقرّ (في الصفحة ٢٧) انّ حكمهُ في ذلك « مبني على الحدس والتخمين » فترك الجوهر ليتعقّب الاعراض وعدل عن اللب الى القشرة الفارغة سامحهُ الله

٣ (آداب العرب في الجاهليَّة الثانية) هو الباب الثاني من هذا الفصل وهو يستدعي من المباحث اجلّها ومن المسائل ادقّها . وغاية ما افرده لها جناب المؤلف تسع صفحات ويا ليتهُ دخل في المواضيع التي نحن اليها في اشتياق علّهُ يفيدنا عنها علماً الّا انّه لم يمسّها حقيقة فابتدأ (ص٢٧) بنبذة عن الفرق بين لغة الجاهليَّة الاولى والثانية اعني بين لغة حمورابي في شرائعهِ وهي الاشوريَّة وبين لغة مضر واهل البادية كأنَّهُ نسي انَّ في القرون الثلاثة السابقة للهجرة كانت في جزيرة العرب ثلاث دول عربيَّة ترقَّت الى اوج الحضارة والعمران اي الغساسنة والمناذرة والتبابعة وغاية ما وجدهُ هناك للمقابلة الكتابة التي وجدها العلّامة دوسُو في بعض جهات حوران على ضريح امرئ القيس بن عمرو بالخطّ النبطيّ في القرن الرابع للميلاد ثمَّ انتقل الى كلام اجماليّ عن ارتقاء اهل البادية في العقول والاخلاق وفي اللغة التي ضرب عليها بعض الامثلة في مفرداتها ثمَّ في التجارة والاقتصاد والتعقل واصالة الآراء ثمَّ ختم ذلك بذكر المرأة في الجاهليَّة من حيث الشجاعة والرأي والحزم والادب وكل ذلك بكلام وجيز لا يشبع جائعاً ولا يبلّ صدى عطشان

فيا رعاك الله أهذا كلّ ما يدخل في هذا الباب من الابحاث وقد ظهرت اللغة العربيَّة في هذا الطور بآثارها العديدة ومصنفاتها الشعريَّة التي لا تحصى فتراها لغة ثابتة الاصول بالغة الى اقصى درجات الضبط صرفاً ونحواً وبياناً أفما كان يجب البحث عن هذه البقايا وكيفيَّة جمعها واختلاف رواياتها وابداء الحكم في صحتها وسبب توافقها مع صدورها عن مصادر شتى وعن قبائل اختلفت لهجاتها وغير ذلك من المباحث التي لا مناص لكاتب يريد تدوين تاريخ آداب اللغة العربيَّة من خوض عُبابها

وذلك فضلًا عمَّا في هذه الصحائف القليلة من المزاعم التي تحتاج الى ادلَّة راهنة وبراهين قاطعة فلم يثبتها ببيّنة كقولهِ (ص ٣٠) « انَّ العرب ارقى الامم سياسيًّا واجتماعيًّا وان عرفناهم بدواً رحّالة » . فاثبت ذلك بذكر الالفاظ العربيَّة الدالَّة على الجماعات « كالشعب والقوم والنفر والجماعة واللجنة والسرب والكوكبة » وهو برهان ضعيف ونحن نعلم ان كثرة المرادفات العربيَّة مصدرها تعدُّد القبائل وليست بدليل على سعة العمران . وكثير من هذه المرادفات التي ذكرها ليست عربيَّة بل استعارها العرب من الامم المجاورة فسقطت بذلك حجَّتهُ . خذ مثلًا المرادفات التي ذكرها هناك

للكتابة وانواع الكتب فاكثرها اعجميَّة . فالقلم والقرطاس والسجلّ يونانيَّة او لاتينيَّة . والورق والطرس والطلس والمصحف حبشيَّة . والانبوب والرقم والسفر والمجلة والمدرس والمزمور عبرانيَّة او آراميَّة . والرهنامج فارسيَّة . وليس الاسل والصكّ والضبار والبراع والوصير افصح منها . فترى ماذا بقي من برهان جرجي افندي ؟ وقد تعجَّبنا انَّهُ سند حجتهُ الى مثل هذه الدلائل الضعيفة . ومثلها ضعفاً حجتهُ (ص ٣١) في اثبات ارتقاء العرب في التجارة والاقتصاد تكثرة الالفاظ الدالَّة عندهم على المال . فان معظم تلك الالفاظ التي ذكرها ليست بعربيَّة الاصل ومثلها اسماء السُّفن وادوات الصناعة

٤ (اقسام آداب العرب قبل الاسلام) ثم تخطَّى المؤلف (ص ٣٦) الى تقسيم الآداب العربية قبل الاسلام فقسمها الى اربعة اقسام : العلوم العربية والعلوم الطبيعيَّة والعلوم الرياضية وما وراء الطبيعة . فبين هذه الاقسام لا تستحقُّ الثلثةُ الاخيرة ذكرًا لانَّ ما قالهُ عن العلوم الطبيعيَّة وهي « الطب والبيطرة والخيل والانواء ومهابّ الرياح » لا يتجاوز ست صفحات (١٧٦—١٨١) وهو كلام اجماليّ لا يفيدنا افادة كبيرة عن معارف العرب الطبيعيَّة التي هي محصَّلات يسيرة اخذوها من جيرانهم الفرس او الروم او لا تتجاوز معرفتها المحسوسات كاسماء الكواكب والرياح واعضاء الجسم . وكذلك العلوم الرياضيَّة (١٨٢—١٨٦) فان ما ذكر من آثارها بين العرب في الجاهليَّة هو نزر قليل لا يُتَّخذ حجَّة لاسيما انَّهُ عدَّ الميثولوجيا من جملتها وشتان بين الرياضيات والميثولوجيا . امَّا ما لقَّبهُ بعلم « ما وراء الطبيعة » « ١٨٧—١٩٠) فهو اسمٌ بلا جسم اراد بهِ الكهانة والعرافة والقيافة وزجر الطير وضرب الرمل وكلها من الخرافات التي لا تستحقّ اسم العلم وكان الاولى بالكاتب ان يسكت عنها من ان يذلّل علم ما وراء الطبيعة بنظمها فيه . فبقي اذن كما قلنا القسم الاوَّل الذي وحدهُ يستلفت الانظار ويدخل في فحوى الكتاب اي « آداب اللغة العربيَّة »

وقد جعل المؤلف هذا القسم في سبعة ابواب : اللغة (٣٧ — ٥١) الامثال (٥٢ — ٥٣) الشعر الجاهلي (٥٤ — ١٦٧) الخطابة (١٦٨ — ١٧٠) الانساب (١٧١ — ١٧٢) الاخبار او التاريخ (١٧٢ — ١٧٣) اسواق العرب (١٧٣ —

١٧٥) فترى ان بين الابواب فرقاً عظيماً في السعة فان الشعر وحدهُ يستغرق ١١٣ صفحة وبقيَّة الابواب كلها لا تزيد على ٢٨ صفحة منها ١٥ للغة

كان من الواجب ان يبحث المؤلف في باب اللغة قبيل كل شيء عن نسبة اللغة العربيَّة الى بقيَّة اللغات المعروفة بالساميَّة لنعرف الى اي قسم منها تُنسب كي يثبت بالمقابلة مكانها بين اللغات المتشابهة بها. نعم انهُ افرد فصلاً (ص ٤٦) لمميزات اللغة العربيَّة وخصائصها الَّا انَّ كلامهُ هناك يبقى مبهماً ملتبساً لذهولهِ عن هذا التعريف السابق. ولو بيَّن تقسيم اللغات الساميَّة الى لغات شماليَّة وهي الاشوريَّة والاراميَّة والكنعانيَّة ومنها الفينيقيَّة والعبرانيَّة والى لغات جنوبيَّة وهي اللغات الاسماعيليَّة ولغات اليمن والحبشة لعرف انَّ العربيَّة من جملة الطائفة الاخيرة دون الاولى وعدل عن الزعم (ص٤٧) استناداً الى هذا البرهان اللغوي بوحدة اصل العرب والحمورابيين.

نعم ان العربيَّة تشبه الاشوريَّة بالاعراب ولكن لا يكفي ذلك للقول ٥ بانَّ الامَّتين كانتا امَّةً واحدة تتكلمان لساناً واحداً معرَّباً ألا ترى ان وجوه الشبه بين العربيَّة والآراميَّة او العربيَّة والعبرانيَّة اعظم واوفر ولا احد يقول بوحدة العرب والآراميين او العرب والعبرانيين

وكم للمؤلف في هذا الباب من المزاعم التي تحتاج الى اثبات يرويها جنابهُ باسطر قليلة ويضرب عليها مثلاً خفيفاً لا يقتنع بهِ صاحب بحث كقولهِ هناك عن دقَّة التعبير (ص ٤٧) وعن الاعجاز والايجاز (ص ٤٨) والسجع (ص ٥٠) وغير ذلك ممَّا يتفكَّه بهِ قارئ لم يتعمَّق بالدرس لكنَّهُ لا يرضي اديباً يتروَّى في الامور. هذا الى ما ضرب عنهُ صفحاً فلم يتعرَّض للبحث فيهِ البتَّة وكلُّنا يودّ لو بُسط فيهِ الكلام وطُلب لمشكلهِ حلٌّ معقول كمسألة الفعل المجهول والجمع المكسر والتنوين وكلها من مميزات اللغة العربيَّة

ومثلهُ باب الامثال. كان ينبغي على المؤلف ان يخصَّ بنظرهِ امثال الجاهليَّة ويبيِّن خواصَّها ومميزاتها وكيف هي من ادلّ الدلائل على احوال اهل الجاهليَّة وعاداتهم وتاريخهم ولا يخلط بينها وبين الامثال التي تأخَّرت عن زمن الجاهليَّة وغايتهُ في هذا الباب ان يبحث عن آداب العربيَّة السابقة لعصر الاسلام لا عن سواها

قلنا انَّ باب الشعر اوسع الابواب في هذا القسم. وقد استفاد في كثير من

الابحاث التي قدّمها عليهِ من كتاب الاياذة لجناب سليمان افندي البستاني ونعم ما فعل وكذلك نقل كثيراً من كتاب العمدة لابن الرشيق وهو من امتع الكتب واغزرها مادّة ومع هذا فكم ترى بحثاً جليلاً فات المؤلف ولم يصرف اليهِ نظر النقد ورائد الفكر . كالبحث في فصاحة الشعر الجاهلي اهذا الشعر أُنشد كما رواهُ الرواة بعد الاسلام بمدّة طويلة او تصرّف فيهِ الرواة وضبطوهُ بعد ذلك على لغة قريش . وكالبحث عن اصل اوزان الشعر وما لها من العلاقة مع اوزان الامم المجاورة . والبحث في اديان الشعراء وما في قصائدهم من شواعر الدين والتوحيد والاشارات النصرانيّة والاقتباسات من الاسفار المقدّسة كما بيّنّاهُ في بعض مقالاتنا في المشرق . والبحث في طبقات الشعراء (ص ٧٦) وما السبب لجعل البعض في الطبقة الثانية دون الاولى . وماذا يُراد بتلك الطبقات . وكذلك كان من الواجب ان يفرد في هذا المقام بحث للمجاميع الشعريّة القديمة كالمفضليّات والحماسات والاصمعيّات مع بيان تاريخها وخطورتها . ثم لا نظنّ ان جناب المؤلف احسن في تقسيم شعراء الجاهليّة من حيث اغراضهم الى ١٣ طبقة (ص ٩٤ — ٩٦) اذ انّ هذا التقسيم يتداخل بعضهُ في البعض الآخر فان اصحاب المعلقات منهم امراء وملوك كامرئ القيس وعمرو بن كلثوم فيدخلون من هذا القبيل في طبقة الشعراء الامراء وكذلك منهم حكماء كزهير فيدخلون بذلك في جملة الشعراء الحكماء . كذلك طبقة الشعراء الفرسان يدخل بعضهم في طبقة الامراء او الوصّاف للخيل او الموالي . وكذلك الصعاليك ربّما دخلوا في طبقة العشاق . وخلاصتهُ انهُ لا يمكن افراز طبقة من طبقة فان المميزات التي ذكرها لكل طبقة لا توافق حقيقة الامر . وكان الاولى ان يقسم الشعراء امّا على حسب ازمنتهم او امكنتهم التي عاشوا فيها او على مقتضى اصولهم وقبائلهم

ويلي هذه المقدّمات عن الشعر الجاهلي ثمانون صفحة (٩٨ — ١٦٧) ضمّنها المؤلف نحو مئة ترجمة من تراجم الشعراء اقتطفها عن الكتب الشائعة كالاغاني وكالشعر والشعراء لابن قتيبة وخزانة الادب وكتابنا شعراء النصرانيّة

وما يقال اجمالاً عن التراجم انّها لا تفي بالمقصود نقلها الكاتب في اسطر قليلة مع ذكر بعض الابيات دون ان يبدي رأيهُ في حسن شعر كلّ شاعر او سوئهِ ويحكم في خواصّهِ وتأثيرهِ في القوم ونتائجهِ . فانّ تأثير الآداب العربيّة يقتضي

كلّ ذلك. ولعلّهُ لم يراجع بعض المطبوعات الاوربيّة التي كان من شأنها ان توقفهُ على بعض هذه الفوائد كتآليف العلّامة دي ساسي (de Sacy) وكوسان دي پرسڤال (C. de Perceval) والمستشرق نولدك (Noeldeke) وغيرهم ممّن لم يذكرهم في جدولهِ

ثمّ لا نعلم كيف ادخل في سلك شعراء الجاهليّة كثيرين من الشعراء الذين عاشوا في الاسلام زمناً طويلاً حتّى خمسين سنة بنيّف كالحطيئة الذي عاش الى زمن بني اميّة (ص ١٥٠) وحسّان بن ثابت (ص ١٥٢) المتوفّى على قولهِ سنة ٥٤ للهجرة. وممن بن اوس (ص ١٦٣) الوافد على عمر بن الخطّاب الخ

وكذلك لم يفدنا جنابهُ على سبب تدوينهِ لتواريخ بعض الشعراء فانّ كثيراً منها لايصحّ مع ما نعلمهُ من اخبار اصحابها فانّهُ جعل مثلاً وفاة الشنفري (ص ١٤٤) في السنة ٥١٠ ويؤخذ من اخبارهِ انّهُ عاش بعد هذه المدّة زمناً طويلاً. وكذلك روى وفاة طرفة بن العبد في السنة ٥٥٠ ونعلم من اخبارهِ انّهُ قُتل لهجوهِ الملك عمرو بن هند الذي ملك بعد ذلك بنحو ١٢ سنة فلا بدّ اذن من تأخير وفاتهِ الى سنة ٥٦٥ تقريباً. وكذا يقال (ص ١٢٦) عن زهير بن جناب الذي عيّن لوفاتهِ سنة ٥٠٠ م وفي اخبارهِ ما يشير الى وفودهِ على ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء وعلى ابرهة ملك الحبشة فاتح اليمن وهذا ما يوجب تأجيل موتهِ الى نحو السنة ٥٥٠ وقس عليهِ تواريخ أخرى تحتاج الى زيادة نظر وضبط كقولهِ (ص ٣٩) انّ اضطهاد ذي نوّاس لنصارى اليمن كان في القرن الخامس للميلاد والصواب في العشر الثاني من السادس

هذا ولا نطيل الكلام في الخطابة (ص ١٦٨) والانساب (١٧١) والاخبار او التاريخ (ص ١٧٢) لان المؤلف لم يزدنا علماً على ما يعرفهُ مَن لهُ إلمام بشيء من تاريخ العرب. امّا اسواق الجاهليّة فامكن جنابهُ ان يشير الى مقالة حسنة كتبها في المشرق (١ : ٨٦٥) الاديب شكري افندي الالوسي

﴿ عصر الراشدين ﴾ هذا القسم يتناول تاريخ الاداب العربيّة من بدء الهجرة الى سنة مبايعة معاوية بن سفيان اوّل ملوك بني اميّة اعني مدّة اربعين سنة تولّى فيها الامر صاحب الشريعة الاسلاميّة ثمّ خلفاؤهُ الاربعة اعني ابا بكر ثم عمر بن

الخطاب ثمَّ عثمان بن عفّان ثمَّ علي بن ابي طالب مع ولديهِ الحسن والحسين. وقد حصر جورجي افندي تاريخ الآداب مدَّة تلك الحقبة في ١٦ صفحة بحث فيها اوَّلاً عن التغيير الذي احدثهُ الاسلام في العرب ثمَّ تأثير ذلك التغيير في آداب اللغة من شعر وخطابة وانشاء وعلوم قرآنيَّة وختم ذلك بفصل عن الخطّ العربيّ

وهذه الابحاث حسنة لكنها مع فائدتها تحتاج الى زيادة في الانتقاد وتعمُّق في البحث كمقابلتهِ بين خطباء الرومان واليونان وبين خطباء العرب حتى كاد يفضّل هؤلاء على اولئك فقال (ص ١٩٤) : « العرب لم يأتوا باقلّ ممَّا أتى بهِ اولئك بلاغةً ووقعاً وربَّما كان الخطباء في الاسلام اكثر عددًا وخطبهم اوفر وابلغ » وهو قول فيهِ اجحاف بحقوق الرومان واليونان ولو اطَّلع جنابهُ على خطبهم لرأى انَّ الفرق بينهم كفرق الثريَّا والثرى. فان الخطابة بلغت عند الرومان واليونان شأوًا لم يدركهُ العرب. وخطب العرب مهما كانت بلاغتُها لبعيدةٌ جدًّا عن بلاغة خطب اليونان واساليبها. وكأنَّ المؤلّف شعر بافراطهِ فزاد قولهُ « مع اعتبار الفرق بين الأمَّتين لغةً وخلقاً وادباً » وكفى بهِ اقرارًا لطيفاً بتقدُّم اليونان والرومان

وكذلك قولهُ في الشعر وتقهقرهِ في ذلك الطور كان يجب على الكاتب ان يتَّسع فيهِ ويبيّن الاسباب التي ادَّت الى ذلك الخلل فانهُ ذكر بعضها وسها عن بعضها الآخر وفي اقوال القدماء ما يكشف القناع عن الامر

اما العلوم القرآنيَّة التي كتب فيها صفحتين فقط فانَّها تستدعي ابحاثاً طويلة تراها في كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي وفي كتاب الفهرست وغير ذلك ولعلَّ جنابهُ فضَّل الحيادة عن هذه الابحاث التي اتَّسع فيها المستشرقون ولا يحبُّ المسلمون ان يكتب فيها غير اهل ملَّتهم

ليس بحث الكاتب الاديب في الخطّ العربيّ من النوافل فاحسن بالكلام عنهُ ولكن كان يجب ان يستعين بما كتبهُ الفرنج في ذلك بعد الاكتشافات المستحدثة من الرقّ والبابير والكتابات الحجريَّة قبل الاسلام فكان زاد بذلك بحثهُ وضوحاً

﴿ العصر الاموي ﴾ هو الفصل الاخير من هذا الجزء خصَّهُ المؤلف بآداب اللغة العربيَّة مدَّة دولة بني اميَّة منذ ظهورها سنة ٤١ الى سقوطها بفوز بني العبَّاس عليها

وهو لا يقلّ عن ١٠٨ صفحات افتتحهُ بكلام اجمالي عن مميزات هذا الطور (٢٠٧—٢١٣) والعلوم الشرعيَّة واللسانيَّة التي انتشرت في مدَّتهِ (٢١٥—٢٣٤) وخصَّ الباقي (٢٣٥—٣٠٨) بالشعر والشعراء وختم (٣٠٩—٣١٥) ببعض الملحوظات التي جعلها كتتمة ابحاثهِ

احسن المؤلف في بيان حالة العرب من الاختلاف وتنازع السلطة في اوائل دولة بني اميَّة. وكذلك اصاب بذكر آداب الروم واليونان والفرس عند الفتح الاسلامي لكننا لا نوافقهُ في قولهِ (ص ٢١١) عن انحطاط مدارس تلك الامم فنسبهُ زورًا « الى مقاومة رجال الدين » وكذلك وهمَ بقولهِ « انَّ كتب الفلسفة أُهملت لانَّها في نظر رجال الدين عثرةٌ في سبيل الدين » فلعمري من عُني بكتب الفلسفة وتأليفها وشرحها كرجال الدين ؟ ومن يدرسها اليوم كما يدرسها اهل الدين ؟ وفي زمن الفتوح الاسلامي كان معلّمو الفلسفة ومفسّرو ارسطو اكثرهم من رجال الدين. فان كان وقع بعض الاهمال في تلك الدروس فالدين منهُ براء. واساء جرجي افندي الظنَّ برجال الدين اذ نسب اليهم اعتبار الفلسفة كعثرة في سبيل معتقدهم

ولا نتبع المؤلف في كلّ باب من ابواب العلوم الاسلاميَّة فانهُ اختصر بنوع واضح ما كتبهُ العرب عن اصول العلوم الشرعيَّة كالقراءة والتفسير والحديث والفقه واصول العلوم اللسانيَّة كالصرف والنحو وضوابط القراءة وعن العلوم التاريخيَّة والجغرافية وقد وافقنا في كلّ ما كتبنا في مقالتنا عن علوم العرب (في المشرق ص ٢٩٩—٣٠٧) فقلنا انَّ معارفهم في تلك الحقبة كانت بعدُ في نشأتها ولم تنضج الَّا بعد الدولة الامويَّة فبقيت تلك المعارف بالتقليد الشفاهي حتى قام العلماء بعد ذلك في عهد بني العبَّاس فاخرجوها الى حيز الوجود. واوَّل كتاب ظهر على يد العرب كان في اواسط القرن الثاني للهجرة كما روى الحاج خليفة (اطلب قولهُ في المشرق ص ٣٠٣—٣٠٤) امَّا المدارس والدروس المنظَّمة فلم نجد لها اثرًا في تلك المدَّة وأضرب عنها جرجي افندي لعلمهِ بانَّها لم تُذكر في ايَّام الدولة الامويَّة وخلفاؤها مشغولون بحروبهم او منهمكون في لذَّاتهم لكنَّ الانصاف كان يقضي عليهِ بذكر ذلك الاهمال بل أقفل كثير من مكاتب النصارى كمدرسة نصيبين الشهيرة وبقي التدريس منزويًا في بعض الاديرة الرهبانيَّة المعتزلة

وكأنَّ الشعر في هـذا العهد ايضاً بقي علم العرب المفضَّل وديوانهم الاعلى ولذلك خصَّ بهِ المؤلف معظم هذا القسم الاخير من كتابهِ (من ص ٢٣٥ الى ٣١٢) وطريقتهُ في وصف الشعر والشعراء كطريقتهِ في القسم السابق. قدَّم عليهِ ملحوظات عموميَّة في مزايا الشعر في العصر الاموي وزعم انَّهُ امتاز بخلوهِ من وحشيّ الكلام وبكثرة التشبيب والنسيب والمهاجيات ووصف الخمر الَّا انَّ هذه المزايا يمكن اثباتها للجاهليَّة ايضاً او لعصر العبَّاسيّين وعلى كلّ حال لا بُدَّ لبيان زعمهِ من بيّنات ارضح واوفر. افيرى مثلًا جنابهُ انَّ شعر الفرزدق وجرير واصحاب الاراجيز اخلى من الوحشي من شعر النابغة والاعشى ؟

وممن يستحقون ذكرًا خاصًّا بين شعراء بني أُميَّة الاخطل وجرير والفرزدق فذكرهم المؤلف الَّا انَّ كلامهُ فيهم بعد نشر دواوينهم واخبارهم في مؤلفات عديدة ظهرت في هذه السنين الاخيرة ليس بكافٍ

وكذلك اشار اشارةً خفيفة الى روئية إمام الراجزين وكان اجدر بالذكر من غيرهِ وقد طبع ديوانهُ هلوردت مع اراجيز الرُّقيان

وقد ختم الكاتب الاديب هذا الفصل (ص ٣٠٩) ببعض فصول رأى لها علاقة بالشعر والشعراء كاستحثاث الشعراء لقرائحهم وجهل الشعراء للقراءة. ومن الفصول الظريفة التي هناك فصل عنوانهُ « شياطين الشعراء » (ص ٣١٠) روى المؤلف ما كانوا يزعمون من ايحاء الشياطين بالشعر لشعرائهم. وكان الاولى ان لا يطرق هذا الباب او يبحث فيهِ بحثاً علميًّا فانَّ جنابهُ انكر غير مرة في الهلال (اطلب المشرق ١ : ٢٣٨) وجود الشياطين فكيف عاد الى هذا الامر دون ان يبدي فيهِ رأياً .

وعندنا انَّ شياطين الشعراء عند العرب انَّما كانوا بمثابة ما تخيَّلهُ اليونان والرومان من إلٰهات الشعر (les Muses) كانوا يلتجئون اليهم في نظم قصائدهم

واردف الكاتب كلامهُ بفصل قصير عن الخطابة والانشاء في العصر الاموي وكان حقُّهُ ان يتسع في هذا الموضوع ويصف ما صبر من ذلك العهد على آفات الزمان من خطب وروايات ورسائل فيدرسها درساً مدققاً وهي من بواكير المصنفات النثريَّة التي نقلها الرواة الأثبات منها رسائل عبد الحميد الكاتب الذي ضُرب المثل في بلاغتهِ ولهُ رسائل مستجادة نشر قسماً منها الشيخ المفضال طاهر افندي الجزائري في

المتبس ثمَّ طُبع على حدة ومن اعمل فيها نظر الفكر وجدهـا من افضل آثار ذاك العهد لفظاً ومعنى. ومنها كتاب كليلة ودمنة الذي يُعتبر تعريبهُ كنافحة التعريبات عن الكتب الاجنبيَّة

هذه ملحوظاتنـا على كتاب تاريخ الآداب العربيَّة كتبناها بسرعة ولم يسمح لنا ضيق الوقت ان نتتبع كلَّ فصول الكتاب باباً باباً ولا شكَّ ان المؤلف اذا تروّى في عملهِ يجد فيهِ غير ما حرَّرناهُ في هذه العجالة. ونكرّر في الختـام شكرنا لجنابهِ مؤمّلين ان نرى عمًّا قليـل الاجزاء التالية جامعة لاسباب الحسن والاتقان

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

في ان الاناجيل المقدسة صادقة المقال

بعد ان اثبتنا نسبة الاسفار الانجيليَّة الى المؤلفين المعزوَّة اليهم اي الى الرسولين متَّى ويوحنا والرسوليَّين مرقس ولوقا واستفتينا التـاريخ والنقد العلمي فأفتيا ببراءة اسفارهم من كل تحريف وتزييف وانها هي هي كما خطَّتها يمين المؤرخين المختارين قد بلغنا الآن الى المرحلة الثالثة من ابحاثنا الانجيليَّة وهي النقد العلمي لتآليفهم لنعرف نصيبها من الصدق. يدَّعي كتبة العهد الجديد انهم يشهدون للحقيقة ويبشرون بما رأوا وسمعوا وتأملوا ولمستهُ ايديهم من جهة كلمة الحياة ابن الله المتجسد (رسالة يوحنا الاولى ١ : ١) ولكن أنّى لنا ان نتثبَّت صدق مدَّعاهم ؟ وما هي حجَّتهم في حقيقة ما اخبروا ؟

ومن ثمَّ يرى القارئ الاديب عظم خطورة هذا البحث الاساسي. فما الفائدة من كتابة عرفتَ صاحبها وتأكدتَ براءتها من التحريف اذا كان مؤلفها ممَّن لا يوثق بكلامهِ وان عرضتها على محكّ النقد بانَ اختلاقها للعيـان. لا سيَّما وان الموضوع ليس ممَّا لا يُعتدّ به ولا يُكترث لهُ فهو اهمّ المواضيع لِما وراء قبولهِ او رفضهِ

من النتائج والثمرات العمليَّة. فان كان الانجيل حقًّا وناشروه صادقين في ما شهدوا كان الدين المسيحي وحدهُ الدين القويم الذي ارادهُ الله لعبادهِ ووجب عليك الاقرار بتعليمهِ والسير على سراط احكامهِ وان كانوا على خلاف ذلك قد خدعونا بالكذب كنَّا وملايين من البشر منذ تسعة عشر قرناً ولا نزال متمسكين في الظلمات « فإيماننا باطل » بل نحن كما سبق فأعلن بولس الرسول « اشقى الناس اجمعين » (١ كو ١٥: ١٩)

وهنا نكرّر على مسامع القارئ اننا معشر النصارى من كل الملل والشعوب نؤمن بوحي الانجيل اي نعتقدهُ كتاب الله وانهُ من ثمَّ بريءٌ من كل غشّ وضلال مجملًا ومفصلًا. وحاشاك ان تنسب الخداع الى الله وهو الحق سبحانهُ لا يَغُش ولا يُغَشّ. وكلُّ من يؤمن معنا ان الانجيل كتابُ الله انزلهُ هدًى ونورًا يقرُّ معنا بصدق مقاله فلا خلاف الآن بيننا وقد سبق لنا فاثبتنا علنيًّا ان النصارى لم يحرّفوا الكلم عن موضعهِ. وان السفر الجليل كان ولا يزال بريئاً من كل تحريف معنوي ولفظي وحجّتنا العلميَّة على ذلك لا تُردّ. لكنَّنا نواصل بحثنا هذا على اسلوب علمي بمعزل عن الاعتقاد والوحي ليكون القارئ على بيّنة من امر ايماننا سواء كان مؤمناً او غير مؤمن فيضطرهُ التاريخ والنقد والعلم الى الاقرار لنا بالحقيقة

﴿ صفات الشهادة الانجيليَّة ﴾ تمتاز الاناجيل عن غيرها من الكتب بصفات منها انها ليست مباحث علميَّة ولا منطقيَّة ولا بيانيَّة فيها يقدّم الكاتب مبدأ يتحرّى اثباتهُ بالبرهان النظريّ او النقليّ او يعرض قضيَّة نظرية على مثال الفلاسفة فيشرح الفاظها ويبيّن معانيها ويوضح صدقها. فالرسل عموماً والكتبة الانجيليون خصوصاً ليسوا الَّا « شهودًا » ينقلون ما سمعوا ويصفون ما رأوا فقط فهم يتوارون وراء شهادتهم لا يشعر بهم القارئ كأن الكاتب مجرَّد عن كلّ عاطفة إعجاب او انذهال امام اسمى ما ينقل من الاقوال والآيات والمعجزات وعن عاطفة غيظ او حنق امام اقصى درجات الخيانة وعلائم نكران المعروف. فقد جعلوا نصب عينهم غاية واحدة هي « الشهادة » لاقوال المسيح الرب واعمالهِ اجابةً لأمرهِ حيث كرّر عليهم قائلًا انهم « الشهود لهُ في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى اقصى الارض » (اعمال ١: ٨ ولوقا ٢٤: ٤٨) فلا يطمعون بفصاحة الكلام ولا يدّعون القدرة على

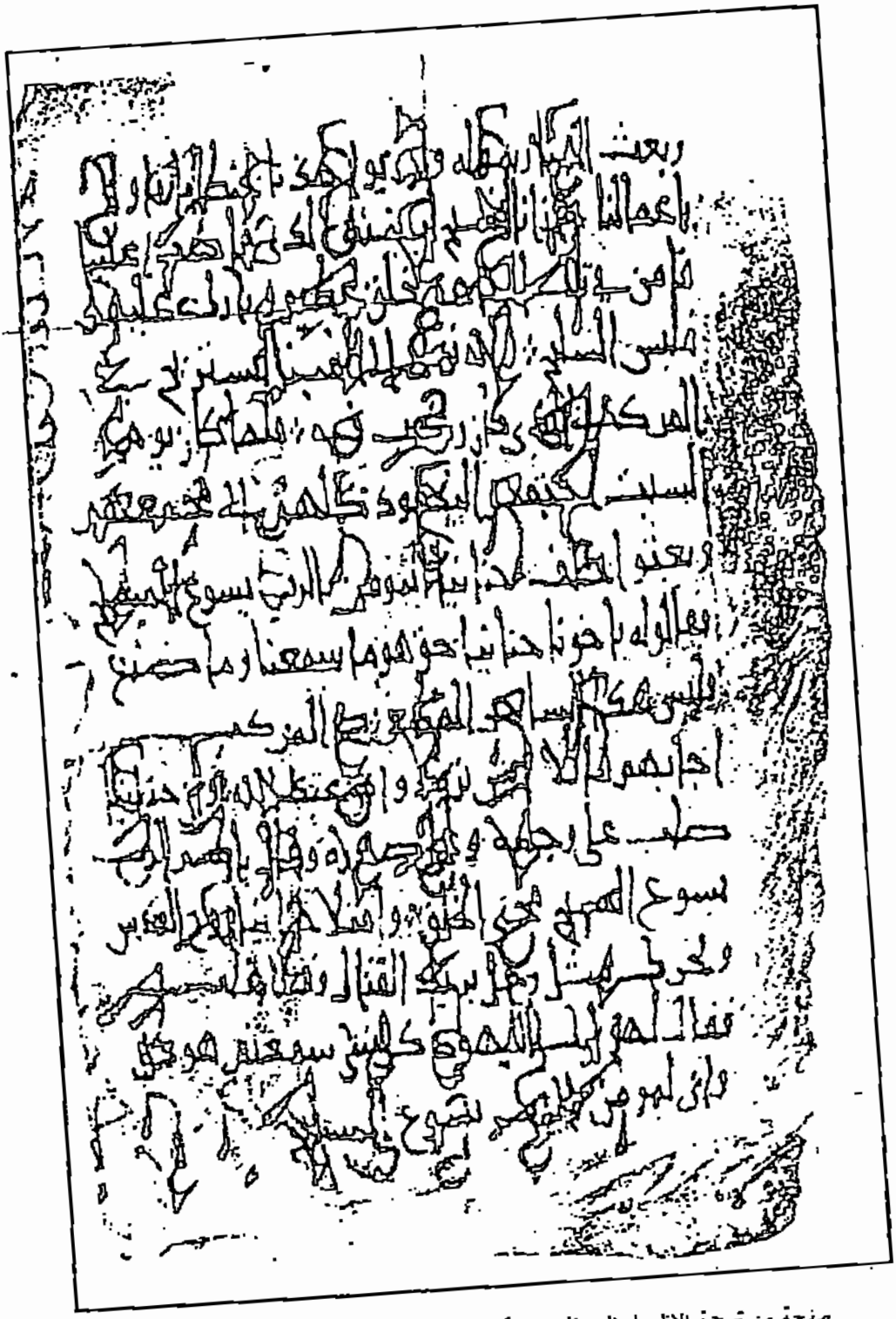

صفحة من ترجمة الاناجيل البسيطة (يوحنا ٦: ٥٣-٥٨) بالخط السرياني السطرنجلي من القرن الخامس كتبت على رق ثم غسلت فكتب عليها خط عربي احدث (Studia Syriaca XI)

الجدال لاقناع السامعين لكنهم يشهدون لآيات الرب ودعوته ووعده ووعيده وعجائبه وموته وقيامته من الموت ويؤكدون حقيقتها بقولهم «نحن كلنا شهود بذلك» (اعمال ٢ : ٣٢ و٣ : ١٥ و٥ : ٣٢ و١٠ : ٣٩)

ولكن ليس كل من يدّعي الشهادة جديرًا بالتصديق وكثيرًا ما شهد الشهود زورًا كما نراه بأمّ العين. فقد يكون الشاهد خدّاعًا كاذبًا اختلق الحوادث او زاد فيها وانقص منها فسخها فتُنكر عليه الصدق. او يكون جاهلًا او مخدوعًا أُضِلّ فضَلّ فتنكر عليه معرفة الحقيقة

وكذلك الانجيليون والرسل. فقد يكونون قد زوّروا علينا الاخبار عمدًا واختلقوها وافتروا علينا فأضلّونا لغايات في الصدور فليسوا برواة ثقة ولا بشهود عدل لكنهم خدّاعون ومضلّون. وقد يكونون ضلّوا وخُدعوا فأضلّونا وخدعونا لا عمدًا لكن عن جهل او سذاجة او حماقة. وبصريح الكلام فهم غشاشون او مغشوشون ومضلّون او ضالون. وفي كلتا الحالتين يرذل العاقل شهادتهم وينبذها نبذ النواة

هذا محور الاستقراء والامتحان في المحاكم. فاجلس ان شئتَ على منصة الحكم والق عنك الاوهام واسعَ وراء الحقيقة بصدق سريرة وخلوص نيّة واستنطق الشهود واعرض كلامهم على محكّ النقد بلا محاباة ولا خشية فالذهبُ ذهبٌ ولو امتُحن بالنار والدينُ القويم لا يخشى علمًا ولا نقدًا. وها نحن نعضدك في استنباط كل ما يمكن الاعتراض به عليهم. فاذا حصحص لك الحق لا تكن غير مؤمن لكن مؤمنًا

القسم الاول

في براءة الانجيليين من الغش والخداع

ما من احد يجهل ان اسفار الانجيل الاربعة تلخص سيرة ابن الله المتجسد على الارض فتصف ميلادهُ وعيشتهُ الخفيّة وبشاوتهُ وتعاليمهُ وعجائبهُ واضطهاد اليهود لهُ ثمّ صلبهُ وموتهُ وقيامتهُ من بين الاموات وظهورهُ للرسل ولعدد من التلامذة وامره لهم ان يذهبوا ويبشروا ويتلمذوا الامم والشعوب ويشهدوا لكل ما رأوا

وسمعوا لا يهابون الموت حبًا بهِ. هذا ملخص الخبر الانجيلي فهل للمعارض ان يقابل بالنكران كلّ ما جاء في الاسفار الاربعة فيرفضها مدّعياً انها باجمعها رواية تخيليّة لا اصل لها. لكن هذا القول هو ضرب من الحماقة لم يرضَ بهِ عاقل ولا يليق بنا ان نبحث فيه

وقد لا ينكر الخصم ما جاء في الاناجيل عن حياة يسوع الزمنيّة ولكنهُ ينبذ كلّ ما يراهُ عجيباً يفوق قدرة الطبيعة فيلقي على روايتهِ الشبهات ويسعى في شرحهِ شرحاً طبيعيًا او اذا لم يستطع الى ذلك سبيلًا ينكرهُ بتاتاً وينسب الى الكتبة الغشّ او الضلال. هذا ما صنعهُ الملحدون والمعطّلون والكفرة في الاجيال السالفة وبالغوا بهِ في ايامنا. فاذا سألتهم عن السبب اجابوك مع رينان « ان المبدأ الذي لا يحيدون عنهُ هو عدم الرضى بالعمل ايًّا كان اذا فاق قدرة الطبيعة ونكران كل ما يُسمى اعجوبة. فاذا وجدوا في الانجيل شيئاً من ذلك عزَوهُ إمَّا لخداع الشاهد وإمَّا لجهلهِ ». واذا استطلعت طلاعَ حجّتهم على هذا المبدإ المزعوم قالوا إنهم لا يرضون الّا بما يثبتهُ العلم بالاستقراء الحسّي. فاذا تصدَّيت لهم وبيَّنت انَّ العجائب لمَّا يمكن اثباتهُ بالاستقراء الحسّي فان الميت مثلًا اذا دُفن ثمَّ قام من القبر معافى لمَّا تتأكد بالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس وان الشهادة التاريخيّة اذا استوفت شروطها لمَّا يوجب الاقناع رفضوا الجدال مستندين الى مبدأهم العلمي. لكن العلم براء من زعمهم ووهمهم. فالعالم مَن يستقرئ الحوادث ويثبتها ثم يسعى فيحلّ مشاكلها قدر طاقتهِ ليس من يخترع مبدأ ويحوّل اليهِ الحوادث بالرغم عنها غير مكترث التاريخ والنقد والشهادة

واذا نقّبت عن كنه معتقدهم رأيتهم جاحدين للخالق عزّ وجلّ منكرين لوجوده وقدرتهِ لا يرضون الّا بالمادة. فمع هؤلاء وامثالهم لا سبيل الى البحث ولا فائدة ان لم يؤمنوا بالنفس البشرية وبمبدع الاكوان القدير العليم وبالحياة الاخرى وإلّا كان الجدال عبثاً. على انهم وإن عاندوا الحقيقة وصمّوا الاذن واغمضوا العين عن مسمعها ومرآها الوضّاح لا يستطيعون ان يضربوا صفحاً عن مسألة الدين فهو حادث تاريخي وسرّ غريب

وُجد شخص ادعى انهُ مرسل من الله وانهُ الهٌ وعمل اعمالًا عجيبة ومات صلباً

وقام فآمن بهِ العالم وكسروا الاصنام وعبدوا المصلوب وانقلبت من جرَّائهِ احوال المسكونة وترقَّت في سلَّم التمدن والعمران. فمن ذا الرجل وما هي اعماله ؟

﴿ التمييز بين الشاهد الصادق وشاهد الزور ﴾ مهما سعى المخادعون إلباس خداعهم لباس الصدق لا بدَّ ان يظهر للعيان عاجلًا او آجلا فيعودون خاسرين لان « حبل الكذب قصير » كما يقول المثل الدارج وكيفما ارتدى الذئب بثوب الحمل فيبدو ذَنَبهُ فيُعرف ويُطرد

والكشف عن الحقيقة يقوم بالنقد والبحث في احوال الشهود ومعرفتهم للحوادث التي ينقلونها كأنهم رأوها او اطَّلعوا عليها وقابليتهم وطباعهم وحركاتهم وكلامهم وغايتهم من الشهادة وفائدتهم منها ومعارضة اقوالهم مع بعضها ومع غيرها من الاقوال والآثار والشهادات الثابتة الى غير ذلك من البينات التي بها تُكشف الرغوة عن الصريح فيُميَّز بين الصادق والكاذب والامين والمخادع. فهلمَّ بنا نتتبَّع هذه المباحث فنستنطق الانجيليين ونطالبهم بكل ما لدينا ولدى الاخصام من التُهم والشبهات والشكاوي عسانا نصل الى الحقيقة العلميَّة المرغوبة

أ معرفة الانجيليين للحوادث التي يصفونها

اثبتنا في فصلنا الاول نسبة الاسفار الانجيليَّة الاربعة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا بالبرهان النقلي واقرار الكتبة فعلينا الآن ان نؤكدهُ بالنقد الداخلي ايضاً فيظهر لكل ذي بصيرة انهم عيانيون شاهدوا او سمعوا وتاكدوا ما سمعوا فهم احرياء بالتصديق

﴿ متى ﴾ ويُسمَّى لاوي ايضاً كان وكيلًا على جمع العشور في كفرناحوم وضواحيها وكان جالساً على مائدة الجباية عند ما مرَّ يسوع فقال لهُ « اتبعني » فقام وتبعهُ (متى ٩ : ٩ و ١٠ : ٣ ومرقس ٣ : ١٤ ولوقا ٥ : ٢٧) ورافق المخلص في مدة البشارة وشاهده بعد قيامته وبشر بهِ في انحاء الشرق. قال قوم انهُ ذهب الى بلاد العرب والعجم وقال آخرون انهُ بشر في انحاء ما بين النهرين وفي الحبشة

وقبل انفراط سلك الرسل وتفرقهم في اقطار المسكونة للبشارة اي نحو السنة الثانية عشرة لقيامة المخلص كتب سفره الجليل لفائدة مواطنيهِ العبرانيين المتنصرين

ألّفهُ باللغة الارامية ومنها نُقل او نقلهُ مولفهُ المختار الى اللغة اليونانية

﴿ مرقس ﴾ يعتقد جمهور الاقدمين والمحدثين المدققين انهُ يوحنا مرقس الذي ورد ذكرهُ في اعمال الرسل ورسائلهم . اسم امهِ مريم كانت تسكن اورشليم والى بيتها لجأ بطرس عند ما اخرجهُ الملاك من الحبس . قال لوقا البشير : وتوجه [بطرس] الى مريم امّ يوحنا الملقَّب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلُّون (اعمال ١٢ : ١٢) وذهب قوم انهُ الشاب الذي ورد ذكرهُ في وصف آلام المخلص (مرقس ١٤ : ٥١) . ولم يكن مرقس رسولاً لكنهُ لحق بالرسل بعد القيامة فرافق بولس وبرنابا الى انطاكية سنة ٤٤ للميلاد وبشر معهما في قبرص وبنفيلية ثم عاد الى اورشليم . وفي سنة ٥١ نراه في انطاكية (اعمال ١٥ : ٣٦ الخ) ثم في رومية سنة ٦١ برفقة بولس (كولو ٤ : ١٠ وتيموثاوس ٢ تيمو ٤ : ٨ و ١١) وسنة ٦٤ برفقة بطرس هامة الرسل (١ بطرس ١ : ١) الذي اتخذه لهُ كاتباً وترجماناً وارسلهُ الى الاسكندرية فاسس كرسيها باسم معلمهِ كما جاء في الآثار العتيقة الموثوق بصدقها . وقد كتب سفره بعد ان سمع من معلمهِ ومن سائر الرسل سيرة المخلص واعماله . قال رنان : « ترى في هذا السفر كأن الكاتب يصوّر الحوادث امام ناظرك فهو ينقل تذكرات حقيقيَّة حيَّة يكتبها بنفس حي »

﴿ لوقا ﴾ انطاكي الاصل ولد من ابوين وثنيين وتلقى الدروس الطبية والادبيَّة فبرع فيها كما يظهر لمطالع سفره الانجيلي وكتاب اعمال الرسل ودخل في النصرانيَّة منذ اول انتشارها وتتلمذ لبولس ورافقهُ في كلّ اسفارهِ وسمع البشارة الشفاهيَّة من برنابا وفيلبوس وبطرس ويعقوب وغيرهم (اعمال ٢١ : ٨ و ١٨ الخ) وكتب الانجيل بايعاز بولس وبعد البحث والتدقيق والتروي كما اخبر في فاتحته (لوقا ١ : ٣) والحقهُ في السنة ٦٢ او ٦٣ بكتاب اعمال الرسل . ذهب جمهور الشارحين الكاثوليكيين وعدد من البروتستانت مثل فرّار (Farrar) وكوده (Godet) وساندي (Sanday) انهُ قابل العذراء امّ المسيح لما في انجيلهِ من وصف عواطفها السريَّة (لوقا ٢ : ١٩ و ٥١) ونقل فقرات الفصلين الاولين كما سمعها بتعبيرها الارامي الذي يختلف عن سائر فصول انجيلهِ

﴿ يوحنا ﴾ التلميذ الذي احبهُ الرب لسلامة سريرتهِ وطهارة قلبهِ تبع المسيح

منذ البدء حتى الصليب واخباره مذكورة في الانجيل والاعمال. بشر سنين في بلاد فلسطين ثم جاء الى افسس وهناك علّم وكرز وتتلمذ لهُ الكثيرون من الآباء الاولين واضطُهد في رومية ونُفي الى بطموس. ومنها عاد الى افسس حيث مات في شيخوخة جليلة في اواخر القرن الاول للميلاد وقد كتب انجيلهُ الالهي بين سنة ٨٥ و٩٥ للميلاد

شهد البشير الطاهر لذاتهِ مرارًا في سفرهِ (١ : ١٤) وفي رسالتهِ التي يعتبرها العلماء كتوطئة لانجيلهِ انهُ يبشر بما عاين قال: الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي تأملناه ولمستهُ ايدينا من جهة كلمة الحياة لان الحياة قد ظهرت ورأيناها ونشهد ونبشركم بالحياة الابديَّة التي كانت عند الاب فظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه بهِ نبشركم لتكون لكم ايضاً شركة معنا وشركتنا انما هي مع الاب ومع ابنهِ يسوع المسيح (١ يوحنا ١ : ١ — ٤) وقال في انجيلهِ (١٩ : ٣٥): والذي عاين شهد وشهادتهُ حقٌّ وهو يعلم انهُ يقول الحقَّ لتؤمنوا انتم. وخُتم السفر بهذه الآية: وهذا التلميذ هو الشاهد لهذه الامور وهو الكاتب لها وقد علمنا أن شهادتهُ حقٌّ. فكأن جمهور النصارى المعاصرين يسجلون بهذه الفقرة الاخيرة كلام البشير المحبوب من سيده ويشهدون لهُ بالامانة والصدق

فاي قاضٍ عادل ينكر على هؤلاء الشهود الاربعة معرفتهم لما يشهدون فقد رأوا وسمعوا وشهدوا وكتبوا ما كتبوا وكان مئات من الذين عرفوا المخلص وسمعوه ورأوا معجزاتهِ وتأكدوا قيامتهِ لا يزالون احياء. فلم ينكر احد حقيقة النقل ولم يُعزُ اليهم الخداع والكذب

ولعلَّ معترضاً يعترض علينا قائلًا ان الانجيليين وصفوا امورًا لم يروها بعيونهم كالبشارة بالمخلص وميلادهِ وعيشتهِ الخفيَّة وتجربتهِ في البرية الخ

نجيب ليس الاعتراض بحديث فقد سبق القديس اغسطينوس فنفّذهُ في كتابهِ عن اتفاق الاناجيل (De Consensu Evangel. I. 1.) فاجاب انهم كان يمكنهم معرفة هذه الامور إمَّا من المخلص بالذات (اعمال ١ : ٣ واطلب مقالتنا في تجربة المسيح في المشرق ١٤ : ٢٠٥) او من العذراء (لوقا ٢ : ١٩ و٥١) او من غيرهم كيعقوب نسيب المخلص الخ

وقد لا يكتفي الخصم بجوابنا فيقول: لكن هناك اخباراً نقلها الانجيلي لوقا مثلاً ولم يستطع ادراكها بتدقيق كما ادّعى (١ : ٢) لانها مما لا يتأكد الّا بشهادة صاحبها يريدون بذلك حبل مريم بيسوع بنوع يفوق قوى الطبيعة

نجيب اوّلاً: ان الغاية التي نتحراها في مباحثنا هذه العلميّة المحضة بمعزل عن الوحي في حقيقة التاريخ الانجيلي وصدق كتبته هو تبيان اساس الدين المسيحي والدين المسيحي مؤسس على بشارة المخلص وتعليمه وعجائبه وقيامته وتسميه للنبوات واقامته للكنيسة وهذا لا علاقة له ضرورية بسرّ الحبل البتولي

ثانياً: اذا اثبتنا — وسنثبت — حقيقة هذا الدين القويم نعود فنؤكد وحي الاسفار الانجيلية انها كلام الله بريئة من كل غش وضلال في كل محتوياتها. وهذا ما يتطلبهُ منّا سياق البراهين فترتبط حلقات سلسلتها ارتباطاً منطقياً بلا انفصام. فرجاؤنا من القارئ اللبيب ان لا يطالبنا بحلّ كل المشاكل دفعةً واحدةً وان لا يخلط بين الامور الاولية في بحثنا هذا والامور الثانوية

ثالثاً: اجل لم يُعرف سرّ الحبل البتولي الّا ببشارة مريم البتول. لكن الشرائع والنواميس ترضى بالشاهد الوحيد اذا كان اسمى من ان يُعزى اليه الكذب لعلوّ مقامه وكمال صفاته وهو ما سماه الشرع الروماني الشاهد الاعلى من ان يُطعن فيه (omni exceptione major) والعذراء مريم لهي هذا الشاهد كما يقرّ لها الجميع بذلك. وهاك شرحاً بسيطاً لا مردّ عليه: هذه التي شهدت لبتوليتها هي التي انشدت يوماً نشيدها وهي يومئذ صبية فقيرة جاءت تزور نسيبتها اليصابات قالت: «تبتهج روحي بالله مخلصي لانهُ نظر الى تواضع امتهِ فها منذ الآن تطوّبني جميع الاجيال لان القدير صنع بي عظائم (لوقا ١ : ٤٧) وقد صدقت في نبوتها فطوبتها الاجيال وكرمتها الشعوب واحنت لها الملوك الرؤوس واحبتها النفوس حبًّا صادقاً قلبيًّا ولا يزال منذ تسعة عشر قرناً يزداد هذا الاجلال وهذا الحب بينما الفراعنة والقياصرة وملوك بابل والفرس الذين دوّخوا البلاد وفتحوا الفتوحات والّهوا ذواتهم وعبدتهم شعوبهم فاقامت لهم الهياكل في حياتهم قد باد ذكرهم وانمحى اثرهم ولا نكاد نرى ممّا عمّروا وبنوا من المعابد والقصور الّا خرائب ينعق فيها البوم ويقلّب حجارتها الاثريون في ايامنا عساهم يقرأون عليها اسم بانيها

٣ ان الانجيليين لاسمى من ان يوسموا بسمة الخداع

لا ينظر القاضي العادل الى كلّ ما يُعرض عليهِ من الشهادات بعين الاعتبار لكنهُ يزن قيمتها الادبيَّة بميزان ضميره ووجدانهِ فربَّ شاهدين يقومان مقام جمهور من الشهود لصفاتهما وطباعهما الممتازة. فما هي صفات الرسل عموماً والانجيليين خصوصاً لانهم جميعاً يشهدون لتعليم المخلص وعجائبه

للخُدعَة الراغب في تمويه خزعبلاتهِ سمات وعلامات تظهر للعيان بالرغم عنهُ لان الطبعَ يغلبُ التطبُّع. فاذا نقَّرت في سيرة الماكر وجدت حياتهُ اليفة الرياء الذي عليهِ ربي وفي زواياه اختبأ يتصنع في الظواهر ويعبث في السرّ بالفضائل يطمح الى المراتب والملذات ولا يسعى الّا في طلب مصلحتهِ واذا سمعت اقوالهُ او قرأت كتاباته رأيت التصنع والغش والمداجاة مرتدية بثوب يكاد يغطيها على السذَّج لكن لا تخفى على العالم الناقد. وحاشا الرسل ان يوسموا بهذه العلامات ولا بشيء منها. قوم بسطاء فقراء ولدوا وعاشوا في بلاد وقرى الجليل وفلسطين بعيداً عن حيل المخادعين ومداهنة المرائين ولم يعرفوا من الدنيا الّا العيشة الساذجة الشاقَّة. تركوا شباكهم ومهنهم وتبعوا المخلص وسمعوا كلامهُ فلم يفقهوه اوَّلاً حتى اضطروا معلمهم مراراً ان يشرح لهم من الامثال اسهلها. قوم ذوو دين صادق وتقوى وزهد قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج مخلصهم خلا يوداس الذي قادهُ حبّ المال الى الخيانة. قال بولس: انتم تعلمون اني لم اشتهِ من احد لا فضة ولا ذهباً (اعمال ٢٠: ٣٣) وقال: نُشتَم فنُبارك نُضطهَد فنحتمل (١ كور ٤: ١٢) وقال: لم آتِ ببراعة الكلام او الحكمة لكن بشهادة الله (١ كور ٢: ١) وقال: اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً شكاً لليهود وجهالة للامم (١ كور ١: ٢٣)

اقرأ اسفارهم تجد بينات الصدق والامانة بادية في كل فقرة وفي كل سطر منها. يخبرون بما شمعوا ورأوا كما يخبر الشاهد الامين الذي اقسم انهُ لا يزيد ولا ينقص حرفاً من الحقيقة. فلا تبدو منهم عاطفة اعجاب او احتقار غايتها تحريك العواطف في صدر القارئ فهم كالمرآة تعكس عليك الصورة المطبوعة على صفيحتها كما هي. ولا ترى في انشائهم شيئاً مما يقبل عليهِ البيانيون من المجاز والتشبيه والاستعارات المثيرة

للاميال فهم يكررون في كل صفحة. قال يسوع واجاب يسوع: وخرج فرأى اعمى فشفاه... وما شاكل ذلك

دونك وصفهم لمخدومهم وسيدهم وربّهم يذكرون العجائب التي صنعها والتعاليم التي نشرها. ولا ترى في كلامهم ما يستدلّ بهِ عن هيام في نفوسهم او تهلل او هيجان لكن السكينة والبساطة علامتي صدق السريرة. وهم لا يستحون من ذكر مولده الفقير في مغارة بيت لحم وحقارة معيشتهِ مدة ثلاثين سنة كابن نجّار خاملاً مجهولاً وبما لحق بهِ من الاهانات في حياتهِ وايامهِ الاخيرة

لاحظ نعتهم لصفاتهم الشخصيّة فلا يذكرون شيئاً تستشفُّ من ورائهِ رغبتهم في المجد وحسن السمعة لكنهم يعترفون بخمول اصلهم وحقارة منشأهم ومهنتهم ويقرّون بخشونة طباعهم وبرغائبهم الزمنيّة وقساوة قلوبهم وسوء تدبيرهم وضعف ايمانهم وجبانتهم وتوبيخ المسيح لهم. فهذا متّى ينبئنا عن لاوي العشار — وهو هو — ان المسيح تعطف واختاره رغماً عن مقت اليهود واحتقارهم للعشارين. وهذا مرقس يفصل قصة نكران بطرس لربّهِ. وقد سمعها مراراً من فم هامة الرسل التائب. وهذا لوقا يخبرنا في سفر الاعمال عن تعصب بولس الاعمى وسفكهِ للدماء الزكيّة الى ان تحنّن الله فظهر لهُ راحماً فانارهُ وردهُ. وهذا يوحنا لا يكاد يذكر اسمهُ في كل صفحات الانجيل فاذا الجأتهُ الضرورة التاريخيّة لمح اليهِ تلميحاً لطيفاً

فاين الخداع في صفاتهم وانشائهم واعمالهم وتواضعهم واقرارهم بنقائصهم وسيئاتهم. لا لعمري ليست هذه الّا بينات صادقات على سلامة طويتهم وصدق سريرتهم وامانة شهادتهم. وقد اقرّ لهم بذلك الملحدون في القرون الماضية وفي عصرنا. قال الجاحد الشهير جان جاك روسو: « ان قداسة الانجيل تناجي قلبي ولها فيهِ وقع شديد. تصفّح كتب الفلاسفة وما فيها من الفخامة والبداعة فاين هي من الانجيل. فهل يتأتى لبشر ان يجيء بكتاب مثلهُ... أنقول ان التاريخ الانجيلي هو اختلاق واختراع. ثق بكلامي يا صاح لا يكون هكذا الاختراع... فالانجيل مزدان بعلامات من الصدق ظاهرة قوية لا مثيل لها حتى ان مخترعها يكون اعجب من صاحب السيرة الموصوف فيها ». وقال رنان: ان الاناجيل لهي آثار تستحق الاعتبار» وقال جوليخر (Jülicher) « انها ذات قيمة غالية لمعرفة تاريخ يسوع ». وزاد

هرناك (Harnack) « انها محتوية على التقليد الاصلي ». ولو لم يخبر الانجيليون بعجائب لا يرضى الملحدون بها لجعلوها في مقدمة كلّ من ادّعى أنهُ مؤرخ وشاهد

وقد يعترض علينا قوم بالفاظنا واقرارنا فيقولون: اذا كان الرسل سذّاجاً أُميين فانّى لهم ان ينقلوا لنا اسمى التعاليم التي سمعها بشر وقد اقرّ القاصي والداني انها تفوق ادراك اسمى العقول ولا ينكر حكيم ولا فيلسوف انهُ لم يتكلم قطّ احدٌ مثل يسوع المسيح. فكيف يفقهها صيّادو سمك

نجيب اولًا مع المخلص حيث قال (متى ١١ : ٢٥) : « اعترفُ لك يا ابتِ ربّ السماوات والارض لانك اخفيت هذه عن العقلاء والحكماء وكشفتها للاطفال نعم يا ابتِ لانهُ هكذا حسُن لديك ». فعبثاً يحاول الحكماء والعقلاء او قل بالاحرى مدّعوا الحكمة والعقل احتكارهما في ذواتهما وحرمان سائر البشر منهما فربَّ انسان سليم النيَّة والطوية يفقه بلحظة ما لا ينالهُ العالم بالانعكاف على المؤلفات سنين طوالًا

نجيب ثانياً: لم ينهج المسيح في تعليمهِ منهج المتعلقين في مواضيعهم وقضاياهم ومقدماتهم ونتائجهم لكنهُ علم بسلطان وكمن هو الحق بالذات فلا يباحث ولا يجادل لكن يؤكد ويطلب الايمان بكلامهِ. قال: طوبى للمساكين. طوبى للحزانى. طوباكم اذا عيّروكم الخ. ولم يجادل في سبب هذا التطويب. امّا كلامهُ فكان من البساطة على جانب عظيم يفهمه الصغير والأُمي ولا يدرك غور كنههِ الكبير والعالم وكان المسيح يلقيهِ بالامثال والتشابيه القريبة من العقول وبالحكم الموجزة يكرّرها مراراً بلفظها الواحد او بما هو بمعناه ليطبعها في العقول والقلوب. لم يذكر الانجيل التطويبات مثلًا الّا في عظة المخلص على الجبل. لكني اعتبر ولا اخالني مخطئاً ان المخلص قالها او قال ما يضاهيها معنًى ولفظاً لا مرة لكن مراراً فطبعت في الذاكرة فحفظتها

وقد يتابع المعترض كلامهُ فيقول: هب انهم استطاعوا نقل تعليم المسيح ولكن كيف يستطيعون التمييز بين ما هو اعجوبة فائقة الطبيعة وبين الامور الطبيعيَّة وهم لم يدرسوا العلوم الطبيعيَّة

نجيب: لذا تراهم يصفون ما شاهدوا ورأوا تاركين الحكم للقارئ عالمًا كان ام

لا . رافقوا يسوع الى بركة بيت حسدا فرأوا مخلعاً ملقى هناك فقال لهُ يسوع : قم احمل سريرك وامش . فللوقت برئ على مشهد منهم ومن الجميع (يوحنا ٥) . ذهبوا مع المسيح في السفينة على بحيرة طبرية فعصفت ريح وساورتهم المياه واضحوا في خطر الغرق فقام المسيح وانتهر الريح وهيجان الماء فسكنا وحدث هدوء (لوقا ٨ : ٢٣ الخ) . كانوا في البرية وخمسة الاف يتبعونهم وليس لهم ما يأكلون سوى خمسة ارغفة فباركها الرب وأعطى لتلاميذهِ ليقدموا للحاضرين فكانوا يفرّقون ولا ينفد الزاد حتى اكل الجميع وبقي من الكسر اثنتا عشرة قفة (مرقس ٦ : ٣٥ الخ)

كان منطلقاً الى نائين برفقة التلاميذ وجمع كثير فاذا ميتٌ محمولٌ وهو ابن وحيد لامهِ فتحنن عليها وامر حاملي النعش ان يقفوا ثم قال : ايها الشاب لك اقول قم . فاستوى الميت وبدأ يتكلم وسلّمهُ الى امهِ (لوقا ٧ : ١١) . مات لعازر ودُفن وبعد اربعة ايام لدفنهِ جاء يسوع فصرخ : يا لعازر هلمَّ خارجاً . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطة بلفائف ووجههُ ملفوف بمنديل فرآه الجميعَ حيًّا (يوحنا ١١)

وقس عليهِ سائر اخبار الانجيل . فما الحاجة للعلوم الطبيعيَّة والمنطقيَّة في الشهادة بما يراه الانسان بعينهِ ويسمعهُ باذنهِ ويلمسهُ بيده لا واحد لكن اثنا عشر رسولاً بل جمهور من الشعب لا في السرّ لكن في العلانية في وضح النهار (لها بقية)

السر المصون
في
شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ثالثاً الماسونية التركية

قد مرَّ بك ان تركيا كانت بين اوّل الدول التي ناهضت الماسونيَّة منذ السنة ١٧٤٨ وانَّ بين قوانينها ما يحظر على العثمانيين الجمعيّات السريَّة . فكان السلاطين العظام ينظرون بعين النفور الى كل ما يتستَّر تحت حجاب الظلمة واذا بلغهم شيء من

امر تلك المجامع اسرعوا الى الغائها وتشتيت شمل اصحابها. وعليه لا بُدَّ من اصلاح ما كتبهُ فيها في تاريخ (كذا) الماسونيَّة العام (ص ٢٠٦) جرجي افندي زيدان حيث قال سنة ١٨٨٩:

اما شأن الماسونية عموماً في تركيا فشأنها في سائر البلاد. هذا من قبل العامَّة واعتقاداتهم (والعامَّة كثيراً ما يحكمون بالصواب). اما من قبل الدولة فلم تصادف مقاومة رسميَّة مطلقاً (!) وان تكن من الجهة الثانية لم تصادف تنشيطاً كبيراً على انَّ مولانا امير المؤمنين (يريد السلطان عبد الحميد) كان في ريبةٍ من امرها (ولم تخدعهُ ريبتهُ) لكنَّهُ علم مؤخَّراً صحَّة مبادئها واخلاصها لجلالته (ولذلك تفتخر اليوم بانها هي التي قلبت سلطتهُ) ولسائر الامَّة والوطن (واخلاص الماسونية لهما كاخلاصها لعبد الحميد) وقد تشرَّفت برضائهِ (وبتقويض عرشهِ!)

ثم قال المؤرخ المذكور انَّ الماسونية الرمزيَّة ظهرت في تركيا سنة ١٧٣٨ في كورفو الَّا انَّ آثار هذا المحفل قد طُمست مدَّة مئة سنة حتى تأسس في تلك الجزيرة سنة ١٨٣٧ محفل آخر عُرف باسم محفل فيثاغورس كان كالاوَّل تحت رعاية المحفل الانكليزي الاعظم. ثم تأسست محافل اُخرى في الاستانة وفي ازمير وغيرهما بعضها تابع للشرق الاعظم الانكليزي وبعضها للفرنسوي او للايطالي الى ان انشأ الاخ ... انكلي الاحترام البرنس حليم باشا مجمعاً وطنياً ترأسهُ وتعدَّدت محافلهُ

على انَّ هذه المحافل بقيت تشتغل في الظلمة كألوف عادة البنائين الاحرار حتى صار الانقلاب العثماني الاخير قبل ثلاث سنوات فاخذت تتباهى وتنسب اليها الحكم الدستوري

ويا ليتها اظهرت وتنظر تراهتها وحسن طويَّتها فتركت لمندوبي الولايات السَّير على مقتضى المبادي الدستوريَّة في مجلسي العموم والاعيان الَّا انَّ الماسونية لم ترضَ بالانسحاب فاستندت الى جمعية الاتحاد والترقي واعتضدت بالجيش وجعلت تلقن مندوبيها في مجلس العموم مآربها لينفذوها على حسب مبتغاها. فجرى ما جرى بسبب هذا الاستبداد ولم يزل الامر يتفاقم والشرّ يستفحل حتى سئم العقلاء هذه الاحوال

ولعلَّ سائلاً يسألنا أجمعية الاتحاد والترقي ماسونية؟ الجواب عن ذلك انَّ هذه الجمعية في اوَّل امرها كانت تتركب من ضباط ورجال حزم سئموا من حالة الدولة وتلاعُب اهل الظلم بالرعايا ولعلَّ الماسونية سعت في جمع كلمتهم وهم لا يدرون من

امرهـا غير بغض اصحابها للاستبداد وتقررهم من الظلم لا سيما انّ هؤلاء الضباط كانوا في حاجة الى المال والدراهم لتنفيذ ما قصدوهُ من قلب الهيئـة المالكة فكان الماسون وكثير منهم من اليهود الذين يمدونهم بامدادهم بالاموال

فلما تمّ الانقلاب الدستوري رفعت الماسونيـة رأسها وعزت الفوز الى مساعيها وصوّرت جمعية الاتحاد والترقي كجمعية ماسونية محضة . وكان اعضاؤهـا اذا ساروا الى عواصم اوربا يبحثون عن المحافل الماسونيـة ويسلّمون على رؤسائها كما فعلوا خصوصاً في باريس وفي بوادبست حاضرة المجر حيث صار لهم استقبال عظيم ورحّب بهم الماسون ودعوهم الى حفلاتهم كما انبأت الجرائد الاوربية

على انّ هذه الظاهرات فتحت اعين العقلاء فاحسّوا بما اوقعتهم فيـه العشيرة الماسونية من التهلكة وبالخصوص لما راوا ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون الضغط على مبعوثي الامّة في مجلس العموم لينقادوا الى اوامرهم التي يتفقون عليها في محافلهم السرّيّة كانّ الدستور آلة في ايديهم يتصرفون بمشيئه كما يشاؤون

وممن لم يرضوا بهذا العمل الامير آلاي صادق بك قـام في وجه الماسون وانشأ حزباً لمعارضة اولئك المفسدين . وكان في مقدّمة الذين طلبوا لمؤتمرهم السنوي مندوباً من الحكومة لئلا تنظم جماعتهم في سلك الجمعيات السرّيّة

وممن تبعوا حركات الماسونية وعرّفوا احوالها في تركيا خصوصاً منذ الانقلاب العثماني السيد محمد رشيد رضا في المنار فكتب هناك عدّة فصول نقلنا سابقاً بعض شواهدها (راجع الصفحة ٣٨٣) ثمّ عاد في عدد ربيع الاوّل من السنة الحالية ١٣٢١ (ص ١٧٩) فوصف الماسونية وصفاً حسياً وصرّح (ص ١٨٠) بانّ « لهذه الجمعية الاثر العظيم في الانقـلابات السياسية التي حصلت في اوربة ومنها الثورة الفرنسويّة الكبرى من قبل والانقلاب العثماني والبرتغالي الاخيرين من بعد » وان « علاقة عملهـا بالدين والسياسة معروفة من مقصدها الذي انشئت لاجله (اي ازالـة سلطة رؤساء الدين والدنيا) فاذا لم تشتغل بالمقصد مباشرةً فهي تشتغل بالتمهيد لهُ كجمع كلمة اهل النفوذ في كل بلد وتكثير سوادهم وتقوية عصبيتهم واضعاف رابطتهم الدينية السياسية والانتقال بهم من الاقناع من درجة الى درجة حتى يتم الاستعداد بهم الى تغيير شكل الحكومة وازالة السلطة الدينية والشخصية الـذي هو المقصد الاخير ولو بالثورة وقوّة

UNIVERSI TERRARUM ORBIS ARCH CTONIS AD GLORIAM INGENTIS

LIBERTÉ

FŒDERATUM summæ gallicæ bellæ concilium testatur Fratrem, cujus nomen hic inscriptum est, quique his præsentibus litteris nomen suum subscripsit architectonicæ societatis mysteriis initiatum esse in justâ perfectâque ☐, iis temporibus quorum alibi mentio facta est.

Inde sequitur ut omnes Frat.·. M.·. ne unoquidem excepto, anticissimè habeantur Frat.·. qui illo Magistri diplomate ornatur, benè accipere et ergà eum eâdem benevolentiâ utique inter sese Vidua liberos uti decet.

RITE ÉCOSSAIS
ANCIEN ACCEPTÉ

J

B

. LE CONSE. FÉDÉRAL

La Grande L e de France

certifie que le T.·. C.·. F.·.
dont la signature est apposée ci-contre, a régulièrement initié aux mystères de la Franc-Maçonnerie dans une ☐ juste et parfaite, et lui a conféré les trois degrés symboliques aux dates indiquées d'autre part.

En conséquence tous les Maçons réguliers sont priés de vouloir bien accueillir le titulaire ainsi que se doivent mutuellement les enfants de erre, sans distinction de rite ou d'obédience.

Donné à l'O.·. de Paris. *esent diplôme de Maître avec tous les égards*

11 Mars 1901

LE GRAND SECRÉTAIRE GÉNÉRAL.

LE GRAND MAITRE.

THE Federal Council of the Grand Loge of France certifies that the undersigned was regularly initiated in a just, perfect and regular Lodge of Freemasons, and raised to the sublime degree of a Master Mason, on the dates stated hereon, and that he is duly registered in the books of this Grand Lodge accordingly.

This certificate shall not entitle any brother to admission to any Lodge without examination.

SIGNATURE DU TITULAIRE.

FRATI RNITÉ

١ ΤΩΝΑΙΚΑΙΚΩΝ ΗΠΑΡΥΜΩΝΥΠΙΑ
ΙΚΟΗΕΙΟΙΙΑΝΤΑΣΑΦΙΚΕΤΟ
ΦΥΜΙΝΟΥΝΧΑΙΡΩ·ΟΣΑΩΧΑΕ
ΥΜΑΣΟΥΦΟΥΟΜΕΝΕΙΝΑΙΕΙΣΤΟ
ΑΓΑΘΟΝΑΙΚΑΙΡΕΟΥΟΑΣΕΙΣΤΟ
ΚΑΚΟΝΟΛΕΘΕΣΤΗΣΕΙΡΗΝΗΣ
ΟΥΝΠΡΟΥΡΑΙΤΟΝΣΑΤΑΝΑΝ.
ΕΝΤΑΧΕΙΝΠΟΤΟΥΣΠΟΛΛΟΣΗΔΗΣ.
Η ΧΑΡΙΣΤΟΥΚΥΗΜΩΝΙΥΧΥΜΣΟΥΝ.
ΛΣΤΙΑΧΕΤΕΥΜΑΣΤΙΜΟΘΕΟΣ
ΟΣΥΝΕΡΓΟΣΜΟΥΚΑΙΛΟΥΚΙΟΣ
ΚΑΙΙΑΣΩΝ ΚΑΙΣΩΣΠΑΤΡΟΣ
ΟΙΟΥΓΕΝΕΙΟΜΟΥ

٢ ΑΥΤΟΥΑΠΟΤΟΥΣΥ
ΛΟΥΤΗΣΖΩΗΣΚΑΙ
ΕΚΤΗΣΠΟΛΕΩΣ
ΤΗΣΑΓΙΑΣΤΩΝΤΕ
ΓΡΑΜΜΕΝΩΝΕΝ
ΤΩΒΙΒΛΙΩΤΟΥΤΩ
ΛΕΓΙΟΜΑΡΤΥΡΩΝ
ΤΑΥΤΑΕΙΝΑΙΝΑΙΕΡ
ΧΟΜΑΙΤΑΧΥΕΡΧΟΥ
ΚΕΙΗΤΥΗΧΑΡΙΣΤΟΥ
ΚΥΙΥΜΕΤΑΤΩΝΑΠΑ
ΩΝΑΜΗΝ:

٣ ΟΤΙΗΛΙΣΕΥΤΟΥΖΗΕΛΥΟΕΤΟΟΥΝΤΗΝΩΡΑΝΠΑΡΑΥ
ΤΩΝΕΝΑΙΚΩΝΥΠΟΤΕΡΟΝΕΣΧΕΙΗΕΙΠΟΙΣΜΟΙ
ΑΥΤΟΝΟΠΥΒΕΤΟΟ
ΕΓΝΩΣΥΝΟΙΗΠΡΑΥΟΥΣΟΤΙΟΚΕΙΝΗΤΗΗΩΡΑΕΙΗΕΙΠΕΝ.
ΑΥΤΗΗΠΕΚΑΥΙΟΕΟΟΟΥΚΑΙΟΠΙΣΤΟΣΕΣΤΑΥΕΠΟΕΙ
ΛΟΗΚΑΙΑΥΤΩΝΟΑΗ:

١ قلة من نسخة التوراة اليونانية المدونة بالإسكندرية
٢ قلة من النسخة اليونانية السبعينية
٣ قلة من نسخة غلب بيلكين يونانيين اثنم فأسدت
٤ قلة من إنجيل مخطوط بالسريانية من القرن الخامس (في خزانة كتب لندن)

السلاح » الى ان قال « ولاجل هذا ترى رجال الدين كالجزويت يحاربون هذه الجمعية وامّا رجال الدين الاسلامي من الفقهاء والمتصوفة فقلما يعرفون شيئاً من امور الدنيا (كذا) »

وقد خصّ الكاتب الفاضل نظره بالماسونية التركية في العدد التالي اي ربيع الاخر ١٣٢٩ (ص ٢٦٥ — ٢٧٢) عند كلامه عن امير الآلاي صادق بك وجمعية الاتحاد والترقي وما حصل فيها من الانقسام فقال (ص٢٦٥) :

اشتهر ان الانقلاب العثماني كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك وماستر وعرف الخاص والعام انّ الانقلاب كان من عمل الجيش. بعدما علا مقام كل ضابط عثماني ورُفع اسم نيازي وانور بك على كل اسم ولكن خفي اسم صادق بك وهو اجدر بالظهور وصار كل من يُنسب الى جمعية الاتحاد والترقي يفخر ويسو بانهُ ربُّ الدستور وحامية تتزاحم على ابوابها طلّاب الشهرة وروّاد المنفعة وعبّاد القوّة وانفضّ من حولها الكثيرون من العاملين المخلصين وانبرى لمعارضة حزبها في مجلس الامّة حزبان كان خيار رجالها من الاتحاديين ومن بقي في حزبها ازواج ثلاثة : ١ً بعض الزعماء كالبكوات وحي وطلعت وجاويد ومن استعذب مشربهم وأذعن للسرّيّ والجهريّ من احكام جمعيتهم لانهُ يرى فيها رأيهم وهم الاقلّون — و٢ً طلّاب المنافع واتباع كل ناعق — و٣ً المستقلّون المخلصون الذين يرون انّ بقاءهم في الجمعية خير من خروجهم منها وارجى لتقويم عوجها

ثم انتقل الكاتب الى وصف فضل صادق بك في تغليب الدستور وكيف بقي اسمهُ منسيًّا كالدرّ الراسب في اعماق البحر مع كونهِ هو حقيقة « قومندان الانقلاب العثماني وموجد الدستور » (ص ٢٦٦) ثمّ بيّن جناب السيد ثباتَ صادق بك في خدمة الجمعية وهو رئيسها وعميدها يسوقهُ المرّخص العام الى ان تألف مجلس الامّة « فرأى صادق بك ان تترك الجمعيةُ للحكومة الحرّية في عملها وتكتفي بالمراقبة عليها فلا تتعرّض لشيء الّا اذا رأت الدستور مهدّدًا بالزوال » ولذلك عوّل على تقدمة استقالته لانهُ كان يرى اشتغال الضباط بالسياسة من اعظم الاخطار التي تهدّد الدولة » لكنّ زعماء الجمعية لم يوافقوهُ على ذلك « وظهر من رئاستهم تنفير جميع العناصر العثمانية من اخوانهم الترك وتقدّم اليهود في نظارة المالية على غيرهم واعلاء كلمة الماسونية والاسراف في نشرها وتقديم القدمين فيها على غيرهم في جميع المناصب والاعمال وجعل مقام الخلافة كالمجرّد من كل سلطة ونفوذ »

فلمّا رأى صادق ان اولئك الزعماء لا يجيبونهُ على مطالبهِ « آذنهم بانهُ يترك لهم

جميعهم ويسترد استقالته من الجيش وكذلك فعل وكان هذا من آيات اخلاصه الكثيرة » (ص ٢٦٨) . الا « ان الخطوب تفاقمت بعد ذلك من سياسة طلعت وجاويد حتى ضجّ مجلس الامة بالشكوى وبلغت اصوات المعارضين عنان السماء بعد ان ازعجت سكان الارض حتى اضطرّ طلعت بك الى الاستقالة من نظارة الداخلية فصوّبت سهام المعارضة بعدهُ الى جاويد بك خاصة والى رجال الوزارة عامة والى جاهد بك صاحب جريدة طنين الذي هو المحامي عن جمعية الاتحاد والترقي بقلمه المسموم الذي سمّاهُ بعض ادباء الاستانة من الترك سفيه القوم » (ص ٢٦٨) :

ثمّ اردف جناب السيد انهُ كان وقتئذٍ مقيماً في الاستانة فوقف على غوامض سياسة الجمعية ومخبآت صناديق اسرارها فاستفاد من القوم الجزم بعدّة مسائل ذكر منها ما يأتي قال (ص ٢٦٩) :

١ ان مولانا السلطان متبرّم من القوم وغير راضٍ من الحال العامة وينتظر ان تغيّرها الحوادث الى احسن مما هي عليهِ ولا ازيد على هذا في هذه المسألة

٢ ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي يريدون ان تبقى الدولة في ايديهم يديرونها كما يقرّرون فيما بينهم بزماني حزبهم في مجلس الامّة ورجالهم في وزارات الباب العالي وسائر المصالح يزيدهم في ذلك طائفة من ضبّاط الجيش

٣ يجب على كل وزير او رئيس عمل منهم ان ينفذ كلّ ما تقرّرهُ اللجنة العليا للجمعية في الحكومة

٤ يديرون نظام حزبهم في المجلس بطريقة تجعلهُ آلة في ايدي من فيهِ من زعماء الجمعية كطلعت بك ورحمي بك وجاويد بك وخليل بك ومن بينهم في النفوذ كجاهد بك واسماعيل حقي بك . فاذا اتفق هؤلاء مع لجنة سلانيك على امر جمعوا حزبهم للمذاكرة فيهِ وهو متّفق عليهِ بين الزعماء ومن يقتدون بهِ قبل الاجتماع بمن يعمل اقناعهم . ومن نظام حزبهم انهُ اذا اقرّ الثلثان من حاضري الجلسة فيهِ امرًا وجب على الباقين اتباعهم بغير مناقشة . . .

٥ ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من اعضائها كما ينشرونها في ضبّاط الجيش وقد يكون هذا تمهيدًا لفصل بين السياسة والدين وتجريد السلطان من صفة الخلافة الاسلامية

٦ ان من لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي الى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد بهِ اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الاول والى ابتلاع اصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد

٧ من اهمّ مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة والسلطة في المملكة الشانية للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة الى إضعاف اللغة العربية وإماتتها في المملكة وتتريك العرب مع ابقائهم

ضمناه بالجهل والضغط وذبذبة اللسان ومنع الالبانيين والاكراد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية. وهذا من المقاصد السرّية التي لا يعترفون بها على استعجالهم بتنفيذه بالعمل وبكتابة جريدة طنين

ومن آثار هذه السياسة تلك الحرب الطحون في اليمن والبلاد الالبانية وقد كان من اسهل الامور تنفيذ الاصلاح المعقول في هذين القطرين في ظل السلام والامان

ثمّ عاد السيد محمد رشيد رضا الى ذكر صادق بك وفصّل ما عمله لاستدراك الامر وملافاة الخطر فقال:

كان صادق بك كل هذه المدة بالمرصاد يراقب الحوادث من بُعد لا يحرّك فيها قلماً ولا لساناً. ولا يجرد لها سيفاً ولا يشرع سناناً. حتى اذا ما رأى قوة المعارضين للاتحاديين ووزارتهم من احزاب المجلس قد عظمت ورأى ان اهل الاستقلال والانصاف من حزب الاتحاد تنبو متبرمون من الحكومة ومن تأييد اولئك الزعماء لها ومن سياستهم الماسونية ولوازمها — حتى اذا ما رأى ذلك خانهُ الصبر وعزَّ عليهِ ان يدع الدستور الذي اخذهُ بقوة يمينه والجمعية التي شرَّفها بعمله واخلاصه آلةً في يد هؤلاء الرهط الذين لم يحسنوا التصرف ولم يقيسوا الميزان. فمدَّ يده الى المستقلين المنصفين من حزب الاتحاد وبذل لهم مظاهرته فيما يقيمون به عوج اولئك الافراد ويحول بينهم وبين الاستبداد ويصلحون ما حدث في الامة والدولة من الفساد. فاشتدت عزائمهم وصاحوا في وجوه اولئك الزعماء تلك الصيحة المزعجة. واقترحوا عليهم تلك الاقتراحات المنصفة. فارتفعت اصوات التأييد والتفنيد. فكانت اصوات طلّاب الاصلاح اجهر وعددهم اكثر. فاظهر الزعماء الرضا واجمين. ولبّت اعناقهم خاضعين. ثم ولّوا الى انصارهم مدبرين. ورجعوا الى ضباطهم مستنصرين. فاذا ليث الغاب. قد انكشف عنهُ الحجاب. فنزع حقي باشا الى مولانا السلطان وقال انهُ لا يكون في العاصمة صدران. فاما قبول استقالتي. وإما دفع صادق بك بالتي هي احسن واخراجه من المدينة. ريثما ترد اليها السكينة. فأوحي الى محمود شوكت باشا ان يزيح صادقاً ففعل. . .

وعقّب ذلك جناب الكاتب بذكر المطالب التي قرّرها المصلحون واعلنوها وآخرُها « ان تقاوم مقاصد الجمعيات المؤسسة على السرّ » فكان لهذه المطالب لا سيما الاخير اعني مقاومة الجمعيات الماسونية وقع كبير في النفوس وانكشف الحجاب في اعين كثيرين عن فساد الماسونية فكانت نتيجته تلك الاوامر التي تلاها البرق الى الولايات بان تُقفل المحافل الماسونية في البلاد العثمانية وتُفضّ جمعياتها السرّية (١

---

(١) وقد قرأنا في العدد العاشر من السنة الاولى لمجلّة الصباح التي تُطبع في طنجه (ص ٥) صورة اليمين التي تتحتّم على كل من يدخل في جمعيّة الاتحاد والترقي ليتأتّى لهُ الاطّلاع على اسرار

ثمَّ ما لبث صادق بك ان نشر تصريحاته ردًّا على الذين وصفوه بالرجعي. ومما قالهُ هناك في منعهِ للجند ان ينخرطوا في سلك الماسونيَّة (المنار ص ٣٧٧) ما نصُّهُ:

حبُّ الوطن والغيرة القومية هما مصدر شجاعة الجيش المرابط على الحدود للدفاع عن البلاد والمقيم في البلاد للمحافظة على الدستور ومن هذه الوجهة لا يجوز ابدًا ان يكون للجيش العثماني صلة باللجان الماسونية او غيرها. قد تكون الماسونية نافعة للانسانية (وقد اثبتنا انها لا تنفعها البتَّة بل تضرّها) ولكن ذلك لا يمنع وجوب بقائها في دائرتها الخاصَّة. وليست مقاومتي للماسونية اكثر من الاجتهاد في منعها من الانتشار في صفوف الجند وانا احترم كل عامل من العوامل النافعة للانسانية ولكن يجب ان لا يكون لهذه العوامل علاقة بالسياسة: وقد علَّمتنا التجارب انَّ اجمل عوامل الانسانية عنوانًا كانت تجيء نتائجُ اعمالها معكوسة متى لبست بها اصبع السياسة...»

وقد الحق صاحب المنار هذه التصريحات ببعض الملحوظات استخلص فيها فكر صادق بك فقال من جملتها (ص ٣٧٩): «يجب ان لا يكون للماسونية عمل في سياسة الدولة العمومية وان لا يدخل فيها ضبَّاط الجيش ولا تُنشر فيه» الى ان قال:

«وروح المقال (اي مقال صادق بك) انَّ بعض الافراد جعلوا انفسهم زعماء لجمعية الاتحاد والترقي واحتكروا لانفسهم حماية الدستور وتنفيذه زاعمين انهم هم الذين احدثوا الانقلاب وجعلوا الجمعية عصبيَّةً لبعض الامَّة على سائرها وتزجوها بالماسونية وبنوها على قواعدها وانَّ بعض ضبَّاط الجيش يؤيّدونهم وينصرونهم في سياستهم وانَّ في هذا خطرًا على السلطة»

وهذا الخطر العظيم الذي احسَّ بهِ صادق بك لم يزل يتفاقم امرهُ ويستفحل شرُّهُ حتى حصلت تلك الازمة العثمانية التي كادت تفرض بالدستور الى الاضمحلال لولا قيام العقلاء وتوجيه سهام الملامة على الماسونيَّة جرثومة الفساد. ومما كتبهُ وتنتذر في هذا الصدد امير زاده محمد سعيد (اطلب العدد ٨٠٥ من الاتحاد العثماني) مقالة وصف فيها الفتن الداخليَّة واسبابها وجعل الماسونيَّة في مقدّماتها وجاهر بسرورهِ «أن راى الحكومة قد ادركت خطر الجمعيَّات السريَّة فامرت بحلها» ثم قال:

الجمعيَّة فاذا هي شبيهة بيمين الماسون في بعض امورها فمن جملة ما يقسم عليهِ الداخل قولهُ: «اقسم بديني وشرفي... بان لا ابوح بسرّ من اسرارها... واحلف بانَّني اتمّم بالتدقيق جميع الواجبات التي تُفرض عليَّ واطيع طاعة عمياء الاوامر التي تنديني اليها الجمعيَّة وبانَّني لا اخون مصالحهم ولا احنث بيميني وبانَّني مستعدّ بان افتك بالخونة حالًا عند ما تباغتني الاوامر واقتل كل من يسعى لمعاكسة غاية الجمعية. وبانَّني مستعدّ لتضحية حياتي وتسليم روحي لايدي اعضاء الجمعية الذين لديهم الاوامر بالقبض على كلّ خائن اينما وُجد» كذا!!

« ولا تسَلْ ايها القاري عمّا حصل في افئدة المسلمين من الفرح والسرور لزوال ذلك الميكروب الذي كاد يُهلك الحرّية لولا ان اهلكهُ بارئ الوجود . . . فاليكم ايها المغرورون ارجّه كلامي فقولوا لي كيف تدخلون دخول الاعمى في مثل تلك الجمعيات التي ترعم انّ بعض الرجال العظام قد دخلوها مع انّ عظامهم وذرّاتهم في التراب تتبرّأ من ذلك . . . فارجعوا الى شريعتكم الغرّاء » . . .

ومما ورد في اسباب هذه الازمة قول جريدة الثبات (في عددها ٧٥٨ الصادر في ٤ أيار) قالت بعد كلام طويل تبين دسائس الماسونية :

« ما لا مراء فيه هو انّ المحافل السياسية العثمانية مساءة استياء شديدًا اولًا من تدخل المحافل (الماسونية) في شؤون الدولة وثانيًا من اندماج خصوم الدستور واعداء جمعية الاتحاد والترقي في تلك المحافل نذكر منهم شريف باشا صاحب جريدة « مشروطيت » التي تصدر الآن في باريس وعزّت باشا العابد السكرتير الثاني للسلطان عبد الحميد الموجود الآن في مصر فانّ هذا الرجل وتريد بهِ عزّت العابد دخل في المحفل المصري الذي يرأسهُ حضرة ادريس بك راغب في جلسة استثنائيّة ودفع ١٥٠ جنيهًا مصريًا مساعدةً واحسانًا ثم انتقل الى المحفل الفرنسويّ . وقد عدّت حكومة الاحرار الثانيين ادخال عزّت العابد على تلك الصورة عداء من الماسونية لها وللدستور العثماني ونظر اليهِ المحفل الاكبر في الاستانة شزرًا فحذف اسم ادريس بك راغب رئيس المحافل الماسونية المصريّة من بين اعضائهِ ويعرف كثيرون من الاعضاء انّ اربعة او خمسة من المحافل السوريّة واللبنانية تابعة لهُ . وعلى اثر ذلك اصدر يوسف بك السكاكيني مستشار المحفل الاكبر في الاستانة المقيم في مصر منشورًا ضدّ ادريس بك راغب رئيس المحافل المصرية ونجيب بك المازوري سكرتيره وضدّ شريف باشا وعزّت العابد وغيرهما من خصوم الحكومة الحاضرة الذين انضووا تحت لواء الماسونية متّهمًا اياهم بالمروق والخيانة . فرفع ادريس بك راغب ونجيب بك المازوري دعواهما عليهِ الى محكمة قنصليّة فرنسا . . . فيظهر من كل ما تقدّم انّ الخلاف بين الحكومة والماسونية دائر على نقطتين جوهريّتين وهما تدخّل الماسونية فيما لا يعنيها من شؤون البلاد وبالتالي نصبها نفسها حكومةً ضمن الحكومة . والثاني قبولها اشخاصًا مثل عزّت العابد وهو يد عبد الحميد اليمنى وطريد الدستور العثماني »

فترى ان الماسونيّة العثمانيّة كالسوريّة وكالمصرية وكالاوربيّة وكالاميركية جارية على وتيرتها اعني نصب المكايد وبعث الفتن واضرام نار الفوضى حيثما حلّت . ولا غرو فلا يُجنى من الشوك عنب ولا من العوسج تين . فمن اثمار الماسونية عرفناها ويعرفها كلّ من لا يعمي بصيرتهُ النور

وقد حاول وليّ الدين يكن ان يدافع عن الماسونية العثمانية في فصل نشرهُ في

المقطم في تاريخ ٣ يونيو من السنة الجارية فـاتى بكلام ينقضهُ كلُّ سطر من مقالاتنا السابقة والى اليوم لم يفندهُ ماسونيٌّ واحد بالبرهان ومن اقواله هناك: « لا يشنأ الماسونية سوى معتم او مُقلقس او من كان تبعاً لاحدهما » وقد رأيت انَّ أتباع الماسونية نفسهم يشنأونهـا فضلًا عن اصحاب العمائم والقلانس. ثم قـال « ان الغُلاة في امر الدين يحبُّون الاثرة لانفسهم بالجاه والسلطان فلا ترضيهم احكام الماسونيـة وهي المساواة في الحقوق والحرية المشروعة والاخاء بين الشعوب » وقد ظهر لك باقرار الماسون انَّ كل ذلك كلام فارغ لم يعد احد ينخدع بهِ. ثم قال « ما سمعنا ان ماسونيًا تعرَّض لدين من الاديان » والماسوني كما ثبت لك بنصوص لا تحصى يرى في الدين عدوَّهُ الالد ويقوم في وجه اربابهِ كلما تعرَّضوا لهُ في نياتهِ الخبيثة وينسبهم الى التعصُّب الاعمى والضلال « لانَّ الماسونية (كما اقر وليّ الدين في هذه المقالة) تسعى في محو آثار الضلالات » وهي تعدُّ ضلالًا كل ما لا ترضي بهِ من الاديان وتنسب الى نفسها الحكم الفصل في صوابهِ او فسادهِ

فما اضعف هذا الدفاع عن الماسونية المثانية وهو اشبه باقرار معترفٍ عن ذنبهِ. واصدق منهُ ما كتبهُ صاحب الهدى في عدد ١٧ حزيران في مقالـة عنوانها « الماسونية وكلمتنا الاخيرة » فمما كتبهُ فيها قولهُ عن الدستور والماسونية:

« اكبرُ خطر على الدستور العثماني الماسونية . . . لانَّ الماسونية جمهوريَّة بالاسم تحاول قلب كلّ ملكيَّة وخلافة وسلطنة لنازع معروفة اهمُّها ان يكون من اعضائها رؤساء وقوَّاد وحكَّام. ومع كونها تحاول استبدال كل ملكيَّة بجمهوريَّة فهي في الوقت نفسهِ اخشنُ مستبدَّة واغلظُ ظالمة واقبح مستأثرة لانَّ الجمهوريَّة شورى والماسونية غير شورى وغير شعبية وغير عمومية فهي اذن خطر فوق كل خطر على الدستور العثماني الذي من مبادئهِ صونُ الخلافة »

وقال يصف الماسونية بالعصيان على كلّ سلطة وبالاستبداد الفاحش:

« الماسونية متمرِّدة على كل سلطة . . . حتى تسلّم وتذعن لها بكل ما تريد. ومن اسباب هذا التمرُّد الاستبداد والادّعاء والانانيَّة . . . انَّ الماسونيَّة التي تنتقـد الكثلكة لاعتقادها بالعصمة المشروط فيها التعليم لا تجد حسنًا الَّا في نفسها ولا كاملًا الَّا في فيها . هـذه الجمعيَّة التي تتبجَّح بالحريَّة والاخاء والمساواة لم يقم من ابنائها من يجرؤ على انتقادهـا خوفًا من انتقامها وظلمها فانتفخت بالعجب وتورَّمت بالفساد والاستبداد وعزَّ الشفاء اذ لا طبَّ فيهـا او لانَّ اطبَّاءها جُبناء . . . واكثر اعضائها يميلون الى التراخي وقلَّـة الاكتراث او لانَّ جمهورهم من المتقلقلين والقانطين والمستبيحين المتهوِّرين. قابل ايها القارئ بين اكثر النـاس استبدادًا من رجال الدين

الذين تتخذهم الماسونية هدفاً لرمايتها وبين جمهور الماسونيين فلا تجد ان رجال الدين احوج الى الاصلاح من متقدميهم الذين يحسنون التخريب ولا يقدرون على البنيان »

وللكاتب الاديب في هذه المقالة احكام اخرى جديرة بالاعتبار منها قولهُ في تعصُّب الماسون قال:

« ليس بين طوائف البشر طائفة متعصّبة لما تقول انهُ من مبادئها تعصُّب الماسونيين للماسونية واكثرهم يتعصَّب دون ان يفهم شيئاً من الماسونية . وهذا التعصُّب الذميم الذي تنكر الجمعية انهُ مبادئها هو هو قوام تلك المبادئ »

وقولهُ في لصوصية الماسونية التي تسرق تعاليم الكنيسة وتنسبها زوراً الى نفسها قال:

« ما هي مبادئ الماسونية الشريفة التي لم تسرقها من التعاليم المسيحية ومن كتبها ؟ . . . اذا وُجد من يثبت لنا انَّ في الماسونية مبدأ واحداً شريفاً غير مأخوذ من مبادئ النصرانية فنحن نعتذر علناً ولا نعود نكتب في هذه الجمعية العظيمة الا كل كلمة ثناء . وبهذا القول لا نتناول كل مبدإ للماسونية اذ يوجد لها مبادئ (وهي تخفيها غاية جهدها) ليست مسيحية وليست شريفة »

ثمَّ عدَّد المؤلف التناقض الظاهر بين اقوال الماسون واعمالهم فقال:

« تفتخر الماسونية بمصادرة الخرافات وهي لا تزال عاملة بها فالتنصير والاعتراف مثلاً من الخرافات عند الماسونيين مثل سائر اسرار الكنيسة المسيحية ولكن كل من يعرف شيئاً عن هذه الجمعية القديرة يعرف انَّ في « تمبين » المنتظم في سلكها خرافات حقيقيَّة هي من ذخائر الوثنية . . . والسرّ في سرّ الماسونية اخفاء خرافاتها . . . وترى الماسوني الذي كنَّا نعرفهُ قبلاً مثل كل واحد منَّا يصير بعد الانضمام الى الماسونية غريباً عجيباً في فلسفتهِ وتعصُّبهِ وتصلُّبهِ

« ومن مفاخر الماسونية انَّ اعضاءها راقون وانَّما هي مرقيَّة . ولا مدافعة في رقيّ الكثيرين من الماسونيين الغربيين (!!) كما انهُ لا مشاحَّة من انحطاط الاكثرين من الماسونيين الشرقيين . على انَّ هذا الرقيّ ليس نتيجة التعاليم الماسونية اذ ليس للماسونية اثر جميل من المدارس والمياتم والمعاهد والملاجئ بل هو نتيجة التهذيب المسيحي الذي يظهر الماسونيون بعضهُ . الماسونية لا تبذل مالاً للتهذيب والعالم لم يرَ لها للآن آثاراً تهذيبية حقيقيَّة وما يقال عن المنشئ الفلاني والشاعر الفلاني والعالم الفلاني وانهم خدموا او هذَّبوا فجوابنا انهم لم يدرسوا في مدارس ماسونية وانَّ فضائلهم مستمدَّة من غيرها . الماسونية بركانٌ يقذف الحُمَم ويبعث شيئاً من النور اذ يكون يقذفها الا انَّ الضرر اوفر من النفع بالوف من الاسرار . والماسونية تجمع الاموال ولا تفيد الانسانية بها الا اذا اعتبرنا إنفاقها كثيراً من المال في القتال والجدال من الافادات العمومية . . .

« وكذلك لا نعتقد بوجود حرّية واخاء ومساواة للماسونية نفسها فاذا كان عضوٌ فيها حرّاً

فذلك لانهُ كان من قبل حرًّا وهكذا في الاخاء والمساواة. هذه هي حرّية اكثر الماسونيين السوريين اباحة وتطرّف وهذا هو الاخاء بينهم لفظي لا معنى لهُ اذ انَّ الكثيرين منهم جماهم الماسونيّون بعد ان نُكّبوا وصابوا. . . امّا المساواة فكاذبة وباطلة وفاسدة والبيان انهُ لا توجد كنيسة واحدة مسيحية الّا يستطيع ان يكون كل فقير وصعلوك من ابناء رعيّتها مثل الامبراطور والملك والرئيس والامير اما المحافل الماسونية فلها مرتبات خصوصية ولا يُقبل بها كاعضاء الّا الخاصّة. فهل المساواة الماسونية كذب ام لا؟. . .

« ترعم الماسونية انها انسانية محضة ثم هي تهدّد كل من يبوح بسرّها بالقتل وقد كانت تقتل في وقت من الاوقات الى ان هدّدتها الحكومات المتمدّنة بالالغاء ومنها امريكا. . .

« ومن التناقض مخالفة الشرائع المسيحية لارضاء غيرها. اليك مثلًا تعدُّد الزوجات ورضى الماسونيين به في بلاد ورفضه في اخرى والطلاق الذي هو مثلهُ. والقتل الذي لا يجوز الّا للحكومة وهي تجيزهُ سرًّا للافراد وتنكر اجازتهُ علنًا

« ومن التناقض ادّعاء اطلاق الحريّة الدينيّة مع انَّ في الماسونية نفسها ما يناقض هذه الدعوى فالوهيّة المسيح مثلًا غير مُسلَّم بها في الماسونية كما لا تسلّم بنبوّة محمد ومع ذلك ترى ان هذه الجمعيّة تتظاهر مع كل رجل بدينهِ وتوهم انها من كل دين واذا انضمَّ اليها الرجل اصبح فاتر الدين او قليلهُ او بلا دين على الاطلاق. . . والوقاحة الغريبة هي ادّعاء الماسونيين من النصارى والمسلمين واليهوديين انهم محافظون على اديانهم وهم غير محافظين اذ لا يقدر احد على الايمان والكفر في وقت واحد ولا يستطيع انسان ان يجمع بين النور والظلمة. . . »

ويحسن بنا ان نستطرد هنا فنؤيد قول الهدى بما روتهُ جريدة الاتحاد العثماني فنقلتهُ جريدة البشير في عددها الصادر في ١١ تموز الاخير وذلك ما قرّع بهِ صاحب جريدة الاتحاد العثماني الفاضل رئيسَ المدرسة العلمانية اللادينيّة والماسونية المسيو ديشان لتحامل احد اساتذتهِ على كل الاديان قال:

« اعلم يا حضرة الرئيس اننا نحن معاشر المسلمين كنّا نظن انكم تقدمون العلم للعلم وتحترمون الدين ولا تتعرّضون لهُ بوجه من الوجوه وأحببنا ان نتّفق معكم بشأن مدرسة الصنائع غير انَّ آراءنا فيكم ما لبثت ان تغيّرت فعقدنا النيّة في السنة الآتية على انْ لا نضع في مدرستكم ولا تلميذًا مسلمًا: وكيف يجوز لنا ان نضع اولادنا عندكم وقد قال احد معلميكم « ان محمدًا والمسيح وموسى يجب ان تضعهم في كيس واحد وتلقيهم في البحر » فمن يحتمل هذا الكفر الفاضح وهذا الكلام المهين للرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام »

فلم يجد المسيو ديشان جوابًا ليتنصّل من هذا الملام سوى قولهِ « اراكم تعلّقون الاهمية الكبرى على كلمة صغيرة (!!) قالها المعلم على غير قصد. انهُ قالها على سبيل المزح ليعض تلامذة تأخروا عن دروسهم بسبب بعض اعياد دينية » فيا لهُ من عذر اقبح من

ذنب كما ترى. وليس هـذه اوّل مرّة تحامل على الاديان اصحاب المدرسة المذكورة. وقد نقل البشير شواهد عديدة كفرية عن كتاب احد معلمي تلك المدرسة المسيو ارنو.

ثمّ قال صاحب الهدى عن تناقض الماسونية :

« ومن التناقض ايضاً التظاهر باعتبار المرأة وكلّ يعلم انّ الجمعيّة تحتقر المرأة. فابن الفرق بينها وبين المسيحيّة التي تحترم الامّ والاخت والزوجة والتي كانت الاولى في التاريخ لمساواة المرأة بالرجل لخيره وشرفه وهذّبتها وحرّرتها لشرفه وسعادته ورقّتها وصانتها لترقيته وصونه. الماسونيّة الدّ اعداء روح المرأة واصدق اصدقاء جسدها ! . . .

« ومن التناقض النبيح دعوى التساهل مع ان الماسونية رافعة لواء التعصّب وهازّة سيف الاستبداد ونافخة روح الانانيّة والذاتيّة لأن كل شيء ماسوني حسن وكل شيء غير ماسوني غير حسن. كل كنيسة تجيزها صديقة وكلّ كنيسة لا تجيزها عدوّة. كل دولة تلقي اليها مقاليدها راقية وكل دولة تعمل بالشرائع وتحترم الشعب منحطّة »

فلله درّهُ من كلام مصيب وفيه لباب ما رويناهُ في مقالاتنا السابقة عن الماسونية احببنا نقلهُ ليرى القرّاء ان كل من يختبر الماسونيّة ويطلع على مكنوناتها يحكم فيها حكمنا بل حكم كل ذي عقل ودين

رابعاً الماسونيّة اليهوديّة

من المقرّر الثابت الذي لا يمكن اليوم عاقلاً ان ينكرهُ لكثرة الدلائل على صحته انّ العامل الكبير في ادارة الماسونيّة وجمع كلمتها انّما هو العنصر اليهودي فان الموسويين بما في ايديهم من الاموال الطائلة ولانتشارهم في كل انحاء المعمور ولا سيما لبغضهم المطبق نحو الدين المسيحي اقدر من سواهم على ضبط دفّة الماسونيّة وتدبير امورها

لكنّ الماسونيّة الشرقيّة حتى هـذه الازمنة الاخيرة كانت بايدٍ اجنبيّة لا يكاد يلوح فيها عمل اليهود. فلما أُعلن بالدستور وتمّ الانقلاب العثماني ظهرت اليهودية في اتمّ مجاليها. وكلّ يعلم انّ مركز ذلك الانقلاب انما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون الفاً. فلمّا أُنشئت جمعية الاتحاد والترقي تحت سيطرة الماسونيّة كان للضباط وجندهم القوّة العاملة امّا التدبير لتنفيذ العمل واخراجه الى حيّز الوجود فكان في ايدي الموسويين الذين تعهّدوا بدفع المبالغ الماليّة اللازمة لذلك المشروع . ثم نفذ بالفعل

فاسرع الموسويون وتربعوا مع الضباط في دست السلطة وقاسموهم الغنائم الحميدية. ولما اراد السلطان السابق ان يتخلص من ربقة الدستور وجرى من الحوادث ما جرى في اواخر نيسان سنة ١٩٠٩ أرسل الى عبد الحميد وقد يؤذنهُ بالخلع وكان من جملة الساعين بالامر رئيس محفل الماسون في سالونيك وهو يهوديّ مع احد المسلمين اليهود

ثمَّ تعاظمت بعد ذلك حركة الموسويين حتى لستاء منها المحافظون وقاوموها بعزم ادّى الى سقوط جاويد بك والى وضع حدود لعمل بني اسرائيل. ودونك بعض ما نقلتهُ وتنشر الاهرام عن جريدة « المورنن بوسط » قالت:

« تمثلت جمعية الاتحاد والترقي بعد خلع عبد الحميد باخلاق الماسونية واليهودية ولبست ثوبها. ولما حدثت ثورة ابريل ١٩٠٩ نالت العناصر اليهودية اهميَّة أكبر. فجاويد بك وزير المالية وطلعت بك وزير الداخلية السابق ورئيس الجمعيَّة وجاهد بك محرّر طنين ومستشار جاويد بك المخصوصي كلهم ماسون واولهم من سلالة يهودية فاستاء ضبَّاط الجيش والاتراك كثيرًا لتفوّق بعض الافراد الذين ليسوا اتراكًا حقيقيين والذين تُحسب علائقهم مع يهود اوربا سهلة لنشر الجامعة الصهيونية ويعتقد الاتراك ان الغرض من الجامعة الصهيونية هو تأليف مملكة يهودية في اسيا الصغرى ويتوجَّسون من المستعمرات اليهودية المنشأة في سوريا ويخافون ان تكون مراكز لنفوذ الاجانب ولاسيَّما الالمان منهم. ذلك لأنَّ الاتراك لاحظوا منذ امد طويل انَّ اليهود ولاسيَّما الاشكنازيين منهم اي اليهود البولانديين (البولونيين) والروسيين والالمانيين انَّما هم من محبي الدولة الالمانية. ولمَّا قامت منذ مدَّة المشكلة بين الحكومة الايطاليَّة والباب العالي بشأن طرابلس الغرب أرسل السنيور لوتراتي اليهودي الذي كان رئيس الوزارة حينذاك رسولًا يهوديًّا ايطاليًّا ماسونيًّا الى العثمانيَّة لكي يسعى لمصلحة ايطاليا مستخدمًا الوسائل الماسونية لبلوغ مناه ويقال انَّ مهمَّتهُ لم تنجح لان النفوذ الالماني اليهودي كان اقوى

« ومن اهم عوامل النفوذ الالماني في الاستانة « سامو هشبورغ » وهو يهوديّ اشكنازيّ ماسونيّ ومحرّر جريدة « عثمانيتشر لويد » وهو قد نصب نفسهُ مدافعًا عن جمعيَّة الاتحاد والترقي

« وبسبب تأييد الجرائد المتنازية والنمساويَّة والالمانية وغيرها لنفوذ اليهود والماسونيَّة ومطالبهم لم تظهر لاوربا المظالم التي لحقت بالنصارى في مكدونيا في الخريف الفائت حتى فات الوقت ولم يُعد الضغط على الحكومة العثمانية نافعًا مع ذلك الحيف. ولا ريب ان ما عرفتهُ اوربا عن تلك المظالم كان بواسطة غير يهودية بل بالوسائط المضادَّة لليهود

« ولذلك استيقظ حزب الاتحاد والترقي وتنبَّه لحرج الموقف . . . ووجه صادق بك كل همَّتهِ لمقاومة جاويد بك وزير المالية الذي ساءت بهِ الظنون لوفرة علائقه بالمضاربين ولاسباغهِ النعم على آلهِ وصحبهِ وغيرهم من اليهود المسلمين . . . ويعتقدون ان سبب خوض حركة تركيا الفتاة وسقوطها عدم اعتدال اليهود الاتراك سواء كانوا مسلمين او بقوا يهودًا احرارًا فهم يحاولون ان يحصلوا على نفوذ كبير من غير ان ينكروا بان سعيهم هذا يثير غيرة الاتراك

وحدهم. واعظم غلطة ارتكبوها اعم رضوا بان كاراسو افندي (الماسوني اليهودي) يكون من الوفد الذي حمل الفتوى الى عبد الحميد بخلعه. وقد ارتكبوا بعدها عدة اغلاط والآن صارت الاغلاط تبدو وتظهر...»

ومن اشاروا الى عمل اليهود في الماسونية السيد محمد رشيد رضا في المنار (١٤: ١٨٠) قال:

«وقد كان المؤسسون لها (اي الماسونية) والعاملون فيها في اوربا من النصارى واليهود. واليهود هم زعماؤها واصحاب القدح المعلى فيها... وكذلك كان اليهود اكثر الناس انتفاعاً من الانقلابات التي سعت اليها الماسونية في اوربا وسيكونون كذلك في البلاد العثمانية اذا بقيت سلطة الماسونية على حالها في جمعية الاتحاد والترقي وبقيت ازمة الدولة في يد هذه الجمعية وهم يسعون مثل هذا السعي في الروسية ولكن الحكومة الروسية واقفة لليهود بالمرصاد ولا يزالون يتجرعون في بلادها زقوم الاضطهاد»

وقد افادنا جنابه سابقاً ان زعماء جمعية الاتحاد والترقي من شيعة الماسون «وان من لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة» (اطلب ص ٦١٠)

فهذه الشواهد عن الماسونية اليهودية في تركيا جاءت مؤيدة لما نعرفه من سيطرة اليهود على الماسونية في اوربة واميركة ولو اردنا بيان الرابطة الوثقى التي بين الماسونية واليهودية لطال بنا الكلام ونكتفي لبيان ذلك بهذه الملحوظات:

١ ان كثيراً من الرتب والطقوس الماسونية تنبعث منها رائحة اليهودية بل معظمها يشير الى عادات يهودية واخبار يهودية والفاظ يهودية (عبرانية) وغايات يهودية. قال احد كبار كتبة العصر السابق المسيو دي لابينوا (H. de l'Epinois) في مجلة المباحث التاريخية في نيسان سنة ١٨٨٢: «ليست بعلاقة اوثق من علاقة الماسونية واليهودية فان ذوي النظر لدى مشاهدتها لا يتمالكون عن هذا الحكم او ان الماسونية تحولت الى اليهودية او بالحري ان اليهود «تمنسنوا» لادراك غاياتهم الخبيثة»

٢ ان زعماء الماسونية لا سيما الخفيين منهم هم غالباً من اليهود

٣ ان الامور التي تسعى في تنفيذها الدول المنقادة الى الماسون واليهود هي امور طالما دافع اليهود عنها سواء كان في امور الدين او في المالية او في المعارف العمومية لهم فيها السهم الافوز

٤ ان كثيراً من الاوراق الماسونية السرية التي اكتشفت عليها الحكومات في ايطالية والنمسة وفرنسة وغيرها انما كانت بقلم يهود

فهذه واشياء كثيرة غيرها لا تبقي في الامر ريباً قد بيّنها السيد مورين(Meurin) في كتابهِ الذي اشرنا اليهِ . وقد عاد كثيرون من بعدهِ واتسموا في هذا البحث حتى صار الامر اجلى من النور . اطلب ايضاً كتاب الكاتب درومون (L. Drumont) في فرنسة اليهودية (La France juive) وكتاب جمعيّة القديس اوغسطين الذي عنوانهُ يهودية وماسونية (Judaïsme et Franc-maçonnerie) تجد ما يرشدك الى الصواب في ذلك وتعلم مبلغ النصارى والمسلمين من الجهل اذ ينتظمون في سلك جماعة يديرها اليهود الدّ اعداء دينهم وتسعى في تقوية العنصر اليهودي وتنفيذ المآرب اليهودية !!! (لها بقية)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الخامس

النصرانية في اليمن

فلندعنَّ طور سينا لنتحدر الى اطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقيّ حيث نلقى بلاداً واسعةً كثيرة الخيرات وافرة الاسباب تمتدُّ بين بحر القلزم وبحر الهند فيها السهول الرحبة المخصبة والجبال الطيبة الهواء الغنيَّة بالمعادن وبالاشجار النافعة كالكروم والبنّ والورْس واللُّبان او الكُندُر . فتلك البلاد سكنتها امم عديدة تزاحمت فيها وتنازعت على ملكها وتركت فيها آثاراً عظيمة من ابنيتها كهياكل وقصور اشهرها قصرا غمدان وريْدان وكانت تلك الشعوب من عناصر شتّى وقبائل مختلفة منها كوشيَّة ومنها ساميَّة . وبلاد اليمن تشمل عدَّة اعمال ومخاليف كأسير ومَهرة وحضرموت والشحر ومن مدنها الشهيرة مأرب ذات السدّ قاعدة تبابعة اليمن ومن

حواضرهم ايضاً ظفار وصنعاء ونجران وزبيد وذَمار وعَدَن كلها قصبات شهيرة حافلة بالسكّان دارَّة المرافق. وكانت لغتها من اللغات الساميَّة تُدعى بالحميريَّة لها قلم خاصّ يُعرف بالمُسند وجد منها الاثريُّون المحدثون كتابات عديدة يرتقي بعضها الى الازمنة السابقة لتاريخ الميلاد بنحو من السنين تدلُّ على انَّ اهلها كانوا يدينون بالصابئيَّة ويكرمون القوّات العلويَّة والنيّرات السماويَّة والسيّارات السبع وكان التملّك على اليمن في اوائل تاريخ الميلاد ملوك من حمير يتلقَّبون في الكتابات المكتشفة حديثاً في جنوبي جزيرة العرب « بملوك سبإ وذي ريدان » ولمَّا استولى ملوك حمير على بلاد حضرموت نحو السنة ٣٠٠ للمسيح اضافوا الى القابهم « ملوك حضرموت ويمانات » (١

لا مراء انَّ النصرانية منذ بزوغها وجّهت انظارها الى اليمن كما يشهد عليه اقدم الكتبة الغربيين والشرقيين حتى انَّ بعض الآباء زعموا ان المجوس الثلاثة الذين سبق ترجيحنا لجنسهم العربيّ كانوا من اليمن وماتوا شهداء في صنعاء بعد ان عمَّدهم القديس توما قبل سفره من عدن الى الهند (٢

ومن الرُّسل الذين يُنسب اليها التبشير بالمسيح في اليمن متى الرسول فانَّ اوريجانس في كتابه الذي ردَّ فيه على الامم ومثلهُ المؤرخ سقراط (ك ١ ف ١٥) وروفينوس في تاريخه (ك ١ ف ٩) والقديس هيرونيموس في تأليفه عن الكتبة الكنسيين ونيقيفوروس في تاريخه (ك ٢ ف ٤٠) كلهم يؤكدون بانَّ متى الرسول بشَّر في جهات الحبش وادَّعى المحدثون بان اسم الحبش يطلق ايضاً على اليمن وهو اسمٌ شاع عند القدماء فسمَّوا به تلك الناحية لانَّ الحبشة كانوا استولوا مدَّة طويلة على اليمن ولأنَّ قبائل من الحبشة كانت اجتازت من سواحل الحبش الى اليمن وهذا القول لا يخلو من الصحَّة لان القدماء ربَّما دعوا اهل اليمن بالحبش منذ عهد هيرودوتس واسطرابون (ك ١ ص ٥١ من طبعة اوكسفورد) الَّا انَّ معظم الكتبة لا يسلّمون بذلك ويزعمون انَّ القديس متى بشَّر حبشة افريقية ليس عرب اليمن

(١ اطلب دائرة العلوم الاسلامية (Encyclopédie de l'Islam, p. 383)

(٢ اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XXI, 230)

وسبق لنا ذكر القديس برتلماوس ودعوتهُ للعرب فانَّ الكتبة القدماء كاوريجانوس واوسابيوس القيصري (في التاريخ الكنسي ك ١ ف ١٠) وسقراط المؤرخ زادوا على تعريفهم للعرب بقولهم انَّ الرسول برتلماوس بشَّر بالمسيح في الهند القريبة يريدون بها اليمن لانَّ اسم اليمن كان مجهولاً لديهم فسمَّوها بالهند القريبة معارضةً بالهند الشرقيَّة ما وراء البحر الهندي. ثم انَّ المؤرخ فيلوستوجيوس (ك ٢ ف ٦) وتاوفانوس في تاريخ سنة العالم (٦٠٦٤) وتاوفيلاكتوس (ك ٣) يدعون الحميريين بالهنود. وزاد بعضهم ايضاحاً فقالوا ان برتلماوس بشَّر بني سبأ. وفي الميناون المنسوب الى الملك باسيل يقال انهُ بشَّر لهنود العربيَّة السعيدة وهي اليمن كما لا يخفى

وقد رأيت آنفاً انهم ينسبون ايضاً دعوة النصرانيَّة في بلاد العرب الى القديس توما قبل سفرهِ الى الاقطار الهنديَّة. وقد ارتأى هذا الرأي القديس غريغوريوس النزينزيّ في ميمره عن الرسل. ومثلهُ تاودوريطس في كتابهِ عن الاناجيل (ك ٩) وبعض كتبة السريان

ومن الشواهد الجليلة التي توقفنا على دخول النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى لتاريخ الميلاد ما رواه اوسابيوس القيصري (ك ٥ ف ١٠) ومثلهُ هيرونيموس (Hieron., de vir, illustr. c. 36) عن احد العلماء الاسكندريين في النصف الثاني من القرن الثاني للمسيح: ألا وهو پنتانوس الفيلسوف فانَّ هذا كان من الفلاسفة الرواقيين جحد الوثنيَّة وتنصَّر وعهد اليهِ دمتريوس اسقف الاسكندريَّة التدريس في مدرسة الاسكندريَّة ففعل واحرز لهُ شهرةً واسعةً بالتعليم الديني وعنهُ اخذ اوريجانوس المعلم الكبير فپنتانوس المذكور نحو السنة ١٨٣ للمسيح تنزَّل عن التدريس وسافر الى الهند ليبشر فيها بالدين النصرانيّ. وقد اتفق المؤرخون على انَّ الهند المقصودة هنا هي المجاورة لمصر اعني بلاد اليمن كما سبق

قال اوسابيوس : « فبلغ پنتانوس تلك الجهات ودعا الى النصرانيَّة اهلها فاوقفوهُ على انجيل مخطوط بالعبرانيَّة (١ للقديس متى كان اتى بهِ اليهم القديس

---

١) يراد بالعبرانية اللغة الفلسطينيَّة التي كانت شائعة في ايَّام السيد المسيح وهي من فروع الاراميَّة

برتلماوس الرسول واودعهُ عندهم » وفي هذا القول شهادة على ما سبق بالدعوة النصرانيَّة في جهات اليمن منذ عهد الرسل

هل كان لدعوة پنتانوس في اليمن تأثير في اهل تلك البلاد ؟ ذلك امر لا يمكن القطع بهِ وانَّما هو محتمل بل مرجَّح ففي وجودهِ بين القوم الجيلًا قديمًا دليل على ان النصرانية التي بشَّر بها برتلماوس الرسول لم تمت بينهم . ويؤخذ من رواية اوسابيوس انَّ الاستاذ الاسكندري عاد الى وطنهِ راضيًا شاكرًا لم يذهب تعبهُ سُدًى . ولعلَّهُ لم ينسَ اولئك الموعوظين فأمدَّهم برسلين يجاورونهُ في عملهِ . وكما هاجر بعض النصارى المصريين في زمن الاضطهادات الى جهات سينا وبادية الشام على ما روى المؤرخون يجوز القول ايضًا بانَّ قومًا منهم هاجروا الى اليمن لا سيما في عهد دقيوس وديوقلطيانوس فنشروا دينهم فيما بينهم

ومما يُستدل اليهِ من تواريخ العرب كالطبريّ وسيرة الرسول لابن هشام والمسعوديّ وغيرهم انَّ النصرانية واليهودية اخذتا في النزاع والمخاصمة منذ اواسط القرن الثالث للمسيح . وبلغ الخصام الى اعيان الدولة وملوكها . فيخبرون ان التُّبع اسعد ابا كرب تهوَّد على يد ربَّانيَّين من يثرب وحمل اهل رعيَّتهِ على التهوُّد وتبعهُ في امرهِ بعض اولادهِ بعدهُ لكنَّ النصرانيَّة فازت في عهد عبد كلال بن مثوَّب

وقيل ان عبد كلال المذكور ملك في القسم الثاني من القرن الثالث (١ منذ نحو السنة ٢٧٣ للمسيح الى ٢٩٧ وقد جعل حمزة الاصفهاني ملكهُ (ف ١٣١ طبعة بطرسبرج) اربعًا وسبعين سنة . وقد اتفق المؤرخون على تدينهِ بالنصرانيَّة . جاء في القصيدة الحميريَّة

ام أبن عبد كُلالٍ الماضي على دين المسيح الطاهر المسَّاحِ

وقال الطبريّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ج ١ ص ٨٨١) :

وملك بعد عمرو بن تبع عبدُ كُلال بن مثوَّب . . . فاخذ المُلكَ عبد كُلال . . . وولية بسنّ وتجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الاولى وكان يسرّ ذلك من قومهِ وكان الذي دعاه اليهِ رجلٌ من غسَّان قدم عليهِ من الشام فوثبت حمير بالغسَّاني فقتلهُ

---

١) اطلب تاريخ العرب لكوسان دي پرسڤال (C. de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 107)

ثمَّ عاد من بعدهِ عبد كلال الى اليهوديَّة اخلافهُ . هذا ما يُستخلص من تواريخ العرب الَّا انَّ هـذه التواريخ سقيمة جدًّا ولاسيما تاريخ حمير . قال حمزة الاصفهاني (ص ١٣٤): « ليس في جميع التواريخ لسقم ولا اخلّ من تاريخ الاقيـال ملوك حمير »

ومما وجد من الكتابات الحجرية الحميرية في اواسط القرن الماضي (CISI. 6) كتابة فيها اسم عبد كلال وامرأتهِ ابعلي وولديهِ هني وحطل نقشوها تذكارًا لبناية دار يدعونها « يوث » شيَّدوها « برضى الرحمان » وذلك في شهر ذي خرف من السنة (الحميريَّة) ٥٧٣ الموافقة للسنة المسيحيَّة ٤٥٨ . فذكرُ الرحمان من الادلة على توحيدهِ او نصرانيَّتهِ

ومن الآثار التاريخيَّة اليونانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في اليمن ما رواه المؤرخ الاريوسي فيلوستوجيوس من كتبة القرن الرابع واوائل الخامس . فكان هـذا من قبّاذوقية وكتب تاريخًا في اثني عشر كتابًا دافع فيهِ عن اعمال الاريوسيين مباشرة من السنة ٣٠٠ الى ٤٢٥ وتاريخهُ مفقود الَّا ما نقلهُ عنهُ فوطيوس البطريرك القسطنطيني في مكتبتهِ يبلغ نحو ثمانين صفحة (١ ومما رُوي هناك (٢ ان الامبراطور قنسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير المتشيِّع للاريوسيَّة ارسل نحو السنة ٣٥٦ وفدًا من الرومان الى الحميريين في اليمن وكان يترأس الوفد تاوفيل الهندي من جزيرة سرنديب اي سيلان . فرحل هذا الى بلادهم ودخل على الملك وقدَّم لهُ الطافًا وهدايا فنال لديهِ الحظوى وبشَّر هناك بالدين المسيحي واسترخص بتشييد الكنائس بل جادل اليهود الذين وجدهم في بلاط الملك واقنع الملك بالحجج الدامغة عن صحة النصرانيَّة حتى نصَّرهُ . وشيَّد تاوفيل ثلاث كنائس : الاولى في حاضرتهم ظفار والثانية في عَدَن على ساحل الاوقيانوس (الهندي) حيث كان ينزل الرومان للمتاجرة والثالثة في فرضة عند مدخل خليج العجم يظنونها هرمز وعيَّن للمتنصرين رئيسًا ثم رحل . هذا ما رواه فيلستوجيوس الَّا انَّ تشيُّعهُ للاريوسيَّة حدا به الى القول انَّ النصرانيَّة لم تدخل بلاد العرب قبلهُ والامر على خلاف ذلك كما رأيت . والمؤرخون يرون انَّ

١) اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., LXV, col. 459-637)

٢) فيهِ (Ibid. 482-485)

الاسقف الذي امضى اعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم « يوحنا اسقف الهند » انما كان اسقفاً على اليمن وقد سبق انَّ اسم الهند كثيراً ما أُطلق على اليمن. وكذلك قد بيَّن العلّامة المستشرق السنيور ك. روسيني (١ انَّ الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفده الى ملك حمير امراً دينياً محضاً وانما اراد ان ينهج للرومان طريقاً تجاريَّة في البحر الى اليمن ويعقد محالفةً مع الحميريين ضدَّ الفرس وملكهم سابور الثاني. امّا اسم الملك المتنصِّر على يد تارفيل في اليمن فلم يذكرهُ المؤرخ فيلستورجيوس ولعلهُ مرثد بن عبد كلال المالك على ما يُظنّ من السنة ٣٣٠ الى ٣٥٠ وقد اطرأ الثعالبيّ في طبقات الملوك حلمهُ وحبهُ للفقراء وحكمتهُ وتساهلهُ وقال عنهُ انهُ لم يشأ ان يقلق رعاياه بسبب دينهم. او هو وليعة بن مرثد الذي تعصب اوَّلاً لليهوديَّة ثمَّ عدل الى النصرانيَّة. وقد جاء للفيروزابادي ما يؤيد نصرانيَّة هؤلاء الملوك حيث قال « انَّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

وممَّا يشهد على ثبات المعاهدة التجارية المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنَّهُ تاردوسيوس الكبير في تلك الاثناء نظَّم فيهِ امور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة من الاسكندريَّة (٢

ومن الشهود على نفوذ النصرانيَّة في اليمن القديس هيرونيموس فانهُ غير مرَّة ذكر بين المتنصرين اهل الهند والحبشة. من ذلك رسالتهُ الى مارسلّا الرومانيَّة (Migne P.L., XXII. 489) حيث يعدّد فئات المتقاطرين لزيارة الاراضي المقدَّسة وكانهم على ايمان واحد ممَّن كان يشاهدهم ويحادثهم فجعل في مقدَّمتهم العجم والارمن وعرب اليمن الذين دعاهم باهل الهند والحبشة. وكذلك كرَّر قولهُ في رسالتهِ الى السيدة ليتا (Ibid., XXII. 875) وخصَّ بالذكر « رهبان الهند » اي اليمن كما قلنا

وفي ترجمة القديس سمعان العمودي التي كتبها تاودوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرَّة بين الذين قصدوا القديس على عموده عرب حمير وقد رآهم تاودوريطس

١) الطب اعمال اكادمية لينشاي (Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei, *Aprile*, 1911, p. 715)

٢) الطب الدستور التيودوسي (Code Theodosien IV, p. 616, *de legatis* l. XII, tit. XII, 2)

عياناً قال (Migne P. G., LXXIV. 104) « ولا يتزاحم حول سمان اهل بلادنا فقط بل يأتيه جموع من الاسماعيليين والعجم والارمن والكرج والحميريين » وكذلك كتب انطونيوس تلميذ القديس (Ibid., LXXXII, 328): « قد نصّر سمان العمودي اناساً عديدة من الشرقيين (السراكسة) والعجم والارمن والاسكوتيين وذوي القبائل ». وقد صرّح باسم تلك القبائل قدونيوس المؤلف فقال انهم « الحميريون »

ثمّ انّ النصرانيّة لم تدخل فقط الى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ولكن نفذت اليها من جهات الشمال وخصوصاً من العراق فمن المعلوم انّ ملوك الفرس كانوا يسعون في مخالفة ملوك اليمن ويتقرّبون الى اهلها ليستعينوا بهم على ردّ غارات الرومان. وكذلك ملوك اليمن والحبشة ربّما اوفدوا الوفود الى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات كما روى المؤرخون (١

وكانت القوافل تسير ذهاباً وايباً من العراق الى اليمن ومن اليمن الى العراق فالنصرانيّة التي كانت بلغت في الشمال مبلغاً عجيباً ما كانت لتهمل هذه الوسائط لنشر الدين المسيحي في الجنوب. ومن التقاليد الشائعة عند الكلدان ان رسولَي الكلدان الاوّلين ادّي وماري سارا ايضاً الى بلاد العرب سكّان الخيم والى نجران وجزائر بحر اليمن (٢

وجاء في المصحف الناموسي (ص ١٨): « وبشّر الجزيرة والموصل وارض السواد كلها وما يليها من ارض التيمن كلها وبلاد العرب سكّان الخيم والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين ». والى هذه البشارة في اليمن اشار القديس افرام في القرن الرابع حيث قال في احد مياموره : « جاءت ملكة التيمن (سبأ) الى سليمان ونالت من نوره شعلةً استضاءت بها وبقيت تلك الشرارة مخبوءة تحت الرماد الى ان ظهرت شمس العدل السيد المسيح فاتقدت تلك الشرارة حتى اصبحت نجماً زاهراً ينير اليوم تلك الانحاء. »

---

١) اطلب منشورات لند السريانية (Land: *Anecdota Syriaca*, II, 76 et seqq)

٢) اطلب كتابي فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري (طبعة رومية ص ٢) والمجدل لعمرو بن متى الطيرهاني (ص ١)

وما لا ينكر ان النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الاسلام وانشأوا عدّة كنائس وكان لهم فيها اساقفة اتوها من قبل جاثليق المشرق اصحاب كرسي المدائن وبقوا فيها بعد الاسلام مدّة كما سترى. وقد ارتأى العلّامة دي ساسي في احدى مقالاته (١ انّ نصارى الشمال من اهل العراق كانوا يتردّدون الى اليمن وانّهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانيّة بدلًا من الخطّ المسند الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقيّة (Assemani, BO, III[1], 603) انّ اللغة السريانيّة كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر المؤرخ فيلستورجيوس انّ في زمانه كانت مستعمرات اخرى سوريّة احتلّت سواحل افريقية بازاء بلاد العرب وانّ اصحابها كانوا يتكلمون بالسريانيّة. وقد جاء في كتاب كشف الاسرار في بيان قواعد الاقلام الكوفيّة « ان القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري » ولعلّه اراد بذلك شبهه بالقلم السرياني. وقال هناك انّ آل « طسم وقحطان وحمير » كانوا يكتبون به

*

ومن اعظم الشواهد التي اثبتها العرب على دخول النصرانيّة في اليمن ما رواه الطبري في تاريخه (٢ وياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧٥٢) وابن خلدون في كتاب العبر (٢ : ٥٩) وابن هشام في سيرة الرسول (ص ٢٠) وغيرهم انّ اهل نجران وهي من امّهات مدن اليمن تنصروا جميعهم. وقد ذكروا الخبر في كلام طويل خلاصته انّ رجلًا من بقيّة اصحاب الحواريين « يقال له فيمون وقالوا قيمون وقالوا ميمون (٣ من افضل الناس عبادة واعرقهم في اعمال الصلاح كان سائحًا تجري على يديه الكرامات والمعجزات وصل في سياحته الى بلاد غسّان فتبعه رجلٌ من اهل الشام اسمه صالح فتوغّلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيّارة وباعوهما بنجران واهلها حينئذٍ من بني الحارث بن كعب المنتمين الى كهلان يعبدون العزّى على صورة النخلة

(١ طلب (Mémoires des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266)

(٢ اطلب تاريخه (طبعة ليدن) ج ١ ص ١٨

(٣ وفي تاريخ فطاركة المشرق لسليمان بن ماري (ص ٢٢) انه كان يُدعى حيّان كان اصله من نجران تنصّر في الحيرة وعاد الى وطنه فتنصّر على يده خلقٌ من حمير والحبشة

فاوقف فيميون سيِّدهُ على بطلان الشرك بما صنع لديهِ من الآيات ولا سيما اذ دعا ربَّهُ في يوم عيد العزَّى فارسل الله ريحاً جعفت النخلة من اصلها فعرف اهل نجران صحة دينهِ ودانوا بدين المسيح. وجعل فيميون عليهم رئيساً احد اشراف المدينة عبدالله بن الثامر ورعاهم اسقفٌ كان يُدعى بولس

واقام اهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم الى اليهوديَّة احد ملوكهم اسمهُ ذو نوَّاس كان متعصباً لدين اليهود فأبى النجرانيون اتباعهُ في ضلالهِ وكان رئيسهم اذ ذاك اسمهُ الحارث واستعدُّوا للدفاع عن بلدهم الَّا انَّ ذا نوَّاس دخلهُ بالمكر وحفر اخاديد (اشار اليها في القرآن) احرقها ناراً وألقى فيها على ما روى ابن اسحاق عشرين الفاً من النصارى او يزيدون ماتوا في سبيل ايمانهم مع الحارث رئيسهم

على انَّ الخبر لم يلبث ان نما الى قيصر الروم بواسطة رجل من اهل نجران فرَّ هارباً يُدعى دوس ذو ثعلبان فاستنصرهُ على ذي نوَّاس فامر القيصر النجاشيَّ أَلِصْبان ملك الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل وارسل جيشاً مع ارياط وابرهة الاشرم فناجزوهُ القتال وظفروا ببلادهِ ومات الطاغية غرقاً. واتمَّ الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اثنتين وسبعين سنة كان اوَّل ملكهم ارياط (٥٢٥) ثم ابرهة الاشرم (٥٣٧ — ٥٧٠) ثمَّ ابنهُ يكسوم (٥٧٠ — ٥٧٢) ثمَّ مسروق (٥٧٢ — ٥٧٥). امَّا الملوك الحميريُّون فبعد موت ذي نوَّاس حاول احدهم المسمَّى ذو جدن ان يضبط زمام الملك لكنهُ قُتل في حرب الحبشة ولم يعودوا الى الملك الَّا في زمن سيف ابن ذي يزن الذي استعان بالفرس واخرج الحبش من اليمن وملك هو وابنهُ معدي كرب. ثمَّ انَّ الفرس لم يلبثوا ان عدُّوا سيطرتهم على تلك البلاد وجعلوا عليها عمَّالاً كان اوَّلهم وهرز (٥٩٧) ثمَّ بَذْهان وفي زمنهِ فتح المسلمون نواحي اليمن

هذا ملخَّص ما جاء في تواريخ المسلمين وقد ايَّدتهُ في امورهِ الجوهريَّة التواريخ اليونانيَّة والسريانيَّة كتاريخ الحرب الفارسية لبروكوبيوس الغزي Procop., de Bello Pers. I, c. 20) وتاريخ يوحنَّا المعروف باسقف آسية (Assemani, BO, II, 83) وتاريخ تاوفانوس (ج ١ ص ٣٤٦ من طبعة بونَّا) وتاريخ يوحنَّا ملالا (ص ٤٣٤ من الطبعة عينها) فكلُّ هؤلاء ذكروا امور الحبشة وما جرى من الحروب بين ملكها وملك حمير اليهودي بسبب قتلهِ لنصارى نجران. وفي رواياتهم بعض افادات

عن ذي نوَّاس الـذي يدعونهُ دمنوس او دميانوس وعن القيصر يوستينوس الذي انتصر للمظلومين وبعث الحبشة لمحاربة ملك اليمن . وكان على الحبشة ملك يدعونهُ أليباوس (Elesbaas) او ألصبان وصحفهُ غيرهم باليستاوس من احكم الملوك واعرقهم في الدين النصراني . وهم يقولون انَّ اسقف نجران المدعو بولس كان توفي قبل هجوم ذي نوَّاس عليها وانَّ الملك اليهودي بعد ظفره بنجران انتهك حرمة قبره

امَّا استشهاد اهل نجران على عهد ذي نوَّاس فقد وصفهُ المعاصرون منهم شمعون اسقف بيت ارشام الذي سمع في العراق الخبر من شهود عيانيين فدوَّنهُ في رسالة نشرها السمعانيّ في المكتبة الشرقيَّة (BO, I, 364-79) وكذلك ليعقوب الرهاوي فيهم ميمر نشرهُ الاب بيجان (Acta Martyrum I. 372-97) ثمَّ نشر البولنديُّون اعمالهم في اليونانيَّة عن نسخة قديمة في تاريخ ٢٤ ت ١ (Act. SS. X, Oct. 750 — 780) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة عربيَّة من هذه الاعمال نقلناها عن مخطوط قديم

ومن الآثار الكتابيَّة التي نُشرت حديثاً واتتنا بفوائد جديدة عن دخول النصرانيَّة في نجران اعمال القديس « ازقير » بالحبشيَّة من مخطوطات خزانة الكتب الشرقيَّة في لندن فنشرها لاوَّل مرَّة الاستاذ الايطالي الفضال كنتي روسيني (١ وخلاصتها انَّ « ازقير » كان كاهناً نصرانياً دعا الى دينهِ اهل نجران فامر الملك شرحبيل بن ينكف بحبسهِ لكنهُ نجا من الحبس وعمَّد كثيرين وتبعهُ رجلٌ يدعونهُ قرياقوس واجتمعت عليهِ اليهود فقتلهم جهاراً وقُضي عليهِ آخراً بقطع الرأس مع ٣٨ آخرين وعيدهُ في الكالندار الحبشي واقع في ٢٤ من شهر خدار (٢٠ ت ٢)

فكلّ هذه الآثار بيَّنت انتشار النصرانيَّة في اليمن . ولم يزدها اضطهاد ذي نوَّاس واليهود الَّا نموًّا لانَّ ملك الروم ونجاشي الحبش القديس ألصبان ما فتئا ان ارسلا جنوداً الى اليمن انتقمت للمظلومين وكسرت شوكة اليهود في تلك الانحاء

وقد اتتنا في هذه الحقبة الاخيرة شواهد جديدة غير منتظرة ألا وهي كتابات يونانيَّة وحبشيَّة وحميريَّة اكتشفها الاثريُّون وهي تبيّن ما كان من النفوذ للحبشة في

(١ اطلب مجلة لينشاي (Rendic. d. reale Accad. d. Lincei 1910, ser, V. vol. XIX p. 705-750) ويظن الكاتب انَّ ازقير هذا هو فيمون والله اعلم

بلاد اليمن . فاليونانية اكتشفها في اكسوم الرحّالة الانكليزي هنري سَلت (H. Salt) كتبها « أيزن ملك اكسوم والحميريين وريدان والحبش والصابئة وزيلع وتهامة وبغيث وترقال ملك الملوك ابن الاله المريخ غير المغلوب » يصف فيها انتصاره على اعدائه البغيثيين . وتاريخ هذه الكتابة اواسط القرن الرابع يظهر منها انّ ملوك الحبشة الوثنيين كانوا استولوا مدّة على اليمن والحميريين

ومن الكتابات الحبشيّة كتابة وقف عليها المرسل الايطالي يوسف سابيتو (G. Sapeto) في اكسوم ايضاً ثمّ نشرها وفسّرها وهي للملك النصراني « تازينا ابن الاعميدا ملك اكسوم وحمير وريدان وسبا الخ » افتتحها بذكر الاسم الكريم « خالق السماء والارض الرب الازلي » . وكان تازينا المذكور ملكاً نحو السنة ٥٠٠ ومن كلامه يظهر انّ ملوك الحبشة لم يزالوا باسطين سيطرتهم على الحميريين . ولا غرو انّ نصرانيّتهم أثرت بدين الحميريين الوثنيين واجتذبت منهم قوماً الى المسيحيّة

امّا الكتابات الحميريّة فاعظم شأناً واخطر بياناً لتاريخ النصرانيّة اكتشفها في انحاء اليمن رجالٌ ذوو حزم لا يهابون الاخطار دخلوا في هذه السنين الاخيرة الى اقاصي اليمن ونقلوا ما كانوا يراقبونهُ من الكتابات الحميريّة الكاشفة لاسرار التاريخ اليمني . اشهرهم العلماء يوسف هالوي (G. Halévy) وادورد گلازر (Ed. Glaser) فأتوا من اليمن بمئات من الآثار الكتابيّة بينها كتابات حميريّة تفضل محاربة الحبشة لذي نوّاس وظفرهم باليمن . وتاريخ هذه الكتابات هو تاريخ حمير الواقع سنة ١١٥ للمسيح . فمن جملة تلك الآثار التاريخيّة كتابة تنسب الى حصن الغراب وجدها گلازر (١ فنشرها وهي « لسميفع اشوع » (٢ اقامها في ذي الحجة سنة ٦٤٠ (اي ٥٢٥ للمسيح) تذكاراً لدخول الحبشة في بلاد حمير بعد انتصارهم على ملكها (ذي نوّاس)

ومنها كتابة اخرى تاريخها سنة ٦٥٧ و٦٥٨ (اي ٥٤٢ — ٥٤٣) ورد فيها ذكر انفجار سدّ مأرب وهو من اجلّ الحوادث التاريخيّة كان العلماء يرقّونهُ استناداً الى مؤرخي العرب الى القرن الثاني للمسيح فثبت الآن انهُ جرى في اواسط القرن

١) اطلب كتابهُ الحبشة في بلاد العرب وفي افريقية (E. Glaser: *Die Abessinier in Arabien u. Afrika*, p. 131)

٢) هذا الاسم صحفهُ اليونان بامبيفاوس

السادس. والكتابة قد نُقرت في الصخر بامر ابرهة الملك الحبشي اوّلها: « بقوّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحه وروحه القدوس قد امر برسم هذه الكتابة ابرهة الحاكم (على اليمن) باسم الملك الكثيري (الحبشي) وعيس ذو بي عن ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمانات والعرب الذين في الجبال والسهول ». ومما قال هناك: « ونحن على ذلك اذ بلغنا خبر تهدُّم السدّ والخزّان والحوض والمصرف في شهر ذي المدرح سنة ٦٥٧ ... » ثمّ اردف ابرهة قوله: « فارسلت الى القبائل لتنفذ الحجارة والاخشاب والرصاص لترميم السدّ في مأرب... ثم توجّهتُ الى يثرب وبعد ان صلّيتُ في كنيستها عمدتُ الى ترميم السدّ فعزلوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه » ثمّ يذكر تأخّر العمل لسأم بعض القبائل عن الشغل وكيف حالف ابرهة اقيال اليمن وقابل وفود ملوك الروم وفارس والحيرة (المنذر) وغسّان (الحارث بن جبلة وابي كرب بن جبلة) وغير ذلك ممّا يفيدنا علماً عن اخبار العرب وفوز ابرهة بقبائلهم سنة ٦٥٧ للحبش (٥٤٢ م). ثمّ عاد الى وصف ترميم سدّ مأرب فقال: « فرمّموهُ ووسعوهُ حتى بلغ طولهُ ٤٥ ذراعاً وارتفاعهُ ٣٥ ذراعاً » ثمّ فصل هناك ما انفق على العمل من الحجارة والاطعمة للعملة الى ان ختم الكتابة بقوله انّهم « انتهوا من العمل في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ (٥٤٣) (١) »

ولعلّ هذا السدّ كان انفجر قبل ذلك غير مرّة ورُمم الّا انّ اخبار العرب تنطبق خصوصاً على هذا الحادث الاخير. وانما خلطوا في اقوالهم خلطاً عجيباً وكفى به استدلالاً على ضعف رواياتهم التاريخيّة التي لا يمكن التسليم بصحتها الّا بعد النقد والنظر الملي

لا غرو انّ النصرانيّة في مدّة ملك الحبشة على اليمن بلغت اقصى النجاح والتقدُّم. لنا على ذلك شواهد تاريخيّة عديدة وكان اوّل ما باشر به الحبش ان جعلوا نجران كعبة الدين النصراني بعد ان تشرفت بدماء اهلها الشهداء. فاقاموا فيها مزاراً كان العرب يقصدونهُ من كلّ صوب وكانوا انفقوا عليه القناطير المقنطرة ليزينوهُ بانواع

(١) اطلب كتاب مردتمان في الكتابات الحميرية (Mordtmann: *Himjar. Inschriften*, Berlin 1893) وكتاب موللر في مدن اليمن وقصورها (Müller: *Bürgen u. Schlosser*, Wien 1881)

الحليّ . وهذا المزار قد شاع ذكرهُ عند العرب فدعوهُ «كعبة نجران» او «كعبة اليمن» وضربوا بحسنها المثل واليها اشار الاعشى في بعض ابياتهِ حيث قال يكلم ناقتهُ :

وكعبة نجرانَ حنَّ عليكِ حتى تُساقي أبراجا
تزورُ يزيدًا وعبد المسيح وقيسًا هم خيرُ ارباجا
اذا الجبرات تلوَّتْ بهم وجرُّوا السائلَ هدَّاجا

يريد بني عبد المدان الذين كانوا يتولون امرها وهم من اعيان بني الحارث بن كعب واعرق الناس في النصرانيَّة . وممَّن طبَّقت اخبارهُ اقاصي العرب في ذاك الوقت خطيب مصقع ضربت العرب المثل في بلاغتهِ زيد القسّ بن ساعدة اسقف نجران وقد جمعنا في شعراء النصرانيَّة (ص ٢١١ — ٢١٩) ما رواهُ الكتبة العرب عنهُ وعن يزيد بن عبد المدان النجرانيّ (ص ٨٠ — ٨٨)

ومما يعود فضلهُ الى الحبشة كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وانفقوا عليها المبالغ الطائلة بنوها في حاضرة ملكهم صنعاء لا تزال حتى اليوم تُرى بقاياها في جامع هذه المدينة وكانوا زينوها بكلّ اصناف الزين والتصاوير وضروب الفسيفساء وهي الكنيسة التي عرفها العرب بالقُلَيس (١ وذكروها في تواريخهم ووصفوها في كتبهم (اطلب مجموعنا مجاني الادب ج ٣ ص ٣٠٢ وكتاب الاغاني ٢ : ٧٥) فما لبثت ان جذبت اليها الجماهير المجمهرة حتى نسي الوثنيون قصر غمدان القريب منها واصنامهُ الصابئيَّة

وكما فعلوا في صنعاء اقاموا ايضاً في ظفار كنيسة اخرى جليلة كانت آية في الحسن والجمال . وكان المتولي تدبير هذه الكنيسة اسقف شهير يدعى جرجنسيوس اتخذهُ ملك الحبشة كمستشارهِ ومساعدهِ لتنصير الحميريين فما آلى جهدًا في ذلك وقد ترك لنا من آثارهِ كتاب شرائع الحميريين وترجمتهُ اليونانيَّة تُرى في مجموع الآباء اليونان لمين (Migne, P. G., T. 86, col. 567-620) وكان يجادل اليهود ويردّ على مزاعمهم ولهُ جدال مع هربان الرَّباني صبر ايضاً على آفات الدهر باليونانيَّة (Ibid., col. 621-783) ولدينا منهُ ترجمة عربيَّة (لها بقية)

١) القليس مشتقَّة من اليونانيَّة (Ἐκκλησία) ومعناها الكنيسة

مطبوعات شرقية جديدة

J. Barth : Sprachwissenschaftliche Untersuchungen zum Semitischen, 2er *Teil, Leipzig, Hinrichs,* 1911, p. 59

ابحاث لغوية في اللغات السامية

أولع المستشرق الفاضل الاستاذ بَرْث بدرس اللغات الساميَّة والبحث عن دقائقها فلهُ في ذلك سوابق مشكورة اثنى عليها الاختصاصيون لاسيما كتابهُ الموسوم بتركيب الاسماء في اللغات الشرقيَّة المطبوع سنة ١٨٩٤ حيث اظهر دقَّة فكرهِ في درس اللغات الساميَّة والمقابلة بين قديمها وحديثها . وها هوذا قد اتحفنا بأثر جديد من هذا الباب وهو القسم الثاني من ابحاثهِ اللغويَّة في اللغات الساميَّة ضمنهُ سبعة ابحاث لغويَّة مع عدَّة ملحوظات في المفردات العربيَّة وغيرها » فمن ذلك بحث في الاعداد الاصليَّة التي تُختم بالتاء في المذكر (خمسة رجال) وتجرَّد عنها في المؤنث (خمسُ نساء) فالنحويون العرب يزعمون انَّ هذه التاء هي للتأنيث فالاستاذ بَرْث يخالفهم في ذلك ويرتأي انَّ هذه التاء انَّما هي تاء الاشارة كما تُرى في الحبشيَّة فيجعلون في آخر الاعداد التاء مضمومة وفي المؤنث مكسورة فيقولون (ሐሐሡ أَحدتُ) واحد (ሠለስተ: ثَلَثتُ) ثلاثة للمذكر و (ሐሐተ: أَحدتِ) واحدة (ሠለስት: ثَلَثتِ) ثلاث للمذكر وهو قول يؤيدهُ المؤلف ببعض الملحوظات التي ترجحهُ — ومن ابحاثهِ ما كتبهُ في قول العرب أرَأَيتَ وأرَأَيتَكَ وأرَأَيتَكُنَّ او بحذف الهمزة الوسطى أرَيتَ أرَيتكَ وهم يزعمون انَّهُ فعل رأى ومعناهُ ظنَّ وشرحوا أرَأَيتَ بمعنى أخبِرني وركبوها مع مفعولين فقالوا : «ارَأَيتكَ زيداً ما فعل» فعلى رأي المسيو بَرْث انَّ هذه الكلمة ليست من فعل « رأى » بل من لفظة آراميَّة הבה او אבה هي اسم فعل للتنبيه بمعنى انظر زادوا عليها تاء التقوية كما في ثُمَّ وربَّت فظنوها بعدئذٍ من فعل رأى — ومثل هذا بحث للمسيو بَرْث في لام الاستغاثة او التعجب المفتوحة « يا لَزَيدٍ » ويا لَقومٍ » ويكتبون « يالَ قومٍ » فقال البعض انَّ هذه اللام مختصرة من « آل » او من « ألا » فجنايةُ يشتقّ هذه اللام من الحرف الآرامي لَهْ (לה) يجعلونهُ في مخاطبة البعيد كما يقولون « يا ذاك » ويا أيها ذا » — ومن آراء المسيو بَرْث انَّ مُنذ ومذ

ليستا لفظةً واحدةً على صورتين بل انّ الاولى مشتقة من الآراميّة מן מן (من ذي) وفي الحبشيّة ዘ+ከመ كانت في الاوّل حرف عطف ثمّ اتّخذت كحرف جرّ امّا مُذ فتوافق الحبشيّة ዘ+ከመ اي من هناك وهي ظرف ولذلك جاء الاسم بعدها مرفوعاً ايضاً فقالوا « ما رأيتُهُ مذ يومان » ثمّ خلط النحويّون بعد ذلك بين الكلمتين. وللمعلم بَرْث غير ذلك مما لا يسمح لنا المكان بذكره كاشتقاقه لفظة عنوان من الآراميّة מנון وكفى به دليلًا على فضل الكاتب الذي ينهج للغويين طرقاً جديدة لتخرج ما اعتاص عليهم لجهلهم اللغات الشقائق للعربيّة الاب ب. جرون

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES (Vol III, 1-3): THE PEARL-STRINGS; A HISTORY OF THE RESULIYY DYNASTY OF YEMEN, BY 'Aliyyu'bn'l-Hasan 'el-Khazrejiyy

العقود اللؤلؤيّة لعلي بن الحسن الخزرجي

ذكرنا غير مرّة منشورات الجمعيّة المتولّية لانفاق تركة المرحوم « جِبّ » على طبع الكتب الشرقيّة. ومن آيات فضلها نشر كتاب فريد لا يُعرف منهُ سوى نسخة واحدة في مكتبة الحكومة الهنديّة (India Office) في لندن في اوائل القرن التاسع للهجرة ابو الحسن عليّ الخزرجي المعروف بابن الرمّاس المتوفى سنة ٨١٢ (١٤٠٩ م). ولهذا الكاتب عدّة تآليف جليلة في تاريخ اليمن ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (٢ : ١٥٩) وفي مكتبة ليدن (ج ٢ ص ١٧٣ و١٩٦) من تواريخهِ كتابا الكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الاسلام وطراز اعلام الزمن في طبقات اعيان اليمن تدلّ كلّها على سعة علم صاحبها. امّا الكتاب الذي نحن بصددهِ فيحتوي بعد المقدّمات في تاريخ ملوك اليمن وغسّان ذكر دولة تُعرف بالرسوليّة لانتسابها الى الرسول ارسلهُ احد خلفاء بني عبّاس الى مكّة فتولّى اولادهُ من بعدهِ على اليمن وكان اوّلهم نور الدين عمر الرسولي استقلّ بالملك بعد بني أيّوب سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) وملكوا الى سنة ٨٤٥ (١٤٤١) وكان آخرهم مظفر يوسف الرسولي فخلفهم بنو طاهر. فالخزرجي روى اخبارهم بالتفصيل الى زمانهِ اعني السنة ٨٠٣ (١٤٠٠ م). والنصّ العربيّ لا يزال تحت الطبع امّا ترجمتهُ الى الانكليزيّة فقد تولّاها فقيد العلم المستشرق ريدهوس (G.M.Redhouse) وقد ألحق هذه الترجمة

بملحوظات واسعة على المتن باللغة الانكليزيّة. وقد انجز عملهُ بثلاثة اجزاء اهتمّ بنشرها من بعدهِ ثلاثة من علماء الانكليز الافاضل ا. ج برون (E. G.Browne) ثم ر. ا. نيكلسون (R.A. Nicholson) وا. روجرس (A.Rogers) وقد تصفحناها كلها فاذا هي من انفع المنشورات واجلّها سوف تبقي لصاحبها المرحوم ذكرًا طيباً. وفي آخر القسم الثاني منها فهارس واسعة للاعلام تسهل البحث تسهيلًا عظيماً فشكرًا لكل من سعى بطبع هذه الدرر السنيّة ل. ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL. Vol II. IBN ISFANDIYAR'S HISTORY OF TABARISTAN., an abridged Translation by E. G. Browne M. A., M. B. 1905, pp. 356

ترجمة مختصرة لتاريخ طبرستان لابن اسفنديار

هو اثر آخر من مطبوعات الجمعيّة المنتسبة لجبّ. يحتوي ترجمة انكليزيّة لتاريخ جليل وضعهُ بالفارسيّة محمد بن حسن الشهير بابن اسفنديار في السنة ٦١٢ للهجرة (١٢١٦م) نقلهُ عن كتب فارسيّة قديمة نُقد اكثرها اخصها تاريخ باوندنامه وكتاب العقود لابي الحسن اليزدادي وهو تاريخ واسع لطبرستان اقاليم العجم الكبرى الذي توالت عليهِ المطامع فملكتهُ عدّة دول بعد الاسلام. فابن اسفنديار تتبع احوال تلك الدول الى زمانهِ وكتابهُ لم ينشر منهُ الّا بعض شذرات اخصها مكتوب عربهُ عبدالله بن المقنع يُنسب الى اردشير باباخان وزير تنسر وجههُ الى جُشنَسف ملك طبرستان وهو يعدّ من اقدم آثار الفرس. فالعلّامة برون الشهير بنشوراتهِ الفارسيّة وابحاثهِ عن آداب الفرس احبّ ان يختصر هذا الكتاب فينشر بالانكليزية في جملة مطبوعات جبّ فاجاد كما هي عادتهُ المألوفة وشفع هذه الترجمة بملحوظات عديدة وفهارس واسعة زادتهُ فائدة ل. ش

Les Tendances sociales des Catholiques libéraux, par CH. CALIPPE, *Paris, Bloud*, 1911

مساعي الكاثوليك الاحرار في المشروعات الاجتماعية

قام في القرن الماضي رجال ذوو همّة جعلوا غايتهم الموافقة بين الكنيسة والتعاليم العصريّة غاب عليهم اسم الكاثوليك الاحرار فاخذوا على نفسهم ان يطلقوا الحريّة التامّة للحقائق المسيحيّة والاضاليل العصريّة زاعمين انّ الحقّ بقوتهِ يغلب الباطل

وفاتهم انَّ الحقَّ مهما سطع نورهُ اذا تكاثفت عليهِ ظلمات الباطل ينحجب نورهُ وتخفى ضياؤهُ عن العيان حتى يعمى عنهُ الكثيرون لا سيما انصار الضلال لا يردعهم ولا يثني عزمهم صوت حكمة. على انَّ هؤلاء الكاثوليك ربَّما انقادوا الى تلك الآراء الباطلة لحسن ظنهم باعداء الكنيسة. وعلى كلّ حال كنتَ تراهم يفرغون المجهود في خدمة الشعب وانشاء المشاريع الخيريَّة وفضّ المشاكل الاجتماعية وغير ذلك من الاعمال الصالحة التي كانت تدلُّ على سلامة نيَّتهم ورسوخ قدمهم في الدين. والكتاب المنون آنفاً قد وضعهُ احد كتبة عصرنا ممَّن درسوا المباحث الاجتماعيَّة الخوري كاليب فاحسن في وصف هؤلاء الكاثوليك الاحرار الذين منهم الاب لاكوردار والخطيب المصقع منتالمبرت والمُحسن الشهير اوزانام والاب غراتري وغيرهم وقد اتَّسع المؤلف في اعمالهم الكبيرة التي باشروها في خدمة ذوي البأساء. وقال انَّها شفعت بضلالهم الناتج عن قلَّة خبرة

الاب ي. نيران

LIBRAIRIE BLOUD : I MARTIN : Thomassin — II BAUDOT : Le Martyrologe — III DESLANDRES: S. Pie V. — IV DAVID ET LORETTE: Histoire de l'Eglise (283 pp.) — V SCHNEIDER : Qu'est-ce que le ciel ? — VI LAUDET : La St Rosalie.

مطبوعات مكتبة بلود

١ هذه الكتب تلحق بمجموعة تنشرها مطبعة بلود من قلم اشهر اللاهوتيين فالاوَّل منها اختص فيهِ المؤلف حياة اللاهوتي توماسّين الفرنساوي (١٦١٩—١٦٩٥) وذكر لائحة مؤلفاته واقواله العلميَّة

٢ والثاني تاريخ السنكسار اللاتيني منذ القدم مبتدئاً بالقوائم التي كان ابازنا يقيدون فيها تذكارات الشهداء ومنتهياً بالنص الرسمي للشهور في ايامنا

٣ وفي الثالث ترجمة الحبر الاعظم القديس بيوس الخامس الذي قام احسن قيام مدة حبريتهِ (١٥٦٦—١٥٧٢) باحكام المجمع التريدنتيني في العقائد والعوائد واصلح الخلل ودافع عن النصرانيَّة فتكلَّل دفاعهُ بالنجاح

٤ الرابع هو ملخص مدرسي لتاريخ الكنيسة منذ ايام الرسل الى ايامنا جمع فيه صاحباهُ اهمَّ المعارف التاريخيَّة التي يليق بالتلميذ معرفتها في احوال الدين النصراني على مر الاجيال

٥ يتضمن الخامس مقالة لاهوتية علمية موضوعها خراب العالم والحياة الاخيرة لخّص فيها المؤلف ما يعلمهُ الدين ولا ينكره العلم في هذا الشأن

٦ موضوع السادس سيرة الاخت روزالي التي خدمت الفقراء والمساكين مدة خمسين سنة في باريس فاقرّ لها بالفضل والفضيلة العالم والجاهل والدين والكافر واصبح اسمها مرادفاً للطهارة والتواضع والتفاني ا.ر

LE « JUIF-ERRANT » DEVANT L'OPINION PUBLIQUE

معرض الافكار او صدى رواية اليهودي التائه

لجامعه الاديب يوسف افندي غلبوني (في المطبعة الكاثوليكية ١٩١١ ص ٢٤٠)

قد قيل انَّ صوت الباطل لساعة وصوت الحقّ الى قيام الساعة. سمعت بيروت جلبة الباطل في احدى ليالي آذار السابق فظنَّ المتشدّقون ان سيبقى للغطهم أثر دائم فساءوا ظنًّا اذ انَّ صدى رواية اليهودي التائه كان كفرقعة في الهواء او ضربة في الماء. وما لبث ان ارتفع الى السماء صوت آخر كان كهزيم الرعد او كصاعقة صُعق بها الباطل وزهق الضلال ألا وهو صوت احبار اجلّاء وسادة فضلاء ورجال شهامة ودين وارباب قلم مبرّزين فكتبوا الرسائل السنيَّة ووضعوا المقالات المزرية باللآلئ الدريَّة وانشدوا القصائد الطنّانة الحماسيَّة فكان لكلامهم اطيب وقع في القارب وتمنى الاهاون لو جُمعت تلك الآثار في كتاب يصبر على آفات الزمان فيخبر الاخلاف ما اورثهم اجدادهم من الخلال الشريفة وكريم الاوصاف بانتصارهم للدين ودفاعهم عن الحقّ اليقين. فحدت الحميَّة الدينيَّة والمروءة الوطنيَّة الاستاذ الفاضل يوسف افندي غلبوني الى ان يوقف نفسهُ لهذا العمل فكدَّ وجدَّ ولم يألُ الجهد حتى وضع هذا « معرض الافكار » وحبذا المعرض لا تجد فيه مالًا حطاماً بل شواعر لطيفة وعواطف رقيقة وكل معنى بليغ شريف ولفظ حرّ عفيف. فجازى الله متولي هذا العمل وامتعنا بكثيرين من امثاله. ونهني الشبّان اللبنانيين الذين اقتصّوا آثاره وقاموا مؤخرًا بتمثيل رواية اخرى لمعاكسة المبادئ الكفريَّة جعلوها كتكفير لبنان عن رواية الخلاعة والكذب فلم يلقوا في فرن الشباك الّا ايدياً تصفق وقلوباً تخفق واصواتاً تصعق: فليحي الدين ولتسقط الماسونيَّة ل.ش

شذرات

مجلات كاثوليكية جديدة ذكرنا في احد الاعداد السابقة (ص ٧٧) المجلات العربية الكاثوليكية التي نُشرت في سورية ومصر بعد ظهور المشرق وكان حقنا ان نذكر مجلة صغيرة عُني بانشائها سنة ١٩٠٢ الآباء الدومنيكان المرسلون في مطبعتهم الموصلية ودعوها « اكليل الورود » خصُّوها اولاً بوردية العذراء ثمَّ اتسعوا فيها حتى بلغت صفحاتها في السنة الثالثة ٢٥٠ صفحة وكانوا ينشرونها بالعربية والافرنسية . ولا نعلم اهي الى يومنا في عالم الوجود — وقد بلغنا آخراً العدد الاول من مجلة اخرى كاثوليكية نشرها حديثاً الآباء الكرمليون الافاضل في بغداد واسمها « لغة العرب » فيدلّ عنوانها على انّ موادها لغوية خاصة . ولا عجب فانَّ منشئها وصاحب امتيازها حضرة الاب انستاس ماري الكرمليّ الذي طالما تفكه قرّاؤنا بمقالاته اللغوية المتقنة التي تشهد له بطول الباع في معرفة العربية . ولا نظن انَّ حضرتهُ يحرمنا من الكتابة في ابواب اخرى لاسيما المباحث الدينية التي يحتاج اليها اهل بلادنا فوق كل بحث ويجعلها كلّ مرسل في مقدمة ابحاثه — وممَّا يجوز الحاقهُ بالمجلات المستحدثة فبلغتنا اعدادهُ الاولى مجلة فرنسوية مصوَّرة تُدعى مرغريت (Marguerite) يصدرها مرَّة في الاسبوع جناب الرسام البارع ي . كريسّو منشئها وهي اقتصادية ونسائية خاصة فنتمنّى لها النجاح

المكتبة البطريركية في الاسكندرية عند الفتح الاسلامي زعم الزاعم انَّ العرب لمَّا دخلوا الاسكندرية ليس فقط لم يجدوا مكتبتها الشهيرة التي انشئها البطالسة بل لم يلقوا فيها مكتبة البتة . وقد سبق لنا في ذلك مقالة (ص ٣٨٨) لا حاجة الى تكرار ادلتها . وها قد وقفنا بين اعمال احد المعاصرين وهو القديس انستاس السيناوي المتوفى سنة ٦٠٨ للمسيح على ذكر مكتبة واسعة يدعوها المكتبة البطريركية عاينها في الاسكندرية وكرَّر ذكرها في كتابه « دليل الحياة » الذي نشرهُ بالاصل اليوناني الاب مين - Migne P. G., t. 87 col. 35) (310 وقد اجتمع بناظرها ايزيدوروس (Ibid., col. 185) واثبت منها اسماء

مخطوطات عديدة استعان بها لتنشيد بدعة الطبيعة الواحدة. وناهيك بهِ دليلًا على اهتمام نصارى الاسكندريَّة بالمكاتب. وقد ورد في الكتاب عينهِ (ص ١٨٤) ذكر ١٤ ناسخًا كان انصار ساويرس أمروهم لنسخ الكتب مع تحريف بعض اقوالها وفقًا لبدعتهم. فان كان عدد النسَّاخ المراطقة اربعة عشر فلا نشكّ انَّ عدد الكاثوليك منهم كان يبلغ اضعاف ذلك — امَّا ما روتهُ مجلة المقتبس آخرًا عن مُكاتب التيمس بخصوص حريق مكتبة الاسكندريَّة فسنعود اليهِ في عدد آخر

آثار قديمة من الفسيفساء في الجامع الاموي — اخبر مؤرخو العرب انَّ الوليد الثاني لمَّا اخذ من نصارى دمشق ما كان باقيًا في يدهم من كنيسة مار يوحنَّا ليقيم الجامع الاموي طلب من ملك الروم ان يرسل عملة بارعين لترميمهِ وتزيينهِ فارسل اليهِ الوفًا منهم قاموا بذلك العمل الجليل وجعلوا البناء من عجائب الابنية. وكان بين نقوش الجامع واعمالهِ الهندسيَّة قطع من الفسيفساء ذكرها المقدسيّ في القرن العاشر للمسيح في كتابهِ «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» قال صفحة ١٥٧ من الطبعة الثانية لدي غوي) قال:

«وفي الوسط ازاء المحراب قبَّة كبيرة وأُدير على الصحن اروقة متصالة بفراغ فوقها ثمَّ بُلط جميعهُ بالرخام الابيض وحيطانهُ الى ثامنين بالرخام المجزَّع ثمَّ الى السقف بالفسيفساء (كذا) الملوَّنة المذهَّبة بصور اشجار واثمار وكتابات على غاية الحسن والدقَّة ولطافة الصنعة وقلَّ شجرة او بلد مذكور الَّا وقد مُثل على تلك الحيطان وطليت رؤوس الاعمدة بالذهب وقناطر الاروقة كانها مرصَّعة بالفسيفساء...

فهذه اعمال الفسيفساء لم تتلف كلها فانَّ السيد سلادين (Saladin) كان وصف ما وجدهُ منها سنة ١٨٧٩ في مصلَّى الجامع. ثمَّ وقف الانكليزي ديكي (Dickie) سنة ١٨٩٦ على غيرها في الاربعة القناطر الاولى من باب البريد وهو الباب الغربيّ للجامع الاموي وفي هذا العام الجاري قد اكتشفوا على كثير من اعمال الفسيفساء للبناة البوزنطيين وذلك في الكوى والشبابيك التي تعلو فوق باب الجامع الاكبر على قناطرها واطرافها وكانت تلك الاعمال قد طُمست وشوَّهت بحريق الجامع على عهد تيمورلنك ثم بالملاط والكلس وقد نُظِّفت في هذه السنة فظهرت بكل الوانها الزاهية ومحاسنها الباهرة ونقوشها العجيبة فترى الاشجار باوراقها واثمارها تجري تحتها المياه ثمَّ صور قصور شاهقة ومشاهد وقبب وكلّ ذلك بالالوان الزاهية والذهب

الابرز يأخذ نظرها بمجامع القلب ويشهد لبراعة مهندسي الروم في القرن الثامن للمسيح

اسئلة واجوبة

س سأل احد ادباء البلدة أتتغيَّر شيءٌ من احوال الكنائس الشرقيَّة برقيم قداسة الحبر الاعظم الذي صدر في رومية في ٢ تموز من السنة الجارية بخصوص اعياد البطالة وحصر عددها الى ثمانية

رقيم الحبر الاعظم في اعياد البطالة والكنائس الشرقيَّة

ج معلوم انَّ المناشير البابويَّة التي مدارها على الطقوس والعادات والنظام الكنسيّ والحقّ القانونيّ لا تشمل الكنائس الشرقية ما لم يخصَّها الحبر الاعظم بالذكر. ومن ثمَّ لم يتغيَّر شيء بقوَّة الحكم الاخير في عادات الشرقيين واعيادهم. ولعلَّ اصحاب الغبطة السادة البطاركة يستغنمون هذه الفرصة ليخابروا الكرسي الروماني في بعض ما يرونهُ مناسباً لرعاياهم بخصوص الاعياد والاصوام والقطاعات فاذا تقرَّر شيء من ذلك افادوهم عنهُ بمناشير خاصَّة يوجهونها اليهم

س سأل احد الصحفيين من مصر: يقال انَّ الصينيين اوَّل من اكتشف الورق ايعرف تاريخ هذا الاكتشاف وطريقة استحضارهم لورقهم

اكتشاف الورق في الصين

ج كتب قدماء البابليين على الآجرّ والمصريُّون على البرديّ واليونان وغيرهم على الرقّ. امَّا الصينيُّون فكتبوا اوَّلاً على قشور الخيزران ثم عمدوا الى انسجة الحرير بعد اكتشاف الاقلام سنة ٢١٠ ق م واذ رأوا ذلك زيادةً في النفقات اتخذوا مُشاقة الحرير فاغلوها حتى اذا اصبحت كالعجين كان ينزعون عنها طفاوتها ويتخذون رسوبها للكتابة وقد سبق استعمالهم لهذا الورق الحريري تاريخ الميلاد بنحو ثلاثة اجيال. ولمَّا كانت السنة ١٠٥ بعد المسيح توفَّق الصينيّ «تصاي لوان» الى طريقة اخرى كثيرة الاقتصاد بان استبدل مشاقة الحرير امَّا بأليَاف الشجر ورؤوس القنب وامَّا بأسمال الكتَّان فكان الورق المتَّخذ من هذه المواد خفيفاً متهاود الاسعار فقدَّمهُ لملك الصين الذي اثنى عليهِ واجازهُ فشاع الورق مذ ذاك في الصين وهم يدعونهُ «تشِه». والشائع انَّ العرب تعلَّموا من الصينيين في القرن العاشر طريقة استحضار الورق وعلَّموها للعالم الغربيّ ولعلَّ الاصح انَّهم تعلَّموها من السريان الذين هاجروا قبلهم الى الصين ونشروا هناك الدين المسيحي ل.ش

المشرق

افتيميوس صيفي

مطران صيداء منشئ الرهبانية المخلصية

لمحة تاريخية بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

في صباح ٦ آب سنة ١٧١١ كنت ترى قوماً من اهل صيدا والقرى المجاورة لها لابسين ثياب العيد يتّجهون زرافات ووحداناً الى ضيعة صغيرة واقعة في املاك طائفة دروز الشوف تُدعى جون على نحو اربعة اميال من صيدا في شمالها الشرقي. وكانوا يتواردون لا ليحضروا فقط عيد تجلّي الرب في ذلك اليوم ولكن ليقوموا ايضاً بحفلة حافلة دعاهم اليها اسقفهم الجليل وبعض الكهنة والرهبان المجتمعين هناك. وكان معظم الوافدين من طائفة الروم الملكيين وبينهم الموارنة اتوا ليشاطروا اخوتهم الكاثوليك افراح المواسم الدينيّة بل كان امتزج بهم فئات من الدروز والمسلمين ليشاهدوا ما يجري في ذلك اليوم من المظاهرات البهجة التي قلّما كان يُرى مثلها في ذلك الزمان

وكان الرهبان في انتظار الوفود يرحّبون بهم ويعيّنون لكل منهم مقامهُ في ساحة متّسعة تظلّلها اشجار الزيتون والخرّوب والسنديان حول عمائر حُفرت اساسها وظهرت فوق الارض وكانزها فيها القناطر والدهاليز والقلالي اللائقة بالرهبان. ولا غرو فانّ تلك الابنية كانت شيّدت لتكون ديرًا عامرًا يعيش فيه رجال منقطعون عن الدنيا ومتفرّغون لمناسك الدين وخدمة النفوس

وكانت ابنية الدير لم تتمّ بعد الّا انّ قسماً منها كان يصلح للسكنى فعزم اصحابها على تدشينها قبل ان يحتلّوها لمباشرة الفرائض الرهبانيّة

وكانت الكنيسة المعدَّة للدير لم تنجز ايضاً الّا انَّ الرهبان اتَّخذوا فضاء في وسط الابنية فنصبوا فيهِ مذبحاً لتقام عليهِ الذبيحة المقدَّسة برونق عظيم. وما لبث السيد الجليل افتيميوس رئيس اساقفة صور وصيدا أن قام ولبس الحلَّة الحبريَّة وقام بالرتب الدينيَّة كما في اجلّ الاعياد واحفلها ثم عَقب القداسَ تدشينُ الدير بالادعية والرتب المألوفة حتى اذا انتهى منها اطلق القوم العنان لافراحهم فهزجوا الاهازيج وتغنَّوا بالاغاني الدينيَّة واندفعوا يرقصون المراقص الوطنيَّة واطلقوا البنادق في الهواء ثم اكلوا طعام الغداء مما اعدَّهُ لهم الرهبان فقضوا ذلك النهار بضروب اسباب المسرَّة

وكان اسم الدير الجديد اسم دير المخلِّص وهو اوَّل دير بُني في تلك الناحية وذلك لما جرى هناك قبل ثلاث سنوات من دلائل العناية الربَّانيَّة بعبيدهِ ودونك تفاصيل الخبر كما ورد في اقدم اثر تاريخي اكتشفهُ في صور المرحوم القس انطون برلاد فننقلهُ عنهُ هنا بحرفهِ كما اثبتهُ في ملحق علَّقهُ بيدهِ القس المذكور على آخر كتاب التواريخ الملّيَّة للقس يوحنَّا عجيمي من مخطوطات مكتبتنا الشرقية قال (ص ٣٣٩):

« بينما كان المطران افتيميوس صيفي جائلاً وطائفاً على ابناء رعيَّتهِ في قرايا الجبل وصل الى قرية جون. وفي حين وصولهِ اليها قد كان استعدَّ لهُ المغادُون تلميذهُ في الايمان الكاثوليكي جملة انفار من اهل الجبل مدجَّجين بالاسلحة كعادة اهل هذه البلاد قاصدين الشرَّ معهُ. فحدثت تلك الساعة اعجوبة تستحق الذكر المؤبَّد وهي انهُ كان رجل افرنجيّ جائلاً يستناد حجلاً فحضر تلك الساعة بين جملة اولئك القوم المذكورين صدفةً وسند بندقيَّتهُ على بدن شجرة زيتون موجودة في ذلك المكان امام السيد المشار اليهِ واذ كانت هذه البندقيَّة اوَّل البندقيَّات التي حضرت هذه البلاد بتذاحة وليس يقتيل اخذها احد شامتهِ بيدهِ كان يدعى الشماس اثناسيوس نصر من قرية غريفه وكان انجيليّاً فبدأ يتفرَّس فيها ويقلّبها بين يديهِ فدقرت يدهُ قذاحتها فنفقت وطلعت نارها اذ هي مذكوكة بخردق الرصاص فاصابت احد خواونتهِ بصدرهِ يدعى الخوري ابرهيم طوطو المشهور بالفضائل والتقوى فتفز عن الارض قفزة كبيرة وسقط منطرحاً على الحضيض فصرخ الاسقف البار بصوتٍ عظيم قائلاً: يا مخلِّص العالم خلِّص لي خوريّي. فللحين اجابهُ قائلاً: لا تخف يا مطيّبي انا طيّب. فيا لها من آية غريبة تفوق بالحقيقة طور العقل البشري من كون المذكور لم تصبهُ اذيَّة ما اصلاً بل حالاً جلس فبادر اليهِ الحاضرون وحلُّوا منطقتهُ فوجدوا الخردق الرصاصي مجتمعاً بظاهر حزاتهِ الكائن بصدرهِ فمن جرَّاء هذه الاعجوبة جميع الحاضرين القاصدين الشرَّ معهُ خضعوا لهُ مذعنين ومسلِّمين لهُ في كل ما يقولهُ لهم

اما هذا الاسقف الجليل فحالاً نذر على نفسهِ عمار دير على اسم المخلّص ونطق بهِ امام الحاضرين واختار بمشورة اهل القرية تلك التلّة التي لحظها امام عينيهِ حين الاعجوبة وهي كانت خربة قديمة داخل حرش مدغل تُدعى مزرعة مشوشة مقابل قرية جون المذكورة من معاملة مدينة صيداء باتصال جبل لبنان المستولي عليهِ وقتئذٍ الامير حيدر الشهابي في حظ الشيخ قبلان القاضي. وللحين تشرّ الاسقف المذكور للسعي الحميد وذهب بسرعة لعند الشيخ المقدَّم ذكره واخذ منهُ المزرعة بيعاً وشراء شرعيين وكان ذلك في سنة ١٧٠٨ . . . »

فتلك هي الحوادث الجليلة التي احبَّ الرهبان المخلصيون الافاضل ان يحيوا تذكارها بعد مائتي سنة مرَّ عليها فقامت الطائفة كلها مباشرةً بغبطة السيد البطريرك كيريوس كيريون كيرلّوس الثامن والسادة الاجلاء المطارنة والاساقفة فهنأت الرهبانيَّة المخلصيَّة بهذا اليوبيل المئوي بل تعطف قداسة الحبر الاعظم وبارك هذه الحفلات وقدَّم التهانئ لاصحاب العيد داعياً لهم بالترقي الدائم في الفضل العميم

وما كانت رهبانيَّتنا لتنسى ان تضمّ صوتها الى اصوات المهنئين لما عهدتهُ بين مرسليها القدماء وسيادة الطيب الذكر منشئ الرهبانيَّة المخلصيَّة من الروابط الوثيقة فاعلنت غير مرَّة بعواطفها الصادقة وخلوص مودَّتها نحو السلالة المخلصيَّة وقد كان البشير لسان رسالتنا السوريَّة يترجم عن افكار كلّ فرد من افرادها. وهذا ما حدا بنا ايضاً ان نفرد مقالة خصوصيَّة في المشرق لذاك الجهبذ المفضال الذي خلّف بعدهُ ابناء اورثهم غيرتهُ وسموّ فضلهِ نريد بهِ السيد افتيميوس صيفي فنجمع هنا ما وجدناهُ في مطبوعات ومخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة من مآثر حياتهِ فعساها تقوم لدى القرَّاء مقام صورتهِ الهيوليَّة التي لم يُعرف لها اثر فتمثل لهم صورتهُ الادبيَّة بكل دقَّة وكمال

١ مولدهُ ونشأتهُ وكهنوتهُ

قد اختلف الكتبة المحدثون في وطن افتيميوس صيفي وفي سنة ولادتهِ. فجاء في مجلَّة الكنيسة اليونانيَّة المتحدة (١ انَّ مولدهُ كان في مدينة بعلبك. والرأي العام انَّهُ وُلد في دمشق الشام من اسرة كريمة تدعى بيت الصيفي كذا قال القسّ انطون بولاد في بعض مخطوطات لهُ عن تاريخ الرهبانيَّة المخلصية ورواه ايضاً عن التختكون

١) اطلب Revue de l'Egl. Grecque-Unie, 6e année, 1890, p. 487. note

الصوري ويوافقهُ في قولهِ المرسل اليسوعي الاب ڤرسو (Verseau) معاصرهُ في رسالة كتبها في مدحهِ ثمَّ الخوري كيرلُس حدَّاد في تاريخهِ المخطوط وقد زاد على هذا قولهُ بانَّ بيتَ الصيفي يُعرف اليوم ببيت المكتف وانَّ افتيميوس كان ابن اخت البطريرك الانطاكي افتيميوس كرمة (١

امَّا سنة ولادة افتيميوس صيفي فزعم الخوري كيرلُس حدَّاد انها السنة ١٦٤٨ امَّا حضرة الخوري قسطنطين الباشا فكتب مؤخرًا في مجلَّة الشرق المسيحي (٢ انَّهُ ولد « نحو السنة ١٦٤٣ » ولعلَّهُ هو الصواب فانَّ السفير الفرنسويّ في الاستانة المسمَّى دانْزازيل (d'Anrezel) في مكتوبهِ الى وزير فرنسا في تاريخ ٢٠ ك ٢ سنة ١٧٢٤ يؤكد ان السيد افتيميوس توفي وعمرهُ ٨٠ سنة وهذا يوافق سنة مولدهِ في ١٦٤٣ ليس في ١٦٤٨ (٣

وهنا يسأل السائل أكان والدا افتيميوس كاثوليكيين ؟ جوابنا على ذلك انَّ البطاركة الانطاكيين منذ النصف الاوَّل من القرن السابع عشر اخذوا يجاهرون بميلهم الى الكرسي الرسولي ويرذلون القضايا التي رذلها المجمع الفلورنتيني وربما ارسلوا الى الاحبار الرومانيين صورة ايمانهم وطلبوا منهم درع الرئاسة المعروف بالباليوم نخصّ منهم بالذكر اثناسيوس الثالث (١٦١٧ — ١٦١٨) وكيرلُس الرابع اخاهُ (١٦١٨ — ١٦٢٨) وافتيميوس كرمة الحويّ (١٦٣٥ — ١٦٣٦) وافتيشيوس الصاقزي (١٦٣٧ — ١٦٤٣) فكان هؤلاء يسمحون للمرسلين الكبوشيين واليسوعيين ان يعلّموا في كنائسهم حقائق الايمان الكاثوليكي والشعبُ يوافقهم غالباً على تعليمهم . ولا غرو ان بيت الصيفي لقرابتهم مع البطريرك افتيميوس كانوا من جملة الذين صرَّحوا وقتئذٍ باتحادهم مع الكرسيّ الرسوليّ

وما لا شكَّ فيهِ انَّ والدي افتيميوس لمَّا ترعرع ابنهما سلَّماه الى المرسلين اليسوعيين ليخرّجوهُ بالآداب ويهتمُّوا بتهذيبهِ . وقد كان وقتئذٍ في دمشق مرسل

---

١) اطلب المشرق (٩ : ٤١٢)

٢) اطلب L'Orient Chrétien, 1911, p. 205

٣) اطلب كتاب الاب ا. رباط (P. A. Rabbath : *Documents inédits* I, 559)

يسوعي فاضل خلّف من آثار فضله في الفيحاء ما يشهد له الى اليوم بالغيرة الرسوليّة ألا وهو الاب جيروم كويرو (Jérôme Queyrot) الذي خدم الطوائف الشرقيّة مدّة نحو اربعين سنة (١٦١٤ —١٦٥٣) في مدينتي حلب ودمشق خدماً عرفها لهُ الشرقيون واثنى عليها بطاركتهم وكتبتهم. فانّ هذا الاب الجليل تحقّق انّهُ ليس من وسيلة اعظم لردّ كنائس الشرق الى الحظيرة البطرسيّة من تعليم الناشئة وتهذيبها على اصول الدين

واذ وجد ارتياحاً لعمله وتنشيطاً لدى رؤساء الكنيسة الروميّة الملكيّة اخذ يسعى في تدريس اللغة اليونانيّة وشرح كتبها الدينيّة والمدنيّة وضبط طقوسها القديمة واصلاح ما وقع في نصوصها اليونانيّة من الاغلاط وبيان تعاليم الآباء المتواصلة لمعتقدات الكنيسة الرومانيّة فكان يأتي لاستماعه الشمامسة والكهنة فضلاً عن أحداث الطائفة وشبّانها. وقد خرج من مدرسته في الشام الف من الشبّان اضحوا في زمانهم عمدة الكنيسة الكاثوليكيّة الملكيّة في هذه البلاد (١

فبين ايدي هذا الاب الغيور ما لبث اثنيميوس صيفي ان تقدّم في الدروس واستقى من اصفى موارد العلوم وتثبّت في الايمان الكاثوليكي حتى انهُ كان ينسب رسوخ قدمه في الكثلكة لمعلّمه. ولمّا رأى المرسلون استعدادهُ لقبول المعارف وفضائلهُ السامية وميلهُ الى الكهنوت صرفوا النظر اليه بنوع خاصّ ورشحوهُ للرتبة الكهنوتيّة فخدم في القلاية البطريركيّة كشمّاس حتى احرز العلوم الدينيّة والآداب الاكليريكيّة ورُقّي الى درجة الكهنوت نحو السنة ١٦٦٨ بوضع يد ثاوفيتوس الصاقزي نائب البطريرك مكاريوس الثالث الحلبي الشهير بابن الزعيم

وقد زعم كنشلبار قنصل فرنسة في صيدا السيّد دي بليس (Sieur de Bellis) ان اثنيميوس درس في رومية (٢ وهو امر محتمل فيكون اثنيميوس قضى مدّةً في مدرسة القديس إغناطيوس المنشأة في رومية لتخريج اليونان في الآداب الكهنوتيّة

١) اطلب الآثار النصرانية (Documents inédits I, 66, 380, 402) ثم تاريخ الرسالة السورية للاب يوسف بسّون (Besson : *Syrie et Terre-Sainte* 71-79) ثم مجلة اصداء الشرق (Echos d'Orient, IX, 326)

٢) اطلب الآثار النصرانية (Documents, I, 561)

الّا انّ هذه الشهادة لم نجد لها سنداً في كتب المعاصرين ولعلّ الكاتب ذهب الى هذا القول لما شهدهُ في افتيميوس صيفي من سعة العلم الذي لم يألفهُ كهنة زمانهِ وهو يصرّح في هذه الرسالة بان الكهنة الشرقيين ليسوا بمتضلعين بالمعارف « الّا الذين درسوا منهم في رومية »

والحقّ يقال ان افتيميوس تفرّد بين اكليروس وطنهِ ليس فقط في علم العربية ولكن ايضاً في اليونانية ولهُ في الفرنسويّة رسالة وجّهها الى وزير الملك لويس الرابع عشر نبو تشرتران (Pontchartrin) واخذ جوابها (١ وقد شاع ذكر علمهِ بين معاصريهِ حتى دُعي بقنّة العلم (٢ كما شهد لذلك الخوري ميخائيل بريك الارثدكسيّ في تاريخ بطاركة انطاكية (ص٦١) ولم ينقطع مدّة كهنوتهِ عن الدرس فتبحّر في معتقدات الدين الكاثوليكيّ وامضى صورة دستور الايمان التي كان فرض بها البابا اربانوس الثامن على الشرقيين وارسلها الى رومية .. واخذ يجاري المرسلين في نشر الايمان الصحيح بين اهل ملّتهِ ويحضّ الكهنة والشعب على ذلك . وزادت همّتهُ بالامر لما رآهُ اوّلاً في البطريرك مكاريوس بن الزعيم من التقرّب الى الكنيسة الكاثوليكيّة ومكاتبة ملك فرنسة ورذل الشيعة البروتستانيّة . ثم في خلفهِ سنة ١٦٧٢ كيرلّس الخامس حفيد مكاريوس وكان افتيميوس يعرفهُ جيّداً ويذاكرهُ في امور الكنيسة الكاثوليكية فلمّا صار كيرلّس بطريركاً عضد الكثلكة سرّاً وتسامح برخصة الانحياز اليها لكلّ من شاء الامر بل جاهر بعد ذلك بايمانه وبلّغ اكليمنضوس الحادي عشر طاعتهُ المكرسي الرسولي

٢ اسقفية السيد افتيميوس صيفي

كان الربّ قد اجتبى افتيميوس صيفي وزيّن قلبهُ بالمواهب السامية ليجعلهُ اناء مختاراً ونوراً يرفعهُ فوق المنارة ليستضيء بهِ الكثيرون . فما كاد يجلس السيّد البطريرك كيرلّس الخامس على السدّة البطريركيّة حتى تذكر افتيميوس صيفي وما خصهُ الله بهِ من المزايا الفريدة فانتدبهُ لمساعدتهِ في فلاحة كرم الربّ وبعد قليل سامهُ اسقفاً على مدينة صور وصيدا سنة ١٦٨٣ سواء كان انتخابهُ بعد وفاة ارميا اسقف

١) اطب الآثار النصرانية (Documents, I, 536 et 541)

٢) وقال غيرهُ لقب « درّة المعارف »

صور كما زعم الخوري كيرلس حدّاد او قدّم الاسقف يواصاف خلف ارميا (١ لستعفائهُ عن تدبير كرسي صور وصيداء مدّةً

قدم افتيميوس ليستلم ادارة ابرشية صيداء فوجد امورها في حالة يُرثى لها وكانت بلاد الشام عموماً في ذلك العهد على اسوإ حال فان سلاطين بني عثمان منذ فتح السلطان الغازي سليم الاوّل كانوا مرتبكين ايّ ارتباك بحروبهم مع الدول البلقانيّة والمجر والنمسا وبلاد العجم فكان اهتمامهم بالولايات الخاضعة لسلطتهم قليلًا يرسلون اليها ولاةً يتصرّفون في الرعايا تصرُّف السيد المطلق السلطان بارقّ عبيدهِ الّا بعض الافراد منهم يحصّون على عدد الاقامل. وكان هؤلاء الولاة يحلّون في مراكز ايالاتهم فيسرعون ان يغتنوا سريعاً لعلمهم انّ ايّامهم معدودة فيخلفهم قريباً من يطمع في ولايتهم ليغتني مثلهم بالظلم والرشوة اذ لا يطالبهُ احد الّا بان يدفع للدولة ما تفرضهُ من الضرائب على الرعايا. ولنا دليل ظاهر على ذلك انّ بلاد الشام تولّى عليها في ١٨١ سنةً (من السنة ١٥١٦ الى ١٦٩٧) مائة وثلاثة وثمانون والياً لا يرى القارئ في تاريخهم غالباً سوى الاعمال الشائنة. وكان امراء السناجق يحذون حذو الولاة في استبدادهم

وكان مركز والي الشام في دمشق. امّا صيداء فكانت احد الثمانية السناجق المنوطة بالولاية. فوجدها الاسقف الجديد عند قدومهِ تحت امرة محمّد باشا وكان هذا والي طرابلس سابقاً فتولّى ايالة صيداء سنة ١٦٨٠ بعد خليل باشا ابن كيوان الذي لم يبق في تدبيرها اكثر من سنة. ثم تناوب عليها من بعدهِ عدّة حكّام فعرف منهم السيد افتيميوس مصطفى باشا وحسين باشا وقبلان باشا وعثمان باشا المعروف بابي طوق وابنهُ احمد باشا وغيرهم واختبر خيرهم وشرّهم الّا انّهُ نال الحظوى عند عثمان باشا فكان يكرمهُ ويدافع عنهُ لدى ارباب الدولة. وكان الامراء من بني معن لا يزالون متولّين على نواحي الشوف الى صيداء. فكان السيد افتيميوس يتردّد اليهم ويطلب حمايتهم للنصارى ولاسيما الامير احمد المعنيّ (١٦٥٧ — ١٦٩٧) وكذلك تقرّب من امراء بيت شهاب المتولّين على نواحي راشيّا وحاصبيّا وبالخصوص الامير

١) اطلب المشرق (٩: ٤١٢-٤١٣)

بشير الاول ابن حسين الشهابي (١٦٩٧–١٧٠٦) والامير حيدر (١٧٠٦–١٧٣٢)

وكانت مدينة صيداء في القرن السابع عشر اضحت من مدن السواحل المعتبرة يتوارد اليها التجار بمثابة فرضة دمشق كبيروت في عهدنا. وكان الفرنج قد قصدوها منذ اواخر القرن السادس عشر وفتحوا فيها المحلات التجارية ودارت الاعمال بينهم وبين تجار مرسيليا فما لبثت ان اتسعت معاملاتهم حتى عينت الدولة الفرنسوية لتدبير امورهم قنصلاً منهم فابتنوا لهم خاناً واسعاً سكنوه يُعرف حتى اليوم بخان الفرنج وفيه مقام القنصل وقد عرف منهم السيد افتيميوس القناصل استال (St Estelle) ثم لمبارور (Lempereur) ثم برتران (Bertrand) كان يلتجئ اليهم في بعض مشكلاته ويتوسل بهم الى الدولة الفرنسوية

تلك كانت احوال صيداء المدنية لما سقف عليها السيد افتيميوس صيفي. اما الاحوال الدينية فكانت ايضاً دون المدنية فان النصارى فيها كانوا في رقة الحال لم ينهضوا من ذلهم الا منذ نزل بينهم تجار الفرنج فاخذوا يعاملونهم فنالوا بذلك بعض التحسن في احوالهم المادية. ثم نزل بينهم المرسلون الفرنسيسيون فاهتموا بشؤونهم الروحية. وفي السنة ١٦٩٤ فتح الاب ريغردي اليسوعي (Fr. Rigordi) رسالة في صيداء بعد ان خدم المطعونين فيها بدعوة الآباء الفرنسيسيين. وكذلك خدم النصارى فيها الآباء الكبوشيون. فبعناية كل هؤلاء المرسلين اخذ روح الايمان والتقى ينمو بين التجار الاوربيين ثم بين النصارى الوطنيين (١ فكان المرسلون يلقون الارشادات ويوزعون الاسرار ويديرون الشركات التقوية ويعلمون الاولاد اللغات العربية والتركية والفرنسوية واليونانية ويزورون المراكب التجارية لتهذيب بحارتها. والرسائل التي كتبها وقتئذٍ المرسلون مفعمة اخباراً في نمو الدين وانتشار الايمان في صيداء. وكان هؤلاء النصارى من الموارنة يجلون المرسلين ويسمعون كلامهم ويمارسون الفضائل التي يرشدهم اليها مرشدوهم. وفي سنة دخول السيد افتيموس كان اسقف الموارنة على صيداء بطرس ابن القس ابراهيم الاهدني قد توفي ١٦٨٣ مدة زيارة رعيته في جهة الشمال فاقام السيد البطريرك اسطفان الدويهي الطيب

١) اطلب كتاب الاب بسون (Besson : *Syrie et Terre* - S^te, ثم الآثار النصرانية Documents inédits, I, 405 etc. للاب رباط 122-166)

الذكر بدلًا منهُ القس يوسف بن مبارك من رهبان مار سركيس ويفون (اطلب تاريخ الموارنة ٢٤٩) على انَّ هؤلاء الاساقفة لم يكونوا مقيمين في المدينة بل في بعض انحاء الجبل او في القلاية البطريركيَّة

امَّا الروم في صيداء فكانوا اكثر عددًا من الموارنة الَّا انَّ رُعاتهم كانوا اقلَّ اهتمامًا بهم. فجعل المرسلون يصرفون اليهم عنايتهم ويوقفونهم على العقائد الكاثوليكيَّة وفي رسائلهم ما يشهد على نجاح اعمالهم وثمار غيرتهم. فلمَّا ورد السيد افتيميوس الى صيداء واخذ بتدبير الابرشيَّة ضمَّ اليهم مساعيهُ الطيِّبة لتحسين احوال ابنائهِ الروحيين. قال في كتاب نختيكون صور (نسخة القس انطون بولاد ص ٣٣٨)

« وبعد ان تسلَّم المطران افتيميوس زمام ابرشيَّة صور وصيداء فحالًا ابتدأ بعمارة بيوت في مدينة صيداء وشرع يجلب اليها النصارى لانَّ الرعيَّة كانت جدًّا اوَّلًا قلائل وبعد ان اكثر من جلب المسيحيين اليها عمَّر كنيستها لانها كانت صغيرة حقيرة فحين عبورهِ اليها عمَّرها اوسع ممَّا كانت وذلك بدون فرمان سلطاني لانهُ كان دائمًا ذا قبول عند الوزراء الذين يتولَّونها لاجل لبابتهِ وعلمهِ وحسن منطقهِ ومعرفتهِ وشجاعتهِ سيما عند احد الوزراء المقال لهُ عثمان باشا ابو طوق ثمَّ ابتدأ يجاهر بالكرازة واشهار الايمان الكاثوليكي المقدس »

فهذه الغيرة الملتهبة في خدمة الدين الكاثوليكيّ ونشر تعاليمهِ اتخذها السيد افتيميوس كشعار جعلهُ نصب عينيهِ فلم يحد عنهُ البتَّة مدَّة الاربعين سنة التي جلس فيها على كرسي صور وصيداء. وكان اوَّل ما عمد اليهِ بعد سيامتهِ انهُ استأنف وكتب صورة ايمانهِ القويم فارسلها الى الحبر الاعظم اينوشنسيوس الحادي عشر (١

ولمَّا عقد السيد البطريرك اسطفان الدويهي مجمعًا في طرابلس جرت فيهِ مباحثات في امور الايمان الكاثوليكي دُعي اليهِ اساقفة الروم فحضرهُ مطران صور وصيداء وكان من اوَّل الذين امضوا تقاريرهُ الكاثوليكيَّة (٢

ومن الدلائل اللامعة على غيرة السيد افتيميوس انهُ كان يمنح المرسلين الغربيين كل الاجازات في نشر الانجيل وتعليم ابناء رعيَّتهِ. فكان يبارك اعمالهم ويثني على غيرتهم ويستدعيهم الى كنيستهِ للمواعظ والارشادات ويرسلهم الى القرى المجاورة

١) اطلب مجلة الشرق المسيحي (OC, 1911, p. 206)

٢) اطلب رسالة الاب ناخي اليسوعي في المكاتيب البانية (Lettres édifiantes, I, 87 et seqq.)

للرياضات الروحيّة وشرح التعليم المسيحي بل كان يتولّى تلك الاعمال الرسوليّة بنفسهِ او مع بعض كهنتهِ

وقد اثنى على غيرة هذا السيد الجليل كلّ من كان يرغب في نموّ الايمان وترقّي الكثلكة. قال معاصرهُ الاب بسون في كتابهِ سوريّة والارض المقدّسة (١ :

« انّنا مديونون كثيرًا لسيادة اسقف الروم الذي اكتسبهُ للكنيسة الرومانية احد آبائنا فلا يزال يشكر لذلك فضلهُ. فهذا الاسقف الكاثوليكي قد فتح لنا بطيب الخاطر كنيستهُ وقلبهُ وهو يصرّح علانيةً امام الجميع بانّ كنيسة الفرنج والموارنة هي الكنيسة المقدسة الحقيقية. فالشعب يتبع راعيهُ ولا يكاد يعلم شيئًا من امر انشقاق الكنيستين. . . ان في قلب السيّد الاسقف محبةً عظيمة للمرسلين فيكفينا ان نقدّم لهُ احد آباء رهبنتنا كي يأذن لهُ باتمام كل الاعمال الرسولية في ابرشيّتهِ بل يدعوهُ الى الوعظ للشعب في كنيستهِ »

وشهد لهُ مرسل آخر يسوعي وهو الاب ڤرسو (Verseau) فقال في رسالة وجّهها الى وزير الملك لويس الرابع عشر في ٧ أيّار سنة ١٧٠١ :

« انّ سيادة اسقف صيداء احد الاساقفة العظام وهو غريق في الكثلكة تجلّلهُ طائفتهُ اي اجلال حتى عزمت غير مرّة ان ترقّيهُ الى الرتبة البطريركية الّا انهُ لم يرضَ بذلك بتاتًا. وقد دافع عن الايمان الكاثوليكي بغيرة لا توصف حتى كابد لاجل الدين اضطهادات شديدة »

وقد اعترف بفضلهِ بعد وفاتهِ الحبر الروماني بندكتوس الرابع عشر في خطاب القاهُ امام مجمع الكرادلة في ٣ شباط سنة ١٧٤٤ فاعتبرهُ كقطب اتحاد الكنيستين :

« انّ البطريركيّة الانطاكيّة بعد المجمع اللورنتيني عادت الى ظلمة الانشقاق حتى لم يَعُد يبقى من امل لنهضتها الّا انهُ في اواخر القرن السابع عشر قام السيّد افتيميوس صيفي فمهّد الطريق لاتحاد الكنيستين (٢ »

ومن آثار غيرتهِ على الايمان اهتمامهُ بتربية الاحداث لعلمهِ بانهم سيكونون رجال الغد وان أُحكم تثقيفهم على مبادئ الدين لن يحيدوا عنهُ وكان رأى في دمشق المدرسة التي انشأها الآباء اليسوعيّون وقد خرج منها نخبة من الطلّاب كان معظمهم ملازمًا للآداب متمسكًا بعروة الايمان القويم وبينهم كان هو تربّى منذ نعومة اظفارهِ

---

١) اطلب Besson : *Syrie et Terre S^te*, 160-161

٢) اطلب كتاب (Jus Pontif. de Prop. Fide, III, 138)

فلم يكد يعرف اضاليل المنشقين. ومن ثمَّ تقدَّم الى الآباء اليسوعيين بتعزيز مدارسهم وزيادة اتقانها فاجابوا الى ملتمسه واصبحت عمَّا قليل مدارسهم في صيداء تضاهي مدارسهم في دمشق وحلب وقد اتَّسع الاب يوسف بسون (١ بوصف الثمار الطيبة التي جنوها من التعليم (١ فكانت الناشئة المتخرِّجة عندهم يخدمون الدين والوطن اجلَّ الخدم وقد دافع بعضهم عن ايمانهم رغماً عن اضطهادات المضطهدين

واذ رأى السيد افتيميوس ان عدد النعمة قليل لفلاحة كرم الربّ مع اتساع ابرشيَّته الى جهات صور وبلاد الجليل وبلاد بشارة فكَّر في طريقة لسدّ هذه الثلمة فأوعز اليه المرسلون بان يختار له بين كهنة طائفته رجالاً افاضل اختبر تقواهم وغيرتهم فيجمعهم ويعلّمهم طرق الارشاد ويرسلهم الى القرى واقاصي بلاد رعيَّته ليروّضوهم في ممارسة الفضائل المسيحيَّة وينيروا عقولهم بالتعاليم الدينيَّة. فرأى في تلك المشورة نعم الرأي واخذ من ثمَّ يهتم بالامر ويستدعي من كهنة ملّته من يراه كفؤاً للعمل فيرسلهم كما فعل السيد المسيح بالاثنين والسبعين تلميذاً. وكان هذا مبدأ الرهبانيَّة المخلصيَّة التي كان اعضاؤها يعيشون اوَّلاً في معيَّة السيد افتيميوس وفي داره الاسقفيَّة ثمَّ انتظمت بعد ذلك واتخذت دير المخلص كاوَّل مقاماتها القانونيَّة وسرت على قوانين القديس باسيليوس مدَّة حتى اثبت الكرسيّ الرسولي قوانينها

وبينما كان السيد افتيميوس صيفي يفرغ كنانة الجهد في الكرازة بملكوت الله وسقي الزرع الجيد ليزكو وينمو في ابرشيَّته كانت الطائفة الروم الملكيَّة تتنازعها الاهواء الشخصيَّة والاغراض الخاصَّة والطمع في السلطة فكان كيرلُّس الخامس في دمشق واثناسيوس دبَّاس في حلب مع انصارهما يسعون بتغليب حزبهما ولا يأنف اصحاب الاغراض لتنفيذ مآربهم ان يلتجئوا الى السلطة المدنيَّة ورشوة عمَّال الدولة وربَّما لاذوا بالمرسلين والكرسي الرسولي للفوز بغاياتهم ولقد يطول بنا الكلام لو ذكرنا ما حدث وقتئذٍ من الانقسامات والتحزُّبات ومن اعمال الظلم وضروب الاهانات بحقّ الكاثوليك من قبل اعدائهم الذين كانوا يصوّرون لارباب الدولة كلّ من يريد الطاعة للحبر الروماني كاجنبي وافرنجي وعدوّ السلطة الشرعيَّة فتعضدهم الحكومة على اقرانهم بهذه الحجة الباطلة

١) اطلب كتابهُ المذكور (Besson, *l. c.*, p. 153)

ولا غرو أن نال افتيميوس قسم كبير من هذه المحن فان اعداء الاتحاد مع رومية كانوا في كل معاريضهم للدولة وفي اجتماعاتهم يجعلونهُ في مقدمة انصار « الحزب الافرنجي » كما كانوا يزعمون فيثيرون عليهِ الاضطهاد ويماكرونه في انضمامهِ الى الكرسي الرسولي وتمكنوا بدسائسهم ان يلقوهُ مدةً في الحبس في قلعة صيداء. وقد ذهب الخوري ميخائيل بريك في تاريخهِ (ص ٦١) انَّ ذلك جرى لخاصة وقعت بينهُ وبين البطريرك كيرلُس الَّا انَّ الامر بعيد عن اليقين مع ما نعلم من محبة البطريرك لافتيميوس وهو الذي سقتهُ على صور وصيداء. وما لا ينكر أنَّ هذا الراعي الصالح قاسى حينئذٍ آلاماً شديدة كما صرَّح بهِ الاب فرسو في رسالتهِ المؤرخة في ٧ أيار سنة ١٧٠١ حيث قال: « قد احتمل افتيميوس سابقاً لاجل ايماننا الكاثوليكي المحن الشديدة من قبل المنفصلين لكنهُ لم يزل يدافع عنهُ مدافعة الابطال »

ولمَّا خرج السيد افتيميوس من حبسهِ ازداد غيرةً لاجل الدين بل فرح لانهُ أهل ان يكابد الهوان لاجل اسم يسوع. ولم يكتفِ بالكلام الشفاهي والقاء المواعظ لاثبات الايمان. لكنهُ صنف ذلك الكتاب النفيس الذي هو احسن شاهد على صحة الدين الكاثوليكي وضلال الاخوة المنفصلين نريد بهِ كتاب « الدلالة اللامعة بين قطبي الكنيسة الجامعة » الذي ضمَّنهُ زبدة تعاليم الكتاب المقدَّس واقوال الآباء والمجامع اثباتاً للقضايا الخمس التي يُنكرها الروم الشرقيون الارثذكسيون ثم ارسلهُ الى رومية حيث طُبع على نفقة مجمع انتشار الايمان سنة ١٧١٠ وقد كرَّر الآباء الفرنسيسيُّون في القدس الشريف طبع هذا الكتاب سنة ١٨٦٢

وقد ادَّعى بعضهم انَّ السيد افتيميوس ألف كتاباً آخر لاهتداء الاخوة المنفصلين وهو المسمَّى « الدمع المسجوم على انشقاق الروم » الَّا انَّ في الامر نظرًا فانَّ في مكتبتنا الشرقيَّة ثلاث نسخ قديمة من هذا الكتاب وكلُّها تنسبهُ الى احد الآباء اليسوعيين. وفي تراجم الاباء اليسوعيين يقال انَّ مصنفهُ الاب انطون فنتوري ولعلَّ المؤلف استفاد في كتابهِ من معلومات السيد افتيميوس والله اعلم

فالاعمال التي سبق ذكرها استجلبت انظار الغربيين فضلًا عن اهل الشرق الى اسقف صور وصيداء والى طائفتهِ الجليلة ففي ذلك الوقت انشأ لويس الرابع عشر

في باريس مدرسةً لتثقيف اولاد من الطوائف الشرقيَّة ولا سيما الروم الكاثوليك فانذر بالامر المطران افتيميوس الذي اسرع فشكر الملك ووزيرهُ على هذهِ المنة برسالة كتبها باسم جميع اساقفة الروم الملكيّين وارسل بعض الطلبة الى عاصمة فرنسة لهذه الغاية كان بينهم يوسف ابن اخيهِ (او ابن اختهِ) الذي تكرَّر ذكرهُ في رسائل ذلك الوقت ولم نتحقَّق أيوسف هذا هو الذي اشتهر بعد ذلك باسم ساروفيم طاناس ودرس في رومية وصار بطركاً

وكما كان ملك فرنسة يُكرم المطران افتيميوس كان الكرسي الرسولي ينظر اليهِ بعين الاعتبار ويعلق عليهِ أكبر الآمال لنشر الايمان الكاثوليكي بين الاخوة المنفصلين. وكان الحبر الاعظم يجيبهُ الى ملتماساتهِ ويتخذهُ كوصلة بينهُ وبين الطوائف الشرقيَّة لنا على ذلك شاهدان الاوَّل لما عُزل بجمع اساقفة الموارنة السيد يعقوب عوَّاد عن رتبتهِ البطريركيَّة سنة ١٧١٠ فرُفع الامر الى الكرسي الرسولي وارسل المطران افتيميوس مع ابن اختهِ ساروفيم طاناس رسالة لتبرئة البطريرك الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر فزكَّاه الحبر الاعظم وردَّهُ الى كرسيهِ. ثمَّ ارسلهُ افتيميوس ثانيةً الى رومية ليطلب تثبيت البطريرك كيرلس الخامس من البابا الروماني على الكرسي الانطاكي وكان مصحوباً بصورة ايمان البطريرك فنال لهُ الدرع المقدَّس ومات كيرلس كاثوليكيًّا في اوائل السنة ١٧٢٠

وكان السيد افتيميوس اذا حصل لهُ ريب في امور الايمان او التدبير يعرضهُ على المرجع القانوني في رومية فيجيبون على اسئلتهِ. ففي مجموع المجامع الحديثة (Collectio Lacensis: IV, 439-442) نحو عشرين مشكلاً طلب حلَّها من المجمع المقدَّس فاجابهُ عنها ونهج لهُ الطريق المثلى بخصوصها. وكان السيد افتيميوس قد رأى أن في بعض العادات الجارية عند الروم شيئاً من التطرُّف او الابتداع فابطلها قبل ان ينتظر حكم الكرسي الرسولي فقضى الحبر الاعظم بأَلَّا تُمسَّ الطقوس الشرقيَّة بشيءٍ ويبقى الشرقيون على عاداتهم ورتبهم اللهمَّ الَّا ان يكون دخل فيها شيءٌ من البدع والاضاليل فامتثل الاسقف البارّ اوامر رومية بكل حرص وكفى بذلك شاهداً على طاعتهِ واعتبار رومية للطقوس الشرقيَّة

امَّا المنفصلون فزادوا حنقاً على اسقف صيداء واثاروا عليهِ اضطهاداً

جديدًا ووشوا بهِ لدى الباب العالي بسعاية بطريرك الفنار ارميا وبطريرك انطاكية اثناسيوس الذي بعد وفاة كيرلُس الخامس عاد الى معاداة الكاثوليك وجاهر باخاليل الروم الشرقيين فاخرج البطريرك امرًا ينفي السيد افتيميوس صيفي من صيداء وذلك ببراءة اصدرها احمد الثالث في ١٤ ايلول سنة ١٧٢٢ (١

فكاد يظفر الروم برغوبهم لولا مساعي السفير الفرنسوي في الاستانة وقنصلهِ في صيداء اللذين اوقفا تنفيذ الحكم. وكان والي الشام عثمان باشا ابو طوق يعرف اسقف صيداء ويعزُّهُ منذ عهد حكمهِ في صيداء فجعلهُ تحت حمايتهِ وكتب لحكومة صيداء بان تفحص دعواهُ فتمَّ الامر كما شاء. وبعد الفحص المدقَّق التمس السيد افتيميوس حجة شرعيَّة نفت عنهُ ما اتَّهمهُ بهِ اعداؤهُ عند ارباب الدولة. وهذا القرار تاريخهُ اواسط رمضان سنة ١١٥٣ هـ (١٧٢٣ م) ختمهُ قاضي صيداء وامضاهُ شهود من اعيان المسلمين ومما جاء هناك (٢:

« ان افتيميوس قائم على مذهب النصارى الروم بالانجيل الذي بيدهم وبطرائقهم القديمة وجميع الرعايا القاطنين بالشام وصيداء وعكا راضون منهُ... والاتهام في حقهِ زور وبهتان... وقد فحص الحاكم الشرعي وتدقَّق واستخبر من ثقات المسلمين واعيان الموحدين القاطنين في صيداء وغيرها من طائفة النصارى الذميَّة باحدقيق الكلي والفحص الشديد فأُخبر بان افتيميوس قائم باصلاح امور النصارى ساعٍ في نظام مصالحهم... وبعد وقوف الحاكم الشرعي على جليَّة الحال وصحة المقال باخبار الثقات التمس المطران افتيميوس حجة شرعية لنفي ما اتهموه بهِ للدولة العليَّة واظهارًا لكذب البطركين... فكُتب ما وُقع وحُرِّر بالطلب... »

ويؤخذ من هذه الحجة انَّ عدد الروم الكاثوليك كان قد كثر في تلك الأيام في كل انحاء الشام وانَّ للسيد افتيميوس اليد الطولى في نظام امورهم فكان هذا القرار الشرعي كتثبيت رسمي لطائفة الروم المتحدين مع الكرسي الرسولي بل كوصيَّة افتيميوس الاخيرة قبل وفاتهِ لأنهُ انتقل الى جوار ربهِ ثلاثة اشهر فقط بعد صدور هذه الحجة وهو في دمشق فأمكنهُ ان يقول مع سمعان الشيخ: « اطلق يا رب عبدك بسلام »!

وكان ثقل السنين بل وفرة الاشغال قد ابهظتهُ حتَّى ناء تحت عبئها وخارت

---

١) اطلب ترجمتها في الآثار النصرانية (Documents inèdits, I, 546)

٢) اطلب كتاب القائد الامين للسيد مكسيموس مظلوم (ص ٤٩ – ٥١)

قواهُ في اواخر فصل الصيف من تلك السنة. فلما شعر بضعفهِ علم بانَّ ساعتهُ قد دنت فكان اوَّل اهتمامهِ بان يعدَّ نفسهُ للملاقاة ربّهِ فاسرع ودعا اليهِ المرسلين الفرنسيسيين واليسوعيين والكبوشيين وتلا امامهم دستور الايمان الكاثوليكي وحضهم على السعي بنشرهِ بين ابناء طائفتهِ اذ ليس خلاص خارجاً عن السفينة البطرسيَّة. ثمَّ اعترف بخطاياه الى معلم ذمتهِ احد الآباء اليسوعيين وطلب من مرسل آخر ان يمنحهُ الاسرار المقدَّسة ويمسحهُ المسحة الاخيرة

وكان الحضور يذرفون الدموع لما يشاهدون في الشيخ المدنف من التقى والورع ومظاهر القداسة وبعد ان منحهُ احد الآباء الغفران الكامل اسلم روحهُ البارَّة الى خالقهِ بكل هدوء وسكينة. وقد وصف احد الحضور من المرسلين الكبوشيين ميتتهُ الصالحة التي شاهدها بالعيان (١ ثم فصَّل اخبار دفنهِ فقال:

« ولمَّا حانت ساعة الصلاة عليهِ حمل جثتهُ الطاهرة المرسلون الغربيون على مناكبهم من الدار البطريركيَّة الى الكنيسة برونق ونظام لا مثال لهما كأنَّ الميت ليس شرقيًّا بل احد وجوه الغربيين. وبعد حفلة جنَّاز عظيم نُقل بامر والي المدينة الى المدفن البطريركي فأُودع اللحد بين رؤساء طائفتهِ » وكان موتهُ في ٢٧ ت ١ سنة ١٧٢٣

*

قال الربّ: ان حبة الحنطة ان لم تمت بقيت وحدها وان ماتت اتت بغلَّة وافرة فما لبث هذا القول أنْ صدق بالسيد افتيميوس فانَّ ابناءهُ الكاثوليك ورثوا روحهُ وتناصروا على الجهاد لاجل ايمانهم وكان اوَّل اهتمامهم ان يختاروا لهم اسقفاً كاثوليكيًّا يرعاهم ضمن حظيرة الكنيسة الكاثوليكيَّة كطرانهم المتنيح فلم يجدوا اصلح من ساروفيم طاناس ابن اختهِ فاضطرُّوهُ الى قبول الاسقفيَّة فسُقف على صيداء وذهب الى حلب ليبدي الطاعة للبطريرك اثناسيوس الَّا انَّ هذا اضمر لهُ الشرّ واراد ان يلقيهُ في الحبس ففرَّ ساروفيم من وجههِ وعاد الى الشام وبعد قليل مات اثناسيوس واتَّفق الكاثوليك على انتخاب ساروفيم كخلف لهُ فكان اوَّل بطريرك من سلسلة بطاركة انطاكية بعد انفصالهم عن الروم المنشقين وبهِ تمَّ رغائب السيد افتيميوس ان يرى طائفتهُ مستقلة بالتدبير والفرائض الدينيَّة تستمدُّ من الكرسي

١) تجد هذه الرسالة في مجموعة الآثار النصرانيَّة (Documents inédits, I, 566)

الرسولي قوّتها ومن الصخرة البطرسيّة ثباتها ومذ ذاك الحين اخذت طائفة الروم الكاثوليك الملكيين تنمو وتزداد حتى صارت في يومنا في تمام ازدهارها وغاية ما تتمنّى ان ينضمّ اليها الاخوة المنفصلون لتكون حظيرة واحدة وراعٍ واحد

ومن ثمرات شفاعة الطيب الذكر افتيميوس صيفي بعد موته ترقّي الرهبانيّة المخلصيّة التي جعلها لطائفته كخميرة صالحة ينال من افضالها كلّ ابناء الملة المذكورة وكان السيد افتيميوس حظي بنظر ابنية دير المخلص في تمامها سنة ١٧١٦ ثمّ باشر ببناء كنيستها سنة ١٧٢٠ فانجزها في السنة التالية وكانت من اعظم كنائس الكاثوليك في وقتها. وكان اسقف صيداء يحبّ الاختلاء مع رهبانه في ذلك الدير ويعيش معهم بممارسة كلّ الفضائل السامية والكمال المسيحي كأنهُ واحد منهم. واذ ننتظر قريباً نشر تاريخ هذه الرهبانيّة نكتفي هنا بالتلميح الى خدمها العديدة التي ادّتها مدّة جيلين لكافة اهل الشام في كلّ انحاء البطريركيّة الانطاكيّة. واحسن دليل على ذلك الجدولان الآتيان وفيهما اسماء البطاركة والاساقفة الذين خرجوا منها منذ انشائها لرعاية المؤمنين

جدل اوّل

للسادة البطاركة الذين ترهّبوا في الرهبانيّة المخلصيّة

اسماؤهم وسنة ترهبهم	اسقفيّتهم	بطركيّتهم	سنة وفاتهم
ساروفيم طاناس *	صيداء ١٧٢٣	باسم كيرلس ٦ ١٧٣٤	في دير المخلص ١٧٦٠
اغناطيوس جوهر ١٧٥٤	« باسم اثناسيو ١٧٦٣	مرّتين ١٧٥٩ ثمّ ١٧٨٨	في رشيا ١٧٩٤
فرنسيس سياج ١٧٥٠	بصرى وحوران ١٧٦٣	باسم كيرلس ٧ ١٧٩٤	في عينبت ١٧٩٦
اغابيوس مطر ١٧٦٠	صيداء ١٧٩٥	١٧٩٦	في عين تراز ١٨١٢
غبريل مطر اخوه ١٧٧٦	بصرى باسم اثناسيوس ١٧٩٧ ثم صيداء		
	١٨٠٠	١٨١٣	بعد ثلاثة اشهر
مكاريوس طويل ١٧٧٩	القرزل ١٨١٢	١٨١٣	في دير المخلص ١٨١٥
ميخائيل بحوث ١٨١٨	عكا ١٨٣٦	باسم اكليمنضوس ١٨٥٦ تنزّل سنة ١٨٦٤	في دير المخلص ١٨٨٢
غريغوريوس يوسف ١٨٤١	« ١٨٥٦	١٨٦٤	في دمشق ١٨٩٧

* من رفقة السيد افتيميوس صيفي الاوّلين

جدول ثاني

للسادة الاساقفة الذين كانوا من الرهبانية المخلصية

اسماؤهم وسنة ترهبهم		اسقفيتهم		سنة وفاتهم	
افتيميوس صيفي منشئ الرهبانية					
نحو السنة	١٦٩٠	على صور وصيداء	١٦٨٣	في دمشق	١٧٢٣
اغناطيوس بيروتي	١٦٩٦	«	١٧٢٣	« صيداء	١٧٥٢
اندراوس فاخوري	١٧٣٤	صور	١٧٥٢	« البصة	١٧٦٨
باسيليوس عطا الله	١٧٧٣	«	١٨٠٦	؟	
باسيليوس زكار	١٨٠٧	«	١٨٢٧	« افرط	١٨٣٤
صموئيل قاروط	١٨١٨	« باسم اغناطيوس	١٨٣٥	« صور	١٨٥٤
ايوب صباغ	١٨٢٤	« « اثناسيوس	١٨٥٥		١٨٦٦
اثناسيوس خوام	١٨٥٩	«	١٨٦٧		١٨٨٦
رافائيل زلف	١٨٦٨	« « افتيميوس	١٨٨٦	الاسقف الحالي	
ميخائيل فينان	١٧١٧	بانياس ثم صيداء باسم باسيليوس	١٧٢٤	« دير المخلص	١٧٥٢
انطون جلخاف	١٧٣٤	صيداء باسم باسيليوس ثم بيروت	١٧٥٥ ١٧٦٣	« بيروت	١٧٨٧
الياس خليل	١٧٨٩	« باسم باسيليوس	١٨٢١	« جون	١٨٣٦
رافائيل قبوجي	١٨٣٠	« « ثاودوسيوس	١٨٣٦		١٨٨٦
باسيليوس حجار	١٨٥٥	بصرى ١٨٧١ ثم صيداء	١٨٧٥	وهو الاسقف الحالي	
عازر قسقوس	١٨١١	«	١٨٣٦	« دمشق	١٨٥٧
ميخائيل عجيمي	١٧٢٠	عكا ثم على الفلاية الدمشقية			
مكاريوس فاخوري	١٧٤٧	باسم مكاريوس	١٧٥٢	« دير المخلص	١٧٦٣
مكاريوس نحاس	؟	«	١٧٦٣	« « «	١٧٩٤
مرقس حبيب	١٧٨٥	«	١٧٩٤		١٨٠٩
غريغوريوس يوسف سيوره	١٨٤٠	« باسم ثاودوسيوس	١٨٠٩	« رشيا	١٨٣٤
اغابيوس الدوماني	١٨٣٣	«	١٨٥٦		١٨٦٤
اثناسيوس صباغ نحو	١٨٦٩	«	١٨٦٤		١٨٩٢
جبرائيل حجار	١٨٩٣	« « غريغوريوس	١٨٩٤ ١٩٠١	الاسقف الحالي	

اسمائهم وسنة ترهبهم		اسقفيتهم		سنة وفاتهم	
يوسف الدوماني	١٨٦٩	على طرابلس	١٨٩٧	الاسقف الحالي	
مطوديوس الحلبي	؟	على ولاية دمشق باسم مكاريوس	١٨٣٤	في قرية يارون	١٨٦٥
دانيال حداد	١٨٣٦	على ولاية دمشق باسم مكاريوس	١٨٥٢	« دمشق	١٨٨٨
جبرائيل المبيض	١٧٣٧	نارا باسم جراسيموس (غير قانوني)	١٧٦٠	« دير مشموشه	١٧٩٢
غريغوريوس حداد	؟	نارا وبيرود	١٧٦٠	« دير المخلص	١٧٩٥
افثيموس من معلولا	١٧٢٢	فرزل وزحله	١٧٢٤	« القريعة	١٧٧٦
يوسف فرحات	١٧٣٨	«	١٧٧٥	« زحلة	١٧٩٣
باسيليوس جباه	١٧٥٢	«	١٧٩٥	« «	١٨١٢
اندراوس الحلبي نحو	١٧٣٠	صيدنايا باسم اكليمنضوس نحو سنة	١٧٣١	« دير القمر	١٧٨٤
جرمانوس معقد	١٨٦٩	بطلبك ١٨٨٦ ثم اللاذقية شرناً		مقامهُ الآن في حرجا	

فمن هذين الجدولين يُستدَلُّ نوعاً على ما يستحقّ الطيب الذكر صاحب الترجمة من الشكر لانشائهِ هذه الرهبانيَّة الجليلة فخدم بها كنيسة الله عموماً وطائفتهُ الملكيَّة خصوصاً. ولكان الامر زاد بياناً لو امكننا ان نسرد اسماء الرهبان الذين امتازوا فيها بالقداسة والاعمال الرسوليَّة والتآليف الروحيَّة والادبيَّة فنسأل الله في الختام ان يعزّز هذه الرهبانيَّة ويزيدها نموًّا وفضلاً ويعيد عليها امثال هذا اليوبيل قروناً متجدّدة وهي راقية في معارج الكمال مجاهدة الجهاد الصالح في سبيل الدين وصلاح الوطن العزيز بمنّهِ تعالى وفضلهِ العميم

حكومة الحبش

لجناب الكاثاير عبد الله افندي رعد سر اجزاني البلاط الامبراطوري في الحبشة سابقاً

الممالك الحبشيَّة في القديم

لو أجلنا الطرف في تاريخ الاحباش منذ العصور الخالية الى اليوم لرأينا الحبشة تنقسم الى ممالك صغيرة متعدّدة تخضع كلها خضوعاً اسميًّا لا فعليًّا لعاهل كبير يلقبونهُ

بالنجاشي وبملك الملوك وبالامبراطور تمتد سيطرتهُ على جميع الامرآء المسيحيين والمسلمين الذين يحكمون على المقاطعات الحبشيَّة ويدبرون امرها فهم يقدّمون لهُ الجزية السنوية وينضمّون الى لوائهِ في الحروب مع الخوارج. وسلطة هذا النجاشي وراثيَّة كابرًا بعد كابر ومنحصرة بالذكور دون الاناث وقال بعضهم ان للاناث حق الملك في بعض الاحايين وتاريخ الحبشة في الازمنة الغابرة شاهد على صدق مقالتهم الّا ان مثل هذه الشواهد منحصرة في امكنة وازمنة واحوال خصوصيَّة. وكانت هذه الممالك تشنُّ الغارات بعضها على بعض بل كثيرًا ما اظهرت العدوان لنجاشيها وتاجزتهُ الحرب وكسرتهُ واستولت على السيادة مكانهُ وصار هو يقدّم لها الجزية وهكذا تنقَّل تاج الامبراطورية من رأس الى رأس ومن امير الى امير مدة طويلة من الدهر فكان يقبض عليهِ المغتصب الاشدّ بأسًا من الاخرين. ولنا في ذلك شاهد ليس ببعيد العهد فالامبراطور منليك الثاني النجاشي الحالي كان ملك الشوى فاغتصب تاج الامبراطوريَّة الذي كان على هامة سلفهِ الامبراطور يوحنّس بعد وفاتهِ ويوحنس هذا كان ملكهُ الخاصّ في تكرد امّا ابنهُ (ابن يوحنس) فبقي اميرًا على مقاطعة ابيه يحكمها باسم راس منغاشا واذ خشي منليك ان يجمع منغاشا المقاتلين من حولهِ ويعود فيسترجع تاج ابيه عمل على مناكدتهِ حتى رفع راية العصيان او حاول ان يرفعها فقبض عليهِ في الحال في مدينة انكوبر العاصمة القديمة واعتقلهُ حتى قضى نحبهُ في سجنهِ. وكذلك النجاشي يوحنس نفسهُ ابو منغاشا انّما كانت امبراطوريتهُ مغتصبة بعد وفاة النجاشي ثيودورس

ولقد طالما لاطمت الحبشةَ امواجُ الشعوب المختلفة من جوانبها الاربعة على كرور الازمان فلم تؤثر فيها وبقيت الدولة الوحيدة التي عاندت الايام بمناعتها وحافظت على استقلالها الدهور الطوال بينما ترى معاصراتها دول الاشوريين والماديين والبابليين والفنيقيين والمصريين واليونانيين قد دثرت وبادت ولم يبقَ لها سوى الذكر في صفحات التاريخ وما ثبوتها الّا لان ارضها كالحصن المنيع فكلها لجاة وصفاة تكسرت عليها امواج المطامع وعادت على اعقابها خاسرة والاحباش من فوق هذه الحصون الطبيعيَّة كالنسور تمضي عليهم السنون آلافًا ومئين وهم هم يجددون شبابهم من حين الى حين فينحطّون تارة وطورًا يرتفعون وهم في مأمن من شرّ

الدول المجاورة لهم القاطنة السواحل والسهول يكتفون بما عندهم مما ينبت في ارضهم من النبات والاشجار وما يعيش عندهم من الوحوش والبهائم لا يُصدرون ولا يستوردون الى ان اتاحهم التمدُّن الحديث الى الارض كما ينيخ الرجل البعيرَ بيدهِ وانزلهم في ميدان الدول وتيار الامم ففتح اسواقهم للتجارة وطرقاتهم للقوافل حتى وللسكك الحديديَّة ايضاً ودخلت الجاليات الغريبة بلادهم وارسلت الممالك الاوربيَّة اليهم السفراء والقناصل فداروا اليوم مع الدولاب العظيم واذا هم لم يظهروا بمظهر الكفاية للثبوت برفهم التيار واضحوا اثرًا بعد عين

٣ نوع الحكومة الحالية

ولما صار التاج الامبراطوري على رأس منليك بن هايلا ملكوت بن سهلا سلاسيه ملك الشوى ومن السلالة السليمانيَّة التي تصلها تقاليدُ الاحباش بمنليك الاول ابن سليمان الحكيم من قنداقة ملكة سبا على ما يزعمون واستلم عنان الامر باسم منليك الثاني قام يسير السير الحثيث ويواصل الفتوحات التي بدأ بها جدُّهُ سهلا سلاسيه حتى دانت لهُ ملوك الحبشة وامراؤها ورؤوسها واصبحت ممالكها واماراتها ومقاطعاتها رهينة اشارته وفي قبضة يديه فضمَّها كلها الى مملكة واحدة وجعلها من نوع حكومة الاقطاعات كما كانت اوربا في عهد الموالي والغى فيها لقب الملوك جاعلًا في كلّ مملكة منها وامارة حاكمًا يشبه الخديو يعرف عندهم بالا « رأس » ثم جزأ بعض هذه الامارات واقطعها لمن شاء من ذويه وعظماء مملكتهِ والمقربين اليهِ وهو يعزل ويولي كيفما شاء ويصدر اوامرهُ الى هؤلاء الحكَّام فيطيعونهُ بعضهم تقرُّبًا اليه وبعضهم خوفًا من بطشهِ

وهؤلاء الموالي الحكام رؤوساً كانوا او عمَّالًا متسلسلين من دم ملكي او مقرَّبين من عامة الشعب لهم في ادارة مقاطعاتهم نوع من الحكم الاستقلالي. فكل امير منهم متسلط على امارتهِ يسوس جيشها وحكومتها وقضاءها فينصب وينزل ويستوفي العشور ويحكم ويقضي بالموت ويحشد الجيوش ويرتب الصفوف والايالات ويرقي القواد والضباط ويثيب ويعاقب كيفما شاء الَّا ان للرعيَّة في كل حال حقًّا باستئناف دعاويهم الى سدة الملك وهو ينصف للظالم من المظلوم . ثم انَّ هؤلاء الامراء يقسمون عادةً اماراتهم الى اقسام متعدّدة يضعون كلّ واحدة منها تحت امرة عامل

دونهم ولكلّ عامل مساعدون منهم الوكلاء او المديرون ومنهم الكتبة ومنهم المشّارون ومنهم الدرك للمحافظون على الطرقات والمساكن ومنهم القضاة الى غير ذلك من الوظائف ولكل عامل ان يولي ويعزل مساعديه بلا مشورة الامير فهو الامير في اقطاعته كما ان الامير هو المولى في مقاطعته . ولكليهما دائرة واعوان ومقربون

وكما ان الملك لا يدفع مرتباً معلوماً من المال لاميره بل يقطعهُ ارض الامارة قائلاً: « اقطعتك ارض كذا وكذا لتأكلها » ويطلب منهُ جزية سنوية تقدر في اكثر المقاطعات بكذا وكذا من الحبوب والمواشي . وفي بعضها بكذا وكذا من الريالات كالجاري في امارة هرر وسواها من المقاطعات التي فيها تجارة ومحصولات تُصدَّر . وفي غيرها بكذا وكذا وزناً من الذهب الخاص كمقاطعات حدود السودان او من الخيل والبغال كامارة ولّو . او بكذا وكذا من الاثواب المحيكة من القطن كمقاطعة جمّا . فعلى هذا النحو يقطع الامير عمّالهُ ارضاً يرتزقون من دخلها ويعطون مولاهم حصتهُ المفروضة عليهم والعمال بدورهم يقطعون مساعديهم ووكلاءهم اجزاء من اقطاعتهم ويفرضون على هؤلاء مثلما هو مفروض عليهم من مواليهم . وقس على ذلك مع حفظ النسبة في جميع المراتب من الامير الى الصعلوك ومن القائد الى الجندي ومن السيد الى الاجير مما لهُ علاقة في خدمة الدولة ووظائفها

٣ اقسام السلطنة

لا تنقسم المملكة الحبشيَّة الى اقسام معلومة من الامارات والايالات كما تقسم بقيَّة ممالك الدول المتمدّنة بل هي مجموع اقطاعات يزيد فيها النجاشي او ينقص حسب الظروف وعلى نحو ثقته بقدرة الامير او العامل الذي يوليه ولا وراثة في حكومة المقاطعات بل ان الارض وما عليها للملك يقطعها لمن اراد بلا حساب ولا مقياس على ان العادة المتغلبة هي ان يُعطى الابن مقاطعة ابيه اذا لم يكن هنالك من مانع سياسي او سماية او عدم مقدرة الابن على الحكم نظير ابيه او تغيير رضى الملك على عائلة ذلك الحاكم

على ان بعض الامارات المهمّة التي كانت في الاصل ممالك مستقلة لم تزل مساحتها على ما هي ويقطعها النجاشي للرؤوس الذين يقومون مقام الملوك الأوّل . وهذه الامارات هي :

١ً « شوى » امارة يعود حكمها رأساً الى الملك لانهُ ملك شوى وامبراطور الحبشة وعاصمتها اديس ابابا

٢ً « هرر » وقاعدتها « ادره » ولكنها مشهورة باسم مدينة هرر (من باب تسمية الجزء بالكل) امارة غنمها منليك بالحرب سنة ١٨٧٧ من الامير عبدالله العربيّ ثمَّ ولّاهُ عليها تحت سؤدده ثلاث سنين واذ لم يحسن سياستهُ وظهر منهُ ميل الى التمرُّد عزلهُ وولّى مكانهُ ابن اختهِ (ابن اخت منليك) المرحوم الرأس مكونين وهي اليوم تحت امرة ابن هذا الرأس الامير تفري. امَّا الامير عبد الله فهو الى اليوم حيٌّ يُرزق وانَّما يعيش منفرداً في مدينة هرر وقد الحق منليك بهذه الامارة ساحل الصومال وبلاد الدناكل وجزءاً من الگالّا جاعلًا حدودها من تخوم المستعمرات الفرنساويّة (جيبوتي) والايطاليّة (ايرتره وعصب وگاردا فوي) الى حدود شوى

٣ً « كودجام » مملكة مهمة انتصر منليك في الحرب على ملكها « تكلاهيمانوت » ثم ولّاه عليها تحت سؤددهِ الى ان مات وهي اليوم تحت امرة ولدهِ الرأس هايلو

٤ً « تگره » وقاعدتها عدوى مملكة الامبراطور السابق النجاشي يوحنّس وهذه بعد ان سلَّم منليك امرتها ليد الراس منغاشا النجاشي يوحنّس مدةً من الزمان عاد فقسمها الى جملة اقطاعات واحدة منها تحت امرة ابن الراس اباتا وواحدة اخرى يتولّاها الدجاز ماتش ابراهيم وجزء منها اتبعتهُ حكومة ايطالية بمستعمراتها اريتره على البحر الاحمر بموجب معاهدة مبرمة بينها وبين النجاشي منليك

٥ً « ولّو » مملكة اسلاميّة على حدود بلاد الدناكل غزاها منليك ثم ولّى عليها ملكها ومن بعدهِ اقطعها لابن هذا الملك الذي تنصَّر فدعاه الراس ميخائيل وزوَّجه ابنتهُ الاميرة شوارگا وقد ولد من هذا الزواج ولد واحد هو الامير يسوع وارث تاج النجاشي منليك وولي عهد سلطنتهِ الواسعة

٦ً « جمّا » مملكة اسلاميّة ايضاً اخذها منليك غنيمة الحرب من يد سلطانها ابي جعفر محمّد بن داود ثم ردّها لهُ وجعلها في امرتهِ مسمياً اياه بلقب مشير « ددجازماتش ابو جعفر ». ويكثر في هذه الامارة شجر البن الحسن الجنس

٧ً « كفا » مملكة قديمة كانت بيد ملكٍ من الزنج وهي اليوم تحت

أمرة الراس ولد جرجس احد انسباء النجاشي . يقال ان العرب الغزاة اول من نقلوا البن منها الى جهات اليمن فشاعت زراعتهُ بعد ذلك في جميع انحاء المعمور . وقد دعوها قهوة احد اسماء الخمر . ومن اسم كفا اشتق الافرنج اسم البن بلغاتهم (café)

٨ً « بني شنكول » مقاطعة سودانيَّة كان مشايخها خاضعين لامراء السودان وقد غنمها منليك بالحروب والغزوات

هذه هي اهمّ الامارات . اما بقيَّة المقاطعات التي يقسمها النجاشيّ حسب مشيئته فهي بلاد العروسي وبجمدر وليكا ومنجار وجرجر وغيرها حتى حدود الكونغو والسودان وهي بلاد واسعة الارجاء كانت بيد القبائل الكالا فانضمت الى السلطنة الحبشيَّة في عهد الامبراطور منليك ولم تزل الى اليوم خاضعة لصولجانهِ يقطعها لمن اراد من الحكام والمتقربين واكثرها بيد حكامها الاصليين والكالا يؤدون لهُ الجزية السنوية والعشور

٤ الرتب العسكريَّة

للملك كما لكل واحد من الرؤوس جيش بعضهُ نظامي وهو الذي يؤلف الحرس الخاصّ ومحافظة الحدود والنقط الحربيَّة المهمة والبعض الآخر في خدمة بقيَّة القواد والضبَّاط والعمَّال وتحت امرتهم وهذه الفئة هي كالرديف والاحتياط في جيش بقيَّة الدول فاذا ضُربت طبول الحرب او سافر قائدهم او ضابطهم من محلّ الى آخر كما لو نقلهُ الامير من إقطاعة الى اقطاعة او اخذهُ بمعيَّتهِ عندما يذهب الى العاصمة لزيارة مولاه النجاشي قامت وحملت سلاحها وتبعت متبوعها حيثما ارتحل وحلَّت اينما حلَّ وما عليهِ ان يهتمّ بزادها ولا بمؤونتها لانهُ حيثما حلّ يقدّم لهُ السكان ما يحتاجهُ لهُ ولرجالهِ وجميع حاشيتهِ واتباعهِ من مأكول ومشروب وعلف للبهائم وهذه التقدمة هي نوع من الخراج غير المعتاد يسمونهُ « درگو »

امَّا الرتب العسكريَّة فهي هذه حسب درجاتها :

١ً « مردزماتش » : هو القائد العام وقت الحرب ويكون في اكثر الاحايين رأساً كما دُعي الراس مكونين ابّان حرب الحبش مع الطليان وهي الحرب المعروفة بحرب الاريتره

٢ً « ددجازماتش » : هو المشير قائد فرقة من جيش الملك الخاصّ او جيوش الامراء

وترجمة الكلمة « قائد الباب » لذلك اصحاب هذه الرتب يضربون سرادقهم عادة قرب باب سرادق الامير فيتلقَّون الاوامر رأساً ويعطونها لبقيَّة قوَّاد الجيش .

٣ً « فيتوراري » : هو المقدَّم او قائد الامام ومحلهُ مع فرقتهِ في مقدَّمة الجيش

٤ً « كانيازماتش » : هو قائد الميمنة ومكانهُ مع فرقتهِ من عن يمين كوكبة الامير

٥ً « گرازماتش » : قائد الميسرة ومكانهُ مع فرقتهِ من عن يسار كوكبة الامير

٦ً « وبّر » : قائد المؤخر ومكانهُ مع فرقتهِ وراء كوكبة الامير

٧ً « واكشوم » : امير البحر وهي رتبة فخريَّة اذ لم يَعُد للحبشة ميناء بحري

وما دون ذلك فعندهم ضباط رؤساء الف ورؤساء مئة ورؤساء خمسين وكذلك صنف ضباط يقال لهم باشا وهي كلمة اخذوها عن المصريين السودانيين في الحروب

امَّا الجنود فيُقسمون الى مشاة وخيالة وقد زيد عليهم في المدة الاخيرة قسم آخر دُعوا بالمدفعيَّة وهؤلاء كلهم من العبيد السودانيين واواخر جيش امارة هرر الذي كان فيها من عهد المصريين له بقيَّة

كتاب
طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سعى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٤ العلم في اليونان

وامَّا الامَّة الرابعة (١ وهم اليونانيون فكانت امَّة عظيمة القدر في الامم طائرة (٢ الذكر في الآفاق فخمة الملوك عند جميع اهل الاقاليم منهم الاسكندر بن فيلبوس المقدوني (٣ المعروف بذي القرنين الذي غزا دارا بن دارا ملك الفرس في عَقْر دارهِ وثلَّ عرشهُ (٤ [ومزق ملكهُ وفرَّق جميعهُ (٥ ثم تخطَّاهُ قاصدًا الى ملوك

١) هذه القطعة في وصف امَّة اليونان نقلها ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٦-٣٧) مع بعض التغيير ٢) حك : ظاهرة ٣) حك : الماقدوني

٤) في الاصل قبل عرسه وهو تصحيف ٥) حك : فاستلبهُ ملكهُ بعد اهلاكهِ

الشرق من الهند والترك والصين فتغلّب على بعضهم وانقاد لهُ جميعهم وتلقوهُ بالهدايا الفخمة واستكفوه بالاثارات الجزلة ولم يزل متردّدًا في اقاصي الهند وتخوم الصين وسائر أكناف المشارق حتى اجتمع ملوك الارض طرًّا على الطاعة لسلطانهِ والخضوع (17) لعزتهِ والإقرار بانهُ ملك الاقاليم والاعتراف بانَّهُ رئيس الارض

وكان بعدهُ من الملوك اليونانيين جماعةٌ يُعرفون بالبطالسة واحدهم بطليموس دانت لهم الممالك (١ وذلَّت لهم الرقاب ولم يزل ملكهم متصلًا الى ان غلبهم عليهِ الروم فانقرض ملكهم من الارض وانتظمت مملكتهم مع مملكة الروم فصارت مملكة واحدة روميَّة كما فعلت الفرس بمملكة البابليين حين استولت عليهما وصيَّرت المملكتين مملكة واحدة فارسيَّة

وكانت بلاد اليونانيين في الربع الغربي الشمالي من الارض ويحدُّها (٢ من جهة الجنوب البحر الرومي والثغور الشاميَّة والثغور الجزرويه (٣ ومن جهة الشمال بلاد اللان وما حاذاها من ممالك الشمال ومن جهة المغرب تخوم بلاد رومانية (٤ التي قاعدتها مدينة رومية ومن جهة الشرق مدينة ارمينية (٥ وباب الابواب والخليج المعترض ما بين بحر الروم وبحر نيطش (٦ الشمالي يتوسط بلاد اليونان فيصير القسم الاعظم منها في حيّز المشرق منهُ والقسم الاصغر منها في جنوب المغرب منهُ

ولغة اليونانيين تسمى الاغريقية وهي من اوسع اللغات واجلّها وكانت عامَّة اليونانيين صابئة معظِّمةً للكواكب دائنة بعبادة الاصنام وكان علماؤهم يُسمَّون فلاسفة واحدهم فيلسوف وهو اسم معناه باللغة اليونانيَّة محب الحكمة. وفلاسفة اليونانيين (٧ من ارفع الناس طبقةً واجلّ (٨ اهل العلم منزلةً لما ظهر منهم الاعتناء

---

١) حك: دان لهم الملك ٢) في الاصل: يحدها غلط. حك: فحدُّها

٣) كذا في الاصل. والصواب كما جاء في حك: الجزريَّة نسبة الى بلاد الجزيرة وما بين النهرين

٤) كذا والصواب: المانية (le Saint Empire Germanique)

٥) كذا والصواب كما في حك: تخوم بلاد ارمينية ٦) حك: نيطس

٧) هذه القطعة عن فلاسفة اليونان نقلها ابن ابي اصيبعة بحرفها في تأليفهِ عيون الانباء في طبقات الاطباء (١: ٢٦)

٨) في الاصل احلّ

الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضيَّة والمنطقيَّة والمعارف الطبيعيَّة والالهيَّة والسياسات المنزليَّة والمدنيَّة

واعظم هؤلاء الفلاسفة عند اليونانيين قدرًا خمسة فاوَّلهم زماناً بندقليس (١ ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم افلاطون ثم ارسطاطاليس بن نيقوماخوس (٢ (18)

فاماً بندقليس (٣ فكان في زمن داود النبي عليه السلام (٤ على ما ذكرهُ العلماء بتواريخ الامم وكان (٥ اخذ الحكمة عن لقمان (٦ بالشام ثمَّ انصرف الى بلاد اليونانيين فتكلَّم في خلقة العالم باشياء يُقدح ظاهرها (٧ في امر المعاد فهجره لذلك بعضهم وطائفة من الباطنيَّة (٨ تنتمي (٩ الى حكمته وتزعم (١٠ انَّ لهُ رموزًا قلَّما يوقف عليها . وكان محمَّد بن عبدالله بن مرَّة (١١ الجبليّ الباطني من اهل قرطبة كلفاً بفلسفته دؤوباً على دراستها (١٢ وكان اوَّل من ذهب الى الجمع بين معاني صفات الله تعالى وانها كلّها تؤدّي الى شيء واحد وانَّهُ ان وُصف بالعلم والجودة والقدرة فليس هو ذا معانٍ

---

١) بندقليس او انباذقليس (Empédocle) الفيلسوف الصقلي في القرن الخامس قبل المسيح ٢) في الاصل: نيقوماخوش .

٣) قد روى ابن ابي اصيبعة (١ : ٣٦–٣٧) عن مؤلفنا قولهُ في انباذقليس وكذلك رواهُ ابن القفطي (ص ١٥) وهو يدعوهُ ابيذقليس

٤) والصواب ان داود سبقهُ خمسة اجيال ٥) حك: وقيل انهُ

٦) اختلف الكتبة في وجود لقمان واصلهِ وزمانهِ ٧) حك: تقدح ظواهرها

٨) الباطنيَّة طائفة من الاسماعيلية

٩) روى ابن ابي اصيبعة: تنتمي ولعلَّها الاصحّ . وفي حك: ومن الفرقة الباطنيَّة من يقول برأيهِ وينتمي في ذلك

١٠) حك: ويزعمون

١١) كذا روى ابن ابي اصيبعة ونشير اليهِ منذ الآن بحرفي صب وفي الاصل: مسرَّة . امَّا حك (ص ١٦) فدعاهُ ابا عبد الله محمَّد بن عبد الله بن مسرَّة بن نجيح قال: « انهُ سمع من ابيه ومن ابن وضَّاح والحشني وخرج الى المشرق فارًّا لمَّا اتُّهم بالزندقة لاكثارهِ من النظر في فلسفة ابيذقليس ولهجهِ بها وتردَّد في المشرق مدَّة واشتغل بملاحاة اهل الجدل واصحاب الكلام والمعتزلة ثم عاد الى الاندلس واظهر النسك والورع واغترَّ الناس بظاهرهِ واختلفوا اليهِ وسمعوا منهُ ثم ظهروا على معتقدهِ وقبح مذهبهِ فانقبض عنهُ بعض ولازمهُ بعض ودانوا بنحلتهِ وكان لهُ لسان خلوب يتوصَّل بهِ الى مرادهِ » . . توفي سنة ٣١٩ (٩٣١ م) وهو ابن خمسين سنة »

١٢) حك: ملازماً لدراستها

متميّزة تختصّ بهذه الاسماء المختلفة بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثّر بوجهٍ ما اصلًا بخلاف سائر الموجودات فانّ الوحدانيّات العالميّة معرّضة للتكثير (١ امّا باجزائها وامّا بمعانيها وامّا بنظائرها وذات الباري تعالى متعالية عن هذا كلهِ والى هذا المذهب في الصفات ذهب ابو الهذيل محمّد بن الهذيل بن العلّاف (٢ المصري

وامّا فيثاغورس (٣ فكان بعد بندقليس بزمان واخذ الحكمة عن اصحاب سليمان بن داود عليهما السلام (٤ بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام. وكان قد اخذ الهندسة قبلهم عن المصريين (٥ ثم رجع الى بلاد اليونان وأدخل عندهم (٦ علم الهندسة وعلم الطبيعة وعلم الدين واستخرج بذكائهِ [علم الالحان وتأليف (٧ النغم واوقعها تحت النِّسَب العددية وادّعى انّه استفاد ذلك من مشكاة النبوّة ولهُ في نضد (٨ العالم وتركيبهِ على خواصّ العدد ومراتبهِ رموزٌ عجيبة واغراض بعيدة ولهُ في شأن المعاد مذاهب قارب فيها بندقليس من انّ فوق عالم الطبيعة عالماً روحانيًا نورانيًا لا يدرك العقل حسنهُ وبهاءهُ وانّ النفس (٩ الزكيّة تشتاق اليهِ وانّ (19) كل انسان احسنَ تقويم نفسهِ بالتبرّي من العجب والتجبّر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانيّة فقد صار اهلًا ان يلحق بالعالم الروحاني ويطّلع على ما شاء من جواهرهِ من الحكمة الالهيّة وانّ (١٠ الاشياء اللذّة (١١ للنفس تأتيهِ حينئذٍ (١٢ ارسالًا كالالحان الموسيقيّة الآتية الى حاسّة السمع ولا يحتاج ان يتكلّف لها طلب (١٣. ولفيثاغورس تآليف شريفة في الارثماطيقي والموسيقى وغير ذلك

١) هي رواية صب وفي الاصل معروضة بالتكثير . وفي حك: معترضة للتكثّر
٢) حك وصب: الهذيل العلّاف
٣) كل هذا الكلام عن فيثاغورس نقلهُ ايضًا بحرفهِ صب في طبقات الاطباء (١: ٣٧). وفي حك: (٣٥٨)
٤) في هذا القول نظر. لعلّهُ يريد بهِ علماء الاسرائيليين المهاجرين الى مصر بعد خراب اورشليم. وفي حك: داود النبي
٥) هذه رواية صب وحك وصحيحة: وفي الاصل مقربين (؟)
٦) حك: اليهم ٧) عن صب وحك
٨) كذا روى صب وفي نسختنا: فصل. ويروى: قصد
٩) روى صب وحك: الانفس ١٠) في نسختنا: والى ١١) صب: اللذّذة
١٢) حك: حشدًا ١٣) حك وصب: طلبًا

امّا سقراط (١ فكان من تلاميذ فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الالهيّة واعرض عن (٢ ملاذّ الدنيا ورفضها (٣ واعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الاصنام وقابل رؤساءهم بالحجج (٤ والادلة فثوّروا العامّة عليهِ واضطرّوا ملكهم الى قتلهِ فاودعهُ الملك الحبس تحدّيًا (٥ اليهم ثمّ سقاهُ السمّ تفاديًا من شرّهم بعد (٦ مناظرات جرت لهُ مع الملك محفوظة ولهُ وصايا شريفة وآداب [فاضلة وحكم مشهورة ومذاهب في الصفات قريبة من مذاهب (٧ فيثاغورس وبندقليس الّا انّ لهُ في شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحقّقة

وامّا افلاطون (٨ فشارك سقراط في الاخذ عن فيثاغورس الّا انهُ لم يشتهر بالحكمة الّا من بعد سقراط وكان شريف النسب من بيت علم (٩ واحتوى على جميع فنون الفلسفة وصنّف كتبًا كثيرة (١٠ [واشتهر (١١] جماعة من التلاميذ وكان يعلم الفلسفة وهو ماش فعُرف هو وتلاميذهُ بالمشّائين وفوّض التعليم والمدارسة في آخر عمرهِ الى ذوي البراعة من اصحابهِ وتخلّى عن الناس وتجرّد لعبادة ربّه . ومن كتبهُ كتاب فادن (١٢ في النفس وكتاب السياسة المدنيّة وطيماوش (١٣ الروحاني في ترتيب العوالم الثلثة العقليّة التي هي عالم الربوبيّة وعالم العقل وعالم النفس وكتاب طيماوش الطبيعي في تركيب عالم الطبيعة . كتب هذين الكتابين الى تلميذٍ لهُ يسمّى طيماوس

---

١) نقل صب كلام مؤلفنا عن سقراط في كتابهِ طبقات الاطبّاء (١ : ٤٢) وكذلك ابن القفطي في حك (ص ١٩٨)

٢) في الاصل : من ٣) هي رواية صب وفي الاصل بالغلط : وفيها

٤) في الاصل وفي صب : بالحجاج

٥) كذا في صب . وفي نسختنا تحدّيًا وفي حك : توسّلًا الى قلوبهم وتمكينًا الى ثائرهم ٦) صب : مع

٧) هذا وقع من نسختنا وقد رواهُ صب وحك

٨) نقل حك ما يختصّ بافلاطون (ص ١٧)

٩) وزاد حك : في بيوت يونان

١٠) وزاد حك : وذهب فيها الى الرمز والاغلاق ١١) نسيها الكاتب فنقلناها من حك

١٢) وفي حك : فاذن . يدعوهُ الفرنج (Phédon)

١٣) يسمّونهُ (le Timée) وقد كتبهُ بعد هذا طيماوس بالسين ومثلهُ حك

وامّا ارسطاطاليس (١ بن نيقوماخوش (20) الجهراشي (٢ الفيثاغوري. وتفسير نيقوماخوش قاهر الخصوم وتفسير ارسطاطاليس تامّ الفضيلة . حكى ذلك ابو الحسن علي بن الحسين بن عليّ المسعودي(٣ وكان نيقوماخوش فيثاغوري المذهب ولهُ تآليف مشهورة في الارثماطقي وكان ابنهُ ارسطاطاليس تلميذ افلاطون ويقال انهُ لازمهُ عشرين سنة

وكان افلاطون يؤثرهُ (٤ على سائر تلاميذهِ ويسمّيهِ العاقل (٥ والى ارسطاطاليس انتهت فلسفة اليونانيين وهو خاتمة (٦ حكمائهم وسيّد علمائهم وهو اوّل من خلّص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقيّة وصوّرها بالاشكال الثلثة (٧ وجعلها آلة للعلوم النظريّة حتّى لُقّب صاحب المنطق ولهُ في جميع العلوم الفلسفيّة كتب شريفة كليّة وجزئيّة . فالجزئيّة التي يُتعلّم منها معنى واحد فقط . والكليّة بعضها تذاكر يُتذاكر (٨ بقراءتها ما قد عُلم من علمهِ وهي السبعون (٩ كتاباً التي وضعها لاوفارس (١٠ . وبعضها تعاليم يُتعلم منها ثلثة اشياء احدها علوم الفلسفة . والثاني اعمال الفلسفة . [والثالث الآلة المستعملة في علم الفلسفة وغيرهِ من العلوم

١ً فالكتب التي في علوم الفلسفة (١١ بعضها في العلوم التعليميّة وبعضها في العلوم الطبيعيّة وبعضها في العلوم الالهيّة

---

١) ما جاء هنا في ارسطو قد نقلهُ صب تماماً (١ : ٥٧–٥٨) وروى قسماً منهُ جمال الدين القفطيّ في كتاب الحكماء (٢٧–٣٠) اطلب ايضاً كتاب الفهرست (ص ٢٤٦)

٢) في كتاب الحكماء : الجبراشيّ . وفي صب : الجراسيّ . لعلّهُ يريد : الاسطاغيري نسبة الى اسطاغيرا (Stagyre) موطن ارسطو

٣) اطلب كتابهُ الاشراف والتنبيه (طبعة ليدن ص ١١٦)

٤) كذا في تاريخ الحكماء (ص ٣٨) وهو الصواب . وفي الاصل : يؤيده

٥) حك : العقل ٦) صب : خاتم

٧) اي القضايا الثلث الكبرى والصغرى والنتيجة

٨) صب : تذاكير يُتذكّر . وكذلك في تاريخ الحكماء (حك)

٩) كذا في حك وصب وفي الاصل : سبعون

١٠) يريد احد اعيان اليونان ولعلّ الاسم مصحّف

١١) هذان السطران وقعا من نسختنا استعرناهما عن حك وصب

فاما الكتب التي في العلوم التعليميَّة فكتابهُ في المناظر وكتابهُ في الخطوط وكتابهُ في الحيَل (١

واما كتبهُ التي في العلوم الطبيعيَّة فمنها ما يُتعلم منهُ الامور التي تعمّ جميع الطبائع ومنها ما يُتعلَّم منهُ الامور التي تخصّ كلَّ واحد من الطبائع. فالتي يُتعلَّم منها الامور التي تعمّ جميع الطبائع هي كتابهُ المسمَّى بسمع الكيان (٢. فهذا الكتاب يُعرّف بعدد المبادئ لجميع الاشياء [الطبيعيَّة وبالاشياء التي هي كالمبادئ وبالاشياء (١ التوالي للمبادئ وبالاشياء المشاكلة للتوالي. فامَّا المبادئ فالعنصر والصورة. واما التي كالمبادئ وليست بمبادئ حقيقةً (٣ بل بالتقريب فالعدم واما التوالي فالزمان والمكان. واما المشاكلة للتوالي فالخلاء وما لا نهاية لهُ. واما التي يُتعلَّم منها الامور الخاصيَّة لكل واحد من الطبائع فبعضها في (٤ الاشياء التي لا كون لها وبعضها في الاشياء المكوَّنة. اما الاشياء التي لا كون لها فالاشياء التي تُتعلَّم (21) من المقالتين الاوَّلتين من كتاب السماء والعالم. واما التي في الاشياء المكوَّنة فبعض علمها عامّي وبعضها خاصّي. فالعامّي بعضهُ في الاستحالات وبعضهُ في الحركات. اما الاستحالات ففي كتاب الكون والفساد. واما الحركات ففي المقالتين الآخرتين من كتاب السماء والعالم. واما الخاصيّ فبعضهُ في البسائط وبعضهُ في المركَّبات. اما الذي في البسائط ففي كتاب الآثار العلويَّة. واما الذي في المركَّبات فبعضهُ في وصف كليَّات الاشياء المركَّبة وبعضهُ في وصف اجزاء الاشياء المركَّبة. اما الذي في وصف كليَّات المركَّبات ففي كتاب الحيوان وفي كتاب النبات. واما الذي في وصف اجزاء المركَّبات ففي كتاب النفس وفي كتاب الحسّ والمحسوس وفي كتاب الصحة والسقم وفي كتاب الشباب والهرم

واما الكتب التي في العلوم الالهيَّة فمقالاتهُ الثلث عشرة التي في كتاب ما بعد الطبيعة

٢ واما الكتب التي في اعمال الفلسفة فبعضها في اصلاح اخلاق النفس وبعضها

١) وفي الاصل: الجبل وهو غلط

٢) كذا في حك وصب. وفي الاصل: اللباب

٣) حك وصب: بالحقيقة ٤) صب: من

في السياسة. فاما التي في إصلاح اخلاق النفس فكتابهُ الكبير الذي كتب بهِ الى ابنهِ وكتابهُ الصغير الذي كتب الى ابنهِ ايضاً وكتابهُ المسمَّى ارذيميا. واما التي في السياسة فبعضها في سياسة المدن وبعضها في سياسة المنزل (١

٣ واما الكتب التي في الآلات (٢ المستعملة في علوم الفلسفة فهي كتبهُ الثانية المنطقيَّة التي لم يسبقهُ احد ممَّن علمناهُ الى تأليفها ولا تقدَّمهُ الى جمعها. وقد ذكر ذلك ارسطاطاليس في آخر الكتاب السادس منها وهو كتاب سوفسطيقا (٣ فقال: « واما صناعة المنطق وبناء السلوجسموس (٤ فلم نجد فيما خلا اصلاً متقدماً يُبنى (٥ عليهِ لكنَّا وقفنا على ذلك بعد الجهد الشديد والنَّصب الطويل. فهذه الصناعة وان كنَّا نحن ابتدعناها (٦ فقد حصَّنَّا جهتها ورمَّمنا (٧ اصولها ولم نفقد شيئاً ممَّا ينبغي ان يكون موجوداً فيها كما فُقدت اوائل الصناعات لكنَّها كاملة مستحكمة (22) مثبَّتة اساسها مرمومة (٨ قواعدها وثيق بنيانها معروفة غاياتها واضحة اعلامها قد قدَّمت امامها اركاناً ممهَّدة (٩ ودعائم موطَّدة فمن عسى ان تَرِدَ عليهِ هذه الصناعة بعدنا فليعتبر خللاً وجدهُ فيها وليعتدَّ بما بلغتهُ الكلفة منَّا اعتدادهُ بالمنَّة (١٠ العظيمة واليد الجليلة ومن بلغ جهدهُ بلغ عذرهُ »

وكان ارسطاطاليس (١١ معلم الاسكندر الملك ابن فيلفُوس بن الاسكندر المقدوني (١٢ وبآدابهِ عمل في سياسة رعيَّتهِ وسيرة مملكتهِ وانقمع بهِ الشرك (١٣ في بلاد اليونانيين وظهر الخير وفاض العدل. ولارسطاطاليس اليهِ رسائل كثيرة جليلة

---

١) كذا في صب. وفي الاصل: المترلة
٢) صب: الآلة ٣) كذا في صب وهو الصواب. وفي الاصل سوفسطيا
٤) لفظة يونانية (συλλογισμός) صناعة القضية
٥) صب: نبني ٦) زاد صب: واخترعناها
٧) رواية صب. وفي الاصل ذمَّمنا بالنقط
٨) صب: مرمومة ٩) كذا في صب. وفي الاصل: ممتدَّة
١٠) هذه رواية صب وفي الاصل: بالمنة
١١) عاد ابن القفطي الى روايته عن كتابنا (ص ٢٩)
١٢) في الاصل المصروى تصحيف ١٣) كذا في الاصل ويروى: الكفر وكلاهما رواية جمال الدين القفطي (ص ٢٩) ولعلَّهُ اراد: الشرّ

يحضُّهُ فيها على المسير لحرب دارا بن دارا ملك الفرس ومنها رسالتهُ جاوبهُ بها عن كتاب اليهِ من ارض الهند يصف ما رآهُ في بيت الذهب باعالي ارض الهند وهو البيت الذي كان فيهِ البدوة (١ وهي احد الاصنام المثلة بالجواهر العلويَّة. فجاوبهُ ارسطاطاليس بهذه الرسالة يعظهُ فيها ويزهّدهُ في الدنيا ويرغبهُ (٢ في النعيم الدائم

فهؤلاء الخمسة هم سادة الحكماء عند اليونانيين والمعتنون بفنون الفلسفة: ولهم (٣ فلاسفة مشهورون غير هؤلاء مثل باليس (٤ الملطي صاحب فيثاغورس وذومقراطيس القائل بانحلال الاجسام الى جزء لا يتجزأ ولهُ في ذلك تآليف (٥ انكساغوراس (٦ وغيرهم ممن كان قبل ارسطاطاليس ومعاصرًا لهُ

وكان بعد ارسطاطاليس جماعة سلكوا سبيلهُ وشرحوا كتبهُ فمن اجلّهم ثامسطيوس والاسكندر الافرودوسي وفرفوريوس هؤلاء الثلثة هم اعلم الناس بكتب فيلسوف واقصدهم بكتب الفلسفة. ومن فلاسفة اليونانيين المتأخرين الذين كانوا في عهد الاسلام وفي مملكة بني العبَّاس معاصرًا ليعقوب بن اسحاق الكنديّ قسطا بن لوقا البعلبكيّ الشاميّ (٧ مشهور التحقُّق بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعيَّة وكان ماهرًا بصناعة الطبّ ولهُ كتب مختصرة (23) بارعة منها كتابهُ في المدخل الى الهندسة وهو مؤلف على المسئلة والجواب لا نظير لهُ وكتابهُ في المدخل الى علم الهيئة والافلاك وحركات النجوم وكتابهُ في الفرق بين الحيوان الناطق والصامت وكتاب في الفرق بين النفس والروح (٨ وكتابهُ في نسبة الاخلاط وكتابهُ في غلبة الدم وغير ذلك من كتبهِ

واما علماؤهم المشهورون ببعض علوم الفلسفة المعتنون بجزء من اجزائها فكثير. فمنهم ثمَّ من المحتفين بعلوم الطبيعة والطبّ بقراط سيّد الطبيعيين من علماء علوم

١) كذا. ولعلَّهُ اراد البودة (Bouddha) ٢) في الاصل: ورغبة
٣) اي لليونان في الاصل: وهم
٤) والصواب: ثاليس (Thalès de Milet)
٥) اطلب حك (ص ١٨٣) في ذومقراطيس حيث نقل بعض ما ورد هنا
٦) في الاصل: انكشاغوراس
٧) راجع ما كتبناهُ في المشرق (١٤: ٩٣) عن هذا الفيلسوف واطلب حك (ص ٢٦٣)
٨) هو الكتاب الذي سبقنا لنشرهِ في المشرق (١٤: ٩٤)

الطبيعة وعلوم البرهان وقد ضمّ جالينوس لسماء تآليفهِ الى فهرست يشتمل على اوراق وذكرَ مرتبة قراءتها ونبّهَ على طريق تعلّمها وهي مائة ونيّف

وقد قال ابو الحسن عليّ بن الحسين المسعودي (١ : كان جالينوس بعد المسيح عليهِ السلام بنحو مائتي سنة وبعد ابقراط بنحو ستمائة سنة وبعد الاسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيّف. ولا اعلم بعد ارسطاطاليس اعلم بعلم الطبيعة من هذين الفاضلين اعني ابقراط وجالينوس . ومن الطبيعيين سوى هذين الشماديس واراسطارطيس ولوقش وبرليس (٢ وغيرهم ممّن اشتهر بالعلم الطبيعي الّا انّ اكثرهم ضعيف النظر بعيد عن الصواب قد نبّه ارسطاطاليس وجالينوس في كتبهما على خطإهم وردّا عليهم آراءهم بالحجاج (كذا) الصحيحة والبراهين الواضحة

ومن علمائهم الرياضيين ابولونيوس النجار صاحب المخروطات المؤلف في علم احوال الخطوط المنحنية التي ليست بمستقيمة ولا مقوّسة (٣

ومنهم اقليدوس الصوري صاحب المدخل المشهور الى علم الهندسة المعروف بكتاب الاركان وصاحب كتاب المعروضات وكتاب المناظر وكتاب تآليف اللحون وغير ذلك. وقال ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي (٤ في بعض رسائلهِ انّ بعض الملوك اليونانيين وجد في خزائن الكتب كتابين منسوبين الى ابولونيوس النجّار ذكر فيهما صنعة (24) الاجسام الخمسة التي لا تحيط كرةٌ باكثر منها فطلب من يفكّ لهُ الكتابين فلم يجد الّا اقليدس وكان اعلم اهل زمانهِ بالهندسة فبسط لهُ امر الكتابين وشرح لهُ غرض ابلونيوس منهما ثمّ وضع لهُ صدرًا للوصول (٥ الى معرفة هذه المجسمات الخمسة (٦ فقام من ذلك المقالات الثلث عشرة المنسوبة الى اقليدس ووصلهُ بعد اقليدس مَن وصلهُ بمقالتين ذكر فيهما ما لم يذكرهُ

١) اطلب كتاب التنبيه والاشراف (ص ١٢٦) —

٢) هذه الاسماء مصحّفة لعلّهُ اراد بها اسقلابيوس واريسطراطس ولوقس وفرلوس وهم اطبّاء من تلامذة ابقراط او تبعوه

٣) نقل هذا ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٦١)

٤) هذا ايضًا منقول في حك (ص ٦٣)

٥) عن حك ٦) في حك : الخمس

ابلونيوس من نسبة هذه المجسمات الخمس بعضها الى بعض ورسم بعضها من بعض(١

ومنهم ارشميدس صاحب كتاب المسبع في الدائرة وكتاب مساحة الدائرة وكتاب الكرة والاسطوانة المخروطة (٢. ومنهم قطون (٣ صاحب العدد والمساحة ولهُ فيهما كتب مشهورة وكان في آخر مملكة اليونانيين. ومنهم سنبلقيوس (٤ وكان بعد اقليدس. ومنهم قوميرس وانوسندونيرس (٥. ومنهم طيمولاوس الراصد للكواكب الذي ذكر بطليموس (٦ بعض ارصاده في كتابهِ وذكر انَّ وقتهُ كان متقدماً لوقتهِ باربعمائة سنة وعشرين سنة. ومنهم ميلاوش وتاودوسيوس صاحب الأكر. ومنهم ميطن (٧ واقطيمن الراصدان للكواكب بمدينة الاسكندرية من بلاد مصر وكان (كذا) قبل بطليموس بخمسمائة سنة واحدى وسبعين سنة . ومنهم إنْرخس (٨ الفاضل صاحب الارصاد الصحيحة والمباحث الجليلة وكان بعد ميطن (٧ واقطيمن بقريب من ثلثمائة سنة

ومنهم بطليموس القاوذيّ صاحب المجسطي (٩ وكتاب الجغرافيا وكتاب المناظر وكتاب المقالات الاربع (١٠ في احكام النجوم وكتاب الموسيقى وكتاب الانواء وكتاب القانون الذي استخرجهُ من كتاب المجسطي. وكان في ايَّام انديانوس وايَّام انطينوس(١١ من ملوك الروم وبعد إنْرخس(٨ بمائتي سنة وثمانين سنة وكثير من الناس ممَّن يدَّعي المعرفة باخبار الامم يجعلهُ احد البطالمة (١٢ اليونانيين

---

١) حك: من نسب بعض هذه المجسَّمات . . . في بعضها

٢) في الاصل: والمخروطة ٣) كذا في الاصل والصواب قطون كما في حك. (٢٥٩)

٤) اطلب ابن القفطي (حك ٢٠٦)

٥) لعلَّهما تصحيف ادمبرس وابوسندريتوس (حك ٦٧ و ٦٨)

٦) في الاصل: بطليموس

٧) اطلب حك (ص ٣٢١) وفي الاصل: منطن

٨) كذا الصواب كما ورد في حك (٦١). وفي الاصل صُحّف « بابن حسن » ! ثم دعاهُ انْرخس

٩) معظم كلام المؤلف عن بطليموس نقلهُ بحرفهِ ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٩٥) راجع الفهرست لابن النديم (ص ٢٦٧) ١٠) في الاصل: الاربعة

١١) روى في حك (٩٥): اندرياسيوس وانطيموس. والصواب: ادريانوس وانطونينوس

١٢) في حك (٩٥): يخيلهُ احد البطالسة

الذين ملكوا بعد الاسكندر وذلك خطأ بيّن وغلط واضح لانَّ بطليموس ذكر في كتاب المجسطي وفي النوع الثالث من (25) المقالة الثالثة منهُ الجامعة لجميع حركات الشمس وارصادها وسائر احوالها انَّهُ رصد اعتدالاً خريفياً في السنة التسع عشرة من سني اذريانوس فذكر انَّهُ تجمَّع من اوَّل سني بخت نصر الى وقت هذا الاعتدال الخريفي ثمانمائة سنة وتسع وتسعون سنة وثلاثون يوماً (١ وست ساعات . وجزأ هذه السنين فقال انهُ يجتمع من اوَّل سني بخت نصَّر الى موت الاسكندر يعني المقدوني جدّ الاسكندر ذي القرنين (٢ اربعمائة سنة واربع وعشرون سنة مصريَّة . ومن موت الاسكندر الى ملك اوغسطس (٣ يعني اوَّل ملوك الروم مائتا سنة واربع وتسعون سنة ومن اوَّل سنة من سني ملك اوغسطس (٣ الى وقت الرصد الخريفي المذكور مائتا سنة (٤ واحدى وستون سنة وستة (٥ وستون يوماً وساعات (٦ فبيَّن بطليموس بهذا التفصيل والتجميل حقيقة وقتهِ وانَّ عصرهُ كان بعد عصر اوغسطس (٣ بمائة واحدى وستين سنة

واجمع اهل العلم باخبار الامم السالفة والمعرفة بتواريخ الاجيال الخالية انَّ اوغسطس (٣ هذا ملك رومي وانَّهُ تغلَّب على قلوبطرا آخر ملوك البطالمة (٧ اليونانيين وفي هذا ما يبيّن خطأ من زعم (٨ انهُ احد (٩ البطالمة (٧ الملوك وفيهِ كفاية ان شاء الله تعالى

والى بطليموس هذا انتهى الكلام على حركات النجوم ومعرفة اسرار الفلك وعندهُ اجتمع ما كان متفرّقاً من هذه الصناعة بايدي اليونانيين والروم وغيرهم من ساكني اهل الشقّ الغربيّ من الارض وبهِ انتظم سِنيها (١٠ وتجلَّى غامضها وما اعلم احداً

---

١) وفي حك : وستون يوماً
٢) والصواب انَّ الاسكندر المقصود هو المقدوني المعروف بذي القرنين لا جدُّهُ
٣) حك : اوغسطس
٤) في حك (٩٦) : مائة سنة . وهو الصواب
٥) حك : وستّ . غلط ٦) حك : وساعتان
٧) حك : البطالسة ٨) في الاصل من تبيّن . حك : بيان خطإ من ظنَّ
٩) حك : من ١٠) حك : شتيتها وهو ارجح

بعدهُ تعرَّض لتأليف مثل كتابهِ المعروف بالمجسطي ولا تعاطى معارضتهُ بل تناولهُ بعضهم بالشرح والتبيين كالفضل بن حاتم النيريزي وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمَّد (26) بن جابر البتَّاني (١ وانَّما غاية العلماء بعدهُ (٢ التي يجرون (٣ اليها وثمرة عنايتهم التي يتنافسون فيها فهمُ كتابهِ على ترتيبهِ (٤ واحكام جميع اجزائهِ على تدريجهِ ولا اعرف كتاباً (٥ أُلف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم واحاط بجميع اجزاء ذلك الفنّ غير ثلثة كتب احدها كتاب المجسطي هذا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم والثاني كتاب ارسطاطاليس في علم صناعة المنطق والثالث كتاب سيبويه المصريّ في علم النحو العربيّ فانَّ هذه الكتب الثلثة لا يشذّ عن كلّ واحد منها من اصول علمهِ ولا من فروعهِ الَّا ما لا خطب لهُ والله تعالى وحدهُ مريد الاحاطة وفضيلة التمام لا ربَّ غيرهُ

فهؤلاء شموس اليونانيين ومشاهيرهم في الآفاق الذين انتفع الناس بآثارهم واستفادوا بانوارهم واهتدوا باعلامهم. ولليونانيين بعد هذا عدَّة من الفلاسفة والحكماء قد قلَّد المؤرّخون حكمهم وجمعوا نوادرهم

وذكر حنين بن اسحاق الترجمان وابو نصر محمَّد بن نصر الفارابي المنطقيّ وغيرهما من العلماء بالفلسفة انَّ فلاسفة اليونانيين سبعُ فرق سُمّيت بسبعة اشياء اشتقت لها من سبعة اشياء (٦ (احدها) من اسم الرجل المعلّم الفلسفة. (والثاني) من اسم البلد الذي كان فيهِ مبدأ ذلك العلم. (والثالث) من اسم الموضع الذي كان يعلَّم فيهِ. (الرابع) من اسم التدبير الذي كان يدبَّر بهِ (٧. (الخامس) من الاراء التي كان يراها في الغرض الذي كان يُقصَد اليهِ في تعلُّم الفلسفة. (والسابع) من الافعال التي كانت تظهر عليهِ في تعليم الفلسفة

---

١) وزاد في حك (٩٧): «وابي الريحان البيروني الخوارزمي مصنّف كتاب القانون المسعودي الّفهُ لمسعود بن محمود بن سبكتكين وحذا فيهِ حذو بطليموس وكذلك كوشيار ابن لبّان الجيليّ في زيجهِ»

٢) حك: بعد بطليموس

٣) حك: يجرون (؟)

٤) حك: مرتبتهِ

٥) حك: يُعرَف كتابٌ

٦) هذه القطعة عن فرق الفلاسفة رواها حك (٢٥) كموَّلفنا ونسبها مثلهُ الى حنين والفارابي

٧) حك (٢٥): من التدبير الذي كان يتدبَّر بهِ

فامّا الفرق المسمّاة من اسم الرجل المعلم للفلسفة فشيعة فيثاغورس. وامّا الفرقة المسمّاة من اسم البلد الذي كان فيه الفيلسوف فشيعة ارسطيقوس من اهل قراديتا (١. وامّا الفرقة المسمّاة من اسم الموضع الذي كان يعلّم فيه الفلسفة فشيعة كرسفّس (٢ وهم اصحاب المظلّة (٣ سُمّوا بذلك لأنّهم كانوا يتعلّمون في رواق هيكل مدينة اثينة. وامّا الفرقة المسمّاة من تدبير اصحابها واخلاقهم فشيعة ذيوجانس ويُعرفون بالكلابيّة (٤ وسُمّوا بذلك لانهم كانوا يرون اطّراح الفرائض المفترضة على الناس في المدن ومحبّة اقاربهم وبغض غيرهم من سائر الناس وانّما يوجد هذا الخلق في الكلاب. وامّا الفرقة المسمّاة من الآراء التي كان يراها اصحابها في الفلسفة فشيعة فورون (٥. وامّا الفرقة المسمّاة من الآراء التي كان يراها اصحابها في الغرض الذي كان يُقصَد اليه في تعلّم الفلسفة فشيعة افيقورس (٦ ويُسمّون اصحاب اللذّة لانهم يرون الغرض المقصود اليهم في تعلّم الفلسفة اللذّة التابعة لمعرفتها. وامّا الفرقة المسمّاة من الافعال التي كانت تظهر عليها فشيعة افلاطون وارسطاطاليس ويُعرفون بالمشّائين لانّ افلاطون وارسطاطاليس كانا يعلّمان الناس وهما يمشيان (٧ كما يرتاض البدن مع رياضة النفس فهذه طبقات الفلاسفة اليونانيين

واجلّهم فرقتان فرقة فيثاغورس وفرقة افلاطون وارسطاطاليس (٨ وهاتان الفرقتان هما ركنا الفلسفة وعمودها وكان قدماء هؤلاء الفلاسفة (٩ ينتحلون الفلسفة الاولى الطبيعيّة التي كانت تذهب اليها شيعة فيثاغورس (١٠ وثاليس الملطيّ وعوامّ الصابئة

١) كذا في الاصل. والصواب ارسطيقوس او ارسطبوس (Aristippe) من اهل قورينا (حك ٢٥ و ٧٠) وقال انّ هي رقيّة بالشام عند حمص

٢) او كرسبّس (Chrysippe) اطلب حك (٢٥ و ٢٦٥) وفي الاصل تصحّف بكوستيشوش

٣) كذا الصواب. وفي الاصل: المظلمة

٤) حك. وفي الاصل: بالكلاب

٥) هو فوروس او فيرّون (Pyrrhon) الذي كان يعلّم الشكّ في كل الامور (scepticisme) ويزعم انهُ ليس حقيقة ثابتة راهنة

٦) هنا سقط من الاصل بعض الفاظ دلّ عليها المعنى فرددناها

٧) حك: لانهم كانوا يعلّمون الناس وهم يمشون

٨) في الاصل تارةً ارسطاطاليس وتارةً ارسطوطاليس

٩) حك: وكان حكماء يونان

١٠ حك: كان يذهب اليها فيثاغورس

من اليونانين والمصريين ثم مال متأخروهم الى الفلسفة المدنيَّة كسقراط وافلاطون وارسطاطاليس واشياعهم وقد ذكر ذلك ارسطاطاليس في كتابهِ في الحيوان فقال: « لمَّا كان منذ مائة سنة وذلك منذ زمان سقراط مال الناس عن الفلسفة الطبيعيَّة الى الفلسفة المدنيَّة »

قال صاعد: وقد صنَّف جماعة من المتأخرين كتباً على مذهب فيثاغورس واشياعهِ وانتصروا فيها للفلسفة الطبيعيَّة القديمة. وممَّن صنف في ذلك ابو بكر محمَّد بن زكريَّا الرازي وكان شديد الانحراف عن ارسطاطاليس وغانياً (١ لهُ في مفارقتهِ معلِّمهُ افلاطون وغيرهُ من متقدِّمي (28) الفلاسفة في كثير من آرائهم . وكان يزعم انَّهُ افسد الفلسفة وغيَّر كثيراً من اصولها وما اظنُّ الرازيَّ احنقهُ على ارسطاطاليس وحداهُ الى تنقُّصهِ الَّا ما اتاهُ ارسطاطاليس واراد الرازي مخاصمتهُ اي كتابهُ في العلم الالهيّ (٢ وكتابهُ في الطبّ الروحاني وغير ذلك من كتبه الدالَّة على استحسانهِ لمذهب الثنويَّة في الإشراك ولآراء البراهمة في ابطال النبوَّة ولاعتقاد عوامّ الصابئة التناسخ. ولو انَّ الرازي وفَّقهُ الله تعالى للرشد وحُبِّب اليهِ نصر الحقّ لوصف ارسطاطاليس بانهُ محصّ آراء الفلسفة ونُحَل مذاهب الحكماء فنفى خبثها واسقطهُ عنها وانتقى لبابها واصطفى خيارها فاعتقد منها ما توجبهُ العقول السليمة وتراهُ البصائر الناقدة وتدين بهِ النفوس الطيِّبة واصبح امام الحكماء وجامع فضائل العلماء.

وليس على الله بمستنكرٍ ان يجمعَ العالمَ في واحدٍ

٥ العلوم في الروم

واما الأمَّة الخامسة وهي الروم فامَّة ضخمة المملكة فخمة الملوك وكانت بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين ولغتهم مخالفة للغتهم فلغة اليونانيين الاغريقيَّة ولغة الروم اللاطينية (٣. وكان حدُّ بلاد الروم من جهة الجنوب البحر الرومي الممتدّ

١) لعلَّ الصواب: عاتباً

٢) قال ابن القفطيّ (ص ٢٧١): « اقبل الرازيّ على تعلُّم الفلسفة فنال منها كثيراً . . . الَّا انهُ توغَّل في العلم الالهي وما فهم غرضهُ الاقصى فاضطرب لذلك رأيهُ وتقلَّد آراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة وذمَّ اقواماً لم يفهم عنهم ولا هُدي لسبيلهم »

٣) في الاصل الطيبة وهو تصحيف

طولًا من المغرب الى المشرق ما بين طنجه الى الشام. وحدُّها من جهة الشمال بعض ممالك الامم الشماليَّة من الروس والبرغز وغيرهم مع طائفة من البحر الغربيّ الاعظم المحيط المعروف باوقيانوس. وحدُّها من جهة المشرق تخوم بلاد اليونانيين. وحدُّها من جهة المغرب في اقصى الاندلس البحر الغربيّ الاعظم المعروف باوقيانس

وكانت هذه الممالك سبع قطع يتميز بعضها من بعض فاوَّلها من جهة المشرق وما يتاخم بلاد اليونانيين بلاد المانية (١ ثمَّ اوسطها بلاد افرنسة ثمَّ آخرها بلاد الاندلس في اقصى الغرب وطرف المعمور

وكانت قاعدة هذه المملكة كلها مدينة رومية العظمى من بلاد المانية (١ (29) وكان بانيها روملش اللطيني (٢ واليه تُنسب وهو اوَّل ملك مشهور من ملوك الروم. وكان بنيان رومية قبل مولد المسيح عليه السلام وتملك اللطينيين في هذه المملكة المحدودة بعد بناء رومية سبعمائة سنة وخمس (٣ وعشرين سنة الى قيام اعشطش (٤ اوَّل ملوك القياصرة ثمَّ تغلَّب اعشطش هذا على ملوك اليونانيين (٥ واضاف مملكتهم الى مملكته فصارتا مملكة واحدة روميَّة عظيمة الشأن طولها من المشرق الى المغرب نحو مائة مرحلة من تخوم بلاد ارمينية الى اقصى بلاد الاندلس في المغرب وصارت مدينة رومية قاعدة هاتين المملكتين ودامت كذلك ثلاثمائة سنة وخمسًا (٣ وثلثين سنة الى ان قام قسطنطين ابن هيلاني (٦ بدين المسيح ورفض دين الصابئة وبنى مدينةً على الخليج وهي المنسوبة اليه المعروفة بالقسطنطينيَّة في وسط بلاد اليونانيين واستوطنها فصارت من حينئذ قاعدة ملك الروم الى وقتنا هذا واستخلف منذ ذلك ملوك الروم على مدينة رومية ثقاتهم من اللطينيين فكانوا عمالهم متصرفين تحت امرهم فيها لا يُسمَّون ملوكًا ولا يتوَّجون

ولم يزل ملوك الروم على هذه الحال من اتصال تملُّكهم وانتظام امرهم في هذه البلاد كلها الى ان خرج بعد زمان طويل عن طاعتهم من قوي امرهُ من

---

١) في الاصل: امانية
٢) في الاصل: رومش الطبيّ
٣) في الاصل: وخمانة . غلط
٤) وهو اوغسطس
٥) يريد جم مملكة البطالسة في مصر
٦) في الاصل بالغلط: ميلاني

الامم التي كانت منقادة اليهم من الصقالبة والبرجان وغيرهم وتميزت كلّ امّة بمملكتها (١

وكان من آخر من خرج عن طاعتهم ملك رومية (٢ وذلك في سنة اربعين وثلثمائة من الهجرة حين قوي ملكهُ (٣ وكثرت مجموعة الملّة فلبس التاج وتسمّى ملكاً وانفذ اليه قسطنطينُ بن إليون (٤ ملك الروم عند ذلك الجيوشَ فعادت منكوبة فصالحهُ حينئذٍ ورضي بسلمه وتميزت بذلك مملكة اللطينيين من مملكة الاغريقيين من جهة مغاربها على ما يلي بلاد القسطنطينيّة وبعدت ممالكهم من اعمال رومية بمن توسّط بينهما من فرق (30) الترك الناخمة هناك والمخرّبة لكثير من عمائره فلا يصل احد اليوم من القسطنطينيّة الى رومية الّا في البحر

وكان الروم قديماً صابئة الى ان دان قسطنطين بن هيلاني (٥ باني القسطنطينيّة بدين النصرانيّة ودعا الروم الى التشرُّع به فاطاعوهُ وتنصّروا عن آخرهم (٦ ورفضوا دينهم من تعظيم الهياكل وعبادة الاوثان وغير ذلك من شريعة الصابئة ولم يزل دين النصرانيّة يظهر ويقوى الى ان دخل فيه اكثر الامم المجاورة للروم من الجلالقة والصقالبة والبرجان والروس وجميع اهل مصر من القبط وغيرهم وجميع اصناف السودان من الحبشة والنوبة ومن سواهم

وكان للروم في بلاد افريقية وغيرها حكماء جلّة وعلماء بانواع الفلسفة وكثير من الناس يقولون انّ الفلاسفة المشهورين الذين قدّمنا ذكرهم في عدد اليونانيين روميّون والصحيح انّهم يونانيّون على ما قدّمنا ولتجاور هاتين الامّتين وتلاصق دورهم (٧ وانتقال الملك من احداهما الى الاخرى حتى صار البلدان واحداً والمملكة واحدة دخل

١) في الاصل : بمملكتهم

٢) في الاصل ملوك رومية يريد الملوك الالمانيين الذين استولوا على ايطالية وقلّدهم الاحبار الرومانيّون السلطة على المملكة الرومانية

٣) يريد اوتون الاوّل من الملوك الالمان

٤) هو قسطنطين السادس المعروف بيرفيروجانات

٥) في الاصل : ميلان

٦) لم يتمّ تنصُّرهم دفعةً واحدة بل تمادي الزمان وبدعوة المرسلين وغيرهم

٧) والصواب : دورها

بعضهم في بعض فاختلط على كثير من النـاس خبر علمائهم وصعب عليهم تمييز فلاسفتهم وكلا الأمتين عند اهل التحقق بعلم الاخبار ومعرفة اهـل السير مشهورة العناية بالفلسفة رفيعة المحلّ في اهـل العلم الّا انّ لليونانيين من المزيّة في ذلك والفضل ما لا ينكرهُ الرومانيّون ولا سواهم والله تعالى اعلم -

وكان في الدولة العباسيّة من ملوك الاسلام جماعة من النصارى والصابئين علماء بفنون العلم لا أعلم أمن اليونانيين هم ام من الروم ام من غيرهم من الامم المجاورة لهم (١

فمن النصارى بختيشوع (٢ خدم ابا العبّاس السفّاح وصحبهُ وعالجـهُ ثمّ خدم ابا جعفر المنصور بعدهُ . فلمّا توفّي حلّ ابنهُ محلّهُ بعدهُ عند ملوك بني العبّاس ولبختيشوع تآليف في الطبّ معروفة

ومنهم يوحنّا بن ماسويه خدم في صناعـة الطبّ هارون الرشيد والمأمون وبقي الى أيام المتوكّل وكان قلّدهُ هارون ترجمة الكتب القديمة التي وُجدت بانقرة (31) وبغيرهـا من بلاد الروم حين افتتحها المسلمون فترجم منها كثيرًا اذ لهُ في الطبّ تآليف عظيمة القدر ككتاب البرهان وكتاب البقرة (؟) وكتاب الكمال وكتاب الحُمّيات وكتاب الفصد والحجامة وكتاب الجذام وكتاب الحمّام وكتاب اصلاح الاغذية وكتاب المعدة وكتاب الادوية المسهلة والكنّاش المعروف بالمشجّر (٣ وغير ذلك

ومنهم حنين بن اسحاق ابو زيد تلميذ يوحنّا بن ماسويه احد ائمة التراجمة بالاسلام وكان عالمًا باليونانيّة والعربيّة وتعلّم العربيّـة في البصرة من الخليل بن احمد وهو ادخل كتاب العين بغداد ولم يكن الخليل بن احمد بارض فارس وانّما كان بالبصرة وتوفّي بها في سبعين ومائة (٧٨٧ م) وبين وفاتـه ووفات حنين المذكور تسعون سنة فانظر . وذكر ابن النديم في الفهرست (٤ انّ حنينًا مات في يوم الثلثـاء لست

١) بل من الكلدان النـاطرة والسريان اليعاقبة وبعضهم من الروم الملكيين

٢) عُرف كثير من العلماء بهذا الاسم . راجع في المشرق (٨ : ١٠٩٧) مقالة الاديب يوسف افندي غنيمه في بختيشوع الطبيب واسرته

٣) في الاصل : الكنّاش المعروف بالمسحر . غلط ٤) راجع الفهرست (ص ٣٩٤)

خلون من صفر سنة ستين ومائتين (٨٧٤ م) وهو الصواب ومات اسحاق (بن حنين) في سنة ٢٩٨ (٩١٣ م). وقال ابو معشر في كتاب المذاكرات ان حذاق الترجمة بالاسلام اربعة حنين بن اسحاق ويعقوب بن اسحاق الكندي وثابت بن قرّة الحرّاني وعمر بن فرحان الطبري

قال صاعد: وحنين هذا هو الذي اوضح ترجمة كتب ابقراط وجالينوس ولخّصها احسن تلخيص ولهُ تآليف بارعة وموضوعات شريفة منها كتابهُ في المنطق وكتابهُ في مدخل المنطق وكتابهُ في الاغذية وكتابهُ في تدبير الناقهين وكتابهُ في الادوية المسهلة وغير ذلك من كتبهِ ومات حنين في أيام المتوكّل وخلّف ولدين سمّى احدهما اسحاق والآخر داود. فامّا اسحاق فخلف اباهُ على الترجمة وكان بارعاً فيها ومقدّماً في العلوم الرياضيّة. وامّا داود فطبيب محسن

ومنهم مسيح بن حكيم صاحب الكنّاش المشهور

ومنهم نسطاس بن جريج المصري كان في دولة الاخشيد بن طغج وكان عالماً بالطبّ بارعاً فيهِ

ومن الصابئين ابو الحسن ثابت بن قرّة الحرّاني فيلسوف متوسّع في العلوم متفنّن في ضروب الحكم متقلّد لجوامع الفلسفة (32) لهُ تآليف حسنة في المنطق والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك وكان معاصراً ليعقوب بن اسحاق الكندي وقسطا بن لوقا وكانوا ثلاثتهم أعلاماً في مملكة الاسلام بعلم الفلسفة في وقتهم. ولثابت ارصاد حسنة للشمس تولّاها ببغداد في خلافة المأمون جمعها في كتاب بيّن مذاهبهُ في السنة الشمسيّة وما ادركهُ بالرصد من موضع أوجها ومقدار سنتها وكيّة حركتها وصورة تعديلها. وكان لهُ ابن يسمّى سنان بن ثابت عالم بالعدد والهندسة والطبّ وابنهُ ثابت بن سنان بن ثابت احد المحقّقين بصناعة الطبّ كان في ايام المطيع وفي امارة احمد بن بويه الديلمي الاقطع المعروف بعزّ الدولة. وذكر ابن النديم في كتابهِ الفهرست انّ ثابت بن قرّة مولدهُ سنة احدى وعشرين ومائتين (٨٣٦ م) وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائتين (٩١١ م) ولم يدرك ثابت خلافة المامون بل ولد في صدر خلافة المعتصم ومات سنان سنة ٣٣١ (٩١١ م) ومات ابنهُ ثابت سنة ٣٦٥ (٩٧٦م)

(لهُ بقيّة)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القصائد الماسونية العربية

رأى الاخوة الماسون الشرقيون في مطبوعات رصفائهم الغربيين قصائد نظموهـا لحفلاتهم اكثرُها هزلية مجونيّة انشدوها بين كاسات الراح في مآدبهم فـا شاؤوا ان تُحرَم محافلهم الشرقية من النظم الماسوني لكنهم لم ينشروا غير القصائد التي قالوها في مدح عشيرتهم واطراء محامدها (كذا) ليـوهوا على الخارجيين ويرغبوهم في الانضـام اليها. فـأَ نظموه بالشعر الدستورُ الماسوني. وما ادراك ما هذا الدستور؟ مجموع من حكم استعارها الماسون من الكتب المقدسة والتعليم المسيحي واقوال الادباء وضموها في ٤٠ بندًا فافتخرت بها الماسونية كما فعل الطائر «ابو زريق» بريش الطاووس المختلس. على انَّ سرقة ابي زريق ما لبثت ان اشتهرت فَفُضح وعُرّي من ثوبه المستعـار. كذلك الماسون فانهم في بعض هذه البنود قد دسُّوا السمَّ في الدسم فعُرف خبثهم. اسمع:

١ قدّم العبادة والاكرام لله مدبّر الكائنات (وقد ثبت لك ان الماسونية ترمي الى الالحاد وتكران وجود الخالق)

٢ حبّ قريبك كنفسك (اي الاخوة الماسون)

٣ اعمل الخير (مع اهل العشيرة)

٤ دع الناس وشأنهم (وهو قول ملبس يحتمل عدّة تأويلات صحيحة وفيحة)

٥ اتبع قواعد ديانتك واحترم ديانة الاخرين فانهم متساوون امام الله. وصناعة الله الحقيقية تقوم بممارسة الانسان الاخلاق الحميدة (عن اللطائف لشامين مكاريوس). (وهو بند كما ترى يوجب التعطيل والالحاد فتُعتبرَ كل الاديان متساوية امام الله فتعليم اهل الشرك وعبدة الاصنام هو كتعليم الموحّدين. كما انهُ ينفي وجوب الايمان ويكتفي بالاخلاق الحميدة. فظهر بهذا القول جوهر ابي زريق الماسوني. وقس على ما سبق بقيّة البنود)

وهذه الوصايا الماسونية نظمها في النصورة الدكتور ". امين افندي الخوري وزادها كما سترى بعقدها التباساً فقال:

احترم العدل ولا تحتقرْ مَنْ قد يرى في العدلِ ما لا ترى

كأنهُ لا يوجد للعدل اساس ثابت فيرى فيهِ كل انسان ما يطابق هواهُ ! !

ذي خطوةٌ اولى لآدابنا تقرّب الانسان نحو النهى

كيف نسي الناظم انَّ اوَّل خطوة الآداب انما هي معرفة الخالق ومخافة الله

لا تهزأنْ بالعدل يوماً لكي تنال من اعداهُ منكَ الرضى

بل دع مجوناً مثل ذا سافلاً لمن هوى في الجهل او مَنْ غوى

اهٍ الله انّنا لا نفهم معنى هذه الوصاة وكيف يجب على الماسوني أن لا يهزأ بالعدل لينال الرضى من اعدائهِ. أفيريد ان نعدل لنرضي الظالمين ؟ نعم هذا مجون سافل

وان تَقلْ كنْ مُخلصاً او تَقلْ فاصدقْ ولا تصحب كثير العدى (؟)

لا تخاف القول الذي قلتهُ ولا تَقل ما لا يُنصُّ الحجى (؟)

وكن رزيناً ليناً باسماً وواحداً في شدَّة او رخا (؟)

فكفى بهذه الابيات مثالاً عن الآداب الماسونية وفي كلّ كتب العرب ما هو افضل منها كثيراً

ومن شحذوا قريحتهم الوقّادة لنظم القصائد الماسونية وقيد الدرجة ٣٣ شاهين بك مكاريوس فانهُ اثبت في كتبهِ الماسونية وفي مجلة اللطائف عدَّة منظومات نقلنا سابقاً بعض ابيات ارجوزتهِ الماسونية فراجع معانيها اللطيفة. ولهُ منظومات اخرى من طرزها كقصيدتهِ العينية التي اوَّلها :

يحيي الذين بختم الحق قد طبعوا جباههم وسماتِ البُطال قد نزعوا

فاصبحوا في الورى نوراً (كذا) على علمٍ وزيَّنوا الكون اذ بالكون قد سطعوا

فلله ما اسطع هذا النور الذي تنبهر منهُ اعيننا حتى كاد ان يعمينا. ثم قال :

يا سائلي عن كرامٍ ان جهلتَ فهم اهل الذمام على الاحسان قد طُبعوا

نعم انّنا جهلناهم لانهم قد اعتادوا ان يخفوا اعمالهم الحسنة ولا يظهرون منها الّا السيّئة القبيحة ولعلّهم يفعلون ذلك تواضعاً وفراراً من مديح البشر. ومنها قولهُ ويا حبّذا القول :

الحمدُ لله فالاحرار قد كسروا نيرَ التعبُّد للمخلوق وارتفعوا

بل قل كسروا نير الخالق والمخلوق معاً كما نرى في كافّة انحاء المعمور

تناصروا لاجتماعات مظفَّرةٍ وكلّ علمٍ شريف بينهم وضعوا

وضعوا اي احتقروا كلّ علم شريف لينوزوا بما انتشروا عليه في عاقلهم السرّية لنقض السلطة وسادات الدين

من الملوك من الشجعان جمعهمْ وغيرَ صاحب فضلٍ قطُّ ما جمعوا

ولذلك قتلوا الملوك او طردوهم. وشجعانهم اهل الثورات والفتن. فان كان هؤلاء فضلاؤهم فأكرم بهذا الفضل العميم

لا يرتضون بنقض الدين من احدٍ فالكلُّ حرٌّ ونعم الصنع ما صنعوا

اعني انهم يعتبرون كل الاديان كخرافات واضاليل فيساوون بينها حتى يدكّوا اركانها

والباقي على هذا النمط. وهذه القصيدة قد أغري بها الماسون وخمسها السيد «ه» عليّ محمد الشاذلي « فضاء (ضاع) شعرهُ كما ضاء (ضاع) العقد في جيد نائله ». فقال مثلاً :

حبُّ الاخاء وفعل الخير شرّفهمْ والحقُّ في كبد الحسّاد اوقفهم
فان تَرُمْ فيهم وصفاً لتعرفهمْ يا سائلي عن كرام ان جهلتَ فهمْ
اهل الذمام على الاحسان قد طبعوا

هم حاملو راية التحرير مَن نصروا بسيفهم ملّة الاحرار فانتصروا
فقل لاعدائهم موتوا او انتحروا الحمد لله فالاحرار قد كسروا
نيرَ التعبُّد للمخلوق وارتفعوا

فترى مبلغ التواضع الماسوني الذي ينسب الى ذويه كلّ فضل والى اعدائه كل سوء وفعل قبيح. ومن القصائد الماسونية المطنطنة ما نقلهُ صاحب اللطائف في سنته الثالثة (ص ٢٥٦) عن لسان عنترة العصر وهو احد طلبة الدخول في العشيرة :

بدورٌ بها يسمو مقامُ المنازلِ وقومٌ بها ينمو فخارُ المحافلِ
همُ الروح في الدنيا لكل فضيلة واما سواهم فهو رسمُ الهياكلِ
أناس وان كانوا اواخر دهرهم تسامَوا بفضل لم يكن في الاوائلِ
فدأبهمُ حفظُ العهود وسرُّهم مصانٌ (كذا) فلا يخشون سطوة جاهلِ
وقد شرّفوني بالقبول لديهم وبعد خمولي صرتُ ضمن الافاضلِ

فأنعم بشرفك ايها السيد لكنك ذلّلت المسونية بقولك لنهم « اواخر دهرهم » فكانك لم تطلع على تاريخ الاخ «ه» جرجي زيدان وتآليف الاخ «ه» شاهين بك

مكاريوس من الدرجة ٣٣ وغيرهما وكلهم يزعمون انّ الماسونية راقية الى ما قبل السيد المسيح الى زمن داود او سليمان بل الى الفردوس الارضي (يعني الى سطانايل الناطق بلسان الحية). افهكذا يتكر شرف الاجداد ؟

ومن الشعر الماسوني الذي رددهُ ابناء الارملة في هذه المدة الاخيرة بانية الاخ ه. نعوم بك شقير رئيس محفل نيازي التي افتتحها بقوله :

فتى الاحرار لا تخشَ الصعابا ولا لنائبةٍ تحسب حسابا

ومنها في مدح الماسون :

وبالاحرار جلَّ الناسُ قدرًا وبالاحرار مرَّ العيش طابا
فكم سادوا وكم شادوا فخارًا وكم قد عمَّروا بلدًا يبابا
اذا نُدبت رجال العصر يومًا لدفع ملمَّة كنَّا الجوابا
وكنَّا في مواقفنا اسودًا اذا ما كانت الاعدا ذئابا

وختم بالميعلة الى محاربة اهل الدين فقال :

هلمُّوا ننشد الاصلاح فينا ونُحدث في معاهدنا انقلابا
نثير بأدعياء الدين حربًا ونكشف عن ذوي الظلم الحجابا
ونثبت في الجهاد الحقَّ حتى نلاقي عند خالقنا الثوابا

نعم ثوابكم عظيم في سماء الماسونية لمحاربة اهل الدين ! وردونك قصيدًا لطيفًا نظمهُ احد الاخوة الماسون اللبنانيين المسمَّى ح . م في مدح الشيعة :

جميتنا تتكنَّى بباع البرّ وصار فايض صندوقتنا الفين يمصّر

جميتنا غايتها . نشر العلوم حتى تمدّن وتهذب عقل العموم
تساوي مسلم بالدرزي ولاتيني وروم وعلامتها للاخوه تبقى بالسرّ

وعلامتها مكتومه كل الكتمانْ يعرفها الداخل فيها وصار لهُ زمانْ
النصارى لها علامه كنيسه وصليبانْ والمسلم لهُ جامع وبيرق احمرْ

واليهودي لهُ عمامه شبه الخيخانْ الماسونيه مستوره في كل زمانْ
من قبل النصرانيه والنبي سليمانْ تكنَّوا فيها البوذيه قبل التترْ

تكنّوا فيها اليوذيه قبل الكايمْ مدحها عيسى ومحمد بعد ابراهيمْ
آدم خالف البنّا وكان بعده غشيمْ اخذ الماسونيه وفيها تستّرْ

اخذ الماسونيّه ضمن الفردوسْ ورّثها لبعض ولاده بكتاب مخصوصْ
من بعد بابل بانت مثل العروسْ حبلت اجيال كثيره وولدت مجهرْ

ولدت بعد ما لاشت اول معاولْ وصارت تحكم في ذاتا كل العقولْ
الكاشف سرّ جماعتنا حالًا مقبولْ ولو كان الى اطراف الدنيا طارْ

في اطراف الارض غالك غاياتْ جمعيتنا مشهورا بكثر الزواتْ
فيها خيخان وكاهن نا وبناتْ فيها حجاج وأمرا وباشا وقيصرْ

فيها ملوك وفايض صندوقتنا الف كيسْ ومتزيدا في كل دقيقه حتى ما تخيسْ
والمقصود ذل الروسا ومحو القسيسْ وبعد تقلع المشايخ جنس المضرْ

وبعد المشايخ باهل الدين طلعنا راسْ المقصود نمحي اسم الله من بين الناسْ
ونلاشي ذكر السما وسمع القداسْ ونهدم مكه وبانيها ونصف القمرْ

ونهدم مكه وبانيها وجبل عرفاتْ يهودي مسلم نصراني كلها خرافاتْ
ونساوي بين العالم كل الطبقاتْ وتكون هذه الجمعيه لكل البشر !

فترى ما اطرب الشعر الماسوني وافخره لولا فلتات من ألسنة قائليه يغلب فيها الطبع على التطبع وتظهر العشيرة في مجاليها الصادقة اي كشيعة معادية لكل نظام ودين فيقوم اصحابها في وجه كلّ من يعترض في سبيلهم ويتعاضدون في ترويج غاياتهم السيئة

جواب شعراء لبنان لشعراء الماسونية

وقد احبّ بعض شعراء لبنان ان يجيبوا على شعراء الماسونية لكنهم فضلوا على الشعر المنظوم الزجليات والقرّاديات فانها اوقع في القلوب وقد وردنا منها قسم كبير نختار منها اليوم بعض الادوار وان سمحت الظروف جمعناها في ديوان يتفكه به الوطنيون والاجانب . فمنها ما نظمهُ « ماروني قحّ » تحت عنوان الحقّ الوضّاح :

قالت الحكّام من اقصى القديمْ من الحقّ لا يهرب من كان مستقيمْ

فالحق الانسان مصباح الهدى ما حاد من نوره الا الموتيم

ما حاد من نوره الا ابن الظلام فاسمع وتوعى واحفظ هالكلام
في الكون شيعة زاحفة مثل الغمام يا رب نجي ووارديتا من الجحيم

واردة والويل فيها للملا هيدي للبلاد اعظم بلا
اياك ان تنش وتروح تدخلا تروى بالاحوال واعقل يا حكيم

تروى ولا تقبض كلما بقسمو ما كل من لقى كان الحق معو
هودي جماعة للفساد تجمعوا ولبسوا لبس الخير تغشوا الغشيم

لبسوا لبس الخير وصاحوا بالبشر ما قصدنا يا قوم الا ننتصر
لكل من شفناه وقلبو منكسر او صايبو مكروه او جرح اليم

والحال لا تسايل كم نجوا حقير كم عاونوا مظلوم كم كسوا فقير
كم علموا الاحداث خوف الله القدير كم ساعدوا المحتاج كم شفوا سقيم

لو انفقوا احسان من مال غزير تفاخروا فيه بالبوق والنفير
صاحوا وافتخروا ونفخوا المناخير ويا ليت باره صرفوها عليتيم

صاحوا بالعالي ان كل النحل منا ولا نعادي اديان الملل
والحال غايتهم ابطال الامل بالخالق الرحمان والدين القويم

بالخالق الرحمان إنجى الاسم من وهدة الاحزان وشدة الالم
فانهم قالوا كل من هدم كنيسة او جامع هو محسن عظيم

هو المحسن المفضال في عيون الانام من يفسد الاحوال ويخرب النظام
والباذلين الروح لهلاك الانام هؤلاء اعلاف ابليس الرجيم

وقال آخر في معناه واصاب المرمى:

دين الحق مثل النور ساطع ومثل الشمس في قبة سماها
الله سن للعالم شرائع حتى الناس يمشوا في سناها

الله سنّ للعالم شرائعْ ما حدا في الكون ضائعْ
« الّا قوم ثوب الدين خالعْ » حامل علتهُ يخشي رباها...

حاجْ تضلّ وتحجب اسرارها تشعل نارها وتخفي شرارها
ريح سمومها ينسف غبارها عيون السلم بليتْ في عماها

عيون السلم بليتْ في رَمَدْها زرعها ابليس غيرهُ ما حصدها
بدار الشرّ زارع في كبدها نفوس كثير ماتت من دماها

نفوس كثير ماتت من شرورها ويا ما عقول سكرت من خمورها
ويا ما قوم عاموا في بحورها وما عرفوش وجهها من قفاها

قبور مكلّسة للّي نظرها وحشرات ودود لمن اختبرها
لكن ضمن باطنها ضررها وكلّ اسرار شرّها في خباها

واللي مختبر شرّها تركها عرف سرّها نظر مكرها وفركها
والّفيها علق نفسهُ شبكها يوم الحشر في جهنّم لقاها

وهي طويلة وقد الحقها بقرّادية اوّلها :

يالّي ناكر دين الحقّ وقايم في شيعه جديدي
لا بدّ لك من شي زقّ صبورْ ليوم الحصيدي

لا بدّ لك من شي زقّ لا تحسب حالك في الزقّ
شفاقْ عا نفسك روح تبزّقْ تذكر قولي وتهديدي

تذكر قولي والتهديدْ وعن ناموس ربك لا تحيدْ
حاجي في كفرك تزيدْ ايّام عمرك محدودي...

فتّش وتمسك بالدينْ حاج لاحقلي ها التنينْ
لا تغشك عين التحسينْ خلي حبالك مشدودي

خلي حبلْ الدين مشدودْ لا تبدّل حبلك بقدودْ

عن كفرك حرّل وعودْ وخلي برابو موصودي
خلّي برابو مخلوعا وخلص من هالبالوعا
وخلي نفسك مرفوعا قيمتها مش محدودي

ومن ظريف ما كتبهُ آخر في الماسونية قولهُ من نوع القراديات

الطف يا باري الاكوانْ بعبيدك في كلّ مكانْ
نجيهم من هالشيعهْ وردّ التانه والغفلانْ

من هالشيعة نجينا وارحمنا وارأف فينا
حيث انهُ مخفي دينا موكد ريسها الشيطانْ

من حيث دينها غير مظهورْ ولا هو معروف بانيها
بدي افاده من المعمورْ كيف بيدخلوا فيها
في اولها تكون مسرورْ لكن حسابْ لتاليها
المرجله وقت العبورْ اصغوا انتبهوا يا شبّانْ

اصغوا انتبهوا يا ذواتْ خلع الدين ما هو هيّنْ
المطهورات والمكنونات في الآخره بدها تبيّنْ
ما شا الله عليكم هيهات الرجلْ اللي بيكون دينْ
ولو دفعتلو مليارات ما بيتبعش الفرمانْ

حاجتها يا قوم تعريدْ ما في عقده من غير حلّ
محتار بمن كان عنها بعيدْ كيف اهتدى اليها وضلّ
يكفيكم بنا وتشييدْ وشرب كؤوس مراره وخلّ
وضبط اسرار وراس عنيدْ وكفر وجحود ونكرانْ

عتاب

دخلتو قصور وسراديب مع اوكارْ وكل انسان متكم صار معه كارْ
شربتو كاس بابل هالمعوكرْ انخجلوا يا اولاد الارمله - يا بابا
يقولوا انّا اكبر جمعيات معروفين من دون شهودْ

هـذي كلهـا زعبورات افهموا المعنى المقصود
ومبـدأ دينهم مشتت ناس بيقولو من المتود
كثيرة عنـدهم الرايات اغريها هيكل سليمان

بيجولو من هون لهون لا لهم سمت ولا زي
اولاد الارملـة يدعون من كون لا يعرف لن بي
دوم يجـدّون ويسعون في ملاشاة الرب الحي
ولكن ما في لهم عون غير البيكار والميزان

يا بني الظلمة والسر واهل الكفران والجحود
رغبتوا الفتن وعشقتوا الشر وعاندتوا الرب المعبود
جلتو البحر وطفتو البر وما وضعتو للجور حدود
آخر الكاس الحلو مر اصبروا تيـأتي الـديان

ايش ظهر منكم قولوا من الاسرار المخفيه
بين العـالم بتجولوا وبتبثوا سم الحيـه
معلمكم وشـاقولو وانتم بالجملـة سويه
لازم بعـدًا بتزولوا ومنعرف مين هو الريحان

الاشيـا البتكون مليحه واجب تظهر بين الناس
واللي بتكون قبيحه تحت الاقدام بتداس
صرتوا مبره وفضيحه ومن شمخ انفه يتكاس
دخلتوا المطبخ عالريحـه الطبخة فسدت من زمان

عتاب

ان كان بتنظموا للريح راحه وبتقيسوا البحور من فوق راحه
بدخل دينكم في كل راحه بشرط تمتكوني المطرقه يا بابا

بشرط يتعطوني البيكار بركي بشفي لي غلّه
لكن يا خربان الدار زراعتكم بلا غلّه

هاتو طين وجيبوا حجار تا أبني بنايه وعلي
ومن كوني ماهر في الكار دار بشيد للاخوان

لما كنتوا مستورين كنا مفشوشين فيكم
ولما اصبحتوا مكشوفين صرنا نضحك عليكم
يقويكم يا بنانين ما راح فينا نكافيكم
بنيتوا بنايه بماء وطين ما شا الله عا هلبنيان

شي بيطير العقول كل اشغالكم اشغال اولاد
وطبعكم من اصله مجبول كله مبني على الفساد
يعني المال اليكم وصول والذي عنكم قد حاد
والذي يصغي للقول ويتوب راجع للايمان

شو بينفع عمل الحرفة العالم كله عرفكم
وصارت كلها معروفة وذانلكم وشناعتكم
وان كان القلناه ما يكفي يبقى الرب يدبركم
منكم صار بدنا الصرفة حاجتنا ثوره وهيجان

حسن الختام

قد حان لنا ان نختم هذه المقالات بعد ان اتسع بنا المجال حتى كاد البعض ان ينسبونا الى الطول الممل . وليس ختامنا لاننا استوفينا الكلام في حق الماسونية ولدينا من رأس المال اكثر مما انفقنا ولكن لكل شيء حدود وفي ما كتبنا من هذه العشيرة كفاية لتعريف حقيقتها وبيان اصلها وفصلها وغاياتها الظاهرة والمحجوبة وتلونها على مقتضى الاحوال في كل بلد تحتله وتصرفها مع كل طبقة من الناس ومرجعها الاخير الى نقض كل سلطة دينية ومدنية وتقويض كل نظام لتنشر على زعمها راية الحرية والاخاء والمساواة وانما حريتها استعباد واخاؤها عداء وشحناء ومساواتها حصر السلطة والنفوذ في مشايعيها دون سواهم وهي لا تأنف لترويج هذه الغايات السافلة من اتخاذ كل وسائل الحرام والحلال وقد اثبتنا كل ذلك بأقوال شهود الحق اكثرهم من اصحاب

الماسونية الذين ادركوا اسرارها الدفينة فنشروا منها ما نشروا اما سرًّا فانكشف السرّ واما سهوًا وعن قلّة فطنة فشاع المكتوم واما بعد ارتدادهم عن الشيعة فاثبتوا توبتهم بالاقرار عن مآثم اخوانهم . وكأنَّ كتاباتنا اصابت الغرض اذ لم يحاول احد من الماسون ان ينقدها تفنيدًا صحيحًا فكان سكوتهم احسن دليل على يقينها . وبالختام نشكر شكرًا جزيلًا كل الذين ارسلوا لنا الرسائل لتنشيطنا في العمل واستحسان ما كتبناهُ . بل نشكر الماسون الذين حرَّروا لنا مكاتبات شحنوها بالشتم والقذع وضروب الاهانة والتهديد بالقتل فانَّنا وجدنا فيها افضل جزاء عن اتعابنا كيف لا وهي برهان لامع على ان سهامنا لم تطش بل نفذت في قلب الشيعة فصاح ذووها بالويل والثبور . ويا ليتهم ينتفعون من كلامنا فيعرفوا في اي خطر رموا بنفوسهم يوم دخلوا بين اعضائها ويودّعوها غير آسفين فينجوا من مخالبها بل من غضب الخالق الذي تدوس المشيرة كل وصاياه وتنبذ كل تعاليم دينهِ ويثيبوا اليهِ تائبين فانَّ الله توّاب على العبيد (تمَّ)

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

٣ً ما من غاية تحمل الرسل على شهادة الزور

بعد ان اثبتنا معرفة الشهود الانجيليين للحقائق التي يشهدون لها وصفات الامانة التي ازدانوا بها وهي كافيـة من ذاتها لان تزكي شهادتهم امام كلّ قاضٍ صادق السريرة منزّه عن الغايات دعنا نخطر خطوة ثالثة فننظر في الغاية التي تحرّوهـا في شهادتهم . فالغاية كما يقول الفلاسفة هي المصباح الذي تُضيء الامورُ بنورهِ فيكشف عن اسرارها ويمزّق الحجاب عن خفياتها . لذا ترى قضاة العدل ينقّبون عن الغايات في الشهادة فرُبَّ شاهد قادتهُ الاهواء الى النفاق والزور رغبةً بمجد او مال او آثار يأمل البلوغ اليهِ بشهادته فيحقّ للحاكم ان يرتاب في حقيقتها

جاء في الشرع الروماني : ما من احد يكذب عمدًا بلا فائدة (nemo gratis mendax) وقيل : ما احد يكذب كذبًا يعود على رأسهِ (nemo mendax in caput suum) فاذا نقّبت في الزوايا وعرفت انَّ الدافع للشاهـد على الشهادة انَّما

هو حب المال او الجاه او السلطة او الانتقام او غير ذلك من الاسباب ارتبتَ في كلامه . امّا اذا كانت الشهادة لا تحديه نفعاً ولا لذّة ولا مجداً وهي بالاحرى مجلبة للخسران والذلّ والهوان والعذاب والموت فيصتم والشاهد مع ذلك على القيام بها لا يخشى التبعات بل يرضى بها ويفرح للحصول عليها اقررتَ مع بسكال الفيلسوف انك « تؤمن بمن يموت دفاعاً عن شهادته » (Je crois à des témoins qui se font égorger pour leur foi)

فما هيَ رعاك الله غاية هؤلاء الشهود لتجانب المخلص وتعاليمه واقواله ؟ ماذا يا تُرى حملهم عليها ؟

أ أهي الفوائد الزمنيّة والماليّة ؟ : هل الطمع في الغنى ونعيم الدنيا ؟ ولكن كيف يُنسب اليهم الطمع بحطام الدنيا وقد تركوا كلّ ما يملكون حبًّا بالمسيح واجابةً لامره : وكانوا يعيشون عيشة مشتركة وما يقدَّم للجمعيّة يوزَّع حسب الحاجة (اعمال ٤ : ٥) ولم يكن بينهم غنيٌّ ولا محتاج . وكانوا في اسفارهم وبشارتهم يعيشون على مثال بولس القائل لمسيحيّ افسس وملطس : « اني لم اشتهِ من احد فضة او ذهباً او ثوباً بل انتم عالمون بان هاتين اليدين كانتا تخدمان حاجاتي وحاجات من كان معي . وفي كلّ شيء بينتُ لكم كيف ينبغي ان نتعب لنساعد الضعفاء وان نتذكر كلام الرب يسوع حيث قال : انّ العطاء اعظم غبطةً من الاخذ » (اعمال ٢٠ : ٣٥)

هل دفعهم الى ذلك مجد العالم وسعة العيش ورغده ؟ لا لعمري وقد تركوا اهليهم وذويهم واوطانهم سائرين من مكان الى مكان « يجوعون ويعطشون ويُعرَون ويُلطَمون ويتعبون عاملين بايديهم . يُضطهدون فيحتملون يُشتَم عليهم فيتضرّعون » . هذا ما وصف به بولس احوال الرسل في ايامه (١ كور ٤ : ١٠ الخ)

هل حبّ عشيرتهم ؟ كيف به . وقد خالفوا بني جنسهم والاقارب فسلّم الاخ اخاه والاب ابنهُ وكانوا مضطهدين من الجميع من اجل اسم معلمهم . طُردوا من المحافل والمجامع وجُلدوا ولُطموا وأُلقوا في الحبوس وعُذّبوا

هل مجد وطنهم ؟ وهم الهاجون لهذا الوطن والمخبرون بالويلات التي تتهدده والمنبئون بخراب اورشليم وهيكلها الذي كانوا قبلاً يعتبرونهُ ابديّ الدوام

هل طمعوا بطول الحياة ؟ هيهات وقد لقوا السيف والسوط والموت جزاء بشارتهم بالصلوب الاله ديان الاحياء والاموات

هل نافقوا ليتغلبوا على البشر ويكتسبوهم ويترأسوا عليهم ؟ فلِمَ يعلّمون تعليماً صعباً وديناً ينافي شهوات الذين ارادوا خداعهم ويبشرون بالصليب شكاً لليهود وجهالة للامم . واين المكسب والرئاسة وقد صاروا في اعين المعاصرين « كاقذار العالم واوساخ يستخبثها الجميع » (١ كور ٤ : ١١)

٢ ولعلهُ يقال انهم قصدوا بتزويرهم تعزيز الدين وترويج احكامهِ لغايات روحية ؟ ولكن كيف يمجّد الله بالخداع والتزوير وهو الحقّ سبحانهُ وقد علمهم ان يكون كلامهم نعم نعم او لا لا او كيف يمجّد بالكفر وقد ادّعوا ان لله شريكاً وابناً مساوياً لهُ . فهيهات ان يُعزى اليهم الكفر وقد كانوا مؤمنين بالله وباليوم الاخير توّاقين للحياة الاخرى كما تشهد لهم اقوالهم واعمالهم وسيرتهم وموتهم ؟

٤ صدق الانجيليين في ايراد الظروف التي جرت فيها الحوادث

من صفات المختلق للاخبار وشاهد الزور ان يتحاشى تعيين الامكنة والازمنة والظروف الخصوصيّة خشيةً من الفضيحة التي لا بدَّ ان يسقط في هوّتها اذا ما قابل الناقد بين اقوالهِ وبين الحقائق فتراه يمرّ في اسفارهِ الخياليّة بمدن وقرى يضرب صفحاً عن اسمائها ويعاشر ولاة وقضاةً يجهل صفاتهم او يتجاهل بها . امّا الشاهد الامين الذي يصف ما رآه وتحققهُ بتانهُ يعدد الازمنة والامكنة ويذكر الحكّام باسمائهم وينعتهم بصفاتهم ويصف احوالهم السياسيّة والاجتماعيّة والادبيّة والدينيّة (١

﴿ التاريخ ﴾ ليست ايام المسيح بمجهولة فان تاكيتوس (Tacite) الروماني ويوسيفوس الاسرائيلي وغيرهما يصفون اليهوديّة في القرن الاوّل وصفاً محكماً زادتهُ في ايامنا دقةً وتثبيتاً الآثارُ العتيقة المكتشفة من عاديات ومسكوكات ورسوم وغير ذلك ومنها استخلص العلماء احوال تلك الازمنة مثل الهيئة الحاكمة والشرائع المدنيّة واسماء الملوك الاسرائيليين والحكام الرومانيين وامتيازاتهم ومزاياهم والاحزاب

---

١) فان اخطأ مرّة المرء فليس بملام ولا يتجرأ عاقل على تعييره او رذله اذ ان العصمة والكمال للحق سبحانهُ وحسب الانسان ان يكون مجتهداً في نقل الحقيقة صادق الطوية والشهادة

والتقاليد والعوائد وانواع المعيشة والنقود المستعملة واحوال رئاسة الكهنوت العبراني والعلاقات بين اليهود والرومان كالطاعة والجزية الخ

﴿ الجغرافيَّة ﴾ كل يعرف ما حدث في فلسطين من الانقلاب والخراب بعد موت المخلص مدَّة الحروب التي استعر لهيبها ايام فسبسيانوس وتيتوس وينبئنا التاريخ ان خليفتهما ادريانوس خرّب ٩٨٥ قرية او قصبة و٥٠ مدينة وبدّل اسماء المدن حتى ان البلاد انقلبت ايَّ انقلاب في مدَّة وجيزة. وقس عليهِ كلَّ ما نعرفهُ من الاحوال الدينيَّة والحربيَّة والاجتماعيَّة واسماء رؤساء الكهنة وصفاتهم والاحزاب الشائعة في اليهودية كالفريسيين والصدوقيين والهيرودسيين الى غير ذلك من الامور التي حفظتها لنا تآليف يوسيفوس وقصص التلمود

ولا بدَّ لاظهار قوَّة هذا البرهان من المقابلات الدقيقة التي تستغرق المجلدات الضخمة. وقد قام بهذه المهمة عددٌ من العلماء نخصّ منهم بالذكر الانكليزي لردنر (Lardner) في عشر مجلَّدات دعاها (Credibility of Gospel) اي صدق الانجيل وفالون (Wallon) احد اعضاء المجمع العلمي في باريس في الصفحة ٢٥١ الى ٤٠٠ من كتابه في الاناجيل فكانت نتيجة ابحاثهم اظهار الاتفاق العجيب بين التفاصيل التاريخيَّة ونصوص الاناجيل. قال العالم الانكليزي كلارك (Clarke): « ان الاتفاق كامل يفوق كلَّ امل وانتظار. » وقال فالون: « ان الاتفاق عجيب جدًّا لسهولة الخطإ. خذ ان شئتَ مثلًا واحدًا سلسلة الملوك المعاصرين والمدعوين هيرودس وميز بين هيرودس الكبير وهيرودوس ارخيلاوس وهيرودس فيلبس وهيرودس انتيباس وهيرودس اغريبا الاوَّل والثاني. فما اسهل الخطأ ليس فقط في وصفهم وطباعهم وامتداد سلطتهم لكن في اسمائهم ايضًا. ومع ذلك لم يغلط الانجيليون ولم يخلطوا بين الواحد والاخر ولم يخطأوا في حرف او ظرف زهيد ايًّا كان »

ويمكننا ان نؤيد برهاننا بالمقابلة بين الاناجيل الصادقة واناجيل الزور فهذه لا تكاد تذكر اسمًا او مدينة الَّا ويكبو بها جواد التزوير. هذا انجيل ميلاد مريم يتكلم عن رئيس كهنة اسمه اسكَّار وليس للاسم ذكر في سلسلة رؤساء الكهنة. هذا انجيل الطفوليَّة (العربي) لا يذكر الَّا مرةً اسم مدينة وملك وهي منفيس حيث يقيم على زعمهِ فرعون. واليها يذهب المخلص وكل يعرف ان الفراعنة كانوا قد

بادوا منذ اجيال. وكذلك انجيل نيقوديموس يتكلم عن جبل الزيتون ويجعلهُ في بلاد الجليل ولا احد يجهل انهُ محاذٍ لاورشليم وامثال ذلك لا تحصى

فان كان الانجيليون صادقين في رواية كلّ الظروف فباي عدل نشكّ في سائر اخبارهم اليست امانتهم في نقل التفاصيل الدقيقة شاهداً على صدقهم في كلّ ما كتبوا؟

٥ً اتفاق شهادات الانجيليين الاربعة مع بعضهم

لا يرضى القاضي الناقد بما ثبت لديهِ من نزاهة الشهود عن الخداع وصدق سريرتهم لكنهُ يعرض شهاداتهم على بعضها عساه يرى بينها تناقضاً فيطعن في حقيقتها لان المخادعين اذا ما استُنطقوا كلٌّ على انفراد لا بدَّ من ان يفرط من لسانهم او قلمهم ما يحقّق خداعهم. امّا الشهود العدول الصادقون فقد يختلفون في نقل الاعراض فيذكر هذا ما يضرب ذاك عنهُ صفحاً لكنهم يتّفقون في جوهر الحادث الذي رأوهُ بعيونهم وسمعوه باذانهم وان أمّاوه بنَفَس ولهجةٍ وصورة تمتاز عن امتياز الاشخاص عن بعضهم

ولدينا في موضوعنا شهود اربعة كتبوا سيرة المخلص في اربعة اسفار كلٌّ بمعزل عن رفيقه. فاذا قابلنا بين اسفارهم لم نجد اختلافاً ولا تناقضاً لكن اتفاقاً حتى استطاع العلماء منذ القرن الثاني ان يجمعوا الاناجيل في سلسلة او قلادة واحدة مرتبطة حلقاتها اكمل ارتباط وكُتبت مرارًا الاناجيل في اربعة حقول فيسهل على القارئ لاول نظرة ان يقابل بينها فيرى بديع التحامها

وقد يُعترض علينا ان كلًّا من الانجيليين يروي بعض المعجزات او يذكر ظروفاً لم يذكرها غيره او ينقل الآيات بزيادة او نقصان

نجيب اوّلًا: مع معلمي الفقه: ان اكبر دليل على صدق الرواة هو ان يتفقوا معنًى ويختلفوا نهجاً وانشاء وتفصيلًا والّا لألفيتَ شبهة ائتمار سابق عقدوه للخداع

نجيب ثانياً: انَّ الانجيليين كتبوا تاريخاً واحداً لكنهم اختلفوا في المقاصد فكان لكل منهم حاجة وغرض وكلٌّ كتب في ظروف مختلفة ولامم مختلفة ومن ثم قد ذكر كلٌّ واحد من الوقائع واختار من الظروف ما رآه يناسب مقصده

فالقديس متى كتب لفائدة اليهود المتنصّرين او المترددين في الايمان بما سمعهُ عددٌ منهم او رأوه عياناً من اعمال المسيح ومعجزاته فصرف الانجيلي همّهُ الى تبيان

كمال النبوات في يسوع ابن داود واختيار الوقائع المناسبة لذلك. ولما كان قرّاؤه يهودًا ومعاصرين فيعدل عن شرح الكلمات الآرامية والعوائد اليهودية واسماء المدن والقرى المعروفة منهم

ومرقس خص بكلامهِ الرومانيين فاهمل ما يتعلق بالنبوات وروّجه غرضهُ الى اثبات سلطان يسوع المطلق على الخليقة جمعاء. ولذلك افتتح انجيلهُ بقولهِ: «بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله» ثمَّ ذكر قدرة المخلص على الارواح النجسة وختم او كاد يقول القائد الوثني الذي شاهد موت المخلص: بالحقيقة هـذا هو ابن الله. كذلك تراه اذا ذكر كلمة او عادة يشكل فهمها على الرومان الحقها بالشرح الكافي

امَّا لوقا فكتب لفائدة الوثنيين من رومان ويونان الداخلين في الدين ببشارة بولس وبشارته فاظهر رحمة المخلص على الخطأة وبيَّن ان الدين المسيحي يُعرَض على الجميع لخلاص الجميع

امَّا يوحنَّا فقد اراد ان يتلافى ما فات الانجيليين الذين كتبوا قبلهُ ويثبت الوهيَّة المسيح دحضاً للجاحدين ومبتدعي زمانهِ مثل قيرنتس واشياعه

وفي كلٍّ هذا ترى انَّ الصورة التي صوَّروها والسماء التي نعتوا بها المسيح هي واحدة كاملة كلٌّ منهم يصف المسيح الرب ويصوره وينعتهُ كما رآه وسمعهُ او سمع عنهُ. والصورة واحدة وان امتازت يد هذا المصوّر عن ذاك. فهو ابن الله الوحيد الازلي نزل من السماء وتأنس ليفتدينا من عبوديَّة الشيطان وعاش فقيرًا وازدان باسمى الكمالات وكان قديرًا بالاعمال والاقوال يبذر بذر التعليم ويعمل الآيات اثباتاً لرسالتهِ وسلطتهِ السامية وقد تألم ومات وقام وترآى لذويهِ وارسلهم للبشارة

ونجيب ثالثاً: انهُ ليس من الضروري ان يذكر كلٌّ من الشهود جميع الظروف. فاي تضادّ اذا ذكر هـذا امرًا لم يره ذاك او لم يحفظه او لم يتأثر منهُ. الا ان الناظرين يكيّفون الحادث بكيفيتهم. خذ اربعة اشخاص ينظرون من اعالي لبنان الى مشهد الطبيعة ساعة غروب الشمس فهذا يهيم بالالوان الذهبيَّة المشتعل بها الجو. وذاك بالسلام السائد على البرّ والبحر ساعة انحدار الغزالة الى خدرهـا والثالث يتيه عجباً بمرأى البحار او الجبال الى غير ذلك. هكذا يحدث في كل المشاهد وفي كل الشهود بل كثيرًا ما يفعلهُ الراوي الواحد في آونة مختلفة ولنا شاهد على ذلك في

مار لوقا فانهُ قصّ ثلاث مرّات خبر ارتداد بولس في سفر الاعمال (١٩: ١٥و٢٢: ١٤و٢٦: ١٦) بالفاظ مختلفة وظروف متباينة والحادث واحد لا يختلف جوهرياً

نجيب رابعاً: لا ريب ان المسيح عمل اكثر ما تتضمنهُ الاناجيل وقد شهد بذلك يوحنا (٢١: ٢٥) وكثير من المعجزات قد تكرّرت بالظروف المتشابهة في مواطن عديدة كما تكررت التعاليم بمعناها ولفظها او بما يضاهيها فلم يقل السيّد مرة فقط «طوبى للمساكين بالروح الخ» ولا: «من اراد ان يتبعني فليحمل صليبهُ الخ» لكنهُ قال ذلك مراراً فاختلفت نصوص الايات بعض الاختلاف اللفظي على حسب اختلاف مواطن تكراره ولكن حُفظ التعليم السامي في سلامته وصدقهِ لم يمسّهُ شيء من الخلل

٦ اتفاق الانجيليين وسائر كتبة العهد الجديد

ان شهادة الانجيليين الاربعة تؤيد وتُثبت ايضاً بشهادة سائر كتبة العهد الجديد المعاصرين للحوادث. اجل لم يكن غرض هؤلاء في رسائلهم تعداد الاعمال ووصفها ولا كتابة سيرة المسيح من المهد الى اللحد والقيامة ذلك امرٌ يعلمهُ قرّاؤهم ويؤمنون بهِ. لكنهم يشيرون اليها ويلمحون تلميحاً. وكلُّ ناقد يعرف قيمة الشهادة المستخلصة من الاشارة والتلميح في الاثار والنصوص التاريخية الصادقة ولا ريب في انَّ الرسائل وكتاب اعمال الرسل من الآثار التاريخية الصادقة. فهذه رسائل بولس ويوحنا ورسالة بطرس الاولى الخ (١ قد اجمع الناقدون على نسبتها الى اصحابها وحقيقتها التاريخيّة. وهذا كتاب اعمال الرسل ترى اليوم الاباحيَّ الشهير هرناك (Harnack) نفسهُ يدافع عن صدقهِ وامانتهِ في وجه اصحابهِ المعطلين ويعزو اليهم التعصب الذميم واغماض العين امام النور العلمي الباهر ويثبت انهُ كُتب في نحو السنة الستين للميلاد

(اولاً): شهادة بولس الرسول

يمتاز بولس عن سائر الرسل وسائر المعاصرين بعقلهِ السامي وذكائهِ وفطنتهِ ومعارفهِ وشجاعتهِ وهمتهِ. برع في الآداب العبرانيّة واليونانيّة وتحمس للدين الموسوي

١) يزعم المعارضون ان رسالة بولس الى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية هما من اوائل القرن الثاني. امّا نحن فنضرب عنهما صفحاً الآن لان لنا في سواهما ما يكفي لاثبات الحقيقة

واضطهد الدين النصرانيّ وذهب الى دمشق ليلقي القبض على من اعتنق هذا الدين الحديث فتراءى لهُ المخلص في الطريق كما اخبر هو عن نفسهِ وتبدلت احوالهُ فاصبح الاناء المصطفى ليحمل اسم الرب امام الامم والملوك وبني اسرائيل (اعمال ٩ : ١٥) وكان ذلك في السنة الثانية لقيامة المخلص. ثم زار بولس بطرسَ ويعقوب المتبرّين كاعمدة » (غلاطية ١ : ١٨ و٢ : ٩) وقابل غيرهما من الرسل والتلاميذ وتباحث معهم وتثبّت شهادتهم (غلاطية ٢ : ٢ و١١) بدقّة وافراز ونقد وشرع يبشر بالانجيل وقد كتب رسائلهُ البديعة السامية الى المتنصرين من اهل رومية وغلاطية وكورنثية وافسس الخ وهي مما لم يتجرأ ماجد عاقل على انكار تاريخها ونسبتها وصدقها ولم تكن غاية كاتبها ان يخبرهم بسيرة المسيح ويصف عجائبهُ وينقل تعاليمهُ فهو يحيلهم في كلّ ذلك الى ما سمعوه شفاهاً منهُ ومن سائر الشهود العيانيين لكنهُ كتب ما كتب الى كنائس خاصة ولدواعي خاصة ولا يذكر حياة المخلص الّا تلميحاً او اشارة ولكننا اذا جمعنا هذه التلميحات والاشارات ألّفنا انجيلاً كاملاً بمعزل عن الاناجيل وصوّرنا صورة السيد المسيح التاريخيّة بكمال يضاهي ما تعلمنا بهِ الاناجيل ولا ينحط عنهُ. وها اننا نختار بعض الفقر المثبتة لقضيتنا. فان بولس يذكر :

١ً (تجسد ابن الله): قال مراراً إنهُ (اي بولس) « الرسول المفرز للبشارة بما وعد الله بهِ من قبلُ على السنة انبيائهِ في الكتب المقدسة عن ابنهِ الذي صار من ذرية داود بحسب الجسد الذي حُدّد ان يكون ابن الله بالقوة بحسب روح القداسة بالقيامة من بين الاموات وهو يسوع المسيح ربُّنا الذي نلنا بهِ النعمة والرسالة لطاعة الايمان في جميع الامم » (روما ١ : — ٥) وهو من الاسرائيليين « بحسب الجسد المسيح الذي على كلّ شيء الهٌ مباركٌ مدى الدهور » (روما ٩ : ٥). وذلك لانهُ « لمّا بلغ ملء الزمان ارسل الله ابنهُ مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبنّي » (غلاطية ٤ : ٤) وفي موضع اخر يصف لاهوتهُ وان كان في الهيئة انساناً. قال: « ليكن فيكم من الافكار والاخلاق ما هو في المسيح يسوع الذي اذ هو في صورة الله لم يكن يعتدّ مساواتهُ لله اختلاساً لكنهُ اخلى ذاتهُ آخذاً صورةَ عبدٍ صائراً في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة. فوضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب. فلذلك رفعهُ الله

ووهبهُ اسماً يفوق كلَّ اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّا في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ويعترف كلُّ لسان ان الرب يسوع هو في مجد الله الاب » (فيلبي ٢: ٥—١٢) .

٢ (عيشتهُ على الارض) عاش المسيح فقيراً على الارض من اجلنا وهو الغني لكي نستغني بفقره (٢ كور ٧: ٩) وكان وديعاً ولينًا (٢ كور ١٠: ١) وبارًّا لم يرتكب اثمًا لكنهُ قُدِّم ضحيةً عنا نحن الخطاة لنتبرَّر بهِ (٢ كور ٥: ٢١)

٣ (آلامهُ وصلبهُ) قد اسلم هذا الرب نفسهُ للآلام «من اجل زلّاتنا» (روما ٤: ٢٥) «فعُذِّب ومات عنَّا ونحن اعداء الله ومنافقون ليبرّرنا بدمه فنخلص بهِ من غضب الله» (روما ٥: ٦ الخ) وتلك اسمى علامات محبة الله لنا فإنهُ «لم يشفق على ابنهِ بل اسلمهُ عن جميعنا» (روما ٨: ٣٢) كما ان ابن الله احبَّنا وبذل نفسهُ من اجلنا» (غلاطية ٢: ٢٠) وكان ذبحه في عيد الفصح «فاصبح لنا فصحاً جديداً (١ كور ٥: ٧) وذلك في عهد بيلاطس البنطي» (١ تيا ٦: ١٣) «ولكي ينجينا من اللعنة التي كنَّا مثقلين بها قدَّم ذاتهُ ضحية فاضطهده اليهود وصلبوه» (١ كور ٢: ٧ و٢ كور ١٣: ٤ و١ تيا ٢: ١٥) «وعلَّقوه على الخشبة» (غلاطية ٣: ١٢) ومن ثم جعل بولس صليب المسيح موضوع كرازتهِ فهو «يكرز بالمسيح المصلوب شكًّا لليهود وجهالةً للامم أمَّا للمدعوين.. فقوة الله وحكمته» (١ كور ١: ٢٣) وبولس «لا يعرف شيئاً الَّا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (١ كور ٢: ٢) «ولا يفتخر الَّا بصليب ربهِ يسوع المسيح الذي بهِ صُلب العالم لهُ وهو (بولس) صُلب للعالم» وهو «يحمل في جسدهِ سمات الرب يسوع وجروحاتهِ» (غلاطية ٦: ١٤—١٧) والذين لا يسلكون بحسب هذا التعليم «فهم اعداء صليب المسيح» (فيلبي ٣: ١٨)

٤ (قيامتهُ من الموت) قال بولس في رسالتهِ الاولى الى الكورنثيين (١٥: ١): «اذكروا ايها الاخوة الانجيل الذي بشرتكم بهِ وقبلتموه وانتم قائمون فيهِ وبهِ ايضاً تخلصون ان حافظتم على الكلام الذي بشرتكم بهِ... فاني سلمت اليكم اولًا ما تسلمتهُ ان المسيح مات من اجل خطايانا على ما في الكتب وانهُ قُبر وانهُ قام في اليوم الثالث على ما في الكتب وانهُ تراءى لكيفا ثم للاحد عشر ثم تراءى لاكثر من خمسمائة اخ معاً اكثرهم باقٍ الى الآن وبعضهم قد رقدوا. ثم

ترآءى ليعقوب ثم لجميع الرسل . وآخر الكل ترآءى لي انا ايضاً كأنهُ للسقط لاني انا اصغر الرسل ولستُ اهلاً لأن اسمَّى رسولاً لاني اضطهدت كنيسة الله . لكني بنعمة الله صرتُ على ما انا عليه » . وامثال هذه الشهادات كثيرة فان بولس يذكر ان المسيح « مات وعاد حيًّا ليسود على الاحياء والاموات » (روما ١٤ : ٩) « ويبرونا بدمهِ وموتهِ » (روما ٤ : ٢٥ و ٥ : ٩)

٥ً (صعودهُ) فقد ارتفع المسيح الى المجد وجلس عن يمين الله الاب يشفع فينا حتى اذا ما تألمنا معهُ نمجَّد معهُ (روما ٨ : ١٨ و ٣٤ و افس ١ : ٢٠ و ١ تيا ٣ : ١٦)

٦ً (الاسرار) المعمودية : عليها مدار الفصل السادس من رسالة بولس الى الرومانيين حيث يثبت « ان كلَّ من اصطبغ منا بالمعمودية في المسيح ودُفن معهُ يقوم في جدَّة الحياة »

سرّ القربان : هو موضوع الفصلين العاشر والحادي عشر من رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثس حيث وصف اقامة المسيح لسرّ جسده ودمهِ . قال : « اني تسلَّمتُ من الرب ما قد سلمتهُ اليكم ان الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها اخذ خبزًا وشكر وكسر وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي . . . فايُّ انسان أكل خبز الرب وشرب كاسهُ وهو على خلاف الاستحقاق فهو مجرم الى جسد الرب ودمه » (١١ : ٢٣ الخ) وقال : « فان كاس البركة التي نباركها اليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسرهُ اليس هو شركة جسد المسيح » (١٠ : ١٦)

وقس على ذلك سرّ الثالوث الاقدس وتأسيس المسيح للكنيسة وامرهُ للرسل ان يذهبوا فيبشروا الشعوب ويعلموهم تعليم الخلاص واقامتهُ للكهنة والرعاة الى غير ذلك من التعاليم الواردة في الانجيل الطاهر والمعتبرة اساساً للدين النصراني . ومن هذا نجد الاتفاق كاملاً بين الانجيليين وبين بولس الشاهد الممتاز والمعاصر لا مرَّةً لكن مئات من المرات ولو اردنا ان ننقل تعليم بولس ونقابلهُ مع تعاليم الانجيل ونظهر مطابقتهُ البديعة لها لكتبنا جلداً ضخماً

(ثانياً) اتفاق الانجيليين مع اعمال الرسل ورسائل بطرس ويعقوب الخ

﴿ سفر اعمال الرسل ﴾ ان صاحب كتاب اعمال الرسل يؤكد ما جاء في الاناجيل عن اعمال يسوع العظيمة وتعاليمهِ الخلاصية وموتهِ وقيامتهِ وصعودهِ

وينقل الحوادث التي جرت في الايام الاولى التابعة لقيامة المخلص وشهادة الرسل لهذه القيامة وبشارتهم بها امام الشعب ودخول الالوف المؤلفة في الدين النصراني واضطهاد اليهود لهم وضربهم وجلدهم. امّا « هم فكانوا فرحين لانهم وُجدوا اهلاً لأن يُعذَّبوا حبًّا بيسوع » الذي عُذِّب ومات لاجلهم. وقد اورد مرارًا ملخص حياة المسيح كما كان يصفهُ الرسل. اقرأ مثلًا الفصول الاولى ترَ اتفاقًا بديعًا. نقِّب ترَ تفاصيل جمة متفقة مع الاناجيل. ترَ ذكر عجائب المخلص وتشاهد الرسل يعملون العجائب والايات الكثيرة على مرأى من الجميع وذلك باسم يسوع الناصري. حتى ان الناس كانوا يخرجون بالمرضى الى الشوارع ويضعونهم على فرش وسُرُر ليقع ولو ظلُّ بطرس عند اجتيازهِ على بعض منهم فيبرأوا من كلّ علة فيهم (الفصل ٥) ترَ ذكر سرّ المعموديَّة والتوبة والقربان والكهنوت ومساعي الرسل للبشارة الى غير ذلك

﴿ سائر الرسائل ﴾ افتتحَ بطرس رسالتهُ الاولى بقولهِ: « مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذي على حسب رحمتهِ الكثيرة ولدنا ثانيةً لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من بين الاموات » (١ : ١٣) ثم وصف تتميم النبوات بالآم المسيح وبما يتلوها من المجد « لخلاص النفوس المفتداة لا بالذهب والفضة لكن بدم كريم دم حملٍ لا عيب فيهِ ولا دنس وهو المسيح » (١ : ١٩ الخ) ثم يحرض المسيحيين على الصبر واحتمال الاضطهاد حبًّا بالمسيح « الذي تألم لاجلنا وابقى لنا قدوة لنقتفي اثارهُ الذي لم يصنع خطيئة ولم يوجد في فمهِ مكر وكان يُشتَم ولا يردُّ الشتم وكان يتألم ولا يهدد فحمل خطايانا في جسدهِ على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرّ وبجراحهِ شفينا » (٢ : ٢٠ الخ) وفي الفصل الثالث يذكر المعموديَّة المراد بها « اختبار الضمير الصالح خلاصنا بقيامة المسيح الذي هو عن يمين الله: اذ قد صعد الى السماء وأخضعت لهُ الملائكة والسلاطين والقوات » (٣ : ٢١ الخ) وفي الفصل الرابع يحرّضهم على الفرح في الاضطهاد « حتى يمجّد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي لهُ المجد والعزة الى دهر الدهور امين » (٤ : ١١) « فاذا عُيِّرتم من اجل اسم المسيح فطوبى لكم وان تألم احدكم كمسيحي فلا يخجل بل ليمجّد الله لاجل هذا الاسم »

وقس عليهِ سائر الفصول فالتعليم واحد والخبر واحد وان اردنا ان ننقل كل ذلك اضطررنا الى نقل الرسائل برمَّتها (لها بقيَّة)

مولد

جمهوريّة البرتغال الماسونية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

في اوائل الشهر القادم تحتفل جمهوريّة البرتغال بمولدها بعد مرور سنة عليها منذ ظهرت لعالم النور. فلا غرابة ان يجتمع حول مهد الوضيعة اصحابها حتى يتفاءلوا بمصيرها ويتمنّوا لها طول البقاء. ولسنا ممّن يريد ان يبلبل هذه النغمة المطربة لولا ما طرأ على الفتاة من الاسقام في اوّل سنة حياتها فاستدلّ نطس الاطباء على ما يخشاها من العاهات المعضلة. فها نحن نورد هنا تشخيصهم لعلّ القائمين بامرها يتخذوا الوسائل لمعارضة الداء وازالته بانجع دواء. فان الامور اذا لم تُصلح ازالها تفاقم فيها الفساد واستفحل الشرّ فيصبح داؤها عياء يعتاص شفاؤهُ على احذق الاطبّاء.

*

انّ الماسونيّة اذا ما بقيت محجوبةً في اسرارها ومحافلها السريّة تلوح في اعين كثيرين كالمصلحة الكبيرة لبلايا الجنس البشري وكالترياق الشافي لكل ضيقات الانسانيّة. فتسمع اصحابها يلقون الخطب المطنطنة وينشدون القصائد الطنّانية ويحرّرون المقالات الاجتماعيّة فلا يشكّ القارئ او السامع ان عند جهينة الخبر الصحيح وانّ الماسوني هو بارئ القوس يحسن الرمي بها فاذا تربّع في دست التدبير اعاد للارض سعادتها المفقودة وجدّد قرنها الذهبي

ولكن شتّان بين القول والفعل والعامّة تقول « الحرب بالنظارة سَهل » وها قد بلغت الماسونيّة في بلاد البرتغال متنأها فبعد الدسائس والمكايد واصناف الخداع والمكر قبضت على ازمّة السياسة وقبضت على دفّة التدبير فيحسن بنا ان نوجه رائد الفكر الى ما اصطنعتهُ الشيعة لخير الانسانيّة ولصالح الوطن الذي استلمت قيادتهُ

لسنا نجهل انّ احوال البرتغال في القرن الماضي كانت في تقهقر وقد سبق حضرة الاب رنزفال في فصله المعنون « صدق المقال في ثورة البرتغال » (المشرق ١٣ : ٧٧١)

وبيّن اسباب ذلك الانحطاط الذي كان فيه لاعداء الدين والجمعيات السرية واغراض الاحزاب اليد الطولى. ولما حاول الملك كارلوس الاول ان يضع حدوداً لهذه الاحوال السيئة ويعيد للبلاد رونقها توسّل ابناء الارملة بوسائلهم المألوفة وقتلوا الملك بالديناميت ليقوموا هم مقامهُ. واذ نجا من ايديهم الاثيمة ابنهُ مانويل واخذ يهتمّ بتدارك الحال كرّروا الحملة عليه والجأوهُ الى الخروج من مملكتهِ طريداً شريداً

فخلا الجوّ للماسونيّة فلم يبقَ لها الّا ان تبيض وتصفر وتبيّن بازاء العالم مقدرتها في حسن السياسة. فالحقّ يقال انّ احسن ما كان يستطيع اعداؤها ان يتمنوا لها ان يفوز قدحها فيرى الكلّ ضعفها وفشلها !

أُعلن بالجمهوريّة في ٥ تشرين الاول سنة ١٩١٠ وصارت دفّة التدبير في ايدي رؤساء الماسونيّة الذين منذ عهد مديد كانوا واقفين للملكيّة بالمرصاد ينفخون نار الثورة ليمتدّ الحريق الى اطراف الدولة فكلّل مساعيهم النجاح وما لبث اعضاء الملكيّة ان جاؤوهم منقادين خاضعين يطلبون منهم ان يساعدوهم في خدمة الوطن ورفع شأنهِ والكف عن الحرب الاهليّة

فما كان اجدر بالحكومة الجديدة ان تزيل ذات البين فتجمع كل قوى الوطن العزيز وتبني الجمهوريّة على اساس ثابت كجمهوريّة الولايات المتحدة فتمنح الحريّة كلّ من يجري على اصول الحريّة الصحيحة وتساوي بين العناصر فتعطي الامتيازات من استحقها بقطع النظر عن اصلهِ وفصلهِ ومعتقدهِ الشخصي. ذلك دستور الجمهوريات التي تريد حقيقةً خدمة الشعب وتعزيز الوطن

الّا انّ جمهوريّة البرتغال اقسمت بان تكون ماسونيّةً قبل كلّ فضحّت على مذبح محافلها مبادئ الجمهوريات لتقيم بدلاً منها المبادئ الماسونية فاشهرت الحرب على الدين وراشت سهام الفتن والثورة وعرّضت الوطن لاجسم الاخطار

١ الجمهوريّة البرتغاليّة والدين

ما كادت الجمهوريّة البرتغاليّة تجلس على كرسي الحكم حتى جاهرت بسياستها الخرقاء. وجعلت الكثلكة كهدف لسهامها في بلاد يعدُّ اهاليها الدين كاعظم كنوزهم ويواظب تسعة اعشارهم على فرائضهِ فأطلقت العنان لاوباشها ليطاردوا اربابهِ

مطاردة الكلاب السلوقيَّة لاوابد الوحوش فضربوا وجرحوا وحبسوا وقتلوا . وفي ١٠ تشرين الاوَّل اي خمسة أيام بعد ظفر الجمهوريين ابرزت الحكومة الجديدة بلا موجب ولا ادنى حقّ امرًا بطرد اليسوعيين من البرتغال بعد ان اوسعتهم شتماً واذاقتهم مرّ النكال مدَّة بضعة أيام في سجونها القذرة. ثمَّ استصفت بعد ذلك اموالهم كلها جورًا وقضت عليهم بالنفي المؤبَّد من اوطانهم. وذلك حكمٌ يبلغ اقصى درجات الهمجية اذ لم يدعوا الرهبان الى محاكمة ولم يثبت على واحد منهم ما ينافي الشرائع المدنيَّة بل خدموا الوطن بكل نزاهة وبكل نشاط بمدارسهم ومعاهدهم العلميَّة وكرازتهم وكتاباتهم غير ان الماسونيَّة لا تبالي بشيءٍ من ذلك وهي تريد تقويض اركان الدين واليسوعيون يدافعون عنهُ الى آخر الانفاس (راجع احتجاج اليسوعيين البرتغاليين على حكومة الجمهوريَّة لنفيهم ظلماً دون محاكمة بعد حبسهم وسوء معاملتهم. في اوَّل عدد هذه السنة)

ثمَّ عقَّبت الجمهوريَّة هذه الضربة بضربة ثانية فألغت كلّ الرهبانيَّات وحجزت ارزاقها كأن انقطاع بعض افاضل الناس لخدمة الله وتفانيهم في خير القريب اضحى خطرًا يتهدَّد الوطن ويجلب عليهِ الويلات. ولم تستثنِ الماسونيَّة الجمعيَّات الخيريَّة التي يتولَّى تدبيرها الكاثوليك فانَّها ارادت تجريد المشاريع الخيريَّة من كلّ مسحة دينيَّة بمقتضى قرارٍ اصدرتهُ في ١٧ من شهرها الاوَّل

وفي اليوم التالي اردفت قرارها بحكم آخر ينبئ ببغضها للدين فانَّها الغت القسَم الدينيّ في المحاكم واستبدلت الاسم الكريم بالشرف الشخصيّ المزعوم وفتحت بذلك باباً واسعاً للحنث والكذب وكلُّنا يعرف ان من ينكر إلههُ ليس الشرف في فيهِ غير كلمة فارغة من كلّ معنى

وفي ٢٤ منهُ خطت الجمهوريَّة الماسونيَّة خطوة رابعة في معاداة الدين اذ ألغت في المدارس كلّ تعليم دينيّ فجعلت مدارسها علمانيَّة محضة لادينيَّة او قُل بالحري معاكسة للدين مناقضة لمبادئهِ (راجع مقالتنا في المدارس العلمانيَّة والدين. في المشرق ١٣ : ٦٢٠ و ٦٩٠). وكما الغت التعليم الديني الثانوي كذلك ابطلت تدريس العلوم اللاهوتيَّة في كليَّة كوامبرة (Coïmbre)

والغريب في كلّ ذلك انَّ اصحاب الجمهوريَّة الجديدة استندوا في سنّ احكامهم

الى بعض شرائع قديمة صدرت في عهد الماركيّة في ايّام الوزير بمبال او في السنة ١٨٣٤ فاستعاروا السنن الجائرة التي يدّعون ان جمهوريّتهم قامت لنبذها واستئصالها فناقضوا ذواتهم بذواتهم وبيّنوا للعالم نفاقهم

ثم لم يقفوا عند تلك الحدود ففي ٣ ت ٢ اصدروا حكماً في الطلاق ومهّدوا الطريق لنقض روابط الزواج المسيحي وذلك اركان العائلة. ثمّ الحقوهُ بما هو اقطع واقبح ان دعوا الكهنة الى الزواج بل قل الى الزنى والخلاعة ومنّوهم بالمواعيد الباطلة اذا فعلوا فبلغ بذلك السيف التراقي

وقد كانت كل هذه الاحكام المتواترة كطعنات تنفذ تترى في قلوب الكاثوليك عموماً والسادة الاساقفة خصوصاً حتى رأوا ان مواصلة الصمت اثمٌ بازاء رعاياهم فكتبوا في ٢٤ كانون الاوّل ١٩١٠ منشوراً عاماً وقّعهُ غيطة بطريرك ليسبونة ورؤساء اساقفة مع اساقفة البرتغال وعددهم اثنا عشر صرّحوا فيهِ باحتجاجهم على سُنن الحكومة الجائرة ومناقضتها الصريحة لتعاليم الكنيسة واضطهادها لاهل الدين وطردها للجمعيّات الرهبانيّة ثم نبذوا ورفضوا مبادئ الثورة بخصوص السلطة والطلاق والتعليم اللاديني وزواج الكهنة بلهجة تتلهّب غيرة على الدين وتسمُ بسمة الرذل والتقبيح مساعي الماسونيّة واربابها ومشروعات الجمهوريّة الجديدة المنقادة الى روحها. وكان صدور المنشور في ثاني يوم من شهر آذار سنة ١٩١١

فما شعر اصحاب الامر بصدور هذا المنشور حتى اسرعوا وحظروا على الاساقفة نشرهُ لكنّ السيف كان سبق العذل. فاسرعوا وقتئذٍ وتهدّدوا الكهنة بالعقاب ان تلوهُ في الكنائس في ٥ آذار اوّل احد الصوم الكبير الّا انّ تهديدهم بقي دون نتيجة واجاب معظم الكهنة الى اوامر رؤسائهم. فحدث ولا حرج عن غيظ الوزراء وخصوصاً وزير العدليّة والاديان افونسو كستا الذي ارسل واوقف السيد سوزا برُوزو (Mgr Souza-Barroso) رئيس اساقفة بُورتو وبعد ايستنطاقهِ كاحد المجرمين حكم بعزلهِ وحبسهِ في بعض الاديرة. وكان الوزير المذكور سبق واصدر حكماً كهذا على احد افاضل الاساقفة السيد ليت دي فاسكنسلوس (Mgr Leite de Vasconcellos) رئيس اساقفة باية (Béja) المعروف بشهامتهِ وشرف نفسهِ فلم يشأ ان يصادق على اعمال اهل الثورة وكان هؤلاء طلبوا قتلهُ فلمّا حبط مسعاهم

انزلوهُ عن كرسيّه كأنهم اصحاب الحلّ والعقد في الدينيّات كما اغتصبوا السلطة المدنيّة

فظنّ اصحاب الحكومة انهم يقوون على الكاثوليك وعلى رؤسائهم الاجلاء ان ضربوهم الضربة الاخيرة بفصل الكنيسة عن الدولة. فاجتمع الفرمسون وعيّنوا لجنةً تقرّر الامر وتدوّن بنود هذه الشريعة الاثيمة فانتسوا بالجمهوريّة الفرنسويّة ووضعوا ١٩٦ بندًا في سبعة فصول قرّروها كما شاؤوا وضبطوا كلّ الاوقاف وقطعوا عن ارباب الدين رواتبهم بل اتوا بامور كثيرة لم يأتها بعد اعداء الكنيسة في فرنسة مع مغالاتهم بالعداء حتى انهم حظروا على الكهنة لبس الثوب الاكليريكي خارجاً عن الكنيسة ومنعوا عن مباشرة الاعمال الدينيّة كلّ كاهن درس في غير مدارس بلده وحكموا بمعاقبة الكهنة الذين يتلون في الكنائس براءات الحبر الاعظم دون رخصة وغير ذلك من الاوامر التي تذكّر باشنع أيام الاضطهادات وبظلم الدّ اعداء الكنيسة

واذ صادقت الحكومة على هذه الاوامر واعلنتها في جرائدها الرسميّة تحققت ان دون بلوغ غاياتها عقبةً كؤودًا. فان الرأي العام تأثّر من ذلك ايّ تأثير حتى خافت الحكومة من سببه ثورةً. امّا الاساقفة فرغماً عن تهديد رؤساء الدولة عادوا وابرزوا قرارًا يُعدُّ من اجمل آثار النفوس الابيّة التي تخيّر المنايا على الدنايا والموت على حياة الذلّ فكأنّ الروح القدس انطقهم بما نطق به الرسل الاوّلون: لا نستطيع ان نطيع البشر ونخالف وصيّة الله. فاسمع كيف افتتحوا هذا القرار:

« قد تمّ الامر ووقعت الضربة. ها حلّ فينا ما كنّا نتوقّعهُ وما سبق اليهِ ظنّنا او قل بالحري ان الواقع تجاوز كلّ ظنّ والشرّ اعظم وافقم ممّا كنّا نتخيّلهُ. كنّا نخاف ان تُسَنّ سُنّة قاسية واذا هي سُنّة فظيعة شنيعة. كان خوفنا من شريعة تضغط على حريّتنا فاذا هي الظلم والعدوان بالحين تكسونا الذلّ وتجليبنا الهوان وتعرّينا من كل املاكنا بل تزيد على الجور الهزء والسخريّة. فمن يا تُرى يلومنا اذا ما رفعنا الصوت للاحتجاج؟ ما لم يُرد الجلّاد ان تمدّ لهُ العنق ليقطعهُ ونحن خانعون صامتون. فلا وايمُ الله فانّا لا نقضي على العار. ولا نحضر هذه الحربة الجديدة التي تُباع فيهِ نفوس الكاثوليك ونحن جامدون صابرون فنهبات. ان يتشبّه اساقفة البرتغال باولئك العبيد الذين كانوا يتحرون بعضهم بعضاً ليهجوا القيصر بوحشم فيودعونهُ قائلين: نحديك السلام يا قيصر سلامَ من يودّع الحياة ويرضى بالموت. كلّا ثم كلّا فانّنا لا نتذلّل امام القوّة الجبريّة بل نتكلّم اليوم بلغة الحريّة »

ثمّ يعدّد الاساقفة ما تحتويه الشريعة الجديدة من الظلم والاغتصاب والاختلاس والسخريّة. ثمّ يعلنون جهاراً بأنّهم ينبذون السنن الجديدة نبذ النواة ويفضّلون عليها شرف الكهنوت وان اقتضى الامر ان يعيشوا في الفاقة والضغط وضروب المصادرات لن يحيدوا عن تعاليم الكنيسة والطاعة لرأس الكنيسة. ثم ختموا احتجاجهم على رؤساء الجمهوريّة بكلام عارٍ عظمةً وشهامة وجّهوه الى المؤمنين:

« قد اعدّ الشيطان غربالهُ أيها الاعزّاء ليستحنكم افيجد بينكم زؤانًا ؟ فانّ الامر محتمل لانّ الضعف البشري والاختيار الناري يشهدان على وجود الزؤان في حقل ربّ البيت وانّما املنا ان يكون قليلًا. وقد استدللنا بما جرى آخرًا انّ الكهنة لا ينفصلون عن اساقفتهم وانّ الخراف يتبعون رعاتهم وانّ الكل يشهدون امام العالم بملء طاعتهم وانقيادهم التام لصوت الحبر الروماني الذي يقوم على الارض مقام ابن الله. فالامل معقود بانّ كلًّا منكم سوف يقول من صميم الفؤاد ما قالهُ بطرس لسيّده بل بثبات اعظم: يا ربّ ها اني مستعدّ ان اكابد لاجل اسمك الحبس والموت »

وما كاد هذا القول البليغ يرنّ في مسامع اهل البرتغال ويثير في قلوبهم كلّ عواطف الايمان والحماسة في سبيل دينهم حتى رفع الاب الاقدس صوتهُ وكتب براءتهُ الرسولية التي تاريخها ٢٤ أيار من السنة الجارية افتتحها بهذه الالفاظ: « طالما جرت امور في الدولة البرتغاليّة » (Jamdudum in Lusitania) فلخّص حبر الاحبار كلّ ما جرى في دولة البرتغال من الاعمال المستغربة في حقّ الدين منذ الانقلاب السياسيّ الذي حدث في خريف العام الماضي وكيف عمد رجال الحكومة الجديدة الى مناوأة الكنيسة فاتّخذ الكرسي الرسولي كلّ وسائل اللين وطول الاناة والتنبيهات الابويّة لعلّهم يرعوون ويحيدون عن طريق صعبة تؤدي بهم الى العطب وتلقي بلادهم في وهدة الذلّ فاصمّوا سمعهم عن اقوال ابي المؤمنين بل توغّلوا في الشرّ وتاجزوا كنيسة الله القتال فمن ثمّ لم يستطع الحبر الاعظم الّا ان يرشق تلك الاعمال المنافية لكلّ عدل ولكلّ انسانيّة بسهام الملامة ويحضّ المؤمنين على الجهاد الصالح ضدّ الكفر والشيعة الماسونيّة كما انّهُ يحرّضهم على الانضمام الى رعاتهم لصيانة كرم وطنهم والذبّ عن حرمة الدين الذي ورثوه من اجدادهم وتضحية كلّ نفيس لكرامة ايمانهم. وقد مدح الاب الاقدس غيرة الاساقفة والكهنة بقوله:

« انّ الفضيلة السامية التي ابديتموها أيها الاخوة المكرّمون الذين ترعون كنيسة الله في البرتغال. والغيرة العجيبة التي جاراكم فيها الاكليروس البرتغالي في غضون الحوادث الاخيرة

المشؤومة كل ذلك قد ملأ قلبنا تعزيةً وسلواناً ووجدنا فيه آيةً رجاء في مستقبل وطنكم فبايده تعالى نرجو انَّ الامور سوف تنتظم والمعوج يستقيم. كيف لا وقد خضتم بازاء الظلم والاستبداد خضة الابطال غير مكترثين لصالحكم الزمني ولا لطمأنينة حياتكم او رغد معاشكم وانَّما جعلتم فقط تجاه ابصاركم الشرف والواجب فرذلتم كما تستحق تلك الشريعة الاثيمة التي وُضعت لفصل الكنيسة عن الحكومة وجاهرتم باتفاق الاصوات بعزمكم الوطيد على مواصلة خدمة النفوس مجاناً ولا الخضوع لعبوديَّة تفقدكم حريَّة العمل وعلى الطاعة المخلَّدة لرأس الكنيسة المنظور لا تحيدون عنها لا بالوعد ولا بالوعيد. فاعلموا انَّ سيرتكم هذه المدلَّة بسالةً وثباتاً كانت قدوة صالحة لامم العالم باجمعه وسربلتكم بحلَّة من الفخر والشرف وجعلت وطنكم البرتغال يتباهى بعزَّة نفوسكم في وسط بلاياه »

فهذه المظاهرات التي لم يحسب الوزراء لها حساباً قد انهضت همم الاهلين حتى انَّ المضطهدين استكانوا وفضَّلوا السكوت على تنفيذ شريعتهم الجائرة . الَّا انَّ اصحاب المشاغب تحاملوا على اسقف مدينة برتالغر السيد موتينهو (Mgr Moutinho) فشتموهُ ومزَّقوا ثوبهُ الاسقفي والقاهُ بعض العمال في الحبس الَّا انَّ حكومة لسبونة خوفاً من الثورة امرت باطلاقه لكنَّها اشترطت عليه شرطاً غريباً « بان لا يخرج بثوبه الاسقفي في الطرقات » كأنَّ لبسهُ اثمٌ يحقّ الدولة ! !

٢ الجمهوريَّة البرتغالية والفتن

كانت النتيجة الاولى لهذه السياسة المستقبحة انها اضرمت سعير الفتن وقلبت البلاد ظهراً لبطن . ولم يكتفِ اصحاب الجمهوريَّة ان يعلنوا بهبوط الملكيَّة لكنَّهم وجَّهوا الضربات على كلّ من لم يقاسمهم افكارهم او ينضوي تحت لواء الماسونيَّة مثلهم ولو اعترفوا بالحكومة الجمهوريَّة وكانوا اهلاً للتدبير وخدمة الوطن . فاخذوا يصادرونهم ويضغطون عليهم ويأسرونهم حتى اضطرُّوا منهم سبعة آلاف أسرة ان تخرج من الوطن وتهاجر الى بلاد أخرى وهي من أكرم البيوتات واغناها

وممَّا زاد الامر حرجاً انَّ اصحاب السياسة الجديدة اسرعوا الى تقسيم الوظائف والمناصب الرابحة بين اهلهم واصحابهم دون استحقاق سابق واهملوا كثيرين ممَّن استندوا اليهم لدأب الهيئة المالكة فلمَّا فازوا بالمرام لم يعودوا يفكرون فيهم فاثار الامر بغضاً في القلوب وهيَّج مطامع الشعب واخذت الاعتصابات تتوالى يوماً بعد يوم ولا يعلم الساسة المحدثون كيف يخمدون لظى النار التي اضرموها . فانَّ العملة .

والفقراء اصبحوا في اشدّ الضيق. وكان الرهبان سابقاً يقوتون منهم الوفاً كلّ يوم والآن اذا مدّ البائسون اليد الى الحكومة لا يجدون الّا فظاظةً ونفوراً فتراهم يدورون في الساحات صارخين : « فليسقط خدعة الشعب » واخذوا يتمنّون لو رجع الحزب الملكي وهم مستعدون لاسقاطه

وكثير من الضباط الذين كانوا في الجنديّة الملكيّة سابقاً فهاجروا الى اسبانية والى انكلترة اذ رأوا ما صارت اليه الاحوال في وطنهم بتسلط الاوباش والماسون تعاهدوا على الاتفاق وضم القوى لمناهضة اصحاب الانقلاب الاخير. وقد امتاز بينهم ضابط بطل يدعى هنريكوس دي پايڤا كونسيرو (Henriquez de Paiva Conceiro) الذي اقسم بانّهُ لا يألو جهداً لتحرير وطنهِ وقد اخذ الجند يأتونهُ من كلّ صوب بل قدم عليهِ القوّاد والمشيرون وكبار الضباط وهم اليوم ينظمون قواهم ويجمعون العُدَد لردّ الملك مانويل وطرد الدخلاء

وقد اخذت هذه الاخبار تقلق افكار اصحاب الجمهوريّة وهم عالمون احقّ العلم بانّ سلطتهم لم ترسخ بعدُ قدماً وانّ الوطنيين ينقلبون عليهم لدى اوّل حركة لاسيما ان البرتغاليين الذين في المستعمرات جعلوا يؤيدون هنريكس بالمال ويمدّونهُ السفن ويرسلون لهُ الاسلحة. ومن عجيب ما اخترعهُ الوزراء الجمهوريّون كارياغا وكوستا وميشادو انّهم نشروا في جرائدهم انّ هنريكس الذي تلهج بذكرهِ كل الالسنة وتطرئ صفاتهِ ليس هو النائم على الجمهوريّة وانّما « الجزويت » ورئيسهم الاب « لويس كبرال » هم الذين يكيدون للدولة فجعلوا هنريكس كآلة في يدهم وتستّروا وراءهُ وهم قائمون على ثغور البرتغال متنكّرين ليدبّروا الثورة وينفقوا عليها كنوزهم الدفينة. فهذه الاخبار الصبيانية اخذت المجلّات تتناقلها حتى قام الاب كبرال وهو مُنذ نُفي ورهبانهُ من وطنهِ لم يبرح مدينة ماستريخ في هولندة حيث يهتمّ بشؤون مرؤسيه فاعلن رسميّاً كذب تلك الاشاعات وتأسّف لكون اولئك الظالمين الذين عاملوا رهبانهُ كهمج البرابرة يحاولون ايضاً السخريّة بهم فيصوّرونهم كخزنة الكنوز بعد ان سلبوهم كلّ مالهم واضطرّوهم للاستعطاء ليدفعوا حقّ السفن التي نفتهم من بلادهم . ثمّ فنّد الاب كبرال ما اتّهموه بهِ مع الضابط هنريكوس واستشهد الله بانّهُ لم يعرفهُ بالعيان ولم يكاتبهُ بامر من الامور امّا السياسة فلا هو ولا

احد من رهبانهِ يتداخل فيها لانَّ قوانين الرهبانيَّة اليسوعيَّة تحظر ذلك قطعياً على ابنائها. فكان لكلام الاب كبرال احسن وقع وظهر ثانية لكلّ ذي عين كذب آل الجمهوريَّة البرتغاليَّة

٣ الاخطار التي تعرَّضت لها البرتغال

فهذه الفتن وهذه الثورات صارت تتهدَّد الجمهوريَّة الجديدة وتنذر لها بالويلات فانَّ معظم الدول اذ رأت ما يحدث في البرتغال كلّ يوم من الشغب والثورات لم تعترف بها حتى الآن رسمياً او تعاملها بكلّ حذر واتقاء. منها الولايات المتحدة التي ارسلت الى سفيرها في لسبونة معلنةً انهُ من المحال ان ترضى بجمهوريَّة البرتغال ما دامت على تطرُّفها وخطتها العدائيَّة للدين. وقد اقامت المانية الحجة عليها لسوء معاملتها لاهل حمايتها وكذلك انكلترة صرَّحت غير مرَّة باستقباحها لخطَّة آل الحكومة الجديدة

وقد سقطت مع هذا ثقة المتعاملين مع البرتغال فاصيبت التجارة بضربة لازبة واصبحت الماليَّة على قاب قوسين من دمارها. ولك شاهد على ذلك ان جمارك لسبونة التي كان مدخولها كلّ يوم ٢٠٠,٠٠٠ فرنك قد هبط الى ٢٠,٠٠٠ فقط. وترى كلّ الدوائر عرضاً للتلاعب والاختلاس وضروب الحيل وليس من يتجرأ ان يضع حدًّا لكل هذه المآثم خوفاً من ان تنفضح هو ايضاً اعمالهُ ويزيد الخرق اتساعاً. فلا غرو ان تنتهي الامور بحرب اهليَّة تجلب الويلات على ذلك البلد ولعلها تخسرهُ استقلالهُ القديم

وان كانت هذه الاحوال الماديَّة مجلبة للكدر فما قولك بالآداب العموميَّة التي انتُهكت حرمتها علانيةً فانَّ الجرائم الفظيعة التي يُقدم عليها الاوباش ومن لم يردعهُ دين او تصونهُ ذمَّة قد توفَّرت حتى اصبحت بلاد البرتغال ساحةً للفوضى وشناعاتها. وقد اصبحت الحريَّة الموهومة سيفاً في ايدي كلّ من يريد تضحية الخير العام لاغراضهِ الشخصيَّة

فهذا نظر موجز في احوال البرتغال في اواخر السنة الاولى بعد مناداتها بالجمهوريَّة فحالتُها بئس الحال لا لانَّ الجمهوريَّة هينة مستقبحة في ذاتها ولكن لتغلُّب الماسونيَّة عليها وهي حيثما دخلت تقوض اركان المجتمع الانساني وتنذر بالخراب والدمار صاننا الله من شرورها ونجى المواطن من سمها الزؤاف!

مطبوعات شرقية جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL. Vol. IV : UMAYYADS AND 'ABBASIDS FROM JURJI ZAYDAN'S HISTORY OF ISLAMIC CIVILISATION translated by D. S. Margoliouth D. Litt., *London, Luzac and C°*, 1907, XIV-325

ترجمة انكليزيَّة لتاريخ بني اميَّة وبني عباس لجرجي افندي زيدان

يسرُّنا ان نرى علماء اوربَّة يطَّلعون على تآليف الشرق الحديث وينقلون منها ما يستحسنونهُ الى لغاتهم الغربيَّة. وهو امتياز يحقُّ للشرقيين ان يفتخروا بهِ. ونهنّئ وطننا الاديب جرجي افندي زيدان بنوالهِ مثل هذه الميزة. والحقُّ يقال انَّ تاريخهُ التمدُّن الاسلامي من امتع الكتب وانفعها جمع فيهِ المؤلف لباب التواريخ التي نُشرت في عهدنا وروى اخبارها على صورة لطيفة. فاختارَ الدكتور مرجليوث من اساتذة اكسفرد بين اجزاء الكتاب الخمسة القسم الرابع المختصّ بحضارة الدولتين الامويَّة والعباسيَّة ونقلهُ الى الانكليزيَّة نقلاً يجمع بين امانة الترجمة وانسجام الانشاء الانكليزي. وزاد على الاصل العربيّ فهرساً موسَّعاً للاعلام ضاعف منفعة الكتاب. كنا وددنا لو ذيَّل المترجم الانكليزي نقلهُ بملحوظات يستدعيها النصّ الاصلي امَّا لاصلاحهِ في بعض مروياتهِ وامَّا لزيادة في شرحهِ وبيان اغراضهِ وغير ذلك مما فات المؤلف او لم تبلغ اليهِ يدهُ في مكاتب الشرق وامل المترجم خاف ان يتسع بهِ المجال فيبلغ حجم الكتاب ضخماً مفرطاً. وعلى كلّ حال نشكر جمعيَّة "جب" التي خصَّت مبلغاً من تركة منشئها لتعميم منافع هذا الكتاب ل. ش

CHRESTOMATHIE ARABE avec Glossaire par Ernst Harder. Edition fr. par Robert Armez. *Heidelberg, Jules Groos*, 1911, p. VIII-520

منتخبات اللغة العربية

تصلح هذه المنتخبات لطلبة الكليات الاوربيَّة الذين يدرسون اللغة العربيَّة ففي اوَّلها بعض سور قرآنيَّة مع شروح للبيضاويّ وفصول من صحيح البخاري يليها مقاطيع من مقدَّمة ابن خلدون ومن بعض كتب فقهيَّة ونحويَّة ثمَّ من اطواق الذهب للزمخشري وامثال الميداني وتاريخ الطبري وفي اثرها ١٥٠ صفحة من كتب ومجلات

وجرائد حديثة لدرس اللغة الكتابيَّة المستحدثة في آخرها ملحق من الشعر القديم في سبع صفحات. ويُختم التاليف بمعجم للالفاظ عربيّ فرنسويّ. والكتاب حسن الطبع يدخل في مجموع تآليف اخرى وُضعت لدرس اللغات الحديثة على طريقة غاسبي (Méthode Gaspey)

COMPAGNIE RUSSE de Navigation à Vapeur et de Commerce fondée en 1856. Agences, Flotte; Règlements de Passage; Itinéraires et Tarifs. 1911, p. 275

الشركة الروسية للاسفار البحريَّة والمتاجرة

هذه السنة الخامسة والخمسون لتلك الشركة التي هي من اقدم الشركات التجاريَّة واغناها في بلاد الشرق. وقد كان انشاؤها سنة ١٨٥٦ في عهد حرج وضيق الّا انَّ اصحابها لم يزالوا يعركون الدهر حتى اصبحت اليوم شركتهم تجاري اكبر شركات الدول الاخرى وقد كانت سفنها في اوَّل انشائها خمساً فقط وهي اليوم ٧٤ عدًّا ما خلا المراكب الصغرى وهي تجري جرياً منظَّماً على ١٥ خطًّا فتعامل معظم مدن سواحل روسيا والقريم وبلغارية وتركيا والشام ومصر الى خليج العجم. ومن مخترعاتها ومفاخرها انَّها اعدَّت في العام الماضي معرضاً متنقلًا على سفينتها المدعوَّة بنقولا الثاني فعرضت عليها صادرات روسيا ومحصولات ١٣٥ محلًّا من كبار تجارها ولمَّا مرَّت في بيروت تزاحم عموم الناس لرؤياها. واليوم قد اتحفتنا الشركة بنسخة من دليلها ضمَّنتهُ كلَّ المعلومات عن اسفارها وخطوطها وتعاريفها مع وصف البلدان التي تتاجر معها والمعلومات التي يحتاج اليها المسافرون في كلّ بلد ينزلون اليه. وفي المتن تصاوير عديدة للبلاد والآثار تجعل هذا الدليل زينةً للمعاهد العموميَّة ل. ش

كتاب المذهب الروحاني

لعبد الله اباحيّ احد الروحانيين (طُبع في مصر ص ١٧٤)

على ظننا ان « عبدالله اباحي » اسم مستعار وعلى كلّ حال هو يوافق المؤلف اتمَّ موافقة فانهُ اباحيّ بل معطل وزنديق جاء ليثّ بين الشرقيين اضاليل الكفرة تحت ستر السبريتسم وعلم الارواح. ولو اردنا تفنيد مزاعم هذا الكتاب لاقتضى ان نخصّ بكل فصل منهُ مقالات طويلة. وما نقولهُ اجمالًا انَّ هذا الكتاب كاذب في

معظم رواياته فيخبر اشيـاء كثيرة لم تثبت بالاختبار . كاذب في وسائطهِ اذ يعلِّم الالتجاء الى وسائط سريَّة لم ينصّ عليها العلم الصحيح . كاذب في نتائجهِ اذ انَّ هذه النتائج لا تجدي نفعاً صحيحاً بل تضرّ من وجوه مختلفة : اوَّلاً بالجسد الذي تعرّضهُ للآفات بتهييج اعصابهِ . ثانياً بالعقل الذي كثيراً ما يصاب بمسّ واختلاط بل بالجنون التامّ عند مناجاة الارواح . ثالثاً بالنفس التي ترميها تلك الارواح (اي الشياطين) في لجّة الشكّ والكفر باكاذيبها . رابعاً بالآداب اذ انَّ غاية هذه الارواح النجسة ان تلقي النفوس في حمأة الرذائل والفساد كما ثبت الامر بامثال كثيرين من الجهَّال . وعليهِ لا يسعنا الَّا ان نعلن بضارّ هذا الكتاب على كلّ قارئ من اي دين كان لأنهُ يبطل باقاصيصهِ الخرافيَّة تعاليم كلّ الاديان مباشرةً بالدين النصرانيّ الذي ينكر كل عقائدهِ ويبني نكرانهُ على مزاعم صبيانيَّة يخدع بها ابو الكذب وشيخُ النار عقول البشر ليشغلهم عن غايتهم القصوى اي خدمة الله وخلاص نفسهم ويصطادهم في اشراكهِ خزاهُ الله ك . ز

ديوان البحتري

الجزء الاوَّل . طُبع على نفقة رزق الله سركيس صاحب المكتبة الجامعة وضبطهُ بالشكل الكامل وعلق حواشيهُ رشيد عطيَّة

طبع في بيروت في المطبعة الادبيَّة (سنة ١٩١١ ص ٤٠٠)

كان فقيد الآداب احمد افندي فارس صاحب الجوانب نشر لاوَّل مرَّة في الاستانة قبل ٣٠ سنة ديوان كبير شعراء زمانه ابي عبادة البحتري عن نسخة قديمة تاريخها سنة ٤٢٤ هـ (١٠٣٣ م) فشكر لهُ العلماء فضلهُ وتمنَّوا لو قام اديب عصري فاستوفى محاسن ذلك الديوان بضبطهِ بالشكل وتعليق الشروح والحواشي على مفرداتهِ ومركَّباتهِ . وها قد اجاب الى بعض ملتمساتهم احد اساتذة الثغر رشيد افندي عطيَّة فتولَّى ضبط الديوان الذي بين ايدينا القسم الاوَّل منهُ بالشكل الكامل وصدَّرهُ بترجمة الشاعر موجزةً فترك كثيراً من امورهِ ممَّا يودّ القرَّاء الوقوف عليهِ واكتفى بقولهِ « وللبحتريّ اخبار كثيرة لا حاجة الى ذكرها » . ومن مميزات هذه الطبعة تعليقات ذُيل بها الكتاب الَّا انَّها على الالفاظ دون المعاني وهذه محتاجة الى شرح

اكثر من تلك. فعسى ان يردف رشيد افندي هـذه الطبعة بطبعة أخرى اتمَّ اهبة واجدى فائدة كما يفعل الاوربيون في طبعاتهم فيقدّم على الديوان المقدّمات الواسعة فيروي سيرة البحتري مفصلة ويصف تآليفهُ لاسيا حماستهُ التي تولّينا طبعها ثم يبين مقامه بين الشعراء ويذكر خواصّ شعره. ويعرّف نسخ ديوانهِ ثم يقدّم على كلّ قصيدة بعض الفوائد لبيان تاريخها والظروف التي قيلت فيها ثمَّ يشرح مغلقات معانيها ويعلق عليها التفاسير التاريخيَّة والجغرافيَّة وغيرها. ثم يذكر ما ورد في كلّ بيت من الروايات المختلفة في النسخ المخطوطة التي في خزائن الكتب العموميَّة. فانَّ في مكتبتنا الشرقيَّة مثلاً نسختين من هـذا الديوان يُمكن ان يُستفاد منهما فوائد جمة لاصلاح الاغلاط وتحسين الروايات وذكر بعض القصائد المفقودة. وكذلك يجمع ما جاء متفرّقاً من شعر البحتري في كتب الادباء المطبوعة والمخطوطة ويختم ذلك بالفهارس المفيدة للقصائد وقوافيها واغراضها وفوائدها التاريخيَّة وغيرها. فهكذا يخدم الآداب العربيَّة خدمةً تُذكر فتشكر. وان شاء الله نرى يوماً رغائبنا قد تمت فعلاً

ل. ش

كتاب مبادئ القراءة والترجمة في اللغة السريانية

في جزئين طُبعا في المطبعة البطريركية في الشرفة سنة (١٩١١ ص ٢٠٢)

تهتمّ المدرسة البطريركية السريانيَّة في الشرفة لاهتمامها بدرس لغتها الطقسيَّة واتقان اصولها واحكامها. ومما يساعد طلبتها على الامر ما يصدر في مطبعتها من المآثر الطيبة بهمّة بطريركها الفضال السيد الجليل مار اغناطيوس افرام الرحماني وعناية كهنتها الفضلاء. كما اشرنا اليهِ غير مرة. وها هوذا رئيسها الجزيل الاحترام قد اتحفنا بمجلدين نشرهما حديثاً لدرس السريانيـة فضمَّنهما بعد مبادئ القراءة والصلوات بالحرفين الغربي والسطرنجلي مجموعاً واسعاً من آثار قدماء السريان مباشرة يقتطفات من الاسفار المقدَّسة يليها نخب شتى نثريَّة وشعريَّة من مشاهير كتبة الكنيسة اخصّهم القديس افرام وابن العبري وعبد يشوع الصوباوي. وفي رأس كل نخبة جدول الالفاظ الغريبة الواردة فيها تكفي الطالب مؤونة المعاجم الكبرى. فنحضّ كلّ المدارس الاكليريكيَّة على اتخاذ هذا الكتاب كدستورهم لتعليم السريانيَّة

ل. ش

جواهر الادب في خزائن العرب

جُمع بعناية سليم افندي ابراهيم صادر صاحب المكتبة العمومية

الجزء الثاني. طُبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٢٤٠)

وصفنا منذ زمن قريب الجزء الاوَّل من هذه المنتخبات. فالجزء الثاني كالاوَّل في حكمهِ وآدابهِ وامثالهِ وحكاياتهِ وهو مثلهُ مضبوط بالشكل ومذيَّل بشرح بعض الالفاظ فيحسن استعمالهُ في المدارس العمومية. وقد وقع في ضبط الاعلام اغلاطٌ لا بُدَّ من اصلاحها في طبعة ثانية نحو مُصعَب (ص ٨) لا مِصعَب. ومَرْوان لا مُرْوان. وحَمَّاد (ص ١٧) لا حَمَاد. وعِيَاض (ص ٩٩) لا عَيَاض. ودِعْبِل (ص ١٤٢) لا دَعْبَل. وابو الأَسوَدِ (ص ١٠) لا الاسودُ. وهو النَّحويّ (ص ١٣) لا النَّحوي الخ

ل. ش

الدرّ النضيد من العهدين القديم والجديد

بقلم نجيب افندي اللاذقاني

طُبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٧٤)

كان المرحوم رزق الله حسُّون نظم بعض اسفار الكتاب المقدَّس كأيوب والجامعة ونشيد الاناشيد فطبعها اوَّلًا على الحجر ثمَّ نشرها سنة ١٨٧٠ في المطبعة الاميركيَّة الَّا انَّ التعسف في ترجمتهِ ظاهر. واحسن منها هذا المجموع الجديد لنجيب افندي اللاذقاني الذي ضمَّنهُ نظم فصولٍ من امثال سليمان ثمَّ سفرَي الجامعة ونشيد الاناشيد بتمامها. وقد الحق هذا القسم بقسم ثانٍ فيهِ شذرات من الاناجيل المقدَّسة وبعض التسابيح من الطقس اليونانيّ نظمها ايضاً نظماً رائقاً يعذب على افواه الدارسين وقد طُبع الكتاب طبعاً جميلًا يزيد القرَّاء رغبةً في اقتنائهِ

ل. ش

خلاصة اعمال

شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩١٠

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩١١ (ص ١٤٧)

لمَّا اقامت جمعيَّة مار منصور دي بول حفلات يوبيلها الخمسينيّ ضمنا في المشرق (١٣ : ٣٦٦) صوتنا الى اصوات المهنئين وطلبنا لها النموّ بالفضل والعدد.

ثم خصصنا فصلاً مطوّلاً (١٣: ٤٨١—٤٩٣) بتاريخ الشركة منذ انشائها مع خلاصة اعمالها في الشرق. فكان يليق بالجمعيّة ان تُبقي اثرًا يخلّد ذكر تلك المواسم اليوبيليّة فها هوذا الاثر وهو كتاب أُودع مع خلاصة اعمال الشركة السنويّة مجمل ما عُقد في سنة اليوبيل من الحفلات وتفاصيل اخبارها منذ ظهورها في فرنسة ولاسيّما مآثرها الطيبة في بلادنا. والكتاب مطبوع طبعاً بديعاً ومزيّن بعدّة تصاوير بينها صورة البراءة التي وجّهها الحبر الاعظم بيوس العاشر جواباً على رقيم الجمعيّة مثنياً على اعمالها ومتبارِكاً كلّ مساعيها واعضاءها فما لنا الّا ان نكرّر نحن ايضاً تهانئنا ونتمنّى انتشار هذه الجمعيّة الخيريّة في كل انحاء الشرق لمجد الله وخير القريب ل. ش

شذرات

خلاصة الثناء لسيدة السماء نظم حضرة الخوري يوسف العشيّ هذه الابيات في مدح العذراء بنسبة عيد ميلادها الجليل في ٨ ايلول

يا تُحفةً قد اشغلتْ في صُنعها ... أيدي الاله وما استخصّ سواها
سَمَكَ السماءَ فكنتِ مرآةً لها ... بل فُقتِها لمّا وَلَدتِ إلهها
والارضُ ما حُرمتْ هي اسرارها ... ممّا يدلّ على جمالِ صباها
في زنبقٍ يَقِقٍ ينمّ ونرجسٍ ... في طهرِ مريم بل بعَرف شذاها
آسٌ ونسرينٌ ووردٌ قانئٌ ... هذي تشير على وُفور غناها
عبثاً تستّر في الرياضِ بنفسجٌ ... وشذاهُ قد اضحى رسولَ حِماها
أمُّ الاله وإبنةٌ وعروسةٌ ... قد انزلتْ ربَّ السما لحشاها
عَجَباً ألمْ تدوي ببُشراها بها ... حوّاء في عَدْنٍ غَداةَ عناها
مغنى الكمالِ وهيكلُ المجدِ الذي ... قد أودعتْ فيهِ القلوبُ مناها
مَنْ غيرُ ذي العذرا تقول لربّها ... وَلَدي ويُسرعُ في ابتغاء رضاها
عذراء قد حَمَلَتْ ولم تدرِ امرءًا ... وبطفلها السامي هيَ تتباهى
قد طالما رمزَ الكتابُ بحسنها ... قبل الزمان ولم يَكُنْ أبواها
وجميعُ آباء الكنيسةِ أثبتوا ... انَّ الالهَ من الهباتِ حباها

ما ليسَ يطمعُ غيرُها أبدًا بهِ ولذاكَ قدَّسها غداةَ براها
الجبرُ بيْسُ لم تزلْ احكامهُ السمُليا يُردِّدُ في السماعِ صداها
لاوُرْنُ أيَّدَ ما تقرَّر اولًا عَلَنًا وبالحَبْلِ المصونِ دعاها
والجبرُ بيْسُنا أحتفى في عامها السيوبيلِ معتزًّا بنصرِ لِواها

﴿ المستشفيات العلمانيَّة في باريس ﴾ نشر في باريس الدكتور سفران ايكار (Séverin Icard) كتاباً « في تحقيق وفاة المرقى في المستشفيات العموميَّة » فأعلن انَّه منذ نُفيت الراهبات من بيمارستانات باريس ليس غالباً من يتحقَّق صحة وفاة المرضى فيُنقَلون الى معاهد التشريح او يُحمَلون الى المقابر قبل ان يتولَّى طبيب اعلان موتهم رسميًّا . وروى المذكور في كتابهِ عدَّة حوادث تقشعرُّ لها الابدان قال انَّهُ وجد ولدًا كان قلبهُ يخفق بعد ساعتين من نقلهِ الى قاعة التشريح . وذكر ميتاً آخر ادَّعى وكلاء المرضى بانَّهُ مات بالكوليرا فاخذ تلامذة الطبّ بتشريحهِ فجعل يولول صارخاً من الالم . وزاد الدكتور « انَّ معدَّل الذين يُشرَّحون قبل وفاتهم الحقيقيّ في باريس يبلغ عشرة في المئة . امَّا الذين يُدفَنون احياء فلا يقلُّون عن عشرين في المئة » . وليس الدكتور ايكار معادياً للعلمانيين وانَّما اقرَّ بذلك مرغوماً . ومن عجيب الادوية التي يوصي بها فرارًا من هذه الاخطار ان يُحقَن المرضى المدَّعى بوفاتهم تحت الجلد بالستركنين . فاكرم بهذا الدواء الناجع ولا فرق ان يُقتل المرضى بالستركنين او ببضع المشرّحين . واغرب من ذلك ان كتاب الدكتور ايكار نال جائزةً على تأليفهِ . وممَّا يبيِّن فضل الرهبان والراهبات في تمريض المرضى انَّ بلديَّة مرسيلية بعد ان نزعت من رهبان مار يوحنا الالهي (St Jean de Dieu) مستشفى المصابين بالجنون رأت من تبذير العلمانيين وسوء عنايتهم بالمرضى ما ارغمها على استدعاء الرهبان المنفيين فعرفت فضلهم بعد تجربة سواهم

﴿ التمدُّن البابليّ والعرب ﴾ في انتقادنا السابق على تاريخ آداب اللغة العربيَّة لجرجي افندي زيدان » بيَّنا (ص ٥٨٥) ضعف رأيهِ في نسبتهِ العربيَّة الى حمورابيّ واليوم قد اطَّلعنا على كتاب لاحد كبار العلماء بالآثار الاشوريَّة يُدعى البرت كلاي من اساتذة فيلادلفيا (Alb. T. Clay) اثبت فيهِ رأينا وفند اقوال ونكلر (Winckler) واصحابهِ الزاعمين بانَّ التمدُّن البابليّ اصلهُ من بلاد العرب

فبيّن الاستاذ ان التمدُّن السامي الذي تُرى آثارهُ في بابل ليس اصلهُ من بلاد العرب بل من بلاد فلسطين والشام على يد العموريين الذين استولوا على بابل في اواخر الالف الثالث قبل المسيح . واستنتج من ذلك انَّ امورًا كثيرة شبيهة بروايات الكتب المقدَّسة كتاريخ التكوين وغير ذلك ممَّا كان يُظن اصلها من بابل انما نُقلت اليها من الغرب ومزجها البابليون باساطيرهم . ومن ثمَّ لا حاجة الى القول بانَّ موسى النبيّ استعار الفصول الاولى من سفر التكوين من الكلدان بل وجدها في فلسطين اصحّ واثبت

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة الخوري جرجس السبلاني أيجوز ان تعلق في الكنائس غير صور القديسين الصور في الكنائس

ج امر المجمع التريدنتيني في جلسته الرابعة والعشرين بان لا تُعرَض في الكنائس للاكرام غير صور السيد المسيح والعذراء الطاهرة والقديسين واسرار حياتهم . سواء تجعل فوق الهياكل او تزان بها جدران الكنيسة . وقد سمح البابا لاون الثالث عشر في ١٤ آب سنة ١٨٩٤ ان تُعرض في اطراف الكنائس (ليس على هياكلها) صور او تماثيل الرجال الصالحين الذين ماتوا برائحة القداسة ولم يثبت قداستهم الكرسيُّ الرسولي على شرط ان لا يُقدَّم لهم صنف من الاكرام ولا يمثَّلوا بالرموز المختصة باولياء الله المثبتة قداستهم كالاشعَّة وغيرها . وما خلا ذلك فلا يجوز عرضهُ في الكنيسة كصور مشاهير الرجال والمحسنين الى الكنيسة والكهنة والاساقفة فان البابا اوربانوس في براءته المختصة بالصور التقويَّة في تاريخ ٢٦ تموز ١٦٤٢ ثم المجمع المقدَّس في آونة متوالية قد حظرا على الاساقفة والكهنة عرض اي صورة كانت غير في الكنائس تمثل غير صور السيد المسيح والعذراء والقديسين واسرار حياتهم . بل امرا ان تكون هذه الصور عينها ذات هيئة مهيبة تحمل الناظر اليها الى الخشوع والافكار الصالحة

ل . ش

المشرق

مركز الولايات المتّحدة الاقتصادي

تعريب خطاب القاهُ المسيو قسطنطين مغروماتيس
استاذ التجارة في مدرسة الاباء اليسوعيين في الاسكندريّة

لمّا نشر المستر تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة سابقاً كتابهُ المعنون بالحياة النامية (La vie intense) قال في وصفهِ المسيو دي فوكواي احد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة المبرّزين: «هوذا كتاب اتانا من وراء البحر نعدُّهُ كوَدَك السباع اتانا من العالم الجديد ولاح لعالمنا العتيق كظهور جليل وشاهد عجيب على ما حبلت بهِ السنون الاخيرة من العظائم ممّا لا يعيرهُ بالًا ذوو البصيرة القاصرة والرأي الضعيف . . . و نأتي باهل اميركة في كلّ صفحة من هذا التأليف يقولون لنا متهكمين: هيّا انظروا قارتنا وقاباوها مع مواطنكم العتيقة تروا أنّ كلّ شيء عندنا اعظم شأناً وارقى عمراناً من العالم القديم »

*

كلّ يعلم بواعث الانقلاب الاميركانيّ بعد تملك انكلترّة على الولايات المتحدة وذلك ان بريطانية العظمى بعد نجاز الحرب التي وقعت بينها وبين فرنسة مدّة سبع سنوات (١٧٥٦ — ١٧٦٣) رأت خزائنها في حاجة الى المال فعوّلت على وضع الضرائب على مستعمريها في اميركة دون مخابرتهم وطلب رضاهم . فاعتبر الاميركيّون هذه المعاملة كضربة لازبة على شرفهم واعلنوا بعصيانهم على الاستبداد الانكليزي . وزاد النزاع تفاقماً الى ان قامت الحرب على ساق بين الدولة الامّ وسليلتها ودارت بينهما سجالًا ثم انّ واشنغتون نشر في ٢٤ تمّوز سنة ١٧٨٦ اعلانهُ باستقلال الولايات

المتحدة ولم يزل يجاهد ويكافح في سبيل تحرير وطنه حتى فاز الفوز التام وخلّص بلاده من ربقة بريطانية العظمى واقرّت له الدول بفوزه في مؤتمر فرسالية سنة ١٧٨٣. فعرفت انكلترة انها اتت بذنب استعماري عظيم فندمت على عملها ولات حين ندم. ثم ما لبث الاميركيون ان باشروا بوضع دستور لسياسة تلك الاقطار الواسعة الارجاء. فصنّفوا دستورهم الجمهوري موافقاً لطبائع الاهلين وعددهم اليوم ينيف على ٩٣,٠٠٠,٠٠٠ ولاحوال البلاد التي لا تقلّ مساحتها عن ٩,٣٨٦,٠٩٣ كيلومترًا مربّعاً. فتراهم جارين على مبادئ الحرّية الصحيحة يعطون كلّ ذي حقّ حقّهُ وينشطون كلّ اصحاب العمل وينتحون باباً رحباً لكلّ رقيّ في الادبيّات والنظريات والعمليّات فبلغ مركزهم الاقتصادي مبلغاً لم تبلغهُ الدول الاوربيّة الّا بالجهد الجهيد بل يجوز القول انّها نالت السيطرة على كلّ الممالك بمحصولاتها الزراعيّة ومناجمها وصنائعها المدنيّة. امّا التجارة فعمّا قليل ستحصل على الرتبة الثانية فيها

لمّا رأى الاميركيّون تقدُّم ولاياتهم العجيب من حيث الاقتصاد ووفرة المحصولات احتاطوا لنفوسهم من المزاحمة الاجنبيّة فقام منروي (Monroë) سنة ١٨٢٣ وجاهر بذلك المبدأ المنسوب اليه « اميركا للاميركيين » الذي لم يزل يرسخ في الاذهان حتى بلغ معظم رسوخهِ في عهد الرئيسين ماكنلي ودنغلي (١٨٩٠ — ١٨٩٧) اللذين سعيا بوضع ضرائب باهظة على واردات اوربّة كادت تخيب آمال كلّ تاجر اجنبيّ. ولنا مثال على ذلك في صورة المصوّر ميليه (Millet) الشهير بيعت في باريس بثمن مليون فرنك فلم تدخل الى الولايات المتحدة الّا بأداء مليون ثانٍ كحقّ اجازة.

على انّ اميركا لم تقنع فقط بصيانة بلادها من المزاحمة الاجنبيّة بل حاولت في هذه السنين الاخيرة ان تُصدر محصولاتها الى البلاد الاجنبيّة وتوسع نطاق تجارتها مع دول العالم القديم. فترى اليوم الولايات المتحدة حائزة على سيادة التضامن الاميركي العام (Panaméricanisme) بحماية محصولاتها ثم بخطتها الاستعماريّة المتواصلة واخيرًا بتصريحها عن تولّجها في السياسة الدوليّة العامّة. والحقّ يقال انّ الوسائل التي لديها تكفل لها ما تشاء من النجاح. فان لحظتْ سعة الولايات الاميركيّة او حسن تربتها وجدتها صالحةً لانواع المرافق وضروب المحصولات. فانّ فيها مفاوز تنيف خمسة

اضعاف على سعة فرنسة وتصلح لكلّ الآلات. فتأتيها جبابرة انهارها باطيان مخصبة تسحوها في مسيرها كما يسحو نيل مصر الطين الذي يخصبُ اراضيها فيستطيع الاميركيون ان يزرعوا الكميّات الوافرة من القطن والتبغ والارزّ وقصب السكّر وغير ذلك. ثمّ لها في مشارف الجهات الغربيّة سهولٌ لا تكاد تُحصر وكلّها تليق بتربية المواشي والخيل والدواب التي تسرح في تلك المراعي الطيّبة هملًا ريثما يُحتاج اليها للمجازر او للنقل او للركوب

هذا وفي بواطن التربة الاميركيّة احواض واسعة من الفحم الحجري تبلغ سعتها ٧٣٠,٠٠٠ كيلومتر مربّع. امّا المعادن الثمينة فتُرى حيثما كان ويسهل تعدينها

فكلّ هذه الثروة والاسباب المتوفّرة لم يهملها الاميركيّون فاندفعوا الى استثمارها والاعتناء بها بنشاط غريب ولم يدّخروا وسعهم في اتّخاذ اقرب الوسائط واحدث الاكتشافات الفنيّة دون ان يضنّوا بشيءٍ من المصاريف والنفقات لبلوغ غاياتهم كما سترى في الفصول الآتية

١ الزراعة

انّ محصولات الزراعة في الولايات المتحدة وافرة جدًّا ومتنوّعة. ويساعدهم على توفيرها البالغ مع هوادة اسعارها اتّخاذهم لاصناف الآلات الزراعيّة. وما يستفاد من المعلومات الرسميّة التي نشرتها وزارة الزراعة انّ محصول المزروعات في السنة ١٩٠٩ لجميع الولايات المتّحدة اكسبهم ٤٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. وكان السبق لمحصول الذرة فبلغ ١,٠٣١,٠٠٠,٠٠٠ هكتولتر اي ٨٣ في المئة ما يقدّر ثمنهُ ٨,٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. يليه القطن البالغ ٢,٥٠٠,٠٠٠ طن اي ٦٤ في المئة بثمن ٤,٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ف. ثمّ القمح ٢٦٥,٠٠٠,٠٠٠ هك. اي ٢٥ في المئة بسعر ٣,٧٢٥,٠٠٠,٠٠٠ ف. ثم علف الحيوان بسعر ٣,٣٢٥,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمّ الشوفان ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمّ البطاطا ١,٠٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمّ التبغ ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ف. فهذه المحصولات الغريبة اذا ما احتكرها اصحاب النقابات تصرّفوا فيها كيف شاؤوا. مثالهُ نقابة القمح (Trust des blés) التي هي في حوزة ستّة من الرساليين يدعوهم الشعب بالخنازير الستة (of six pigs) ثلاثة منهم يهود فيخزنون في اهرائهم نحو ٤٠٠,٠٠٠ هك. من القمح ولا يستطيع احد في اي سوق كان ان يجاريهم فيسيّرون ثمن الخبز كما

يشاؤون. هذا ولا عجب في ما رأيت من وفرة المحصولات الاميركيَّة ان امعنت النظر في حالة الزارع الاميركي وفي مساعي وزارة الزراعة في واشنغتون

فالزارع الاميركي الذي تراه خصوصاً في ولايات ايلينوا ويوا ونبرسكا هو رجل شديد البنية كامل الصحَّة واثق بنفسهِ مفتخر بوطنهِ الذي يعدُّهُ اوَّل مواطن الدنيا ويدعوهُ عالم المستقبل امَّا اوربا فيعتبرها كبلاد عجزت وهرمت فحان زمن هبوطها. وهو مع شغلهِ هائم في طلب العلم يبتغي لنفسهِ ولاولاده ذكورًا واناثًا احراز المعارف والتهذيب العقلي فشتَّان بينهُ وبين الفلَّاح الاوروبي المقتنع بخمولهِ

وعلى وزارة الزراعة رجل همام ذو علم وعمل اسمهُ جمس ولسون وهو اليوم يفرغ كنانة جهدهِ بان يُلحق بكلّ مدارس اميركة مكتباً زراعياً عمليًّا. ودوائرُ هذه الوزارة متسعة جدًّا تنفق عليها الدولة ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك في السنة. وعلى عكس ذلك كانت انكلترَّة منذ عدَّة سنين تسعى في انشاء وزارة خاصة بالزراعة فلمَّا تمَّ الامر وجد اربابُ التدبير انهم ليسوا في حاجة الى تلك الوزارة اذ قد ماتت الزراعة في بريطانية

ويلحق بوزارة الزراعة الاميركيَّة مرصد للآثار الجويَّة يُرسل كلّ يوم خارطة احوال الجوّ الى المراكز المهمَّة. فهذه الخرائط البالغ عددها ٣٧٠ توزَّع بالبريد في كلّ الانحاء فينتفع بها ٤٢,٠٠٠ زرَّاع. والعلماء اخذوا يبنون على هذه الجداول علماً خاصًّا لمعرفة تقلُّبات الجوّ سلفاً

وقد اضافوا الى وزارة الزراعة منذ عهد قريب فرعاً خصُّوهُ بدرس المزروعات السنانيَّة. وهناك مئتان من العلماء الاختصاصيين يبحثون في آفات القطن والتبغ والاشجار المثمرة ومحصولات الغابات

وللوزارة عينها فرع آخر جلُّ ابحاثهِ في ضروب الحيوانات ودرس احوالها وتنميتها وصيانتها من الامراض المختلفة مع فحص الحيوانات الواردة من الخارج كالصادرة من البلاد

وفي واشنغتون مكتب خاصٌّ غايتهُ ارشاد كلّ الزرَّاعيين الى ما يحتاجون اليه في اشغال الفلاحة. وخلاصة الكلام انَّ وزارة الزراعة في الولايات المتحدة تسعى

غاية جهدها في ان تجعل لاميركا المقام الاوّل ليس فقط من حيث وفرة الايرادات والمحصولات الوطنيّة لكن من حيث جودة اصنافها ايضاً

٢ الصناعة

للولايات المتحدة السهم الافوز في استخراج المناجم ثمّ في اشتغال المعادن. وقد استفادوا من حماية انسجتهم عن المزاحمة الاجنبيّة ثم اهتمّوا بتحسين اصنافها بسرعة كما انّك تراهم يترقّون كلّ يوم في استحضار الحليّ وموادّ الزينة

(الفحم الحجري) انّ مبالغة الاميركيين في استعمال الادوات المستحدثة قد أدّى بهم الى ان يستخرجوا في السنة ٣٨٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ من الفحم الحجري وذلك كناية عن ثلث ما يُستخرج منهُ في كافّة المعمور. فانّ انكلترّة المعروفة بوفرة مناجمها لا تستخرج اكثر من ٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ والمانيـة ٦٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ فقط

واهمُّ ما لاميركة من الاحواض الغنيّة بالفحم موقعها في بنسلفانية وفي يوا وفي تكساس والجبال الصخريّة. وترى في وادي مونتفاهيلا قريباً من مدينة بتسبورغ شركة للفحم معروفة بيكرون (Beck - Run) تملك خمسين منجماً يأخذ الداخلَ اليها الانذهال لحسن تنظيمها. فاذا ولج الزائر في قلبها رأى سرباً عظيماً واسع الارجاء. وان سار الى اقصى طرفهِ وجد أحداث العمّال يديرون آلات ميكانكيّة تقطع في اليوم من منجم الفحم ما يساوي وزنهُ ٩٠ طنًّا. فاين هذا من حفر الفعلة الانكليز والفرنسويين الذين يشتغلون بالمعول او بالمقطع. ومع وفرة تلك الكميّات الغريبة من الفحم قد قدّرت احدى المجلّات العلميّة انّ الولايات المتحدة تملك حاجتها منهُ لمدّة ٣٠,٠٠٠ سنة. فقس عليهِ غنى تلك الاصقاع بما يُعدُّ اليوم من اكبر اسباب الثروة

(البترول) مناجمهُ كمناجم الفحم في ترقّ مستديم والجيولوجيُّون لا يزالون يبحثون عن احواض جديدة فما خاب مسعاهم اذ وجدوا منها كميّات وافرة في بنسلفانية وفي اميركا الوسطى في تكساس وكاليفرنية. وفي بلاد كاليفرنية هذه مدينتان تُعتبران كمركزين جليلين لترقي الصناعة واليهما يتقاطر كل سنة الوف من الصنّاع نزيد بهما سان فرنسسكو التي أُحصي عدد سكانها حديثاً فبلغ ٤١٧,٠٠٠

الف ومدينة لوس انجلاس البالغة ٣١٩,٠٠٠ وهي تنمو نموًّا غريباً لوفرة مناجم البترول التي فيها. امّا محصول اميركة السنويّ من البترول فبالغ ١٧,٠٠٠,٠٠٠ طنّ اعني اكثر من ضعف ما تستخرجهُ روسيّة من احواضها (٨,٠٠٠,٠٠٠ طنّ)

— وكما احتكر بعض المثرين في اميركة تعدين الفحم كذلك امتلك غيرهم نقابة البترول التي هي في حكم " ستندارد اويل " (The Standard Oil C") ولهذه الشركة معمل يسمّى ويتنغ (Witing) مساحتهُ ١,٢٨٠,٠٠٠ متر مربع وهذا المعمل يخصّ روكفلر المثري الشهير وهو يربح منهُ في السنة ربحاً خالصاً ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اعني قريباً من مليون كلّ يوم. وللشركة المذكورة عشرون مركباً بخاريًّا لنقل البترول من اميركا الى همبورغ حيث جهّزت لها مخازن وعمّالاً (Deutsche Amerikanische Petroleum Gesellschaft) لتوزيع البترول في كلّ انحاء اوربّة. وممّا يُحكى ان روكفلر ملك البترول يجلس كلّ صباح ويُحدّد الاسعار التي يُقتضى على عمّاله ان يستوفوها في مبيع محصولهم

وقد افادت المجلة التي رويناها عنها المعلومات عن الفحم الحجري انّ مناجم البترول اذا بقيت على حالتها كما هي اليوم سوف تنفد تماماً بعد ٢٥ سنة. فان حدث الامر فقدت عدّة صنائع محركها الكبير كالاتوموبيل والمراكب الجوّيّة وادوات الطيران وعلى الاخصّ البحريّة الحربيّة واكثرها يسير بقوّة البترول. ولذلك ترى الجيولوجيين يصرفون غاية الجهود في اكتشاف منابع بترولية جديدة تلافياً لذلك الخطر

(المعادن) ومن معادن اميركة الهمّة الحديد والنحاس والذهب والفضة. فان لها السباق على كلّ الدول في تعدين الحديد والنحاس ومحصولها من الحديد نصف محصول العالم باجمعهِ فانها تستخرج منهُ في السنة ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ وبعدها المانية التي تستخرج ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ طنّ ثمّ انكلترة ١٨,٠٠٠,٠٠٠. ولاميركة الرتبة الثانية في تعدين الذهب بعد افريقية الجنوبيّة فتستخرج ما يساوي ٥٢٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. وهي الثالثة في استحضار الفضة بعد بلاد المكسيك فيقدّر محصولها بما يساوي ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ف

٣ اشتغال المعادن والمصاغات

كما ان اميركة سيدة المعمور بوفرة معادنها كذلك هي اليوم في مقدّمة الدول

باشتغال المعادن وتركيب الآلات واجهزة المراكب والسكك الحديدية وادوات الزراعة والكهرباء واستحضار المصاغ . فليس بلد من البلاد قد استعمل الآلات الميكانكية لكل اصناف الشغل كبلاد اميركا ولاسيما في مدنها بتسبورغ وفيلادلفية ونيورك وكلفلند وشيكاغو وبوفالو

﴿ بتسبورغ ﴾ هي لاميركة بمثابة شيفلد لانكلترة . فلا ترى في بتسبورغ ذلك التهم الذي يُرى في شيكاغو لجمع المال واكتناز الدراهم كما انك لا تجد فيها تلك المضاربات الفاحشة والمقامرات التجارية التي امتازت بها نيويرك او ذاك الشرف والتأنق اللذين في بُسطن . وانما بتسبورغ مدينة العمل تمثل قوة الانسان الشغيل الذي يكسره النبار ويتساقط من جبينه العرق وهو يذلل لمشيئته صلابة الحديد وضرم النار . فهناك حاضرة اشغال الفولاذ تتولى تدبيرها « جماعة الفولاذ » (The United States Steel Corporation) المنشأة سنة ١٩٠١ برأس مال بالغ خمسة مليارات جمعوهُ من اقساط ممتازة بفائدة ٧ في المئة ومن اسهم عادية ومبالغ مالية شتى واملاك وعقارات . ورئيس هذه المشروعات الجبارية هو ذلك الرجل العظيم ونابغة المعاملات المسمّى كرنجي . فبهمته وهمة معامليه يُستحضر في السنة كميات من الفولاذ بالغة ٤,٠٠٠,٠٠٠ طن . وتشمل نقابة الفولاذ عدة شركات تساعدها في العمل منها شركة السكك الحديدية من بتسبورغ الى بحيرة أيريه (Erié) التي لها سبعون آلة محركة و ٥٠٠٠ قطار للبضائع و ٤٠ قطاراً للركاب . ثم شركة منجم اوليف (Cie minière Olive) التي تستخرج في السنة ٥,٠٠٠,٠٠٠ طن من الفلزات ثم شركة بحرية لها مرفأ خاص على بحيرة أيريه مجهز بكل الادوات لتفريغ اوساق السفن بسرعة غريبة حتى ان المعادن بعد وصولها الى المرفأ باربع عشرة ساعة تُلقى في مواقد المعامل في بتسبورغ . وكل هذه الشركات تعمل بنظام ونشاط عجيبين على مقتضى الطرائق المستحدثة لا يفوتها شيء من اسباب الترقي فاعمالها تقضي بالعجب وتجلب الثناء العام على رئيسها كرنجي وهمته القصاء .

وليس بعيداً من بتسبورغ معامل كبرى تُعرف بمعامل وستنغهوس (Westing-house) تفوق على كل مصانع العالم لتجهيز الآلات الكهربائية وصاحبها جرج وستنغهوس هو الذي اكتشف لجام الهواء المضغوط لضبط الآلات المتحركة بالبخار

او الكهرباء. وهـذا اللجام شائع اليوم في كلّ انحاء المعمور ويُصنع منهُ في معامله ستون لجاماً في الساعة ومن هذا المعمل يخرج كل يوم ستون آلة محرّكة قوّةُ كلّ آلة مائتا حصان. ولهذا الرجل الهمام في پتسبورغ منزل موقعهُ عنـد محطة البلد ولهُ في المحطة قطار خاصّ بهِ وبحاشيتهِ فاذا احتاج الى السفر سافر من وقتهِ وعمّالهُ معهُ وهو لا ينقطع عن شغلهِ. فمن يعرفهُ يؤكد انّهُ مثال الاميركيّ المحض في عملهِ وحزمهِ وثباتهِ

وفي جوار مدينة (بوفالو) معمل الشركة الاميركيّة التي تعالج مياه شلّالات نياغارا لتوليد الحركة وتوزيعها على المعامل (The Niagara Falls Power C). وهذه الشركة قد نالت امتيازاً بان تحوّل من مياه نياغارا ما يكفي لتوليد قوّة ٢٠٠,٠٠٠ حصان بخاري وبذلك اصبحت تلك الشلّالات التي يُعد منظرها من عجائب الطبيعة خادمةً خاضعة لمشيئة البشر فيستفيدون منها قوّة لتسيير السكك الحديديّة ولتحريك ادوات المعامل ولانارة المدن وغير ذلك

وان سرت الى فيلادلفية وجدت فيها اكبر مصانع الدنيـا لتركيب الآلات المحرّكة لقطارات السكك (Locomotives). اشتهر بينهـا مصنع بلدوين (Baldwin) الذي يربي عدد عمّالهِ على ١٥,٠٠٠ رجل فيصطنعون في كلّ اسبوع اربعين آلة كاملة باهبتها فانتشرت في كلّ انحاء العالم تراها تجرّ القطارات على الاسلاك الحديديّة في اميركة واليابان وروسيّة بل انكلترّة نفسها فانّ في خطّ ميدلند منها اربعين آلة. ولعلّ سائلاً يسأل وكيف رضي الانكليز بتلك الآلات الاميركيّة؟ فالجواب انهم اضطرّوا الى الامر بعـد اعتصاب العملة الميكانيكيين في انكلترّة فانّ ارباب المعامـل اعلنوا انهم لا يستطيعون ان يسلّموا ولا آلة واحدة لتسيير السكك الحديديّة قبل ١٨ شهراً. فتعهّد حينئذٍ بلدوين انّهُ بعد مدّة ستة اشهر فقط يستحضر لهم ما شاؤوا من الادوات المحرّكة. فكان عملهُ فوزاً باهراً للصناعة الاميركيّـة على الصناعة الانكليزيّة والاوربيّـة كلها. فترى انّ النزاع قائم على ساق بين العالم الجديد والعالم القديم والجديدُ واثق بالغلبة

٤ الصنائع لاستحضار المآكل والاطعمة

هذا فنّ مستحدث سبق اليهِ الاميركان بان يستحضروا من المآكل والاطعمة ما يُنقل الى كلّ اطراف العالم. فانّ الولايات المتحدة ابتكرت فنّ تمليح اللحوم وحفظ

الدهون. وفي شيكاغو مجازر ومسالخ عظيمة جداً مجهّزة بضروب الآلات لقطع اللحوم اشهرها مجازر ارمور (Armour) وسويفت (Swift) وليبّي (Libby) فان دخلتها اخذ منك العجب كلّ مأخذ. فهناك قاعات منظمة واسعة فيها عدد لا يُحصى من العمال يجرون في عملهم مجرى رقّاص الساعة لا يخلُون عنهُ شعرةً . فترى المواشي تُساق متواليةً فتُجزّر وتُسلخ وتنظّف وتقطّع وتملّح وتوضع في العلب المعدّة لها. وذلك بسرعة البخار والكهرباء. فانّ مجازر سويفت تجزر في اليوم ٢٧,٠٠٠ خنزير وتعدّ ٥٠,٠٠٠ كيلو من النقانق (سلسيسو). وفي مجزر ليبي آلة تحوّل الخنزير من حيوان الى نقانق في ظرف ثلاثة ارباع الساعة

واميركة اغنى الاقطار بالمواشي والقطعان التي كلها تسرح مهملة في المراعي صيفاً مع شتاء يحرسها رُعاة راكبون الخيل يدعونهم بقّارين (Cow-boys). وتلك القطعان قد استحقت بجودتها ان تُدعى « ملوك المواشي » (the Cattle-kings) ولاميركة السبق على كلّ البلاد بعدد بقرها (البالغ ٧٢,٥٠٠,٠٠٠ راس) وبغالها (٤,٠٠٠,٠٠٠) وخنازيرها (٦٦,٠٠٠,٠٠٠) . وقد حسنوا تربية الغنم (٦٢,٣٥٠,٠٠٠ راس) والخيل (٢٢,٠٠٠,٠٠٠) التي يساوي ثمن مجموعها ١٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

واشتهرت مدينتا سنت بول ومينيابوليس بطاحنهما واستحضارهما للدقيق وتوزيعهِ على سائر البلاد

ولاميركا معامل كبيرة تُصطنع فيها الجعة (البيرة) التي تجاري اجود مشروبات اوربّة اخصّها في جهات شيكاغو وميلفوكا في شرقي البلاد وشماليها. وبلغت عندهم صناعة تجهيز الفواكه مبلغاً عظيماً. ولهم كذلك معامل واسعة لا سيّما في الجنوب واوساط البلاد يستقطرون فيها الذُرة والبطاطا والدبسيّات لاصطناع الكحول

٥ الصنائع النسجية

هذه الصنائع احد اسباب ثروة اميركة في يومنا فانّ معاملها متوفرة وهي لا تزال تترقى يوماً بعد آخر لا سيّما الانسجة القطنيّة لنموّ مزدرعات القطن الاميركيّ الذي لا يجاريهِ آخر. فانّ محصول القطن يبلغ سنوياً ٢,٥٠٠,٠٠٠ طن بينما لا يتجاوز محصول الهند ٥٠٠,٠٠٠ طنّ اما مصر فمحصولها ٣٠٠,٠٠٠ قنطار. لكنّ انكلترة

تفوق على الولايات المتحدة بعدد مغازلها النسجيَّة البالغ ٥٢,٥٨٥,٠٠٠ وهي في الولايات المتحدة ٢٥,٦٨١,٠٠٠ وفي مصر لا تزيد على عشرين الفاً. وقد تمكَّنت ولايتا ماساشوستس ونيوانكلند من مجاراة ولاية لنكشير في اعداد المنسوجات ولا سيَّما مدينة فول ريفر (Fall - River) الواقعة على مسافة ٨٠ كيلومتراً من بوسطن فهناك ٤١ شركة لاصطناع المنسوجات لديها ٣,٠٠٠,٠٠٠ مغزل و ٨٠,٠٠٠ نول ويخرج من معامل هذه الشركات ٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠ متر من النسائج في السنة ومع كلّ هذه المساعي لا تزال انسجة الولايات المتحدة دون الانسجة الانكليزيَّة سواء كانت من القطن او من الصوف او من الحرير . وانسجتهم لا تخرج عن الاسواق الوطنيَّة فلا تقوى على مزاحمة اوربا

٦ التجارة

انّ التجارة الاميركيَّة قد ترقَّت ترقياً عجيباً في نصف القرن الاخير . كانت تجارة الولايات المتحدة تُقدَّر في السنة ١٨٥٠ بنحو ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ففي السنة ١٩٠٠ بلغت ١١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وفي السنة ١٩٠٩ كانت قريباً من ١٨,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ وجملة الصادرات من اميركا اوفر كثيراً من الواردات اليها . واصحاب النظر يعلّلون هذا الرقي بسببين : الاول توفير طرائق المواصلات والثاني همَّة الاميركيين واقدامهم على الأعمال .

ومن المعلوم ان السكك الحديديَّة اقرب وسائل المواصلات والاميركيون لهم في ذلك السهم الافوز بين دول المعمور فانَّ مجموع سكك اوربَّة كلها لا يتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر طولاً . وهو في الولايات المتحدة ٣٥٠,٠٠٠ تسير على خطوطها ٢,٠٠٠,٠٠٠ قطار . ولهم اربعة مسالك حديديَّة كبرى يحسنون ان ينقلوا عليها كل ما تشحنهُ السفن العديدة من سواحل الاوقيانوس الهادي وهي : سكة شيكاغو الى استوريا . وسكة نيويرك الى سان فرنسسكو على طريق اوماها والبحيرة المالحة الكبرى . وسكة سان لويس وسانتا فاي الى سان فرنسسكو . وسكة ألبوكرك الى سان فرنسسكو على طريق لوس انجلاس . واخطرها سكة نيويرك المعروفة بسكة الهادي المركزيَّة (Central Pacific) التي تلقَّى الاميركيون خبر انشائها بكل سرور بل كان العالم كله ينتظر نجازها بفروغ الصبر . وقد جرت حفلة عظيمة عند

نهايتها ومدّ عارضتها مع خابورها الاخيرين فقام الدكتور هركنس (Dr Harkness) ممثل ولاية كاليفرنية وقدّم لرئيس السكة خابوراً من الذهب الخالص وعارضةً من خشب الغار قائلاً : انّ اهل كاليفرنية يهدونك هذا الذهب المستخرج من معادنهم وهذا الخشب المقطوع من غاباتهم ليدخل كلاهما السكة الحديدية التي عمّا قريب ستجمع ولاية كاليفرنية بولايات الشرق شقيقاتها وتضمُّ اوقيانوس الهادي الى اوقيانوس الاتلنتيكي

والاميركيون يصطنعون قطاراتهم كلها من الخشب الصلد الثمين ويزينونها بانواع النقوش ويجهزونها بكل ما يفيد راحة الركاب وكلها من درجة واحدة لا فرق بين المسافرين الّا القطارات المختصة بالسيدات ورفقتهنّ من الاعيان فيركبنها بزيادة خفيفة على ثمن سائر القطارات . وفي سكك حديديّة عديدة مكتبة لافادة المسافرين يطالعون تآليفها وقت سفرهم وفيها قطارات للاكل والشغل بل فيها آلات كتابيّة للرسائل وغيرها . هذا فضلاً عن بعض اهل الحرف لخدمة الركاب كالمزينين وسواهم . ولا نقص هناك غير قلة امان الانسان على حياته لانّ السكك الحديديّة تمرُّ مرَّ الرياح في امكنة مخطرة حصل فيها عدّة حوادث فاجعة

٧ التجارة البحريّة

الولايات المتحدة الرتبة الثانية بين الدول في التجارة البحريّة فلها المقام الاوّل بعد انكلترة اذ يبلغ محمولها ما يوازي ٧,٠٠٠,٠٠٠ طنّ وعدد مراكبها التجاريّة عشرة آلاف . لها في الاوقيانوس الاتلنتيكي الشمالي وفي الجنوبي منهُ بواخر تغلب كلّ بواخر العالم بسرعتها منها الشركة التجاريّة الدوليّة (The International Mercantile C^ny) المقدَّر رأس مالها بـ ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ما خلا ٧٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار احتياط . وهذه الشركة قد سعى بتأليفها المثري الاميركي الشهير پيارپونت مورغان من شركات اوربيّة واميركيّة معاً

فترى انّ الاميركيين لا يتعاطون كبقيّة الدول عملاً الّا اذا كان مدارهُ على ملايين من الدولارات . فانهم ذوو همم عالية لا يرضون بالشيء الّا اذا كان عظيماً او استفادوا منهُ فائدة عظيمة فاذا عمّروا منزلاً رفعوا علوهُ الى السماء وان هندسوا بيتاً بالغوا في هندسته الى التطرُّف وان سيّروا قطاراً جعلوا سيرهُ غاية في السرعة وان كتبوا جريدةً لا بدّ ان يزيدوا في صحائفها ما ينيف على بقيّة الجرائد وان

صرفوا الدراهم صرفوها باسراف. فان دخلت احدى حواضرهم أروك منازل ذات ثلاثين طابقاً. وفي نيويورك تمثال الحرية علوهُ ٧١ متراً لكنهُ يُرى صغيراً اذا صعدت الى القصر الحديدي فرقيتَ الى طابقهِ التاسع والعشرين. وهذه الابنية الشاهقة لا تروق للعين الّا انَّ الاميركي يفتخر بها لانَّهُ تفرَّد بصنعها او لانَّهُ يستفيد منها ربحاً طائلاً

فالربح واكتساب الثروة هو المحرّك الكبير في العالم الجديد فهما تكلّف الاميركي من الاتعاب او انفق من المصاريف يعدّ ذلك كلا شيء اذا ادّى بهِ الامر الى التقدُّم على سواه. فلو صرف في مشروع ربع مليون من الفرنكات واستحضر كلّ الادوات لمباشرة العمل ثم عرف انَّهُ يوجد ادوات جديدة افضل من ادواتهِ تكلّفهُ ضعف ما صرف فلا يتردَّد من وقتهِ لاستجلابها لانَّهُ يرى في ذلك ضامناً اكيداً للربح العاجل. فالاميركي هو حقيقة رجل الشغل وربّ الدينار لا ينثني او يفوز بغايتهِ. فتراهُ يبتكر الوسائط ويبتدع الاكتشافات لتحقيق آمالهِ. فممَّا امتاز بهِ الاميركيُّون ايجاد الاعلانات الغريبة التي تجذب الزبائن الى البائع فيتفنَّنون فيها الى الغاية ويصرفون عليها الالوف المؤلفة حتَّى اذا كسب بذلك شهرةً اغتنى سريعاً

ومن الامثال الجارية في شيكاغو انَّ الرجل الذي يبلغ الاربعين من سنهِ ولم يحصل على الملايين ليس هو برجل مقدام ذي فهم وذكاء. ومن غريب ما فكر فيهِ اهل شيكاغو ان جعلوا حيًّا لذوي الملايين يدعونهُ نيوبرت (Newport) شيَّدوا لهم فيهِ الدور الفخيمة المؤثثة بابدع زخارف العالمين والمبنيَّة على طراز مباني اليونان والرومان. واذ زار منذ عهد قريب احد اغنياء باريس مدينة شيكاغو التفت اليهِ دليلهُ واراه حيّ نيوبرت قائلاً: « أترى هذا الحيّ فانَّ فيهِ من ملايين الدولارات اكثر من باريس ولندن معاً »

فهذا نظر اجماليّ في حالة الولايات المتحدة من حيث الاقتصاد فعسى ان همَّة اهل تلك البلاد تبعث في قلوب الشرقيين شيئاً من الرغبة في اقتفاء آثارهم والجري على منوالهم فيتدرَّعون مثلهم بالعزم والحزم ويجاهدون بثبات في سبيل النجاح متَّكلين على ذلك الذي جعل الدنيا ميداناً يفوز بمرافقها السابقون الى غاياتها بنشاطهم وسموّ همهم فمن قام قام اللهُ معهُ (تمَّت ببعض اختصار وتصرُّف)

كتاب
طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سعى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٦ العلوم في اهل مصر

امَّا الأمَّة السادسة (١ وهي اهل مصر فكانوا اهل ملك عظيم وعزّ قديم في الدهور الخالية والازمان السالفة أيدلُّ على ذلك آثارهم في عمائرهم وهياكلهم وبيوت علمهم الموجود اكثرها في الاقليم الى يومنا هذا. وهي آثار اجمع اهلُ الارض انهُ لا مثل لها في اقليم من الاقاليم فامَّا ما كان قبل الطوفان فجُهل خبرهُ وبقي اثرهُ مثل الاهرام والبرابي والمغاور المنحوتة في جبال الاقليم الى غير ذلك من الآثار الموجودة. وامَّا بعد الطوفان فقد صار اهل الاقليم (٢ اخلاطاً من الامم ما بين قبطيّ ويوناني ورومي وعمليقي وغيرهم الَّا انَّ جمهرتهم قبط (٣ [وانما صاروا اخلاطاً لكثرة من تداول ملك مصر من الامم السالفة من العمالقة واليونانيين والروم واختلطت الامم فيها لذلك (٤ وخفي على الناس تخليص انسابهم فاقتُصر من التعريف بهم على نسبتهم الى موضعهم من بلد مصر في الطول من بَرْقة التي هي جنوب البحر الرومي الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريبة (٥ من اربعين يوماً وحدّها في العرض من مدينة اسوان التي باعلى مصر وما سامَتَها من ارض الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبة الى مدينة رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي وما اتصل بذلك ومسافتهُ قريبة من من ثلثين يوماً

وكان اهل مصر في سالف الازمان صابئة تعبد الاصنام وتدبّر (٦ الهياكل ثمَّ تنصرت عند ظهور دين النصرانيَّة ولم تزل على ذلك الى ان افتتحها المسلمون واسلم بعضهم وبقي سائرهم على دينهم اهل ذمَّة الى اليوم

---

١) هذا الوصف لقدماء اهل مصر وعلومهم ومشاهيرهم قد نقلهُ بحرفهِ عن كتابنا ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٤٧–٣٥٠)

٢) كلُّ هذا سقط من الاصل وذُكر في تاريخ ابن القفطي

٣) حك: الغلبة والكثرة للقبط ٤) هذا سقط من تاريخ ابن القفطي

٥) حك: قريب ٦) في الاصل: تدين وهو تصحيف

وكان لقدماء اهل مصر الذين كانوا قبل الطوفان عناية بانواع العلوم وبحث عن (١ غوامض الحكم وكانوا يرون (33) انهُ كان في عالم الكون والفساد قبل نوع الانسان انواع كثيرة من الحيوان على صور غريبة وتراكيب شاذَّة. ثمَّ كان نوع الانسان فغلب تلك الانواع وقاتلها حتى افنى اكثرها وشرَّد بقيَّتها الى البراري (٢ والفلوات فمنهم الغيلان والسعالي وغير ذلك ممَّا ذكرهُ عنهم الوصفي (٣ في تاريخهِ المؤلف في اخبار مصر. فان كان ذلك حقَّ عنهم في ابعدهم في هذا الرأي من نظام الحكمة وقانون الفلسفة

وذكر جماعة من العلماء انَّ جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاوَّل الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو الذي يسميهِ العبرانيون خنوخ (٤ ابن يارد بن مهلائيل بن انوش (٥ بن شيث بن آدم عليهِ السلام وهو ادريس النبي عليهِ السلام (٦. وقالوا انهُ اوَّل من تكلَّم في الجواهر العلويَّة والحركات النجوميَّة واوَّل من بنى الهياكل ومجَّد الله تعالى فيها واوَّل من نظر في علم الطبّ وألَّف لاهل زمانهِ قصائد موزونة في الاشياء الارضيَّة والسماويَّة. وقالوا انهُ اوَّل من أنذر بالطوفان ورأى انَّ آفةً سماوية تلحق الارض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبرابيّ في صعيد مصر الاعلى وصوَّر فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منهُ على تخليدها لمن بعدهُ وخيفة ان يذهب رسمها من العالم (٧

قال صاعد: وكان بمصر بعد الطوفان علماء بضروب الفلسفة من العلوم الرياضيَّة والطبيعيَّة والالهيَّة وخاصَّة بعلم (٨ الطلسمات والنيرنجات (٩ والمرآي المحرقة والكيمياء وغير ذلك. وكانت دار الملك والعلم (١٠ بمصر في قديم الدهر بمدينة مَنف (١١ وهي على اثني عشر ميلاً من الفسطاط. فلمَّا بنى الاسكندر مدينة

---

١) حك: على ٢) حك: التفار ٣) حك: الوصيفيّ: ولم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ
٤) زاد حك: النبيّ ٥) حك: بن قينان بن انوش ٦) حك: صلعم
٧) حك: والله اعلم. (قلنا) واليوم قد تقرَّر انَّ هذه الاهرام والتصاوير كلها بعد الطوفان ٨) حك (ص ٢٤٩): علم ٩) حك: النيرنجيَّات
١٠) حك: العلم والملك ١١) زاد في حك: وهي في القبطيَّة مافة

الاسكندريّة رغب الناس في عمارتها لحسن هوائها وطيب مائها فكانت دار العلم والحكمة (١ بمصر الى ان تغلب عليها المسلمون واختطّ عمرو بن العاص على نيل مصر مدينتهُ المعروفة بفسطاط مصر فانسرب اهل مصر وغيرهم من العرب والعجم (٢ (34) الى سكّانها فصارت قاعدة (٣ مصر حينئذٍ (٤ الى اليوم

ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني (٥ وكان فليسوفاً جوّالاً في البلاد طوّافاً على المدائن عالماً بنصب اهلها (٦ وطبائع اهلها. ولهُ كتاب جليل في صناعة الكيميا وكتاب في الحيوانات ذوات السموم

ومن علمائهم بعدهُ بصناعة العدد برقطوس (٧ الاسكندرانيّ صاحب المقالات الاربع في طبيعة العدد وخواصّهِ

ومن علمائهم بالهندسة وعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم بيون الاسكندراني صاحب كتاب الافلاك فذكر فيهِ هيئة الافلاك وعددها وكيّة حركات الكواكب ذكرًا مُرسلاً مجرّدًا من البرهان على ما ذهب اليهِ بطليموس في كتاب المجسطي. واما كتاب القانون فانهُ اختصر فيهِ تعديل الكواكب وصور تقويمها على رأي بطليموس وزاد فيهِ حساب حركات إقبال الفلك وادبارهِ على رأي اصحاب الطلسمات

ومن علمائهم ورؤسهم صاحب الكتب الجليلة (٨ في صناعة الكيمياء

ومنهم الاسكندرانيون الذين اختصروا كتب جالينوس الحكيم والّفوها على المسئلة والجواب ودلّ حسن اختصارهم لها على معرفتهم بجوامع الكلم واتقانهم لصناعة الطبّ وكان رئيسهم انقيلاوس (٩ الذي جمع من منثور كلام جالينوس ثلاث عشرة مقالة في اسرار الحركات الّفها فيمن جامع وبهِ علّة مزمنة فذكر ما يولِ عليهِ ذلك وما يُدفع بهِ ضررهُ

---

١) حك: دار الحكمة ٢) حك: من العرب وغيرهم

٣) حك: قائدة

٤) حك: من ذلك الوقت ٥) الوصف الذي هنا ينسبهُ ابن القفطي (ص ٢٤٧) وابن ابي اصيبعة (١: ١٧) الى هرمس الثالث

٦) حك: عالماً بالبلاد ونصبها. صب: عالماً بنصبة المدائن وطبائعها

٧) وفي حك (ص ٩٨): برقلوس ولعلّ الصواب برقلوس

٨) يظهر انهُ سقط اسم العالم الذي اراد الكاتب وصفهُ ٩) الطب حك (ص ٧١)

ومن علمائهم باحكام النجوم واليس (١ صاحب الكتاب المعروف بالبرندج (٢ الرومي المؤلف في المواليد وما يتقدّمها من المدخل الى علم احكام النجوم. وذكر عنهُ الاندوز (٣ في كتابهِ المؤلف في المواليد انَّ كتبهُ العشرة في المواليد جامعة لقوة سائر الكتب وان واليس قال وانَّ كلَّ علم يزعمون انهُ ليس في كتبهِ هذه فلا اصدق انهُ كان او يكون. ولا اعلم لاحد ممَّن ذكرت من علماء الاسكندريَّة زماناً محدودًا ولا خبرًا مستقصًى ولا وصل الينا من حكمتهم الَّا القليل النزر بالاضافة الى ما تشهد بهِ آثارهم بصعيد مصر (35) ومصانعهم الجليلة في سائر نواحيها من عجائب البرابي وغرائبها الدالَّة على سعة علمهم والمنبئة على نفاسة اخطارهم

٧ العلوم عند العرب

واماَّ الامة السابعة وهي العرب فمنهم فرقتان (٤ فرقة بائدة وفرقة باقية. فاماَّ الفرقة البائدة فكانت أمًا ضخمة كعاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة وجُرْهم ابادهم الزمان وافناهم الدهر بعد ان سلف لهم في الارض ملك جليل وخبر مشهور لا ينكر لهم ذلك احد من اهل العلم بالقرون الماضية والاجيال. ولتقادم انقراضهم ذهبت حقائق (٥ اخبارهم وانقطعت عنَّا اسباب العلم بآثارهم. واماَّ الفرقة الباقية فهي متفرّقة (٦ من جذمَيْن قحطان وعَدنان ويضمُّهما جميعاً حالان حال الجاهليَّة وحال الاسلام

فاماَّ حال العرب في الجاهليَّة فمشهورة (٧ عند الامم من العزّ والمنعة وكان ملكهم في قحطان ثم في سبع قبائل (٨ منها وهي حمير وهمدان. وكندة ولخم ودَوس ومذحج وكان بيت الملك فيهم بنو الصوار بن غيذ شمس بن وائل بن الغوث

١) راجع كتاب الفهرست (ص٢٦٩) وهو يسميهِ فاليس وقد نقل صاحب تاريخ الحكماء هذه القطعة في كتابهِ (ص ٢٦١) قال: فاليس المصري وربَّما قيل واليس الرومي كان حكيماً فاضلًا في الزمن الاوَّل ٢) وفي الفهرست: بالزبرج. وفي حك: بالبريدج

٣) في حك: الايدغر وكلا الاسمين مصحَّف

٤) نقل ابن البري في تاريخ مختصر الدول قول صاعد عن العرب (ص١٥٨ من طبعة الاب انطون صالحاني ونشير اليها بحرفي: عب) واختصرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (١: ٧٥) ٥) عب: حقيقة ٦) عب: متفرّعة

٧) عب: فحال مشهور ٨) عب: في قبائل قحطان

ابن حبران بن قيطان بن عريب بن زهير بن ايمن بن ابي الهميسع بن حمير (١ وسائر الملوك اتباع فكان من بني الصوار الملوك السادة والجبابرة والتبابعة اهل الشرف القديم والعزّ التليد والملك الموطّد والمجد الموثل. الذين دوّخوا البلاد وضعضعوا الممالك وتركوا الآثار العظيمة والاخبار الشريفة في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها كيعرب بن قحطان وسبا بن يشجب والحرث الرائش وابرهة ذي المنار وعمرو ذي الاذعار وافريقس باني افريقية وشمّر يرعش باني سمرقند وتبّع الاكبر وتبع الاوسط واسمهُ اسعد ويكنّى ابا بكر وهو الذي يقول فيهِ ابو تمام حبيب بن اوس الطائي ويصف عموريّة:

وبرزة الوجه قد أعيتْ رياضتها كسرى وصدّت صُدودًا عن ابي كرب

وتبع الاصغر وهو عمرو (36) بن حسان بن ابي كرب وكان لهؤلاء الملوك مذهب في آثار احكام النجوم وميل الى معرفة طبائعها. وزعم ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل المؤلَّف في اخبار حمير وانسابها ان ملوك حمير لم يكونوا يستعملون من قوّادهم ولا يصرفون عن كُفاتهم الّا مَن عرفوا مولدهُ ووجدوا ادلّتهُ من البروج والكواكب موافقة لادلّتهم ومشاكلة لها. وانما كانوا اذا ارادوا غزو امّة من الامم تخيّروا لذلك الاوقات السعيدة والطوالعَ المشاكلة لمواليدهم والملائمة لنصب دولتهم ومكثوا في ارتيادها الازمان الطويلة حتى تُمكنهم على اختيارهم فكانوا يبلغون بهذا حيث شاءوا من المراتب العالية والمنازل الرفيعة من الظفر بالاعداء ويُبعد الصيت في البلاد. قال صاعد: ولم تكن ملوك حمير معتنية بأرصاد الكواكب ولا باختيار حركاتها ولا بايثار شيءٍ من علوم الفلسفة وكذلك كان سائر ملوك العرب في الجاهليّة ولم يبلغنا عن احد منهم انهُ بحث عن شيءٍ من ذلك

واما سائر عرب (٢ الجاهليّة بعد الملوك منهم فكانوا طبقتين اهل مدر واهل وَبَر. فاما اهل المدَر فهم اهل الحضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والكرم والماشية والضرب في الارض للتجارة وغير ذلك من ضروب الاكتساب ولم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور. واما اهل الوبر فهم قطان

١) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢: ٥١ من طبعة مصر)

٢) عاد ابن العبري (ص ١٥٨) الى نقل كلام صاعد

الصحارى وعمّار الفلوات وكانوا يعيشون من البان الابل ولحومها وكانوا زمان النجعة ووقت التبدّي يراعون جهات ايماض البرق ومنشإ السحاب وجلجلة الرعد فيؤمّون منتجعين لمنابت (١ الكلأ مرتادين لمواقع القطر ويخيّمون هنالك ما ساعدهم الخصب وامكنهم الرعي ثم يقومون (٢ لطلب العشب وابتغاء المياه فلا يزالون في حلّ وارتحال (٣ كما قال المثقب العبديّ في ناقته:

تقول اذا درأتُ لها وضيني اهذا دينهُ ابدًا ودينى
أكلَّ الدهر حلٌّ وارتحال(37) أما تُبقي عليَّ ولا تقيني (٤

فكان ذلك دأبهم زمان الصيف والقيظ والربيع فاذا جاء الشتاء واقشرت (٥ الارض ومدّت (٦ انكمشوا الى ارياف العراق واطراف الشام وركبوا الى القرب من الحواضر والدنوّ من القرى فشتّوا هنالك مقاسين جهد الزمان ومصطبرين على جهد العيش وهم خلال ذلك يتواخون بقوتهم ويتشاركون في بلغتهم مدمنون (٧ على أباء الضيم ونصرة الجار والذبّ عن الحرم (٨

وكانت اديانهم مع ذلك مختلفة فكانت حمير تعبد الشمس وكنانة القمر وتميم الدبران. ولخم وجذام الشعرى. وطيء سهيلًا. وقيس الشعرى العبور. واسد عطاردًا. وكانت ثقيف واياد تعبد شيئاً ما على نخلة (٩ يقال لهُ اللات ثم عبدت اياد وبكر بن وائل كعبةَ شدّاد. وكان لخثعم صنم يعبدونهُ من خشب فلحقهم مجاعة في بعض السنين فاكلوه فقال في ذلك بعض الشعراء:

اكلت خثعمُ ربّها عام التمخّم والمجاعهْ
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعهْ

قال ابن قتيبة (١٠: كانت النصرانيّة في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهوديّة في حمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة. وكانت المجوسيّة في

---

١) عب: بنابت ٢) في الاصل: يقوضون. وفي عب: يتوجّهون
٣) عب: ترحال ٤) ويروى: يُبقي عليَّ ولا يقيني
٥) عب: انشمرت ٦) كذا في الاصل ولعلّ الصواب قرّت اي بردت
٧) في الاصل: لا منون (؟) ٨) في الاصل: الحرب ٩) عب: بيتاً باعلى نخلة
١٠) اطلب كتابهُ المعارف (ص ٢٠٥ من طبعة مصر)

تميم منهم زُرارة بن عدس وابنهُ حاجب والاقرع بن حابس وابو سُود جدّ وكيع ابن حسان بن ابي سود. وكانت الزندقة في قريش اخذوها عن اهل الحيرة وكانت عبادة الاوثان فاشية في العرب حتى جاء الاسلام

قال صاعد: وجميع عبدة الاوثان من العرب موحّدة الله تعالى وانما كانت عبادتهم لها ضرباً من التديُّن بدين الصابئة في تعظيم الكواكب والاصنام المشبّهة بها في الهياكل لا على ما يعتقدهُ الجهّال بديانات الامم واراء الفِرَق مع ان عبَدة الاوثان ترى ان الاوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ولم يعتقد قطّ هذا الراي صاحب فكرة ولا واربهُ صاحب العقل. دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى(١: ما نعبُدهم الّا ليقرّبونا الى الله زلفى. وجاء نصّ القرآن بمخالفتهم في البعث (38) والنشور ونبوّة محمد صلعم فكان جمهورهم ينكر ذلك لا يصدّق بالمعاد ولا يقول بالجزاء. ويرى ان العالم لا يخرب ولا يبيد وان كان مخلوقاً مبتدعاً وكان فيهم من يقرّ بالمعاد ويعتقد إن نُحرت ناقتهُ على قبرهِ حُشر راكباً ومن لم يفعل ذلك حُشر ماشياً وفي ذلك يقول خُزيمة بن الاشيم ؟ القعسيّ يوصي ابنهُ:

يا سَعدُ اما اهلكنّ فانني أوصيك ان اخا الوصاة الاقربُ
لا تتركنّ اباك يمشي خلفهم نعباً يخرُّ على اليدين وينكبُ
إحمل اباك على بعير صالحٍ وابقِ المطيّة انهُ نعم اصوبُ
ولحلّ مالي ما تركتُ مطيّةً في البُهم اركبها اذا قيل اركبوا

فهذه كانت ديانات العرب. واما علمها الذي كانت تتفاخر بهِ وتباري بهِ فعلم لسانها وإحكام لغتها ونظم الاشعار وتأليف الخطب وكانت مع ذلك اجلّ علم الاخبار ومعدن معرفة السير والامصار. قال ابو محمد الهمداني: ليس يوصل الى خبر من اخبار العجم والعرب الّا بالعرب ومنهم وذلك انّ من سكن بمكة من العمالق وجُرهم وآل السَّميدع بن هونة وخزاعة احاطوا بعلم العرب العاربة والقراعين العاتية واخبار اهل الكتاب وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون اخبار الناس. وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الاعاجم من عهد اسعد ابي كرب وبخت نصر حووا علم الاعاجم واخبارهم وايام حمير ومسيرها في البلاد وعنهم صار اكثر ما

١) اطلب سورة الزمر ع ٤

رواه عُبيد بن شرّية ومحمّد بن السائب الكلبي والهيثم (١ بن عديّ. وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسّان خبير باخبار الروم وبني اسرائيل واليونانيين. ومن وقع بالبحرين من تنوخ واياد فعنهُ اتت اخبار طسم وجديس. ومنْ وقع من ولد نصر من الازد بعمان فعنهُ اتى كثير من اخبار السند والهند وشيْ من اخبار فارس ومن وقع بجبلَي طيْ فعنهُ اتت اخبار آل اذينة والجرامقة. ومن سكن باليمن فانهُ علم اخبار الامم جميعاً لانهُ كان في دار (39) مملكة حمير وفي ظلّ الملوك السيّارة الى الشرق والغرب والجنوب والشمال ولم يكن ملك منهم يغزو الّا عرف (٢ البلاد واهلها والعرب اصحاب حفَظة ورواية لحفة الكلام عليهم ورقّة السنتهم لانهم تحت نطاق فلك البروج الذي ترسمهُ الشمس بسيرها وتجري فيهِ الكواكب السبعة الدالّة على جميع الاشياء.

وكان للعرب مع هذا معرفة (٣ باوقات مطالع النجوم ومغاربها وعلم بانواء الكواكب وامطارها على حسب ما ادركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلّم الحقائق ولا على سبيل التدرّب في العلوم. ولابي حنيفة الدينوري احمد بن داود اللغوي كتاب شريف في الانواء تضمّن ما كان عند العرب من العلم بالماء والانواء ومهابّ الرياح وتفصيل الازمان وغير ذلك من هذا الفنّ. فهذا ما كان عند العرب من المعرفة. واما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عزّ وجلّ شيئاً منهُ ولا هيّأ طباعهم للعناية بهِ ولا اعلم احداً من صميم العرب شُهر بهِ الّا ابا يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وابا محمد الحسن الهمداني وسياتي ذكرهما في موضعهِ ان شاء الله

واما بلاد العرب فهي معروفة بجزيرة العرب سُميت بذلك لان البحر محيط بها من جهاتها الثلاث التي هي المغرب والجنوب والشرق ففي مغربها خليج جدّة والجار وايلة والقلزم والخارج من البحر الكبير بحر الزنج والهند وفي جنوبها بحر عدن وهو البحر الكبير. وفي شرقها خليج عمان والبحرين والبصرة وارض فارس والخارج ايضاً من

١) في الاصل: الصيم ٢) في الاصل: عرب
٣) هذه القطعة رواها ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٥٩)

بحر الهند. واما شمال جزيرة العرب فاطراف الشام وجهات بلادها الجنوبيَّة ما بين الحجر وهو بلاد ثمود الى دومة الجندل وما اتَّصل بها من البلاد المطلَّة على السماوة

وجزيرة العرب اربعة اجزاء كبار وهي الحجاز ونجد وتهامة واليمن ومسافة الجزيرة في الطول وذلك بين عدن وبين اطراف الشام نحو من الاربعين مرحلة ومسافتها في (40) العرض وذلك ما بين ساحل بحر أيلة والجار وجدَّة وبين العذيب وما اتصل من ريف العراق نحو من خمس وعشرين مرحلة

فامَّا اليمن وكانت دار قحطان الى خراب مارب وما اتَّصل بها من ارض اليمن في ايام شمريرعش من ملوك حمير وفي ايام داود عليهِ السلام من ملوك بني اسرائيل وفي ايام كيخسرو الثالث من ملوك الطبقة الثالثة من الفرس وذلك بعد الطوفان بالفي سنة وستين سنة شمسيَّة. وكان سبب خراب سدّ مارب ما صحَّ بهِ الخبر من الطوفان الصغير الذي طما بهِ سيل العرم على سدّ مأرب فخربهُ وافسد عمائر مارب وكثيرًا من البلاد. وكان سكان مارب الازدَ وما والاها فلمَّا خربت تفرَّقوا في البلاد فلحقت الاوس والخزرج وهم الانصار بيثرب من ارض الحجاز وهي مدينة النبي صلعم. ولحقت خزاعة بمكَّة وما حواليها من ارض تهامة. ولحقت وادعة ويحمد وخزام وجديل ومالك والحرث وعتيك بعمان وهم ازد عمان. ولحقت ماسخة ومَيدعان ولَهب وغامد ويشكر وبارق وعلي بن عثمان وشمران والحجر بن الهند ودوس بالشراة (١ وهو جبل عظيم يقطع بلاد العرب طولًا من تلقاء اليمن الى اطراف الشام. ولحق مالك بن عثمان بن اوس بالعراق. ولحقت جفنة وآل محرّق بن عمرو بن عامر وقضاعة بالشام. وفي خروج غير من ذكرنا من العرب من جزيرة العرب من اياد وربيعة الى الشام وديار ربيعة من ارض الجزيرة اخبار ليس هذا موضع ذكرها. وقد بيَّنا ما بلغنا منها في كتاب جوامع اخبار الامم من العرب والعجم (٢

فهذه كانت حال العرب في الجاهليَّة في دياناتها ومساكنها ومعايشها. واما حال العرب في الاسلام فعلى ما نذكرهُ هنا اوجز ما يمكننا واختصرهُ: كانت العرب حين بُعث النبي قد تفرَّق ملكها وتشتت امرها فضم الله شاردها (٣ وسكَّن نافرها وجمع

---

١) في الاصل: بالسراد ٢) راجع توطئة الكتاب ٣) في الاصل: ساورها

عليهِ جماعة ممَّن كان (41) بجزيرة العرب من قحطان وعدنان فآمنوا بـهِ وانقادوا اليهِ ورفضوا جميعاً ما كانوا يدينون بهِ من عبادة الاوثان وتعظيم الكواكب واقرُّوا لله تعالى بالتعظيم والتحميد والربوبيَّـة والتوحيد والتزموا شريعة الاسلام من اعتقاد حدث العالم وخرابهِ والبعث والنشور والجزاء ومن العمل بالطاعات والصيام والصلوة والزكاة والحجّ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شريعة الاسلام. ثم لم يلبث رسول الله صلعم الَّا قليلًا فتوفي وخلفهُ اصحابهُ ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي صلوات الله عليهم فملكوا البلاد وغلبوا الملوك واحتووا على الممالك. وبلغت مملكة الاسلام في أيام عثمان من الجلالة والسعة الى حيث نبَّه عليهِ النبي صلعم في قولهِ " رُوِيَت اليَّ اقاصي الارض فأُريت مشارقها وسيبلغ ملك امَّتي ما رُوِي لي منها ". فاباد الله تعالى بدولة الاسلام دولة الفرس بالعراق وخراسان وغيرها من ديار الفرس ودولة الروم بالشام ودولة القبط بمصر ونواحيها وجعل الله تعالى بالنبي صلعم ملك العرب في عدنان ثمَّ في عمومة النبي صلعم وبني قريش. حكمٌ من الله تعالى ماضياً وقضاء منهُ نافذاً وتلك عادته في الامم وسنَّتهُ في القرون كما قال عزَّ وجلَّ: (١ وتلك الايام نُداولها بين الناس (١.

وكانت العرب (٢ في صدر الاسلام لا تُعنى (٣ بشيءٍ من العلم الَّا بلغتها ومعرفة احكام شريعتها حاشا صناعة الطبّ فانها كانت موجودة عند افراد من العرب غير منكرة (٤ عند جماهيرهم لحاجة الناس طرًّا اليها ولما كان عندهم من الاثر عن النبي صلعم في الحثّ عليها حيث يقول: يا عباد الله تداووا فان الله عز وجلّ لم يضع داء الَّا وضع لهُ دواء الَّا واحدًا وهو الهرم

فكان من الاطبـاء على عهد النبي صلعم من العرب الحرث (42) بن كلَدة الثقفيّ كان تعلَّم الطب بفارس واليمن وكان يضرب العود وبقي الى ايام معاوية بن ابي سفيان. وكان منهم ابن ابي رمثة التميمي وهو الذي قال: رأيتُ بين كتفي النبي صلعم خاتم النبوَّة فقلت لهُ: اني طبيب بهِ دَعْني أُعالجهُ. فقال: انت رفيق والطبيب الله.

---

١) سورة آل عمران ع ١٣٦

٢) هذا الفصل نقلهُ ابن العبري (عب) في تاريخهِ (ص ٢٢٥–٢٢٦) ونقلهُ غيرهُ ايضاً كالحاج خليفة

٣) عب: لم تُعنَ

٤) عب: منكورة

وكان منهم ابن الجبر وهو الكناني طبيب ماهر كان في ايام عمر بن عبد العزيز وكان عمر يبعث اليه بابنه اذا مرض. وكان منهم خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفين كان بصيراً بالطبّ والكيمياء. ولهُ في الكيمياء رسائل واشعار بارعة دالّة على معرفتهِ وبراعتهِ فيها

فهذه كانت حالة العرب في الدولة الامويّة فلمّا ازال الله تعالى تلك الدولة بالهاشمية (١ وصرف الملك اليهم ثابت الهمم من غفلتها وهبّت الفطن من سِنتها فكان اوّل من عُني منهم بالعلوم الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور عبدالله بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس ابن عبد المطلب بن هاشم فكان رحمهُ الله تعالى مع براعتهِ في الفقه وتقدُّمهِ في علم الفلسفة وخاصّة في علم صناعة النجوم كافاً بها وباهلها (٢

ثم لمّا افضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم عبدالله المأمون بن هرون الرشيد ابن محمّد المهدي بن ابي جعفر المنصور تمّم ما بدأ بهِ جدُّهُ المنصور فاقبل على طلب العلم في مواضعهِ واستخرجهُ من معادنهِ بفضل همّته الشريفة وقوّة نفسهِ الفاضلة (٣ فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلتهُ بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا اليهِ بما حضرهم من كتب افلاطون وارسطاطاليس وابقراط وجالينوس واوقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة فاستجاد لها مَهَرة التراجمة وكلّفهم إحكام ترجمتها فتُرجمت لهُ على غاية ما امكن ثم حضّ الناس على قراءتها ورغّبهم في تعليمها فنفقت سوق العلم في زمانهِ وقامت دولة الحكمة في عصرهِ.

(43) وتنافس اولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من احسانهِ لمتحليها واختصاصه لمتقلديها فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذّ بمذاكرتهم فينالون عندهُ المنازل الرفيعة والمراتب السنيّة وكذلك كانت سيرتهُ مع سائر العلماء والفقهاء والمحدّثين والمتكلمين واهل اللغة والاخبار والمعرفة بالشعر والنسب فاتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلّم في ايامهِ كثيراً من اجزاء الفلسفة وسُئل من بعدهم منهاج الطبّ

١) عب: ادال الله للهاشمية

٢) عب: كان مع براعتهِ في الفقه كافاً في علم الفلسفة وخاصّة في علم النجوم. وروى الحاج خليفة (١ : ٨١): متقدّماً في علم الفلسفة وخاصّة في النجوم محبا لاهلها

٣) رواية الحاج خليفة: بقوّة نفسهِ الشريفة وعلوّ همّتهِ المنيفة

ومهدوا اصول الأدب حتى كادت الدولة العباسيَّة تضاهي الدولة الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها. ثم بدأت تنقص ولتمام ثلثمائة سنة خلت لتاريخ الهجرة تداخل الملك وتغلب عليهِ الفساد والاتراك فلم يزل الناس يزهدون في العلم ويشتغلون عنهُ بتزاحم الفتن الى ان كاد العلم يرتفع جملةً في زماننا هذا والحمد لله على كلّ حال

واذ قد ذكرنا هذه المقدّمة من اخبار العرب فلنذكر الآن من عُرف من الدولة العباسيَّة من المسلمين عربيًّا كان او أعجميًّا بشيءٍ من علوم الفلسفة فنقول: ان اوّل علم اعتُني بهِ من علوم الفلسفة علم المنطق والنجوم. فامّا المنطق فاوّل من اشتهر بهِ في هذه الدولة عبدالله بن المقفع الخطيب الفارسي كاتب ابي جعفر المنصور فانهُ ترجم كتب ارسطاطاليس المنطقيَّة الثلاثة التي في صورة المنطق وهي كتاب قاطاغورياس وكتاب باري ارمنياس وكتاب انولوطيقا وذكر انهُ لم يُترجم منهُ الى وقتهِ الّا الكتاب الاوّل فقط وترجم ذلك المدخل الى كتاب المنطق المعروف بالايساغوجي لفرفوريوس (١ الصوري وعبّر عمّا ترجم من ذلك عبارةً سهلة قريبة المأخذ. وترجم مع ذلك الكتاب الهندي المعروف بكليلة ودمنة وهو اوّل مَن ترجم (44) من اللغة الفارسيَّة الى اللغة العربيَّة ولهُ تآليف حسان منها رسالة في الآداب والسياسة ومنها رسالتهُ المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان (٢

وامّا علم النجوم فاوّل من عُني بهِ في هذه الدولة محمد ابن ابراهيم الفزاري (٣ وذلك ان الحسين بن محمد بن حميد المعروف بابن الآدمي ذكر في تاريخهِ الكبير المعروف بنظام العقد (٤ انهُ قدم على الخليفة المنصور في سنة ستّ وخمسمائة (٥ رجل من الهند عالم بالحساب المعروف بالسند هندي في حركات النجوم مع تعاديل معلومة (٦ على كردجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من اعمال الفلك ومع كسرفين (٧ ومطالع البروج وغير ذلك في كتاب يحتوي على اثني عشر باباً (٨ وذكر انهُ اختصرهُ

١) في الاصل: الساغوجي فرفورنوس

٢) روى ابن القفطي (حك ٢٢٠) وابن ابي اصيبعة (١: ٣٠٨) قول المؤلف عن عبدالله ابن المقفَّع ٣) وصفُ المؤلف لمحمد بن ابراهيم الفزاري نقلهُ في تاريخ الحكماء (حك ٢٧٠) ولم يذكر صاحبهُ ٤) حك: في زيجهِ المعروف بنَظم العقد

٥) كذا في الاصل والصواب: سنة ستّ وخمسين ومائة كما ورد في حك (٢٧٠)

٦) وفي حك: معمولة ٧) حك: من الكسوفين ٨) حك: على عدّة ابواب

من كردجات منسوبة الى ملك من ملوك الهند يسمّى قبغر (١ وكانت محسوبة لدقيقة. فامر المنصور بترجمة ذلك الكتاب الى اللغة العربيّة وان يؤلف منهُ كتاب تتخذهُ العرب اصلًا في حركات الكواكب فتولى ذلك محمّد بن ابراهيم الفزاري وعمل منهُ كتاباً يسميهِ المنجمون بالسند هند الكبير وتفسير السند هند باللغة الهنديّة الدهر الداهر فكان اهل ذلك الزمان يعملون بهِ (٢ الى ايام الخليفة المأمون فاختصرهُ لهُ ابو جعفر بن موسى الخوارزمي وعمل منهُ زيجهُ المشهور ببلاد الاسلام وعوّل فيهِ على اوساط السند هند وخالفهُ في التعاديل والميل فجعل تعاديلهُ على مذهب (٣ الفرس وميل الشمس فيهِ على مذهب بطليموس واخترع فيهِ من انواع التقريب ابواباً حسنة لا تغني بما احتوى عليهِ من الخطأ البيّن الدالّ على ضعفهِ في الهندسة وبعدهِ عن التحقيق بعلم الهيئة فاستحسنهُ اهل ذلك الزمان من اصحاب السند هند وطاروا بهِ كل مطير (٤ وما زال ذلك نافعاً عند اهل العناية بالتعديل الى زماننا هذا

ولمّا افضت الخلافة الى عبد الله المأمون بن هارون (45) الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور وطمحت نفسهُ الفاضلة الى ادراك الحكمة وسمت بهِ همّته الشريفة الى الإشراف على علوم الفلسفة ووقف علماء وقتهِ على كتاب المجسطي وفهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيهِ بعثهُ سرورهُ وحداهُ نبلهُ على ان جمع علماء عصرهِ من اقطار مملكتهِ وامرهم ان يضعوا مثل تلك الآداب وان يقيسوا بها الكواكب ويتعرّفوا منها احوالها كما صنعهُ بطليموس ومن كان قبلهُ ففعلوا ذلك وتولّوا الرصد بها بمدينة الشماسيّة من بلاد دمشق من ارض الشام سنة اربع عشرة ومائتين (٨٢٩ م) فوقفوا على زمن سنة الشمس الرصديّة ومقدار ميلها وخروج مركزها وموضع اوجها وعرفوا مع ذلك بعض احوال باقي الكواكب من السيّارة والثابتة. ثم قطع بهم عن استيفاء غرضهم موت الخليفة المأمون في سنة ثمان عشرة ومايتين (٨٣٣ م) فقيدوا ما انتهوا اليهِ وسموه الرصد المأموني. والذي تولّى ذلك يحيى بن ابي منصور كبير المنجمين في عصرهِ وخالد بن عبد الملك المروزي وسند بن عليّ والعباس بن سعيد الجوهري والّف كل واحد منهم في ذلك زيجاً منسوباً اليهِ

١) حك: قيغر
٢) حك: اكثر من يعملون بهِ
٣) حك: مذاهب
٤) حك: وطاروا بهِ في الآفاق

موجودًا في ايدي الناس الى اليوم فكانت ارصادهم اوّل ارصاد كانت في مملكة الاسلام (١

ولم يزل خواصّ من المسلمين وغيرهم من المتصلين بملوك بني العباس وسواهم من ملوك الاسلام مذ ذلك الزمان الى وقتنا هذا يعتنون بصناعة النجوم والهندسة والطب وغير ذلك من العلوم القديمة ويؤلفون فيها الكتب الجليلة ويظهرون منها النتائج الغريبة

فمن اشتهر منهم بإحكام العلوم والتوسع في فنون الحكمة يعقوب بن اسحق (٢ الكندي فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها وهو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسمعيل بن محمد بن الاشعث (46) بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن خالد بن علي (٣ بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحرث الاكبر (٤ ابن معاوية بن ثور بن مرقع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب (٥ بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب (٥ بن يعرب بن قحطان. وكان ابوهُ اسحق بن الصباح اميرًا على الكوفة للمهدي والرشيد وكان جدّهُ الاشعث بن قيس من اصحاب النبي صلعم وكان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة وكان ابوهُ قيس بن معدي كرب ملكاً على جميع كندة ايضاً عظيم الشان وهو الذي مدحهُ الاعشى بن قيس بن ثعلبة بقصائده الاربع الطوال التي اولاهنّ « لعمرك ما طول هذا الزمان » والثانية « رحلت سميّة غدوة أجمالها » والثالثة « ألزمت من آل ليلى ابتكارا » والرابعة « اتهجر غانية ام تلمّ » (٦ وكان ابوه معدي كرب معاوية ملكاً على بني الحرث الاصغر بن معاوية في حضرموت وكان ابوه معاوية بن جبلة ملكاً

١) اطلب هذا الكلام منقولاً في كتاب الحكماء (حك ٢١٦ و٢٤٣ و ٢٥٧) وفي تاريخ ابن العبري (ص ٢٤٨)

٢) نقل ابن القفطي كلّ هذا الفصل عن يعقوب بن اسحاق الكندي في تاريخ الحكماء (ص ٢٦٦ – ٢٧٠) دون ذكر الكتاب الذي اخذ عنهُ وكذا فعل ابن ابي اصيبعة في تاريخ الاطبّاء (١ : ٢٠٦)

٣) في حك: ابن جبلة ابن عديّ ٤) حك: الاصغر

٥) كذا في الاصل. وفي حك يشجب بن عريب

٦) وفي الاصل: تسام

بحضرموت ايضاً على بني الحرث الاصغر وكان معاوية بن الحارث الاكبر وابوه الحرث الاكبر وابوهُ ثور ملوكاً على معدّ بالمشقّر واليمامة والبحرين ولم يكن في الاسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غير يعقوب. ولهُ في اكثر العلوم تآليف مشهورة من المصنفات الطوال والرسائل القصار ما يزيد عددها على خمسين تأليفاً فمن كتبهِ المشهورة كتاب التوحيد المعروف بفم الذهب ذهب بهِ الى مذهب افلاطون من القول بحدوث العالم في غير زمان ونصر هذا المذهب بحجج (١ غير صحيحة بعضها سوفسطائيّة وبعضها خطابيّة ومنها كتابهُ في الردّ على المانيّة احدى فرق الضلالة القائلة بالاصلين القديمين ومنها رسالتهُ في ما بعد الطبيعة في الردّ على المانية. ومنها كتابهُ في اثبات النبوة (47) ومنها كتاب في علوم الموسيقى المعروف بالمونس ومنها رسالتهُ في تسلية الاحزان. ومنها كتاب آداب النفس ومنها كتبهُ في المنطق وهي كتب قد نفقت عند الناس نفاقاً عاماً وقلّما يُنتفع بها في العلوم لانها خالية من صناعة التحليل التي لا سبيل الى معرفة الحقّ من الباطل في كلّ مطلوب الّا بها. واما صناعة التركيب وهي التي قصد يعقوب في كتبهِ هذه اليها فلا يَنتفع بها الّا من كانت عنده مقدّمات فحينئذٍ يمكن التركيب ومقدمات كلّ مطلوب لا توجد الّا بصناعة التحليل ولا ادري ما حمل يعقوب على الاضراب عن هذه الصناعة الجليلة هل جهل مقدارها وضنّ على الناس بكشفهِ وايٌّ هاذين كان فهو نقصٌ فيهِ ولهُ بعد هذا رسائل كثيرة في علوم ظهرت لهُ فيها اراء فاسدة ومذاهب بعيدة من الحقيقة

ومنهم احمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي احد المتفنّنين في علوم الفلسفة ولهُ تآليف جليلة في الموسيقى والمنطق وغير ذلك حسنة العبارة جيدة الاختصار

ومنهم محمد بن زكريا الرازي طبيب المسلمين غير مدافَع فيه وأحد المهَرة في علوم المنطق والفلسفة وغيرها من علوم الفلسفة وكان في ابتداء تعلُّمهِ يضرب العود ثم ترك ذلك واقبل على تعلُّم الفلسفة فنال منها كثيراً والف نيفاً على مائة تأليف اكثرها في صناعة الطبّ وسائرها في ضروب من المعارف الطبيعيّة والالهيّة الّا

١) في الاصل : حجاج

انهُ لم يوغل في العلم الالهي ولا عَلِم غرضهُ الاقصى فاضطرب لذلك رأيهُ وتقلَّد آراء سخيفة وانتحل مذاهب سخيفة ودنا اقواماً لم يفهم عنهم ولا هُدي بسبيلهم وادار مارستان الريّ ثم مارستان بغداد زماناً ثم عمي في آخر عمرهِ وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلثمائة (٩٣٢ م) والله سبحانهُ اعلم

ومنهم ابو نصر محمد بن محمد بن نصر الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة (١ اخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن جيلاني (٢ المتوفى بمدينة (48) السلام (٣ في ايام المقتدر فبذَّ جميع اهل الاسلام فيها واتى (٤ عليهم في التحقُّق بها فشرح غامضها وكشف سرّها وقرَّب تناولها وجمع ما يحتاج اليهِ منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة منبهة على ما اغفلهُ الكندي وغيرهُ من صناعة التحليل وانحاء التعليم واوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس وافراد وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تُصرَّف صورة القياس في كلّ مادة منها فجاءت كتبهُ في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة. ثم لهُ بعد هذا كتاب شريف في احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يُسبَق اليهِ ولا ذهب احد مذهبهُ فيهِ ولا يستغني طلّاب العلوم كلها عن الاهتداء بهِ وتقديم النظر فيهِ. ولهُ كتاب في اغراض فلسفة افلاطون وارسطاطاليس يشهد لهُ بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة وهو اكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرُّف وجه الطلب أطلع فيهِ على اسرار العلوم وثمارها علماً علماً وبيّن كيفيَّة التدرُّج من بعضها الى بعض شيئاً شيئاً ثم بدأ بفلسفة افلاطون فعرف بغرضهِ منها وسمَّى تآليفهِ فيها ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطاطاليس فقدَّم لهُ مقدِّمة جليلة عرَّف فيها بتدرجهِ الى فلسفتهِ ثم بدأ بوصف اغراضهِ في تآليفهِ المنطقيَّة والطبيعيَّة كتاباً كتاباً حتى انتهى بهِ القول في النسخة الواصلة الينا الى اوَّل العلم الالهي والاستدلال بالعلم الطبيعي عليهِ فلا اعلم كتاباً اجدى على طالب الفلسفة منهُ فانهُ يعرّف بالمعاني المشتركة لجميع العلوم

---

١) هذا الفصل عن الفارابي نقلهُ ابن القفطي (ص ٢٧٧) بالحرف عن مؤلفنا ولم ينبّه اليهِ وذكرهُ ابن ابي اصيبعة (٢ : ١٢٥–١٢٦)

٢) كذا في الاصل وفي حك : جيلاد (؟) وفي صب : حيلان

٣) في الاصل : الاسلام

٤) صب : وازى

والمعاني المختصة بعلم علم منها ولا سبيل الى فهم معاني قاطاغورياس وكيف هي الاوائل الموضوعة لجميع العلوم الّا منهُ ثم له بعد هذا في العلم الالهي وفي العلم المدني كتابان لا نظير لهما احدهما المعروف بالسياسة المدنيّة والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة عرّف فيهما بجمل عظيمة من العلم الالهي على مذهب ارسطاطاليس في مبادئ الستة (49) الروحانيّة وكيف تؤخذ عنها الجواهر الجسمانيّة على ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة وعرّف فيهما بمراتب الانسان وقواه النفسانيّة وفرق بين الوحي والفلسفة ووصف اصناف المدن الفاضلة وغير الفاضلة واحتياج المدينة الى السير الملكيّة والنواميس النبويّة. وكان ابو نصر الفارابي معاصراً لابي بشر متى بن يونس في علم المنطق تعويل العلماء ببغداد وغيرها من امصار المسلمين بالشرق لقرب مأخذها وكثرة شرحها وكانت وفاة ابي نصر الفارابي بدمشق في كنف الامير سيف الدولة عليّ بن عبدالله بن حمدان التغلبي سنة تسع وثلثين وثلثمائة (٩٥٠م) فهؤلاء هم المشاهير عندنا من اهل التوسع في فنون المعارف (له بقيّة)

حكومة الحبش

لجناب الكاثوليك عبد الله افندي رعد

مدرّس الكيمياء في مكتبنا الطبي. متقدّم فخري وسر اجزائي بلاط امبراطور الحبشة سابقاً (تابع)

٤ الوظائف الادارية

قلما كانت الوظائف في الحبشة منفردة عن الرتب العسكريّة اذ ان الامير او العامل كما سبقت لنا الاشارة يكون عادةً حاكماً عسكرياً وملكياً بالوقت نفسه ومتولياً على القضاء في كلّ المقاطعة الموضوعة تحت امرته. ولهذا الحاكم ان ينصب عمّالاً يجمعون بين الوظائف المذكورة ولهُ ان يعين لكل وظيفة مأموراً واليك اهم الوظائف الملكيّة:

١ً «كج» هو الحاكم العام على مقاطعة او امارة معلومة ويكون عادةً هذا

الحاكم بلقب راس او مشير او غير ذلك من الالقاب العسكريّة او غيرها. وقد يكون مطراناً او رئيس رهبان او اجنبياً

٢ً « شوم » هو المحافظ الذي يعينهُ الحاكم على اقطاعة من اقطاعات امارتهِ

٣ً « طشقاشوم » هو المدير او القائمقام تحت حكم الشوم

٤ً « كنتيبا » هو حاكم مدينة عامرة نظير اديس ابابا وانكوبر وقندهار وعدوى وهرر وسوى ذلك من المدن المهمة في الحبشة

٥ً « ملكانيا » متولي اقطاعة صغيرة وهو بمثابة شيخ قرية

٦ً « زبانيا » بوليس المحافظة في المدينة وعلى ابواب بيوت الامراء والموالي

٥ القضاء والمحاكم

يتولى القضاء في المملكة الحبشيَّة النجاشي بنفسهِ فتُرفع اليهِ اهمُّ قضايا السلطنة ولكل واحد من الرعيَّة في اي ناحية كان من انحاء المملكة حق بالاعتراض على حكم القضاة والحكام والامراء ورفع قضيتهِ امام محكمة الملك. وقد رأيت الامبراطور منليك يجلس مرتين في الاسبوع يومي الاربعاء والجمعة من الصباح الى وقت الفطور (الظهر في الأيام الاعتياديَّة ونحو الساعة التاسعة من النهار في ايَّام الاصوام) على كرسي القضاء في باحة متسعة محاطة بالاسوار قرب القصر يدعونها « شنكو » وهي بقية من عوائد الملوك الاوَّلين وخصوصاً القياصرة الذين كانوا يجلسون على كراسي القضاء في محل كان يُعرف عندهم باسم « ليتوستروتس » وكذلك ملوك يهوذا واسرائيل في محل كانوا يدعونهُ « جبعتا ». وفي صدر هذه الباحة محل مرتفع ومسقوف يشبه مرسحاً في صدر نادٍ عميق. ويجلس من حول الملك القضاة والعظماء والشيوخ ولا تمنع الحكومة احداً ممن شاء الجلوس معهم مرتباً كان او غير مرتب عند الملك او الامير. وكذلك الامراء في امارتهم يجلسون يومين في الاسبوع او اكثر من ذلك ومن حولهم قضاتهم وشيوخ امارتهم لاستماع الدعاوي. واذا كانت قضية لها علاقة بالدين جلس ايضاً في القضاء الاسقف او رئيس كهنة الامارة ومن شاء من القسس والرهبان والشمامسة. وليس للقضاء عندهم من مجلة او قانون مكتوب بل هم يطبقون حكمهم في كل مسألة على

الضير والذمة والقتل وفيما ندر من الاحايين يستندون الى كتاب قديم العهد يدعونهُ « كتاب فتح للملوك » بهِ نخبة من القوانين القديمة الكنسيَّة والمدنيَّة مأخوذة عن المجامع المسكونيَّة واخصها المجمع النيقوي ومجمعا افسس وعن بعض المجامع الاقليمية في كنيسة الاسكندريَّة وقد ترجم هذا الكتاب مؤخرًا من الحبشيَّة الى الايطالية العالم المستشرق السنيور اغناطيوس گويدي. فاذا وقف الحبشي للدفاع امام هذه الهيئة إتَّزر بوشاحهِ على هيئة مخصوصة عندهم وبسط يديهِ واخذ يتكلم بصوت مرتفع وهذه ايضاً عادة قديمة اذ ان سفر اعمال الرسل ينبئنا عن بولس رسول الامم انهُ لمَّا دُعي للتكلم امام فستوس والي قيصرية بحضرة الملك اغريبا « بسط يدهُ وجعل يحتج » (اعمال ٢٦ : ١) واذ ينتهي المتداعيان من الكلام والاحتجاج واقامة البينة والشهود يقوم واحد من القضاة الحاضرين ويعرض على مسامع الجمهور خلاصة القضية ثم يقبل الارض امام الملك او الامير ويجلس في مكانهِ. عند ذلك لكل من الحاضرين سواء كان من القضاة او من اصحاب المراتب او من عامة الناس حق ان يقف ويبدي رأيهُ ولهُ ايضاً ان يسأل احد المتداعيَين او كليهما مستفهماً او طالباً زيادة ايضاح عمَّا أبهم عليهِ. ولمن شاء كذلك ان يقف ويدافع عن احد الخصمين اذا وجد مدافعته ناقصة او وجدهُ غير عارف باصول المدافعة. واذا ظهر لاحد ان الشهود او احدهم قد تكون شهادتهم زورًا له ان يستنطقهم ويطرح عليهم السؤالات ويطلب منهم اقامة البرهان على صدق شهادتهم. وهكذا حتى لا يعود لاحد ما يقولهُ حينئذٍ يأخذ الملك او الامير مشورة مساعديهِ في القضاء ويختم المحاكمة بلفظ حكمهِ المبرم الذي يُنفذ بالحال

وفيما خلا الجلسات التي يجلس فيها الملك او الامراء على كراسي القضاء في المحل المعين لذلك في بلاطهم يجلس القضاة في الباحات العموميَّة او في بيوتهم او في الاسواق فيسمعون الدعاوي. فكل واحد من الامراء والعمَّال والوكلاء وشيوخ القرى هم بالوقت نفسهُ قضاة يعينون تحت ايديهم رجالًا اعوانًا لسماع الدعاوي في البداية. كما وان كلَّ واحد من عامة الناس هو قاضٍ بناء على طلب احد المتخاصمين اي المدعي ويكون حكمهُ مرعيًّا ومبرمًا ما لم يشأ المحكوم عليهِ استئناف دعواهُ الى قاضي القرية ومنهُ الى الوكيل ومن الوكيل الى العامل ومن العامل الى الامير الحاكم

ومن هـذا الاخير الى الملك وهو يعطي فصل الخطاب في القضايا التي لم يقبل فيها المتخاصمون حكم القضاة والحكام

فاذا تخاصم اثنان على شيء مهماً كان او طفيفاً اعلن احدهما للآخر ان تعالَ نترافع وان هو تركهُ ولم يقبل المرافعة اخطرهُ ثلاث دفعات واستحلفهُ برأس الحاكم ورأس الامير او الملك مستشهداً عليهِ الشهود فان ثابر على رفضهِ او هرب من وجه خصمهِ استحضرهُ القاضي عنوةً وحكم عليهِ بالسياط اربعين ضربة وضربة جزاء هربهِ من وجه القضاء. ثم اجبرهُ على المدافعة عن نفسهِ بما يشتكي عليهِ خصمهُ وتأخذ القضية وان هو لم يهرب من وجه القضاء كما هي العادة ووقف امام خصمهُ تادى هذا مجراها. الخصم احد المارَّين او واحداً من الحضور واستحلفهُ برأس الامير او الملك ان يحكم بينهُ وبين خصمهُ حينئذٍ يجلس هـذا القاضي على الارض ويجلس من حولهِ من شاء ويفتتح الجلسة وبعد المحاكمة والاخذ والرد واقامة البينة وسماع الشهود يلفظ حكمهُ وللمتخاصمين ان يقبلا هذا الحكم فيكون مبرماً او ان يستأنفاه فيقدّم كلٌّ منهما كفيلاً الى الحاكم الموقت الذي يستلمهما ويقدمهما لقاضي المحلة ومن لا يجد كفيلاً من الخصمين كان الحكم مبرماً عليهِ ولزم انفاذهُ للحال. وقد لا يقبل الحاكم الموقت سماع الدعوى كليا او يكون قاصراً عن اصدار الحكم او ينتحل عذراً ما فيقول للمتداعيين: ليأتِ كلّ واحـد منكما بكفيل وتعالا نذهب سويّةً الى القاضي وهكذا يكون

امّا مراتب القضاة فهي هذه على حسب درجاتها:

١ً «افانكوس» وترجمتها «فم الملك» هو وزير العدليّة ونائب القضاء يجلس على كرسي قضاء المملكة عند تغيب الملك عن هذا الكرسي ويصدر الاحكام باسمهِ واذا كان الملك حاضراً جلس بين يديه وكان لهُ مستشاراً اولاً عنـد فصل القضيّة ولفظ الحكم. وهذا القاضي الاكبر بل قاضي القضاة لا يكون الّا عند الملك فقط. امّا الامراء فلا يحقّ لهم ان يكون عندهم موظف بهذه الرتبة

٢ً «كانيه‌ونبر» وترجمتهِ «كرسي اليمين» هو القاضي الـذي يجلس من على يمين الملك او الامير عند ما يجلس هذا للقضاء

٣ً « گراونير » وترجمتهُ « كرسي الشمال » هو القاضي الذي يجلس على شمال الملك او الامير

٤ً « دانيا » هو القاضي الذي يجلس للقضاء باسم العامل او الوكيل او شيخ القرية. ويدعى بهذا الاسم ايضاً القاضي الموقت الذي ينتدبهُ احد الخصمين للحكم بينهُ وبين خصمهِ في اي مكان كان

٥ً « اكال دانيا » هو الذي يجلس في المحكمة بدون صفة رسميَّة فيسمع القضيَّة مع السامعين ويعطي رأيهُ ويستنطق المتداعيين والشهود كما اشرنا فريق هذا

وفيما خلا ذلك فلكلّ انسان عظيماً كان او حقيراً حقّ القضاء ضمن حدود بيتهِ على اولادهِ وذويهِ وخدامهِ وعبيدهِ ولهُ ايضاً ان يوظف احد آلهِ او خدمهِ بوظيفة القاضي ضمن دائرة اختصاصهِ. حينئذٍ تستأنف القضيَّة من هذا الموظف الى محكمة الامير والملك

وطريقة المرافعة عندهم سهلة جداً وهي تصير على هذا النوع: يقف المتخاصمان امام القضاء متزرين بوشاحيهما على هيئة مخصوصة ويتكئان على العصي امام الامراء او قاضي القضاة او الملك ثم يرفع الشاكي صوتهُ ويقول: « فابُركَ الله العدل وليُظهر لك المسيح الحكمة. دعواي على فلان هي كذا وكذا. » وهو لا يسرد في الشكوى حجة ولا برهاناً البتة حينئذٍ يقول القاضي للمدعى عليهِ: وانت ماذا تجيب على قول خصمك: فان اقرَّ وجب عليهِ الحكم باقرارهِ وان انكر قال المدعي اني اراهن على صحة دعواي ما هو كذا وكذا كأن يكون هذا الرهن مبلغاً معلوماً من النقود او فرساً ابيض او بغلاً رهواناً او عدداً معلوماً من هذه المطايا او زنةً معلومةً من العسل او احتمال ضربات معدودة من السياط او غير ذلك. حينئذٍ اما ان يرفض المدعى عليهِ الرهن او يقبلهُ فان رفضهُ عدَّ القاضي ذلك نوعاً من الاقرار بحقّ المدعي وحكم لهذا الاخير وان قبل الرهن تعيَّن على المدعي اقامة البينة. والبينة عندهم هي الشهود فقط لعامة الشعب ويلحق بها المكاتيب او الصكوك المختومة للكبراء الذين يحقّ لهم ان يكون لهم ختم. وقد دخلت اليوم الصكوك الاعتياديَّة الموقعة بامضاء اليد كبينة في دعاوي الشعب. فاذا وقف الشاهد لاداء الشهادة قال: « الشهادة دين ونفس الشاهد مطالبة امام الله بالشهادة التي اداها ولا تغني الدنيا

عن الآخرة » (وهذه العبارة وامثالها عندهم تقوم مقام اليمين الذي يحلفهُ الشاهد في محاكمنا قبل اداء شهادتهِ) ثم يأخذ بايراد شهادتهِ حتى اذا ثبت للمدعي مدعاه حكم القاضي على المدعى عليهِ بحقوق المدعي وبدفع الرهن لهُ او بتعويض ظهرهُ السياط اذا كان الرهن ضرباً وباداء نفقة المحاكمة وهي ريالان فقط عن أية دعوى صغيرة كانت ام كبيرة. وللملك والامراء ان يُعفوا المحكوم عليهِ عن اداء الرهن بتامهِ ولهم ابدالهُ باخف منهُ حسبما يرتأون مناسباً او على نحو حالة المحكوم عليهِ

٦ انواع العقوبات وتنفيذها

١ « الزندقة » يُعدم الزنديق رجماً بالحجارة اذا اصرَّ على زندقتهِ وذلك بحكم مجلس مؤلف من قضاة الدين والدنيا

٢ « الجنايات والجنح » يتبع فيها غالباً قاعدة العين بالعين والسنّ بالسنّ. فالقاتل يُعدم بيد آل القتيل وبمثل الالة التي قتل بها فان قتل بالسيف مات بالسيف وان رمى بالرصاص أعدم رمياً بهِ واذا كان بغير ذلك من الطرائق أعدم شنقاً. ولآل القتيل حقّ العفو عن القاتل ولهم ايضاً ان يكلوا اعدامهُ للحكومة فتعدمهُ شنقاً في الغالب او بطريقة اخرى حسب ارادة الملك او الامير او ان يقبلوا منهُ دية الدم او ان يجدعوا انفهُ او يبتروا يدهُ او رجلهُ او غير ذلك من اعضاء جسدهِ ويبقوهُ حيًّا مشوهاً على هذه الصورة. وليس للامراء حق ولا للملك حقّ العفو او ابدال العقوبة لا في القتل ولا في شيءٍ من الحقوق الشخصيَّة على الاطلاق

والقاطع اليد او الرجل او مُفقد قريبهُ احد اعضائهِ يعاقب بافقاده العضو الذي افقدهُ لقريبهِ فتقلع عينه اذا قلع عين قريبه ويُجدع انفهُ او تقطع يدهُ او رجلهُ او نحو ذلك اذا جدع الانف او قطع اليد او الرجل وهلمَّ جرًّا. والضارب والجارح يعاقب بالضرب بالعصي او بالسياط حسب اهميَّة الجرم ويحكم للمضروب او المجروح بتعويض مالي يُقدَّر على حسب اهميَّة الضرب والجرح

والسارق يُضرب بالسياط ويُجبر على ردّ المسلوب واذا عاود السرقة مرة ثانية ضوعف عدد الضربات ثمَّ يكوى على جبهتهِ ليعرفه الناس اينما ذهب. واذا سرق دفعة ثالثة قُطعت يدهُ وفي المرة الرابعة يُعدم شنقاً او يشوه بقطع اليد الاخرى

واحدى رجليهِ او انفهُ او نحو ذلك حسب ارادة السيد

والمجترم الفحشاء مع امرأة لها زوج يُحكم عليهِ باداء تعويض مالي قدرهُ ستون ريالًا لرجل تلك المرأة. واذا فاجأ الرجل امرأتهُ متلبسةً بجريمتها جاز لهُ قتلها وقتل الزاني معها ولكن اذا كان هذا القتل تابعاً لاتيان الجريمة حُسب القاتل مجرماً وحُكم عليهِ بالاعدام

والشاتم يُحكم عليهِ بتعويض مالي للمشتوم وبالضرب بالعصي وبالسياط اذا كان المشتوم من الشرفاء او اصحاب الرتب

والثالب العرض والشرف عليهِ اقامة البينة على صدق ما قالهُ فان كان ما قالهُ حقيقةً لا يُجازى وان كذباً يُحكم عليهِ بالتعويض المالي والضرب بالعصي والسياط واذا كان المثلوب هو الملك حكم على الثالب بالاعدام

ومن حلف برأس الملك او الامير كذباً حُكم عليه بجزاء نقدي قدرهُ ثلاثون ريالًا

والذي بذمتهِ مال نقودًا ام عروضاً حُكم عليهِ باداء هذا المال

ومن اتلف بهيمةً او بضاعةً او ثوباً او شيئاً آخر لقريبهِ يضمن ما اتلفهُ باداء قيمته او بدله او ثمنه واذا كانت البهيمة مستأجرة وتلفت بتقصير او بتعمد منهُ يضمن واذا تلفت بطارئ من غير ارادتهِ لا يضمن

وفي غير ذلك من الحالات المتعددة يقضي الحاكم حسبما يأمر بهِ الضمير والذمة

امَّا التنفيذ فيجري عاجلًا بعد لفظ الحكم او يعطى عليهِ كفيل الى ان يستانف لمحكمة اكبر. فاذا قبضت الحكومة على مجرم او سلمه اليها انسان قيَّدتهُ بالقيود ووضعتهُ في سجن الى ان يقضى عليهِ بالاعدام او بالسياط او غير ذلك وليس السجن عند الاحباش عقوبة بل هو توقيف ومحافظة على المجرم خوفاً من هربهِ. ويجوز للموقف فيما خلا الجنايات الكبيرة ان يعطي كفيلًا ويخرج من سجنهِ الى يوم المواقفة امام القضاء. وعندما يُلفظ الحكم بالاعدام او بتشويه الجسم او قطع الاعضاء او الضرب بالسياط او بالعصي ويكون هذا الحكم مبرماً بصدوره من الملك او بعدم استئناف هذا الحكم في المحاكم التي هي دون محكمة الملك او بعدم امكان المحكوم عليهِ ان يعطي كفيلًا اذا اراد الاستئناف يؤخذ المحكوم عليهِ حالًا وسريعاً

وينفذ عليهِ الحكم. واعلم ان الحكم بالقتل والتشويه وقطع الاعضاء والسياط اكثر من اربعين ضربة هو من صلاحية الملك وقاضي القضاة والامراء وما دون ذلك يدخل في صلاحيَّة القضاة والحكام والعمَّال وشيوخ القرى الخ

وعند ما يصدر الحكم بدفع النقود للمدعي ويكون هذا مبرماً بالصورة التي ذكرناها سلَّم القضاء المحكوم عليهِ ليد المحكوم لهُ وهذا يقيدهُ بالحديد ويسجنهُ في بيتهِ فلا يخرج من هناك حتى يفي آخر فلس عليهِ. ولكن على المحكوم لهُ ايضاً ان يعطي كفيلًا انهُ لا يعذبهُ ولا يبقيه جائعاً ولا يضربهُ ولا يضرّ بصحتهِ عمدًا. واذا لم يفِ الاسير ما عليهِ كأن لم يتيسر لهُ ذلك ليتحرر من قيودهِ جاز لمقيّدهِ ان يستخدمهُ في عملٍ ما باجرة المثل في البلد الى ان يستوفي مالهُ عليهِ او يسلمهُ للحاكم ويطلب منهُ ان يضربهُ بالسياط سوطاً عن كلّ ريال ثم يجيزهُ. واذا شاء ان يجيزهُ لوجه الله تعالى اخذ الاسير شهودًا على ابراء ذمته ودعا لهُ وانصرف

٧ وظائف البلاط الامبراطوري وقصور الامراء

للملك والامراء كلٌّ في قصرهِ اعوان ومقربون بوظائف مختلفة هي بقايا من بلاط ملوك التاريخ القديم والقياصرة الرومانيين وسلاطين الروم والملوك الاروبيين في الاجيال الوسطى. واليك اهم هذه الوظائف

١ً « ليقامقواس » هو موظف تقتصر وظيفته على وقت الحرب والغزوات وذلك بان يلبس الحلَّة الملكيَّة وتُحمل فوقهُ المظلة الحمراء ويقف الخدم والحشم من حولهِ اذ يكون الملك خاضَ غمرات الوغى مع جيشهِ. وهي حيلة يقصد بها تحويل نظر العدو عن الملك الحقيقي فيلهو بهجومهِ على من تقلد هيئة الملك ولا يلتفت الى حيث يكون قد اعدّ الملك خطة الهجوم وعمل على القاء عدوهِ في التهلكة. وهذه الوظيفة مختصة بالبلاط الامبراطوري دون قصور الامراء

٢ً « ليكابا » هو رئيس الحرس الامبراطوري

٣ً « ازاج » هو القيم الذي يكون بيده نفقة القصر او نفقة محلة اخرى تابعة لهُ. ويطلق ايضاً هذا الاسم على الذي يكون بيدهِ استثمار الاملاك الخصوصيَّة العائدة الى الملك او الامير وعلى الذي بيدهِ استلام العشور التي تؤخذ عيناً من

البضائع والبهائم والحبوب وتوزيع الجرايات والتعايين على الجنود والحراس وتقديم لوازم للطابخ والمسالخ والاصطبلات الاميرية ونحو ذلك

٤ً « بدجوند » هو المتسلم خزانة الملك او الامير وما بها من مال ومتاع وجواهر ونفائس وملابس ونحو ذلك. ويكون هـذا في الغالب خصياً ومن تحت امرتهِ كلهم من الخصيان. لان الخصيان ليس لهم طمع في الدنيـا فلا يقدمون على السرقة. وهي عادة عريقـة في القدم ان يكون المشرف على خزائن الملوك خصياناً اذ يذكر سفر اعمـال الرسل ان القديس فلبس احد الرسل السبعين عمَّد خصي كندالة ملكة الحبش الذي كان متسلماً خزائنها وهذا جاء عرضاً الى اورشليم ليسجد (اعمال ٢٧:٨ وما بعدهُ)

٥ً « گنجابيت » هو امين الصندوق تحت امرة السابق

٦ً « صهافي تنزاز » هو المهردار وكاتم الاسرار

٧ً « اگافري » هو الحاجب ووكيل التشريفات. ويكون عادة الموظفون بهذه الوظيفة كثيرين بعضهم للبيت الخاص وبعضهم للولائم وبعضهم للاستقبالات وبعضهم للاسفار والغزوات وبعضهم لغير ذلك

٨ً « انداراسيه » هو السفير الخاص الذي يستقبل باسم الملك او الامير او ينتدب بقصادة ما ليمثل مولاه. ويدعى ايضاً « مسلانيه » والكلمتان مترادفتان

٩ً « اسلّافي » هو رئيس السقاة وتحت امرتهِ الذين يفرشون الموائد والولائم ويقدّمون الطعام والشراب للامير والمدعوين

١٠ « بيتودّد » هو المصاحب الذي يستشيرهُ الامير سرًّا في جميع اعمالهِ وقد يكون هذا صاحب رتبة اخرى عسكريَّة او ملكيَّة او احد الامراء

١١ « بالاموال » هو المتقرّب الذي يدخل على الامير من غير ان يُطلب بامر خاص وهذا لا يمنعهُ الحجاب عن الدخول في اي وقت جاء

١٢ً « مكابي » هو الذي يهتم بامر تنسيق الطعام وتنويعهِ لغـذاء الامير واهـل بيتهِ وهو الذي يأمر باعداد كذا وكذا من الطعام والشراب للولائم حسب عدد المدعوين

١٣ً « كاشا جاكره » هو الـذي يمشي الى جنب الامير حاملاً سيفهُ وترسهُ المحلّى بالذهب

١٤ً « جانطلا جاكره » هو الذي يمشي الى جنب الملك او الامير مظللاً هامهُ بالمظلة. وقد أُدخلت مؤخرًا الى البلاط الامبراطوري عادة حمل راية الملك في الاحتفالات الرسميَّة. فتعيَّن على صاحب هذه الوظيفة ان يحمل هذه الراية

١٥ً « إلفين اشكر » هم غلمان من اولاد العظماء. واركان دولة الملك او الامير يجعلهم هذا السيد في بيتـهِ ويؤلفهم حول سريرهِ ليتعلموا آداب الحكومة وعوائد البلاط ويجعل لهم اساتذة ومهذبون يقرأون عليهم الكتاب المقدَّس وبعض مقاطيع مشهورة في مدح الامراء والملوك والابطال وفي الحماسة وشرح الوقائع التي انتصر فيها الملوك والامراء الاحباش ونحو ذلك. ومثـل هذه العادة كانت جارية عند الملوك القدماء فكانت تُعرف اولئك الغلمان عندهم باسم (Pages) وتكرم الرعيَّة هؤلاء الفتيان باسم « ليدج » يماثلهـا في بلاط ملوك اوربا في القديم اسم (infant) ولكن هـذا الاسم يطلق عندهم على الغلمان الذين هم من دم ملوكي اما في الحبشة فيطلق اسم ليدج على اولاد الشرفاء والامراء والعظماء جميعهم ويبقى هذا الاسم عليهم حتى بعـد ان يشبوا او يبرموا ما لم يُعطوا رتبة عسكريَّة او ملكيَّة فيطلق عليهم حينئذٍ اسم الرتبة ويبطل اسم ليدج

وفيما سوى ذلك يوجد في القصور مسلطون او رؤساء وظائف من ذلك رئيس الذباحين ورئيس الطهاة ورئيس عمال الحدائق والجنائن ورئيس الخبازين ونحوهم وقـد زيد عليهم مؤخرًا اوربيون موظفون في قصر النجاشي وقصر امير هرر وهم رئيس المهندسين ورئيس الاطبـاء ورئيس الصيادلة ورئيس مسكب النقود ورئيس المدارس الامبراطوريَّة ورئيس النجارين ورئيس الحدادين ورئيس البنـائين ورئيس الصياغ والجوهريين والخياطين وما شاكل ذلك من الوظائف الجديدة التي لم يكن لهـا من اثر في الاصل ادخلتها اليوم الحكومة الحاليَّة من جراء احتياجاتها الجديدة

(لها بقية)

جنديٌّ مسيحيّ

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

لمّا أُعلن الدستور العثماني قبل ثلاث سنوات وتقرَّرت بفضلهِ المساواة بين عناصر الدولة في الواجبات والحقوق مع قطع النظر عن الاديان ترتَّب على كلّ ابناء البلاد ان يخدموا وطنهم ويذبُّوا عن حياضهِ ويضحُّوا النفس والنفيس في صيانة حرمتهِ. وما كان النصارى ليتأخروا عن هذا الواجب المقدَّس وهم قد أُمروا ان يؤدُّوا ما لقيصر لقيصر فرأيناهم يسيرون الى الاقتراع العسكري بملء النشاط تتقدَّمهم آلات الطرب والرايات العثمانيــة ويحضُّهم رؤساؤهم الروحيون على اعتبار شرف مهنتهم والقيام بفرائضها الخطيرة

ولو اردنا ان نلتمس لهؤلاء المتجندين امثلةً سابقة في تاريخ النصرانيَّة يأتسون بها ويجرون على آثارها لما اعتاص علينا الامر وبين شهداء الكنيسة وقدّيسيها الوف وربوات خدموا الله والقيصر في الجندية اصدق خدمة كالقديس جرجس والقديس موريقيوس ورفقتهِ وغيرهم كثيرين ممَّن لم يخالفوا الملك الارضي في شيءٍ الَّا اذا امرهم بمخالفة ملك السماء قرأوا ان الله احقُّ ان يُطاع من البشر

وكأنهُ تعالى اراد ان يجعل لمواطنينا النصارى المتجندين مثالًا حديثاً اقامهُ لهم في لبنــان في اواسط القرن المنصرم بشخص رجل جمع بين الشجاعة وحبّ الوطن وبين الامانة لربهِ وخلوص الخدمة لرؤسائهِ ما امكنهُ لكنهُ لم يأنف من مخالفتهم اذ رآهم يعرّضون بالاوطان لاستعباد الاجانب ويخلع الطاعة للسلطان الشرعي نريد بهِ بطل لبنان وفارسهُ المغوار ابا سمراء غانم البكاسيني

وليست غايتنــا في هذه العجالة ان نعدّد كلّ مآثر الرجل بالتفصيل لما يقتضي الامر من طول الايضاح الـذي لا يوافق المجلَّات الموقَّتة فضلًا عن كون احد اقربائهِ واعرف الناس بهِ سبقنا الى ذلك متستّرًا تحت اسم خليل همّام فائز فاتسع في بيان سيرة « ابي سمراء غانم او البطل اللبناني » التي طبعها في مصر سنة ١٩٠٥ فاغنانا عن ايراد دقائقها وتتبُّع كل فرائدها وانما اقتصرنا على ذكر ما وجدنا في تلك الحياة

من الاخبار الصادقة المثبتة لعلوّ مقام المترجم من حيث خدمة وطنه في الجنديّة ومن حيث اعتصامه بحبل الدين غير المنفصم فيستقرّ تعريفنا لهُ بالجندي المسيحي وكفى بذلك تنويهاً بعميم فضله وتنشيطاً لملازمي الخدمة العسكريّة لكي يحذوا حذوهُ في حبّ وطنهم والثبات على واجباتهم الدينيّة

١ الجنديّ

ان توقّلت جبل لبنان صاعدًا الى مشارفهِ شرقي صيداء أدّى بك المسير بعد نحو خمس ساعات الى قرية متوسطة الكبر من اقليم جزّين تدعى بكاسين موقعها على رابية تبعد عن قصبة الاقليم مسافة ساعة وتطلّ على مـا حولها من المزارع والقرى وتكتنفها الاشجار الوطنيّة لاسيما الزيتون والتوت وفي جنوبها غابة كبيرة من الصنوبر تجرّد هواءها من كلّ الجراثيم المعدية. والظاهر انّها بلدة قديمة كما يدلّ عليها اسمها الفينيقي الذي معناه على الارجح « بيت الكرّوس » اشارةً الى ما كان يُغرس هناك من اغراس الجنّة ويُسكب من اجناس الخمرة في الكرّوس لاكرام الآلهة او لمسرّة اصحاب اللهو. وقد ورد ذكر بكاسين في حروب الفرنج في سجل املاك الفرسان الالمان فدعوها تارةً Bikicin وتارةً Bequicin وحيناً Bkeshtin ويذكرونها مع تيرون الشهيرة بقلعة الصليبيين ومع قيتوله (١ وسكانها اليوم ينيفون على الفي نفس كلّهم موارنة الّا بعض افراد من الروم الكاثوليك. وقد عُرف البكاسينيّون بتقاهم وذكائهم وإقدامهم اشتهر بينهم عدّة رجال صاروا فخرًا لوطنهم

ففي تلك القرية ولد السنة ١٨٠٥ الرجل الذي تولينا تعريب احواله ابو سمراء بن خير الله غانم الماروني فدُعي يوم تنصيره باسم جرجس شفيع الجنود المسيحيين وانّما أُطلق عليهِ اسم جدّهِ ابي سمراء فصحّ فيهِ الاسمان كلاهما مع دلالتهما على الفروسيّة والشجاعة. وكانت عائلة اجدادهِ بيت غانم تقطن سابقاً لحفد في جهات بلاد جبيل فكثر بنوها وتناسلوا وتفرّعوا فروعاً اشتهر في كلّ منها بعض الافراد اخصّهم ابو علوان غانم احد حجاب الامير فخر الدين المعنيّ الذي اقطعهُ مولاهُ ربع قرية بكاسين في

١) اطلب مقالة ارهريخت (Rochricht) عن جغرافيّة سورية في القرون الوسطى (ZDPV, X, 274)

ما ينقذهُ من بطش المصريين ولاسيَّما انَّهُ كان لا يكاد يرى في عمَّال الدولة وبالخصوص في عبدالله باشا والي عكَّا الَّا الاستبداد وبخس الحقوق. وزد على ذلك انَّ الدولة العليَّة كانت بعد حربها مع اليونان وتحطيم عمارتها في معركة نقارين عجزت عن صيانة رعاياها والولايات البعيدة عن دار السلطنة. فكلّ هذه الاسباب حدت بالامير بشير الى ان ينضمّ الى محمَّد عليّ عزيز مصر والى ابنهِ سرّ عسكر الجيوش المصريَّة ابراهيم باشا. امَّا اللبنانيُّون فما كانوا لينفصلوا عن اميرهم الشهابيّ بعد ان رأوا فيهِ ما رأوا من الجاه والرونق والسجايا الملوكية فجعل حبهم في اعين المعاصرين كمقام العزّ ومباءة المنعة والعمران

وبقي آل لبنان بعد دخول ابراهيم باشا في سوريَّة في راحة بال وطمأنينة وهو يعاملهم باللطف ومساواة الحقوق ويمنحهم الحريَّة التامَّة في امور دينهم ويخوّلهم انعامات لم ينالوها قبلًا من غيرهِ فزاد الجبل تقدُّماً ورفل بحلل السلم والرقيّ الى السنة ١٨٣٥. وفيها اخذ المصريون يسومون الخسف اهل الشام وابتدأوا بالدروز وعرب حوران وحاولوا ان يسلبوهم بعض امتيازاتهم ويضطرُّوهم الى الخدمة العسكريَّة فأبى الدروز الطاعة وعمدوا الى العصيان فلم يرَ ابراهيم باشا بدًّا من مناجزتهم القتال. لكنَّ تلك الحرب كادت تدور عليهِ رحاها لولا الامير بشير وقوم الموارنة اللبنانيون الذين دعاهم الى نجدتهِ فكسروا شوكة الثائرين وقد برَّز ابو سمرا غانم بين المقاتلين وربَّما كان القوَّاد يدعونهُ اذا اعتاص عليهم امرٌ ما كنقل الرسالات الحربيَّة وانقاذ مواطنيهِ من الاخطار فبات معزَّزًا مكرَّماً من الجميع يشيرون اليهِ بالبنان لبأسهِ وعلوّ همَّتهِ

على انَّ الدولة المصريَّة اذ رأت ان قدمها رسخت في بلاد الشام ولا سيَّما بعد واقعة نصيبين قريباً من حلب في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ حيث انتصرت على الدولة العليَّة وبعد خيانة محمود باشا الذي سلَّم لمحمَّد علي بقايا الاسطول العثماني ظنَّت انَّ سلطتها تمكَّنت ولم تعُد تحتاج الى مراعاة رعاياها السوريين وكانت نفقات الحرب قد ابهظت عاتقها وافرغت خزائنها فاخذ ابراهيم باشا يثقل على اللبنانيين بصنوف الضرائب ويفرض عليهم ما لا تطيقهُ قواهم من السخرة حتى ناءت تحت هذه الاثقال عواتقهم. ثم زاد غيظهم وحنقهم على المصريين اذ وردت اوامر محمَّد عليّ

بجمع اسلحة النصارى وادخالهم في الجندية قهراً. فكبر الامر على اهل لبنان ولم تُطق نفوسهم الابيَّة احتمال هذا الجور. فانسلخوا عن الامير بشير واجتمعوا بالدروز والمتاولة وتحالفوا على اختلاف طوائفهم وتعاهدوا على الاتحاد لمقاومة المصريين. وقد وجدت اصواتهم صدىً في قلب ابو سمرا فانحاز اليهم واخذ يتجوَّل في نواحي لبنان يدعو اهلهُ الى كسر النير المصريّ والانتماء الى الدولة العليَّة فوقع كلامهُ في القلوب كشرارة نار في بارود واضرم الحميَّة في الصدور فاندفع اللبنانيون يتقاطرون اليهِ من كلّ صوب فتولَّى امرهم بينما كان زعماء الدروز والمتاولة يسيرون من جهتهم لمحاربة المصريين فهزموهم في عدَّة مواقع وغنموا اسلحتهم وقطعوا عنهم الميرة وتبعوهم الى جهات طرابلس وعكَّار والضنيَّة فكان صيف تلك السنة ١٨٤٠ كعرض ابطال رأى الشرقيُّون والغربيُّون فيهِ من مآثر اللبنانيين ما حيَّرهم وهم رجال لم يعتادوا الحروب لا ميرة لهم ولا اسلحة فيهجمون على العدوّ وينقضّون عليهِ كالنسور فلا يكاد ينتبه لامرهِ ويعود الى رشادهِ حتَّى يرى الجبليين نكصوا على اعقابهم فائزين بالغنائم. وكان ابو سمرا في مقدَّمة اصحابهِ لا يكترث لعدد الاعداء او يبالي باسلحتهم. الَّا انَّهُ عرف الاهوال وأُصيب غير مرَّة بالجراح لكنَّهُ ما كان يلبث ان يعود الى ساحة القتال حتى خُيِّل لرفقتهِ انَّهُ لا تعمل فيهِ قذائف العدوّ وقد وضعوا في وصف شهادتهِ تلك الاهازيج والانشدة التي تنبئ باعتبارهم لشخصهِ ولاحد أمثالهِ في البسالة الفارس يوسف الشنتيري (اطلب كتاب الترجمة ص ٣٢٨–٣٣٩). وممَّن شهدوا على مآثرهِ اذ ذاك المؤرخ قيصر ڤيماركاتي في كتابهِ « القسطنطينيَّة ومصر » حيث قال ما تعريبهُ (ص ٣٣٢):

« انَّ ابا سمرا (وشرح اسمهُ بابي الشديد) كان في الرابعة والثلاثين من عمرهِ ليس الَّا. . . وهو ربعة القامة حادّ النظر. . . ولمَّا انتشرت الثورة في الجبل ضدَّ محمَّد عليّ ادَّى فروض الطاعة للدولة ولشرزمة الطليعة بين اهل لبنان تبعهُ عدد غفير منهم فاضطرّ بسبب سلوكهِ هذا الى ان يبتعد عن الامير بشير ويلتجئ الى جبل عكَّار وقد حارب طويلاً مع اتباعهِ الجنودَ الالبانيَّة والارناؤوطيَّة التي كانت تستغير على الجبل. وقد قابل وحدهُ في طرابلس فرقة من الخيَّالة بدون ان يصيبهُ جرح وواقع بنفس هذه الشجاعة بالقرب من بيروت عدداً من المصريين وبعد ان قتل عشرة رجال منهم عاد الى الجبل وكانت بسالتهُ موضوع اعجاب ذويهِ الذين لقبوهُ بابي الغارات الذي لا تعمل فيهِ الاسلحة. فلمَّا وفد على عزَّت باشا من عسكر الدولة ادَّى خدماً جزيلة مع ثلاثمائة من اتباعهِ للسياسة الجديدة التي انتصر لها »

وقد عرف لهُ عمّال الدولة خدمهُ هذه المشكورة فاستدعاه عزّت باشا واستقبلهُ بالترحاب ووكل اليه قيادة اللبنانيين ولقبهُ بلقب الاغا وهو اوّل نصرانيّ اصاب ذلك الامتياز وارسلهُ الى شمالي لبنان لمقاتلة العساكر المصريّة. فلم يخلف ابو سمرا ظنّهُ واتى في تلك الجهات بآثر يكفي قسمٌ منها لتخليد اسم وطني خامل. فكان يتعقب آثار العدوّ حيثما كان لا يكترث لعدده وذخائره الحربيّة فيأتي النصر حليف لوائهِ. ومن يقرأ في ترجمتهِ تفاصيل وقائعهِ مع المصريين في بلاد جبيل وجهات طرابلس وفي نواحي الارز وفي عيناتا حتى سهول البقاع الى مرج عيون ونابلس لا يتمالك من اطراء محامدهِ يراهُ كاحد اولئك الابطال الذين كثر السمع عنهم وقلّ النظر الى امثالهم . وقد جُرح غير مرّة في تلك المعارك وقُتل تحتهُ عشرة من الخيل لكنّ تلك المخاطر ما كانت لتضعف عزمهُ او تردّهُ القهقرى فيهزأ بالموت ويزدري بفتك الاسلحة

على انّ المصريين ضاعفوا قوّاتهم وألوا بان يفوزوا بالغلبة على بلاد الشام فحملوا الحملات التي كادت تشيب لها الرؤوس واوشكت ان تظفرهم بالمرغوب لولا انّ الدول تصدّت للحكومة المصريّة ونكّصتها على الاعقاب وكسرت شوكة عاضديها بخلع الامير بشير الكبير ونفيهِ الى مالطة وتولية الامير بشير قاسم ابن عمّهِ بدلًا منهُ. ولم تتمّ هذه الامور الّا بعد اضطرابات ووقائع لعب فيها ابو سمرا دورًا ذا بال وكافأته الدولة العليّة عنهُ برفع رتبتهِ فسمّتهُ بلوكباشي وشيخًا على شمالي لبنان وجازتهُ بمبلغ مالي وافر ادّاهُ لهُ مصطفى باشا الداماد صهر السلطان عبد المجيد ومنحتهُ خلعة سنيّة البسهُ اياها السر عسكر فعاد الى وطنهِ بعد مفارقتهِ لهُ صغيرًا في حداثة سنّهِ فاستقبلهُ مواطنهُ بما لا يوصف من البهجة وانسوهُ باكرامهم بما لقيهُ من الاهوال في الحروب

لكن احوال لبنان لم تهدأ بعد خروج المصريين زمنًا طويلًا فتوالى في تدبيرهِ الامير بشير قاسم (١٨٤٠) ولم يحسن المعاملة مع اهلهِ فعُزل ونُفي ثم خلفهُ في التدبير عُمر باشا المعروف بالنمساوي بصفة حكمدار (١٨٤١) ثم قُسم الجبل الى قائمقاميّتين نصرانيّة تولّاها الامير حيدر اللمعي ودرزيّة تحت حكم الامير احمد ارسلان (١٨٤٢) فبقي الامر على ذلك الى السنة ١٨٦٠ حيث جرت تلك الحوادث التي لم تبرح من ذكر كلّ نصارى الجبل. فهذه العشرون السنة كانت من السنين المشئومة

على لبنان تفاقم فيها الفساد واستفحل الشرّ وزاد الهرج والمرج فجرت بين النصارى والدروز حروب ومقاتلات اضعفت العنصرين وحوّلت الجبل الى منقع من الدماء جعل اعداءهُ يشمتون فيهِ ويرقبون احوالهُ رجاء ان يسلبوه امتيازاتهِ القديمة. ولأبي سمرا آغا في هذه السنين مآثر أُخرى ليست دون آثارهِ في الحرب المصريَّة ولا يسعنا ان نعدّدها بالتفصيل لكثرتها وخوفاً من ان نتكئ الجرح المندمل فنحيل القرّاء الى مراجعتها في ترجمتهِ المطوَّلة (١. وغاية ما يُقال انَّ اصحاب الامر كانوا في كلّ الاحوال ينيطون اليهِ مقاليد الامور حتى قلّدهُ الامير حيدر رتبة بكباشي على الجبل ثم نصبهُ احد باشاوات الدولة شيخاً على اقليم جزّين

وفي تلك الاثناء (١٨٤٧) سار عُمر باشا السابق ذكرهُ الى جهات ما بين النهرين لمحاربة بدرخان زعيم الأكراد الذي قام على الدولة في نواحي جزيرة ابي عمر فلعلمهِ ببسالة ابي سمرا دعاهُ الى صحبتهِ وعيَّنهُ قائدًا على مئتي خيَّال فحرَّك الامر عوامل الحسد في قلوب الضباط الَّا انَّ اعمال الآغا النصراني ما لبثت ان اكسبتهُ اعتبار كلّ رفقتهِ واحرزت لهُ مجدًا اثيلًا حتَّى افتخر بهِ نصارى ما بين النهرين. ولمَّا أُصيب بمرض في بعض حملاتهِ وحُمل الى ديار بكر تسارعوا الى معالجتهِ وفي مقدَّمتهم اسقف المدينة الكلداني بطرس دي ناطالي. وبعد مدَّة انتهت تلك الحرب بتسليم بدرخان نفسهُ لرحمة الحكومة فعاد ابو سمرا مكرَّماً معزَّزًا الى وطنهِ وما لبث ان اقترن بالزواج المسيحيّ بفتاة صالحة من اسرة بيت المعوشي تدعى تاجاً فكان ذلك الاقتران كهدنة في حياة ابي سمرا ذاق فيها نصيباً من الراحة والهناء. وقد بارك الله بعددٍ من الاولاد ذكورًا واناثًا كانوا فرحاً لاهلهم ومجدًا لوطنهم وفخرًا لطائفتهم. وكان يحقّ لأبي سمرا بعد كلّ هذه الاعمال الجليلة ان يلزم بيتهُ وينقطع الى العيشة العائليَّة لكنَّ الألسنة كانت تتناقل مآثرهُ في انحاء الجبل فتستثير في قلوب اعدائهِ حزازات دفينة فحاولوا غير مرَّة ان يفتكوا بهِ لكنَّ اصحابهُ كانوا يسهرون عليهِ فانقذوهُ من ايدي طالبيهِ او قل بالحري انَّ الله نجَّاه منهم في تلك الأيَّام التعيسة وعلى الاخصّ في حوادث سنة ١٨٦٠ حيث جعل مبغضوهُ جعالةً لمن يأتي بهِ حيًّا او ميتاً فافلت من ايديهم بعناية الله الخاصَّة ولحق بجيش الاحتلال الفرنسويّ الذي ارسلهُ نابوليون لقطع دابر الفتن

١) اطلب كتاب الآثار النصرانية في الشرق للاب ا. رباط (ج ٢ ص ١٦٥) ـ

في لبنان وادّى لمساعدة مواطنيهِ المظلومين خدماً اقرَّ لهُ بها الكولونيل شانزي كبير ضبّاط جيش حملة سوريّا في قرار تاريخهُ ١٥ حزيران ١٨٦١ (اطلب ترجمتهُ ص ١٩٦)

ولمّا عادت المياه الى مجاريها ونال لبنان نظامهُ الخاصّ لم ينفكّ ابو سمرا عن خدمة وطنهِ فاتّخذهُ داود باشا اوّل متصرف في لبنان كياورهِ فخدمهُ ثلاث سنوات بامانتهِ ونشاطهِ المألوفين لكنّهُ استقال من الخدمة لمّا اراد المتصرف ان يرسلهُ لمحاربة يوسف بك كرم وآثر الياور ان يعتزل عن الجنديّة ليعيش في بيتهِ شريف النفس فبقي في خمولهِ الى زمن فرنكو باشا الذي عرف لهُ خدمهُ العديدة في جانب الدولة والوطن وعيّن لهُ راتباً شهريّاً اخذ يتقاضاه الى سنة وفاتهِ في غرّة آذار من السنة ١٨٩٥

هذه طرفة وجيزة من حياة ذلك الجندي الذي لا يزال حتى اليوم ممدوحاً بين مواطنيهِ كمثال الفروسيّة بل قل كمرآة كلّ الفضائل الجنديّة كالثبات والامانة وعلوّ الهمّة والنزاهة متمّماً بالحرف وصاة يوحنّا المعمدان للجند (لوقا ٣ : ١٤) لمّا اتوهُ قائلين: ماذا نصنع لنثمر ثمراً يليق بالتوبة فقال لهم: لا تظلموا احداً ولا تفتروا عليهِ واقنعوا بوظائفكم. بل رأى بطلنا ذلك قليلاً في جانب الله فانّهُ اراد ان يجمع بين صفات الجندي الشهم والمسيحيّ الكامل كما سترى

٢ المسيحي

انّ بين الجنديّة والحياة المسيحيّة الصادقة شبهاً عظيماً فترى في الانجيل الطاهر واسفار الرسل كثيراً ما يدعو الربّ وتلاميذهِ المؤمنين الى الكمال المسيحي على صورة التجنّد فانّ السيد المسيح قد صرّح (متى ١٠ : ٣٤ — ٣٩) بانهُ اتى الى العالم ليعلن الحرب على شهوات الدنيا ويلقي سيفاً لا سلاماً. وقد كان سبق ايّوب فقال (٧ : ١) انّ حياة الانسان تجنّد على الارض. وانّا علّمنا ابنُ الله بمثلهِ كيف نظفر باعداء نفسنا في هذه الحرب الروحيّة باعلان الايمان وغلبة اهواء النفس وحمل الصليب حتى نفوز بالاكليل المعدّ في السماء للظافرين فتعدّد عزائم رسلهِ بقولهِ لهم (يوحنّا ١٦ : ٣٣): ثقوا اني غلبت العالم. وقال القديس بولس لتلميذه تيموطاوس (١ تيم ٦ : ١٢): « جاهد جهاد الايمان الجميل وفُزْ بالحياة الابديّة التي دُعيتَ اليها ». وقال عن نفسهِ (٢ تيم ٤ : ٧): قد جاهدتُ الجهاد الجميل واتممتُ شوطي وحفظتُ الايمان وانّما

يبقى اكليل العدل المحفوظ لي الذي يجزيني بهِ الديَّان العادل لا أيَّاي فقط بل جميع الذين يحبُّون تجلِّيهُ » ومثل هذا قولهُ (٢ تيم ٢ : ٥) : « لا ينال احدٌ الاكليل مالم يجاهد جهادًا شرعيًّا » . وكذلك قال صاحب الرؤيا (١ : ٢١) : « من غلب فاني أُوتيهِ ان يجلس معي على عرشي كما غلبتُ انا وجلستُ مع ابي على عرشهِ »

فالجنديّ المسيحيّ اذا ادرك معنى هذه التعاليم وجد في مهنتهِ الطبيعية ما يعدل بنظرهِ الى جنديَّة اشرف واعظم اعني الجهاد ضدّ العالم والارواح الشريرة والاهواء الباطلة التي يكسبهُ الفوزُ بها جزاء اعظم واثبت من كلّ مجد بشريّ لانَّ غلبة الانسان لنفسهِ وشهواتهِ تفوق على ظفرهِ باعدائهِ المنظورين في ملاحم الحرب الماديَّة

وكأن فارسنا البطل كان قد طبع في قلبهِ هذه القضيَّة منذ نعومة اظفارهِ فاحيا بالدين وممارسة الفضائل المسيحيَّة عيشتهُ بين معامع القتال وقدَّس بها حياتهُ العسكريَّة

نعم انَّ الاعمال المتواترة التي شغلت ابا سمرا في حياتهِ لم تسمح لهُ بالتعمُّق في قضايا معتقدهِ فكان دينهُ عمليًّا اكثر منهُ نظريًّا شأن النفوس الساذجة المطبوعة على الصلاح والتقى فورث من اجدادهِ ايمانًا حيًّا وجرى على فرائضهِ طول حياتهِ دون ان يحيد عنها حتَّى في أيَّام حروبهِ وتراكم الاشغال عليهِ

فمن ذلك مثابرتهُ على الصلاة صباح مساء لاسيَّما في أيَّام الحروب متَّكلًا على ربّ الجنود الذي في يدهِ وحدهُ احكام الموت والحياة والخذلان والانتصار . وكانت ثقتهُ هذه بربّهِ والههِ تبلغ الغاية في ساعة الاخطار فتضاعف شهامتهُ فكان اذ ذاك يرسم على جبهتهِ اشارة الصليب ويلتجئ الى ذخيرتهِ المعلَّقة على صدرهِ ولا يبالي بالمخاطر حتَّى انَّ اعداءهُ انفسهم كانوا يقضون العجب من رباطة جأشهِ ويعزون عملهُ الى قوَّة علويَّة كما فعل في حرب الاكراد لمَّا سقطت الراية العثمانيَّة من يد حاملها ولم يجسر احد ان يرفعها فاخذها بايماز عُمر باشا وقوَّى قلوب جنود الدولة . وكذا فعل في حوادث سنة ١٨٦٠ لمَّا كاد يسقط في ايدي مطارديهِ لولا انَّهُ ظفر بحصانهِ فوق خندق عظيم فنجا منهم (اطلب ترجمتهُ ص ١٥٥ و ١٧٤)

وكان لا يستحي من ايمانهِ بل يجاهر بهِ حتى امام الذين كانوا على خلاف دينهِ مهما سبَّب لهُ الامر من الاهانة او الاحتقار فلا يهمل أيَّام الآحاد والاعياد حضور الذبيحة الالهيَّة بكلّ خشوع سواء كان في الوطن او في الغربة وربَّما اقترب من

سري التوبة والقربان لا سيّما في الاعياد الكبيرة

ومن الدلائل على حسن ايمانهِ اكرامهُ الدائم لرؤساء الدين لا يخالفهم في شيء الّا اذا رأى في مشورتهم ما يُلحق بالخير العامّ ضررًا فيعرض لهم وجه الصواب الى ان يقنعهم . فكان غبطة السيد البطريرك يوسف حبيش والاساقفة الاجلاء وعموم الرهبان يعزّونهُ ويفتخرون بهِ ويقابلونهُ في منازلهم او اديرتهم بكل ترحاب ويتحفّون بهِ كاحدٍ انصار الدين

وكثيرًا ما سعى اعداء ايمانه غير مرّة ان يبذروا في قلبهِ الشكّ او يصرفوهُ عن اتمام واجباتهِ الدينيّة فخاب مسعاهم . وكان اذا احد تكلّم امامهُ بما يمسّ شرف الدين يزجرهُ ويفحمهُ دون خوف . ولمّا قصد البروتستانت سنة ١٨٨٢ ان يفتحوا في وطنهِ بكاسين مدرسةً ليبثّوا فيها اضاليلهم تصدّى لهم ابو سمرا واحبط مسعاهم . وكان الحّ عليهِ بعض اصحابهِ ان يدخل في الشيعة الماسونيّة ووعدهُ خيرًا اذا فعل فاستنكف من دعوتهم مفضّلًا المنايا على الدنايا وقد اورث بنيهِ بغضهُ للماسونيّة

وكان هذا روح الدين والتقى ينشرهُ بين رفقتهِ ومواطنيهِ وقبل كلّ في قلوب اولادهِ الذين رزقهم فربّاهم احسن تربية وصاروا فرحهُ واكليله فدخل ثلاثة منهم في الرهبانيّة منقطعين حتى اليوم الى كلّ اعمال البرّ وخدمة النفوس وحظي الآخرون بالتوفيق والنجاح في اعمالهم مع استمساكهم بعروة الدين الوثقى وقد انتقل غيرهم الى جوار ربّهم بميتة صالحة ولا تزال قريتهُ قدوةً لكلّ الامّهات الصالحات

وكما انّ الدين حمل ابا سمرا على اتمام واجباتهِ نحو خالقهِ كذلك حدا بهِ الى خدمة رؤسائهِ بكلّ إخلاص ونشاط . وقد ربّك ما نالهُ من الحظوى لديهم وكم احرز عندهم من الثقة حتّى انّهم على اختلاف نزعاتهم استعملوهُ مدّة نيّف واربعين سنةً في كلّ رتب الجنديّة

امّا القريب فكان جنديّ الرب يتفانى في صوالحهِ المادّيّة والادبيّة ولا سيّما مواطنوهُ النصارى الذين ادّى لهم من الخدم الجليلة ما ستردّدهُ السنتهم بالثناء والشكر زمنًا طويلًا ولولاهُ لبُخست حقوقهم وذهب منهم كثيرون ضحايا الجور والاستبداد . بل خلّص جملةً منهم من اخطار اعظم كادت تفقدهم دينهم كما فعل يومًا اذ علم انّ بعض الجنود المصريّة اغووا فتاةً مسيحيّة واختطفوها الى مكان

مجهول فسار ابو سمرا الى الكشف عنها ولم يبرح حتى وجدها وخلّصها من ايدي تلك الذئاب الخاطفة رغماً عن تهديدهم وجعلها في احد الاديرة فردّها الى اهلها بعد ان كفّرت عن ذنبها

وكان بطلنا في حومة الحرب عينها لا يحيد عن تعاليم دينهِ فلا يتجاوز ما تجيزهُ الحقوق الحربيّة حتى انّهُ امكنهُ ان يؤكد للبطريرك يوسف حبيش انّهُ لم يقتل احدًا من اعداء وطنهِ في غير ساحة الوغى . بل كان في مواطن الحرب ذاتها اذا رأى عدوًّا يستسلم طالباً الامان يكفّ عنهُ ويمتنع عن مطاردتهِ . وقد اختبر الدروز غير مرّة هذه المجامة وشكروا لهُ علو همّتهِ . فمن ذلك انّهُ سار في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٤٢ الى عين اوزيه لمقاتلة الدروز فاستحلفهُ الشيخ كنج العماد بالّا يحرق القرية فاجاب الى طلبهِ ولم يحرق منها غير بيت منفرد دلّوهُ عليهِ ليُعرَف انّهُ كفّ عن البلدة بعد اقتدار (ترجمتهُ ص ١٢٥)

وفي هذه الحرب كاد يفتك يوماً باحد زعماء الدروز الشيخ شبلي العريان في جديدة الشوف وهو لم يعرفهُ فصرخ اليهِ الفارس المجهول : أتُطارد يا ابا سمرا اخاك شبلي . فوقف ابو سمرا وتصافح البطلان وتعانقا على ظهور الخيل وبقيا مرتبطين بروابط الصداقة بقيّة الحياة يعترف كلّ منهما للآخر بعزّة النفس والشهامة (للترجمة ص ١٢٢)

وقد اظفر الله ابا سمراء بكثير من اعدائهِ الذين الحقوا بهِ الاذى او بعيالهِ ومالهِ لكنّهُ ابى على الاطلاق ان ينتقم منهم وفقاً لمبادئ دينهِ القويم . ولمّا قدم وزير الخارجيّة شكيب افندي لاصلاح امور لبنان جعل ابا سمرا ضابطاً ووكل اليهِ تحصيل الاموال الاميريّة في قائمقاميّة الدروز فقام بهذه المهمّة بعدل ونشاط عجيبين اكسباهُ رضى الحكومة وشكر الاهالي معاً (ترجمتهُ ١٣٩)

فكلّ هذه الاعمال وغيرها ايضاً لم يسمح لنا ضيق المجال ببسطها تشهد على حسن سريرة صاحب الترجمة وممارستهِ للفضائل الموافقة لجنديّ صادق لم يفصل بين خدمة الله والوطن العزيز

وقد ظهرت تقوى ابي سمرا غانم بكل جماليها في سني حياتهِ الاخيرة حيث انقطع بين آلهِ ومواطنيهِ الى العبادة فكان كلّ يوم يحضر الذبيحة الطاهرة ويصرف

زمناً طويلاً مع عائلته في الصلاة وقد حظينا بمشاهدته سنة ١٨٨٠ اذ كنّا نتجوّل في اقليم جزّين فنزلنا في بيته ضيوفاً مكرّمين فأنسنا من ذلك الاسد الرئبال حملاً وديعاً لا يكاد يهتمّ بالامور الزائلة. ثم عدنا فرأيناهُ مرّتين اخريين اذ نزل الى بيروت سنة ١٨٨٢ ليحضر سيامة ابنه البكر الاب سليمان غانم كاهناً في كليّتنا ثمّ سنة ١٨٨٦ لحضور حفلة نذوره الرهبانيّة الاخيرة فهنّأ نفسهُ بان يخلف ولداً يجاهد في سبيل الهه كما جاهد هو في سبيل وطنه بل يفوقهُ كثيراً بقدر ما تفوق خدمة الله على العالم. فكان جوابنا وقتئذٍ على كلامه انهُ كان لابنه نعم المثال في خدمة الله كما في خدمة الوطن اذ لم يفرق قطّ دينهُ عن دنياه بل سوف يعيش في ابنه ويكتسب اجر تجنُّده للرب كما ستحيي سائر اولاده فضائلهُ المسيحيّة التي زرعها في قلوبهم

ثمّ قضى ابو سمرا بقيّة ايامه في الهدوء والسكينة يوهب نفسهُ لملاقاة ربّه بطمأنينة فكانت اواخر حياته كغروب شمس ساطعة النور حجبت قرصها عن العيان وضياؤها تصبغ الافق بالالوان الزاهية. وقد بقي صافي الذهن الى ساعته الاخيرة فاقتبل كلّ اسرار الكنيسة بلّ التقى وتزوّد بقوت الملائكة من يد الكاهن الذي كان يقيم كلّ يوم الذبيحة المقدّسة في مخدعه ثمّ سألهُ ان يمنحهُ سرّ مسحة المرضى. وكان اهل القرية يتواردون الى عيادته فيحدّثهم كأنهُ سليم معافىً لا يكترث لقرب الوفاة ومسلّماً نفسهُ لامر خالقه مردّداً قولهُ: «ما احلى الموت برضى الربّ وطاعته». وكانت اخر الالفاظ التي تفوّه بها اسماء يسوع ومريم ويوسف ثمّ طارت نفسهُ الى مقرّ الابرار والكاهن يمنحهُ الحلّة الاخيرة

هكذا مات ابو سمرا بطلاً في ملاقاة الموت كما كان بطلاً في ملاقاة الاعداء. وقد احتفل مواطنوه بأتمّه احتفالاً كبيراً واقاموا لهُ مناحة عظيمة كما يفعل الاهلون في مآتم عظماء رجالهم. وقد كان لنعاه رنّات اسى وحزن شديدين في قلوب اللبنانيين فتقاطروا في الوطن وفي اميركة لاقامة الصلوات الحافلة من اجل راحة نفسه ورثاه الشعراء بقصائد بليغة وقد وردت الى عائلته كتب التعازي من الاحبار والرؤساء. وها نحن ندوّن تعريب كتاب التعزية الذي تلطف بارساله الى ارملة الفقيد نيافة الكردينال رمبولا وزير الدولة البابوية اذ ذاك ونجعلهُ مسك الختام لهذه المقالة وهو:

ايتها السيدة

تلقيت بالاسف خبر الخسارة المؤلمة التي اصابتكِ في شخص الشيخ الجليل ابي سمرا غانم فلا شك ان الطائفة المارونية جمعاء قد فجعت بفقده نظرًا لما تحلّى به من الفضائل وما لهُ من الخدم في جانب الدين ولكن تلك الفضائل وهذه الخدم عينها من شأنها ان تعزيكم مع الرجاء بان هذا جندي المسيح وكنيسته قد نال اكليله في السماء واني لا اتأخر من الاشتراك معكم بالصلاة لراحة نفسه المباركة وفي الختام يحلو لي ان ابلغك البركة الرسولية التي يمنحها الاب الاقدس من صميم القلب لك ولاولادك ليتنفوا بشهامة آثار الفقيد الفاضل الشهير.

تكرمي ايتها السيدة بقبول شواعر احتراماتي م. الكردينال رسولا

ومن احسن ما نظمهُ الشعراء تاريخًا لوفاتهِ قول الاديب اسكندر افندي شيبان عطيه:

لحقٌ ان تحجَّ اليكِ طرًا بنو الاوطان يا عامَّ المكارمْ
حميتَ الدين والاوطان دومًا وصنتَ العرض بالبيض الصوارمْ
وعشتَ مكرَّمًا وقضيتَ برًّا وذكركَ عند اهل الفضل دائمْ
واسمكَ ينطق التاريخ حقًّا ابو سمراء في الدارين غانمْ ١٨٩٥

الاسطول العثماني

نظرٌ تاريخيٌّ للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد الى ثغرنا على اليمن والسعة الاسطول العثماني العامر فزار لاوَّل مرَّة مرفأ بيروت في اصيل نهار الاثنين الواقع في ١٨ ايلول فحدَّث ولا حرج بما احدث منظر تلك البوارج والمدرَّعات والنسَّافات في قلوب اهل الوطن من السرور والافتخار وقد رأوا رأي العيان ما كانوا يتوقون الى مشاهدتهِ منذ زمن مديد فتحقَّقوا ما صارت اليهِ البحريَّة العثمانيَّة من التقدُّم السريع بهمَّة اصحاب الدستور. فلا عجب ان العشرة الايَّام التي قضاها الاسطول بازاء بيروت كانت كاعياد متواصلة ومواسم متبادلة فكان ارباب السفن تارةً يمتعون ابصارنا بانوارهم الكهربائيَّة الساطعة يرسلونها على انحاء البلد وجهات لبنان وتارةً يزينون جواريَهم بالأعلام والسرج اللامعة فتتجلَّى كأنها عرائس

الماء تخطر بثوب من النور او تتلألأ في شعلة من النار وحيناً تهتزّ القلوب طرباً لسماع معازفها وانغامها او تأخذها المهابة لصوت مدافعها. امّا اهل بيروت فكان احتفاؤهم بالاسطول وترحيبهم لاصحابه شاهداً حيًّا على اعتزازهم بقوّات الوطن واعتبارهم لممثلي الدفاع عن ثغوره فتوالت الاحتفالات وتواصلت الدعوات وتعدّدت المآدب والمظاهرات الودّيّة ما اتسعت في وصفه الجرائد المحليّة واغنتنا عن الاسهاب في ذكره حتى بارحتنا العمارة في ضحى اليوم ٢٨ من الشهر ولم يبرح ذكرها من قلوب الاهلين الذين رافقوها بالادعية في مجراها ومرساها

*

وقد خطر على بالنا ان ننتهز هذه الفرصة لنكتب فصلًا في الاسطول العثماني فنروي ما يحضرنا من تاريخه الماضي واحواله الحاضرة مستندين كمألوف عادتنا الى اوثق المصادر واصدق الرواة

لمّا اشتدّ ساعد بني عثمان واخذت دولتهم تتقدّم ظافرةً الى نواحي بوزنطية وسواحل اوربّا الشرقيّة وشواطئ آسية الغربيّة احسّت بحاجتها الى السفن لتصون املاكها من الاعداء وتوسع نطاق فتوحاتها في البحر الابيض اي المتوسط والبحر الاسود اي بحر بنطس. فسعى خلفاء السلطان عثمان الغازي بانشاء عمارة لهذه الغاية. ويخبر التاريخ انّ بايزيد الاوّل وجّه في اواخر القرن الرابع عشر عمارةً تتألف من ستين سفينة فغزت ساقس وبعض جزائر اليونان ثم عادت بالغنائم

الّا انّ حاجة الدولة التركيّة الى اسطول عظيم اضحت امسّ والزم بعد ان فتح محمّد الثاني الغازي مدينة القسطنطينيّة فعرف انّهُ لا يستطيع ان يطمئنّ بالًا ويرتاح فكرًا ما لم تقم في وجه اعدائه المراكب البحريّة المجهّزة بكلّ ادوات الحرب وكان اختبر بنفسه هذه الحاجة لمّا حاصر القسطنطينيّة ولولا سفن حربيّة نقلها بالبرّ من بشكتاش الى قرن الذهب لمّا تمّ لهُ الفتح

فلتحقيق امنيّته امر بتعمير سُفُن عديدة كانت تُعرف في تلك الأيام بالاغربة والشواني والبطس واستدعى لتدبيرها قوماً من الجنويين كانوا يسكنون غلطة فاستأجرهم لخدمة الدولة. فكانت هذه السفن تحمل مرّة بعد اخرى على جزائر البحر فتعود ظافرةً

ولم تزل البحريّة العثمانيّة في ترقٍّ متواصل حتى بلغت في القرن السادس عشر اوج عزّها ففتح سليمان الثاني الغازي المعروف بالقانوني جزيرة رودس واستولى على جزائر البندقيّة وتملّك ابنهُ السلطان سليم الثاني جزيرة قبرس وكانت وقتئذٍ سفن الدولة التركيّة تنيف على الثلثمائة عدًّا ولعلها كانت دوّخت السواحل الاوربيّة كلّها لولا اتّفاق اسبانية وجنوة والبندقيّة فانتصرت عمائرهم في ليبانتي على الاسطول العثماني وحطّموا مائتي سفينة من سفنهِ واغرقوا ثلاثين الفاً من بحّارتهِ

الّا انّ العثمانيين لم يفشلوا البتة بل تسارعوا الى تجديد اسطولهم بسرعة غريبة واستأنفوا الحملة على مستعمرات البندقيّة والجأوهم الى تأدية الجزية فامكن امير العثمانيين سوكولي ان يقول لوفد البنادقة: « انكم في واقعة ليبانتي قطعتم لحيتنا وها هي تنبت امّا نحن فقطعنا لكم احدى ذراعيكم بفتح قبرس والذراع لا تنبت »

وبقيت الرئاسة البحريّة لآل عثمان حتى اواخر القرن السابع عشر فانّ السلطان ابراهيم الاوّل الغازي ارسل لفتح كريت سنة ١٦٤٤ بعثةً تشتمل سفنها على ٤٠٠ مركب شراعي ولم تزل تضايقها سنين طويلة حتى اتمّت فتحها في عهد محمد الرابع سنة ١٦٦٩ على يد الوزير احمد كبرلي

وكانت الدولة العليّة قسمت عمارتها الى ثلاثة اساطيل كان اعظمها عددًا وقوّة على نهر الطونة. والثاني في بحر بنطس. والثالث في البحر المتوسّط وكانت سفنها على هيئات واحجام شتى منها شراعيّة ومنها ما يسير بالتجذيف وكانوا يتّخذون لصنع سفنهم بُناة من اهل سواحل البلغار واليونان والشام وكان للدولة مصنع شهير في بيروت خرجت منهُ عدّة مراكب حربيّة

ثمّ اخذت روسيّة في القرن الثامن عشر تضايق الدولة العثمانيّة برًّا وبحرًا وانتهزت لذلك فرصة الانقسامات التي رأتها في الدولة فضعفت بسببها تركيا وسهت عن اسطولها بينما كان المسكوب يضاعفون الغيرة لتحسين بحريّتهم. فلمّا كانت سنة ١٧٧٠ نازل الاميرال الروسيّ اورلوف مع احد امراء الانكليز الاسطولَ التركي في جسمه في برّ الاناضول جنوبيّ غربي ازمير فكان انتصارهما عليهِ ضربةً لازبة اذ خسرت تركيا ٢١ مركبًا كبيرًا و٥٠ صغيرًا ولم تهتمّ في التعويض عنهما الّا اهتمامًا ضعيفًا لما كانت عليهِ الماليّة العثمانيّة من التقهقر. فلمّا انتشبت الحرب بين الدولة

واليونان في القرن التاسع عشر وجد اليونان الاسطول العثماني على غير أهبة للقتال فكرّروا على سفنهِ والسفن المصريّة الحملات حتى كادوا يلاشوها خصوصاً في ناڤارين سنة ١٨٢٧ حيث آزرت الدول الاوربيّة دولة اليونان ثم منحوها الاستقلال التام. وكان عبدالله باشا وخسرو باشا وغيرهما من الامراء حاولوا ان يصلحوا العمارة التركيّة ويجعلوها بمثابة العمارات الدوليّة الّا انهم لم يلقوا اذناً صاغية

ولم تتحسّن حالة الاسطول العثماني الّا قليلًا في عهد السلطانين عبد المجيد وعبد العزيز وبلغت اسوأ حال في أيام عبد الحميد. قيل انّ هذا السلطان الخليع كان ناقماً على بحريّة دولته لانّهُ كان يذكر انّ ضبّاطها شاركوا اصحاب الثورة التي قلبت عبد العزيز سلفهُ فكان يخاف ان يفعلوا بهِ فعلهم بسلفه فلم يتدارك خللها طول عهدهِ. وبقي الاسطول راسياً في قرن الذهب لم يخرج منهُ الّا ليستقبل غليوم الثاني عند زيارتهِ للسلطان سنة ١٨٩٨ ثم ليشيّعهُ عند رجوعهِ. وممّا يُخبر ان سفن الاسطول لم تَعُد تصلح الّا لتُلقى بين العاديّات المهمة وكان اميرها حسن باشا حاظياً لدى مولاه لموافقتهِ على خمول البحريّة وسقوطها. وكانت المراجل ومعظم اجهزة الاسطول لا تقوم بوظائفها وقد رأينا في بيروت النسّافة التي انفجرت يوم رامت الخروج من المرفأ فاودت بحياة كثيرين

وبقيت الامور على هذه الحالة الى السنة ١٨٩٧ فحدثت حرب تسّالية فاجر الكولونل ڤاسوس الى كريت وانزل جنودهُ اليها دون ان يبدي الاسطول العثماني حراكاً. فقام الرأي العام لهذا النبأ وتعد وتصاعدت جلبة الجرائد معيّرة للبحريّة فخاف عبد الحميد من ثورة في العاصمة وامر بان تذهب العمارة الى كريت فخرجت في ١٨ من شهر آذار وفي ٢٠ منهُ وهي تتألف من ١١ بارجة واربع مدرّعات ونحو ١٠ نسّافة او معاكسة للنسّافات او مراكب شحن الّا انّ هذه السُفن ما كادت تبلغ جون بزيكا حتى رأت انها لا تستطيع ان تقضي حركة هجومية او دفاعيّة لنقص ذخائرها وعتق ادواتها وقلّة تدريب جنودها فاسرعت الى الرجوع الى الدردنيل (١

(١) اطلب كتاب كولمار فون در غولتس في حرب تسّاليّة (K. Fr. von der Goltz: Der Thessalische Krieg u. d. Turkische Armee)

وكان للدولة اسطول آخر يدعونهُ بالاحتياطي الّا انهُ لم يتحرَّك مطلقاً من مقامهِ في بحر الدردنيل وكانت قطعهُ كلها بالية

فما صار الانقلاب العثماني الاخير وفاز الدستور حتى ادرك أولو الامر انَّ تركيا تحتاج الى تقوية جيشها برًّا وبحرًا امَّا جيش البرّ فيعلم الكلّ ما نالهُ من التحسينات المهمَّة منذ ثلاث سنوات وليس فكرنا ان نصف هنا رقيَّهُ فيترتَّب علينا ان نذكر فقط ما يتعلق بشأن الاسطول ونبيّن ما صار اليهِ بعد سقوطهِ الى الحالة التي رأيناها عليها بهمَّة ارباب الامر فنقول:

انَّ فنّ الحرب البحريَّة في عهدنا يتوقَّف خصوصاً على قوَّة السُّفن الحربيَّة وسرعتها وافضل تلك السُّفن المدرَّعات (cuirassés) وهي على هيئات مختلفة بينها الشكل المستحدث المعروف بدريدنوت كلها مصفحة بالفولاذ وتُسلَّح بمدافع ذات عيارات شتى يبلغ بعضها ٣٠٠ ملِمتر بنيِّف وحمولها ٢٠,٠٠٠ طنّ. وبعضها يعزّز بالابراج. ومنها الطرَّادات او القواطع (croiseurs) وهي اخفّ سرعةً من المدرَّعات. امَّا تجهيزها بالمدافع وحمولها فلا يكادان يختلفان عن تجهيز الدوارع وحمولها وهي مصفَّحة مثلها. ومن هذه الطرَّادات ما يُتَّخذ خاصَّة لمراقبة العدو والكشف (avisos). ومنها البوارج (corvettes) ومنها المدفعيات (canonnières) لرمي القنابل خاصَّة. ومنها النسَّافات (torpilleurs) لرمي الطوربيل وهي القذائف المتفجرة في الماء تحت السُّفن فتدمرها. أُنشئت لمعاكستها المضادَّة للنسَّافات (contre-torpilleurs). ومنها الغوَّاصات المعروفة (sous-marins). فكلّ هذه السفن الحربيَّة تترقَّى يوماً بعد آخر وتتشكَّل اشكالًا متعدّدة (١ وهي تُعَدّ بلا فائدة ولا جدوى اذا زاد عمرها على عشرين سنةً كأنَّها بلغت هرمها وفقدت قوَّتها فلا تعود تصلح لحرب

كان الاسطول العثماني وقت اعلان الدستور يتألف من ٥٨ قطعة ٧ مدرَّعات و٤ بوارج و٤ طرَّادات و١٥ نسَّافة و٢٤ معاكسة للنسَّافات وبعض سفن نقَّالة لكنَّ هذا الاسطول مع كثرة عدد سفنهِ كان مهلًا لا يستطيع معظمهُ مباشرة

١) راجع مقالةً حسنة في ترقي فنّ الحرب البحريَّة لحضرة الاب هـ. لامنس كتبها في السنة الاولى للمشرق (ص ٥٢٩–٥٣٦) وزينها بتصاوير

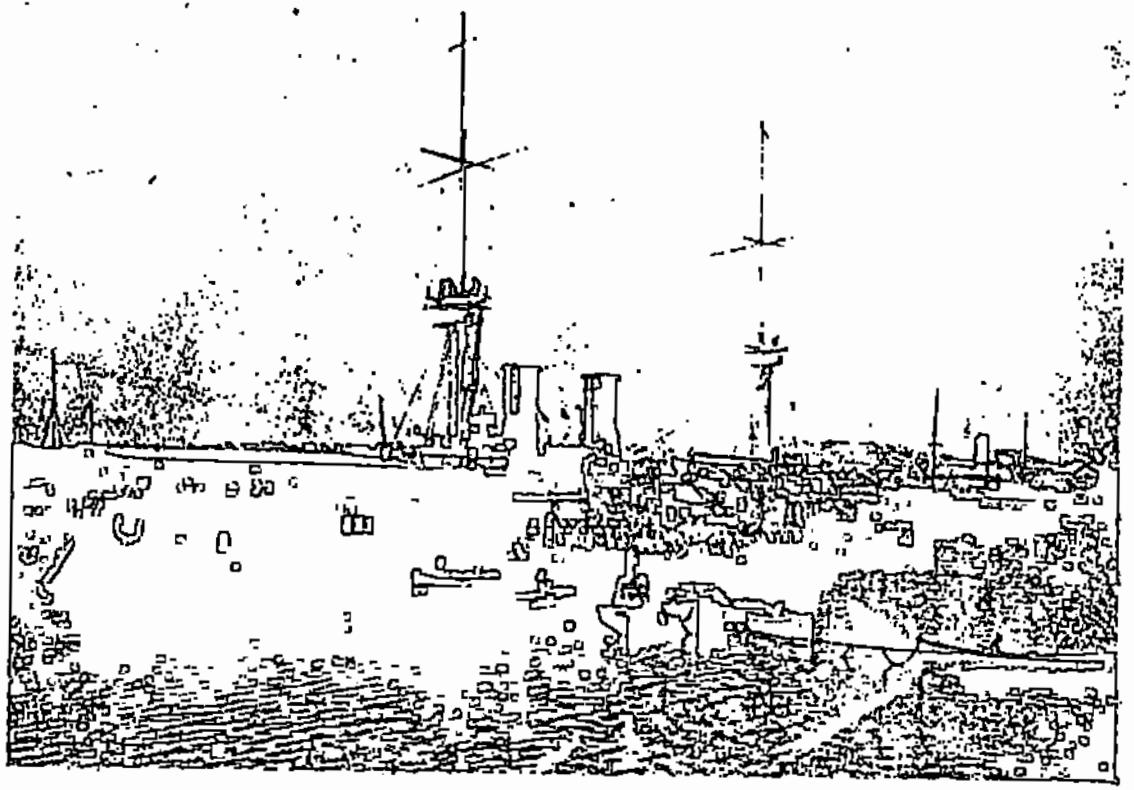

الدارعة العثمانيّة خير الدين بربروس

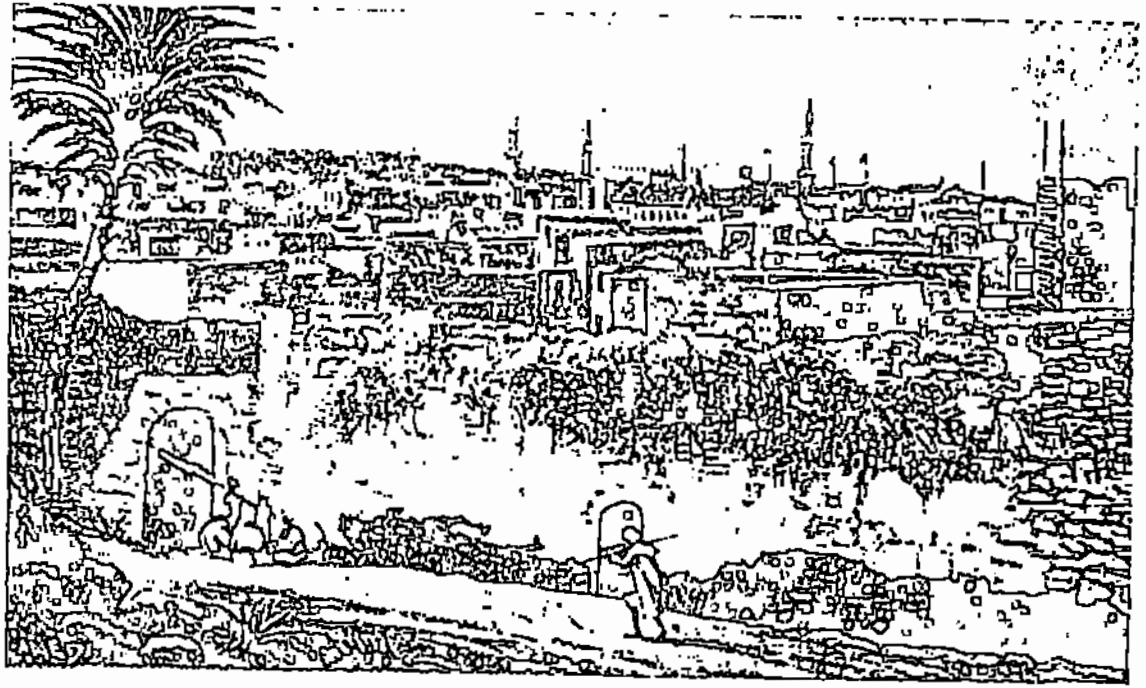

مدينة طرابلس الغرب عن صورة شمسية

حرب. فانَّ الاربع المدرَّعات اورخانية وعثمانيَّة ومحموديَّة وعزيزيَّة كانت عتيقة أُنشئت سنة ١٨٦٤ ثمَّ رُمِّمت سنة ١٨٩٥ لكنَّ ترميمها لم يُفدها افادة عظيمة وبقي تجهيزها ناقصاً مخلًّا حتى انَّ لائحة السفن الدوليَّة (Taschenbuch) اهملت ذكرها في السنة ١٩١٠ . وكذلك الثلاث الباقية وهي آثارى توفيق ومسعوديَّة وحميديَّة بطيئة السير مختلَّة التسليح والجهاز الحربي عتيقة البناء. فآثارى توفيق قد خُصَّت اليوم بتعليم المتجنِّدين حديثاً. ومسعودية وحميدية لا تقومان في وجه عدوّ لضعفهما

امَّا البوارج الاربع: فتحي بولند وعون الله ومعينيْ ظافر ومقدمي خير فتاريخ انشائها سنة ١٨٦٧ و١٨٦٩ ثمَّ اصلحت سنة ١٩٠٤ في جنوة والمانية غير انَّ اصلاحها لم يتلافَ كثيراً من نواقصها اذ انَّ حمولها من ٢٠٠٠ الى ٥٠٠٠ طنّ فقط وسرعتها لا تزيد عن ١٢ عقدة في الساعة وتسخينها بالحديد العاديّ دون الفولاذ وقد تأسَّف بعض المخلصين الودّ للدولة العثمانيَّة على ما صرفتهُ جزافاً في هذا الاصلاح بدلاً من اتخاذ بارجة متوسطة من الطرز الجديد تفيدها اكثر من البوارج المصلحة

امَّا النسَّافات والمعاكسة للنسَّافات فكانت احسن حالاً يمكنها اذا تولَّى تدبيرها رؤساء وجندٌ حاذقون ان تأتي بأعمال حربيَّة مرضية. وكذلك كان لتركيا طرَّادان صغيران حسنان اسمهما مجيديَّة وعبد الحميد أُنزلا الى البحر في سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٣ فهما حديثا العهد لكنَّ محمولهما ضعيف وتصفيحهما لا يقيمهما من قذائف العدوّ

وبالاجمال لم يخلِّف عبد الحميد للحكم الدستوري بحريَّة منظَّمة شديدة فكان من الواجب على اهل الانقلاب العثمانيّ ان يستدركوا الامر بكل سرعة والحقّ يقال انَّ الدستوريين لم يدَّخروا وسعاً في سدّ هذه الثلمة فما كادوا يقبضون على زمام التدبير حتى عقدوا جماعةً لاصلاح البحريَّة وتجديد الاسطول. وزاد اهتمامهم لمَّا رأوا انَّ اليونان اصلحوا اسطولهم وجدَّدوا دارعتهم بسارا وانهم اضافوا الى دوارعهم طرَّاداً كبيراً تساوي قيمتهُ ثلاثين مليوناً من الفرنكات اوصوا بهِ في ليثورنة عند اورلندو محمولهُ ١,٢٠٠ طنّ وسرعتهُ ٢٤ عقدة فللحال خصَّص

المجلس العثماني ١١٥ مليوناً لتعزيز الاسطول فكان اوّل ما استحضرتهُ الدولة دارعتين المانيّتين « براندنبرج وكورفرست فردريك وليام » طولهما ١٠٨ امتار وعرضهما ١٩,٥ متراً وقوّتهما ١٠,٠٥٠ حصان بخاريّ أُنشئتا سنة ١٨٩٦. ثمّ جُهّزتا تجهيزاً حديثاً سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٥ وهما مصفّحتان بصفائح من الحديد المذوب ومزيج الفولاذ والنيكل سمكها بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ ملّيمتر فابتاعتهما الدولة العثمانيّة من حليتها بثمن ١٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك ودعتهما طورغود وخير الدين بربروس (انظر صورتها) وهما اللتان حضرتا مؤخّراً الى بيروت. ثم امرت محل انسالدو في جنوة في ابتناء طرّاد من جنس طرّادها « عبد الحميد » وطلبت من مصنع الماني اربع نسّافات وابتاعت من انكلترّة اربع سفن معاكسة للنسّافات

وقد رأى الاختصاصيّون انّ هذه السفن الحربيّة كافية للقيام في وجه اليونان والدفاع عن سواحل البلاد الّا انّ وزارة البحريّة لم ترضَ بالدفاع فقط بل فكّرت ايضاً في الهجوم ففي اوائل الصيف من السنة المنصرمة ١٩١٠ امرت الدولة بانشاء دارعتين كبيرتين محمولها ١٥,٠٠٠ طنّ وسرعتهما ٢١ عقدة مع ٢٦ مدفعاً بينها ستّة مدافع فوهتها ٣٠٥ ملّيمترات وستّة ١٥٠ ملّيمتراً واربع عشرة ١٠٠ ملّيمتر تُصنعان في انكلترّة عند فكرس ومكسيم ثم عند ارمسترنغ وستدعى احدى الدارعتين باسم عبد القادر ثم طلبوا ايضاً انشاء طرّاد محمولهُ ١٠,٠٠٠ طنّ وسرعتهُ ٢٤ عقدة مع ستة مدافع فوهتها ٢٣٦ ملّيمتراً

وممّا اشار اليهِ الكومندان دي بالنكور (١ في كتابهِ عن الاساطيل الحربيّة الدوليّة لسنة ١٩١٠ انهُ شاع انّ تركيا اتّفقت على انشاء اسطول عظيم من شأنهِ ان يجعلها في جملة الدول البحريّة الكبرى فاتّخذت لها داري صناعة في الارخبيل وبحر مرمرا وعوّلت على ان تنشئ لها في مدّة تتراوح بين ٨ الى ١٠ سنين ستّ مدرّعات او طرّادات مصفّحة و٢٤ مدفعيّة او سفن محافظة على امن السواحل ثم ٢٠ معاكسة للنسّافات و١٢ نسّافة مع ٦ غواصات وحاملتين للغُوم (porte-mines) فاذا تمّ هذا المقصود اصبح الاسطول العثماني من جملة الدول البحريّة الثانويّة واذا انضمّ الى دولة اخرى رجّح انتصارها

١) اطلب COMMANDANT DE BALINCOURT: Les Flottes de Combat

ومما يُضاف الى هذه السفن ١٣ نسافة تقدمت الدولة باعدادها اثنتان منها من شكل الطرّادات

وخلاصة القول انّ مجموع الاسطول العثماني الجديد ٤٢ سفينة حربيّة مجهّزة للقتال يبلغ محمولها ٥٦,٧٨٩ طنًا وقوّتها ١٢٢,٢٢٠ حصاناً بخاريًا ومدافعها ٣١٨ مع ٧٧ اسطواناً لقذف الطوربيل. ومجمل البحارة الذين على هذه المراكب نحو ستة آلاف جنديّ. امّا السفن التي في المصانع ويُنتظر تجهيزها بعد مدّة فمجموعها ١٩ يكون محمولها ٢٨,٢٤٣ طنًا ومدافعها السريعة الاطلاق ٢١٨

هذا الى عدّة مراكب لشحن الذخائر ونقل الجند ومراقبة السواحل بعضها برقّاس وبعضها بدواليب بالغ عددها نحو السبعين. فترى انّ للدولة العليّة حقًا ان تجعل الآمال الطيّبة على اسطولها وانّ ما صنعتهُ منذ اعلان الدستور يوجب لها الشكر من قبل رعاياها وهم يتمنّون ان يكون النصر حليف عمارتها وجيوشها البريّة معاً وذلك ما بعث فيهم الحمية حتى رفعوا بسخاء المبالغ الطائلة لخدمة الاسطول وقد بلغ الحبّ الوطني في قلب بعض اهل ازمير الى ان يجهزوا سفينةً حربيّة باسمهم يهدونها الدولة وامكن احدى جرائد الاستانة ان تجمع ١٣٠,٠٠٠ ليرة بالاكتتابات الخفيفة. اكثر الله عدد المحسنين وجازاهم خيرًا لتفانيهم في سبيل الوطن العزيز. وعسانا نردّد قريبا في مدح اسطولنا ما كتبهُ الشاعر المفلق معروف افندي الرصافي في وصف الاسطول الياباني حيث قال من قصيدة عامرة الابيات:

فحداها بوارجاً تملأ البحـ ـرَ وفارًا طورًا وطورًا بُوسا
كلّ نحّارة اذا حرّكت دُفّـ ـاتها خضخضتْ بهِ القاموسا
مذ بنوها لهم كتيبة حرب تخذت كلّ مدفع ناقوسا
ألبسوها من الحديد وشاحاً فتبادتْ على العُباب عروسا
واذا تنشرُ البنود بنود النصـ ـر فيها تخالها الطاووسا
واذا جنّها على البحر ليل اطلع الكبرياء فيها شموسا
قد ابى بأسُها الشديد سوى النو رَ فذاً درعاً لجسمها ولبوسا
سيّروا البرق يومئذٍ رسولاً صادقاً ليس يعرف التدليسا
فهو فيها لسان صدق يؤدّي دون سلك كلامها المأنوسا
جهّزوها مدافعاً نفرت افـ ـواهُ نارٍ قد التقمنَ الشوسا

دلعتْ السنّا من النار حمرًا ويلَ من قد غدا جا ملحوسا
ترسل الموت من قنابلها كالشهب ذريًا مستأصلًا عتريسا
طالما باضجارها انفلق البحر انفلاقًا مذكّرًا عهد موسى

او نكرّر باختيار قول الشاعر المصري الكبير حافظ افندي ابراهيم في الاسطول العثماني:

حيِّ يا مشرقُ أسطولَ الأولى ضربوا الدهر بسَوْط فاستقاما
ملكوا البرَّ فلمّا لم يسع مجدهم نالوا من البحر المَراما
بجوارٍ مُنشآت كالدُّمى اينما سارتْ صبا البحرُ وهاما
كلّما ارتفت على امواجه سجَدَ الموجُ خشوعًا واحتشاما
كان بالبحر اليها ظمأٌ وعجيبٌ يشتكي البحر الأُواما
فهي في السِلْم جوارٍ تجتلي شهرُ الدينَ رواءً ونظاما
وهي في الحرب قضاءٌ سابحٌ يدعُ الحصن تلالًا ورجاما
وهي بركان إذا ما هاجها هائج الشرّ عداءً وخصاما
فاتقوا الطَّود مكينًا راسيًا واتقوا الطود اذا ما الطودُ عاما
حملت حربًا فكانت حقبةً نُذُرًا للموت يجتاح الاناما
خافها العالم حتى اصبحت رسلًا تحمل أمنًا وسلاما

كنائس

النصارى في دمشق عند الفتح الاسلامي

نقلًا عن تاريخ دمشق لابن عساكر

راجعنا في اواسط الشهر المنصرم في مكتبة الملك الظاهر القسم الاوّل من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر فنقلنا عنهُ في ظهر الصفحة ١٧٢ (172) فصلًا كتبهُ في كنائس دمشق التي ابتناها المسلمون للنصارى بعد الفتح على يد خالد وابي عبيدة سنة ١٥ هجرية (٦٣٧ م) وها نحن نورده لافادته التاريخية مع الضرب عن بعض حلقات اسانيده واشرنا الى بعض الغلط نسبها الكاتب او وجب اصلاحها لانَّ في هذه النسخة المطبوعة عدّة اغلاط ل . ش

﴿ ذكر عدد كنائس اهل الذمّة التي صالحوا عليها من سلف من هذه الملة ﴾

اخبرنا ابو محمّد هبة الله بن الاكفاني (١ . . . عن رجا بن ابي سلمة قال: انَّ عمر بن

١) اطلب ترجمتهُ في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (éd. Amedroz, p. 227)

عبد العزيز قال: انهُ كان في عهد دمشق خمس عشرة كنيسة. (قال): حدثني ابو مسهر قال: اقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنى (١بطريقاً فاقرُّوا في منازلهم وكان لكل بطريق منهم بمنزلهِ كنيستهُ فاقاموا بها حيناً ثمَّ بدا لهم فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل فأقطعها قوم من اشراف دمشق منهم مجدل (بجدل) وابن مدبح (كذا) العذري (173r) وغيرهما فلمَّا ولي عمر بن عبد العزيز اخرج اولادهم منها وردَّها على الاعاجم فلمَّا مات عمر رُدَّت الى اولاد الذين اقطعوها

(قال) واخبرني... عن رجا بن ابي سلمة قال: خاصم النصارى حسَّانَ بنَ مالك الكلبي الى عمر بن عبد العزيز في كنيسة دمشق فقال لهُ عُمر: ان كانت من الخمسة عشر (كذا) كنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك اليها. قال ابن المعلى... عن ابن ابي حَمَلة قال: خاصمت العرب في كنيسة بدمشق يقال لها كنيسة ابن نضر (نصر) كان معاوية اقطعهم اياها فاخرجهم عمر بن عبد العزيز منها فدفعها الى النصارى فلمَّا ولي يزيد ردَّها الى بني نصر (٢

قال ابن المعلى: وقرأت كتاب سجل بن يحيى (٣ بن حمزة لتينك (كذا) نصارى قصَّة دمشق انهُ ذكروا لهُ انهُ سحر (كذا) بينهم وبين رئيسهم في دينهم وجماعتهم من اهل القرى وعتاقة العرب والعرب اختلاف وفرقة وانهم غلبوهم على كنائسهم وسألوا الوفاء بهم بما في عهدهم وكتابه الذي كتبهُ لهم خالد بن الوليد عند فتح مدينتهم فدعوتهم بحجَّتهم فاتواني (فاتوني) بكتاب خالد بن الوليد لهم فيهِ: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها اعطاهم اماناً لانفسهم ولاموالهم وكنائسهم لا تهدمهُ ولا نسكنهُ لهم على ذلك ذمَّة الله وذمة الرسول (الرسل) عليهم الصلاة والسلام وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين الَّا يعرض لهم احد الَّا بخير اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد هذا الكتاب يوم كُتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن ابي سفيان وابو عبيدة بن جرَّاح ومعمر بن غياث وشرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبيشة وعبد الله بن

١) كذا. ولعلَّهُ اراد: اثنا عشر

٢) اطلب فتوح البلدان للبلاذري (ص ١٢٢)

٣) كذا. ونظنّ الصواب كما جاء في البلاذري: كتاب ابي مَسهر عن يحيى...

الحرث وقضاعي بن عامر . وكتب في شهر ربيع الاوّل سنة خمس عشرة ». فقرأت كتابهم فوجدتهُ خاصّة لهم وبحثتُ (وفحصتُ) عن امرهم فوجدت فتحها بعد حصار ووجدت ما وراء حيطانها لرفعة الجبل ومن كثرة الرماح ونظرت في خرقهم (حرمتهم ؟) وظيئة عليهم خاصة دون غيرهم فقضيتُ لهم بكنائسهم حين وجدتهم اهل هذا العهد وابناء البلد بنكا (كذا) بلداً ووجدتُ من نزاعهم لفيفاً طرقاً عليهم وذلك لو انهم اسلموا بعد فتحها كان لهم صرفُها مساجد ومساكن فلهم في آخر الدهر ما في اوّلهِ وقضيتُ لمن نازعهم بما كان لهم منها من خليّة او ابنية او كنيسة : او كسوة او بناء او عرصة اضافوا ذلك اليها يُدفع ذلك اليهم باعيانهِ ان قُدر عليهِ او قيمة عدل يوم ينظر فيه شهدهُ (شهودهُ ؟)

عدد كنائس النصارى التي دخلت في صلحهم بدمشق خمسة عشر (كذا) كنيسة في قبلة المدينة كنيسة اليعقوص (كذا) وكنيسة بحضرة (كذا) وكنيسة القسلاط وكنيسة بحضرة زين بن ابي حكيم وكنيسة بحضرة سوق الفاكهة وكنيسة بحضرة بني لجلاح (كذا) وكنيسة مريم وكنيسة اليهود . وفي شام (شمال) المدينة كنيسة القلانس وكنيسة بوحا (يوحا او يوحنا) التي بنيت مسجداً وكنيسة حميد ابن درّة وكنيسة بحضرة دارا بن زرناق وكنيسة الصلّبة

وممّا وجدت كنيسة بناها ابو جعفر المنصور لبني قطيطاني الفوريق (كذا) . وممّا وجدت ايضاً كنيسة العبّاد . امّا كنيسة العيقوس (كذا) فهي التي كانت خلف الحبس الجديد يدخل اليها من الاكافين (؟) التي هي اليوم من سوق على الدرب الذي فيه اقين حمام الاكافين ومن درب السوسي قد بقي من بنائها بعضهُ وقد خربت منذ دهراً (كذا) . وامّا كنيسة القسلاط فخربت ايضاً وقد كان بقي من قناطرها وعمدها بعضها فنُقلت احجارها فأُدخلت في العمارات وامّا التي عند زين بن حكيم فهي التي في رأس درب القرشي وهي صغيرة بعضها (173v) باقي الى اليوم وقد تشعّث . وامّا التي بسوق الفاكهة فكانت في دار سطح فخربت . وامّا التي بحضرة دار بني لجلاح فهي التي كانت في درب بني قضرس (كذا) درب الحبّالين ودرب التميمي وادركتُ من بنائها بقايا خربت اكثرها . وامّا كنيسة مريم فمعروفة باقية واكبر ما بقي من الكنائس . وكنيسة اليهود عند الخير باقية وقد كانت

لهم كنيسة اخرى في درب البلّاعة لا ذكر لها في كتاب الصلح جُعلت مسجدًا. واما كنيسة مريض (١ فكانت غربيّ القيساريّة النحريّة (كذا) خربت وادركت من بنائها بعض الاساس الحسنة . واما كنيسة بوحا (يوحا) فهي الجامع . واما كنيسة (٢ فكانت في موضع دار الوكالة فخربت واما كنيسة وحا (يوحا) فهي الجامع المعمور اليوم بقي لهم بصفة كنيسة الى ان اخذها الوليد بن عبد الملك كما تقدّم. واما كنيسة حميد (بن) درّة فهي باقية الى اليوم وقد اخربت اكثرها في درب حميد وحميد هو بن عمرو بن مساحق القرشي العامري وامّهُ درّة بن (كذا) ابي هاشم ثم خال معاوية بن ابي سفيان وهو ابو هاشم بن عتبة بن ربيعة كان الدرب اقطاعنا لهُ اقطاعاً لهُ فنُسبت الكنيسة اليهِ وهو مسلم. واما الكنيسة التي عند دار ابن زرناق فهي المعروفة اليوم بكنيسة اليعاقبة في نواحي باب توما بين وحبة خالد ابن اسيد بن ابي العاص وبين طلحة بن عمرو بن مرّ الجهنيّ واما الكنيسة المصلّبة فهي باقية لهم الى اليوم بين باب الشرقي وباب توما قرب القنطاس (كذا) عند السور وقد خربت اكثرها وبعد ذلك هُدمت بعد الثمانين. واما الذي كانت أُحدثت في الفرديق فهي التي جعلت مسجدًا عند درب ويستي اليوم مسجد الجنيق. واما كنيستا العبّاد فهما اللتان احداهما عند دار ابو (كذا) الماشلي وقد جُعلت مسجدًا والاخرى التي في راس درب النعاشين قد جُعلت مسجدًا

(المشرق) فمن هذه الكنائس الخمس عشرة التي عدّدها ابن عساكر لم تُعرف اليوم غير كنيسة بوحا وهي كنيسة مار يوحنّا التي اتّخذها الوليد بن يزيد كالجامع الكبير المعروف اليوم بالجامع الاموي. وغير كنيسة مريم او الكنيسة المريمية قيل ان عُمر بن عبد العزيز اعطاها النصارى تعويضًا عن كنيسة مار يوحنّا فاتقنوا بناءها وعادوا فعمّروها مرّة اولى بعد خرابها سنة ٦٥٨ه (١٢٦٠ م) ثمّ مرّة ثانية بعد ان اخربها تيمورلنك سنة ١٤٠٠ ثم ثالثةً بعد حرقها سنة ١٨٦٠ وهي كنيسة الروم الارثدكس حاليًا. امّا بقيّة الكنائس فلم يبقَ منها اثر في عهدنا الّا ان الكتبة كالطبريّ وابن القلانسيّ والبلاذري ذكروا كنيسة توما وكنيسة المتلاط وكنيسة اليعاقبة وغيرها ممّا بادَ ذكرهُ

---

١) ولعلّهُ البريص كما ورد في البلاذري (ص ١٢٢) واستشهد ببيت لوعلة الجَرْمي

٢) هنا بياض في الاصل

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في اليمن (تتمّة)

ولنا حتى اليوم دليل حسّي على تأثير نصرانيّة الحبشة في العرب ألا وهو ما دخل في اللغة العربيّة من الالفاظ الدينيّة الحبشيّة بعضها حبشيّ الاصل كالمنبر والمصحف والحواريّ والمنافق والفاطر (اي الخالق) والجبت (اي الصنم) والشيطان والزّار وبعضها يوناني او سرياني وعبراني لكنّهُ دخل في العربيّة بواسطة الحبش كما تدلّ عليه صورته الحاضرة كالانجيل وجهنم والتابوت والقلم والحرم والجنّ والرقية. وللعلّامة المستشرق نولدك بحث خصوصيّ في هذه الالفاظ (١

وكان شيوع الخطّ المُسند وهو الخطّ الحميري في بلاد العرب بفضل الحبشة واشتقاقهُ من الخطّ الحبشي القديم ظاهر. نقلوهُ الى اليمن في التاريخ السابق للميلاد ثم استعملوهُ في كتاباتهم الحجريّة الى ظهور الاسلام قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧١) عند وصفه كنيسة القُلَيس لابرهة كان كتب على بابها بالمُسند: « بنيتُ هذا لك (اللهم) من مالك ليذكر فيه اسمك وانا عبدك »

وفي مدّة ولاية الحبش على اليمن رحل الى الهند قبيل الرحّالة Cosmas Indicopleustes (نحو السنة ٥٣٥ فعدّد ما وجده من الكنائس في طريقه وانتشار النصرانيّة في اواسط الشرق واقاصيه وقد خصّ بينها بلاد اليمن حيث قال ما تعريبهُ (٢ : « انك حيثما سرت تجد كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين اهل عربيّة السعيدة الذين يدعون بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً وبين النبط وبني جرم . . . »

---

١) اطلب Th. Noeldeke: *Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenschaft*

٢) اطلب مجموع آباء اليونان (Migne, P. G., t. LXXX, col. 169)

وان سأل السائل اكانت النصرانيّة في اليمن مستقيمة خالية من البدع. الجواب انّهُ من المرجّح انّ دينهم كان في اوّل الامر خالصاً من كلّ شائبة وكاثوليكيًّا محضاً لانّ الامبراطور يستينوس وخلفهُ يستنيانوس لحسن ديانتهما ما كانا ليسمحا للحبش ان ينشرا في بلاد العرب غير الايمان الارثذكسيّ الموافق لتعليم المجامع الاربعة الاولى. يثبت ذلك تكريم الكنيسة لملك الحبشة أَلِصْبان الذي كان مالكاً في وقت فتح الحبشة لليمن ثمّ جلوس جرجنسيوس على كرسي اساقفة صنعاء وهو قديس تكرمهُ الكنيسة لقداستهِ. ولكن يظهر ايضاً انّ بدعة اوطيخا سرت الى جهات اليمن وكدّرت صفاء ايمانهم فانّ الحبشة في القرن السادس جنحوا الى تعاليم اليعاقبة فلا بُدّ ان اضاليلهم انعكس صداها بين العرب. والمؤرخون اليعاقبة قد بالغوا في ذكر شيوع هرطقتهم بين اهل اليمن كما يُستدلّ من تاريخ يوحنّا الآسيويّ (١ وكما نقلهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨)

على انّ العُنصر العربيّ وسلالة ملوك اليمن لم يعودوا يطيقون نير الاجانب عليهم لاسيّما بعد موت ابرهة وقتل ابنيهِ يكسوم ومسروق على حمير فتشدّدا على الوطنيين واساءا اليهم الصنع فاخذ امراء حمير يطلبون لهم وسيلة لينجوا من الحبشة. وكان في مقدّمتهم سيف بن ذي يزن فاستنجد بملك الروم وطلب منهُ جيشاً ليُخرج الحبش من جزيرة العرب فلم تلقَ دعوتهُ اذناً صاغية فعدل الى كسرى ملك العجم فنصرهُ بجندٍ من صعاليك دولتهِ تحت قيادة رجل اسمهُ وهرز فظفروا بالحبشة وبدّدوا شملهم وملك سيف بن ذي يزن لكنّ ملكهُ لم يدم زمناً طويلاً اذ فتك بهِ بعض الحبشة. ولم يلبث العجم ان استولوا على اليمن فارسلوا اليهِ عمّالاً يحكمون عليهِ باسمهم كان اولهم وهرز ثمّ خلفهُ باذان وفي عهدهِ صارت اليمن في ايدي المسلمين

امّا النصرانية فانّها لم تمت بنفي الحبشة بل بقيت في عزّها الى ظهور الاسلام. ولعل سيف بن ذي يزن عينهُ كان يدين بها فانهُ ما كان ليلوذ بالقيصر ملك الروم النصرانيّ لو دان هو باليهوديّة كذي نوّاس وكذلك قد مدحهُ الشاعر النصرانيّ اميّة بن ابي الصلت بقصيدتهِ الشهيرة التي اوّلها:

لا يطلبُ الثار الّا كابن ذي يزنٍ في البحر خيّم للاعداء احوالا

١) اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (Assemani; BO, II, 381-386)

ولا شيء في هذه الابيات يُشعر بيهوديَّة سيف. ولو عرف اهل نجران وعرب النصارى في اليمن انهُ ينتصر لليهوديَّة لما مكَّنوهُ من الملك

وعلى ظنّنا انَّ نساطرة العراق انتهزوا فرصة دخول الفرس في اليمن ليبثروا هناك بدعتهم ولعلَّهم كانوا سبقوا الى بثّها قبل ذلك فعزَّزوها. وفي تواريخ النساطرة ما يصرّح بانتشار تلك البدعة في اليمن ومقاومتهم لليعاقبة. وفي كتاب الاغاني (١٠ : ١٤٨) انَّ عشرة من اساقفة نجران قدموا على نبيّ المسلمين وجادلوهُ فدعاهم الى المباهلة وكان رئيساً على نجران رجل اسمهُ السيد (١ فأُعطي الامان هو وقومهُ

واخذ النصارى مذ ذاك الحين يضعفون في اليمن شيئاً فشيئاً ولا سيَّما بعد ان امر عُمَر باخراجهم من الجزيرة استناداً الى حديث يعزونهُ الى محمَّد هذا منطوقهُ: « لأُخرجنَّ اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الَّا مسلماً ». والظاهر انَّ هذا لم يتمّ بالحرف فانَّ لدينا عدَّة شواهد على وجود النصارى في اليمن في ايَّام الخلفاء. فمن ذلك ما ورد في اعمال طيموتاوس الكبير بطريرك النساطرة انَّهُ سام اسقفاً على نجران وصنعاء اسمهُ بطرس في اواخر القرن الثامن (٢ وجاء في كتاب الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ٣٤٩) ان المؤلف اجتمع براهب من نجران في اليمن يدعى حسَّان كان انفذهُ جاثليق النساطرة الى الصين فعاد منها سنة ٣٧٧ (٩٨٨ م) واخبرهُ بعجائبها

وفي القرن السادس عشر ذكر الكاتب الاسباني اورديتو دي سينالتوس (Ordeno de Cenaltos) انهُ في رحلتهِ الى المغرب لقي بعض قبائل عربيَّة احتفت بهِ واكدَّت لهُ انَّ اصلها من قبائل نصارى العرب في اليمن. وقد اخبرنا المرسلون الكبوشيون في عدن سنة ١٨٩٥ انَّهم وجدوا في بعض اهل اليمن آثاراً مسيحيَّة ظاهرة ورثوها من اجدادهم النصارى

الباب السادس

النصرانية في حضرموت وعمان واليمامة والبحرين

انَّ بلاد حضرموت وعمان واليمامة والبحرين مجاورة لليمن فكان ملوك اليمن

١) اطلب التاريخ الكنسي لابن العبري (Barhebræus : *Chron. Eccl.*, II, p. 116)
٢) اطلب مكتبة السمعاني (BO. IV, 609)

اذا قويت شوكتهم طمحوا اليها بالابصار وادخلوها في سيطرتهم. الّا انّ اخبار تلك الجهات نادرةٌ جدًّا لا يُعرف الّا القليل من امورها السياسيّة والادبيّة والدينيّة

﴿ حضرموت ﴾ ومنها بلاد مَهْرة ما وقع من جزيرة العرب شرقي اليمن بين اليمن وبحر الهند. روى ابن خلدون في تاريخهِ (١ اسماء دولة مستقلة ملكت عليها بعد المسيح الى ايام الحبشة فلمّا صارت اليمن في حوزة الحبش ملكوا ايضاً حضرموت ولذلك لم يذكر ابن خلدون لحضرموت امراء بعد دخولهم الى اليمن فنوّهَ بسكوتهِ الى انّها دخلت في حكم الحبش. فلا بُدَّ اذن من ان يُقال انّ النصرانيّة دخلت ايضاً في حضرموت مع اولئك الفاتحين

وزد عليهِ انّ قسماً كبيراً من كندة كانوا يسكنون في حضرموت (٢ ومعلوم انّ النصرانيّة كانت الديانة الغالبة على كندة كما سترى

ثمّ انهُ كان لحضرموت عدّة مدن ساحليّة ذكرها بطليموس الجغرافيّ (٣ كانت تُقام فيها اسواق تجارية تقصدها الروم وغيرهم فكان اهل حضرموت يختلطون بتجار النصارى القادمين من انحاء شتى فيدينون بدينهم. وكان يسكن بعض هؤلاء النصارى الجزائر المجاورة التي لدينا شواهد على نصرانيتها قبل الاسلام بزمن مديد. قال قزما الرحّالة (Cosmas, P. G., T. 88,col. 169): « وفي جزيرة تابروبانا (وهي سيلان ويدعوها العرب سرنديب) في بحر الهند كنيسة للنصارى مع عدد من الاكليريكيين والمؤمنين. وكذلك في مالي (ملبار) حيث يُجنى الفلفل. وفي جزيرة كاليانا استف يُسام في العجم ويُرسل اليها. وفي جزيرة ديوسقوريدس (وهي سقطرى القريبة من سواحل العرب) كذلك اكليريكيون يرسمون في العجم وهناك جمٌّ غفير من النصارى »

وما يدلُّ على علاقات هؤلاء النصارى مع سواحل العرب ما قرأناهُ في كتاب سلمة بن مسلم العوتبيّ الصحاريّ من مخطوطات مكتبة باريس (ص ١٠٦) عن مهرة وسقطرى:

---

١) اطلب تاريخهُ المطبوع في مصر (٢: ٢٥٢) ٢) فيهِ (٢: ٢٥٣)

٣) اطلب جغرافيّتهُ طبعة ديدو (ص) ثم كتاب گلازر (Ed. Glaser: *Skizze d. Geschichte u. Geogr. Arabiens*)

وبجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة وهي جزيرة طولها ٣٠٠ فرسخ وبها العنبر السقطري. . . وكان اهلها من اولاد الروم فدخلوا في نسب القُمر من مهرة وهم معروفون. (قال) وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى وذلك انهم يذكرون انّ قوماً من بلاد الروم طرحتهم بها كسرى فعمروا بذلك الموضع حتى عبرت اليهم مهرة فغلبت عليهم وعلى الجزيرة. (قال) وقد يقولون انهُ لم يكن بها روم ولكن رهبانيّة على دين الروم من النصرانيّة ثمّ دخلتها الشراة من مهرة وحضرموت وقتلوا من بها

وقد بقي قوم من النصارى في سقطرى حتى القرن السادس عشر كما ورد في رسالة للقديس فرنسيس كسفاريوس كتبها عند سفره الى الهند وكان نزل الى سقطرى ورأى فيها بقايا النصرانيّة

ويثبت انتشار النصرانيّة في حضرموت ما جاء في كتاب طبقات ابن سعد في فصل الوفادات فذكر وفد حضرموت واورد قول احد الوافدين اسمهُ كُليب بن اسد:

انت النبيّ الذي كنّا نُخبَّرهُ وبشّرتنا بك التوراةُ والرسلُ

فكفى بهذا دليلًا على وجود النصرانيّة في حضرموت (١

﴿ عُمان ﴾ شمالي حضرموت واقعة على شواطئ بحري الهند والعجم وحاضرتها صُحار وكانت النصرانيّة دخلت اليها بواسطة دُعاة اتوها من العراق. وفي التواريخ الكلدانيّة اسماء اساقفة كانوا في عمان (وهم يدعونها مَزُون) منذ القرن الخامس كيوحنان سنة ٤٢٤ وداود (٥٤٤) وشمويل (٥٧٦) واسطفان (٦٧٦). وفي جملة الرسائل التي بعث بها رسول الاسلام الى الملوك رسالة وجّهها الى ملك عُمان المسمّى جَيفر بن الجلندى من ازد عمان كان نصرانيًّا هو واخوهُ عبّاد ويقال عَبد وعُبَيد. فنصرانيّة الملك تشير الى نصرانيّة البلاد الخاضعة لهُ

وكان في عمان اديرة للنصارى يشير اليها صاحب الاغاني. وجاء في تاريخ ابن الاثير (١: ٢٣٤) انّ قيس بن زهير «لمّا تنصر ساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهّب بها»

﴿ البحرين ﴾ هي البلاد الساحليّة الواقعة في شرقي جزيرة العرب على سواحل خليج العجم حيث مغاص اللؤلؤ الشهير كان اهلها في الجاهليّة من بني عبد القيس وهي احدى القبائل المعروفة بنصرانيّتها قال الشاعر ذو الرمّة في بعض احيانهم (اطلب نسخة مكتبتنا الخطيّة (ص ٥٧):

---

١) اطلب (Wellhausen: *Skizzen u. Vorarbeiten*, IV, 178)

ولكنَّ اصلَ امرئ القيس مشرٌ يحلُّ لهم أكلُ الخنازير والخمرُ

وفي البحرين مغاص اللؤلؤ الشهير الذي لا يزال اهل تلك الانحاء يستخرجون منهُ الدرر الثمينة وقد مررنا بهِ في رحلتنا من بغداد الى الهند . ولاهل البحرين عادات نصرانيَّة تناقلوها اباً عن جدٍّ حتى اليوم ولشار اليها السيَّاح الالمانيون الذين طافوا تلك البلاد كصورة الصليب يرسمونها على جباههم او يطبعونها بالوشم على اعضائهم وكاكرامهم للخبز ذكرًا بالقربان الاقدس . وقد لحظ ذلك منهم احد آباء رهبانيَّتنا منذ ثلاثين سنة في دمشق وكان قوم منهم قصدوها للارتزاق

وكانت بلاد البحرين والاحساء المجاورة لها تحت حكم الفرس منذ ظهور الاسلام وكان اهل الارض كما اثبت ياقوت في معجم البلدان (١ : ٥٠٨) « من المجوس واليهود والنصارى » وكان العامل عليها احد بني تميم المتنصرين اسمهُ المنذر ابن ساوي

وكان للنساطرة في بلاد البحرين اساقفة وخصوصاً في قطر وهم يسمُّونها بيت قطرايا (١ . ويذكرون في مجمعهم الذي عقدهُ سنة ٥٨٥ الجاثليقُ يشوعياب اهلَ البحرين المتنصرين ويأمرونهم بالكفّ عن الشغل يوم الاحد ان امكنهم الامر والَّا اعفوهم من ذلك لاجل الضرورة . وقد ثبت هؤلاء النصارى على دينهم بعد الاسلام كما يظهر من مجمع آخر نسطوري عُقد سنة ٥٧ هـ (٦٧٦ م) دبَّر فيهِ الآباء عدَّة امور دينيَّة . ومنهُ يظهر ان بلاد البحرين كانت حافلة بالكنائس والاديرة ودُعاة الدين وكان اذ ذاك على قدار اسقف اسمهُ توما

وكان لقصبة بلاد البحرين وهي هَجَر اسقف يُدعى اسحاق ذُكر في مجمع النساطرة سنة ٥٧٦ وورد ذكر اسقف آخر يُدعى فوسي سنة ٦٧٦ (٢

ومن جزائر البحرين دَارين ويقال دَيرين ذُكر لها في تواريخ النساطرة ثلاثة اساقفة بولس سنة ٤١٠ ويعقوب ٥٨٥ ويشوعياب سنة ٦٧٦ (٣

---

١) اطلب كتاب المجامع النسطوريَّة المنشور حديثًا (J. B. Chabot: *Synodes Nestoriens*, p. 189 et 448)

٢) اطلب كتاب المجامع المذكور: (Ibid. 387, 482)

٣) فيهِ (Ibid., 482, 618)

ومن مدن الاحساء الخطّ وهي بلدة تُنسب اليها الرماح الخطيَّة وكان الفرس يدعونها بيت اردشير وكان للنساطرة فيها كنائس ذُكر من اساقفتها اسحاق سنة ٥٧٦ وشاهين سنة ٦٧٦ (١

﴿ اليمامة ﴾ وربما سُمّيت بالعَروض والجوّ وتُلحق باقليم الأحقاف هي مفاوز متسعة في الجنوب الغربيّ من عمان بين الاحساء شرقاً والحجاز غرباً كانت قصبتها حَجر بفتح اوّلها مدينة كبيرة. والعرب يجعلون فيها قوماً من الجبابرة من طسم وجديس. وما لا ينكر انَّ النصرانيَّة انتشرت في تلك الانحاء بعد قسطنطين الكبير فان عمرو بن متى في كتاب فطاركة الشرق ذكر ان عبد يشوع السائح بشر بالنصرانيَّة في جهات اليمامة في اواخر القرن الرابع للمسيح

وكان معظم سكّان اليمامة قبل الاسلام بني حنيفة ممَّن يشهد الكتبة المسلمون على نصرانيَّتهم (٢ وكان يملك عليهم قبل ظهور الاسلام بقليل هوذة بن عليّ الذي كان اسر قوماً من بني تميم ثمَّ اطلقهم يوم عيد الفصح كما ذكر ابن الاثير في تاريخه (ج ١ ص ٢٦٠ من طبعة مصر) فقال الاعشى يمدحهُ لفعله:

يم يقرّبُ يومَ الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

على انَّ بعض الكتبة زعموا انَّ بني حنيفة كانوا يعبدون صنماً من عجين ثمَّ اتت عليهم سنة فاكلوهُ فهجاهم البعض بقوله:

اكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربِّهم سوء العقوبة والتباعَهْ

وعندنا انَّ هذه الشكوى باطلة وانَّ الذين نسبوا الى بني حنيفة اكل صنم من عجين انَّما خدعوا بما رأوهُ من تقرُّبهم من القربان الاقدس فان الاصنام لا تُتخذ من العجين ولا تسدّ جوع كثيرين في أيام القحط فضلًا عن كون العجين اليابس العتيق لا يصلح لأكل

وممَّا يدلُّ على نصرانيَّة اليمامة مقاومة اهلها للمسلمين تحت قيادة مسيلمة الذي

---

١) فيو Ibid., 387, 482

٢) اطلب كتاب ارنلد في الاسلام والنصرانية Arnold (J. M.): *Islam, his History and Relations to Christianity* p. 54

عُرف بالكذّاب وكان نصرانيًا هو وسجاح التغلبيّة امرأتهُ . وقيل انّ امر مسيلمة المذكور قد تفاقم حتى خاف المسلمون فتنتهُ وكان يتلو قرآنًا كرسول المسلمين ذكرهُ عبد المسيح الكندي في ردّهِ على الهاشميّ (ص ٨٧ من طبعة اكسفرد) فدخل عليهِ قوم ليلًا واغتالوهُ وكفوا شرّهُ

هذه بعض شواهد على وجود النصرانيّة في البلاد العربيّة المتوسطة بين اليمن والعراق المجاورة لبحر الهند وخليج العجم وفيها دلائل كافية على ما كان للدين المسيحيّ من النفوذ في تلك الجهات التي لم يفدنا عنها المؤرخون الّا الفوائد الزهيدة

(لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

RUDIMENTA LINGUÆ HEBRAICÆ scripserunt Dr C. H. Vosen et Dr F. Kaulen, 9a ed. quam recognovit et auxit Prof. J. Schumacher, *Fribourg, Herder*, 1911, *XI-171, broché* 2f,50

اصول اللغة العبرانية

لهذا الكتاب صفات ممتازة جلبت اليهِ انظار طالبيّ اللغة العبرانيّة حتى انّ طبعهُ أُعيد لتاسع مرّة في هذه السنة . ومن اخصّ هذه الصفات انّ لاتينيتهُ واضحة خالية من كل تعقيد وهو يحتوي من اصول العبرانيّة ما يكفي لفهم الاسفار المنزلة عموماً . وهو على ثلاثة اقسام قسمٌ نظريّ يفسّر صرف اللغة وتركيب جملها . وقسمٌ عمليّ فيهِ منتخبات شتى من الكتب المقدّسة تصلح للترجمة او للتمارين اللغويّة . والقسم الثالث فيه اخصّ المفردات التي يحسن بالدارس حفظها مع معجم للالفاظ الواردة في نصوص الكتاب . فترى انّ هذا التأليف مع صغر حجمهِ ينوب عن عدّة تآليف ويصلح ليس فقط للمدارس التي اعتادت درس العبرانيّة ولكن لكلّ من يحبّ ان يطلع في وقت قصير على فوائد هذه اللغة وخواصّها . وممّا نشير بهِ الى متولي طبعهِ ان يتخذ الامثلة من اجزاء الاسفار المقدّسة النثريّة ويذكر موضعها في التوراة ليعود الدارس اليها في مرجعها ويفحصها في متنها وقرائنها

ب . جزون

DICTIONARIUM SYRIACO-LATINUM, ed. altera. auctore P. J. Brun, s. j., *Beryti*, 1911, in-12, XII-765,

معجم سرياني لاتيني

هذا دليل حسيّ على اعتناء الاوربيين باللغة السريانيّة. فانّ معجم المرحوم الاب يوسف برون طُبع لاوّل مرّة سنة ١٨٩٥ وظهرت اذ ذاك معاجم اخرى من جنسه فاقتضى الامر اعادة طبعه بعد ١٥ سنة فقط. ولمّا كان المؤلف قد انتقل الى رحمة ربّه منذ عشر سنوات كان بودّنا ان نتولّى تصحيح الكتاب كما ساعدناه قبلاً في طبعه الّا انّ وفرة الاشغال اضطرّتنا الى ان نعوّل في هذا الامر على احد علماء المستشرقين البلجيكيين نزيل كليّتنا سابقاً الاب بولس بترس (P. Peeters) اليسوعي من جماعة البولنديين الشهيرة فاجاب الى ملتمسنا بكلّ لطف وما ادّخر وسعاً في معاينة الكتابة واصلاح اغلاطه وتحسينه بزيادة الفاظ عديدة كان المؤلف سها عن ذكرها فجمعها بمطالعته الخاصّة او استفادها من ملحوظات المرحوم المسيو دوفال (M. R. Duval) فجاءت الطبعة الجديدة حافلة بالفوائد موافقة لمرغوب الدارسين بل لمتمنّى الاساتذة المستشرقين فنشكر همّة حضرة الاب ونثني على حضرة الخوري بولس طعمه الذي ساعده في مراجعة المسوّدات جازاهما الله كليهما كلّ خير

ل . ش

DOCUMENTS INÉDITS pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient publiés par le P. A. Rabbath s. j., T. II, 2d fasc. 1911, p. 209-408

الآثار الخطيّة لتاريخ الكنائس الشرقية جمعها الاب ا. رباط اليسوعي

قد بيّن تعريفنا لهذا الكتاب (في المشرق ١٠ : ٧٤٥ — ٧٥١) ما يحتويه من الكنوز الادبيّة والتاريخيّة الثمينة التي كانت حتى اليوم مدفونة في زوايا المكاتب فاعادها ناشرها الى الحياة بعد سُباتها الطويل. وهذا القسم الخامس من المجموع ليس باقلّ جدوى من الاقسام السابقة فيه مقالات مسهبة تعرّف احوال بلاد الشام عموماً واعمال النصارى والكاثوليك خصوصاً في القرنين السابع والثامن عشر بعضها اوراق رسميّة من قلم سفراء الدولة الفرنساويّة او قناصلها وبعضها مكاتبات ورسائل

من رؤساء الرهبانيّات اللاتينيّة ضمّنوها المعلومات التي رأوها جديرة بالذكر والتي من شأنها ان يُستند اليها في تاريخ بلادنا اذ هي اصدق صورة لما كان يجري في ذلك العهد من الاحداث المهمة كتبها اصحابها خالين من كلّ غرض اذ لم يخطر على بالهم انّها ستنشر يوماً بالطبع. فشكرًا لكاتبيها وشكرًا لمن لم يضنّ بالاتعاب ليخرجها من اضابير المكاتب الى عالم الوجود ل.ش

Un Interprète du Général Brune et la fin de l'Ecole des Jeunes de Langues par H. Cordier, *Paris, Impr. Nationale*, 1911 p. 89

المرشّحون للترجمة في الدولة الفرنسويّة

مذ توفّرت العلاقات بين فرنسة وجهات الشرق لا سيّما البلاد العثمانيّة عرف الفرنسويّون انّهم في حاجة لتدبير امورهم الى شبّان يتخرّجون منذ حداثة سنهم في مدارس اعداديّة تؤهلهم لخدمة وطنهم في البلاد الاجنبيّة بصفة تراجمة او عمّال في السفارات والقنصليّات الشرقيّة. فاختاروا لهذه الغاية اولًا احداثًا شرقيين سلّموهم الى اليسوعيين في باريس ليهذّبوهم ويعلّموهم ثمّ يرسلوهم الى وطنهم ليقوموا بخدمة الدولة الفرنسويّة. ثمّ رأوا انهُ الاولى بهم ان يختاروا صغارًا من الفرنسويين لا سيّما المهاجرين الى الشرق ليتولّوا بعد ذلك خدمة وطنهم. وهذا المشروع قد اتى بنتائج حسنة اذ خرج بين اولئك الشبّان كثيرون ممّن شرّفوا وطنهم وادّوا لهُ خدماً لا تحصى. فاحبّ احد المستشرقين المسيو كورديه من اعضاء مكتب فرنسة الاعلى ان يجمع اخبار هؤلاء التراجمة منذ انشاء مدرستهم وما طرأ عليها من التقلّبات الى ان أُلغيت سنة ١٨٧٣ مع ذكر بعض المشاهير الذين خرجوا منها لا سيّما المسمّى جوانين (Jouannin) المولود سنة ١٧٨٣ والمتوفّى سنة ١٨٤٤ بعد ان تقلّب في عدّة مأموريات وخدم خصوصاً دولتهُ كمساعد للجنرال برون لمّا أُرسل كسفير الى الاستانة سنة ١٨٠٢ الى ١٨٠٤. فلهذا التاريخ كما ترى علاقة مع اخبار الشرق يفيدنا عن اهتمام الاوربيين بلغاتنا واجتهادهم على التقرّب من الشرق واهلهِ ل.ش

LOURDES—Les Apparitions, par le Cte Jean de Beaucorps, in-16, *Paris, Bloud et Cie*

ظهور العذراء مريم في لورد

اضحت لورد شظًى في حلق الكفر وقذًى في عين ناكري الوحي فانّ العجائب

التي تجري هناك اضحت كالشمس الباهرة النور لا يستطيع ان يغضّ عنها النظر الّا الاعمى الاختياري. وقد اخبرنا من حجّوا الى ذلك المزار في السنة الجارية من اهل الشام انّهُ حدث في يوم واحد اربع عشرة معجزة شهدوا بعضها بالعيان وتحقّق صحتها قوم من الاطبّاء. فكلّ هذه الآيات تثبت ايضاً صدق الفتاة برنادت التي رأت مرارًا البتول الطاهرة سنة ١٨٥٨ في لورد واضحي مذ ذاك الوقت مكان ظهورها مشهدًا للعالم باجمعهِ وبرهاناً قاطعاً على صحّة الدين الكاثوليكي الذي وحدهُ يقدر يفتخر بمثل هذه الخوارق المثبتة بالعلم والفحص المدقّق. وهذا ما بيّنهُ صاحب كتاب حديث ترى عنوانهُ في اوّل هذه النبذة وهو من اعلم الناس بما كتب واوعب

الاب ج. هرنو

ظفر الصليب — ظلم العالَم اهل الخير

خطبتان لبوسويه وماسيُّون عرّبهما الشمّاس توما ديبو المعاوف

طبعتا في المطبعة البطريركية في دمشق سنة ١٩١٠ (ص ٢٩ و٤٥)

يا حبّذا لو اقتدى عارفو اللغتين الفرنسويّة والعربيّة بمثل حضرة الشماس ت. د. المعاوف الرومي الارثذكسي الذي اقتطف هاتين الخطبتين من إمامي الخطباء عند الفرنسويين اي بوسويه (Bossuet) وماسيُّون (Massillon) فنقلهما الى العربيّة لينال من دررهما الثمينة اهل بلادنا بدلًا من تلك الروايات الخلاعيّة التي تفسد اخلاق الشبيبة وترمي بالنفوس والاجساد معاً في حمأة الرذائل. وترجمة المؤلف سهلة لا تكلّف فيها مع الامانة والضبط في النقل ل. ش

لمعة اختياريّة وفنيّة في الحُمّى التيفوئيديّة

بقلم الدكتور حنّا خيّاط

بمطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩١١ (ص ٤٢)

بين الامراض التي تفتك في انحاء بلادنا فتجلب عليها الويلات حُمى التيفوس التي ضربت اطنابها على جهات الشرق منذ اجيال مديدة الّا انّ القدماء لم يحسنوا تعريفها فخلطوها بحمّى المستنقعات وانّما ثبتت حقيقتها منذ امد قريب فجعل الاطباء يتخذون التدابير لمعالجتها. ولم يكتب فيها اطباؤنا الشرقيون غير الفصول القصيرة فاستدرك هذا الخلل جناب الدكتور حنّا افندي خيّاط المتخرّج في مكتبنا الطبيّ

ووضع هذا الكتاب في تسعة ابواب بحث فيها عن تاريخ الداء وتشخيصه واسبابه واطواره واشكاله والوقاية منهُ سابقاً ومعالجته عند وقوعه كلّ ذلك بكلام واضح وحجج مقنعة واسانيد علميَّة ثابتة. وقد رفع الدكتور كتابهُ الى مقام والي ولاية الموصل طاهر باشا الذي انتدبهُ الى معالجة هـذا الداء في السجن العمومي فنجح بالعمل النجاح التام. فنحضّ اهل بلادنا على مطالعة الكتاب ونشره لفوائده ونهنّئ المؤلف على هذه باكورة كتاباته مع الرجاء ان يشفعها قريباً بامثالها ل.ش

رواية يا حسرتي عليك يا زعيتر

تأليف شكري افندي الخوري

طُبع بمطبعة « ابو الهول » سنة ١٩١١ في سان باولو برازيل ص ١٨٢ (الجزء الاول)

عوّدنا مؤلف هذا الكتاب على تمثيل العادات اللبنانيَّة على احسن صورة وابهج طريقة في روايات تتناولها القلوب قبل ان تتزاحم عليهـا ايدي القرّاء. وقد سرّنا ان نصفها في الشرق لما يُستفاد منهـا من معرفة اخلاق اللبنانيين ولهجتهم وامثالهم وتصرُّفهم في معاملاتهم مع الاقارب والاجانب وتخلُّقهم باخلاق اهـل البلاد التي يحتلُّونها وهـذا اثر جديد من ذلك القلم السيَّال سوف يرحب فيه الوطنيُّون اذ يجدون فيه مرآة حياتهم والمستشرقون لانهم يتوقون الى درس طباع الشرقيين لاسيما اذا كانوا كزعيتر على فطرتهم الطبيعيَّة وغريزتهم الاصليَّـة لم يستعيروا من الفرنج ازياءهم المستحدثة. فنشكر المؤلف على هذا المصنَّف الجديد ونتمنى ان ينجزهُ قريباً على احسن طريقة فيعرف زعيتر وامثالهُ انَّ في المهاجرة من الاهوال ما يسهل بجانبه ضيق حال الوطني في جبله ابنـان فكفى بالوطن راحة بال وطمأنينة فكر وهناء عيش بصحبة الاهل والاقارب ل.ش

---

١ حكاية الملك ازادبخت — ٢ غرازيلا — ٣ المسيح في الفاتيكان

ثلاث حكايات ليس تحتهـا كبير امر وافضلها (الاولى) وهي مطبوعة في الخرطوم ومعرَّبة عن الهندستانيَّة بقلم البكباشي امري سنة ١٩٠٤. يُستفاد منهـا معرفة احوال الهنود وعاداتهم واخلاقهم وهي معرَّبة عن كتاب شاع في الهند باسم باغ وبهار اي البستان والينبوع يشبه بعض حكايات الف ليلة وليلة. (والثانية)

رواية للشاعر الفرنساوي لامرتين عرّبها اسكندر افندي كرباج ونشرها في سان باولو وهي خياليّة غراميّة اخلاقيّة. اما كونها « فلسفيّة ادبيّة » فلسنا لنصادق عليه وكان الاولى بالمعرّب ان يخصّ قلمهُ بما هو انفع من هذا. امّا (الثالثة) المسيح والواتيكان فهي رواية كاذبة كافرة اساء كاتبها فيكتور هوغو لمّا صنّفها قبل ستين سنة وزاد قباحةً عليه مترجمها ف ف وطابعها استيان بغوصيان بعد ان اكل الدهر عليها وشرب وسقط شبه حقيقتها اذ لم يعُد الجبر الاعظم يملك على رومية. فتحقّقنا صدق ما كتبهُ شاعرنا العصريّ ر.ب في عجائب الدهر عن ف.ف

يا فارس الجيش غيّر هذه النغما وقُمْ وصالحْ وأصلحْ ان تشا أمَما
واترك حروبًا وغارات وسفك دما اخشى عليك اذا ما السكرُ التحما
فطمُكَ الشرّ لا ينجو من الطبر
وذر شؤونًا لنوّاب لنا رضوا قد عاركوا الدهر لم تنقصهمُ الفطنُ
فكثرة القول تأتي بعدها الفتنُ يا من به قد غدا يعترُّ ذا الوطنُ
دع ساحة البرج للبطيخ والعنبر

هدايا أرسلت الى مجلة المشرق

١ منشور رعائي للسيّد الجليل بولس بطرس ترزيان بطريرك قيليقية وجاثليق طائفة الارمن الكاثوليك. عرّبهُ الروتبيت باسيل قليرغيان النائب البطريركي للارمن الكاثوليك في بيروت. وهو المنشور الجزيل الافادة الذي نُشر تباعًا في البشير ثمَّ طبع على حدة

٢ الآثار مجلة علميّة شهريّة لمنشئها ومديرها المسئول جناب الاديب عيسى اسكندر المعلوف اللبناني كل ٢٢ صفحة تطبع موقتًا في دمشق

٣ البيان مجلة ادبية علميّة اثريّة لصاحبيها عبد الرحمن البرقوقي ومنشئيها عبد الرحمن البرقوقي ومحمّد السباعي. تظهر مرّة في الشهر في ٨٠ صفحة وتُطبع في مصر

٤ برنامج الجمعيّة المارونية في راس بيروت لسنتها الثالثة ١٩١٠ (ص ٣١)

٥ برنامج جمعية اخوة التعليم المسيحي بجلب للسنة العشرين من تأسيسها. طُبع في حلب في المطبعة المارونية (ص ٤٤)

شذرات

مكايد البابويّة وياً لها من مكايد بل مصائد لم ينصب مثلها « اللصوص وقطّاع الطرق » (كذا) وقد اكتشفها كولومبوس جديد قرقي منبر « البلاغ » ليس البلاغة فحذّر المسلمين في عدده (١٤) من ويلاتها بل نفخ في البوق

ودعا قومهُ الى الجهـاد واستلّ سيف التحمُّس الديني فاقطرهُ دماً ولا غرو فانهُ « الباقر ». وما ادراك ما تلك المكايد اسمع واحكم قال « ان حكومة البابا قد غدرت بدولة الخلافة الاسلاميَّة العظمى ». وان سألت النذير حجتهُ على هذا الزعم الغريب اجابك « انَّ دولة التليان هي حكومة البـابا اكبر رئيس ديني للنصارى وما حرب ايطاليا لطرابلس الغرب الّا حرب صليبيَّة اثارها البابا » . فمن هذا الجواب علمنا مبلغ صاحب البلاغ من العلم في التاريخ والآثار والجغرافيَّة في هذا عصر النور فاخذنا الأسف على الكاتب والقارئ والطابع وتمنينا لو رجعت المراقبـة الحميديَّة للمطبوعات لتضع حدًّا لمثل هذه السفاسف وتحقَّقنا صحة ما كتبهُ مجتهدٌ على جدران المدينة في كلّ احيانها « الى العلم ايها الولد الى العلم » وما الولد هنـا الّا صاحب البلاغ وكل من انخدع بكلامهِ . ولو سأل الكاتب اجهل صغار مدارسهِ لاعلمهُ انَّ ايطالية اغتصبت رومية والاملاك البابويَّة فحرم الحبر الروماني منتصبي دولتهِ وهو اليوم سجين الواتيكان لا جيش له الّا رسل السلام ولا اسلحة غير ادعيتهِ ولا راية الّا صليب المسيح . فتأمَّل وابكِ على التعصُّب الاعمى !

النهضة الادبيَّة على مآثم الماسونية اهدانا الكومندان كوينيه (Commandant Cuignet) عشرة اعداد من مجلتهِ الحديثة التي انشأها لمعارضة الماسونيَّة وكشف مآثمها الخفيَّة (La Revue Antimaçonnique) فاذا فيها من المعلومات ما يثبت ما كتبناهُ في مقالاتنا السابقة (السرّ المصون في شيعة المصون) فنشكر للكومندان لطفهُ ونحرّض القرّاء على الاشتراك بمجلتهِ الحافلة وهي تُطلَب من باريس بهذا العنوان (Paris (VIe) 66, rue Bonaparte) كما اننـا نفيد قرّاءنا عمَّا كتبهُ لنـا عن قرب عقد مؤتمر في عاصمة فرنسة لمناهضة الماسونيَّة من ١٠ الى ١٥ تشرين الثاني فيا ليت احد مواطنينا يستطيع ان يحضر جلساتهِ مع ممثلي الدول الآتين من كلّ البلاد الاوربيَّة كبلجكة وروسيَّة وسويسرة وهولندة حتى مصر ويشهد على سوء اعمال الماسونيَّة في بلاد الشام كما في غيرها من اقطار المعمور

عاديَّات تركستان وآسية الوسطى ان الآثار الجليلة التي اكتُشفت في تركستان الصينيَّة واواسط آسية استلفتت اليها انظار كلّ الدول منذ عشر سنوات . واوَّل من اشار الى وجود تلك العاديَّات عالم من الهنود اسمهُ سفان

هدين (Sven Hedin) . فما بلغت كتاباتهُ الى اوربة حتى تهافت السيَّاح من كلّ البلاد ليحيبوا شيئاً من تلك الكنوز . فرحل المسيو ستين (Stein) سنة ١٩٠٠ بايعاز الدولة الانكليزيَّة ثمَّ المسيو فون لوكوك (von Lecoq) باسم الدولة الالمانيَّة وكذلك اوفد الميكادو ملك اليابان صهرهُ الكنت اوتاني الى مراقبة تلك الآثار . ولم تتأخر روسيَّة وفرنسة عن مجاراة بقيَّة الدول . ولعلّ المتمد الفرنسويّ المسيو باليو (Pelliot) كان اقدرهم على العمل لحسن معرفتهِ باللغة الصينيَّة التي كان اتقنها سابقاً . وكلّ هؤلاء تجوَّلوا في انحاء تلك البلاد في اطرافها الاربعة فوجدوا من آثارها المتعدّدة ما نقلوهُ الى متاحفهم . امَّا مكتشفات تلك البلاد فهي اوَّلاً مدن كان سجاها الرمل بكثبهِ فدفنها وصانها من الاذى فوجدوا ابنيتها في غاية الاتقان بينها النقوش والتصاوير الهنديَّة الملوَّنة ثم الخزفيَّات والتماثيل العجيبة منها كبيرة ومنها صغيرة ثم الانسجة المختلفة من الحرير وغيرهِ ثم النقود والمسكوكات القديمة . ثم كتابات جدرانيَّة وخزائن كتبيَّة تحتوي مئين من التآليف بالصينيَّة والسنسكريتيَّة والتبتيَّة والتركيَّة القديمة والفارسيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة وهذه الآثار مكتوبة على الياف من قشر شجرة السندر (boulcau) منها علميَّة وطبيَّة ومنها ادبيَّة ودينيَّة يتراوح زمانها بين القرن الخامس للمسيح الى التاسع . وقد اخذ العلماء في فحص تلك الآثار وقراءة مخطوطاتها وقد تحقَّقوا الآن انَّ عمران تركستان مزيجٌ من التمدُّن الصينيّ والهنديّ والفارسي واليوناني . امَّا الدينيَّات فتدلّ على انَّهُ اجتمع في تلك الجهات اخلاط من اديان البوذيين وقدماء المجوس وشوك اليونان وبدعة ماني والنصرانيَّة بينها عدَّة آثار نقلها الى تلك البلاد المرسلون من النساطرة وقد وجدوا بين الكتابات قطعاً من طقوسهم الدينيَّة . وكذلك وجدوا آثاراً من لغات لم يتوفَّقوا حتى الآن الى قراءتها او هي من فروع اللغات الهنديَّة البائدة والعلماء المستشرقون ينفدون الوسع في تفسير هذه البقايا الجليلة ونشرها فانها احسن شاهد على تاريخ تلك الامم المجهولة تفيدنا عن كلّ احوالهم في دينهم ودنياهم

طريق العبرانيين من مصر الى ارض الميعاد هو بحث عويص تعدَّدت فيهِ الآراء بل زعم بعضهم انَّ رواية سفر الخروج لا صحَّة لها ولا توافق جغرافيَّة القطر المصري . غير انَّ الآثار البرديَّة المكتشفة حديثاً أتت مؤيدة للكتب

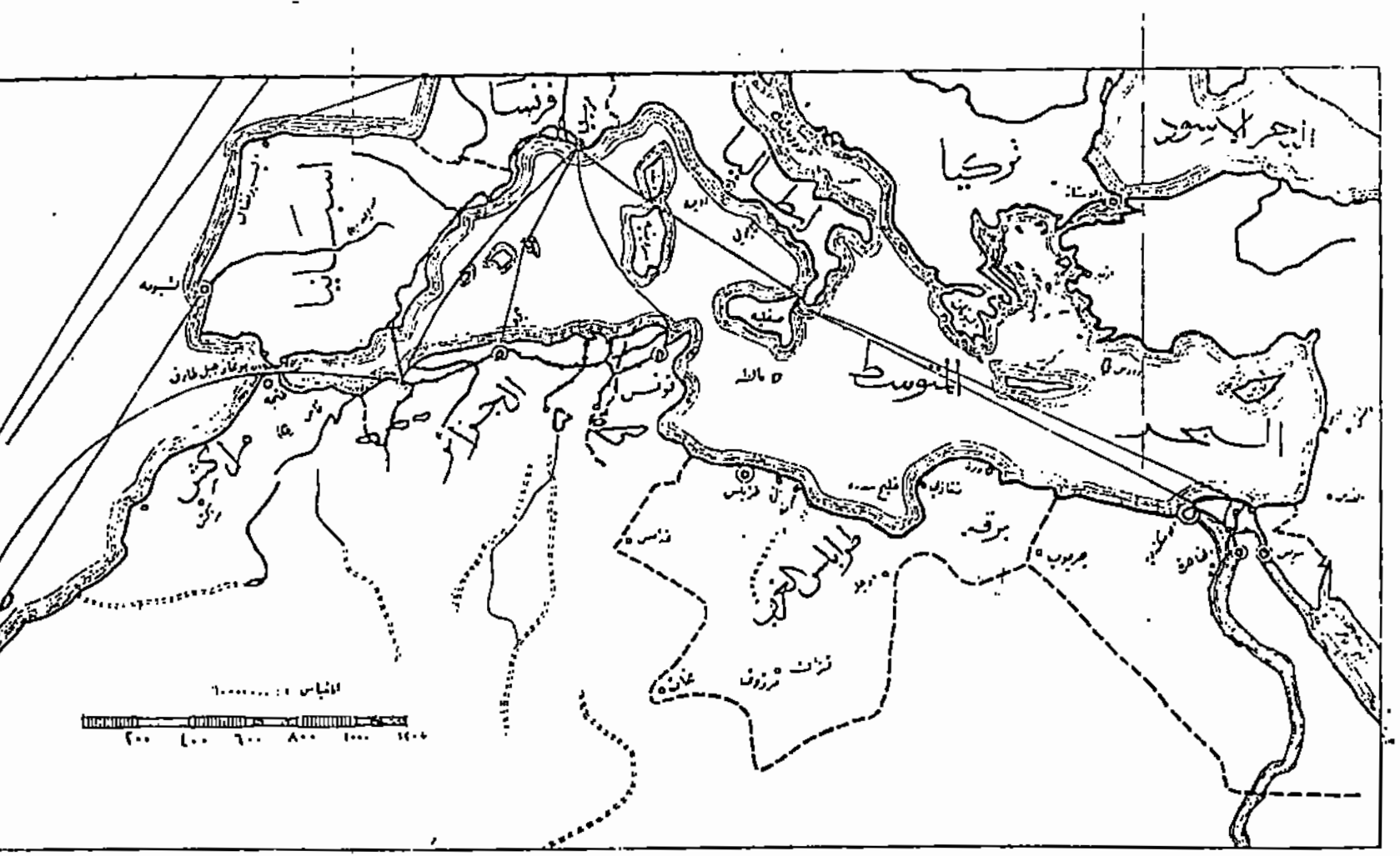

خارطة بلاد طرابلس الغرب

النزلة اخصُّها اثرٌ وُجد مؤخرًا في صفّارة يرتقي الى عهد بطلميوس المعروف بفيلادلف او محبّ اخيهِ في القرن الثالث قبل المسيح فيهِ اسماء عدّة مدن من مصر السفلى حيث كان الاسرائيليُّون من جملتها بيتوم تكو وهي مدينة سكُّوث (خر ١٢: ٣٧) التي اجتمع فيها بنو اسرائيل للنصح الاخير وفقًا لامر موسى النبي ثم بحيرة خرتا الموافقة لوادي سبا ابيار حيث كان حصنٌ ذكرهُ في التوراة ودعاهُ جيروت (خر ١٤: ٢) ثم مجدول التي كان موقعها قرب نفيشة. ثم مجدول أُخرى دعاها بعل صفون كانت بازاء بني اسرائيل لمّا لحقهم المصريون بعد فرارهم كما روى سفر الخروج (١٤: ٢) وهذا المجدل قريب اليوم من مكان يدعى شيخ خنادق والتقليد المحلّي الى الآن يجعلهُ على ممرّ الاسرائيليين. وهذه الامكنة الثلثة قد جمعها صاحب الاثر البردي كما هي مجموعة في التوراة وذلك ما يقضي بجعل عبور الاسرائيليين للبحر قريبًا من سويس جنوبيّ بحيرة التمساح. والممرّ هناك حرج قصير والماء قليل فلمّا ضربهُ موسى بعصاه قسمهُ الله امام شعبهِ فقطعهُ واجتاز الى برّية سينا. فاخذ المسيو دارسي (Daressy) من علماء العاديّات المصريّة هذا البابير وبنى عليهِ خطابًا مهمًّا القاهُ في نادي المكتب العلميّ المصري بحضور نخبة اهل القاهرة. فسبحان الله الذي يستخرج من اعماق الارض بيّنات جديدة لتأييد كتبنا المقدّسة

الاب اليسوعي بيارلين وقيصر روسيّة بين مشاهير الروسيين الذين عدلوا عن الكنيسة المسكوفية الى الكثلكة في اواسط القرن السابق واواخرهِ حضرة الاب بيارلين (Pierling) اليسوعي الشهير بمؤلّفاتهِ الشرقيّة في انحاء اوربّة وهو اليوم نزيل بروكسل بين الآباء اليسوعيين البلجكيين المنتمين الى جماعة البولنديين يتولّى ادارة فرع مكتبتهم الواسعة المختص بالمطبوعات الروسيّة والصقليّة. فاحبَّ جلالة القيصر ان يجاملهُ بهبة ملكيّة على يد الفرندوق نقولا فاتاهُ منهُ هذا النبأ التلغرافيّ: «انَّ جلالة القيصر قد رخّص لي بكل تلطّف ان اهديك مجموع كلّ الشرائع الروسيّة فيسرّني ان ابلّغك بخبر هذه المنّة الملكيّة». وهذا المجموع من اجل آثار المطبعة القيصريّة لا يقلّ عن ١٣٠ مجلدًا ضخمًا

اسئلة واجوبة

س سأل مكاتب مصري أصحيح ما رُوي في بعض المجلّات المصريّة انّ الجمجمة البشريّة ثابتة بالتناسل على الهيئة الواحدة لا تختلف مع اختلاف الامكنة وانّ ذلك دليل على عدم تفرُّع البشر من ابو بن اوّلين

ثبات الجمجمة البشريّة

ج هذا زعم كان بناه بعض العلماء على ملحوظات قليلة الّا انّ التعمُّق في البحث قد ابطل هذا الرأي. وممّن اثبتوا فساده الاميركي فرنتس بواز (Fr. Boas) في كتاب نشره في العام الماضي في واشنغتون وبيّن اولاد اليهود الشرقيين واهل صقلية المولودين بعد مهاجرة اهلها الى الولايات المتحدة يصيب جماجمهم تغيير في الهيئة. وكان سبقهُ عالمان آخران فرنسويّان المسيو باوو (Baraux) والمسيو سرجان (Sergeant) فبيّنا وقوع هذا الاختلاف في اولاد اهل بيكارديا والفلمنك. وكان القدماء قد لحظوا الامر قبل ذلك فقال تاقيتس المؤرخ « ان الاجسام البشريّة تختلف اعراضُها مع اختلاف البلدان »

س وسألنا دولة البرنس دي ساكس اخي ملك ساكس الذي تجوّل حديثًا في بلادنا ماذا نعرف عن مصوّر يدعى ميخائيل الشامي وجد اسمهُ على صورة بوزنطية تاريخها سنة ١٦٥٠

ميخائيل الشامي

قد فتّشنا على اسم هذا المصوّر واخباره وحتى الآن لم نحظ بالمرغوب ولعلّ احد قرّائنا له به علم فيطلعنا على سيرته ولهُ منّا الشكر

س وسألنا في الراي العام (العدد ٤٣١) المسمّى م.م تيم.« .ن هو ح.م اللبناني. ناظم القصيد الذي نقلناه في الصحيفة ٥٠ من كتابنا السرّ المصون (الكرّاس السادس) ومن اي كتاب نُقلت تلك القصيدة »

القصيد الماسوني

كان بودنا ان نُعلم السائل من هو ح.م الّا انّ ذاك الماسوني كجميع اخوته الماسون تستر تحت حرفين مجهولين. وقصيدهُ لم يظهر في كتاب مطبوع وانّما كتبهُ واشاعهُ في بعض انحاء لبنان فاوقفنا عليه احد اصحابنا من بكفيّا كما وجدهُ وقد ردّ عليه مكاتبنا بقصيد مثلهُ لم ننشرهُ لانّ في ابيات الماسونيّ ما يكشف القناع عن خبث الشيعة وينفّر منها كلّ ذوي دين وأدب ل.ش

المشرق

نبأ عن دار الحرب
بوصف طرابلس الغرب

نظر تاريخي جغرافي بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ اعلان دولة ايطالية للحرب وهجومها على احدى ولايات الدولة العليَّة على غرَّة وخلافاً لحقوق الامم كانا كانفجار لغم دوى وسط ليلة هادئة في مسامع قوم رقود فقاموا مذعورين او شبه كابوس طبَّق على صدرٍ سقيمٍ فانتفض لهُ هلعاً

والحقّ يقال ان اسم طرابلس الغرب ما كاد يخطر على بال احد في تاريخ السياسة الحاليَّة وانَّما كانت الافكار مصروفة الى انحاء شتى سواها حيث كانت تجري امور اعظم شأناً واحرج خطَّة. والآن لم يبقَ الَّا ان ننتظر ما ستحبل بهِ هذه الحرب من مواليد السوء التي وصفها زهير:

فتنتج لكم غلمان اشأم كلُّهم كأحمر عادٍ ثم تُرضع فتفطم

فدرءاً لشرورها ينبغي على كلّ ابناء الوطن ان يرفعوا الى ربّ السلام اكفّ الدعاء كي يُزيل قريباً كل خلاف ويعيد الوئام التامّ بين المتخاصمين امَّا بتوسط الدول الملازمة للحياد. وامَّا بطريقة التحكيم في مجلس لاهاي او بواسطة أُخرى سلميَّة فانَّهُ السميع المجيب

*

على اننا في هذا المقام رأينا من الصواب ان نصف للقرَّاء في مقالة موجزة مجمل احوال ولاية طرابلس الغرب فنوقفهم على مختلف امورها ليكونوا على بصيرةٍ من اخبارها وعلى الله المتكل

﴿ حدودها ﴾ قد اختلفت حدود بلاد طرابلس الغرب في اطوار تاريخها. وهي اليوم محدودة شرقاً بالقطر المصري وصحارى ليبية وغرباً ببلاد تونس ويحدُّها من جهة الشمال بحرنا المتوسط ولاسيما خليج السدر وتتاخمها جنوباً اطراف فزّان والصحراء السودانيــة. فيكون موقعها بين الدرجة ٢٣° و١٥' ٣٣" من العرض الشمالي وبين الدرجة ١٠' و٢٢° من الطول الشرقي طولها من الشرق الى الغرب ١٥٠٠ كيلومتر ومن الشمال الى الجنوب ٦٨٠ كيلومتراً وتكسير مساحتهـا نحو ١,٠٥٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع فتكون نحو ضعف فرنسا كلها. ومع اتّساع ارجائها لا يزيد كثيراً عدد سكّانها عن مليون واحد اعني بمعدَّل ساكن واحد لكل كيلومتر

﴿ اقسامها وهيئتها ﴾ طرابلس الغرب احد الاقطار التي تحدُّ في الشمال قارة افريقية يعدُّونها من البلاد التي كان الرومان استولوا عليهـا فدعوها باسم افريقية الرومانية وهي البلاد الواقعــة بين الاوقيانوس المحيط غرباً ومصر شرقاً اخصُّها موريتانية ونوميدية وليبية. ثم عُرفت في القرون المتوسطة ببلاد بربارية باسم ساكنيها البربر او البرابر (Barbarie, Etats Barbaresques) وكانت تشمــل بعرفهم مرّاكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب

وطرابلس عينهـا تُقسم الى اقطار شتى اخصُّها بلاد برقة ثم طرابلس وفزّان وواحات اخرى كانت قديماً مدن عامرة كقيرينة (Cyrène) وتخومهـا الشهيرة بالخصب والعمران (la Cyrénaïque) وكانت قيرينة داخلة في بلاد المدن الخمس (la Pentapole) وهي قيرينة وابولونياس وبرقة وطوكيرة وهسبريس كانت تكثر فيها الخيرات وتتوفر الارزاق. امّا طرابلس ومعناهـا المدن الثلث فكانت مجموع ثلث مدن متحالفة وهي واية (Oea) ولبتيس او لبدة (Leptis Magna) وسبراتا او سبرتت (Sabratha) ثمَّ غلب اسم المجموع على الاولى فعُرفت واية ايضاً بطرابلس. واضيفت كلتاهما الى الغرب لفرقهما عن طرابلس الشام

امّا الواحات فهي في داخل البلاد اشهرها اوجلة وفزّان وكفرا. وغات

ولواء طرابلس في عهدنا يُقسم الى خمس متصرفيّات : اوّلاً متصرفيّة طرابلس ومركزها مدينة طرابلس البالغ عدد اهلها من ٥٠,٠٠٠ الى ٦٠,٠٠٠ نفس. ثانياً متصرفيّة جبل غربيّة ومركزها غدامس التي يبلغ اهلها خمسة آلاف بنيّف. وهي

وسط الصحراء. ثالثاً متصرفيّة فزّان وهي جنوبي الولاية مركزها مرزوق واهلها ٦٠٠٠ وفيها ملتقى القوافل القادمة من السودان والراحلة اليها . ومن اشهر مدنها سبحة وزالّة . رابعاً متصرفيّة خمس ومركزها سكنة. خامساً متصرفيّة بني غازي او بنغازي واهلها ٢٠,٠٠٠ ومن مدنها برقة ودرنة

﴿ وصفها ومرافقها ﴾ ان بلاد طرابلس متفاوتة من حيث خصبها وخيراتها ففيها الرياض النضرة والانجاد المخصبة والاودية الدارّة النعم وفيها ايضاً الصحاري المقفرة والاراضي القاحلة والسباخ المحجرة او المرملة. ومن اخصب انحائها بلاد برقة التي كان يعدُّها اليونان والرومان كجنّات العالم لاسيما الانجاد التي كانت تعلو فوقها مدينة قيرينة وتُعرف جهاتها اليوم بالجبل الاخضر لكثرة نباتها ووفرة اشجارها ونضارة حدائقها. وهناك كانت رياض غنّاء كان يُضرب المثل بمحاسنها ومياهها ورطوبة هوائها يدعونها حدائق المسيريد (Jardins des Hespérides) باسم احدى المدن الخمس التي كانت هناك قريبة منها. واليوم اذا بلغ المسافر تلك الجهات يجد من الراحة ما ينسيه اتعابهُ ومشاقّ سفرهِ في البراري المجدبة . وتهطل الامطار غزيرة في الجبل الاخضر في فصل الشتاء وكان قدماء الرومان لا يضيعون منها شيئاً فيخزنونها في الاحواض لأيام الصيف ليستنبتوا ضروب الغلّات ويجنوا كثيراً من الاثمار والافاويه والارواح العطريّة والعقاقير قيل انّ غلّاتهم كانت تُعطي من ٢٠٠ الى ٣٠٠ في الواحد وكانوا يصطنعون الارجوان كاهل صيداء . ومعظم ما يُجنى اليوم الشعير والحنطة وبعض البقول والفواكه ثمّ التبغ ويكثر عندهم الزيتون

ويلي الجبل الاخضر قسم آخر من كورة برقة يُعرف ببرقة الحمراء لحمرة تربتها ويتبعها برقة البيضاء وكلها سباخ

امّا المدن الجليلة التي كانت سابقاً في هذه الجهة فقد ذهب اكثرها بتمادي الزمان وكوارث الحدثان بقي منها بعضها القليل. فمن تلك الامصار القديمة بلدة دَرْنة على ساحل البحر كان اليونان يدعونها دَرْنيس واليوم يسكن اخربتها قومٌ من العرب ولها اشجار وبساتين يسقيها نبعان يجريان اليها من الجبال المجاورة. ويكثر فيها العسل وفي بحرها مغاص للاسفنج. وفي شرقيّها مرسى طبروك الطبيعي الواسع الاطراف

وقد بقي من قيرينة القاعدة القديمة بعض آثار ابنيتها من قصور ومدافن والعرب يسمونها قرنّة وربّما اطلقوا عليها اسم عين الشهد باسم عين غزيرة تجري هناك. وكانت قيرينة تبعد عن البحر مسافة ١٦ كيلومترًا وكان مرفأها مدينة ابولونية

امّا مدينة برقة وهي التي كان يدعوها القدماء برنيقة (Bérénice) فقد صمدت على الزمان واشتهرت في ايّام العرب قال ياقوت في وصفها (١ : ٥٧٣) : « ارض برقة ارض نَخاوقيّة بحيث ثياب اهلها ابدًا محمّرة لذلك ويحيط بها البرابر من كلّ جانب وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة . . . واهلها يشربون من ماء السماء يجري في اودية ويفيض الى برك بناها لهم الملوك ولها آبار يرتفق بها الناس». وقال ابن حوقل : « برقة بلدة متوسطة هي في مستوٍ من الارض وحواليها كورة عامرة وهي في وسط البوادي » : وقال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ١٤٩) : غالب بلاد برقة مقفرة وبها آثار مدينة عظيمة كانت عامرة في القديم ». وروى عن العزيزي انّها « مرجٌ افيح واسع وتربتها حمراء » وانّ « المتوكل الخليفة بنى عليها سورًا »

وكان لبرقة فرضة مشهورة ابتناها البطالسة ودعوها باسمهم بطلمايس (Ptolémaïs) فاشتهرت بين المدن الخمس ويظهر انها اتّسعت كثيرًا حتى ان بقاياها اليوم تتناول دائرتها سبعةُ كيلومترات واهل تلك البلاد يدعونها طلميثا وقد ذكرها ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ١٤٩) وذكر مرساها وقصرًا كان يسكنهُ مانثا يهوديّ تحت خفارة العرب. وهذا المرسى اليوم قد خرب لا يصلح الّا للزوارق والمراكب الشراعية ويسكن في اخربة البلد بعض العربان

وكذلك طوكيرة او طوكر (Teuchera) من المدن الخمس تُرى آثارها حتى اليوم على ساحل البحر غربي مدينة برقة لا يزال سورها قائمًا حولها وفيها مدافن منقورة في الصخر يسكنها العرب وقت الصيف او يضربون خيامهم بين اخربتها

واشهر من المدن السابقة مدينة هسبريدس (Hespérides) اليونانيّة وهي اليوم مدينة بنغازي حاضرة بلاد برقة قيل انها دُعيت ابن غازي باسم احد اولياء المسلمين الذي يُزار قبرهُ شمالي البلد على شاطئ البحر وكان لبنغازي رأس يطلّ عليها اخربت قسمًا منهُ الزلازل وامواج البحر فطُمر بهِ المرسى. والمدينة داخلة في البحر الذي يحدق بها جنوبًا وغربًا. وهي بلدة عامرة فيها ابنية كثيرة مستحدثة محكمة

البنيان واهلها نحو ١٥,٠٠٠ العشر منهم اوربيون بين ايطاليين ومالطيين وانكليز. وحول المدينة ارباض مخصبة ومراعٍ تسرح فيها المواشي وفي بحرها مغاص ايضاً للاسفنج. لكنَّ مرساها غير امين لا تأوي اليهِ السفن الكبرى وانَّما ترسو فيهِ المراكب القليلة العمق بعد ان أُصلح نوعاً

هذه اخصّ مأثورات بلاد برقة. وان سرتَ منها غرباً على ساحل البحر عطف بك المسير جنوباً فاستدار على دائرةٍ كبيرة يتكوَّن منها خليج السدر الذي كان القدماء يدعونهُ السرت الكبرى (Grande Syrte) تمييزاً لهُ من خليج آخر اصغر منهُ واقرب الى تونس كان يسمى السرت الصغرى (Petite Syrte) وكان ارباب السفن لا يقتربون منها الَّا بكل حذر لكثرة صخورها ولعلَّ اسم السدر العربي تصحيف السرت اليونانيَّة. وقد يُطلق اليوم لسم سُرت على مدينة صغيرة على ساحل البحر وصفها ابو عبيد البكري في المسالك والممالك (ص ٦) في القرن الحادي عشر للميلاد ونعتها «بمدينة كبيرة» وذكر سورها المبني بالطوب وجامعها وحمَّامها واسواقها ونخلها وبساتينها وآبارها العذبة ومواشيها الطيِّبة الَّا انهُ يذمُّ اهلها العبيد واكثرها اليوم خراب

وليس من هناك الى كورة طرابلس الَّا رمال او سباخ لا يُرى في وسطها سوى بعض اهل البادية من العربان وربما قامت في وجه البحر صخور كانت تتحطم عندها المراكب. وفي امكنة كثيرة مستنقعات وخمة تجعل فيها السكنى خطرة والهواء موبئاً الَّا انَّ دخول البحر في البلاد يقرّب الطريق الى بلاد السودان وذلك ما يجعل لخليج السدر مستقبلاً حسناً اذ اليهِ ستنتهي السكك الحديديَّة الى اواسط افريقية الشماليَّة. وفي شرقي طرابلس على ٥٠ ميلاً منها مدينة حمس الساحليَّة واهلها نحو ١٢,٠٠٠ نفس

غير انَّ اهمّ تلك الانحاء متصرفيَّة طرابلس التي لدخول سواحلها في المياه ومجاورتها لبلاد تونس وانتصابها بازاء صقلية ومالطة كانت في الاجيال السابقة كاحدى سيدات البحر تجري اليها قوافل افريقية والسودان وتغنيها برافقها الجمَّة. وقد اطنب في وصفها جغرافيُّو العرب فاشاروا الى حصانتها وذكروا سورها المبني بالصخر ومرفأها الامين واسواقها الحافلة الجامعة وحمَّاماتها الكثيرة ومساجدها

لاسيما الجامع المعروف بالقبة وقوسها الروماني وخصب تربتها وترقي صناعتها

وما يجعل لمدينة طرابلس شأناً عظيماً انها منفذ للبلاد الداخليَّة اليهـا تتوارد محصولات السودان على طريقي غدامس ومرزوق. وهي تفضل في ذلك على مرافئ الجزائر وتونس. وللمدينة تحصينات مهمَّة اخصُّها قلعتها الجديدة ثم عدَّة قلاع قديمة تُنسب الى الامم التي اقامتها عند احتلالها للمدينة. امَّا سكانها فقد احصاهم مؤخرًا احد المرسلين ٦٠,٠٠٠ منهم ٤٠,٠٠٠ عرب وترك و١٠,٠٠٠ يهودي و٨,٠٠٠ نصراني. خرِّبي طرابلس وملحقاتها آثار قديمة عديدة كهياكل وملاعب وقصور يرقي بعضها الى عهد الفينيقيين والرومان ومن آثار كورتها مدينة لبدة (Leptis) احدى المدن الثلث التي بها سُميت طرابلس يُرى منها حتى اليوم رسوم قديمة على بُعد خمسين ميلًا من طرابلس شرقًا بينها اعمدة من رخام عظيمة وابراج ضخمة بعضها على منعطف الجبل المجاور وبعضها قد غمرهُ البحر. قيل انَّها بلغت بالعمران مبلغ قرطجنة ثم خربها الوندال

امَّا المدينة الثالثة سَبْرَت (Sabratha) فلا يُعرف غير موقعها

وكورة طرابلس تحتوي الحزون والبطون بينها الاودية المخصبة يكثر فيها النخل والزيتون والاشجار المثمرة وتتوفَّر الغلَّات وتمتدُّ المناجع الطيِّبة وبينها ايضاً الصحارى الغامرة والسباخ القحلة والاراضي الجدبة التي لا تصلح لزرع وعلى بعض مسافة من الساحل سلسلتا جبال تتوازيان كلبنان وجبل الشيخ بينهما بقاع كبقاعنا واسعة الخيرات كثيرة الخصب معدَّل مسافتها ثلاثون ميلًا. ومن جبالها ايضاً جبل نفوسة في جنوبيها الغربي. ولاهلها عناية خاصَّة بتربية النحل ومشارة العسل. ومن مدن طرابلس غدامس على طريق بلاد السودان فيها الجلود المفضَّلة ولها عين غزيرة الماء طيِّبة بقربها آثار قصر رومي جليل وكانت قوافل البلاد الداخلية تتزاحم فيها الَّا انَّها منذ امتلاك الاوربيين لبلاد الكنغو صارت تفضل طريقها الامينة

امَّا المتصرفيَّات الداخليَّة فواحات عامرة في وسط السباخ والصحارى منها جنوبي برقة واحات أوجلة وكفراء حيث النخل والاشجار والفواكه. وقد استولى على تلك البلاد السنوسيُّون منذ نحو خمسين سنة. ثم واحات فزَّان وقاعدتها زَويلة اشتهرت باسواق الرقيق قال عنها ابن سعيد انَّها « جزائر نخل ومياه في صحارى »

وكذلك في فزّان من الامكنة العامرة زالّة مدينة صغيرة عامرة كان لها حصن منيع. وودّان فيها مزارع ذرة وتوت ونخيل ومواشي. وسَنترية الشهيرة برمانها وهي وبئة. ومنها واح غاث حيث مدينة حديثة يسكنها البربر ومدينة بركة اهلهـا طوارق (Touaregs)

﴿ تاريخها ﴾ يظهر ان اوّل من سكن طرابلس الغرب الفينيقيون استعمروها كما استعمروا سواحل تونس حيث بنوا قرطاجنة. الّا ان بلاد برقة كانت واقعة تحت نفوذ المصريين وماوكهم الفراعنة. ثم مصّرها اليونان في عهد البطالسة ونشروا فيها عمران بلادهم وبلّغوها ذروة الحضارة. ولمّا فتح الرومان قرطجنة سنة ١٤٦ قبل المسيح ودمّروا ابنيتها استولوا على كل بلادها وجعلوها اقليماً من اقاليمهم فدعوها افريقية الرومانية وكانت طرابلس داخلة في حكمها الّا بلاد برقة التي لم تلحق بها الّا بعد زمان

وخلف الرومانَ ملوكُ الروم في القسطنطينية فوكلوا تدبير اقليم افريقيـة الى عمالهم الى ان غلبهم عليه ملوك الوندالة في القرن الخامس فنهبوهُ وبقي في حوزتهم مدّةً ثم عاد الروم فملكوهُ الى عهد العرب الذين ساروا اليـه بعد فتح مصر ولم يزالوا يحملون على برقة وطرابلس الحملة بعد الحملة حتى استولى عليهما سنة ٢٩ للهجرة (٦٥١ م) عمرو بن العاص ثم اتمّ الفتح عقبة بن نافع لكن البربر اغتالوهُ وقتلوهُ مع قوم من العرب ولم تنتظم الامور الّا في ايّام بني اميّـة لما تولّى على افريقية موسى بن النصير سنة ٧٧ هـ (٦٩٧ م) ففرّق شمل البربر وقتل قائدهم كسيلة

وتتابعت الولاة على طرابلس وملحقاتها من قبل بني اميّة ثم من قبل بني العبّاس من بعدهم حتى تولّى ابراهيم بن الاغلب سنة ١٨٤ هـ (٨١٠ م) واستقلّ ابناؤهُ من بعده الى عهد ثامنهم ابي مضر زيادة الله فانتقض حبل الاغالبة وضعفوا فارسل خلفاء الدولة الفاطمية جيوشهم فضبطوا بلاد طرابلس سنة ٢٩٦ (٩٠٩ م) ثم غلبهم عليها بعض عمّالهم وصارت الى بني زَيْري سنـة ٣٦٢ (٩٧٢ م) لكنّ الفاطميين استرجعوها سنة ٤٤٦ (١٠٤٤ م)

وفي سنة ٥٤٣ (١١٤٩ م) فتحها ملك صقلّية روجار من ملوك النرمنديين مع

سواحلها الى قرب تونس ولم تطل مدة ملكهم على اتخانها فبسط سنة ٥٥٣ (١١٥٨ م) عليها الموحدون ايديهم. ثم صارت من بعدهم الى اصحاب تونس من عمال الموحدين وهم المعروفون ببني حفص فملكوها من السنة ٦٢٥ (١٢٢٨ م) الى ٩١٥ (١٥١٠ م) فاستولى عليها فرديناند ملك اسبانية وابنة كارلوس الخامس ثم تنازل هذا عنها لفرسان رودس سنة ١٥٣٠ لكن طرغود باشا انتزعها من يدهم سنة ٩٥٥ (١٥٥١م) وجعلها حصناً حصيناً يأوي اليه قرصان البحر فينقضون كالبزاة على سفن الاوروبيين. ثم ملكها الفرنسويون مدة سنة ١٠٩٤ (١٦٨٥ م) وانما استرجعتها الدولة العلية وحفظتها تحت حكمها الى اواسط القرن الثامن عشر حيث استقل بها احمد بك احد الامراء القرمانيين تحت سيطرة الدولة العثمانية. وفي سنة ١٨٣٥ عادت للدولة السيادة التامة عليها فجعلت طرابلس كاحدى ولاياتها

فترى كم تقلب على طرابلس من الاحكام وقد ابقت كل دولة فيها شيئاً من آثارها لاسيما مدينة طرابلس حيث عدة قلاع تنسب كل منها الى الدولة التي ابتنتها

﴿ اهلها ﴾ ان اهل طرابلس الغرب الوطنيين هم البربر او البرابر والبربر قبائل متعددة يفضلون السكنى في الجبال ففي الجهات الشرقية قبائل لواتة وهم من نسل قدماء الليبيين. وفي اواسط البلاد قبائل زناتة اما النواحي الغربية فتسكنها قبائل صنهاجة ونفوسة. ومن نفوسة كان طارق فاتح الاندلس. ومن قبائل البربر الكبيرة الطوارق وهوارة وبنو مزاب وهم قوم ذوو بأس ونخوة واباء. وللبربر لغة خاصة يلحقونها باللغات الهندوجرمانية وقد امتزج فيها الفاظ عربية كثيرة

واكثر سكان بلاد طرابلس بعد البربر العرب قيل ان بعضهم سبقوا الهجرة فاتوا افريقية في ايام ملوك حمير فنزلوا البلاد وسكنوها والبعض الآخر قدم مع عمرو بن العاص او قصدها من بعده بتوالي الاعصار. والعرب يأنسون الى البراري وينتجعون المراعي الطيبة لمواشيهم وقد افسدوا غابات كثيرة واحرقوها لتصلح لقطعانهم. ومن قبائلهم الشهيرة اولاد سليمان وبنو ارفلة وهم اصحاب غارات وحروب ثم اولاد ابي يوسف قوم كرام ذوو اخلاق رضية. وكثيراً ما اختلط البربر والعرب بالزواج حتى صار يصعب الفرق بين الفريقين صورة ونسباً

ومع البربر والعرب يكثر في طرابلس الغرب جيل الزنوج كان النخاسون يأتون

بهم من البلاد الداخليَّة فيبيعونهم كعبيد ثم كثروا حتى اتخذوا لهم ضياعاً وقرى بيوتها من القصب وسعف النخل ومنهم من يأوي في الجبال الى كهوف واسعة احتفروها وسكنوها مع اهلهم ومتاعهم. والزنوج على هيئات شتى ومن قبائل متعدّدة. ولغتهم تُعرف باللغة السودانيَّة

والترك في طرابلس الغرب ليسوا بالعدد الوافر وانَّما يضبطون زمام الامر فمنهم الولاة والعمّال والشُرَط. وهم في التمدُّن ارقى من سواهم من اهل طرابلس

وفي انحاء طرابلس ايضاً نحو ٢٠,٠٠٠ من اليهود واكثرهم في المدن ومنهم من يسكن في المغاور كالزنوج خصوصاً في جبل غوريان. ولهم حاخام وكلت اليه ادارتهم وتنظيم امورهم والمسئوليَّة عنهم لدى الحكومة

وهناك ايضاً قوم من الاجانب لاسيما الايطاليين والمالطيين والاسبانيين مع قليل من الاقباط. وكان هؤلاء الاجانب قد كثروا في هذه المدَّة الاخيرة

﴿ تجارتها ﴾ انَّ موقع بلاد طرابلس الغرب يجعلها من افضل البلاد للمتاجرة اذ هي فرضة افريقية السودانيَّة والوسطى بين قبائل الجهات الداخليَّة وبلاد العرب ولذلك ترى السيَّاح والجغرافيين منذ قديم العهد يتمعون في بيان معاملات مدنها الساحليَّة مع الاصقاع البعيدة عن البحر غير انَّ صروف الدهر والتقلبات التي طرأت على تلك الاصقاع وتوالي الامم في ملكها كلُّ ذلك قد خفَّف تلك الحركة التجاريَّة وحصرها في مراكز قليلة اخصُّها اليوم بنغازي وطرابلس وطبروك وهي في نفس هذه المدن ضيِّقة النطاق اذ ليس لها مرفأ يمكن السفن الكبرى من الرسوّ عندها

وكانت صادرات طرابلس قديماً الانسجة القطنيَّة والصوفيَّة والحريريَّة وكان فيها معامل شهيرة للاقمشة والطنافس والسختيان واستحضار الجلود وتُساق اليها المواشي والقطعان واليها كانت تتوارد جواهر البلاد الداخلية وحجارتها الكريمة والعاج وريش النعام والصمغ والزعفران. وكثير من هذه الصادرات قد بطل اليوم واخصّ محصولات طرابلس في زماننا الحلفاء. يبيعون منها بنحو ٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك ثم الملح المعدنيّ والصناعي والكبريت والعاج وريش النعام والمواشي. وممَّا بطل ايضاً مع ترقي التمدُّن وبفضل اتفاق الدول لسواق الرقيق التي كانت تُقام في طرابلس فيباع العبيد بيع السلع والحيوان

امّا الواردات فمعظمها المنسوجات الاوروبيّة والمعادن النافعة كالحديد والنحاس ثم الخزفيّات والافاويه والبزور والشمع والتبغ وقد قدّر بعض الاقتصاديين قيمة صادرات ايالة طرابلس بنحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وارداتها بنحو ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ يدخلها في السنة نحو ٧٠٠ سفينة محمولها قريب من ٣٠٠,٠٠٠ طنّ

﴿ الاديان ﴾ الدين الشائع في طرابلس الغرب انّما هو الاسلام مع سننهِ وفرائضهِ. وانّما الاهلون حنفيّون بينما الاتراك يجرون على مذهب الامام مالك . وقد شاعت في جهات المغرب والجزائر وتونس وطرابلس طوائف نصفها دينيّ ونصفها الآخر سياسيّ تنتمي الى بعض مشاهير الرجال الذين تتلمذ لهم الناس فجروا على طرائقهم في العبادات والفرائض والمناسك منهم الصوفيّون والدراويش والاخوان ينضمّ الطالبون الى جماعتهم بعد امتحان معلوم ويعيشون في الزوايا او مع جمهور الناس مرتبطين بروابط الطاعة لرئيس الطريقة اشتهر منهم في سواحل المغرب القدريّة والشاذليّة والطيّبة والتيجانيّة والرحمانيّة

وممّن افاض الكتبة في اخبارهم في اواسط القرن السابق السنوسيّة الذين كثر فيهم القال والقيل في هذه المدة الاخيرة وخلاصة تاريخهم انّ الشيخ محمّد ابن السيد علي السنوسي الخطابي المجاهريّ المولود سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ — ١٧٩٢ م) في مستغنم من اعمال الجزائر من اسرة تترقّى الى الحسن بن علي كان انقطع في شبابهِ الى درس القرآن والفقه في وطنهِ ثم رحل في السنة الثلاثين من عمرهِ الى فاس فأخذ عن علمائها وبعد سبع سنين رحل الى مكّة وزار في طريقهِ ائمة زمانهِ ودرس الطرائق الشائعة من قبلهِ في جهات المغرب ثمّ في مصر والحجاز . ولقي في مكّة السيد احمد ابن ادريس الفاسي فتتلمذ لهُ واخذ عنهُ طريقتهُ الخادريّة حتى برع فيها . فلمّا توفي استاذهُ لم يتفق تلامذتهُ في اختيار خلفهِ فانقسم الخادريون قسمين قسم تبع السيد الهندي محمّد صلاح المرغنيّ وقسم انضم الى الشيخ محمّد السنوسيّ الجزائري واتّخذ كلاهما في مكّة زاوية لاصحابهِ . فابتنى الشيخ السنوسي زاويتهُ على جبل مجاور لمكّة يُدعى ابا قبيس كان يعلّم فيها فتتوارد اليهِ الطلّاب لشهرتهِ لاسيما من اهل المغرب وجهات افريقية فبقي هناك يعلّم ثماني سنوات (١٨٣٥ الى ١٨٤٣) الّا انّ الحساد لم يزالوا يسعون بهِ واتهمتهُ الدولة العليّة بمناصرة شريف مكّة عبد المطلب عليها

فاضطرّ الى الخروج من مكة وتبعهُ تلامذتهُ ورحل الى طرابلس الغرب فسكن مدّة في بنغازي ثم انتقل الى الجبل الاخضر في نواحي برقة سنة ١٢٥٥ وكان يفرض على طلّابهِ ان يبتنوا الزوايا حيثما حلّوا فكثر هذه الرابط في جهات برقة واوجأة وواحات كفراء حتى بلغ عددها ٢٢ زاوية في آخر حياتهِ وكثر عدد تبعتهِ حتى بلغوا مئات الوف وكان لهُ فيهم نفوذ عظيم يقضي عليهم بشظف العيش والاصوام الطويلة والفرائض الشاقة فزادت بذلك سلطتهُ على اتباعهِ حتى خافت الحكومة التركيّة من حركة يتولّاها السنوسيّون فتوغّل الشيخ السنوسيّ في داخل البلاد واتّخذ لهُ مركزاً في مدينة جغبوب قريباً من تخوم مصر وكان يبتاع العبيد فيعلّمهم طريقتهُ ويرسلهم الى السودان لينشروا هناك تعاليمهُ. ولمّا مات الشيخ السنوسيّ سنة ١٨٥٩ خلفهُ ابنهُ السيد محمّد المهديّ وساعدهُ اخوهُ في نشر الطريقة السنوسيّة حتى اتبعها عليه ملك ودّاي واهل مملكتهِ وكان يؤدون الخراج للسيد محمّد حتى صار اشبه بملك والسنوسيّون اشبه بأمّة مستقلة تخافها الدول المجاورة لها وقد توفي محمد المهدي سنة ١٩٠٢ وخلفهُ شقيقهُ محمّد شريف الى اليوم

امّا الزنوج في طرابلس الغرب فيجرون على عاداتهم الدينيّة من اكرام الارواح وتعظيم القوّات الطبيعة. وكثيرون منهم اسلموا

وقد سبق ذكر اليهود. امّا النصرانيّة فكانت قبل الاسلام ديانة تلك البلاد دخلت اليها منذ القرون الاولى للمسيح وكان لجهات برقة اساقفة يتبعون بطريرك الاسكندريّة لكنّ انحاء طرابلس كانت خاضعة لرئيس اساقفة قرطجنة

ولمّا انتشر الاسلام انقطعت في جهات طرابلس سلسلة الاساقفة حتى دثرت بعد مدّة آثار النصرانيّة . وفي القرن الثالث عشر انجر الرهبان الفرنسيسيّون الى طرابلس مع الرهبان الثلاثيين فخدموا الاسرى الذين كان يستعبدهم قرصان البحر ففدوا منهم كثيرين وخدموا الباقين بكل غيرة حتى انهم كانوا يسكنون معهم في اللومان لا يفارقونهم ليلًا ولا نهارًا . ودامت هذه الحالة الحرجة الى ان ابرمت الدولة الفرنسويّة العهود مع تركيا فتساهلت الدولة العليّة وسمحت للآباء الفرنسيسيين ان يسكنوا في مدينة طرابلس الغرب فقدموا اليها سنة ١٦٣٠ وكانوا اوّلًا من الايطاليين. وفي سنة ١٦٤٣ رُقّيت الرسالة الى نيابة رسوليّة وكان اوّل نائب

فرنسوياً اسمهُ الاب بسكال كانتو (Pascal Cantôt) يساعدهُ ثمانية من ابناء رهبانيتهِ فكانوا يهتمّون بالنصارى القادمين للمتاجرة الى طرابلس وباسرى الحرب الذين لم يقلّ عددهم عن الف نفر وقد قاسى الرهبان مشقات كثيرة في عملهم ومات بعضهم شهداء ايمانهم اوّلهم وهو الاب بطرس دي بنتي الايطالي مات حرقاً سنة ١٦٥٤ ولم يُسمح لهم ان يبنوا معبداً الى اواخر عهد الملك لويس الرابع عشر

وقد تحسّنت الامور في القرن التاسع عشر وصارت الرسالة في ايدي الرهبان الايطاليين والنائب الرسولي الحالي هو الاب غتراغا روستّي (G. Rossetti) تعيّن لهذه الوظيفة منذ ٢٣ سنة. وعدد الكاثوليك في مدينة طرابلس ٤,٤٠٠ لهم مدرسة ثانويّة عامرة يديرها الاخوة الرعيّون وطلبتها ٢٩٥. وللبنات مدرسة أخرى تحت ادارة راهبات مار يوسف عدد فتياتها ٣٥٠. وفي طرابلس ٣,٠٠٠ نفس من الروم اليونان

وللكاثوليك ايضاً مراكز اخرى لخدمة النصارى منها مركز للرهبان في دُرْنة ولهم في بنغازي مدرستان للذكور والاناث. ولهم اربعة مراكز غيرها للرعايا وقد بنى المرسلون حديثاً مستشفى كبيراً يُقبل فيهِ المرضى من كل الاديان وفتحوا ستّة مستوصفات تُعطى فيها الادوية مجّاناً. ولهم ميتم كبير. وعدد المرسلين ٢٥ راهباً يضاف اليهم ٤٦ اخاً من الرعيين والرهبان المدرّسين و١٧ راهبة

فكفى بهذا شاهداً صادقاً على نجاح الكثلكة ورقي اعمالها الخيريّة في طرابلس الغرب. فالله نسأل ان يأخذ بيد كلّ عملة الخير وينبي في افريقية اسباب العمران ويصون فيها حقوق الدولة العليّة من كل طامع ينوي اهتضامها

الأخطَل ومَصْقَلة بن هُبَيْرة

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

مدح الاخطل مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشيباني في قصيدةٍ (١ مطلعُها :

هل تعرفُ اليومَ من ماويَّةَ الطَّلَلا تحمَّلتْ إنهُ منهُ وما احتَمَلا .

وهذه القصيدة هي من فاخر شعر الاخطل . ومصقلة هذا من كبار الرجال واشهرهم كرماً وبأساً وكان عاملاً لعليّ على أرْدَشِير خُرَّه . وفي رأينا انهُ كان نصرانيًّا . فلما ارسل عليّ جيشاً الى بني ناجية تحت إمرة قيس بن مَعْقِل فقتل المقاتلة وسبى الذَّراري مرّ بهم على مصقلة فاستغاث بهِ النصارى فاشتراهم واعتقهم . فشكرهُ الاخطل واثنى على كرمهِ . هذا ما نرغب ان نوضحهُ بعد ان نبيّن علوّ كعب الاخطل في الشعر

الاخطل التغلبيّ ويكنى ابا مالك من شعراء الدولة الأُموية كان نصرانيًّا من اهل الحيرة متمسكاً بدينهِ . وكان يُقال لهُ ذو الصليب لانهُ كان يعلّق صليباً على صدرهِ . وكفى دليلاً على نصرانيَّته انَّ اعداءه كانوا ينبذونهُ بابن النصرانيَّة وانهُ يذكر في شعرهِ الصليب كراية قومهِ في الحرب بين تغلب وقيس ومار سركيس كشفيع لهم وشعارهم في القتال . قال (٢ :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا ومار سَرجيسَ وسمًّا ناقعا
وابصروا راياتنا لوامعا كالطير اذ تستوردُ الشرائعا

ولمَّا عرض عليهِ عبد الملك الاسلام اجابهُ الاخطل مفتخرًا بثباتهِ على دينهِ في ابيات تجدها في الديوان ختمها بهذا الشطر (٣ :

وأسجدُ عند مُنبلج الصباحِ

يعني انهُ يعبد الله ويسجد لعزته وقت ذبيحة القدّاس

---

١) تجد هذه القصيدة مع شروح شافية توضح ما غمض من المعاني في (الصفحة ١٢٨–١٤٥) من ديوان الاخطل الذي عُنينا بنشره وطُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

٢) الديوان (ص ٣٠٩) ٣) الديوان (ص ١٥٤)

وكان الاخطل يقيم تارةً في دمشق دار الخلافة الاموية وحيناً في الجزيرة لانها منازل تغلب عند قومهِ بني مالك بن جُشَم. ومن ثمَّ تحلَّى بصفات وكمالات البدو والحضر فاكتسب من عيشة البدو علم الأنواء والنجوم والسحاب والمطر واسرار الطبيعة ومعرفة النبات والاشجار وطبائع الحيوان فيذكر ذلك في شعرهِ ويصفهُ احسن وصف. وشعرهُ اشبه شيء بشعر الجاهليين في المتانة والجودة والخارج من السَّقَط. واقتبس من الحضَر ومعاشرة الامراء والملوك آداب الكرام وسموَّ الافكار وشرف المعاني ورقة العواطف

ولم يلبث الاخطل ان نبغ في الشعر وطار لهُ الصيت الشهير حتى اتَّصل بالخلفاء فأجاروا معاملتهُ خصوصاً يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك. فكان يدخل على الملوك في مجالسهم بدون اذن ويحظى عندهم حتى ان عبد الملك لفرط ما أُعجب بهِ امر مولًى لهُ ان يخرج بهِ على الناس وينادي: هذا شاعر امير المؤمنين هذا شاعر بني امية هذا اشعر العرب. ومن ثمَّ لم يخشَ ان يكلّم الملوك بجرأة وسطوة فقال يوماً لعبد الملك (١

وتَعوزُ اناساً عزَّةٌ يكرهونها ونحيي كراماً او نموت فنُقتَلُ
وان تحاوروا عنهم فما من حمالةٍ وان تُقتَلت الّا دمُ القوم اثقلُ
وان تعرضوا فينا لنا الحقَّ لم نكن عن الحقّ عمياناً بل الحقَّ نسألُ
وقد نتزل الثغرَ المخوف ويُتَّقى بنا البأسُ واليوم الاغرُّ المحجَّلُ

فايّ شاعر غير الاخطل امكنهُ ان يتهدَّد هكذا عبد الملك او ان يمنّ عليهِ بقولهِ (٢:

بني أُميَّةَ اني ناصح لكمُ فلا يبيتنَّ فيكم آمناً زفرُ
وقد نُصرتَ اميرَ المؤمنين بنا لمّا اتاك ببطن الغوطةِ الخبرُ

ومحلّ الاخطل في الشعر اكبر من ان يحتاج الى وصف. فتارة يتدفق كلامه ويجري كنهرٍ حافل بالمياه كما وصف هو الفرات اذ قال (٣:

وما مُزبدُ الأطوادِ من دون عانةٍ يشقُّ جبال القَوْر ذو حَدَبٍ غَمرِ

---

١) الديوان (ص ١١) ٢) الديوان (ص ١٠٥) ٣) الديوان (ص ٢١٤)

متى يَطَّرد يَسق السَّوادَ فضولُهُ وفي كل مُستَنٍ جداولُه تجري

واخرى يدوي دويّ الرعد القاصف وينقضّ كالصواعق. وطوراً يضيء ويلمع كالبرق في الدجى. وحيناً يتزين بالبهجة كروضة خضراء ازهر نَوْرُها (١):

نفت الصبا عنها الجهامَ واشرقت للشمس غبَّ دجنّة وطلالِ
بيج الربيع لها فجاد نباتها وغنتْ بأسحَمَ وابلٍ هطّالِ

فيجيد النسيب والزُّهد والوصف والمديح والفخر والهجاء في عفاف. فقد اجاد في النسيب اذ قال (٢):

رأيتُ لها وجهاً اغرَّ فراعني وطَرْفاً غضيضاً مثلهُ اورثَ الخَبْلا
وخدًّا أسيلًا غيرَ زَغْبٍ مَقَذَّهُ بسُذْعَةٍ في الجيد قد فُتِلتْ فَتْلا
فتلكَ التي لم تُخطِ قلبي بسهمها وما وترتْ قوساً ولا رصفت نَبْلا
غداةَ بدتْ غرّاء غير قصيرةٍ تُذرّي على المتنين ذا عُذَرٍ جَثْلا

وتزهّد فأحسن (٣):

اعاذلَ انَّ النفس في كفّ مالكٍ اذا ما دعا يوماً اجابت له الرُّسلا
ذريني فلا مالي يردُّ منيّتي وما ابنُ أرى حيًّا على نفسه قُفلا
وليس بخيلُ النفس بالمال خالداً ولا من جوادٍ فاعلمي ميّتٍ هزلا
ألا ربَّ من يخشى نوائبَ قومهِ وريبُ المنايا سابقات بهِ الفعلا
ويا ربَّ غادٍ وهو يُرجى إيابهُ وسوف يلاقي دون أوبتهِ شغلا

ووصف فصوّر للمناظر الثور الوحشي في ليلة ماطرة ثم الصياد يُشلي كلابه عليه عند مطلع الشمس قال (٤):

فما بهِ غير مَوْشيٍّ اكارعهُ اذا احسَّ بشخصٍ نابئٍ مثلا
يرعى بخَيْنَفَ احياناً رُقَصرهُ ارضٌ خلاء وماء سائلٌ غلَلا
شهرَيْ جُمادى فلمّا كان في رجبٍ أنبتَتِ الارضُ ممّا حُبِلَت حَبَلا
فانَّ عطّارةً باتت تُطيف بهِ حتى تسرولَ ماء الوَرْس وانتعلا

---

١) الديوان (٢٢٢) ٢) الديوان (١٧٨)
٣) الديوان (١٧٧) ٤) الديوان في القصيدة التي مدح بها مصقلة (١٢٨-١٤١)

من خَضْبِ نَوْرٍ خُزامى قد اطاعَ لهُ ... اصاب بالقفر من وسميهِ خَضَلا
حتى اذا الليل كفَّ الطرف ألبسهُ ... غيثٌ اذا ما مَرَتْهُ ريحهُ سَحَلا
داني الرِّباب اذ ارتجّت حواملهُ ... بالماء سدَّ فُروجَ الارض واحتفلا
فبات مُكتلئاً للبَرْقِ يَرقُبهُ ... كليلةِ الوَصَبِ ما أغفى وما عَقَلا
فبات في حِقْفِ أرطاةٍ يلوذ بها ... اذا احسَّ بسيلٍ تحتهُ انتقلا
كأنهُ ساجدٌ من نَضْخِ دِيمتهِ ... مُسبِّحٌ قام نصف الليل فابتهلا
يَنفي التراب بِروقَيهِ وكلكلهِ ... كما استمازَ رئيس المِقْنَبِ النَّقَلا
كأنما القطرُ مرجانٌ يساقطهُ ... اذا علا الرَّوقَ والمتنَيْنِ والكفَلا
حتى اذا الشمس وافتهُ بمطلعها ... صبَّحهُ ضامرٌ غرثانُ قد نَحَلا
طاوٍ ازلُّ كسرحانِ الفلاة اذا ... لم تُؤْنِسِ الوحشُ منهُ نَبأةً خَتَلا
يُثني سَلوقيةً غُضفاً اذا اندفعت ... خافت جديلةَ في الآثار او ثُعَلا
مُكلَّبينَ اذا اصطادوا كأنهمُ ... يسقونها بدماء الأُبْدِ العَسَلا
فانصاعَ كالكوكبِ الدُّرِّيِّ جرَّدهُ ... غيثٌ تقشَّعَ عنهُ طالَ ما هطلا
حتى اذا قلت نالتهُ سوابقها ... كرَّ عليها وقد امهلتهُ مَهَلا
فظلَّ يطعنها شزراً بقولهِ ... اذا اصابَ بروقٍ ضارياً قتلا
كأنهنَّ وقد سُربلنَ من عَلَقٍ ... يَغشَيْنَ موقدَ نارٍ تقذفُ الشُّعَلا
اذا اتاهنَّ مكلومٌ عكفنَ بهِ ... عكفَ الفوارسِ هابوا الدارعَ البَطَلا
حتى تناهينَ عنهُ سامياً حَرِجاً ... وما هَدَى هَدْيَ مهزومٍ وما نكَلا

ومدح فرفع . مثال ذلك مديح همّام بن مُطرِّف التغلبي (١ :

وكرَّارُ خلفَ المُرْهَقينَ جوادهِ ... حفاظاً اذا لم يحمِ أُنثى حليلُها
ثنى مُهرَهُ والخيلُ زَهْوٌ كأنها ... قِداحٌ على كفَّي مُفيضٍ يُجيلُها
يُهينُ وراءَ الحيِّ نفساً كريمةً ... لِكبَّةِ موتٍ ليس يُودى قتيلها
ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ ... وانَّ منايا الناس يسعى دليلها
فان عاش همّامٌ لنا فهو رحمة ... من الله لم تُنقَس علينا فضولها

١) الديوان (٢٤٥ و٢٤٦) راجع ايضاً (١٠١ — ١٠٥)

وان مات لم تستبدل الارضُ مثلَهُ لأخذِ نصيبٍ او لامرٍ يَعولها

وافتخر فكرُم وتسامى اذ قال (١:

واني لِمن علياء تغلب وائلٍ لأطولُها بيتاً وأثبتُها أصلا

انا الجُشَميُّ الرحبُ في الحيِّ منزلاً اذا احتلَّ مَضهودٌ بعضنيةٍ هَزلا

وقد علمتْ أبناء تغلبَ انني نُضارٌ ولم أنبتْ بقَرقرةٍ أثلا

وأنيَ يوماً لا مُضيعٌ ذِمارها ولا مُفلتي هاجٍ هجا تَغلبياً بُطلا

وهجا قامضٌ ووضع. من ذلك قولهُ في مقتل عمير بن الحباب (٢

أمعشرَ قيسٍ لم يُمتِّع اخوكمُ عُميرٌ بأكفانٍ ولا بطَهورِ

تدلُّ عليهِ الضبعَ ريحٌ تضوَّعت بلا نفحِ كافورٍ ولا بعَبيرِ

وقال ايضاً فيهِ (٣:

يعرّفونك رأسَ ابن الحُباب وقد أضحى وللسيفِ في خيشومهِ أثرُ

لا يسمعُ الصوتَ مُستكّاً مسامعهُ وليس ينطق حتى ينطق الحجرُ

أمبتَ الى جانب الحشّاك جيفتهُ وراسهُ دونهُ اليحمومُ والصُّوَرُ

فلا عجب اذاً إن اجمع كثير من الادباء على ايثار شعر الاخطل وتفضيلهِ على جرير والفرزدق. فقد جعل العلماء هؤلاء الشعراء الثلاثة طبقة واحدة واوّل طبقات الاسلام. ولكلّ واحد منهم طائفة تفضّلهُ. اخبر ابو عبيدة قال: جاء رجل الى يونس فقال لهُ: من اشعر الثلاثة. قال: الاخطل. قلنا: مَن الثلاثة. قال: اي ثلاثة ذكروا فهو اشعرهم. وكان ابو عبيدة يقول: شعراء الاسلام الاخطل ثم جرير ثم الفرزدق والاخطل اشبه بالجاهليّة واشدّهم أسرَ شعرٍ واقلّهم سقطاً! وقال مَسلمة بن عبد الملك: انا اعلم العرب بثلاثة يعني الاخطل والفرزدق وجريرًا امّا احدهم فيجيء سابقاً ابدًا يعني الاخطل وامّا الآخر فيجيء مُصلّياً يعني الفرزدق وامّا الآخر فيجيء سابقاً مرّة ومُسكّياً (٤ مرة وهو جرير. وكان ابو عمرو بن العلاء يقول: لو ادرك الاخطلَ يوماً

١) الديوان (١٧٨) ٢) الديوان (٢٥) راجع ايضاً (١٢٠–١٢١)

٣) الديوان (١٠٦)

٤) السكيت ما يجيء في آخر الحلبة آخر الخيل ويقال للثاني المُصلّي لانهُ يكون عند صلا الاوّل

واحدًا من الجاهليَّة ما فضَّلت عليهِ احدًا. وسئل حماد الراوية عن الاخطل فقال : ما تسألوني عن رجل حبَّب شعرهُ اليَّ النصرانيَّة. وسئل ايضاً عن الشعراء فقال : اشعر العرب شيخا وائل الاعشى في الجاهليَّة وهو صنَّاجة العرب والاخطل في الاسلام

ولمَّا ان قضى الاخطل للفرزدق على جرير اضطرمت بينهما نار العداوة واستطارا في الهجاء. على ان جريرًا كان يعرف للاخطل حقَّهُ ويقدّرهُ قدرهُ. سأل عكرمة بن جرير اباه عن الاخطل فاجابهُ : يجيد مدح الملوك ويصيب نعت الخمر. وذكر ابو عمرو ان جريرًا سُئل اي الثلاثة اشعر فقال : اما الفرزدق فتكلَّف مني ما لا يطيق واما الاخطل فاشدُّنا اجتراء وارمانا للفرائص. واخبر نوح بن جرير قال : بينا انا آكل مع ابي يوماً وفي فيه لقمة وفي يدهِ اخرى فقلت : يا ابتِ انت اشعر ام الاخطل. فجرض باللقمة التي في فيهِ ورمى بالتي في يدهِ وقال : يا بنيَّ لقد سررتني وسوَّتني فاما سرورك اياي فلتعهدك لي مثل هذا وسؤالك عنهُ واما ما سوَّتني بهِ فلذكرك رجلًا قد مات يا بنيَّ ادركتُ الاخطل ولهُ ثاب واحد ولو ادركتهُ ولهُ ثاب آخر لأكلني بهِ ولكني اعانتني عليهِ خصلتان كبر سنّ وخبث دين وما رأيتهُ قطّ الَّا خشيت ان يبتلعني

وكان الفرزدق ايضاً يعرف قدر الاخطل ويقدّمهُ في المديح خاصة. يروى ان الفرزدق دخل الكوفة فلقيهُ ضوء بن جُلاح فقال لهُ : مَن امدحُ اهل الاسلام. فقال لهُ : وما تريد الى ذلك قال تماريتا فيه قال : الاخطل امدحُ العرب. وقال عبد الملك للفرزدق : من اشعر الناس في الاسلام قال كفاك بابن النصرانيَّة اذا مدح

ولا تنحصر مزيَّة شعر الاخطل في جودة الشعر والفرائد اللغوية والادبيَّة التي تُجنى منهُ. انَّهُ لجزيل الفائدة ايضاً لمعرفة التاريخ اذ يشير الى ايام العرب واخبار القبائل والى وقائع وحوادث عديدة تمَّت في دولة الامويين. فكأنَّهُ تاريخ لدولة بني اميَّة. هذا فضلًا عمَّا يفيد لمعرفة البلدان لانَّهُ ورد فيهِ ذكر مئات من اعلام الامكنة لاسيما من انحاء قبائل العرب. وفي هذا القدر كفاية لمعرفة قدر الاخطل واهميَّة شعرهِ

وها نحن نثبت جزءًا من القصيدة التي مدح بها الاخطل مَصْقَلة بن هُبيرة البكريَّ الشيبانيَّ. ولسنا نقصد بذلك ان نبين للقرَّاء افخر ما اتى بهِ الاخطل لانَّا نجد في ديوانهِ قصائد تفضل هذه كالقصيدة التي مدح بها عبد الملك « خفَّ القطين

فراحوا منك او بكروا » (الصفحة ٩٨ — ١١٢ من الديوان) فانها من فاخر شعر الاخطل ومقدّمه. والقصيدة « تغيّر الرسم من سلمى بأحفارِ » (الصفحة ١١٢—١٢٠ من الديوان) فانها معدودة من المجمهرات وهي مثبتة في جمهرة اشعار العرب. فقصدُنا اذًا هو ان نعرف السبب الذي من اجلهِ مدح الاخطل مصقلة بن هُبيرة ومن ثمَّ يمكننا ان نعيّن الزمان الذي عاش فيهِ الاخطل ومدة حياتهِ بالتقريب

فالابيات التي نظمها الاخطل في مديح مصقلة هي هذه:

دعِ المُغيرَ لا تسأل بمصرعهِ ... واسأل بمصقلةَ البكريِّ ما فعلا
بمتلفٍ ومُفيدٍ لا يمنُّ ولا ... تُهلِكهُ النفسُ فيما فاتهُ عَذَلا
جَزْلِ العطاء واقرامٌ اذا سُئلوا ... يُعطون نَزْرًا كما تستوكفُ الوَشَلا
وفارسٍ غيرِ وقّافٍ برايتهِ ... يومَ الكريهة حتى يُعمل الأَسلا
ضَخمٍ تُعلّق أشناقُ الدّيات بهِ ... اذا المئونَ أُمِرَّتْ فوقهُ حَمَلا
ولو تكلّفها رِخْوٌ مَفاصلهُ ... او ضيّقُ الباعِ عن أمثالها سمَلا
وقد فككتَ عن الاسرى وثاقهمُ ... وليس يرجونَ تَلجاءً ولا دَحلا
وقد تنقّذتَهم من قعرِ مُظلمةٍ ... اذا الجبانُ رأى امثالها زَحلا
فهم فِداؤك اذ يكون كلهمُ ... ولا يَرَونَ لهم جاهاً ولا نفلا
ما في مَعدٍّ فتًى يُغني رِباعتهُ ... اذا يهُمُّ بامرٍ صالحٍ عملا
الواهبُ المائةَ الجُرجورَ سائقها ... تَنزو يرابيعُ متنَيهِ اذا انتقلا
انَّ رَبيعةَ لن تنفكَّ صالحةً ... ما أخّر الله عن حوبائك الأجلا
أغرَّ لا يحسب الدنيا تخلّدهُ ... ولا يقول لشيءٍ فاتَ ما فعلا

امّا السبب الذي حدا بالاخطل الى ان يمدح مصقلة فاننا نجدهُ في تاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري. قال (في الصفحة ٣٤٣٤ و ٣٤٣٥ من الجزء الاوّل) ما نصُّهُ :

« حدّثني ابو الطفيل قال: كنت في الجيش الذي بعثهم عليّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال: فاتينا اليهم فوجدناهم على ثلث فِرَق فقال امبرنا لفرقة منهم: ما انتم. قالوا: نحن قوم نصارى لم نرَ دينًا افضل من ديننا فثبتنا عليهِ. فقال لهم: اعتزلوا. وقال للفرقة الاخرى: ما انتم. قالوا: نحن كنّا نصارى فأسلمنا فثبتنا على اسلامنا. فقال: لهم اعتزلوا. ثم قال للفرقة الاخرى الثالثة: ما انتم. قالوا: نحن قوم كنّا نصارى فاسلمنا فلم نرَ دينًا افضل من ديننا الاول. فقال

لهم: أسلموا. فابوا. فقال لاصحابه: اذا مسحتُ راسي ثلاثاً فشدّوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية. فجيء بالذرّية الى عليّ فجاء معقلة بن هُبيرة فاشترام بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم معقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية. فقيل لعليّ: ألا تأخذ الذرّية. قال: لا فلم يعرض لهم»

وقال (في الصفحة ٣٤٣٨-٣٤٤٢):

« وبعث معقل بن قيس الخيل الى رحالهم فسبى من ادرك منهم فسبى رجالاً كثيراً ونساء وصبياناً ثم نظر فيهم فاما من كان مسلماً فخلّاه واخذ بيعته وترك له عياله واما من كان ارتدّ فعرض عليهم الاسلام فرجعوا وخلّى سبيلهم وسبيل عيالهم الّا شيخاً منهم فعرضنا يقال له الرماحس بن منصور قال: والله ما زلّت منذ عقلتُ الّا في خروجي من ديني دينَ الصدق الى دينكم... لا والله لا ادع ديني ولا اقرب دينكم ما حييت. فقدّمهُ فضرب عنقهُ

« وجمع معقل الناس فقال: اذّوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة: فاخذ من المسلمين عقالين وعمد الى النصارى وعيالهم فاحتسابهم مقيلاً بهم واقبل المسلمون معهم يتبعونهم فامر معقل بردّهم فلما انصرفوا تصافحوا فبكوا وبكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض... وكتب معقل بن قيس الى عليّ: ... واما من ارتدّ فانا عرضنا عليه الرجوع الى الاسلام والّا قتلناه واما النصارى فانا سبيناهم وقد اقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من اهل الذمة لكيلا يمنعوا الجزية ولكيلا يجترئوا على قتال اهل القبلة...

« ثم اقبل بهم حتى مرّ بهم على معقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامل عليّ على أردَشير خُرّه وبهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال: يا ابا الفضل يا حامي الرجال وفكّاك العناة امنُنْ علينا فاشترنا واعتقنا. فقال معقلة: اقسم بالله لأتصدقنّ عليهم...

« ثم ان معقلة بعث ذعل بن الحارث الذُهلي الى معقل بن قيس فقال لهُ: بعني بني ناجية. فقال: نعم ابيعكهم بألف ألف ودفعهم اليه وقال لهُ: عجّل بالمال الى امير المؤمنين. فقال: انا باعث الآن بصدرٍ ثم ابعثُ بصدر آخر كذلك حتى لا يبقى منهُ شيء ان شاء الله تعالى... ثم اقبل حتى نزل البصرة فمكث بها اياماً ثم ان ابن عباس سألهُ المال وكان عمّال البصرة يحملون من كُوَر البصرة الى ابن عباس ويكون ابن عباس هو الذي يبعث به الى عليّ. فقال لهُ: نعم انظرني اياماً. ثم سألهُ المال فادّى اليه مائتي الف. ثم انهُ عجز فلم يقدر عليه...

« وحدّث ذعل بن الحارث قال: دعاني معقلة الى رحله فقدّم عشاءهُ فطعمنا منهُ ثم قال: والله ان امير المؤمنين يسألني هذا المال ولا اقدر عليه فقلت: والله لو شئتَ ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال. فقال: والله ما كنتُ لاحملها قومي ولا اطلب فيها الى احد... فلا والله ما مكث الّا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية...

« وكان اخوه نُعيم بن هُبَيرة شيعياً ولعليّ مناصحاً فكتب اليه معقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال لهُ حلوان: اما بعدُ فاني كلّمتُ معاوية فيك فوعدك الامارة ومنّاك الكرامة فاقبلْ اليّ ساعة يلقاك رسولي ان شاء الله والسلام. فاخذهُ مالك بن كعب الارحبي وسرح به الى عليّ فاخذ كتابه فقرأه فقطع يد النصراني فمات... ولم يلبث التغلبيون الّا قليلاً

حتى بلغهم هلاك صاحبهم بحلوان فاتوا مصقلة فقالوا انك بعثت صاحبنا فاهلكته فاما ان تحييه واما ان تديه. فقال: اما ان احييه فلا استطيع ولكني سأديه. فوداه»

هذا ما جاء في تاريخ الطبري اوردنا منهُ ما يبيّن ان الاخطل انما مدح مصقلة بن هبيرة لانهُ افتدى اساري النصارى

ومما اوردناه يظهر ان مصقلة كان نصرانياً. هو رأينا ولا نحققهُ. فان ظروف الخبر كلها تشير الى ذلك. منها التجاء النصارى الى مصقلة واستغاثتهم بهِ وكافهُ بفدائهم وحنانهُ عليهم وتحمّلهُ حمالات باهظة رغبةً في فكّ اسرهم. ومنها تركهُ علياً ومجيئهُ الى معاوية الذي كان اوفر حلماً للنصارى ولدينهم فكان يأتمنهم ويستخدمهم. ومنها بعث مصقلة الى اخيهِ نُعَيم رسولاً نصرانياً من بني تغلب. ومنها إلحاح التغلبيين على مصقلة في نداء الرسول التغلبي الذي بعث بهِ الى اخيهِ فقطعت يداه ومات. فانَّ مثل هذا الالحاح لا يصدر الّا من اناس لهم دالّة على رجل من دينهم خصوصاً بعد ما ابدى مصقلة من الكرم نحو النصارى في فكّ اساراهم. ولا مانع من ان اخا مصقلة نعيم بن هبيرة كان شيعياً مناصحاً لعليّ فانَّ لفظة الشيعيّ في هذه العبارة تعني تشيُّعهُ لحزب عليّ ومخالفتهُ لحزب معاوية. وهذا هو معنى الكلمة الاصلي. وعلى افتراض ان نعيماً كان مسلماً فهذا ليس بسبب ليكون اخوه مصقلة متابعاً لهُ في الدين. يؤيد قولنا هذا ما كان من الفرق في الدين بين بني ناجية

ويحسن بنا الآن ان نخطو خطوة اخرى لنعرف متى عاش الاخطل اي متى كان مولده ومتى كانت وفاتهُ فنعلم من ثم مدَّة حياتهِ. فنقول ان بَعث معقل بن قيس الى بني ناجية كان حسب تاريخ الطبريّ في السنة ٣٨ للهجرة ونقدّر عمر الاخطل اذ ذاك ثلاثين سنة على الاقلّ لاننا لا نظنّ ان الاخطل نظم قبل هذا العمر قصيدة يعدّها العلماء والادباء من فاخر شعرهِ ومن عيون القصائد. ولا يمكن الافتراض ان الاخطل ابطأ وتأخر عن مدح رجل اظهر من المروءة والكرم نحو النصارى ما لا غاية بعدهُ. فيكون اذاً مولد الاخطل سنة ٨ للهجرة. وكان بدء هذه السنة يوم الاثنين اوّل ايار من السنة المسيحيَّة ٦٢٩. ولكي نعرف زمان وفاتهِ يكفينا ان نعرف انهُ مدح الوليد بن عبد الملك بخمس قصائد (١ فان لم تكن جميعها فلا

١) راجع ديوان الاخطل الصفحات (١٨٣ و٢٠٣ و٢١٦ و٢٢٣ و٢٦٤)

ريب في ان ثلاثاً منها نظمت في مديح الوليد اذ كان خليفة. قال (١:

ان الوليد امين الله انقذني وكان حصناً الى منجاته هربي
خليفة الله يُستسقى بسنّته الغيث من عند مُولي العلم مُنتخبِ

ويخبرنا التاريخ ان الوليد فتح في خلافته فتوحاً عظاماً منها الاندلس وكاشغر والهند وغزا الروم غزوات عديدة. فالى ذلك يشير الاخطل اذ قال (٢:

بها ترمي اعاديها قُريش اذا ما نابها امرٌ كبيرُ
لهُ يومان يوم قِراع كبشٍ ويوم يستظلّ بنسعٍ معيرُ
قتلتَ الروم حتى شذّ منها عصائب ما تحرّزها القصورُ

وقال ايضاً (٣:

وما بلغتْ خيلُ امرئٍ كان قبلهُ بحيث انتهت آثاره ومحاربُهْ
وتُضحي جبالُ الروم غُبْرًا بفجاجها بما اشعلت غاراتهُ ومقانبهْ

ومعلوم ان الوليد بن عبد الملك بويع سنة ٨٦ هجرية وتوفي سنة ٩٦ هـ. وكان بدؤها يوم الاحد ١٦ ايلول من السنة الميلاديّة ٧١٤ فاذا قلنا ان الاخطل عاش الى السنة الخامسة على الاقلّ من خلافة الوليد كنّا غير بعيدين عن الحقّ واذا عيّنا لوفاته السنة المسيحيّة ٧١٠ كما ذكرنا في ترجمة حياته في الديوان كنا قريبين من الصواب وذلك لسببين الاوّل انّهُ كان للشعراء في كل سنة موسم يقصدون فيهِ الخلفاء بالمديح. قال الفرزدق :

ستاتيك مني - كلّ عام قصيدة محبّرة نوفيكها كلّ موسمِ

وقد سبق لنا القول ان الاخطل حبّر خمس قصائد في مدح الوليد. والسبب الثاني هو انهُ لا يُصدَّق ان الاخطل نظم في السنة الاخيرة او السنتين الاخيرتين من عمرهِ القصائد الفخيمة الرنّانة التي يُقصد بها الملوك. ومن ثم نستنتج ان الاخطل عمّر نحوًا من ٨١ سنة. يؤيد قولنا هذا ما كتبهُ الرواة من ان الاخطل «عمّر عمرًا طويلًا» حتى قيل عنهُ انّهُ «شيخ قد تحطّم» وانهُ «دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أسنّ ونفد اكثر عمرهِ» ووصف بأنّهُ «رجل ابيض الرأس واللحية»

١) الديوان ١٨٥ ٢) الديوان ٢٠٤ ٣) الديوان ٢١٩

الّا انَّ شوكته في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادّة نافذة يؤيد ذلك القصائد الدرّيّة التي نظم جواهرها وقد ناهز الثمانين من عمرهِ

كتاب
طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سعى بنشرهِ وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم عند العرب (تابع)

واما المشهورون باحكام بعض اجزاء الفلسفة فكثير. فممّن اشتهر منهم عندنا بعلم حركات النجوم وهيئة العالم سوى من تقدَّم ذكرهُ احمد بن عبدالله البغدادي المعروف بحبَش (١ وكان في زمان المأمون والمعتصم ولهُ ثلثة ازياج اوّلها المؤلف على مذهب السند هند خالف فيهِ الفزاري والخوارزمي في عامّة الاعمال واستعمالهِ لحركة إقبال فلك البروج وادبارهِ على رأي تاون (٢ الاسكندراني ليصلح (٣ لهُ بها مواضع الكواكب في الطول . وكان تأليفهُ لهذا الزيج [اول مرَّة في ايّام (٤ كان حساب السند هند. والثاني المعروف بالممتحن وهو اشهر ما لهُ الّفهُ بعد ان رجع الى معاناة الرصد وضمّنهُ حركات الكواكب على ما يوجبهُ الامتحان في زمانهِ. والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاه ولهُ كتاب حسن في العمل بالاسطرلاب (٥

ومنهم احمد بن محمد بن كثير الفرغاني (٦ احد منجميّ المأمون وصاحب

---

١) في الاصل: بحنش وهو غلط. وقول المؤلف عنهُ منقول في كتاب الحكماء لابن القفطي (ص ١٧٠) راجع كتاب الفهرست (ص ٢٧٥) ٢) حك: ثاون

٣) حك: ليصحّ ٤) حك: في اوّل امرهِ ايّام

٥) وزاد حك: وبلغ من عمرهِ نحو مائة سنة ٦) نقلهُ حك (في الصفحة ٧٨) - راجع ايضاً الفهرست (ص ٢٧٦) وقد سمّاهُ محمّد ابن كثير

المدخل الى علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وهو كتاب لطيف الجرم عظيم الفائدة تضمن (١ ثلثين باباً احتوت على جوامع كتاب المجسطي (٢ باعذب لفظ وابين عبارة

ومنهم موسى بن شاكر (٣ وبنوه محمد واحمد والحسين (٤ كانوا جميعاً المتقدّمين في علم الفلسفة وهيئة الافلاك (50) — وحركات النجوم ولهم عناية بارصاد الكواكب واهتبال (٥ بقياسها. وكان موسى بن شاكر منهم مشهوراً في منجمي المأمون وكان بنوه ابصر الناس بالهندسة وعلم الحيَل ولهم في ذلك تآليف [عجيبة تُعرف بحيل بني موسى وهي (٦ مشهورة عند الناس

ومنهم عمر بن الفَرُّخان الطبري (٧ احد رؤساء التراجمة والمتحققين بعلم حركات النجوم واحكامها. وذكر ابو معشر جعفر بن محمد البلخي في كتاب المذاكرات لشاد ابن بحر (٨ انَّ ذا الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون استدعاه من بلده ووصلهُ بالمأمون فترجم كتباً كثيرة وحكم باحكام موجودة الى اليوم في خزائن السلطان والف لهُ كتباً كثيرة في النجوم وغيرها من فنون الفلسفة والله تعالى اعلم

ومنهم [جعفر بن محمد بن سنان بن جابر الحرانيّ المعروف بالنبهانيّ (٩ احد المهرة (١٠ برصد الكواكب والمتقدّمين في علم الفلسفة (١١ وهيئة الافلاك وحساب النجوم وصناعة الاحكام ولهُ زيج جليل ضمّنهُ ارصادًا للنيّرين واصلاحاً لحركاتها المثبتة في كتاب بطليموس المعروف بكتاب المجسطيّ وذكر فيهِ حركات الخمسة

---

١) حك: مضمَّن ٢) حك: بطليموس

٣) نقل حك هذا الفصل (ص ٢١٥) راجع كتاب الفهرست (ص ٢٧١)

٤) حك: واحمد اخوهُ والحسن اخوهما

٥) كذا في الاصل ولعلَّ الصواب: احتيال

٦) سقطت هذه العبارة من الاصل فزدناها حك (ص ٢١٥)

٧) اطلب هذا الفصل في تاريخ الحكماء (ص ٢٤١)

٨) حك: لشاذان. وروى في الفهرست (٢: ٢٤٥) ابن بحران بالغلط

٩) قد صحَّف الناسخ هذا الاسم والصواب انَّ اسمهُ ابو جعفر محمَّد بن سنان الحرَّاني المعروف بالبتَّاني. ويروى ابو عبد الله محمَّد بن جابر بن سنان وهذه الترجمة نقلها ابن القفطي (حك ٢٨٠) راجع ايضاً الفهرست (ص ٢٧٦) وتاريخ ابن العبري (٢٧٤)

١٠) حك: المشهورين ١١) حك: الهندسة

المتحيّة على حسب ما امكنهُ من اصلاحها وسائر ما يحتاج اليهِ من حساب الفلك. وكان بعض ارصادهِ التي سمّاها في زيجهِ في سنة تسع وستين ومائتين من الهجرة (٨٨٢ م) وذلك في السنة الثامنة من خلافة المعتصم ولا اعلم احدًا (١ في الاسلام بلغ مبلغهُ في تصحيح ارصاد الكواكب وامتحان حركاتها. ولهُ بعد ذلك عناية باحكام النجوم أدّتهُ الى التأليف في ذلك فمن تأليفهِ فيها كتاب في شرح المقالات الاربع لبطليموس

ومنهم الفضل بن حاتم النَّيريزيّ (٢ وكان متقدّماً في علم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم وله تآليف مشهورة منها كتابهُ الذي شرح فيهِ كتاب اوقليدس وزيج كبير على مذهب السند هند

ومنهم الحسن بن مصباح (٣ لهُ زيج اثبت فيهِ اوساط (51) الكواكب على مذهب ما يؤدي اليهِ الرصد في زمانهِ. ومنهم محمد بن اسمعيل التَّنوخي (٤ المنجم الذي دخل الى الهند وصدر عنها بغرائب من علم النجوم منها حركات (٥ الاقبال والادبار. ومنهم علي بن ماجود (٦ احد العلماء بحركات الكواكب والمعانين لارصادها

ومنهم ابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي (٧ عالم اهل الاسلام باحكام النجوم وصاحب التآليف الشريفة والمصنّفات المفيدة في صناعة الاحكام وعلم التعديل وكان مع ذلك اعلم الناس بسِيَر الفرس واخبار سائر العجم (٨ فمن كتبهِ

---

١) حك: ولا يُعلَم احد

٢) منقول بحرفهِ في تاريخ ابن القفطي (ص ٢٥٤). اطلب الفهرست لابن النديم (ص ٢٧٦)

٣) ويروى: ابن الصبّاح في الفهرست (ص ٢٧١) وترجمتهُ نقلها ابن القفطي (ص ١٦٣) عن صاعد وروايتهُ هناك اصحّ واضبط فقال: « لهُ زيج اثبت فيهِ اوساط الكواكب وتعاديلها على مذهب بطلميوس وميل الشمس على ما يؤدي اليهِ الرصد في زمانهِ »

٤) ابن القفطي (ص ٢٨١) ٥) حك: حركة

٦) والصواب كما روى في الفهرست (٢٨٠) وفي تاريخ الحكماء (٢٣٠): عبد الله بن اماجور

٧) اطلب ما نقلهُ ابن القفطي من هذا الفصل في تاريخهِ (ص ١٥٣) وراجع الفهرست (ص ٢٢٧) وتاريخ ابن العبري (٢٥٨) ٨) حك: سائر الامم

في صناعة الاحكام كتاب الطبائع وكتاب الالوف وكتاب المدخل الكبير وكتاب القرانات وكتاب الدول والملل وكتاب الملاحم وكتاب الاقاليم وكتاب الفيلاج والكدجدا (١ وكتاب المثالات (٢ في المواليد وكتاب النكت وكتاب تحاويل سني المواليد وغير ذلك . ومن كتبه في حركات النجوم زيجهُ الكبير وهو كثير الفائدة جامع لاكثر علم الفلك بالقول المطلق المجرَّد من البرهان وكتاب الزيج الصغير المعروف بزيج (٣ القرانات تضمّن (٤ معرفة اوساط الكواكب لاوقات اقتران زحل والمشتري مذ عهد الطوفان . وكان ابو معشر مدمناً على شرب الخمر مشتهرًا بعاقرتها وكان يعتريه صرع عند الامتلاآت القمريّة وكان معاصرًا لابي جعفر بن سنان البتّاني

ومنهم الحسين بن الخصيب (٥ احد المتقدمين في اعلام الاحكام وفي علم التعديل ولهُ زيج مشهور وكتاب حسن في المواليد . ومنهم احمد بن يوسف (٦ صاحب الكتاب المؤلف في النسبة والتناسب وصاحب شرح الثمرة لبطليموس . ومنهم احمد بن المثنى بن عبد الكريم صاحب تعليل زيج الخوارزمي . ومنهم محمد (٧ ابن محمد ابن خالد بن عبد الملك المُورَزيّ لهُ زيج مختصر على المذهب المستحن الذي ظهر على يدي جده خالد بن عبد الملك المُورَزيّ ويحيى بن ابي منصور (52) وسيد بن علي (٨ والعبّاس بن سعيد الجوهري المتقدّم ذكرهم

ومنهم الحسين بن حميد (٩ المعروف بابن الآدمي صاحب الزيج الكبير الذي اكملهُ بعد وفاته تلميذهُ القاسم بن محمد بن هشام الدانني المعروف بالعلويّ وسماه

---

١) حك : كتاب الميلاج والكذخداه ٢) حك : المقالات

٣) حك : بالزيج (كذا) ٤) حك : يتضمّن

٥) اطلب تاريخ الحكماء لابن القفطي (ص ١٦٥) والفهرست (٢٧٦)

٦) اطلب حك (ص ٧٨)

٧) كذا في الاصل . وفي تاريخ الحكماء (ص ٣٤٣) حيث روى كلام مؤلفنا انَّ اسمهُ عمر

٨) حك (ص ٢١٩) : سند بن علي

٩) روى هذه الترجمة بحرفها ابن القفطي (ص ٢٨٢) ودعاهُ محمد بن الحسين . راجع الفهرست (٢٨٠)

كتاب نظم العقد وشهرهُ في سنة ثمان وثلثين وثلثمائة (١ وهو كتاب جامع لصناعة التعديل مشتمل على اصول هيئة الافلاك وحساب حركات النجوم على مذهب السند هند وذكر فيهِ من حركة اقبال الفلك وإدبارهِ ما لم يذكرهُ احد قبلهُ وكنّا نسمع (٢ قبل وصول هذا الكتاب الينا من هذه الحركة ما لا يُعقل ولا يُضم الى قانون حتى وقع هذا الكتاب الينا وفهمنا صورة هذه الحركة وكان ذلك [صبياً (٣) الى التمرُّس بها (٤ زماناً حتى ظهر الينا منها ما لا نظنّ (٥ ظهر الى غيرنا (٦ وتعقَّبنا فيها اشياء قد بيَّنتها في كتابي المؤلف في اصلاح حركات النجوم (٧

ومنهم ابو محمد الهَمْداني المعروف بابن ذي الدُّمَيْنة احد اشراف العرب وهو الحسين (٨ بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان المعروف بابن الدمينة ابن عمرو بن الحرث بن منقذ بن الوليد بن الازهر بن عمر بن طارق بن اهتم بن قيس ابن ربيعة بن عهد بن عِليان بن مرَّة وهو أرحب بن الدُّعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دَوْمان بن فيكل (بكيل) بن جُشم بن حاشد بن نوف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن أوْسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشخب (يشجب) بن يعرب بن قحطان. استخرجتُ نسبتهُ من كتابهِ المعروف بالاكليل المؤلَّف في انساب حمير وأيام ملوكها وهو كتاب عظيم الفائدة يشتمل على عشرة فنون (٩ : الاوَّل منها في اختصار المبتدأ واصول انساب العرب والعجم وانساب ولد حمير. والفنّ الثاني في نسب ولد الهميسع بن حمير . والفنّ الثالث في فضائل (53) قحطان. والفنّ الرابع في السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان الى

---

١) حك : ثمان وثلثمائة
٢) حك : وقد كان يُسْمَع
٣) حك : وفُهم
٤) روى بحك : سبب التمرُّس بها
٥) حك : اظنُّهُ
٦) حك : لنيري
٧) حك : وتعقَّبتُ فيها اسباباً في كتابي. (قلنا) ومن العجب انَّ ابن القفطي ينسب لنفسهِ كتاباً ألَّفهُ صاعد الاندلسي (اطلب مقدَّمتنا). ولعلَّ ابن القفطي كان قدَّم على هذه الفصول اسم صاعد ثم اسقطهُ الناسخ فحصل الخلل
٨) حك : الحسن. ذكرهُ حك (ص ١٦٢) واختصر النسب. امَّا ابن ذي الدُّمَيْنة فقال الحاج خليفة (١ : ٣٩٢) وغيرهُ انهُ يُعرَف بابن حائك
٩) في كتاب الحكماء لابن القفطي لم يفصِّل هذه الفنون

عهد ابي كرب لسعد الكامل وهو الاوسط (١ . والفن الخامس في السيرة الوسطى من لسعد ابي كرب الى عهد ذي نوّاس . والفنّ السادس في السيرة الاخيرة وذلك من عهد ذي نوّاس الى عهد الاسلام . والفنّ السابع في التنبيه على الاخبار الباطلة والحكايات المستحيلة . والفنّ الثامن في ذكر قصور حمير وحكّامها وحروبها ودفائنها ولشعارها (٢ . والفنّ التاسع في امثال حمير وحروفها (٣ وحكمها . والفنّ العاشر في معارف همْدان وفي اثناء هذا الكتاب جمل حسان من حساب (٤ القرانات واوقاتها ونبذ من علم الطبيعة واحكام (٥ النجوم وآراء الاوائل في قدم العالم وحدثه (٦ واختلافهم في ادواره وفي تناسل الناس ومقادر (٧ اعمارهم وغير ذلك . ولهُ بعد هذا تواليف حسان منها كتاب سرائر (٨ الحكمة وغرضهُ التعريف بجمل علم هيئة الافلاك ومقادير حركات الكواكب وتبيين علم احكام النجوم واستيفاء ضروبه واستيعاب اقسامه . ومنها كتاب القوى وكتاب اليعسوب في الرمي والقسيّ والسهام والنصال . ووجدت بخطّ امير الاندلس الحكَم المستنصر بالله ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله ابن محمد ابن عبدالله الامير ابن عبد الرحمن الامير ابن الحكم الامير ابن هشام امير المؤمنين ابن عبد الملك امير المؤمنين ابن مروان الحكم الموس (٩ الاموي ان ابا محمد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة اربع وثلثين وثلثمائة (٩٤٦ م)

ومنهم ابو الحسن علي بن عبد الرحمان بن يونس المصري (١٠ كان مختصاً بعلم النجوم متصرّفاً في سائر العلوم بارع الشعر وعلى الجملة لزيج يحيى بن ابي منصور تعويلُ اهل مصر في تقويم الكواكب اليوم

---

١) نظنّ انّ الصواب : وهو تبع الاوسط

٢) هذا الجزء الثامن من كتاب الاكليل قد وقف على نسخة منهُ احد علماء الالمان وهو ساع اليوم في طبعهِ . اطلب ايضاً وصف هذا الكتاب في كشف الظنون (١ : ٣٩٢) . وصاحب الاكليل هو مؤلف كتاب صفة جزيرة العرب الذي طبعهُ الاستاذ مولّر (D. H. Müller) سنة ١٨٩١ في ليدن

٣) في الاصل : خروبها

٤) حك : من حسان

٥) حك : اصول احكام

٦) في الاصل : وجدتهِ . وهو تصحيف

٧) حك : مقادير

٨) ويروى : اسرار

٩) كذا في الاصل . لعلّها القرشي . وابن القفطي اهمل هذه الاسانيد

١٠) اطلب تاريخ الحكماء (ص ٣٣٠)

ومنهم ابن الهيثم المصري (١ صاحب التآليف في المرآي المحرقة . اخبرني القاضي ابو زيد عبد الرحمن بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن انهُ (54) لقيهُ بمصر سنة ثلثين واربعمائة

فهؤلاء مشاهير المعتنين بعلم النجوم التعليمي البرهاني واما علم النجوم الطبيعي وهو معرفة احكام الكواكب وتأثيرها في عالم الكون والفساد فان اول من اشتهر بهِ في مملكة الاسلام محمد بن ابرهيم الفزاري المذكور وكان [مذهب منهُ (٢ الى مذاهب العرب . ثم تلاهُ في هذه الطريقة محمد بن الجهم البرمكي وكان مع ذلك معتنياً بالمنطق وابن مسافر اليماني وخالد الاموي ويحيى بن ابي منصور فكان هؤلاء يجرون مجرًى متقارباً في التمذهب بمذاهب العرب في احكام النجوم

واما المتحققون بهذه الصناعة والسالكون فيها مسالك العجم من الفرس واليونانيين وغيرهم فمن اشتهر منهم يعقوب بن طارق (٣ صاحب كتاب المقالات في مواليد الخلفاء والملوك وتعود (٤ من لم تعرف مولدهُ

ومنهم ما شاء الله الهندي صاحب التواليف الفخيمة (٥ . وابن سهل بن نوبخت (٦ الفارسي وكان في زمان الرشيد (هو) وابنهُ الفضل وابو علي الخياط واسحق بن سليمان الهاشمي صاحب الكتاب المعروف بابي قماش المؤلف على تحاويل سني العالم وعمر بن الفرخان الطبري وابو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي وابو الهمدان والجماعة سواهم

وممن اشتهر بعلم الطب وسائر العلوم المستنبطة من العلم الطبيعي اسحاق بن عمران المعروف بسم ساعة (٧ كان بغدادي الاصل ثم سكن افريقية في دولة زياد (٨ الله بن الاغلب وهو استجلبهُ من بغداد وكان متقدماً في جودة القريحة وصحة العلم

١) في الاصل : ابن الهثيم
٢) كذا في الاصل . والصواب كان يتمذهب فيهِ
٣) اطلب حك (٢٧٨) والفهرست (٢٧٨) ٤) كذا في الاصل ولعلَّها : سود
٥) اطلب الفهرست (٢٧٣) وحك (٢٢٧)
٦) في الاصل بخت وهو تصحيف اطلب حك (١٦٥) والفهرست (٢٧٥)
٧) كذا وقد ذكرهُ ابن ابي اصيبعة (٢ : ٢٥-٢٦)
٨) صب : زيادة وهو الصواب

وهو الذي الّف (بين) الطبّ والفلسفة بديار العرب ولهُ كتب جليلة منها كتاب نزهة النفس وكتاب النبض وكتاب المالنخوليا وكتاب الفصد وغيرها وجرت لهُ مع زيادة الله بن الاغلب امور أحنقتهُ عليهِ لفرط جورهِ وسخف رأيهِ فامر بفصد ذراعيهِ فسال دمُهُ الى ان مات ثم امر بهِ فصُلب ومكث مصلوباً زماناً طويلاً حتى عشش في جوفهِ طائر (55) والله اعلم

ومنهم جابر بن حيَّان الصوفي (١ وكان متقدّماً في العلوم الطبيعيَّة بارعاً منها في صناعة الكيمياء ولهُ فيها تواليف كثيرة ومصنفات مشهورة وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلّدًا للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوّفين من اهل الاسلام كالحرث بن اسد المُحاسبي وسهل بن عبد الله التُّستري ونظرائهم . واخبرني (٢ محمد بن السعيد السَّرقُسطي المعروف بابن الشَّاط الاسطُرلابي انهُ رأى لجابر بن حيَّان بمدينة مصر تأليفاً في العمل بالاسطرلاب (٣ تضمن الف مسألة لا نظير لهُ

ومنهم ذو النون بن ابراهيم الاخميمي (٤ من طبقة جابر بن حيان في انتحال صناعة الكيميا وتقلد علم الباطن والاشراف على كثير من علوم الفلسفة . ومنهم علي بن رين (٥ صاحب الكناش (٦ المعروف بفردوس الحكمة وهو معلم محمد ابن زكريا الرازي

ومنهم احمد بن ابراهيم بن ابي خالد القيرواني (٧ المعروف بابن الجزَّار كان حافظاً للطبّ دارساً للكتب جامعاً لتواليف الاوائل حسن الفهم لها . ولهُ مصنفات حسنة في الطب وغيرهِ فمن اشهرها كنَّاشهُ في علم الامراض المعروف بزاد المسافر وكتابهُ في الادوية المفردة المعروف بالاعتماد وكتابهُ في الادوية المركَّبة المعروف بالبغية ورسالتهُ في النفس وفي ذكر اختلاف الاوائل فيها وكان لهُ ايضاً عناية بالتاريخ أدَّتهُ الى ان

١) هذه الترجمة نقلها بالحرف ابن القفطي (حك ١٦٠–١٦١)

٢) حك : وذكر ٣) حك : عمل الاسطرلاب

٤) اطلب ابن القفطي (ص ١٨٥) وقد روى الاخميميّ وهو الصواب

٥) هو علي بن رين الطبري وفي الاصل « ابن وربي » وهو تصحيف . اطلب حك (٢٢١) والفهرست (٢٩٦) ٦) والصواب الكنَّاش وهو في السريانية المجموع

٧) ذكرهُ صب (٢ : ٢٧–٢٨)

يؤلف فيه مختصراً حسناً سماهُ كتاب التعريف في صحيح التاريخ وكان مع هذا جميل المذهب فاضل السيرة صائناً لنفسه منقبضاً عن الملوك ذا وفر وثروة

ومنهم علي بن العباس المعروف بابن المجوسي (١ صاحب كتاب كامل الصناعة الطبيعيَّة المعروف بالملكي ألَّفهُ للملك عضد الدولة بن فناخسرو بن ركن الدولة ابي علي حسن بن بُويه الديلمي وهو كتاب جليل مشتمل على علوم الطبّ واعماله (56) ولا اعلم كتاباً مثلهُ

فهولاء مشاهير علماء الاسلام عندنا من اهل العراق والشام ومصر

[العلوم في الاندلس]

واما الاندلس (٢ فكان فيها ايضاً بعد تغلب بني امية عليها جماعة عُنيت بطلب الفلسفة ونالت اجزاء كثيرة منها وكانت الاندلس قبل ذلك في الزمان القديم خالية من العلم لم يشتهر عند اهلها احد بالاعتناء به الَّا انهُ يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الاجماع على انها من عمل ملوك رومية اذ كانت الاندلس منتظمة بمملكتهم ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة (٣ الى ان افتتحها المسلمون في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين من الهجرة (٧١١ م) فنأت (٤ على ذلك ايضاً لا يعنى اهلها بشيء من العلوم الَّا بعلوم الشريعة وعلم اللغة الى ان توطد الملك لبني اميَّة بعد عهد اهلها بالفتنة فتحرَّك ذوو الهمم منهم لطلب العلوم وتنبهوا لاثارة الحقائق على حسب ما يأتي ذكرهُ بعد هذا ان شاء الله تعالى

واما دين اهل الاندلس فدين الروم من الصابئة اوَّلاً ثم النصرانيَّة الى ان افتتحها المسلمون في التاريخ الذي ذكرنا. واما ملكهم فكان لطوائف من الامم مختلفة تداولوها امَّة بعد امَّة. فمن تلك الامم الروم وكان عمالهم ينزلون مدينة

---

١) اطلب حك (٢٣٣) وصب (١ : ٢٣٦)

٢) في الاصل الاندليس وقد كرَّرها. وقد تبعنا في كتابتها المشهور

٣) قد خُدع المؤلف لعدم معرفته بكتب نصارى الاندلس فانَّ كثيرين من العلماء قد اشتهروا فيها منذ القرن الخامس الى السابع للمسيح وكتبهم الجليلة لا تزال بين ايدينا كتآليف ابزيدورس ولياندرس القديسين الاشبيليين واروسيوس المؤرخ وغيرهم كثيرين راجع مقالتنا في الكنيسة والعلوم الفلكيَّة في (المشرق ٦ : ١٥)

٤) كذا ولعلها : ودامت

طانف العتيقة المجاورة لاشبيلية (١ واتصل ملكهم بها زماناً طويلاً الى ان غلبتهم عليها القوط فانتسخ الملك الرومي منها واتخذ القوط مدينة طُلَيْطلة مدائنها العتيقة قاعدة لملكهم وملكوا الاندلس افخم ملك قريباً من ثلثمائة سنة الى ان غلبهم المسلمون عليها في التاريخ الذي قدمنا ذكرهُ واعتقد (اقتعد) ملوكهم قرطبة وطناً ولم تزل مركز الملك المسلمين بهـا الى زمان الفتنة وانتشار الامر على بني امَيَّـة فافترق عند ذلك شمل الملك بالاندلس وصار الى عدَّةٍ من الرؤساء حالهم كحال الطوائف من الفرس

واما حدود الاندلس فان حدَّها الجنوبي منها الخليج الرومي الخارج ممـا يقابل (57) طنجه في موضع يعرف بالزقاق سعتهُ اثنـا عشر ميلاً ثم ينتهي الى مدينة صور من مدائن الشام . وحدُّها الشمالي والغربي البحر الاعظم المسمى اقيانس المعروف عندنا ببحر الظلمة وحدُّها الشرقي في الجبل الذي فيهِ هيكل الزهرة الواصل ما بين البحرين بحر الروم والبحر الاعظم ومسافة ما بين البحرين في هذا الجبل ثلثة مراحل وهو الحدّ الاصغر من حدود الاندلس وحدّاها الاكبران الجنوبي والشمالي ومسافة كل واحد منهما نحو ثلثين مرحلة ومسافة حدّهـا الغربي نحو من عشرين مرحلة ووسط الاندلس مدينة طليطلة العتيقة التي كانت قاعـدة القوط وعرضها ٣٩ درجة و٥٠ دقيقة وطولهـا ٢٨ درجة بالتقريب فصارت بذلك في القريب من وسط الاقليم الخامس وهي في وقتنا هذا الذي هو سنة ستين واربعمائة (١٠٦٨م) قاعـدة الامير ابي الحسين يحيى بن اسمعيل بن عامر بن مطرّف بن موسى بن ذو (ذي) النون عظيم ملوك الاندلس . واهل بلاد الاندلس عرض المدينـة المعروفة بالجزيرة الخضراء على البحر الجنوبي منها وعرضها ٣٦ درجة واكثر مدنها عرضاً بعد المدائن التي على ساحلها الشمال وعرض ذلك الموضع ٤٣ درجة فمعظم الاندلس في الاقليم الخامس وطائفة منهـا في الاقليم الرابع كاشبيليه ومالقة وقرطبة وغرناطة والمريّه ومُرسية

وهذا الجبل الذي ذكرنا فيهِ هيكل الزهرة الذي هو الحد الشرقي من الاندلس

١) في الاصل : اسبلية (Séville) والشائع بالشين

هو الحاجز ما بين الاندلس وبين بلاد افرانسة من الارض الكبيرة التي هي بلاد افرنجة العظمى. والاندلس آخر المعمور في المغرب لانها كما ذكرنا منتهية الى بحر الاوقيانس الاعظم الذي لا عمارة وراءهُ (١ ومسافة ما بين مدينة طليطلة وسط الاندلس وبين مدينة رومية قاعدة الارض الكبيرة نحوٌ من اربعين مرحلة فهذه جملة من خبر الاندلس

ولنعُد الآن الى ذكر علمائها الذين هم غرضنا من ذكرها فنقول انهُ لما كان وسط (58) المائة الثالثة من تاريخ الهجرة (٢ وذلك في ايام الامير الخامس من ملوك بني اميَّة وهو محمَّد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بالاندلس تحرَّك افرادٌ من الناس الى طلب العلوم ولم يزالوا يظهرون ظهورًا غير شائع الى قريب وسط المائة الرابعة. فمن اشتهر من العلماء ما بين وسطى هاتين المائتين فاعتنى بعلم الحساب والنجوم ابو عبيدة مسلم بن احمد بن ابي عبيدة البلنسيّ المعروف بصاحب القبلة (٣ وانما عُرف بذلك لانهُ كان يُسرف كثيرًا في صلاتهِ وكان عالمًا لحركات الكواكب واحكامها وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث ودخل الى المشرق فسمع بمكَّة من علي بن عبد العزيز وبمصر من الزَّني (كذا) والربيع بن سليمان المرادي ويونس بن عبد الاعلى ومحمَّد بن عبدالله بن عبد الحكم وجماعة سواهم ففيهِ يقول احمد بن محمَّد (بن) عبد ربهِ:

أبا عبيدةَ والمسئولُ عن خبرٍ ... بحكمهِ الّا سوآر (٤ الذي سألا
أبيتَ الّا شذوذًا عن جماعتنا ... ولم يُصبْ رأيُ من ارجى ولا اعتزلا (٥

---

١) هذا رأيهم قبل اكتشاف اميركا

٢) يظهر من قول المؤلف عن العلوم بين عرب الاندلس ان نهضتهم العلميَّة كانت في وسط القرن الثالث للهجرة اعني التاسع للمسيح وهو يوافق زمان حركة العلوم في الدولة العبَّاسية على عهد المأمون

٣) ذكرهُ احمد الضبيّ في تاريخ رجال اهل الاندلس (ed. Coderа, 456) قال عنهُ: «هو محدّث اندلسي رحل سنة ٢٥٩ (٨٧٣ م) في طلب العلم وكتب ورجع الى بلدهِ وحدَّث ومات سنة ٣٠٤ (٩١٦ م). امَّا ابيات ابن عبد ربّهِ فيهِ فلم نجدها في مجموع آخر لنصلحها

٤) كذا والشطر مخلوط مختلّ الوزن ٥) كذا. ولعلَّ الصواب: مَن ارجى ولا اعتزلا

كذلك القبلة الاولى مبدَّلة وقد ابيتَ فما تبغي بها بدلا
زعمت جرام او بيدخت برزقنا (١ لا بل عطارد او برجيس او زُحلا
وقلت ان جميع الخلق في ملكٍ جم يحيط وفيهم يقسم الأجلا
والارض كورية حفَّ السماء بها فوقًا وتحتًا وصارت نقطةً مثلا
صيف الجنوب شتاء للشمال بها قد صار بينهما هذا وذا أُولا
فانَّ كانون في صنعا وقرطبة بردًا (كذا) وايلول يُذكي فيهما الشملا
هذا الدليل ولا قول عزوت به (٢ من القوانين يجلي القول والعملا
كما اشرَّ ابن موسى في غوايته فواعر تسهل (٣ حتى خلتهُ جبلا
ابلغ معاقرية المصني لقولهما انا كفرتَ بما قالا وما فعلا

[ابن موسى هو قاسم بن موسى المعروف بابن الافشين الكاتب. ومعاوية احد القرشيين النسابين وتوفي ابو عبيدة هذا في سنة خمس وتسعين ومائتين (٩٠٨ م)]

ومنهم يحيى بن يحيى (٤ المعروف بابن التيمية (٥ من اهل قرطبة كان بصيرا بحساب (59) النجوم والطب وغير ذلك متصرفًا في العلوم متفننًا في ضروب المعارف بارعًا في علوم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل وكان معتزليّ (٦ المذهب ورحل الى المشرق ثم انصرف وتوفي سنة خمس عشرة وثلثمائة (٩٢٧ م)

ومنهم محمد بن اسمعيل المعروف بالحكيم (٧ كان عالمًا بالحساب والمنطق دقيق الذهن لطيف الخاطر وكان مع ذلك نحويًا لغويًا وتوفي سنة احدى وثلثين وثلثمائة (٩٤٣ م). ثم لمّا مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الامير الحكم (٨ المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله وذلك في ايام ابيه الى العناية بالعلوم والى

---

١) كذا والغالب انهُ مصحف ٢) تظنّ ان الصواب غررت به
٣) كذا وفيهُ تصحيف ظاهر ٤) اكثر تراجم الاندلسيين التابعة قد نقلها بحرفها ابن ابي اصيبعة (صب) في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢ : ٣٩ و٥٣) عن صاعد ونبّه الى ذلك مرارًا (وترجمة يحيى في ٢ : ٣٩)
٥) صب: بابن السينة
٦) في الاصل: معتزل وهو غلط
٧) لم يذكرهُ صب
٨) هو الخليفة الحكم الثاني المعروف بالمستنصر من خلفاء بني امية في الاندلس ملك على قرطبة (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ = ٩٦١ – ٩٧٦ م)

الثبار اهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقيّة ايّام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعهُ ملوك بني العبّاس في الازمان الطويلة وتهيّأ له ذلك لفرط محبته للعلم وبُعد همّته في اكتساب الفضائل وسموّ نفسه الى التشبُّه باهل الحكمة من الملوك فكثر تحرُّك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلُّم مذاهبهم. ثم توفي في صفر من سنة ستّ وستين وثلاثماية (٩٧٦م)

وولي بعده ابنه هشام المؤيّد بالله (١ وهو يومئذٍ غلام لا يحتلم بعد فتغلّب على تدبير ملكه بالاندلس حاجبهُ ابو عامر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الله بن ابي عامر بن محمد بن الوليد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني وعمد اوّل تغلُّبه عليه الى خزائن ابيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها واراد ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواصّ من اهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل حاشا كتب الطبّ والحساب . فلمّا تميّزت من بيان الكتب المؤلفة (60) في اللغة والنحو والاشعار والاخبار والطبّ والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم والمباحثات عند اهل الاندلس الّا ما خلت منها في اثناء الكتب وذلك اقلّها امرَ باحراقها وافسادها فاحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر وهيّل عليها التراب والحجارة وغُيّبت بضروب من التغابير وفعل ذلك تحبُّباً الى عوامّ الاندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم (٢ اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند اسلافهم مذمومة بالسنة رؤسائهم وكان كلّ من قرأها متّهماً عندهم بالخروج من الملّة ومَظنون به الالحاد في الشريعة فسكن اكثر من كان تحرّك للحكمة عند ذلك وخملت نفوسهم وتستّروا بما كان عندهم من تلك العلوم ولم يزل أولو النباهة

١) هو هشام الثاني من ملوك قرطبة الامويين (٣٦٦-٣٩٩ هـ = ٩٧٦ - ١٠٠٦ م)

٢) من هنا ترى سبب قلة الكتب العربية في الاندلس وتسقط نوعاً حجّة الذين زعموا انّ النصارى لمّا تولوا على تلك البلاد احرقوها وقد رددنا على هذه المزاعم سابقاً لمّا زيفنا قول مجلة المقتبس (في المشرق ١٣ : ٦٥٩) وفي مقالتنا عن العلوم عند العرب وحريق مكتبة الاسكندريّة (١٣ : ٢٩٩ و٢٨٨)

من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونهُ منها ويظهرون ما تجوَّز لهم فيهِ من الحساب والفرائض والطبّ وما اشبه ذلك الى ان انقرضت دولة بني امية من الاندلس وافترق الملك من المربين (١) عليهم في صدر المائة الخامسة من الهجرة وصاروا طوائف واتخذ كلّ ملك منهم قاعدة من امهات البلاد [فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة من امتحان الناس وتعقُّبهِ عليهم (١ واضطرَّت الفتنة الى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة وانتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس ووجد في خلالها اعلاق من العلوم القديمة كانت افلتت من ايدي المتحنين بحركة الحكم ايام المنصور بن ابي عامر واظهر ايضاً كلّ من كان عنده من الرعيَّة شيءٌ منها ما كان لديهِ منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حين في طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً وقواعد الطوائف تتمصر قليلًا قليلًا الى وقتنا هذا فالحال بحمد الله افضل ما كانت بالاندلس في اباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجُّر طلبها الى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها . لكنَّ اشتغال (61) الخواطر بما دهم الثغور من طلب المشركين عاماً فعاماً اطرافها وضعف اهلها عن مدافعتهم عنها قلَّل طلَّاب العلم وصيَّرهم افرادًا بالاندلس ممَّن كان عندهُ علم بشيء من العلوم الرياضيَّة فداول عناية الحكم بذلك في ايام ابيهِ الناصر لدين الله الى وقتنا هذا (٢

ابو غالب حباب (٣ بن عبادة الفرائضي كان مشهورًا بعلم العدد في وسط ملك عبد الرحمن الناصر لدين الله ولهُ في الفرائض تأليف حسن مشهور عندنا الى اليوم

ابو ايوب عبد الغافر بن محمد احد المهرة بعلم الهندسة ولهُ تأليف حسن في الفرائض وكان لهُ سماع من احمد بن خالد الفقيه وطبقتهِ وروى عنهُ مسلمة بن احمد الرحيطة (٤ ونظراؤهُ

وعبدالله بن محمد المعروف بالسرّي كان عالماً بالعدد والهندسة ولهُ كتاب

---

١) الاصل هنا مشوَّش لم يمكن اصلاحهُ

٢) هنا ايضاً اضطراب في النسخة

٣) كذا ورد هذا الاسم في الاصل ولعلَّهُ مصحف

٤) كذا: والصواب المرحيط كما سيأتي

مشهور في السبع وكان مع ذلك رجلًا ناسكاً فقيهاً إماماً في النحو واللغة وكان ينسب اليه العلم بصناعة الكيميا وكان الحكم المستنصر بالله يعظمهُ ويؤثرهُ ويروم الاستكثار منهُ فيقبضهُ عنهُ ويكفهُ عن مداخلتهِ زهدهُ

وابو بكر بن ابي عيسى واسمهُ احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عمر بن احمد ابن محمد بن عبد الاعلى بن عبد الغافر بن عبد المجيد بن عبدالله بن ابي عيسى عبد الرحمن بن جرت (١ الانصاري صاحب رسول الله صلعم كان مقدَّماً في العدد والهندسة والنجوم فكان يجلس لتعليم ذلك في ايام الحكم

اخبرني ابو عثمان سعيد بن محمد بن البعونس (٢ الطليطلي انهُ كان يسمع معلمهُ مسلمة بن محمد المرحيط عند ذكر ابن ابي عيسى هذا وكان معلمهُ يخرج عنهُ صناعة الهندسة ويقرُّ لهُ بالسبق فيها وفي سائر العلوم الرياضيَّة

وعبد الرحمن بن اسمعيل بن زيد المعروف بالاقليدي كان متقدّماً في علم الهندسة معتنياً بصناعة المنطق ولهُ تأليف مشهور في اختصار الكتب الثانية المنطقيَّة. اخبرني عنهُ ابن اختهِ ابو العباس احمد بن ابي حاتم محمد بن عبدالله (بن) عبد (بن) هرثمة ابن ذكوان انهُ رحل الى المشرق في ايام الحاجب المنصور بن ابي عامر وتوفي هناك ابوهُ اسمعيل بن بدر (٣ احد وجوه قرطبة المتقدمين في (62) الشعر والعربيَّة وولي احكام السوق بها في ايام الخليفة الحكم رحمهُ الله

وابو القسم احمد بن محمد بن احمد العدوي المعروف بالطنبري (كذا) كان معلماً بعلم العدد والهندسة نافذاً فيها ولهُ كتاب حسن في المعاملات

وابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي (٤ كان متحققاً اماماً في علم النحو واللغة ولهُ تأليف في الموسيقى ورسالة حسنة في المدخل الى علوم الفلسفة سمَّاها شجرة الحكمة ورسالة في تعديل العلوم وكيف درجت الى الوجود من انقسام الجوهر والعرض. ونالتهُ في ايام المنصور محمد بن ابي عامر محنة شديدة

---

١) كذا ولعلهُ الحرث ٢) والصواب: البنونش

٣) كذا وقال آنفًا: اسمعيل بن زيد

٤) وهكذا روى ايضاً صب (٢: ٤٥) والضبي في بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس (ed. Codera, 299)

مشهورة السبب اذّنهُ بعد انطلاقهِ من السجن الى الخروج عن الاندلس فتوفي في جزيرة صِقِلّية

وابو القسم مسلمة بن احمد المعروف بالمرحيط (١ كان امام الرياضيين في الاندلس في وقتهِ واعلم ممّن كان قبلهُ بعلم الافلاك وكانت لهُ عناية بارصاد الكواكب وشغف بتفهُّم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي ولهُ كتاب حسن في تمام علم العدد وهو المعنى المعروف عندنا بالمعاملات وكتاب اختصر فيهِ تعديل الكواكب من زيج البتّاني وعُني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وصرف تاريخهُ الفارسيّ الى التاريخ العربيّ ووضع اوساط الكواكب فيهِ لاول تاريخ الهجرة وزاد فيهِ جداول حسنة على انهُ اتبعهُ على حكايتهِ (٢ فيهِ ولم ينبّه على مواضع الغلط منهُ وقد نبّهتُ على ذلك في كتاب المؤلف في اصلاح حركات الكواكب (٣ والتعريف بخطإ الراصدين. وتوفي ابو القاسم مسلمة بن محمد (٤ قبيل منبعث (٥ الفتنة في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (١٠٠٨ م) وقد أنجب تلاميذ جلّة ولم يُنجب عالمٌ بالاندلس مثلهم فمن اشهرهم ابن السمج (٦ وابن الصفّار والزهراوي والكرماني وابن خلدون

فاما (ابن السمج) (٦ فهو القسم اصبغ (٧ بن محمد بن السمج (٦ المهدي (٨ كان متحققاً (٩ بعلم العدد والهندسة متقدّماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وكانت لهُ مع ذلك عناية بالطبّ ولهُ تواليف حسنة منها كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير كتاب اوقليدس ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات ومنها كتاب (63) طبيعة العدد ومنها كتابهُ الكبير في الهندسة تقصّى فيهِ اجزاء من الخطّ (١٠

---

١) روى ابن ابي اصيبعة (٢ : ٢٩) هذا الفصل بحرفهِ وذكر المؤلف وكتابهُ طبقات الامم. وهو يروي: المرحيطي

٢) كذا في الاصل وفي صب: على خطئهِ. ولعل الصواب خطّئهِ

٣) اطلب المقدّمة والصفحة ٨٢٥

٤) والصواب: احمد كما مرّ وكما روى صب

٥) صب: مبعث

٦) والصواب: السمح بالحاء: وهذه الترجمة في صب (٢ : ٢٩)

٧) صب: إصبغ وهو الصواب ٨) كذا. وفي صب: المهندس الزرناطي

٩) صب: محققاً ١٠) صب: يقصى . . . من الخط

المستقيم والمقوّس والمنحني. ومنهـا كتاباهُ في الآلة المسماة بالاسطرلاب احدهما في التعريف بصورة صنعتها وهو مرتب على مقالتين والآخر في العمـل بها والتعريف بجوامع تاريخهـا (١ وهو مقسّم على مائة وثلثين باباً. ومنها زيجهُ الذي ألّفهُ على احد مذاهب الهند المعروف بالسند هند وهو كتاب كبير مقسم على جزئين احدهما في الجداول والآخر في رسائل الجداول. واخبرني عنـهُ تلميذهُ ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى الناسي (٢ المهندس انهُ توفي بمدينـة غرناطة قاعدة الامير حبوس بن ماكس (٣ بن زيرى بن مناد (٤ الصنهاجي ليـلة الثلثا لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين واربعمائة (١٠٣٥م) وهو ابن ست وخمسين سنة شمسيّة

واما (ابن الصفّار) فهو ابو القسم (٥ احمد بن عبدالله بن عمر كان ايضاً متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعـد في قرطبة لتعليم ذلك ولهُ زيج مختصر على مذهب السند هند وكتاب في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ وخرج من قرطبة بعد ان مضى صدر من الفتنة [واستقر وابنهُ قاعدة (٦ الامير مجاهد العامري من ساحل البحر الاندلسي الشرقي وتوفي بها رحمهُ الله

وقد نجب من اهل قرطبة تلاميذ جماعة سيأتي ذكرهم بعد هـذا ان شاء الله تعالى. وكان لهُ اخ يسمى محمداً مشهوراً بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبلهُ اجمل صنعاً لما منهُ

واما (الزهراوي) فهو ابو الحسن علي بن سليمان كان عالماً بالعدد والهندسـة معتنياً بعلم الطب ولهُ كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان (٧

واما (الكرماني) فهو ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن احمد بن علي الكرماني من اهـل قرطبة احد الراسخين في علم العدد والهندسة اخبرني عنهُ تلميذهُ الحسين ابن احمد (٨ بن الحسين بن حي المهندس المنجم انهُ مـا لقي احداً يجاريه في علم

١) صب : غرناطة ٢) صب : بن الناشئ
٣) صب : ماكن ٤) كذا. صب : مناد
٥) صب : ابو القاسم. وهو يروى ترجمتهُ عن صاعد (٣ : ٤٠) بحرفها
٦) صب : واستقرّ بمدينة دانية قاعدة . . .
٧) وزاد صب : وهو الكتاب المسمّى بكتاب الاركان .
٨) صب : محمّد. وترجمة الكرماني رواها صب (٣ : ٤٠) عن صاعد

الهندسة ولا يشقّ غباره (١ في فكّ غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء اجزائها ورحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حرّان من بلاد الجزيرة وعُني هناك بعلم الهندسة والطبّ ثم رجع الى بلاد الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة من (64) تقريبا (كذا) وجلب معهُ الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفاء لا نعلم احدًا ادخلها الاندلس قبلهُ ولهُ عناية بالطب ومجرّبات فاضلة فيهِ ونقود مشهورة بالكي (٢ والقطع والشقّ والبطّ وغير ذلك من اعمال الصناعة الطبيّة ولم يكن بصيرًا بعلم النجوم التعليمي ولا بصناعة المنطق. اخبرني عنهُ بذلك ابو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الاسرائيلي وكان خبيرًا به. ومحلُّهُ من العلوم النظريّة المحلُّ الذي لا يُجارى فيهِ (٣ بالاندلس وتوفي ابو الحكم (٤ رحمهُ الله بسرقسطة سنة ثمان وخمسين واربعمائة (١٠٦٦ م) وهو قد بلغ تسعين سنة او جاوزها بقليل

واما (ابن خلدون) (٥ فهو ابو مسلم عمرو (٦ بن احمد بن خلدون الحضرمي من اشراف اهل اشبيلية في علوم الفلسفة مشهورًا بعلم الهندسة والنجوم والطبّ مشبّهًا بالفلاسفة في اصلاح اخلاقهِ وتعديل سيرتهِ وتقويم سياستهِ (٧ وتوفي في بلدهِ سنة تسع واربعين واربعمائة (١٠٥٧ م)

ومن مشاهير تلاميذ ابي القسم احمد بن عبدالله بن الصفّار: ابنُ البرغوث والواسطيُّ وابن شهر والقرشي والامطش المرواني وابن العطّار (٨

فاما (ابن برغوث) فهو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن برغوث كان متحققًا بالعلوم الرياضيّة مختصًّا منها بايثار علم الافلاك وهيئاتها وحركات الكواكب وارصادها وكان لهُ مع ذلك تحقّق بعلم النحو ومعرفة القرآن والفقه والوثائق وإشراف حسن على سائر العلوم وكان عفيفًا حليمًا حسن السيرة معتدل الاخلاق طيب الذكر

١) في الاصل: غبان وهو تصحيف
٢) صب: تنوذ مشهور في آكى
٣) زاد صب: عندنا ٤) زاد صب: الكرماني
٥) ليس هو ابن خلدون المؤرخ الشهير الذي عاش بعد هذا الوقت بزمان. والترجمة منقولة في طبقات الاطبّاء (صب ٢: ٤١)
٦) صب: عمر ٧) صب: طريقته
٨) لم يذكر ابن ابي اصيبعة تلامذة ابن الصفّار

مرضيّ الاحوال وتوفي رحمهُ الله في سنة اربع واربعين واربعمائة (١٠٥٢ م)

واما (الواسطي) فهو ابو الاصبغ (الاصبغ) عيسى بن احمد احد المحكمين (المحكّمين) بعلم العدد والهندسة والفرائض وقعد بقرطبة لتعليم ذلك ولهُ ايضاً بصر بجُمل من علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وهو باقٍ الى وقتنا هذا

واما (ابن شهر) فهو ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن شهر الرعيني كان بصيراً بالهندسة في النجوم متقدماً في اللغة والنحو والحديث والفقه بليغاً شاعراً متكلماً ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ وولي القضاء الرتبة آخر دولة زهيرة العامريّ في سنة سبع وعشرين واربعمائة (١٠٣٦ م) وتوفي بمدينة قرطبة وهو باق (65) على القضاء سنة خمس وثلثين واربعمائة (١٠٤٤ م)

واما (ابن العطار) فهو محمد بن خيرة العطّار مولى الكاتب محمد بن ابي هريرة خادم الظافر اسمعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون من صغار تلاميذ بن الصفار متقن لعلم العدد والهندسة والفرائض وهو لوقتنا هذا معلم لذلك في مدينة قرطبة . ولهُ ايضاً بصَر بصناعة النجوم وعناية بعلم حركاتها (٢

ومن مشاهير تلاميذ بن السمح (السمح) ابو مروان سليمانُ بن محمد بن عيسى ابن الناعي (٣ بصير بالعدد والهندسة معتنٍ بصناعة الطبّ في احكام النجوم . وابو جعفر احمد بن عبدالله المعروف بابن الصفّار الطبيب

ومن مشاهير تلاميذ مسلم بن خلدون القرشي المعروف بالسلاح (٤ بقيّة العلماء باشبيلية (٥ وهو ابو مروان عبد الملك

ومن نظراء هذه الطبقة (عبدالله بن احمد السرقسطي) كان نافذاً في علم العدد والهندسة والنجوم وقعد لتعليم ذلك في بلده . اخبرني عنهُ تلميذه علي بن محمد (كذا) ابن داود المهندس انّهُ ما لقي احداً احسن تصرُّفاً في الهندسة منهُ ولا اضبط . ورأيت رسالة لهُ كتب بها الى ابي مسلم بن خلدون الاشبيلي يذكر فيها فساد مذهب السند هند في حركات الكواكب وتعديلها ويحتجّ باشياء قد رددنا عليه فيها وبيّنا

---

١) كذا . وهي كلمة مصحّفة

٢) وقد نسي المؤلف الامطش ابا مروان الذي ذكرهُ بين تلاميذ ابن الصفّار

٣) والصواب : الناشئ

٤) كذا ولعلّها السلام

٥) والصواب : باشبيلية

موضع الغلط منها في كتابنا المؤلف في اصلاح حركات الكواكب (١ والتنبيه على خطأ النجمين . وتوفي عبدالله بن احمد هذا بمدينة بلنسية سنة ثمان واربعين واربعمائة (١٠٥٦م)

ومنهم (ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن ابراهيم الهرزي (؟) الاشبيلي) كان بصيراً بعلوم البرهان واللسان والمسائلة كان متفنناً في ضروب المعارف صَنِعاً لطيف اليد توفي بمصر سنة عشرين واربعمائة (١٠٢٩ م) وهو لم يتمكن من سنّ الكهولة

ومن مشاهير اصحاب ابنُ برغوث ابن الليث وابن الجلّاب وابن حي . فاما (ابن الليث) فهو محمد بن احمد بن الليث كان متحققاً بعلم العدد والهندسة مقتفياً بعلم حركات الكواكب وارصادها وكان مع هذا بصيراً بالنجوم واللغة والفقه ذا مروة كاملة ونفس طيبة وتوفي وهو متقلد القضاء بشربون (؟) من اعمال بلنسية سنة خمس واربعمائة (١٠١٥ م)

واما (ابن حي) فهو الحسن (66) بن محمد بن الحسين بن حي التجيبي من اهل قرطبة كان بصيراً بالهندسة والنجوم كلفاً بصناعة التعديل ولهُ فيها مختصر على مذهب السند هند وخرج من الاندلس سنة اثنتين واربعين واربعمائة (١٠٥١م) ولحق بمصر بعد ان نالهُ بالاندلس وبالبحر محن شداد ثم رحل الى اليمن واتصل باميرها السبحي القائم بدعوة الملك بعدَ المستنصر بالله بن علي الظاهر بن منصور الحاكم بن نزار العزيز بن معزّ المعز بن اسمعيل المنصور بن عبد الرحمن القائم بن عبدالله المهدي الذي ملكهُ الآن مشتمل على بعض افريقية وجميع مصر والشام وجزيرة العرب والحجاز وتهامة ونجد واليمن فحظي ابن حي هذا عند الامير السبحي حظوتهُ المشهورة وبعثهُ رسولاً الى الخليفة القائم بامر الله ببغداد في هيئة فخمة ونال هناك دنيا عريضة . وبلغنا انهُ توفي باليمن بعد انصرافهِ من بغداد سنة ستّ وخمسين واربعمائة (١٠٦٤ م)

واما (ابن الجلّاب) فهو الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلّاب احد المتحققين بعلم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم ولهُ مع ذلك عناية بالمنطق والعلم الطبيعي وهو في وقتنا هذا مستوطن مدينة المرية قاعدة الامير محمد بن معن بن محمد بن صمادح التجيبي

١) راجع المقدمة

ومنهم ابو (الوليد هشام بن احمد بن هشام بن خالد الكنّاني المعروف بابن الوقشي) (١ من اهل طليطلة احد المتفننين في العلوم المتوسّعين في ظروف المعارف من اهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقق بصناعة الهندسة والمنطق والرسوخ في علم النحو واللغة والشعر والخطابة والاحكام بعلم الفقه والاثر والكلام وهو مع ذلك شاعر بليغ ليس يفضلهُ عالم بالانساب والاخبار والسير مشرف على جمل سائر العلوم لقيتهُ بطليطلة سنة ثمان وثلثين واربعماية (١٠٤٧ م) وقد تقلد القضاء بين اهل طلبيره من ثغور طليطلة قاعدة الامير المأمون يحيى بن الظافر اسمعيل عبد الرحمن ابن اسمعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون

ومن نظراء هولاء ابو جعفر احمد بن حميس بن عامر بن منيح (٢ من اهل طليطلة ايضاً احد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطبّ ولهُ مشاركة في علوم اللسان وحفظ صالح في الشعر وهو من لدات (٣ (67) القاضي ابي الوليد هشام بن احمد بن هشام وابي اسحق ابراهيم بن لب بن اوليس التجيبي المعروف بالتويدس كان من اهل قلعة ايوب ثم خرج عنها واستوطن طليطلة وتأدب فيها وبرع في علوم العدد والهندسة والفرائض وقعد للتعليم بذلك زماناً طويلاً وكان لهُ بصر بعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم وعنهُ اخذتُ كثيراً من ذلك. وكان لهُ مع ذلك نقود في العربيّة وقد ادّب بها زماناً بطليطلة وتوفي رحمهُ الله ليلة الاربعا لثلث بقين من رجب سنة اربع وخمسين واربعماية (١٠٦٢ م)

فهولاء مشاهير مَن عُني بالعلم الرياضي بالاندلس وقد كان بها جماعة غيرهم اضربتُ عن ذكرهم امّا لتقصيرهم عن هولاء وامّا لجهلي باسمائهم واخبارهم ومنازلهم من المعرفة وان كانوا مشهورين باسمائهم عندنا بالاندلس الى هنا وفي زماننا هذا افراد من الاحداث منتدبون بعلم الفلسفة ذوو افهام صحيحة وهمم رفيعة قد احرزوا من اجزائها (التتمة للآتي)

١) كذا. ولم يرو ابن ابي اصيبعة ترجمتهُ واشار اليهِ فقط (٢: ٤١) ودعاهُ الكنّاني ذكر الضبي في تاريخ رجال الاندلس (ص ٤٧٥)

٢) صب روى (٢: ٤١) دميج

٣) صب: من اقران

حكومة الحبش

لجناب الكاثاير عبد الله افندي رعد

مدرّس الكيمياء في مكتبنا الطبي. مقدَّم فخري وسر اجزاني بلاط امبراطور الحبشة سابقاً (تابع)

٨ الوزارة

تأليف الوزارة في الحبشة حديث العهد لا يتجاوز ثلاثاً ووظيفة الوزير عندهم لا تنطبق على نظامات المملكة. وما هو الّا ميل منليك للتقلّد بالافرنج في حكوماتهم ظنّاً منهُ بان كل ما يأتونهُ عين الحكمة والسداد لكنَّ هذا الميل الذي حملهُ على تأليف وزارة لا ينطبق بشيء على عوائد ونظامات وتقاليد مملكتهِ. فقد سأل يوماً المقربين اليهِ من الافرنج وكلهم اصحاب غايات وسعايات: كيف يكون نظام بلادكم. فقالوا لهُ: ان اكبر الموظفين يُدعَون عندنا وزراء ولهم الحلّ والعقد والامر والنهي كلٌّ في دائرة نظارتهِ فواحد للداخليَّة وهو رأس الحكام والولاة وما يلحق بهم من المأمورين وآخر للخارجيَّة يهتمّ بعلائق الدولة مع بقيَّة الدول وهو رأس السفراء والقناصل وآخر للحربيَّة وهو رئيس الجيش وجميع القوّاد والضباط والجنود تحت اوامرهِ وغيرهُ للنافعة وآخر للتجارة. واذ رأى النجاشي ذلك استحسنهُ وطلب منهم ان يكتبوا لهُ على ورقة بما امكنهم من الايجاز وظيفة كلّ واحد من الوزراء وحدود اختصاصاتهِ ففعلوا وهم لا يدرون كيف يدور دولاب الحكومة عند هذا العاهل الحاكم بامرهِ وفي سلطنتهِ الاقطاعيَّة ولا ما هي اختصاصات الامراء والرؤوس والعمّال كلّ في امارتهِ واقطاعتهِ فخبطوا وخلطوا واخذوا شيئاً من وزارة ايالة تونس وحشوه في قالب اخذوهُ من اختصاصات وزارة فرنسة وغيرها من دول اوربا وصنَّفوا لهُ وزارة مبتدعة لا يُعرف لها الف من باء. قدَّموها لهُ قائلين: هذه ايها الملك رأس الحكمة وزبدة نظامات العالم ان انت وضعتها في حكومتك موضع الاجراء ازدهر ملكك وضُرب فيك المثل بين ملوك الارض بالقوة والاقتدار ونظام الاعمال والحكمة وسداد الرأي وصلحت حال رعيتك وصارت حكومتك غنيَّة وامَّتك عظيمة

٦ ٢ ١ ٣ ٤ ٥

١ النجاشي منليك – ٢ المطران مثاوس – ٣ المرحوم الراس تسما تيم الملك – ٤ المرحوم الراس مكونين امير مرر –
٥ الراس ولد جرجس امير كفا – ٦ راهب كاتب اسرار المطران

فاعجب هذا التقريظ منليك ولكنهُ لم يفهم شيئاً من هذا النظام الجديد ففكر بهِ قليلاً من الايام وعرضهُ على حاشيتهِ (وكلهم من المتملقين). قائلاً: يا قومي انظروا هذا النظام الجديد وليس هو نظام فرنسة ولا انكلترة ولا ايطالية ولا.. ولا.. بل هو نخبة من نظامات العالم الافرنجي ان نحن سرنا عليهِ فقنا هاتهِ الحكومات حكمةً ونظاماً وصرنا في مقدمة الدول العظيمة فيطأطئ الملوك رؤوسهم امامنا. فاجاب المتملقون: الرأي رأيك ايها الملك العظيم فانت اليوم ملك ملوك الحبشة وستصبح بلا شك بفضل هذا النظام الجديد ملك ملوك الارض كلها

ومع هذا كلهِ كان منليك يتردَّد في امر وضع هذا النظام موضع العمل لانهُ لم يفهمهُ واذ اجتهد ان يفهم يسيراً منهُ رآه على تناقض تامّ لنظام مملكتهِ فقال في نفسهِ: ان نحن وضعنا هذا النظام الجديد موضع العمل لا بد لنا من قلب دستور المملكة كله وهذا ليس بالسهل. وذلك لان النجاشي كان عالماً انهُ اذا ما حاول نزع السلطة من امرائهِ ورؤسائهِ ذوي الاقطاعات والامر والنهي في العسكرية والادارة والقضاء ضمن حدود اماراتهم خيف من ان يسير هؤلاء بعساكرهم عليهِ فينزلوه عن عرشهِ ويختطفوا تاجهُ ويضعوا القيود في يديهِ ورجليهِ فاذا يفيدهُ حينئذٍ وزير الحربيَّة او وزراء الاحراج والنافعة والبريد والبرق. والحاكي (التلفون) على انهُ تجلَّد وحدثتهُ نفسهُ بالعظمة والارتفاع فوق ملوك الارض اذ إن واضعي هذا النظام اكدوا لهُ وحلفوا بين يديه بشرفهم انهم مخلصون لسدتهِ الملوكانية متعلقون باهداب عرشهِ السليماني وانهم استحضروا الكتب الضخمة مما وراء البحار وقلَّبوا ونقَّبوا ودرسوا وتمعَّنوا حتى توصلوا ان يصيغوا درر هذا النظام وان هو الَّا حكمة لم يؤتها جدُّهُ سليمان ويعجز عن اتيان مثلها لقمان. فقال لهم: اما في بلادكم حكام مقاطعات متسلطون على الرعية في ولاياتهم فكيف يتداخل الوزراء في امورهم أفلا يتخاصمون؟ فقالوا لهُ: عش ايها الملك ان الوزراء هم خطّ الصلة بين الامراء ومليكهم واذا اصدروا امراً او قرَّروا نظاماً انما يفعلون باسم الملك لا بسلطتهم الشخصيَّة فكل واحد منهم يعدّ ككاتم اسرار جلالتك في دائرة اختصاصهِ. وعلاوةً على ذلك ألسنا نحن خدام جلالتك ورهيني الاشارة مستعدّين ان نأتي بامرك ونعلِّم هؤلاء الوزراء كيف يسيرون في وظائفهم؟..

فكان هذا الجواب عند النجاشي فصل الخطاب ومفتاح اغلاق النظام كله اذ رأى بالوزراء (وكلٌّ يفهم حسب دائرة معلوماتهِ) حجّاباً ينقلون الاوامر او قضّاداً يتممون ما نُدبوا لاتمامهِ . فامر حينئذٍ ان تُضرب الطبول في القصر فضُربت ونادى المنادون في المدينة ان هلمّوا بحكمة واصغاء (صوفيا پروسخومين ١٠٠) واذ امتلأت باحات القصر وازدحمت بالرعايا كبيرهم وصغيرهم جاء رئيس الحجّاب وامامهُ الرايات وصرخ قائلاً : « يا ايها الناس اني صوتٌ صارخٌ باسم الملك فاسمعوا ارادته . هكذا يقول لكم . يا شعبي تعلموا جميعكم ان ارض اجدادنا هذه قديمة العهد جدًّا ومنذ ان دعاني الله لاتسنَّم عرش اجدادي سليمان الحكيم وابيهِ داود الملك والنبي قد جاهدتُ الجهاد الحسن في سبيل ضمّ شتاتكم واقامة العدل بينكم وردّ هجمات العدوّ عنكم وهكذا حرستُ ارض إثيوپيا بكل دقة وقاتلت الذين حدّثتهم نفسهم بالتعدي علينا وقد نصرني الله في حروبي . امّا الان وبلادنا بحمد الله مطمئنة وبها السلام لا يعاندنا فيها معاند ولا يستطيع احد ان يجتاز حدودها وجب علينا ان نعمل على رفع شأنها وتعزيز مكانتها وجعلها في مقدّمة بلاد العالم تمدُّناً وغنًى وقوةً وعلوماً . واذا نظرنا الى اخواننا ملوك الافرنج ودرسنا الطرائق التي يستعملونها في ادارة شؤون بلادهم وصلاح حال رعاياهم رأيناها الخطّة المثلى فعهدنا الى اكثر الافرنج اخلاصاً لنا ووضعنا واياهم نظاماً جديداً يفوق نظامات دول الافرنج كلها لانهُ مؤلف من احسنها في كلّ دولة وقد عزمنا بقوّة الله ان نضع هذا الجديد موضع الاجراء في حكومتنا هذه الخاضعة لعرشنا السليماني وعليهِ فقد سمّينا فلاناً وفلاناً الخ « منيستر » (وزراء) وتأمركم جميعاً ان تحترموهم وتكرموهم . اه »

وهكذا دخلت كلمة منيستر (على لفظتها الافرنجيّة) في عداد وظائف الدولة . فدُعي قاضي القضاة وزير العدليّة والمهردار وزير القلم واحد القواد المقربين وزير الحربيّة ورئيس الخزانة وبيت المال وزير الماليّة ومدير جمرك اديس ابابا وزير التجارة والخارجيّة ثم قُسمت هذه الوزارة الى نظارتين فأُعطيت وزارة الخارجيّة الى مدير جمرك هرر . وكذلك سمي قيم البلاط وزير البلاط ومتولي استثمار الاملاك العائدة للملك وزير الزراعة وغيرهما وزراء الداخليّة والنافعة والبريد والبرق والحاكي . وقد

نُفيت من اللائحة وزارة الاديان خوفاً من وقوع سجس في الشعب وشقاق في الكهنة واصحاب مراتب الدين

وهكذا تألفت الوزارة وطنطنت الجرائد الاوربيَّة بخبر تأليفها والوزراء كمن أُعطي ولايةً في الصين لا يعرفون وظيفتهم ولا اختصاصاتهم نصفهم أُميُّون لا يقرأون ولا يكتبون واذا باحثتهم عن مسألة لا يفهمون. لا امر بيدهم ولا نهي ولا حلّ ولا عقد لا يستطيع وزير الداخلية ان يعطي امرًا للامراء اصحاب المقاطعات لان هؤلاء ارفع منهُ قدرًا واعظم شأنًا وهم قلَّما يخضعون للملك نفسهِ بل يستبدّون كيفما شاءوا في اماراتهم فكيف يتجاسر رجل أُعطي من عهد جديد اسم « منيستر » كلمة اجنبيَّة لا يعرفون معناها ولا مغزاها ان ينهي اليهم امرًا يخضعون لهُ ونظامًا يجرون بموجبه ولهم وحدهم الامر والنهي؟ واذا جاء هذا « المنيستر » الى قصرهم حسبوه عبدًا من عبيدهم يرقبونهُ يومًا بليلتهِ وقفة الذليل على بابهم حتى يؤذن لهُ ان يدخل فيقبّل مواطئ اقدامهم. وان هو استند الى ما قيل لهُ عن اختصاصات وزارتهِ ورسم للامير خطَّة يجري عليها في امارتهِ غضب عليهِ الامير وامر فقُيِّد الوزير بالاغلال وأُلقي في ظلمات السجن حيث يذوق السياط وانواع الاهانات والعذابات من احقر عبيد الامير. وهكذا قل عن وزير الحربيَّة تجاه القواد فانهم يحكمون مدنيًّا وعسكريًّا وقضاء في حدود اقطاعاتهم. امَّا وزير الخارجيَّة فلا سفراء له ولا قناصل في البلاد الاجنبيَّة وما هو الَّا خادم يرسلهُ الملك الى السفراء في اديس ابابا ليحمل لهم كلامهُ ويأتيه بالجواب. واذا اراد أحد هؤلاء السفراء مخاطبة النجاشي ارسل ترجمانهُ توًّا الى الملك او استدعى وزير الخارجيَّة هذا اليهِ وسألهُ ان يقول للملك كذا وكذا او ان يطلب منهُ تعيين ساعةٍ للمقابلة فيصدع الامر ويروح ويغدو ثم يعود اليهِ بالجواب. واذا امر النجاشي او الامبراطورة او احد اعضاء العائلة المالكة ببناء بيت او تسييج بستان جاء وزير النافعة ودعى البنَّائين وجمع العبيد وبعضًا من عساكر القصر وذهب بهم الى مقلع الحجارة فاتى بالاحجار اللازمة ثم ذهب ايضًا واستحضر الاخشاب ودعا النجارين وابتاع الرمل والنورة وبقيَّة ما يلزم للبناء ثم وقف في الشمس يناظر النفعة كي يسرعوا بعملهم ولا يقتلوا ساعات نهارهم بالنفعة والامهال

واذا اجتمع هؤلاء المنيستروتش (كما يدعونهم بصيغة الجمع الحبشيَّة وفقاً للكلمة الافرنجيَّة كقولك في برنس برنسات وفي لورد لوردات !..) في القاعة التي أُعدَّت لتكون مجلس النظَّار تداولوا بينهم في امور تافهة وربما عقدوا محكمة لوجود قاضي القضاة بينهم وهو وزير العدليَّة وهذا حيثما ذهب تتبعهُ جماهير المتخاصمين يطلبون سماع شكاويهم وهكذا ترفضُ الجلسة بعد ابراز الحكم او تأجيله

فانظر يا رعاك الله كيف الغراب اذا رام ان يقلد قفزة الحجل اضاع العمر في طلب المحال فينسى مشيتهُ ولا يتعلم مشية الحجل . هذه نتيجة ادخال نظام جديد في مملكة تناقض نظاماتها وحركة ادارتها سير هذا الاصلاح المزعوم فالنظامات في كل مملكة سلسلةٌ تتصل حلقاتها ببعضها واذا ادخلت عليها حلقة من غير نوع بقية الحلقات فصمت بينها وانفرط سلك نظامها وتوقفت حركة سيرها المعتاد فتصير الى بئس المصير

٩ التكاليف والضرائب وطرق جبايتها

ليس للحكومة الحبشيَّة ميزانيَّة معلومة للدخل والخرج ولا فرق ايضاً في بيت مال الحكومة وصندوق الملك فالملك هو الحكومة والارض وما عليها لهُ يهب ويمنع ويتصرَّف فيها كيفما شاءت ارادتهُ المطلقة . فكل ما يجمعهُ الجباة من المداخيل العائدة للحكومة يدخل في صندوقهِ وكلّ ما ينفق من اجل الحكومة او على بيتهِ الخاصّ وعلى ولائمهِ وغير ذلك من حاجياتهِ يُصرف من نفس هذا الصندوق بامر الملك

وليست الحكومة الحبشيَّة بحكومة غنيَّة فثروة منليك كلها اذا جمعنا ما عندهُ من المال نقداً في خزانتهِ ودِيناً في مصارف اوربا وسبائك ذهب خامي وعاج ونحو ذلك في مخزنهِ قد لا يتجاوز المجموع ستين او سبعين مليوناً من الفرنكات وهذا كلهُ جمعهُ منليك في عهد ملكهِ . فقد اخبر الرحَّالون عن الملك سهلا سلاسيه جده انهُ كان يتعذر عليهِ في بعض الاحايين دفع خمسمائة فرنك نقوداً . الَّا انَّ هذه الحكومة غنيَّة بمحصولاتها ومداخيلها عيناً فهي لا تدفع اثمان الحبوب لجرايات عساكرها لانها تأخذ العشور عيناً ولا ثمن اللابيس القطنيَّة ولا الاخشاب والحجارة لابنيتها ولا اجرة

بلباراس بايانا بن باشاه قائد ميمنة جيش الحبش

العمّة الوطنيين ولا معاشات للمأمورين الاداريين والعسكريين ولا ولا الخ فكل ذلك يأتيها عيناً من املاكها وضرائبها وجزية امرائها واصحاب الاقطاعات عندها. ولا هي مديونة ايضاً لدولة من الدول او لمصرف من المصارف. ولكن من جهة اخرى ليس عندها من المصاريف شيء مما عند بقيّة الدول في ميزانياتها

اما موارد الحكومة الحبشيّة فهي هذه:

١ (الجزية) وهي التي يقدمها الامراء للامبراطور نقوداً او عروضاً او بهائم او غير ذلك كما أشرنا في فصل سابق

٢ (العشور) هو عُشر الحبوب يستوفيه العشّارون عيناً من على البيادر ويرسَل الى المحلّات المعينة تحت ادارة مأمورين ليوزّع على الجيوش جرايات شهريّة وهو يُخزن عادةً في آبار وصهاريج منقوبة في الارض لا يعرف مواضعها العدو أبان الحرب والغزوات فيستولي عليها. اما عشور بقيّة المحصولات كالبن وسواه فيستوفى في جمارك الاسواق حيث يؤتى بها ليباع

هذه العشور هي مختصّة بالحكومة وهناك عشارون آخرون من قِبَل الامراء واصحاب الاقطاعات يستوفون حصّة مواليهم وهذه لا قاعدة فيها وقد تتجاوز نصف المحصول احياناً وبنوع الاجمال لا يُترك للفلّاح المسكين الّا ما يكفيه بالكدّ لمؤونة بيته

٣ (الجمارك) هي عشور ايضاً تُستوفى على كل ما دخل السوق ليباع سواء كان بضاعة اجنبيّة او وطنيّة او محصول الارض او بهيمة او مهما كان جنسه. فالبضاعة التي تستورد من الخارج من اي نوع كانت تدفع بالمائة عشرة من ثمنها حسب السعر الذي تباع فيه في ذلك السوق وبعضها تستوفى عيناً كالخام مثلاً. واذا نُقلت هذه البضاعة من سوق الى اخرى بعد دفعها العشور تؤخذ شهادة ناطقة من ذلك الجمرك وهم يدعونها «رفتيّة» ثم يستوفى عنها في السوق الثانية بالمائة ثلاثة ايضاً وفي كلّ سوق من الاسواق جمرك يجلس فيه العشارون ويعشّرون الداخل والخارج. فكل ما اتى به البائع من الحاصلات حبوباً او بنّاً او جاوداً او سمناً او بهائم او حطباً او خشباً للبناء او حجارة او مهما كان نوعهُ غالياً كان او بخس الثمن أُتي به الى الجمرك اولاً حيث تُستوفى عنهُ العشور ثم يُذهب به الى السوق ليباع. وهذه العشور تؤخذ اما

نقوداً او عيناً حسب انواع المواد وحاجة الحكومة واستغنائها عنهُ . وفي كلّ باب من ابواب المدينة او كلّ مدخل من البرّية اليها يوجد حراس وعندهم عساكر لشبه « بالورديان » فاذا جاء الفلّاح او الفلّاحة حاملين محاصيلهم للبيع اوقفوهم هناك حتى يتجمعوا فيرسلونهم عشرة عشرة وعشرين عشرين مصحوبين بالعسكري فيسلمهم الى العشارين في الجمرك ثم يعود هذا العسكري الى الباب امّا البضاعة التي يصدّرها التجار فلا يُسمح تحميلها الّا من وسط الجمرك حتى يستوفى عنها رسم الخروج ويأخذ المكاري اشعاراً مكتوباً حتى لا يتعارضهُ العشّارون على الطريق

٤ً (الباج) هي ضريبة على المكارين عن كلّ دابة محمّلة على حدود كلّ مقاطعة او امارة او إقطاعة وهذه عادةً يستوفيها سيد تلك المقاطعة

٥ً (الضرائب غير الاعتياديّة) هي التي يضربها الملك او الامير من حين الى حين على الرعيّة عند نشوب حرب او اذا اراد بناء سور او انشاء طريق او نحو ذلك وفي اكثر الاحايين يكون الباعث خدعةً ويعود المال الى خزينة السيد . وتقاس مثل هذه الضرائب على مقدرة كل واحد من الرعيّة ويجعلون هذه الضرائب بمثابة النقود عن كل رأس من الماشية وتختلف حسب اختلاف نوع الماشية فيُقال خمسة غروش مثلاً على كلّ بغل او فرس واربعة عن كل حمار او ثور او بقرة وغرشان عن كل راس من الغنم والمعزى وقس على ذلك

٦ً (درگو) اذا ارتحل الملك من بلاطهِ والامير من قصرهِ والمتسلط من اقطاعتهِ وجرَّ معهُ حاشيةً وجيشاً إمّا للغزوات والحرب او بقصد السفر من محلّ الى آخر تحتّم على السكان ان يقدموا الدرگو وهي ضريبة يقضي بها شيوخ القرى على الفلاحين كلّ حسب مقدرتهِ فيجمع ما يقوم بحاجات القافلة الملكيّة او الاميرية المارّة من ذلك المكان من اكل وشرب وعلف للبهائم ونحو ذلك . واذا سافر موظف اوربي او بعثة علميّة استأذنت الملك بالدخول واتتهُ بالهدايا فكانت بضيافتهِ واصحب الملكُ المسافر بكتيبة من الجنود مع جاويش بيدهِ امر الى رؤساء المقاطعات ان يقدموا الدرگو للمسافر وحاشيته وقافلتهِ وعساكر محافظتهِ حينئذٍ كلما قامت القافلة من مرحلة سبقها جنديان الى المرحلة التالية وبيدهم الامر المختوم فتحتم على الحاكم ان يجمع الدرگو من عند الاهالي ويحضرهُ في بيتهِ حتى اذا وصلت القافلة الى المرحلة

التي في اقطاعته حالاً خفّ للسلام على سيد القافلة ومن ورائه العبيد حاملين الدرگو على رؤوسهم وظهورهم فيستقبل المسافر الحاكم بايناس ويقدّم له مشروباً (واصحاب البعثات الكبيرة يقدمون هديّة) ويضرقة وهكذا يجري الامر على طول مسافة الطريق حتى يصل المسافر الى نهاية رحلته

ومثل هذه الضرائب كانت ولم تزل الى اليوم مألوفة في كلّ انحاء الحبشة بل في بلاد غيرها ايضاً وقت الحرب اذ يتحتم على كلّ بيت ان يأوي جنديًا او اكثر ويقدّم لهم مأكلاً ومشرباً ومبيتاً وعلفاً لبهائمهم اذا كانوا من الفرسان

٧ السخرة) تقسم هذه الضريبة الى نوعين السخرة المعلومة وهي ايام معدودة في كل اسبوع او في كلّ شهر يعمل فيها الزارعون في حقول مواليهم حراثةً وزراعةً وريًا وبيدرًا ونحو ذلك والسخرة الموقتة وهي التي تكون بامر الملك او الامير لنقل شيء كمواد البناء لانشاء دار او كنيسة او طريق او نحو ذلك فاذا صدر الامر بجمع الناس للسخرة خرج الموظفون او الجنود المأمورة الى منعطفات الطرقات والى الاسواق وساقوا الناس كالغنم الى محلّ البناء او الى مقلع الحجارة وشغلوهم هناك بحفر التراب او نقل الاحجار والاخشاب الى غير ذلك. واحيانًا يأمر الامير ان يتناوب موظفوه العمل في هذه السخرة فيجمع المأمور رجاله ويعملون في ذلك النهار وفي اليوم الثاني يستأنف العمل موظف آخر وهكذا حتى ينتهي العمل المقصود. فعلى هذه الطريقة بنى منليك وجميع امرائه قصورهم وابنيتهم الاميريّة ومهدوا الطرقات وانشأوا الكنائس ونقلوا الاثقال من المرافئ البحرية الى داخليّة اقطاعاتهم. ولمّا استحضر النجاشي عادل مجارية من اوربا لحدل الطرقات التي فتحها في أديس ابابا وضواحيها رأيتُ هذه القطع الضخمة يجرها مئات والوف من الناس بالسخرة وقد نقلوها على هذه الصورة مسافة اربعمائة كيلومتر من محطة السكة الحديدية في ديرهداوا حتى عاصمة ملكه وذلك في مدة تتجاوز الشهر وقد أُخذت النساء ايضًا للسخرة في هذا العمل وذلك ليحضّرن الطعام ويستقين الماء على طول الطريق

ومثل هذه السخرة كانت مستعملة في كلّ ممالك العالم القديم من الاشوريين والفراعنة الى عهد قياصرة الرومان والروم الى العرب الى الدول العثمانيّة ولم تبطل في هذه البلاد الّا من عهد قريب فقط فقد رأيناها جارية في كلّ عهد الدوز الخميذي

السابق ولعلها لم يزل منها بقيَّة في عهد الدستور الى اليوم في اليمن والله اعلم .

٨ً (الاحتكارات) احتكرت الحكومة الحبشيَّة لنفسها بعض الاصناف التجارية او سلَّمت الاحتكار لبعض من التجار الاجانب مقابل جزية معلومة في السنة او اجرت على المحتكر دفع كذا وكذا عن كل زنة او مقدار . ولكنها رأت ان هذه الاحتكارات لا تفيدها شيئاً بل انَّها اضرَّت ببلادها فالغتها الواحد بعد الآخر ولم يبقَ الى اليوم سوى احتكار المطَّاط (الكاوتشوك) والتبغ وكلا هذين الاحتكارين على وشك السقوط لان المحتكرين انفسهم غير قادرين على القيام بشروط ما احتكروه ولأن التجار والرعيَّة طلبوا من الحكومة الغاء هذه الاحتكارات والحكومة ادركت عدل مطاليبهم فوضعت المسألة تحت البحث

(لها تتمة)

زراعة التبغ التركي في لبنان

للشيخ يوسف الجميل الاجزاني الحائز الجائزة الاولى في مكتب الطبّ والصيدلة (تتمة)

رُزَم الدخان

اذا دخل تشرين الثاني يجوز ان يباشر برزم اوراق الدخان . فاختر لذلك عموماً ايام الضباب والرطوبة التي تُعيد للورق لينهُ وتسهِّل سحبهُ من المشاكيك وافرازهُ وبسطهُ دون ان يلحق بهِ ضرر او اذى

امَّا اذا بقي الهواء جافًّا ناشفاً وخفتَ ان يطول تأخير عمل الرزم فاعمد الى قبو رطب او بالحري الى دهليز محفور بالارض كالصهريج على عمق نحو مترين ونصف يكون عرضهُ وطولهُ على قدر كميَّة الدخان المطلوب استحضارهُ . ومن الواجب ان لا يكون القبو المذكور او الدهليز مفروشاً بالبلاط ولا تُطلى جدرانهُ بالكلس لتنفذ فيهِ الرطوبة وتنال المشاكيك حظَّها منها . على انهُ يجب تغطية المكان بالواح فيسقَّف بها وانَّما يجعلون لها منفذًا في احدى الزوايا للنزول والصعود على سُلَّم يُقام في داخل

الدهليز الموما اليه . وتجهز في سقف الالواح اخشاباً طويلة كالمساطر يغرسون فيها شناكل من ٢٥ الى ٢٥ سنتمترًا لتعلق فيها الشاكيك

امّا مدّة تعليق تلك الشاكيك في الدهليز او الصهريج فتختلف على اختلاف الرطوبة اي ريثما تكتسب الاوراق ليناً كافياً دون الافراط في لينها لئلا تتعجّن وفي الغالب تكفي لذلك مدّة ٢٤ ساعة

ويلي التعليقَ قرزُ الدخان وهذه العمليّة سهلة اذا ما سبق الزارع واهتمّ بان يجري في قطف الورق على الطريقة التي بسطناها اعني اذا وضع في كل مشكاك ما يتناسبهُ من اجناس التبغ المقتطف في تربة واحدة ومن قطفة واحدة ومن ورق واحد . فلا يبقى عليهِ حينئذٍ الّا ان يطرح ما يجدهُ من الورق الدون المهشّم او الذي لم يبلغ تمام النضج ممّا تقصّفت دوائرهُ او كان لونهُ ذا قتمة زائدة او بهت مفرط

فالورق الصالح يوضع على حدة على حسب ارقام قطفهِ . ثم تؤخذ الاوراق واحدة واحدة فيبسطها العامل على وكتهِ ثم يكدسها فوق بعضها بنظام الى ان يبلغ غددها ١٥ او ٢٠ . ثم يأخذها فيجعلها على اطباق خشبيّة مستديرة يكون قطرها ٥٠ سنتمترًا ويدير رؤوسها الى مركز الطبق ويعبيها بنوع ان الكدسة الواحدة تغطي التي سبقتها على ثلثي عرضها الى ان يبلغ ارتفاعها ٨٠ سنتمترًا . ثم يضع فوق الورق لوحاً يُثقَّل بحجر او حديد ليكبس الدخان كبساً معتدلاً . ومتى استحضرت من الصنف الواحد عددًا كافياً من الاطباق انظر ثانية الى الاكداس بالاجمال لعلّك تجد بينها ما يفضّل نفيهُ فتطرحهُ وتبادر حالاً الى عمل الزرم

ينبغي لعمل الزرم ان تتخذ صناديق مربّعة مستطيلة يبلغ ارتفاعها مترًا و٧٥ سنتمترًا وعرضها ٥٠ س وعمقها ٤٠ س تقريباً . وتكون هذه الصناديق مفتوحة من جانبيها الكبيرين . اما الجانبان الصغيران اعني رأس الصندوق وكعبهُ فتفرز فيهما من داخلهما اثلاماً مستطيلة متوازية على طول الصندوق يبعد كلّ ثلم عن الآخر سنتمترين . وهذه الاثلام معدّة لأن يدخل فيها لوح قابل الانتقال والتركيز يُجعل على طول الصندوق لكنّهُ اقلّ عرضاً منهُ وعلى اطرافهِ صفائح من حديد سويّة صقيلة يسهل تركيبها في الاضلاع وتثبيتها فيها كما يشاء العامل . فبفضل هذا اللوح تُصبح الزرم في الصندوق على العرض الموافق لطول اوراقها

وتأخذ لعمل الرزم قطعاً من القماش وافضلها ما كان نسيجاً من شعر المعز او من الجنفاص المتين. وهذه القطع تخاط من جانبيها وتُكفّ اطرافهـا لتزيد بذلك متانة. امّا طولها فيكون نحو مترين وعرضها مناسباً لعرض البالة اعني من ٢٥ س الى ٣٥ س. وتُلفّ هذه القطع منفردة. فان اردت لفّ رزمة خذ قطعة وافرش احد طرفيها في اسفل الصندوق بحيث يزيد عنهُ نحو عشرين سنتمتراً من جهة الوجه وما بقي من القطعة أبقه ملفوفاً من الجهة الاخرى ثمّ انشرهُ عنـد نجاز كبس الدخان فيغطي الرزمة بالتمام الّا من الابهام فيبقى قسمٌ غير مغطّى

واذا نقلت الاكداس من الاطباق الى الصندوق ضعها فيهِ بنظام وترتيب متعاكسة اعني ان اكداس احد الاكداس تلامس جدار اليمين بينما يلامس الكدس الثاني جدار اليسار الموازي لهُ بحيث تكون رؤوس الورق متلامسة في وسط الصندوق فيغطي بعضها بعضاً على مسافة بضعة سنتمترات طولاً ونحو ربع جانبيها او ثلثهِ عرضاً. وعلى هذا المنوال يعبّى الصندوق طبقات طبقات الى اعلاه. فتُحصل من تعبيتهِ على هذا النمط فائدتان: الاولى بان لا يبقى فراغ في الرزمة ويضيع المكان. والثانية بان يكون قوامها متوازياً متراصاً

وينبغي ان تكون هذه الرزم متناسبةً متّسقة اتمّ اتساق ولنوال هـذه الغاية يجب ان تلاحظ تعبية الصندوق فاذا نجزت احدى طبقات الاكداس اتقيّاً عليك ان تضغط ضغطاً قليلاً سطحها بواسطة مسطرة عريضة من الحديد الى ان تصبح تلك الطبقة سويّة صقيلة فيجعل العامل فوقها طبقة ثانية كالاولى يكرّر عليهـا الضغط بالمساطر الحديديّة وهلمّ جرّا الى ان ينتهي الرزم وحينئذٍ يُنشر باقي القماش او الجنفاص ليحيط بالرزمة من اسفلها وجانبيها وقسماً من الجانب الرابع حيث تلتقي اطراف القماش وينبغي ان يترك بين الطرفين مسافة فارغة نحو ثلثي ذلك الجانب وانّما تُثبت الاطراف بخيط مصيص قوي او خيط من شعر المعز يخاط على هـذه الصورة W. ويفضلون خيط الشعر لسبب لزوجتهِ ومرونتهِ. وكلّما رأيت في اثناء اعداد الرزم ونقلها وتنظيمها ان حزمها قد ارتخى لان التبغ يزداد جفافاً يوماً فيوماً وينخفض تحت الضغط فعليك ان تشدّ ذلك الخيط باعتدال ليبقى الضغط متساوياً عند انتقاص حجم الورق واستوقاقهِ بالجفاف والضغط. ثم توضع الرُّزَم على بعضهـا

اثنتين اثنتين وفي كل اسبوع يبدل وضعها فتجعل الرزم العليا في الاسفل بحيث يصير تساوٍ في الضغط على كل الرزم بالتداول والنظام حتى يتناقص عاوّ الرزمة بالتدريج من متر ونصف الى نصف متر وما دون وبعد ثلاثة او اربعة اشهر يمكنك ان تضع ثلاث رزم على بعضها مع لزوم تغيير وضعها كل خمسة عشر يوماً كما قلنا آنفاً عن الرزمتين

وقد سبق لنا القول انهُ لا بُدَّ من الاسراع في الرزم بعد افراز ضروب التبغ وانواعهِ المختلفة. والغاية من ذلك ان يُعبى الورق وفيهِ بعض الرطوبة فيبقى ليناً ولا يتهشَّم في اثناء تعبيتهِ واستحضارهِ. وهناك فائدة اخرى غاية في الاعتبار فانَّ الرطوبة الباقية تسهل الاختمار لنضجهِ وتكسبهُ طعماً لذيذاً وعرفاً طيباً لطيفاً. فلو رزمت التبغ بعد تمام جفاف اوراقهِ لفقد تلك الخاصة لعدم حصول ذلك الاختمار المطيّب لجوهرهِ ذلك فضلاً عمَّا ينالهُ من التكسير والتفتُّت. وعلى خلاف الامر اذا بادرت الى رزم التبغ وهو ندي زائد الرطوبة اصابهُ ضرر آخر كبير فانهُ يعطن ويتعفَّن ويفرط في الاختمار السريع فيفسد تماماً

وبالرزم تنتهي مهمَّة الزارع وما عليهِ حينذاك الَّا ان يهنئ نفسهُ ان انجز عملهُ بنشاط ودقة ويفرح بجودة تبغهِ ووفرة ثمنهِ بعد ما كابدهُ من الاتعاب لادراك الغاية. وعلى عكس ذلك انهُ يندم ويأسف ان لم يلازم العمل بالتدقيق والهمَّة مهما تكبَّد من النفقات لتوسيع المزدرعات وتوفير العمَّلات اذا لم يجرِ على الاصول والقواعد الراهنة في تدبير المساكب ومراعاة الزرع وحسن القطف والتجفيف والرزم فتذهب آمالهُ سُدى ويخيبُ رجاؤهُ من الارباح المقصودة ولكان الاحرى بهِ لو اكتفى « بجواكير » صغيرة يحصر عنايتهُ فيها فانَّهُ يبلغ بذلك الى نتائج افضل وافوز لانَّ الحصول منوط بحسن العمل لا بوفرة المزروعات

والرُّزَم يبلغ في الغالب وزنها من ١٥ الى ٣٠ كيلو وهي كبيرة الحجم اذا كانت تشتمل على ورق التكعيبة وتكون اصغر حجماً على قدر ما يقرب من ورق التروية امَّا ثمنها فيكون على خلاف حجمها عادةً والرزم الاقلّ وزناً في الغالب الاوفر ثمناً

والزارعون لا يتقنون عادة هذه الرزم ولا يُعنون بحسن هيئتها فاذا اراد البياعة ان يعرفوا اصنافها وقدرها ينبغي لهم ان يفكوها ويسلموا هندستها الى عملة

اختصاصيين الذين يستأنفون افرازها ثانيةً وتهيئتها على حسب اصنافها وموافقتها لمطالب معامل السكاير

ولمّا كان الغرض من فصولنا هذه ان نعلّم الفلاحين طريقة العمل ونرشدهم الى الوسائط القريبة من دائرة اشغالهم لا نرى موجباً للاطالة في البحث عن افراز الدخان على طريقة الاختصاصيين لانها صعبة دقيقة لا يُحسن القيام بها الّا عملة المجلّات التجاريّة الكبرى التي يخدم فيها عمّال محنّكون طالت مدّة اختبارهم على يد اناس عُرفوا بذوقهم وحذقهم بهذا الفنّ

وقد بقي علينا مع هذا ان نفيد الزارعين بنصيحة ذات بال فنقول لهم اذا نجز استحضار الدخان وتمّ رزمهُ لا بُدَّ الى ان تأتي اوانُ بيعهِ ان يُحفظ على الواح في اماكن نظيفة نقيّة الهواء خالية من كلّ رائحة مستكرهة لا يصيبها رطوبة ويسهل تهويتها. وعلى كلّ يجبّ تفقُّد المكان حيناً بعد حين لاستدراك ما لعلّهُ يطرأ من الاختمار او من اسباب التعطيل على التبغ

وان لحظت لدى معاينة الرزم انّهُ قد عرض لبعض الرزم « حماوة » كبيرة وسخونة زائدة فافرزها عن الباقي وضعها في مكان طري يجري فيهِ مجرى هواء. واذا بلغت هذه الحرارة درجة حرارة الماء الفاتر اي متى تجاوزت الدرجة ٣٥ الى ٤٠ بالمقياس المئوي فعليك ان تحلّ خيوط الرزمة الى ان يزول الاختمار. وان وجدت هذه الواسطة غير كافية اقتضى حلّ الرزمة تماماً فتعرض الاكداس المتكوّنة منها للهواء. وربما يتوقّف الاختمار فتعود الى رزمها ثانيةً

امّا اذا رأيت ان جانبي الرزمة العريضين اللذين لا يغلّفان بالقماش او الجنفاص والمتكوّنين من كعوب الاوراق اي اضلاعها او اعناقها قد ظهر عليها بعض بُقع العفونة او آثار النبار فيجب تنظيفها بفرشاة (شعريّة) من خيوط نباتيّة غليظة او بمكنسة

واعلم انّهُ لا يجوز وضع الرزم على الارض من جهتها المكشوفة او على جوانبها الموافقة لاطراف الاوراق بل توضع واقفةً على رؤوسها او كعوبها اي على جهات الرزم الاصغر اتّساعاً بحيث يضغط الثقل على سطح الورق المنبسط

وكذلك لا يجوز للزارع ما لم يكن من ذوي الخبرة التامّة ان يتخذ المكابس

أيّة كانت ليخلط بها الورق فانّهُ يعرّض نفسهُ لخسارة جسيمة. والاولى بهِ ان يترك الكبس لاصحاب المحالّ التجاريّة الكبرى حيث يوجد اختصاصيون يفرزون الورق افرازًا نهائيًا ويستأنفون الرَّزم ثم يكبسون الرُّزَم بعد ان يمضي عليها نحو سنة من قطفها ويختارون لذلك اوقاتاً مناسبة بعد نجاز الاختمار الذي يتمّ في التبغ الحديث السنّ في شهري تموز وآب. فهم يكبسون حينئذٍ الرزمة كلّ اسبوعين او كلّ شهر مرّتين او ثلاث مرّات لتكتسب بذلك طعماً لطيفاً وهيئة متناسبة صقيلة يرغب فيها الزبائن العارفون بالتبغ وخواصهِ الحسنة

وممّا يستحبّ في التبغ الشرقيّ ان يكون ذا لون اصفر ذهبيّ او ذا شقرة تختلف نصوعاً. ويحسن بالورقة ان تكون رقيقةً ليّنة دسمة حريريّة اللمس. امّا اذا كان الورق ضئيلًا سريع التفتّت فذلك دليل على انّ التربة التي زُرع فيها فقيرة ناقصة السماد. واذا كان على خلاف ذلك غليظاً بلا مرونة واضلاعهُ الوسطيّة زغبيّة غليظة فيستدلُّ منهُ على خشونة التربة التي لا توافق زراعة التبغ. واذا كان تبغك « يشرقط » عند التدخين ووجدت في طعمهِ عفوصة فذلك مسبَّب عن كثرة السماد في التربة

ومما يجب ان لا يغفل عنهُ الجمهور انّ التبغ مع كونهِ يكتسب خواصّهُ الطيّبة من التربة والمناخ الّا انّ تلك الخواصّ لا تتمّ ولا تنمو فيهِ الّا بطرق قانونية دقيقة في « توضيبهِ » واستحضارهِ وتخميرهِ

مدّة حفظ التبغ

اذا كان التبغ غنيًا بالنيكوتين بقي صحيحاً سالمًا الى مدّة تنيف على اربع وخمس سنوات بل يكتسب جودةً سنة فسنة كما هو ثابت للعيان في التبغ المعروف بالسمسون والبفرة المزروعين في اراضي دسمة كافية السماد. امّا التبغ الفقير بالنيكوتين فلا يلبث اذا عتق ان تنخرهُ الحشرات وتفسد عطرهُ وطعمهُ كما نراه في انواع البسما والاشكال العطريّة عموماً. ومن ثمّ يجبّ ان تُستعمل هذه الاجناس الاخيرة في السنة الثانية او الثالثة من عمرها حيث تبلغ تمام نضجها. ولا يحسن هرم التبغ في سنتهِ الاولى الّا اذا كان من الجنس الدون والاصناف الواطئة

اسرار الحياة الآخرة في العهد العتيق

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

وهو جواب عن سؤال اقترحهُ على المشرق احد ادباء المصريين

تمهيد

شكرًا بل الفَ شكر للسيد المسيح كلمة الله المتجسد الذي في مدَّة تردّدهِ مع البشر كشف لهم كل الحقائق المتعلقة بالحياة الآخرة وازال كلّ الشبهات التي كانت تقلق افكار علمائهم فضلًا عن عامّتهم بخصوص النفس ومصيرها وثوابها او عقابها. فبهِ تعالى تحقَّقت آمال بني اسرائيل وصحَّت كلمة المرأة السامريَّة التي لقيها المخلِّص عند بئر يعقوب وهي لم تعرفهُ فقالت لهُ اذ سمعتهُ يتكلَّم عن اسرار الخلاص وعن السجود لله بالروح (يوحنَّا ٤: ٢٥): «قد علمت انَّ ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك يخبرنا بكلّ شيء.»

والحقّ يقال انَّ الربَّ لذكرهِ المجد قد اوضح غير مرَّة لتلاميذهِ ولكل الجماهير المتقاطرة لاستماع كلامهِ امور دار البقاء ايضاحاً لم يدع بعدهُ ريباً لمستريب. وهذه التعاليم تجدها مكرَّرة في كلّ صفحة من صفحات الاناجيل الطاهرة وفي رسائل مار بولس الاناء المصطفى وفي بقيَّة اسفار الرسل ومنها انتزعت الكنيسة خلاصة عقائدها في عواقب الانسان التي اودعتها في دستور ايمانها وفي موجزات كتب الدين المستقيم التي تلقَّنها اولادها منذ حداثة سنّهم بحيث لا تكاد ترى اليوم كبيرًا بل صغيرًا يجهل ان الانسان اذا مات ولفظ روحهُ لا يموت كلُّهُ بل تبقى نفسهُ حيَّة بحياة مجرَّدة عن المادة. وانَّهُ لا بُدَّ لتلك النفس ان تقف امام منبر الديَّان لتُحاسَب على اعمالها الحسنة او السيئة (رومية ١٤: ١ و٢ قور ٥: ١٠) فتنال الجزاء بالحياة الابديَّة ان كانت عملت الصالحات ولم يبقَ عليها ما تفي بهِ لعدل الله وفاء موقتًا يؤجل لها ثوابها لمدَّة او تُعاقَب العقاب الابدي ان اقترفت المآثم واجترحت الكبائر. وانَّ هذا الحكم الخاصّ سينال تقريرًا نهائيًّا في آخر الدهر يوم يقوم الاموات من قبورهم وتُبعث

اجسادهم لتنضمّ الى نفوسها وتحيا معها الى الابد فحينئذٍ تُدان الافراد والامم دون استثناء ويُفصل الابرار عن الاشرار كما يُفرَق بين التيوس والخراف فيذهب اولئك الى جهنم النار الى الابد بينما يُخلَّد هؤلاء في ديار النعيم مع الله سبحانهُ وتعالى وملائكتهِ القديسين (اطلب متى ف ٢٤ لوقا ٢١ مرقس ١٣ يوحنا ٥)

ذلك هو لباب التعليم الالهي بخصوص الآخرة

*

على انَّ ارباب البحث ربَّما تساءلوا عن معتقد اليهود في العهد القديم عن امر خلود النفس وحياتها في الآخرة وما سينالها من عذاب او جزاء من جرَّاء اعمالها. فمنهم من نكر على بني اسرائيل معرفتهم لتلك الحقائق واستند في نكرانهِ الى تكرار الاسفار المقدَّسة لذكرى مجازاة شعب الله بالجزاء الزمنيّ من خيرات مادّيَّة كنوّ اغلال وانتصار على الاعداء وعيشة هناء او عقوبات هوليَّة كأنواء شديدة وحلول الوباء واستعباد لأُمَّة معادية وجلاء الى بلاد غريبة . وقد زعم غيرهم انَّ الكتب المقدَّسة ولاسيما التوراة لا تحتوي آيةً صريحةً يُستدلُّ منها على خلود النفس وعلى ادانها الحساب عن اعمالها في العالم الآخر وقبولها جزاء ابديًّا عنها في السماء او في الجحيم. ومنهم من ردَّ هذه المزاعم بقولهم انهُ ليس من حقيقة بخصوص حياة الآخرة الَّا وعليهِ دلائل وبيّنات في كتب العهد العتيق كما في اسفار العهد الجديد . وقد سلك بعضهم الطريق الوسطى فقال انَّ الكتب المقدَّسة في العهد القديم تصرّح عن جوهر تلك التعاليم اي وجود حياة أُخرى وخلود النفس فيها في احدى الدارين لكنها تسكت عن تفاصيل عديدة بيَّنها المخلّص في العهد الجديد

فبياناً للحقيقة لا بُدَّ لنا من تقديم بعض الملحوظات لادراك جوابنا الاخير فنقول:

اوَّلاً انهُ لمن المعلوم انَّ موسى كليم الله ثمَّ الانبياء من بعدهِ وبقيَّة كتبة العهد القديم أُرسلوا من الله الى بني اسرائيل خصوصاً ليعدُّوا للمسيح طريقهُ باختيار شعب من الشعوب يحافظ بين سائر الامم على عهدهِ تعالى الذي ضربهُ مع اجدادهم وَرَثة الوحي الاوَّل في الفردوس. فترى كلَّ الاسفار المقدَّسة ترمي الى هذا الغرض مباشرةً بالفصول الاولى من التكوين ثم بقيَّة اسفار موسى التابعة للتكوين يليها كتب

العهد القديم التاريخيَّة التي تفتقل باخبار شعب الله أيام القضاة فالملوك فالاحبار الى ملوك بني حشمناي المكابيين. وليست اسفار الانبياء والاسفار الادبيَّة والحكميَّة الَّا وحي الله الى شعبهِ ليُحسن التصرُّف بين الامم فيصون نفسهُ من اقذار الشرك ويحفظ وديعة التوحيد ويستعدّ بقداسة الحياة لمجيء المسيح منتظر الامم الذي يفدي شعبهُ من رقّ عبوديَّة اعدائهِ لاسيما العدوّ الكبير ابليس خزاهُ الله

ثانياً ان شعب اسرائيل لمقامهِ بين امم عظيمة كان بعضها راقي التمدّن وافر الخيرات الزمنيَّة واسع الاملاك كان يتنازعهُ عاملاً الخوف والرجاء. فامَّا الخوف فلئلَّا يبقى منفرداً عنها معتزلاً في دائرة بلادهِ الضيِّقة واماَّ الرجاء فأملاً بالفوز اذا خرج عن حدودهِ بمحالفة بعض تلك الامم والسير على آدابها وشرائعها. فكان ينبغي على موسى اوَّلاً ثم على الانبياء بعدهُ ليضبطوهُ في عزلتهِ الصالحة ان يقيِّدوهُ بمواعيد الخيرات الزمنيَّة اذا بقي اميناً في خدمة الهه او يهدّدوهُ بالعقوبات المحسوسة اذا تجاوز وصايا ربّهِ فلذلك تراهلا يقصرون في الغالب نظرهم الى تلك الخيرات او الشرور الزمنيَّة

ثالثاً ولا بدَّ ايضاً من القول انَّ خطيئة الجدَّين الاوَّلين كانت اقفلت في وجهيهما وفي وجه نسلهما باب السماء الذي كان يُنتظَر من السيد المسيح ان يعيد فتحهُ باستحقاق آلامهِ وموتهِ وقيامتهِ فلا غرو ان الانبياء وكتبة العهد القديم لا يصرّحون بذكر سعادة الابرار في السماء بل وصفوا بدلاً منها اهوال اليسبوس

فبعد هذه المقدّمات نقول:

١ انَّهُ لا وجه الى الشكّ في انَّ العبرانيين كانوا يعتقدون حياةً غير الحياة الحاضرة تُخلَّد فيها النفس وتُثاب عن اعمالها. فانَّ هذا يلوح من مقام بني اسرائيل بين الامم فانَّ كل من عرف شرائعهم وكتبهم حتى من قدماء الفلاسفة كانوا يطرئون رقيَّهم بين الشعوب. ولمَّا كان اعتقاد حياة اخرى من المعتقدات التي عمَّت كل الشعوب لا يجوز القول بانَّ العبرانيين جهلوا ذلك الامر الجلل ولاسيما انَّ ابراهيم خليل الله كان قبل خروجهِ من وطنهِ عاش مع البابليين الذين كانوا يقرُّون بحياة تابعة لحياتنا هذه. وكذلك المصريُّون الذين عاش اليهود بينهم كانوا يجاهرون بمعتقد حياة الآخرة

٢ ويثبت ذلك تقليد اليهود المتواصل منذ القرون السابقة للميلاد حتى يومنا هذا. فانَّ ما يرويهِ التاريخ عن بني اسرائيل يذكر بين معتقداتهم اقرارهم بخلود النفس وثوابها في الآخرة . ولنا على ذلك عدَّة شواهد في كتب التلموذ والمثنى (Michna) واقوال الربَّانيين لا يُستثنى منهم الَّا شيعة الصدوقيين القليلة الذين كانوا جنحوا الى الزندقة

٣ ولنا في اكرام الاسرائيليين للموتى شاهد حتي على اعتقادهم لحياة أخرى فانَّ مدافنهم التي اقاموها لملوكهم ولكبار رجالهم وحجّهم اليها حتى اليوم لتعظيم ذويها وحرصهم عليها لئلَّا تُنتهك حرمتها كلّ ذلك لا معنى لهُ لو لم يُقَل انَّ اليهود يعتقدون بقاء النفس بعد الموت

٤ بل بلغ ببني اسرائيل اكرامهم للموتى الى تجاوز الحدود والافراط الظاهر وذلك انهم كانوا يستشيرون الموتى كما فعل شاول (١ ملوك ٢٨: ٣—٢٠) لمَّا استشار صموئيل بعد موتهِ بواسطة عرَّافة عين دور . وقد نهى الله عن الامر غير مرَّة فانَّ موسى في سفر تثنية الاشتراع (١٨: ١١) كان صرَّح بتحريمهِ ذلك حيث قال: « لا يوجد فيكم ساحر . . . ولا من يستشير الموتى ». وكذلك نهى عنهُ اشعيا (٨: ١٩) . فصنيعهم المذكور وان كان محرَّماً يدلُّ على معتقدهم بحياة النفوس بعد الموت الطبيعي

٥ وقد ايَّد الله هذا المعتقد بما اجراهُ على ايدي انبيائهم من المعجزات في الموتى . فانَّ ايليا البار اقام طفل ارملة صَرْفت بعد موتهِ (٣ ملوك ١٧: ١٧ — ٢٤) بل جعل الله في عظام نبيهِ اليشاع قوَّة الهيَّة حتى انها بمجرَّد مسيس احد الموتى لها قام الميت حيًّا (٤ ملوك ١٣: ٢١) وكان في حياتهِ احيا ابن الشونمّية (٤ مل ٤: ١٧ — ٣٧) ومن هذه المعجزات ذكرهم لظهور الموتى للاحياء كخبر رؤيا يهوذا المكابي حيث ظهر لهُ اونيًّا الكاهن وارميا النبي الذي ناولهُ سيفاً من ذهب (٢ مك ١٥: ١٢—١٧) وكذلك روايتهم لصعود ايليا الى السماء على مركبة (٢ ملوك ٢: ١١) يشهد على المعتقد عينهِ

٦ وعلى هذا المعتقد بنى السيد المسيح (متى ٢٢: ٣٢) برهانهُ لتفنيد الصدوقيين الناكرين القيامة والذين لم يقبلوا من اسفار العهد العتيق غير كتب موسى

فاستشهد لهم السيد المسيح بقول الله لموسى في سفر الخروج (٣:٦): « انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب » فاستنتج المخلص من تلك الآية حياة اولئك الآباء بقوله: « والله ليس اله اموات وانما هو اله احياء »

*

وان تصفحنا الكتب المنزلة على موسى النبي وعلى انبياء العهد القديم وجدنا فيها عدة شواهد التي تنبئ بمعتقد العبرانيين باسرار الحياة الآخرة وان لم تبلغ منتهى الوضوح والتفاصيل المدققة التي نراها في اسفار العهد الجديد

ويمكننا ان نقسم الكتب المقدسة الى ثلثة اقسام فنتتبع مقصودنا منها بخصوص دار البقاء والعالم الآخر: فالقسم الاول يشتمل على الاسفار الثانوية غير العبرانية. والثاني يحتوي اسفار الانبياء والكتبة الموحى اليهم الا موسى النبي. والثالث يتناول اسفار موسى الخمسة فنقول:

(القسم الاول) لا ريب في ان الكتب الثانوية من الاسفار المنزلة تتضمن شواهد عديدة على اعتقاد العبرانيين للحياة الباقية بعد الفانية. ولو اردنا نقلها لاتسع بنا المجال فدونك مثلاً سفر الحكمة وقوله غاية في الوضوح (٢:٢٣): « ان الله خلق الانسان خالداً » وان (٣:١—١٨) « نفوس الصديقين هي بيد الله فلا يمسها العذاب وفي ظن الجهال انهم ماتوا... ومع انهم قد عوقبوا في عيون الناس فرجاؤهم عامر خلوداً وبعد تأديب يسير لهم ثواب عظيم لان الله امتحنهم فوجدهم اهلاً له محصهم كالذهب في البوتقة... وسيدينون الامم... اما المنافقون فينالهم العقاب الخليق بمشوراتهم... لان عاقبة الجيل الاثيم هالكة »

وفي سفر يشوع بن سيراخ اقوال تقرب من آيات سفر الحكمة يذكر فيها الكاتب الالهي الاخيار والاشرار وما يلحق بهم من جزاء اعمالهم في العالم الحاضر والعالم العتيد يوم يجزي الله كلاً على عمله (نبي ١٦: ١٣—٢٢): ولسفر يشوع اهمية كبيرة منذ وجد اصله العبراني قبل ١٥ سنة وكان يهود فلسطين لا يقبلونه هذا بين اسفار الوحي لانهم لم يعرفوه الا في اليونانية

وما يقال عن سفري الحكمة وابن سيراخ يصدق في غيرهما من الكتب الثانوية كسفر طوبيا المكتوب في الكلدانية وفيه يقول طوبيا الشيخ لابنه

(٢ : ١٨) مثبتاً ايمانهُ بحياة أخرى : « نحن بنو القديسين وانما ننتظر تلك الحياة التي يهبها الله للذين لا يصرفون عنهُ ايمانهم ابداً » . وهناك يقول الملاك لطوبيا (١٢ : ٩) « انَّ الصدقة تنجي من الموت وتمحو الخطايا وتؤهل الانسان لنوال الرحمة والحياة الابديَّة » . وكسفر المكابيين حيث ورد (٢ مك ١٢ : ٤٦) قول الكاتب الموحى اليهِ في الثناء على من يصلُّون ويقدمون الذبائح عن الموتى لتُغفر لهم خطاياهم مع ما هناك من المديح ليهوذا المكابي لاعتقاده قيامة الموتى

(القسم الثاني) انَّ كثيرين من الكتبة الذين يسلّمون بموافقة الاسفار المقدَّسة الثانويَّة على تعليم عواقب الانسان من خلود النفوس ومجازاتها في الآخرة بالثواب او العقاب وقيامة الاجساد في آخر الدهر لتشارك النفوس في سعادتها او شقائها انَّما يزعمون ان هذه التعاليم حديثة بين العبرانيين اخذوها من اليونان او من العجم بعد أن خالطوهم منذ جلاء بابل . الَّا انَّ هذا الزعم باطل كما سترى فانَّ بني اسرائيل كانوا ورثوا تلك التعاليم من مصادر مستقلَّة

وهذه المصادر هي تآليف الانبياء والكتبة الذين عاشوا بعد موسى الى جلاء بابل . وكتبهم متعدّدة منها تاريخيَّة كاسفار يشوع والقضاة والملوك ومنها دينيَّة وحكميَّة وشعريَّة الانشاء كاسفار المزامير وأيوب وكتب سليمان ومنها نبويَّة كاسفار الانبياء الاربعة الكبار والاثني عشر نبيًّا الصغار . فيكون مجموعها ٣٥ كتاباً تتناول مدَّة نحو الف سنة وتُدعى بكتب الوحي الاوَّليَّة (protocanoniques) كُتب معظمها بالعبرانيَّة وبعضها بالكلدانيَّة القديمة . فان استقصيناها بخصوص عواقب الانسان بعد موتهِ كانت فتواها موافقة لما أفتت بهِ الاسفار الثانويَّة وان لم تكن آياتها واضحة مثلها . وما لا يُنكر انَّ تلك الاسفار تُعلِّم بقاء النفس بعد انفصالها عن الجسد وانَّ الابرار والاشرار لا يتساوون في الجزاء وانَّ جزاءهما خالد مؤبَّد . وها نحن نذكر بعض الآيات المثبتة لذلك

فان باشرنا باقربها عهدًا الينا وجدنا نبوَّة دانيال (١٢ : ٢) حيث يذكر « الراقدين في تراب الارض » ويقول انهم في يوم الدين « يستيقظون بعضهم للحياة الابديَّة وبعضهم للعار والرذل الابدي » . وكان اشعيا النبي قبل دانيال سبق فذكر ما ينتظر الاشرار في الدار الآتية من العذاب المؤبد والابرار من الجزاء الدائم فقال عن الكفرة

(٣٣ : ١٤) انهُ يحلّ بهم الخوف والهلع « فيسكنون في نار آكلة وفي مواقد ابديّة » وكرّر في موضع آخر (٦٦ : ٢٤) خلودهم في العذاب فقال : « انَّ دودهم لا يموت ونارهم لا تُطفأ » امَّا السالك في العدل فقال عنهُ (٣٣ : ١٦) « انهُ يسكن في الاعالي »

وان تصفَّحنا كتاب أيوب وجدناهُ ناطقاً بتلك الآية المجيدة التي تنبئ باعتقادهِ ليوم المعاد ونشر الاجساد فقال (١٩ : ٢٥ — ٢٧) : « اني لعالم بانَّ فاديَّ حيّ وسيقوم آخرًا على التراب وبعد ذلك تُلبس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أعاين الله الذي انا اعاينهُ بنفسي وعيناي تريانهِ لا غيري »

وليست تعاليم كتاب المزامير مخالفة لتعاليم الانبياء ولسفر أيوب فانَّهُ صرَّح برجائهِ في القيامة فقال (١٥ : ١٠) : « انك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدُّوسك يرى فسادًا » وقال (١٦ : ٢٥) : « بالبرّ اعاين وجهك واشبع عند اليقظة بصورتك » . وقد قابل داود في المزمور السادس والثلاثين بين الابرار وصانعي الاثم فبيَّن ما ينال كلا الفريقين من المصير الحسن او سوء العقبى في حياتهم ومماتهم وكلّ آياتهِ تنطق بمعتقد النبيّ بعواقب الانسان في الحياة الاخرى

وفي سفر الجامعة الذي استند اليهِ كثيرون لينكروا على العبرانيين اعتقاد اسرار الآخرة ما هو على عكس ذلك برهان على معتقدهم بهِ . فليُراجع مثلًا الفصل الحادي عشر (١١ : ٩) وفيهِ يطيّب قلب الانسان في شبابهِ لكنَّهُ يذكرهُ بالدينونة على اعمالهِ قائلًا : « اعلم انَّ هذه كلها سيُحضرك الله لتُدان عليها » . ثم قال في الفصل الاخير من الكتاب حيث أودع مغزى كلامهِ وفيهِ صورة حيَّة عن ايمانهِ بالآخرة فهناك يقول (١٢ : او ٧) : « اذكر خالقك في أيام شبابك قبل ان تأتي أيام السوء . . . ويعود الروح الى الله الذي وهبهُ » ويختم كلامهُ بهذه الآية الجليلة : « اتقِ الله واحفظ وصاياه فانَّ هذا هو الانسان كلهُ لانَّ الله سيحضر كلَّ عملٍ ليدين على كلّ خفي خيرًا كان او شرًّا » . فلعمري ليس اوضح من هذه الآيات التي تُبطل اعتراضات المعترضين حيث قالوا انَّ صاحب الجامعة يجحد تعليم خلود النفس ومكافاتها يوم الدين على اعمالها

وفي هذه الشواهد كفاية على بيان ما ذكرنا من انَّ العبرانيين قبل جلاء بابل لم يجهلوا اسرار الابديَّة ودار البقاء

(القسم الثالث) يشتمل على اقدم ما كتبهُ العبرانيُّون . وذلك محصور في كتب موسى الخمسة أي التكوين والخروج والاحبار والعدد وتثنية الاشتراع وعليها يُطلق اسم التوراة بحصر الكلام . وقد سبق لنا القول انَّ موسى يظهر فيها كمشترع يضع لشعب عظيم قوانين حياتهِ الاجتماعيَّة من دين وسياسة وقضاء . فاهمل بقيَّة التعاليم كالدينونة والجحيم والنعيم لا لكونهِ يجهلها بل لانها خارجة عن غرضهِ ولافتراضهِ شيوعها بين شعب الله . وان امعنَّا مع ذلك النظر في هذه الاسفار امكنَّا ان نستخرج منها ادلَّة على اعتقادهِ لها ومعرفتهِ بها

والدليل الاوَّل نجدهُ في فصول التكوين الأُولى . فانَّ موسى يكرِّر غير مرَّة انَّ الله صنع الانسان على شبههِ وصورتهِ (تك ١ : ٢٦ و٢٧ ثم ٢ : ٧) ويذكر كيف ينتقم الله من قاتل الانسان اخيهِ (تك ٤ : ١٠ ثم ٩ : ٥—٦) « لانهُ بصورة الله صُنع الانسان » . فهذه الشواهد تُعَدّ كألغاز مغلقة ان لم تُطلق على بقاء النفس وحياتها بعد تجرُّدها عن الجسد

والدليل الثاني الفرق الذي تجعلهُ اسفار موسى بين موت الاخيار وموت الاشرار فان سفر التكوين (٥ : ٢٣) يروي عن اخنوخ الرجل البار « انهُ كان سالكاً مع الله فاخذهُ اليهِ » . ولمَّا رأى بلعام النعم الممنوحة لشعب الله تمنَّى ان تكون آخرتهُ كآخرتهِ فقال (عدد ٢٣ : ١٠) : « لتمُت نفسي موت المستقيمين ولتكن آخرتي كآخرتهم » . وعلى خلاف ذلك يُعَدّ موت الشرير كعاقبة حياتهِ الاثيمة وان قُتل لمآثمهِ فُصل عن شعب الله المختار بل هو الله الذي يعطي الحياة لذاك والموت لهذا (تث ٣٢ : ٣٠ وعدد ١٦ : ٢٢)

والدليل الثالث انَّ الموت في التوراة لا يُعتبر كنهاية كل شيء بل كمصير الانسان الى آبائهِ سواء قُبر الميت معهم في مدافنهم او دُفن بعيداً عنهم (تك ١٥ : ١٥ و ٤٩ : ٢٩—٣٢ ثم تث ٣١ : ١٦ و٣٢ : ٥٠) . وقد مرَّ لنا ذكر آية سفر الخروج التي استند اليها السيد المسيح لتفنيد مزعم الصدوقيين الناكرين حياة الآخرة .

والدليل الرابع هو اسم المكان الذي تجتمع فيهِ النفوس بعد الموت يدعونهُ « شِأول » (שאול) فيصفونهُ اوصافاً تدلُّ على اهوالهِ وظلماتهِ فان كانت النفوس تفنى بالموت لما عدَّد الكتاب الكريم ذكر هذا المكان واتسع في وصف احوالها فيه

ولا بدَّ هنا مع ذلك من ابداء ملحوظ وهو انَّ (الشأول) المذكور يوصف كمحلٍّ تجتمع فيهِ النفوس كلها مع قطع النظر عن صلاحها او خبثها وذلك لانَّ السماء كانت أُقفلت حتى في وجه الابرار بعد خطيئة آدم في الفردوس وكان السيد المسيح هو المنتظر لفتحها. ولذلك ترى في بعض اسفار العهد القديم كالمزامير وسفر الجامعة بعض آيات تدلُّ على فناء المرء بعد الموت وسوء المصير في الحيـاة الآخرة وليس ذلك نكرانًا لعواقب الانسان بل اشارة الى رُعب هـذا المكان المهول الذي تسكنهُ النفوس موقتًا الى زمن مجيء المسيح. وبعض هـذه الآيات تقابل بين حالة الحيوان وحالة الانسان في حياته المادية فقط دون حياتهِ الروحيَّة

على اننا نسلِّم بانَّ كتبة العهد القديم جهلوا اشياء كثيرة من امور الآخرة عرَّفنا بها السيد المسيح الَّا انَّـهُ لا يُنكر ايضًا انَّهم علموا باخصّ تلك الاسرار اجمالًا وانَّ اعتقادهم في ذلك ليس هو دون اعتقـاد غيرهم من الامم المتمدنة كاليونان والرومان بل يفوق عليهم بكثير

وبهذا نختم كلامنا الموجز في هذا البحث الخطير الذي لو اتَّسعنا فيهِ كما ينبغي لادَّى بالقرَّاء الى السأم. وتتمَّةً للفائدة نشير اليهم بان يراجعوا مقالات كتبها حضرة الاب انطون صالحاني في سنتي المشرق التاسعة والعاشرة (١٩٠٦ و١٩٠٧) لها علاقة بهذا البحث عنوانهـا قبل الولادة وبعد الموت.

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب السابع

النصرانيَّة في العراق

ان صعدت من بلاد البحرين وجهـات الاحساء انتهى بك السير الى مفاوز

ولسعة يحدُّها شرقاً خليج العجم وغرباً بوادي قحلة جرداء. لكنَّ شمالها اراض طيِّبة كثيرة الخيرات تُعَدّ من اخصب بلاد الله يسقيها النهران الكبيران الفرات ودجلة فيجعلانها جنَّات غنَّاء. تزاحمت على ملكها الامم القديمة من بابليين وكلدان واشوريين وشبعوا من دسمها ووفرة غلَّاتها. وكان العرب يدعون تلك الانحاء بالعراق ويخصُّون باسم السواد الارياف المجاورة لبوادي العرب

والعرب منذ سالف الاعصار كانوا لا يزالون يراقبون تلك البلاد طامعين في ثروتها حتى اذا وجدوا غرَّة من عمَّال الامم المالكة عليها غزوها وبسطوا ايديهم اليها ريثما يزحف اليهم مَن يردّهم الى بواديهم. وكان ملوك العراق في الغالب يفضّلون محالفتهم فيجعلونهم كحرس ثغورهم وسور مملكتهم على شرط ان يُعطَوا حظّهم من مستغلَّات تلك الجهات ويسرّحون في مراعيها قطعانهم

لكنَّ القبائل المحالفة لمالك العراق كان يحسدها على هناء عيشها غيرها من القبائل فتسير اليها من الجنوب ولا تزال تزاحمها الى ان تغلبها على منازلها فتسكنها معها او بدلاً منها. ومن القبائل التي ذكرها المؤرخون ووصفوا سيرها الى سواد العراق قبائل يمنيَّة من الازد تركوا بلاد اليمن سواء كان ذلك لانفجار سدّ مأرب على قولهم او لاسباب أخرى كالمزاحمة وتوفُّر النسل فعدلَ قسم منها الى غرب البلاد نحو الشام وهم الغسَّانيون تحت امرة جفنة بن عمرو بن ثعلبة وتوغَّل القسم الآخر في الشمال تحت قيادة مالك بن فهم واذ وجدوا في تلك الجهات عشائر من اياد ولخم وغيرهما انضمُّوا الى بعضها وقهروا البعض الآخر حتى رسخت ثبَّت قدمهم وثبتت كلمتهم بل اخذوا يسعون في ضبط زمام السلطة على كلّ القبائل التي هناك ففازوا برغوبهم وانشأوا لهم دولةً تُعرف بدولة المناذرة كان اول ملوكها جذيمة الابرش فاستولى على جهات السواد الواقعة غربيّ الفرات واتَّخذ له مدينة الانبار كقاعدة ملكه ثم نقلها خلفاؤه من بعده الى الحيرة ولم يزالوا يتتابعون في الملك عليها الى ظهور الاسلام فغلب خالد بن الوليد ملكها الاخير المنذر بن النعمان ابي قابوس سنة ١١ للهجرة (٦٣٣ م). وكان ملوك الحيرة في مدَّة دولتهم محالفين لملوك العجم من السلالة الساسانيَّة بينما كان اخوتهم الغسَّانيُّون احلافاً للروم في بادية الشام

وان اعتبرنا دين عرب العراق وجدنا الشرك شائعاً بينهم كما في بقيَّة جهات

العرب وجرت عندهم خصوصاً عبادة الكواكب والسيَّارات السبع كما ألفها عرب اليمن والكلدان اهل العراق ولعلَّهُ دخل في دينهم ايضاً شيءٌ من ديانة المجوس كتعظيم الشمس والنيّرات

امَّا النصرانيَّة فكان لها فيهم تأثير عظيم. وهذا ما يلوح من الآثار القديمة التي ورد فيها تاريخ تلك البلاد بعد السيد المسيح فلمَّا اشرقت شمس النصرانيَّة سار دُعاتها الى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار فلبَّوا دعوتهم وانتظمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانيَّة. واذ كانت العرب ممتزجة مع سكَّان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً الى التديُّن بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب. ولنا على تنصُّر عرب العراق شواهد سبق بعضها عهد مالك بن فهم

فمن ذلك ما رواهُ كتبة الكلدان عن اوَّل من بشَّر بالدين المسيحي في مواطنهم وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقيَّة (٤ : ٥ — ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرّح بانتشار النصرانيَّة في العراق ونواحي اشور وبابل على يد الرسولين توما وبرتلماوس وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاوَّلين اعني ادّي او تدَّاي احد السبعين وتلميذيهِ اجي وماري. لكنَّ كثيراً من علماء التاريخ لم يسلّموا لهُ بصحَّتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد لكنَّ الاكتشافات الحديثة في السريانيَّة لم تُبقِ ريباً في الامر اذ تثبت انَّ ادّي الذي يعتبرهُ الكلدان كرسولهم كان حقًّا من تلامذة السيّد المسيح وانَّ بشارتهُ في جهات العراق لا يجوز نكرانها. فانَّ اقدم التواريخ الكلدانيَّة من القرن الخامس الى التاسع التي نُشرت مؤخَّرًا كتاريخ « بَرْحَدْبشابا عَربايا » وتاريخ « مشيحا زخا » وشعر نرساي في القرن الخامس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ واعمال الشهداء والكتب الطقسيَّة القديمة كلَّها تشير الى بشارة الرسول ادّي (١ كما ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ ادّي (٢ . وفي الشواهد عن هؤلاء

١) اطلب كتاب حضرة القس منكنا المنون (A. Mingana : *Sources Syriaques*) وكتاب السيد عبد يشوع خيَّاط في الكلدان والناطرة والرئاسة البطرسية Eb. Khayyath: *Syri Orientales seu Chaldaei*)i

٢) اطلب ترجمتهُ التي نشرها لاوَّل مرَّة في الاصل السرياني السيّد ابّلوس (J. B. Abbeloos : *Acta S. Maris*)

المبشرين الاوّلين للكلدان ربّما ذكروا ايضاً تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب النحلة من كتبة القرن السابع: « وكان الداعي والمنصِر والمتلمذ والمدبّر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاهُ من بلاد التيمن والحزّة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثنى عشر ناثنيل وهو ابن ثلماي (اي برتلماوس) » وقد قال سليمان بن ماري عن هذا الرسول (ص٥): ان برتلماوس تلمذ مع ادّي وماري « نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط »

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادّي الى الرها والمشرق في اليمر الذي مدح فيه مدينة الرها

امّا ماري فانّ ذكرهُ لا يكاد يفترق عن ذكر ادّي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسيّة النسطوريّة واعمال المجامع وترجمته المومأ اليها وكلها تشير الى دعوته بين العرب في بلاد ميشان وسواد العراق وسكّان الخيام. قال ابن ماري في تاريخ فطاركة المشرق: « انّ ماري بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل والمراقين والاهواز... وبلاد العرب سكّان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن ». وقد روى الطيّب الذكر السيد عبد يشوع خيّاط في مقدّمة اعمال مار ماري (١ انّ ذخائره وُجدت سنة ١٨٧٩ مع ذخائر يشوع سبران احد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش شرقيّ الموصل. فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشكّ في تاريخيّة ماري التي ارتاب فيها البعض

قُلنا انّ بعض قبائل العرب كانت سبقت مالك بن فهم في سكنى العراق من جملتها بنو اياد الذين يذكر المؤرخون تنصّرهم منهم البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨). وقد اشار شاعرهم لقيط بن يعمر الايادي الى بيعهم في قصيدته العينيّة التي كتبها ليحذّرهم من غزوة كسرى وهي من اقدم الآثار العربيّة فقال:

تاتِ فؤادي بذات الجزع خربةٌ مرّت تريدُ بذات العذبة البيعا

ففي ذكره للبيع في ديار اياد على عهد كسرى شاهد على شيوع النصرانيّة بينها

١) اطلب هذه الترجمة (Acta S. Maris, 7-8)

منذ القرن الرابع وهذا يخالف رواية ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ .ed Wüstenfeld) حيث أخّر تنصّرهم قائلاً: « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصّروا »

وكان ايضاً بين قبائل العراق قوم من لخم . وفي السيرة الحلبيّة (طبعة مصر ٣: ٩٥) انّ بني لخم كانوا من عدد القبائل المتنصرة لكنّ الكاتب لم يذكر زمن تنصّرهم

ولمّا ظفرت النصرانيّة بالدين الوثني في الدّولة الرومانيّة بجاوس قسطنطين على منصّة الملك بلغ صدى ذاك الانقلاب حتى العراق وحدثت نهضة جديدة ساقت الالوف المؤلفة الى التنصّر رغماً عن معارضة ملوك العجم حتى كادت النصرانيّة تعمّ تلك الانحاء كلها وتستأصل شأفة المجوسيّة لكنهُ قام سابور ذو الاكتاف وسفك دماء النصارى مدّة ملكهِ الذي دام سبعين سنة فضحّى ١٦٠,٠٠٠ من المسيحيين الذين كانوا في دولتهِ . واعمال هؤلاء الشهداء قد كتبها شهود عيانيّون تُعدّ رواياتهم من اصدق واثبت التواريخ نشرها السمعاني ونقلها الى اللاتينيّة

ولا غرو ان بين هؤلاء الشهداء كان ايضاً قوم من العرب المتنصّرين كما يُستدلّ من امكنة استشهادهم وبعض اعلامهم كعبد الله والحارث وعزيز وحبيب الخ وقد ذكر اليّا النصيبيني اساقفة على البصرة (وكان اسمها فرات ميشان) منذ السنة ٣١٠

وقد شهد المؤرخون ان سيّاحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع ذكرهم المؤرخ سوزمان (١ ودعاهم بالرهبان (Βοσκόμενοι) لانّهم كانوا يعيشون في البراري ويقتاتون من النبات وروى ذلك المؤرخ « انّهم بحياتهم النسكيّة وفضائلهم العجيبة ردّوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني »

ثمّ تبع هؤلاء السيّاح رهبانٌ غيرهم جروا على مثال رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكيّة فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب

١) اطلب تاريخهُ (Sozomène, H. E., l. VI, 34)

وممَّن خصَّهم بالذكر قدماء الكتبة الراهب حنَّا الكشكري (١ الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديرًا هناك نحو سنة ٣٢٠

وذكر تاودوريطس المؤرخ القديس سمعان القديم (٢ فروى أنهُ كان تنسَّك في بلاد « الاسماعيليين » مختفياً في بعض المجاهل الَّا ان العرب اكتشفوا مكانهُ واتوهُ جموعاً متكاثفة ليسمعوا تعاليمهُ وينالوا منهُ الشفاء لمرضاهم . فاجاب الى ملتمسهم لكنهُ لم يزل يراقب الفرصة ليهرب من لجاجهم ويبقى معتزلًا في مناجاة ربهِ

ويروى عن القديس يليان سابا اي الشيخ انهُ ساح في بلاد العرب مع تلميذهِ المسمى يوحنَّا الفارسي (٣ في غضون ذلك القرن الرابع

وفي هذا القرن نفسهِ كانت القبائل اليمنيَّة من آل نصر بن ربيعة الازدي التي انتقلت من جنوبيّ العرب الى الشمال فألقت في جهاتها عصا التسيار واخذت تقوى وتنمو وتضمُّ اليها شتات القبائل العربيَّة لتملك عليها . وكان بين ملوكها الاوَّلين المسمَّى امرؤ القيس بن عمرو المعروف بالبدء الذي طالت مدَّة ملكهِ الى اواسط القرن الرابع . وممَّا يجدر بالذكر ان الكتبة يؤكدون تنصُّرهُ قال ابن خلدون في تاريخهِ نقلًا عن ابن الكلبيّ وغيرهِ (طبعة مصر ١ : ٢٦٣) : « ولمَّا هلك عمرو بن عديّ ولي بعدهُ على العرب وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو ابن عدي ويقال لهُ البدء وهو اوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر وعمَّال الفرس »

ولسنا نحن نرى في الامر عجباً بعد ما روينا عن امور النصرانيَّة في اليمن فهذه القبائل المهاجرة الى الشمال كانت عرفت الدين المسيحيّ في مواطنها فبقيت خميرتهُ فيها عند انتقالها الى العراق . يؤيدُ ذلك ما رواهُ القزوينيّ من امر « الانبياء » الذين ارسلهم الله الى بني حمير ليردُّوهم الى الله قال : « فبعث الله ثلاثة عشر نبيًّا (لاهل اليمن) فكذَّبوهم » . لكن المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٣٩٣) ذكر توبتهم على

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (٤ : ٦٦١–٧٠٤)

٢) اطلب تاريخ الرهبان لتاودوريطس (Migne PP. GG. vol. 82, col. 1350)

٣) اطلب اعمال البولنديين في اليوم ١٨ من شهر تشرين الاوَّل . وممَّا روى تاودوريطس المذكور في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٠) انَّ بعض كتبة زمانهِ نسبوا قتل الامبراطور يليان الجاحد في حرب الفرس الى احد رُعاة العرب

يد اولئك الرسل وانتظام امورهم فقال: «وازال الله انعامهم واموالهم فقالوا لرسلهم: ادعوا لنا الله ان يخلف علينا نعمتنا ويردّ علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم موثقاً ان لا نشرك بالله شيئاً فسألت الرسل ربّها فاجابهم الى ذلك واعطاهم ما سألوا فاتّسعت بلادهم واخصبت عمائرهم الى ارض فلسطين والشام». وقال القزويني ان ذلك «كان بين مبعث عيسى والنبيّ» فتعيّن بقوله هذا انّ هؤلاء الانبياء او الرسل ما كانوا الّا دعاةً لدين المسيح كما يُستدلّ عليه من الشواهد السابقة

ولنا دليل آخر على تنصّر تلك القبائل اليمنيّة في العراق وذلك ما ذكره المؤرخون عنها فقالوا انّ قبائل من قضاعة من تيم اللات وكلب بن وبرة والاشعريين مع قوم من الازد تحالفوا وتآخوا فدُعوا تنوخاً ونزلوا جهات البحرين ثم العراق ما بين الحيرة والانبار وتنصّروا. قال ابن خلكان في ترجمة ابي العلاء المعرّي (ص ٤٩ ed. de Slane): «تنوخ اسم لعدّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك وسُمّوا تنوخاً. وتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب». امّا تنصّرهم في القرن الرابع فيؤخذ من قول صاحب الاغاني عن سابور ذي الاكتاف لمّا حاربهم وكان شعارهم شعار المسيحيين. قال (١١: ١٦٢): «ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين... حتى نزلوا الحيرة فهم اوّل من اختطها... ثمّ اغار عليهم سابور الاكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: آل عباد الله فسُمّوا العباد» (لهُ بقيّة).

مطبوعات شرقية جديدة

Mgr. A. Baudrillart: Histoire de France, *Paris, Bloud et Cie*, pp. IX-328.

تاريخ فرنسة

رأى الكاثوليك خطرًا عظيماً على الناشئة في ما ينشره الكتبة اللادينيّون من الكتب المدرسيّة التاريخيّة فيبثّون فيها زوان الكفر والتشنيع بالدين فقاموا لمعارضتها. وهذا تاريخ فرنسة الموجز قد وُضع لذلك على طريقة مستحدثة تجمع بين

اللذة والافادة معاً كيف لا ومؤلفهُ احد افاضل الائمة اي السيد بودرليار رئيس مكتب باريس الكاثوليكي فانهُ مع وفرة اشغالهِ اراد ان يخدم الشبيبة بتصنيف هذا الكتاب الذي نعدهُ من افضل ما كُتب لخدمة المدارس الابتدائيَّة الى يومنا . ومما يزيدهُ حسناً ما اودعهُ المؤلف من التصاوير المتعددة اللطيفة التي زيَّن بها الكتاب فجعلهُ كتحفة شهيَّة يتهافت عليها الاحداث . ويحقّ بمدارس بلادنا الافرنسيَّة ان تتخذهُ كدستور تعليمها لتاريخ فرنسا الصحيح الاب ف. تورنيز

A. Valensin : Jésus-Christ et l'Etude comparée des Religions. *Librairie Lecoffre, Gabalda et Cie, Paris*, 1912 in-12, p. 237

السيِّد المسيح بازاء درس مقابلة الاديان

درس مقابلة الاديان علم جديد شاع في الكليَّات الاوربيَّة منذ بضع سنوات ونصبهُ اعداء النصرانيَّة كمنجنيق يرمون بقذائفهِ الدين القويم ومنشئهُ الالهيّ . على ان انصار الكنيسة لم يسكتوا لهؤلاء الماديين وتزلوا معهم في الميدان ليدافعوا عن دين المسيح ويذبُّوا عن حياضهِ ويُفحموا تَبَعة الكفر . ومما صدر مؤخراً من ذلك مجموع خمس خطب القاها في اوائل هذه السنة في مكتب ليون الكاثوليكي احد اساتذتهِ الاب ألبار ڤالنسان نزيل كليَّتنا سابقاً . فهذه الخطب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً وهي مبنيَّة على اساس علمي محض فتفحص الخطيب في الثلث الاولى منها بزاعم العلم الحديث في شخص السيد المسيح وتعليمهِ وديانتهِ وبيَّن انَّ الديانات السابقة للنصرانيَّة كالديانات الشرقيَّة والبوذيَّة والبابليَّة لم تمهد الطريق للنصرانيَّة كما زعموا بل هي والنصرانية على طرفي نقيض . ثمَّ اثبت في الخطبة الرابعة ما كان الله تعالى اوحى بهِ لانبيائهِ عن المسيح في العهد القديم . وختم ذلك بخطبة خامسة وجَّه فيها نظرهُ الى شخص ابن الله فبيَّن انَّ تلك النبوآت صدقت فيهِ وحدهُ لانهُ « الطريق والحقّ والحياة . والنور الذي ينير كلّ انسان اتٍ الى العالم » وانهُ « الاوَّل والآخر الالف والياء » بل مجموع كلّ كمال لا يُرى في غيرهِ عزَّ وجلّ . وهذه الخطب بليغة المعاني سامية الشواعر فكنَّا نطالعها بكل رغبة لما يجد فيها العقل من نور الحقائق والقلب من شريف العواطف . فشكراً للخطيب الذي نتمنى ان يسمع اهل الشرق صدى صوتهِ ليستفيدوا من كتابهِ ويزيدوا ثباتاً في الايمان الصحيح الاب ف. تورنيز

TURKISCH - ARABISCH - DEUTSCHES WOERTERBUCH von Tewfik Ihsan u. E. A. Rodspieler, *Wien* u. *Leipzig, Hardleben's Verlag*, pp. 184

لغات كتابي تركجه المانجه

انَّ محلّ هرتلابن في ڤينّـة وليبسيك ساعٍ في نشر الكتب التي تسهّل على الاوربيين التكلّم بمعظم اللغات الشائعة في زماننـا. فبلغ مجموع مطبوعاتهِ نحو مئة كتاب كلّها على قطع واحد ومطبوعة طبعاً لطيفاً متجانساً وبثمن واحد لا يتجاوز فرنكين ونصف. والكتاب المعنون آنفاً قد نجز آخرًا يفيد طلبة التركيّة والالمانيّة خصوصاً صنّفهُ احد اساتذة التركيّة مع معلّم الماني. ومن محاسن هذا المعجم الصغير انَّ الالفاظ التركيّة والعربيّـة على صورتين بالحرف العربيّ ثم بالحرف الاوربي لضبط تهجيتها فكفى بهِ دليلًا على افادتهِ ل. ش

كتاب لمحة الناظر في مسك الدفاتر

تأليف الشيخ ظاهر خير الله الشويري

طُبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٢٠٢)

انَّ مسك الدفاتر في التجارة من اهمّ الامور التي تؤدي بصاحبهـا الى معرفة حالتهِ التجاريّة في كلّ وقت وتصونهُ من عدّة اغلاط من شأنها ان تهوّرهُ في اسوإ عُقبى وتورّطهُ في الافلاس السريع. على انَّ بعض الطلبة ينفرون من درس هذا الفنّ لظنّهم انّهُ من اوسع واصعب الفنون ولعلَّ فئة من الاساتذة صوّروهُ لهم على هذا المنوال لغاية في النفوس. وهاءنذا بدليل خرّيت اشير بهِ اليهم ألا وهو الشيخ الاديب ظاهر افندي خير الله الذي باشر هذا الفنّ منذ خمسين سنة فعلّمهُ شفاهيًّا وعرف كل مسالكهِ ثمَّ دوّن معلوماتهِ في كتاب راج الرواج العظيم حتى انـهُ عاد اليوم فطبعهُ طبعةً رابعة وزاد في تنقيحهِ وتحسينهِ حتى جعلهُ كما قال في مقدّمتهِ «قريب الوصول سهل الحصول مطّرد القواعد واضح المطالب والفوائد فلا يفوق ادراك طالب ولا يضيع فيهِ تعب راغب». ولا نرى في كلامهِ هذا مبالغة مع ما يلوح للناظر لاوّل وهلة من حسن التبويب وصور المعاملات الحسابية وتعليم التقييدات البسيطة والمركّبة. وقد اردفهُ المؤلف بجزء ثانٍ ليس هو اقلّ فائدة من الاوّل جعلهُ ترويضاً للمباشر واودعهُ تمرينات كلها فوائد يستفيد منها الطالب والاستاذ معاً فعسى ان يلقى هذا

الكتاب ما يستحقهُ من الاقبال فيهتمّ صاحبهُ الفاضل بطبع مطوّل آخر دعاهُ منية الخاطر استوعب فيهِ دقائق هذا العلم واستوفى فوائدهُ ل٠ش

كتاب ذخيرة الاصغرين

للسيّد المفضال جرمانوس معقّد مطران اللاذقية

الجزء الاول. طُبع في مطبعة مار بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١١ (ص ٢٠٨)

هذا الكتاب من بواكير مطبعة حديثة النشأة تستظلّ في حمى سيدة لبنان جمعهُ الحبر الجليل والطيّب الآثار السيّد جرمانوس معقّد الذي تعدّدت مآثر غيرتهِ بيننا بما نشرهُ من الكتب الطقسيّة والمواعظ والروايات الرائقة ثم شفعهُ بمجلّتهِ « المسرّة » الكاثوليكيّة الروح والمبدأ . وذخيرة الاصغرين حسنةٌ جديدة من حسنات سيادتهِ اوقفها لافادة الناشئة الكاثوليكيّة . وهي مجموعةٌ في اجزاء جعل الاوّل منها في ١٧ فصلًا اودعها منتخبات جمّة من تآليف الكتبة الاقدمين كالاغاني وكليلة ودمنة والفخري ومقدّمة ابن خلدون ممزوجة بطُرَف من قلم المحدثين اخصّهم اليازجيون الثلاثة الشيوخ ناصيف وابراهيم وخليل فنقل كثيرًا من نفثات قلمهم او مما صُحّح بقلمهم لاسيما الشيخ ابراهيم كالكتاب القدّس المطبوع بهمّة رسالتنا وتاريخ اشور وبابل للمرحوم جميل المدوّر . وهناك نُتَف من رجعة الرائد الذي جرى فيهِ الشيخ على طريقة الالفاظ الكتابيّة . وفي آخر الفصول اسئلة تستوقف خاطر التلميذ الى فحوى ما قرأهُ . فترى انّ هذا الكتاب احسن ذخيرة لاصغري الاحداث اي لسانهم وقلبهم فعساهما يدّخران فوائد الكتاب ويحرزان الشكر على جامعهِ المفضال ل٠ش

تاريخ حرب فرنسا والمانيا ١٨٧٠—١٨٧١

بقلم جرجي افندي يني الطرابلسي

عني بطبعهِ يوسف افندي توما البستاني (في مصر سنة ١٩١٢ ص ٢١٦)

اعلمنا جناب الطابع في مقدّمتهِ انّ هذا التاريخ قد نُشر تباعًا في مجلة الجنان فاراد تجديد طبعهِ على حدة فاجازهُ بذلك جناب مولفه جرجي افندي يني الطرابلسي . وهو تاريخ مفيد لكن كثيرًا من الاسرار التي جهلها الكتبة في الماضي انكشفت

الان حقائقها بما طُبع في السنين الاخيرة من الآثار الاصليَّة كاوراق بسرك وبنديتي ومذاكرات مدام ادام عن غمبطا الخ فكشفت القناع عن كثير من الخفايا. فيا حبذا لو كان المؤلف اعاد النظر في مقالاتهِ القديمة واستفاد من المؤلفات الحديثة ا.ر.

تقويم البشير لسنة ١٩١٢

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي مدير جريدة البشير

طُبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١١ (ص ١٧٠ + ٤٤) ٥

هذه السنة الخامسة والثلاثون لذلك التقويم الذي ظهر لاوَّل مرَّة سنة ١٨٨٧ صغيرًا ضئيلًا فتقلَّب في اطوار حياتهِ في هيئات شتى حتى اصبح اليوم مجموعاً واسعاً يحتوي من الفوائد ما لا تجدهُ في كتب ضخمة. وقد اثبتنا في غلاف المشرق خلاصة ابوابهِ فهي تُشعر القرَّاء بوفرة مضامينهِ التي لا يستغني عنها الوطنيّ في حاولهِ وترحالهِ وفي بيتهِ وغربتهِ مع ما هناك من جداول التواريخ والوصايا الصحيَّة والافادات الاقتصاديَّة والفكاهات المطربة والقوانين الشرعيَّة الى غير ذلك ممَّا يجعلهُ رفيقاً صديقاً وجليساً انيساً ل.ش

شذرات

ماسونيَّة بازاء كنيسة الروم الملكيَّة الكاثوليكيَّة ظنَّ بعض الماسون انَّ سيادة الحبر الغيور كيرلس مغبغب رئيس اساقفة زحلة بمناصبتهِ الماسونيَّة تفرَّد في رأيهِ عن بقيَّة السادة الاساقفة وجاوز الحدود بمنعهم عن الشركة في اسرار الكنيسة واليوم قد قرأنا بمزيد السرور ما وجَّه الى سيادتهِ غبطة الكليّ الطوبى بطريرك الطائفة كيرلس الثامن جحا اعزَّهُ الله يثني على غيرتهِ ويطرئ حسن عملهِ مقبحاً « لغايات تلك الشيعة المحرومة من الكنيسة التي بدت الآن للعين المجرَّدة من ظواهرها الخادعة». وهذا حذو غبطتهِ سادة الطائفة الاجلَّاء. فاثبتت مجلَّة المسرَّة نُتفاً من رسائلهم الغرَّاء التي نقلها البشير في عدده الاخير الصادر في ٣ تشرين الثاني. فليتحقَّق اذن الماسون المدَّعون بالكثلكة انَّهُ « ليست مخالطة بين النور والظلمة ولا موالفة للمسيح مع بليعال »

الرهبان والعلم — لليسوعيين في سان فرنسيسكو مدرسة كبيرة اسمها سانتا كلارا لاحق بها مرصد فلكي يديرهُ الاب ريكرد احد كبار علماء الفلك. ومن مكتشفاتهِ الحديثة ما اثنى عليهِ هناك استاذ الفلكيَّات فوستر (W. T. Foster) من واشنغتون قال: « قد ادَّعى معظم الفلكيين في عهدنا انَّ سبب تأثيرات الشمس في جوّنا وارضنا انَّما هو كَلَف الشمس. امَّا الاب ريكرد فقد بيَّن ضعف هذا الرأي بعد درسهِ لكلف الشمس في مرصد سانتا كلارا وقد اثبت — ونحن نوافقهُ في رأيهِ المبني على الاختبار — انَّ هذه التأثيرات في ارضنا ليست بناتجة من كَلَف الشمس وانَّما سببها اختلاف موقع الشمس بالنسبة الى السيَّارات الكبرى. وعمَّا قليل سيتحفنا بكتاب واسع لا يبقي في الامر شبهةً » — فهكذا يخدم الرهبان العلم. ونحن بهذه النسبة نُلفت انظار مواطنينا الى مرصدنا الحديث في كسارا الذي اوسع مديرهُ الفاضل ابنيتهُ واستجلب عدَّة آلات فلكيَّة ورصديَّة منها للمظاهر الجويَّة ومنها للآثار المغنطيسيَّة وحركات الزلازل وقد نال جائزةً من مكتب ليون وثناء على اشغالهِ المدقَّقة. وممَّا افادنا مؤخرًا ما كتبهُ عن مذنَّبات السنة الحاضرة وهي لا تقلّ عن سبع وصف تاريخ ظهورها واسماء مكتشفيها وكبرها وسيرها ومدَّة دورانها في فلكها. وقد رصد حضرتهُ بعض هذه الكواكب المذنَّبة في مرصد كسارا الذي نتمنى لهُ كل اقبال وترقٍّ. فترى انَّ الرهبان لا يفصلون خدمة الدين عن العلم. والحكومة الفرنسويَّة قد اقرَّت بذلك حديثاً لمَّا اهدت مدير مكتبنا الطبيّ حضرة الاب لوسيان كاتان وسام جوقة الشرف من رتبة اوفيسيه. كما اقرَّت جمعيَّة الآثار القديمة في فرنسة آخرًا باقامة تمثال لاحد كبار الاثريين الاب ده لاكروا اليسوعيّ قريباً من بواتيه اعترافاً بفضلهِ لاكتشافاتهِ الاثريَّة العظيمة

تتويج صورة عجائبيَّة للبتول في الاستانة — في ٢٥ آذار من العام الماضي اصدر مجمع القانونيين في الفاتيكان منشورًا سمح فيهِ بتتويج صورة السيدة مريم البتول المكرَّمة في كنيسة الآباء الفرنسيسيين في الاستانة. وهذه الصورة المعروفة باسم دراباريس اهدتها احدى السيدات للمرسلين الفرنسيسيين سنة ١٥٨٤ لمَّا بنت لهم كنيستهم في حيّ غلطة. فلمَّا احترقت تلك الكنيسة سنة ١٦٧٨

نجت الصورة من الحريق بمعجزة باهرة ثمَّ نُقلت الى كنيستهم في حيّ بيرا حيث سلمت مرتين أُخريين من الحريق في السنة ١٧٠٠ ثم في ١٧٦٧. وكذلك في زلزال سنة ١٧١٧ هبطت الكنيسة وتحطَّم كلّ شيء فيها الّا الصورة وإطارها. واهل الاستانة من نصارى وغيرهم يلتجئون دائبين الى حماية العذراء. وكثيرًا ما جازى الله ايمانهم بنعم وبركات تشهد عليها النذور التي تحيط بالصورة وتزينها. وقد جاء تتويجها باعثًا جديدًا على اكرامها. ومعلوم انَّ هذا الامتياز لا يُمنح الّا لصور قليلة

وهذه الصورة تذكّرنا بصورة اخرى كانت تُكرم في رودس على جبلها المسمَّى فيلارم اتَّخذ فيهِ فرسان رودس البتول كشفيعتهم وحرزهم ونجَّتهم غير مرَّة من اعدائهم ولاسيَّما في ٢٨ تموز سنة ١٤٨٠ حيث ارسل محمَّد الثاني مسيحَ باشا واسطولهُ لفتح الجزيرة فكاد يتمّ الفتح لولا انَّ العذراء ظهرت في السماء ونجَّت الجزيرة فاقفل الغزاة راجعين الى الاستانة. ثم عادوا في عدد مئتي الف لمحاربة الجزيرة سنة ١٥٢٢ وبعد ستة اشهر اخذوها بالامان. فسار فرسان رودس ومعهم الصورة العجائبيَّة فنقلوها الى مالطة فحرست الجزيرة مرارًا من جيوش العدوّ وبقيت مكرَّمة الى السنة ١٧٩٨ حيث دخل نابوليون الاوَّل جزيرة مالطة ونقل صورتها التي مـا لبثت ان وقعت في ايدي بولس الاوَّل قيصر روسيَّة فنصبها في احدى كنائس بطرسبورج وهناك تنال اكرامًا عظيمًا الى يومنا. لكن اهل رودس لم يهملوا تذكار عجائب العذراء. فانَّهم جعلوا بدلًا من الصورة القديمة صورةً وجدوها سنة ١٦٩٣ بين بقايا آثار فرسان رودس فاكرموها ونالوا من البتول نعمًا جليلة يذكرونها بالشكر والصورة تُعرف اليوم بسيدة الانتصار وهي تُكرم في كنيسة جميلة بناها الآباء الفرنسيسيُّون سنة ١٨٥٣

اوَّل والٍ عثماني نصراني بين الدلائل على انَّ الدولة العثمانية الدستوريَّة تريد المساواة بين عناصرها المختلفين انَّها في العام المنصرم لمَّا ارادت ان تقيم واليًا على جزائرها في بحر سفيد والارخبيل التي تشمل رودس مع لواحقها ثم كرباتوس وكوس وليروس ثمَّ بتموس وصاقس ومندالي ولمنوس وامبروس دعت الى هذه الرتبة احد مواطنينا الروم الكاثوليك ابراهيم افندي صوصا. وهو اوَّل نصراني دُعي الى تدبير احدى الولايات العثمانيَّة. ومعظم اهل هذه الجزائر من الروم بينهم قليل من الكاثوليك اللاتين وقد دُعي دولتهُ مؤخَّرًا الى منصب الوزارة لادارة البريد

منافع الاضطهاد في المانية — كانت الكنيسة الكاثوليكية في اواسط القرن الماضي في المانية في حالة حرجة. فاراد انصار الحكومة ان يزيدوها ضعفاً وسقماً بسنّ شرائع جديدة تضغط على تبعتها فجاء الامر على عكس ما توهّمهُ اعداء الكنيسة فنهض الاساقفة ومعهم اصحاب الهمّة والاباء فاجتمعوا في مؤتمرهم الاوّل في مايَنسة سنة ١٨٤٨ ثم اوثقوا روابط وحدتهم في عهد بسمارك فدخلت مذ ذاك الكثلكة في طور جديد في المانية. وعدد ابنائها اليوم يبلغ عشرين مليوناً اي ثلثاً من اهلها واكثرهم مواظبون على واجباتهم الدينية. وبعد ان كان سنة ١٨٨٠ عدد جرائدهم الكاثوليكية ١٨٠ جريدة فهو يبلغ اليوم ٥٠٠ بنيف. ومؤتمراتهم السنويّة تُعدّ فوزًا باهرًا للمذهب الكاثوليكي عموماً تحسب لها الدولة نفسها حساباً ويرى فيهم جلالة الامبراطور ضامناً لماكسة الاشتراكيين واهل الفوضى فشكرهم على حسن مساعيهم

نجاح الكنيسة الكاثوليكيّة في الصين — قدم باريس السيّد دي غبريان (Mgr. de Guébriant) احد مرسلي الصين ولساقفتها الخبيرين باحوالها فخطب في نوادٍ مختلفة امام الجمعيّات العلميّة عن مملكتها واحوالها ومستقبلها ومما قالهُ في احدى خطبهِ « انَّ عدد الكاثوليك في الصين منذ عشر سنوات كاد يبلغ ضعف ما كان عليهِ قبلًا فانهُ لا يقلّ اليوم عن ١,٤٠٠,٠٠٠ فضلًا عن ٥٠٠,٠٠٠ مرتشد يستعدون لقبول المعموديّة. وفي الصين ما عدا المرسلين الاوربيين من عشر رهبانيّات ٤٠٠ كاهن وطني. امّا المتنصرون فكانوا قبلًا كلّ سنة ٥٠,٠٠٠ وهم اليوم ينيفون على ٨٠,٠٠٠ والمرجّح انّهم آخر العام الجاري يزيدون على ١٠٠,٠٠٠ ومعظم الفضل في ذلك على ما قال الخطيب عائد الى « المرسلين اليسوعيين واللازريين » الذين نظموا رسالاتهم على احسن طريقة وارفى مثال

استقلال الكنيسة البلغاريّة الكاثوليكيّة — انَّ الدولة العليّة اعترفت اخيرًا باستقلال الكنيسة البلغاريّة الكاثوليكيّة في ولاياتها البلقانيّة فمنحت السيد ميروف اسقفها براءة تجعلهُ كممثل رسمي لكنيستهِ وبذلك تزول عدّة مشاكل بينهُ وبين البلغار الارثدكس

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب ت.ب. من بيت مري هل يجوز في الطقوس الشرقية الزواج شرعاً بين الشاب وابنة اختهِ

الزواج بابنة الاخت

ج هذا الزواج محرَّم بل باطل لمانع القرابة الدمويَّة في الدرجة الثانية. لكنَّ هذا المانع مرتَّب من جهة الناموس الكنائسي فيستطيع رؤساء الكنيسة ان يفسحوا منهُ لدواعٍ صوابيَّة مهمَّة

س سأل غلبونيٌّ ايوجد بين علَم التربية في لبنان المسأة غلبون وعلَم الشاعر ابن غلبون علاقة ما

ج كلا فانَّ هذا مجرَّد اتفاق في الأعلام

س سأل احد قرَّاء المشرق اصحيح ما كتبتهُ مجلَّة الكلمة اخيرًا (في عدد ايلول ص ٢٤٨) انَّ الشيعة الماسونية ألَّفها الكاثوليك لتفرزهم من الكنيسة البابوية كما الَّفوا شيعاً مختلفة لسبب بدعها العديدة ولاسيما بدعة الرئاسة البابوية

الكلمة ومزاعمها

ج هذا القول من جملة اقوال أُخرى عديدة تُضمِّنها المجلَّة كلَّ عددٍ من اعدادها لتبرِّد قلبها المحروق على الكنيسة البابويَّة ووحدتها ونظامها العجيب وسموّ تعاليمها وثباتها في الايمان رغماً عن كل صدمات الجحيم. فلندعها وشأنها. اما قولها عن خروج الماسونيَّة من الكنيسة الكاثوليكيَّة فلا سند لهُ البتَّة كما يظهر لكلّ من لهُ بعض المام بتاريخ هذه الشيعة وكما رويناهُ عن اصدق الموارد في كراريسنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» التي اثنى عليها صاحب الكلمة في الصفحة ٣٤٥ من عدد ايلول. لكنهُ لم يستحي ان ينسب هناك الى الكهنة الكاثوليك اعظم الفظائع التي يفضلون عليها الموت الف مرَّة وهي قولهُ ان الاب الروحي الكاثوليكي الذي يسمع اقرار الماسوني بخطاياهُ «من الواجب عليهِ ان يُشعر بقيَّة المسيحيين بما اعترف بهِ اولئك الماسون قبيل وفاتهم» فانظر رعاك الله انصاف كاتب الكلمة ودرجة علمهِ بالكاثوليك واحترامهم للاسرار. زه زه!

ل.ش

المشرق

عين الصحة

او مياه فالوغا المعدنية

نبذة للاب شيخو لويس اليسوعي

حبّذا لبنان اذ تقرّ بمنظره العين وهو ناصب قرونهُ الشمراء ومتونه الصّماء حتى عنان السماء كانهُ يناطح الجوزاء. بل حبّذا لبنان اذ تزين معاطفهُ القرى والدساكر كأنها في خدمتهِ عساكر. او تظلّل اوديتهُ الغابات. كأنّها تنشر عليها الالوية والرايات. نعمًا ذيّاك الجبل وهو يبرز مشارفهُ الجرداء لاشعّة الشمس. فتصبغهُ بالوانها العجيبة كأنها حليّ الارجوان او ملاحف الوَرْس. بل أنعم بهِ جبلًا اذ تكسوهُ الثلوج الزرّاء. بثياب ناصعة يعبس بها كالخريدة العذراء. فأيم الحقّ ان الله برفع عماد لبنان قد منح بلادنا هبة لا تُقدَّر قيمتها. ولا يستوفي الثناء رتبتها: ولو لم يجد السوريون في لبنان غير ملجأ يلوذون بهِ في أيام القيظ اللافح. والحرّ القادح. ويستروحون نسيمهُ العليل. او يرشفون ماءهُ السلسبيل. لقضى عليهم الشكر المؤبد. والعرفان المخلّد

على انّ في بواطن لبنان فضلًا عن ظواهرهِ كنوزًا اخرى غالية الثمن اذخرتها يد العلي لمنافع اهل الوطن. وليس كلامنا هنا عن المعادن التي اودعتها الطبيعة في اسرابهِ الباطنة كالحديد ومناجم الفحم الحجري وضروب الرخام وغير ذلك ممّا لم ينعم بعدُ فيهِ النظر علماء طبقات الارض فينتظر قومًا من ذوي الهمّة يستخرجون دفائنهُ المكنونة كما انّنا نضرب الصفح عن تلك المياه الزاخرة الزلالية التي تتفجّر سيولًا من اعطاف الجبل فتخصب تربتهُ حيثما جرت وتروي غليل الشاربين مع ما فيها من الخواص

الطيّبة التي مرَّ لنا وصفها في بعض اعداد المشرق السابقة (عدد تموز ص ٤٨١—٤٩١) وانما نوجه النظر الى مياهٍ أُخرى جعل الله فيها شفاء للبشر ولم يحرم منها جبلنا المبارك نريد بها المياه المعدنيَّة

وما لا ريب فيه انَّ في انحاء مختلفة من جبل لبنان عيوناً تُرَى فيها آثار معدنيَّة ظاهرة نبَّه اليها قدماء السياح ولعلَّ قسماً كبيراً منها قد غار في بطن الارض منذ فقد الجبل تلك الغابات الغيناء التي كانت تبسط ظلَّها الظليل على مشارفه فقُطعت تلك الاشجار الفنواء وبقطعها نضبت عيون كثيرة ومن جملتها مياهٌ معدنيَّة طيِّبة كان يوسع اهل لبنان ان ينتفعوا بها وينفعوا سواهم اما شرباً واما استحماماً وهي اليوم تجري محجوبة عن العيان فتذهب فائدتها سُدًى. وها نحن نأتي بخبر اكتشاف قريب لعينٍ منها يثبت قولنا

*

اذا ركبت السكَّة الحديديَّة من بيروت في وجهة الشام فسار بك القطار الى عاليه فتوغَّلت في الجبل مشرقاً حتى تجاوزت بحمدون استلفت نظرك عن شمالك وادٍ متسع الارجاء ذو نضارة وعمران تتوفَّر فيه المزدرعات والاشجار الجبليَّة من صنوبر وشربين وبلُّوط وخرُّوب. ولا تلبث ان ترى عن بعد في منعطف الوادي قرية كبيرة هي حمَّانا الغزيرة المياه الواسعة الخيرات الكثيرة المعامل الحريريَّة تجري اليها العربات في طريق لاحبة توصل بينها وبين السكة الحديديَّة

وان رفعت بنظرك الى اعالي الجبل المُشرف على حمَّانا بميلٍ الى الشمال رأيت قرية أُخرى دون حمَّانا كبراً ومثلها عمارة. تلك قرية فالوغا التي يبلغ عدد اهلها نحو الالف ثلاثةُ ارباعهم موارنة والباقون روم كاثوليك ثم دروز مع نفر قليل من الروم الارثذكس وقد اتصلت بها طريق العربات منذ بضع عشر سنوات

فالى هذه القرية ندعو قرَّاءنا لا ليستنشقوا هواءها الطيِّب او يمتِّعوا النظر بمشاهدها الطبيعيَّة الفتَّانة وموقعها على ١٤٠٠ متر فوق سطح البحر تطلّ على اعالي جبال لبنان يمنةً وعلى قسم من اراضي وجبال الشوف يسرةً وراءها قمم جبال الشيخ الشامخة وعلى بحر الشام وساحل بيروت غرباً فضلاً عن اودية المتن الخضراء. كلَّا فانَّ كل هذه

المناظر التي تغنّى بمديحها الشاعر الفرنسوي لامارتين ليست لتشغلنا الآن. وانّما الغاية اجدى نفعاً من ذلك

يطلّ على فالوغا شرقاً تلّ منقطع عن الجبال المجاورة (انظر الصورة) في منحدره مجاز يُعرَف بممر الغزال سواء كان الغزال علماً لرجل فرّ هارباً من هناك او ممرًّا لغزال افلت ثمّ من ايدي صيّاد كان يتأثر اعقابهُ. فعند ذلك المجاز املاك تخصُّ بيت الزغزغي من وجوه فالوغا. ففي ربيع سنة ١٩١٠ وكلَ جناب حبيب افندي الزغزغي صاحب الملك الى فعلة حراثة الارض وتسوية تربتها ليزرع فيها البطاطا فاذ كانوا يحرثون في غرّة ايّار صدم محراثهم بحجرة فاقتلعها وكشف عن مياهٍ تنبع من فوهة قناة صناعيّة منحوتة بالحجارة فتتبّعوا اثارها الى مسافة بعيدة

فكان اوّل ما دار في خلدهم انّهم وجدوا للملك مياهاً طبيعيّة تكفي لريّه في فصل الصيف. وتلك نعمة يعرف قدرها اهل الجبل ويعتبرونها اعتبارهم للكنز الثمين. ثم اسرعوا الى شرب كأس منها ليذوقوها فاذا بالماء طيّب المذاق فيه اثر من طعم الماء المعدني. ثم استأنف الفعلة شربها وكرّروهُ فوجدوهُ خفيفاً سلساً مسهّلاً للهضم بحيث انهم كانوا بعد الشرب منهُ يقبلون على الطعام بشهوة فيزدردونهُ دون ان يثقل على المعدة حتى انّ بعضهم قال لصاحب الملك مازحاً : ان دأبنا في شرب هذا الماء لا بدّ من زيادة في اجرتنا لنقوم بحقّ الاطعمة . وجرّب الماء وليّ العمل على نفسهِ فوجد من شربهِ نفعاً ظاهراً وكان قبلاً يشكو وجع المعدة فكفّ وجعهُ وطابت حالهُ. وشاع الخبر في القرية فاقبل القوم الى المكان لينظروا الماء ويستطعموه وما لبثوا ان وجدوا لهُ خواصّ عجيبة غريبة تناقلتها الالسن فاطنبت في وصفها وبالغت الى الغلو حتى جعلوا تلك المياه من انهار الجنّة تفوق على الكوثر والسلسبيل ودعوا العين « بعين الصحّة » وهي اليوم تُعرف بهذا الاسم

لكنّ وليّ الارض لم يوافق الزوّار على مبالغاتهم وانّما فكّر في تحليل تلك المياه ومعرفة ما يدخل في تركيبها من العناصر لعلّهُ يستدلّ بها على بعض خواصّها الصحيّة

واخذ في غضون ذلك يفحص مجرى المياه بكل تدقيق النظر ويدوّن ما يلحظهُ من الآثار فاذا هناك بقايا قساطل خزفيّة واخرية كانت تنبئ بعمل سابق وابنية قديمة. ثم صعد التلّ وامعن النظر في جهاتهِ فاذا في اعلاهُ حيث يبلغ العلو ١,٧٠٠ متر

فوق سطح البحر بقايا اساسات قديمة ورُجح ترقيتها الى عهد الرومان وكاد تخمينهُ يتجاوز الى حدود اليقين مذ اكتشف بين الاخربة المجاورة للعين نقداً رومانياً ارسلهُ الى عالم في ليون مشهور بمعرفة المسكوكات القديمة وهو المسيو تستنوار (E. Testenoire) فكان جوابهُ في تاريخ ١٩ ايلول من السنة المنصرمة « انَّ النقد المذكور راقٍ الى عهد القيصر الروماني كراكلا (٢١١—٢١٧ م) » وبذلك تعيَّن عهد الآثار المذكورة. وكان بودنا ان نرسم هنا صورة هذا النقد لكنهُ بقي في ليون وقد وقفنا على رسم منهُ غيابي يظهر منهُ انَّ الوجه الواحد يمثل اسكندر ساويرس مع ابنهِ كراكلا والآخر يمثل هيكلاً ذا اربعة اساطين في وسطهِ الالهة عشترت تكلِّلها الهة الانتصار واقفة على عمود وهذا النقد كان شائعاً في سواحل فينيقية (١

فيستنتج من هذه العاديات والمآثر انَّ الرومان كانوا يعرفون هذه العين ويتعالجون بمياهها المعدنيَّة ولا يبعد انَّ للبقايا التي في رأس التل علاقة مع العين وانهُ من المحتمل انَّ ثمَّ كان مستوصف صحي يبيت فيهِ الاطبَّاء ليرشدوا المرضى الى طريقة التعالج بالمياه المذكورة

*

هذا ما توصَّل اليهِ جناب الملاك بفحص الآثار ثمَّ عرض الماء على ثلاثة اساتذة ذوي الخبرة من علماء الكيميا احدهم حضرة الاب اندره روشه (A. Rochet) من معلمي المكتب الطبي الفرنسويّ والآخر الدكتور جامسن پتش (J. A. Patch) معلِّم الكيميا في الكلية الاميركانيَّة. والثالث المسيو ريشار (E. G. Richard) الاجزائي الكيمويّ في الاسكندريَّة فكانت نتيجة تحليلهم كما يأتي ببعض اختلاف طفيف لا يتجاوز بعض مأغرامات نتج عن اختلاف عهد تحليل المياه اذ تأخَّر تحليل الواحد عن الآخر الى شهر او شهرين. ودونك التحليل الأدقّ للمسيو ريشار في تاريخ ١١ ايار سنة ١٩١١:

تحليل ماء عين الصحة

وزن الماء الجوهري في درجة ١٥ من المقياس المئوي	١,٠٣١
مفعول المادَّة الكاشفة في الماء المحلَّل	مفعول القلويَّات

(١ اطلب كتاب النقود اليونانية في فينيقية (G. Francis : *Catalogue of the Greek Coins of Phoenicia*, p. 70 Pl. X, 1)

طعم الماء		ذو قلويّة خفيفة
الراسب من تحليل ليتر واحد		٠,٢٨
مقدار القلويّات	في الليتر	٠,٢٩
الحامض الكربونيك	«	٠
بيكربونات الكلس	«	٠,٢٦
المنيزيا	«	٠,٠٣
الحديد	«	٠,٠٢
عنصر الليتين	«	٠,٠٣
سولفات الكلس	«	١,٢٦
سولفات الصودا	«	٠,١٨
كلورور المنيزيوم	«	٠,٠٣
كلورور البوتاسيوم	«	٠,٠٠٤
كلورور الصوديوم	«	٠,٠٣
مركّب الصوان (السيليس)	«	٠,٠١٦
النيترات	«	٠
الزرنيخ	«	آثار زهيدة

وهذا ما كتبهُ الدكتور جامس باتش بعد تحليل الماء فنُشر في بعض جرائد بيروت:

« سبب تحريري هو للشهادة بانني فحصتُ ماء نبع فالوغا ملك حبيب افندي الزغزغي فوجدتهُ صرفاً يحتوي على بعض املاح اخصها كربونات الكلس والمنيزيا وكلورور الصودا وليس فيهِ شيء مضرّ للصحة مطلقاً بل حسب ما هو مأخوذ عن الاطباء الثقة وثبوت انهُ نافع للصحة نظراً لكونهِ يساعد على حركة الهضم وجميع الاجهزة الحيويّة ويدرّ البول ويذيب الحامض البولي (Uric) فالماء الحاوي هذه الشروط لهُ نفع جزيل في معالجة انواع الزكام في الاغشية المخاطية ووداء النقرس والبول الزلالي والسكّري الخ جامس باتش

امّا الاب روشه فاضاف الى تحليلهِ ما تعريبهُ:

هذا الماء صرفٌ زلال خالٍ من كلّ رائحة لا يخالطهُ البتة عنصرٌ آليّ من الازوتات او الازوتيت. فالواجب ان يُنظم في جملة المياه الداخل فيها شيء من الحديد وكربونات الكلس (ferro-carbonate calciques) وما كان من هذا الصنف يصحُّ فيهِ ما ورد في المعجم الصحي (Oujardin-Baumetz: *Dictionnaire Thérapeutique*, T, II) حيث قال: « انّ هذه المياه من طبقة المياه القليلة المركّبات المعدنية ومعظمها بارد زلال . . . لها في الطبّ عملٌ واضح محدود فان بعضها سهلة وكلّها مدرّة للبول نافية للسوادّ الفضولية بعد الهضم بالبراز

والتبويل. وما تحتويه هذه المياه من الحامض الكربونيك يسهل هضمها بل يجعلها مقوّية بالعرَض واذا وجد فيها شيء من الحديد انشت القوى لا محالة »

فمن هذا التحليل وما أُلحق بهِ من الملحوظات يُستدلُّ بنوع صريح على منافع مياه عين الصحة التي يمكنها ان تقوم مقام كثير من المياه المعدنيَّة التي تُجلب من اوربة وتُباع باثمان غالية كمياه ڤيشي (Vichy) ومياه اڤيان (Evians) وغيرهما. ولماء عين الصحة فضل على سواها لقربها من الوطنيين فاذا استعملها الشارب سريعاً كانت انجع واطيب. ومن مزايا هذه العين انَّ مائها خالٍ من الطعم الكريه الذي لبعض المياه الاوربيَّة كمياه ڤيشي فيقبلها الشارب برغبةٍ وهي تشبه في ذلك مياه اڤيان السلسة العذبة

*

على انَّ هذا التحليل الكيموي ما كان ليقنع ذوي العاهات والمتألمين ان يستعملوا هذا الماء ما لم يتحقَّقوا بالتجربة حسن فعلهِ في معالجة الصحة وبشهادة الاطباء على فوائدهِ الظاهرة فطلب الخواجا حبيب اليهم ان يصفوهُ لمرضاهم ويجرّبوهُ في العلل التي اعتادوا ان يداووها بالمياه المعدنيَّة الاوربيَّة فلبَّى بعضهم دعوتهُ بعد اطلاعهم على تحليلهِ وما لبثوا ان تبيَّنوا نفعهُ واقرُّوا بمزاياه العلاجيَّة الظاهرة بل شكروا همة حبيب افندي على استلفات نظرهم الى هذه المياه الجديدة وشفعوا رسائلهم بشواهد على خواصها الطبيَّة وها نحن نقتطف منها ما يثبت فعلها العجيب. قال الدكتور عاد احد المتخرّجين في مكتبنا الطبيّ في تاريخ ٢٠ ت ١ من السنة الجارية :

« لمَّا تحدَّث الناس عن فوائد المياه التي عثر عليها حبيب افندي الرغزغي في اعالي فالوغا لاسيما الذين استعملوها لامراض المعدة والكبد والرمل الكلوي شاقني ان اتوجَّه بذاتي الى محلّ المياه وقد اصطحبتُ معي رفيقاً كان من مدَّة يشكو من حمض في معدتهِ فرغبت قبل وضعهِ تحت المعالجة القانونيَّة ان يستقي من تلك المياه. فلم يكن استغرابي قليلاً اذ وجدتهُ حصل على احسن نتيجة فانهُ ما شربهُ من ذاك الماء بحال وجودتا كان كافياً لازالة الحمض تماماً ولم يعد مذ ذاك الوقت يشعر بهِ مطلقاً . فطلبت من صاحبها ان يطلعني على صورة تحليلها الكيموي فاعجبتني كثيراً اذ وقفت عليهِ فاخذت من ثمَّ اشير على المرضى المصابين بمثل هذا الداء ان يستعملوا تلك المياه ففعلوا وتحسَّنت حالهم بمدَّة وجيزة . . . »

وشهد على طيب المياه ومنافعها الدكتور الياس الرامي خريج المكتب عينه كوصفه فقال في تاريخ ٢٦ ت ١ من السنة :

« ماء عين الصحة فضلاً عن منافعها الطبية العديدة نسبةً لتركيبها الكيماوي وحصولها على مواد معدنية نافعة فانها ماء باردة جداً لذيذة طيبة الطعم والمذاق تقبل بكل رغبة واوصافها هذه يمكن ان تجعلها افضل المياه المعدنية المعروفة التي باجمعها غير مقبولة لكراهة طعمها . وبجانب هذا الينبوع ينابيع عديدة لا تختلف كثيراً عن هذه من جهة تركيبها الكيماوي ومنافعها الطبية وهي كلها ايضاً بملك حبيب الزغزغي وفق الله ارباب الفن والمعارف وهداهم الى ما فيه خير الانسانية »

ومثلهما الدكتور ناصر حاتم كتب في تاريخ ٣٠ من الشهر والسنة :

« انني بمناسبة معالجتي بعض المرضى المصابين بضعف الهضم في معدهم وفي تضخم الكبد وبمرض الزلال قد وصفت لهم ان يشربوا من ماء عين الصحة خاصة الخواجا حبيب الزغزغي بقريتي حمانا وفالوغا وكل هؤلاء المرضى المصابين بالمرضين الاولين نالوا الشفاء التام واما المصابون بالاخير فقد تحسنت صحتهم تحسناً بيناً . فبناء عليه وحباً بالصالح العام نظراً لما ظهر من افادة الماء المذكورة اعطينا هذه الشهادة »

وكما شهد لهذه المياه بعض الاطباء لاختبارهم منافعها الصحية كذلك اراد الذين نالوا الشفاء بها او عاينوها في غيرهم ان يقرروا في ذلك شهاداتهم التي اطلعنا على كثير منها فلا يسمح ضيق المكان بايرادها لكننا نذكر من بعضها نتفاً الدلالة على نتائجها المحمودة فمن ذلك شهادة لحبيب افندي شاكر تيان نشرها في البشير (في ١١ آب سنة ١٩١١) فشرح هناك ما كان اصابهُ منذ حداثة سنه من الالم في ظهره والضعف في جسمه وهما يزيدان ذلك مع تقدمه في العمر فضلاً عن تغرره من الاطباء وادويتهم فتعالج بمياه عين الصحة فنال بعد عشرين يوماً العافية التامة . وكذلك اخبر عن زوال الحبوب التي كانت تؤلم كل عام في الصيف جسم ابنه وعمره عشر سنوات . واضاف الى ذلك شاهداً ثالثاً وهو شفاء المعلم بطرس اسكندر من حمانا المبتلى بمرض مزمن في المعدة لم ينجع فيه دواء بل تفاقم حتى احدث فيها الميخوليا وكان لا يطيق السكنى مع الناس ويعيش منفرداً او متجولاً في البراري فبعد ان تداوى مدة شهر بشرب مياه عين الصحة عادت اليه قوته وتعافى جسمه وانتظمت عيشته وهو اليوم يتعاطى اشغاله دون وجع البتة

فهذه النتائج الحسنة تنبئ بخواص الماء الشفائية لامراض شتى لكن فعلها اعظم في اوجاع المعدة والشواهد على ذلك وافرة

لشهدت رئيسة راهبات دير الراعي الصالح في حمانا بانها شفيت من المرض في معدتها بواسطة ماء عين الصحة بعد ان تطببت مدة طويلة بغيره من العلاجات دون فائدة فجعلت اليوم تدعو مياه فالوغا بالعين العجيبة

ونشر وديع افندي الرامي في جريدة لبنان في تاريخ ١٤ ك ٢ من السنة الجارية شهادة على شفاء غير واحد من المرضى بالمعدة بواسطة مياه عين فالوغا منهم والدته فقال:

« كانت والدتي مصابة بمرض الامتداد في معدتها حسب تشخيص الاطباء الذين عالجوها من مدة طويلة لا تقل عن عشر سنوات وهي لم تحصل على راحة حتى استحضرت لها كمية من مياه فالوغا المكتشفة في اواسط العام الماضي. فما استعملتها مدة قليلة حتى تحسنت حالة معدتها جداً وتوقفت عنها القيء وكل اعراض هذا المرض وحصلت على حالة من الراحة لم تحصل عليها مدة العشر السنوات السابقة بمداومتها على علاجات مختلفة ومتعددة من اطباء شهيرين فاقر بالامر احد الاطباء الذي تعاطى علاجها زمناً وقضى منه العجب »

وتحت نظرنا عشر رسائل اخرى بخطوط اصحابها من رجال ونساء تؤيد الشواهد السابقة على منفعة مياه عين الصحة لعلاج امراض المعدة فلا نرى حاجة الى تدوينها وكلها تكرر الامر نفسه ببعض اختلاف في ظروف الامكنة والاشخاص

وليست هذه المياه اقل نفعاً للامراض الخاصة بالمسالك البولية كالبول الزلالي كما شهد الدكتور الياس الرامي على هذا وقد شفي بها بعض الفتية المصاب بهذا الداء. وكان قبل ذلك ادرج السيد رشيد السبع في جريدة الاحوال في تاريخ ٣٠ أيار بامضائه هذه التقرير:

« أصبت بداء الزلال من مدة اربع سنوات وقد استعملت جميع الوسائط واخذت ادوية كثيرة وقد عالجني كبار اطباء البلدة فما شفيت من هذا المرض ومن مدة شهر تقريباً استعملت الماء التي تخص حبيب افندي الزغزغي فحصلت على افادة كثيرة وقد شفيت تماماً من هذا الزلال. وقد استعمل الماء ايضاً الشيخ علي الشاب فافاده فانصح كل من فيه مرض زلال ان يستعمل هذا الماء »

وكذلك البول السكري قال الدكتور الرامي انه سقى من هذا الماء رجلاً عنوا به فتوجه الى الشفاء بعد مدة.

وكتب نعوم افندي عبد الله ما نصه يذكر شفاءه من الحصاة الرملية (gravelle):

« أصبت بمرض الرمل منذ سنين عديدة كما يعرفه اصدقائي العديدون وكان كلما تحصل

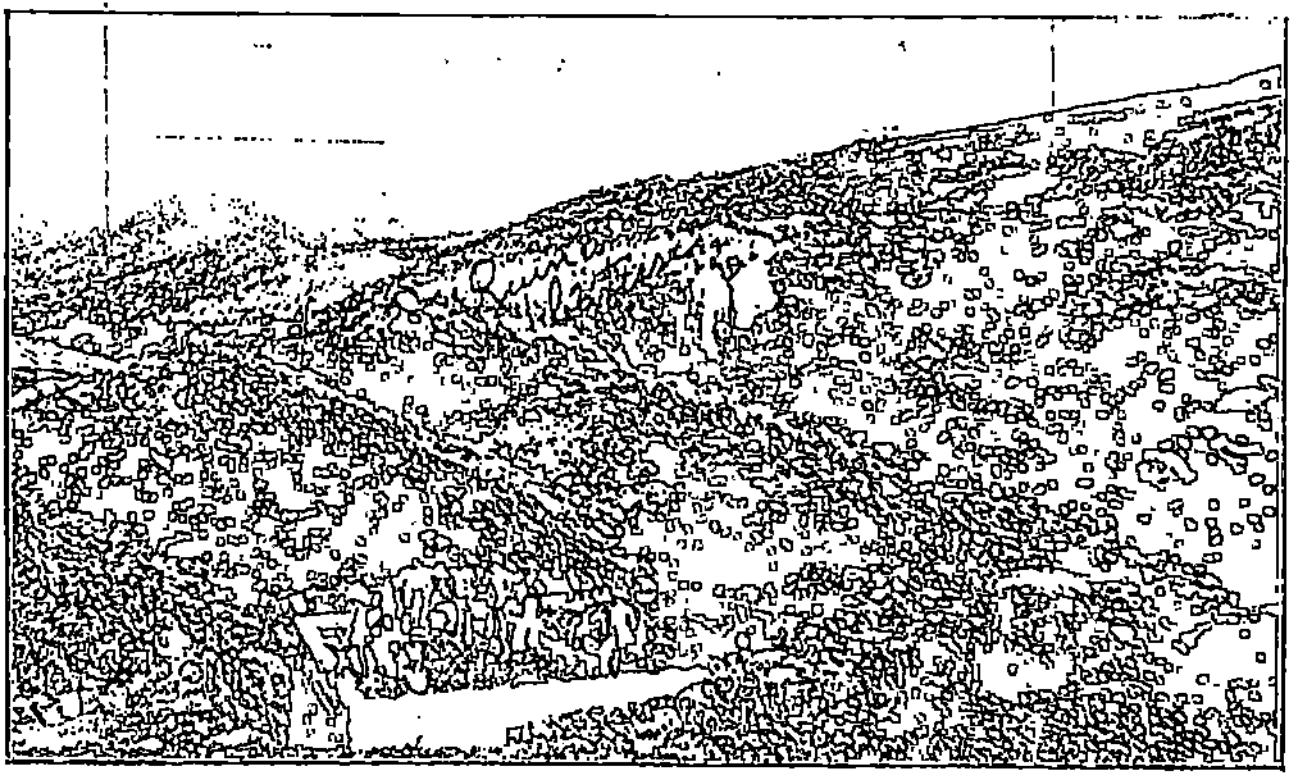

مقام عين الصحّة حيث وُجد القبر وقناة المياه وفوق العين بقايا الآثار القديمة

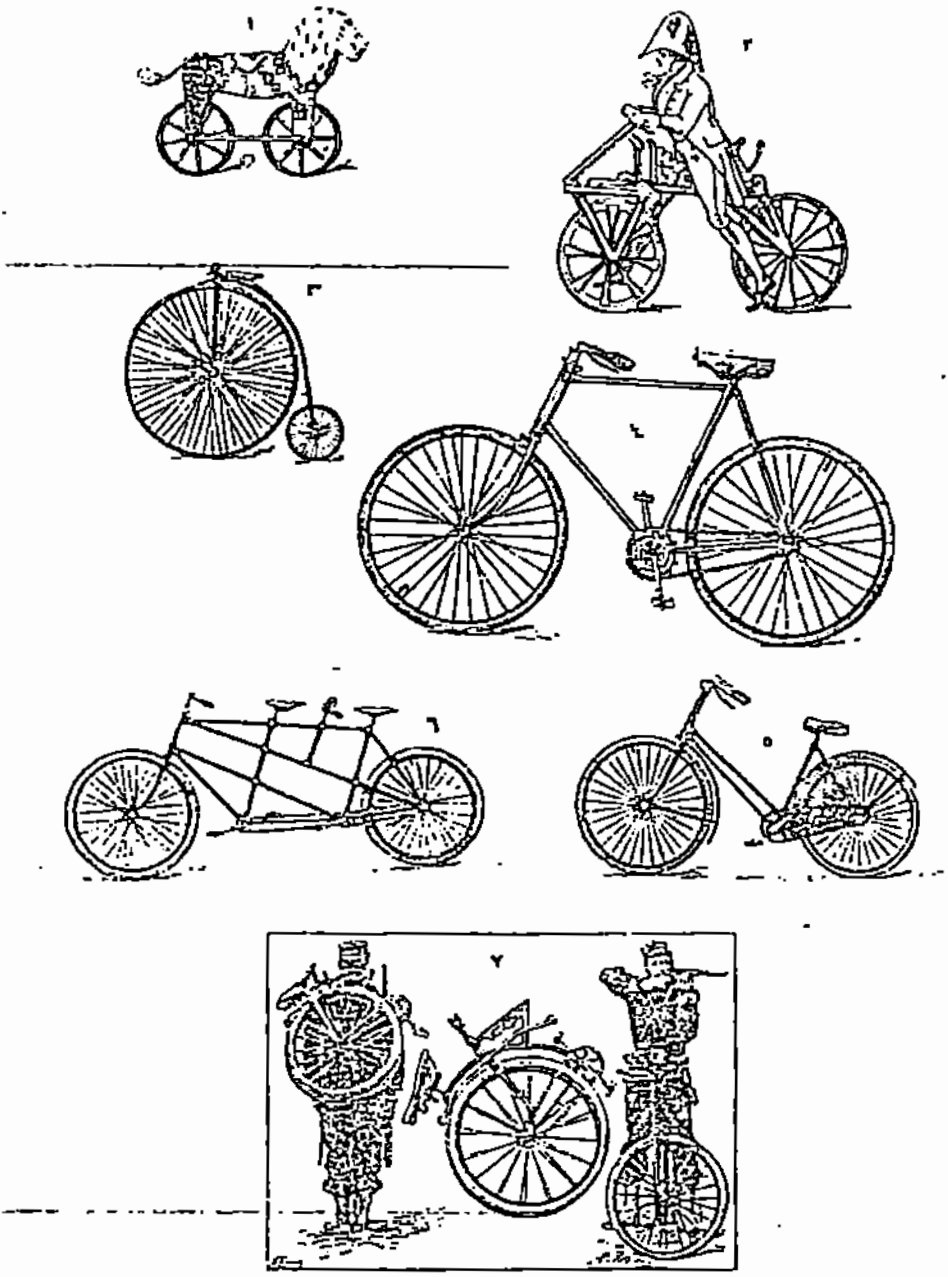

١ الدرّاجة المعروفة بالسيّار ٢ الدرّاجة المشيّة ٣ درّاجة العنكبوت
٤ الدرّاجة الحاليّة (بيكلت) ٥ درّاجة تركبها النساء ٦ درّاجة ذات مركبتين
٧ درّاجة عسكريّة للحرب

لي نوبة في الكلى ألازم الفراش عدَّة ايام مستعملاً كلَّ الادوية المسكنة التي تشير بها عليَّ الاطبَّاء فلمَّا بلغني خبر مياه فالوغا التي ظهرت في ملك الخواجا حبيب الزغزغي احضرتُ منها قوارير وشربتُ على شربها مدَّة ثلاثة اشهر والحمد لله قد نلتُ بها الشفاء التام فرحمةً بالانسانية وايضاحاً للواقع احببتُ نشر هذه الاسطر »

وكذلك قرأنا لاحد تجار البلدة المسيو ڤيبر (Weber) شهادةً تثبت توجُّه امرأتهِ الى الشفاء من الرمل بمياه فالوغا

وما يجدر بالذكر انَّ بعض المرضى شفوا بها من ضخم الكبد والنزلات الصدريَّة. منهم انيسا ظهرانه التي بعد ان التجأت « الى اطباء قانونيين او دجَّالين » كما قالت استعملت باشارة احدهم مياه عين فالوغا فشفيت بوقت قريب وتحقق الاطبَّاء شفاءها

وكذلك كتب مخائيل افندي نجيب في تاريخ ١٧ ك ٢ الاخير شهادة عن شفاء ابنهِ البالغ سبع سنين وكان أصيب بنزلة صدريَّة كاد يُقطع الامل من شفائهِ فشرب شيئاً من مياه عين الصحة فعادت اليهِ شهوة الطعام بعد ان كان انقطع عن الأكل وما لبث ان نال الصحة التامَّة حتى صار يأكل اضعاف ما كان يأكلهُ قبل مرضهِ

واخيراً فارس افندي منصور سليمان انهُ بعد ان ابتُلي بثقل ووجع في صدرهِ ومعدتهِ قويت وطأة الداء عليهِ حتى اصبح يبصق الدمَ وأيس ذووهُ من علاجهِ فتداوى بماء عين فالوغا فعُوفي تماماً بعد ثمانية أيَّام من مداومته على شربهِ

بل قرَّر الدكتور الرامي انهُ شفي من داء المفاصل او الروماتزم وجلاً عالجهُ بغير طرائق لم تنجع بهِ امَّا هذا الماء فابراه منهُ تماماً بشربهِ منهُ

فينتج من هذه الشواهد التي لا نرى داعياً لتوفيرها انَّ لمياه عين الصحة في فالوغا خواصَّ المياه التي اثبتها الاوربيُّون لمياه عيونهم المعدنيَّة الغازية وانَّ اخصَّ منافعهِ لعلاج امراض المعدة او ما لهُ علاقة معها فانهُ يدرّ البول وهو ملين واذا شُرب صباحاً قبل الأكل كان مسهلاً خفيفاً وكذلك ينفع في امراض الزلال والبول السكري والرمل وتضخُّم الكبد بل في النزلات الصدريَّة واوجاع المفاصل. وهذه لعمري فوائد تستحق الذكر وتوجب الشكر

على انَّا مع بيان ما ذكرنا عن مياه فالوغا وتعريف مميزاتها الحسنة لا بدَّ ان

نضيف هنا بعض الملحوظات التي من شأنها ان تحفظ لهذه المياه خواصها الصحيَّة وتزيد ثقة الجمهور بها فنقول:

انَّ الاوروبيين اذا وجدوا في بلادهم عيناً كهذه لسرعوا فاعتنوا بضبط ممرّها كما ترى في مياه فالوغا نفسها التي اتخذ الرومان لها القني والقساطل والاحواض فينبغي اذن على صاحبها ان يشيد لها بنياناً يصونها من كلّ ما يختلط بها من الاجسام الغريبة. ثم يجب ان تُتَّخذ لها احواض محكمة العمل تنظَّف من وقت الى آخر من كلّ الرسوبات ويُبعَد عنها الغبار والاوساخ وتُقفل بحيث لم تمسّها الايدي الّا بالنظافة التامّة ثم تُملا منها الآنية والقناني وتُجعل لها حمامات حسنة بحيث لا ينفذ اليها الهواء ولا تدخلها الجراثيم الآليَّة وغيرها وتُجعل لهذه الآنية علامات لئلّا يتقلّدها اصحاب المطامع

فيا حبذا لو كانت حكومة بلادنا تسهل لصاحب مياه عين الصحة طرائق استعمالها وترويج منافعها او تُعقد لذلك شركة قانونيَّة تستفيد من هذه المياه وتفيد بها ابناء الوطن والغرباء فيزيد الاقبال على الاصطياف في لبنان وتقل المهاجرة منهُ الى البلاد البعيدة وهم يجدون في جبلهم من اسباب الصحة والارباح ما يطلبونهُ في الاقطار النازحة ولعلّهم لا يصيبونهُ او ينالونهُ بعد شقّ النفس وتضحية صحة الجسم وشرف النفس

الانجيل الشريف

بحث نثري تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي (تتمة)

٧ موافقة الكتبة اليهود والوثنيين لشهادة الانجيليين

لسنا لنلتجئ الى شهادة الدّ اعداء النصرانيَّة لنتخذ كلامهم مصداقاً لحقيقة ديننا وهم الساعون جهدهم في الحطّ من قدره والفتك بتبعتهِ. لكن الحقيقة كثيراً ما تلجئ اشدَّ المبغضين الى الاقرار بالصدق بالرغم عنهم. فهؤلاء اليهود اذ رأوا عجائب المخلّص واعمالهُ لم ينكروها لكن الحسد والبغض والسياسة ورغبة الانتقام اعمت عيونهم ورتت على قلوبهم «فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون المجمع وقالوا:

ماذا نصنع فان هـذا الرجل يصنع آيات كثيرة وان تركناه هكذا آمن بهِ الجميع فيأتي الرومانيون ويستحوذون على ارضنا وامتنا. فقال لهم واحد منهم اسمهُ قيافا وكان رئيس الكهنة في تلك السنة: انكم لا تعرفون شيئاً ولا تعقلون أنهُ خير لكم ان يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (يوحنا ١١: ٤٧)

وفي مجموعة التقاليـد اليهوديَّة وشروح شريعتهم المسماة « التلموذ » قد اقرُّوا مصدقين بمعجزات المسيح والرسل لكنهم نسبوها تارةً الى قدرة الشيطان او السحر وتارة الى استعمال المسيح لاسم ذي الجلالـة « يهوه » الى غير ذلك من الظروف والتفاصيل التي ارادوا ان يشوهوا بها ترجمة يسوع الناصري فجاء قولهم دليلًا صادعاً على صحة الاناجيل. ولذلك ترى ترتليانوس يهتف بهم قائلًا: انكم ايهـا اليهود لا تنكرون ان المسيح عمل هذه المعجزات (الفصل ٩ من ردّهِ على اليهود)

ولنا في المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس شاهـد ممتاز بمعارفهِ وشهرتهِ. وُلد سنة ٣٧ للميلاد ومات سنة ٩٥ بعد ان تقلب في الوظائف والَّف كتابيهِ الجليلين في « العاديات اليهودية ». وفي « الحرب اليهودية » وقد جاءت تفاصيـل اخبارهِ مصداقاً لما نعرفهُ من الاناجيل وسائر اسفـار العهد الجديد فمن ذلك انهُ اثنى على قداسة يوحنَّا المعمدان وموته (عاديات ١٨: ٥: ٢) وذكر استشهـاد يعقوب نسيب السيّد المسيح المعروف باخي الرب (٢٠: ٩: ١) ولمَّا روى عصيـان اليهود على بيلاطوس البنطي ادَّى في المسيح شهادة اثبة هـذا تعريبها بالحرف عن الاصل (١٨: ٣: ٣):

« وكان في هذا الوقت (اي زمن هيرودس انتيباس) انسانٌ حكيم – لو صحَّ ان نلقبهُ انساناً – اسمهُ يسوع. وكان يصنع المعجزات الباهرة العديدة ويعلّم النـاس الراغبين في الحقيقة وقد اجتذب اليهِ عدداً عديداً من اليهود ومن الامم ابناً. هذا كان المسيح. وقد سعى بهِ زعماء طائفتنـا الى بيلاطوس فاماته على الصليب. لكن الذين تبعوهُ اولًا لم يكفُّوا عن حبّهِ. وقد ظهر لهم حياً في اليوم الثالث لموته كما سبق الانبيـاء الالهيون فتنبَّأوا بذلك وبامور اخرى عديدة في شأنهِ. ونسبةً اليهِ سُميت طائفة المسيحيين التي لا تزال الى هذا اليوم »

هذه شهادة يوسيفوس وقد اثبت النقدُ العلمي نصهـا بالحرف مدوَّناً في كل المخطوطات اليونانية ونقلهـا اوسابيوس المؤرخ المدقق في الربع الاوَّل من القرن

الرابع في كتابهِ المعنون باسم « اثبات الانجيل » (قسم ٣ فصل ٥) (١

على ان الكثيرين من المنتقدين يستغربون بعض كلمات وردت في الشهادة الآنف ذكرها كاقرار المؤلف اليهودي بحقيقة كون يسوع هو المسيح وبصفاته الالهية ويرون ان هذه الفاظ مدخولة . فهبْ اننا سلمنا بدعاهم مع وجودها في اقدم النسخ المخطوطة تحاشياً من البحث الطويل فاننا نجد مع ذلك للكاتب اقراراً واضحاً بعجائب يسوع . وهذا ما تحرّينا اثباته عن مصادقة اليهود لشهادة الانجيليين

ولم يضرب الكتبة الوثنيون صفحاً عن اخبار المسيح والمسيحيين . فهذا تاكيتوس (Tacite) المؤرخ الروماني الشهير والمعاصر للرسل ولتلاميذهم يذكر اضطهاد نيرون العاتي للمسيحيين (سنة ٦٤ للميلاد) وتمثيله فيهم . قال المؤرخ (٢ : « وقد دُعوا مسيحيين نسبةً الى المسيح الذي حكم عليهِ بيلاطوس البنطي بالموت في زمن طيباريوس . ورغماً عن المضايقة التي ضيّق بها على هذه الشيعة فقد انتشرت انتشاراً غريباً لا في اليهودية فقط حيث نشأت لكن حتى في رومية فجعل الحكّام يعاقبون من يقرّ بانهُ مسيحي وباشارة هؤلاء حُكم على جمهور عديد (multitudo ingens) لا لأنهم أحرقوا رومية لكن لانهم يبغضون الجنس البشري (odio generis humani-Annal. XV, 38. 44) . المراد بهذا البغض زهد النصارى باللذّات الحسية وانفتهم من الكفر والخلاعة التي ألفها الرومانيون (رسالة بولس الى الرومانيين فصل ١)

وبُعَيد هذا التاريخ في اواخر القرن الاول للميلاد بعث حاكم بيثينية بلينيوس (Pline : Epist. XCVII) برسالة الى القيصر طرايانوس يطلعهُ على انتشار الدين النصراني قال : « لا تجد مدينة ولا قصبة ولا قرية حقيرة لم يدخلها هذا المذهب حتى ان هياكل آلهتنا قد اضحت قفراً لا تُقدَّم عليها الذبائح . . . وقد القيتُ القبض على بعض الخادمات المدعوات شمّاسات وعذبتهنَّ فلم اجد فيهن سوى مُغالاة في العبادة . وهؤلاء المسيحيون يجتمعون في يوم خاصّ قبل الفجر ويرتّلون التسابيح للمسيح

---

١) اطلب مجموع آباء اليونان (Migne, PP. GG. XXII, 222)

٢) اطلب تاريخهُ (ك ١٥ العدد ٣٨ و ٤٤)

المهم ويتعاهدون لا على الجرائم لكن على ان لا يسرقوا ولا يختلسوا ولا يزنوا ولا يخونوا . . . »

ونضرب صفحاً عن غير ذلك من شهادات الاعصر التالية التي شهد بها المؤرخون الوثنيون لصدق الاناجيل من ذكرهم للظروف التاريخية او اقرارهم بعجائب المسيح وسعيهم في تفسيرها بقوة السحر او بعرضها على ما يزعمونهُ من قوى الطبيعة واسرارها . فانك تراهم غير ناكرين لحقيقة الحوادث لكنهم يجهدون في شرحها شرحاً يقرّبها من قوى الطبيعة كما عاد ففعل معاصرونا الاباحيُّون كما سترى

٨ تحقيق شهادة الانجيليين بتنصُّر اليهود والوثنيين

امر المسيح رسلهُ ان يذهبوا ويبشروا بما سمعوا ورأوا ويشهدوا لعجائبهِ وموتهِ وقيامتهِ ويتلمذوا لهُ الامم والشعوب وألّا يهابوا اضطهاداً ولا عذاباً ولا موتاً في اداء الشهادة . فقاموا باعباء هذه المهمّة احسن قيام ونشروا هذه التعاليم وشهدوا شهادة حقّ وماتوا اثباتاً لهذه الشهادة . ذلك كلُّهُ نعرفهُ من تاريخ السنين الاولى للدين النصراني نقلاً عن الآثار الباقية التي لا ينكر عاقل خطرها وصدقها

هؤلاء اليهود المتنصرون في اورشليم لا من الفلسطينيين والجليليين فقط لكن ايضاً « من الفرتيين والماديين والعيلاميين وسكّان ما بين النهرين واليهوديّة وكبادوكية وبنطس وآسية وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية عند القيروان والغرباء من رومية والكريتيين والعرب » (اعمال ٢ : ٩) وعددهم يربو على الثمانية الاف دخلوا في هذا الدين بعد سماعهم لشهادة بطرس ورفقتهِ . هؤلاء الوثنيون من يونان ورومان وسائر الامم المنتشرة في انحاء المعمور تركوا الشرك وحطّموا الاصنام وضحّوا كل عزيز واحتملوا كل المشقّات ودخلوا زرافات في الدين النصراني مزدرين بما اعدّه لهم المتعصبون من انواع العذاب والتمثيل والموت الاحمر جزاء ايمانهم بالمسيح . وكانوا يُحصَون بالالوف حتى اضحت هياكل الاوثان بلقعاً خاوياً من العبّاد والذبائح بينما كانت السجون تضيق على سعتها بالشهداء

فكيف دخلوا في هذا الدين ؟ من اين لهم هذا الايمان بالمسيح ؟ هل هجر الاسرائيلي دين آبائهِ وعبد يسوع الناصري ولم يطلب بيّنةً ولا حجّة تثبت انّ يسوع هو المسيح الرب الموعود ؟ هل كفر الوثني بامياله وسجد للمصلوب وخسر مالهُ

وعرّض اهلهُ وحياتهُ للمهالك عن جهل اعمى ولم يتحقّق حقيقة الدين الجديد الذي نشرهُ قوم غرباء سذّج ؟ هل ألجئوا الى ان يعتنقوا الدين النصراني كرهاً او تملّصاً من مكروه كما لو اضطرّوا ان يدفعوا الجزية صاغرين فرأوا في تنصّرهم وسيطة للنجاة من الذل والموت ؟ هل تركوا ديناً شاقاً عسراً ليعتنقوا ديناً سهلاً يسراً ؟ هل طلبوا في ذلك الرغائب العالمية او الذات الجسدية او المجد والثروة والحياة الهنيئة ؟

لا لعمري فقد كان ايمانهم سبباً لذلّهم وعذابهم وموتهم . فإن آمنوا وماتوا حبّاً بايمانهم فذلك نتيجة ما رأوا وسمعوا وتثبّتوا من البراهين الصادعة بحقيقة هذا الدين من تعليم المسيح وخوارقهِ وقيامتهِ . وليست هذه التعاليم وهذه الخوارق الّا ملخّص الاناجيل .

ولنا في اخبار حياتهم وتقارير استشهادهم الرسميّة وما حفظتهُ لنا الدياميس والمحابس من الآثار شهادة لمعتقدهم ونخب من اقوال المسيح وعجائبهِ وقيامتهِ كما عرفوها وآمنوا بها وماتوا دفاعاً عن حقيقتها

(الخلاصة) هذه ثمانية براهين لا ينكر علينا عالم او ناقد او فقيه خطرها وصحتها تثبت صدق الانجيليين في شهادتهم للمسيح وهي حجج مرتبطة سلسلتها ارتباطاً محكماً . فاذا تبصّر العاقل في مجموعها اقرّ معنا ان الانجيليين لم يخدعونا فهم منزّهون عن الكذب والتمويه والتزوير

وقد اقرّ لهم بذلك المنتقدون حتى الجاحدون في ايامنا وزكّوهم من كل خداع لكنهم لمّا كانوا لا يرضون بما يفوق الطبيعة فقد عمدوا الى آخر ملجأ وجدوهُ فقالوا : ان الرسل لم يخدعونا عمداً لكن ضلّوا فاضلّونا جهلاً

القسم الثاني

لم يُغشّ الرسل ولم يُخدَعوا

هذا الملجأ الاخير الذي لجأ اليهِ المعطلون والملحدون في عصرنا بعد ان اضطرّهم البحث والتحرّي الى الاقرار ببراءة الرسل من الخداع والغش . لمّا كانوا قد صمّموا القصد المتين على نكران الدين والوحي وكل ما يفوق قوى الطبيعة لم يبقَ لهم سوى هذا الاعتراض عذراً وتعللاً . قالوا : لم يغشّنا الرسل عمداً لكن جهلاً فقد خُدعوا هم

الاولون ولم يفهموا اسرار ما شاهدوا فنسبوا الى قدرة الهية ما كان الاحرى نسبتهُ الى المعارف والقوى الطبيعيَّة واعتبروا اعجوبة فائقة الطبيعة ما كان بالحقيقة امرًا بسيطًا

ومن ثمَّ ترى ان انكار هؤلاء الملحدين للحقيقة مصدرهُ ضلال فلسفي وعناد لا نقد علمي ولا بحث تاريخي كما سبق لنا التنبيه الى ذلك. ولكن دعنا نسعى في اثرهم ونبارزهم في معتصمهم هذا غير وهَّابين لان الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليهِ ؟

فمن ذا الذي اغوى الرسل واضلَّهم ؟ اخدعَهم سيِّدهم او خدعوا انفسهم

١ (لم يخدع المسيحُ رسلهُ) قالوا مع الالماني سملر (Semler) (١٧٢١—١٧٩١) ان معلِّمهم قد اضلَّهم واضلَّ المعاصرين لِما رأى من سذاجتهم وتعلُّقهم بشخصهِ وسرعة تصديقهم للخوارق. ولمَّا كانوا ينتظرون مسيحًا قديرًا بالعمل والكلام فمالَّا للمعجزات لم يأنف يسوع من ان يجاريهم على رغائبهم وآرائهم فادَّعى انهُ المسيح المنتظر فاعتبروا كلَّ عمل منهُ كاعجوبة حيث لم تكن اعجوبة

(جوابنا) ١ً ان نسبة الخداع الى يسوع المسيح لكلامٌ تنفر منهُ النفوس الابيَّة ولا يجرأ عليهِ الَّا من ختم الحمق والكفر على باصرتهِ وقلبهِ فاصبح لا يميِّز بين النور والظلام. فأين النفاق واين الغشّ من طباع ذاك المعلم السامي الذي لم يستطع الدُّ اعدائهِ ان يسموهُ باثم او نقيصةٍ ؟ فقد صنع كلَّ خير وصلاح ومرَّ في ظهرانيهم يبذر المعروف بالتعليم والتعزية وشفاء المرضى ورفع القلوب الى كل ما هو شريف وطاهر ومقدَّس. اين الخداع واين الغشّ من ذاك الذي اطرأهُ جهود الملحدين والمعطِّلين انفسهم فقالوا فيهِ كلَّ المدح والتمجيد وصرَّحوا بانهُ اشرف واطهر واقدس واسمى بشر. فجاء اطراؤهم نقصًا في اعيننا وضلالًا لانهم رأوا فيهِ بشرًا محضًا وهو اله معبود فلا نرضى لاسمهِ الَّا السجود وكل تكبير لهُ وتعظيم ما خلا السجود نعتبرهُ بخسًا في حقهِ وجحودًا. أيُعزى الكفر — وما الخداع في المسائل الدينيَّة الَّا كفرٌ بيِّن — أيُعزى الكفر لذاك الذي لولاه لكان العالم لا يزال في عهد الهمجيَّة ومهد الحضارة يتكعكع في ظلمات الوثنيَّة او الضلال المطبق. لا لعمري. عارٌ وشين ان يُنسب الخداع الى يسوع المسيح ولو كان المعترض ممَّن عميت بصيرتهُ وطبعت على صفحات قلبهِ سمات التجديف والحماقة

٢ً ثم يجب على المعترض ان يشرح لنا ما الذي حدا بالرسل والتلاميذ والشعب

الى التعلق بهذا المخادع. فقد كلفوا بحبهِ وضحّوا في سبيلهِ كل عزيز فهجروا المال والاهل والوطن والراحة وعرضوا ارواحهم لضروب البلايا والمحن شهادةً لهُ وحبًّا بهِ. ولا ينكر علينا المعترضون هذا وقد اتخذوهُ حجّة لمدعاهم ووسيطة لاثبات انخداع التلاميذ والشعب. بل قل لي وعاك الله ما الذي حبّب هذا المخادع الى قلوب الربوات وربوات الربوات من الفتية والفتيات والشبّان والكهول والرجال والنساء والعلماء والبسطاء والاغنياء والفقراء والملوك والعبيد فاجلّوهُ وعبدوهُ وسجدوا لهُ وكفروا بامبالهم النفسيّة وقدموا نفوسهم ضحايا ادبيّة بالعيشة المقدّسة او ضحايا دمويّة بحد السيف. أُخدع البشر ولم ينج من الخداع الّا سنلر وريتان وافراد ممّن انكروا الخالق وتألّهوا فعبدوا صلفهم او مالهم او جسدهم

٣ قال لاسمهِ المجود: ليس خفيٌّ الّا سيظهر ولا مكتوم الّا سيُعلن ويُشهر. فلا بدَّ ان تُكشف يوماً اسرار الصدور فتنجلي الحقائق وتبدو خفايا الخداع. هب ان المسيح تظاهر بشفاء مريض او اعمى او مخلّع او باقامة ميت ولم يكن ذلك الّا تمويهاً ونفاقاً فأوقع تلميذًا في شركهِ مخدوعاً مغشوشاً لكن لمّا كان الامر حسيًّا يمكن استثباتهُ بالعين والاذن واليد وسائر الحواسّ وكان علنيًّا على رؤوس الملإ لا في الخفية اضحى لا بدَّ من ان تنكشف يوماً الرغوة عن الصريح فتُعرف الحقيقة. فلا يخفى سرٌّ تجاوز لا الاثنين فقط لكن المئات والالوف. أيُعقل ان الالوف من الذين تظاهر السيد المسيح بشفائهم تواطئوا معهُ على الخداع؟ أيُعقل ان الاثني عشر رسولًا والسبعين تلميذًا والعدد العديد من الحضور كانوا ضحيّة الخداع الدائم لا دقيقةً او ساعة لكن ساعاتٍ وأيامًا واشهرًا وسنين فرأوا العميان يبصرون وهم لم يبصروا حقيقةً والعرج يمشون وهم لم يمشوا والبرص يطهرون وهم لم يطهروا والصم يسمعون وهم لم يسمعوا والموتى يقومون وهم لم يقوموا (متى ١١: ٥ ولوقا ٧: ٢٢) هذا لعمري اعجوبة اغرب من كل ما نقلهُ لنا الانجيل الطاهر عن عجائب المسيح

٢ (لم يخدع الرسل انفسهم) سُدَّ في وجه الملحدين الباب فلم يقرّوا بكبرتهم لكنهم اعادوا الكرّة فقالوا: «ان يسوع لأسمى من ان يُنسب اليه الخداع فلم يخدع الرسل لكنهم هم خدعوا انفسهم فكتبوا ما كتبوا صادقين وهو عين الحقيقة خلا المعجزات والخوارق التي ارادوا بها اثبات صفاتهِ الفائقة

الطبيعة وقدرته ولاهوته». قالوا مع ايشبورن (Eichborn) وبولس (Paulus) ورينان وغيرهم ان الشرقي من طبعه المغالاة في وصف ما تُصوّرهُ له مخيلتهُ الوقّادة ومياهُ التقيّة وشمسهُ الحارّة فهو شاعر اكثر منهُ مؤرخ واذا تحرّكت فيه عاطفة الشعور عظّم في رأسهِ الامور البسيطة وبالغ في وصفها وزاد عليها عن صدق سريرة وحدّة تصوُّر وهو لا يرى في ذلك كذباً ولا ضرّاً. وعليهِ فالعجائب المدّعاة حقيقيّة لكنها حوادث طبيعيّة بالغ الناقلون في نقلها والاشفية حقيقية ايضاً لكنها لا تتجاوز قوى الطبيعة

(نجيب): ١ً لقد حقّر الملحدون الشرقيين بلا داعٍ موجب. فهب ان الشرقيّ ذو مخيلة وقّادة وشعور ملتهب أيُحرم لذلك صفات المعرفة والادراك فلا يميّز بين الحقيقة والخيال وبين التاريخ ومنازع الشعر المختلق. لقد اذلّنا المعطّلون اكثر مما نستحق

٢ً ثمّ اين لواعج الشعور ودلائل المخيلة في الاسفار الانجيليّة؟ اين الوصف الشعري والمغالاة المحرّكة للعواطف؟. فبينما نرى قوماً من النحويين واللغويين يستخفّون بكتبنا لخلوّها من ضروب البيان والبديع التي عهدوها في القصائد والمسجعات اليونانيّة واللاتينيّة والعربيّة — وقد اخبر القديس اغسطينوس استحقارهُ لانشاء الكتاب المقدّس ايام كان يدرّس البيان قبل ان يستضيء بنور الايمان ويطهّر بماء المعموديّة — بينما نرى المتفطرسين بعلومهم والمتذين بشقشقة الالفاظ وتنسيقها ينفرون من بساطة الاسفار الالهيّة نرى هؤلاء المعترضين يعزون الى كتبنا نظم القريض واختلاق المعاني. كأني بالمعترض لم يطالع النصوص الانجيليّة حتى ولا فصلاً واحداً منها. فاذا كنتَ لا ترى في الانجيليين ونسقهم وانشائهم البسيط دلائل التاريخ الصادق العاري عن كل زخرفة وتصنّع فقلْ لي بحقك اين التاريخ وكيف يكون. امّا انا فاني اجد كتبةً آلوا على نفوسهم ان يكونوا شهودًا عدلًا لما رأوا وسمعوا بلا زيادة ولا نقصان فيذكرون اسمى التعاليم واعظم الحوادث بابسط الكلام وابعدهِ عن التكلّف والتنميق ولا يكشفون لنا عمّا خالط فؤادهم من العواطف لمرأها ومسمعها. لعمري ليست هذه صفات الشعراء والخياليين لكن سيماء الناقل الصادق والشاهد المحقق

٣ً من المحال ان تفصلَ بين سيرة المسيح الطبيعيَّة وبين معجزاتهِ الفائقة الطبيعة فترضى بالاولى مستندًا الى التاريخ وتنكر الثانية مستندًا الى التاريخ عينهِ. فانها كلها جوهرة واحدة لا تُقسم ولا تُجزَّأ. فامَّا ان تقبلها كما هي مقتنعاً بالحجج النقليَّة والنقديَّة التي قدمناها واما ان ترفضها بتاتاً معاندًا للحقّ. لكنك لا تستطيع قبول قسم لانهُ يروق لك وانكار قسمٍ آخر لانهُ يخالف آراءك. وذلك لانَّ المعجزات الفائقة الطبيعة تملأها من اوَّل صفحة الى آخر صفحة فاذا الغيتَ العجائب ابطلت ثلاثة ارباع النصّ الانجيلي واضحى الربع الاخير مسخاً لا يُعقل ولغزًا غامضاً لا يُحلّ. فانَّ يسوع الناصري قد ادَّعى النبوة والالوهيَّة وتحرَّى اثبات مدَّعاه بالخوارق والمعجزات فتتلمذ لهُ لرؤيتها عدد من معاصريهِ وآمن بهِ الكثيرون. فان ضربت صفحاً عن كل ما يفوق الطبيعة وحيتَهُ من انجيلك اذنبت لا الى التاريخ والنقد والعلم فقط لكن الى الادراك والتمييز ايضاً اذ وضعت معاولًا عجيباً بلا علَّة

٤ً وما هو بحقك هذا الدواء الشافي لسائر الامراض الذي ابتدعهُ يسوع وركب اجزاءهُ العجيبة فشفى بهِ العميان والصمّ والبرص والمخلَّعين وكل ذوي العاهات ؟ لا شكَّ ان عصرنا الراقي في معارج العلوم قد عرفهُ او اكتشفهُ بعد تسعة عشر قرناً فخفَّف بهِ وطأة الاوجاع عن بني البشر. لا لعمري فالطبّ ترقَّى على ما يُقال لكن البشر لا يزالون يئنُّون تحت عبء الامراض وليس من يطفئ جمرتها ويسكِّن آلامها وليس لهم اذا ما تقلبوا على سرير الوجع تعزية الَّا في ايمانهم اذا كانوا مؤمنين

والآن دعنا نتصفَّح شروح المعارض لما ورد في الانجيل من المعجزات فنعرضها على محكّ النقد بوجيز الكلام لان المجلدات الضخمة لا تفي بالموضوع

نستطيع ان نقسم معجزات المسيح الى خمسة اقسام: ١ً قدرتهُ على طرد الشياطين. ٢ً قدرتهُ على الطبيعة. ٣ً قدرتهُ على شفاء المرضى. ٤ً نبوآتهُ. ٥ً قدرتهُ على قيامة الموتى

اوَّلًا (طرد الشياطين) جاء مرارًا في الانجيل ان المسيح اخرج الشياطين من الاجساد (متى ٤: ٢٤ و٨: ١٦ ومرقس ١: ٣٩ ولوقا ٦: ١٨ و٧: ٢١ و٨: ٢ و١٣: ٣٢) وزاد بطرس هامة الرسل (اعمال ١٠: ٣٨) «ان يسوع اجتاز يُحسن الى

الناس ويبرئ كل من قهره ابليس » ولما كان المطلون ينكرون وجود الارواح فهم يفسّرون ما ورد في الاسفار الانجيليّة انها امراض عصبيّة وانواع من الهيستريا للمكن شفاؤها بالعلاج الطبيعي

(جوابنا) : ١ً انّ السبريتسم المنتشر في أيامنا انتشاراً مخيفاً ليس الّا استحضار الارواح الشريرة وهو من الامور التي لا ينكرهـا علماء عصرنا والتي اضطرّت الكثيرين منهم الى الاقرار بوجود الارواح

٢ً ان حقيقة المسّ الشيطاني لأمرٌ يثبتـهُ العهدان العتيق والحديث والآثار التاريخيّة القديمة والحديثة . اجل اننـا نسلّم بوقوع كثير من حوادث الهيستريا والهيبنوتسم لكننا لا نخلط بين النوعين

٣ً لشفاء الامراض العصبيّة لا بدّ من استهواء وتلقين وتنويم يقدر عليها العامل في ظروف معيّنة وربّما عجز عنها لاسباب كثيرة نحيل القارئ الى مطالعتهـا في المؤلفات الخاصة . امّا المسيح فانهُ لا يستعمل تلقيناً ولا تنويماً سوى كلمـة بسيطة : « اخرج ايها الشيطان » او ما شاكلها

٤ً لم يشفِ الايماز ولا الاستهواء ولا التنويم من الجنون المُطبق المائج كما فعل المسيح . ولم يُشفَ احد قطّ عن بعد من هذه الامراض كما شفى المسيح الابنة الكنعانيّة وغيرها

٥ً لم يخلط الانجيليون (ومنهم الطبيب لوقا) بين المسّ الشيطاني والامراض الطبيعيّة فقد ذكروا عدداً من المصابين بالاعراض المشابهة وميزوا بين هذه وتلك

ثانياً (قدرة المسيح على الطبيعة) نختار بعض هذه الخوارق ونبيّن بطلان مدّعى المطلين وعجزهم عن شرحها بنوع طبيعي

١ً (تحويل المخلص الماء الى خمر في قانا الجليل) (يوحنا ٢ : ١) ذهب بولوس (Paulus) الالماني وريتان وويس (Weiss) ان المسيح اتّفق مع بائع احضر خمراً سرّاً عند الحاجة . (نجيب) : ولكنّ المخبر يوحنّا كان حاضراً والرسل الحاضرون آمنوا بالمسيح لمرآها . قال يوحنا : « هذه الآية الاولى صنعها يسوع في قانا الجليـل واظهر مجده فآمن بهِ تلاميذه » . فقول الملحدين يخالف النصّ الصريح ولا يفسّرهُ البتة . ثم هذا خداع وقد اقرّوا ان المسيح لاسمى من ان يُعزى اليهِ هذا الكفر

٢ً (الصيد العجائبي) (لوقا ٥ : ١ ويوحنا ٢١ : ١) ادَّعى بعضهم ان المسيح عرف عملًا في البحيرة كثير السمك فارشد الرسل اليه. (نجيب): لكنهم اعرفُ من المسيح في مهنتهم وقد قضوا العمر يصطادون على البحيرة. ثم ان هاتين الاعجوبتين كانتا سبباً لتملُّق الرسل بالمخلص. قال لوقا انهم انذهلوا فخرَّ بطرس على اقدام يسوع قائلًا: اخرج عني يا ربّ فاني رجل خاطئ. وترك الرسل كلَّ شيء وتبعوا يسوع. فلو لم يكن هناك امرٌ عجيب لما تركوا مالهم واهلهم وتتلمذوا له

٣ً (تكثير الخبز واطعام الشعب في البرّية) (متى ١٤ : ١٥ و١٥ : ٣٢ ومرقس ٦ : ٣٤ و٨ : ١ ولوقا ٩ : ١٢ ويوحنا ٦ : ٥) زعم المعارضون ان يسوع احضر سرًّا ما يحتاج اليه الشعب او انهُ كان مع الكثيرين زوَّادة كافية

(نجيب): ١ً كيف احضر سرًّا ما يكفي خمسة آلاف رجل في المرَّة الاولى ولاربعة الاف في الثانية خلا النساء والصبيان وفضل في الدفعة الاولى من الكسر اثنتا عشرة قفَّة مملوءة وفي الثانية سبع قفاف واخفى الامر على الرسل والشعب؟ ونجيب ٢ً ان الاعجوبة اثَّرت في الشعب الذين شاهدوها فاراد الجمهور ان يختطفوهُ ويقيموهُ ملكاً فانصرف الى الجبل وحدهُ (يوحنَّا ٦ : ١٥)

٤ً (سكون العاصفة ومشي المسيح على الماء) (متى ٨ : ٢٤ و١٤ : ٢٣ ومرقس ٤ : ٣٥ و٦ : ٤٧ ويوحنا ٦ : ١٦) لم يتفق الملحدون في تأويلاتهم قالوا: رأى يسوع علامات الهدوء القريب. وكيف لم يرها الرسل؟. قالوا: مشى بالقرب من البحر. ولكن كيف وصل الى المركب في وسط البحيرة وكيف غرق بطرس وقد عيَّن المؤرخون الانجيليون بُعدهم عن الشاطئ وساعة حدوث الاعجوبة التي رأوها بعيونهم

٥ً (تجلي المسيح) (متى ١٧ : ١ ومرقس ٩ : ١ ولوقا ٩ : ٢٨ ورسالة بطرس الثانية ١ : ١٧ ويوحنا ١ : ١٤) ادَّعوا ان الرسل حلموا حلماً. ولكن كيف يحلم الثلاثة حلماً واحداً ويظنُّونهُ حقيقة ويؤكدونهُ؟ ان ذلك لغاية في الغرابة

وقس عليه سائر الشروح الغريبة التي اتحفنا بها الرواة الخياليون الملحدون. حتى انَّ المعطِّل ستروس (Strauss) اقرَّ باستحالتها قائلًا (١ : « ان هذه التفاسير لهي

١) وهذا قولهُ بالحرف الواحد: Productions monstrueuses d'un système qui remanie l'histoire sans frein ni règle. »

اختراعات غريبة سندوها الى مبدأ يبذل في التاويخ ما شاء بلا حدّ ولا قاعدة »

ثالثاً (شفاء المرضى) ان عدد المرضى الذين شفاهم يسوع لاكثر من ان يُحصى فكثيراً ما كرّر الانجيليون انهُ شفى ذوي العاهات الذين عُرضوا عليهِ دون ان يذكروا عددهم ولا جنس اسقامهم لكنهم وصفوا بعضها وهي كما يلي: —

١ً (البُرص) (متى ٨: ١ ومرقس ١: ٤٠ ولوقا ٥: ١٢ و١٧: ١٢) كلٌّ يعلم ان البَرَص مرض عضال سببهُ ميكروب خاصّ يدخل في النسيج العضوي. وشفاؤهُ مُحال — وقد شفاهم يسوع بكلمة او بمجرّد لمس يدهِ المباركة.

٢ً (المُخلَّعون) (متى ٨: ٥ و٩: ١ ومرقس ٢: ٤ ولوقا ٥: ١٨ و٧: ٢ ويوحنا ٥: ١) التخلّع او الخبل مرض عصبي عُضال يكاد لا يُشفى — وقد شفاه المسيح بقولهِ: « قم احمل سريرك واذهب الى بيتك »

٣ً (العميان) (متى ٩: ٢٧ و٢٠: ٢٩ ومرقس ٨: ٢٢ و١٠: ٤٦ ولوقا ١٨: ٣٥ ويوحنا ٩) شفاهم يسوع حالاً بمجرّد اللمس وكان منهم واحد مولوداً اعمى وكل يعرف ان شفاء العمى نادر جداً او مستحيل لا سيما العمى منذ الولادة الذي شفاهُ يسوع بعد ان طلى عينيهِ بالطين (يوحنا ف ٩)

وخلا هؤلاء شفى يسوع اصمّ اخرس (مرقس ٧: ٣٢) والمرأة ذات نزيف الدم الزمن (متى ٩: ٢ ومرقس ٥: ٢٥ ولوقا ٨: ٤٣) والرجل اليابس اليد (متى ١٢: ١٠ ومرقس ٣: ١ ولوقا ٦: ٦) وردَّ اذن ملكوس المقطوعة (لوقا ٢٢: ٥٠) الخ

وقد اعطى تلاميذهُ القدرة على شفاء الامراض واخراج الشياطين فعملوا باسمهِ العجائب (لوقا ١٠: ١٧ ومتى ٧: ٢٢ ومرقس ٩: ٣٧ الخ) فخصّ بالذكر الرجل الاعرج الكسيح من بطن امّهِ الذي اقامهُ بطرس برأي من الشعب كله (اعمال ٣)

فما قول الملحدين؟ انهم استفرغوا المجهود ليؤوّلوها كامور طبيعيّة ولكن قد خاب سعيهم. قال رينان: « ان وجود شخص ممتاز يعامل المريض بوداعة ويؤكد لهُ الشفاء لهو دواء ناجع. مَن يجرأ ان ينكر ان قُرب شخص عزيز لهو في كثير من الامراض — خلا الجروح البليغة — افضل من الادوية الصيدليّات » (سيرة يسوع ص ٢٠٧). وقال هرناك: « ان كثيراً من هذه الحوادث لا يمكننا شرحها وذلك لاننا نجهل قوى الطبيعة وتأثير بعضها على بعض »

هذا كلُّ ما توصَّل الى استنباطهِ العالمان الجاحدان الافرنسي والالماني. وهي لعمري حجَّة اوهى من نسيج العنكبوت. فاين ومتى كان وجود شخص عزيز دواء لامراض عضالة كالتي ذكرناها . لقد يؤثر الطبيب النطاسي في بعض الامراض العصبيَّة او يخفِّف برقة كلامهِ بعض الآلام مدة دقائق قليلة لكنهُ لا يشفي بذلك البرص والعمي والصمَّ والتخلع ؟

ثم ما الحاجة الى معرفة قوى الطبيعة باسرها قبل الحكم ونحن نعرف ان هذه الامراض لم تشفَ طبعاً بكلمة ولن تشفى والَّا لما كان للمعلول علَّة

قالوا: ان قوى الايعاز والاستهواء (suggestion) في الطب غريبة عجيبة. نردّ عليهم بمبادئ العلم العصري فاصلين بين الامراض العضليَّة التي لا يؤثر فيها الاستهواء وبين الامراض العصبيَّة المحضة التي يؤثر فيها نوعاً. فهذه لا بدَّ لها من التنويم ومن رضى المريض ومن قربهِ من العامل ومن استعداده العصبي القابل التنويم الى غير ذلك من الشروط. ومن ثم نقول: ١ً ان البرَص والعمى الخ من الامراض العضليَّة التي يمتنع شفاؤها على الاستهواء والتنويم — ٢ً لم يستعمل يسوع التنويم بشفاء المرضى. ٣ً لا نرى فيهم الشروط التي يصفها العلماء لشفاء الامراض العصبيَّة . فليسوا من المصابين بالامراض العصبيَّة التي نراها في ايامنا (nevrosés, nevropathes) بل كانوا بسطاء فلاحين او فقراء متسوّلين لا سيّدات مترفهات تغلبت عليهنَّ المخيلة ولا بنات متهيجات بالهيستريا — ٤ً لا يشفي الاستهواء الَّا الامراض التي يمكنهُ ان يسببها ومن ثم فلا يشفي المولود الاعمى مثلاً او الاعرج — ٥ً ان عدداً من هؤلاء قد شفوا عن بُعد ولم يقابلهم المسيح

رابعاً (نبوات المسيح) كان المسيح يعرف اسرار القلوب فلا تخفى عليهِ خافية وقد تنبأ عن امور جمَّة اثبتها الحادث كما سبق ووصفنا

قد تنبأ عن آلامهِ وموتهِ وقيامتهِ بتفاصيلها وظروفها — وتنبأ عن الكنيسة التي اسسها انها لن تقوى عليها ابواب الجحيم — وعن ايمان العالم بهِ — وعن مستقبل الرسل والتلامذة — وعن اعدائهِ ووطنهِ — وعن خراب الهيكل واورشليم الخ. فما قول المعطلين ؟ ليس لهم الَّا انكران تاريخ كتابة الاسفار الانجيليَّة والَّا اضطرُّوا الى الاقرار بحقيقة النبوة لا سيما بشأن خراب اورشليم. لكننا قد اثبتنا في الباب

الاوّل من هذه الدروس ان الاناجيل كتبها رسولان ورسوليان في السنين الاولى. وقد انتشر انجيل متى ومرقس ولوقا قبل السنة السبعين للميلاد اي قبل خراب اورشليم وهذا حسبنا الآن

خامساً (اقامة الموتى) ذكر الانجيل اقامة المسيح لابنة الرئيس ولابن الارملة وللعازر (متى ٩: ١٨ ومرقس ٥: ٢١ ولوقا ٧: ١١ و٨: ٤١ ويوحنا ١١). فما قول الملحدين ? ينكرونها او يؤولونها كانها رموز خياليّة وهي بالحقيقة حوادث تاريخيّة ذكر الكتبة ظروفها المكانيّة والزمانيّة واشتهارها بين الشعب حتى ان قيامة لعازر كانت السبب القاضي بالقاء القبض العاجل على يسوع حسداً وبغضاً (يوحنا ١١: ٤٧ و١٢: ٩ و١٧). قالوا ان الابنة قد أغمي عليها. ولكن كيف نقول انها مغمى عليها ونرى اباها يبكي على موتها والاقارب والمعارف يندبونها. وهل يا ترى أغمي ايضاً على ابن الارملة المحمول الى القبر. وهل أغمي على لعازر بعد ان مرّت عليه اربعة أيام مدفوناً حتى انتن. لعمري ان تاويلات كهذه لهي بالحقيقة شهادة صادقة على ان العقول العائدة للحق قد يُغشى على بصائرها فلا تميز بين النور والضلال او ان لها اذاناً ولا تسمع وعيوناً ولا ترى ونضرب الآن صفحاً عن قيامة المسيح من الموت لاننا سنفرد لها باباً على حدة ان شاء الله

الخاتمة

لقد انجزنا مقالتنا هذه الاساسيّة في الانجيل الشريف واثبتنا بالبرهان التاريخي والنقدي الذي لا يجوز لعاقل انكاره ان الاسفار الاربعة تُعزى بالحقيقة الى اصحابها الموسومة باسمائهم الجليلة وانها بريئة من كل تحريف وتزييف وان شهادة كتبتها شهادة صادقة لا يشوبها خداع ولا ضلال ومن ثم موجبة للاقناع. وقد تحرينا في كل ما سبق الاستناد على الحجج العلميّة المحضة بمعزل عن الوحي لتشمل الفائدةُ المؤمن فيثبت في ايمانه وتبهر غير المؤمن فيرعوي عن الضلال ويرضى بنور الدين النصراني القويم. هداهُ الله الى الحق امين

كتاب
طبقات الامم

سعى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

وفي زماننا هذا افراد من الاحداث متندّبون بعلم الفلسفة ذوو افهام صحيحة رفيعة قد أحرزوا من اجزائها. فمنهم من سكّان طليطلة وجيانها ابو الحسن علي بن خلف بن احمر وابو اسحق ابرهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال (١ وابو مروان عبد الله بن خلف الاستجي (كذا). وابو جعفر احمد بن يوسف بن غالب التهلاكي. وعيسى بن احمد بن العالم. وابرهيم بن سعيد السهلي الاصطرلابي

ومنهم من اهل سرقُسطة الحاجب ابو عامر ابن الامير المقتدر بالله احمد بن سليمان بن الهود الجذامي. وابو جعفر احمد بن جوشن بن عبد العزيز بن جوشن

ومنهم من اهل بَلَنْسية ابو زيد عبد الرحمن بن سيد

وابرع هؤلاء في الهندسة علي بن احمر العيدلاني وابو جعفر احمد بن جوشن واعلمهم بحركات النجوم وهيئة الافلاك ابو اسحق ابرهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال (١ فانهُ ابصرُ اهل زماننا بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك وحساب حركاتها واعلمهم بعلم الازياج واستنباط الآلات النجومية. واما ابو عامر ابن الامير ابن هود فهو مع مشاركتهِ لهؤلاء في العلم الرياضي منفردٌ دونهم بعلم المنطق والعناية بالعلم الطبيعيّ والعلم الالهيّ

وممن اعتنى (68) بصناعة المنطق خاصّة من سائر الفلسفة ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن مَعدان بن سفين بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن ابي سفين بن حرب بن اميّة بن عبد شمس القرشي (٢ اصل

---

١) اطلب ابن القفطي (حك ٥٧) وذكر هناك سبب تسميتهِ بولد الزرقيال لوضعهِ صحيفة لرصد الكواكب تدعى بالزرقلة راجع كشف الظنون للحاج خليفة (٣: ٤٠٧) وقد شاعت هذه الآلة عند فرنج القرون الوسطى فدعوها (Arzakhel)

٢) هذا الفصل رواهُ بالحرف ابن القفطي (حك ٢٢٢) وقد اختصر النسب ورواهُ كذلك محيي الدين المراكشي (مر) في تلخيص اخبار المغرب (ص ٢٢)

ابائهِ من قرية [منت نشيم (؟) من اقليم (١ الزاوية (٢ من عمل اوله (؟) من كورة لبْلة (Niebla) من غرب الاندلس وسكن هو وآباؤهُ قرطبة ونالوا فيها جاهاً عريضاً فكان ابوهُ ابو عمرو احمد بن سعيد بن حزم احد العظماء من وزراء [المنصور محمّد بن عبد الله بن ابي عامر ووزر (٣ لابنهِ المظفّر بعدهُ وكانا المدبّرين لدولتها

وكان ابنهُ الفقيه ابو محمّد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبّار ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله ثمّ نبذ هذه الطريقة واقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فعُني بعلم المنطق والّف فيهِ كتاباً سمّاه التقريب لحدود المنطق بسط فيهِ القول على تبيين طرق المعارف واستعمل فيهِ مثلًا (٤ فقهية وجوامع شرعيّة وخالف ارسطاطاليس واضع هذا العلم في بعض اصولهِ مخالفةً مَن لم يفهم غرضهُ ولا ارتاض في كتابهِ فكتابهُ من اجل هذا كثير الغلط بيّن السقط واوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينلهُ احد قطّ بالاندلس قبلهُ وصنّف في مصنّفات كثيرة العدد شريفة المقصد معظمها في اصول الفقه وفروعهِ على مذهبهِ الذي ينتحلهُ [وطريقه الذي يسلكهُ (٥ وهو مذهب داود بن علي بن خلف الاصبهاني ومَنْ قال بقولهِ من اهل الظاهر [ونُفاة القياس والتعليل (٥ . ولقد اخبرني ابنهُ الفضل المكنّى ابا رافع (٦ ان مبلغ مؤلفاتهِ (٧ في الفقه والحديث والاصول والنِحَل والمِلَل وغير ذلك من التاريخ (٨ والنسب وكتب الادب والردّ على المعارضين نحو اربعمائة مجلد تشمل على قريب من ثمانين الف ورقة (٩ وهذا شيء ما علمناه في احد ممّن كان في دولة الاسلام قبله الّا لابي جعفر بن جرير الطبريّ فانهُ اكثر اهل الاسلام تأليفاً . ذكر ابو محمّد عبد الله بن محمّد بن جعفر الفرغاني في كتابهِ في التاريخ المعروف بالصلة وهو الذي وصل بهِ تاريخ ابي جعفر الطبريّ الكبير ان

---

١) حك : من قرية اقليم (؟) . س : من قرية من اقليم لبلة

٢) حك : الراوية . وهو غلط ٣) هذه الجملة ذهل عنها الناسخ نقلناها عن حك

٤) روى حك : « امثلة » وفي الذيل « مثلًا » ٥) لم يروِ حك هذه العبارة

٦) حك : وذكر ابنهُ ابو رافع . س : بلغني عن غير واحد . فترى ان ابن القفطي والمرّاكشي ينقلان كل ذلك عن صاعد ولم يذكراهُ سامحهما الله ٧) حك : تواليف ابيهِ ابي محمّد هذا

٨) حك : والتاريخ والنحل والملل ٩) لم يروِ حك من بقيّة الترجمة الّا ختامها . امّا المراكشي فراها بتمامها

قوماً من تلاميذ ابي جعفر احصوا (١ ايام حياته مذ بلغ الحلم الى ان توفي في سنة عشر (69) وثلثمائة (٩٢٢ م) وهو ابن ست وثمانين سنة فصار منها لكلّ يوم اربع عشرة ورقة وهذا لا يتهيأ لمخلوق الّا بكريم عناية البارئ بهِ وحسن تأييدهِ. ولابي محمّد بن حزم بعدها تصنيف وافر في علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة (٢ وكتب اليَّ بخطّ يدهِ انهُ ولد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس آخر يوم من شهر رمضان من سنة اربع وثمانين وثلثمائة (٩٩٤ م) وتوفي رحمهُ الله بسلخ شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة (١٠٦٤ م)

ومنهم ابو الحسن علي بن اسمعيل بن سيده (٣ الاعمى وكان ابوهُ ايضاً اعمى عُني بعلوم المنطق عناية طويلة والّف فيها تأليفاً كبيراً مبسوطاً ذهب فيهِ الى مذهب متّى بن يونس. وهو بعد هذا اعلم اهل الاندلس قاطبةً بالنحو واللغة والاشعار واحفظهم لذلك حتى انهُ يستظهر كثيراً من المصنّفات فيها كالغريب المصنّف (٤ واصلاح المنطق ولهُ في اللغة تواليف جليلة منها كتاب المحكم والمحيط الاعظم (٥ مرتّب على حروف المعجم ومنها كتاب المخصص مرتب على الابواب كغريب المصنف ومنها شرح اصلاح المنطق وشرح كتاب الحماسة وغير ذلك وتوفي رحمهُ الله سنة ثمان وخمسين واربعمائة (١٠٦٦ م) وقد بلغ ستين سنة او نحوها. فهؤلاء مشاهير اهل البرهان من علماء الاندلس.

واما العلم الطبيعي والعلم الالهي فلم يُعنَ احد من اهل الاندلس بهما كبير عناية ولا اعلم ممّن عُني بهما الّا عبد الله محمّد بن عبد الله بن حامد المعروف بابن النبّاش التجاني (٦ وسيأتي ذكره في الاطبّاء الّا ابا عامر بن الامير بن هود وابا الفضل ابن الفضل بن جسداي (٧ الاسرائيلي

١) في الاصل: خطوا وهو تصحيف. مر: لخّصوا ٢) حك: والخطابة

٣) هو ابن سيده اللغويّ الشهير الذي طُبع حديثاً في مصر كتابهُ الجليل المعروف بالمخصص (اطلب ترجمتهُ في وفيات الاعيان لابن خلّكان ص ٤٧٤). وفي الاصل روى ابن سده بالغلط ٤) لعلّهُ يريد كتاب غريب المصنّف لابي عُبيد الذي نشر منهُ قسماً وهو كتاب الابل حضرة الاب يوسف اليسوعي في مجموع آثار مكتبنا الشرقي

٥) اطلب وصف هذا الكتاب الجليل في الحاج خليفة (٥: ٤٢٧)

٦) وفي صب: البيجاني وهو الصواب ٧) كذا والصواب حسداي بالحاء

واما صناعة الطب فلم يكن بالاندلس من استوعبها ولا لحق باحد المتقدّمين فيها وانما كان غرض اكثرهم من علم الطبّ قراءة الكنانيس (١ المؤلفة في فروعهِ فقط دون الكتب المصنَّفة في اصولهِ مثل كتاب ابقراط وجالينوس وليستعجلوا بذلك ثمرة الصناعة ويستفيدوا بهِ خدمة الاملاك في اقرب مدّة الّا افرادًا منهم رغبوا عن هذا الغرض وطلبوا الصناعة نواتها (٢ وقرأوا كتبها على مراتبها . فاول من اشتهر بالطبّ بالاندلس احمد بن (70) اياس (٣ من اهل قرطبة وذوي الاصول والمكاسب الخطيرة بها كان في أيام الامير محمّد بن عبد الرحمن الاوسط وكان الناس أقبلهم يقولون (٤ في الطبّ على قوم من النصارى لم يكن عندهم تحقّق بهِ ولا بشيء من سائر العلوم وانما كانوا يقولون على كتاب بايديهم من كتب النصارى يقال لهُ الابرشيم (٥ وتفسيرهُ الجامع والمجموع

وورد ايضاً في أيام الامير محمّد بن عبدالله الاوسط رجل من اهل حرّان (٦ كان يُعرف بالاندلس بالحراني لم يبلغني اسمهُ كانت عندهُ مجرّبات حسان في الطبّ واشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها . ثم كان بعد هذين ومن كان معاصرهما ممّن لم يشتهر يحيى بن اسحق (٧ احد وزراء عبد الرحمن الناصر لدين الله في صدر دولته كان ابوه اسحق نصرانيًا طبيبًا مجرّبًا صانعًا بيدهِ في أيام الامير عبدالله الناصر وولّاهُ الولايات الجليلة وهو مسلم ونال عنده حظوة . والف في الطبّ كناشًا يشتمل على خمسة اسفار ذهب فيهِ مذهب الروم . وسعيد بن عبد الرحمن (٨ بن محمّد بن عبد ربّهِ (٩ بن حبيب بن محمّد بن سالم مولى الامير هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل

١) والصواب : الكنانيش جمع كنّاش وهو بالسريانيّة المجموع الطبي خاصّة
٢) كذا . ولعلّ الصواب : لِذاتها
٣) هذا الاسم غير واضح في الاصل
٤) لعلّ الصواب : قبلهُ يقرأون
٥) كذا في الاصل والغالب انهُ مصحّف
٦) نقل هذا ابن ابي اصيبعة (٢ : ٤٣) واضاف اليهِ حكاية عن ابن جلجل
٧) اطلب صب (٢ : ٤٣)
٨) اطلب صب (٢ : ٤٤) وقد نقل كل هذه الترجمة عن صاعد
٩) كذا روى صب . وفي الاصل : عبد الله

وهو ابن اخي احمد بن محمّد بن عبد ربّهِ الشاعر صاحب العقد كان طبيباً نبيلًا (١ وشاعراً مُحسناً ولهُ في الطبّ وجز (٢ جليل محتوٍ على جملة حسنة منهُ دلَّ بهِ على تمكُّنهِ في العلم وتحقّقهِ مذاهب القدماء. وكان لهُ مع ذلك بصرٌ بحركات الكواكب ومهابّ الرياح وتغيير الاهوية. وذكر عنهُ انّهُ فُصد يوماً فبعث الى عمهِ احمد بن محمّد ابن عبد ربهِ الشاعر الاديب راغباً اليهِ في ان يجوز عندهُ مؤنساً لهُ (٣ فلم يجبهُ عمُّهُ الى ذلك فكتب اليهِ:

لمّا عدمتُ مؤنساً وجليسا نادمتُ بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كُتْبهما شِفاء تفرُّدي وهما الشفاء لكل جرحٍ يُومى (٤

فلمّا وصل البيتان الى عمه اجابه بابيات منها:

الفيتَ بقراطاً وجالينوسا لا يأكلانِ ويُرزقانِ جليسا
فجعلتَهم دون الاقارب جنّة (٥ ورضيتَ منهما (٦ صاحباً وانيسا
واظنُّ بخلك لا يُرى لك تاركاً حتى تُنادم بعدهم ابليسا

وكان سعيد بن محمد هذا جميل المذهب منقبضاً عن الملوك وهو القائل في آخر عمره:

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق وطول انبساطي في مذاهب (٧ خالقي
وفي حين إشرافي على ملكوتهِ ارى طالبا رزقاً الى غير رازقي (71)
فايّام عمر المرء شدّةُ ساعة تمرُّ (٨ سريعاً مثل لمة بارقِ
وقد اذنتْ نفسي بتقويض دَحْلها وأسرع في سوقي الى الموت سابقي (٩
واني وان ارغمت او سرتُ هارباً من الموت في الآفاق فالموت لاحقي

ومنهم عمر بن بريق واصبغ بن يحيى (١٠ وجماعة غيرهما فكان هؤلاء.

---

١) صب: فاضلًا
٢) كذا روى صب. وفي الاصل: رجيز
٣) روى صب: ان يحضر عنده مؤانساً لهُ
٤) وزاد ابن ابي اصيبعة بيتاً ثالثاً:
ووجدتُ علمهما اذا حصّلتهُ يذكي ويحيي للجسوم نفوسا
٥) هي رواية صب وفي الاصل: بحنة
٦) صب: منهم ٧) صب: مواهب
٨) صب: تجيء ٩) صب: مانقي
١٠) اذكرهما صب (٢: ٤٥) ودعاهما: عمر بن حفص بن برتق واصبغ بن يحيى

وامثالهم اطباء الاندلس في ابان الزمان الذي ذكرنا قبلاً من ايام الامير محمد الى وقت تمم الحكم المستنصر بالله الى وقتنا هذا

ومنهم احمد بن حكم بن حضون (١ كان طبيباً نبيلاً (٢ جيد القريحة حسن الفطنة دقيق النظر بصيراً بالمنطق مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة وكان متصلاً (٣ بالحاجب جعفر السقلبي (٤ ومستولياً على خاصته فاوصلهُ بالحكم المستنصر بالله وخدمهُ بالطبّ الى ان توفي الحاجب جعفر فأسقط حينئذٍ من ديوان الاطباء وبقي مضمحلاً (٥ الى ان تُوفي

ومنهم محمّد بن تليخ (٦ كان ذا وقار وسكينة ومعرفة بالطبّ والنحو واللغة والشعر والرواية وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطبّ وكان حظياً عند الحكم وولّاهُ النظر في بنيان الزيادة في قبلي الجامع بقرطبة فبوّب (٧ ذلك وكلت تحت إشرافهِ وأمانتهِ ورأيت اسمهُ مكتوباً بالذهب وقطع فسيفساء على حائط المحراب بهذا وانّ ذلك البنيان كمل على يدهِ من امر الخليفة الحكم في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة (٩٦٩ م)

ومنهم ابو الوليد محمّد بن الحسين المعروف بابن الكناني (٨ كان عالماً بالطبّ حسن العلاج لطيف المعافاة سرياً محبّاً الى الناس وخدم الناصر والمستنصر

ومنهم عبد الملك الثقفي (٩ كان عالماً بالطبّ والهندسة وكان الطبّ اغلب عليهِ وخدم الناصر والمستنصر

ومنهم عُمر واحمد ابنا يونس بن احمد الحرّانيّ (١٠ رحلا الى المشرق في دولة

---

١) روى صب (٢ : ٤٦) ترجمتهُ عن صاعد
٢) صب : عالماً
٣) كذا الصواب في صب . وفي الاصل : مقبلاً
٤) صب : الصقلبي . ولعلّ الصواب السقلبي
٥) صب : مخمولاً
٦) نقل صب (٢ : ٤٥) قول صاعد . وهو يروي : تليح بالحاء
٧) صب : فتولّى
٨) اطلب صب (٢ : ٤٥) وقد روى : الكناني بالتاء
٩) صب (٢ : ٤٦) ودعاهُ ابا عبد الملك
١٠) نُقل هذا الفصل في صب (٢ : ٤٣)

الناصر واقاما هنالك عشرة اعوام ودخلا بغداد وقرأا فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة الصابئ كتب جالينوس عرضاً وخدما ابن وصيف في عمل علل العين وانصرفا الى الاندلس في دولة المستنصر بالله وذلك في سنة احدى وخمسين وثلثمائة (٩٦٢ م) فالحقهما بخدمته في الطبّ (١ واستخلصهما لنفسه من سائر اطباء وقته. ومات عمر فيهما (كذا) وبقي اخوهُ احمد اثيراً عند الحكم الى آخر ايامه ثم ولّاه هشام المؤيد لله خطّة الشُرط وخطة السوق وكان يداوي (72) العين مداواة نقيه (٢ ولهُ في ذلك في قرطبة اثار عجيبة .

ومنهم محمّد بن عبدون الجبلي (٣ رحل الى المشرق سنة سبع واربعين وثلثمائة (٩٥٨ م) ودخل البصرة ومصر ودبّر مارستانها وتمهّر (٤ في الطبّ ونبل فيه واحكم كثيراً من اصوله وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة وكان شيخهُ فيها ابا سليمان (٥ محمّد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي ثم رجع الى الاندلس سنة ستين وثلثمائة (٩٧١ م) فخدم المستنصر بالله والمؤيد بالله في الطبّ وكان قبل ان يتطبّب مؤدباً في الحساب والهندسة ولهُ في التكسير كتاب حسن

واخبرني (٦ ابو عثمان سعيد بن محمد بن البغويش (٧ الطليطلي انهُ لم يبقَ (٨ في قرطبة ايّام طلبه فيها من يلحق بمحمد بن عبدون الجبلي في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها وحسن دربته فيها واحكامه لقوانينها

وكان في زمان ابن عبدون وبعده الى آخر الدولة العامر جماعة لهم نفوذ في صناعة الطب وتمرّس بها الّا انهم كانوا جميعاً مقصّرين عن شأو محمد بن عبدون وواطئين عَقِبَهُ فكان منهم سليمان بن حسّان المعروف بابن جُلجل وعبد الله بن اسحق المعروف بابن الشناعة المسلماني الاسرائيلي وقوم سواهم كان منهم اصغرهم

١) زاد صب: واسكنهما مدينة الزهراء

٢) صب: مداواة نقية

٣) اطلب هذه الترجمة في صب (٣: ٤٦). وقد روى في الاصل: الجبلي بالنقط

٤) صب: وبهر ٥) صب: ابو سليمان

٦) في الاصل: «ومنهم» بالنقط. وتصحيح الرواية عن صب الذي قدّم على لفظة «اخبرني» قولهُ «قال القاضي صاعد»

٧) صب: البغونش وهو الصواب ٨) صب: لم يلقَ

سنًا ابو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني (١ وكان اخذ الطب عن عمّه محمد بن الحسين وطبقته وخدم به المنصور محمد بن ابي عامر وابنه المظفر ثم انتقل في صدر الفتنة الى مدينة سرقسطة واستوطنها وكان بصيرًا بالطبّ متقدماً فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة . اخبرني (٢ عنهُ الوزير ابو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمي انهُ كان دقيق الذهن ذكي الخاطر جيّد الفهم حسن التوليد (٣ والتنتيج وكان ذا ثروة وغنًى واسع وتوفي قريباً من سنة عشرين واربعمائة (١٠٢٩ م) وقد قارب ثمانين سنة . وقرأت (٤ في بعض تآليفه قال: اخذت (٥ صناعة المنطق عن محمد بن عبدون الجبلي وعمر بن يونس بن احمد الحراني واحمد بن حفصون الفيلسوف وابن عبد الله محمد بن ابرهيم العاصمي (٦ النحوي وابي محمد عبد الله (٧ بن مسعود التجاني (٨ ومحمد بن ميمون المعروف بركوش (٩ ابي القسم فند (١٠ بن نجم وسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار وابي الحرث الاسقف تلميذ ربيع بن زيد (73) الاسقف الفيلسوف وابي مروان التجاني (٨ ومسلمة ابن احمد المرحيط (١١

وكان من طبقته ابو العرب يوسف بن محمد (١٢ احد المتحقّقين بصناعة الطب الراسخين في علمه وحدثني (١٣ الوزير ابو المطرّف بن وافد وابو عثمان سعيد بن محمد [ابن البغرنش انهُ كان محكماً لاصول الطب نافذًا في فروعه حسن التصرّف في انواعه . قال وسمعتُ غيرهما يقول لم يكن احد بعد محمد (١٤ بن عبدون ابوزي ابا العرب

١) روى صب (٢ : ٤٥) الكتّاني . ونقل هناك كلام صاعد بحرفهِ
٢) صب : قال القاضي صاعد : اخبرني . . .
٣) صب : التوحيد ولعلّهُ تصحيف
٤) صب : قال وقرأتُ
٥) صب : انهُ اخذ
٦) صب : القاضي
٧) صب : وابي عبد الله محمّد
٨) صب : البجاني وهو الصواب
٩) صب : بركوس
١٠) صب : فيد
١١) صب : المرحيطي
١٢) نُقل هذا الفصل في صب (٢ : ٤٨)
١٣) صب : قال القاضي صاعد : حدّثني
١٤) هذا كلّهُ كان سقط من الاصل بسهو الناسخ فنقلناهُ عن صب

في قيامهِ بصناعة الطب ونفوذه وكان غلب عليهِ في آخر عمره حبُّ الخمر فكان لا يوجد صاحياً ولا مفيقاً من خُمار وحرم بذلك الناس كثيراً من الانتفاع بعلمه (١ وتوفي وهو قارب تسعين سنة بعد سنة ثلثين واربعماية (١٠٣٩ م)

وكان بعد هؤلاء الى وقتنا هذا جماعة من اشهرهم ابو عثمان سعيد بن محمد بن البغويش (٢ وكان من اهل طليطلة ثم رحل الى قرطبة لطلب العلم بها فاخذ عن مسلمة بن احمد علم العدد والهندسة وعن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جلجل وابن الشناعة ونظرائهم علم الطب ثم انصرف الى طليطلة واتصل باميرها الظافر اسمعيل بن عبد الرحمن بن اسمعيل بن عامر بن مطرّف بن ذي النون وحظي عنده وكان احد مدبري دولتهِ ولقيتهُ (٣ فيها بعد ذلك في صدر دولة المأمون ذي المجد ابن يحيى بن الظافر بن اسمعيل بن ذي النون وقد ترك قراءة العلوم واقبل على قراءة القرآن ولزوم (٤ داره والانقباض عن الناس فلقيت منهُ رجلًا عاقلًا جميل الذكر والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذا كتب جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمة وتبيّنت منهُ انهُ قد قرأ الهندسة وفهمها والمنطق (٥ وضبط كثيراً منهُ ثم اعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها وتناولها بتصحيحه ومعاناته فحصل بتلك العناية فهم كثير منها ولم يكن لهُ دربة المرضى (٦ ولا طبقة (٧ نافذة في فهم الامراض وتوفي عند صلاة الصبح يوم الثلثاء في اول يوم من رجب سنة اربع واربعين واربعماية (١٠٥٢ م) وكان اذ توفي سنّه خمس وسبعين سنة (٨

ومنهم الوزير ابو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد ابن مهنّد اللخمي (٩ احد اشراف اهل الاندلس وذي (١٠ السلف الصالح منهم

---

١) صب : بهِ وبطبهِ
٢) نقل صب (٢ : ٤٨) كلام صاعد مصرّحاً باسمهِ . وهو يروي البغوثي بصواب
٣) صب : قال ولقيتهُ
٤) صب : ولزم
٥) صب : وقرأ المنطق
٦) صب : دربة بعلاج المرضى . وهو اصحّ
٧) صب : ولا طبيعة
٨) صب : ابن خمس وسبعين سنة
٩) نقل صب (٢ : ٤٩) هذه الترجمة عن صاعد وذكرهُ ونقلها ابن القفطي ولم يذكرهُ
١٠) صب : وذوي وهو اصحّ

والسابقة القديمة فيهم عُني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهّمها ومطالعة (١ كتب ارسطوطاليس وغيره من الفلاسفة وتبحّر في علوم (٢ الادوية المفردة [حتى ضبط منها ما لم يضبط احد في عصره والّف فيها كتاباً جليلاً لا نظير لهُ جمع فيهِ (٣ ما تضمّنهُ (74) كتاب ديوسقوريدوس وكتاب جالينوس المؤلّفين (٤ في الادوية المفردة ورتبهُ احسن ترتيب وهو مشتمل على قريب من خمسمائة ورقة. واخبرني (٥ عنهُ انهُ عانى جمعهُ وحاول ترتيبهُ وتصحيح ما ضمنهُ من اسماء الادوية وصفاتها واودعهُ اياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها من عشرين سنة حتى كمل موافقاً لغرضهِ مطابقاً لبغيتهِ. ولهُ في الطب مَنزع لطيف ومذهب نبيل (٦ وذلك انهُ لا يرى (٧ التداوي بالادوية ما امكن التداوي بالاغذية او ما كان قريباً منها (٨ فاذا دعت الضرورة الى الادوية فلا يرى التداوي بركّبها ما وصل الى التداوي (٩ بمفردها فانْ اضطرّ الى المركّب لم يكثر التركيب (١٠ بل اقتصر على اقلّ ما يمكن منهُ . ولهُ نوادر محفوظة وغرائب مشهورة في لابراء من العلل الصعبة والامراض المخوفة بايسر العلاج واقربه. وهو في وقتنا (١١ هذا حي مستوطن مدينة طليطلة واخبرني انهُ ولد في ذي الحجة في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (١٠٠٨ م)

ومنهم ابو مروان عبد الملك ابن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الاشبيلي (١٢ رحل الى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبّب هناك زماناً طويلاً ثم رجع الى الاندلس واستوطن (١٣ مدينة دانية (١٤ واشتهر بها زماناً بالتقدّم في صناعة

---

١) حك : وطالع ٢) صب وحك : بعلم

٣) اختصر حك هذا القول فروى : حتى فهم ما تضمّنهُ

٤) صب : المؤلفان (كذا) ٥) صب : قال واخبرني . . . إ. إمّا حك فاهمل الخبر

٦) حك : ظريف ٧) صب : كان لا يرى ٨) حك : منها قريباً

٩) حك : الى الشفاء ١٠) حك : الترتيب وهو تصحيف

١١) هذا المقام لم يذكرهُ منهُ صب وحك الّا سنة المولد وزاد صب « انهُ كان في الحياة سنة ٤٦٠ » سند ذلك الى رواية صاعد المكتوبة سنة ٤٦٦ هـ

١٢) نقل صب هذه الترجمة عن صاعد (٢ ٦٤) وابن زهر هو الشهير عند الفرنج باسم Avenzohar ١٣) صب : وقصد

١٤) وزاد صب ولعلّها سقطت من اصل نسختنا : « وكان ملكها وقتئذٍ مجاهد فلمّا وصل ابو مروان بن زهر اليهِ اكرمهُ اكراماً كثيراً وامرهُ ان يقيم عندهُ فقعل وحظي في ايّامه »

الطب وطار ذكرهُ منها الى اقطار الاندلس ولهُ في الطبّ آراء شاذّة منها منعهُ من الحمّام واعتقادهُ انّهُ يعفّن الاجسام ويفسد تركيب الامزجة وهـذا رأي يخالف فيهِ الاوائل والاواخر ويشهد بخطإهِ العوام والخواصّ بل اذا استُعمل على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي يكون رياضة فاضلة ومهنة نافعة لتفتيحهِ المسامّ وتطريقه للفضول (١ وتلطيفهِ لما غلظ من الكيموسات (٢

ومنهم ابو محمد عبدالله بن محمّد (٣ المعروف بابن الذهبي احد المعتنين بصناعة الطبّ ومطالعة كتب الفلاسفة من غير تحقّق بها وكان كاتباً بصناعة الكيمياء مجتهداً في طلبها وتوفي ببلنسية في جمادى الآخرة سنة ستّ وخمسين واربعماية (١٠٦٤ م) أوشاهدتُ دفنهُ هناك رحمهُ الله تعالى (٤

ومنهم ابو عبدالله محمّد بن عبدالله بن حامد التجاني (٥ المعروف بابن النباش مُعتنٍ بصناعة الطبّ منتصب (٦ لعلاج المرض ذو معرفة (٧ جيّدة بالعلم الطبيعيّ [ومشاركة في الالهيّ وتحقّق بعلم الاخلاق والسياسة (٨ ولهُ بصر بصناعة المنطق (٩ ولا كبير حظّ عندهُ من العلم الرياضي وهو حي بجهة مُرسية في وقتنا هذا (١٠

ومنهم ابو جعفر بن خميس الطليطلي (١١ وقد تقدّم ذكرهُ في الرياضيين (75) قرأ كتب جالينوس على مراتبها وتناول صناعة الطبّ من طرقها (١٢

ومنهم ثمّ من احداث عصرنا ممن يعتني بطلب الفلسفة ابو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر (١٣ اعتنى بكتب جالينوس عناية صالحة وقرأ كثيراً منها على ابي

---

١) لم يذكر صب لفظة الفضول
٢) وزاد صب انّ ابن زهر انتقل الى اشبيلية وبها توفي ولم يذكر السنة
٣) صب (٢ : ٤٩) محمّد الازدي . وهو يروي قول صاعد
٤) صب ترك هذه العبارة
٥) اطلب صب (٢ : ٤٩) وهو يروي التجاني
٦) صب : مواظب
٧) كذا صب وفي الاصل « دون معرفة »
٨) اهلها صب
٩) صب : ومشاركة في سائر علوم الحكمة
١٠) صب : وكان مقيماً بجهة مرسية
١١) صب (٢ : ٥٠) روى قول صاعد
١٢) زاد صب : وكانت لهُ رغبة كثيرة في معرفة العلم الرياضي والاشتغال بهِ
١٣) زاد صب (٢ : ٥٠) : الداربي . وقد روى هناك قول صاعد

عثمان سعيد بن محمّد بن يونس (١ أ واشتغل ايضاً بصناعة الهندسة والمنطق وغير ذلك وكانت لهُ عبارة بالغة (٢ وطبع فاضل في المعاناة ومنزع حسن في العلاج أ وهو مع ذلك صَنيع اليدين متصرّف في ضروب من الاعمال النطيفة والصناعات (٣ ساع في نيلها ولهُ من جودة القريحة وصحة الفهم ما يمكّنهُ من البلوغ الى المراتب الرفيعة من الفلسفة ان اعانهُ جدّ وساعدهُ حال

واما صناعة احكام النجوم فلم تزل نافقة بالاندلس قديماً وحديثاً واشتهر بتقلّدها جماعة في كل عصر الى عصرنا هذا. فكان من مشاهيرهم في زماننا وزمان بني اميّة منهم ابو بكر يحيى بن احمد المعروف بابن الخياط (٤ كان احد تلاميذ ابي القاسم مسلمة بن احمد المرحيط (٥ في علم العدد والهندسة ثم مال الى أحكام النجوم فبرع فيها واشتهر في علمها أوخدم بها سليمان بن الحكم ابن الناصر لدين الله امير المؤمنين في زمان الفتنة وغيره من الامراء (٦ وآخر من خدم بذلك الامير المأمون يحيى بن اسمعيل بن ذي النون وكان مع ذلك معتنياً بصناعة الطبّ دقيق العلاج وكان حصيفاً حليماً دمثاً حسن السيرة كريم المذهب وتوفي بطليطلة سنة سبع واربعين واربعمائة (١٠٥٥ م) وقد قارب ثمانين سنة

ومنهم من احداث عصرنا ابو مروان عبيد الله بن خلف الاستجي (٧ احد المتحققين بعلم الاحكام والمشرفين على كتب الاوائل والاواخر فلا اعلم احداً في الاندلس في وقتنا هذا ولا قبلهُ وقف من اسرار هذه الصناعة وغرائبها على ما وقف عليه ولهُ في التسييرات ومطارح الشعاعات وتعليل بعض اصول الصناعة رسالة فاضلة لم يتقدّمهُ احد اليها كتب بها أ الى من مدينة فَوْنَكه (٨

فهؤلاء المشهورون من علماء المسلمين بالعلوم القديمة بالمشرق والمغرب ولستُ

---

١) والصواب : بغونش كما روى صب

٢) هذا عن صب . والظاهر انهُ سقط من نسختنا

٣) صب : « ولهُ تصرّف في ضروب من الاعمال اللطيفة والصناعات الدقيقة » . ولم يرو الباقي

٤) ذكرهُ صب (٢ : ٥٠) ونقل كلام صاعد بحرفهِ

٥) صب : المرحيطي ٦) سقطت هذه العبارة من رواية صب

٧) كذا في الأصل وكان روى سابقاً الاستجي . ومن العجب ان حك وصب اهملا ذكرهُ

٨) كذا والصواب : بمدينة . اما فَوْنَكه فاحدى مدن الاندلس ذكرها ياقوت

ادّعي الإحاطة بهم فقد يمكن ان يكون في من لم اعرفهُ من يُربي على كثير من هؤلاء والله تعالى أمريه الاعطاء (١ لا رب غيره

٨ العلوم في بني اسرائيل

واما الأمّة الثامنة وهم بنو اسرائيل فلم يشتهروا بعلوم الفلسفة وانما كانت عنايتهم بعلوم الشريعة وسير الانبياء فكان احبارهم اعلم الناس باخبار الانبياء وبدء الخليقة وعنهم اخذ ذلك علماء المسلمين كعبد الله بن عبّاس وكعب الأحبار ووهب (76) بن مُنبّة الّا انّ لهم حساباً دقيقاً في تاريخ شريعتهم ومعاملاتهم (٢ لا ادري هل هو من تاريخ علمائهم او رتّبهُ لهم بعض العلماء من غيرهم ويسمّون حسابهم هذا العِبْور. وشهورُهم قمريّة وسنيهم ناقصة ومكبّسة فالناقصة قمريّة والمكبّسة شمسيّة ويسمون كلّ تسع عشر سنة مبدأ تاريخهم محزوراً (٣ وهو العدد الذي يتمّ فيه كسور السنين فيجتمع منها سبعة اشهر يزيدون منها شهراً في سنين من المحزور وهي السنة الثالثة والسادسة والثامنة والحادية عشر والرابعة عشر والسابعة عشر والتاسعة عشر فيكون هذه السنون السبعة شمسيّة مكبّسة كل سنة منها من ثلاثة عشر شهراً قمرياً. ومقدار السنة القمريّة عندهم ٣٠٠ يوم و٥٤ يوماً وثمان ساعات و٨٠٠ دقيقة و٧٦ دقيقة من دقائق ساعة واحدة التي هي ١٠٨٠ دقيقة ومقدار السنة الشمسيّة عندهم ٣٦٥ يوماً وربع يوم فقط. فتزيد السنة الشمسية على السنة القمرية الناقصة عشرة ايام و ٢١ ساعة و١٠٤ دقائق. ومدخل السنة الاولى من المحزورة الخامسة والخمسين والمائتين من مبدأ العالم عند اليهود هو مدخل سنة ٤٨٢٧ لتاريخ آدم عليه السلام عندهم وسنة ١٥٨ (هجريّة) (١٠٦٦ م)

وهذه الأمّة هي بيت النبوّة ومعدن الرسالة من بني آدم. وجمهور الانبياء صلوات الله وسلام عليهم منهم. وكانت مساكنهم بلاد الشام وبها كان ملكهم الاوّل والآخر الى ان اخلاهم عنها المدة الآخرة طيطس الملك الرومي ومزّق ملكهم وبدّد جمعهم فتقطعوا في البلاد ايدي سبا وتفرّقوا في اقطاره شذر مذر فليس من معمور الارض بقعة الّا وفيها منهم في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها الّا ما كان

١) كذا ولعلّها مريد الاعطاء
٢) تجد تفاصيل هذا التاريخ الاسرائيلي في تقويم البشير السنوي
٣) المحزور كلمة عبرانية معناها الدّور

من جزيرة العرب فانَّ عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهُ اجلاهم عنها لامر النبي صلعم بذلك في قوله: « ولا يبقينَّ دينان في ارض العرب ». فلمَّا تفرقوا في البلاد ودخلوا الامم تحركت همم قليلٍ منهم لطلب العلوم النظريَّة واكتساب الفضائل العقليَّة فنال افراد منهم ما شاءوا من فنون الحكمة

فكان منهم في دولة الاسلام ممَّن اشتهر بصناعة الطب (77) ماسرجويه (١ الطبيب الذي تولَّى لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهُ ترجمة كتاب اهرون القس في الطب وهو كنَّاش فاضل من افضل الكنانيش القديمة

وكان منهم ثمَّ من المتأخرين اسحق بن سليمان (٢ تلميذ اسحق بن عمران المعروف بسمّ ساعة كان طبيباً متقدّماً خدم بالطبّ عبيد الله المهدي صاحب افريقية. وكان مع ذلك بصيرًا بالمنطق متصرّفًا في ضروب المعارف وعمَّر عمرًا طويلًا الى ان نيَّف على مائة سنة لم يتخذ فيها امرأة ولا اقتنى مالًا. ولهُ تواليف جياد منها كتابهُ في الاغذية وكتاب في الحمّيات لا نظير لهُ وكتاب في البول وكتاب الاسطقسّات (٣ وكتاب في الحدود والرسوم وكتاب المعروف ببستان الحكمة في مسائل من العلم الالهيّ وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلثمائة (٩٣٢ م)

ومنهم من اهل احكام النجوم سَهل بن بشر بن حبيب (٤ لهُ تواليف حسان مشهورة في الاحكام منها كتابهُ في المواليد وتحاويلها وكتاب تحاويل سني العالم وكتاب المسائل والاختيارات

وكان بباب الاندلس منهم جماعة ممَّن عُني بصناعة الطب حسداي بن اسحق (٥ خادم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله فكان مقدَّماً بصناعة الطبّ متقدّماً في علم شريعة اليهود وهو اوَّل من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه

١) هذا الاسم تصفَّح في الاصل فرواهُ « ماشرحوابه » والصواب كما روينا. راجع ابن القفطي (حك ٢٣٤) وهو نقل كلام صاعد. ثم طبقات الاطبَّاء (صب ١ : ١٦٣) والفهرست (ص ٣١٧)

٢) اطلب صب (٢ : ٢٦–٢٧) وقد نقل كلام صاعد

٣) كذا روى صب. وفي الاصل: الاستقساب

٤) اطلب حك (ص ١٩٦) والفهرست (ص ٣٧٤)

٥) نقل ابن ابي اصيبعة (٢ : ٥٠) هذه الترجمة. ويُروَى اسمهُ ابن خشداي

والتاريخ وغير ذلك وكانوا قبلهُ يضطرون في فقهِ دينهم وسني تاريخهم ومواقيت اعيادهم الى يهود بغداد فيستجلبون من عندهم حساب عدّة من السنين يعرفون (١ به مداخل تاريخهم ومبادئ سنتهم . فلمّا اتصل حسداي بالحكَم ونال عندهُ نهاية الحظوة أبفضل دربتهِ ونهاية براعتهِ وادبهِ (٢وتوصل بهِ الى استحلال (٣ ما شاء من تواليف اليهود بالمشرق فعلم حينئذٍ يهود الاندلس ما كان قبل يجهلونهُ واستغنوا عمّا كانوا يتجشّمون الكلفة فيهِ

ثم كان في الفتنة منجم (٤ بن الفرّال من سكّان سرقسطة وكان متقدّماً في صناعة الطبّ متصرفاً مع ذلك في صناعة (٥ المنطق وسائر علوم الفلسفة ولهُ تأليف سماه كنز المقلّ رتّبهُ على المسألة والجواب وضمنهُ جملًا من قوانين المنطق واصول الطبيعة

وكان معهُ بسرقُسطة مروان بن جناح من اهل العناية بصناعة المنطق والتوسع في علم لسان العرب واليهود ولهُ تأليف حسن في ترجمة الادوية (78) المفردة وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطبّ من الاوزان والمكاييل

وكان منهم اسحق بن فسطار (٦ خادم الموفّق مجاهد العامري وابنهِ إقبال الدولة علي . كان بصيرًا باصول الطبّ مشاركًا في علم المنطق مشرفًا على آراء الفلاسفة أوكان حميد المذهب (٧ جميل الاخلاق جالستُهُ كثيرًا فما رأيت يهوديًا مثلهُ في رجاحتهِ وصدقهِ وكمال مروّتهِ وكان متقدّماً في علم اللغة العبرانيّة بارعاً في فقه اليهود خبيرًا في اخبارهم (٨ وتوفي بطليطلة سنة ثمان واربعين واربعمائة (١٠٥٦ م) وهو ابن خمس وسبعين لم يتخذ قطّ فيها امرأة

وكان منهم ثم من اهل الاعتناء ببعض علوم الفلسفة سليمان بن يحيى المعروف بابن جبروال (٩ من سكّان سرقسطة وكان مولعاً بصناعة المنطق لطيف الذهن حسن النظر اخفر . وتوفي وقد اربى على الثلثين قريباً من سنة خمسين واربعمائة (١٠٥٨م)

---

١) صب : يتعرّفون ٢) لم ينقلها صب ٣) صب : استجلاب
٤) ذكرهُ صب (٢ : ٥٠) وروى : منجم وهو اصح ٥) صب : في علم ٦) اطلب ما نقلهُ في صب (٢ : ٥٠) ٧) صب : وافر العقل ٨) صب : من اخبارهم (كذا)
٩) ويقال عادةً ابن جبرون ويسميهِ الفرنج Avicebron

ومنهم من فتيان عصرنا ابو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي (١ ساكن مدينة سرقسطة ومن بيت شرف اليهود بالاندلس من ولد موسى النبي عليهِ السلام عُني بالعلوم على مراتبها وتناول المعارف من طرقها فاحكم علم (٢ لسان العرب ونال حظاً جزيلاً من صناعة الشعر والبلاغة وبرع في علم العدد وعلم الهندسة وعلم النجوم وفهم صنعة الموسيقى وحاول عملها وتحقّق بعلم (٣ المنطق وتمرّس في (٤ البحث والنظر ثم ترقى الى علم الطبيعة فبدأ منهُ بسمع كتاب الكيان لارسطوطاليس حتى احكمهُ ثم شرع في كتاب السماء والعالم ففارقتهُ سنة ثمان وخمسين (٥ وهو خارقٌ حجبهُ وان امتدَّ بهِ الاجل واتّصلت بهِ الغاية فسيوفي على صناعة الفلسفة ويستوجب فنون الحكمة. هذا وهو بعدُ فتى لم يبلغ الاشدّ الّا انَّ الله تعالى يخصُّ بفضلهِ من يشاء وهو على كل شيءٍ قدير

فهؤلاء مشاهير العبرانيين عندنا الذين شُهروا بعلم الفلسفة واما العلماء بشريعة اليهود فاكثر من ان يُحصوا في مشارق الارض ومغاربها واشهرهم من اهل المشرق: سعيد بن يعقوب الفتومي (٦ وابو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني وداود القومشي وابرهيم التستري ومَن جرى مجراهم من احبار اليهود المستقلين بمناظرة المتكلمين على الملل ما لديهم من صناعة الجدل وطريق التناظر

وكان منهم بالاندلس ابو ابرهيم اسمعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النزال (79) خادم الامير باديس بن حبُّوس الصنهاجي ملك غرناطة واعمالها ومدبّر الدولة فكان عندهُ من العلم بشريعة اليهود والمعرفة بالانتصار لها والذبّ عنها ما لم يكن عند احد من اهل الاندلس قبلهُ وتوفي سنة ثمان واربعين واربعمائة (١٠٥٥م)

فهذا ما حضر في حفظهِ من تسمية علماء الامم والتعريف بنُبَذ من تواليفهم واخبارهم والحمد لله وحده وصلى الله على مَن لا نبيَّ بعده سيّدنا محمّد وعلى الهِ واصحابهِ وسلّم

تمَّ بحولهِ تعالى

(وسيُنشر هذا الكتاب على حدة مع فهارس ان شاء الله)

---

١) نقلهُ صب (٢: ٥٠-٥١) ٢) في الاصل: على. وهو تصحيف

٣) صب: واتقن علم ٤) صب: وتمرّن بطرق

٥) صب: وكان في سنة ٤٥٨ في الحياة وهو في سنّ الشيبة ٦) والصواب: القيّومي

حكومة الحبش

لجناب الكاثاير عبد الله افندي رعد

مدرّس الكيمياء في مكتبنا الطبي . مقدّم فخري وسر اجزاني بلاط امبراطور الحبشة سابقًا (تتمة)

١٠ التجارة

عقدت الحكومة الحبشيَّة مع اكثر الدول وثائق في مواضيع شتى وفي كلها تعهَّدت بحرية التجارة لرعايا هذه الدول في كل انحاء سلطنتها . فلا يمنع الاحباش دخول بضاعةٍ من اي نوع كانت ولا يتصدَّون للتجار اينما ذهبوا للاتجار بها فكل الاسواق مفتوحة امامهم واذا حدث لهم ما يعرقلهم في هذا السبيل مهَّدوا لهم الطريق بقدر ما استطاعوا واستعاد لهم الحكام والقضاة حقوقهم المهضومة بصرامة شديدة كما اشرنا فريق هذا عند تكلمنا عن القضاة والقضاء

(النكادراس) لاعمال التجارة عندهم موظف كبير يدعى نكادراس اي رأس التجار في كل مقاطعة وامارة (وهذا الموظف في العاصمة هو وزير التجارة) ترجع اليه مسائل الاخذ والعطاء والقضايا التجارية ويكون تحت امرته العشارون وكتبة الجمارك والذين يسترفون اليا وينتدب من عنده رجالًا قضاة يجلسون في الاسواق ويحكمون في قضايا التجار والحائكين والمكارين وكل مسألة تختص بالبيع والشراء واستيفاء العشور في الجمارك ونحو ذلك . وقلما استرنفت مثل هذه الدعاوي الى محكمة الامير او الملك . وهو الذي يجمع واردات الجمارك ويسلّمها الى وزير بيت المال

١١ العقارات والاقطاعات

لا يملك الحبشي في ارض الحبشة الاصلية عقارًا يتصرف فيه كيفما شاء بالبيع والشراء والرهن والاسترهان والهبة والوصية او يخلفهُ لاعقابه بطريق الوراثة لان الارض وما عليها للملك الّا ان البلاد التي اخذها مليك بالغزوات والحروب وكانت جارية فيها من ذي قبل سنَّة الاستملاك ابقى فيها القديم على قدمهِ بعد ان استعمرتها الاحباش وصار الناس يبيعون العقارات فيها ويشترون وهذه المحلات هي

امارة هرر وامارة كودجام وامارة جمّا وسواها قليل . ففي مثل هذه الاملاك لا يتداخل الامراء بان يأخذوا من زيد ويعطوا لعمرو كما يجرون في الاقطاعات ولكنهم اذا شاءوا اخذ عقار من مالكه تمثلوا الاسباب واصدروا على صاحب الملك حكماً يقضي بتجريده من مقتنياته فيذهب العقار من ضمن المقتنيات ويعود للامير كأنهُ تملكهُ بالوراثة وهم يدعون بلغتهم مثل هذا التجريد وراثة فيقال ورث الامير مقتنيات خادمه فلان

وقد جرت مؤخراً عادة جديدة في العاصمة اديس ابابا وذلك ان الملك وهب بعضاً من الاجانب قطع ارض ليبنوا لهم دوراً لسكناهم وتجارتهم وجعل لهم هذه الهبات بمثابة عقار يبيعونهُ ويرهنونهُ ويخلفونهُ لاعقابهم . وقد وهب ايضاً مثل ذلك لبعض الاعيان من موظفي بلاطه . ولكن السيد يرث عبيده اذا ما غضب عليهم ولا فرق بذلك عند الاحباش سواء كانت مثل هذه الهبات املاكاً او اقطاعات الّا بانهم يستطيعون بيعها عند الضرورة

امّا بقيّة الارضين فكلها اميرية يقطعها الملك او الامير لمن شاء من الموظفين حسب استحقاقهم وبدل رواتبهم وهؤلاء يقسمون ايضاً اقطاعاتهم اقطاعات صغيرة لوكلائهم ومن هم تحت امرتهم وهكذا الى آخر جندي او اجير وهذه الاقطاعات يستثمرها صاحبها ويؤدي منها الجزية المطلوبة لسيده الى ان يغضب السيد فيأخذ الاقطاعة ويعطيها لآخر . ومثل هذه الاقطاعات تُكتب وقفاً باسم الكنائس فيقسم متولي الكنيسة الاقطاعة على الكهنة ليستثمروها ويعتاشوا من محصولها ويبقى لنفسه السهم الاكبر

١٢ علائق الحبشة مع الخارج

ليس للحكومة الحبشية معتمدون ولا قناصل في الممالك الاجنبيّة ما خلا قنصلاً واحداً في جيبوتي الّا انها من وقت الى آخر ترسل بعثة الى اوربا تقوم بصفة سفارة موقتة وغير اعتيادية لتسوية بعض المشاكل او لمخابرة الملوك ببعض الشؤون الخصوصيّة . فمن ذلك سفارة الجنرال مشاشا الى القسطنطينيّة واوربا وقد مرت هذه البعثة في بيروت حاملة هدايا النجاشي الى السلطان السابق عبد الحميد . ومنها سفارة الجنرال كاسا الذي زار مؤخراً باريس ولندن وروما وبرلين وعرّج على المدينة المقدّسة اورشليم

قبل عودته الى اديس ابابا وذلك منذ نحو شهرين فقط ولعلّ الحكومة الحبشيّة تضطرّ عن قريب الى اقامة قنصلية لها في القدس لكثرة علاقاتها فيها وتكاثر عدد الرهبان الاحباش هنالك

واذا اراد النجاشي ان يخابر دولة من الدول فعل ذلك بواسطة سفير تلك الدولة عنده او ارسل اليها سفيرًا خارق العادة. امّا الدول الغربية فانها بالعكس قد اسرعت فاقامت السفارات والمعتمدين والقناصل في عاصمة الحبشة واهمّ مدنها. وكانت فرنسة في مقدمة تلك الدول فبعثت في كانون الثاني سنة ١٨٩٧ بعد خروج الحبشة منتصرة من حربها مع الطليان سفارة فائقة العادة برئاسة المسيو لاغارد ثم تحت انكلترّة بعدها في شهر اذار من تلك السنة فارسلت سفارة فائقة العادة تحت رئاسة السر رنيل رود. وكذلك تبعتها ايطالية نفسها ببعثة تحت رئاسة الدكتور نارلسيني. وفي السنة التالية (١٨٩٨) ارسل قيصر الروس سفارة برئاسة المسيو فلاسوف

وعقب هذه السفارات الفائقة العادة اسست فرنسة سفارتها الثابتة في اديس ابابا وسمّت المسيو لاغارد معتمدًا لها ثم تبعتها انكلترة فعينت احد موظفي حكومة الهند السر جوهن هارنكتون معتمدًا في الحبشة ثم ايطالية فعيّنت سفيرًا لها الماجور شيكوديكولا ثم الروسية سنة ١٩٠٣ فاقامت المسيو ليشن قنصلًا جنرالًا ومعتمدًا خارق العادة. وقد كان المسيو ليشن من ذي قبل قنصلًا جنرالًا لدولته في بيروت وتوفاه الله في اديس ابابا سنة ١٩٠٦. وبعد ذلك اقامت لها المانيا سفارة وكذلك النمسا وبلجكا والولايات المتحدة اقامت قناصل مفوضين. وقد ارسلت الدولة العثمانية الفريق صادق باشا المؤيد فزار العاصمة اديس ابابا ومدينة هرر ووقّع مع النجاشي وثيقة تجارية ثم خفّ عائدًا الى الاستانة وقد شاع على اثر سفارته خبر تعيين قنصل عثماني مفوض في اديس ابابا ولكن الاشاعة بقيت عارية عن الصحة وكذلك ابت الدولة تعيين قنصل لها في هرر وذلك لان هذه المدينة كانت في القديم مديريّة تابعة لايالة مصر ثم بعد جلاء المصريين عنها احتلّها الانكليز احتلالًا عسكريًّا فقط ونالوا لاميرها عبد الله براءة سلطانيّة بتعيينه خديويًّا على البلاد الهرريّة الّا انّ هذا الامير طرد الانكليز من امارته ورفع راية الاستقلال ثم اعلن الحرب على دولة الحبش المجاورة لهُ فانتصر عليه منليك في موقعة تشالانكو عام ١٨٨٧ وافتتح البلاد

المروية فضمها الى مملكته واقام عليها خديوياً المرحوم الراس مكونين بعد ان اسر الخديويّ الاول الامير عبد الله كما سبقت لنا الاشارة الى ذلك سابقاً. ومن بعد وفاة الراس مكونين تربّع ابنه الامير تفري في دست الامارة ودُعي خديوياً من قبل النجاشي. حدث كل ذلك والحكومة العثمانية الى اليوم لم تجد من ضرورة للمصادقة على هذا التغيير ولا على ضمّ بربره وزيلع الى الاملاك الانكليزية وهي لا تزال تذكر هذه المحلات في فرمان خديوي مصر كانها تابعة لايالة مصر فلذلك لم تشأ تعيين قنصل لها لان تعيين القنصل هو بمثابة الاعتراف بخروج تلك الاماكن عن سلطتها

وبعد اعلان الدستور ايضاً قرّر مجلس النواب تعيين شاهبندر عام برتبة مفوّض في اديس ابابا وذلك بناء على طلب العثمانيين المقيمين في الحبشة وقد قدّم سليمان افندي البستاني احدَ التجار السوريين بشاره افندي غالب لهذه الوظيفة الفخرية لما عرف بهِ من الغيرة على مصالح العثمانية والعثمانيين والى اليوم لم يتعين لا هو ولا سواه وذلك لانشغال الدولة بمسائل أخرى اكثر اهمية

وفيما خلا السفراء فقد عينت اكثر الدول قناصل لها في اديس ابابا وهرر وديرهداوا منهم المرحوم المسيو نعمان الخوري الذي كان قنصلاً لدولة فرنسة في اديس ابابا اولاً ثم في هرر وبعد ذلك نقل الى مغادر في المغرب الاقصى حيث قضى نحبه. ومنهم ايضاً المسيو خليل نجار الذي كان قنصل فرنسة في ديرهداوا

١٣ المقتطف

حكومة الحبش على ما هي من النظام القديم لا تستطيع اليوم الثبوت امام التيّار الجارف المدعو بالتمدن الحديث. وقد ثبتت الى عهدنا منذ الاجيال الوسطى لانها كانت بمعزل عن العلاقات مع بقية الدول ولكنها عبثاً تحاول اليوم العزلة في رأس الجبل فقد دخلها التجار الغربيون والقناصل والسفراء وسكك الحديد ووقّعت الوثائق التجارية والصناعية والسياسية مع غيرها من الحكومات فدارت مع الدولاب العظيم وصار يحدث فيها ما يحدث في غيرها من المشاكل السياسية لذلك تحتّم عليها ان تجري في سبيل الرقي جرياً سريعاً ولا شيء في الظاهر يدلّ على مثل هذا الاستعداد بل بالعكس اننا نرى منها اليوم تأخرًا في سبيل التقدم واستعدادًا للنزوع الى الثورة

والعداء بعد وفاة عاهلها المحتضر فيُخاف عليها ان يجرفها التيّار وعلى استقلالها ان يضحي في خبر كان ويمسي اثرًا من آثار التاريخ والله اعلم .

روحانيّة النفس

نظر فلسفي للاب ربنه دورفو مدرّس الفلسفة في كليّة القديس يوسف

سبق المشرق في سنته العاشرة (١٩٠٧ ص ٤٣٣) فنشر مقالتين مطوّلتين في خلود النفس وثباتها بعد انفصالها عن الجسد بالموت الطبيعي . على انّ هذا البحث يرتبط ببحث آخر يتصل به اتصالاً لا ينفصم البتة نعني به روحانيّة النفس فاردنا ان نخصّ به هذه المقالة فتكون كتتمّة لذاك المطلب السابق

وكأني بالقارئ يوقفني في اوّل كلامي ويقول : ماذا تنوي بروحانيّة النفس أتقصد بذلك كونها روحاً من الارواح العلويّة وانّها مجرّدة عن الجسد ونحن نراها مشتركة بالجسد فتلزمهُ وتنال منهُ كلّ مداركها ولولاهُ لما عرفتْ شيئاً من عالم الكون واذا ضعف هذا الجسد وأُصيب بأذى ما انعكس الفعل في النفس فكلّت عن العمل وعجزت عن اتمام وظيفتها السامية

نجيب على هذا الاعتراض انّنا لا نخلط بين الارواح العلويّة والنفس البشريّة فنجعل روح الانسان في سلك الملائكة . كلّا فانّ تلك الارواح النورانيّة خلقها الله كجواهر مجرّدة عن الهيولي خصّها بكل ما تحتاج اليه في حياتها السامية وكيانها الشريف الذي يجعلها اكثر شبهاً به تعالى واقرب الى مقامهِ الجليل . امّا النفس فرتبتها دون مرتبة الارواح الملائكيّة خلقها الله لتتّحد بجسد هيولي فتشركهُ بحياتها وترقّيه فوق رتبة بدن الحيوان الاعجم ولولاها لكان عنصراً جامداً لا يختلف عن بقيّة العناصر الطبيعيّة

على انّ الله اذ جعل النفس مبدأ حياة الجسد افاد النفس بذلك فوائد تزيدها ارتباطاً بالجسد وحبّاً لهُ وذلك انّهُ قرنها بمشاعر منظورة لتكون كجسر بينها وبين العالم

المستقيم بهمتهِ عُقد مجمع ثانٍ في المدائن سنة ٤٢٠ لاثبات عقائد الايمان وحُرم نسطور

وفيه ايضاً اصبحت جهات الجزيرة ولا سيَّما العراق العربي كصعيد آخر بلغ فيها عدد الزهَّاد الى ما تجاوز كلَّ احصاء. فكانت الاديرة كمدن واسعة يسكنها الوف من الرهبان يقضون فيها الحياة في الصلاة والشغل. ولو راجعت الفصل الذي خصَّهُ البكري في معجم ما استعجم (٣٥٨ — ٣٨١) وياقوت الحموي (٢ : ٦١٠ — ٧٣٩) وغيرهما بهذه الاديرة لرأيت ان بلاد العراق كان لها نصيب كبير منها وهو لم يذكر غالباً الَّا ما ورد اسمهُ في شعر الشعراء كديرِ الابلق في الاهواز ودير ابي يوسف فوق الموصل قريب من بَلَد وديارات الاساقف بالنَّجف بين قصري ابي خصيب والمدير وديرَي الاسكون بالحيرة وقرب واسط كانت فيهما مدارس للعلوم الدينيَّة ودير لشبوني قرب بغداد ودير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة ودير باشهرا بين سامرًا وبغداد ودير باعَربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة ودير مخائيل ودير الثعالب منسوب على ما نظنّ الى بني ثعلبة المتنصرين قريب من بغداد عند الحارثيَّة ودير الجرَعة بالحيرة ودير الخوات بعُكبرا ودير الخنافس على قلَّة جبل تُشرف على دجلة ونينوى ودير دُرتا غربيَّ بغداد ودير الدهدار بنواحي البصرة ودير الزَّرندَورد في الجانب الشرقي من بغداد ودير سابور غربيَّ دجلة ودير سمالو وكلاهما قرب بغداد ودير السُّوسي بنواحي سرَّ من رأى (وهي سامرًا) ودير الشاء بارض الكوفة ودير صَباعي شرقيَّ تكريت ودير الطراويس بسامرًا ودير الماقول بين مدائن كسرى والنعمانيَّة ودير العجَّاج بين تكريت وهيت ودير الدَّلَث ودير فشيون وكلاهما بسامرًا وديرَي القباب وقوطا من نواحي بغداد ودير القيَّارة عند الموصل ودير كَردشير بين الريّ وقمّ ودير كُوم من اعمال الموصل ودير مسار فشيون بالحيرة اسفل النجف ودير مسار سرجيس قرب سامرًا ودير متى قرب نينوى ودير مديان على نهر كرخايا قرب بغداد ودير مر جرجس بالمزرفة قرية من منتزهات بغداد ودير بَرمادي من نواحي سامرًا ودير مر يُحنَّا جانب تكريت ودير ملكيسا وا فوق الموصل ودير هزقل في جهات البصرى وغيرها ايضاً تؤيد كثرتها ما قلنا عن انتشار النصرانيَّة في العراق

والعرب لم يعرفوا فقط هذه الاديرة ورووا اسماءها في اشعارهم او ذكروها في جملة اخبارهم بل نُسب كثير منها اليهم او لوقوعها في ديارهم او لانَّهم عُنوا

أهو مادّة وهيولي او هو غير ذلك فهنا المشكل الذي تختلف فيه آراء الفلاسفة. فيقول الماديّون ذلك جسمٌ ومادّة انما هو من بعض تكييفات الدماغ وتموّج ذرّاته وحركة دقائقه. امّا الروحيّون فانّهم يزيّفون قولهم وينكرون قطعيًّا كون الفكر جسماً ومادّة لان الجسمَ ما لاح لحواسّنا وما ادركتهُ الحواسّ كموضوعها الخاصّ ويعلّمون على خلاف ذلك انّ الفكر خارج عن المادّة وانّ النفس التي تعلّله هي جوهرٌ روحانيّ يمكنها ان تحيا بمعزل عن الجسد والمادّة

فيترتّب اذن على الفيلسوف الروحاني ان يثبت انّ الجسد او الدماغ لا يكفي لتعليل الفكر والادراك وان الفكر والادراك لا بُدّ لهما من مبدإ اسمى واشرف يكون بسيطاً خالياً من الاجزاء والمساحات لا يتعلّق بالمادّة في ذاته الجوهريّة ولا يحتاج الى مادة في كيانه الخاصّ. اي يجب عليه أنْ يبين انّ ما يدعوهُ الناس بنفس ليس هو بجسم ولا بجزء من جسم ولا عرض ولا يحتاج في وجوده الى قوّة جسميّة بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيءٍ من الحواس يقوم بذاته ويتمم بعض اعماله بمعزل عن الجسم. فنقول:

انّ الدليل الاوّل على قولنا انّما هو ما المنا اليه في المتقدّمات وينبغي ان نوضحهُ هنا بكل جلاء. اعني انّ في الانسان مبدأً منكِرًا مدركاً للمعقولات والكليّات وهذا المبدأ هو النفس فالنفس اذن روحانيّة

ان دخلتَ الى بعض المخازن في بيروت وقعت عينك في هذا الطرف على اجناس من الطنافس المختلفة الصور والاشكال والالوان والاقيسة. وفي ذلك على ضروب من الاقمشة التي لا يفي بعدّها احصاء. وفي جانب ثالث ترى الاسرجة والقناديل المتباينة الاصناف ذات الهيئات العديدة وهلم جرّا. فهذه الطنافس وهذه الاقمشة وهذه السُرُج يختلف كلّ منها بالمكان والوضع والصورة والهيئة فيمكن تمييز كلّ منها عن الآخر بعلامةٍ ما يُستدَلُّ بها عليه. الّا انّ في كل صنفٍ ايضاً شيئاً عموميًّا يشملهُ ويتبادر العقل اليه وذلك جوهرهُ الخاصّ اعني جوهر الطنافس وما به تمتاز الطنافس عن الاقمشة وما يفرزها عن القناديل وجوهر السُرُج وما يجعلها سرجاً ليست احذية. فهذا الجوهر الذي هو واحد في كلّ افراد النوع هو الذي عقّلهُ فكري دون بقية مميزاته المحسوسة ويطلق عليه اسم الجنس فيقول « الطنفسة » ليس « هذه الطنفسة »

« والقماش » ليس « القماش الفلاني » « والسراج » لا السراج ذو الصفة المعروفة » : فهذا المعقول العام الذي يستخلصهُ العقل من المحسوسات هو المعنى الكليّ الذي يجرّدهُ من كلّ المميزات للمحسوسة فيطلقهُ على الجنس ويخبر بهِ عن سائر المفردات فيقول : هذه طنفسةٌ وذاك قماشٌ وذلك سراجٌ اي ان هذا الفرد يدخل في ذاك الجنس العام الذي جرّدهُ عقلي من كلّ مفردات الطنافس والاقمشة والسُّرج . ثمَّ يقابل بين جنس وجنس فيقول « الطنافس امتن من الاقمشة » و« السرج ارخص من الطنافس »

نعم انَّهُ يوجد اختلاف بين العالم والجاهل وبين الرجل الكهل والولد في درجة معرفة ذاك الكليّ فالعالم يعرف من خواصّ الشيء ما لا يعرفهُ الجاهل ويكشف الكهل ما لم يكشفهُ الولد الّا انَّ الجميع دون اختلاف عقلوا جوهر الشيء وجرّدوهُ عن محسوساتهِ وادركوا كنههُ وماهيّتهُ وبذلك تفرّدوا عن الحيوان الاعجم الذي لا يعرف الّا « هذه الطنفسة » و « هذا الانسان » و « ذاك البيت » لانَّ الحيوان لا يدرك الّا المفردات دون الكليّات فيطبع في مخيلتهِ وذاكرتهِ صور المحسوسات فاذا رآها بذاتها او بأشباهها تأثّر منها

فشتّان اذن بين الحيوان الاعجم والانسان فانَّ كليهما بمشاعرهما يتناولان صور الاشياء ومفرداتها مع خواصها المميزة لها . كلاهما يرى في الكون افرادًا عديدة من الجماد ومن النبات ومن الحيوان ومن البشر الّا انَّ الحيوان يقف عند هذا الحدّ فلا يتعدّاهُ لانَّ دماغهُ كمرآة يمثل في حواسهِ صور الاشياء كما هي في الكون بميزاتها المحسوسة امّا الانسان فانَّهُ يخطو الى ما وراء ذلك فيعرف جواهر الاشياء دون اعراضها فيعرف مثلًا « الانسانيّة » ليس فقط الانسان ويعرف « الحيوانيّة » ليس فقط الحيوان وجوهر النبات وما يفرزهُ وكلّ ذلك ليس بموجود في الطبيعة اذ الجواهر في الطبيعة لا تُفصَل عن اعراضها من كيف وكم وزمان ومكان ومساحة وصورة فالعقل بادراكهِ الجوهر وقطعهِ النظر عن كلّ هذه الاعراض يفعل فعلًا خاصًّا بهِ بمعزل عن الحيوان مهما كانت درجة ترقي الحيوان في الذكاء والنباهة

وما قلناهُ عن الجواهر والكليّات يصحُّ قولهُ في اسماء المعاني وما لا يقع تحت الحسّ كادراك النفس للواجب الوجود الله سبحانهُ وتعالى وللنفس وللارواح

وكذلك الكيفيّات كالطول والعمق والعرض والكبر والقوّة والضعف والحلاوة والمرارة والحياة فانّ كلّ ذلك ممّا لا يتجسّم فتدركهُ الحواسّ

واحرى من ذلك المعقولات المعنويّة التي ما وراء الطبيعة كالوجود والعدم والإمكان والوجوب والحدَث والضرورة والحق والباطل والجوهر والعرض وغيرها من المعاني الشريفة التي يدركها العقل ولا يأخذها من الحسّ او يجدها في الدماغ

فان كانت للانسان قوّة كهذه تمكّنهُ من ادراك الكليّات والمعاني التي لا يجدها في الطبيعة بل يعقلها بفعلهِ الخاص دون الحواس فلا بدّ من القول بوجود فيه مبدأ سامياً خارجاً عن الحواسّ مجرّداً عن الجسم. وبعبارة اخرى يجب القول انّ فيه نفساً روحانيّة

وان سألت كيف نثبت كون النفس بادراكها للكليّات وللمعقولات هي روحانيّة وليست تلك القوّة فيها جسميّةً ماديّة

الجواب على ذلك انّ العمل يدلُّ على العامل اذ لا بدّ ان تكون نسبة بين الصانع وصنعهِ فان كانت نتيجة فعل العقل هي تجريد المحسوسات عن مميّزاتها الهيوليّة واوصافها الماديّة ليعقلها في حالة مجرّدة عن المادّة فينبغي القول انّ ذلك العامل هو ايضاً مجرّد عن المادّة وانّ النفس التي تفعل ذلك بعقلها وقوّة ادراكها هي غير مادية اي انّها روحانيّة

وهنا يحسن بنا ان نؤيّد قولنا بتعاليم كبار الفلاسفة الاقدمين الذين وضعوا مبدأً عمومياً يشمل كلّ معرفة سواء كانت حسّيّة او عقليّة فقال ديموقريطس: « لا يعرف الشبيهَ الّا شبيهُهُ » فالمحسوس تُدركهُ الحاسّة لشبهٍ بينهما فان العين تتناول مثلاً الالوان والسمع يدرك الاصوات والشمّ الروائح لما بين الحواسّ ومدركاتها من التناسب لكنّ العين لا تتأثر بالاصوات ولا الاذن بالروائح ولا اللمس بالالوان لعدم الشبه بينهما

فعلى هذا المنوال يجب القول انّ العقل الذي يدرك الجواهر غير المادية هو ايضاً مجرّد عن المادّة. قال ارسطو في كتاب النفس: « انّ العقل بادراكهِ للمعاني وللجواهر المجرّدة يصبح كأنهُ هي ويتكيّف على نوع ما بكيفيّة كلّ ما يدركهُ » وقال شمس المدارس القديس توما اللاهوتي: « انّ المعرفة الصحيحة الصادقة هي تشابُهٌ بين العارف والمعروف وعلى قدر ما تزيد هذه المعرفة للمعقول يزيد هذا التشابه ».

وقال ابن سينا: « ان العقل كلما تباعد عن المعاني البدنيَّة وتداخل في ذاتهِ وتخلى من الحواسّ ازداد قوَّةً وتماماً وكمالاً وظهرت لهُ المعقولات البسيطة فهذا دليل على انهُ اكرم جوهرًا وافضل طباعاً من كلّ ما في هذا العالم من الامور الجسمانيَّة »

والحقّ يقال انك اذا فحصت عن معقول العقل اي المعنى المجرَّد الذي ادركهُ ثم قابلت بينهُ وبين افراد المحسوسات التي استخلص منها ذلك المعنى وجدت انهُ لا ينطبق مع واحد منها بالخصوص لكنهُ يوافقها كلها عموماً وكلّاً منها تماماً اعني انهُ ينفي عن موضوعهِ كلّ ميزةٍ تختصّ بالفرد دون العموم لأن تلك الميزة هي التي تنظمهُ في عالم الكون والمخلوقات الماديَّة

وبهذا تسقط حجة بعض الماديين الذين مثل تَين (Taine) اطلقوا على هذه المعاني المجرَّدة اسم « الصور العموميَّة » التي تمثل بعض خواصّ المحسوسات فتشمل طائفةً منها الّا انهم وهموا اذ جعلوا تلك الصور كالمعاني الكليَّة وشتَّان بينهما كما يلوح لاوَّل وهلةٍ. ويجدر بنا هنا ان نذكر قول افلاطون في كتابهِ المسمَّى فيدون (Le Phédon): « ألسنا عرفنا المساواة بنظرنا الى اشجارٍ متساوية وحجارة متساوية؟ ومع ذلك ليست المساواة احدى تلك الاشجار او احدى تلك الحجارة. وليست المساواة في كلّ شجرة كطولها او عرضها اللذين نطَّلع عليهما بالنظر واللمس فاذا نظرت العين شجرتين متساويتين ليست العين التي ترى المساواة اي النسبة بينهما لكنَّ العقل » لانَّ المساواة لا تقع تحت النظر كما اننا لو قلنا ٢ × ٢ = ٤ لم نحكم بهذه المساواة لنظرنا النسبة او لسمعنا بها او لمسّنا لها وليس في الدماغ قسمٌ هيولي يشمل هذه النسبة ويقابل بين اقسامها لانَّ النسبة غير هيوليَّة كما هو معروف

ولعلّ معترضاً من الماديين يتصدَّى لنا فيقول عبثاً تزعم انَّ عقل الانسان مجرَّد عن المادَّة وبهِ تستحقّ النفس ان تدعى روحانيَّة أفلا ترى ارتباطهُ مع المادَّة والاعراض الماديَّة فان واصلَ العقلُ عملهُ مدَّة او اطال الفكر زمناً أُصيب الرأس بألم وكَلَّ عن الشغل وكذلك يُصاب العقل بكل عاهة تنال الجسم حتى انهُ في بعض الاحيان يشردُ ويهذي ويُمسّ بشعورهِ . وكذلك قد وزنوا عدد اقيسة الحرارة التي يفقدها الدماغ بالشغل العقلي. كما انك ترى العالِمَ بعد ساعات من الدرس يحتاج الى

القوت كالعامل الذي اشتغل بالماديات. فهذه كلها ادلة واضحة انَّ العقل مرتبط بالجسم وخصوصاً بالدماغ وانَّهُ تحت حكمهِ كبقيَّة الحواسّ

الجواب على هذه الاعتراضات كلها وغيرها ايضاً شبيهة بها أنَّنا لسنا من تَبَعة الفيلسوف ديكَرْت (Descartes) الذين ينفون كلَّ مخالطة بين النفس والجسد فبالغوا بذلك حتى خرجوا الى الغرابة والاستحالة وانَّما نقرُّ مع كل الفلاسفة الروحيين الصادقين بانَّ ارتباط النفس مع الجسد لازم لازب للنفس في كيانها الطبيعي وحالتها التي خلقها الله فيها اعني ان تحيا في الجسد ومن ثم تحتاج النفس الى اجهزة الجسم وحواسهِ كشروط سابقة تستعين بها لاتمام عملها لانَّ النفس لا تجد في ذاتها موادَّ معلوماتها بل تأخذها عن الحواسّ كما قلنا قبلاً. والفلاسفة المدرسيُّون (Les Scolastiques) قد وضعوا هذا المبدأ المقرَّر « بانَّ لا شيْ يعقلهُ العقل الَّا سبق ومرَّ بالحواس » لكنَّ كيانهُ في الحواسّ ليس ككيانهِ في العقل فانهُ يكون في الحواس مفردًا مكيَّفاً بكيفيَّات ماديَّة من صورة وهيئة وزمان ومكان امَّا كيانهُ في العقل فهو على هيئة اسمى واشرف اذ يتجرَّد عن كلّ تلك الصفات الماديَّة والهيوليَّة السافلة ليرتقي الى مرتبة المعقولات الروحانيَّة (١

وعليهِ فلا غرو ان يُصاب العقل بمصاب الحواس وعاهات الجسم لأنَّ الحواس ان ابت خدمة العقل لأذًى لحق بها من ضعف او مسيس قصر العقل عن فعلهِ كما انَّ الحائك لا يستطيع ان يحيك النسيج ان لم يسبق الغزَّالي ويجهّز لهُ غزلاً مناسباً للحياكة

ولقد كان اعتراض المعترضين ثابتاً مقنعاً لو امكنهم أن يبيّنوا ان العقل بمعزل عن الجسد لا يقوى بالتمرين والنظر والدرس اعني بملازمتهِ فعلهُ الخاصّ وذلك بخلاف الحواس التي اذا قويت عليها محسوساتها اضرّت بها. فان العين مثلاً اذا نظرت الى نور ساطع كالشمس انبهرت ولا تعود ترى شيئاً آخر مدَّة برهة من الزمان وكذلك السمع ينبو اذا سمع صوتاً مزعجاً كصوت صاعقة وقس عليه بقيَّة الحواس. امَّا العقل فعلى خلاف ذلك على قدر ما يتعمَّق في المعلومات ويزيد تبحرًا في العلوم

١) راجع كتاب فلسفة الكردينال مرسيه (Cardinal Mercier: *Cours de Philosophie*)

تتضاعف اهليتهُ لها فكلّ معقول جديد يحصل عليهِ يزيدهُ قوّة على قبول غيرهِ دائماً ابداً بلا نهاية

امّا تعليل هذا الفرق فلأنّ الحواس اذا تأثّرت من مادّتها تأثيراً شديداً أُصيبت اعصابها من ذلك التأثير ببعض الفساد فتحتاج الى هنيهة من الزمن لتعود الاعصاب الى حالتها الطبيعيّة لتقبل تأثيراً جديداً. امّا العقل فاذا ادرك بالفهم قضيّة زاد نورهُ واستطاع ان يدرك ما هو اسمى وارفع من المعلومات

*

وهذا البرهان الذي استندنا اليهِ لبيان روحانيّة النفس اي ادراك العقل للكليّات يزيد وضوحاً وقوّة اذا خصصناه بالقياس المنطقي الذي تجدهُ في كل كلام البشر سواء كان ذلك القياس مركباً من ثلاث قضايا موضحة كقولنا: « ان الفضيلة محبوبة والعدل فضيلة فالعدل محبوب » او كانت القضايا مقدّرة كقولنا: « ان فضيلة العدل محبوبة ». فهذا القياس على ايّ صورة كان هو من اقنع الادلة على روحانيّة النفس

يقوم القياس بان يقابل العقل قضيّتين مع قضيّة ثالثة فاذا وجدهما موافقتين لها حكم بتوافقهما بينهما. فان قابلت مثلاً الحبّ مع الفضيلة والعدل مع الفضيلة فوجدت ان كلّ فضيلة محبوبة وانّ العدل فضيلة اقتضى الحكم بان العدل محبوب. فالقياس يتركب اذن من مقدّمتين كبرى وصغرى ثم نتيجة اعني ثلاث قضايا مرتبطة ارتباطاً تامّاً لا يسلّم العقل بالقضيّتين الاولين الّا وجب عليهِ التسليم بالثالثة

فاذا كان الامر كذلك نقول انّ العقل بوضع القياس يثبت بروحانيّتهِ لأنّهُ لو كان كل شيء في الانسان مادّي هيولي لما امكنهُ ان يجد التناسب بين هذه القضايا لا بل ما امكنهُ ان يحكم في المقدّمتين. ألا ترى ان المادّة تشغل مكاناً فتمتدّ طولاً وعرضاً وسمكاً فلو عقلت معنًى لعقلتهُ جزءاً في اجزائها الهيوليّة وما استطاعت ان تحكم في النسبة بين تلك الاجزاء بل ينتج من هذا ان النفس العاقلة هي بسيطة لا اجزاء لها لانها هي تحكم بعقلها في جميع المركبات فان تعدّدت مدركاتها بعدد المركبات بطل عملها. قال ابن مسكويه في الفوز الاصغر (ص ٣٨):

امّا أنهُ لا ينبغي ان تكون المدركات بعدد المركّبات فهو ظاهر وذلك انّ الحاكم في جميعها واحد لأنّ شيئاً واحداً في الانسان يحكم في الصغير انهُ صغير وفي الكبير انهُ كبير وهو

الماكم في الالوان والاشكال والطعوم والروائح ولو كان المدركون مختلفين لما صحَّ ان يحكم واحد على ما ادركهُ الآخر

ولا يقولنَّ الفيلسوف المادّي ان النفس هي واحدة لكنها تدرك المدركات المختلفة بقوًى كثيرة فتدرك مثلًا الامور الهيولانيَّة البسيطة بقوَّةٍ والامور الهيولانيَّة المركبة بقوَّة اخرى فهذا قول باطل لأننا نرى النفس العاقلة تزيف الحسَّ فيما يغلط بهِ وكثيرًا ما يغلط وتردُّهُ الى ما حكم بهِ العقل فترى العينُ مثلًا الشيء من بعيد صغيرًا والعقل يحكم بأنَّهُ كبير جدًّا . وذوق المريض يرى الطعام مرًّا ويحكم العقل بحلاوتهِ . فالنفس الروحانيَّة تردّ في كل ذلك حكم الحسِّ وترجح حكم العقل . فلو كانت النفس لا تعلم المعقول والمحسوس بقوَّة واحدة لما علمت الفرق بينهما ولما ردَّت الجميع الى امر واحد لتحكم فيهِ حكمًا واحدًا » كما قال ابن مسكويه

فينتج من كل ما سبق انَّ القول بروحانيَّة النفس من المبادئ الراهنة التي لا ينكرها عاقل وان انكرها لا ينكرها الَّا بمضادَّة نفسهِ اذ لا بُدَّ لهُ للانكار من حكم يحكم بهِ ومن قياس منطقي او سوفسطائي يتشبَّث بهِ وكلّ ذلك لا يتمّ الَّا بنفس ناطقة مستقلَّة عن المادَّة مجرَّدة عن كلّ المحسوسات . وهذا ما اردنا اثباتهُ بوجيز الكلام

شطط الصحافة

خطاب الى كل عاقل منصف

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّها لشريفةٌ مهنة الصحافة ورتبة الكتابة في الهيئة الاجتماعيَّة اذ يجرّد الكاتب قلمهُ لخدمة كلّ مشروع صالح وكل مسعى حميد من شأنهِ ترقية الخير العامّ ورفع شأن الوطن

غير انَّ هذا القلم اشبه بسيف ذي حدّين اذا وقع في ايدي الجهَّال ولعبت بنصلهِ الاغرار فربَّما كان آفةً وبيلة وآلة مشئومة يجرح بها اللاعب نفسهُ ويضرُّ بغيرهِ

وهذا ما رأيناه في بعض جرائد البلد المتطرّفة في اثر اعلان الدستور منها نصرانيّة كنّا اوّل من قام في وجهها لمقاومة آرائها الفاسدة واقاويلها الكاذبة. ومنها اسلاميّة ظهرت في المدّة الاخيرة فافسحت المجال لما يستهجنهُ ذوو العقول الراجحة وما كنّا لنكترث لها والسكوت في احيان كثيرة احسن جواب على تطاول السفيه وانّما يسوءنا ان نرى المسلمين العقلاء وكثيرٌ ما هم لا يضعون حدًّا لمثل هذه التحاملات ونحن كما بيّن جناب عبد الحميد افندي الزهراوي في مقالته المسجديّة في زمن نحتاج فيهِ الى اتحاد وألفة بين عناصر الدولة ثمَّ بين دولتنا والدول المسالمة لنا لئلّا يسطو بنا عدوّ اذ يرى ما فينا من الانفراد وبيننا من الانقسام

ظهرت في بيروت بعد اعلان الدستور بمدّة مجلّة صغيرة تُدعى المنتقد اخذ صاحبها وهو شُبّب لم تحنكهُ الايّام وفتى لم يعجم عود الدهر فنصب حالهُ منتقدًا لاعمال الدولة ولامّتهِ واهل جلدتهِ بل لاعمال «كلّ من يحيد عن الصراط المستقيم ويخالف النواميس والقوانين» وهي لعمري غاية شريفة لا يقوم بها الفطاحل فكيف بغلام لم يشرب من العلوم نقطة ولم يباشر من السياسة مهنة وقد اقرَّ بعجزهِ وتقصيرهِ ولم يمنعهُ ذلك عن الاقدام وظنّ انّهُ يكفيهِ استلال سيفهِ العنتريّ ليقطع دابر الشرور وربّما عدَّ شرًّا ما هو احرى ان يُدعى خيرًا فكان يضرب يمينًا وشمالًا وكانت اوجع ضرباتهِ لامّتهِ فترى في مفتتح كلامهِ ما يشعر بفلتات لسانهِ قال (المنتقد ص ٢):

اي بني الوطن كلّكم يعلم ما وصل اليهِ الحال من الظلم والاستبداد والقهر والذلّ والهوان الذي يدلّ بالدولة الى شفا جرف الزوال... انَّ ادراننا الاخلاقيّة وطبائعنا الحيوانيّة وحدنا لبعضنا وسعينا في اضرار غيرنا وقدحنا في اعراض بني وطننا هو الذي قلّل الثقة بنا وجعلنا نمزوًا وسخريّة عند الامم الغربيّة... انَّ الشرقيين خصلة تكاد تكون طبيعيّة وهي الشقشقة والهذر وكثرة القول والعجلة...»

وبعد ان اساء الظنّ ببني وطنهِ ووصفهم بالطبائع الحيوانيّة ونسب لمواطنيهِ ما عرفهُ من نفسهِ نصح قومهُ (ص ٥) بان «لا يستسلموا الى الحكّام والامراء ولا يخنعوا امامهم فيدوسوهم دوس البهائم» ثم وجّه كلامهُ الى الحكّام انفسهم ليرشدهم الى الصلاح ويحذّرهم من الازدراء في احكام الامّة

وعقّب هذا بفصل آخر (ص ٦) في التعصّب فخبط خبط عشواء واتى باقوال تضحك منهُ كلّ الجهلاء فضلًا عن العقلاء وتراهُ اليوم يأتي من اعمال التعصّب ما

استهجنهُ وتشنع في غيرهِ وختم تلك المقالة بهذه الالفاظ التي سبق فحكم بها على نفسهِ فقال (ص ١٠):

« ان تداخل الرعاع والسفهاء في مسائل الاجتماع وشؤون الامَّة واحتاء بعض اصحاب المآرب النفسانيَّة في حمام وتصبُّ الجهلاء لهذا البعض وخدمة افكارهم سيحدث ضرراً كبيراً ويكون باعثاً لارتكاس الحال وانقلاب المآل »

نعم القول لو شفى بهِ الطبيب نفسهُ قبل ان يعالج غيرهُ! ولو تتبَّعنا المنتقد صفحةً صفحةً لوجدنا لانتقادهِ مِلَلا تستوعبهُ الصفحات الطوال واذ ترى صاحبهُ اليوم يتصدَّى للدفاع عن ابناء ملَّتهِ وكان وقتئذٍ يشتمهم شتماً بذيئاً فقال (ص ٣٤):

« بكى (اليراع) اذ رأى انَّ الادباء والمتأدبين يبيعون وجدانهم بابخس الاثمان ويسلمون ضميرهم لذوي السلطة والشأن ديدنهم الحَسْز واللمز وشعارهم الهذر والهذيان يقضون النهارات بالترهات والليالي بالسفسطات »

بل اسمع كيف يصف علماء امَّتهِ واساطين الدين الذي يزعم انهُ يذود اليوم عن حياضهِ فقال (ص ٣٤):

« ان العلماء وهم قادة الامَّة واساطين الدين وعليهم مدار الارتقاء يسعون وراء مصالحهم الذاتيَّة ومنافعهم الشخصيَّة ولملذَّاتهم الحيوانيَّة متدرِّعين بدرع التقى والصلاح »

وبعد ان خصَّ تجار بلدهِ « بالاكل والشرب وامتلاء الخزائن والبطون » تحوَّل الى مدارس قومهِ فقال وهو قول حريٌّ بالذكر ليرى المسلمون اعتبارهُ لمدارسهم ومعلِّميها وطلبتها (ص ٣٥):

« دعائمها (اي المدارس) الكسبُ والربح ورؤساؤها هيكل السود المختَّم ومعلِّموها غثال الكذب المرخَّم ودروسها علوم الرياء والنفاق ومتعلِّموها انموذج الاهمال والكسل ينطبع في ذهنهم ما ترسمهُ مخيلات معلِّميهم المختلَّة »

وكما ضرب بكل طائفة وكلَّ فئة ضرب بالشرقيين عموماً وقابلهم مراراً بالغربيين لجعل هؤلاء في ذروة المجد وأولئك في اسفل السافلين (ص ١١٠ و ١١١) قال سامحهُ الله:

« وا اسفاه . . . نحن الشرقيين لا علم ولا ادب ولا اخاء ولا حبَّ ولا انصاف ولا اتصاف ولا تقدُّم ولا نجاح ولا فوز ولا فلاح ولا ولا الخ الخ . بل وا مصيبتاه لم يكن لنا الَّا كلَّ امرٍ تُشمَّ منهُ رائحة الذلَّ والهوان والتأخُّر والانحطاط وعلمَّ جرَّا »

وقال في رؤساء دينهِ (ص ٣٨٣):

« ولا تزال تقول انَّ رؤساء الدين او ما يُسمُّون انفسهم بالعلماء هم سبب بلاء الامَّة الاسلاميَّة بل سبب بلاء كل شعب على سطح هذه الكرة الارضيَّة وقد صدق القائل واجاد

الشرّ كلّ الشرّ بين العالم والقلانس

زه زه ! فما قول شيوخ المسلمين بهذه الالفاظ الحلوة او كيف تغاضوا عن مثل هذه المسبَّات وسكتوا عن هذه الشتائم او يرون انَّنا تجاوزنا طورنا باقامة الاحتجاج على من يكتب كتابات كهذه. وكلّ يعلم مـا صنع المسلمون في البلدة لمَّا ذكرت احدى الجرائد النصرانيَّة في بيت شعر لضبط القافية كلمة « المحراب »

ومثل هذا كثير في المنتقد. قال (في المجلَّد الثاني ص ٨٦):

« اصرّح والول كما قلتُ غير مرَّة: انَّ سبب بلاء امَّتنا وبلاء كلّ امَّة هم رؤساؤها الروحيُّون او الدينيُّون فلا ترقى الامَّة ولا تجاري سائر الشعوب في المدنيَّة والعلم الَّا بتخلُّص نفوذ اولئك الرؤساء . . . »

كأنَّ المدنية قائمة بمناصبة ارباب الدين. الى ان قال عن الفِرَق الاسلاميَّة :

« الديانة الاسلامية مرجعها القرآن الشريف والحديث النبوي بيد انَّ الاغراض الشخصيَّة والمطامع السياسيَّة قسمتها الى طوائف واحزاب اهمُّها ثلاثة السنيَّة . الشيعيَّة . الوهابيَّة . ولكل من هؤلاء معتقدات يدَّعون صحَّتها »

وقال قبل هذا ما نصُّهُ الحرفيّ :

« والمسلمون منقسمون الى شيعة وسنَّة ومتاولة واسماعيليَّة ودروز ووهابيَّة بل انَّ نفس الطائفة منقسمة الى شيع واحزاب كلّ يناضل الآخر ويحاربه ويقاتلهُ ويضاربهُ وهم من بلد واحد ومذهب واحد ووطن واحد »

فندع لعقلاء المسلمين الحكم في اقوال مثل هذه في ملَّتهم فينظرون ايّ ناصر قام للمدافعة عن مذهبهم فيتردَّد اليهم بشتم النصرانيَّة والجزويت . ولا عجب بعد ذلك أن عدل المشتركون عن هذه المجلة وضربوا بها وجه الكاتب. فلمَّا رأى صاحبها كساد بضاعته حاول منذ اشهر تغيير خطَّته فانشأ جريدة سمَّاها البلاغ واتَّخذ فرصة اعلان ايطاليا للحرب مع دولتنا العليَّة ليضرب على وتر آخر

كلٌّ يعلم انَّ الحرب الايطاليَّة قد اثارت في قلوب كل عناصر الدولة العثمانيَّة من نصارى ومسلمين وعرب وارمن واتراك نفورًا واشمئزازًا اعلنوا بهما على رؤوس الاشهاد ورأوا في عمل ايطاليَّة هضماً للحقوق واجحافاً بالحرمات وهكذا اعتبرت الامر الدولُ الاوربيَّة اجمالاً . فظنَّ محمَّد افندي الباقر انَّهُ يصيب لدى المسلمين

مقاماً ارفع اذا لاذ بالتعصب وصوَّر لهم هذه الحرب كحرب دينيَّة محضة قامت بين النصرانيَّة والاسلام. ولو عقل لسمع اهل ملتهِ كوليّ الدين يكن وعبد الحميد افندي الزهراوي وكلّ من لهُ المام بالسياسة انَّ لا دخل في هذه الحرب مع الدين وليس على الخلافة الاسلاميَّة من خطر وان كان الايطاليُّون نصارى فحكومتُهم مجرَّدة عن كلّ دين بل قل انَّها ماسونيَّة معاكسة للدين. كيف لا وهي التي زجَّت في الواتيكان الاحبار الرومانيين وسلبتهم كلّ سلطتهم الزمنيَّة ظلماً وعدواناً. وزد على ذلك ان قداسة البابا بيوس العاشر اعلن رسميًّا انَّ الكرسي الرسولي في هذه الحرب على جانب الحياد لا يتمنى غير السلام للامَّتين. لكنَّ صاحب البلاغ اصرَّ على رأيهِ وهو لا يزال ينفخ في جذوة النار ليهيج الاهواء ويرمي الفتن بين ابناء الوطن الواحد افعجبُ بعد ذلك ان قامت الجرائد المعتدلة تُزيِّف قولهُ وتعارض تطرُّفهُ. وجاء عددهُ الاخير مشحوناً بكلام بذيء يخجل منهُ اسافل القوم ورعاع الناس ولم يستحي ان يلقِّب اليسوعيين الذين يهذِّبون اولاد اعيان المسلمين بالقربان السود وغير ذلك من الالفاظ المستقبحة المجونيَّة

*

على انَّنا ما كنَّا لنكترث لاقوال كاتب لم يكد يتجاوز العشرين وقد امتعض قبلنا عقلاء المسلمين من طيشه حتى طلبوهُ الى المحاكمة فغضضنا عن فلتاتهِ ونسبناها الى نزق الشباب. لكننَّا تأسفنا على انَّ صاحب جريدة اخرى تدعى ابابيل ليس لديهِ عذر الشباب جرى على خطة البلاغ فاتى بعددهِ ١٤٠ في تاريخ ٥ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ (٢٧ ت ٢) بالعجائب والغرائب فافتتح العدد بمقالة عنوانها « الحرب دينيَّة لا سياسيَّة » واراد اثبات قولهِ ببرهانٍ في الغرابة بمكان وهو « ان الحرب الحاضرة مع دول الغرب جماء لانَّ دول الغرب لمَّا علمت انَّ الامَّة الاسلاميَّة يعسر اخضاعها بالسيف عمدت الى سياسة اللين والملاطفة وتأسيس المستشفيات والملاجئ والمعاهد العلميَّة في ديارهم تمهيداً لفتحها » فكفى بنا تدوين هذا البرهان البديع في بابهِ لنعرف مبلغ صاحب الجريدة من الانصاف والتعقُّل كأنَّ المدارس الاجنبيَّة والمعاهد العلميَّة والمستشفيات والملاجئ انَّما فُتحت لمحاربة الاسلام وليس لخدمة نصارى الشرق وكانَّ اصحابها قائمون قاعدون ليحشدوا فيها المحمَّديين. وكلّ يعرف ان

منشئي تلك المعاهد لم يحرموا منها المسلمين لئلا يُنتبوا الى التعصُّب والهمجيَّة . فهذا شكر الكاتب لمن خدموا اهل ملتهِ الخدمة النصوح منذ عهد مديد. ثم ألحق هذا الفصل بفصل آخر نقلهُ عن جريدة ماسونية عدوَّة للاسلام والنصرانية معاً تدعى القرن العشرين تحت امضاء «كافر» فتمنى ابابيل « ان يكون كلّ المؤمنين (اي المسلمين) مثل هذا الكافر » ومن كلّ اسطر هذا الفصل بل من كلّ حروفهِ يقطر السمّ النقاع اذ افرغ الكاتب غضبهُ على اوربا واميركا وخصوصاً على النصرانية ولاسيما الكثلكة ورومية العظمى، مما لو طُبع سطر واحد من شكلهِ في جريدة نصرانيَّة لهاج المسلمون وماجوا وقلبوا الارض ظهرًا لبطن. فاسمع بعضاً من اقاويل صاحب الامضاء وانظر في ايّ جانب يكون التعصُّب وما الطف تمني ابابيل ان « يشبهُ كلٌّ من المسلمين » قال سامح الله الكاتب والناقل :

« انتِ مثال الشرّ يا رومة. انتِ قتلة الابرياء والطهر يا رومة . انت روح الشراسة والنظاعة يا رومة. انت مهبط الخمول والتأخُّر يا رومة. انت قاتلة العلماء والفلاسفة يا رومة. وانتم ذابحو الانسانيَّة والعدالة يا خدَّمة المسيح واساقفة رومة »

وقس عليهِ بقيَّة الفصل الذي كلهُ يضرب على هذا الطنبور. كأنَّ رومية هي التي اوعزت الى حكومة ايطالية بفتح طرابلس الغرب والحكومة المذكورة قد ضربها الحبر الروماني مع ملكها بالحرم منذ ٤٠ سنة بنيف وقُطعت العلائق بينها وبين الواتيكان ولو اذعنت ايطالية لذاك الحكم لبقيت مجموعَ دولٍ صغيرة لا تتهدَّد الدولة العثمانيَّة فمذ حلفت الماسونيَّة ان تجعل ايطالية حكومة واحدة مذ ذاك الحين نظرت بعين الطمع الى طرابلس الغرب وعزمت على الفتك بها. فليعلم المسلمون انَّ علة هذه الحرب ليست الديانة المسيحيَّة التي لا تتبع شرائعها الدول لكنَّ الماسونيَّة التي ساحت ايطالية وجمعت قواها ضدَّ الكرسي الرسوليّ وهي الآن تريد توسيع نطاقها بفتح طرابلس الغرب. ولو اراد احد زيادة ايضاح فليسأل جمعية الاتحاد والترقي في سالونيك ورؤساءها اليهود المرتبطين مع شرق ايطاليا الاعظم. فلو عقلت ابابيل لشكرت اذن رومية بدلًا من ان تسبَّها مع كاتب ماسوني وحكمت مع كل عاقل بصير بل مع كل دولة فاضلة انها قطب كل ترقّ ومنبع كل صلاح لا ينكر فضلها الّا كل اعمى جاهل

اما الحروب الصليبيَّة فليس من موجب الى ذكرها هنا بعد ٨٠٠ سنة والفرق بينها وبين الحرب الحاليَّة كالفرق بين السماء والارض اذ كانت الدول الاسلاميَّة في القرن العاشر تزاحم الدول النصرانيَّة أفعجب ان تكون النصرانيَّة في ذاك العصر قامت لتدفع القوَّة بالقوَّة وتصون اذا استطاعت تلك الامكنة المقدَّسة التي قدَّسها السيد المسيح ودونك حكماً اعدل حكم بهِ حضرة شيخ الاسلام بالاقطار الحجازيَّة السيّد احمد دحلان في كتابهِ الفتوحات الاسلاميَّة (طبعة مكة سنة ١٣٠٢) فقال عن الحروب الصليبيَّة بعد ذكر فتوحات المسلمين (ج ٢ ص ٢) واسباب قيامة الفرنج ما نصُّهُ:

« اذا اراد الله ظهور امرٍ هيَّأ اسبابهُ فظهر لهم (اي للفرنج) امور واسباب قوي بها عزمهم على ما ارادوا. فمن ذلك ما ذكرهُ بعض مؤرخيهم انَّهُ في اثناء المناداة بهذه الحروب وتجهيز الناس للدخول فيها ظهر لهم جملة عجائب في السماء والارض (وبعد ذكرهِ بعض هذه العجائب) ختم بقولهِ: فهذه المرائي التي كانت تتراءى لهم شدَّدت عزائمهم وجعلتهم لا يتوقَّفون عن السفر »

فانظر الفرق بين هذا الحكم واقوال كاتب القرن العشرين وصاحب ابابيل المصادق عليها

ويلي هذا الفصلَ فصول أخرى من جنسه وليست اثبت حجة ولا اقوى دليلاً نرى من النافل ان نضيع الوقت في الردّ عليها

وفي هذا الصدد نبذة اخيرة شرَّفتنا بها ابابيل وعنونتها باسمنا الحقير اعلمت بهِ قراءها « انَّ الاب لويس شيخو الجزويتي منذ نعومة اظفارهِ بل منذ دبَّ ودرج الى ان شبَّ وشاب إعتاد على التحكُّك بالمسلمين » الى ان « دفع بهِ الطيش والغرور لخرق حرمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام » فاستحقَّ هو وقومهُ ان يُعَدُّوا « اعداء الانسانيَّة بل اعداء الديانة المسيحيَّة التي تتبرَّأ منهم ومن اعمالهم »

فلعمري انَّ شكاية مثل هذه لحرية بان تستوقف الانظار بل تستحقّ ان الحكومة السنيَّة تعيرها بالًا وتجازي الفاعل بما جنت يداه باشدّ العقوبات. فما هو ذنبنا الان فلنسمع لمأنا اذا عرفنا الجريمة ارعوينا واستمحنا عذرًا من الذين جنينا في حقهم

قالت ابابيل « اننا وصفنا المسلمين بالقراصنة ورميناهم بكل نقيصة »

دعوى باطلة اوهن من نسيج العنكبوت. في مقالتنا عن طرابلس الغرب التي

استحسنها كلّ القراء ونقلتها بعض الجرائد قلنا في اثناء ذكرنا لتاريخها ان طرابلس الغرب « بعد ان انتزعها من ايدي فرسان رودس طرغود باشا جعلها حصناً حصيناً يأوي اليهِ قرصان البحر فينقضّون كالبزاة على سفن الاوربيين » ليت شعري اهذا ذنبنا وكلّ يعلم ان عمل اولئك القرصان كان نوعاً من الغزوات والجهاد. ومن العجب العجاب انّنا بينما كنّا نكتب هذا السطر الفرد الذي عدّتهُ ابابيل من الفظائع نشرت جريدة المفيد (٨٤٣٤) مقالة في طرابلس الغرب فذكرت القرصانيّة بما حرفهُ وافتخرت بها وقالت:

« كانت مياه افريقيا الشمالية في القرن السابع عشر مرسى لسفن القرصان يقطعون السبل على السفن الافرنجيّة التي تمرُّ فيهِ ويبادرونها وينهبونها ويقتلون اهلها فآل ذلك الى مداخلة الدول الاوربيّة في شؤونها ومطالبتها بما كان يأتيهِ قرصان طرابلس من الاذى لرعاياهم وكثيراً ما افضى ذلك الى نزاع واحتجاجات يطول شرحها . . . » (ولعلّ جرًّا لانّ الفصل طويل).

فليقابل العاقل بين ما كتبهُ « الاب لويس شيخو الجزويتي » وما كتبتهُ المفيد الاسلاميّة اليس كلامها اشدّ واقسى من كلامنا فكيف تحكّكت ابابيل بنا وسهت عن وصيفتها. اهذا انصافكِ يا ابابيل !!

ثمّ انتقلت الى ذنب ثان قرّفتنا به فقالت انّ « الاب لويس شيخو نشر مقالة في بشيرهِ بعد ان شحنها بعبارات ملؤها التهكّم على الانبياء عليهم الصلاة والسلام »

وهذه شكوى افظع من السابقة الّا انها سهام طائشة وضربات في الهواء. فاننا منذ سنين طويلة لم نكتب حرفاً في جريدة البشير ولم نتولَّ قطّ ادارتها او انشاءها كما يعلم كلّ من يعرفنا. ولعلّ صاحب ابابيل يشير الى ما وُرد في البشير من الردّ عليهِ لمّا تصدّى لاحد مراسلينا في الموصل وكان هذا روى قصة كرامة جرت بشفاعة وليّ الله القديس بهنام من شهداء النصرانيّة في عهد الملك سابور من ملوك فارس فلم يَرُقْ هذا الخبر في عين صاحب ابابيل فكذّبهُ وانكر امكان وقوع العجائب فقام احد قرّاء البشير المسمّى ج ص وليس هو بجزويتي فكتب فصلاً في البشير حرّك غضب ابابيل فالتقمت تلك الطيور حصاها لتحصبنا بها لظنّها اننا منشئو ذلك الردّ. ولكن هَبْ انّنا كتبنا الفصل فاين التهكّم المزعوم بالانبياء واين الحطّ من كرامتهم او ليس قول الكاتب شرفاً لهم حيث قال انّ نكران المعجزات على احد اولياء

الله غضّ من مقام كلّ الانبياء التي تعتقد الامم بمعجزاتها بل هو غضّ من مقام رسول العرب والمسلمون يروون معجزاته. فايمُ الحقّ انّنا لا نرى في هذا الكلام ادنى تهكّم بل مزيد اعتبار للمرسلين والانبياء. وان قال المعترض: ان القديس بهنام ليس نبيًّا. اجبنا انّ المعجزات لا تجري فقط على ايدي الانبياء بل على ايدي من شاء الله ان يكرمهم من انبياء واولياء وشهداء وغيرهم. وان قيل انّ المسلمين لا يدعون ذلك معجزات بل كرامات. اجبنا: انّنا لسنا لنتعرّض لهم وانّما مرجع القول الى تحديد المعجزات وهو بحث فلسفي لا نحتاج الآن الى الخوض فيهِ وليبقَ كلُّ انسان على معتقدهِ. وما لا يُنكر انّ المعجزات وان شئت قل الكرامات تجري حتى اليوم على ايدي اولياء الله كفانا دليلًا معجزات السيدة العذراء في لورد التي لا يمرّ شهر بل جمعة بل يوم دون ان يحدث منها ما اقرّ العلماء انفسهم بصحّتهِ بينهم نحو ١٣٠٠ طبيب من كاثوليك وغيرهم الذين فحصوا تلك العجائب وعلّلوها بعلل تفوق الطبيعة

وفي هذا كفاية لتزييف الصفحات الطوال التي سوّدتها ابابيل. فاين اذن صحّة قولها فينا انّنا غضضنا من حقّ الاسلام اليس نحن اولى بالقول انّها غضّت من حقّنا بل حقّ النصرانيّة كلها. امّا قولها عن تحكّمنا بالمسلمين فلتأت بدليل واضح عليهِ ان امكنها. وغاية ما فعلنا حتى اليوم انّنا كنّا نردّ التهم ونُدافع عن ديننا اذا مُسّت حرمتهُ. واين هذا من تحامل بعض كتبة المسلمين على النصرانيّة. فليراجع مثلًا ما نشرهُ في هذه الايّام الشيخ يوسف النبهاني في كتابهِ ديوان المدائح النبويّة المطبوع في مطبعة صبرا سنة ١٣٢٩ فانّ فيهِ من الصفحة ٣١٧ الى ٣٤٠ قصائد في حقّ النصرانيّة واسرارها وتاليهها ما يعدّهُ كلّ عاقل من اقذع الشتائم واقبح السبّات وهو لا يعرف من ديننا ألفهُ وباءهُ فليت شعري ألا يستطيع الشيخ ان يمدح دينهُ دون ان يشتم دين غيرهِ؟ افهذا من الانصاف! فليحكم العقلاء من اي دين كانوا. ولتحكم ابابيل بالعدل. فحقًّا انهُ يحقّ لنا ان نردّد في تطرُّف بعض جرائد بيروت ما قالهُ شاعر العراق معروف افندي الرصافي في جرائد الاستانة:

جرائد في دار الخلافة اضرمت لهيب خلاف بينها غير خامدِ
ولم يكفها هذا الخلاف وانّما اضافت بنقص للحقيقة زائدِ
فما بين مكذوب عليهِ وكاذبٍ وما بين مجحود عليهِ وجاحدِ
اضاعوا علينا الحقّ فيها تعمُّدًا وعُقبى ضياع الحقّ سود الشدائدِ

يقولون نحن المصلحون ولم اجد لهم في مجال القول غير المفاسد
على رسلكم يا قوم كم تسمونا مقالة عقودٍ عليهِ وحاقدِ
ألا فارحموا بالصفح عن ضج مُحنكم فقد اوردتنا اليوم شرّ الموارد

نعم القول كنّا ختمنا بهِ هذه الاسطر الوجيزة الّا ان المثل بالمثل يُذكَر فننتهز هذه الفرصة للاحتجاج على مطبوعات بذيئة خلاعيّة يبثها بعض ذوي الغايات من اعداء الكاثوليك بغضاً وتشفّياً لا يطلبون بذلك افادة علميّة او ادبيّة او اجتماعيّة الّا تهييج العواطف واثارة الاهواء الكامنة والغالب انّ فاعليها من الماسون اعداء الدين والهيئة الاجتماعية. وليست هذه المطبوعات سوى روايات مجونية نقلوها عن منشورات فاسدة اوربية كاليهودي التائه والمسيح في الواتيكان واسرار رومية فيا لله اهذه كلّ بضاعة اعداء الكنيسة فانهم اذ لم يجدوا ما يقرّفون بهِ بيعة الله المبنية على الصخرة غير المتزعزعة ظنّوا ان بصاق الملحدين واختراعات مخيلتهم الوسخة تشوّه الصخرة. فهيهات ان تقوى ابواب الجحيم على عمل الرب وغاية ما يفعلون انّهم يشككون الصغار ويخدعون الاغرار فيحقّ لهم ان يفتخروا باعمالهم فانّ كلّ اناء ينضح بما فيهِ. فليفرغ كلّ الكفرة ما في جعبتهم من السهام ولينفثوا سمّهم ما شاءوا فانّنا تلامذة ذاك الاله الذي علّمنا ان نغلب الشرّ بالخير وابناء ذلك الاب السماوي الذي يضيء شمسهُ على الاخيار والاشرار ومن ثمّ لا تثبط همّتنا معاداةُ عدوّ فما دمنا في الحياة نقوم برعاة السيد الذي ارسلنا لنكون ملح العالم والنور المنصوب فوق المرجة. فلله المجد والشكر لاسمهِ القدوس الى مدى الدهور

النصرانيّة وآدابها
بين
عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في العراق (تابع)

ولعلّ الديرَين اي دير الجماجم بظاهر الكوفة ودير الحريق قرب الحيرة اللذين ذكرهما ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٥٢، ٦٦٤) قد انشأهما نصارى العرب في

العراق تذكارًا لاولئك الشهداء الذين قتلهم سابور لاجل ايمانهم وفي الروايات التي نقلها ياقوت ما يلتبع بذلك وجاء في روايات أخرى فيه عن ابن الكلبي ان دير الجماجم بناهُ بنو عامر شكرًا لله على ظفرهم ببني ذبيان وبني تميم بعد حرب وقعت بينهم . امّا دير الحريق فبُني تذكارًا لقوم أُحرقوا بالحيرة

وما لا يُنكر وتثبتهُ الشواهد التاريخيّة انَّ الاديرة كثرت في اواخر القرن الرابع للمسيح في جهات العراق التي كان يسكنها العرب . فانَّ القديس اوكين الذي كان نشر العيشة الرهبانيّة في بلاد الجزيرة وما بين النهرين ارسل عصبةً من تلاميذه حتى اقاصي العراق وما عمَّت الآداب الرهبانيّة ان انتشرت فيها على يدهم اي انتشار خصَّ منهم المؤرخون بالذكر الراهبَ يونان او يونس الذي شيَّد ديرَيْن الواحد في الانبار قاعدة اللخميين قبل سكناهم في الحيرة على الفرات والآخر بقرب نينوى وقد عرف العرب الديرين كليهما فذكرهما ياقوت ودعا الاوَّل (٢ : ٧٠١) دير مار يونان والثاني دير يونس قال عن هذا الاخير (٢ : ٧١٠) انهُ « في جانب دجلة الشرقي مقابل الموصل وبينهُ وبين دجلة فرسخان واقلّ وموضعهُ يُعرف بنينوى »

وفي التواريخ الكلدانيّة القديمة ان يونان المذكور طاف بلاد السواد وبشَّر العرب بالمسيح وكان قبل ان يزهد بالدنيا يتعاطى العلوم الفلسفيّة ويزاول الطبّ فحبَّبهُ ذلك الى العرب وكافّة اهل السواد . ولمَّا ابتنى ديرهُ في الانبار كثر عدد الطالبين للترهُّب تحت تدبيره

وفي النصف الثاني من هذا القرن الرابع تولَّى احد رهبان النصارى اسمهُ عبدا بناء الاديرة في انحاء العرب فقدم على جاثليق المدائن المسمى تمؤز او تومرصا ونال منهُ الرخصة في ذلك فبنى هو ديرًا كبيرًا في دير قنّى او درقان وطنهِ على اسم مار ماري حيث كانت ذخائر ذاك الرسول . وبنى تلامذتهُ اديرةً اخرى منهم تلميذهُ عبد يشوع الذي شيَّد على نهر صرصر الدير المعروف بالصليب حيث كان ظهر صليب منير في أيام استشهاد المسيحيين على يد سابور باغراء المجوس . وشيد ديرًا آخر في باكسايا في سواد العراق ثم ديرًا ثالثاً عند الفرات . واخبر المؤرخ ابن ماري (ص ٢٩) انَّهُ تلمذ العرب في متوث وميشان واليمامة وردَّ بني ثعلبة الى الايمان (١ فجعلهُ تومرصا اسقفاً

(١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (ج ٣ ص ١٩٨ و ٢١٨ و ٣٠٢)

مقامهُ في دير محراق . ومنهم تلميذهُ يبالاها الذي ردَّ اقواماً من العرب في ارياف الفرات وابتنى ديرًا في دسكرة السواد وديرًا آخر على ضفَّة النهر قيل انَّ عدد رهبان ديره قد كثر حتى ضاق بهم الدير مع سعتهِ فبلغوا الاربعمائة بنيّف وكان الرهبان من انحاء شتى يتكلمون لغات مختلفة فجعلهم اربعاً وعشرين فرقة يتعاقبون في تلاوة الفرض الالهيّ ليلًا ونهارًا فيتلون الصلوات والتسابيح في لغاتهم اي السريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة والقبطيَّة . وكان سبقهُ الى ذلك في هذه المناسك راهب آخر اسمهُ اسكندر الذي انشأ طائفة الساهرين (Acémètes) لمواصلتهم الصلاة ليلًا مع نهار . وقد ذكر سليمان بن ماري في تاريخ فطاركة كرسيّ المشرق (ص ٢١) وعمرو بن متى في المجدل (ص ٢٨) كثيرًا من هذه الاديرة واختصرا تواريخها عن كتبة معاصرين اخصهم أحي تلميذ مار عبدا الذي وضع ترجمة حياة معلمهِ ثمَّ صار بعد ذلك بطريركًا على الكلدان

فهذا العدد الوافر من الاديار وكثرة المترهّبين فيها دليل واضح على سطوع ضياء النصرانيَّة بين عرب العراق في ختام القرن الرابع للمسيح . فانَّ كلَّ دير منها كان كينبوع من المياه الحيَّة يسقي تلك الارجاء فينبت للخلاص الثمار الطيّبة . وكان المتنصّرون يمارسون من الفضائل اسماها ومن الاعمال المبرورة افضلها وأولاها حتى انهم ما كانوا يحجمون عن الموت والعذابات لاجل دينهم كما يُروى عن الشهداء الثلاثة الذين اوفدهم ملك العجم الى القيصر يليانوس المارق سنة ٣٦١ واسماؤهم ماتويل (او عماتويل) وشابيل واسماعيل اراد يليانوس ان يغصبهم على السجود للاصنام فأبوا وماتوا في سبيل دينهم القويم في القسطنطينيَّة واعمالهم مدوَّنة في مجموع البولنديين (Acta Sanctorum, d. XVII Junii) . وكان قبلهم سفيران آخران (سنة ٢٥٠) قد وفدا على دقيوس من قبل دولة الفرس اسمها عبدون وسنان وفضَّلا الموت على جحود النصرانية فقُتلا في رومية وعيدهما في الكنيسة في ٣٠ تموز

وبعد هؤلاء نشأ العراق بزمن قليل قام في الكنيسة الانطاكية قديس آخر اشتهر في الشرق والغرب معاً نريد بهِ القديس سمعان العمودي المولود نحو سنة ٣٦٠ للمسيح الذي رقي عمودهُ في الجبل المعروف باسمهِ في جهات انطاكية واضحى بعد مدَّة كنارة استضاء بها العالم كلهُ . وسيرتهُ قد كتبها احد تلاميذهِ المسمى انطون

نُشرت في اعمال الآباء اللاتينيين (Migne, P. L. t. 73, p. 329) وكتبها ايضاً تاودوريطس معاصرهُ الذي كان يتردَّد عليهِ وهو من اوثق المؤرخين واصدقهم روايةً . وكذلك روى اعمالهُ كثيرون من السريان فنُشرت تآليفهم في هذه المدَّات الاخيرة . ومن يتصفَّحها يتحقَّق ما نالهُ العرب من فضل القديس سمعان . وقد مرَّ لنا ذكر الحميريين الذين كانوا يقصدونهُ من اليمن . وكان العراقيُّون من العرب ينتابونهُ بشوق اعظم لقربهم منهُ . اسمع ما كتبهُ تاودوريطس اسقف قورش بعد ان شاهد عياناً العجائب التي كان يأتيها العمودي قال عن العرب ما نروي قسماً منهُ معرَّباً (١ :

« انَّ مقام سمعان على عمودهِ قد انار قلوب الألوف المؤلَّفة من بني اسماعيل فكانوا يأتونهُ افواجاً افواجاً فيتقاطرون اليهِ تارةً مائتين وتارةً ثلاثمائة واحياناً ألوفاً (ἔτε καὶ χίλιοι) فيجحدون لديهِ اضاليل اجدادهم وربَّما حطَّموا امامهُ اصنامهم ولذوا باغرائهِ الرُّهبة وعبادة النجسة ثم كانوا يتلقَّنون التعاليم الخلاصية ويذعنون للبشارة الانجيليَّة . وقد حصل لي خطر على حياتي من تزاحمهم عليَّ لانَّ القديس سمعان كان يأمرهم ان يطلبوا مني البركة الاسقفيَّة مؤكِّداً لهم انَّما تعود عليهم بالخير فكانوا اذ ذاك يتحمون عليَّ من كل جانب من الامام والوراء والجانبين ويركب بعضهم على اكتاف البعض ويمدُّون اليَّ ايديهم ليلتمسوا مني البركة ولولا ان القديس سمعان كان يزجرهم لكُنت تأذَّيتُ من لجاجهم وازدحامهم عليَّ »

وقد ذكر هناك تاودوريطس ومثلهُ المؤرخ ايفاغريوس والكاهن قزما معاصرهُ عدَّة عجائب وآيات باهرة صنعها سمعان مع العرب وشيوخهم زادت ثقتهم بهِ وتواردهُم اليهِ واقبالهم على استماع اقوالهِ . فمن ذلك ما اخبر بهِ عن امير قبيلة نُقل اليهِ مخلَّعاً على سرير من مدينة الرقَّة فشفاه القديس برسم اشارة الصليب عليهِ وصبغهِ بمياه العموديَّة فعاد كخلع الانجيل حاملاً سريرهُ والحضور كلهم يشكرون الله على هذه النعمة السابغة (٢ . وكذلك اخبر عن امير آخر كان تنصَّر ونذر بين يدي القديس انَّهُ يصوم عن اكل اللحم ففي نذرهِ مرَّة واكل قطعة من اللحم استحالت في جوفهِ الى حجر كاد يلفظ به روحهُ لو لم يسرع الى القديس الذي خلَّصهُ بصلاتهِ (٣ . وارسلت ملكة العرب من العراق وسألتهُ ان يزيل عقمها وينال لها من الله ابناً ذكراً فنالتهُ وارسلتهُ الى زجل الله لينال بركتهُ

١) اطلب الباب ٢٦ من كتابهِ المدعو بفيلوتاوس او الحياة الرهبانيَّة (Migne P. G., t. 82, col. 1474)

٢) الآباء اليونان (P. G., t. 88, col. 1477) ٣) فيهِ ايضاً

وذكر تلميذهُ انطون في سيرته (١ انَّ اميرًا من امراء قبائل عرب الجزيرة دعاهُ مالكًا (Basilicus) قدم على القديس فوجد سمعان يصلي فوق عمودهِ فجثا تحتهُ ينتظر نهاية صلاتهِ ليطلب بركتهُ واذا بدودةٍ كانت ترعى جسم القديس وكان يحتمل ذلك بصبر حبًّا بالله سقطت فالتقطها الامير ليحفظها كتذكار وذخيرة. فلحظ سمعان فعل الامير فصرخ اليهِ: انك بفعلك هذا أيُّها الرجل الشريف قد كدَّرتني فكيف تمسّ ما ينتثر من جسدي من القذر. ففتح الامير يدهُ واذا بالدودة قد استحالت الى درَّة ثمينة فاراها القديس وقال: ليثبت هذه دودة بل درَّة. فاجابهُ سمعان: على حسب ايمانك قد صنع بك الربّ فلتكن يدك مباركة طول حياتك. وانطلق الامير فرحًا

على انَّ بعض امراء العرب غير المتنصرين لم يرضوا بفعل رعاياهم ومرورهم الى بلاد الرومان وتنصُّرهم على يد سمعان العمودي. وممَّا اخبر المؤرخ قزما الكاهن انَّ ملك الحيرة الذي دعاهُ بالنعمان وهو النعمان الاوَّل الذي يلقبهُ العرب بالاعور لمَّا استولى على ملك الحيرة بعد امرئ القيس الثاني (نحو سنة ٣٩٠ الى ٤٢٠) امتعض من رحلة اهل الحيرة الى القديس سمعان فاعلن بامر ملكي انَّهُ ينهى تحت عقاب الموت الخروج الى زيارة السائح. فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأوا ان الطاعة لهذا الحكم الظالم اولى من التعرُّض للموت الاحمر. الَّا انَّ الملك لم يلبث ان ندم على ما فعل. ففي ذات الليلة التي وليتْ صدور الحكم ظهر لهُ القديس في الحلم وفي يدهِ سيف ومعهُ خمسة رجال لابسين ثيابًا بيضًا ناصعة فنظر الى الملك شذرًا وبكَّتهُ على فعلهِ ثمَّ امر الرجال ان يربطوهُ ويجلدوهُ جلدًا مبرحًا دون ان يرثوا لعويلهِ فلمَّا كاد يصير الى التلف امر بالكفّ عنهُ ثمَّ سلَّ السيف متهدِّدًا وقال: «اياك اياك ان تعود الى مثلها فبهذا السيف تقطع مفاصلك» فقام الملك وهوَّ على آخر رمق ولمَّا اصبح الصباح جمع حاشيتهُ والفى حكمهُ امامهم وحضَّ شعبهُ ان يذهبوا الى القديس كيفما شاؤوا. قال قزما المؤرخ: «وهذا الخبر رواهُ احد قوَّاد النعمان المسمَّى انطيوخس بن سالم وكان سمعهُ من فم النعمان ولمَّا جاء ليزور القديس اخبرهُ بما سمع امام سمعان نفسهِ وانا حاضر». وأردف الراوي قائلًا: ومذ ذاك الحين

١) اطلب مجموع الآباء اللاتين (Migne: P. L. t. 73, p. 329)

أطلقت الحريَّة لعرب الحيرة بان يدينوا بالنصرانيَّة ثم قال: والملك النعمان كان يريد بعد ذلك ان يتنصَّر ويزهد بالدنيا لكنهُ خاف من سطوة ملك العجم

(قلنا) ولنا في شهادة مؤرخي العرب ما يثبت هذه الرواية ويؤيد صحَّتها. فانَّ المؤرخين قد رووا انَّ النعمان الاعور بعد سنين من ملكهِ اجتمع باحد النسَّاك الصالحين المدعوّين بالرابطة فزهَّدهُ بالفانية ودعاهُ الى ترك الدنيا وعبادة الله فلبى الملك دعوتهُ ولبس معهُ المسوح وساحا في الارض زهدًا (١ . وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصارى الذين بينَّا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم بالعالم. وفيما ذكرنا من تاريخ قزما مصداق على هذا الرأي. ولعلَّ الدير الذي دعاهُ العرب بدير الاعور قد ابتناهُ نعمان الاعور المذكور لولا انَّ ياقوت (٢: ٦٤٤) نسب دير الاعور الواقع على قوله بظاهر الكوفة الى رجل من بني حذافة ابن زهر بن اياد وقد مرَّ بك انَّ بني اياد من اقدم قبائل العرب المتنصِّرة .

ولا غرو ان تنصُّر هذين الملكين زاد النصرانيَّة شأنًا وعزًّا في العراق. قال قزما بعد روايتهِ عن انطيوخس بن سالم في ندامة النعمان ان الدين المسيحي مذ ذاك الوقت نما نموًّا عظيمًا فكثر عدد الاساقفة والكهنة حتى ضاق عن الحصر. ولمَّا قام الملك ازدشير الاوَّل واضطهد النصارى في ملكهِ نال عربَ العراق قسمٌ من تلك المحن اظهروا فيهِ من الثبات ما غيَّر بعد مدَّة افكار الملك فتغاضى عنهم. وقيل انَّ امرأة الملك ازدشير نالت بشفاعة القديس سمعان الشفاء من مرض عُضال فرغبت الى الملك ان يكفَّ الاضطهاد عن النصارى في مملكتهِ

وفي القسم الاوَّل من القرن الخامس بلغت النصرانيَّة اوج فخرها وازدهارها في العراق. وكان الايمان كاثوليكيًّا محضًا لم يُشَبْ بشيءٍ من اضاليل النساطرة واليعاقبة وكان الاساقفة حريصين على وديعة التعاليم الرسوليَّة كما ترى من اعمال مجمع المدائن الذي عُقد سنة ٤١٠ فشذبت اضاليل آريوس وغيرهِ من المبتدعين

وفي هذا الزمان عُرف القديس ماروثا رئيس اساقفة ميَّافارقين الذي حظي لدى ملك العجم ازدشير الثاني وابرأ ابنتهُ من داء عقام فنالت من ابيها الحريَّة التامَّة لنشر النصرانيَّة في العجم. وماروثا من كبار القديسين الشرقيين والمدافعين عن الايمان

١) اطلب تاريخ الطبري طبعة ليدن (ج ١ ص ٨٥٤) ومجموعنا مجاني الادب (٢: ٢٢١)

المستقيم بهمته عُقد مجمع ثان في المدائن سنة ٤٢٠ لاثبات عقائد الايمان وحُرم نسطور

وفيه ايضاً اصبحت جهات الجزيرة ولا سيَّما العراق العربي كصعيد آخر بلغ فيها عدد الزهَّاد الى ما تجاوز كلَّ احصاء. فكانت الاديرة كمدن واسعة يسكنها الوف من الرهبان يقضون فيها الحياة في الصلاة والشغل. ولو راجعت الفصل الذي خصَّهُ البكري في معجم ما استعجم (٣٥٨ — ٣٨١) وياقوت الحموي (٢ : ٦١٠ — ٧٣٩) وغيرهما بهذه الاديرة لرأيت ان بلاد العراق كان لها نصيب كبير منها وهو لم يذكر غالباً الَّا ما ورد اسمهُ في شعر الشعراء كدير الابلق في الاهواز ودير ابي يوسف فوق الموصل قريب من بَلَد وديارات الاساقف بالنَّجف بين قصري ابي خصيب والسدير وديرَي الاسكون بالحيرة وقرب واسط كانت فيها مدارس للعلوم الدينيَّة ودير اشموني قرب بغداد ودير الاعلى بالموصل على جبل مطلّ على دجلة ودير باشهرا بين سامرًا وبغداد ودير باعَربا بين الموصل والحديثة على شاطئ دجلة ودير مخائيل ودير الثعالب منسوب على ما نظنّ الى بني ثعلبة المتنصرين قريب من بغداد عند الحارثيَّة ودير الجرَعة بالحيرة ودير الخوات بعُكبرا ودير الخنافس على قلَّة جبل تُشرف على دجلة ونينوى ودير دُرتا غربيّ بغداد ودير الدهدار بنواحي البصرة ودير النَّرندَوَرد في الجانب الشرقي من بغداد ودير سابور غربيّ دجلة ودير سمالو وكلاهما قرب بغداد ودير السُّوسي بنواحي سرّ من رأى (وهي سامرًا) ودير الشاء بارض الكوفة ودير صَباعي شرقيّ تكريت ودير الطواويس بسامرًا ودير العاقول بين مدائن كسرى والنعمانيَّة ودير العجَّاج بين تكريت وهيت ودير العَلث ودير فشيون وكلاهما بسامرًا وديرَي القباب وقوطا من نواحي بغداد ودير القيَّارة عند الموصل ودير كَرْدشير بين الريّ وقمّ ودير كُوم من اعمال الموصل ودير مسار فشيون بالحيرة اسفل النجف ودير مسار سرجيس قرب سامرًا ودير متى قرب نينوى ودير مديان على نهر كخايا قرب بغداد ودير مر جرجس بالمزرفة قرية من منتزهات بغداد ودير مَرّ ماري من نواحي سامرًا ودير مر يُحنَّا جانب تكريت ودير ملكيسا فوق الموصل ودير هزقل في جهات البصرى وغيرها ايضاً تؤيد كثرتها ما قلنا عن انتشار النصرانيَّة في العراق

والعرب لم يعرفوا فقط هذه الاديرة ورووا اسماءها في اشعارهم او ذكروها في جملة اخبارهم بل نُسب كثير منها اليهم او لوقوعها في ديارهم او لانَّهم عُنوا

أهو مادّة وهيولي او هو غير ذلك فهنا الشكل الذي تختلف فيه آراء الفلاسفة. فيقول الماديّون ذلك جسمٌ ومادّة انما هو من بعض تكييفات الدماغ وتموّج ذرّاته وحركة دقائقه. امّا الروحيّون فانّهم يزيّفون قولهم وينكرون قطعيًّا كون الفكر جسماً ومادّة لان الجسمَ ما لاح لحواسّنا وما ادركتهُ الحواسّ كموضوعها الخاصّ ويعلّمون على خلاف ذلك انّ الفكر خارج عن المادّة وانّ النفس التي تعلّله هي جوهرٌ روحانيّ يمكنها ان تحيا بمعزل عن الجسد والمادّة

فيترتّب اذن على الفيلسوف الروحاني ان يثبت انّ الجسد او الدماغ لا يكفي لتعليل الفكر والادراك وان الفكر والادراك لا بُدَّ لهما من مبدإ اسمى واشرف يكون بسيطاً خالياً من الاجزاء والمساحات لا يتعلّق بالمادّة في ذاته الجوهريّة ولا يحتاج الى مادة في كيانه الخاصّ. اي يجب عليه أنْ يبين انّ ما يدعوهُ الناس بنفس ليس هو بجسم ولا بجزء من جسم ولا عرض ولا يحتاج في وجوده الى قوّة جسميّة بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيءٍ من الحواس يقوم بذاته ويتمم بعض اعماله بمعزل عن الجسم. فنقول:

انّ الدليل الاوّل على قولنا انّما هو ما المعنا اليه في المقدّمات وينبغي ان نوضحهُ هنا بكل جلاء. اعني انّ في الانسان مبدأً مفكّرًا مدركاً للمعقولات والكليّات وهذا المبدأ هو النفس فالنفس اذن روحانيّة

ان دخلتَ الى بعض المخازن في بيروت وقعت عينك في هذا الطرف على اجناس من الطنافس المختلفة الصور والاشكال والالوان والاقيسة. وفي ذاك على ضروب من الاقمشة التي لا يفي بعدّها احصاء. وفي جانب ثالث ترى الاسرجة والقناديل المتباينة الاصناف ذات الهيئات العديدة وعلم جرًّا. فهذه الطنافس وهذه الاقمشة وهذه السُرُج يختلف كلّ منها بالمكان والوضع والصورة والهيئة فيمكن تمييز كلّ منها عن الآخر بعلامةٍ ما يُستدَلُّ بها عليه. الّا انّ في كل صنفٍ ايضاً شيئاً عمومياً يشملهُ ويتبادر العقل اليه وذلك جوهرهُ الخاصّ اعني جوهر الطنافس وما به تمتاز الطنافس عن الاقمشة وما يفرزها عن القناديل وجوهر السُرُج وما يجعلها سرجاً ليست احذية. فهذا الجوهر الذي هو واحد في كلّ افراد النوع هو الذي عقّلهُ فكري دون بقية مميزاته المحسوسة ويطلق عليه اسم الجنس فيقول « الطنفسة » ليس « هذه الطنفسة »

بذلك الى تُقاهم وتحمُّسهم في الدين. وكانوا يتفاخرون ببناء البيع في احيائهم. قال الفيروزابادي: وكان في الحيرة كثير من الكنائس البهيّة. وقال الزبرقان بن بدر التميميّ لمّا وفد على محمّد يذكر كنائس قومه: (سيرة الرسول لابن هشام ٩٣٥)

نحنُ الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَب البيعُ

وقال في معجم البلدان (٢: ٧٠٣): «كان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربّها (كذا) اهل المنذر بالحيرة وغسّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والقذران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام». وقال ابن دُرَيد في كتاب الاشتقاق (ed. Wüstenfeld. 226) عن بني عديّ: «ومن بني لخم بنو عديّ بن الأُميل بن اسس لهم بيعة بالحيرة وكانوا اشرافاً»

وكان يحقّ بنا ان نضيف الى هذه الشواهد جدول الاساقفة الذين كانوا في القرن الخامس يدبرون كنائس العراق العربي كالانبار والحيرة والبصرة وبيت عربايا وميشان وغيرها لكنّ ذلك يطول بنا فنشير اليه فقط لشارة خفيفة

لكنّ الحقيقة تضطرّنا ايضاً ان نذكر ما أُصيبت به كنائس بابل والعراق. فانّ في اواخر القرن الخامس نفثت البدعة النسطوريّة فيها سمّها وخدعت كثيرين من المؤمنين والاساقفة فاعاروا لها اذناً صاغية وانتسبوا الى اصحابها. ثم قامت باثرهم البدعة اليعقوبيّة وانتشرت انتشاراً عظيماً في بلاد الجزيرة وبلغت ايضاً الى انحاء العراق فقامت الحرب الدينيّة بين البدعتين على ساق وكانتا في البيعة الشرقيّة كالزؤان الذي خنق الزرع الجيد الذي زرعهُ ربُّ البيت. فلا غروَ انّ العرب انقسموا مع اهل تلك البلاد الى قسمين فعدّل قسم منهم ولا سيّما اهل القبائل الواقعة شرقيّ الموصل حتى خليج العجم الى النسطوريّة بينما كان القسم الآخر ومقامهم على الاخصّ في غربي الموصل وفي ديار ربيعة الى جهات الرها وتخوم حلب وحمص وحماة قد تبع اليعقوبيّة

فابتداء تقهقر النصرانيّة مذ ذاك الحين في الشرق فترى تاريخ الكنيسة الشرقيّة ينحصر غالباً في تاريخ الخصومات والمشاغبات التي سبّبتها تلك البدعتان او ما كان يتوط بهما من البدع والمشاكل. وزاد في الطين بلّة تداخل ملوك القسطنطينيّة من

الروم في امور الدين فاقاموا نفوسهم كقضاة في المعتقدات المسيحيّة وكان منهم من يعضد البدع وينتمي اليها جهاراً كما فعل قنسطنسيوس ووالنس اللذان نصرا الاريوسيّة وكزيثون وانستاس المدافعين عن اليعقوبيّة وكهرقل الذي دافع عن بدعة المنوثليين فكنت ترى المجامع تتوالى منها كاثوليكيّة ومنها هرطوقية فتبطل هذه ما اثبتهُ تلك وكان الاحبار الرومانيّون مهتمين وقتئذٍ بتهذيب امم البرابرة التي هجمت على المملكة الرومانيّة فلا يستطيعون ان يداووا اسقام الشرق كما يشاؤون لبُعد الشرق عن نظرهم او ايضاً لما كانوا يجدونهُ في ملوك الروم وبطاركة القسطنطينيّة من المخالفة لاوامرهم فاصبح الشرق في هرج ومرج واختلّت بذلك امور الدين وانتقض حبل الايمان المتين

وان تتبعنا تاريخ النصرانيّة بين عرب العراق في اواخر القرن الخامس ومدّة القرن السادس وجدنا بينهم رَجع صدىً لهذه الحوادث الجارية في ظهرانيهم وهم مثوطون في العراق بالكنيسة الكلدانيّة التي تبعت اضاليل نسطور وفي الجزيرة وديار بكر وربيعة وانحاء الرها بالكنيسة السريانيّة التي غلبت عليها الهرطقة اليعقوبيّة

وكان ملوك الحيرة اوّل من تأثر بهذه الحوادث فان السياسة قضت عليهم بان يتبعوا الدولة الساسانيّة التي بسطت حمايتها على النسطوريّة وعضدتها في بلاد العراق الى نصيبين وذلك بغضاً بملوك الروم الذين كانوا يتقلّبون حيناً مع البدعة اليعقوبيّة وحيناً مع الكنيسة الكاثوليكيّة. وترى المؤرخين الروم واللاتين مضطربين في ايضاح تاريخ ملوك الحيرة فتتناقض آراؤهم فيهم اذ كانوا يرونهم في مصافّ اعدائهم الفرس فبعضهم يجعلونهم وثنيين وبعضهم يذكرونهم في عداد النصارى ويروي غيرهم عن امراء الجيش ما لا يصحّ الّا عن الملوك وبعكس ذلك ينسبون الى الملوك ما اتاهُ الامراء. وترى شيئاً من هذا الاضطراب في رواية السريان والعرب. وها نحن نورد من ذلك ما نراهُ اقرب الى الحقّ

خلف المنذر الاوّل في ملك الحيرة اباهُ النعمان بعد تنصُّره وزهده فملك ٤٤ سنة (٤١٨ — ٤٦٢) قضاها في حروب متواترة ضدّ الروم في خدمة ملوك الفرس لا سيّما بهرام جور بن ازدشير الذي كان تربّى بين عرب الحيرة. وكان بهرام عدوًّا للنصارى فامتحنهم في بلاد فارس وجوارها وصادرهم وقتل منهم كثيرين تعيد الكنيسة

ذكرًا لاستشهادهم وكأنَّ المنذر وافقهُ على آرائه وعاد الى شرك آبائه القديم . واخبر سقراط (١ المؤرخ معاصرهُ انَّهُ دخل في بلاد الروم فنهب وسلب واحرق وسبى وكان يقصد السَّير الى القسطنطينيَّة ليفتحها لكنَّهُ لم يفلح وأُصيب جيشهُ بكسرة عظيمة وقُتل منهم مئة الف على قول سقراط وسبعون الفًا على رأي الكتبة السريان

وقام بالملك بعد المنذر ابناؤهُ الثلاثة بالتوالي اعني نعمان الثاني (٤٦٢—٤٧١) المعروف بابن شقيقة صاحب الفرقتين الشهباء ودوسر . ثم الاسود (٤٧١—٤٩١) ثم المنذر الثاني (٤٩١—٥٠٢) ولا نعلم من امر دينهم شيئًا بل اخبارهم مضطربة لا تُؤخذ سندًا لتاريخ

واثبتُ منها اخبار النعمان الثالث ابن الاسود بن المنذر (٤٩٨—٥٠٣) الذي سها عن ذكرهِ معظم مؤرخي العرب الَّا حمزة الاصفهاني (ص ١٠٤) وقال انَّ امَّهُ كانت تدعى ام المالك وانَّها كانت ابنة عمرو المقصور احد ملوك كندة وجدّ امرئ القيس الشاعر غزا ايضًا الروم ونهب بلادهم وكان في خدمة الملك قباذ . ولعلهُ هو هو الذي اشار اليهِ مؤرخو الروم (٢ لمَّا ذكروا فتح الفرس لمدينة آمد فقالوا انَّ ملك العرب طلب من قُباذ ان لا يُصابون باذًى الذين التجأوا الى كنيسة الاربعين شاهدًا وفي هذا دليل الى ميلهِ الى النصرانية لكنهُ بعد ذلك صارت عليهِ الدولة فكسرهُ الرومان ذفعتين . واخبر يوشع العمودي المؤرخ السرياني (٣ انَّ النعمان مشى اخيرًا الى محاربة الرها مع قباذ ولمَّا نهاهما عن ذلك احد ضباط جيشهِ النصارى وذكر لهُ قصَّة الابجر ملك الرها والسيد المسيح غضب عليهِ وشتم دينهِ وكان ذلك داعيًا الى موتهِ اذ انتقض جرحهُ السابق فمات . فعين قُباذ كخلفهِ في تدبير الملك رجلًا يدعوهُ ابو الفداء وحمزة الاصفهاني وغيرهما ابا يعفر علقمة وهذا لم يكن من ابناء الملوك ولعلهُ كان فقط وليًّا للملك وانَّما كان من اشراف اللخميين واحد ابناء أُسرة بني ذميل النصرانيَّة التي سبق ذكرها فاستخلفهُ قباذ ولم يتولَّ سياسة الدولة الَّا ثلث سنوات ، ثمَّ أُقيم امرؤ القيس الثالث الذي لم تطل مدَّتهُ (٥٠٥—٥١٢) (لهُ تابع)

١) اطلب تاريخهُ ك ٧ ف ١٨

٢) اطلب تاريخ زوزباخر (٨: ٥٥٧)

٣) اطلب تاريخهُ (Josué le Stylite, *éd. Martin*. p. 42)

مطبوعات شرقية جديدة

C. Bezold : I. Astronomie Himmelschau u. Astrallehre b. d. Babyloniern. = C. B. u. F. Boll : II. Reflexe astrologischer Keilinschriften b. griech. Schriftellern. *Heidelberg, Winter* 1911

التجامة والتنجيم عند البابليين – نفوذ التنجيم البابلي في كتبة اليونان

قد اختصر المعلّم الشهير كرل بتسولد احد اساتذة هيدلبرغ ومدير مجلّة العلوم الاشوريّة في مقالة مهمّة نشرها في اعمال كليّة هيدلبرغ خلاصة ما يعرفهُ اليوم العلماء عن فلكيّات البابليين والاشوريين فسرّنا ان نسمع في هذا الباب صوت رجل عاقل مطلع على اسرار علم النجوم سابقاً وحاضراً خالٍ من كلّ غرض لا تستفزّهُ الاغراض كما استفزّت غيرهُ من مواطنيهِ فبالغوا في وصف العلوم البابليّة الى حدّ الغلو. فمن اطلع على هذه الصفحات يتحقق ان كاتبها راسخ القدم في الاكتشافات الاشوريّة فيعرفها حقّ المعرفة ويميز غثها من سمينها وممّا افادنا هناك ان الفضل في درس الآثر الفلكيّة بين الكلدان والبابليين يعود الى ابوين يسوعيين الاب ستراسماير (J, N. Strassmaier) والاب ايبغ (J. Epping) فهما نهجا هذه الطريق الوعرة لبقيّة العلماء. وقد حذا حذوهما الاب كوغلر (F. X. Kugler) الذي وصفنا في المشرق (١٣ : ٩٥٤) مجلّدين من مؤلفاتهِ الجليلة في العلوم الفلكيّة عند البابليين. والاستاذ بتسولد يقرّ بفضل هؤلاء اليسوعيين ويثني على همّتهم ويفضل آراءهم في تاريخ الفلكيّات البابليّة على اقوال غيرهم. ومن ثمّ يقسم هذا التاريخ الى قسمين قسم يرتقي الى القرن السابع قبل المسيح وُجدهُ العلماء في مكتبة اشور بنيبال وقسم اقرب عهداً الينا لا يتجاوز القرن الثاني ق. م فان المكتشفات الحديثة العهد لا ريب في صحتها وهي تدلّ على انّ الكلدان كانوا بلغوا الى درجة ثابتة من علم الفلك. والمسيو بتسولد يعدّد هذه المعارف ويثني عليها ويتعجب كيف امكن البابليين ان يحسبوا الحسابات الفلكيّة المضبوطة وليس لديهم الآلات التي اكتُشفت في هذه القرون الاخيرة فسمّا وقفوا عليهِ انّهم عيّنوا زمن وقوع انكسافات الشمس وهم مع ذلك لم يعرفوا اختلافات الحركة الارضيّة في مبادرة الاعتدال (١٦٠–١٢٥ ق م) (Précession des équinoxes) التي حظي الفلكيّ ايبارك

باكتشافها. فاخذ وقتئذٍ اليونان العلوم الفلكيَّة عن الكلدان ومنهم ورثها اليونان ثم خلَّفوها العرب. هذا اذا لحظنا علم النجوم في القرن الثاني قبل المسيح امَّا ما سبق ذلك العهد الى زمن اشوربنيبال وما قبل فانَّ الآثار الفلكيَّة ليست الَّا خلطاً من التنجيم والنجامة يتخذها الكلدان غالباً للكهانة الفلكيَّة وللخرافات والدلالة على الكوائن السعيدة والمشئومة. ولدرس هذه المعلومات القديمة قد خصَّ بهِ المسيو بتسولد مع احد رصفائهِ كتاباً آخر عدَّدا فيهِ تلك المزاعم الفلكيَّة واثبتا ان اليونان اتَّصلوا الى معرفتها وانَّهم اخذوها من الكلدان. وهذا الرأي كان العلماء يذهبون اليهِ سابقاً الَّا انهم ما كانوا يحققونهُ حتى اكتُشف حديثاً كتاب لاحد اليونان اسمهُ ليدس (Lydus) كان معاصراً للملك يستنيان وفيهِ مجموع من الفلكيَّات القديمة في جملتها عدَّة من هذه الخرافات التي قابلها المؤلفان مع خرافات الكلدان فوجدا انها هي هي

الاب ب. جرون

Alois Musil: In nördlichen Hegaz. Vorbericht über die Forschungensreise 1910, *Wien, Hoelder,* 1911, SS. 23

رحلة الى شمالي الحجاز في سنة ١٩١٠

انَّ نزيل كليتنا سابقاً حضرة الدكتور لويس موسيل قد عشق جزيرة العرب حتى انَّهُ طاف انحاءها في ستِّ رحَل مختلفة لجمع من الآثار لمعاهد العلوم ما يقتضي صرف السنين الطويلة قبل انجاز نشرهِ وقد ظهر من ذلك بعض مجلدات واسعة في وصف بلاد مؤاب وادوم سبق لنا تعريفها في المشرق (١٠: ٥٧٧). وفي ربيع السنة المنصرمة دعتهُ دولتنا العليَّة وعهدت اليهِ مهمَّة كبيرة فطلبت منهُ ان يرسم خارطة متقنة للبلاد الواقعة قريباً من سكة الحجاز بين معن والعُلى ويذكر ما يتوطَّ بها من الفوائد الجغرافية والاثريَّة والجيولوجيَّة ويدل على احسن نقطة يُشيَّد فيها حجرٌ صحي. فاسرع المؤلف الى اجابة دعوة الدولة وانتهز الفرصة ليكتب ايضاً اخبار رحلتهِ فلمَّا عاد الى بلادهِ النمسة نشر في الالمانية هذه الرحلة واودعها معلومات شتَّى في تلك البلاد وطباع اهلها وعاداتهم في المقام والرحيل والمعاش فمَّا اخبر انَّ كثيرين من اهل البلاد ليس لديهم قمح او شعير فيأكلون الفثَّ بدلاً من الخبز. ودوَّن كثيراً من امثالهم كقولهم عن رُعاة الابل « قويهم نهَّاب وضعيفهم

شحّاذ » وروى انّ قسماً كبيراً من تلك الانحاء صخورها بركانيـة التركيب . وقد جرى للرحّالة في هـذا السفر عدّة احداث منها خروج البدوان عليهم فوقع الدكتور موسيل بين ايديهم ولولا هربهُ ليلاً لذهب ضحيّـة هجيتهم . وقد حصل لحضرة الدكتور غير ذلك من اسفاره السابقة وذلك لم يثنِ عزمـهُ وردّه عن استئناف الاخطـار . ومن مكتشفاته التي ادّعاها ولم يأتِ بعد على اثباتهـا بالبرهان انّ جبل الطور المذكور في التوراة ليس هو في المحلّ الشائع في يومنا ولكن عند بركان يُدعى بالبَدْو شمالي درجة العرض ٢٧° وغربي السكة الحديديّة فننتظر اثباتهُ لرأيهِ . وانّما نهنّئ الرحالة برجوعهِ سالماً ونثني على سموّ همّتهِ ونشكره على الفوائد التي خدم بها العلم

ب . ج

A. L. M. Nicolas : Essai sur le Chéikhisme : I. Chéikh Ahmed Lahçahi, *Paris, Geuthner*. 1910, XX-72

ترجمة الشيخ احمد الاحسائي

بين الشيع الاسلاميـة المستحدثة التي عُرفت في العجم شيعة تُعرف بالشيخيّة سبقت البابيّة انشأها السيد احمد الاحسائي الذي ولد في جزيرة العرب في الاحساء سنة ١١٦٦ هـ (١٧٥٣ م) وتوفي سنة ١٢٤١ (١٨٢٦ م) فلهـذا الشيخ اخبار طويلة وتآليف عديدة خالف فيها اهل السنّة والشيعة لا يهمّنا كثيراً معرفتها وانّما الاوروبيون يأنسون بمثل هذه التراجم لدرس اخلاق الشعوب فقام المسيو نقولا قنصل فرنسة في تبريز وكتب سيرة احمد المذكور وفصل تعاليـهُ ومـا اصابهُ بسببها من المحن ثمّ عدّد مصنفاتهِ . فنشكر الكاتب على تاليفهِ

ل . ش

P. Peeters. s. j. : S. Romain le Néomartyr d'aprés un document géorgien (Extrait des Analecta Bollandiana) . *Bruxelles*, 1911, p. 34

ترجمة القديس رومانوس الشهيد بالكرجيّة

القديس رومـانوس راهب اسرهُ العرب في بلاد الاناضول سنة ٧٧١ في ايّام الخليفة المنصور فاخذوهُ الى بغداد حيث بقي في الحبس الى ايّام المهدي . فلمّا خرج الخليفة الى الرقّة في ربيع سنة ٧٨٠ امر بان يقاد معهُ رومانوس فلمّا وصل الى الرقة دعاهُ الى الاسلام فابى فامر بقتلهِ . وقد كُتبت سيرة الشهيد اوّلاً في العربيّة الّا انّ

الاصل قد ضاع فوُجدت منهُ ترجمة قديمة باللغة الكرجيَّة نشرها العلّامة الروسي خاخانوف في موسكو ونقلها احد كهنة مدينة كياف اسمهُ كيكيلدز. فنظر الاب بيترس من جماعة البولنديين في عملها وانتقدهُ انتقادًا علميًّا في النشرة البولندية واضاف اليهِ معلومات غاية في الافادة لتاريخ ذلك العصر عن بغداد واسرى الروم فيها. ويمكننا ان نزيدهُ اعلامًا في ذلك بما ورد في معجم البلدان لياقوت (٢: ٦٦) حيث ذكر دير الروم وبيعتهِ بقولهِ: «انَّ اسرى من الروم قدم بهم الى المهتدي وأسكنوا دارًا في هذا الموضع فسميت بهم وبنيت البيعة هناك وبقي الاسم عليها» ويعيّد الروم للقديس رومانوس في ١ أيار . ل.ش

دروس التاريخ الاسلاميّ

تأليف محيي الدين الخيّاط

القسم الرابع طُبع في بيروت في المطبعة الاهليَّة سنة ١٩٢٩ (ص ٢٤١)

هذه مرّة رابعة نعرّف القرّاء بهذا التاريخ المدرسيّ الذي يُطبع بنفقة وعناية صاحب المكتبة الاهليَّة محمد افندي جمال. وهذا القسم يشتمل على اخبار الدولة العبّاسيَّة منذ فوزها ببني اميَّة الى انقراضها بقتل الخليفة المستعصم سنة ٦٥٦ (١٢٥٨م) يليها ملحق في الخلافة العبّاسيَّة في مصر وفي ختامها خلاصة الخلاصات للتاريخ العباسي مع جدول تاريخ الخلفاء مباشرة بالخلفاء الراشدين ثمَّ الامويين ثمَّ العبّاسيين وكلّ ذلك على الطريقة التي سبق لنا وصفها من دروس وفصول وخلاصات وتمارين تجعل الكتاب سهل المأخذ ممتعًا للاحداث. وقد اثنينا على الكاتب للهجتهِ المعتدلة في ذكر الحروب الصليبيَّة (ص ١٧٦) ل.ش

ديوان البحتري

الجزء الثاني: طُبع على نفقة رزق الله سركيس صاحب المكتبة الجامعة بالشكل الكامل. وعلَّق حواشيهُ رشيد عطيَّة (في المطبعة الادبيَّة سنة ١٩١١ ص ٤٠١–٧٦٦)

سبق لنا من وقت قريب وصف هذه الطبعة الجديدة من ديوان البحتري وما امتازت بهِ عن الطبعة السابقة في الاستانة. وكأنَّ ما قلناهُ وقتئذٍ قد استصوبهُ جناب الاديب المتولّي طبعهُ لكنهُ رأى ان ما اشرنا بهِ اليهِ يقتضي زيادة في حجم الكتاب

ونفقاته ما يضطرُّ صاحب المكتبة الجامعة الى ان يزيد في ثمنه. وهذا عذر ضعيف في جانب خدمة العلم وان شاء الله يأخذ جنابهُ في إعداد طبعة كاملة كما يتمنّاها المستشرقون مع الشرح المطوَّل والروايات المختلفة والزيادات الواردة في نسخ الديوان والفهارس وبيان مميزات شعر البحتري وتعريف البلاد المذكورة فيه والاشارات التاريخيَّة التي يلتمح اليها وغير ذلك ممّا يضاعف منفعة الكتاب ويجعلهُ في مقام المطبوعات التي يفتخر بها العلم. وعلى كلّ اننا نشكر الساعي في تحسين هذه الطبعة وضبطها المدقّق وان وقع فيها بعض اغلاط بينها ما يُفسد شيئاً من المعنى الّا انَّ ضيق المكان لا يسمح بتتبُّعها وهذه امثلة منها: (ص ٤٠٤ س٢) « مرلزبة المِلك » نظنّ ان « المُلك » او « المَلك » هنا افضل. (وفيها س١٠) « وَبِريقِهِ » الصواب « وَبَريقِهِ ». (ص ٤١٤ س٤): تُقاذِف بي بلادٌ » والافضل « تَقاذَفُ » اي « تتقاذَف ». (٤١٦ س١٦): « تُتلِقَهُ » صوابهُ « تُثقِفَهُ » (ص ٧٥٠ س١٢) « ويخشى » ص « ويُخشى » (وفيها س ٣١) « ضُرَّة » ص « ضَرَّة » وليس الكمال الّا لله

ل. ش

المعارف — الكتاب الاول : علم الفلك

تأليف عبد الوهّاب سليم التنير ومحمّد طاهر التنير

المطبعة الاهليَّة. بيروت سنة ١٣٢٩ (ص ٨٢)

باشر جناب الاديبين الفاضلين عبد الوهاب ومحمّد التنير طبع مجموع علمي قريب المنال للفلكيّات والطبيعيّات ومواليد الطبيعة الثلاثة. فاهدينا منهُ الكتاب الاوّل في علم الفلك ضمّنهُ صاحباهُ خلاصة علم الهيئة فتتبعا النيّرين العظيمين ثم السيّارت وسائر النظام الشمسي مع المذنبات والمظاهر الطبيعيَّة من شروق وغروب وتعيين الوقت والنور البرجي وكلّ ذلك بعبارة سهلة يتناولها عقل الصغير دون عناء على طريقة السؤال والجواب بين فاطمة واسماء ثمّ اخويهما علي واحمد وابني عمهما عبدالله ومصطفى. فيتتبع القارئ ما يدور بين المتكلمين من الابحاث فيدركها بلذّة مع ما يمتزج بها من التصاوير المختلفة التي يحتاج بعضها الى شيء من الجلاء والوضوح. وقد استحسنّا ما قدّمهُ المؤلفان على تأليفهما حيث قالا (ص د) « ان الغاية من هذا الكتاب هو احياء قوّة التصوُّر في الولد لمعرفة قدرة الله تعالى » وهي نعم الغاية وقد

قاما بالوعد احسن قيام. وكذلك سرّنا انَّ الكاتبين لم يثبتا شيئاً من المزاعم التي يتهافت عليها بعض المحدثين عن سكّان النجوم والحياة في المريخ وغير ذلك ممّا يُنسب الى العلم بغير سند. فنوصي بهذا الكتاب كلّ اصحاب المدارس ونشكر الاديبين على حسن صنعهما ل.ش

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

وهو نظر تاريخي ادبي اجتماعي

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي (طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩١٠–١٩١١ ص ٢٨٠)

قد انجزنا هذا الكتاب الذي كثر فيه القيل والقال وكان ظهر على صورة ستّ كراريس جمعناها كلها في كتاب واحد نوصي بمراجعته القرّاء ليطّلعوا على شيء من تواريخ شيعة الماسون ونظامها وغاياتها واعمالها. ونحن مستعدون لأن نصلح ما لعلّهُ فرط منّا سهواً بما نشكر سلفاً كلّ من يأتينا بمعلومات جديدة عن الشيعة في انحاء الشرق

قانون بني عثمان

تأليف لطفي باشا وزير السلطان سليمان الكبير

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي مع مقدّمات وحواشٍ

(طبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٩١٠ ص ١٦)

هو الاثر الجليل الذي وجدناهُ في بعض مخطوطات مكتبتنا فنشرناهُ في المشرق ثم طبعناه على حدة تسهيلاً للاطّلاع على مضامينهِ وبينما كنّا ساعين بطبعهِ بلغنا انَّ احد العلماء الدكتور (Tschudi) وقف على اصلهِ التركي فطبعهُ

شذرات

العربيّة في كليّتنا — كتبنا في بعض الاعداد السابقة (ص ٣٦١) ردًّا على جريدة الرأي العام التي نسبت الى مدرستنا قلّة اكتراثها لتدريس اللغة العربيّة وبيّنّا ما في هذا القول من عدم الانصاف. وقد عاد الى هذا الموضوع جناب محمّد افندي كرد علي فزار مؤخّرًا بيروت وكتب في جريدة المقتبس (في العدد ٨٣٦ ١ ذي الحجّة) فصلاً تحت عنوان «العربيّة في الكليّة» فانتقد على الكليّة الاميركيّة

قلة اعتنائها باللغة العربيَّة ثمَّ اردفهُ بقولهِ « هـذه الملاحظة التي نلاحظها على كليَّة الاميركان نلاحظها ايضاً على كليَّة القديس يوسف الكاثوليكيَّة في بيروت فان القول الفصل فيها للغة الافرنسيَّة . . وما رأينا نابغة بالانشاء العربيّ مثلاً تخرَّج على اساتذتها . . » فليس من امرنا ان ندافع عن الكليَّة الاميركيَّة . امَّا مدرستنا الكليَّة فكلام المنتقد فيها على غير صواب وقد فنَّدنا هذا الزعم سابقاً في مقالة يجدها جناب الكاتب في السنة الخامسة للمشرق (١٩٠٢ ص٩٢٣—٩٣٢) فليراجع المعترض كلامنا لعلَّهُ يتبيَّن منهُ ما ينفي ظنَّهُ في مدرستنا . امَّا قولهُ « ما رأينا نابغةً بالانشاء العربيّ تخرَّج على اساتذتها » فنبهِ نظر . نسأل جنابهُ ماذا يفهم بالنوابغ ؟ ايطلب من مدرستنا كتبةً تفرَّدوا في الانشاء حتى يُعدُّوا فيهِ نُسج وحدهم وافراد دهرهم او يريد كتبةً يحسنون الكتابة كاهل زمانهم وبقيَّة ارباب القلم ؟ فان ارادهم كالاوَّلين وغبنا اليهِ ان يذكر مثل هؤلاء النوابغ الذين تخرَّجوا في غير مدرستنا . وان طلبهم من الصنف الثاني فانَّهُ يجـد في الذين عددناهم من تلامذتنا في سنتي المشرق ١٩٠٢ و١٩١١ كثيرين ليسوا بادنى مقاماً من بقيَّة كتبة زماننـا كالمرحومين سليم النقَّاش واديب اسحاق (الذي سهونا عن ذكرهِ وهو احد تلامذتنـا) ونجيب حبيقة وسليم جدي وكجناب الادباء انطون بك شحيبر والامير امين ارسلان والاب انستاس الكرمليّ والشيخ انطون جميّـل ويوسف قيقانو ويوسف خطار غانم ونعوم مكرزل وامين غريّب والشيخين فيليب وفريد الخازن ونجيب طراد وغيرهم ايضاً فضلاً عن آباء رهبانيَّتنا . فلا نرى انَّ هؤلاء في الإنشاء دون سواهم رتبةً . فليُنصف المنصفون !

مكَّان المرّيخ — كتبنا في ذلك فصلاً نُشر في المشرق (٤ : ١٧٣) حيث اوضحنا كيف تتهافت الجرائد على الاخبـار العلميَّة وترويها دون تبصُّر او تُبالغ فيها الى ان تخرجها عن حدود الامكان . مثالهُ بعض ظواهر النوريَّة في المريخ كان عاينها الفلكيُّون غير مرَّة منذ سنة ١٨٦٠ وارتأوا فيها آراء شتى . فعلَّلهـا بعضهم باشارات يصنعها المرّيخيون لسكَّان ارضنا ولذلك حاولوا ان يبثوا صروحاً يرسلون منها انواراً لاهـل المرّيخ ليدور الحديث بين السيَّارتين كما في الاسلاك الكهربائيَّة . وقد زيَّفنا وقتئذٍ تلك المزاعم الباطلـة واثبتنا ما هو اقرب الى الصواب وقـد زاد الامر ايضاحاً الخوري مورو (Moreux) مدير المرصد

الفلكي في بورج اذ اثبت انَّ هـذه المظاهر انَّما تحدث لاختلاف حرارة الشمس في النهار وبرد الليل ففي الليل يقرس البرد ويغطّي النفناف (givre) وجه المريخ ثم تتصاعد منهُ في النهار ابخرة تتكاثف في الجوّ على هيئة غيوم بيضاء تتلاعب فيها الرياح فتظهر للراصدين في ارضنا كأنها مظاهر نوريَّة نسبها بعض المتسرّعين الى اشارات من اهل المريخ . فترى باي تحفُّظ يجب نقل الاخبار الغريبة التي ترويها الجرائد

شهادة قديمة في الماسونيَّة نقلت مجلّة الكلمة في عدد ١٨ من السنة السابعة هذه الشهادة وعرَّفت زمن كاتبها الشمامسكير مكاريوس اللاهوتي في اوائل القرن الثامن عشر دوَّنها في كتابهِ المعروف بالبوق الانجيلي المعرَّب سنة ١٧٨٠ والمطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ (ج ٢ ص ٢٩٥) فتكون هذه الشهادة من اقدم ما كُتب في حقّ الماسونية ولله درّ كاتبها الذي عرَّف الشيعة منذ ذاك الحين تماماً قال:

« ولعمري ان شيعة الفرماسون هذه المحدثة الفاقدة الايمان والتصديق هي مؤسسة على السلطة الذاتيَّة ولهذا تقتبل يهوداً وعثمانيين (اي مسلمين) وكوبتيين (اي بروتستانتيين) وارمن ولاتينيين حتى الكفرة المعطلين الذين لا اله لهم . وان كان اتباع شيعة الفرماسون يقولون من تلقاء خوفهم ان بدعتهم هذه لا يخالطها امرٌ ينادّ الملوك ولا يقاوم المذهب الّا انهم لا يطيعون سلطاناً ولا يقبلون كنيسة ولا يصدّقون كتاباً لان سلطتهم الذاتية تمنع وهواهم يقطع بالشرائع . فهؤلاء قد رذيلتهم محجوبة وذروة نفاقهم مكتومة بما ان ايمانهم الملحد الناتج عن مذهب ابيكورس الذي الراي محفوظ عندهم بمنزلة سرّ عظيم ممنوع ان يطلع عليهِ غيرهم لا بل كثيرون منهم ايضاً ولعمري ان قليلا منهم مَن يطلع على اعماق اسرار نفاقهم الرجسة . ومع ذلك ففي نواحي الغرب كلها جموع كثيرة منهم والاكثر يعترون منخدعين بحبّ الاستقصاء والبحث الفضولي »

تقريع كرنجي لتعزيزهِ بالمال التعليم اللادديني روى البشير آخرًا استياء الكاثوليك في اميركا لعمل المثري الشهير كرنجي اذ وقف المبالغ الوافرة على المدارس اللادينية فنظم حضرة المنسنيور بطرس حقيبة قصيدة عامرة الابيات يقبح فيها العمل والعامل لا يسمح لنا ضيق المكان عن ذكرها اولها:

كرنجي أفِقْ وأفِقْ لنغمة شاعرٍ يردّدها عنهُ الزمان لتسمعا

الى ان قال:

علامَ نصرتَ البُطْل والاثم فيهم وغادرتَ حقّ المؤمنين مضيَّعا
ألـذّك ان تمضي وراء ضلالهم وشاقك للدين ان تتبرّعا

اسئلة واجوبة

س سألنا احد ادباء المسلمين س.ت في البلدة أتؤثر الاجرام الفلكيّة في اجساد البشر وعقولهم لان في كتاب اصول علم الهيئة للمعلم كرنيليوس فانديك كلاماً مثبتاً في ذلك فيوجب في الصفحة ٨٩ ما عدّهُ خرافة في مقدّمتهِ

تأثير الاجرام الفلكيّة في الامور الطبيعيّة

ج لا يُنكر انَّ الاجرام الفلكيّة بنورها وحرارتها وثقلها وحركاتها تؤثر في الأرض تأثيرات مختلفة من جذب ودفع ومدّ وجزر وحرارة ومغناطيسيّة ما هو مقرَّر ثابت. ولهذه التأثيرات صدى انعكاس في النبات والحيوان والطبيعة البشريّة الّا انَّ البعض نسبوا الى هذه الاجرام وخصوصاً الى السيارات واسمائها واوضاعها فنّاً يردّ العلم الصادق اصولهُ ونتائجهُ ألا وهو فنّ التنجيم حيث يجدون بين الكواكب واعمال الانسان علاقةً من سعادة وشقاء وبخت وسوء حظّ وغنى وجاه الى غير ذلك ممّا ليس هو مبنيًّا على علم ثابت. وعلى ظننا انَّ الدكتور فانديك نفى هذه التأثيرات دون تلك

س وسأل الاديب ايضاً ان كان السكّيرون لا يدخلون ملكوت الله فكيف استنبط النصارى خميس السكارى

خميس السكارى

ج ليس خميس السكارى استنباطاً دينيًّا او ادبيًّا وانّما شاع هذا الاسم على ألسنة العامّة اذ رأوا بعض الجهّال يجتمعون في ذلك اليوم لمعاقرة الخمرة. فليست النصرانية ملومة باستنباطهِ لكنَّ جهل سُنن النصرانية التي وان سمحت بشرب خمر قليل تعتبر السكر من الكبائر

س وسأل ايضاً كيف تسمح الشريعة النصرانية بأكل لحم الخنزير وفي سفر اللاويين وغيرهِ ما ينهي عن اكلهِ هذا فضلًا عن مضارّ ذلك اللحم

لحم الخنزير

ج لا ننكر انَّ اكل لحم الخنزير لا سيما في البلاد الحارّة كبلاد الشرق ليس بموافق لقوانين الصحة الّا انَّ النهي عن اكلهِ في الشريعة الموسويّة مع لحوم كثير من الحيوانات قد أُلغي في جملة الامور الثانويّة التي استعاضها السيد المسيح بما هو اعظم وارضى لدى الله من صوم وصلاة واعمال تقويّة وفضائل سامية الخ ل.ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الرابعة عشرة من مجلّة المشرق ١٩١١

العدد ١ (كانون الثاني) تاريخ سنتنا الجديدة للخوري نقولا ابي هنا (١) = نظر في احوال العام المنصرم للاب لويس رترفال اليسوعي (٢ – ١٢ ; ٣ : ١٢٨ – ١٤٦) = احفظ عتيقك للخوري لويس دريان الماروني (١٤–١٨) لمحة تاريخيّة عن مشهد القديس استفانس في اورشليم للاب اسطفان دومط الدومينيكي (١٨–٢٧) = الى الامة البرتغالية احتجاج اليسوعيين المنفيين من وطنهم للاب لويس كبرال رئيس اقليم البرتغال على اليسوعيين (٢٧–٤٥) = زراعة التبغ التركي في لبنان للشيخ يوسف افندي الجميّل (٤٥–٥١ ; ٢ : ١١٧–١٢٢ ; ٤ : ٢٧٦–٢٨٠ ; ٥ : ٢٤٩–٢٥٨ ; ٧ : ٥١٢–٥٢١ ; ١١ : ٨٧٢–٨٧٧) = التابعة لويس باسطور للاب جاك هرنو اليسوعي (٥١–٥٧) = السرّ المصون في شيعة الترمسون (تابع) للاب لويس شيخو اليسوعي (٥٧–٧٢) الجواب الماسوني (٣ : ٢١٢–٢٢٤ ; ٤ : ٢٨٠–٢٩٧ ; ٥ : ٢٧٥–٢٨٧) قمر الجواب (٦ : ٤٢٩–٤٥٤ ; ٧ : ٥٢٦–٥٢٩ ; ٨ : ٦٠٦–٦٢٠ ; ٩ : ٦٨٢–٦٩٢) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧٢–٧٧) = شذرات – المجلات الكاثوليكيّة العربيّة في اوّل سنة ١٩١١ (٧٧–٨٩) جواب الماسونية (٧٩) = اسئلة واجوبة (٨٠) وكذلك في جميع اعداد السنة

العدد ٢ (شباط) مبشر للقديس كبرلس الاورشليمي في دخول السيد المسيح الى الهيكل نشره الاب ل. شيخو (٨١–٨٧) = هل من دواء (قصيدة) للاب رافائيل البستاني (٨٨–٩١) = جمعية الماسون والمدارس اللادينية لاحد ادباء المسلمين (٩١–٩٢) = رسالة قديمة في الفرق بين الروح والنفس نشرها الاب ل. شيخو (٩٤–١٠٩) = ليلة الدماء (رواية) للخوري مارون غصن (١٠٩–١١٧) = الادهميّة (القيدمية) او مغارة ارميا النبي للاب فرنسيس دونكل من الآباء اللازاريين الالمانيين (١٢٢–١٢٨) = النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (تابع) للاب لويس شيخو (١٤٦–١٤٩ ; ٣ : ٢٢٥ – ٢٣٠ ; ٦ : ٤٦٥–٤٦٩ ; ٧ : ٥٠٢–٥١٠ ; ٨ : ٦٢٠–٦٢٢ ; ١٠ : ٨٠٤–٨١١ ; ١١ : ٨٨٦–٨٩٢ ; ١٢ : ٩٦١–٩٧٠) = نحن والكوثر (١٥٨) فردريك الثاني والهلال – الجريدة الماسونيّة (١٥٩)

العدد ٣ (آذار) الحركة العلميّة في السنة المنقضية. يليها ملحق في ترعة بناما – ماضيها وحاضرها للاب لويس رترفال (١٦١–١٧١) = ايها الدين (قصيدة) للخوري الياس الحايك (١٧٢=١٧٦) = قانون الوزير الاعظم في خلافة بني عثمان. للطغي باشا وزير السلطان سليمان الكبير. نشره الاب لويس شيخو (١٧٦–١٨٩) = سياحة في اقليمي الحروب والشوف للخوري ابراهيم حرقوش المرسل اللبناني (١٩٠–٢٠٥) = تجربة ابليس للمخلص شرح كتابي لاهوتي للاب انطون رباط اليسوعي (٢٠٥–٢١٣) = ابن السادة (قصيدة) للخوري رافائيل البستاني (٢٢٧–٢٣٩) = الارقام الهندية – منشور سيادة المطران جراسيموس مسرّة (٢٣٩)

العدد ٤ (نيسان) الانجيل الشريف. بحث نظري تاريخي للاب انطون رباط (٢٤١–١٥٥ ; ٥ : ٢٢٢–٢٤٤ ; ٦ : ٤١٢–٤٢٧ ; ٨ : ٥٩٥–٦٠٦ ; ٩ : ٦٩٢–٧٠٢ ; ١٢ : ٩١٠–٩٢٢) = مرحلة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم البحر الاحمر للخوري لويس ملحه (٢٥٦–٢٦٠) = رحلة مهاجر لبناني من بيروت الى البرازيل للاديب حبيب افندي فريحه البشلاني (٢٦٠–٢٧٦) = صادق الشعر في الامّ البكر (قصيدة) للخوري الياس الحايك (٢٩٨–٢٩٩) = العلوم العربية وحريق مكتبة الاسكندرية للاب لويس شيخو اليسوعي (٢٩٩–٣٠٧ ; ٥ : ٢٨٨–٣٩٢) = تمثال جوبتير (المشتري) البلبكي في السخنة للاب سبستيان رتزفال اليسوعي (٣٠٧–٣٠٩) = الرابطة العلمانية – اليهودي الثانه (٣١٥) منشور اسقفي لسيادة المطران بطرس شلي (٣١٦)

العدد ٥ (ايار) وقفة عند قبر المسيح للاب لويس شيخو (٣٢١–٣٣٠) = نظرة في تقلب الحالات وحكمة تفاوتها والتفاتة الى البائس (قصيدة) للخوري رافائيل البستاني (٣٣٠–٣٣٢) = المهاجرة : منافعها ومضارها للخوري يوسف العشي (٣٤٤–٣٤٩) = تحت الثلج (قصيدة) للشاعر احمد افندي تقي الدين (٣٥٩–٣٦٠) = المدارس الدوارس (ردّ) للاب لويس شيخو (٣٦١–٣٧٥) = اللغة الدوليّة – الرهبنات الكاثوليكيّة في المانيا – مذهب النشوء والعرب (٣٦٨) المقتطف والدين (٣٦٩)

العدد ٦ (حزيران) مدينة السامرة وحفرياتها الحديثة للاب لويس شيخو (٤٠١–٤١٠) = الموائد والوفيات في باريس للاب انطون رباط (٤١١–٤١٣) = الكاندار الحبشي للاديب الكافليري عبد الله افندي رعد (٤٢٨–٤٣٣ ; ٧ : ٤٩٣–٤٩٩) ملحق للاب لويس شيخو (٥٠٠–٥٠١) = زجلية على خراب طرابلس واخذها من يد الصليبيين. نشرها الخوري ابراهيم حرفوش (٤٣٣–٤٣٧) = الامل (قصيدة) للاديب بشاره افندي رعد (٤٣٧–٤٣٩) = اثبات المقتطف على نقد المشرق للاب لويس شيخو (٤٥٤–٤٥٨) = تاريخ جديد للكنيسة الارمنية للاب فرنسوا تورنبيز اليسوعي (٤٥٨–٤٦٥) = الدين ومناهضوه (قصيدة) للاب برتلماوس صليبا ق. ب (٤٧٦–٤٧٧) = وداع لشهر ايار لطلبة الصف الثالث في كلية القديس يوسف (٤٧٧–٤٧٨) = التذكار المئوي للعلامة له قريّه (٤٧٨–٤٧٩)

العدد ٧ (تموز) تحليل المياه اللبنانية للاب اندري روشه اليسوعي (٤٨١–٤٩١) = مثل الجرذان والمرّ (٥١٠–٥١٣) = كلمة في لبنان (قصيدة) للخوري رافائيل البستاني (٥٢١–٥٢٦) = نبأ من جزائر الفيليبين للاب ديونيس لنش اليسوعي (٥٤٠–٥٤٨) = العلاقات بين الشرق والغرب للاب انطون رباط (٥٤٨–٥٥٣) = موت الكافر (قصيدة) للاديب يوسف افندي غصوب (٥٥٧–٥٥٩) = حفريات سامرا (٥٥٩–٥٦٠)

العدد ٨ (آب) مثل انجيلي او وكيل الظلم للاب لويس شيخو (٥٦١–٥٦٦) = كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي. نشره وعلق حواشيه الاب لويس شيخو (٥٦٦–٥٨٣ ; ٩ : ٦٦٤–٦٨٣ ; ١٠ : ٧٥٢–٧٦٩ ; ١١ : ٨٤٣–٨٦٣ ; ١٢ : ٩٢٤–٩٣٩) = تاريخ آداب اللغة العربية (نقد) للاب لويس شيخو (٥٨٣–٥٩٥) = مجلات

كاثوليكية جديدة – المكتبة البطريركية في الاسكندرية عند الفتح الاسلامي (٦٢٨) = آثار قديمة من القسيسا في الجامع الاموي (٦٣٩)

العدد ٩ (ايلول) اقنيموس صيفي مطران صيداء ومنشئ الرهبانية المخلصية للاب لويس شيخو (٦٤١–٦٥٨) = حكومة الحبش للاديب الكافليير عبدالله افندي رعد (٦٥٨–٦٦٤؛ ١٠: ٧٦٦–٧٧٨؛ ١١: ٨٦٤–٨٧٢؛ ١٢: ٩٤٠–٩٤٤) = مولد جمهورية البرتغال الماسونية للاب ل. شيخو (٧٠٤–٧١٢) = خلاصة الثناء لسيدة الماء (قصيدة) للخوري يوسف العشي (٧١٨) = المستشفيات الطلبانية في باريس – التمدن البابلي والعرب (٧١٩) .

العدد ١٠ (تشرين الاول) مركز الولايات المتحدة الاقتصادي تعريب خطاب القاه المسيو قسطنطين مقرومانتي استاذ التجارة في مدرسة الآباء اليسوعيين الاسكندرية (٧٤١–٧٥٣) = جندي مسيحي ابو سمرا غانم للاب لويس شيخو (٧٧٩–٧٩٣) = الاسطول العثماني له (٧٩٣–٨٠٠) = كنائس النصارى في دمشق عند الفتح الاسلامي. نقلاً عن تاريخ دمشق لابن عساكر نشره الاب لويس شيخو (٨٠٠–٨٠٣) = مكايد البابوية (٨١٦) النهضة الادبية على مآثم الماسونية – عاديات تركستان وآسية الوسطى (٨١٧) = طريق البرانيين من مصر الى ارض الميعاد (٨١٨) = الاب اليسوعي يارين وقيصر روسية (٨١٩)

العدد ١١ (تشرين الثاني) نبأ عن دار الحرب بوصف طرابلس الغرب (٨٢١–٨٢٢) = الاخطل ومصقلة بن هبيرة للاب انطون صالحاني (٨٢٣–٨٤٣) = اسرار الحياة الآخرة في العهد العتيق للاب لويس شيخو (٨٧٨–٨٨٦) = الماسونية بازاء كنيسة الروم الملكية الكاثوليكية ٨٩٦) الرهبان والعلم – تتويج صورة عجائبية للبتول في الاستانة (٨٩٧) = اول وال عثماني نصراني (٨٩٨) = منافع الاضطهاد في المانية – نجاح الكنيسة الكاثوليكية في الصين – استقلال الكنيسة البلغارية الكاثوليكية (٨٩٩)

العدد ١٢ (كانون الاول) عين الصحة او مياه فالوغا المعدنية للاب لويس شيخو (٩٠١–٩١٠) = روحانية النفس نظر فلسفي للاب رينه دورثو اليسوعي مدرس الفلسفة في كلية القديس يوسف (٩٤٤–٩٥٠) = شطط الصحافة: خطاب الى كل عاقل منصف للاب ل. شيخو ٩٥٢ – ٩٦١ = العربية في كلينا (٩٧٧) مكأن المريخ (٩٧٨) = شهادة قديمة في الماسونية – تقريع كارنجي على مساعدة المدارس اللادينية (٩٧٩)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابو هنا (الخوري نقولا الراهب المخلصي) تاريخ لسنة المشرق الرابعة عشرة ١
اسطبولي (الخورأسقفوس يوسف السرياني) تقريره في ارتداد المرحوم جرجي صابونجي عن الماسونية ٧٢
البستاني (الخوري رافائيل) قصائده: هل من دواء ٨٨ ابن السعادة ٢٣٧ نظرة في تقلب الحالات وحكمة تفاوتها والتفاتة الى الباشا

٢٣٠ كلمة في لبنان ٥٢١
تقيّ الدين (الاديب احمد افندي) قصيدتهُ تحت الثلج ٣٥٩
تورنيز (الاب فرنسوا اليسوعيّ) تاريخ جديد للكنيسة الارمنيّة ٤٥٨ وصفهُ لبعض المطبوعات ٢١١ ; ٨٩٣
الجميّل (الشيخ يوسف) زراعة التبغ التركي في لبنان ٤٤ ; ١١٧ ; ٢٧٦ ; ٢٤٩ ; ٥١٣ ; ٨٧٣
جرون (الاب بولس اليسوعيّ) وصفهُ لبعض المطبوعات ١٥٣ ; ٢١٣ ; ٦٢٤ ; ٨١١ ; ٩٧١
الحائك (الخوري الياس) قصيدتهُ ايها الدين ١٧٢ ; صادق الشعر في الامّ البكر (قصيدة) ٢٩٨
حرفوش (الخوري ابراهيم الرسل اللبناني) سياحة في اقليمَي الحروب والشرف ١٩٠ = نشرهُ زجليّة على خراب طرابلس واخذها من يد الصليبيين ٤٢٣
دريان (الخوري لويس المارونيّ) احفظ عتيقك ١٤
دوسط (الاب اسطفان الدومينيكي) لمحة تاريخيّة عن مشهد القديس استفانس في اورشليم ١٨
دورفو (الاب رينه اليسوعيّ) روحانيّة النفس
دونكل (الاب فرنسيس الماريّ) الادهمية (الحيدية) او منارة ارميا النبيّ ١٢٢
ديلنيغر (الاب يوسف اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٢٢٣
رباط (الاب انطون اليسوعي) الانجيل الشريف مقالة تاريخية لاهوتية في اصل الاناجيل ومؤلفيها وصحّتها وصدقها وسلامتها من التحريف ٢٤١ ; ٢٢٢ ; ٤١٢ ; ٥٩٤ ; ٦٩٣ ; ٨٩٦ ; ٩١٠ = المواليد والوفيات في باريس ٤١١ = العلاقات بين الشرق والغرب ٥٤٨ = وصفهُ لبعض المطبوعات ٧٤ ; ١٥٦ ; ٢٢٣ — ٢٢٧ ; ٢٩٥ ; ٤٧١ ; ٤٧٥ ; ٥٥٣ — ٥٥٧ ; ٦٢٧ شذرات واجوبة على اسئلة ١٦٠ ; ٢١٨ ; ٢٢١ ; ٤٧٩ ; ٥٦٠
رعد (الاديب بشاره ابراهيم) الامل (قصيدة) ٤٣٧
رعد (الكافلير عبدالله ميخائيل) الكلندار الحبشي ٤٢٨ ; ٤٩٣ حكومة الحبش ٦٥٨ ; ٧٦٤ ; ٨٦٤ ; ٩٤٠
رتزفال (الاب سبستيان اليسوعيّ) تمثال جوبتير (المشتري) البلبكي في السخنه ٢٠٧ وصفهُ لبعض المطبوعات ٢٢٢
رتزفال (الاب لويس اليسوعي) نظر في احوال العام المنصرم ٢ ; ١٢٨ = الحركة العلمية في السنة الماضية ١٦١ وصفهُ لبعض المطبوعات ٢٢١ جواب على سؤال ١٦٠
رزقه (الاب اندري اليسوعي) تحليل المياه اللبنانية ٤٨١
زرشيتن (الاب اكليمنضوس اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ١٥٣ ; ٢١٥
زين (الاديب يوسف) رثاؤهُ لفريق ٥٥٥
سليمان من الملوح : زجليّتهُ على خراب طرابلس واخذها من يد الصليبيين ٤٢٣
شبلي (سيادة المطران بطرس رئيس اساقفة بيروت الماروني) منشورهُ في تقبيح اعمال الشيعة الماسونية ٢١٦
شيخو (الاب لويس اليسوعي) السر المصون في شيعة الفرمسون (تابع) مناهضة الدول للشيعة الماسونية ٥٧ اقرارات لبعض مشاهير الماسون ٦٤ الجراب الماسوني ٢١٢ المكتبة الماسونية العربية ٢١٤ اللغة الماسونية ٢٨٠ الطرائق او الطقوس الماسونية ٢٨٨ الجيش الماسوني ٢٩٠

الدواوين الماسونية ٢٩٢ ; ٢٧٥ الماسونية الكاملة ٢٧٦ قمر الجراب ٤٢١ متفرقات عن الماسونية الشرقية : المصرية ٤٥١ ; ٥٢٦ السورية واللبنانية ٥٢٩ التركية ٦٠٦ اليهودية ٦١٨ القصائد الماسونية وجواب شعراء لبنان عليها ٦٨٢ = نشرهُ ليمس القديس كيرلُّس الاورشليمي في دخول السيد المسيح الى الهيكل ٨١ = نشرهُ رسالة قسطا بن لوقا في الفرق بين الروح والنفس ٩٤ = النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليَّة (تابع) : النصرانية بين عرب الشام ١٤٦ ; ٢٢٥ ; بين عرب النور والسلط والبلقاء ٤٦٥ في النجب وطور سينا ٥٠٢ في اليمن ٦٢٠ ; ٨٠٤ في حضرموت واليمامة والبحرين ٨٠٦ في العراق ٨٨٦ ; ٩٦١ = نشرهُ لقانون بني عثمان للطقي باشا وزير السلطان سليمان الكبير ١٧٦ = العلوم العربية وحريق المكتبة الاسكندرية ٢٩٩ ; ٢٨٨ = وثقة عند قبر المسيح ٢٢١ = المدارس الدوارس (ردّ على الرأي العام) ٢٦١ = مدينة السامرة وحفريّاتها المدينة ٤٠١ = افتتاح المقتطف على نقد المشرق ٤٥٤ = نشرهُ لكلندار سرياني يعقوبي ٥٠٠ = مثل انجيلي او وكيل الظلم ٥٦١ = نشرهُ لكتاب طبقات الأمم للقاضي ابي القاسم صاعد الاندلسي ٥٦٦ ; ٦٦٤ ; ٧٥٣ ; ٨٤٣ ; ٩٢٤ = انتقاد تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان ٥٨٣ = افتيموس صيفي مطران صيداء منشئ الرهبانية المخلصية ٦٤١ = مولد جمهورية البرتغال الماسونية ٧٠٤ = جندي مسيحي (المرحوم ابو سمرا غانم) ٧٧١ = الاسطول العثماني (نظر تاريخي) ٧٩٢ = نشرهُ لنبذة من تاريخ ابن عساكر في كنائس دمشق ٨٠٠ = نبأ عن دار الحرب في طرابلس الغرب ٨٢١ = اسرار الحياة الآخرة في العهد العتيق ٨٧٨ = عين الصحة او مياه فالوغا المعدنية ٩٠١ = شطط الصحافة (خطاب) ٩٥٣ ولهُ في كل اعداد المشرق تعريبات ووصف مطبوعات وشذرات واجوبة على اسئلة

ص م (احد وجوه الاسلام) الماسون والمدارس اللادينيَّة ٦١

صاعد (القاضي ابو قاسم الاندلسي) كتابهُ طبقات الامم ٥٦٦ ; ٦٦٤ ; ٧٥٣ ; ٨٤٣ ; ٩٢٤

صالحاني (الاب انطون اليسوعي) مثل الجرذان والحرّ ٥١٠ = الاخطل ومصقلة بن هبيرة ٨٢٢

صليبا (الخوري برتلماوس ق.ب) الدين ومناهضوهُ (قصيدة) ٤٧٦

الصمشيتي (الخوري يوسف المارونى) المهاجرة : مناقبها ومضارّها ٢٤٤ = الشتاء لسيدة السماء (قصيدة) ٧١٨

غصن (الخوري مارون) ليلة الدماء (رواية) ١٠٩

غصوب (الاديب يوسف) موت الكافر (قصيدة) ٥٥٥

فريحه (الاديب حبيب) رحلة مهاجر لبناني من بيروت الى البرازيل ٢٦٠

قسطا بن لوقا رسالتهُ في الفرق بين الروح والنفس ٩٤

كبرال (الاب لويس اليسوعي) احتجاج اليسوعيين المنفيين من وطنهم البرتغال ٢٧

كاتناكيس (الاب بطرس اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ١٥١ ; ٢١٢

كليَّة القديس يوسف : ابيات قالها بعض طلبتها لوداع شهر ايار ٤٧٧

كيرلس (القديس الاورشليمي) سيرهُ في

دخول السيّد المسيح الى الهيكل ٨١
لطفي باشا (وزير السلطان سليمان الكبير) قانون بني عثمان ١٧٦
لنش (الاب ديونيس اليسوعي) نبأ من جزائر الفيليبين ٥٤٠
مثروماتيس (المسيو قسطنطين) مركز الولايات المتّحدة الاقتصادي ٧٤١
ملحه (الخوري لويس الماروني) مرحلة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم البحر الاحمر ٢٥٦
نيران (الاب غوستاف اليسوعي) وصفه لبعض المطبوعات ١٥٢ ; ٦٢٦
هرنو (الاب جاك اليسوعي) الناشئة لويس باسطور ٥١ = وصف كتاب ٨١٤

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الرابعة عشرة من المشرق

الكتب العربية والسريانية الخ

اباحي (عبد الله) كتاب المذهب الروحاني (٧١٤)
ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان (٦٢٥)
ابن تغرى بردي (ابو المحاسن) تكملة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٧٤)
ابو زيد الانصاري (سعيد بن اوس) كتاب المطر (٢٢٥)
ابو كرم (الخوراسقف نعمة الله) تربية كتاب الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه (٧٦)
ابو هارون (القس مبارك المزرعاني) لباب الكتاب لطلّاب العلم والآداب (٢٩٦ ; ٤٧٥)
افجري (اللورد الانكليزي) تعريب كتاب مسرّات الحياة (٥٥٤)
امرى (اليكباشي) تعريب حكاية الملك اناذبخت (٨١٥)
البحتري: طبعة جديدة من ديوانه الجزء الاول (٧١٥) الجزء الثاني (٩٧٥)
بطرس (الخوري الماروني) الكتاب في الحساب (٤٧٤)
بول دي ركلا: تعريب روايته اسرار يلدز (٤٧٤)
بيجان (الاب بولس المازري) الجزء الخامس من مباسم مار يعقوب السروجي
التنير (عبد الوهّاب ومحمد) : المعارف — علم الفلك (٩٧٦)
الجلابي (ابو الحسن علي التزنوي) كتاب كشف المحجوب (٤٧٣)
الخازن (الشيخان فيليب وفريد) مجموعة المحرّرات السياسية والمفاوضات الدوليّة عن سوريّة ولبنان : المجلد الثاني (٢٢٦) الثالث (٥٥٧)
الخزرجي (علي بن الحسن) العقود اللؤلؤيّة (٦٢٤)
الخوري (الاديب شكري) رواية يا حسرتي عليك يا زعيتر (٨١٥)

خير الله (الشيخ ظاهر الشويري) كتاب لمحة الناظر في سلك الدفاتر (٨٩٤)
خيّاط (الدكتور حنا) لمحة تاريخية وفنية في الحمّى التيفوئيدية (٨١٤)
الخيّاط (الاديب محي الدين) القسم الثالث من دروس التاريخ الاسلامي (١٥٦) القسم الرابع منه (٩٧٥)
دريان (الخوري لويس) الاعتقاد تجاه العقل والعلم (٣١٤)
دعبول (الاب يواكيم الناصريّ الفرنسيسي) رفيق الجندي المسيحي (١٥٦)
ديبو (الشمّاس توما الملوف) تعريب خطبتي ظفر الصليب لبوسويه وظلام العالم اهل الخير للمسيون (٨١٤)
الراعي (سامي يواكيم) كتاب الواجبات (٥٥٦)
رؤبة (الشاعر الراجز) ملحقات بديوانه (٧٤)
الزنبقة الذابلة: مجموع مراثي المرحوم يوسف فارس (٤٧٥)
زيدان (الاديب جرجي) تاريخ آداب اللغة العربية ونقده (٥٨٤—٥٩٥)
السكّري (الاديب محمد امين صوفي) الجزء الثاني من كتاب سمير الليالي (١٧)
سلواني (الاب ادوار اليسوعي) تعريب كتاب القديس الفونس ليغوري: العبادة الشيئة لآلام المسيح وارجاع امّ المحزونة (٢٩٥)
الشرتوني (المرحوم رشيد) مبادئ العربية في الصرف والنحو السنة الثالثة والرابعة (٧٥)
شركة مار منصور دي بول وخلاصة اعمالها ليوبيلها الخمسيني (٧٤٧)
شيخو (الاب لويس اليسوعي) طبعة ثانية لمقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى وتعريبات لقدماء اليونان (٢٢٤) = كتاب الحمز لابي زيد بن اوس الانصاري (٢٢٥) = اطرب الشعر واطيب النثر. القسم الثاني (٥٥٥) = السرّ المصون في شيمة الفرنسون (٩٧٧) = قانون بني عثمان للطغي باشا (٩٧٧)
صادر (الاديب سليم ابراهيم) جواهر الادب في خزائن العرب الجزء الاول (٢٩٦) الجزء الثاني (٧١٧)
صادر (الاديب يوسف) كتاب القراءة للبنات مزيّن برسوم (٣٩٦)
صالح (المرحوم الياس اللاذقي) مراثيه وديوانه (١٥٥)
صفير (الخوري نقولا) اخويّة دم يسوع (٥٥٧)
صليبا (القس برتلماوس ق. ب) الندر: مأساة ذات ثلاثة فصول (٣٩٧)
ضوء (الخوري اسطفان) كتاب حديقة الجنان في تاريخ لبنان (٣٩٧)
الطريقة الوفية في تعليم المخطوط العربية (٣١٣)
عطية (الاديب رشيد) طبعة لديوان البحتري مشكل ومحشّى الجزء الاول (٧١٥) الجزء الثاني (٩٧٥)
العشيق (الخوري يوسف) تعريب كتاب الاب بوشي التعاليم الانجيلية للعيال المسيحية (٣٣٥)
عنحوري (الاديب سليم بك) كتاب الجن عند غير العرب (٧٥)
عويس (الخوري بولس) شرح قانون لاهوتي في المتناول اليومي (٤٧٥)
غلبوني (الاديب يوسف) معرض الافكار او صدى رواية اليهودي التائه (٦٣٧)
غصن (الخوري مارون) بستان السلوى (٥٥٤)
ف. ف: تعريب المسيح في الواتيكان لفيكتور

صوغو (٨١٥ ; ٩٦١)
ويأمز (الاديب الياس) مأساة قرآن البندقية (٤٧٤)
كرباج (الاديب اسكندر) تعريب رواية لامارتين غرازيلا (٨١٥)
اللاذقاني (الاديب نجيب) الدرّ النضيد من العهدين القديم والجديد (٧١٧)
لامنس (الاب هنري اليسوعي) المذاكرات الجغرافية في الاقطار السوريّة (٣٣٩) = تمارين للترجمة الافرنسية العربية (٥٥٣)
لطفي باشا (كبير وزراء السلطان سليمان) : قانون بني عثمان (٩٧٧)
معند (السيّد جرمانوس مطران اللاذقية) كتاب ذخيرة الاصفرين (٨٩٥)
معلوف (الاب لويس اليسوعي) تقويم البشير لسنة ١٩١٣ (٨٩٦)
المقريزي (الامام) كتاب إتّعاظ الحنفاء في اخبار الائمة الخلفاء (٣٩٤)
ملتقى العبرات في رثاء حنّا يوسف بركات (٥٥٤)
يعقوب السروجي (مار) : الجزء الخامس من ميامر السريانيّة (١٥٣)
بني (الاديب جرجي الطرابلسي) تاريخ حرب فرنسا والمانيا (٨٩٥)

مطبوعات اوربيّة

Bardenhower (Dr Otto) : Patrologie, 3e éd. (463)
Barth (Dr J.) : Sprachwissenschaftliche Untersuchungen z. Semitischen, 2er Teil (633)
Basset (René) : La Banat Sôad. Poème de Ka'ab ben Zohair (470)
Baudot (J.) : Le Martyrologe (636)
Baudrillart (Mgr A.) : Histoire de Franco (892)
Beaucorps (Cte Jean de) : Lourdes, les Apparitions (813)
Bedjan (P. Lazariste) : Homiliæ selectæ Mar-Jacobi Sarugensis, T. V. (153)
Béry (L'abbé A.) : S. Justin, sa Vie et sa Doctrine (234)
Bezold (C.) Astronomie, Himmelsschau u. Astrallehre b. d. Babyloniern (972)=C. B. u. Boll (F.) : Reflexe astrologischer Keilinschriften b. griech. Schriftstellern (972)
Blois (Louis de) : Œuvres spirituelles (553)
Browne (E. G.) : Ibn Isfandyar's History of Tabaristan, an abridged Translation (635)
Brun s. j. (P. J.) : Dictionarium Syriaco-latinum, ed. altera (812)
Calippo (Ch.) : Les Tendances sociales des Catholiques libéraux (635)
Carmignani ab Orentano (F. Clemens) : Elementa Theologiæ Fundamentalis (151)
Charles (P.) : Le Dogme (234)
Compagnie Russe de Navigation (714)
Cordier (H.) : Un Interprète du Général Bruno et la fin de l'Ecole des Jeunes de Langues (813)
Couzard (R.) : Ste Hélène (233)
Daremberg-Saglio-Pottier : Dict. des Antiquités Grecques et Romaines, 45e fasc. (471)
David et Loretto : Histoire de l'Eglise (636)
Deslandres (M.) : S. Pie V (636)
Devivier s. j. (P. W.) : Cours d'Apologétique, 20e éd. (311)
Geyer (R.) : Beiträge zum Diwân d. Ru'bah (74)
Graf (Dr Georg) : Die arab. Schriften d. Theodor Abu Qurra (154)
Harder (Ernst) : Chrestomathie arabe avec Glossaire, édition fr. par R. Armez (713)
Herders Konversations-Lexikon, 3te Aufl. (231)
Hoskier (H. C.) : The Golden Latin Gospels in the Library of J. P. Morgan (470)

Hotz (A.) : Over Afbeeldingen van Persepolis en Palmyra door Nederlanders (313)
Hrozny (H.) : Die Abweichungen des Codex Vaticanus vom hebr. Texte in d. Koenigsbüchern (152)
Hurgronje (C. Snouck) : Michael Jan de Goeje, *trad. de M. Chauvin* (552)
Labaucho (L.) : Leçons de Théologie Dogmatique (311)
Lammens s. j. (H.) : Cours gradué de trad. Fr.-Ar., 2e *éd.* (553)
Laudet (M.) : La Sœur Rosalie (636)
Leclercq O. S. B. (Dom) : Les Martyrs, T. X. (174)
Linder s. j. (P. G.) : Die heilige Schrift f. d. Volk erklärt, 2 *Lief.* (312)
Margoliouth (D. S.) : Umayyads and Abbasids from J. Zaydans History of Islamic Civilization (713)
Marin (M.) : Thomassin (636)
Michel (C.) : Protoévangile de Jacques, Pseudo-Matthieu, Evangile de Thomas, annotés et traduits (472)
Montet (E.) : De l'état présent et de l'avenir de l'Islam (395)
Musil (Alois) : In nördlichen Hegâz. Vorbericht über die Forschungsreise 1910 (973)
Nicholson (R. A.) : The Kashf al-Mahjûb (473)
Nicolas (A. L. M.) : le Cheikh Ahmed Lahçahi (974)
Ormanian (Mgr Malachie) : L'Eglise arménienne, son Histoire, sa Doctrine (458)
Oudin (Librairie) : Recueil de Cantiques (553)
Palmieri O. S. A. (A.) : Theologia dogmatica orthodoxa Ecclesiæ Græco-Russicæ (150)
Peeters s. j. (P. Hollandiste) : Histoire de Joseph le Charpentier, rédactions coptes et arabes traduites et annotées (472) = S. Romain le Néomartyr (974)
Petitot O. S. D. (H.) : Pascal, sa Vie religieuse et son Apologie du Christianisme (152)
Popper (W.) : Abû'l Mahâsin Ibn Taghri Birdi's Annals (74)
Rabbath s. j. (P. A.) : Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, T. II. 2e *fasc.* (812)
Redhouse (G.M.) : The Pearl-Stringe : A History of the Resuliyy (634)
Roudanovsky (B.) : Maltese Pocket Grammar = Quelques particularités du Dialecte arabe de Malte, 2e *éd.* (394)
Schneider (Karl) : Die Griechischen Gymnasien u. Palästren (310)
Schneider (M.) : Qu'est-ce que le Ciel (636)
Snopek (Fr.) : Methodium Orthodoxum fuisse et quo sensu = Konstantinus-Cyrillus u. Methodius die Slavenapostel (309)
Towfik Ahsan u. E. A. Rodspieler : Turkisch-Arabisch-Deutsches Wörterbuch (891)
Thomson (Peter) : Systematische Bibliographie der Palestina-Literatur (231)
Trusen (H. W.) Geschichte von Gothsemani (232)
Valensin (A.) : Jésus-Christ et l'Etude comparée des Religions (893)
Vives (Son Em. le Cardinal) : De ineffabili benitate SS. Cordis Jesu Contemplationes et Orationes (73)
Vosen, Kautzsch et Schumacher : Rudimenta linguæ hebraicæ. 9e *édition* (811)

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

* ١ * الآثار القديمة في السامرة ٤٠٥ آثار
نسيفاء قديمة في الجامع الاموي ٦٢٨
داب العرب وعلومهم ٣٠١ آداب النصرانيّة
وتاريخها بين عرب الجاهليّة (اطلب العرب)
ابايل (ردّ على هذه الجريدة) ١٥٦
ابو سمرا غانم الجنديّ المسيحي ٧٧٩

احتجاج اليسوعيين المنفيين من وطنهم البرتغال ٢٧
الاحداث في اي سنّ ينبغي ان يتقرّبوا للمناولة ١١
الاخطل ومصقلة بن هبيرة ٨٢٢
الادهيّة (الميدمّة) او منارة ارميا النبيّ ١٢٢
الارجنتين وتذكار استقلالها ١٤٦
الارقام الهنديّة عند السريان والعرب ٢٢٩
الارمن: تاريخ جديد لكنيستهم ٤٥٨
ارميا النبي ومنارتهُ المعروفة بالادهيّة ١٢٢
اسبانية وامورها الدينيّة والسياسيّة ٢—٥ ؛ ١٢٨
استقلال الكنيسة البلغاريّة الكاثوليكيّة ٨٩٩
الاسرائيليون ومرحلتهم الاولى بعد عبور البحر الاحمر ٢٥٦
اسرار الحياة الآخرة في العهد العتيق ٨٧٨
الاسطول العثماني (نظر تاريخي) ٧٩٣—٨٠٠
الاسكندريّة وحريق مكتبتها في أيّام العرب ٣٨٨ مكتبتها البطريركيّة عند الفتح الاسلامي ٦٣٨
الاسكوريال ومؤلف جدول مكتبته ميخائيل الغزيري ٤٠٠
الاضاليل الصريّة ١١
اعياد البطالة على متنفى المنشور البابوي ٦٤٠
افتئات المتعلقين على نقد المشرق ٤٥٤
افتيموس صيفي مطران صيداء ٦٤١ — ٦٥٨
افنون التنلي ٨٠
المانية والحبر الاعظم ١٠ الاشتراكيّون في المانية ١٣ احوالها السياسيّة ١٢٩ الرهبنات الكاثوليكيّة في المانية ٢٩٨ منافع الاضطهاد فيها ٨٦٦
الأمل (قصيدة) ٤٢٧
الامم القديمة التي عُنيت بالعلم ٥٦٨ — ٥٧٤
اميركة وبعض امورها ١٤٥ اثر صيني قديم فيها ١٥٧
الانجيل الشريف: مقالة في وحيه ٢٤١ واصله ٢٤٤ نسبة الاناجيل الى اصحابها ٢٥٠ ؛ ٢٢٢ استحالة تحريفها ٢٣٩ ؛ ٤١٢ صدقها التامّ ٥٩٥ ؛ ٦٩٢ : ٩١٠ مثل انجيلي وشرحهُ ٥٦١
انكلترّة: مؤتمرها الكاثوليكي ٩ ترقي الكثلكة فيها ٩ احوالها السياسيّة ١٣٠
اورشليم ومشهد القديس استفانس فيها ١٨
الاوقيانوس ٢٧٠
اوّل وال عثماني نصرانيّ ٨٤٨
أيار: وداع شهر بتقاطيع شعر ٤٧٦
ايران واضطراباتها ١٤٤
ايطالية وسياستها في سنة ١٩١٠ ١٢٢
ابن السادة (قصيدة) ٢٢٧
ايها الدين (قصيدة) ١٧٢
* ب * بابل: التمدُّن البابليّ والعرب ٧١٩ البابويّة ومكايدها (ردّ) ٨١٦
باريس: احصاء مواليدها ووفياتها ٤١١ المستشفيات الطبيّة فيها ٧١٩
باسطور (النابغة في باريس) وترجمتهُ ٥١
باهيا مدينة البرازيل ٢٧٢
البحارة وترقي فنّها ١٦٥
البحرين والنصرانيّة فيها ٨٠٨
البرازيل وثورة بحريتها ١٤٦ رحلة مهاجر اليها ٢٦٠
البرتغال: حالتها بعد انقلابها الاخير والمسونية فيها ٥ ؛ ١٤١ ؛ ٧٠٤ الى الأمّة البرتغالية: احتجاج اليسوعيين المنفيين من وطنهم ٢٨ مولد جمهوريتها ٧٠٠
برشلونة وبلنسية وآثارها ٢٦٢
البلاغ (ردّ على هذه الجريدة) ٨١٦ ؛ ٩٥٥

بلجكة وامورها السياسيَّة ١٢٣
بلغارية واحوالها في السنة ١٩١٠ ١٤٠ استقلال كنيستها الكاثوليكيَّة ٨٩٩
البلقاء والنصرانيَّة فيها ٤٦٥
البلقان واحوال دولها السياسيَّة ١٢ ; ١٢٥
بلمبس الفيلسوف الاسباني (جاك) تذكار مولده ٥
بناما وتاريخ ترعتها ١٦٦
بنو اسرائيل والعلوم عندهم ٩٣٦
بنو اميَّة والعلوم في دولتهم ٢٠٢
بنو العبَّاس والنهضة العلميَّة بين العرب ٢٠٤
بارلين (الاب اليسوعي) وقيصر روسيَّة ٨١٩
بيوس العاشر وتدبيره للكنيسة ٢ — ١٢
* ت * تاريخ سنتنا الجديدة (شعر) ١
تاريخ جديد للكنيسة الارمنيَّة ونقده ٤٥٨ تاريخ آداب اللغة العربيَّة ونقده ٥٨٢
التبغ التركي وزراعته في لبنان ٤٥ ; ١١٧ ; ٢٧٦ ; ٢٤٩ ; ٥١٣ ; ٨٧٢
تجربة ابليس للمخلص ٢٠٥
تحت الثلج (قصيدة) ٣٥٩
تحليل المياه اللبنانيَّة ٤٨١
تركستان وعادياتها ٨١٧
تركيا : نظر في احوالها سنة ١٩١٠ ١٢٥ — ١٤٠
تولستوي الكاتب الروسي ١٤٢
* ث * الثياب الانجليزيَّة ٨٠
* ج * الجامع الاموي وآثار فسيفسائه القديمة ٦٣٩
الجاهليَّة العربيَّة والعلوم في زمنها ٢٠١
الجبل الاسود وحكمه الملكي ١٤٠
جبل طارق ووصفه ٢٦٧
الجذام ٨٠
الجمجمة البشريَّة وثباتها ٨٢٠
جندي مسيحي ٧٧٩ — ٧٩٢
جيشة الناسون والمدارس اللادينيَّة ٩١
جوبتير (المشتري) البلجكي وتمثاله في السخنة ٢٠٨
الحيَّة ١٦١
* ح * الحبش وكتدارهم ٤٢٨ ; ٤٩٢ الحبش ونظامها القديم والحديث ٦٥٨ ; ٧٦٩ ; ٨٦٤ ; ٩٥٠ حكومة
حروف الهجاء وعددها ١٦٠
حضرموت والنصرانيَّة فيها ٨٠٦
حقريَّات السامرة الحديثة ٤٠١
حنين بن اسحاق ونسبة رسالة الفرق بين النفس والروح اليه ٩٤
حوران ونصارى العرب ١٤٨
الحياة الآخرة في العهد العتيق ٨٧٨
* خ * الخرُّوب والشوف سياحة في اقليمها ١٩٠
* د * الديَّة في اقليم الخرُّوب ٢٠٢
دمشق وكنائسها عند الفتح الاسلامي ٨٠٠ آثار من الفسيفساء في جامعها ٦٣٩
الدولة العثمانيَّة وقانون وزارتها ١٧٦
الديباج الخسروانى ٨٠
الدين ومناهضوه (قصيدة) ٤٧٦
* ذ * ذبيحتان على مذبح واحد ٤٧٩
* ر * الراعلة (المجلَّة العلمانيَّة) ١٥٧
الراديوم الصافي ١٦١
الرأي العامّ (ردّ على هذه الجريدة) ٢٦١
رحلة مهاجر لبناني من بيروت الى البرازيل ٢٦٠
رسالة في الفرق بين الروح والنفس ٩٤
الرُّميلة في اقليم الخرُّوب ١٩٣

الرهبنات الكاثوليكيَّة في المانية ٣٩٨ الرهبانيَّة المخلصيَّة وتذكار المئة الثالثة لانشائها ٦٤١ ; ٦٥٥ — ٦٥٨ الرهبان والعلم ٨٩٧
الروح والنفس رسالة في الفرق بينهما ٩٤
روسانيَّة النفس ٩٤٤
رودس وصورة العذراء فيها ٨٩٨
روزفلت في رومية ٢
روسيَّة وسياستها ١٤١ قيصر روسيَّة والاب يارلين ٨١٩
الروم والعلوم بينهم ٦٧٨
ريون (اللورد) ارتداده عن الماسونيَّة ٦٩
ريوجانيرو عاصمة البرازيل ٢٧٤
* ز * زجليَّة على خراب طرابلس سنة ١٢٨٩ ٤٢٢
الزراعة في الولايات المتَّحدة ٨٤٢
* س * سامرًا (او سرَّ من رأى) وحفريَّاتها ٥٥٩
السامرة : وصف هذه المدينة وتاريخها وحفريَّاتها الحديثة ٤٠١
الساهرة قرب جبل الزيتون ١٢٢
سبلين في اقليم الحرُّوب ١٩٧ — ١٩٨
السخنة : اكتشاف تمثال لجوبتير البلبكي فيها ٢٠٧
السرّ المصون في شيعة الفرمسون (تابع) : مناهضة الدول للشيعة الماسونيَّة ٥٧ — ٦٤ اقرارات لبعض مشاهير الرجال من ماسون وغيرهم في الشيعة ٦٤ — ٧٢ الجراب الماسوني ٢١٢ المكتبة الماسونيَّة ٢١٤ اللغة الماسونيَّة ٢٨٠ الطقوس الماسونيَّة ٢٨٨ الجيش الماسوني ٢٩٠ الدواوين الماسونيَّة ٢٩٢ ; ٢٧٥ الماسونيَّة العاملة ٢٧٩ قمر الجراب ٤٢٩ منشئ الماسونيَّة ورئيسها ٤٤٠ متفرقات عن الماسونيَّة الشرقيَّة ٤٥١ ; ٥٢٦ ; ٦٠٦ الماسونيَّة اليهوديَّة ٦١٧ القصائد الماسونية ٦٨٣ جواب شراء لبنان عليها ٦٨٧ حسن الختام ٦٩٣
السريان والارقام الهنديَّة ٢٢٩ اعتقادهم بالاستحالة في القربان ٢٤٠ كندار السريان اليعاقبة ٥٠٠
السلط والنصرانيَّة بين عربها ٤٦٥
السنة ١٩١٠ : نظر في احوالها الدينيَّة والدنيويَّة والعلميَّة ٢ ; ١٢٨ ; ١٦١
سياحة في اقليمي الحرُّوب والشوف ١٩٠
* ش * الشام : النصرانيَّة في بادية الشام ١٤٦ ; ٢٢٥
شحيم وآثارها في اقليم الحروب ٢٠٠ — ٢٠٢
الشرق : العلاقات بينهُ وبين الغرب ٥٤٨ الماسونيَّة الشرقيَّة ٤٥١ ; ٥٢٦ : ٦٠٦
شطط الصحافة ٦٥٢
الشوف والحرُّوب سياحة في اقليمها ١٩٠
الشيطان وتجربتهُ للمخلص ٢٠٥
* ص * صابونجي (المرحوم جرجي) وارتداده عن الماسونيَّة ٧٢
صادق الشعر في الام البكر (قصيدة) ٢٩٨
صاعد الاندلسي (القاضي ابو القاسم) كتابهُ طبقات الامم ٥٦٦ ; ٦٦٤ ; ٧٥٢ ; ٨٤٢ ; ٩٢٤
الصحافة وشططها ٦٥٢
الصُّوَر في الكنائس ٧٢٠
الصين وفضتها ١٤٤ اثر صيني قديم في اميركة ١٥٧ اكتشاف الصينيين للورق ٦٤٠ نجاح الكنيسة الكاثوليكية في الصين ٨٩٩
* ط * طرابلس (الشام) زجليَّة قديمة قيلت في خرابها سنة ١٢٨٩ ٤٢٢
طرابلس الغرب ووصفها ٨٢١ — ٨٢٢
الطيران وترقّي فنّهِ ١٦٢

* ع * عاديات مصرية ٨١٨
العام المنصرم: نظر في احواله الدينية ٢ والدنيوية ١٢ ; ١٢٨ والعلمية ١٦١
العبرانيون طريقهم من مصر الى ارض الميعاد ٨١٨
العراق والنصرانية منها ٨٨٦ ; ٩٥٠
العرب: تاريخ النصرانية بينهم زمن الجاهلية في الشام ١٤٦ في النور والسلط والبلقاء ٤٦٤ في النجب وطور سينا ٥٠٢ في اليمن ٦٢٠ ; ٨٠٤ في حضرموت وعمان واليمامة ٨٠٦ في العراق ٨٨٦ ; ٩٦١ العرب والارقام الهندية ٢٢٩ العلوم العربية وحريق مكتبة الاسكندرية ٢٩٩ ; ٣٨٨ درس العربية في كلينتا (ردّ) ٣٦١ ; ٩٧٧ رأي العرب في مذهب النشوء ٣٩٨ تاريخ آداب اللغة العربية ٥٨٢ التمدن البابلي والعرب ٧١٩ العلوم عند العرب ٧٥٦ ; ٨٤٣ ; ٩٢٤
العرفاء والمناكب ٢٤٠
العلاج ٦٠٦ ١٦٢
العلاقات بين الشرق والغرب ٥٤٨
العلوم العربية وحريق مكتبة الاسكندرية ٢٩٩ ; ٣٨٨ العلوم في زمن الجاهلية ٢٠١ في عهد الخلفاء الراشدين وبني امية ٢٠٢ في عهد بني عباس ٢٠٤ العلوم عند العرب ٧٥٦ ; ٨٤٣ ; ٩٢٤
العلوم في السنة ١٩١٠ ١٦١ في طبقات الامم ٥٧٣
عمان والنصرانية فيها ٨٠٨
العنصرة: اشتقاق اسمها ٤٨٠
العهد الشيق واسرار الحياة الآخرة ٨٧٨ — ٨٨٦
عين حوارة وعارة الاسرائيليين ٢٥٧
عين الصحة او مياه فالوغا المعدنية ٩٠١
* غ * الغرب وعلائقه مع الشرق ٥٤٨
الغزيري (ميخائيل) واصف مخطوطات الاسكوريال ٤٠٠
غسان وتنصرهم ١٤٩
الغور والنصرانية في انحائها بين العرب ٤٦٥
* ف * فالوغا وعينها المعدنية ٩٠١
الفرس وعلومهم ٥٧٨
فرنسة واحوالها في العام ١٩١٠ ١٤٢
فردريك الثاني وحكم البلاد فيه ١٥٩
فرير شهيد الماسونية ٢١٩
الفيليبين (جزائر) ووصفها ٥٤٠
* ق * قبر المسيح وتزييف رأي كوندر وغوردون في تعيين مكانه ١٣٥ وقفة عند قبر المسيح ٢٢١ — ٢٢٠
القديس استفانس ومشهده في اورشليم ١٨
القدّاس وحسنته ٨٠
قرداحي (الاب ارسانيوس الماروني) ٥٦٠
قسطا بن لوقا: تعريفه ورسالته في الروح والنفس ٩٦
* ك * كاناليجس الوزير الاسباني وسياسته الحرقاء ٣
الكاهن المحروم والاسرار ٢٩٩
كتاب طبقات الامم ٥٦٦ ; ٦٦٤ ; ٧٥٣ ; ٨٤٣ ; ٩٢٤
كرنجي: تقريعه لماضدته المدارس اللادينية ٩٧٩
الكفر وسوء عقباه ١٤ — ١٨ موت الكافر (قصيدة) ٥٥٧
الكلدان والعلوم عندهم ٥٨٠
الكلمة (المجلة) ومزاعمها ٩٠٠
الكلندار الحبشي ٤٢٨ ; ٤٩٣
كلندار السريان الباقية ٥٠٠
كلينتا البيروتية وكتبها في اللغة العربية ٣٦٤ — ٣٧٥
كندا: سياستها وحفلات المؤتمر القرباني فيها

٨ ; ١٤٥
الكنيسة ورأسها المتطور في السنة ١٩١٠ ٢
الصور في الكنائس ٧٣٠ كنائس دمشق في عهد الفتح الاسلامي ٨٠٠
الكوثر (ردّ على هذه المجلة) ١٥٨ ; ٢٩٩ ; ٢٨٨
كيرلس الاورشليمي وميمره في دخول السيد المسيح للهيكل ٨٠
* ل * لبنان زراعة التبغ التركي فيه (اطلب التبغ) = تحليل مياهه ٤٨١ كلمة في لبنان (قصيدة) ٥٢١ مياهه المعدنية ٩٠١
لطفي باشا وقانونه للوزارة العظمى ١٧٦
اللغة الدولية ٣٩٨
اللغة العربية : درسها في كليتنا ٢٦١ ; ٩٧٧ اللغة العربية وتاريخ آداجا ٥٨٢
له قريه : التذكار المئوي لولده ٤٧٨
ليلة الدماء (رواية) ١٠٩
* م * مادبرا (جزيرة) ٢٦٦
مارة وعين حوارة ٢٥٧
الماسونية في اسبانية ٢ في البرتغال ٥ ; ١٤١ — ٧٠٤ في رومية ٧ في كندا ٨ جوابا على كراريس السرّ المصون ٧٩ ; ١٥٩ راي احد المسلمين فيها ٦١ تنظيمها للخائن يوداس ٢١٨ شهيدها فرّير ٢١٩ النهضة الادبية على مآتمها ٨١٧ الماسونية بازاء كنيسة الروم الملكية ٨٩٦ شهادة قديمة للروم الارثذكس في حقها ٩٧٩ (اطلب السرّ المصون)
مالتة وآثارها في اسبانية ٢٦٥
ماوية ملكة العرب المتنصرة ٢٢٩
مثل دارج وشرحه ٤٨٠ مثل الجرذان والهرّ ٥١٠ شرح مثل انجيلي او وكيل الظلم ٥٦١
المجلّات الكاثوليكية العربية ٧٧ ; ٦٢٨
المدارس الدوارس (ردّ على الراي العام) ٢٦١
المدارس اللادينية ورأي بعض وجوه المسلمين فيها ٩١ ; ٦١٦ رابطتها ٥٧ ; ٢١٥
المذنبات ١٦١
مذهب النشوء والعرب ٢٩٨
مرحلة الاسرائيليين الاولى بعد عبورهم البحر الاحمر ٢٥٦
مرمغون (يوحنا) ١٦٠
المريخ وسكانه ٩٧٨
مريم العذراء (قصيدة في عيد بشارتها) ٢٩٨ وداع شهرها ٤٧٧ قصيدة في ميلادها ٧١٨ صورتها العجائبية في الاسانة ٨٩٧ صورتها في رودس ٨٩٨
المستشفيات الملاية في باريس ٧١١
المسرّة (سيادة المطران جراسيموس) منشوره في اتحاد الكنيستين ٢٢٩
المسيح : ميمر القديس كيرلس الاورشليمي في دخوله للهيكل ٨١ تجربة ابليس للسيد المسيح ٢٠٥ وقفة عند قبره ٢٢١ تألم المسيح في طبيعته البشرية فقط ٤٠٠
مصر والطوم في اعلها قديماً ٧٥٢ عاديات مصرية ٨١٨
مصقلة بن هبيرة والاخطل ٨٢٢
المعادن والمصاغات والصنائع في الولايات المتحدة ٧٤٦
المغنية ١٦٦ — ١٩٨
المغيرية في اقليم الخروب ١٦٩
المقتبس (ردّ على هذه الجريدة) ٩٧٧
المقتطف (مجلة) والدين ٢٩٨ اقتباث المقتطف على نقد المشرق ٤٥٤
المكسيك وفتنها ١٤٥
المناطيد وترقيها ١٦٤
المناكب والمرفاء ٢٤٠
المناولة الاولى للقربان في اي سن تكون ١١

المنتقد (ردّ على هذه المجلة) ٩٥٢
المهاجرة : منافعها ومضارّها ٢٤٤
المهلهل وزواجهُ ٤٠٠
المواليد والوفيات في باريس ٤١١
موت الكافر (قصيدة) ٥٥٦
المؤتمر القرباني في مونريال (كندا) ٨
المياه اللبنانية وتحليلها ٤٨١
* ن * ناثان (حاكم رومية الاسرائيلي اليهودي) ٧
نبأ من جزائر الفيليبين ٥٤٠
نبأ عن دار الحرب في وصف طرابلس الغرب ٨٢١ — ٨٢٢
النبط وتمصّرهم ٤٦٦
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (تابع)
النصرانية بين عرب الشام ١٤٦ ; ٢٢٥
وعرب النور والسلط والبلقاء ٤٦٥ ونجب وطور سينا ٥٠٢ واليمن ٦٣٠ ; ٨٠٤ وحضرموت وعمان واليمامة ٨٠٦ والعراق ٨٨٦ ; ٩٦١
نظرة في تقلب الحالات (قصيدة) ٢٣٠
النفس : رسالة في الفرق بينها وبين الروح ٩٤ النفس وروحانيتها ٩٥٠
النسمة واحوالها في السنة ١٩١٠ ١٤٢
* ه * هل من دواء (قصيدة اجتماعية) ٨٨
الهلال ردّ على هذه المجلة ١٥٩ ; ٤٠٠ تزييف دينها في مذهب الشيوعية عند العرب ٢٩٨
الهيونة في اقليم الجنوب وآثارها ٢٠٤
الهند والعلم بين اهلها ٥٧٤
هولندة واحوالها ١٢٥
الهيدمية (اطاب الاهدمية)
* و * الورق واكتشافهُ في الصين ٦٤٠
الوزارة وقانونها للطفي باشا ١٧٦
الوضعيون ومذهبهم ١٥
وكيل الطلبة شرح هذا المثل ٥٦١
وقفة عند قبر المسيح ٢٢١ — ٢٢٠
الولايات المتحدة وسياستها ١٤٤ — ١٤٥
مركزها الاقتصادي ٨٤١ — ٨٥٢
ولاية الكنائس ٢٢٠
* ي * يوداس الخائن والقسونية ٢١٨
اليونان وسياستهم ١٤٤ العلوم في اليونان ومشاهيرهم ٦٦٤ — ٦٧٨
اليمامة والنصرانية فيها ٨١٠
اليمن والنصارانية فيها ٦٣٠ ٨٠٤

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٤٩ السطر ١٩ « فتُنحَّل » والصواب « وتنحَّل » = ٥٨ : ٢٤ « Gauterlet » ص « Gautrelet » = ٧٤ : ٢ « Berkelej » ص « Berkeley » = ٢٩ : ٦ « بوفاتهِ » ص « بوفاة ابن اخيهِ » = ٨٠ : ١١ « الشعراء » ص « شعراء » = ٩٦ : ٢٥ « وانّما » ص « وانَّ » = ١٥٣ : ٢١ « مجحتا » ص « مجحتا » = ٢٢٤ : ١٨ « التاسع » ص « التابع » = ٢٢٩ : ٩ « اجتذبتهُ » ص « اجتذبتهم » = ٢٣٠ : ٢٠ « على بادية » ص « على بادية الشام » = ٣٧٣ : ٧—٨ الكتابان « رواية القديس انطونيوس البادوي ومصباح الرشد في عجائب لورد » هما

لمغرة المتوري بطرس الماروني (راجع حاشية الصفحة ٤٧٥) = ٣٩٩ : ٦ – ٧ « اذا تجاوزهُ الحيوان انسانًا » ص « كان انسانًا » = ٤٦٩ : ١٧ « عادتـهِ » ص « عادة » = ٤٧٠ : ٢ « Kaa'd » ص « Kaa'b » = ٥٦٨ : ١٧ « اتجاهـات » ص « كنجاهات » = ٥٧٠ : ٧ « وجيـلان وخوزان » ص « وجيدان وخرزان » = ٥٧١ : ٢ « وحوران وكشل » كذا في الاصل ولعـلَّ الصواب « وجودان وكشك » = ٥٧٢ : ٢٢ « كرماغ » لعلها تصحيف « كرحام » = ٥٧٥ : ٥ « وبعد التور » ص « وبعد التَّوْر » = ٥٧٨ : ٢٠ « بني اسرائيل » كذا ولعلهُ اراد « بني ساسان » = ٦٢٢ : ١٢ « توفقنا ص « تُوفقنا » – ٦٢٨ : ١ « من بعدهِ عبد كلال » ص « من بعد عبد كلال » = ٦٣٢ : ٢٠ « آلى جهدًا » ص « ألّا جهدًا » = ٦٤٣ = ٦٤٣ : ٢٢ « انتيميوس صيفي » وقفنا على بعض اخبارهِ في كتاب ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات معاصرهِ فقال « ان اصلهُ من بعلبك وكان اسـمُ ميخائيل وتربَّى في دمشق بالايمان الروماني عند اليسوعية وردَّ كثيرين الى معرفة الايمان الروماني وكان فصيح اللسان كثير المطالعات » ثم ذكر اعترافهُ بالايمان الصحيح قبل وفاتهِ الى الابوين اليسوعيين « كاردبوس جيرين وفرنسيس لودويكوس بوسي » = ٦٦٧ : ٢٤ « وصيحة » ص « الصحيحة » = ٦٧٦ : ٨ « المصري » ص « البصري » = ٦٧٨ : « لعلَّ الصواب « عاتيًا » او ايضًا « عاثيًا » = ٦٨٠ : ٢٦ « تمادي » ص « بنادي » = ٦٨١ : ١٤ « البقرة » لعلَّهـا « البصيرة » = ٧٢٠ – ٧٤١ وقع خلل في تتابع الصفحات بين العـددين التاسع والعشرين ولا شيء ناقص هناك = ٨٢٠ : ٨ « وبيَّن اولاد » ص « وبين انَّ اولاد » = ٦٥٥ : ٢ « بين » ص « مـا بين » = ٩٧٢ : ٢ « Himmelschau » ص « Himmelsschau » ٤ – « Schriftellern » ص « Schriftstel-lern » = ٣٧٢ : ١٢ « in...Forschungensreise » ص « im Forschungsreis »

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Quatorzième Année

1911

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1911

TABLES DES SOMMAIRES

XIVe ANNÉE 1911

JANVIER

Une date poétique (p. 1) : *P. N. Abu Hana o. s.*

Coup d'œil sur les évènements de 1910 (p. 2) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Tout ce qui brille n'est pas or ! (p. 14) : *L'abbé L. Dérian.*

Le Sanctuaire de St Etienne à Jérusalem (p. 18) : *P. Et. Doumet o. p.*

Au peuple portugais : protestation des Jésuites expulsés (p. 27) : *P. L. G. Cabral s. j.*

La Culture des Tabacs Turcs dans le Liban (p. 45) : *Le Cheïkh J. Gemayel.*

Science et Religion : Louis Pasteur (p. 51) : *P. J. Hernault s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : Condamnation de la secte par les différents Etats (p. 57) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Bibliographie orientale (p. 73). — Varia (p. 77). — Questions et Réponses (p. 80).

FÉVRIER

Une homélie sur la Purification attribuée à S. Cyrille de Jérusalem (p. 81) : *éditée par le P. L. Cheïkho s. j.*

Où est le remède (poésie) ! (p. 88) : *L'abbé R. Bostani.*

La Franc-Maçonnerie et les écoles laïques (p. 91) : *par un notable musulman.*

L'âme et l'esprit : traité de philosophie platonicienne (p. 97) : *par Qosta-ben-Luca.*

Nuit sanglante (nouvelle) (p. 109) : *L'abbé M. Ghosn.*

La Culture des Tabacs Turcs dans le Liban (suite) (p. 117) : *Le Cheïkh J. Gemayel.*

L'Edhémiyeh ou la Grotte de Jérémie et le Sépulcre de Gordon (p. 122) : *P. Fr. Dunkel.*

Coup d'œil sur les événements de 1910 (suite) (p. 128) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 146) : *P. L. Cheïkho.*

Bibliographie orientale (p. 150). — Varia (p. 157). — Questions et Réponses (p. 160).

MARS

Le progrès des Sciences en 1910 — Aperçu sur l'Isthme de Panama (p. 161) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Religion ! (poésie) p. 172) : *L'abbé E. Hayek.*

Code du Grand Vizirat par Loutfi Pacha (p. 176) : *édité par le P. L. Cheïkho.*

Excursion dans les districts libanais de Kharroub et de Chouf (p. 190) : *P. I. Harfouche.*

La tentation de Jésus-Christ au désert (p. 205) : *P. A. Rabbath s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : la besace maçonnique (p. 213) : *P. L. Cheïkho j. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 225) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 231). — Varia (p. 237). — Questions et Réponses (p. 240).

AVRIL

Les Saints Evangiles : 1° leur authenticité (p. 241) : *P. A. Rabbath s. j.*

La 1re Station des Hébreux après le passage de la Mer Rouge (p. 258) : *L'abbé L. Malha.*

Récit d'un émigrant au Brésil (p. 260) : *H. F. Bach'alâni.*

La Culture des Tabacs Turcs dans le Liban (suite) (p. 276) : *Le Cheïkh J. Gemayel.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : la besace maçonnique (p. 280) : *P. L. Cheïkho s. j.*

L'Annonciation (poésie) (p. 298) : *L'abbé E. Hayek.*

Les sciences arabes et l'incendie de la Bibliothèque d'Alexandrie (p. 299) : *P. L. Cheïkho s. j.*

La statue de Jupiter Héliopolitain à Sokhné (p. 307) : *P. Séb. Ronzevalle s. j.*

Bibliographie orientale (p. 309). — Varia (p. 416). — Questions et Réponses (p. 320).

MAI

Une nuit au Tombeau du Christ (p. 321) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Les conditions sociales (poésie) (p. 330) : *L'abbé R. Bostani.*

Les Saints Evangiles (suite) : 2° Intégrité (p. 333) : *P. A. Rabbath s. j.*

L'émigration : ses avantages et ses inconvénients (p. 344) : *L'abbé J. 'Amchiti.*

La Culture des Tabacs Turcs dans le Liban (suite) (p. 349) : *Le Cheïkh J. Gemayel.*

Sous la neige (poésie) (p. 359) : *Mr Ahmed Taqyi ed-Din.*

L'enseignement des religieux en Orient (p. 361) : *P. L. Cheïkho s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : la besace maçonnique (p. 376) : *Le même.*

Les sciences arabes et l'Incendie de la Bibliothèque d'Alexandrie (fin) (p. 388) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 394). — Varia (p. 398). — Questions et Réponses (p. 399).

JUIN

Les récentes fouilles de Samarie (p. 401) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Le bilan des naissances et des décès à Paris (p. 411) : *P. A. Rabbath s. j.*

Les Saints Evangiles (suite) : 2° Intégrité (p. 413) : *Le même.*

L'année éthiopienne (p. 438) : *Mr A. M. Raad.*

Elégie populaire sur la prise de Tripoli en 1289 (p. 433), *publiée par L'abbé I. Harfouche.*

Rêve d'une mère (poésie) (p. 437) : *Mr B. A. Raad.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : Fond de besace (p. 439) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Justification d'une critique (p. 454) : *Le même.*

Une nouvelle histoire de l'Eglise arménienne (p. 458) : *P. Fr. Tournebize s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 464) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Bibliographie orientale (p. 470). — Varia (p. 476). — Questions et Réponses (p. 479).

JUILLET

Excursion hydraulique au Liban (p. 481) : *P. A. Roshet s. j.*

L'année éthiopienne (fin) (p. 492) : *Mr A. M. Raad.* — Appendice, un Calendrier Jacobite (p. 500) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 502) : *Le même.*

La Fable des Rats et du Chat (p. 510) : *P. A. Salhani s. j.*

La Culture des Tabacs Turcs dans le Liban (suite) (p. 513) : *Le Cheikh J. Gemayel.*

Le Liban politique (poésie) (p. 521) : *L'abbé R. Bostani.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : Fond de besace (p. 526) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Les Philippines actuelles (p. 540) : *P. D. Lynch s. j.*

Les relations entre l'Orient et l'Occident (p. 548) : *P. A. Rabbath s. j.*

Bibliothèque orientale (p. 552). — Varia. (p. 557). — Questions et Réponses (p. 560).

AOUT

La parabole de l'Econome infidèle (p. 561) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Le livre intitulé (طبقات الامم) par Sâ'id l'Andalous (XIe siècle) (p. 567), *édité par Le même.*

L'Histoire de la Littérature arabe par Mr Zaïdan (p. 582) : *Le même.*

Les Saints Evangiles (suite) : Véracité des Evangiles (p. 595) : *P. A. Rabbath s. j.*

La Franc-Maçonnerie (suite) : Fond de besace (p. 606) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 620) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 633). — Varia (p. 638). — Questions et Réponses (p. 640).

SEPTEMBRE

Le fondateur de l'Ordre basilien de St Sauveur, l'évêque Euthyme Saïfi (p. 641) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Le gouvernement en Ethiopie (p. 658) : *Mr A. M. Rand.*

Le livre intitulé (طبقات الامم) par Sâ'id l'Andalous (XIe siècle) (suite) (s. 661), *édité par P. L. Cheïkho s. j.*

La Franc-Maçonnerie (fin) : Fond de besace (p. 683) : *Le même.*

Les Saints-Evangiles (suite): 3° Véracité des Evangiles (p.692): *P. A. Rabbath s. j.*

Le 1er anniversaire d'une République sectaire (p. 704) : *P. L. Cheïkko s. j.*

Bibliographie orientale (p. 713). — Varia (p. 718). — Questions et Réponses (p. 720).

OCTOBRE

A travers les Etats-Unis économiques (p. 741) : *Mr C. Mavrommatis.*

Le livre intitulé (طبقات الامم) par Sâ'id l'Andalous (XIe siècle) (suite) (p. 753) : *édité par le P. L. Cheïkho s. j.*

Le gouvernement en Ethiopie (suite) (p. 769): *Mr A. M. Rand.*

Un saldat chrétien: Abu Samra Ghanem (1805-1895) (p. 779): *P. L. Cheïkho s. j.*

La Flotte ottomane (p. 702) : *Le même.*

Les églises chrétiennes de Damas lors de la conquête arabe (p. 800) *d'après Ibn 'Asâkir ; le même.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 804) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 811). — Varia (p. 816). — Questions et Réponses (p. 820).

NOVEMBRE

Coup d'œil sur la Tripolitaine (p. 821) : *P. L. Cheïkho s. j.*

Akhtal et son poème sur Masqalah Ibn Hobeira (p. 833) : *P. A. Salhani s. j.*

Le livre intitulé (طبقات الامم) par Sâ'id l'Andalous (XI° siècle) (suite) (p. 843), *édité par Le P. L. Cheikho s. j.*

Le gouvernement en Ethiopie (suite) (p. 864) : *Mr A. M. Raad.*

La culture des Tabacs Turcs dans le Liban (fin) (p. 872) : *Le Cheikh J. Gemayel.*

L'Eschatologie de l'Ancien Testament (p. 878) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 886) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 892). — Varia (p. 896). — Questions et Réponses (p. 900).

DÉCEMBRE

La Source Merveilleuse *ou* les eaux minérales de Falougha (901) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Saints Evangiles (fin) : Véracité des Evangiles (p. 910) : *P. A. Rahbath s. j.*

Le livre intitulé (طبقات الامم) par Sâ'id l'Andalous (XI° siècle) (fin) (p. 924) : *édité par P. L. Cheikho s. j.*

Le gouvernement en Ethiopie (fin) : (p. 940) : *Mr A. M. Raad.*

La spiritualité de l'âme (p. 944) : *P. R. Dorveaux.*

Les excès de la Presse (p. 952) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 961) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 972). — Varia (p. 977). — Questions et Réponses (p. 980). — Tables (981-996).

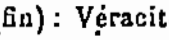

السنة الخامسة عشرة العدد ١ كانون الثاني ١٩١٢

المشرق

سلام الله

ادعيةٌ في رأس السنة الجديدة

هو السلام نتمناه في غرّة العام الجديد وبدء سنتنا الخامسة عشرة لقرّائنا الكرام كما يتمناه كلّ منّا لصاحبه اذا اهداهُ تحيّة الموسم السنوي. ولعمري ليست هبةٌ اولى او منّة افضل يمنحها الله لخير البشر وسعادة المجتمع الانساني من نعمة السلام

فنطلب السلام من ربّ السلام لكل من افراد الوطن ليحلّ عليهم فيريحهم نفساً وجسماً ويمكّنهم من بلوغ الغاية السامية التي قضى الله عليهم ان يدركوها في الحياة

نطلب السلام للبيوت فانهُ كنزٌ لاصحابها وسبب لرفاهية عيشهم كيف لا وهو يؤلف القلوب ويؤنسها وينفي عنها كل نفور فيتفانى الابوان في صالح اولادهما ويتسابق الاولاد في اكرام الوالدين علّة حياتهم بعد الله فتصبح العائلة محطّ السعادة ومورد الهناء.

نطلب السلام لمدينتنا العامرة لكي يعيش اهلها بالسكينة والائتلاف في ظلّ الدولة العليّة ورعاية عطوفة والينا الجديد حازم بك فتضمّهم محبة الوطن العزيز ويجمع كلمتهم الخيرُ العام فينزعوا من قلوبهم كل الضغائن ويسعوا في توسيع نطاق كل المشروعات الصالحة ان مادّية وان ادبية

نطلب السلام للممالك المحروسة كي تمتزج عناصرها المختلفة امتزاج الماء بالراح فتنشر قولهم بالوحدة والوفاق ويردّوا كل مكايد العدوان. فان العدوّ الخارجي مهما تفاقم شرّهُ لا يضرّ بهم ضررهم ببعضهم اذا انقسموا ونزعوا الى الخصام بينهم.

ومع هذا السلام بين ابنـاء الوطن نطلب منهُ تعالى ان يردّ ايضاً للدولة سلامها في الخارج ويطفئ نار حرب مشئومة اسعرتها مطامع ايطاليا في احدى ولاياتها دون حقّ سابق

نطلب السلام لكل الامم وكافّة الشعوب فمساهُ يمدُّ رواقهُ على جميع الدول ويبسط ظلّهُ على كلّ الممالك فانّ السلام ركنها الوطيد وعروتها الوثقى بفضلهِ يتعاضد الناس ويتساندون ويخفّف بعضهم عن بعض اعباء الوجدان بهِ تتوثق روابط الحبّ والائتلاف بين البشر فيعيشون كأبناء عائلة كبيرة ممتدة في كلّ اقطار المعمور لا يضرّها البتة اختلاف الاجناس وافتراق اللغات وتباين النزعات بل تتوفر باجتماع القلوب اسباب النعمة ووسائل العمران

لكنّ لهذا السلام المرغوب ركناً ثبتاً اذا استند اليهِ المرء فاز قدحهُ لا محالة ألا وهو خوفهُ تعالى الذي لا ينبذهُ انسان الّا فقد السلام مع نفسهِ ومع قريبهِ اذ « لا سلام للشاقين » كما يقول الربّ (اشعيا ٤٨ : ٢٢) وان صرخوا « سلام سلام فليس سلام » (ارميا ٦ : ١٤) . امّا اذا جرى المرء على سُنن خالقه وقام باوامرهِ عزّ وجلّ فانهُ يعلم انّ الوصيّة الاولى التي امر بها الله اعني حبّ الانسان لربّهِ انّما يتبعها وصيّة ثانية مرتبطة معها ارتباطاً غير منفصم اي حبّهُ لقريبهِ كنفسهِ فلا يتعدّى على حقوق غيره كما لا يحبّ ان يهتضم انسان حقوقهُ

ولنا في عيد ميلاد السيد المسيح رجاء صالح وامل وطيد للحصول على ذلك السلام اذ وعد الآب السماوي ان يرسل ابنهُ له المجد كرسول السلام بينهُ وبين البشر . وقد سبق اشعيا (٩ : ٦) ووصفهُ « بالاله العجيب ورئيس السلام » المرسل من الله « لنسوس الرئاسة والسلام »

وقد تمّ ذلك فعلاً بيننا يوم لبس طبيعتنا في عهد اوغسطس قيصر حيث كانت الحروب قد خمدت وتوطّد السلام في ربوع اقطار الدنيا . فكانت بشرى الملائكة عند مذودهِ في بيت لحم ان « المجد لله في العلى وعلى الارض السلام » . فمن طفل هذا المذود المبارك نستمدُّ نحن ايضاً « سلام الله الذي يفوق كلّ فهم » (فيلبي ٤ : ٧) ونحييهِ بهذه الابيات من قلم احد طلبة مدرسة الحكمة العامرة الاديب حبيب افندي ثابت :

ايها الطفل . . . !

ذاك نجمٌ في جنح ليلٍ بانا فاراناً من حسنه ما اراناً
وتلا النجمَ في العلاء نشيدٌ مستطيلٌ فابهج الوديانا
انشدوا المجدَ في العلى وعلى الار ضِ سلاماً وغبطةً واماناً
حبّذا النجمُ صورةً لقدوم الطفل وافى فأيقظ الرعيانا
ذلك الليلَ حلَّ طفلٌ صغيرٌ بيتَ لحمٍ وكان ما قد كانا . . .
يحمل الطفلُ في يديهِ حياةً وخلاصاً ورحمةً وحنانا
ذلك الطفل والملائك تشدو بصفاء لربها الالحانا
اخذ الذودَ الحقيرَ مقرًّا وهو فوق الملوك ارفع شانا
سجع الطيرُ حينذاك وغنّى ونسيمٌ يلاعبُ الاغصانا
فرأينا المجوس تأتي اليهِ تحمل المرَّ والكيا والجُمانا
ورأينا كل الطبيعة تزهو ورأينا النسرينَ والريحانا
ورأينا الازهار تنثر اكليلاً م من الزهر يشبه التيجانا
ورأينا سنابل الحقل تنمو لتؤدي من قمحها القربانا
ورأينا الكروم تخرج خمرًا رُبَّ خمرٍ بهِ روينا ظمانا
ورأينا رب السماء ذليلاً وقريباً سوف يموت فدانا . . .
كل هذا والطفل في مهدهِ م القشِّ صغيرًا يجاور الحيوانا
وهو مصغٍ الى الملائك تشدو نغماتٍ تبدّد الاحزانا
امرُ ذاك الاله امرٌ عجيبٌ فهو لغزٌ يحيّرُ الانسانا
ايها الطفل ان قلبيَ نادى ايها الطفل انت كلُّ رجانا

حوادث العام المدبر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

نطوي السنين فتطوينا وتسير بنا وهي تذهب باماتينا على انها اذا دخلت في بحر الابدية لا تموت كلها وانما تبقى بعدها آثاراً تُدوَّن في بطون التواريخ وتكون عبرةً للمعتبرين فكم هناك من مفاخر تجلّل الاوطان وكم من اعمال شريفة تخلّد ذكر فاعليها وكم من مشروعات عظيمة تمهد للانسانيَّة مناهج الرقي والفلاح. وربما وقعت ايضاً في تلك الاعوام نكبات وانقلابات فيتخذها العاقل مثالاً لحياته فلا يركن الى الدنيا ولا يضع في الدهر آمالاً وان وجد خيراً شكر الله وهب النعم على ما اعطى وان رأى شراً لاذ برحمته تعالى واناب عمّا فرط منهُ جهلاً

فلإدراك هذه الغايات الطيّبة قصدنا في بدء هذه السنة الجديدة ان نروي كالمألوف عادتنا في السنين المنصرمة لقراء المشرق خلاصة الوقائع الجارية في العام الذي ودّعناه مؤخراً. ونقسم هذا النظر الى قسمين فنفرد باباً لحوادث الشرق ثم نلحقهُ بذكر احداث الغرب

١ الشرق وماجرياتهُ في العام المنصرم

﴿ تركيا ﴾ يحق بنا ان نفتتح هذا الفصل بذكر دولتنا العلية ونحصر ما وقع في العام الماضي في داخليها اوّلاً ثم في خارجيها

دخل العام الجديد والوزارة في حالة حرجة فكان الصدر الاعظم حقي باشا يرى في سبيله عقبات لا يقوى على تمهيدها. وكانت الولايات في اضطراب وقلق. فان الامام يحيى والقبائل اليمنيَّة كانت لا تزال تضايق الجنود العثمانيَّة وتتعقبها وقد ظفرت بها غير مرَّة حتى اضطرَّ وزير الحربيَّة الى ارسال عشر اورط لكسر جناح الثورة ثمَّ عقَّبها بطوابير اخرى لتلافي الشرّ ومحاربة رجل آخر يدعى السيد ادريس خرج في جهة عسير فبلغ عدد الجنود ٤٠,٠٠٠ مقاتل ودالت وقائع الحرب سجالاً الى ان اتَّفق الامام يحيى والادريسي وغلبا جيوش الدولة في جيزان في منتصف حزيران

وكانت جهات الكرك تستدعي ايضاً انظار الحكومة اذ قامت بعض قبائل العربان فنهبت وسلبت وضربت وقتلت على انَّ سامي باشا الفاروقي قائد الحملة الحورانيَّة لم يزل يتعقب آثار المعتدين حتى كفى الاهلين شرَّهم بقتل البعض واسر البعض الآخر ثم ردَّ المال الى اصحابهِ

امَّا حاضرة السلطنة فكانت تجري فيها عدَّة امور تعكِّر صفاء راحة الدولة اخصها نزوع جمعيَّة الاتحاد والترقي الى احتكار السلطة ومناوأة الذين لا يجارونها في اعمالها بل بلغ باصحابها الاستبداد الى ان قبضوا على بعض الذين لم يوافقوهم على خطتهم والقوهم في السجن بحجَّة نسبتهم الى الارتجاعيين المنتمين الى الشيع السرية فعذبوهم بالضرب وانواع العذاب حتى بلغ امرهم الى بعض مبعوثي دار الندوة وتظلَّم باسمهم امام رصفائهِ في مجلس النواب اسماعيل بك واثبت شكواه بالدليل وأيدهُ الدكتور رضا توفيق ولطفي فكري بك

والحقّ يقال ان جمعيَّة الاتحاد والترقي كانت تأتي كل يوم من اعمال الجور والسياسة الخرقاء ما كان يُكثر تشكي الناس من امرها لاسيما بعد ان شاع انَّها آلة في ايدي الماسونيَّة وانَّ لليهود يداً في تدبير امورها وانَّ الجمعيَّة الصهيونية تتستر وراءها لتتولَّى على املاك الدولة

وزد على ذلك انهُ وقع اختلاف بين المبعوثين الاتراك وغيرهم في مجلس النواب كما زاد استياء البطركيَّات من قلَّة انصاف الدولة برعاياها النصارى بخصوص التعليم وتجنيد المسيحيين ثم لأجل هضم امتيازات الرؤساء الروحيين فدارت الخابرات بين دوائر الحكومة وبطركي الروم والارمن دون ان يحصل الاتفاق

هذا الى الحريق الهائل الذي حدث في ٦ شباط فالتهم بعض قصور الباب العالي والمعاهد الرسميَّة. وتكرَّرت هذه النكبة مرتين في ٤ نيسان في قاضي كوي فدمرت ٣٠٠ بيت وفي ١٧ حزيران في احياء استنبول فتلف بالنيران المتأججة اكثر من الفي بيت وبقي الوف من اهل العاصمة بلا مأوى

وكان الالبانيون في تلك الاثناء يحملون من جبالهم الحملات المتتالية على الجنود المرسلة لمحاربتهم وانضمَّت اليهم عشائر المرديت فدرَّخت طوابير الاتراك وبقي الامر على ذلك حتى تولى قيادة الحملة شوكت طورغود باشا وتمكن بعد الجهد الجهيد من

اخماد الثورة فمنحوا ملّة الماليسور ما طلبوهُ من الانعامات كاستعمال لغتهم في مكاتبهم وتخصيص واردات الارناؤوط لبلادهم وتعيين ولاة عليهم من جنسيتهم ووعدوهم بالاصلاحات القريبة

فكلّ هذه الامور المزعجة كان من شأنها ان تضعف الوزارة الحقيّة بل ادخلت الانقلاب العثماني الاخير في طورٍ جديد كما اقرّ بذلك مكاتب جريدة « الديبا » الفرنسوية فقال « انهُ اصبح من الثابت الاكيد ان نفوذ الذين قاموا بحركة تموز ١٩٠٨ قد قلّ وضعف »

فكانت نتيجة الامر انّ الوزارة الحقيّة لم تزل في انحطاط الى ان استعفى منها جاويد بك وزير الماليّة ثم تبعهُ اسماعيل حقي بك ناظر المعارف. وخيف من سقوط بقيّة الوزراء الّا انّ الوزارة بقيت مدّةً تجاهد عن حياتها الى ان استقالت اخيرًا في اواخر ايلول فتألفت وزارة جديدة بعهدة سعيد باشا للصدارة. ووافق هذا الانقلاب اعلان ايطالية الحرب للدولة في طرابلس الغرب

على انّ تغيير الوزارة لم يكن ليفكّ المشاكل ما دامت جمعيّة الاتحاد والترقي لا تزال واضعة يدها في امور السياسة. ولذلك ترى كل يوم عددًا عديدًا من النواب والاعيان والضباط ورجال السياسة يعدلون عنها اذ يرون ما تأتيهِ من الاعمال المنافية لصالح البلاد لا سيما تتريك الاجناس والغضّ من حقوق العناصر المخالفة. وكان من القائمين في وجه هؤلاء الاتحاديين شكري افندي العسلي مبعوث دمشق الذي دافع عن العنصر العربي غاية جهدهِ وندّد بسوء خطة جمعيّة الاتحاد والترقي. ووافقهُ في ذلك كامل باشا فأعلن ان الاتحاديين قد خدموا الدولة بادئ بدء اذ نصبوا نفوسهم لحماية الدستور لكنهم بتداخلهم في السياسة وببسط سيطرتهم على السلطة الاجرائيّة قد اصبحوا حكومة ضمن حكومة وصاروا خطرًا على الدستور

وكذلك رأى الاميرالاي صادق بك احد رجال الانقلاب العثماني المعدودين الذي قام لمعارضة الاتحاديين والّف حزبًا جديدًا دعاهُ حزب الحرية والائتلاف وهو لا يزال في نموّ واتساع حتى كاد اليوم يبلغ بعدده جملة حزب الاتحاديين لكنّ بانشاء هذا الحزب قد حصل للدولة خطر آخر انذر بهِ موخرًا الصدر الاعظم حيث قال « انّ الحكومة لم يعد يمكنها اليوم ان تتكل على احد الحزبين دون ان يناقضها الحزب

الآخر وبذلك اصبحت في حالة حرجة يكفي لسقوط الوزارة سبب طفيف بمعارضة الفرقة التي لا تقبل باقتراح الوزارة. وفي الواقع يُخاف اليوم من ازمة جديدة توجب استقالتها لسبب تعديل في احد قوانين الدستور تستصوبهُ الوزارة والمرويّ ان الازمة وقعت

فهذه الاحزاب كما ترى تهوّر بالدولة في اخطار جسيمة وتوقعها في مشاكل جمّة ربما ادّت الى حرب اهليّة ان لم يُصلّح ذات البين ولم يتفق النوّاب في اتباع سياسة ثابتة تستند الى قوى البلاد وعناصره وتجمع الكلمة بين الرعايا دون التفات الى اجناسهم واديانهم. نعم انَّ عدد المبعوثين الاتراك يفوق على سواهم (١٥٥ من ٢٧٨ نائباً) ولكن ايجوز ان يُهمل العنصر العربي ومن انصاره ٥٠ نائباً وكذا قُل عن بقيّة العناصر اذ يؤدي هضمُ حقوقها الى عواقب مشئومة. وما يقال عن العناصر يصحُّ في الاديان فانَّ النواب المسيحيين وهم ٤٣ لا يرضون مطلقاً بان تُمسَّ حقوقهم بشيءٍ من الاجحاف وان كان عدد المسلمين يزيد عنهم خمسة اضعاف. فلا بدَّ اذن ان يبادر عقلاء الدولة ويتخذوا لهم في تدبير الامور رجالًا ينبذون كل المصالح الشخصية ويرمون الى غاية واحدة هي خير الوطن دون ان ينزعوا الى حزب او ملّة فان النجاة بهذا الائتلاف وهذه الوحدة ان شاء الله

امّا اذا عدلنا عن احوال الدولة في داخلها وسرّحنا النظر في امورها الخارجيّة رأينا انَّ سماءها منيم ايضاً فانَّ المانية التي كانت معدودةً كصديقة تركيا وحليفتها انحرفت عنها نوعاً في هذا العام لخدمة مصالحها كما جرى لها في الاتفاق الالمانيّ الروسي بخصوص خطّ بغداد في مقابلة بوتسدام بين قيصر روسيّة وامبراطور المانية فاستاءت تركيا لوقوع هذا الاتفاق دون علمها مع انَّ الامر يعنيها اكثر من سواها

وكذلك امورها في كريت ليست على ما يُرام فانَّ الدول المحامية لا تزال مترددة بين حقوق تركيا وموالاة اهل الجزيرة الذين لا يألون جهداً في طلب الانضمام الى اليونان فيجاهرون برغوبهم دون انقطاع ولا يرضون الّا به مهما سعت الدول في تخميد نزقهم وقد ارسل الكريتيون مؤخرًا ٢٦ نائباً منهم الى اثينة ولم يقنعوا بمشورة ناصح

وحدثت في حدود البلغار عدّة مناوشات بين خفر الدولتين ولعلّ الامر كان تفاقم حتى افضى الى الحرب لو لم تُقدَّم الترضيات اللازمة واخمد عقلاء الدولتين نار

الثورة وحدث مثل ذلك مع دولة الجبل الاسود لالتجاء الالبانيين الى ثغورها مدة الحرب فهُد الجبل الاسود عذرهُ للدولة العليَّة

وانقطع من ذلك الحرب الايطاليَّة لطرابلس الغرب واغتصاب ايطاليـة لتلك الولاية الكبيرة وسنأتي على تفصيل اخبارها عند ذكرنا لايطالية

على انَّ تركيًا مع كل هذه الامور القلقة لم تخلُ في العام المنصرم من اسباب النجاح والرقيّ . فمن ذلك تعزيز جيشها الذي تحسنت احوالهُ منذ الاعلان بالدستور تحسُّناً مهماً حتى انَّ احد الكتبة الاختصاصيين الروسي ميخانلوفسكي وضع مقالة في ذلك اقرَّ فيها بانَّ الجندية العثمانية دخلت في طور جديد ثم عدَّد قوَّاتها في وقت السلم والحرب فبيَّن ان تركيًا يمكنها عند الحاجة ان تعبّي في ساحات القتال عددًا من الجند لا يقلّ عن ١,٢٣٠,٠٠٠ الَّا انَّ هـذا الجيش يحتاج بعدُ الى عدد من الاسلحة كالبندقيَّات والمدافع من الطرز الجديد كما انَّ قسماً منهُ لم يتدرب التدرُّب الكافي على آداب الحرب وذلك ممَّا يُنال مع تمادي الزمان

وكما عزَّزت تركيًا جيشها البرّي وجَّهت ايضاً نظرهـا الى البحر وقد رأينا في اواسط ايلول قسماً من اسطولها وفيهِ من الدوارع والبوارج مـا تفتخر به البلاد . وقـد وضعنا سابقاً فصلًا خاصًا في وصف الاسطول العثماني فلا حاجة الى التكرار (اطلب المشرق ١٣ : ٧٩٢) ومنهُ يُرى ما تكلفتهُ الدولة في سبيل جيشها البحريّ . فلا عرو ان يكون [illegible] عجز المالية الاخير تسعة ملايين ليرة ولارباب الامر امل في [illegible] ذات العمومية

[illegible] الدولة كانت تعير الزراعة وتعـدين المناجم وفتح السكك الحديديَّة للمواصلات مزيد عناية فانها كانت تستطيع بذلك ان تنمي ثروتها وتزيدها زيادة بالغة فانَّ ذلك افضل لها من تعزيز اسطولها كما بيَّن ثريَّا بك ميرالاي اركان الحرب في المجلة الحربيَّة الروسيَّة في مقالة كلُّها دُرر وفيهـا الادلة القاطعة على انَّ مستقبل تركيًا يقوم بتنشيط الزراعة وتوفير اسباب المواصلات بين البلاد لاسيَّما الخطوط الحديديَّة لنقل محصولاتها وتعبية جيوشها في انحاء السلطنة بكل سرعة

وممَّا صار لهُ احسن وقع في الصدور السياحة الفخيمة التي باشرها جلالة السلطان الاعظم محمد خان رشاد في بعض جهات ممالكهِ المحروسة فركب الدارعة برباروس

خير الدين في ٥ حزيران وابحر الى سلانيك حيث أُعدّ لجلالته استقبال باهر وزار معرضها الزراعي واستقبل الوفود الوطنيـة والاجنبيّة ثم ركب القطار الى اسكوب فاسرعت الجماهير لاستقباله ولبست المدينة ثوباً من النور ترحيباً به. وقد نظر هناك في امور الالبانيين وعفا عن ٢٠٠ من اسراهم ثم رحل الى مناستير وتفقّد بعض جهات مقدونية واطلق سراح بعض البلغـار الاسرى فاكتسب بفعله حبّ الاهلين وعاد بعد ذلك سالماً الى مركز السلطنة

وقبل ذلك بمدّة كان تشرّف بالمثول امام جلالته وفدان اوفدتهما ولاية بيروت ومتصرفيّة لبنان فرفعا لعظمته بالنيابة عن الاهلين ادعيتهم الخيريّة وعَرَض اخلاصهم وتعلقهم بالعرش العثماني فكان جواب جلالته مفعماً رقّة ولطفاً وأكّد للوافدين بودّه لو استطاع ان يجيب الى دعوتهم فيشرّف سوريّة بالزيارة لولا ان الظروف لا تسمح له بذلك حاضراً وانما يؤمل باتمام الامر في فرصة أُخرى

وبينما كان جلالة سلطان آل عثمان يزور انحاء ممالكه كان ولي عهد السلطنة الامير يوسف عزّ الدين يتنقل في حواضر اوربّة ليوثق عُرى التحابّ بين الدولة العليّة والدول الاوربيّة فكانت اوّل زيارته لفرنسة حيث لقي من الالتفات اعظمهُ ومن الاستقبال اجلّهُ. ثم زار لندن فرحب به عظماؤها ثم ساو الى ايطالية فمنحهُ ملكها نيشان القديس موريس فكان فعلهُ كابتسامة البرق قبل دويّ الرعد ثم رحل الى المانية فكان وصولهُ اليها مسك ختام رحلته فأكّد له الامبراطور انهُ ثابت على ولاء الدولة العليّة

وممّا سُرّت له الخواطر في انحاء تركيّا بل في كل العالم المتمدّن ان مسألة خطّ بغداد قد وجدت اخيراً حلّاً نهائياً باتفاق الدول مع دولتنا في انجاز السكة قريباً. والامل معقود انّ الخطّ الحديدي ينتهي في سنة ١٩١٦ والشغل قائم اليوم على ساق في قطع مختلفة بكل جدّ وحزم

واتت الاخبار على اثر ذلك بان امور اليمن قد تحسّنت نوعاً وانّ جيوش الدولة استرجعت كثيراً من الامكنة التي ضبطها اليمنيون. وآخر مـا بلغ ارباب الامر انّ الامام يحيى قدّم خضوعهُ لعزّت باشا وعُقدت بينهُ وبين الدولة معاهدة سرّيّة زعمت جريدة طنين انّ بموجبها نال الامام نوعاً من الاستقلال على شرط ان يقرّ بخلافة

جلالة السلطان ويؤدي بعض الرسوم اشارة الى تعلقه باهداب الدولة العثمانيَّة. ولعلَّ الامام اراد الاعراب عن خلوص تبعيَّته لما ارسل في الشهر السابق نبأ برقيًّا للوزارة معلناً باستعداده لمحاربة الطليان في طرابلس الغرب . ومعلوم انَّ بين القول والعمل بوناً كبيرًا

وان عطفنا النظر بعد هذا الوصف العمومي لاحوال تركيًّا الى سوريًّا امكنَّا ان ندوّن هنا بعض الامور الجديرة بالذكر منها البرد القارس الذي حدث في شهري شباط وآذار فهطلت الامطار كالسيول ونزلت الثلوج المتوالية في لبنان حتى بقيت سكَّة حديد الشام الى بيروت مقطوعة ٤٠ يوماً وهو امر لم يسبق لهُ مثيل وكذا وردت الاخبار تترى من الجهات الداخليَّة منذرة باضرار جسيمة اصابت عدَّة ولايات فاتلفت عددًا من النفوس ومن المال الراعي وتداعت الابنية في بعض القرى. وجرفت السيول في افقا قسماً كبيرًا من الربوة الواقعة تحت مغاورها حيث كانت آثار هيكلها القديم مع اشجار ومزارع خُسف بها كلها فزحفت الى اسفل الوادي

وتهدَّدنا في اواسط الصيف داء الهواء الاصفر فحدثت عدَّة اصابات في انحاء شتى وخيف من فشوّهِ لكنَّ الله لطف بعبادهِ فتقاصى طلهُ

وممَّن اسفنا على فقدهم في هذه السنة والي بيروت السابق نور الدين بك تغيَّب مدَّة لسبب صحتهِ ثم عاد الى الولاية وسكن الجبل مدَّةً فلم يتعافَ ورأى انهُ الاجدر بهِ تقديم استعفائهِ وبلغنا منذ شهر خبر وفاتهِ بدائه المزمن فخلفهُ عطوفة الوالي الحالي حازم بك احد رجال الدولة المحنكين

وكذلك رُزئت الدولة بموت الفريق سامي باشا الفاروقي قائد الحملة الحورانية في ١٧ تشرين الاوَّل في بيروت فكان فقدهُ فاجعةً اليمة على البلاد واليهِ يعود الفضل في قطع دابر ثورة حوران وتنظيم الامور فيها بعد كسرة الثائرين

وفقدت الرسالة اللازريَّة في ٢٤ شباط احد كبار مرسليها الذي خدم بلاد الشام بتهذيب الناشئة السوريَّة مدَّة نيف وربع قرن اعني بهِ الطيب الذكر الاب الفونس سالياج رئيس مدرسة عينطورة فافتجع الشبان الذين نالهم فضلهُ اكتتاباً ليقيموا لهُ مشهدًا يخلِّد بينهم تذكارهُ

وبكت رسالتنا في السنة المنصرمة ثلثاً من مرسليها المعروفين بفضلهم ونشاطهم

واعمالهم الرسولية الاب هيبوليت كورديه رئيس ديرنا في دمشق الذي بشّر سابقاً عبيد الزميز. والاب اوغسطين طردي من رؤساء كليتنا في بيروت وفي عدّة اديرة لاسيما دير صيداء وخلّف له في كلها مآثر مشكورة. ثم الاب سيرافيم ساكوني المرسل الغيور الذي كان يتجوّل في انحاء لبنان وعكار وبلاد بشاره واعظاً ومبشّراً بهمّة لا تعرف الملل فكلّ هؤلاء وقفوا كالجنود البُسّل في ابّان فلاحتهم لكرم الرب

ومن اسباب الرقي التي استبشر بها اهل دمشق وضع الاسلاك التليفونيّة في مدينتهم فسهّلت المخابرات بين انحاء البلد المتباينة. امّا بيروت فاخذت الكهرباء تنير احياءها بانوارها الساطعة. وعمّا قليل ان شاء الله تزدان بها منازل الخاصة

وقد ظهرت في هذه السنة اريحية اهل سوريّة بما جمعوا من المال الوافر لمساعدة الاسطول العثماني وللمنكوبين بحريق الاستانة وامل المحسنين انّ تلك المبالغ لا تذهب سدى لمنفعة بعض الخاصة

واستبشر اهل سوريا الكاثوليك في العام الماضي بامور مبهجة تلقّوها مع الشكر لله تعالى. اوّلها اليوبيل الحافل الذي اقامهُ رهبان دير المخلص الملكيون الكاثوليك كتذكار المئة الثالثة لانشاء رهبانيّتهم فتوالت الرتب الدينيّة وعُقدت الحفلات الشائقة بحضور نيافة القاصد الرسولي والسادة الاساقفة الاجلاء واعيان الطوائف وورودتهم التهاني من قداسة الحبر الاعظم وغبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى. فكانت تلك الافراح منشطاً جديداً للرهبانيّة الفاضلة على مواصلة اعمالها الرسولية لمجد الله وخير الوطن

وفي هذه السنة وقع يوبيل آخر اهم من تلك لطائفة الروم الكاثوليك الملكيين جمعاء. ألا وهو اليوبيل الاسقفي لغبطة البطريرك كيرلس السيد كيرلس الثامن فانتهز عموم الاكليروس الكاثوليكي هذه الفرصة لرفع مراسيم التهاني الى مقام غبطته مع الهدايا الفاخرة. وقد اشترك في هذه الحفلات مأمورو الدولة السنيّة مع علية القوم والوجهاء والادباء. وكان يتقدّم الجميع سعادة قنصل فرنسة الفخيمة الذي ناب عن دولته وشكر غبطته على ما اظهرهُ دائماً من الولاء وخلوص الوداد لفرنسة وتبعتها. وما لبث بعد قليل ان ورد من الوزارة وسام اللجيون دونور من رتبة كومندور فرُفع الى غبطته في جلسة خصوصيّة عُقدت في تموز في الدار البطريركيّة في

دمشق كان لها رنّة بهجة انعكس صداهـا في صدور جميع الاهلين ولا سيا ابناء طائفته الكريمة

وقد حصل لبيروت مجالي افراح جارت فيها دمشق بما نالهُ رئيسُ شرف جمعيّة الاطبّاء والصيادلة في سوريّة الدكتور ده برون من الامتيـاز بانتخابهِ كعضو الاكادمية الطبيّة الافرنسيّة فاحبّت الجمعيّة ان تحيي جلسة اكراميّـة تعرب فيها للدكتور عن اجلالها لشخصهِ واعتبارها لاعمالهِ وشكرها لهمتهِ التي قدّر لهـا قدرها المجمعُ العلمي في باريس بنظمهِ بين اعضائهِ الوطنيين

ونال ايضاً مثل هذا الالتفات من دولة فرنسة حضرة الاب كاتين رئيسُ مكتبنا الطبيّ فجازتهُ بمنحهِ وسام اللجيون دونور من رتبـة اوفيسيه فبادر كل اصحاب المكتب لتهنئته نخصُّ منهم بالذكر نيـافة القاصد الرسولي وكل بطاركة الطوائف الكاثوليكيّة الذين تفضلوا وكتبوا لحضرتهِ رسائل عدّها افضل من كل الامتيازات الشرفيّة

وقد جاء هذا الامتياز موافقاً لتدشين الابنيـة الجديدة التي تُشيَّد على طريق الشام حيث ينتقل قريباً مكتبنا الطبي فوضع في اساسهِ الحجر الاوّل بحفلةٍ عُقدت في ٢١ تشرين الثاني وجمعت اكليروس كل الطوائف يتقدمهم نيافة القاصد الرسولي ثم غبطة بطريرك السريان والسيد دمتريوس قاضي رئيس اساقفة حلب على الروم الكاثوليك. وكانت دولة فرنسة عيّنت جنـاب قنصلها في بيروت ليقوم بمراسيم الاحتفال المدني نيابة عنها كما مثّل حضرة مدير المعارف فائق بك لمطوفة والي بيروت حازم بك وناب جناب عبدالله بك الخوري عن صاحب الدولة يوسف باشا متصرّف لبنـان. ووافق وقوع هذا الاحتفال حضور اللجنتين التركيّة والفرنسويّة القادمتين في كل سنة لفحص الدارسين قبل ان يُمنحوا شهادة الدكتوريّة. وكذلك حضرهُ اميرال الدارعة ليون غامبتّا الراسية امـام بيروت دارتيج دي فورنه مع ضبّاط الباخرتين برتغال وكنغو وطبيبيهما وكلهم ببزّاتهم الرسميّة فتُليت الخطب البليغة المنبئة برقيّ المكتب الطبيّ ووُزعت الشهادات على مستحقيها ثم انجز نيافة القاصد الرسولي الرتبـة الدينيّة بتكريس الحجر الاوّل ثم أُودع في قلبهِ رقٌّ تضمّن تاريخ الحفلة موقّعاً بامضـاء

سعادة القنصل واماثل الحضور وارباب المكتب وجُعل الرقّ في اسطوانة ختمها ممثل الحكومة الفرنسوية واثبتها البنّاؤون في مكانها

واملّ السنة المنصرمة قد امتازت في انحاء الشام بنهضة دينيّة لاحت لوائحها في عدّة مظاهر منها اقبال المؤمنين على الاجتماعات الدينيّة والمواعظ والرياضات ما سُرّت به خواطر الرؤساء الروحيين. ومنها حفلات الطواف بالقربان في الشوارع والاسواق كما فعل الدمشقيون في حارة المصلّى واللبنانيون في بعبدا وجونية ومحلّات أخرى وجرى ذلك بابهة ورونق غير معهود. ومنها زيارات اهل بيروت وسكّان الجبل لتمثال العذراء الطاهرة في حريصا فكان لتقاطر الزوّار ومجاهرتهم بالشواعر الدينيّة في مشارف الجبل احسن وقع في النفوس فاثبت لكل معتبر انّ الدين لا يزال معزّزًا في قلوب اهل الدين كما هو فخرُ آل لبنان

وقد استدللنا على هذه النهضة الدينيّة بما ابداه من شواعر الحماسة كثير من ذوي الهمة بازاء الشيعة الماسونيّة التي خرجت عندنا في هذه الآونة الاخيرة من اسرابها الخفيّة ظنًّا من اصحابها انها تستطيع المجاهرة بنيّاتها السيئة ومكنونات صدرها فتُعارض الدين وتناهض السلطة كما هو دأبها حيثما ضربت اطنابها وبلغت بها القحة الى ان نشرت المنشورات الفاسدة ومثّلت في المراسح الروايات الخلاعيّة فقام اذ ذاك عددٌ من الشبّان وجاهدوا في سبيل الدين والآداب ولم يبالوا بما اصابهم لعملهم من الاذى والهوان فاثنت كل الالسن على شهامتهم ولحق العار بالماسون حتى كسدت بضاعتهم واطّلع الناس على كذبهم وسوء اعمالهم

وكان في اثناء ذلك اخوانهم وانصارهم في دمشق وزحلة وعمشيت يجارونهم في مظاهراتهم المعاديّة الدين وارباب فهنا يعقدون الحفلات الماسونيّة وينشرون اوستهم الرجسة بين القوم وهناك يخرجون رسميًا في جنازة بعض مشايعيهم وفي محلّ آخر يعقدون الاجتماعات وينشرون الاكاذيب في حقّ ارباب الكهنوت او يتعرّضون للمرسلين ليمنعوهم عن خدمة النفوس بالرياضات. فطفح الاناء بكل ذلك وقام البطاركة والاساقفة الاجلّاء يقبّحون اعمالهم ويضربونهم بالحرم وينكرون عليهم الاسرار فاستنكف من المشيرة كلّ ذي ادب ودين لاسيما بعد شيوع كراريسنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » والقاء خُطب الوعّاظ في كنائس بيروت ودمشق

ووافق هذه النهضة وقوع اختلافات ومنازعات بين الماسون انفسهم في محافل سوريَّة والشام لم يمكنهم ان يخفوها في زوايا انديتهم فانبعثت روائحها الكريهة. وكذلك أُميط النقاب في الاستانة وسالونيك عن دفائن الشيع الماسونيَّة المنتمي اليها زعماء جمعيَّة الاتحاد والترقي فعرف القاصي والداني انَّ الشيعة لا تخدم غير صوالح اهلها واليهود المتسترين وراءهم وكلُّهم يضحُّون الف وطن لبلوغ غايتهم الدنيئة ومنافعهم الشخصيَّة. فلا عجب ان يكون عمَّ النفور كلَّ ذوي النفوس الابيَّة فقاموا في وجه الشيعة بل تواردت الاوامر العليَّة في اقفال محافلها ومنع فتوح غيرها. فيا ليت هذه الاوامر لا تبقى حبرًا على ورق او ضربةً في الماء. لانَّ الماسونيَّة كالحيَّة تبقى في اجحارها مستترةً لاطيةً اذا تنفَّست خطرًا على حياتها ريثما تسنح لها الفرصة ويخلو لها الجوّ لتثور وتعيث وربَّما نفثت سمَّها خفيةً كما فعل بعض اصحابها مؤخرًا في احدى الجرائد فنشر تحت امضاء خ. ز مقالةً نسب فيها الى ممثل الحبر الاعظم "دسيسةً ايطالية" لسبب زيارة قانونيَّة للرهبانيَّة الباسيليَّة الحلبيَّة فقام سيادة مطران الروم الكاثوليك المفضال فردَّ في جريدتي الثبات والبشير على مزاعم الكاتب وبيَّن جهلهُ وسوء نيتهِ كما هو شأن اعداء الدين

وكانت الماسونيَّة الارمنيَّة المنتمية اليها الجمعيَّة الملِّيَّة حاولت في الاستانة ان تُعرقل اعمال غبطة السيد البطريرك بطرس بولس ترزيان وتنفخ في الطائفة روح التمرُّد والشقاق الَّا انَّ غبطتهُ لم يخف من التصدي لها وايقافها عند حدودها فرحل الى رومية عاصمة الكثلكة وكتب ذلك المنشور المفعم حكمةً وبلاغةً وزيَّف اعمال اولئك المتغطرسين الناصبين نفوسهم جزافًا لتدبير الكنيسة وامر بحلِّ جمعيَّتهم ثم اتفق مع قداسة امام الاحبار ليدعو السادة الاساقفة الى مجمع ملّي يُعقد في ام المدائن. ولمَّا رأى نائب السيد المسيح انَّ عدَّة كنائس ارمنيَّة مترملة بوفاة رعاتها عيَّن هو نفسهُ تسعة اساقفة عليها وعُقد المجمع بكل نظام وكل وفاق وادرك معظم ابناء الطائفة الذين حاولت الجمعيَّة تضليلهم حسن خطَّة الحبر الاعظم فارسلوا واعربوا عن شكرهم لقداسته وخضوعهم لكلِّ ما قرَّرهُ. وكذلك الحكومة السلطانيَّة بعد اختفاء الحقيقة عنها بساعي الجمعيَّة الملِّيَّة الملغاة تحققت اخيرًا ان المجمع الارمني الملتئم في ظلِّ الفاتيكان انَّما عُقد لخير الطائفة الارمنيَّة وتوطيد اركان السلام بين بنيها

فتلفرُ الدين في كل هذه المواقع اثبتَ للجميع ان النهضة الدينيَّة التي ذكرناها لم تكن كلاما فارغاً ولسأ بلا جسم. ولنا على ذلك دليـل آخر بمناهضة المدارس اللادينيَّـة التي سعت ان تزرع في بلادنا زؤانها القتّال. فان نيافة القاصد الرسولي خصَّ بهذا الامر رسالتهُ السنويَّة وحذَّر كل المؤمنين من شرور تلك المدارس الكفرية ووافقهُ في مسعاهُ السادة الاساقفة نخصُّ منهم بالذكر سيادة مطران قبرس الجديد الحبر المفضال السيد برلس عوَّاد في منشوره الاوَّل لابرشيته. وكذا فعلت عـدَّة جرائد كاثوليكية في مقدَّمتها البشير بل احسَّ غير الكاثوليك بنيَّات اصحـاب تلك المدارس الذين لم يتظاهروا بالحياد عن الدين الَّا لينتقضوا اركانهُ في قلوب تلامذتهم. وقد نشرنا سابقاً مقالتين في المشرق بيَّنا فيهما انَّ هـذه المدارس لا تستطيع ان تكون مجرَّدة عن الدين وان استطاعت ذلك لما جاز لها وأتت باثم عظيم

﴿ ايران ﴾ صارت بلاد العجم منذ الانقلاب الاخير وخلع الشاه السابق محمَّد علي وتمليك ابنه الصغير في مأزق حرج. فان القلاقل بلغت في عدَّة ايالات مبلغها بين الحكومة وانصار الشاه الخليع وحصلت في وهران ونواحيهـا وقائع متوالية قضت على قناصل الدول ان يستدعوا لحماية رعاياهم فرقاً من الجند وبقيت الامور على ذلك في اضطراب مدَّة اشهر حتى كادت تصطلح نوعاً الَّا انَّ الشرَّ تفاقم في اواسط تموز اذ ورد الى العجم خبر رجوع الشاه الخليع مارًا بروسيَّة فدخل استراباد واستقبلهُ اهليا استقبالا فخيماً واخذ يجنِّد الجنود لمحاربة هيئة الحكومة الجديدة واسترجاع سلطتهِ المتردية فوافقهُ على مرامه سكَّان كرمان شاه واهل شيراز وساعدهُ في نهضتهِ صدر الدولة فعزل حاكم كرمان شاه واقام بدلاً منهُ اعلانَ المالك خان. وكادت الثورة تمتدُّ الى اواسط ايران لولا انَّ الحكومة اوقفت الثائرين وكسرت شوكتهم في معركة دمويَّة وقعت قريباً من طهران وفيهـا أُسر السردار ارشد نصير الشاه ثمَّ حُكم عليهِ بالاعدام. وكذلك قُتل بعـدهُ علاء الدولة حاكم فارس باطلاق الرصاص لما وقع عليهِ من الشبهة في مناصرة الشاه الخليع فهذا الانخذال فتَّ في عضد محمد علي فرجع الى روسيَّة وهو مقيم في اودسا

ولا تزال ايران مطمعاً للدول الاوربية فكلها تترقب احوال تلك البلاد وتهتمُّ بزيادة نفوذهـا فيها. فالاتفاق الروسي الالماني الذي جرى في بوتسدام يتناول قسماً

من تحوم ايران ومن شروطه ايصال سكة حديد بغداد بالخطوط الايرانية فيفتح لصوالح روسية باباً جديداً في تلك المملكة ويمهد الطريق للمطامع الالمانية

وفي هذه الاسابيع الاخيرة حصلت لايران حوادث مزعجة كادت تريش سهام الحرب بينها وبين روسية وذلك انَّ ايران رأت حاجتها الى تنظيم ماليتها فاستدعت بعض الاختصاصيين الاميركيين منهم المستر مورغان شوستر مدير الجمارك في جزائر الفيليبين سابقاً فقام هؤلاء المأمورون بمهمتهم خير قيام الا انَّهُ وقع الخلاف بينهم وبين ممثلي الدول وخصوصاً ممثل روسية لمعاملة المستر شوستر اهلَ وطنهِ بعنف فاقام عليه الاحتجاج وطلبت حكومة بطرسبرج عزلهُ واذ أهين موظفو القنصل الروسي في طهران ولم تر روسية عذراً مقنعاً في تبليغات ايران قطعت من وقتها العلاقات السياسية مع حكومة العجم وامرت ثلاث الايات من القوزاق بان تجتاز الحدود وارسلت مذكرة لارباب الامر تتهددهم بالحرب ان لم يقدموا الترضيات للدولة الروسية ويبعدوا الاميركيين الذين رأتهم روسية معاكسين لصوالحها ويدفعوا نفقة الجنود الروسيين الذين دخلوا العجم. وقد وافقت انكلترة وصيفتها في هذه المطالب فلم ترَ حكومة ايران بُدًّا من تمهيد العذر للروس وكاد يزول الخلاف

مصر احوال مصر الاقتصادية لم تتغير كثيراً عن سنتها السابقة. فانَّ الازمة المالية التي ضايقت اهلها منذ مدة لم تنفرج بعد ولعلها تفاقمت بافلاس بعض [illegible] كبيرة في الاسابيع الاخيرة

وقد [illegible] القطر المصري في هذا العام بعض كبار قومهم منهم في آذار سمو ملك ومملكة [illegible]. ومرَّ في بورت سعيد في تشرين جلالة ملك انكلترة جورج الخامس راحلاً الى [illegible] فزارهُ في يخته الخضرة الخديوية وعظاء الدول. وقدم اليها بصفة [illegible] دوق [illegible] كتشنر خلفاً للسير غورست فكان قدومهُ منعشاً لآمال المصريين في تحسن احوال قطر النيل وقد قام اللورد بوظيفته بنشاط وحزم وظهر من بعض اعماله انَّ انكلترة تنوي ان تخطو خطوة جديدة في توطيد سلطتها على مصر. ومن نتائج قدومه الحسنة انَّهُ وضع حد المدعيات الحزب الوطني الذي تجاوز طوره في طلب الاستبداد واخمد آخراً نار الخلاف بين القبط والمسلمين بعد عقد كل من الملتين مؤتمراً كثر فيه القال والقيل وهيَّج الضغائن في القلوب وادَّى الى فصم عُرى الوداد والوفاق

وبُليت مصر مع ذلك في نيسان بداء الطاعون فحدثت عدّة اصابات في انحاء القطر حتى بلغت الوفيات من ٣٠ الى ٤٠ في اليوم

﴿ الحبش ﴾ تضاربت الاقوال في موت نجاشيها الملك منليك وحتى الآن يظهر انّهُ لم يَمت وانّما سلّم تدبير الامور لوليّ عهدهِ وهو حفيدهُ الامير يسوع بن ميخائيل الذي نُودي بهِ ملكاً في ١٥ أيار. على انّ رؤوس الولايات واعيان الدولة منقسمون في طاعة الامبراطور الجديد الذي يُثنى على شدّة بأسهِ لكنهُ ليس بمتّخذ في أحكام السياسة. وشدّ ما تعارضهُ في ملكهِ الامبراطورة طايتو وهي امرأة داهية تُريد الملك لنفسها او لاحد انسبائها اذ لم يولد لها ولد تجعلهُ خليفة لزوجها منليك. ولعلّ هذه المنازعات تُفضي بعد قليل الى فوضى ان لم يتمكّن النجاشي الجديد من قمعها

﴿ الهند ﴾ وان سرنا شرقاً من الحبشة الى الهند امكننا سماع اصداء البشائر التي دُقت آخرًا والاحتفالات الباهرة التي أُقيمت لتتويج الملك جورج بصفة ملك الهند في دهلي فتقاطرت كل امم الهنود وزعمائها الوطنيين الى المدينة لمعاينة تلك المظاهرات الجليلة وقدموا للملك اجمل الالطاف واسنى الهدايا وفي هذه النسبة نُقل كرسي الملك من كلكوته الى دهلي لوقوعها في مركز اوفق للتدبير. وقد خصّ الملك جورج بانعطافهِ في هذه الحفلات رئيس اساقفة بماي الكاثوليكي فدعاهُ رسميًا لحضور تتويجهِ واقعدهُ على مائدتهِ الملكيّة مع خواص الدولة

ويحسن بنا ان نذكر هاهنا ما اصابتهُ الكثلكة في الهند من النجاح فانّ الاحصاء الرسمي الذي قامت بهِ الحكومة سنة ١٩١٠ دلّ على انّ عدد الكاثوليك في تلك الانحاء بلغ ٢,٣١٠,٠٠٠ وكان في سنة ١٩٠٠ بالغًا ١,٨٤٥,٠٠٠ بزيادة ٤٦٥,٠٠٠ في العشر السنين الاخيرة

﴿ الصين ﴾ وقعت بلاد الصين في حيص بيص بعد سُهادها مدّة اجيال فارادت ان تنهض من خمودها لاسيما اثر انتصار اليابان عليها سنة ١٨٩٥ فقام اناس من طالبي الرقي واخذوا ينشرون في مواطنيهم الروح الجديدة. وكان في مقدّمتهم رجل ذو اقدام ونشاط اسمهُ « سون يات سن » اصلهُ من جزائر سندويش ودرس

في الولايات المتحدة ونال الدكتورية في كلية كمبريدج فكان لكتاباته المهيجة وقع كبير في النفوس حتى انَّ الوفاً من اهل وطنه تبعوهُ فنزلوا ساحة الوغى مع حكومتهم فلم يفلحوا واضطرَّ سون يات سن ان يهرب الى اليابان وحاول غير مرَّة استئناف الفتن وقلب الدولة المالكة المنشوريَّة الاصل ليجعل زمام الامر في ايدي سلالة وطنيَّة ويتخذ المبادئ الدستوريَّة لسياسة الصينيين: وقد رأى في العام المنصرم انَّ الاحوال توافقهُ لثورة جديدة فدعا اليه قوماً من جنوبيّ الصين ومن مقاطعة سي تشوان المجاورة لبلاد تيبت فابتدأوا اولاً في « كوان تنغ » فقلبوا انحاءها ظهراً لبطن ثم انتهم العصابات الثوريَّة وهجموا على العاصمة « شنغ تو » فقتلوا ونفوا عدداً كبيراً من الموظفين ودفعوا فرقاً من الجند الى خلع الطاعة فأرسلت الجيوش المنظمة الى محاربة العصاة فاوقفوهم مدَّة لكن نار الثورة استعرت في مقاطعة اعظم وهي مقاطعة « هوبه » التي موقعها في قلب الصين وتُعدّ من اكبر المقاطعات الصينيَّة شأناً وارقاها تمدُّناً واعرقها في الفنون والصنائع عاصمتها « هانكيو » احدى امهات مدن الصين. فالى هذه المقاطعة وحاضرتها امتدَّت عدوى الثورة تحت قيادة « سون يات سن » يؤازرهُ بالعمل رجل من انصاره يسمى « وانغ سنغ » من متخرّجي كليَّة طوكيو فاحتلُّوا هانكيو وساروا الى « هان كيو » حيث فازوا منتصرين وغلبوا جيوش الحكومة . وفي ٢٥ تشرين الاوَّل اطلق احدهم قنبلة على القائد المنشوري « فُنغ سن » فجرحهُ جرحاً بليغاً وزادت بكل ذلك عزائم المتعصبين حتى تبددوا بكين. فجاءت هذه الاخبار كصاعقة على ابن ماء السماء وعمرهُ خمس سنوات فقط واضطربت لها حاشيتهُ فخافوا ان يهجم اصحاب الثورة على كرسي الملك وينتزعوا من الدولة المالكة منذ ثلاثة اجيال سلطتها الوراثيَّة فاستدراكاً لهذه البلايا اسرعوا فنشروا باسم الامبراطور تقريراً تاريخهُ ٣٠ ت ١ وعدوا فيه بالاصلاحات ومنح الحكم الدستوري لاربع عشرة ولاية من ولايات الصين البالغة جملتُها ثماني عشرة لا بل منحوا العفو لكلّ المجرمين واعتذروا عن توانيهم واهمال المأمورين السابقين وبشروا باقامة وزارة وطنيَّة لا يدخلها احد من اعيان المنشوريين ثم استدعوا احد كبار السياسيين يُدعى « يوان تشي كي » فسلموا اليه ازمَّة الملك لينقذ البلاد من الاخطار المحدقة بها فكان للمنشور الملكي تأثير عظيم استدلَّ به زعماء الثورة على ضعف الدولة

وفشلها فزادوا معرّةً وفشا روح الثورة في مدن كثيرة مثل كانتون ونانكين وانحازت فيالق من جيوش الدولة الى العصاة وقتلوا في شكياسيان من اعمال منشوريا الحاكم المنشوري وعائلتهُ وحرسهُ مع عدد من المنشوريين في ٣ تشرين الثاني

وفي اواسط تشرين الثاني اخذت الدوائر الحاكمة في شانغاي والولايات الجنوبيَّة في انتخاب نوّاب موقّتين ليعقدوا مجلساً ينظر اهلهُ في احوال الدولة ويقوم بالمواعيد الامبراطوريَّة بخصوص الحكم الدستوري. فحصلت في غضون هذه الحركات فتن واضطرابات اقلقت الاجانب حتى ذهب بعضهم ضحايا تلك القلاقل من جملتهم الاب كاستانه من المرسلين الفرنسويين في كانسي. فاضطرَّ القناصل الى طلب النجدات الحامية من دولهم فأُرسلت اليهم سفن حربيَّة وبحّارة لحراستهم

امَّا « يوان تشي كي » فجعل يطلب الوسائل لقمع الثورة واخماد نيرانها فنال بعض مطالوبهِ وظفرت مؤخّرًا جنود الحكومة ببعض العصابات الثائرة. وفي كانون الاوَّل اجتمع قوّاد الثوّار مع « سون يات سن » وحاولوا ان يكسبوا « يوان تشي كي » الى حزبهم فاعلنوا بالحكم الجمهوري وفوّضوا رئاسة هذه الجمهوريَّة الى « يوان تشي كي » الذي اجاب اهل الثورة انَّهُ لا يوافقهم على مطاليبهم بل هو مصمّم على محاربتهم. ثم عُقدت مفاوضات بين انصار الحكومة وانصار الثورة كان يُرجى منها الحصول على الاتفاق لكنَّ مندوبي الجانبين لم يستطيعوا ان يعقدوا صلحاً لانَّ مندوب الثورة اعلن بان القاعدة الوحيدة لعقد الصلح انَّما هي انشاء الجمهوريَّة فقُطعت المخابرات في ٢١ ك ١ واستأنفت الثورة سيرها الى الامام والله يعلم ما سيحدث من الامور في مملكة يبلغ عدد اهلها ربع اهل المعمور فلا شكَّ ان يكون لوقائع تلك البلاد انعكاس صدى الى اقاصي الغرب. وما يوقع رعباً في القلوب انَّ هذه الحركة ليست دستوريَّة فقط بل فوضوية ايضاً لانَّ زعماء النهضة الصينيَّة والعصابات التي تنقاد الى اوامرهم انما هي جمعيَّات سريَّة لها علاقات خفية مع الجمعيَّات الماسونية الاوربية لاسيما مع شرق باريس الاعظم كما بيَّن آخرًا احد كتبة المجلة الفرنسويَّة المعاكسة للشيعة « Revue Antimaçonnique » في عدديها الصادرين في تشرين الاوَّل والثاني. ومما ورد هناك ان « سون يات سن » كان في باريس ولندن يتردَّد الى المحافل الماسونية ويفاوض زعماءها في امر الانقلاب الصيني.

وهذا برهان جديد على ما قلناه مراراً عن الماسونية انها هي العامل الكبير في قلب الممالك وتفويض السلطة الى الجمهور لعلمها انَّ الجمهوريات كثيراً ما تنقاد الى احكامها وتحقق نياتها. وفي الانباء البرقيَّة الاخيرة انَّ العُصاة نادوا بالجمهوريَّة الصينيَّة وجعلوا رئيسها سون يات سن

﴿ منشورية ﴾ أُصيبت في هذه السنة بطاعون بجحف فشا في عدَّة اماكن وكاد يحوّلها الى اقفار بلاقع ثم سرى في بعض جهات روسيَّة حتى معاملات القفقاز وخلفتهُ مجاعة عظيمة ذهبت بحياة الوف من البشر

﴿ اليابان ﴾ شعرت ايضاً بلاد اليابان بآثم الفوضويين. فانَّ بعضاً منهم في العام السابق كانوا حاولوا ان يمدُّوا الى ملكها الميكادو يداً اثيمة فلم يفوزوا بمرغوبهم فأوقفوا وحُكم على ١٢ منهم بالموت وقد استقبح عموم اهل اليابان فعلهم القبيح

والدولة اليابانية ترقى يوماً بعد يوم معارج الفلاح واصحابها لا يزالون في تعزيز شؤونها الاقتصادية وامورها الحربية. ومما روت لنا اخبار العام الماضي تجهيزها لسفن حربية جديدة ثم معاهداتها التجارية مع الولايات المتحدة وروسية وانكلترة وقد اتفقت مع حكومة بطرسبرج بخصوص سياستهما في منشورية وظهر بذلك ان الدولتين عادتا الى الولاء وحسن العلاقات فزالت اسباب النفور السابقة

على ان اليابان لم تخلُ ايضاً من الازمات الوزاريَّة فانَّ وزارة كاتسورا وقعت في اواسط شهر آب خلاف بين الاحزاب في الامور الاقتصادية وخلفتها وزارة أُخرى تشكلت تحت رئاسة المركيز سايونجي

وفي ٢٤ تشرين الثاني فقدت الأمة اليابانيَّة احد رجالها العظام المركيز كومورا ولد سنة ١٨٥٥ وكان اول المتخرجين على الآداب الاوربيَّة فدرس العلوم في اميركة. ثم عاد الى وطنهِ وخدمهُ الخدم المشكورة في الحربين اليابانية الصينيَّة واليابانيَّة الروسية وتقلد عدَّة مناصب كسفير بلادهِ في لندن وبكين وكمعتمد دولي وكوزير الخارجية في الوزارات المتتابعة فخلَّف لوطنهِ ذكراً حميداً (لها بقية)

كتاب
اعمال الرسل اي الابركسيس

نظرٌ تاريخي انتقادي

للخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

انَّ المقالات الخطيرة التي نشرها حضرة الاب انطون رباط اليسوعي في الاناجيل المقدَّسة حدت بنا الى كتابة فصل في سفر آخر لهُ علاقة معها . ألا وهو الكتاب التاريخي الخامس في العدد بين كتب العهد الجديد الذي اطلقت عليهِ النسخ القديمة هذا العنوان باليونانيَّة « Πράξεις τῶν Ἀποστόλων » وترجمتهُ اعمال الرسل : وهذه التسمية من باب التوسُّع والمجاز فان موضوع الكتاب كما ستعلم لم يتحفنا باخبار واعمال الرسل كلهم بل جُلّ ما أُودع شيءٌ من اخبار الكنيسة الاولى وخصوصاً اخبار الرسولين بطرس وبولس ولم يستغرق ترجمتهما تماماً كما هو ظاهر . ولهذا الكتاب شأن عظيم اذ ليس تأليف بين المؤلفات القديمة يماثل كتاب الاعمال من حيث علاقتهِ مع تاريخ العهد الاول لنشأة النصرانيَّة وتاريخ اليهود واليونان والرومان وجغرافيَّتهم في ذاك العهد فان الكاتب قد ضمَّن كتابهُ ما تجدر معرفتهُ من اخلاق تلك الامم التي نشر القديس بولس بين ظهرانيها بالكلمة فشار الى عباداتها والمأثور من آدابها ومناهج فلاسفتها وادبائها ومواقف ساستها وامرائها وزعمائها فكان الكاتب شديد المراقبة يتحرَّى ما يقع تحت نظرهِ وينقل ما ينقلهُ بدقَّة واخلاص كما سيظهر لك لدى المطالعة بعد ذكرنا موضوع الكتاب وغايتهِ

موضوع الكتاب اجمالاً وغاية الكاتب

امَّا ما تضمَّنهُ الكتاب اجمالاً فهو سردُ ما جرى مذ عاد المسيح الى ابيهِ الى ان بلغ بولس مدينة رومية ليُحاكم امام قيصر . ويظهر للمطالع بداهةً ان واضعهُ لم يقصد وضع تاريخ مسهب لجيل الكنيسة الاول بل جلّ غرضهِ الاساسي ان يكتب لافادة رجل من اصدقائهِ يُدعى تاوفيلس . وممَّا يُرجَّح ان اصدقاء بولس

الرسول واخصّهم تاوفيلس المذكور رغبوا الى لوقا ان يوقفهم ليس فقط على حياة يسوع المسيح بل على ماضي رسالة بولس وما لرسالة هذا من العلاقة مع رسالة بطرس والاثني عشر وماهية اتصال سلسلة تعاليمهم وانذارهم بسلسلة تعليم المخلص وكيف ان الروح القدس اشترك بهذا العمل المهمّ وهو انتشار الانجيل والانذار بملكوت الله وبكل ما يتعلق بالمخلص

ولم يكن يهمّ تاوفيلس سوى معرفة حلقات هذه السلسلة فاجاب لوقا الى طلبه بما كتب

ولم يستغرق الكتاب سوى مجمل الحوادث التي جرت من ربيع سنة ٢٩ الى ربيع سنة ٦٤. ففي القسم الاوّل من الكتاب من الفصل الاول الى التاسع يوقفنا الكاتب على خلاصة ما حدث ابّان انتشار الايمان بين اليهود

وفي القسم الثاني من الفصل العاشر الى الثامن والعشرين يطرفنا بخلاصة ما وقع من الحوادث اثر اعتناق الوثنيين الايمان

ويلعب في القسم الاوّل دورًا مهمًّا القديس بطرس وفي الثاني القديس بولس:

ومن الغريب اننا لا نرى مؤلفًا كثرت الشهادات الاثريّة في جانب صدق روايته نظير كتاب الاعمال ومع ذلك قد قام اعداء الدين من العقليين ورموهُ بسهام كثيرة فتحاملوا على صحته وسلامته من التزييف والتحريف وعزوهُ الى مؤلف غير مؤلفه الحقيقي وأخّروا تاريخ كتابته ليحطّوا من اهميّة ما أودعهُ من الافادات الغرر عن تاريخ نشأة النصرانيّة. فحدا بنا حبّ افادة اهل البحث في بلادنا العزيزة ان ندوّن لهم ما يهمّهم الوقوف عليه من هذا الباب متخذين مؤلفات علماء الكاثوليك وغيرهم سندًا لنا في بحثنا هذا ولنا الامل بانهم يقابلون بالمسرّة خطتنا في تحدّي كرم القوم في الدفاع عن شرف ديننا القويم وكتبنا المقدّسة وعلى الله الاتكال

والابحاث التي يتناولها سفر الاعمال مرجعها الى اربعة امور اعني مؤلفهُ ثم زمان وضعه ثم سلامتهُ من التحريف وصدق روايته

١ من هو كاتب اعمال الرسل

ان المجمع التريدنتي في جلسته الرابعة عزا كتابة هذا السفر للقديس لوقا وليس

ذلك دون مستند فلدينا برهانان يدعمان هذه الحقيقة : اولهما ما رواهُ لنا السلف وتُنوقل بالتواتر دون انقطاع . وثانيهما ما يُستنبط من نصّ فقرات الكتاب نفسهِ . وبهذا كفاية لرد بعض اعتراضات يرمي بها قوم المنتقدين المتأخرين هذا الرأي الثالث

١ً (شهادة النقل او التقليد) لا نطيل الكلام بهذا الصدد فنقتصر على ما يأتي : من المؤكد ان الكنيسة الرومانيَّة كانت ترتاي منذ منتصف الجيل الثاني انَّ مؤلف كتاب اعمال الرسل هو القديس لوقا وذلك ليس دون مستند فان القانون الذي عثر عليهِ العلَّامة موراتوري (Muratori) المكتوب بين السنتين ١٦٠ — و١٧٠ للمسيح يشهد لهذا الامر وفي هذا القانون جدول الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث . فهناك ذكرٌ صريح لاعمال الرسل ومؤلفهِ الانجيلي لوقا

وذهب الى مثل ذلك القديس ايريناوس الذي جمع في شخصهِ تقاليد آسية وغالية وهو تلميذ بوليكربوس المتلمذ ليوحنَّا الرسول :

وقال بقولهِ ترتوليانوس المعلم . وارتأى بعدهما هذا الرأي اوسابيوس الذي اورد في تاريخهِ خلاصة كل التقاليد وجعل كتاب اعمال الرسل للوقا في عداد الكتب القانونيَّة (١ المقبولة دون ادنى تردُّد (٢

٢ً (شهادة استقراء كتاب الاعمال) فلننتقل الآن الى البرهان الثاني وهو ما يُستنبط من فقرات الكتاب نفسهِ :

---

١) عبَّر مذ ذاك بالكلمة اليونانية (ὁμολογούμενα) اي الاسفار التي لا يُشكّ في قانونيتها

٢) ان العالم هرناك (Harnack) الالماني إمام علماء البروتستانت في زماننا بالدروس الكتابية الذي ارتاب في حقائق دينيَّة كثيرة فانكر العجائب والاسرار ومعتقدات الكنيسة وخصوصاً ما يتعلَّق بالمسيح فلم يبقَ عنده من الدين المسيحي سوى بعض التصوُّر المبهم في الله عاد اخيراً فوجه انظاره الى شهادة النقل التي كان عرض عنها على شاكلة غيره واعارها حقَّها من الاعتبار وتبع في امور كثيرة رأي علماء الكاثوليك . وهاك ما قالهُ في مقدمة تأليفه عن القديس لوقا (Lucas der Arzt) الذي نشرهُ سنة ١٩٠٦ : « ان الرسائل المنسوبة لبولس وكتابات لوقا وتاريخ اوسابيوس هي بمنزلة دعائم متينة يستند اليها تاريخ اقدم عهد لنشأة الدين المسيحي وحتى الآن لم تُعرَف هذه الميزة لمؤلفات لوقا اذ كان المنتقدون لا ينصفون اهمية كتاب اعمال الرسل وعليهِ فاقول في هذا الموقف ان المنتقدين هم على ضلال وانَّ الحقَّ في جانب النقل والتقليد » اه كلام هرناك

قال كاتب اعمال الرسل في العبارة الاولى من كتابهِ في مفتتح الفصل الاول: « قد انشأتُ الكلام الاول يا تاوفيلس في جميع الامور التي عملها يسوع وعلَّم بها »

فمن هذه الآية نستجلي بالتحري والمقابلة ان المؤلف الذي كتب الاعمال هو القديس لوقا نفسهُ الذي انشأ الكلام الاوَّل اي الانجيل الثالث المنسوب اليهِ دون ادنى توقُّف فاهدى الكتابين الى رجل واحد شريف يدعوهُ فيهما تاوفيلس لم يزدنا الكاتب او المؤرخون علماً بمناحي حياتهِ (١

ثم لم يرتبْ احد بان المراد من لوقا كاتب الاعمال والانجيل انما هو لوقا نفسهُ الذي يتكلم عنهُ القديس بولس وهو سجين في رومية سنتي ٦٠ — ٦٢: وهاك ما ورد في رسالة القديس بولس الى اهل كولسي (٤: ١٤): « يقرئكم السلام لوقا الطبيب الحبيب وديماس ». وقد كتب ايضاً بولس في ذاك العهد الى فيلمون (ع ٢٤): « يسلم عليك ابفراس رفيقي في الاسر . . . وديماس ولوقا رفاقي في العمل »

ولمَّا كتب القديس بولس رسالتهُ الثانية الى تلميذهِ تيموتاوس كان ديماس غادر الرسول الى سالونيك وكان مرقس عند تيموتاوس فلم يكن عند بولس احد سوى لوقا وهذا ظاهر من قول الرسول: « ومعي لوقا وحدهُ فاستصحبْ مرقس واقدم بهِ فانهُ ينفعني في الخدمة » (تيموتاوس الثانية ٤: ٩ و١١) فيستجلي الطالع المنصف من النصَّين الاولين الصادرين عن رومية ان لوقا كان رافق الرسول السجين وانه شريكهُ في التبشير والانذار وانهُ معهُ وجليسهُ في رومية (لكن غير مقيَّد معهُ في السجن) وانهُ طبيبهُ وهذا المعنى قصدهُ الرسول بقوله اعلاه لوقا الطبيب

ثم يستجلي ثانياً من رسائل بولس ان لوقا لم يكن بقربهِ في سنتي ٥٦ و٥٧ للميلاد لانهُ في مدَّتهما كتب رسائلهُ الى القورنتيين والغلاطيين والرومانيين اذ لو كان مع الرسول في ذاك العهد لما كان اعرض عن الاتيان بذكرهِ (٢

وهذا النزر القليل الذي كتبهُ لنا الرسول في شأن طبيبهِ الحبيب وجليسهِ في حلهِ

---

١) طالع ما قالهُ رينان في مقدمته على اعمال الرسل والرسائل (Renan: *Introd.*, X)

٢) اما ما يزعمهُ البعض خلافاً لما تقدم مستندين الى ما ورد في الرسالة الى اهل قورنتوس (٨: ١٨ و١٩) « وقد بعثنا معهُ الاخ الذي يثنى عليهِ . . . بل قد اختارتهُ الكنائس رفيقاً لنا في السفر » فلا يعوَّل عليهِ لانَّ المرجَّح انهُ لم يقصد بهِ لوقا

وانيسه في ترحاله يتّضح جلاء من نص كتاب الاعمال فمنهُ يلوح ان ذاك الطبيب والخدن العزيز والإلف الكريم الذي يصفهُ لنا الرسول إن هو الّا لوقا كاتب الاعمال وان الكتاب الموما اليهِ هو نتاج قريحة ذاك الطبيب والرفيق الذي يطوف معهُ البرَّ والبحار تطواف الشاهد البصير كما سترى

واعلم انَّ مجمل كتاب الاعمال ٢٨ فصلًا فاذا رميت بنظرك الى الفصل السادس عشر وتوقفت عند العدد التاسع وما يليهِ من هذا الفصل ظهر لك كاتبهُ المجهول لانهُ هناك استبدل ضمير الغائب (الذي استعملهُ من الفصل الاوَّل حتى السادس عشر) بضمير التكلم فقال: «فلمَّا رأى (بولس) الرؤيا طلبنا للوقت ان نسير الى مكدونية الخ». فمن يتصفَّح كلام الراوي من هذه الآية الى التاسعة عشرة يتحقَّق ان الكاتب هو هو بلا ريب ذاك الرفيق الذي اشار اليهِ القديس بولس فدعاهُ «رفيقهُ في العمل» لاننا نرى هذا الكاتب يورد الحوادث كشاهد عياني بحيث يُطلقَ عليهِ بحق وصواب اسم الرفيق لانهُ شارك معلّمهُ في كل المواقع التي يصفها. ثمَّ انَّ هذا الرفيق يرافق الرسول الى مكدونية وفيلبي (اعمال ف ١٦ عد ١٠ — ١٧) وبعد ايام نراه يختفي فيعدل عن رواية المتكلم الى رواية الغائب فلا نراهُ ملقًى في السجن مع بولس وسيلا ولم يتبعهما بعد خروجهما من السجن (ف ١٦ عد ١٩ — ٤٠) في اسفارهما الى اثينا وقورنتية وانطاكية نحو السنة ٥٣ للميلاد اذ يروي كل ذلك عن بولس ورفقته دون نفسه

وفي هذه السنة ترى الرسول يعاود اسفارهُ الرسوليَّة فيباشر سفرهُ الثالث والاخير من السنة ٥٣ الى ٥٧ فتراهُ يزور افسوس ومكدونية وبلاد اليونان. ولما كان مزمعاً ان يقلع الى سورية او انطاكية ارتأى ان يعود برًّا الى مكدونية واذ ذاك يظهر امامنا الرفيق المحجوب فيستأنف روايتهُ بضمير المتكلم. فكان بقي في مكدونية بعد اختفائهِ عن ابصارنا من العدد العشرين في الفصل السادس عشر من سفر الاعمال فظهر في العدد الخامس من الفصل العشرين حيث عاد الى ضمير المتكلم فقال: «فهولاء سبقوا وانتظرونا في ترواس»

وهذه الحقبة تتناول خمس او ست سنوات ومذ ذاك الحين نرى الرفيق لاصق بالرسول فيركب معهُ متن البحار ويطوف مطاوي البر فتراه الى جانبهِ في ترواس

ومتيلانة وميلتس وكيوس وروودس ومنهـا الى بتراس وصور وقيصرية حتى بلغوا اورشليم (ف ٢١ عد ١—١٨). وهنا الرفيق يختفي عن نظرنا ثانيةً خلال روايته لما جرى لبولس من الحوادث في اورشليم وما بعد لما أُقتيد الى قيصرية واعتُقل هنـاك مدةً سنتين من السنة ٥٧ الى ٥٩ للميلاد. ثم رفع بولس دعواهُ الى قيصر وسـافر الى رومية يخفره الجنـد. وبعد ذلك يظهر الرفيق السري ويعود الى رواية المتكلمين ويسرد لنا ماجريات سفر بولس من قيصرية الى رومية على الصفحات الاخيرة من كتاب الاعمال (اي الفصلين ٢٧ و٢٨) وكل ذلك بتعابير واوصاف دقيقة لا يُحسن تدوينها الّا من كان رفيقاً الى جانب بولس

ثم يختفي الرفيق السري لاخر مرّة وينقطع عن الكتابة ويترك لنـا الرسول في رومية في بيتٍ اجرهُ لنفسهِ فيقتبل فيـهِ من يزورهُ وينادي بالكلمة. ولم يتحفنا الكاتب بتفاصيل بقيّة امور الرسول التي كان ينتظرها القارئ بفروغ صبر ألا وهي وقوف بولس امام نيرون قيصر واحتجاجهُ بازاء ذلك الامبراطور الطاغية على دعوى اليهود ونجاتهُ من اعدائهِ وانّما اكتفى بقولهِ انّ بولس « اقام سنتين في رومية وهو يبشر بملكوت الله » فدلّ بذلك عن فروغهِ من الكتابة قبل ذلك او مفارقتهِ لمعلّمهِ

هذا وان بولس الرسول قد وصف لوقـا بوصف اخر غير الرفيق فدعاه الطبيب الحبيب وفي هذا الاسم دليل جديد على ان صاحب سفر الاعمـال انّما هو لوقا. فهلمّ بنا نتصفح الكتاب مع الذين احكموا اللغة اليونانيّة التي كُتب بها الانجيل الثالث واعمال الرسل

قد اوغل بعض النقاد في البحث والاستنباط (ومنهم العالم هرناك الـذي اتينا بذكرهِ) حتى وضع بعضهم معجماً للالفاظ التي وردت في انجيل لوقا وفي سفر الاعمال فاستدلّ بذلك على انهما لكاتب واحد وهذا الكاتب هو لوقا الطبيب الذي احكم اللغـة اليونانيّة على شاكلة غيرهِ من وصفائهِ المتطبّبين. فمن جملة الالفاظ الدالّة على هويّتهِ الالفاظ الطبيّة المُصطلَح عليها عند الحكماء التي تجدها في السفرين

افتتح انجيل لوقا (٤: ٣٨) اذا كنت ممّن يحكمون اللغة اليونانيّة ترَ الطبيب لوقا يعبر عن حمى بطرس بعبارة مأنوسة عند الاطباء. وترى مثـل ذلك في وصفهِ عرق المخلص الدموي (٢٢: ٤٣)

واذا شئت طالع الفصل الثامن والعشرين من سفر الاعمال فترى ان القديس بولس بعد نجاته من الغرق انزلهُ في دارهِ كبيرُ قومهِ في جزيرة مالطة المدعو بيليوس الطيّب العنصر الكريم الخلق المضياف وكان ابو بيليوس هذا مريضاً فدخل اليهِ بولس وصلّى ووضع يديهِ عليهِ فابرأه. وهنا نرى الكاتب الطبيب يصف لك المرض وينوّعهُ كطبيب فيقول (٨:٢٨) « قد اخذتهُ الحمّى والزُّحار » وهو داء الدوسنتاريا ويعبر لوقا عن المرض باليونانيَّة بهاتين اللفظتين الاصطلاحيتين في فن الطبّ : (πυρετοῖς καὶ δυσεντερίᾳ) ثم واصل الطالعة الفصل المتقدم ذكرهُ فترى شواهد اخرى على ما قدمناه . منها تعبير الكاتب الطبيب عمّا اصاب بولس بعد ان لسعتهُ الحية في جزيرة مالطة اثر نجاتهِ من الغرق فعبَّر باليونانيَّة عن توقع المشاهدين الانتفاخ وسقوط بولس بغتة على اثر لذع الحيَّة بكلمتين اصطلاحيَّتين بفن الطب : (πίμπρασθαι) وهو الانتفاخ و (καταπίπτειν) وهو الموت بغتة . وهذه التعابير خُصَّت بانشاء القديس وليس لها مثل في العهد الجديد في محالّ اخرى . ثم طالع ما جرى للقديس بولس مع ذاك الذميم الخلق أليماس (اعمال ١٣ : ٨) الذي استنزل الرسول اللعنة عليهِ لمقاومتهِ بشارة الانجيل فاصابهُ العمى . فترى اللفظة اليونانيَّة المستعملة هناك لفظة طبيَّة (ἔπεσεν ἀχλύς)

فمن هذه الالفاظ وامثالها استنتج المدققون في اللغة اليونانيَّة انَّ الكاتب الذي تحت تربيتهِ الكتابين هو واحد وانهُ لوقا الطبيب . وهذا القليل من الكثير وافٍ بالغرض

ولنضف الى كل ما تقدم برهاناً اخر يدعم ما قدمناه من البراهين :

ان لوقا كان تلميذ بولس الرسول ولا نراه ينقل شيئاً من رسائلهِ التي بين ايدينا (وهذا ممّا يدلّ على قدم عهد كتابة الاعمال) ومع ذلك نرى لوقا يرسم لنا صورة بولس الحقيقيَّة في الخطب الثلاث الطويلة التي يعزوها اليه فالخطيب هو حقيقة كاتب الرسائل كما يظهر لادنى تبحر في نهج الخطب والرسائل وليس لنا ان نفرض ان بولس تكلم بخلاف ما يصفهُ لوقا ولا ان لوقا امكنهُ ان يتقلد انشاء بولس

فمن يستطيع ان ينكر بعد هذا ان كاتب الاعمال هو الطبيب والرفيق والتلميذ الذي يعنيه بولس : ومن اولى بوصف بولس ذاك الوصف والرسم الحيّ من تلميذهِ

لوقا ؟ فلو فُرض ان كاتباً غير لوقا كتب في بدء الجيل الثاني كتاب الاعمال فهل كان اورد ما اورده ببساطة لوقا ووصفهِ الحيّ مبتعداً ومعرضاً عن الاعجاب بالرسول وتقريظهِ كما فعل الذين ظهروا بعد ذلك العهد

فاذا تبينا كل ما تقدَّم من البراهين استغربنا زعم من لا يسلّم بنسبة الكتاب الى القديس لوقا

٢ في اي عهدٍ كتب القديس لوقا كتابهُ

عبثاً حاول بعض المنتقدين تأخير عهد كتابة الكتاب:

اجل ليس في اثناء الاعمال تاريخ صريح للسنة التي دُوّن فيها ذلك السفر الجليل وانما لدينا دلائل ضمنيَّة تُستفاد من منطوق العبارات التي يختم بها الكاتب تأليفهُ. ومنها يؤخذ ان القديس لوقا كتب كتابهُ في رومية بين السنتين ٦٢ و ٦٤ قال كتاب الاعمال (٢٨: ٣٠ — ٣١): «واقام (بولس) سنتين كاملتين في بيت استأجرهُ وكان يقبل جميع الذين يقصدونهُ ويبشر بملكوت الله ويعلّم ما يختصّ بالرب يسوع بكل جرأة ولا يمنعهُ احد»

ان السنتين المشار اليهما في النصّ وقعتا بين ٦٢ الى ٦٤ قضاهما القديس بولس مطلق التصرُّف بنوع ما تحت حراسة جندي روماني ريثما يجري الحكم في حقّهِ. وفي تلك الحقبة صفا الجوّ للكاتب فعكف على تدوين سفرهِ وانتهى منهُ الى ماجريات تلك الحقبة والّا لما كان ممكناً ان يعرض الكاتب عن ذكر ختام الدعوى ووصف استشهاد الرسول الذي جرى بعد ذلك باربع سنوات

وليسمح لنا القارئ ان نردّ على زعم المخالفين لهذا الرأي بنقل ما كتبهُ العلّامة باتيفول (Batiffol) بهذا الشأن في مجلة الاكليروس الافرنسي قال:

«من المؤكد ان لوقا كتب انجيلهُ قبل كتاب الاعمال فاننا لا نرى فيهِ كلمة تشير الى خراب اورشليم والحال لو فُرض ان لوقا كتب بعد السنة السبعين أما كان قال لنا ان نبوة المخلص على خراب اورشليم قد تمت وبذلك يتحاشى ما جمعهُ في انجيلهِ ممتزجاً عن نبوّة المسيح بخراب اورشليم وانتهاء العالم؟

«ولننتقل الى كتاب الاعمال: طالع الفصل السادس عشر من الاعمال (٣٥ —

٣٩) فهناك لا ترى تلك البغضة او الشحناء في صدور الولاة الرومانيين تغلي ضد المسيحيين كما حدث بعد اضطهاد نيرون قال: « ولمّا كان النهار ارسل الولاة الجلّادين يقولون (للسجّان): اطلق ذينك الرجلين... فاقبلوا (اي الولاة) اليهما متضرعين واخرجوهما وسألوهما ان يتحوّلا عن المدينة »

طالع ايضاً سنداً لهذا الرأي الفصل الثامن عشر (١٢ — ١٧) والفصل الرابع والعشرين (٢٢ — ١٧) والفصل الخامس (١ — ٥) تجد في كل ذلك مراعاةً لبولس ولاصحابهِ تدلُّ على انَّ النصرانيَّة لم تحرّك بعدُ عليها غضب الرومان. امّا بعد اضطهاد نيرون للنصارى في السنة ٦٨ فانقلبت الاحوال وصار الولاة يتشدّدون على المسيحيين كما يظهر للمؤرخ المنصف. ولولا القول بان لوقا كتب قبل هذا الاضطهاد لما روى مثل هذا الرفق بالنصارى وتغاضي الولاة عنهم

ولنضف الى ما تقدَّم ملاحظة اخرى عن العالم هرناك: ان كاتب الاعمال يُظهر الشعب اليهودي بمظهر شعب راتع في بحبوحة السلطان متمتع بامتيازاتهِ سِنَتُهُ القحة والقاء السجن في اورشليم وخارجاً عنها بين الامم. وليس في كتابة لوقا عبارة تدلُّ على قرب انتهاء تلك الحالة وانقلابها الى الضنك والظلم اللذين نزلا بهم بعد ان دُكَّت مدينتهم العظمى وتشتَّت شملهم بخراب اورشليم على يد طيطس سنة السبعين فصاروا رجساً في اعين الجميع يُباعون كالعبيد ويُقتلون كاعداء المملكة

وممَّا تقدَّم يظهر ضعف زعم من يرتأون تأخير تاريخ وضع الكتاب فيسندون انقطاع الكاتب عن مواصلة الكلام ووقوفهِ عند بلوغ بولس رومية الى اسباب اخرى غير ما رويناه. فمن قائل بان تاوفيلس الذي اهداه بولس كتابهُ كان ساكناً رومية فلم يكن من حاجة لان يدوّن لهُ الكاتب ما جرى للرسول فيما بعد تحت نظره. ومن قائل بان الكاتب ختم كتابهُ عند بلوغ رومية اذ بوصولهِ اليها تمَّ القول الذي قالهُ المخلص لرسلهِ لدن صعودهِ الى السماء كما ورد في الفصل الاول والعدد الثامن من الاعمال: « وتكونون لي شهوداً في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة الى اقصى الارض ». ويريد البعض الآية الاخرى الواردة بهذا المعنى في الفصل الثالث والعشرين العدد الحادي عشر من الاعمال: « وفي الليلة التالية وقف بهِ (اي بولس)

الرب وقال له : « ثق فانك كما شهدت في اورشليم كذلك ينبغي ان تشهد في رومية ايضاً » وهذه التعليلات لم يُبرِزها اهمية المدققون من المنتقدين

غير ان ارباب النقد لا يحملون على اجزاء الكتاب بجذافيرها بل ان معظم حملتهم موجَّهة الى ما رواه الكاتب من اعمال القديس بطرس من الفصل الاوَّل حتى الثاني عشر فهذا القسم ينكرون نسبته الى الكاتب لوقا ويسلّمون بالباقي حتى الفصل الاخير

لكنَّهم وضعوا هذا التمييز بين القسمين جزافاً دون باعث مقنع وجلُّ ما يأتون بهِ من الاعتراضات مؤداهُ الى الدعاوي الآتية : يقولون ان القديس لوقا كان اجنبياً لم يكن ليعرف بلاد فلسطين وسكَّانها اليهود فيكون نقل ما سمعهُ دون تدقيق نظر وخلط بين التاريخ الصادق والروايات الاختلاقيَّة

ولكن هل فات المعترضين ان لوقا رافق بولس الى اورشليم في رحلتهِ الاخيرة ومكث بالقرب منهُ في قيصرية لمَّا كان مسجوناً هناك مدة سنتين من السنة ٥٩ الى ٦١ . وفي هذه الحقبة تلقَّى ما سطَّرهُ في الفصول الاثني عشر الاولى من مجرَّد مخالطتهِ المسيحيين الاولين المتنصرين من اليهود فاختبر الاخلاق والعادات واذَّخر واستفاد وافاد ومهما تمحَّل المنتقدون من الاسباب لاثبات زعمهم مدَّعين بصغر سنّ لوقا في عهد سجن بولس في قيصرية وذهابهِ الى اورشليم فقد طاش سهمهم لان القديس لوقا هو من جيل اولئك الناس الذين اسسوا الدين المسيحي فانهُ رأى في اورشليم يعقوب اخا الرب (غلاطية ١ : ١٩) وتكلَّم مع فيلبس الشماس في قيصريَّة (اعمال ٢١ : ٨ — ١٨) كما قال : « وفي الغد خرجنا ووافينا قيصريَّة ودخلنا بيت فيلبس المبشر الذي هو احد السبعة واقمنا عندهُ » . وخاطب بطرس في رومية . وما لم يشاهدهُ بعينهِ فعلمهُ بولس عرَّفهُ عن مصدرهِ واصلهِ كاستشهاد اسطفانوس الذي جرى امام اعين بولس (المدعوّ اذ ذاك شاؤول) واعلمهُ بارتدادهِ قريباً من باب مدينة الشام . ثم اخذ كثيراً من الامور عن المسيحيين الاوَّلين نظير مناسون القبرسي (اعمال ٢١ : ١٦) : « وسار معنا تلاميذ من قيصرية وقد اخذوا معهم مناسون القبرسي التلميذ القديم لننزل عندهُ »

وخلاصة القول انّ لوقا كتب تاريخ حوادث العشرين السنة الاولى لنشأة الدين المسيحي بناء على ما رواه له شهود عيان رأوا الحوادث بذواتهم :

٣ في سلامة الكتاب من التحريف

لا نطيل الكلام في هذا الباب فان الاباحيين انفسهم لم يرموا هذه الحقيقة باعتراض يُذكر . وعليه فنقول ان نصّ كتاب الاعمال قد اتّصل بنا دون ان يلحق به ادنى تغيير جوهري وما وقع من الاختلاف في بعض النسخ لا يمسّ البتّة جوهر المعنى : ويشهد على صحة ما قدمناه كل الترجمات القديمة وخصوصاً الترجمتين السريانيّة واللاتينيّة والنصوص العديدة التي استشهد بها اباء الكنيسة فانها لو جُمعت من تآليفهم في القرون الاربعة الاولى للميلاد لعمّت تقريباً كل سفر الاعمال

٤ في صدق ما يرويه الكاتب

ان صدق ما يرويه القديس لوقا يلوح من كل سطر من كتابه فيتحقّق القارئ ان الحوادث التي رواها الكاتب هي يقينية اخذ بعضها عن رواة ثقة عيانيين على ما يقول في مفتتح انجيله (١ : ١) « كما سلّمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة » والبعض الآخر مما شاهده هو بذاته واشترك به ولم يتعمّد الخداع والتمويه لان الحوادث التي يرويها كانت قريبة عهد من شهدها فكان من الخطر العظيم ان يروي امورًا غير حقيقية واقعية فينكشف [illegible] كفاية مع ما اسلفناه عن عهد كتابة الكتاب وعن [illegible] الكاتب

هذا وقد اتى الاب ڤيكورو في مؤلفه « العهد الجديد والاكتشافات الاثرية الحديثة » بشواهد وضيّة تنفي كل ريب في صدق رواية القديس لوقا ونحن نحيل القارئ اللبيب الى مطالعة ما دوّنهُ هذا الباحث المدقق زيادة للبرهان وانّما نضيف الى قولنا بعض الملحوظات تتمّة للفائدة فنقول :

لا شكّ ان القديس بولس استثبت كتاب الاعمال واطّلع عليه بدليل ان في عهد انجاز الكتاب كان القديس لوقا بالقرب منهُ فانّ الرسول يذكرهُ في رسالته الى فيلمون التي كتبها من رومية فيتبادر ان الرسول قرأ ما كتبهُ لوقا واثبتهُ

ثم ان الاجيال الآتية اتبعت القديس بولس في اثبات صدق رواية القديس لوقا: قال القديس ايريناوس في مؤلفهِ ضدّ الهرطقات (كتاب ٣ ف ٣ عدد ٣): «ما اخبرنا بهِ بولس عن الاثني عشر وما شهد بهِ لوقا واثبتهُ هما امران يتفقان مع بعضهما من كل وجه بحيث يصحّ ان يقال عنهما انهما شهادة واحدة ورواية واحدة» .

على انَّ بعض المحدثين حاولوا انكار صدق سفر الاعمال فاعترضوا عليهِ باعتراضات ظنُّوا انَّ من شأنها اثبات زعمهم. فمن ذلك رواية الكاتب لبعض المعجزات والحوادث الخارقة الطبيعة التي ينكر هؤلاء الاباحيون وقوعها لعدم ايمانهم باسرار ما وراء الطبيعة

غير ان هذا الاعتراض مبنيّ على وهم فقط ليس على حقيقة ثابتة وهو يعمّ كل الاسفار المنزلة والجواب عليهِ انَّ المعجزات ليست فقط ممكنةً بل واقعيَّة لا يجوز نكرانها الّا لاسباب موجبة

وما احرى بنا ان نوجّه الخطاب الذي خاطب بهِ الرسول اهل قورنتية في رسالته الثانية (٢: ١٦—١٧) الى العقليين الذين يحاولون انكار حقيقة الكتاب لانكارهم المعجزات ومن ثم حوَّلوا حقيقة الدين الذي نادى بهِ الرسول الى نفحة موت فتطلب هدايتهم ونبشِّرهم بانتصار الدين القويم على هجماتهم العنيفة كما قال: «فشكرًا لله الذي يظفرنا كل حين في المسيح يسوع ويُبدي بنا نفحة معرفتهِ في كل مكان فانا نحن نفحة المسيح الطيبة لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون لهؤلاء نفحة موت للموت ولاولئك نفحة حياة للحياة. ومن هو خليق بذلك فانا لسنا مثل الكثيرين الذين يغشُّون كلمة الله لكنَّا باخلاص ومن لدن الله ننطق امام الله في المسيح»

وممَّا اعترض غيرهم على صدق الكاتب لسفر الاعمال انهُ لم يروِ بعض الحوادث المهمَّة التي وقعت في اوَّل الكنيسة كسفر القديس بطرس مرَّتين الى رومية وكبشارة الرسل في انحاء المعمور كما اثبتهُ النقل وغير ذلك من الحوادث التي اغفلها

نجيب على هذا الاعتراض ان اغفال المؤرخين لبعض الامور في تواريخهم لا يفسد جوهر الحوادث التي يروونها. وهكذا يقال عن صاحب سفر الاعمال فانهُ روى اهمَّ الامور التي جرت في بدء الكنيسة كنشأتها في الملَّة الصهيونيَّة وانتشارها بين

اليهود اوّلًا ثم بين الامم وتأليف نظامها من اساقفة وكهنة ومؤمنين وترتيب اسرارها وعقد مجمعها الاول ورئاسة بطرس عليها كل ذلك وبولس الطرسوسي لم يزل خارجاً عنها او معتزلًا في دمشق او في بادية الشام (غلطية ١:١٧—١٨ و٢:١) . فاغفال بعض الامور على ما تقدَّم لا يحطّ من دقة الكاتب اذ قلَّما نرى مترجماً او مؤرخاً يلمُّ باحوال مترجمهِ واعمالهِ بكليتها وجزئياتها

وقد رأى البعض ان يضيفوا الى الغاية الاولى التي رمى اليها الكاتب غرضاً اخر وهو الدفاع عن القديس بولس وان قصد لوقا الاساسي ان يرينا (في مجرى حوادث تأسيس الكنيسة) الاتحاد والوفاق السائدين بين القديس بطرس ورسول الامم بما لهُ علاقة بالمعتقد والتهذيب . وذهب بعض العلماء الكاثوليك ومنهم الاب سماريا (Semeria) في المجلة الكتابيَّة (تموز ١٨٩٥ صفحة ٣٢٠) ان في هذا الزعم ما يستوقف الانظار لكن مع الحذر من التهوُّر في مذهب بعض اساتذة مدرسة توبنغ الذين لا يرون في كتاب الاعمال تاريخاً حقيقاً وضعياً بل رواية مختلقة او مُلفَّقة

والحقّ يقال ان من طالع الكتاب باخلاص نيَّة رأى ان الكاتب لم يقصد اخفاء الخلاف الذي وقع في مهد الكنيسة بين اليهود المعتنقين الايمان حديثاً وبين الامم الذين كان يصعب عليهم الخضوع لقول المتنصرين من اليهود انهُ ليس خلاص دون ختان : فترى الكاتب يضع امام اعيننا بنزاهة وبساطة مصدر الخلاف الموما اليهِ واسبابهُ ألا وهي شدَّة تمسُّك مسيحيّي اورشليم بناموس موسى . فعبثاً حاول اسطفانوس ان يسمعهم صوتهُ مصرّحاً بانهم أُعتقوا من تلك الروابط . وعبثاً حاول القديس بطرس اقناعهم بان حقوق اليهود والامم متساوية في الملكوت السماوي فانَّ كل ذلك لم يضعف شيئاً من بغضهم لمن لم يخضعوا لشريعة الختان . وهل يخفي علينا كتاب الاعمال هذه الظروف ؟ كلَّا بل نراه يصرّح بها . افتحْ مثلًا الفصل العاشر (العدد ١٩—٣٤) فترى فيهِ سرد دعوة الامم للايمان بشخص كرنيليوس . ثمَّ يقول كتاب الاعمال (١٥:٢٤) لمَّا تكاثر عدد المتنصرين من الامم في انطاكية انحدر قوم من اليهوديَّة واقلقوا الانفس باقوالهم بحيث التزم القديس بولس وبرنابا ان يقاوما ذاك التعليم والتسا من المجمع الاول الذي عُقد في اورشليم رذل قول القائلين

انهُ لا خلاص دون ختان . ومع ذلك بقي المتنصرون في اورشليم متمسكين بناموس موسى وهو ظاهر من خطاب القديس يعقوب والكهنة في اورشليم للقديس بولس (٢١ : ٢٠) « انت ترى ايها الاخ كم ربوة من اليهود قد آمنوا وهؤلاء كلهم أولو غيرة على الناموس »

ولذا نرى القديس يعقوب يناشد القديس بولس بان يرقّ لضعف هؤلاء ويراعي عاداتهم ويظهر نفسه مع رفاقه في الهيكل . وبهذا كفاية لردع قول من يقولون بان غاية الكتاب اخفاء الخلاف وتوحيد الرأي بين بولس وبطرس

اجل ان الخلاف كان شديداً بين المتنصرين من الامم واليهود واما الرسل فكانوا بمعزل عنهُ ولم يكونوا يتداخلون الّا لالقاء السلام وقطع دابر الخلاف فلم يكن الخلاف بين الرعاة والقطيع كما يزعم البعض . واذا كان القديس بولس نطق ببعض كلمات في معرض الحدّة فلم يبطلْ ذلك علاقاتهِ مع المتنصرين في اورشليم من اليهود الذين كان يجمع لهم من كل صوب الحسنات ونيرانُ الخلاف في شدّة وطيسها بين المتنصرين وذلك دليل واضح على انّ القديس بولس كان يخدم المتنصرين من اليهود كالمتنصرين من الامم . فقد ورد مثلاً في رسالته الاولى لاهل قورنتية (١٦ : ١—٣) قولهُ : « واما ما يُجمع للقديسين فكما اوعزتُ الى كنائس غلاطية كذلك فاصنعوا انتم ايضاً . في كل اول اسبوع ليعزل كل امرئٍ منكم عندهُ ويخزن ما وُفّقَ اليهِ لئلّا يكون الجمع عند قدومي اليكم »

وورد في رسالته الثانية لاهل قورنتية (١١ : ٧) : « ألعلّي اتيت خطيئة حين وضعت نفسي لترتفعوا انتم حيث بشّرتُكم بانجيل الله بجاناً فاني قد سلبت كنائس اخرى واخذت منها النفقات لخدمتكم » . ولئلّا نطيل الكلام فليطالع القارئ رسالة القديس بولس الى اهل قورنتية الثانية ورسالتهُ الى اهل غلاطية (١ : ١١—١٦ و١٩ و٢ : ١—١٤) الخ . وكلها تبيّن بطلان زعم الزاعمين بأن لوقا قصد توفيق خلافٍ ما بين بطرس وبولس او اثبتَ تبايناً في خطّة تبشير الرسل فكل هذه الاغراض تكذّبها النصوص الكتابية

وبعد ما قدمناه من البراهين باختصار اذا بقي من يرتاب بصحة رواية سفر

اعمال الرسل وحقيقة اسناده الى مؤلفه القديس لوقا وعهد كتابته فيصح ان يقال عنهُ ما قالهُ الرسول عن الرومانيين (١ : ٢١) المتعنتين : « سفهتْ افكارُهم واظلمت قلوبهم الغبيَّة » اذ قد يتفق ان تظلم العقول في الحقائق التاريخيَّة بسبب الاوهام والاغراض كما تظلم القلوب بسبب سطوة الشهوات الفاسدة والاميال القبيحة صان الله عقولنا وقلوبنا من شرّهما

النحل

نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي

عجيبٌ هو الله في اعماله ! هكذا هتف النبيُّ والملك داود حينما كان واقفاً يعتبر ما في الكون من مخلوقات الله المتنوعة . وكل من نظر بعين التأمل الى اعمال الله القدير لا بدَّ له ان يردد الآية ويبارك الخالق في كائناته : نعم ان الله لعجيب في كلّ عمل من اعماله . عجيب بما وهب الانسان من نور العقل وحرّية الارادة . عجيب بسنبلة الحقل التي يتذهل الناظر اليها من دقيق صنعها كما يتذهل من جمال الاوزة العظيمة وشموخها وبسوق اغصانها . هو الله عجيب بهذا العدد العظيم من الحيوانات المختلفة الانواع وتلك الحشرات الصغيرة التي لكل طائفة منها غريزة خصوصيَّة وعوائد مألوفة واميال طبيعيَّة لا تحيد عنها مدى الدهر

ولكن دعنا اليوم نتخذ واحدة من هذه الكائنات موضوعاً لدرسنا نقصد بها هامَّة صغيرة غاية في اللطف وهي النحلة . ولعلَّ بعضاً من الجهلاء يعارضنا قائلاً : ترى ماذا تجد في النحلة من الاشياء الغريبة العجيبة ؟ فان قلتَ انها تمجُّ العسل والشمع فالبقرة تدرّ بحليب نصنع منهُ اللبن والجبن والسمن . وان قلت انها تلسع كل من تعرَّض لها بعُسَّها فالثور يذبُّ عن نفسه بقرنيه والكلب ينهش من رام له شرّاً . ولست ارى موضعاً للاعجاب في هذه الحشرة الصغيرة

رويدك يا صاح فان كانت غاية ما تعرف عن النحلة كونها تصنع العسل والشمع وتلسب كل من تعرّض لها فلعلّ غيرك لا يكتفي بهذا القدر القليل ويتوق الى معرفة اسرار اخرى لا يفكر فيها الشرهُ الذي يطلب العسل ليملأ منهُ بطنهُ ويشفي شهوتهُ او لا يكترث لها الملّاك صاحب ٢٠٠ الى ٣٠٠ قنير من النحل طمعاً بجناها والارباح التي يؤملها منها لكنهُ لا ينتبه الى شيء من طبائعها ومستعمراتها العجيبة وترتيبها الداخلي وعيشتها النظامية وتدبيرها وتكاثر نسلها . فلا يعرف من كلّ ذلك شيئاً يُذكر وان القيت عليهِ سؤالًا اجابك ببعض كلمات لا طائل تحتها وغفل عمّا يستطيع ان يُساعد بهِ النحل لتوسيع شغلها وزيادة دخلهِ . ولا يعلم ان في هذه المستعمرات الصغيرة عجائب من التدبير والعمل والترتيب والنظافة ما يعود عليهِ بالنفع والفائدة فيكتفي بالقشرة ويسهو عن اللبّ ويضحّي الغد لمنفعة اليوم وربّما فاتهُ ايضاً اداء الشكر الى الله الذي انعم اليهِ بكلّ هذه المرافق والخيرات

امّا نحن فلا نقف عند هذا الحدّ من المعرفة بل نريد ان ندرس تلك الطائفة من الحشرات درساً مطوّلًا يوقفنا على ما يحدث داخل الخلايا من الاعمال الغريبة . فانتقل معي بالفكر ايها القارئ العزيز الى ذلك البستان حيث وُضعت قفران النحل فاذا فتحنا احدى الخلايا ونظرنا الى داخلها رأينا ان كل قرص من العسل قد جُهز له اطار من الخشب كالجرار يمكن سحبهُ ومدّهُ ورفعهُ وحطهُ من غير ان تُثلم الاقراص او تُعاق النحل عن شغلها . واذا تأملنا هذه الخلايا وجدناها غاية في الجودة لان المعتنين بها يعرفون عوائد سكّانها فيساعدونهم على توفير العسل والاسراع بجمعهِ . والذي يستوقف النظر اكثر من سواهُ انّما هو العدد العديد من النحل فترى افرادها تتزاحم على مدخل معملها الذي تتألف منهُ تلك العائلة او المستعمرة الصغيرة

والنحلة لا تشتغل وحدها ولا مع عدد قليل من رفيقاتها كما تصنع الزنابير التي في عملها بعضُ الشبه مع عمل النحل . لكنها تشتغل بالالفة وتشترك مع الالوف من رصيفاتها في قنير واحد

واعلم انّ الخشرم من النحل لا بدّ لهُ من ثمانية آلاف الى عشرة آلاف نحلة حتى يقدر ان يواصل شغلهُ دون ان يفشل فيأتي بعمل نافع . وكل قنير يقلّ اهلهُ عن هذا العدد لا يمكنهم ان يستحضروا من العسل والشمع ما يكفيهم لمؤونة الشتاء . ولا ان

ينتجوا بالتوالد عدداً من الصغار يقوم مقام ما يموت منها كل يوم لانَّ اسباب الموت كثيرة بين النحل . وزد عليهِ ان هذه الهوامَّ متى قلَّ عددها لا يمكنها في الاماكن الباردة ان تحفظ في باطن الخلايا حرارة معتدلة تكفيها لمقاومة تغيرات الهواء في فصول السنة . وربَّما سطا البرد على الخشارم فيتلفها لقلَّة عدد نحلها

ولا يكفي لخشرم النحل ان يثبت في الحياة وانَّما الغاية من كيانهِ العملُ النافع لصاحبهِ . وان شاء هذا ان ينال منهُ مبتغاه فعليهِ ان يزيد عدد العمَّة بحيث يبلغ كل كوارة من ٣٠,٠٠٠ الى ٤٠,٠٠٠ نحلة ولا بأس ان زاد عددها لانَّ وفرة المحصول تزداد بوفرة الصَّنعة وقد اثبت الاختبار ان خلية ذات ٤٠,٠٠٠ نحلة تُعمل اكثر من خليتين في كلٍّ منها ٢٠,٠٠٠ والأَولى ان تكون الخلية عامرة بعدد يتراوح بين ٤٠,٠٠٠ و٥٠,٠٠٠ نسمة بحيث تقوم الحديثات العهد فتخلف كل يوم اللواتي تخور عن العمل لعجزها او تصاب بآفات تودي بأعمارها . وبذلك تقوى ايضاً على توليد خشارم جديدة في وقت الربيع

٥

دعنا الآن بعد هذا النظر الاجمالي نُنعم النظر في سكان الخلايا لندرس خواصَّها ونتبيَّن ميزاتها . ولا تظنَّن انَّ النحل كلها تتشابه كلا فذلك لو استطعت بلمها في فصل الصيف لرأيت انها على نوعين مختلفين وكذلك لو فحصت شهد العسل مع شمعهِ لوجدت مخاريبه التي تُلقى فيها ذراري النحل متفاوتة الحجم بعضها اكبر من البعض . فان بين النحل صنفاً اقوى بنيةً واصلب جسماً من الآخر لذويهِ عينان كبيرتان تشغلان اعلى الراس ومقدَّمتهُ . فتلك الذكور وسيأتي الكلام عنها فيما بعد . والصنف الآخر ادقّ جسماً واخفّ حركة ولعلهُ يتبادر الى ذهنك انَّ تلك الاناث كلَّا بل تلك العاملات لانَّهُ ليس في الخلية الَّا انثى واحدة تخلف نسلاً وهي التي يدعوها علماء الطبيعة من الاوربيين « ملكة النحل » امَّا العرب فيسمونها الملك او اليعسوب . واذا شئت ان ترى هذه الملكة فأتِ بنظرك الى ناحية الخلية حيث تزدحم النحل فهناك هي الَّا انك لا تستطيع ان تنظرها الَّا عرضاً لانَّها لا تحبُّ ان تحدق بها الابصار فتستتر في وسط النحل كأنَّها حرمة تختفي عن اعين الغرباء ولها ما عدا ذلك

في بقيّة النحل حرس يصونها ويحجبها كأنهُ يرى في حياتها سلامتهُ . وتلك غريزة وهبها الله هذه الحشرات لصون كيانها

هلمَّ بنا الآن نتكلم بالتفصيل عن اصناف النحل الثلاثة اي النحلة العاملة ثم الذكر ثم الملكة لندرك شيئاً من طبائع هذه الانواع الثلاثة واخلاقها وعاداتها

١ النحلة العاملة

هي النحلة التي يتألف منها العـدد الاعظم من سكّان التفير وهي التي تقوم بكل الاشغال ما عـدا نتاج البيض . فاذا نظرتَ الى خارج الكوارة رأيت ثلاث او اربع نحلات كأنهنَّ يتجاذبن ويشترنَ القوائم والاجنحة بعضهنَّ لبعض امَّا اصغرهنَّ وانحفهن فالتي في الوسط فهذه نحلة قد خرجت حديثاً من مخروبها فعاينت النور لاول مرَّة من حياتها وتلك النحلات الثلاث قد رافقنَها الى امام التفير ليجلونها ويزيّنَها كاختهنَّ الصغيرة . انظر كيف انهنَّ يفشّفنَ جناحها طولًا وعرضاً ويمسحنَ كل جسمها وقوائمها ودوائر عينيها وفمها حتى لا يبقى مكان الّا يصيبهُ شيء من اعتناء الشغيلات الكبيرات فاذا استقامت الجوانح واصبحت متينة حسنة الصقـل طارت النحلة الجديدة من وقتها في الفضاء لاوّل مرَّة لتطلب لها قطرة ماء حلوة تصنع منهـا عسلًا وهكذا تزداد النحلات عددًا وتوازرها في الشغل عاملة جديدة

وقد توالت على هذه النحلة قبل ان تتجنّح وتطير اطوار شتى من الوجدان فكانت اوّلًا بيضة صغيرة لا تكاد العين تبصرهـا ثم اصبحت دودة واخذت في النمو حتى انقلبت الى شرنقة ثم خرجت من الشرنقة نحلة كاملة ذات جوانح جميلة : وهكذا تتّلد كلّ الهوام مهما تنوّعت وتكاثرت ففراشة النهار الزاهية الالوان التي تطير من زهرة الى زهرة وفراشة الليـل التي تحوم حول سراجك في المساء وكل الحشرات المتنوعة الالوان والهيئـة التي توجد في الحقول او على الاشجار كما الذباب الذي يقلق راحتك في بيتك كلّ هذه الهوامّ تخرج من بيضة صغيرة تنسلها الامّ

ولا بدَّ لتلك البيضة ان تجعل في حرارة تناسبها فتخرج منها دودة تغتذي من الكلإ او من ورق بعض النبات او من مادّة آليّة او نباتيّة فسدت بالانحلال فكل نوع على حسب طبيعته وهكذا تنمو الدودة وترقى سلّم الحيـاة الى ان تصبح

اخيراً حشرة مجنّحة او ذبابة او فراشة على حسب النوع. وهكذا ايضاً تلد النحلة. فان في عالم المادّة لا تخلق الطبيعة شيئاً ولا تخرجهُ من العدم فكل حيوان او كل حشرة مهما صغر حجمها انّما اصلها من جرثومة حيّة اذ ليس حيّ الّا من حيّ مثلهِ سبقهُ في الحياة الى ان تبلغ الحلقة الاولى من تلك السلسلة التي يضبطها الله الواجب الوجود

هذا ما اثبتهُ النابغة لويس باسطور بالاختبارات العديدة ومن ثمَّ سقط زعم الطبيعيين الذين دافعوا زمناً طويلاً عن مبدأ التولد الذاتي وجاء ان ينكروا وجود الخالق فاليوم لا يمكنهم الثبوت على ما يزعمون امام تحديدات العلم الحقيقي في هذا الصدد

ووالدة النحلة كما مرَّ انما هي الملكة فاذا باضت وضعت بيضةً غاية في النعومة في احد مخاريب الشمع التي قامت ببنائها النحلات العاملات. فهذه البيضة تنفقس بعد ثلاثة ايام ان وُجدت في حرارة لا تنقص عن الثلاثين درجةً فصاعداً فتخرج منها دودة دقيقة بيضاء لا قوائم ولا اجنحة لها فيقوم بقوتها بعض النحلات فيسهرن على حياتها ويُظهرن لها خالص الانعطاف ويقدّمن لها الطعام مرات عديدة في النهار ويكون هذا الطعام غاية في الجودة وهو عبارة عن مجموع زنبر الزهور يُداف بقليل من العسل والماء. وهنّ يتأنّقنَ في هذا الطعام ويراعينَ في تركيبهِ نموّ الدودة. وبعد خمسة ايام تبلغ النحلة منتهى النموّ فتكفّ النحلات عن إعالتها ويسددنَ النخروب بغشاء نحيف من الشمع فتبقى الدودة مسجونةً وتمتنع عن الاكل ثم تنسج لها شرنقة من الحرير الخفيف ويصيب جسمها تغيير في بشرتهِ وبعد يومين تصبح في حالة الفيلجة لا تبدي حراكاً ففي هذه الحالة ينال جسمها هيئتهُ قليلاً فقليلاً وتتكوّن اعضاء النحلة وقوائمها وجناحها ورأسها وكل ما فيها ويشتدّ جسمها حتى يبلغ تمامهُ بعد عشرة ايام فحينئذٍ تخرق النحلة الشرنقة وتشقُّ غشاء النخروب وتُخرج رأسها وقوائمها ثم كلّ بدنها بجملتهِ وتخرج من سجنها حرّةً فهكذا تولد النحلة

واذا ولدت النحلة ولدت للشغل والجدّ فلا تكاد رفيقاتها ان ينتهين من تنشيفها ومسحها حتى تسرع الى العمل في صالح المستعمرة العمومي وهكذا بعدّة عشرين يوماً تصبح البيضة الصغيرة نحلةً عاملة وهذه النحلة اذ خلقت للعمل لا تنفك مشتغلة طول

حياتها وانما تستريح فقط في الأيام الماطرة والهواء البارد وعند ما يمتلئ القفير مؤونة وما عدا تلك الفترة لا تعهدها الا في شغل شاغل صباحاً مساء

وليست كلّ عاملات النحل متشابهة فهلمّ نرقب مدخل القفير لنقف على ما يباشرنهُ من الاعمال المختلفة

انظر اولاً هذه النحلة الخارجة من الخليّة وفي اثرها نحلة ثانية لكنهما ما كادتا تخرجان من القفير حتى تراهما تعطفان ادراجهما الى داخلهِ فتغيبان هنيهة ثمّ تعودان الى باب الخلية كأنهما تترصدان الداخلين. نعم هما حاجبتا الخلية القائمتان على حراسة بابها فالويل لغريب يتقرّب منهُ سواء كان زنبوراً او نملة او ذبابة فتراهما للحال تحملان دون الداخل وتردّانهِ على اعقابه مخذولاً

ولو تقدّمتَ انت بنفسك ايها الراقب العزيز فبدَتْ منك حركة مشبوهة او حملهنّ حضورك على الريبة من امرك لرأيتهما تحملان عليك حملة المدافع الغضبان ثم يتبعهما غيرهنّ من النحل فتسمع حولك دويهنّ كأنهنّ ينادين الى الحرب. فان كنت لا تودّ ان تشعر بابرهنّ المسمومة فانسحب عنهنّ بهدوء دون سرعة بل اضبط انفاسك لان التنفّس يزيد هياجهنّ

واذ عرفتَ النحلَ الحجّاب انظر الآن الى غيرهنّ فترى منهنّ كثيراً في ذهاب وايابٍ لا يكترثن لك البتة. فاذا خرجتْ منهنّ نحلة تراها تخفّ مسرعة حتى تبلغ الى مقدّمة الخلية ثم تحلّق في الفضاء فتطير كأنهم الى حيث تؤمل وجود رزقها من تفاح الزهور المسلي فان وجدتْهُ قريباً فبه والّا تشعث انسفارٌ بعيدة وربما بعدت عن الخلية الى مسافة ثلاثة واربعة كيلومترات قبل ان تفوز بالمطلوب. ومن النحل ما يعود الى الخلية بحملهِ بعد شتّ النفس فتراهنّ وقتئذٍ يلقين بنفسهنّ على طعام الخلية بنهمة لما اصابهنّ من العياء والتعب. وكم يتلف منهنّ بآفة الدهر فهذه ترميها الريح في الماء وتلك يلتهمها الطير وغيرها يدور عليها الزنابير فكلّ هؤلاء يذهبن ضحيّة الصالح العمومي

امّا العائدات الى الخلية بعد جناهنّ فيكنّ على هيئات شتى فالبعض يخلن لك فارغات وليس الامر كما تظنّ فانهنّ مصمصنَ بخراطيمهنّ قطرات من السائل السكّري الذي وجدنَهُ في كمّ الزهور فيحفظنهُ في حنجرتهنّ كما في مستودع واذا عُدنَ الى

الشكل الاوّل النحلة في اطوار حياتها الاولى

الشكل الثاني صورة (١) بيضة النحل (٢) دودتها (٣) زيزها (٤) النحلة الذكر
(٥) الامّ او الملكة (٦) العاملة او العـأالة

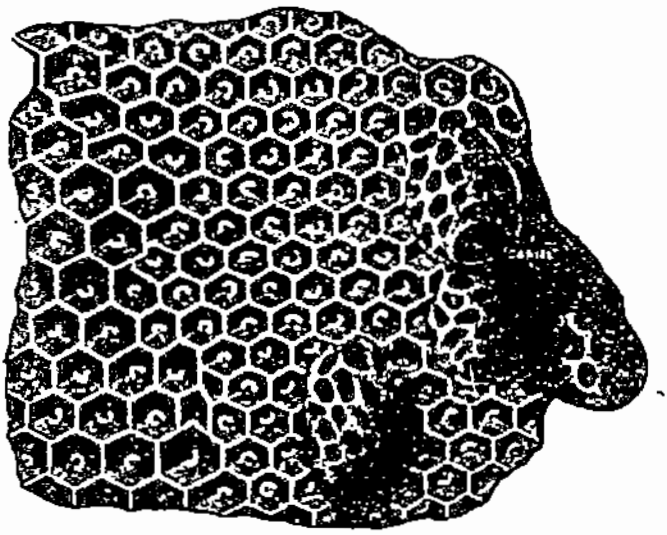

الشكل الثالث شهد العسل وفيه مخاريب واسعة للنحل الذكر شمالاً ثم مخاريب اصغر للعاملات في الوسط امّا اليمين ففيه مخاريب لليعسوب او الملكة ثلاثة منها مفتوحة

الخلية بجنّـة في النخاريب الفارغة التي يتركب منها الشهد واصطنعتهُ نحل أُخرى في باطن الخليـة. ومنهنَّ مَنْ يُفرغ جناه فمًا الى فم فتنقلهُ الواحدة من الاخرى حتى يبلغ الى المستودع العمومي

حوّل الآن نظرك الى نحلات اخرى يقبلن الى الخلية بعد قطع المسافات البعيدة فكل واحدة منهنَّ تأتي وقد عُلق بزنبر مخالبها شيءٌ من الأعلاق (grumeaux) المختلفة الالوان جنتها من لقـاح الزهور فتودعها في بعض بيوت الخلية المختصة به حيث يدوفها غيرُها من النحل فيصطنعنَ منها مأكلًا لطيفاً تتغذّى بها ديدان النحل قبل بلوغهنَّ. ولأن هذا لقاح الزهور يُشبه الغبار وهو ذو الوان شتى ترى النحلات بعد ان ولجنَ اكمام الزهور ليستخرجنهُ يرجعن مصطبغات بتلك الالوان من حمرة او صفرة او بياض على حسب اجناس الزهور التي تمرَّغنَ فيهـا ولا يبالين واذا بلغنَ الخليَّة وجدنَ من ينفضهنَّ وينظف جناحيهنَّ

ومن النحل الساقيات فهنَّ يقصدن العيون القريبة فيمتصصنَ من مياهها اصفى قطراتها فيأتين بها الخلية فيرششنها على مجموع لقاح الزهور ليُداف بها العسل ويعجنَ قوت الصغيرات

وليست كلّ هوامّ النحل الخارجات من الخلية يخرجن لجنى الزهور فيطرنَ الى الفضاء. كلّا بل يوجد بينهنَّ فئة لتهوية الخليـة وتبريد حرارتها في ايّام القيظ. فانَّ هذه الفرقة العجيبة تقوم بازاء مدخل الخليـة وتغرز رأسها في الارض بلا حراك اما اجنحتها فتوجهها الى باب القفير فترفرف بها بسرعة غريبة بحيث يُسمع لهـا صوت خفيف فاذا فعلنَ ذلك صارت اجنحتهنَّ كمراوح تحرّك الريح وتلطّف من حرارته فيدخل الهواء رطباً الى الخليَّة ويخفف وطأة الحرّ. واذا تعبنَ بعد مدّة تسارعت غيرهنَّ فتناوبن بالعمل. ياليت شعري من لا يرى في عمل هذه الحشرات الصغار يد الله الذي طبع فيهنَّ تلك الغريزة ليسعين الى كل ما يفيد الخير العام فيتفانينَ في سبيل الجمهور

انظر الآن الى نحلات اخرى هـا هنَّ يخرجنَ وفي افواههنَّ قطعة من الغشاء الشمعي المستدير الذي كنَّ ختمنَ به نخاريب المولودات في صومعهنَّ فلمَّا شقّتها النحلة الصغيرة اصبح ذلك الغشاء نافلًا لا نفع له فتنزعهُ العاملات ويلقينهُ خارج الخلية

وكذلك اذا ماتت نحلةٌ فلا تدع اخواتها جثتها في الخلية فتفسد ريحها بل يُخرجنها

الى المزبلة وكذا يصنعنَ بديدان النحل اذا وجدنهنَّ سقيات ضئيلات البنية لانهنَّ لا يدعنَ بينهنَّ الّا كل عاملة تقوى على الشغل وتساعد جماعة النحل

والنحل في ذلك يجري على مقتضى غريزته لا يرعى سنَّة المحبة نحو الضعفاء والمستومين اذ لا عقل له. وكم جرى على وتيرته بعض همج الشعوب ذوي العقول الذين كانوا يقتلون اولادهم اذا وجدوهم مشوَّهين سقماء فيلقونهم في الازقَّة وعلى المزابل خلافاً لشواعر الانسانية وليس لهم عذر الحيوانات غير العاقلة

واذا ماتت في الخليَّة نحلة امَّا عجزاً واماً لداء عرض لها فهناك عاملاتٌ يحملنَ الميتة الى الخارج فيبقى التغير ومعمل الشغل في نظافته. وهذا هو فعلهنَّ بكل جسم غريب يلج الخليَّة من اقذار وبقايا اقراص شمع وعُصافة ادخلها الريح الى باطن المأوى فانَّ الموكولات بتنظيف الخليَّة لا يُبقينَ من كل ذلك شيئاً ولا يذرْنَ

وكما يعتني بعض النحل بكناسة الدار يهتمُّ غيرهنَّ بترميمه وهندامه. دعنا ندخل قليلاً الى باطن الخليَّة لنعاين شيئاً من هندستهنَّ. فترى منهنَّ من وُكلت اليهنَّ نظارة البيت وتحصينهُ فاذا رأينَ في بعض جوانبه شقاً ينفذ منهُ شعاع الشمس او ريح باردة او لمحنَ ثقباً يفتح باباً لهاجمة غريبة او عدوّ اسرعنَ للحال في سدّها. ويستحضرن لذلك نوعاً من العلك او السائل اللزج (propolis) يسدّ تلك النوافذ سدًّا محكماً. وان وقع في الخليَّة شيء من الحشرات او النفايات اخرجنها بلا بُطء. وان عجزنَ عن ذلك طمرنها في احدى زوايا الخلية وسجينها بالسائل المذكور كما يودع الميت في قبر مكلس بحيث لا يؤذي فساده الخليَّة

واذا قرب وقت الشتاء بادرت اولئك المهندسات الى باب الخليَّة لتضييقه لئلَّا ينفذ البرد الى سكان الدار فيوصدن الباب بالعلك السابق ذكرهُ ولا يدعن سوى ثقبين صغيرين لمرور النحل وعلى هذه المنوال لا تفقد الخليَّة حرارتها الباطنة اذا قرس البردُ في الخارج

انظر الآن اقراص الشمع التي لم ينجز بعد هندامها فترى على اطرافها عدداً عديداً من النحل تراكم بعضهنَّ على بعض كبناء مرصوص وهنَّ لا يبدينَ حراكاً. فان سألت وماذا يصنع هؤلاء ما بالهنَّ جاثمات فارغات لا يقمنَ بعمل ؟ ساء ظنك يا صاح فانَّ الكسل غير معروف في عشيرة النحل وانَّما هؤلاء قد اغتذين بالعسل

واكلن منهُ الى الشبع وها هنَّ يهضمن ما اكلنَ . وليس ذلك شراهةً او لمجرَّد اللذَّة لكن ليصطنعنَ منهُ شمعاً . وهذا الشمع يتكوَّن على ابدانهنَّ كما يرشح من جسمنا العرق وهو يخرج من النحلة على شبه صفائح دقيقة من تحت الحلقات التي يتألَّف منها قسم جسدها الاسفل . واذا استحضرنَ ذلك الشمع وحان الوقت للعمل تقدَّمن الى طرف القرص ونفضنَ شمعهنَّ فيتناولهُ فمُهنَّ ويَلُكنهُ ثم يعجنَّهُ ويمركنهُ بمخالبهنَّ ويبتنين دون مطهار ولا مقياس تلك النخاريب العجيبة الصنع المسدَّسة الاشكال التي يُعدِدْنها لمولد الذراريّ ولمخازن العسل . فهذا عمل الشمَّاعات والمهندسات

وبينهنَّ الأظآر يعطفنَ على المواليد كالأُمّ على ابنها فتراهنَّ يستخرجنَ شيئاً من العسل يَدُفْنهُ بلقاح الزهور وبماء المستقيات فيركبنَ المعجون الموافق للصغار كما مرَّ

ومنهنَّ العاسلات الموكول اليهنَّ صُنع العسل . فانهنَّ يعمدنَ الى النخاريب التي جعلت فيها العاملات تلك السوائلَ السكَّريَّة المجنيَّة على الزهور فينقلنها الى نخاريب اخرى أودعنَ فيها شيئاً من العسل ثمَّ يخلطنها بهِ ويمركنها عركاً طويلاً حتى تمتزج اجزاؤهُ امتزاجاً تامًّا ثمَّ يدَعْنهُ الى ان يتبخَّر ما فيهِ من الماء الزائد واذا امتلأ النخروب من العسل اللاذيّ الصرف بسطنَ عليهِ غشاء يختمنهُ بهِ كما تفعل ربَّة البيت اذا ملأت اناء من المربَّيات فانَّها تلفُّهُ بلفافة نظيفة لصيانتهِ من كل وسخ او تجعل على فمهِ ورقاً مزيَّتاً فتشدُّهُ بالخيط

وبين النحل العاملات فئةٌ اخرى ارفع رتبةً أجلنا الكلام عنها عمداً . نريد بها تابعات الملكة وحاشيتها اللواتي يَقُمنَ بخدمتها . وهي لعمري مهنة شريفة لكنها ليست خالية من العمل . فمن شأن هذه النحلات ان يُحدقنَ بالملكة ليلاً مع نهار ليسعينَ في سلامتها وتعيش في حرارة معتدلة متساوية توافق نتاج البيض . والملكة لا همَّ لها الَّا تأهيل المسكن بالنسل والذراري وهي لا تستطيع ان تقوم بمعاشها ولو تُركت مدَّةً وحدها لماتت جوعاً . وعليهِ يجب على حاشيتها ان يقدِّمن لها حاجتها من المأكل والمشرب

ثم ان الملكة ليست كبقيَّة النحل اللواتي يخرجنَ من الخليَّة ما شئنَ ويستنشقنَ

الهواء من حين الى حين ويلقين برازهنَّ واقذارهنَّ فانها اي الملكة على خلاف ذلك رابضةٌ ابدًا في مكانها فحاشيتها هي التي تقوم بكل لوازمها حتى ادناها شأنًا. واذا قضت في مقامها حاجتها اسرعت تابعاتها الى نقل الاقذار الملكية الى الخارج ولا يأنفنَ من ذلك اذ ليس شي من العار في خدمة الملوك فيبقى هكذا المنزل الملكي نظيفًا طاهرًا كما يليق ببلاط الاشراف والعظماء

وفي هذه المملكة النحليَّة الصغيرة اذا استثنينا الملكة وجدنا مساواة تامَّة فليس لكلِّ نحلة مهنةٌ تلزمُها طولَ حياتها ولا تتعدَّاها الى غيرها في داخل الخليَّة وخارجها. كلَّا لكنَّ النحل كلهُ على سواء يمكنهُ ان يقوم باي عمل كان وليس هناك امرٌ من رئيس الى مرؤوس كما هو جار بين البشر الذين اعطاهم الله العقل للتدبير وانَّما هي غريزة طبيعيَّة فُطرت عليها تلك الحشرات فترى النحل مدفوعاتٍ الى اشغالها من جرَّاء قوَّة طبعها الله فيها لبقاء جنسها ثم لخدمة الانسان

نعم ان النحلة لمدفوعة من غريزتها الطبيعيَّة الى عملها العجيب دون ان تفقه لهُ معنًى او تدرك لهُ غايةً حتى ان احد فلاسفة الفرنج دعاها بادوات حيَّة يحرِّكها الوجدان كآلة ميكانيكيَّة الى ابراز اعمال مذهلة ترثها من الطبيعة دون تعليم وتأتيها دون ترَوٍّ. فلا فضل لها في اتباع غريزتها وانَّما الفضل هو لله خالقها الذي طبع فيها تلك الاخلاق لخدمة البشر. فيجب على الانسان ان يحمد الله في هذا الحيوان الصغير كما ينبغي عليهِ شكرهُ تعالى في خلائقهِ كلها. وكأنَّهُ عزَّ وجلَّ وضع في الحيوان غير العاقل تلك الخواصَّ لينبِّه الانسان الى الاحتذاء بها كما فعل سليمان الحكيم لما ارشد الكسلان الى النملة حيث قال (امثال ٦: ٦): «اذهب الى النملة أيها الكسلان انظر طُرقها وكن حكيمًا انَّها ليس لها قائد ولا مدبِّر ولا حاكم وتُعدُّ في الصيف طعامها وتوعي في الحصاد اكلها»

فكم من سجيَّة طيبة يستطيع الانسان ان يقتفي بها اذا عاين النحلة فيتعلَّم منها الشغل المتواصل والهمَّة التي لا تعرف الملل وبذل النفس للخير العام وايثار الموت على ضرر يلحق بالجماعة

ألا انظر مثلًا هذه الهامَّة الصغيرة بازاء عدوِّها فلن تقرِّب الى الخليَّة وشعرت بسوء نيَّته وثبتْ اليهِ ودقَّت نفير القتال وطارت حولهُ وهي تزمجر وتسمع الخصم

طنين الغضب وغمغمة الوعيد. فان ابتعد العدوّ رافقتهُ الى حيث تكون في مأمن من اذاه وتعود الى كوارتها والّا فتدعو الى الحرب رصيفاتها فترى النحلة ثم النحلتين ثم عشراً وعشرين ومئة يقتحمنَ ميدان الوغى ويتهدّدن بجماتهنَّ المادي وان تجاسر ذاك الشقي ومدَّ يدهُ الى الخليَّة وليس عليهِ ما يقي بهِ عُري وجههِ ويديهِ من لسع النحل فالويل لهُ كلَّ الويل فانَّ إبرَ تلك الهوامّ تنغرز في كل لحمانهِ فتذيقهُ من الآلام المبرّحة ما يعدُّهُ كالموت الاحمر. وهذه الابرة لا يمكن النحلة ان تشكّها في لحم عدوّها الّا وتفقد معها حلقةً من بدنها فلا تلبث ان تموت وعليهِ يكون موتها موت البطل الذي يضحّي بنفسهِ لصالح العموم

فليخجل بعد ذلك الانسان الذي لا يفكّر الّا في نفعهِ الخاصّ ويذهل عن خدمة وطنهِ واهلهِ وعائلتهِ فانَّ النحلة بشهامتها تسمهُ بسمة العار والخزي لأنانيَّتهِ وتفضيل ذاتهِ على الخير العام

وكم من فضيلةٍ أخرى يمكن العاقل ان يرى صورتها في النحلة فيرشد نفسهُ بها كرفقها بصغارها وكرامتها لملكتها وثباتها في العمل الى آخر رمق من حياتها وحيادها عن كل اعتصاب وعصيان في خدمة صاحبها اذ تعود الى التعسيل كلما يُسلب منها عسلها دون ان تحقد عليهِ وتبتعد عن خدمتهِ فعلى العاقل ان يفقه كل ذلك ويتّخذهُ عبرة لسلوكهِ

وممَّا يمكنهُ ان يستفيدهُ على خلاف ذلك من نظر النحل الفرق العظيم بين الحيوان الاعجم والانسان فان النحل منذ وُجد على الارض الى يومنا هذا لا يزال على طبعهِ الذي جُبل عليهِ دون ان يحيد عنهُ الى نقص او كمال فلو كان عاقلاً لوجد طرائق جديدة لتحسين عملهِ واختيار مكانهِ وتوفير رزقهِ وصيانة مالهِ من عادية ومحاولة الهجرة من مقام الانسان الى القفار وغير ذلك ممَّا لم ينتبه اليهِ النحل البتة ويثبت بهِ انهُ حيوان اعجم مدفوع من غيره لا خيرة لهُ ولا ارادة ولا فهم يبقى ابد الدهر في الدائرة التي وضعهُ الله فيها لا يتجاوزها ابدًا

وما نقولهُ عن النحلة يصحُّ قولهُ في كلّ حيوان فانَّ الله منحهُ غريزةً يجري عليها لحفظ حياتهِ ونوعهِ وهو في اتّباعها احذق من الانسان الّا انهُ لا يتخطّاها مطلقاً فترى الطيور اليوم تبني اعشاشها البديعة الصنع كما كانت تبنيها قبل الوف من السنين والعنكبوت يصطنع نسيجهُ كما رواه لنا اقدم المؤرخين والنملة تعمر بيتها

كما وصفهُ سليمان قبل ٣٠٠٠ سنة وقس عليها بقيَّة الحيوانات التي لم تبلغ ذرَّة من الكمال مع توالي الدهور بينما الانسان لا يزال في ترقٍ دائم يكتشف كل يوم وسائل جديدة لمعاشهِ ولسكناه ولخدمة اهلهِ ومدينتهِ ووطنهِ . فناهيك بذلك برهاناً قاطعاً على بطلان المذهب الدروينيّ في ترقي الانواع فضلاً عن الاجناس من الجماد الى النبات الى الحيوان الى الانسان فليس لدروين لتأييد قولهِ سوى الظنّ والتخمين بينما تقوم لتفنيدهِ كل الشواهد التاريخيَّة والاختبارات المتواصلة والادلَّة العقليَّة فتثبت بقاء الاجناس والانواع في الطبيعة دون ان تتغير فترقى من درجة سافلة الى درجة اعلى وتؤيد كما زعم قول سفر التكوين انهُ تعالى خلق النبات والحيوان مباشرةً على حسب اصنافهما كما خلق رأساً ابوينا الاولين (لهُ بقيَّة)

لا حول ولا...

من نظم حضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة
اهدانا اياها بعد اعادة النظر فيها وتحسينها

ساقت رياحُ سياسةٍ خرقاء نحو البلاد سحائباً دكناء
فاربدَّ أفق الشرق منها واكتسى من كل دُهم المُعضلات رداء
وقد اكفهرَّ مقطِّباً ومعبِّساً « فالأفق تُفقدهُ الغيومُ صفاء »
فأهاب فينا هاتفٌ : حتَّى متى انتم نيام والخطوب إزاء ؟
فتراكمت في جوّكم وتكاثفت سُحبٌ سحبنَ على البلاد بلاء
حتَّى مَ انتم في عميق سُباتكم حتَّى مَ يهوى جفنكم اغفاء ؟
فازال من اجفانهم سِنةَ الكرى قصفٌ يكاد يُدكدكُ الغبراء
وخفاً من الفولاذ لمعُ بوارق دلعت لساناً يلهمُ الظلماء
فارتجَّ متن الشرق من خَطب طغى والغربُ هبَّ يردّد الاصداء
فهفا غطارفةٌ واهل حفيظةٍ وحميَّة كي يكشفوا الغمَّاء
وعلا ذوو الرأي الاصيل منابرًا ليوطّدوا بين القلوب ولاء
انَّ التعاضد والتضامن مَعقِلٌ يزري بكل إغارة شعواء

فقوى البلاد تكاتفٌ وتآلفٌ ان الوئام ينهنهُ الضرّاء
وطنُ الفتى جسمٌ فان عضوٌ شكا داء شكت اعضاؤهُ ذا الداء
فبواحدٍ كلٌّ وكلٌّ واحدٌ لا تجعلوهُ بربكم اجزاء
فاقلُّ تحزيب يُلمُّ بأمّةٍ يُلقي شقاقاً بينها فشقاء
نجتاز في عقبات سود مشاكلٍ تذرُ الرضيع بليّةٍ بيضاء
بتنا لفادحة الخطوب مَرامياً فحيالنا وحذاءنا ووراء
من ذا يرى سبلاً تُطحطح خَصمنا ألا اتحادًا صادقاً واخاء
ولئن تقاعس مَن خطبنا ودّهم عن نصرنا لم نَعدم النُصراء
فكفى نصيرًا ان نرى من قومنا عِظَم النفوس وهمّة شمّاء
يتساجلون بكل فعل حميدةٍ متنافسين شهامةً ومضاء
هذا يراعتهُ كعضبٍ صارمٍ تفري اديم مصاعب دَجناء
هذا تبجّس من غمام يمينهِ ودقُ المكارم يُمطرُ الصَّفراء
هذا تألّق من كواكب رأيهِ شُهبٌ تُزيح عن الخطوب غِشاء
هذا يُهيب محرّضاً : أن أخلدوا لسكينةٍ وتجنّبوا الشحناء
هذا يجوب عواصماً غربيّةً كي يستميلَ لنصرنا الآراء
هذا يخوض غِمار نقعِ معاركٍ بفؤاد اروعَ يعشقُ الهيجاء
والوف آلافٍ من الاسد الألى جعلوا النفوس عن البلاد فداء
خفّوا زرافاتٍ ووحداناً الى قطرٍ بهِ قطرَ العجاجُ دماء
أحلاسُ جودٍ بل قساورُ قد علت مَتن المعالي لا تهابُ لقاء
شقّوا دياجر قسطلٍ بأغرّةٍ تكسو المآزق حلّةً حمراء
لم ينتضوا بيض الصوارم في الوغى ألّا وكان غمودُها الاحشاء
ثملوا باصوات المدافع اذ دوت فكأنَّ في بارودها صهباء
ويهزُّ عطفيهم انينُ قنابلٍ طربًا فتصطفقُ السيوفُ هناء
نصبوا كلاكلهم لوبل بنادقٍ هدفاً لكيما يُظهر الإزراء
حملوا على الآطام حملة ضيغمٍ والموتُ يرسلُ نظرةً شوصاء
من كل مجدول السواعد أشوس يُلفي الوشيج حديقةً غنّاء

ثبتُ الجنانِ حياتهُ في كفّهِ ماضي العزيمة يجهل الاعياء
آلى على النفس الابيّة مُقسماً إمّا دفاعاً او رَدًى وفناء
أيخوض لجّات الحِمام كأنّنا وتظلُّ سُحب نِزاعنا وَطفاء ؟
فبأيّ شرع ام بأيّة سُنّةٍ نُبدي النفور لبعضنا وجفاء
او ما كفانا خَصْمُنا وعُداتُنا حتى نكون لذاتنا أعداء
تَخِذَ العدوُّ لكيدنا سُبلاً لهُ رُحبَ الفلا والجوَّ والدأماء
تقضي علينا حالُنا في خطّةٍ منها نَنالُ من السموم رِضاء
أنباؤنا موضوعُ صُحف اوربّةٍ وبنا الحديث الصُبحَ والإمساء
نحن الألى نُملي على كتّابها بفعالنا . . . فلنُحسن الإنشاء
فالغربُ في نَشَزٍ يُتابع خطونا يرنو لنا من أعينٍ خَزراء
صَفراتنا كمقالدٍ فتحت لهُ بابَ الولوج — وذا الذي قد شاء
فلكلِّ مُشكلةٍ نجيءُ بها غدتْ بفؤاد شرقٍ طعنةً نَجلاء
اللهَ اللهَ اتّقوا يا قومنا ودَعوا الخلاف وفتنةً ومِراء
يا ناظرين ولا ترونَ تبصّروا افلا ترون سماءنا قَتماء ؟
ان البلاد لَفي حراجة ازمةٍ تجتاز كلَّ مصاعبٍ كأداء
انكون أضغاثاً على أبالةٍ ونرى لنا وطناً بغير ماء ؟
او ما كفى الوطنَ العزيزَ نوائبٌ حتى نريد لنطفِ فيه ماء ؟
ما بالُنا نُلفي فريقاً ناشراً لتفرق بين الخصام و . . ؟
ما بالُ ذاك يمسُّ ذا في دينهِ ويسومُهُ خسفاً خَنًى وبغاء ؟
كفّوا كفاكم يا تجارَ وُرَيقةٍ هي في البلاد كحيّة رقطاء
فالدينُ ارفع من بذاءة اخطلٍ وَغدٍ اتى بمقالةٍ حمقاء
دينُ الاله الحقّ دينُ تسالمٍ ومحبّةٍ لا تعرف البَغضاء
ما شأنُ دينٍ في الحروب يا تُرى وهو المردّد بالسلام نِداء
فالحرب حربُ سياسةٍ لا مذهبٍ فإلى متى نستضحكُ العُقلاء ؟
أفلم تُضحِّ فرنسةٌ بجالها لتذبَّ عن شرف الهلال عداء ؟
ولِمَ الصليب الى الصليب قد انبرى بسبتول — فترتجي الإفناء ؟

*

ولقد رأينا أو كمَينِ تباريا بسفالةٍ وسفاهةٍ شنعاء
راما إهانةَ سيّد الاحبار في ما خرفشاهُ خسّةً ورِثاء
« اسرار رومة والمسيح بروبةٍ » قالا : غيط عن الخفيّ غِطاء
زعما بانَّ الافكَ اقربُ مورد يجدان فيهِ للغليل شفاء
او يُلفيان الى المعيشة منهلًا منهُ يصيب المُقسدان ثراء
وجدا « على ما يزعمان » زوّانةً في هَرْي أحبار سَتَرا إحصاء
تركا لآلئَ حنطة وتسرّعا لزوّانة كدجاجة عمياء
انّا لأرفعُ منزلًا من ان نُنا زل جاهلًا ثرثارةً فأفاء (١
ما ضرَّ شمساً هجرُ عميان ولا راعَ الغضنفرَ صوتُ هرٍّ ماء
لكن يعزُّ على المروءة أن ترى من سلطة مدنيّة اغضاء

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عُني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي

توطئة

في مكتبة المتحف البريطاني (٢ مجلد بقطع ربع عدد صفحاتهِ ٣٠٩ يضمُّ بين دفتيهِ كتابين مخطوطين الاوّل عنوانهُ « كتاب الدرّ المنتخب في تاريخ حلب » وهو عبارة عن نبذ منتخبة من كتاب نزهة النواظر في روض المناظر لقاضي القضاة محبّ الدين شيخ الاسلام ابي الفضل محمد بن الشحنة الحلبي. وهو الكتاب الذي تولّى نشرهُ في مطبعتنا سنة ١٩٠٩ صاحب العزّة الاديب يوسف افندي اليان سركيس

١) قال لي بعضهم ان مترجم قصيدة المسيح في الفاتيكان قد تستّر وراء هذين الحرفين ف . ف فقلت : اجل انما هو فأفاء حذف الموصوفَ وابقى الصفة وفأفاء اي عيٌّ بل اعجم طمطم لا يُفهَم ولا يُفهِم

٢) (Rieu: *Catalogus Manuscriptorum Arabicorum Musei Britannici* DCCCCXLIV, p. 433)

امّا الثاني وهو يبتدئ من الصفحة ١٤١ فعنوانهُ: تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل برّ الشام والجبل. فما اجلتُ في مباحثهِ اللحظ حتى تبين لي من اهميتهِ وفوائدهِ ما هيّج عندي رغبة شديدة في نشرهِ. وممّا زاد في رغبتي ان هذا المؤلف لم يطلع عليهِ الّا القليلون ونسخهُ الخطيّة نادرة جدًّا بل ربما كانت نسخة المتحف البريطاني هي الوحيدة ولم اقف منها على نسخة سواها. ولا يخفى ان الآثار والمؤلفات التاريخيّة في الحوادث التي اخبر عنها المؤلف اي التي جرت في النصف الاخير من القرن الثامن عشر وفي النصف الاوّل من التاسع عشر هي اقلّ من ان تروي غلّة لمن يبحث عما يستحق في تلك المدّة ان يستلفت الخاطر ويستوقف الفكرة. فرأيت من الواجب الادبي حفظ هذا الاثر ولا ريب عندي في ان القرّاء يجدون في مطالعتهِ لذّة وفائدة. وهو يتناول كثيرًا من الوقائع التي حدثت في دمشق حاضرة سوريا وفي سواحل لبنان وانحاء الجبل في عهد احمد الجزّار صاحب عكا والامير بشير الشهابي الكبير وما جرى حينئذٍ من حملة نابوليون على عكا ودخول المصريين في الشام الى غير ذلك من الحوادث الخطيرة التي يحبُّ القرّاء ان يسمعوها من كاتب شاهد عياني. واخطر منها الاحداث الدينيّة التي وقعت في تلك الحقبة وسها عنها مؤرخو ذلك الوقت

وكنّا وددنا ان نزيد القرّاء علمًا بالمؤلف لكنّ اسمهُ ميخايل الدمشقي مبهمٌ يوافق كثيرين مثلهُ. واملُ احدًا من اهل دمشق او من ادبائها يمكنهُ إن يزيدنا افادةً من هذا القبيل ويلوح من كلامهِ انهُ كان من الروم الكاثوليك الملكيين

واتّضح استنادًا الى بعض احرف من كتابة ذهب معظمها ان الكتاب كان أُرسل من هذه البلاد الى وزارة خارجية انكلترة وهي اهدتهُ بعدئذٍ الى المتحف البريطاني

امّا لغة الكتاب فهي اقرب الى لغة العامّة في دمشق منها الى اللغة الصحيحة وفيها من الركاكة ما فيها وقد عوّلت على ابقائها كما هي دون ان أُجيل فيها قلم الاصلاح محافظةً على الاصل الّا بعض الاغلاط اللغويّة الظاهرة. فاذا اصلحتُ او زدتُ شيئًا لمنع الابهام او لتقريب المعاني من الأفهام حصلتهُ بين هلالين او في حاشية الاوجه

امّا نسخة الكتاب الموجودة في المتحف البريطاني فهي ترتقي الى عهد المؤلف وقد جاء عنها في آخر الكتاب: « وكان نساخة كتابنا عن خط مؤلفهِ في شهر تشرين اول سنة ١٨٤٣ مسيحيّة موافق شهر شوال سنة ١٢٥٩ هجرية »

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب تاريخ حوادث جرت بالشام وسواحل برّ الشام والجبل

من تأليف الحقير مخائيل الدمشقي. وكل ما حررناه فهو صحيح ليس بهِ نظم ولا

اللوح الثاني : فصيلة الحشرات المعروفة باسم بوبراست

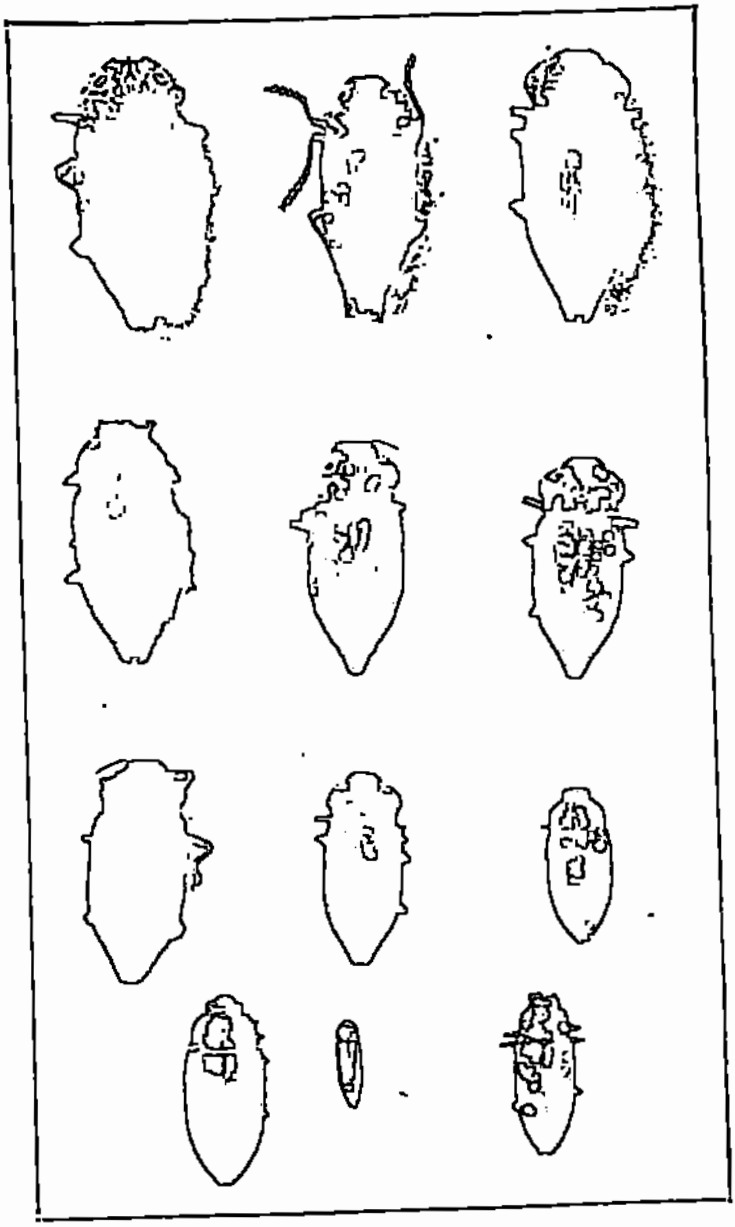

1 Capnodis miliaris = 2-3 C. cariosa = 4-4 C. carbonaria = 5-5 C. porosa = 6 Perotis orientalis = 7 P. chlorana = 8 Ptosima Cyclops = 9 Chalcophora notata

تجميل. والقصد بذلك لاجل المطالعة لاصحاب الدراية حيث غابي عن اغلب الناس بما صار لعدم وجود مؤرخين ان كان بالشام او بالجبل. وجعلنا ذلك ثلاثة ابواب لكل باب معنى ما يخصهُ وهو من ابتداء سنة الف ومائة وسبع وتسعين ونهايته في سنة الف ومائتين وسبع وخمسين هجرة (١)

وقد تقابلت هذه النسخة على نسخة صحيحة بغاية الضبط والتدقيق عدا بعض عبارات شرحها طويل مختصرة في النسخة المنقول عنها هذه والمقصود معرفة اصول الحوادث بحكم السنين والأيام ويسهل للمطالع ويستغني عن الفحص والسؤال

فهرس الكتاب

الباب الاول

علم بيان الوزراء الذين تولوا بالشام وعن الحوادث التي جرت في ايامهم من ابتداء سنة الف ومائة وسبع وتسعين الى سنة الف ومائتين وسبع وخمسين هجرية (١)

الباب الثاني

عن الحوادث التي جرت بالسواحل والجبل بحكم تاريخ المذكور اعلاه

الباب الثالث

عن نوادر واخبار حصلت بالسواحل والجبل بحكم التاريخ المذكور اعلاه وبها ختام الكتاب والله المهدي للصواب

(141ᵛ) الباب الاول

علم بيان الوزراء الذين تولوا بالشام من بعد محمد باشا العظم وعن الوقايع والحوادث بزمان توليهم بالاختصار

انهُ بعد وفاة ﴿ محمد باشا العظم ﴾ في سنة الف ومائة وسبع وتسعين وكان منتهياً بالعمر وكان وزيراً عادلاً مهاباً واستقام سنين كثيرة بالشام فبعد وفاتهِ تولى الشام من طرف الدولة محمد بن عثمان باشا

---

١) كان بدء سنة ١١٩٧ للهجرة في يوم السبت ٧ ك ١ سنة ١٧٨٢ للمسيح وبدء سنة ١٢٥٧ الهجرية في يوم الثلاثاء ٢٣ شباط سنة ١٨٤١

﴿ محمد باشا ﴾ فحضر للشام بالسنة المذكورة وكان ظالماً قاسياً فاستقام تسعة وعشرين يوماً ومات وقيل انهُ كان مبتلى بداء السل وبعد وفاتهِ تولّى اخوهُ درويش ابن عثمان باشا

﴿ تولّي درويش باشا ﴾ استقام سنةً وعُزل وجاء المنصب الى محمد بطال باشا في سنة الف ومائة وتسع وتسعين (١٧٨٤—١٧٨٥)

﴿ تولّي محمد بطال باشا ﴾ وكان حدثاً جاهلاً ليس هو خبيراً بقاطعات الاحكام. استقام سنة وعزل. ومن الحوادث في ايامهِ انهُ قُتل خوري روم في صيدنايا اصلهُ من الشام وما انعرف من قتلهُ. وروم صيدنايا تهموا الكاثوليك انهم هم قتلوهُ وسمع لهم الحاكم واحضر الثلاثة خوارنة القرية مع احد مشايخ الكاثوليك ووضعوهم تحت العذاب المتنوّع الاشكال والشيخ مات تحت العذاب وكل يوم يخرجون الخوارنة من السجن ويضربونهم بقساوة ويرجعونهم للسجن. ومضى لذلك ايام والطائفة بالشام ما وضوا يقارشون هذه المادّة (١ مطلقاً وبطرك الروم دانيال كان يريد انفكاك هؤلاء الخوارنة بخسارة وافرة يدفعونها للطائفة بالشام حيث انهُ دائماً هذا البطرك وجماعتهُ يرغبون ضرر (٢ 142) الكاثوليك ويسعون بذلك بطرائق متنوعة ويوسوسون الى الحواشي (٢ ويوهمونهم انهُ سيصير نفع عظيم من هذه الشدة ويحرضونهم على مداومة عذاب الخوارنة. وكل يوم يتوجه شمامسة البطرك ومن العامة ايضاً ليحضروا عذاب الخوارنة فيوماً اخرجوهم من السجن بقصد عذابهم وكان الكاخيه عراغا مستلقٍ جالساً على التخت والروم حواليهِ واقفون فرأى التفنكجية (٣ احد الخوارنة على الارض بقساوة على وجههِ فتألم كثيراً ودفق الدم من حلقهِ بغزارة. فلما نظر الكاخيه هذا الحال رقّ قلبهُ والتفت الى الشمامسة والباقي وقال لهم: ايجوز في ديانتكم تعذيب هؤلاء الذين هم نصارى من جنسكم والى الآن ما كنتم تهجعون من السعي بعذابهم. فكان جوابهم انهُ: افندم هؤلاء ليس هم منّا ولا نعرفهم وفي مذهبنا ان مالهم ودمهم حلال. فلما سمع الكاخيه غضب جداً

١) اي يتكلمون فيها ٢) اي متوظفي الحكومة.
٣) او بالحري التفنكجية بريد الجند واصلهُ من التفنكة اي البارودة التي يحملونها

وشتمهم ولعنهم على ان في مذهب الاسلام لا يستحلّون ذلك وقال لهم: انتم كفرا. ملاعين ليس لكم دين (١ وبالحال رفع الضرب عن الخوارنة وتحقق عند ارباب الحكم رداوة الروم وافتراهم

واقتضى ان الكاخيه طلب المتكلم على الطائفة بالشام والزمه يصرف مادّة الخوارنة كيف كان. وبغير خدمة ما تنصرف. فانتهى الحال بستة الاف غرش ثم ان البطرك اظهر فرماناً شريفاً ان الكنائس تبعهُ هي اربعة: كنيسة المجامع ومار بطرس واندراوس وتوما (٢ وانكتب اعلام من الشرع ان ليس للكاثوليك حق بالكنائس المذكورة بل هي بتصريف البطرك وهكذا انتهى الحال وانطلقوا الخوارنة لمحلاتهم. وكانوا يصلون في بيوتهم وايام الاعياد يتوجه منهم ومن العامة الى قرية المعرّة يصلون بالكنيسة التي بقيت بحالها بيد الكاثوليك مع كنائس يبرود ومعلولا ما قدر البطرك يضبطهم (٣

١) لا تخلو امّة ولا طائفة من أناس يأتون من الاعمال ما تستنكرهُ الانسانية ويجرّ ذيل العار على فاعليه ولبئس من الانصاف ان يُنسب ذلك الى الطائفة او الامة برمّتها. وعليهِ لم نر من داعٍ لحذف شيء مما كتبهُ المؤلف وابقيناه على اصله

٢) هذه كنائس صيدنايا باقية الى اليوم وفي ايدي الروم الكاثوليك ثلاث منها

٣) هنا ورد بالمتن حاشية للمؤلف نثبتها بحرفها في ذيل الصفحة:

« (حاشية) ان ربّما من جماعة الروم يعترضون ويعتذرون انهم ابداً (142) ما تمرّضوا على خوارنة صيدنايا انّما صدر ذلك من فلاحين صيدنايا الروم الارذياء الذين اشاعوا وأكّدوا ان الكاثوليك قتلوا الخوري وتجسّت الامور عند البطرك واقتضى يجعل لهم هذا التأديب. ثم يقولون انهُ ابداً ما قالت الشماسة والطائفة الى الكاخيه انهُ حلال في مذهبهم دم ومال الكاثوليك. والحال ان النوع الاول صحيح واصل الرداوة من الفلاحين ولان الملامة على البطرك وجماعته اعتادهم كذا أعوان من غير برهان كافي. وايضاً ان فلاحين صيدنايا لا يمكن كلامهم يؤثر في الحاكم من دون مساعدة يد عالية ولا يسع لهم ويخشون من عداوة مع الكاثوليك حيث في قرية واحدة واهلية. وثانياً الكاثوليك اكثر منهم. وثالثاً ان المادة مفسّرة بعضها: اولاً ان دير مار جرجس الذي قُتل بهِ الخوري منفرد عن القرية وعماره بين الصخور وبرية متسعة تصل الى اراضي بعلبك ولا يوجد قرية ولا عمار. ثانياً ان قاتلين الخوري يبان انهم غرباء لانهم كانوا يسحبون الخوري لكل الاماكن ثم للكنيسة لاجل يفرّ عن خزنته ويضربونهُ بالسكاكين وتُنظّر حيطان الكنيسة وغيرها ملطخة بالدم حتى اخيراً اعتدوا على الدراهم التي خافيها خلف مائدة الهيكل في طابق ضمن الطاقة. فالصيادنة اغلبهم يعرفونها ويعرفون عمار

﴿ تولي احمد باشا جزار ﴾ فاستقام نحو سنة وفي غيابهِ بالحجّ راح عليهِ شكاوات للدولة من اهـل الشام وحضر امر بعزلهِ الى القاضي. وحينما قرب حضور الحج الى المزيريب توجّه القاضي واعرض عليهِ الاوامر واستلم منـهُ المحمل وجاء بهِ للشام والباشا راح برّانيه من المزيريب الى عكا. قيل ان الباشا كان قاصدًا يحجز القمح من حوران وغيرها ويبيع من يدهِ وينشي غلاء وعمّر بوابك (١ ومخازن لاجل الخزين. فاعرضوا بذلك للدولة فجاء الامر بعزلهِ وكان ذلك في سنة الف ومايتين (١٧٨٥م)

وهذا الباشا اصلهُ من بشناق تعيّن عند علي بك بمصر وحين قُتـل المذكور وتغيرت الاحكام خاف الباشا المذكور وهرب لبرّ الشام وكان دائرًا من مكان الى مكان وبوقتهِ تلاشى حكم عكا من (143v) ضاهر العمر. وكان بوقتهِ حاكمًا بالجبل الامير يوسف شهاب وكان ذا سطوة واقتدار وهيبة شاملة الجبل والسواحل. فالجزار المذكور اغلب اقامتهِ بالجبـل يتردّد لدير القمر والامير يلومهُ كثيرًا كونهُ غريبًا وملتجئًا وكان نبيهًا وجسورًا. ففي اقامتهِ بالساحل والجبل اطّلع على احوالهم فبعد ايام توجه الى اسلامبول وتداخل مع الحكام وصادف توفيقًا وعلوه وزيرًا

الدير بالتدقيق ما هو مقتضي (ان) يقرّروا المتوري ويعذبوهُ. ثالثًا انهم نهبوا الدير تمامًا من نحاس وخلافه من عدا القون والصلبـان وقناديل البلور والقزاز وغير اشياء. فاذًا ان هذا الصنيع هو من اناس غرباء او متاولة. هذا بالتأكيد وما فيهِ شك لانّ المتاولة دايمًا مداورين صيدنايا بنوع خصوصي وقاتلين منهم جملة اناس يصادفونهم بالبراري حتى انهم يحضرون احيانًا بالميـل يأكلون ويشربون ويعطونهم معاملة خوفًا من اذاهم فاذًا ان الروم (143r) افتروا ويعطون جواب لله تعالى. ثم النوع الثاني حلال وحرام فهذا ما هو مستبعـد عنهم نظرًا لبغضهم للطائفة الكاثوليك والذي يتكلم في غيابك يتكلم في وجهك وكان يوجد شماس شرير برسلهُ البطرك الدرايا لاجل الوشايات والتبليغ الردي الذي يوجب المخاسر وغيرهـا . وقاست الطائفة اتعابًا شاقّة من رداوة هذا الشماس حتى ربنا اماته بالطاعون وطلعت الضربة في لسانه وهـذا انفهم جيدًا عند الجميع ومات ودفنوه في مغارة الموحدين. وبعد ايام مات اقنوم طور سينا فحين فتحوا المغارة المذكورة نظر الحفارون في تابوت الشماس افعى ممتدة على طول التابوت فخافوا منها وبعد حين اختفت وقبروا الاقنوم بعجلة كليّة. وان قلت عن الشماس انتيموس الذي هو من الواشين في مادة المتوارنة وبعده رسموه مطران فهذا احواله مفهومة ما هي مخفية والذين احكوا ونقلوا عن كلامه مع الكاخيه فهم صادقون. واسلام شهدت بما سمعوه وهذا الذي صار وكل يتجازى بفعله » انتهى بحرفهِ

١) اي امراء

على صيدا. وحضر لعكا واستقرّ بها وابتدأ يحصّنها واول معاطاة حكمهِ ضبط بيروت ورفع الحكم عنها من بيت شهاب. وانشأ لها صور (سورًا) وبوابات وانسرّت الاسلام بهذا الصنيع. وجميع املاك بيت شهاب ضبطها للميري لان قبلًا منذ سنين كانت بيروت مختصة في بيت شهاب وحكامها الامير منصور والامير ملحم ابو الامير يوسف وماتوا في بيروت ودُفنوا بها. ولذلك اغلب الامارة عمّروا وكايل وبيوتًا وجنوا ارزاقًا داخل خارج وكانوا ساكنين بالمدينة اغلب ايامهم. فالجزّار منع ذلك عدا الرزق بقي لاصحابهِ. ويأتي الشرح عمّا عملهُ الجزار بالسواحل والجبل فيما بعد. ثم بعد عزل الجزار من ولاية الشام في السنة المذكورة جاء خبر بتولي ابرهيم دالي باش (١ واصلهُ كردي

﴿ تولي ابرهيم باشا ﴾ تولى في سنة الف ومايتين وواحد (١٧٨٦م) فحضر للشام وكان جسورًا مهابًا وكان آغا القلعة احمد اغا الزعفرنجي فبعد ايام حصل مزاعلة وشلش (خلاف) بين الوزير والاهالي وتعصّبوا عليهِ وحصل حرب ومشاجرة والزعفرنجي سكّر القلعة واراد يضارب الوزير والتزم الوزير ان يخرج من الشام بحال مقهر. وبوصولهِ لحمص وحماة جمع عسكر وافر ورتب امورهُ جيدًا وحضر للشام وشاع الخبر ان قصدهُ يخرب الميدان ويقتل اهلها ويحرقها بالنار. فحصل الوهم والاحتساب وعُزل الميدان تمامًا. وارسلوا الحريم للجامع الاموي وكان ضجيج مهول بالبلد

فوصل (١٤٤٢) الباشا ونصب نورديه (٢ ناحية داريًا وكوكب. فاجتمعوا اعيان البلد وقوّاد الدين وهم يتوجهون للاوردي ليتكلموا مع الباشا بالاصلاح ويجلبوهُ للعدل والرحمة وعملوا مراجعات وتوسلات كثيرة تغير خاطرهُ وعفا عن ذنبهم ولكن بشرط ان الزعفرنجي يخرج من البلد ويسلمون القلعة للوزير. وتمّ ذلك بعد اخذ الامان التام ثم دخل الباشا للسرايا وفتش قلبهُ في قتل بعض اناس اردياء مخالفين واستقام بالشام حاكمًا نحو اربع سنين وعُزل

وفي زمانهِ رجعت كنائس الكاثوليك في صيدنايا لاصحابها وارتفعت يد الروم منها وذلك بواسطة غندور الخوري كاخية الامير يوسف لان بهذه السنة حصل اختلاف احكام بالجبل وعزلوا الامير المذكور وجاء لقرية متين محتميًا عند ابرهيم باشا

١) وفي سالنامة سورية يدعى « دالاتي ابرهيم الشام » ٢) اي فرقة الجيش

فتوجه بعض الايام غندور المذكور واتباعهُ الى صيدنايا بقصد الصلاة وطقسهم موارنة فنظروا الكنائس مقفولة والخوارنة تصلي في بيوتهم فسألهم عن السبب فاخبروهُ بما توقَّع من افتراء الروم وعن المساوي التي صدرت من البطرك. فانغمَّ جدًّا وثاني يوم نزل للشام واعرض الى الباشا وترجاه رجوع الكنائس لاصلها. فحالًا ارسل الوزير واخذ المفاتيح من البطرك وبعدهُ اعرض الخوارنة عن الاعلام المأخوذ من الشرع بيد البطرك بخصوص الكنائس وانهم يخصوهُ وهذه لها غوائل صعبة فيما بعد. فارسل الباشا يطلب هذا الاعلام من البطرك فادَّعى انهُ فاقد فتخلق (فغضب) الباشا وامر بحضور هذا الاعلام كيف كان. ومن كون حصل التأكيد من البطرك بفقدهِ فاقتضى ان البطرك يرسل وكيلًا الى المحكمة ويخرج اعلاماً ضدَّ الاوَّل يرفع مقارشتهُ واسقاط حقه وهكذا رجعت الكنائس حكم اصلها بعد كلفة ومضى الامر

﴿ تولي احمد باشا جزار ثاني مرة ﴾ في ابتداء سنة الف ومائتين وخمس (١٧٩٠ م) وبقي في عكا وارسل (144°) متسلمين واحدًا بعد آخر الى ان استقر متسلماً محمد ارفا اميني وهذا كان ظالماً قاسياً يشابه استاذهُ في انشاء المظالم والحوادث الصعبة على اسلام ونصارى ويهود. وكان الجزار مقهورًا من اهل الشام بسبب اعراضهم فيهِ للدولة سابقاً وكيف عُزل بطريقة مهينة وقاصد الآن ينتقم منهم. وبالحقيقة ان في مدة حكم الجزار بالشام نحو خمس سنين ما ارتاحت الناس ولا شهرًا واحدًا. اولًا من طلب القرش ظلماً. ثانياً من طرح المعاملة المتصل التي اصدرت خسارة كبيرة ثم طرح بضائع متنوعة ينهبها من جهات ويطرحها باسعار زائدة. ثمَّ حوادث كثيرة مقهرة ومغتة من انواع كثيرة. ومن الجملة اذا وقع قتيل بالبرية فيصير تحديد على القرايا القريبة لموضع القتيل وينقطع الجرم بخسارة واهية. واذا وُجد قتيل باحد الانهر فيلحقون جميع القرايا التي تشرب من ذاك النهر ويأخذون منهم مالًا غزيرًا واذا تشاجر احدٌ مع غيرهِ ووصل الخبر للسرايا فما يعود لها نهاية الَّا بغاية الظلم والعدوان. ولا يوجد بالبلد كبير ولا صغير الجميع حالهم متساوي مرهونون تحت المظالم والمقاهرات. واناس كثيرون نزحوا من الشام وتركوا اوطانهم وعيالهم

وكان الباشا يحضر بنفسهِ قبل طلوع الحج بعشرة ايام وبرجوعهِ يستقيم عشرة ايَّام واكثر ويتوجهُ لعكا. ولكن حينما يجيء من الحج لا بدَّ ما يعمل اشياء مكربة

مغنمة في اقامتهِ تلك البرهة . ونعلم ان ثاني سنة من ولايتهِ امات مائة وستين نفرًا خنقاً بالقلعة بعد حضوره من الحج منهم مقدّمون وخدم ومماليك وعسكر وغيرهم من اهالي الشام وغير محلات ويرمونهم بالبيارة بالقلعة

وفي سنة اخرى قتل نحو ستين نفرًا خنقاً في ليلة واحدة وهذا صار بالتأكيد من النصارى الذين خنقوا غصباً عنهم . وعندنا خادم خنق عشرين نفرًا بيدهِ (145') من بعد ما عذبهُ الواقفون من قبل الحاكم . ومن خوفهِ ابتُلي في تشويش وبهِ مات بعد ايام وهذا الذي صار غير المفرد على مدار السنة من القتل على ادنى ذنب من متسلّمهِ الردي الظالم

ومن الحوادث في زمانهِ انهُ موجود بيك اسمهُ علي بن محمد باشا العظم وامهُ بنت اسعد باشا وكان ذا نباهة وسطوة ولهُ اشتهار بالدولة فهذا لهُ شركاء من العرب على غنم ومواشي . هذا من جملة املاكهِ وارزاقهِ الوافرة . فجرى عصاوة من العرب فارسل المتسلم نهبهم . فمن الجملة انتهبت المواشي خاصّة البيك المذكور . فتخلّق المذكور وراجع المتسلم واحكى معهُ كلاماً جافياً . فالمتسلم كتب الى الجزار بما توقع فجاء الجواب ان يقتل البيك فعمل المتسلم حيلة ودسّ لهُ سمًّا بواسطة الحكما وبالنتيجة انهُ تشوش يومين ومات وظهر فيهِ علامات السمّ . فهاجت الناس وصار شاش كبير وضوجه (وضجّة) فارسل المتسلم الى محمد صوان المتقدم بين التجار وتهددهُ بصرف هذه المادّة . فجاء المذكور وافرق الناس عن بعضها وحملوا الميت ودفنوهُ بالسرعة وكان ذلك في سنة الف ومايتين وثمانية (١٧٩٣م) وهمدت الامور خوفاً من الحكم . واما ام البيك التي هي ابنة اسعد باشا (فانها) حزنت مفرطاً على فقدها ابنها ووحيدها وكانت تتكلم كلاماً واسعاً في حقّ الباشا ومتسلمهِ واخيرًا عزمت على التوجه الى اسلامبول شاكية الى السلطان على ما عملهُ الجزار بقتلهِ ابنها . فبوصولها لساقط (لساقص) اتوفت هناك . (فمنهم) من قال انهُ من الغم الشديد الذي استحوذ عليها وغيرهم قال ان الجزار ارسل في اثرها اناسا وفي ساقط صار لهم فرصة لموتها سمًّا وراحت المادّة على من راح . وكذلك قُتل احمد آغا زعفرنجي مسكه بالامان نواحي شوّال وسجنهُ بالقلعة . واحمد آغا القبيقول برقتهِ كان عدوه فقتلهُ بعد عذاب اليم وارماه بخندق القلعة واشاع انهُ هو ارمى نفسهُ (145') وقُتل

ثم في سنة الف ومايتين وتسعة (١٧٩٤) انعزل محمد اغا ارفا اميني المتسلم وامسكت اليهود الصيارف بالشام وسجنوهم وهم يوسف وناحيم وروفايل . اما سلمون ابن عمهم (فانهُ) هرب ومسكوا عوضهُ جدّه سلمون (الذي) مات تحت العذاب واخوهم حاييم حاشهُ (امسكهُ) الجزار في عكا وقلع عينيه وقطع انفهُ وقيل اذنهُ ايضاً . والذي صار هو بمطابقة احمد آغا متولي السنانية . راح لعكا ودفع مال للجزار وعزل المتسلم ووقف مكانهُ . وهذا المتولي كان شريرًا وعقلهُ خايس ويبغض الصيارف جدًا . فجاب امر في عذابهم وصار يعذبهم يومياً ويطلب منهم غرشاً من دون تعيين وكل يوم يطلع واحد منهم من السجن يجيب مال ومعهُ غفريه (خفراء) . فبعد ايام من حبسهم كان احد العنصرة فطلع احدهم يوسف ومعهُ ثلاثة فراح لبيتهِ واختفى وصار الغفريه يفتشون داخل البيت فما وجدوه . فاعرضوا للسرايا فارسل المتسلم سمّاية عسكري والذي صار بحارة اليهود مهول جدًا وكبسوا البيوت وصار ضرب ونهب وشنقوا لحّاماً يهوديًا على باب دكانهِ . وبقي الشلش دائمًا الى حصة العصر حتى وجدوا يوسف المذكور عند امرأة يهودية بطرف الحارة مختفياً هناك . فجابوه بحال يرثى لهُ والمغرب خنقوا الثلثة غفرية بالقلعة وكان نهار وهم جدًا وهذا المتسلم ما كان يهدأ من المظالم والمقاهرات . والمتسلم العتيق بقي بالسجن بالقلعة مدة ايام واطلقوه

ثم كان الجزار قرب حضوره من الحاج . فعلى حين غفلة هرب المتسلم من الشام وما احد عرف اين راح . فالى بعد ايام آنفهم وجودهُ في اسلامبول . ثم حضر الباشا من الحج وصرف اليهود وتوجه لعكا . وبعد ايام قليلة شاع الخبر بعزلهِ من الشام . واستقام خمسة سنوات اذاق الناس مرابر الصبر . والذي شرحناه من افعالهِ فهو قليل من كثير وكان يبغض جنس البشر بنوع فائق (146') وليس لهُ امان وما احد يخدمهُ ويطلع سالماً من اذاه ان كان بسلب المال او اتلاف الحياة وهكذا صار بسماح الله تعالى

وفي ايامهِ انعزل بطرك الروم دانيال بامر سلطاني بمطابقة جماعتهِ الذين قدموا فيهِ عرضحال . قيل انهُ محبّ المال ويريد يجمعهُ من حلال وحرام وانهُ نهب كامل آنية الفضة والنذورات من دير صيدنايا . وهذا البطرك كان خفيف العقل وعديم التقوى لانهُ اضرّ طائفة الكاثوليك بالشام وبرّها وما يهدا من انشا الاضرار على

التوالي. واخذوهُ غصباً وقهراً منفياً الى ساقظ (ساقص) مقرّ وطنه. وجاء عوضهُ انثاميوس قبرصي الاصل وهو انسب من ذلك لكنّ جماعتهُ تهموه تهمة ردية وخسر مبلغ غرش مع طائفته ثم سافر الى اسلامبول واستقام اياماً كثيرة وفيما بعد عُزل الجزار رجع للشام واستقام لحين وفاته

﴿ تولي عبدالله باشا ﴾ فحصل الفرح والسرور في قلوب الناس بازالة تلك الاحكام الكثيفة (اي الباهظة) حتى انهُ من سرور الناس زينوا البلد بنوع مستغرب وتنظر الشمع شاعلاً بالدكاكين في وسط النهار. ثم حضر الباشا للشام واستقام ثلاثة سنين وفي زمان ولايته ما جرى شيء من الحوادث المكربة. وفي مدة ولايته قُتل محمد آغا ارفا اميني. جابهُ بالحيلة وخنقهُ بالقلعة. وهذا الذي قتل علي بيك في زمان الجزار وهو اخو عبدالله باشا. وكذلك قتل عمر آغا مسقله كاخيته ومتسلمهُ حسن آغا سوقيه

وفي ابتدا سنة الف ومايتين وثلاثة عشر (١٧٩٨) شاع الخبر بعزله من ولاية الشام. وبوقته ملك الفرنساوية مصر وبالشام صار شلش واحتساب (خوف) من هيج وتعدي الاسلام على النصارى. والذي انحسب صار كما ياتي الشرح بعده. وجا المنصب الى ابرهيم المحصل في حلب

﴿ تولي ابرهيم باشا ﴾ فحضر للشام وضبط البلد غير انهُ كان عندهُ حق ويشتم الناس والبلد مضطربة بسبب الفرنساوية وخراب حال مصر وفلتة (اي اضطراب) (146) الاحكام والباشا يريد يهد الامور وانسب بنوع قاسي. فهاجت الاسلام عليه وكاد يصير فتنة عظيمة واقتضى ان الباشا يطلع من الشام

وحينما بلغ الدولة بما صار ارسلوا امراً الى احمد باشا الجزار يناظر الشام. فارسل من قبله متسلماً غير ان فكره مشغول من نحو الفرنساوية بمصر قاصدين محاربتهُ واخذ عكا منهُ. ثم ارسل امير حج فراح وجاء بكل سلامة. وبغياب الحج حضروا الفرنساوية لعكا وحاصروها وفلت الحكم بالشام وبرّها حتى ما عاد امان لا على عرض ولا مال وقاسى النصارى اتعاباً كثيرة وكانت البيوت تنتهب ويصير اضرار كثيرة ولكن عناية الله ادركت. بوقته تعيّن بالبلد رجل اسمهُ ابو حزي

وضبط البلد مع جرايچه (١ الميدان محمد عقيل وخلافهُ وبقيت الشام هكذا بغير حكم مدة طويلة (لهُ بقيَّة)

آفة الاشجار المثمرة

نظرٌ علمي للاب يوسف كنپامان اليسوعي

الاشجار المثمرة احدى ثروات بلاد الشام وايراداتها الطيِّبة فيحقّ باهلها ان يخصوها بالنظر فيشملوها بعنايتهم ويزيدوها خصباً ويدفعوا عنها الآفات التي تعتريها. فمن هذه الآفات عدَّة حشرات تنخر اخشابها وتمتصُّ مائيَّتها وتضعف بنيتها بل تقتلها لا محالة ان لم تُنزع عنها او تُلاشى. وليس كلامنا هنا عن بعض الحشرات الصغيرة كالأَرَضة والسَّرفة والسوس فانَّ هذه الحشرات مع اذاها لا تأتي بالاضرار الجسيمة الَّا بعد ردهة من الزمان وتسطو غالباً على الخشب اليابس وانَّما نعني بحشرات اعظم جرماً في كبر الحنافس والجعلان لكنها من غير جنسها فهي تتغذَّى في قلب الشجرة وتعشش فيها ولا تزال تقرضها وتزداد بالتناسل حتى لا تُبقي ولا تذر

وهذا الجنس من الحشرات شائع في كل البلاد الغنيَّة باثمارها وهو كثير في نواحي الشام وقد تعقَّبنا آثار هذه الهوام منذ وصولنا الى بيروت في خريف سنة ١٩٠٩ فجمعنا اصنافاً منها رسمنا اخصَّ اشكالها في الصور الثلاث التي ننشرها في وسط مقالتنا

﴿ وصفها ﴾ اعلم انَّ الطبيعيين يدعون هذه الحشرات على اختلاف انواعها باسم آكلة الخشب (xylophages) ويسمُّون الضروب التي نبحث عنها الآن باسم الحشرات الغمديَّة الاجنحة (Coléoptères) لانَّ لهذا الصنف عالماً في ظاهره غلاف قرني كالغضاريف ملتحم الوسط يستر ظهره كالغمد. وتحت هذا الغلاف جناحان يطير بهما في الهواء واذا طار مدَّ جانبي غمده افقيًا ونشر جناحيه فصار لهُ بذلك كروجي جناح وانَّما طيرانهُ ثقيل لا يمكنهُ ان يعلو كثيراً فيسقط

١) جمع جرچيجي بالتركيَّة وهو بائع المرده

اللوح الاول: فصيلة الحشرات المستطيلة القرون

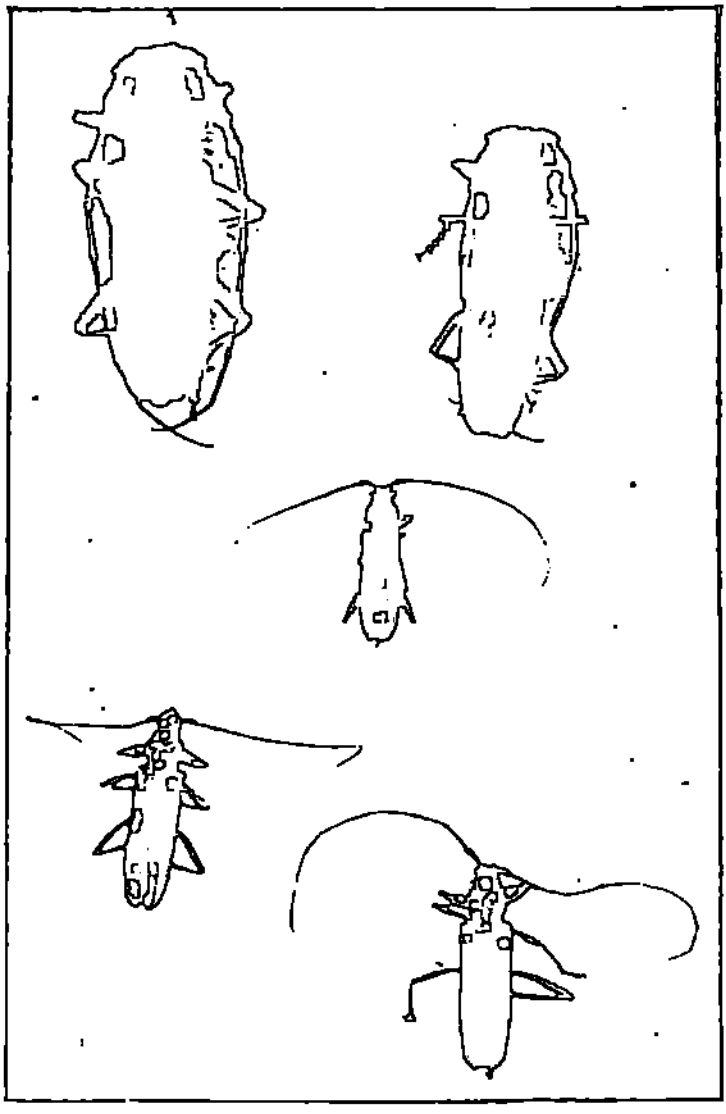

1, 2 Ceramby[illegible] = 3 Aromia ambrosiana (humeralis) =
4, 5 Hesperophanes nebulo[illegible]

ولا ان يقاوم الريح لكنهُ يطفر من غصن الى آخر واذا اشتدَّ الحرّ وكان الهواء هادياً ثبت في الطيران قليلًا الّا الفصيلة الثانية التي تحسن الطيران

وهذه الحشرات على ثلاثة اطوار من الحياة فتكون في طورها الاوّل دودةً ثمَّ تتحوَّل الى زيز وتبلغ آخرًا حالة حشرة تامة. واذا كانت في كمالها تجدها تنقسم الى ثلاثة اقسام الاول رأسها في مقدَّم جسدها على شبه طوق وهو صلب شديد العضلات وفي جانبي الراس عينان جاحظتان كبيرتان وبقربهما مغرز قرنيها. ولفمها شفتان وفكَّان وزبانيان متينان وفي الزبانيين كما يُظَنّ حاسّتا اللمس والشمّ. وفكَّا هذه الحشرات صلبان جدًّا بهما تقرض الخشب وينتهي الفكّ بمخلب اعقف

والقسم الثاني منها صدرها فيه اعصابها التي تحرّك زوجي جناحيها الاعلى والاسفل وبقناتهِ تمرّ الاطعمة التي تأكلها لتبلغ الى بطنها

والبطن هو القسم الثالث منها وهو يتألف من عدَّة خرزات متصلة ببعضها فيها الجهاز الهضمي والمامّ التنفسيَّة واعضاء التناسل

﴿ انواعها ﴾ الحشرات الغمديَّة الاجنحة كثيرة وقد قصرنا وصفنا هنا على ثلاثة فصائل منها لتوفرها في بلاد الشام لاسيما سواحل بيروت وجهات البقاع: فالفصيلة الاولى هي الحشرات المستطيلة القرون - Longicornes *ou* Capri) (cornes كما تراها مصوَّرة في اللوح الاوّل فلكثير منها قرنان يزيدان عن جسمها طولًا (اطلب اللوح الاوّل)

والفصيلة الثانية يدعونها بوبراست (Bupresies) اي نافخة البقر لزعم القدماء ان البقر اذا اكلتها مع الحشيشة نفخت بطونها وسمّمتها. وهذا الصنف ذو جسم مكتنز له راس صغير يدخلهُ في بدنهِ المستعرض. امّا قرناه فقصيران يثنيهما تحت صدرهِ اذا ربض وينشرهما عند سيرهِ او طيرانهِ (اطلب اللوح الثاني)

والفصيلة الثالثة المسنَّة القرون (Lamellicornes) لأنَّ قرنيها المتوسطين في الطول ينتهيان بشبه اسنان المشط المصفحة (اللوح الثالث)

وكل هذه الفصائل تنفق بخروجها من البيضة ثم بحياتها الدوديَّة حيث يكون لها ستة ارجل موافقة لصدر الحشرة التامة. واذا صارت زيزًا اصبحت كالفيلجة او الشرنقة الحريريَّة ثم تصبح آخرًا في كمال حياتها

وتنقسم الفصائل المذكورة الى ضروب شتى صوَّرنا هنا بعض ما وجدنا منها. فالشكل الاوَّل من اللوح الاوَّل يمثل صورة حشرة طويلة القرنين معقدتهما فدُعيت لذلك عند علماء الطبيعة « Cerambyx nodicornis » هو من اشدّ هذه الحشرات فعلًا بقرض الخشب لمتانة اعضائهِ وقد رسمنا منهُ شكلين معاً وتحتهما شكل ثانٍ يسمَّى « Hesperophanes nebulosus » وهو متوسط القرنين ولونهُ يضرب الى الصفرة وقد وجدتهُ على شجر اللوز لكنهُ دون الشكل السابق ضرراً

ويليهِ في اسفل اللوح ضربٌ ثالث رسمنا منهُ شكلين يدعونهُ في لسان العلم نروميا امبروسيانا (Aromia ambrosiana) اي العطرية الرائحة وهي حشرة جميلة لهيئة خضراء الى الزرقة يتلوَّن غمدُها الساتر لاجنحتها واما صدرها فاحمر خمري: وقد دُعيت بالعطريَّة الرائحة لانهُ يفوح منها كعرف المسك فيُستدلّ على وجودها في الاشجار واكثر ما تعيث باشجار الصفصاف وقد وجدنا منها قليلًا في بيروت وهي كثيرة في حمأنا وجهات البقاع. وهذا النوع يستدعي همَّة كبيرة لانهُ من الدّ اعداء الاشجار وهو مع ذلك ينمو بسرعة غريبة فلا يلبث ان يتلف الاشجار التي يعشش فيها. وان اراد محبو الروائح العطرية ان يستنشقوا رائحتهُ فليجعلوهُ في علبة وهو حي فان مات فقدَ تلك الرائحة كالزهرة الطيبة اذا قُطعت تفقد رائحتها. امَّا الوانهُ الزاهية فتبقى مدَّةً بعد موتهِ

ويلحق بهذهِ الفصيلة صنفٌ من المستطيلة القرون لم ارسم صورتهُ وقد وجدتهُ غير مرَّة في نواحي بيروت يدعوهُ الطبيعيُّون « xylótrupes bajulus » يبلغ طولهُ من ٣ الى ٤ سنتمترات وعرضهُ بين ستّ ملمترات الى سبعة وهو مفرطح مسود في سوادهِ دقائق بيض وعلى غمدهِ الاعلى نكتتان بيضاوان ومنهُ ضروب صغيرة لا يزيد طولها على سنتمتر واحد في عرض ملمترين وهو معروف في اوربَّة يُرى على شجر الشربين والصنوبر وكثيراً ما يفتك بالخشب اليابس وبخزائن البيوت فينخرها واكثر دخول الانثى اليها على ضوء الاسرجة وقد لقيتُ منها في خزائن مرَّ على عهدها ٣٠ سنة

واللوح الثاني قد خصصناه ببعض تصاوير الحشرات المسمَّاة بوبراست ممَّا وجدناه خصوصاً في بيروت وجهات البقاع وهي من شرّ اعداء الاشجار المثمرة.

فدودتها تعيش ثلاث سنين وهي اطول من السابقة واكثر انبساطاً لكنها خالية من الارجل . وتكون ضاربة الى البياض

واذا تحوّلت الى زيز تجمعت وتقبضت ونفذت الى قلب الخشب واقصى اعماقه فترى شجر الليمون والزيتون التي ابتلاها الله بهذه الآفة تضوى بعد قليل ثم تيبس وان نجت من الموت اصبح شجرها منخوراً وخشبها مثقباً لا يصلح حتى للاصطلاء . وهذه الحشرات كثيرة الحذر على نفسها يصعب اصطيادها وانما تخرج من اسرابها في ساعات النهار الحامية فتطير وربما وجدوها لاطية عند الصباح والمساء تحت اوراق الشجر . واصنافها غالباً سوداء فحمية اللون

واول ما تراهُ في اللوح الثاني منها النوع المسمّى كبنوديس مليارس (Capnodis miliaris) تطير في بعض الاحيان حول الزيتون . ويليها زوج من الصنف المسمّى كبنوديس كاريوزا (Capnodis cariosa) ومنها الموسوم بالعدد ٣ : وهذه سوداء لامعة وغمدها على لون الشبّه والدُفر وكلها قد التقطناها في البقاع . وبعدها زوج (عدد ٤) يُدعى كبنوديس كربوناريا (C. carbonaria) وهذا الصنف يناوئ اشجار الزيتون والفستق والتين والبطم وعليها وجدتُ الزوج المصوّر

وفي الصنف الثالث من هذا اللوح زوج (عدد ٥) يُدعى كبنوديس الثاقب (C. porosa) هو اسود قاتم اللون في صدره ست نُكَت لامعة . وهذا النوع يحفر شجر السأق . وكثيراً ما يشاركهُ في نخرها صنف اخر اصغر منهُ جسماً طولهُ نحو سنتمترين اسطواني الشكل ذو لون زمرّدي شديد اللمعان يسمّونهُ في لسان العم (Polyctesis rhois) وهو سريع الحركة كثير الحيل للنجاة من عدوّه ربما تعاوت لينفلت منهُ ويفرّ هارباً . لكني لم ارسم صورتهُ . وكذلك لم اصوّر حشرةً اخرى من هذه الفصيلة وجدتها على سطوح كليّتنا في ايلول وتشرين يدعونها كبنوديس تنبريكوزا (C. tenebricosa) اي المظلمة يقرب لونها من الشبه النحاسي وعلى ظني انها تعيش في شجر الزنزلخت

امّا الحشرة الموسومة بالعدد ٦ المدعوة الثاقب الشرقي (Perotis orientalis) فاحدى الحشرات النادرة التي يبحث عنها النباتيّون وجدتُها على نبات اليتوع (euphorbe) في نواحي بيروت وهي داخلة في جملة هذه الفصيلة

وفي الصفّ الاخير من هـذا اللوح ثلاث حشرات الاولى (عدد ٧) تدعى بيروتيس كلورانا (Perotis Chlorana) وهي عدوّة الاشجار المثمرة كالخوخ والمشمش واللوز واذا طارت مرّت كالبرق فيصعب اصطيادها واذا وقعت تماوتت. والثانيّة يدعونها خلكوفورا (Chalcophora) وهي على شكلين فتكون سوداء مصمتة ذات سواد لامع وُجدت منها في تعنايل وكسارا من البقاع واما خضراء الى الزرقة ذات اربع نقط بيضاء طباشيريّة في ظهرها دعوها لذلك مربعة السمات (Ch. quatuor notata) وجدتها في بيروت على اللوز والزيتون وصورتها في العدد ٩

اما الحشرة الثامنة التي بينها فمن صنف يسمّونهُ بتوسما (Ptosima) على غمده خطوط صفراء دقيقة وكذلك نكتٌ من لونها على جانبي صدره ثم نكتة متسعة في اعلى رأسه فلقبوه لذلك بلقب سيكلوبس (P. Cyclops) وهذا الصنف شائع في اوربة وهو قليل بمصر ونسوء الحظّ قد يكثر في سوريّة وهو من اقبح آفات شجر التفاح والأجاص وجدتهُ في بعض اشجار بكفيّا فكان تنقّل في كل اغصانها وايبسها

واضرب الصفح عن صنف آخر في كبر الحشرة المذكورة آنفاً يدعونهُ كوريبوس (Coræbus) على ظهره العمدي ثلاث شقق بيضاء عليها زغب لكنهُ يعيش في الشوك والعوسج ولا يضرّ الشجر وكذلك لم اذكر اشكالاً اصغر من السابقة تُدعى انثاكسيا (Anthaxia) تتسلط خصوصاً على النباتات البريّة وهي متعددة الاصناف فمنها صفراء ومنها حمراء ومنها ذهبيّة اللون ولها اعداء تقاتلها فتفنيها اخصها نوع يُدعى سرسيون (Cercyon) يلتهمها كما فعلت قبل ثلاث سنوات الهامّة التي زحفت على الحشرات الفسدة ليمون ساحل بيروت وصيدا فاتلفت منها الحدائق

وان انتقلنا الى اللوح الثالث وجدنا هناك صور حشرات أخر تعيث بالاشجار والنبات . فالصفّ الاوّل يمثل اربعة اشكال يدعونها سيتوان (Cétoines) هي جميلة الخلقة ذات زرقة زمرّديّة يتلهّى بها الاولاد فيربطونها بخيط ويُطيرونها وهم يمنعون اذاها دون علمهم . على انّ هذه الحشرات ضررها للبقول اكثر منهُ للاشجار ودودتها بيضاء كدودة الجندب (Hanneton) رأسها قرني لها مقراضان مهولان تقرض بهما النبات وهي تتوالد في السماد وتنمو بسرعة واذا نُثر السماد في البستان

اللوح الثالث : مسيلة :السنة القرون

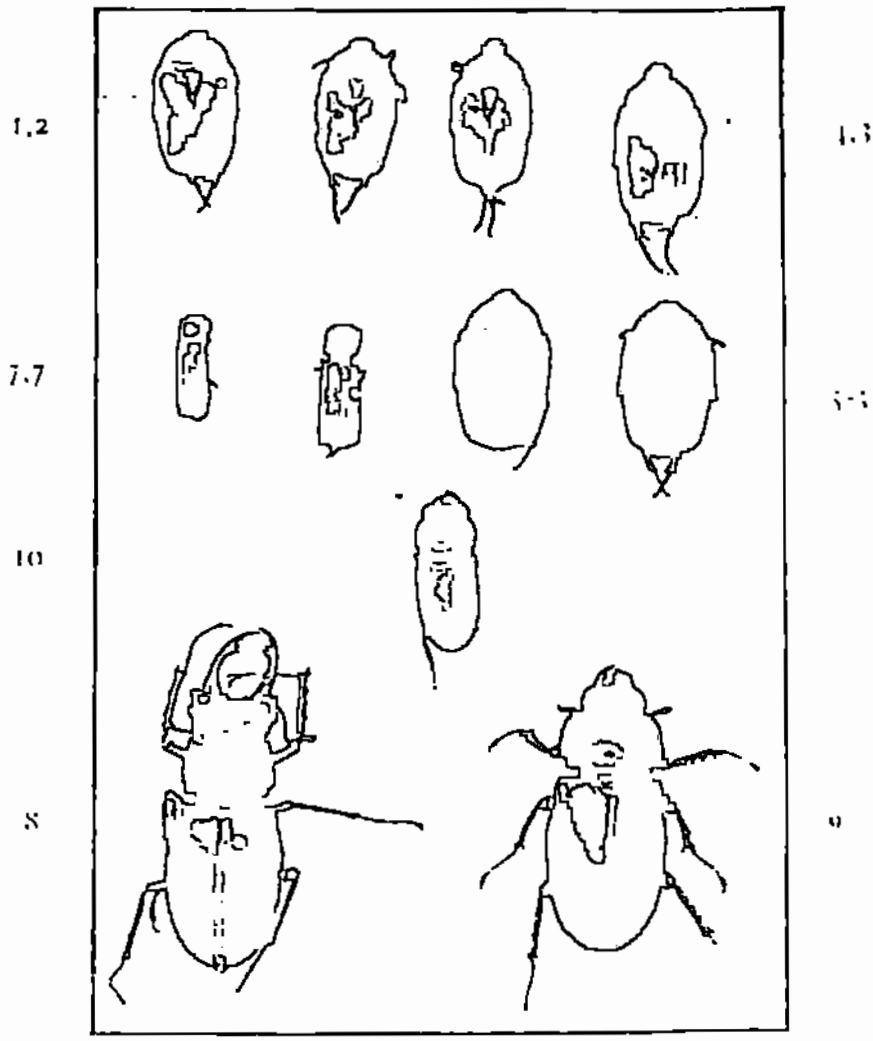

1 Cetonia ignicollis = 2 C. metallica = 3 C. azurea = 4 C. nasuta = 5-5 C. [illegible] = 7-7 Apate Francisca = 8, 9, 10 Lucanus

وجدت اهنأ طعام في بُقولهِ وخضرتهِ فتقرض اصول النبات وتُفقد البستاني ثمرة لقعابهِ . فان اراد النجاة من شرّها عليهِ قبل ان ينشر السرقين في البستان ان يجعلهُ مدّة في محل منفرد ثم يقلّبهُ من وقت الى آخر فيقتل الدود المتولد فيهِ لاسيما في فصل الربيع ثم ينقلهُ الى البستان منظّفاً . والحشرات الاربع التي وصفناها مختلفة الشكل فاولها (Cetonia ignicollis) ظهرها اخضر ناقع وصدرها احمر متلوّن . وثانيها (C. metallica) معدنيّة اللون كما يؤخذ من اسمها . وثالثها (C. azuraea) زرقاء ناصعة الزرقة : ورابعها (C. nasuta) خضراء الى الزرقة . وتحتها زوج من جنسها الّا انّ لونها اقتم فدُعيت بالحزينة (C. mœsta) وهي تأوي الى الشوك والعوسج

ويلي هذا الزوج زوجٌ اصغر وسماهُ بالعدد ٧ اسمهُ ابائي فرنسكا (Apate-francisca) وهو من اكثر الحشرات ضرراً بالخشب في حالتها الدوديّة وفي تمام كيانها وقد تبعتُ حركاتها واعمالها في بستان مدرستنا في شهري أيار وحزيران فوجدتها داهية دهياء . فتراها اذا صار المساء تحلّق فوق الشجرة فتثبّت بقشرتها ولها رأس صغير تقيهِ بصدرها كأنها قلنسوة راهب ولذلك دعوها بالمتقلنسة (monaca) ولها في فكيها شبه المقراض تدخلهُ في الخشب وبعد قليل تُنفذ في ثقبهِ رأسها ثم باقي جسدها . واذا كانت مشغولة في عملها يسهل قتلها بشرط ان لا تحسّ بصيّادها فاذا احسّت به طارت مسرعة لكنها تعود بعد قليل الى طعامها فيسهل قبضها . وهذا الصنف يفضّل الاخشاب الضعيفة الضئيلة اما الاشجار القويّة فاذاها فيها قليل وقد رأيت شجرة ليمون كانت هذه الحشرة سطت عليها ثم وجدتها بعد مدّة قد ضمّدت جروحها بمانيّتها

والاشكال الثلاثة الاخيرة صنفٌ من الحشرات الخشبيّة المعروفة باسم لوكانوس (Lucanus) لم اجد لها اثرًا في بيروت وانّما وجدتها في جهات بكفيّا وتعنايل وقد عثرتُ على واحدة كبيرة في شجرة صلبة الخشب كانت قُطعت حديثاً وكانت الحشرة في قلب الشجرة فأضرّت بها ضربةُ فأس الحطّاب فلم يمكني ان احفظها سالمةً . والوسطى المرسومة في اللوح وجدتها في تعنايل وهي من الحشرات المتساطة على الحور والصفصاف وهي تتحوّل من حالة دودة الى شرنقة في ايلول ثم بعد قليل

تبلغ كاملها وهي تكون اولًا مبيضّة اللون ثم تسودّ شيئاً بعد شيء

هذا نظر اجمالي في الحشرات المؤذية للخشب ولم نذكرها كلها وانما ذكرنا ما تهمّ معرفتهُ اهل هذه البلاد وما يكثر فيها

﴿ النجاة من هذه الحشرات ﴾ رأيت فيما سبق كم من عدوّ للاشجار في بلاد الشام ولو اردنا وصف اضرارها لطال بنا الكلام وانما نقول اجمالًا انها اذا تحاملت على الشجرة تسرع ان تفتح لها منفذًا الى قلبها فتشقّ قشرتها ولا تابث مائيّة الشجرة ان تسيل كالصمغ كأنها جريح يسيل دمهُ وربّما سال الصمغ على الحشرة بوفرة فيُغرقها فيه كما رأينا غير مرّة. ثم تعمد الى اللبّ فتأكلهُ. ويعرف البستاني وجودها في الشجرة بما يراه من شقوق القشر ومن نشارة الخشب الذي تقرضهُ فتدفعها الى الخارج الى ان تبلغ الى قلب الشجرة حيث يكون الخشب أرخص واهشّ فهناك تجد لنسلها مقاماً وثيرًا وتتخذهُ عشًّا واذا وضعت نسلها لا يبقى لها حاجة الى الحياة فتموت بعد قليل لكنها قبل موتها تحجّن عشّ صغيرها وتجعل فوقهُ شبه سقف من نشارة الخشب المعاوكة

واذا نقفت البيضة وخرجت منها الدودة عاشت ثلاث سنوات تأكل الخشب بأمن وهناء وهي تخرق نسيج الشجرة الباطن فتقطع شرايينها ومسايل مائيّتها

فلتلافي هذه الاضرار قد طلب ارباب الفلاحة طرائق مختلفة ليتلفوا تلك الحشرات فكان بعضهم يبحث عن ثقوب الحشرة في الشجرة فيصبّ فيها ماء. الّا ان الماء لم يصل اليها في الغالب بما جملتهُ الامّ فوق مولودها من الخشب المعاوك الذي لا ينفذ اليه الماء. وغيرهم اتخذوا لاتلافها بعض سوائل كالبترول حقنوا بها منافذها لكنهم اضرّوا بذلك الشجرة دون نفع عظيم

وافضل من ذلك ان تُتخذ اسلاك حديديّة رفيعة فتُدخل في قلب الشجرة حيث فتحت الحشرة لها مجازًا الى ان يبلغ رأس السلك اقصى الثقب فيقتل الدودة وان كانت الحشرة الامّ هناك خرجت فيقتلها البستاني عند خروجها

والطريقة المفضّلة على كل ذلك ان تُرصد الحشرات التامّة البنية قبل آوان سفادها في الربيع اذ تخرج الى الهواء عند المساء وتنزل على جذور الشجرة واغصانها تطلب انثاها فيجتمع منها كميّات يسهل قتلها مهما اضطربت وحرّكت زبانيها

لتخدش بمخراضها اصابع الذي يريد اذاها ولا بأس على صيَّادها اذا امسكها من ظهرها او رأسها. وفي بعض البلاد يدعون الى مطاردتهـا اولاد المدارس فيقتلون منها عددًا وافرًا. ومن عرف طباع هذه الحشرات امكنهُ ان يمنع اضرارها فاني قتلتُ في العامين الماضيين في جنينة كليَّتنا من الجنس المؤذي اكثر من ٣٠٠

وممَّا يصلح لدفع اضرار هذه الحشرات حسن تعليم الاشجار فاذا اراد صاحبها قطع زوائدهـا ووجد منفذًا لعشّ الحشرات فليطلِ بالقطران مقطع الغصن او يلطهُ بالكلس

فهذه بعض وسائل لاستدراك اضرار هذه الحشرات وصيانة شجارنا من آفاتها

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في العراق (تابع)

وصار الملك من بعد امرئ القيس الى ابنه المنذر الثالث الشهير بابن ماء السماء الذي ملك ٤٩ سنة (٥١٣ — ٥٦٢) وماء السماء لقب امهِ ماوية (ويروى مارية) ابنة عوف وقيل بل هي اخت كليب والمهلهل التغلبيين وانَّ اسمها رُبيعة والعرب دعوها بماء السماء لكرمها ورقة طباعها. ويدعى ايضًا هذا المنذر بذي القرنين لضفيرتين كانتا لهُ من شعرهِ. وكان المنذر المذكور من ارفع ملوك الحيرة قدرًا واشدّهم بأسًا وهو الذي انتصر من بليزار احد ابطال الروم في زمانهِ وكبير قوَّاد يستنيان. امَّا دينهُ فانَّ شواهد المؤرخين متضاربة في تعريفهِ. وما يُحصَّل منهـا انَّهُ عرف النصرانيَّة منذ حداثة سنهِ لانَّ امَّهُ كانت نصرانية فلا شكَّ انَّها لقنتهُ منذ صغرهِ مبادئ الدين المسيحي. لكنهُ لمَّا كبر وتولَّى الملك تحت سيطرة ملوك العجم عدل الى

الشرك ودين المجوسيّة او بالحري الى مذهب مزدك اي المانويّة بايعاز ملك فارس. والظاهر انهُ في اثناء زندقتهِ استقبل الوفد الذي ارسلهُ اليهِ ذو نوّاس بعد قتلهِ نصارى نجران كما اخبر الكاتب المعاصر شمعون اسقف بيت ارشم (١ فطلب منهُ ان يقتفي آثارهُ ويقتل نصارى الحيرة فأثّر كلام ملك اليمن في المنذر واراد ان يختبر صدق ايمان المتنصرين من جيشهِ فدعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود ايمانهم فقام احد صناديد ضبّاطهِ فقال لهُ: «انّ تنصّرنا قد سبق جلوسك على عرش الناذرة فهيهات ان تثنينا بالعدول عن ديننا. وعلى كل حال ان كان رصفائي لا يثبتون في مذهبهم فاني لا اجحدهُ مطلقاً ولست اخاف العذاب ولا الموت كما تحقّقت ذلك لما رأيتني في وقائع الحروب اذ لم يكُ سيفي اقصر من سواي». فلمّا سمع المنذر كلامهُ عرف انّهُ لا يستفيد شيئاً فعدل عن قصدهِ وترك كلًّا من جنودهِ يتبع دينهُ. وبقي المنذر على زندقتهِ زمناً وعبد كبعض العرب اللات والعزّى. ومما اخبره عنهُ المؤرخ زكريّا الخطيب (٢ وميخائيل الكبير (٣ انهُ انتهك في بعض حروبهِ حرمة الكنائس والاديرة فنهب وسلب واسر في اراضي الرومان عدداً من الاسرى بينهم ٣٠٠ من العذارى الراهبات قتلهنّ وقدّمهن كذبائح للعُزّى

على انّ المنذر لم يثبت في زندقتهِ بل جحد الوثنيّة ونبذ مذهب مزدك. بل تنصّر بعد ذلك كما يؤخذ من شهادات المؤرخين الروم والسريان والعرب. وقد روى صاحب الاغاني (١٠: ٧٧) والقزويني (ص ٢٨٥) وغيرهما خبر تنصّرهِ في مطاوي ذكرهم للغريّين قالوا ان المنذر المذكور اذ كان قتل في بعض ايام ثلثهِ اثنين من اعزّ ندمائهِ عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل اقام على قبريهما غريّين او طربالين واتخذ لهما يومين يوم نعيم كان يُغني فيه من اتاه قبل غيرهِ ويوم بوس كان يقتل فيهِ اوّل وافد عليهِ. فقتل في احدى السنين عبيد الابرص الشاعر ثم اتاه في سنة اخرى احد مضيفيهِ المحسنين اليهِ في يوم صيدهِ يُدعى حنظلة بن ابي عفراء الطائي وهو يرجي خيراً فلم ير المنذر بُدّاً من قتلهِ لئلّا يحنث بوعدهِ الّا انّ حنظلة طلب تأجيل الحكم

١) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (BO, I, 364)

٢) اطلب تاريخهُ (éd. Land III, 244)

٣) في تاريخهِ (éd. Chabot II,178)

لمدّة معلومة واتخذ له كفيلاً شريك بن عمرو الشيباني. فلمّا جاء اليوم المعهود وكاد يُنفَّذ الحكم في الكفيل رجع حنظلة مستعدًّا ليُقتَل. واذ قضى الملك للمنذر منهُ العجب سألهُ ماذا دفعهُ الى القيام بوعدهِ فاجاب ان دينهُ النصراني دفعهُ الى ذلك فتنصر الملك واهل الحيرة معهُ. هذا ما رواهُ العرب. ومنهم من ينسب الامر الى النعمان الاوّل وغيرهم يروونهُ عن النعمان ابي قابوس الّا انّ اصحاب النقد يرجّحون انهُ المنذر الثالث ابن ماء السماء. وهو يؤيد كما ترى ما قلناهُ عن تنصر المنذر

امّا حنظلة فروى ياقوت (٢ : ٦٥٥) انّهُ بعد نجاتهِ من الموت زهد في الدنيا وابتنى ديرًا قريباً من الفرات عند الرَّحبة دُعي باسمهِ دير حنظلة وكان حنظلة عمّ اياس بن قبيصة الذي صار ملكاً على الحيرة بامر ملك العجم كما سترى

وقد جاء ايضاً في تاريخ ابن العبري (مختصر الدول ١٤٨) ان المنذر كان يعتقد اعتقاد اليعقوبية كنصارى العرب الّا ان ابن العبريّ ليس مصيباً في ذلك ولعلّهُ انخدع بشهادة بعض المؤرخين اليعاقبة مثلهُ. ولنا على صحة ايمان المنذر دليل لامع وهو ما رواه المؤرخ اليوناني تاوفانوس قال انّ ساويرس البطريرك السرياني الدخيل اراد ان يجتذب الى بدعتهِ ملك الحيرة فارسل اليهِ اسقفين ليقنعاه بانّ في المسيح طبيعةً واحدة ليس طبيعتين كما تُعلِّم الكنيسة الارثذكسيَّة. فالملك سمع كلامهما ساكتاً ثمَّ بفضَّ كتاباً كان في يدهِ فبدت عند قراءتهِ الكآبة على وجههِ فسألهُ الاسقفان: ما الامر. فقال: قد ابلغني كاتب هذه الرسالة انّ رئيس الملائكة قد توفي فهذا الخبر قد امضني جدًّا. فضحك الاسقفان حتى قهقها وقالا للملك: كيف يمكن ان يموت ملاك لا جسد لهُ فهذا كذب محض. فاردف الملك وقال لهما: وكيف انتما تزعمان انّ المسيح وهو ذو طبيعة الهيَّة مفردة قد مات. اليس هذا اعظم كذباً وضلالاً؟ ثمَّ ردَّ الاسقفين خائبين (١

فيظهر من جواب المنذر لهذين الاسقفين انهُ ليس فقط كان نصرانيًّا بل كاثوليكيًّا يؤيد ذلك المؤرخ ڤكتور التونيّ المتوفى سنة ٥٥٦ فقال انّ المنذر تعمّد

---

١) راجع تاريخ تاوفانوس في سنة ٥٠٥ وتاريخ ايثاغريوس (ك ٣ ف ٣٣) وتاريخ تاودوزس القاريّ (ك ٣) وتاريخ زوناراس (ك ١٤ ص ١٦٠)

على يد اساقفة من انصار المجمع الخلقيدوني (١

وكان هذا المجمع قد عُقد سنة ٤٥١ وحضرهُ اسقفان من العرب اوسطات ويوحنا فوقَّع كلاهما على اعماله باسم اسقف الراكسة او الشرقيين. وعلى رأي البولنديين المشهورين بتدقيقهم في البحث لن البدعتين اليعقوبيَّة والنسطوريَّة لم تفشوا بين عرب العراق الَّا بعد اواسط القرن السادس في أيام فيروز ملك العجم لمَّا اطلق العنسان لبرصوما. الَّا انَّ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (مج ٣ الجزء ٢ ص ٦٠٥) يرتأي انَّ البدعتين اخذتا في الانتشار منذ اواسط القرن الخامس ويأتي ببعض الشواهد لتأييد قوله. وكان للنسطوريَّة في العراق السهم الافوز

وكانت وفاة المنذر ابن ماء السماء في يوم حليمة احد ايَّام العرب الشهيرة بين اللخميين وبني غسَّان. فضبط زمام الملك ابنهُ عمرو بن المنذر الشهير بعمرو بن هند (٥٦٢ — ٥٧٤) واشتهر كابيهِ بعدَّة وقائع مع الروم وعرب غسَّان وعرب اليمامة وغيرهم. امَّا دينهُ فالنصرانيَّة لنا على ذلك شاهد جليل رواهُ ابو عبيد البكري الوزير في معجم ما استعجم (ص ٣٦٤) وياقوت في معجم البلدان (٢: ٧٠٩) في وصف دير هند الاقدم او دير هند الكبرى امّ عمرو وابنة الحارث بن عمرو بن حجر الكنديّ قال:

« وكان في صدره (اي صدر دير هند) مكتوب: بنتْ هذه البيعة هندُ بنت الحارث بن عمرو بن حُجْر الملكة بنتُ الأملاك وامّ الملك عمرو بن المنذر أمَةُ المسيح وامّ عبده وابنة عبده في زمن ملك الاملاك خسرو انوشروان وفي زمن افرانيم الاسقف. فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر حطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل عملها ويقربها الى اباة الحق ويكون الاله (وروى ياقوت: الله) معها ومع ولدها الدهر الداهر »

فهذا القول من اوضح البيِّنات على نصرانية عمرو بن هند بل على نصرانيَّة ملوك كندة كما ترى

وخلف عمرو بن هند النعمانُ بن المنذر وهو صاحب عديّ بن زيد الشاعر النصراني العبادي الشهير وعلى ما يُستنتج من رواية مؤرخي السريان انَّهُ كان نصرانيًا قبل جلوسهِ على سدَّة الملك. امَّا العرب فيخبرون انَّهُ تنصر على يد صهرهِ عديّ بن

١) اطلب تاريخهُ في مجموع الآباء اللاتين لمين (Migne P. L. t. 88 col. 951)

زيد زوج ابنته هند بنت النعمان ومارية الكنديّة المعروفة بالحُرّة. وقد روى غير واحد منهم (راجع الاغاني ٢: ٣٤) ان النعمان مرّ بمقبرة فانشدهُ عدي ابياتاً زهديّة (اطلب شعراء النصرانيّة ص ٤٤١–٤٤٢) كانت سبب تنصّرهِ بل روى ابو الفرج انهُ «لبس المسوح وتنصّر وترهب وخرج سائحاً على وجههِ فلا يدرى ما كانت حالهُ فتنصّر ولدهُ بعدهُ وبنوا البِيَع والصوامع»

على انك رأيت ممّا سبق انّ ملوك الحيرة تنصروا قبل ذلك وقد جاءت اخبار النعمان بن المنذر مضطربة فمنهم من اخبر انّهُ قتلهُ بعديّ بن زيد فقتلهُ فقام ابن عديّ المدعو زيداً كجسم فسعى بهِ لدى كسرى انوشروان فحبسهُ وقتلهُ. وروى غيرهم ولعلّهُ الاصحّ ان قتل عديّ بن زيد انّما هو خلف المنذر ابو قابوس (١. امّا ابنتهُ هند فزهدت بالدنيا وعمّرت لها ديراً عُرف بدير هند. ولهند هذه قصة مشهورة مع سعد ابن ابي وقّاص بعد يوم القادسيّة ثمّ مع المغيرة بن شعبة الذي خطبها لمّا تولى الكوفة فردّتهُ ردّاً لطيفاً وماتت في رهبانيّتها

وممّا لا يُنكر انّ النصرانيّة غلبت بعد ذلك على ملوك الحيرة واهلها العرب حتى يجوز القول بانّها غلبت قاطبة وانّ المسلمين لمّا فتحوا مملكة المناذرة وجدوها مملكة نصرانيّة في دينها وآدابها وعاداتها. ومن بعض اصحابها اخذ العرب كتابتهم كما مرّ في الشرح (٤: ٢٧٨–٢٨٢) وان كانت بعض فروع الكتابة اتتهم ايضاً من نصارى انبط ومن اهل دومة الجندل ومن الحبشة كما ورد هناك ايضاً واثبتهُ [illegible] الاثرية الاخيرة. وكان المتولي على عرب الحيرة في عهد الفتح الاسلامي اياس بن قبيصة الطائي كان كسرى ابرويز ولّاهُ عليهم بعد وفاة المنذر ريثما يعين لهم ملكاً من ابنائهِ فبقي على ولايتهم الى دخول المسلمين في الحيرة. ونصرانيّة اياس المذكور ثابتة لا شكّ فيها (٢ (لهُ بقيّة)

---

١) اطلب اخبار عدي بن زيد في شعراء النصرانية (ص ٤٣٩–٤٧٤)
٢) اطلب شعراء النصرانيّة (٦٣ و٦٤)

مطبوعات شرقية جديدة

F. J. W. GIBB MEMORIAL. XV, KITAB-I NUQTATU'L KAF being the earliest History of the Bâbis compiled by Hâjjî Mirzâ Jani of Kâshân, ed. by E. G. Browne, *Luzac*, 1910, XCV-697

كتاب نقطة الكاف في تاريخ البابية تأليف حاجي ميرزا جاني كاشاني

هذا مثال جديد على اجتهاد المستشرقين في نشر اخبار النِّحل المستحدثة فانَّ البابيَّة لعبت دورًا مهمًّا في العجم منذ ثلاثة ارباع القرن فكُتب عنها كتب مطوَّلة لتعريفها ووصف دُعاتها. وليس من بلغ في ذلك مبلغ العلّامة الانكليزي ادورد برون وتآليفهُ في هذا الباب ممَّا يعوَّل عليهِ. وها هوذا قد خدم هذا الفنَّ خدمةً جديدة بنشرهِ اوَّل تاريخ يُعرف للبابيَّة يسمَّى كتاب نقطة الكاف جمعهُ صاحبهُ ميرزا جاني بين السنتين ١٨٥٠ و ١٨٥٢ وذلك عن نسخة وحيدة هي في مكتبة باريس. وزاد التأليف افادةً بمقدِّمة جليلة كتبها المسيو برَوْن بالفارسيَّة البليغة. فلا يسعنا الَّا الثناء على همَّتهِ والتمنِّي بان يخدم الآداب الشرقيَّة زمنًا طويلًا ل. ش

ΒΑ. ΑΙΝΑΡΔΟΥ : Οἱ Μασσῶνοι ἐναντίον τοῦ χριστιανισμοῦ. (Alexandrie, 1911, p. 16)

الماسونية بازاء النصرانية

ان الحركة الماسونيَّة التي افسدت بلاد اوربَّة وجهات بلادنا اتت باثارها السيِّئة بين اليونان في اثينا وجزائر الارخبيل والمهاجرين الى مصر. فاستاء بعض ذوي الفضل من مواطنيهم المسمى باسيل ليناردو القاطن في الاسكندريَّة فالَّف فيها كتيبًا صغيرًا بيَّن فيهِ انَّ المحافل الماسونيَّة اليونانيَّة ليست هي كما يزعمون منتديات وطنيَّة لخدمة بلادهم وانما هي معامل للفتن والمكايد اعلنوا بمكنونات صدورهم يوم تجمَّعوا للمظاهرات الثوريَّة احتجاجًا على قتل فرير الفرضوي الاثيم ولكنهم سكتوا عن قتل الماسون في سالونيك لليوناني « جان پاپازاوغلو » وقد ختم كتابهُ بقولهِ: « كفى الماسون غشًّا وخداعًا وبئس الذين ينضمُّون اليهم فيصيرون كعبيد بين ايديهم ». فتلك خلاصة هذا التأليف وهو برهان جديد يؤيد ما نشرتهُ مجلَّة المشرق في امر الشيعة الاب ب. كسانتاكيس

الانجيل الشريف

بحث نظريّ تاريخيّ نقديّ . بقلم الاب انطون رباط اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٧٨)

عرف قرّاء مجلّتنا ما يتضمنهُ هذا الكتاب من الابحاث العلميّة بمطالعة تلك المقالات البليغة التي نشرها المؤلف في المشرق عن الانجيل الشريف . فنحص فحصاً مدقّقاً مجرّداً عن كل غرض تلك الاناجيل الاربعة التي يتداولها النصارى في يومنا ليتبيّن أهي حقيقةً من قلم اولئك الانجيليين الذين تُنسب اليهم اعني تلميذي السيد المسيح متى ويوحنا ثم تلميذي الرسل مرقس ولوقا . فرقي سلّم الاجيال الى ان بلغ عهد النصرانيّة الاوّل فاثبت انّ الاناجيل المذكورة هي حقًّا لاولئك الكتبة لا يمكن احدًا ان يشكّ في ذلك الّا مَن كابر الحقّ واعمى بصرهُ عن النور الواضح . ثم بيّن بعد ذلك تاريخ كتابتها وما لدينا من نسخها القديمة الصحيحة وتخطّى الى بيان براءتها من كل تحريف حتى ختم ابحاثهُ باثبات صدق رواة تلك الاناجيل الذين رووا مضامينها عن علم ثابت وكشهود عيانيين لم يخدعوا اذ قرّروا شهادتهم بسفك دمهم للدفاع عنها ولم ينخدعوا اذ تنطبق تلك الشهادة على كل الآثار التي خلّفها الوثنيون واليهود واعداء النصرانيّة . فنشكر حضرة المؤلف على وضع هذه الابحاث التي لم يسبقهُ احد اليها في لغتنا العربيّة على هذه الصورة العلميّة ونخصّ كل من يريد ان يعرف اركان الدين النصراني ان يطالعها . والمؤلف مستعدّ لأن يجيب على كل اعتراض يُرسل اليهِ في هذا الشأن

ل : ش

أرج الوطنيّة في حياة الطوباويّة جان دورك الباسلة الفرنسية

بقلم الاب يوسف علوان

طبع في بيروت بمطبعة صبرا (سنة ١٩١٠ ص ٢٧٢)

هذا الكتاب اوسع ما كُتب في تلك الفتاة العجيبة التي انقذ الله على يدها مملكة فرنسة في النصف الاول من القرن الخامس عشر . فانّ ذكرها بقي حيًّا في قلوب مواطنيها بعد وفاتها رغماً عمّا حلّ بها من النكبات . بل زاد تعظيمهم لها بعد ان برّأ ساحتها الكرسيّ الرسولي من تُهم اعدائها وصار اسم جان دورك مرادفاً

للشهامة وحبّ الوطن. على انّ تلك الباسلة لم تكن فقط كبيّسة حروب بل كانت ايضاً قدوة فضل ومرآة براءة لاهل عصرها. ومن ثم تولّت الكنيسة الفحص القانوني عن قداستها ولمّا ثبت لها انها بلغت ذروة الفضائل وان الله أيّد برّها بمعجزات نالها المؤمنون بشفاعتها لدرج الحبر الاعظم اسمها الكريم في سجلّ اوليـاء الله (اطلب المشرق ١٢: ٣٢١) وهذه الاعمال الشريفة والفضائل السامية كان سبق الى بيانها حضرة الاب د. ڤرنيه في كتاب لطيف طبعهُ في مطبعتنا سنة ١٩٠٨ فرّ لنا وصفهُ. واردفهُ حضرة الاب يوسف علوان المرسل اللعازريّ فاتّسع في اخبار حيـاة تلك الفارسة واغنى لساننا العربي بترجمة غزيرة المادّة رائقة المعاني منسجمة الكلام تصلحُ خصوصاً لاحداث المدارس فتنمش في قلوبهم اشرف العواطف لخدمة الدين والوطن معاً. فلا عجب بعد ذلك ان نال المؤلف اطيب الثناء على عملهِ وانّ وزير الخارجية في فرنسة شكرهُ على تقدمتهِ كتابهُ للامّة الفرنسيّة الشريفة حامية الكاثوليك في الشرق. فنحضّ لرباب المدارس على نشر هذا الكتاب وهو من افضل ما يجازى بهِ الطلبة في ختام الدروس السنويّة ل. ش

الدليل الامين في خدم التكريس والتدشين

جمعهُ وعرّبهُ عن اليونانيّ وعن السلافي السيد رفائيل استف بروكلن

طُبع في نيويرك سنة ١٩١١ (ص ١٢٦)

في الكنيسة اليونانيّة كتاب يدعى الافخولوجيون يشتمل على الخدم الكنائسيّة والصلوات التي تُتلى في بعض الحاجات الروحيّة. ومن هـذا الكتاب نسخ مختلفة بعضها اطول كالافخولوجيون الكبير الذي يستعملهُ كهنة الروم الكاثوليك المطبوع في القدس سنة ١٨٦٥ وبعضها اقصر كالافخولوجيون الصغير المطبوع في رومية سنة ١٨٥١ وبعضها باللغات اليونانيّة والسلافيّة. فعمد سيادة استف بروكلن رفائيـل هراويتي الارثذكسي ورئيس الرسالة الروسية السوريّة في اميركا الشماليّة الى جمع ما رأى اليـهِ حاجة امسّ من تلك الخدم لا سيما الخدم المختصّة بتأسيس الكنائس وتدشينها وتكريس أثاثها وآنيتها وقد استند في تعريبها الى الافخولوجيَّين اليونانيّ والروسي وقدّم عليها فصلاً تمهيديًّا ذكر فيهِ مختصر تاريخ نشأة الكنائس المسيحيّة وانتشارها ثم بنائها وتنظيم كل اقسامها ومحتوياتها وزينتها مع تفسير لترتيب خدمة

تدشينها. فنثني على همّة السيد رفائيل ونتمنى لكتابهِ رواجاً بين محبّي الطقوس اليونانيّة ل.ش

شهر قلب يسوع

تأملات وجيزة لفائدة العمّال

طُبع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ١١٢)

العمّال رجال التعب والكدّ يحتاجون اكثر من سواهم الى من يقويهم ويسندهم في اشغالهم الشاقّة ومن يا تُرى هو احرى بذلك من ذاك الاله الذي قال عنهُ الرسول في رسالتهِ الثانية الى اهل قورنتس انهُ « افتقر من اجلهم وهو الغنيّ لكي يستغنوا هم بفقرهِ ». وقد جعل الرب قلبهُ مثالاً لحياتهم ودعاهم الى درس مزاياهُ وطبع فضائلهِ في نفوسهم حيث قال (متى ١١: ٢٨—٣٠) : « تعالوا اليَّ يا جميع التعبين والمثقلين وانا اريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لانفسكم لان نيري لَيِّن وحملي خفيف ». ومن ثمَّ نشكر واضع هذا الكتاب والساعين بتعريبهِ ونشره لأنهُ يتضمَّن في ثلاثين تأمُّلاً وجيزاً اخص الفضائل التي مارسها السيد المسيح وعلَّمها العمّال المسيحيين لكي يقدّسوا حياتهم على مثالهِ ويبتعدوا عمّا يفسد عقولهم وآدابهم بمشاركة اصحاب الاشغاب والفتن الثوريّة الذين يسلبونهم كثيراً ايمانهم ويخدعونهم بالاماني الكاذبة ويرمونهم آخراً في لجّة القنوط. والكتاب يصلح خصوصاً لشهر حزيران المختص باكرام قلب يسوع وفي آخرهِ رتبة زيّاح القلب الاقدس مع عدة افادات مختصة بعبادتهِ ل.ش

الدروس العربية

اصول الصرف والنحو — القسم التمهيدي — اوّل قسم النحو

للشيخ مصطفى الغلاييني

طُبع بالمطبعة الاهلية في بيروت (١٣٢٨—١٣٢٩)

قد مضى عهد المطوّلات المدرسيّة حيث كان طلبة العربيّة يدرسون العلوم اللغويّة في تلك الكتب الضخمة السيئة الطبع المبهمة المضامين التي كانوا يقضون السنين قبل فكّ معضلاتها. وكان اصحاب المدارس النصرانيّة اوّل من ادرك وعورة هذا المسلك

فوضعوا عدداً لا يحصى من الكتب اللغويَّة سهلوا فيها درس اصول العربيَّة وقواعدها الصرفيَّة والنحويَّة. ففي مطبعتنا وحدها قد نُشر منها نيف وعشرون كتاباً. ودونك الآن سلسلةً جديدة باشر بسرد حلقاتها احد افاضل الادباء الشيخ مصطفى الغلاييني مدرّس اللغة العربيَّة في الكتب السلطاني والكليَّة العثمانيَّة في بيروت. وقد تمّ منها ثلاث حلقات اعني سلّم الدروس العربيَّة وفيه اصول الصرف والنحو ثم القسم الاوَّل من النحو. وجناب الاستاذ مجتهد في مواصلة عمله فاذا تمت اقسام النحو والصرف أتبعها باقسام اخرى في علوم البلاغة والانشاء والعروض. والحقّ يقال انَّ ما نجز منها يشهد على براعة المؤلف وحسن ذوقه وتفننه في تسهيل طرائق تعليم فترى في كل قسم القواعد والامثلة والتمارين والاسئلة والاجوبة وكل ذلك بطبع نظيف وحروف متشكلة تقرّب المواد الى عقول الاحداث. وقد اضاف المؤلف الى الدروس اللغويَّة في القسم التمهيدي دروساً ادبيَّة نظنّ انهُ كان الاولى ان تُطبع على حدة او في آخر الكتاب. ونحن نحضّ كل طلبة العربيَّة على مراجعة هذا التأليف الجديد الذي يُطلب من المكتبة الاهليَّة في البلدة ل. ش

قصائد احمديَّة

طُبعت بمطبعة « الميكزين بنادبان هند » (ص ١٥٨)

قيل الجنون فنون وهذا الكتاب من بعض الدلائل عليه. فان في بلاد الهند قد قام منذ بضع سنين رجلٌ ممسوس بعقله يُدعى ميرزا غلام احمد يدَّعي انهُ المسيح الموعود والمهدي المعهود. وهذه القصائد انشدها في مدحه تبعته [illegible] حقولهم مثلهُ شفاهم الله ل. ش

زراعة التبغ التركي في لبنان

تأليف يوسف الجميّل الاجزائي الكيماويّ

طُبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكيَّة (سنة ١٩١١ ص ٤١)

انَّ النهضة الجديدة لاستئناف زراعة التبغ في لبنان حملت جناب يوسف افندي الجميّل الحائز في مكتبنا الطبي الصيدلي الجائزة الاولى ورئيس مختبره سابقاً على وضع ابحاث متتابعة في المشرق وصف فيها ما يختصّ بالتبغ التركي خصوصاً وتتبّع كل احواله التي من شأنها ان توفّر محصولاته وتزيدها جودةً فيقبل عليها المدخنون.

فكان لهذه الابحاث وقع حسن لدى القرّاء. وقد اجاب المؤلف الى طلبهم فاكتسب شكرهم بنشرها على حدة تعميماً للفائدة ل.ش

انفاس الطلّاب في مضمار الكتاب

بقلم تلامذة القديس بطرس بسكنتا (لبنان)

طُبع في المطبعة اللبنانية عند جسر نهر بيروت لبنان (١٩١٢ ص ١٠٣)

بسكنتا من اعلى قرى لبنان وارفعها فوق سطح البحر وقد احبّ حضرة المنسنيور بطرس حبيقة ان يجعل لها مقاماً ادبياً موافقاً لارتفاعها المادي ففتح فيها مدرسةً نجحت بهمّته وقد اتحفنا اليوم ببعض اثارها الطيبة وهو مجموع فيه مقالات ادبيّة وفلسفيّة بقلم تلامذتها الادباء رفعها لمعالي السيد مار الياس بطرس الحويك بطريرك الطائفة المارونيّة فنثني على رئيس المدرسة وتلامذتها النجباء. ونطلب لهم مزيد النجاح ل.ش

شذرات

بطرك مجهول كتب لنا احد القرّاء ما حرفهُ: قد وقفنا في شرطونيّة مارونيّة مخطوطة على كتابة بخط « ايليّا بطرس بطريرك انطاكية » يقول فيها انّهُ صار بطريركاً في ١٥ أيار سنة ١٧٤٢ وقد راجعنا سلسلة البطاركة الموارنة المطبوعة فلم نجد لهذا البطرك ذكرًا فنرجوكم الافادة . امّا الكتابة فهي هذه بحرفها في اوّلها اسم الكاتب مع ختمه منقوشاً :

[illegible]

(محل الختم)

لمّا كان تاريخ سنة الف وسبعماية واثنين واربعين في [illegible] (١٣) ايار نهار عيد النصرة انتقل الى رحمة مولانا سالنا المرحوم مار يوسف البطريرك الانطاكي الخازن ابن المرحوم الشيخ ابو نافعه في دير ريفون في ثالث ساعة من النهار وكان دفنهُ في قرية غوسطا في كنيسة مار الياس كرسي مطرنيته. وفي اليوم الثالث من وفاته اجتمع حضرة اخواننا المطارين المحترمين المطران سمعان والمطران فيلبوس والمطران استفان والمطران حنا والمطران جبرائيل والمطران مخائيل في دير مار انطانيوس عين ورقا وبانتخاب عام انتخبوني بطريركاً عليهم انا المحرر اعلاه اسمي وختمي وذلك كان في [illegible] (١٥) ايار نهار الثلاثاء عيد السيدة الملقب بالسنبل. والكهنة

الذين وضعت اليد عليهم بعد ارتقائي الى هذه الوظيفة هم محررون ادناه : اولاً القس مخائيل لوقا القبرسي تلميذ المدرسة الرومانية . ثانياً القس اغاثيوس راهب من شنعير على مزرعة شمرير في بلاد الشوف وذلك في سنة ١٧٤٣ . وفي اواخر شهر شباط حضرنا الى دير مار موسى الكابن في مزارع كسروان واخذنا السكن هناك ورسمنا القس سمعان الذي من مزرعة كفرديان راهب على دير مار يوحنا قنّالة تابع دير مار موسى . وفي اربعة من نيسان رسمنا الخوري سليمان كامن عالي على قرية فنال في بلاد جبيل . وفي السابع عشر من شهر ايار السنة المذكورة رسمنا الراهب يواكيم قساً على دير مار اشعيا . وفي السادس والعشرين من هذا الشهر وهذه السنة المذكورة رسمنا الراهب يواكيم قساً على دير مار اشعيا . وفي السادس والعشرين من هذا الشهر وهذه السنة رسمنا الشدياق موسى قساً على مزرعة راس الحرف في بلاد المتن

(المشرق) الياس بطرس صاحب هذا الخطّ هو المطران الياس محاسب الذي وردت ترجمتهُ في المشرق سنة ١٩٠٣ (٦ : ٧٨٣) في جملة رؤساء دير ريفون وفي السنة ١٩٠٤ (٧ : ٧٥٠) في اخبار المطران سمعان عوّاد . ومنها يتضح ان الياس محاسب المذكور كان مولدهُ سنة ١٦٨٨ وترأس على دير ريفون ثمّ سقفهُ البطريرك يعقوب عوّاد على عرقة شرفاً وجعلهُ نائباً بطريركيًّا . فلمّا توفي البطريرك يوسف ضرغام الخازن في ١٣ أيار سنة ١٧٤٢ انتخبهُ بعض الاساقفة كخلفهِ في الرتبة البطريركيّة فاخذ يتصرّف بحقوق منصبهِ السامي ورسالتهُ السابقة تشهد على تصرفهِ . لكنّ المطران طوبيًّا الخازن اعترض على هذا الانتخاب غير القانونيّ واتّفق مع مطرانين آخرين ماروني فسرياني فساموا اسقفين بهما بلغ عدد الاساقفة خمسة فعقدوا مجمعاً وانتخبوا طوبيًّا الخازن كبطريرك وحصل بذلك اضطراب عظيم . فلمّا بلغ الخصام الى رومية ألقى البابا بندكتيوس الرابع عشر الانتخابين ببراءة ارسلها الى رئيس الاديار المقدّسة في اورشليم وعيّن البطريرك سمعان عواد كبطريرك قانوني في تاريخ ١٦ آذار سنة ١٧٤٣ فاذعن الجميع لامر الكرسي الرسولي الّا انّ الرسالة البابويّة بلغت بعد تاريخها بعدّة اسابيع ولذلك تجد الياس محاسب في كتابتهِ لا يزال يعتبر نفسهُ كبطريرك حتى اواخر أيار ولسبب الامر ذاتهِ لم يُدرج اسمهُ في عداد البطاركة (١

نعوة ماسونيّة — نشرت جريدة البرق ورقة نعت فيها محفل صنين بما صورتهُ :

---

١) راجع البولاريوم (Bullarium Pontificium S. Congr., III, 76-91)

الخطب جلل:

هو الحي الباقي

لرملة الفقيد واولادها وذوو القربى والمتفعون والسلسرة والادنون والمحامون والدجّالون ينعون اليكم بمزيد الاسف واللهف عزيزهم وحبيبهم للأسوف عليهِ كثيرًا المرحوم

< محفل صنين >

انتقل الى رحمة ربّهِ (بل الى لعنتهِ) غير مزوَّد بالاسرار الالهيَّة في الساعة السابعة مساء الجمعة (٢٢ ك ١ ١٩١١) واحتُفل بجنازتهِ في الساعة الثامنة مشيّعًا بالاوفياء والانسباء. لكم من بعدهِ طول البقاء.

وكنّا وددنا لو افادنا الرصيف بايّ علّة مات المرحوم. وعلى ظننا انّهُ توفّي بالسلّ لانَّ صندوق العشيرة قد فرغ مرارًا باختلاس الخزنة لمالهِ فلم يجد ابناء الارملة ما يكفي لعلاج السقيم وتطبيبهِ فمات غير مأسوف عليهِ. ومن المنتظر القريب ان يُنعى الينا غيرهُ من المحافل الشاميَّة والمصريَّة اذ لا يمرُّ علينا اسبوع الّا ونسمع بسوء حالة اصحابها وخصوماتهم ما يدلُّ على ان الداء عضال وانَّ المرضى مشرفون على الموت. فنتحسّر على من يساكن الموبوئين ان يفارقوهم لئلا يُصابوا بعدواهم

اليهود والدستور في المملكة العثمانيَّة. كتبت مجلّة الكلمة (في عدد تشرين ٢ ١٩١١ ص ٤٢٣) فصلًا تحت هذا العنوان اثبتت فيهِ ما ذكرناهُ في مقالتنا عن الماسونيَّة وهو نفوذ اليهود في تركيا منذ اعلان الدستور فقالت هناك ما نصهُ:

« ان الدستور العثماني ككل دستور آخر خطّتهُ يد الماسونيَّة قد منح اليهود حق المساواة. فلم يلبث اليهود في تركيا ان اخذوا يظهرون لدى الملا ماذا يعنون بحقوق المساواة. فقبل كل شيء قد انسلّوا الى اعلى الوظائف في المملكة... ثم لم يمض طويل وقت حتى ظهر ان مديري دفّة جمعية تركيا الفتاة هم يهود. اما الحاخام باشي او رئيس الحاخامات في الاستانة ففي يوم الاحتفال بمرور سنة على اعلان الدستور في المملكة العثمانية اخذ من شدة فرحهِ بالحرية الدستوريَّة وعظيم بغضهِ للنصرانيَّة يدوس برجليهِ اوراقًا منتزعة من كتاب الانجيل المقدس!

« وبوجه الاجمال ان اعلان الدستور في تركيا قد ملأ قلوب بني اسرائيل اجمعين فرحًا

عليهاً بهذا المقدار حتى انهم اصبحوا كالسكارى لا همّ لهم الّا الانتقام في السرّ والجهر من اخوتهم النصارى ! فاخذوا بواسطة اعوانهم لدى الباب العالي يثيرون كامن البغض بين الاتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحيّة في المملكة العثمانيّة وكلّما رأوا ان نيران هذا البغض بين الطرفين يكاد ان يخمد اوارها بادروا وزادوها وقوداً. وما يؤيد لنا هذه الحقيقة هو ان جريدة « التيمس » الانكليزيّة احدى الجرائد المشهورة بمحالأتها لليهود واليهوديّة رأت من واجباتها ان تذكّر اليهود بالدور الذي كانوا يلعبونه دوماً في تهييج الاسلام ضد النصارى وباشتراكهم مع الاولين في ذبح الاخرين كفي مذابح سورية ومذابح الاستانة ولاسيما في مذابح آدنة ونواحيها. ثم تذكرهم بما استفاده اليهود من وراء هذه المذابح الاخيرة وهو ان اراضي الذين ذُبحوا او هربوا من الارمن قد استملكها احد اليهود الفرنسيين جاربل وأسكنها يهوداً من روسيا. على ان تظاهرهم الوقح بمباهم اليهوديّة لم يلبث ان هيج سكان فلسطين ولاسيما الاعراب المسلمين ضد الدولة العثمانية الدستورية وخصوصاً منذ حسب تركيا القناة التي امست من جرّاء استملاكها للنفوذ اليهودي مكروهة في اكثر انحاء المملكة العثمانيّة . . . وهذا ما جعل جريدة « التيمس » الانكليزيّة المذكورة آنفاً تبادر الى تحذير اليهود في كل مكان ولاسيما في تركيا من وخامة عواقب استعجالهم في التظاهر بمباهم اليهوديّة ! ولكن قد فات هذه الجريدة وسائر الجرائد التي على شاكلتها ان تلك الاماني اليهوديّة مهما سعى اليهود واحتالوا بواسطة اعوانهم على تحقيقها هيهات ان تتحقق ما دامت الامة اليهوديّة مرصومة بوصمة اللعنة الالهيّة »

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد من الطائفة المارونية أللحكومة المدنيّة او العلمانيين دخلٌ في امر الاوقاف وتدبيرها وهل يستطيع احد ان يقيم دعوى على الموقفين او على الاكليروس بحجّة انّ الاوقاف ليست موافقة لقوانين الشرع وان ربح الدعوى أيجوز ان يتصرّف بالاملاك او يتمتّع باثمارها او ليس هو بالحريّ ملتزماً بردّها والتعويض عن كل الاضرار اللاحقة بها ؟

الاوقاف الكنسيه

ج انهُ من المقرّر في الحقّ القانونيّ وفي المجمع اللبنانيّ (ص ٤٥٤—٤٥٦) انّ الاوقاف هي تحت حكم الاكليروس وحدهُ وليس لاحد ان يتصرّف بشيء منها فيبيع او يرهن او يهب او يؤجر ولو جزءاً منها الّا بحكم الرؤساء الموكول اليهم ذلك وعلى الشروط القانونية المعروفة في الشرع الكنسيّ . امّا الحكومة والعلمانيّون فلا دخل لهم في ذلك مطلقاً ما لم يتنديهم الى الامر الرؤساء الروحيّون وان اقاموا دعوى او اغتصبوا شيئاً من الاوقاف على اي طريقة كانت عُدّوا ظالمين ووقعوا تحت طائلة العقوبات الكنسيّة والتزموا ذمّةً بردّ المسلوب والتعويض عن كل الاضرار لـ ش

السنة الخامسة عشرة العدد ٢ شباط ١٩١٢

المشرق

من بيروت الى الهند

الاب لويس شيخو اليسوعي

هذه ست عشرة سنة مرّت علينا منذ تجشمنا اتعاب سفر طويل باشرناه في سبيل العلم قطعنا به انحاء الجزيرة ثمَّ العراق فالعجم فالهند وعطفنا راجعين على طريق عدن فسويس. وقد كان اصحابنا غير مرّة طلبوا الينا ان ندوّن اخبار رحلتنا فيقتبسوا شيئاً من فوائدها الّا انَّ الضغط الزائد على المطبوعات كان في العصر الحديدي يمنعنا عن نشرها وقد جرى لنا فيها امور لا توافق على طبعها المراقبة الرسميَّة فاليوم اذ تلاشت هذه الحواجز لم نعد نرى موجباً لكفّ القلم فلا بأس من روايتها

١ من بيروت الى حلب

معلوم انَّ الرهبانيَّة اليسوعية حيثما حلّت مع دفاعها عن الدين القويم تنهج طريقاً مهيعاً للعلوم البشرية. فان مدارسها وكلّياتها ومطبوعاتها في كل الفنون ومراصدها الفلكيَّة ومعاهدها العلميَّة في الخافقين تشهد على حسن مساعيها التي اقرَّ بها اعداؤها فضلاً عن الاصدقاء.

وما كانت رسالتنا في سوريَّة لتحيد عن هذه الخطَّة كما هو معروف. ومن جملة ما عُني بانشائه رؤساؤها في هذه الديار مطبعتنا الكاثوليكيَّة التي مرّ عليها اليوم ستون سنة خدمت فيها بكل نشاط الدين والعلم وقد ابرزت في هذه المدة نيفاً وخمسمائة كتاب في معظم العلوم العصريَّة عدَّدنا قسماً منها في تاريخنا لفنّ الطباعة الشرقيَّة (راجع المشرق ١٩٠٠ ج ٣ ص ٧٠٦ الخ)

على انَّ مطبعة كبيرة كهذه اشتهرت في الشرق والغرب معاً بمطبوعاتها العلميَّة لا تستطيع ان تحفظ مرتبتها العالية الَّا ان يكون لاصحابها مورد غزير يستقون منهُ فيواصلون اشغالهم دون ان تنقص عنهم الموادّ. ولهذه الغاية كان ارباب كليَّتنا انشأوا مكتبةً شرقيَّة واسعة جمعوا فيها اخصّ المطبوعات العربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة وقد نشروا تآليف في كل هذه اللغات يعرفها الشرقيون والمستشرقون

الَّا انَّ ما يزين المكاتب الكبيرة خصوصاً انَّما هو عدد مخطوطاتها ووفرة مآثرها العزيزة الوجود. وكانت مكتبتنا الشرقيَّة حريصة على جمع هذه الخطيات كلَّما كانت تسنح الفرصة للوقوف على شيء منها. بل اخذنا منذ السنة ١٨٨٠ نطوف في انحاء الجبل املنا نعثر على بعض هذه الآثار الخطيَّة وفي كل سنة في زمن العطلة الصيفيَّة كنَّا ننتقل في مدن الشام القريبة كطرابلس وصيداء ودمشق وحمص وحلب رجاء التقاط هذه الدُّرر الغالية الثمن فما كان ليخيب املنا فنعود بعد كل رحلة بعدد وافر من تلك الجواهر الفريدة

واذ قرأنا في رحل علماء الغرب انَّهم كانوا يتردَّدون خصوصاً الى بلاد الجزيرة والعراق فيعودون الى مواطنهم بعد ان اقتنوا عدداً دثرًا من المخطوطات الشرقيَّة اثارت اخبارهم الرغبة فينا لأن نتوغَّل على مثالهم تلك الجهات ولنا عليهم فضل الوطنيَّة ومعرفة البلاد والعادات واللغة فعرضنا الامر على رؤساء رسالتنا فلم نجد فيهم الَّا تنشيطاً على اتمام العمل غير انَّ اشغالاً مختلفة كانت تقضي علينا كل سنة بتأجيل ذلك السفر حتى جاء خريف سنة ١٨٩٥

وكان وقتئذٍ رئيساً على رسالتنا السوريَّة المرحوم الاب اسطفان كلاره فاتتنا منهُ ونحن في غزير للرياضة السنويَّة رسالةٌ اوعز بها الينا في ان نباشر رحلتنا في اقرب وقت وقد اخذت وهجات الصيف في الخمود

فما امكنَّا الَّا الاجابة الى تلك الدعوة فتحفَّزنا للسفر وبعد ثمانية ايام ركبنا باخرةً مسكوبيَّة نقلتنا الى طرابلس الشام اذ لم تكن السكك الحديديَّة قد امتدَّت بعد من الثغر الى البقاع الى جهات حلب. وكان خروجنا من بيروت في ١١ ايلول من السنة ١٨٩٥ في اصيل يوم الاربعاء.

وفي صباح اليوم التالي اقلّتنا العربة من طرابلس الى حمص حيث قضينا يومين. وكان يوم السبت واقعاً فيه عيد الصليب فرأينا من تقوى اهل حمص الكاثوليك ما سرّنا. وسمعنا عموم سكان المدينة يطلقون ألسنة الشكر مثنين على همّة الآباء المرسلين الذين لم يألوا جهدهم في خدمة المرضى مدّة عدوى الهواء الاصفر التي فشت في تلك السنة في المدينة وبعض انحائها فكان المرسلون وراهبات القلبين الاقدسين يواصلون الليل بالنهار في عيادة المصابين وتوزيع الادوية عليهم على اختلاف طوائفهم ومللهم

وفي مساء الاحد سرنا راكبين الجياد الى حماة فوصلنا اليها بعد المغرب بساعتين فحللنا في بيت احد الروم الكاثوليك الذي تحفّى بنا واستقبلنا بكل ترحاب

ولم نبت غير ليلتنا في حماة التي اجّلنا زيارتها لمرّة اخرى (المشرق ٥: ٩٥٣) فقمنا في سحر يوم الاثنين قاصدين حسب فسرنا على الخيل في طريق قطعناها بعد ذلك بعشر سنين فوصفنا مراحلها وقراها (المشرق ٨: ٩١٧ ٩٢٣) لا سيما خان شيخون ومعرّة النعمان وسنبل وخان توسن. ولم يعرض لنا اذ ذاك ما يكدّر الخاطر بل رأينا من عنايته تعالى ما جعلنا نتيمّن بهذا السفر ونرجو منهُ خيراً وذلك ان اصابات الهواء الاصفر التي حدثت في جهات حمص كانت اوقعت الرعب في قلوب اهل القرى الشمالية فجعلوا حجراً على القادمين من حماة ولم يدعوهم يواصلون السفر خوفاً من بث العدوى ففي اليوم السابق لمرورنا ألغي الحجر الصحي. ومن ثمّ ضاعفنا السرعة لنلحق بقافلة كانت سبقتنا بيوم من حماة فدركناها قبل خان سنبل وسرنا في رفقتها الى حلب بكل امان وراحة

وفي خان سنبل جرت لنا تلك القصة المضحكة التي رويناها سابقاً (في المشرق ٨: ٩٢١) حيث اعتزلنا عن القوم لتلاوة صلاة الفرض القانوني فظنّ احد جهال القرية انّنا اكتشفنا كنزاً فطلب منّا بالحاح ان نقتسمهُ معهُ فرددناهُ بلطف فلم يقنع وتهدّدنا بعدية حتى اضطرنا الامر ان ندعو بعض رجال المكان ليكفّوا عنّا شرّهُ ففعلوا وابتعد وهو يزمجر ويدمدم

وفي منتصف الليل قام الركب ليسيروا على ضوء القمر وينجوا من حرّ النهار الملتهب فاحسنوا بذلك وبعد ان قضينا في سراقب ساعات الهاجرة من اليوم التالي

استأنفنا المسير الى حلب وسرينا طول الليل حتى بلغنا الشهباء في سحر يوم الخميس في ١٩ من الشهر

قد عرف قرّاؤنا ما لحلب من المآثر التاريخيّة والادبيّة والصناعيّة بعد مقالات عديدة اثبتناها في المشرق سابقاً فلا نرى حاجةً للتكرار

ولم نُطل الاقامة في حلب الّا ريثما نجد قفلًا يسير بنا الى ما بين النهرين لأنّ الطرق في تلك الانحاء خالية من الامان فاذا انفرد المسافر هوّر بنفسه في الاخطار وربّما خرجت عليه شذّاذ العرب او غوغاء الاكراد فسلبوهُ امتعتهُ وتهددوا حياتهُ

وكان الرؤساء تقدّموا الى احد آباء جماعتنا في حلب حضرة الاب يوسف شلفون بان يرافقني في هذه الرحلة وهو من ابناء لبنان المعروفين بالنشاط والاقدام فكان لي خير مؤنس ومساعد في هذه الرحلة فاهتممنا في حلب باعداد لوازم السفر. وكان من اخصها تجهيز هيكل نقّال نستطيع ان ننصبهُ كل يوم حيثما حللنا فنقدّم عليه الذبيحة الالهيّة صباحاً ونستمطر البركات العلويّة. ثم استحضرنا ايضاً من الحكومة تذكرة تنبّي المأمورين باشخاصنا ومقامنا ولم يكن ذلك امرًا نافلًا كما سترى

ثم جعلنا نسأل في الخانات عن زمن خروج القفل الى جهات اورفا وماردين لننضم اليه فعلمنا ان احد زعماء القوافل من الارمن الكاثوليك كان قدم من ماردين وهو يتأهب للسفر بعد ايّام. فاستدللنا عليه واجتمعنا به فاذا هو رجل مربوع القامة مفتول الذراعين على وجهه سيماء البسالة فاتّفقنا معهُ على شروط السفر. ولا بدّ هنا ان نعرّف اصحاب هذه القوافل فانّ هؤلاء ليسوا كالمُكارين في الشام او لبنان يرتزقون بضنك العيش ويشتغلون مع دابّة او دابّتين. وانّما هم غالباً رجال اصحاب مال واسع ولهم تحت امرهم عدّة عمّال يرافقونهم ويملكون عددًا كبيرًا من الدوابّ لنقل محصولات البلاد من قطرٍ الى آخر. وهم يدعون القفل كروانًا ويطلقون على المُكارين اسم القطرجيّة او القاطرجيّة. واذا رأيت هؤلاء المكارين ولا سيما شيخهم في بيوتهم احتسبتهم من وجوه القوم وذوي الحال الواسعة امّا اذا حان وقت سفرهم فيلبسون ثياب السفر الدافئة في الشتاء الخفيفة في الصيف وعلى رؤوسهم اللبد. وفي ارجلهم الاحذية الغليظة وهم مدجّجون بالاسلحة ليدافعوا عن نفوسهم واموالهم ويردّوا غارات اهل البادية. واذا حان يوم سفرهم يخرجون من البلد

برونق فتسير دوابهم بنظام وهم يعلقون على اعناقها ولباتها وقطريها واذنابها الجلاجل والاجراس يُسمع لها اصوات مرنة وجلبة عظيمة من مسافة بعيدة فيأخذ اللصوص حذرهم لتوهمهم بشدة القفل وكثرة الركاب. ويمشي الركاب مع هذه القوافل يحتمون بحمى اصحابها ويخرج اهل البلد لوداعهم حتى ارباض المدينة فيكون لخروج القفل مشهد مهيب

وكان موعد سفر قفلنا في ٢٤ ايلول فقضينا الأيام الباقية لزيارة الاصحاب وفحص بعض المكاتب العمومية والخصوصية في حلب بل امكننا ان نقتني جانباً من المخطوطات النصرانية والاسلامية وحلب في مقدمة المدن التي عُنيت بالعلوم والآداب في القرون الوسطى وفيها ابتدأت النهضة الادبية الجديدة التي تعمّ اليوم مدن الشام كما بيّنا ذلك في مقالتين نشرناهما سابقاً في المشرق (٩ : ٦٢٩، ٦٩١) ولعل الثلث من مخطوطات مكتبتنا الشرقية قد حصلنا عليها في الشهباء

وفي صباح اليوم الموعود قمنا لسفرنا وكان يوم الثلثاء وفيه واقع عيد سيدة الفداء فجعلنا هذه الرحلة تحت حماية البتول لتبارك ذهابنا وايابنا. والحق يقال انّ أملنا في مراحمها لم تخب اذ وافق سفرنا حلول تلك الاضطرابات العظيمة والمذابح الهائلة التي اجرت الدماء سيولاً على طريقنا وكادت تذهب بحياتنا غير مرة لولا عناية خاصة منهُ تعالى

٢ من حلب الى الفرات

يقطع القفل الطريق الفاصلة حلب عن الفرات فالرها بستة او سبعة أيام وتنيف المسافة بين المدينتين على مائتي كيلو متر والسير الى الرها في صحاري مخصبة قفراء ليس فيها سوى بعض القرى الحقيرة يسكنها قومٌ من التركمان او بعض اهل المدر من العرب. ووجهة الطريق من حلب الى الفرات شمالية شرقية ثم تعطف الى الشرق

كانت مرحلتنا الاولى الى (جوبان بك) والمرحلة عندهم تختلف بين ست ساعات وعشر ساعات وهم يدعونها القوناق . ففي هذا اليوم الاوّل تعرّفنا برفقتنا وهم نحو عشرين رجلاً منهم نصارى ومنهم مسلمون وكلهم يؤلفون في هذه الاسفار جمعاً واحداً وعائلة واحدة يؤدي بعضهم لبعض الخدم التي يعتادها الاصحاب واذا ركبوا تبادلوا عبارات الوداد وساروا معاً وربما تناشدوا الاناشيد المطربة والاغاني

المهجة لاسيما في سُرى الليل لئلّا يغلب عليهم النوم فيدهمهم عدوّ راصد لهم وراء الصخور او الشجر . ومنهم من يقصّ القصص على رفقته وبالاخصّ زعماء القافلة الذين يروون للركاب تفاصيل اسفارهم في جهات الشرق كالارمن والعراق والاناضول فتنتهي الساعات والآذان مصغية الى اخبارهم دون ان يجد الركاب مللاً من حديثهم . واذا انجزهُ الواحد خلفهُ غيرهُ الى ان يبلغوا نهرًا او قرية فيستريحون هنيهة او يأكلون اكل الغداء دون ان يحلّوا دوابهم ثم يستأنفون السير حتى يؤدي بهم الى منزل الليل

وهم عادة في هذه البراري يحلّون في جوار قرية حيث يجدون علفاً لدوابهم وماء شروباً . واذا عوّلوا على صرف الليل في مكان انزلوا الحمولة عن الدواب ونسقوها فوق بعضها على شكل تربيع واسع او دائرة فينزل الرَّكب في الوسط ويفرشون فيهِ امتعتهم للنوم امّا الدواب فيربطونها باوتدة في خارج المربّع ويتركون عليها اجراسها حتى اذا سرقها لصّ سمعوا صوتها فقاموا الى السارق وهزموهُ . امّا اذا وجدوا خاناً في بعض القرى فيفضلونهُ لراحتهم وراحة دوابهم وذلك باجرة معلومة

وكثيرًا ما يقتسم الركّاب بينهم مآكلهم . واذا وُجد مَن يُحسن الطبخ اعدّوا طبيخاً يأكل منهُ جميعهم على حساب الركاب كلٍّ بنوبتهِ . واهل القرى ينتهزون فرصة مرور تلك القوافل ليبيعوهم شيئاً من مالهم . وليس لديهم غالباً سوى قليل من خبز الشعير والبيض واللبن

وجوبان بك مرحلتنا الاولى لا تزيد على عشرين الى ثلاثين بيتاً مقبباً وبقربها خيم ينزلها العربان . واذ رآنا اهلها اقبلوا الينا في اسمالهم وحسبونا من اطبّاء الفرنج فجعلوا يطلبون منّا الادوية لمرضاهم فاحسنّا اليهم بشيء ممّا كنّا اخذناهُ لحاجتنا كالكينا وبعض السفوفات والمراهم . وقد تكرّر علينا ذلك في بقيّة سفرنا . فكان اولئك المساكين يحملون ثقتهم فينا ويخبرونا باوجاعهم فكنا نسلّيهم ونشير اليهم بالصلاة وبوضع رجائهم في الطبيب العظيم الذي يشفي كل بؤس ووجع او ندلّهم على الادوية البسيطة والوسائل الصحيّة القريبة التي تفضل على الادوية فكانوا يبتعدون راضين بهذه النصائح . وعرفنا من ثمَّ كم هي رفيعة رتبة الطبيب في البلاد الداخليّة حيث لا يجد المسقومون من يعالج امراضهم

وفي اليوم التالي سرنا الى الشمال فقطعنا نهر الساجور احد سواعد الفرات واصلهُ

مدينة البيرة او بيره جيك وقلعتها المشرفة على الفرات

من جهات عينتاب وكان مسيرنا في منتصف الطريق فعن شمالنا كلس ثمَّ عينتاب ومرعش وعن يميننا منبج وكلها مدن شهيرة لاسيما مرعش ومنبج. وكانت منبج قديماً حاضرة لعمل روماني كبير يُعرَف بالمعاملة الفراتيَّة ويدعون منبج بالمدينة المقدَّسة (ايرابوليس) وكان فيها معبد للشمس كبعلبكّ وبقيت منبج في أيَّام العرب زاهرة تكثر فيها الانسجة الشهيرة بالمنبجانيَّة او الانبجانيَّة (راجع المشرق ١٤: ٨٠)

وفي مساء ذلك النهار نزلنا في قرية وسطى تُدعى بزنبور فيها مسجد صغير وخان للقوافل وفي لغة اهلها شيءٌ من الكردية لاسيما في اعلامهم فيدعون حسن «حسو» وخليل «حسي» ومحمد «محو» ومصطفى «مصطو» وليس بينهم من يُحسن القراءة غير الآغا وشيخ القرية. والنساء في تلك القرى مُسفرات لا حجاب لهنَّ. وكذا يقال عن سائر قرى البادية الى بغداد

ثم واصلت السير الخميس وصباح الجمعة الى «بيره جك» فلم تزل نقطع الطريق التي مهدتها منذ اجيال متوالية ارجل الامم السالفة حتى اشرفنا على وادي الفرات فلاح لنا عن بعد ذلك النهر الجليل المتسع الضفاف الزاخر المياه فتذكرنا وصفهُ للنابغة اذ شبه به كرم النعمان فقال:

فما الفراتُ اذا هبَّ الرياحُ لهُ ترمي اواذيُّهُ العبرينِ بالزَّبدِ
يمدُّهُ كلُّ وادٍ مُترَعٍ لجبٍ فيهِ ركامٌ من اليبوتِ والخضدِ
يكفي من حوفهِ الملاحَ مختصماً بالخيزُرانةِ بعد الأينِ والنَّجدِ
يوماً بأجودَ منهُ سيبَ نافلةٍ ولا يحولُ عطاءُ اليومِ دونَ غدِ

فاسرعنا منحدرين اليهِ لنروي ظمأنا من مائهِ العذب الفرات كاسمهِ وبقينا ساعةً نمتع العيون بسنيهِ فنراه كسيلٍ مهيب يجري بكل هدوءٍ ورزانة لا تكاد الباصرة تميز جهة انحدارهِ. وكم مرَّت عليهِ من القرون وشاهد من الحوادث منذ كان يسيل في جنَّة عدنٍ فحضر تسييح الابوين الاوَّلين لخالقهما بعد ان كوَّنهما بكلمتهِ الحيَّة ثم مدَّة الاجيال التالية حيث التحمت على جوانبهِ تلك الحروب المرعبة فطحنت امم امماً وسحقت دول حديثةٌ دولاً قديمة فقامت مقامها منذ عهد الكلدان والبابليين والاشوريين والماديين الى اليونان والرومان والعرب والترك حتى واقعة نزيب او نصيبين البلدة القريبة من بيره جك في غربيها وهناك انتصر ابراهيم باشا على جيوش

الدولة العثمانيَّة في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ وتهدَّد استقلال تركيَّا فعارضتهُ الدول وردَّتهُ فارغاً الى قطره المصري بعد مدَّة

فكلُّ هذه الوقائع قد شاهدها الفرات وهو هو لم يزل يخصب البلاد التي يمرُّ بها على طول مجراه من اواسط بلاد ارمينيا حيث ينابيعهُ الى شطّ العرب وفيه ينضمُّ الى دجلة فيسيران ممتزجين الى ان يصبَّا في خليج العجم. والفرات في الجزيرة بمثابة النيل في مصر فانَّهُ في ايدي الشعوب التي احسنت التصرُّف بهِ وقدَّرتهُ قدرهُ كان كنزاً ثميناً لا تنفد ثروتهُ وكفى دليلاً عليهِ مُدُن لا تحصى كانت ترتزق من مواردهِ كسميساط وقلعة الروم والبيرة والرقَّة ودير الزور وكان اذا بلغ الى جهات بابل احيا اقطار البابليين كما كانت دجلة تخصب وتحيي بلاد الاشوريين. وكانت قنيٌّ عديدة تُرى آثارها حتى اليوم تستمدُّ شيئاً من مياهه فتسقي بقاعاً تُوتي ثمرها بمئتي ضعف حتى ٣٠٠ ضعف كما شهد عليه قدماء المؤرخين

غير انَّ هذه الاحوال قد تغيَّرت في الاجيال الاخيرة واصبح الفرات وشقيقتهُ دجلة كنزين مدفونين لا يأتيان بجزء في المئة من منافعهما. فعسى دولتنا الدستوريَّة تسدُّ هذا الخلل قريباً وتستدرك هذا الخسران فتخرج الى حيز العمل مشروع الريّ الذي قدَّمهُ الانكليزي ويلكوكس وتمنح امتيازاً لشركة تُسرع الى اجرائهِ مع توسيع قعر النهر في بعض الامكنة لتسير فيهِ السفن البخاريَّة وليس ذلك من الامور العسرة البالغة النفقات

تلك كانت الافكار التي تدور بي خلدنا في تلك الساعة ونحن في انتظار النوارب التي يُقطع عليها النهر. فما لبثت ان اقتربت الى الشاطئ حيث كنَّا قائمين فركبناها نحن ودوابَّنا بحمولها. وهذه النوارب على شبه حذاء كبير لا ذيل لهُ ولا عقب اذا اتَّصلت بالبرّ لا يصعب على الدوابّ نفسها ان تدخلها وفي اعلاها ملاح في يدهِ مجذاف طويل يركزهُ في قعر النهر فيتحرَّك القارب الى ان يبلغ الضفَّة الاخرى. وعرض النهر في الصيف لا يزيد عن ١٢٠ متراً اما في وقت الشتاء فيصير كالبحر ويبلغ عرضهُ الف متر وازيد

٣ من الفرات الى الرها

ومعبر الفرات في هذا المكان من المعابر الشهيرة منذ قديم الزمان وكان اليونان

يدعون المدينة التي بقربهِ العبر (Zeugma) وكانوا حصَّنوها في وجه العدوّ ليسدُّوا في وجههِ معبر النهر. بل جاء في خرافات اليونان انَّ الاله باخوس اوَّل من مدَّ جسراً في هذا المكان لمَّا سار من بلاد اليونان ليفتح ممالك الهند. والمرجَّح ان باني المدينة احد ملوك العجم من دولة بني ارشك فدعاها بيرثا. ولمَّا وقعت هذه المدينة في ايدي العرب سمَّوها البيرة ورمَّموا حصنها المنيع الذي تُرى منهُ حتى اليوم بقايا صالحة. وفي اواخر القرن الرابع عشر اخربها تيمورلنك. ثم استولى عليها الاتراك فدعوها « بيره جك » وهو اسمها الآن

والمدينة الحالية في خلف القلعة على منعطف تلّ يتحدَّر كالدرج. واهلها نحو ١٢,٠٠٠ نفس اكثرهم مسلمون يتكلَّمون بالتركيَّة وبينهم نحو الف ارمني غريغوري و٥٠٠ ارمني كاثوليكي. وبعد مرورنا بشورين قُتل كثيرون من ارمن بيره جك. وفي المدينة عدَّة جوامع اخصُّها « علو جامع » اي الجامع الكبير وهو قديم حسن الهندسة. وفيها اربع كنائس وثلث مدارس ابتدائيَّة وللكاثوليك منها كنيسة ومدرسة. وتحدق بالمدينة الاشجار والمزدرعات وكان لها سور خرب اكثرهُ كالقامة وفي جوارها مياه معدنيَّة يُستحمُّ بها

وبيره جك مركز احد الاقضية الداخلة في سنجق اورفا منها قضاء « روم قلعه » في شمالها حيث كانت قلعة حريزة شادها الروم على الفرات فاضحت مدينة وكثر اهلها وكان يقيم فيها جاثليق الارمن الى ان استولى عليها الخراب واليوم في مكانها بلدة تُدعى خلفت فيها مركز القائمقام. ومنها قضاء سروج باسم مركزها سروج وهي مدينة عريقة في القدم ذات شأن عظيم كان القدماء يدعونها بطنة وفيها وُجدت آثار جليلة من عهد الاشوريين. وفي جنوبي البيرة ليس بعيداً منها عند مصب الساجور في الفرات بلدة صغيرة تُدعى جرابلس وفي جوارها وجدوا قبل ٣٠ سنة اخربة مهمَّة تحقَّقوا انَّها بقايا قرقميش حاضرة الدولة الحثيَّة الشهيرة في تاريخ الحروب الاشوريَّة

وكان مقامنا في البيرة في خان واسع مشرف على المدينة وارباضها فكان مساؤنا هنيئاً منعماً والهواء رطباً منعشاً واجتمعنا ببعض اهل البلد فانسنا بمشاهدتهم وافادونا شيئاً من احوالهم

وقنا قبل سحر اليوم التالي السبت ٢٨ ايلول لنقطع مسافة طويلة ونتمكن من الوصول الى اورفا صباح الاحد وبين بيره‌جك واورفا ٩٩ كيلومترًا اي ٢٠ ساعة. فمشينا في ذلك اليوم عشر ساعات متوجهين الى الشرق . وبعد ان اجتزنا الجبال المكتنفة بالبيرة دخلنا في بقاع ما بين النهرين المخصبة ونزلنا وقت العصر عند خان كبير مبني بالحجارة المنحوتة الضخمة يُدعى « جهار ملك » اي الملوك الاربعة . ويزعم النصارى انَّ هذا البناء يرتقي الى عهد الملوك المجوس وانَّهم كانوا اربعة فدُعي الخان باسمهِ المذكور . وليس الامر كما يزعمون والخان من ابنية القرون الوسطى كما يظهر ولعلَّ اسمه يشير الى ملوك نزلوا فيهِ او ابتنوهُ لمأوى القوافل . وبقربهِ جدول ماء يسقي تلك الانحاء ويشرب منهُ الزرَّاعون الذين هناك

ولمَّا حللنا الرحل انتهزنا الفرصة لاقامة صلاتنا عند الاشجار التي تظلِّل مجرى المياه واذا برجل هناك حسن اللبس وضيء الهيئة اقترب منَّا وطلب دواء يعالج بهِ امرأتهُ ليزيل عقمها فاشرنا اليهِ بالصلاة الدواء العظيم لمثل هذه الحاجات مع الاحسان الى الفقراء وصرفناهُ بلطف

كان اليوم التالي يوم الاحد وفيهِ عيد الملاك ميخائيل فألححنا على رفقتنا واقنعناهم بان يقوموا نصف الليل لنبلغ الى الرها في ضحى النهار ونقدّم القداس الالهيّ في كنيسة الآباء الكبوشيين فاجابوا الى ملتمسنا . وما كنَّا قطعنا ميلًا من الخان واذا ببعض اللصوص كمنوا لنا وراء تلّ هناك وحاولوا ان ينهبوا القفل الَّا انَّ اصحابنا شعروا بهم فنادى بعضهم بعضًا واطلقوا بنادقهم الى جهة المتلصصين . اما نحن فطلبنا شفاعة رئيس الملائكة ميخائيل في يوم عيدهِ فما تأخر عن مساعدتنا فاوقع الرعب في قلوب اللصوص الذين رأوا هاربين وظنوا ان عددنا غفير جدًا فلا طاقة لهم بنا

وقد تذكرنا وقتئذٍ ما حلَّ في هذه الامكنة عينها برسلَين يسوعيين وهما السيد مبارك بلانشه (Mgr B. Planchet) القاصد الرسولي على ما بين النهرين والاب يوسف لابورد (P. J. Laborde) وذلك في اواسط تشرين الثاني من السنة ١٨٥٩ فانهما اذ كانا سائرين مع القفل من ديار بكر الى سويرك طلب السيد بلانشه ان يستريح قليلًا لنوبة من الحمى اصابتهُ في الطريق فسبقهُ القفل وبقي وحدهُ في رفقة الاب لابورد واذا بقوم من الاكراد هجموا عليهما وسلبوا كل ما لهما

وضربوهما بالسيوف والحجارة وتركوهما على آخر رمق. ولمّا عرف رفقتهما ما جرى لهما حملوهما الى سويرك حيث توفي السيد بلانشه امّا الاب لابورد فشفي باعجوبة من العذراء مريم التي ظهرت لهُ وأبرأت جراحهُ فقام من ساعتهِ معافًى

وبعد مسير ست ساعات عند طلوع الشمس ولجنا في طريق محجرة كانت تمرُّ بين تلال وصخور. وكنّا نرى فيها المغاور والكهوف المنحوتة التي كان يسكنها السيّاح وعبّاد النصارى في قرون النصرانيّة الاولى أما جاري رهبان ما بين النهرين غيرة رهبان الصعيد فزهدوا بالدنيا وانقطعوا الى امور الآخرة

وكان وصولنا الى الرها في ضُحى النهار فتركنا القفل في خارج البلد وقصدنا دير المرسلين الكبوشيين الذي رحّبوا بنا واستقبلونا استقبال الاخوان ولم يدخروا وسعاً في سبيل خدمتنا مدّة اقامتنا عندهم فتحققنا قول النبيّ داود: « ما اطيب وما الذّ ان يسكن الاخوة معاً » وهو امر اختبرناهُ مدّة رحلتنا كلها عند كافة المرسلين الذين نزلنا عندهم من اي رهبانيّة كانوا فلا يسعنا الّا الشكر على لطفهم وكرم طباعهم وحبهم الاخوي طالبين من ابي المواهب ان يجازيهم خيرًا عن صنعهم (يتبع)

من أعلى منارة بيروت

للاديب سليم البستاني احد طلبة كليتنا

تبارك صُنعُ الله في البرّ والبحرِ ... ألا فاحمدوا الرحمنَ بالنظم والنثرِ
تباركَ مَن ذرّ الكواكب في العلى ... وزان أديم الارض بالحُلَل الخضرِ
اذا سكتت عن حمدهِ ألسنُ الورى ... تُسبّحهُ الاكوان في السرّ والجهرِ
لقد شاقني رقصُ الطبيعة في الضحى ... على نغم الاطيار في جنّة البشرِ
لذا حدّثتني النفس ان اقصد الربى ... فلم أرَ للإحجام وجهاً من العذرِ
صعدتُ الى اعلى المنارة ناظرًا ... الى ما حواهُ الكون من طُرَفٍ غُرِّ
وحلّقتُ في جوّ الخيال بفكرةٍ ... بلغتُ بها شأوًا يعزّ على النسرِ
وسرّحتُ طرفي في البريّة فانثنى ... يُردّد آياتِ المهيمن بالشكرِ
سبى مُقلتي لبنانُ مُنيةُ مهجتي ... فأسكرني والفخر يغني عن الخمرِ

تنشّيتُ عَرفَ الطُّهرِ من نفحاتهِ فروّحَ روحي عرفُ ذيّالك الطهرِ
رَنوتُ الى أطوادهِ وهضابهِ وقد عبثت بالدهر عصراً على عصرِ
ومتعتُ ابصاري بجنّات عَدْنِهِ فخلتُ سماء الحسن في ذلك المصرِ
لقد شقّ سيفُ السيل صدرَ جبالهِ ففجّر انهار اللُّجين من الصدرِ
اذا افتخرت ارض بعقيان تُربها فأنهار لبنان كنوزٌ من اليُسرِ
فأكرمْ بقطرٍ يملأ العين قرّة عليهِ طرازٌ حبّرتهُ يد القطرِ
ألا صوّبوا الانظار نحو سمائهِ تروها كمرآةٍ صفا ماؤها الدرّي
يجتلها في الليل أبهر كوكبٍ يسيرُ الهُوَيْنا بين انجمهِ الزُّهرِ
وتختالُ في افلاكها ربّةُ البها على عرشِ نورٍ في وشاحٍ من البرِ
فقلّبتُ في تلك الشاهد مقلتي وقلبي يصوغُ الشعر فيها ولا ادري
الى ان سمعتُ البحرَ يخفق قلبهُ هُياماً فوجّهت اللحاظ الى البحرِ
رأيتُ بساطاً أزرقاً فوق متنهِ تُلاعبهُ الارياح في الطيّ والنشرِ
اذا رضيَت خلتَ الخضمَّ صفيحةً وان سخطت خلت الجبال بهِ تجري
لقد فتنت آثارُ لبنان لبّهُ فحاول ان يسعى اليها على البرّ
ولمّا رأى سُدّاً متيناً يصدُّهُ تألّبت الامواج كالعسكر المجرِ
كأني بهِ والموجُ يعلو متونهُ خطيبٌ غضوبٌ يُنذر البرّ بالكسرِ
يهيج هياج الليث في طغيانهِ وينحب كالثكلى وينهضُ الوترِ
ويصدم اطراف الشواطئ حانقاً ويطعنها بالموج لا بالقنا السُّمرِ
يرى الارض لا تخشى كتائب موجهِ فيبدي ضروب الغيظ في المدّ والجزرِ
ويبصرُ في تلك الجبال معاقلاً فيزبد سخطاً واصداً فرصة الغدرِ
اذا كرّ فلّ الصخرَ جرّارُ موجهِ فيرتدّ مهزوماً على عقب الذعرِ
فأعجبْ به بحراً يحيّر فكرتي بما فيهِ من خيرٍ وما فيهِ من شرّ
وما اللؤلؤ الوهّاج في غورِ لجّهِ مخافة ان يُبلى بشائبةِ الكبرِ
تسيرُ الجواري فوق متن عُبابهِ كما تسبح الأجيادُ في المهمهِ القفرِ
فلولاهُ ما اهتزّت ركابُ رجالنا الى أسحقِ البلدان في طلب الوفرِ
فعادوا بأموال جلت عن بلادنا جيوش همومٍ جنّدتها يدُ العُسرِ

على انَّ لليمّ الخضمّ كوارثاً واصغرُها خنقُ النفوس على الغمر
فكم من غريق ذاق في البحر حتفهُ فزّج بهِ التيّار في هـوّة القعر
تجمّعت الحيتان من حول جسمهِ فصادف في اجوافهـا لجّة القبر
وكم من فتًى قد بات فوق غمارهِ كما باتت الورقاء في مخلب الصقر
لئن هالني العجّاجُ وقت كلوحهِ فبهجتُهُ تجلو البلابل عن صدري
تمدّ اليهِ الشمس من عرش مجدها حبالًا كسلاك اللآلىء في النحر
كاني بها ترنو اليـهِ صبابةً وتبغي اللقا والدهرُ يحكم بالهجر
لذلك تمار وجهَها صُفرةُ الجوى وفي قلبها الاشواق تلذعُ كالجمر
اذا حان ميعـاد الفراق تلهّفتْ وانّت وسَيلُ الدمع من عينها يجري
تُودّعـهُ والشرقُ يزفر لوعةً فلله توديعٌ امرٌ من الصبر
كذلك يلقى المرء آخرَ عمرهِ اذا صرف الأيام في اللهو والوزر
لقد سامني هجرُ الغزالة وحشةً اشدَّ على قلب الابيّ من الاسر
ولولا هلالٌ لاح في غسق الدجى لبتُّ بلا أُنس الى مطلع الفجر
بدا في سماء العزّ ينشر نوره على صفحات الكون مبتسم الثغر
ومن حولهِ زُهر النجوم كانهـا جنودٌ لهُ تحميه من صولة الدهر
هنا القلبُ مني حين أرخى حبالهُ على طود لبنان بمظهرهِ الدُّرّي
فخلتُ على تلك الجبـالى بحيرةً من النور او روضاً من الدرّ والسحر
جبالٌ اذا أمَّ الليلُ رياضهـا تنشّى عبيرَ البُرء من نفَس الزّهر
شُغفت بهـا طفلًا واني محبُّهـا ولا انثني عن حبّها مدةَ العمر
حوتْ من أباةِ الناس قوماً تنزّهت نفوسهم عن موقف الضيم والضرّ
لهم همّةٌ شمّاء لا تعرف الوَنى وقلبهمُ قد قُدَّ من مهجة الصخر
نظرتُ الى بيروت تختـال عزّةً بابنيةٍ شُمٍّ تجلُّ عن الحصر
عليها سمات الظرف والمجد والبها ومن حولها الجنّاتُ عابقةُ النشر
تحدّث عن اخلاق سكّانها الأُولى عرفنا بهم صـدق المهزّة للبرّ
فكم لجنة خيريةٍ تبذل اللُّهى لتدفع عن اهل الشقا عارة الفقر
ألا حبّذا تلك المشاريع انّهـا تُنيلهمُ الذكر الجميل مع الاجر

اذا افتخرت اهل اليسار بمالهم ففخرهمُ بالفضل والعمل البرّ
اطلتُ وقوفي في المشارة باحثاً فضاق مجال النظم عن كرّة الفكر
وما كان عهدي بالقريض يخونني ولكن نطاقُ الوصف اوسع من شعري

مرآة الحسناء

ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مرّاش

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

فرنسيس بن فتح الله المرّاش احد نوابغ الشعراء الحلبيين في القرن المنصرم وقد ذكرناهُ مع غيرهِ من اسرتهِ الكريمة في كتابنا تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر وعندنا تآليفهُ (ج ١ ص ٤١). ومن كتبه التي نُشرت بالطبع ديوانهُ المدعو مرآة الحسناء الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٧٢ في مطبعة المعارف بهمّة احد ادباء الكتبيين المسلمين احمد وهبي الحلبيّ . فعرف بهِ الشعراء ما آتاهُ الله صاحبهُ من القريحة الوقّادة لنظم القريض الحسن والشعر الرائق الذي قلّما فاقهُ فيهِ معاصروهُ لاسيّما النصارى اللهمّ الّا بعض الافراد كالشيخ ناصيف اليازجيّ وبطرس كرامه . ولذلك اطراه شعراء عصرهِ من مسلمين ونصارى فقال الشيخ بكر الزهري عنهُ مؤرخاً :

هو شاعرُ الدنيا بديع زمانها انسانُ عين خلاصة الفصحاء
فلهُ من الشعر الحلال قصائدٌ كقلائد نُظمت من الجوزاء
لا عيب فيهِ غير انّ لسانهُ ينبوع كلّ بديعة غرّاء
عجباً فارّخ كلّما سطع اليها هذا جمال المرأة الحسناء

والديوان المطبوع غزير المادّة وافر القصائد البالغ مجموعها ٣٤٨ صفحة من قطع الثمن . وهو اليوم قليل الوجود . وقد وقعت في يدنا نسخةٌ منهُ مخطوطة قد بيعت مؤخرًا في بيروت فاشتراها جناب الاديب الهمام يوسف افندي ليان سركيس تكرّم علينا بالنظر فيها وسمح لنا بالكتابة عنها في المشرق ان استصوبنا الامر . فبعد المراجعة رأينا انهُ لا يخلو تعريفها من الافادة

فهذه النسخة المخطوطة صغيرة الحجم متقنة الكتابة ومجلّدة بجلد احمر منقوش

بالذهب يبلغ عدد صفحاتها ٢٤٧ صفحة الّا انّهُ قد نُزع منها كرّاس (٦٢ — ٧١) من القصائد الداليّـة وخطّها نسخيّ ناعم في غاية الحسن والضبط تحتوي كل صفحة منهُ ١٨ بيتاً . واسم الناظم لم يُرْوَ في صدر الكتاب بل لم يُذكر في اثنائـهِ ولولا اشارات خفيفة في بعض القصائد لمـا عرفنا ناظمها . وكذلك اسم الديوان وتاريخ كتابتهِ ليسا بمدوَّنين هناك وكأن الشاعر لم يعوّل بعـد على طبعهِ فلم يختر لهُ اسماً يوافقهُ

وقد قابلنا مـا تحتويهِ النسخة الخطيَّة من المنظومات مع الديوان المطبوع فاذا هناك عدَّة قصائد او مقطعات لم تُنشر بالطبع فلم نعلم سبب الضرب عنها واملَّ ناظمها او المتولي لطبع الديوان لم يستحسنها فعدل عن نشرها واستعاض عنها بقصائد اخرى تُرى في النسخة المطبوعة لا ذكر لهـا في المخطوطة او يكون جامع الديوان المخطوط احد اصحاب الشاعر جمع هذه المنظومات من اوراق بعد وفاتهِ سنة ١٨٧٣ فان فرنسيس مرّاش كان في اواخر عمرهِ مكفوف البصر فمن المحتمل ان تكون هذه الاوراق فُقدت منهُ فوجدت في تركتهِ بعد موتهِ وكتبت في هذه النسخة والله اعلم

وعلى كلّ حال قد احببنا ان ننشر هنا اجود هـذه القصائد لئلا تأخذها يد الضياع . فممَّا ورد لفرنسيس المرّاش من الشعر في باب الهمزة قولهُ (ص ١١) في مدح بعض مواطنيهِ المسمَّى رزق الله يشكرهُ عن نعمةٍ نالها :

غوثُ الصغير بساعدِ الكُبَراء وقوى الضعيف بقوَّةِ العظماء
لولا ضياء الشمس في جلّد السما لم يأتِ جرمُ البدر بالاضواء
ذو المأثر من راجيهِ ليس بمُعرِض واخو المروءة ملجأ الضعفـاء
ما كنتُ ممَّن حاز كلَّ سعادةٍ لولا الذي قد حاز كلَّ سناء
اعني بـذاك الشهمَ رزق الله مَن بنوالـهِ يعلو على الانواء
الفاضل الهادي الشهامة من غدا تاجَ الكرامِ وعمامةَ العقلاء
قد جئتُ مفتخراً بوصف صفاتهِ مدحُ الاكارمِ فخرةُ الشعراء
يا ايُّها الغطرُ الذي بسما الهدى شمسٌ وبحثي مثلَ الجوزاء
ببحور فضلك قد غرقتُ فان أقُم عمري بشكرك لا يقوم وفائي
فلك المدائح والثنا والشكرُ ما لثمتْ خدودَ الورد ريحُ صباء

ومن نظمهِ في قافية الباء بيتان (١٥) كتبهما على كيس تبغ :

اذا فاح عرفُ المسك يوماً بمحفلٍ فانْ شذا هـذا الدخان لأطيبُ

سقى الله ارضاً انبتتهُ مع الصفا وغادرت الاكدار بالنار تُلهبُ

ولم نجد في الديوان المطبوع في قافية الباء قصيدةً انشدها سنة ١٨٥٦ في مدح السلطان عبد المجيد اوّلها قوله :

علتْ فلكَ المجد الظليم جوانبهْ فحلّتْ امانيه وسارت مواكبهْ
مليكٌ يصيبُ النائبات بثاقبٍ اذا ما بدت كتّابهُ وكتائبهْ
مجيدٌ حليمٌ عادلٌ ذو عناية حميدٌ حكيمٌ باسلٌ عزّ جانبهْ

ومنها : اذا زان افقَ الملكِ كوكبُ انسه وليس يزينُ الافقَ الّا كواكبهْ
وقد طلب الفوز الكبير فنالهُ على قدر المطلوب قد جاء طالبهْ
غورٌ قليبُ الخافقين مهابةً اذا انتشرت اعلامهُ وقوانبهْ
ومذ لاح نور العدل منهُ انجلى به ظلام الردى والظلم عارت غياهبهْ
سرت نسماتُ الأمن منهُ فأنعشت قلوبَ الورى واندهر طابت مشاربهْ
فيا ربِّ صُنْهُ ما بدا الصبحُ باسماً على الثور والديجورُ شُقّت جلاببهْ

وقال من قافية التاء في تاريخ زفاف المسمى دانيال (ص ٣٥) :

بلابلُ الانس والافراح قد صدحت في حيّكم وزهور البشر قد نفحت
وكوكبُ السعد من برج الهناء بدت انوارهُ فجلت ليل الاسى ونحت
هُنّئتمُ بزفافٍ كالجنان زها رنت به حسبُ الشهباء وانشرحت
عرسٌ تموّج بحر المكرمات به وعن سماهُ نجوم المجد ما نزحت
اقول حين ارى التاريخ تمّ به لدانيال قلوبُ الشعب كم فرحت

وقال يتشوّق الى صديقه نصر الله وفيه تضمين اسمه (ص ٣٦) :

بعد الاحبّة لا يزال عذاباً قلبي بنار الشوق والفراق
فانا القتيلُ ومنْ يبشّرنا تُرى بورود نصر الله فهو حياتي

ومن نظمه في باب قافية الثاء (ص ٣٧) يهجو رجلاً ورث مالاً فتشاءم :

ان تنلْ تالداً يقولوا وريثٌ او تُصب طارفاً يقولوا حديثْ
انما الفضل للذي يربحُ الاموال بالجدّ فالوريثُ خبيثْ
حدّثوني عن احمقٍ انهُ قد نام الثنا بالغناء وبئس الحديثْ
ايها الثمرُ لستَ تغنمُ بالما ل سناء قالوا شيءٌ غثيثْ
ان ورثتَ الاموال مذ غفل الدهرُ فما الفضلُ والشهى موروثْ
انتَ لولا الميراثُ ما كنت تسوى درهماً للثرا فمتْ يا وريثْ
ان تغنْك الاموالُ من سطوة الفقر فمن سطوة الغنى من يغيثْ
والغنى لم يُفدْك اذ انت محتا جٌ الى العقل وهو عنكَ نئيثْ (كذا)

وله في قافية الحاء تاريخ زفاف المسمّى عبد الله (ص ٤٥) :

بزفاف عبد الله قد تمَّ الفرحْ وجلا سنا السرَّاء دَيجور الترحْ
عرسٌ به صدرُ الزمان قد انشرحْ فصفا ومن احكامهِ البؤس انترحْ
تثرى اليهِ اقبلتْ غرزُ المُلحْ وبروضهِ زهر السعادة قد نفحْ
ناديتُ اذ نالَ الهناء وما برحْ فافهُ تبيانَ التواريخ منحْ
بزفاف عبد الله قد تمَّ الفرحْ ١٢٧٣ (١٨٥٦)

وقال في من يزخرف القول ولا يكترث للمعنى (ص ٤٥):

يا من يزخرف قولاً علَّ يُفحمنا به ألا دعْ كلاماً غير ممدوح
فزُخرفُ القولِ في ما لا مقامَ لهُ كثوب وشيٍ على جسمٍ بلا روح

ولهُ تهنئة في مولود (من قافية النون ص ٤٩) سنة ١٨٥٠:

لكمُ الهناء ولي المسرَّةُ سرمدا في خير مولودٍ بحيّكمُ بدا
قد جاء فخراً للرجال وزينة بين العشائر وللملا عزاً غدا
لا زال نورُ المجد فوق سريره والبشرُ منبجساً ويعلو الترقدا
شهرٌ من فيهِ بتاريخٍ ارى شمس السرور ببرج يوم اسعدا

وقال هذه الزهريَّة (ص ٥٨):

طابَ الصَّبوحُ فدعْ جوار المرفدِ واصغِ الى الروض المذيب المورد
هلَّا رأيت الليل ولَّى هارباً والفجر جاء على جوادٍ اربدِ
وغنا بياض الصبح ايضَ نورهِ ورمى به عتق الظلام الاسودِ
فذر الهموم على الفراش وسر بنا نحو الرياض تفزْ بعيشٍ ارغدِ
حيثُ الصبا سقتِ الرُّبى خمر الندى والورقُ ابدت نغمةَ الصوت الشَّدي
والطلُّ لاحَ على الشقيق كأنهُ عرقُ الحياء على خدود المُرَّدِ
والزهر بين مرصَّعٍ ومنضَّدٍ والنهر بين مسدَّعٍ ومزرَّدِ
والنَّور في تلك الخمائل قد حكى دُرراً نثرنَ على بساطٍ زبرجدِ
ثغر الأقاح هناك يبسم كلما يبكي الغمامُ وما لهُ من مُنجدِ
غنَّ من روض انيقٍ خلتهُ مغنًى يزان بكلِّ نقشٍ جيِّدِ
صدحت طيور الانس فيهِ والمنا صفا من الاكدار والبؤس الردي
مغنًى غدا للظرف ظرفاً اذ حوى مغنًى اليهِ سوى الهنا لم يُسنَدِ
وحكى كتاباً في كثيبٍ حولهُ برعى وبثنا كلَّ ظبيٍ اغيدِ
فلنعمة الله انتشى وبنصرهِ وسعد المنا وبعبدهِ لم يُفقَدِ
وبهِ السرور بدا فقلتُ مؤرخاً الضيمُ في هذا الحمى لم يوجدِ

وقال في قافية الراء في مدح بعض ادباء الشبان من قصيدة (ص ٨١):

غصنٌ بروض المكرمات قد انتمى ولقد نما في ذروة الاحرارِ

اوصافهُ راقت فأبدت للورى صور الجلال فحيَّرت افكاري
ريحانهُ الارواح ذكرُ خلالهِ تلك التي تصفو عن الاكدارِ
حسنُ السجايا ذو فعال ما حوت عللًا فقد سلمت عن الاوضارِ
لا عيبَ فيهِ غير ان خصالهُ بالعقل تفعلُ فعلَ كأسِ عقارِ

ولهُ في مدح جبرائيل دلّال من قصيدة (١٠٢):

ما روضةٌ نظمت ايدي النسيم لها عقدًا من النَّوْر اضحى نزهة البَصَرِ
وافترَّ ثغر الأقاحي والنصونُ بدتْ بالرقص لمَّا شدا القمريُّ في الشجرِ
يومًا بأحسنَ مرأى من محاسن مَنْ تجلى بيشر ابن دلّالٍ على البَشَرِ
من لم يزل بخلوص الودّ مشتغلًا ومن غدا معهد الالطافِ والغُررِ
ندبٌ حزومٌ اغرُّ فاضلٌ فطنٌ صافي الصفات سليم القلب والفكرِ
تلقاهُ شيخًا كبيرًا بالمعارف اذ يروي حديثًا وفي العشرين لم يعبرِ
سادت شمائلهُ حادت انامله كادت فعائلهُ تعلو على الزُّهرِ
حسَّادهُ ذبت قصَّادهُ غنيت ودَّادهُ رَويت من كفّهِ الغمرِ
يرعى الاخاء بحالٍ شدَّةٍ ورخاً ويضدُّ الصحب في عسرٍ وفي يسرِ
افاده اللهُ في سنّ الحداثة ما لم يستفد بعضهُ كهلٌ مدى العُمُرِ

ومما لم يروَ ايضاً في ديوانهِ المطبوع قصيدة قالها في مدح رشيد باشا لمَّا قدم حلب كشير (ص ١٠٥) اولها:

ما لوجه النهار يشرقُ بشرا وعلى مَ كلُّ يُقدِّم نذرا

الى ان قال:

الرشيد السامي محمَّد من قد راح يعلو على الكواكب قدرا
من على الجَوْر شنَّ غارة عدلٍ فجاهُ القديرُ فتحًا ونصرا
مذ اتى جاء اثرهُ الدهر بالسرَّاء والدهر لا يجيء بسرَّا
كُسيت في قدومهِ حلبُ ثو بَ نعيمٍ وجاءها الخيرُ تترى
ونعمت بلابلُ الانس في دو حِ منانيهِ والسلامُ استقرَّا
مدَّ كفًّا بفيضُ بحر نوالٍ فهو حلوٌ وقطُّ لم يبدِ جزرًا
في رياض الاحكام قد غرس الحقَّ م واجرى من العدالة نهرا
ويد الحكم بالسواء وقد أنسج طرقَ الامان برًّا وبحرا
كم وكم حقَّ شكرُنا للمليك قد هدانا هذا الوزير الاغرّا
هو عبدُ المجيد ذو النعم واللا ءي على الناس ظاهرٌ اسفرّا
من غدا في سما المالك بدرًا وبجيد الزمان اصبح درًّا
فاسألوا الله يا عبادُ فهذا حظُّكم أن يطول قدرًا وعمرا

ومن ظريف شعره غير المطبوع في قافية السين قوله يمدح مطران حلب الطيب الذكر بولس حاتم مؤدّبهُ سابقاً (ص ١٠٩):

العقلُ افقٌ والعلومُ شموسُ والشعرُ روضٌ والمعاني غروسُ
سبحان من اهدى العقول خفيّة يُجلى بها المعقولُ والمحسوسُ
والعلم مصباح يُنير وكم بهِ تُهدى الى سُبُل الرشاد نفوسُ
ما كلّ ذي علم كأرسطو ولا كلّ امرئ بالطبّ جالينوسُ
ما مرّ دهرٌ خالياً من مفردٍ فيهِ يجلباب العلوم يعيسُ
واليوم قمتُ بمدح من في دهرهِ اضحى فريدًا شخصهُ المأنوسُ
الاسقف الراعي الامين اخو الهدى السيّد الحبرُ والقريسُ
من في رياض العقل منهُ يانعٌ غرسُ المعارفِ والذكا مغروسُ
آراؤهُ شهبُ الحقائق والهدى ولسانهُ الناموسُ والقاموسُ
متسربلٌ ثوب الطهارة والتُقى ما شانَ حسنَ نقائهِ تدنيسُ
يا ايها الحبرُ المعظّم شأنهُ لا شكَّ انَّ الشان منك نفيسُ
ان قمتُ اهديك المديح فانني اهديك مالك ايها القدّوسُ
اوليتني خيرًا وقد فقتني فانا بروض الفضل منك جليسُ
فلك المديح مضاعفًا والشكرُ ما لاحت بآفاق السماء شموسُ

ولهُ في قافية السين موشح رُوي قسمٌ منهُ في الديوان (ص ١٥٣) ولم تُذكر ادوارهُ الاخيرة في مدح المسمّى نعمة الله. ومن قصائدهِ اللاميّة الحسنة رثاء قالهُ في والدهِ وكان توفي في الغربة (ص ١٤٤) هذه بعض ابياتهِ:

يا روح ان نفدت دموعي سيلي بدمي وبا قلبي التهب خليلي
دلّ ألمٌ بنا فليس دواءً لهُ غير اتّقاد حشًى وطول عويلِ
بي فقد والدنا الذي لم يبقِ في احدٍ فؤادًا ليس بالمشغولِ
فردٌ قضى والفضلُ اجمالٌ بهِ والموتُ كم يسعى لقنص فضيلِ
ألمذ بعدك بالنوى عيشٌ لنا ما العيش بعد نواك غير فضولِ
ان لم يكن رسلٌ اليك ليشرحوا حالي فني الروحُ خيرُ رسولِ
ودّعتني قبل الرحيل ولم اكن ادري الذي سيكون بعد رحيلِ
يا ليت كنّا حول جسمك ركّعًا لتبرّك كبني اسرائيلِ
ابقيت بالارواح منّا حسرةً تزدادُ ما زاد المدى بالطولِ
بالارض نوحٌ مذ نأيت وبالسما للقائك الاملاكُ في تحليلِ

ولهُ في قافية اللام قصيدة طويلة (ص ١٥٠) اجاب فيها احد العلماء على لُغز في العين ختمها بقوله:

فانزك عينٌ والعيون كثيرة أيا من غدا اكليل تاج الافاضلِ

وفيها ايضاً هجو شيخ جاهل قابلٍ بينه وبين شيخ فاضل فقال (ص ١٥٢):

وما شيخٌ طويل الذقن كهلٌ وليس لهُ كما الصبيان عقلُ
قبيحٌ ماكرٌ برمٌ مُضِلٌ شحيح فاجرٌ نمٌ عُتلُ
تراءى في ثياب الصدق لكن لهُ بذيول ثوب الكذب رفلُ
لقد شابت ذوائبهُ فشبَّت قبائحهُ فذا شيخٌ وطفلُ
لعاهُ الله من غمرٍ جهولٍ لهُ وجهٌ لصفع الكفّ اهلُ
ملتُ هجاءهُ عجزاً ولكن بمدح اخي الفضائل لا املُّ
كثير الودّ ذو طبع سليمٍ كريمٌ ماجدٌ ندبٌ أجلُّ
فكم شخصت عيون المجد فيهِ وعاد بهِ لسان الحمد يتلو

وفي هذا الباب لاميَّة في ١٩ بيتاً قالها في مدح المسيو جوفروا كنشلير دولة فرنسة في حلب وكان نال لهُ ان يكون تحت حماية دولتهِ وانقذهُ من جور لحق بهِ (ص ١٥٣) وهذه القصيدة روي منها في الديوان (ص ٢١٨) سبعة ابيات فقط ولم يُذكر فيها الممدوح وسبب المدح. فمما قال فيها:

والمرء لا ينفكُّ عن مثلٍ لهُ لكن لمن ارجوهُ ليس مثيلُ
اعني بذلك جفروا فخر الملا من قد صفت في وقتهِ الاحوالُ
من سيكم نلنا الخلاص من العدى وبنوئكم طالت لنا اذيالُ
قد راق مدحي في جميل فعالكم والمدحُ في اهل الجميل جمالُ

كذلك ورد في هذا الباب في النسخة المخطوطة (ص ١٥٦) مدح الامير بشير احمد في لبنان لم يُرْوَ منهُ في الديوان (ص ٢٢٠). الا نصفهُ وسُكت هناك عن الممدوح كقولهِ متخلصاً من النزل الى المدح:

فلا حسنُ التخلص منكِ الّا بمدح امير لبنانَ الفضيلِ
اميرٌ امجدٌ شهمٌ بنجرٌ خطيرٌ احمدٌ سامي الحصولِ
رفيعُ ذرى اتى الدنيا سليلاً بجيلٍ قد زرى في كل جيلِ
يلوحُ بهالة الافضال بدراً ويرفلُ من كمالٍ في ذيولِ
لقد وفرت بحورُ الجود منهُ فليس لنا سواهُ من خليلِ
غدا بهاء لبنانٍ شهاباً لهُ يروجو شرف الحلولِ

ومما لم يُرْوَ لهُ في قافية الميم قصيدة مدح فيها احد بني المدوَّر وكان انعم على بعض اصحابهِ فاقترح هذا عليهِ شكرهُ. اولها:

بشرى الكئيب بما بهِ يتنعَّمُ فقد انجلى عنهُ المصابُ المؤلمُ

ولهُ في قافية النون وصف لجريدة كانت تُدعى المشتري كانت تُطبع في باريس ولعلَّ متولي طبع الديوان اضرب عنها لسبب سياسي (ص ١٨٦) منها :

لِيَ عين تظلُّ جنحَ الدياجي ترقب المشتري فيا سَعْدَ عيني
كوكبٌ قد غدت اشعَّتهُ اخبا م رُصدقٍ ما شاجا من بَينِ
آنَ القرب قد بدا وللقيا ه غدا الشرق باسط الراحتينِ
يرشد الناس للتمدُّن والتهذ م يب فهو الآتي من النوعينِ
فيهِ شملُ الاخبار يحكي الثريا فاليهِ يُشار بالكفَّينِ

وكتب على كيس دخان :

اذا اصابك همٌّ مِلْ نحو بنت الدنانِ
وان يَضِقْ لك صدرٌ يُفرَجْ بهذا الدخانِ

وفي الديوان المطبوع (ص ٣١٧) القصيدة التي قالها فرنسيس مرّاش في مدح الشيخ ناصيف اليازجي . الا انهُ لم يرو جواب الشيخ عليها وهذه الابيات لم نجدها في ما طبع من اشعارهِ ولذلك احببنا ان نثبتها هنا :

دارُ التي شطَّ عنكَ مهدُها قريبةٌ والنظارُ يُبعدُها
وحبَّذا بعد ما يُرام عن النفس التي لا تنالهُ يدُها
تلك الفتاةُ التي يشيبُ لها عن فيئةِ العاشقين امردُها
مقصورةٌ في الخيام مقلتُها يقطعُ بيضَ الصفاح أسودُها
رخيمةُ النطق ضمَّ تبسمُها مثل الذي ضمَّهُ مقلَّدُها
كأنَّ ذاك الحديثَ قافيةٌ من ابن مرّاشٍ قام يُنشدها
ذاك الهلال الذي يلوحُ بهِ نور البدور الذي يكدها
غصنٌ نشا في الرياض مقتبلاً والدوحُ من مثل ذاك مولدها
اقادهُ الله في حداثتهِ مواهباً لم يزل يجدّدها
اقلامهُ كالسيوف ماضيةٌ مرفوعة الشان اذ يجرّدها
مواهبٌ يشهد العدوّ لها برغمهِ والصديق يحسدُها
قامت تخوضُ الظلامَ طالبةً صبحاً الى ضوئهِ يردّدها
لله في الخلق حكمةٌ سرت ونعمةٌ لا يغيضُ موردها
من كان يبغي دوامَ نعمتهِ فلا يكن في الزمانِ يجحدها

وفي هذه النسخة المخطوطة غير الذي روينا وانّما اوردنا ما وجدنا فيهِ افادة ويشهد للشاعر بجودة القريحة وذكاء القلب فنقف عند هذا الحدّ

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

وفي ابتداء سنة الف ومايتين واربعة عشر (١٧٩٩ م) تولى ثانيةً عبدالله باشا ثاني مرّة وبعد ايام قريبة حضر يوسف باشا الوزير الاعظم بعساكر وافرة لمحاربة الفرنساوية وطردهم من مصر وبوصوله الى حمص وحماة طلب عبدالله باشا فخرج من الشام واجتمع بالوزير بحمص. ثم وصل للشام وقتل اناساً كثيرين من الذين عملوا هيجاناً واضطراباً. من جملتهم عبيد الادهمي وهذا كان شريراً والتفّ اليه جماعة معترين (١ نحو اربعين (او) خمسين نفراً وكان ينزل على بيوت اسلام ونصارى ويرضونهُ بالمال. وعمل اضراراً كثيرة حتى راح فيه عرضحالات للوزير من اهالي الشام. واما المذكور فانهُ خاف من الوزير فاحتمى عند عبدالله باشا وذهب معهُ وكانت الشكاوات سبقتهُ لحمص. فالوزير طلبهُ من عبدالله باشا فاجتهد ان يخلصهُ وما امكنهُ ذلك. فقبض عليه الوزير وجابهُ معهُ والجنزير في رقبته ورجليه واشتفت قلوب الناس منهُ. وبعد كم يوم قتلهُ وخفي اثرهُ حتى كان الذين من غرضه يقولون ان الوزير نفاه للعجم. وايضاً قتل ابو حمزي وبعض اناس بقساوة اي قتلهم بنيشان من العسكر (٢ وما (147 r) كان يقتضي لذلك (٣ لانهم عملوا شروراً كثيرة ولكن كذا صار

واستقام الوزير بالشام اياماً نحو شهرين وفي اقامته بالمرجة كان كل يومين يحضر مئة عسكري من الشمال يستقيمون يومين ويرسلهم لارض غزّة. ومن جملة العسكر حضر عسكر من بلاد الروملي زيّهم غريب كانوا لابسين كولك (٤ برؤسهم معلق به جرس وهم اردياء قساة يماون للفحشاء والسكر ومالوا جهة النصارى يبهدلوهم ويهينوهم. وكان في ذاك الزمان ترتيب قديم لبس قواويق (٥ جوخ الاسلام بشاش

١) اوباش ٢) اي باطلاق العساكر الرصاص عليهم

٣) وما كان يحسن ذلك ٤) الكولك قلنسوة شبه الطل

٥) جمع قاووق والقاووق من ملابس الرأس الطواقي مستدير كالدنّية

ابيض والنصارى بشاش كحلي واليهود بشاش احمر وكلٌّ معروف امرهُ ولا احد يتعدّى الرسوم. والذي كسمهُ شال لا يمكنهُ يلبس قاووق. فالان بحضور العساكر صاروا يلتفتون للنصارى ارباب القواويق يظنونهم اغنياء فيلصونهم ويبينونهم مع اليهود. فالتزموا الجهتين ان يغيروا لبس القواويق ويلبسوا شال سنجابي وكحلي واليهود ابطلوا لبس الاحمر وصاروا يلبسون حكم (مثل) النصارى حتى ما عادوا يعرفون الّا من لهم سالف شعر. واما الاسلام فانهم بقيوا (بقوا) على كسمهم يلبسون على القاووق شال ابيض والأشراف اخضر. الى بعد مدّة سنين صدر امر سلطاني بابطال لبس القاووق كليًا وما عاد لهُ وجود ولا احد يعرفهُ من المحدثين

ثم ان الوزير قام من الشام لغزّة وقبل سفره بايام احضر عبدالله باشا وولّاهُ بالشام فاستقام ثلاث سنين وينيف

ومن الحوادث في ايامهِ ان القبيقول (١ بالشام قصدوا فتنةً وشرورًا واغا القلعة مصطفى ارفلي او كركتلي سكّر القلعة والتزم لن الباشا يحاصرها وحصل شلش (اضطراب) كبير. واخيرًا من الضيقة والجوع طلبوا الامان. فقال لهم الباشا: لا يمكن (ان) ارضى عليكم ما لم تسلموني مصطفى اغا وبعدهُ عليكم امان الله. فتشاوروا فيما بينهم وحسن عندهم ان يسلموه ويخلصوا من الضيق الذي هم بهِ. فدخلوا عليهِ وربطوه ودلّوه من القلعة فاخذوهُ لقدّام الباشا وباخال خنقهُ ورماه بالسرايا. وحينئذٍ فتحوا الباب وخرج الجميع وما حصل عليهم نتفٌ ضرر من الباشا وهمدت البلد

ثم ان الباشا تحرّك لمحاربة مصطفى بن مقسم طرابلس وتوجّه (147ᵛ) بنفسهِ بعسكر وحاصر القلعة بقوة شديدة وطال الحال والتزم بربر ان يلتجي الى احمد باشا الجزار والمذكور كان عمّال يكاتب الدولة على منصب الشام. فما اعطى جواب لبربر عن شيء. بل على غفلة بوصولهِ للمنصب ارسل الاوامر للشام الى محمد عقيل صحبة الفين عسكري دخلوا ليلًا. وكتب الى عقيل المذكور ان يمسك البلد ويمسك حالًا عبد الرحمن افندي مرادي وحسن آغا دفتردار المتسلم وابن سيح متسلم حمص ويقتلهم حالًا. فالاثنين المتسلّمين مسكهم في مخادعهم وهم نيام. امّا عبد الرحمن افندي فانهُ جاءهُ نذير فهرب. والى ثاني يوم حصة (نحو) العصر حتى وجدوهُ في

١) القبيقول وفي التركيّة قبوقولي ومعناها عسكر الباب اسم لستّ فرق من الجند

حارة الجديدة مخبّى في بيت فسجنوا الثلاثة في القلعة ونادوا باسم الجزار. فبلغ عبدالله باشا ما صار بالشام فقام حالاً عن طرابلس وحضر للشام حتى ينظر الخبر. لان ما كان عنده علم عن شيء من اسلامبول. فلمّا تحقق انهُ صحيح وان الدولة متغيّرة من نحوه جدًا خاف وبالحال ذهب لعند العرب ودخل بالشول (بالبرّية) الى ان وصل لبغداد واستقرّ هناك. ومصطفى بربر طلبهُ الجزار لعكا فتوجه حالاً ورجع ثاني متسلم كما كان حيث طرابلس تابعة حكم الشام وكان ذلك في سنة الف ومايتين وثمانية عشر (١٨٠٣ م)

﴿ تولي احمد باشا الجزار ثالث مرّة ﴾ وكان الجزار يكتب الى محمد عقيل بيلرديات باشيا. متعارفة تخصّ الاحكام ونظام البلد. والمواد الجوهرية كان يكتبها بوريقة لعلم ما يريد عملهُ ويضعها ضمن البيلردي بغير ختم استدراكاً منهُ حتى لا ينسك عليهِ غيطة (١. وهكذا لما امرهُ بقتل عبد الرحمن افندي والباقي كان بورقة برانيّة. وانّما محمد عقيل كان عاقلاً ويستدرك الامور. فمن لجاجة الباشا بقتل المذكورين ما رضي يقتلهم بل وضعهم في بير بطرف القلعة ناشف ولهُ تاقنة بالسور لاجل النور ودخول الهواء. كأنّ المكان اوضة عميقة بالارض. وفكّر ان ربّا الباشا يعفي عنهم فيكون ارتاح من غائلة الفتي. وربّا انهُ انزل معهم اكلاً وشرباً. والحال انهُ ما صار من الباشا شيء. بل (بقي) الامر كما هو. وماتوا ضمن البير وبقيوا (وبقوا) فيهِ الى حين ظهر امرهم فيما بعد. ثم بعد ايّام قريبة ('148) انطلب محمّد عقيل لعكا وقيل انهم اخذوهُ وبوصولهِ وضعوه بالسجن وعذبوه (كي) يقرّ على الاموال التي عندهُ. فمن العذاب اقرّ على مخباية بدهليز بيتهِ بالحيط فارسل الى كتخ احمد متسلّمهُ ينظر ذلك فوجدوا مبلغ ريال قنس (؟) سكة السلطان مصطفى قيل انهُ كان اثنا عشر حمل ربّا عشرون الف ريال واكثر وارسلوهم لعكا

وبوقتهِ حضر قبوجي (٢ لمن طرف الدولة بالملامة على الباشا بقتلهِ عبد الرحمن افندي ضدّ الرسوم وان بيت المرادي يُقتلون نظير العامة. فلمّا اطلع الباشا على الكتابات خادع القبجي وارسلهُ للقناق (٣ ليرتاح وثاني يوم عمل ديوان وحضر القبجي

١) كذا. ولعلّها « غلطة »

٢) رواها على صورتين قبوجي وقبجي ومعناها الحاجب ٣) المنزل ينزلهُ المسافر

وانطلب محمّد عقيل وهذّره (١ الباشا وقال لهُ: كيف انك تجاسرت وقتلت المفتي وصار يشتمهُ ويكبر عليهِ الوهم. اخيراً طلب منهُ ان كان معهُ امر صريح بقتلهِ يظهرهُ. فابن عقيل انخجل وما بقي يعرف كيف يجاوب فلزم سكت (ان يسكت). وصار الباشا يرغش (يغلّظ) بالحكي ويلتفت للقبجي ويقول له ان اهل الشام بهايم وعندهم بغضة ورداوة في بعضهم ولا يقدّرون العواقب. وان هذا بينهُ وبين المفتي عداوة فلما صار لهُ فرصة قتلهُ وهذا لهُ زمان زوبا (٢ بالشام ولهُ عَزْوه (٣ من اهل الميدان ودايماً يظهرون عصاوة على الوزير ويطردهم من الشام بطابقة هذا الرجل. وبالنتيجة اظهر الجزار برارتهُ من قتل المفتي ثم اظهر غضباً شديداً وارسل عقيل للحبس وارسل عمر اغا تفنكجي باشي خنقهُ وقطعهُ اربع قطع ووضعوهُ ضمن قفة ورموه بالبحر واظهر قدام القبجي انهُ لا يريد ينجس الارض فيهِ وكتب جواب للدولة بما توقّع ومضى الامر

ثم الذي عملهُ الجزار بهذه السنة بالشام من المظالم والمقاهرات ابلغ من كل ما تقدّم. وهرب اغلب المستورين لحلب والجبل والذي وقع انضام جداً. ومن الجملة حاش (مسك) نفرين تجار معتبرين محمد صواف وامين قباقيبي واهانهما جداً واخذ منهما مالاً كثيراً وطلب القباقيبي لعكا ووضعهُ بالسجن وكان قاصداً اعدامهُ (148٧) بسبب خيانة صدرت منهُ قديماً بسعيهِ في عزلهِ من الشام وتولي عبدالله باشا لانهُ اسعف المذكور بمبلغ مال دفعهُ عنهُ للدولة في اسلامبول. وكان القباقيبي دايماً مضطرباً وخايفاً من الجزار حتى رمتهُ المقادير ووقع بخطر الموت

وهكذا مضت هذه السنة على اهل الشام بغاية الكرب والكدر وكان الشيخ طاها الكردي المتقدم عندهُ في عكا وبيدهِ الحلّ والربط رجلاً رديًا مغضوباً ليس عندهُ شفقة ولا رحمة. وارسل للشام جماعة اكراد قُساة لاجل يعذّبون الناس

وبهذه الغضون كان الجزار اعتراه مرض الاستقساء ومشغول فكرهُ من مرضهِ وطاها الكردي يعمل ما يريد الى ان الله تعالى اذن بالفرج بموت الباشا في سابع وعشرين محرم سنة تسعة عشر ومايتين والف (١٨٠٤ م) موافق اربعة وعشرون

١) وبخهُ واهانهُ ٢) اي انهُ متمرّد وقاطع طرق ٣) اي انصار واصحاب

نيسان (١ صباح احد الفصح وذلك كان رحمة من الله لان الكيل وصل لحده وما كانت الناس تصدّق انهُ مات لولا تواتر الخبر من كل الجهات. وقيل انهُ قاسى اوجاعاً مهولة في مرضهِ وزال من الدنيا وسبحان الدايم الباقي. ودفنوه ضمن الجامع الذي بناه

وحين وصل الخبر للشام استلم البلد القاضي وهاج الناس وقتلوا هاشم اغا واولادهُ وهذا كان صار متسلماً بالشام ولهُ امور ردية وقصدوا يقتلون كنج احمد المتسلم فهرب القلعة وتحصن. والقاضي نصب متسلماً والي اغا وهذا كان لطيفاً وانما ما امكنهُ يضبط البلد وكانت فالتة كانها بغير حكم وآغا السكمان (٢ واقف قدام اهل البلد بالقلعة وضرب مدافع كثيرة واحترق جملة بيوت ودكاكين. وارضوا المذكور بماية كيس وهي مفضّة (٣ على قولهِ وقال انهُ متى دفعوها لهُ يقوم من الشام. وبالحال فرضوا ذلك: سبعين كيساً على الاسلام وعشرين على النصارى وعشرة على اليهود. وحينما جابوها لهُ ما قبلها وقال انهُ لا يقوم من الشام الّا بامر الدولة وصار الحال مكروباً

ثم ان اهل البلد قتلوا علي آغا الشاع (149r) هذا كان عواني شريراً. فنزلوا الى بيتهِ وقتلوه ثم ربطوا حبلاً برجليهِ وجروه الى الباب الشرقي ورموه في قليط (٤ وبعدهُ جاء اهلهُ وغسلوه ودفنوه. ثم فتشوا على المعذبين الاكراد فجهدوا وجدوا منهم سبعة انفار مختفين في تلّ منين فقيّدوهم وجاءوا بهم للشام بحال مهين بضرب وعذاب وكان الاكراد يقولون لهم: اقتلوا ولا تعذبوا. ولكن الناس كانوا مقهورين منهم من قساوتهم الردية. ثم قتلوهم وقتلوا غيرهم ايضاً ومع وجود هذا الهيجان والشلش (الاضطراب) بالبلد ما صار تعدي على احد

ثم في شهر صفر حضر اخبار تولّي ابراهيم المحصّل الحلبي

ثم تولي ابرهيم باشا ثالث مرّة ﴿ هذا كان والياً بحلب فارسلتهُ الدولة والياً على الشام وأرسل من قبلهِ متسلم اسمهُ سيفي آغا لحين حضورهِ. وبهذا الشهر وصل

١) بموجب الحساب الشرقي
٢) السكمان فرقة من الانكشارية
٣) اي يُفضّ بها المشكل
٤) مجرى الاقذار

سليمان باشا بالحج وهـذا كان ارسلهُ الجزار امير حج بسبب تشويشهِ. واستقام الباشا المذكور بالشام ينتظر جواباً من الدولة بسبب انهُ لا يمكنهُ يروح لمكا لان اسمعيل باشا تملكها بواسطة تدبير طاها الكردي والامور واقفة

وفي هـذا الشهر وصل ابرهيم باشا للشام والعسكر الذي كان مع سليمان باشا لمحافظة الحج راح لمكا وراح معهم كتج احمد والعسكر المذكور نهب في طريقهِ جملة قرايا

وفي هذه الاثناء صدر مناداة بالشام من ابرهيم باشا بان تمتنع النصارى واليهود من شرب العرق والخمر ويرفعوه من بيوتهم وصار فحص وتفتيش واضرار. ومن الوهم كنت تنظر كل من عندهُ خمر وعرق يهرقهُ في السكة

ثم في ربيع اول ورد فرمـان الى ابرهيم باشا تقرير ولاية الشام وصيدا. وطرابلس. وحضر فرمان الى الامير بشير حاكم الجبل ومكتوب من الوزير الخشام عنوانهما ان يكون بطاعة ابرهيم باشا ومسعفاً لهُ في اصلاح حال صيدا. والسواحل. وارسل ابرهيم باشا كتابة الى امراء الجبل يحرضهم على محافظة البلاد وان يكونوا مطمئنين من سائر الوجوه

صورة الفرمان

(لتولية ابرهيم باشا)

(149) قدوة الاماثل والاقران القاطن في ايالة صيداء زيد قدرهُ

يكون معلومك هذا التوقيع الرفيع السامي الواصل اليك هو انهُ في هـذه الاثناء جزار احمد باشا والي صيداء ارتحل لدار البقا وتجهنا ايالة صيدا والشام وطرابلس الشام وامبرية حج وسرعسكرية الحجاز الى عمدة الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم وزيري الحاج ابرهيم باشا ادام الله اجلالهُ وامرناه بان يقوم على جناح العجلة ويتحرك الى جهة صيداء وتلك المحلات يستقيم لاجل ضبط وربط المملكة ودفع اهل الفساد. وانت ايها الامير المومأ اليه تكون تحت امر ورأي الوزير المشار اليهِ وتظهر حسن الخدامة والصداقة وكمال النيرة. فبناء على ذلك اصدرنا لك امرنا هذا الشريف خصوصاً وارسلناه حال وصولهِ تكون انت والمشار اليهِ برأي واحد في سائر الاحوال ساعياً بحسن النيرة لما يامرك بهِ. واحتذر المخالفة على الوجوه المشروحة بموجب صدور اوامرنا الشريفة تكون ممتثلاً ومتنبهاً. واعتمد هذه العلامة الشريفة غاية الاعتماد. تحريراً في اواخر صفر سنة تسعة عشر ومايتين والف (١٨٠٤ م)

وكذلك المكتوب من الوزير بنص ذلك. ثم ونظير هـذا الفرمان حضر الى

يوسف الجزار بنابلس والمضمون جميعه لاجل ضبط البلاد ومنع الفساد. وباطن الامر تنبيه حتى لا احد يلتفت الى ناحية اسمعيل باشا الذي اعتمد العصاوة في عكا ولا يريد يسلمها الى ابرهيم باشا وصار عنده عساكر وافرة سيما العسكر الذي كان بالحج. اما ابرهيم باشا فانهُ عزم على التوجه لصيدا وارسل عسكر وجبخانة (١. وفي ستة عشر ربيع الثاني قام الى صيداء اوّلاً. وقبلاً بيوم راح سليمان باشا لصيدا وهناك يحصل التدبير في مادة عكا. ثم توجه سليمان المذكور بالبحر لعكا لاجل يعمل موافقة مع اسمعيل باشا وما صار افادة والتزم يقوم الى عكا وحصلت محاربات كثيرة بينهم وايضاً حضر عمارة (اسطول) بحرية واشتدت الامور واسماعيل باشا ووجوه العسكر خامروا (تآمروا) على طاها الكردي وقتلوه لانهم لحظوا خيانة صدرت منهُ

ثم انَّ اسماعيل (150') باشا اجتهد كثيراً بالحروب واخيراً غلب وهرب وحاشوه (وامسكوهُ) في قرية شفاعمر وارسلوه لاسلامبول وقيل انهم هناك تشفعوا فيه. ولكن بعدهُ تحققوا انهُ قُتل وارسلوا حكم منصب صيداء الى سليمان باشا وابرهيم باشا انقام من عكا بامر الدولة وجاء للشام ثم انعزل من ولاية الشام وتوجَّه لديار بكر وحضر المنصب لعبدالله باشا في سنة الف ومايتين وعشرين (١٨٠٥ م)

﴿ تولي عبدالله باشا ثالث مرة ﴾ فحضر نستام ولكن في غياب ابرهيم باشا في عكا حصل فتنة بالشام ردية جداً بين الانكجارية والقبيقول وصار حروب بينهم وجاريح وقتل وحريق اسواق ودكاكين من ضرب المدافع من القلعة. فلمَّا وصل عبدالله باشا للشام هدت (هدأت) الامور نوعاً ولكن في غياب الباشا بالدورة اشتدت الامور فارساوا اعلموه فوعدهم انهُ قريب يحضر. ومن عدم التدبير من الباشا طمعوا فيه لان غرضهُ كان مع الانكجارية. ولكن ما نفعهم بشي سوى انهُ قوى عبارتهم واحدقوا الشاغور وخلافهُ. اما القبيقول فقد اعانتهم القلعة وبطشوا بالانكجارية بغتة وقتلوا ثلاثة انفار صالح قطان واثنين آخرين قتلهم اسمعيل اخو

---

١) الجبخانة الذخائر الحربية كالبارود والاسلحة

عبد الرزاق آغا القلعة وبسبب ذلك هجم الانكجارية وكمدوا على برجهم. فحضر الباشا وما ظهر منهُ شيء وعبد الرزاق متحصن بالقلعة والباشا ضامر لهُ السوء. ولكن لا يمكنهُ محاصرة القلعة بسبب مداركة (١ امور الحج . فهمّد الشرّ بين الجهتين بواسطة كنج يوسف دالي باش وهذا كان صديقاً لعبد الرزاق. والباشا خلع على اسمعيل بيد ناشي بحماية كنج يوسف المذكور

ثم حين طاوع الحج اقام كنج المذكور متسلماً بالشام وحالًا اظهر مرجلة ونزل بالدورة بالليل وقتل رجلًا انكجارياً نظرهُ بالليل بغير نور. فناداه: من انت. فجاوبهُ بصوت عالي: انا فلان انكجاري. فضربهُ بالسيف فرمى راسهُ. (فلمّا) اصبح الناس ونظروا ذلك انوهموا وهابوا وتوجه الباشا بالحج. ففي المزيريب رجل قبيقولي قتل نفرًا وهرب (150°) فكتب الباشا المتسلم عنهُ فمسكهُ وقتلهُ ودخل الخوف على الجميع. ولكن القبيقول بقيوا رافقين (اي بقوا متغلّبين) بسبب ان المتسلم من غرضهم. والباشا قبل سفرهِ امر بعمار ما خرب من الاسواق واستكنت الاحوال

ثم انهُ في شهر (ذي) الحجة ورد اخبار برجوع الحج والباشا الى المزيريب هرباً من عبد الوهّاب الذي تسلط على الحجاز وجمع غفير تبعوهُ (وشاع) القول انهُ من حين وصل الباشا لتلك الاماكن قام عليهِ الاهالي ومنعوه من الدخول الى بلادهم ودعواهم انهُ اخذها الوهابي. وما كان احد يتحرك لمرافقتهِ حتى ان الوهابي ارسل علماً للباشا ان كنت تريد تحجّ لا باس ولكن بشرط تسلّمني السنجق والمحمل وسلاح العسكر وانا اخفرك للشام. وان ما ارتضيت فاطردك. وكان كيخية الوالدة (٢ مع الباشا. فعمل الباشا ديوان بحضورهِ والصرة امين (٣ واشهر لهما انهُ يحارب الوهابي فمنعاهُ واشارا اليهِ ان يرجع للشام وهما يعطيان جواباً للسلطان واخذ منهما سنداً بختمهما بذلك ورجع للشام بغير حج بسرعة كلية

وبقي هناك جانب من الحجاج منهم فُقدوا بالطريق ومنهم تاهوا وقاسوا الاهوال من التعب والعطش حتى وصلوا للشام ومنهم حجُّوا برضى الوهابي ورافقتهم جماعة وهابيّة الى اراضي الشام

---

١) قرب وصول ٢) يريد والدة السلطان

٣) الصرّة امين هو ناظر المال

وحين وصول الباشا للشام صار ضوجة (ضجة) واضطراب بين الاسلام. اخبرنا رجل عمدة كان بالحجّ انهُ لما حضر الشريف الكبير الى خيمة الوزير ومعهُ رجل من اتباع الوهّابي صار يحكي الشريف عن سطوة الوهابي واقتداره وانهُ غير ممكن يخلّي الحجّ يمشي بهذه الطريق وصار يتلاوم على دولة العثملي (العثمانيّة) وان ما عاد لها تدبير وتركتونا لهذه الحدود حتى خربت البلاد والمقام وان هذا ما عاد منهُ رجاء باصلاحه. وكان بالديوان كيخية الوالدة فجاوب الشريف بكلام ركيك فقام اليهِ الشريف ومسكهُ من لحيتهِ وقال لهُ: كل الغضب منك لانني حينما توجهت لاسلامبول منذ خمس سنين ونزلت في بيتك وتكلمت معك كثيرًا بهذا الخصوص وترجيتك تجمعني بالسلطان وانت تحادف (تماطل) (151 ') واستقمت عندك ستة شهور وما كان يمكن تدعني املك اربي ورجعت خائباً . ثم حلف يميناً لولا الخواطر قتلتك مكانك . واظهر غضبه وتكلم بالديوان اننا نحن والوهابيّة عليكم . وقام مع اوفاقهِ مغضباً وبعد ذهابهم التفت كيخية الوالدة وخلافهُ الى الباشا وحسنوا لهُ الرحيل لئلّا يجد شيئاً رديًا. فحالًا قاموا بسرعة وجدُّوا بالسير وكنّا. القول (يقال) انهم اخذوا القناقين بقناق (١ والذي فكروا فيهِ تمّ. لان الشريف برجوعهِ الى مكة ندم على تركهِ الجماعة فجمع عسكرًا وجاء عليهم فما وجدهم فركضوا في اثرهم فما حصّلوهم وهكذا سلموا منهم على اهون حال

ثم بعد حضور الباشا طمع بهِ اهل الشام والمتسلّم نزل عن وظيفتهِ. فبعد ايام نزل حرامية على بيت الباشا وتحسب (٢ جدًا لربنا قصدوا بهِ ضررًا . فحصل شاش واحتساب كبير وثاني يوم جاب معمارية ونجارين ورفع الحيطان والطبلات وبهذا الصنيع طمعت بهِ الناس والبلد صارت فالتة كليًا. واما عبد الرزاق فانهُ استقام بالقلعة ما طلع منها ابدًا. والباب مفتوح وعليهِ حراس. فبعد ايّام قليلة شاع الخبر بعزلهِ من ولاية الشام وتولى كنج يوسف الدالي باش المذكور

وكانت ولاية عبدالله باشا سنتين وهي الاخيرة من احكامهِ وفي زمان حكمهِ وقع حيط البرج بالقلعة بالطرف وظهر البير الذي وُضع فيهِ عبد الرحمن

١) القناق بالتركيّة المرحلة وسَير اليوم
٢) تخوّف وتحذّر

المرادي وارفاقهُ . وهذا البير بمنزلة جبٍّ تحت الارض بحيط السور وهو واسع ولهُ نافذة تسمى زغلول على السور يدخل منها الضوء فراح الناس لهذا المكان يتفرجون عليهِ فوجدوا المفتي متكي بثيابهِ وبَلي وجههُ . انما امرهُ ظاهر . والدفتردار ملقًى على قفاه وابن سبح نظروه ناحية الطاقة مطبوباً على وجهه . حال محزن . وكان محمد عقيل قبرّهم احيا . فاعرض اقرباء عبد الرحمن افندي المفتي لعبدالله باشا انهم ينقلون جسمهُ الى تربتهم في بيتهِ بسوق ساروجا فما ارتضى الباشا انهم ينقلوا جسمهُ وقال : ان هذا الحال مستغرب ويصير منهُ شلش (151٢) . ثم طلب المعمار باشي وامرهُ ان يبني بوجه السرعة حيط البرج ويرجعهُ كما كان وتمَّ ذلك حالًا وبقي كل شيء بحالهِ ومضى الامر

﴿ تولي يوسف باشا ﴾ في شهر صفر سنة الف ومايتين واثنين وعشرين (١٨٠٧) ورد العلم من الدولة بولاية المذكور . وبوقتهِ كان في حوران فراح المبشرون لهناك وبالحال حضر للشام . وعبدالله باشا لزم بيتهُ وراح سلَّم على يوسف باشا وقدم لهُ المذكور الاكرام اللائق لكونه وليّ نعمتهِ

ثم بعدهُ جاء امر بقيام عبدالله باشا الى ادنه . فقبل ذهابهِ اعطى الى يوسف باشا المال الذي لهُ عندهُ وحيث ما وجد عندهُ غرش يكفيه فاستدّ منهُ طقومة وغيرها وبوقتهِ الخاش (قُبض على) درويش اغا ابن جعفر اغا كتخداه عبدالله باشا . سجنهُ (يوسف باشا) بالقلعة وتهدده بالعذاب واخذ منهُ مبلغ مال وخيل وطقم . والناس حصلوا في وَجل وخوف من الباشا لانهُ ضيقهم حين كان متسلم فكيف الان . ولبس (وسمّي) كتخداه الشربجي حسن آغا تمر وهذا عميد الانكجارية واستكنت الوجاقات (١ لان الخوف دخل على الجميع وقتل بعضاً من المحبوسين الحرامية وكل من اذنب من جديد والذي يقع ليس لهُ شفيع ولا رفيع

اعلم ان هذا الباشا اصلهُ كردي شراه ملّا اسمعيل وآخيراً فاق على سيدهِ وخدم عند عبدالله باشا وصار دالي باش (٢ وضمن ضيعاً واراضي وجمع اموالًا غزيرة وانشأ بيتاً معتبراً بالشام ومن رخاوة الحكم طمع بالناس وتظاهر بالقوة والاقتدار وجعل

١) الوجاق الفرق من الجند والمقاطعة والناحية

٢) اي زعيم قومهِ

لهُ معرفة من اعيان الدولة في اسلامبول بواسطة رجل حمصي يدعى عبود البحري (١ كاتب عند عبدالله باشا. ففي مرور كيخية الوالدة للشام بقصد الحج نزل في بيتهِ وقدم لهُ اكراماً كلياً وفي غيبتهِ بالحج كان متسلماً فصار يرسل كتابات لاعيان الدولة وترشّحي منصب الشام. ومن كونهِ في مشروب الدولة استند على عبود المذكور حيث ان المذكور يفهم جيداً انشاء الكتابات ومختبر حال الدولة بسبب خدمتهِ عند الوزير سنين. فاستوت الطبخة وانكتم السرّ حتى حضور الحجّ وبالاخص ان الدولة كرهت عبدالله باشا من مزاياه وعدم ملاحظته (152r) بتدبير الاحكام. والأبلغ في عزلهِ رجوعهُ خائباً من الحج. وبعد مجي كيخية الوالدة وتوجههِ الى اسلامبول سعى في ولاية يوسف باشا باجتهاد وافهمهم عن شطارتهِ ومعاركته بالحروب وانه يمكنهُ محاربة الوهابي وينتصر عليهِ فارسلوا لهُ المنصب

ثم انهُ بعد ايام قريبة من تولّيهِ ظهر منهُ اشياء مغايرة. اولاً صدر منهُ امر بمناداة ان النصارى لا يشربون خمراً وعرقاً والذي عندهُ يهرقهُ خارجاً وانهُ بعد ثلاثة ايام ينزل بنفسهِ يفتش بالبيوت ومن وجد عندهُ درهماً واحداً يقتلهُ حالاً. فخاف النصارى ونزعوا كلها عندهم. ثم امر ايضاً ان النصارى لا يدخلون الحمام بين الاسلام بل لهم يومان بالجمعة فقط ويكون لحمام المسك والخراب فقط لا غير. ومنها انهُ يبطل لبس القصب والمصاغ لكامل النساء اسلام ونصارى. وبالنتيجة صدر في يوم واحد جملة امور على هذا النمط وكل يوم يخترع من عقلهِ اشياء. واغلب الاوامر ما سلكت (لم يُعمل بها) عدا الذي يخصّ النصارى. ثم امر بتغيير الاوزان على الرطل الحلبي سبعماية وعشرون درهماً. وتحرّر القبان والارطال على موجب ذلك وصار الجزير والخضار (الخضرة) بموجب ذلك وزن واحد. وتسجّل هذا الامر بدون مراجعة. وهذه صدر منها ضرر كبير بالشام

ثم أن الباشا بالحيل والمحاوفات (صار) ينشي (يخترع) مظالم وعمل ذنوب الى عبد الرزاق افندي نائب القاضي بما يخصّ تركة الاموات واخذ منهُ ماية كيس بعد الضرب والبهدلة. ثم عمل حادثة على انوال الكار ماية وخمسين كيساً خصّ النصارى منها الثلث. ولحق بعض الحرف وكذلك فعل ببعض الحرف

١) اطلب اخبار اسرتهِ في المشرق (٣: ١٠٣-٢٢)

وفي ربيع الثاني صار زينة بالشام على شان جلوس مصطفى سلطان جديد وامر الباشا ان تصير الملاعب واللهو والطرب من كامل الحرف. وبقي ذلك ثلاثة ايام

واما اهل الشام (فكانوا) دائماً بالاحتساب من الباشا والبلد صارت بالامان من تعدي الاوباش وطلب السكر وغيره

وبهذه الفنون عزم الباشا على التوجه بالدورة لنابلوس والقدس وما يتبعهما ولبس (عيّن) قيمقام شمشان اغا (125ᵛ) الكردي واخذ معهُ الدرويش جعفر اغا واحمد بيك ابن عبدالله باشا وذلك بقصد منهُ وخشيةً من اضطراب وشلش يحدث في غيابهِ. وبوصولهِ لنابلوس ارسل امر الى شمشان اغا المتسلم بان يقبض على اسمعيل اغا المهايني الشرجي ويقتلهُ حالاً. فاحضرهُ للسرايا واراه الامر وبالحال اخذوه للقلعة وخنقوهُ بالوقت. وهذا كان لطيفاً وليس لهُ اذية لاحد

ثم بعد رجوع الباشا من الدورة ارسل امرًا بمناداة عالية ان رجال ونساء النصارى يلبسون الاسود لحدّ الحذاء. وانهم يعلّون ابواب كنايسهم حتى اذا فات المسلم لا يحني رأسهُ وان النصارى تكرم الاسلام ولا يرفعوا اصواتهم عليهم على سائر الوجوه. وامور نظير هذه مقررة ومن ذلك طمعت الاسلام وصار يحدث منهم امور مهينة في حقّ النصارى. ومن الجملة نصراني كان حمّال حطباً على كديش فلما دخل بسوق باب توما وكان ينادي «ظهرك بالك» حكم (حسب) العادة تعرض لهُ رجل مسلم وجمع عليهِ انظارًا نظيرهُ وصاروا يضربونهُ. واخذوه لعند النقيب (وكانت) دعواهم انهُ رفع صوتهُ على المسلمين. وزادوا انهُ احكى كلاماً غير مرتب. فقال لهُ النقيب: ان كنت تكلمت ذلك من فمك فقط وجب عليك الحرق وان كان من قلبك وجب عليك الاسلام والّا فتُقتل. فصار الرجل يتوسل اليهم وبعد جهدٍ تركوهُ سالماً. وكذلك صار جملة نوادر نظير ذلك وحصلت النصارى في ضيق ووجل

ثم ان اسلام باب توما هاجوا على الافرنج وحسن عندهم ان يقتلوا الرهبان ويخربوا الدير وبدت منهم امور ردية في حقّ الرهبان. والمذكورين دخل عليهم الوهم وبدروا جانب غرش (ودفعوا شيئاً من المال) الى الاغاوات وللقاضي وغيرهم لكيما يحموهم من الضرر. والقاضي تهدد الناس فاشتكوا للباشا فجاوبهم ان الافرنج انا ما اقارش

(لا اتكلم في) امورهم وان كان عليهم ذنوب فاشكوهم لباب همايون. فلما نظروا عدم الافادة في تنفيذ مآربهم عرضوا للباشا انهُ يوجد مسجد خربان بالساحة خلف دير الافرنج نريد نعمرهُ فقال لهم (153') : روحوا عمروهُ وامر لهم بمايتين غرش فنزلوا من السرايا مسرورين. وابتدوا في بنائهِ وفرضوا على بعضهم من غرش الى خمسة غروش على كل نفر. والحال هذا محال لا يكفيهم لبناء الاساس. فصاروا يهوّنوا الامور ثم عزموا على تفريغ بيوت النصارى الذين بالساحة وطردهم من كل الساحة التي اغلب سكانها نصارى ومن الجملة يوجد بيوت وقف تعلق (تخصّ) الموارنة فعملوا ثقة زايدة بشأن ذلك. فراح احد الساكنين اشتكا الى الكتخداه بما توقع فحالًا ارسل المذكور ومسك المسلم الذي افترى على النصراني وحبسهُ. وثاني يوم راح النصراني ترجى فيهِ واطلقهُ والما الكيخية اظهر غمهُ من هذا الصنيع وقال للاسلام : انكم ان بنيتم الجامع فسكروه ولا تفتحوهُ الّا حين الصلاة. فلما نظروا انهم لا يستفيدون شيئاً تركوا بناء الجامع لاسيما انهُ بهذه الفضون صدر امر بمناداة عالية ان لا احدًا يتعارض ولا يبغي على رفيقهِ ان كان مسلماً او نصرانيًا او يهوديًا لا في بيع وشراء ولا في غير شيء. ثم ان كامل المسلمين من عمر اربعة عشر سنة وصاعدًا يسيبوا (يرخون) لحاهم ويكحلوا عيونهم ويحنّوا دقونهم والذي يخالف لا يأمن ما يجري عليهِ . ثم ان القهاوى تسكر حين غروب الشمس وتبطل عمل الأكولات (المأكولات) بعجين وسمن. ونبّه على الكوارجية لا يطبخوا بالسرايا الّا برغل بزيت واستقام اياماً لا يأكل لحماً ولا مأكلًا دسماً بل خبزًا وزعترًا واشياء نواشف. وبعدهُ استشار شيخهُ الكردي ان يدبّرهُ في مأكلهِ. فاراه ان المال الذي عندك هو مشبوه لا يجوز لك تأكل منهُ فسألهُ الباشا: اي مال هو حلال الذي يجب ان اصرفهُ على نفسي . فاجابهُ الشيخ: ان المال الصاغ الخالي من الشبهة هو مال الجزية. فحالًا طلب من النصارى سلف عن مال الجزية خمسة اكياس عن سنة الف ومايتين وثلاثة وعشرين (١٨٠٨م) ودفعوا لهُ مطلوبهُ. ومن جرى المناداة على الاسلام كما تقرر خف الشلش (الخوف والاضطراب) عن النصارى وانشغلوا في همومهم (اشغالهم)

ثم بهذه الايام (143') حسّن الى عبود البحري كاتبهِ ان يدخل في دين

الاسلام فاوعدهُ حتى يشاور نفسهُ. وبتلك الليلة ذاتها هرب مع اخوتهِ للجبل ثم لدير القمر والباشا ندم على ذلك حيث لا يستغني عن عبود المذكور. فارسل لهُ كتابة تطمين وانهُ لا يتعارضهُ ويحضر لشغلهِ فتوقف عن الحضور وبعد مراجعات وكتابات للامير بشير بان يرسلهم حضروا بعد غيبة شهر زمان وما صار عليهم خلاف

ثم بهذه السنة ارسل عسكرًا بالحج في شهر شوال ولبس امير حج. وفي شهر محرم حضر خبر برجوع الحج الى الزريب مطرودًا ومنهوبًا. القول (وقيل) ان الشريف منعهم من الدخول وطردهم بحماقة زايدة وقال لهم: ليش (لماذا) الباشا ما هو معكم. واظهر لهم عين الغدر فالتزموا يرجعوا وصادفهم العرب ونهبوا منهم اشياء. وهؤلاء العرب هم المحافظون ولهم الصر (العطاء) المعتاد وما دفعوا لهم. وصاروا بمذهب الوهابي (وانحازوا اليه). ودخل الصره اميني للشام وتشاجر مع الباشا وطلع من الشام بزعل. وارسل الباشا الكتخداه جابوه من عند القابون (١ واخذ خاطره لانهُ خشي يفرط (يدس) في حقهِ للدولة

وبهذه الفتون وصل جملة خيل عرب من الوهابي لقرب الشام ومعهم مكاتيب الى الاعيان مضمون كلامهم التسليم وانهُ قادم للشام جديع القبلان ابن قاسم وابن عم مهنا فاضل شيخ عرب عنزة بجموع كثيرة وحصل وهمٌ عظيم على اهل الشام ولكن ما عاد حضر احد (لها بقية)

صفحة من التاريخ الحبشي والنوبي

رسالة نجاشي الحبشة الى جرجس ملك النوبة

في عهد بطريرك الاسكندرية فيلوثاوس (٩٨١—١٠٠٢)

لجناب الكاثاليير عبد الله افندي رعد

مدرس الكيمياء في مكتبنا الطبي. مقدم فخري وسر اجزاني بلاط امبراطور الحبشة سابقًا

تقيم الكنيسة الحبشية تذكار نياح البطريرك فيلوثاوس الاسكندري في اليوم

---

١) «قابون موضع بينهُ وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد الى العراق في وسط البساتين» (ياقوت)

الثاني عشر من شهر هدار (١٠ تشرين الثاني) ويذكر السنكسار الحبشي خبرًا تاريخيًا جرى في عهد بطريركيته وهو ان الحبشة كانوا من امد بعيد محرومين من وجود اسقف عندهم فكتب ملكهم الى جرجس ملك النوبة يسألهُ ان يتوسط لهُ عند البطريرك فيلوثاوس بارسال اسقف الى الحبشة كالعادة القديمة. وقد ذكر السنكسار صورة الكتاب المذكور وفي آخرهِ خمسة ابيات شعر في مديح البطريرك المتوفى

واذا قابلنا هذا الحادث المدوَّن في السنكسار والموجود منهُ نسخة خطية في المكتبة العموميَّة في باريس مع سياق الحوادث في كتاب يدعونهُ « كبرانيكست » اي عظمة الملوك طُبع مؤخرًا في رومة على نفقة بعض المستشرقين رأيناه مطابقًا لما دُوِّن في هذا الاخير . ومما ورد فيهِ ايضًا ان ملكة يهوديَّة ضربت في ذلك العهد الحبشة وحرقت مدنها والجأت الملك الى الهرب وهم يدعونها يهوديت او تردانى گيز (ትርዳኒ ፡ ንበገዝ) ويقولون ان اتباعها سبط يقال لهم بني العموطة. واليك صورة الصفحة من السنكسار مع ترجمتها الى العربيَّة حرفيًا :

صورة الاصل الحبشي وترجمتهُ

وفي هذا اليوم (١٢ هدار) توفي ايضًا الاب القديس فيلوثاوس رئيس اساقفة الاسكندريَّة وهو البطريرك الثالث والستون على دبتيخا رؤساء الاساقفة . ففي عهدهِ ارسل ملك الحبشة كتابًا الى جرجس ملك النوبة يقول لهُ فيهِ " ان الله غضب علينا بسبب ما صنع الملوك الذين سلفونا فانهم قد تعدَّوا ناموس الرب في قضية ابينا بطرس الاسقف الذي طردوهُ من وظيفتهِ واقاموا مكانهُ المنافق الذي يُدعى

ወበዛቲ ፡ ዕለት ፡ ካዕበ ፡ እዕረፈ ፡ አብ ፡ ቅዱስ ፡ ፈለጋዎስ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳ ሳት ፡ ዘሀገረ ፡ እስክንድርያ = ወውሉ ፡ ፡ እምኑ ፡ ልቆሙ ፡ ለአበው ፡ ሊ ቃን ፡ ጳጳሳት ፡ ኀደገ = በመዋዕለ ፡ ሣሊሙ ፡ ፡ ፈነወ ፡ መልእክት ፡ ንጉ ሠ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ኀበ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ን ጉሠ ፡ ኑባ ፡ ወይቤሎ ፡ እስመ ፡ እግ ዚእብሔር ፡ ተምዐዓ ፡ ላዕሌነ ፡ በእ ንተ ፡ ዘገብሩ ፡ ነገሥት ፡ አለ ፡ እም ቅድሜነ ፡ ሶበ ፡ ተዓድዉ ፡ ትእዛዘ ፡ እግዚአብሔር ፡ በአንተ ፡ አባ ፡ ጴጥ ሮስ ፡ ጳጳስ ፡ ሶበ ፡ ሰደዱዎ ፡ እምሣሊ ወሙ ፡ ወሣሊሙ ፡ ህየንቲሁ ፡ ዘስመ ፡ ሣሊናስ ፡ ሐሰዊ ፡ በመዋዕለሁ ፡ ለአ ባ ፡ ቆዝሞስ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ወናሁ ፡

ሚና ወዝልክ ፡ ጸጸሳት ፡ ኢ፡ሄሙ ፡ ለነ ፡ ጸ
ጸስ ። ወብእንተዝ ፡ ጠፍአ ፡ ብሔርነ ፡
ወኃልቀ ፡ ዝኩሉ ፡ ሰብእ ፡ ወእንስሳ ፡
በረኃብ ፡ ወበብድብድ ። ወተንሥ
አ ፡ ለፅሌነ ፡ ጸላእትነ ፡ ወሄወውዎ
ሙ ፡ ለብዙኃን ፡ ሰብእ ፡ እምብሔር
ነ ። ወአመጠበሩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወተከ
ልእ ፡ ገዳም ፡ ከመ ፡ ኢ፡ይረድ ፡ ወ
ምድርኒ ፡ ኢ፡ተሀብ ፡ ፍሬሃ ። ወጸላእ
ትነ ፡ አውዳዩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወአመጠ
በሩ ፡ አብያተ ፡ ክርስቲያናቲነ ፡ ወሰ
ደዱነ ፡ እመካነ ፡ ውስተ ፡ መካነ ፡ ወ
እስእለከ ፡ ከመ ፡ ትክሁ ፡ ሱቱፈ ፡ ም
ስጌየ ፡ በጸሙ ፡ በእንተ ፡ እግዚአብ
ሔር ፡ ወበእንተ ፡ ሃይማኖት ፡ ርትዕ
ት ። ወትጽሕፍ ፡ መልእክተ ፡ እንተ ፡
እምኃቤከ ፡ ኀበ ፡ አቡከ ፡ ሊቃነ ፡ ጳ
ጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላቃስ ፡ ወተስእሎ ፡
በእንተ ፡ እግዚአብሔር ፡ ከመ ፡ ይ
ፍትሐነ ፡ ወይፍታሕ ፡ ሀገረነ ፡ ወይጸ
ልይ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡ እ
ምኔነ ፡ እግዚአብሔር ፡ ወእምሳዕለ ፡
ሀገርነ ፡ ዘንተ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ፡
ዘበጽሐነ ፡ ወይሣህለነ ፡ ወይሣህ ፡
ለነ ፡ ጳጳስ ። ወይፈንዎ ፡ ኃበነ ፡ በከ
ሙ ፡ ልማዳ ፡ ወልማደ ፡ አበዊነ ፡ ወ
ይጸለ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡
እግዚአብሔር ፡ መዓቶ ፡ እምሳዕለነ ፡
ወእንሰ ፡ ዘእቤለከ ፡ አእትየ ፡ ንጉ
ሥ ፡ እስመ ፡ አነ ፡ ፈራሀኩ ፡ ከመ ፡
ኢ፡ይብጥል ፡ ሃይማኖተ ፡ ክርስቶስ ፡
እስመ ፡ ናሁ ፡ እምአሙ ፡ ነገ ፡ ገዝ
ተ ፡ እስከ ፡ ይእዚ ፡ ተሠይመ ፡ ፯ሊ

ፚ ፡ ጳጳሳት ፡ ለነ ፡ ጳ
ጳስ ። ወብእንተዝ ፡ ጠፍአ ፡ ብሔርነ ፡
ወኃልቀ ፡ ዝኩሉ ፡ ሰብእ ፡ ወእንስሳ ፡
በረኃብ ፡ ወበብድብድ ። ወተንሥ
አ ፡ ለፅሌነ ፡ ጸላእትነ ፡ ወሄወውዎ
ሙ ፡ ለብዙኃን ፡ ሰብእ ፡ እምብሔር
ነ ። ወአመጠበሩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወተከ
ልእ ፡ ገዳም ፡ ከመ ፡ ኢ፡ይረድ ፡ ወ
ምድርኒ ፡ ኢ፡ተሀብ ፡ ፍሬሃ ። ወጸላእ
ትነ ፡ አውዳዩ ፡ አህጉሪነ ፡ ወአመጠ
በሩ ፡ አብያተ ፡ ክርስቲያናቲነ ፡ ወሰ
ደዱነ ፡ እመካነ ፡ ውስተ ፡ መካነ ፡ ወ
እስእለከ ፡ ከመ ፡ ትክሁ ፡ ሱቱፈ ፡ ም
ስጌየ ፡ በጸሙ ፡ በእንተ ፡ እግዚአብ
ሔር ፡ ወበእንተ ፡ ሃይማኖት ፡ ርትዕ
ት ። ወትጽሕፍ ፡ መልእክተ ፡ እንተ ፡
እምኃቤከ ፡ ኀበ ፡ አቡከ ፡ ሊቃነ ፡ ጳ
ጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላቃስ ፡ ወተስእሎ ፡
በእንተ ፡ እግዚአብሔር ፡ ከመ ፡ ይ
ፍትሐነ ፡ ወይፍታሕ ፡ ሀገረነ ፡ ወይጸ
ልይ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡ እ
ምኔነ ፡ እግዚአብሔር ፡ ወእምሳዕለ ፡
ሀገርነ ፡ ዘንተ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ፡
ዘበጽሐነ ፡ ወይሣህለነ ፡ ወይሣህ ፡
ለነ ፡ ጳጳስ ። ወይፈንዎ ፡ ኃበነ ፡ በከ
ሙ ፡ ልማዳ ፡ ወልማደ ፡ አበዊነ ፡ ወ
ይጸለ ፡ በእንቲአነ ፡ ከመ ፡ ያእትት ፡
እግዚአብሔር ፡ መዓቶ ፡ እምሳዕለነ ፡
ወእንሰ ፡ ዘእቤለከ ፡ አእትየ ፡ ንጉ
ሥ ፡ እስመ ፡ አነ ፡ ፈራሀኩ ፡ ከመ ፡
ኢ፡ይብጥል ፡ ሃይማኖተ ፡ ክርስቶስ ፡
እስመ ፡ ናሁ ፡ እምአሙ ፡ ነገ ፡ ገዝ
ተ ፡ እስከ ፡ ይእዚ ፡ ተሠይመ ፡ ፯ሊ

ميا وذلك في أيام الاب قزما رئيس الاساقفة (بطريرك الاسكندرية) وقد تولى البطريركية سبعة رؤساء اساقفة ولم يسيموا لنا اسقفاً فلذلك خربت بلادنا وهلك الناس والبهائم بالجوع والطاعون ونهض علينا اعداؤنا وسبوا عدداً كثيراً من رجال بلادنا ودمروا مدننا وانقطعت الامطار ولم تعد ارضنا تعطي ثمرها . اعداؤنا احرقوا مدائننا وخربوا كنائسنا وطردونا فتهنا من مكان الى مكان . فاسألك ان ترثي لبؤسي . استحلفك بالله وبحق الايمان المستقيم واطلب اليك ان تبعث انت كتاباً الى ابيك رئيس الاساقفة الاب فيلوثاوس وتسأله من اجل الله ان يصفح عنا وعن بلادنا ويضرع من اجلنا حتى يرفع الله عنا الشر والمحن التي بُلينا بها وان يرثي لنا ويسيم لنا اسقفاً ويرسله الينا كما كانت عادته وعادة آبائنا وان يصلي من اجلنا حتى يُقصي الله غضبهُ عنا . واعلم يا اخي الملك اني اذا كنت اكتب لك ذلك فلخوفي على الايمان بالمسيح ان يزول في هذه الاقطار لانهُ منذ ان ذهب منا هذا الاسقف الى اليوم قام سبعة بطاركة

ولم يرسلوا لنا اسقفاً ولم يذكروا قطرنا فاصبحنا كقطيع غنم لا راعي له. مات اساقفتنا وكهنتنا وملوكنا وخربت كنائسنا واننا نعلم ان هذه الشرور التي حلّت بنا انما جاءتنا بسبب ما صنعناه باسقفنا الاب بطرس »

فلما بلغ كتاب ملك الحبشة هذا الى ملك النوبة جرجس وقرأه له كاتب رسائله (اي كاتم اسراره) حزن بسبب وقوع هذه المصائب التي حلّت بمملكة الحبش. حينئذٍ بعث الملك جرجس ملك النوبة بكتاب من قبله الى رئيس الاساقفة الاب فيلوثاوس يشرح له به الشرور والمحن التي حلت ببلاد الحبشة وتوسّل اليه ان يتحنّن على الشعب الحبشي وان يسيم لهم اسقفاً. فلمّا سمع رئيس الاساقفة بذلك ارسل للحال رسولهُ الى بريّة الاسقيط الى راهب صدّيق هناك يدعى الاب دانيال فقام هذا من دير القديس مكاريوس وجاء الى البطريرك فسامهُ هذا اسقفاً على الحبشة وارسلهُ اليهم. ولمّا بلغ ديارهم استقبلوهُ بفرح عظيم فصرف الله عنهم غضبهُ ونصرهم على اعدائهم الذين قاموا عليهم من ذي

ቃነ ፡ ጳጳሳት ፡ ወኢሚሶ ፡ ለነ ፡ ጳጳ ስ ፡ ወኢተዘከሩ ፡ ብሔረነ = ወከነ ፡ ከመ ፡ አበግዕ ፡ ግዱፋነ ፡ ዘአልቦ ፡ ኖ ላዊ ፡ ወሞቱ ፡ ኤጲስ ፡ ቆጳሳቲነ ፡ ወ ዘሀሣናቲነ ፡ ወነገሥቲነ ፡ ወተሥንቱ ፡ አብያተ ፡ ክርስቲያናቲነ ፡ ወአእመር ነ ፡ ከመ ፡ ወረደ ፡ ላዕሌነ ፡ ዝንቱ ፡ ምንዳቤ ፡ ህየንተ ፡ ዘገበርነ ፡ ላዕለ ፡ ጳጳስነ ፡ አበ ፡ ጴጥሮስ ።

ወሶበ ፡ በጽሐት ፡ መልእክተ ፡ ን ጉሥ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ኀበ ፡ ንጉሥ ፡ ጊ ዮርጊስ ፡ ዘኖባ ፡ ወአንበባ ፡ ለመጽ ሐፈ ፡ መልእክት ፡ ወነገሮ ፡ ፈድፋ ደ ፡ በእንተ ፡ ዘበጽሐ ፡ ላዕለ ፡ ሀገረ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ምንዳቤ ፡ ወመከራ ። ወ ሶቤሃ ፡ ጸሐፈ ፡ ጊዮርጊስ ፡ ንጉሥ ፡ ኖባ ፡ በመልእክት ፡ እምኀበሁ ፡ ወ ፈነወ ፡ ኀበ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ አበ ፡ ፊ ላታዎስ ፡ ወይቤ ፡ ዝሉሰ ፡ ዘውስተቲነ ፡ ዘከነ ፡ ላዕለ ፡ ሀገረ ፡ ኢትዮጵያ ፡ ም ንዳቤ ፡ ወመከራ ፡ ወስአሎ ፡ ከመ ፡ ይሣሀል ፡ ላዕሌሁሙ ፡ ለሕዝበ ፡ ኢ ትዮጵያ ፡ ከመ ፡ ይሣሊሆ ፡ ሰሙ ፡ ጳ ጳስ ። ወሣሊዖ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ሶቤ ሃ ፡ ፈነወ ፡ ኀበ ፡ ገዳመ ፡ አስቀጥስ ፡ ኀበ ፡ ፆመኑስ ፡ ጻድቅ ፡ ወሶቤሃ ፡ በ ጽሐ ፡ ኀቤሁ ፡ ውእቱ ፡ መኑስ ፡ እ ምይብረ ፡ አበ ፡ መቃርስ ፡ ውእቱ ፡ ዘስሙ ፡ አበ ፡ ዳንኤል = ወሣሊሙ ፡ ሰሙ ፡ ከሊያሁ ፡ ጳጳስ ፡ ወፈነዎ ፡ ኀ ቤሁሙ = ወሶበ ፡ በጽሐ ፡ ኀቤሆሙ ፡ ተወከፍዎ ፡ ወወበይ ፡ ፍሥሐ ፡ ወአ እተተ ፡ እግዚአብሔር ፡ መዐቶ ፡ እ

ምላዕሌሆሙ ፡ ወሞእሎሙ ፡ ሰጸላእ ፡ ጠሙ ፡ እስ ፡ ተንሥኡ ፡ ላዕሌሆሙ ፡ ቀዲሙ ፡ ወረትዓ ፡ ኩሉ ፡ ግብሮ ፡ በመዋዕሊሁ ፡ ለገንቱ ፡ አብ ፡ ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ አባ ፡ ፊላታዎስ ፡ ወ አስተርአየ ፡ እምኔሁ ፡ ተአምራት ፡ ወመንክራት ፡ ብዙኃት ።

قبل وقد حسنت حالهم وسارت امورهم بخير في عهد رئاسة البطريرك الاب فيلوثاوس الذي اجترح آيات وعجائب كثيرة

ሰላም ፡ ለከ ፡ ፊላታዎስ ፡ ሐዋ ርያ ።

ሊቀ ፡ ጳጳሳት ፡ ዘአስክንድርያ ።

በእብራትከ ፡ አንፈሱ ፡ ሕዝበ ፡ ኢትዮጵያ ።

በእንተ ፡ ዘሢሙ ፡ በላዕሌሆሙ ፡ ብእሴ ፡ ጕሕልያ ።

አመ ፡ ዕለተ ፡ ዐርፍ ፡ ነገ ፡ ወለጎ ር ፡ ሕብልያ ።

— السلام لك يا فيلوثاوس الرسول
— رئيس اساقفة الاسكندرية
— في عهدك استراح الشعب الحبشي
— بعد ان سامه العدو نكالا وغزته القبائل المجاورة له
— اذ قام عليه اسقف جاحد

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ الرسالة السابق ذكرها تستدعي بعض المعلومات التي نعرضها هنا على قراء المشرق تتمَّة للفائدة

(اوَّلًا) يلوح منها العادة الجارية في بلاد الحبش انَّ رئيس اساقفتها المعروف عندهم باسم « ابونا » لم يتولَّ تدبير كنائسها الَّا بعد سيامته بيد البطريرك الاسكندري. وهذه العادة تترقَّى الى اوَّل زمان تنصُّر بلاد الحبش بهمَّة رسولهم فرومنتيوس الذي بعد تبشيره في بلادهم صار اسقفاً عليها بوضع ايدي القديس اثناسيوس الاسكندري كما رواه كلّ قدماء المؤرخين كوفين (ك ١ ف ٩) وسقراط (ك ١ ف ١٩) وسوزومان (ك ٢ ف ٢٤). وبه يثبت تواصل السلسلة الاسقفيَّة بالكراسي الرسوليَّة

(ثانياً) ورد في هذه الرسالة ذكر انقطاع السلسلة الاسقفية في الحبشة مدةً لاسباب لشار اليها هناك ولم يستوفها فدونك تفاصيل الامر . لما جلس على كرسي ملك الحبش احد نجاشيهم المسمّى « گدا جان » نحو سنة ٩٢٠ للمسيح ارسل راهباً يُدعى بطرس وطلب من قزما البطريرك الاسكندري القبطي ان يسيمه اسقفاً على الحبشة فاجاب قزما الى طلبهِ وعاد بطرس الى اكسوم حاضرة الملك . وبعد قليل أُصيب النجاشي « گداجان » بمرض عضال فدعا بطرس وفوّض اليهِ ان يختار واحداً من ولدَيهِ فيسحهُ ملكاً بعدهُ . فلمّا مات الملك توّج بطرس ملكاً على الحبشة اصغر الاخوين المسمّى « دال ناد » لحسن صفاتهِ . لكنَّ الابن البكر المدعو « انباسا وديم » لم يرضَ بهذا الحكم واجتمع براهبين مصريين مينا ومنصور واتفق معهما على مقاتلة اخيهِ « دال ناد » : وادَّعى مينا برسائل زوَّرها انَّ البطريرك الاسكندري جعلهُ اسقفاً على الحبشة بعد عزل بطرس . فقام « انباسا وديم » وجنَّد الجند واعلن باسقفيَّة مينا وعَزل بطرس ثم مسحهُ مينا ملكاً وسار الى محاربة اخيهِ لكنَّ « دال ناد » وانصارهُ غلبوهُ وشتَّتوا شمل جنودهِ وقبض « دال ناد » على الاسقف الدخيل مينا اما بطرس فمات في تلك الاثناء في المنفى . فلما رأى منصور ما حلَّ بمينا صاحبهِ نهب الدار الاسقفيَّة وهرب الى مصر واخبر قزما البطريرك بما فعل « انباسا وديم » بالاسقف بطرس وتزوير مينا لرسائلهِ . فلمَّا تأكَّد « دال ناد » نفاق مينا حكم عليهِ بالموت فقُتل . ثم استقدم احد تلامذة « ابونا بطرس » واضطرَّهُ ان يقوم بوظيفته ولم يسمح لهُ ان يذهب الى مصر ليسيمهُ بطريرك الاسكندريَّة فساء ذلك بطاركة الاقباط ولم يعودوا يرسلون اساقفة الى الحبشة حتى عهد فيلوثاوس

وملك دال ناد من السنة ٩٢٥ الى ٩٣٧ الَّا انَّ ملكهُ كان غاية في الاضطراب فقامت ملكة يهوديَّة تُدعى « يهوديت » او « استير » كانت مالكة على امَّة الفلاشا في بلاد مجاورة للحبشة وحاولت فتح بلاد الحبش فسارت بجنودها وقاتلت دال ناد وظفرت بهِ واستولت على مملكتهِ وقتلت كل النسل الملكي و ٤٠٠ من امرائهِ وبقيت قابضةً على ازمَّة الملك في الحبشة الى سنة ٩٧٧ فبعد وفاتها قام الحبش على الملكة يهوديت الثانية المالكة بعدها وانتصروا عليها واقاموا دولة جديدة وطنيَّة نصرانيَّة تدعى « الزاگيَّة » باسم زاكي زعيمها الذي دُعي باسم تكلاهيمانوت . فلمَّا

استقرّت له الامور لوسل كتاباً الى ملك النوبة (وهي الرسالة التي نشرها انكاثاليير رعد) ليتوسّل الى بطريرك الاسكندريّة فيلوثاوس وينال منهُ تعيين اسقف للحبشة كما كانت العادة جارية قبل خمسين سنة فرضي فيلوثاوس وسام للحبش راهباً يُدعى دانيال استدعاهُ من دير استيط. وكانت وفاة تكلا هيمانوت سنة ٩٩٢ للمسيح

(ثالثاً) وفي هذه الرسالة ورد اسم بطريركين من الاقباط ينبغي لنا ان نبين شيئاً من احوالهما. فالاوّل هو قزما وهو البطريرك الثامن والخمسون وقيل التاسع والخمسون من عهد القديس مرقس والثاني من اسمهِ تولّى تدبير الكرسي الاسكندري ١٢ سنةً من ٩٢٣ الى ٩٣٤ ولم تُفدنا التواريخ شيئاً من اعماله غير ما جرى له مع الحبشة. اما الثاني فهو فيلوثاوس وهو البطريرك الثالث والستون من بطاركة الاسكندريّة الاقباط دبّر كرسي اليعاقبة ٢٤ سنة من ٩٧٥ الى ٩٩٩ على الاصحّ. ومن عجيب الامور انّ الاحباش يكرمون هذا البطريرك كاحد القديسين ونسبوا اليهِ في سنكسارهم الآيات والمعجزات مع انّ الاقباط وهم اعرف بهِ ذكروا لهُ من الاعمال ما يسوّد صحيفتهُ ويقبح سيرتهُ. قال ابن الراهب في تاريخهِ الذي توليناه نشرهُ (ص ١٣٤ — ١٣٥):

« وكان هذا البطريرك (اي فيلوثاوس) محبّاً لجمع المال والاكل والشرب ودخول الحمّام بالتطيّب واخذ الشرطونيّة (بريد السبسونيا) وكان يوماً يقدّس في بيعة ماري مرقس باسكندريّة فابصر يداً خرجت من الشباك وصابت على القربان فانقسم في يدهِ فاضطرب منهُ ولم يزل يرجف الى ان مات في ثالث عشر يوم السبت »

فما ابعد هذه الصفات عن القداسة. وقد ورد مثل ذلك عن فيلوثاوس في التاريخ الرسمي لبطاركة الاسكندريّة لساويروس بن المقفع اسقف الاشمونين معاصرهِ وهناك ترجمة حياة فيلوثاوس وسياق اعماله مطوّلةً (اطلب نسخة مكتبتنا الشرقيّة ص ٥٨٨ — ٦١٢) فذكر المؤرخ من سوء مآثرهِ اكثر مما رواه ابن الراهب. ويؤيّد الروايتين المؤرخ الشهير جرجس بن العميد المعروف بابن المكين (ed. Erpenius, p. 249) الّا انهُ دُعي هناك فيلابانوس فظنّ البعض انهُ وجد بطريركان الواحد صالح مكرَّم عند الحبشة وهو فيلوثاوس والآخر طالح سيئ الاعمال وهو فيلابانوس

لكنَّ هذا التمييز لا سند له واسم فيلاباوس تصحيف ظاهر لاسم فيلاثاوس. والظاهر ان الحبشة اكرموا فيلوثاوس كقديس شكرًا لتعيينه لهم اسقفًا بعد انقطاع سلسلة احبارهم وهم لم يعرفوهُ لبعده عنهم

(رابعاً) وهذه الرسالة الحبشيَّة التي رواها جناب عبدالله افندي رعد قد ذكرها ساويروس بن المقفع معرَّبة في تاريخه (ص ٦٠٩ و ٦١٠) مع خلاصة خبر ملك النوبة كما ورد في السنكسار الحبشي

(خامساً) ولا بدَّ هنا من ذكر النوبة وملكها جرجس الذي كتب اليه تكلا هيمانوت فنقول انَّ النوبة في القرن العاشر للمسيح كانت دولة مستقلة تمتدُّ في جنوبي مصر من اسوان الى ما فوقها شمالاً على مسير ثمانين يوماً مع النيل وكانت حاضرتها دُنقلة او دُنقلة وفيها كرسي الملك. اما اهل النوبة فكانوا نصارى يعاقبة كما شهد على ذلك ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥ : ٨٢٠) وكانت النصرانيَّة دخلت بينهم منذ عهد قسطنطين الكبير. وقد شهد قرما الرحَّالة الهندي في القرن الخامس على انتشار الدين المسيحي بين اهل النوبة. وعلى قول ابي الصلح الارمني انَّ اوَّل ملك منهم تنصر كان يُدعى « بجريا ». وكان ملوك النوبة محالفين لملوك الحبش وربما ملك على الدولتين ملك واحد. اما جرجس الذي وجَّه اليه تكلا هيمانوت رسالته فهو جرجس بن زكريَّا ويدعونهُ ايضًا جرجا وجرجه وقرقي بن زكريَّا ويطرنون بأسهُ وحسن سياسته وكان جلوسهُ على كرسي الملك نحو سنة ٩٨٠ للميلاد ولا نعلم سنة وفاته. وقد جاء في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني (ص ١٢١ ed. Evetts) ان ملك النوبة في سنة ٣٩٢ للعرب اي ١٠٠٢ للمسيح كان يُدعى رفائيل والظاهر انهُ خلف جرجس بن زكريَّا

هذا ما عنَّ لنا ان نورده تعليقاً على هذه الرسالة التي هي كما ترى صحيفة خطيرة من تاريخ الحبش وتكشف عدَّة اسرار عن احوال نصارى القرن العاشر

الأنفيلكسيا او عكس المناعة

برهان حيّ على بطلان مذهب التحويل الدرويني

بقلم الدكتور حبيب افندي الدرعوني

الأنفيلكسيا كلمةٌ جديدة تدور اليوم على ألسنة الكتّاب من علماء الغرب فرأيت ان أعالج موضوعها كي لا يفوت قرّاء الشرق الاطّلاع على هذا الاكتشاف الخطير وفيهِ من الغرابة ما يحيّر العقول وتُدهَش منهُ نفوس الاذكياء. بل رأيت ضروريًا الاسهاب في هذا الحادث لارتباطهِ بما كتبتُ في هذه المجلة منذ عدة سنين (المشرق ٣: ٦٤٧ و٧: ٥٢٣) في المناعة ونظر العلّامة افرليخ في امر تعليلها

كلُّ من لهُ قليل المام في علم الحياة يعلم انهُ اذا لُقِّح حيوانٌ بمقادير مخفَّفة من بعض السموم ثم زيدت شيئاً فشيئاً بالتدريج قد يأتي زمانٌ يصبح فيهِ ذلك الحيوان غير متأثر بكميات اشدّ منها وذلك ما سمّوه المناعة

غير انهُ قد اكتشف بعض العلماء حادثاً حيويًا يعارض عمل المناعة ويعاكس فعلها تماماً. مثالهُ ان تعمدَ الى أرنب وتحقنهُ تحت جلدهِ بعشر غرامات من مصل دم فرس سليم مُعافى فلا يحصل لهُ أذًى وتدوم فراهته ونشاطهُ ثم تأخذهُ بعد مضيّ شهر فتحقنهُ ثانيةً بعُشر الكميّة الاولى فتراهُ قد مات في الحال ويزيد الامرُ وضوحاً ان تأخذ خنزيرًا هنديًا لان هذا الحيوان نهايةٌ في الانفعال فتحقنهُ بالمصل مرّةً أولى ثم بعد مرور مدّةٍ من الزمان تحقنهُ مرةً ثانيةً بجزء من الف جزء من الاولى فيخرّ ميتاً باقل من لمح البصر

وقد لحظ كثيرٌ من العلماء الحيويّين هذا الحادث العجيب فأعادوا التجارب فيهِ على طرائق شتى فكانت النتيجة واحدة: اي ان الحيوان الملقَّح بمصل دم حيوان آخر لا يتأثر منهُ اولًا امّا اذا كُرِّر تلقيحهُ ثانيةً بالمصل عينهِ بعد مرور شهر ولو بعُشر عُشر الجرعة الاولى فيموت موتاً سريعاً. فاطلقوا على هذا الحادث اسم الأنفيلكسيا اشتقاقاً من كلمتين يونانيّتين ترجمتهما « عكس المناعة »

ان مثل هذا الحادث الذي يتمّ في الحيوان قد يتمّ طبعاً في الانسان على وجه التشابه. ولكن اذ لا يجوز اجراء التجارب في الانسان الحيّ كما في الحيوان الاعجم لم يتحقّق العلماء الامر بالاختبار وانّما جاءت صُدَف الطوارئ تصدقنا الخبر. منها ان طبيباً في البرازيل تلقّح بالمصل المضاد للطاعون وقايةً لنفسهِ من وباء المطعونين لمخالطتهِ لهم فنال منهُ غايتهُ ثم انهُ في السنة المقبلة تكرَّرت عدوى الطاعون فعاد الطبيب وتلقّح بالمصل السابق كما فعل قبلاً فلم تمض عليهِ بضع ساعات الّا وقد سقط ميتاً. وعلى اثر هذه المصيبة تنبّهت الخواطر لاعتبار غيرها فشوهدت حوادث عدّة تؤيّد وقوع الانفيلكسيا في الانسان. وعندنا ان اعراض التسمّم التي تعرض للاطفال المصابين بالدفتيريا على اثر حقنهم بالمصل ثانيةً بعد مرور مدة على الحقنة الاولى ليست الّا من هذا القبيل

امّا الشروط المقتضاة لاحداث الانفيلكسيا فاثنان: الاول ان يمرّ بين التلقيح الاول والثاني مدة لا تقلّ عن الخمسة عشر يوماً. والثاني ان تكون مادّة التلقيح المستعملة اولاً وثانياً من نوع واحد والّا بطلت الانفيلكسيا. مثلاً اذا اخذت مصل دم ارنب برّي ولقحت بهِ حيواناً ثم اخذت بعد حين دم ارنب داجن ولقحت بهِ ذلك الحيوان مرةً ثانية فلا ينالهُ اذى ولا ضرر لانهُ حصل تغيّر في مصدر المصل وذلك بالرغم عمّا بين الحيوانين من التقارب

ومن عجيب امر الانفيلكسيا انها تحصل ليس فقط بمصل الدم بل بجميع المواد العروية الغير القابلة التبلّور كالزلال وخلاصات بعض البقول كالحمّص والفول وخلاصات اللحم الاحمر والنخاع والكلى والحليب والبول والبيض على انواعهِ ولكن بشرط المحافظة على القاعدة المتقدم ذكرها اي ان تكون مادّة التلقيح مأخوذة من نوع واحد. فبناء على ذلك اذا اعتبرنا شخصاً لُقّح اولاً بمادة بيض الحمام ثم لقح ثانيةً بمادة بيض الدجاج او البط فلا خوف عليهِ من ضررٍ ولا ينالهُ اذى. الّا انّ كثيراً من المواد المعدنيّة والنباتيّة كالمورفين والكحول والاستركنين لا تحدث الانفيلكسيا

امّا تعليل هذا الحادث نظرياً فهو ان المواد الشبيهة بالعروية (غير القابلة التبلور) اذا دخلت في دورة الدم كوّنت فيهِ مادّةً جديدةً اسمها التوسكيجنين (اي مولّدة

السم) من شأنها ان تكمن في الدم ولا تؤذي الّا اذا أُدخلت عليها ثانيةً نفس المادّة التي كانت سبب توليدها في الاوّل فتأتلف بها وتكوّنان بائتلافهما سمًّا ناقعاً ذلك اشبه بما جاء في اختبارات كلود برنار (Claude-Bernard) على خميرتي اللوز المرّ « الأميكدالين والإمولسين ». فانّهما اذا أُدخلا في الدم منفصلين لا يؤذيان واذا أُدخلا سويةً اصبحا سمًّا قاتلاً. ومن خواصّ التوكسيجنين استمرارُ فعلها على الدوام فهي تلازم صاحبها دائماً. وكم كشف الاختبار عن حوادث انفيلكسيا دامت عدة سنين

تحدث الانفيلكسيا على الغالب بطريقة الحقن تحت الجلد وقلّما تحدث في المسالك الهضميّة ولعلّ المانع ما يطرأ من البيار بواسطة عصارات المعدة على الاطعمة او المواد التي تمرّ فيها فلا تلجُ الدم الّا متحللة . ومع ذلك فان كثيراً من الناس يصيبهم شيءٌ من التسمّم على اثر تناولهم البيض او الحليب او غيره ممّا كان يشكل فهمه قبل معرفة الانفيلكسيا التي تعلّل لنا اليوم عن طبيعة تلك الاعراض

واهمّ ما في هذه الاكتشافات العلميّة انّها أتتنا ببرهان محسوس يُبطل مذهب دروين المعروف بالتحوُّل النوعي فضلاً عن الادلّة الاخرى التي كادت تقوّض اركانهُ

من المعلوم ان المذهب الدرويني ينكر وجود انواع الحيوان كل واحد مستقلّ عن سواه من يوم فطرته ويعتقد انها فروع متعددة ترجع الى اصل واحد هي حويصلة حيّة اخذت تنمو وتتشعّب وتتفرّع وتتحوّل وتتكيّف دون ان يكون في ذلك الاصل ذاتيّات لكل نوع من الانواع كأن جاز للانسان ان يكون تسلسل من القرد والقرد من الخنزير وهذا من السمكة وهلمّ جرّاً . على ان ما مرّ بك من شأن الانفيلكسيا وشروط إحداثها يعزّز استقلال النوع وانفراده بطبعهِ وخواصهِ ويدلّ على قيام الفواصل بين نوع ونوع. وكل فردٍ من نوعهِ خلقٌ مطبوعٌ قائم بذاتهِ لا نتيجة التفرّع او التحوُّل من اصل واحد . وليس القول بالانواع من مخترعات التعليم يُقصد بها تقسيم الاحياء وتبويبها لمساعدة الذهن على درسها وحفظها. واكبر برهان لدينا اليوم هو وجود التوكسيجنين النوعية حسبما كشفتها لنا الانفيلكسيا التي نحن في صددها صابرةً على مرور الاجيال لا يعتريها تغيّر ولا زوال بل تظلّ على قدم الاستعداد لتُظهر بمفاعيلها ان لا تغيّر في النوع ولا تحويل

واليك اختبارًا فريدًا في بابهِ يؤيد هذه الحقيقة : جاءوا بموميا (جثة محنطة) قديمة العهد تعاصر ابراهيم الخليل عليهِ السلام فاستخلصوا شيئًا من نخاعها الشوكي ولقحوا بهِ خنزيرًا هنديًا فلم يحصل لهُ ضرر ولا نقص انتعاشه ثم بعد مرور المدة القانونيَّة قُبض عليهِ ولُقح بمصل دم بشري جديد سليم فاذا بهِ مات في الحال . أوَ ليس هذا برهانًا على ان تلك الموميا العريقة بالقدم التي مضى عليها اكثر من اربعين جيلًا هي من النوع الانساني وانها لم تتغيَّر في نوعها مع ان الانسان الذي استُعمل مصله للتلقيح هو من الجيل العشرين ابيض البشرة آري الاصل بينما الموميا من بني حام وتنتمي حسب التوراة الى مسرانيم ؟ الَّا ان النوع لم يزل واحدًا في كليهما فتأمل !

حوادث مدهشة في الحقيقة ودلائل واضحة تقطع بدوام الانواع والروامز على حالٍ لا تتغيَّر وبالتالي فهي حجةٌ دامغة لتفنيد مذهب التحوُّل الدروينيّ . فسبحان الله كم لهُ في خلقهِ من آيات وكم نرى في اسرار هذا الخلق من معجزات

حوادث العام المدبر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ احوال اوربا في العام المنصرم

﴿ رومية ﴾ يحسن بنا ان نبتدئ بعاصمة الكثلكة وحبرها الجليل نعم ان رومية ليست دولةً ذات املاك وقوَّة ماديَّة الَّا انَّها ذات سلطة ادبيَّة تفوق على كلّ سلطة ادبيَّة وتعلو فوق كل الدول . لعمري انهُ لمشهد يسحر الالباب نظر ذلك الشيخ السجين في قصر الفاتيكان الذي ترنو اليهِ ابصار العالم كله وتحنيهِ الملوك كما يُحيَّا ممثل السلطة العاليَّة ويُزار في سجنهِ كما تُزار المقامات المقدَّسة ويقول بقولهِ ثمانمائة مليون من البشر اذا شهد انَّهُ ينطق باسم الهِ المسيح ولهُ الرئاسة التامَّة على الكنيسة فتجعلهُ اعظم شخص ادبيّ في الكون وان سلبتهُ ايطالية املاكهُ فهو لا يزال ملكًا شرعيًا تقرُّ بملكه الدول وترسل اليهِ سفراءها كما تفعل مع بقيَّة الملوك ويرسل هو اليها سفراءهُ ولهُ رايتهُ الخاصة تُنشر كرايات الدول وتُكرم كراية ملك . وقد اثبت

كل ذلك احد كبار الكتبة الفرنسويين المسيو دلزون في مجلة العالمين والتي بشهادة احد كبار السياسيين الايطاليين تأييداً لقوله

وقد ظهر نفوذ الكرسي الرسولي في العام الماضي في عدة مواقع ففي العشر الاول من كانون الثاني وجه الحبر الاعظم الى رؤساء الاساقفة القصاد الرسوليين في كل انحاء الشرق تلك الرسالة الجليلة التي فند فيها الاضاليل التاريخية واللاهوتية التي كان ضمنها الكاهن الامير مكسمليان اخو ملك ساكس في مقالة عنوانها « خواطر في مسألة اتحاد الكنائس » ونشرها في مجلة حديثة اسمها « رومية والشرق » فبين قداسته ان صاحبها مع سلامة نيته وصفاء سريرته قد شحنها بالاقوال الباطلة المنافية للحقائق التاريخية والدينية معاً وقد اقر صاحبها بغلطه وقدم مسرعاً للحبر الاعظم خضوعه التام . فجاء هذا الحادث برهاناً جديداً على صحة المثل القائل بان الانسان قابل للضلال فان اعترف بذنبه اصبح ملاكاً وان اصر على عصيانه صار شيطاناً مارداً . واثبت ايضاً ذلك الامر ان الكنيسة في حاجة الى رأس يقودها ويرشدها وينقذها من كل ضلال

والحق يقال ان قداسة امام الاحبار بيوس العاشر يرعى الكنيسة بعين ساهرة وكل همه ان يحقق الشعار الذي وضعه بازاء عينه يوم جلوسه على السدة البطرسية اي تجديد كل شيء في المسيح والتصدي لكل من يعارضه في سبيل غايته الجليلة . وهذا ما حمله في هذا العام على توجيه الملامة الى الحكومة البرتغالية الجديدة التي داست تحت الارجل كل مبادئ الدين ونسيت ماضيها الشريف لتنشر راية الكفر في بلادها وتناصب رؤساء الكهنوت وتطارد الرهبان وتفصل الكنيسة في الحكومة وتنقاد الى تعاليم الماسونية الوخيمة . فكان لبراءة الحبر الاعظم احسن وقع في قلوب الكاثوليك وشكره عليها بطريرك ليسبونة مع لفيف اساقفة البرتغال

ومن آثار عنايته ايضاً ضربه بالحرم لعدة تآليف ومنشورات منها صريحة الكفر والفساد ومنها ألفها بعض الكاثوليك فحادوا فيها عن جادة الحق شاءوا ام ابوا كان من جملتهم السيد دوشان (Mgr Duchesne) الذي مع سوء فضله وكثرة معارفه غلط في رواية بعض الاخبار التاريخية الدينية فصار كتابه في اصول الكنيسة عثرة لكثيرين واضطر المجمع المقدس الى تحريمه

وقد رأينا سابقاً ما ابرزهُ البابا من الهمة في امر الارمن الكاثوليك بعضد غبطة بطريركهم المفضال وتعيين اساقفة للكنائس المترملة واقامة مجمع ملي لاصلاح شؤون الطائفة ووضع حدود لتطرُّف بعض الملهمين

وتصدَّى لمكايد الماسونيَّة الايطاليَّة وقبح اعمال زعيمها في رومية اليهودي ناثان رئيس البلدية الذي لزم خطتهُ السابقة في شتم شيخ الفاتيكان الجليل. وكذلك احتج على منشورات بعض الصحف البذيَّة التي تنفث سمَّها كل صباح في نفوس قرَّائها فتحملهم على بغض الدين وارباب حتى انَّ بعض هؤلاء الجهال دخل كنيسة مار بطرس ليقتل الحبر الاعظم او اوَّل كاهن يلتقي بهِ فكاد يذهب ضحيَّة جنونهِ المسيو اورزتشي (Mgr Orzucci) وكذلك احتجَّ قداستهُ على مظاهرات الفوضويين العدائيَّة عند باب پيا في شهر ايلول تذكاراً لدخول الجنود الايطاليَّة الى رومية وكان البروتستانت الاميركيون قد انضموا الى تلك الغوغاء فظهر لكلِّ ذي بصر انَّ البروتستانية مصادقة للفوضى في معاداتها للكنيسة

وممَّا شكرهُ العالم الكاثوليكي لقداسة الحبر الاعظم ترقيتهُ في ٢٩ تشرين الاول لسبعة عشر كردينالاً من بلاد مختلفة اشهرهم السيد اميت (L. A. Amette) رئيس اساقفة باريس والسيد بورن (F. Bourne) رئيس اساقفة وستمنستر والسيد جون فارلي (G. Farley) رئيس اساقفة نيويرك والسيد كوسي ماتشيو (Cos y Machiò) رئيس اساقفة فلادوليد والسيد ناگل (F. Nagl) رئيس اساقفة ڤينا والاب لويس بيليو (L. Billot) اليسوعي وكلهم من رجال الفضل والعلم المشار بالبنان

ومن آيات عناية ابي المؤمنين رسالة جميلة كتبها في ١١ حزيران ينشط فيها الجمعيَّات الساعية في توطيد السلام بين الممالك. وبها اثبت قداسته انَّهُ رسول ربِّ السلام غاية مرغوبهِ ان تعيش الدول في الوداد والائتلاف وتعدل عن اسباب النزاع والخصام. ولمَّا استعرت نيران الحرب بين دولتنا العليَّة وايطالية واتَّهم بعض اصحاب الفتن الحبر الروماني بايقاد سعيرها كذَّب بيوس العاشر هذا الخبر رسميًّا واكَّد علانيةً انَّهُ يشنأ الحروب ولا يتمنى للدول غير السلام والوفاق

ورأى الاب الاقدس انَّ حركة التجارة ولوازم المعاش وتزاحم الاشغال لم تعد

تسمح للكاثوليك في بلاد كثيرة الانقطاع عن الشغل في بعض الاعياد فاحبّ التساهل في ذلك وحصر في الكنيسة اللاتينيّة اعياد البطالة السنويّة في ثمانية ايّام فقط اعني ميلاد الربّ وختانتهُ والغطاس والصعود ثمّ الحبل الطاهر بالعذراء مريم وانتقالها الى السماء وعيد القديسين الرسولين بطرس وبولس وجميع القديسين ورخّص اكل البياض واللحم يوم الجمعة ان وقع فيها احد هذه الاعياد

فتلك بعض الادلّة عن سمو نظر قداسة الحبر الاعظم وتنبّؤ كلّها بعنايتهِ الابويّة بالحظيرة التي وُكلت اليهِ حراستها. وقد عرفت لهُ خرافهُ حسن رعايتهِ وهي تسعد باستماع صوتهِ وتبذل النفس والنفيس فداء عنهُ. ولمّا أُصيب راعي الرعاة بنزلة صدريّة في شهر آب ارتفعت اكفُّ الدعاء من كل انحاء المعمور ليصون الله حياتهُ الثمينة من كل الآفات فما عتّم ان نال الشفاء التامّ

﴿ انكلترّة ﴾ وُجدت بريطانية العظمى في السنة المنصرمة في حال حرجة بما وقع من الانقسام بين مجلسي الدولة اذ وجد مجلس العموم في الاعيان مقاومةً تحول دون رغائبهِ في بعض الاصلاحات التي اراد تنفيذها فاتخذ زعماء مجلس الندوة الوسائل الفعّالة ليصادق الاعيان على السنن التي استنّوها وذلك بانهم تهدّدوهم ان يقلبوا ذلك المجلس الاعلى ويختاروا برضى الملك غيرهم ممّن يوافقونهم على مقترحاتهم فتخوّف الاعيان من ثورة تجري في الامّة وتنازلوا عن شيءٍ من حقوقهم باغراء المستر بلفور. وفاز الاحرار بمرغوبهم تحت قيادة المستر اسكويث اذ صادق المجلس الاعلى على القانون المعروف بقانون المنع (Veto - Bill)

ولا ينكر ان الاشتراكيين في هذه السنين الاخيرة ازدادوا قوّة ونفوذاً ولنا اكبر دليل على ذلك في الاعتصابات المتوالية التي جرت في العام المنصرم وعرّضت البلاد لاعظم المخاطر فاعتصب عمّال السفن البحريّة واعتصب عمّة السكك الحديدية واعتصب المعدّنون للفحم وعمّال القطن والصنائع فتعرقلت الامور وسكنت حركة التجارة ووقف دولاب الاعمال حتى خيف نقص ضروريّات المعاش في لندن وليفربول ومدن اخرى. وجرت بين المعتصبين وشرط الحكومة مناوشات عديدة في الشوارع اودت بحياة رجال من الفريقين ولم ترجع الامور الى مجراها الّا بعد المفاوضات الطويلة ومنح العمّال شيئاً من مطاليبهم. وهم قاصدون ان يؤلفوا قريباً اعتصاباً عامّاً

ومن غريب الامور انَّ النساء في انكلترَّة اخذن ايضاً يطالبن الحكومة بحقّ التصويت في الانتخابات. ولمَّا رأين انَّ ارباب الحكم يُصمُّون السمع عن احتجاجهنَّ سرن الى مجلس الأمَّة معتصبات ليهجمنَّ عليهِ وكنَّ في طريقهنَّ يكسرنَ نوافذ المخازن حتى اوقف الشرط منهنَّ اكثر من مائتي امرأة بينهنَّ بعض نساء الاشراف

وقد عاين الانكليز في هذه السنة الاعياد الجليلة التي اقيمت في عاصمتهم بنسبة تتويج جلالة الملك جورج الخامس فكان اليوم الثاني والعشرون من حزيران يوماً مشهوداً ظهرت فيهِ السلالة المالكة في كل رونقها وجلالها وتلا الملك لاوَّل مرَّة ذلك القسم النقح الذي أُلفي منهُ ما يمسّ كرامة الكنيسة الكاثوليك وذلك بحضور سفراء كل الدول في مقدَّمتهم ممثل الكرسي الرسولي الذي اقيم مع وفد الفاتيكان لدى جلالة الملك والملكة ولارباب الدولة كل رعاية واكرام. وكذلك نال السيد بورن رئيس اساقفة وستمنستر التفاتاً خاصاً ودُعي الى احدى المآدب الرسميَّة التي لم يحضرها قبلاً اسقف كاثوليكي. وتوالت هذه الافراح عدَّة ايام ونسي اصحاب الاحزاب انقسامهم لرفع شؤون الوطن. وفي هذه الغضون استعرض الملك جورج كل اساطيل الدولة فكان استعراضها مشهداً فريداً قلما ذُكر مثلهُ في تاريخ بريطانية العظمى

والحقُّ يقال انَّ الملك جورج يستحقُّ هذا الاكرام العظيم بما يزين شخصهُ من الصفات الكريمة والسجايا الطيبة مع معرفتهِ بسياسة بلادهِ ورغبتهِ التامَّة في خدمة صوالحها ومراعاة احزابها وترقية مستعمراتها التي ساح الى جهاتها ودرس احتياجاتها. وتجاريه الملكة ماري قرينتهُ بلطف طباعها ومحبة رعاياها. وهي تحب البساطة وتنفرُ عن التأنق في اللباس وتتبع الازياء الجديدة وتريد ان تحذو حذوها كل نساء حاشيتها. وكلٌّ يشهد بان الملك والملكة قدوة الجميع في العفاف والفضائل البيتيَّة

وقد استأنف اهل الهند هذه المواسم في اوائل كانون الاوَّل فكان الدربار في دلهي من افخم وابهى ما وقعت عليهِ العين هناك قيل انَّ الموكب الذي كان يتقدَّم الملك والملكة يوم تتويجهما كان طولهُ ثلاثة اميال وكانا راكبين مركبة ملكيَّة تحفُّ بهما اعيان الهند وكبراؤها الذين قُدِّر عددهم بمئة الف فتصاعدت اصوات الهاتفين واناشيد المتحمسين الى عنان السماء وكان عدد الجند من الماشين في هذا

الموكب عشرين الفاً . واغتنم جلالة الملك الجديد هذه الفرصة لنقل مركز حكومة الهند من كلكتا الى دلهي لوقوعها في وسط البلاد ومراعاةً لصوالح الوطنيين

ومما يحسن ذكرهُ لانكلترة في العام الماضي انَّ عقلاءها من بروتستانت وكاثوليك بازاء الحركات الفوضويَّة في البلاد تحققوا ان للماسونيَّة يداً في تلك الاشغاب وكثيرون منهم كانوا يدَّعون انَّ الشيعة في انكلترة واميركة لا تناهض الدين والسلطة كما في غيرهما من البلاد فثبت لهم انَّ الماسونيَّة الانكليزيَّة لا تشذ خطَّتها في بريطانية العظمى وفي اميركة عن سواها الَّا انَّها تراعي الاحوال وتلبس لكل بلاد لبوسها وتتلوَّن بالوانها وتدسُّ لها السمَّ في الكاس الموافق لشربها

ومن مساعي كاثوليك الانكليز المشكورة عقدهم لمؤتمرهم الثاني في نيوكسل في ٣ آب حضرهُ جمٌّ غفير منهم تحت رئاسة رئيس اساقفة وستمنستر السيد بورن واثني عشر اسقفاً وكان هناك كثير من اعيان الدولة والنوَّاب في مقدَّمتهم الدوق دي نورفلك ودارت ابحاث المؤتمرين على مسائل خطيرة اخذُها مسألة سلطة الحبر الاعظم الزمنيَّة والتعليم الثانوي في انكلترة. وقد رحب بالقادمين حاكم المدينة البروتستاني وشكرهم على اختيارهم لمدينة نيوكسل لهذا المؤتمر لعلمه بما ينجم عنهُ من الخير للدين والوطن

وكان الكاثوليك قبل ذلك بايام قليلة فازوا في الانتخابات الجزئيَّة فنال اكثريَّة الاصوات اثنان منهم وهما الماجور موركس والبارون ده فورست المثري الشهير رغماً عن مساعي انصار المترشحين من البروتستانت وغيرهم فبلغ بهما عدد النوَّاب الكاثوليك في مجلس العموم ٨٤ عدًّا عشرةٌ منهم انكليز والباقون ارلنديُّون

وكأنَّ الحبر الاعظم اراد مجازاة الانكليز على سامي همَّتهم بترقيته الى مقام الكرادلة السيد بورن وزاد على هذه النعمة نعمةً ثانية ان حوَّل ثلاثة كراسي اسقفيَّة في انكلترة الى مطرانيَّات اوَّلها جاثليقيَّة وستمنستر ثم مطرانيَّة ليفربول ومطرانيَّة برمنغام واناط بهذه الكراسي الرئيسيَّة بقيَّة الابرشيَّات البالغ عددها ١٤ كرسيًّا اسقفيًّا. مع بقاء حقوق الرئاسة العليا لرئيس اساقفة وستمنستر في الاحتفالات والمواقف الرسميَّة ولبس درع الباليوم والجلوس على العرش في كل انحاء انكلترة

﴿ المانية ﴾ احتفلت المانية في ١٨ كانون الثاني بتذكار السنة الاربعين

لامبراطوريتها فكانت الحفلات المقامة لذلك العيد الوطني غاية في الرونق والتحمس واتفقت فيها كل عناصر الدولة فاوثقت هذه المظاهرات عرى الاتحاد بين ابناء البلاد

وفي ١٥ آب استعرض جلالة الامبراطور غليوم الاساطيل الالمانية واشار الى ثقته بالبحرية للدفاع عن الوطن

وكان خطاب الامبراطور المذكور لم يكن غير صدى لزمجرة الاسد اذ كانت المانية باشرت بتوسطها في امور مراكش فارسلت بارجتها المدعوة بانثير الى مينا الندير وادعت لها من الحقوق على تلك البلاد ما لم تعرف له سوابق. فجرت بين معتمدي فرنسة والمانية المسيو جول كمبون وكيدرلن ڤختر - Kiderlen-Waech) (١٤٢ مفاوضات طويلة صعبة دامت ثلاثة اشهر ابرقت في مدتها المانية وارعدت حتى خيف من انتشاب الحرب لكن فرنسة ثبتت في مقام كرامتها فلم ترض ان تتنازل عن حقوقها حتى انقشعت اخيراً تلك السحابة بالاتفاق الفرنساوي الالماني الذي تم التوقيع عليه في ٤ تشرين الثاني فبموجبه اطلقت المانية اليد لفرنسة في احتلال مراكش عسكرياً وبسط حمايتها عليها. اما فرنسة فانها منحت لالمانية كتعويض عن حيادها قطعة من بلادها في الكنغو تمكنها من الوصول الى نهري الكنغو والاوبنغي بحيث يسهل عليها البلوغ الى مستعمرتها في الكامرون وتعديل حدودها

ولعل الذي دفع المانية على ان تخفض شيئاً من زهوها سقم حالة ماليتها لان الفرنسويين استياء من عمالها سحبوا من ماليتهم في مصارفها الى حد ثمانية ملايين ليرة فخافت المانية من الافلاس لولا مساعدة بعض المتمولين من اليهود الفرنسويين. وكان مع ذلك عجز مالية المانية نحو ١٦ مليون ليرة

اما المانية الكاثوليكية فلا تزال تجاهد الجهاد الحسن في خير الكنيسة والوطن. قيل ان الاحصاء الرسمي الذي تم في العام الماضي افاد بان عدد الالمانيين بلغ ٦٤,٥٥١,٠٠٠ نفس والكاثوليك منهم ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ بنيف وهم فضلاً عن عددهم هذا مرتبطون بروابط الوفاق بينهم ومع رؤسائهم الروحيين. ولهم من المشروعات الخيرية والاجتماعية ما يعز وجوده عند غيرهم. وكفى دليلاً على نفوذهم مؤتمرهم السنوي الذي يجدد كل سنة قواهم ويبين لكل مواطنيهم رسوخ

قدمهم في حبّ الدين والوطن. وكان المؤتمر الاخير هو الثامن والخمسون للكاثوليك الالمانيين عقدوهُ في مايَنسة في ٦ آب وكان احد مقاصدهم التي صمّموا عليها النية مناهضة المدارس اللادينية. ونقلت الجرائد انَّ عدد الذين مشوا في الموكب الجاري في ختام جلساتهم بلغ ٥٣,٠٠٠ كانوا اتوا من كل مقاطعات المانية ليحضروا المؤتمر

هذا وان الخطر العظيم الذي يتهدّد اليوم المانية عموماً انّما هو الخطر الاشتراكي الفوضوي فانَّ الانتخابات الاخيرة التي جرت حديثاً ارعبت قلوب المحافظين من بروتستانت وكاثوليك لما نال الاشتراكيون من الفوز في عدّة امكنة فدخلوا في مجلس العموم وقصدُهم تعزيز مبادئهم الضارّة - فيا ليت المحافظين ينسون عداوتهم للكنيسة ويمشون يداً في يدٍ معها لردّ هذا الشرّ الذين يتهدّد الدين والوطن معاً

﴿ النمسة ﴾ ان موت رئيس الحزب الكاثوليكي لويغر (Lueger) اضعف شيئاً من عزائم اصحابهِ الذين كانوا في هذه السنين الاخيرة نالوا فوزاً باهراً بمناهضة الاشتراكيين والحزب اليهودي والماسوني. فانتهز كل اهل الفوضى واعداء الدين تلك الفرصة ليحملوا حملة شديدة على الكاثوليك فاصابوا في ثينّا نجاحاً وزاد نجاحهم الحكومةَ ضعفاً مع كثرة العناصر في النمسة ووفرة الاحزاب التي تزيد على عشرين حزباً. فقامت قيامة الاشتراكيين وعمدوا الى المشاغبات وفي ١٧ ايلول اجروا الدماء في شوارع العاصمة. وحاول احدهم المسمى نياغوس (Njegus) ان يقتل وزير العدليّة. فرأت الحكومة انها لا تستطيع كبح جماح آل الثورة الّا بمعاقبتهم عقاباً شديداً ليكونوا عبرةً لغيرهم. واوتأى رؤساء الوزارة الثلثة الذين تتابعوا اي بينرث (Bienerth) وغوتش (Gautsch) وستورخ (Stürgkh) انّهُ لا بُدَّ من العمل بالحزم

امّا الكاثوليك فسعى الاساقفة وزعماء احزابهم ان يضمّوا كلمتهم ويجمعوا شتاتهم وانشأوا « الاتفاق الكاثوليكي النمساوي » وجعلوا لهُ فروعاً متعدّدة في المملكة. فلم تلبث ان ظهرت ثمرة اتحادهم بمعاكسة الاشتراكيين وصدّهم عن فتح المدارس اللادينيّة

وقد فقدت ثينّا في ٦ آب رئيس اساقفتها السيد انطون يوسف غروشا (A. J. Gruscha) المولود سنة ١٨٢٠ وكان كردينالاً منذ سنة ١٨٩١ فخلفهُ

السيد ناكل (Nagl) مساعدهُ فرُقي الى رتبة الكرادلة كما سبق . وكذلك رُزئت بولونية النمساوية في ٩ ايلول برئيس اساقفة كراكوفيا الامير جان بوزينا دي كوزيلسكو (G. Puzyna de Kozielsko) كان مولدهُ سنة ١٨٤٢ وتعيَّن رئيس اساقفة على بولونية سنة ١٨٩٥ ونُظم في سلك الكرادلة سنة ١٩٠٣

﴿ فرنسة ﴾ حدث في وزارتها عدَّة تقلبات اظهرت ما صارت اليه تلك الدولة الشريفة في ايدي الجمهورية اللادينيَّة فاصبحت كريشة تتلاعب فيها الرياح حتى تقلَّص شيء من هيبتها وكرامتها . ففي ١٠ كانون الثاني عاد النواب فانتخبوا لرئاسة المجلس بريسون احد زعماء الماسونيَّة . وفي ٢٨ شباط استعفى رئيس الوزارة بريان لما وجد في المتطرفين من حزبهِ من المقاومة لتساهلهِ على ما زعموا مع الكاثوليك في امر الكتب الكفريَّة والتعليم اللاديني وتقاضيهِ في رجوع بعض الرهبان فحملوا عليهِ الحملات الشديدة حتى اسقطوا وزارتهُ . فتألفت وزارة جديدة برئاسة مونيس الداخليَّة وكروبي للخارجية وبرتو للحربية وستيغ للمعارف . وضاعفت هذه الوزارة ضغطها على الدين وارباب فاقفلت عدَّة مدارس كاثوليكية . وكأن الله اراد تنبيهها بالحادث المفجع الذي حدث في ٢١ أيار في حفلة سباق الطيارات من فرنسة الى مدريد فصدمت احدى الطيارات المنصَّة التي كان جالساً عليها الوزراء فقتلت وزير الحربيَّة المسيو برتو (M' Berteaux) وجرحت رئيس الوزارة مونيس . ثم فشلت هذه الوزارة واستقالت وقامت وزارة ثالثة تحت رئاسة كاليو (M' Caillaux) وكروبي للعدليَّة وساف للخارجيَّة ودالكاسه للبحريَّة وستيغ للمعارف وكان ذلك في اواخر حزيران ولم تطل مدَّتها الأ ستة اشهر فانَّ الانباء الاخيرة اعلنت بسقوطها في اوائل السنة الجديدة

واضطربت فرنسة بعدَّة فتن وحركات داخليَّة منها ثورة الكرَّامين في مقاطعة شمبانية وتحاملهم على باعة الخمور المزيَّفة فحدثت لذلك مضاربات ومشاجرات احوجت الحكومة على التداخل في الامر وارسال القوَّات العسكرية لاخماد الفتنة فلم تعد السكينة الَّا بعد افراغ الجهد الجهيد وعقد لجنة تحاكم اليها الفريقان في دواي (Douai)

واستأنفت الماسونيَّة دسائسها بسعاية اصحابها سرًّا في الضباط الكاثوليك

ليمنعوهم عن الترقي في مراتب الجيش كما فعلوا سابقاً. وفي ٢١ ايلول عقدت الماسونيَّة مؤتمرها السنوي في باريس تحت رئاسة دبيار (Debierre) فكان من اخصّ مقاصدها اضرام الحرب العوان على التعليم الديني والكتب المدارسيَّة الكاثوليكيَّة لتخريج الناشئة على المبادئ الحرَّة الكفرية. وكان في اثناء ذلك نوَّاب على العموم الفرمسون يتجوَّلون في انحاء فرنسة ويتآمرون في محافلهم السريَّة لتنفيذ الاحكام الماسونيَّة في كل دوائر الدولة حتى ان المسيو دلاشانل (M. Delachanel) في ٢٩ تشرين الثاني احتجَّ على هذه السياسة الماسونيَّة في دار الندوة كما فعل سابقاً المسيو براش (Prache) وافحم الوزير كاليو مبيناً امام الجميع انَّ النواب الماسون يضحُّون بسياستهم الماسونيَّة كل كرامة فرنسة

وكأن هذا التطرُّف الزائد قد هيَّج الرأي العام على الشيعة حتى انَّ الاشتراكيين نفسهم عقدوا الاجتماعات لمعاكسة الماسونيَّة فان نقابة الفعلة الباريسيَّة جمعت اصحابها في ٣ نيسان في باريس للاحتجاج على الماسونيَّة وقام فيهم خطيباً المسمى باتو (Pataud) زعيم رجال الكهربائيَّة في باريس وكشف كل دسائس الماسونيَّة واثبت انَّ الشيعة تستخدم الفعلة كآلات صمَّاء لتنفيذ مآربها وتضحية مصالحهم. فلحق من جرَّاء ذلك عارٌ عظيم على ابناء الارملة

وتجلببت الماسونيَّة عاراً جديداً بنشر اوراق ڤلدك روسو (Waldeck-Rousseau) السياسيَّة في جريدة الماتين الموالية للحكومة فعرف الكل انَّ ذلك الوزير بتحامله على الرهبانيَّات ومدارسها انَّما كان مرتشياً من اصحاب الشيعة

وتكرر خزي الشيعة التي كانت دسَّت احد اعضائها من شُرَط باريس ليقنع مجرماً رُفع للمحاكمة بقضية القتل اسمهُ لِيرو (Leroux) بان يرمي الذنب على كاهن قرية ايغورناي (Igornay) المدعو الاب لارو (Laroue). ففعل المجرم وألقي الكاهن في الحبس مدَّة ثلاثة اسابيع فاوسعتهُ الجرائد الماسونيَّة شتماً هو وكلَّ الاكليروس. لكن مهلاً الضمير لم يزل يتأثر المجرم حتى طلب ان يجتمع أمام القضاة مع الكاهن لارو فلمَّا حضر الاب المذكور خرَّ القاتل على قدميهِ ونشدهُ الله باكياً الَّا ان يغفر لهُ التهمة الباطلة التي اتهمهُ بها وانَّهُ هو وحدهُ المذنب. فضمَّهُ الكاهن الى صدرهِ وعيناهُ مغرورقتان بالدموع وسامحهُ. فكان لهذا الاقرار وقع

عظيم في نفوس الحضور وردّدتهُ كل الصحافة معلنةً بخبث الشرطي ومكر الماسونية مع الثناء الطيّب على شهامة الكاهن

وبينما كانت الشيعة تختاق هذه السعايات الكاذبة افتُضح احد كبار مشايعيها الاخ ٥٥ فلاشون (Flachon) مدير الجريدة لانترن (Lanterne) اقبح جرائد فرنسة كفرًا فثبت تدنيسهُ لثوب طهارة احد الصبيان وحُكم عليهِ بالاشغال الشاقّة في تشرين الثاني — وكذلك فُضحت الماسونيّة بحكم القضاة على دويز (Duez) المتولي تصفية اموال الرهبانيّات في فرنسة لاختلاسه منها جانباً كبيرًا مع اصحابهِ. فلمّا ثبت جرمهُ حُكم عليهِ في ٢١ حزيران بالحبس لمدّة ١٢ سنة

فاي عجب بعد ذلك ان كان الكاثوليك في العام المنصرم دافعوا عن حقوقهم مدافعة الابطال. وكان في مقدّمتهم اساقفتهم الذين نشروا المناشير المفعمة غيرةً وحماسة في رذل الكتب الكفريّة التي جعلتها الحكومة في ايدي الاولاد في المدارس العموميّة. وكذلك اجتمع في ٨ كانون الثاني ١٣ اسقفاً وحرموا قراءة بعض الجرائد المعادية الدين وسمّوها باسمائها ولم يخف هؤلاء الاحبار من قيام انصار الماسونيّة عليهم في المحاكم العموميّة بل عدّوا الحكم عليهم شرفاً كالكردينال لوسون (Mgr Luçon) الذي قضى عليهِ مجلس ريس بدفع ٥٠٠ فرنك كتعويض لجماعة المعلمين اللادينيّة (les Amicales). وكان بخلاف ذلك مجلس رودس-برّ ساحة السيد دي ليغونس (de Ligonnès) للسبب عينه

وقد سرّنا ان تألّفت جمعيّات شتى لمناهضة الماسونيّة ونشر اعمالها وكتاباتها السريّة. وفي اواسط تشرين الثاني عُقد المؤتمر الثاني لمعاكسة الشيعة حضرهُ في باريس ممثلو ١٨ دولة بينهم بعض المصريين والسوريين

وكذلك عقد الكاثوليك عدّة مؤتمرات أُخر لتعزيز المشروعات الاجتماعيّة كمؤتمر النعلة الكاثوليك الذي امتدّت فروعهُ اليوم في كلّ انحاء فرنسة وهي تبلغ ٤٥٠ فرعاً. واحتفلت ايضاً في ايّار جمعيّة الشبّان الكاثوليك بعرسها الفضي وهي اليوم من ازهر الجمعيّات واشدّها نفوذاً. وكذلك عُقد في ١١ حزيران مؤتمر « الاعمال الكاثوليكيّة العموميّة » بكل ابهة ورونق — ولم يكن في ٢٨ حزيران وفي ١٨ تموز اقلّ شأناً مؤتمران آخران عُقدا للدفاع عن المدارس الاكليريكية ولنشر المواعظ

والرياضات في قرى فرنسة. ومثلهما المؤتمر الرابع والثلثون لجمعية ائتلاف المعاهد التهذيبية في ٣٠ آب — وكان لاعياد جان دارك في اورليان في ٢٣ أيار مشهد رائع اخذ بمجامع القلوب وازدانت المدينة بكل حلل البهاء والنور ليلًا مع نهار

ومما نال به الكاثوليك فخرًا دخول السيد دوشان (Duchesne) في الاكادمية الفرنسوية في ٢٦ كانون الاول — وكذلك منحت الحكومة اوسمة الشرف لكهنة ورهبان وراهبات امتازوا بالفضل والخدم الجليلة لوطنهم فكان فعلها كاقرار بشرف الاكليروس والرهبانيات التي هي تضطهدها. وكان من جملة من ظفروا بهذه الهبات بعض المرسلين من رهبانيتنا في آطنة وبيروت — هذا وقد نالت كنيسة فرنسة مجدًا اثيلًا بنصب بناء فخري وتمثال فخم لامير خطبائها الدينيين برصويه الشهير في مدينة مو (Meaux) وتمَّ الامر بمساعي السيد ماربو (Mgr Marbeau) خلفه الحالي على كرسي مو فكانت الحفلة المنعقدة لذلك في ٨ تموز من اجلّ الحفلات — واعظم منها جلالا حفلة نقل ذخائر القديس فرنسيس دي سال في آنسي الى الكنيسة الجديدة المبنيَّة لذكره فتقاطرت الجموع من كل انحاء البلاد لهذه الحفلة وبالخصوص الالوف المؤلفة من اهالي مقاطعة سابوديا واسم فرنسيس دي سال لا يزال بينهم حيًّا محبوبًا

ومما أصيبت به فرنسة في العام الماضي من المصائب المزلة انفجار ثلاثة من دوارعها الحربيَّة كلوار (Gloire) وكوربه (Courbet) وليبرته (Liberté) في اواخر ايلول فقُتل كثيرون من بحارتها وابست البلاد حدادها على الموتى وابرق الحبر الاعظم الى رئيس الجمهورية يعزيه في هذه الفاجعة وكذلك اسرع السيد گيليبرت (Mgr Guillibert) الى عيادة المجروحين وأُقيمت الجنازات الدينيَّة المؤثرة لتذكار الموتى. وكان وافق يوم انفجار الدارعة كلوار تدشين الدارعة جان بار (Jean - Bart) في برست التي محمولها ٢٤,٠٠٠ طنّ

وكذلك رُزئت فرنسة في ١٠ تشرين الاول بوفاة احد مشاهير قوادها الكاثوليك وهو الجنرال اثناس شارتّ (Ath. Charette) البطل المغوار الذي دافع عن حقوق الكرسي الرسولي مع الزواوة في ايطالية ثم حارب في سبيل وطنه سنة ١٨٧٠ فنزل في حومة القتال في لواني (Loigny) مظلّلًا براية قلب يسوع فاكسب هو وذووه فرنسة شرفًا مخلّدًا

وفي ١٠ أيار توفي احد علماء فرنسة باللغات الشرقيَّة المرحوم روبنس دوفال (R. Duval) الشهير خصوصاً بتآليفه السريانيَّة

امَّا امور فرنسة الخارجيَّة فاخصُّها فوز سياستها في مراكش فانَّ فتن الحزب المعاكس هناك لولاية مولاي حفيد سلطانها اقتضت فرنسة ان ترسل اليها عدداً من الجند بلغ ٣٠,٠٠٠ فجرت عدَّة وقائع دمويَّة وقُتل بعض ضبَّاط الَّا انَّ الجنود الفرنسويَّة بلغت اخيراً فاس حاضرة مراكش تحت قيادة الجنرال مانجان (Mangin) وكسرت شوكة الاعداء. وقد مرَّ بك ما دار اذ ذاك بين فرنسة والمانية من المفاوضات في شأن حماية الاولى وسيطرتها وكيف انتهت تلك الازمة. فلم يبقَ الآن الَّا المخابرات مع اسبانيـة والامل معقود انَّ الاتفاق بين الدولتين يتمُّ قريباً

وفي اواسط الصيف ابحر الرئيس فاليسار من دنكرك الى هولندة فاستُقبل استقبال المنتصر في شانتج ولاهاي

﴿ اسبانية ﴾ كانت اسبانية في اوائل السنة ١٩١١ في حالة حرجة لسوء تصرُّف رئيس وزارتها كناليجاس الذي كان بتقرُّبه من الاشتراكيين قوَّى عزائمهم فعمدت البحريَّة الى الثورة لتعلن بالجمهوريَّة فحصلت عدَّة مشاغبات وفتن ففهم كناليجاس انَّ تساهلهُ يلقي بالدولة في التهالك وغيَّر خطَّتهُ ثم اتَّخذ الوسائل الفعَّالة لكبح شرّ الفوضى .

ومن مساعي الاشتراكيين في اسبانية انَّهم حاولوا استئناف قضيَّة فرّير لزعمهم انَّهُ قُتل ظلماً فقام النائب الجمهوري سوريانو وطلب في ٢٨ اذار ان تُستأنف الدعوى لكنهُ لمَّا اوقفهُ وزير الدولة على اوراق الحكم وتفاصيلها اقرَّ جهاراً بانَّ فرّير اثيم وان الحكم بتوته عادل

وكانت الحملة الاسبانية في شمالي مراكش ساعيـة في توطيد اعمالها العسكرية بعد ان سافر الملك الفونس الثالث عشر الى مليلة في غرَّة السنـة لتنشيط الجنود المحتلين هناك الَّا انَّ المراكشيين لم يدعوا فرصة لمقاتلـة الاسبان حتى ألحقوا بهم خسائر عديدة . وفي ١٤ تشرين الاوَّل قتلوا القائد اوردونيس في احدى الوقائع لكن الاسبان مصمّمون على مواصلة الحرب. امَّا بعد المعاهدة الافرنسيَّة الالمانية فلم يبق لاسبانية الَّا ان تتفق مع فرنسة على شروط احتلالها في شمالي مراكش

ومن المعلوم انَّ اسبانية كانت قطعت العلاقات الرسميَّة مع الكرسي الرسولي بسبب احتجاج الحبر الاعظم على سوء تصرُّف كناليجاس في احكام دينيَّة لكنَّ الملك الفونس استأنف المخابرات مع رومية بعد ان وقع اختيار الكاثوليك على مدزيد للمجمع القرباني فارسل الملك رسالة يشكر فيها الحبر الاعظم على هذا الامتياز ثم عيَّن في ١١ حزيران سفيراً جديداً لدى الكرسي الرسولي السنيور نفارُّو ريثرتر. وفي ٢٣ حزيران كان افتتاح المعرض القرباني برونق عظيم فخيَّل انَّ اسبانيـة الكاثوليكيَّة تراكضت من اقاصي البلاد لتعلن بايمانها ودامت تلك الحفلات البهيَّة ثمانية أيام خُتمت بطواف فاخر لاكرام القربان الاقدس حضرتهُ المدينـة كلها وزاد حضور الملك لتلك الحفلات رونقاً. وكان الحبر الاعظم عيَّن لرئاسة المجمع كنائبه الخاصّ جاثليق اسبانية ورئيس اساقفة طليطلة الكردينال آغير. وفي اثناء الحفلات ابرق الملك الى الحبر الاعظم معرباً عن سروره بتلك المظاهرات الدينيَّة الفخيمة فجاء جواب امام الاحبار يتدفَّق لطفاً وحناناً لاسبانية وملكها. ومما جرى حينئذٍ من الحفـلات المؤثرة تقرُّب عشرين الف ولد لاوَّل مرَّة من القربان الاقدس فأُقيمت الذبيحة في حديقة كبيرة على ثلاثة مذابح وتناول الاحداث من ايدي الاساقفة ومرُّوا امام نيافة الكردينال اغير الجالس على سدَّة عالية نباركهم

﴿ البرتغال ﴾ جارة اسبانيـة تتخبَّط في الثورة والفوضى كما رأيت في مقالتنا المعنونة « مولد جمهوريَّة البرتغـال الماسونية » (المشرق ١٤ : ٧٠٤) فانَّ اصحابها بدلاً من السعي باصلاح الاحوال وجمع الكلمة الذبّ عن الوطن لا همَّ لهم سوى اضطهاد ارباب الدين وبثّ المبادئ الفاسـدة. وقد حكموا مؤخَّراً بعزل غبطة بطريرك ليسبونة السيد مندس بلّو (Mgr Mendes Bello) ثم بحبسهِ ونفيهِ الى افريقية. وترى الجمهوريين مع ذلك في انقسام وخصام حتى سقطت وزارتهم مع حداثة عهدها في ٢ ايلول وقامت وزارة جديدة برئاسـة جواو شاغاس من الدّ اعداء الدين الذي كرَّ الغارة على انصـار الملك مانويل والاكليروس كخلفهِ فازدادت الاحوال خراباً واخذ الشعب يتلهَّف على الحكومة السابقة مع خللها

ومن عجيب الامور انَّ انكلترَّة اثبتت حمايتها على رعاياها في البرتغال رغماً عن الجمهوريين فترى دعاة الدين البروتستاني يتمتَّعون بالحريَّة التامَّـة لنشر تعاليمهم

وتهذيب اكليروسهم والمجاهرة برتبهم الدينيَّة ولبس الثياب الخاصَّة بهم بخلاف الكهنة الكاثوليك الذين لم يَعُد يُسمح لهم ان يظهروا في الشوارع بشارات دينهم او يلبسوا ثيابهم الاكليريكيَّة. فما اخفَّ نير الماسونيَّة ! !

﴿ ايطالية ﴾ ارادت ايطالية في العام المنصرم ان تحتفل بالسنة الخمسين لاعلانها بالوحدة الايطاليَّة والسنة الاربعين لاغتصابها املاك الكرسي الرسولي. غير انَّ هذه الحفلات بقيت غالباً منحصرة في الدوائر الرسميَّة فانَّ الكاثوليك كما لا يخفى رأوا في تلك المظاهرات اهانة لدينهم فعدلوا عنها . امَّا الفوضويّون والاشتراكيّون فانهم ابوا حضورها لتوجيه الدولة كل اكرامها للملك ڤكتور عمانويل الذي اقامت لذكره مشهداً مع كونها ضربت صفحاً عن زعيمي الوحدة الايطاليَّة مازيني وغاريبلدي . وكانت الحكومة اعدَّت معرضاً عمومياً دعت اليه الملوك ورؤساء الدول وتكلفت عليه النفقات الطائلة فلم يحضره احد منهم وبلغت خسارته عدَّة ملايين فنسب اليهودي ناثان رئيس بلديَّة رومية هذا التقصير للحبر الاعظم وللحزب الاكليريكي . وزاد الامر تقهقراً بسقوط وزارة لوزاتي في ١٨ آذار في اليوم التابع لافتتاح المعرض. ثم جاءت في اواسط الصيف عدوى الهواء الاصفر في رومية وانحاء ايطالية فكانت بلاء على بلاء.

ومن عجيب الاتفاق انَّ ايطالية التي كانت تطرئ معرضها وتصوّر حفلات عيدها الخمسيني كتوطيد السلام هي هي قامت في اواخر ايلول وباشرت بغتةً بتلك الحرب المشؤومة التي نشعر بانعكاس فعلها حتى في اقطارنا فردَّدت كلمة مازيني التي قالها سنة ١٨٣٨ : « انَّ شمالي افريقية ملك من املاك ايطالية » وكررت بقول بيسمارك سنة ١٨٦٦ : « انَّ ملك البحر المتوسط يخصّ بلا مراء ايطالية » . وكان اعلان الحرب في ٢٩ ايلول فضربت اوَّلاً السفن الايطالية طوربيداً في بريفيزا جنوبيَّ جزيرة كورفو . ثمَّ سارت الى طرابلس فاطلقت عليها القذائف في ٣ تشرين الاوَّل وانزلت جنودها الى البرّ في ٥ منهُ ومذ ذاك الوقت استولت على سواحل طرابلس امَّا داخليَّة البلاد فلم يتوغَّل فيها الطليان كثيراً مع انَّ مجموع عساكرهم يبلغ اليوم في طرابلس ١٢٠ الفاً . وكأنَّ ما وجدوهُ هناك من المقاومة قد احنقهم فاخذوا يتهدَّدون سواحل البحر الاحمر فضربوا بعض المدن ودمَّروا قسماً من السفن التركيَّة . على انَّ

الدولة العثمانيَّة لم تغضِ على القذى وقد اظهرت جنودها من البسالة ما لم يكن في حسبان الايطاليين ثم صادرت التجارة الايطاليَّة في بلادها فالحقت بها خسائر لا تحصى

وممَّا طنطنت به الجرائد الايطاليَّة في العام الماضي دعوى الكاهن الجاحد لدينهِ المسمَّى ڤرديزي (Verdesi) الذي اتَّهم احد الرهبان اليسوعيين الاب بريكارلي بكشف سرّ الاعتراف فاقام الاب المذكور دعوى على المتَّهم فاثبت كذبهُ وحُكم على ڤرديزي بالحبس ودفع كُلف الدعوى. وكان هذا الحكم انتصارًا للكثلكة

﴿ بلجكة ﴾ في هذه السنة تواطأت الاحزاب المعاكسة للحكومة على جمع قواها ونزع السلطة من الكاثوليك فنازت ببعض مناها وسقطت وزارة شولرت (Schollaert) وقام بدلًا منهُ البارون دي روكڤيل (Bon de Roqueville). ولمَّا جرت الانتخابات كسب الاشتراكيُّون والاحرار بعض كراسي في مجلس الندوة الَّا انَّ عدد الاصوات كان اوفر جدًّا للكاثوليك الذين لا يزالون في مقامهم. امَّا اعداؤهم فقضَّوا تضحية مبادئهم لنوال فوز زهيد لم يُظفرهم بالنصرة التامَّة. ومع ذلك ملأ الماسون البلاد صخبًا وعمدوا الى مظاهرات شتى في بروكسل وغيرها لكنَّ المحافظين الكاثوليك كالوا لهم الكيل بالكيل وردُّوا كيدهم في نحرهم في لوڤان ومن ثم رأوا ضرورة توثيق عُرى وحدتهم

﴿ هولندة ﴾ نصبت علمها على جزيرة بلماس بدلًا من العلم الاميركي بعد اتفاق الدولتين

﴿ روسيَّة ﴾ دهم بلادها في جهات تركستان زلازل هائلة قوَّضت ابنية بعض مدنها وتلت ذلك عدوى الطاعون فاجتاحت عددًا عديدًا من اهلها حتى اضحت بعض الانحاء قفرًا مقفرًا. وجاءت بعد ذلك المجاعة فكانت ثالثة الاثافي وذهبت بنفوس الوف مؤلفة من اهل سيبريا

وحصل في آذار جفاء بين روسيَّة والصين لنقض الصين بعض معاهداتها فارسلت روسيَّة مذكَّرة تنبهها الى انَّ عملها سيفضي الى حلّ عُرى الصداقة فلم ترَ الصين بدًّا من ترضية جارتها القديرة

هاج الروسيون على اليهود في كياف ثم في ڤرسوڤيا لقتل ولد مسيحي ادّعى الرأي العام ان اليهود قتلوهُ لغاية دينيَّة في نصحهم. ولمَّا حاولت الحكومة ان تتحقق الامر شرعيًا والحّ الكنت ستوليبين على القضاة باثبات الدعوى قام يهودي آخر لسمهُ بوغروف فكاد لحياة الوزير ستوليبين حتى قتلهُ واقرّ قبل عقابهِ انهُ فعل ذلك انتقاماً منهُ لطلبهِ اقامة الدعوى على مندل بيليس (M. Beiliss) المتهم بقتل الصبي في كياف — وقد مرّ في ما سبق ما حصل من توتّر الاحوال بين روسيَّة وايران — وكذلك هاج الرأي العام في تركيًا لطلب الدولة المسكوبيَّة فتح الدردنيل لسفنها الحربيَّة لكنَّ الدولة العليَّة اجابت جواباً سلبيًا على هذا الطلب الذي يفتح بلادها لنفوذ الاجانب

﴿ بلغارية ﴾ اجرت انتخابات مجلسها العمومي في ١٩ حزيران فكانت الاغلبيَّة للنوَّاب الموافقين للحكومة فبلغ عددهم ١٢٦ ولم يتجاوز عدد المعاكسين ٦٨. وفي ١٠ تموز عقد المجلس الاعلى المعروف بالسوبرانيه فصادق ٣٣٢ من النواب والاعيان على ترقية اميريَّة البلغار الى ملكيَّة وفوَّضوا الى الملك السلطة في المعاهدات دون رخصة مجلس الندوة — وفي اواسط كانون الاوَّل حصلت في ثغور تركيًا والبلغار مناوشات بين خفراء الدولتين. فخشي ان تتجسم الامور وتؤول الى حرب لكنَّ الله كفانا شرَّها بحكمة العقلاء.

﴿ اليونان ﴾ لا تزال احوالها الداخليَّة في اضطراب مع عجز ماليَّتها — وقد أصيبت تجارتها بضربة موجعة لمقاطعة بضائعها في الدولة العثمانيَّة مدى السنة حتى الخريف — وكانت كريت تواصل مساعيها للدخول في حكم اليونان فاضطرَّت الدول غير مرَّة ان تحول دون رغائبها حاضرًا

﴿ موناكو ﴾ منح في ٥ ك ٢ اميرها البار الاوَّل دستورًا لبلادهِ التي لا يبلغ اهلها عشرين الفاً فاذاقهم حلاوة الحكم الدستوري

٣ ماجريات اميركا

﴿ اميركا الشماليَّة ﴾ الولايات المتحدة تجري في الرقي والعمران جري الجبابرة وقد سبق في المشرق (١٤ : ٧٢١) كلام طويل في مركزها الاقتصادي الممتاز. ولما انتهت في غاية حزيران السنة الماليَّة وجدوا انَّ صادرات البلاد زادت على

العامَ السابق بما يساوي مليارين دولار وانَّ الربح الخالص يقيف على ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠

وقد نالت الولايات المتحدة من الصين امتيازات مهمَّة لمدّ سكة هونكنغ الحديديَّة واصلاح الجمارك . وكذلك عُقدت معاهدة مع اليابان واتَّفقت فيها الدولتان على عدَّة امور كمسألة المهاجرين من بلاد الى اخرى

ادَّت نتيجة الانتخابات في الولايات المتحدة الى فوز الجمهوريين وكان السبق قبلًا للنوَّاب الديموقراطيين

في تموز احتفل الكاثوليك في بلتيمور بيوبيل الكردينال جيبونس اذ وافقت هذه السنة تمام خمسين عاماً على كهنوته و٢٥ عاماً على ترقيته الى الكردينالية فاقيمت له حفلة عظيمة حضرها رئيس الولايات المتحدة تافت والمستر تيودور روزفلت وكثير من الاعيان والنواب وممثلي الدول مع جمهور بالغ ١٥,٠٠٠ نسمة خطب فيها كثير من الخطباء المفوَّهين ورفعوا شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة وصاحب العيد

والحقّ يقال ان الرئيس تافت لا يدع فرصة في تعظيم الدين الكاثوليكي وارباب . وقد روى البشير في ٥ ايلول خطبتهُ البديعة عند زيارته دير الجماعيَّة حيث مدح الرهبان واطرأ اعمالهم

ومن مرويَّات اميركة الشماليَّة المؤتمر الذي عقدهُ الكاثوليك في شيكاغو حيث احتجَّ الكاثوليك على كارنجي المثري الاميركي الكبير لتخصيصه مبالغ وافرة من مالهِ لتعزيز التعليم اللاديني ومضرَّة البلاد

وعلى خلاف ذلك استدعت حكومة كولومبية الآباء اليسوعيين ووكلت اليهم فتح كليَّة يعلّمون فيها العلوم العليا ويمنحون اجازة الدرجات الاكاديميَّة ووعدت الحكومة بأنها تقدّم لهم مساعدة ماليَّة سنويَّة على شروط معلومة

﴿ كندا ﴾ في هذه السنة جرى بعض التحوير في سياسة كندا وهي بلاد يتنازعها العنصران الاميركي والانكليزي وقسم كبير من اهلها فرنسويون كاثوليكيُّون متحمسون في دينهم فسعى العنصر الاميركي ان يغلّب فيها اللغة الانكليزيَّة والعادات الاميركيَّة ويضعف حياتها الاستقلاليَّة وحبَّها لفرنسة فقاومهُ معظم الفرنسويين وقام الاساقفة يدافعون عن حقوق الكاثوليك ويطالبون بحفظ امتيازاتهم فنال سهمهم

وقد تعين لكندا كحاكم عمومي باسم بريطانية دوق دي كونوت فاستقبل بكل رونق وفرح

ومما تحققوهُ بالاحصاء الاخير انَّ اهل كندا يهاجرون كثيرًا الى الولايات المتحدة حتى انَّ عددهم البالغ سابقاً ثمانية ملايين من النفوس سقط في هذا الاحصاء الى سبعة ملايين

﴿ المكسيك ﴾ كانت جمهوريَّة المكسيك في هذه السنة في هرج ومرج لقيام اهلها على الرئيس بورفيريو دياز الذي منذ ٣٥ سنة يضبط زمام الامور رغماً عن كل معاكسيه وخلافاً للقوانين الدستوريَّة وقد تمكَّن من حفظ سلطتهِ بكل انواع الاستبداد والظلم مع مساعدة انصارهِ فما كان احد يجسر ان يقاومهُ واذا فعل شعر بعد قليل بمفاعيل غيظهِ فيُقتل خفيةً ويذهب دمهُ هدرًا . وكانت الماسونيَّة وهو احد اعضائها تعضدهُ في كلّ مشاريعهِ حتى طفح الكأس في هذه السنة وقام لمحاربة دياز رجال ذوو إقدام وأنفة كفرنسيسكو ماديرو وفلورس ماغون وتامت الحرب الاهليَّة على ساق وسالت الدماء الى ان اضطرَّ بورفيريو دياز ان يقدّم استعفاءهُ . والمقدَّم حتى الآن هو ماديرو وقد انحاز اليهِ الكاثوليك الذين كانوا سابقاً حائدين عن الاحزاب السياسيَّة ومن المنتظر ان يفوز تماماً عمَّا قريب

﴿ اميركا الوسطى ﴾ ليس بين جمهوريَّاتها في السلم سوى حكومتي كوستاريكا وسان سلفادور امَّا نيكاراغوا وهندوراس فكانتا في قلق واضطراب لاختلاف احزابها . وكانت جمهوريَّة غواتمالا تئنُّ للضنك اللاحق بها من قبل رئيسها استرادا كبريرا

﴿ اميركا الجنوبيَّة ﴾ غلب السلم على جمهوريَّة شيلي التي بعد احتفالها بالمئة الاولى على استقلالها لم تزل ترقى في معارج الفلاح والحريَّة الصحيحة وتعزيز الدين . وكذلك الهدوّ والوفاق سائدان في بلاد بيرو وكولومبية . امَّا بقيَّة البلاد فانَّها لم تخلُ من حركة وهيجان فان اهل باراغواي احتشدوا على رئيسهم وقبضوا عليه وحبسوهُ حتى اكرهوهُ على الاستعفاء واقاموا بدلًا منهُ رئيس المجلس السنيور ليارانو . ويودّ اهل اروغواي ان يكسروا نير رئيسهم باتلّ اي اوردونيس (Batile y Ordónez) لضغطه عليهم واستبدادهِ المفرط . وكذلك جمهوريَّة

الارجنتين فانّ بعض الفوضويين اقلقوا راحتها في حاضرة البلاد

امّا البرازيل فثار فيها قسمٌ من بحريّتها وتهدّدوا ريو دي جانيرو ولم يخلدوا الى السكينة الّا بعد ان نالوا الامان التام . وكادت العلاقات الوديّة بين البرازيل والكرسي الرسولي ان تنقطع بسبب تجاوز الحكومة حدودها في بعض الامور الدينيّة لكنّ الامل معقود بقرب اتّفاق الجانبين . وقد التجأ اليسوعيّون البرتغاليّون بعد نفيهم من وطنهم الى البرازيل حيث رحّب بهم الاهلون وفتحوا مدرسةً كبيرة في مدينة بايا (Bahia)

﴿ اوستراليا ﴾ امورها في خطة النجاح . وانّما فقد الكاثوليك رجلهم العظيم الكردينال موران (Mgr P. F. Moran) الذي احسن تدبيرهم منذ جلس على كرسي اسقفيّة سيدناي سنة ١٨٨٤ وكان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر رقّاهُ الى منصب الكرادلة سنة ١٨٨٥ وتقدّمت الكثلكة في عهده تقدّماً قلّما يُرى نظيره

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثامن

النصرانيّة في الجزيرة

تتبعنا آثار النصرانيّة بين العرب في الجاهلية على حدود بحر فارس ثم في جهات العراق ورأينا ما خلفتهُ لنا التواريخ من اخبار الدين المسيحي في الممالك الثلاثة الكبرى التي اقتسمت جزيرة العرب اعني دول الغساسنة والتبابعة والمناذرة . وحتى الآن لم نستوفِ مآثر نصارى العرب على التخوم الفاصلة بلادهم عن البلاد المجاورة فممّا لم نذكرهُ حتى الآن السهول الواسعة والبقاع الرحبة الممتدّة من جهات الموصل الى مجرى الفرات المتوسطة بين الارمن والشام . فهناك مفاوز متسعة يسقيها النهران

الكبيران دجلة والفرات مع عدّة انهار تنصبّ فيها اخصها الخابور. فتلك البوادي التي كانت الامم النديمة تتزاحم في ملكها لخصبها العجيب ووفرة خيراتها وسعة غلّاتها ازهرت فيها مدن عديدة وحواضر ممصّرة لم يبقَ من اكثرها اليوم غير اخربة مهيبة او مدن ثانويّة تنبئ بعظم مقامها في القرون الغابرة كنصيبين ودارا ودُنَيسر وآمد وميافارقين وسعرت وماردين والرقّة ورأس العين وقرقيش وقرقيسيا والرها التي يُطلق على مجموعها اسم الجزيرة

فتلك البلاد المتدفقة بالنعم الزاخرة بالخير قد احبّتها منذ سالف الاجيال قبائل العرب سواء كانوا من اهل الحضر او من اهل المدر اذ كانوا يجدون فيها ما يصلح لماشيهم الساذج ولرعية مواشيهم فيتنقلون اذا شاءوا من الارياف الى البراري ليس من يتعرّض لاستقلالهم او يتداخل في امورهم غير شيوخهم وامراء عشائرهم

ومما يدلّ على انتشار القبائل العربيّة في الانحاء المذكورة أعلامها المشيرة الى قاطنيها كباعربايا وجزيرة ابن عمر وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وغير ذلك ممّا ينوّه اسمهُ باصل سكانه. فباعربايا او بيت عربايا اسم لثلاثة اماكن احتلّها العرب اخصها مدينة كانت قريبة من نصيبين. وجزيرة ابن عمر وعلى الاصحّ « ابني عمر » هي مدينة موقعها على دجلة يدعوها الكلدان بازَبدى ثم نُسبت الى ابني عُمر وهما على ما روى ابن خلكان « اوس وكامل ابنا عُمر بن اوس التغلبي »

امّا ديار بكر وديار ربيعة وديار مُضر فقد احسن في وصفها ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٦ — ٦٣٨) فقال عن ديار بكر :

« ديار بكر هي بلاد واسعة تُنسَب الى بكر بن وائل . . . بن ربيعة بن نزار بن معدّ ابن عدنان وهذا ما غرّب من دجلة من بلاد الجبل المطلّ على نصيبين الى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين. وقد يتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان وحبني وما تخلّل ذلك من البلاد ولا يتجاوز الجبل »

وقال عن ديار ربيعة :

« ديار ربيعة بين الموصل الى رأس عين ودُنَيسر والخابور جميعهُ وما بين ذلك من المدن والقرى وربّما جُمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسُمّيت كلها ربيعة فاسمهم كلهم ربيعة. وهذا اسمٌ لهذه البلاد قديم كانت العرب تحلّهُ قبل الاسلام في بواديه واسم الجزيرة يشمل الكلّ »

وقال في ديار مضر :

« ديار مُضر هي ما كان في السهل بقرب من شرقيّ الفرات نحو حرّان والرقّة وشمشاط وسروج وتلّ مَوزَن »

امّا القبائل التي كانت تسكن في تلك الجهات فكانت من ذرّيّة نزار بن معد كاياد بن نزار بعد فرارهم من تخوم العجم ومُضر بن نزار منهم بنو النمر بن قاسط ولا سيما بني ربيعة منهم خصوصاً بنو تغلب وبني بكر وبني شيبان. قال ابو محمّد الحسن الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب (ص ١٣٢ ed. D. H. Müller) يذكر منازل تلك القبائل :

« ثمّ تأتي الفرات من بلد الروم شاقّ في طرف الشام على التواء الى العراق فغربيّهُ ديار كلب وشرقيّهُ ديار مُضر (فيها) من المدن الرافقة وهي على شطّ الفرات يسكنها اخلاط مضر. وحرّان موضع آلة القياس مثل الاسطرلابات وغيرها . . . لبني تميم ومن يخالط بني سليم. والرّحبة لبني سُليم وكنيسة الرحبة التي يُضرَب بها المثل. ومَرْبَعا واشاور لبني عُقَيل اعلاه ولبني مالك وبني حبيب وبطون تغلب الباقي. ثم آخر ديار مضر رأسُ العين للنمر ابن قاسط

(ديار ربيعة) ومن خلفها. اولها وآخر ديار مضر رأس العين. ثم كفرتوثا جشم عن ايامرها مارّة من موضع الجنّات المضروب بها المثل وهي تنيّل على دارين ثم نصيبين . . وهي دار آل حمدان بن حمدون موالي تغلب. فمن نصيبين الى أذرمة والشميّة مسيرة يوم وعن ايمن ذاك جبل سنجار جبل شراة بين تغلب والشراة منها بنو زهير وبنو عمرو ثم من ايمن ذلك دُهُناً الى رحبة مالك بن طوق وقرقيسيا ثم ترجع الى اذرمة الى برقعيد وهي ديار بني عبد من تغلب . . . ثم منها الى بلدَ وفيها شراة وغير ذلك الى حدّ الموصل. وان اردت بعد ارض الموصل مررت بتكريت وكان (نمر) انتزلوا عن يمينك. واكثر اهل الموصل مذحج وهي رَبيعة فان تياسرت منها وقعت الى الجبل المسمّى بالجودي يسكنه ربيعة وخانهُ الاكراد وخلف الاكراد الارمن. وان تيامنت من الموصل تريد بغداد لقيتك المدينة وجبل بازمّا يسمّى اليوم حمرين . . ثم السنّ والبرازيج بلاد الشراة من ربيعة ثم يقع في جبل الطور البري وهو اوّل حدود ديار بكر وهو لبني شيبان وذوجا لا يتازجهم الى ناحية خراسان الّا الاكراد »

فاذا عرفت حدود الجزيرة والقبائل العربيّة المنتشرة فيها بقي علينا ان نبين ما كان للنصرانيّة من النفوذ بينها فنقول :

انّ اوّل برهان يثبت دخول النصرانيّة بين عرب الجزيرة ما اصاب هذا الدين من الانتشار السريع الغريب في ما بين النهرين كما تصرّح به كل الآثار التاريخيّة والكتابية والبنائية كالكنائس الباقية الى يومنا الراقية الى القرن الرابع والخامس

للمسيح وكصوامع الرهبان ومغاورهم. فلا يقبل العقل انّ عرب الجزيرة لم ينالوا من الدعوة المسيحية حظّهم كما اصابهُ اخوتهم في بادية الشام وفي اليمن والعراق ولهم في شظف عيشهم وسلامة طباعهم ما يمدّ قلوبهم لقبول ذلك الزرع الالهي الذي اتى به ابن الله الى الارض وبذرهُ في التربة الجيدة ولاسيما بعد ان عاين اهل الجزيرة مع العرب (اعمال ٢ : ٦—١١) المعجزات التي جرت يوم حلول الروح القدس في اورشليم

ولنا دليل ثانٍ على تديّن عرب الجزيرة بالنصرانية بعد نبذهم لشرك الوثنية ألا وهو الغيرة الملتهبة التي كانت في قلوب الرسل والدُعاة الاوّلين النصرانية فانّ بعضهم بلغوا الى اقاصي الارض كما رأيت فما قولك بالبلاد المجاورة لليهودية التي كثرت فيها المعاملات مع فلسطين منبع الدين المسيحي

ثالثاً وان استقينا التواريخ القديمة والتقاليد المحلية والطقوس السريانيّة وجدناها كلها تتفق على ذكر دعوة العرب الى الايمان بالمسيح كدعوة بقيّة اهل الجزيرة. قال عبد يشوع الصوباوي في ذكر ادّي رسول الجزيرة ما تعريبهُ : « قد اقتبلت الرها ثم نصيبين وسائر العرب وكل تخوم الجزيرة الكينونت المقدس من ادّي احد السبعين تلميذاً ». وقال ايليّا الاسقف الدمشقي يذكر ادّي وتلميذهُ ماري : « وكان الداعي والمنصر والمتلمذ والمدبر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد . . . ونواحي الاعراب من التلاميذ السبعين ادّي وماري (١) . وقال ماري بن سليمان (Ed. Gismondi, p. 2) : وتوجه آحي وماري (تلميذا ادّي) الى نصيبين واعمدا اهلها وانفذ ماري الى الشرق وآحي الى قردى وبازبدى ثم توجّه ادّي الى الشرق وبدأ بناحية حزّة والموصل وباجرمي وعاد الى مدينة الرها واستناح فيها بعد ١٢ سنة . . . » وقال ايضاً : « وادّي قصد مع آحي ومار ماري بلاد الرها والموصل وبابل والشمال والجنوب وبوادي المغرب (والصواب : العرب) » . وجاء في اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى الطيرهاني (ص ١ Ed. Gismondi) مصرّحاً : « ثم انهُ (اي ماري) بادر الى تلميذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن »

ويمكننا ان نضيف الى هذه الشهادات ما رويناه سابقاً عن تبشير عرب العراق

(١) اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤ : ٥—٢٥)

فانَّ الشواهد المروية هناك عن الرسل وتلاميذهم تصحُّ في عرب الجزيرة. ومثلها اقوال المؤرخين في بشارة الرسول برتلماوس للعرب. وكذلك ورد في السنكسارات القديمة وفي خطط المقريزي (١ ان يهوذا الرسول المعروف بتداوس « كرز في سوريَّة والجزيرة »

رابعاً وان تخطَّينا عهد الرسل الى القرن الثاني والثالث للمسيح رأينا بلاد الجزيرة زاهرة بالدين النصراني. ففي الرها كانت الترجمة الاولى للكتب المقدَّسة الى السريانيَّة وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة في اواخر القرن الاوَّل للمسيح او اوائل الثاني (٢ وهناك تولى طاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد في النصف الثاني من القرن الثاني تنسيق الاناجيل الاربعة برواية واحدة تعرف بالديأطاسارون (٣. وهناك تنصَّر الاباجرة ملوك الرها سواء يُسلَّم بصحَّة المكاتبة بين السيد المسيح والابجر المعروف باوخاما كما تعتقدهُ الكنائس السريانيَّة او يؤجل تنصرهم الى ايام كراكلّا برجوع ابجر التاسع (١٧٩–٢١٤) وهناك عُقد مجمعان واحد ذكرهُ اوسابيوس في تاريخهِ (ك ٥ ف ٢٢) نحو سنة ١٥١ للمسيح التأم فيهِ ١٩ اسقفاً للنظر في امر الفصح وتعيين يومهِ (٤. والآخر عُقد بعدهُ بزمن قليل للنظر في اقوال بعض المبتدعين كتاودوطس وابيون وارتيمون حضرهُ ١٤ اسقفاً (٥ فكفى بعدد هؤلاء الاساقفة دليلاً على انتشار الدين المسيحي في زمن قريب من رسل الرب يؤيد ما جاء في تقاليد كنائس الجزيرة عن اسماء عدَّة اساقفة وعزا المؤمنين قبل القرن الرابع في مدن عديدة كنصيبين وبازبدى (جزيرة بني عمر) وآمد والرقة وعلمَّ جرًّا

امَّا كون العرب هناك كانوا من جملة المتنصرين فيشهد عليهِ ابن ديصان الذي عاش في الرها (١٥٤ — ٢٢٢) فيذكر اهل الرها واهل حضر (٦ وكانوا من عرب قضاعة عليهم ملكٌ يتخذ ملكهُ في انحاء الجزيرة فقال عنهُ عديّ بن زيد:

---

١) اطلب الخطط طبعة بولاق (٢ : ٤٨٢)

٢) راجع ويسمان (Wiseman: *Horæ syriacæ*) وتاريخ الآداب السريانيَّة لزيت (ص ٢) ٣) اطلب المشرق (٤ : ١٠٠)

٤) اطلب مجموع المجامع لمانسي (Mansi, *Collectio Conciliorum* I, 719 et 727)

٥) فيهِ Ibid. ٦) اطلب كتاب الشرائع لابن ديصان (Bardesane: *le Livre des Lois des Pays*, p. 59)

واخو الخضر اذ بناهُ واذ م دجـلةُ تجبى اليه والخابورُ

خامساً ثم جاء القرن الرابع والخامس فكانا زمن انتصار الدين المسيحي في العالم الروماني فظهرت النصرانيَّة في كل روعتها وجلالها في انحاء الجزيرة فاستقت القبائل العربيَّة هناك من مواردها العذبة وكان ذلك على الاخص بواسطة الرهبان والسيَّاح الذين اختاروا بلاد الجزيرة ليقدّسوها بفضائلهم كما قدّس سيَّاح مصر بلاد الصعيد. وكان منشئ العيشة الرهبانيَّة في الجزيرة القديس اوكين من تلامذة القديس انطونيوس الكبير. وقد اجمع المؤرخون الكلدان والسريان انهُ قدم من مصر في العشر الثاني من القرن الرابع وسكن في جبل نصيبين المسمَّى جبل الإزل وبشَّر بالايمان في نصيبين وعمَّد عاملها واولاده وطاف بلاد قردى وبازبدى وجهات نصيبين حيث كانت قبائل العرب وتلمذ اناساً وبنى الاديرة منها دير الزعفران مقام بطاركة اليعاقبة في يومنا وهو قرب ماردين وتتلمذ لهُ عدد من الرهبان. وكانت وفاة مار اوكين في نصيبين

ويؤيد شهادة السريان المؤرخ اليوناني المعاصر سوزومان (١ في الكتاب السادس من تاريخهِ (الفصل ٣٤) فقال عنهُ انَّ اوكين وهو دعاهُ اونس (Aónes) جارى القديس انطونيوس بنشرهِ المناسك الرهبانيَّة في الجزيرة وفي تخوم العجم وقال عنهُ انهُ سكن في نواحي نصيبين في فادانا (Phadana) ثم انتقل المؤرخ الى ذكر تلاميذهِ او المتشبهين بسيرتهِ فذكر في جبل سنجار باتاوس واوسابيوس وبرجس وكالس وآبا واماز الذي سُقف بعد ذلك على نصيبين وعبدالله وزينون وهليودورس وذكر في حرَّان اوسابيوس الحبيس وبروتوجان الذي تولَّى الاسقفيَّة على حرَّان بعد بيتوس

وذكر السريان من تلامذة مار اوكين القديس شليطا الراهب الذي بشر بالايمان في بازبدى ثم سابا الذي عمر هناك ديراً ويوحنا الذي كان يطوف القرى وينذر الناس وآخا اخا يوحنا (٢. ثم تبعهم آخرون كثيرون وعمَّروا الاديرة العديدة حتى صارت بعض انحاء الجزيرة كمدن رهبانيَّة لا سيما الامكنة المقفرة والجبال كالجبل

١) اطلب مجموع الآباء بين (Migne; PP. GG. LXVII, 1391)

٢) اطلب تاريخ ماري بن سليمان (ص ٢٦) والمكتبة الشرقية للسمعاني (٤: ٨٦٥)

المعروف بطور عابدين في شمالي شرقي ماردين وجبل الازل السابق ذكره وجبال الموصل والرها. وزعم بعض المؤرخين انّ بين هذه الاديرة ما كان يبلغ عدد رهبانه عدّة الاف منها للرجال ومنها للعذارى (١ وقد بقي من هذه الاديرة الى يومنا آثار ظاهرة وبقايا معتبرة. فانّ حضرة القسّ اسحاق ارملة وصف في مقالة نفيسة الاديرة التي تُرى آثارها بقرب ماردين فقط (اطلب المشرق ١٢ : ٧٦٠)

واشتهر مع هؤلاء كثيرون من كبار المعلمين والاولياء كالقديس يعقوب النصيبيني والقديس افرام والاساقفة القديسين برسيس واولوجيوس ورابولا والقديس بوليان سابا

فهؤلاء كلهم او اكثرهم اختلطوا بعرب الجزيرة ونصروهم ودعوهم الى الدين المسيحي. وكانت سيرتهم الملائكيّة تؤثر في البادية فكانوا يقصدونهم ويلتمسون صلواتهم ويطلبون منهم شفاء امراضهم فينالون غالباً ملتمسهم ويقبلون دين المحسنين اليهم فيعتمدون. وذلك منذ القرن الرابع كما تشهد عليه نصوص المؤرخين حتى امكن السمعاني ان يقول في مكتبته الشرقيّة (٤ : ٥٩٨) : ان العرب الذين كانوا يسكنون في الجزيرة ونواحي الكلدان والخليج العجمي عدلوا الى الدين المسيحي قبل السنة ٣٢٠ المسيح بهمة اساقفة الرها والمدائن والرهبان المنتشرين بينهم

وممّن شهد على تنصر العرب المؤرخ اليوناني سوزومان فقال في تاريخه (ك ٦ ف ٣٤) عن الرهبان: « انّ هؤلاء النساك قد جذبوا الى دين المسيح كل السريان تقريباً وعدداً عظيماً جداً من الفرس والعرب بعد ان انقذوهم من عبادة الاصنام ». وقد مرّ بك ما رواه تاودوريطس عن القديس سمعان العمودي وقبائل العرب التي تنصّرت على يده. وكان كثير منها تقاطرت اليه من العراق واليمن فما قولك بالقبائل التي كانت قريبة منهُ كقبائل الجزيرة

سادساً وكما شهد كتبة السريان واليونان على نصرانيّة قبائل الجزيرة كذلك وافقهم كتبة العرب على هذا الامر كما سترى (لهُ تابع)

---

١) اطلب تاريخ الهيئة الرهبانية تاودوريطوس Theodoreti : *Hist. religiosa*, c. 30

مطبوعات شرقية جديدة

TRAVELS AND STUDIES IN THE NEARER EAST, by A. T. Olmstead, B. B. Charles a. J. E. Wrenek (Cornell Expedition to Asia Minor and the Assyro-Babylonian Orient). *Vol. I. Part II.* **HITTITE INSCRIPTIONS,** *Ithaca* (*New-York*) **1911, 4°., 49 pp. a. 27** *Plates.*

رحلة بعثة كورنل الى الاناضول وكتاباتها الحثيّة

ان كليّة كورنل الاميركيّة اوفدت بعثة علمية الى جهات الاناضول بمساعي الاستاذ ستيرت (J. R. S. Sterrett) الذي طاف سابقاً تلك الانحاء. فلمّا عادت آخراً الى اميركة بغنائم علميّة معتبرة اخذ اصحابها في تنسيق اكتشافاتهم ووصفها وبما انّ شغلهم يقتضيه زمن طويل فلا ينجزون القسم الاوّل منهُ الّا بعد سنة احبّوا ان ينشروا للحال الكتابات والآثار الحثيّة التي وجدوها حديثاً او استأنفوا درسها. فاذا بعجالتهم كتاب خطير قام بتصنيفهِ ثلاثة اساتذة من كليّة كورنل في مقدّمتهم الاستاذ شرلس اللغوي الذي تولّى نشر الكتابات الحثيّة بعد ان استنسخها ورسم صورها الفوتغرافية واعدّ نشر نصوصها. ومن اطّلع على هذا الكتاب ادرك لاوّل وهلة قدرة صاحبها وفضلهُ العميم فانّ بين هذه الكتابات ما وقف عليهِ اساتذة واعلنوا بعدم استطاعتهم قراءتهُ فحلّ الاستاذ شرلس رموزهُ. ولم يكتفِ بتصوير هذه الكتابات بالشمس بل رسم صورها باليد ايضاً وبذلك سهل على العلماء كشف معانيها. ومن المعلوم انّ الكتابات الحثيّة حتى الآن سرّ دفين لم يطلع عليهِ اساطين العلم مع وفرة آثارها المكتشفة في الاناضول وسوريّة وما بين النهرين اذ لم يقفوا حتى الآن على أثر في لغتين ليحلّوا القلم المجهول بالمعلوم كما فعل شامبوليون لحلّ الرموز الهيروغليفيّة بواسطة حجر رشيد. وانّما وجدوا فقط خاتماً صغيراً ذي لغتين لكنهُ غير كافٍ للمقصود. فان شاء الله تتحقق آمالهم قريباً س. و.

HANDBUCH DER MITTELALTERLICHEN UND NEUEREN GESCHICHTE, herausg. von G. von Below u. F. Meinecke: URKUNDENLEHRE von W. Erben, L. Schmitz-Kallenberg und Osw. Redlich. Ier Teil. 1907, III^er Teil, 1911. *München, Oldenbourg,* **2** *vol.* **gr. 8°; X-369 pp. et VIII-233**

اصول تاريخ القرون الوسطى والازمنة الاخيرة

أنشئت في المانية جمعيّة لوضع تاريخ مدرسي كامل للقرون المتوسطة والاجيال

المتأخرة فاهدانا المتولي لطبع هذا الاثر مجلدين أنجزا منهُ حتى الآن وهما الاوّل والثالث. فالاوّل الذي طُبع سنة ١٩٠٧ يحتوي مقدّمة واسعة بحث فيها مؤلفها المسيو إدبن عن الاصول التي يُستند اليها في كتابة التواريخ الملكيّة والامبراطوريّة مدّة القرون الوسطى في المانيــة وفرنسة وايطالية. وتتبّع بالاجمال تاريخ الكتابات الرسميّة كمجموع الراهب البندكتيّ مابيليون (Mabillon) الشهير والمناشير والتقارير والرسالات والصكوك الجارية في تلك الازمنة وبحث عن اصولها وصورها ونُسخها وتزويراتها. امّا المجلد الثالث فنشرهُ المسيو ردليخ في العام المنصرم ووجّه فيهِ نظرهُ الى تاريخ الكتابات والصكوك الخاصة الرومانيّة والافرنسيّة والالمانيّة التي شاعت منذ بدء تلك الاجيال ولهُ تفاصيل واسعة في ابواب متعدّدة عن معلومات القرن العاشر الى الثالث عشر ختمها بفصل مهمّ عن التقارير الشرعيّة. والمجلد الثاني الذي لم يُنشر بعد بالطبع سوف يشتمل درساً واسعاً على الاصول التي تتضمن التواريخ البابوية. وما يقال اجمالاً عن هذا التأليف انهُ من انفع ما نُشر حتى اليوم في تعريف الاسانيد التاريخيّة للقرون الوسطى وانّهُ يحقّ نقلهُ الى العربيّة ليُقتبس من فوائده. بل نتمنى ان يقوم احد الشرقيين فيحذو حذو مؤلفي هذا الكتاب ويعرّف الاصول التاريخيّة الشرقيّة التي يجب على العلماء ان يركنوا اليها في درس اخبار بلادنا س. ر

L. Lallemand. HISTOIRE DE LA CHARITÉ. t. IV. Les Temps Modernes (XVI-XIX° siècles), 1re partie. *Paris*, A. *Picard*, 1910, IX-624, 8°

تاريخ المشروعات الخيرية في القرون الحديثة

عرف قرّاء المشرق (٩ : ٧٦٩) خواص هذا الكتاب الذي قصد منهُ صاحبهُ بيان قوّة المحبة المسيحيّة وتفنّنها العجيب في انشاء المشروعات الخيرية المتعدّدة لمعالجة كل الاسقام البشريّة. وهــذا المجلد الرابع قد خصّهُ المولف الفاضل باعمال الرحمة في الاجيال المتأخرة. واتسع بهِ المجال لكثرة ما وجد من الموادّ لاسيما بعد اكتشاف فنّ الطباعة وتعدُّد المنشورات واختلاط الامم وايجاد الوسائل المستحدثة لاعانة الفقراء وعلاج الامراض وسدّ الحاجات المختلفة. فقسم هذا الجزء قسمين افتتح الاوّل الذي تمّ حديثاً بنظر عــام في الطرائق التي ساعدت بها الكنيسة الاوجاع البشريّة منذ المجمع التريدنتيني فعدّد ما أنشي من الجمعيّات والرهبانيّات الخيرية كرهبانيّة مار

يوحنا الالهي لملاج المجانين وجمعية اخوات المحبة وعدد لا يحصى من الرهبانيات التي نشأت في حديقة الكنيسة كزهور تُبهج النظر وتسرّ القلوب وتشهد امام العالم بما للدين الكاثوليكي من الحياة النامية ولم يُحرَم شرقنا العزيز من منافعها. وعقّب هذا النظر بفصلين مطوّلين عن الاوبئة المُعدية كالطاعون والجهاد ضدّ الشحاذة . وختم هذا القسم بباب واسع في المستشفيات وتجهيزها وادارتها . امّا القسم الثاني فقد افادنا المؤلف انهُ خصهُ بالاعمال الخيرية الناشئة في القرن التاسع عشر . فنشكر الف شكر صاحب هذا التأليف الجليل الذي شحن كتابهُ بالمعلومات الخطيرة عن اعمال الخير فاثبت ما لهُ من سعة المعارف وكثرة الاطلاع . وحرّك في القلوب عواطف الشفقة والرحمة نحو ذوي البأساء اذ جعل السابق عبرةً للاحق وليس كالمثل دافع الى عمل الخير س . و

LE MARQUIS DE POMPONNE (1618-1690) par L. Delavaud. *Plon, Paris,* 1911, pp. XX-363

الماركيز دي بومبون

ادار الماركيز دي بومبون اعمال الوزارة الخارجيّة في فرنسة ايام لويس الرابع عشر مدّة من الزمان وقرأنا توقيعهُ على كثير من الرسائل المتعلقة بالشرق. ولمّا فتحنا هذا الكتاب أمّلنا ان نستخلص منهُ فوائد تاريخيّة عن احوال بلادنا في زمانه فخاب املنا لكننا وجدنا فيهِ كثيراً من النصوص الاصليّة الكاشفة القناع عن طباع هذا الوزير وذويهِ واصدقائهِ وكثيرين من معاصريهِ فاثنينا على جامع شتات هذه الاثار لما في معرفتها من الفائدة اذا اشكل على الكاتب شرح بعض اعمال الوزير . كان دي بومبون شهماً ممتازاً بالصدق والامانة لكنهُ من عائلة « ارنو » (Arnaud) التي اشتهر تعلّقها ببرطقة جانسانيوس فجاءت بعض اقواله واعمالهِ سرّاً على الباحث اذا جهل هذه العلاقات العائليّة . لكن السرّ ينكشف اذا ما تبصر القارئ بما نشرهُ المسيو دلافو من الاوراق ا . و

ENCHIRIDIUM PATRISTICUM collegit Rouët de Journel s. j. *Fribourg-en-Brisgau. Herder* et *Beauchesne, Paris,* 1911, XXIV-882 pp. in-8°. Prix 12 frs

خلاصة تعليم الآباء

انّ طلبة اللاهوت يحتاجون لتأييد العقائد الكاثوليكيّة الى مراجعة اعمال

الآباء الاوّلين. لكنّ مجموع تآليف الآباء ينيف على مئتين من المجلدات الضخمة والدارسون لا يستطيعون ان يخوضوا ذلك البحر العباب لقصر وقتهم وبُعدهم من المكاتب الحافلة فاحبّ احد الآباء اليسوعيين الاب رودي جرنيل ان يتلافى هذا النقص فراجع اعمال الآباء والمآثر الدينية القديمة المكتشفة حديثاً وانتزع منها اخصّ ما فيها من النصوص الحقيقة باثبات التعليم الكاثوليكي منذ عهد الرسل الى القرن السابع ونشرها باللغتين الاصليتين اي اليونانية واللاتينية متبعاً في تنظيمها اقسام اللاهوت النظري ليسهل الاطلاع عليها مع الاشارة الى طبعة مين (Migne) ومجموعيه اليوناني واللاتيني. امّا شواهد الآباء السريان كابن افرام وافراهاط فروى ترجمتها فقط. ثمّ ألحق بعمله عدّة فهارس تزيدها فائدة. فجاء الكتاب مع وفرة موادّه وعدد صفحاته من اجلّ الكتب المدارسية واقربها استعمالاً. وهذا التأليف يوافقهُ تأليفان آخران من جنسه وُضعا ايضاً لدارسي العلوم اللاهوتية اوّلهما خلاصة دساتير الايمان والقضايا المثبتة في المجامع وبراءات الاحبار للابوين اليسوعيين دنتسنغر وبانفرت (Denzinger-Banwart s. j. : *Enchiridium Symbolorum*) الذي طُبع عشر مرّات. والثاني خلاصة اصول التاريخ الكنسيّ القديم للاب كرش اليسوعي (Kirsch s. j. : *Enchiridium Historiæ Ecclesiasticæ antiquæ*). فهذه الكتب الثلاثة تباع عند هردر (Herder) ولا غنى عنها لطلبة اللاهوت بل لكل الكهنة ولاسيما الواعظين والكتبة

الاب ب. كسانتاكيس

LEÇONS ET LECTURES D'APOLOGÉTIQUE : LA VRAIE RELIGION par E. Roupain, *Casterman, Paris* et *Tournai*, 1911 pp. 676 in-8°

دروس جدالية في الدين المستقيم

هذا الكتاب كالتأليف السابق من المصنّفات المتممة التي تغني الكهنة ومحبّي الدروس الدينيّة عن المطالعات المملة. فانّ مؤلفهُ اليسوعي جعلهُ كدائرة علوم الدين فنقل من اشهر الكتبة المتأمين والوعاظ المفوّهين وبلغاء الصحفيين وغيرهم اجود ما كتبوه في تأييد قضايا الدين الكاثوليكي والردّ على الزنادقة الملحدين ونكرة الوحي. وهو مقسم الى قسمين الواحد في الدين والوحي والآخر في وحي العقائد النصرانية. وقد قدّم جامعهُ عليهِ مقدّمة نفيسة جمع فيها اخصّ ما كُتب حديثاً في وجودهِ تعالى

وختمهُ بالفهارس المفيدة: فنثني على جامع هذا الكتاب اطيب الثناء ونوصي بهِ كلّ من يحبّ اثبات وجوب الدين والدفاع عن حياض الحقائق الدينية ب.ك

M. Gatterer s. j. et Fr. Krus s. j. : L'Education de la Chasteté. Traduit par l'Abbé Th. Dequin. *Paris,, Bloud et Cie*, 1911, pp. 148. Prix 2 frs.

تهذيب العفّة

انّ الاخطار المتعدّدة التي تتعرّض لها عفّة الاحداث لا سيما في الجيل الفاسد الذي نحن في مطاويهِ قد استلفتت انظار كل العقلاء الموكول اليهم تهذيب الناشئة اذ يرون ما يُحدق بالصغار من اسباب الخلاعة مع تواطؤ الاشرار على تقويض اركان العفاف في قلوب الاحداث فما يكادون يترعرعون حتى تكون ذبلت فيهم زهرة الطهارة واستسلموا الى تلك العادات القبيحة التي يندى لها الجبين حياء فيظلمون نفسهم وجسدهم معاً فلاستدراك هذا الشرّ العظيم رأى الابوان اليسوعيان غاثر وكروس ان يصنفا هذا الكتاب ليكون كدستور في ايدي الوالدين ثم كل المتولين لتخريج الشبيبة يصونون بقوانينه في قلوب الشبان هذا الكنز الفريد بان يُبعدوا عنهم الاخطار التي تتهدّد عفافهم ويعلّموهم شيئاً فشيئاً بكل رزانة وحشمة الى معرفة اسرار الطبيعة التي يجب عليهم معرفتها فيعلموا كم هي عظيمة في الانسان الحياة النسلية وكم يؤدي سوء استعمالها الى العواقب الوخيمة. فجاء الكتاب كدواء ناجع لذلك الداء العضال الذي يسري بين اغرار الشبان. ولذلك قد احبّ نقلهُ الى الفرنسوية الخوري دكان الفرنسوي تعميماً للفائدة. ومثلهُ فائدة كتاب آخر ظهر سنة ١٩٠٨ في مصر معرّباً عن الانكليزية بقلم سليم افندي خوري وعنوانهُ « عفّة الاولاد » استحسنّا طريقتهُ فجاز وضعهُ في ايدي الشبان الاب ي. ديلانسيغر

J.-B. Chabot : Notice sur la Vie et les Travaux de M. Rubens Duval. *Macon, Protat,* 1911. pp. 44

ترجمة حياة واعمال المرحوم روبنس دوفال

ذكرنا في جملة اخبار العام المدبر خبر وفاة هذا المستشرق الفرنسويّ الشهير. واليوم قد اهدانا اهلهُ ترجمةً مستوفية لاعمال حياتهِ وتآليفهِ فسُررنا بمطالعتها وزاد اعتبارنا لذلك الرجل الذي عرفناهُ في باريس واختبرنا سعة معارفهِ وجميل فضلهِ وعراقتهُ في

الدين الكاثوليكي. وفي آخر ترجمته جدول مصنَّفاته البالغة نحو الثلاثمائة بين طويلة وقصيرة يُستدلُّ منها انهُ كان يعرف عشر لغات شرقيَّة فضلًا عن اللغات الاوربيَّة رحمهُ الله

ل . ش

كتاب التعبد ليسوع طفل براغ

من قلم الاب انستاس ماري الكرملي الحافي

طبع بمطبعة الآداب في بغداد ١٩١١ ص ١٦٨)

كنَّا سبقنا قبل ١٥ سنة فنشرنا في مطبعتنا كتاب « التعبد لطفولية يسوع المسيح مع نبذة في ذكر تمثال الطفل العجائبي المكرَّم في مدينة براغ » واليوم قد اتسع حضرة الاب انستاس الكرملي في هذا الموضوع وألَّف اثني عشر تأمُّلًا في فضائل الطفل يسوع لكلِّ شهر من شهور السنة. ويلي كل تأمل خبر تقوي مع اكرام ونافذة. وقفَّى تلك التأملات بلمعة في فوائد هذه العبادة وتاريخها والصلوات اللائقة بممارستها مع تسأعية لعيد الميلاد والاناشيد يُتغنى بها. وهو كتاب صغير الحجم واسع الجدوى دبَّجهُ حضرة المؤلف بقلمهِ البليغ. ولعلمنا انَّ حضرتهُ يحبُّ الانتقادات اللغوية نذكر له بعض اغلاط وقعت في كتابهِ كقولهِ مثلًا (ص ٩ س ١) « الكلمة المتجسدة » والصواب هنا « المتجسد » اي ابن الله ليوافق قولهُ بالمذكَّر « انتقل من احشاء مريم » وقولهِ (ص ١٠ س ٧) « لولا أيَّاك » والصواب « لولاك » وقولهِ (ص ١١ س ١٣) « يسرع » غلطة طبعية يريد « يسوع » وقولهِ (ص ١٢ س ٢) « الدموع التي فاضها » والصواب « افاضها » وقولهِ (فيها س ٣) « يُسمعهُ للناس » والصواب « يُسمعهُ الناس » اذ اسمع يتعدَّى الى مفعولين وقولهِ (فيها س ٨) « ان تنزلي لكي تليننيه » والصواب « ان تنزل لكي تلينهُ » عائد الى « الصراخ » هذا بعض ما لحظناهُ في الصفحات الاولى

ل . ش

كتاب الكهنوت

لابينا المعظَّم القديس يوحنَّا مارون البطريرك الاوَّل

عُني بتعريبهِ ونشرهِ بالسريانيَّة والعربيَّة القس يوسف حبيقه الراهب الماروني

(ص ٩ + ١٨٢ + ٥٥٥)

يحتوي هذا الكتاب اربعين فصلًا في اخصِّ الامور المنوطة بالكهنوت كاعمالهِ

واقسامهِ وشرفهِ ودرجاتهِ ومراتبهِ وخواصهِ وهو من اجلّ آثار الكنيسة السريانيَّة فاحسن بطبع اصلهِ وتعريبهِ حضرة القس يوسف حبيقه البكتاوي الراهب الماروني اللبناني لتعمّ فائدتهُ اهل بلادنا ولاسيما الاكليروس . امّا نسبة هذا الكتاب الى مار يوحنا مارون ففيه نظر فانهُ ليس بين المستشرقين والعلماء المدققين في زماننا من يقول بذلك كما انَّ النسخ الموجودة منهُ في المكاتب لا تذكر مار يوحنا مارون . واذ طلب حضرة المعرّب ان ندلّهُ على نسخة قديمة ترشدهُ الى الصواب فنشير اليهِ بمراجعة نسخة دير الشرفة التي تاريخها سنة ١٢٢٤ للمسيح وفيها اسم مؤلف الكتاب صريحاً وهو « موسى بركيفا » من اشرف كتبة السريان . وليراجع ايضاً حضرتهُ ما كتبهُ في هذا الشان صاحب الحجج الراهنة (ص ١٧٣—١٧٥) وهناك يبين المؤلف سبب نسبة هذا الكتاب الى يوحنا اسقف دارا من كتبة القرن العاشر ل . ش

شذرات

تاريخ تتويج الملك جرجس الخامس في الهند — بنسبة تتويج جلالة جرج الخامس ملكاً على الهند في دلهي صنف احد المستشرقين الاميركان وهو ناظر مكتبة فال ريفر في الولايات المتحدة المسمّى جرج رنكين (G. Ranking) فقرةً نثريَّة عربيَّة ضمّنها تاريخ هذا الحادث على حساب الجمّل وارسلهُ الى المجلة الاسيويَّة الانكليزيَّة (JRAS) فنشرتهُ آخرًا (عدد ك ٢ ١٩١٢ ص ٢٦٢) ومجموعهُ سنة ١٩١١

بعون الله جرجيس خامس قيصر هند حامي الملك والدين

١٢٨ ٦٦ ٢٧٦ ٧٠١ ٤٠٠ ٥٦ ٥٦ ١٢١ ١ ١ = ١٩١١

اقرار بالفضل — سرّنا ما قرأناه في القيد من اقرار جناب الوجيه مختار افندي بيهم بفضل الاجانب في بلادنا وبهِ احسن ردّ على الذين شحنوا كتاباتهم سابقاً سبًّا في حقّ الاجانب :

« كان ابتداء الحركة العلميَّة الحقيقيَّة على ايدي الاجانب فلهم فضل عظيم في نشر العلوم والمعارف في بلادنا وكل من ينكر ذلك يكون مخطئاً وناكرًا للجميل

« يقول بعضهم : اننا لا ننكر عليهم سعيهم في تعليمنا ولكن لهم من وراء ذلك غايات

ومآرب. فانا اقول لهؤلاء ان اعترافهم هذا وتأييدهم للحقيقة مما يُشكر. ومع ذلك فالعاقل من يستفيد من كل خير ويتقي ما يخالف مصلحتهُ الشخصيَّة والعامة معاً

« هذا فيما يتعلَّق في حركة الاجانب العلميَّة اما اخواننا المسيحيون فانهم عرفوا كيف يستفيدون من زمن بعيد من تلك المدارس وذلك بارسال اولادهم اليها اقتباساً لعلومها. وقد انتبهوا الى هذا الامر منذ اربعين سنة ويوم كنا نحن المسلمين نعتقد ان تعلم اللغات والعلوم العلميَّة والرياضيَّة كفر وضلالة. وهذه هي الثمرة التي كانت سبباً في تدنّي المسلمين في المعارف والرقي الاقتصادي والاجتماعي عن اخوانهم من بقيَّة الطوائف. تلك حقيقة جارحة يجب ان نتذكرها خوفاً من الوقوع في مثلها في المستقبل. . . »

المروءة الفرنسويَّة — اثنى في احد اعداد المقطم الاخيرة الكاتب البليغ وليّ الدين المقدسي يكن على مروءة الفرنسويين لاحتجاجهم على الايطاليين في توقيف سفينة افرنسيَّة كانت تقلّ عدداً من الاتراك بحجة كونهم ضبّاطاً سائرين الى محاربتهم في طرابلس الغرب قال وهو نعم القول ينفي اكاذيب الذين شتموا هذه الدولة الشريفة لما اوقفت قرضاً جديداً لتركيا قبل استيفاء الشروط المرعيَّة بين الدول :

« سلام على فرنسا وراياتها وحكومتها وشعبها سلام اوَّلهُ اليوم وآخرهُ الابد. دار العلم وموطن الحريَّة وجنة الدنيا وكنانة الثناء ومربض الآساد. جمالها في غضبها كجمالها في رضاها بسمت فتنت عبست فاخضعت. . . لو غضبت فرنسا غضبتها من اجلنا لكان ذلك حباً وتحبباً ولكنها غضبت للحق وغضبت للشرف. . .

« وانا اقول : اذا غضبت عليك فرنسا حسبتَ دول الارض كلها غضبى. تُرهب بسلطانين من حق وقوة. كبرَ عليها ان تذهب سفينتها وودائعها نهباً في حرب ليست من جناها. ولو لم يكن على ظهر الارض الا فرنسوي واحد لاستنزهُ ما استفزَّ فرنسا العظمى. هذه انفسٌ خُلقت عزيزةً فلا يريد الله لها الذلّ. . .

« كان قوم يزعمون ان المسيحيَّة متفقة على مناوأة الاسلام. علت صيحاتهم حتى صمَّت الآذان. فما قولهم في فرنسا المسيحية الكاثوليكيَّة اللاتينيَّة تتوعد ايطاليا المسيحية الكاثوليكية اللاتينية من اجل اتراك مسلمين. . .

« هكذا تصنع الامم المتمدنة. وليس بيننا وبينها خلاف الا في العقول والمدارك. وهو خلاف يزول متى بلغنا من العلم والتمدن مبلغها. وما ذلك محالاً غير انهُ بعيد. . .

« يا فرنسا يا حسناء اوروبا. . . ما مقالي هذا ثناء عليك ولا وصفاً لك. بل هو قبلة شوق تجتاز البحر المتوسط وترفُّ على جبينك الذي يتألق بنور الحرية في ظلمات العصر العشرين »

استياء — بلغنا انَّ بعض افاضل الروم الارثذكس استاؤوا مما ورد في العدد الاخير (ص ٥٢) عن كهنة صيدنايا الكاثوليك والروم هناك. فجوابنا

انّنا بنشرنا هذا الاثر التاريخي الفريد في بابهِ لم نقصد اساءة احد وانّما روينا الخبر كما ورد في الاصل اذ لم يَجُز لنا التصرُّف بهِ بل عُني حضرة متولي طبعهِ بتلطيفهِ بما اثبتهُ في ذيل الصفحة ملقياً تبعة الامر على بعض الجهّال — هذا ونحن احقّ بالاستياء ممّا تنشرهُ تباعاً مجلة « الكلمة » الارثذكسيّة التي يتولّى ادارتها اسقف ارثذكسي فلا تدع عدداً من اعدادها دون ان تجرح عواطف الكاثوليك وتنسب الى الكنيسة الرومانيّة الدعاوى الكاذبة وتشتم الرهبانيّة اليسوعيّة بانواع الشتائم . وسنعود الى هذا الامر في عدد آخر ان شاء الله

أسئلة واجوبة

س سألنا عن اصل الكلمتين « شدياق وفسيقساء » وما معناهما الاصلي

شدياق . فسيقساء

ج الشائع انّ الشدياق هو الشمّاس الرسائليّ وانّ اشتقاق اسمهِ من اليونانيّة (ὑποδιάκονος) لكنّ الشين من اوّل الكلمة يدلّ على انّ اصلها من (ἀρχιδιάκονος) اي رئيس الشمامسة الانجيليين فحذفوا حرفيها الاوّلين واطلقوها اوّلاً على الشمامسة الكبار ثم كثر استعمالها فعمّ جميع الشمامسة — امّا الفسيقساء ومثلها الفسقس فاشتقاقها من اليونانيّة (λίθος) او (λίθος) ومعناها الحجرة الصغيرة لانهم كانوا يتّخذون الحجار الصغار فيرصّعونها للنقش . الّا ان اللفظة العربيّة لم تُنقَل رأساً من اليونانيّة لكن بتوسُّط اللغة الآراميّة فسقس (ܦܣܩܣ) او فسقيس (ܦܣܩܝܣ) ومعناها الحصى

س وسألنا احد رهبان دير المخلص كيف يتوصل الى استقطار الالكحول (السبيرتو) من البرتقال

استقطار الالكحول من البرتقال

ج لاستقطار ثمر البرتقال وتحويل ما فيهِ من السكر الى الالكحول لا بُدّ من تخميرهِ ويُحصل على ذلك بخميرة البيرة او رغوتها (levure de bierre) فاذا اختمر استُقطر بالانبيق كمألوف العادة ل . ش

المشرق

رسولا الخير العام في مدينة السلام

لمعة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي (*)

انَّ للرهبان الغربيين من الايادي البيض على جميع انحاء الشرق ما تنطق به ألسنة العموم وتصرح به جميع الآثار الباقية منذ القرون المتوسطة الى يومنا الحاضر فكانَ الغرب اراد ان يُسدي شكرهُ للشرقيين عمَّا نالهُ من فضل رهبان الصعيد والشام والجزيرة واليونان الذين هاجروا منذ القرن الخامس للميلاد الى جهات اوربا ونشروا العيشة الرهبانيَّة في اعمال ممالكها المتنصرة. فما فتئ الغربيون ان جاروا في تلك الحلبة المقدسة اخوتهم الشرقيين. ولم يزالوا يترقَّون في معارج الكمال حتى رأوا ما صارت اليهِ الاقطار الشرقية من التقهقر بانتشار البدع فحملتهم الغيرة على ان يمدُّوا الى اهلها يد المساعدة فأتى منهم فئات متوالية من بندكتيين وكرمليين وفرنسيسكان ودومنيكان ويسوعيين وكبوشيين ولعازريين خدموا بلادنا اصدق خدمة بغيرة لم تعرف الملل ونزاهة يشهد لها كل الرواة الموثوق بهم. ولكلّ هذه الرهبانيَّات من المبرَّات والمساعي الخيريَّة ما لو جُمعت اخبارهُ لأتت على عدَّة مجلدات ضخمة

وقد امتازت الرهبانيَّة الكرمليَّة منذ سالف الاعصار في محبة الشرق وخدمة

(*) استندنا في روايتنا لاعمال هذين المرسلين الى معلومات واسعة منها خطيَّة ومنها مطبوعة لمن عرفها حقَّ المعرفة راجع الكتاب Quarante ans à son Poste par Ordep والمقالة Un missionnaire médecin par Ordep

اهله واذ انتمت الى ذلك النبي الغيور ايليا الذي لم تمحُ الدهور آثار فضله في فلسطين والسامرة والجليل اتخذته ايضاً كمثالها في الدعوة الى الله والدفاع عن الدين

وليس قصدنا هنا ان نتتبع تاريخ رهبان الكرمل على الجبل المقدَّس الذي انتسبوا اليه وانما اخترنا فقط زهرتين حديثتي العهد نجنيهما من تلك الحديقة الغنّاء وكلتاهما نشرت نفحة طيبها الذكيَّة في حاضرة العراق فعطرت مدينة السلام بأريجها نريد بهما رجلي الصلاح والفضل الاب ماري جوزف والاب داميان

*

في اواسط القرن السادس عشر قامت في اسبانية امرأة شريفة ازدانت بكل المواهب الطبيعيَّة وجمعت في نفسها مزايا العقول السامية والقلوب المتقدة حبًّا لله تُدعى تريزيا. فهذه انتدبها الله لإصلاح رهبانيَّة الكرمل التي كان طرأ عليها لطول الاجيال شيءٌ من العتق الروحي والتراخي في حفظ قوانين اجدادها الصالحين فبعد ان اصلحت اديرة الراهبات وتجشمت لبلوغ غايتها اعظم المشاقّ حاولت اصلاح الرهبان ايضاً بمساعدة قديس عظيم اشبهها فضلًا واقداماً وهو القديس بطرس القنطريّ فاتمّ الله على ايديهما ذلك المشروع الجليل وظهرت الرهبانية الكرمليَّة في مجلى جديد من البرارة والغيرة

وكان من ثمرة ذلك الاصلاح أن طلب بعض رهبان الكرمل من الحبر الاعظم اقليمس الثامن ان يجعل لهم سهماً في التبشير بالايمان المسيحي في اقطار الشرق. فسرَّ قداسة البابا لطلبهم وعيَّن لهم بلاد العجم ليزرعوا فيه بذور الايمان وينشروا بين نصارى تلك البلاد من ارمن ونساطرة ويعاقبة حقائق الدين القويم

وكان المرسلون الاوَّلون من بلاد ايطالية فخرجوا من رومية في اواسط تموز سنة ١٦٠٤ وكان امام الاحبار تسهيلًا لامورهم جعلهم كسفراء دولته الى شاه العجم عبَّاس الاوَّل المعروف بالكبير وسلَّمهم رقيماً بخطه مع هدايا فاخرة يقدّمونها الى الشاه وكذلك آزرهم برسائل ملوكيَّة بخطي امبراطور النمسة رودلف الثاني وملك بولونية سجسمند. فكانت نتيجة هذه السفارة ان احتفى الشاه عبَّاس بالوفد ورخَّص للمرسلين بالسكنى في حاضرة اصبهان ومنحهم ملكاً يبتنون لهم فيه دارًا لاقامة فرائضهم الدينيَّة

وكانت وقتئذٍ مملكة العجم تتناول جهات الافغان الى حدود الهند جنوباً وتمتدُّ شمالًا وغرباً الى انحاء الموصل وكانت البصرة وبغداد من جملة املاكها. فما ثبتت قدم المرسلين في اصفهان حتى انجر احدهم الى اوربة ولسعر في قلوب اخوته نار الغيرة لفلاحة كرم الرب في العجم فعاد وبرفقته مرسلون جدد اقتسموا انحاء بلاد فارس لخدمة نفوس اهلها فاحتلُّوا هرمز وشيراز وبندر عباس وهَمدان ولنكه وجُلفة

ثم تقدّموا الى العراق فسكنوا اوّلًا مدينة البصرة سنة ١٦٢٣ بهمّة احدهم المسمّى الاب باسيل فاخذوا يدعون الى الايمان قوم الصابئة المندائيين المعروفين ايضاً بنصارى مار يوحنّا (١ فردُّوا منهم كثيرين الى الدين الكاثوليكي وازهرت رسالة البصرة بهمّة المرسلين حتى ان لويس الرابع عشر ملك فرنسة منح رؤساءها رتبة القناصل بقرار رسمي امضاهُ سنيرهُ في الاستانة في تاريخ ٢٧ شباط سنة ١٦٧٧ فتولّج اعمال القنصليّة منهم احد عشر رئيساً

امّا بغداد فتأخر دخول المرسلين اليها حتى القرن الثامن عشر لما انيهُ الرهبان الكرمليون في طريقهم من العقبات بعد الحروب التي انتشبت بين الدولة العثمانية والعجم فاستولى السلطان مراد الرابع على بغداد ولم يسمح ولاتها للمرسلين ان يدخلوها. وبقي الامر على ذلك الى سنة ١٧٢١ حيث أُنشئت رسالة بغداد. فنال ايضاً رئيسها « الاب عمانويل دي سنت البار» منصب القنصليّة الفرنسويّة سنة ١٧٤١. وبعد قليل ازدهت هذه الرسالة كرسالة البصرة لا سيما برجوع النساطرة الى حجر الكنيسة الرومانيّة وسار المرسلون الى جهات الموصل فاشتغلوا ايضاً بدعوة النساطرة الى الكثلكة فلم يخب مسعاهم فرجّعوا منهم ٤٧٠ بيتاً لكنهم عادوا بعد قليل الى بغداد وسلّموا رسالة الموصل سنة ١٧٥٠ للآباء الدومنيكان

وكان الكرسي الرسولي منذ السنة ١٦٢٢ رأى حاجة بلاد العجم والعراق الى قصّاد رسوليين يهتمّون بشؤون اهلها فاختار البابا غريغوريوس الخامس عشر احد الآباء الكرمليتان لهذه الرتبة وهو السيد طيموتاوس بيريز (Tim. Pérez) الاسباني. ثم صارت من بعده قصادة بابل تحت نظارة اساقفة فرنسويين اشتهر منهم ثلاثة

١) اطلب في المشرق (السنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣) مقالات حضرة الاب انستاس الكرملي في هذه الشيعة

رجال كان اولهم السيد جان دوفال (J. Duval) وكان من الرهبانية الكرمليتانيَّة يُدعى فيها برنرد دي سانتا تريزيا (١٦٣٨ — ١٦٦٩) فهدى الى نور الايمان عدداً عديداً من النساطرة والارمن الغريغوريين وغيرهم . ثمَّ خلفهُ رجل مفضال كان من الاكليروس العالمي وهو السيد فرنسوا بيكه (Fr. Picquet) الذي تقلَّد رتبة قنصليَّة فرنسة في حلب ثم زهد في الدنيا واندرج في سلك الكهنوت حتى وقع عليهِ الاختيار للقصادة الرسولية في بابل فسافر الى بغداد لكنهُ لم يستطع ان يدخلها فسكن همدان القريبة منها وبها توفي في رائحة القداسة في آب من السنة ١٦٧٥ . واشتهر في القرن الثامن عشر الاب الكرمليتاني عمانويل السابق ذكرهُ فعهدت اليهِ رومية القصادة الرسولية فلما سُقِف عُرف باسم عائلتهِ فدُعي بالسيد باليه (E. Baillet) فاستنفد الوسع في خير اهل العراق وأنمى بهمَّته عدد قطيعهِ نمواً عظيماً . ومات سنة ١٧٧٣ شهيد محبتهِ في خدمة المطعونين (المشرق ١٩٠٩ ص١١)

ثم بقيت قصادة بابل منسيَّة لما حلَّ وقتئذٍ بالكرسي الرسولي من المحن حتى استأنف تدبيرها السيد كوبري (Pierre — Alexandre Coupperie) سنة ١٨١٩ وربح شكر الاهلين بنشاطهِ واعمالهِ المبرورة . مات ايضاً ضحيَّة محبتهِ في خدمة المطعونين سنة ١٨٣١ . ثم خلفهُ كاتب اسرارهِ السيد تريوش (Trioche) وهو اوَّل اسقف في بغداد عُرف رسمياً بقاصد رسولي على ما بين النهرين والعجم . ثم استعفى فخلفهُ السيد انطون مرسياي (A. Merciai) الدومنيكاني (١٨٥٠) ثم السيد مبارك بلانشه (B. Planchet) اليسوعي (١٨٥٢) ثم السيد هنري امانطون (H. Amanton) الدومنيكاني (١٨٥٩) ثم السيد نيقولا كاستلس (Nicolas Castells) الكبوشي (١٨٦٤) ثم السيد لويس ماري ليون (L. M. - Lion) الدومنيكاني (١٨٧٤) ثم السيد هنري فكتور التاير (H.V.Altmayer) الدومنيكاني (١٨٨٤) ثم السيد الحالي هنري درور (Mgr. H. Druhr)

امَّا الرسالة الكرمليَّة فانها بقيت متواصلة بعد انقطاع القصَّاد عنها لكنها خملت وضعفت نوعاً . وكانت انتقلت الى ايدي مرسلين ايطاليين فبقيت تحت نظارتهم الى اواسط القرن التاسع عشر . وممَّا يُخبرهُ اهل بغداد عن احد رؤسائهم الاخيرين الاب الفرنس انَّهُ وأى سنة ١٨٤٥ عدوى الهواء الاصفر تفتك بدار السلام فتكاً ذريعاً .

ففي ٣٠ ايلول تضرّع الى الله ان يكفّ عن الحاضرة وطأة الداء وقدّم نفسهُ فداء عن الجميع في الذبيحة المقدّسة فأوحى الله اليهِ انهُ استجاب ملتمسهُ فأعلن لجمهور المؤمنين ان العدوى لن تعود تضرب احداً من الاهلين ولكن سوف يموت رجل عزيز عليهم . فتمّ الامر في غد ذلك النهار بوفاة الاب الفونس وانقطاع الهواء الاصفر بغتة عن بغداد

*

تلك كانت حالة رسالة الآباء الكرمليتان في اواسط القرن المنصرم اذ حكم المجمع المقدس باعادة تدبيرها الى الرهبان الفرنسويين وبعودتهم دخلت الرسالة في طور جديد . وانما كان ذلك خصوصاً بهمّة المرسَلَين الصالحين العاملين اللذين تولينا نشر اخبارهما ليعرف الشرقيون ما لهما من الفضل عليهم ويخلّد البغاددة قبل الكلّ ذكرهما الطيب على صفحات قلوبهم فلا يفرقوا بينهما وقد اجتمعا في خدمتهم السنين الطوال فعُني الواحد بصلاح نفوسهم والآخر بعلاج مرضاهم وتفانى كلاهما في سبيل خيرهم العام

١ الاب ماري جوزيف

في جنوبي فرنسة مقاطعة شهيرة بخصبها كان يعمّها سابقاً اسم بلاد غسكونيا وهي اليوم مقسمة الى عدّة معاملات منها معاملة « تَرْن وغارون » باسم نهرين يجريان في وسطها ثم يصبّان في نهر جيروند المنتهي الى الاوقيانوس الاتلنتيكي في جهات بوردو احدى حواضر فرنسة

ففي تلك المعاملة في قرية عامرة تدعى لاماجيستار (La Magistère) قريباً من آجان (Agen) ومنتوبان (Montauban) ولد سنة ١٨٣٠ غستاف كنسل (Gustave Cancel) بطلنا وكان مولدهُ في ١٦ حزيران وهو يوم عيد احد رسل فرنسة الشهيرين في القرون المتأخرة ومواطنهِ القديس فرنسيس راجيس اليسوعي الذي يقصد قبرهُ في ذلك اليوم الوف من الزوّار ينالون بشفاعتهِ العجائب المنبئة بثقتهم في فضلهِ عند الله

وكان اهل غُستاف من الملّاكين يستثمرون ملكهم بشغلهم الخاص فيرتزقون

بفلاته. على انَّ دينهم كان اوفر من دنياهم فسعى ابواهُ بحسن تربيتهِ وعُنيت أُمهُ خصوصاً بان تطبع في قلبه روح التقى والبرارة فنشأ الولد ورعاً تقيًّا كما شاءت

وكان الولد مع تقاه ثاقب العقل متوقد الذهن لا يصعب عليهِ شيء من تعاليم المدرسة فأتقن بوقت قليل مبادئ القراءة والكتابة والحساب وشرع يتوق الى ما هو اسمى وارفع. ورافق شبابهُ شبوبَ الحرب بين فرنسة والامير عبد القادر فكان يرُ الجند في بلدتهِ ليسيروا الى الجزائر ثم يسمع بوقائعهم ومآثرهم فيتمنى ان يكتسب الشرف بينهم

الَّا انَّ الله كان يعدّ قلب الصبي لاحراز مجد اعظم من المجد العالمي. فانهُ لمَّا ترعرع واراد التقدُّم في العلوم ارسلهُ ابواه الى مدرسة آجان (Agen) الاكليريكيَّة حيث انقطع لدرس الآداب والفلسفة. وفي غضون دروسهِ قدم الى آجان رهبان كرمليون اتخذوا لهم ديرًا سكنوهُ فقدسوهُ بعيشتهم النسكيَّة وفضائلهم السامية حتى انتشر عرف براراتهم في تلك الانحاء. وقصدهم الشبَّان ليحذوا حذوهم ويأتسوا بامثالهم

فكان غستاف من جملة الذين سمعوا صوت الله في قلبهم فطلَّق العالم واباطيلهُ وطلب الانضواء الى رهبانيَّة الكرمل فاجاب الرؤساء الى ملتمسهِ في حزيران من السنة ١٨٥١ وعمرهُ اذ ذاك احدى وعشرون سنة فدُعي باسم رهباني جديد وهو « ماري جوزف دي جيزو » (Marie-Joseph de Jésus) فجمع في تسميتهِ الطف الاسماء واشرفها « يسوع ومريم ويوسف »

قيل انَّ الفرنسوي طُبع على طلب الامور العظام فلا يرضى بالدون ولا الخمول فاذا قصد شيئاً اندفع اليهِ بل قواه لا يثبطهُ عن نوالهِ عائق. فذلك ما نواه الاخ ماري جوزف منذ لبسهِ الاسكيم الرهباني فانهُ وجه نظرهُ الى اسمى الفضائل واقصى الكمال فتأسس اوَّلاً على السنن الرهبانيَّة والفرائض النسكيَّة ثم انقطع الى العلوم الدينيَّة حتى برع فيها لكنَّ اميالهُ كانت تجذبهُ الى فلاحة كرم الرب في الرسالات الاجنبيَّة ليقتاد الضالين الى سبيل الخلاص

فلمَّا كان في كركسُون يدرس اللاهوت مع اخوتهِ الرهبان كاشف رؤساءهُ برغبتهِ فوعدوهُ بتلبية طلبهِ عند نهاية دروسهِ وكذا تمَّ الامر سنة ١٨٥٦ فانَّ الرئيس العامَّ على الرهبانيَّة الكرمليَّة الاب « نوال دي سانتا حنة » (Noël de Ste Anne) رخصهُ بالرحلة الى الشرق لينقطع هناك الى اعمال المرسلين في خدمة النصارى

فتلقّى الاب ماري جوزف هذا الامر بملء السرور وما لبث ان ابحر في مرسيلية مع مرسلين آخرين من رهبانيته الى الاسكندرية مارّين على جزيرة مالطة ثم اجتازوا الى يافا فزاروا الاراضي المقدّسة وانعشوا قلوبهم بمعاينة الامكنة التي تجوّل فيها ابن الله بصنع الخير وانتقلوا اخيراً الى دير الكرمل في اوائل سنة ١٨٥٧ حيث قضى الاب ماري جوزف تلك السنة ليستعدّ لاعمال الرسالة في ذلك الجبل الجليل الذي قدّسهُ كثيرون من الانبياء الكرام كايليا واليشاع والقديسين العظام كالقديس بروكرد والقديس سمعان ستوك من اجداد رهبان الكرمل فعطّر نفسهُ برائحة قداستهم واضرم قلبهُ بلهيب غيرتهم في تلك العزلة البعيدة عن ضوضاء العالم القريبة من الله وبين اخوة لا همّ لهم غير خدمة خالقهم

وفي غضون السنة طلب المجمع المقدّس من رئيس الرهبانيّة الكرمليّة ان يجعل رسالة بغداد في ايدي المرسلين الفرنسويين فاجاب الى رغبته وعيّن الابوين « كاسيه دي سنت ماري » والاب ماري جوزف ليقوما بهذا العمل وكان الامر قد اتاهما في اواخر تشرين الاوّل فما برحا ان تأهبا من وقتهما للسفر . وكانت الطريق في ذلك العهد شاقّة تُقطع مع القفول في اقفار تكثر فيها الاخطار وتلحّ الاكراد وغزوات العرب وذلك في اوائل الشتاء القارس البرد فقاسيا من اتعاب السفر ما لا يحدّهُ لسان لاسيما الاب كاسيه الذي كان طاعناً في السن حتى بلغا اخيراً دار السلام في ٦ ك ٢ سنة ١٨٥٨

*

كانت بغداد بعد الحروب المتوالية التي وقعت بين الدولة العثمانيّة ودولة ايران في القرن الثامن عشر فقدت كثيراً من رونقها السابق حتى صحّ القول فيها انّها صارت اثراً بعد عين فنُهبت مراراً وصارت اكلةً لمطامع بعض امراء الدولة وافنى الطاعون والهواء الاصفر قسماً من اهلها وكان الولاة يتناوبون عليها بسرعة فلا يطلبون غالباً الّا الاغتناء من تجارها بالخرق والجور

لكنّ هذه الحالة السيئة اخذت تتحسن نوعاً في عهد السلطانين محمود الثاني وعبد المجيد فدبّرها ولاة ذوو حزم ونزاهة اعادوا اليها شيئاً من رقيها السابق لاسيما داود باشا (١٨١٤ — ١٨٢٩) وخلفهُ علي باشا (١٨٣٩ — ١٨٤٣) الذي ضُرب

المثل بكرمهِ الحاتمي ثم كوزلكلي محمّد رشيد باشا (١٨٥١ — ١٨٥٦) من افضل الولاة واعظمهم شأناً وارغبهم في خير العموم

وكان المتولي على دار السلام لمّا وصل اليها المرسلان الفرنسويان السردارَ اكرم عمر باشا الذي تعقّب آثار غزاة العرب فكسر شوكة القبائل التي كانت تقطع السابلة في جهات الفرات الى نواحي دير الزور. ثم سار الى محاربة عشائر الاكراد الذين عدلوا الى العصيان على المملكة وما كاد يكبح جماحهم حتى استدعتهُ الدولة وعهدت بولاية بغداد الى مصطفى نوري باشا. فاستقبل عمر باشا الراهبين بكلّ انس ومدح زهدهما واكد لهما بانهُ يرعى جانبهما مثنياً على من تقدّمهما في بغداد من المرسلين الكرمليين

فشرع المرسلان منذ ذاك الحين يشتغلان في خدمة نصارى بغداد الذين عددهم لم يتجاوز وقتئذٍ الفي نسمة وكان اكثرهم كلدانًا وسريانًا من ابناء اولئك الناطرة واليعاقبة الذين ردّهم اخوتهم في القرن السابق. وكان هؤلاء المؤمنون مع قلة ذات يدهم مزدانين بالتقى وسائر الفضائل المسيحيّة لم يشوّه سذاجة طباعهم روح التمدُّن العصري

واوّل ما باشر بهِ الابوان درس اللغة العربيّة ليحسنا الكرازة بتلك اللغة. على انّ الاب كساقيه لتقدُّمهِ في السنّ رأى نفسهُ عاجزًا عن الامر فكان يلقي المواعظ في الافرنسيّة فيترجمها احد السامعين وبقي على ذلك الى سنة ١٨٦٢ حيث استدعاهُ الرؤساء من بغداد ليتلّدوهُ اعمالًا غيرها. اما الاب ماري جوزف فانّهُ مع قلة معرفتهِ بالعربيّة وطّن نفسهُ على التكلّم بها حتى امكن البغادة ان يدركوا معاني اقوالهِ بل صاروا بعد زمن يتلقون عظاتهِ بارتياح وربما اثّرت خطبهُ في قلوبهم حتى انّ الدموع كانت تجري مدرارًا من عيونهم بل تُسمع زفرات نحيبهم ندامةً على خطاياهم

وكان رافق وصول المرسلين الى بغداد تعيين قنصل فرنسوي عليها المسيو اوجان تستو (Eugène Tastu) الذي كان قدوة لنصارى بغداد بتدينه وسمو فضائلهِ وكان للمذكور والدة اشتهرت في الكتابة تُدعى السيدة أمابل (Amable) فألفت التآليف الشائعة بين ادباء وطنها وكانت ربّت ابنتها احسن تربية حتى انّهُ حبًّا بها لم يشأ ان يقترن بالزواج ليخدمها في اواخر ايّام حياتها لمّا فقدت البصر فكان

١ الطيب الذكر ماري جوزف الكرملي

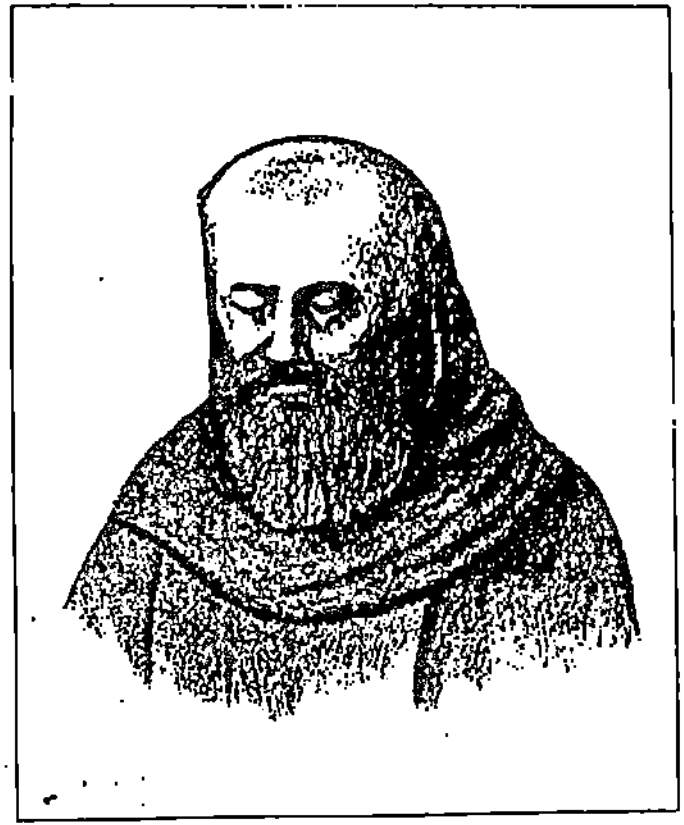

٢ الطبيب النطاسي الاب داميان الكرملي

برُّهُ بامهِ يؤثر بالجميع ايّ تأثير فيرافقهـا حيثما سارت لاسيما الى كنيسة الآباء الكرمليين فيقتربان معاً كل يوم احد من المائدة المقدَّسة

ومع انَّ الاب ماري جوزف بقي وحدهُ بعد سفر الاب كساڤيه فلم يقصِّر عن اتمام كل واجباتهِ الكهنوتيَّة واعمالهِ الرسوليَّة بل كان يعود المرضى ويوزع الاسرار على المؤمنين ويراقب تعليم الاحداث في مدرسة الدير ويعدُّهم لقبول القربان الاقدس بل جعل يعلمهم اللغة الفرنسويَّة التي زاد الاقبال عليها بعد حرب القريم

وفي السنة ١٨٦٣ عزم الاب ماري جوزف ان يزور البصرة ومدينـة عمارة فركب الباخرة الانكليزيَّة التي تسير كل اسبوع من بغداد الى البصرة فوجد هناك دير رهبانهِ القدماء. وكان المرسلون لا يزالون يبثُّون بشؤون اهلها اذ جعلوا معاشاً لاحد كهنة الكلدان ليقيم الرتب الدينيَّة في كنيستهم ويعلِّم اولاد البصريين فثبَّت الاب ماري جوزف الكاهنَ على عملهِ وزار اهل البلد والقى عليهم المواعظ

ثم عاد الى بغداد مارًّا على مدينة عمارة وهي مدينة حديثة على ضفة نهر دجلة يسكنها اولئك الصابئة او المندائيون الذين اهتمَّ رهبان الكرمل قبلًا بجذبهم الى الدين المسيحي فاجتمع الاب مـاري جوزف بشيوخهم واظهر لهم من التعطف ما قرَّبهم منـهُ فكان يؤمل مذ ذاك الحين ان ينقذهم من الضلال فقصد لهذه الغاية ان يفتح هناك منزلًا لرهبانيتهِ

على انَّ الاب ماري جوزف تحقَّق ان اتساع دائرة اعمال الرسالة كان يقتضي عدداً اوفر من المرسلين ليساعدوهُ في حصـاد الزرع الجيد فلم يرَ لذلك وسيلة الا بان يسافر الى روما باذن رئيسهِ العـام ليدعوا فعلة جدداً الى فلاحة كرم الرب ويستدرّ حسنات المؤمنين لخدمة الشرقيين

ففي اواسط شهر كانون الثاني من السنة ١٨٦٤ امتطى الاب ماري جوزف ناقة واكتسى بثياب اهل البادية ورحل من بغداد في رفقة جمَّال متوجهاً الى دمشق. وقد دوَّن تفاصيل تلك الرحلة التي استغرقت خمسة وعشرين يوما طاف في اثنائها البراري وتجشم الاخطار

ومما اخبر بهِ انهُ مرَّ باخربة برج بابل المعروف في العراق ببرج نمرود فرقي الى اعلاهُ ودسَّ في اطلالهِ ايقونةً للعذراء الطاهرة طالباً منهـا ان تبارك سفرهُ وتهديهُ الى

مرسل من رهبانيته يشاركهُ في خدمة آل بغداد ووعدها اذا اجابت الى دعوته بان يقيم هناك عمالًا لذكرها فلم يكذب ظنهُ في ملكة السماء كما سترى

والتقى في طريقهِ بقبيلة غريبة الهيئة عجيبة الاحوال تعيش في الصحاري بصيد الغزلان وتمتاز عن عرب البادية بأخلاقها الطيبة وعاداتها السلميَّة ألا وهي قبيلة الصُّلَيب (١ التي رحبت بالمسافر وضافتهُ في خيامها يومين

ثم توغَّل في تلك الصحاري فخرج عليهِ العربان غير مرَّة وحاولوا سلب مالهِ وضبط ناقتهِ الَّا انَّ الراهب الصالح كان يتودَّد اليهم فيكاد يسحرهم بجودة طباعهِ وخلابة لسانهِ فيذكِّرهم بخالقهم ويشير اليهم بما يفيدهم في المعاش وتدبير اهلهم فكانوا يستعذبون كلامهُ ثم يردُّون لهُ ما سلبوه بل يرافقونهُ في طريقهِ لئلَّا يصيبهُ سوء فكان يسير بينهم وفي ايديهم الرماح كأنه قائد عسكر بين حاشيتهِ

قضى الاب ماري جوزف سنةً بنيف في اوربة فنال بركة الحبر الاعظم بيوس التاسع ثم تجوَّل في انحاء فرنسة فعرض لمواطنيهِ حاجات الرسالة البغدادية وبيَّن ما لها من العلاقات مع الدولة الفرنسويَّة منذ القرن السابع عشر فكان المحسنون يسرعون الى مساعدتهِ بمالهم

ولمَّا طلب بين اخوتهِ الرهبان الكرمليين من يتبعهُ الى العراق كان لدعوتهِ صدى في قلوب بعض الدارسين الذين وعدوهُ بان يأتوا لمؤازرتهِ عند تتمَّة دروسهم فسرَّ بمواعيدهم التي قاموا بها بعد ذلك. وزاد سرورهُ اذ لقي في ليون رجلًا كان اتقن فنَّ الطبابة ونال الاجازة فيها فدخل في رهبانيَّة الكرمل وكان يدعى داميان وهو على وشك قبول الكهنوت فهذا اذ سمع الاب ماري جوزف يصف احوال العراق وعلم بعظم حاجة اهل بغداد الى طبيب ماهر يكون مرسلًا روحيًا مما قدَّم نفسهُ ليرافقهُ الى مدينة السلام

فعلم الاب انَّ البتول مريم استجابت صلاتهُ فطلب من جمعيَّة سيدة النصر (N. D. des Victoires) في باريس بان يكرموا عليهِ بتمثال العذراء لينصبهُ كما

١) اطلب وصف الصُّلَيب للاب انستاس في المشرق (١ : ٦٧٣) وفي مقالة رحلتنا الى بادية تدمر (المشرق ١٩٠٦ ص ٩٥٧)

وعد على انقاض برج نمرود فاهدوهُ شخصاً من شبَه البرونز وكتبوا عليهِ « انَّ اخوة سيدة النصر قد اقاموني فوق برج بابل بيد حضرة الاب ماري جوزف المرسل الكرملي في بغداد ». فاسرع المرسل عند مرورهِ في المكان بان يبدل الايقونة التي خبأها هناك من هذا التمثال الجميل مع صغر حجمهِ فبقي هناك مدَّة لكنَّ عرب البادية اكتشفوهُ بعد زمان وظنُّوهُ اثرًا قديمًا فباعوهُ لاحد محبي العاديات في بغداد فاتى بهِ المذكور الى الاب ماري جوزف ليريهُ كما قال « تمثالًا عريقًا في القدم » وكان الصدأ قد علاه. فعرفهُ الاب ماري وقصَّ للرجل قصتهُ واقرأهُ الكتابة التي عليهِ ثم اخذه منهُ ونصبهُ فوق قبة الجرس في كنيسة المرسلين في البصرة

*

حدِّث ولا حرج بفرح البغاددة لدى مشاهدتهم الاب ماري جوزف عائدًا من اوربة ومعهُ مرسل متطبب يعالج مرضاهم ومستوميهم. وكان المجمع المقدَّس عيَّن في اثناء ذلك نائبًا رسوليًّا على رسالة بغداد الاب كليمنت الكرمليتاني فكسبت الرسالة بكل هؤلاء حياةً جديدة واخذ اصحابها يُعنون بتوطيد اعمالها وتوفير اشغالها

وكان الاب ماري جوزف قُطب هذا الاعمال وسندها يقرُّ لهُ الجميع ببذل الذات والتفاني العظيم. ومن مساعيهِ الطيبة وقتئذٍ مباشرتهُ ببناء كنيسة واسعة تكفي لاهل بغداد نال لتشييدها من الباب العالي فرمانًا مؤذنًا بذلك تاريخهُ ذو الحجة سنة ١٨٦٦. فاقيمت حفلة شائقة بحضور قنصل دولة فرنسا بليسيه دي رينيو (Pellissier de Regnault) واعيان بغداد الاجانب والوطنيين مع اكليروس الطوائف الكاثوليكيَّة لوضع الحجر الاوَّل لتلك الكنيسة في ٢٠ ايَّار سنة ١٨٦٦ يوم عيد العنصرة

واذ رأى الاب ماري جوزف انَّ النفقات لا تفي باتمام هذه البيعة استأنف السفر الى اوربَّة فجمع من ذوي الاريحيَّة والكرم ما سدَّد كلفتها. وكان ذلك في سنة ١٨٦٩. وفيها استعفى الاب كليمنت من نيابة الرسالة فعهد المجمع المقدَّس بهذه المهمَّة الى الاب ماري جوزف فرجع الى بغداد وهو مرتبط بروابط جديدة زادتهُ غيرة وعناية. وبعد سنتين انجز بناء الكنيسة التي عُدَّت طرفة من طُرف العراق اذ يبلغ

طولها ٣٤ متراً وعرضها ١٩ م وعلوّها ١٣ . وكان تدشينها الاحد السابق لعيد الميلاد سنة ١٨٧١ بعد ١٥٠ سنة لفتح الرسالة الكرمليّة في بغداد

فما لبثت الكنيسة الجديدة ان صارت مركزاً لكثير من الاعمال الرسوليّة والرياضات التقويّة والاخويات للرجال والنساء والاحداث

ثم افرغ الاب ماري جوزف كنانة جهده في تحسين حالة مدرسة الرسالة فوفّر عدد معلميها ووسع نطاق دروسها وتعليم لغاتها من عربيّة وافرنسيّة وانكليزيّة وتركيّة حتى عُدّت في مقدّمة مدارس الحاضرة وزاد في ابنيتها ما يليق براحة الاحداث وترويح افكارهم . بل عُني بانشاء جمعيّة للشبّان يجتمعون في اوقات معلومة ليتكاتفوا في عمل الخير ويقووا بالاتحاد

ثم وجّه الاب ماري جوزف فكرهُ الى بقيّة الرسالة فابتنى سنة ١٨٨١ كنيسة جديدة في البصرة وألحق بها مدارس للفتية والفتيات

وفي السنة ١٨٨٤ اقتنى في بلدة « عمارة » ملكاً واسعاً اقام فيه مدرسة وكلّ التعليم فيها الى احد كهنة الكلدان وابتنى معبداً للسكان النصارى

ولمّا ضاق دير الآباء المرسلين برهبانه في بغداد لم يرَ بدّاً من استئناف بنائه على طرز جديد وتوسيع قلاليه ومعاهده جامعاً بين حسن الذوق في الهندسة والسذاجة الرهبانيّة . وكذلك اشترى في ارباض المدينة جنينة يجد فيها المرسلون نصيباً من الراحة في اتعابهم لاسيما في أبان الصيف الذي يستعر اوارهُ في بغداد فتثقل وطأتهُ على اهلها عموماً وعلى الاجانب خصوصاً

وقد اهتمّ ايضاً بدير « راهبات التقدمة » اللواتي كان اتى بهنّ من مدينة طور في فرنسة القاصد الرسولي السيد ليون (Mgr Lion) فساعدهنّ الاب ماري في تجهيز ابنية دارهنّ ومدارسهنّ واعمالهنّ الخيريّة

ولم تكن هذه المشروعات لتستنفد همّة رئيس الرسالة الكرمليّة بل كان يقدّم على كلّ اشغاله تدبير اخوته وخدمة النفوس لا يثبطهُ عن العمل شيء من المتاعب والمشقّات لاسيما في اوقات الحاجة . ففي السنتين ١٨٧٦ و١٨٧٧ اذ فشا الطاعون في بغداد كان اوّل من بادر الى خدمة المطعونين فجازاه الله بان نجى الكاثوليك من ذلك الداء فلم يحدث بينهم غير حادثين فقط مع كثرة مَن أُصيب حينئذٍ في دار السلام

وكان اهتمامهُ بالفقراء والمعوزين مشهوراً لا يدع فرصةً في سدّ حاجاتهم وتلطيف اوجاعهم . وابتنى لاولادهم مأوى كانوا يجتمعون فيهِ ويتعلمون مبادئ الدين المسيحي وينالون ما يحتاجون من طعام وكساء . ساعدهُ في ذلك احد رجال الخير في بغداد جبرائيل افندي اصفر الشهير بمبرّاتهِ

ومن مآثر غيرتهِ انهُ كان لا يخاف لومة لائم في الدفاع عن صوالح رهبانهِ والانتصار لحقوق الكاثوليك حتى بازاء رجال الحكومة او متولجي اعمال القنصلية

فهذه الاعمال وغيرها ايضاً لا يسمح لنا ضيق المكان بوصفها استوقفت انظار الدولة الفرنسويَّة التي احبَّت مجازاة ذلك الراهب العظيم بان منحتهُ امتيازاً خصوصياً ووسمتهُ بوسام الشرف (Palmes académiques) فأقيمت لذلك حفلة عظيمة في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨ وهي السنة الاربعون لقدومهِ الى الرسالة البغداديَّة حضرها رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة وقنصلا فرنسة وروسية ووجوه دار السلام من وطنيين واجانب فقام المسيو رُوه (M' Rouet) وخطب خطبة بليغة عدَّد فيها مآثر الرسالة الكرمليَّة في بغداد وخصوصاً مبرَّات ونيسها المفضال المتفاني في خدمة الدين والوطن وسلَّمهُ الوسام الشرفي . وورد باسم صاحب العيد في ذلك النهار نبأ برقي من رئيس مجمع انتشار الايمان يفيدهُ ان الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يهنئهُ ويباركهُ ويبشرهُ بارسال رقيم بخطهِ . فكان كل جمهور الحضور لساناً واحداً في اطراء ذلك المرسل الشهم وتقدمة التهاني بتلك الامتيازات اللائقة بصاحبها

على انَّ هذه اصوات الثناء لم تكن الَّا صدى وتوطئة للجزاء العظيم الموعود بهِ العبد الصالح الامين اذ يدعوهُ الله للدخول الى فرح سيدهِ . فانَّ الاب ماري جوزف لم يلبث ان شعر بخفض مرض قديم في امعائهِ كان لا يكترث لهُ فعرف ان ساعتهُ قد دنت فاستعدَّ لها بكلّ تُقى وصبر واقتبل كل اسرار الديانة مع البركة البابويَّة بيد السيد التمير القاصد الرسولي فانطفأ سراج حياتهِ بكل هدوّ في ظهر اليوم الثامن عشر من آب سنة ١٨٩٨ فعُدَّ موتهُ مصاباً عمومياً فبكاه كل من عرفهُ من اهل بغداد واسمهُ لا يزال مطبوعاً على صفحات قلبهم يرددونهُ حتى اليوم بالشكر كلما شاهدوا آثار اعمالهِ المخلدة رحمهُ الله واجزل ثوابهُ

٢ الاب داميان

هو رفيق السعيد الذكر الاب ماري جوزف وثمرة ابتهالاته من مراحم السيدة البتول يوم ظهر ايقونتها المباركة على انقاض برج نمرود

ولد الاب داميان في سان سنفوريان في مقاطعة الجيروند (la Gironde) ليس بعيداً من موطن الاب ماري جوزف سنة ١٨٢٨ من ابوين متوسطي الاحوال وكان ابوهُ يدعى بتالي (Battailley) فدعي الولد في المعموديَّة بطرس دَزيره فنشأ دَيناً ورعاً بين اقارب مشهورين بالفضل والصلاح. ثم أُرسل الى مدرسة بازاس (Bazas) فاتقن فيها دروسهُ الادبيَّة. ثم شعر بميل الى فنّ الطبّ والعلوم الطبيعيَّة فانتقل الى باريس وانكبَّ على الدروس الطبية برغبة عظيمة ادَّت به الى النجاح في الامتحانات السنوية فنال في سنة ١٨٥٤ اجازة الدوكتوريَّة

وكان الشاب الدارس قد حافظ مدَّة دروسهِ على الآداب الدينيَّة واتخذ الدرس كحِصنٍ يصونهُ من ضربات الكفر وفساد الاخلاق فعاد الى مدينة بازاس مسيحياً صادقاً وطبيباً نطاسياً فاخذ يتعاطى فنَّهُ بكل نشاط فشاع بعد قليل حذقهُ بحسن المعالجة والرفق بالفقراء. واشتهر في الانحاء المجاورة حتى كان المرضى يطلبونهُ بالحاح ثم فكر الطبيب باتلي بان يتأهل فخطب فتاةً من مدينة بوردو وكادت تتم حفلة الزواج اذ فُكَّت الخطبة بغتةً سواء كان السبب بتغيير الابنة فكرها كما قيل او لالهام خاص من الله اراد ان يدعو ذلك الشاب لخدمتهِ زهداً في الدنيا ورحمةً باهل الشرق كما هو المرجَّح

ومن المقرَّر الثابت انَّ الدكتور طلب الى رئيس الكرمليين في بوردو بان يقبلهُ بين رهبانهِ فبعد فحص دعوة الطالب البسهُ ثوب الرهبانيَّة فابدل اسمهُ باسم طبيب عربي شهيد يدعى داميانوس فسمي الاب « داميان دي سان جوزف »

انَّ هذا الانقلاب في حالة الدكتور باتلي اذهل اصحابهُ وظنَّ بعضهم انَّهُ لن يثبت على عزمهِ لكنَّ الشاب الهمام لم يكن ممن يضعون اليد على المحراث ثم يرجعون الى الوراء. بل كان مثلهُ كمثل الرسل الذين تركوا كل شيء لمَّا سمعوا الرب يدعوهم فتبعوه دون تردُّد

ثم ابتدأ الراهب الجديد ان يدرس علم القداسة ليطبع في نفسهِ الفضائل السامية التي تفوق على كل العلوم البشرية واذ كان الاكبر بين اخوتهِ الطالبين جعل نفسهُ الاصغر فكان بينهم كواحد منهم بل كآخرهم فاذا رآه احد ظنهُ رجلًا خاملًا كبقيَّة المبتدئين وهو لا يشير البتة الى رتبتهِ في فنّ الطبابة

وبعد ان اتمّ الاخ داميان زمن الامتحانات المألوفة في الرهبانيَّة وابرز النذور الثلثة انكبَّ على الدروس الدينيَّة حتى حصَّل منها ما يحتاج اليهِ في خدمة القريب فنال نعمة الكهنوت وأُرسل سنة ١٨٦٤ الى دير رهبانيتهِ في ليون على تلّ فورفيار (Fourvière) في ظلّ الكنيسة الشهيرة المبنيَّة على اسم السيدة الطاهرة والمقصودة من كل انحاء البلاد

فكان هناك منذ بضعة اشهر مهتمًّا بالخدمة الدينيَّة اذ مرّ بليون الاب ماري جوزف كما سبق القول فتعرَّف بوطنيّهِ الاب داميان وثبت لهُ انهُ هو هو الرجل الذي اعدَّتهُ البتول لمساعدته في الرسالة البغدادية وانهُ لا يجوز ان يبقى ذلك النور تحت المكيال فاقنع الاب داميان بان يرافقهُ الى العراق ليخصّ نفسهُ بخدمة اهلهِ فيعالج الاجساد ويتوصل بها الى تقديس الارواح

*

قد رأيت كيف تحفَّى اهل بغداد بالمرسل الجديد اذ علموا انَّهُ طبيب قانوني وخريج كليَّة باريس فلم يسعهُ مذ ذاك الحين الَّا « البادري (الاب) الحكيم » وتضاعف فرحهم به اذ اعلن للجمهور انهُ مستعدّ ان يعود المرضى في بيوتهم ويستقبل الذين يطلبون خدمتهُ في الدير وكل ذلك مجانًا لوجه الله

ولم تكن تلك المواعيد كلامًا فارغًا فانَّ الاب داميان باشر بمهنتهِ في اوَّل اسبوع قدومهِ الى بغداد مستعينًا بترجمان في فحص المرضى لكنهُ جعل من وقتهِ يدرس العربيَّة تسهيلًا للمعاملات مع الجميع

عاش الاب داميان ثلاثين سنة في مدينة السلام كانت حياتهُ في مدَّتها متشابهةً متساويةً اوَّل ايامها كآخرهِ لم يباشر فيها من الاعمال ما يطنطن بهِ الناس وتستعظمهُ الالسنة فما كان خطيبًا مفوَّهًا او واعظًا بليغًا ولا كاتبًا مبرزًا وانَّما كان اشبه بزهرة البنفسج العطرة التي تنشر شذاها مختفية بين النبات او

بالحري كان اشبه باحد انهار العراق التي تجري بكل هدو وجلال فتخصب كل البقاع بسيرها او نقول انهُ كان كسيدهِ المسيح الذي اجتاز على الارض يُحسن الى الناس (اعمال ١٠ : ٣٨)

وعرف الاب قبل كل انهُ مرسل رسولي وانَّ غايتهُ بمجيئهِ الى العراق انما هي خلاص النفوس كبقيَّة اخوتهِ الَّا انَّ دعوتهُ ان يخدم الاجساد خصوصًا بينما يفرغ اخوتهُ وسعهم في خدمة الارواح بالوعظ والتبشير. ومن ثمَّ كان يخصّ باكورة نهارهِ للاعمال الروحيَّة فيزوّد نفسهِ بالفضائل التي يحتاج اليها في خدمة القريب كالصبر وطول الاناة وصفاء النيَّة ونظر الله في القريب

وكان يقسم نهارهُ ثلاثة اقسام: قسم يقضيهِ في مستوصف الدير ليعاين من يأتيهِ من ذوي العاهات ووصف الادوية التي توافق احوالهم. وقسم كان يقضيهِ في عيادة المرضى الملازمين لبيوتهم. وقسم في تلاوتهِ في الصلاة او في الدرس او التدريس

وكان للاب داميان همَّة في علاج المرضى لا تعرف الملل فكان مستعدًّا في اي ساعة طلبوهُ ليلًا او نهارًا ان يترك كل شيء حتى اكلهُ ونومهُ لتمريضهم وتلطيف اوجاعهم وربما سار في اليوم الواحد مرارًا الى اقاصي المدينة

وكان فضلًا عن همَّتهِ لا يراعي الاشخاص في خدمتهِ للمرضى سواء طلبهُ الفقراء او الاغنياء الصغار او الكبار بل كان يفضّل الفقراء المساكين لعلمهِ بانَّ ذوي الثروة يستطيعون ان يجدوا غيرهُ لمعالجتهم

وكذلك كان لا يفرق بين ذوي الاديان فيعود المسلمين واليهود كما يعود النصارى وكثيرًا ما كان يوقفهُ الناس في الطريق ليعرضوا عليهِ ادواءهم او يقودونهُ الى احياء من المدينة لا يعرفها فما كان يتردَّد في مرافقتهم مُنزلًا نفسهُ منزلة بولس الرسول فيجعلها كلًّا للكلّ ليربح الكلّ لله

وكانت همة الاب داميان تتضاعف في ايَّام العدوى حتى انهُ حينئذٍ كان يواصل الشغل الساعات الطوال فينسى راحتهُ ويعرّض بنفسهِ للمخاطر دون مراعاة لصحَّتهِ فكان الجميع ينسبون سلامتهُ الى عناية خاصة من الله

وكان مع هذا لا يهمل الاب داميان المطالعة ليعرف الاكتشافات الطبيَّة الجديدة فيستفيد منها للمرضى. بل كان يدرس الادوية المفردة التي يستعملها البلادة

في بعض الامراض على طريقة التقليد وراثةً ابًا عن جدّ فاذا رآها نافعةً وصفها للاهلين (١ وكان ايضاً لا يثق بنفسهِ مع علمهِ بل يحبّ ان يفاوض غيرهُ من الاطباء ويستشيرهم وقد شهدوا غير مرّة لبراعته واستندوا الى رأيهِ كالدكتور طولوزان (Dr Tholozan) كبير اطباء شاه العجم الذي زارهُ في بغداد وكان يكاتبهُ ويعتدّ برأيهِ لاسيما في الامراض المعدية كالطاعون والهواء الاصفر وقد ذكرهُ في كتبهِ باسمهِ العالميّ . وكذلك الدكتور بومان (Dr Bawman) طبيب قنصلية بريطانية العظمى الذي كان يكرّر على من يأتيهِ من المرضى انّ معالجات الاب داميان مبنيّة على علم وتروٍ فانهُ غير طبيب

وكانت ثقة الاب داميان بربّهِ اعظم منها بالادوية الطبيعيّة فكان يذهب الى المرضى وسبحة العذراء في يدهِ والصلاة على لسانهِ فاذا اعتاص عليهِ الداء التجأ الى رب الشفاء وربّما نال بذلك ما ينس من نوالهِ بالعلاج الطبيعي. وقد شهد بعض المرضى انّ صلاتهُ فعلت ما لم تفعلهُ الادوية حتى شاع في بغداد انّ الاب الحكيم يبرئ الاسقام بقداستهِ اكثر منه بادويتهِ. وكان في بعض الاحيان يمزج بالادوية بعض نقط من ماء سيدة لورد العجائبي او يحضّ المرضى على التماس شفاعة البتول الطاهرة او لبس ثوبها فيشفون اذا فعلوا

وكان اهتمام الاب داميان لا ينحصر بالاجساد بل كان يسعى طاقة جهدهِ ان يسعف النفوس ايضاً . فكان في كل زياراتهِ المتقومين يوجه نظرهم الى خالقهم فيعلمهم انّ في يدهِ الصحّة والمرض الشفاء والموت فيُنهض املهم ويرقي افكارهم ويلهمهم الصبر من اي دين كانوا. اما النصارى فكان يحثهم على تنقية ضميرهم وطلب الاسرار فكان لديهم طبيباً جسديًا وروحيًا معاً. والله وحده يعلم كم صالحَ من الخطأة مع ربّهم وكم صبغ من الاحداث بماء المعمودية. وكان مثالهُ الصالح يجتذب اليهِ كل القلوب حتى ان كثيرين من اهل بغداد وشبّانها اتخذوه كمرشد لحياتهم الروحية فاصبحوا قدوةً للجميع بسلوكهم المسيحي

١) وقد جرى في ذلك على مثال الاب الكرملتاني « انج دي سان جوزف » المرسل الكرملي في اصفهان في القرن السابع عشر الذي كان وصف الادوية الشائعة في العجم فطبع وصفهُ لها في باريس ١٦٨٠ تحت هذا العنوان : « Pharmacopea Persica »

ومما كان يذكرهُ اهل بغداد بالشكر والثناء تجرُّد الاب داميان ونزاهتهُ فانهُ ليس فقط لم يطلب جزاء عن تعبهِ بل كان يرفض ايَّ هديَّة كانت لا يريد بدلًا عن شغلهِ سوى مجد الله وخدمة البشرية ألَّا اذا كان احد المرضى الاغنياء يعطيهِ شيئاً للفقراء فكان يقبلهُ كوديعةٍ ولا يلبث ان يوزعهُ على المساكين

ومع وفرة اشغال الاب داميان في علاج اهل بغداد قد ادَّى للرسالة خدماً جليلة بصفة معلّم فكان يدرّس في مدرسة الآباء الكرمليتان الآداب الفرنسويَّة والرياضيَّات كمبادئ الجبر والهندسة وقد اخذ عنهُ عدَّة شبَّان معارفهم فيشكرون حتى اليوم فضلهُ جهارًا وينسبون اليهِ ما نالوهُ من الرتب

وكان الاب مغرماً بهذه العلوم الرياضيَّة ويحبُّ التعاطي بها في اوقات الفراغ فيحلّ مشاكلها العويصة. وقد ظهر فضلهُ في احدى السنين اذ وقع جدال بين اساتذة مدرسة بغداد العسكريَّة ومعلمي بقيَّة المدارس بخصوص مسألة جبريَّة فعرضوا المشكل على رجل الادب سليمان افندي البستاني احد اعضاء مجلس الاعيان حاضرًا ومعرّب الالياذة فاشار اليهم بمراجعة « الاب الحكيم » ففعلوا ولم يلبثوا ان اتَّفقوا جميعهم على حسن فضّهِ للمشكل بطريقة واضحة مستوفية

ومن آثار الاب داميان انهُ خطب غير مرَّة في مواضيع علميَّة في دائرة الشبان الكاثوليك المنشأة في بغداد وكان يختار لابحاثهِ الاكتشافات الحديثة فيدرسها درساً نعمًا ثم يعرض على العموم خلاصتها. فخطب في اكتشافات باستور والادواء الميكروبيَّة وعن اكتشافات الدكتور كوخ في السلّ . ودرس خصوصاً الموادّ السامّة لمعالجة الملسوعين من الحيات والعقارب والزنابير في بغداد

وقد ارسلهُ رؤساؤهُ الى البصرة والى عمارة والى الموصل لبعض حاجات الرسالة وترويح النفس من تراكم الاشغال فكان يقدّس اسفارهُ بمناجاة الله وخدمة المسقومين فيثني الجميع على قدوتهِ الصالحة وبرارة حياتهِ

وبقي الاب داميان سنين طويلة دون مستوصف يستقبل فيهِ الوافدين من المرضى الى ان سدَّ السيد التاجر هذا الخلل وفتح مستوصفاً في الدار الاسقفيَّة القديمة سنة ١٨٩٢ وعهد بتدبيرهِ للاب داميان وعيَّن راهبةً تساعدهُ في العمل فلقي في ذلك بعض الراحة. ثم اوصى احد الفرنسويين الاتقياء المسيو اشيل مورا .M^r A)

(Murat ترجمان قنصلية فرنسة قبل وفاته بان تجعل داره مستوصفاً لفقراء بغداد فجهزت هذه الدار تجهيزاً تاماً وأقفل المستوصف الاول فانتقل اليه الاب داميان

لكنهُ لم ينتفع منهُ زمناً طويلاً اذ رآه الله ثمرة جنيَّة تصلح للحديقة السماوية فابتلي في شهر نيسان من السنة ١٨٩٦ بداء الفالج وبقي لا يكاد يعي لحالهِ الى شهر تشرين الاول فمات ميتة الابرار بقبلة الرب في السادس منهُ . فما طار منعاه الى اهل المدينة حتى توارد الوف منهم لنظرهِ النظرة الاخيرة فكانوا يرددون عبارات الاسف على من غمرهم بفضلهِ وكان كثيرون يحملون على جسمهِ ادوات تقوية يتبركون بها . وحضر حفلة جنازتهِ جمٌّ غفير يتقدمهم قنصل روسية المتولي ادارة قنصلية فرنسة في غيبة صاحبها وكان لسان حالهم جميعاً يكرر آية النبي داود : انهُ لكريم في عيني الرب موت اصفيائهِ ولتمت نفسي ميتة الابرار

فهكذا قضى حياتهما هذان الراهبان الجليلان اللذان اسعدنا الحظ برؤيتهما في بغداد قبل وفاتهما بقليل فليقبلا منَّا هذه الاسطر كدليل على شكرنا وشكر كافة اهل مدينة السلام على فضلهما العميم اجزل الله ثوابهما في دار البقاء ومتَّع بلادنا بامثالهما

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثم ان الباشا لم يزل يصدر اوامر مكربة . من جملتها ان النصارى لا يلبسوا اخضر ولا زيتي وان الحريم يجعلوا اغطيتهم وملبوسهم اسود الى المشد والبابوج . وامسك جماعة فلاحين من الجبل وزحلة متزرين بحزام صوف اخضر يساوي خمسين فضة . فلما نظرهم الباشا تداخلهُ العجب والانذهال وصار يصفق بيديهِ ويقول : ما هذا الحال ويصير يستعفي من الامام عمر بمطاولة النصارى . ثم التفت اليهم وقال : ايش مذهبكم . قالوا : نصارى . فقال : كيف تلبسون اخضر وتتجاسرون على ذلك . فقالوا :

كذا يلبسون بالجبل . فقال: هذا لا يجوز . (154ر) يلزم انكم تُسلموا والّا اقتلكم. فمن الوهم اثنين منهم اسلموا. واما الثالث زحلاوي فما ارتضى يسلم فامر بقطع عنقه. فاحكى معهُ الخدام كثيراً وما رضي يفوت (يترك) دينهُ. وقُتل بوقتهِ والذين اسلموا فيما بعد هربوا لبلادهم ورجعوا نصارى

وصار الاسلام والنصارى في كرب شديد من هذه الاحوال حيث كل يوم يجدّ شيٌ جديد. اخيراً اتفق العلماء ان يكلموه عن الخلل الذي حاصل منهُ وانهُ منافي مذهب الاسلام ولا احد سبق اليهِ من الوزراء وان هذا لهُ غوائل واضرار ردية. وكلام نظير هذا. فتوجهوا اعنده وكلموه وبجهدٍ كلي حتى اقتنع منهم. واشاروا عليهِ بطرد الشيخ الكردي من عنده. فقبل كلامهم وطرد الشيخ واظهر لطف وعدل وغيَّر كلما كان معتمد عليهِ واطمأنت الناس وارتفع الشلش ومشي الذيب والغنم سوا. ولا احد تعدّى على احد. مسلم نصراني يهودي كل في حريتهِ وما عاد قبل وشاية من احد. وتغيرت الاحوال فصارت باحسن حال ولا سيما اهل القرايا رفع عنهم الحوادث والتعدّي. ودايماً يوصي على الصلاة والعبادة والمحبة ثم انهُ قطع خرج جملة عسكر

وبعد ايام تحرك لمحاربة مصطفى بربر بطرابلس الذي صدر منهُ مخالفة وعصيان واقتضى يتوجه بنفسه بعساكر ومهمات. وحارب اولاً النصيرية وطيّعهم (واخضعهم) من بعد محاربة شهرين ونهب بعض قراهم. وبواسطة مشايخ بلاد عكار تركهم. وان قائدهم صخر يحضر يواجههُ وهذا كان هارباً. ثم قام الباشا لطرابلس وحاصر القلعة اياماً طويلة واخيراً بواسطة سليمان باشا والي عكا الذي اخرج مصطفى بربر من القلعة بالامان واخذهُ لعكا وسلّم القلعة ليوسف باشا ورجع للشام منصوراً

وبعده تحرك لضبط سوامات البقاع الذي واضع يده عليهم الامير بشير وابن جنبلاط وهي محلات متسعة ومداخيلها وافرة . ولو انهم يدفعوا المال المرتب عليهم لاربابهم. غير انهُ حاصل قهر وفرق زائد عن حال القديم والمذكورين ضابطين هذه الماتكانات (154ر) (الاملاك) قوةً واقتداراً. فصار الباشا يناكدهم (يعارضهم) ويريد يستخلص ذلك من يدهم او يصير طريقة عادلة. فالمذكورين ما ارتضوا بشي. واعرضوا الى سليمان باشا. والمذكور توسط بينهم وبين الباشا . ولكن المذكور

ما كان يسمع له وما يعمل الّا الذي يريده . وطال هذا الشرّ بينهم وصار شلش وخوف في قرايا البقاع . حتي ان بتلك السنة ما صار زراعة بكل البقاع لان الامير نبّه ان لا احد يزرع وكان الباشا اعتمد يرسل عسكر لرحلة ويحرقها ومن الخوف عُزلت تماماً وما بقي غير نقالة العدّة برأي الامير بشير . وهذه المدّة صار ضرر كبير ليوسف باشا لان سليمان باشا اعرض للدولة عن بغي المذكور وتعديه وهو من بخله وحوسته (واغتصابه) اموال الميري نحو ثلاثة سنين ما يرسل للدولة الّا شيئاً زهيداً ودائماً يدّعي انهُ عمّال يصرف اموال غزيرة لشان تعدي الوهابي على العساكر والمهمات والامر كان خلاف (ذلك) . وبالنتيجة ان الدولة تغيرت عليه وسمعوا كلام سليمان باشا وصدر الامر بعزله من ولاية الشام وولجوا سليمان باشا في طرده وربّما في اعدامه وهو يكون والياً عوضه . وهكذا عَجز تدبيره كان سبب لتدميره

وفي ابتداء سنة الف ومايتين وخمسة وعشرون (١٨١٠م) شاع الخبر ان سليمان باشا قام الى طبريا وطلب الامير بشير و (الشيخ) جنبلاط واظهر لهم المشروع . وتصدر الامير والشيخ انهم يقدموا من الجبل عسكر وافر وابتدأ يجمع العسكر من طبريا . ويوسف باشا بوقته كان في اراضي حوران لطرد الوهابي الذي كان يسطو ويغزي في بعض قرايا . فعلى حين غفلة شاع وصول سليمان باشا وامراء ومشايخ الجبل مع عساكر كثيرة عسآي (عثمانيّة) وجبليّة الى قرية قطنا . فلما فهم اهل الشام ان المادة ثقيلة انوهموا (خافوا) جدّاً وارسلوا علم للباشا . فحضر حالاً للشام وبالحال قتل مقدمهُ شمشان اغا . يقولوا انهُ جاء له كتابة من سليمان باشا

ثم ان الباشا استعدّ لمحاربة سليمان باشا و (اعلن) ان حضورهُ تعدي منهُ ليس بامر الدولة . وصار يرسل (155") ذخائر والآت حرب للقلعة . وكان بوقته اغا القلعة سقا احمد ودخل الخوف بقلوب الناس من هذا القبيل وعزّل الميدان واغلب الاسواق . والاعيان انوهموا من هذه الاحوال لان الباشا يقول انني ارسلت إعراض للدولة ومنتظر الجواب . واقتضى انهُ صار ديوان بالسر واجتمع الاعيان واتفقوا على ارسال الشيخ خليل لكونه رجل عالم وفصيح اللسان . فتوجه لقطنا لعند سليمان باشا يعلمهُ عن لسان الجمهور بان يتوقّى (يمتنع عن) الحضور للشام لحينما تحضر جوابات الكتابة من الدولة ليوسف باشا . وانهُ اذا صار عجلة فيحدث خراب كبير حيث انّ الباشا ماسك القلعة وملأها ذخائر

ومهمات للحرب. فلما وصل الشيخ خليل تكلم بهذا الكلام فكان الجواب من سليمان باشا ان هذا الرجاء لا يتمّ ولا انتظر جواب ولا غيره. لان معي اوامر سلطانيّة يقتضي اتمامها. وكان مليح ان يوسف باشا يقدم الطاعة ويرسخ (يرضخ) للاوامر. ثم ان الحواشي مثل مصطفى برير وكنج احمد ومحمد اغا ابو نبوت كلموا الشيخ خليل بكلام عالي وازدراء وانهُ معهُ مهلة ثلاثة ايام. فان بقي بالشام فنهجم على البلد بالسيف. فحضر الشيخ واخبر بما سمع. فتخلق الباشا جدًا وصار يشتم ويلعن وعزم على المحاربة وارسل عسكر ومدافع الى سهل المزّة وطلع بنفسهِ في تسعة عشر تموز يوم الثلثا ومشي على اوردي سليمان باشا. فلاقاه جانب عسكر خيّالة وحصلت المكافحة بين العسكرين ووقع جانب (بعض) قتلى عسلي ودروز وبعض من عسكر يوسف باشا ولّوا راجعين. القول انهُ حصل خيانة والقوم يرجع يوسف باشا للشام من دون انتصار ولا خذل. ولكن الملحوظ ان الوجه لهُ (انهُ كان انتصر) لو ثبت عسكرهُ . لان الدروز ظهر لهم اشارة خوف وفزع وكانوا ميقنين (موقنين) بالهلاك. وبالصدفة حين هذا القتال حصل هواء شديد واغبار واهوال (الامر) الذي اوجب ارتداد الجهتين عن بعضهم

فلما رجع الباشا للشام اعتمد على الحصار وتشديد الحرب. وكان قبلًا حرر للّا (155ᵃ) اسمعيل لحماة بان يحضر بعساكر وافرة لمساعدتهِ وكان متأمل الباشا من هذا الوجه يبلغ اربهُ . فنهار الاربعاء في عشرين تموز جاء الجواب من ملا اسمعيل للباشا وبهِ يوهم عليهِ ويتعذّر عن حضورهِ: اوّلًا لا يمكنهُ يظهر عصاوة للدولة. ثانيًا يلخص للباشا انك انت ايضًا لا تظهر على نفسك هذا القبيح. والشور (والراي) الحسن يكون التسليم وتبطل المشروع الساعي فيه. والقول ان ملا اسمعيل ارسل الى قواد العساكر سرًا بان يتركوا ويرفضوا شروع يوسف باشا

فلما فهم الباشا موارية ملّا اسماعيل وانحرافهُ عنهُ تداخلهُ الخوف جدًا وخشي الهلاك. فعزم على الرحيل من الشام وحزّم الخزنة صناديق وافراد. قيل انهُ بلغ الذهب اثني عشر صندوقًا والبياض عشرة احمال وارسل شيئًا مع زينيل اغا وشيئًا مع سليم بيك مماوكه. فبلغ القواد ذلك فحاشوا (امسكوا) الباشا وهو طالع من باب الهواء. حاشهُ اغا الارناووط. وغيره مسك سليم بيك وطلبوا من الباشا بخشيش

او يرطيل حتى يتركوه يخرج . فالباشا تحسب من كلام اغا الارناووط الذي قال لهُ : انني ان سلمتك الى سليمان باشا احصل منهُ على انعام وافرة . فكان جواب الباشا : انني حاسبت كلًّا منكم فاذا كنتم تريدون شيئاً اخر فالمال قدامكم خذوا منهُ ما تريدون . فبالحال قطعوا الحبال فانفرط المال (وبينما) هم مشغولين في لهِ كان الباشا نفذ من السرايا والعسكر مع بعض من اهل الشام اخذوا الذي قدروا عليهِ والبعض رموا الصرّ في البحرة بالسرايا والبعض طمروه بالارض . وكل ذلك من خوف الناس من بعضها والامر وقع ليلًا . وحصل مزاحمة مهولة ولكن السبب هو كافي ويجوج الناس تقتل بعضها . وجملة اناس سعدوا من هذه النهبة

فثاني يوم شاع الخبر بذهاب الباشا من البلد مع تابعيهِ وراح الخبر الى سليمان باشا . والى حصة (وقت) العصر حتى نفذ علم منهُ (156') بقيام متسلم . وحضر بعسكرهِ الى قريب بوّابة الله استقام يومين وطلعت لعنده اعيان البلد قاطبة سلّموا عليهِ . ثم طلب القلعة فما رضي سقا احمد يسلمها . حتى انهُ ما ارتضى يواجه الباشا

وبهذه اليومين نزلت الدروز للبلد بالسلاح ومنهم راكبين الخيل امارا (امراء) ومشايخ وعوام . و (صاروا) دايرين بالبلد اجواق اجواق . وقصدوا يدخلوا الجوامع إتفرجوا . فالاسلام اشأزوا منهم ومنعوهم من الدخول للجامع الكبير وسكّروا الخانات وصاروا يكبّروا ويهلّلوا على هذه النادرة الواقعة لاسيما حينما سمعوا من الدروز انهم ملكوا الشام بسيفهم وطردوا يوسف باشا وهلم جرًّا

ويوم السبت في ثلاثة وعشرين تموز دخل الباشا بموكب عظيم . اول آلاي كان عسكر دروز وقايدهم الامير بشير ابن قاسم شهاب واخرهُ بشير جنبلاط وجماعتهُ . نزلوا بالمرجة مع الامير بشير حاكم الجبل . واما الباشا فدخل السرايا وبعد يومين حضر حاييم الصراف

﴿ تولي سليمان باشا ﴾ ثاني يوم من دخولهِ صار الديوان واشتهرت الاوامر السلطانيّة بولايتهِ وصدر مناداة بالبلد « أمن وامان » وراقت الاحوال . اما الباشا انشغل فكرهُ من عصاوة سقا احمد وارسل لهُ وسائل بالاطاعة . وهو لا يرتضي بل يقول لا أسلم القلعة بل (الّا) للذي سلمني اياها يعني عن يوسف باشا . وهكذا مضى ايام كثيرة والامور واقفة بينهما حتى ان اهل البلد من بغضهم بالدروز كانوا يرغبون

فتنة تصير بالبلد بواسطة القلعة . ولكن بعد ايام خرج سقا احمد وتوجّه للخارج . واستلم القلعة الباشا وجعل فيها آغا عبد العزيز من الصالحية ولكن لا يجعل اقامتهُ داخل القلعة بل خارجها على التخت يتعاطى شغلهُ

ثم ان يوسف باشا راح للاذقية وتحقق انحراف الدولة عليهِ . فمن الوهم نزل في مركب وتوجه لمصر محتمياً عند محمد علي باشا الذي قبلهُ بكل اكرام وكتب بشانهِ للدولة وجاب لهُ العفو والرضى وبقي في مصر كم سنة ومات . ثم ورد قبوجي من الدولة بضبط مالهِ بالشام . فالذي (156) وجد بعد المنهوب نحو ثمانية الاف كيس من صافي صابون وبعض اشيا كان يتعاطاها

ثم بهذه السنة جرى ثلاثة اشياء حصل منها مخاسر للناس : اولها المناداة على المعاملة بنقص ثمانية غروش في الماية . ثم بتوطيد حادثة الحرير الذي كان جاء امر بها قبلًا وبطلت فالان ثبتت بامر الوزير وذلك على الرطل غرشين ونصف ثم يَتق (منع) على الحنطة لا يحضَر من حوران للشام حتى يخلص مطلوب عكا . حتى ان الباشا اشترى قمح بمال الميري وكان الموسم حالهُ متوسط واشترت الغلال بهذه السنة وانباعت الغرارة بماية وستون غرش ونصفها تراب . وعزّ وجود القمح طول السنة . وفي اخرها انباع المدّ بثلاثة غروش والسنة الثانية كذلك وحصل للناس غاية الضرر

ومن الحوادث في ايامهِ انهُ مات نصراني ميداني فقبروه في مغارة بساحة مار جرجس . فثاني يوم باكرًا جاءت امهُ تبكي على قبرهِ فوجدت باب المغارة مفتوحاً فنزلت الى داخله فوجدت ابنها عريان كليًا فاشتدّ حزنها وحالًا توجهت للسرايا وعرضت الامر للباشا . فطلب المذكور ناطور التلّ من الشاغور (وهو) مسلم ولهُ اجرة يأخذها من النصارى كل سنة . فسألهُ الباشا كيف يصير هذا وانت ناطور تحت علوفة (اجرة) فامر عليهِ بالضرب . فطلب الامان واعرض انهُ موجود اناس بالشاغور يعتادوا على تشليح الموتى وغيره ولا يمكني امنعهم حتى ولا اقدر اشتكي عليهم خوفاً من ضررهم لانهم جماعة جسورين اردياء وانهمهُ اساميهم ومحلّ بيتهم . فحالًا ارسل التفكجي باشي ومسك الاثنين وجاء بهم للسرايا . فسالهم الباشا فنكروا . فامر عليهم بالضرب وعذبهم كثيرًا ولم يقروا بشي . . ففكر الباشا يحضر امهم كونها تعرف سرائرهم . فسالها فصارت تعتذر وليس تعلم بشي . . وبوقتهِ كانوا عمّالين يعذبون اولادها فانوهمت

واقرّت ان حوايج الموتى في مكان بالبيت مستتر. فارسل معها تفكجي باشي فأرتهم المكان وهو تحت الارض. فنزلوا اليهِ ووجدوا ملبوس اشكال. فحزموها وجابوها للسرايا وسلمها الباشا الى عبد العزيز اغا (157r) القلعة وامرهُ ينبه على النصارى كل من لهُ شيء يأخذهُ بعد تأكيده. فما احد طلب شيئاً غير امّ الميداني اخذت قنباز ابنها والباقي ولبستهم لابنها والاغا بعد حين باع الحوايج وتصرف في ثمنهم والباشا امات النفرين المذنبين بالشنق ومضى امرهم

واستقام الباشا حاكماً بالشام وعزل في ابتداء سنة سبعة وعشرين ومايتين والف (١٨١٢ م) وجاء المنصب الى سليمان باشا سلحدار السلطان وهو مقيم في اسلامبول واصلهُ من حماة. وارسل الى سليمان باشا والي عكا وكالة الى حين حضوره. والمذكور ارسل الى علي اغا البغدادي الذي كان متسلماً يبقى كما هو. وهذا كان في صور متسلماً وصاحب تدبير ونبيهاً. فارسلهُ للشام واقامهُ متسلماً ويناظر على القلعة ايضاً الذي كان وضع فيها عبد العزيز وبعده باكير آغا الغربي والآن عزل المذكور وتوكل مكانهُ. وسجن درويش اغا بالقلعة اياماً ولم يكن يدفع المال المطلوب منهُ ومدّعي الافلاس وبعد مدة انطلب لطرابلس فسجنوهُ هناك. وبعد ايام اخذوهُ لصيدا تحت الترسيم

ثم ان باكير اغا توجه لعكا شاكياً على علي آغا وايضاً على حاييم اليهودي بسبب عزلتهِ من القلعة والشكاوة الى علي باشا ابو عبدالله باشا. وكان يطعن في حاييم مع علي باشا الذي هو صديقاً الى حاييم. وهذا باكير اغا كان شرس الطبع وكلامهُ كثيف (فظ). فلما سمع حاييم مذمتهُ فيهِ لعلي باشا التزم ان يتملق باكير اغا ويكرمهُ في مال ويوعدهُ انهُ سيرجعهُ الى القلعة. وبهذا الامل حضر من عكا للشام واستقام في بيتهِ

وبعد ايام جاء لعنده رجل لهُ عندهُ حساب فطالبهُ وكرّ عليهِ ذلك. فانحنق منهُ باكير وقام اليهِ وسحب عليهِ الخنجر فراح الرجل واشتكى الى علي اغا فاحضرهُ وشتمهُ وحبسهُ بالقلعة. فبعدهُ ارسل القاضي الى الاغا بان يطلقهُ من السجن بعد ايام بوكالة سليمان باشا. ثم في ستة عشر نيسان حضر امر الى علي اغا يقبض على باكير اغا ويخنقهُ حالاً. وتمّ ذلك ثمّ رموه خارج القلعة

ثم صدر نكتة في تولي علي اغا . وهو ان حرمة دلّالة ردّية (كانت) تسعى في فضح بنات الناس (157ᵃ) بوسيلة الغرش . فخادعت بيتاً مستوراً واخذت ابنتهم لعندها للبيت وكان رجل يريدها فكمن في بيت هـذه الشقية وسلمتهُ البنت وفضحها . واشتكوا اهلها الى علي آغا وبالحال طلب الرجل والامرأة . فالرجل هرب والامرأة حاشوها (القوا القبض عليها) وثاني يوم اماتهـا بالشنق في شجرة بميدان السرايا . وما هان ذلك على القاضي وتلاوم على الاغا وانهُ مرة ثانية لا يفعل ذلك

﴿ تولي سليمان السلحدار ﴾ فحضر الباشا المذكور للشام في تسعة وعشرين حزيران ودخل بموكب عظيم في ربيع الآخر الف ومايتين وسبعة وعشرين (١٨١٢م) وحصل للمتسلم عبدالله آغا قبول واكرام دون غيرهِ وكان ملازماً الباشـا بكافة الامور . وبذلك حصلت الناس براحة بال حيث قبلاً كانوا موهومين من حوادث تحصل لاسيما حين شاع الطلب والثقة التي حصلت على اهالي حماة وفوق ذلك من الخدمة التي تُطلب شيء زايد الحدّ . قيل انهُ في قرية القطيفة صار دعوى على كرم يساوي خمسمائة غرش مـا بين الفلاحين انتهى على يد الكيخيا فامر في خدمة وافرة (دفع مال وافر) وهذا مما جعل الوهم يدخل على الناس

ثم بعد وصول الباشا باربع ساعات طلب رجلاً حمصياً تاجراً يقال لهُ عثمان محرم وهو من اعيان حمص جاء للشام في شغل وعمل . البايز (يظهر انهُ كان) لهُ اضداد في حمص وبالاخص متسلم حمص مبلغين عنهُ امور ردّية . فحال مواجهته الباشا صدر الامر بقتلهِ فترجى فيهِ علي اغا المتسلم وبجهد حتى عفا عن دمهِ وامر عليهِ بالسجن في القلعة . فاضطربت الناس من ذلك وبعض التجار تواروا عن اعين الناس . وبعد ايام ارتفع دعاوي كثيرة وكان الخدمة (المال المدفوع) تطلع للقواصه مبلغ لا يطاق . وكان علي اغـا يراجع الكتخداه ويلطف الطلب وكلما يريدهُ المتسلم يصير . ثم ان الباشا خلع على المذكور خلعة فاخرة وجعلهُ قيمقاماً بوجودهِ . وهذه ضدّ العوايد . وكان بالنهار ملازماً السرايا وبالعشية يبات (يبيت) بالقلعة . واخذ عيالهُ للقلعـة واحضر اخاه من بغداد وكان مقيماً (158ᵃ) بالقلعة

وفي اثني عشر تموز حصل مزاعلة بينهُ وبين الباشا بقصد منهُ . لانهُ اشار عليهِ ان يطرد سقا احمـد من خدمتهِ الذي كان جابهُ معهُ من حماة ولبسهُ تفكجي باشي

واوعدهُ انهُ سينفيهِ بعد ايام . فصار علي اغـا يكرر القول . فنفر منهُ الباشا واظهر الغيظ من هذه اللجاجة وهي من نوع المطاولة . فقـام الاغا وتوجه للقلعة بجرد (بغضب) فسمت الناس بذلك فدخل عندهم الخوف وابتدأ العزيل بسوق الاروام . فطلب الباشا الاغا فامتنع وقال انهُ متشوش وشارب دواء فتزايد الخوف على الناس واقتضى ان الباشا حينما نظر وهم الناس اشهر مناداةً بالأمن والامان . وكل من سكَّر دكانتهُ يرتّب جزاه . ثم عيَّن عنـدهُ آظن علي دالي باش وارسلهُ للقلعة يحكي مع علي اغـا بانهُ يحضر لعنده يلبس خلعة رضى ويرجع للقلعة بكل امان . وبذلك يرتفع عن الناس الاشتباه . وعلى كل حال ما فيهِ سبب لهـذا الانشـال (القلق) . فكلمهُ كثيرًا وهو لا يسمع . وجوابهُ انني انا آغاقول بموجب امر سلطاني وملتزم وظيفتي لا ارغب خدمة الوزرا . ولا اريـد اقارش شيئاً ولا يمكن اطلع من القلعـة كليًا . فرجع آظن علي واخبر الباشا بما سمع . فثاني يوم تحسبت (خافت) الناس وعزل اسواق كثيرة القريبين للقلعة والسرايا . وقيـل ان علي اغا ارسل تحت الدس (خفية) ينبـه على الناس يعزلوا وخوّفهم جدًا . فلمَّا نظر الباشا خراب البلد ارسل للقاضي بان يرسـل احدًا من قبلهِ للآغا يكلمهُ (كي) يطفي النيران القايدة (المتقدة) ويعمل لهذا الحال آخر . فتوجه نائب القاضي للقلعة وتكلَّم مع الآغا كثيرًا وحسَّن لهُ الاطاعة فما صـار افادة بل الاغا ازداد حنقاً وقال للنايب : ان كان الملايكة تجي من السما تطلب القلعة فلا يمكني ان اسلمها . وانحنق كثيرًا وصار يقول : ما انا بشان الوزير (مرتبط بخدمته) ولا بعازة امانهِ . واغلظ في القول جدًا

فرجع نايب القاضي خايباً والبلد ضايجة والخوف يزداد . فما احتـل الباشا هـذا الحال واعتمد بمحاصرة القلعـة وعيَّن عساكر كثيرة نيف عن ثلاثة الاف وشرعوا بالحصار (158ᵛ) وركَّبوا المدافع داير القلعة واشتغل الضرب ناحية البرج . وعلي اغا سكر باب القلعة حالًا وعندهُ ماية وثمانون نفر جميعهم بعدّة (١ وكان ادخل ذخيرة للقلعة على المشاع (اشيع انها) تكفيهِ لسنتين . ثم ابتدأ يضرب مدافع عشية الجمعة تاسع عشر تموز والعساكر ملازمة القلعة على الداير وضرب الرصاص من كل ناحية ومن

١) من بغداد

المواذن (المآذن) القريبة القلعة حتى يمنعوا طلوع العسكر الجواني الماهر القلعة . ودام ضرب المدافع والحصار الشديد نهار السبت والاحد ليلاً ونهاراً بغير فتور . واما بالليل (فكان) يقف الحرب نوعاً . اما ليلة الاثنين فصار الضرب متصل لبعد نصف الليل . ومن القلعة اوّل يوم انضرب مدافع قليلة وانما ضرب الرصاص كثير . وقُتل اناس قليل من خارج القلعة واحترق بعض اماكن ناحية الناظيه

ففي صبحة (صباح) الاثنين قرَّ الرأي بحفر لغم في اساس القلعة حيث ان المدافع ما صار منها نتيجة يرجى منها الفرج وانما تهشم حيط البرج ووقع كم حجر من شرافات القلعة . فابتدوا بحفر اللغم وسخروا الناس في ردم الخندق . ومع ذلك ضربُ المدافع متصل والرصاص ايضاً من المواذن خصوصاً حيث انهم يكشفوا على سطوح القلعة . ومع وجود هذه الفرغه (الضجة) كلها ما احد انتبه من الذين داخل القلعة ولا عندهم خبر حفر اللغم ولا ردم الخندق . فقوي عزم الباشا وامر باحضار سلالم ينصبوها على حيط القلعة . كل هذا والذين داخل القلعة ما عندهم خبر شي . . فقام الكتخداء وكلم العسكر بطاوعهم على السلالم وكل من طلع اوّلاً يأخذ البخشيش . فتقدَّم عسكري ارنوطي او مغربي فطلب خمسمائة غرش فارضاه بثلاثمائة غرش . فاخذها وطلع الى السلم ووصل الى اعلاه سحب سيفهُ خشبة من احد يكون كامناً له وصار يتشجع ويعلو رويداً رويداً الى انهُ صار على سطوح القلعة . فنظر ميتة ميسرة ما وجد احداً يخشاه . فاعطى اشارة للعسكر فساروا يتسابقوا بالطلوع على السلالم الى ان صار كمّية وافرة . وهذا الحال كان من غرائب الاتفاق فكل من نظرهم من عسكر البغادة (159r) يجمد دمهُ . وقتلوا منهم خمسة انفار وارموا رؤوسهم من اعلى السور ثم اشتغلوا بالنهب . وكانت ساعة مهولة وعسكر القلعة صاروا مثل الطيور بالشبكة وصار العسكر يعرونهم ويتركونهم . ومنهم (مَن) هربوا من الخوف الذي داهمهم الى سياقات المالح (اي مصرف المياه والاقذار) التي تحت الارض ومنهم من بقي يومين وثلاثة ايام . وربما مات منهم بهذا الحال . والعساكر لم يزالوا يتزاحمون على الطلوع للقلعة

وبعد ساعتين طلع آظن علي دالي باش على السلم ليمسك الاغا ويحضرهُ للباشا الذي (اي الاغا) كان شلحوهُ العسكر من غير ما يعرفوه وبعدهُ تخبي خلف باب

القلعة. فلمَّا وصلوا اليهِ ارادوا مسكهُ فكان معهُ فرد طبنجا فقصد يقتل نفسهُ. فمنعوهُ وحسنوا لهُ التسليم وربما يصير لهُ عفو. فما اركن حتى سمحوا لهُ في ألبق (او قلبق) دالاتي يلبسهُ وهو طلب منهم ذلك. فسكوه وجاووا بهِ الى طرف سور القلعة. وقبل ما ينظرهُ عسكر الدالاتيه من تحت السور رموا القلبق عن راسهِ. لان اذا نظروه العسكر محتمياً في وجاقهم (في فرقتهم) فما يدعوهُ يقتل. ثم نزلوه الى السلالم حافياً بطاق القميص مكشوف الراس بحال يرثى اليهِ. والناس تقاطرت افواجاً ليتفرجوا عليهِ

فلمَّا وصل القاعة البرانيَّة وكان الباشا جالساً وبجانبهِ شيء من السلاح فحين نظر الباشا وقع على الارض وما امكنهُ الوقوف. فكلمهُ الباشا: ايش هذا العمل الذي عملتهُ. فكان جوابهُ: انهُ ما هو مني. فانحمق الباشا منهُ وقام ناهضاً وظنَّ الواقفون انهُ يريد قتلهُ. ثم قعد وقال لهُ: تقول انهُ ما هو منك فاذاً من مين (ممَّن). فقال: من سليمان باشا وهو الزمني. فسكت وامر (ان) ياخذوهُ الى الخزنة وسجنوهُ في اوضة الخزندار. ثم مسكوا اخو علي باشا والخزندار وسجنوهم. ومسكوا بعض البغادة الذين بالقلعة منهم حبسوهم ومنهم اطلقوهم. واشتغل العسكر بنهب القلعة يوم وليلة حتى ما بقي شيئاً يساوي عشرة فضة حتى نهبوا المغرفة والدست المختص بالوجاق وبعض برك الحاج واشياء قديمة من تروسة (159*) وغير اشيا مخزونة من زمان وما صار نهب ردي هكذا من سنين عديدة

وثاني يوم نهار الثلاثا امر الباشا بفتح باب القلعة وجعل بها بعض عسكر محافظين ومضى امرها

امَّا ما كان من امر الاغا فعشيَّة الاثنين دخل لعندهِ الكتخداه وصار يوانسهُ بالكلام ويعاتبهُ على ما وقع منهُ. وامتدَّ الخطاب حصة (مدَّة) طويلة. وانَّما الاغا كان حصل خلل في عقلهِ ودايماً يتنهد ويتندَّم ويطلب الامان. فالكيخيه حين نظرهُ مرتعشاً تركهُ وامر خادم يطعمهُ ويسقيهِ. وجابوا له شال ابيض وجوخه وهو لا يريد ان يلبس ولا ياكل ولا يشرب. وصار الخادم يوانسه بكلما كان ممكن. وهو ما طال (لم يزل) يصفق بيديهِ ويقول: ايش جرى ايش صار. وفي الصباح غلساً دخل لعنده الكتخداه وسكر الباب وصار يقررهُ عن شيء خفي. فاستقام حصة طويلة ثم طلع

لعند الباشا وافهمه ما كان. فبعد الشمس بثلاث ساعات صار الديوان واحضروا علي اغا. فوبخه الباشا عن طعنهِ في استاذهِ ولنه ابداً ما الزمه يعمل ما عمله وانما هذه سندات (احتجاجات) منهُ ومطاولة (وتطاول) في حقّ الوزراء. وحينئذٍ امر بقتله وخنقوهُ بالعتبة ثم عروهُ كلياً ورموهُ في باب السرايا بغاية الاحتقار وحصل عليهِ الاسف من الخاصّ والعامّ. ولكن ما احد ترحّم عليهِ بما (بسبب ما) عمل بنفسهِ لانهُ هو افترا على نفسهِ. وكان يقدر على نتاجهِ (خلاصهِ) من هذا القطوع (التهلكة) ولو كان الذي فعلهُ من غيرهِ كما قال. ولكن المقدور ما منهُ مهروب. مع انهُ كان فريد الاوصاف وعقلهُ زكي وفهيم وكانت الناس راضية منهُ في مدّة ولايتهِ ويميل للنصارى وعندهُ معروف ورقّة. وانما كان بخيل وهذا من مزايا البغادة (الذين من) جنسهِ. ويكون هذا ابن اخو احمد اغا المشهور الذي كان اغاقول في الشام في زمان الجزار وهرب لبغداد واخيراً مات قتلاً حين توفي سليمان باشا والي بغداد وابن اخيه هذا استقام خادماً عند والي صيدا وعملهُ متسلماً (160) في صور فبعدهُ في هذه السنة ارسلهُ للشام وقضى نحبهُ نظير عمهِ. ثم ان اخاهُ شفع فيهِ آظن علي واخذهُ لعنده

اما الخزندار فصدر الامر بقطع عنقهِ فلمّا وقع بيد الجلاد طلب مواجهة الوزير واختلى بهِ ساعة زمان. وبعده سجنوهُ اياماً ثم اطلقوه. قيل انهُ استقرّ (اقرّ) في مال مدفون بالقلعة يخصّ علي اغا. وقيل غير ذلك (لهُ بقيّة)

النحل

نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمّة)

٣ ذكر النحل

بعد ان افضنا الكلام في النحلة العاملة فلنصفنّ الذكر. وما يقال عنهُ بالاجمال انّ مرتبتهُ في خلية النحل دون مرتبة الاناث. فكأنّ هذه المستعمرة التي قوامها بالشغل لا ترضى بتسويد الذكور والذكور لا يأتون عملاً نافعاً سوي تلقيح الملكة فتراهم ليل نهار مخلدين الى الراحة مستسلمين للكسل فالعاملات من النحل اللواتي هنّ خناثى او

بالحري اناثاً عقيمات لا يصبرن على الذكور الّا اذا أمّلن منهم منفعةً فاذا رأينَ انّهم لم يعودوا يصلحون للتناسل حملن عليهم وطردنهم من الخلية فيموتون جوعاً

ولا تظنّنَّ مع هذا انَّ الحكم هو للملكة فقد بيّنّا في الفصل السابق انَّ حياة الملكة نفسها منوطة بالعاملات. والاحرى ان يقال انَّ المستعمرة النحليّة على هيئة جمهوريّة من الاشتراكيين فالحكم فيها للعملة الذين يسعون في الخير العام على حدّ سواء دون مراعاة الرتب والمقام

ويُعرف الذكر بمجرَّد النظر اليهِ فانهُ اكبر جسماً من النحلة العاملة واغلظ بنيةً كما انَّ رأسهُ اكبر من رأسها تكاد عيناه الجاحظتان تشغلانهِ. فاذا طار سُمع لهُ طنين مرنّ يخيف من يجهل انَّهُ لا ابرة لهُ وانَّ لا بأس من اصطيادهِ. بخلاف الاناث العاملات فانَّ لهنَّ حمةً سامّة لاذعة يتهدَّدن بها كل من يناوئ الخلية او يقصدهنَّ باذًى. اما الملكة فلها ايضاً حمة لكنها لا تستخدم هذا السلاح الّا لمحاربة ملكة اخرى مثلها تقصد خلعها

واذا دخل الربيع وهو الوقت المناسب لانفصال خشارم النحل ترى العاملات يصطنعنَ في اقراص العسل بيوتاً من الشمع مسدَّسة اوسع من النخاريب العاديّة. فهذه البيوت انَّما هي لتربية الذكور المعدَّة للخشارم الموشكة على المهاجرة. واذا قامت الملكة لتلقي بزرها في تلك المسدَّسات جعلت بزرة نحلة انثى في البيوت الصغيرة وبزرة ذكر في الواسعة لا تكاد تخطئ في وضعها

وان سألت كيف استطاعت الملكة ان تُفرز بين بيض الذكور والاناث وهي تنسل في اليوم الوفاً من البيض أوّلها تدري بانَّ البيت الواسع هو للذكور وما سواه للاناث ؟ وان علمتْ بذلك أفليس فعلها صنفاً من الفهم والادراك ؟

كلّا لا فهم للمعروب او ملكة النحل كما لغيرها من الحيوان الاعجم. امّا تعليل فعلها المذكور فقد بيّنهُ بعض العلماء والمدققين الذين انعموا النظر في الامر فقالوا: انَّ ملكة النحل بل كل الاناث العاملات يمكنهنَّ في بعض الاحيان ان يلقين بزرًا وبيضهنَّ هذا كلهُ من جنس واحد فاذا لم تأبرهُ الامّ وتصلحهُ بعد افرازهِ انتج دائمًا ذكورًا واذا أبّرتهُ صار نحلة انثى او عاملة. وعليهِ فاذا مرّت الملكة بنخروب ضيّق دفعتها غريزتها الى حضانة خاصّة لتنتج تلك البزرة نحلة عاملة. امّا النخاريب

الواسعة فتلقي فيها بزرها دون ذلك الاصلاح فيأتي بذكور . هذا ما ارتآه هؤلاء العلماء لشرح هذا الامر الغريب وشرحهم لا يخلو من الرجاحة وان لم يكن مقرَّرًا راهنًا

واذا وُضعت بيض الذكور في بيوت الشمع المعدَّة لها قامت النحل العاملات بامرها فيأتينها بالطعام الموافق ويصلحنها كما يفعلنَ بدود العاملات واذا مرَّ على الذكر ٢٤ يوماً بعد تسرنة الامّ اي بزيادة ثلاثة أيام على الاناث فتح المولود غشاء الشمع الذي يغطيهِ وخرج ذباباً تامّ الخلقة . وليس من كيان الذكور منفعة الّا ان يلقحوا ملكات الخشارم الجديدة وهذا اللقاح يقوم بهِ ذكرٌ واحد ويكفي لطول حياة الملكة وعليهِ لا حاجة الى ذكور كثيرة في خليَّة واحدة

وربما كثر عدد الذكور في القفير الّا انَّ في هذه الكثرة ضررًا لجماعة النحل لانَّ الذكر كما سبق القول لا يألف الشغل في داخل القفير او في خارجهِ فيقضي حياتهُ فارغًا باطلًا ويعيش متطفِّلًا على نفقة العاملات فيأكل كثيرًا ممَّا يُعددنهُ من العسل . واذا حمي النهار يخرج هؤلاء الذكور من القفير طلباً للراحة والنزهة ولا يعودون اليهِ الّا مساء ليصرفوا ليلهم اكلًا وشرباً

فاذا رأى اصحاب القفران والعسّالون انَّ الذكور تكاثرت فعليهم ان يتخذوا مشبكات صغيرة من السلك الحديد فيها ثقوب يمكن الاناث الاجتياز بها دون الذكور فتوضع على باب القفير وتُمنع الذكور من الدخول اذا خرجت فتُقتل

هذا وقد سبق القول انَّ النحل مع ما خُصَّت بهِ من المزايا الطيبة الموصوفة قبلًا ليست من الحشرات المتطفِّلة بل هي شرسة الاخلاق لا ترحم غير رصيفاتها العاملات ومن ثم في كلّ سنة بعد انفصال الخشارم او في آخر الصيف عند ما يقلّ الزهر في الخارج تجتمع لمطاردة اخوانها الذكور ولا تفعل في قلوبها اواصر الحبّ والقرابة بل تهجم على الذكور الذين وُلدوا في السنة فترى لفعلها مشهدًا فاجعاً فانَّ ثلاثاً او اربعاً من النحل الاناث يُحدقنَ بذكرٍ واحد فينتزنهُ من جوانحهِ ويسحبنهُ بقوائمهِ كانهنَّ الشُّرَط يجلبون اثيماً مكتَّفًا الى منقع الدم وهنَّ لا يزلن بدفعهِ حتى يُخرجنه من الخلية ويقمنَ في حراسة الباب لئلّا يعود اليهِ فترى هؤلاء البائسين وقوفًا حول القفير في اسوأ حال فلا يلبثون ان يموتوا جوعاً او بردًا في الليل . فكفى بهذا الفعل

دليلًا على خلو النحل من الفهم والادراك اذ لا يردُّهنَّ العقل عن فعلهنَّ ذاك الفظيع الى ان تخلو الخليَّة تماماً من الذكور في وقت الشتاء حتى الربيع حيث يبتدئ تناسُل جديد

٤ اليعسوب او ملكة النحل

انَّ في القفير ما خلا الاناث العاملات من النحل والذكور الموصوفين آنفاً ذبابةً اعظم شأناً وارفع قدرًا ألا وهي الملكة. قلتُ « الملكة » بالمفرد وليس الملكات لانهُ ليس في الخليَّة غير ملكة واحدة تامَّة الخلقة . وهذه الملكة اكبر قليلًا من النحلة العسَّالة وبطنُها مستطيل فمن عاينَها مرَّة ميَّزها للحال بين جمهور النحل

وعلى هذه النحلة يتوقَّف نجاح الخليَّة كلها بل وجدانها على انها لا تضبط عنان الامر والسلطة المطلقة بل قل بالحري انها مقيَّدة تحت حكم جملة من النحل اللواتي يراقبنَ كل حركاتها وسكناتها. امَّا مقامها العالي في المستعمرة فلكونها امَّ الجميع وقوام كلّ النسل الجديد. ويزيد نتاجها على قدر وفرة طعامها لاسيما من زنبر الزهور الذي يختلف على اختلاف فصول السنة. ويكون ايضاً بنسبة قوَّة المستعمرة وعمر الملكة وجنسها وعلى مقتضى احوال الجوّ والحرارة

واذا هجرت الملكة قفيرها سار وراءها كلّ النحل. واذا ماتت عرَضاً او عجزًا ولا تقدر النحل على تربية غيرها فنيت المستعمرة وتلاشت عاجلًا او آجلًا ما لم يتدارك عسَّال خبير ذلك الخلل ويدخل الى القفير ملكةً أخرى . وعند موت الملكة تقف حركة المستعمرة وتكفّ النحل عن جمع لقاح الزهور واستحضار العسل وانَّما تأكل ما في القفير من المؤنة ثمَّ تستسلم للموت

امَّا اذا ماتت الملكة وادخلتَ في الخليَّة ملكة جديدة فترضى بها كل النحل بل تستقبلها بارتياح وسرعة وتعود الحركة في المستعمرة كما كانت سابقاً. ولو ادخلتَ هذه الملكة في حياة الملكة السابقة لتواثبت كل النحل على الدخيلة وقتلتها لا محالة

وللنحل في بعض الاحيان خبرة في اقامة ملكة جديدة بدلًا من الميتة. وذلك اذا وجدت النحلات بيضاً لم يُفقس بعد او حشرات اناث عاملات عمرُها دون ثلاثة أيام فيفعل عجيب من الغريزة التي منحها الله تختار بعضاً من ذلك البيض او من تلك الحشرات فترشحها للملك. ولعلمها بانَّ الملكة اكبر بدناً من الاناث العاملات

وانها تحتاج الى مكان ارحب لتنمو فتخرب النحل بيوت المختارات للملك فتصطنع لهنَّ مخاريب اوسع. ثمَّ تعدّ لهنَّ طعاماً خاصاً وغذاء لطيفاً تغتذين بهِ الى زمن يُعلَن باحداهنَّ ملكةً ومذ ذاك الحين ترى كل النحل يصرفنَ الهمّ الى الاخدار الملكية فيراقبنَها ليلَ نهار. واذا دخل اليوم الحادي والعشرون من يوم نتاج المرشحات تسارعت النحل الى الغشاء الذي يغطي الزيزان الملكيَّة في بيوتها لتشقَّهُ فاوَّل نحلة وُجدت تامَّة البنية كانت هي الملكة وتبايعها جماعة النحل. امَّا الملكة الجديدة فانها تبادر الى مخاريب بقيَّة رصيفاتها المختارة للملك فتهلكها وتودي بحياتها كما كان يفعل بعض سلاطين الشرق باخوتهم عند جلوسهم على منصَّة الملك

ولعلَّ بعض القرّاء يظنُّون انَّ قولنا السابق ضربٌ من الروايات الخياليَّة التي لا سند لها. والامر مع ذلك عين الحقّ لا ريب فيهِ. وسترى في كلامنا عن الخشارم كيف يستفيد العسّالون لتوفير الخلايا الصناعيَّة من هذه الخاصَّة التي طُبعت عليها النحل لنصب ملكتهنَّ. وينتج ممَّا سبق انهُ ليس فرق البتَّة بين بيضة النحلة الملكة وبقيَّة النحل الاناث وانَّ كلَّ عاملةٍ من النحل ملكةٌ بالقوَّة فاذا جُعلت دودتُها في مخروب كبير ونالت من فضل اخواتها طعاماً دسماً قوي بدنُها واشتدَّ واتَّسعت فيها اعضاء التناسل لتوليد البيض فتصلح ان تكون امًّا اي ملكة بخلاف بقيَّة النحل الاناث اللواتي لا يجدن في مخاريبهنَّ سعةً ولا في طعامهنَّ قوَّةً كافية ليبلغن مبلغ الملكة وانَّما قوَّتهنَّ تنصرف الى ابرتهنَّ التي تصبح لهنَّ كسلاح رهيب وهذه الحُنة تكون في الملكة اقصر واضعف. فصحَّ بهذا قولنا السابق انَّ عُمّال النحل اناثٌ معقَّمة او خناثى يُجرَّدن عن قوَّة التوليد ليقمن بخدمة الجماعة. ولولا ان النحل المربّيات يجرين على مقتضى الوهم والغريزة الطبيعيَّة الحيوانيَّة لعزوناهنَّ الى الهمجيَّة والظلم

قلنا ان الملكة هي في القفير مولدة لكلّ النسل الجديد فبناء عليه ظنَّ بعض العسّالين ان اجناس النحل يمكن تحسينها بان يُجتمع بين ذكر اعلى وملكةٍ غريبة افضل جنساً كما يفعلون في توليد اجناس جديدة من الخيل والكلاب وغيرهما. ومن ثمَّ عمد العسّالون في فرنسة الى يعاسيب من النحل الايطالي المعروف بنشاطهِ ووفرة عسله فأسفدوا عليها ذكوراً من الجنس الفرنساوي فكان للنسل خواص الجنسين وبذلك تحسَّن النحل الفرنساوي

وليس الامر صعباً فان شئت ان تحسّن النحل البلدي مثلاً وتجديهِ خواصّ النحل الايطالي فعليك ان تطلب من ايطالية ملكةً قبل تلقيحها فتُرسَل اليك بالبريد في علبةٍ ينفذ فيها الهواء ومعها بعض النحلات للقيام بطعامها في الطريق. فاذا وصلت نزعتَ من الخلية الملكة التي فيها بحرص ورشاقة ثم تدسّ في مكانها الملكة الجديدة التي ينزو عليها احد ذكور الخلية فلا تلبث ان تنسل نسلاً جديداً وبعد قليل تتجدَّد الخلية بموت النسل العتيق المولود من الملكة الاولى. ولهذا النسل خواصّ تفضل على الجنس الاوَّل

٥ اعمال النحل في باطن الخلايا

انَّ نظَرَنا السابق في ضروب النحل والملكة الامّ يستدعي نظراً آخر اي الكلام في اعمال النحل في الكوارة لانَّ العمل ملازم للعامل. وكل من يذكر النحل يفكر في مصنوعَيهِ اعني شمعهُ وعسلهُ

١ ﴿ الشمع ﴾ اذا استقرَّ النحل في مكانهِ سواء كان قرارهُ صندوقاً او خليَّة او تجويف شجرة او صخر اسرع الى افراز الشمع ليتخذهُ كاساس لقرصهِ الاوَّل. واذا بلغ طول هذا القرص بعض سنتيمترات عمد الى اصطناع قرصٍ ثانٍ يكون موازياً للاول موازاة تامَّة حتى اذا ابتنى بعد ذلك مخاريبهُ اي بيوتهُ المسدَّسة كانت كلها متشابهة ذات عمق واحد على وجهي القرص. ثم يبتني قرصاً ثالثاً ورابعاً على حسب عدد افراد المستعمرة. وليس بين كل هذه الاقراص من المسافة الَّا مجاز ضيق كافٍ فقط لحركات النحل في ذهابهِ وايابهِ. ولا يشذّ عن هذه القاعدة الَّا عند ختام العمل فيصطنع مخاريب غير تامَّة ليسدّ بها كلّ فضاء الزوايا الفارغة

وهنا لا يتمالك الانسان من الصراخ: سبحان الله الذي اعطى هذه الحشرات الصغيرة ان تقوم باعمال هندسيَّة لا يقوى عليها احذق العملة والبنائين فانَّها بلا مقياس ولا آلة البتة تحفظ النسبة التامَّة في تركيب الاقراص وتراعي قوانين الموازاة والهندام في وضعها ثم تقيم فيها تلك المسدَّسات العجيبة لخزن طعامها وكلها على مثال واحد وعمق واحد واتقان واحد. ثم تجري النحلة ابنة اليوم على هذه الوتيرة دون معلِّم يرشدها ولا دليل يهذبها بل تصنع كل اعمال الخليَّة بمجرَّد غريزتها. افليس هذا من اسطع البراهين على وجود خالقها ومرشدها العظيم

واذا انتهت العاملات من تجهيز قسم من المسدَّسات عدل بعضها عن اصطناع الشمع لتحصيل المؤنة فتخرج الى الحقول والبساتين لتجمع من الزهور لقاحها وعسلها فتنقلهُ الى الخزان ليكون غذاء للمشيرة. فمنهُ تغتذي الملكة والنحلات المشتغلات في بناء الاقراص. وما فضل من الطعام يُخزن لايام الشتاء. كانَّ النحلة تعرف سلفاً انهُ يأتي عليها فصل قارس البرد لا يمكنها في مدَّتهِ ان تخرج من الخلية فتحتاج الى طعام قريب منها. امَّا لقاح الزهور وزئبرها فانَّ النحل يلوكهُ ويجعله لَموقاً لغذاء الصغار وهنَّ دودات

وتُبقي النحلات المجتنيات للزهور قسماً من بيوت الشمع فارغةً فاذا تمَّ عملها تجعل الملكة في كل منها بزرة كما قيل سابقاً تستحيل بعد قليل الى دودة ثم الى زيز وشرنقة ثم الى نحلة

ومن البديهي انَّ البنَّاء اذا اراد تشييد دار بناه من اسفل الى فوق والنحل يجري في بناء اقراصهِ على عكس ذلك فانهُ اذا باشر بتركيب القرص ألصقهُ في سقف الخلية فيتحدَّر الى اسفل مع مواصلة العمل. واذا رأيت النحلات متراكمات حول قرصهنَّ كالعناقيد وانت لا تكاد تميز حركتهنَّ ظننتَ انهنَّ يسترحنَ وهنَّ في الحقيقة يجهدن في الشغل فيفرزن الشمع ويلصقنهُ بالقرص ويسوّين جدران المسدَّسات لا يحدنَ في تسويتها شعرةً

والشمع نتيجة هضم النحل لعسلها لكنها لا تفرزهُ بالقناة الهضميَّة بل بغُدَد صغيرة دقيقة جدًّا موقعها تحت حلقات بطنها كما قلنا. واذا حاول خشرم من النحل ان يطير الى خارج الخليَّة منفصلاً عنها ورأيت النحلات تغتذي بنهم من عسل الخلية قبل خروجهنَّ وليس ذلك شراهةً بل بفعل الغريزة فيهنَّ كأنهنَّ يعلمنَ بانهنَّ سوف يحتجن قريباً الى شمع لابتناء اقراص الكوارة التي سيحللن بها

﴿ العسل ﴾ ما هو العسل ؟ هو مركَّب العصارات السكَّرية المعطَّرة التي تمتصُّها النحل من الزهور ومن الاثمار النضجة المتشقِّقة بل من قشور بعض الاشجار. وللنحلة خرطوم تنفذهُ في الزهرة حتى تبلغ قعرها فتمصّ ما هناك من العصير وتجعلهُ في احد تجاويف معدتها دون ان تهضمهُ. واذا كمل حملها عادت الى القفير ومجَّت في البيوت المعدَّة لذلك ما رشفتهُ من شراب الزهور ثم تعود فتنقل حملاً آخر

وهذه العصارات لتصير عسلاً تحتاج الى استحضار خاص تقوم به عاملاتٌ من النحل في باطن الخلية واذا انجزت عملها وامتلأ البيت عسلاً اتت النحلات المشمات فبسطنَ عليه غلافاً من الشمع لصيانته. وشغلُ النحل متواصل لا ينقطع البتة ففي الخارج يدوم النهار كلهُ وفي الداخل يتتابع ليلاً مع نهار

والعسل يختلف نوعاً وجودةً على حسب الامكنة التي فيها مقام الخلايا لانَّ لكلِّ بلد زهرهُ ونباتهُ الخاصّ المختلف طيباً وعبقاً فالعسل ينال من ذلك الزهر وذاك النبات خواصهُ وميزاته. وعسل الجبل يكون دائماً اطيب والذّ من عسل السهول لوجود ضروب من النباتات العطرية في الجبال

وغاية النحل من اصطناع العسل انَّما هي اعداد المؤونة لنفسها في فصل الشتاء كأن الطبيعة ارشدتها الى ما ستصير اليه من الحاجة الى الطعام في وقت البرد وهي لا تعلم انَّ الانسان سوف يحرمها قسماً من مؤنتها فيأخذها لنفسه. وهو يفعل بالنحل ما يفعل بالدجاج اذ ينزع عنها بيضها قبل حضانته وكما يفعل ببقيَّة الحيوانات التي يستخدمها لحاجاته. ولو علمت لضنَّت بعسلها وبيضها ولبنها وكفى بجهلها دليلاً على عدم ادراكها وعلى حكمة الخالق الذي سخَّر الحيوان الاعجم لخدمة الانسان ليستعين الانسان به لخدمة خالقه

قلنا انَّ في اقراص الشمع بيوتاً فارغة معدَّة للنسل المولود فان الملكة تجعل في كل بيت بزوة تراها العين المجرَّدة ملتصقة في قعره وبعد قليل تصبح البيضة دودةً او زيزاً تراها في ثقبها ملتويةً وهي تكبر مع الايام حتى تصير شرنقة يسجيها النحل بغشاء من الشمع ريثما يتمّ تكوينها وتصير نحلةً وهذا الغشاء يخالف غشاء بيوت العسل فانَّ غشاء الشرانق محدَّب امَّا غشاء العسل فمستار. واقراص الشمع في اوَّل تركيبها تكون بيضاء اللون وتبقى على بياضها في السنة الاولى اذ تحتوي على العسل فقط لكنها تضرب الى لون غامق بعد سنةٍ عندما تضع الامّ فيها بيضها ثم يزيد لونها قتاماً فتصبح مسودَّة بعد سنتين او ثلاث سنين

٦ خشارم النحل

ان مستعمرة الخلايا في استحالة دائمة فاذا شاخت العاملات قام بدلاً منها نسلٌ

جديد بولادة الامّ المتالية. والملكة يكثر نسلها خصوصاً في الربيع بل لا ينقطع طول السنة ما خلا وقت البرد القارس

واذا انتهى فصل الشتاء وصبرت النحل على شدّته تراهـا عادت الى حركتها ونشاطها فتعمد الى اصطناع اقراص جديدة من الشمع ويشتدّ أزر الملكة فتلقي كل يوم الوفاً من البيض فتنمو المستعمرة وتهتمّ النحل العاملات بتربية ملكات جديدة وذكور تصلح لتلقيحها. والغاية من ذلك اعداد ثوْل ينفصل عن الخليّة ويعيش عيشة مستقلّة. واذا رأيت ذكور القفير تخرج كل يوم للتنزّه قُلْ انّ مستعمرةً جديدة على وشك مغادرة القفير

واذا فارق الثول قفيره رافقتهُ عادةً الملكة القديمة فتقوم عوضها ملكة حديثة. والثول الاوّل يكون غالباً قوياً وكافياً للاستعمار وهو في الوزن لا يقلّ عن كيلوغرامين ويشمل الكيلو نحو ٩,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ نحلة. واذا انفصل الثول باكرًا في اوّل الربيع كان افضل لهُ اذ ينطبق انفصالهُ مع توفُّر الزهور فتستطيع النحل ان تجمع بسرعة مؤنتها فتفرز الشمع للاقراص وتُعدّ بيوتاً تجعل فيها الملكة بيضها قريباً فيزداد بذلك عدد العاملات بخلاف الثول المنفصل في اواخر الصيف لاسيما في الاقطار الباردة فانّ نحلهُ لا يستطيع ان يدّخر المؤنة قبل وقوع الشتاء فيهلك بحاول البرد

واذا انفصل الثول الاوّل ربّما حاول ثول ثانٍ وثالث ان يخرجا مع ملكاتهما. ويظنّ بعض العالمين ان هذه الجماعات المهاجرة تغنيهم وتوفّر محصولهم من العسل ولذلك تراهم يعدّون خلايا لتلك الجالية ويزيدون عدد الخلايا. ولكنهم على رأينا مخطئون في عملهم اذ انّ هذه الاثوال اذا توالت وخرجت من خليّتها الاصليّة تكون ضعيفة قليلة النحل فلا تأتي بالمحصول المأمول اذ لا يمكنها ان تجمع المؤنة الكافية للشتاء فتهلك. والأولى ان تعاد تلك الاثوال الى كوارتها فتأتي مع وفرة عددها بما لم تستطعهُ بقلّته

وليس ردُّها الى خليّتها السابقة بالامر العسير اذا كانت النحل من جنس واحد — لانهُ لا يجوز الجمع بين اجناس مختلفة من النحل لئلّا يقاتل بعضها بعضاً — فيمكنك ان تعيد الى الخليّة ثولين او ثلاثة اذا رأيت هذه الاثوال قليلة العدد ضعيفة القوّة

وخفتَ ان تسقم الخليَّة الاصليَّة بكثرة المهاجرين . ودونك الطريقة لذلك . اذا انفصل خشرم النحل وحطَّ مع ملكتهِ او ملكاتهِ في مكان موافق فاجمعهُ في وعاء وعند المساء كبَّهُ بقرب القفير الذي خرج منهُ سواء كان على الارض او على قطعة من الخام فترى النحل قاطاً يتطاير الى كل صوب فابحث عن الملكات واقتلهنَّ وربَّما بلغ عددهنَّ الخمس او العشر ولا تشفق على واحدة منهنَّ ولو اثرتَ غضب النحل عليك . فاذا عاينت المهاجرات انها فقدت اميراتها عادت بعد قليل الى خليَّتها الاصليَّة

ولكن لا بأس ان تجمع في خليَّة واحدة اثوالًا متعددة خرجت في وقت واحد من خلايا مختلفة وجنس واحد فيكفيك ان تكبَّ هذه الاثوال واحدًا بعد اخر في صندوق فتختلط ببعضها وتأنس باصحابها

امَّا اذا كانت هذه الاثوال مختلفة السنّ فتقصد ان تخلطها ببعضها لتزيد قوَّتها بالعدد فانفخ اوَّلًا دخانًا في القفير الذي تريد ان تضمَّ اليهِ خشرمًا جديدًا ثم كبَّ في هذا القفير بخفة الثولَ الجديد ثم دخّن القفير ثانية فتختلط النحل ببعضها فكانَّ الدخان يلتحق بابدانها جميعًا فلا تعود تفرق بين اهليّ وغريب فتمتزج امتزاج الاخوات

وان سألت عن الملكات ماذا حلَّ بهنَّ ؟ فاطلب الجواب في غدٍ وراقب الخليَّة فتجد امام مدخلها اجسام عدَّة ملكات بطشت بهنَّ واحدة اقوى منهنَّ سواء كان الظفر للملكة القديمة او لملكة حديثة اشدّ منها . فاذا مدَّ الليل رواقهُ قامت تلك الفاتكة وقتلت كل ملكة تزاحمها في الملك . ولا تدخل بقيَّة النحل في هذا البراز الشخصي بل تقوم الى المقتولات وتنقل اجسامها الى خارج . والملكة لا تلتجئ الى ابرتها القاتلة الَّا في هذه الدفعة لتستبدَّ بالسلطة دون سواها

وللملكة مظهر آخر يلوح فيها عظم مقامها بين النحل وذلك في يوم مهاجرة الثول الجديد للقفير كي يباشر باستهارة مستقلة . فان لم تخرج الملكة بقيت النحل في الخليَّة وان عادت الى القفير بعد خروجها تبعها الخشرم باجمعهِ . وحيثما تحطّ يحطّ النحل معها واذا انتقلت الى مكان آخر رافقتها جماعتها . فانها السيدة واميرة قومها

وقد سبق لنا القول انَّ الخليَّة لا يمكن ان تملك فيها غير ملكة واحدة . وهذه قاعدة لا شذوذ لها البتة . والدليل عليهِ انَّ النحلات العاملات عند تربيتها للملكات

الصغيرات لا تعرضهنّ لغضب رئيسة الخلية بل تبقيهنّ في بيوتهنّ ومهادهنّ حيث نشأن ولا تفتح لهنّ باب حبسهنّ اي الغشاء الشمعي الذي يغطيهنّ وانما تثقب فقط لهنّ ثقباً صغيراً في ذلك الغشاء ومنهُ تُنفذ العاملات الغذاء للمأسورات. فاذا حان وقت خروج الثول يُفتح باب سجنهنّ وهنّ مذ ذاك يتصرّفن تصرُّف الملكات

واذا طعنت ملكة التغير في السنّ وبلغت السنة الرابعة او الخامسة من عمرها عجزت عن توليد سلالة جديدة فاصبحت عبأً على المستعمرة فتسعى النحلات العاملات في استدراك الخطر وتربي ملكة جديدة فاذا بلغت هذه اشدّها وثبت على العجوز وقتلتها واستولت على الملك بدلاً منها

وقد توفّق ارباب الزراعة من العاملين الاوربيين الى ان يتولّوا بنفسهم تقسيم الاثوال وتوفير الخلايا على منوال قانوني بحيث تبقى القفران بقوتها ولا تضعف بالمهاجرة وذلك بواسطة الخلايا المستحدثة التي اتخذوها على شبه جرّارات يمكنهم نقلها كما يشاؤون. وهم يدعون تلك الخشارم بالخشارم الصناعيّة

ودونك الطريقة التي يجرون عليها. يرقبون الخليّة في وقت نموّ نحلها عند ما تكون الاقراص عامرة بالسلالة الحديثة من بيض ودود وصغير النحل فيفتحون الخليّة بعد تدخينها ويأخذون بعضاً من تلك الجرّارات مع اقراصها ونحلها فيجعلونها في صندوق منفرد وهكذا يقسمون المستعمرة قسمين يبقى قسم في مكانهِ وينضمّ اليهِ النحل المتفرّق في الحقول لجنى الزهور والقسم الآخر يُجعل قريباً منهُ

وان سألت عن امر الملكة كيف تُنقل الى المستعمرة الجديدة اجبنا انّ المربّين للنحل لا يبالون بالامر كثيراً لعلمهم بانّ للنحل وسائل لتربية الملكات على شرط كما بيّنّا ان يكون في المستعمرة بيض لم يُفقّس بعد او دودات لا يتجاوز عمرها ثلاثة ايام فان رُوعي ذلك لن تخلو الخليّة من ملكة

هذه بعض معلومات استخلصها علماء الطبيعة من درس احوال النحل وفيها لعمري عبرة لكلّ معتبر اذ يلوح لهُ ما خصّ بهِ الخالق حشرةً صغيرة في العين كبيرة في العمل ولو فعلت ما تفعل عن فهم وادراك لاستحقت ثناء جزيلاً بين البشر لما يرونهُ من اجتهادها وانكبابها المتواصل على الشغل واهتمامها بالخير العام ودفاعها عن جماعتها حتى الموت وعنايتها بملكتها وصغارها واستعدادها لزمن الصيف وغير ذلك ممّا

استحقت عليهِ ثواباً لولا حرمانها من العقل كما انها لا تستحق عقاباً فيما تأتيه من السيئات بحق عجزها وبحق المهزولين من صغارها وبحق ذكورها وملكاتها اللواتي عجزن عن التوليد

فالواجب على الانسان ان يدرس طباع الحيوان واخلاق العجماوات فيرتشد بها للصلاح اذا رآها حسنة ويستنكف عنها اذا وجدها سيئة فانَّ الله اعطاهُ العقل لينوب عن تلك الحيوانات العديمة النطق ويتخذ عملها بالغريزة كمثال لعملهِ بالتعقُّل ليبلغ الغاية الشريفة التي انتدبهُ الله اليها فينال بخدمتهِ تعالى سعادة الدارين

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٤ الرها وملحقاتها

الرها مدينة متوسطة بيوتها مستندة الى منعطفي جبل يشرف عليها ويُدعى طوب داغ او كلاداغ. وهي مركز قضاء لسنجق منسوب اليها وفيها يقيم المتصرف المنوط امرهُ بوالي حلب. واهلها يبلغون نحو ٤٢٠٠٠ نفس منهم ٣٠,٠٠٠ مسلم والباقون نصارى ارمن غريغوريون (٧,٠٠٠) وسريان يعاقبة (٢,٠٠٠) وبروتستان (١,٥٠٠) وكاثوليك (١,٠٠٠) ويهود (٥٠٠)

ويجري في وسطها جدول صغير يُدعى خليل الرحمان وبقرب اسوارها نهر « دارا قويون » يتحدَّر في الشتاء كالسيل الجراف ويمتزج بمياه خليل الرحمان وهو النهر الذي كان يدعوهُ السريان بديصان ومنهُ اشتق اسمهُ المبتدع الشهير ابن ديصان الذي عُرف في القرن الثالث للمسيح. وكان اليونان يسمُّون نبع خليل الرحمان بكاليروه (Καλλιῤῥόη) وهو علمٌ لاحدى الالهات البحرية عندهم فاشتق السريان منهُ اسم اورهي (ܐܘܪܗܝ) ثمَّ عُرِّب بالرُّها و « تُرك » باورفا. وقيل انَّ اسمها السرياني سبق عهد الرومان وانَّهُ مركَّب من « اور » اي حصن و « هُيْ » علم المكان. وارتأى بعض الكتبة انها هي « اور » الكلدان (تكوين ١١ : ٣١) التي سكنها ابراهيم الخليل ومنها دعاهُ الله الى ارض الميعاد. ويوافق الامر تقليد اهلها الذين

يكرّمون خليل الله وبهِ دعوا نهرهم. وقد عُرفت الرها باسم آخر قديم لم يتفقوا في تعريف معناه وهو اذاسا « Edesse » فشاع هذا الاسم خصوصاً في الغرب (١

ومما لا يُنكر ان الرها مدينة قديمة يترقّى تاريخها الى عهد ملوك بابل ثم صارت الى اليونان بعدهم. الّا انّ اعظم شهرتها كان في زمن الاباجرة الوطنيين الذين اتخذوها كرسيًا لدولتهم. ثم استولى عليها الرومان سنة ٢١٥ للمسيح فبقيت في ايديهم الى ان فتحها العرب وملكوها ثم عاد الروم في سنة ١٠٣١ للمسيح وانتزعوها من ايدي صاحبها نصير الدولة بن مروان وبقيت في حوزتهم الى ان سلّموها الى الصليبيين فجعلها بغدوين اخو غودفريد دي بوليون كونتيّةً ثم أقطعها الامراء من اسرة دي كورتناي (de Courteney) ومنهم الكونت جوسلين (Josselin) ثم فتحها صلاح الدين سنة ١١٨٣ وتنقّلت فصارت في حكم الايوبيين واصحاب حلب والمغول والتتر حتى ضمّها الى دولة بني عثمان السلطان سليم الاوّل سنة ١٥١٧

ولعبت الرها دورًا عظيماً في عالم الدين والآداب . فبعد توغّل اهلها في الوثنيّة وعبادتهم للقوّات السماويّة كانت بين المدن الاولى التي استنارت بضياء الايمان المسيحي. وقد نسب اصحابها تنصّرهم الى مفاوضات دارت بين ملكها الابجر اوخاما اي الاسود والسيد المسيح فزعموا ان الملك ارسل الى الرب وفدًا وهو المشار اليهِ في انجيل يوحنا (١٢ : ٢٠—٢٣) حيث دعاهم « قوماً من اليونانيين صعدوا الى اورشليم ليسجدوا في يوم العيد وطلبوا من فيلبس ان يواجهوا السيد المسيح » فيقول السريان انّ هذا الوفد كان حاملًا رسالة للابجر يطلب فيها من المسيح ان يسير اليهِ في الرها ويبرئ برصهُ وانّ الرب اجابهُ انهُ سيرسل لهُ احد تلاميذهُ بعد قيامتهِ وانهُ هكذا تمّ فذهب ادّي احد السبعين الى الرها وابرأ الابجر وعمّد الاهلين. ويزيدون على ذلك انّ حنانيًا رئيس الوفد الرهاوي حاول ان يأخذ رسم السيد المسيح فاخذ الرب منديلًا وجعلهُ على وجههِ المقدّس فطُبعت عليهِ صورتهُ الالهيّة

فهذه القصة شاعت في الرها منذ اواسط القرن الثالث للمسيح كما ظهر من آثارها

١) اطلب في المشرق (٨ : ١٦٩) مقالة يوسف افندي غنيمة في الرها وتاريخها وآثارها وهي تغنينا عن تكرار ما جاء هناك

التي نشرت بالطبع (١ وكان اول مؤرخ الكنيسة اوسابيوس القيصري قد اطّلع عليها في خزانة سجلّات الرها فنقلها في تاريخه الكنسي (ك ١ ف ١٣) ثم رأتها في اواخر القرن الرابع الزائرة الاسبانيّة المسمّاة ايتيريا (Ætheria) التي اكتشف الاب غاموريني اخبار سفرها الى الاراضي المقدّسة فنشرها تحت اسم القديسة سيلفيا (Gamurrini : *Voyage de Ste Sylvie*) وانتشرت قصة تلك الرسالة وصورة السيد المسيح في كل الكنائس الشرقيّة حتى أُقيم لها عيد تاريخه ١٨ آب

وبقيت الصورة والمنديل في الرها الى سنة الهجرة ٣٣١ (٩٤٣) حيث ارسل الملك رومانوس وطلب من الخليفة العبّاسي المتّقي ان يرسل اليه تينك الذخيرتين ويعده بفكّ اسرى المسلمين . قال ابن العبري في تاريخه (ص ٢٨٧) « فامر المتقي بتسليم المنديل الى الرسل وارسل معهم من يتسلم الاسارى ». ويذكر المؤرخون انّ رسالة السيد المسيح تلفت في حريق حدث في القسطنطينيّة في القرن الثالث عشر . امّا المنديل فاهداه ملك الروم احد دوقة جنوة بشرط ان يرسل له الدوق جنداً يعينونهُ في ردّ غارات الترك . وهذا المنديل هو اليوم على ما يقال في كنيسة الارمن الكيتاريين في البندقيّة

هذه خلاصة قصة تنصّر الابجر الاسود ورسالة السيد المسيح (٢ التي يغلّب اهل النقد في عهدنا اصطناعها . ومهما كان من امر صحتها فلا بدّ من القول انّ مدينة الرها كانت من اوّل المدن التي عرف اهلها النصرانيّة لقربها من تخوم بلاد الشام ولوجود قوم من الخانها في اورشليم يوم حلول الروح القدس على التلاميذ وقد صرّح القديس لوقا في سفر الاعمال بذكر « اهل ما بين النهرين ». هذا مع كثرة الآثار التاريخيّة الشاهدة على ذلك في القرن الثاني للمسيح (٣ فلا يقبل العقل ان الرسل وتلاميذهم الذين ذهبوا الى اقاصي العالم ليبشروا بالمسيح اهملوا البلاد المجاورة لهم المستعدّة لقبول تعاليمهم

---

١) اطلب الكتاب (G. Phillips : *The doctrine Addai*) وكتاب تيكسرون عن كنيسة الرها L. J. Tixeron : *Les Origines de l'Eglise d'Édesse et la Légende d'Abgar*

٢) اطلبها منقولة عن تاريخ ابن العبري في مجموعنا بحاني الاب (١ : ٢٧٧)

٣) راجع في العدد السابق مقالتنا عن تنصّر عرب الجزيرة

ويطول بنا ان نتتبع تاريخ الدين المسيحي في الرها الّا انهُ لا يجوز ان نسكت عن خدَمها الجليلة للآداب السريانيَّة اذ أُنشئت فيها تلك المدرسة العامرة التي اضحت موردًا للعلوم الدينيَّة والدنيويَّة منذ اواسط القرن الرابع وازهرت الى اواخر القرن الخامس حيث جنح اساتذتها الى البدعة النسطوريَّة فطُردوا منها وانشأوا عوضاً عنها مدرسة نصيبين وقد خرج من كلتا المدرستين رجال كبار لهم في التأليف والتدريس والنقل وسياسة الكنائس السريانيَّة والكلدانيَّة آثار استخرجها العلماء في هذه المدَّات الاخيرة من مدافنها كما وُجدت قوانين تلك المدارس التي تدلّ على حكمة اصحابها

ثم بقي الدين في الرها خاملًا بعد عهد الصليبيين وما حلّ على الرها من النوائب الى ان قام المرسلون اللاتينيُّون فانعشوهُ في القرن التاسع عشر فجاء الرهبان الكبوشيُّون الى اوربا سنة ١٨٤١ وشيَّدوا لهم ديرًا وفتحوا المدارس وقد زرنا مدرستهم فرأيناها كاحدى المدارس الثانويَّة في سوريَّة كان يتولَّى نظارتها وطنيُّنا الاخ رافائيل السحيري. وللكبوشيين هناك كنيسة جميلة فيها قبر السيد مبارك بلانشه الذي كان دُفن بعد قتله في سويرك ثم نُقلت رفاتهُ الى الرها فصلينا لاجل راحة نفس هذا السيد المفضال وهو احد الثلثة الاوَّلين الذين انشأوا رسالتنا السوريَّة سنة ١٨٣١ فخدموها احسن خدمة

ويساعد الآباء الكبوشيين راهبات افرنسيَّات من رهبنة مار فرنسيس اتين الى اوربا منذ سنة ١٨٨٠ ولهنَّ مدارس للفتيات يقصدها بنات النصارى والمسلمين لحسن تربيتهنَّ. وقد فتحن ايضاً مستوصفاً يتقاطر اليهِ المرضى ليتداووا فيهِ

وزرنا في الرها كنيستي الارمن والسريان الكاثوليك وهما صغيرتان واكبر منهما كنيسة الارمن الغريغوريين وما كنَّا لنظنّ ان هذه الكنيسة في اواخر كانون الثاني سوف تُحرق بالنار ويُقتل فيها نحو ثلاثة آلاف ارمني حرقاً وتمثيلًا بين انظع العذابات فضلًا عمَّن ذُبحوا في الاسواق فاناف مجموعهم على خمسة آلاف شخص ولولا انَّ كثيرين التجأوا الى دير الآباء المرسلين لكان عددهم مضاعفاً فحماهم الرهبان الكبوشيُّون وآووهم ايَّاماً وافرغوا ما في ديرهم من المؤونة لسدّ جوعهم وكسوتهم وتضميد جراحهم. وكذا فعلت الراهبات بمئين من النساء فاستحققنَ وسام الشرف الذي ارسلتهُ لهنَّ الدولة الفرنسويَّة مثنيةً على شهامتهنَّ

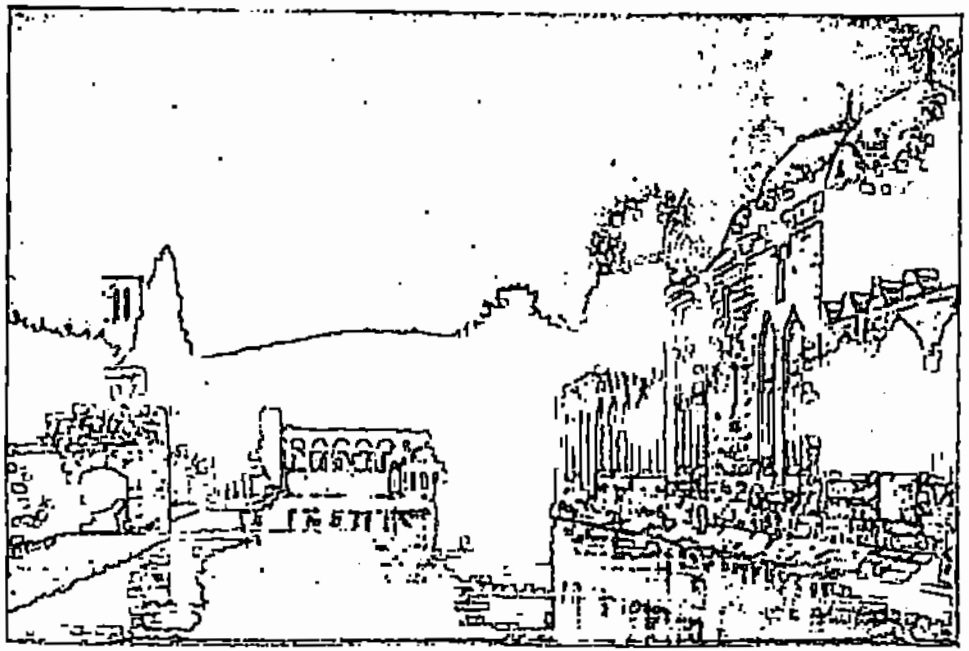

بركة ابراهيم الخليل في اورفا

وزرنا ايضاً كنيسة اليعاقبة وهي قديمة على طرز الكنائس العتيقة وفي احد جوانبها شبه المصطبة عليها بعض الاقمشة فذاك قبر صنّاجة السريان الذي سمّاه اهل زمانهِ كنّارة الروح القدس ونبيّ السريان اعني بهِ الملفان العظيم واللسان المفوّه القديس افرام معلم وابا الكنائس السريانيّة فاخذنا العجب من اهماله في تلك الزاوية وتمنّينا ان تشاد يوماً على اسمهِ كنيسة كاتدرائيّة يحجّ اليها كل الشرق المسيحي ولاسيما الطوائف السريانيّة التي كان شرفها وفخرها الزبّد. وفي هذه الكنيسة اليعقوبيّة بعض مخطوطات قديمة من جملتها نسخة كاملة من تاريخ البطريرك ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر كان وقف عليها اوّلاً غبطة السيد البطريرك اغناطيس افرام الثاني الرحماني ثم نشرها بالطبع في باريس الخوري شابو (J.- B. Chabot) مع ترجمتها الى الافرنسية

ومن آثار الرها بركتها المعروفة ببركة الخليل (اطلب الصورة) يُقات فيها لوجه الله صنف من الاسماك النهريّة كالشبوط يُعدّ هناك بالالوف والربوات. وكنّا لحظنا مثل ذلك في بركة مجاورة لطرابلس. وعلى رأي بعض الاثريين انّ هذا بقيّة من عبادة وثنيّة (ichthyolatrie) كانت مألوفة في انحاء اليونان والشرق فيكرمون السمك تذكاراً للزهرة

وفي اعلى الجبل المطلّ على الرها بقايا قلعة قديمة اقامها اوّلاً اليونان ثم رمّمها العرب وقد اخذتها اليوم يد الخراب تُرى فيها اعمدة وسوار وحجارة منقوشة وهناك كتابات سريانيّة بالحرف الاسطرنجلي بعضها نصرانيّة وبعضها وثنيّة وكذلك اكتشفوا في البلد على بعض كتابات وردت فيها اسماء الاباجرة وخصوصاً ابجر التاسع المتنصّر في اواخر القرن الثاني . وقد وقفوا على مسكوكات كثيرة في الرها ترقى الى عهد الدول التي استولت عليها وقد ابتعنا منها قسماً لمتحف كليّتنا

وكذلك في انحاء هذا الجبل مغاور منحوتة في الصخر للسيّاح ومدافن قديمة عليها نقوش راقية الى عهد اليونان كانت تودع فيها نواويس الموتى

وممّا يُرى في جوار البلدة بئر يدعونهُ نبي أيوب يزعمون ان الملك الابجر اغتسل فيهِ لمّا شفي من برصه على يد ادّي تلميذ المسيح ويسمّونهُ ايضاً « جبّ المنديل » مشيرين الى المنديل الذي ارتسمت عليهِ صورة ابن الله كما سبق. ومن مزاعمهم انّ

الاجر بعد شفائهِ تنسّك وسكن مغارة تُدعى حتى يومنا بمغارة الاجر واهل البلد من مسلمين ونصارى يزورون هذه الامكنة وينذرون لها لينالوا بركتها. ويقوم في حراسة الجبّ رجال برص يتعاقبون في نظارتهِ اباً عن جدّ وليس برص غيرهم في البلد

وطلبنا في اورفة الاجتماع ببعض رجال العلم فلم نستدلّ على احد منهم غير جناب مفتيها فأطلعنا على بعض مخطوطات مكتبتهِ الخاصّة فكان اكثرها من التآليف الدينيّة والفقهيّة. وقد اراننا من تصنيفهِ تاريخاً لمدينة الرها كان يهتمّ بتنقيحهِ ليمثلهُ للطبع

هذه بعض افادات حصلنا علينا في زيارتنا لتلك الحاضرة الشهيرة التي كانت في الاجيال النصرانيّة الاولى نجماً على مفرق الدهر وفيها كانت تُقام اسواق سنوية حافلة كان يتوارد اليها جماهير الناس من اقاصي المعمور حتى الصين والتتر

من الرها الى ماردين

قضينا في الرها يومين أرحنا النفس فيهما من مشاقّ السفر. ثم استأنفنا الرحيل بُعيد الظهر يوم الثلثاء الواقع في غرّة تشرين الاوّل. فقطعنا سهولاً غاية في الخصب تسقيها مياه غزيرة متحدرة من جبل اورفا منها نهر بالق وهناك جداول عديدة تترقرق في الغني وتنتهي كلها الى الفرات الذي لا يبعد كثيراً. ويستغلّ الناس من تلك البقاع ضروب الغلّات والحبوب منها القمح البالغ معدلهُ في السنة ٩٦٠,٠٠٠ كيلة توازي ١٥٨,٤٠٠,٠٠٠ كيلو وقس عليهِ بقيّة الغلّات. ومن محصولات املاك اورفة السمسم والقطن والزيت والسمن بكميات بالغة لا يستطيع الاهلون تصريفها لعدم وجود طرق لنقلها الى الاسواق وانّما ينقلون منها قسماً صغيراً فقط على ظهر الجمال. فاذا ما انتهت السكّة الحديديّة البغداديّة سوف تنقل تلك الغلّات فتزيد ثروة تلك البلاد وتنمو همّة اهلها في توسيع نطاق زراعتها

وبعد خروجنا من الرها بقليل لاحت لنا عن بُعد على يميننا اخربة مدينة حرّان التي تكرّر ذكرها في سفر التكوين وموقعها على مسافة ٣٥ كيلومترًا جنوبي الرها. وفيها كان مركز مهمّ لدين الصابئة وهيكل عظيم لسين إله القمر وقد روى المؤرخون انّ كهنة حرّان كانوا يضحون في بعض الاحيان ضحايا بشريّة لذلك الاله. ومن جملة من فعل ذلك القيصر يليانوس يوم خرج لمحاربة الفرس فخدعهُ كهنة حرّان ووعدوهُ بالنصر.

وقد روى ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (éd. Sachau, p. 205) نقلاً عن كتاب عبد المسيح بن اسحاق الكندي النصراني في جوابهِ عن كتاب عبدالله ابن اسمعيل الهاشمي انَّ الصابئة كانوا يُعرَفون بذبح الناس وانَّ الخليفة المأمون لمَّا تحقَّق امرهم اخرب هيكلهم وبدَّد شملهم

ودخلت النصرانيَّة حرَّان رغماً عن مقاومة الصابئة وصارت كرسيًّا لاساقفة كاثوليك اشتهر بينهم تاودورس ابو قرَّة صاحب الميامر الشهيرة من علماء الملكيين في اواخر القرن الثامن ومن اقدم كتبة النصارى في العربيَّة (اطلب المشرق ٦ : ٦٣٢)

كانت طريقنا من الرها الى ماردين في برِّيَّة قفراء ليس فيها مع خصبها سوى قرى حقيرة يسكنها قوم من الاكراد والاعراب يُعنون بجني الغلَّات او يرعون القطعان والمسافة بين المدينتين نحو ١٤٠ كيلومترًا يقطعها القفل بخمسة ايَّام. والمكارون يفضلون السير في الليل او اطراف النهار خوفاً من وطأة الحرّ التي تثقل على الرَّكب والدوابّ معاً. غير انَّ للسفر في الليل مشاقَّةً ايضاً فانَّ النوم يستولي على المسافر فلا يكاد يصبر عليهِ فاذا ركب خيف عليهِ من السقوط واذا مشى عثرت رجلهُ بحجارة الطريق. وان تأخر عن القفل ليرقد قليلاً على حافة الطريق رصدتهُ شذَّاذ العرب وهمج الاكراد فسلبتهُ مالهُ كما عرض لاحد رفقتنا الذي لم ينجُ من رمح الاعراب الَّا باطلاق فردٍ كان في جيبهِ

كان محطّ رحالنا الاوَّل بعد خروجنا من الرها في قرية « بهيا » فلم نجد ما نبتاعهُ لطعامنا الَّا جدياً صغيرًا جزرهُ الاعرابي بائعهُ امامنا وبعد قطع رأسهِ واطرافهِ اخرج منهُ لحمهُ دون سلخ جلدهِ بكل رشاقة وابقى لنفسهِ الجلد فاصطنع منهُ ظرفاً بربط الاطراف المقطوعة. وقام احد رفقتنا فاصلح اللحم بالشوا. فاستطبناه في تلك البرِّيَّة المقفرة

ثمَّ قمنا في منتصف الليل لنسير سيرنا ودخلنا في ولاية ذلك الكردي المتبدّ الشهير بابراهيم باشا الذي كان زعيماً لقبيلة من الاكراد تُعرف بالمِلِّيَّة واذ عجز السلطان عبد الحميد عن ردّ غارات قومهِ اتخذهم كانصار للدولة فنظم تلك الفرق الحميديَّة التي حوَّلت جهات ما بين النهرين الى مأوى لصوص وكان ابراهيم باشا من فرسانهم فلم يزل ينهب ويسلب حتى صارت تهابهُ كل الانحاء الواقعة بين نصيبين

واورفا وجعل مركز حكمهِ في ويران شهر بلدة قديمة قيل انَّها المدعوة في عهد الرومان بتغرا نوكرت (Tigránocerte) اشتهرت بواقعة عظيمة جرت بينهم وبين الارمن وفيها الى يومنا آثار جليلة تدلّ على عظمها السابق . فهذه المدينة اصبحت حاضرة ملك ابراهيم الكردي الذي جازاه عبد الحميد عن لصوصيَّتهِ بلقب الباشا . فبقي متملكاً لتلك الانحاء قاهراً لكلّ سلطة نظاميَّة الى خريف سنة ١٩٠٨ بعد اعلان الدستور حيث أرسلت الجنود العثمانيَّة لمحاربتهِ فكانت الدورة عليهِ وعلى اكرادهِ ومات هو قتلاً

ولمَّا مررنا في املاك ابراهيم باشا لم يتعرَّض لنا احد من اكرادهِ لانَّ اصحاب القفل كانوا امَّنوا نفوسهم بدفع شيء من المال كجزية جعلها عليهم . ومما شاهدناهُ من مآثرهِ في مرورنا انهُ كان بلغهُ بانَّ بعض عرب شمَّر كانوا يرعون نوقاً كريمة عند نهر الخابور فارسل شرذمةً من اصحابهِ اغاروا عليهم واكتسحوا نوقهم ورأينا النوق المسلوبة تساق الى املاك ابراهيم باشا

وكان هذا الكردي مع ظلمهِ مسالماً للنصارى يُحسن معاملتهم ويرغبهم في المجيء الى ويران شهر للتاجرة . ولمَّا جرت تلك المذابح الهائلة في ديار بكر والرها وتلّ ارمن التجأ حضرة الاب دانيال الكبوشي في ماردين الى حماية ابراهيم باشا وطلب منهُ ان يردّ الاكراد عن مهاجمة ماردين ففعل واستحقَّ بذلك ثناء النصارى وجازتهُ فرنسة بوسام شرف على يد الاب دانيال . الَّا انهُ بعد ذلك تشدَّد ايضاً على النصارى واخذ اموالهم . واغتصب من السريان الكاثوليك كنيستهم فجعلها اصراء لتلّاتهِ وبقيت تحت قبضتهِ الى ان قُتل فرُدَّت لاصحابها في ٦ ك ٢ من السنة ١٩٠٩

وفي مساء يوم الاربعاء بتنا في تلّ عبدة من القرى التابعة لويران شهر . فيها مياه جارية الى الخابور احد سواعد الفرات كما مرَّ . وفيها آثار خان ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٨٦٧) ونسبهُ الى المجد بن المهلَّب وزير الملك الاشرف موسى ابن العادل . وليس بعيداً من تلّ عبدة عيون معدنيَّة كبريتيَّة يستحمّ بها بعض ذوي العاهات من اهل البادية وهي مهملة وفي جنوبيها على مسافة بضع ساعات مدينة قديمة تسمَّى رأس عين كان الرومان يدعونها مدينة ثاودوسيوس (Théodosio-polis) وقد دعيت برأس عين لعيون كثيرة تنبع فيها ثم تجتمع فتصير نهر الخابور

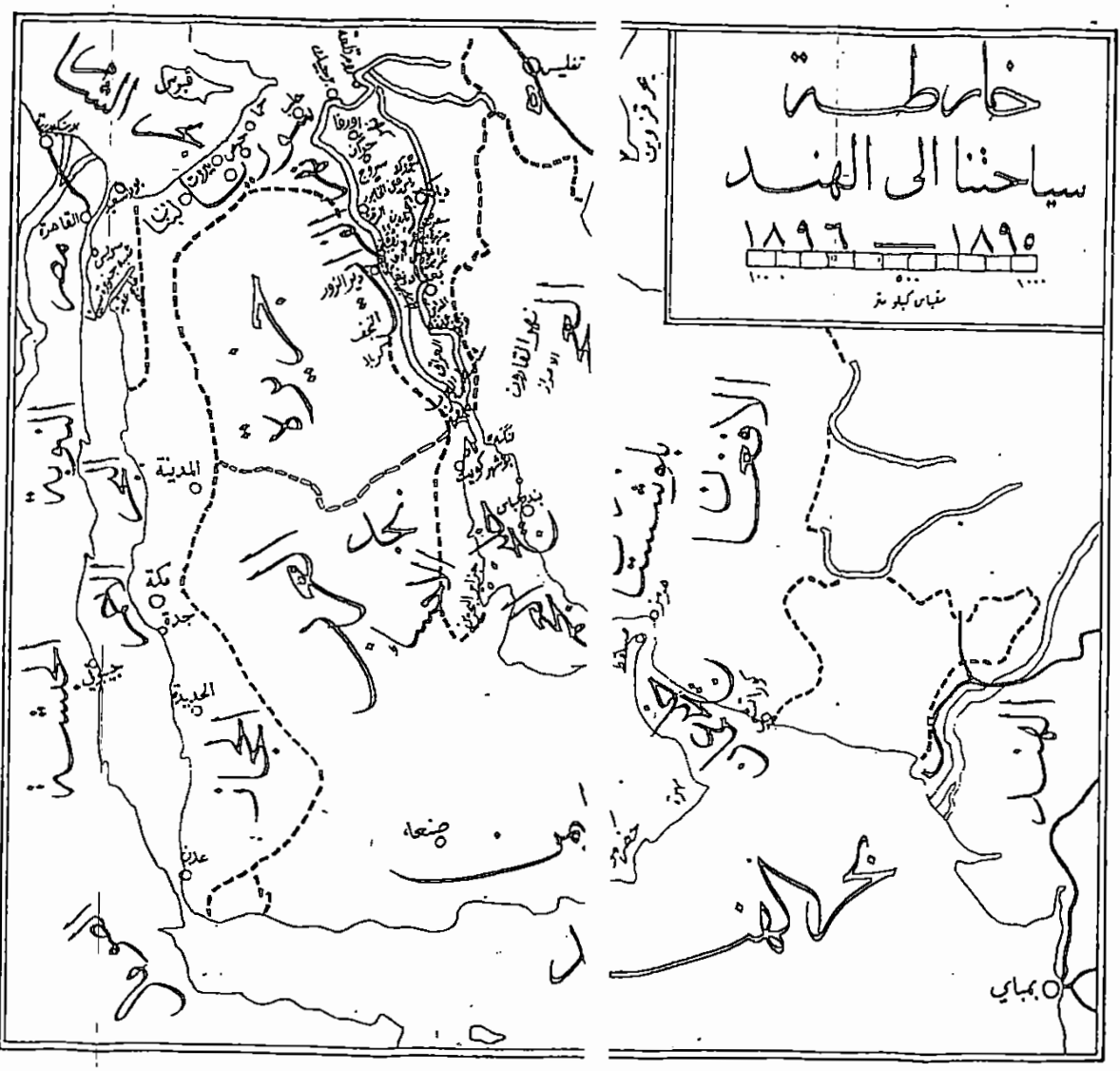
خارطة
سياحتنا الى الهند
١٨٩٥ — ١٨٩٦
١٠٠٠ ٥٠٠ ٠
مقياس كيلو متر
المدينة
مكة
جدة
الحديدة
صنعاء
عدن
بمباي
القاهرة
كربلا
النجف
تفليس

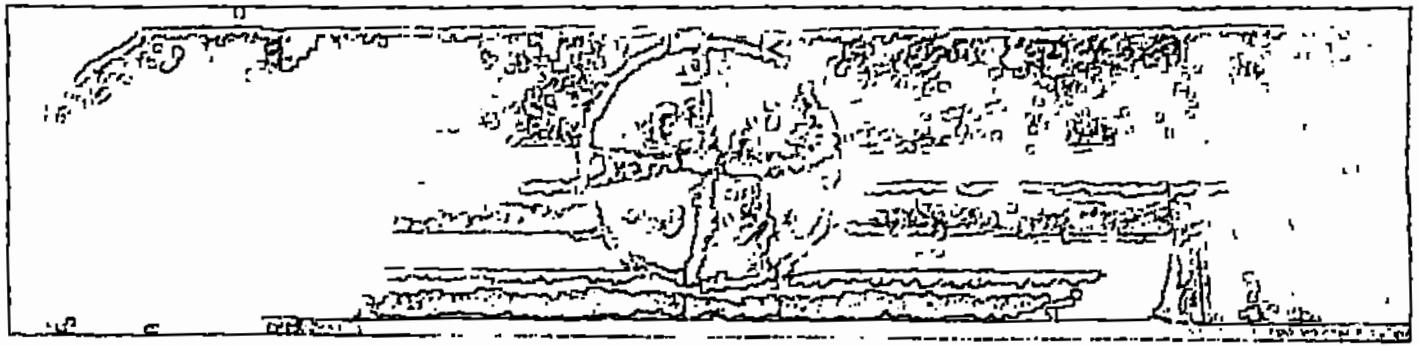

الاثر المكتشف في زَبد قريباً من حلب وفيه كتابة بثلاث لغات يونانيّة وسريانيّة وعربيّة تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح . والكتابة العربيّة طُبعت منفردة

الذي يصبُّ في الفرات. ومن رأس عين هـذه كان احد مشاهير السريان في القرن السادس للميلاد ألا وهو سرجيس الرأس عيني احد نقلة كتب اليونان الى السريانيَّة ولهُ عدَّة تآليف في الفلسفة وكان يعقوبيَّ النحلة . وفي اواسط القرن السابق اسكن السلطان عبد العزيز رأس عين قوما من مهاجري روسيَّة من قبائل الشركس فقلَّ بهم الامان في تلك الناحية حتى غزاهم العرب فطردوهم . يبلغ اهلها اليوم ٢٠٠٠ نفس . وقد اكتشف البارون فون اوپنهيم (von Oppenheim) في رأس عين على آثار جليلة يُعنى اليوم باستخراجها من ردومها

وفي غلس يوم الخميس في ٣ من الشهر اذ رأيتُ البرد قارساً نزلت عن دابَّتي لاستدفئ بالمشي وسبقت القفل قليلًا واذا اعرابيَّان قاما في وجهي فاوقفاني بحجة الكرنتينة ولم يكن وقتئذٍ ذكر للهواء الاصفر في تلك الجهات وانَّما فعلا ذلك املًا بالبخشيش. لكنهما اذ سمعاني اتكلم بالعربيَّة ورأيا ان القفل ليس ببعيد لم يجسرا على أذاي فمشيت في طريقي دون معارضة. ولمَّا استوى عمود النهار رأينا واذا السماء كادت تحتجب علينا باسراب من الطيور القواطع وهي القطا من طيور البرِّيَّة كانت في ابَّان انتقالها وقد ذكَّرتنا ألوفها المؤلفة ومئات الوفها بسلوى بني اسرائيل والقطا جنس من السلوى مكتنزة اللحم كالحجل والعرب يلتقطونها ويبيعونها الواحد بفلسين

ونحن سائرون في الطريق اذ استقبلنا قوم من الاهل والاقارب كانوا قدموا من ماردين لملاقاتنا ومرافقتنا فقضينا بقيَّة ذلك النهار بافراح الوصال والمؤانسة بالاحباب. وبتنا مساء في هلالي. وهي قرية ملتفَّة حول تلّ وفي اعلى التلّ بيت يسكنهُ آغا المكان وهو من شيعة اليزيديَّة داخل في خدمة ابراهيم باشا. فزرناه ووجدناهُ لا يخلو من بعض المام بالتاريخ وباحوال الدولة فسرَّ بزيارتنا والقى علينا عدَّة اسئلة عن رومية العظمى. ومما قالهُ لنا انَّهُ وجد في كتبهِ انَّ رومية لا تصاب بعدوى منذ نُقل اليها جسم افلاطون فصار لها طلسماً . فاخذنا العجب من هذه السفاسف واذا بشيخ ضرير كان هناك اردف قائلًا: لم يعصم الله غير مدينته مكَّة من كل ضلال وعُدوى. فأمَّن على قولهِ الحضور لكنَّ الآغا قاطعهُ بقولهِ: والله اعلم. امَّا نحن فقمنا مودِّعين للآغا وشاكرين لطفه

واذ سنحت لنا الفرصة بذكر هؤلاء اليزيديَّة يحسن بنا ان نحيل قرَّاءنا الى ما

كتبهُ عن هذه الشيعة واصلها وتاريخها ومذاهبها واقسامها (في المشرق السنة الثانية ١٨٩٩) حضرة الاب انستاس الكرملي. وقد عدَّد هناك الامكنة التي يسكنونها وفاتهُ ذكر يزيديَّة ماردين وديار بكر وسويرك واورفا وحلب فانَّ عددهم يبلغ في تلك المدن او في جهاتها نحو ١٥,٠٠٠ نفس على انَّ عددهم الاوفر انَّما هو في جبل سنجار وفي قرى شيخان اللاحقة بولاية الموصل (١

قمنا من هلالي ساعتين بعد المغرب لنصبح في تلّ الارمن. فمشينا ثماني ساعات في ليلة مقمرة وسط سهول مخصبة تجري فيها انهار صغيرة قطعناها كنهر جرجيب ونهر زرغان من سواعد نهر الخابور وكان وصولنا الى تلّ ارمن عند طلوع الشمس. وكان اهلها — واكثرهم من الارمن الكاثوليك — في ذلك النهار مقيمين عيداً عظيماً لرسولهم القديس غريغوريوس المنوّر. وهم لابسون ثياب العيد وعلى وجوههم سمات الفرح. فاستبشروا بنا ورأوا في قدومنا مزيد افراح على العيد فاجتمعنا بهم وقدَّمنا الذبيحة المقدَّسة امام الشعب في كنيستهم المزينة بحليها الفاخرة

وقد سُررنا على الاخص بمقابلة كاهن تلّ ارمن بل سندها وعميدها حضرة الخوري يعقوب فرجيان احد تلامذة مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير الذي كنَّا عرفناهُ سابقاً وتواردت علينا الاخبار المنبئة بغيرتهِ فانهُ كان منذ نحو عشرين سنة لا يزال يصرف الهمَّة في تدبير رعيَّة تلّ ارمن وتهذيب صغارها وكبارها فازدهرت بساعيهِ اي ازدهار وصارت قدوة لنصارى تلك الانحاء بتقوى اهلها وآدابهم المشكورة. بل كان الاب يعقوب محبوباً لدى جميع اهل القرى المجاورة من نصارى ومسلمين فيقصدونهُ في حاجاتهم ويتحاكمون اليهِ في خصوماتهم ويدعونهُ لعيادة مرضاهم. فعدَّ حضرتهُ مرورنا بهِ في ذلك النهار يوماً سعيداً كان يودّ ان يطيل فيهِ بهجة الوصال لولا انَّ اصحاب القفل كانوا معوّلين على الوصول الى ماردين في اليوم عينهِ

كانت تلّ ارمن يوم اجتيازنا بها بلدة عامرة ينيف عدد اهلها على ٢٠٠٠ نفس لكن الاكراد بعد شهرين نهبوها واخربوا بيوتها وقتلوا بعضاً من اهلها وفرَّ الباقون

---

١) اطلب ما كتبهُ في السنة المتضمنة الرحَّالة هوغو غروث (Hugo Grothe) في رحلتهِ التي عنوانها (Meine Vorderasienexpedition, p. 88-210)

الى ماردين ولولا الاب يعقوب الـذي قاسى في نجاتهم اشدَّ الاهوال لذهبوا جميعاً فريسة همجيَّة الاكراد

وفي تلّ ارمن ردوم وانقاض متكوّمة تدلّ على انها كانت في قديم الزمان مدينة جليلة. والمظنون انها قامت في مكان مدينة دُنَيسِر الشهيرة في تاريخ القرون الوسطى وكان فيها كرسي للاساقفة

ماردين شمالي تلّ ارمن تعلو فوقها بنحو ٣٠٠ متر فيراها المسافر في وجهه على مسافة يومين . واذا سار من تلّ ارمن عهدَها حصناً حصيناً حريزاً لا يُصعد اليهِ الّا بشقّ النفس او ظنها عشاً لا يأوي اليهِ سوى الغربان . فيقطع اوّلاً سهلاً كثير المزدرعات ثمّ يرقى شيئاً فشيئاً المعاطف المتصلة بالسهل الى ان يبلغ حلف الجبل الذي بُنيت المدينة في قتهِ فيتوغّل في عقبة كؤود ومنافذ ضيقة منحوتة في الصخر ضُربت بوعورتها الامثال فيصعد فيها نحو ساعة من الزمان الى ان يؤدي بهِ المسير الى سور يكتنف المدينة وقد ثُلم قسم كبير منهُ بفعل الدهر واهمال الدولة

ثم تظهر المدينة منتشرة حول الجبل تركب بيوتها بعضاً فوق البعض كأنّها الدرج المتصاعد وفي رأس الجبل صخور عظيمة منتصبة كأنّها قلعة حصينة شيَّدتها الطبيعة لحفظ المدينة في حماها. وعلى هذه القلعة الطبيعيَّة شيَّد البشر قلعةً ثانية صناعيَّة اكملت حرازتها فائتلفت القلعتان ائتلاف المثل بالمثل واهل ماردين يدعون قلعتهم القرقس ويروون عنها اخباراً عجيبة ومن رآها ظنَّ انهُ ليس قلعة احصن منها ولا احكم بنياناً ولا ابدع منظراً والراقي اليها يشرف على بساتينها الممتدَّة في شمالها وشرقها ويكشف على عدَّة مدن وقرى في جنوبها وغربها الى مسافة بعيدة وهو منظر فتّان لا يُحصل عليهِ في غيرها من البلدان

فالى تلك المشارف كان صعودنا بعد ظهر ذلك النهار والشمس ترسل علينا اشعَّتها المحرقة فتذكَّرنا بعض قُلل لبنان الشاقة رقيناها في سياحاتنا السنويَّة لكننا صبرنا على التعب ونحن نعلم ما سنجد في ماردين من الراحة ورطوبة الهواء والمناظر الرائعة

وما اعتلينا فوق آخر ربوة حتى سمعنا هتاف الوافدين من المدينة لاستقبالنا من اصحاب واقارب وكهنة فبهتنا لجلبتهم ونحن لم نكن منتظرين قدومهم فدخلنا

ماردين في موكب حافل وسرنا قبل كل الى كنيسة الكلدان لنشكر الله على تسهيل طريقنا وسلامتنا (لهُ بقيّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

النصرانية في الجزيرة (تابع)

ثم انَّ مؤرخي الاسلام مع قلة ما كتبوا عن عرب الجزيرة في الجاهليَّة ذكروا غير مرَّة نصرانيَّتهم وصرَّحوا كما بيَّنا سابقاً بنصرانيَّة بني اياد بن نزار (المشرق ١٤ : ٨٨٩) سواء قيل انَّهم تنصَّروا قبل دخولهم في حكم الرومان او بعد خروجهم من بلاد فارس اذ لحقوا بالجزيرة. وكذلك اثبتوا نصرانيَّة ربيعة المحتلّين في ديار ربيعة وديار بكر . قال ابن قتيبة في كتاب المعارف (طبعة مصر ص ٣٠٥) : « وكانت النصرانيَّة في ربيعة » . وقال صاحب السيرة الحلبيَّة (ج ٣ ص ٩٥) : « ومن قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وجهاء وجذام» . وبقيت بعض هذه القبائل على نصرانيتها زمناً طويلاً بعد الاسلام كما ترى في الآثار الباقية وفي كتب العرب والسريان بل ربما ذكروا اساقفة لبني مَعدّ وتنوخ وعقيل (١ . وجاء في ترجمة ماروتا اسقف تكريت انهُ جعل تحت حكمهِ ثلاثة اساقفة كانوا يدبّرون قبائل العرب وهم اسقف بيت رامان او بيت رزيق ثم اسقف بني جرم واسقف بني ثعلبة (٢

وكان نصارى غربيّ الجزيرة يتردَّدون الى مشهد القديس سرجيوس او سرجيس

١) اطلب الآثار السريانية مجموعة لند (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 47, 50) وفي منتخبات لاگرد (Lagarde: *Analecta Syriaca*, p. 108)

٢) اطلب السمعاني (المكتبة الشرقية ٢ : ٤١٠)

الشهيد في الرُّصافة (Sergiopolis) ويعظمونهُ وكانت صورتهُ مع الصليب على راياتهم الحربيَّة. قال الاخطل (اطلب ديوانهُ ٣٠٩):

لمَّا رأونا والصليب طالعا ومار سرجيسٍ وموتًا ناقعا
وابصروا راياتنا لواحا خلَّوا لنا راذان والمزارعا

وقال جرير:

فبالصليب ومار سرجسَ تنقي شهباء ذات مناكبٍ جمهورا

وقال ايضاً:

يستنصرون بمار سرجسَ وابنهِ بعد الصليب وما لهم من ناصرِ

ثامناً ويزيد شهادة العرب عن النصرانيَّة في الجزيرة ما رووهُ عن اديرتها هناك فمما ذكرهُ ياقوت (في معجم البلدان ٢: ٦٤١ — ٧١٠) دير الابيض قرب الرها وهو مشرف على حرَّان. ودير أحويشا بسعرت (قال: فيهِ ٤٠٠ راهب). ودير باناوا بقرب جزيرة ابن عُمَر. ودير باعربا بين الموصل والحديثة. ودير باغوث بين الموصل وجزيرة ابن عُمَر. ودير باطَّا بين الموصل وتكريت. ودير بالخايال (او مخائيل) في اعلى الموصل. ودير الرُّصافة قرب الرقَّة. ودير الرمَّان بين الرقَّة والخابور. ودير الزرنوق على فرسخين من جزيرة ابن عُمَر. ودير الزعفران (مرَّ ذكرهُ). ودير زكَّي على باب الرها. ودير صاوبا من قرى الموصل. ودير عبدون قرب جزيرة ابن عمر. ودير العذارى من اعمال الرقة بين الموصل وباجرمي. ودير قنسري على شاطئ الفرات في نواحي ديار مضر على اربعة فراسخ من منبج كان يسكنهُ ٣٧٠ راهباً. ودير الكلب بين الموصل وجزيرة ابن عمر كان الناس يلتجئون الى رهبانه اذا أصيبوا بداء الكلب فيبرأون. ودير أُبَّي على الفرات من منازل بني تغلب. ودير مار سرجيس على الفرات. ودير متى بشرقي الموصل شهير. ودير مرتوما بميافارقين. ودير مر جرجيس فوق بلدٍ بينها وبين جزيرة ابن عمر. ودير مرماعوث على شاطئ الفرات. ودير مر يوحنَّا الى جانب تكريت على دجلة. ودير منصور مُطلٌّ على نهر الخابور. ودير يونس في جانب دجلة مقابل الموصل

غير انَّ النصرانيَّة في الجزيرة منذ اواسط القرن الخامس تشوَّهت باذاليل البدع

ولاسيما البدعة اليعقوبيّة التي انتشرت في تلك الجهات انتشار العدوى القاتلة ففصلتها عن مركز الوحدة واوقعتها في لُجّة الضلال

قال يوحنا الافسي في تاريخه السرياني انّ ما جرى بين قبائل العرب المتنصرة من الجدال بسبب المجمع الخلقيدوني شتّت شمل كثيرين منهم حتى اصبحوا خمس عشرة فرقة. ومثلهُ قال ميخائيل الكبير وابن العبري في تاريخهما الكنسي (١. على انّ الكتبة اليعاقبة يلقون التبعة على الكاثوليك وكان الاحرى بهم ان يلقوها على سوء تصرّفهم وعصيانهم على المجمع المسكوني

وكان رهبان النساطرة واليعاقبة يتسابقون الى عرب البادية ليبثّوا بينهم زؤان اضاليلهم. كأُحودمه (٥٥١ — ٥٧٥) تلميذ يعقوب البردعيّ الذي اخبر عنهُ ابن العبري في تاريخه الكنسيّ (٢ « انهُ لمّا صار مفرياناً على المشرق ذهب ليدعو الى النصرانيّة القبائل العربيّة الساكنة في الخيم وردّ منهم كثيرين وجعل عليهم كهنة ورهباناً وابتنى لهم ديرين يدعى الواحد دير عين قنّا والآخر دير جشان بقرب تكريت » .

واشتهر بين اليعاقبة بعد ذلك « جرجس اسقف العرب » فان هذا كان من علماء عصره نقل الى السريانيّة عدّة تآليف لليونان منها كتاب الاورغانون لارسطو والّف التآليف العديدة في شرح الكتاب المقدّس واسرار الكنيسة وغير ذلك وكان كرسيهُ في عاقولا. بين قبائل العرب. ومياسرهُ بالسريانيّة شهيرة. كانت وفاتهُ سنة ٧٢٤ م

وفي اخبار الاخطل وقومه وحروبهم مع زُفر بن الحارث وقبائله القيسيّة شواهد لامعة تبيّن انّ النصرانيّة بقيت بين عرب الفرات زمناً طويلاً بعد الاسلام في عهد بني اميّة

الباب التاسع
النصرانيّة بين عرب شمالي سوريّة

انّ في شمالي سوريّا مفاوز متسعة تمتدّ من نواحي دمشق الى تدمر شرقي جبل

١) اطلب كتاب العلّامة نولدك في امراء غسّان T. Noeldeke: *Die Ghassânischen Fürsten*, p. 31-32

٢) اطلب طبعة ابلّوس (Abbelos: *Greg. Barhebraei Chron. Ecclesiasticum*, II, 100)

الشيخ ثم حمص وحماة وتبلغ الى جهات حلب وتتناول البوادي الفسيحة التي تنبسط في تلك الانحاء شرقاً حتى نهر الفرات. فهذه الصحاري الرحبة كانت ايضاً من قديم الزمان محطاً لقبائل العرب تجول في بسطتها دون ان يضايقها سكّان المدن وهناك تسرح مواشيها وترعى ابلها في ايام الربيع فاذا اشتدّ عليها القيظ تقرّبت من الارياف او جاورت ضفاف الفرات

فتلك البلاد الواسعة كانت في القرون السابقة للاسلام ديارًا لقبائل عربيّة جليلة اخصّها بنو كلب كانوا يسكنون منها القسم المتّصل بالفرات شرقاً في البيداء المعروفة بالسماوة. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص١٢٩): « امّا كلب فساكنها السماوة ولا يخالط بطونها في السماوة احد. ومن كلب بارض الغوطة عامر بن الحصين وابن رباب المقلي »

وقال في موضع آخر عن قبائل الجهات التي نحن في صددها:

وان جُزْت جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسّان من آل جفنة وغيرهم. فان تياسرتَ من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعتَ في ارض بحراء... ثم من ايسرهم ممّا يصل البحر تنوخ... ثم تقع في نصارى وغير ذلك الى حدّ الفرات الى بالس في برية خُساف وهي من الدهناء ومنها تخرج الى تدمر ذات اليمين وهي تدمر القديمة وهي جانب السماوة

« وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلميّة والماصميّة وحمص وهي حميرية وخانها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكنانة من كلب ثم ترجع بكنانة كلب من ديارها هذه الى ناحية السماوة والفرات من المدن تلّ منّس وحرص وزعرايا ومنبج. ومنبج بينهم وبين بني كلاب الى حدّ وادي بطنان »

لا شكّ انّ كل هذه النواحي التي كان عرب البادية يقيمون فيها لم تحرَم من الدعوة النصرانية ولو لم يكن لنا حجّة لتأييد قولنا غير موقع ديارها لكفى به دليلًا لانها واقعة كما ترى بين فلسطين والشام وجهات انطاكية وحلب وانحاء الرها وكلها بلادٌ اصابت سهماً معلّى من الدعوة المسيحيّة لقربها من ينابيع الخلاص فلا غرو ان تكون جرت اليها منها جداول قبل بقيّة الاقطار بعد صعود الرب بزمن قليل

وفي هذه الانحاء تعدّدت في القرون النصرانيّة الاولى الكراسي الاسقفيّة وليس

في المدن فقط بل في القرى ايضاً حتى الصغيرة (μικροκωμαι) كما يشهد على ذلك القديس باسيليوس في رسالته ١٩٠ الى امفيلوخيوس (١

وورد في الآثار الكتابيَّة او التواريخ القديمة اسماء عدَّة اساقفة كانوا يسوسون الرعايا المتفرِّقة في المقاطعات التي نحن في صددها وقد وقَّع كثيرون منهم على اعمال المجامع النيقاوي والقسطنطيني والافسي والخلقيدوني

وقد اثبت حضرة الاب سبستيان رنزفال في مقالته عن زينب (المشرق السنة الاولى ص ٩٨٧ — ٩٩٠) ما كان للنصرانيَّة من النفوذ في تدمر والبلاد المجاورة لها في القرن الثالث للمسيح بفضل السلام السائد على تلك الانحاء. كما ظهر ذلك النفوذ ايضاً في المجمع المنعقد سنة ٢٦٩ في انطاكية للحكم على بولس السميساطي فحضره ثمانون اسقفاً وحرموه

وقد صرَّح في ذلك القرن ديونيسيوس الاسكندري بنصرانيَّة تلك الاصقاع حيث كتب للبابا القديس اسطفانس (٢ : « ان اقاليم سوريَّا كلها مع بلاد العرب التي تمدُّها بصدقاتك وبلاد ما بين النهرين تصادق على تعاليمك »

ويؤيد ذلك اخبار السيَّاح الذين سكنوا في تلك الاقفار فاجتذبوا اليهم القبائل المجاورة لهم كالقديس ملكوس او مالك الذي روى قصتهُ العجيبة القديس ايرونيموس (٣ وكالقديس اليان الواسع الشهرة في القريتين (المشرق ٩ : ٦٥٨) والقديس سمعان العمودي الذي مرَّ ذكرهُ وكان مقامهُ في شمالي سوريا في الجبل المنسوب اليه. وقد افاد تاودوريطس (٤ في تاريخهِ ان الاسماعيليين اي العرب كانوا يتقاطرون الى عمودهِ وانَّهُ نصَّر منهم الوفاً مؤلفة (Ismaelitarum millia innumerabilia) . وفي حياة القديس نونُّوس انهُ لما كان في بعلبك عمَّد ثلاثين الفاً من العرب (٥

ويُضاف الى ما تقدَّم ما وجدهُ الاثريون في شمالي سوريَّا من الآثار النصرانيَّة

---

١) اطلب مجموعة مين (Migne, P. G. t. 32, col. 697)

٢) راجع التاريخ الكنسي لاوسابيوس الكتاب السابع الفصل الخامس

٣) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne P. L. XXIII, 55)

٤) اعمال الآباء اليونان (Id., P. G. vol. 74 col. 1041)

٥) فيها (Id., P. G. vol. 83 col. 668)

العديدة كبقايا اديرة واخربة كنائس ونقوش نصرانيَّة بديعة غنيت بها متاحف اوربا وقد رأينا بعض تلك الابنية في سياحتنا الى بادية تدمر (في الشرق ٩ : ٩٥٣)

ومن ذلك اثر فريد اكتشفهُ رحَّالة اوربي قبل ١٢ سنة في زَبَد ليس بعيدًا عن حلب فيهِ كتابة بثلاث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة تاريخهُ باليونانيَّة سنة ٨٢٣ للاسكندر الموافقة لسنة ٥١٢ للمسيح . وهو اوَّل اثر يُعرف بالقلم العربي كُتب ١١٠ سنوات قبل الهجرة . وهذا الاثر نصراني محض نُقر في حجر ليوضع على مشهد أُقيم هناك لتذكار الشهيد القديس سرجيوس . وهذا يثبت ما قلناه سابقاً عن تعبُّد العرب لذلك الشهيد . واخبر ساويرس البطريرك الدخيل وزعيم البدعة اليعقوبيَّة ان عرب البادية كانوا اذا تنصَّروا يطلبون العمودية في كنيسة القديس سرجيوس في الرصافة حيث قُتل شهيدًا (روى ذلك في ميمره السابع والخمسين الذي قالهُ في ٧ تشرين الاوَّل سنة ٥١٤ اعني سنتين بعد تاريخ الاثر المذكور) (١

ومن الشواهد التاريخيَّة المثبتة تنصُّر العرب في شمالي سوريَّا ما رواه ميخائيل الكبير وابن العبري عن يوحنَّا اسقف افسس من كتبة القرن السادس انهُ لمَّا حصل الانقسام بين الملكيين واعداء المجمع الخليقدوني تفرَّق العرب النصارى وسكن منهم قسم في بادية تدمر في النبك والقريتين وحُوَّارين . وبقي هؤلاء العرب على نصرانيتهم زمناً طويلًا بعد الفتح الاسلامي كما يشهد عليهِ ياقوت الحموي (٤ : ٧٧) حيث قال عن القريتين في زمانهِ « انَّ اهلها كلهم نصارى »

ولنا في كتب العرب ما يزيل كل ريب عن القبائل المتنصرة في شمالي سوريَّة وقد رأيت في ما نقلناهُ عن وصف الجزيرة للهمداني انَّ السهول الواقعة بين الشام وحلب والفرات كان معظم سكَّانها من غسَّان وتغلب وتنوخ وعلى الاخص من بني كلب الذين تفرَّدوا بسكنى الحماوة الممتدَّة من الشام الى نواحي الموصل وكانوا يسكنون خصوصاً في جهات تدمر وسلميَّة حتى سُمِّيت تلك الجهات بادية كلب . فهذه القبائل كلها كانت نصرانيَّة فامَّا غسَّان وتغلب وتنوخ فقد مرَّت الشواهد على نصرانيتها فبقيت قبيلة بني كلب . ودونك الادلَّة على تديُّنها بالدين المسيحي

---

١) اطلب مجلة الابحاث الشرقية (Riv. d. Studi Orientali, I, p. 577-587)

ان بني كلب بطن من قضاعة وهي القبيلة اليمنيَّة الاصل التي اجمع الكتبة على تنصُّرها عموماً كابن قتيبة واليعقوبي والنويري وخصُّوا بالذكر بعض بطونها كبني سليح وبني جرم. ثم ليس في كتب المؤرخين اشارة الى شرك كلب بل كثيراً ما يصرّحون بنصرانيَّة اعيانهم كبحدل بن بُحَيف من سادتهم وهو ابو ميسون زوجة معاوية وكقرافصة الكلبي ابي نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفَّان

وذُكر في المقتضب لياقوت (ص ٣٦) وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة « انَّ بني كلب كلهم كانوا نصارى ». وكذلك ذكر ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢١٩) انهم دخلوا في دين النصرانيَّة

ولمَّا ظهر الاسلام كان بنو كندة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما اخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرسول (éd. Wüstenfeld, p. 282) وكذا روى ياقوت في المقتضب عن مدَر كلب اي اهل البادية فقال: « اسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارى » وبقي الذين اسلموا منهم على عاداتهم النصرانيَّة كما روى في كتاب البلدان لابن الفقيه (ص٣١٥) فقال عنهم « انهم مسلمون في اخلاق النصارى » واخبر ابن قتيبة في عيون الاخبار (ص١٧٤) والجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٦٢) انَّ بعض من اسلم منهم كانوا يضربون الناقوس ويترددون الى الكنيسة التي تعمدوا فيها

وكان من جملة امرائهم الذين يتولون تدبيرهم ابو كرب الذي عُرف بنصرانيته فمنحه يستنيانوس الملك تدبير قبائل السماوة كما روى المؤرخ بروكوبيوس (١

وربما دعا المؤرخون هذه القبائل المتنصرة بالمستعربة واليهم التجأ الروم عند ظهور الاسلام لمحاربة خالد بن الوليد. قال ابن البطريق في تاريخهِ انَّ هرقل « استجلب المستعربة من غسان وجذام وكلب ولخم وكل من قدر عليه من الاعراب وأمَّر عليهم قائداً من قوَّادهِ يقال لهُ ماهان » (٢

فترى من هذه النصوص ان كتبة العرب ايضاً يوافقون اليونان والسريان في نسبة النصرانيَّة الى القبائل المتفرقة في شمالي سوريَّة (لهُ بقيَّة)

١) اطلب (Procope, de B. P.,I, 19)

٢) اطلب الصفحة ١٦ من الجزء الثاني من طبعتنا

كلمة في مجلّة الكلمة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿ مقدمة ﴾ في نيويرك عاصمة الولايات المتحدة « مجلة روحيّة ادبيّة تاريخيّة كنائسيّة تصدر مرّتين في الشهر لمنشئها الاسقف رفائيل هواويني » وهي منذ ابتداء هذا العام الجديد قد دخلت في سنتها الثامنة وترى شعارها على غلافها قول الرسول الى تلميذه تيموتاوس « اكرز بالكلمة واعكف على ذلك في وقته وفي غير وقته »

وما كنّا لنتعرّض لهذه المجلة في ادراك غايتها الشريفة حتى ولو كرزت بالكلمة في غير وقتها ما دامت جاريةً على خطة العدل بل نُسَرّ ايّ سرور اذ نشاهد من يعضدنا في مناصرة الدين والدفاع عن حياض الآداب سواء كان منّا او من غيرنا اذ نعدُّ منّا كلّ من ليس هو ضدّنا.

والحقّ يقال اننا وجدنا في « الكلمة » عدّة مقالات اثنينا على كتبتها منها تفاسير حسنة لبعض فصول الكتب المقدّسة ومنها شروح لبعض الطقوس البيعيّة ومنها مباحث روحيّة او كنسيّة جديرة بالذكر وبينها ايضاً ردود على اهل الكفر كرينان وتلستوي وغيرهما وتزييف لاعمال مستكرهة يأتيها اصحاب الخلاعة والماسون

فكلّ ذلك ممّا يستوجب الثناء على مجلة الكلمة لو لم يتحرّش منشئها الدين الكاثوليكيّ في اشياء كثيرة لم يُصب في روايتها البتّة بل اظهر من التطرّف ما لا يليق بمقام اسقف مثلهُ . ولا يعذرهُ كونهُ نقل بعض هذه المرويّات عن منشورات غيره فانّ الرجل العاقل لا يروي شيئاً ما لم يتحقّق صدق قائله ويسبره بمعيار الانتقاد والتروّي . ودونك الشواهد على قولنا ننقلها من بعض اعداد الكلمة في سنتها الاخيرة :

فمن الامور التي ابدى فيها منشئ الكلمة حقدهُ على الكنيسة الكاثوليكيّة مسألة الاب مكيليان الكاهن الكاثوليكي وامير سكسونيا . وقد روت الجرائد الاوربيّة الصادقة ما نشرهُ هذا الكاهن الشريف المغرور بصفاء نيّته من المزاعم الدالّة على قلة تروّيه في البحث اذ كتب مقالة في اوّل عدد من مجلة جديدة اسمها

« رومية والشرق » شحنها بالاقوال غير السديدة بل المناقضة تماماً للحقائق التاريخيَّة وتعاليم الكنيسة . فما وقف عليها قداسة الحبر الاعظم حتى نشر منشوراً فنَّد فيهِ تلك المزاعم الباطلة اجمالاً وبيَّن انَّ كاتبها لم يتحرَّ البحث في ما نشرهُ وانَّهُ انخدع بسذاجة فطرتهِ وحسن طويتهِ . ثم قام الكتبة الكاثوليك وزيَّفوا الاضاليل المتعدِّدة التي في تلك المقالة فصلاً فصلاً مع ثنائهم على فضل الكاتب وصدق سريرتهِ كما ظهر برسالة اسرع الاب مكسيليان فقدَّمها لقداسة الحبر الاعظم معلناً بخطابهِ ومصرِّحاً بخضوعهِ وانابتهِ . فكان خضوعهُ دليلاً لامعاً على سلطة الكنيسة المقدَّسة في كل ابنائها من اي مقام كانوا حتى الامراء منهم ولم يجد احد من الكاثوليك بل ملك سكسونيا نفسهُ اخو الكاهن المذكور ان البابا بيُوس العاشر تجاوز في عملهِ حدود الحكمة

الَّا انَّ بعض اعداء الكنيسة رأوا في هذا الحادث فرصة ليتحاملوا على الديانة الكاثوليكيَّة . وكان من جملتهم صاحب الكلمة الذي لم يكتفِ بان نشر رسالة الاب مكسيليان في اعداد مجلتهِ دون ان يروي تفنيدها تاريخيًّا وعلميًّا للحبر الاعظم ولكتبة الكاثوليك بل زاد عليها اقوالاً ضاعفت اغلاطها واضاليلها وبينما كنَّا نرى سوءَ الكاهن يجاهر بغلطهِ ويسترجع ما كتب كان منشئ الكلمة يستصوب ذلك الغلط ويستقبح خضوع الاب مكسيليان لرؤسائهِ وينسب اليهِ سوء التصرف وذلك باقوال لا يتقدم عليها رجل كريم مع احد امثالهِ فضلاً عن امير شريف كالاب مكسيليان فدعا اقرارهُ بغلطهِ « مخالفة لحريَّة ضميرهِ » (ص ١٤٤) و« تذلُّلاً » و « خضوعاً اعمى » و « انهُ اقدم على ندامتهِ امَّا خوفاً من تهديدات او اذعاناً لرجاوات (كذا) حتى يكون تظاهرهُ بالندامة والخضوع كحجة بيد الفاتيكان على طمس نور الحقيقة الذي يسطع من خلال كل سطر من سطور مقالتهِ البديعة الخ » (ص ١٤٤) فندع الحكم للقرَّاء في هذا الكلام القارص وما اشبههُ . ولو كان منشئ الكلمة عادلاً لروى تفنيد الحبر الاعظم وعلماء الكاثوليك لمقالة البرنس فامكن القرَّاء ان يعرفوا اين الحقيقة بالمقابلة لا بل كان يكفي السيد هواويني ان يمعن النظر في تلك المقالة ليرى اغلاط صاحبها العديدة لايرضى ببعضها الوهم نفسهم

ومن عجيب صنيع الاسقف رفائيل انَّهُ روى في عددهِ السابع (ص ١٤٣) ما

كتبهُ لسموّ البرنس ذلك الراهب الجاحد ياكنتوس لويزون (H. Loyson) وجواب الكاهن الامير عليهِ حيث يحضُّهُ ان يعود هو ايضاً الى حجر الكنيسة بالتوبة الصادقة. ثم ما لبث في العدد ١١ (ص ٢١٤) وقال انَّ هذا الجواب الذي رواهُ انَّما هو « تزوير جزويتي » ناقلاً الخبر عن مجلة « بنتينوس » الاسكندريَّة. فزاد الطين بلةً وفي قيدهِ انحطاطاً اذ انَّ الجرائد العديدة التي روت تلك الرسالة (مع قطع النظر عن صحتها) ليس بين محرريها راهب يسوعي واحد. وبتسميتهِ لنا « جزويتاً » بيَّن لقرائهِ حسن ذوقهِ ولطف طباعهِ كأنَّهُ اذا دعانا « جزويتاً » سوَّد وجهنا خزياً ونحن مهذّبو ابناء طائفتهِ واشراف ملّتهِ الاورثذكسيَّة

ثم فليسمح لنا صاحب مجلة الكلمة ان نسألهُ اين وجد في منشور قداسة الحبر الاعظم للاب مكسيميليان ما نسبهُ اليهِ (ص ١٤٢) حيث قال: « على انَّ الاغرب من هذا هو ان هذا المنشور البابوي يحصي في عداد الهرطقات الفظيعة مسحة الميرون المقدَّسة التي يتممها الكهنة الشرقيون » فيا لله اليس عار على اسقف ان يأتي بمثل هذا المدَّعى الزور وليس في منشور امام الاحبار شيءٌ من ذلك. وكفى بقولهِ برهاناً على انَّ الاسقف رفائيل كتب ما كتب دون ان يطَّلع على منشور البابا بيوس العاشر او انَّهُ لم يفهم معناهُ ودونك ما قال الحبر الاعظم:

« ومن الضلالة ايضاً قول الكاتب انَّ كل كاهن يحقّ لهُ ان يمنح سرّ التثبيت ويكون فعلهُ صحيحاً:

فمعنى هذه العبارة انَّ سرّ مسحة الميرون كما علَّمتهُ الكنيسة في كل الاجيال لا يجوز ان يمنحهُ الكهنة (على الاقل في الكنيسة اللاتينيَّة) الَّا بتفويض من الحبر الاعظم. لان خادم الميرون انَّما هو الاسقف كما يظهر من سفر الاعمال (٨: ١٧). والعادة الجارية في الكنائس الشرقيَّة ان يمنح الكاهن سرَّي المعموديَّة والميرون معاً فقد تساهل البابوات بترخيصها لكهنة الكنائس الشرقيَّة

فانظر يا رعاك الله الفرق بين قول الحبر الاعظم وما نسبهُ اليهِ الاسقف هواويني في مجلة الكلمة وليحكم المنصفون

ونزيد برهاناً آخر على عدم انصاف الكاتب انهُ نقل رسالة البرنس مكسيميليان الكاثوليكي التي كانت هفوةً منهُ ولم يُفد قرَّاءهُ بترجمة رسالة اخرى نشرها سيادة

المطران جراسيموس مسرّة مطران بيروت على الروم الارثذكس في مجلات اوربا واتى فيها بكلام مملوء رقّة عن اتحاد الكنيستين. فما لهُ سكت عن هذه المؤلفة للقلوب (وان اشار اليها ص ٣٣٢) ثم اثبت تلك الباعثة للاحقاد ؟

*

وقد ظهر مرارًا اخرى بغض منشئ الكلمة للكنيسة الكاثوليكيَّة ولحبرها الجليل الذي اجمعت كل الممالك على اكرامهِ والاقرار بفضلهِ السامي وذلك بما نقلهُ في عددهِ ١٠ (ص١٩٥) عن « البابوية والحكومات الاوربيَّة » فزعم انَّ الحبر الاعظم بمناشيرهِ الجليلة في الاضاليل العصريَّة هيَّج على الكنيسة الكاثوليكيَّة الحكومات الاوربيَّة وليس هناك هيجان البتة الَّا من بعض الافراد العُصاة المستسلمين لتلك الاضاليل التي تتهدَّد الكنيسة الكاثوليكيَّة بل تتهدَّد كل دين. فيا ليت شعري اما كان احرى بالاسقف رفائيل ان يشكر قداسة البابا على وضعهِ سدًّا بازاء الكفر والفساد وهما السلّ الادبي والسلّ الديني اللذان وصفتهما الكلمة في عددها التالي (ص ٢٠٧ — ٢٠٨)

ومنها ما ذكرهُ عن تلك الحفلات الشائقة التي أُقيمت في اميركا في نسبة اليوبيل الذهبي للكردينال جيبونس حيث اتفق على اطراء ذلك الرجل العظيم كل الاميركيين على اختلاف نزعاتهم واديانهم فما كان من امر السيد هواويني الَّا ان شذَّ وحدهُ عن تلك المظاهرات ويا ليتهُ سكت لكنهُ روى ذلك الخبر (ص ٢٧٢) تحت عنوان « سياسة التملق والمداهنة » ولام الكردينال جيبونس عن رضاهُ من مدح الاميركيين حتى الرئيسين روزفلت وتافت لوطنيَّتهِ. زه ازه !

ومنها ما رواهُ في عددهِ ١٦ (ص ٣١١) عن منشور البابا في اختصار عدد الاعياد في الكنيسة اللاتينية. وكل يعرف انَّ قداسة الحبر الاعظم لم يأتِ على مثل هذا الامر الَّا بعد الفحص عن الاسباب الموجبة لذلك ومراعاةً لاحوال الدول

لكنَّ السيد هواويني على مألوف عادتهِ رأى في هذا العمل البابوي مطعنًا فعاد بعد حين (في العدد ٢ من السنة الثامنة ص ٤٧) وزعم انَّ المنشور البابوي هيَّج خواطر الاساقفة الكاثوليك « وان الحضرة البابوية اضطرَّت الى اصدار اوامر جديدة تزيد عدد الاعياد » وليس في كلّ هذه الروايات ذرَّة من الصحة وانما هي

اختلاقات محضة من صاحب الكلمة . ومن الدلائل التي تبيّن تطرُّفهُ الذميم انَّهُ زعم (ص ٤٨) ان البابا جعل عدد اعياد البطالة « اقلّ باربعة من عدد التي سمحت بهِ الثورة الافرنسيَّة » وكلّ يعلم حتى صغار مدارسنا انَّ اعياد البطالة في فرنسة هي اربعة امَّا المنشور البابوي فجعلها ثمانية اعني انها « اكثر باربعة » من عدد تلك الاعياد لا « اقلّ » . امَّا قولهُ « بانَّ الثورة الافرنسيَّة سمحت بهذا العدد » فانَّهُ دليل جديد على خبطهِ لانَّ الثورة الفرنسويَّة كانت ابطلت كلّ الاعياد حتى الآحاد وانَّما الحبر الاعظم بيوس السابع بمعاهدته مع نابوليون حصر تلك الاعياد في اربعة . فانظر كم من الاغلاط في بعض اسطر . وعليهِ نزذل قول الكاتب حيث قال (ص ٤٨) « فكان عملهُ هـذا (اي عمل قداسة البابا) باعثاً على الظنّ بانَّ البابا بيوس العاشر الذي اظهر صرامة شديدة في المضايقة على المودرنستيين هو نفسه مودرنستي في الخفاء » . فما احلى هذا التهكُّم في فم السيد هواويني غير انَّ سهمهُ طاش فعاد الى نحرهِ

وفي هذه الصفحة عينها نبذة عنوانها « الاكليروس الباباوي والحرب الايطاليَّة التركيَّة » كلها طعن وثلب نقلها صاحب الكلمة عن جرائد معادية للحبر الاعظم كذَّبها المسلمون انفسهم (١ ولولا ذلك لما كان جلالة السلطان محمد الخامس من جملة الملوك المرسلين لرأس الكنيسة المنظور التهانئ بقدوم العام الجديد

وفي العدد ٢٤ (٤٦٧ — ٤٧٢) بحث طويل عنوانهُ « فصل من الدسائس البابويَّة لتمريق ابناء الكنيسة الارثذكسيَّة » جاء فيهِ الاسقف بالعجائب والغرائب فزعم هناك انَّ الكاثوليك ولا سيما رهابين اللاتين كما يدعوهم يتخذون في روسية « كل طرق الدسائس والمكايد ووسائل الاكراه والخداع لتمريق الروسيين الارثوذكسيين الى الكاثوليكيَّة » بل زعم انَّ « الجزويت » في مقدَّمة اولئك الرهابين في هذه الاعمال المذمومة وللكاتب هناك اكثر من اربع صفحات يشنع فيها اعمال اللاتين وقحة الجزويت وينادي بالويل والثبور بحيث يظنّ القارئ انَّ الكثلكة كلها قد اقتحمت على روسية الارثذكسيَّة لتستأصل شأفتها وتبيد مذهبها

١) وفي الكلمة عينها تكذيب لهذه الاشاعات في مقالة الشمَّاس عمانوئيل ابي حطب (ص ٤٢٩—٤٣٠) حيث يلوم جريدة البلاغ عن اهانتها للحضرة البابويَّة « لمجرَّد كونها الرئاسة الدينيَّة للديانة التي يدين بها الطليان » فكان حضرة الشمَّاس انصف من سيادة الاسقف

وان سألت ما في كل هذا الصراخ من الصحّة اجبنا انّهُ لا احد يجهل مضايقات روسيّة على البولونيين منـذ مئة سنة بنيف وكيف سعت بالف وسيلة ان تدخلهم في المذهب الارثذكسي شاؤوا او أبوا وهم لا يزالون يجاهرون بايمانهم الكاثوليكي ويقاسون لاجلهِ ضروب العذابات. وكانت روسيّة ظنّت في هذه الازمنة الاخيرة انّ هؤلاء الكاثوليك نسوا دينهم واضحوا عريقين في الارثذكسيّة فلمّا نادى القيصر بحريّة الاديان قبـل خمس سنوات اسرع اولئك المقهورون الى المجاهرة بالكثلكة وعددهم يبلغ نيّفاً ومئة الف فهذا ما حرّك بغض الارثذكس عليهم فاخذوا يندّدون بالرهبان اللاتين زاعمين انهم خدعوا اولئك الروثنيين كما نقلت الامر جميع الجرائد الحرّة ولذلك عادت روسيّة وألغت فعـلاً سنّة حريّة الاديان خوفاً من ارتداد كل الروثنيين الى الدين الكاثوليكي

امّا نسبة صاحب الكلمة الى « الجزويت » هذه الدسائس المزعومة في روسيّة فهو افتراء فظيع اذ كلٌّ يعلم انّ الدولة الروسيّة نفت اليسوعيين من بلادها منـذ ٩٠ سنة فان دخل احد منهم الى اقطارها حُكم عليهِ بالسجن المؤبّد او بالنفي الى سيبريا. فلينظر القرّاء مبلغ السيد هواويني من العلم والانصاف . ومثلهُ زعمُـهُ (في الصفحة ٣٣٣) ان « الجزويت يتجوّلون في مدن روسيّة بلباس علماني » وان « الاب فرتسنسكي » هو زعيمهم فكلهُ افتراء اذ ليس في رهبانيتنا احدٌ بهذا الاسم. وان امكن الكلمة ان تأتي بالبراهين على قولها شكرنا فضلها. ولكننّا لا نشكّ في انّ ضرباتها في الهواء لا تؤذينا

بل قل بالحري انّ صاحب الكلمة يشرفنا اذ يضربنا بفقّاعاتهِ كما يشرّف الكنيسة الكاثوليكيّة فلا يدع فرصةً الّا ويخصّنا بالذكر فتارةً ينسب الينـا اسباب الثورة البرتغاليّـة (ص ١٩٣) وتارة يحدّث قراءهُ عن تزويراتنا (ص ٢١٤) ودسائسنا (ص ٣٣٣) وكأنّهُ يدعونا الى « التساهل الديني » (ص ١٩٦) في ذكرهِ « لرواية اليهودي التائهِ في بيروت » وقد حكم في تمثيلهـا المسلمون نفسهم حكماً انصف من حكمهِ (راجع كتاب معرض الافكار الذي جمعهُ جناب يوسف افندي الغلبوني)

وتراه مع هـذا راصداً لاحوال الكاثوليك حتى اذا وجد فيهم مغمزاً للحال صوّب اليهِ سهام الملام وهو في الغالب غير مصيب

فمن ذلك أنــهُ استقبح مناظرات الكاثوليك والبروتستانت في اميركا الشمالية (ص ٦٧) كأنهُ يريد ان يستسلم الكاثوليك للاضاليل البروتستانتية فيتزوجوا معهم بالدينيات

ومنها أنهُ انتقد (ص ٤٤ من السنة الثامنة) على السيد « أمت » رئيس اساقفة باريس تحريهُ لكتاب الكاهن كلارا في « زواج الكهنة » كأنهُ يريد ان يتنلل الاكليروس الغربي بأغلال الزواج التي افقدت الاكليروس الشرقي شيئاً من شرفهِ وغيرتهِ (راجع مقالتنا في زواج الاكليروس في المشرق ٩: ٨٠٠) . واغرب من ذلك أنهُ اخبرنا (ص ٥٢) انَّ المترهلين من كهنة الكنيسة الارثذكسيَّة طلبوا ان يتزوَّجوا ثانية وانَّ المسألة تحت البحث « وسيجرون بموجب قرار الاكثريَّة » . فانظر رعاك الله ما صار اليهِ جهل صاحب الكلمة بقوانين الكنيسة والمجامع !

ومنها انهُ جعل (٨: ٣٧) الكاثوليك بمنزلة البروتستانت والماسون في معاداة الارثذكسيَّة

ومنها انهُ نسب (ص ٤٧٣) الاستياء للآباء الفرنسيسكان على قداسة الحبر الاعظم لانهُ (على قولهِ) « اصدر رقيماً بالغاء استقلال الطغمة الفرنسيسكانيَّة اعتباراً من اوَّل تشرين الثاني الماضي وبانضمامها الى الطغمة الكبوشيَّة » وهو خبر عارٍ من كل صحة رواهُ فقط تنديداً بالكرسي الرسولي بل خلط شعبان برمضان

وكم هناك من تسميات وتلميحات يطول بنا ذكرها تُشعر كلها بانَّ صاحب الكلمة يُسكت في ضميرهِ صوت الحقّ والعدل ليتشفَّى من الكنيسة الرومانيَّة امّ الكنائس وسيدتها . فان رأى في عينها قذًى أوَ ليس الاجدر بهِ ان يفكر في الخشبة الانجيليَّة ولا عجب ان يطعن في الكاثوليك واليسوعيين وهو يطعن في الكنائس الارثذكسيَّة وكفى شاهداً على قولنا ما تبلّغنا الكلمة من اصداء الخصامات الواقعة بين الروم والاخطار المتعدّدة التي تتهدَّد الارثذكسيَّة . فليراجع مثلاً ما كتبهُ (ص ٢٨) عن الانشقاقات الشائنة الواقعة « بين البطريركيَّة الاورشليميَّة واعضاء اخويَّة القبر المقدَّس اليونانيَّة » وعن قلاقل تلك الكنيسة واضطراباتها (ص ٣١٢ و ص ٤٣٣) وما اخبرهُ عن اولئك الرهبان الذين دعاهم « ذئاباً خاطفة في لباس حملان » (ص ٣١) وما رواهُ عن تداخل الاضاليل البروتستانتيَّة

بين الارثدكس (ص ٣٠) وكذا الماسونيَّة (٨: ٣٥—٣٧) . وما افادهُ عن تصرُّف البطريرك داميانوس باوقاف القبر المقدس (ص ٣٣) وما حصل من الخصومات بين الشعب والبطريرك فوتيوس الاسكندري (ص ٢٧٣) وبين اهل مرجعيون والبطريرك الانطاكي (ص ٤٣٥) والخلافات الواقعة في ابرشيَّات بيروت (٨: ٨٢) وزحلة (٨٣) وحلب (٨٤) وطرابلس (٨٥) أفهذا كلهُ لا يكفي لسيادة اسقف بروكلن ليدع الكاثوليك وشأنهم، ويصرف همهُ الى اصلاح ما نسبهُ من الخلل الى ذويه . ارشدهُ الله الى الصواب والانصاف

الترقي العلمي في العام المدبر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

نجمل هذه النبذة العلميَّة كملحق لحوادث العام الماضي التي رويناها قبلًا (ص ١ و١٢٦) وليس فكرنا ان نستقري العلوم كلها لانَّ المجلَّات العموميَّة تضيق عن وصف ما يبدعهُ العلم كل يوم من الاختراعات في ضروب الفنون والمعارف فنكتفي بلباب ما روتهُ المنشورات الخاصَّة

١ علم الهيئة

في منظر الافلاك جاذبٌ عظيم الى رصد اسرار السماء . ولذلك ترى المراصد تتوفَّر في كل انحاء العالم المتمدن وترتبط بعضها ببعض لزيادة الفائدة بجمع الكلمة . وممَّا يساعد على ضبط الارصاد وضع خارطة عظيمة تشتغل في رسمها عدَّة جمعيَّات علميَّة دوليَّة وقد ظهر منها الى الآن عدَّة قطع كبيرة رأيناها في مرصدنا في كسارا فهي حقيقة من الاعمال الشريفة التي ستجعل للقرن العشرين ذكرًا مخلدًا . ولفرنسة في هذا العمل حصَّة كبيرة وكذلك المرصد البابوي في رومية يتولى قسماً منهُ

ثم انَّ فنَّ الفوتغرافيَّة قد افاد افادة عظيمة في كشف نجوم صغرى لم تستطع الآلات الفلكيَّة المكبِّرة الوقوف عليها . فصار التصوير الفوتغرافي شقيقاً للمجهر في رصد الافلاك وفتحت اكتشافاتهُ باباً للابحاث بل اتت بمشاكل عويصة يسعى في حلها الفلكيون ولم تخطر سابقاً على بالهم

ومما وجّه اليه العلماء نظرهم في العام الماضي جملة من النجوم تظهر في السماء على اقدار مختلفة فعدّدوا رصودها وبحثوا عن تعليل الاختلافات الجارية فيها

وكذلك عني الفلكيون بدرس المذنّبات بعد ظهورها في العام السابق حيث لاحت المذنبات الجميلة كمذنبة اينس (Innés) التي سطع ضوءها وكان ذنبها لامعاً منتظماً ثمّ مذنبة دانيال التي جاءت على غير انتظار ثم مذنّبة هلّاي المنتظرة منذ ٧٠ سنة والمزيّنة للسماء ببهائها فكلّ هذه المذنّبات وغيرها ايضاً اصغر منها تمكّن الفلكيون من درس احوالها واخذوا منهـا الوفاً من الصور الفوتغرافيّة اهتمّوا في السنة ١٩١١ باستخلاص مكنوناتها ومعرفة خواصها فوجدوا بينها اختلافاً عظيماً من حيث نواتها ونور اذنابها وهيئات تلك الاذناب. وقد جاءت في هـذا العام مذنّبات أخرى ساعدت العلماء على مواصلة دروسهم في تلك النجوم الغريبة اخصّها مذنّبة بروكس التي كنّا نراهـا بالعين المجرّدة في شهري ايلول وتشرين الاوّل وخُصّت بريشاتها المتعدّدة. وقد ظهرت في السنة سبع مذنّبات غيرها

وممّـا افادنا علماء الهيئة في العام المنصرم ضبط السانة التي تفصل القمر عن الارض فان علماء مرصد غرينويتش كرّروا اقيستها وضبطوا حساباتهم فكانت نتيجة ابحاثهم انّ سيّارتنا تبعد عن الارض ٣٨٤,٤٤٦ كيلومترًا اعني بزيادة ٤٦ كيلومترًا عمّا ترويه الكتب الفلكية. فلا يزال القمر كما ترى في جوار الارض ولو قصد احد الطيّارين قطع هذه المسافة بطيّارته لكفاه ١٦٠ يوماً وثلاث ساعات بطيران متواصل بمعدل ١٠٠ ك في الساعة ليبلغ الى القمر وذلك قريب بالنسبة الى بقيّة السيّارات وما قولك بالنجوم التي يقطع النور المسافة بين اقربها الى ارضنا ازيد من اربع سنوات وهو يقطعها بين القمر والارض باقلّ من ثانيتين بمعدّل ٣٠٠,٠٠٠ ك بالثانية

ومن الحوادث الفلكية المهمّة في العام الماضي اصدار الوزارة الفرنسويّة امرها بتطبيق ساعاتهـا مع هاجرة غرينويتش والعدول عن زمن باريس المتوسط فأُخرت الساعات تسع دقائق و٢١ ثانية وبذلك تمّ اتّفاق كل الدول على تعيين ساعة واحدة للهاجرة تدلّ على الزمن المتوسط مع قطع النظر عن دوران الشمس والوقت الحقيقي الذي يختلف كلّ يوم ولا يمكن الاستنـاد اليه في المعاملات (راجع مقالة تقويم البشير في اليوم الشمسي والزمن المتوسط)

٢ الطبيعيات

منـذ اكتشف الطبيعيون آلتي الكينيتغراف والفونغراف اي تصوير حركات الاشخاص وتمثيـل اصواتها اخذوا في البحث عن تركيب آلة تجمع بين الحركات والاصوات معاً بحيث يمكننا مثلاً ان نرى زيداً بالعيان ونسمع صوتهُ الطبيعي كأنهُ امامنا رغماً عن بعدهِ. وممَّن افرغوا الجهد في حلّ هـذا المشكل المسيو غومون (Gaumont) وكان باشر بامتحاناتهِ منذ السنة ١٩٠٢ فلم يزل يكرّر تجاربهُ ويحسّن آلاتهِ حتى امكنهُ وضع آلة يدعوها كرونفون (Chronophone) جرَّبها في العام الماضي في نادي المجمع العلمي في باريس فأتت بالنجاح التامّ . فانَّ رئيس ذلك المجمع بعـد ان أقفلت كل المنافذ المنيرة دعا الدكتور دارسونفال الى خطاب في الطبّ كان وعد بهِ فقام الدكتور وخطب كمألوف عادتهِ ولم يشكّ احدٌ انَّـهُ هو بصورتهِ وصوتهِ مع انهُ كان في ذلك اليوم غائباً. وعمَّـا قريب ان شاء الله ستأتينا الآلات التي تمثل امامنا جلسة علميَّة او سياسية فترينا الاشخاص وتسمعنا اصواتهم كأنَّا بينهم بل يمكننا ان نحضر تشخيص رواية لعب ادوارها ممثلو باريس وهلمَّ جرّا

ومن الاكتشافات المفيدة وضعُ بارومتر جديد لمعرفة تقلبـات الجوّ وحدوث الانواء سلفاً بواسطة التليفون. وذلك ان يُغرس في ارض موافقة لتقـل الكهرباء جُرزتان من الحديد المذاب على مسافة خمسة او ستة امتـار الواحد عن الآخر وانما يكون الطرفُ المغروس عريضاً ليزيد بذلك مسيـهُ للارض. ويُمدّ بين كل جرزة سلكٌ من نحاس يوصلها بسلك التليفون المتصل بآلة مولدة للكهرباء ثمَّ يُسقى طرفا الجرزتين كل ثمانية او عشرة أيام بمحلول من كلوردرات الامونياك بنسبة ١٥ غراماً لمئة غرام من الماء. فاذا اراد الانسان ان يعرف التقلبات الجويَّة كفاه ان يصغي الى فوهة التليفون فيستدلّ عليها قبل وقوعها باثنتي عشرة ساعة الى خمس عشرة وذلك انَّهُ يسمع في التليفون ازيزاً كصوت البرَد عند سقوطهِ على سقف من زنك او على الزجاج وبقدر تقرّب وقت الانواء والزوابع يزداد الصوت شدَّة. وسبب الامر ظاهر لان الحديدتين باتصال سلكيهما مع التليفون تولّدان مجرًى كهربائيًّا جديداً يتأثَّر من حركات الجوّ ويرقها على الصفيحة التليفونيَّة فيسمعها الناصت اليها

التلغراف اللاسلكي ينال كل يوم انتشاراً عظيماً وكل الممالك تسعى في تعميمهِ

في بلادها . وقد عزمت فرنسة على ان تربط كل مستعمراتها في افريقيا والهند والصين واوقيانية بحاضرتها باريس وتوصلها ببرج ايفل وقد باشرت بالامر مع السودان والكنغو وعمّا قليل سيتمّ على وفق مرامها

ومما زاد في قوّة التلغراف بلا سلك اطلاق شرارات قوية من الباعث يدعونها بشرارات . وسيقيّة تبلغ الموجات الهرسيّة في الهواء الى القابل فيُسمع لها رنّات يدوّنها القابل فيُستدلّ بتدوينها على معانيها

وهنا يسرّنا ان نذكر ما روتهُ الصحف الانكليزيّة عن اختراع حبيب عبد الرحمان خان التلغراف اللاسلكي المائي والمخترع هنديٌّ وناظر التلغراف في الله آباد بالهند امكنهُ ان يخابر بتلغرافهِ الدارعة التي كانت تقلّ جلالة الملك جورج على بعد مسافة ٦٧ ميلاً فجازاه المجمع العلمي الملكي في لندن بان انتخبهُ كعضو شرف وكذا فعلت بقيّة الجمعيات العلميّة ونال من جمعيّة يوبيل فيكتوريا مكافأة قدرها ٤٠٠ ليرة انكليزيّة

ولا يجوز ان نسكت هنا عن تقدُّم فنّ الطيران سواء كان بركوب المناطيد والمراكب الهوائيّة او بتحريك الاجنحة الصناعيّة . فانّ السنة ١٩١١ تُعدّ كسنة انتصار الانسان على عنصر الهواء وفتح مملكة الفضاء . نعم قد جرت كالعام السابق عدّة حوادث مفجعة للطائرين الّا انّ هذه الحوادث كانت اقلّ عدداً من السنين السابقة فضلاً عن انّ عدد المحلّقين في ساحة الجوّ قد ازداد اضعافاً . ثم انّ المراقب الهوائيّة قد بلغت من الدقّة والمتانة والخفّة ما لم يكن في الحسبان وصار ركوب الهواء من الامور السهلة التي يقدم عليها النساء انفسهنّ . وأارات الدول هذه النتائج خصّت قسماً من برنامجها لتسيير المراكب الجويّة والطيّارات . ولفرنسة في هذه الامور السبق على غيرها كما انّ ذويها نالوا قصبة السبق في اختراعاتهم للمناطيد وتحسينها . وقد صار معدّل ما يقطعهُ الطائر في الساعة مئة كيلومتر بنيف بل تجاوز بعضهم هذا المقدار حتى انافوا على ١٥٠ كيلومتراً في الساعة وقطع بعضهم ١٢٨ كيلو متراً في ٣٥ دقيقة

٣ الجيولوجيا والجغرافية والآثار

حدث في ١٦ تشرين الثاني زلزال ارضي قوي شعرت بهِ عدّة اقطار في شرقي اوربا وحسّ اهل بلادنا وتأكد بهِ الجيولوجيون ما سبقوا ورجحوه قبلاً ان

الزلازل لم يعللها كما زعموا ثوران البراكين لان الجهات التي حدث فيها الزلزال لا بركان فيها حالًا وبراكينها القديمة لم تبدِ حراكاً. وتبين لهم على خلاف ذلك انهُ توجد علاقة بين الزلازل والتشققات الارضيَّة البالغة وكذلك بينهـا وبين الاماكن حيث القشرة الارضيَّة اخفّ واضعف

وكذلك اثبت الفلكي السويسري برون انَّ ما يُشاهد من الجرة فوق البراكين المتقدة لم تقذفهُ تلك البراكين من باطن الارض كما ظنوا وانَّما تتكوَّن فوقهـا من دقائق الكلوريدرات المصهورة فاذا رماها البركان في جملة حُممهِ امتصَّت الماء الجوّي فظهرت على شكل ضباب مائي

وممَّـا افادت البعثة الفرنسويَّة الى بلاد نيجر انها فحصت بكل تدقيق بحيرة تشاد فتحققت انَّ تلك البحيرة لم تكن بحرًا قديماً في وسط افريقيـة كما زعموا بل ثبت انَّها ليست حوضاً مائيًا ثابتاً بل هي منفذ لمياه تأتيها فتمتدّ في حوضها ثمَّ تغور في الارض وتواصل سيرها الى الجهات الشماليَّة الشرقيَّة حيث تظهر على مسافة ٤٥٠ كيلومترًا من بحيرة تشاد. والمظنون انَّ تلك المياه تجري حتى ينابيع النيل فتنصبّ فيها

افادتنا المجلَّات الايطالية ان البعثة العلمية الايطالية المرسلة مؤخرًا الى طرابلس الغرب اخذت تبحث عن اثار تلك البلاد المجهولة فما توفقت اليهِ اكتشافها قريباً من عين زارة مقبرة نصرانية راقية الى القرن السادس او اواخر الخامس. فهناك عدَّة قبور نُقرت عليها فضلًا عن اسماء الموتى رسوم الصليب المقدَّس على هيئات شتى ونقوش نصرانية اخرى وشعائر دينية بالنصوص اللاتينية فبعضها مكتوب عليها التريساغيون «قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمني» وعلى بعضها ادعية من اهل الميت « فليعطك الرب الراحة الابدية ويضيء لك نوره الدائم ». ووجدوا على قبر آخر « فليتقبلك السيد المسيح الذي دعاك ويجعلك الملائكة في حضن ابراهيم وينتظر قريباً نشر تلك الآثار المفيدة لمعرفة احوال النصرانية في طرابلس الغرب قبل الفتح الاسلامي

٤ الكيميا

العلَّامة الانكليزي جمس ديوار (J. Dewar) اوَّل من توفَّق الى تحويل غاز الاوكسيجين الى مائع سيال ضارب الى الزرقة وبفضلهِ دخل هـذا الجسم في عالم

الصناعة. وها هوذا قد تمكن في العام المنصرم من تجميد هذا المائع وذلك بالآلات المبرّدة التي تجمع بين تمديد الغاز بعد ضغطه وبين تبخيره. وكل يعلم ما للاوكسيجين من المنافع الجمّة لحياة الحيوان والنبات ودخوله في التركيبات الكيمويّة. ولا ريب انّ تجميده يأتي بفوائد جديدة لا تُحصى سوف تنقله إلينا الجرائد

وكذلك جمّدوا بالطريقة عينها جسماً آخر وهو السيّال الانيدريد الكربونيك فظهر على صورة قطع ثلج صوفي درجة برده ٧٩ تحت الصفر من المقياس المئوي. واذا ضُغط في قالب بسرعة قبل ان يعود سيالاً بفعل الحرارة اصبح كقلم يمرّونهُ على بثور الجلد والحبوب الناتئة فيه فبعد قليل يزيلها تماماً. والامل معقود على استعمال هذه الاقلام قريباً لعلاج عدّة امراض جلديّة

وكان الهيليوم الغاز الوحيد الذي لم يمكن الكيمويين ان يجعلوهُ سيالاً لكنهم لم يزالوا يضاعفون البحث ويجهدون النفس في ايجاد طريقة الى ذلك حتى فاز بالمرغوب العلّامة كامرلنغ اونس (Kamerlingh Onnes) فسيّلهُ بعد ان انزل درجة حرارته الى ٢٦٨ تحت الصفر بواسطة الادوات الضاغطة مع فجر الغاز وتبخيره

وهذه الآلات المبردة العجيبة قد افادت الكيمويين معرفة تركيب الاجسام فبينوا ان لدقائقها قوّة تزداد مع زيادة الحرارة وتنقص مع نقصها حتى اذا بلغت الى الدرجة ٢٧٣ تحت الصفر بلغت درجة البرد المطلق وفقدت كل قوّة وفعل

٥ الطبّ والجراحة

انّ الحمى التيفوئيديّة من افتك الادواء بالبشريّة ولاسيما في الجند. فكان كثيرون قد سعوا في اكتشاف لقاح واقٍ منها فاكتشف الدكتور الانكليزي جنير لقاحاً اهبط عدد الوفيات الى ثمانية في الالف. ثم وجد الدكتور رَيت لقاحاً آخر افضل من لقاح جنير ظهرت افادتهُ بتقليل عدد الاصابات. وفي العام الماضي وقف الدكتور الفرنسوي ڤنسان على لقاح ثالث يفوق على السابقين لم يكد يُصاب بالحمى التيفوئيديّة احد ممن لُقّح بهِ. قيل ان بين ١٣,٠٠٠ الف جندي اميركي أُجري فيهم التلقيح لم يُصب بتلك الحمى الّا اربعة فقط وكان شفاؤهم سهلاً جداً. فهذا ما حدا باميركة ان تجعل التلقيح من ذلك الداء اجبارياً في جنديتها. وقد انشأ المسيو شتمس في باريز معهداً للتلقيح مجّاناً

قد تمكن الدكتوران ملتزر (Meltzer) وأور (Auer) بطريقة نفخ القصبة ان يجعلا الرئة خالية من كلّ حركة مع بلوغ الهواء اليها ففتحت هـذه الطريقة باباً جديدًا للاعمال الجراحية حتى انّ الجراحين صار يمكنهم ان يفتحوا الصدر ويعالجوا القلب والرئة وما يتصل بهما من الشرايين والعروق دون ضرر البتة بل فتحوا الرئة واخرجوا ما فيها من الفضلات وعبيط الدم الفاسد وامكن الدكتور كارل (Carel) ان يجعل بدلًا من بعض القطع السقيمة غيرها يأخذها من الاقسام السليمة

مطبوعات شرقية جديدة

TARAFA'S MO'ALLAQA. Mit dem Kommentar des ABU BEKR MOHAMMED B. EL QASIM EL-ANBARI. Herausg. v. O. Rescher. *Stanbul*,1329/1911, *Impr, Nefaset*, pp.,X-140

شرح معلقة طرفة لابن الانباري

معلقة طرفة من اجود ما انتجتهُ قريحة شعراء الجاهليّة . فلذلك عُني اللغويّون بضبطها وشرحهـا . وكان المولعون من الاوربيين بالشعر العربي نشروا سابقاً اربعة شروح لهذه المعلّقة فطبع رَيسك (Reiske) سنة ١٧٤٢ شرح الشيخ النحّاس وطبع فولرس (J. A. Vullers) سنة ١٨٢٩ شرح الزوزني . وطبع العلّامة شرل لايال (S. C. Lyall) سنة ١٨٩١ شرح التبريزي . وطبع الاديب مكس سَليغسون (Seligsohn) سنة ١٩٠٠ شرح الاعلم الشنتمري في جملة ديوان طرفة . فكان بقي هذا الشرح لابي بكر محمد بن القاسم الانباري احد كبار اللغويين من القرن الرابع للهجرة فوجد شرحهُ جناب الاديب ريشر في مكاتب الاستانة فنقلهُ عن ثلث نسخ هناك منها نسخة ترتقي الى السنة ٥٢٥ ﻫ (١١٣١م) ونشرهُ في مطبعة نفاست في الاستانة مع مقدّمات مفيدة عن اخبـار طرفة لابن الانباري وزاد في آخرها روايات واصلاحات عن كتب الادباء المطبوعة . فجاءت طبعة غاية في الضبط . وكنّا احببنا لو صدّر المؤلف هذا الشرح بنقد علميّ لهذه المعلقة لبيان صحتها وفوائدها التاريخيّة ووصف النسخ التي تتضمنها فكانت زادت بذلك محاسنها . وكان ينبغي

ايضاً ان تُتَّخذ لطبع ابيات المأقة حروف اكبر واشرق لتمتاز عن الشروح الواسعة التي هناك . وان شاء الله يفعل بطبعة ثانية ل.ش

A. L. M. Nicolas, Essai sur le Cheikhisme : fasc. III, La Doctrine, *Paris, Leroux*. 1911, p. 69= fasc.IV, La Science de Dieu, LI-97, *Paris, Geuthner*. 1911 = Le Béyan Persan, T. I. ibid. XXXII-148, 1911

كتابان عن مذهب الشيخية -- كتاب البيان للسيد الباب

المسيو نيقولا قنصل فرنسة في تبريز قضى سنين طوالًا في بلاد العجم وتعلَّم لغتهم ودرس الآراء والبدع الجديدة التي تتنازع دينهم نخصّ بالذكر الطريقة الشيخيَّة التي سنَّ مناهجها الشيخ احمد الاحسائي والطريقة البابيَّة مع كل ما تفرَّع منها . وقد نقل الى اللغة الافرنسية كثيرًا من المقالات التي نشرها هذان المبدعان وقوم من اللائذين بهما فجاءت كتبهُ مفيدة للمنتقدين . وها قد اتحفنا بترجمة القسم الاوَّل من كتاب البيان للسيد علي محمد الملقب بالباب وهو مؤلَّف غريب في بابهِ . ولو اردنا البحث في هذه المواضيع لاتَّسع بنا المجال واشكلت علينا الحقيقة لان البساطة والصراحة ليستا من صفات هذين الكاتبين فاذا ما طالعتَ الفصول برمَّتها واردت ان تستخلص حقيقة معتقدهما لرأيت نفسك مرتبكًا متردِّدًا بين الصدق والضلال فلا تدرك منهما مرادًا ولا تكشف الرغوة عن الصريح . وليس حضرة ناشر هذه المؤلفات باصرح من اصحابها في نتيجة ابحاثهِ . فانهُ لم يأتنا بما كنَّا نودّ الاطلاع عليهِ من خلاصة هذه الاديان وعقائدها وآدابها الى غير ذلك مما لا يزال سرًّا مخفيًّا او لغزًا مبهمًا ويشتمّ منهُ رائحة مذهب الحلول ا.ر

لهجة الابطال

للدكتور سليمان غزَّاله

طبع في مطبعة الشركة العثمانية في القسطنطينية سنة ١٣٢٩ (ص ٧٧)

انَّ الحوادث التي جرت قبل ثلاث سنوات بالانقلاب العثماني من شأنها ان تشحذ قرائح الشعراء لكتابة رواية مفجعة تحرِّك في قلوب كل ابناء الوطن ارقّ العواطف واشرف الاحساسات فيتعلَّم العموم من زعماء الدستور كيف يضحُّون على هيكل الخير العامّ كل المنافع الشخصيَّة . وذلك ما حدا بمواطننا الاديب والشاعر المجيد

الدكتور غزاله من اصدق عمّال الدولة العليّة الى ان يصوّر ذلك الانقلاب ويسكبهُ في قالب رواية تمثيليّة جعلها ثلاثة فصول: اظهر في الاوّل منها حالة الدولة تحت ربقة الاستبداد معرّضة لاصناف المصائب وكيف تألّف الاحرار لكسر نيرها. وشخّص في الثاني في صورة ارواح شريرة من تصدّوا لعمل الاحرار. وضمّن الثالث انتصار الدولة العثمانيّة بجلوس جلالة السلطان محمد الرشاد على سدّة الخلافة. وهذه الرواية قد اوقف المؤلف بيعها وتشخيصها لمنفعة جمعيّة الهلال الاحمر وصدّرها بصورة فتاة تركيّة تشير الى الراية العثمانيّة في وسطه نجم السعد فيردّد لسان حالها احد ابيات الرواية:

هلالٌ يُرجّيني ونجم يدلني الى منتهى الغرّاء عهد السادة

ومن محاسن الكتاب ١٢ صورة فوتغرافيّة تمثل زعماء الدستور العثماني في مقدّمتهم جلالة السلطان ل. ش

رسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني

عُني بجمعها ونشرها والتعليق عليها الاديب حسن حسني عبد الوهاب التونسي
طبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٣٠ه (١٩١١ م)

ابن شرف القيرواني احد مشاهير أدباء القرن الخامس للهجرة في المغرب كان معاصراً لابن الرشيق صاحب العمدة وجرت بينهما مناقضات ومهاجيات اشتهرا بها. ولابن شرف آثار قليلة صبرت على آفات الدهر لم يُنشر منها الّا بعض متفرّقات كهجوه لدار اثبتناه في مجاني الادب (٣: ١٥٣). وممّا وقف عليه من كتاباته الجليلة احد ادباء تونس حسن حسني عبد الوهاب رسالة انتقادية ذات مقاصد ظريفة ومغازٍ شريفة نسبها الى ابن الرّيان الصلت بن السكن بن سلامان تتناول نحو ٣٠ صفحة انتقد فيها انتقاداً لطيفاً على معظم شعراء الجاهليّة وقرون الاسلام الاولى فمدح ما رآه اهلاً بالمدح وزيّف اقوالاً كثيرة يتمدحها البعض دون روية. ودونك مثالاً من نقده لبيت شهير من قصيدة زُهير التي مدح بها حصن بن حذيفة

« قال ابو الريّان: وقال زهير ايضاً وهو من اطيب شعره واملحه عند العامّة وكثير من الخاصّة فهاهنا تحفّظ وتأمل ولا يملك ذلك منهم (كذا) الحقّ الملح قال:

تراهُ اذا ما جئتهُ متهلّلاً كانك تعطيه الذي انت سائلهُ

مدح بها شريفاً اي شريف فجعل سرورهُ بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض

الدنيا اليه. وليس من صفات النفوس العارفة السامية والهمم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تتهلل وجوههم وتُسرّ نفوسهم بمنة الراهب ولشدّة الابتهاج بعطية المعطي بل ذلك عندهم سقوط همّة وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رُزق مالًا عفوًا بلا منّة منيل ولا يد معطٍ مستطيل لانهُ عند نفسهِ اكبر منهُ ولأن قدر المال يقصر عنهُ فكيف ان يُمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانّهُ يتهلل وجههُ ويمتلئ سرورًا قلبهُ اذا اعطاهُ سائله مالًا. هذا نقض البناء ومحض الهجاء والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم:

ولستُ بفراح اذا الدهرُ سرّني ولا جزعٍ من صرفهِ المتقلّبِ

وانّما غرّ زهيرًا وغرّ المستحسن بيتهُ هذا ما جُبلوا عليهِ من حبّ العطاء وما جرت بهِ عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء وليس كلّ الهمم تستحسن ذلك ولا كلّ الطباع تسلك هذا المسلك »

فنعم الانتقاد وشكرًا لناشر هذه الطرفة المستطرفة ل. ش

ملقى السبيل : رسالة في الوعظ والحكم لابي العلاء المعرّي

عُني بنشرها والتعليق عليها الاديب حسن حُسني عبد الوهّاب التونسيّ.

طبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٣٠ (ص ١٨)

انّ تآليف ابي العلاء المعري ممّا يتهافت عليهِ الادباء سواء كانت شعرًا كسقط الزند ولزوم ما لا يلزم او نثرًا كرسالة الغفران وهم يطنبون في ابتكار معانيها ويبحثون عن خفي اغراضها فمنهم من يوجّه الى صاحبها سهام الملام لما يُستشفّ وراء اقوالهِ من الالحاد ومنهم من يزكيهِ (راجع مقالتنا في تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء في المشرق ٤ : ١٠٦٨) والكلّ لسان واحد في مدح بلاغتهِ. فسرّنا انّ الاديب حسن حسني عبد الوهاب استخرج ايضًا هذه الرسالة المعرّبة من زوايا المكاتب فنشرها وعلّق عليها الحواشي المفيدة مع مقدّمة اشار فيها الى مذهب المعرّي الشبيه بمذهب التشاؤم المستمر (Pessimisme) الذي عُرف بهِ الجرماني شبنهاور (A. Schopenhauer). وهذه الرسالة منقولة عن نسخة فريدة موجودة في مكتبة الاسكوريال جمع فيها المؤلف حكمًا نثرية في كل باب من حروف المعجم ألحقها بنظمها شعرًا. هذا مثال باب الباء:

«يفتقر الى الله الارباب. وبالكافر يحلّ التّباب. وتنقطع بالموت الاسباب. وفي الخالق تحار الالباب

نظمهُ (رجز)

دانت لربّ الفلك الالبابُ وبالكفور يلحقُ النبابُ
كم قُطعت لبّة اسبابُ وافترقت برغمها الاحبابُ »

وهنا يحسن بنا ان نشير الى رسالتين أخريين للمعرّي نُشرتا حديثاً. فالاولى رسالة مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران زكى فيها نفسهُ عمّا نُسب اليهِ في رسالة الغفران من التساهل وخصّ نفسهُ بالمغفرة ودخول الجنة بسبب تلك الكتابة. طبعت هذه الرسالة في مطبعة العدل في الاستانة بهمة جامعها محمّد صفا بك. والثانية رسالة التذكرة نشرها المسيو كولين (Gabriel Colin) من اساتذة مدرسة الجزائر في العام الماضي وقدّم عليها المقدّمات المفيدة ونقلها الى الافرنسيّة وهذه التذكرة كتبها المعرّي لابنهِ المسمى ابن زهر يذكرهُ فيها اموراً جديرة بالطبيب من معرفة الادواء ومعالجاتها. والرسالة طبعها حديثاً في باريس الطبّاع لورو (E. Leroux) ل. ش

مرشد الكاهن في ممارسة الرياضة الشهريّة

طبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٢ (ص ٦٢)

جاء في سفر الخروج (١٩ : ٢٢) « ليتقدّس الكهنة الذين يتقدّمون الى الرب كيلا يبطش بهم » وهي نعم الوصاة ينبغي على كل الكهنة ان يعنوا فيها النظار ليقدّسوا كل يوم نفوسهم ويكونوا قدوة لجميع المؤمنين. ومن الوسائل الحسنة المؤدية الى ذلك عادة محمودة يجريها الكهنة الصالحون في بلاد عديدة ألا وهي عادة الرياضة الشهرية اذ يعتزلون يوماً معلوماً من ايام الشهر يقضونهُ بمناجاة الله والاعمال التقويّة والنظر في واجباتهم مع اصلاح ما يرون فيهِ خللاً في سيرتهم فيجدّدون بذلك عزائمهم على اتمام فرائضهم بكل حرص ونشاط. فتسهيلاً لهذه الرياضة قد وضع احد مرسلي رهبانيتنا هذا الكتاب الصغير الحجم الوافي بالمقصود اذ يفصّل الممارسات الموافقة لذلك اليوم فنحضّ سائر الكهنة على الانتفاع منهُ ل. ش

خدمة السبت العظيم

طبع بالمطبعة الادبيّة. بيروت سنة ١٩١٠ (ص ١٢٨)

هذه الخدمة تُقام في يوم سبت النور في الكنيسة اليونانيّة تحتوي الطقوس الجارية في ذلك النهار لاسيما رتبة الدفن ثم التسابيح المفرحة التي تتقدّم عيد القيامة

في الفصح العظيم. قد طبعها صاحب مكتبة التوفيق تسهيلاً لمراجعة تلك الصلوات التقويّة المنقولة في الغالب من اقوال الكتاب المقدّس وآباء الكنيسة المقدّسة. ويا ليتهُ كان وسّع نطاق عملهِ فطبع خدمة كل اسبوع الآلام لينال المؤمنون فوائدهُ ويبجّلوا في قلوبهم تعاليمهُ السامية ل.ش

اللغة العربية

بحث تاريخي فلسفي للاستاذ جبر ضومط

طُبع في المطبعة الادبية سنة ١٩١٢ (ص ٢٢)

جناب الاستاذ جبر ضومط احد القليلين الذين يبحثون في بلادنا عن اصول اللغة العربيّة وما لها من العلاقة مع اللغات الشقيقات التي شاعت في جزيرة العرب او البلاد المجاورة لها. وهاهوذا اتحفنا بخطاب القاه في تشرين الثاني في المدرسة الكليّة الاميركانية خاض فيهِ عباب البحث عن اللغات السامية وتشعّبها الى فرعين قحطاني فعادي مع بيان نسبة العربية الى هذا دون ذاك. وقد تتبّع كل هذه الابحاث باباً باباً سابراً لمزاعم المستشرقين مصوّباً لبعضها ومزيّفاً لغيرها وهو يأتي لاثبات اقوالهِ بالادلة العقلية والنقلية التي ترجّح قولهُ على قولهم. ولا نشكّ في انّ علماء اوربا يقدّرون هذا الاثر قدرهُ لاسيما اذا نُقل الى احدى اللغات الاوربية ل.ش

مطوّل في انشاء المكاتيب

بقلم امين الخوري صاحب مكتبة مطبعة الآداب

الطبعة العاشرة (ص ٢٢٠)

كان صاحب هذا الكتاب الّف سابقاً مختصراً في الانشاء اصاب رواجاً فاحبّ ان يتّسع فيهِ ويضيف اليه رسائل جديدة. وقد زاد فيه فصولاً في المرضحالات والتحاويل والكمبيالات ثم باباً في الفرائض وصور معاملات شتى شرعيّة وتجاريّة ثم نقل عدّة رسائل لقدماء الكتّاب والمحدثين مع مختارات من نجعة الرائد للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي وختمهُ بمقاطيع نثريّة في مواضيع ادبيّة فجاء مجموعاً واسعاً اغنى بالموادّ منهُ بحسن الاختيار لانّ كتاباً مدرسياً مثل هذا لا يجوز ان يتضمّن رسائل عشقيّة كما ترى (في الصفحة ١٠٣) واستدعاءات بازالة بكارة جبراً (ص ١١٢) وفرائض هي احرى بكتب الشرع. ولا نعلم ماذا حمل نصرانياً مثلهُ على ان

ينقل في الفصول النثرية الاخيرة اقوال القرآن والحديث كأنهُ اراد بذلك التقرُّب من المسلمين فلن يرضي بهِ لا المسلمين ولا النصارى سامحهُ الله ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ منشور عربي وجَّههُ غبطة السيِّد الجليل مار يوسف عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى الطائفة الكلدانيَّة بمناسبة دخول السنة الجديدة ١٩١٢ طبع في الموصل (ص ١٦)

٢ رسالة رعائيَّة الى الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابة حلب لنيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جنتيني بمناسبة الصيام الاربعيني لسنة ١٩١٢. الكاثوليكي الصادق. في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٢٢)

٣ رسالة رعائيَّة وجَّهها غبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى الى ابناء الطائفة المارونيَّة. موضوعها حضُّهم على الاستمساك الدائم بدين اجدادهم القويم. في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت (ص ٣٧)

شذرات

محل صنين وردت علينا من حضرة المنسنيور بطرس حبيقة قصيدة جميلة وصف فيها جبل صنين ثم انتقل الى وصف فاجعة محل صنين الماسوني الذي طيَّرت منعاهُ جريدة البرق كما نقلناهُ عنها فقال:

سلوا محل الاحرار عمَّا دهاهمُ بصنين حتى بات بالقوم بُلقعا
بغى فيهِ احلاف التفرُّق والنوى وهيهات بعد اليوم ان يتجمَّعا
قضى القدرُ الجاري عليه بحتفهِ فطيَّر منعاهُ لنا البرقُ مذ نعى
كذا حالة الدنيا اجتماعٌ وفرقةٌ فلا تبكِ ميتاً او تعزِّ مفجَّعا
كفى انَّ بعضاً بات بالبعض شامتاً فان تدعُهم لا ينصتون لمن دعا
تبلبلت الدنيا بهم فتبلبلوا فأجرت عليهم بابلُ الشرق ادمعا
فليسوا ببنَّائين فيما علمتُهُ وقد ضعضعوا في برجهم فتضعضعا
اصابهمُ من رأسهم ما اصابهُ فاعضاؤهُ فيها الفسادُ توزَّعا
ألا ان هذا الداء عزَّ دواؤهُ فيا سائلي برءاً لهُ لذْ بأنجعا
تحكَّمَ في الشرق السقام فلا تكن طبيباً وكُنهُ شعوذيًّا مرقَّعا
فما الحال الَّا ان ترقَّ لحالهِ وما الطبُّ الَّا في عفا الله او رعى

تولى بهِ الاصلاحَ غيرُ رجالهِ ورامو بهِ التفريق فافترقوا معا
ولم تُجدِهم حرّيةٌ غادرتهمُ عبيد الهوى واستنفرتْ كل اروعا
ومن لم يكن حرًّا من الطبع ماجدًا ولو عالجوهُ لم يكنهُ تطبُّعا
ومن لم يكن ذا حُجّةٍ اصميّةٍ يهون عليهِ ان يضلَّ فيُخدَعا
ومن لا يراعِ الصنو يخذلهُ صُنوهُ ومن يسعَ في مكرٍ فللمار ما سعى
ومن يتقلَّب فهو صِلُّ زمانه فحاذرهُ لا تمدُدْ الى الصلّ اصبعا
ومن حاول الايقاع بالناس اوقعوا به فهو عندي مصرعٌ جرَّ مصرعا

جدول طلبة المدارس في الدولة العثمانية وقفنا في مجلة الابحاث على هذا الجدول المتضمن لعدد طلبة المدارس في ولايات الدولة العثمانية لسنة ١٣٢٥ فنثبتهُ هنا على علّاتهِ ليُستدلَّ بهِ على حالة التعليم في تركيا:

الولايات	عدد السكان	عدد الطلبة
ادرنة	٩٥٤,٦٣٦	١٠٥,٧٧٤
ارخيل (سفيد)	٢٠٠,٠٠٠	٣١,٣٤٠
ارزروم	٦٤٧,٠١٠	١٩,٦٩٣
الاستانة	١,٢٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
اسد	٢٧٠,٠٠٠	٣٥,٦٥٠
اشقدار	٢٠٠,٠٠٠	٥,١٦٤
آطه	٤٢٤,٢٨١	١٧,٧٤٩
انقره	٨٥٠,٠٠٠	٣١,٠٨١
آيدين	٦٢٠,٤٠٧	١٧٩,٧٨٣
بتلين	٢٦٨,٦١١	١١,٠٩٣
بروسه	١,٥٠٠,٠٠٠	١٣٧,١٩٨
البصرة	١٥٠,٠٠٠	٣,٦٨١
بغداد	١١٢,٠٠٦	٥,٣٢٠
بنغازي	٢٠٠,٠٠٠	١,٦٥٣
بيروت	٦٤٨,٨٠٢	٣٨,٥٧٦
جانينا	٦٥٠,٠٠٠	٣٥,٦٥٠
حجاز	؟	؟
حلب	٨١٢,٧٤٠	٤٢,٠٨٠

الولايات	عدد السكان	عدد الطلبة
دردنيل	١٤٠,٠٠٠	١٦,٥٢٥
ديار بكر	٤٧٣,٢٤٩	١٠,٣٨٣
الرود	١٠٠,٠٠٠	٣٩٩
سالونيك	١,٠٢٨,٤٢٢	٩٨,٥٤٧
سوريّة	٥٥٦,٩٠١	٢٢,٧٤٥
سيواس	١,٠٨٧,٥٥٥	٨٢,٢٢٢
شاتلجا	٦٠,٠٠٠	٨,٣٠٠
طرابزون	١,٢٥١,٧٤١	١٢٥,٩١٧
طرابلس الغرب	٥٠٠,٠٠٠	١٢,٣٧٥
القدس الشريف	٧٠,٠٠٠	١٠,٤٩٣
قسطموني	٩٧٠,٦٦٢	٩٤,٠٨٤
قونية	٩٨٤,٠٦٢	٧٨,٩٥٣
كستفو	٨٦٥,٤٤٥	١٥,٦٩٥
معمورة العزيز	٥٧١,٧٦٤	٢٢,٦٥٣
مناستير	٨٤٠,٤٥٤	٦٤,٠٧٦
الموصل	٢٠٠,٢٨٠	٦,٦٩٩
وان	٤٢٠,٠٠٠	٤,٠٤٢
اليمن	؟	؟
المجموع	١١,٢٦٦,٢٥٨	١,٤٦٣,٣٧٣

اسئلة واجوبة

س سأل مستفيد من حمص من هم الحثيون الذين يقال عنهم انهم ملكوا في جهات حمص وحماة وحلب

الحثيون

ج الحثيون امّة عظيمة كانت اوّلًا في جهات قبادوكية و كانت عاصمتهم في المكان المعروف اليوم ببوغازكوي حيث وجد العلّامة ونكلر (Winckler) عدّة آثار عجيبة راقية الى زمانهم ثم زادت قوّتهم حتى غزوا بابل نحو ١٨٠٠ قبل المسيح وابطلوا السلالة البابليّة الاولى. وفي القرن الخامس عشر فتحوا البلاد المجاورة لهم حتى البحر الاسود شمالًا وتجاوزوا نهر العاصي الى دجلة جنوباً وذلك في عهد ملكهم سوبيلولو. وغزاهم رعمسيس الثاني فغلبهم لكنهم بقوا في ملكهم حتى قهرهم الاشوريون في القرن العاشر. ولا يُعلم كيف انتهت دولتهم

س كتب احد الكهنة السريان ما نصّهُ: نجد في تقويم البشير في ٢٢ من شهر شباط ذكر كرسي مار بطرس في انطاكية فهل يُعرف شيء عن الكرسي المذكور

كرسي مار بطرس في انطاكية

ج للقديس بطرس هامة الرسل كرسيّان الواحد في رومية العظمى في كنيسة مار بطرس محفوظ الى يومنا وعيدهُ في ١٨ كانون الثاني . والآخر في انطاكية ورد ذكره في التاريخ ولم يُفدنا احد عن بقائهِ الّا يحيى بن سعيد الانطاكي صاحب الملحق لتاريخ ابن بطريق في طبعتنا الصفحة ١٢٨—١٢٩ حيث قال عن ابن مانك في تاريخ سنة ٣٥٦ (٩٦٧) انهُ بعد قتلهِ البطريرك خريصطوفورس « انفذ قوماً الى كنيسة القسيان . . . واخذوا الفضّة والقماش وغيرهما . . . واخذوا كرسي مار بطرس وهو كرسي من خشب النخل مصفّح بفضّة وحفظوه في دار احد شيوخهم يُعرف بابن عمر ولم يزل في دارهِ الى ان ملك الروم المدينة ». ولا نعلم ما جرى لهذا الكرسي بعد ذلك

س سأل احد كهنة البقاع أيجوز للكاهن الكاثوليكي ان يحضر جناز غير الكاثوليك

ج يُعدّ حضور الجنازات من الحفلات المدنيّة التي يُسمح بحضورها للكاثوليكي. وكذلك يُسمح للكاهن الكاثوليكي ان يحضرها كالعوام دون مشاركة في صلاة او طقس ديني

ل . ش

المشرق

الحقوق الدولية في الحرب

مقتطف من كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول ببعض تصرُّف واختصار

سألنا كثيرون بنسبة الحرب الايطالية مع الدولة العليَّة ان نروي لهم خلاصة المعاهدات التي اتَّفقت عليها الدول في الحرب فلم نجد شيئًا اوفى بالمرام من ذكر بعض ما اثبتهُ احد طلبة كليتنا القدماء جناب الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العليَّة سابقًا في بروكسل وقنصلها في الجمهوريَّة القنيَّة سالاً في القسم الرابع من كتابهِ حقوق الملل ومعاهدات الدول وهو مختصّ بالحرب ويشتمل على معظم الابحاث المنوطة باحوال المتحاربين فنروي ما تمَّ معرفتهُ قرَّاءنا ل. ش

﴿ تعريف الحرب ﴾ الحرب هي القتال بين قومين واختلاف بين فريقين يُفصل بقوَّة السلاح وهي قديمة كقدم الانسان . فتحدث امَّا غيرةً او منافسةً او عدوانًا او طمعاً . وامَّا غضباً لله ولدينهِ . وامَّا اخذًا بثار اهانة او لاسباب ماليَّة او اقتصاديَّة وغير ذلك ممَّا يطول سردهُ

وقد اختلف العلماء والباحثون بهذا الفنّ في شرعيَّة الحروب وظلمها . في مدنيَّتها ووحشيتها . فنسب لها قوم جميع آفات البشر دينيًّا وادبيًّا ومادّيًّا وعارضهم آخرون بانَّهُ اذا كان للحرب مضارّ فلها فوائد وادَّعوا انَّها عنصر من عناصر التمدن والترقي

والحق يقال انَّ الحرب ويل وبلاء لكنها ملاصقة للبشريَّة . واشدّ الامم ميلاً الى السلم تحتاج احيانًا الى الحرب دفاعاً عن حقوقها وذَوْدًا عن حدودها او مساعدةً لجار او خوفاً من بطش عدوّ اوغير ذلك من الاسباب الداعية اليها وان السلم الدائم من المستحيلات

﴿ شرائع الحرب ﴾ لما كان العدوان طبيعياً في الانسان والحرب لاحقة بالبشرية والعمران وجب على المتمدنين من الاقوام وضع قوانين فرعيَّة يُعمل بها وترتيب نظامات يُرجَع اليها تخفيفاً لويلاتها وتعديلاً لمصائبها وبلائها. نعم انَّ الحرب هي الاستنجاد بالقوَّة ولكن ليس الى قوَّة ناشزة بلا رُبط ولا قيد ولا شفقة ولا حَنان. ومن ثمَّ وُضعت لها قواعد مبنيَّة وقوانين مسنونة وحقوق مرعيَّة وشرائع معروفة

وحقوق الحرب وقواعدها ظهرت اوَّلاً في القرون الوسطى في عهد طائفة الفرسان (Chevalerie) فاخذت تنمو بنموّ المدنيَّة والعمران عند الامم والشعوب في ذلك العهد فلمَّا وجدوا ان الحرب لا بُدَّ منها وانَّ الغاءها من الامور المستحيلة رأوا من باب الصواب تعديل عادتها الوحشيَّة التي كانت ابادة الخصم والحاء اثر العدوّ واستئصال شأفته من الكون — والاكتفاء فقط بقهره الى حدّ ان يعجز عن المقاومة. فوضعوا لذلك قواعد تعاهدوا على احترامها وسنُّوا قوانين عملوا بموجبها فاخذت تلك العادات بالارتقاء وتلك القوانين بالانتظام. وتقلَّبت من طور الى آخر حتى عمَّت الدول المتمدنة ثم صارت واجبات ثمَّ تحوَّلت الى حقوق انتهت بشرائع دوليَّة عامَّة

وشرائع الحرب الحاضرة قائمة على امرين ومرجعها الى مبدأين: الاوَّل الضرورة وهي قهر الخصم وقمعهُ حتى يعجز عن المقاومة. والمبدأ الثاني مراعاة حقوق الانسانيَّة والدنيَّة بأن تُحصر الحرب بين جيشي الدولتين المتحاربتين فقط بدون ان تتناول الافراد الَّا في استثناءات لا بُدَّ منها

وقد عُني المؤلفون بجمع قواعد وقوانين الحرب واجتهدوا في تحديد حقوقها وواجباتها فلاقوا دون ذلك صعوبات جمَّة واوَّل قانون دولي للحرب سُنَّ في الولايات المتحدة سنة ١٨٦٣ اذ اقترحت الحكومة الاميريكيَّة الشماليَّة على الاستاذ ليبر وضع قانون يوزَّع على الضباط والجنود ليعملوا به ويجروا بموجبه فوضع قانوناً لا يزال من افضل ما كُتب في هذا الموضوع واقرب ما يكون للعواطف الانسانيَّة واوفق للعمران ثم عُرض على مفوَّض خاصّ وصادقَ لينكلون رئيس الجمهوريَّة على بنوده. ثم وُضع في اتفاق جنيفا في ٢٢ آب ١٨٦٤ قانون مختصّ بمعاملة جرحى الحرب

والجمعيّات المؤلفة لمساعدتهم. ثم اتفقت الدول في معاهدة بطرسبرج في ١١ دسمبر سنة ١٨٦٨ على قانون مختص بالقذائف المنفجرة. ثم عُقد بايماز نقولا الثاني في ١٨ آب سنة ١٨٩٩ مؤتمر دولي في لاهاي عاصمة هولندة تكرَّرت جلساتهُ مراراً مذ ذاك الحين ووضع المؤتمرون عدَّة سُنن وقوانين صادق عليها مندوبو الدول ويبلغ مجموعها بنوداً متعدّدة يحتوي عليها كتاب المعاهدات الدوليَّة (١).

﴿ اشهار الحرب ﴾ اذا حدث امر يدعو الى العدوان او رغبت احدى الدول بقطع العلائق السلميَّة مع دولة أُخرى وجب عليها اخطار الدول بذلك وهذا البلاغ واجب لازم احتراما امام الدول المحايدة واعتباراً لنفس مقامها اذ لا يخفى بانَّ من واجبات الدول العظمى صيانة حدودها واحترام تخومها فاذا اجتاز جيش منظم حدود الدولة المجاورة بدون اخطار ولا اشهار حرب حقَّ لتلك الدولة معاملة اولئك الجنود معاملة اللصوص وقطّاع الطريق. واذا عاملت الدولةُ المهاجمةُ الدولةَ المدافعة بمثل ذلك لم يبقَ حينئذٍ للحرب وازع ولا رادع وذهبت الشرائع ضياعاً وعادت المدنيَّة الى الهمجيَّة. وعليه كان من الافضل اعلان الحرب رسميًّا وابلاغها الى الدولة المعادية. وكل دولة لا تجري تبعاً لهذه القاعدة العموميَّة شذَّت عن واجباتها الدوليَّة

وتبليغ اعلان الحرب يكون اشدّ حاجة واكثر ضرورة اذا كانت الحرب بحرية وسبب ذلك إعلان ارباب السفن للخروج من مياه الدولة المعادية وتحذيراً للتجار من ارسال بضائعهم الى موانيها قال هوتفيل: «كل سفينة تُحجز قبل اشهار الحرب يُعدُّ حجزها من الاعمال القرصانيَّة»

امَّا كيفيَّة اعلان الحرب في أيامنا فتكون امَّا رأساً الى الدولة المعادية وامَّا ان تكون بطريقة اخرى كمظاهرة او اخطار او بلاغ نهائي (Ultimatum) وهذا البلاغ عبارة عن لائحة سياسيَّة بعبارة صريحة قاطعة نهائيَّة تتضمَّن الاقتراحات المطلوبة محدَّدة تحديداً جليًّا وتطلب المجاوبة عليها جواباً باتًّا بلا مَطل ولا ابهام. وقد يحدّدون مهلة الجواب فاذا مضت عُدَّ ذلك الصمت اعلاناً للحرب. والمهلة يجب ان

---

١) اطلب مقالة الاديب عبد الله رزق الله شارّ (خير) في المشرق السنة الثانية ١٨٩٩ ص ٧٠٦ و٧٤٤) تحت عنوان «الحرب ومؤتمر السلم»

تكون معقولة اي لا طويلة تسمح للعدوّ بزيادة التأهب ولا قصيرة بنوع ان يعقبها زحف الجنود سريعاً

﴿ ابتداء القتال ﴾ انَّ الحرب بعد اشهارها تُعطي لكلّ دولة مهاجمة كانت او مدافعة صفة المتحاربين وحقوقهم التي تمنحها معاهدات الدول وعادات الامم لكلّ جند او جيش محارب. وحقوق الملل في أيامنا هذه تقول صريحاً بانَّ جنود الدولتين المتحاربتين هم وحدهم اعداء بالمعنى الوضعي لهذه الكلمة واما ما بقي من رعايا الدولتين غير المنخرطين في الجيش فلا يُعَدُّون اعداء وعليه لا يجوز الحاق الاذى بهم ولكن قد يتَّصل بهم ضرر من قبيل المعاملة بالمثل او وجوب المدافعة

ومتى أُشهرت الحرب تُقطع كل علاقة سياسيَّة بين الدول المتحاربة على انَّ هذا القطع ليس واجباً شرعيًا بل هو من قبيل العادة والاختيار اذ التاريخ يذكر حروباً كثيرة حدثت بين بعض الدول بدون ان تُقطع بينهما العلاقات السياسيَّة مما يُساعد على عقد السلم سريعاً. وعليه اذا بقي السفراء في مراكزهم وجب المحافظة على كرامتهم وابقاء جميع حقوقهم وامتيازاتهم الممنوحة — ولكن الافضل استدعاء معتمدي السياسة خوفاً من هرج الشعب فتعطي كل دولة حينئذٍ لمعتمد الدولة الاخرى جواز مروره (باسبورت) ثم تُعلن بانها قد استرجعت براءتها التي منحتها لقناصل الدولة المعادية في جميع مملكتها فيجب حينئذٍ على القناصل تسليم سجلاتهم الى قناصل الدول المتحابَّة وتكليفهم بحماية رعاياهم الذين يرغبون في البقاء بارض الدولة المعادية اثناء الحرب

والحرب كما لا يخفى تفسخ جميع المعاهدات السياسيَّة والودادية المعقودة قبلها مع الدولة المعادية. امَّا المعاهدات المتعلقة بالحقوق الشخصيَّة التي لها مساس بالحقوق العموميَّة كحقوق الارث والوصاية والافلاس والحقوق المُلكيَّة عقاريَّة كانت او ادبيَّة او صناعيَّة فهذه تبقى جميعها مستمرَّة ويُعمل بها تبعاً للمبدأ الاساسي بانَّ الافراد ليسوا اعداء

والقاعدة التي جرت عليها الدول في أيامنا بخصوص الافراد انَّما هي وجوب اعطاء رعايا الدولة المعادية مهلةً كافية للخروج سالمين من ارض العدوّ مع ذويهم

واموالهم وقد عمّت هذه القاعدة حتى صارت نظاماً عاماً وقانوناً متبوعاً

وقد يتفق كثيراً انَّ بعضهم يرغبون في البقاء ولا يودُّون الخروج من البلاد فيجب حينئذٍ على الحكومة مراعاتهم وحسن معاملتهم تبعاً للمعاهدات الدولية والرفق بهم مع وضعهم تحت مراقبة الشُرَط ولكن يحقّ لها اخراجهم عنوةً عن المدن المحصنة او ابعادهم الى مكان بعيد من ساحة الحرب. وجملة القول انهُ يحقّ للحكومة اتخاذ جميع الاحتياطات التي تقتضيها امنيَّتها والحركات العسكرية ولكنْ يجب ان يكون ذلك برفق وانسانيَّة

وان سأل السائل هل يجوز حجز اموال رعايا الدولة المعادية وعقاراتهم فالجواب انهُ في أيامنا هذه قد اتفق السياسيُّون بوجوب احترام اموال رعايا الدولة المعادية تبعاً للقاعدة الاساسيَّة التي ذكرناها انَّ الحرب لا تكون بين الافراد. فضلًا عن انَّ تلك الاموال قد انتقلت الى الاجانب وقت السلم وتبعاً لشرائع البلاد والحرب لا تغيّر شيئاً من الحقوق الشخصيَّة

ثمَّ انَّ الحرب تقطع عند اشهارها جميع العلائق التجارية بين رعايا الدولتين المتحاربتين. تلك عادة قديمة العهد ولا تزال مرعيَّة الى أيامنا هذه

﴿ طرق اضرار العدوّ المحرَّمة ﴾ انَّ الحرب لا تعطي المقاتل حرّيَّة الاختيار في طرق اضرار عدوّهِ فانَّ حقوق الدول قد حرَّمت الوسائل المخالفة للشرائع المدنيَّة والمنافية للعواطف الانسانيَّة

فمن هذه الطرق ما يكون بربريًّا. منها جرحُ العدوّ اذا استسلم لان الجندي اذا كفَّ عن القتال وجبت معاملتهُ كاسير حرب. ومنها الإجهاز على الجرحى والاعلان بعدم اعطاء الامان للعدوّ المقاتل سواء كان السبب بغضاً او انتقاماً او تهويلًا. ولا يجوز اهانة العدوّ ولا تعذيبهُ حتى لو كان ذلك في سبيل اجباره على اباحة اسرار دولته ولا الفتك بهِ غيلةً او اغراء الغير على قتلهِ او اسقاطهُ من حق حماية الشرائع والاجازة لكلّ فردٍ قتلهُ

وبعض هذه الطرق ممنوع محرَّم كاستعمال القنابل والقذائف والاسلحة التي تزيد في تعذيب الجرحى بلا فائدة او اطلاق الزجاج المسحوق او الرصاص المضوغ المشقوق المعروف باسم « دُم دُم ». ومن اكبر المحرَّمات التسميم على اختلاف طرقهِ سواء كان

من قبيل تسميم الآبار او الانهار او الطعام او السهام. وكل من يلجأ الى استعماله اسقط نفسهُ من حقّ حماية الشرائع لهُ. وانما يجوز تحويل الانهار ومجاري المياه وتجفيف الينابيع لانَّ العدوّ متى حُرم من الماء اضطرَّ الى اخلاء مركزهِ

وكذلك لا تجوز الطرق الغدريَّة لانهُ يجب على كل من المتحاربين ان يكون على ثقة من استقامة عدوّهِ وشرفهِ وحفظهِ لشرائع الحرب. فلا يجوز مثلًا الإخلاف بالوعد او النكثُ بالعهد او الكذب بالقول او المهاجمة فجأة في اثناء هدنة او رفع علَم الصليب الاحمر الخاصّ بعربات الجرحى والمستشفيات على عربات الذخائر. امَّا الحيل غير الغدريَّة كالكامن والمهاجمة فجأة او غلساً او المظاهرة بالمهقرى او التهويل فجائز ومبنيّ على المثل السائر ان الحرب خُدعة وأجمعَ المشترعون على ذلك واتَّفقوا عليهِ في مؤتمر بروكسل سنة ١٨٧٤

وممَّا لم يجيزوهُ من الحيل استخدام اثواب العدوّ وازيائهم ولا اتخاذ شاراتهم ولا تقليد راياتهم

﴿ طرق إضرار العدوّ الجائزة والمحلَّلة ﴾ تجري الدول في ذلك على ما جاء في تعليمات الولايات المتحدة ثم تقرَّر في بنود معاهدات لاهاي: « ان ضرورات الحرب تجيز اتلاف العدوّ المسلَّح وكل نفس وُجدت في اثناء القتال ولم يُستطع انقاذها. ويجوز أسر كل عدوّ مسلحاً كان او اعزل اذا كان اسرهُ يعود بفائدة على الآسر ويسوغ عدم الباقي الحصينة والطرق والاقنية وقطع وسائل الاتصالات وحجز المؤن والذخائر والاستيلاء على مواقف العدوّ ومواقعهِ المحصنة ومحاصرتها برًّا وبحرًا او باطلاق القنابل

ويجوز التضييق على المحصورين وتعجيزهم حتى يضطرُّوا الى التسليم صاغرين. وكثيرًا ما يرافق الحصارَ الهجومُ على الحصون والقلاع للاستيلاء عليها عنوة واقتدارًا بدون انتظار مفاعيل المجاعة. وبالطبع يحقّ للمحاصر اطلاق القنابل على حصون العدوّ وقلاعهِ ليلًا نهارًا واحياناً على المدينة نفسها خوفاً من اطالة الحصار. وهذه الطريقة كثيرًا ما تلقي الرعب في قلوب المحصورين فيحملون قائدهم على التسليم. ولقد اوصلت الاختراعات الحديثة رمي القنابل الى درجة فائقة من الاصابة ممَّا يجعل لهذه الطريقة خطارة كبرى

وجاء في البند ١٥ من تعليمات مؤتمر بروكسل بانهُ لا يجوز اطلاق المدافع على مدينة غير محصَّنة او مدينة قد استسلمت وفتحت ابوابها للعدوّ وانَّما كلُّ مدينة تظهر ثباتاً او دفاعاً حقّ الهجومُ عليها وجاز حصارها. وقد اجمع المشترعون بالنهي عن اطلاق المدافع على المدن التي لم تشترك في الحرب او الثغور التجاريَّة الغير المحصَّنة الَّا اذا كان ثمَّت ضرورة حربيَّة فوق العادة

وجرت العادة ان يُخطر المحاصرُ ارباب السلطة بعزمهِ على رمي المدينة بالقنابل بدون وجوب تعيين الساعة لكي تتمكن النساء والاطفال والشيوخ من الالتجاء الى ملجأ امين ولكي تُصان كنوز العلم والصناعة والمتاحف في حرز امين

وعلى المحاصر ان يجتنب هدم المباني التي لا يفيد تدميرها شيئاً وخصوصاً المعابد والهياكل والكليات والمدارس والمتاحف والمستشفيات على شرط الَّا تكون حُوّلت بطريقة ما الى ما يُعدّ من مباني الدفاع. ويجب على المحصور ان يرفع على قمّة تلك المباني علامة ظاهرة يعرفها العدوّ المحاصر. وقد جرت العادة ان تُنصب راية بيضاء عليها رسم الصليب الاحمر فوق المستشفيات وراية بيضاء على الكنائس والمدارس. وقد تقدَّم انهُ يجب الامتناع من استعمال تلك الابنية تماية حربيَّة والَّا فانها تخسر ثقة العدوّ وحقّ لهُ تدميرها

ولكلّ محارب الحقّ في أسر سفن عدوه وتدميرها اذا كانت حربيَّة والاستيلاء عليها بجميع ما تحتوي من الاموال والرجال او الاسلحة والذخائر. وكذلك المراكب الاجنبيَّة التي يستأجرها العدوّ لخدمته وقد استثنوا السفن المستخدمة للمفاوضة في السلم او لمبادلة الاسرى او المختصة بعلاج المرضى والجرحى الناشرة اعلامها الخاصَّة بها. امَّا سُفن المحايدين فلكلّ من المحاربين حقُّ المراقبة والتفتيش عليها

﴿ في المقاتلين ﴾ المقاتلون هم الجند على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم من عامل او محافظ او احتياطي او رديف او غير ذلك من برّي وبحري سواء كانوا من المتطوّعة او من المنظَّمة. فالجنود المنظَّمة تُعرف من ترتيبها وطرق تدريبها وشكل البستها. ويدخل في ضمن المنظَّمة بقيَّة الموظفين كوكلاء المؤن وحافظي المال والقسس (خدمة النفوس) والاطبَّاء والممرضين وباعة المأكول والمشروب ولا يحقّ لاحد منهم حمل السلاح لانهم لا يُعدُّون مقاتلين بالمعنى الوضعي لهذه الكلمة وانَّما يجوز أسرهم ويجب تمييزهم

بالرعاية مـا عدا الاطبّاء. فلا يجوز أسرهم عملاً بموافقة جنيفا. والفِرَق المتطوّعة تُعتبر ايضاً من المقاتلين ويحقّ لها المحاربة وتكون معاملتها عند وقوعها بالاسر تبعاً لقواعد الحرب ويشترط ان تعترف حكومتهم بهم وترخص لهم حمل السلاح تحت رئاسة قائد معلوم وتكون لهم ألبسة خاصة او علامة ظاهرة يُعرفون بها ويحملون الاسلحة جهاراً.

فهؤلاء كلهم يجوز قتلهم وجرحهم عند اشتباك القتـال وتلاحم الجيشين. فاذا كفُّوا عن القتال او امتنعوا عن الدفاع امتنع قتلُهم او جرحهم اذ كل من عجز عن الإضرار لا يجوز ضرُّهُ ولا فرق فيما اذا كان العجز اختياراً كالتسليم او اضطراراً كنزع السلاح من يده غصباً فالعدوّ متى اصبح أعزل حُرم مسَّهُ

ولا فرق اليوم في كيفيَّة معاملة الجنود الوطنيَّة التي تحارب دولة عدوّة لها وبين الجنود والضبّاط المأجورين الذين ينخرطون في صفوف العـدوّ طمعاً بنال او انتصاراً له

واذا حدث أن خالف عدوّ قواعد الحرب وهتك حرمتهـا فذبح الاسرى او سكّان مدينة افتتحها عنوةً حقّ للعدوّ ان يلجأ الى المقابلة بالمثل ولا يخفى ما في هذا العمل من الظلم الفاحش والفظاعة الهائلة لأنهـا تقع بالطبع على الابرياء. والعدالة تقضي بوجوب مجازاة الفاعلين اذا وقعوا في يد العدوّ ولكن بعـد ان يُحالوا الى مجالس الحرب لمحاكمتهم

وكذلك الجواسيس الباحثون في ارض العـدوّ للوقوف على اسرارهم واستحكاماتهم فاذا ألقي القبض عليهم في زمن السلم عُدَّ عملهم جرماً وحوكموا في المحاكم العاديَّة ليجازوا تبعاً لشرائع البلاد واذا وقعوا في قبضة العدوّ في أبان الحرب أُحيلوا الى مجلس حربي فيُجازون عادةً بالإعدام

امّا الروّاد من ضبّاط وغيرهم من الجند الذين يُعهد اليهم استكشاف مواقع العدوّ ومراقبة حركاته وترتيب قوّاته فاذا وقعوا في ايدي العدوّ كانوا اسرى حرب لانَّ عملهم كان ظاهراً

ثم انَّ معظم المشترعين يعدُّون راكبي المناطيد كالروّاد والمحاربين علانيـةً فاجازوا تصويب المدافع والبنادق على المناطيد والسعي لاسقاطها فاذا افلحوا وسلم راكبوها وجبت معاملتهم كاسرى حرب

﴿ في غير المقاتلين ﴾ هم الاعداء غير المحاربين او غير العاملين من سكان وغيرهم. فقد اجمع الشرّاع على صيانة مثل هؤلاء وعدم التعرّض لحريّتهم. ومعاهدات الدول توجب حرمة اعراض النساء وصون الاملاك وعدم التعرّض الى المعتقدات الدينيّة وغالباً يتعهّد المحاربون على ذلك عند اشهار الحرب. وبناء عليهِ لا يجوز جرح احد من السكّان او تعذيبهُ او اهانتهُ ولا معاملتهُ بقساوة واستبداد وعلى الاخص خرق حرمة العيال او عرض النساء. ولا يجوز حملهم على قسَم يمين الطاعة والامانة الّا اذا كان الاحتلال نهائيًّا. ولا يجوز اكراههم على مشاركة العدو في قتالهِ مع ابناء وطنهِ او قسرهم الى ما يؤول الى ضرر بلادهم ولا الى خيانة الاسرار فانّ مثل تلك الخيانات توجب المجازاة عند جميع الحكومات

هذا وانّما الحرب هي حرب كما يقال فقد توجب ضرورتها امورًا لا بُدَّ منها أجازتها شرائع الحضارة رغماً عن قساوتها وظلمها كوضع الضرائب على سكّان المدن التي يحتلّها العدوّ والاستيلاء على ما يحتاج اليهِ المحتلّون من الادوات وتسخير الافراد بنقل المؤن والذخائر على خيولهم وعرباتهم . وجرت العادة ان يجبر الغالبُ سكّانَ المدن التي يمرّ فيها ان يدلّوه على الطريق. ومن أُجبر على هذه الامور مُكرهاً لا يُعدّ عملهُ خيانةً

﴿ واجبات المتحاربين بعد القتال ﴾ على المتحاربين بعد الاعتراك والجلاء القتال واجبات هامّة توجبها الانسانيّة وفروض مقدّسة تدعو اليها المروءة والمدنيّة نحو من غانهم الدهر وسقطوا في حومة الوغى امّا قتلى واما جرحى او اسرى

فالقتلى يجب صيانة جثثهم وحرمة ابدانهم واعادة ما يعثرون عليهِ في ثيابهم الى ذويهم بواسطة حكوماتهم اذا امكن . ثم يجب تحقيق شخصيّتهم بواسطة تذكرتهم وغرتهم مع كنية سجلّهم. ثم يُدفنون باكرام

امّا الجرحى والمرضى فلا شيء اولى من الاعتناء بهم وادعى الى الرأفة عليهم. ومن الواجب البديهيّ ان يعتني كل فريق بجرحاه ومرضاه ولكن قضت الشرائع الدوليّة على كل فريق من المتحاربين بالاعتناء بجرحى الفريق الآخر ومرضاه كانهم من جندهِ بلا ميزة او استثناء وقد استنبطوا لتلك الغاية مستشفيات نقّالة. وأُنشئت جمعيّة الصليب الاحمر بهمّة رجل سويسري الاصل من اهل البرّ والاحسان يُدعى هنري

ديوان ولم يزل يسعى حتى تعاهدت الدول على صيانة تلك الجمعيات وعدم التعرض لها ووضعوا لذلك قرارات صادق عليها معتمدو الدول. وقد ابدلت الدولة العثمانية الصليب الاحمر بهلال احمر في حربها مع روسية وصار الهلال من ذلك العهد علامة مستشفيات الدول الاسلامية

امّا اسرى الحرب فكان الاقدمون في سالف الزمن يعتبرونهم كعبيد لا تحميهم شرائع الانسانية فكانوا يذبحونهم كالاغنام بلا شفقة ولا حنان بل كان الاشوريون وغيرهم من الامم اذا فتحوا بلداً اعتبروا عموم اهله كاسرى بلا تمييز في الاجناس والاعمار فشاع المثل: ويلٌ للمغلوبين. اما في عهدنا عند الامم المتمدنة فالاسر عبارة عن حجز موقت يمنع الاسير من مساعدة قومه في القتال او الدفاع. ويكون تحت سلطة الحكومة وحمايتها فللظافر الحقّ في حرمانه من حرية الرجوع الى معسكره ولكنهُ لا يحقّ لهُ قصاصهُ او تعذيبهُ او اهانتهُ او تشويههُ او حرمانهُ من الطعام او الشراب باعتبار كونه وقد وقع اسيراً. وواجبات الاسير الرضوخ لنظام الظافر فاذا تمرّد او عصى حقّ عليه الجزاء او القصاص فيُحال الى مجلس عسكري واذا ارتكب جرماً عومل بموجب ذلك النظام

ولا يجوز الاستيلاء على امتعة الاسرى او سلب ما عليهم من الحلي والدراهم فاذا دعت الضرورة الى نزعها من ايديهم وجب اعادتها حين تسريحهم. امّا الاسلحة فهي بالطبع غنيمة الآسر وانما جرت العادة من قبيل المجاملة ان تُردّ السيوف الى الضباط فقط. والاسرى يرسلون عادةً الى مدينة محصّنة او معقل او معسكر ويحدّدون لهم محلّاً معلوماً لا يتعدّونهُ. ويجب معاملتهم بالرفق وعلى الحكومة الاهتمام بهم والعناية بامر معيشتهم تبعاً لشروط مقرّرة بين المتحاربين واذا لم يكن ثمّت شروط معروفة وجبت معاملتهم معاملة الجنود الظافرة على السواء وتبقى النفقة على العالب حتى يقع الصلح او التبادل. وينتهي الاسر بانتهاء الحرب وعقد الصلح فلا يبقى ثمّت الا الاتفاق على شروط التسريح المادّية كالغرامة وما اشبهها

هذا وقد كتب المشترعون فصولاً ضافية في كل هذه الابواب اقتطفنا منها زبدة اقوالهم واهم آرائهم خوفاً من التطويل الممل

ابن وائل

مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلَّلها شعر جاهليّ

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي

لمحة تاريخيَّة

جاء في كتاب الاغاني ما ملخَّصهُ :

« كانت جليلة اخت جسَّاس البكريّ امرأة وائل كُليب التغلبيّ . فلمَّا قتل جسَّاس وائلًا ووقعت حربُ البسوس بين بكر وتغلب رجعت جليلة الى اهلها فولدت غلامًا سمَّتهُ الهجرس . فنشأ في بكر لا يعرف نسبهُ حتى وقع يومًا بينه وبين رجل من بكر كلام منهُ وقف الهجرس على حقيقة نسبه ومن ذلك الحين عقد النية على أخذ الثأر فانجز مقاصده وقتل خاله جساسًا قاتل ابيه (نحو سنة ٥٣٦ م) »

غير انهُ لمَّا كان الرواة قد اختلفوا في هذه الحادثة رأينا ان نتصرَّف فيها بما يوافق المقام التمثيليّ . من ذلك انَّا اختلقنا تزوّج الحارث بن عبَّاد سيّد بكر بجليلة بعد قتل وائل وجعلناه متبنّيًا للهجرس فيكون هذا لا يعرف ابًا غيرهُ قبل ان يوقفهُ ثعلبة على حقيقة نسبه ويستحثهُ على الفتك بخاله

ولم يسعنا الَّا ان نضرب صفحًا عمَّا اثبتهُ الرواة للمهلهل (الزير) وتناقلتهُ فبالغت فيهِ ألسنة العامَّة من الانقياد للاهواء فثلَّثناهُ اشرف طبعًا واسمى مترعًا

وقد جعلنا للهجرس شقيقًا ولدته جليلة للحارث ودعوناه جليلًا فيكون هو رادعًا لاخيه عن اخذ الثأر ومصلحًا بين بكر وتغلب

واغلب الابيات تاريخيَّة من نظم الشعراء ابطال الحادثة فنقلناها مع بعض التصرُّف عن كتاب شعراء النصرانيَّة وغيرهِ

امَّا الغناء فقد ضبطهُ اخونا الخواجا جان ابيلا على النسق الافرنجي وان عربيًّا . وسننشره ان شاء الله بضوابطهِ الموسيقيَّة في ذيل الرواية

المثلون

المجرس بن وائل . . . . . .
عديّ المهلهل اخو وائل وامير تغلب . . .
سحبان } من فرسان تغلب
صخر }

الحارث بن عبّاد سيّد ذُبيحة وامير بكر . . .
جليل ولده واخو المجرس لأمّه . . .
قيس صديق المجرس . . . . .
عمرو من اصحاب الوفد . . . . .
ذائك من فرسان ذُبيحة . . . . .
شأر « « « . . . . .

حسّاس بن مرّة سيّد شيبان وخال المجرس . . .
ثعلبة } من طلائع شيبان . . . . .
لُكيز }
نويرة صديق حسّاس . . . . . .
خالد من فرسان شيبان . . . . .

فرسان تغلب وبكر

ابن وائل

الفصل الاول

المشهد الاوّل

(يمثّل المرسح مضرباً لبني بكر وبقربه حصناً)

الحارث وحسّاس

الحارث بلّغني يا حسّاسُ . انك ارسلتَ الى حيّ تغلبَ غرسانَ وثعلبةَ كي يقتلا غدراً عديّاً المهلهلَ . . . فعلتَ هذا على غيرِ علمٍ منّي

جساس نعم سيّدي الحارث. وقد مضى على ذهابهما أسبوعٌ ولا ادري ما جرى لهما... واما اني لم أعلمكَ الامرَ فلتفيكَ وقتئذٍ

الحارث لو علمتُهُ في حينهِ لأنكرتُهُ عليك. ولولا حبّي اياك لسيّرتُكَ الساعةَ الى حيّ تغلبَ وسأمتُكَ الى المهلهلِ بجريرتِكَ لئلّا أثير حرباً عواناً عليّ وعلى قومي... ولكني استدركتُ الامرَ. بعثتُ الى ثعلبةَ وغرسانَ أن ارجعا حالاً

جساس ما هذا مولاي! أتُنكرُ عليّ فتكي بالمهلهلِ. وهو اخو وائلٍ كليبٍ عدوّنا الالدّ؟ المهلهلُ أسرفَ في قتل بني بكرٍ قومنا: هو قاتلُ نضلة وسيّارٍ وسعدٍ إخوتي. هو القاتلُ يومَ اراقَ دمَ ابنك بُجير: "بُؤْ بشِسْعِ نعلِ كُلَيب". وانت تحمي رأسه وتُنكرُ عليّ قتلَهُ!!

الحارث نعم قد كان ذلك كلّهُ على يدِ المهلهلِ. فتكَ بنا وبدّد شملنا وحفر المقابر لاحبابنا. فصلَ حشاشةَ قلبي عني. هدّرَ دمَ بُجيرٍ حبيبي. حرّقَ قلبي وامرَّ عيشي

قُلْ لأمّ الأغرِّ تبكي بُجيرًا حيلَ بين الرجالِ والاموالِ
وأمسري لأبكينّ بُجيرًا ما ابى الماءَ من رؤوسِ الجبالِ
لهفَ نفسي على بُجيرٍ اذا ما جالتِ الخيلُ يومَ حربٍ عضالِ
قتلوهُ بشِسْعِ نعلِ كُلَيبٍ إنّ قتلَ الكريمِ بالشِسْعِ غالِ

... نعم قتلوهُ... انما قتلوهُ أثناء الحرب وقد تجمّعَ المهلهلُ ديات القتلى وعقدنا الصلحَ منذ ذاك. أفيسوغُ لنا ان نخفرَ ذمّتَهُ وننكثَ العهدَ بان نفتكَ بهِ ظلماً؟

جساس قد طالما كان الغدرُ دأبَ المهلهلِ وقومهِ تغلب

تمدّت تغلبٌ ظلماً علينا بلا جُرمٍ يُعدُّ ولا جُناحِ
سوى كلبٍ عوى في بطنِ قاعٍ ليمنعَ حيّةَ القاعِ المُباحِ
فما ظلماً يكونُ اذا ظلمنا عقابَ البغيِ رافعةَ الجناحِ

الحارث الله يرذلُ الظلمَ والخداعَ في كل آن

جساس ولكنّ تغلب...

الحارث هذا يا جساس فضلاً عمّا جلبتهُ على قومك من المصائب بدسّكَ الدسائس على امير تغلبَ

جساس مولاي اخذتني الحيرةُ من كلامكَ ألستَ انتَ القائل :

يا بُجيرَ الخيراتِ لا صُلحَ حتى تملأ اليدَ من رؤوسِ الرجالِ
وتقرَّ العيونُ بعدَ بُكاها حينَ تسقي الدما صُدورَ العوالي

ثم لا يجلب الشرّ على قومهِ من ينتقم لهم ؟

الحارث الّا اذا كان وراء الانتقام لهم انتقام الاعداء منهم وحروب وسفك دماء . . علمتَ يا جسّاسُ ما اوقعت بنا حربُ البسوس منَ الخطوب . أجلْ قد كانت لنا الوقائع العظامُ كانت فيها الدولة على تغلب فافتخرَ قومنا بخيلهم ورجلهم وابطالهم . فوربِّ ربيعة اننا لم نحدث بيننا اذ حلفنا بان « نملأ اليدَ من رؤوسِ الرجالِ » . بيدَ أنَّ بكرًا أهلي واهلك قد كادت تفنى في المعامع . . . ويلاه !

كم باكياتٍ تُرى برثين في وطني كم ثاكلاتٍ بأحزانٍ وأشجانِ
فالامُّ في مَلَعٍ والاختُ في جزعٍ حزنًا على فقدِ اولادٍ وإخوانِ

. . . والآن قد لطفَ اللهُ بنا وخمدت نارُ الحربِ أفتريدُ في البلاء بلاء بان تعودَ فتُسعرها باثارتك بغضَ المهلهلِ وقومهِ

جسّاس لا . لستُ أريدُ مُصابَ قومي إنّما جلُّ مرادي ان افتكَ بالمهلهل فاني أبيتُ مُصالحةَ نذلٍ ندَّدَ باهلي وبطشَ بهم ولا ارتاحُ إلّا لإهلاكهِ

ابلغْ مُهلهلَ عن بكرٍ مغلغلةً منّكَ نفسُكَ من غيٍّ أمانيها
تبكي كُليبًا وقد شالتْ نعامتُهُ حقًّا وتُضمرُ أشياءً تُرجّيها
فاصبر لبكرٍ فانَّ الحربَ قد لقحت وعزّ نفسك عمّن لا يواليها
فقد قتلنا كُليبًا لم نبالِ بهِ بنابِ جارٍ ودون القتل يكفيها

الحارث انت مخطئ .

جساس انا مخطئ ؟ تذكّر قولك :

يا بني تغلبٍ قتلتم قتيلًا ما سمعنا بمثلهِ في الحوالي

قرّبا مربطَ النعامةِ مني ليس قولي يُرادُ لكن فعالي
قربا مربطَ النعامةِ مني وأعدلا عن مقالةِ الجُهّالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني ليس قلبي عن القتالِ بسالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لبُجَيرٍ مُفَكِّكِ الأغلالِ
قربا مربطَ النعامةِ مني بكريمٍ مُتوَّجٍ بالجمالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لا نبيع الرجالَ ببيع النعالِ
قرّبا مربطَ النعامةِ مني لبُجَيرٍ فداهُ عمي وخالي

(يدخل ثعلبة)

قرّباها بُرهفاتٍ حِدادٍ لاعتناقِ الكُماةِ يومَ القتالِ

الحارث (سكوت هنيهة) انكَ لمخطئ.

المشهد الثاني

الحارث – جسّاس – ثعلبة

الحارث ثعلبة !...

جساس وحده ! (الى ثعلبة) اين غرّسانُ ؟

الحارث ورسولي عمروٌ ؟

ثعلبة بذلا النفسَ في خدمةِ الامير . قتلهما الاعداء.

الحارث هاتِ خبرَك

جساس وأوجز

ثعلبة بالقرب من حيّ تغلب غارٌ اليهِ كنّا نتردّدُ وفيهِ كنّا اودعنا اسلحتنا فبينا كنّا ثمّة كامنينَ للمهلهل نترصّدُ فرصةً لاهلاكهِ اذ وفد علينا عمروٌ رسولُ الامير فهمنا بالرجوع طوعاً لامرك مولاي . ولكن ما ابتعدنا قليلًا الّا ووراءنا قومٌ من فرسان تغلب عرفونا وشنّوا الغارة علينا فقبضوا على غرّسانَ وعمرو وقتلوهما...

جساس لانتقمنّ لأميني غرّسانَ

ثعلبة واما انا...

الحارث وانتَ ؟

ثعلبة أنقذني اللهُ فاني ما رأيت فرسان تغلب وثبوا علينا الّا وامتطيت جواداً كان يسرحُ هناك واسرعتُ الى الحيِّ لأُعلمكَ مولاي بما جرى

الحارث وهل وجدتَ بني تغلبَ على أهبةِ الغزو ؟

ثعلبة لو تيقّنوا ما كنّا اضمرناهُ لهم من الشرّ لزحفوا علينا ولكن هيهاتِ ان يتيقّنوا ذلك فذهبوا وشأنهم بعد ان قتلوا غرسان وعمراً . وهاءنذا بين يديك وكلّنا على أهبة القتال لنأخذ بثار اخوتنا

الحارث لكنَّ الرأيَ يقضي علينا بالتحفُّظ

ثعلبة (وحده) الامير على حذر ! خابت مساعيَ

الحارث إذهب يا ثعلبةُ وأنذر القومَ في الحصن ليأخذوا حذرهم

ثعلبة (متردداً) سمعاً وطاعةً مولاي (يخرج من جهة الحصن)

المشهد الثالث

الحارث وجساس

جساس يقضي الرأي بالتحفُّظ والتحصُّن واما شرف الامير فيقضي عليه ان يزحفَ بجيشه على المهلهل وقومه ويعاقبهُ على قتلهِ رجلين من بكرٍ

الحارث لا يعاقبُ من دافع عن نفسه فما لنا ان نطلب ديةَ غرسان . . واما عمرو . .

جساس نعمَ وسولك عمرو أفيذهب دمهُ هدراً ؟

الحارث كان لتغلبَ ان تقتلَ ثعلبة وقد بعثتهُ انت غدراً فافلتَ منهم بالحيلة فيكون عمروٌ عوضهُ

جساس أفتعتزل الحربَ اذن ؟

الحارث حسبنا الآن ان نتحفّظ ونتحصّن كي ندفعَ العدوَّ ان تعدّى علينا واما ان انكثَ العهدَ وانقضَ شروط الصلح بإثارة الحرب من نفسي بعد مصافحتنا لتغلبَ فذلك عارٌ عليَّ

جساس فاعتزلها إذن بقومك ضيعةً واما انا فإني اجمعُ اليوم للحرب قومي بني شيبانَ . . . اكرُّ معهم على الاعداء ولا انثني عن الضرب والطعن حتى اسحقَ اهل المهلهل عن آخرهم وأبيدَ خضراءهم وغضراءهم

الحارث ذاك شأنك . انا حليف الدفاع ليس الّا . لا اتبـدأ بالعداوة فأناجز من عاهدتهُ بالصلح (يخرج من جهة الحصن)

المشهد الرابع

جساس وحده

جساس تمتّع تمتّع وحدك بالطمأنينة اسحب وراءك قومك ذيلَ العار وتجلبب بثوب الذلّ الذي آثرتهُ على النصر والعزّ . . . واما انا فلا اختارُ الّا القتالَ . . . القتالَ لأجرّعَ كأس الردى المهلهلَ قاتلَ اخوتي . . . القتالَ حتى لا تبقى في تغلب أمٌّ الا ندبت وادًا ولا أُخت الّا بكت اخًا . . .

إني وربِّ الشاعرِ الزورِ وباعثِ الموتى من القبورِ
وعالمِ المكنون في الصدورِ لأبذّنَّ رثبةَ المُنبرِ
الذئبِ او ذي اللبدةِ المصورِ بصارمٍ ذي فنّةٍ مشهورِ

نعم اني قتلت وائلًا وقد تكبّر وبغى وتجبّر وطغى . قتلت سَلَمة وعبد الله اخويه ولكن بقيَ اخوهُ عديٌّ المهلهلُ (يخفض صوته) بقيَ ولدهُ الهجرس . آه من لي بان اراهما صريعين على قدميَّ فاروي غُلّتي من دمائهما . . . امّا المهلهلُ فقتلهُ مقرّرٌ في اوّل وقعةٍ واما الهجرس . . . آه ! (يجلس) انّ دون قتله عقباتٍ . . . هو مقيمٌ بيننا ويحسبُ نفسهُ كأنهُ واحدٌ منّا . اتت به طفلًا الينا أُختي جليلة بعد قتل ابيه كليب وائل . فلا يدري الى الآن انهُ ابن عدوّنا الالدّ بل ينتمي الى الحارث بن عباد كأنهُ ابوه وما الحارث الّا ابو جليل اخي الهجرس لأمه جليلة تزوّجها ابن عبادٍ بعد مقتل كليب . . . هذا ما يصدُّني عن قتل الهجرس . فان اوقعت به شرًّا قامت عليَّ اختي جليلة . قام عليَّ بنو ضُبيعة باسرهم . والحارث سيّدهم تبنّى الهجرس وهو يحبّهُ كأنهُ ولدهُ من صُلبهِ (يقف) . . . لكن صبرًا يا فؤادي فلأرمينّهم جميعًا بسهام الخداع وانصبنّ فخًّا اصطاد بهِ الهجرس وانفي عن الارض سُلالة وائل . (يلتفت) هوذا الهجرس دَعني انصب لهُ شراك المكر وأغريه بالسير معي الى الحرب . اجعلهُ رئيسًا على

فئةٍ من قومي واستحثُّ صديقي نويرة على قتلهِ خفيةً واذيعُ الخبرَ ان الاعداء فتكوا بهِ (يدخل الهجرس)

المشهد الخامس

جسّاس والهجرس

الهجرس انّا لفي خطرٍ عظيم .

جساس مَهيم ؟ هل من عدوٍ مقبل ؟

الهجرس نعم قد حملت علينا تغلبُ. كنتُ على بُرج الحصن اترصّد المقبلين فرأيت كتائبَ المهلهل زاحفةً الى الحيّ

جساس لكنَّ ثعلبة كان سكَّن روعنا

الهجرس ثعلبة ! خرج من الحي ولا شكَّ انهُ عادَ الى بني تغلبَ. هو خائنٌ مخادع

جساس ماذا تقول ؟

الهجرس تيقَّنَ ابي الحارث خيانته إذ رأى وسمعَ عقيبَ ذهابهِ غرسانَ وعمرًا

جساس عاد غرسانُ وعمروٌ ! إذًا ما اتانا ثعلبة الّا بالكذب والبُهتان أوضح لي الخبر

الهجرس قد ساء ثعلبةَ أن لم يَرضَ ابي بقتل المهلهل غدرًا

جساس (مفتكرًا) كنتَ وعدتهُ بمكافأةٍ لو نجحت مساعيهِ

الهجرس فلمّا خابت آمالهُ بن نوالكَ طمعَ برُشوةٍ من بني تغلب فاخبرهم بمقاصدك فاستأسروا غرسانَ وعمرًا واشترطوا لثعلبة ان يجزلوا لهُ العطاء اذا اتى حيَّنا وتجسَّس الحصن ونشر بيننا اخبار السلم لتتقاعد عن التحصُّن

جساس تبًّا لهُ من خائن

الهجرس كل هذا والمهلهلُ غائبٌ فلمَّا عاد الى حيّهِ كرهت نفسهُ خيانة ثعلبة ولا شكَّ انهُ يطردهُ عند وصولهِ اليهِ . ثم أطلق المهلهل الاسيرين قائلًا : لا ارضى الّا بدمِ جساس وها هو زاحف الينا بقومهِ

جساس لأُعاقبنَّ ثعلبةَ على غدرهِ

الهجرس امّا الآن فبدارِ بدارِ وقد أرسلني ابي الحارث اليك . . .

جساس أيرغب ابوك في الحرب ؟

الهجرس نعم . يبتغي الدفاع عن الحي هو الآن في الحصن وقد اذكى العيون على الاعداء . مراده ان تذهب الساعة وتجمع قومك بني شيبان وقومهُ ضُبيعة فتأتي بهم اليه الى هذا المكان

جساس انا فاعلٌ (يخرج متردّدًا)

الهجرس ولكن يا خالي (يعود جساس) أسألك واحدةً

جساس وما هي ؟

الهجرس أتشتبكُ الحرب وتلتحم بين قومي والاعداء ولا اقتحم غمراتها ؟ اتكون لبكر الوقائعُ العظام وانا أترك كالطفل مع النساء لا أجرّد على العدوّ حساماً ولا أصوّب رمحاً فيقال عني خسيسٌ جبان وانا اشعرُ من نفسي ما اشعر من جُرأةِ الصدر ورباطة الجأش ومن الحب لبكر ما لا يشفى غليلهُ الّا ببذل النفس . كلّا ومبدعِ الخلق

حتى ابيدَ قبيلةً وقبيلةً وقبيلتين جميعا
وأذيقَ حتفاً آل تغلبَ كلها واهدَّ منها سَنَكها المرفوعا

جساس (وحدهُ) رميتُهُ بحجرهِ واوقعتهُ في شَغَبهِ (الى الهجرس) أفتريد خوض غمرات الحرب ؟

الهجرس تلك غايةُ منيتي

جساس نعمَ المطلبُ مطلبك يا فتى . . . فابقَ هنا ريثما اعود بابطالي فاني مُقدّمك على مئة منهم (يخرج جساس من جهة الحي)

المشهد السادس

الهجرس وحدهُ

الهجرس لا . لا ارضى بالذل والعار . لا ارضى بان أعدَّ جباناً منخوب القلب . لا ارضى بالقعود وقد نهض للقتال فرسان قومي أباةُ الذلّ وكُماة الوغى

تلِدوني مهنّدًا للقتالِ ليس قلبي عن القتال بالِ

قلدوني مهنداً للقتال مع رمح مثقف عسّال
قربا مربط المشهر مني طال ليلي واقصرت عذّالي
قربا مربط المشهر مني يا لتغلب ابن منكم وصالي
فخذوا حذركم وشدّوا وجدّوا واصبروا للقتال بعد القتال (يدخل جليل)

المشهد السابع

المجرس – جليل

جليل اخي ما للقوم في حركة وانتقال ترى هل الأهبة للغزو ام دفاع

المجرس الأهبة للدفاع يا اخي

جليل واي عدوّ مغير علينا ؟

المجرس بنو تغلب . . . لكن سكّن الروع أخيّ فاني مدافع عن الحي وعنك فلأثبنّ على الاعداء ولاستأصلنّ شأفتهم

جليل ما ذا يا اخي ؟ اتذهب الى الوغى وتتركني وحدي غائصاً في بحر من الاكدار؟ أأراكَ تخاطر بالحياة وانت قرّة عيني ومهجة فؤادي وحياتك اعزّ عليّ من روحي

ألستُ أعدُّ قربي منك ربحاً اذا ما عدّت الربحَ التجارُ
فإن تبعد فديتُكَ يا ابن أبي تناءى النومُ وامتنعَ القرارُ
فإن تبعد فديتُكَ يا ابن أبي اغادرُ كلَّ ما حوت الديارُ
ولستُ بخالعٍ حبّي ووجدي الى ان يخامَ الليلَ النهارُ

المجرس طِبْ نفساً أخيّ فإنّ الله القاضي عليّ بالدفاع عن الوطن يعضدني ويعيدني اليكَ سالماً ظافراً

جليل وأمّنا جليلةُ قد غذتكَ رضيعاً وأنتكَ غصناً نضيراً أفتتركني وأياها ولا لذّة لنا من العيش الّا بالقرب منك . كيف الفراق يا أخي ؟

قلبي بحبك مولعُ حزني بقربك يُدفعُ
كيف الفراق وفيه لي داءٌ عُضالٌ موجعُ

(يدخل الحارث)

المشهد الثامن

الحارث – المجرس – جليل

جليل رُحماك ابتِ اردَع اخي عمّا نوى يريد البروز الى الوغى فيتركني وحدي

الحارث ما ذا يا هجرس ! أعن غير رأيي تنتظمُ بين فرسان الحرب وانا سيّدها . أبدون اذني تتناهى عن الحيّ . وانا ابوك واليّ مفوّضٌ امرك

الهجرس معـاذ الله ابي أن أعصى لك امرًا ولكن أليس عارًا عليّ ان تذهبَ الى الوغى ولا اسيرُ وراءك لأدفع عنك الاعداء

الحارث أبقَ هُنا وأدفع الكآبةَ عن قلب ابويك واخيك

الهجرس ومن يدفع عن قلبي الكآبةَ عليك ابتاه . اقتركب الاهوالَ ولا اركبها

الحارث ان أبيت الّا الاقدامَ والبسالةَ فانا ملبٍّ طلبك . . .

جليل أبتِ ناشدتك الله آ . .

الحارث (الى جليـل) لا تخف بنيَّ (الى الهجرس) ان في الحصن يا هجرس أبطالًا ابقيتهم للدفاع عن الحي كن معهم فقد جعلتك عميدهم ومَلاك امرهم

جليل ولكن يا ابي . . .

الحارث بذا نرضى جميعاً . الهجرس محاربٌ غيرُ مفارق لك يا جليل والحصن كالحيّ والحيّ آمن له من ساحة القتـال (الى جليل) اذهب ولدي الى أمك وسكّن روعها

جليل رعاك الله ابتِ واعادك سالمًا

(يدخل جساس ونويرة وجند شيبان وضبيعة)

المشهد التاسع

جليل — الحارث — الهجرس — جساس — نويرة — جنود

الحارث وانت يا هجرس سِرْ الى الجنـد الباقين في الحصن وقل لهم اني قلّدتك الرئاسة عليهم

جساس (وحده) قد اخفق مسعايَ !

جليل تزوّد بنا زادًا فديتكَ والدي فهل من وصالٍ بعد هذا التقاطعِ

الهجرس وكفكفْ باطراف الوداع تمنُّعاً جفونك من فيض الدموع الهوامعِ

الحارث ولديَّ أستودعكما اللهَ

(يخرج الهجرس من جهة الحصن وجليل من جهة الحي)

المشهد العاشر

الاشخاص انفسهم ما عدى الهجرس وجليل

جساس مولاي قد جمع الله قومي وقومك لمقاتلة العدوّ هم بَطنان من بكر لكنّهم جيشٌ واحدٌ في حوزتك مُرنا نسرْ وراءك ونكرّ على الاعداء كرّ الصناديد

الجند ونفتك بهم فتك الاسود

الحارث نعماً نعماً يا فرسان لا يفشل القوم اذا تعاونوا

جساس وكي يتحققوا هذا التعاون فاني رأيت ان اقدّم الهجرس على فئةٍ من بني شيبان

الحارث (يأخذ جساس على انفراد) لو لم يكن الهجرس تغلبياً وابنَ اخي المهلهل لكنت استصوبت هذا الامر

جساس هو يجهل ذلك

الحارث لكنّا نحن على بصيرةٍ من الامر . . . لا تسوغ لنا مخالفةُ سُنّةِ الله بان يُحمَل فتى على محاربة اهلهِ . ثمّ إن الهجرس حديث السنّ لا يُحسن القتال

جساس (متهكّماً) يخشى الامير على ولده

الحارث يحقّ لي ان اضنّ بدمهِ وقد كُلِّفت بتربيتهِ وأحببتهُ كولدي أفما كفاني ان اخاطر بدمِ ابطالي . (يعود فيخاطب جنوده) أجل يا بني بكرٍ يعزّ عليّ ان اراكم تركبون الاهوال وتقتحمون المهلكات ولكنّ المهلهل اقبل بجيوشهِ الجرّارة يبتغي النزال فلا يُنجيكم منهم اليومَ الّا الطعن والضرب فاصدقوهم القتال وامتنعوا بسيوفكم . حقّقوا آمالي لا تأخذكم جبانةٌ ولا تعودُنّ الّا وانتم ظافرون

الجند ورب ربيعة نحن ظافرون

الحارث ضمنت لنا ارماحُنا وسيوفُنا بهلاكِ تغلبَ آخرَ الايامِ

الجند بهلاك تغلب آخرَ الايامِ

جساس واذا الكرام تذاكرت ايامها كنّا على الايامِ خيرَ كرامِ

الجند كنّا على الايامِ خيرَ كرامِ

جساس أفبعدَ مقتلهم جُبيرًا عنوةً يرجون ودًّا آخر الاعوامِ
فئة من الجند كلّا وربِّ الراقصات الى منًى
فئة ثانية كلّا ورب الحلّ والاحرامِ
جساس حتى يُقيدونا النفوس بقتلهِ ويرومو في الشحناء كلَّ مرامِ
وتجولَ ربّات الخدور حواسرًا يبكينَ كلَّ مغاورٍ ضرغام

(غناء حربي في اثنائه يفكر جساس)

هيّا بنا هيّا بنا نحو العدى هيّا بنا
ويلًا لكم اعداءنا سقيًا لكم اصحابنا

يا قومُ سُلّوا المرهفاتْ ثم اشحذوا حدَّ الظُّباتْ
ويحًا لقلب الأُبهاتْ يصبحنَ يومًا ثاكلاتْ
بسيوفنا وحرابنا
إنّا لدى الهيجا صعابْ فنخوضُ غمرتها غضابْ
بصدورنا نلقى الحِرابْ بسيوفنا نفري الرقابْ
مَنْ في الملا كشبابنا

(بعد الغناء يخرج الحارث مع الجند ولكن جساس يشير الى نويرة فيعودان متلصصين)

المشهد الحادي عشر

جساس ونويرة

جساس قد اخفقَ مسعانا في قتل الهجرس يا نويرة أمين شيبان
نويرة فهل من وسيلة سواها ؟
جساس ابقَ في الحصن واحتلْ على الهجرس حتى يقلّدكَ حراسةَ مدخلهِ
نويرة انعم بالًا مولاي
جساس وانا باعث من يستحثُّ رجلين من بني تغلبَ على قتل الهجرس وليس منهم من يعرف نسبه فاليك يأتيان
نويرة وانا أُمهّد لهما السبيلَ الى قتلهِ وانشر الخبرَ انهُ برز الى الاعداء فتفتكوا بهِ
جساس سأُجزلُ لكَ العطاء على خير العمل
نويرة سيكون ما تريد
جساس انا لاحقٌ بالامير (يُرخي الستار) (لها تابع)

ميمر مفقود

للقديس انسطاسيوس السيناوي

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوطِئَة

بين مشاهير الكتبة اليونانيّة في القرن السابع كاتب بليغ وعالم كبير يُدعى القديس انسطاسيوس ترأّس على دير طور سينا وقاوم كمعاصريهِ الشهيرين القديس يوحنّا الدمشقي وتاودورس ابي قرّة البدعة اليعقوبيّة وتفرّعاتها. وربّما اشتبه على الكتبة اسمهُ فخلطوا بينهُ وبين كاتبين آخرين سبقاهُ بزمن قليل وهما اولاً البطريرك الانطاكي انسطاسيوس الذي دبّر كرسي انطاكية من السنة ٥٥٩ الى ٥٩٨ للمسيح. وثانياً بطريرك آخر يُدعى انسطاسيوس ايضاً خلف على كرسي انطاكية انسطاسيوس السابق من السنة ٥٩٩ الى ٦١٠ وللاوّل كتاب في العقائد المسيحيّة والتعليم المستقيم المطبوع في مجموعة مين (Migne, P. G. t. 89 col. 1309, seq) وللثاني ترجمة يونانيّة لكتاب الفهُ القديس غريغوريوس الكبير في تدبير الرُعاة (De cura pastorali) . امّا انسطاسيوس السيناوي فكان فيلسوفاً كبيراً ولاهوتياً محنّكاً كما تدلُّ عليهِ الكتب الباقية لهُ منها كتاب الهداية (ὁδηγός) في المعتقدات النصرانيّة (Migne. P. G., t. 89, col. 35-311) وكتاب واسع في حلّ مشاكل دينيّة (Ibid. col. 311-824) وتأليف في ايّام الخليقة (Ib. col. 854-1077) . وممّا وجدناهُ لهُ في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ولا ذكر لهُ في اعمالهِ اليونانيّة ميمر جليل خصّهُ بيوم جمعة الآلام الكبيرة ووصف فيهِ ما قاساهُ السيّد المسيح منذ اوقفهُ اليهود في بستان الزيتون الى موتهِ عزّ وجلّ وقد عمد في كتابة هذا الميمر الى المزمور الثاني لداود الذي بدؤهُ « لماذا ارتجّت الامم » فبيّن انّ كلام النبي قد تمّ بحرفهِ في آلام المخلّص وعرض ذلك على طريقة بليغة كما اعتادها آباء الكتبة اليونانيّة. فقصدنا ان نحيي هذا الاثر في مجلّة المشرق لنفاستهِ. والكتاب الذي اخذنا عنهُ هو مجموع اقوال الآباء الذي مرّ لنا وصفهُ (في المشرق ٨ : ٤٧١ تحت العدد ٦١) والميمر في الاصل من الصفحة ٢٨٦ الى ٣٠٦. وامّا التعريب فهو على ما نظن لابي الفضل الانطاكي الذي سبقت ترجمتهُ في المشرق فاثبتناهُ على علّاتهِ ولم نصلح فيهِ الّا ما لا يُعبأ بهِ من الاغلاط الظاهرة

(286) ميمر ليوم الجمعة العظيمة

لابينا القديس انسطاسيوس رئيس دير طور سينا المقدّس

على آلام ربّنا وممانه بالجسد وسائر ما يختص به من امور الصلب وفي الطعن على اليهود القاتلي الاله. وهو تفسير (287) المزمور الثاني لداود خاصّة الشاهد بالصلب وغير ذلك

هذا هو إلهنا خالق السماوات والارض ايسوع المسيح الذي اعدّ لنا اليوم الخلاص في وسط الارض (١ عند طلوعه فوق الصليب المحيي في جبل صهيون فصاح صوتاً عالياً وافزع الدنيا باسرها صاح صوتاً شديداً فحرّك الارض وارجفها (٢ صاح فاظلمت الشمس وتمزّقت الدنيا وتفلّقت الصخور. صاح فانفتحت القبور وقام الاموات وارتعب الموت. صاح فهتك الستر وشقّهُ من فوق الى اسفل (٣. صاح صوتاً عالياً لجميع الامم وزعزع المسكونة ومن عليها

انّ الدنيا لمّا علمت انّ إله الآلهة وخالق السماوات والارض ارتفع على الصليب بالجسد في طور صهيون هنالك عرفتهُ ولهُ مجّدت ولهُ سجدت وسبّحت واليه بما انّهُ الإله للهدايا قدّمت. فالشمس والقمر والنجوم والسماوات والملائكة والشاروبيم والسارافيم لهُ تمجد وتقدّس وتسبح. فالسماوات لمّا عاينت ارتجّت. والشمس اذ ابصرت اخفت ضوءها. والقمر عند ما رأى أظلم. والملائكة كلهم بُهتوا. ورؤساء الملائكة حجبوا وجوههم باجنحتهم. اساسات الدنيا ارتعدت والارض اهتزّت. الجبال والتلال والبحار والانهار بل المسكونة ومن عليها حزنت عند طلوع مخلصنا على الصليب

اليوم قاضي القضاة للقضاء يأتي. اليوم مبدع الحياة للموت يذوق. اليوم الديّان يتعرّض الى الدين. اليوم اسلم ربنا نفسهُ الى ايدي الخطأة (٤ . اليوم دفع السيد ذاتهُ الى العبيد المنافقين. اليوم اوقفوا بأرننا قدام قيافا كاحد المجرمين. اليوم بصقوا في وجه إلهنا الذي لا (288) تستطيع الشاروبيم ان تحدق اليه. اليوم هُزئ به من الأئمة. اليوم وضعوا اكليلاً من الشوك على هامة ملك الملوك . اليوم البسوا سخراً

١) مز ٧٣: ١٢ ٢) مز ١٧: ٨، ١٤ ٣) متى ٢٧: ٥٠-٥٢
٤) متى ٢٦: ٤٥

البرفير والارجوان ذلك الذي لا تطيق السارافيم ان تلمحهُ بطرفها . اليوم الذي لم يعمل الخطيئة (١ دِينَ من بيلاطوس . اليوم دُفع الى الموت من بموتهِ امات الموت (٢ . اليوم ذُبح الحمَلُ السماوي

في هذا اليوم عُلق ظلماً المسيح إلهنا على خشبة الصليب فاستحيت لهذا كافّة الملائكة وخجلت جميع الامم وحزنت . وأمّة اليهود افتضحت . الآب من السماء تطلّع ونظر . الوفٌ لا تحصى من الملائكة نظرت الى الابن كيف اقبل الى موضع القضاء . وقَبِل الدين والعذاب من اجل المؤمنين . ابليس وجنودهُ اليهود خرجوا الى حيث اراد خالق السماوات ان يُدان . اجتمعت ملوك الارض تقاطرت الكهنة صَخِب القوّاد والامم والخلائق . جبل صهيون اضطرب . مدينة داود أرعدت على ابن داود فهي تحدّد اضراسها وتصرّ باسنانها . قبورها تنفتح واجساد القديسين تخرج منها وتأتي الى صهيون . يدخل ابراهيم الى موضع الجلجلة حيث قدّم ابنهُ اسحاق الذي رُبط للذبيحة . يدخل يعقوب الى موضع الصليب حيث ظهر لهُ القضاء . يدخل الانبيا . ويماينون يونان ملقى في بطن الحوت . يدخل داود ويماين ابن الوعد . يدخل الصديقون ويشعرون في صهيون بجلبة عظيمة ورهج شديد . يماينون الملوك والكهنة والاراكنة والجماعات والسلاح الشاك . يسمعون الصياح العظيم والضجيج والجلبات الكثيرة والعجيج . يشاهدون الرماح والسجن والغضب والترهيب والرواجف (289) والظلمات والمجامع المظلمة المنعقدة لدينونة المسيح . يماينون بيلاطس وهيرودس حنّان وقيافا الكتبة والفريسيين اجتمعوا جميعاً على المسيح . فكل هؤلاء اذ قدموا بُهتوا جميعاً وارتجفوا لمّا عاينوا خالق السماوات والارض مَديناً عليه بالصليب وصاحوا مع داود وقالوا : لِمَ تسجّت الارض والامم وكل السلاطين ولماذا غضبوا وتسلحوا ولماذا تجمّعوا فتكلّموا بالباطل قائلين عن المسيح : هذا هو الوارث فهلموا لنقتلهُ ونأخذ ميراثهُ (٣

حقًّا انّهم تكلّموا بالباطل وامتلأت افواههم تجديفاً قالوا : فلنربط الصديق

---

١) رسالة بطرس الاولى ٢ : ٢٢ وبو ٨ : ٤٦ ٢) ١ قور ١٥ : ٥٥ و٢ طيم ١ : ١٠
٣) لوقا ٢٠ : ١٤

لأنهُ ليس بموافق لنا (١. قالوا: هلموا لنبطل اعياد المسيح من الارض (٢ ونقطع ذكرهُ من الاحياء. ولنضع عودًا في طعامهِ ونمحقهُ من وجه الارض (٣. حقًّا يقينًا تكلّموا بالباطل لأنهم قالوا: ان لم يمت المسيح فكافّة امّتنا تهلك وتبيد (٤. تكلموا بالباطل حيث قالوا لبيلاطس: ارفعهُ اصلبهُ علّقهُ وان لم تصلبهُ لست محبًّا لقيصر

حينئذٍ قامت ملوك الارض والسلاطين والاراكنة مع الرؤساء بيلاطس مع هيرودس حنّان مع قيافا كهنتهم وكتّابهم مع الفرّيسيين شهود الزور والظلم جلسوا هم واقاموا في وسط مجمع القضاء ايسوعَ الناصري. جلسوا هم واوقفوا مثل اللص ذلك الذي مدّ السماء وهيّأها مثل الخيمة (٥. جلسوا واقاموا ذلك الذي اقام الجبال بغير اساس (٦. اقاموا خالق السماوات والارض واقفًا وهم جلوس. اقاموا ذلك الذي هيّأ هذه الاودية كلها والبحار وقال للبحر: الى هاهنا هلمّ وقف ولا تخالف (٧. فوقف كما امرهُ (290). اقاموا اسفل مثل انسان ساقطٍ ذلك الذي يقف بين يديهِ كل الملائكة برعدة شديدة في السماوات ولهُ تسبح الشاروبيم والسارافيم (٨. ولئن كان المسيح واقفًا اسفل بين يدي بيلاطس كرجل وضيع الّا انهُ جالس فوق العرش مع الآب بما انهُ اله. يُلطَم في اسفل على الارض وهو فوق يبعث الرعد والبرق ويَلطم الدنيا ومن عليها. يعطش في اسفل وهو فوق يجود بالمطر ويملأ الدنيا سرورًا. يعيا ويتعب في اسفل ومنهُ فوق ينال كلّ شيء. قوتهُ يقبل الصفع في اسفل وهو فوق تسجد لهُ كل القوّات وذوو السلاطين لهُ تخضع

فلذلك اقول لكم يا اخوتي بالروح: عبثًا قامت ملوك الارض والاراكنة واجتمعوا جميعًا على الرب وعلى مسيحهِ. تآمروا على من اجتمعوا وعلى من اتّفقوا وعلى من قامت ملوك الارض وكافّة الشعوب والامم والاراكنة. قل لنا يا داود وأخبرنا: على من اتّفق بنو اسرائيل اليوم وعلى من تآمر سائر اليهود واجتمعوا في صهيون وعلى من تسأحوا في صهيون ولبسوا السلاح الشاكّ وعلى من كانت جموعهم وحلفهم واتاناتهم الكثيرة واتفاقهم وصياحهم. هات يا داود خاصمْ جمعهم وبيعتهم وسائر امّتهم

---

١) الحكمة ٢: ١٢ ٢) مز ٧٣: ٨ ٣) ارميا ١١: ١٩
٤) يوحنا ١١: ٥٠ ٥) اشعيا ٤٠: ٢٢ ٦) مز ١٠٣: ٥
٧) أيوب ٣٨: ١١ ٨) اشعيا ٦: ٢

واظهر لهم اعمال الصليب اي صليب المسيح الذي تشاجروا فيه لاتفاقهم وحملهم على الربّ وعلى مسيحه هات واقض وقل: ألطّهم على رجل ضعيف قاموا او هل اتّفق كافّة اليهود على رجل خاطئ او على لصّ

يجيب داود قائلاً: بل على الرب وعلى مسيحه اجتمعت هذه الجموع وعليه تآمروا. فاذا تقول أيها النبي؟ انهُ واحدٌ هو الذي تجسّد اعني المسيح (291) وواحدٌ هو الذي اتى الى الارض وواحد الذي صُلب إله واحد الذي دين فكيف تسمّي اثنين بقولك: على الرب وعلى مسيحه اجتمع اليهود ورؤساؤهم. حقاً قال النبيّ وان كان ذلك ليس كذلك أيها اليهوديّ فعلى من اجتمع الامم وذوو السلاطين؟ أعلى فرعون او على موسى او على هرون او على اسرائيل؟ لكنّ الكتاب لا يقول كذلك بل على الرب وعلى مسيحه اجتمعت اليهود وانتشر اراكنة عماليق اسرائيل. انهُ لم يقل على الرب وعلى اسرائيل او على الرب وعلى موسى. لم يقل الروح القدس كذلك كما قامت الامم والملوك وبنو كنعان على يشوع بن نون وكما قاموا على صموئيل النبيّ وداود قديس الله وكما قامت الامم وبختنصّر واراكنة الكلدانيين واجتمعت واتّفقت على اسرائيل واحرقوا الهيكل الذي لله وخرّبوا التابوت والمسكن والقدس وألواحَ الله وكل مدينة القدس. ولم يقل داود لماذا ارتجّت الامم وملوك الارض تكلّموا بالباطل واتّفقوا جميعاً على الرب وهيكله ولا على الرب وامّته او مقدسه او انبيائه اذ يقول في شأن ذلك: انّ الامم اتت ميراثك ونجسوا هيكل قدسك. وها هو الآن يقول: اجتمعوا على الرب ومسيحه واتّفقوا على خالق السماوات والارض وعلى مسيحه

وحقاً تآمروا على الرب ومسيحه لانّ الذي لا يُكرم الابن لا يكرم الآب ومن على الابن يفتري فقد افترى على الآب والذي يصق في وجه الابن فللآب قد اهان والذين صلبوا الابن فقد جدّفوا على الآب والذين تسأجوا على الابن فللآب قاتلوا لان مجد الآب والابن واحدٌ والتسبحة واحدة والكرامة واحدة والسيادة واحدة والقوّة واحدة. فحقاً انّهم على الرب (292) وعلى مسيحه اجتمعوا. ولذلك قال المسيح عند القضاء: اني ليس انا وحدي ولكن ابي معي (١ اذ انا في الآب

١) يوحنا ٨: ١٦

والآب فيَّ (١ فاذاً على الرب ومسيحهِ اجتمع اليهود

فما الذي عملتُهُ بكم يا بني اللعنة وبماذا احزنتكم الستُ لعصيانكم ازتُ. ألستُ لصنعكم اطلقتُ السمع . الستُ لمعديكم شددتُ . الستُ لناموسكم حفظت . ألست بالحنان ارتضيت . ألستُ للنصح اكلتُ معكم وافصحتُ . ألستُ كما كنتم تفعلون فعلتُ . الست في هيكلكم مثل يهوديّ صليتُ . فهل تركتُ لكم علّة او حجّة . او انطلقتُ الى الامم وانا القائل : اني لم آتِ الّا الى الغنم الضالّة من بني اسرائيل (٢ . فلمَ اذن تآمرتم عليَّ لماذا الزمتموني الخشبة مثل لصّ . ألم تعاينوا الشمس قد اخفت ضوءها عند ما صُلبتُ . ألم تشاهدوا القمر قد اظلم . ألم تبصروا الارض تُرعد وتتحرّك . ألم تروا الصخور تتشقّق . ألم تنظروا الى القبور تتفتّح . ألم تلحظوا ستر الهيكل قد انشقّ فكيف لم تعتبروا عند ما عاينتم هذه الاشياء في ساعة دينونتي . كيف لم تُرعد اقدامكم وفرائصكم عند ما عاينتم هذه العجائب كلها . كيف لم تعلموا ولم تفكروا في انكم لإله الحق رفعتم بالجسد على الصليب

فبمثل هذا الكلام يتكلم المسيح على اليهود برجزهِ يوم القيامة وعند ذلك يعاينون لمن طعنوا (٣ وبغضبهِ يرجفهم وهو عند ذلك يقول للملائكة : فليُرفع ويُبعد اسرائيل من الوسط لكي لا يعاين ملك الله الربّ السماوي . اربطوا اليدين والرجلين للذين ربطوا يدي ورجليّ واطرحوهم الى جهنم السابعة (٤ كمثل ما صيروني في جبّ مظلم وظلال الموت . مكّنوا الشيطان وجنودهُ من الذين اتبعوا هواه كما مكّنوا مني بيلاطس الوالي فليُدفعوا الى الجحيم مع كل الامم التي نسيت الله . وسيأخذهم الهلع عند اتيان المسيح بمجدهِ ومجد ابيهِ على سحائب السماء ليدين الخلائق عند معاينتهم السماء وهي تُطوى كالقرطاس . عند نظرهم الى الشمس والقمر وهما يحجبان نورهما . عند رؤيتهم النجوم تتساقط مثل الورق والارض تتحرك وتتزلزل والقبور تنفتح والموتى يقومون وقد عُرضت عليهم مصاحف خطاياهم . عند معاينتهم البحر مثل القدر يغلي والانهار مثل النار تجري وقوّات السماء تتزعزع والملائكة

١) يو ١١ : ١٠ و١١ ٢) متى ١٥ : ٢٤ ٣) زكريا ١٢ : ١٠

٤) جاء في الاصل : « حاشية انّ معنى قولهِ السابعة فكأنهُ جعل جهنّم سبع طبقات على رأي البعض اي الجحيم والهاوية وسقر ولظى (293) وجهنّم والنار وطرطروس »

ينحدرون اجنادًا اجنادًا والوفًا الوفًا وربوات ربوات ويمجّون ويسبحون بين يدي المسيح

فاذا اجتمعت كل الخلائق عُراةً حاملين كل اعمالهم واذا امتثلت كافّة الامم بين يدي ملك الملوك وإله الآلهة وسجدت كل نفس حيـة بين يديهِ جميع مَن في السماوات والارض والجحيم فحينئذٍ بغضبهِ يكلّمهم المسيح وبرجزهِ يُرجف اقدامهم ويهلكهم ويبيدهم وعند ذلك يريهم اماكن المسامير وموضع طعنهم جنبهُ يريهم الحدّ الذي لُطم واليدين والرجلين اللتين سُمرتا واكليل الشوك مع قرع القصبة على الرأس ويقول: اي شيء عملتُ بكم حتى كافيتموني بهذا ماذا اخطأت اليكم الستُ ابرصكم طهّرت. ألست لموتاكم اقمت واحييت. الست لمجانينكم شفيتُ ولمخلعيكم صححت وابرأت. الست للمرأة النزيفة الدم منكم رحمت ورثيت (294) فبالدين الذي دنتم تُدانون

وان اعترض احد من بني اللعنة اي اليهود وانكروا قائلين: انّما اخذنا انساناً مولودًا من امرأة وكان ساحرًا يخرج الجنّ من الانس يُسمّى يسوع فايّاه صلبنا. فلنسألهم: ولاي سبب اخفت الشمس شعاعها عند الصليب ولم تستر ضوءها عند قتل هابيل وذبحهِ. ولاي سبب لم تنشقّ الصخور عند ما نُشر اشعيا النبي. فلنسأل الهيكل ايضاً: لماذا لم ينشقّ ستره عند قتل آحاب الملك للكهنة. ولنسأل الدنيا لِمَ لَمْ تتحرّك عند قتل اليهود لزخريّا النبي في باطن الهيكل. ولنسأل القبور لاي سبب لم تنفتح عندما قتل شاول الخمسة والثمانين من الكهنة (اوّل الملوك ٢٢: ١٨). ولاي سبب لم تحدث عجائب عند مجيء طيطس واسباسيانوس لمّا قتلا مئة ربوة وعشر ربوات من بني اسرائيل. ولاي سبب لم تحصل رجفةٌ عند ما طُرح الثلثة الفتية في أتون النار ببابل وكيف لم تظلم الشمس عند ما طُرح دانيال في جوف الجبّ وكيف لم ينشقّ ستر الهيكل عند خراب بيت المقدس والهيكل وقدس الاقداس

فلذلك اقول لبني اللعنة: أيها اليهود انكم لستم لرجل صغير صلبتم ولا لنبيّ ولا لمن قد حلّ الناموس ولكن للاله الحقّ ولابن الاله الحقّ وها هوذا داود النبي يقول: انكم على الرب وعلى مسيحهِ تآمرتم اعني بذلك على الآب والابن وذلك لانّ الآب والابن شيء واحد وها انّ ابنهُ سليمان الحكيم يبكّتكم ويشهد

اعمالكم فيقول معيّرًا لكم لانكم انتمرتم قائلين (١ : « فلنربط الصديق لانهُ غير موافق لنا ويخالف اعمالنا جدًّا ويعيّرنا بخطايانا ويقول انهُ ابن العليّ فهو ثقيل في اعيننا فلا يجري على طريقنا ولا يقبل رأينا ومع هذا فانهُ يجدّف ويقول : انَّ اللهَ ابوهُ وانهُ هو ابن الله (295) ويسمّي الله اباهُ »

فقل لي الآن ايها اليهوديّ ايّ صدّيق نبيًّا كان او غير نبي ممَّن قد مضى عليهم الدهر قال : « اني انا ابن الله » . ومن منهم قد ادَّعى ذلك ألعلَّهُ ابراهيم او اسحاق او يعقوب او موسى . ألعلَّهُ ايلياس او داود او دانيال لا لعمري ليس احد منهم الَّا المسيح الذي اعلن بانهُ ابن الله الحقيقيّ وأثبتُ ذلك من قول سليمان بن داود في شأن المسيح اذ روى قولهم عنهُ : انهُ يكذب على الله فقالوا (٢ : « هلمّوا لننظر ان كان ذلك حقًّا ام لا وان كان هو الصدّيق وابن الله فلينقذهُ من جميع المصائب التي تصيبهُ . فلذلك اعمى الله قلوبهم وعيونهم لئلَّا يبصروا باعينهم » . فايُّ شيء يكون أبيَن واوضح من هذه الآيات يا اخوتي عن المسيح . فانَّ هذا الكلام هو الذي كرَّروهُ لمَّا كان المسيح معلَّقًا على الصليب فقالوا : « ان كنتَ ابن الله فانزل من الصليب لانك قلت انك ابن الله ووضعت رجاءك عليهِ فليخلّصك » . وكذلك قال سليمان عن لسانهم : هلمّوا لنعذّبهُ وندينهُ لكيما نعرف غايتهُ ما هي ولنختبر حياتهُ بالموت لنتبيَّن ما يكون منهُ ونكشفهُ عاريًا على الصليب ولنُعلّيهُ على رؤوس الملإ لأنَّنا قد سمعنا منهُ كلامًا يقولهُ وهو (٣ : « حلّوا هذا الهيكل وانا اقيمهُ في ثلثة أيام » . ويقول ايضًا سليمان في كلامهِ عنهم (٤ : « ضلَّ اهل اللعنة فكان خطأً منهم لانَّ عيونهم انطفأت بالخبث ولم يعرفوا عجائب الربّ ولا سرائر الله »

فقل لنا يا سليمان الحكيم ما هو خُبث بني اللعنة بعد ان قلتَ بالروح عن المسيح انَّهُ صدّيق وانهُ ابن الله وانهُ عارف بالسرائر وذكرتَ موتهُ وقيامتهُ . فانَّ اباك داود اذ ذكر مجيئهُ الثاني عند اتيانهِ على سحابة السماء قال عنهُ انهُ « سيكلمهم برجزهِ ويبيدهم بغضبهِ ويرجفهم » أفترى هو محقّ (296) أو سيحلُّ باليهود ذلك العذاب لحكمهم على المسيح ؟ فاسمعوا جواب سليمان حيث يقول : حقًّا يقينًا

١) سفر الحكمة الفصل ٢ : ١٨ ٢) فيه ٢ : ١٦–٢٠
٣) يوحنا ٢ : ١٩ ٤) الحكمة ٣ : ٢١–٢٢

سيكون ذلك لانَّ داود ابي تكلَّم بالروح وانا ايضاً بالروح القدس انطق وشهادته هي شهادتي وكلامهُ هو كلامي الذي سمعتموهُ وها هذا ايضاً اقول: سيعاينون لمن طعنوا (١ ولذلك يضحك الرب منهم والجالس في السماء يستهزئ بهم ويقلعهم من الاساس الى الابد (٢ ويكونون في تعب وعذاب وذكرهم يُمحق وسوف يظهر خطأهم عند دينونة المسيح لهم وتبكيتهِ اياهم باعمالهم السوء.

ولئلَّا يظنَّ اليهود ان سليمان لا يعني بقولهِ هذا اولئك الذين صلبوا المسيح فاسمع كلام هذا الحكيم اذ يُردف قائلًا (٣: ٥ ان الصديق سيقوم ويأتي بالمجد العظيم بين يدي الذين احزنوهُ واسلموهُ ولم يحفظوا كلامهُ ويُبهتوا من مجيئهِ ذلك الرهب الهائل الذي يكون للابرار سلامةً ويقولون فيما بينهم وهم قد ندموا وبهم جزع شديد اذ يتنهَّدون بروح الحزن ويقولون: هذا هو الحقّ اليقين (يعنون بذلك المسيح) الذي كنَّا في القديم اتخذناه ضحكة وهزءا والان صار قيامةً لنا وعارًا. ونحن القليلي الامانة ظننَّا ان حياتهُ تكون غبناً وافتراءا وها نحن نراه ابن الله وواقفاً فيما بين الصديقين أُترانا ضللنا طريق الحقّ وعمينا عن ضوء الشمس فكيف كان قولنا على المسيح انَّ بهِ شيطاناً فسلكنا طرقاً عسرة المجاز امَّا طرق الربّ فلم نعرفها وقد تمادى بنا الكبرياء والافتخار والآن قد مضى ذلك كلهُ

فهذا هو الكلام الذي يتحدث بهِ المتكلمون في المسيح جهلًا عندما يعاينونهُ آتياً ليدين الاحياء والاموات اذ يرون ذلك الوجه الذي ملأوهُ بصاقاً يضيء مثل الشمس (297). اذا عاينوا الفم الذي قبل الخلّ والمرارة ينطق بالحكم العظيم. اذا عاينوا العينين اللتين غطَّوهما ليلطموهُ مفتوحتين ينظر بهما اليهم بهيبة اذ كل قوَّة وسلطان ينحني بين يديهِ. اذا عاينوا الرجلين اللتين سمَّروهما يطأان رأس التنين اعني رأس ابليس اللعين وجنوده اللاعين اجمعين

عند ذلك يعاينون الشاروبيم والسارافيم اصحاب الستة الاجنحة الكثيري الاعين وسائر القوَّات واجناد الملائكة وقوفاً بفزع ورعدة بين يديهِ اعني بذلك يسوع المسيح الذي كان بزعمهم قد دينَ من قبلهم بين يدي بيلاطوس الاركون. فلدى

١) زكريا ١٢: ١٠ ٢) مز ٢: ٤ ٣) حكمة ٤: ٢٠

منظر ذلك الـدّيان ينقطعون ويبيدون ويتلفون ويُحقّون. فويلهم والويل لهم اذ يكلّمهم برجزهِ ويهلكهم ويحكم باجتياحهم عن وجه الارض وديمومتهم الى آخر الدهر والتاء ناموسهم الذي لم يحفظوهُ ولم يقوموا بهِ ويقول لهم انَّ اليهود لظلمهم عند طلوعي على الصليب انهم صلبوا انساناً ضعيفاً فلذلك كان قولهم باطلاً ولكني انا المسيح قمتُ عليهم ملكاً بموتي

أفلا ترون ايها اليهود القساة القلوب الاشقياء الارواح الهالكي النفوس انَّ داود بقولهِ قد ارتجّت الامم واجتمعت الملوك والاراكنة على الرب وعلى مسيحهِ لم يقصد ابنهُ سليمان بل اصلح الله على يدي سليمان سُننهُ كلها ولم يقم احد من الامم عليهِ. ولو قصد سليمانَ لمّا قال انَّ الربَّ الساكن في السماوات يضحك منهم اي الذين اجتمعوا عليهِ ام على غيرهِ

ثم اين قال الرب لسليمان (١ : « انت ابني وانا اليوم ولدتُك سَلني فاعطيك الامم ميراثك واملكك اقطار الارض (298) ترعاهم بعصاً من حديد. وتسحقهم مثل اواني الفخّار ». فليأت اليهوديّ بحجّة اذا امكنهُ ليثبت انَّ هذا قد قيل عن سليمان. فباطلاً يخدع اليهوديّ نفسهُ ويشوّش ما ينقّب في الكتب لعلّهُ يجد حجّة وهو بالحقيقة لا يؤمن بالمسيح ولا بالكتب. ولمّا الزموا المسيح الصليوت تحقّقوا انَّ هذا ليس هو بانسان ولكنهُ خالق السماوات والارض الذي من اجلهِ قيل في الاردن « انت ابني الحبيب الذي بهِ سُررت (٢ » والشاهد في السماء صادق. ويقول الآب في مزمور آخر عن الابن (٣ : انهُ هو الذي يدعوني ابي وإلهي وحافظي في السلامة ». والابن يدعوه اباً واذاً فيدعوهُ اباً باللاهوت وإلهاً بالتجسّد. ولذلك كان يقول لتلاميذه اني صاعد الى ابي وابيكم وإلهي وإلهكم. ولاجل هذا يقول الآب : « هو يدعوني اباً وإلهاً وصخرة سلامتي وانا صيرتهُ بكراً رفيعاً على سائر ملوك الارض الى دهر الداهرين وكرسيهُ مثل أيام السماء (٤ »

فاذا اذاً يقول اليهودي المجدّف وبماذا يجيب الربَّ الاله حيث يقول : « اصيرهُ بكري » فمعلوم ان سليمان ليس هو بكرهُ ولا داود ايضاً لان داود آخرُ اولاد يسّى

١) مز ٢ : ٧-٩ ٢) متى ٣ : ١٧
٣) مز ٨٨ : ٢٧ ٤) مز ٨٨ : ٢٧-٣٠

وسليمان آخر اولاد داود. ثم كيف يقال ان سليمان حفظ الى دهر الداهرين طريق الربّ واين اعطاه ميراثهُ وائتمنهُ عليهِ وهو تجاوز ناموس الرب لمّا تزوّج الف امرأة من العمونيّات والموابيّات والفرونيّات. واين صيّر الرب سنيهِ مثل ايّام السماء ومثل الشمس المضيئة الى دهر الداهرين

فباطلًا تزعم اذن أيها اليهودي انَّ هذه النبوَّة جاءت في شأن داود وسليمان وانَّ عنهما تكلّمت الكتب وليس الامر كذلك ولكنَّ داود وسليمان تكلّما عن المنا يسوع المسيح (299) وفيهِ قيل ما ورد في بقيَّة الانبياء . وانَّما معنى قول الرب للرب « اني صيَّرتك بكري الى دهر الداهرين » انهُ اولدهُ منذ الازل فجعلهُ بكرهُ باللاهوت ثم صيَّرهُ بكرًا بين الاموات (١ وبكرًا لكل الخلائق (٢ وبكرًا لكل الاخوة (٣. ولذلك قال لهُ ايضاً : « انت ابني وانا اليوم ولدتك » لانَّ يوم الرب لا ابتداء لهُ ولا نهاية. فالابن مولود من الآب ازليًّا وباقنوم البنوَّة ولد في الجسد زمنيًّا من مريم العذراء وظهر على الارض. فلذلك قال ان الآب بعثني الى هذا العالم » والآب هو القائل لابنهِ : « سَلني فأُعطيك الامم ميراثاً واملكك جميع اقاصي الارض

قل ايها المسيح اباك الحبيب ليس بشبهِ العبد بل بشبه الابن. سَلهُ ليس كالطالب بل كالسيد والامير. ليس كالغريب بل كالوارث ويعطيك الامم ميراثاً لانَّ كل ما يُرى وما لا يُرى هو لك. سَل اباك بالروح اعني باللاهوت فيهب لك كل ما اردت. ولانَّ اسرائيل لم يحفظ وصيَّتك وعليك جذَّف ولك صلب فأحلَّ الرجز عليهِ وخذ الامم ملكك. فهذه الامم ستعرفك وتعبدك بدلًا من اسرائيل الذي أبى ان يعرفك ويعرفني. لانَّ الذي لا يكرم الابن لا يوقّر الآب فلذلك اقول لك « أخرج بقيتك من بينهم » اعني بذلك هيكلك المقدَّس « اطرد عنك الأُمَّة الملعونة وخذ الحرَّة » اعني الكنيسة (٤. ابعد عنك بني اللعنة وخذ الوراثة المباركة. ابعد عنك الأُمَّة المرذولة الذين عرَّوك في الجلجلة. افضح الذين فضحوك على الصليب بزعمهم. اغضب وارجز على الذين سقوك الخلّ . بدّد ومزّق الذين مزّقوا ثوبك الارجوان. اربط

١) رؤيا ١ : ٥ ٢) كول ١ : ١٣
٣) روم ٨ : ٢٩ ٤) غلطية ٤ : ٣٠

وقيّد الذين ربطوك بالحبال . اذبح جميع الذين طعنوك وجدّفوا عليك وعليّ مع اراكنتهم . أبعد اسرائيل الذي لم يُرِد ان يُظهر اسمك ولا اسمي وافترى عليك وعليّ . خذ الامم ميراثك لانك ابني الحبيب فأملكك اقاصي الارض بمجد وجميعُ الامم تخدمك (300) وتحفظ وصاياك بفرح وتهليل ولا يخدمون الهاً غيرك

فانظر ايها اليهودي من اقطار الارض الى اقطارها ومن البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصي المسكونة فانّ جميع الدنيا للمسيح تعبد ولهُ تصلي ولهُ تسجد واياه تخدم لانهُ انقذ المسكين ممّن هو اقوى منهُ ورحم البائس اعني آدم وانقذهُ من شرّ عدوّه الالدّ اعني الشيطان فيكون اسمهُ مباركاً الى ابد الدهر ولهُ تعبد جميع الامم وفي كل يوم يقدّسون اسمهُ ويرتفع ويعلو مثل جبل لبنان وتكثر فروعهُ وتباركهُ جميع الامم ويمجدونهُ من الشرق الى المغرب ويملك الى اقاصي الارض ويرعى الشعوب بعصاً من حديد اعني بذلك الصليب المقدّس الذي بقوّتهِ العظيمة ينتصر على الشياطين . واماَّ اليهود بني اللعنة فانّهُ يبيدهم ويكسرهم مثل آنية الفخار التي اذ صُبَّ فيها الخلّ الحاذق تنحلّ كذلك ينحلّون بين يديهِ لانهم سقوه الخلّ الحاذق (١ . واماَّ الفخار فانّما عنى بهِ حقل البستان الذي اشتروه عند صهيون (٢ ففي ذلك الموضع يكلمهم بوجزهِ ويكسرهم مثل آنية الفخّار . وفي ذلك الموضع يُحقون لانّهم هناك ذبحوا المسيح

وهم ايضاً يُذبحون كما شهد اليهود وكتّابهم عندما قتل طيطس منهم مائة الف ربوة وعشر ربوات بعد صلب المسيح وذلك في البستان ذاتهِ الذي اشتروهُ بثلثين درهماً . فتمّ الامر على يد ملكين من الروم (اسبسيانوس وطيطس) اللذين قتلا من اليهود الف الف ومائة الف واهرقا دماءهم مثل الماء على وجه الارض من اجل المسيح والشاهد على ذلك تاودوسيوس (٣ الذي كان في ذلك الزمان وهو الذي احصاهم (301) فتمّ الذي قالوهُ لبيلاطوس عند دينونة المسيح حيث صرخوا : « فليكن

---

١) متى ٢٧ : ٣٤ ٢) متى ٢٧ : ١٠

٣) هذا الاسم مصحّف في الاصل يريد يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير الذي كتب تاريخ الحرب اليهودية وسقوط اورشليم

دمهُ علينا وعلى اولادنا » . وجرى الامر في عهد طيطس واسبسيانوس حيث اكل اليهود اولادهم من الجوع كما شهد تاردوسيوس (كذا)

فان قال اليهودي: ان ذلك لم يتمّ بسبب يسوع المسيح. فأجيبهُ: كيف نسيتَ ما حدث في يوم الجمعة المقدَّسة وما جرى في موضع الجلجلة عند نصبك الصليب. تذكَّر انك عبدت في مصر آلهة المصريين فرحمك خالقك وسلَّمك من العبودية اعني عبوديَّة فرعون وشقَّ لك البحر واغرق فرعون وجنودهُ في ذلك البحر وحلَّى لك الماء المرّ واستباح عمايق من بين يديك وأمطر لك المنّ والسلوى ثم اتى بك الى جبل حوريب. وهنالك عبدت العجل وقلتَ: هذا إله بني اسرائيل الذي أخرجنا من مصر (١. فمع هذا رحمك خالقك وكتب لك على اللوحين الوصايا وعمل لك الهيكل وتابوت الشهادة وعامود النار الذي كان يضيء لك ليلًا والسحابة تغطيك وتظلّلك نهارًا. وبعد ذلك اغضبت الربَّ عدَّة مرار كما يقول الكتاب وبعد ان اخرجك موسى من ارض مصر الى الارض المقدَّسة واحلَّك في مواضع الامم وشقَّ لك نهر الاردن وطرح اسوار اريحا بين يديك واخضع لك الملوك والمدائن انقلبت الى ان خدمت آلهتهم وذبحتَ بنيك وبناتك للشياطين واهرقت دماء القديسين وضحَّيتها لآلهة كنعان. ومع ذلك لم يؤاخذك إلهك باعمالك هذه الشريرة ولم يحطِّمك ولم يهدم ناموسك ولم ينزع (302) عنك تابوت الشهادة ولم يأخذ منك الواح الوصايا رجاء أن ترجع. فكان امرُكَ الى ان رجعت شرًّا ممَّا كنت عليه وتباعدت من الله

وبعد ذلك بنى لك هيكلًا وظهر لك فيه ودهن فيه ملوكك وكهنتك واقام لك صموئيل نبيًّا ودارد وناثان فانثنيتَ راجعًا وعبدت لفاعور وآلهة الامم وحفرت المذابح وذبحت انبياء الله ورجمتهم فأدَّبك قليلًا عند ما مكَّن منك القبائل القريبة وهيَّأ لك ناموسًا فكفرت وعبدت صنم الذهب. ثم من بعد ذلك دعاك الله واقام لك هيكلًا ثانيًا واقام لك كهنةً وانبياء وعمل لك قوَّات اعظم من الأُولى واعطاك الصلح والفرح وذلك مدَّة السبعين اسبوعًا التي تنبَّأ عنها دانيال (٢ فتمَّت في ايَّام كهنتك حنَّان وقيافا فلم يؤاخذك إلهك وضرب عنك الصفح

١) الخروج ٣٢: ٤ ٢) دانيال ٩: ٢٤

ثمَّ اتيتَ اخيرًا الجلجلة ونصبتَ هناك الصليب وعلَّقتَ عليهِ المسيح زاعمًا انهُ انسان وبهِ شيطان وانهُ باسم بعلزبوب يخرج الشياطين وانهُ يريد يبطل ناموسك وسُننك. فعند ذلك فقط اي لمَّا صلبتَ المسيح نزع عنك الفرح وأفقدك الملك وخرَّب مذابحك ومزَّق أمتعتك وانشقَّ ستر قدس اقداسك وهُدم هيكلك وغابت عنك النارة وسكتت الانبياء وبطل منك الكهنوت وأنتهت ذبائحك واعيادك. فسبحان خالق الخلائق وإله الآلهة ما اعجب هذا الامر وما اعظمهُ. فيا تُرى من الذي عاين مثل هذا قط او من سمع مثلهُ. ان اسرائيل كان يذبح بنيهِ وبناتهِ للشياطين ويعبد الحجارة والخشب والخنازير والكلاب والبهائم وكل رجس نجس ويذبحون الصدّيقين والانبياء. ويحتقرون مذابح الرب ولم يؤاخذهم الله ولم يطرحهم من وجههِ ولم يُبدهم ولكن هيَّأ لهم مذابح ومظلّات واقام لهم انبياء وملوك وكهنة واعطاهم جبل صهيون والتابوت وسكينة الشهادة ومنحهم كل خير واخضع لهم الامم ولم يطرحهم عن وجههِ (303) الَّا بعد نصبهم الصليب في الجلجلة فعند ذلك فقط بدَّد شملهم وابطل اعيادهم وهدم هيكلهم ونقض مذابحهم وألغى فصحهم ولاشى ملوكهم وحق كهنتهم وخلاصة القول انهُ لم يترك لهم شيئاً من الخير الَّا افناه

فهات أيها اليهودي اعلمني لماذا كان هذا كلهُ وما علَّة ذلك اخبرني لاي سبب احاطت بك كل هذه البلايا من كل ناحية ونُزعت عنك كلّ هذه الخيرات؟ افليس ذلك لانك لم تعرف المسيح الهك فها هوذا المسيح يقول عن لسان ملكك ونبيك للآب (١: «ان اليهود جعلوا في طعامي مرارةً وفي عطشي سقوني خلًّا فلتكن مائدتهم بين يديهم فخًّا وجزاء وشركًا». فقول داود «مائدتهم» اراد ذبائحهم التي لعنها الله لانهم اكلوا فصح المسيح مع التلاميذ وبعد ذلك امسكوهُ واتوا بهِ الى قيافا. ولاجل ذلك يقول داود ايضاً (٢: «فلتظلم اعينهم لئلَّا يبصروا» لانهم في ليلة الظلمة دانوا المسيح ضوء الحقّ فانطفأت اعينهم عن نورهِ. وقال اشعيا ايضاً (٣: «انهم يعاينون ولا يبصرون»

فهات أيها اليهودي اعلمني ما الذي تعاينهُ ولا تبصرهُ؟ نظرت ان المسيح افناء

---

١) مز ٦٨: ٢٢-٢٥ ٢) مز ٦٨: ٢٤ ٣) اشيا ٦: ٩

الدنيا ولا تقرّ بانّ الامم قد خلصت. تنظر الكنيسة مضيئةً ولا تبصرها بصراً محموداً. تنظر الكنيسة مؤلفةً من جميع الامم وانت مبغَضٌ منها ومن خالقها. تنظر الشعوب من مطلع الشمس الى مغربها يعبدون المسيح وانت تجحدهُ فلذلك قال النبيّ (١: « انهم بصراً يبصرون ولا ينظرون فتظلم عيونهم وتنحني ظهورهم » وليس ذلك الى زمن يسير ولكن الى الابد يكونون عبيداً للامم. ثم من بعد ذلك يصبّ عليهم رجزهُ لانهم بالرجز كانوا يصيحون الى بيلاطوس: « ارفعهُ ارفعهُ اصلبهُ » فلذلك اقول لكم (٢: « فليكن هيكلكم خراباً وما كنكم لا يسكنها ساكن »

فلاي شيء يا نبي الله كانت نبوّتك؟ هات اعلمنا لماذا تنبّأتَ (304) بمثل هذا على اليهود ألعلّ ذلك لاجل خطايا آبائهم او لدم الانبياء الذين قتلوهم او لاجل بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم للشياطين او لانهم عبدوا الحجارة والاوثان؟ كلّا ثم كلّا ليس لاجل ذلك. لانّ هذا كلهُ فعلوهُ ورحمهم الله حتى انهُ لم يبطل ناموسهم عند عبادتهم للعجل ولم يُفنِ ملكهم ولم يخرب هيكلهم ولم يبطل انبياءهم ولم يمحق تابوتهم ولا لاشيء فصحهم. ولكن ذلك كلّه حلّ بهم لمّا فعلوا بالمسيح ما فعلوهُ فصاروا من ثمّ لعنةً لجميع الامم ولهذا قال النبي ايضاً عن لسان المسيح: « زدهم لعنةً على لعنتهم لانهم عملوا بي انا ابنك هذه الاشياء كلها فلا يدخلوا هيكل قدسك الى انقضاء الدنيا لانهم اخرجوني الى خارج مدينتهم وصلبوني فلذلك فلتُمحَ اسماؤهم من سفر الحياة لانهم كتبوا على صليبي ما كلّبهم بهِ بيلاطوس فلا تُكتَب اسماؤهم مع الصدّيقين »

فاسمع يا ابن اللعنة كيف يحيط بك البلاء من كل ناحية. اسمع يا مجمع السوء كيف أفضى بك الى هوّة الهلاك ذلك الخلّ القليل والمرارة التي قدّمتها للمسيح لكيما تعلم انك لم تصلب انساناً بل انّما تجاسرتَ بذلك على الاله عالم الخفيّات لانهُ ليس يعلم الخفيّات الّا الله وحدهُ. واما انّ المسيح يعرف الخفيّات فاسمع قولهُ حيث نبّهك (٣: « انهُ لا تمضي الأيام والزمان القليل حتى يأتي الروم ويأخذون مدينتكم والامانة والملك ». أفتحقق قول المسيح ام لا؟. وقال للنسوة (٤: « انها

١) المز ٦٨: ٢٢ ٢) المز ٦٨: ٢٤ ٣) لوقا ١٩: ٢٢ ٤) لوقا ٢٣: ٣٠

ستأتي أيام يقولون للجبال قفوا واطمرونا » أفتمّ هـذا ام لا في زمن طيطس ولسباسيانوس حيث اكل اليهود اولادهم من الجوع ؟ وقال (١ : ٥ انهُ سينزع منكم كرم الرب ويُدفع الى الامم ليعملوا بهِ ويعطي ثمرةً طيّبة » يعني بذلك انهُ يأخذ الكرم منكم ويدفعهُ الينا . أفصار ذلك ام لا ؟ . وقال لنا نحن المؤمنين بهِ (٢ : « انهم يأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب في ملكوت الرب واما انتم بني الملك فتُدفعون الى جهنم النار حيث صرير الاسنان » أفصار الكرم في ايدي الامم ام لا ؟ أو كان دفعكم لهُ بالرغم ام لا ؟ . وقال (٣ (205) : « انهُ سيكون انجيلي هذا في كل الدنيا » افكان ذلك ام لا ؟ . وقال داود النبي في الرسل (٤ : « في كل الارض خرج منطقهم والى اقطار المسكونة انتشر كلامهم » أفظهر ذلك ام لا ؟ . وقال لنا نحن المومنين (٥ : « خذوا جسدي ودمي لمغفرة الخطايا » أفقامت كلمتهُ ام لا ؟ . وقال لهيكلنا نحن اعني الكنيسة (٦ : « انَّ ابواب الجحيم لا تقوى عليها » يعني بذلك انَّ جميع الامم وكل الهراطقة لا يقدرون ان يحركوا فيها شيئاً يعني الامانة . أفكان ذلك ام لا . أو اليس الامانة هي قائمة ؟

فانظر كم من ملوك واراكنة وسلاطين وكم من امم ومتجبرين وكم حزب ولسان وكم بلاء وامواج وكم زلزلة وبرق وكم من حَيف وظلم ارادوا ان يتسلحوا ويقوموا على كنيسة المسيح . فاتاوها طردوها حاولوا ان يبطلوا ويخربوا ويمحقوا لكنَّهم عجزوا عن ذلك بل محقهم الله وابادهم وافناهم وضرب وجوههم وابطل اعمالهم وكسر جبروتهم بموجب وعد المسيح ربنا الذي قال : « انَّ ابواب الجحيم لا تقوى عليها » لانَّ الله ليس بكاذب

وان كنت ايها اليهودي مقيماً على القحة فاسمع ايضاً قول المسيح (٧ : « انَّ الناموس والانبياء الى يوحنَّا المعمدان تنبَّأوا » فان طلبت لك نبيًّا من ايام يوحنَّا بن زخريَّا فانك لم تجد لان كلام الهنا يسوع المسيح باقٍ الى الدهر ودهر الداهرين . وقال ايضاً عن هيكلك (٨ « انه لا يبقى فيهِ حجر على حجر » ولكن يدعهُ لك

---

١) متى ٢٣ : ٤٣ ٢) لوقا ١٣ : ٢٩ ٣) متى ٢٦ : ١٣
٤) مز ١٨ : ٥ ٥) متى ٢٦ : ٢٨ ٦) متى ١٦ : ١٨
٧) لوقا ١٦ : ١٦ ٨) لوقا ١٩ : ٤٤

خراباً الى انقضاء الدنيا. افكان عمًّا في قوله ام لا ؟. فان كنتم ايها اليهود تسمعون هذه الاشياء وتسكتون فانَّ الحجارة تنطق وتثبت لكم انكم هلكتم يوم اهرقتم دم يسوع الناصري. فلو أُعطي لك ان ترى هيكلك يقوم ثانيةً ببيت المقدس وان تعاين التابوت موضوعاً عليهِ وان تشاهد مجد الله من السماء يأتي ويغطّي مذبحك او تنزل النار السماويَّة عليهِ وان يُدخَن فيهِ ملوكك (305) فعند ذلك تستطيع ان تحيي رجاءك. ولكن ان هيكلك صار اصطبلاً ومذوداً للبهائم وتحقَّق ان امَّتك صارت الى لاشيء وهيكلك صار خراباً الى انقضاء الدنيا كما قال المسيح (١ : « هاءنذا اجعل هيكلك خراباً الى آخر الدهور » فليعلم بهذا بنو المعموديَّة ويتَّخذوه سلاحاً مع اليهود بني اللعنة. ولتمسك الكنيسة بهذه الآية على الذين يقاتلونا

واما نحن المؤمنين فلندرس دائماً اسرار آلام ربّنا ممجّدين إفراط تنازلهِ الينا وشفقتهِ علينا وحبّهِ لنا وصبرهِ على الآلام لاجلنا وصعودهِ على الصليب لخلاصنا. ولنصلب معهُ ذواتنا متجرّدين من كافَّة الشهوات والامور الارضيَّة متشبهين بسيدنا المسيح ابن الله الوحيد الذي لهُ ينبغي الملك والمجد والتسبيح مع الآب والروح القدس الى ابد الأدهار آمين

تاريخ الحرير في بلاد الشام

للمسيو غستون دركوسُّو المنوط بقنصليَّة فرنسة الفخيمة في بيروت (٢

لا مراء في انَّ فينيقية منذ قديم الزمن كادت تحتكر كلَّ الانسجة الثمينة. وكانت الاقمشة الفينيقيَّة تُقدَّم على سواها ليس فقط لحسن نسجها واتقان حياكتها ولكن ايضاً او قل بالاحرى لصبغها بالارجوان او البرفير. وفي تقليد اهل صور انَّ إلههم مَلكَرْت كان اوحى اليهم بسرّ هذا الصبغ الذي كانوا يستخرجونهُ من صدف

١) متى ٢٣ : ٣٨

٢) معرَّب عن مقالة مطوَّلة لجنابهِ نشرها آخراً في مجلة الحرير والانسجة الحريريَّة التي تطبع مرَّةً في الاسبوع في مدينة ليون فسمح لنا ان نقتطف منها ما شئنا لقرَّاء المشرق.
(Bulletin des Soies et des Soiries, *Novembre 1911 - Janvier 1912*)

بحري يُدعى بلسان العلم « Murex trunculus » وهو انواع والوانهُ تتراوح بين الازرق الناصع والبنفسجي الضارب الى اللون الوردي القاني وقد افاض بلينيوس في تاريخهِ الطبيعي (ك ٩ ص ٦٠) ثم پولُكس (ص ٤٥ و٤٩) في وصف هذه المادَّة الصبغيَّة وافادوا انَّ اهل صور وصيداء حفظوا سرَّ صناعة الارجوان وضنُّوا باذاعتهِ على غيرهم حتى عهد الرومان

ومنذ القرن السادس قبل المسيح قد عدَّد حزقيال النبي (الفصل ٢٧ من سفرهِ) اصناف الموادّ النسجيَّة عاماً كانت او منسوجة التي كانت تُباع في اسواق فينيقية فذكر اصواف دمشق البيضاء وبزّ مصر الموشَّى وغارق الركوب لددان الى ان قال لصور (ع ١٦): « وأرام (اي اهل الشام) متَّجرة معكِ في كثرة صنائعكِ وبالبهرمان والارجوان والحزّ والكتَّان والمرجان والياقوت اقامت اسواقكِ ». فقولهُ الحزّ دعاه بالاصل العبراني راموت (רמות) وقد اختلف المفسرون في معنى هذه اللفظة فشرحوها بالنسيج الثمين وعرَّبوه في الترجمة العربيَّة بالوشي. امَّا الترجمة اللاتينيَّة للقديس ايرونيموس فصرَّحت بذكر الحرير (sericum) او الحزّ وهو المعنى الذي غلَبهُ في ايَّامنا الشرَّاح. وفي ذلك دليل على انَّ بلاد الشام كانت تجهِّز في ذلك الوقت الانسجة الحريريَّة وترسلها الى صور وصيداء. على ان سكان الشام لم يبيعوا ذلك الوشي كاحد محاصيل اقطارهم اذ كانوا يجهلون تماماً اصل الحرير وتركيبهُ وانَّما كانوا يستجلبونهُ بواسطة القوافل من تركستان الصينيَّة المدعوَّة وقتئذٍ بلاد « ميدون » فتأتي بهِ على طريق تدمر. وبقي الفينيقيُّون على دأبهم ذاك الى القرن الحادي عشر بعد المسيح فكان تجارهم يستمدُّون حاجتهم من الحرير من الباعة الصينيين في كنغ تونغ وخان سي فيقطعون الاقطار البعيدة ويدفعون لاهل فارس ضريبةً فادحة

ولمَّا انتشبت الحرب بين ماركُ ماداي والرومان في عهد يستنيان لم يعد التجار يستطيعون المرور في بلاد العجم فبحث احد تجار سوريَّة المسمَّى مايس تيتانوس (Maes Titanus) عن طريق آمن تبلغهُ الى المراكز الصينيَّة ليبتاع منها الحرير فعدل الى طريق الفرات وتوغَّل في بلاد الهند حتى الصين فادرك غايتهُ وعامل الصينيين رأساً. وفي كتب الصينيين انهُ سبق مايسَ تيتانوس ودخل الصين قبلهُ وفدٌ

آخر كان وجّههُ صاحب الدولة الرومانيّة المدعوّة في كتب الصينيين مملكة تاتسين واقتنى منهـا الحرير وذلك في السنة ١٦٦ للمسيح. واستأنف البعثة غير هؤلاء ايضاً في السنة ٢٢٦. هذا ما اثبتهُ المسيو براسيه (Mr Boissier) في معجم العاديات

وكان تجار الشام يسمّون الحرير الذي ينقلونهُ من ممالك الصين « حرير الحاضرة » (Serametropolis) المعروفة بسينان فو (Si - gnan - fou). وكان الحرير يأتيهم على ثلاث صور منهُ الخزّ اي الحرير قبل تحليلهِ ونسجهِ وهم يدعونهُ ميتاكسا (μεταξα) وكان ثمن الليبرة منهُ اي ٥٠٠ غرام يبلغ ١٢٠٠٠ درهم والدرهم وقتئذٍ يساوي من نقودنا ٦٢ سنتيماً. وكان الخزّ اغلى الاصناف قيمة وارفع شأناً وكان الفينيقيون يصبغونهُ بالارجوان الذي يساوي ثقلهُ ثمن الفضة كما افادنا المؤلف تيوبمب وهـذا افضل الارجوان وكانوا يسمّونهُ باسم بلّاتا (βλαττα) واذا تمّ صبغهُ دعوهُ ميتاكسا بلاتا (μεταξαβλαττα) وباعوا الليبرة منهُ حتى ١٦٠,٠٠٠ الى ١٧٠,٠٠٠ درهم

وكان الصينيون يبيعون حريرهم ايضاً عللًا ملفوفاً على مكبّات فكان اهـل صور وصيدا يستأجرون العمّة الحاذقين لمدّ تلك الخيوط وتسويتها

وكان تجار الصين يصدرون ايضاً حريرهم بهيئة البسة شتى واثواب مختلفة (ἐθνικα σηρικα) فيتخذونها للابسهم او ينزعون خيوطها لتركيب ملابس غيرهـا يجعلون لُحمتها حريراً وسداهـا كتاناً او قطناً. وكان معظم باعة هذه المنسوجات من سوريين او يهود يُحسنون وصف هذه الاثواب الحرائرية فيرفعون قدرها ويبيعونها بمبالغ طائلة

وكان لباعة الحرير (sericarii) في رومية حيّ مخصوص ومخازن تُباع فيها الحرائر المجلوبة من سوريّة والمصبوغة بالارجوان الفينيقي. وأعلمنا سينيكا ان قوماً من السوريين واليهود كانوا يطوفون احياء رومية ليبيعوا منسوجات الخزّ

ولمّا صار الملك في ايدي الامبراطرة البوزنطيين احتكر عمّال الدولة مبيع الحرائر فاصبحت مصابغ الارجوان السوري واكثر مناسجهِ في حوزة الحكومة. وكان يبلغ عملة تلك المعامل حذقاً غريباً. وقد شهد على حسن تلك المنسوجات المؤرخ الشهير تاودوريطس اسقف كورش في ميسرهِ عن العناية الالهية فاخبر ان بعض تلك

الاقمشة الحريرية كانت مطرزة تمثل حياة السيد المسيح واعماله فيلبسها الاشراف على تلك الصورة

وقد وردت في دستور المملكة البوزنطية عدة شرائع تنهى الاهلين عن تقليد الجوائز المنسوجة في المعامل الملكية. ومنذ السنة ٣٦٩ كانت النساء التابعات لبلاط ملك الروم في القسطنطينية يتولين وحدهن عمل الاقمشة المنسوجة بقصب الابريسم المزركشة بالذهب واصدر الامبراطور ارقاديوس سنة ٤٠٦ امراً بان يُجمع كل ما يوجد في الدولة من الحرير الخام او الحرير المنسوج فيُعطى لهن

ولما صار الملك الى يستنيان أُصيبت صناعة الحرير بأزمة شديدة ذكرها المؤرخ بروكوبيوس في تاريخ الحرب الفارسية (Procope, *de Bello Persico*) قال انهُ لما قامت الحرب على ساق بين الروم والعجم لم تعد تستطع القوافل السورية ان تجلب الحرير من بلاد ميدون فأصبحت المعامل الحريرية في القسطنطينية في ضيقة عظيمة لنقص المادة الحريرية فانتهز يستنيان هذه الفرصة لتحديد اسعار الحرير فامر ألّا تُباع الليبرة اكثر من ثمانية دنانير فرأى تجار فينيقية في هذا الامر مجحفاً لحقوقهم ولم يعودوا يرضون باستجلاب الخز بل اقفل تجار صور وصيداء وارواد وبيروت مخازنهم وهاجروا الى بلاد العجم ولم يبقَ تحت حكم الرومان غير وكلاء المعامل الملكية (Comes largitionum) الذين واصلوا الشغل لانَّ اوامر الملك لم تنلهم وكانوا يبيعون الليبرة من الحرير المصبوغ صبغاً اعتيادياً في معاملهم ٧٢ ديناراً . ومع كلّ ذلك اذ لم تحطّ الحرب عن اوزارها ما لبثت صناعة الحرير ان كسدت لقلة مادتها في ارض الرومان حتى فنيت تماماً بعد زمن قليل

وبينما كان العموم يظنون ان تجارة الحرير لن تعود الى الحياة بعد موتها اذ حدث امرٌ خطير انعشها واعادها الى زهوها بوقوف الرومان على طريقة استحضار الابريسم ودونك تحرير الخبر

احبّ الملك يستنيان ان يطلع على سرّ الحرير وكيفية صناعته لعلّهُ يتدارك بذلك الخلل الذي لحق مالية الدولة بكساد سوقهِ فوكل الى راهبين مرسلين من النصارى اصلهما من العجم ان يرحلا الى الصين فيبحثا عن الامر ويتحققا صنع الخز

وكان الفينيقيون قبل ذلك ومنهم اليونان والرومان يجهلون حقيقة اصل الحرير

المجلوب من الشرق الاقصى فيظنون انهُ يُستحضر من النبات. قال بلينيوس في تاريخهِ (ك ٦ ف ٢٠): انَّ للسار (وهم الصينيون) غابات غنيَّة بنابتها الصوفيَّة فينزعون ما يجدون على اوراق الاشجار من الزغب الابيض ويرشونهُ بالماء ثم تحلّ نساؤنا هذا الصوف وينسجنهُ . . . حتى يصير ثوباً ناعماً تلبسهُ السيدات ويتباهين بهِ». ومثلهُ زعم أميان مرقلّان في القرن الرابع حيث قال: «ان اهل الصين ينقعون اوراق اشجارهم مرارًا فيجنون عليها زئبرًا ناعماً جدًا يغزلونهُ وهو الحرير»

تلك كانت مزاعم القدماء في الحرير حتى عاد المرسلان سنة ٥٥٢ الى القسطنطينية كما تناقلهُ تقليد المؤرخين واعلما الامبراطور يستنيان بحقيقة الخبر واطلعاهُ على فيالج (شرانق) دود الحرير وكشفا لهُ السرّ الذي كان الصينيون يتفانون على حفظهِ. وكان الراهبان جملا تلك الشرانق في عصاة مجوَّفة بحيث لم ينتبه احد من اهل الصين الى عملهما. وقد اخبر المؤرخ پروكوپيوس انَّ الراهبين استجلبا تلك الفيالج من بلد يدعوه سيرندا الموافق على ما يُظن لبلاد خُوتن (Khoten) في آسية المتوسطة. ويؤيد ذلك ما نقلهُ بعض كتبة الصين ان صناعة الحرير كانت انتشرت في تلك المقاطعات منذ زمن مديد

وعُرف دود الحرير اوَّلًا باسم «النملة البربريَّة» كما دعاه القديس برلس المعروف بالسكيتي في وصفهِ كنيسة آجيا صوفيا فقال عن ستر مذبحها انهُ من نسيج «النملة البربريَّة»

واذ كانت بلاد الشام قد اشتهرت سابقاً باستجلاب الحرير وصبغهِ اراد يستنيان ان تُنقل اليها دود الخزّ فتربّى هناك لاسيما ان التوت غذاء تلك الحشرات يكثر عندهم الى ان يطعموا ورقهُ للحيوان. فما وصل الدود الى الشام حتى اقبل السوريون على تربيتهِ بكل رغبة فأُنشئت في بيروت اوَّلًا ثم في حمص وحماة معامل حريريَّة راجت اسواقها

فلمَّا علم يُستنيان بما نالتهُ صناعة الحرير من النجاح حدا بهِ الطمع لتوفير ماليَّة الدولة الى ان يحتكر العمل فامر انَّ معامل الحرير تكون كلها مال الدولة وان لا يُسمح بنسجهِ ولا بصبغهِ الَّا في معامل الحكومة. وزاد على ذلك امرًا آخر لكلّ باعة الحرير بان يبيعوا لتلك المعامل وحدها شرانقهم باسعار محدودة وانَّ من يتجاوز تلك الاوامر يُقضى عليهِ قضاء مجرم جانٍ على السلطان عينهِ فيُحكم عليهِ باشدّ العقوبات.

فكانت تلك الاحكام ضربةً كادت تقضي على صناعة الحرير في انحاء الشام حتى ان العرب لما فتحوا سورية وجدوا معامل الحرير في بيروت وصيداء وارواد ليس الّا

وبقيت تلك الصناعة خاملة حتى عهد بني اميَّة الذين انهضوها من خمولها. قيل انَّ معاوية اوَّل ملوكهم انشأ سنة ٦٥٥ في قصره المسمى بالخضراء في دمشق معملاً للحرير فعُرفت منسوجاتهُ بالطُرُز وشاعت في كل الاقطار وكان الخلفاء يهدونها لعمَّالهم. وما لبثت صور وحلب ان انتسا بدمشق وفتحتا معامل نفقت اسواق حريرها حتى غلبت طُرُزها في عهد بني عباس على طرز دمشق. وكان تجار الفرنج من مدينة أمالفي في ايطالية يتردَّدون اليهما وينقلون منهما انسجة الحرير الى الاسواق الاوربيَّة ويفضلونها على حرائر دمشق لقرب صور من البحر ولوقوع حلب على طريق القوافل ومما رواهُ الراهب دي سان غال انَّ حاشية الامبراطور شرلمان ملك فرنسة كانوا يزدهون بملابس الحرير ولا يرضون بغيرها. وكان الامبراطور يستاء من عمامهم ويحضُّهم على تفضيل ثياب أُخرى من الكتان ارخص ثمناً كما كان يلبس هو على زي الفرنج فلم يقتنعوا بقولهِ. ومن ثم دعاهم في احد الأيام الباردة المطرة الى الصيد فعادوا عند المساء وثيابهم مبلولة والبرد قد اخذ منهم كل مأخذ فادخلهم في غرفة أُوقدت فيها نار مشبوبة ليصطلوا فأثَّرت النار في ثيابهم وجعَّدتها وشقَّقتها فكان عملهُ عبرةً لهم رادعة

وكانت اسواق الحرير في حلب ودمشق في القرون الوسطى كثيرة الرواج فيتقاطر اليها تجار الفرنج في كل سنة فيتسوَّقون منها ضروب الانسجة الحريريَّة المصبوغة بالارجوان ويعودون الى بلادهم بالبرود الثمينة والفُرُش والمصادغ والثياب المطرَّزة الغالية الثمن

وبقيت الحرائر السوريَّة في رواجها في القرن التاسع والعاشر دون ان يضايق اربابُ الامر على اصحابها مع علمهم بارباحها الى ان تملَّك الصليبيُّون على فلسطين وسوريَّة وقد وردت في شرائع دولتهم المعروفة بمجالس اورشليم - Assises de Jérusa) lem) عدَّة قوانين في بيع الحرير منعاً لتقليدهِ وتزويرهِ ومما فُرض على الباعة ان يعرضوا منسوجاتهم قبل صبغها على عمَّال معلومين ليفحصوها ويتحقَّقوا اوزانها وما يدخلها من القطن وغير موادَّ غريبة. فكانت هذه القوانين المملوءة حكمةً تزيد ثقة

الزمان في حُسن المنسوجات الشاميَّة فعمَّت شهرتها انحاء المعمور كما يشهد على ذلك كرستيان من طروا (Chrestien de Troyes) في احدى رواياتهِ حيث ذكر حرائر انطاكية. وكذلك شهد على حسنها الادريسي فقال: « ويُعمل بانطاكية من الثياب المصمتة الجياد والعتابي والدستواي (ويروى الدستري) والاصبهاني وما شاكلها ». وكانت انطاكية وطرسوس تجهزان ايضاً ثياب القصب المزركشة بخيوط الفضة والذهب وكثر استعمالها في اوربَّة لحلل الكهنوت وحليّ الكنائس. وتشهد على ذلك قوائم اثاث البيع الثمينة في القرون المتوسطة فكثيراً ما تجد بينها قطع حرير انطاكية والحلل المنسوجة بالقصب المطرَّزة بالديباج الانطاكي الرفيعة القيمة ذات الالوان الزاهية والتصاوير الرائعة من نباتات وطيور وعروق ذُكر بعضها في قائمة حليّ كنيسة مار بولس في لندن سنة ١٢٩٦

وذكر الشريف الادريسي معامل دمشق ايضاً مثنياً عليها فقال: « ومصانعها في كل ذلك عجيبة تُضاهي ديباجتُها بديعَ ديباجة الروم وتقارب ثياب دستوا (ويروى دستر) وتنافس اعمال اصبهان وتشفُّ على اعمال طُرز نيسابور من جليل ثياب الحرير المُصمتة وبدائع ثياب تِنّيس وقد احتوت طرُزها على اثانين من اعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمّة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال ». وتنيس هذه التي ذكرها كانت ذائعة الشهرة بديباجها المعروف بابي قلمون كان طرازهُ يتلوَّن بألوان شتى فتمكَّن اهل دمشق من صنعهِ كاهل تنيس كما انهم بعد ذلك بقليل احسنوا تقليد الديباج الموصلي والبغدادي

وكانت معامل صور وعكا وطرابلس تتسابق في حسن نساجة الاطلس والاقمشة الحريريَّة المطرَّزة بسُتَة اسلاك. واختصَّت طرابلس بالكرمسوت المتموَّج بالوانهِ

وكان اهل سوريَّة يعتنُون لتربية دود القزّ بزراعة شجر التوت وقد دعاهُ ابن العوَّام من كتبة القرن الثاني عشر في كتاب الفلاحة بالفرصاد او توت الابريسم. وكانت النساء مذ ذاك الحين يُعنَين بتربية الدود وتنقيتهِ وعلفهِ وقطف الشرانق

وبقيت صناعة الحرير زاهيةً بعد ذلك الى عهد الدولة العثمانية وترى في دمشق فوق مشهد صلاح الدين رايتين من الحرير بديعتين نُسجتا في القرن الخامس عشر. وفي القرن السادس عشر شهد كاتبان من المرسلين على انَّ مدينة حلب كانت تجاري

مدينة ليون بنسج حرائرها ومثلها دمشق الّا انَّ تربيــة دود القز كان منحصرًا في بيروت وصيداء وطرابلس (لهُ بقيَّة)

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٧٩ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع) .

ثم ان الباشا بعد قتله علي اغا في ذلك النهار نزل ودار البلد جميعها متخفي بزي دالاتي . واشهر النداء بالأمن والأمان وبعد يومين صار مناداة بكامل البلد ان بعد ثلاثة ايام كل بغدادي يوجد بالشام يُقتل . وهذه جاءت من اعظم المحن على البغاددة التجار المتوطنين وصاروا في حيرة كليَّة وقدَّموا من ترجًا فيهم وما صــار افادة . والتزموا يسافروا للسواحل وخلافها . ومنهم تخبوا بالشام . وكان عسكر المغاربة وغيرهم يكمنون بالطرقات وكل من وجدوه هاربًا يعرّوهُ وقُتل جملة انفار من حرافيش (١ البغاددة الذين كانوا بالقلعة . فانعرض للباشا عن تعدي العسكر فامر لروسائهم ان يجمعوا ناسهم ويمنعوهم من الاذى وبعد ايام قليلة تهادنت الامور وراق خاطر الوزير وبقيوا بالشام مثل عادتهم

ثم ان الوزير خلع عبد العزيز آغا القامــة وراقت احوال الشام وكان الناس في وجل (خوف) من نهاية مادة القلعة من بعد حدوث مظالم فما حصل من ذلك شيء

ثم بعد ايام قليلة حضر معتمد من والي عكا بيده فرمان بتحصيل الف وثمانماية كيس من والي الشام وذلك عن معروف مدة اشهر انصرف عن يد علي اغا المقتول للعساكر وهي مال سليمان باشا . فاستقام (اقام) المعتمد اياماً بالشام وصدر مراجعات واخيرًا انتهى الحال على شيء يكون

ثم ثاني يوم من ولاية السيد سليمان باشا صار طاعون بالشام وبرّها سنتين اي سنة

١) الحرفوش الصعلوك من اسافل الناس

الف ومايتين وثمانية وعشرون (١٨١٣ م) وتسعة وعشرون وكان شديداً يبالغوا انهُ مات ربع البلد

وفي سنة ثمانية وعشرون (160٢) توفي بطرك الروم انتاميوس في تموز بالطاعون او بحمى وبائيَّة. واستقام الباشا حاكماً بالشام اربعة سنين وكسور (وبعض سنة) وفي اواخر حكمهِ اصطلح طريق الحج. ومحمد علي والي مصر بواسطة ولدهِ ابراهيم باشا ظفر في ابن مسعود الوهابي. وبعد محاربتهِ لهُ أيام كثيرة حاصرهُ بالدرعيَّة مقرّ حكمهِ وبالحيلة مسكهُ حيًّا وارسلهُ لابيهِ لمصر. والمذكور ارسلهُ لاسلامبول والسلطان قطع عنقهُ وريَّح الناس من شرهِ وتوجه سليمان باشا بالحاج وما صار توفيق من شيء.

ثم انهُ في السنة الرابعة من حكمهِ ظهر بهِ مرض سيداوي (سويدا.) وصار خلل في عقلهِ احياناً. وكان عندهُ ابراهيم باشا شراقة ومصطفى اغا وهؤلاء كانوا قساة ظلمة يعملون ما يريدون والباشا نظرًا للحال الذي هو بهِ اقتصر (امتنع) عن كل تدبير بالاحكام. وارسل اعراض للدولة يستعفي من الحكم وانهُ لا يقدر يتوجه بالحاج فالدولة ما قبلت عذرهُ بل الزموهُ يتوجه بالحاج. وتوجه وهو مريض وبحال الكرب وبرجتهِ صادفهُ اعراض في جسمهِ ردية ومات بالطريق ودفنوه بالرمل قريب مدن (مدائن) صالح الخراب. ومسك الحاج ابرهيم باشا

وحينما وصل خبر للدولة بوفاة الباشا ارسلوا وكالة للشام الى سليمان باشا والي صيدا وحينما بلغ بالسلامة الحاج للشام ارسل المومى اليهِ قبض على ابرهيم باشا المذكور ومصطفى اغا الذي كان متسلماً واخذهم لعكا وبوصولهم قطع اعناقهم وارسلهم للدولة وما ظهر ذنبهم على الحقيقة. ثم شاع الخبر بولاية علي باشا يدبر الاحكام لحين حضوره للشام

﴿ تولي علي باشا ﴾ فحضر للشام ومعهُ زينيل اغا الكردي حاشه (قبض عليهِ) في حماة (اذ) كان هارباً. وهذا الباشا (كان) شجيعاً مهاباً وصاحب حركات. وكان بهذهِ السنة غلاء. ووجود الحنطة عزيز أخفوها الخزّانة فصار يفتش ويفحص وعمل (فرض) شيئاً معلوماً على اصحاب (161٢) الحوانيت والقرايا ومن سطوتهِ انوجد القمح وانفرجت الناس

ثم بعد ايام قتل زينيل اغا وسقا احمد واظهر لهم ذنوب انهم خازنين حنطة وغير

ذلك ايضاً . وكان سقا احمد بوقته متعين عند الباشا وزينيل اغا كان فالت بالبلد ولكن عليهِ غفر (خفراء) خفيةً . وقبل قتلهم بيومين كان اظهر لهم ميلاً من نحوهم ونبه على زينيل اغا انهُ يلبسهُ درجي بالحاج فاحضرهم قدّامهُ حصة (نحو) الظهر من تسعة وعشرين شهر حزيران وكانوا مطمأنين منهُ ومسرورين بامل يلبسوا أخلاع (خِلَع) فاخرة . فوقفوا امامهُ بالقاعة وصار يحكي معهم ويوبخهم على خزنهم القمح . ثم اتصل الكلام . الظاهر اعطوا جواب وقدّموا اعذارًا . حينئذٍ نفر فيهم وكان بقصد منهُ ثم شتمهم وامر بقتلهم قدامهُ فصارت القواصه والجوخدارية يضربوهم بالنُجق (١ والسيوف بحنق فقطعوهم ودمهم انطرش على الفرش . ثم ربطوا ارجلهم بحبل وجروهم ليدان السرايا . وحصل وهم (خوف) عند الناس

ثم بعدهُ صار مناداة بتسعير اللحم وخلافه . وكان المتسلم ينزل يدور مختفياً . فوجدوا واحدًا شاري لحماً فسأله كيف اشتريتهُ . فاخبرهُ بالحقيقة وهو زيادة عن التحديد شيء جزئي . فطلب منهُ محل دكان اللحم واسمهُ فنظر خادم اللحام فاخرجهُ من الدكان . وسأله بكم بعت اللحم لهذا فجاوبهُ : انني انا خادم ومعلمي باع . وبالحال قطع عنقهُ وهكذا عمل بغيرهِ . وكان الحال مخوفاً جدًا والقاضي تعجب من هذا الافتراء . وارسل نائبهُ لعند الباشا يلومهُ على قتل الخادم المذكور وهذا شيء منافي الشرايع والطرايق . ومن وقتهِ ارتفع التشديد بالامور

ثمَّ انَّ الباشا اخذ اشياء زوايد من وكيل الافرنج بالقدس وكذلك من الروم والارمن غير المعتاد . فبعد شهرين حضر معتمد فرنساوي من اسلامبول ومعهُ فرمان بان يدفع الباشا ما اخذهُ زايدًا من الافرنج وقبضهُ المعتمد من الباشا حالاً ذهب عين بمبلغ خمسة وستون الف قرش وحيث (161[٢]) قبضهُ الباشا ذهب بجر (٢ فما رضي المعتمد يقبض معاملة دارجة بل ذهب عين . واحكى مع الباشا كلام عالي وتألم منهُ جدًا

ثم بعد حضور الحاج شاع خبر عزلهِ من الشام . وجاء المنصب الى صالح باشا المسمى الكوسا وكان ذلك في ابتداء سنة الف ومايتين واثنين وثلاثين (١٨١٦م) وتولى على باشا سنة واحدة فقط

١) الاسهم العريضة ٢) ذهب المجر يسمّى المجهر في اللغة الدارجة

﴿ تولي صالح باشا الكوسا ﴾ فحضر منهُ إعلام وأقام متسلماً نائباً عنهُ لحضورهِ . وفي شهر ربيع الثاني حضر للشام وكان عادلاً حليماً فهيماً واستقام نحو سنتين وينيف والبلاد رايقة . اغا صار حركة خفيفة ومخالفة من عرب فليحان . فارسل لهم حمان اغا المغاربة وفارس اغا الدلاتية وهواره (١ وقصدوا محاربة العرب . فمن خبائثهم تحصنوا في وادي اللجاه . فعسكر العسلي مغفلين لا يعلمون حال قوّة اللجاه . فدخلوا للوادي . فداورهم العرب وقتلوهم . وما سلم منهم الّا القليل . والاغاوات المذكورين قُتلوا وراح عسكر جابوهم من الوادي للمزيريب ودفنوهم هناك

ثم ان الباشا قتل طالب ابن محمد عقيل من جرابجة الميدان . وسببهُ ان هذا الرجل غني واسمهُ مفهوم ففي زمان حكم سليمان باشا والي صيدا بالشام في سنة الف ومايتين وخمسة وعشرون (١٨١٠ م) وجد طالب عقيل مخباية في بيته بالقاعة انشهر عليها بعلامات مخفيَّة . فوجد خابية ممتلية بذهب مصري محمودي ابو نقطة (٢ كان دافنها ابوه . فبلغ كميتها نحو الف كيس على حساب تسعير الذهب ثمانية غروش ونصف بوقتهِ . فلما شاع خبر ذلك قصد سليمان باشا يضبطها تماماً . ولكن حيث ان الباشا صار نسيب لبيت عقيل كان بالسابق بعد وفاة الجزّار تزوج اخت طالب المذكور وهو ربّي طالب عنده بعد ابوه وكان صغيراً فصار يتوسل للباشا يخلي لهُ المال فقال : اذا ابقيتُ لك هذا المال ماذا تعمل فيه . فقال لهُ : اشتري بساتين واعمر املاك واشتي اراضي . فقال لهُ الباشا : ان كنت تعمل هكذا فقوي (كثير) مناسب فترك (162ا) له المال واتا وكّل عليهِ ناظراً . ولكن طالب ما احتاج لذلك . وبالحال صرف الذهب بالوزن على الصياغ (الصاغة) وخلافهم . وصار ينشي رزقاً . ومن الجملة عمّر قاعة نسا . بالميدان وحمام . اشترى بساتين ورجعت دولة ابوه نظير ما كانت . ولكن هذا طالب تداخلهُ الكبر والاعجاب في نفسهِ وبعد ما انعزل سليمان صار يتداخل مع الحكام . واخيراً لبس حكى (٣ في باب اغا الانكجارية ويقطع ويمضي موادّ (قضايا) وطول النهار بالسرايا . والمقصود لاجل العظمة

---

١) الهوارة الذين يمشون قدام العسكر

٢) جنس عملة قديمة

٣) هكذا . وربّما كانت حاكم اي جعل نفسه حاكماً

والجاه. وحينما يركب للسرايا ومن السرايا لبيتهِ معهُ سياس وخدَم جمهور

ثم في ايام صالح هذا فاغا الانكجارية تغلظ على اثنين من جماعتهِ وحبسهم عندهُ حسب العادة. فبلغ طالب المذكور ما هان عليهِ. فتوجه لعند الآغا وترجاه يطلقهم فما رضي فكرَّر عليهِ ذلك فما قبل يطلقهم. فانحنق منهُ طالب وقام على حمية (غضب) من عند الآغا وخلع باب الحبس واطلق المحبوسين. فلما بلغ الآغا هذه الجسارة وكان حصة العصر في شهر رمضان ركب وتوجه للسرايا واشتكى للباشا على طالب. فتخلق الباشا والباين حصل التدبير بقتل المذكور ليلاً. فبعد المغرب حضر طالب للسرايا حسب عادته. وفي الساعة الرابعة حين بطلت الاحكام قصد المذكور يتوجه لبيتهِ فحاشهُ بعض القواصه في اوضة. وبعد فروغ السرايا من الناس اطلعوه من دار المتسلم وخنقوهُ قدام اوضة الصيارف. وبعدهُ سحبوهُ للدرويشية ارموه قدام الجامع. وثاني يوم غسلوهُ وقبروهُ ومضى امره

وبهذه السنة قُتل ملا اسمعيل المشهور في حماة ذبحهُ المتسلم بوجود محاربته العرب. وكسره العرب واشتبه عليهِ ان ملا اسمعيل مطابق معهم فعمل مداورة عليهِ وقتلهُ بالديوان. واستقام الباشا حاكما سنتين وارتاحت الناس في ايامهِ. وكان عادلا جداً وانعزل وجاء المنصب الى سليمان باشا في سنة الف ومايتين واربعة وثلاثين (١٨١٨ م)

﴿ تولي سليمان باشا ﴾ فارسل متسلماً بامر الدولة صالح اغا. وبعد ايام حضر الباشا وكان (162v) عادلاً واثاً بحب المال

وبهذه السنة تحرك الروم لاضطهاد الكاثوليك واتصلوا بالرداوة بالسنة الماضية في حلب وضرُّوا الطائفة بمالهم ودمهم. ثم ان البطرك سارو فيم ارسل المطران زخريا الى صيدا يتحارش بالكاثوليك الذين يصلوا في كنيسة واحدة هم والروم. وحصل مشاجرات كثيرة بين المطران والطايفة وانعرضت على عبدالله باشا. ومن كون اغلب الكتبة في عكا وصيدا وصور وبيروت كاثوليك فالباشا وحاييم اليهودي مالوا جهة الطايفة ومن ذلك طمعوا بالمطران. واحكى (اي الباشا) معهُ كلاماً قاسياً نظراً للتعدي الصاير منهُ والتزم ان يخرج من صيدا ممتلي غضباً ووجزاً. واعرض للبطريرك شيئاً صار وشيئاً ما صار فانحنق جداً. وهذا البطرك من طبعهِ يحب الاذى والضرر

ومعوّض ذلك بالتقشف والصيامات العازمة . حتى في صيام الكبير يقولوا انهُ لا يأكل طعام بزيت . فهذا كتب للمجمع في اسلامبول طعن وشكوى بطايفة الكاثوليك وينهض همتهم في اخراج خط شريف في اضرار الكاثوليك بالشام ويتبعها باقي المحلات . وانهُ يستعبد الجميع ويكونوا بطاعتهِ والصلاة معهُ والّا فيدمرهم للنهاية . وتوجه بهذه الرسالة المطران زخريا المذكور . فقبل بلوغهُ لاسلامبول غرق بالبحر وبجهدٍ كلّي حتى اخرجوهُ سالماً . وما اعتبر فوصل لعند العلماء الاتقياء وبالحال باشروا في اوامر عالية والنصّ نظير ادّعاهم الفاسد . وحضر المطران للشام وبعد أيام قليلة اعرضوا الاوامر على سليمان باشا وابتدأت الشرور والمخاصمات بين الطايفة والبطرك وجماعتهِ ايضاً . والتزمت الطايفة (١ تقدّم مالاً كثيراً لردّ الضرر عنهم . واقتضى يعرضوا امرهم للشرع الشريف وحصلوا على بعض شيء يريحهم . ثم صار ديوان بحضور القاضي والافندية عند الوزير في رمضان بالليل . وحضر البطرك وبعض من جماعتهِ وحضر وجوه طايفة الكاثوليك . وادعى البطرك بما اراد ثم بعد قراءة الفرمان قدمت الطائفة فتاوي وقرروا (163r) تعدي الروم وحجزهم الكنيسة حيث انها للطايفة عموماً وحصل مراجعات ومدافعات كثيرة بين البطرك والطايفة . اخيراً مال القاضي لجهة الكاثوليك بوجه الحقّ واظهر للبطرك بانهُ متعدي واعراضهُ الدولة فهو بغيا (احتيال) منهُ . ثم مضت الحصة فصدر الامر بصرف الديوان وانهُ الليلة المقبلة يصير ديوان وتنخصم هذه المادة . فذهب (ابناء) الطايفة مسرورين والبطرك وجماعتهُ مكروبين

ثم ان البطرك تموّق بالسرايا برأي جماعتهِ الارديا . ومنهم اروام الذين راحوا لعند صالح اغا الذي كان متسلماً . وبعد حضور الباشا ترك الخدمة واستقام في بيت ينتظر سفر الحاج يحجّ ويرجع لبلدهِ . فهؤلاء الاروام يرطلوا المذكور وانهُ يكون وسيط في امر البطرك . واستعقدوا في خمسين الف غرش خدمة (تقدمة) للوزير على يد المذكور بحيث يتأيد (ينتصر) البطرك وتنفذ اوامر الدولة وتنخذل الكاثوليك . وتدبروا واياه على عمل طريقة يتعذروا بها (يهانون بها) ظاهراً وهو انهم في مرورهم بسوق الاروام اي البطرك وجماعتهُ مزقوا صوف البطرك وكسروا العكاز وشرمطوا

١) اي طائفة الروم الكاثوليك

اللاطية وعملوا تمام الحيلة وما احد درى ولا لحظ من الطايفة (١ عن الملعوب الذي عملوه . ولا فكروا الّا انهم في الليلة المقبلة ينتصروا على البطرك ويحصلوا على راحتهم

فثاني يوم راح صالح اغا لعند الباشا وافهمهُ عن خدمة البطرك . ثم اعرض لهُ عن تعدي الكاثوليك وانهم بالامس وهم ذاهبين مَع البطرك وجماعتهِ وحيث انهم بالعدد اكثر من الروم فقاموا على البطرك وشرمطوا ثوبهُ وكسروا عكازهُ وبهدلوه وشتموه وصار ضرب ايضاً لجماعتهِ . وكل ذلك صدر من البغضة والرداوة الكلية . فلما سمع الباشا بما صار غضب ومسك غيظهُ الى المساء ميعاد عمل الديوان . فالطايفة بعد غروب الشمس مشيوا للسرايا بقلب قوي مفكرين ينتصروا ويغلبوا الروم . وذهب اناساً كثيرين بقصد الفرجة (163v) وتنظر السرايا وما يليها وقهوة الدرويشيَّة ممتلين نصارى لان ما بقي في بيوتهم غير القليل . والوجوه ينتظروا القاضي والبطرك . فما بان احد وهم متعجبين من ابطا حضورهم والّا صدر الامر بغتة في مسك الطايفة جميعاً اي الكاثوليك وحبسوهم بالسرايا . ومن كثرتهم حبسوا اناس بالدوالك وايضاً في ارض الدفكجيه . وانفردت القواصة والجوخدارية لحارة النصارى يمسكوا كل نصراني يقع بيدهم : كاثوليك سريان ارمن روم . ولكن الروم جاءهم نذير فاختفوا . وكان تلك الليلة في ثلاثة وعشرين حزيران ليلة مولد يوحنّا المعمدان وكان حرّ شديدٌ حتى البعض من المحبوسين كادوا يموتون من الحرّ لو ما يخرجوهم . وكانت ليلة مهولة مخيفة مفزعة وما احد عارف السبب الموجب لهذا القصاص المريع

ثم ثاني يوم الجمعة بعد مجي الوزير من الصلاة صدر امر بضرب العصي لوجوه الطائفة . فانضرب منهم اربعة انفار وجماعة البطرك واقفين بالسرايا يتفرجوا عليهم . والبعض من الطايفة المتكلمين برطلوا بمبلغ غرش حتى لا ينضربوا . وبعد ذلك تحقق لهم كل شي صار والتزموا يقدموا خدمة وافرة للوزير لكي يترفّق بحالهم . وبواسطة جيدة استمالوا رضى الوزير . ولكن مـا عاد امكنهُ الوزير يترك خاطر البطرك للنهاية . بالاخص تلك الليلة لبسهُ فروة وارسلهُ بعراضة من جماعتهِ . وتنظر زلاغيط النساء والضوجة في حارة الروم بنوع زائد الوصف حيث انهُ قبض الوزير الف غرش غير الكلف البرانية . وبالنتيجة ان الباشا اطلق المحبوسين واعطاهم

(١ اي طائفة الروم الكاثوليك

امان . والبطرك ليس لهُ قارش (مخالطة) معهم واستكنت (سكنت) الامور نحو ستة شهور

وفي ثامن يوم من كانون الثاني امسكت كهنة الكاثوليك . كبسوا البيوت بالليل ونصب جماعة الروم سلالم ونزلوا كل مكان بهِ كاهن . والذين امسكوا اربعة كهنة (164r) والباقي ما وقدروا بيدهم . وثاني يوم سفّروهم لبيروت فوصلوا للديماس ما قدروا ينفذوا بهم من الثلوج والامطار . وايضاً صار احتساب من البطرك (اي خاف البطرك) ان اهل الجبل في مرورهم لبيروت يخلصوهم من العسكر . فوجعوهم للشام واخذوهم الى طرابلس عن طريق حمص وبوصولهم لطرابلس ارسلوهم الى ارواد حسب الامر . والذي انفهم ان البطرك كتب لاسلامبول بما صار وعن ترك الباشا هذه المادّة وانهُ ما استفاد شيئاً بهذا الجهاد . فبطرك اسلامبول اخرج مكتوب من الوزير الاعظم الى الباشا وبهِ يتعتب عليهِ من الفتور الصادر منهُ ويلزمهُ ان يتمم الامر حسب الاوامر الصادره لهُ ويلج عليهِ بذلك فاقتضى ان ينفي الكهنة

ثم انهُ صدر امر ان كهنة الافرنج لا تقارش (لا يخاطبون) الكاثوليك في امور الديانة ولا غيرها . وكذلك لباقي كهنة الطوايف موارنة سريان ارمن لا يدخلوا بيوتهم . وهكذا حصلت الطايفة في ضيق شديد . وبوقته حصل تشويش وامراض وموت وهلقدر (وبهذا القدر) يصير تعب في تدبير انفسهم وبروح الكهنة خفية بالليل لان الروم دايماً مراقبين . ومات اناس من غير وجود كاهن . ثم وجوه الطايفة انوهموا من نفي الكهنة فاشاروا عليهم ينزحوا (يبتعدوا) من الشام ليلا يحصل لهم ثقلة ومخاسر . فتوجه منهم اناس للجبل ومنهم لصيدا

والكتّاب الذين في عكا وهم كاثوليك اعرضوا لعبدالله باشا وترجوه باحضار الكهنة من رواد . وبالحال توجه امر الى مصطفى بربر متسلم طرابلس يطلب منهُ الكهنة . فرجع الجواب انهم في ارواد حسب الاوامر الصادرة من الشام فتخلق عبدالله باشا على بربر وكتب لهُ انك كيف تجاسرت وترسل اناس في حكمي للنفي من غير علمي . وثانياً ان الذين طابقت على نفيهم هؤلاء رعيتي من الجبل . فالمراد انك تحضرهم حالاً من رواد وترسلهم لصيدا . وكيف كان (الامر) لازم تحضرهم . فالتزم حالاً احضرهم (164v) وارسلهم حسب امر عبدالله باشا . واقتضى ايضاً ان

بربر يتوجه لعكا ويقدم اعذار ويجهد حتى رضي عليه الباشا ورجع لطرابلس

ثم حينما وصل الخبر للشام كاد ان البطرك يفقع من الغيظ الذي شمله . والكاثوليك اخذوا روح نوعاً . ولكن البطرك ما هو معلوم كان يهجع من عمل شيئاً من الضرّات . لانهُ قيل عنهُ في حين هيجان الشرّ انهُ مسك ايقونة السيدة وكان يخاطبها بجرارة ان تعينهُ على اضرار الكاثوليك . وهذا صار اكيداً . والذي ظهر من هذا البطرك من الرداوة وقلة الديانة يدهش العقل . ربنا ملوك القياصرة الوثنيين ما وصلوا من بغضتهم للنصارى لهذا الحدّ . ولا نعلم من اين جاز لهُ يضطهد الناس وماذا يقال عنهُ . ولكن عدل الله ينتقم منهُ بالدنيا والآخرة لانهُ اضرّ الناس بافعاله الردية بمقدار هكذا عظيم يبلغ كبير ربنا اربعماية الف غرش وخرب هلقدر (بهذا القدر) بيوت وجعل اسباب يدعوا عليه ليلاً نهاراً واهلك نفسهُ بيده لا شكّ ولا ريب . واما جماعتهُ (فانهم) يعتبروه انهُ بارّ قديس . كذا (هكذا) غرور العالم أعمى قلوب الناس حتى صاروا ينظرون الطلاح صلاح . الله يلطف ويعين

ثم بعد حضور الباشا من الحاج شاع الخبر بعزله من ولاية الشام . وجاء خبر المنصب الى درويش باشا وكان ذلك في سنة الف ومايتين وخمسة وثلاثين (١٨١٥ م) . وحصلت نكتة حينما شاع عزل الباشا المذكور وكان مقيم بالسرايا فحصة (نحو) العصر حضر ثلاثة انفار ميادنه يفتشوا على ابراهيم بجري كاتب المقام فوجدوهُ قام من السرايا لبيتهِ في زقاق الحراري صادفوه فضربوهُ بالمطرية (١ فوقع للارض ثم مشى قليلاً ووقع مايتاً واخذوهُ لبيتهِ ثم قبروهُ . ومضى امرهُ ما صدر شيء من طرف الحكم

﴿ تولي درويش باشا ﴾ وبوقتهِ اقام متسلماً وسليمان باشا طلع للقابون . ثم (165r) حضر الباشا للشام ونادى أمن وامان . وفي ايامهِ كان رخا (رخص) عظيم حتى انباعت غرارة القمح بخمسين غرش . وبعد حضورهِ بايام قريبة شاعت أخبار بعصارة الموره (٢ . والسلطان قتل البطرك كيرلس في اسلامبول مع مطارنة وقسوس شنقهم يوم احد الفصح بجرة (بسبب) اهل الموره . ثم ورد اوامر لتبرص بقتل مطرانها

١) هي السيف القصير العريض

٢) شبه جزيرة في جنوبي بلاد اليونان

وجملة اناس. ثم انهُ جاء امر بقتل ساروفيم بطرك الشام وخلعهُ درويش باشا. ثم جاء امر بضبط سلاح من عند النصارى. وحصل ثقلة من جرى ذلك وتهديد وتهويل حيث انهُ بالصدفة يوجد سلاح عند النصارى وعملت هذه الامور شلش واوهام. ثم بعدهُ بردت وخفّ الشلش نوعاً

ثم تحرّك اليهود الصيارف سلمون وروفائيل بالانتقام من عبدالله باشا والي صيدا بسبب قتلهِ الصرّاف حاييم نسيبهم واخوهم قبل تاريخهِ بسنة. وصاروا يوسوسوا لدرويش باشا الذي كان يعتمد كلامهم. وعبدالله باشا بدى منهُ امور مغايرة مع الدولة. وبعد قتلهِ حاييم المذكور اظهر كبرًا وعظمة وصار يعمل اشياء مذمومة خالية من كل صواب. وصار اليهود ينشوا (يُحدثوا) اشياء تهيج عبدالله باشا للشرور. ودرويش باشا يسمع لهم كل ما يقولوهُ

فاولًا صاروا بامر الباشا يفترّوا على قرايا البقاع الذين بهم سوامات للامير بشير وابن جنبلاط. ويروح عسكر ينهب ويقتل ايضاً كل من يداقفهم (١ ثم الامير يعرض لعبدالله باشا والمذكور يكاتب درويش باشا بهذا الخصوص ويروح لهُ جوابات قاسية بتعليم سلمون. المقصود بذلك هيجان الشرّ. فصار عبدالله باشا يتكلم كلاماً ردياً في حق والي شام. ثم المذكور يكتب لاسلامبول ويطعن في حق والي صيدا. واتصلت الامور. وعبدالله باشا ما كان يقدّر عواقب ويفكّر كل شيْ يجي بعقلهِ يصير

فحسن بعقلهِ يقلّد فرمان سلطاني مضمونهُ ان (165*) ولاية الشام لهُ وارسلهُ للامير بشير وطغاهُ واقتنع منهُ انهُ صحيح. ثم امرهُ يذهب للشام ويطرد درويش باشا. فسمع منهُ وطرح صوت بالجبل وجمع عسكر. ثم عبدالله باشا ارسل لهُ عسكر عثماني من عكا وحضروا الى سهل المزه والتزم درويش باشا يجمع عسكر وحصلت المحاربة بينهما وقتل من الجهتين وانتهبت المزّة والامير انتصر على عسكر الشام. وبوقتهِ حضر للشام مصطفى باشا والي حلب وصحبتهُ عسكر. (منهم) من يقول (ان) حضورهُ بامر سلطاني. ومنهم يقول درويش باشا كتب لهُ يحضر لمساعدتهِ

فبوصول مصطفى باشا للشام ارسلوا يطلبوا من الامير السبب الموجب لحضورهِ ان كان هو بامر سلطاني فيحضرهُ. ثم ان مصطفى باشا ارسل يحقق للامير اشغال

١) اي يقاومهم ويتعرّض لهم

(تغير) الدولة على عبدالله باشا وكلام نظير ذلك. فاستضاء الامير من هذه الاقوال وتحقق عنـــدهُ افتراء عبدالله باشا وان كلامهُ وافعالهُ زور وبهتان. فانغمّ غمًّا عظيماً وبالحال قام بالعسكر الى ارض حاصبيًا. وكتب الى عبدالله باشا كلاماً كثيرًا وان الذي عملتـــاه لهُ غوائل ردية. فهجع عبدالله باشا. اما الباشاوات اعرضوا للدولة بما توقع. فورد الجواب بالامر الصارم في محاصرة عكا وطرد عبدالله باشا منها. وارسل السلطان ابراهام باشا والي ادنه وتوجهوا الثلثة وزراء للبقاع ليتدبروا اولًا مع حاكم الجبل

فالامير تحسب منهم وتمسك في عبدالله باشا ولكن الشيخ بشير جنبلاط اظهر غرضهُ لناحية الوزراء. وصار يشور وينصح الامير بتركهِ عبدالله باشا وذلك بمكر منهُ لعلمهِ انهُ لم يكن ينصاغ (ينقاد) ولا يركن للمذكورين. فاظهر الزعل من الحكم وانهُ يطلع من البلاد. وكتب الى عبدالله باشا بما توقع. فطلبهُ يحضر عكا فما ارتضى الامير يرمي حالهُ بل انهُ يروح بيروت. فحالًا ارسل لهُ ذخيرة وافرة لبيروت وامر بتفريغ ابراج بيروت والسرايا ايضاً لاجلهِ. واما هو (فانهُ) ما حسن (166ء) عنده يدخل المدينة لتأكيدهِ ان اهل بيروت اظهروا غرضهم لدرويش باشا. بالظاهر امورهم ملمعه. فحضر للحرش واهل بيروت ارسلوا لهُ خيام وذخيرة. فاستقام خمسة ايام وبلغهُ ان الشيخ بشير جنبلاط نزل للبقاع يواجه الوزراء. وذهب صحبتهُ الامير عباس شهاب الذي بوصوله لبس خلعة من درويش باشا وجعلهُ حاكمًا بالجبل. والدولة ولّت درويش باشا في ولاية الشام وصيدا

فالامير حسن عندهُ التوجه لمصر. فاستأجر مركب من بيروت بواسطة رجل افرنجي سرًّا بخمسة وثلاثين كيس الى دمياط فقط. وحضر المركب لقرية الناعمة بالليل ونزل بهِ الامير ومن خدمه الذين اختارهم. ووصل دمياط ومنها لمصر وصار لهُ قبول من واليها

ثم ان الوزراء توجهوا الى عكا وعبدالله باشا سكّر البوابات واعتمد للمحاصرة. ومضى ايام واشتدّ البرد وابراهام باشا تشوش ومات. وسلمون اليهودي ارتعب من تهديد مصطفى باشا الذي كان مزمع يقتلهُ لولا خاطر درويش باشا لانهُ كان متصوّر في عقلهِ ان اصل هـذا الشر كله كان منهُ. وحذرهُ يوماً قدام درويش باشا فارتعب

وغمي عليه . فاخذوهُ الى خيمته فصار لهُ دور حمى صعب وفي رابع دور مات . ثم انهُ باقامة المرضى (المحاصرة) اياماً كثيرة على عكا ما ظهر ثمرة . وبعد ايام قليلة حضر امر من الدولة بعزل درويش باشا من ولاية الشام وصيدا ويتوجّه الى كوطاهيا وامر الى مصطفى باشا يقيم مكانهُ الى حضور امر ثاني . وهكذا قرت (هدأت) الامور . ثم وصل امر سلطاني بقيام الباشا المذكور ويكون وزيرًا بالشام . وعبدالله باشا جاء لهُ رضى وعفو ويبقى مكانهُ . وهذا صار من محمد علي باشا والي مصر بواسطة الامير بشير وانتهى الموكب على ولاش (ولا شيء) وما صار افادة الّا بفقد هلقدر عالم (عدد عظيم من الناس) بجرة (بسبب) هذا الشرّ قبل وبعد واخيرًا في موت سلمون منشئ هذه الامور . وايضاً طلعت في رأس درويش باشا

ثم ان (166) الامير من بعد مدّة قريبة حضر من مصر وطلع لعكا ثم للجبل وعزل الامير عباس وبغض الشيخ بشير للنهاية

ثم وفي مدة ولاية درويش باشا انكسرت شوكة الروم وبطركهم بسبب حادث الموره . فقدم المتغربون عرضحال لاجل حضورهم لاشغالهم مع قسوسهم . ولا بد نفد من الطايفة خدمة الوزير . فصدر لهم بيلردي بشرح مستطيل . والمضمون ان بطرك الروم ليس لهُ قارش معهم على الاطلاق ولا مع قسوسهم ولا يعترضهم اين ما ارادوا يتمموا امور ديانتهم . وتوجه لهم هذا البيلردي للجبل . فحالًا جمعوا الكهنة المرتبين بالشام وجاءوا بهم جملةً للشام باشتهار وعزازة . والروم مع بطركهم انقهروا جدًا وما استفادوا غير عمل الخطية واعطا جواب لله تعالى في ذلك الموقف العظيم . واستقام درويش باشا والي شام سنتين ومضى امرهُ وتولى الشام مصطفى باشا (لهُ بقيّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ ماردين

قضينا في ماردين خمسة عشر يوماً صرفناها بين الزيارات الرسميّة للسادة الاساقفة ولوجوه الطوائف والاقارب وبين مقابلة ادباء المدينة واستعراض آثارها

ماردين مدينة قديمة ذكرها الجغرافي اليوناني بطلميوس في القرن الثاني المسيح ثمَّ اميان مرقلان من مؤرخي القرن الرابع (في الكتاب الثامن عشر من تاريخهِ الفصل السادس. وفي الكتاب التاسع عشر من الفصل التاسع) وقد عدَّها هذا الاخير من اخصّ قلاع جبل الإزْل وهو الجبل المعروف عند الرومان بماسيوس (Massius) على عطفهِ الغربي والبعض يلحقونها بجبل قرج داغ من جبال ديار بكر (١ على عطفهِ الجنوبي

وكانت ماردين في الاصل حصناً اختاره كما هو المظنون ملوك الفرس لحفظ ثغورهم ثم صار الى الرومان فجعلوه من احصن قلاعهم واحرزها فاخذ اهل تلك البلاد يشيدون لهم الدور حولها ليحتموا بجماعها من هجمات العدوّ وفيها الى اليوم عدَّة آثار تدلّ على انَّ المدينة كانت مأهولة منذ القرن الرابع منها نقود ونقوش وفسيفساء ومدافن. ومن اقدم ابنيتها كنيسة مار جرجس للارمن الكاثوليك وكنيسة مار هرمز للكلدان وكلتاهما من طرز كنائس القرن الخامس او السادس في بلاد الجزيرة

ولمَّا دخل العرب ما بين النهرين كانت ماردين من جملة المدن التي فتحها صلحاً العياض بن غنم مع نصيبين ودارا وحصن كيفا وطور عبدين السنة ١٩ هـ (٦٤١ م)

وقد بقيت في حكم الخلفاء العبَّاسيّين الى اواخر القرن الخامس للهجرة حيث استولى عليها الملوك السلجوقيون وصارت بعد قليل في عهدة احد امرائهم المعروف بايل غازي وهو رأس الدولة الارتقيَّة سلاطين ماردين الذين تملكوها نيفاً وثلثمائة سنة فخلفهم عليها التركمان مدَّة الى ان فتحها آخرًا السلطان الغازي سليم الاوَّل سنة ١٥١٥

وقد ذكر ماردين كلّ جغرافيي العرب واطنبوا في وصف حرازتها. قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) : « ماردين قلعة مشهورة على قُنة جبل الجزيرة مشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع وقدَّامها ربض عظيم فيهِ اسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبُط وخانقاهات ودورهم فيها كالدرج كل دار فوق الاخرى وكلّ درب منها يشرف على ما تحتهُ من الدور ليس دون سطوحهم مانع ». وقال

١) هذا قولهُ الحرفي (Per Izalem montem inter castella præsidiaria duo Merida et Lorne (*Amm. Marcelin* XIX, 9)

ابن حوقل (ص ١٤٣) : « وبالقرب من نصيبين جبل ماردين ومن قرار الارض الى ذروته نحو من فرسخين وعليه قلعة تُعرف بالباز الاشهب في بلد الروم لا يُستطاع فتحها عنوةً ويجبل ماردين جوهر للزجاج جيد » . وروى القزويني لبعضهم قولهُ في وصف ماردين :

في ماردين حماها الله لي سكنٌ لولا الضرورةُ ما فارقتها نفسا
لاهلها السنٌ لانَّ الحديد لها وقلبهم جبلي قد قسا وعسا

امَّا اسمها فزعم كتبة العرب انَّهُ جمع « مارد » ثم روى صاحب معجم البلدان (٤ : ٣٩٠) انَّ مستحدث هذه المدينة بلغهُ قول الزبّاء « تمرَّد مارد وعزَّ الابلق » ورأى حصانة قلعتهِ وعظمها فقال « هذه ماردين كثيرة لا مارد واحد » وانَّما جمعهُ جمع من يعقل

غير انَّ هذا الرأي في اشتقاق اسم ماردين ضعيف واصل تسميتها « مَرْدة » كما ورد في اقدم النصوص اليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة وهي تُنسب الى المرد جيل من اجيال الفرس ذوي البطش كان الملوك يستدعونهم الى الدفاع عن الاماكن الحصينة لدربتهم على الحرب . ومعنى اسمهم « الرجال الاشدَّاء والصناديد » . ومنهم المردة الذين سكنوا قيليقية وحصَّنوا درب الدروب وعُرفوا هناك بالجراجمة وهم الذين وكل اليهم ايضاً ملوك الروم تحصين لبنان في وجوه العرب في عهد بني اميَّة (١ وقد جُمع الاسم على صورة الجمع السرياني فقيل « مَرْدين » او « ماردين »

والحقّ يقال ان ماردين كانت احسن مقام للدفاع عن ثغور بلاد الجزيرة وهي على اعطاف جبل عالٍ منقطع من ثلاث جهات فلا يُدخل اليها الَّا من مضايق ومعابر يسهل تمكين استحكاماتها في وجه العدوّ . وقد زادت الصناعة في عمل الطبيعة اذ شُيدت في قنَّة الجبل تلك القلعة المنيعة التي عجز عنها كثيرون من الابطال ومن جملتهم تيمورلنك الذي حاصرها زمناً طويلاً فلم يفلح في كسر شوكتها وذلك سنة ١٣٩٦ (انظر صورة هذه القلعة في المشرق ١٢ : ٥٩٢)

١) راجع ما كتبهُ حضرة الاب لامنس في المردة والجراجمة (المشرق ٦ : ٣٠١ و٤٠٤) ومقالات سيادة المطران الجليل يوسف دريان في الامر عينهِ

ولماردين مع حسن موقعها صفات قلّما تجتمع في مدن الشرق كنقاوة جوّها ورطوبة هوائها واعتدال مناخها وخصب ارضها العجيب وحولها الحدائق الغنّاء والبساتين الغزيرة الخيرات الوافرة الغلّات مع ضروب الفواكه الكثيرة الاجناس اللذيذة الطعم وقد شبّه سيّاح الفرنج محاسنها بمدينة كويتو عاصمة جمهوريّة خطّ الاستواء في اميركا

وقد دخلت النصرانيّة مدينة ماردين في قرون النصرانيّة الاولى وعلى الاقلّ بعد تنصُّر قسطنطين الكبير اذ عمَّت النصرانيّة تلك الانحاء ولا سيما جاراتها نصيبين وآمد ودارا. ويؤيد ذلك ما وجدوهُ بقرب القلعة من آثار الابنية القديمة المبنيّة بالحجارة البركانيّة بينها البروج المستديرة والدور المتينة. وذكر المسيو أينسورث (Ainsworth) انَّ بينها المعابد الواسعة ومقبرة كثيرة الدافن تُرى عليها الصلبان ومعابدها على هندسة معابد النصارى وكل ذلك يثبت رأي مؤرخي الارمن الذين يرتأون انَّ ماردين هي مَرْدَة القديمة التي ملكها طِرْدات الثاني المتولي على تلك الانحاء باسم الرومان في اواخر القرن الثالث وهو الذي نصَّرهُ القديس غريغوريوس المنوّر فتبعتهُ الرعيّة في نصرانيّتهِ (١

ثم كثر في جبل ماردين وملحقاتهِ عدد السيّاح والنسّاك والاديرة حتى دُعيت تلك الجهات بجبل القديسين او طور عابدين (او عبدين) وكان بعض هذه الاديرة يبلغ عدد رهبانهِ بضع مئات بل بضعة الوف كما تشهد عليهِ الآثار التاريخيّة وقد كتب حضرة الاب اسحاق ارملة في المشرق (١١ : ٧٦٠) مقالة حسنة في اديار ماردين تُحيل القرّاء اليها

على ان معالم الدين القويم قد طُمست نوعاً في ماردين لمّا جرت تلك المنازعات الدينيّة التي اوقعت قسماً كبيراً من اهل الجزيرة والعراق في بدعتي النساطرة واليعاقبة فاصبحت ماردين احد مراسح خصومات البدعتين. وكان اليعاقبة فيها على فرعين فرعٌ ارمني كان ينتمي الى عنصر الارمن وفرع وطني سرياني. وصار لليعاقبة السبق على

١) روى تارفان المؤرخ انَّ ارشك الخامس ملك العجم كان اتخذ قبائل من المردة الى جبال الجزيرة وانَّ ماردين باسمهم دُعيت . وكان هؤلاء القوم يدينون بدين المجوسيّة ثم تنصَّروا . اطلب ايضاً (Cuinet: *Turquie d'Asie*, II, 501)

النساطرة لاسيما لمّا ابتنوا دير الزعفران وجعلوه مركزاً لبطاركتهم منذ القرن السابع فصارت ماردين حصن اليعقوبيّة

وفي ذلك القرن السابع دخل الدين الاسلامي في ماردين فاسلم قسم من اهلها وكان بقي فيها بقايا من المجوسيّة ومن اشياع اليزيديين عبّدة الشيطان ولم تخلُ المدينة حتى اليوم من آثار هذه الاديان. واصدق ما نعرف من احصاء اهل ماردين انّ عددهم يبلغ ٤٠,٠٠٠ النصف منهم مسلمون والباقون نصارى وليس في ماردين اثر لليهود

واغلب هؤلاء النصارى في يومنا من الكاثوليك اذ لم يبقَ في ماردين من المبتدعين سوى ١٥٠٠ من اليعاقبة. امّا النساطرة فقد باد جنسهم منها. ولم تنل الكنيسة الرومانيّة بهذا الفوز الباهر الّا بعد الجهاد الطويل بعد ان كان اسم الكثلكة مجهولاً في ماردين

والفضل في هذا التغيير العظيم انّما هو عائد الى المرسلين اللاتين الذين منذ ثلاثة قرون افرغوا ما عندهم من وسائل الغيرة الرسوليّة فقصلوا عن بدعتي نسطور واوطيخا شعباً مختاراً اثاروه بنور الايمان وربطوه مع مركز الوحدة بروابط شديدة جدّدت روحهُ واثمرت كما في اوائل الكنيسة ثمار الخلاص والنعمة

وكانت ماردين بعد حلب احدى المدن التي اصابت سهماً افوز من هذه النهضة الدينيّة. ولعلّ اوّل من دخلها من المرسلين الآباء اليسوعيون سنة ١٦٨٢ وهم الابوان ميشال نو (M. Nau) ورينه بيليون (René Pillon) والاخ المساعد هيلار فاستأجروا في ماردين بيتاً واخذوا يرشدون النصارى فاجتمع اليهم كثيرون طلبوا الانضمام الى الكنيسة الرومانيّة. وكان الاب نو يتعاطى الطبّ فيقصده المرضى من كل صوب. الّا انّ اليعاقبة اثاروا على المرسلين اهل نحلتهم ورشوا عمّال الدولة فألقوا المرسلين بالحبس واذاقوهم ضروب العذابات فلم ينجوا منها الّا بعد غرامة طائلة واضطروا الى ان يخرجوا من ماردين ويعودوا الى حلب

ثم قدم بعد ذلك الى ماردين الكبوشيون والكرمليون في القرن الثامن عشر وردُّوا اكثر نساطرة ماردين بمساعدة البطاركة الكلدان الكاثوليك اليوسفيين الذين في ديار بكر (١. وكذلك سعى هؤلاء المرسلون بردّ يعاقبة ماردين (٢ وارمنها

١) راجع تاريخ هؤلاء البطاركة في المشرق (٣: ٨٧٨-٨٨٢) ٢) راجع في

الغريغوريين مع بعض تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومية كالسيد ملكون طاز باز والسيد اندراوس اخيجان اوّل بطاركة السريان الكاثوليك (١

وبقي هؤلاء المرسلون في جهاد متواصل حتى اواخر القرن الثامن عشر ثم عادوا في القرن التاسع عشر واستأنفوا رسالتهم لكن الكرمليين انضمّوا بعد ذلك الى اخوتهم في رسالة بغداد وبقيت ماردين مركزًا للرسالة الكبوشيّة وحدها وكان يرأسها قصّاد رسوليّون من الرهبانيّة عينها اوّلهم السيد نقولا كستلس (Nic. Castells) الاسباني الذي سعى مع الاب ريون في ردّ اليعاقبة والارمن فبارك الله مساعيهُ برجوع معظم ارمن ماردين الى الكثلكة وارتداد كثير من اليعاقبة. وكانت وفاتهُ في ماردين في ٧ ايلول سنة ١٨٧٣. وفي السنة ذاتها في ٤ تشرين الثاني توفي خلفهُ في القصادة الرسوليّة السيد زكريّا فانشيولي (Zach. Fanciulli)

واتفقت هذه الحركة مع اهتداء ذاك البطل المقدام السيد انطون سمحيري الشهير الذي نبذ الشيعة اليعقوبيّة وتكثلك وتمين بطريركًا على الطائفة السريانيّة واجتذب عددًا عديدًا من مشايعيهِ الى الاحتذاء بمثلهِ. وكانت وفاتهُ برائحة القداسة سنة ١٨٦٤

فكانت نتيجة غيرة كل هؤلاء ان ماردين لم يبق فيها في عهدنا لا نسطوري ولا ارمني غريغوري الّا ١٥٠٠ يعقوبي كما مرّ. وفي المدينة ثلاثة رؤساء اساقفة ارمني وسرياني وكلداني وهناك كرسي بطاركة السريان كما قرّرهُ المجمع المقدّس واثبتهُ مجمع الشرفة

امّا الكبوشيون فلا يزالون مع قلّتهم يجدّون في خدمة نصارى ماردين وتهذيب احداثها ومعالجة مرضاها مع رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة. وبهمّتهم قدمت راهبات فرنسويات منتميات الى رهبانيّة مار فرنسيس السنة ١٨٨٢ ففتحن المدارس للاناث وازدحمت عندهن الفتيات على اختلاف مللهنّ

المشرق قصّة اهتداء اهل ماردين اليعاقبة التي رواها الشمّاس ايليّا بن الكزبر (في المشرق السنة ١٩٠٩ ص ٥٨٩ الخ)

١) راجع تاريخي الكنيسة السريانية لسادة رئيس اساقفة حلب على السريان السيد ديونوسيوس افرام تقّاشه وللفيكنت فيليب طرّازي

وكان يدبّر الرسالة الكبوشيّة يوم مرورنا في ماردين حضرة الاب دانيال دي مُنوبُلو (Daniel de Menopolo) وهو لا يزال في تدبيرها حتى الآن . ومن فضله على نصارى ماردين انّهُ بعد خروجنا منها بأيّام اذ تهدّدتهم قبائل الاكراد بالنهب والقتل كما جرى في ديار بكر التجأ الى ابراهيم باشا ودعاه الى الدفاع عن المظلومين ففعل وردّ الاكراد عن ماردين . وفتح الاب دانيال ديرهُ للهاربين من تل ارمن والضياع المجاورة وآوى منهم ألفين بنيّف . فشكرت فرنسة للمرسل همّتهُ ومنحت على يده نوطاً ذهبيًّا لابراهيم باشا

رأيت في وصف الكتبة لماردين انهم يذكرون مدارسها . وما لا يُنكر انّ تلك المدينة في عهد الدولة الارتقيّة بلغت بعض الشهرة بآدابها ومعارفها . وقد اشتهر فيها علماء كالسبط المارديني الواسع التآليف في علوم الهيئة والهندسة والفرائض توفي سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ م) . واشتهر الشاعر ابن مشرف المارديني وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة فريدة من ديوانهِ . توفي في اواسط القرن التاسع للهجرة . وفي ماردين اشتهر صفي الدين الحلي في اواخر القرن السابع واوائل الثامن فمدح سلاطين ماردين وافاض في وصف محاسن حاضرتهم فمّا قال :

حبّذا ارضُ ماردين وبرّ ... م الظلّ فيها ومارها وهواها
بلدةٌ تنبتُ الكرام فلا ... م ذُقتُ فنامٍ ولا عدمتُ فناها
فهي ارضٌ ان لم تكن هي ذاتُ ... م النفس مني فانّها مشتهاها
جمعتْ سائر المُنى فلهذا ... م ما اتاها ذو الحلم الّا وتاها
كم رأينا لها وفيها ومنها ... م صورًا تُسفك الدماء دِماها
لو تمكّنتُ ان افضّي بها ... م العمر جميعاً لما سكنتُ سواها

وهو القائل : لئن وهي يغذُ السحاب الشين ... فلا عدا رَبْعَكِ يا ماردينْ
مدينةٌ لم ترَ في جوّها ... جَورًا ولا في اهلها ماردينْ
كم شاهدت عيناي من اهلها ... اظهار معروفٍ واضمارَ دينْ
افاضلٌ في غيّهم ما رَدَوْا ... ونسوةٌ في مثلهِ ما رَدِينْ

وكان سبق الاخطل (ص ٢٠٩) فوصف ماردين بشعرهِ الجميل :

رأوا ثغرًا تُحيط بهِ المنايا ... وأكبدَ ما ينيرهُ النيارُ
تسامي ماردونَ بهِ الثريّا ... وأيدي الناس دونهُ قصارُ

ومع ما حلّ بماردين من خمول المعارف لا يزال بين اهلها شي من مسحة الآداب فاجتمعنا بمن اشاروا الينا بتقدُّمهم في الدروس فلقينا عندهم من اللطف والمجاملة ما زادنا لاشخاصهم اعتباراً. على انَّ المسلمين في الغالب لم يحرزوا من العلوم الّا قليلاً من الصرف والنحو وبعض العلوم الدينيَّة لاسيما الفقه وكذلك النصارى لم يزيدوا شيئاً على مبادئ العلوم لخلو ماردين من المدارس العصريَّة المحكمة. لكنَّ بعض ارباب الاكليروس الماردينيّ الذين تخرَّجوا في مدارس بيروت وغزير والشرفة ناشرون في وطنهم معالم الآداب جامعون بين الفضائل الكهنوتيَّة والمعارف البشريَّة. وقد فتح المرسلون الاميركيون مدارس في ماردين يبثون فيها مذهبهم البروتستانتي اكثر منهم للعلوم ولذلك يأخذ الاهلون حذرهم منهم. ومعظم طلبتهم من اليعاقبة

وقد اطّلعنا في ماردين على ما تحوزهُ بعض المكاتب من المآثر الادبيَّة ففي كنيسة الكلدان مكتبة قديمة تحتوي بضع مئات من الكتب الكلدانيَّة والعربيَّة منها بعض الاناجيل راقية الى ما وراء القرن العاشر وكتب طقسيَّة فيها النقوش البديعة والتصاوير ومنها تآليف لمشاهير كتبة السريان كالقديس افرام ومار يعقوب وغريغوريوس بن العبري ومنقولات عن الآباء اليونان. ووجدنا السيد ايليا ميلوس وهو اذ ذاك رئيس اساقفة ماردين على الكلدان مغرماً بهذه التآليف القديمة وقد نشر شيئاً منها بالطبع

وفي هذه المكتبة وُجدت الترجمة الكلدانية لكتاب كليلة ودمنة السابقة لتعريب ابن المقفع بنحو ثلاثمائة سنة فنشرها في المانية العلاَّمة بيكل (Bickell)

وكذلك عند السريان الكاثوليك والارمن بعض المخطوطات السريانيَّة والعربيَّة التي تستحقّ الذكر واكثرها لكتبة نصارى من مرسلين اوربيين ورهبان وطنيين ولم يخب رجاؤنا مما كنّا نؤملهُ من اقتناء بعض تلك الآثار

واذ كان بلغنا سابقاً انَّ في دير الزعفران مكتبة مهمَّة عوَّلنا على زيارتها بصحبة حضرة الخوري هرمز نورسو الكلداني واحد تلامذة كليَّتنا في بيروت الذي قام بخدمتنا ما امكنهُ مدَّة اقامتنا في ماردين. فركبنا الجياد في ١٢ من شهر تشرين الاوَّل وسرنا الى ذلك الدير الشهير فقطعنا بعض بساتين ماردين فبلغنا قرية « قلعة مرا » التي يعتبرها اليعاقبة كاحدى امهات شيعتهم ولم نلبث حتى وصلنا بعد ساعة الى دير

الزعفران وهو لا يبعد عن ماردين اكثر من ثمانية كيلومترات. وهذا الدير عبارة عن ابنية ضخمة متراكمة يحدق به سور كحصن. ووراء السور دهاليز معقودة يُدخل منها الى الدير. واقدم ما فيه كنيستهُ المبنيَّة على طرز كنائس القرون الوسطى بهندسة بسيطة الّا انها موافقة لعبادة الرهبان وفرائضهم. وقد روى ابن العبري في تاريخه الكنسي طبعة لامي (Greg. Barhebræi Chronic. Eccles L. 338) انهُ كان قرب ماردين حصن مبني بالحجارة المنحوتة منذ عهد الرومانيين فاشتراه حنانيا مطران اليعاقبة وجعلهُ ديراً وغرس فيه كرماً وزيتوناً وشيَّد فيه كنيسة ومذبحاً واجتمع اليه رهبان كثيرون فعُرف هذا الدير بدير حنانيا وهو دير الزعفران

وهذا الدير في أيامنا يسكنهُ نحو عشرة رهبان وفيه منذ عدَّة قرون مقام بطاركة اليعاقبة. وكان البطريرك لمَّا زرناه هو المسمَّى عبد المسيح. فطلبنا مواجهتهُ واستقبلنا في قاعة كبيرة هي الديوان فبعد ان دار الحديث بيننا قليلاً طلبنا اليه ان يرخص لنا بزيارة المكتبة فكان جوابهُ انَّ المكتبة ليست منظمة وليس فيها شيء يستحق الذكر فاردفنا بأنَّا لا نريد الّا الاطلاع على مضامينها مهما كانت والححنا عليه بالطلب فلم يمكنَّا اقناعهُ. وممَّا اخبر الرحَّالة ساخو (Dr Ed. Sachau) انهُ في سنة ١٨٧٩ زار دير الزعفران في أيام البطريرك بطرس وانَّهُ وجد في مكتبته نحو عشرين كتاباً النصف منها مكتوب على الرق وبعضها يرتقي الى القرن العاشر او التاسع. ثمَّ قال « بانني ان مكتبة الدير نُقلت الى ديار بكر والله اعلم » . فودعنا البطريرك غير مثنين على كرمه بل صرَّحنا لهُ بأنَّنا اذا كتبنا يوماً تاريخ رحلتنا سوف نذكر ردَّهُ ملتمسنا

ومن غريب ما جرى للبطريرك المذكور انهُ سافر بعد ذلك الى الاستانة نحو السنة ١٩٠٥ فمرَّ في بيروت واتى الى كليَّتنا ليزورها فرحَّبت به ورافقتهُ في زيارة معاهد مدرستنا وادخلتهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ثم ذكَّرتهُ كيف اقفل دوننا مكتبة دير الزعفران فاعتذر الينا ووعدنا انهُ لا يبخل علينا مرَّة اخرى بمطالعتها. لكنهُ لم يمرَّ عليه بضعة اشهر حتى عُزل عن البطريركيَّة بامر السلطان عبد الحميد (لهُ تابع)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيّة بين عرب شمالي سورية (تابع)

ونختم هذا الفصل بأثر جميل وُجد في بعض مخطوطات لندن السريانيّة التي وصفها العلّامة رَيت في قائمة المتحف البريطاني تحت العدد ٧٥٤ وهو مجموع رسائل قديمة راقية الى اواخر القرن السادس المسيح من جملتها رسالة مضمونها دستور الايمان كتبها رؤساء اديرة اقليم البلاد العربيّة (ڤمصه وسمّالا وأوڤمّل) ووجّهوها الى يعقوب البراذعيّ ليرذلوا فيها بدعة يحيى النحويّ في تثليث الجوهر الالهيّ (Trithéistes) وذلك بين السنتين ٥٧٠ و٥٧٨ وهذه الرسالة قد نشرها المنسنيور لامي (Mgr Lamy) رئيس كليّة لوفان في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٨ (ص ١١٨—١٣٨) وهي موقعة بامضاء ١٣٧ رئيساً على ١٣٧ ديراً موقعها كلّها في اقليم العربية الممتدّ شرقي بلاد الشام الى جهات الفرات (١. فناهيك بهذا العدد العديد شاهداً جليلاً على انتشار النصرانيّة بين عرب الشام وسوريّة. على انّ هؤلاء العرب كانوا جنحوا الى البدعة اليعقوبيّة كما ترى. وأيّد ذلك ابن العبريّ في تاريخه الكنسيّ حيث قال (ج ١ ص ٢١٧): «انّ كلّ قبائل العرب التي كانت في البادية (يريد بادية الشام والفرات) كانوا معارضين للمجمع الخلقيدوني ولا يرضون بمشاركة الخلقيدونيين». فهذا القول مع ما فيه من المبالغة لا يخلو من الصحّة. وعلى كلّ حال يثبت قولنا في شمول النصرانيّة لعرب بلاد الشام والفرات الى حدود العراق

١) اطلب مقالة العلّامة نولدك في بحثه الجغرافي عن مواقع هذه الاديرة في المجلة الاسيويّة الالمانية (ZDMG,XXIX, 419-444)

والمستشرقون في عهدنا يرتأون هذا الرأي. قال الهولندي دوزي (B. Dozy) في مقدّمات كتابه عن الاسلام. الترجمة الفرنسويّة لشوفان (V. Chauvin, p. 13) « كان عرب سوريّة يدينون بالنصرانيّة » (Les Arabes de Syrie professaient le Christianisme) ويشاركهُ في هذا الرأي غيرهُ من العلماء كنولدك وغولدتسير (J. Goldziher) ولونرمان (Lenormand) بل كل من لهُ بعض المام بتاريخ العرب في الجاهليّة

الفصل العاشر
النصرانية في الحجاز ونجد

تتبّعنا كما رأيت آثار النصرانيّة في اطراف بلاد العرب على كل جوانبها فلم يبق علينا الّا ذكر اواسطها لنرى ما كان للدين المسيحي من التأثير في القبائل الساكنة في الحجاز ونجد وبذلك تتمّ ابحاثنا عن تاريخ النصرانيّة في كل انحاء جزيرة العرب

والحجاز على مقتضى تعريف العرب جبل ممتدّ من تخوم صنعاء في اليمن الى تخوم الشام من جنوب جزيرة العرب الشرقي الى شمالها الغربي وقد دُعي حجازاً لانهُ يحجز غور تهامة على سواحل خليج العرب عن بلاد نجد في اواسط الجزيرة . ويُدعى الحجاز ايضاً بجبل السَّراة وهو اعظم جبال العرب وفيهِ اشهر مدنهم اي مكة والمدينة وتدخل فيهِ دومة الجندل حتى أيلة على بحر القلزم التي نعتها ياقوت بآخر بلاد الحجاز

فتلك البلاد كانت قديماً عريقة في الوثنيّة ولاسيما في عبادة قوّات الطبيعة واخصّها النيّران العظيمان الشمس والقمر ثم الزُّهرة. على انَّ دُعاة الدين المسيحي لم يحجموا عن دعوة اهلها الى النصرانيّة كما تشهد عليهِ شواهد ثابتة نقلها قدماء الكتبة من يونان وسريان وعرب. وقد اثبتنا سابقاً شهادة ابن خلدون (ج ٢ ص ١٥٠ من تاريخهِ) في بعثة الرسول برتلماوس « الى ارض العرب والحجاز ». وسبقهُ الى مثل ذلك الطبري في تاريخهِ (طبعة ليدن ج ١ ص ٧٣٨) حيث قال: « وكان ممن توجّه من الحواريين... ابن تلما (اي برتلماوس) الى العربيّة وهي ارض الحجاز » وكذلك ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ١٧٢ ed. Wüstenfeld,):

« وبُعث من الحواريين . . . ابن تلما الى الاعرابيَّة وهي ارض الحجاز » . وجاء في ترجمة القديس يعقوب اسقف اورشليم (ص ١٧) انَّهُ « نصَّر ارض فلسطين وما يليها من ناحية حمص وقينارية والسامرة وبادية الحجاز »

ثم في تاريخ الطبري قصة ظريفة عن رسول السيد المسيح الى العرب نرويها بحرفها دون القطع بصحتها قال (١ : ٧٣٨ — ٧٣٩) :

حدَّثنا ابن حميد . . . عن ابي سُليم الانصاري ثم الزُرَقي قال : كان على امرأة منَّا نذر لتظهرنَّ على رأس الجبَّاء جبل بالعقيق من ناحية المدينة (قال) فظهرتُ معها حتى اذا استوينا على رأس الجبل اذا قبر عظيم عليهِ حجران عظيمان حجر عند رأسهِ وحجر عند رجليهِ فيهما كتاب بالمسند لا ادري ما هو . فاحتملتُ الحجرين معي حتى اذا كنت ببعض الجبل منهبطًا ثقلا عليَّ فألقيتُ احدهما وهبطتُ بالآخر فعرضتُهُ على اهل الدريانيَّة هل يعرفون كتابتهُ فلم يعرفوهُ . وعرضتهُ على من يكتب بالزبور (اي العبرانية) من اهل اليمن ومن يكتب بالمُسْنَد فلم يعرفوهُ . فلمَّا لم اجد احدًا ممَّن يعرفهُ القيتهُ تحت تابوت لنا فمكث سنين . ثم دخل علينا ناس من اهل ماه من الفرس يبتغون (ويروى : يبيعون) الحرز فقلتُ لهم : هل لكم من كتاب . فقالوا : نعم . فاخرجتُ اليهم الحجر فاذا هم يقرأونهُ فاذا هو بكتابهم : « هذا قبرُ رسول الله عيسى بن مريم عليهِ السلام الى اهل هذه البلاد » . فاذا هم كانوا اهلها في ذلك الزمان مات عندهم فدفنوهُ على رأس الجبل

فهذه شهادة جليلة تشير الى مجيء احد رُسل السيد المسيح الى الحجاز قريباً من المدينة . ومن عجيب امر كاتبها انهُ يعتبر كالنصارى « عيسى بن مريم » كاله اذ قرينة الكتابة تبين انَّ الرسول المذكور ليس هو عيسى بل هو مرسل من « الله عيسى »

﴿ ايلة ﴾ كما مرَّ في طرف الحجاز من جهة الغرب كان اهلها قبل الاسلام نصارى ويهودًا . ولا يبعد ان النصرانيَّة دخلت فيها بعد المسيح بزمن قليل لقربها من بلاد الشام وفلسطين . وما لا يُنكر ان صاحبها كان نصرانيًا لمَّا ظهر رسول العرب واسمهُ يوحنا بن روبة صالحهُ نبيّ الاسلام على جزية كانت تبلغ ٣٠٠ دينار . وفي كتاب وفادات العرب على محمَّد لابن سعد (ed. Wellhausen, *Skizze*. IV, ٢٧) ما حرفهُ :

«قال وقدم يحنه بن روبة على النبي وكان ملك ايلة . . . واقبل ومعهُ اهل جرباء واذرح . فاتوهُ فصالحهم وقاطع عليهم جزية معلومة . . . اخبر عبد الرحمن بن جابر عن ابيهِ قال : رأيتُ على يحنه بن روبة يوم أتى النبيَّ صليباً من ذهب وهو معقود الناصية فلمَّا رأى رسول الله كفَّر واومأ برأسهِ فاومأ اليهِ النبيّ أن ارفع رأسك وصالحهُ يومئذٍ وكساهُ رسول الله بُرد يمنة . . »

﴿ دومة الجَندل ﴾ حصن كان بين المدينة ودمشق على سبع مراحل من دمشق كان مبنيًا بالجندل اي الصخر وكان حولهُ مدينة واسعة يحيط بها سور. وكان صاحب دومة الجندل أُكيدر الملك ابن عبد الملك السكوني. وكانت دومة الجندل عند ظهور نبيّ الاسلام كلها نصرانيَّة عليها اسقف تابع لمدينة دمشق كما ورد في كتاب « مدينة الله انطاكية » من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة. وكان ملكها أُكيدر نصرانيًا فبعث اليهِ محمد رسول الاسلام خالد بن الوليد في ربيع الاوَّل من السنة الخامسة للهجرة (٦٢٦ م) فاسرهُ

قال ابن سَعد في كتاب وفادات العرب (ص٢٧) بعد ذكرهِ يحنَّه بن روبة صاحب أَيلة: « قال ورأيت أُكيدر حين قدم بهِ خالد وعليهِ صليب من ذهب وعليهِ الديباج ظاهرًا ». وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٦٢٦) انَّ خالدًا حاربهُ السنة تسع للهجرة وافتتح دومة الجندل عنوة وقتل اخاه حسَّان. قال: « ثم انَّ النبيّ صالح اكيدر على دومة وامَّنهُ وقرَّر عليهِ وعلى اهلهِ الجزية وكان نصرانيًا . . . ». وفي فتوح البلدان للبلاذريّ (ص ٦١—٦٣) انَّهُ أَسلم ثم ارتدَّ بعد وفاة محمَّد فاجلاه عُمر من دومة الجندل فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى بهِ منازل سمَّاها دُومة باسم حصنهِ فغزاها خالد سنة ١٢ للهجرة وقتل اكيدر

اما اهل دومة الجندل فكانوا من بني السكون وهم فرع من بني كندة وكانوا نصارى كما ورد في سيرة الرسول لابن هشام. وكذلك كان يسكن دومة الجندل قوم من بني كلب الذين سبق بيان نصرانيتهم (١

﴿ وادي القرى ﴾ هو وادٍ بين الشام والمدينة يُعدّ من الحجاز ومنهُ كانت دومة الجندل ودُعي هذا الوادي بوادي القرى لكثرة القرى الواقعة فيهِ لوفرة مياههِ وخصبهِ منها الحِجر وكان اليهود يسكنون هذا الوادي اوَّلًا ثم نزلتهُ قضاعة وهي من اثبت القبائل في النصرانيَّة ومنهم بنو سليح الذين ذكر المؤرخون تنصُّرهم

١) اطلب تاريخ العرب في الجاهليَّة لكوسان دي برسفال (Caussin de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 214, II, 232,265)

في الشام (١ وفي وادي القرى كان يسكن قوم من الرهبان ذكرهم شعراء العرب قال جعفر بن سراقة (الاغاني ٧ : ١٦١) :

وغن منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرة اذ تَلقى جودًا وبَعثرا
منعناهُ من عُليا معدّ وانتمُ سفاسيفُ روح بين قرحٍ وخيبرا
فريقان رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

﴿ تيماء ﴾ هي بلدة في الحجاز بين الشام ووادي القرى وفيها كان الاباق حصن السموأل . والشائع انَّ السموأل كان يهوديًا الّا انّنا لمّا طبعنا لاوّل مرّة ديوانهُ اتينا في المقدّمة ببعض الشواهد المثبتة نصرانيتهُ (٢ كاصلهُ الغسّاني وكذكرهِ في شعرهِ على بعض تلامذة المسيح بل تصريحهِ باسم السيد المسيح في قصيدة لاميّة وجدت في الموصل حيث يقول

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلام التكامل

ولعلّ الصواب انّهُ كان من احدى الشيع اليهوديّة المتنصّرة (Judéo-chrétien)

﴿ تبوك ﴾ مكان حصين بين وادي القرى والشام على اربع مراحل من الحجر كان بهِ عين ونخلٌ . ملكهُ المسلمون سنة ٩ للهجرة بعد ان حاربوا فيهِ الروم ومعهم نصارى العرب من عاملة ولخم وجذام . وكان اهل تبوك من نصارى قضاعة قال ابن خلدون نقلًا عن ابن سعيد (٢ : ٢٤٩) : « وكان لقضاعة ملكٌ آخر في كلب ابن وَبَرة بن تغلب يتداولونهُ مع السُّكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتَبُوك ودخلوا في دين النصرانيّة » ثم ذكر مهاجرة كلب بعد الاسلام فقال : « وبقيت بنو كلب في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيّة منهم مُسلمون ومنهم متنصّرون » (لهُ بقيّة)

---

١) في التاريخ المذكور (Id. I, 212, 231)

٢) راجع المشرق السنة ١٢ (١٩٠٩ ص ١٦٣)

مطبوعات شرقية جديدة

Das Steinbuch des Aristoteles, herausg. u. übersetzt von Dr Julius Ruska, *Heidelberg, Carl Winter's Universitaetsbuchhandlung*, 1912, VI-208

كتاب الاحجار لارسطاطاليس

في خزانة مخطوطات باريس العربيَّة كتاب موسوم بالعدد ٢٧٧٢ عنوانهُ «كتاب الاحجار لارسطاطاليس ترجمهُ لوقا بن سرابيون» فهذا الاثر لم يُعِرهُ المستشرقون حتى يومنا بالًا اذ تحقَّقوا ان نسبتهُ الى ارسطو غير ثبتة مع ما يُعرَف من امر هذا الكتاب المفقود. غير انَّ احد اساتذة كليَّة هيدلبرغ الدكتور «يوليوس روسكا» رأى في نشر هذا الاثر افادة اوَّلًا لقدمهِ لانَّ ترجمتهُ هذه العربيَّة راقية الى القرون الوسطى. وثانياً لما يمكن استفادتهُ من هذا الكتاب لمعرفة الآراء التي كان يتناقلها القدماء عن ارسطو وعن كتبهِ المفقودة. وثالثاً لبيان ما يوجد من العلاقة بين هذا الكتاب والكتب التي ألَّفها العرب في الاحجار. وقد ذكر جناب ناشره (ص٢٣) كتاب التيفاشي المدعو كتاب ازهار الافكار في خواصّ جواهر الحجار وكتاب جواهر نامه الفارسيّ (ص٣١) وكان يمكنهُ ان يذكر كتاباً آخر نشرناهُ في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١: ٧٥١—٧٦٥) وهو «نخب الذخائر في احوال الجواهر لابن الاكفانيّ» ثم عاد فنشرهُ في العام التالي صاحب مجلَّة المقتبس (السنة الرابعة ص٣٧٧—٣٨٨) وعلَّق عليهِ بعض التعليقات جناب اسكندر افندي عيسى معلوف (ص٥٨٢ و ٦٤١). ولم يخدم الدكتور روسكا العلمَ بنشره لهذا الاثر فقط بعد مقابلتهِ على نسخ أُخرى بل نقلهُ ايضاً الى الالمانيَّة وروى ترجمتهُ الى اللاتينية وجدها في جملة مخطوطات ليدن. واضاف اليه عدَّة ابحاث في كتب قدماء اليونان عن الاحجار الكريمة كتاوفرستوس وديوسقوريدس وغيرهما وفي انتشار علم الحجارة بين العرب والعجم. وخصَّ بالذكر ما ورد من ذلك في كتاب اخوان الصفا وفي كتاب آثار المخلوقات للقزوينيّ. فترى من هذا النظر كيف علماء اوربَّا لا يباشرون بحثاً الَّا استوفوا كلَّ اقسامهِ اثابهم الله

ل. ش

Essai de Bibliographie pour servir à l'Histoire de l'Empire Ottoman par MM. G. Auboyneau et A. Fevret, Fasc. I., Religion, Mœurs et Coutumes, *Paris, Leroux*, 1912, p. 84

تعريف المطبوعات الخاصة بالتاريخ العثماني

انَّ دروس الشرق العثمانيّ مع اتساعها وكثرة مطبوعاتها اصبحت واسعة المجال حتى يضيع فيها ارباب البحث فتسهيلًا للتفتيش باشر رجلان افرنسيّان بنشر مكتبة شرقيَّة تحتوي اخصّ المنشورات في تاريخ الدولة العثمانيَّة . والقسم الذي نجز من ذلك يحتوي وصف ٧٠٦ كتُب ظهرت منذ اكتشاف فنّ الطباعة في الشرق والغرب في الاديان والاخلاق والعادات الشائعة في الشرق العثماني . فنحضّ كلّ من يريد الالمام بتاريخ الدولة العثمانيَّة على اقتناء هذا المجموع المفيد

The Conference of Orientalists including Museums and Archaeology Conference, held at Simla July 1911. *Simla, Government Central Branch Press*, 1911, p. 146

مؤتمر المستشرقين في سملا

في تموز من السنة الماضية دعت الحكومة الهنديَّة عمدة علمائها المستشرقين ليتباحثوا في مدينة سملا بامور الدروس الشرقيَّة فدارت الابحاث على كل ما يتوط بالمدارس ودرس اللغات الشرقيَّة وتحسينها وترقيتها واصلاح ما اندسّ اليها من الخلل ونشر آثارها النفيسة وتجهيز المتاحف الخاصة والمطابع في انحاء الهند . وكان للعربيَّة قسم طيب في هذه الابحاث ما يدلّ على مقامها في تلك الجهات . واعمال هذا المؤتمر مع تفاصيل مذاكراته قد جُمعت في كتاب خاص تلطّفت الحكومة الهنديَّة واتحفتنا بنسخة منهُ فنشكر لها فضلها

ل . ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES. VOL XVIII. Histoire des Mongols de Fadlallah Rachid ed-Din éditée par E. Blochet, *Leyden, E. J. Brill*, 1911, LXXII-617

كتاب جامع التواريخ تأليف رشيد فضل الله الهمذاني

كان متولي طبع هذا التاريخ الجليل جناب المستشرق « بلوشه » قدَّم عليهِ مجلداً ضخماً كتمهيد لنشر متنهِ وصفناه قبل سنتين (المشرق ١٣ : ٥٥٠) وها هوذا اليوم قد انجز القسم الثاني منهُ الذي يحتوي اخبار امراء المغول خلفاء جينكيز خان مباشرةً

بابنهِ اوكتاي قاآن ثم چوچي خان ثمَّ چغتاي خان ثمَّ تولوي خان الى قوبيلاي قاآن وحفيدهِ تيمور فوصف تملكهم على تركستان والخطا وجهات الصين حتى خان بالق وهي پاكين. وقد ذيَّل المسيو بلوشه كل صفحة من صفحات هذا التاريخ بملحوظات وافية تدلّ على علم واسع. وفي الكتاب ١٦ صورة منقولة عن رسوم جميلة زاهية الالوان. ولهُ ايضاً في آخر الكتاب ملحق اصلح فيهِ بعض آرائهِ السابقة اوردها في الجزء الاوَّل. وخلاصة القول قد جاء هذا الاثر اهلًا بمنشورات جمعيَّة جيب التي اثنينا عليها غير مرَّة ل. ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES: VI, DICTIONARY OF LEARNED MEN OF YAKUT edited by D. S. Margoliouth, D. L., vol. V, 1911, p. XII-520

ارشاد الاديب المعروف بمعجم الادباء لياقوت الرومي (الجزء الخامس)

عرف القرَّاء من اوصافنا السابقة ما في نشر هذا الكتاب النفيس من الفوائد لعظم مقام مؤلفهِ ولكثرة ما يتضمنهُ من تراجم الأدباء الواسعة وفي كل ترجمة من النكت والاخبار ما يعزّ وجودهُ في تراجم كاتب آخر. وهذا الجزء الخامس يشتمل سير الأدباء الذين اسماؤهم داخلة في حرف العين نخصّ منهم بالذكر عثمان بن الجنّي النحوي الشهير (١٥—٣٢) وعليّ ابن احمد بن حزم « صاحب الفيصل بين اهل الآراء والنحل » (٨٦—٩٧). وعلي بن احمد الواحدي شارح المتنبي (٩٧ — ١٠٢) وعلي بن الحسن بن عساكر صاحب تاريخ دمشق (١٣٩ — ١٤٦) وابا الفرج علي ابن الحسين الاصفهاني مؤلف كتاب الاغاني (١٤٩ — ١٦٨) وعلي بن حمزة الكسائي اللغوي (١٨٢—٢٠٠) وابا الفتح علي بن محمد الشهير بابن العميد (٣٤٧— ٣٧٥) وغيرهم. والكتاب مطبوع بحرف مشرق قابلهُ جناب الدكتور مرجليوت على نسختي اوكسفرد وبياي فاحسن ضبطهُ ل. ش

A. Boppe: Journal et Correspondance de GÉDOYN, CONSUL DE FRANCE A ALEP. (1623-1625) *Paris, Plon-Nourrit*, 1901, XXVIII-232 pp.

جذوان قنصل فرنسة في حلب (١٦٢٣ — ١٦٢٥) ومراسلاتهُ

المسيو بوپ سياسيّ محنك قدَّرت الحكومة الافرنسيَّة قدرهُ فاقامتهُ منذ سنين

مساعدًا لسفيرها في الاستانة وهو ايضاً مؤرخ ممتاز خصَّص دروسهُ في الآثار الباقية من اخبار شرقنا لا سيما تاريخ السفارات لدى الدولة العليَّة والقنصليَّات في سوريَّة. وهذا الكتاب الذي نصفهُ للقرَّاء هو مجموعة مذكَّرات ورسائل كتبها احد قناصل فرنسة الاولين في حلب يُدعى جدوان (Gédoyn) من سنة ١٦٢٣ الى سنة ١٦٢٥ ولم يكن عندئذٍ للافرنسيين سوى اربع قنصليَّات في هذه الاطراف وهي قنصليَّة الاسكندريَّة وازمير وصيدا وحلب. ويلحق بحلب نوَّاب او قيس قناصل في الاسكندرونة وطرابلس وقبرس. ولم يقم جدوان في حلب الَّا مدَّة قصيرة ومن ثمَّ كانت اكثر الآثار المذكورة سابقة لبلوغهِ مقرَّهُ او لاحقة. امَّا ما يعلمنا عن احوال حلب فمفيد لندور الصكوك التاريخيَّة في تلك السنوات. فنشكر لسعادة المسيو بوب اثره ونثني على معارفهِ ا. ر

PREMIÈRES LEÇONS DE CATÉCHISME par l'Abbé Davot, *Paris, Bloud et Cie*, 1911, in-32. pp. 73

الدروس الاولى للتعليم المسيحي

نعم الكتاب وحبذا التأليف فهذا التعليم الصغير يوافق كل الموافقة احوال الناشئة وينطبق مع عقولهم فانَّهُ في صُحف قليلة يفيد الاحداث لُباب التعليم المسيحي على طريقة سهلة قريبة المنال ويفتح قلوبهم لامور الدين ومعرفة امور الآخرة بلا عناء كما تفعل الام بولدها. ومع ما يحتويه الكتاب من الاسئلة والاجوبة ترى في كلّ باب فوائد تاريخيَّة شتى وآيات انجيلية يُسرّ الاطفال بالاطلاع عليها مع بعض تراتيل روحية يتغنَّون بها وصلوات يتلونها صباح مساء. وقد جاء طبعهُ اللطيف وتجليدهُ الظريف كدافع جديد لاستعمالهِ ي. ديلنسيغر

الاجنحة المتكسرة

تأليف جبران افندي خليل جبران

طبع في مطبعة جريدة مرآة الغرب في نيويورك سنة ١٩١٢ (ص ١٤٦)

صاحب هذه الرواية شاعر يتخيَّل العواطف ويختلق الظروف الغريبة فيظهرها في قالب ظريف بعبارة عربيَّة فصيحة يُستشفّ منها المستعار الغريب. وقد جعل مدار روايتهِ على الحبّ والغرام ووصفهما بانقى واسمى واكمل الصفات وضحَّى لهما

كلّ عزيز ونفيس وشريف لانهُ ارتأى في فلسفتهِ الحبيّة « انّ النفس اذا تطهّرت بالنار واغتسلت بالدموع تترفّع عمّا يدعوهُ الناس عيباً وعاراً وتتحرّر من عبوديّة الشرائع والنواميس التي سنّتها التقاليد لعواطف القلب البشري وتقف برأس مرفوع امام عروش الآلهة » زه ازه ! . ولمّا كان لا بدّ لبعض الكتّاب من ان يهينوا الاكليروس في كل ما يخطّهُ قلمهم فقد جعل المؤلف سبباً لانكسار الاجنحة الغراميّة المقدّسة مطراناً وكهنة . ولو تركهم وشأنهم لقرّب الى المعقول موضوع روايتهِ ونزّه ادبهُ عن قولهِ مثلاً « . . . هكذا يصبح الاسقف المسيحي والامام المسلم والكاهن البرهمي كافاعي البحار التي تقبض على الفريسة بمقابض كثيرة وتمتصّ دماءها بافواه عديدة » (ص ٥٥) . هذه وامثالها اقوال بذيئة ظالمة تحطّ بقدر قائليها ولا يُقدم اديب على كتابتها حتى ولو كانت صحيحة ؛ اما قولك بها وهي في الغالب اكاذيب ملفّقة ا . ر

تحريم نقل الجنائز المتغيّرة

رسالة دينيّة علميّة اصلاحيّة حرّة للسيد هبة الدين الشهرستاني

طبعت في بغداد بمطبعة الشابندر سنة ١٣٢٩ (ص ٥٠)

قد ألِف اهل الشيعة في العجم خصوصاً العادة بوصاة نقل رُفاتهم الى النجف لتُدفن هناك في كربلاء قريباً من مشهد الحسين . وقد رأينا ذلك بالعيان يوم دخلنا بغداد في اواخر تشرين الثاني من السنة ١٨٩٥ حيث انتظرنا ثلاثة ارباع الساعة عند جسر مدينة السلام ريثما تمرّ القوافل الحاملة لموتى الشيعة المنقولة الى مدافنها . وقد رأى جناب الاستاذ هبة الدين الشهرستاني في هذا العمل شيئاً اراد ابطالهُ فبيّن بهذه الكرّاسة انّ ما يستند اليهِ اهل ملّتهِ لنقل موتاهم بدعة مستحدثة لا يمكن تأييدها بحديث ثابت بل تشتمل على كثير من المحرّمات فضلاً عمّا ينتج عن هذه العادة من المضرّات بالصحة العموميّة ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ رسالة رعائيّة الى موارنة ابرشيّة بيروت لسيادة المطران بطرس شبلي بمناسبة حلول الصوم المبارك ١٩١٢ . في كنيسة المسيح . في المطبعة الكاثوليكية ببيروت (ص ٤١)

٢ رسالة رعائيّة اصدرها سيادة المطران انطون عريضة مطران طرابلس في فرصة الصوم المبارك سنة ١٩١٢ في محبة الله تعالى . في المطبعة الكاثوليكية ببيروت (ص ٣٧)

٣ باكورة الكرم خطابان وقصيدة تُليت في احتفال جمعيّة القراءة الوطنيّة في بحمدون (لبنان) مطبعة الحسناء في بيروت (ص ٢٢)

٤ برنامجات: ١ً جمعية طوبيا البار لدفن الموتى لسنتها الثامنة والعشرين. ٢ً لجمعيّة اخوة الفقراء المارونية لسنتها الثالثة عشرة والرابعة عشرة . ٣ً للجمعيّة الخيريّة المارونية في راس بيروت لسنتها الثالثة. كلها في المطبعة العلمية ليوسف صادر سنة ١٩١١ . ٤ً لاخوية مأوى الغرباء المسيحيين لسنتها الثالثة ١٩١٠. ٥ً لجنة اعانة فقراء الروم الكاثوليك في دمشق لسنة ١٩١٠. في مطبعة الاصلاح سنة ١٩١١

شذرات

تحيّة الصليب نظم الاديب سليم ابو رزق احد طلبة كليتنا هذا المخمس اكراماً للصليب المقدّس في جمعة الآلام:

نحن الألى وصليبُ الربّ رايتنا شعارُنا الحبُّ والإخلاص عادتنا
وموتنا في سبيل الدين غايتنا نعمَ الممات الذي فيه سعادتنا
من ماتَ في حبّ من يهوى فما خسرا

عليك منّا سلامٌ ايها العَلَمُ يا رايةً جندُها بالحرب ما ندموا
كم ناضلوا عنك ما زلّت بهم قَدَمُ ذاقوا العذاب وما خارت لهم هِمَمُ
ماتوا وفي موتهم أوليتنا الظفرا

ماتوا شهودًا ويا ما أكثر الشهدا نحصي النجوم ولا نحصي لهم عددا
لله درُّهمُ لم يرهبوا الأسدا ولم يهابوا لهيباً يحرق الجسدا
فكيف يرهب من في حبّك استمرا

لمّا بنى قبرك الباقي وما ارتدعا ظهرتَ في الجوّ فوق الجيش مرتفعا
وصوتك الساحر الفتّان قد سُمعا « بذا انتصارك قسطنطين » فاندفعا
نحو العدى فغدا في الحرب منتصرا

وقام من بعدهِ اعداؤك العجمُ واستأسروكَ زمانًا ايها العَلَمُ
حتى هرقلُ على الاعداء فانهزموا وخلّص الجذع منهم بعد ما غنموا
فكان عيدٌ عظيم يبهر البصرا

وقام في عصرنا الماسون واتّحدوا مواطئين على الرب الذي جحدوا
توعّدوا شعبَ المختار واضطهدوا قالوا لاتباعهم لا ربّ فابتعدوا
عن الصليب ابتعادًا يعمد الخطرا

قد كان جذعك يلقي الرعب والهربا واليوم اصبح يولي الحبَّ والطربا
ما الفضل للجذع لكن للذي صُلبا حبًّا بنا فوقانا الشرّ والحطبا
مات المسيح فاحيا موتهُ البشرا

أيا صليب التقى والحبّ والأملِ يا من عليك تجلّت قوّة الازلي
يا من صبغت شديدًا من دم الحملِ طهّر قلوب الملا من وصمة الزللِ
ودُمْ مدى الدهر بين الناس منتشرا
لمّا انتصرتَ على الرومان والعجمِ وكزت جذع الندا في مركز الامم
اوليتنا رايةً مصبوغةً بدمٍ خرّت لسطوتها الدنيا على القدمِ
لاح الصليب فولّى الشركُ مندحرا
حيّوا الصليب وحيّوا راية الظفرِ فالعزّ في لبس العزّ للشرفِ
علوتَ يا جذعُ فوق الشمس والقمرِ خفقت فوق السما والانجم الزهرِ
حيّوا الصليبَ مدى الاجيال منتصرا

اعتناق سيدتين ابيسكوباليتين الكنيسة الكاثوليكيّة نشكر هذه المرّة مجلة الكلمة لذكرها تحت هذا العنوان انضواء سيدتين من اشرف اهل اميريكا الى الديانة الكاثوليكيّة فقالت (ص ١٥١):

ان الصحف الاميريكيّة الابيسكوبالية قد ملأت اعمدتها مؤخرًا بمقالات عن السيدة قرينة شفيق رئيس الجمهوريّة الاميريكية المستر تافت لمروقها من الكنيسة الابيسكوبالية (الانكليكانية) الى الكنيسة البابوية. وتحرير الخبر انهُ في اواخر شهر كانون الثاني الماضي قد حضر الخطيب الشهير الاب برنارد يوتنا اليسوعي (والصواب حضرة الاب فون «Vaughan» اخو الكردينال فون رئيس اساقفة وستمنستر) لاجل القاء سلسلة خطابات في الكاتدرائية الكاثوليكية في نيويرك عن الاشتراكية. فلدى مقابلتهِ السيدة الموما اليها قد تمكن بفصاحة لسانهِ وقوة جنانهِ من اقناعها بالمروق من كنيستها الابيسكوبالية والاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية. وهكذا في اوائل شهر شباط الماضي قد تم اتحادها بالكنيسة الكاثوليكيّة رسميًا على يد الاب المرما اليهِ في حفلة كنائسية حافلة. ثم لم تلبث ان تبعتها سيدة ابيسكوبالية أخرى وهي مسز بوست شقيقة امراة فندربلت المتبري الاميريكي الشهير

الحكم على غليليو يسرّنا ان ننقل هنا ما روتهُ مجلة المقتطف في عددها الاخير الصادر في آذار (ص ٣١١) عن غليليو قالت:

خطب السر جون مكدونل استاذ مقابلة الشرائع في ١٤ فبراير الماضي في الكلية الجامعة ببلاد الانكليز وكان موضوع خطبتهِ المقابلة بين طرق المرافعات والاحكام في الازمنة المختلفة فنفى بادلة كثيرة ما يقال من ان غليليو طُرح في السجن وعُذب فيهِ ورجح انهُ عومل بالرفق وانّ محاكمتهُ سنة ١٦٣٣ لم تكن لانهُ خالف ما وعد بهِ في محاكمتهِ الاولى سنة ١٦١٦ بل لانهُ اتّهم بالهرطقة. واستطرد الخطيب الى القول بانّ كثيرين من علماء اللاهوت البروتستانت كانوا في ذلك العصر يشترون من مذهب كوبرنكس كما كان ديوان التفتيش يشمئز منهُ »

وكان الأولى لو قال الخطيب ان غليليو دُعي الى المحاكمة لا لتأييدهِ مذهب

كوبرنيك الكاهن الكاثوليكي في دوران الارض الذي لم تعارضهُ الكنيسة بل لخوضهِ في ميدان لم يكن من فرسانها اذ اراد ان يسند المذهب الكوبرنيكي الى آيات الكتاب المقدّس فأخرجها من معانيهـا . ومن اراد التفاصيل في ذلك فليراجع مقالتنا المعنونة « صواب الرأي في دعوى غليلاي » في المشرق السنة التاسعة ١٩٠٦ (ص ١٧٨) وبها جواب مقنع لكلّ من يكرّر هذه الشكوى على الكنيسة دون تروٍّ كما فعل آخرًا احد كتبة جريدة رفيل (le Réveil) فردّ عليهِ البشير . وكما فعل ايضاً السيد رفائيل هواويني في العدد الرابع من سنة الكلمة الحالية حيث نقل كلاماً لا يستطيع اثباتهُ في حقّ الكنيسة الكاثوليكيَّة فروى قولهُ : « ان الكنيسة الكاثوليكيَّة في القرون الوسطى على الخصوص كانت تضطهد العلم وتعيق مسير العرفان » . فليتفضل الكاتب ويُفدنا ايّ علم اضطهدتهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة فنبين لهُ ضعف مدَّعاه ان لم نقل تطرُّفهُ

زجليَّة على خراب طرابلس كان حضرة الخوري ابراهيم حرفوش نشر في العام الماضي (المشرق ١٤ : ٤٣٣) زجليَّة يُدعى مؤلفها سليمان من الشلوح انشدها بالشعر العامّي رثاء لخراب طرابلس لمّا فتحها الملك المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٨٨ هـ الموافقة للسنة ١٢٨٩ م . وكنّا نجهل اذ ذاك ان الزجليَّة المذكورة سبق الى نشرها الاستاذ الروماني الشهير اغناطيوس غويدي في المجموع الذي خصَّهُ المستشرقون بيوبيل العلّامة الاسباني كوديرا (Homenaje a D. Francisco Codera) في الصفحات ٣٤٢ — ٣٤٨ وفي مقدّمة الزجليَّة هناك قد نسبها الدكتور غويدي لجبرائيل ابن القلاعي الاسقف الماروني الشهير المتوفى سنة ١٥١٦ وعلى ظننا ان هذا غلط وقع بالنسخة الخطية الواتيكانيَّة التي وردت فيها (كما في النسخة التي اخذ عنها حضرة الاب حرفوش) عدَّة زجليَّات لابن القلاعي فظنَّ الدكتور انَّ هذه ايضاً منها والصواب انَّها ليست لابن القلاعي كما يُستدلّ من احد ابياتها الاخيرة في النسختين وهو قولهُ :

وقائلها شاعر من الشلوح سكنهُ مشهور بين الورى اسمهُ سليمان

وبين نسختنا ونسخة الدكتور غويدي بعض اختلافات جزئيَّة لا تمسّ جوهر الزجليَّة الّا انَّ الابيات تزيد في طبعة الدكتور ثلاثة عن طبعتنا بل وقف جنابهُ على نسخة ثانية من القصيدة فاثبت في ذيل الكتاب رواياتها المختلفة

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد عن معنى هذا الشعار IHS الذي كثيرًا ما يُرى بين النقوش على هيئات مختلفة وكثيرًا ما يُجعل فوق حرفهِ الثاني صليب هكذا ✝

معنى الشعار IHS

ج انَّ هذه الحروف الثلثة من المختصرات التي كثرة فيها الاقاويل فمنهم من زعم انَّها مختصرة من ثلاثة الفاظ لاتينيَّة «Jesus Hominum Salvator» اي يسوع مخلِّص البشر ومنهم من قال انَّها الشعار الذي رآه قسطنطين بحذف لفظتهِ الاخيرة (In hoc signo (vinces اي تظفر بهذه العلامة أمَّا الاصح في ذلك ان هذه الحروف اوَّل اسم « يسوع » باليونانيَّة IHS اي IHSOUS وباللاتينيَّة اي IESUS واصلها من الشعار الموضوع فوق صليب السيد المسيح O IHCOVC NAZAPAIOC اي يسوع الناصري

س سألنا احد الكهنة بنسبة مؤتمر المستشرقين الذي سينعقد في نيسان في مدينة اثينة كم هي مؤتمرات المستشرقين واين عُقدت

مؤتمرات المستشرقين

ج بلغت هذه المؤتمرات ١٦ عدًا عُقد اوَّلها في باريس (سنة ١٨٧٣) والثاني في لندن (١٨٧٦) والثالث في بطرسبرج (١٨٧٧ والرابع في فلورنسة (١٨٧٨) والخامس في برلين (١٨٨١) والسادس في ليدن (١٨٨٣) والسابع في فينة (١٨٨٦) والثامن في ستوكلم (١٨٨٩) والتاسع في لندن (١٨٩٢) والعاشر في جنيفا (١٨٩٤) والحادي عشر في باريس (١٨٩٧) والثاني عشر في رومية (١٨٩٩) والثالث عشر في همبورغ (١٩٠٢) والرابع عشر في الجزائر (١٩٠٥) والخامس عشر في كوبنهاغ (١٩٠٩) والسادس عشر في اثينة (١٩١٢)

س وسألنا اوغست افندي قشوع عن معنى الكتابة الموجودة على باب الدركة

ج تجد صورتها وشرحها في مُلحق كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى الذي طبعناه (في الصفحة ٢٧٧) ل.ش

المشرق

شاهد القيامة في دياميس رومية

رواية خياليَّة لايل كهارت من الاكاديمية الفرنساويَّة (*

نحن في مساء بعض ايَّام نيسان وموقفنا في ارباض مدينة رومية. فالطبيعة قد لبست ابهى اوشحتها ولاحت باسمى مجاليها في اصيل النهار. وان مددت البصر بعيدًا الى جهة الافق قامت في وجهك على شبه نصف دائرة رحبة جبال بلاد سابينا كأنَّها قلادة من الدراريّ العجيبة تشعّ تحت الاسهم الارجوانيَّة الذهبيَّة التي ترميها الشمس في ساعة غروبها

والطريق الممتدَّة امامنا تُعزى الى القنصل ابيوس على جانبيها مدافن قديمة لاعيان الرومان تظلّلها اغصان الاشجار وتزينها بحليّ انوارها الزاهية الالوان. وفي هذه الساعة تتلاعب الريح البحريَّة في تلك الافنان فتُسقط ما بقي فوق رؤوسها من بقايا الثلج الشتويّ فينتثر الثلج ممتزجاً بعرف الزهور فوق صفائح القبور وعلى هام اولئك القوم الاجلاء المضجعين هناك الراقدين في مدافنهم رقادًا ابديًا

ثم اخذت الطيور تأوي شيئاً فشيئاً الى اعشاشها في اكناف العوسج او في اعالي السرو فتكفّ عن زقزقتها وصفيرها. بينما كانت اسراب الخطاطيف القادمة من جهة نابولي تمرّ في لازورد السماء مرَّ السهام فتحلّق فوق مباني القنى القديمة. امَّا ابنية

(*) اهدانا الطبَّاع باود نسخة من مجموع كتابات الكاتب الشهير ايل كهارت التي ترى وصفها في اواخر هذا العدد فاقتطفنا منها هذا الفصل بنسبة عيد الفصح المجيد وعرَّبناه ببعض تصرُّف

رومية من ابراج وقبب واسوار فكأنها تردّت بستر من الغمام المنير فتلوح الارض مزدانةً بشعار سلام مقدّس يُفرغهُ عليها السماء من كرمهِ

ففي تلك الساعة كان فارسان يسيران بتؤدة الى رومية في سكّة آپيوس وكان احدهما ذا هيئة رزينة ووجه كاسف قد طعن في سنهِ فمن تفرّس فيهِ استدلّ من زيّهِ وسحنتهِ انّهُ بطريق ذو حسب ونسب وانّهُ ليس ضابطاً بسيطاً بل احد ولاة رومية او سفيراً من قبل القيصر . امّا الآخر فكان في مقتبل الشباب تدلّ حركاتهُ على مهنتهِ العسكريّة فكان يمشي في رفقة عامل الدولة بوقار وانبساط الخاطر كانهُ يحنّ لهُ لما يبدو على جبهتهِ وبين حاجبيهِ من تجعُّد الاسرّة وفي بصرهِ من الذبول وحول شفتيهِ من شارة الأنفة فكل ذلك يشهد على ما يكنّهُ صدر الرجل الوجيه من الكآبة ولعلّ مهماز الضمير او ذكر فقيد محبوب كان يتأثّرهُ فلم يبرح من فكرهِ بعد الزمن الطويل

وكان يتبع الفارسين كوكبة من العبيد يسيرون من ورائهما على مسافة قريبة منهما

فهم كذلك اذ ظهر لهم باب المدينة المعروف بباب كاپينا المفتوح في اسوار رومية فهتف الشابّ :

« ارى يا حضرة العم هؤلاء القوم الذين يتجوّلون هنا بين الحقول وكأنهم يسيرون زرافاتٍ ووحداناً الى جهة منفذ مفتوح في بطن الارض عن شمالنا ؟ ما قولك ؟ افليس هؤلاء من المتآمرين على حياة قيصرنا نيرون كما هو الجاري في ايام الظلم ؟ »

فافتهر البطريق الشابّ بقولهِ : « صهْ يا طانش فانّ كلاماً كهذا اذا سمعهُ العبيد رفقتنا او راصدٌ وراء هذه القبور لأمكنهُ ان يرمينا في التهالك . فحذارِ »

*

على انّ الفارس الشيخ بقي شاخصاً الى اشباح المتجوّلين هناك في شفق النهار . واذا بهِ شعر بقشعريرة في جسمهِ لاح اثرها على وجههِ فصرخ الى ابن اخيهِ :

« هيّا بنا نحن ايضاً فلنسر الى هذا المدخل السري »

قال هذا ثم توجّه الى المنفذ وتبعهُ رفقتهُ فاذا هم بازاء دهليز ضيّق كان مخدوداً في قعر الارض فتوجّل الشيخ والتفت الى ابن اخيهِ قائلاً :

« انتظرني يا سكستوس مع عبيدي هاهنا ومهما طال زمن انتظارك فأياك ان تخطو خطوةً الى الداخل »

ثم تقدَّم الى الامام جارياً في معيَّة اولئك الاشباح الذين رآهم يلجون في الدهاليز. وبعد قليل سَمع دمدمة قوم متجمعين ثم ميَّز اصوات رجالٍ تارةً يتغنَّون بالادعية وتارةً يتنفَّسون الصعداء او يلهجون بعبارات الفرح . ثم كانت اصواتهم تهدأ فيسكتون ويخطب فيهم خطيب يرنّ صوتهُ في اعماق تلك الاغوار

فما مشى خطوات حتى ترآت لهُ انوار حمراء كان ينعكس ضوءُها في جدران الدهاليز فاشتمّ رائحة اغصان وزهور قُطعت حديثاً فأُلقت تحت الصخور المقبَّبة . واذا بالطريق بلغ نادياً رحباً قد أُسرجت فيهِ المئون من أسرجة الخزف الصغيرة ووجد الحضيض مفروشاً بزهر السوسن والياسمين

فدخل ولم يفرزهُ احد في دخولهِ بين الجماعة الّا الرجل المتقدّم فيهم . وكان هذا جالساً على مصطبة مرتفعة ويظهر من لائحتهِ انهُ معلّم ذلك الجمهور وكاهنهُ وابوهُ . ألا وهو بطرس الصفا هامة الرسل ورئيس الكنيسة

فاذ رأى الوافدَ الشريف امتُقع لونهُ فأغمض عينيهِ كأنهُ يدحر في قلبهِ تذكاراً مؤلماً . ثم التفت الى الزائر غير المنتظر واشار اليهِ بهيبة ان يجلس في وسط قوم من العامة . فقعد الطريق بين احد نوتيَّة نهر التيبر وحدّاد من جبل اسكويلين

وكانت الرتبة الدينية في تواصل يُصغي اليها اولئك الحضور بينهم ضعفاء الناس وفئة من الجند يجالسون بعضاً من سيدات رومية الشريفات والعبيد الاذلاء وقوماً من غرباء غاليا ومهاجري سورية . وكان شمّاس قائماً وهو يقرأ انجيل آلام السيد المسيح مع ما يليهِ من خبر قيامتهِ المجيدة فجدّد على مسامع الوافدين ذكر تلك الحوادث الجليلة التي جرت في اورشليم قبل بضع سنوات . وكان متولي تلك الحفلة في ذلك المساء بطرس الرسول في اعماق دياميس حاضرة المدن والجميع ينصتون الى ما يتوأهُ الشمّاس من رواية ضبط السيد المسيح في بستان الزيتون ثم خيانة يوداس ثم تطواف يسوع في كل احياء اورشليم ومثولهِ امام حانان وفي دار قيافا حتى وصل الى خبر جحود بطرس لسيدهِ ثلاثاً فهيَّج ذكر تلك الفاجعة في قلب الرسول عواطف الاتضاع والخشوع فكان يذرف امام المؤمنين اسخن الدموع ويقرع صدرهُ ندامةً

*

ثم انتقل القارئ الى ذكر دار الولاية الرومانيَّة في القدس الشريف وما خامر قلب بيلاطس من الضعف والفشل وكيف تردَّد في حكمهِ الى ان قُهر بجلبة اليهود الصارخين: ارفعهُ! اصلبهُ! ثم ما ولي ذلك من عذاب الجَلْد وتكليل هامة الرب بالشوك المؤلم مع وضع القصبة في يديهِ كصولجان وإلباسهِ أسمالًا من الارجوان سخريَّةً بهِ وشراسة بني اسرائيل وإصرارهم على طلب قتل المسيح شفاء لبغضهم

ثم اندفع الشمَّاس في قراءتهِ قائلًا: اسمعوا رواية ما عاينهُ احد رسل الرب يوحنا الحبيب واثبتهُ الانجيليُّون في كتابهم قال: «وكانوا يجيُّونهُ باسم ملك اليهود متهكمين فيلطمونهُ على وجههِ. وخرج بيلاطس ثانيةً وقال لليهود: ها انا اخرجهُ اليكم لتعلموا اني لا اجدُ فيهِ ذنبًا. فخرج يسوع وعليهِ اكليل الشوك وثوب الارجوان فقال لهم بيلاطس: هوذا الرجل»

فلمَّا بلغ الشمَّاس الى هذا المكان من خبر الآلام غطَّى البطريق الروماني وجههُ بطرف ثوبهِ ثم نكَّس رأسهُ حتى كاد يمسّ ركبتيهِ. وبقي كذلك مدَّة وهو جامد لا يبدي حراكًا حتى اذا انتهى الشمَّاس من رواية الآلام فبلغ الى ذكر خبر القيامة سُمع صوتٌ عظيمٌ في اعماق الدياميس كان كهزيم الرعد او بالحري كابواق ملائكة يوم الدين فصرخوا جميعًا: هلّلويا! فرفع البطريق رأسهُ كأنهُ انتبه من سُبات عميق

فحينئذٍ اشار بطرس الصفا الى رجل من السامعين أن: قُمْ وأدِّ بشهادتك

فقام كهلٌ في وسط الجموع ثم جاء فانتصب من عن يمين اول اساقفة رومية واذا هو كلاوديا احد التلميذين اللذين تراءى لهما الرب في عمواس فروى شهادتهُ الحيَّة المنطبعة في صميم قلبهِ فذكر كيف رافقهما الربُّ في طريق فلسطين في مساء كمساءهم الحاضر وسألهما: «ما بالكما كئيبين» فصرَّحا لهُ عن علَّة حزنهما بسبب موت يسوع النبي العظيم الذي اسلمهُ الكهنة الى الموت وامر والي الرومان بصلبهِ. وكيف اردفا قائلين: «كنَّا مع ذلك نؤمل انهُ يفدي اسرائيل وها هوذا قد قُتل منذ ثلثة أيام فتلاشت معهُ كل آمالنا. على انَّ بعض النسوة قد ادهشتنا لانهن بكَّرنَ الى القبر فلم يجدنَ جسدهُ فأتينَ وقلنَ انهنَّ رأينَ مظهر ملائكة قالوا انهُ قام حيًا»

(قال) «وبقي معنا رفيقنا في الطريق يشرح لنا الكتب من موسى والانبياء

ولما بلغنا الى عمواص حيث كنا عوّلنا على المبيت تظاهر كأنهُ يريد ان يسير الى مكان ابعد لكنهُ رضي بان يبيت ويأكل العشاء معنا واذا بهِ اخذ خبزًا وباركهُ وكسرهُ وناولنا فعرفنا انهُ مخلصنا الحبيب واذ خررنا لنسجد لهُ توارى عن عياننا »

*

ففي اثر هذه الرواية صدع الكل بصوت الفرح ثانيةً وكرّروا « هلّلويا » الفصحيّة في انحاء الدياميس. ثم قام الرسول وقال للجمع :

« فلنصلّين ايها الاخوة »

قال الجمع : آمين

ثم اردف الرسول : فلنصلّين لاجل اليهود العميان الذين لم يعرفوا المسيح إلههم. فلنصلّينَّ لاجل اجدادنا تبعة العهد العتيق عهد ابراهيم وموسى وداود . فلنصلّينَّ لاجل الامم ليقبلوا الى نور الخلاص. فلنصلّين لاجل القيصر الروماني ولاجل اورشليم بل لاجل كل ذرّية آدم. صلّوا ايضاً أيها الاخوة كي يمنحني الرب الاله مغفرة خطيئتي. فليصلِّ بعضكم لاجل البعض ليعطيكم الله قوّةً في الايمان وثباتاً بين الاضطهادات وبسالةً بازاء الموت والاستشهاد .

وكان الحضور يؤمّنون لكل قول من اقوال رسولهم حتى قال بصوت جهور مشيرًا الى البطريق الشريف ذي الملابس الفاخرة الجالس هناك :

« صلّوا ايضاً لاجل هذا الرجل »

فحدّق تلميذ عمواص الى وجه الغريب فعرفهُ وقال متلجلجاً : هو بيلاطس نفسه فما سمع النصارى ذاك الاسم حتى أُغشي على بعض السيدات وترامى الصغار في حجور أمهاتهم وبقي الكل في حيرة واضطراب

فقام حينئذٍ بيلاطس واقترب من بطرس الصفا وبينما كان السكوت سائدًا على الجمع اثبت لهم انهُ لم يقضِ على يسوع الناصري الّا على رغم منهُ اذ عرف براءتهُ وقداستهُ لكنَّ الشعب ورؤساء اليهود اضطرّوهُ على دفع البارّ الى ايديهم لئلّا يحدث شغب ضدّ رومية وقيصر . ثم اقرَّ امامهم انهُ لم يذق منذ حكم على يسوع ساعةً من الراحة وان ذكرى ضعفهِ كانت تتعقّبهُ حيثما سار كما كان يردّد في فكرهِ شهامة يسوع في اجوبتهِ في دارهِ اذ اعلن بكونهِ ملكاً وان لا سلطة لاحد عليهِ ان

لم يُعطَها من فوق. وذلك ما حملهُ على ان يثبت على صليبهِ عنوانهُ « يسوع الناصري ملك اليهود » فلم يرضَ بتغييرهِ بل كان لا يزال يذكر بالعجب والانذهال تواري الميت من قبرهِ المختوم بسجل الرومان واقرار الحرس بان اليهود رشوهم ليقولوا انَّ تلاميذهُ اتوا فاخذوا جثتهُ وهم نيام. (قال) فرجائي ان يقبل تلاميذهُ عذري...

فقاطع بطرسُ بيلاطسَ وقال لهُ: لسنا هنا مجتمعين لتلعنك اذ قد سبقنا وصلينا لاجلك ولاجل كل من اشترك في القضاء على رب السماء. ويا ليت دمهُ ينزل على قلبك ليطهّرهُ ويشفي اوجاعهُ. وها نحن نتيمم هنا سرَّ الرحمة والمحبة طالبين من الله ان يُنير ذهنك ويرشدك الى طريق الخلاص

قال هذا ثم تقرَّب من الاسقف شابان في ايديهما سلة خبز فطير فتناول الرسول الخبزات وباركها وكسرها وفرَّقها على المؤمنين فسمع ثالثةً صوت التهليل وجعل الحضور يتأهبون للخروج فرَّوا بقرب بيلاطس دون بغض رائين لهُ وشاكرين الله الذي ارسل اليهم في ذلك العيد العظيم شاهداً جديداً على موت الفادي وقيامتهِ

ثمَّ خرج البطريق في آخرهم بكل هدوء وهو غائص في لجة الافكار لكنهُ متعطّر بروائح الزهور والبخور. فلمَّا وصل الى حيث كان ينتظرهُ سكستوس وعبيدهُ امتطى جوادهُ ودخل رومية ساكتاً راجماً دون ان يجيب كلمةً على اسئلة اصحابهِ وكأنَّ حزنهُ كان قد ازداد ورأسهُ قد تثاقل فانحنى على صدرهِ مفكراً في اثمهِ لاعنا اولئك الذين الجأوهُ الى تضحية ذمّتهِ متوقعاً للعقاب الآجل الذي طلبهُ بنو اسرائيل على ذريتهم في محكمتهِ صارخين: ليكن دمهُ علينا وعلى اولادنا...

(راجع في المشرق ١: ٢٦٩ مقالتنا عن بيلاطس وما ورد عنهُ في التاريخ)

الخلاصة الماسونيَّة

خطاب القاه الاب لويس شيخو اليسوعي في نادي كليَّة القديس يوسف
وكانت تتخلَّلهُ التصاوير بالانوار الكهربائيَّة

قدَّم الخطيب على كلامهِ قولهُ بانَّ الغاية من خطابهِ ليست الطعن في احد او الانتقاص من قدر احد اذ يتحاشى كلَّ الشخصيات مع علمهِ بانَّ اكثر الداخلين في الماسونيَّة لا يعرفون من

الشيعة غير قشرها وانّما مقصودهُ البحث عن الماسونيّة نظريًا وتاريخيًا مستندًا الى اصدق البراهين واوثق المصادر التي لا يأباها الماسون انفسهم

أيها السادة

ليس بعد اعتقاد وجود الله عزّ وجلّ والاقرار بقدرته تعالى كخالق عالمنا هذا العجيب ومكوّن ما فيه من الكائنات المتنوّعة امرٌ يستحقّ اعتبار العقلاء كهذه الهيئة البشريّة التي ركّبها الله على نظام يذهل العقل ويسحر الجنان فترى فيها الرئيس والمرؤوس الكبير والصغير الرفيع والوضيع وكلّهم مرتبطون بروابط وثيقة عقدتها الطبيعة نفسها فلا تحلّها يد اثيمة الّا ارتكبت في حقّ الكون جناية قبيحة ينعكس صداها في كلّ المجتمع الانساني

على انّ من سرّح نظره في تاريخ الدول منذ نحو قرن ونصف وجد انّ احوالها قد اختلفت اختلافاً عظيماً ان لم نقل انّها انقلبت ظهرًا لبطن ورأساً لذنب. كان يسوس الأمم ملوكٌ ذوو جاه وعزّ وسلطان اذا عرضناهم على من سبقهم من الملوك لا نجد فيهم من سوء معاملة شعوبهم ما يجعلهم في طبقةٍ ادنى من سواهم. فانّ سُلالة بوربون الكاثوليكيّة كانت مالكة في معظم الممالك اللاتينيّة. بعد لويس الرابع عشر المعروف بالكبير قام لويس الخامس عشر الذي مع ضعفه عن تدبير الامور كان رفيقاً بالشعب ساعياً بصوالح رعاياه ثم خلفهُ لويس السادس عشر الملقّب بابي الشعب. كانت اسبانية لا تزال في مقام رفيع في عهد ملوكها فرديننذ الخامس ثم فرديننذ السادس ثم كرلوس الثالث. كانت بولونية تعتزّ بملكها اوغستوس الثالث والبرتغال بيوحنّا الخامس. امّا النمسة فوجدت في ملكتها مريم تريزا امرأة عاقلة ذات همّة وحزم ومدارك واسعة اكسبتها شرفاً وعظمة في اعين الملوك وحبًا في قلوب المواطنين

فما كان ذوو العقول الثاقبة ليظنّوا انّ تلك الدول العظمى والممالك الجليلة قائمة على شفير هارٍ سوف تُصبح بعد قليل خراباً ودماراً

وكذلك رؤساء الدين كانوا معزّزين مكرّمين يُسمع كلامهم ويُصغى الى

اوامرهم . ولا نخالهم اتوا من الاستبداد والظلم ما اوجب النفور منهم او اثار عليهم البغضاء . كفى بذكر الاحبار الرومانيين الاجلّاء بندكتوس الثالث عشر والرابع عشر ثم اقليميس الثاني عشر والثالث عشر وكلّهم رجال فضل عميم لا يؤخذون بلومة لائم . ومع ذلك شنّت في عهدهم على الدين غارة شعواء كادت تطمس آثارهُ لو كان الدين مشروعاً بشرياً

فللعاقل بعد هذا الطوفان العرمرمي الذي اوشك ان يغمر الدنيا ان يتساءل ما هو سبب هذه الطامّة العظمى وما هي علّة هذه الشرور الفادحة التي لا تزال حتى الآن تشعر بعواقبها السيّئة حتى اصبح العالم كسكران لا يثبت على قدم ؟ أفحصل ذلك على سبيل الصدفة او نقول انهُ وقع شذوذ في الكون فصدر معلول بلا علّة ؟

كلّا فانَّ في العالم الادبيّ كما في العالم الهيوليّ من المستحيل ان يكون مسبَّب بلا سَبَب وان يحدث امرٌ ما دون مقدّمات وسوابق تُفضي بهِ الى الوجود . ولا بدَّ ان يكون بين العلّة والمعلول علائق غير منفصمة بحيث يصحُّ القول بانَّ المعلول نجم عن العلة كما تنجم الثمرة عن الزهرة والزهرة عن برعومها

والحقُّ يقال انّنا لا نجد تعليلاً وافياً لهذه الحوادث المستجدّة منذ الثورة الفرنسويَّة والسنين التي سبقتها قليلاً الّا في شيعة كانت نشأت قبل ستين سنة في ظلّ الدولة الانكليزيَّة فتسرّبت منها الى سائر انحاء اوربّة ولم تزل تقوى وتشتدّ بكل الوسائل التي في وسعها مهما كانت اثيمةً حتى انفجر يوماً بركانُها بالثورة الفرنسويَّة ثم تبعتها الثورة الاوربيَّة العامّة والبركان لا يزال في سعيرهِ حتى اليوم وقد التقى بخصمهِ مؤخّراً في دولة البرتغال كما في الدولة التركيَّة وهو اليوم يتهدّد الصين والشرق الاقصى بعد خمودهِ الوفاً من السنين

فكلّكم سادتي قد سئِمتم الشيعة الماسونيَّة وعليها يُلقي الرأي العام تبعة تلك الحوادث الهائلة . أفيا تُرى ليست هذه تهمةً باطلة والاصح ان يقال انَّ الماسونيَّة بريئة ممَّا يُنسب اليها من الفظائع ويتجنَّون عليها من المآثم التي لا اصل لها غير الاوهام الفارغة ومخيّلة بعض المتعصّبين ؟ . فدَعُونا ان نتحرّى البحث في الامر شأن المؤرخ المجرَّد من كل غرض الذي لا يستند في قولهِ الى غير الاسانيد الراهنة ولا يروي الّا ما لا سبيل الى انكارهِ

فخطابنا في هذا المساء يتناول الماسونيَّة اوَّلًا في كُنهها ثم في غايتها ثم في الوسائل التي تتوسَّل بها لادراك تلك الغاية ثم في اصلها وتاريخها واخيرًا نتيجة اعمالها الى يومنا هذا

١ كنه الماسونيَّة

اوَّل سؤال يجب على كل عاقل ان يلقيَهُ على الماسونيَّة ان تعرّفنا بذاتها وتبيّن لنا حقيقة امرها. يخبر الانجيل الكريم عن يوحنَّا المعمدان انهُ لمَّا ظهر في عبر الاردن وجعل يكرز بمعموديَّة التوبة ويعمّد ارسل اليهِ اليهود كهنةً ولاويين ليسألوهُ: من أنت ماذا تقول عن نفسك لنردَّ الجواب على الذين ارسلونا؟. تعرفون سادتي جواب يوحنَّا الملوء حكمةً وتواضعاً

فاليوم نحن ايضاً نسأل اصحاب الشيعة الماسونيـة: من انتم ماذا تقولون عن نفسكم وعن جمعيَّتكم؟. فلنسمع ما كتبهُ في هذا الصدد ارباب الشيعة في مصر وبلاد الشام لنسبر غورهُ ونعرضهُ على ما كتبهُ الماسون في تآليفهم الرسميَّة. وهاك آخر ما ورد من ذلك في كتاب طبع سنة ١٩١٠ في مصر عنوانهُ « ما هي الماسونية ومن هو الماسوني » تأليف محمَّد سعيد المراغي الحاصل على الدرجة ١٨ قال (ص ١٤):

« الماسونيَّة طريقة انسانيَّة يراد بها جمع شمل العناصر البشريَّة ضمن سياج الانسان الكلّي الاحترام. والماسوني هو العامل على تحقيق هذه الطريقة وتدعيمها. والماسونيَّة باعتبارها وتعريفها الآنف ذكرهُ تقوم على اركان ثلاثة وهي الحريَّة والاخاء والمساواة ». ثم يردّد الكاتب هذا التعريف على طرائق مختلفة لا تزيدهُ ايضاحاً كقولهِ: « انَّ الماسونيَّة هي العمل الصحيح الخالص على توحيد الشعوب البشرية وضمّ العناصر الانسانيَّة حول شريعة الولاء العامّ القائم على صلة الارحام » الى ان قال (ص ١٥): « انَّ وظيفة الماسونيّ هي جمع العناصر البشريَّة ضمن سياج الانسان الذي هو الميولي لحقائق النشأة الصالحة » كذا بحرفهِ. ثم قال ايضاً (ص ١٦): « الماسونيَّة هي الطريقة المفلحة في ايصال حقوق الرحم الانساني وتوحيد الشعوب البشريَّة وجمع شمل عناصرها ضمن سياج الآدميَّة الموقَّرة » وكل ما هناك يضرب على هذا الطنبور

فلنستفتِ غيرهُ لعلَّنا نستفيد منهُ ما يروي غليلنا في معرفة الماسونيَّة. اسمعوا احد رؤساء الماسونيَّة وجهابذتها الكبار في بلادنا شاهين بك مكاريوس صاحب التآليف المتعدّدة ومنشئ عدَّة محافل وعضو شرف لغيرها والراقي الى قمة درجاتها اي الدرجة ٣٣ قال في كتابهِ المعنون بالآداب الماسونية ما حرفهُ (ص ٨):

« الماسونيَّة جمعيَّة غرضها حمل الناس على ان يحبّ بعضهم بعضاً وان يتبعوا الحكمة والفضيلة والتمسك بالآداب وممارسة عمل الخير. ولها مبدآن اساسيان حريَّة الضمير والتكافل البشري... ولذلك قد احبَّها كل صاحب فضل بين الانام ولم يعبها الَّا من يجهل كنهها او من في عينهِ رَمَد او في قلبهِ عمهٌ فلا يحتمل رؤية نور الفضيلة » كذا بحرفهِ. ونحن نسأل الله ان يزيل عن عيوننا ذلك الرمد وعن قلوبنا ذلك العمه لنحتمل هذا النور الباهر الذي لا تطيقهُ ابصارنا

وعاد شاهين بك الى تعريف الماسونية في كتبهِ العديدة ولم يستقرَّ فيها على رأي بل تقلَّب فيها تقلبات مختلفة. قال في كتابهِ الاسرار الخفيـة في الجمعيَّة الماسونيَّة (ص ٦): « الماسونيَّة جمعيَّة ادبيَّة خيريَّة تحوي نخبة افاضل الرجال على اختلاف نحلهم ومللهم وتباين نزعاتهم وآرائهم ». ومما قالهُ هناك انَّها لا تقبل « مَنْ لا يعتقد بالله تعالى ولا يؤمن بخلود النفس ومن لا يطيع حكومتهُ ولا يخضع لشرائعها » وغير ذلك مما سترى كذبهُ

وقال في محل آخر من كتابهِ المذكور (ص ٤): « الماسونيَّة جمعيَّة ادبيَّة اخذت على عاتقها خدمة الانسانيَّة وعضد الدين بادبياتها واصلاح الشعوب وتنوير الاذهان »

وافادنا في كتابهِ الحقائق الاصليَّة في تاريخ الماسونيَّة العمليَّة (ص ١٧) ان « غايتها ابطال الغايات والتحزُّب في الاديان والاشكال والحِرَف والمراكز والآراء الوطنيَّة وملاشاة الاحقاد... لتجعل العالم كلهُ عائلة واحدة لا فرق بين اعضائها ولا انفصال ». وقال هناك ان من شأنها « ان تصلح ما فسد من عقائد الاديان بتعليمها المحبة » كذا

امَّا الدستور الماسونيّ المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ فانَّهُ عرَّب الدستور الماسوني الفرنساوي فقال (ص ٦): « الفراماسونيَّة طريقة غرضها الذاتي محبة الانسانيَّة

والحكمة والفلاح وموضوعها ابتغاء الحقيقة ودراسة كليَّات الأدب والعلوم والصنائع وممارسة عمل الخير »

فترى من هذه التعريفات انَّ الماسونيَّة مرتابة متذبذبة في بيان حالها فيروي عنها الواحد ما يسكت عنهُ الآخر فتارة يقولون انَّها جمعيَّة خيريَّة وتارةً انَّ غايتها نشر العلوم ونفي الجهل الى غير ذلك من الغايات الشريفة فكفى بهذا الاضطراب دليلًا على ان الماسون لا يعلمون كيف يعرّفون جماعتهم فلذلك يسمون بقبيض الجارية السوداء فينسبون اليها كل خير. افترضى باقوالهم دون رويَّة ونختم على اوصافهم بلا تمييز (وكما تقول العامَّة على العميانة) ؟

هيهات ان نسلّم لهم بزاعمهم ما لم يثبتوا اقوالهم بالبرهان. واول ما يريبنا من امر الماسونيَّة انَّها تحتجب عن اعين الناس وتتستر في زوايا الظلمات. لا يجتمع اعضاؤها الَّا في الليل الدامس وفي بيوت يحصنونها بالحرَّاس فلا يدخل الَّا من عرف كلمة الجواز السريَّة واذا دخلوا كتموا بكل حرص ما يدور بينهم من الاحاديث وان سألهم اعزّ اصدقائهم عمَّا يجري في اجتماعاتهم الخفيَّة خرسوا عن الجواب واستحلفوه الَّا يطالبهم بذلك وذكَّروهُ بالاقسام المحرَّجة التي حلَّفوهُ بها يوم انضوائهِ الى الشيعة بانَّهُ « اذا باح الى احد بهذه الاسرار يرضى بقطع عنقهِ واستئصال لسانهِ وتعليق جثتهِ في محفل ماسوني ليضحي عبرة للداخلين »

فيا لله أفيقضى على انسان عاقل ان يقسم هذه الاقسام لئلَّا يكشف عن اعمال جمعيَّة خيريَّة لا غاية لها كما يقولون الَّا ممارسة كل خير ؟ او يختمون فمهُ بهذه الختوم ليحفظ في قلبهِ العلوم التي يدَّعي نشرها الاخوة بين عموم البشر ؟ . فهذا ما لا يمكن تصديقهُ ولا بُدَّ من القول إنَّ وراء الاكمة ما وراءها

لمَّا قيد السيد المسيح في جمعة الآلام الى دار حانان وسألهُ هذا الحبر عن تعليمهِ لم يجد الرب جواباً أقنع للدفاع عن نفسهِ من ان يقول لهُ : « انا كلَّمتُ العالم علانية وعلَّمت في كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث تجتمع كل اليهود ولم اتكلم بشيء خفيةً فلمَ تسألني انا سل الذين سمعوا ما كلمتهم بهِ فانَّهم يعرفون ما قلتهُ »

وفي الواقع كان السيد المسيح يحضُّ تلاميذهُ على نشر ما يسمعونهُ منهُ وهو

القائل لهم: « الذي اقولهُ لكم في الظلمة قولوه في النور والذي تسمعونهُ في الاذن اكرزوا بهِ على السطوح » وكذلك كان يحذّرهم من التستُّر والاستخفاء بقولهِ: ان كل من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلّا تُفضح اعمالهُ واما الذي يعمل الحقّ فانهُ يُقبل الى النور لكي تُظهَر اعمالهُ لانها مصنوعة في الله ». وكأن الرب سبق ورذل الماسونيَّة بقولهِ « انهم احبوا الظلمة على النور لانَّ اعمالهم كانت شريرة »

وما نقولهُ في الديانة المسيحيَّة يقال في الدين الاسلامي الذي يجاهر بمعتقداته ولا يخفيها عن البشر. وكذلك تعاليم الدين اليهودي المضمونة في اسفار موسى والانبياء ليس فيها شيء يُستحيا منهُ فيُحجَب عن الابصار

وكأني اسمع هنا صوت بعض كتبة الماسونيَّة الذين يعترضون عليَّ بقولهم: اليس للجزويت تعاليمهم السريَّة فما بالك تبكّت الشيعة الماسونيَّة على اخفاء اسرارها

سادتي ان هذا الاعتراض قد لاذ بهِ بعض اعداء رهبانيتنا الذين نشروا في بيروت كريبةً تحت اسم « اسرار الجزويت الخفيَّة » وهو كتاب وضعهُ احد المنافقين قبل مائتي سنة تتأد فيهِ قوانين منشئنا القديس اغناطيوس المقدَّسة فنسب الينا فيه ضروب الرياء. على ان الكرسي الرسولي وجميع اساقفة اوربَّة لمَّا ظهر هذا الكتاب غفلًا من اسم مزورهِ ضربوه بالحرم ودافعوا عن شرف رهبانيتنا بل وذلتهُ حكومتنا السنيَّة لمَّا عُرِّب وطُبع سرًّا. وقد شارطنا احد الكتبة المصريين الذين قرَّفونا بهذا التأليف اننا ندفع لهُ عشرة آلاف فرنك اذا امكنهُ ان يثبت لاحد اليسوعيين تأليف هذا الكتاب وان لم يمكنهُ اشترطنا عليهِ دفع مئة فرنك فقط لاحد المستشفيات. فافحمناهُ بذلك الرهان

ومثل هذا في العام الماضي قد قام كل الاكليروس وجمهور العقلاء فبيَّنوا ان رواية اليهودي التائه التي مثلها الماسون لنكاية جمعيَّتنا ليس فيهِ حرف واحد ينطبق على اعمالنا او تعاليمنا. ومن اراد زيادة بيان فليراجع « كتاب معرض الافكار في رواية اليهودي التائه » الذي نشره احد ادبائنا

فاين الرهبانيَّة اليسوعيَّة والتستُّر. فهذه كنائسنا مفتوحة لكل المؤمنين وهذه مدارسنا يقصدها كل الدارسين وهم يعيشون معنا ليلًا مع نهار. وهذه جمعيَّتنا يدخلها

من يشاء. وربَّما خرج منها من دخلها فهيهات ان يقوم واحد منهم فيأخذ على رهبانيتنا عملًا سيئاً. وكم فُتحت مكاتبنا وضُبطت اوراقنا الخصوصيَّة كما فعلوا مؤخرًا في البرتغال فما امكنهم ان يجدوا بينها ما تستنشق منهُ رائحة السرّ المكتوم

ويُردف صاحب تاريخ الماسونيَّة العامّ جرجي افندي زيدان (ص ٢٤): « انَّ الديانة المسيحيَّة لم تتأيد دعوتها الَّا بما اتَّبعتهُ من طرق التعليم السري فقد كانت في بادئ نشأتها اشبه باحدى الجمعيَّات السريَّة ولم تكن تسلّم اسرارها الَّا لمن يطلبها ويبرهن على شدة رغبتهِ في الحصول عليها »

فنجيب المعترض قائلين: « قد وهمت يا جناب الافندي واسأت الظنّ في الديانة المسيحيَّة » فشتَّان بين اسرار الدين المسيحي وبين اسرار الماسونيَّة وشتَّان بين خمر وخلّ. ان اسرار الدين المسيحي قد وُضعت للحياة واسراركم وُضعت للموت. لم تقبل الكنيسة بين اولادها احدًا ما لم يكن وقف على تعاليمها لا لكون هذه التعاليم هي خفيَّة بل لانها تفوق ادراك الموعوظين فاذا عرضتها عليهم توًّا دون استعداد أغلقت عليهم معانيها السامية وقد اوصى الرب بان لا « نعطي القدس للكلاب ولا نلقي جواهرنا قدام الخنازير لئلَّا تدوسها بارجلها ». وهذا الفعل تجري الكنيسة عليهِ حتى اليوم في كل بلاد الوثنيين الذين لا يُضبَّون بالعماد الَّا بعد الارشادات والتعليم المتوالي. وكان الامر امسّ واحوج في اوائل الكنيسة حيث كان الوثنيون يضطهدون الدين المسيحي ويقودون الى العذاب والموت مَنْ لم يعبد اصنامهم او يعلّم ما يخالف خرافاتهم وارجاسهم. فكانت الفطنة تقضي على المسيحيين بألَّا يعرّضوا بنفوسهم الى الاخطار دون داعٍ ومع ذلك كانوا اذا طالبوهم بدينهم امام الحكام جاهروا بمعتقدهم دون خجل. افمثل هذه هي اسرار الماسونيَّة ؟

ثمَّ ان للماسونيَّة طقوساً ورتباً وازياء غريبة وكلمات وخطوات واشارات وطرقات وتهويلات في درجاتها العديدة من الدرجة الاولى الى الدرجة الثلاث والثلاثين. فناشدتك الله اي علاقة بين كل هذه الطقوس وبين الغايات التي تدَّعيها الشيعة وهي على قولها جمعيَّة خيريَّة فما الحاجة الى كل هذه الطقوس ؟. نعم اذا صلى الكاهن او اقام رتبة دينيَّة لبس لذلك حللًا مختصة بها وانما الماسونيَّة ليست جمعيَّة دينيَّة

وان قالوا هذه وسامات شرفيَّة اجبنا ان الاوسمة الشرفيَّة يعطيها من لهُ في

الدول الحقّ في منحها والماسونيَّة تدَّعي أنها ليست جمعيَّة سياسيَّة فكيف تخوّل هذه الامتيازات. وزد عليهِ ان كثيرًا من هذه الاوسمة ترمز الى خصام وقتال وترهيب وتهديد كالخناجر والحراب والسيوف والمطارق والجماجم والحصون والابراج. واذا وُجدت فيها نقوش اخرى اشاروا بها الى معانٍ لا علاقة لها مع ظواهرها كخلايا النحل والصلبان وعامودي جاكين وبُعوز والشمس والقمر والنجوم وألسنة النار وكلها رموز شرحها المتوجون بالماسونيَّة شروحاً بعيدة عمَّا يتبادر الى الظنّ فيها بل عن كل غاية خيريَّة وادبيـة فتشير على قولهم الى نفي الدين والادب وتعظيم قوى الطبيعة البهيميَّة وغير ذلك ممَّا يندى لهُ الجبين خجلًا

ثم يصحب تحويلَ هـذه الاوسـة والشارات الماسونيَّة اسئلة واجوبة وتعاليم ووصايا لا تنطبق البتة مع الغايات المدعاة اي عمل خير ونشر المعارف

وإن قيل انَّ في الكنيسة ايضاً مثل هذه المذاكرات والرتب اجبنا ان الرتب الكنائسيَّة ووصاياها وتعاليمها كلها جليلة تقويَّة خشوعيَّة وضعها اعظم الرجال عقلًا واوسعهم فضلًا واعرقهم قداسةً استقوها كلها من موارد الاسفار المقدَّسة او التقاليد الرسوليَّة. وهي في الغالب ادعية ترفع القلب الى الله ومذاكرات تطبع في عقلهِ عظمة الخالق وتذكرهُ بالثواب وتنذرهُ بالعقاب وتستمطر لهُ النعم من خالقهِ وتستغفر عن آثامهِ فاين كل ذلك من رتب الماسونيَّة التي هي عادةً فصول هزليَّة لا يستطيع سماعها الرجل العاقـل الّا ازدرى باصحابها واستغرب ضحكاً من خفَّة عقولهم. ولو وكَّلنا الى بعض الممثلين ان يشخصوا امامكم دورًا واحدًا من هذه الخزعبلات لرأيتم سخافة عقول مَن يمارسها. وقـد اثبتنا منها بعض الفصول في كتاب السرّ المصون مع قسم من التصاوير الماسونية المختصة بالدرجات الاولى وصورة محفل مع حللهِ وعموديهِ السرّيين وباطن المحفل وما فيهِ من النقوش الرمزيَّة والتعليمات السرية الملقاة على الطالب الى غير ذلك

وفي تكريس طالب الماسونيَّة عدَّة امتحانات يدعونها بالسياحات فيعرضونهُ لمخاطر وهميَّة فتارة يرمون بهِ في التهالك وتارة يصعدون بهِ سلَّماً درجاتهُ غير ثابتة وحيناً يُشعرونهُ على صدرهِ المعرَّى بنصل السيف او يوهمونهُ بفصد عروقهِ وطوراً يدخلونهُ غُرفاً مظلمة فيها العبارات التهويليَّة بينها هياكل موتى وغير ذلك مما يؤثر في مخيلة

الطالب ليعرف نفوذ الماسونيَّة وسلطتها عليهِ. وقد اكد لنا احد اصحابنا الدمشقيين انهُ عرف في وطنهِ احد اعيان النصارى الذي طلب الدخول في الماسونيَّة فلمَّا فُرضت عليهِ المحن المذكورة تأثَّر منها اي تأثير فبصق الدم ومات بعد ١٥ يوماً. اقترون ايها السادة ان الماسونيَّة التي اخترعت هذه الامتحانات هي جمعيَّة خيريَّة او جمعيَّة ادبيَّة او ليست هي بالاحرى سليلة ذاك الذي قال عنهُ السيد المسيح « انهُ قتَّال الناس منذ البدء وانهُ كذوب » وابو الكذب (يوحنا ٨ : ٤٤)

ولو تتبعنا بعد ذلك تكريس الداخل في درجة الرفيق ثم في درجة الاستاذ لزدنا تحقُّقاً بانَّ الماسونية ليست جمعية خيرية ولا جمعية ادبية وعلمية وانَّما هي جمعية عملية لا تبغي في شيء خير الانسانية فانها لو قصدت ذلك لما اتخذت هذه الوسائل التي تبعد عن غايتها المزعومة مناط الثريا. فان امتحانات درجة الاستاذ تمثل قتل رجل وهميّ يدعوه الماسون حيرام ويزعمون انهم دُعوا لينتقموا لهُ وهناك فصل هزلي يضحك الثكلى كنَّا نودّ لو تقوم جوقة بتشخيص ادوارهِ لسمعتم قصة ذلك النتيل المضحك ورأيتم حزن الماسون عليهِ وعاينتم حركاتهم وخزعبلاتهم حول تابوتهِ الى ان يقيموا احد الاخوة المضجع فيهِ ويُلقوا بدلًا منهُ طالب درجة الاستاذ ليذوق في ذلك التابوت طعم الموت بل ليتأكد انهُ صار في ايدي الماسونية كجثة ميتة يتلاعبون فيها كيف شاؤوا

فيا ليت شعري ايوجد في العالم جمعية خيريَّة تفرض على اعضائها مثل هذه الامتحانات لتحنّ قلوبهم على المساكين ؟ او يوجد جمعية علمية تكشف غوامض علومها على طالبيها بعد ان تطلب منهم الخضوع لمثل هذه الطقوس ؟ او ليس الاحرى بنا ان نقول ان الشيعة تكمن في صدرها غير ما تظهر وانها تراءي في اعمالها وتخدع الاغرار لتوقعهم في حبائلها

وانَّما هذا يظهر من درجات الماسونية الثلاث الاولى فكم كانت غايتها السيئة تلوح لنا بجلى اوضح وصورة ابدع لو تتبَّعنا بقية درجاتها حتى نصل الى الدرجة الثالثة والثلاثين ورأينا كيف تُشرب اصحابها كاس سمّها نقطةً نقطة حتى يتخلَّق الماسوني باخلاقها ويتشرَّب روحها ويحيا بحياتها. وفي ما قلنا كفاية لاثبات قولنا ان الماسونيَّة ليست جمعيَّة خيريَّة ولا طائفة علميَّة .

وزد على ذلك ان بين ايدينا قوانينها المطبوعة في باريس سنة ١٨٩٣ ودستورها المطبوع في بيروت سنة ١٨٨١ والنظامات العموميَّة للطريقة الاسكتلنديَّة المترجمة الى العربيَّة بقلم « كلي الحكمة الياس بك منني » المطبوعة في مصر سنة ١٨٩٠ ولا نجد في كل موادها ما يُستفاد منهُ انها تريد عمل الخير الَّا بعض صدقات تخصُّها بذويها المنكوبين وليس لها في ذلك فضل كبير لانها بعملها تخدم صوالحها ليس الَّا

كما انَّنا لا نعرف للماسونيَّة في انحاء الشام ومصر مشروعاً واحداً خيرياً تقوم بهِ او بنفقاتهِ . وقد ارادت احدى مجلات بيروت (الكوثر ١ : ١٧٣) ان تردَّ علينا في ذلك فزعمت ان الماسونيَّة عضدت في بيروت مشروع المستشفى التدرُّني لتخفيف ويلات المصابين بهذا الداء . فالقينا السوال على كل من امكنهُ ان يفيدنا شيئاً عن هذا المشروع لنثني عليهِ فكان الجواب الاخير ان بعض الماسون فكَّروا في هذا الامر لكنَّ فكرهم بقي في حيز النوايات . أفيقاس حلم النائم مع ما نراه من العشرات بل المئات من الجمعيات الخيرية الدينيَّة والمستشفيات والمياتم والمستوصفات ودور العجزة في كل مدينة من مدن الشرق التي يقوم بها الرهبان والراهبات واهل الخير من العلمانيين . واذا قصرنا النظر الى بيروت وحدها لا نجد فيها حيًّا خالياً من مثل هذه المشروعات الجليلة . ومن منَّا لا يعرف جمعيَّة مار منصور دي بول واعضاءها الشفوقين على كل ذوي البأساء يعودونهم في اكواخهم ويبذلون حاجاتهم ما امكنهم؟ واي امٍّ تقوم بمساعدة المرضى قيام راهبات المحبة اللواتي مات ثلاث منهنَّ في سبيل المطعونين من عهد قريب . وقد رأينا يوم عيد مار يوسف الاخير عدداً من شبَّان كليَّتنا يتسابقون في خدمة العجزة على مائدةٍ اعدُّوها لهم على نفقتهم . فلتقم الماسونية وتذكر لنا قيراطاً من هذه الاعمال الخيرية وان ارادت اثبتنا لها انَّها العدوَّة الالدّ لهذه المشروعات تلاشيها حيثما يتربع ذووها في دست السلطة كما فعلت في فرنسة حيث اقفلت عدداً عديداً من مستشفيات الراهبات او سلَّمتها لايدي عمَّالها فما لبثت حتى صارت في اسوأ الحالات حتى ان الاطبَّاء الملحدين للدين انفسهم اخذوا يقدمون المعاريض لارباب الامر لاسترجاع الرهبان والراهبات . وقد تمكنت بلدية مرسيلية من اعادة مستشفى المجانين لرهبان مار يوحنا الالهي . وفي انباء البرتغال الاخيرة ان خمسين الفاً من المرضى والفقراء الذين كان يأويهم الرهبان ويعولونهم اصبحوا بفضل الحكم

الماسوني معرَّضين لآفات يرون الموت بازائها نعمةً وراحة بعد ان اقفل الماسون جبرًا المآوي والملاجئ التي كان ارباب الدين فتحوها لتلطيف اوجاعهم كما افادنا الدكتور سفران ايكار ان عشرة في المئة صاروا يدفنون في المستشفيات العلمانية في باريس قبل موتهم الطبيعي ومنهم من سُلِّمت جثتهُ للمشرحين فانتبهوا من سباتهم تحت مبضعهم

فكل هذه الشواهد لا تُبقي ريباً في ان الماسونيَّة ليست بجمعية خيريَّة وكما لا اثر لاعمالها المبرورة كذلك ليس من اثر لمعاهدها العلمية فانَّ لدينا مجموعاً رسمياً يُدعى مينرفا (MINERVA) يحتوي وصف كل الكليات والمدارس الكبرى والمراصد الفلكية التي في العالم فلم يُذكر هناك معهد واحد علمي تقوم بهِ الماسونية ولا نعدّ منها تلك المدارس العلمانيَّة المنافية للدين التي تعضدها الماسونيَّة لأنها لا تنفق عليها من ماليتها بل من مالية الدولة فهي كرية بمال غيرها

٣ حقيقة الماسونية وغايتها الصحيحة

فكيف نعرّف اذن الماسونية بعد ان جرَّدناها عن اثوابها المستعارة ؟ انَّ اقرب ما يقال عنها الى الحقيقة انها عسكر وجيش منظم

والجيش كما لا يخفى يتركب من قوَّاد وضباط وجنود في درجات متوالية كسلسلة تتصل حلقاتها بعضها ببعض فينقاد الاسفل الى الاوسط والاوسط الى الاعلى على سياق محكم تقوم بهِ قوَّة الجيش. وللجيش ازياؤهُ وشاراتهُ وامتيازات طبقاتهِ واسلحتهُ. ولهُ التمرينات التي ترشده الى فنّ الحرب ومعرفة ضروب الهجوم والدفاع وكافة الحركات العسكرية وبذلك تتمّ اهبتهُ لحراسة الوطن ولردّ غارات الاعداء.

فالماسونية على هذا المثل تتركب من رؤساء كبار ورؤساء ثانويين واساتذة ورفقاء وطلبة. ولكل طبقة منهم زيُّها ومميزاتها من اوسمة ووشاحات ومآزر. يتعارفون بكلمات سرِّيَّة كالجنود ولهم اشارات معلومة يعرف بها الماسوني رصيفهُ بين كثيرين وفي وسط جماعات الاجانب. ولهم ايضاً تمارينهم فيخطون الخطوات المنظَّمة على هندام مقرَّر. ولهم كما رأيت سيوفهم وحرابهم وخناجرهم

فيا ترى لمن أُعدَّ هذا الجيش واي عدوّ يحارب هؤلاء الجند ماذا يريدون بتجريد سيوفهم وتقلُّد اسلحتهم ؟ بديهي انهم لا يدافعون عن الوطن اذ الوطن لم يكلِّفهم بالدفاع عنهُ. فعلى من اذن يشنُّون الغارة ؟ يدعون انفسهم بالبنَّائين الاحرار فما هو البناء

الذي يحاول هؤلاء البناة بتشييده واعدّوا لهُ مآزرهم وبيكاراتهم ومثلّثاتهم وزواياهم وشواقلهم . يقولون انَّ بناءهم رمزيّ فما معنى ذلك ؟ يريدون (على قولهم) « جمع شمل العناصر البشريَّة ضمن سياج الانسان » فغايتهم اذن اصلاح الهيئة الاجتماعيَّة . فما هو هذا الاصلاح الذي يحتاج اليهِ المجتمع الانساني ليندب الماسون انفسهم للقيام بهِ

تعلمون سادتي ان للهيئة الاجتماعية نواميس ثابتة كتبها الله في قلوب البشر او اوحى بها على لسان اوليائهِ لا يجوز لهم ان يحيدوا عنها اذ عليها قد توطّدت دعائم الفتهم

وهذه النواميس مرجعها الى ركنين متينين اذا تداعيا سقط معهما بناء الهيئة الاجتماعية وهما السلطة المدنية والدينيَّة فلا تجد حيثما سرت واي بلاد حلت شعباً الَّا استند اليهما حتى ولو كان في اوطى درجات المدنية . نعم ان هذه السلطة تختلف هيئاتها فتكون ملكيَّةً مطلقة او تكون ملكيَّة مقيَّدة او جماعة شيوخ واعيان او جمهوريَّةً الَّا ان السلطة ثابتة على اية هيئة كانت . وكذلك الدين يمكنهُ ان يكون طبيعيًّا فقط اي منحصرًا في بعض المعتقدات البسيطة التي يُرشدنا العقل الى معرفتها كوجود إله او آلهة او على الاقل وجود ارواح تنوط بها الطبيعة . وكل اعتقاد بقاء النفس بعد الموت ومجازاتها على حسب اعمالها . ويمكن هذا الدين ان يكون اوسع واكمل مما بلَّغ الله عقائدهُ الى البشر على يد انبيائهِ بالوحي . ومهما كان من امرهِ لا بدَّ من التسليم انهُ لا يُعرَف حتى اليوم شعبٌ عاش بلا دين . فنطلب من الماسونيَّة ان تُعرّفنا ايًّا من هذين الركنين جاءت تؤيّدهُ باصلاحها . فلنتصفّح تاريخها ونزن تعاليمها عن تينك السلطتين المدنيَّة والدينيَّة وتصرُّفها بازائهما

ولنبدأ ﴿ بالسلطة الدينيَّة ﴾ فنقول : انهُ من المعلوم المقرَّر انَّ اولئك الفلاسفة المزعومين الذين ظهروا في فرنسة وغيرها من البلاد في اواسط القرن الثامن عشر رموا كلَّ وحي بل كلَّ دين بمناجقهم وشحنوا كتبهم اقوالًا كفريَّة انكروا فيها وجود الخالق وأيدوا قدم العالم ورفعوا قوَّات الطبيعة وزعموا ان السلطة الدينيَّة انَّما اولدتها شعوذةُ الكهنة وارباب الدين املًا بالارباح الخسيسة وتنفيذًا لسطوتهم واستبدادهم . ثمَّ زرعوا هذه السفاسف في عقول الاغرار بالمذاكرات والتآليف الرائجة

السوق والخطب والمراسح ولاسيما في دائرتهم العلميَّة المعروفة بالانسيكلوبيذيا فكان ما كان من إضعاف روح الدين في قلوب معاصريهم وكادوا يفوزون بالمرام لولا انَّ الله لا يغلبه شرٌ

وقد ثبت اليوم بالشواهد المتعدّدة انَّ اولئك الفلاسفة كفولتير وروسّو وديدرو ودالمبرت وفردريك الثاني ملك بروسية كانوا كلُّهم من اشياع الماسونيَّة يعدُّون في محافلهم تلك الاسلحة القتَّالة التي حاربوا بها الدين من اكاذيب وتشنيعات وضروب الهزء والسخريَّة. اسمعوا احد كبار المسلمين في عصرنا الذي عرف الماسونيَّة وبرحها بعد ان استطلع مُجرها ومُجرها. قال السيد جمال الدين الافغاني: عن اولئك الدهريين الماسون وخصَّ بالذكر الاوَّلين اي فولتير وروسّو

« ظهر وولتير وروسو يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام باثارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر ابيقور الكلبيّ واحيا ما بلي من عظام مذهب الدهريين ونبذا كلّ تكليف ديني وغرسا بذور الاباحة والاشتراك وزعما انَّ الآداب الالهيَّة جعليَّاتٌ خرافيَّة كما زعما انَّ الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانسانيّ. وجهر كلاهما بانكار الالوهيَّة ورفع كلّ عقيرتهُ بالتشنيع على الانبياء وكثيراً ما ألَّف « وولتير » من الكتب في تخطئة الانبياء والسخريَّة بهم والقدح في انسابهم وعيَّب ما جاؤوا به فاخذت هذه الاباطيل من نفوس مواطنيه ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسويَّة ونفضوا منها ايديهم وبعد ان اغلقوا ابوابها فتحوا على انفسهم ابواب الشريعة المقدَّسة كما زعموا اي شريعة الطبيعة. وزاد بهم الهوس في بعض أيامهم حتى حمل لفيفاً من عامَّتهم ان يتناولوا بناتاً من ذوات الجمال فيهم ويحملوها الى محراب الكنيسة ففعلوا ونادى القوم: أيها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنُّوا شيئاً من ذلك تهديداً لكم من إله السماء . . . فهذه كلها من آثار الطبيعة . . . فحلُّوا عن اعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا لأنفسكم إلهاً من خواطر ظنونكم فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فها هي « مداموزيل » قائمة في المحراب على مثال الدمية فاسجدوا لها ان شئتم » اه

ولا تظنوا ايها السادة انَّ هذه التعاليم كانت قلتةً من الماسونيَّة او ظهرت في

بلد واحد على السنة بعض الافراد وانما نشروها في مؤتمراتهم واعلنوا بها في جرائدهم ومجلّاتهم الرسميَّة التي كانوا سابقاً يتفانون في كتمها . ولكن ليس خفيٌّ الّا سيظهر كما قال السيد المسيح وقد قام في فرنسة والمانيــة وبلجكة قوم من ذوي الهمّة استخرجوا هذه الدفائن وكشفوا اوراق الماسون السريَّة وعرضوها في معاهد علميَّة يستطيع الوقوف عليها من شاء . فهنـاك النشرات الماسونيَّة الرسميَّة وقراراتهم التي يطبعونها في عدد معلوم لتبقى محجوبةً عن اعين العموم فترى نشرة الشرق الفرنساوي تقرّر في السنة ١٨٩٥ « ان العشيرة الماسونيَّة تأبى اعتقاد اي حقيقة دينيَّة كانت » . وترى جماعة ماسون ايطالية « يعلنون باستقلال الانسان ويقرّرون ضرورة ملاشاة كل كنيسة رسميَّة » . وترى صكّ المحفل الاكبر في برلين يقرّر «بان العلم هو الاساس الوحيد لكلّ معتقد فهم يرفضون كل عقيدة بُنيت على اساس الوحي » وتنظر في اعمال مؤتمر بروكسل الماسوني سنة ١٨٦٦ تصريحهم « بانَّ التوراة هي مجموع خرافات واكاذيب وآراء فاسدة »

وتتناول هذه التعاليم كل الاديان على سواء فانَّ نشرة ماسون المانية جاهرت بقولها سنة ١٨٦٦ بانَّهُ « يُقتضى على الماسون ان يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالاله ايًّا كان » . وجاء في كتب برودون احد زعماء الماسونيَّة « ان قال الماسون بوجود الاله ارادوا به الطبيعة وقواها الماديَّة فهم يجعلون الله والانسان كشيء واحد »

ومثلهُ قول ويسهوبت منشىء الماسونية المنوَّرة : « كل شيء هو مادّي فالله والعالم ليسا الّا شيئاً واحداً وجميع الديانات هي خياليَّة غير ثابتــة اخترعها ذوو المطامع » . وكذلك قال مؤتمر مجمع هولندة الماسوني سنة ١٨٧٢ : « الله والانسان من جنس واحد فنحنُ الله » . بل بلغ الجنون باحدهم وهو الاخ برودون السابق ذكرهُ فقال (والعياذ بالله) ان الله هو الشرّ (Dieu c'est le mal)

وان اعترض الماسون بانهم يكرّمون « مهندس الكون الاعظم » اجاب عليهم اخوتهم انَّ هذه خدعة ماسونيَّة التجأوا اليها لئلّا ينفر منهم النــاس . قال رئيس المحافل الماسونيَّة الاكبر في باريس سنة ١٨٧٨ : « انَّ هذه العبارة اي مهندس الكون الاعظم لا يتألف منها ادنى مذهب فلسفي فهي توافق ذوق كل من يطلب الدخول في الماسونيَّة سواء كان مؤمناً او مادياً او كافراً » . وقال مثلهُ الاخ الكبير هايان في

مجلة العالم الماسوني : « انَّ الماسون اختاروا لهم شعاراً يمكن البشر جميعهم ان يقبلوه من جحدة الالوهيَّة وناكري خلود النفس » . وقال آخر : « ان اسم مهندس الكون عندنا اسمٌ بلا مسمًّى . . . فان الطبيعة هي الله »

ولا يقولنَّ الماسون انَّ هذه التعاليم لا يرضى بها كل اولاد الارملة . نعم انَّنا نعرف ذلك لا بل قليل منهم بلغوا الى هذا التطرُّف لاسيما في بلادنا وانما كفاهم ان يكونوا اعضاء لشيعة يتفوَّه ذووها بهذه الالفاظ الكفرية او انهم يتفاخرون بكونهم اخوانهم لانَّ الماسونيَّة واحدة تمدُّ اشراكها في كل العالم وانَّما تتجنَّس وتتلوَّن على اهواء كل بلد فهنا تذكر مهندس الكون كما تفعل في انكلترَّة واميركا وهناك تنفيه كما فعل ماسون فرنسة وايطالية وبلجكة واسبانية والبرتغال الذين ألغوا اسم « ذاك المهندس » وجاهروا بكفرهم . وبعد ان تظاهر ماسون انكلترَّة واميركا بالاستياء من عملهم عادوا فسكتوا عنهم

وقد كرَّر ماسون بلادنا في كتبهم التي في ايدينا افتخارهم بكونهم من اعضاء الماسونيَّة العمومية التي لا تفرق بين دين وآخر وبين كافر ومؤمن قال شاهين بك مكاريوس في كتاب الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية (ص ١٧) :

« والماسونية منتشرة انتشاراً يحسدها عليه اعظم الاديان المولودة التي امتدَّت في اربعة اقطار المعمور لانَّ تلك تفرق في العالم بين الشعوب فمن عابد صنم وكافر وجاحد ومبدع ومخالف بينما ترى الماسونية فاتحة ذراعيها لقبول اولادها داعية اياهم اخوة »

وليست هذه تعاليم الماسونية في جحود الاديان نظريَّةً فقط بل تراهم حيثما فازوا بالسلطة يصوِّبون سهامهم للمذاهب فيقفلون المعابد ويحبسون ارباب الدين وينفون الرهبان من بلادهم وينهون عن فتح المدارس المذهبية ويلغون من الشرائع كل ما تُشتمُّ منهُ رائحة الدين ويضطرُّون الراهبات باقفال مستشفياتهنَّ ومياتمهنَّ . فهم سنُّوا الزواج المدني وهم الغوا القسَم بالله في المحاكم ونفوا السنَّة الكريمة من نقودهم الدولية بل امروا بالَّا يتلفظ به رؤساؤهم كما ترى في الجمهوريَّة الفرنساوية حيث لم يذكر الرؤساء منذ ١٨ سنة باسم الاله في خطبهم الرسميَّة كأنَّ الله لا وجود له

وقد دخل شيء من هذا الروح الكفري في بلادنا نظريًّا وعمليًّا

امَّا نظريًّا فبما طُبع من بعض الكتب المنافية للدين كمثل كتب امين الريحاني

المختلفة ومنها الريحانيات التي بيَّنَّا في الشرق (١٣ : ٣٧٩ و ٧٠٣) ما فيها من الاقوال الكفرية الفاسدة ومنها الروايات الخلاعيَّة التي اهتمَّ بتوزيعها الماسون كاسرار رومية والمسيح في الواتيكان

واما عمليًا فمثل الحملات التي تحامل بها الماسون او المناقدون على آرائهم في بيروت وزحلة وعمشيت ضدَّ ارباب الدين في هذه السنين الاخيرة بحجة الاوقاف وغير ذلك . وكما فعلوا لمَّا احتجوا على سيادة الطران مسرَّة اذ اخرج من الكنيسة الاكاليل المزدانة بالعلامات الماسونيَّة في جنازة الاخ جرجي نعمة (١ . وترى بينهم من يصوِّر التصاوير المزليَّة لبخس شأن ارباب الدين كما يفعل جرجي حدَّاد في البرازيل في جريدة الفجر فينشر المسوخ السمجة لمناهضة الاكليروس . ولمَّا نشبت الحرب بين ايطالية والدولة العليَّة صوَّر قداسة الحبر الاعظم مجرَّدًا بيمينه السيف وبيده اليسرى الصليب كأنَّهُ يريد محاربة جلالة السلطان وانه مثير عليه هذه الحرب باسم الصليب

وكما فعلت ايضاً الماسونية البيروتيَّة سنة ١٩٠٢ لمَّا كتبت رسالة افرنسيَّة ممضاة باسم عمدة محفل لبنان ارسلتها مع الاخ اوليفيه الى الشرق الاعظم في باريس تطلب من اعضائه المساعدة لطرد الرهبان من سورية (وقد رسمنا سابقاً صورتها الفوتغرافية)

﴿ السلطة المدنيَّة ﴾ وكما دكَّت الماسونيَّة السلطة الدينيَّة شنَّت الغارة ايضاً على الركن الثاني للمجتمع البشري اعني السلطة المدنيَّة . يقول بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين (١٣ : ١—٩) : « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانَّهُ لا سلطان الَّا من الله والسلاطين الكائنة انَّما رتَّبها الله فمن يقاوم السلطان فانَّما يعاند ترتيب الله . . . افتبغي ألَّا تخاف من السلطان افعل الخير فتكون لديه ممدوحاً لانَّهُ خادم الله لك للخير فامَّا ان فعلتَ الشرَّ فخفْ فانَّهُ لم يتقلَّد السيف عبثاً لانهُ خادم

١) ويا ليت سيادتهُ لم يردَّ آخرًا على « محفل نور المحبة التابع الشرق العثماني الاعظم » لمَّا هنَّأهُ هذا المحفل على غيرته الوطنيَّة . كما اننَّا نأسف على ما فعلهُ حديثاً السيد شحاده في زحلة لمَّا اقام جنَّازاً لرئيس محفل ماسوني محروم من كنيسته وكنيستنا ايضاً (راجع السرَّ المصون في شيمة الفرمسون الكرَّاس الرابع ص ٢٢)

الله المنتقم الذي يُنفذ الغضب على من يفعل الشرّ فلذلك يلزمكم الخضوع له لا من اجل الغضب فقط بل من اجل الضمير ايضاً »

فهذا الكلام المسجدي يحتوي كل فلسفة الحقوق المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس وبين السلطان والرعيَّة. فان السلطان او الرئيس قائم مقام الله وان شئت قل انهُ ظلّ الله في ارضهِ فيجب عليهِ ان يرعى شعبهُ كرسول الله والمسلط منهُ لسياسة الرعيَّة ويجب على المرؤوس ان يكرّم السلطان ويخضع لهُ في كل ما هو صالح موافق لضميره. وكان السيد المسيح اختصر ذلك سابقاً بهذه الآية: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

فترى كيف امتثلت الماسونية لامر السيد المسيح ولامر الرسول بولس: فالجواب على هذا السؤال تابعٌ لما سبق مرتبط بهِ ارتباطاً غير منفصم. فبالحقيقة اذا صحّ قول الماسونية السابق ان الدينياتٌ جعليات خرافية وان الله عزّ وجلّ اسم بلا مسمّى وانهُ لا يوجد في العالم غير الطبيعة المادية فينتج عن ذلك ان السلطة المدنية لا اساس لها ثابت وانما هي ايضاً من جملة الاختراعات البشرية التي يجوز رفعُها او وضعها على حسب ارادة البشر. وكما نصبتُ اليوم زيداً ليرأس عليَّ اخلعه غداً لاقوم انا مقامهُ اذ اني انا مصدر السلطة فأعطيها من شئت او انزعها كما شئتُ ومتى شئتُ وعمَّن شئتُ

وفي الواقع هكذا تعتبر الماسونية السلطة المدنية. قال الاخ راغون من ارقى الماسون في الدرجات في كتابهِ شرح الرموز الماسونية: « لا حقّ لاحد سواء كان ماسونياً او لا ان يستخرج من طبيعة الانسان شرائع وتعاليم يفرض بها على البشر وكلُّ من استعان بسلطة الهٍ ايًّا كان ليسنّ شرائع وتعاليم على الناس فهو كاذب وخدَّاع »

ومثله روى الاخ كلائل: « ان مسمى الماسونية العظيم بان تمحي بين البشر كل تمييز يفرق بينهم كشرف الاصل والاديان والمذاهب والاوطان »

ومعظم الادوات الماسونية كالمثلث والبيكار والزاوية والحجر الاصمّ تدلُّ على كسر شوكة السلطة وطحنها بحيث لا يكون في العالم لا رئيس ولا مرؤوس. اسمع كيف يشرح احد الماسون في كتاب الخلاصة الماسونيَّة معنى البرجل:

انَّ للبرجل معنًى يا فتى تُصبح الافكار فيهِ حائره
سوف ينثني للوري دائرةً ويصير الكلّ ضمن الدائره

اي الدائرة الماسونيَّة او المثلث الذي يضغط في زواياه كل طبقات البشر

ومن رموز الماسونيَّة في الدرجات العليا ذلك السلَّم السري الذي يشيرون به الى جمعيتهم وهم ينصبونهُ على حيَّة مثلثة الرؤوس كأنهُ يسحقها فالرأس الاوَّل مكلَّل بالتاج البابوي يريدون به السلطة الدينية والرأس الثاني عليه الاكليل الملكي رمز السلطة المدنيَّة والرأس الثالث في فيه سيفٌ اشارة الى القوَّة العسكرية. فالماسونية تدَّعي انَّها مندوبة الى سحق هذه الرؤوس الثلاثة فتلاشي الدين والسلطان والعسكر وتجعل العالم كلهُ واحداً يصنع كل انسان ما شاء وكيفما شاء وحيثما شاء كهُمَل الحيوانات وضواري الغابات. وقد اختصر اولئك المتطرِّفون تعاليمهم في حقوق الانسان نحو المجتمع البشري بهاتين الكلمتين « لا اله ولا سيد »

ولعلَّ البعض ينخدعون بصورة الصليب التي يرونها على شاراتهم الَّا ان المتقدِّمين في الماسونيَّة يعلموننا إنَّ الصليب الماسوني هو كالصليب المصري قبل المسيح يُشار به الى القوى النسليَّة والقباحات الوثنيَّة. فهذه تعاليم الماسونيَّة وهذه آدابها

وما اكتفى الماسون بهذه التعاليم النظريَّة في السلطة البشريَّة وآداب الهيئة الاجتماعيَّة بل اسرعوا الى اخراجها الى حيز الوجود فكانت اوَّل غاراتهم على ملوك البوربون الذين كانوا يملكون في كل الدول اللاتينيَّة فأحاطوهم بمشايعيهم وابعدوا عنهم انصارهم لاسيما الرهبانية اليسوعيَّة التي كانت تهذِّب الشبيبة وتعلِّمها خدمة الله والطاعة الى ممثليه على الارض حتى اذا رأوهم بلا سند ثأروا عروشهم وقتلوا البعض ونفوا البعض الآخر وسفكوا دماء الوف من الابرياء لم يكن لهم ذنب آخر غير كونهم اشرافاً او كهنة لا يرضون بجحود دينهم والتخلُّق باخلاق الاشياع السريَّة بل قتلوا حتى النساء والفقراء المتدينين. وقد بيَّن احد اساتذة باريس المسيو غوترو (Gautherot) في مذاكرات عديدة القاها في حاضرة فرنسة في هذه السنة ان الثورة الفرنسويَّة كان ضابط ازمَّتها الماسون وانَّهم هم الذين دبَّروا كل فصولها ولعبوا كافَّة ادوارها. وما كان قتلُ لويس السادس عشر سوى تنفيذ لاحد مآربهم التي كانوا اتفقوا عليها في المحافل السريَّة كما قرَّر ذلك احدهم المسمى آبل (Abel) فتاب قبل موته واعلن بالامر تحت القسَم امام ابنهِ الذي دخل في الرهبانيَّة اليسوعية ونشر ذلك بموجب وصاة من والده

وبعد ان ملأ الماسون فرنسة دماء وفظائع اخذوا يعيّمون الثورة في كل انحاء اوربة بواسطة جيوش الجمهورية. فمنذ ذاك الحين الى اليوم لم نكد نرى دولة ثابتة فان الماسونية تنفخ حيثما تحلّ روح الثورة فكم ثلّت من عروش وكم قلبت من دول وكم عارضت من ملوك فتارة تستعين بالاشتراكيين وطوراً باهل الفوضى وحيناً تدعو اليها الفحّامين والنيهيلست فلو اردنا ان نتتبع تواريخ مكايدهم دولةً دولة لا تسع بنا المجال وضاقت بنا الكتب الضخمة. وقد احصى الاختصاصيون في مدّة مئة سنة عدد الملوك او الرؤساء الذين قُتلوا بمساعي الماسونية فاذا هو ينيف على الثلاثين هذا فضلاً عن الذين انتصروا عليهم فلم يفلحوا بمكائدهم

وترى الماسون اذا قامت دولة اسرعوا في مدحها واطنبوا في محامدها وعظّموا ملكها او رئيسها فاذا استظلّوا بظلّها وأمنوا نكباتها عادوا الى مكائدهم وفكّروا في تدميرها. وهذا قد جرى لهم حتى مع الملوك والرؤساء الذين كانوا من اعضاء الماسونية كما فعلوا مع نابوليون الثالث الذي وكلوا الى اورسيني بقتله فلم يفلح

وكان اوّل ملك دخل في الماسونية فردريك الكبير ملك بروسيا دخلها سنة ١٧٣٨ وهو وليّ العهد وصارت بينهُ وبين الماسونيّة روابط وثيقة جدًّا فكان يعامل الماسون كاخوة ويقدّمهم في كل وظائف مملكتهِ بل انشأ في دولتهِ شرقاً اعظم وكان يظن انَّ الماسونيّة لا تريد كما تزعم غير شمل العناصر البشريّة الّا انهُ ما لبث ان تأكّد بانَّ اولئك الاخوة خونة. وكان بين حاشية الملك جنرال لا يخفي عنهُ شيئاً من مقدّمي الماسونيّة اسمهُ فالراف. فهذا الاخ اطّلع على بعض اسرار الدولة بخصوص استحكامات بلاد سيلاسيا فباع الاوراق السريّة للنمسة عدوّة الملك فردريك. واذ وقف الملك على خيانتهِ جمع محفل برلين وترأس الحفلة وخطب عن واجبات الماسون نحو وطنهم ثم قال: « انَّ احد الاخوة هنا قد حنث بأيمانهِ وباع اسرار وطنهِ فاذا اقرَّ بذنبهِ غفرتُ لهُ اما اذا سكت فاني لا اعود وفياً لهذا المحفل حيث يوجد الخائن بل بصفة كوني ملكاً ادفعهُ لايدي الحكّام ليقضوا عليهِ »

ثم سكت الملك وانتظر ان يبوء الجنرال باثمهِ فلم يفعل. فحينئذٍ أقفل المحفل وبعد ان وضع المطرقة الماسونية على الهيكل خرج وتبعهُ الاخوة فالتفت الى الخائن وطلب منهُ سيفهُ ثم امر الحرس بتوقيفهِ ليُحاكم فحُكم عليهِ بالسجن المخلّد فمات في

قلعة مكدبورج سنة ١٧٧٦ خاملاً مجهولاً

وقد خان ايضاً فردريك الكبير اخوهُ بالماسونية ڤولتير مرَّةً فعلم الملك بخيانته وامر الجلّاد بان يضربهُ ستين جلدةً يسلّم اليهِ الوصل بقبولها فتمَّ الامر فعلاً .

وقد رأينا في عهدنا مثل هذه الخيانات نحو الاوطان فتذكَّروا الضابطين اليهوديين دريفوس واوامو اللذين باعا اسرار الدولة الفرنسويَّة لاعدائها . تذكَّروا فرّير وخيانتهُ الملكية . غير انَّ في زماننا لهؤلاء الخونة انصاراً من اخوتهم يحرّكون السماء والارض ليذكّوا الأئمة ويبرّروهم كما فعلوا في دعوى دريفوس الاثيم او ليستأنفوا دعواهم كما فعلوا بعد الحكم على فرّير . وقد رأينا في نفس بيروت قوماً من الاخوان لا يعرفون فرّير لا بالسمع ولا بالنظر ينتصرون له امتثالاً لاوامر رؤساء الماسونيَّة

وكما فكَّك الماسون عرى الهيئة الاجتماعيَّة الوثقى من جانب الحكم المدني كذلك نقضوا حَبل العيشة الاهليَّة بسنّ شرائع الطلاق وباضعاف السلطة الوالديَّة في العائلة بتحريض الاولاد على نبذ اوامر الوالدين ونشر التعليم اللاديني واكراه الابوين على وضع اولادهم في المدارس الرسميَّة المنافية للمذاهب

ولا يقولنَّ احد ان هذه السُّنن قد اشترعها النوَّاب . نعم ان النوَّاب قد صادقوا عليها علانيةً الَّا انهم كانوا سبقوا وقرروها قبلاً في المحافل الماسونيَّة التي كان هؤلاء النوَّاب من اعضائها فسعت الشيعة في تعيينهم للنيابة في مجلسي الأمة والاعيان فحلفوا في مجتمعاتهم السريَّة انهم يتبعون في التصويت إرادة الشرق الاعظم واذ قيَّدوا نفوسهم باوامره ونواهيه لم ينوبوا عن الأمة بل عن الماسونية

هذا نظر اجمالي في غايات الماسونية واعمالها لا يمكننا ان نتّسع فيه فمن اراد التفاصيل أحلناه الى كتابنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » الذي لم يردّ عليه حتى الآن احد من الشيعة الَّا بعض فقرات ظهرت في الجريدة الماسونيَّة في الاسكندريَّة وفصلين قصيرين في مجلّتين مصريَّة فبيروتيَّة وكلّها تثبت كلامنا فضلاً من ان تنفيهُ اذ لم تجد جواباً غير الانكار دون سند وتعظيم الماسونية دون شاهد ثابت ولا نعدّ جواباً رسائل غفلاً من اسماء اصحابها وجّهوها الينا شتماً وترهيباً

٣ اصل الماسونية وصفوة اعمالها الى يومنا

وكان بودّنا ان نبحث امامكم عن تاريخ الماسونية لتروا بدليل حتي مزاعم

كتبتها الباطلة او بالحري اقاويلهم المتضاربة. فالاخ ايليا الحاج يروي عن شيوخه في الماسونيّة ان الماسون «جماعة من اليسوعيين الانكليز في بريطانيا» وروى الاخ جرجي زيدان «انّها نشأت في القرن السابع عشر وانّها هي جمعيّة الصليب الورديّ. ومنهم من اوصلها الى الحروب الصليبيّة وطائفة الهيكليين وآخرون تتبّعوها الى أيام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد. وفي الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ١٠٣): «انّ سليمان الحكيم هو اوّل معلّم اعظم في الماسونية». الى ان قال الاخ زيدان: «وبالغ آخرون في انّ مؤسسها آدم والابلغ من ذلك قول بعضهم انّ الله سبحانه وتعالى اسّسها في جنّة عدن وانّ الجنّة كانت اوّل محفل ماسوني وميخائيل رئيس الملائكة كان اوّل استاذ اعظم فيه»

كل هذا ننقلهُ بحرفهِ من الكتب الماسونية فما رأيكم أيها السادة الكرام بمثل هذه السفاسف أترون انّ جماعةً يلقون على الناس هذه التلفيقات يستحقّون ان يُحلّ كلامهم محلّ الاعتبار؟ لا اظنّ. والمقرّر الثابت اليوم بعد الابحاث التي اصدرها في المانية المؤرّخ الشهير هرمان غروبر انّ الجمعيّة الماسونية أنشئت في ٢٤ حزيران سنة ١٧١٧ في لندن عاصمة الانكليز ثم وضعت الدستور الماسوني كما هو معروف اليوم في اواخر كانون الاوّل سنة ١٧٢٢ فصادق عليهِ المحفل الاكبر ونُشر في شباط من السنة التالية. وبعد قليل انحاز اليها ملوك انكلترة اذ وجدوا في الماسونية مُساعدًا قويًا على تنكيس الدول الكاثوليكيّة

نعم قد سبقت هذه الجمعيّةَ جمعيّاتٌ سريّة غيرها الّا انهُ لا علاقة بينها وبين الشيعة الماسونية الحديثة وان وُجد بينها بعض التشابه في طرائقها بل اخذت عنها شيئًا من طقوسها وعاداتها. كذلك لا علاقة بينها وبين جمعيات البنّائين الذين كانوا اتّخذوا لهم نقابات ليساعدوا بعضهم في الاشغال فانّ شبه الاسم بعيد عن شبه العمل وشبه الغاية لانّ تلك الجمعيّات كانت تحت نظارة الكنيسة فاذا دخلها احد اعلن بايمانهِ ومعتقدهِ. ولا نجد في قوانينها شيئًا سريًا

ولنا دليل آخر على ان الماسونية الحالية أنشئت في ذلك العهد وهو ان المحافل المنبثة اليوم في كل انحاء العالم كلها تنتسب الى شروق عظمى تنتهي آخرًا بالتوالي الى الشرق الانكليزي المنشأ سنة ١٧١٧

فها انهُ قد مرّ على الماسونية نحو ٢٠٠ سنة ومحافلها تنيف على ثلاثة وعشرين الف محفل واعضاؤها مليونان بنيف فنرجوها ان تُطلعنا على مآثرها في هذه المدّة. تدّعي انها « وضعت لجمع شمل العناصر البشرية ضمن سياج الانسانية » فلدينا نشراتها ولدينا كتابات ذويها السرية فمهما تصفحناها لا نرى ذكرًا لوفاق او اشارة الى عمل اجتماعي ازالت فيه الماسونية بمساعيها النفور والخصام بين الشعوب او بين الافراد او انها ابطلت حربًا او جبرت كسرًا. وعلى خلاف ذلك فان الشواهد المتعدّدة التي جمعها العلماء تثبت بلا مراء انَّ الماسونية فرّقت ولم تجمع زادت الصدع كسرًا ولم تجبره وذلك حتى بين اصحابها. فكأنكم سمعتم ما جرى من المنازعات بين اعضاء المحافل الماسونية الوطنيّة التي سُمع صداها حتى في الجرائد العمومية وكذلك طُبعت الاحتجاجات التي نشرتها محافل الاستانة في حقّ ادريس بك راغب واصحابه كما طنطنت جرائد مصر كالمقطم والاهرام بذكر الانقسامات والمشاحنات التي جرت بين المحافل المصريّة

٤ نتيجة البحث

افلا يحقّ لنا بعد ذلك ان نستنتج من هذه الاعمال والاقوال ان الماسونية جماعة فاسدة في غايتها وفي تأليفها وفي الوسائط التي تتوسل بها لبلوغ غايتها. اولا يجب علينا ان نستحلف اهل بلادنا الذين انخدعوا بها ان ينفصلوا عنها وعلى ظننا انَّ تسعة اعشارهم دخلوها دون ان يعلموا حقيقتها ومنهم من جاهروا بلعنها بعد ان عرفوها

وقد سبقهم اكبر رجال الدين وارباب الدول المنظمة في رذل هذه الشيعة وكان في مقدّمتهم اولئك الاحبار الاعظمون الذين اذ عرفوا شيوع هذه الجمعية الماسونية اسرعوا الى شذبها وضربوا بالحرم من ينضوي اليها وذلك بعد ظهورها بزمن قليل فلدينا نحو عشرين براءة كتبها الاحبار الرومانيون في هذا الامر. واذ عرف المجمع المقدّس انَّ الشيعة الماسونية نفثت سمها في هذه البلاد منذ ١٢٥ سنة بادروا الى تنبيه نصارى الشرق الى امرها فتقدّم المجمع بترجمة براءة البابا بندكتوس الرابع عشر في مناهضة الماسونيّة ثمَّ عُني بنشرها في ثلث لغات اليونانية والارمنية والعربية وكفى به شاهدًا على سهر الكنيسة على اولادها لئلّا يصابوا بهذا الداء العياء. وقد جمعنا في كتابنا السرّ المصون اقوال السادة البطاركة الاجلاء والاساقفة الجزيلي

الاحترام والكهنة الافاضل مع اقوال ائمة المسلمين والبروتستانت وغيرهم وكلهم يتفقون على كشف دسائس الماسونيَّة والتحذير من شرّها

وكما قام ارباب الدين لمناهضتها ترى ايضاً كل الدول الحريصة على بقائها حذَّرت من هذا المصاب. وقد روينا هناك سنن ٢٣ دولة من جملتها دولتنا العليَّة منذ ١٦٠ سنة تنهى رعاياها عن التشيع في الماسونيَّة تحت طائلة العقاب وقد جدَّدت دولتنا هذا النهي لمَّا ورد في العام الماضي الامر باقفال المحافل الماسونية في انحاء تركيا. فلا يبقى لنا بعد هذا الشرح الَّا ان نكرّر على مسامعكم بعض ما ختم به الحبر الاعظم لاون الثالث عشر براءته المفعمة حكمةً وصلاحاً التي اصدرها عن الشيعة الماسونية سنة ١٨٨٤ قال:

واما انتم ايها الاخوة المحترمون فنسألكم ونطلب اليكم ان تساعدونا وتتفقوا غاية مجهودكم في محو شأفة هذا الفساد المهلك الذي قد دبَّت عقاربهُ الى جميع عروق الاجتماع الانساني فعليكم ان تذبّوا عن مجد الله وخلاص القريب اللذين متى قصدتم الدفاع عنهما لا ينقصكم فيه لا الشجاعة ولا القوة. وقد وكلنا الى حكمتكم ان تختاروا ما ترونهُ ملائماً من الوسائل الفعَّالة لازالة ما يترفكم من الموانع — الَّا انهُ لمَّا كان يناسب سلطان وظيفتنا ان نبيّن بعض الوسائل الملائمة في هذا المقام فأوَّلاً عليكم ان تكشفوا النقاب عن حقيقة الشيعة المسونيَّة ليراها الناس كما هي وان تعلّموا الشعوب وتنبهوهم بالخطب الشفاهية او بالرسائل الرعائية الى مكايد مثل هذه الجمعيات في مواسلاتهم ومواعيدهم الكاذبة والى فساد آرائهم وقبح اعمالهم وان تبيّنوا لهم ما أقرَّهُ سلفاؤنا غير مرة من انهُ لا يباح لاحدٍ ولا لاية علَّة ان يتحيَّز الى شيعة المسونيين اذا كان للدين الكاثوليكي وخلاصهِ عنده من منزلة الاعتبار والاهميَّة ما يجب ان يكون. وليحذر كلٌّ منهم ان يغترَّ بالادب الظاهري. فقد يظهر البعض ان المسونيين لا يلتمسون شيئاً يضاد بالوجه الصريح قداسة الدين والآداب الَّا انهُ لمَّا كانت حقيقة هذه الشيعة وغايتها مبنيَّتين على الفساد والرداءة فلا يمكن ان يباح لهم التحيُّز اليها ومظاهرتهم لها بنحوٍ من الانحاء

ثم اشار البابا الى وسائل أُخرى الى ان قال:

فعليكم ان ترشدوا الآباء والمرشدين الروحيين وكهنة الرعايا ان لا يغلُوا في اثناء شرحهم التعليم المسيحي ان ينهوا بالطريقة الملائمة الأحداث والتلاميذ الى فساد طبيعة هذه الجمعيات وان يعلموهم منذ حداثتهم ان يتحرزوا من حبائل المكر الخائنة التي اعتاد اصحابها ان ينصبوها اخذاً للناس بها

فما بقي علينا بعد هذا الَّا ان نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت راعي رُعاة

النفوس طالبين الى الله ان يرشد كل اهل الاوطان الى ما فيه خير العباد وصلاح البلاد فانهُ اسمع السامعين

حلب الشهباء ومجلّة المقتبس

لحضرة القس جرجس بش الماروني الحلبي

في الصيف المنقضي زار صاحب المقتبس اللوذعي حلب الشهباء فكتب في تاريخها المدني وجغرافيتها السياسيَّة والصناعية والتجاريَّة وحالتها العمرانيـة والاجتماعية والادبية فصولا سابغة الذيول نشرهـا ولاءً تباعاً في الاجزاء الاخيرة من السنة السادسة من مجلتهِ الزاهرة فجاءت خير برهـان على وفرة ادبهِ وسعة اطلاعهِ فحقَّ له مزيد الثناء على ما عاناه من الكد والنصب في ما دبَّجهُ يراعهُ السيَّال من تلك الطرائف الرائعة والحقائق الناضرة

وقد امعن في البحث واكثر من النقول الّا في اشياء ارسلهـا على علّاتها واثبتها كما رآها في كتب القدماء شأن الراحل او المسافر الذي يصف ما يشاهده ويروي ما يمرّ بخاطرهِ دون ان يتسنى لهُ تمييز الغثّ من السمين وبيان الخطأ من الصواب في ما يدونهُ في اسفاره من الانباء والآثار تاركاً لمن خفَّت عن نفسهِ مؤونة السعي ان يتعقَّب على هينتهِ ما شاء في مثل تلك الاغراض والمباحث وما انا من يجد لهُ العذر فعذرهُ ظاهر ولا من يتعقبهُ فيما اتى بهِ فلعلهُ على صواب ولعلي على خطأ وانما اتلمس الحقيقة فيما اثبت وانفي والحقيقة بنت البحث كما لا يخفى

بنو حام

قال في الصفحة ٦٢٧ : « اوّل من استوطن بقعة حلب بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى مصر » — وقد اصاب في بعض قولهِ الاول ولكنهُ اخطأ في الثاني فان مساكن بني حام معروفة لا خلاف عليها فبنو كوش امتدت مساكنهم من بابل وعلى شطوط الاوقيانوس الهندي حتى بلاد الحبشة ومصر وذرية مصرائيم قد توطنت مصر ونسل فوط قد سكن شطوط افريقية الشمالية على قول البعض او بعض اليمن

والسومال على قول آخرين. وبنو كنعان اهلت بهم سهول سوريَّة الشمالية وشطوط البحر المتوسط الى جنوبي فلسطين وهو ما يُستفاد من الكتاب الكريم

فرقة الكيتا

وفي تلك الصفحة: «قد كانت فرقة (من بني حام) فيها قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب» — فجرى الكاتب في لفظ الكيتا على التعريب الحرفي عن اللغات الافرنجيَّة والاقرب الى اللغات العبرانية والمصرية والاشوريَّة تعريبهُ لهُ بالحتا او الحيتا وهم الحثيون ابناء حث بن كنعان بن حام بن نوح. وكانوا (يمدُّون تخوم بلادهم الى جنوبي سورية والى تخوم مصر التي نشب بينهم وبينها حرب على عهد رعمسيس الثاني. وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء عظيم من اسيا الصغرى) على ما رواه المقتبس نفسهُ (٦ : ٦٨٠) اقرأ ايضاً مجلة المشرق ٩ : ١١٢٦ وما يليها)

ابراهيم الخليل

وفي الصفحة نفسها: «وسكن حلب ابراهيم الخليل» — وهو ما ذهب اليهِ بعض كتبة العرب كما يذهب آخرون منهم الى انهُ عليهِ السلام قد قطن في بعلبك وملك في دمشق الشام وسواهما وكلا المذهبين على حد ما يذهب اليهِ كتبة العرب انفسهم في مدفن النبي داود من انهُ في جبل صهيون وبيت لحم وبلاد البقاع وقرية مشحلا من اعمال حلب وفي مدفن ابنهِ سليمان من انهُ في كنيسة الجسمانية وباب الصخرة وبيت لحم وجزيرة اندمان غربي الهند الصينية وغير ذلك. ومهما يكُ من الامر فليس في الكتاب العزيز ما يدعم ذلك المذهب في استيطان ابراهيم في حلب ومن المحتمل ان يكون مرَّ بها عند رحيلهِ الى ارض الكنعانيين ولكنهُ غير قطعي

بنو آرام

وفيها ايضاً: «ثم جاء بعدهُ بنو ارام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك البقعة» — لا ادري الى ما يستند في قولهِ ان آرام ابنُ لوط والمشهور المتعارف ان آرامَ ابنُ سام ولوطاً ابنُ هاران. . بن ارفكشاد ابنُ سام وهو جد الموابيين والعمونيين وارامُ جد الاراميين الذين عمروا دمشق واعمالها وتغلغلوا منذ الزمن الاطول في انحاء سورية

الشمالية ومنها حلب. ولما انقرضت الدولة الحثية عادت دولة الاراميين الى الظهور في تلك الجهات الى ان تغلّب عليها اليونان في عهد الاسكندر المكدوني وهو الذي اجمع عليهِ المؤرخون القدماء والحدثاء استناداً الى اشهر الآثار القديمة وبهِ غنى لذوي الالباب

مملكة ارام

وفي صفحة ٦٢٨: «وقسموها (اي مملكة الاراميين) الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة ارام... والثانية المملكة الشامية.. والثالثة مملكة ارام صوبا».. ولا ريب في ان الكتاب العزيز سمى سورية ارام نسبة الى ارام الخامس من ابناء سام على انهُ اضاف اسم ارام الى اعمال عديدة فقال ارام النهرين وارام دمشق وارام صوبا (وهي التي سبق ذكرها) وارام معكة يراد بها فيما يظهر بلاد حاصبيا ومرجعيون وبانياس. وارام رحوب ويظهر انها كانت في محل الجولان الان. ذلك كل ما ذكرهُ الكتاب المقدّس وعليه المعول عند العلماء الاثبات

ارام صوبا

وفيها ما حرفهُ: «والثالثة ارام صوبا وهي الجُبول من ضاحية حلب وما قرب منها» - والذي عليه العلماء انها سورية المجوفة اي ما بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي او هي مملكة كانت بين دمشق جنوباً وحماة شمالاً وعلى ذلك ادلة. منها ان توعي ملك حماة حارب هدد ملك صوبة. ومنها ان اراميي دمشق اتوا لنجدة هدد على داود عند حربه اهُ ومنها ما جاء في سفر اخبار الايام الاول ١٨: ٣) وهو بحرفهِ: (وضرب داود هدد عازر ملك صوبة في حماة) اي في جوار حماة فمجاورة مملكة هدد لدمشق من جهة وحماة من اخرى وغزوتهُ في نواحي الفرات التي حاربهُ داود الملك بسببها يدلّ صريحاً على ان مملكتهُ كانت حيث ذُكر آنفاً فتامل

العالقة والكيتا

وفيها ما نصهُ: «ويقولون انها (حلب) من بناء العالقة بدليل الكتابة التي وجدت على (جدار)... جامع القيقان... مكتوبة بالخطّ الهيروغليفي بلغة الكيتا».. والكتابة بلغة الكيتا او الحثا (اي الحثيين) لا ريب فيها ولكن من اين استولى منها بيشوف الذي اخذ عنهُ المقتبس على ان حلب من بناء العالقة

والكتابات الحثية لا تزال رموزاً يعتاص حلها على العلماء حتى الآن فسقوط الدليل يُسقط معهُ ما استُدلَّ بهِ عليهِ كما لا يخفى . واطلاق الحثيين على العمالقة لا يخلو من خلط ومجازفة لان الحثيين من اصل حامي هو حث بن كنعان واما العمالقة فقال فيهم لنورمان الشهير انهُ يظهر من اقدم التقليدات العربية انهم من ذرية ارام ولوديم فهم من اصلين حامي وسامي . ويظهر ايضاً من الكتاب المبين انهم كانوا يعمرون جنوبي سورية وهو المقرر المعلوم

الكيتا والحاتيون

وفي تلك الصفحة : « ان كتابة . . . الحجر الاسود مكتوبة بالخط الهيروغليفي بلغة الكيتا او الحاتيين » — ومن الثابت المؤكد ان الشعبين من اصل واحد هو كنعان ابن حام ولكن الاول غير الثاني والاول هو شعب الحتا او الحثيين وقد سبق ذكرهم مراراً واما الثاني فهو قبيلة الحمثي او الحماتيين التي نزلت على ضفة العاصي واسست مدينة حماة وسمتها باسمها وهو ما يقولهُ علماء الانساب والتاريخ . والذي يلوح لي ان بيشوف الجرماني عرَّب (في تاريخ حلب ص ٣ — ٥) اسم الحثيين تعريباً حرفياً (بالكيتا او الحاتيتيين) فجعلها جامع كتابهِ (الكيتا او الحماتيتيين) فصحَّحها صاحب المقتبس (بالكيتا او الحماتيين) فتبصَّر وتدبر

علبة وهلبون

وفي الصفحة نفسها : « وكان اسم حلب بلغتهم (اي بلغت الحثيين) هلبون وهلبة » — من المعروف ان الحاء والخاء لا وجود لهما في بعض اللغات الافرنجية فيستعاض عنهما بما قرب منهما مخرجاً من حروفها فلما نقلهما المصحح عن بيشوف السابق الذكر رسمهما بالهاء جرياً على عادتهِ في التعريب الحرفي المستهجن والا فحلب لم تُسمَّ في وقت من الاوقات بمثل هذا الاسم المشوَّه المنكر وانما سماها الاراميون على رأي البعض (حلبون) وسماها المصريون القدماء (خلبو) فصحفوا المصحح (بهلبون وهلبة) كما هو ظاهر . راجع ما شئت من كتب الجغرافية والتاريخ

فراعنة مصر

وفيها ايضاً : « اتى ملوك الفراعنة . . . وحاربوهم (الحثيين) وملكوها (حلب) منهم وهم توتمس الاول وتوتمس الثاني وسياتي ورعمسيس الاول » . (الصواب تحوتمس

الثالث وسيتي الاول ورعمسيس الثاني) وهم من ملوك الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بمصر وكل خبير يعلم ان في عصر الدولة الاولى ابتداء اعنات بني اسرائيل وفي عهد الثانية كان خروجهم من مصر فلا ادري كيف يقول بعدهُ « وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسمائة سنة الى ثلاثة الاف سنة » والصواب بالف وخمس مئة سنة الى الفي سنة على الكثير ولا اخال تأسيس حلب يتعدَّى الالفي سنة قبل ميلاد السيد المسيح (لهُ المجد)

ملوك بابل

وفيها بعدهُ : « واتى بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين (كذا) وملكوها (حلب) وذلك قبل التاريخ المسيحي بثمانمائة وستين سنة » — وهو يريد ملوك اشور كما هو المعروف المقرَّر وفي الاثار الاشورية ان تجلت فلاصر الاول وكان سنة ١١٣٠ او سنة ١١٢٠ ق م قد حمل على سورية فافتتحها عنوة واخضعها لسلطته . وجاء بعدهُ بعض خلفائهِ على عرش نينوى مثل اشور نسربال الذي ملك سنة ٨٨٣ ق م وسلمناصر الثالث الذي استوى على سرير الملك سنة ٨٥٨ ق م فاغارا على سورية وامتلكا بلادها وكل هؤلاء غشوا سورية قبل الزمن الذي عينهُ الكاتب بقرون كما هو ظاهر

سلمناصر الرابع

وفيها ايضاً : وفي سنة ٨٦٠ ق م حارب شلمناصر الرابع الحماتيين وملك حلب في جملة ما ملك من البلاد » — ومن هذا يظهر ان الكاتب يريد الحثيين على ما سبقت الاشارة اليهِ . ولكني لا ادري من يريد بهذا سلمناصر الذي نعتهُ بالرابع مع انهُ في التاريخ الذي عيَّنهُ الكاتب كان المالك اشور نسربال الذي ملك من سنة ٨٨٣ الى سنة ٨٥٨ ق م وقد اقرَّ العلامة لنرمان في تاريخهِ (ج ٤ ص ٢١١) انهُ لم يحمل على سورية من ملوك اشور بعد سلمناصر الثالث سوى حفيدهِ رمان الثالث وخلفهُ تجلت فلاصر الثاني الذي ارتقى عرش نينوي سنة ٨٥٨ الى سنة ٨٢٣ ق م

الروم واليونان

وفيها بعدهُ : « جاء الاسكندر واخذها (حلب) . . . فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون ذا خلبه ولما حولها خلبن . . . وكانوا يقولون لها برويا . . . ولعلها

عربية من قولهم بربري» — ففي قوله « الروم اليونانيين » تسامُح ظاهر وهؤلاء سبقوا اولئك في امتلاك حلب كما هو معروف. واماً خلبه وخلبن فقد اتفق ناقلوها على تعريبها بكالب وكالبون ولا بأس من تعريبها خالب وخالبون وهي ترجمة (حلبون) باللغة اليونانية. واماً بروبا فالصواب فيها بروًا او بيروًا وبهذا رسمها كل من ذكرها. واماً قولهُ انها عربيَّة من البربري فهو مثل سواه من توجيهات العرب فيما حاولوا ان يجدوا لهُ اصلاً في اللغة العربية من الالفاظ الاعجمية العديدة

حلب والروم

وفيها اخيراً: « ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي مملكتهم مع سوريَّة وانطاكية » — وهو قول لا يخلو من مجازفة ومهما يكُ منهُ فان حلب كانت في عهد الروم من اعمال قورستيكا التي كانت قاعدتها قورس او قورش وهو الذي ذكرهُ الجغرافيون فاعتمدهُ

انوشروان

وفي ص ٦٣٠: «جدد كيرويس الشرواني ما انهدم من سور حلب» — والصواب « كسرى انوشروان » وبهِ رسمهُ مؤرخو العرب وبهم يجب الاقتداء في كتابة الاعلام وسواها كما لا يخفى

اسم خاليس

وفي ص ٦٣٢: « واسم (نهر) قويق القديم شالوس. عن سالنامة ولاية حلب » — والصواب (خاليس) وقد ذكرهُ كزينفون اليوناني وبهذا عربهُ كل من ذكرهُ من الكتَّاب

اسم قويق

وفيها ما حرفهُ: « وسبب تسميتهِ (النهر) بقويق ان رجلاً من رؤساء عشائر التركمان في القرن الرابع اسمهُ قويق انما انشأ لهذا النهر عدَّة سدود ليجري جريةً حسنة فأطلق اسمهُ على النهر من ذاك الحين » — وهو ما رواه البعض واعتمد عليهِ آخرون ولكني في ريب من صحَّتهِ لا لان التركمان ما استطاعوا اذ ذاك ان يتولوا حلب حتى يجروا فيها مثل هذه الاصلاحات التي هي من خصائص الهيئة الحاكمة بل لان مثل

ابن الطيب السرخسي الشهير يذكرهُ بهذا الاسم في رحلتهِ سنة ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) اي قبل القرن الرابع وعندي ان لتسمية النهر بهذا الاسم سبباً آخر واسمهُ ليس بكردي ولا عربي فتأمل

عما لاغما

وفي ص ٧٠٣ : «كفر غما (!) صقع بين خساف وبالس من نواحي حلب» — في حين انهُ كرره في ص ٨٠١ فقال : كفرغما صقع في برية خساف بين بالس وحلب . وهو الذي يقولهُ اصحاب الجغرافية والمعاجم

فاميا وابيفانيا

وفي ص ٧٤٣ ذكر عن حماة : « انهُ ربما كان انطوخيوس ابيفان هو الذي سماها (ابفانيا) . . . ولم يصرح جغرافيو العرب بان فامية هي حماة . . . بل قالوا ان فامية هي مدينة قديمة » — قلتُ ليس صاحب المقتبس اول من شُبِّه عليهِ اسم حماة اليوناني بافامية فقد شُبِّه على كثيرين من قبلهِ من كتّاب الفرنجة والعرب والسريان . واول من كشف الغطاء عن حقيقة هذا العلَم انما هو الرحالة بورخردت الشهير فتبعهُ العلماء الاثبات (المشرق ٦ : ٥٥٣) وهو الصواب فان فامية او افامية (قلعة المضيق) واقعة في الشمال الشرقي من حماة وكانت في عهد العرب من كورة حمص (انظر المقتبس نفسهُ ٦ : ٦٩٠ و ٦٩١) وقد انتبه صاحبهُ لذلك في عدد مجلتهِ الاخير (٧ : ٢٢٩ فقال : « افامية غير حماة » وهو الصواب

. . .

هذا وقد اكثر من النقول عن جغرافيي العرب في بلاد عديدة دون ان يحقق اسماءها او يذكر من احوالها الحديثة شيئاً فبقي فيها اشياء لغوية وجغرافية لا سبيل الى تحقيقها الان آملاً ان لا يبدو لهُ كلامي في غير لونهِ من الاخلاص وفوق كل ذي علم عليم

من المهد الى اللحد

للاديبين سليم ابي رزق ويوسف جرجس الخوري من طلبة كليتنا

على صفحات العمر خطّت يدُ الدهرِ عظاتٍ لذي الذكرى تُسطَّرُ بالتبرِ
عرفتُ بها سرَّ الحياة وكُنهَها وما تحتوي الدنيا من الحلو والمرِّ
فما العُمر الّا مرحلاتٌ نجوزها على الشوك احياناً وحيناً على الزهرِ
تَشيد لنا الآمالُ برجَ سعادةٍ فتنسفهُ الايّامُ بالنُّوب الحُمرِ
عمرِ العمرُ ادوارٌ فاوّلهُ الحشى وآخرهُ حتفٌ يسوقُ الى القبرِ
وفي كل دورٍ للشقاوة غارةٌ تغيّبها الاحلامُ عن مُقلةِ الفكرِ

الطفل

ومهدٍ به نام الصغيرُ مقمّطاً كاني به العصفورُ يرقد في الوكرِ
يريدُ حراكاً والقماطُ يصدُّهُ فيلبثُ مغلولَ اليدَينِ على قسرِ
وليس لهُ شكوى سوى عبراتهِ فتنثرُها عيناهُ درّاً على النحرِ
ترى امّهُ تهفو اليهِ اذا بكى وفي فكرها البلبالُ يلذعُ كالجمرِ
اذا هزَّ صوتُ الطفل مهجةَ امّهِ فبرقُ الهوى ما بين قلبيهما يجري
لآناتهِ في صدرها ابداً صدًى اذا انّ خلتَ السهمَ أُثبتَ في الصدرِ
وان هبَّ يشدو في السرير ترنّحت سروراً وهزّت عطفَها سورةُ البشرِ
تُناغيهِ نشوى من ملامح وجههِ فيصغي الى انغامها باسمَ الثغرِ
وتُنشدهُ شعرَ الهوى فيعيدُهُ بلهجته العجماء شعراً من السحرِ
فكم ليلةٍ أحيت الى جنب مهدهِ تنظّمُ عقدَ الدرِّ من دمعهِ الذُّرّي
بمرآهُ يغدو السُّهدُ اشهى من الكرى اليها وجنحُ الليل ازهى من الفجرِ
وان غابَ عن ابصارها شقَّ قلبُها بسيفِ النوى شطرَينِ شطراً على شطرِ
على انهُ في مهجة القلب نازلٌ وفي مُقلتيها ماثلٌ ابدَ الدهرِ
تراهُ بمرآةِ الغرامِ كانّهُ اخو البدر او ابهى ضياءً من البدرِ
وتسبحُ في جوّ التفاؤل والمُنى فتبني لهُ برجاً على هامةِ النسرِ

تقول متى ما شبَّ طفلي يجول في سماء المعالي تحت ألوية النصر
وطوراً تخالُ الدهرَ ينضو حسامَهُ على غصنهِ اليأس في زهرة العمر
فينخرُ سوسُ الهمِّ جذعَ فؤادها ويقذفُ من حوليهِ موجاً من الذُّعر
لذلك لا تنفكُّ ترعاهُ عينُها لتحرسهُ طولَ الزمانِ من الضُّرّ
ألا ان عيشَ الامِّ مُرٌّ مذاقهُ وعيش ابنها في المهدِ ضربٌ من الاسر

الصبا

اذا بلغ الطفلُ الصِّبا مالَ قلبهُ الى اللهو ميلَ الشَّهم للمجد والفخر
يُكبُّ على الالعاب طولَ نهارهِ كإكبابِ عُشَّاقِ الثراء على الصُّفر
وقد فاتهُ ما في كِنانةِ دهرهِ من الشؤم والأسواء والجور والغدر

ويوم بهِ طابت عن الناس مهجتي فلم أرَ للسلوى سبيلاً سوى القفر
خرجتُ وفي صدري الهمومُ كأنها جبالٌ من الظلماء قامت على صدري
فمذ اشرفت عيني على زهرةِ الرُّبى وقد كلَّلتها بالجمانِ يدُ القطر
رأيتُ جيوشَ البشرِ شدَّت على الاسى فلم تُبقِ للاتراح في الصدر من إثر
هنالكَ نهرٌ تعقدُ الريحُ فوقهُ زُرودَ لُجَينٍ او سلاسلَ من درّ
على ضفَّتيهِ الدوحُ مدَّت ظلالها لها نفحاتٌ دونها عبقُ العطر
تهدتْ بُسطَ العشبِ يطرب مسمعي طيورُ الرُّبى تشدو على نغمِ النهر
اذا بفراشٍ مرَّ يعدو وراءهُ صبيٌّ ذكت في خدهِ جذوةُ الحرّ
فلم يرَ غيرِ الدوح من ملجإٍ لهُ فلاذ بها عيَّانَ من شدةِ الكرّ
وما انفكَّ ذيَّاكَ الصبيُّ ملاحقاً طريدتَهُ الحسرى فتركنُ للفرّ
الى ان تولَّاهُ القنوطُ فكفَّ عن لحاق فراشٍ ما جنى قطُّ من وزر
فلمَّا انجلى همُّ الفراش هوى على م الازاهرِ يُحيي النفسَ من عرفها العطري
لقد حان من ذاكَ الصبيِّ التفاتةٌ فابصر غلاً ساحباً حبَّةَ البرّ
فالقى عليهِ القبضَ ظلماً وعنوةً وجرَّدهُ ممَّا حواهُ من الذُّخر
فقلتُ بنفسي هذهِ صورةُ الذي يُذيقُ الورى صابَ المظالمِ والقهر
وقد غاب عن ابصارهِ أنَّ ربَّهُ يجازيه اضعافاً على الظلمِ والشرّ
فمن ينصبِ الاشراكَ للطير في الصبا فان شبَّ ينصبْ للورى شركَ المكر

ومَن يظلمِ الانسان يوماً لضعفهِ يُقاسِ عذابَ الوُرقِ في مِنسرِ الصَّقرِ
يخوض الفتى بحر الملذّات غافلاً كأني بهِ في مأمنٍ من شبا العُسرِ
ويُطلق طرفَ القلب في ساحة الهوى فيكبو بهِ في وهدةِ الذلّ والمكرِ
فيا خائضاً بحر الملاهي منعَّماً حذارِ من الانواء في المدّ والجزرِ
ويا وانياً قُمْ من سُباتك واقتبسْ من الطير درساً لست تلقاهُ في سِفرِ
ألستَ ترى العصفور يغدو لقوتهِ ويحرزهُ بالكدّ خوفاً من الفقرِ
كذلك تلقى النملَ يجمع ذُخرَهُ ليقضيَ فصل العُسرِ في جنّة اليُسرِ
وما النهر الّا صورة العمر فاعتبرْ حياتك مثل النهر يجري الى البحرِ
الّا إنَّ ايام الصبوّةِ حلوةٌ ولكنها العقبى امرُّ من الصَّبرِ

الطالب

لقد شاقني ذكر العلوم فساقني الى معهدٍ يسبي بآدابهِ الغُرّ
فشاهدت تلميذاً امام معلّمٍ يقلّبُ كأساً تاطخ بالحبرِ
يديرُ بهِ الالحاظَ لكنَّ فكرهُ يسابق خيلَ العُربِ في العدوِ والحضرِ
يجوبُ بلادَ اللهِ وهو مقيَّدٌ فينزلُ في قُطرٍ ويرحلُ عن قُطرِ
يظنُّ معاني العلم سجناً لنفسهِ وسجّانهُ الاستاذُ ذو النهيِ والامرِ
يحاولُ ان ينحلَّ من قيد أسرهِ ويحسد طيراً سابحاً في فضا البرّ
متى حلّ ميعادُ السباقِ رأيتهُ يقلّبُ الحاظاً لينسخَ في السرّ
فإنْ فاز في الفحص الكتابيّ بالمنى فما هو في الفحص الشفاهيّ ذو قدرِ
وإنَّ لهُ من أعيُنِ الناس أسهُماً من الهزء يُدمي نصلُها مهجةَ الحُرّ
ألا اصلح اللهُ الكسالى فانهم يذوقون اسواء تندُّ عن الحصرِ
وباركَ في اهل النشاط فانهم سيبدون في الاوطان كالانجم الزُّهرِ
ترى الطالبَ النهّاضَ يُعمل فكرهُ ليدركَ شأوَ المجد في ساحة الخُبرِ
ولا ينثني عن باحةِ الجدّ لحظةً ليكسبَ حمداً في الملاعبِ النَّشرِ
يؤمُّ رياضَ العلم يجني ثمارَها ويقطف زهر السعد من غُصنها النَّضرِ
وينكبُّ ظمآناً على مشرع الهدى كإكبابِ حرّانِ الفؤادِ على الغمرِ
ألا انَّ اهل الجهل يخبث ذكرهم وذا العلم عبّاقُ المحامدِ والذكرِ

فأياك ان ترضى لنفسك بالعمى فصاحبهُ ميتٌ و إن عاش للحشر
وغذِّ النُّهى بالعلمِ والقلبَ بالتُّقى فتظفرَ في الدارَينِ بالسعد والأجرِ

الشبيبة

نظرتُ الى اهل الشبيبة نظرةً تجلَّت بها شمسُ الحقائق في فكري
لهم عزَّةٌ قعساء تأبى صغارةً وهمَّتهم من دونها همَّة النسر
يغوصون في بحر المفاخر جهدَهم ليستخرجوا درَّ المعالي من القعر
أُسودٌ أباةُ الضيم في ساحة الوغى تقدُّ مواضي عزمهم مهجة الصخر
وتحسبهم في السِلم رُوقاً سواجماً على فنن الاشواق في روضة الطُّهر
يذودون عن حوض الفضائل غيرَهم ويحمون وردَ الدين من كدَر الكفر
واوطانُهم ان يستباح ذمارُها يحامون عنها بالمثقفة السُّمر
أرى الموت في خير البلاد غنيمةً ففي عزِّها عزّي وفي فخرها فخري
احاربُ عنها باليراع مناضلاً وإن مسَّت الحاجات بالقضب البتر
ادافع عنها ما حييتُ وان أمتْ فحبُّ بلادي لا يغيِّبهُ قبري
عليك سلامُ اللهِ يا خيرَ موطنٍ وزانكَ ربُّ العرشِ بالحلل الخضر
اذا ثملت بالخمرِ أفئدةُ الورى فذكرُكَ احلى في فؤادي من الخمرِ
وان تاهتِ الدنيا بوشي ربيعها فانت ربيع الروح والقلبِ والفكر
ألا انَّ ادوار الحياةِ عديدة ولكن ربيعُ العمر من غُرَر العمر

سليم ابو رزق

الكهولة

رعى الله اعلامَ الحصافةِ والخبرِ وصان رجال الحزم من عُصَبِ الغدرِ
وحيَّا مغاويرَ الحروب تحيَّة تردِّدها يومَ الوغى أُسدُ الخدرِ
هم عدَّةُ الاوطان يحمون عزَّها ببأس على حدِّ الظُّبى ابدًا يجري
ولا نالت الجُلَّى الكهولَ فانَّهم ليجنون زَهر الرُّشد من فنن الخبرِ
لهم عزمةُ الفتيان لكنَّ قلبهم بصيرٌ بأخلاق الورى عارفُ الدهرِ
فلا تستفزُّ المطرباتُ قلوبَهم وليسوا اوان اللَّهو كالخود في الخدرِ
فهُم بين حدَّي حدَّةٍ ورزانةٍ فما هم اطوادٌ ولا قلو خمرِ
اذا رُزق الكهلُ البنينَ غذاهمُ بآدابهِ الحسنى واخلاقه الغرِّ

يُلقّنهم في المهدِ حبّ بلادهم ويجعلهم من معشر السّوء في حِجْرِ
ويحجب عن اسماعهم كلَّ لفظةٍ تُؤدّي بهم يوماً الى هوّة الوزرِ
ويُبعد عن ابصارهم كلَّ مشهدٍ يثبّت في الاذهان جرثومة الشرّ
فلا تسمع الآذان الّا نصائحاً ولا تقعُ الانظارُ الّا على الطهرِ
اذا اعوجّ خُلقٌ فيهم هبَّ مسرعاً يُثقّفهُ غضّاً فينجو من الكسرِ
وإن علّةٌ شنّت عليهم غارةً يعالجها حتى تُقدَّ من الجذرِ
فليس يغضّ الطّرف عنهم لحظةً مخافة أن تصطادهم عصبةُ المكرِ
اذا بدرت منهم بوادرُ حدّةٍ يؤدّبهم باللحظ لا الضربِ والهجرِ
فلحظته امضى من السيف عندهم وهيبتهُ تغني عن العنفِ والزجرِ
وان فعلوا صنعاً جميلاً جزاهمُ جزاءً يحلّي عندهم عملَ البرّ
تمرّ الليالي بينَ نثرِ نصائحٍ ونظمِ انتصاحٍ كالقلادة في النحرِ
يديرُ عليهم من سُلافِ حنانهِ كؤوساً فتنسيهم معتّقةَ الخمرِ
ويطبع فوق الخدّ قُبلة حبّهِ فتهتزّ اعصابُ القلوب من البشرِ
فلله من مجلى يُجلّل أفقهُ سناءُ هلالٍ بين انجمهِ الزُّهرِ
هنالك أقمارُ الهناء زواهرٌ تحفُّ بشمسِ السعدِ والانسِ واليسرِ
اذا كان في الدنيا نعيم فانّما ترى روضهُ الفيّاحَ في ذلك المصرِ
سقى الله صوبَ الرغدِ والخيرِ والندا يبرُّ بأولادٍ لهُ أيّما برّ
يُكبُّ على الاتعاب طول حياتهِ ليجمع للابناء كنزاً من الوفرِ
مخافة ان تنتابهم نُوَبُ الشقا اذا خيّمت في ربعهم سُحُبُ الفقرِ
واشرفُ ما يأتيهِ في جنبِ خيرهم ازاحةُ سترِ الجهلِ عن ساحة الصدرِ
فينفق في هذي السبيل نُضارهُ ولا ريب ان العلمَ خيرٌ من الدُّرِّ
متى غادروا مغنى المعارف نُصّبت لهم في حمى الاوطان الويةُ الفخرِ
يضوعُ لهم في كل نادٍ مآثرٌ تردّدها الافواهُ عبّاقةَ النشرِ
بمثلهم تعلو البلادُ مكانةً ألا فاقتدوا يا قومُ بالوالدِ البرّ

الشيخ

وشيخٍ جليلٍ كلّل الشيبُ رأسهُ كتكليل غصن الروض بالنّور والزهرِ

لئن فلّت الايامُ حدَّ مضائهِ ... فآراؤهُ تغنيكَ عن رونقِ الفجرِ
اذا جُنَّ ليلُ المشكلات تألّقت ... لهُ حكمةٌ أزهى من الشهبِ الغرِّ
فلا تخطئُ الرمي سهامُ ظنونهِ ... ويقرأُ طرسَ الغيبِ في صفحةِ الفكرِ
فكم نكبةٍ جلّى الشيوخَ غيوماً ... ولولاهم ضاقت بهم حِيَلُ القطرِ
وكم ازمةٍ كرَّت على الناس كرَّةً ... فرُدَّت على الاعقابِ بالرأيِ لا السمرِ
لقد صقلت كفُّ التجارب ذهنهم ... وبالصقلِ يغدو الذهنُ أمضى من البُترِ
فباتوا على خُبرٍ بأطوارِ دهرهم ... وعلمٍ بما فيها من النفعِ والضرِّ
اذا كرَّ جيشُ الخطبِ جنَّد فكرُهم ... عليهِ من الآراءِ صمصامةً تبري
ألا أنَّ رأيَ الشيخِ أنفعُ للورى ... من العضبِ في كفِّ الفتى الباسلِ الغرِّ
لهُ مطلعٌ زانتهُ هالةُ حكمةٍ ... كأني بها من حولهِ هالةُ البدرِ
وجلسُهُ منثورةٌ في اديمهِ ... عقودُ جمانٍ او شذورٌ من التبرِ
تحفُّ بهِ في كلِّ نادٍ مهابةٌ ... كما حُفَّت الابطالُ بالمجدِ والنصرِ
على ان عمرَ الشيخِ مُرٌّ ولو غدا ... على عرشِ عزٍّ في سما النعمى والامرِ
تراهُ أوانَ القرِّ يهتزُّ رعدةً ... وان حلَّ فصلُ القيظِ ذابَ من الحرِّ
ينوحُ على عهدِ الشبيبةِ نادباً ... قواهُ وقد خانتهُ في ساحلِ العمرِ
فلا غروَ إن يأسف على زمنِ الصبا ... فقد بات مثلَ القوسِ محدودبَ الظهرِ
وقد وهنت منهُ العزائمُ والقوى ... واضحى يعاني لوعةَ العجزِ والقهرِ
اذا أمِنَ الاسقامَ كان خُوارُهُ ... على قلبهِ نوعاً من السقمِ والاسرِ
يرى حولهُ ان المنايا رواصدٌ ... تُنشِّبُ في احشائهِ مخلبَ الصقرِ
وفي يدِها المِنحاتُ تنحتُ قبرهُ ... وتحفرهُ كفُّ الرَّدى أيَّما حفرِ
فليس يغيبُ الموتُ عن عينِ فكرهِ ... ولا تصرفُ الانظارُ عن لجةِ القبرِ
فيحسبُ ان الموتَ ناضٍ حسامهُ ... يودُّ لهُ الاضلاعَ شطراً عن شطرِ
فتىً لدنيا يغمرُ الناسَ همُّها ... ولذَّاتها فيها عصيرٌ من الصبرِ
اذا شئتَ ان تحيا حليفَ سعادةٍ ... فأعرض عن الدنيا وأقبل على البرِّ
فانَّ حياةَ المرءِ مثلُ سحابةٍ ... تمرُّ مرورَ الطيفِ والمرءُ لا يدري
ألا فاغرسِ الاحسانَ وازرع عوارفاً ... لتحرزَ في الدارينِ اجراً على اجرِ

وواظب على ورد المكارم والتقى فتغنمَ خيرَ الاجرِ مع خالدِ الذكرِ
فخيرُ الورى من زانَ أيامَ عُمرهِ بما يبهجُ الالبابَ في موقف الحشرِ

يوسف جرجس الخوري

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

تولّى ﴿ مصطفى باشا ﴾ في سنة الف ومايتين وسبعة وثلاثين (١٨٢١ م) وحضر للشام . في زمان حكمهِ استكنت الامور وما صار حوادث ثقيلة . وكان جسوراً صارماً ولكنهُ كان عادلاً . بدا منهُ امور مغايرة مطلقاً واستقام نحو سنتين وعُزل . وجاء المنصب الى صالح باشا الذي كان متسلماً في زمان سليمان باشا وتواسط في مادة بطرك الروم والكاثوليك . وفي زمان مصطفى باشا انفتق الجبل (حصلت فيهِ فتن) وصار محاربة قوية بين الامير (بشير) وابن جنبلاط وعلي عماد . وغلبهم الامير وهرب المشايخ المذكورون الى حوران . وكان الامير كتب الى عبدالله باشا عن هربهم لحكم الشام . فبالحال كتب الى مصطفى باشا ان يمسكهم ويقتل عماد ويحبس جنبلاط . وحالاً ارسل عسكر دالاتيه وهواره نحو ستمائة نفر وحاشزا المذكورين (ضيقوا عليهم) وبالخداع وبالمكر مسكوهم . وبعد ما لبسوهم قلابق دالاتيّة جابوهم للشام مكتوفين . وقبل دخولهم للسرايا رفعوا القلابق عن رؤسهم (167) وتوصلوا حصة (نحو) العصر . فصدر الامر بقطع رأس علي عماد ووضعوه بخلاية واخذهُ عسكري لعكا . واما الشيخ بشير (جنبلاط فانهم) سجنوهُ بالقلعة مدة ايام ثم ارسلوهُ لعكا . وبعد ايام قتلهُ عبدالله باشا مع شيخ من بيت عماد وراح الجميع سحق الفخار من رداوتهم وسوء افعالهم

﴿ تولي صالح باشا ﴾ فحضر الباشا المذكور واظهر صرامة كلية بالاحكام والاعيان يداروهُ ويلاطفوهُ . ثم بعد حضورهِ بايام قريبة قبض على اليهود والصيارف وسجنهم بالخزنة روفائيل واولاده واظن ابن اخيه ايضاً . وضايقهم جداً بطلب غرش .

وحينما كان متسلماً في زمان سليمان باشا اطّلع على بعض امورهم ومن وقتهِ ضمر لهم السوء. واعرض للدولة واحضر امراً عالياً بحبسهم ومحاسبتهم ثم ختم بيوتهم وحاش الدفاتر وضايقهم جداً واخذ منهم مبلغاً يحرز كل ما كان لهم بالقرايا من دين وشوبصه (ريع القرى) وغيره. قيل انهُ بلغ ذلك أنوف (اكثر) من ثلاثة الاف كيس. وعمل دابهُ ودابهم (اي جعل دابهُ التضييق عليهم) وبقيوا متحاشين (مسجونين) اياماً كثيرة. والاوضة (اوضة السجن) انوضع بها محمد هدايا الذي هو اسكندر حمصي نصراني عدوّ لهم لانهم سعوا بقتله قبل ذلك بنحو سنتين. وكان قتل لولا يدخل في دين الاسلام وبالنتيجة انهم قاسوا مرمة زايدة (عذاباً عظيماً) ودفعوا مالاً غزيراً. ثم انتقلوا من سجن السرايا لبيت المفتي تحت اليسق بكفالة المذكور

ثم حضر طلب من الدولة بالدفاتر من حين خدموا الى الان فاظهروا تسعة وعشرين دفتر مداخيل الميري كل سنة. وفي اسلامبول فحصوها وما بان خبر ان كان وجد فيها غلط ام فروقات او هي صحيحة. ومضى مدة طويلة وهم بالسجن واليسق واخيراً اطلقهم. واما روفائيل (فانهُ) صار مضطرباً جداً واشهر غلبهُ (عوزه) حتى انهُ باع اشياء كثيرة من بيتهِ حتى ملبوس حريمه ومصاغ وغيره بالمزاد. واخيراً هرب لبغداد واوسل لهُ (167) الباشا اماناً وبعد ايام كثيرة حضر للشام ولزم بيتهُ من بعد ما قاسى شدايد ومحن وكلف كثيرة وبراطيل وغيرها غير المدفوع للخزينة الذي ما انعرف كميتهُ على الصحيح وقيل انهُ أنوف (اكثر) من خمسة آلاف كيس ومضى امرهم

ثم انّ الباشا قتل عبد الرزاق واخيه اسماعيل الذين كانوا ماسكين القلعة سابقاً وعملوا ذلك الهيجان والاضطراب في زمان حكم عبدالله باشا العظم. فمسكهم نحو الظهر ياسين اغا تفكجي باشي الذي كان عدوّاً لهم وخنقوا اسماعيل اوّلاً بالقلعة. وبعده جاؤوا بعبد الرزاق فوجدوه مات من الخوف

وهذا الباشا كان فهيم وذو حركات ولكنهُ كان بخيلاً جداً ويحب جمع المال. وفي زمانهِ صار طاعون سنة على سنة. ثم خرب مقام مار جرجس عند تلّ النصارى وسببهُ انهُ يوجد مقام للاسلام قدام مقام مار جرجس وكان خربان. فبهذه السنة لاحظ (قصد) عماره بعض مشايخ وكانوا يترددوا اليهِ ويعملوا تهليلات وخلافهُ.

أن بغضتهم للنصارى حيث يعتبرون المقام المذكور ففكَّروا ان يعدموه. فاعرضوا للباشا عنهُ وانهُ مكان صار عثرة ويلفي اليه (يجتمع فيه) المعترين (الاوباش) وموضوع للفحشا والمآثم وانهُ لا يليق يصير ذلك قدام مقامهم المذكور. فسالهم الباشا هل ان هذا المقام عمَّره النصارى او هو من قديم. فاجابوه انهُ غير معروف زمان عمارهِ ولكنهُ قديم ليس محدث. ففكر الباشا ان ربما يوجد باطنهُ شي من ذهب او فضة. فصدر امرهُ في هدمهِ حالاً ولا احد درى الَّا بعد ما انهدم. واوصى بعض الخدم انهم يزيلوا الاساس حتى لا يعود لهُ اثار. ولكن النيَّة كانت نوع آخر. فراح الخدام بساعة غفلة قبل غروب الشمس بشي قليل واخذوا معهم اثنين فعالة وهدموا المقام وصاروا يبالغون في حفر الاساس وتوسيع الحفر داير الدار. وموجود قبور للاموات قريب (168r) للمقام. فمن زيادة الحفر نقبوا قبرًا وطلع منهُ رائحة كريهة لزم تركوا شغلهم واخبروا الباشا بما عملوه. ثم ثاني يوم شاع الخبر فارسل البطرك اخذ الحجارة والخشب لبيتهِ. واحتفظوا مدة طويلة الى ان تجدد عمار هذا المقام في ايام حكم محمد علي باشا والي مصر. ورجعوه احسن ما كان

واستقام الباشا والي شام نحو ثلاثة سنين وعُزل وبوصولهِ الى ادنه مات بغتةً. قيل ان الدولة تغيَّرت عليهِ وصدر الامر بضبط مالهِ وحينما بلغهُ ظنَّ الامر بقطع راسهِ ايضاً فمن الوهم مات غفلةً. فجاء المنصب الى والي باشا في سنة الف ومايتين واثنين واربعون (١٨٢٦ م)

ثم تولي والي باشا فحضر المذكور للشام وهذا الباشا كان عندهُ حق وليس لهُ تفتيش على شي. واستقام سنة واحدة وعُزل وقام والياً للشام عبد الرووف باشا سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧ م)

ثم تولي عبد الرووف باشا فحضر المذكور للشام وكان لطيفاً عادلاً يحب الهدوء والسلامة. ومن عدلهِ الزايد طمعت فيهِ اهل الشام وبوقتهِ كانت المواصلة والكركتايه (اي اهل الموصل والكرك) متعينين (متوظفين) واحوالهم مع الناس غير مرضية وصدر منهم مطاولات واشيا مذمومة فهاجت عليهم الاهالي وقتلوا منهم وصار شلش بالبلد حتى الباشا تحسَّب والتزم يطردهم من خدامتهِ كلياً وطلع الجميع من الشام خوفاً من اهل البلد

ولكن بهذا النوع ازداد طمع الناس بالباشا . وصار يبدا منهم امور غير مرضية حتى بوقت ما قبل ان يطرد المذكورين اعتمد الاهالي مع مشايخهم يقتلون النصارى ويعملون شاش كبير . فعملوا سيارة ومعهم العلامات فحشروا نصراني قنياطي كان عمال يشتغل بالسكة والسيارة مقبلة اليه . فصاروا يطعنوه بالعلامات . دعواهم انهم ما كانوا يقدروا يهدوا (168v) العلامات من سرّ صاحبهم فشكوه كثيراً فوقع مايتاً وحملوه على حيوان جابوه لبيته ثم دفنوه . وانعرض للسرايا فارسل الباشا يفحص عن ما صار وحينما تحقق البغو والعدوان صار الاضاباشي يوبخهم ويتهددهم وهذا كان موصلي فخاف منهم . واما النصارى (فانهم) ارسلوا وسايط يعرضوا للباشا . لانهُ تداخلهم خوف شديد من اتساع الامور . فالباشا اغتاظ من هذه الاحوال . وفهمهُ الناس فرجعوا نوعاً من ضرر النصارى وصاروا يتحاشروا بالمواصلة والكركتليه

اخبرنا رجل كان بالسرايا انهُ لمّا انعرض امر القتيل وكيف قُتل جوراً وتعمُّداً وان هذا ينحكى فيه فيما بعد فكان جواب عثمان باشا الذي هو كيخية عبد الرؤوف باشا انهُ لو كان الذي قتلوه مسلماً كان ينسئل عنهُ . واما حيث هو نصراني فليس لهُ غائلة ولا ينسئل عنهُ

ثم بعد ذلك حينما هاجت البلد على المواصلة والباقي حسن عند الباشا طردهم من الشام حتى ما بقي احد منهم . والاحكام فلتت ما عاد امان واستقام الباشا ثلاث سنين وعزل وانقام باشا على الشام سليم باشا سنة الف ومايتين وسبعة واربعون (١٨٣١ م)

﴿ تولي سليم باشا ﴾ جاء خبر بوصوله لحلب وتعوق اياماً لحضوره للشام وهذا الباشا كان حالهُ مستغرب ظاهره شجيع مهاب والباطن جبان وهو متقدّم بالعمر قليلاً . فبعد حضوره للشام اظهر مرجلة وترتيباً . وبعد ايام قليلة اشهر الاوامر التي معهُ بالديوان ومن جملتها ترتيب الصليان حكم اسلامبول . وتكلم مع الاعيان بصيرورة ذلك كيف كان . وبعدهُ تولج عدد الدكاكين والمخازن علي اغا خزنه كاتبه ودار بالمدينة ومعهُ كاتب لكي يكتب اسماء الناس

فوصل للبذورية محل العطارين والعالم ضايجه جداً . فكل من سأله ما اسمك فيقول لهُ : بطرس . والاخر يقول : بولس . والاخر : جرجس وذلك بنوع الازدراء . ولكن

خزنه كاتبهُ المذكور كان من غرض البلد ولا يبون عليهِ. وانما صار يراجعهم ويوبخهم على كلامهم الغير مرتب. فهاج عليهِ الناس (169') وعملوا ضوجه بالسوق وفتشوا على الكاتب ليقتلوه او يضربوه. والتزم علي اغا يروح للسرايا يعلم الباشا بما صار

فانفضّ المذكور من ذلك وثاني يوم عمل ديوان واجتمعت كل الاعيان وصار يحكي معهم الباشا بلطافة كليَّة. وان هكذا خاطر السلطان وانهُ هو ما بيده شي ولا يخصهُ. ثم بدا يتملقهم ويقول: انني انا بريد لكم كل خير ونجاح والكبير فيكم هو اخي والصغير فهو ابني. ولكن لا يبون عليّ تخالفون السلطان ويثقل خاطرهُ عليكم. فجاوبوه ان هذا الصليان هو ثقيل ولا يمكن الاهالي يقبلوه ويرتبوه على انفسهم. وبعد مراجعات كثيرة ومداورات يقدموهـا لهُ وهو لا يقتنع منهم ويقول: لازم امشي الامر. ثم نبر فيهم وحاشهم بالكلام وظهر منهُ استعداد لمقاومتهم فضاجت الناس وبتدبير الاعيان في تلك الليلة ذاتها قامت البلد وتسلحوا وراحوا ناحية باب الهوى فاعتمدوا يحرقوا السرايا التي فيها متحصن الباشا. وجمع خدمهُ وبعض عسكر والبعض مسك ناحية العمارة وتحصن في جامع المعلق والسكان بالقلعة. فبدا الحريق من باب الهوى وصار يمتدّ. فلما نظر الباشا هذا الحال انوهم من هذا الشرّ بفكرهِ ان اهل الشام كثيرين وعسكره زهيد. فجاء بفكرهِ (ان) يتوجه للقلعة يتحصن بها. فمن خوف عدم نفوذه صار هو ذاتهُ يحرق السرايا لكي يشغل الناس ويفوز بنفسه. فصار حريق مهول واحترق القاعة الفوقانيـة والتحتانية وباقي المحلات عدا محلات الخزنة داخلًا التي كان بها ما دخلتها النار. وبهذا الحال نفذ الباشا للقلعة وحينما فهم ذلك اهل البلد كفوا عن الحريق ولكن الخراب الذي صار واهي جدًّا

ثم اعتمدوا على محاصرة القلعة والباشا كذلك صار يضرب مدافع على البلد والجماعة عملوا متاريس داير القلعـة ثم بالحارات وحاصروا العسكر الذي في جامع المعلق. وبهذه الطوشات قتل اناس (169v) كثيرون من الاهالي وجماعة الباشا وطال الحال. والباشا كان يفتكر يجيه اسعاف من جهات وجميع الناس صاروا ضدَّه. من الجملة عبدالله باشا والي عكا كان يرسل يقوي عبارة اهـل الشام (يشجعهم) كذا شاع عنهُ. وبعد مدَّة ايام ابتدوا يحفر اللغم بحيط القلعة وصار منهُ احتساب كبير.

لانهُ موكد من طرش الحجارة من قوّة البارود تخرب بيوت ومحلات كثيرة فبعد نجاز اللغم صح (وُجد) مَن منع امره

وبالنتيجة الذي صار في مادّة سليم باشا ما جرى نظيرها بالشام ولا في غيرها. وكل يوم يزداد الشرّ والبلد حصلت باضطراب كلي. وعُزلت الاسواق ولا عاد بيع ولا شرى وكان ينتظر القضا. اخيرًا فرغت الذخاير من القلعة فهاج السكمان على الباشا وطلبوا المعاش. فجمعوا ما بقي من حنطة وخلافهُ وعملوا ترتيب يعطوا العسكر قوت (بحيث) لا يموت فخلص الجميع. واحتار الباشا كيف يعمل. فمن شلش العسكر فكر يسلم القلعة لاهل البلد ويخرج منها فطلب بعض من الاعيان واحكى معهم عن مرغوبهِ وانما يريد يطلع بواسطة حتى لا يحصل لهُ تكدير فاخذه من العامّة المذكورون الى بيت قاضي بجانب ديوان المشوره مفروش منظوم. واستقام بالقاعة مع كتخداه وابن اخوه والخدام خارج القاعة. ثم اخرجوا السكمان من القلعة وتعين بها انما علي عرمان من الشاغور وجماعتهُ ومضى يومان والباشا ميتّق عليهِ بالقاعة لا يخرج منها وعليهِ غفر . ثم طلب يحضر عندهُ بعض من الاعيان فما حضر احد. ودخل عندهُ الوهم الى انهُ ثالث يوم حضر عندهُ سبعة انفار من قبل المتكلمين فكسروا قرية القاعة وكانت عالية وارموا النار. وكانوا اخرجوا من عنده ابن اخيه والكيخية فمن وهج النار ضاج الباشا. ثم ضربوا عليهِ بارود ورصاص فما اصابهُ وصار يشالش من نار الدم. وبعد حصة مات وهو يقول سليم باشا راح. سليم باشا مات. وانقطع نفسهُ. (من الناس) من يقول مات (170r) من وهج النار ومَن يقول من ضرب البارود. ثم جبسوا الكيخية وابن اخو الباشا وثاني يوم قطعوا اعناق الاثنين. وكان ذلك افترا. وعدوان لان هؤلاء ليس لهم ذنب يوجب القتل ولا غيره. حتى والباشا نفسهُ افتروا عليهِ لانهُ ما ظهر منهُ ادنى اذى لنحوهم غير حتمهِ على تتميم الاوامر التي بيدهِ. ولكن ان كان ضامر لهم ضرر آخر لا نعلم واما بالظاهر فما لهم عذر يعتذروا بهِ سوى انهم افتروا عليهِ وعلى جماعتهِ بنوع مستغرب منافي الشرايع كلها

ثم بعد قتلهم الباشا اخذوه عريان بغاية البهدلة للقاعة مع الاثنين خاصتهُ من بعد ما داروا برؤوسهم اغلب البلد. ودفنوا الجميع داخل القلعة والشربجي الداراني ورشيد نسيب الشوملي مسكوا البلد

ثم بعده عملوا ديوان الاعيان والافندية وحصل مذاكرة في كيف يقنعوا السلطان فيما عملوه. والحال (ان) الذي عملوه لا يتدبر ولا يحوقهُ عقل بشري. وظروفهُ تحرق الدم وتهيج الغضب والرجز. ولكن حيث صار الذي صار بدهم يطلعوا بخيال اصبعهم. فقرّ الرأي ان يكتبوا عرض للسلطان ويقرروا لهُ عن وداوة نية الباشا في حقهم (انهُ) كان مبتدي في انشاء مظالم ومقاهرات فجفلت العامة منهُ وظهر منهم بعض شيء يوجب النفور ولكن هو ذاتهُ ظهر بالقساوة المريعة وحرق السرايا وقصدهُ يحرق البلد مع ناسها. فمن الوهم الذي دخل على الناس ما قدروا يردوا قهرهم ويسلموا منهُ الا باعدامهِ. ثم يطلبوا رواقة خاطر السلطان عليهم وانهم عبيدهُ وما شاكل ذلك

فلما وصل العرض المذكور لاسلامبول ما ظهر جواب ولا ايجاب سوى انهُ صدر امر السلطان بقيام وزير للشام حسين باشا. وقيل انهُ حضر كتابات من اسلامبول لبعض اعيان الشام من ارباب الدولة جواب كتابات راحت لهم من الشام بخصوص جلب خاطر الدولة لنحوهم وانهم طمّنوهم بعدم صيرورة شي مكدر لهم. وهذا صار تصنعاً وخداعاً (170) لان الوقت صار قريب لسفر الحاج. فتركوا الامر لشأن (بسبب) الحاج. وهذه النادرة صارت في سنة الف ومايتين وسبعة واربعون (١٨٣١م)

﴿ تولي حسين باشا ﴾ ثم حضر الباشا المذكور بوجه السرعة لاجل ينظم مهمات الحاج. فبوصولهِ لحمص اعتراه مرض شديد ومات ودفن هناك. وبالحال توجه خبر وفاته للدولة فارسلوا المنصب الى علوش باشا والي ايتونية وانهُ يقوم بغاية العجلة لمداركة الحاج وكان ذلك بالسنة المذكورة

﴿ تولي علوش باشا ﴾ فحضر للشام بعسكر زهيد وموكب مختلف عن حال من هو وزير نظيره. وذلك خوف واحتساب حيث ان اهل الشام حصلوا بجرية كاملة وجاسرة بليغة. فالباشا سلك معهم بغاية اللطف ولا يقبل عليهم شكاوي ولو كانت من بعضهم. واجتهد في تدبير سفر الحج فتعسّر الامر وما راح الحاج بهذه السنة لعدم وجود السلامة

واذا بهذه الاثناء في ابتداء سنة الف ومايتين وثانية واربعون (١٨٣٢م) تحرك محمد علي باشا والي مصر لاخذ الشام وحلب وكل بلاد الشرق وارسل ولده

ابراهيم باشا بعسكر وافر ومهمات الحرب. وانتفت لاخذ عكا اوّلاً وحاصرها بقوّة شديدة. وبعد اربعة شهور وينيف امكنهُ تملكها. ومسك عبدالله باشا وارسلهُ للاسكندريّة لعند ابيه. ثم السواحل جميعها طاعتهُ. وحضر للشام وصار شلش زهيد وماكها. وعلوش باشا حين شاع خبر عكا هرب من الشام

﴿ تولي محمد علي باشا والي مصر ﴾ ثم توجه ابراهيم باشا من الشام بعد ما اعطى نظام بالشام والسواحل. توجه لحلب وادنه وتحارب مع عسكر السلطان ولحقهُ لايقونية وظفر بهِ. ومسك وزيره الاعظم وقام لهُ كل اكرام ثم اطلقهُ. وضبط البلاد المذكورة محمد علي واولاده وغماً عن الدولة العثمانية (171') وصار لهم من يسندهم. واخيراً استقرّ الحال بينهم وبين الدولة على مال معلوم كل سنة يدفعوه للدولة قيل انهُ ستون الف كيس بعقد خمسة سنوات ويحكموا المحلات المذكورة حلب والشام وادنه ثم ما يتبع ذلك حماة وحمص وسواحل بر الشام ونابلس والقدس ويافا وحيفا وغزة بكل حريتهم والسلطان لا يسأل عنهم بشي. وجعل ابراهيم باشا مقرّه في انطاكية. (وكان) يحضر احياناً لحلب والشام وعكا في معاطاة احكام ويرجع لانطاكية

وجعل محمد علي باشا حاكماً بالشام محمد شريف باشا وهو حكمدار عرب بستان وخلص العقد مع السلطان وتجدد ايضاً عقد ثاني. وفي بضع (اثناء) العقد الثاني تحرّك السلطان لاستخلاص البلاد ورجوع المذكورين لمصر مقرّ ولايتهم. واشتدت الامور بينهما وظفر ابراهيم باشا بعسكر السلطان ورجع خلف

وبوقته تشوش السلطان محمود وتوفي وجلس عوضهُ ولدهُ عبد المجيد. ووقفت الحروب اياماً

ثم جدّ حادث جديد باتفاق ملوك اوروبا مسكوب نمسا بروسيا انكليز الذين ظهروا ضدّ الدولة المصريّة واتفقوا مع السلطان عبد المجيد برفع يد محمد علي وولده ابرهيم من حكم بلاد سوريا ورجوعهم لمصر. وصار ذلك بجمعية في لندرة وقرّ الرأي حيث كان وعلى اي وجه كان لازم تمام ما اتفقوا بهِ برجوع الاماكن كلها لادارة السلطان عبد المجيد. ولكن ابراهيم باشا وابوه لم يرتضوا يتركوا ذلك وقصدوا المحاربة والجهاد بغاية امكانهم ولكن حضور العمارة الانكليزيّة بشاملتهم لانهم ملكوا السواحل واتفق جبل الدروز مع الانكليز والعثلي. ومع ذلك ابراهيم باشا

حضر للبقاع ثم طلع للجبل وعزم على محاربتهم واتصل للسواحل لاجل يحارب العثملي والانكليز. ولكن ما استفاد شيئاً سوى تلاف عسكره. ولولا يطابق معهُ الامير بشير حاكم الجبل ما كان تورط مع عسكره بدخوله للجبل. واذ كانت الفتنة اشتدت (171ᵛ) بين اهل الجبل والامير بشير ونظروا التعب يزيد والخراب متصل سيما ان بمطابقة الامير خليل حرق ابراهيم باشا بعض قرايا الجبل وقتل رهبان وسبي حريم فاقتضى ان اهل الجبل جمعوا قواهم وبجرارة ومرارة نفس حاربوا عسكر ابراهيم باشا. والتزم يترك الجبل ويحضر للمعلقة قريب زحلة

وبغضون ذلك اخذ الانكليز عكا بظرف ثلاثة ساعات الّا ربع على التدقيق. ومن ذلك دخل الوهم على ابراهيم باشا وكذلك الامير بشير

وبوقته ارسل الانكليز كتابة باطنها خداع ومكر وبالظاهر يحتنوا لهُ يحضر لعندهم ويطلع على الاوامر السلطانية التي حضرت بشانه. فالامير من وهمه من هيجان اهل الجبل واخذ عكا وذهاب ابراهيم باشا حسن عنده (ان) يتوجه لصيدا او بيروت وصحبته اولاده. وكان ذلك وبالاً عليه. لان بوصوله لصيدا ثم لبيروت ومن تبليغ اهل الجبل بالردي في حقهِ حالاً صدر الامر بنفيهِ الى مالطا في مركب انكليز. وتولى الجبل حاكماً برضى الحكم والاهالي الامير بشير قاسم شهاب واستكنت امور الجبل نوعاً

ثم ان ابراهيم باشا ثبت بالمعلقة تحت زحلة وابتدأ يستجرّ العسكر من اراضي حلب وبرّها وارسل جاب طقمه ومصالحه من انطاكية. القول (يقال) ان الانكليز كتبوا الى محمد علي بأن يرسل يطلب ولده ويفرغ البلاد من العسكر وان كان يتباطى بذلك فيضربوا اسكندرية ودمياط ويعظم الشر والخراب ولهذا كتب لولده يحضر مصر بالعسكر

ثم بعد ايام حضر ابراهيم باشا للشام وبدأت العساكر تورد للشام واجتمع بالشام عساكر كثيرة. ودخل الوهم والاحتساب على اهل الشام وكانت ايام مكربة. والباشا اظهر قساوة كلية بهذه الكم يوم التي استقام بها بالشام. وكان على ذنب خفيف يقتل بقساوة. حتى من الجملة قتل بيده ثلاثة انفار خاصته اشتبه عليه ان قصدهم يهربوا. وهكذا (172ᵛ) بانقضت الايام بالكرب والكدر. الى انهُ في

ستة ايام من شهر القعدة قام بالعسكر على طريق المزيريب قاصداً مصر وحصل على مرمتة (عناء) وتعب زايد بسبب الشتا والبرد لان سفره كان في كانون الاول. وحينئذٍ هدى اضطراب الناس

وبعد ذهابه بثلاثة ايام حضر احمد اغا اليوسف الكردي من صيدا بامر عزة محمد سر عسكر انهُ يكون متسلم قيمقام ويضبط البلد. وهذا هرب من الشام قبل سفر ابراهيم باشا حتى قبل حضوره من البقاع للشام. وراح لصيدا تداخل مع العشلي والانكليز والمذكورين جابوا لهُ نوع وظيفة قبوجيه. ثم مسك البلد. ولو تترك مدة ايام بغير حكم لكان صار شلش عظيم

ثم بعد ايام قريبة ورد اخبار ولاية الشام الى عاوش باشا سنة الف ومايتين وستة وخمسون (١٨٤٠ م). وكان ولاية محمد علي على عرب بستان نحو تسعة سنين ناقصة غير كاملة. وارتفع منها بنوع عجوبة وما جاء بفكر احد ينتهي الحال هكذا. ولكن كذا صار من قساوة الاحكام. ولو انهُ صار ضبط وعدم مظالم بالظاهر. وكل انسان ماشي بطريقه لا تعدّي ولا غيرهُ. ولكن مسك عسكر نظام وعدم انصاف في امور كثيرة من الحكم ذاته ويتبعه الحاشية والعسكر الذين طمعوا في اهل البلد والحاكم لا يسمع ولا يقبل عليهم دعوى الّا بنوع قليل. وهكذا من عدم الملاحظة والتدبير حصل ما حصل بسماح الله تعالى

وفي زمان حكمهِ حصل زلزلة قوية نهار الاحد في عشرين كانون الاوّل قبل الغروب بساعة ونصف سنة الف وثمانماية وستة وثلاثين (مسيحيّة) استقامت اقل من دقيقة ما صار ضرر بالشام اغا في صفد وساحل عكا حصل خراب وقُتل اناس كثيرون. ثم في اواخر حكمهِ قتل علي اغا خزنه كاتبي من اعيان الشام مشهور وكان صديقاً لابراهيم باشا. واما شريف باشا (فانهُ) كان يبغضهُ جدًّا وكان علي اغا يفرفط في حق شريف باشا وغيره من طمعه في ابرهيم باشا فسعى شريف باشا وعمل كل الجهد في تغيير (172ᵃ) الخواطر عليهِ واثبت عليهِ خيانتهُ وقطع رأسهُ على المشاع

﴿ تولي عاوش باشا ثاني مرّة ﴾ حضر المذكور للشام وحصل فرح وسرور بالبلد كأنهُ حكم جديد. ولكن هذا الباشا جامد ما هو متحرك ومقيم بالسرايا والكتخداه هو الحاكم

وبوقته ارتفعت دعاوي كثيرة (فكان) يحذفها للشرع . وكل دعوى ان كان سياسية او تجارية او عرفية يرسلها للشرع . ولكن قبل ارسالها الى المحكمة يصدر امره بخدمة وافرة يقبضها القوّاصه والخدام . مثلاً واحد اشتكى ان له عند اخر الف غرش وناكرها عليه . فيرسلهم الكيخية المذكور الى المحكمة ولكن يامر بخدمة وافرة ماية غرش ومايتين . حتى انهُ اتفق رجل ادعى بالف غرش فاخذ منهُ ماية وخمسون غرش وارسلهم للشرع . فما ثبتت لهُ الالف غرش وخسرها مع الخدمة التي دفعها . وغيره لهُ حساب في احدى القرايا عند واحد عاصي بدفعها ويحادف من شهر الى شهر . فقدّم صاحبها عرضحال يترجا بتحصيلها . فصدر الامر انهُ يروح للشرع . وهكذا كل مادة مهما كانت يرسلها للشرع وكثرت الدعاوي صاغ وشرك وكثرت الشهود المنافقين . والشرع يثبت حسب الظاهر

فضاجت الناس جداً والباين راح تلخيص من الشام وربما من قنصل الانكليز كتب لصيدا وبيروت ومن هناك راح اعراض للدولة . وصدر الامر بعزل الباشا من ولاية الشام فصارت الى نجيب افندي جاويش السلطان . وكان ذلك في ابتدا سنة الف ومايتين وسبعة وخمسون (١٨٤١ م)

﴿ تولي محمد نجيب باشا ﴾ فمضى ايام كثيرة ولم بان حضورهُ ولا اي وقت يحضر . وبقي احمد اغا اليوسف متسلماً كما هو . وشاع خبر ان الباشا معزول واقاويل كثيرة . الى انهُ في شهر صفر حضر بالبحر الى بيروت ومنها (173r) للشام وصحبتهُ دفتردار اي مباشر الخزينة . وتصرّف التصرف التام فهما نظر المناسب يعملهُ . والباشا المذكور خدم السلطان محمود سنين كثيرة وكان ارسالهُ معتمد لمصر في مادة الوره وبعدهُ في مادة كريت وقبلها في مادة الوهابي . ثم قيل انهُ ارسلهُ لبلاد المسكوب . وهو خبير بكل الاشيا . وجلست الامور في غاية الراحة والامل بالله تعالى يحصل حركة بالاسباب ويرتفع الغلا وتنسى الناس ما مضى

(انتهى القسم الاوّل ويليهِ القسم الثاني)

تاريخ الحرير في بلاد الشام

للمسيو غستون دوكوسّو المنوط بقنصلية فرنسة الفخيمة في بيروت (تتمّة)

وفي القرن السادس عشر دخلت تجارة الحرير الشامية في دور جديد فصار اهل صيدا وبيروت يصدرون الى الخارج محصول القزّ قبل اصلاحه وغزله. قال الكافاليار دارفيو قنصل فرنسة في حلب وصيدا في كتاب مذكراته (Mémoires du Chevalier d'Arvieux) سنة ١٦٦٠: «ان تجارة الحرير في بيروت قائمة على ساق فانّ قوافل دمشق وحلب ومصر تتردد اليها حيناً بعد آخر ولا سيما في ابّان قطف الحرير فيتموّنون منهُ الكميّات الوافرة لعامل الاطلس والمخمل والاقمشة الاخرى التي في جهاتهم.. وللفرنسويين في بيروت اربعة او خمسة من العمّال فقط تحت نظارة تجار دولتهم في صيدا الّا انهم يعرفون احسن من سواهم ما يختصّ بصناعة الحرير نظرًا لاقامتهم في بيروت طول السنة فيستحضرون منهُ افضل الاجناس وابدعها على خلاف التجار الغرباء الذين لا يستوطنون بيروت فانهم اذا حلّوها لبثوا فيها زمناً قصيرًا وابتاعوا ما حضر من الحرائر مدّة حلولهم الموقت انّا يتأخروا عن الرحيل مع القوافل اذ لا يمكنهم الرجوع وحدهم خوفاً من شذّاذ العربان المتلصّصين»

ومّما اخبرهُ هناك ان الزبانين كانوا يقبلون على حرير لبنان ويعلون قدرهُ. وكان اهل كسروان يصدرون كميات وافرة من الحرير الخام الاصفر ومنهُ شكل آخر اغلظ شبيه باونهِ كانوا يقطفونهُ في اقليم الشوف ويتخذونهُ لصنع المخمل. امّا حرائر طرابلس فكانت بيضاء ناصعة وواجحة الوزن فكانوا يبتاعونها بمبالغ طيبة ويستعملونها للانسجة المزركشة بالذهب والفضة. وكان الحرير البيروتي يُعتبر خصوصاً لمتانتهِ فيصطنعون منهُ الانسجة الدقيقة المتلوّنة للعيون (moires). وكان تجار الفرنج في بيروت اذا استحضروا حاجتهم من الحرائر جعلوها رُزماً وارسلوها الى صيداء امّا بحرًا اذا امنوا عليها وامّا برًّا اذا تخوّفوا القرصان ثم تُرسل من ثمّ الى فرنسة وكان تجارهم في بعض السنين يبتاعون منها ما يساوي ٤٠٠,٠٠٠ دينار

وكان لصيداء ايضاً معامل حريريّة واهلها يغرسون حول مدينتهم اشجار

التوت الّا ان حريرهم كان من جنس ادنى. وقد روى مُرسلان كبوشيان في صيداء في القرن السادس عشر ان حرير بيروت كان يُعدّ كالصنف الاجود ويليه حرير طرابلس ثم حرير صيداء. على ان الحرير الصيداوي مع دناءة جنسه كان كثير الرواج ولا يكفي لكلّ الطلبات كما افاد الكاثليير دارفيو

وكان لبيع الحرير في صيداء وطرابلس وبيروت قيصريات يقصدها الباعة فتوزن فيها الشرانق وكل اصناف القزّ الخام او المغزول والمنسوج على اوزان رسمية. لكنّ السماسرة اخذوا مع توالي الزمان يطوفون القرى فيبتاعون محاصيل المواسم من الفلاحين ويجلبونها الى مدن السواحل. وبذلك ينجو اهل لبنان من الغرامات التي كان يفرضها عليهم عمّال الدولة عند نزولهم لبيع حرائرهم امّا نقدًا وامّا عينًا. وكان قناصل فرنسا قد جعلوا ضرائب على حرير تجارهم يقبضونها منهم سنويًا وربما حصلت من جرّاء ذلك بينهم مشاحنات ودعاوي طويلة قضى فيها ملوك فرنسا

ولمّا كان القرن الثامن عشر زاد طمع حكّام الدولة العثمانيّة في تجار الحرير فاثقلوا عواتقهم بالضرائب حتى اعرض كثير منهم عن هذه التجارة الخاسرة فكسدت سوقها. ولم يعد الفرنسويّون يتسوقون خام الحرير من بلاد الشام وانّما اقتصروا فقط على ابتياع الانسجة الحريرية التي كان يحيكها اهل حلب ودمشق وطرابلس وحمص وحماة وبيروت كالزنانير والكفّيّات والاعبنة واجناس الاطلس والمبروم والمخامل

واصحاب الاسفار الذين كتبوا في ذلك العهد بعد وصفهم لتجارة الحرير في انحاء الجبل والسواحل الشاميّة يبدون اسفهم على تقهقر هذه الصناعة ويعلّلون ذلك بقلّة اشجار التوت. واذا قال احد للاهلين: ما بالكم لا تغرسون اشجارًا جديدة؟ اجابوه: « أأنت وحدك غريب في هذه البلاد؟ ألا تعلم انّنا اذا بنينا دارًا او غرسنا غرسًا بثّت الحكومة علينا العيون وضربت علينا الضرائب لزعمها بانّنا من اصحاب الثروة. فاذا انكرنا ضربونا بالعصي على اخماص الاقدام (بالفلق) ريثما يبلصونا مالنا. واذا اقرّنا به ضربونا ايضاً زاعمين انّنا اغنى ممّا صدقناهم »

وكما كسدت سوق الحرير الخام في انحاء الشام اخذت ايضاً صناعة نسجه وصبغه تتأخر شيئاً فشيئاً لسوء تصرّف العمّال. وكان الفرنج في تلك الاثناء قد حسّنوا معاملهم الحريريّة واخترعوا ادوات جديدة لنسج الاجواخ والاقمشة الحريريّة وضروب

الاكسية مع احكام صبغها حتى صاروا ينقلونها الى الشام ويبيعونها في مدنها. وقد اتسعت خصوصاً معاملات تجار ليون مع دمشق فباعوا في الفيحاء منسوجاتهم الحريرية

لكنَّ هذه الحرائر والمنسوجات الاوربيّة لم تنفق في غير المدن الكبرى فبقيت انحاء الدولة العثمانيّة تطلب مقطوعيات حريرها من دمشق وحمص وحماة وحلب وصيداء وصور ودير القمر الى اوائل القرن التاسع عشر حيث كثرت الحروب وساءت الاحوال وسقطت المعاملات فأُصيبت صناعة الحرير بضربة لازبة حتى ان مدينة بيروت سنة ١٨٦٠ لم يبقَ فيها نَوْل واحد لنسج الحرير وكذلك كادت حرائر طرابلس وصيدا تتلاشى في ذلك العهد فصارت اثرًا بعد عين

لكنَّ المدن الداخليَّة لم تزل في حركتها الصناعيَّة فكان عدد المناسج الحريريَّة في دمشق ٣٠٠٠ وفي حلب ٦٠٠٠ اما لبنان فكان عدد انوالهِ ٥٠٠٠ منها ٤٠٠٠ في دير القمر و٥٠ في الزوق و٢٠ في زحلة وكانت مصنوعات حلب دون مصنوعات دمشق لكنَّ الاقبال على الاولى كان اعظم لتهاود اسعارها

وبعد حوادث السنة ١٨٦٠ اذ عاد السلام الى الشام استأنف ايضاً تجار الحرير مساعيهم في ترويج هذه الصناعة فبلغ عدد عمة مناسج الحرير سنة ١٨٧٠ في ولاية دمشق ٢٠,٠٠٠ وفي ولاية حلب ٣٠,٠٠٠ وازدهرت تلك الصناعة في حمص وحماة حتى ان عدد انوال حمص كان لا يقلّ عن ٥٠٠٠ وحماة عن ١٠٠٠ فبيعت منسوجاتها الحريريَّة في السنة بنحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ قرنك الثلث منها نفق في سوريَّة والثلثان الآخران بيعا في بر الاناضول

على ان هذه النهضة الصناعية بين الوطنيين لم تثبت زمناً طويلًا بل رجعت القهقرى منذ ذاك الحين الى زمننا الحاضر وذلك لاسباب: منها الازمات المالية التي حصلت في مصر فصارت طلبيَّات الحرير تقلّ سنة عن سنة. ومنها مزاحمة بعض المدن التركيَّة لتجارة الشام فان مدناً كثيرة كادرنة وبروسَة ولاسيما عينتاب جعلت تنسج ضروب الحرائر ولم تزل دائرة اشغالها في اتساع حتى يومنا فانَّ عينتاب في عهدنا تشغل نيفاً و٣٠٠٠ نول

ومن اسباب تخلُّف صناعة الحرير ايضاً في زماننا شيوع الملابس الاوربيـة بدلًا من الثياب الشرقيَّة. فان اغنياء الشرقيين الذين كانوا يتباهون بلبس الحرائر والملابس

الفاخرة يفضّلون في الغالب الازياء الفرنجيّة مع بساطتها ورخص اسعارها

وزد على الاسباب السابقة مداومة الشرقيين على خطتهم القديمة في نسج الحرائر فلا يتعبهم ان يصنعوا منها كميّات وافرة بينما ترى المعامل الاوربية تحسّن كل سنة ادواتها وتوسع نطاق اشغالها بحيث اضحت منسوجاتها ادقّ وامتن واجمل من مصنوعات الشام

بل دخلت في بلادنا الصناعة الاوربيّة مع طرائقها النسجية المستحدثة. وكان اوّل من انشأ معملاً للحرير في لبنان المسيو پرتاليس قبل سنة ١٨٤٠ فكان يشتري اقة الشرانق من ١١ الى ١٢ قرشاً ثم زادت بعد مدّة الى ان بلغت ٢٠ الى ٣٥ ق وبقي على مواصلة العمل وتوسيعه وتحسينه الى ان غلبت الصناعة الجديدة على الصناعة الجارية سابقاً في لبنان فما مرّ عليه ١٥ سنة حتى بلغ وزن المنسوجات المصنوعة على الزي الجديد ٩٠٠,٠٠٠ اقّة ولم ينسج على الطريقة القديمة سوى ٣٠٠,٠٠٠ اقّة منها ١٠٠,٠٠٠ اقّة لم تُنسج تماماً على الطريقة البلديّة بل على طريقة متوسّطة

وازدادت هذه الحركة بعد حوادث سنة ١٨٦٠ بهمة راهبات المحبة فانّ هؤلاء الفاضلات اذ انشأن الملاجئ لتربية الايتام وجدنَ في انشاء المعامل الحريريّة وسيلة لسدّ نفقات هذا المشروع الخيري. وكنّ في اوّل الامر يستعملنَ المناسج البلديّة فلمّا كانت السنة ١٨٦٢ استحضرن من ليون منسجاً بخارياً ذا عشرة انوال من صنف جاكار (Jacquard) فركّبهُ احد عمّال ليون وهو لا يزال ماشياً حتى اليوم وقوّتهُ المحركة تبلغ اربعة احصنة بخاريّة ويشتغل في تجهيز لوازمه نحو عشرة من اولاد اليتم تحت نظارة احدى الراهبات ويرافق هذه الاداة البخارية التي بها تُستحضَر خيوط الابريسم ادوات أخر لدَ اسلاكها وتجهيز لحمتها ونسج سداها فيقوم على كل ذلك عددٌ من الايتام. وهناك اداة لرقامة الانسجة ثم ادوات غيرها لصبغ الحرير على الطرائق الجارية في معامل اوربة

امّا الحرير الخام فهو من اطيب الاصناف والراهبات يجلبنهُ في معاملهنّ الحريريّة في طرابلس حيث تحلّل بناتهنّ اليتيمات الشرانق التي يشترينها باسعار تتراوح بين ٣٦ فرنكاً الى ٤٠ في الاقة ويبلغ مجمل ما يخرج سنويّاً من مناسج راهبات المحبة من ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ متر وكل هذه الانسجة مجهزة على طريقة جاكار فيُقبل عليها

التجار من اهل الشام وغيرهم بكل رغبة . هذا الى اصناف أُخرى تُطلب منهنَّ ايضاً

ومما يساعد على نجاح هذه معامل الحرير عند الراهبات انَّ ايتامهنَّ اذا تعلموا فنَّ نسج الحرير على الطريقة الاوربيَّة يداومون على العمل سنين طويلة عندهنَّ اذ لا يجدون عنـد غيرهنَّ ربحاً لصناعتهم ولا تجهيزاً كتجهيز معاملهنَّ فيفضلون لزوم الشغل عند الراهبات

امَّا الكراخين الوطنيَّة فان تجهيزهـا غالباً على الزي القديم اي انها تدور على دواليب خشبيَّة قليلة الاتقان مختلفة الاحجام اكبرهـا الكـرواني ثم الداموراني ثم البتروني . والشرانق تُحلَّل في مرجل كبير يُشعل تحتهُ الحطب فتبقى الحرارة على درجة واحدة

والحرير المستحضر في الكراخين السورية على صنفين صنف منهما فاخر مُختار يُدعى الاسكندراني ويُغزَل عادة على الطريقة الفرنجية وهذا الجنس تروج سوقهُ في اوربا وتغلو اسعارهُ حتى تُباع الاقة منهُ الى ٣٠٠ قرش . والصنف الآخر يستخرج من شرانق ادنى صنفاً كالملطَّخـة والمثقوبة والمزدوجة (douppions) فتُطبخ ثم تُندَف بآلة الحلاجة وتجهَّز منها شلل خيطان ينسجون منها اقمشة متهاودة الاسعار وربما خاطوها بالقطن . وثمن الاقَّة من الجنس الثاني يتراوح بين ١١٥ قرشاً الى حد ١٥٠

امَّا كميَّـة انسجة الحرير السنويَّة في بلاد الشام فتبلغ للصنف الاوَّل المعروف بالاسكندراني من ٣٥٠٠ اقَّة الى ٤٠٠٠ يبتاع اهل دمشق قسمها الاكبر اي ١٥٠٠ اقَّة ثم اهل حمص وحلب كلٌّ منهما ٥٠٠ اقة ثم حماة ٤٠٠ اقَّة . امَّا الصنف الثاني فتبلغ كميَّة مواسمهِ نحو ١٢,٠٠٠ اقَّة يُغزل نصفهُ تقريباً في بيروت . ولبنان والقسم الآخر يباع في بلاد الشام والاناضول والاستانة . امَّا مجموع ما يُغزل من الحرير في معامل الشام على اختلاف مصادرهِ كبروسَة وتفليس والعجم والهند والصين ويابان فلا يقلّ في السنة عن ١٠٠,٠٠٠ اقَّة

واعلم ان المنسوجات والمصنوعات الحريريَّة الشائعة في بلاد الشام كثيرة الانواع منها اسلاك الخياطة واصناف البريم والازرار والمناديل المخرَّمة والبرانس والمشالح والاعبئة التي يُباع الواحد منها من ٢٥ الى ٣٠ قرشاً اذا كان ساده ومن ١٢٠ الى

١٥٠ اذا كان منسوجاً بالقصب او الفضة ومنها الزنانير والعصائب واشكال البروم ومنسوجات السروج التي يبلغ مبيعها في دمشق ١٠٠,٠٠٠ فرنك سنوياً

وشاعت في حمص وحماة منذ نحو عشرين سنة الاقمشة المعروفة بالحميدية والمصرية والهندية والملس ويدخل في نسجها القطن الّا صنف الملس الذي هو من الحرير الخالص فيباع الذراع من الاولى من ٤ الى ١٠ غروش والملس من ٨ الى ٢٠ غ

واشتهرت زوق ميكائيل بمنسوجاتها المعروفة باسمها (وقد مرّ في المشرق فصل في وصفها ٤:١:٤٤) فيصطنعون الامتعة البديعة كالستور والبردايات والوسائد والمصادغ فيرسمون عليها الرسوم وينسجونها بالمجم ولهم اعمال مذهلة بدقّة الوشي والتطريز والتبرقش اكسبت اصحابها شهرة واسعة حتى انهم جاروا بتطريزهم الصور الشمسيّة والتصاوير اليدوية

ومن مصنوعات الحرير الشائعة في بلاد الشام الكفيّات المختلفة الكبر والتركيب يصنعون منها في السنة نحو مئة الف فيباع ما كان منها حريرًا خالصاً الى حد ١١ فرنكاً امّا المتزجة بالاقطان فيباع فرنكاً واحدًا الى فرنكين

ولا تزال دمشق غالبة على سواها بالمنسوجات الحريريّة القطنيّة المطرّزة بالنقوش والزهور او المزركشة بخيوط الفضة والذهب تُباع القطعة منها (في طول ستة او سبعة امتار وعرض ٧٠ سنتي) من ١٦ الى ٢٦ فرنكاً ويصدر من هذا الصنف نحو ٢٠٠,٠٠٠ من دمشق وحدها

امّا الصنف المعروف بالبروم فاهل مصر يبتاعون منه في الشام الى ٩٠,٠٠٠ قطعة تبلغ القطعة من ١٢ الى ١٦ مترًا في عرض ٥٠ سنتي والقطعة تساوي خمسة فرنكات الى سبعة والمصريون يفضّلون هذا الصنف لخفته

ومنها الأَلَجات وهي الانسجة ذات الالوان المخطّطة يبلغ طولها من خمسة امتار ونصف وعرضها من ٥٠ الى ٥٢ سنتي على اختلاف اسعارها وقدر ما يدخلها من القطن فتباع القطعة من خمسة فرنكات ونصف الى ١٨ فرنكاً

يُضاف الى تلك المصنوعات الكُريشات التي يُنسج منها ١٥٠٠٠ في السنة تُباع الكريشة على حسب وزنها واكثر من يستعملها اهل حوران. ثم الملاءات تُغطي بها النساء رؤوسهنّ وتُباع الملاءة من ١٨ الى ٤٥ فرنكاً ويُنسج منها في الشام ١٤٠٠٠

قطعة تتراوح القطعة بين ٤ الى ٦ امتار طولاً في عرض ٦٨ سنتي. ثم الشالات التي تقلّد فيها اهل الشام شالات الهند والعجم ثم غلبوهم في تلوين اشكالها. ويصنع منها في ايامنا نحو ٦٠٠٠ قطعة وثمن القطعة من ٦ الى ١٠ فرنكات

واذا حسبت مجموع المنسوجات التي تُصطنع في الشام في عهدنا وجدت ان قيمتها لا تتجاوز في السنة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات . ولعلّ هذه الاثمان تهبط ايضاً اذا بقيت سوريّة على طرائقها النسجية القديمة

ابن وائل

مأساة تاريخيّة نثريّة ذات ثلاثة فصول يتخلّلها شعر جاهلي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

يمثل المرسح غرفةً في حصنٍ لبني بكر

المشهد الاوّل

الهجرس وحدهُ

نشيد

اظلم الكونُ ووافانا القتامْ وتوارى النورُ في جنح الظلامْ
بعدكم يا والدي عيشي حرامْ وعلى الدنيا ومن فيها السلامْ
والدي كالجسر اضحى كبدي منذ نأيتم عن حمانا يا همامْ
كيف لا ابكي وانتم عندي في قيودٍ عرضةً لابن اللئامْ
كيف لا ابكي وبكرٌ قهرتْ تغلبُ التيهَ عليها انتصرتْ
كم رجالٍ بكرُنا قد خبرتْ يا لبكرٍ يا لآل الانتقامْ

الهجرس (بعد النشيد)

اهاجَ قذاءَ عيني الاذكارُ هُدوًّا فالدموعُ لها انحدارُ
وصارَ الليلُ مشتملاً علينا كأنَّ الليلَ ليس لهُ نهارُ
وبتُّ أُراقبُ الجوزاءَ حتى تقاربَ من اوائلها انحدارُ

أُصرَفُ مُقلتي في إثرِ قومٍ تباينتِ البلادُ بهم فغاروا
وابكي والنجومُ مطلّماتٌ كأنْ لم تحوهـا عني البحارُ
دعوتك يا ابي لِمَ لَمْ تُجبني وكيف يُجيبني البلَدُ القفـارُ

اجل اقفرت البلاد وقد تباعد سيّدها وعمادها. اقفرت في وجهي وقد نأى ابي الحارث (يقف) أبي الحارث أسرهُ الاعداء وكبّلوهُ. آه! لا كانت ساعة اتى فيها اليَّ رسول بكر واخبرني بنصر تغلب. تغلب حال عدد رجالها دون شجاعة أبطالنا. بنو تغلب أسروا ابي وخالي جساساً واوقعوا بهما الضر والنكال (يجلس)... ما العمل وقد تشعّبتني الهموم وتقسّمتني الغموم. أأنهض بما بقي معي من الفرسان في الحصن فأزحف على تغلب وانقذ أبي وخالي؟ ولكن أخيَ جليل... جليلةُ أمي لمن اتركهما؟ ومن يُناضل عنهما ان نأيتُ؟.. بعثت الى بني يشكر أستنجدهم على العدو ولكن هيهات أن يلبّوا طلبي وقد امتنعوا عن نجدة ابي اذ استنجدهم ... (سكوت هنيهة. — يقف) أستنهض همة قيس صديقي. أطوف معهُ أحياء العرب واثير ثائرهم على بني تغلب فلا بدَّ لي ان اخلّص الاسيرين (يحاول الخروج فيدخل عمرو الرسول ويوقفهُ)

المشهد الثاني

الهجرس وعمرو

عمرو — اين المسير مولاي. أبشرْ أبشرْ بالنصر..

الهجرس — النصر وأمير بكر أسيرُ تغلب!

عمرو — قد انقذناه من مخالبهم. لبّى طلبك بنو يشكر

الهجرس — جازاهم الله خيراً

عمرو — أقبلوا معنا وعاضدونا فامتلأت قلوب ابطالنا أملاً بعد الخذل والانكسار وارتكنت بنو تغلب الى الفرار. وما زلنا نضرب ونطعن حتى انقذنا الامير من ايدي الاعداء. واستأسرنا سيدهم المهلهل

الهجرس — وخالي جساس؟

عمرو — لم نتمكن من الوصول اليه. فان هناك قوماً من الاعداء نجوا من بطشنا

فاستبقوه وقادوه اسيراً

الهجرس وما الخبر عن ثعلبة ؟

عمرو رذلهُ المهلهل . تفاه ولم يرضَ بخائن في عسكره . وقد علمت من احد الطلائع انهُ شاخص الى حينا بُغيتهُ ان يستخلص ما لهُ لدينا من المال ثم يتيه في الصحارى بعيداً عنّا وعن تغلب

الهجرس ان اتى الحيَّ فهو ميت لا محالة . هل قريب وجوع أبي ؟

عمرو نعم وقد اوفدني اليك كي اسكن روعك ولئلا تنأى عن الحيّ

الهجرس قل له اني مطيع أمر ابي (يخرج الرسول بعد ان اشار اليه الهجرس)

المشهد الثالث

الهجرس وحدهُ

الهجرس نعمت النجدة نجدة بني يشكر . دان النصر لنا وقهرنا العدوَّ قهراً

(يدخل لكيز وثعلبة)

المشهد الرابع

الهجرس – ثعلبة – لكيز

لكيز مولاي هاك ثعلبة . كنت مع بعض الطلائع فرأيناه متنكراً يجول سراً قصد الخلوص الى الحيّ . لكنّا عرفناه وقبضنا عليه وها هو بين يديك

الهجرس ستنال جزاء أمانتك (يخرج لكيز)

المشهد الخامس

الهجرس وثعلبة

ثعلبة مولاي ارحم عبداً مستجيراً

الهجرس ويلك يا خائن

ثعلبة ويلاه ايرذلني القريب والغريب ايكرهني كلٌّ من بكر وتغلب ؟ سيدي الهجرس ؟ . . .

الهجرس اصمت يا ذميم

ثعلبة أتخيب من استجار بك ؟ دعني استخلص مالي من الحيّ فأنأى عنكم مدى الدهر . هذه حاجتي اليك ليس الّا

الهجرس يا لها من وقاحة ! افبعد ما وسوس لك الشيطان فورّطك في الغرور وخنت اميرنا تستجير بنا ؟ انت الساعي في هلاك قومي وتطلب نجدتي عليهم ؟

ثعلبة مولاي . . . (يفكر)

الهجرس لك اليّ حاجة . هي مقضيّة . مرادك ان تنأى عنّا . انت ناء ورب الخلق . وما يبعدك عنّا مدى الدهر الاّ حتفك الساعة (يضرب على سيفه)

ثعلبة (وحده) أعلن السرّ وابثّهُ الامر برمّته

الهجرس فلأنتقمنّ للوطن من خيانتك (يسحب سيفهُ)

ثعلبة احبس سيفك . حرام عليك دمي وقد سعيت في نجاح (بقوة) بني تغلب وهم قومك

الهجرس بنو تغلب قومي ! . . . (وحده) اخذتني الحيرة لكلام هذا السفيه . . . (الى ثعلبة) يا هذا أعقلٌ من السحر بك أم جنون ؟ السيف يهزأ من جاهل مثلك (يغمد سيفهُ) . . . انا تغلبي والحارث بن عبّاد والدي ؟

ثعلبة ما انت الّا ربيبهُ

الهجرس انا تغلبي وفي قلبي من الحبّ لبكر ما لا يرضى الّا بإبادة بني تغلب عن آخرهم !

وقد حلفتُ يمينًا لا أُصالحهم ما دامَ منّا ومنهم في الملا احدُ
وقد حلفتُ يمينًا ان أُقاتلهم يومَ الطعان وقلب الناس يرتعدُ
فاليوم اصبحتهم بالبيض صافيةً عند اللقاء وحرّ الموت يتّقدُ

. . . قلت لك بك عُقلة من السحر أو جنون

ثعلبة أبيتَ اللعن لا عقلة سحر بي ولا جنون (بقوّة) انت تغلبي وابوك كليب وائل

الهجرس كليب وائل ! أفي الحلم انا ام في اليقظة ؟

ثعلبة نعم ان والدك كليب وكليب وائل . . . حملَتْك طفلًا الينا أُمكَ جليلة يوم قُتل ابوك ثم تزوّجها الحارث بن عبّاد وربّاك وأعزّك كولده جليل

الهجرس (متكلّماً كأنهُ لا يُصدّق) وكتمني نسبي ! يا للغدر !

ثعلبة كتمك اياه خوفاً من سُخط خالك

الهجرس جسّاس ،

ثعلبة نعم جسّاس مثير حرب البسوس . جسّاس قاتل ابيك اضمرَ لك البُغض وقد طالما عمل على قتلك . يخاف على روحه من ثأرك بابيك اذا علمتَ نسبك فشرط على الحارث كتمانهُ عنك والّا عمد الى قتلك . . . لكنَّ خالك اخو غدرٍ وخداع . هو مصرٌّ على بغضهِ لك وان سنحت لهُ الفرصة نقض شرطهُ وقتلك لا محالة

الهجرس (وحده) لقد جاشت مني النفس . . .

ثعلبة فما كان اولى بكَ ان تثأر بابيك وتُغمد سيفك في نحر قاتله قبل ان تجرّدهُ عليَّ كائناً من كنت . . . وان شئت . . .

الهجرس وبرهان قولك ؟ لا اطمئنّ الى اهل الخيانة . لا استرسل اليك وقد طالما خاتلتَ وداهنت ونصبت المكايد لقومك

ثعلبة ان شئتَ دليلًا على صحّة قولي فهلمَّ الى امّك (يريد الخروج من جهة الحيّ)

الهجرس (يوقفهُ) ماذا ؟ تريد الفرار ؟ (وحده) عليَّ بالتحفُّظ من هذا الماكر . (الى ثعلبة) إلزم مكانك (ينادي من جهة باب الحصن) نويرة ! . . . نويرة ! . . . ليس من مجيب ! . . . غريبان يدخلان الحصن من غير علمي ! . (يدخل صخر وسحبان)

المشهد السادس

المجرس وثعلبة وسحبان وصخر

سحبان (الى الهجرس) على رِسلكَ

الهجرس (يضرب على سيفه)

صخر سيفك

الهجرس (الى سحبان) ان شئتما المبارزة فتخيّرا امّا الصراع . امّا الطعان . امّا المناخة

سحبان وصخر إنك ليتٌ إذن !

ثعلبة مهلًا يا اخوا العرب اتتعدّيان على رجل ولا تعرفان نسبهُ ؟ لئن اوقعتما بهِ شرًّا ليُقتلنَّ بهِ رجالٌ

سحبان حسبنا انهُ بكريٌّ ونحن من بني تغلب

ثعلبة هو بكريٌّ ؟ ما اخطأ ظنّكما ! هو الهجرس بن كليب وائـل ويكون بكريًا !

سحبان ابن كليب وائل ؟

ثعلبة نعم ابن كليب وائل . كان أُخفي عليهِ نسبهُ الى اليوم ولكني اوقفتهُ على حقيقة الامر . . . عارٌ عليكما سفكُ دمه وهو ابن سيّد تغلب

صخر قيل لنا انهُ بكريّ وانَّ بينهُ وبين جسّاس طائلة

ثعلبة (الى الهجرس) أتحققت صحّة قولي ؟

الهجرس ومن اجل هذه الطائلة ارسلكما جساس ؟

سحبان نعم بعث الينا من يصف لنا شارتك ويستحثّنا على قتلك وقد أجزل لنا العطاء

الهجرس قبحاً لخالي جسّاس . ما اوغرَ صدرهُ . . . ومن اولجكما الحصن ؟

صخر قيل لنا ان ننتهز فرصة تغيُّب الحارث ونأتي الحيَّ وإنَّ ثمّة رجلًا يُدعى نويرة يفتح لنا الحصن ويُجيزُنا بين الجنود كأنّا رسولان اليك ويدلّنا عليك

الهجرس نويرة فعل ذلك !

صخر فأتينا وكان كما رأيت

الهجرس (بغضب) اذًا هي دسيسة من جساس !

ثعلبة نعم انها لدسيسة . قد وَضح الحقُّ وحصحص . لا حاجة لك الى دليل آخر

الهجرس تيقّنتُ قولك يا ثعلبة . جسّاس قاتل ابي . جسّاس اكنَّ لي البغض واضمرَ قتلي . آه اشعر بنار الغيظ تتوقّد في فؤادي اشعرُ بدم وائل ابي يفورُ في عروقي . الثأر ! الثأر ! لا راحة لي . لا قرار لي او أثأرَ بأبي . لا قرار لي او افتكَ بجسّاس عدوّي وأجندلهُ مضرّجاً بدمائهِ . وان اخفق مسعايَ فاني أستثير بغض الانس والجنّ واهيّج على جسّاس الارض والبحر والملا

جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريقْ
حلّت ركاب البغي في وائلٍ في رهط جساس ثقال الوثوقْ
يا ايها الجاني على قومهِ جناية ليس لها بالمطيقْ

جاية لم يدر ما كنهها جان ولم يسبق بـ الخليق
ان كنتُ لم اثأرْ بهِ فاشحذوا شفاركم منّا لمزّ الحلوق
ذبحًا كذبح الشاة لا يتّقي ذابحها الّا بشخب العروق
غدًا نساقي فاعلموا بيننا رماحنا من قانئ كالرحيق
ليس اخوكم تاركًا وترهُ وليس عن تطلابكم بالمفيق

ثعلبة عشت ايها الامير. من يشكّ انك من سلالة وائل وفيك ما فيك من النخوة وعزة النفس؟ من اشبه اباه فما ظلم

الهجرس ان بني شيبان وجشاسًا نذلهم يعلّلون النفس بالنصر. اتاني رسول بكر واعلمني انهم اسروا المهلهل

صخر ولكنّ جشاسًا اسرنا

سحبان قرّ عينًا ايها الامير فانا سننقذ المهلهل لا محالة

الهجرس سيقتلهُ بنو بكر في سجن هذا الحصن والحصن ملك ضبيعة ليس فيهِ من شيبان الّا بنوية المنافق. وانا اعزّ لضبيعة من جشاس واملي بهم ان ينضمّوا اليّ ويعاضدوني عليهِ

سحبان وانا سائر لاجمع تحت رايتك بني اسد احلافنا فاضمّهم الى من بقي من تغلب. ولا نكفّ عن مقاتلة شيبان

حتى نرى اوصالهم وجماجمًا منهم عليها الخامعاتُ وقوعا
ونرى سباع الطير تنقر اعينًا وتجرّ اعضاء لهم وضلوعا

الهجرس والشرفيّة لا تعرّج عنهمُ ضربًا يقدّ مغافرًا ودروعا
والخيل تقتحم الغبار عوابسًا يوم الكريهة ما يُردن رجوعا
قتلوا كليبًا ثم قالوا إرتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد وتزعا

(يسير الهجرس وصخر من جهة الحصن وثعلبة من جهة الحي. واما سحبان فيبقى ويوقفهما قائلًا):

سحبان رُويدًا رويدًا ايها الامير. الأولى بنا ان نتروّى في الامر قبلَ الذهاب... انت سيدي جُزْ بالحيّ

ثعلبة من وراء الحيّ. من حيث أتيت انا

صخر ونحن؟

ثعلبة أرى قيساً مقبلاً

الهجرس (الى ثعلبة) أسرعْ الى ما أتيتَ اليهِ (يخرج ثعلبة) (الى التغلبيَّين) اختبئا في هذه الغرفة (يخرج التغلبيَّان)... (وحدهُ) ان قيساً صديقٌ لي وانا اطمئن اليه. لعلهُ يزيدني ايضاحاً على ما بثني ثعلبة (يدخل قيس)

المشهد السابع

الهجرس وقيس

قيس مولاي مولاي كيف سَلِمت من مخالب العدو ؟

الهجرس سكِّن روعك يا قيس. ما الخبر ؟

قيس حذارِ حذارِ من الخيانة. آه ! تبًّا لنويرة الخائن. أولج الحصنَ رجلين من تغلب كأنهما رسولان اليك وانما هما قاتلان. ولكن... (يلتفت حائرًا) اين هما ؟ كيف تأنَّيا عليك الآن ؟

الهجرس خفض الجأش. أخبرني وأصدقني الخبر كيف علمت ما اضمرهُ نويرة ؟

قيس وثق بي نويرة كاني مثلهُ من اهل الخيانة. أعلمني انهُ أجاز الرجلين بالحصن وسألني ان أعلنَ الخبرَ انك برزت من الحي الى الاعداء فقتلوك

الهجرس وماذا اجبتهُ ؟

قيس أجبتهُ بالعقاب. طعنتهُ طعنةً نجلاء أنزلت بهِ الرَّدى

الهجرس وما كان قصدهُ بالخيانة ؟

قيس طمعٌ مولاي بالعطايا والصِلات

الهجرس صلاتِ مَن ؟

قيس (متردِّدًا)... ثمَّةَ مولاي شرحٌ يطول

الهجرس (مُلِحًّا) أصدقني الخبر

قيس (وحده مفكِّرًا) قد طالما استحوذ الضلال على الهجرس

الهجرس (مُلِحًّا) لا تُخفِ عليَّ شيئاً

قيس (وحدهُ) وقد اوشك ضلالهُ ان يؤدي بهِ الى حتفهِ

الهجرس (بضجر) ناشدتك الله يا قيس. تكلم. اخبرني

قيس (وحدهُ) أبثُّهُ الامرَ برمَّتهِ... (الى الهجرس) مولاي كنَّا كتمناك

نسبك الى الآن طوعاً لأميرنا الحارث. لكنّ جساساً طالما بغى وغدر. هو اصل الشرّ . . . . . .

الهجرس كفى يا قيس. انا ابن وائل وجسّاس قاتله حاقدٌ عليّ

قيس (متعجباً) كيف بلغك الامر ؟

الهجرس ساعلمك ذلك . . . اذهب الساعة . . .

قيس ولكن تيقّظ مولاي (يلتفت) اين التغلبيان ؟ اني خائف عليك منهما (يدخل سحبان وصخر)

المشهد الثامن

الهجرس وقيس وسحبان وصخر

قيس ويلٌ لكما !

الهجرس قف يا قيس لا خوف عليّ منهما

قيس مولاي ان شئت معاضدةً فرني. كلُّ بني ضُبيعة في قبضتك

سحبان (الى قيس) سكّن الروع كيف نستحلُّ قتلهُ وهو ابن اميرنا

قيس اتعرفان نسبهُ إذن ؟ . .

صخر نعم وإن كنتم يا بني ضُبيعة في قبضة الامير فهلمّوا لاعانته على جسّاس وإنقاذ المهلهل اسيركم

قيس (الى الهجرس) لبيك سيدي. جساس ملّهُ الامير الحارث. ملّهُ قومي على مكرهِ وخداعهِ. وان اعلمتهم بمواطأتهِ مع نويرة على قتلك فهم كلهم لك حربٌ عليهِ وانت تعلم مكانتك من محبتهم. طب نفساً ايها الامير. انا احلّ اسرَ عمّك وأبثُّ في افئدة قومي روح البغض والشحناء لجسّاس

سحبان هو الآن اسيرٌ في حيّنا

الهجرس اسيرُ اليهِ وأعاقبه عقاباً

صخر وان نجا جسّاس هارباً الى حيّهِ او انقذهُ الاعداء ؟

قيس فليَعُدِ الاميرُ الينا (الى الهجرس) الحصنُ بيدنا ونحن في قبضتك نعينك على بني شيبان

الهجرس (الى سحبان وصخر) سيكون لقاؤنا في الملاهي (يخرج سحبان وصخر

غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني

بطريرك انطاكية للسريان الكاثوليك

من جهة اليمين) (الى قيس) . اجز الرجلين بالحصن كي يخرجا (يخرج قيس من جهة اليمين) وانا امرٌ من وراء الحيّ (يهمّ بالخروج من جهة الشمال فيدخل جليل)

المشهد التاسع

المجرس وجليل

جليل اخي اخي (يقف المجرس) قد عال الانتظار صبري وصبر امي جليلة

المجرس (وحدهُ) أيُقعدني أخي عن الاخذ بثأر ابي

جليل ما بالكَ تضطرب فرائصك ؟

المجرس (وحده) ارخى عزيمتي وزعزع غيظي !

جليل هل من خبر عن ابي وخالي ؟

المجرس دان النصر لبكر يا جليل

جليل اذن ما بالك كئيباً تعلو وجهك علاماتُ الاضطراب

المجرس (وحدهُ) لا . لا يحجزني حاجز عن انجاز مقاصدي (الى اخيه بعنف) دعني (يهمّ بالخروج)

جليل ماذا ؟ انت ذاهب يا اخي ؟

المجرس (يلتفت) اذهب وقل لامك انني لا انثني عن دسّ الدسائس حتى أدرك ثاري من قاتل ابي . قل لها . . .

جليل ابي الحارث بن عباد قُتل ؟ . . . آه ! ابي . . . ابي . . .

المجرس آه ! لو اعلمتني من قبلُ . . . قل لها انهُ لا بُدَّ لي من سفك دم جساس اخيها (يخرج)

جليل ايكون هو قاتل ابينا الحارث ؟ ماذا ؟ تتناءى عني (يتبع شقيقهُ قليلاً) اخي اخي ناشدتك الله (يعود ويجلس)

المشهد العاشر

جليل وحدهُ

جليل آه ابي ابي !

تربع الحزن في قلبي وذُبت كما اذا ذاب الرصاص أُصلي بنيران

يا عين سحّي وجودي بالدموع ولا تملّ يا قلب ان تُبلى باشجانِ

نشيد

ركني اضدما يا عينُ جودي دمًا دمـا
سعدي عُدما بين السرورِ
زالَ الفرحُ وافى الشقاء
وقد غدا رهنَ الردى عند العدى
يا ربِّ آه حامي الذمارِ
خالي هنـا يا للجحود حقًّا سما
ظهري قـا كيدُ الحسودِ
حلَّ الترحُ زال الهناء
نفسي فدا من قد هدى نحو المدى
يا ربِّ آه آلَ الديارِ

كيف أملّ البكاء. وقد قُتل ابي ..قتلهُ جسّاسٌ خالي... قال اخي ان بكرًا قد انتصرت. ويلاه ! بئس الانتصار انتصارها وثمنهُ دمُ ابي. ويلاه ! اما كفاني مـا المَّ بي من المصائب بفقد ابي حتى ارى الهجرس ينأى عني ويخاطر بحياتهِ... (يقف) اقوم واسرع اليـهِ. اقول لهُ ان دون ثأرهِ خرط القتاد. استحلفهُ بحبهِ لأمنا جليلة. بحبهِ لي (يخرج) (يدخل الحارث مع جنودهِ)

المشهد الحادي عشر

الحارث والجنود

الجنود النصر النصر...

نشيد النزّ براياتِ النصرِ والمجد ترنّح في بكرِ
النصر بسيفِ الابطالِ والفخر بنصل السألِ
والسكرُ باحمرَ سيألِ من جرحٍ دامٍ هطّالِ
كسيولٍ من وادٍ تجري

اوردنا الراياتِ الحربا انزلنا في الخصم الحربا
اشبعنا اعدانا ضربا ورجعنا نختفُ والطربا
النزّ براياتِ النصر

الحارث هل عرفت الغداة رسمًا محيلا دارسًا بعد اهلهِ مجهولا

سفهت تغلبُ عداة تمنّت حرب بكرٍ فثُكلوا تثكيلا
غير انا قد احتوينا عليهم فتركناهم بقايا قليلا
اذكروا قتلنا الاراقم طرًّا يومَ اضحى لفيفها متولا
فاصبنا الذي اردنا وزدنا فوق اضعافِ ما اردنا فصولا
(الى الجنود) آل بكرٍ قد انتقمنا بضربٍ يدَعُ المرد حين يبدو كهولا
واسرنا مهلهلًا حين سرنا واذقنا العدى طعاماً وبيلا
واردنا لتغلبٍ يوم سوءٍ فقتلنا منهم قبيلًا قبيلا
ونزلنا بواردات اليهم فتولّوا ولم يطيقوا النزولا
كل قوم نبيحهم وحمانا قد منعناه ان يباح سبيلا

بعد الجند الشعر الثاني

(يدخل جليل)

المشهد الثاني عشر

الحارث والجنود وجليل

جليل (وحده) أواه! لم يُصغِ اخي الى قولي (يلحظ اباه ويلحظهُ ابوه) ابي!
الحارث بُنيَّ (يتعانقان)
جليل ابتِ من نشلك من مخالب الموت؟
الحارث طب نفساً بني
جليل (وحده) قد اخطأ في ظنهِ الهجرس!
الحارث طب نفساً قد انتصرنا على الاعداء
الجنود وهزمناهم هزماً
الحارث نعم ان خالك جساساً اسيرٌ لدى بني تغلب ولكن المهلهل اسيرنا (الى الجنود) وهو مخيَّرٌ ان رضي بان يبعث الى قومهِ كي يُخلوا سبيل جساس والّا قتلناه قتلًا (الى جليل) ابشر بني وجلّ الهم عن قلبك
جليل ولكنَّ قلبي لا يزال مكلماً على هجرس اذ قد تولى بلا عودِ
الحارث الهجرس تباعد عن الحي؟
فاتك ليس هو في الحصن مولاي
بشار شاع انهُ خرج لامر هام ينهب الارض نهباً ويضرب آباطها ضربا

خالد وقد راعني سيّدي امر نويرة

الحارث نويرة! كان جسّاس ابقاه هنا في الحصن

جليل ذهب اخي الى جسّاس في حي تغلب يريد قتلهُ

الحارث يريد قتلهُ ؟ ماذا تقول (وحدهُ) ايكون الهجرس وقف على حقيقة نسبهِ !

جليل لستُ ادري من اضلَّ اخي واخبرهُ ان جساساً قتل ابانا

الحارث قد طمَّ الخطب ولا قرار لنا. ما قال لك اخوك يا جليل !

جليل عبثاً سألتهُ. لم يُجبني الّا بهذا الكلام: قل لامك انهُ لا بدَّ لي من قتل جساس قاتل ابي

الحارث (وحدهُ) لقد وقف الهجرس على نسبهِ وهو ثائرٌ (الى جليل) اي وقت كان ذهاب اخيك ؟

جليل خرج من حين من وراء الحيّ

الحارث (الى احد الجنود) اذهب في اثرهِ وقل لهُ ان يعود حالًا (يخرج الجندي من جهة الحيّ)

جليل (ينظر الى الجهة التي يخرج منها الجندي) آه من لي بان يعيدهُ اليَّ. من لي بان يعيدهُ الى امي سالماً (يُرخي الستار) (لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Ad-Damîrî 's Hayât al-Hayawân (a Zoological Lexicon) translated from the Arabic by A. S. G. Jayakar I. M. S., Vol. II. part 1, *London, Luzac and Co*, 1908, pp. 604

ترجمة انكليزيّة لحياة الحيوان الكبرى للدميري

وصفنا قبلًا (في المشرق ١٠: ٧٦٥) القسم الاوّل من هذه الترجمة وبيّنا خواصّها وفوائدها. ويتناول هذا القسم الثاني اوصاف الحيوانات التي تبدأ اسماؤها بحرف الزاي الى آخر حرف الفاء. وصاحب هذا النقل يكتفي غالباً في ترجمة الاصل بامانة دون ان ينتقد عليهِ في شيء. ولهُ في ذيل الكتاب ملحوظات قليلة مرجعها الى اللغة. ولنا الامل ان يضيف المترجم الى القسم الاخير التذييلات والحواشي والفهارس

التي تزيد هذه النقول منفعةً . ولا شكَّ في انَّ علماء الطبيعيَّات يقبلون على هذه الترجمة التي توقفهم على فضل كاتب عربي دعوهُ باسم « بلينيوس العرب » ل . ش

VIES DES SAINTS par Paul Bedjan P. D. L. M. Lazariste, *Paris, rue de Sèvres- Leipzig, O. Harrassowitz*, 1912, pp. 687

سنكسار

المنشورات العلميَّة المتعددة التي ابرزها حضرة الاب بيجان اللازاري في السريانية والكلدانية فاكسبتهُ شكر المستشرقين عموماً لم تُنسِ مواطنيهِ الكلدان بل طبع لقائدتهم عدَّة تآليف شاعت اليوم بينهم في جهات العراق والعجم وانعشت فيهم روح التقى . وها هوذا اليوم قد ألف لهم كتاباً في لهجتهم الحديثة اهدانا منهُ نسخة ألا وهو مجموع اخبار القديسين وضعهُ على طريقة سهلة وفي اللغة الكلدانيَّة العامَّة وطبعهُ طبعاً متقناً في ليبسيك فجاء كتاباً لطيفاً صغير الحجم واسع المواد وقد تبع في ترتيبهِ ابواباً معلومة فباشر بترجمة القديس يوسف البتول والحقها بترجمة القديس يوحنا المعمدان والقديس استفانس اوَّل الشهداء ثم الرسل والتلاميذ والشهداء والمعترفين ومنشئي الرهبانيات والعذارى . وقد اتسع على الاخص بذكر اولياء الله الذين اشتهروا بين الكلدان ووردت اسماؤهم في كتبهم الدينيَّة . فنخاص الشكر لحضرة المؤلف ونحث الكلدان على ورود هذا المنهل العذب ل . ش

Isis Copia : Fleurs de Rêve. *Le Caire*. 1912. pp. 137

منظومات فرنسويَّة

انَّ هذا المجموع قد نسجت بُردهُ فتاة وطنية شديدة الشواعر حاولت ان تنظم بالشعر ما احسَّ به قلبها وشغل مخيلتها بازاء مشاهد الطبيعة وتقلبات الحياة في مدرسة راهبات عنطورا ثم في الخديوية والاسكندريَّة ثم في جهات لبنان وبلاد الجليل . وكانَّ الناظمة ارادت ان تجاري الشاعر لامرتين فقدَّمت كتابها لذكرهِ وصوَّرت شعرها على صورة شعرهِ . واحسن ما وجدنا في هذه القصائد ثلاثين ناظمتها ل . تيوليه

جواهر الادب من خزائن العرب

الجزء الثالث . جمعهُ سليم ابراهيم صادر

طبع في المطبعة العلميَّة سنة ١٩١٢ (ص٢٨٢)

هذا الجزء كشقيقيهِ السابقين (المشرق ١٤ : ٣٩٦ و٧١٧) في سعة موادهِ وتفنن

مضامينهِ جملةُ جامعةُ الاديب على ابواب شتى على مثال كتابنا مجاني الادب لكن دون مراعاة الطبقات وهو في الغالب مأخوذ عن الموارد عينها الّا بعض قصائد لشعراء محدثين ورسالات لكتبة عصريين . والكتاب مضبوط بالشكل ليس فيهِ ما تعثر بهِ رجل الاحداث فيحسن استعمالهُ في كل المدارس ل . ش

CORPUS SCRIPTORUM ORIENTALIUM—SCRIPTORES ARABICI : AGAPIUS EPISCOPUS MABBUGENSIS. Historia Universalis, edidit L. Cheikho s. j. *Beryti*, MDCCCCXII. pp. V-429

تاريخ اغابيوس (مجبوب) بن قسطنطين المنبجي

اوّل من ذكر هـذا التاريخ هو الامام المسعودي في كتابهِ التنبيه والاشراف (ص ٢١٢ من طبعة ليدن) في سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) وعليهِ فانهُ من اقدم الآثار النصرانيّة وكان المؤلف معاصرًا لابن البطريق فوضع كلاهما تاريخهُ في الوقت عينهِ تقريباً ولا يظهر ان الواحد عرف الآخر اذ كان ابن البطريق بطريركاً ملكيًّا على الاسكندريّة واغابيوس اسقفاً ملكيًّا على مدينة منبج ليس بعيدًا من الفرات. وكأنَّ الله اراد ان يحيي تاريخي هذين الكاتبين المعاصرين على يدنا فبعد ان نشرنا تاريخ ابن البطريق اخذنا في طبع تاريخ المنبجي الذي يعدّ كتاريخ معاصرهِ من اوّل العالم الى زمانهِ. وهذا التاريخ يُقسم قسمين قسم منهُ يبتدئ بتاريخ الخليقة وينتهي الى عهد تاردوسيوس الكبير ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان قابلناهما على نسخة ثالثة في مكتبة دير السريان في الشرفة. والقسم الآخر لا يُعرف منهُ غير نسخة وحيدة في مدينة فلورنسة من اعمال ايطالية حصلنا على صورتها الشمسيّة بهمّة احد آباء رهبانيتنا. على انَّ هذا القسم مع عظم شأنهِ غير كامل وهو ينتهي في خلافة المنصور العبّاسي. فطبعنا القسمين وذيلناهما بالحواشي والاصلاحات. والظاهر انَّ المؤلف لم يكن يحسن العربيّة في زمانهِ ففي انشائهِ ما يقرب من اللغتين الشائعتين بعدُ في نواحيهِ اي السريانيّة واليونانية. ومن مزاياه انَّهُ يصف ما وقع من الحوادث في جهات الرها ومنبج ونواحي الفرات. وقد استعار شيئاً من تاريخ مفقود لاحد كتبة الموارنة في عهدهِ اعني بهِ توفيل الرهاوي الذي كان طبيباً للخليفة المهدي وهو ناقل الالياذة الى الشعر السرياني كما روى ابن العبري (اطلب المشرق ٢ : ٢١٩ و٣٥٦). واملنا

ان يكتشف احد الشرقيين نسخة كاملة من هـذا الكتاب . فيخدم الاداب العربيَّة خدمة يشكرهُ عليها كل محبي الآثار النصرانيَّة ل . ش

Emile Gebhart : I. PETITS MÉMOIRES, VI-292 = II. CONTES ET FANTAISIES, p. 308. Paris, Bloud et Cie 1912

مجموعة مذاكرات وروايات متفرّقة لمسيو كبهارت

صاحب هذين التأليفين احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة وقد اشتهر بعدَّة مصنَّفات تاريخيَّة دينيَّة ومدنيَّة لاسيما في تاريخ نهضة الآداب في القرن الخامس عشر . وكان لهُ عدَّة كتابات قصيرة متفرقة نشرها في الجرائد والمجلَّات فلمَّا توفي قبل سنين قليلة جمعها الطبَّاع بلود ونشرها في هذين الكتابين اللذين اهدانا منهما نسخة . واذ لا يسعنا تتبُّع فصولها الموجزة قد اخترنا منهما رواية اثبتناها في صـدر هذا العدد عن دياميس رومية وفصح النصارى فيها على عهد نيرون . وفي هذا المجموع فصول أخرى تستحقّ الذكر منها ما استعارهُ من العادات الشرقيَّة . وهناك نبذة عن مرور رينان الكافر الشهير في مدرستنا في غزير سنة ١٨٦٦ نحيل اليها القراء ل . ت

الاعتقاد تجاه العقل والعلم

الخطبة الثانية والثالثة لحضرة الخوري لويس دريان

في المطبعة العلمية سنة ١٩١١ (ص ٧٦)

اشرنا في العام المنصرم (المشرق ١٤ : ٣١٤) الى الخطب التي القاها في كنيسة مار مارون حضرة الخطيب المنوَّه بهِ وكنَّا تمنَّينا لو واصل طبع تلك الخطب الجليلة فيزكو بها الزرع الجيد وتثمر في النفوس اثمار الخلاص وكأنَّ حضرتهُ اجاب ملتمسنا فنشر خطبتين اخريين الواحدة في وجود الخالق والاخرى في الالفة بين العقل والدين وكلتاهما من المواضيع التي يجب اهل عصرنا الخوض فيهما . فما عليهم الَّا ان يتبعوا حضرة الخطيب فهو خير دليل يرشدهم الى الحقيقة باسطع البراهين واحسن الكلام وقعاً في القلوب ل . ش

كتاب زهور النفس من حديقة خوري أرس

بقلم الاب بولس سيود البولسي

بمطبعة مار بولس في حريصا (لبنان) ١٩١٢ ص ٩٦

زهور النفس تفتحت اوَّلاً في مدينة أرس حيث غرسها ذلك الكاهن الشهير

بقداسته الطوباوي ڤياناي فتاحت هناك وعطّرت النفوس بعبيرهـا فنشكر حضرة الاب بولس سيور الذي قرّبها الينا بتعريبه ليفوح عرفها في بلادنا الشرقيّة ويذوق اهل اوطاننا ثمارها الشهيّة ل.ش

شذرات

اليوبيل الاسقفي لغبطة بطريرك السريان قد احتفل السريان الكاثوليك بتذكار السنة الخمس والعشرين لاسقفيّة غبطة بطريركهم الجليل السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني فشاطرتهم الافراح بتيّة الطوائف وافاضت الجرائد في وصف هذا الموسم البهيج فننتهز نحن هذه الفرصة لذكر التآليف التي وضعها صاحب العيد فخدم بها الكنيسة والآداب الشرقية. فمن اثار غبطته اذ كان كاهناً يُدعى لويس (١) مختصر في التواريخ المقدّسة على سبيل السؤال والجواب سنة ١٨٧٦ ولدينا طبعتهُ الرابعة ثم (٢) مختصر التواريخ القديمة سنة ١٨٧٦ ثم (٣) مختصر تاريخ القرون المتوسطة سنة ١٨٧٧. ومن آثاره لمّا سُقف على الرها باسم رابولا (٤) كتاب الشهر المريمي يتضمن تأملات في سيرة سيدتنا مريم العذراء ومناقبها سنة ١٨٩٢ وهذه الكتب الاربعة مطبوعة في الموصل في مطبعة الدومنيكان. وفيها طبع (٥) سنة ١٨٩٦ وهو رئيس اساقفة حلب ترجمة اللاتينيّة لكتاب اللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانية للمطران يوسف داود. ولمّا صار بطريركاً للطائفة السريانية نشر (٦) كتاب وصية الربّ (Testamentum D'ni N'J X') طبعهُ في المانية سنة ١٨٩٩ ونقلهُ الى اللاتينيّة وعلّق عليهِ التعليقات المهمة (اطلب المشرق ٢: ٤٩). وفيها نشر (٧) اعمال القديسين الشهيدين غوريا وشاموتا (المشرق ٢: ١٠٠٤) مع ترجمتهـا الى اللاتينيّة وتذييلها. وفي السنة ١٩٠٤ باشر بنشر دروسهِ السريانيّة (Studia Syriaca) التي ظهر منها ثلاثة اقسام (٨—١٠) تجمع كثيراً من الآثار السريانيّة الدينيّة والعلميّة والادبيّـة (المشرق ١٩٠٤ ص ٣٣٦ و١٩٠٨ ص ٥٥٨ و١٩٠٩ ص ١٥٣). وفي السنة ١٩٠٤ ايضاً نشر (١١) تاريخاً قديماً دينيّاً ومدنيّاً لمؤرخ سرياني طبعهُ في الشرفة (المشرق ١٩٠٤ ص ٧٣١). وطبع في مجلة بسّاريون (١٢) سنة ١٩٠٣ بعض مياامر

لمار افرام. وفي سنة ١٩٠٦ طبع (١٣) في الشرفة كتاب البتولية لمار افرام مع مقدّمات وشروح وترجمة لاتينيّة (اطلب مقالتنا في المشرق ١٠ : ٣٢) ثم طبع هناك (١٤-١٥) كتاب الشحيم سنة ١٩٠٢ وخدمة القدّاس (١٩٠٧) حسب طقس الكنيسة السريانية الانطاكيّة بعد تنقيحها وتحسينها والزيادة عليها وكذلك (٦) نشر بعد تنقيحه كتاب فصول الاناجيل . وسيُتبعهُ قريباً (١٧-٢٠) بفصول الرسائل والخدَم الكهنوتيّة والجنازات والاحبار . ولهُ تآليف عديدة معدّة للطبع . هذا فضلًا عمّا نقح واصلح وضبط او نشر غفلًا من اسمهِ جازاه الله خير جزائهِ

تحية الشرق بالمكتب الفرنساوي الجديد نظم حضرة المنذور يوسف العلم هذه القصيدة العامرة الابيات يحيي بها مكتبنا الطبي الجديد باسم اقطارنا الشرقية مثنياً على فرنسا القائمة بنفقات هذا المشروع الجليل وعلى رئيس المكتب الذي بهمّتهِ بلغ الى هذه الدرجة من النجاح

حيّوا فرنسا عندَ مدخلِ ذا ألبنا وأدعوا لمن بذلوا بجانبهِ ألمنا
نشرتْ فرنسا فوقهُ علَماً لها ولهـا نشرنا حولهُ عَلَم الثنا
ذكرى بني عثمان موصولُ الولا بالدولتين فانَّ عائدهُ لنـا
ها دولة الاحسان فاضَ سخاؤها شرقاً وغرباً والسخا شرَفُ الغنى
ايُّ الأياديْ لم تنل منها يداً ايّ الاماني لم تَنل منها مُنى
ذا مكتبٌ للطبّ قام بفضلها وبفضله نادى الزمانُ . وأعلنا
هاكم تلامـذة لهُ فتبيّنوا شرفَ الطبيبِ وما اسمُ مكتبهِ عنى
هاكم شهاداتٍ لهم من خطّ مَن بذلوا بفحصهم النهى والأعينا
في كل قطرٍ منهمُ : من حقّقوا آمالنـا فيهم ذكاً وتفننا
يا ايها التلميذ حسبُك رفعةً بمثال استاذٍ بشخصكَ بيّنا
تلك الحديقة والصنوبرُ دَوْحها بهوائهِ وظلالهِ تنفي الضنا
وهنا الحديقة من عطور زهورها تعطي الدوا الشافي لأدواء بنا
تلكُم صفوف الجند تحمينا العدى وهنا صفوف الطبّ تحمينا الفنا
الطبّ ما بين العلوم احبُّها للمرء في دنياه كي يلقى الهنا
من دون صحّة جسمنا لا لذّةٌ نلقى ولو ضمّ الممالكَ كفّنا

حيُّوا أُساةَ الروح فينا انهم بالجسم ايضاً قد عُنوا نعمَ العنا
فهناك ننظر هيكلاً ومساجداً فيها نداوي النفس من اسقامنا
وهنا نرى للجسم احسن مكتبٍ مع كل اصنافِ العلاج لدائنا
فهنا المداوي والمداوى والشفا سبحانك اللهمَّ من هذا البنا
يا شخصَ كاتانَ الرؤوف تسطَّرت لك للدهور عواطف من قلبنا
يا سَعْيَ كاتان الجهيد تظاللت لك في البحار بواخر بجفوننا
ذا صدرك الرحب الوسيع بوسطهِ النيشان من جدوى فرنسا زيَّنا
كم سرتَ غرباً ثم شرقاً كي ترى دورانَ شمسٍ فوق منطقة الدنى
دارت تبثُّ شعاعها بين الورى والحرّ قلب الكون منها كونا
كم لمعةٍ لك في القصور تشاغلت ريحُ الصبا فيها واطيار الفنا
كم خطبة لك في المحافل ما انتهت الّا بخطبة حبّ سامعها لنا
كم كلمةٍ لك في الجرائد سطرت منها فصولاً سُطرت في لبنا
وكذا رجال الدين فينا فلتكن للدين والدنيا وقل « ما أحسنا »
للدين والدنيا تفانى غيرةً وبراعةُ الباني تبانُ يا بني
اكرم بها جمعيَّةً جمعت لنا روحاً وجسماً خير اسباب الهنا
يسوعُ قائدها فلا تخشى الردى « والربُّ اصبعهُ هنا » لن توهنا

العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة بلغنا ان احد المسلمين في الثغر المسمَّى محمَّد طاهر التنير نشر في مطبعة الاتحاد العثمانيّ (واسم المطبعة غير مدون) كتاباً تحت العنوان المذكور. فلمَّا علمنا بصدورهِ اجتهدنا في تحصيل نسخة منهُ لدى مظانّهِ فكان الجواب انَّ الحكومة المحليَّة منعت بيعهُ في بيروت فأُرسل الى مصر. وان شاء الله نستحضر قريباً نسخة منهُ فنبيّن لكاتبهِ أنهُ انخدع بالسراب واخطأ الحنرة بنقلهِ الى العربيَّة مزاعم فارغة لبعض الزنادقة الملحدين

الكلمة وبطريرك القبط المستقيل اثبت البشير في عددهِ الصادر في ١٦ نيسان الاخير القرار الذي كتبهُ بيدهِ وارسلهُ الى المجمع المقدَّس غبطة بطريرك القبط السابق السيد كيرلوس مقار معلناً بايمانهِ الكاثوليكي « وآسفاً كل الاسف لكونهِ في أيام تجربة وقنوط واضطراب ادبي عظيم قد جاهر بالانضمام الى

كنيسة الروم المنفصلين دون ان يشاركهم في الافعال الدينية » فاسرع صاحب مجلة الكلمة اذ بلغه نصفُ الخبر وطنطن مبشّراً قرّاءهُ (في عدد ١ نيسان ١٩١٢ ص٢٠٨ — ٢١٤) « بدخول بطريرك الاقباط الى احضان الكنيسة الارثوذكسيّة » وانّ فعلهُ هذا « نتيجة اعتقادهِ الخالص بصحة عقائدها » (كذا!) وهو يلوم هناك بكلام مرّ اخوتهُ اليونان الارثوذكس في الاسكندريّة الذين لم يوافقوا السيد فوتيوس على قبول السيد مكار في طائفتهم ويدعوهم « حجر عثرة في سبيل الارثذكسيّة ». والآن اذ قد ندم البطريرك القبطي المستقيل على فعلهِ ظهر ايضاً لكل العيان ان اليونان كانوا ادقّ نظراً واسلم ذوقاً من السيد فوتيوس الاسكندري والسيد رفائيل هواويني الاميركي. وفي هذه النسبة يحسن بنا ان نذكرهما بكلمة قالها لوتاروس زعيم البروتستانت: « ان البابا اذا اراد ان ينظف حديقتهُ القى الينا من فوق الحائط ما وجدهُ فيها من الاعشاب الباطلة » . فليفرح اعداء الكنيسة الكاثوليكيّة بمثل هذه الهدايا الثمينة ويقابلوها بارتداد اعظم العلماء واكبر افاضل الناس الى الكثلكة كل يوم في كل البلاد (راجع ص ٣١٨ ما نقلناهُ عن الكلمة نفسها)

أسئلة واجوبة

س كتب لنا من دمشق احد القراء: كثيراً ما قرأنا في الكتب الاوروبية ان البابا سلفستروس الثاني الشهير بطومو كان تخرّج على العرب في قرطبة فالى اي سند يستند هؤلاء الكتبة في قولهم ؟

البابا سلفستروس الثاني والعرب

ج البابا سلفستروس كان فرنسوي الاصل واسمهُ جربرت ولد في اوريلياك نحو السنة ٩٤٠ ثم ترهب في رهبانيّة القديس بنديكتوس وتخرّج في العلوم اللسانيّة والادبيّة في موطنهِ على معلّم شهير يدعى ريمند اطنب في ذكره في تآليفهِ. وفي ابان دروسهِ مرّ بديرهِ الكنت بورل امير برشلونة فرافقهُ جربرت الى اسبانية ودرس في مدينتي برشلونة وفيش الرياضيّات على معلّمين مسيحيّين فبرز فيها. وبعد ثلاث سنين رافق الكنت بورل الى رومية فادخلهُ على الملك اوتون الاوّل الذي جعلهُ في خدمتهِ قبل تتويجهِ امبراطوراً ولمّا لبس التاج الامبراطوري قدّمهُ ثم ارسلهُ الى مدينة ريمس

في فرنسة حيث درس الفلسفة مدّة وتولّى في اثرها التدريس فعلّم هناك العلوم الطبيعيّة والرياضيّة والفلكيّة فتواردت اليهِ الطلبة من كل انحاء اوربّة . ثم دعاهُ الامبراطور الى ايطالية حيث قام بعدّة مناصب جليلة حتى صار مطرابوليتاً على رافنّا وفي سنة ٩٩٩ وقع عليهِ الاختيار لكرسي رومية فذُبر الكنيسة جمعاء بكل حكمة وقداسة الى وفاتهِ سنة ١٠٠٣ . امّا علاقاتهُ مع العرب في اسبانية فاحدى الخرافات التي اشاعها الكتبة بلا سند وانّما قالوها جزافاً لرحلتهِ الى اسبانية مع الكنت بورل . ودونك ما كتبهُ آخرًا احد علماء واشنغتون وليم تُرنر (William Turner) في عدد اذار من السنة الحالية من مجلّة الكليّة الكاثوليكيّة هناك (The Catholic University Bulletin, XVIII, 241) ما تعريبهُ الحرفي : « لدينا ادلّة مقنعة نعلم بها انّ جربرت لم يتفقد مطلقاً جهات اسبانية الخاضعة للمسلمين وانهُ لم يأخذ قطّ عن استاذ منهم وكل ما كان يعرفهُ فانهُ اخذه من معلمين مسيحيين في برشلونة وفيش » (١ . ثم فحص هناك الرواية القائلة بدرس جربرت على فيلسوف مسلم وبيّن انها لا اصل لها البتة

س وسأل مستفيد ماذا طبع من جغرافية الشريف الادريسي

جغرافية الادريسي

ج تُعرف هذه الجغرافية بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق وكان سعى بطبع خلاصتها العالمان المارونيّان جبرائيل الصهيوني ويوحنّا الحصروني سنة ١٥٩٢ في مطبعة الديشيس في رومية العظمى . وقد طبع منها العلامة دوزي (Dozy) القسم المختص بالمغرب وارض السودان ومصر والاندلس في ليدن سنة ١٨٦٤ . وطبع روزن مولر (Rosenmüller) وصف الشام وفلسطين في ليبسك سنة ١٨٢٨ ثم جدّد طبعهُ جلد ميستر (Gildmeister) في بونّة سنة ١٨٨٥ وطبع أمّاري وشيابارلي الايطاليّان القسم المختص بوصف بلاد ايطالية في رومية سنة ١٨٧٨ هذا فضلاً عمّا نقل من جغرافية الادريسي الى اللغات الاوربيّة لاسيما الترجمة الافرنسيّة لجوبرت (Jaubert)

ل ش

١) وهذا قولهُ بالحرف :

« We have good reason to believe that Gerbert never visited Moorish Spain, never had a Saracen teacher, and owes whatever learning he acquired to the Christian teachers of Barcelona and Vich »

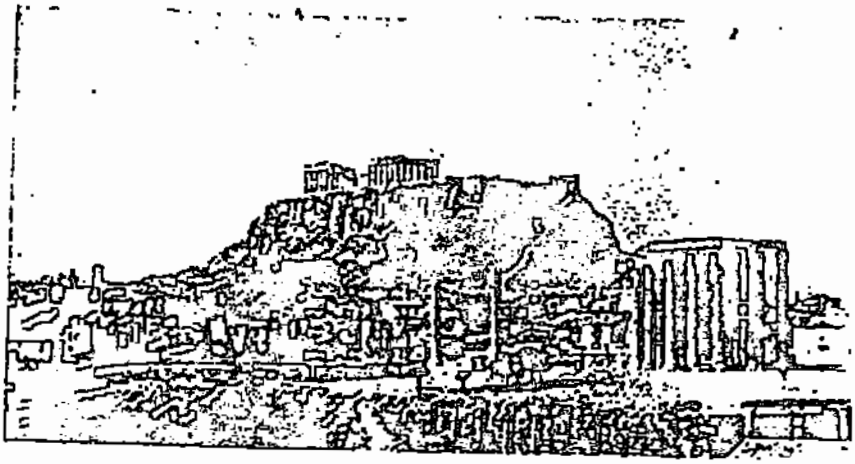

أكمة الاكروبوليس في اثينة (من جهة الجنوب)

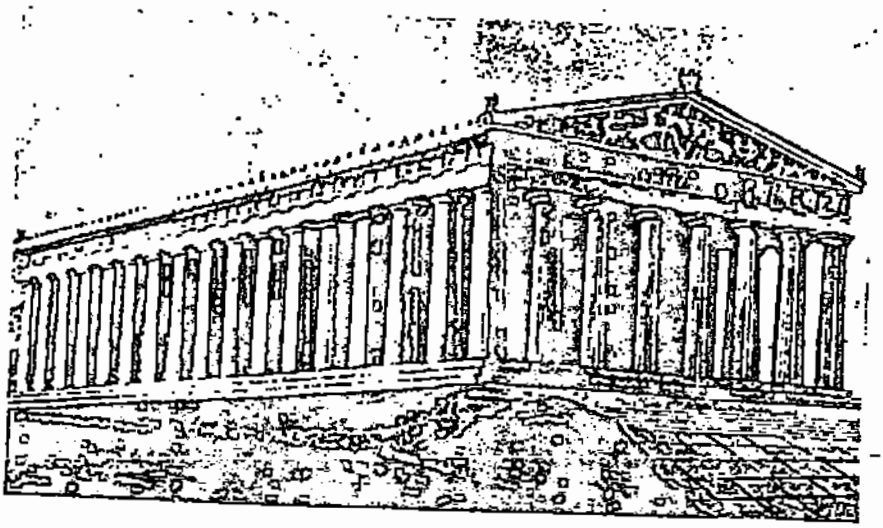

هيكل البرثينون (كما اثبته المهندسان تيرش وسبرنغر ميكاليس)

المشرق

يوبيل كلية اثينا ومؤتمر المستشرقين

ذكرى للاب لويس رتزفال اليسوعي ممثل مكتبنا الشرقي

كان يوم الفصح في هذا السنة من اجلّ الاعياد وابهج المواسم لاهل اثينا فانطبع ذكرهُ على صفحات قلبهم طبعاً يقوى زمناً طويلاً على آفات الدهر. وقد دام هذا العيد اسبوعاً كاملاً (من ٧ الى ١٤ نيسان) توالت فيهِ الافراح على عاصمة اليونان والمتوافدين اليها

السنة الجارية هي السنة الخامسة والسبعون لانشاء مدرسة اثينا الجامعة المعروفة بالكليَّة الوطنيَّة (١ فاراد اصحابها ان يحتفلوا بيوبيلها الالماسي احتفالاً فائقاً ازداد رونقهُ بعقد مؤتمر المستشرقين السادس عشر على مقتضى اتفاق المؤتمر السابق في كوبنهاغ (٢. فكان ازدواج حفلات الموسمين مجلبة لجماهير الوافدين الى حاضرة اليونان (٣ وذلك ما كان يرغبهُ اهلها وان اضرَّ نوعاً باعمال المؤتمر وعاق حركات المستشرقين

١) في اثينا كليَّة أخرى تُنسب الى كابو دسترِيا (Capo d'Istria) احد زعماء الاستقلال اليونانيّ واول رؤساء الجمهوريَّة اليونانيَّة سنة ١٨٢٧

٢) مؤتمرات المستشرقين تُعقد كل اربع سنوات فكان مؤتمر كوبنهاغ عيَّن سنة ١٩٠٨ مدينة اثينا لاقامة المؤتمر التالي وفي هذا العام لم يتّفق المؤتمرون في اثينا على اختيار المدينة للمؤتمر التالي وقد عيَّنوا لجنة تهتمُّ بالامر

٣ ولذلك كنت ترى في شوارع اثينا كثيرين من الوفود عارضين على صدورهم وسامَين وسام المؤتمر الممثل لإلهة الحكمة كما وسمناهُ هنا ووسام النوّاب لحضور الاعياد اليوبيليَّة وهو عبارة عن نوط مستدير يمثل رأس الإلهة فقط

كلٌّ يعلم انَّ المؤتمرات تتألف من النواب الذين توفدهم رسمياً الدول او الجمعيَّات العلميَّة ثم من الخواصّ الذين يحضرون باسمهم الخاصّ جلسات المؤتمر. ففي هذه السنة كان عدد الوفود متضاعفاً ارسلت الدول بعضهم لمؤتمر المستشرقين والبعض الآخر لاعياد اليوبيل وكذلك كان انضمَّ الى المؤتمر عدد عديد من الذوات ليس رغبةً في الدروس الشرقيَّة بل توقاً للحفلات التي كانت لجنة المؤتمر وعدت بها وافاضت سلفاً في اوصافها. وكان من جملة الامتيازات الحاصل عليها اعضاء المؤتمر ان يُسمح لهم بحضور الاعياد الدينيَّة والاجتماعات المدنيَّة التي عوَّلت الكليَّة على اقامتها بل كانوا افردوا للمستشرقين امكنةً خاصَّة احتفاء بهم وذلك ما دفع كثيرين حتى السيدات والاوانس ان ينضمُّوا الى المستشرقين ويصطبغوا بصبغتهم لمدَّة ثمانية او عشرة ايَّام. ومن ثمَّ رأت اثينا القوم يتوافدون اليها منذ اوائل اسبوع الآلام ويحلُّون في أنزالها وفنادقها حتى ان الذين تأخروا عن هذا الميعاد الى جمعة الفصح لم يجدوا لهم مكاناً الَّا على شروط باهظة (١

*

وكانَّ الظروف كلها قد اجتمعت لتكسو هذه الاعياد حلَّةً من الفخر والبهجة فانَّ الكليَّة الوطنيَّة كانت قبل يوبيلها بقليل احتفلت بعرس رئيسها الذهبي المسيو

١) يسوءنا ان نذكر هنا ما اظهره بعض ارباب المنازل العمومية من الجفاء والطمع والغلوّ في الاسعار الَّا بعضهم كالسيدة ماك تاگرت (Mac Taggart, *rue du Stade*, 12) التي عيَّنت للترَّالة في محلها راتباً وسطاً واحسنت معاملتهم طول زمان اقامتهم عندها — وممَّن اثاروا عليهم شكاوى الوفود عمَّالُ السكك الحديديَّة والسفن البحريَّة. فانَّهم لم يقيموا بعهود لجنة المؤتمر التي كانت في اوراقها الرسميَّة تعهَّدت باسعار متهاودة على خطوطها البرّيَّة والبحريَّة لتاقلي بطاقاتها المعضاة بخاتمها فخاب امل كثيرين بهذه المواعيد وكان العمَّال لا يرضون بقطع اوراق السَّفر على حسب الشروط لاسباب يستحلُّونها فتارةً يزعمون انَّ الشروط لا تمسّ الَّا للذاهبين والآتيين معاً وتارة يطلبون مصادقة دولة الوافدين فضلاً عن لجنة المؤتمر او يميّزون بين التعاريف النظريَّة (كذا) والتعاريف الجارية. الى غير ذلك مما كدَّر خواطر كثيرين من المستشرقين وكانوا قد رأوا خلاف هذه المعاملات في المؤتمرات السابقة حيث كان البلد الذي يحتلُّونهُ. والشركات التي يعاملونها تحفَّى بهم وتُحسن وفادتهم. وقولنا هذا لا يمسّ الشعب اليونانيّ الذي آنس بالمستشرقين واستقبلهم استقبالاً شائقاً مقتدياً في ذلك بملك اليونان والاسرة الملكيَّة نفسها

لمبروس (Sp. Lambros) . ثمَّ انَّ الأمة اليونانية كانت خرجت من محنة الانتخابات ظافرةً بجلّ رغائبها فقرَّرت رئاسة الوزارة لفنزويلوس وذلك باغلبيَّة الاصوات العظيمة ورأت في تجديد انتخابهِ ضامناً للسلام وللاصلاحات الداخليَّة لما تؤمّل البلاد من حكمتهِ ودرايتهِ ومن تحقيق امانيها في وقت قريب

وضاعف هذه الافراح التوفيقُ بين عيد الفصح وحفلة افتتاح المؤتمر وذلك في سنة اتفق فيها وقوع الاعياد الفصحيَّة يوماً واحداً على موجب الحسابين الشرقي والغربي فظهر الكلُّ في مجلى واحد من التقى والاتحاد ونسوا ما يفصلهم من اسباب الشقاق والنزاع الديني

ومعلوم ان الدولة اليونانيَّة تعضد الدين وتعترف بهِ رسمياً فكانت الحفلات الدينيَّة تجري باتفاق الهيئتين الدينيَّة والمدنيَّة معاً . ففي مساء جمعة الآلام كنت ترى جماهير الاثينيين خارجين من كنائس المدينة وطائفين بالنظام ومشيّعين لتمثال السيد المسيح ذكرًا لدفنهِ (τὸ ἐπιτάφιον) وكان يسير امام الشعب كوكبة من الجند يدقُّون النفير او يضربون الطبول على نغم شجيّ محزن ويتبعهم جوق المرتلين ثم الكهنة والتمثال وراءهم يحملهُ على المناكب اربعة من وجوه المدينة بازيائهم الرسميَّة . ووراء الصورة جمهور غفير من الشعب في ايديهم المصابيح الموقدة يتغنَّون بالاغاني الروحيَّة . وكنَّا نشاهد مواكب متعددة تسير في انحاء المدينة فيؤثر منظرها في ناظريها كأنَّها تمثل ما جرى على قمَّة الجلجلة مساء يوم صلب المسيح او في دفن الشهداء الاولين بعد جهادهم وموتهم في سبيل الايمان

وكانت لجنة التدبير عيَّنت لاصيل يوم سبت النور عقد حفلة اجتماعيَّة لانتخاب رؤساء يتولَّون في أيام المؤتمر كل فرع من فروع العلوم الشرقيَّة . وهي حفلة مهمَّة لتنسيق الدروس وتنظيم ماجريات المؤتمر . الَّا انَّ تلك الحفلة لم تُعقد ولعلَّهم رأوا انَّ عدد المستشرقين لم يكمل بعد . فكان هذا الخللُ داعياً لبعض الاضطراب في جلسات المؤتمر التالية لعدم معرفتهم بزعماء كل قسم وكتبة اسراره

وحصل اضطراب آخر بسبب تقارب ساعات الحفلات اليوبيليَّة والجلسات العلميَّة فكانت تلك الحفلات تطول فتُزاحم الساعات المعيَّنة للمؤتمر حتى تقصر اوقاتها فلا

يمكن عقدها في الازمنة المعيَّنة او الامكنة المعهودة فنتج عن هـذه التغييرات سوء تفاهم وانزعاج

وفي ليلة عيد الفصح نصف ساعة قبل منتصف الليـل أُقيمت في الكنيسة الكاتدرائيَّة رُتبة أحد القيامة بحضور جلالة الملك وجماهير الشعب والمدعوّين. ومن عادة اليونان انهم يقضون تلك الليلة ساهرين متهجّدين. وفي هذه السنة زاد اقبال الاثينيين على الحفلات الليليَّة فأحيوا الليل فرحاً مع المسيح القائم من قبره

*

وما كانت الحفلات الموصوفة الّا مقدّمات سبقت افتتاح عيـد يوبيل الكلية ومؤتمر المستشرقين الذي كان موعدهُ في مساء يوم القيامـة على اكمة اكروبوليس (l'Acropole) المشرفة على المدينـة وفي نادي البرثينون (Parthénon) البديع الذي اقامهُ قدماء اليونان هيكلاً لإلهة الحكمة والفنون الجميلة مينرفا ثم حوَّلوهُ في القرون المتوسطة الى كنيسة من الطرز البوزنطي. فما كان أحرى ذلك المعهد الشريف بان يُصبح مقاماً لافتتاح الاعياد اليوبيليَّة بحضور اكابر الناس وممثلي الدول

فبعد الظهر بنحو ساعتين كنت ترى القوم يزدحمون كالبناء المرصوص في لحف الاكمة ليصعدوا الى قمتها. وهم لكذلك اذ تقدَّم جلالة الملك راكباً عربة الاوتوموبيل وفي اثره عجلتان اخريان ركبتهما اسرة الملك وحاشيتهُ وكبار دولته فاستقبلهُ الناس باصوات التهليل معلنين بتحمُّسهم الوطني وتوقَّلوا الاكمة بعـدهُ. وكنَّا نحن نسير في رفقة النواب والمؤتمرين مع اثنين من الرهبان اليسوعيين قدماء مثلنـا لحضور مؤتمر المستشرقين وعلى صدورنا شارة المؤتمر. فصعدنا متَّجهين الى موقع البرثينون حتى بلغنا في اواسط الاكمة الى المدخل الجليل المزدان بالاعمدة (Propylées) فلاحت لنا تلك المشاهد التي اتسع في وصفها كل من زارها من السيَّاح

وغاية ما يُقال ان البصر يمتدّ من اعالي تلك الاكمة فيشرف على مناظر فتَّانة تأخذ بمجامع الصدر وتسحر اللبّ سحرًا ويزيد بهاؤها على قدر صعود الصاعد الى مشارفها (١. واتَّفق ان صعودنا كان في احد أيَّام نيسان عليل النسيم وصافي الاديم

١) اطلب ما كتبهُ مؤخرًا في هذا الصدد جناب الكاتب برتران (Louis Bertrand: *Paysages de Grèce et d'Orient*)

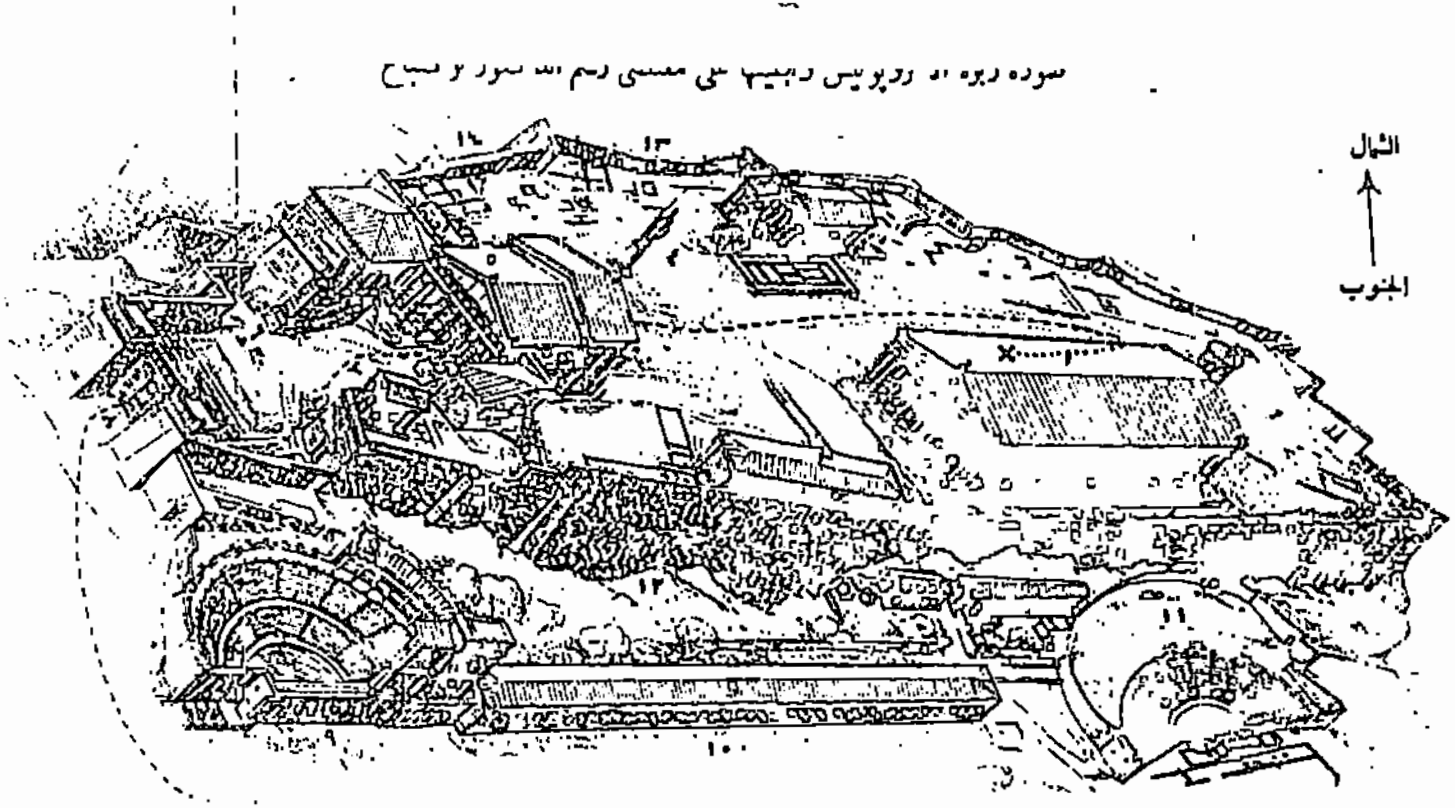

١ هيكل البرثينون. — ٢ هيكل الابرخثايون. — ٣ بيت المال (Chalcothèque). — ٤ تمثال الالهة اثينا المحامية (بروخوس). — ٥ اروقة البروبيليه.
— ٦ تمثال اغريبا. — ٧ هيكل النصر. — ٨ مدخل البروبيليه. — ٩ مرسح هيرودس اتيكوس (معهد الموسيقيين). — ١٠ رواق ادمانس. — ١١ مرسح
ديونيسيوس. — ١٢ اسوار كيمون. — ١٣ اسوار ثمستوكليس. — ١٤ مغاور الاله پان (Pan)
+ نقطة البرثينون التي تم فيها افتتاح الاعياد البروبيلية ومؤتمر المستشرقين. ..... الطريق التي مشى عليها ملك البرتان وعائلته واعضاء المؤتمر عند قدومهم

فكانت الشمس تشعُّ على الرياض وعلى معاطف ربوتَي هيمت (Hymette) وليكابات (Lycabette) فتصبغ بانوارها النبات الندي وتلثم الزهور المتفتحة بحرارتها بينما كانت اشعتها تضرب صفيحة البحر اللازوردية من جهة مرفإ فاليرة (Phalère) الطافي فوق المياه الزرقاء كالدرة بين الزبرجد. ففهمتُ لدى ذلك المنظر البهي كم تتضاعف محاسن الاشياء اذا كانت في مواقع تليق بها كما يزيد رونق الحجر الكريم في خاتم جميل. فكذلك بناء البرثينون على قمّة الاكروبوليس زادهُ فخرًا على فخر

ونحن غائصون في هذه الافكار اذ بلغنا المدخل الفخم حيث كان سبقنا جلالة الملك جورج والملكة اولغا وولي العهد مع قرينتهِ السيدة صوفيا اخت الامبراطور غليوم الثاني وسائر الامراء والاميرات ليستقبلوا الوفود ويرحبوا بهم. ثم بعد عبورنا المدخل المذكور رقينا الدرجات التي تنتهي الى البرثينون من جهة الشمال. فلقينا هناك سيادة مطران اثينا تحفُّ بهِ طائفة من طلبة الكليَّة وفي يد احدهم راية جميلة عليها صورة السيد المسيح.

وما لبث الموكب الملوكي ان وصل الى باب البرثينون فصدحت الموسيقى وتعالت اصوات الهاتفين لهُ بالدعاء حتى بلغت عنان السماء واذ جلس الملك في سدَّة النادي واسرتهُ حواليهِ قام على دكَّة هناك ابنهُ وليّ عهدهِ الامير قسطنطين فالقى خطاباً باليونانيَّة اعلن فيهُ رسميًّا افتتاح اليوبيل والمؤتمر واحسن التحفي بالنوّاب واعضاء المؤتمر. وعقبهُ وزير المعارف المسيو الكسندريس ثم المسيو لمبروس رئيس الكليَّة فتلوَا خطابين بليغين في اليونانيَّة والفرنسويَّة وزعاهما بعد ذلك مطبوعَين عند نهاية الحفلة. ثم قام بعد خطباء اليونان مُمثلو الدول الاجنبيَّة مُطرين بمحامد اثينة دار العلوم ومهنئين اهلها بهذه الاعياد الوطنيَّة ومؤمّلين خيرًا من تلك الحفلات لفخر الامَّة وخدمة العلم. وامتاز بين الخطباء المسيو ماكس كولينيون (Max Collignon) احد اساتذة كليَّة باريس والمسيو دلبروك (B. Delbrück) من كليَّة يانا والمسيو ماهفي (Ma' Haffy) فخطب الاوَّل بالفرنسويَّة خطاباً انيقاً فصيح اللفظ بليغ المعنى وخطب الثاني بالالمانيَّة بكل تحمّس وتكلم الثالث بالانكليزيَّة برقَّة ولطف ففكَّه الحضور بعارضتهِ

وكان المصورون في اثناء ذلك يرسمون بالتصوير الشمسي كل ما يجري من الحركات لينقلوها الى آلة الكينياتغراف لان لجنة الاعياد كانت دوّنت في جملة حفلاتها جلستين لتمثيل ماجريات اليوبيل والمؤتمر بالنور الكهربائي والكينياتغراف

وفي اثر هذه الجلسة تفسّح الوفود قليلاً ثم دُعوا الساعة ٥٧ الى دار المعروضات المدعوّة زاپيون (Ζάππειον) وهذه الدار في خارج المدينة على شكل نصف دائرة موقعها جنوبي الحديقة الملكيّة . فكان ارباب الكليّة وطلبتها اعدّوا هناك للمدعوّين الحلويات والمرطّبات فآنسوهم وتلطفوا في استقبالهم وضيافتهم وادخلونا في باحة الدار الرحبة فقضينا جانباً من الزمان يتعرّف بعضنا بالبعض الآخر . فكانت لعمري ساعة غاية في السعد والبهجة رأت فيها العين مشاهير الرجال الذين كان عشقهم القلب سابقاً لسمعتهم ولمطالعة تآليفهم

وكانت الموسيقى الوطنيّة في غضون ذلك تصدح بالحانها المطربة . وانّما الطرب بلغ غايتهُ اذ باشرت الجوقة بلحن شرقي (١ يشنّف الآذان وقامت لوقتها فئة من طلبة الكلية فرقصوا على ايقاع اللحن رقصةً يدعونها السَّحب او الجَذب (σύρτος) كرقص اهالي لبنان في مواسمهم . فكان لحركاتهم احسن وقع في قلوب الحضور لاسيما الذين لم يعرفوا بعد عادات الشرقيين

وفي الساعة ٩٧ مساء كان ختام ذلك اليوم الجليل بحفلة عظيمة عُقدت في ديوان الكليّة الكبير . وكان الملك حاضراً مع اسرتهِ يجامل المندوبين للاعياد ويلاطفهم وحضر ايضاً كثير من اعيان الدولة في مقدّمتهم رئيس الوزارة ڤنزيلوس . وكان بين الاجانب كثيرون من ذوي الشهرة نخصّ بالذكر دولة الامير فؤاد عم

١) لا تزال النغمات الشرقيّة شائعة في اليونان فمن قائلٍ انّها غريزة من غرائز البلاد الجنوبيّة وانحاء الشرق ومن زاعمٍ انّها موروثة عن الموسيقى البوزنطيّة . ويذهب غيرهم انّها بقايا من الالحان العثمانيّة مدّة تملّك بني عثمان على بلاد اليونان . والمرجح انّ هذه الاسباب كلها اثرت معاً في النغمات اليونانيّة . ومما اذهلنا غاية الانذهال اننا في مدّة اقامتنا في رومية كنّا نسمع القرويين يتغنّون باغاني مختلفة تشبه الشبه التام موالي اهل لبنان او حدو العرب . بل لحظنا ان بقيّة القوم اذا اسموك الحاناً من كبار الموسيقيين الايطاليين كثردي اردفوها بلحن شرقيّ . وهو امر جدير بالاعتبار يدلّ على تأثير التمدن القديم في البلاد التي كانت تحت حكم دول مختلفة

الحضرة الخديوية. فكان جلالة الملك يرحب بالجميع ويتنقل بين فتاتهم ويصافحهم وقُدمت ثانيةً المرطبات وضروب الحلويات للجميع وبقي الحديث دائرًا الى قرب منتصف الليل .

والكليَّة اليونانيَّة التي كنَّا تلك الليلة في معاهدها قد أُنشئت سنة ١٨٣٧ اي منذ ثلثة ارباع القرن وتولَّى هندستها وبناءها المهندس الدنيركي هانسن (Hansen) الذي شيَّدها على طرز الهياكل اليونانيَّة القديمة ففاقت على كلّ الابنية الحديثة في اثينة ونقشها بالالوان الزهيَّة مع مراعاة الذوق السليم. وجعل موقعها في الساحة المعروفة اليوم بساحة الكليَّة متوسطةً بين بنايتين أُخريين جميلتين اعني المكتبة العموميَّة ودار العلوم وكلتاهما ايضاً من الطرز اليونانيّ وبالرخام البنتيلي الشهير فجاء مجموع هذه الابنية الثلثة زينة وفخرًا لمدينة اثينة

وفي داخل الكليَّة المعاهد الواسعة والحُجر المنظَّمة لالقاء الدروس بينها الديوان الفخيم الذي كنا مجتمعين فيهِ وهو مزدان بالنقوش اللطيفة. وعلى جدرانهِ مجموع صور رؤساء الكليَّة ومشاهير اساتذتها

امَّا نظام الكليَّة فعلى نظام الكليَّات الالمانيَّة (١ فلها شورى تُعنى بادارتها ورئيس يختارونهُ كل سنة ويدعونهُ پروتانيس (πρύτανις). والكليَّة على خمسة اقسام او مكاتب كبيرة يُعلَّم فيها ٥٦ استاذًا يساعدهم في المراجعات والمذاكرات ٥٧ آخرون امَّا عدد التلامذة فبالغ ٢٥٠٠ ثلاثة ارباعهم يدرسون الطب والحقوق

*

وكان ثاني عيد الفصح شبيهاً بالاحد في مواسمهِ ومظاهراتهِ بل زاد عليهِ رونقاً. وفي الصباح أطلقت المدافع ايذاناً بالحفلات المنتظرة. ولمَّا قربت الساعة العاشرة

١) بين اليونان والمانية علائق وثيقة منذ تولَّت تدبيرهم سلالة باڤاريَّة ثم دنمركيَّة فترى الناشئة تتوارد الى المانية لتتخرَّج في كليَّاتها. وكثير من اساتذتها درسوا هناك فيحسنون التكلم باللغة الالمانيَّة اكثر من الافرنسيَّة. امَّا اصلاح الجيش فقد عهد بهِ اليونان الى عدة افرنسيَّة كما عهدوا باصلاح الشرطة الى بعثة ايطاليَّة على مثال تركيَّة قبل حربها المالية. والملازم الذي يقوم بهذه المهمة يُدعى دي منداتو (de Mandato) وهو اخو حضرة رئيس الكليَّة الفرينوريَّة في رومية

تقاطر معظم الناس الى جهات الكنيسة الكاتدرائية مزدحمين على ممرّ الملك. واذا بالنفير اخذ يدقّ مُشعرًا بخروج جلالتهِ من قصرهِ فدوى الجوّ باصوات الهاتفين لاكرامهِ وانفتحت الطريق لموكبهِ فكان الملك والملكة راكبين مركبةً فاخرة يقلّها اربعة من الجياد المطهّمة وكان يتقدّم المركبة ياوران افرنسيان وتتبعها مركبات البلاط للعترة الملكيّة بينما كانت جماهير الشعب تحيي ملكها بالسلام

ثم دخل الملك الى الكنيسة وجلس مع حاشيتهِ على يمين الهيكل فوق مرتبة أُعدّت لهم. ودخل المطروبوليت مع لفيف الكهنة والاكليروس من باب الايقنستاس الكبير. وامكنّا ان نحضر هذه الحفلة بصفة اعضاء المؤتمر. ثم ابتدأت الرتبة الدينيّة التي خُصت بتسبحة الشكر (Te Deum) فباشر بها المطروبوليت باليونانيّة وغنّاها بعدهُ جمهور المرتلين ليس على تلحين الغناء البوزنطي كما كنتُ منتظرًا ولكن على نغمة الموسيقى الحديثة وتوقيع الاصوات المتآلفة (١. امّا تسبحة الشكر فتشبه كثيرًا تسبحتنا اللاتينيّة المنسوبة الى القديس امبروسيوس وامكنني ان اتبع معانيها الى التريزاغيون (Sanctus) . وقرئت بعد غناء التسبحة الدبتيخات والادعية لرؤساء الدين وطبقات المؤمنين ثم عقبها التبخير المعتاد للملك واسرتهِ وكافّة الحضور وخُتمت الرتبة بمصافحة المطروبوليت لجلالة الملك والامراء.

وما انتهت هذه الحفلة الدينيّة حتى اسرع الناس فانتقلوا الى طرف المدينة حيث الميدان والحديقة الملكيّة ليحضروا استعراض الملك للجيش وكان الجند قد انتظموا هناك على اختلاف دوائر فرقهم من مشاة وفرسان وطوبجيّة تحت نظارة اركان الحرب والضباط. ففي الساعة الحادية عشرة والربع تناقلت الافواه اسم الملك واذا بجلالتهِ مع وليّ عهدهِ قدما وكانا هذه المرّة لابسين البزّة العسكرية وراكبين فرسين كريمين فمرّا امام الجيش واستعرضا الجنود ورقبا حركاتهم بايعاز قوّادهم ثم اثنى الملك على حسن نظامهم فحيّوهُ بالنصر

١) واليوم كادت الكنيسة الروسيّة تهمل الغناء البوزنطيّ وتنوب عنهُ بالموسيقى الجوقيّة وكذلك كنائس اثينة فانّ الموسيقى البوزنطيّة فيها على تقهقر فليس كنيسة الّا وتُمزَج فيها البسالتيكا بالنغمات المستحدثة

تمثال اثينا الملقبة بالعذراء (Παρθένος)
المنصوب في هيكل البرثينون

قلنا ان الحكومة اليونانية عهدت بتنظيم جيشها الى ضبّاط افرنسيين. وقد سمعنا في اثينا غير مرّة اهلها يشكرون طريقتهم في تمرين الجند على الآداب الحربيّة. وكان البعض يرون انّهم يبالغون في التدقيق وحفظ النظام لكنّنا عددنا ذلك من حسن خصالهم. وما لا ينكره احد ان الضباط الفرنسويين يتفانون في خدمة اليونان ويبذلون الجهد والمجهود في تقوية جيشهم وقد عرف لهم الشعب غيرتهم ويحسبهم من افضل المساعدين على الاصلاحات التي ينويها فنزيلوس. وكما يشكر اليونان حسن تصرّف الفرنسويين في تمرين الجيش ولاسيما الجنرال ايدو (Eydoux) كذلك سمعنا الكهنة الكاثوليك في اثينا يثنون على تديّن اولئك الضبّاط الذين لا يهملون شيئاً من واجبات الدين فهم بتفاهم قدوة طيبة لليونان الارثذكس

وفي عصر النهار عُقدت في ديوان الكليّة جلسة عموميّة حضرها ايضاً الملك وذووه فتناوب في منبر الخطابة رئيس الكليّة ثمّ منتدبو الدول والجمعيّات العلميّة فلفظوا الخطب البليغة في تهنئة اليونان باعياد اليوبيل باسم الذين اوفدوهم لحضور هذه الاعياد وكان لبعض هذه الخطب الوقع العظيم في قلوب السامعين فصفقوا لها التصفيق المتتالي لاسيما خطبة المؤرخ الشهير غدفروا كورث (God. Kurth) وكان هذا الاجتماع مهيباً جدّاً لحضور اساتذة الكليّة ببزاتهم الرسميّة الآخذة بالابصار

على انّ هذه الحفلة مع حسنها طالت فتعذّت على الوقت المعيّن لجلسة المستشرقين حتى ان بعض اقسامها لم يمكنها ان تجتمع او قصّر وقت اجتماعها فلم يستوفِ الخطباء كلامهم كما شاؤوا. فالقسم المختصّ بالدروس الاسلاميّة مثلاً لم يقم بمواعيد لائحته المطبوعة وفي هذه الجلسة عيّنوا العلّامة غلدتسير (J. Goldziher) استاذ اللغات الشرقيّة في بودابست كرئيس هذا الفرع والمسيو سنوك هرغرونيي (S. Hurgronje) من علماء ليدن كنائبه ثمّ اختار الرئيس كاتباً للاسرار الشاب الاديب لويس ماسينيون (E. Massignon). وحضر هذه الجلسة بعض علماء مصر كالشيخ احمد الاسكندري من اساتذة الازهر والشاعر احمد شوقي وسعادة احمد زكي باشا الذي خطب مراراً في المؤتمر في اقسام شتى. وفي هذه الجلسة تلا حضرة الاب لامنس مقالة مستجادة عن المساجد وخواصّها في اوّل الاسلام

وكان مسك ختام ذلك اليوم المناورات التي قام بها الاثينيون فانّ طلبة الكليّة

ساروا الساعة ٩٠ في شوارع المدينة بالسُرُج الوقدة وأُنيرت مدة عشرين دقيقة أكمة الاكروبوليس فظهرت لاعين المشاهدين كشعلة نار لاحت لهم بين السماء والارض على هيئات عجيبة غريبة والوان رائعة بديعة كادت تسبي العقول فكنت ترى الابنية الاربعة المشيَّدة فوق الاكمة اي المدخل السابق ذكرهُ وهيكل إلهة الانتصار (Victoire Aptère) والبرثينون وهيكلُ الايرختيون (Erechtheion) المبني قديماً لاكرام اله البحر نبتون تبدو كلها بصورها الهندسيَّة الجميلة وتقاطيع بهيَّة من النور ثم كانت الوانها تختلف اختلافاً يزيدها حسناً فتظهر حيناً حمراء وحيناً بيضاء او خضراء ويظهر كل بناء على هيئة خاصة بالنسبة الى ما يليهِ . وكنَّا صعدنا الى ربوة ليكابيت لنسرح النظر في هذا المنظر الفتَّان الذي لن يبرح من ذاكرتنا طول حياتنا

*

في صباح الثلثاء الساعة التاسعة عُقدت محاضرات علميَّة في ديوان الكليَّة تخلَّلتها الانوار الكهربائيَّة وأُجل منها قسمٌ لئلَّا تتأخر جلسات مؤتمر المستشرقين التي تمَّت في اوانها

امَّا المساء فدُعي نوَّاب الدول بحرًا واعضاء المؤتمر برًّا الى زيارة آثار مدينة الوسيس (Eleusis) الشهيرة بهيكلها حيث كان قدماء اليونان يكرمون الإلهة سارس (Cérès) بُرتب سريَّة مخجلة وكان شيَّد هذا البناء زعيم الاثينيين بريكلس الكبير في القرن الخامس قبل الميلاد. وموقع الوسيس على ١٨ كيلومترًا شمالي غربي اثينة فسرنا في عربات السكة الحديديَّة التي أُفردت لنا مجانًا ثم انقسمنا لدى وصولنا حسب بلادنا اقساماً تدلُّ عليها رايات كل دولة وكان يصحب كلَّ قسم استاذ او طالب من طلبة الكليَّة ليدلَّاهُ على الآثار ويفسرا لهُ معانيها. ولمَّا اجتمع كل الزوَّار وكان بينهم ركَّاب السفينة ايل دي فرنس (Ile de France) الراسية في مرفأ البيره انتمشت تلك البقعة وحييت في اعيننا ألوسيس وهيكلها القديم . والوسيس اليوم بلدة صغيرة سُرَّ اهلها بمجيئنا وهناك قدَّمت لجنة الاعياد للزائرين شيئاً من المآكل والمشروبات تحفيًا بهم. وكانت وعدتهم بملهاة لتمثيل الرقص الوطني الذي لم يتمَّ عملًا لسوء تفاهم حصل بين اصحاب اللجنة وشيخ البلد

يوم الاربعاء تمت محاضرات الكليَّة مع الانوار الكهربائية. وممَّا سمعناه من المقالات المستحسنة سيرةً لاحد أعراب حِمى دارياً وصف فيها اعمال حياتهِ فقرأ هذه النبذة اللطيفة الاستاذ هسّ (G. Hess) ثم تلاهُ حضرة الاب اليسوعي دي جرفانيون (de Jerphanion) فعرَّف تاريخ بعض الكنائس البوزنطيَّة التي اكتشفها في « طوقاله كليسه » في برّ الاناضول ورسم صورها العجيبة بالانوار الكهربائيَّة

وقامت كل اقسام المؤتمر في هذا اليوم باعمالها. فسمعنا بكل طيب الخاطر مقالة الدكتور غلدتسير عن فخر الدين الرازي ومعارفهِ في علم الكلام. ثم عقبتها مقالة الشيخ احمد الاسكندري في اللغة المصريَّة العاميَّة ثم مقالة العلامة الالماني بكِر (C. H. Becker) عن نتيجة رحلة الارشيدوق دي مكلنبورغ الى قلب افريقية وما استفادهُ هناك لتعريف حالة المسلمين. ثم عرَّف جناب الاستاذ مرجليوث (S. D. Margoliouth) القسم السادس من كتاب معجم الادباء لياقوت الرومي الذي عُني بنشرهِ ووصف المشرق اقسامهُ السابقة (ص ٣١٤ الخ). وقام في اثرهِ الاديب لويس ماسينيون وبسط للحضور شيئاً من ابحاثهِ عن احد مشاهير الخوارج الحسين بن المنصور الحلَّاج

وفي مساء النهار الساعة السادسة عُقدت حفلة موسيقيَّة في معهد الجمعيَّة المعروفة بالپرناس (Parnasse) حيث كنَّا نجتمع للمفاوضة في العلوم الاسلاميَّة فسمعنا اصواتاً رخيمة لمشاهير ارباب الغناء وعدَّة قدود موقعة على آلات الطرب منها اوربيَّة ومنها يونانيَّة

وفي الساعة ٩ مساء حضر البعض في المرسح الملكي تشخيص رواية اوديبوس الملك باليونانيَّة الحديثة وقد اثنى الحضور على محاسن المرسح وإحكام الممثلين في تشخيص ادوارهم

ويوم الخميس حضرنا في المؤتمر جلسة عقدها الفرع المختصّ باليونانيَّة الحديثة حيث تعرَّفنا بعدَّة علماء ممَّن اصابوا شهرةً في الدروس اليونانيَّة القديمة والحديثة من وطنيين واجانب وكنَّا وعدنا بتلاوة مقالة عن الالفاظ التركيَّة الدارجة في اللغة اليونانيَّة العاميَّة في جهات الروملي وخصوصاً في ادرنة

فقمنا بوعدنا واختصرنا يومئذٍ درساً موسعاً كنّا نشرناه في ثلاثة اعداد من المجلة الاسيوية الفرنسويّة في آخر العام المنصرم فوجد الحضور لذّة في هذا البحث وتفاوضوا في مقترحاته ملياً

وبعد الظهر بوشر في الميدان بالعاب الجامعة اليونانيّة (Jeux Panhelléniques) التي تواصلت مدّة ثلاثة ايّام فحضرنا بعضها . والالعاب المذكورة عبارة عن رياضات بدنيّة شتى كالسباق في العدو والوثوب والصراع ورمي الكُرَة وغير ذلك ممّا يدلّ على حذق اللاعبين وقوّتهم . وقد رأس هذه الالعاب ابن الملك وكانت تجري عدّة العاب في وقت واحد. امّا ميدان السباق في اثينا فتاريخهُ يترقى الى ليكرغس نحو السنة ٣٣٠ قبل الميلاد وكان طولهُ ٢٠٤ امتار في عرض ٣٣ متراً. وفي السنة ١٤٠ بعد المسيح جهّزهُ هيرودس اتيكوس بمقاعد من رخام اقتلعوها من مقالع جبل بنتيليك التي فرغت بعدهُ. ثم أُهمل هذا البناء على توالي الاجيال ونُهبت حجارتها حتى قام قبل ٢٠ سنة احد المثرين اليونان في الاسكندريّة المسيو اثيروف فتبرّع بمليون من الفرنكات (وقيل اضعاف ذلك) لترميم هذا الميدان كي تقام فيهِ الالعاب الاوليّة سنة ١٨٩٦. وهذا البناء المستحدث تخالف هيئتهُ في اثينة الابنية القديمة الجليلة فهو مشيَّد على شكل مستدير ودرجاتهُ لا تقلّ عن ٤٤ صفًّا لكنها بلا مساند

وجرت غير ذلك من الحفلات مدّة اسبوع الفصح قام بها بعض الخواصّ او الجمعيّات فمساء الخميس دعا اصحاب المكتب الانكليزي الاميركاني وفود اليوبيل والمؤتمر الى حدائقهم الواقعة وراء بلاط وليّ العهد الذي حضر بينهم. وكانت سبقت يوم الاثنين السيدة شليمان (Schliemann) ارملة الاثري الكبير الذي اكتشف آثار تروادة وعرّف التمدُّن الميقيني فدعتنا الى دارها الفخم . وكذلك اجتمع المذكورون الى مقام فاليرة (Phalère) المعروف باكتاون (L' Actaion) بدعوة خاصّة من المسيو لمبروس رئيس الكليّة وقرينتهِ . وكان الختام يوم السبت بدعوة المكتب الايطالي...

فترى ان اليونان القائمين بهذه الاعياد الشائقة لم يألوا جهداً في تجهيزها وانجازها على طريقة لائقة بشعب كريم. والحقّ يقال ان الذي يرى اثينا في عهدنا لا يتمالك عن الاقرار بتقدُّمها ورقيها والفضل في ذلك يعود غالباً الى رئيس وزارتها فنزويلوس

المعروف بلين العريكة والحكمة والحزم وتشهد له اعماله العظيمة اذ عرف ان يجمع بدرايته كلمة اهل موطنه وينفي عنهم الشقاق والتحزبات كما انهُ سعى في حفظ السلام مع الدولة العليَّة ولم يشأ ان يطرّح بلادهُ في حرب مشئومة كحرب ١٨٩٧ او اشأم. وقد كسب فضلًا عن ذلك ثقة اهل وطنه فنزع ما كان في قلوبهم من الحزازات والاملُ معقود على مواصلته تلك الخطَّة مدَّة رئاسته الجديدة

وكان ختام المؤتمر في ١٣ نيسان فأُقيمت لذلك حفلة خاصَّة تولَّاها وزير المعارف وشكر فيها المسيو لبروس وفودَ الاعياد وتكلم كثيرون من الخطباء كالمسيو بزنبرجر (Bezzenberger) ودي غوبرناتيس (A. de Gubernatis) وافاضوا في مدح اليونان وتمنوا لهم مزيد الاقبال. امَّا تعيين المدينة للمؤتمر القادم فلم يتفقوا عليه بعد كما سبق وكانت الاصوات منقسمة بين القاهرة وليبسيك وامستردام واوكسفرد او كمبردج

ثم افترقنا بعد الوداع وفي مساء ذلك النهار ركبنا الباخرة متوجهين الى الاسكندريَّة شاكرين الله على ما انعم علينا بزيارة ارض اليونان وموطن الفنون الجميلة. امَّا النتيجة من هذا المؤتمر فكنتيجة ما سبقهُ من الاجتماعات السابقة التي لا تُنكر فائدتها لتعزيز العلوم الشرقيَّة وتوسيع دائرتها. ولعلَّ هذه الفائدة تكون مضاعفةً لو اقتصر المندوبون على الجلسات العلميَّة دون مزجها بالاعياد والحفلات الوطنيَّة. وكذلك من الواجب اللازب ان تُعيَّن ساعات الاشغال بضبط وتدقيق فتُعقد الجلسات في اوانها. وممَّا يتمنَّاهُ العقلاء ان يقصر الخطباء كلامهم فلا يتجاوزون نصف الساعة في ايضاح مقاصدهم ويختاروا المواضيع الهامَّة غير المبتذلة والمعروفة سابقاً فيعرضوها بكلام قصير مُفيد لانَّ زمن المؤتمرات ثمين والعلوم واسعة فعسى هذه الاماني تتحقق في المؤتمر القادم ان شاء الله

ابن وائل

مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلّلها شعر جاهلي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي (تتمَّة)

الفصل الثالث

يمثل المرسح غرفةً في حصن لبني بكر

المشهد الاوَّل

المهلهل وقيس

المهلهل أ للقتل ام للرقِّ اخرجتني ؟

قيس لا لذا ولا لذاك ولكن لاطلاق سبيلك . (يحلّ قيوده) سِرْ سيدي المهلهل والحقْ بقومك تغلب

المهلهل فوّضَ اليك الحارث حراستي . (بقوة) أرجع اليَّ قيودي

قيس ولكن . . .

المهلهل اتجهل انيّ عديٌّ المهلهلُ ؟ لا . لا يلجأ الى الفرار سيدُ تغلب وخلفُ وائل عليها

قيس مولاي ! . . .

المهلهل لا يُلِحَّ عليَّ بالطلب . أرجع اليَّ قيودي فاني آليت على ألّا يخلّها لي الا بغضُ اعدائي لأقادَ الى الموت او بأس ابطالي فيقذوني ببسالتهم وبطشهم . . . واما ان ارضى انا بالذلّ وافرّ هارباً فيا حبّذا الموت الزؤام ولا هذا العار

اتسألني خليلي عن فرارٍ وعزّ النفس لي فيهِ شعارُ
أأنجو هارباً فيقالَ عني جبانٌ القوم أنجاهُ الفرارُ
أأنجو هارباً وانا عديٌّ ابيُّ النفس جلبابي فخارُ
أعِد قيدي فلستُ أريدُ أمراً أتتنيَ منهُ مخزاةٌ وعارُ

قيس (يقيده) انا أُقيّدك طوعاً لامرك ولكن عمّاً قليل يحلُّ اميرنا وثاقك ويقبل يديك

المهلهل ماذا تقول ؟ اميركم الحارث بن عبّاد يحلُّ وثاقي ويقبّل يديَّ ! لقد اعماك الجهل

قيس اميرنا الحارث بن عبّاد واميرنا الهجرس ابن اخيك وائل

المهلهل ابن وائل ! بلغني انهُ وقف على حقيقة نسبه بعد ان كتمتموه اياه زماناً طويلاً فيهِ كان جساسٌ اذاع بيننا موته . . . اين ابن اخي ؟

قيس ترك حيّنا وذهب الى تغلب حيث خالهُ اميركم مُرادهُ الفتك بهِ انتقاماً لدمِ ابيهِ . ثم يعود لانقاذك بجيوش تغلب وأسد

المهلهل نعمَ الولد ولد وائل

قيس لكن لا حاجة الى العنف والقهر . فانَّ قومي ينقادون اليهِ طوعاً . نُولجهُ الحصن ونساعدهُ على انقاذك

المهلهل أيخون بنو بكر سيدهم ؟

قيس لن نخون الحارث بن عبادٍ . هو سئمَ الحرب ويحب الصلح

المهلهل وجساس ؟

قيس جساس يبحث عن حتفه بظلفه . اغتنم فرصة تغيُّب الحارث فبعث يستحث تغلبيين على قتل الهجرس . لكنهما خلّيا عنهُ وقد علما نسبهُ بل ساعداه على جمع شمل بني تغلب واسد

المهلهل قبحاً لجساسٍ من مخاتل مخادع . . .

قيس جساس قد اضجرَتنا مخاتلتهُ . اضجرنا بغيهُ وظلمهُ . فها نحن معاشر ضبيعة ننشقُّ عن بني شيبان

المهلهل الانشقاق في بكر !

قيس هو فيها ان ابت شيبان الّا معاضدة نذلها جساس . خطبتُ في بني ضبيعة واعلمتهم ما اضمرَ امير شيبان . فاضرمتُ لهُ في افئدتهم ناراً من البغض والغيظ . . . قرَّ عيناً سيدي فالحصن حصننا وانت تُحلُّ قيودك لا محالة

المهلهل وهل الحارث عالمٌ بهذا كلهِ ؟

قيس اتاه ذهاب الهجرس الى حيكم

المهلهل وتعصُّبكم لابن اخي ؟

قيس لا علم للحارث بهِ على اننا نطلعهُ على الامر . وان ابى او تردَّد . . .

المهلهل . . . (يقاطعهُ) مهلًا يا اخا العرب ان ابى الحارث محاربة جساس فاني منكرٌ على الهجرس انقاذي بعونتكم . عارٌ عليهِ الخيانة . عارٌ عليهِ ان يبثَّ في القوم روح العصيان على اميرهم وان فعل فلا اعرفهُ ولا هو من سُلالة وائل وقد كذب دمهُ ومان . . . انا عائد الى سجني

قيس سيدي !

المهلهل هوذا اميرك مقبلٌ . قل لهُ ان عديًا المهلهل لم يكن ليغمسَ يده في الخيانة مع اهل العصيان . انا اسيرُ الحارث فان شاء قتلني او تعبَّدني . وان احبَّ خلّى سربي وعقد الصلح معي . فالموت والرقّ احبّ لديَّ من الخاتلة والخداع . . .

على ان ليس عدلًا من عديٍّ إذا طلب السلامة عن غرورِ
على ان ليس عدلًا من عديٍّ اذا ما أوغرت ذات الصدورِ
على ان ليس عدلًا من عديٍّ اذا ما دبَّ بغضٌ في الشعيرِ

(يخرج المهلهل)

المشهد الثاني

قيس وحدهُ

قيس اكرم بعديٍّ المهلهل اميرًا . هو عظيمٌ في الاسر كما كان عظيماً في ساحة الوغى . مثلهُ تكون الامراء والملوك فيحق لها التفاخر بكرم المحتد والصولة (يدخل الحارث)

المشهد الثالث

الحارث قيس

الحارث ما الخبر عن الهجرس ؟

قيس لم يَعد بعد من ارسلتهُ في أثرهِ . ولكني اعلم علم اليقين ان الهجرس اذا

ما قصد امرًا فلا يعدلُ عن الانجاز . هو واغرُ الصدر على جساس ولا يعود الّا برأسهِ

الحارث وان اركن خاله الى الفرار ؟

قيس (وحدهُ) الهرب خليقٌ بالنذل . (الى الحارث) ان فرَّ جساس لحق به الهجرس ولو احتفر نفقاً في الارض او تسلّق سُلّماً في الجوّ . فمع ابن وائل جيوشٌ عديدة تُنيلهُ ما يتمنّى

الحارث أفتظن أنهم يفوزون بالنصر ؟

قيس لا اشكّ بذلك وعهدي ببني شيبان جبناء انكالا

الحارث وبنو ضبيعة ؟

قيس بنو ضبيعة . . . ثقة مولاي أمر خطير لا اريد ان اكتمك اياه . فاني على علم من شواعر قومنا . هم خذلوا جساساً فلا يعاونونه

الحارث نعم . وقد علمت أنكم قتلتم نويرة

قيس كيف لا نقتلهُ وقد تواطأ مع جسّاس على قتل الهجرس

الحارث أيكون هذا منكم وانتم من بكر كبني شيبان

قيس بل نحن كلنا في حوزة الهجرس . كلنا في يده . كلنا على جسّاس إلبٌ واحد

الحارث ويلاه ! قد وقع الشقاق في بكر . . . ويلاه

جرّت علينا النائبات ذيولها حطّت بنا لواطئ الأقدام
يا آل بكرٍ ما الشقاقُ بنيدكم الّا الشقاء ولوعةَ الاسقام
ان حلَّ هذا الحُلفُ في اسادانكم كنتم لدى الهيجاء غير كرام
وتركتمُ يومَ الكريهة كُلكم ما بين مصروعٍ وآخرَ دامٍ . . .

. . . ثم كيف تستحلون معاضدة الهجرس عن غير رأيي وانا اميركم .

قيس مولاي يعزّ علينا عصيان امرك ولكن جسّاساً قد بغى وطغى . لو لم يبتدئ الهجرس بالشر لما بودي بمثله

الحارث افلا وسيلة لاصلاح ذات البين (يفكر)

قيس لا يصلحها الّا عقاب جسّاس او كف الهجرس عن تطلب ثاره ولكن هيهات . . .

الحارث (يبتّ الرأي) حُلَّ قيود المهلهل وعليَّ به (يخرج قيس)

المشهد الرابع

الحارث وحدهُ جالساً

تنازعت قلبي الاكدار. ووقفت عندها الافكار. أين اوجه آمالي والخطبُ جسيم. احدق بي من كل صوب ويلاه! (يقف) ايا ال بكر آل قومي أإلى هذا الحدّ بلغ بكم التحاسد والتحزب حتى تحيزتم وتفرقتم؟ أما كفتنا حرب البسوس؟ اما كفتنا اهوالها حتى توغرت الصدور؟ اهذه هي ثمرة تعاوننا وانتصارنا عليها؟... ولكن لا لوم على بني ضبيعة في قتلهم نويرة وقد خان. لا لوم عليهم في معاداة جساس. (يجلس) جساس اصرَّ على ضلالهِ وتمادى في غيّهِ غرس الفتنة في القوم وجعل الشقاق بينهم آه

لحى الله قوماً أسعروا الحرب بيننا ... بقوا بما شرًّا من الشرب آجنا
اذا قلتُ قد افلتُّ من شرّ تغلبٍ ... لقيت بأخرى عند بكرٍ ضغائنا
وكم مرّةٍ انذرت جساس ناصحاً ... وما دهره الّا يكون مطاعا

(يدخل المهلهل).

المشهد الخامس

الحارث والمهلهل

المهلهل امرتَ بحلّ قيودي؟

الحارث امرتُ

المهلهل ثم ماذا؟

الحارث إنك يا عديُّ قد اسرفتَ في القتل وادركت ثأرَ وائل سوى ما قتلت من ضبيعة وشيبان

المهلهل نعم. فعلت ذلك اثناء الحرب ولا عيب على من يقتل في الهيجاء اعداء حيّهِ. امّا جساس فقد تمادى في جهالتهِ واصرَّ على باطلهِ. اثار علينا وعليكم حرب البسوس بقتله اخي كليباً واثلاً. ولم يكتفِ بذلك فبعد ان تحالفنا

وعقدنا الصلح نكث العهدَ وبعث من يقتلني غدراً

الحارث انت تعلم اني انكرت ذلك عليهِ . . .

المهلهل ثم عمدَ الى الهجرس ابن اخي واراد قتلهُ

الحارث دع عنك ايها الامير تعداد معايب جساس . حديثك الساعةَ مع امير بكر . . لا معهُ (سكوت هنيهة) أتريد عقد الصلح ؟

المهلهل انا اسيرك وتسألني الصلح !

الحارث اطلقتُ اسرَك وخليت سربك ان رضيت بما أُريد

المهلهل (يفكر) . . . ما هي شروطكم ؟

الحارث جساس اسيرٌ في حيكم فخلُّوا عنهُ . ثم انَّ الهجرس الآن في حوزتك وقد علمَ وعلمتَ انهُ ابن اخيك فاكففهُ عن اذانا وانهَهُ عن الزحف علينا وعن طلب الثأر بابيهِ . فقد لعمري أرقتم منَّا الى الآن اضعاف دم وائل . ومن الحيين قد مضى في هذه الحروب من كان بقاؤهم خيراً لنا ولكم

المهلهل . . . انا فاعل . . . واماَّ ان عادت الى عترها ليس وعاد جساس ينذر بنا وينكث كما فعلَ

فلأُوردنَّ الخيلَ ماءَ دياركم ولأَقضينَّ بنعل ذاك ديوني
ولاقتلنَّ جحاجحاً من بكركم ولأُبكينَّ بما جفون عيونِ
حتى تظلَّ النائحاتُ بحيّكم يندبنكم بتفجعٍ وانينِ

الحارث لم اكن انا يا عديُّ لانكث العهد . وما زحفتُ عليكم آنفاً الَّا لاستدرك هجومكم

المهلهل نعم . ولكن جساس ؟

الحارث ان عاد الى غيهِ وجنح الى الغدر سلَّمتهُ اليك واعتزلت حربهُ انا وقومي . .

هلمَّ للمصافحة

المهلهل اعطيتك صفقة يميني (يتصافحان)

(يدخل جساس)

الحارث اعطيتك صفقة يميني

المشهد السادس

الحارث المهلهل جساس

جساس ماذا ؟ اميرُ بكر يصافح اخا وائل كليب !

الحارث جساس !... كيف خلَصْتَ الى الحي ؟

جساس نجوتُ من تغلب...

المهلهل قل : فررتُ

جساس نجوت بسلاحي قبل ان يعتقلوني وأتيت لافتُك بالمهلهل (يتهكم) ولم يخالجني الظن انَّ اميري يصافحهُ وهو شرّ اعدائنا

المهلهل أغدرٌ فخساسةٌ ثم وقاحة ؟ مثلكَ يا جساس تبلغُ بهِ الدناءة الى حد الفرار . واما انا فسل قيساً . سل قومك . يخبروك اني ابيت الهرب وذلّة وقد تهدت لي سبلهُ

جساس (الى الحارث) مهدها لهُ قيس اللعين وما خلصتُ منهُ اليك الّا حيةً

المهلهل آه ! اوعيك بأسُ ابطال تغلب وارتعدت منهُ فرائصك ! فاركنت الى الفرار آه...

لو ان قومي ادركوك لوجدتم مثل الليوث بشرّ غير عربِ

...ولكن ما باليد حيلةٌ لمعاقبتك وقد صافحت الامير واخذ عليَّ العهدَ الاكيد ألّا أتبدأكم بالعداوة ... (غير مكترث) فان شئت فاعقد ما عقد

جساس (يتهكم) حسبُكَ مصافحةُ الامير

الحارث لا عيب في الصلح بعد النصر

جساس (الى الحارث) تمتّع وحدك بالصلح . واما انا فلا اروم الّا القتال

فاني قد طَرِبْتُ وحان مني طرادُ الخيل عارضةَ الرماحِ

(الى المهلهل)

واني قد جنيت عليك حرباً تُنِصُّ الشيخَ بالماء القراحِ
تُسعِّرُ نارها وهَجاً وجاءت اذا خمدت كنيرانِ القصاحِ

وما تنفكُّ ناعمة تغنّي بما ندبتْ وتُعلنُ بالنواحِ
فما لي همّةٌ ارجو اخاها سوى الخطّيِّ والفرس الوقاحِ

المهلهل (يتهكم) تفاخر تفاخر يا من لجأ الى الفرار خوفاً من بني تغلب!

لئن تكُ يا جبانُ جنيت حرباً تُنبِّئُ الشيخَ بالماء القراحِ
جمعتَ بما يديك على كُليبٍ فلا وكلٌ ولا رثُّ السلاحِ
ولكني الى اللذّاتِ اجري الى الموت المُحيط مع الصباحِ
واني حينَ تشتجرُ العوالي اعيد الرمح في اثر الجراحِ
شديدُ البأس لستُ افرُّ خوفاً نظيرك بل ابوءُ الى الرماحِ
فاجملُ من حياة الذلّ موتٌ وبعضُ العار لا يمحوه ماحِ

جساس آه تُوغرُ غيظي وتُشعل لهيب غضبي. يا هذا عليك بالكفّ عن التطاول والّا جعلتك في الحال جزرًا لسيفي (يده على سيفه)

المهلهل يحقُّ لنذلٍ مثلك ان ينقضَ ما عقد اميرهُ. يحقُّ لك ان تخرُق حرمة القرى وتُشهر عليَّ السيف وانا ضيفكم لا اسيركم. يحقُّ لك ان تقاتلني وانا أعزلُ لا سلاح لي الّا يدي

جساس على رسلك (ينظر المهلهل الى الحارث)

الحارث (بين الاثنين) قد عيل صبري! من انت يا جساس لتحلَّ وتربطَ في القوم؟ أليس في بكر اميرٌ ليعقد الصلح ويُشهر الحرب كيف شاء؟ انا سيد بكر واميرك. تحالفتُ مع المهلهل. فما عليك الّا الطاعة وأيمُ الحق ان حللت ما عقدتُ واشهرت العداوة فلست فقط معتزلًا حربك ولكني مسلِّمك الى اعدائك فقد طالما تحمّلنا جورك

جساس انت سيد ضيعة واما شيبان فانما سيدها انا. فانضمَّ اذن بقومك الى تغلبَ ونحن معاشر شيبان اكفاء لكم ولهم:

إنّا على ما كان من حادثٍ لم نَبدإ القوم بذات العقوقْ
قد جرّبت تغلبُ ارماحنا بالطعن اذ جاروا وخرّ الحلوقْ
لم ينهم ذلك عن بغيهم يومًا ولم يعترفوا بالحقوقْ
وأسعروا للحرب نيرانها للظلم فينا باديًا والفسوقْ
أليس من اردى كليبًا لمَنْ دون كليبٍ منكمُ بالمُطيقْ
مَن شرع العدوانَ في وائلٍ اقترف الظلمَ وضلّ المضيقْ

والظلم حوضٌ ليس يُسقى به ذو نِعْمَةٍ في كل امرٍ يُلبقْ
فان اردتم فاركبوها بما فيها من الفتنة ذات البروقْ

الحارث (يخفض غيظه) مهلًا يا جساس. فانَّ ضبيعة قد استدركت سُخطك وغيَّك. ساءها ما أتيت به من مخادعة الهجرس وهو ارقُّ شيء عليها وهي عليك إلبٌ واحدٌ شئتُ انا ام ابيتُ. الحصن بيدها وقد تواطأت عليك مع ابن وائل وهو شاخص الى الحيّ بكتائب تغلب

جساس الحصنُ بيدكم والهجرس مقبلٌ!... (يلتفت) ... ماذا؟.. ولجَ الحصن بنو تغلب... اليَّ اليَّ يا بني شيبان!
(يدخل الهجرس وجنوده)

المشهد السابع

الاشخاص انفسهم والهجرس وجنوده

الجنود عليك عليك ضبيعةُ وتغلب!

الهجرس ويلٌ لكم!

المهلهل مهلًا يا هجرس فاني عقدتُ الصلح مع امير بكر

الهجرس ... لا خوف على الحارث بن عبّاد. هو وليّ نعمتي وقيد رباني وكنت منهُ مكان الابن من الاب. انا مصافح لهُ وعاقد معهُ ما عقدتَ. لكنَّ جساساً الخائن لا بُدَّ ان أُريق دمهُ انتقاماً لابي

الحارث قف يا هجرس. رأس جساس حرامٌ عليك

الهجرس حرامٌ عليَّ رأس جساس وهو قاتل ابي وقد دسَّ على قتلي!

الحارث قد وهبني الاميرُ (يشير الى المهلهل) دم خالك جساس (الهجرس ينظر الى المهلهل مستفيداً)

المهلهل نعم وعلى هذا عقدنا الصلح

الهجرس (وحده) لكنَّ ذا ظلمٌ وبغي (الى المهلهل) أنت اميري ووليّ نعمتي وخلفُ وائل عليّ. امرك كلّ ساعة مطاع. حياتي أُضحّي بها في طاعتك. ولكن ان حال دون الطاعة العدلُ وسُنَّةُ الثأر...

الحارث (يقاطعهُ) أنّى يكون الثأرُ عدلًا والعفوُ مُروءةً وصلاح؟ كيف يكون الثأر سُنّةً من الله والله أرحمُ الراحمين

الهجرس انّما الرحمة لمن رحم. الرحمةُ للبشر. وما جسّاسٌ الّا ضارٍ من الجلاميد قُدّ كبدهُ

جسّاس عجّل عليّ. فتصل السيف ولا نصل الهوان

الهجرس لبّيك لبّيك (يده على سيفه ويد جساس على سيفه)

المهلهل ارعوِ بُنيّ لا تنقُضنّ شرط اميرك

الهجرس وعدتَ مولاي ما ليس لك ان تعد. وانتَ ابي ودمُهُ لي. ثأرهُ إرثٌ اتخذته عنهُ. لي وحدي ان اكفّ اليد عنهُ. تريدون مصافحتي لبكر... فعلتُ. تريدون محالفتي لجساس... انا فاعل ايضاً: فورُحي ونصليه وسيفي وغرارَيه وفرسي واذنيه لا يترك الرجلُ قاتلَ ابيهِ وهو ينظر اليهِ

ان تحتَ الاحجار حزماً وعزماً وقتيلًا من الاراقم كهلا

(الى جساس)

ذهب الصلح او تردّوا كليباً او أُذيقَ الندامةَ شيبان ثكلا

ذهب الصلح او تردّوا كليباً او تنالَ جسّاسُ هونًا وذلّا

جسّاس ذهب الصلح او تردّوا جبيرًا او تذوقَ الوبالَ وردًا وغلا

الهجرس ذهب الصلح او تردّوا كليباً او تموت جسّاسُ بالسيف قتلا

(يجرد الهجرس سيفه وكذلك جساس)

جساس قد عيل صبري. اليّ يا هجرس

الهجرس ودّع حياتك

(السلام قبل المبارزة — ضربتان — ثم يدخل جليل)

المشهد الثامن

الاشخاص انفسهم وجليل

جليل اخي! خالي! بحقّ امي! (يقفان) رحماك اخي أجزِ السيفَ في عنقي قبل ان تغمده في نحر جساس اخي أمنا جليلة. ويلاه اما كفى هذه الامّ التعيسة ما قاستهُ من اهوال الحروب وقد امضّتها حزناً ومزّقت احشاءها هلعاً على اهلها. اما سمعتها تقول:

يا أبنة الاقوام ان لُمتِ فلا تعجلي باللومِ حتى تسألي
فاذا انتِ تبيّنتِ الذي يوجب اللومَ فلومي واعذلي
ان تكن اختُ امرئٍ لستُ على جزعٍ منها عليهِ فافعلي

الهجرس قد قطّع قلبي ! (ينكس سيفه)

جليل حنّت لانينها وحوش القفار وانت خالي لم تصغِ اليها تقول :

جلَّ عندي فعل جسّاس فيا حسرتي عمّا أنجلي او ينجلي
فعلُ جسّاس على وجدي بهِ قاطعٌ ظهري ومُدنٍ اجلي

(يخفض جساس سلاحه)

المهلهل نعم الولد !

الحارث قد اصلح ذات البين

(وكأنَّ كلام المهلهل والحارث اثار ثائرةً بعض المتحاربين فيعودان الى المبارزة فيحول جليل بينهما)

جليل اليَّ يا بني بكر ! اليَّ يا بني تغلب ! ألم تسمعوا عويل جليلة تنشدكم

لو بعينٍ فُتِئتْ عيني سوى أختها فانفقأت لم احفلِ
تحمل العينُ أذى العين كما تحملُ الامُّ اذى ما تقتلي
ليس من يبكي ليومين كمن انّما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدركُ بالثأر وفي دركي ثأريَ ثُكل المُثكلِ
ابنهُ كان دمي فاحتلبوا دررًا منهُ دمي من اكحلي
انني قاتلهُ مقتولةٌ ولعلَّ اللهَ ان يرتاح لي

(يرجع جليل الى الوراء — يهجم المتبارزان على بعضهما — يعود جليل فيقف بينهما)

جليل اختي ! خالي ! بحق امي !

الهجرس عفوت عنك يا جساس (يرمي سيفه)

جساس — كما عفت اختي جليلة (يرمي سيفه)

(يُرخى الستار ثم يرفع للنشيد الآتي)

نشيد (في اثنائه يكون بنو بكر ذات اليمين وبنو تغلب ذات اليسار . يتصدر كل فئة منهم امراؤها . وفي القلب جليل بين الحارث وجساس من جهة والمهلهل والهجرس من اخرى وتحت قدميه سيفا المتبارزين) :

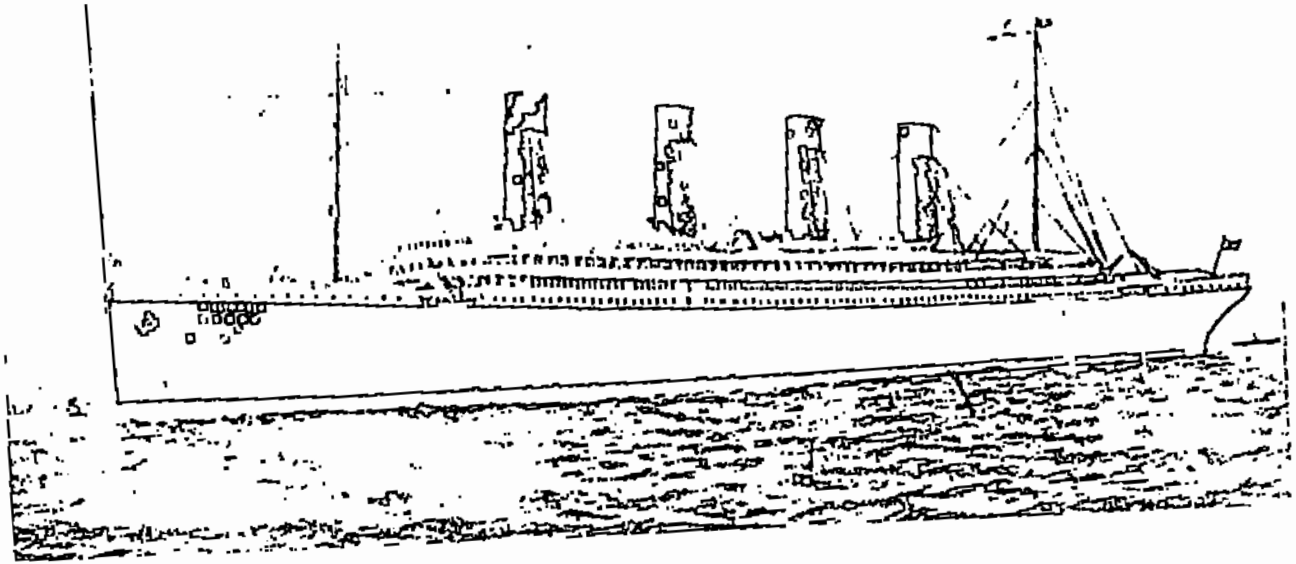

الباخرة « تيتانك »
التي غرقت في ليلة ١٥ نيسان الماضي .

بنو بكر قد كان بين جموعنا ضغنٌ وحقدٌ في صدورِ
بنو تغلب فتشاجروا وتحاربوا وتجاوزوا كلَّ الحدودِ
الكلُّ واليوم اصلح بيننا ولدٌ حوى كرمَ الجدودِ
بنو تغلب طوبى لكم يا آل بكرٍ انتمُ سعدُ السعودِ
بنو بكر لكمُ السلام جموعَ تغلبَ بأسكمْ بأسُ الاسودِ
الكلّ بشرى لنا حلَّ الهنا في ربعنا رغمَ الحسودِ

(يُرخى الستار) (تمت)

مَصْرَع جبّار البحار

نظم للاب لويس شيخو اليسوعي

قال الشاعر اللاتيني هوراس: لا مراء انَّ اوَّل من حاول ان يخوض عباب المياه ويصارع تيّار البحر كان مذرّعاً بدروعٍ مثلّثة ليقوم في وجه مثاهٍ سلطاناً مطلق الحكم واسع الملك. ولعلَّ لسان حالهِ كان يردّد بعد ركوبهِ الاهوال قول الشاعر:

لا اركب البحر اخشى عليَّ منهُ المطلبْ
طين انا وهو ماء والطين في الماء ذائبْ

على انَّ ابن آدم جرد متقدام لا يمكنهُ ان يرى في الكون قوّة تناصبهُ الّا تجرَّد لمجاراتها. وكان اوَّل سلاحهِ جذافهُ ثم ابدلهُ بالقلوع وذلّل الارياح لخدمتهِ حتى وجد في البخار ناصراً ظافراً بكل العوائق مزرياً بالانواء. ومنذ ذاك الحين لم تزل الملاحة في ترقٍّ متواصل سواء كان في تحسين ادواتها المحرّكة زيادةً في سرعتها او في تنظيم السفن وتجهيزها لئلّا ينقصها شيء من اسباب الراحة ثم تنمو رغبة المسافرين في ركوبها. وقد تعدّدت الاكتشافات والمخترعات حتى صار الناس يعدّون الاسفار البحريّة من اشهى المتنزّهات وانفعها ولا يكادون يبالون بأهوالها

وكأنَّ في قلب البحر حزازاتٍ لا يزال يضمرها لبني البشر فيشعرهم من وقت الى آخر بحقدهِ الكامن في صدرهِ فتارةً يثور ثائرهُ فيحمل على السُّفن حملات الناقم المستقتل ويحطّم اشدّ المراكب بنيةً وتارةً يبعث الجرثهُ فيلبّد السماء بغيوم كثيفة

فيسدّ الطريق في وجه السفن فتتعرّض لاسوإ المخاطر او يحلّق فوقها الإعصارُ فيديرها كما يُدار الخذروف ويطمرها في جوف المياه

وقد جاء غرق المركب تيتانِك (Titanic) شاهدًا جديدًا على انّ اخطار البحر لا تزال تتهدّد الانسان حتى في ساعة يظنّ نفسهُ في مأمن من تقحُّمها

وصف التيتانِك

لمّا ابتنى الانكليز سنة ١٨٣٨ مركبهم غرات وسترن (Great Western) وجعلوا طولهُ ٦٤ مترًا استعظم الناس الامر وكثر فيهِ القيل والقال. الّا انّ القوم لم يعودوا يكترثون لهُ اذ رأوا بعد خمس عشرة سنة المركب برسيا (Persia) في طول مئة متر لكنّ هذا الطول كان بعيدًا عن سفينة نوح البالغة ٣٠٠ ذراع (٢٢٥ مترًا) بل عن طول سفينة الملك بطليموس المحبّ ابيهِ (١ البالغة ٤٢٠ قدماً (نحو ١٤٠ مترًا). وفي السنة ١٨٨٥ فاز بالسبق الفرنسويون فعمّروا سفينة شمبانن (Cham-pagne) وكان طولها لا يقلّ عن ١٥٠ مترًا. على انّ الانكليز رأوا ان ملك البحار اولى بهم فجهّزوا سنة ١٩٠٠ مركبهم اوشنيك (Oceanic) وطولهُ ٢٠٠ متر ثم اردفوهُ بسفينتَيْ لوزيتانيا وموريتانيا (Lusitania et Mauritania) في طول ٢٣٢ مترًا وكلتاهما لشركة كونارد (Cunard). فاتخذت المنافسة شركة اخرى تدعى النجم الابيض (White Star Line) فارادت ان تغلب كل رصيفاتها فجهزت في العام المنصرم ١٩١١ سفينتين جعلتهما كملكتي البحار ودعتهما اولمبك (Olympic) وتيتانك اشارةً الى قوّتهما التي كادت تماثل القوّة المنسوبة الى آلهة السماء وجبابرة الارض وجعلت طول الواحدة ٢٧٠ مترًا فكانتا على متن البحار كمدينتين عائمتين

والحقّ يقال انّ العقل يحير عندما يفكر في تركيب سُفن كهذه ودونك وصف تيتانك التي كلامنا عن غرقها وتشبهها تقريباً سفينة اولمبك. كانت المباشرة بعمارة تيتانك منذ نحو عشر سنوات في مصانع هرلند وولف (Harland et Wolff) الرحبة الواسعة في بلفست من مدن ارلندة وتمّت كاختها اولمبك في العام الماضي

قلنا انّ طول السفينة ٢٧٠ مترًا امّا عرضها فكان ٢٩ مترًا وحمولها ٤٦٣٢٨

١) اطلب وصفها في المشرق (١ : ٢٢١)

طنًا بزيادة ١٣٢٨ على اولمبك وكان قعر السفينة مصفحاً بصفائح طول بعضها ١١ مترًا ووزنها ٤٥٠٠ كيلو وكان مقسماً كرقعة الشطرنج فيه الغرف المختلفة لاشغال النوتية تفصلها معابر ضيقة تتقاطع على خطوط مستقيمة ويُرتقى منها الى الطبقات العليا بسلالم لطيفة من حديد. وكان فوق الطبقات السفلى ثمانية سطوح يركب بعضها فوق متن البعض تبتدئ بالاسفل ثم الاوسط ثم الاعلى ثم سطح الديوان الكبير وفوقهُ سطح خدمة السفينة ثم سطح الركّاب وهذه السطوح السبعة كلها في قسم السفينة المتين ذي الجوانب الصلبة يعلوها سطحان آخران اي سطح التنزه ثم السطح المختص بالزوارق وكلاهما خفيف البنيان

وكانت في جهات السفينة خمسة عشر حاجزًا تقطعها طولًا ولكلّ حاجز كوى تُقفل قفلًا محكماً اذا دخلت المياه في قلب السفينة سواء كان باليد او بازرار كهربائية يضغطها رئيس السفينة او بعوّامات تتحرّك من تلقاء ذاتها عند دخول المياه

وكان سكّان (دفّة) السفينة المتحرّك بقوّة الكهرباء وزنهُ ١٠٠,٠٠٠ كيلو وهو محمول على ركيزة تزن ٧٠,٠٠٠ كيلو اتخذوا لها قالباً دخلهُ ٩٥,٠٠٠ من المعدن المذاب وتواصل الشغلُ لصنعها مدّة خمسة اشهر. وكان قُطب السكّان المذكور مركّباً من الفولاذ الصلب وقطرهُ ٦٠ سنتمترًا. وكانت كل مرساة (انجر) من المراسي يبلغ وزنها ١٥,٥٠٠ كيلو ذات حلقات يوزن بعضها ٨٠ كيلو

وكان للسفينة ثلاثة رفّاسات تحرّك ادوات متناوبة يضغطها البخار بقوّة ١٥ كيلو فيخرج بتلك القوة وينفذ في اجنحة دولاب اسطواني كأجران الناعورة فيديرها. فاذا دارت حرّكت الرفّاس الاوسط الذي كان قطرهُ خمسة امتار ووزنهُ ٢٢٠٠٠ كيلو. وكان الدولاب المجنّح يدور في الدقيقة ١٦٥ دورة امّا الادوات المتناوبة فكانت دوراتها ٧٥

وكانت الادوات المولّدة للحركة اربعاً من المحركات الكهربائيّة (dynamos) لها غرفة خاصّة فمنها كانت تجري الحركة والنور لسائر انحاء السفينة. وكانت تنتصب فوق سطوحها اربعة مداخن. امّا نفقات هذا الجبّار البحري فكانت اناف على خمسين مليوناً من الفرنكات

وكان التيتانك يستطيع ان يقلّ نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص وفيه من

الغرف والمخادع ٢٥٠٠ فينتقل ٧٣٥ من ركّاب الدرجة الاولى و٦٧٤ من الثانيـة و١٦٤ يركبون احد سطوح السفينة . واذا اضفت الى ذلك نحو ٩٠٠ شخص من اصحاب السفينة ونوتيتها وخدمتها المتعددين تحققتَ انّها كانت بلدةً مأهولة

وكان ركاب الدرجة الاولى من ذوي الثروة الطائلة ينفق الواحد منهم ٢٥٠٠٠ فرنك على سفرته البحريّة . وكان خُصَّ بهم القسم الاوسط من المركب في سطوحه الخمسة العليا يصعدون اليها بالمراقي الكهربائيّة . وكان للركاب مائدة طولها ٣٥ مترًا في عرض ٢٩ م وديوان كبير على شكلها وقاعات اخرى عديـدة كالمطاعم وحُجَر التدخين والقهاوي وغرف القراءة والكتابة والحدائق المزهرة للصيف والشتاء. فيستطيع المسافر ان يقضي الساعات بينها متنقلًا في وسطها ومشنِّفاً لآذانه بين الآلات المطربة العديدة التي تتخلّلها

ومن المعاهد الغريبة التي جُهزت بها سفينة تيتانك حمّام تركيّة كبيرة يستطيع الاستحمام فيها كثيرون وفي جوارها حوض واسع يمكن السباحة فيه . وفي طبقة اخرى ملعبٌ رحب للعب الكُرة وللالعاب الرياضيّة المتنوعة كالعَدْو والسيف والترس وركوب الدرّاجات وغير ذلك ممّا يطول وصفهُ

غرق السفينة

تلك كانت السفينة تيتـانك اذ خرجت لسفرتها الاولى من مرفأ سَوْثَمبتون الى نيويرك في اوائـل شهر نيسان الماضي وكلُّ ركّابها يتباشرون بالسفر الميمون ويهنّئون نفوسهم على الحظوى بمثل هـذه الرحلة على اكبر سُفن المعمور . وكان بين الركّاب ١٢٠ سوريًا فارقنا بعضُهم من امد قريب ولا نخالهم انهم ماشون الى حتفهم

على انّهم كانوا يستطيعون ان يذكروا وزءًا قريباً حلَّ بالسفينة اولمبك وكانت هي ايضاً خرجت لاوّل مرّة تمخر البحـار فصدمتها في ٢٠ ايلول الماضي دارعة هوك (Hawcke) السائرة في طريقها الّا انَّ سيرها كان اسرع من اولمبك وكلتاهما على خطين متوازيين . فلمّا قربت هوك من المبك فصارت على مسافة مئـة متر انجذبت اليها بقوّة مجهولة فصدمتها في جانبها صدمةً كادت تكون القاضية عليهـا لكنَّ اولمبك أُصيبت فقط باضرار كبيرة دون ان تغرق . ولمّا بحث العلماء عن سبب هـذا الاصطدام تبيَّنت لهم حقيقة امر كانوا لم ينتبهوا اليه سابقاً وانّمـا ظهرت آثارهُ منذ

زمن قريب وهو « ان باخرتين اذا جارت احداهما الأخرى فعلت فيهما اولاً القوة الدافعة فاذا تقرّبت الثانية من الاولى موازيةً لها انقلبت تلك القوة الى قوة جاذبة تختلف على اختلاف وقوع الواحدة بالنسبة الى الأخرى فتصطدمان وتكون الصدمة اخطر اذا اصاب رأس الثانية عرض الاولى فيعجها »

وقد ارتأى البعض ان الصدمة التي حدثت بانجذاب السفينة هوك الى اولمبك حدثت ايضاً بانجذاب جبل من الجليد الى تيتانك ودونك خلاصة ما جرى:

كانت تيتانك في اليوم الرابع من سفرها الموافق ليوم الاحد ١٤ نيسان فبلغت ٤١°٤٦' من العرض الشمالي و٥٠°١٤' من الطول الغربي وهي سائرة سيراً سريعاً فتقطع في الساعة ٢٠ عقدة اي ٣٧ كيلومتراً ونحو ٦٠٠ متر في الدقيقة. فلما خيّم عليها الليل وكانت السماء صافية والبحر هادياً مرّت حيث كانت تعوم فوق المياه قطعُ جليد ضخمة يدعونها جبال جليد (iceberg) تأتي من جهات الشمال عند ذوبان الثلوج وتطفو. فاذا باحد هذه الجبال الجليديّة ظهر طافياً وكان بوسع نظّار المركب لصفاء الجوّ ان يرقبوهُ عن بُعد لاسيّما ان تيتانك كانت مجهّزة بانوار كهربائيّة قوية والظاهر انهم لم يلحظوهُ او لم يكترثوا لهُ الّا على مسافة ٤٠٠ متر فلم يستطع الضبّاط ان يحيدوا عن طريقها كثيراً فوقعت الجاذبيّة التي اشرنا اليها وانجذبت السفينة الى جبل الجليد فصدمها في بطنها حيث هي اضعف على المقاومة وشقّها شقًّا طويلاً عريضاً نفذ ما وراء صفائح النحاس الى الخشب فكسر قسماً منهُ وفتح فيه مجرًى للمياه

ولم تكن الصدمة قويّة حتى ان الركاب بعد ان احسّوا بها لم يكادوا يضطربون للامر وكثيرون لم يناموا بعد اذ كانت الساعة العاشرة وربع مساء. لكنّ السفينة لم تلبث ان وقفت وصعد بعض الركاب الى سطحها ليستعلموا عن سبب وقوفها ولم يخطر لهم على بال ان للامر شأناً او انّ على حياتهم خطراً وبعضهم عادوا الى العابهم وكانت في اثنائها نوبة السفينة تدقّ نغماتها المطربة

هذا ما اخبر بهِ الركاب امّا نظّار تيتانك الموكول اليهم تدبيرها فانّهم بعد تلك الصدمة رأوا المياه تتفجر في اواسط السفينة حتى غمرت مواقدها فاطفأتها وكان ذلك سبب وقوفها. فعلم الربّان بالامر وشعر بحرج الحال فاشار الى وكيل التلغراف

اللاسلكي المدعو فيلبس ان ينبئ السفن الباخرة في جوارهم بعظم الخطب فيطلب من اصحابها نجدة فانتشر الخبر انتشار البرق. وكانت الباخرة كرپاثيا اقرب السفن من تيتانك فاسرعت الى اغاثتها لكنها لم تبلغ محلّ المصاب الّا بعد اربع ساعات من حلول النكبة

ثمّ تقدّم رئيس المركب الى النوتيّة بان يُعدّوا قوارب السفينة ومناطق النجاة فاخذوا في تهيئتها. فعرف وقتئذٍ الركاب ان الخطر ملمّ بهم لكنهم تجلّدوا واذ امر الرّبّان بان تنزل النساء والاولاد في الزوارق دون الرجال اخذ هؤلاء يساعدون النوتية بكلّ شهامة ويلبسون السيدات المناطق ويدخلونهنّ في القوارب. وقد ابت بعض تلك الكريمات ان يفترقن عن ازواجهن ليَمُتن معهم فمُتنَ شهيدات الحبّ والوفاء.

وكان الرّبّان وعمّة السفينة يتولّون تدبير نجاة الركاب بكل مروءة لكن القوارب بعد مدّة نقصت فاحتاروا في امرهم اذ لم ينجُ الّا رُبع المسافرين واكثرهم من النساء والاولاد كما سبق ونجا ايضاً بعض الرجال الذين وجدوا لهم مكاناً فارغاً. وحاول بعضهم ان يدخلوا في القوارب بالقوّة واشهروا اسلحتهم لادراك غايتهم الّا انّ اصحاب السفينة اطلقوا عليهم الرصاص فقُتلوا

ثم وزّعوا على من بقي على ظهر تيتانك ما وُجد من ادوات السباحة والمناطق وغير ذلك ممّا لم يستفد منهُ الّا بعض الافراد القليلين وكان غيرهم يتزاحمون على هذه الادوات وينتشها بعضهم من ايدي البعض املاً بالنجاة

وكانت نوبة المركب في اثناء ذلك تدقّ نغماتها لتنهض همم الركاب وكان آخر ما سمع الناجون في القوارب من الحانها لحناً شجياً تقوّياً اختارتهُ الجوقة يُدعى « اقرب منك اللهمّ » كان بمثابة دعاء الغرقى الى الله في بلانهم

— امّا الراكبون في الزوارق فانّهم سلّموا مقاليد امرهم الى النوتية وبينما تأتي الى نجاتهم احدى السفن التي استغاثوا بها. واخبر بعضهم انهم احيوا تلك الليلة في الصلاة فكانوا على اختلاف مذاهبهم يردّدون الصلاة الربيّة بكل تُقىً وخشوع دون ان يملّوا. ولا غرو فانّ الشكّ في الدين يبطل في ساعة الخطر

وقد اخبروا انّ الليلة كانت مظلمة غير مقمرة وكانت عيونهم متجهة الى السفينة

تيتانك فيرونها في كل جلالها وعظمتها والانوار تضيء في جوانبها وطبقاتها فلا يكادون يصدّقون انَّ ذلك الجبار يُصاب باذًى. وبقوا كذلك نحو ساعتين يرمقونها من بعيد. فلمّا كانت الساعة الثانية بعد نصف الليل رأوا مقدَّم المركب ينحني بسرعة حتى صار كلُّهُ في الماء وارتفع مؤخر السفينة الى السماء فانطفأت بغتةً انوار المركب وانقلب ما في قعرها من المراجل والزناجير الحديديَّة فدوى صوتها في الفضاء الى مسافة بعيدة وارتعبت كل قلوب سامعيها. وبقيت السفينة كذلك ظهرًا لبطن نحو خمس دقائق ثم قام ذَنَب السفينة عموديًا في الهواء على ارتفاع نحو ١٥٠ قدماً وغطس في البحر بجلبةٍ عظيمة سُمعت ممتزجة بصَخَب الغَرْقى ثم توارت في اعماق البحر

تلك كانت خاتمة حياة سفينة ظنَّ بُناتها انَّها تكون شاهدًا مخلَّدًا على فتك الانسان بقوَّة الطبيعة فكفاها ثلاث ساعات حتى تبيد آثارها فتُضحي نسياً منسيًا قبل ان تبلغ تمام سنة حياتها الاولى

امَّا اهل القوارب فبقوا خمس ساعات عائمين في وجههم حتى وصلت اليهم كرباثيا فانقذتهم وحملتهم الى نيويرك. وكان بعض رفقتهم ممن لم يجدوا مكاناً في الزوارق القوا بنفوسهم في البحر يسبحون لابسين مناطق النجاة او حاملين الاطواف لكنَّ الماء المتجلّد مع وحشة الليل وانتهاك القوى قد اضعفت عزائمهم وازهقت ارواحهم فمات اكثرهم قبل وصول الغيثين. وبعضهم امكنهم بعد اللتيّا والتي ان يبلغوا القوارب فركبوها لكنَّ غيرهم لم يجدوا مكاناً فبقوا يصارعون المنون وسُمع منهم مَنْ يشيّع الراكبين ويهديهم آخر سلام الوداع قبل ان يغوصوا في البحر فينقطع صوتهم ابد الدهر. فكان نصيب الموت في تلك الليلة ١٦٣٥ نفساً امَّا الناجون فعددهم ٧٤٥ النساء والاولاد منهم ٤٤٠ والباقون رجال منهم ملّاحون وخَدَمة وضبّاط قليلون. وكان من جملة الغرقى ربّان السفينة سميث قيل انَّهُ انتحر ولم يثبت الخبر ومنهم احد مشاهير كتبة الانكليز وليم ستد منشيء مجلة المجلات الانكليزيَّة وكثيرون من مواطنينا بينهم المأسوف عليه المرحوم الامير فارس شهاب من اهل الحدث رحمهم الله رحمةً واسعةً وألهم اهلهم الصبر الجميل

وودَّع الحياة في تلك الليلة كاهنان كاثوليكيَّان احدهما انكليزي من كهنة لندرة اسمهُ بَيْلس (Byles) كان مبحرًا الى بروكلين ليقرن اخاهُ بسرّ الزواج والاخر

بولوني من ليتوانية كان مرسلاً لخدمة اهل جلدته المهاجرين الى الولايات المتحدة. واخبرت جرائد اميركة عن بعض النوتية الناجين بالسباحة انَّ الكاهنين اذ شعرا بصدمة السفينة وتحقَّقا الخطر الملمّ بها جمعا الكاثوليك في معبد المركب وقدَّما الذبيحة الطاهرة وشدَّدا عزائم الحضور بكلام مؤثر ألقياهُ اليهم. واذ أنزلت القوارب عرض البحريون مراراً على الكاهنين ان ينجوا بنفسهما فأبيا بكل شهامة قائلَين انهما يبقيان مع اهل السفينة حتى آخر رمق. ولمَّا حانت ساعة الغرق حرَّضا القوم المحيطين بهم على الندامة وباركاهم البركة الاخيرة فذهبا شهيدي الكهنوت الكاثوليكي كما ذهب غيرهم شهداء الكرم والايثار

وقد جاء هذا المصاب منبهاً لافكار كثيرين لاستدراك مخاطر السفن البحريَّة. منها كما سبق معرفة ناموس الجاذبيَّة الذي اشرنا اليه. ومنها نقصان الادوات المُنجية بالنسبة الى عدد المسافرين اذ لو كانت القوارب اكثر عدداً لنجا معظم ركاب تيتانك. وفي هذا الحادث تأكدوا افادة التلغراف اللاسلكي للاستغاثة بالسفن المجاورة لكنهم عرفوا ايضاً ان التلغراف المائي افضل الوسائل لنقل الانباء فتسمع اشاراتهُ عن بُعد بكل جلاء ويستدلُّ بها بكل ضبط عن مقام النائبة فيسرع السامعون الى اغاثة الملهوفين

ويا ليت هذا الرزء الاليم يزيد الناس تجرُّداً عن الدنيا الزائلة وثقةً بالواحد الصمد الذي في حكمهِ الموت والحياة والذي يضرب ليشفي ويُميت ليحيي

العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

هذا الكتاب الذي اشرنا اليه في عددنا السابق وقلنا اننا نبدي فيهِ رأينا اذا ما وقفنا عليهِ. فاليوم وقد حصلنا على نسخة بل نسختين وثلاث منهُ وقد رآه غيرنا في ايدي القراء المسلمين لم يَعد يجوز لنا ان نسكت عنهُ. وهو تأليف متوسط القطع لم يُذكر مكان طبعهِ (لكنهُ مطبوع في بيروت في مطبعة الاتحاد العثماني) وسنة طبعهِ ١٣٣٠ هجرية يبلغ عدد صفحاتهِ ٢٠٠ ومؤلفهُ محمد طاهر التنير

يقول المثل الفرنسوي ليس كل ما يلمع ذهباً . ويشبهه قول العرب ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة . فربّما انخدع ناظر الصُّفر فظنَّهُ ذهباً وربّما رأى الصياد صدفةً فظنَّها سمكة . ومثل هذا جرى لمؤلف الكتاب الذي صدَّرنا مقالتنا بعنوانهِ فانَّهُ اطَّلع على بعض كتب انكليزيَّة لكتبة اباحيّين او ملحدين عارضوا العقائد النصرانيَّة ببعض خرافات الوثنيين فزعموا ان النصرانيَّة استمدَّت معتقداتها منهم . وهو زعم غريب يكفي النظر فيهِ ملياً ليظهر كذبهُ في اعين العميان فما ظنُّك بذوي البصائر فهذه الخزعبلات والسفاسف عرَّبها محمَّد طاهر التنير لحسبانهِ انهُ وجد منجنيقاً يرمي بهِ سور الدين المسيحي وانَّما شُبه عليه فقط فجاء سهمهُ كغيرهِ . ولو شاء لاتيناه بكثير من هذه الخرافات الوثنيَّة لم يعرفها وسبق الى ذكرها كثير من اعداء النصرانيَّة فلم تُفدهم ذرَّة لما ارادوا بيانهُ . فيا لله ولو سلَّمنا لمحمَّد طاهر التنير انهُ وُجدت عند بعض الامم الوثنية آثار التثليث وفداء البشر من الخطيئة وتجسد الاله وولادته من عذراء بتول وازالة الخطيئة بالعماد أفذلك دليل على انَّ النصرانيَّة اخذت هذه المعتقدات من امم غريبة ؟ افيجوز القول بانَّ موسى نبيّ كاذب لوجود انبياء كذبة او لكون بعض شرائعهِ قد وُجدت في الدستور المنسوب الى حمورابي ؟ ولكن هيهات ان نسلِّم لهُ بانَّ النصارى اخذوا شيئاً من عقائدهم عن الوثنيين اذ تبعُد المعتقدات المسيحيَّة عن ترَّهات الوثنيين مناط الثريَّا . فاين سرّ الثالوث الاقدس من التثليث النجس الذي قال بهِ بعض الهنود والبابليين ؟ واين تجسد الاله الكلمة من تجسد بعض آلهة الوثنيين ؟ واين صَلب كرشنا الهندي الخرافي من صلب السيد المسيح المشهود لهُ من اعداء الدين المسيحي نفسهم ؟ واين تلك العذارى والدات الآلهة الوثنيَّة من والدة الربّ الاله مريم العذراء التي يعظِّم الاسلام حبَلها الطاهر . . . واين . . واين . . فايمُ الحقّ ما كنَّا لنظنّ انّ الجهل المطبق يؤدي بكاتب الى طبع مثل هذه الاقوال الصبيانية كأنَّ النصارى ليس في ايديهم اناجيل صادقة اثبتَ في العام الماضي حضرة الاب انطون رباط صدقها وقدمها وسلامتها من كل تحريف منذ عهد الحواريين ولم يقم كاتب واحد ينفي من اقوالهِ حرفاً . وكأنَّهم لم يجدوا في هذه الاناجيل اصل معتقداتهم حتى احتاجوا الى ان يطوفوا اقاصي العالم ويستيروها من الامم الهمجية . او كأنهم لا يستطيعون ان يثبتوا تعاليمهم بالنبوات الصريحة التي تسلسلت من عهد

موسى الى التاريخ الميلادي وفيها تعددت كل تفاصيل حياة السيد المسيح منذ مولده الى صعوده الى السماء. وكأن ذاك المسيح كان كبودا الهندي عاش خاملاً مجهولاً في البراري ولم يشهد لاعماله الوف من الناس في فلسطين وبلاد الجليل وسواحل الشام وعبر الاردن بل شهد له المؤرخون المعاصرون غير النصارى كيوسيفوس اليهودي وتاكيتوس الوثني. وكأن ملايين من اعقل البشر واعرقهم بالعلوم وافضلهم بالسيرة امكنهم ان يرضوا ببعض خرافات لا يُعلَم مَنْ قالها ومَتى قالها واين قالها فضحّوا لاجل ذلك حياتهم بين اشدّ العذابات وماتوا كمجانين لاجل دين كان اعمى قلوبهم وافقدهم رشدهم. وقد قام محمّد افندي التنير لينير عقولهم وهو ابن يومه لا يعرف من التواريخ والعلوم الدينيّة شيئاً فيبثّ بين اهل الوطن آراء نقلها عن قوم زنادقة بلا ميزة ولا روية ويمسّ احساسات طوائف شتى تعتبر دينها كأثمن كنوزها

وها نحن ننقد هذه المزاعم فصلاً فصلاً ليعرف الجميع من نصارى ومسلمين انّ المؤلف ضرب على حديد بارد فلم تجده نفعاً اهانتهُ لديننا الثابت الى الابد

جواب اجمالي

١ انّ من اراد ان يجادل في الاديان او يقصد المقابلة بينها لبيان صحتها او كذبها لا بُدّ له من معرفة تلك الاديان التي يتكلّم عنها والّا خبط خبط عشواء. ونحن نعلم ان مؤلف كتاب « العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانية » لا يعرف لا الديانة النصرانية ولا الديانات الوثنية فاقترف في جانب الحق ذنبين

امّا كونهُ لا يعرف الديانة النصرانيــة فهو ظاهر من كل صفحة من صفحات كتابهِ اذ يخلط الكاتب بين المعتقدات الجوهريّة التي لا يجحدها احد الّا تبرّأت منهُ النصرانية والآراء التي يذهب اليها بعض الافراد ولم تحدّها الكنيسة. وكذلك شطّ في العقائد الجوهريّة فتراه يعرضها ممزوجة بامور دقيقة تطمس حقيقتها الاصلية او يصفها وصفاً مخلّاً يخرجها عن صحتها او يكتفي بقشرتها دون ادراك معانيها كذكرهِ لسرّ العماد (في الفصل السادس عشر) ومعارضته بعماد الوثنيين. ثم تجدهُ في ذكرهِ النصرانية ينقل عن كتب ملحدين وبروتستانت وزنادقة ويحلّ اقوالهم محلّ التآليف المسيحية المبنيــة على اثبت الحجج واقوى البراهين. فيشبه بذلك من اراد تعريف

الاسلام استنادًا الى الشيع التي ظهرت فيه والى مزاعم الخوارج

واما كونهُ لا يعرف الديانات الوثنيَّة فهو أظهر وأبين لانَّ علم هذه الديانات بحرٌ لا تعرف سواحلهُ فانَّ الديانات اليونانية والهنديَّة والصينية والبابلية والفينيقية ليست كالديانة المسيحية التي لها تعاليم يجمع في صفحات قليلة معتقد مؤمنيها في كل البلاد والازمنة بل هي مجموع خرافات واساطير خيالية تختلف اختلافاً كبيراً من بلاد الى أخرى بل من مدينة الى مدينة كما تختلف في بلد واحد من زمن الى آخر. فلا تجد كاتبين من قدماء الكتبة يتفقان على تعريف تلك المذاهب وشرح اصولها وتقاسيمها وتاريخ آلهتها حتى ان الخطيب الروماني شيشرون كان يتعجب كيف ان كهنة الاوثان لم يستغربوا ضحكاً من دينهم اذا التقوا ببعضهم. وهذا الاختلاف العظيم لا يزال يشوش علماء زماننا في وصف الاديان القديمة فيثبت الواحد ما يسلبهُ الآخر كما ترى في المجلدات الضخمة والمجلات التي تبحث عن تلك المذاهب وفي مكتبتنا الشرقية منها المئات العديدة بينها خصوصاً معاجم الآثار اليونانية والرومانية المطوَّلة التي يحرِّرها اكبر علماء العصر فلو راجعها محمد طاهر التنير لاستحى من تأليفهِ في العقائد الوثنية وهو لا يعرف الَّا بعض الكتب الانكليزيَّة البروتستانية المصنفة تفكهةً للعموم

٢ وأتى صاحب العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة شططاً آخر وهو انَّهُ لم يحسن وجه المقابلة بين النصرانيَّة والوثنيَّة فلو اراد ان يثبت زعمهُ بان النصارى اخذوا عقائدهم عن الوثنيين لوجب عليهِ ان يبين ليس فقط بعض التشابه في المعتقدات ولكن ايضاً انَّ العقيدة الوثنيَّة سبقت العقيدة النصرانيَّة ليستدلَّ بذلك على انَّ هذه منقولة عن تلك. ولكن هيهات ان يستطيع محمد التنير ان يبين الامر لانَّنا يمكننا ان نتتبع سلسلة كل حقيقة من حقائق الدين المسيحي بالتواصل جيلاً بعد جيل حتى نبلغ زمن رسل المسيح دون انقطاع البتة . امَّا مزاعم اهل الهند والصين والامم الهمجيَّة التي استشهد بها صاحب العقائد الوثنيَّة فانَّها وردت في كتب الهنود والبرديين وغيرهم عدَّة اجيال بعد النصرانيَّة افليس الاحرى بان يقال كما يقرّ اليوم عدد وافر من العلماء بانَّ اصحاب هذه الكتب دوَّنوا في تآليفهم ما سمعوهُ من دُعاة النصرانيَّة. وزاد هذا القول تأييدًا ما وُجد في العشر السنوات الاخيرة من

آثار تركستان الصينيَّة حيث وقفوا على مآثر لنصارى السريان والناطرة في تلك البلاد منذ ١٤٠٠ سنة وازيد

٣ ولو صحَّ قول محمد التنير انَّ بعض هذه الاقوال الوثنيَّة سبقت التاريخ النصراني ايجوز لهُ القول بان المسيحيين اخذوا عقائدهم عن مزاعم الوثنيين. فنسألهُ ان يفيدنا مَنْ ومَتى وأَين وكيف نقل النصارى حقائق ايمانهم عن الامم الغريبة فأشاعوها في اقاصي العالم دون ان يقوم احد ويعنّفهم لسرقتهم معتقدات غيرهم ونسبتها الى مسيحهم ؟ بل ترى اليوم دعاة النصرانيَّة في الصين والهند ويابان وجزائر البحر المجهولة ولا احد من كهنة اوثان تلك البلاد وعلمائها يدَّعي بانَّ النصارى اختلسوا تعاليمهم من اجدادهم. وهل يكفي ان يكون بعض الشبه بين شيئين ليقال ان الواحد فرع من الآخر. فماذا يقول محمد التنير لو زعم الزاعم ان الاسلام اخذ عقيدة توحيد الله عن اهل جزيرة مدغسكار او جنوبي افريقية لانَّ توحيد الله كان قديماً شائعاً عند قبائل تلك البلاد

٤ وزد عليهِ ان المؤرخين على اختلاف بلادهم وازمنتهم ومذاهبهم من يونان ورومان وسريان وعرب يتفقون بلا استثناء في وصف انتشار النصرانية مباشرةً من فلسطين حيث السيد المسيح ولد وبشَّر ومات وقام ومنها الى الاقطار المجاورة ثم الاقطار البعيدة فكيف استطاع رسل المسيح ان يستعيروا اقوال اهل الهند والاصقاع الواقعة في الشرق الاقصى وهم « لم يعرفوا غير المسيح واياه مصلوباً » كما قال بولس الرسول وخرجوا بامر سيدهم الى انحاء المعمور ليبشروا بالحقائق التي علَّمهم اياها ويدعوا كل الشعوب ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ويصطنعوا الآيات التي صنعها واعظم منها ايضاً. افهؤلاء كانوا مختلسين لخرافات الوثنيين واعتصموا بها حتى قاسوا لاجلها كل العذابات وماتوا بفرح للدفاع عنها ؟

٥ ويا ليت محمد التنير قابل بين النصرانية ودين واحد من الاديان الوثنية لامكنهُ ان يثبت نوعاً حجتهُ لكنهُ اخذ نُتفاً من كل اديان العالم فركبها ليُظهر شبهها بالنصرانية فجاء هذا المجموع كتقليد صناعي ميت لهيكل الانسان الحي او بالحري كذلك الوحش الوهمي الذي وصفهُ الشاعر فزعم انَّ جسمهُ يتألف من مجموع اعضاء الحيوانات كرأس انسان وصدر سبع وجناحي طائر وذنب سمك

٦ ولا تظنّ انّ الفتى محمد التنير راجع الكتب التي دوّن اسماءها في اوّل كتابهِ وانّما نقل تلك الاسماء عن كتب قليلة وردت فيها شواهد تآليف شتى ليوهم القرّاء ان لديهِ مكتبةً واسعةً في علم الاديان والدليل على ذلك انّهُ لم يُحسن كتابة عناوين الكتب ومسخ اسماء مؤلّفيها «كدوبيس ودنلاب» وقد لحظنا في جدولهِ فوق الثلثين غلطة . وبعض هذه الكتب من التآليف التي عتقت فاكل عليها الدهر وشرب فلم يأخذ عنها الّا من كانت بضاعتهُ زهيدة جدًّا . ومنها ما هو لكتبة معادين للدين المسيحي المروفين بتطرُّفهم ممّن صوّروا الاديان الوثنيّة لا على حقيقتها بل على اهوائهم ليخسوا بذلك شأن الدين المسيحي الشريف فالاستشهاد باقوالهم يقوّض حجة الكاتب فضلًا عن ان يثبتها . فاشبه التنير بعملهِ حاطب الليل وخالط البعرة بالتمرة

٧ واعلم انه في كتاب محمّد طاهر التنير تصاوير آلهة وثنيّة سمجة قبيحة رسمها هناك رجاء ان يُقنع القرّاء بحجتهِ الواهنة . وهذه الصور خياليّة كاذبة في الغالب ما عدا صورة السيد المسيح وموسى النبيّ وكنفوشيوس وزورستر (كذا ولو درى لقال زودشت) . فانّ صورة كرشنا المصلوب والثالوث الهندي ووالدات الالهة وما شاكلها امّا مخترعات حديثة وامّا تصاوير لخرافات وثنية ليس بينها وبين النصرانية ادنى علاقة كما سترى . ومنها ما هو بذيّ يندى لنظرهِ الجبين خجلًا فلا نعلم كيف لم يستحي بنشرهِ مع خلاعتهِ ومسيسهِ للآداب

هذا جواب اجمالي يكفي لنقض مزاعم كتاب العقائد الوثنيــة لكننا احببنا ان نستقري اخصّ فصولهُ لنبين لمؤلفهِ انهُ اخطأ الحفرة

١ عقيدة التثليث

نبتدئ بهذه العقيدة التي افتتح بها محمّد طاهر التنير طعنهُ بالنصرانية

قال بطرس الرسول في رسالتهِ الثانية (١:١٦-١٨) يخاطب النصارى الاوّلين: « انّنا لم نتّبع خرافات مصنّعة اذ اعلمناكم قوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئهُ بل كنّا معاينين جلالهُ لانهُ اخذ من الله الاب الكرامة والمجد اذ جاءهُ من المجد الفخيم صوت يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ . وقد سمعنا نحن هذا الصوت الذي جاء من السماء حين كنّا معهُ في الجبل المقدّس . وعندنا اثبتُ من ذلك وهو

كلام الانبياء الذي تحسنون اذا اصغيتم اليهِ كانهُ مصباح يضيء في مكان مُظلم الى ان ينفجر النهار . . . »

هذا كلام موجز قالهُ احد شهود حياة السيد المسيح العيانيين وادناهم الى شخصهِ الكريم وهو ممَّا يجوز تكريرهُ في كل عقيدة من دستور الايمان عموماً وعقيدة التثليث خصوصاً فان رسل المسيح الذين تربَّوا في اليهوديَّة وكانوا من عامتها بل من الامّيين ما كانوا ليخترعوا عقيدة كهذه تفوق ادراك البشر لو لم يسمعوها من السيد المسيح ليس مرَّة واحدة او مرَّتين ولكن دفعات متعدّدة لا تُحصى فأثبتوها في الاناجيل المقدَّسة وفي رسائلهم المتتالية بنصوص صريحة لا يمكن تأويلها على طريقة مغايرة لتعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة . فمن أراد ان ينقض تعليمنا في الثالوث الاقدس قضي عليهِ أن يفعل ببيان احد هذه الامور الثلثة : امَّا ان الاناجيل وكتب العهد الجديد ليست من تأليف رسل المسيح وتلاميذه الحواريين . وامَّا ان التعاليم المرويَّة هناك عن الثالوث الاقدس وبقيَّة اسرار الديانة المسيحيَّة قد دُسَّت فيها بفعل بعض المزوّرين . وامَّا ان المسيحيين لم يفهموا اقوال الحواريين فحملوها على غير معناها

هذه ثلاثة امور اذا بيَّنَّا بطلانها بطل معها زعم محمَّد التنير وامثالهِ بانَّ النصارى اخذوا عقيدة التثليث وبقية العقائد عن الوثنيين

فالزعم الاوَّل الذاهب الى انَّ الاناجيل ورسائل العهد الجديد ليست لرسل المسيح باطل كما اثبتهُ المشرق سابقاً في المقالة الموسَّعة التي نشرها حضرة الاب انطون رباط حيث بيَّن بالادلة العقليَّة والنقليَّة انَّ الانجيل الشريف هو حقًّا للاربعة الكتبة الذين هو معنون باسمائهم وقد تتبَّع الامر جيلًا بعد جيل الى القرن الثاني بل اواخر الاوَّل للميلاد راوياً لشواهد الكتبة الذين عاشوا في القرون الاولى للمسيح وذاكرًا للآيات المتعدّدة التي نقلوها عن الاناجيل القانونيَّة حتى لو فُقد الانجيل الشريف لامكن جمعهُ من هذه المرويَّات . ويُضاف الى ذلك ادلَّة أُخرى كشواهد كنائس الشرق والغرب وكالآثار الفنيَّة من عاديَّات وتصاوير ومصنوعات صنائعيَّة هي كاناجيل حيَّة كانت مطمورة في قلب الارض في دياميس رومية او مزوية في المكاتب والمتاحف ودور الخاصَّة ولاسيما المخطوطات الانجيليَّة الراقية الى القرن الرابع بحيث يجوز القول ان من ينكر الاناجيل القانونيَّة هو جاهل مركَّب وغبيّ لا يستحق ان يباحثهُ عاقل

وعالم. وما يقال عن الاناجيل يحق قولهُ عن بقيَّة كتب العهد الجديد كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين كما اثبتهُ العلماء. (راجع الصفحة ٢١)

ومثلهُ الزعم الثاني القائل بفساد الاناجيل وتزويرها فان الشرق خصَّ صفحات واسعة لدحضهِ دحضاً علمياً ولم يتصدَّ لمحاجَّتهِ احد مقيماً عليه النكير في شيءٍ من براهينهِ فلا يمكن عالماً ان يثبت انَّ عقيدة من عقائد الايمان المسيحي دُسَّت في الاناجيل او في كتب الرسل ولو اتى واحد بشيء من ذلك قام الالوف في وجههِ وافحموهُ بالبرهان وبيَّنوا انَّ تلك العقيدة مذكورة في اقدم المخطوطات الانجيلية وفي تأليف اقرب الكتبة من عهد الرسل حتى اواخر القرن الاوَّل للميلاد واوائل الثاني وذلك في لغات شتى كاليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة

فيبقى للمعترض الوجه الثالث انَّ ما دوَّنهُ رُسل السيد المسيح في الاناجيل المقدَّسة وبقيَّة اسفارهم لم يفهمهُ النصارى فحملوا كلام السيد المسيح على غير معناهُ الصحيح

لكنَّ هذا الوجه من القول لم يُفد المعترض ذرَّةً لان كلام السيد المسيح وكلام رُسلهِ الاطهار اضوأ من النور لا سبيل الى تأويلهِ البتَّة الَّا كما يؤوِّلهُ النصارى في اربعة خوافق المعمور. ولانَّ مدار كلامنا هنا عن الثالوث الاقدس فلننقلنَّ بعض آيات الانجيل الشريف واقوال الرسل ليرى كل ذي عينين ان النصارى لم يتمسكوا بشيءٍ الَّا ما اخذوه عن الوحي الالهي

مرجع تعليم النصارى في الثالوث الاقدس الى انَّ الله عز وجل الواحد الصَّمد ذا الجلال والكمال والجوهر الفرد الذي لا يمكن تقسيمهُ او تجزئتهُ البتَّة هو الهٌ عاقل يعرف حقيقة ذاتهِ الالهيَّة منذ الابد وبمعرفتهِ لها معرفةً تامة لا تخلّ في شيءٍ عن جوهرهِ يفيض على تلك الصورة مجموع كمالاتهِ كانَّهُ هي وكأنَّها هو. تلك كلمتهُ الازليَّة القائمة بذاتها التي لا تقع تحت قول كُنْ. ولانَّها صادرة عنهُ متولدة منهُ عقليًّا دون حركة ولا زمان ولا مكان باقية فيهِ بلا انفصال دعوناها كلمةً ودعوناهُ أباً كما ندعو معقول عقلنا الذي ينتجهُ ذهننا ابن فكرنا او كلمتهُ. وهذه الكلمة تلفظها شفاهنا دون ان تفارق عقلنا وانَّما كلمتنا عرَض وليس في الله تعالى عرضٌ فلا بدَّ من القول ان كلمة الله اله كمصدرها. ولمَّا كان الابن يشبه الآب وهو صورتهُ الجوهريَّة

وجب ان تكون علاقة بين الآب وكلمته فيجب الآب صورتهُ وتنجذب الصورة الى مولدها. وهذه العلاقة ليست عرضاً بل جوهراً ايضاً وهو الروح القدس الحب المتبادل بين الآب وابنهِ المنبثق من كليهما

هذا ما يعلّمنا الايمان المسيحي وليس شيء من دقائق ذلك التعليم الّا مسطر في الاناجيل الاربعة القانونيّة وبقيّة اسفار الكتب المقدّسة فليفتح المعترض اوّل انجيل يوحنّا حيث يهتف التلميذ الحبيب قائلاً: « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله. والله كان الكلمة . . . وبهِ قد كُوّن كلّ شيء . . . والكلمة صار جسداً وحلّ فينا » فاي كتاب بابلي او هندي او يوناني او عربي قال كلاماً كهذا يسحر بسموّهِ ألباب كل العلماء

ويوحنّا هو الناقل كلام المسيح: « انا نور العالم . . . انا الطريق والحقّ والحياة » وقولهُ « من يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابديّة واقيمهُ في اليوم الاخير » وقولهُ: « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » وقولهُ: « انّ الآب فيّ وانا في الآب » وقولهُ: « من رآني رأى الآب » وقولهُ: « انا والآب واحد » وقولهُ عن الروح القدس « اني ارسل اليكم من عند الآب روح الحقّ . . فهو يرشدكم الى جميع الحقّ لانهُ لا يتكلّم من عندهِ . . . هو يمجدني لانهُ يأخذ ممّا لي ويخبركم. جميع ما للآب فهو لي فمن اجل هذا قلت لكم انّهُ يأخذ ممّا لي ويخبركم ». افيوجد كلام اصرح من هذا في وحدانيّة الله وتثليث اقانيمهِ فليقلّب التنير كل كتب العلماء من اوّل العالم الى اليوم فان وجد في واحد منها كلاماً كهذا صادقنا على قولهِ بانّ الدين المسيحي اخذ عقائدهُ عن الوثنيين. فان كلام يوحنّا الانجيلي يقضي باحد امرين امّا ان يقال انّ المسيح اكبر مجدّف وُجد في العالم بل اكبر المجانين وحاشا جلالهُ ان يُحكم عليهِ بذلك وامّا يُقال انهُ إله حقّاً كما تشهد عليهِ اعمالهُ التي فعلها ليثبت لاهوتهُ واقرّ بها اعداء النصرانية فضلاً عن تبعتها

وليست اناجيل متى ومرقس ولوقا مخالفة لانجيل يوحنّا ففيها يطوّب المسيح بطرس المعترف بكونهِ ابن الله الحيّ وفيها يصرّح بانّ الابن وحدهُ يعرف الاب كما انّ الاب وحده يعرف الابن. وفيها يشهد السيد المسيح امام قُضاة اليهود ومجمعهم الاعظم بانّهُ هو المسيح ابن الله مع علمهِ بانّ اقرارهُ سيفضي الى الحكم

بوتهِ. وفيها يقول الربّ لتلاميذهِ : « اذهبوا وتلمذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس... وها انا معكم الى منتهى الدهر »

فليأتنا التنير بقيراط من هذه الاقوال لايّ إله كان من آلهة الوثنيَّة الرجسة النجسة. فهما روى الناسَ عنها من الاكاذيب لم يبلغ بهم الهوس الى ان ينسبوا اليها ما رواهُ رُسل المسيح عن سيدهم. وليست الاناجيل وحدها تروي ذلك بل نرى مثلها في اسفار العهد الجديد كلها كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين لبطرس وبولس ويعقوب ويهوذا ويوحنا. فهي توافق لاقوال الاناجيل الموافقة التامَّة في عقيدة التثليث وبقيَّة العقائد النصرانيَّة. ففيها ورد قول بطرس لليهود: « انكرتم القدُّوس والصديق... وقتلتم مبدي الحياة... وقد عيَّنهُ الله ديَّاناً للاحياء والاموات ». وفيها يقول بولس: « انَّ الله انشأ الدهور بابنهِ المسيح وهو ضياء مجده وصورة جوهرهِ وضابط الجميع بكلمة قوَّتهِ... ولهُ وحدهُ قال منذ البدء: انت ابني وانا اليوم ولدتُك كما ورد في مزامير داود ». وفيها ايضاً يقول يوحنا عن لسان المسيح في سفر الرؤيا: « انا الالف والياء البداءة والنهاية الاوَّل والآخر ». ومثلهُ ما رواهُ التنير عن رسالة يوحنا الاولى (٥ : ٧) في الاله الواحد والاقانيم الثلثة

فهذا بعضٌ من عدٍّ وقطرٌ من وبل لا نريد الاطالة فيهِ فراراً من سأم القرّاء. وتؤيدهُ شواهد كتبة الكنيسة منذ عهد تلامذة الرُّسل كهرماس في كتاب الراعي وبرنابا في رسائلهِ واغناطيوس الانطاكي في مكاتباتهِ الى الكنائس واقليمس في رسالتيهِ الى اهل قرنتية. وإن تتبعتَ الكتبة الذين تلوهم وجدت يوستينوس الشهيد وايريناوس وبوليقربوس في القرن الثاني للمسيح ثم ترتليانوس وقبريانوس واوسطنس في القرن الثالث وكتاباتهم كلها لدينا لا تشذُّ تعاليمهم في شيء عن تعاليم الاناجيل واقوال الرسل في الثالوث الاقدس وبقيَّة العقائد

ومثلها اقوال المجامع التي عُقدت في الاجيال الاولى مباشرةً بمجمع الرسل في اورشليم الى المجمع النيقاوي الكبير في عهد قسطنطين حيث حُرم كل من ينكر شيئاً من تعاليم الكنيسة وعقائد الوحي في الثالوث الاقدس ولاهوت المسيح

يُضاف اليها التصاوير العجيبة التي وجدت في دياميس رومية مع الآثار العديدة

في جهات الاناضول وغالية وسوريّة ومصر تثبت العقائد ذاتها دون اختلاف البتة

ولا يقولنَّ القائل انَّ في تعليم النصارى سرًّا لا يدركهُ العقل. اجبنا انَّنا نقرّ بالسرّ ولا عجب ان يعجز عقلنا عن ادراك اسرار الوحي وهو عاجز عن ادراك اسرار الطبيعة وغاية ما ينبغي على المؤمن ان يتأكد وقوع الوحي فيذعن لله الموحي به

هذه خلاصة تعليم النصارى في التثليث وليست غايتنا ان نتّسع في الامر ومن اراد زيادة ايضاح فليراجع المقالات النفيسة التي نشرها المشرق سابقاً عن بولس الراهب اسقف صيدا. ويحيى بن عدي وعبد يشوع الصوباوي وايليّا مطران نصيبين فجُمعت في كتابٍ واحد تحت عنوان « مقالات دينيّة قديمة »

*

فلنفحصنَّ الآن ما اتى بهِ محمّد النير ليؤيد زعمهُ بانَّ عقيدة التثليث عند النصارى مأخوذة عن التثليث عند الوثنيين وقد جمع في كتابهِ في ١٦ صفحة كل ما وجدهُ في كتبهِ الانكليزيّة عن الآلهة المثلثة (Triades) والثالوثات فنقل سطرين او ثلثة من هنا وهنا فالقاها في كشكولهِ كما يفعل المكدّي ليسدَّ جوعهُ. فاخذ عن اقاصيص اليونان وخرافات الهنود واساطير المصريين ومزاعم الفرس والرومان وجمعها في قصتهِ فخرجت منها « مخلوطة » تَفِهة لا يبلعها الّا من اعتادت معدتهُ المآكل القذرة

اذا ما درسنا كل ما ورد في كتب قدماء الشعوب ونقلهُ عنهم العلماء الاثبات بخصوص آلهة الوثنيين المثلثة وثالوثاتهم المتعدّدة النجسة ثم قابلناها بذلك الثالوث العظيم الذي لا يحقّ لبشر ان يتكلم عنهُ الّا بكل تحفُّظ ووقار بعد تطهير شفاهه بجمرة نار كاشعيا النبي (٦:٦) وجدنا انَّ وجوه الاختلاف بين تُرّهات الوثنيين والسرّ المسيحي الجليل لا تكاد تحصى والفرق بينهما كالفرق بين السماء والارض فلا تجد اتّفاقاً لا في اصل المعتقدين ولا في حقيقتهما ولا في ثباتهما ولا في معناهما ولا في انتشارهما

١ ﴿ اصل المعتقدين ﴾ رأيت انَّ المعتقد النصارى في الثالوث الاقدس مبنيّ كلهُ على اقوال الانجيل الطاهر والاسفار التي كتبها تلاميذ المسيح ممّا لا ينكر صحتهُ الّا الجهّال. لا بل نجد في اسفار العهد العتيق اشارات متعدّدة الى هذا السرّ حتى في اقدم سفر كُتب بيد انسان اعني سفر التكوين لموسى النبي وذلك في تاريخ

الخليقة حيث يُخبر بانَّ الله برأ بكلمتهِ الكائنات واحياها بروحهِ المُرفَّة على وجه المياه ثم في تاريخ خلقة الانسان حيث استشار الله نفسهُ بقولهِ « فلنصنعنَّ الانسان على صورتنا » وقولهِ : « هوذا آدم كواحد منَّا » . وفي تاريخ ابراهيم الخليل حيث ترآى لهُ الربُّ على صورة ثلثة اشخاص « فرأى ثلثة وسجد لواحد » كما لحظ قدماء الآباء.

امَّا معتقد الوثنيين في ثالوثاتهم فلا يعلم احد اصلهُ فتجد في بعض الاثار ذكر ثلثة آلهة « كمَنُون وراع وفتاح » عند المصريين « وانو وبيل وهيا » عند البابليين و « برهما وفشنو وسيفا » عند الهنود بل تعدَّدت الثالوثات في الأمة الواحدة كما سترى . غير انَّ هذه الثالوثات المركبة من آلهة مختلفة انما جمعها العلماء المحدثون غالباً لا لكونهم وجدوها في الآثار القديمة كاله واحد في ثلاثة اقانيم بل تسهيلاً لدروسهم واستدلالاً على ما يوجد من التقارب في الخواصّ بين بعض اولئك آلهة الزور البالغ عددهم في كل امَّة المئين والالوف او اشارةً الى انساب اولئك الاصنام كما تصوَّرهُ كل شعب من الشعوب

٢ ﴿ حقيقة المعتقدين ﴾ هي مختلفة اختلافاً جوهرياً . فانَّ الثالوث الاقدس عند النصارى كلُّهُ طاهر عقلي اهل بجلالهِ تعالى لا يبخس من وحدانيتهِ وكمالاتهِ الالهيَّة شيئاً . امَّا الثالوثات الوثنيَّة فهي نجسة جسديَّة تذلّل العزَّة الالهية وتنفي كل كمالاته تعالى . فانَّ الوثنيين اذ رأوا العالم واستدلُّوا بالمعلول على العلَّة تصوَّروا الله في صورة البشر واذ رأوا ان اساس العائلة البشريَّة في ثلثة اي رجل وامرأة وولد جعلوا في السماء مثل ذلك في بدء تكوين العالم فاتَّخذوا في الغالب ثالوثات تتركب من إله ذكر وإلهة انثى اولدا بالتناسل ابناً وهو الاله الثالث . واعطوا الاله الاوَّل ملك السماء وللإلهة ملك الارض ولولدهما ملك الجحيم وهم يسمون الاله « أبا الآلهة » والإلهة « امَّ الآلهة » كعشتروت عند الفنيقيين وكيبال عند الرومان ونين خساغ عند البابليين وايزيس عند المصريين . وكان للبابليين وللعرب وللأمم الصابئيَّة ثالوث آخر مركَّب من نيِّرات السماء اعني الإله او الإلهة « شمس » ثم الاله « سين » اي القمر ثم كوكب الصبح اي الزهرة وكثيراً ما كانوا يتخذون ثالوثين ثالوثاً ذكراً بازائهِ ثالوث انثى

امَّا بُعد هذه الثالوثات عن الكمالات الالهيَّة فيظهر من خواصّها لأنها كلها آلهة ماديَّة تتوالد بالتناسل وتتنازع السلطان وتتقدم بينها الكمالات وتشارك البشر في

كل اهوائهم وشهواتهم القبيحة كالزنا والقتل والسرقة فكفى بالاشارة الى كل ذلك حتى يتضح كضوء الشمس شطط محمد التنير في معارضته سرّ الثالوث الاقدس بخرافات الوثنيين وارجاسهم

٣ ﴿ ثبات المعتقدين ﴾ انَّ معتقد النصارى في الثالوث كما تجدهُ مدوَّناً في كتب الوحي منذ عشرين قرناً تجدهُ اليوم ايضاً في دستور ايمان النصارى دون ادنى اختلاف والكنيسة حافظت على تلك الوديعة الثمينة بكل حرص فما كان احد يمسّ هذا المعتقد الَّا اسرعت وفندت اقوالهُ فان ارعوى والَّا حرمتهُ من شركتها واعتبرتهُ كوثنيّ وعشّار

امَّا الثالوثات الوثنيَّة فانَّ اختلافاتها قد توفَّرت فلا تكاد تجد لها في كاتبَيْن وصفاً واحداً بل تراها متباينة كل التباين من مكان الى آخر ومن زمن الى زمن ومن امَّة الى اخرى ولهذا لا يستطيع العلماء في ايامنا ان يقولوا شيئاً ثابتاً عن تعاليم الوثنيين في تلك الخرافات ويهدم الواحد ما زعم بناءهُ الآخر. وكما قال اولئك الشعوب بالثالوثات قالوا بالرابوعات والخاموسات والسابوعات كما ترى في الصور التي نقلناها هنا عن احدث الكتبة واصدقهم كماندرون (Maindron: *l'Art Indien*) وكروزرس (F. Creuzers: *Symbolik und Mythologie*) وكلها مزاعم فريَّة انتجتها التخيُّلات الوهميَّة

٤ ﴿ انتشار المعتقدين ﴾ انَّ معتقد النصارى في الثالوث الاقدس منتشر اليوم بين ستمائة مليون من البشر اي الكاثوليك والروم والبروتستانت وهم الشعوب الارقى في التمدُّن والعقل والعلم ومع ترقيهم لم ينبذ بينهم ذلك المعتقد الَّا بعض الكفرة المعروفين بالتطرُّف والعناد بل يدافعون عنهُ ويثبتونهُ بالادلَّة التي لم يَقوَ على تفنيدها احد لوجودها في مستودع الوحي. واذا دخل مرسلوهم بلداً اقنعوا اهلهُ ببيِّنات تعليمهم في الثالوث الاقدس امَّا الثالوثات الوثنيَّة فكلها بطلت اليوم واذا سألت علماء الوثنيين في الهند والصين وكهنة أمم البرابرة عنها تلعثموا وما دروا ما يجيبون واذا رجعوا الى كتبهم القديمة لم يتفق احد منهم على شرحها وتعليلها كما يروي المرسلون كل يوم في اخبارهم عن تلك الشعوب

وكان بودّنا ان ننقل عنا اقوال العلماء الصادقين عن الثالوثات الوثنيَّة لولا ضيق

المجال. ونكتفي فقط بشاهدين عمَّا يدعونهُ بالتريمورتي (Trimurti) وهو الثالوث الهندي الذي طنطن بهِ بعض الملحدين وصوَّر محمد التنير صورتهُ (ص ١٨) وزعم انهُ الهٌ واحد في ثلاثة اقانيم. قال السيد لاونان في تاريخ البرهمانيَّة : Laouenan) *Le Brahmanisme* I, 7 et II, 178-179) : « انَّ التريمورتي عند الهنود يختلف اختلافاً جوهريًّا عن سرّ الثالوث عند النصارى فانَّ الهنود زعموا بانَّ الاله الاعظم خلق ثلاثة آلهة متساوين لكنهم دونهُ مرتبةً لا يمكنهم ان يبلغوا مقامهُ في العظمة وهم يمثلون عظمتهُ في عالم الكون »

« Le Trimurti indien se compose de trois dieux inférieurs, créés par la divinité suprême . . . Ils ne sont que les représentants extérieurs de cette divinité suprême »

وقال العلَّامة الفرنسويّ دلا ڤالّه بوسان (De la Vallée Poussin) في كتاب معلوماتنا الحاضرة عن الديانات القديمة (Où en est l'Histoire des Religions I, 278) : « بئس ما فعل البعض اذ قابلوا بين الثالوث الاقدس ومجموع الآلهة الثلثة « برهما وڤشنو وسيڤا » لان عبَدَة ڤشنو يعتبرون سيڤا كخادم ڤشنو وعبَدَة سيڤا يعتبرون ڤشنو كصورة سيڤا وكلاهما يعدّ برهما كاسم بلا مسمى »

« On compare à tort, à la Trinité, le groupe Brahmâ, Vishnou, Çiva ; car pour les vishnouites, Çiva est un domestique ; pour les çivaïtes, Vishnou est un double de Çiva ; pour les uns et pour les autres, Brahma n'est qu'un nom »

فما ابعد محمد طاهر التنير عن الحقّ في ما كتب عن الثالوث الاقدس المسجود لهُ وما كان احراهُ ان لا يلقي بنفسهِ في ابحاث لا يعرفها ! وغاية ما يستطيع كل انسان ان يقولهُ بازاء سرّ كهذا ما قالهُ الرسول بولس : « يا لعُمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ وما ابعد احكامهُ عن الادراك وطرقهُ عن الاستقصاء » او ما قالهُ احد كبار العلماء : « اننا لو استطعنا مع ضعف عقلنا ان ندرك اسرار الله لزال كون الله الهاً »

(لهُ بقيَّة)

وداع الأم لابنها المهاجر

من نظم الاديب يوسف افندي غصوب احد طلبة كليتنا سابقاً

دموعٌ على الخدَّين تنهلُّ كالقطرِ ... وفي الصدرِ وجدٌ دونهُ حُرقةُ الجمرِ
ترى الأمَّ في بحر الشجون غريقةً ... تخوض غمار الهمِّ في المدِّ والجزرِ
تئنُّ أنينَ الوالهاتِ تفجُّعاً ... على فرقةِ ابنٍ ارّوعٍ نابهِ الذكرِ
وتصعدُ انفاساً يكادُ ضرامُها ... يُذوِّب من فرط الأسى مهجةَ الصخرِ
اذا حاولت حبسَ الدموع امامهُ ... عصتها ولم تحفل بردعٍ ولا زجرِ
فتنثر درًّا فوق شاحبِ خدِّها ... فيصبحُ لونُ الدرِّ في صُفرة التبرِ
وتقذفُ من احشائها لهب الجوى ... كما تقذفُ الريحُ السمومُ لظى الحرِّ
اذا حان ميقاتُ الوداعِ تململتْ ... وقالت : ايا لله من ساعة الهجرِ
فتبًّا لأيام النوى ما أمضَّها ... فانَّ لها طعماً امرَّ من الصبرِ

*

بُنيَّ رُوَيدًا انَّ بُعدك قاتلي ... فلا ترمِ عن قوس النوى والجفا صدري
لقد عيلَ صبري من نواك فلم يَعُدْ ... يطيبُ لجنبي غيرُ مضطجع القبرِ
حضنتُكَ طفلًا تحت اجنحةِ الهوى ... أعاطيكَ كأس الحبِّ أحلى من الخمرِ
فكم سامرت عيناي وجهكَ في الدُّجى ... فكنتَ الى عينيَّ أشهى من البدرِ
وكم كنتُ أُزري بالجمانِ منظَّماً ... اذا لاح لي درُّ ابتسامك في الثغرِ
بُنيَّ رُوَيدًا ما الذي انتَ فاعلٌ ... ألم تدرِ أن الهجرَ يوردني قبري
ألم ترَني مشطورةَ القلب والحشى ... فلا تشطُرَنَّ القلبَ شطرًا على شطرِ
فأنتَ لروحي بلسمٌ في شدائدي ... فمن ذا يُداويني اذا خانني دهري
وأنت لقلبي زهرةُ الأُنسِ في الضنى ... فإن بنتَ بانَ الأنسُ عني مدى العمرِ
يقولونَ لي صبرًا على لوعة النوى ... وقد نفدت قبلَ النوى جُعبةُ الصبرِ
فكيف أُطيقُ الصبرَ والبينُ ضاربٌ ... قبابَ البلايا فوق أفنيةِ الصدرِ
وكيفَ يعاني الجسمُ فرقةَ روحهِ ... وكيف يقاسي القلبُ وجدًا لهُ يبري

حرامٌ على عينيَّ ان تُطعَما الكرى ... ولم يكتحل جفناهما بسنا بدري
مذهَّبُ شعرِ الرأسِ يغنيكَ وجهه ... اذا لاح في الظلما عن الانجُم الزُّهرِ
فكنتُ اذا استنشيتُ انفاسَ حُبِّهِ ... كأني بهِ يُهدي اليَّ شذا الزَّهرِ
وكنت اذا ما الليلُ مدَّ رواقَهُ ... أرى في محيَّاهُ الوسيمِ سنا الفجرِ
وكنت كأني في النعيمِ بقربهِ ... أطاردُ ريبَ الدهرِ والدهرُ في إثري
اذا رعتِ الألحاظُ بدرَ سمائها ... فبدري سميرُ الروحِ في مهجتي يسري
وإن يكُ فيها للبدور منازلٌ ... فما في فؤادي غيرهُ وبهِ فخري
غرستُ بـه روحَ الديانةِ والتُّقى ... وأنتهُ روحَ العداوةِ للكفرِ
فشبَّ على حبِّ الفضيلةِ والهدى ... وقد أرَّجت آثارُهُ فَلَكَ الطهرِ
وكنتُ أرجّي أن امرتَ بقربهِ ... وها هو يمضي خائضاً لججَ البحرِ
وربِّيَ لا اهوى الحياةَ وانَّما ... حييتُ لأهواهُ واخدمَهُ عُمري

*

اوالدتي كفّي النحيبَ وكفكفي ... دموعَ الأسى حرصاً على عمركِ النَّضرِ
فدمعكِ يدمي مهجتي ويزيدني ... لدى البعدِ وجداً ينتهي عندهُ صبري
فما أنا راضٍ بالبعادِ وانَّما ... بذا قد قضى دهري فآهاً من الدهرِ
على أنهُ مهما نأتْ شقَّةُ النَّوى ... فإنكِ لا تنأينَ عن ساحة الفكرِ
وانَّكِ في قلبي تجولينَ جولةً ... تذكّرني دوماً بآثارِكِ الغُرِّ
فأثني على تلك العوارف منشداً ... بأنديةِ العرفانِ انشودةَ الشكرِ
ليعلمَ اهلُ الخافقينِ بأنني ... أسيرُ الثنا لا ابتغي الحلَّ من أسري

*

ألا سِرْ بعونِ الله يا خيرَ راحلٍ ... ولا زال معقودًا عليكَ لوا النَّصرِ
يواكبُكَ الإقبالُ في كل خُطوة ... ومن حولكَ التوفيقُ كالمسكرِ المُجرِ
لئن مضّني منكَ الفراقُ فانَّما ... يمزّي فؤادي ذكرُكَ الطيّبُ النَّشرِ
الا احرص على كنزِ ثمينٍ جمعتَه ... من الدينِ حرصَ المسكينِ على الصُّفرِ
وحافظ على الآدابِ والسُّنن التي ... نشأتَ عليها تغتنمْ اجزل الأجرِ
وكُنْ حيثما تنزلْ كزهرةِ زنبقٍ ... يضوعُ شذا ذكراكَ في الارض كالعطرِ

فانَّ حياة المرء مثلُ صفيحةٍ تُحفَرُ عليها أسطرُ البرِّ والشرِّ
فإن يأتِ خيرًا زانَ بالخير عمرهُ وإن يأتِ شرًّا شانَهُ دَنَسُ الوزرِ
ستأتي بلادًا أنتَ تجهلُ أهلها فعِش بينهم ندباً وسِر سيرةَ الحُرِّ
واياكَ ان تغترَّ بالخيلِ التي يُموِّهُها اهلُ المفاسدِ والنُّكرِ
وأعرضْ عن القوم اللئام وجانِبهم وكُن من مُداجاةِ الغواةِ على حذرِ
ولا تختلِط بالملحدينَ بني العَمَى فعشرتُهم تُعمي وتلفُهم يُفري
وجانبْ عُداةَ الدينِ واحذر سمومَهم فهم آفةُ الدنيا وجرثومةُ الضرِّ
لاقوالهم في القلبِ أفتَكُ موقعٍ فهم يدخلونَ القلبَ عن طُرُقِ المكرِ
فلا تقترب منهم فإنَّ لسانهم يدسُّ سموماً في النفوس على غدرِ
ووَفِّ مواثيقَ الديانة حقَّها وبرَّ الذي يراكَ في السرِّ والجهرِ
ولا تعتزلْ منحى الامانةِ واعتصم بحبل التقى والصدق والعدل والبرِّ
ولا تثقَنْ بالناس قبلَ ابتلائهم ولا تتَّخذ منهم خليلًا بلا خُبرِ
ولا تخطبَنْ ودَّ الأُولى عبدوا الهوى لئلا تذوقَ الموتَ من حيثُ لا تدري
ولا تدنُ ممَّن كان من طبعهِ الأذى فبسمُهُ يُدمي ومقولهُ يَفري
فخيرُ الورى من صدَّقَ الفعلُ قولَهُ وشرُّهمُ المذَّاقُ ذو الخبثِ والخترِ
ولا تصرفِ الأوقاتَ باللهوِ غافلًا فإنَّ الملاهي تُنذِرُ المرءَ بالفقرِ
ولا تغفلنْ عمَّا رحلتَ لأجلهِ لترجعَ للأوطان باليُسر والكُثرِ
ولا تُخلِقَنْ ديباجةَ الوجهِ واحتفظ بما يُكسبُ العلياءَ مع رفعة القدرِ
ولا تبتذلْ بالكدِّ مُطرَفَ صحَّةٍ فصحَّةُ جسم المرء خيرٌ من الدُّرِّ
واياكَ والحرصَ الذميمَ فانهُ يُعرِّضُ عِرضَ المرء للطعنةِ البكرِ
فإن تتَّبع نصحي تَنَلْ ما تريدهُ من الخيرِ والإقبالِ في ذلك القُطرِ
والَّا دفنتَ القلبَ في حُفرةِ الأسى وخطَّتَ لهُ الأكفانَ من نُوَبِ الدهرِ

*

أأماهُ لا تخشي عليَّ فانَّني لأرعى الذي تهوينَهُ مدَّةَ العمرِ
ولا أنثني عمَّا يزيدكِ بهجةً فبشرُكِ معقودٌ بهِ أبدًا بشري
فإن وفَّقَ الرحمنُ عُدتُ الى الحمى لأقضيَ عمري تحت ظلِّكِ بالفخرِ

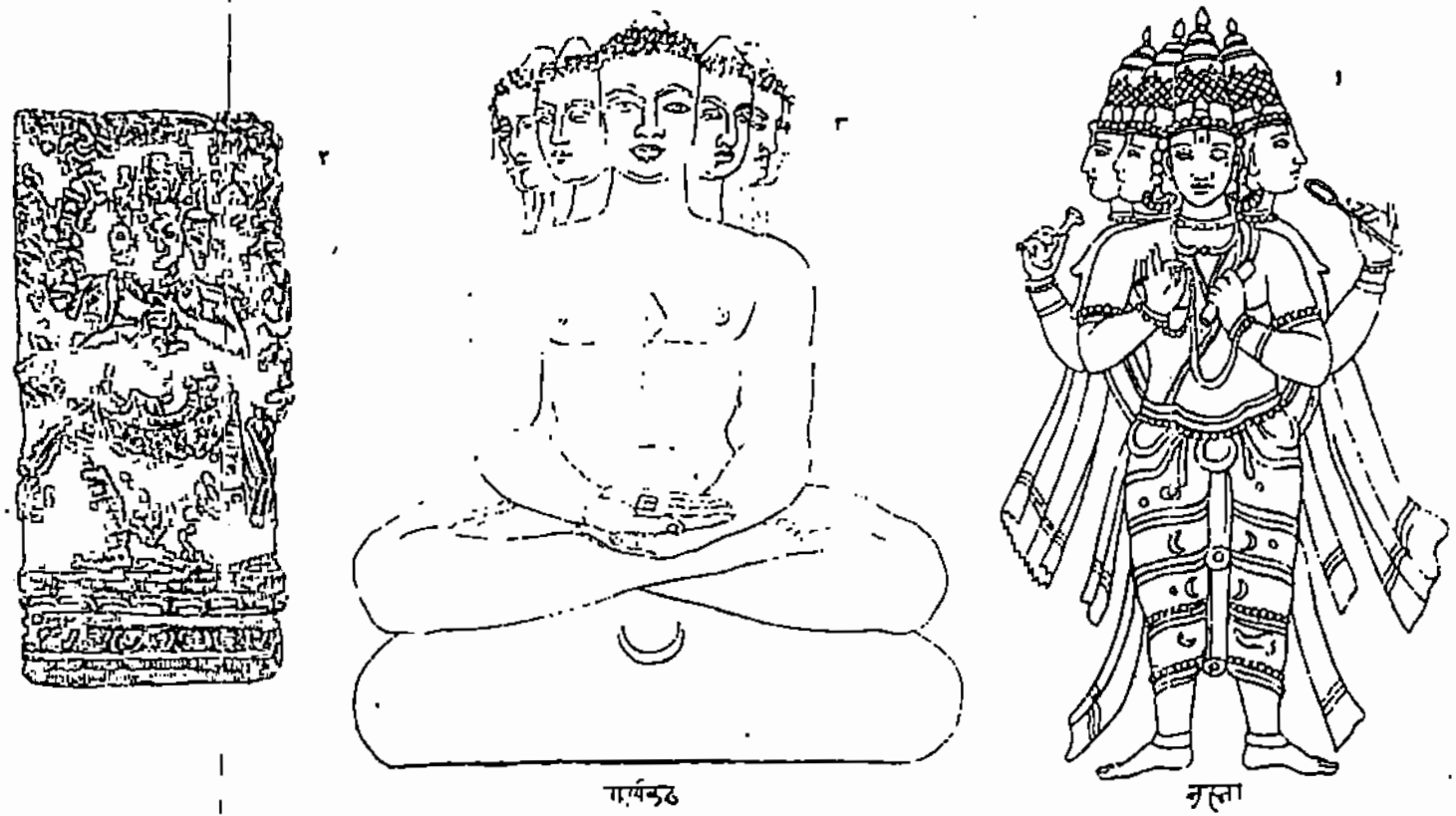

صورة آلهة الهنود وخرافاتهم التي استند اليها محمد التنير

١ صورة الاله برهما مربّع الرؤوس (رابوع هندي) – ٢ الاله برهما مخمّس الرؤوس (خاموس هندي) – ٣ الاله بودًا مسبّع الرؤوس (سابوع هندي)

فأنتِ لقلبي جنّةٌ زهرُها المنا وانتِ لروحي الذُّخرُ إن فاتني ذخري
ألا مكّنيني من رضاكِ فانني بهِ اجتني ما راق من ثمرِ البشرِ
ولا تمسكي عني بشائركِ التي تبدّدُ غيمَ الهمّ والغمّ عن فكري
وها انني ماضٍ وفي القلب حُرقةٌ وفي الصدر لوعاتٌ احرُّ من الجمرِ

*

ألا قبّح اللهُ النّوى ما أشقّها فانّ لها عُقبى أمرّ من المُرّ
يخوض الفتى بحر النوائب صابرًا وليس لهُ عن فرقةِ الاهل من صبرِ
فلا تسألوا عمّا جرى ساعةَ النّوى فلا يعرف الأهوالَ الّا ذوو الخبرِ
فوالدةٌ كلّتى الفؤادِ تدفّقت دموعُ الجوى من مقلتيها على النّحرِ
يفتّت قلبَ الصخرِ مشهدُ حزنها كأنّي بها الخنساء تبكي على صخرِ
واما ابنها فالوجدُ ألهبَ صدرَهُ فودّعها والدمعُ من عينهِ يجري
مضى حاملًا همًّا تنوء بهِ الرُّبى ولوعتُهُ لم تُطفِها لُجَجُ البحرِ
فلم يُسلِهِ عن امّهِ في مسيرهِ مشاهدُ انسٍ تجعلُ الهمّ في أسرِ
وما زالتِ الأشواقُ تلذعُ قلبَهُ ويشكو غليلَ الصدرِ وهو على الغمرِ
الى ان طوى بينَ الهموم رحيلَهُ وألقى عصا الترحال في بلدِ الهجرِ
فمذ خاضَ ميدان التجارة سدّدت اليهِ يدُ الدنيا نبالًا من القهرِ
فأودت بأموالٍ لهُ فتضعضعتْ عزائمُهُ حتى شكا مُضض العُسرِ
فلم يلقَ في تلك البلادِ اخا ندًى يشدُّ بهِ أزرًا فباتَ بلا ازرِ
فلمّا درى خلٌّ لهُ بمصابهِ أتاهُ وفي كفّيهِ أحبولةُ المكرِ
وقال لهُ : خلِّ الديانةَ واعتصمْ بقومٍ من الاحرارِ تبلُغ مدى اليُسرِ
فكان لهذا الوَعد في جوّ فكرهِ رعودٌ يكادُ القلبُ مع برقها يجري
ولو لم يقع في بالهِ نصحُ أمّهِ لمال بهِ حبُّ النّضارِ الى الكفرِ
فيا حبّذا تلك النصائحُ انّها أرتهُ تُرابَ الارضِ خيرًا من الصّفرِ
وقد صوّرت ذاك الصديقَ لنفسهِ عدوًّا يصيدُ الناسَ بالغشّ والخترِ
فأسمعَهُ لومًا احدَّ من الظبى وعنّفهُ سُخطًا على قولهِ الكفري
وقال لهُ : تبًّا لقومٍ تبعتهم فمن دأبهم ان يفسدوا معشرَ البرِّ

بهم قاست الدنيا خطوباً جسيمةً فأصبح ذو الرأي الحصيف بهم يزري
لئن نالني الموت الزؤام فانه لخيرٌ من الإثراء مع وصمة الوزر
فقادره ذاك الخبيث ووجهه عليه سمات الغيظ والحقد والشر
فلم يكترث ذاك الفتى لوعيده وعدَّ بلايا الدهر من نِعَم الدهر
لذلك لم تلبث يدُ الله أن سخت عليه بآلاء تنمُّ عن الحصر
فأقبلت الدنيا عليه بيُسرها فبات اليفَ السعد في حُلَل الوَفر
وعادَ الى اوطانه وشعاره فضائلُ تكسو المرء بردًا من الفخر
فلمَّا رأت تلك الأمينةُ نجلَها على خير حالٍ أهرقت دمعةَ البشر
وخرَّت على الأقدام تحمدُ ربَّها على نِعَمٍ جُلَى تجوزُ مَدى الشكر
فيا قومُ ما احلى الحياةَ اذا انطوت وقد رُصعت أبرادُها بحلى الطُهر
وما ابهجَ الدنيا اذا زانها التُقى وما أجملَ الآداب بالرجل المُثري

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريَة (تابع)

﴿ معان ﴾ قال ياقوت (٤ : ٥٧١) : «هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء» وكان اهلها نصارى تحت حكم الروم والمالك عليها عند ظهور الاسلام فروة بن ابي عامر شيخ بني جذام النصارى. وبقرب معان عند مؤتة التي دعاها تاوفانوس المؤرخ (Théophane. I. 515. éd. Bonn) باسم (Mobous) حدثت وقعة سنة ٨ للهجرة بين جيوش المسلمين تحت امرة زيد بن حارثة وجعفر ابن ابي طالب وعبدالله بن رواحة و (بين) جيوش الروم تحت قيادة تاودورس

المعروف بالنائب وقد روى مؤرخو العرب انَّ عدد الروم كان مئة الف ومعهم من عرب النصارى مئة الف آخرون (١ فكان الانتصار للروم وهُزم المسلمون وقُتل قادتهم. لكنَّهم عادوا بعد ذلك بسنة فغلبوا الروم وفتحوا معان واستولوا على جهات البلقاء وقيل انَّ فروة صاحب معان اسلم

﴿ المدينة ﴾ كان اسمها في الجاهليَّة يثرب دُعيت بذلك على ما قيل باسم بانيها احد ابناء آرام وفي تقاليد العرب انَّ اوَّل من سكنها العمالقة ثم هاجر اليها اليهود في ازمنة مختلفة قبل المسيح على عهد موسى ويشوع بن نون وداود ثم في زمن خراب اورشليم وهيكلها على يد الاشوريين ثم بعد المسيح عند فتح الرومان للقدس الشريف فخرج منهم الى يثرب بنو قريظة والنَّضير وبَهدل ونزلوا واديين اسمهما بطحان ومهزور (٢ وبنوا هناك الآطام اي المنازل المحصَّنة

وكانت ديانة هذه القبائل اليهوديَّة كما هو بديهيٌّ. غير انهم اختلطوا بقبائل أُخرى عربيَّة كان البعض يسكن في جوار يثرب والبعض الآخر هاجر اليها من اليمن بعد تفرُّق اهله سواء كان بسبب سيل العرم كما روى العرب او لعلل أُخرى

وما لا سبيل الى انكاره انَّ النصرانيَّة دخلت يثرب بعد السيد المسيح بقليل كما رأيت في ما نقلناهُ عن دعوة الرُّسل في الحجاز ووجود قبر واحد منهم في جبل العقيق من ناحية المدينة على ما نقلهُ الطبري

وليس من المستبعد انَّ بين القبائل اليهوديَّة المهاجرة من اورشليم قوم عرفوا النصرانيَّة ودانوا بها ولاسيما اولئك المتنصِّرين الذين سبق خروجهم فتح حاضرة بلادهم فالتجأوا الى المدن الواقعة ما وراء الاردن. فانَّهم اذ رأوا ما حلَّ بالمدينة المقدَّسة من الدمار توغلوا في بلاد العرب وسكنوا في جهاتها الداخليَّة

والظاهر انَّ بعض تلك البدع المعروفة بالبدع اليهوديَّة النصرانيَّة (sectes

---

١) هكذا روى العرب ومثلهم روى السريان كالياس النصيبيني اطلب تاريخ اليعقوبي (٢ : ٦٦) ومعجم البلدان لياقوت (٦ : ٦٨٨ و ٥٧١) ثم de Goeje: *Mémoires d'Hist. et de Géogr. Orientales*, 2 éd., 1900, p. 6-9

٢) راجع كتاب الاغاني (١٩ : ٩٥) وروايات الاغاني (٢ : ١—٥) راجع ايضاً مجلة الدروس اليهوديَّة (Revue des Etudes Juives VII, 167 et X, 10)

(judéo-chrétiennes) شاعت خصوصاً في نواحي العرب كشيع النـاصريين (Nazaréens) والابيونيين (Ebionites) والكسائيين (Elkésaïtes) وقـد ذكرهم الكتبـة الكنسيّون في القرون الاولى كاوسابيوس المؤرخ (١ واوريجانس المعلم (٢ ويوستينوس الشهيد (٣ والقديس ابيفانيوس (٤ في تاريخ الهرطقـات والقديس هيرونيموس في كتاب الاعلام (٥ وتاودوريطس (٦ وصاحب الفلسفيّات (٧ وذكروا علاقاتهم مع المسيحيين

واستشهدوا بما كان لديهم من الآثار النصرانيّة . وقد وجد الاثريّون في زماننا بعض تلك الآثار المكتوبة بالحرف السرياني الفلسطيني ونشروها بينهـا فصول انجيليّة وطقوس ورُتَب بيعيّة

وبعض هـذه البدع التي انتشرت في جهات العرب بالغ اصحابها في اضاليلهم فنبذ النصارى مزاعمهم وقبّحوها كالقطاريين (Collyridiens) الذين كانوا يبالغون في عبادة مريم العذراء فيقدّمون لها نوعاً من القرابين اخصّها اقراص العجين والفطائر وقد ذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات (٨ ولعلّ هؤلاء المبتدعين هم الذين دعاهم ابن بطريق (٩ بالمريميّة والبربرانيّة فافادنا انهم كانوا يقولون « انّ المسيح وامّهُ الهان من دون الله » . وقد وصفهم بذلك ابن تيميّة في كتابهِ الجواب الصحيح ودعاهم بالمريمانيين او المريمانيّة . وعلى هذا البناء شرح مفسّرو القرآن قولهُ : في سورة المائدة « اتّخذوني وامّي الهين » وقالوا في شرح قولهِ في سورة النساء « ولا تقولوا

---

١) اطلب تاريخهُ (Eusèbe, H. E., IV, 17 et 22)

٢) اطلب ردّهُ على قلسوس (Origenes c. Celsum, II, 3 et Hom. III, in Gen. n° 5)

٣) اطلب مذاكراتهِ (Justini *Dialog.*, c. IV, LXIII et LXXX)

٤) كتاب الهرطقات (Epiphan., *Hæres.* XXIX, 7, 9, 15, et XXX, 15-19)

٥) اطلب (Hieron. *De situ et nominibus*, Migne, XXIII, p. 888)

٦) كتابهُ في خرافات الامم (Theodoret, *fabul.* I, et II, 18)

٧) اطلب (Philosaphoumena, VII, 12, IX, 13, X, 17 et 29)

٨) اطلب (Epiphan., *Hæres.* 10)

٩) راجع طبعتنا (١٢٦)

ثلثة » اي لا تقولوا الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم (كذا ورد في شرح البيضوي والزمخشري وغيرهما)

وقام غيرهم في انحاء العرب وتطرّفوا على عكس ذلك فانكروا على العذراء مريم دوامها في البتوليّة فسمّوهم لذلك بالمعادين لمريم (Antidicomarianites) وذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب البدع (١

وروى القديس ايلاريوس في رسالته الى قسطنطين الملك (٢ انّ فرعاً من اشياع اريوس ظهروا في جهات العرب وهو يدعوهم اقاقيين باسم اقاقيوس زعيمهم كانوا يذهبون الى ان السيد المسيح ليس هو ابن الله لزعمهم انّ من قال ذلك جعل لله زوجة فخلطوا بين الولادة الجسديّة والولادة الالهيّة الروحية الازليّة المثبتة في الكتب المنزلة

وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في احدى المقالات المنشورة في المشرق (٦ : ٦٠) بدعة أخرى وجد منها بقايا في العراق تُعرف بالداوُدة او الداوُديين يعظّم اصحابها داود النبي ويكرمون السيد المسيح لكنّهم يجعلونهُ دون رتبة داود

فكلّ هذه البدع وغيرها التي شاعت خصوصاً بين القبائل اليهوديّة المتنصرة الساكنة في حدود الشام والحجاز شوّهت المعتقدات النصرانيّة الصحيحة في تلك البلاد

وبقي الامر على ذلك حتى قدمت الى يثرب بطون من عرب اليمن كبني الحرث ابن بهثة وبني شظيّة من غسان ولاسيما بني الاوس والخزرج من الازد الذين لحقوا بها بعد سيل العرم. لكنّهم اقاموا فيها كما روى صاحب الاغاني (١٩ : ٩٥) في جهد وضيق المعاش يرتزقون من الزراعة وكانت الاموال لليهود حتى قام بينهم في اواسط القرن السادس للمسيح احد شيوخهم وهو مالك بن عجلان فأوفد الى ملك في الشام من ملوك غسّان يُدعى ابا جُبَيْة فاستنجدهُ على يهود يثرب فأنجدهُ واوقعا باشراف اليهود حتى ذلّوا وصار الامر الى الاوس والخزرج منذ ذاك الحين الى ظهور الاسلام ومنهم كان الانصار. وقد وقعت بين الاوس والخزرج حروب رواها صاحب الاغاني (٢ : ١٦٧ — ١٧٠) لا حاجة الى ذكرها

١) اطلب (Epiph., *Hares.* 78)

٢) اطلب مجموعة مين X (Migne, PP. LL.,)

امّا دين الاوس والخزرج وبقيّة القبائل غير اليهوديّة التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر انهُ كان في اوّل امرها الشرك وانّها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٤٣٤ من طبعة لندن) لكنّها عدلت بعد ذلك الى النصرانيّة. ولنا على الامر ادلّة نرويها هنا عن مصادر موثوق بها

قد رأيت في اوّل هـذا الباب انّ دُعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانيّة الاولى بل روى اوّل مؤرخي الاسلام ابو جرير الطبري تقليدًا عن اهل المدينة ذكروا فيهِ وجود قبر لاحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق المجاور لبلدهم

ومن الادلّة على نصرانيّة عرب المدينة ان الاوس والخزرج ينتسبون الى الحارث ابن ثعلبة فيرتقي نسبهم الى بني غسّان. ونصرانيّة غسّان ثابتة لا يشكُّ فيها الّا من كابر الحقّ كما رأيت افليس من الصواب أن يقال انّ الاوس والخزرج دانوا بديانة غسّان. وزد على ذلك انّ أبا جُبَيْـلة الغسّاني ملك الشام المعروف بنصرانيّتهِ ما كان لينصر الاوس والخزرج على يهود المدينة كما مرّ بك لولا علمهُ انهم يدينون بدينهِ

ولنا على ذلك برهان آخر اقرب وادلّ وهو الاسم المُطلق على اهل مدينة يثرب الذين كانوا يُدعون باهل الكتاب. قال الشهرستاني في الملل والنحل (ص ١٦٢ من طبعة لندن): « الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون والامّي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينـة والاميون بمكّة » فينتج عن قولهِ هـذا انّ اهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الاوس والخزرج وقضاعة الذين كانوا يسكنون المدينة

وجاء في التقويم القديم للكنيسة الكلدانيّة الذي نشرهُ الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ (ص٨) ان النساطرة « اقاموا مطروبوليطاً في يثرب وانّهُ كان فيها ثلاث كنائس على اسم ابراهيم الخليل وأيوب الصديق وموسى الكليم » وهي رواية وجدناها في غير هذا التقويم ثم في تقويم آخر مخطوط مثلهُ لاحد اهل الموصل والله اعلم بصحّتها

على انّ وجود النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهوره امر الامور التي لا يمكن نكرانها. لانّ النصارى كانوا بلغوا اقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم. وهذا ما اقرّ به المستشرقون في كتبهم الحديثة . قال

احد ائمتهم العلامة ڤلهاوزن (١ : « انّ محمّداً وجد الطريق ممهّدة في المدينة بواسطة اليهوديّة والنصرانيّة لانّ هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الآراميين ». ومثلهُ قال هرتويغ درنبورغ الموسوي من اساتذة اللغات الشرقيّة في باريس المتوفي سنة ١٩١٠ : « كان للنصرانيّة تبعة متعدّدون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدواتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها باستقفيّات اليمن (٢) »

وبقي النصارى في يثرب حتّى بعد وفاة نبيّ الاسلام كما يدلّ عليهِ قول حسّان ابن ثابت في داليّتهِ التي رثى بها محمّداً (طبعة ليدن Hirschfeld, p. 59) :

« فرحت نصارى يثربَ ويهودُها »

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة الى عهد عمر بن الخطّاب الذي اخرج الفريقين من جزيرة العرب استناداً الى ما رُوي في الحديث : « لاخرجنّ النصارى واليهود من جزيرة العرب »

ولمّا اراد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) ان يجدّد عمارة المسجد الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بُناتهُ من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون. واخبر الطبري (٢ : ١١٧) « انّ ملك الروم بعث اليهِ بمائة عامل ومائة الف مثقال ذهب واربعين حملاً من الفسيفساء فبنوا المسجد وجعلوا طولهُ مائتَي ذراع في مثلها » . وقيل انّ بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل اذ رأوهُ شبيهاً بكنيسة

(لهُ تابع)

(١) هذا قولهُ بالحرف في كتابهِ عن ملك العرب WELLHAUSEN: *Das arabische Reich und sein Sturz* (p. 4) : « In Medina war der Boden für Mohammed vorbereitet durch das Judentum und Christentum ; es gab dort viele Juden und die Stadt lag an der Grenze desienigen Teils von Arabien, der under griechisch-roemischen und christlich-aramaischem Einfluss stand »

(٢) ودونك قولهُ : H. DERENBOURG: *Opuscules d'un Arabisant* (p. 16) « Le Christianisme comptait en Arabie de nombreux adhérents ; il dominait le Nord par les rois de Hira et de Ghassan, le Centre par Médine, le Sud par les évêchés du Yémen »

الذكر المخلَّد

في سيرة السيد جرمانوس معقَّد

للاب لويس شيخو اليسوعي

هذه ثلاثة اشهر بنيف مرّت علينا منذ حلول تلك الرزيئة المؤلمة التي اجفعتنا على غير انتظار فكانت لوعتها اشدّ وامرّ في القلوب نعني بها وفاة فقيد الكنيسة والوطن السيد الجليل والحبر المفضال كيريوس جرمانوس معقَّد مطران اللاذقية شرفاً من امثل اساقفة طائفة الروم الكاثوليك الكريمة

ومع خمود مضض الآلام على فقده قد زادت كرامتهُ في العقول وظهرت مبرّاتهُ العظيمة في اعين القريب والبعيد حتى تمنى الجميع لو أُفردت له ترجمة واسعة شاملة لاعمال حياتهِ ليبقى ذكر الصدّيق مخلّدًا ويُنصب السراج على المنارة فيضيء لجميع من يحبون الاستنارة بانوارهِ

واذ قد حظينا بمعرفة ذلك الاسقف الجزيل الفضل لم نزل منذ نُعي الينا نترصّدُ الفرصة لندوّن على صفحات المشرق خلاصة سيرتهِ ريثما يتمنا ابناؤهُ المرسلون البولسيون بتفاصيل حياتهِ. وقد جمعنا ما ننشرهُ هنا عن اصدق الموارد واثبت الشهود العيانيين الذين عاشوا بجوار المثلث الرحمات السيد جرمانوس شاكرين لكلّ من اتانا ببعض المعلومات الآتية

ونقسم هذا النظر الاجمالي الى اربعة فصول نخصّ الاوّل بتعريف الرجل والثاني بالكاهن والاسقف والثالث بالواعظ والكاتب والاخير بالرسول في قولهِ

١ تعريف الرجل

ولد السيد جرمانوس في دمشق الشام من ابوين صالحين عيسى معقد ومريم خيّاطة من طائفة الروم الملكيين الكاثوليك وسمي يوسف. امّا سنة مولده فاختلفت فيها الجرائد والمجلّات فقيل ١٨٥٠ وقيل ١٨٥٢. ولدينا ما يزيل الشك في ذلك وهو تاريخ عماده المدوَّن كما افادنا عنهُ حضرة الايكونومس انطون زيادة نقلًا عن

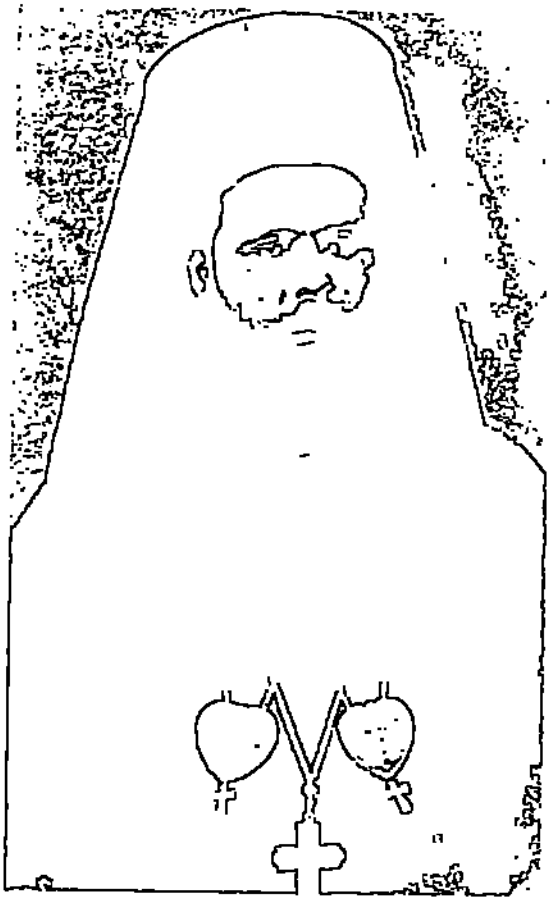

الطيب الذكر

السيد جرمانوس مسقد (١٨٥٣ - ١٩١٢)

دفتر العماد حيث ورد ما نصهُ : « في ٤ نيسان سنة ١٨٥٣ تعمد يوسف بن عيسى معقد عنده الخوري انطون كسّاب وكان الاشبين عم المولود داود معقد » . وهذا التاريخ قد روي في مجلة اصداء الشرق (٨ : ٢٣٠) كتاريخ يوم مولده ولعلّهم عدُّوا يوم ولادتهِ بالروح كيوم ولادتهِ الجسديَّة

نشأ الولد في حجر والديهِ تقيًّا مائلًا الى البرّ . واذ لم يكن آنئذٍ في دمشق غير المدارس الابتدائيّة تردَّد الى مدرسة طائفتهِ في باب المصلّى فاتقن مبادئ القراءة والكتابة والحساب على معلمَيهِ الفاضلين الخوري متري قزح والخوري فيلبس غرّة . وظهر كلفهُ مذ ذاك الحين بخدمة الرتب الدينيَّة

ولمَّا انهى دروسهُ الابتدائيَّة دخل بصفة كاتب في مخزن التاجرين دالاتي وجنال وعمرهُ ١٢ سنة . وكان هناك مثال النشاط والاستقامة . اخبرنا الثقة انَّ احد معلميه في المحل امرهُ ان يقيد على رجل قفَّة ارز لم يشترها فنبَّههُ الكاتب على ذلك فلم يقتنع فترك حينئذٍ يوسف معقَّد المخزن واعلم الرجل المظلوم

واذ كان يوسف نشيطاً محباً للشغل لم يشأ ان يبقى باطلًا فاستخدم عند احد الصاغة وبقي مدَّة يشتغل بلا أُجرة ولكن برّهُ بوالدتهِ حملهُ على ان يقضي بعض ساعات الليل في الشغل مع اخيهِ ليقوم بمعاشها وبقي على ذلك ثلث سنوات

وكان في غضون استخدامهِ مثابرًا على اعمال التقى قدوة لقمّة الشبّان يحضر كل يوم الذبيحة الإلهيَّة ويخدمها كمألوف عادتهِ وكان تقرُّبهُ من الكهنة ورهبان دير المخلّص الفضلاء يزيدهُ سأماً من الدنيا ورغبةً في الزهد بها حتى تحقَّق انَّ الله يدعوهُ الى الترهب وتبيَّن دعوتهُ مرشدُ ضميرهُ فكاشف والدتهُ بما في نفسهِ واذ رآها تمانعهُ سعى غير مرَّة بالفرار من وطنهِ سرًّا فتحول الظروف دون اتمام رغبتهِ

على انَّ الشاب الحازم لم يجهل انَّ ملكوت السماء تُغصب وانَّ الغاصبين يفوزون بها فلم يزل مصرًّا على نيتهِ وكان يكرّر لخالهِ جرجس عبيد خيَّاطة : « اني لا اجد راحةً في العالم فاتوق الى الرهبانيَّة من كل قلبي » . فثبت على عزمهِ حتى سنحت لهُ الفرصة فولَّى هارباً وواصل السير ليلًا مع نهار حتى بلغ دير المخلص في جوار صيدا . وطلب من الاب العام الذي كان وقتئذٍ الخوري الفاضل يوحنَّا كحيل ان يقبلهُ في جملة الرهبان المخلصين . لكنَّ حضرة الرئيس تمنَّع عن قبولهِ ريثما تأتيهِ شهادة من

معلم ذمّته توقفهُ على حسن سلوكهِ فطمّنهُ الطالب بقولهِ: « لا تخف يا ابانا انني لست بقاتل ولا سارق ولم اقترف ذنباً وانّما اتيت حبًّا بالله ولخلاص نفسي » . ثم وردت على الاب العام رسائل من غبطة البطريرك يعلمهُ بحزن والدتهِ والحاحها على رجوعهِ لكنّ الشاب الفاضل لم يكفّ عن الجهاد في سبيل دعوتهِ بكلّ جرأة وثبات حتى فهم الرئيس انّ دعوة هذا الشاب من الله فلا يسوغ لهُ ان يردّ طلبتهُ ومن ثمّ قبلهُ بين المبتدئين ودعاه اغناطيوس وسلّمهُ لراهبَين فاضلين من اماثل رهبانهِ الاب يوسف غنّام والاب مكاريوس شامي ليخرّجاه في الآداب الرهبانيّة

*

وكأنّ المبتدئ الجديد اراد ان يحقق بالفعل معنى الاسم الذي دُعي بهِ فانّ قلبهُ اضطرم نارًا للكمال كالقديس اغناطيوس النوراني وكانت اوّل خطواتهِ في طريق الفضيلة كخطوات الجبابرة. وكان يسكن وقتئذٍ في دير المخلص ذلك البطريرك القديس اقليمنضوس بخوت الذي استعفى من البطركيّة وانقطع الى ممارسة اسمى الفضائل بين اخوتهِ الرهبان فاتّخذهُ الاخ اغناطيوس كمثالهِ وجعل يقتدي بهِ في اعمالهِ المبرورة وتقشّفاتهِ كلبس المسوح وجلد الجسد والتمنطق بزنانير الحديد والنوم على الحضيض والصوم الطويل المتواتر وهو لا يجد في كل ذلك مشقة لفرط حبهِ لصليب ربّهِ ولذلك كان كتب على جدار قلّايتهِ هذا البيت من ديوان الفارضيّ

اذا شئت ان تحيا سعيدًا فُتْ بهِ شهيدًا والّا فالغرام لهُ اهلُ

وما كانت هذه التقشفات سوى لوائح ظاهرة لفضائل باطنة اسمى وارضى في عين الله الذي ينظر الى القلب كالتواضع الرهباني والتجرُّد التامّ عن حطام الدنيا والتفاني في خدمة القريب ولا سيما ممارسة النذور الرهبانيّة التي ابرزها بعد نجازهِ لامتحانات الطلبة. وكل من عرفهُ يشهد لهُ انّهُ كان قدوة الرهبان اخوتهِ يرون فيهِ صورة حية لقوانينهم وعيشتهم النسكيّة

وقد شهد كل من عرفهُ انّهُ تعشق الفقر الرهباني الى حدّ بالغ ليس في ايام ترهّبهِ فقط بل طول حياتهِ فكان شظف العيش يأنف من كلّ تأنّق في الملبوس والمأكل والاثاث والسكنى ويرضى بما لا يكاد يقنع بهِ ابسط الرهبان. وربّما عدّهُ من رآه كاحدهم بل كأخملهم ان لم يعرفهُ

ومحبتهُ هذه للفقر كانت تحدو بهِ الى امور غريبة كلبس الملابس الرثّة المبتذلة والزهد التامّ بالمال الى حدّ انهُ لم يحفل بهِ مطلقاً الّا كوسيلة لعمل الخير فيصرفهُ اذ ذاك بيد سخيَّة ولمّا سيم مطراناً لم يحفظ لنفسهِ شيئاً ممّا كان لهُ بل ردَّهُ كلهُ للدير. وكذا فعل لمّا برح القدس الشريف ولمّا خرج من بعلبك فانَّهُ خرج كمسل المسيح بثوب واحد وحلَّة التقديس. وقد ظهر تجرُّدهُ هذا مع اهلهِ فانَّهُ صمَّم آذانهُ دون صوت اللحم والدم فلم يُحسن اليهم بشيء من المال على مدى حياتهِ اذ كان يُعدّ المال الذي في يدهِ كوديعة اؤتُمن عليها المشروعات الخيريَّة فقط. بل كان اذا اتى الى دمشق لم يعلم اهلهُ سلفاً وربَّما رحل منها دون وداعهم

وكانت محبتهُ للعفة اعظم وادقّ حتى انّ البعض عزوه الى شيء من الوسواس الّا انَّهُ كان لا يهمّهُ رضى العالم ولا يكترث لاقوالهم وغاية ما يقصد ان يحصل على راحة ضميرهِ فلذلك كان يتحاشى زيارة البيوت ولا يذهب الى حمّام بل لم يقبل استماع الاعترافات خوفاً ممّا يترتّب على المرشد من المسؤليَّة. وكان يصون حواسَّهُ عن كل ما يمكنهُ ان يجلب لهُ قلق الفكر ولاسيما نظرهُ فانَّهُ كان حريصاً عليهِ كل الحرص مع النساء حتى مع اخواتهِ

اخبر احد رفقتهِ انَّ اثنتين من اخواتهِ قدمتا مرَّة لزيارتهِ في دير حريصا فلم يرخص لهما بان تناما هناك. وكذا صنع مع خالتهِ مرَّة اخرى

امّا طاعتهُ لرؤسائهِ فكانت كطاعة الطفل لابويهِ فمن ذلك انهُ كان يجاهر بوجوب الخضوع للكرسي الرسولي ويدافع علانية عن اوامره ويبكّت من يتردّد في الاذعان. وكان هو يتقدم الجميع في هذه الطاعة البنويَّة وكذلك السادة البطاركة الثلثة الذين عاش في زمانهم كانوا يجلّونهُ ويرونهُ طوع بنانهم كما اطرأ ايضاً روساء الرهبانيَّة المخلصيَّة انقيادهُ التام لمشيئتهم. وكان مع ذلك اذا رأى خللاً في تصرف الرؤساء لا يستنكف عن اعلان فكره بحميَّة وحريَّة تامَّة ليس تعظُّماً واستكباراً بل قياماً بالواجب

وممّا امتاز بهِ السيد جرمانوس روح تقوى عميقة كانت تلوح على شخصه في كل حركاتهِ وسكناتهِ فكان كل من يتقرَّب منهُ يشعر بانهُ حقيقة رجل الله. وكان الامر اظهر وأبين في اعماله الدينيَّة كالصلاة والقدّاس وزيارة القربان الاقدس

بالتواتر والتأمل بالروحيات وتعبُّدات الخاصة وخصوصاً لمريم البتول والدة الاله التي كان يلتجئ اليها في كل ضيقاته ويكرمها كأعز الامهات ويتلو كل يوم ورديتها وذهب الى زيارة معبدها في لورد فكتب ما نظر وسمع هناك ليزيد الشرقيين ثقةً بها

وقد عرف الفقيد منذ اوائل دخوله في الرهبانيّة انَّ الراهب في زماننا لا يستطيع ان يكتفي بالسيرة الصالحة فيلزمهُ ايضاً ان يتخرَّج في العلوم فبعد ابرازه النذور الرهبانية انقطع مدَّة بضع سنوات لتحصيل العلوم فدرس العربيَّة بفنونها ثم الحقها بالدروس الفلسفيَّة واللاهوتيَّة وكان احد معلميه الفيلسوف الغزيري يوسف حبيب باخوس الذي اثبت المشرق (٥ : ٤٥٢ و ٤٩٧) ترجمتهُ وكان احد زملائه الفضال افتيموس زلحف رئيس اساقفة صور

وعقيب دروسه رسمهُ السيد اكليمنضوس بخوث شمَّاساً انجيليًّا ثم أرسل الى دمشق حيث درَّس بضعة اشهر في المدرسة البطريركيَّة التي كان انشأها غبطة البطريرك الطيب الذكر غريغوريوس يوسف وباشر هناك في الوعظ للرجال وذلك في سنة ١٨٧٤ لكنهُ آثر الابتعاد عن وطنه وطلب ان يعود الى دير المخلص فاجاب السيد البطريرك الى ملتمسه ثم انتدبهُ رئيسهُ الى تعليم الفلسفة لاخوته الرهبان فعلمها سنة او اكثر وفي اثر ذلك رقَّاه السيد بخوث الى رتبة الكهنوت (١ فكانت هذه النعمة كمحرك جديد دفعهُ الى زيادة نشاط في حبه تعالى وخدمة القريب والى الاقتداء بذلك الحبر الجليل والمثل الحي الذي كان يعطر باريج قداسته دير المخلص

ذلك كان الرجل الذي اختارهُ الله ليكون على منارة كنيسته مدَّة نحو اربعين سنة سراجاً وهَّاجاً ينتضيء بنوره اهل اوطاننا. على انَّ فضائلهُ هذه لم تنزع عنهُ بعض النقائص التي لا يخلو منها حتى كبار القديسين فيدعها الله في اوليائه لتكون مادَّة لجهادهم وموضوعاً لاتضاعهم. ولم تخفَ هذه الشوائب عن نظر السيد جرمانوس فكان ساعياً في كل حين بمقاومتها وضبطها تحت حكم ارادته الصالحة

١) هكذا افادنا جناب اخي السيد جرمانوس وهو يوافق ما ورد في اصداء الشرق (٨ : ٢٣٢) ونظنهُ الصواب. وفي مجلَّة المرَّة (ص ٧٢٥) انهُ سيم في دمشق قسًّا على يد غبطة السيد غريغوريوس يوسف

٢ الكاهن والاسقف

عرف البطريرك غريغوريوس يوسف اي كتز متع الله طائفتهُ الكريمة بالكاهن الجديد فما لبث ان استدعاه من الدير وارسلهُ الى مصر لخدمة رعيَّتها فكان فيها قدوة الكهنوت لكنَّ كراهتهُ لضوضاء العالم وتورُّعهُ الزائد من استماع الاعترافات ومن التصرُّف في امور الرعيَّة حدا بغبطتهِ الى ان يتخذهُ ككاتب لاسرارهِ مدَّة فابدى من الخبرة وحسن التدبير والتفاني في خدمة الجميع ما حبَّبهُ الى روساء طائفتهِ حتى انَّ السيد البطريرك عيَّنهُ بعد قليل كنائبهِ في القدس الشريف

كان هذا المنصب الجديد يقتضي رجلًا محنَّكاً بالمعاملات غيوراً ذا نزاهة تامَّة وعزم شديد لحرج المقام ووجود الماكسين للكثلكة. غير انَّ المندوب اليهِ وضع اتكالهُ على الله وباشر بالعمل ولم يقصر نظرهُ على ابناء رعيَّتهِ في القدس الشريف بل اخذ يطوف في القرى التابعة لهُ واهتمَّ هناك بتعزيز طائفتهِ في وجه معاديها. فكان يجمع قطيعهُ الصغير ويعنى بتعليمهِ وتهذيبهِ وتأسيسهِ في كل الفضائل المسيحيَّة فكان ذلك داعياً لارتداد عدد وافر من الروم المنفصلين الى حجر الكنيسة في القدس ورملة ونابلس وبعض القرى فحدث ولا حرج بما اصابهُ من جرَّاء ذلك من المشاقّ والاتعاب لغضب روساء المنفصلين عليهِ. لكنهُ لم يكفَّ عن العمل بل بقي مدافعاً عن حريَّة المرتدّين وحقوقهم فكان هو الفائز في هذا النزاع بل اقرَّ الخصوم بفضلهِ واعتدال خطَّتهِ وجازاه السيد البطريرك غريغوريوس بترقيتهِ الى رتبة الارشمندريت

وقد خلف المرحوم مدَّة السبع السنوات التي قضاها في اورشليم ذكراً طيباً بما انشأهُ هناك من الابنية اخصها كنيسة القديسة فيرونيكا حيث يجعل التقليد التقاء السيد المسيح بهذه المرأة الصالحة وهو صاعد الى الجلجلة حاملًا صليبهُ على منكبيهِ فاشترى الاب اغناطيوس ذلك المكان واذ كان اتقن في تلك الاثناء اللغة الافرنسية سافر باذن الرؤساء الى فرنسة ليجمع صدقات المؤمنين ويبني هناك لاكرام هذا السرّ كنيسة جميلة فتكلَّلت مساعيه بالنجاح وان لم يتمّ البناء الَّا بعدهُ بمدَّة

ومما يذكرهُ لهُ بالشكر آباء مدرسة الصلاحيَّة انَّهم لما اتوا الى القدس لانشاء مدرسة اكليريكيَّة لطائفة الروم الكاثوليك وجدوا في الاب اغناطيوس معقَّد احسن

منشط فلم يضنّ بمساعدتهم المادية والادبيَّة طاقة استطاعتهِ فاضاف الطلبة في منزله مدَّةً وعلّمهم الطقوس وسمع اعترافاتهم ولم يزل بقيَّة حياتهِ من اصدق اعضاد هذا المشروع الخطير حتى لم يبرح عن ذكرهِ وشفاههِ قبل لفظ انفاسهِ الاخيرة

واذ فرغ وقتئذٍ كرسي بعلبك بوفاة السيد باسيليوس ناصر رأى غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف ان يكل الى نائبهِ في القدس تدبير تلك الابرشيَّة ورغماً عن تمنّعهِ الطويل سامهُ مطراناً عليها في ١٦ آذار سنة ١٨٨٦ وسُمي جرمانوس. فتولَّى المطران الجديد عملهُ بما عُرف به من الهمة العليا متذكّرًا قول الرسول بانَّ الاسقف قلدهُ الروح القدس وعاية كنيستهِ التي فداها الربُّ بدمهِ. فخدم ابرشيَّة بعلبك مدَّة ثماني سنوات بغيرةٍ لا تعرف الملل فكان قاصدًا ان يجعلها في مقدَّمات ابرشيَّات طائفتهِ فافرغ لذلك كنانة جهدهِ واخذ يهتمّ بتنظيم الاوقاف واعداد لوازم كنيسة جديدة بدلًا من القديمة التي كانت جدرانها تتداعى ولا تفي لضيقها بحاجات المؤمنين فنال بعض مرغوبهِ ولا شكَّ انهُ كان حقَّق كل امانيه بالفعل لولا ما اعترضهُ في سبيلهِ من العوائق بمساعي بعض ذوي الغايات ولم تزل معاكساتهم تتعقبهُ وتفتُّ في ساعدهِ حتى رأى انهُ لا يستطيع ان يقوم بمهمتهِ كما تقضي بها ذمَّتهُ فاستعفى لئلَّا يطالبهُ الله عن ضعفهِ في الدفاع عن حقوق الكنيسة. فقبل السيد البطريرك استعفاءهُ بعد مراجعة بقيَّة الاساقفة وسمَّاه اسقف اللاذقيَّة شرفاً وذلك سنة ١٨٩٤

٣ الواعظ والكاتب

لم يجد السيد جرمانوس في اعتزالهِ لتدبير ابرشيته سبباً لان يُخلد الى الراحة بل اراد على خلاف ذلك ان يخدم النفوس خدمة اوسع واسمى دون ان يرتبك البتة بالشؤون الزمنية. وكان اذا دُعي للاشتراك في صوالح طائفتهِ العموميَّة اجاب الى ذلك كما فعل في انتخاب السيدين البطريركين بطرس جريجري وكيرلس جحا وفي غير ذلك ملازماً كما في السابق خطَّتهُ من تقديم مجد الله واصلاح الكنيسة على كل الغايات البشريَّة لا يأخذه في عمله لومة لائم. لكنهُ في ما عدا تلك الظروف كان يؤثر خدمة القريب بطرائق اخرى اعني بلسانهِ وقلمهِ

كان السيد جرمانوس مزدانًا بكل صفات الخطيب المصقع سواء كان من

جهة سحنائهِ ووسامة هيئتهِ وشدّة صوتهِ او من جهة طلاقة لسانهِ وعارضتهِ وفصاحة لفظه وبلاغة معانيهِ. وكان اذا تكلم حقق كلمة الانجيل انّ لسانهُ يتدفّق من ملء قلبهِ فينصت اليهِ السامع بكل ارتياح ويتأثر من كلامهِ. وكان لا يردّ طلبة داعٍ من الاساقفة والكهنة اذا استدعوهُ الى رعاياهم للوعظ وللرياضات الروحيّة وقلّ ما وُجد في هذه السنين الاخيرة اسقف مثلهُ بلغ في ذلك مبلغهُ. وكانت الآثار الناتجة عن ارشاداتهِ وافرة حتى لا يكاد يبقى بعد سماعهِ من يتأخر عن مواظبة الاسرار المقدّسة

وكان اذا انتهى من المواعظ والرياضات أمسك قلمهُ ليواصل خدمتهُ للنفوس فكان القلم في يده كآلة قديرة على نشر التقى والعبادة والتعاليم الصالحة لتبلغ كتاباتهُ حيث لم يبلغ صوتهُ. وصار لتآليفهِ شهرة كبيرة اذ لم يدّخر وسعاً في اخراجها على صورة تلذّ وتفيد معاً. ومن امعن النظر في انشائهِ وجدهُ سهلاً منسجماً بعيداً من كل تعقيد وركاكة تظهر فيهِ مسحة من الطلاوة والمتانة المتزجتين بحسن السبك والاتساق

وكتابات السيد معقد على ثلاثة اقسام منها طقسيّة وتقويّة ومنها خطابية. ومنها ادبية ولكل قسم من المزايا ما يختصّ بهِ

وقد باشر بالكتب الطقسية لما رأى من حاجة ابناء طائفتهِ اليها فنقح اوّلاً كتاب الميناون اذ كان ناقصاً بطريركيًّا في القدس وسعى بطبعهِ سنة ١٨٨٣ ثم نشر في مطبعتنا بعد ذلك سنة ١٨٩٧ مختصرهُ للاعياد المتازة وكذلك صحّح عبارة كتاب السواعي وزاد عليهِ عدّة فوائد وكرّر طبعهُ غير مرّة. ولهُ في هذا المعنى كتاب رفيق العابد الجامع لكل الفرائض الروحية لذوي الطقس اليوناني وكتاب تفسير القدّاس وخدمة القصح الجليل ونشائد روحيّة. ومما يلحق بهذا الباب كتابهُ تحقيق الاماني لذوي الطقس اليوناني ابدى فيهِ رأيهُ في عدّة شؤون طقسيّة بيّن خللها ووجوب اصلاحها وعدم علاقتها بجوهر الطقس

وكتبهُ الخطابيّة ليست باقلّ شأناً من كتبهِ الطقسيّة والتقويّة طُبع منها الكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام وهي تشتمل على مواعظ مختلفة منها ادبيّة ومنها تعليميّة وبعضها اجتماعيّة وكلّها مكتوبة بلهجة حيّة وعبارة رائقة فكثر عليها الاقبال واستحبّها الادباء فضلاً عن اهل التقى

امّا كتبهُ الادبيَّة فاوفر واكثر تفنُّناً منها تاريخيَّة محضة كلورد وفتاتها ومنها تاريخيَّة في قالب خيالي كرحلة الفيلسوف الروماني المتضمنة لترجمة السيد المسيح على صورة لطيفة وكهنساء بيروت وهي رواية خياليَّة مدارها على حادثة واقعيَّة. ولهُ كتاب السلوة في جزءين ضمَّنهُ عدَّة روايات لطيفة ونوادر مستملحة وكتاب ذخيرة الاصفرين وهو مجموع من ائمة الكتبة الاقدمين والمحدثين ضبطهُ بالشكل الكامل

وللسيد جرمانوس فصول ادبيَّة متعدّدة ظهر قسم منها في مجلة المسرة التي دخلت آخرًا في سنتها الثالثة وكان هو ابن مجدتها والساعي في نشرها وتحسينها بعد ان جهَّز لها مطبعة تامَّة الادوات جعلها تحت نظرهِ على قمَّة لبنان في دير مرسليهِ البولسيين. بل كان يعدُّ لها في اوقات الفراغ فصولًا بديعة يودعها المغازي اللطيفة في صورة شريفة ولا تزال المجلة تبهج بها القرّاء بعد وفاة كاتبها النحرير

٤ الرسول

رأيت في ما سبق انَّ صاحب الترجمة كان يتلهَّب غيرةً في نشر التعاليم الخلاصيَّة بالوعظ والقلم كأنَّ لسان حالهِ يردّد قول بولس الرسول: الويل لي ان لم أُبشر. والحقّ يقال انَّهُ قام بهذه الرسالة احسن قيام. لكنَّ حميَّتهُ الاسقفيَّة لم تكتفِ بذلك فكان يسمع صوتاً في قلبهِ يحضُّهُ على انشاء فئة رسولية تنوب عنهُ في انحاء الوطن وتواصل عملهُ بعد وفاتهِ بين ابناء طائفتهِ. وكان يجد قدوة في ذلك بالرهبانيات الاوربيَّة المنتشرة في الشام ومصر والعراق كالآباء العازاريين والكبوشيين واليسوعيين الذين تراهم متحفزين لاعمال التبشير في اي زمن كان. بل وجد من سبقهُ الى مثل هذا الفكر في الملة المارونيَّة حيث ظهر قبل ٣٠ سنة الطيب الذكر السيد حنّا حبيب فانشأ جماعة المرسلين الكريمين الذين ادَّوا خدماً لا تُعدّ لاهل طائفتهم في انحاء سوريَّة فرأى السيد جرمانوس ان يتحف طائفة الروم الكاثوليكيَّة بجمعيَّة على شبهها يقتدون بتلامذة السيد المسيح فيتنقلون في المدن والقرى للتبشير بملكوت الله دون ان يثبطهم في ذلك عائق ما

ولم يشأ السيد جرمانوس ان تبقى هذه النيَّات الصالحة مدفونة في اعماق القلب بل جعل يسعى في اخراجها الى حيز العمل ويعرض الامر لكل من يمكنهُ ان يسعفهُ في انجازهِ. وكان اوَّل من اثنى على قصدهِ وحضَّهُ على الاسراع في مباشرتهِ قداسة

الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يوم مثل لديهِ في رومية سنة ١٨٩٦ واستمدَّ بركتهُ لهذا المشروع وكذا فعل المجمع المقدَّس على مثال نائب المسيح. ولم يكن البطريرك غريغوريوس اقلَّ تنشيطاً للعمل كما صادق عليهِ البطريرك بطرس جريجيري بطيب الخاطر

على انَّ رجل الله لم يرضَ بابتناء هذا البرج الانجيلي حتى يتأكد انَّ بناءهُ يكون متيناً فلذلك بقي يعدّ لهُ المواد الى سنة ١٩٠٣ وكانهُ تذكَّر انَّ القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة ارتبط بالنذور مع رفقتهِ على جبل مونمرتر في باريس يوم عيد انتقال العذراء فكذلك باشر السيد جرمانوس بانشاء جمعيَّتهِ الرسوليَّة في اليوم عينهِ حيث ابرز نذورهم بين يديهِ ثلاثة من ابناء طائفتهِ المتخرجين في مدرسة الصلاحيَّة واطلق عليهم اسم البولسيين ليكون القديس بولس شفيعهم الخاص ومثال غيرتهم المتقدة في خلاص القريب واعمال التبشير بالوعظ والكتابة. ولا حاجة ان نذكر هنا ما توارد عليهِ بنسبة هذه الحفلة من رسائل التهنئة والتشجيع من الكرسي الرسولي والمجمع المقدَّس ومن غبطة البطريرك كيرلس الثامن الكلي الطوبى وبقيَّة المطارين

وكنَّا نودّ ان نصف هنا ما اتت الجمعيَّة البولسيَّة من الاعمال المشكورة في هذا الوقت القليل الذي مرَّ على انشائها الَّا ان ضيق المجال يقضي علينا بالتنويه بهِ فقط مؤملين وجود فرصة اخرى للاتساع في ذلك

وما يُقال بالاجمال انَّ حبَّة الخردل اخذت تنمو وتمدّ اغصانها الروحية الى البعيد فانَّ المرسلين البولسيين قد تجوَّلوا في هذه المدَّة في معظم ابرشيَّات طائفتهم حتى حوران وما وراء الاردنّ فاقاموا في مدَّة اقلّ من عشر سنين ١٦٣ رسالة او رياضة وحيثما مرُّوا لم يسمع غير صوت الثناء العاطر على اعمالهم بارك الله مساعيهم

وكانَّ السيد جرمانوس اذ رأى جمعيَّتهُ قد تأصلت لم يبقَ لهُ مرغوب على الارض فكرَّر قول سمعان الشيخ: «أطلق يا رب عبدك بسلام لأنَّ عينيَّ قد ابصرتا خلاصك» فاراد الله ان يُسرع الى مجازاتهِ على كل ماصنع لمجدهِ عزَّ وجلَّ وخير القريب فنقلهُ الى نعيم ابرارهِ في ١٣ شباط المنصرم بعد ان مخَّصهُ بضعة ايام في بودقة الآلام المبرحة التي قاساها بالصبر الجميل وهو لم يَفُهْ بغير كلمة الشكر لهُ تعالى على كل آلائهِ ويَعدُّ كالرسول موتهُ كانحلال اغلالهِ من حبس الجسد حتى طارت نفسهُ الطاهرة الى الاخدار السرمديَّة اجزل الله ثوابهُ وطيَّب ثراهُ

مطبوعات شرقية جديدة

CHRISTUS : MANUEL D'HISTOIRE DES RELIGIONS par Joseph Huby. Paris, G. Beauchesne et Cie, 3e éd. 1912. p. 1030

دليل تاريخ الاديان

علم الاديان احد العلوم المستحدثة التي دخلت في دائرة المعارف البشرية في عهدنا وهو يعدّ كفرع من العلوم الاجتماعية فأُنشئت في القرن الماضي عدّة مكاتب للبحث عن الاديان البشرية واصولها وتفرُّعاتها العديدة ونتائجها في المجتمع الانساني بل في كل امة من الامم. وقد وُضعت لذلك المجلّات الخاصة وعُقدت المؤتمرات العمومية التي دُعي اليها رؤساء اديان العالم حتى الهند والصين ومجاهل افريقية وجزائر اوقيانة. فلا تكاد ترى اثرًا دينيًا الّا تتوفر فيه الكتابات لتعريف اصله وفصله. ومن المعلوم ان الملحدين ونكرة الوحي لا يرون في كل هذه الاديان الّا ظواهر طبيعية تدلّ على ما في الانسان من الميل الى استكشاف اسرار ما وراء الطبيعة امّا العقلاء فانهم لا يجدون في هذه الابحاث الّا وسيلةً لبيان الغث من السمين والدين الصادق من الاديان الكاذبة كما يُعرَف الضدّ بضدّه. ومن افضل ما جاء من التآليف المستحدثة ممّا يصلح ان يسترشد به الطلبة كتابٌ اجتمع في تأليفه نخبة من علماء الكاثوليك الاختصاصيين فصار له شهرة واسعة حتى بلغ بعد بضعة اسابيع طبعتهُ الثالثة وهي التي في ايدينا. والكتاب في خمسة عشر بابًا يبتدئ بنظر عام في تاريخ علم الاديان عمومًا ثم تليه دروس في اخص اديان العالم كاديان قبائل افريقية وجزائر اميركة واوستراليا واوقيانية ثم اديان الصين ويابان وايران والهند ثمّ ديانات اليونان والرومان والمصريين والبابليين حتى ينتهي الى الاسلام ثم اليهودية ويُختَم بالنصرانيّة والكتاب آية في حسن الطبع تنيف صفحاتهُ على الالف مع صغر حجمهِ وصفاقة ورقهِ. ومن يتصفح بابًا منهُ يأخذهُ العجب من سعة معارف صاحبهِ وكثرة مطالعاتهِ للتآليف العلميّة حتى لم يكد يفوتهُ شيءٌ منها مع حصافة الكاتب واعتداله في الاحكام المبنيّة على اصدق الاسانيد واثبتها. ثم تفنيدهِ للآراء الباطلة الشائعة في كتب اعداء الدين او الرواة غير الموثوق بهم. ثم يُختَم كل باب بتعريف اخصّ

المصنفات التي تفيد مراجعتها لبيان الدين الموصوف فيه. وفي آخر الكتاب فهرس عام يسهّل مراجعة المواد المذكورة فيه . فانّا نتمنى ان يقبل اهل بلادنا على هذا التأليف اقبالهم على انفع التآليف واصدقها علماً ا. كستاكيس

TEXTES ARABES DE TANGER. Transcription, traduction annotée, glossaire par W. Marçais. *Paris, Imprimerie Nationale. E. Leroux.* 1911, pp. XVII-501

منتخبات من لغة طنجة

بينا نرى مرّة اهتمام الغربيين المتشرقين بتعريف اللغات العاميّة الدارجة في انحاء الشرق لما يجدون في درسها من الفوائد سواء كان لوصف العادات الشائعة في كل بلد او لمعرفة خواصها اللغويّة الطارئة عليها من اصليّ ودخيل وفصيح ومعرّب ومستعار . وهذا كتاب جديد من شاكلة تلك التآليف وضعهُ احد علماء الفرنسويين الذي استوطن المغرب وعاشر اهل مراكش زمنا طويلاً حيث جمع عدّة روايات واخبار واوصاف فاثبتها كما سمعها من اهل تلك البلاد وألحقها بلفظها بالحرف الاوربي ونقلها الى الافرنسيّة وذيّلها بالملحوظات التاريخيّة واللغويّة وختمها بمعجم عربي افرنسي مطوّل مشحون بالافادات التاريخيّة واللسانيّة فكنّا نودّ لو ان المجتهدين من ادبائنا يصنعون للغة لبنان ولغات الشام ما صنعهُ المسيو « مرسه » للغة مراكش فلا نشكّ انّ محبي اللهجات العاميّة يستقبلون بالشكر تأليفهم ويثنون عليهم اطيب الثناء. ل. ش

Essai de Bibliographie pour servir à l'histoire de l'Empire Ottoman par MM. G. Auboyneau et A. Fevret. Fasc. I. RELIGION — MOEURS ET COUTUMES, *Paris, E. Leroux*, 1911, pp. 81

قائمة المطبوعات المفيدة لتاريخ الدولة التركية

كان المسيو أوبوانو احد كبار عمّال البنك العثماني . فعلاقاتهُ مع الدولة العليّة حدت به الى تدوين قائمة المطبوعات المتوطة بتاريخ تركيا وكان جمع لذلك مكتبة واسعة يشار اليها بالبنان وكان انتدب لمساعدته في اتمام هذا العمل احد المستخدمين في مكتبة باريس العموميّة المسيو فقره فلمّا توفي « اوبوانو » بقي المسيو فقره مأملاز

العمل وها عوذا اليوم قد نشر القسم الاوّل من هذه القائمة التي سوف تتبعها اقسام أخرى مثلها في موادّ مختلفة وهذا القسم الحاضر قد خُصّ بالتآليف الدينيّة وعادات الاتراك في مذهبهم يجمع فيه وصف ٧٠٦ كُتُب ممّا نُشر منذ اول اكتشاف فنّ الطباعة الى عهدنا في الشرق والغرب ولاسيما في اللغة التركيّة . فمن يسرّح نظرهُ في هذه المؤلفات يعدّها كمعرض عامّ لكل احوال تركيّة منذ اربعمائة سنة الى يومنا . ويا ليتهُ اثبت اسماء الكتب بحرفها الشرقي بالتركيّة والعربيّة والفارسيّة لكان افادنا بذلك افادةً عظيمة . وما وعدنا به انهُ يضيف الى كل قسمين فهرساً مرسماً تسهيلاً لطلب المواد ومنذ الآن ننتظر بقيّة اجزاء هذا التأليف الذي تعم فائدتهُ الشرق والغرب معاً ولولاهُ لبقيت كتب عديدة مدفونة في زوايا النسيان . ولا نشك انّ المسيو فتره يعرّف في الاقسام التالية مطبوعات سوريّة وخصوصاً منشورات مطبعتنا الكاثوليكيّة ومكتبنا الشرقي الاب ل . رتوفال

SCIENCE ET RELIGION (*Paris, Bloud et Cie* 1912) : I. E. A. DE POULPIQUET O. P. Le Dogme source d'Unité et de Saluteté dans l'Eglise (p. 112) = II. ABBÉ JEAN DELACROIX : Ascétique et Mystique (pp. 61) = III. W. SCHNEIDER : Preuves de l'Immortalité de l'Ame (pp. 69) adapté de l'Allemand par G. GAZAGNOL = IV : JUDAS DE COLOGNE : Récit de ma Conversion (pp. 64). Introduction et Notes par A. DE GOURLET

اربعة كتب دينيّة فلسفيّة تاريخيّة

لا يزال مجموع مطبوعات « بلود » في العلم والدين تتوسّع يوماً بعد يوم في كل ابواب المعارف النصرانيّة . وممّا اهدانا آخرًا اربعة تآليف : اوّلها لحضرة الاب الدومنيكاني بوليكه في علم الكلام اثبت فيه المؤلف انّ قوّة الدين الكاثوليكي بوحدة تعليمه واتّفاق اصحابه في العقائد فاو أُصيبت هذه الوحدة بتقسيم اصبحت الكنيسة كمجموع الشيع البروتستانيّة تتعاورها كلّ الاضاليل حتى لم يعد يتفق اثنان على تعليم واحد . وهذا لا يمنع الكاثوليك ان يتعمّقوا في الدروس الدينيّة ويبحثوا عن صحتها ويؤيدوها بالحجج الراهنة . ثم بيّن المؤلف انّ العقائد الكاثوليكيّة فضلاً عن وحدتها تؤدي بالمؤمنين الى اوج القداسة وممارسة اسمى الفضائل — والكتاب الثاني مداوهُ على تردُّد النفس مع الله في الطرائق الخاصّة التي ارتقى اليها

بعض كبار القديسين بالتجرُّد التامّ عن الحواسّ . ومؤلف هذا الكتاب يدّعي انَّ كل النفوس التائقة الى الكمال السامية في النموّ الروحي يدعوها الله الى تلك الطرائق اذا ما سارت بامانة في رضى خالقها واتمام كلّ وصاياه على خلاف رأي غيره من الكتبة الذين يرون انَّ تلك الطرائق مختصة بنخبة من الابرار — والكتاب الثالث لاحد اساقفة الالمان السيد شنيدر صنّفهُ لاثبات خلود النفس على اسلوب علمي وقريب معاً فنقلهُ احد الكهنة الفرنسويين الى لغته اعظم جدواهُ — امّا الكتاب الرابع فهو يحتوي ترجمة احد اليهود المتنصرين في القرن الثاني عشر للميلاد اسمهُ " يهوذا من كولونية " كان ارتدادهُ الى النصرانية على نوع عجيب فبعد عماده تسمّى بهرمان وترهب ثم كتب تفاصيل اخبار حياته باللاتينيّة فنقلها الى الفرنسويّة المسيو گوراه وذيّلها بالحواشي التاريخيّة والعلميّة مع مقدّمة طويلة صدّر بها ترجمتهُ ف . ت

DIE THOMAS- LEGENDE und die aeltesten historischen Beziehungen des indischen Altertumskunde von Jos. Dahlmann s. j. *Freiburg i. B., Herder*, 1912, (pp. 174)

القديس توما الرسول ومآثرهُ في الهند

انَّ صاحب هذا التأليف هو الاب دالمان احد علماء اليسوعيين الالمانيين الذي درس زمناً طويلاً اللغات الهنديّة في برلين ثم انقطع الى درس الصينيّة وهو اليوم في توكيو عاصمة اليابان يكتب ويخطب ويعلّم . وممّا ألّفهُ آخراً كتاب انتقادي روى فيه كل ما وجدهُ من الآثار عن رسالة القديس توما الرسول في جهات الهند والشرق الأقصى . وقد فحص خصوصاً قصّتهُ القديمة الراقية الى القرن الثالث للمسيح والمؤلفة في مدينة الرها بقلم احد تبعة ابن دَيصان . وخلاصة هذه القصة انَّ احد ملوك الهند المسمّى غندفار بلغهُ بواسطة احد ابناء رعاياهُ القادمين الى الرها ما كان عليه توما من الحذق في الهندسة فاستدعاه الى بلاده ليبني لهُ قصراً فلبّى القديس دعوتهُ وركب البحر في جهات عدن فوصل الى الهند ونصّر الملك واهل مملكته ثم انتقل الى بلاد أخرى للتبشير فاستشهد هناك . فتتبع الاب دالمان تفاصيل هذه القصة وبيّن موافقتها لكل ما يُعرف اليوم من تاريخ الهند في القرون الاولى للمسيح تؤيّدهُ الاكتشافات الاثريّة التي ظهرت بحفريّات اصحاب العاديّات . وكذلك ورد في النقود

المكتشفة حديثاً اسم الملك غندفار الذي كان يعدّهُ البعض كشبح لا صحّة لوجوده وكان ملكهُ على جهات الهند الشمالية الغربيّة. وعليه فيجوز القول بانّ النصرانيّة دخلت حقيقة الاصقاع الهنديّة منذ عهد الرسل وانّ البشارة الرسوليّة بعد ان رسخ قدمها في مملكة غندفار امتدّت من ثم الى جهات الجنوب وعلى الاخصّ في اعمال مليبار وسواحل كورمندل. وقد ساعد الرسولَ في نشرها الكلدان الذين كانوا يتاجرون هناك قادمين من انحاء فارس والعراق. واستنتج المؤلف من كل هذه الاشارات على صحة معظم رواية القديس توما ورسالته واستشهاده في الهند. والكتاب مفعم بالملحوظات الجغرافيّة والتاريخيّة والاثريّة التي استلفتت اليها انظار كلّ العلماء. فنشكر للاب دالمان همّتهُ في بيان حقيقة لم تزل حتى الآن محجوبةً بالظلمة الاب ب. جرون

Die Überlieferung der arabischen Übersetzung des Diatesserons v. Dr Sab. Euringer. Mit einer Textbeilage: die Beiruter Fragmente. herausg. u. übersetzt v. Dr Georg Graf. *Freiburg i. B.*, 1912. pp. 71

بقايا من ترجمة عربيّة للاناجيل المعروفة بالدياطسارون لطاطيانوس

وصفنا سابقاً في المجلة الاسيويّة الفرنسويّة (JA, 9e sér., X, 303) ثمّ في المشرق سنة ١٩٠١ (٤ : ١٠١) ثلثة اوراق خطّيّة من الترجمة العربيّة لدياطسارون طاطيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد في القرن الثاني للمسيح. والاوراق المذكورة في مكتبتنا الشرقيّة لها شأن كبير لا في آخرها من الافادات التاريخيّة عن زمن نسخها (سنة ١٣٣٢ م) ثم عن سلسلة نسخها السابقة. فكان لهذا الوصف وقع عظيم في ذهن العلماء الاوربيين وفي صيف العام الماضي قدم الدكتور الالماني الخوري جورج غراف فنزل ضيفاً كريماً في كليّتنا ودرس هذا الاثر درساً نعماً ثم اشترك مع احد رصفائهِ الدكتور اورنغر لتأليف كتاب خاصّ في وصف نسختنا البيروتيّة. وقد اهدياناً نسخة من عملهما الذي وجدناهُ مشحوناً بالفوائد منها تعريف اسماء النسّاخ والاعلام الشخصيّة والمكانيّة التي في آخر صفحة من اوراقنا. وهما يريان انّ ما هناك من المعلومات لا يكفي لتأييد شكّنا في صاحب هذه الترجمة العربية الذي ذُكر اسمهُ صريحاً في النسخة الواتيكانيّة اي « القس ابو الفرج عبدالله بن الطيب » المتوفّى سنة ١٠٤٣ مسيحيّة. وقد وجدنا في ادلّة الكاتبين ما يقنعنا بقولهما رغماً عمّا جاء في

مخطوطنا من ذكر « نسخة عتيقة جداً » بعد توالي ثلاث نسخ اخرى سبقت هذه النسخة « العتيقة جداً » الله اعلم . ثم أننا كنا اثبتنا ريباً في تعريب ابن الطيب للدياطساروون لسبب آخر وهو عدم ذكر هذه الترجمة في جدول اعماله . وهذا الريب الثاني لم يُكشف حتى الآن ل . ش

Noticia de los Manuscritos árabes del Sacro-Monte de Granada por MIGUEL ASIN PALACIOS, *Granada* 1921, p. 30,

تعريف المخطوطات العربية المصونة في مكتب غرناطة المسمى ساكرو مونتي

نسب بعض المتطرفين الى الكردينال كسيمنيس الامر بحرق كل الكتب العربية التي وُجدت بعد فوز النصارى بعرب الاندلس . والصحيح انَّ الكردينال لم يأمر الا بحرق الكتب الدينيَّة التي كان يخاف ان تكون سبباً للشغب والنزاع لما الكتب العلميَّة والتاريخيَّة والطبيَّة فلم يحرق منها شيئاً . والدليل على ذلك ما لا يزال حتى اليوم مصوناً من المخطوطات العربيَّة في عدَّة خزائن كتبيَّة . وممَّا وصفه اخيراً من تلك الآثار المستشرق الاسباني الخوري ميكال اسين بالاسيوس مخطوطات « سكرو مونتي » في غرناطة وعددها ٢١ كتاباً منها فلسفيَّة وطبيَّة ومنها رياضيَّة ولغويَّة بينها كتاب شرح الطوسي على المائة لبطليموس في احكام النجوم وكتاب الكليَّات لابن رشد وكتاب الكافي في الطب وكتاب مختصر العين للزبيدي لا بل يوجد بينها ايضاً كتب دينيَّة ككتاب قصص الانبياء وكتاب المقنع في الفقه وكتاب غريب القرآن . وفيه دليل على انَّ كتباً دينيَّة كثيرة لم تحرق بامر الكردنيال كسيمنيس . فنشكر فضل الدكتور بالاسيوس الذي احكم وصف هذه المخطوطات على طريقة علميَّة كألوف عادة كبار المستشرقين ل . ش

مبادئ الديانة

تأليف الاب يعقوب بلميس وتعريب الخوري بطرس تراد
طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩١٢ (ص ٩٨)

كُتيب لطيف ظريف صغير الحجم كبير المغزى صنَّفه لاحداث المدارس إمام فلاسفة الاسبان في القرن الخامس عشر الاب يعقوب بلميس الذي اقام لذكر

مولده يوبيلاً مئوياً سنة ١٩١٠ مواطنوهُ الاسبانيُّون . ومن ثم سُررنا بنشر بعض مآثره في لغتنا العربيَّة . وكأن ذلك الفيلسوف لم يكتفِ بتصنيف التآليف الفلسفيَّة السامية التي شرَّفت اسمهُ فاراد ان يتنازل الى عقل الاحداث بوضع هذا الكتاب الصغير الذي تعدَّدت طبعاتهُ باللغة الاسبانيَّة وبلغات أُخرى اوربيَّة فوطَّد الايمان في قلوب كثيرين من الشبَّان فأملنا انَّ هذه الترجمة العربيَّة تصنع كذلك في ناشئة بلادنا وعليهِ نتمنى لها نشراً ونشراً ل.ش

روايات البشير: « ماسوني العذراء »

رواية تاريخيَّة معرَّبة عن الافرنسيَّة بقلم الخوري يوسف الممشيتي

طُبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٢ (ص ٣٠٢)

من اراد ان يعرف دسائس الماسونيَّة في جذب النـاس الى شيعتهم وتقييدهم تحت حكمها وتصويرهم على صورتها وتكبيلهم باغلالها عليهِ بهذا الكتاب الذي يصف عملاً ما وصفناهُ بالنظر في كراريسنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون ». ولا شكَّ في اقبال القرَّاء على هذه الرواية التي لم تستعر من الروايات الخياليَّة غير هيئتها الخارجة وهي في الحقيقة رواية تاريخيَّة تمَّت بظروفها غير مرَّة مع اختلاف الاسماء والامكنة والازمنة . فنشكر حضرة المعرِّب ونحضُّ كلَّ ارباب المدارس على نشر هذه الرواية اللطيفة المسبوكة بقالب عربي جميل مع اتقان طبعها بحيث تصلح لان تكون من انفس الجوائز المدرسيَّة ل.ش

الجواد الادهم

طبعة ثانية . طُبع في المطبعة الاميركانيَّة سنة ١٩١٢ (ص ١٦٦)

اهدتنا المطبعة الاميركانيَّة هذا الكتاب الذي وُضع لتعليم الاحداث الشفقة على الحيوان وهو لعمري نعم التعليم لانَّ الاحداث اذا رفقوا بالحيوان زادوا ايضاً رفقاً بامثالهم . والكتاب مبني على قصة خياليَّة عن لسان جواد ادهم يخبر ما حدث لهُ في عمره من الاحداث مع الذين عُهدت اليهم قيادتهُ فيحسن الطاعة لمن يعاملونهُ بالرِّفق والتؤدة ويسيء الفعل نحو من يجهلون سياستهُ . وقد سبقت الى انشاء مثل هـذا الكتاب السيدة الكنتة دي سيغور فألفت على صورة لطيفـة « مذكرات الحمار »

لافادة الاحداث وتهذيبهم على لسان الحيوان. فنثني على واضع هـذا الكتاب ونتمنى ان يشفعهُ بكتاب اجزل فائدة يُعلم فيهِ الاحداث الشفقة نحو المحتاجين والفقراء وذوي البأساء ليس فقط حباً بالانسانيَّة ولكن حباً بالله الذي قال: «كل ما تصنعونهُ مع احد هؤلاء الصغار فبي تصنعونهُ» ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ شفاء التاج او حرس جلالتها. رواية تشخيصيَّة تأليف وليم اندي كانسفليس. طبعت في مطبعة مرآة الغرب في نيويورك سنة ١٩١٢ (ص ٣٨)

٢ البرهان السديد في كشف الاسرار عن وجود الامير سليم عبد المجيد. وهو احد اولاد السلطان مراد الخامس. ولد ونشأ في الديار السورية (على ما يروى) لاحمد المكاوي الدمشقي (ص ٣٢). بليو موجز تاريخ الثانيين بقلم رشيد دعبول البعبداوي (ص ٤٢). وكلاهما طُبع في مطبعة الشعب في لورنس ماس سنة ١٩١٢

٣ الحفلة الخيريَّة لاعانة منكوبي حادثة بيروت الاخيرة. نشرتها مجلَّة الزهور في مصر في مطبعة المعارف سنة ١٩١٢ (ص ١٨)

٤ امير الانسانيَّة انسانيَّة الامير. خطبة في الحادثة عينها طُبعت في المطبعة الشرقيَّة في الاسكندريَّة (ص ٨)

٥ الدمع الساجم في وفاة المرحوم نخله باصيلي سالم. طبع في المطبعة الجامعة في البترون سنة ١٩١٢ (ص ٢٠)

٦ ردّ الشبيبة على الشاتم (وهو ردٌّ على الشيخ البهائي) بقلم وطني حر. طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩١٢ (ص ١٦)

٧ ابن وائل. مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلَّلها شعر جاهلي بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي. وهي المأساة التي أُدرجت في المشرق (ص ٤٥)

٨ موليير مصر وما يقاسيه. رواية تمثيليَّة هزليَّة بقلم الشيخ يعقوب صنوع المشهور بابي نظارة طبع في بيروت المطبعة الادبيَّة سنة ١٩١٢ (ص ٤٠)

٩ التقرير السنوي الثاني لجمعيَّة تهذيب الفتاة السوريَّة في بيروت والشويفات. طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٩١٢ (ص ٧٧)

١٠ التقرير الثاني لجمعيَّة اغاثة المسلول في بيروت لسنة ١٩١١. طبع في مطبعة الحسناء (ص ١٧)

١١ حكومت عثمانيَّة طرفندن ايلك تأسيس اولنان مطبعة وبونك نشرياتي محرري و. مستاكيدس في الاستانة سنة ١٩١١ (ص ١٦)

١٢ ALOIS MUSIL: Neues aus Arabia Petræa بعض معلومات جديدة عن جهات العرب

١٣ ردّ على كتاب محمد طاهر التنير. بقلم حضرة الاب لويس دريان محرر جريدة الروضة

١٤ J. M. Est. Pereira : Homilia sobre o baptismo de N. S. Jesus Christo attribuida a S. João Chrysostomo مجمر حقي منسوب الى مار يوحنا فم الذهب في معمودية السيد المسيح

١٥ Idem : Homilia sobre as vodas de Cana de Galileia attribuida a S. João Chrysostomo مجمر حقي منسوب الى مار يوحنا فم الذهب في عرس قانا الجليل

شذرات

شطط الشيخ النبهاني — لما احتججنا في العام الماضي على كتابات بعض الصحافة البيروتية رفعنا ايضاً صوتنا لتقبيح ما سطره الشيخ يوسف النبهاني في حق الدين النصراني الشريف في كتابه « ديوان المدائح النبوية » فامرت الحكومة المحلية اجابةً لدعوة الرؤساء الروحيين بان تلغى من الكتاب الصفحات التي تمس كرامة الدين المسيحي . وقد قرأنا آخراً في جريدة اسلامية مصرية تدعى الوطنية في عددها ٤٧ الصادر في ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ ما حرفهُ : « انَّ كتاب النبهاني مع ما يحتويه من القصائد البذيئة في حق النصرانية يباع في مصر بكثرة حتى انَّ الجامع الازهر اصابهُ من هذه الاوساخ الف نسخة وزّعت على علمائه مجاناً » فساءنا هذا الامر كما ساء كل عاقل يسعى بتعزيز الوطن وجمع الكلمة . ويكفينا ان ننقل هنا بعض ما سطّرهُ في جريدة « الوطنية » المذكورة الشيخ المصري الاديب محمد القلقيلي ليرى قرّاؤنا تطرُّف النبهاني واستياء كل نفس حرّة شريفة من عمله الدنيء . قال في مقالة كلها درر عنوانها « العبث بالوطنية الى الحكومتين العثمانية والمصرية » :

« في بيروت شيخ مخرف نشأ في حجر الاستبداد وتمرَّغ في احضان كبار المستبدين فتبوَّأ مركزاً كبيراً في حكومة بيروت اذ كان رئيس محكمة الحقوق فيها وامنهُ على هذا المركز يومئذٍ قصائدهُ في مدح عبد الحميد وابي الهدى وعزّت الماجد والولاة الطغاة البغاة ولم ينسَ حظهُ من العامة الذين يتبعون كلَّ ناعق فكان ينظم لهم القصائد والاناشيد في مدح النبي صلعم ويلاً بما كتبهُ يجلبها على نغمة اغانيهم ويستعين في ترويجها بسلطة الولاة والمتصرفين والقائمقاميين الذين كانوا يحصلون منها من القرويين قبل ان يحصلوا منهم الاموال الاميرية

« هذا الشيخ المخرف هو يوسف النبهاني الذي نزعهُ الدستور من مركزه والقاهُ في هوّة

عيقة حيث لا يُشار اليه بالبنان ولا يذكره انسان فسدت في وجهه ابواب كان له في فتحها سعة من الرزق ورغد من العيش وخال فسيح ليعد الصيت وكبر الجاه فحار في امره واخذ يلتمس الاسباب التي تعيد اليه ولو بعض الشيء الذي فقده فلم يجد غير التكلف والاستجداء والعبث بالوطنية بالتفريق بين الملل والنحل اولاً وبسب وشتم اساطين الاصلاح ثانياً . . .

ثم ذكر الكاتب حيل النبهاني للارتزاق لدى عبد العزيز سلطان مراكش السابق » ولدى « عزت باشا العابد » ولدى « جناب الخديوي امير مصر » فنال منهم مالاً كثيراً الى ان قال :

« وكنا ننتظر من هذا الرجل . . . ان يحفظ عهده في علماء دينه ويراعي مبادئه الراقية في احتفاظه بشعور الملل والنحل في بلاده وعدم مسها بما يسوء . ولكنه كان على النقيض من ذلك فما كاد يصل الى بيروت حتى طفق يؤلف كتاباً في سب النصارى واليهود سباً فاحشاً وينعت قسيسيهم ورهبانهم وحاخاماتهم بافحش النعوت وينال من عرض المرحومين السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بما تستحي منه غلمان الازقة وصبيان الحارات وقد تم تأليف الكتاب وطبعه في بيروت . . . ومن وقاحة الرجل انه جعل الكتاب هدية لجناب الخديوي في مقابلة احسانه وكرمه على ان الامير لو علم باكثر فصول هذا الكتاب البذيئة لندم على وضع احسانه في غير موضعه . . . لانه حفظه الله يبغض المفرقين بين العناصر ويمقت نابشي القبور وآكلي لحوم الموتى خصوصاً ان كان الموتى من كبار علماء الدين وزعماء المصلحين . . .

« ومن مصائب العثمانيين ان يظهر هذا الكتاب لشيخ مسلم في وقت يجتهد فيه عقلاؤهم باصلاح ذات البين بين عناصرهم والتوفيق بين من يجمعهم وطن واحد تحت سماء واحدة بل في وقت اظهر فيه مطران بيروت جرابيدوس مسرة لمواطنيه المسلمين كل شهامة ومروءة ووطنية في منشوره الذي نشره يوم حادثة الاسطول الطلياني في بيروت . بل نعد هذا من مصائب المسلمين فقط لان هذا المخرف المنسوب اليهم قابل ذلك المنشور بهذا الكتاب البذيء فهل للحكومة العثمانية الدستورية ان تأخذ بخناق هذا الشيخ المفرق بين العناصر وتصادر كتابه وتجمعه وتحرقه وهل للحكومة المصرية ان تعنى بمصادرة هذا الكتاب عنايتها بالكتب التي صادرتها ولم تكن تلك في ضررها العمومي اكثر من ضرر هذا الكتاب »

ثم نقل جناب الشيخ القلقيلي ابياتاً تدل على سفاهة النبهاني في طعنه على النصارى وختم قوله بهذه الالفاظ العسجدية :

« فهل ترضى الحكومتان العثمانية والمصرية عن مثل هذا الكتاب القذر يوزع جهاراً في طول البلاد وعرضها ؟ نتحقق ان حكومة عبد الحميد لا ترضى بمثل هذه السفاهات فكيف ترضى به حكومتان راقيتان . فلعلنا بعد هذا التنبيه نسمع ان الحكومة العثمانية امرت بالغاء

القبض على الشيخ النبهاني واحالته على محكمة الجزاء ليلاقي جزاء التفريق بين المال والنحل ومصادرة كتابه وحرقه حتى لا تبقى سورية في جسم الشعب السوري فيحدث ما لا يحمده الدستور ويرتاح مصلحة البلاد. واملنا في الوقت عينه ترى الحكومة العربية شمرت عن ذراعها وتعقبت هذا الكتاب... لنحمد لها سهرها على الآداب العمومية ومحافظتها على احساس وعواطف اهل المال في بلادها من ان يمسها مثل هذه الفئات الساقطة.»

هذا ما كتبهُ احد ادباء المسلمين وان وجد القارئ في قوله حدّة فعليه بمراجعة قصائد الشيخ النبهاني التي تستحق ما هو اشدّ من ذلك وأقسى. وقد تحرّى مسلم آخر من المصريين الشيخ ابو المعالي السلامي تفنيد اقواله فضلاً فضلاً بتأليف ضخم دعاهُ « غاية الاماني في الردّ على النبهاني » وقام ايضاً غيرهما من الكتبة النصارى والمسلمين لتزييف شتائم الشيخ البيروتيّ في الجرائد والكراريس المفردة. هذا فضلاً عن احتجاج روساء كل الطوائف على كتابي النبهاني والتنير انار الله ابصارهما وبصائرهما. وقد بلغنا انّ الحكومة السنيّة مهتمّة بمجازاتها على فعلهما الذميم وانها ألقت القبض على الشيخ النبهاني في المدينة (يثرب) حيث كان فر هاربا.

التقويم الصيني لسنة ١٩١٢ يظهر هذا التقويم في مطبعة الآباء اليسوعيين في زيكاوي منذ عشر سنوات ويهتم بطبعهِ الآباء الفلكيّون الذين يتولّون اعمال المرصد الشهير الذي هناك. وهذا التقويم يحتوي عادةً معلومات عديدة عن الشرق الاقصى فيقبل عليه الوطنيّون وعلماء اوربا معاً. وقد وقفنا على التقويم الذي ظهر في هذه السنة فاذا هو مجموع في ٦٤١ صفحة مع ٣٤ رسما او خارطة. وفيه قسم علميّ عن كلّ احوال السنة وحركاتها الفلكيّة. وتقويم اهل الصين مبني على الشهر القمري مع زيادة شهر من وقت الى آخر للتوفيق بين السنة الشمسيّة والقمرية بموجب اصلاح فلكيّين يسوعيّين بشرا في الصين في القرن السابع عشر الاب شال (Ad. Schall) وفربست (Verbiest). وهذه السنة هي آخر مرّة يجرون فيها على حساب الصينيين السابق لأنهم قد عوّلوا منذ الآن على متابعة الحساب الغربيّ المعروف بالغريغوريّ. وقد وافقهم على ذلك القناصل الاوربيّون حتى القنصل المسكوبيّ نفسهُ. وفي هذا التقويم افادات علميّة عن الظواهر الجوّيّة والمغناطيسيّة والزلازل والجغرافية وعلم النبات. وهناك ايضاً نظرٌ عمومي في التقويم الكنسيّ واحوال الكثلكة في انحاء الصين يُستفاد منهُ انّ عدد النيابات والوكالات الرسوليّة مع

ابرشيَّة ماكاو كان يبلغ ٤٨ عدًا يتولَّى تدبيرها ٤٩ اسقفاً يساعدهم في اعمال الرسالات في كلّ انحاء الصين ٢١٧٦ كاهنا منهم ١٤٢٦ مرسلًا اوربيًا و٧٥٠ كاهناً وطنيًا امَّا عدد الكاثوليك فبلغ في آخر السنة المنصرمة ١,٣٦٣,٦٩٧ واذا اضفتَ اليهم نيفاً ومئة الف من المرتشدين الذين يستعدُّون لقبول المعموديَّة ناهز العدد مليوناً ونصف والامل معقود على ازديادهم اذا ما منحت الحريَّة الدينيَّة التامَّة في تلك الممالك الواسعة الذي يبلغ عدد اهلها قريباً من ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ اي ثلث سكان المعمور

❊ دليل الهند الكاثوليكي للسنة ١٩١٢ ❊ هذا دليل آخر يُطبع كلّ سنة في الهند وقد اثبت في عدده الاخير نظاراً عموميًا عن الرسالات الكاثوليكيَّة في انحاء الهند لسنة ١٩١١ فننقل عنهُ المعلومات الآتية. كان عدد الكاثوليك في الهند الانكليزيَّة سنة ١٨٩١ : ١,٦٢٥,٩٤٣ فبلغ سنة ١٩١١ : ٢,١٠٣,٦٣٦ بزيادة ٤٧٧,٦٩٣ في عشرين سنة . وكان عددهم في برمانية ٣٣,٣٠٠ فبلغ ٨٨,٤٤٧ وكانوا في جزيرة سيلان (سرنديب) ٢٣٣,٨٥٦ فاضحوا ٣٢٢,١٦٣. وكذلك زاد عدد الكهنة في الهند البريطانيَّة من ٢,٢٤١ الى ٢,٥٥٤ وفي برمانية من ٥٠ الى ١٠٥ وفي سيلان من ١١٣ الى ٢٢٩ امَّا الكنائس والمصلَّيات فكانت في الهند البريطانيَّة ٣,٦١١ وفي برمانية ١٠٧ وفي سيلان ٥١٤ فبلغت سنة ١٩١١ ٤,٩١٤ ثم ٤٧٨ ثم ٧١٢. ويستفاد من الدليل المذكور انَّ في الهند ست رسالات للكبوشيين كان عدد المؤمنين فيها سنة ١٩١٠ ٢٩,١٠٧ فاضحوا سنة ١٩١١ ٤,٨٣٨ بزيادة ١١,٦٣٠ ولليسوعيين خمس رسالات كان عدد مؤمنيها سنة ١٩٠١ ٤٨٠,١٩٤ فصار عددهم سنة ١٩١١ ٥٧٩,٨٨٣ بزيادة ٩٩,٢٣٩ ولرسالات باريس الاجنبيَّة اربع رسالات كان الكاثوليك فيها ٣٠٨,٤١٢ فصاروا اليوم بعد عشر سنوات ٣٢٨,٤١٦ بزيادة ٢٠,٠٠٤ وللرسالات البرتغاليَّة في الهند اربع رسالات ارتقى عددها من ٥٤٦,٩٦٤ الى ٥٠١ ٥٨٤ بزيادة ٢٧,٥٣٧ ويؤخذ من هذا الدليل ايضاً الجدول الآتي:

	الهند الانكليزية	برمانية	سيلان	المجموع
المرسلون الاوربيون	٩٥٨	٩١	١٦٧	١,٢١٦
الكهنة الوطنيون	١,٥٩٦	١٤	٦٠	١,٦٧٦
المتعبدون من الرجال	٦,٢٨٤	٥٧٥	١٨٨	٧,٧٤٧
« من الراهبات	٩,٧٩٩	٢٢٧	٨٢٠	٤,٩٤٦
المدارس	٢,١٥٣	١٤٠	٧٠٦	٣,٩٩٨
الطلبة في المدارس	١٨٦,١٦١	٢,٠٢٠	٥٩,٨٦٣	٢٤٩,٠٥٣
المتنصرون سنة ١٩١١	١١,٤٢٦	٨٨٥	١,٢٧١	١٤,٠٩٢

انتقاد انتقدت علينا مجلة البصائر في عددها الخامس ص ١٧٢ سهواً وقع في قراءة الكتابتين اللتين رسمناهما بالفوتغراف عن جامع دير القمر المبني في القرن التاسع للهجرة (في المشرق السنة ١٩٠٩ ص ٧٩٦) فطبع هناك « إقامة الصلوة وايتاء الذكوة » والصواب « إقام الصلوة وايتاء الزكوة » بحذف التاء من « إقام » وهي مصدر كاقامة ثم كتابة « الزكوة » بالزاي. فنشكر للرصيفة تنبيهنا الى هذا السهو. امّا قولها التالي: « والآية ذاتها منقوشة مكرّرة على الواجهة المذكورة وفيها نقصان الخ » فانّنا اشرنا الى هذا النقصان في المشرق حيث قلنا (ص ٧٩٧) « ان الكاتب اضرب عن الاربعة الالفاظ المذكورة آنفا ولعلّه صنع اختصاراً لضيق المكان » امّا صاحب البصائر فيظنّ انّ الامر « وقع سهواً او لعدم حفظ الكاتب للقرآن » والله اعلم

سيدة لبنان قد تكرّرت في هذا العام كما في العام السابق زيارة النصارى لسيدة لبنان فاقاموا الرياضات التقويّة عند ذلك التمثال المهيب الذي يعلو مشارف الجبل ويبسط على اهله حماية مريم العذراء. لكننا نؤمن من غيرة اللبنانيين فوق ذلك فنتمنى ان يحضروا في كل سنة يوماً يقصد فيه جماهيرهم ذلك المزار من كل انحاء الجبل فيشاركهم في تعبدهم نصارى الساحل من جهات صور وصيداء الى جهات طرابلس. لعمري لو رأينا مشهداً كهذا يجمع عند اقدام سيدة لبنان الالوف المؤلفة من المؤمنين المنتمين الى عبادتها لكان لهذا المنظر احسن موقع في الصدور ولأحيا في قلوب الجميع كل شواعر الايمان ولعل هذا الموسم العمومي يبطل كل ما يضعف قوى اللبنانيين من التحزبات ويزيل اسباب النفور ويربطهم باوثق عُرى

الوحدة والوفاق في ظلّ « ارزة لبنان » و « معونة النصارى ». وليس في تحقيق هذه الرغبة كبير امر اذا اتفق عليه رؤساء الدين الاجلاء فعيّنوا احدًا من آحاد السنة لاسيما في شهر أيار كموعد لهذا الموسم او يختاروا لذلك عيدًا من اعياد البتول كعيد انتقال العذراء الى السماء في منتصف آب او مولدها الشريف في ٨ ايلول. فتقام الذبيحة الالهيّة صباحاً قبل احتدام الحرّ ويُكرَّس لبنان لسيدته لتحفظهُ من كوارث الدهر وتصون في قلوب اهله وديعة الايمان

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد ما السبب لعدم وجود وزن فَعِلَ يَفْعُلُ في العربية
وزن فَعِلَ يَفْعُلُ

ج السبب هو بُعد مخرج الضمّة عن الكسرة. على انّ العرب ذكروا افعالاً قليلة من هذا الوزن. وقد وجدنا في شرح المفضّليات لابن الانباري في شرح بيت من عينيّة عبدة بن الطبيب

فَضَلَت عداوتُهم على احلامهم وأبت ضبابُ صدورهم لا تُترعُ

ما حرفهُ: « فَضِل بكسر الضاد يَفْضُلُ بضمّ الضاد وليس في الكلام على فَعِلَ يَفْعُلُ غيرهُ . . . قال ابو عمرو: قد جاء نَعِمَ يَنْعُمُ وحَضِرَ يَحْضُرُ بهذا في السالم. وفي المعتلّ دامَ يدومُ ومات يموتُ ». كذا قال والعجب انّ لا احد من النحويين ينصّ على ذلك. وقد ضبط في المفضّليات (ص ٣٠١ ed. Lyall) « مِتُّ » بكسر الميم كانّ اصل مات « مَيِتَ » كما في السريانية (ܡܳܝܶܬ ܠܳܐ)

س وسأل آخر من اين اخذوا قولهم « قارة » آسية واميركا وكيف تُضبَط أبالراء المشدّدة (قارّة) او المخفّفة (قارَة) ؟

القارة

ج هذه اللفظة بالمعنى الجاري اليوم اي لاحد اقسام الدنيا الخمسة المأهولة مستحدثة لم نجدها في كتب وصف البلدان. والبعض يشدّدونها من القَرَار اي الثبات وعندنا انّ الاصحّ « القارَة » بالتخفيف ومعناها بالعربية « ما صَلُبَ من الارض وارتفع » وكذلك شرحها مفسرو المفضّليات (ص ٣٠٠ ed. Lyall)

س سألنا ح. ح. احد تلامذتنا المسلمين في البلد أيجوز لمسلم ان يدخل الماسونية ؟

دخول المسلم في الماسونية

ج استفتينا بعض افاضل المسلمين فكان جوابهم سلبياً. ودونك ما كتبهُ في هذا الصدد صاحب المنار الاسلامي (ج ١٤ ص ٤٣٠):

لا يجوز للمسلم ان يدخل في جمعية يتحالف مع اهلها ويتعاهد على امر مخالف للشرع. ومنهُ ان يطيعهم فيما يأمرونهُ به بقرار الجمعية كائناً ما كان اي ولو مخالفاً للشرع كاعطاء الشيء الى غير اهلهِ وقتل من لا يجوز قتلهُ شرعاً كما هو شان بعض الجمعيات السياسية السرية ولا ينبغي لهُ ان يدخل في جمعيةٍ لا يعرف مقصدها لانهُ ربما كان مقصدها محرماً ولانهُ لا يليق بالعاقل ان يلتزم القيام بما يجهل حقيقتهُ وعاقبتهُ. فان دخل في جمعية على انهُ ليس فيها شيء مخالف للشرع ثابت ثم ظهر لهُ فيها ما يخالفهُ ولم يستطع ازالتهُ وجب عليهِ ان يتركها ويتبرأ منها

س وسأل مستفيد اصحيح ان المدراء بترونيلا كانت ابنة بالجسد للقديس بطرس الرسول ؟

بترونيلا ابنة القديس بطرس

ج كانت ابنتهُ الروحيَّة لانَّ بترونيلا المذكورة رومانية الاصل من أسرة فلاقيوس فتضرعا القديس بطرس مع غيرها من اهلها لمَّا دخل رومية وقد اكتشف السيو دي روسي سنة ١٨٧٤ الباسيليكا القديمة المشيَّدة لذكرها

س وسأل احد افاضل الكهنة من لبنان لو تنصَّر رجل وامرأته: ١: هل يحسن ان يعطيا سرَّي التوبة والقربان الاقدس على اثر التعميد. ٢: هل خطاياهما الماضية مادة كافية للحلة السرية. ٣: هل يلزم تجديد رضاهما ليصير عقد زواجهما سرًّا

المتنصر حديثاً

ج اذا تنصر الرجل البالغ سنَّ التمييز ينبغي أن يُحرَّض على التوبة عن جميع خطاياهُ ويقصد ألَّا يعود اليها ولا حاجة الى ان يعترف بها لانَّ العماد باب الاسرار. ثمَّ يُمنح سرَّ العماد الذي يمحو فضلاً عن الخطيَّة الاصليَّة الخطايا الفعليَّة بشرط الندامة عليها. وليس من مانع بعد ذلك ان يقتبل سرَّ القربان الاقدس لحصولهِ على البرارة الاصليَّة ولأنَّ الخطايا الفعليَّة قبل العماد ليست مادَّة لسرِّ التوبة. اما اذا كان المعتمد متزوجاً وكان زواجهُ قانونياً قبل العماد ويرضى الزوجان ان يعيشا معاً بالوفاق فلا حاجة الى تجديد الرضى واستئناف عقد الزواج لانَّ الزواج السابق ثابت الَّا اذا كان احد الزوجين مؤمناً فاقترنا اقتراناً غير شرعي فحينئذٍ يطلب استئناف الرضى ويتزوجان زواجاً قانونياً

ل. ش

المشرق

غاية الهناء

بفتح مملكة الهواء

مختصر محاضرة القاها حضرة الاب كلاوديوس بجاسون مدرس الطبيعيات في نادي كلية القديس يوسف تخللتها الانوار الكهربائية

اقام الله آدم يوم تكوينهِ ملكاً على الطبيعة فلم يشاء ابناؤهُ ان تكون تلك الرتبة اسماً بلا جسم ولذلك تراهم لا يدّخرون وسعاً في بسط سيطرتهم على كل ممالك الكون فمهّدوا الرحاب وذلّلوا الصعاب وقرّبوا الابعاد وعلوا اشهق الاطواد لولا ان الانسان كان يلقي النظر في القبة الزرقاء فيرى فيها الطيور تحلّق باجنحتها وتتلاعب بالفضاء كأنها تضحك منهُ في ارجاء السماء فلم يرض بهذا الازدراء والهوان فحاول ان يخضع لحكمهِ العقبان كما ترهب سطوتهُ التنانين

الوف من السنين مرّت على الانسان وهو يحرق الأرَم على طيور السماء كيف يجاريها في طيرانها فقام في توالي الاجيال لتحقيق امانيهِ رجال بأسٌ واقدام سعوا بعض السعي في ادراك هذه الغاية فكانت مساعيهم موضوعاً لإعجاب مَن عرفهم وربّما هوّنتهم في التهالك فعلّلت الاسف على فقدهم

اخفّ من الهواء

وبقي الامر في النظريّات حتى دخلت السنة ١٧٨٣ وفيها اتّخذ الأخوان منغلفيار (Mongolfier) نفاخةً كبيرة من الخام ملأاها بالهواء الحار واذ كانت اخفّ من جسم الهواء الذي تخلّلتهُ ارتفعت بهما الى الفضاء حتى اذا برد ذلك الهواء

في طبقات الجوّ العليا اخذت تتحدّر الى اسفل الى ان بلغت الحضيض . فكان هذا الامتحان مفتتح فنّ الطيران

وبعد ذلك بايام قليلة اتخذ الطبيعي شرل مع الاخوين روبرت بدلاً من الهواء المحمى غازاً كان اكتُشف حديثاً اي غاز الهيدروجين ساعدهم كثيراً في الصعود الى طبقات الجوّ . الّا انّ تلك النفاخات التي دُعيت « بالوناً » اي كُرين منفوخة كانت في الفضاء الموبةً للرياح فتصعد الى الاعالي وتثبت مدّة ثم تنزل على رحمة الرياح التي تتناوبها . وهي مع خللها قد ادّت بعض الخدم كمراقبة حركات العدوّ او الافلات من حصاره . فان انتصار الفرنسويين في فلورُس على النمسويين وخروج غمبيتا وقت حصار باريس قد تمّا بفضل تلك المركبات الهوائيّة وكذلك امكن العلماء ان يدرسوا بواسطتها الظاهر الجوّيّة من حرارة وثقل الهواء ونواميس الارياح

على انّ هذا الفوز الزهيد لم يرو غليل الانسان فاخذ يوجه بنظره الى ما هو اثبت واجدى نفعاً اعني ايجاد طريقة اكيدة لتدبير المراكب الهوائيّة وتسييرها في انحاء الجوّ لكنّ الامتحانات التي اجراها البعض للفوز بتلك الغاية لم تأتِ بنتيجة فصار الناس يعدّون الامر من جملة المشاريع غير الممكنة . وقد صوّر بعضهم في اواخر القرن الثامن عشر صورةً هزليّة دلالة على ذلك فمثّل مركبة هوائيّة وشدّها بذنب فرس وكتب تحتها : « هذه الطريقة المثلى لتوجيه حركة المناطيد »

لكنّ المزح لا يحيك في صدور العقلاء واذا صمّموا النيّة على امر لا ينثبط عزمهم عائق لاسيما ان كان عدّالهم ليسوا من اهل البصيرة بالعلوم . ومع ذلك بقي امر المناطيد مهملاً دون تقدّم نحو مئة سنة حتى الربع الاخير من القرن الماضي حيث عاد العلماء الى ابحاثهم في ركوب الهواء

وكان اوّل من بيّن على طريقة علميّة إمكان الطيران وتوجيه حركات المراكب الهوائيّة القبطان الفرنساوي شرل رينار (Ch. Renard) مدير المركز المختصّ بالامتحانات العسكريّة الهوائيّة في شاله مودون (Chalais Meudon) وذلك في سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥ فكان منطادهُ « لا فرانس » مجهّزاً برفّاس تحرّكهُ آلة كهربائيّة وبطاريّة مولّدة للقوّة فحلّق به في الجوّ سبع مرّات ووصل الى قرب بولوني (Boulogne) المجاورة لباريس فكان يطير مدفوعاً بقوّة المحرّك ثمّ يعود بعد

طيرانه الى جثمه بل دخل بحركته الخاصة خمس مرات تحت المسقف المدلّ له

على انّ سرعة هذا المركب الهوائي لم تتجاوز ستة امتار ونصف في الثانية. وهي سرعة قليلة بالنسبة الى الارياح الجوية التي تزيد سرعتها على ذلك في اكثر من ٣٠٠ يوم في كل سنة. فكان اذن عمل المناطيد منحصراً في نحو ٥٠ يوماً فقط في العام. فهذه النتيجة كما ترى لم تُخب آمال العلماء لكنّها كانت تحتاج الى تحسين وترقٍ لاسيما باكتشاف محرك يجمع بين القوة والخفة معاً

فبعد ٢٠ سنة اكتُشف المحرك المعروف بالانفجاري الذي اتخذه اصحاب الاوتوميل لتسيير عجلاتهم واجتهدوا في تحسينه حتى بلغوه غاية القوة والخفة. ففكّر ارباب المراكب الجوية في استعماله تخفيفاً لحركتها لكنّهم خافوا من الخطر العظيم اللاحق بالركّاب لسبب وضع هذا المحرك قريباً من غاز البالون السريع الالتهاب

غير انّ بين الناس رجالاً تضرم الاخطار صدورهم غيرةً وبأساً فقدم باريس شاب برازيلي الجنس يدعى سانطوس دومون من تلامذة الآباء اليسوعيين وركب منطاداً جهزه بساعيه كما شاء. وجعل فيه ذاك المحرك الانفجاري وارتفع الى الجو في وسط باريس ودار حول برج ايفل على مرأى كل الاهلين وعاد سالماً صحيحاً الى موقع مقامه فربح جائزة ١٠٠,٠٠٠ فرنك كان جعلها المسيو دوتش ديلامُرث (Deutch de la Meurthe) سباقاً لمن يقوم بهذا العمل. وقد عزا سانطوس دومون هذا النجاح الى عناية خاصة من الله والى شفاعة القديس مبارك الذي كانت الكُنتة إو (Comtesse d'Eu) ابنة الامبراطور دون بدرو البستُ ايقونتهُ العجائبيّة

فكان مثل ذاك الرجل المقدام كباعث جديد على استئناف الهمم في اقتحام اعالي الجو وتسيير المراكب الهوائيّة. حتى عُدّت السنة ١٩٠٧ كسنة فتح المملكة الجوية

وتركيب هذه المناطيد هو اليوم على ثلثة اشكال يُخيَّر بينها راكبوها سواء كانوا من ارباب الجيش او من افراد السائحين

فالشكل الاول يُعرف بالمنطاد المتوسط الصلابة (semi-rigide) اخترعهُ ليبودي (Lebaudy) وهو على شكل مستطيل طرفهُ الاغلظ الى الامام تخفيفاً لمقاومة الهواء له سطح صلب مركب من اساطين الفولاذ ينوط به البالون مع زورقه. وملحقاتهُ العمودية والافقية هي من الاسلاك المغطّاة بالمشمّعات تساعدها في

سيرها كزعانف السمكة وذنبها او كاجنحة الطائر وزمكاه وتمنع عنها الحركات غير المنظمة على جوانبها او في طرفيها

والشكل الثاني يُدعى بالمرن (le souple) على شبه المنطاد المسمّى « مدينة باريس » او « كليمان بيّار ». وهذا المنطاد لا سطح له كالسابق وانما زورقهُ طويل جدًّا وهو معلّق باسفل المنطاد بواسطة رُجاحة مثلّثة الزوايا متصلبة. وللجيش الفرنسوي عدّة مناطيد من هذين الشكلين

والشكل الثالث يُعرف بالصّلب (le rigide) اخترعهُ زبلين (Zeppelin) في المانية فشاع في بلادهِ. وقعر هذا المنطاد ذو هيكل كثير الزوايا يمتدُّ طولهُ من ١٢٨ الى ١٤٠ مترًا فيهِ مشبّكات الالومينيوم بينها ١٧ تجويفاً في كل جوف منها نفّاخة غاز. والجهاز كلهُ مغطّى بالنسيج المتين

ولكلّ هذه الاشكال محرّكات قويّة وخفيفة مما تحرّك رفّاساً او رفّاسات تبلغ سرعتها من ١٥ مترًا الى ١٨ في الثانية. ومن ثمَّ تستطيع ان تجاري الارياح الشديدة في اغلب الانواء.

فهذه المراكب الجويّة كما ترى قد فازت بالغاية المرغوبة وجعلت الفضاء تبعاً لحكمها ولكن بعد النفقات الطائلة والمشقّات المتواترة. وقد اصبحت هذه المناطيد شبيهة في كبرها بالبوارج البحريّة فانَّ المنطاد زبلين تبلغ سعتهُ ١٨,٠٠٠ متر مكعّب فيحتاج الى كميّات وافرة من الغاز ليستطيع الطيران مدّة في الهواء. امّا المناطيد الفرنسويّة كليبودي وكليمان بيّار فألطف جرماً لكنّها ايضاً عظيمة فانَّ سعة الاوّل ٥٠٠٠ متر مكعّب والثاني ٣٠٠٠ هذا الى خطر عظيم يتهدّد الركاب ابدًا وهو خطر التهاب الغاز الذي يعلو فوق رؤوسهم اذا طارت اليهِ شرارة المحرّك المتفجّر

اثقل من الهواء

المناطيد المذكورة آنفاً مبنيّة كلها على مبدأ الغازات الاخفّ من الهواء فانّها تتصاعد الى اعالي السحاب لخفّتها وبصعودها تنقل معها المناطيد المنفوخة بها

ولكن يا تُرى ألا يستطيع الانسان ان يجد طريقةً اخرى للطيران ؟ ألم ترشده الطبيعة الى رفع الاثقال الى الفضاء ؟ فما لهذه الطيور ترتفع الى طبقات الجوّ وتتناقل

في الخانه دون ان تُصاب باذى وهي مع ذلك اثقل من الهواء. ومن هذه الطيور ما يوازي الانسان بثقله او تفوقه كالكندر وبعض النسور والعقبان

فان قيل انَّ الانسان يجد في معارضة الهواء قوَّة لا يمكنهُ ان يغلبها أجبنا انَّ هذه المعارضة نفسها إن شاء اضحت له قوة دافعة يمكنهُ ان يستند اليها ليحلّق في الجوّ

ألا ترى كيف اصحاب الملاحة حوَّلوا قوَّة الريح المعارضة لهم في البحر الى قوَّة دافعة فمدُّوا الشرع على سفنهم وصارت الريح مساعدة لمخر عُباب المياه بعد ان كانت تعيقها في مسيرها

وكذلك الطيور اذا حلّقت في الجوّ نشرت اجنحتها وسندتها في طيرانها الى الريح الجويَّة فصارت الريح حاملةً لها كما يحملُ الماء السابح في سباحتهِ

ومنذ القرون الاولى فقه الانسان هذا الامر ونظر الى المجنحات بعين الحسد بل حاول مرارًا ان يقتفي آثار الطائر فلا يكاد يوجد شعب الَّا يذكر شيئاً من امتحانات بعض افرادهِ للطيران

على انَّ العلماء في هذه القرون الاخيرة كليونار دي فنسي ونيوتون وشرل رينار ارادوا ان يدققوا النظر في خواص قوَّة الريح الدفاعيَّة فوجدوا انَّها تختلف باختلاف تخلُّل الهواء واختلاف سرعتهِ واختلاف المساحة التي تعترضهُ فانَّ الهواء يختلف كثافةً في طبقات الجوّ الشتى وعلى حسب احوالهِ من يبوسة او رطوبة. من ثقل او خفَّة

ومثلها المساحة التي تواجه الريح فانَّها على قدر اتساعها تزيد في قوة الريح الدافعة. ألا ترى كيف النوتي اذا اراد زيادة سرعة المسير قاربهِ زاد ايضاً واجهة الشرع فاذا ضاعفها تضاعف ضغطُ الهواء عليها ودفع السفينة الى الامام

كذلك الهواء يزيد قوَّة بزيادة سرعتهِ وهذه القوَّة اذا تضاعفت اصبحت السرعة مربَّعة. فان كانت قوَّة الريح مثلًا تبلغ عشرة امتار في الثانيـة ثمَّ تضاعفت قوَّتها بلغت سرعتها ٤٠ مترًا

فترى انَّ الهواء اذا كان في بعض المواقع عائقاً للطيران الصناعي يصبح في مواقع أخرى مساعدًا عليهِ بقوَّتهِ الدافعة. وهذا ما بيَّنهُ احد الطائرين المسيو غرنرين (Garnerin) الذي اخترع مظلَّة لوقاية الساقطين من الجوّ (parachute) وهذه المظلَّة كقبعة كبيرة تمتدُّ من حولها عدَّة حبال يربط بها شبه زورق صغير فاذا أصيب

راكب المظلاد بخطر السقوط التجأ اليها ورمى بنفسهِ فيها الى الارض فتنفتح المظلّة في الهواء من تلقاء ذاتها ثم تهوي الى الارض مستندة الى ضغط الريح على باطنها. ويكون السقوط اوّلاً شديد السرعة لكنهُ يخفّ شيئاً فشيئاً ويبلغ الناجي فيها الى الحضيض دون خطر ولكن الويل لهُ ان تكسّرت المظلّة او لم تنفتح في وقتها فانّ الموت ينتظرهُ لا محالة بعد تحطُّم كلّ اعضائهِ

ولتحقيق الانسان امانيهِ في الطيران قد جعل نظرهُ في الطائر ودرس حركاتهِ فوجد طيرانه على ثلثة طرق. فمن الطيور ما يستعين باجنحتهِ كالمجذاف فيضرب بها الهواء كما يضرب الزوقي بمجذافه الماء فيتحرّك فلذلك سُمي هذا الطيران بالطيران الجذفي (vol ramé). ومنها ما يتمّ للطائر ببسط جناحيهِ المنتشرين فيبقى في الهواء ما شاء دون حراك وتارة يتقدّم او يتأخر او يرتفع او ينحدر او يحلّق على هواه كما ترى الطيور البحريّة التي تراقب السمك فوق وجه البحر وهذا الطيران دُعي بالطيران المنبسط (vol plané). ومنها اذا طارت نشرت اجنحتها كشُرُع المراكب (vol à la voile) وهذا النوع يعود الى الصنف السابق

فسعى الكثيرون اوّلاً بان يحذوا حذو الطيور في طيرانها الجذفي كما هو شائع في بعضها لا سيما الصغيرة الاجرام كالعصافير والسلوى والحجل ولا سيما البطّ البرّي الذي هو مثالٌ تامّ لهذا الطيران فانهُ يضرب الهواء من فوق الى تحت ثمّ من الامام الى الخلف بجناحيهِ اذ يضمهما بشدّة فالهواء ينضغط بذلك وينعكس فعلهُ على جسم الطائر فيرفعهُ من اسفل الى فوق ومن المؤخر الى الامام فيستطيع الطائر ان يثبت في الهواء ويندفع الى حيث يشاء

ولو افترضنا ان الطائر يبقى في الهواء دون حراك وان ريحاً شديدة مساوية لسرعة اجنحتهِ تدفعهُ من اسفل الى فوق ومن خلف الى قدام لكان المفعول واحداً لانك رأيت سابقاً انّ مقاومة الريح ومن ثمّ قوّتها الدافعة هي بنسبة مربّع سرعتها. فان كانت السرعة كافيةً غلبت قوّتها ثقل الطائر ورفعتهُ الى اعالي الجوّ. هذا اذا بقي الطائر ناشراً لجناحيهِ امّا اذا ضمّهما فخفّت قوّة الريح عن دفعهِ سقط لا محالة ما لم يضرب الريح ثانية بنشر جناحيهِ بعد رفعهما وطيّهما لتخفيف مقاومة الريح. وهكذا لا يزال الطير يرتفع في الجوّ باشواط مختلفة وثباً واندفاعاً. امّا رأسهُ

وذنبه فيساعدنه على موازنة حركاته وثباتها وتوجيهها الى جهات شتى

وقد جرّب ارباب المناطيد تجهيز آلات ترتفع في الجوّ على شبه هذه الطيور فتطير طيرانًا جذفيًا فوضعوا آلة دعوها المنطاد المجنّح كالطير (ornithoptère) وجعلوا فيها الاجنحة المرفرفة على اشكال متعددة منها على شبه المظلّات تنفتح في الهبوط وتقفل في الصعود وغيرها على اشبـاه الكوّى والمنافذ ذات صمامات او حواجز تنتشر افقيًا في الهبوط وتنـدّ في الصعود وكل ذلك تشبّهًا بحركات اجنحة الطيور وجرّب غيرهم الرفّاس المجنّح (hélicoptère) فيدير الهواء وينقله بتحريك جهازه الّا ان كل هذه الاختراعات لم تأت بفائدة تذكر فأُهملت بعد قليل

امّا شكل الطيران الثاني المعروف بالمتبسط فان العلماء رأوا فيه بعـد قليل الحلّ الصحيح لهذا المشكل . قلنا انهُ متوقف على بسط الطائر لاجنحته منتشرةً انتشارًا افقيًا واسعًا بحيث يثبت دون حراك زمنًا طويلًا في مكانه او يتقدّم الى الامام ويستدير حائمًا او ينحدر الى اسفل بكل هدوء كما ترى الطيور الغوّاصة تفعل فوق المياه . فانك اذا رقبتها رأيتها تلقي نفسها واثبةً بضرب اجنحتها حتى اذا بلغت سرعةً كافيةً اتمّت قطع طريقها بنشر اجنحتها دون رفرفتها وتبقى على ذلك الى ان تهدأ سرعتها فتعود ثانيةً الى ضرب الاجنحة لاستئناف السرعة الواجبة

فهذا الطيران اسهل من السابق لأنّ غاية ما يحتاج اليه الطائر لذلك وجه سطحي ثابت فهذا السطح هو جناحهُ المنتشر فوق الهواء امّا قوّتهُ الدافعة فانّما تقوم بضرب جناحه للهواء وبقيّة حركات ذلك الجناح اذ يعطفهُ ويمدّهُ الى الامام او يحرم به . ورأسهُ وذنبهُ كالدفّة لتوجيه حركاته

فالانسان يمكنهُ ان يجاري الطائر بتجهيز المسطّح الّا ان الصعوبة في اتخاذ دافع يدفع ذلك الجهاز ويضبط سرعتهُ وحركاته اذ ان الادوات الميكانيكيّة كلها صلبة لا تسهل معها تلك الحركات كاجنحة الطير . غير انّ للانسان قوّةً دافعة لم يحصل عليها الطائر وهي الحركة الدورية كحركة رفّاس يدور ابدًا من جهة واحدة . فالرفّاس لهُ ايضًا اجنحة ميكانيكيّة تضرب الهواء كجناح الطائر ولكن ضربًا مستديرًا

وعليه افرغ ارباب المناطيد كنانة جهدهم في وضع أدوات تجمع هذه الشروط الثلاثة حتى وضعوا الطيّارة الهوائيّة (aéroplane) . ولعمري ان الانسان منـذ

قديم الزمان كان يجد قريباً منهُ مثالاً يرشدهُ الى ذلك نزيد بهِ الطيَّارات التي يلعب بها الاحداث فيطيرونها في الجوّ. فهذه اللعبة لا بُدَّ لها من ريح ترفعها واذا اشتدَّت عليهـا الريح فحاولت ان تُخرجها عن مركزها ضبطها خيطُ الولد. والهواء الذي يدفعها من اسفل يرفعها الى فوق فان كانت الريح كافيـةً ارتفعت الطيَّارة وبقيت متوازنةً في الجوّ واذا زادت الريح قوَّة زاد ارتفاع الطيَّارة. واذا خفَّت انحدرت بها الى تحت واذا ضعفت الريح تماماً سقطت الطيَّارة على الحضيض

ويمكن الولد ان يطير طيَّارتهُ ولو كانت الريح خفيفة غير كافية وذلك بان يعدو بطيَّارتهِ واكضاً فسرعة عدوهِ تنوب عن سرعة الريح بضغط الهواء

فالطيَّارات التي يركبها اليوم اصحاب الطيران تُشبه طيَّارات الاولاد في خواصها الَّا انَّها مطلقة غير مقيَّدة فهذه كالمراكب المربوطة بمرساتها وتلك كالمراكب الماخرة لعُباب المياه

ثم انَّ الطيَّارات التي يُصعَد بها الاعالي تتركب من جهازين مختلفين كلاهما تحت حكم الرفَّاس الذي يدفعهما الى انحاء شتى. فاحد الجهازين يتألف من وجه سطحي ثابت منبسط مع بعض انحناء الى الافق يمكنهُ ان يقبل ضغط الريح فاذا زاد هذا الضغط — وفي الواقع يزيد مع زيادة حركة الدافع — اضحى ثقل الطيارة خفيفاً حتى يرتفع بها الهواء. وهذا الجرم المسطَّح اشبه شيء بجناحي الطائر وهو الذي يُثبت الطيَّارة في الجوّ بدلاً من الغـاز المستعمل في المناطيد. امَّا الجهاز الآخر فهو المحرِّك الذي لهُ فعلان: الاوَّل تنظيم حركات اجنحة الطيَّارة وموازنة اطرافها وهـذا الفعل خاصٌّ بالطيَّارات دون المناطيد. والثاني دفعُها الى جهات معلومة وهو عمل يشترك بين الطيَّارات والمناطيد

وان طلب منَّا طالب ان نفسِّر لهُ علميًّا حركة الطيَّارات والمبدأ الذي يستند اليهِ العلماء في تطييرها عرضنا لهُ الامر على هذه الصورة. هَبْ الوجه السطحي ب ب المنتقل بسرعة معلومة فالهواء يقاومهُ فيضغط عليهِ ويجري الامر كأنَّ ذلك السطح لا يتحرَّك وكأنَّ مجرًى من الهواء ذا سرعة مساوية لسرعة ذاك المسطَّح يضغطهُ ضغطاً ما. وهذا الضغط عموديٌّ على التقريب فندعو قوَّتهُ ن و. وهذه القوَّة العموديَّة يمكن تحليلها الى قوَّتين اخريين الواحدة عموديَّة و ق والثانية افقيَّة و ر فهذه القوَّة الافقيَّـة انَّما هي

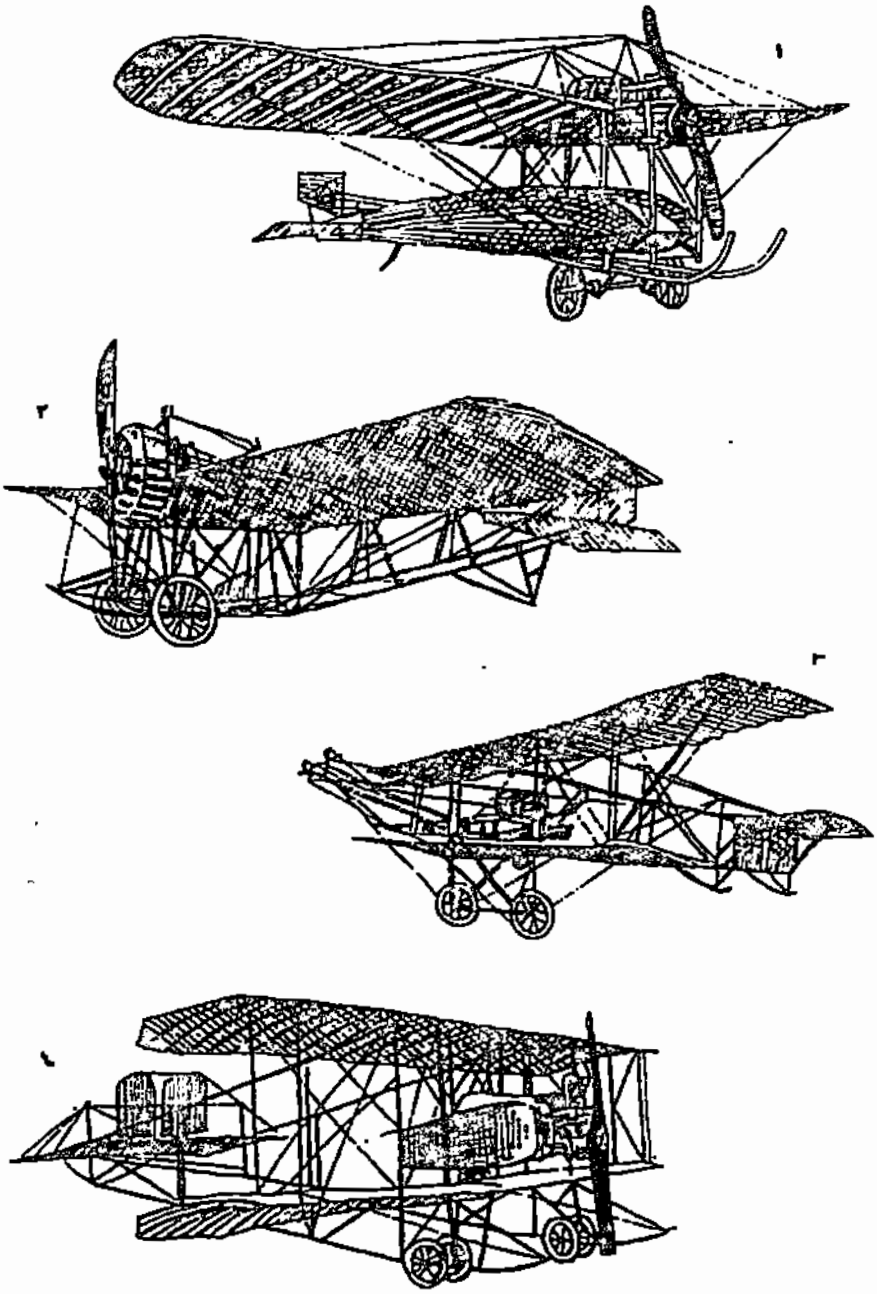

١ طيّارة ڤينه (Vinet) ذات السطح المفرد مع تخفيض مركز الثقل
٢ طيّارة تران (Train) بأسلاك معدنيّة
٣ طيّارة سومّر (Sommer) ذات السطح المضاعف
٤ طيّارة كودرون (Caudron) المضاعفة السطح

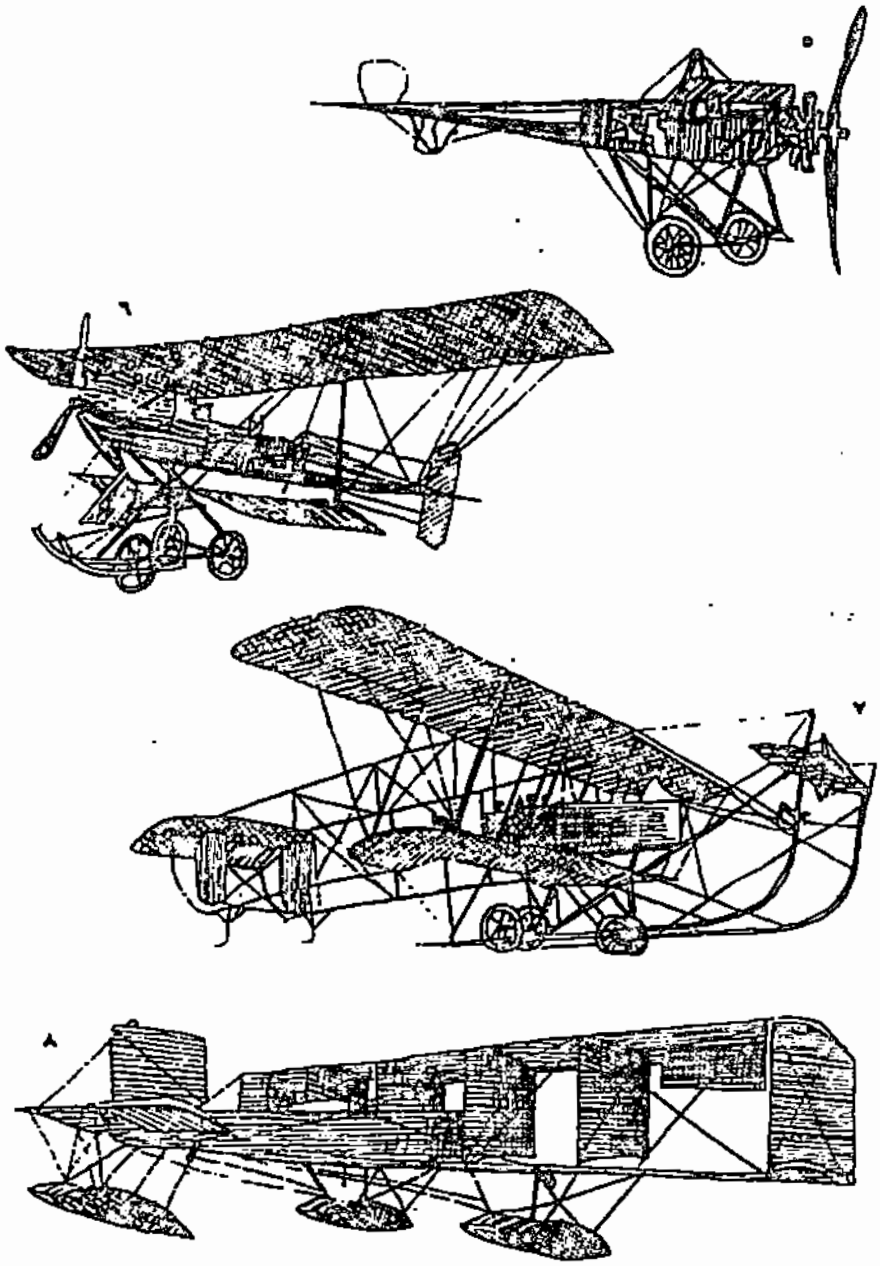

٥ طيّارة بليريو (Blériot) المنزليّة الشكل
٦ طيّارة برينه (Bréguet) المضاعفة السطح مع رفّاس مثلّث القاطع
٧ طيّارة فرمان (Farman)
٨ طيّارة مسطّحة تعوم على الماء وتقطها (hydroplane)

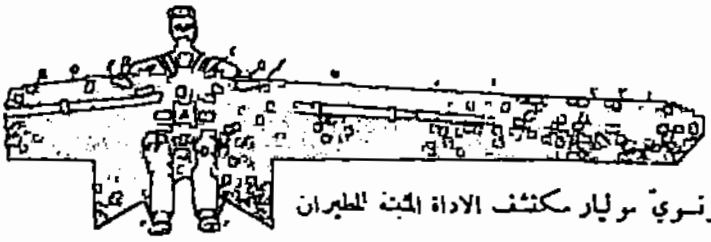

طيارة الفرنسوي موليار مكتشف الاداة المثبتة للطيران

Dans l'aéroplane de Maurice Bird [illegible] employe un moyen analogue au même résultat. [illegible] dont [illegible] gouvernement [illegible] produit.

[illegible]

صورة الرسالة التي كتبها موليار مشيراً فيها الى اكتشافه للمحفات الجوانح لتحسين توجيه الطيارة

شكل رياضي لبيان شروط الطيران

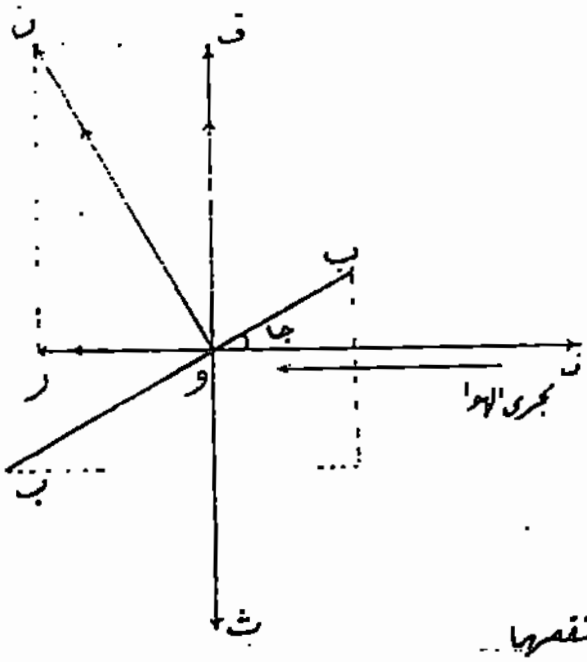

جا = زاوية الارتفاع

ب ب = الوجه السفلي

ث = الثقل = س = السرعة

ق = قوة التوازن في الهوا

ر = القوة المعاندة للسير

ف = قوة الرفاس

ن = ق × س × جا

ق = ق × س × جا

ف تساوي تقريباً ن

اذا ث = ق ثبت الطائر في مكانه

اذا ث > ق بقي في الجو او ارتفع

اذا ث < ق صعد الى العلو

فالصعود يتم بزيادة س او جا والهبوط بنقصهما

جدول سباق الطيران لمسافات

جدول السباق في الصلر

جدول السنوات في سنوات واحد

جدول السرعة

معارضة لسير الوجه المسطح (١ ولكن قد تعادلها قوة الرفاس الدافعة (ف) . اما القوة و ق فهي تخفف حركة ذلك المسطح لمعاكستها لجهة الثقل فاذا زدنا قوة و ق بحيث تعادل ث اي ثقل الطيارة حصلت الموازنة وثبتت الطيارة في الهواء واذا زدنا قوة الثقل ث ارتفعت الطيارة الى علٍ اما اذا ضعفت تلك القوة دون ث تحدرت الطيارة

وان قال قائل وهل يمكننا ان نزيد قوة و ق ؟ الجواب انَّ ذلك ممكن لانَّ القوة الضاغطة و ن مساوية لمعاكسة الهواء (ر) ولسطح الطيارة (ط) ولجذر السرعة (س) والجيب ا (جا) فتحصل المساواة : و ن = ر ط س جا . اما قوة و ق العمودية فمساوية تقريباً قوة و ن الضاغطة لانَّ قياس الجيب (جا) لا يتجاوز ابداً عشر درجات فسهمهُ ا (سها) ايضاً قريب من العدد ١ فتحصل المساواة ق = ر ط س جا سها (اطلب الشكل المرسوم)

فترى من هذه الاعمال الجبرية انك بقدر زيادة سرعة المحرك تزيد ايضاً قوة و ق فترجح على الثقل ث . وهذه السرعة منوطة بالمحرك ولذلك ينبغي ان يكون المحرك خفيفاً وقوياً ليقوى على دفع الطيارة بسرعة ٤٠ كيلومتراً في الساعة فيمكنها ان تحلق في الهواء

والطيارات التي تُجهَّز اليوم كلها ترتفع عن الحضيض بقوة دافعة تبلغ تقريباً ٤٠ كيلومتراً . وعلى عكس ذلك ينبغي تخفيض هذه القوة عند هبوط الطيارة فتصبح قوة و ق دون الثقل ث فتكون الزاوية ١ أفرج في التصاعد منها في الهبوط

فهذا العمل الجبري يبين جلياً كيف انَّ وسائل الطيران ممكنة بل اضحت في زماننا قريبة المنال حتى توفر عدد ركاب الهواء بعد ان كان منحصراً في بعض الافراد

تاريخ علم الطيران

ليس كلامنا هنا على الذين سعوا بحل هذا المشكل علمياً ولعلَّ العلامة ليونار دي ڤنسي (Léonard de Vinci) كان اوَّل من ادرك ذلك واشار اليه في كتاباته وذلك في القرن الخامس عشر

١) هذه المعاكسة التي دللنا عليها بحرف ر تختلف باختلاف شكل السطح وكثافة الهواء والرياضيون الاروبيون اتسعوا في الكلام عنها وسمّوها K

واوضح من كلامهِ مـا نشرهُ سنة ١٨٠٩ احد علماء الانكليز جرج كيلي (G. Cayley) في مجلة نيكلسون حيث شرح شرحاً مدقَّقاً كل الشروط الواجبة للطيران . وفي سنة ١٨٤٢ اصطنع وطنيهُ هنسون (Henson) طيَّارة مفردة الاجنحة لكنهُ لم يمكنهُ الطيران لعدم وجود محرّك لطيَّارتهِ

ولم يخرج فنّ الطيران الى حيز العمـل الصحيح الّا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . فالاميركي لانكلي (Langley) نحو السنة ١٨٨٦ جهز طيَّارة جعل لها سطحين متواليين فاقطعها ١٢٠٠ متر فوق نهر پوتوماك . لكنهُ هو لم يركبها . وكان رفّاس هذه الطيَّارة يدفعهُ محرّك بخاري قوَّتهُ حصان واحد

ثمَّ سعى بعد ذلك السيد الانكليزي « حيرام مكسيم » مخترع المدافع المنسوبة اليهِ بتجهيز آلة للطيران لكنَّ ثقلها البالغ ٢٦٠٠ كيلو حال دون ارتفاعها في الجوّ وكان ذلك بين السنتين ١٨٨٩ و ١٨٩١

واوَّل من اصطنع طيَّارة ركبها في الهواء بشر انَّما هو احد ارباب الكهرباء العلّامة الفرنسوي كليمان ادير (Cl. Ader) وكانت هذه الطيَّارة على شبه خفَّاش طارت بهِ على مسافة خمسين متراً سنة ١٨٩٠ وكان اصطنع لها محرّكاً خفيفاً قوَّتهُ ٥٠ حصاناً بخاريًا يحرّك رفَّاسَيْن لكلّ رفاس ٤ اجنحة . ثمَّ حسَّن اختراعهُ فاصطنع طيَّارة اخرى قطعت بهِ في ١٤ ت ١ سنة ١٨٩٧ مسافة ٣٠٠ متر لكنَّ الطيَّارة سقطت فتكسرت . وكان وزير الحربيَّة اذ ذاك فريسينه وكان ينشطهُ على مواصلة ابحاثهِ ليستطيع ان يحصن بها الوطن في وجه العدوّ . لكن خلفهُ الجنرال بيليو قطع عنهُ المساعدات الماليَّة لتتمَّة ابحاثهِ

وكان في اثناء ذلك الالماني ليليانتال (Lilienthal) يمتحن الامتحانات المتوالية من السنة ١٨٩١ الى ١٨٩٦ فكان يثب في وجه الريح وهو حامل على عاتقهِ طيَّارتهُ فاذا بلغت سرعةُ ركضهِ عشرة امتار في الثانية طار بها في الهواء وسيَّرهـا بحركات سافيَة فامكنهُ ان يقطع الى ٢٥٠ متراً . لكنهُ سقط في بعض امتحاناتهِ فذهب شهيـد فنّ الطيران

واشتهر وقتئذٍ الفرنساويَّان لويس موليار (L. P. Mouillard) وتلميذهُ شانوت (Chanute) فموليار تعمَّق في درس فنّ الطيران وجعل دأبهُ الشخوص الى

الطيور ومراقبة ادقّ حركاتها مع كل احوال الريح لا سيما الشحارير فلحظ انّها تقوى على معاكسة الريح حتى وقت هربها بسرعة ١٥ مترًا في الثانية فرأى انّ الشحرور اذا عدلت بهِ الريح عن طريقهِ ثنى طرف آخر اجنحتهِ فسندها الى الريح وعاد الى طريقهِ المثلى وان زاد طيّها امكنهُ ان يقف في سيرها بغتةً لئلّا يصدم في عثرةٍ وان شاء دار على نفسهِ. فكلّ ذلك درسهُ موليار وكتب فيهِ مدقّقاً

وعنهُ اخذ الاخوان الاميركيان ريت (Wright) واسم احدهما ويلبر والآخر اورفيل فاصطنعا سنة ١٩٠٠ طيّارةً استفادا فيها من معلومات موليار وجعلاها مضاعفتي الاجنحة (biplan) وتوغّلا في بعض مقاطعات الولايات المتحدة ولم يزالا يكرّرا الامتحانات سرًّا حتى صارت طيّارتهما طوع امرهما وانتشر خبرهما في كل الجهات بل قدما فرنسة بعد ذلك وطارا غير مرّة بازاء اهل باريس وكانا ليس فقط يضنّان بسرّهما بل حاولا ايضاً ان يمنعا شرعاً غيرهما عن مجاراتهما مدّعيَين بانّ لهما حقوق الاختراع وليس لغيرهما ان يجاريهما في الطيران فكان هذا العمل داعياً لأن ينهض ذوو الهمّة في فرنسة ويجهزوا الطيّارات كما شاؤوا وغلبوا الاخوين في تحسين ادواتهم ولاسيما بعد ان قام المسيو كوانيه (H. Couannier) فنشر كتابات موليار بعد وفاتهِ فاثبت انّ الاخوين رَيت اختلسا اسرارهما من المذكور

وما يقال اجمالًا انّ فنّ الطيران دخل منذ السنة ١٩٠٨ في طور جديد وكان لفرنسة السَّهم الافوز في هذا الامر بعد اختبارات الاخوين ريت والبرازيلي سنطوس دومون الذي اشتهر في فنّ الطيران كما اشتهر في تجهيز المناطيد وقطع في باريس على طيّارتهِ الموسومة بالعدد ١٤ مائتين وعشرين مترًا في الدقيقة وكانت قوّة محركهِ المسمّى انطوانت خمسين حصاناً بخاريًّا

فعقبهُ الطيّار غبريال ڤوازان (G. Voisin) وحسّن ادواتهِ وكرّر الامتحانات في ايسي (Issy) قرية مجاورة لباريس في السنتين ١٩٠٧ و ١٩٠٨ وربح عدّة جوائز كان ذوو الثروة عيّنوها لاهل السباق لاشواط معلومة حتى امكنهُ في اواسط كانون الثاني من السنة ١٩٠٨ ان يقطع ١٢٠٠ متر في دقيقة واحدة و٢٩ ثانية

وفي تلك السنة اشتهر ديلاغرنج (Delgrange) الذي بعد النجاح المتوالي ذهب ضحيّة الطيران. ثم فارمان (H. Farman) الذي كان اوّل من باشر رحلة

هوائيَّة فسافر من باريس الى ريمس قاطعاً ٧٢ كيلومترًا في الساعة . ومن مخترعاته آلة لطيفة لتخفيف هبوط الطيَّارات على الحضيض .

وكان كلّ هؤلاء قد اتخذوا الطيَّارات المضاعفة الاجنحة ففي السنة ١٩٠٨ دخل في ذلك الميدان الجوّي لويس بليريو (L. Blériot) فركب الطيَّارة المفردة السطح (monoplan) على جانبيها جناحان صغيران كان يحرّكهما كما يشاء طيًّا ونشرًا . فأتى بالعجائب والغرائب حتى لم يبق احد مرتاباً في اكتشاف فنّ الطيران نهائيًا .

ولو اردنا ان نتتبَّع بعد ذلك ما جرى من السباقات المختلفة والرحل الشتى في فرنسا وفي المانية وفي انكلترة وفي اميركة لطال بنا الكلام وافضى الامر الى كتابة عدَّة مجلدات . فمن اراد الاطلاع على التقدُّم العظيم الذي نالهُ الطيران في هذه السنين من حيث السرعة وبُعد المسافات والارتفاع في اعالي الجوّ فعليهِ بالاشكال التي الحقناها بهذه المقالات فانَّها تبيّن الامر باجلى طريقة وتغنينا عن الاطالة والتفاصيل العديدة لا سيما انَّ المشرق في كل سنة من سنيهِ الاخيرة ذكر ذلك (راجع السنة ١٠ (١٩٠٧) ص ٧٥٦ والسنة ١١ (١٩٠٨) ص ٢٤٦ والسنة ١٣ (١٩١٠) ص ٢١٢ والسنة ١٤ (١٩١١) ص ١٦٣

فنختم بوصف ما تمتاز بهِ الطيَّارات التي تتهادى اليوم في الفضاء وتقطع البلاد بلا عائق يحول دون رغائبها وغمًّا عمَّا اصاب بعض راكبيها من الاذى فاتوا في سبيل العلم ليفتحوا لبني جلدتهم مملكة الهواء واستحقُّوا شكر اوطانهم فيبقى ذكرهم مسطَّرًا على صفحات التاريخ الى آخر الدهر

اعلم انَّ كل طيَّارة يركبها ارباب الطيران تتركَّب من اربع ادوات اصليَّة : ١ً الآلة الداعمة او الجهاز السطحيّ المرتفع في الهواء (sustentateur) . ٢ً الوفَّاس المدار بآلة محرّكة . ٣ً الدفَّة او السكَّان لتوجيه الطيَّارة . ٤ً الجهاز المكيِّن لحركات الطيَّارة

١ (دعامة المركبة الهوائيَّة) هي الجهاز الذي يقوم لها مقام اجنحة الطائر للطيران وهي عبارة عن مسطَّحات واسعة ممكَّنة باساطين من الفولاذ المرتبطة باسلاك من المعدن عينهِ على شبه المنزل . ولا بُدَّ من اطالة هذه المسطحات حتى يبلغ

طولها الى ١٠ امتار او ١٢ م ويمكن كلّ متر مربّع ان يحمل من عشرة كيلوغرامات الى ١٥ بحيث يبلغ ثقل الطيّارة مع ادواتها من ٣٠٠ الى ٦٠٠ كيلو. وهذه المسطّحات على شكلين منها موحّدة السطح ومنها مثنّاتهُ فالأولى اجمل صورة واشبه بالطائر وهي اخفّ. امّا الثانية فاثبت وهي تسمح بتقصير الاجنحة. ولكلا الشكلين انصار يفضّلون الواحد على الآخر

٢ (الرفّاس والمحرّك) الرفّاس يكون من الفولاذ او من الخشب والخشب اليوم يفضّل لانّهُ لا ينكسر كالفولاذ. والرفّاس في المركبة الهوائيّة كالقلب في الجسم لانّهُ بحركتهِ يُصعد الطيّارة الى الاعالي ويثبتها في الهواء ويوجّه سيرها. ودورانهُ لا يقلّ عن الف دورة في الدقيقة. وهذا الدوران منوط بالمحرّك. والمحرّك هو من جنس المحرّكات المعروفة بالمتفجرة الماشية على روح الغازات اشتهر منها اشكال مختلفة بينها محرّك غنوم (Gnôme) الاسطواني البالغة قوّتهُ ٥٠ حصاناً بخاريًا مع انّ ثقلهُ لا يتجاوز عشرين كيلو. ويجوز وضع الرفّاس أمام المحرّك او وراءهُ.

٤ (الدفّة) هي آلة التوجيه كالسكّان في المراكب البحريّة. وهي عبارة عن اطار من القماش يوضع افقيًا ويدور حول قطب افقي سواء كان في مقدّمة الطيّارة او في مؤخّرها فاذا نُصب هذا الاطار قليلًا او كثيرًا زاد عليهِ ضغط الريح قليلًا او كثيرًا فتنحدر الطيّارة اذا خُفض واذا نُصب انفرجت الزاوية وارتفعت الطيّارة بزيادة ضغط الريح. وهذا الجهاز لا بُدَّ من حسن ادارتهِ والّا اضحى خطرًا على الركّاب وربّما قُتل بعضهم لعدم مراعاة حركاتهِ

٥ (الاداة المكيّنة لحركات الطيّارة) هذه الاداة غايتها حفظ التوازن بين جهات الطيّارة اعني بها راسها وذنبها ثم بين جانبيها كالطائر الذي يستعين برأسهِ وذنبهِ واطراف اجنحتهِ لئلّا تعبث بهِ الريح ويبلغ غايتهُ المبتغاة. فكذلك جعلوا للطيّارات ذنبًا يستطيع راكبها ان يحرّكهُ كما يشاء ليبقى مركز الثقل في نقطة واحدة فلا تنقلب الطيّارة رأسًا لذنب. امّا الحركة على الجانبين فيتداركها ركّاب الطيّارات بتنظيم اجنحة الطيّارات وتدويرها على مقتضى رغبتهم. وقد رأيت انّهم زادوا على طرفي الاجنحة ملحقًا جنحًا او جُنيحًا (aileron) يلين حركات الطير ويسهلها وهذه الملحقات الجناحية تُنظَّم بالاجنحة الكبرى بحيث يُصبح سير الطيّارات ثابتًا

منظماً سهل القياد. والفضل في ذلك كما رأيت خصوصاً لمولياد الفرنسوي

فسبحان الله الذي ذلّل في وجه الانسان تلك المصاعب التي كان أيس من غلبتها فوجب عليه الشكر الجسيم لخالقه صارخاً مع النبي داود: « ما اعظم اسمك يا ربّ في كل الارض... ما الانسان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده... سلّطته على اعمال يديك واخضعت كلّ شيء تحت قدميه... طير السماء وسمك البحر السائر في سبل البحار »

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

للخوري بطرس الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

علم الوقايع والحوادث التي جرت بالجبل والساحل

قد قررنا باطن كتابنا هذا عن احوال عكا وتولي احمد باشا الجزّار على صيدا وجعل مقرّ حكمه في عكا ورفع يد بيت شهاب عن حكم بيروت. وكان بوقته حاكماً بالجبل الامير يوسف الشهابي ابن ملحم الذي كان بعد وفاة ابيه متسلطاً على بيروت ولكن إقامتهُ دايماً بدير القمر. وبعد اقامته حاكماً بزمان قليل حكم الجزار واستوثق على بيروت. وكان وزيراً ظالماً قاسياً واصلهُ من بلاد الترك جاء لمصر وخدم عند علي بيك وعمله كاشف. وحين قُتل علي بيك في محاربته شراقه محمد بيك ابو الذهب وتسلط بعده المذكور على مصر فهرب الجزار الى سواحل برّ الشام والشام ثم راح لاسلامبول وصادفهُ توفيق ولرساوه (رجال الدولة) وزيراً لصيدا وبقي حاكماً سنين كثيرة وانشأ مظالم لا وصف لها

واما الامير يوسف فكان حاكماً صارماً مهاباً بالجبل ولهُ مواقع كثيرة وكان الجزار يحبهُ نظراً لشجاعته وبطشه في بلاد المتاولي في اراضي صيدا وبلاد جبيل الذين

كانوا يربطوا الطرقات ويصدر منهم مفاسد كثيرة. وارتاحت الناس والجبل جداً في زمان الامير المذكور. ولكن حيث الجبل مقسوم حلفين يزبكي وجنبلاطي وهذه العلة التي جعلت العشلي يطمع بهم ويكدر عيشهم كما ياتي الشرح فيما بعد من المواقع والحوادث. اولاً في سنة الف ومائة وسبعة وتسعين (١٧٨٢ م) تحرك قاسم جنبلاط وابتدأ بحركات ردية ضد الامير يوسف الذي غرضهُ مع اليزبكيَّة اي بيت عماد وتلحوق ونصف امارة المتن في قاطع بكفيا. فابن جنبلاط ومن هو (من) غرضه اعرضوا للجزار الذي من طبعه يحب الشرور والنرش وعنده ميل كلي للاذى والضرر. فصار المذكورين يطعنوا بالامير ويوسوسوا للجزار من نحوه ويحتنوا لهُ عزلهُ من الجبل ويقيم عوضه خالهُ الامير (174) اسمعيل شهاب القاطن في حاصبيا وراشيا. وتمَّ ذلك وارسل الباشا لمساعدته وطرد الامير يوسف. فالمذكور لما راى قوة الفرض قام من الدير وتوجه نواحي شمال حتى قالوا وصل بلاد الكليَّة. وحكم الامير اسمعيل بكل طمأنينة

فالامير يوسف ضاق بهِ الفضا وانقهر قهراً شديداً فتحسن عنده وعند المشيرين لهُ انهُ يذهب لعكا ويرمي روحهُ عند الجزار. فلما وصل لعكا اختلى مع الباشا ساعتين وبعده اظهر غضبه لنحوه بكر وامر عليه بالحبس. واذ كانوا الجماعة بالجبل تحسَّبوا جداً من ذهاب الامير يوسف لعكا الذي صار عدوهم وخافوا من سطوته لئلا يجلب الباشا لناحيته بدفع النرش فبالحال ارسلوا اناساً لعكا يكشفوا الخبر فوجدوا الامير مسجون ومغضوب عليه. فاطمأنوا ورجعوا يخبروا بما سمعوا وعاينوا

واما فارس الخوري الذي هو كيخية الامير يوسف (فانَّه) جاء معهُ لبيروت وبقي في بيروت. فلما بلغهُ ان الامير محبوس ركب حالاً وراح لعكا ومعهُ جماعة ايضاً من خواصّ الامير. والظاهر ان الامير ارسل لهم خبراً سراً يحضروا عنده لان بوصولهم صار التدبير ان الباشا لبَّس الامير حاكماً وتوقف لهُ عسكر وقر الرأي انهم يطلعوا من عكا بعجلة كلية يكبسوا الامير اسمعيل ويعسكوه ويقتلوه

ومع التوفيق صار المرغوب. لان مع طلوع الضو والامير يوسف في دير القمر. مسك خاله وحبسهُ في ارضة لنهاية الهيج. وقتل ايوب مطر الذي هو كيخية الامير

اسمعيل وقتل غيره ايضاً . وبعده دخل الامير لعند خالهُ وتخلق عليه ثم قتلهُ وضبط الحكم وقاصص كل من كان ضده وراقت الاحوال جملة سنين . وفارس الخوري مات ووقف عوضهُ كيخية ولده غندور الخوري . والمذكور كان سلوكهُ ليس بجيد مع الناس سيما مع المشايخ وخلافهم وكانهُ هو الامير والحاكم

ثم بعده لاجل يرتاح فيما هو فيه ويأمن غايلة الجزار ولعلمهِ حال الجبل والتقلبات التي تحدث فيه ففكر انهُ يدخل تحت حماية الافرنج واشاروا عليهِ يلتجي لدولة فرنسا ويترجا قنصلية (174) بيروت . ولو انهُ ما سكن في بيروت يكفي الاشاعة انهُ قنصل . والذي سعى بذلك من يثق بهِ وراح الى باريس مصحوباً بكتابات وشهادات في اصل الشيخ ونسبهُ وعلو مرتبتهِ . فخرج فرمان من دولة فرنسا بان الدولة انعمت عليهِ في قنصلية بيروت وتوجه كتابات من دولة فرنسا اللاجي في اسلامبول بان يخرج فرمان من دولة العثماني حسب العادة . فلما بلغ الباشا امر القنصلية من ابتداها فحالاً كتب الى من يعتمده من ارباب الدولة يمنع كتابة الفرمان . وما طلع لهُ كلياً وانما اشتهر بالسواحل والجبل انهُ صار المذكور قنصل . وصاروا يهنوه بهدايا وخدم الكبار والصغار ومن المدن ايضاً . وبلغ الباشا ذلك وما حرك ساكناً انما كما تقدم الشرح عن حال غندور وعدم اعتباره مشايخ وامارة الجبل وبالاخص حينما صار قنصل ازداد عمّا هو فيه ولا يفكر الّا في نظامهِ وعلو شانهِ . وما عاد قدّر عواقب في كل الاشيا . حتى قالوا انهُ حضر لعنده قاسم جنبلاط في غرض لهُ فبقي بالمنزول نحو اربعة ساعات وغندور داخلاً في بيتهِ في سرور وانشراح والشيخ قاسم خارجاً مع الخدامين . اخيراً طلع لعنده كلّمه برهة وجيزة وتركه ودخل لداره . فالشيخ قاسم انغمّ غمّاً عظيماً وذهب بغاية القهر

ثم وكان موجود في مقاطعة المتن الامير اسمعيل يدعونه المشولح وهو درزي من بيت قايد بيك . وهذا الامير كان فهيماً جسوراً ذو حركات قوية ويهابهُ كل الامارة الذين بالجبل والمشايخ يعتبروه وربما يخافوا من حركاته الشيطانية التي ينشيها . حتى الامير يوسف يداريه . ولكن بوجود غندور المذكور وتدبيره الذي ما خلّى لاحد كلمة ولا اعتبار . والامير اسماعيل المذكور هو يزبكي من غرض الامير يوسف ولكن بسبب احوال غندور التي مرضية مال الامير المذكور لناحية اضداده بيت

جنبلاط وابتدأ يشتغل بحركاته الشيطانيَّة في ابادة الامير يوسف لشأن خذل غندور . ويروح مكاتبات بالسر الى الباشا . والمذكور (اي الباشا) غاية رغبته خراب الجبل . ولكن كان يميل الى (1750) الامير يوسف الذي كان ينفذ اوامره بكل شيء يطلبهُ واغا على شأن غندور بغضهُ جدًّا وصار يريد عزلهُ من الجبل وابادتهُ

فاشتغل التدبير لذلك ولحظ الامير يوسف وغندور على ذلك وقصدوا يداووا الامور بالاصلاح . فما كان يتم الامر معهم لان النار اضطرمت جدًّا . واخيرًا بعد الجهد صدر الرضى من الباشا بان يبقى الامير يوسف بالجبل في محلهِ وتطلع خلاع الحكم لاحد من بيت شهاب بالذي ينتخبهُ الامير يوسف . ذلك لاجل اليمين الذي حلفهُ الباشا ان بهذه السنة لا يمكن يرسل الخلاع باسم الامير يوسف ولا عاد يمكنهُ يخالف يمينهُ

فالامير يوسف عنده الامير بشير ابن قاسم . فهذا من صغر سنه اخذه لعنده ورباه مع اخيه وهولاء فقراء ما ترك لهم ابوهم شيئًا لا رزق ولا خلافهُ ونسابتهم للامير يوسف بعيدة ولو كانوا من بيت شهاب . وهذا بشير كان شجيعًا جدًّا ويرسلهُ الامير يوسف في مواقع وينجح بها وكان يعتمده ويركن فيهِ . ووضعهُ في بتدين الذي هو بيت دين الدروز . وهي قرية حقيرة سكانها جميعهم دروز عقَّال وهي قريبة لدير القمر . فوضعهُ هناك واخيهُ حسن جعلهُ في جبيل . ولكن حبهُ وميلهُ الى بشير المذكور . فحاربهم وقتل من هو ضدٌّ للامير يوسف وهو امير اسمهُ بشير ورجع ظافرًا . ففكر الامير بان يرسل بشير لعكا ويلبس خلعة الحكم . وعلى كل حال هو مثل ابنهِ ويركن فيهِ

فاحضره وافهمهُ المتوقع من الباشا وانهُ ينزل لعكا ويلبس الخلاع . وابدًا ما جاء في بال الامير بشيء ودي من طرف بشير لانهُ مربيه وفاهم سريرتهِ . ولكن ما فكر فيما يقال : الظلم كمين بالنفس القوة تظهرهُ والعجز يخفيهِ . وثانيًا حب الرياسة للطبع مايل . وهذا الامير حين وصل لعكا وكان بعمر خمسة وعشرين سنة او زايد قليلًا فحين مواجهة الباشا نوى الردي على استاذه (1750) وحينما الباشا يكلمهُ كيف يكون سلوكهُ بالاحكام وبعض شيء فكان جوابهُ ان افندم اذا كنت تريد تحكمني وتجعلني شراق لسعادتك يقتضي احكم بحريتي ولا يكون يد احد

فوق يدي وانا خادم نصوح والتجربة تكشف . وربما انه احكى للباشا اشياء غامضة وطعن في استاذه وخلافه والمقصود اظهر رغبته انه يريد يكون حاكماً متسلطاً منفرداً ليس له شريك ولا مشير

فالباشا اخذ منه جداً وأمله ثم اتفق معهُ انهُ يمسك استاذه وغندور الخوري ويرسلهم لعكا . وفوض له الحكم للنهاية وهكذا لبس خلعة وطلع للجبل وصحبتهُ عسكر وافر

فبوصوله اول قنق ارسل كتابة للامير يعلمهُ ان الباشا نيته ردية من نحوك وانني انا اكون حاكماً مفوضاً وما صار الا كذا . فالشور (فالرأي) الموافق انك تقوم من الدير لئلا العسكر يفعل بك شيئاً ردياً . فلما سمع الامير ذلك وكيف صار هذا الانقلاب العظيم والمخالفة المشومة من هذا الانسان العديم الوفا اقتضى من الخوف يقوم من الدير وصحبتهُ من اماره ومشايخ حسب العوايد والقنق الذي يقوم منهُ ثاني يوم ينام فيه الامير بشير . وبدا ينتقل من مكان لغيره والامير بشير وراه حتى بلغ اراضي الضنية

ثم رجع الامير بشير لدير القمر ولبس كيخية فارس ناصيف رجل خارجي ظالم قاسي وهو نصراني من الجبل واحدث مظالم ردية وطلب غرش من غير رابطة . يطلب من واحد الف غرش وهو لا يملك ماية غرش اخيراً ينهبوها معهُ بخدمة الحوالي والمقصود نفع الخدّامين . امّا انهم اخذوا من اصحاب الاموال مبالغ لاجل يرضوا الباشا وصار الجبل جوف حمار . وانضامت الناس جداً والامير بشير جاهل وما ينقش على شيء والامر والنهي لفارس ناصيف

ثم ركز الحكم مدّة طويلة والامير يوسف ضاقت روحهُ من الغربة البعيدة فجاء الى قرية منين محتمياً عند اظن ابراهيم باشا والي الشام . وكان بينهُ وبين والي عكا بغضة جسيمة فاستقام (176r) في منين اياماً كثيرة ومعهُ غندور الخوري وخدامهم والباقي رجعوا لمحلاتهم وهذا التغيير وقيام الامير بشير كان في سنة الف ومايتين واثنين (١٧٨٧م) . وفي سنة الف ومايتين واربعة (١٧٨٩م) حسن عند الامير يوسف يكاتب لعكا ويطلب مواجهة الباشا وقصد يرمي نفسهُ بخطر الهلاك من الضجر الذي استحوذ عليه فجاء الجواب بالايجاب وعليه امان الله وقام من يومه

من منين وتوجه لعكا وقبلهُ الباشا بكل اكرام

امَّا غندور فخاف يذهب لعكا فراح لبر طرابلس وكان الباشا يريد حضور غندور فصار يبالغ باكرام الامير لتطمين غندور . ثم ان الباشا قال للامير : لماذا غندور متوقف عن الحضور وامره يرسل يطلبهُ حتى يصير التدبير . فكتب لهُ الامير بان يحضر ولاجل التخلي حسن عنده يرمي نفسهُ بالتهلكة وهذا شي مفهوم ومتأكد لان الباشا مألوم منهُ جدًا بسبب القنصلية بنوع خصوصي . حتى انهُ ولو رضى الباشا على الامير وحكَّمهُ بالجبل ولكن غندور ما يمكن يطاقهُ من عنده . والغاية راح غندور لعكا وما اظهر لهُ شي الباشا . ثم كانت المكاتبة متصلة من الامير يوسف لاصحابهِ ومن هو غرضهُ بالجبل . ولكن الامير اسمعيل المشرلح كان مات قبل تولي الامير بشير . فطبخ الطبخة وما اكل منها وترك ابن عمه الامير فارس عوضه بالتدبير . وهو نبيه جدًا والسرّ بقي مطرحهُ وبالنتيجة اشتغلت المكاتبة من الجهتين

واخيرًا ظهر من الباشا قبول في تولي الامير يوسف وشاع الخبر بذلك . فحينما بلغ الامير بشير بالحال ذهب لعكا ودخل على الباشا بحال الوهم . فتعجب من حضوره بغتة من غير طلب . فاعرض لهُ الامير عن سبب مجيئهِ مما بلغهُ عن الشروع الصاير وانهُ حيث ذلك فانا جيت لاخدم عندك حيث ما بقي لي حياة بالجبل وثانيًا ايش بدا مني واي وقت خالفت سعادتك في شي من الاشيا . وصار يشرح لهُ عن حال المضادين واصحاب (176) الاغراض يريدوا تنفيذ مآربهم وكانهُ عكس وتعب لسعادتك . وبالنتيجة اني انا بين يديك امَّا اثبت كما انا ام ابقى عندك والامر امرك . وربما ايضًا قدَّم للباشا مبلغ مال . الى انهُ استمال لهُ وتغير عمَّا كان بهِ وطيَّب خاطره ولبس وراح من عنده بغاية الحظ والانشراح . وقبل ذهابهِ من عكا امر الباشا في وضع الامير يوسف وغندور في السجن وبقي الحال هكذا اياماً

ثم بهذه الاثنا . هاجت المماليك على سيدهم الباشا وكان قصدهم يقتلوه لولا حسن وعيهِ لهم . واخيرًا تحصنوا في برج داخل عكا والباشا تداخلهُ الوهم

وبغضون ذلك تحرك سليم باشا وسليمان باشا وهما من مماليك الجزار وكانوا في صيدا فجمعوا عسكر وتوجهوا الى صور نهبوها تمامًا ومرادهم يتوجهوا لعكا من بعد ما يكونوا فهموا ما جرى من المماليك . وكانت طبخة ردية جدًّا . ولكن

الباشا ضايق على المماليك الذين بالبرج وجعلهم يطلبوا الامان وانهم يخرجوا من البرج ويطلعوا من المدينة. فاعطاهم الامان وخرجوا تماماً وقيل ان البعض يحبهم الباشا فرجعهم لخدمته وهماً (ظناً منهُ) ان عصاوتهم كانت غصباً عنهم وخوفاً من ارفاقهم

ثم ان الباشا ارسل عسكر لمحاربة سليم وسليمان ومسكهم. وهما كبر عليهم الوهم من خيانة المماليك في عكا. فسليم باشا هرب وما انعرف اين راح. واما سليمان باشا فانهُ سلم نفسهُ وراح لعكا بخاطره واعتذر للباشا وقبل عذره وارسلهُ لصيدا متسلماً وبقي زماناً معتبراً في صيدا

ثم بعد ذلك تحقق عند الباشا ان خيانة المماليك هي بمطابقة بعض من السراري الذين خاصتهُ فغضب عليهم جميعاً وخنقهم في الماء الحار وهذه كانت قساوة منهُ

ثم بعد ايام ظهر مخالفة وعصيان من يوسف الجزار بنابلس وتحصن في قلعة سانور واقتضى ان الباشا يذهب بنفسهِ ويحاصر (177) القلعة وما امكنهُ يملكها ورجع خايباً. وكانهُ بهذا الحال طمعت اهالي نابلس وصار يبدا منهم تعدي فذهب اليهم الباشا ونهب بعض قرايا وقتل منهم كثيرين. ثم عزم على محاصرة قلعة سانور ثانياً ومسك يوسف جزار وطرده منها. فاستقام اياماً وهو يجاهد وما امكنهُ اخذها. وحصل مطاولة زايدة من الجزار واتباعهِ وشتم وقذف بحق الباشا وتالم منهُ جداً وحيث عُدم الحيلة في ملك أربه فقصد القيام عن القلعة. وبوقتهِ صار يتفتش فالتفت الى المزارع وقرايا نابلس الطايعين والعاصيين وعمل معهم مساوئ كثيرة ايضاً. ثم ارسل امر الى متسلمهِ في عكا عبدالله اغا ان يطلع غندور الخوري من الحبس ويضربهُ خمسماية كرباج وبعده يشنقهُ وتم ذلك ثم بعد ايام قريبة ارسل امر ثاني للاغا بان يشنق الامير يوسف ويبقيهِ معلق ثلاثة أيام وبالحال تمّ الامر. وقيل انهُ بعد شنق الامير بساعتين ورد امر ثاني بعدم قتلهِ وكان السهم نفذ. ولكن الباشا ندم جداً على قتل الامير وحصل لهُ اتعاب كثيرة من نحو الجبل فيما بعد

ثم حضر لعكا وما استفاد شيئاً ونابلس وبرها عادمة النظام والراحة. والتزم الباشا بدخول الوسايط يرتضي غصباً بمصالحة الجزار. ولكن الجزار بقي محترص من غدر الباشا كل حياتهِ الى ان مات

ثم ان الامير بشير انفرد بالاحكام وانشا مظالم كثيرة لكي يرضي الجزّار ويجمع لنفسه ايضاً. وبدأ ينشئ عمار سرايا في بتدين وصار يناكد الدروز ساكنين القرية المذكورة ويشتري منهم اراضي وبيوت. ومع اطالة الايام فرغت من الدروز وصارت ملكاً للامير تماماً. فبعد ما قُتل الامير يوسف بايام ليست بكثيرة قامت عامة الجبل دروز ونصارى وطردوا الامير بشير واخيه حسن وبشير جنبلاط. واما قاسم جنبلاط ابو بشير (فانهُ) في حين طلوع الامير يوسف حاكماً بعد قتل خاله الامير اسمعيل (177) ثم بحكومة الامير ثاني مرة وابتداء التدبير بعزله من الجبل فقاسم جنبلاط تخشب من الامير فهرب لعكا في زمان حكمه وبقي في عكا ومات هناك بعد ما قُتل الامير يوسف. وقيل ان الباشا دس له سما ومات ودفن في عكا وقام ولدهُ بشير عوضهُ. فالان من هيجان العامة ضد الحكم فما حسن عند بشير (جنبلاط) يطابق معهم مثل غير مشايخ فاتحد مع الامير بشير واخيه وذهب معهم الى بيروت مطرودين. فارسلوا اعلموا الباشا فارسل لهم عساكر كثيرة ليحاربوا اهل الجبل وصار مواقع بينهم. ولكن اذ كانوا اتحدوا مع بعضهم بقلب واحد ما قدر عليهم احد فعجز الامير من مقاومتهم. وهما بهذا الحال اذا على حين غفلة ورد امر من الباشا لقواد العساكر بان يرموا القبض على الامير بشير واخيه وجنبلاط ويحضروهم لعكا وبوصولهم وضعوهم بالسجن والجنزير بارقابهم. والعسكر قام من بيروت ووزعهُ الباشا وبطل الحرب والقتال. والعامة أقاموا حكام عليهم الامير قعدان شهاب والامير حيدر شهاب وظهروا بالمخالفة والعصيان ومسكوا مال الميري وخلافه. والباشا تركهم من بالهِ ما عاد حرّك ساكن

ثم بهذه الاثناء جاش الباشا حاكم يافا التي تخص والدة سلطان من سلاطين العثماني. مسكهُ عسكر وهو داخل من بوابة القدس وجاؤوا بهِ لعكا مع كاتبهِ ابن جحشان نصراني وسجنهم. وكان بوقتهِ الامير بشير وجماعته محبوسين. فمضى نحو اربعين يوماً جاء مركب من اسلامبول خصوصي لكي يأخذ اغا يافا بامر الدولة. فلما فهم الباشا ذلك ارسل بكباشي للحبس وخنق الاغا وكاتبهُ ودفنوهم في الوقت. فحينما اطلع الباشا على الاوامر أظهر غماً قدام المتسد وقال لهُ: انني قتلتهم قبل حضورك وما ظننت ان الاغا عليهِ مال للدولة وانهُ مطلوب لاجل المحاسبة. لان

خطاب الفرمان (178ᵃ) الى الباشا ان فلاناً متصرف في مال الميري وعليه دعاوي من يافا وبلغنا انك حايشه عندك فالمراد انك ترسلهُ حالاً صحبة المركب الواصل. وهذا الشرح فهو تصنُّع لان اغا يافا من بيت مفهوم وابوه متحقق عنده احوال الباشا وغدره. فعمل هذه الحيلة لتفوده. ولكن الباشا ما عليه كسور. فلحظ على الملعوب وقضى مرغوبهُ. القول (يقال) ان الاغا المذكور كان يتكلم في حق الباشا ويذم من احوالهِ وقساوتهِ وظلمه الواهي. فبلغ الباشا ذلك فقاصره لحد القتل

ثم انهُ ارسل جواب للدولة وارسل مبلغ مال واكم المعتمد ومضى الامر

ثم حين قتل الاغا المذكور كبر الوهم على الامير بشير والباقي. وفكروا انهُ يجيهم الدور. فالامير حسن وبشير جنبلاط صاروا يتباكوا وأيسوا من الحياة واما الامير بشير فهو اشجع منهم وصار يرطبهم ويسليهم. والامير حسن قصد التوبة عن عملهِ الخبيث الذي صدر منهُ حين حكومة اخيه. وعاهد الله انهُ ان طلع سالماً فيغير تلك العادات المذمومة. ثم نذر نذورات كثيرة انهُ يمتنع عن بعض ماكول ومشروب كان مولع بهم وغير اشيا.

ثم ان الجبل بقي فالت الحكم واهله طمعانين بالامارة الذين اقاموهم. وبكل مدة يظهر مفاسد بالجبل ويقتلون بعضاً ويظلمون بعضاً وما من ينتصف ولا يقاصر. فاصحاب الادراك احتاروا كيف يهمدوا هذه الشرور. وبيت جنبلاط دايماً ساعين بالتدبير بخلاص عقيدهم (او عميدهم) بشير من حبس الجزار. ومن الثلث الذي صار بالجبل تحسن الراي من اصحاب الرأي انهم يعرضوا للباشا ويطلبوا الامير بشير حاكم عليهم بعد ما اخذوا عهود ومواثيق من الامير في ابطال الحوادث والكوارث ويريحهم بكلما يكون

فالباشا اظهر رضاه واخرج الامير واخيهِ جنبلاط من السجن وخلع على الامير وطلعوا لدير القمر (178ᵃ) بعد ما اخذ الباشا رهينة على المال ابنهِ قاسم وابراهيم ابن حسن. وارتاحت البلاد نوعاً (لهُ بقيَّة)

نظر انتقادي

في حكايات بعض شهداء الفرس

على عهد الملك شابور (٣٠٩—٣٧٩ م)

لسيادة المطران ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني

انَّ عدد الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الايمان المسيحي على عهد شابور الملك في زمن اضطهاده لنصارى مملكته لا يكاد يفي به احصاء. ومن جملة الذين اهتموا في جمع معظم اخبارهم وتراجمهم الصحيحة مار ماروثا اسقف ميافرقين الشهير الذي اقبل مرارًا بسفارة جليلة من قبل ملوك الروم الى يزدجرد الاول ملك الفرس وذلك في السنة ٣٩٩ م ثم في ٤٠٨ واخيرًا سنة ٤١٨ وقد فاق هذا المؤلف كتبة اليونان واللاتين في دقّة وصفه للوقائع وفي حياده عن الاطناب والمبالغة في الكلام (١ وقد طبع الاب بيجان الكلداني اللعازري كل ما وصل الينا من هذه الاخبار واستخرج كثيرًا منها من زوايا النسيان جازاه الله خيرًا.

وما عدا هذه التواريخ التي كتبها ماروثا او غيره من العلماء الموثوق بهم يوجد حكايات اخرى كثيرة قد طبعها ايضاً على علّاتها حضرة الاب بيجان . واشهرها حكايات گويولاها واخته قازو ثم حكاية اذرپروا واخته ماعدوخت وبنام واخته سارا وباسوس واخته سوسان وحكاية مار سابا . لكن هيهات ان يكون لهذه القصص الاخيرة ما للاولى من الصحة والثقة . وقبل ان نحكم بصدق هذه الحكايات او كذبها دَعنا نذكر خلاصتها نقلًا عن كتاب حضرة الاب بيجان

كان گويولاها (وقيل گوبرلاها) ابناً لشابور الملك ثم تنصّر على يد دادو احد اقاربه . وتنصّرت ايضاً معهُ اختهُ قازو . فامر الملك بقتل دادو فقُطع اربًا اربًا .

---

١) اطلب كتاب لابورت النصرانية في دولة الفرس (Labourt: *Le Christianisme dans l'Empire Perse*, p. 59)

ونكل بابنهِ گوبولاها وابنتهِ قزو تنكيلاً شديداً رجاء ان يحملهما على نبذ ديانتهما الجديدة. وكان جهادهما في ٢٢ ايلول سنة ٣٣٢ (١

امّا اذرپروا فكان ابن الملك بولار في ارض لورساس في بيت گرماي. وكان لهُ اخت اسمها ماهدوخت واخ اسمهُ مِهْرنرسا وكان بولار من نسل اريوخ الذي ذهب بصحبة كدولاعومر لمقاتلة ملك سَدُوم في زمان ابراهيم الخليل. ولمّا ابرز شابور الملك امرًا بقتل النصارى وذلك السنة التاسعة من ملكهِ (٣١٧ م) قبض بولار الملك على الذين في ارضهِ وساقهم الى كرخ ساوخ (كركوك) وذهب ايضاً باولادهِ الى هناك لكي يراهم. وتمّن شابور الملك. وفي رجوعهم الى ارضهم وقع مِهْرنرسا عن حصانهِ بقرب قرية احوان وانكسرت فخذه. لكنهُ شفيَ باعجوبة صنعها مار عبدا اسقف حربات كندول فتنصّر هو واختهُ واخوه. وللحال خطفتهم روح الرب الى كهفٍ كان بقرب القرية. فطلبهم ابوهم ولم يجد لهم اثرًا الى ان افلت ذات يوم حصانهُ فذهب عادياً الى حيث كان اذرپروا وبذلك اكتشف ابوهم على امرهم. واذ لم يقدر ان يحملهم على اعتناق ديانتهِ اخبر شابور الملك بامرهم. فحكم شابور عليهم بالقتل فاستشهدوا في ١٢ كانون الثاني سنة ٣٢٨ (٢

وهذه حكاية بهنام واختهِ سارا. كان بهنام ابن سنحاريب ملك اثور. ولهُ اخت اسمها سارا وكان جسمها مضروباً ببرص. واتفق ذات يوم ان بهنام خرج الى الصيد فاصاب أيلاً. فسار في اثرهِ الى خلف جبل القاف وهو المسمّى اليوم بالجبل المقلوب. فصادف في الجبل مار متى احد تلاميذ مار اوجين الشهير كان هرب من اطراف آمد في اضطهاد يوليانوس الملك فاتى وسكن هناك. فتنصر بهنام على يد مار متى ثمّ اتاه باختهِ سارا فشفاها من مرضها فاعتمدت هي ايضاً. فغضب ابوهما ونادى في المدينة بعيد للآلهة رجاء ان يجبر ولديهِ الى السجود لها. لكن القديسين هربا مع رفقتهما قاصدين مغارة مار متى ليتزوّدا ببركتهِ قبل مماتهما. فارسل سنحاريب جندًا عليهما

١) راجع بيجان سيرة الشهداء والقديسين (Bedjan: *Acta Martyrum et Sanctorum*, IV 141-163)

٢) فيهِ ايضاً (Idem: *ibidem*, II, 1-39)

فقتلوهما مع جميع رفاقهما في ١٠ كانون الاوّل سنة ٣٥٢ وبُني دير في محلّ قتلهما وهو المعروف اليوم بدير مار بينام (١

واما قصّتا باسوس وسابا فرتبطتان ارتباطاً وثيقاً وخلاصتهما انّهُ لما عُقد الصلح بين يوفيانوس ملك الروم وشابور ملك الفرس سنة ٣٦٠ وسُلّمت نصيبين بيد الفرس اقام شابور زميسب واذورپرزگرد عاملين على بيت عربايا وكانا اخوين من قرابة الملك شابور (٢. هذا ما ورد في قصة سابا. واما في حكاية باسوس فقد ذُكر انّ زميسب كان اخا شابور الملك وحاكماً على نصيبين وارسل من قبلهِ عاملاً على بيت عربايا وبيت زبدا رجلاً اسمهُ ابورزد (٣

فلمّا كانت السنة ٦٧٤ لليونان (٣٦٣ م) وهي السنة ٥٣ لشابور الملك من بعد وفاة يوفيانوس ملك الروم حمل شابور على تخوم الروم وحاصر قصر بيت زبدا وافتتحهُ وقتل فيهِ خلقاً كثيراً واجلى منهم الى ارض الاهواز نحو ٩٠٠٠ نفر (٤

فذهب زميسب بكثير منهم الى ارضهِ فبنوا فيها قرية. ثمّ انّ شابور امر بازلنك النصارى ان يدينوا بدين المجوسيّة فاذ ابوا ان يتمجّسوا امر بقتلهم جميعاً وأُلقيت جثثهم قدام قصر رجل من النصارى اسمهُ تاديق. لكن واحداً من الشهداء اسمهُ ايث ألاها وُجد فيهِ رمق يسير فاخذهُ تاديق الى دارهِ فعالجهُ وشفي وكان لزميسب ابن اسمهُ پيركوشنسب. فتنصّر هذا على يد خادم لهُ يُدعى انسطاس وسمي بالعباد سابا. فأُخبر شابور الملك بتنصر ابن زميسب فغضب وامر بقتلهِ وارسل رجلاً من حاشيتهِ اسمهُ ابورزد للوقوف على اجراء امرهِ. فعذّب سابا عذاباً شديداً ودام عذابه ٤٩٠ يوماً وقتل مع خادمه انسطاس في ٦ آب ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة. وانّما أُصيب قاتلهُ كوبي بداء عُضال فانتفخت ذراعاه فمات اشنع ميتة (٥

---

١) مجموع اعمال الشهداء في بيجان (Idem, *II*, 397-441)

٢) فيهِ (Idem, *IV* 223-224)

٣) في المجموع ذاتهِ (Idem, *IV*, 475)

٤) في بيجان (id. l. c., 224, 474-475)

٥) فيهِ (id. *l. c.* 223-249)

واما باسوس فكان ابن ابورزد حاكم بازبدا المار الذكر. وتتلمذ هو واخته سوسان لعبد من عبيد ابيهما اسمه اسطيفان. وكان نصرانياً. فذات يوم رأيا صيداً فسعيا في طلبه واذا بمغارة في الجبل وجدا فيها تاسكاً يقال له لونجينا. فعمدهما. ولما عرف ذلك ابوهما اراد قتلهما. وجعل عيداً للآلهة بغية ان يجبرهما على السجود لها معه. فهرب باسوس وسوسان وخادمهما اسطيفان قاصدين مغارة معلمهم لونجينا لكي يأخذوا بركته. لكن ابورزد تأثرهم فادركهم وقتلهم. وكان ذلك في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨ م) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك. وكان لكلٍّ من باسوس وسوسان من العمر اثنتا عشرة سنة

*

ترى من هذه الخلاصة ان قصص گوبولاها اذوبروا ثم بهنام وباسوس متشابهة الشبه التام. فان گوبولاها كان ابن الملك بولاد وبهنام ابن الملك سنحاريب وباسوس ابن ابورزد حاكم بيت عربايا. وكانوا كلهم مجوساً ثم تنصَّر كلٌّ واحد منهم مع اخت له وقتل ايضاً معها بامر ابيه الملك

هذا واما المشابهة الموجودة بين حكايتي بهنام وباسوس فاعظم من ذلك ايضاً فانَّ بهنام بواسطة أيل التقى بمار متى في جبل القاف واعتمد منهُ هو واختهُ سارة. كذلك بواسطة أيل ايضاً صادف باسوس مار لونجينا في جبل راجولا واعتمد على يده هو واخته سوسان. ثمَّ انَّ سنحاريب لكي يحمل ابنهُ وابنتهُ على نبذ الديانة المسيحيَّة جعل عيداً لآلهته ودعا ولديهِ ليسجدا لها معهُ ولما امتنعا اراد قتلهما. كذلك ايضاً عمل ابورزد ابو باسوس وسوسان. ثمَّ انَّ بهنام وسارة لمَّا رأيا ما هو عليهِ ابوهما من الغضب بادرا الى الجبل عند مار متى لكي يتبركا منهُ. كذلك باسوس وسوسان ايضاً تسارعا الى الجبل عند مار لونجينا لكي يأخذا بركتهُ. ثم انَّ بهنام في الطريق استشهد مع اختهِ وخدامهِ كذلك باسوس وسوسان في الطريق ايضاً قُتلا مع خادمهما. وكما بُني هيكل في محلّ استشهاد مار بهنام كذلك شُيد ايضاً دير في المكان الذي قُتل فيهِ مار باسوس

وزد على ذلك ان حكاية مار باسوس وحكاية مار سابا. فضلاً عن علاقتهما

بعضها هما ايضاً متعلقان بجهاد البازبديين المروية على الصورة الآتية: ان شابور الملك في السنة ٥٣ لملكه (٣٦٢) حمل على قصر بيت زبدا وفتحهُ واجلى منهُ رجالاً ونساء نحو ٩٠٠٠ نفس وتوجه بهم الى ارض الاهواز. وكان فيما بينهم هليودوروس الاسقف ودَوْسا ويَهب الكاهنان. وتوفي هليودوروس في الطريق. وقبل وفاتهِ وضع يده على دوسا ورسمهُ اسقفاً. ولمّا بلغ الفرس بالمسبيين الى دوساخ في ارض الرادبين قتلوا منهم باغراء اذرپر رئيس العمّال ٢٧٥ نفراً لامتناعهم عن السجود للشمس. واما المسبيون الآخر فاقاموا في القرى التي هناك. وان واحداً من المجروحين اسمهُ عبد يشوع لم يمت من جرحهِ لانهُ كان خفيفاً فشفي وهو الذي دفن الشهداء. ثم تكلّل بعد ذلك ايضاً على يد رئيس قرية هناك. فانتفخت بطن الرئيس ومات ميتة شنيعة (١

فترى انَّ ما قيل عن المسبيين البازبديين في قصتي سابا وباسوس هو نفس ما ذُكِر في جهاد هؤلاء الشهداء مع هذا الفرق ان قصة سابا تجعل استشهادهم في بيت زبدا او بيت عربايا بَيْد ان قصتهم تروي وقوع استشهادهم في بلاد ماداي. وان اذروپرزگرد المذكور في حكاية مار سابا هو نفس اذرپر رئيس العمّال الذي قتل الشهداء المسبيين. والنبذة المسطورة عن ايث الاها في قصة مار سابا هي نفس النبذة المكتوبة عن مار عبد يشوع في جهاد المسبيين بخصوص رئيس القرية الذي قتل عبد يشوع

فان من يعمل نظر الانتقاد في هذه الحكايات لا يلبث ان يتأكد ان هناك رواية واحدة تناقلها الناس فتصرَّفوا فيها ورووها بتغيير بعض احوالها

ونتيجة الكلام ان في زمن الملك شابور ملك الملوك الذي حكم منذ سنة ٣٠٩ الى سنة ٣٧١ واضطهد كلّ ايام حياتهِ النصارى الذين في مملكتهِ وقتل منهم خلقاً لا يُحصى عديدهم نال ايضاً اكليل الاستشهاد احد اولادهِ او احد اولاد الملوك الذين في حكمهِ. ثمَّ بعد مرور جيلَين فثلاثة على هذه الحادثة نشأ عنها عدَّة تقاليد في بلدان مختلفة مع زيادات وتخيلات كثيرة وتبديل اسماء المواقع والاشخاص.

---

١) اعمال الشهداء ليجان (Idem, II, 316-324)

فارادت كلّ بلدة ان تنسب هذا الشرف الى نفسها . فجعل تقليد ماداي والاهواز هذا الامير الشهيد ابناً لشابور الملك نفسه . وروى تقليد بيت گرماي انهُ كان ابن بولار الملك . وزعم تقليد اثور اليعقوبي انهُ كان ابن سنحاريب الملك . وجعلهُ تقليد بيت زبدا ابناً لابورزد الحاكم . فترى ان نور الحقيقة مستور في غيوم هذه التقاليد الكثيرة وان كشفها لصعب جدًّا . ومع كوني مقرًّا اني لا اتجاسر ان اتحزّب لاحد هذه التقاليد دون الآخر لا أرى بدًّا من نفي صحّة حكايات باسوس وسابا وبهنام لما فيها من الاغلاط التاريخيّة وذلك ان كاتب (او كاتبي) اخبار مار سابا ومار باسوس يرتكب علانية اثمًا تاريخيًّا . فانهُ يقول انّ شابور الملك بعد وفاة يوثيانوس (سنة ٣٦٤) افتتح بيت زبدا (١ والحالة هذه انّ استيلاء شابور على هذه البلاد كان في سنة ٣٦٠ (٢ وجلاء اهلها الى فارس في سنة ٣٦٢ كما ترى في تاريخ سوزمين المؤرخ الكنسي وفي اعمال القديسين نفسها (٣ اي قبل جلوس يوليانوس على سرير مملكة الروم . وقال ايضاً كاتب قصة مار باسوس (٣ انّ هذا القديس نال اكليل الاستشهاد في السنة ٦٩٩ لليونان (٣٨٨) وهي السنة ٧٦ لشابور الملك . وكل يعلم ان شابور الملك لم يملك سوى سبعين سنة وتوفي سنة ٣٧٩ اي تسع سنين قبل استشهاد باسوس ثم ان ابورزد المرسل من قبل شابور الملك لكي يقتل مار سابا ابن زميسب هو ابو باسوس وسوسان . ومما يوجب الاستغراب ايضاً انّ كلًّا من سابا وباسوس وسوسان كان لهُ اثنتا عشرة سنة حين نواله اكليل الاستشهاد

هذا وانّ التناقضات التاريخيّة التي في قصة بهنام لأوفر ايضاً وافظع فترى (اولًا) كاتب القصة يقول انّ هذا القديس تنصّر سنة ٣٥٢ على يد مار متى ونال اكليل الاستشهاد بينما هو يزعم انّ متى في زمان يوليانوس (٣٦٠ — ٣٦٣ اتى من آمد وسكن في اثور اي عشرة سنين بعد قتل مار بهنام . (ثانياً) انّ القصة تجعل سنحاريب الملك متسلطاً على كل مملكة فارس (ܡܠܟܘܬܗ ܕܦܪܣܐ ܟܠܗ ܕܐܬܪܐ ܕܡܠܟܘܬܗ ܕܡܠܟܐ) (٤ فترى من هو سنحاريب هذا ملك

١) بيجان (Idem IV '224)

٢) فيو (Idem II, 316) وتاريخ سوزومين (ك ٢ عدد ١٣)

٣) بيجان (Idem IV, 474) ٤) بيجان (Idem II, 405)

الفرس ؟. (ثالثاً) ان سنحاريب الملك كان جالساً في مدينة اثور ويعلمنا التاريخ انّ هذه المدينة كانت خربة ستمائة سنة قبل المسيح. (رابعاً) لا ذكر ابداً في القصة عن اضطهاد شابور الملك للنصارى ولا عن ديانة الفرس ولا عن عوائدهم بل يمثل الامور على عكس ذلك كانّ النصارى كانوا في ذلك الوقت راتعين في الراحة في مملكة الفرس (١ . والظاهر انّ كاتب القصة كان يعقوبي النحلة وعاش بعد الجيل السادس وان زكّى الذي خلف مار متى في رياسة الدير (٥ هو نفس زكى الذي بواسطة جبرائيل السنجاري المعاصر لمار سبريشوع الجاثليق (٥٩٦ — ٦٠٤) ضبط هذا دير مار متى من الناطرة (٢

فيُستنتج ممّا سبق ان اخبار هؤلاء الشهداء مصبوغة غالباً فلا يجوز لذوي البصيرة ان يركنوا اليها دون ميزة وتروٍّ

ومنها يلوح ايضاً ضرورة الانتقاد في رواية قصص القديسين والشهداء كما يفعل الآباء البولنديّون في مجموعهم الشهير اعمال القديسين (Acta Sanctorum) فانّهم اذا نقلوا خبرًا ما قدّموا عليه المقدّمات وسبروا غوره وميزوا غثّهُ من سمينهِ وعرضوهُ على محكّ البحث العلمي الصحيح لئلّا يعيرهُ العموم بالّا فينشروا الروايات الخياليّة وينزلوها منزلة التاريخ الصادق والسلام

تاريخ قصر الحَضَر

للاب سبستيان دترفال اليسوعيّ

لا مراء بانّ قرّاءنا الكرام يُسرُّون لعلمهم بما اجراهُ المهندسون الالمان من الحفريّات في قلعة شرقاط حيث كانت حاضرة اشور القديمة. وقد تمكنوا من درس آثار مدينة أخرى عظيمة موقعها على مسافة ٥٠ كيلومترًا من اشور في شماليها الغربيّ ألا وهي مدينة الحضر الشهيرة حيث اخذوا رسوماً شتى تثبت خطر تلك العاصمة

١) في اعمال الشهداء ليجان (Idem II . 400 et 430)

٢) راجع ترجمة مار عبدا

التي ليس في شرقنا العزيز بعد بعلبك وتدمر ما يشبهها هندسة ورونق. وكان الاثريون كروس (Ross) وأينسورث (Ainsworth) منذ اوائل القرن التاسع عشر تفقدوا بقايا تلك المدينة لكنَّ الاحوال لم تسمح لهم بدرسها ووصفها لوقوعها في صحاري مقفرة يسرح فيها شذاذ عرب البادية وتشتد عليها صيفاً حرارة القيظ وشتاء قرس البرد

وقد توفقت البعثة الالمانيَّة المرخصة بحفريات اشور الى سدّ هذه الثلمة وعادوا غير مرَّة الى الحضر فبحثوا عن آثارها في السنتين ١٩٠٦ و ١٩٠٧ ثم نشروا سنة ١٩٠٨ كتاباً اول في تعريف مدينة الحضر اجمالاً (١ ثمَّ عادوا اليها سبع مرات أخرى من كانون الاول السنة ١٩٠٧ الى آذار ١٩١١ فتجولوا فيها ملياً بضعة ايام وكان في صحبتهم مرَّةً الفيلق المرسل لمحاربة عرب شمر . فكانت نتيجة هذه الزيارات تتمة وصف الحضر في كتاب جديد أنجزوه آخراً (٢

وهذا لباب الكتابين: كانت الحضر مدينةً حصينة لم يستطع فتحها القيصران طرايان سنة ١١٧ للمسيح وسبتيميوس ساويرس سنة ٢٠٠ — ٢٠١ وكانت هذه المدينة مبنيةً كغيرها من مدن الشرق على شكل بيضوي يزيد قطبهُ الطويل على كبيرهما بثلثين . وكان يحيط بالبلد سور منيع فيه المداخل الكبيرة والدعائم المتينة اما المدينة فكانت حسنة البناء فيها الطرق الرحبة والشوارع والساحات والمدافن والهياكل ولاسيما القصر الملكي الذي كان موقعهُ على التقريب في الوسط . وكان للمدينة فضلاً عن سورها سور آخر يطيف بها ويبعد عن السور الداخلي نحو ٤٠٠ متر مبنياً على شكله . فكان مجمل مدينة الحضر يأخذ بمجامع القلب بحسنه وحصانته

وقد وجهت البعثة الالمانيَّة معظم اهتمامها الى درس آثار البلاط الملكي وكان مبنياً على شكل مربع مستطيل واجهتهُ من الشرق الى الغرب طولهُ ٤٥٠ متراً في عرض نحو ٣٢٠ م . وكان البناء يتألف من قسمين اكبر فاصغر . فالقسم الأكبر كان

---

١) الطب (W. ANDRAE: HATRA, I Teil. Allgemeine Beschreibung d. Ruinen (9 Wissenschaftl. Veroeffentlich. d. DOG. 1908 (Hinrichs).

٢) ظهر مع هذا العنوان: (HATRA, II Teil. Einzelbeschreibung der Ruinen. 21 Wissensch. Veroeff. d. DOG, 1912)

يتركب من باحة كبيرة يُدخل اليها من باب فخيم شرقاً امامهُ من الخارج مذبح كبير. امّا القسم الصغير فكان يفصلهُ عن القسم السابق حائط وابنية شتى وفيه قصران قصر عظيم كان يسكنهُ عادة الملك ثم قصر صغير يرجح انهُ كان يقضي فيه فصل الصيف. وكان هناك ايضاً بركتان كبيرتان ومبانٍ اخرى وكان للقصر الكبير واجهة بديعة تمتدُّ على طول مئة متر وفيها سبعة مداخل مقوَّسة الشكل جليلة تزينها التماثيل التامَّة او النصفيَّة بارزةً. وكان داخل البلاط مقسماً الى اربعة اقسام واسعة. وكان خلف هذا القصر بناء آخر مربَّع يرجّحون كونهُ هيكلاً لإلهة الشمس. هذا الى ابنية أُخرى لا يسعنا وصفها ونحيل القرّاء الى نظر اوصافها وتصاويرها الشمسيَّة في كتابي البعثة الالمانيَّة

وانّما نقصر الآن كلامنا على الكتابات التي وجدوها هنالك لعظم شأنها. وهذه الكتابات نُشرت دون شرح والظاهر انَّ اصحاب البعثة الالمانيَّة ليسوا من الاختصاصيين القديرين على قراءة مثل هذه الكتابات ومن المحتمل انهم عرضوها على بعض علماء المانية الذين لم يحسنوا تفسيرها ولعلَّ عذرهم انَّ صور هذه الكتابات ورسومها المأخوذة عنها قليلة الوضوح سيئة التصوير بحيث يصعب ادراكها. على انَّهم لو اجهدوا انفسهم واطالوا النظر فيها لامكنهم ان يفكّوا بعض اسرارها. فسدًّا لهذا الخلل كتبتُ هذه المُجالة بعد وصول الجلد الثاني الى كليتنا في اواسط هذا الشهر حزيران لا سيما اذ قرأنا في مقدّمته انَّ اهل البعثة يقدّرون كون ابنية ذلك القصر راقية الى الدولة الرومانية وانَّ الكتابات لو قُرئت كشفت عن قناع هذه الحقيقة

فدعنا ننظر ما تفيدنا الكتابات لادراك هذه الغاية فنقول انَّ بين تلك الكتابات ما يسهل شرحهُ ومنها ما لم يبقَ منهُ سوى بعض حروفهِ ونحن نباشر بتفسير الكتابة الكبرى التي تُرى على واجهة البلاط عند باب الايوان الشمالي حيث يوجد بقايا مركزين لتمثالين كانا قديماً منتصبين عليها. امّا الكتابة فآراميَّة شبيهة بكتابة نقود الدولة الارشكيَّة مع بعض الامتيازات الخاصَّة بها كما سترى. وهذه صورة الكتابة بالحرف العبراني مع شرحها بالعربية

١ דה צלמא די צעריתהב בר נוהדרא

٢ בר סנטרוק מלכא די אקרב

٣ לה מוי .... [נ]הדרהא מל הדא

٤ סנטרוק מלכא ומל חיא .. דנ . ה

١ هذا تمثال كفريهب بن نوهرا

٢ بن سنطروق الملك الذي اقامهُ

٣ لهُ م زي.. الماجدة لـلام

٤ سنطروق الملك ولـلام .. دن.ف

كلُّ ما نقلتُهُ وفسَّرتهُ هنا موافق للاصل كما يلوح من صور الكتابات الشمسية ورسومها اليدويَّة والحجريَّة المطبوعة في كتاب البعثة الالمانيَّة مع الدلالة بخطَّيط تحت الاحرف المشتبه بها. امَّا الباقي الذي لم ادوِّنهُ هنا فانَّ صورهُ الشمسية ورسومهُ المختلفة غير واضحة وهي تختلف بينها بعض الاختلاف

فيستفاد من هذه الكتابة ان باب هذا الايوان قد بُني على عهد الملك سنطروق اكراماً لحفيدهِ كفريهب بن نوهرا (١. فمن هو يا تُرى هـذا الملك سنطروق ومتى عاش ؟ امَّا الكتابة فلا تروي تاريخ زمانهِ وسنسعى بُعَيد هذا بتعريفهِ

يتَّضح من العمود السادس في جدولنا للاقلام الآرامية انَّ الكتابة آرامية ممتازة ببعض خواصَّ منها ان حرف « ي » على عكس صورتهِ في بقية الكتابات الارامية الَّا المندائية التي فيها صورة الياء كصورة كتابتنا — وحرف « س » الشبيه بحرف « ت » ورد في هذه الصورة نفسها في الكتابات البهاويَّة القديمة ولولا تلك الآثار البهلوية لما استطعتُ ان احلَّ رمزها وأستخلص منها اسم الملك « سنطروق » — ثم انَّ صورة الحرف « ه » في كتابتنا فريدة في بابها وظننتها بادئ بدء حاء او الفاً لكنَّ هـذا الحرف الاخير صورةً معلومةً وردت في آثار سبقت المسيح قرنين او ثلاثة قرون — واغرب منها حرف « ف » على صورة مثلَّث ورد في الكتابات النقوديَّة. امَّا بقية الحروف فلا إشكال في قراءتها الَّا حرف ص الشبيه بصورتهِ القديمة لكني لم اتحقَّق

١) حروف هذا الاسم غير واضحة ومن الممكن ان يُقرأ النَّلم (נוהדרא) من اصل شبه « خُلد » النبطيَّة او « נהדרא » التدمريَّة و « خالد » العربيَّة

شكلهُ مضبوطاً لصغر الصورة الشمسيَّة ولعدَم وضوح الرسم الحجري المنقول على الورق. وعلى كل حال لا مراء في القول بانَّ الكتابة آراميَّة مع ما فيها من الخواص المتقاربة لعهد الدولة الساسانيَّة (طالع الجدول)

دعنا الآن نذكر بقيَّة الكتابات . واوَّل ما يلوح امامنا قريباً من الكتابة الكبيرة السابق وصفها كتابةٌ رُقمت على حجر آخر بين مقام التمثالين تحتوي على سطرين كاد يندثر رسمها والمرجَّح انَّ هناك اسم المهندس او النقَّاش الذي اصطنع التمثالين. وهذا ما بقي من الكتابة :

(الكتابة الثانية)

١ דכ[יר] · ב · · · כדידיה

٢ לכב מרחן בר מרון

١ لِيُذكَر . ب . ن . . . س ك ي د ي ه

٢ للخير (او لخير) مُرَّة بن مَرون (او مروان)

السطر الاوَّل لا يمكن قراءتهُ. ولعلَّ آخر كلمة فيهِ « يداهُ » ثمَّ يتبعهُ السطر الثاني بادئاً بكلمة دعاء. كأنَّهُ يقول: بارك الله يدي المهندس او النقَّاش مرَّة بن مارون او مروان

(الكتابة الثالثة) اطول من الاولى موقعها عند باب حجرة قريبة من المدخل المذكور في واجهة القصر الَّا انها عالية جدًّا . وهي ايضاً على قسمين قسم ممحوّ ومندثر وقسم واضح. فالقسم الاوَّل عليهِ كتابة في ستة اسطر . والقسم الثاني مرقوم على حجر منفرد ليس عليهِ سوى سطر واحد . وتحت الكتابتين بسافتين مركز متهدِّم لمقام تمثال وهذا ما يستخلص من الكتابة الاولى:

١ . . . . . כסרינב . . .

٢ . . . . . כבאנ . .

٣ . . . . . דאכולחדי

٤ . . . . . זולאקרביכול

٥ דהחכל [חיא] . . . . מן די רוחם

٦ די לכבא . . . . . הדיחחיך

١ في هذا السطر نقرأ كلمة ܟܗܢܐ اي كَهَنَة

٢ السطر الثاني لا يستخرج منهُ معنًى

٣ قبل آخر كلمة هي « كلّه » ثم « الذي »

٤ لا يتّضح معنى من هذا السطر ولعلّ في آخره حرفًا محوًّا فلو افترضنا ان هذا الحرف الف وانّ الحرف السابق للحرفين الاخيرين هو « ن » لا « ك » وجدنا هذه العبارة « لا مقرّبين ولا »

٥ الكلمتان ܩܕܝܫ ܘܩܢܝܢ حدس وتخمين. اما آخر السطر فواضح ويتّصل بو السطر السادس فيمكن ان يُقرأ معهُ هكذا « الذي يجب الذي للخبر »

٦ بقيّة هذا السطر حروفهُ واضحة ولعلّ معنى الكلمتين الاخريين « القائد مزدك » فان ܡܪܕܟ تشبه السريانيّة ܡܪܕܘܬܐ اي الدليل والقائد

فهذه الكتابة كما ترى ليست بمقروءة وانّما يرجّح انّها كانت تتضمّن ذكر تمثال نُصب لاحد الوجوه ولعلّ الناصبين هم سَدَنَةُ الهيكل والشخص المكرَّم هو القائد مزدك

(الكتابة الرابعة) هي القسم الثاني من السابقة ممتازة عنها وشبيهة بالكتابة الثانية وهذه صورتها

דכיר ܥܒܕܐܠܗܐ ת

ليُذكر عبدالله ت

آخر الكتابة « ت » والممكن انهُ « س » وليس بعدهُ شيء. آخر ولعلّ الحرف مقطوع عن كلمة تدلّ على نسبة النقّاش « عبدالله » او يكون هذا الحرف منوطًا بكتابة اخرى على حجر قريب من هذا الحجر لكنها مطموسة بالتمام

(الكتابة الخامسة) هذه الكتابة تكرّرت مرارًا على حجارة القصر وهي جليّة واضحة فيها كما هو المرجّح اسم متولي البناء.

ורוד ܡܪܘܐ

ورود مروا

وفي احدى هذه الكتابات أُلحق بالاسم حرف شبيه بحرف « ه » القديمة وعلى رأينا انّها علامة من علامات البنائين. لانّ هذا الحرف ورد مرّة وحدهُ دون الاسم.

وقد وجد الالمان علامات أخرى غير هذه في هـذا القصر وكلها اصطلاحات للبنائين كما هو جارٍ في كل البلاد وكل الازمنة (١

وبديهيّ ان اسم « ررود » من الاسماء الايرانيّة المعروفة. امّا « مروا » فظننتهُ اولاً ܡܪܘܝܐ (مَرْيا) الموافقة للسريانيّة ܡܪܝܐ اي ربّ الّا انّ حرف « ي » في كتابات الحضر معكوسة الشكل فينبغي قراءتها « مروا » ويشبهها في السريانيّة اسم ܡܕܘܝܐ ويجوز ان تُقرأ ايضاً « مدوا » بالدال لتشابه حرفي ד ور في هذه الكتابات وجاء مثلهُ في التواريخ اليونانيّة Μάδοιτα

(الكتابة السادسة) هي في القصر عينهِ فوق باب داخلي مع الكتابتين التاليتين كانت مطليّة بالحمرة فيصعب قراءتها. فهذه صورة الواحدة

١ דכיר בר פז

٢ ל בר נלו ·

١ ليُذكر ابن فزل

٢ بن نلو.

الحرف الاخير غير واضح. واسم فزل معروف ورد سابقاً في كتابة تدمريّة (cfr. M FO. t. IV. 756) امّا اسم العلم الاخير فغير اكيد

(الكتابتان السابعة والثامنة) قلنا الكتابتان لانّهُ يحتمل ان السطر الثاني كتابة مستقلّة وهما

דכיר רבן בר סין בר בלבו

ليُذكر ربان بن سين بن بلبز

ורד המרן

ورد مران

الكتابة الثانية صعبة القراءة ويمكن ايرادها على صورة اخرى اعني « وردت مران » او « سمان » وكلها اسماء ايرانيّة

١) قد رسم اينسورث الانكليزي المذكور في بدء هـذه المجالة معظم تلك العلامات فنشرها في مجلة العاديات الكتابية (Proceedings of the Society of biblical Archaeology, 1892, p. 256)

والكتابات السابقة (اي ٦ و ٧ و ٨ كلها بخطّ يناسب الخطّ البهاوي الشائع في عهد دولة بني ساسان لكنهُ مع ذلك له علاقة وثيقة مع خطوط كتابات الحضر السابق وصفها

وفي جدول الحروف الاراميَّة التي اثبتناها مع المقالة عمود خاصّ بكلّ حروف كتابات الحضر

(الكتابة التاسعة) وقد بقي علينا ذكر كتابة أُخرى حروفها غاية في الضبط والاتساق حيث ورد الحرفان « ي , و » قائمين ومتشابهي الصورة وقراءتها واضحة

דכיר מקימו

ليذكر مقيمو

فالعلم « مقيمو » شائع في الكتابات التدمريَّة. هذا واضرب صفحاً عن كتابتين أُخريين طُمست صورتهما فلا يمكن حلّ رموزهما

هذا ما جمعهُ الالمان من كتابات الحضر . ولا شكّ انهم لم ينقلوها كلها والدليل على ذلك انَّ المسيو جاكيره (Mr Jacquerez, R. A., 1897, II, 351) المهندس الذي وُجد في الموصل سنة ١٨٩٧ كان نشر كتابةً اخرى وجدها في اعلى احد ابواب القصر الداخليَّة ولم يُحسن رسمها ولذا لا نقدر على قراءتها . وكذلك المسيو فوسة (M. Fossey) كان اخذ صورة كتابتين اخريين نشرهما المسيو هالوي (J. Halévy, *Rev. Sémit.* 1902, p. 192) دون رسمهما فالثانية منهما هي هي الكتابة الاولى التي شرحناها في مقالتنا وقد شرحها هو شرحاً مغلوطاً فقرأ الكلمتين סנטרוק מלכא (سنطروق الملك) على هذه الصورة « חוטריא מלדא » اي « حوطريا (ابن) ملدا » وهو تصحيف واضح

*

ولا شكّ انَّ القارئ يسألنا ومن هو هذا « سنطروق الملك » فنجيب انَّ هذا الاسم أُطلق على كثيرين . واليونان يكتبونهُ غالباً على هذه الصورة (α)ναστρόκης اما السريان فكتبوهُ ܣܢܛܪܘܩܝܢܐ واختصروهُ بحذف آخره فقالوا ܣܢܛܪܘܩ . والظاهر انَّ عرب الجاهلية في شعرهم اشتقُّوا اسمهُ من السريانيَّة

وقلبوا مكان النون للقافية فقالوا « ساطرون » ولعلهم قرأوا الاسم بالحرف الكوفي فقرأوا « ساطرون » بدلاً من سناطروق او سنطروق وفي كتابة الاسمين بالكوفي تشابه كبير. ومما لا ينكر انَّ الاسمين لمسمًّى واحد. قال ابو دؤاد الايادي

ابن ذو التاج والسرير فباذٌ خبَّتْهُ فباد احدى الجنونِ
ونقد عاش آمناً للدواهي ذا عتادٍ وجوهر مخزونِ
وارى الموت قد تولى من الحضر على ربِّ اهلهِ الساطرونِ (١

وما لا شبهة فيهِ ان « ساطرون » العرب هو هو « سنطروق » السريان واليونان

واوَّل من عُرف بهذا الاسم كان من ملوك الدولة الارشكيَّة ويؤخذ من نقودهِ المضروبة باسمهِ على رأي الاثريين الجدد انَّهُ ملك بين ٧٧ الى ٧٠ قبل المسيح (٢. ومما يُخبر عنهُ انَّهُ جلس على سدَّة الملك وعمرهُ ٨٠ سنة بعد ان عاش مدَّة في اقطار الاسقيثيين وملك سبع سنوات وكان مقيماً في بلاد فاه او ماداي

وذكر السريان في اقاصيصهم رجلاً آخر باسم سنطروق زعموا انهُ كان اباً لاحد المجوس الذين قدموا ليسجدوا للطفل يسوع المولود في بيت لحم (٣

وعُرف سنطروق ثالث تملَّك على حادياب بين السنة ٩١ و ١٠٩ للمسيح. ومما يُروى عنهُ انهُ قتل الرسولين تادَّاوس وبرتلماوس. ومن المرجَّح انهُ استولى على بلاد الرها وسكن في نصيبين المدودة وقتئذٍ من مملكة حادياب (٤

---

١) هكذا وردت الابيات في حماسة البحتري (éd. Cheikho, p 87 et XXXII) ورُوي البيت الاخير لعديّ بن زيد على هذه الصورة:

وارى الموت قد تدلى من الحضر م على ربِّ ملكهِ الساطرونِ

٢) اطلب مسكوكات ملوك الفرس (W. Wroth: *Catalogue of the Coins of Parthia* (1903) p. XXXI)

٣) المكتبة الشرقية للسمعاني (ج ٣ ص ٣١٦) وكتاب النحلة (Budge: *The book of the bee*, p. 84). وقد ورد الاسم هناك في بعض النسخ مصحَّفاً « بيطروق وسيطروج » ܒܝܛܪܘܩ و ܣܝܛܪܘܩ

٤) اطلب غوتشميد في تاريخ مملكة الرها (Gutschmid: *Untersuchungen über d. Gesch. d. Kanigreichs Osroëne*, p. 27)

وروى السريان انَّ ملكاً جبَّاراً (ܚܕܪܐ) يدعى سنطروق بنى مدينة الحضر التي نحن في صددها (١ واذ وجدت مدن اخرى بهذا الاسم (٢ دُعيت هكذا تمييزاً لها « حضر سنطروق » (ܚܕܪܐ ܕܣܢܛܪܘܩ) فسنطروق هذا صاحب الحضر هو الذي عرفهُ العرب وروَوا عنهُ الروايات العجيبة (٣ والخرافات المنقولة عن روايات شتى قديمة وحديثة لم يقدروا على تمييز غثّها من سمينها

وعاش في عهد القيصر طرايان سنطروق خامس لم تطل مدَّتهُ ذكرهُ المؤرخ مالالا (Malala, P. G. t. 97, 270) وروى ان الامبراطور ترايان مشى لمحاربتهِ في السنة ١١٦ م فغالبهُ لخيانة اصحابهِ فمات في تلك السنة

وملك على البحرين سنطروق سادس في زمن الملك اردشير الاول. هذا الى بعض من سُمّي بسنطروق ممن لا علاقة لهم مع الحضر (٤

فترى ايَّ ملك من هؤلاء هو المذكور في كتابة الحضر التي قدَّمناها على سواها. لا ريب انهُ ليس بالسادس ولا الخامس ولا بابي احد المجوس الذي سار الى بيت لحم للسجود للطفل الالهي . فبقي ثلاثة اي الاوَّل والثالث والرابع فاماَّ الرابع المعروف بالجبَّار فلا نعرف من امرهِ شيئاً سوى انَّ العرب دعوهُ بالساطرون ونسبوا اليهِ تشييد مدينة الحضر (٥ وعلى الاقلّ تزيينها بالمباني الجليلة وتحصينها

---

١) اطلب معجم بر بهلول ܚܕܪܐ Bar Bahlul, *ed. Duval*. s. v.

٢) الحَضَر في العربيَّة خلاف البدو. والسريان كانوا يكتبون هذا ܚܕܪܐ وفي بعض الاحيان ܚܕܪܐ. وربَّما كتبوهُ بالجمع ܚܕܪܐ فنقلهُ المؤرخ اريان على صورة Ἄτραι

٣) اطلب شيئاً من ذلك في كتاب الطبري لنلدك (Noeldeke, *Tabari*, p. 34 seq.)

٤) اطلب كتاب الاعلام الايرانيَّة (F. Justi, *Iranisches Namenbuch*, p. 282-283)

٥) لا يُعرف زمن بناء الحضر والحفريَّات التي اجروها هناك ليست بكافية للدلالة على تاريخها وما لا يُنكر انَّ مدينة كهذه كثيرة المباني ذات اسوار وقصور لم تُشيَّد دفعةً واحدة بل نستطيع ان نؤكد انَّها وُجدت قبل المسيح بقرون عديدة فكانت لحسن موقعها بين دجلة والفرات محطاً للقوافل المارَّة فيها كما كانت تدر مقاماً وسطاً لتجارة الشام وما بين النهرين والعرب. وعلى رأي حضرة الاب شيل (Annales de Tukulti-Ninip II, p. 34) انَّ الحَضَر بُنيت على عهد تلتفلاصر في اواسط القرن الثامن قبل المسيح. وفي بعض روايات العرب ما يشير الى قدمها. قال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٢٨٤) : « يقال انَّ الحضر بناه

א	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ב	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ג	[illegible]		[illegible]	[illegible]
ד	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ה	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ו	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ז	[illegible]		[illegible]	[illegible]
ח	[illegible]	[illegible]		[illegible]
ט	[illegible]			[illegible]
י	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
כ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ל	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
מ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
נ	[illegible]		[illegible]	[illegible]
ס	[illegible]			[illegible]
ע	[illegible]			[illegible]
פ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
צ	[illegible]			[illegible]
ק	[illegible]			[illegible]
ר	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ש	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ת	[illegible]	[illegible]		[illegible]

١ ٢ ٣

٥/٨

بالحصون المنيعة التي جعلتها من اقوى المدن واحرزها حتى في وجه الرومان. وجاء في روايات العرب ان الساطرون المذكور كان على عهد سابور الاوّل وذلك في اواسط القرن الثالث. لكنّ تحصينات المدينة كانت سبقت هذا العهد ولولاها لما امكن اهلها ان يردّوا مرّتين غارات الرومان في ايّام الامبراطورين طرايان سنة ١١٧ ثمّ سبتيميوس سابوس سنة ٢٠١. ومن ثمّ لا بُدّ من القول انّ باني المدينة او بالحري مزيّنها حتى زمن سابور بمدّة طويلة (١

فبعد هذه الملحوظات لم يبقَ لنا الّا ان نختار احد الملكين المدعوين بسنطروق اي سنطروق الملك الارشكيّ الذي عاش من السنة ٧٧ الى ٧٠ قبل المسيح او سنطروق ملك حادياب من سنة ٩١ الى ١٠٩ بعد المسيح

ولا نظنّ انّ المراد بسنطروق هو الملك السابق للمسيح لانّنا كما قلنا لم يملك الّا في سنّ الثمانين بعد المنفى الطويل فلا يقبل العقل انّهُ فكّر في اواخر عمره ان يحصن مدينتهُ بتحصينات عظيمة ويزينها بالقصور الشاهقة والاغلب انهُ لم يوجه اهتمامهِ الى هذه الاصقاع من مملكتهِ. ولنا دليل آخر على انّ سنطروق هذا هو غير المقصود بالكتابة لان هندسة ابنية الحضر ونقوشهُ تدلّ على زمن اقرب الينا من زمانهِ كما اشار اليهِ المهندسون الالمان الذين ارتأوا انّ هذه الاثار من عهد الرومان بعد المسيح

وعليهِ لم يبقَ الّا القول بانّ سنطروق المرويّ اسمهُ في الكتابة انّما هو الذي عيّنا ملكهُ من السنة ٩١ الى ١٠٩ للمسيح المالك على بلاد الرها وحادياب. امّا

الساطرون بن اسطيرون الجرمقي وانهُ غزا بني اسرائيل في اربعمائة الف فدعا عليهِ ارميا النبي عم فهلك هو وجميع اصحابهِ الخ ٥. فهذه الرواية مع غرابتها تُشير الى معتقد العرب بقدم الحضر

١) والعرب كثيرًا ما يدعون الساطرون باسم الضيزن وعلى رأينا انّهُ لا يمكن توحيدهما. فان كان الضيزن قد وجد حقيقةً فلا بُدّ من القول انهُ كان غير الساطرون. والمرجّح انّ الضيزن كان عربيّ الاصل كما ذكر هشام بن الكلبيّ في تاريخ الطبريّ فعاش في ايام سابور ونسب اليهِ العرب مآثر سنطروق او ساطرون سلفهِ وقد ميّز البكري في معجم ما استعجم (éd. Wüstenfeld, p. 17) بين الضيزن والساطرون قال: « هزمهم (اي العباد) سابور فسار مظلمهم ومن فيهِ خوض الى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية التنوخيّ حتى نزلوا الحضر وهو بناء بناهُ الساطرون الجرمقانيّ فاقاموا بهِ مع الزبّاء الخ »

اخباره فورد منها شيء قليل في تواريخ الارمن فجاء هناك انهُ ابن اخت ملك الرها الابجر المعروف باوخاما اي الاسود المتوفى نحو السنة خمسين للمسيح. ومن ثمَّ يرجَّح انَّ اصلهُ كان آراميًّا فيكون اتخذ اسم سنطروق العجمي عند جلوسهِ على عرش مملكة الحضر. والظاهر انهُ اصاب بعض الشهرة بدليل نسبة استشهاد الرسولين تدَّاوس وبرتلماوس اليهِ. وكان ملكهُ على بلاد آراميَّة محضة. ويزيد قولنا في اصلهِ الآرامي ان مؤرخي العهد الروماني لم يذكروا الَّا ملكًا واحدًا على الحضر انتصر لفشنيوس نيجر لمَّا عصى على الامبراطور سبتيموس سابيرس السنة ٢٠٠ م وهم يدعون هذا الملك باسم آرامي بَرسيميا (Βαρσημίας) (١

ولنا تأييد آخر ادلّ واقرب وذلك بورود اسم ابن سنطروق وحفيدهِ في كتابتنا وكلاهما آراميّ. ومن هذا يلوح انَّ الملوك الذين تولَّوا على الحضر كانوا من دولة واحدة. ثمَّ انَّ مدَّة ملك سنطروق هذا كافية لبناء قصر الحضر اذ ملك ١٨ سنة كما قلنا وليس بمستبعد انهُ سكنهُ زمنًا بذاتهِ ومن الممكن ايضًا انَّ ملوك الرها زاحموهُ فألجأوه ان يخرج من نصيبين فسكن مدينة محصَّنة كالحضر مع ما كان يتهدَّدهُ من غارات الرومان في ذلك الوقت وهم يترصَّدون مملكة الارشكيين المتداعية. فلذلك فضَّل ان يسكن في وسط مملكتهِ بعيدًا عن قلاقل مملكة الفرس وعن حملات الرومان فوطَّد كرسيهُ في الحضر وخلفهُ لاولادهِ من بعدهِ. وكأنَّ كتبة السريان بنسبتهم مدينة الحضر اليهِ (ܡܕܝܢܬܐ ܕܚܕܪܐ) اثبتوا كتابتنا الى هذا الملك دون غيرهِ كما اشاروا الى نسبة استشهاد الرسولين تدَّاوس وبرتلماوس على يدهِ ومهدوا الطريق لاقوال العرب في الساطرون

ومما يزيد ملحوظاتنا قوَّةً امران آخران: الاوَّل انَّنا بنسبتنا بناء قصر الحضر

---

١) ظنَّ العلَّامة نلدك (Noeldeke, *Tabari*, p. 35) انَّ هذا الاسم هو شبيه باسم ܒܪ ܣܡܝܐ المذكور في كتاب تعليم اذاي (Cureton, *Anc. Doc.* p. 14, 63 seq) وان معناهُ « ابن الاعمى » الَّا ان هذا الاشتقاق ليس باكيد والارجح انَّ اشتقاقهُ من بَرْ سيمي (Simî) اي ابن الالفة سيمي. راجع ما كتبناهُ سابقًا في ذلك (Rev. Arch. 1903, II, p. 32 seq) وقد وجد اصحاب البعثة الاميركية في اعلاء الشام مرَّتين هذا الاسم على صورة (Βασσιμας و βαρσημος) اطلب كتاب آثارهم (Americ. Expedit. to Syria, III, n°s 263, 310)

وتحصينات المدينة لسنطروق المذكور نبين بوجه اقرب الى الصواب كيف امكن هذه المدينة ان تقوم في وجه الامبراطور طرايان بعد وفاته بسنين قليلة. والثاني (ولعلّهُ دليل اثبت واقنع) صورة الكتابة الآرامية التي لا تُشبه كتابة النقود السابقة لعهد المسيح بل هي اقرب عهدًا ومع ذلك تجدها مختلفة عن القلم البهلوي الذي شاع على نقود آخر ملوك بني ارشك. وبيانًا لذلك رسمنا جدول الاقلام الآرامية

فلا يبقى الّا دليل الهندسة ونقوش الحضر فانّ الالمان ارتأوا انّ اصلها راقٍ الى القرن الثاني او الثالث للمسيح. لكنّ تردُّدهم في حكمهم يضعف حجّتهم ويبين انّهم لا يفصلون الامر فصلًا تامًّا. وعلى رأينا انّ في طرز ابنية الحضر ما يثبت كونها اقدم من القرن الثالث لما فيها من المسحة اليونانيّة الظاهرة وان كانت تلك المسحة ممتزجة فيها شيء من الرسوم المستحدثة ولكن ترى هناك من النقوش ما لا تراهُ لا في آثار بعلبك ولا في تدمر. ولو سمح لي المقام لاتّسعت في ذلك. على اني لا اشك في قولي ولو درس الالمان تلك الهندسة واستضاؤوا بانوار التاريخ وبفحص الكتابات كما فعلنا لحكموا معنا بانّهُ لا مانع من ترقية عهد قصر الحضر الى اوائل القرن الثاني

وعنا نمسك عنان القلم لئلّا يتجاوز كلامنا حدود العجالة التي قصدناها. وقد ذكرتنا مدينة الحَضر مدينة أُخرى اي تدمر اتّسعنا سابقًا في وصفها (اطلب السنة الاولى للمشرق) ووصف ملكتها زينب او الزبّاء فانّ بين المدينتين شبهًا كبيرًا (١ اذ انّ موقع كلتيهما على حدود البريّة وتحصنت كلتاهما مدّة فقامتا في وجه الرومان ولم يلبث ان حُجب نورهما وتوارى مجدهما (٢ فتناولتهما الالسنة وبنت عليهما الروايات الخياليّة وضُربت فيهما الامثال ولله وحدهُ البقاء.

بيروت في ١٣ حزيران ١٩١٢

---

١) من اراد تاريخًا حسنًا لمدينة الحضر يجدهُ في الدائرة الالمانية (Pauly-Wissowa, Realencyklopaedie) وهذه المقالة للاثري الشهير سغريك (M. Streck)

٢) يستفاد من التاريخ انّ مدينة الحضر كانت اصبحت خرابًا منذ عهد القيصر يوفيان سنة ٣٦٣ م

شرح الجداول حسب الاعداد المرقومة في اسفلها

١ شكل حروف كتابات أرَبسون (او أرابسون) في الاناضول قريباً من مدينة قيصريّة راقية الى القرن الثالث او الثاني قبل المسيح

٢ شكل حروف النقود المكتشفة في برسيبوليس من القرن الثاني والاوّل قبل المسيح

٣ حروف النقود المكتشفة بين آثار أليائيد من القرن الاول بعد المسيح

٤ القلم التدمريّ وقد اشرنا فقط الى الحروف التي تلمح من الطور الراقي من السنة ٩ قبل المسيح الى القرن الثالث بعده

٥ قلم بلاد الرها وحاديات بين القرنين الاوّل والثاني بعد المسيح

٦–١١ هذه الجداول كلها لاقلام كتابات الحضر

٦ فيه قلم حروف الكتابتين الاوليتين في مقالتنا

٧ 〃 〃 〃 الثالثة والرابعة

٨ 〃 〃 الكتابة الخامسة

٩ 〃 〃 〃 السادسة

١٠ 〃 〃 الكتابتين السابعة والثامنة

١١ 〃 〃 الكتابة التاسعة

١٢ قلم كتابات نقود الدولة الارشكيّة : القرن الثاني للمسيح

١٣–١٤ قلم كتابات الساسانيّة الموجودة في حاجي آباد قريباً من برسيبوليس من القرن الثالث للمسيح فالعدد ١٣ يحتوي القلم الكادانيّ البهلوي والعدد ١٤ القلم البهلوي الساسانيّ

فترى من هذه الجداول انّ قلم الحضر شبيه باقلام كتابات اوائل القرن الثاني للمسيح وانّهُ لا يجوز ان يتقدّم عهدهُ او يؤخّر كثيراً على انّ كتابات الحضر عينها تحتوي على قلمين القلم الواحد ادقّ واتقن (كالاعداد ٨ و ١١ واقلّ منها ٦ و ٧) والآخر اقرب الى الكتابة العاديّة (كالعددين ٩ و ١٠) والقلمان على تباينهما من قرن واحد بلا مراء

تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي

فَعِلَ يَفْعَلُ . فَعُلَ يَفْعَلُ . فَعُلَ يَفْعِلُ

بقلم حضرة الخوري دون حنا مرتا قانوني القبر المقدس

تداخُل اللغتين (ويقال له ايضاً الجمع بين اللغتين) في الفعل الثلاثي هو أن يُوخذ الماضي من لغةٍ والمضارع من أخرى فتتركب منهما لغة ثالثة كقولهم فَضِلَ يَفْضُلُ على وزن فَعِلَ يَفْعُلُ فاصحاب هذه اللغة قد اخذوا الماضي من لغة مَنْ يقول فَضِلَ يَفْضَلُ والمضارع من لغة من يقول فَضَلَ يَفْضُلُ

قال الشيخ مجدي اليمني : « والظاهر ان ذلك مقيس غير مقصور على السماع » كما نقلهُ عنهُ الشيخ الرفاعي في حاشيته لامية الافعال . واما جمهور النحاة واهل اللغة فقد جعلوا ذلك من باب النادر والشاذ . ثم انهم قد ذكروا عدّة افعال من هذا الباب على وزني فَعِلَ يفعُلُ ، فَعُلَ يَفْعَلُ ثم فعلًا واحدًا على وزن فَعُلَ يفعِل فقصدُنا ان نجمعها في هذه المقالة افادةً لقرّاء المشرق

فَعِلَ يَفْعُلُ

١ فَضِلَ يَفْضُلُ . هو اشهر الافعال التي وردت على فَعِلَ يَفْعُلُ . نقلهُ عن العرب سيبويه وغيرهُ من النحاة والجوهري وصاحب المختار وغيرهما من اصحاب المعاجم (راجع الصفحة ٤٧٩) . وصرّح بعضهم بانهُ لا نظير لهُ » او لا نظير لهُ في الفعل السالم . والصحيح ان لهُ نظراء في السالم والصحيح والمعتلّ وها نحن ذاكروها

٢ نَعِمَ يَنْعُمُ . ذكرهُ ابن القوطيّة في مقدّمة كتاب الافعال وابن الحاجب في الشافية . وقال ابن قتيبة الدينوري في كتاب أدب الكاتب : « قال سيبويه بلغنا ان بعض العرب يقول نَعِمَ يَنْعُمُ » . ونقلهُ ايضاً الصحاح والمختار والمصباح والتاج في ترجمة نعم وفضل وركن

٣ حَضِرَ يَحْضُرُ . قال الرضي في شرح الشافية : « حكى ابو زيد حَضِرَ يَحْضُرُ » . وحكاهُ ايضاً الصحاح والمختار عن الفرّاء . ونقلهُ اللسان والمصباح والتاج في مادّة حضر وركن ودوم

٤ شَيِسَ يَشْمَسُ. ورد في اللسان والتاج في مظنّته. وانكرهُ ابن سيده ومع ذلك فقد نسبهُ الى اهل اللغة

٥ نَجِدَ يَنْجَدُ. أوردهُ السيوطي في كتاب المزهر والرضيّ في شرح الشافية واللسان والتاج في نجد

٦ نَكِلَ يَنْكَلُ. ذكرهُ صاحب المزهر وصاحب المصباح في مادّة فضل. ونقلهُ التاج في ترجمة نعم وقال الرضي في شرح الشافية: «حكى ابو عبيدة نَكِلَ يَنْكَلُ وانكرهُ الأصمعيّ»

٧ شَيِلَ يَشْيَلُ: نقلهُ السيوطي في المزهر (١:١١٣) وصاحب التاج في ترجمة نعم عن ابن درستويه

٨ رَكِنَ يَرْكَنُ ذكرهُ صاحب المزهر وقال صاحب اللسان: قال كُراع رَكِنَ يَرْكَنُ وهو نادر» واستدركهُ التاج في ركن

٩ فَرِغَ يَفْرَغُ. نقلهُ صاحب التاج في ترجمة فرغ عن الصاغاني وفي ترجمة نعم عن ابن عديس وغيره

١٠ قَنِطَ يَقْنَطُ. اغفلتهُ كتب اللغة ولكن نقلهُ صاحب المزهر (٢:٢١) حيث قال: «وقالوا فَضِلَ ونَعِمَ وحَفِرَ (تحريف حَضِرَ) ونَكِلَ وشَيِلَ ونَجِدَ وقَنِطَ ورَكِنَ ولَبِثَ بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع وفي المثل مِتَّ ودِمْتَ وجِدْتَ كِدْتَ كذلك». وعليه فيكون في قنطَ سبع لغات على وزن ضرب ونصر وعلم وفتح وكَرُمَ وحَسِبَ وفَعِلَ يَفْعَلُ وهو من الغرائب

١١ لَبِثَ تَلْبُثُ. ذكرهُ صاحب المزهر كما رأيت ونقلهُ صاحب التاج عن اليزيدي

١٢ بَرِئَ يَبْرُؤُ. نقلهُ ابن منظور وصاحب القاموس

١٣ مِتَّ تَمُوتُ. نقلهُ سيبويه في الكتاب (٢:٢٤٠) وأمّهات اللغة في مادة فضل ومات (راجع الصفحة ٤٧٩)

١٤ كِدْتَ تَكُودُ. نقلهُ في المزهر كما رأيت. وحكاهُ الجوهري وابن منظور عن سيبويه في ترجمة فضل وصاحب المصباح وصاحب التاج عن ابن القطّاع في ترجمة مات

٥ دِمْتَ تَدُومُ . ذكرهُ ابن قتيبة في أدب الكاتب وصاحب كتاب المراح وصاحب المزهر ونقلوهُ في اللسان والقاموس والمصباح والتاج في ترجمة دام ومات

١٦ جِدْتَ تَجُودُ . نقلهُ في المزهر . وقال صاحب المصباح في مات : « ومِتُّ أُمُوتُ لغة ثالثة وهي من باب تداخل اللغتين ومثلهُ من المعتل دِمْتَ تَدُومُ وزاد ابن القطّاع كِدْتَ تَكُودُ وجِدْتَ تجُودُ » . ونقل كل ذلك صاحب التاج في ترجمة مات

فَعُلَ يَفْعَلُ

١ كُدْتَ تَكادُ . هو أشهر الافعال في هذا الباب . قال سيبويه في الكتاب (٢ : ٢٤٠) : « وقد قال بعض العرب كُدتَ تَكادُ فقال فَعُلْتَ تفعَلُ . . وهو شاذّ من بابهِ كما انَّ فَضِلَ يَفْضُلُ شاذٌّ من بابه » ونقلهُ ايضاً الصحاح وغيرهُ من كتب اللغة

٢ لُبْتَ تَلَبُّ . نقلهُ صاحب المزهر واللسان والقاموس والتاج في لبَّ

٣ دَمْتَ تَدَمُّ . ذكرهُ صاحب المزهر وصاحب التاج في لبَّ

٤ شَرُرْتَ تَشُرُّ . نقلها صاحب التاج في لبَّ

٥ دُمْتَ تَدامُ . ذكرهُ في المزهر واشار اليهِ اللسان في مادّة دوم ونقلهُ التاج في لبَّ

٦ مُتَّ تَماتُ . نقلهُ في المزهر وصاحب التاج في لبَّ

٧ جُدْتَ تَجادُ . قال ابن مالك : فَعُلَ لا يَرِدُ « غير مضموم عين مضارعه الّا في قول بعض العرب كُدْتَ تَكادُ حكاهُ سيبويه . . وحكى غيرهُ دُمْتَ تَدامُ ومُتَّ تَماتُ وجُدْتَ تَجادُ ولُبْتَ تَلَبُّ ودَمْتَ تَدَمُّ » كما جاء في المزهر (٢ : ٢٠) وقال صاحب التاج في لبَّ : « قال ابن القطاع في كتاب الأبنية . . وحكى غيرهُ (اي غير سيبويه) دُمْتَ تَدامُ ومُتَّ تَماتُ وجُدْتَ تَجادُ » والظاهر ان هذا الاخير تصحيف جُدْتَ تَجادُ

فَعُلَ يَفْعِلُ

وَجُدَ يَجِدِ . قال صاحب القاموس : « وَجِدَ كعَلِمَ وكَرُمَ يَجِدُ فيهما » . وقال صاحب التاج في شرحهِ : أمّا فَعُلَ بالضمّ يكون مضارعهُ يَفْعِلُ بالكسر فهذا من

الغرائب التي لم يقلها قائل ولا نقلها ناقل » غير انَّ صاحب التاج قد قال في ترجمة عنق : « لكنَّ المصنِّف (صاحب القاموس) ثقةٌ فيما نقلهُ فينبغي ان يكون ما يأتي بهِ مقبولًا » ولو اغفلهُ سائر اللغويين

الأرق واسبابه ومعالجته

للدكتور كامل سليمان الخوري

الأرق عرض من الاعراض المزعجة التي ترافق كثيرًا من العلل الخطرية والجلديَّة ومدار هذه المقالة على الأرق بحدّ ذاتهِ دون ان يكون مربوطًا بحالة مرَضيَّة معروفة . ولا يبرحنَّ عن البال ان الارق كثيرًا ما يكون ظاهريًا وليس حقيقيًا فيخال للمريض المبتلى بهِ انهُ لم ينمْ مع انهُ يكون قد نام نومًا متقطعًا انما يسود عليهِ الوهم بانهُ لا ينام

ومن اكبر دواعي الارق تعب الجسم المرهق وانشغال البال الزائد . فكثيرون يعروهم الارق لاقلّ نصَب يعانونهُ . واحسن واسطة تُعمل لإراحتهم حمّام فاتر على ٣٤ او ٣٥° مع غلاية الزيزفون مقدار خمسمائة گرام من الزهر مدة ربع ساعة فقط . وان زاد التعب يكرَّر هذا الحمام كل يومين . كما ان تغطيس الرجلين او اليدين في ماء حرارتهُ على ٤٠° مدَّة نصف ساعة يولي المأروق راحة تُذكر عند ما يأوي الى الفراش . بيد ان العرق الغزير الذي يرافق ذلك يفقد هذه الواسطة شيئًا من خواصها المفيدة ولذلك قد وصف « هوشار » تغطيس الرجلين او اليدين مُناوبةً في ماء حار وماء بارد بان يوضع امام الشخص وعآن الواحد يحتوي ماء على ٤٠° والآخر على ٢٠° تُغطس الرجلان لحدّ نصف الساق في الماء الذي على ٤٠° مدَّة ثلاث دقائق ثم في الماء الذي على ٢٠° مدَّة نصف دقيقة يكرَّر هذا العمل ثلاث مرات بالتتابع . يعمل هذا المغطس عند النوم اي بعد اخذ طعام العشاء خفيفًا وسهل الهضم

ولا بُدَّ من مراقبة الانبوب الهضمي باعتناء تامّ لان تلك وظيفة الهضم كثيرًا ما يساعد على الارق وحضور الكابوس وتوهم الادواء والغلل واحسن ما قيل في

هذا قول الدكتور ثانديك في باثولوجيتهِ على سبيل الهزل: « تأخر زيد في عشائهِ ثم اكل كبيبة وسمكاً ورزاً وجانباً من التوابل والمخللات وشرب كاساً من الخمر الصفراء ثم اكل كنافة وبقلاوة وبعض الربيات وشرب كاساً من الخمر السوداء ثم اكل فاكهة مختلفة الانواع من موز وتفاح وبرتقال وشرب قنينة من الشمبانيا وطلب النوم بعد حين فركبهُ الكابوس وشاهد الشياطين والابالسة وقام في الصباح قلقاً مغموماً. التقيتُ بهِ وهو نازل الى مخزنهِ وسألتهُ عن سلامتهِ فقال: ان صبر عليَّ اصحاب الديون في هذا النهار بعتُ املاكي واوفيتُ ما عليَّ واقفلتُ عليَّ لاني على حافة الافلاس. وزد على ذلك اني اخشى على صحة عائلتي فانا مضطرٌ الى ان اخرجها الى خارج المدينة سريعاً لئلا يموت احد اولادي. ولما سألتهُ عما اكل البارحة واخبرني سكتُّ وقلتُ في نفسي: الكابوس من الكبيبة. والابالسة والشياطين من السمك والتوابل. والافلاس وخراب المحل من الخمور. وفساد صحة العائلة من الفواكه والمحالي. ثمَّ التقيت به بعدما صار لمعدتهِ فرصة لتغريل تلك البالوعة التي ملأها بها. فوجدت المحلَّ ناجحاً لا دين عليهِ والنفقات معتدلة. وصحة العائلة جيدة. ولا خوف من الافلاس ولا من خراب البيت وقد عدل عن بيع الأملاك وعن الذهاب من المدينة... وكم من مشاجرة سببها طعام غير مهضوم وكم من امرء حمله سوء الهضم على قتل نفسهِ » اه

وعليهِ فاذا كان هضم الأروق سيئاً بما يُعرف من وسخ اللسان واكتسائهِ طبقةً بيضاء غليظة ومن الدوار الخ وجب عليهِ ان يأخذ ملء ملعقة قهوة من المزيج الآتي في قدح من الماء السخن:

كبريتات الصودا	٤٠ غراماً
فوسفات « «	٢٠ «
بيكربونات « «	١٠ غرامات

تُنقص الجرعة حينما تستطلق الباطنة وتُزاد في حالة القبض. واذا كانت مواد البراز جافةً بنوع ان يعجز الليّن المارّ ذكرهُ عن التأثير يؤخذ قبل الطعام حبة تحتوي على الصبر. ويجب على المداوي جسّ بطن مثل هؤلاء المرضى جيداً لانهم كثيراً ما يكونون عرضةً لحالة قبض مجهولة عندهم فان جُدر امعائهم المكسوة موادَّ براز يَّة

قديمة وملتصقة يُشعَر بها من الخارج مثل قطع مقانق مسترخية امّا بقيّة الفائط السائل فيخرج بواسطة مجرى مركزيّ. واعلم انّ مثل هؤلاء المرضى لو سألتهم عن حالة امعائهم اجابوك بانها ليست قابضة وسبب ذلك تغوّطهم من وقت الى آخر ولكن هذا التغوط يصحّ تسميتهُ باندفاقي لان المعا لا يعود يستطيع سعة ما ترسلهُ لهُ المعدة ولذا يتوجب تفريغ محتوياته ليعود النوم واحسن الوسائط للوصول الى ذلك استعمال مستحضرات الصبر والحقن الملينة السخنة

ولما كان الضجر والقلق من اعظم مسبّبات التعب وجب والحالة تلك تطمين المريض بالكلام اللطيف المقنع بان هذا الارق ليس مؤذياً الى الدرجة التي يتصوّرها هو وانهُ ينام نوماً كافياً بدليل انهُ كثيراً ما فوجئ شاخراً حال كونه كان يتصوّر بانهُ لم ينم ومع ذلك فاذا لم ينم هذه الليلة سينام في غيرها ويكفي انهُ باضجاعه ليلاً قد جدّد قواه وهكذا يجب ملاطفة المريض بما امكن من الطرق لاقناعه بعدم خطورة الحال حتى تهدأ افكارهُ ويستريح ضميرهُ فلا يعتم من ثمّ ان يعاودهُ النوم الذي كان قد فارقه ايلماً بل اسابيع

امّا المنوّمات فلا يسوغ استعمالها الّا في الدرجة القصوى فهي اذا قاومت النتيجة اي التهيّج تزيد في قوّة السبب اي التعب . ومع هذا فاقل المنوّمات ضرراً هي فوّات النشادر والايثير على هذا الترتيب:

فوات النشادر	گرامان
ماء النعنع	٩٠ گرامات
صبغة الواليريانا الايثريّة	١٠ گرامات

يؤخذ منه ملعقة قهوة عند النوم في نصف قدح ماء.

ويجوز استعمال ماء زهر البرتقال مائة گرام عند النوم او جُرَع خفيفة من « الكودئين » (codéine) ممزوجة مع الايثير اذا كان الضجر زائداً:

شراب الكودئين	٦٠ گراماً
ايثير كبريتي	٥٥ گرامات
ماء الواليريانا	٦٠ گراماً

يؤخذ ملعقة طعام عند النوم في قليل من الماء . امّا استحضارات البروم فلا يسوغ

الاستمرار على استعمالها زمناً طويلاً لأنها سيئة التأثير في الافكار والذاكرة ويمكن استعمال الترتيب الآتي مدة من الزمان:

برومور البوتاسيوم	١٠ كرامات
شراب قشر البرتقال المرّ	١٠٠ كرام

ويُوخذ منهُ ملعقة شوربه عند طعام المساء في قليل من الماء. امّا السلفونال فيجب استعماله بمزيد الحذر لانَّ لهُ تأثيراً سامّاً وخصوصاً في الكليتين. ويؤثر عليه « الفيرونال » بجرعة ثلاثين سنتكراماً في برشان يكرّر ذلك ليلتين متواليتين. امّا اذا زيدت هذه الجرعة لحدّ خمسين سنتكراماً فيخشى حصول عوارض انسمام. ويجوز أيضاً استعمال « التريونال » بجرعة خمسين الى خمسة وسبعين سنتكراماً في برشانة عند النوم. وهناك عقاقير عديدة لا أرى لزوماً لتعدادها والأمر المهم هو عدم الاستمرار مدة طويلة فلا يجوز استعمال العلاج اكثر من يومين الى ثلاثة. ثمَّ يُعاد الى استعمال الفوّات وماء الزهر

اتذكّر انهُ كان اعتراني أرق خفيف في صيف حارّ فافادني كثيراً استعمال الحمّام المتشلشل قبل النوم فكنت اجد راحةً عظمى فليجرّب اذاً من أُصيب بالأرق. هذا وكثيراً ما يأرق المرء لسبب لسع البقّ او الناموس او البراغيث وتلك علّة لا تبرأ الّا بالنظافة والاعتناء بازالة هذه الحشرات المؤذية

العقائد الوثنية في الديانة النصرانيَّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

٢ السيد المسيح وبقية المعتقدات النصرانية

عرف القرّاء من مقالتنا السابقة خصّة بضاعة محمّد طاهر التنير بنقله اقوال بعض الزنادقة في حقّ النصرانيَّة ولا يعذره كونهُ اخذ منقولاته عن كتب انكليزيَّة بل رأى البعض عذره اقبح من ذنب وكلّنا يعرف ان « البضاعة الانكليزيَّة » ترادف البضاعة السيئة

وألحق التنير فصله الاول عن الثالوث الاقدس ومزاعمه الغريبة عن هذا السر بفصول أخرى ليست دونه عنتاً وجهلاً وهذه الفصول لا تقل عن ١٧ فصلاً مرجعها الى سر تجسد ابن الله واخبار حياته وموته وقيامته مع ذكر والدته الطاهرة جمع في كل فصل منها نتفاً من اقاويل صحيحة او كاذبة تناقلها الملحدون من اقاصيص الوثنيين في ازمنة وامكنة شتى وهم في الغالب قد انتقوها من كتب مطولة وانتزعوها من قوانينها فتشوهت معانيها ودلت على مدلولات مخالفة لاصولها. وهي طريقة من التزوير القبيح من الكذب لا يلتجئ اليها الا ذوو الغايات واملّ محمّداً طاهراً التنير لم ينتبه الى تلك الغايات فروى ما نقله عن كتبه كما يردد الصدى صوت الصارخ او بالحري كما تكرر الببغاء ما تسمعه دون ان تفقهه ومن ثمّ اخذنا العجب من صاحب "المنار" الاسلامي في مصر اذ نعت كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية في عدده الاخير (٣٠ جمادى الاولى ١٣٣٠ ص ٤٠٠) "بانفع كتاب في بابه" ثمّ قال "ان مؤلفه التزم النزاهة في القول والمجادلة بالتي احسن" (كذا) فلله درّها من نزاهة وأنعم بالتي احسن !!

فلنعرضنّ اذاً سفاسف محمّد طاهر التنير على محكّ الانتقاد ونمحصها في بوتقة العقل الصائب ولا نظنّ انّ القارئ ينتظر منّا رداً على كل ما جاء في كتاب التنير من الخرافات والمزاعم الفارغة الّا اننا لا نضنّ عليه بالملحوظات التي تميط القناع عن صحّة الامر وتبيّن لكل ذي عينين انّ سهم مؤلف كتاب العقائد الوثنية طاش عن الهدف او بالحري انعكس عليه فجرحه

وعنا لا بُدّ من تكرار الملحوظات الاجمالية التي قدّمناها سابقاً على مقالتنا الاولى والتي تقوّض كل اقوال التنير فتنزع عنها قوّتها الجدلية وهي كافية بذاتها ان تنفي حجّة كل الخصوم وتزكّي النصرانيّة عمّا نُسب اليها من اتباع آثار الوثنيين ونقل معتقداتها عنهم

ولكن دعنا نستبطن الفصول التنيرية لنستطلع لبابها

١ بعض المستحيلات في اقوال التنير

زعمتَ يا صاح انّ ما يخبره النصارى عن السيد المسيح من حيث مولده وعجائبه

وحياتهِ وافتدائهِ للبشر بموتهِ ثم قيامتهِ وصعودهِ الى السماء كل ذلك منقول عن معتقدات وثنيَّة باطلة فان ثبت قولك نتج عنهُ انَّ السيد المسيح شخص وهمي لا صفة لوجودهِ كالآلهة المزعومة التي سبقتهُ ونُسبت اليهِ اخبارها الخياليَّة زورًا فنسأل النير: ما قولك بشواهد التاريخ المتسلسل منذ ايَّام المسيح الى عهدنا وكلها تروي بلا انقطاع اخبارهُ كما رواها رسلهُ وتلاميذهُ ودوَّنوها في كتبهم الباقية الى زماننا التي يشهد لصحَّتها اكبر علماء عصرنا حتى الذين لا يدينون بديانتنا او جحدوها كهرنالك وستروس ورينان. فلو عرضتَ عليهم مكتشفاتك في بعض الكتب الانكليزيَّة لضحكوا منك وازدروا بك مدبرين

وهَبْ انَّ هولاء الكتبة النصارى أغوتهم الاغراض او أعمت بصائرهم الأمانيّ فما قولك بشواهد التواريخ التي كتبها غير النصارى المعاصرين للسيد المسيح او القريبين من زمانهِ كفلافيوس يوسيفوس اليهودي الذي سعى الكفرة ان يبطلوا شهادتهُ فخاب سعيهم. وكتاكيتوس المؤرخ الروماني الوثني وكبلينيوس حاكم بيثينية على عهد طرايان وكساويتونيوس الكاتب وغيرهم ممن تؤيد شهادتهم رواية الانجيل في حقيقة مجيء المسيح وكرازتهِ وموتهِ صلبًا ومرويَّات تلامذتهِ عنهُ

ومن هولاء الكتبة مَن قام لمعاداة النصرانيَّة ودَحض معتقداتها في القرون الاولى للنصرانيَّة منهم وثنيُّون كقلسوس الفيلسوف وبرفيريوس الصوري ومنهم مبتدعون للبدع المختلفة. فهولاء بطعنهم في النصرانيَّة يشهدون لاصلها التاريخي ولمنشئها الالهيّ السيد المسيح ولا ترى واحدًا منهم مع قربهم من اوائل العهد النصراني يلتجئ الى برهان تَفِه كهذا فيفحم انصار الدين المسيحي بقولهِ انَّ مسيحهم شخص خيالي لا وجود لهُ وانَّ ما يحكونهُ عن حياتهِ وموتهِ وقيامتهِ انَّما هو اختراع فريّ نقلوهُ عن اساطير الهنود والوثنيين. فيا لله احتاج العالم الى مرور ١٩٠٠ سنة حتى يقوم في عهدنا بعض المتشدقين فيزعمون انَّ النصارى لبَسوا مسيحهم باثواب استعاروها من امم شتى فأبصروا في حياتهِ وموتهِ ما لم يبصرهُ احد قبلهم. فلا شك انَّهم اكتشفوا نظَّارة تُريهم عن بعد ما لم يَرَهُ غيرهم عن قُرب

وما لي التجئ الى كتبة غرباء ولي في كتبة المسلمين احسن شاهد على تاريخ المسيح وحياتهِ ومعجزاتهِ فانَّهم كلَّهم دون استثناء اذا كتبوا تاريخًا عموميًّا ذكروا

كالنصارى مولد السيد المسيح وانحداره الى مصر في وجه هيرودس وعيشته في الناصرة وتبشيره في انحاء الجليل واليهودية واتخاذه لاثني عشر تلميذاً وحكم اليهود عليه بالموت وصعوده الى السماء. وان خالفوا تاريخ النصارى في شيء اشاروا اليه. راجع هذه التواريخ مباشرة باولهم ابي جرير الطبري ثم المسعودي والبيروني والمقدسي وابن الاثير وابن خلدون والمقريزي وابي الفداء. فهؤلاء كلهم وهم فوق طبقة التنير كالثريا فوق الثرى جهلوا النسبة بين المسيح وأصنام الهند والصين مع انَّ بعضهم كالبيروني وصفوا وصفاً حسناً خرافات تلك البلاد القاصية

ولو شئتُ لبيَّنت للتنير انَّه بطعنه في شخص السيد المسيح يطعنُ في دينه لانهُ يجد في كتابه تعظيم "كلمة الله" عيسى بن مريم وخلاصة حياته منذ مولده دون زرع بشر وعجائبه في مهده حتى صعوده الى السماء ومعجزاته المتعددة كشفاء المرضى واثارة ابصار العميان وفتح آذان الصُّمّ واتخاذه المبشرين لدعوة الناس الى الانجيل المحتوي للنور والهدى وذكر مجيئه يوم الدين مع اصطفاء والدته الطاهرة التي لم يمسَّها الشيطان بخطيئة. فهذه وغيرها لا نعلم كيف أضرب الصفح عنها محمَّد التنير ليعدل الى اقاويل اوهن من نسج العنكبوت زاعماً بانَّ حياة السيد المسيح ووالدته ليست غير سلسلة خرافات فجرح دينهُ قبل ان يجرح ديننا

واثبتُ من هذه الادلة التاريخيَّة دليل الآثار النصرانيَّة من تصاوير ونقوش وكتابات وجدها الأثريون في انحاء الشرق والغرب ولاسيما في دياميس رومية ومنها ما يرتقي الى زمن قريب من ظهور الدعوة النصرانيَّة حتى اواخر القرن الاول للميلاد. فهناك معظم اسرار حياة السيد المسيح في بيت لحم والناصرة واورشليم والجليل واليهوديَّة منذ ولادته الى صلبه وقيامته وصعوده ما يقوم بلسان حاله مقام الروايات الانجيليَّة ويثبت انَّ ما اعتقدهُ النصارى قبل تسعة عشر قرناً يعتقدونهُ اليوم بلا اختلاف ولا فرق. فليأتنا التنير بحياة اي إله كان مدوَّنةً هكذا على الصخور متتابعةً متواصلةً من مولده حتى وفاته فان لم يستطع وهيهات ان يستطيع فليقرَّ انهُ بطعنه في شخص المسيح الكريم أتى مُنكراً واثماً فظيعاً

وينفي كلَّ مزاعم التنير في السيد المسيح شهادةُ رسله وتلاميذه عنهُ فانَّهُ اوعز اليهم ان يجوبوا العالم كلهُ بلا فضَّة ولا مزود ولا ثوبين وان يبشروا باسمه امام

الملوك وتهددهم بانهُ ينكرهم امام ابيهِ الذي في السماوات اذا نكروهُ امام البشر وطوبهم اذا لعنوهم وشتموهم وقتلوهم لاجل اسمهِ فطافوا المعمور واتمّوا وصيَّة سيدهم وماتوا بفرح لتأييد شهادتهم. فليذكر لنا التنير الهًا او بشرًا مات لاجل اسمهِ نحو عشرة ملايين من كلّ طبقات الناس لا في القتال بل امام الحكّام والملوك مفضّلين ضروب الموت على ان يجحدوا ايمانهم. وهذه شهادة الدم كما قال احد كبار الفلاسفة كافية لأن يطأطئ كلُّ بشر رأسهُ منحنياً امام المسيح الاله وقد ادّاها في ازمنتنا الاخيرة نيّف ومئة الف من النصارى في الصين وطنكين وبلاد افريقية والشام وارمينية فرأوا في الموت حياةً

فترى كم وكم من المستحيلات ازدردها التنير ليثبت زعمهُ بان حياة المسيح وموتهُ ومعجزاته انما هي ترّهات واقوال خرافيَّة

٢ نظر في الديانات التي زعم التنير ان النصرانية اخذت عنها معتقداتها

ولكن هلمَّ بنا نعمل النظر وان قليلًا في الديانات الوثنيَّة التي زعم التنير مستندًا الى بعض الملحدين انَّ النصرانيَّة اخذت عنها معتقداتها. فمما ذكر هناك ديانات البابليين والمصريين والفرس واليونان والرومان والصينيين وخصوصاً ديانة الهند. فلو اردنا ان نتتبع كل دين من هذه الاديان لما كفتنا المجلدات الضخمة وعاذ القرّاء بالله من فظائعها واوجاسها. ونحن نذكر شيئاً منها ليعرفوا في ايّ حمأةٍ رمى التنير بنفسهِ رجاء ان يدنّس النصرانيَّة الطاهرة ونستند في ما نقول الى آخر ما كتبهُ العلماء في ذلك وان طلب منَّا احد القرّاء زيادة ايضاح عن كل ما نرويهِ فلا نتأخر عن اجابة طلبتهِ

(الديانة البابليَّة) خلاصة ما اطلعتنا عليها الآثار المكتشفة منذ ٧٠ سنة الى اليوم ان الديانة البابليَّة كانت في اوَّل الامر تختلف اختلافًا كبيرًا فكان لكلّ مدينة إلهها الأكبر تحت حكمهِ آلهة متعدّدة خاضعة لهُ. ولمَّا غلبت بابل على بقيَّة المدن قدَّمت الهها مردوك على سائر الآلهة ثمَّ اتخذوا ثلثة آلهة كان احدهم وهو أنو يملك على السماء ويدعى أبا الآلهة. والثاني على الارض يُدعى إنليل ثم عُرف باسم بيل. والثالث إيا وهو اله البحر. ولمَّا غلب الاشوريون البابليين رفعوا إلههم اشور على بقيَّة

الآلهة وخلطوا آلهتهم مع آلهة بابل . وكانت من عاداتهم تأليه ملوكهم . امّا اداجهم الدينيّة فكانت الذبائح والتقادم المختلفة لارضاء الآلهة وردّ غضبها وكان للتنجيم بينهم مقام عظيم . امّا الحياة الآخرة فمع اقرارهم بوجودها كانوا يرونها محجوبة بظلمات لا يستطاع كشفها

(ديانة اليونان) انّ الاكتشافات الحديثة في تروادة (حسارلك) وفي كريت وافسس وغيرها بيّنت ما كان عليه اليونان من الدين قبل هوميروس شاعر الالياذة واوّل كتبة اليونان . فظهر للاثريين انّ اليونان باشروا اوّلاً بعبادة مواليد الطبيعة كالحجارة لاسيما الرجوم الساقطة من السماء ثمّ النبات ثمّ الحيوان كالحيّة والنسر والحمامة والبوم ثمّ ألّهوا البشر وجعلوا السماء والارض والجحيم مأواهم فقسّموهم ونظّموهم وتصوّروهم ذكوراً واناثاً ورؤوساً ومرؤوسين واعاروهم كل فضائل البشر وآثامهم حتى جعلوا الهةً للسكر والخلاعة والسرقة والانتقام . ولم تزل الوثنيّة تزيد وتنقص حتى اضحى تاريخ آلهة اليونان اعقد من ذنب الضبّ

(ديانة الرومان) كانت محصورةً اوّلاً في قوى الطبيعة لاسيما السيّارات السبع ثمّ اضافوا اليها كثيراً من مزاعم اليونان في دينهم ثمّ اخذوا اشياء من ديانات الشرق فخلطوها بديانتهم واقاموا الهياكل للقياصرة وقرّبوا لهم القرابين حتى قبل وفاتهم . وجملة القول انّ كل شيء صار عندهم الهاً الّا الاله الحقّ كما قال عنهم احد الفلاسفة . وكان لكلّ هذه الآلهة اعياد تقترف في بعضها ضروبُ الفحشاء جهاراً كاعياد باخوس واعياد زُحل واعياد الزُهرة . وكان لليونان والرومان مذاهب دينيّة سريّة لا تُكشف الّا لمن يترشّح لها وتجري في ظلماتها ما يندى له الجبين خجلاً او ما يسوّد وجه تلك الاديان كانتزاع العذارى وذبح الاطفال

(ديانة المصريين) مبنيّة ايضاً على مظاهر الطبيعة وكانت لكلّ مدينة ديانتها ومعبوداتها تتجارى فتتوالى بالحكم على حسب الدول الظافرة واهواء الفراعنة . واشهر مذاهب المصريين الدينيّة ان كبير الهتهم المدعو « اتوم » خرج من البحر على صورة الشمس فصار « اتوم راع » واولد اربعة ذكور واربع اناث امتلأ الكون بازدواجهم . واشهر هؤلاء المواليد الهُ النيل اوزيريس واختهُ وزوجتهُ معاً ايزيس إلهة ارض مصر . فلمّا ملك اوزيريس انتمر عليه اخوهُ سيت ابن اتوم وقتلهُ وقطّع اعضاءه

اربأ القاها في بلاد شتى لكنْ ايزيس تتبعت تلك البقايا فجمعتها وحنّطها الاله انوبيس واحياها أتوم في عالم الاموات وجعل اوزيريسَ ملكاً وقاضياً على الموتى اما سيت فانتقم منهُ هورس ابن اوزيريس وايزيس. وقد تخيَّل قدماء المصريين انَّ اذلّ الحيوانات كالهرّة والكلاب والحيّات والثيوس والتماسيح انما هي تصاوير آلهتهم الحيَّة فكانوا يكرمونها ويقيمون لها الهياكل ويخدمها الكهنة ويحنطونها بعد موتها وقد وُجد من جثثها مئات الوف

(ديانة الفرس) عبد الفرس اوّلاً قوّات السماء ولا سيما السيّارات ثمَّ تمجّسوا على يد زرادشت وخصُّوا باكرامهم الشمس فألّهوها وعبدوها كمعبود خاصّ دعوهُ ميترا واتخذوا النار كصورة ذلك المعبود وجعلوا لها هياكل عموميّة وخصوصيّة. وشاعت عندهم المزدكيّة القائلة بالثنويّة اي بالهين متناقضين صالح فشرّير اسمهما هرمزد واهريمان هما في نزاع متواصل. أمّا آدابهم فتشوّهت بكثير من الارجاس

(ديانة الصينيين) كان الصينيون في اوّل امرهم موحّدين واتخذوا السماء كالههم الاعلى فاعتبروا ملكهم كالوسيط بين ذلك الاله والبشر. وكانوا يعظّمون الموتى فيبالغون في ذلك الى حدّ العبادة. ثمَّ قام بينهم رجلان « لاوتسي » و « كونفوشيوس » قبل المسيح بستة اجيال. فوضع الاوّل مذهباً اشبه بمذهب الحلول بناهُ على بعض مبادئ فلسفيّة قريبة من مبادئ ابيقور الكلبي وقال بتناسخ الارواح وعلَّم انَّ احسن طريقة لسياسة الشعب ان يُستعبَد بالجهل والملذّات. اما كونفوشيوس فجرى في تعليمهِ الديني على مذهب قدماء الصينيين واجتهد خصوصاً في وضع دستور ادبي شاع من بعدهِ بين كثيرين من مواطنيهِ وغلَّب فيهِ مبدأ الطريقة الوسطى والسلوك بمقتضى تقلبات الاحوال. ثم انقسم الصينيون بين هذين المذهبين الفلسفيين وجرت بسببهما الحروب ثمَّ دخلت الديانة البوذيّة وانتشرت وادخلت كلَّ خرافاتها بين اهل الصين. ثمَّ قام بينهم احد ناكري وجود اللاهوت اسمهُ تشوهي نشر في القرن الثالث عشر الزندقة ومذهب الماديين. وقد مال الى هذا المذهب معظم المتفقهين في الصين. امّا الشعب فغائص في مجاهل الشرك وحمأة الخرافات المضحكة

(ديانة اهل الهند) نقل التنير في كتابهِ اشياء كثيرة من ديانة الهنود فكاد

يموه على بعض الجهلاء فيقنعهم بانَّ الديانة النصرانية مشتقة من الديانات الهندية. فلتزييف هذه الخزعبلات نختصر هنا ما يعرفهُ العلماء عن اديان اهل الهند. كانت اقدم ديانة الهنود البيدية (Védisme) مرجعها الى تأليه مظاهر الطبيعة وعبادة العناصر الاربعة لاسيما النار اصل ومصدر معظم قوى الطبيعة. ثمَّ تعدَّدت تلك القوى وتقسَّمت وجُعلت اقسامها في ايدي آلهة لا يزالون في قتال ونزاع فتنعكس شرورهم على البشر فليس للبشر نجاة من اضرارهم الا بالذبائح والقرابين اليومية

ثمَّ خلفت الديانة البيدية ديانة أخرى تُعرَف بالبرهمانية (Brahmanisme) لانها عبدت الهاً اعظم دعتهُ برهما هو جوهر كل الكائنات. فبرهما هذا في اوَّل العالم كوَّن بيضة من ذهب جعلها فوق مياه البحر ثم اودعها بزرةً من جوهره. فلمَّا فلق البيضة الى فلقتين صار احد فلقيها سماء والآخر ارضاً وخرج من بزرة البيضة اله ذكر دُعي ايضاً برهما وهو خالق الآلهة ومبدع الابالسة ومكوِّن البشر جعلوا لهُ رفيقاً إندرا. وكل هذه الكائنات في دوران متوالٍ وتناسخ متعدِّد وهي تنتهي آخرًا الى جوهر اللاهوت الكلي بعد ان تتطهر من اوساخها بالذبائح التي يقيمها البراهمة. والبراهمة يدَّعون انَّهم من نسل الاله برهما خرجوا من فيهِ ونالوا من الشرف والحقوق ما ليس لسواهم وانَّهم بعد وفاتهم يعودون الى ابيهم

وهذه الديانة البرهمانيَّة مع معايبها الظاهرة زادت فسادًا واستفحل فيها الشرك قبل المسيح بمائتي سنة فاختلطت فيها مذاهب دينيَّة لشيع مستجدَّة بقيت مذ ذاك اليوم الى عهدنا منتشرة في قسم كبير من الهند ودُعيت بالدين الهندي (Hindouisme). وخلاصة هذا الدين انَّ للطبيعة القديمة ثلاث قوَّات: قوَّة خالقة وهو الاله برهما وقوَّة حافظة وهو الاله ڤشنو وقوَّة مهلكة وهو الاله سيڤا. ومجموع هؤلاء الثلاثة يُدعى « تريمورتي » وهو الثالوث الهندي. وقد سبق ذكر برهما. امَّا ڤشنو فكان معدودًا في اوَّل امرهِ كاله النار. ودون برهما رتبةً ثمَّ عظَّمهُ اهل الهند حتى رفعوهُ فوق برهما وزعموا انَّهُ تجسد عشر مرَّات وظهر أوَّلًا في زمن الطوفان على شكل سمكة ثمَّ على شكل سلحفاة بُني عليها احد جبال الهند ثمَّ على شكل خنزير برّي. وكان تجسدهُ السابع على صورة انسان فدُعي كرِشنا. وكرِشنا هذا عُرف بالاسود ابن ديڤاكي أُخت الملك كمسا الجائر. فكان كمسا اغضبَ الآلهة بآثامهِ فتوعَّده ڤشنو بالعقاب على يد ولد

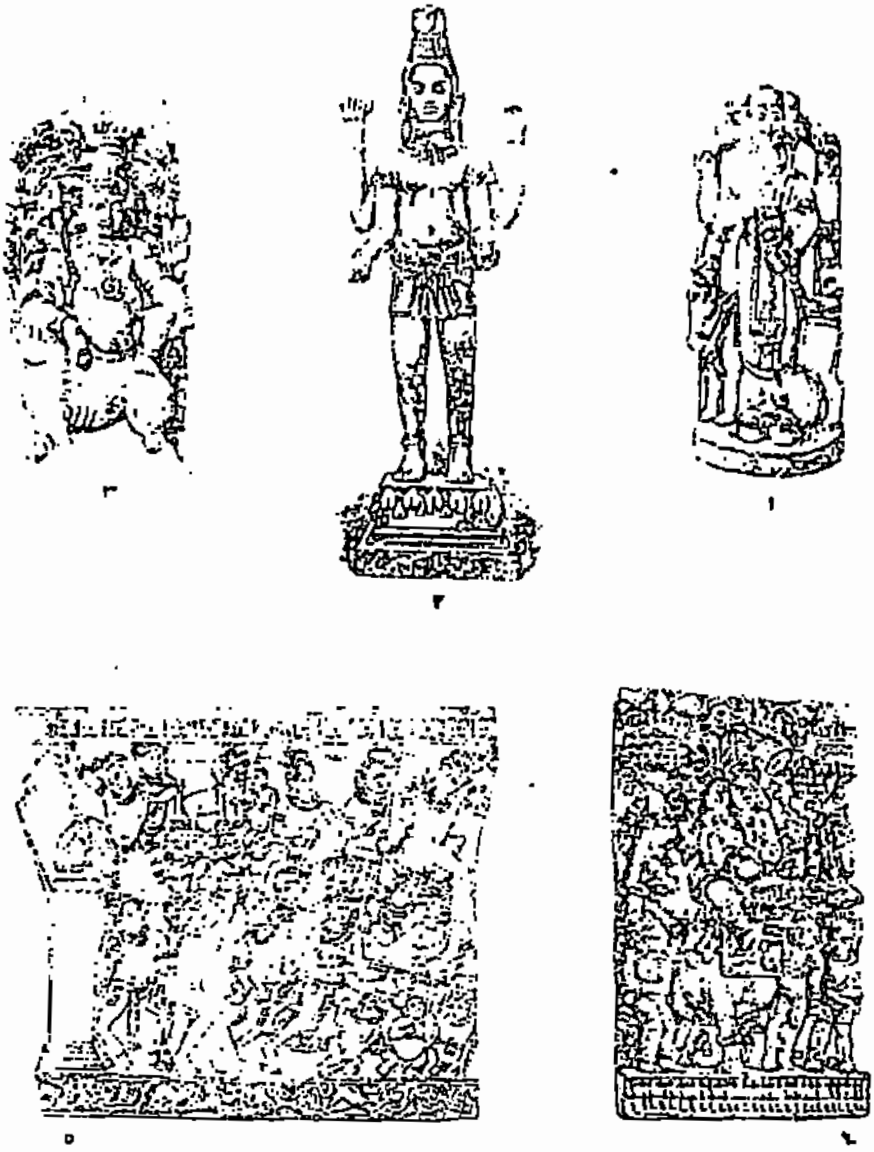

١ خرافات الثالوث الهندي المعروف بالتريمورتي

٢ الاله الهندي فشنو ذو التجسدات المتوالية التربية

٣ الاله الهندي إندرا اله السماء ورفيق برهما

٤ الاله الهندي سيفا وصورتهُ القبيحة

٥ الاله بوذا وترولهُ من السماء على هيئة فيل

تلدهُ اختهُ ديفاكي فاسرع كما وقتل اولادها الستَّة واتقاهـا في الحبس مع زوجها ڤاسوديفا. وهي في الحبس تجد فيها ڤشنو فسألتهُ امُّهُ الى راعٍ يُدعى نندا فرباه ولما ترعرع حارب كما فغلبهُ لكن جارَسندا صهر كما غلب كرشنا وانتقم منهُ لكما ثم هرب كرشنا الى بعض بلاد الهند وتملكها وحارب اعداءهُ حتى قُتل اخيرًا بسهم رشقهُ بهِ الراعي جاراس في الصيد وهو يظنهُ ظبيًا. امَّا سيڤا ثالث الثالوث الهندي فمُذ اوَّلًا كالاله المبيد المهلك غير انَّ عبادهُ في الهند قدَّموهُ على الإلهَين السابقين وجعلوا لهُ خواصَّ بقيَّة الآلهة وهم يصوِّرونهُ براس واحد او بثلثة رؤوس او بخمسة ويجعلون لهُ عينًا ثالثة في وسط جبهتهِ وكثيرًا ما يجعلونهُ في دائرة من النار يرقص في وسطها وجسمهُ مشطور الى قسمين ذكر فانثى. ومن صورهِ صورة اللنك النجسة المثالة لعضو التناسل الذي يعبدهُ الهنود بلا حياء.

ومن ديانات اهل الهند الديانة البوذيَّة (Bouddhisme) نسبة الى صاحبها المدعوّ ساكياموني وعُرف ببوذا اي العاقل. وفي سيرتهِ من الخرافات ما يُضحك منهُ قيل انَّهُ نزل من السماء على صورة فيل (انظر الصورة) وكان ابوهُ ملكًا اسمهُ سودهودانا. ولمَّا ولد سجدت لهُ كلُّ آلهة السماء وسقط على الارض مطر من الزهور. ثم تزوَّج وعمرهُ ١٦ سنة فعاش في الترفُّه واستمرَّ في الملذَّات الباطلة الى السنة ٢٩ من عمرهِ حيث ادرك بطلان الدنيا فزهد بها وعاش في البراري. ثمَّ خرج فطاف بلاد الهند ودعا اهلها الى التجرُّد عن الزمنيَّات ليدخلوا بزهدهم في النعيم الابدي المدعو نيرڤانا حيث يتلاشون في اللاهوت الكلي. وعادى بوذا ديانةَ البراهمة فتبعهُ كثيرون. والعلماء لم يتفقوا على زمان وفاته فقيل سنة ٥٤٣ قبل المسيح وقيل بل سنة ٤٧٨ وبعد وفاتهِ ألَّههُ انصارهُ وادخلوا في تعاليمهِ كلَّ خرافات المشركين. والبوذيَّة اليوم من الديانات الهنديَّة الاشدّ فسادًا. ومن اراد الزيادة على ما ذكرنا من ديانات الهند فعليهِ بكتاب ابن الريحان محمَّد البيروني المعنون «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة» فيعلم شناعات الديانة الهنديَّة. وكلامهُ احرى باليقين من كلام غيرهِ لحسن معرفتهِ باحوال الهند ولتقدم عهدهِ في القرن الرابع للهجرة

فهذه خلاصة الاديان الوثنيَّة التي زعم التنير انَّ النصارى اخذوا عنها معتقداتهم. فيا لله كيف يُقابل النور بالظلمة والحقّ بالباطل؟ واي علاقة بين الله وباعال وبين

النصرانيَّة والوثنيَّة وهما على طرفي نقيض ! فما ظهرت الأولى حتى دحضت الثانية حيثما حلَّت . فليراجع المنصف تاريخ الامم وينظر كيف ألغى الدينُ المسيحي الشركَ في كل البلاد . فاين آلهة رومية وأثينة ! اين اوثان الجرمانيين والغاليين ! اين اصنام المصريين والفينيقيين ؟ اين نيران المجوس ؟ اين زُهرة العرب وذو شراهم ؟ وماذا بقي في اميركا من معبودات الهنود ؟ فانَّ النصرانيَّة نفذت في تلك البلاد ولم تلبث دون سيف ولا قوَّة جبريَّة بل بقوَّتها الادبيَّة فقط ان ابادت تلك الارجاس فزهق الباطل امامها بظهور راية صليب المسيح

٣ التموجات التيريَّة

وان سأل السائل وكيف تفسر ما اورده التير من النصوص والتصاوير دلالة على التشابه بين النصرانيَّة وسواها من الاديان الوثنيَّة

اجبنا (اوَّلاً) انَّ قسماً من تلك النصوص والتصاوير مزوَّرة زوراً تخالف اصحَّ ما نعرفُ من تاريخ الاديان الاجنبيَّة . وبالخصوص نكذِّب صريحاً ما رواهُ التير عن الاله كرشنا المصلوب . وقد رأيت تاريخهُ عن اصحّ الموارد الموثوق بها . وان جاء في احدى الروايات الضعيفة انهُ مات صلباً فليس لصلبه ادنى علاقة بفداء البشر . ووَضْعُ صورته في كتاب التير (ص ٤٨) بازاء صليب المخلِّص من اقبح المآثم التي لا يمكن الحكومة المنصفة ان تسكت عنها . وكذلك اساء التير صنعاً بمقابلته بين العذراء مريم التي تنبَّأ عن ولادة ابنها مع بقائها بتولاً اشعيا النبي ستة قرون قبل وقوع الامر (١ وبين والدات الإله المزعومات « كبهامايا » (ص ٦٠) « وديفاكي » (ص ٦٤) اذ ليس هناك حقيقةً عذارى والدات بل نساء بسيطات ذوات ازواج معروفين . فترى كيف حجبت الاغراضُ الحقيقةَ عن نظر التير فاوقعتهُ في اغلاط لا يُحصى عديدها

نجيب (ثانياً) انَّ قسماً آخر من النصوص التيريَّة قد روي في غير معناهُ لسوء فهم الناقل كالذي ذكرهُ عن « الكلمة » فقابل بين السيد المسيح كلمة الله الحيّ والكلمة التي ورد ذكرها في بعض تآليف الفلاسفة او في آثار بعض الامم لكنَّ

(١ راجع في المشرق (٤ : ٥٠١) مقالة الخوري الفاضل بطرس عزيز في دوام بتولية العذراء

العلماء الذين درسوا انجيل يوحنا اقرّوا كلهم بانّ بينهُ وبين اقوال الذين سبقوهُ فرقاً عظيماً فانّ يوحنّا الحبيب وحدهُ وصف المسيح كلمة الله كشخص قائم بذاتهِ ازلي مثل الله بل اله كامل مقيم في الله منذ الابد ومكوّن كل شيء في الزمان فهذا قد شاء في الوقت المعين ان يصير جسداً ويحلّ بين البشر فيظهر لهم مجدهُ مجد وحيدٍ من الآب مملوء نعمةً وحقًّا. امّا الكلمة التي ورد ذكرها في كتب الفلاسفة او آثار بعض الاديان فلا تتجاوز الترهّمات العقليّة وان استقصيتهم في معناها اجابوك اجوبةً تزيدك ارتيابا فتارةً يجعلونها النفس المحيية للعالم وتارةً يريدون بها مبدأ الحياة والقوّة المادّية فقام يوحنّا الحبيب وكشف تلك الاوهام بفاتحة انجيلهِ . امّا منقولات التنير عن « دوان » وبعض ملاحيد الانكليز فهي محرّفة عن معناها الاصلي لا توافق حقيقة الواقع

نجيب (ثالثاً) انّ قسماً آخر من النصوص التنيريّة وان صحّ نقلهُ لا يدلّ مطلقاً على ما يزعم محمّد التنير اعني انّ النصارى اخذوا معتقداتهم عن الوثنيين بل يدلّ فقط على انّ بعض المعتقدات كانت شائعة عند الشعوب فاخذوها من الوحي الاوّل للابوين الاوّلين والابوان الاوّلان اورثا تلك التعاليم ابناءهما وهؤلاء اشاعوها بين الشعوب التي خرجت من صلبهم. فمن ذلك خلقةُ الانسان في جنة عدن في حالة البراءة والسعادة ثمّ تجاوزهُ وصيّة الله وغضب الربّ عليهِ لعصيانهِ اذ طردهُ من الجنّة لكنهُ رحمهُ ووعد نسلهُ بمخلص ينقذهُ من تبعة الخطيئة فهذه الحقائق الواردة في سفر التكوين تجدها منتشرة عند شعوب كثيرة وانتشارها يدلّ على صحتها فهي اذن تؤيّد صحة الديانة النصرانيّة فضلًا عن ان تمسّها بأذيّة ما. ولعمري انّ مجرّد تقدمة القرابين والذبائح بين جميع الامم لدليل باهر على انّ الانسان كان يعدّ نفسهُ مجرماً نحو اللاهوت فيحتاج ان يخمد غضبهُ تعالى باهراق دماء الحيوانات بدلًا من دمهِ الاثيم وتكفيرًا عن ذنبهِ. بل كثيرًا ما كان يهرق دمهُ كما كان يفعل كهنة البعل اذ يجرّحون اجسامهم بالمدى لاكرام الههم ومنهم من كان يذبح الاسرى او الاطفال في الهياكل الوثنيّة. وليس الختان الّا شاهدًا على ذلك فيُختن الطفل ليطهّر والطفل مع ذلك بارّ لم يقترف اثمًا. أفما يجب القول انّ الانسان يولد خاطئاً بخطيئة اصليّة ورثها من اجدادهِ وهذا ما اقرّ بهِ العرب حيث رووا الحديث الآتي. قال الثعلبي في قصص

الانبياء المعروف بالمرائس (ص ٣٢٧ من طبعة مصر سنة ١٢٩٨): « ما من مولود الَّا والشيطان يمسُّهُ حتى يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان الَّا مريم وابنها » . فمسّ الشيطان الَّا كناية عن الخطيئة الاصليَّة التي لم يستطع احد ان يفكّ ربقتها غير السيد المسيح الاله القائم في طبيعتين انسانيَّة والهيَّة فمن حيث هو انسان كفَّر عن خطايا البشر بحياته ومماته ومن حيث هو اله خوَّل تلك الاعمال البشريَّة قيمةً غير متناهية كافية لوفاء ديون كل الخلائق الى الله والتعويض عن آثامهم ولاستمطار كل نعمهِ عليهم اذا التجأوا الى الفادي وجروا على وصاياه . امَّا امهُ فطهَّرها بنعمة خاصَّة

ولا نتتبَّع التنير في بقيَّة منقولاتهِ اذ عرف القارئ بطلانها من وجوه مختلفة . ولكن هَبْ اننا نسلِّم لهُ بانَّ النصرانيَّة اخذت معتقداتها عن الديانات السابقة ألا يكفيها فخراً انَّها حيثما حلَّت ابطلت تلك الاديان وقامت هي في مقامها . وها قد مرَّ عليها ١٩ جيلاً دون ان يقوى عليها الجحيم بل تراها كلَّ يوم في نموّ وازدياد عدداً وفضلاً

مفاخر النصرانيَّة

وكم من عقائد للنصرانيَّة تميَّزها عن بقيَّة الاديان فلم يستطع لا التنير ولا غيرهُ ان يجد لها شبهاً في الاديان السابقة واللاحقة . فليعلمنا اذا امكنهُ ايّ دين اقنع البشر باعظم الاسرار واشرفها ؟ ايّ دين استطاع ان يحني رؤوس ارقى الشعوب تمدُّناً واكبر الملوك سطوةً لرجل مصلوب جعلوا صليبهُ آية الانتصار وعلامة الفخر حتى زيَّنوا بهِ تيجانهم وحلَّوا بهِ صدورهم ؟ ايّ صاحب دين امكنهُ ان يستند جهاراً الى نبوات سبقتهُ اجيالاً متعدِّدة ولم يترك منها حرفاً الَّا تمَّمهُ . فانَّ حياة المسيح كلها مسطرة في كتب موسى والانبياء والمسيح غير مرَّة كان يشير اليها ويصرِّح بذكر آياتها ولا احد يستطيع ان يكذبهُ

اي دين ابطل الذبائح الدموية في العالم اجمع؟ اي دين قال صاحبهُ لاتباعهِ: خذوا هذا الخبز فكلوهُ واشربوا هذا الخمر فانَّ ذاك جسدي وهذا دمي ؟ اي دين قال منشئهُ لتلاميذهِ: ما تربطونهُ على الارض يكون مربوطاً في السماء وما تحلُّونهُ على الارض يكون محلولاً في السماء والخطايا تُغفر لمن تغفرونها وتُمسك على من تمسكونها ؟ اي دين وعد صاحبهُ ذويهِ انهُ يبقى معهم الى منتهى الاجيال وانَّ السماء والارض يزولان وكلامهُ لا يزول ؟

وهـذه المعتقدات وغيرها كثير امتازت بهـا النصرانيَّة على سواها. وانَّما امتيازاتها اعظم واسمى بتعاليمها. فليفدنا التيّر عن احد الاديان المعروفة التي قال صاحبها: «طوبى للفقرا... طوبى للجياع.. طوبى للذين يبكون.. طوبى للمظلومين». في اي دين ورد مثـل قول المسيح: «طوبى لكم اذا عيَّروكم وشتموكم وقتلوكم لاجل اسمي فانَّ اجركم عظيم في السماوات». اي صاحب دين ارسل اتباعهُ كالحملان بين الذئاب وأمرهم ان يقدّموا خدّهم الايسر لمن ضربهم على الايمن ويعطوا قميصهم لمن اغتصبهم رداءهم؟ اي دين ردَّ الزواج الى شرفهِ كما كان في اوَّل الخليقـة وأبطل الطلاق وحرَّم الزواج بالمطلَّقة وجعل نظر الانسان الى المرأة ليشتهيها في قلبهِ بمنزلة الزنا؟ اي دين امر بالصفح عن اساءة القريب والغريب وبالاحسان الى العدوّ والصلاة لاجل المضطهدين؟ تجوَّل يا محمَّـد التيّر في انحاء المعمور واطلب لك اي ديانة شئت ان تجد كالنصرانيَّة عزًّا وقداسةً وثباتًا فانَّها وحدها لا تخاف اعتراضات المعترضين وتفحم بالبرهان كلَّ الملحدين وتزيد قوَّة وازدهارًا على قدر ما ينالها من المعاكسات وتقاسيهِ من الشدائد. ألا ترى شيخ الفاتيكان وسجين ايطالية الحبر الروماني فمن كان نفوذهُ اعظم وسلطتهُ اوسع وهو اليوم لا مالك له ولا جيوش ولا قوَّة ماديَّة ومع ذلك ترنو اليهِ انظار الملوك والسلاطين لمقامهِ الادبي الفريد في العالم. وان راجعت تواريخ اسلافهِ الـ ٢٦٤ وجدت بينهم ٤٠ شهيدًا في سبيل دينهم ٦٨ قديسًا اثبتوا قداستهم بالمعجزات. وللباقين من الفضل ببرارة الحياة بالسهر على وديعة الايمان بمقاومة الاضاليل بالغيرة الرسوليَّة وسائر الاعمال الشريفة مـا يقرُّ لهُ كلَّ منصف متزَّه عن الغرض. اقرأ يا رعاك الله ما كتبهُ في المنار العلَّامة محمَّد افندي عبده عند وفاة البابا السابق لاون الثالث عشر تعلم مقام البابويَّة في الدنيا

ولكن ما لي اذكر المعتقدات والتعاليم ومقام النصرانيَّة في العالم دعنا ننظر الى اعمال النصرانيَّة فانَّ الشجرة تُعرَف من اثمارها. راجع تاريخ الدين المسيحي واستقر مآثرهُ التي لا تُحصى فانك تجد لهُ من المبرَّات في سنة واحدة بل في اسبوع واحد وفي بلد واحد ما لا تجد مثلهُ في تاريخ شعوب عديدة راقية التمدُّن في عدَّة قرون. فايُّ صنف من الخير اهملتهُ النصرانيَّة واي عمل صالح لم تباشرهُ؟ سرّح بصرك في مدينتنا بيروت وعدَّ ان امكنك المشروعات الخيريَّة التي تتولَّاها النصرانيَّة. فمن

يا تُرى يهتمّ بالرضعان واللقطاء ؟ من يربي الصغار ؟ من يُعنى بالايتام ؟ من يعول الفقراء ؟ من يتفانى في تمريض المرضى ؟ مَن يخدم العجَزة ؟ من يقدّس حياة الاماء والنعلة ؟ من يفتح الكليَّات والمدارس والكتاتيب المختلفة لتثقيف الناشئة من كل طبقات الأمة ؟ من يعزّز العلوم وينشئ المراصد الفلكيَّة ودور الصناعة ؟ أليس للنصرانيَّة في كلّ ذلك السهم الافوز والحظ الاوفى ؟ وما نقولهُ عن بيروت قُله عن كلّ انحاء الشام وما بين النهرين والعجم ومصر حتى مجاهل افريقية وكلّ ذلك لوجه الله وحبًّا بالقريب دون امل بشري او غاية زمنيَّة. وان كانت هذه الاعمال بالغة تلك الوفرة في خارج بلاد النصرانيَّة فما قولك بالبلاد والمدن النصرانيَّة ؟ فاننا قد اطّلعنا على قائمة الاعمال الخيريَّة في باريس وحدها فاذا بجدولها يقارب الف صفحة من القطع الوسط. واكثر تلك المشروعات يقوم بنفقاتها ارباب البرّ ورجال الدين

فهذه اعمال النصرانيَّة اليوم وما ادراك ما كانت قبلًا منذ اشرق نور هذا الدين الى عهدنا ؟ استمعِ التواريخ الصادقة تُجبك على السنة جميع الشعوب انَّ النصرانيَّة حيثما دخلت ازهرت بها الفضائل ازهرت الآداب ازهرت العلوم. ليت شعري اي داء لم تعالجهُ ؟ اي سُقم لم تسعَ بتلطيفهِ ؟ انشأت الرهبانيَّات لخدمة المطعونين لشفاء البرص لتربية العميان والصمّ والخُرس. سار ابناؤها الى البلاد الاجنبيَّة لفكّ اغلال الاسرى وكثيرًا ما قدَّموا نفوسهم للعبوديَّة بدلًا منهم. خصّ كثيرون حياتهم لخدمة المجانين واقاموا لهم المستشفيات الخاصَّة...

أتريد شاهدًا آخر على اعمال النصرانيَّة ؟ افتح معاجم مشاهير الرجال وعُدَّ بينهم افاضل النصارى فانَّ عددهم يفوق على عدد نجوم السماء. بينهم القديسون الكبار الذين حيَّروا العالم بآثارهم وفضائلهم التي لا تسعها المجلدات الضخمة. بينهم المعلّمون والملافنة الذين تدهشنا علومهم وتآليفهم الباقية الى زماننا كاوريجانس واوغسطينوس. بينهم الخطباء البلغاء كيوحنَّا فم الذهب وكيرلس. بينهم الملوك العظام الذين كانوا قدوة لشعوبهم ونعمةً لرعاياهم كالقديس لويس والقديس هنريكوس الثاني. بينهم المكتشفون للبلاد مثل كريستوف كولمبوس. بينهم المرسلون الداعون الى الدين والتمدُّن الامم الوثنيَّة كفرنسيس كسافاريوس والوف غيره. اذكر فقط المستعمرات التي انشأها اليسوعيون لتهذيب همج البراغواي فقال عنها ولتير « انها اعظم مشروع قام بهِ البشر »

وكم من هذه الاعمال ما تأيد بالعجائب المثبتة للدين المسيحي. اذهب الى لورد وانظر ما يجري كلّ يوم من المعجزات التي اقرّ بصحتها اكثر من ١٠٠ طبيب من كلّ الطوائف والملل والنزعات فحصوها فحصاً مدقّقاً

وكم من الاعمال غير هذه لا يسعني ذكرها لضيق المقام وان شئت أضف اليها ما صنعتهُ النصرانيّة في سبيل الآداب والفنون الجميلة فانّ كنائسها اجمل كل هياكل الدنيا. نقوشها وتماثيلها وصورها تُعدّ من ألطف وابدع ما رسمتهُ ايدي البشر. انسجتها وحليها وآنيتها الدينيّة تفتن كلّ الابصار. ادخل احد متاحف اوربا كالواتيكان او لندن او باريس لا تتمالك من تعظيم الديانة التي انتجت كل تلك المصنوعات فتقرّ شئتَ ام ابيت ان الدين المسيحيّ دين الهيّ صارخاً « ان اصبع الله لها هنا » ومتأكّداً قول الرب في انجيلهِ (يوحنّا ١٧ : ٣) : «هذه هي الحياة الابديّة ان يعرفوك انت الاله الحقيقيّ وحدك والذي ارسلتهُ يسوع المسيح » فالبركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوّة لالهنا الى دهر الداهرين امين

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيّة في الحجاز ونجد (تابع)

مكّة كما عُرفت النصرانيّة في يثرب في عهد الجاهليّة كذلك نالت مكّة نصيباً من ذلك الدين. وها نحن ننقل ما رواه قدماء الكتبة اثباتاً لهذا الرأي

قدّمنا في اوّل هذا الفصل ما اثبتهُ المؤرخون اليونان والسريان والعرب عن الدعوة النصرانيّة في الحجاز اجمالاً. ومكّة في الحجاز بل حاضرة الحجاز فبديهي ان

يقال انَّ الدين المسيحي دخل ايضاً مكَّة كسواها من الجهات الحجازية. وان قيل انَّ مكَّة واقعة في اقاصي الحجاز اجبنا انَّ كلام الكتبة يشمل كل جهات العرب حتى اقصاها . قال تاودوريطوس المؤرخ الكنسي في القرن الخامس للمسيح عن القيصر ثالس (١ انَّهُ لمَّا اضطهد الكاثوليك فرَّقهم في كل البلاد حتى نفى منهم كثيرين في اقاصي تخوم العرب (per ultimos fines Arabiæ)

واقدم ما رواهُ كتبة العرب صريحاً عن النصرانيَّة في مكة ما ورد في اثناء تاريخ جرهم الثانية قالوا انَّ جرهم استولوا بعد بني اسماعيل على الحجاز وصارت اليهم سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة. امَّا زمن دولة بني جرهم فلم يتفق الكتبة في تعريفه والعلماء الاوربيون مجمعون على انَّ جرهم الثانية قامت قبل تاريخ الميلاد بقليل. ومن عجيب ما رواه مؤرخو العرب كابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء (٢ وغيرهم انَّ سادس ملوك جرهم يُدعى باسم نصراني وهو عبد المسيح بن باقية بن جرهم . فمنهُ يتعيَّن انَّ النصرانيَّة دخلت مكة قبل بني الازد وتغلُّب بني خزاعة اعني بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. وهذا يوافق نصوص الكتبة المرويَّة سابقاً عن تبشير رسل المسيح في الحجاز

وفي كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (١٣ : ١٠٩) انَّ بيت الحرام كان لهُ في عهد بني جرهم « خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيهِ الحُلى والمتاع الذي يُهدى لهُ يومئذ لاسقف عليهِ » . فقولهُ « اسقف » يريد بهِ حبر النصارى المعروف. وهو اثبات لما روى مؤرخو العرب عن نصرانيَّة الملك الجرهمي عبد المسيح بن باقية

ولنا في كتب العرب دليل اعظم يثبت انتشار النصرانيَّة في مكة قبل الاسلام وذلك في اقدم تواريخ مكة الذي عنوانهُ « كتاب اخبار مكة شرَّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف ابن الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقي » المطبوع في

---

١) راجع تاريخهُ في اعمال آباء اليونان (Théodoret, H. E. l. IV, c. 15 ; Migne P. G., t. 82 col. 1158)

٢) اطلب تاريخ عرب الجاهليَّة لكوسان دي برسفال (C. de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes avant l'Islamisme* I, 199)

ليبسيك (ed Wüstenfeld. 110 — 112) انهُ كانت في دعائم الكعبة « صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة وصورة ابراهيم خليل الرحمان وصورة عيسى ابن مريم » ثمَّ قال ما حرفهُ (ص ١١١) :

« فلمَّا كان يوم فتح مكَّة دخل رسول الله صلعم البيت فارسل الفضل بن العبَّاس ابن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثمَّ امر بثوب فبُلَّ بالماء وامر بطمس تلك الصور فطُمست . قال ووضع كفَّيه على صورة عيسى بن مريم وامّهِ عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور الا ما تحت يديَّ فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وامّهِ . . . وحدَّثني جدّي قال حدَّثنا داود بن عبد الرحمان عن ابن جريج قال : سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن ابي رباح وانا اسمع : أدركتَ في البيت تمثال مريم وعيسى ؟ قال : نعم ادركتُ فيها (كذا) تمثال (ص ١١٢) مريم مزوَّقًا في حجرها عيسى ابنها قاعدًا مزوَّقًا . وكانت في البيت اعمدة ستّ سواري وصفها كما نُقطت في هذا التربيع

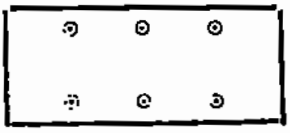

قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب : قال ابن جريج فقلت لعطاء : متى هلك ؟ قال : في الحريق في عصر ابن الزُّبير . . . قال ابن جريج : ثمَّ عاودتُ عطاء بعد حين فخطَّ لي ستَّ سواري كما خططتُ ثمَّ قال : تمثال عيسى وامّهِ عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تلينَ الباب الذي يلينا اذا دخلنا . . (ص ١١٣) . اخبرني محمَّد ابن يحيى عن الثقة عندهُ عن ابن اسحاق عن حكيم بن عبَّاد بن حنيف وغيرهِ من اهل العلم انَّ قريشًا كانت قد جعلت في الكعبة صورًا فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام . قال ابن شهاب قالت اسماء بنت شقر . ان امرأة من غسَّان حجَّت في حاجّ العرب فلمَّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت : بابي انتِ وابي إنَّك لعربية . فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الَّا ما كان من صورة عيسى ومريم »

وما رواهُ هنا الازرقي ذكرهُ كتبة آخرون كالهروي والبيهقي وابن العربي . وفيهِ شاهد جليل على تنصُّر قسم من قريش في مكة . ويؤيد ذلك احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (طبعة ليدن ١ : ٢٩٨) حيث قال « : امَّا من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قُرَيش من بني اسد بن عبد العزَّى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد وورقة بن نوفل بن اسد »

ولذلك ترى الشعراء النصارى في الجاهليَّة لم يأنفوا اذا حلفوا ان يجمعوا بين الصليب والكعبة قال عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٤) :

من الاعداء لا يألون شرا عليك وربِّ مكّةَ والصليب

وقال الاعشى:

حلفتُ بربّي راهب الدير والذي بناها قُصَيٌّ والمضاضُ بن جُرهم

ولعلَّ ذلك ايضاً ما حمل نصارى العرب الى ان يعظّموا الكعبة في الجاهليّة لما كانوا يرون فيها من الآثار النصرانيّة فضلاً عن ذكر ابراهيم الخليل الذي كان يُكرَم هناك مع ابنه اسماعيل حيث جعل التقليد العربيّ ظهور ملاك الربّ لامّه هاجر (تكوين ٢١ : ١٧) في هذا المكان . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٦٢٢) « وليست امّة في الارض ألّا وهم يعظّمون البيت . . . وانهُ من بناء ابراهيم حتى اليهود والنصارى »

وممّا يدلُّ على آثار النصرانيّة في مكة او قربها المكان المعروف بوقف النصراني ذكرهُ في تاج العروس . وكذلك مقبرة النصارى . قال الازرقي في اخبار مكة (ص ٥٠١) : « مقبرة النصارى دُبر المقلع على طريق بئر عتبة بذي طوى » والمقلع « الجبل الذي باسفل مكة على يمين الخارج الى المدينة » . ونظنّ انَّ « مسجد مريم » الذي ذكرهُ المقدسي في جغرافيّته (ص ٧٧) بجوار مكة دعي باسم مريم العذراء لأثر ديني كان هناك في عهد الجاهليّة

وممّا يثبت نفوذ النصرانيّة في مكة على عهد الجاهليّة نهضة الحنيفيّة هناك فانَّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشيعة وما بقي من اخبار اصحابها في تواريخ العرب كسپرنغر (Sprenger) (١ وولهوزن (Wellhausen) (٢ وكوسّان دي پرسڤال (C. de Perceval) (٣ وغيرهم فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ الحنيفيّة في الجاهليّة كانت شيعة نصرانيّة خالطتها بعض تعاليم من غيرها وربما اراد بها شعراء الجاهليّة والكتبة القدماء النصرانيّة بعينها . قال شاعر هذيل (Hudheil 18 : 11) :

كأنَّ تواليهُ بالملا نصارى يسافون لاقوا حنيفا

اراد بالحنيف الراهب يذهب النصارى لملاقاته . وروى صاحب الاغاني (ك ١٦

---

١) اطلب كتاب (Sprenger: *Das Leben u. d. Lehre des Mohammad*)

٢) اطلب (Wellhausen: *Skizze u. Vorarbeiten*, III, 87 *seq.*)

٣) كتابهُ (Essai sur l'Hist. des Arabes I, 321)

ص ١٥) وياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥١) لأيمن بن خريم قولهُ في وصف الخمرة :

وصَهْباء جرجانيّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تَنفر (١ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهَيْمن نارَها طروقًا ولا صلّى (٢ على طَبْخها حَبْرُ

اراد بالخمر قربان النصارى والحنيف هنا بلاشكّ الراهب بدليل ذكره في البيت الثاني القسّ والحَبْر. ولعلّ ابا ذؤيب قصد ايضاً الراهب حيث قال مشيرًا الى اصوام الرهبان (تاج العروس ٣ : ٣٣٩) :

اقامت به كمقام الحنيف م شهرَي جمادى وشهرَي صَفَرْ

ويؤيد رأي هؤلاء الكتبة في نصرانيّة الحنفاء انّ معظم الذين ورد ذكرهم في التاريخ يقال عنهم انهم تنصّروا. واشهرهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزّى وكان ابن عم خديجة زوجة رسول الاسلام الاولى وقيل بل كان عمّها اخا ابيها قال ابن هشام في سيرة الرسول (ed. Wüstenfeld, p. ١٠٣) : « وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل (٣ . وقال الاسحاقي في تاريخه الاكبر (٤ : « كان ورقة امرءًا قد تنصّر في الجاهليّة وكان يكتب الكتاب العربيّ فكتب بالعربيّة من الانجيل ما شاء ان يكتب »

ومنهم عبيد الله بن جَحش بن رئاب. قال ابن هشام (ص ١٤٣—١٤٤) : « هاجر عبيد الله مع المسلمين الى الحبشة ومعهُ امرأتهُ امّ حبيبة ابنة ابي سفيان مسلمةً فلمّا قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيًّا. قال ابن اسحاق : فحدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير قال : كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمرُّ باصحاب رسول الله صلعم وهم هنالك في ارض الحبشة فيقول : فتّحنا وصَأصأتم اي أبصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد »

ومنهم عثمان بن الحويرث الذي ذكر نصرانيّتهُ اليعقوبيّ . روى ابن هشام

---

١) روى ياقوت : ولم ينفر
٢) في ياقوت : ولم يحصر (يحضر؟)
٣) اطلب كتابنا شعراء النصرانيّة (ص ٦١٦)
٤) في نسخة مكتبة باريس (Mss. arab. de Paris. n° 735 ff. 88)

(ص ١٤٤) عن ابن اسحاق قوله (١ : « واما عثمان بن الحويرث فتقدم على قيصر وتنصر وحسنت منزلته عنده » . كانت وفاته في الشام

ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي ذكر ابن هشام (ص ١٤٨) وصاحب الاغاني تردده في دينه واجتماعه باحبار النصارى ورهبانهم بعد اعتزاله الاوثان

ومنهم امية بن ابي الصلت الذي ترى ديوانه مشحونا بتعاليم النصارى مع منقولات متعددة عن الاسفار المقدسة كسفر الخليقة وخلقة آدم وسقوط الابوين الاولين باغراء الحية والطوفان وذكر الانبياء والملائكة والسيد المسيح ومريم العذراء (٢

وكان في مكة من النصارى غير هؤلاء الحنفاء منهم ابو قيس صرمة بن ابي انس الذي روى عنه ابن الاثير في اسد الغابة (٣ : ١٨) انه « كان ترهب في الجاهلية ولبس المسوح »

ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين كان نصرانيا ثم اسلم

وكذلك ذكر صاحب الاغاني (١٥ : ٢) نصرانية عتبة بن ابي لهب صهر نبي الاسلام

وكان ابو سفيان زعيم مكة صهرا لبشر اخي أكيدر صاحب دومة الجندل وكان كلاهما نصرانيا وبشر هو الذي علم اهل مكة الخط العربي

ومما يفيد تاريخ النصرانية في مكة ذكر المعاملات التجارية التي كانت متواصلة بين اهلها ونصارى قبائل العرب الواردين اليها ونصارى الحبشة وغيرهم فان اختلاط اولئك النصارى باهل مكة اثر فيهم تأثيرا عظيما واجتذب كثيرين منهم الى الدين المسيحي (له بقية)

---

١) اطلب مقالتنا المعنونة الاحداث الكتابية في شعراء الجاهلية (ص ٢٠ – ٢١)

٢) اطلب مقالاتنا « الاحداث الكتابية والتشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية » (ص ٢٠–٢١)

مطبوعات شرقية جديدة

١ لباب البراهين الجليّة عن حقيقة امر الطائفة المارونية .

درس تاريخي انتقادي للمطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني في القطر المصري

طبع في مصر سنة ١٩١٢ ص ٢٦٠

BULLARIUM MARONITARUM completens Bullas, Brevia, Epistolas, Constitutiones aliaque Documenta a Romanis Pontificibus ad Patriarchas Antiochenos Syro-Maronitarum missa. Excerpta cura et studio Tobiæ Anaissi Abbatis. *Romæ, Max Bretschneider*, 1911, pp. VIII-576

مجموع البراءات والرسائل التي منحها الاحبار الرومانيون لبطاركة الطائفة المارونية

سُررنا اي سرور بنشر هذين الكتابين النفيسين المنشورين آخرًا عن الطائفة المارونيّة الكريمة ولولا ضيق المكان لخصصنا لوصفهما مقالة بل اكثر ونحن نكتفي الان بان نستلفت اليهما خواطر مواطنينا اجمالًا والموارنة خصوصاً

١ الكتاب الاوّل لسيادة الكاتب النبيل والمطران الجليل يوسف دريان يحتوي « درساً تاريخيًا انتقاديًا في اصل الطائفة المارونيّة واسمها ودياناتها واحوالها منذ اوّل القرن الخامس الى اوائل القرن الثالث عشر من القرون المسيحيّة » فجاء ان شاء الله كسلك الختام لجدال خاض عبابهُ مشاهير كتبة الموارنة منذ نحو ٣٠٠ عام مع قوم من جلّة العلماء . وكانت نار هذا الجدال كادت ان يهدأ سعيرها في اواسط القرن الماضي اذ حمي ثانيةً وطيسها في بلاد الشام فتعدّدت المنشورات من الفريقين حتى كان آخرها كتاب السيد العديد المآثر اقليميس داود المعنون « بجامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوي الموارنة » الذي طُبع بعد وفاة مؤلفهِ بزمن طويل على يد من لم يُبح باسمهِ وفيهِ من الشواهد على انفصال الطائفة المارونيّة عن الكنيسة الرومانيّة بالبدعة المنوثليّة ما ليس في غيرهِ حتى كاد القرّاء يقولون قد قضي الامر وظهر الحقّ وغمّاً عمّا ارتآهُ البعض لابطال تلك الحجج امّا بنكرانها وامّا بنسبتها الى قسم من الموارنة غير اهل لبنان . امّا سيادة المطران يوسف دريان فلتضلّعهِ بالتاريخ واستقامتهِ في آداب

البحث لم يخفَ من التسليم بمعظم تلك الشواهد لكنهُ رأى وجهاً آخر لحلّ المشكل وتبيان ثبات الكنيسة المارونيّة في اتحادها مع الكرسي الرسولي فأتى بادلّة قريبة الى العقل يؤخذ منها ان قول الموارنة بالمشيئة الواحدة انما كان عن سلامة نيّة وسوء تفاهم ظنّاً منهم ان القول بالمشيئتين في المسيح ملازمٌ للقول في تناقضهما وتعاكسهما وذلك مما لا يقبل به العقل الصائب ويردُّهُ التقليد الرسولي مع الآباء والمجامع. فلا شكّ انَّ هذا الحلّ يزيل كثيراً من العقبات التي كان يلقاها في طريقه دارس تاريخ الموارنة فلا يستطيع ان يطابق بينها وبين اقوال اوثق المؤرخين كاخبار المَرَدة وزمن بطريركيّة مار يوحنّا مارون ومنوثليتيّة قسطنطين اللحياني وغير ذلك مما كان جعل التاريخ كلغز لا يُحلّ. فنتقدّم لسيادة المؤلف شكرنا الحميم على هذا التأليف ونتمنى ان يردفهُ بتأليف آخر اجدى نفعاً وهو تاريخ موسّع للطائفة المارونيّة من القرن الثالث عشر الى زماننا حيث لا يبقى جدال في صحة ايمان الموارنة وتوفّر مآثرهم التي لا يزال معظمها مجهولاً. وفي الكتاب الثاني الذي نوّهنا بهِ ما يساعد على كتابة هذا التاريخ كما سترى

٢ والحقّ يقال ان هذا الكتاب اي مجموع البراءات والرسائل والتبليغات التي وجّهها الاحبار الرومانيون الى الطائفة المارونيّة وبطاركتها الاجلّاء من اجلّ الآثار وارفعها قدراً وهي في هذا المجموع تناهز ال ٢٢٠ عدا ولو امكن حضرة المؤلف الاباتي طوبيّا العنيسي ان يزور مكاتب اوربة وبعض خزائن الخاصّة فراجع مخطوطاتها ومطبوعاتها لوجد غير ذلك ايضاً. وعلى كل حال نثني الثناء الطيب على همّة حضرة الجامع الذي قرّب من علماء التاريخ الكنسي كل هذه المآثر المدفونة. وان سمح لنا ابدينا لهُ بعض الملحوظات ليحسّن الطبعة الثانيّة من هذا الكتاب. اوّلاً لا بُدّ من مقدّمة طويلة لتعريف المظانّ التي نقل عنها حضرة الجامع. ثانياً تلزم مقدّمة ثانية لبيان فوائد تلك الآثار وما يُستنتج منها لتاريخ الطائفة. ثالثاً تحتاج كلٌّ من البراءات والرسائل الى توطئة مختصرة لذكر فحواها وظروفها. رابعاً كان ينبغي مراجعة المسوّدات بكل حرص لانّهُ قد وقع في اثبات النصوص اغلاط طبعيّة عديدة تكاد تذهب بالمعنى. خامساً انَّ الفهارس للاعلام والامكنة والموادّ مما لا يستغنى عنهُ وكلها ناقصة في الكتاب. سادساً انَّ جدول بطاركة انطاكية (ص ٥٥٣ — ٥٥٦) لا

يوثق به في اشياء كثيرة. فليُراجع كتاب لباب البراهين الجليَّة الذي سبق وصفهُ. هذا ما بدا لنا من الخواطر عند مراجعة ذاك التأليف الخطير الذي نتمنى لهُ كل رواج كما يستحق ونقترح على احد ذوي الهمَّة تعريبهُ ل.ش

LEHRBUCH, die Arabische Sprache durch Selbstunterricht schnell und leicht zu erlernen, von B. Manassewitsch, 4te *neu beurb. Auflage, Wien, A. Hartleben's Verlag,* 1912, pp. 186

كتاب تعلم العربيَّة بطريقة سهلة

اهدانا القرَّاء سابقاً عمَّا باشرهُ محل « هرتلابن » في ڤينَّـة وليسيك من وضع الكتب التعليميَّة السهلة لمعظم اللغات القديمة والحديثة. وهذا الكتاب هو خصوصاً لتعلُّم العربيَّة مضمونهُ مختصر جيد من صرف العربيَّة وتراكيبها مع بعض المختارات ومعجم صغير وذلك في اللغة الالمانيَّة. وعلى رأينا انَّ طلبة العربيَّة في المانيَّة والنمسة يُسَرُّون به لوضوحه وقرب منالهِ وتصوير الفاظهِ العربيَّة بالحرف الاوروبي. على انَّهُ قد وقع في طبعهِ بعض اغلاط لا بُدَّ من اصلاحها في طبعة اخرى ل.ش

GRAMÁTICA ESPAÑOLA EN IDIOMA ÁRABE por Clemente Cerdeira, *Beirut, Imprenta Católica*, 1912, p. XXXVII-199

كتاب نهج الاذهان في تعليم لسان الاسبان

ان امتزاج العناصر الشرقيَّة بالدول الاوربيَّة صار يقتضي توفير التآليف المدرسيَّة ليتعلم اهل الشرق اللغات الغربيَّة. وكانت الألسنة الرائجة حتى اليوم بين الشرقيين الفرنسويَّة والانكليزيَّة والطليانيَّة فوُضعت لدرسها عدَّة مطبوعات راج سوقها. وكان طلبة الاسبانيَّة حتى اليوم قليلي العدد لقلَّة المواصلات بين الشرق واسبانية. امَّا اليوم وقد دخلت اسبانيـة في شمالي مراكش وكثر عدد المهاجرين الشرقيين الى اميركة الجنوبيَّة حيث اللغة الاسبانيَّة هي اللغـة الدارجة فقد اصبحت الحاجة ماسَّة لوضع تأليف واسع يسدّ هذا الخلل. فذلك ما قصدهُ الشاب الاديب اكليمنضوس تُرْدَيْرَى الاسباني الاندلسي احد تراجمة سفير دولة اسبانية في مراكش الـذي قدم بلادنا منذ ثلاث سنوات فدرس العربيَّة في مدرسة الحكمة الزاهرة ثم باشر بتصنيف هـذا الكتاب على طريقة السؤال والجواب فاودعهُ خلاصة قواعد اللغة الاسبانيَّة

مشروحة باللسان العربي مباشرةً بحروفها الهجائيّة الى دقائقها الصرفيّة والنحويّة. وزيادةً في الافادة قد اضاف الى كلّ باب قارينَ عديدة ومُعجماً ضمّنهُ بجمل الالفاظ التي يحتاج اليها الكاتب والمتكلم ليستطيعا باقرب وقت ان يستفيدا من دروسهما ويقرأا التآليف الاسبانيّة ويختلطا باهلها . والكتاب متقن الطبع في مطبعتنا يزينهُ غلاف منقوش بواجهة قصر الحمراء في الاندلس. والمؤلف قد اهدى كتابهُ الى سعادة دون الفونس مري دلفاا، شقيق وزير الدولة البابويّة . فنشكر صاحب هذا التأليف على حُسن عملهِ ونتمنّى لكتابهِ رواجاً عظيماً ل.ش

ABU HANIFA AD-DINAWERI. Kitâb al-Aḫbâr at-Ṭiwâl Préface. Variantes et Index publiés par. I. Kratchkovsky, *Leide. Brill*, 1912, pp. 82-٩٢

فهارس كتاب الاخبار الطوال

كرّرنا غير مرّة الثناء على علماء اوربّة الذين لا ينشرون كتاباً مهماً الّا ألحقوهُ بفهارس واسعة تقرّب فوائدهُ للطالبين. فدونك مثالاً جديداً على همّتهم من هذا القبيل. كان المستشرق الروسي ڤلاديمير جرجاس قبل ٢٥ سنة اعدّ ليَنشرهُ في ليدن تاريخاً عزيز الوجود ذا شأن عظيم ألا وهو كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري من كتبة القرن الثالث للهجرة لكنّ موتهُ في ٢٦ شباط سنة ١٨٨٧ حال دون رغبتهِ فقام العلّامة فون روزن الشهير وطبع الكتاب عاجلاً لئلّا تفوت فوائدهُ المستشرقين ووعد بان يُلحقهُ بمقدّمة وفهارس لولا ان اشغالهُ المتعدّدة لم تسمح لهُ بذلك. وكان تلاميذهُ باغرائهِ نشتغلوا بذلك فبقي شغلهم غير كامل وها قد اتاح الله للدروس الشرقيّة رجلاً همّاماً عرفنا نشاطهُ بيننا مدّة سنتين اعني الدكتور اغناطيوس كراتشكوفسكي احد تلامذة البارون فون روزن ومذ رجع الى بطرسبُرج اخذ يؤدي للعلم خدماً مشكورة من جملتها اتمام فهارس تاريخ ابي حنيفة الدينوري المذكور مع المقدّمات العلميّة على الكتاب ونسخهِ وتعريف مؤلفهِ وعظم شأن تأليفهِ المذكور مع وصف بقيّة مصنّفاتهِ. وهو لعمري شغل شاقّ لا يعرفهُ غير الذي عاناهُ. فنشكر صديقنا الدكتور كل الشكر على عملهِ ونتمنى ان ينفعنا الله زمناً طويلاً بمنشوراتهِ العلميّة ل.ش

FRÉDÉRIC OZANAM, par Mgr. Alf. Baudrillart. Paris, Blond et Cie. p. 63

فردريك اوزانام منشئ شركة مار منصور دي بول

افاد المشرق (١٣ « ١٩١٠ » : ٤٨١—٤٩٣) في المقالة المعنونة « نظر تاريخي في شركة مار منصور » كيف انشأ ذلك الفرنسويّ المقدام فردريك اوزانام تلك الشركة التي امتدّت اليوم في كلّ انحاء العالم المسيحيّ ويسعى اعضاؤها العلمانيّون لوجه الله في تلطيف كافة الاسقام البشريّة. ولم يكن فردريك اوزانام فقط رجلَ الخير ولكن عُرف ايضاً كرجل التقى ورجل الوطنيّة الصحيحة وكشاعر مفلق وكاتب بليغ ومؤرخ محقّق. فكلّ ذلك حدا بسيادة المنسنيور بودريليار رئيس مكتب باريس الكاثوليكي الى ان يخصّ قسماً من وقته الثمين لكتابة هذه السيرة الجليلة فيقدّم لشبّان العصر مثالاً حيًّا يقتدون بهِ في خدمة الله ومساعدة القريب وبذل النفس في حبّ الوطن ورسالة الكتابة والتأليف. وقد دبّج ذلك بقلم يسيل رقّة وجعلهُ من المرشّحين لعضويّة الاكادمية الفرنسويّة. فأملنا وطيد بأنهُ ينال قريباً ذلك الامتياز الذي استحقّهُ من وجوه عديدة الاب ج. نيرون

A. Brou s. j : SAINT FRANÇOIS-XAVIER. 2 vol. in-8 avec cartes, XVI-446 et 448, *Paris, Beauchesne et Cie*, 1912

القديس فرنسيس كسفاريوس

انَّ الطبّاع بوشان في باريس الذي اتحفنا في الشهر الماضي بكتابهِ الجميل المعنون « المسيح او دليل تاريخ الاديان » اهدانا هذه المرّة كتاباً آخر ذا مجلدين ضخمين يحتوي ترجمة رسول الهند واليابان في اواسط القرن السادس عشر. نعم انَّ حياة فرنسيس كسفاريوس معروفة منذ زمن طويل الّا انَّ عصرنا هذا هو عصر الانتقاد فلا يكتفي بما سبق اليهِ الكتبة الاوّلون بل الكتبة المحدثون ايضاً. ومن ثمَّ رأى حضرة الاب برو اليسوعيّ ان يستأنف عمل اسلافهِ ويجعلهُ ليس فقط مطابقاً للذوق الحديث بل موافقاً لمقتضيات النقد العصري. لادراك هذه الغاية اعاد النظر في كل ما كُتب عن ذلك الرجل العظيم والرسل الكريم بل بحث في عدّة مكاتب عن آثارهِ لاسيما رسائلهُ المتدفقة فضلاً وشهامةً ثمَّ جمع شواهد معاصريهِ المرسلة الى رومية

لاثبات قداسته وتصفح الاوراق السرية التي بني عليها المجمع المقدس ثم الحبر الاعظم حكمتها لادراجه في سجل القديسين . وغير ذلك مما ساعده على تسطير سيرة جديدة للقديس المذكور تمثل للعيان اعمال ذلك البطل الغوار ورسول السلام الذي بشر بالانجيل في عدة ممالك وعمد اكثر من مليون من البشر واقترف من المعجزات ما جعله شبيهاً بالرسل الاولين من جملتها احياء عشرة اموات والتكلم بعدة لغات لم يتعلمها واشياء أخر كثيرة شهد في صحتها عدد لا يحصى من الشهود العيانيين . فحض محبي التاريخ المسيحي واخبار مشاهير الكنيسة ان ينذروا نفوسهم بمطالعة هذا الكتاب الذي هو كاف لاثبات حجة الدين المسيحي . بازاء ناكريه ل . ر

كتاب الفلسفة النظرية

تأليف الكردينال مرسيه رئيس اساقفة ماالين

عني بنقله الى اللغة العربية وتعليق حواشيه حضرة الخوري اسقف نعمة الله ابي كرم رئيس المدرسة المارونية برومة المقدس طبع في المطبعة العلمية في بيروت سنة ١٩١٢ المجلد الثاني في العلم الكلي العام (ص ٤٨٠)

عرفنا في عامنا الماضي المشرق ١٩١١ ص ٧٦) مؤلف هذا الكتاب وبيناً ما وجده تأليفه من الاستحسان في مدارس اوربة وكلياتها وشكرنا لمعربه خدمته للوطن بنقله الى لغتنا مع تعليق حواشيه . وها هوذا لم يلبث ان اتحفنا بجزئه الثاني الذي يحتوي اجل المباحث النظرية وارفعها شأناً في الفلسفة اعني علم المتافيزيقي المعروف عند العرب بما وراء الطبيعة لبحثه عن اعم المعلومات وارقاها في المعارف العقلية كالكلي العام والخاص والموجود والجوهر والذات والماهية والممكن والواجب والبسيط والمركب والوحدة والعدد والحق والبطل والخير والشر والاعراض والسكون والحركة والمادة والصورة والعلل الاربع والنظام والكمال والجمال . وهي لعمري ابحاث لا تكاد تخطر على بال العامة بل اساء في تعريفها اصحاب الظهور والماديون فانخدع باقوالهم من ركن اليها دون روية . الا ان الكردينال مرسيه دليل حاذق خريت لا يفوته شيء من غوامض المشاكل التي درسها درساً مدققاً مع فكره الثاقب ومعرفته التامة لآراء قدماء الفلاسفة والمتفلسفين المحدثين فتراه اذا تعرض لبحث مهد طرقه ووطأ وعوراته ودل على شعبه واثبت بالدليل العقلي ما يراه صواباً

كما يفنّد بالبرهان ما لا يستصوبهُ من آراء غيرهِ . وقد استحسنّا تعريب الكتاب فان سيادة الخوراسقف أحسن في اختيار الالفاظ الدالّة في العربيّة لأدقّ وأعرض الاصطلاحات الفلسفيّة عند الاوربيين وزاد الكتاب نفعاً بتعليقاتهِ المثبتة بتعقبهِ في الدروس النظريّة . حفظهُ الله وافادنا بتآليفهِ التي نتمنى لها انتشاراً واسعاً في كل انحاء الشرق العربي

ل . ش

الرهبان : من هم ؟ ماذا يعملون ؟ ماذا ينفعون ؟

بقلم الاديب نجيب ملحم الشملاني

المطبعة الكاثوليكيّة . بيروت سنة ١٩١٠ (ص ٩٤)

مذ قامت الجمعيّات السرّيّة لمماكسة الدين جعلت الرهبان هدفاً لسهامها فضربت الصفح عن كل اعمالهم منذ مئين من السنين لتشنّع عليهم وتصوّرهم على خلاف الحقيقة وربّما عظّم اصحابها القذاة فجعلوها خشبة للتهويل على السذّج من العموم وليست الخشبة الّا في عيون اولئك المموّهين . فمن ثمّ نشكر جناب الاستاذ نجيب افندي ملحم الشملاني لنشره هذا الكتاب الذي مع صغر حجمهِ يفيد كل القرّاء المنصفين عن عظم مقام الدعوة الرهبانيّة وعن الخدم اليوميّة التي يؤدّيها الرهبان للمجتمع البشري في كل اطوار حياتهم كخدمة الدين ووعّاظ ومرشدين وكتبة ومحسنين الى الفقراء وعائدين للمرضى وزائرين للمحبوسين وغير ذلك . وقد خصّ المؤلف قسماً من تآليفهِ لذكر الرهبان الوطنيين الموارنة والملكيين ونعم ما فعل لقربهم منّا وكثرة حسناتهم فنحضّ الكاثوليك على قراءة هذا الكتاب ونشرهِ بين مواطنيهم

ل . ش

مصر وسوريا

بحث سياسي انتقادي في تاريخ العلائق بينهما قديماً بقلم بولس مسعد

طُبع في مصر « نيسان » سنة ١٩١٢ (ص ٣٦)

هذه الكرّيسة جعلها صاحبها الاديب هديّة الى ادباء المصريين والسوريين والى اللجنة المؤلّفة لمساعدة المنكوبين في حريق دمشق . فترى من عنوانها انها عجالة لم يُقصد بوضعها التعمّق في العلاقات التاريخيّة التي تجمع بين القطرين السوري والمصري ولولا ذلك لما كفتهُ المجلدات الضخمة لكتابة تاريخ كهذا . وعليهِ لا حاجة الى ان

نتتبع اقوال المؤلف لنقدها وانما نثني على همّته لجمله تلك العلاقات كرابط وثيق بين المصريين والسوريين فيوحدوا قواهم لكلّ ما يؤول لخير القطرين الشقيقين

ل.ش

رثاء الأسى

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ٤٣)

هي كراسة تتضمن اهمّ الرسالات التي وردت على الجمعيّة البولسيّة عن اثر نعيها بوفاة مؤسسها ورئيسها الحبر العالم الهمام المثلث الرحمة المطران جرمانوس معقد. ومن يتلو هذه الرسالة يتأكد كم كان رفيعاً موقع فقيد الطائفة والكنيسة في قلوب غبطة السيد البطريرك والسادة الاجلاء واماثل اهل سورية ومصر. فعسى هذه الكتابات تلطّف حزن ابنائه البولسيين وتنعش في نفوسهم ذكر حياته الصالحة ليحققوا من بعده كل آماله في تمجيد الله وخدمة القريب

ل.ش

مناجاة النفس

للخوري جرجس فرج صفير

طبع بالمطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٦٨)

يحبّ الشعر المواضيع الخياليّة والادبيّات المفكهة لكنهُ لا يأنف من المواضيع العلميّة او النظريّة فيكسوها نظمهُ ثوباً قشيباً يحببها الى من ينقبض ليبوستها. فكأن الوزن الشعريّ يرسخ في ذهن القارئ فيشحذ فكرتهُ وينبه قلبهُ الى استخراج المعاني المكنونة تحت قشرة الالفاظ فهذا ما قصدهُ حضرة الخوري جرجس فرج صفير الذي اغنى سابقاً مكاتبنا الشرقيّة بتآليفهِ الفلسفيّة فرأى هذه المرة ان يوشح المبادئ الفلسفيّة في الانسان واصلهِ ومعادهِ ببردة الشعر فنظم الفاً وخمسين بيتاً منهُ تراها تسيل من قريحتهِ سيل المياه المتدفقة فتروي على صورة رمزيّة اسمى الحقائق النظريّة التي يتباحث بها الفلاسفة كجوهر النفس واتّصالها بالجسد وقواها واعمالها المختلفة في الجسم وبمعزل عنهُ. ومن لهُ المام بالفلسفة يأخذهُ العجب من قدرة الشاعر على اخراجهِ كل هذه المعلومات في قالب من النظم الجيد. ويا ليتهُ فصّل هذه الصفحات ابواباً ولخص في رأس كل باب مضامينهُ لكانت زادت بذلك رغبة القارئ في كشف تلك المكنونات الجليلة. ولعلّ حضرة المؤلف يتبع قصيدتهُ قريباً بشروح مستوفية

تقرّب تلك التعاليم السامية الى عقول الجمهور فيستوجب شكرنا عودًا وبدءًا

ل.ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفه سليمان مصوبع المحامي

طُبع في صيدا في مطبعة العرفان سنة ١٣٣٠–١٩١٢ (صفحاته ١٢٠)

كنّا استبشرنا خيرًا لمّا نشر جناب المؤلف اعلانهُ بطبع هذا القاموس. والجزء الاوّل الذي بلغنا منهُ آخرًا لم يُخيّب ظنّنا فيهِ فان المؤلّف يتتبّع المواد الشرعيّة بابًا بابًا على نسق المعاجم فيحدّها ثمّ يُلحقها بالاحكام الشرعيّة والقانونيّة المتعلقة بها. فيرى القرّاء اي ثلمة يسدّها جناب المؤلف بوضعهِ هذا القاموس الذي نودّ تعميمه في كلّ انحاء الممالك العثمانيّة

ل.ش

شذرات

في عرين الماسونيّة — في مساء السبت ٢٥ ايار الماضي دعا احد زعماء الفوضويين الماسوني سبستيان فور (Seb. Faure) جمهورًا كبيرًا من اهل باريس في نادٍ واسع فالقى امامهم محاضرةً عن الماسونيّة هذا عنوانها « لاي سبب دخلتُ الماسونيّة وما علّة وجودي فيها الآن وماذا يدفعني على البقاء فيها » فكرر هناك اكاذيب الماسون المألوفة انّ الماسونيّة جمعيّة خيريّة لا تداخل لها بالسياسة وانّها تحترم كل الاديان » فلمّا انهى خطابهُ قام احد الحضور المسمّى اندره ديلوز (André Deloze) احد اعضاء مجلس الاستئناف وامام كل الحضور اعلن بقرار كان يتضمّن حُرم خطيب الماسونيّة « سبستيان فور » في ١ اذار سنة ١٨٩٤ بامر الشرق الاعظم لسوء تصرفهِ مع اخوتهِ في الشيعة فكان لهذا الاعلان تأثير عظيم في الحضور أفحم بهِ محامي الماسونيّة . ثمّ اردف المسيو ديلوز قولهُ بخطاب بليغ فنّد فيهِ كل مزاعم سبستيان فور في الماسونيّة وبيّن انّها عدوة لكل سلطة دينيّة ومدنيّة وان محافلها آلة كلها لتأييد سياستها الخاصّة ومعاكسة صوالح الوطن . فما سمع الجمع هذا الكلام حتى اخذ كثيرون يصرخون ويضجون ويقاطعون المسيو ديلوز الّا ان ذلك

الشهم لم ينقطع عن كلامه البتة ولم يزل يفند كل المعترضين ويؤيد حججهُ بالبراهين القطعيَّة مدَّة ساعة كاملة وانهى خطابهُ بالمقابلة بين اعمال الكنيسة وفظائع الماسونيَّة وبين بنيان تلك للهيئة الاجتماعيَّة ومعاكسة هذه لكل مشروع صالح حتى ختم بتمجيد السيد المسيح « الطريق والحقّ والحياة » الذي ليس دونهُ الَّا الخراب والهلاك. واذ كان الحضور يضاعفون جلبتهم دون ان يجسر واحد منهم ان يفنّد قولهُ قال الخطيب: انني لست بخائف منكم ولو كنت وحدي بين الف عدوّ. وها انا اصرخ رغماً عنكم وبازاء الشيخ الماسونيَّة كلها « فليحيَ المسيح ». واذا بصوت آخر خرج من وسط الجمع مردداً معهُ « فليحيَ المسيح ». وكذا ارتفعَ ذلك الجمهور وكثيرون منهم يثنون على شهامة ذلك الخطيب الذي دخل عرين الماسونيَّة واقحم اصحابها بلا وجل

لغط الكلمة لا تدع الكلمة عدداً من اعدادها الَّا تنفث فيه شيئاً من سمها في حق الكاثوليك ورئيسهم الاعظم وخصوصاً في حقّ الكاثوليك وهي تستند في ذلك الى اقوال رجال لا يعبأ لكلامهم ولمجلَّات يكتب فيها من تعمي الاغراض بصائرهم ودونك شاهداً على ذلك نتزعهُ من عددها الاخير (١ حزيران ١٩١٢ ص ٤٤٥ فهناك فصل « في اعمال مرسلي الغرب التبريقيَّة » كذا يدعى فيه نقلاً عن مجلة الاطولي « انَّ الرهابين اللاتين العديدي الازياء والاسماء واليسوعيين منهم خصوصاً يفسدون اخلاق اولاد الارثوذكسيين اليونان » في البلاد والجزائر اليونانيَّة » ويتاجرون ببساطة الساذج ليلقوا في قلبهِ البغض نحو كنيسته الوطنيَّة بطلمهم الجزويتي. فترى ما اجمل هذا الكلام وما الطفهُ من فم احد الاساقفة الارثذكسيين ولا ينقص من كماله شيء الَّا صحتهُ. وكل يعلم انَّ اليسوعيين لا مدارس لهم « في بلاد وجزائر اليونان » وعليه سقطت كلّ حجة المطران وفانيل هواويني فتأمل

كتابات قبطيَّة قديمة في النوبة في هذه السنين الاخيرة قد وجد الاثريون عدَّة كتابات نصرانيَّة في بلاد النوبة بين مصر والسودان. منها في اللغة النوبيَّة ومنها في اللغة القبطيَّة. ولكلها خطر لبيان نفوذ النصرانيَّة في النوبة.

واقدم هذه الكتابات هي القبطيَّة وجدوا منها نحو اربعين على ضفاف النيل بين كلابشة ووادي الغزال تتضمَّن كتابات ضريحيَّة وتقادم وآيات مختلفة من الاسفار المقدَّسة وبينها رسالة السيد المسيح للابجر ملك الرها واسماء الاربعين شاهدًا في سيواس. وفي احدى هذه الكتابات تاريخ بناء كنيسة في النوبة على عهد يستنيان سنة ٥٧٧ للمسيح شيدها ابراهام الكاهن في ٢٧ طوبة ودوَّن ذكر بنائها في هذه الكتابة التي تحتوي عدَّة اعلام اسم ملك النوبة المتنصر (واسمهُ « أيرپانومي » واسم يوسف اكسرخوس مدينة تلميس واسم تاودورس اسقف جزيرة فيله. وهذه الكتابة اقدم الكتابات القبطيَّة المكتشفة حتى الآن. وقد وجدوا في بقيَّة الكتابات اسماء اساقفة آخرين في النوبة كتامر اسقف بجراش سنة ٦٩٣ م والانبا توما سنة ٨٦٢ والانبا جرجس اسقف قرطه نحو السنة ١٠٢٩ والانبا يسوع اسقف ساي سنة ١٠٥٤ (راجع مقالة حسنة في هذا العدد نشرها الاب الكسيس مالون في مجموعة مكتبنا الشرقي ج ٦ ص ١٢١)

شهادة ياباني للكثلكة عاد الى اليابان الدكتور انيزاكي استاذ اللاهوت في كليَّة طوكيو وكان قد ذهب الى اوربة لدرس الاديان المسيحيَّة فيها ولدى رجوعهِ الى بلادهِ اخذ يلقي المحاضرات في قومهِ ويطلعهم على ما شاهدهُ وتحققهُ وقد قال في احدى محاضراتهِ ان الديانة الكاثوليكيَّة توطد وتؤيد اكثر من سواها مبدأ السلطة وتسهل رغد العيش للشعب وتخدم مصالح البلاد الحقيقيَّة ومما قالهُ امام قومهِ الوثنيين ان القداسة ضروريَّة جدًّا للتقدُّم والتمدُّن وقد اعجب بما شاهدهُ في الرهبانيَّات من آثارها الباهرة فانَّهُ زار اللازاريين والفرنسيسكيين والدومينيكيين والبندكتيين ودهش من فضائل الحياة الروحيَّة التي يمارسها اولئك الذين وذلوا اباطيل العالم حبًّا لله وتقرُّبًا من جلالهِ بتفانيهم في خدمة الانفس واصلاحها ومما اعجب بهِ خاصة السذاجة والفرح الظاهران على اولئك الرهبان وقال ان الخير الذي يعملونهُ في سبيل الهيئة الاجتماعيَّة لا يوصف ولا يُقدر

كتاب الكهنوت لمَّا وصفنا هذا الكتاب سابقًا في المشرق (ص ١٥٧) صرَّحنا عن ريبنا في نسبة هذا الكتاب لمار يوحنَّا ماورن واسندنا رأينا الى اقوال المدققين من العلماء. الَّا انَّ حضرة ناشر الكاتب ومعرِّبهِ كتب فصلًا في

اثبات رأيهِ فلا نرى حاجة الى متابعة البحث ويا ليت حضرتهُ يقنع بذلك العلماء المحققين ا .

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة الاب قسطنطين باشا ب م ١ اعرف شيئاً عن كتاب معالم الكتابة ومغانم الاصابة لعبد الرحيم بن علي القرشي. ٢ من هو سنان باشا الذي يروى عنهُ انهُ فتح طرابلس الغرب من فرسان مالطة سنة ١٥٥

معالم الكتابة — سنان باشا

نجيب على (الاول) انَّ كتاب معالم الكتابة لعبد الرحيم القرشيّ لم يُعرَف حتى اليوم الَّا من ورود ذكرهِ في كتاب الصبح الاعشى للقلقشندي. ولم يذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون وكذلك لا وجود لهُ في احدى مكاتب اوربَّة. فوجود حضرة السائل نسخة منهُ حظوى ونعمة. نجيب على (الثاني) انَّ فاتح طرابلس هو السنجقبك طورغود وكان تحت امر سنان باشا سرّ عسكر السلطان. وكلاهما كان نصراني الاصل وقد اسلما ليترقَّيا في الرتب العسكريَّة (راجع تاريخ هامر (de Hammer: *Hist. de l'Empire Ottoman* VI, 166-180)

س سألنا من مالطة حضرة القسّ جرجس السبلاني ايجوز ان تُنصب فوق الهيكل صورة المصلوب على ورق او قماش ؟

صورة المصلوب على الهيكل

ج كلَّا فانَّ صورة المصلوب التي تُقام الذبيحة امامها يجب ان تكون من مادَّة صلبة كالمعدن او الخشب ل. ش

المشرق

العقائد المسيحية في الدياميس الرومانيّة

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

رومية ! تلك المدينة العظيمة التي انتشر ذكرها في العالم انتشار النهار لما جمعت في ربوعها من رفيع التذكار وجليل الآثار وما كانت عليهِ من الحضارة والعمران ايام القياصرة الرومانيين والباباوات العظام الذين اقاموا فيها من انواع الزيّن وفنون البهاء ما كفل لهم ثناء التاريخ على توالي الادهار لم تزل مهوى افئدة الناس اجمع ومطمح ابصار البشر على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واميالهم

يمرّ فيها المؤرخ فيقف في متاحفها ومكاتبها ويتأمل في رفيع مبانيها وما وعاه الدهر من بقايا الازمنة الخالية ويجيء في خاطرهِ تاريخ نشأتها وتقدمها في جميع اطوارها فيتمثّل قوّادها وابطالها وامراءها وملوكها وشعراءها وخطباءها كشيشرون وقرجيل ومن جاراهم في مضمار الآداب فيناجيهم على تنائي عهدهم ويحدثهم برقيق شعوره وتأثيرهِ ... يمرّ فيها الناقشون والمصوّرون وارباب الفنون الجميلة فيتعهّدون بابصارهم تلك التماثيل البديعة التي نقشتها يد الكبراء كميكال انج وغيرهِ من امراء الناقشين ويرسمون في محفوظهم ما رسمتهُ على النسيج انامل رفايل ومن ضارعهُ من نخبة الراسمين. هناك يعاينون تلك الاعضاء المنظمة ويستقصون كل حركة واشارة من تلك المصنوعات الجليلة ويدوّنونها في خواطرهم لأيام العمل — يمرّ فيها المؤمن وقد نالتهُ عواطف الحبّ والابتهاج فلا يخطو خطوة الّا يرى فيها حياة

الكنيسة الكاثوليكيَّة. وكأنَّ الدهر الغائب ينبعث من لحده فيروي له تعاذيب العذارى والشهداء في مواضي الاجيال. وكأن الاحبار الرومانيين ينشرون من مدافنهم ويتراءون له بعزهم وفخرهم. هناك يجثو بالقرب من قبر الرسولين بطرس وبولس فيجري دمعهُ وينقطع صوتهُ عن الكلام وتلتصق شفاههُ على الرخام ساعةً وهو يصلي ببكاء واحترام. هناك يتجلَّى له حبر الاحبار بعظمتهِ وسلطانهِ فيعاين بعين الايمان من وراء ذاك الجسم الانساني ما نالهُ من القدرة الالهيَّة فيقف امامهُ وقد عجز اللسان عن الكلام لما تولَّاه من المهابة والوقار فتسيل عبراتهُ ناطقة بافصح بيان عما يمرُّ في قلبهِ من عواطف الورع والاكرام

تلك المدينة غدت في عصرنا الحاضر مرمى ابصار العلماء يتواردون اليها ويتعهَّدون ما فيها من البقايا والاثار وكأن الله اعدَّها لتكون كمجتمع البراهين في عصر تفرَّد عن غيرهِ بالالحاد والنكران. وحسبُ الناظر ان يسرّح الطرف فيما تركهُ الدهر الغابر وما اورثنا اباؤنا من جليل الميراث ويستنطق الاحجار وما رُسم عليها من الكتابات الوفيرة ويعاين تلك التصاوير البديعة التي اصبحت كسلاح جديد للمدافعة عن الدين وارباب. ولقد استعنَّا بما سطَّرهُ العالم دي روسي في مجلَّتهِ المسماة رومية الدياميس (Roma Sotterranea) وما رسمهُ السيد ثيلبر (Mgr Wilpert) في كتاباتهِ الشهيرة. وقبل ذلك نأتي في مقالتنا ببعض الوصف للدياميس في دهرنا الحاضر وما كانت عليهِ في مواضي الازمان (١

*

الدياميس هي مقابر عظيمة نُقرت تحت الارض في الربوع الرومانيَّة طلباً لحاجات المسيحيين الاقدمين في مدافنهم وهي كثيرة الشعاب تتعارض من كل الانحاء. ويخترق بعضها بعضاً وهي واقعة غالب الاحيان خارجاً عن اسوار المدينة على مقربة من الشوارع الرومانيَّة الشهيرة. وقد عثر الاثريون على خمسين مقبرة من هذه المقابر المخفيَّة ويقال انَّ مساحتها تنيف على مئتين وخمسين هكتاراً وطولها كلها يزيد على الف كيلومتر. وقد حفر القدماء يميناً وشمالاً نواويس صغيرة كانوا يكفِّنون الجثث ويضعونها

١) فليراجع القرَّاء المقالة الجميلة التي اقتطفناها في المشرق (١٣ (١٩١٠) : ١٦١-١٧١) من خطاب لحضرة الاب دي لاروه اليسوعي في دياميس رومية

فيها . وكثيراً ما وُجد الاثريون بالقرب من تلك العظام قنينة جميلة بديعة الرسم مملوءة عطراً طيباً . وربما وقفوا على غير ذلك من الآثار . فان كان المدفون شهيداً وضعوا في تلك الزجاجات شيئاً من دمه الطاهر واقاموا بالقرب من عظامه مصباحاً زيّنوهُ بالكتابات والازهار . فقد سطروا على بعض المصابيح هذه الكلمات (Φαίνει πᾶσι Χριστοῦ) اي ان نور المسيح يضيء للكافة وفقاً لما قال السيد له المجد : « ليضئ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا ابا كم الذي في السماوات » . وكانوا يسدّون القبور بالرخام او الفخار ويدوّنون عليها اسم الميت ويوم رحيله الى الديار الخالدة . وربما اثنوا عليه بمديح رقيق نشروا فيه مآثرهُ وختموا قولهم بصلاة الى المولى كي يُدخلهُ جنّات السعادة والسلام

ولو رام القارئ ان يعرف صورة الاجداث في تلك الدياميس قلنا انها تشبه القناة الصغيرة كانوا يدخلون فيها الجثث ويوارونها عن العيان . بيد ان اهل الثروة منهم كانوا يدفنون امواتهم في محل ارحب واوسع يشيّدون بالقرب منهُ مخدعاً كبيراً تنساب اليه الانوار من فوهة كفوهة الآبار فترسل اشعّة ضئيلة تثير في القلب عواطف التقوى والاحترام

ولقد وصف المؤرخون حالة المؤمنين في هاتيك الازمان بما يورث الحزن والاكتئاب فكنت ترى المسيحيين أيام الاضطهادات نازلين جماعات جماعات حاملين المصابيح في تلك الظلمات فيكاد الرعب يغشاهم . على انهم بين اشجانهم كانوا يترنّمون ترانيم الحمد والثناء . فما اعذب ما كانت تلك الالحان الصادحة في الليل لتختلط بانغام الجنّة وسكان السماء ! ويا حبّذا لو رقّ لنا الدهر تلك الاناشيد وهي صاعدة من اسافل الارض من نفس خائفة مكلومة ! هناك كانوا يرتلون اناشيد صهيون على انهار بابل بعيدين عن اوطانهم وسمائهم (مز ١٣٦ : ١) . وكانوا يستخدمون تلك المخادع لاعضاء الأسرة الواحدة وربما اشترك فيها بعض الاخلاء مشيرين الى انّ مَن جمعتهم على الارض علائق الوداد والحبّ لا بدّ من ان تربطهم روابط القبر واللحد حتى اذا تفتّتت عظامهم اختلط رمادهم واتّحدت بقاياهم . هناك في تلك الكهوف كانوا يلتئمون لاقامة المواسم يوم عيد الشهيد او بعد سنة مضت لدفنه فيحتفلون بالذبيحة الطاهرة وكسر الخبز . وقد بقيت تلك المخادع اللحدية وما يجاورها بزينتها

ورسومها وصورها الكثيرة الالوان وما رُقش على جدرانها من الكتابات. فاخذ العلماء ومحبُّو الآثار يرسمونها ويصورونها قبل ان تفنى وتغيب عن الوجود لما يطرأ عليها من عوامل الايام وحوادث الازمان كالهواء والرطوبة والانوار (١

فبعد ان قدمنا تلك الملحوظات نقول: بدء الحقائق واساسها هي وجود الله ووحدانيَّتهُ فان الفلاسفة الوثنيين انفسهم ادركوا تلك العقيدة بتوقُّد ذهنهم وإعمال الفكرة وآلُ اسرائيل ورثوها عن ابائهم عصراً بعد عصر بالوحي الالهي . على ان السيد المسيح زاد بان الله ابٌ رحيم شفوق يحبّ الخطأة ويرحم البائسين وعلّمنا بان ندعوه اباً محبوباً ولذلك نرى الكتابات تسمي الله الاهاً رؤوفاً وشفيقاً وصالحاً (ἀγαθός, ἐλεήμων, φιλάνθρωπος) يتبعنا من يوم نزولنا على ضفاف الحياة الى يوم وصولنا الى ابواب النعيم وهو يتقدَّمنا بانعامهِ ويتلونا براحمهِ والطافهِ. هناك الهتافات الكثيرة نحو العلي كقولهم: « تَعِش في الله » (Vivas in Deo, ἐν θεῷ) ولربما سطروا ما كان عليهِ المائت من الايمان فانَّا نتلو على ضريح احدهم: آمنَ بالله الواحد (in unum Deum credidit) او آمن باسم الله (In nomine Dei) (٢

وكثير من الكتابات القديمة تقرُّ بلاهوت المسيح الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس. ودونك بعض النصوص فقد كتبوا على قبر احدهم هذه العبارة: لمرقس الذي يستريح بسلام في اسم المسيح (Marco, in pace in nomine ✠ quiescit)

---

١) ومع كون الدهر قد لعب بتلك التصاوير الجداريَّة وعفا عنها بعض الرسم قد توصل السيد ڤيلپر (Wilpert) بالطرائق الكيموية الحاليَّة الى نقل رسومها في كتاب لهُ مشهور قرَن فيهِ واسع العلم الى توقُّد الذكاء فجاء كتابهُ حافلاً بالتصاوير البديعة بالوانها ولياقتها وعطفاتها. ولقد قام من بعدهِ نفرٌ كبير من ارباب العاديات واصحاب الآثار في عصرنا فعكفوا على درس تلك الخبايا وعادوا مذهولين مما هنالك من انواع التصاوير والكتابات. وقد اتت تلك الآثار بما هي عليهِ من الرقة والدقة من اوضح الشواهد على انَّ الكنيسة في اول عهدها ربَّت ما بين مؤمنيها مشاهير رجال وغنية راسمين ومصوِّرين ممَّن احبُّوا البديع فقضوا حياتهم يسطرون ما رأوهُ من محاسن الطبيعة وجمالها

٢) ولم نسطِّر ما كانوا يسمونهُ (Graffiti) وهي كتابات كان يكتبها الزائرون في مواضع زيارتهم وبقيت هذه العادة بين الشرقيين الى يومنا فان زار احد كنيسة او محلاً مقدَّساً دوَّن اسمهُ بالفحم او بقلم الرصاص قائلاً: اذكر يا رب عبدك فلاناً

ونجد في مقبرة كيرياكوس تلك الكلمات : انهُ يستريح في السيد المسيح (In Domino Christo) . وربما طاروا بالفكر والقلب الى السماء فوضعوا هناك في تلك الديار رجاءهم وافراحهم ومن ذلك قولهم : يا ريجينا ليتكِ تعيشين في السيد يسوع (Regina, vibas in Domino Iesu) . ولدينا بعض الكتابات اليونانيّة وهي اقدم عهدًا من قسطنطين الملك حيث يعترف المؤمنون ويقرّون بجلي البيان بلاهوت المسيح قائلين : رقد في المسيح الالاه : Ἐν Θεῷ ✠ (١) او في السيد الالاه Ἐν Θεῷ Κυρίῳ وهذه الكلمة « كيريوس » مأخوذة من رسائل القديس بولس والجيل القديس لوقا وهما يوردان تلك الكلمة بمعنى السيد المسيح الالاه المتجسد . وفي المتحف البندقي (Venise) نجد قطعة رخام سُطرت عليها هذه الكلمات : In Do - mi - no nostro D. C. T. اي نؤمن بسيدنا المسيح الالاه . وفي مقبرة برسلّا كُتبت هذه العبارة : آمن بالله يسوع المسيح ابن الله المخلص . وقد وضعوا صورة السمكة لان كلمة سمكة باليونانيّة Ἰχθύς وكل حرف منها مطلع اسم من اسماء المسيح اي Ἰησοῦς Χριστὸς Θεοῦ Υἱὸς Σωτήρ اي يسوع المسيح ابن الله المخلص

واما لاهوت الروح القدس فقد ذكرتهُ الكتابات كما نجدهُ في مدفن القديس كاليستوس حيث يقول اب لابنهِ العزيز كيرياكوس : ليتك تعيش في الروح القدس (Kuriaco filio dulcissmo vibas in Spiritu Sancto) . وفي تلك المقبرة عينها نشاهد عماد السيد المسيح والروح القدس نازلًا على الابن بشبه حمامة بينما الماء يجري بالتؤدة والوقار والاشجار تهتزّ طرباً على شواطئ الاردن والحمامة ترفرف باجنحتها فوق المياه وصوت الله على المياه ينساب كاللجج ويقول : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت فلهُ اسمعوا . . . وفي متحف كيرشر نجد هذه الكتابة Ἐν ἁγίῳ Πνεύματι Θεῷ اي بروح الله القدوس

ولنا عدد وافر من الكتابات تُنبئنا عن ايمانهم بالثالوث الاقدس وما كانوا يُردّون لهُ من فرائض العبادة والسجود وقد حفظ لنا الدهر كتابةً قديمة في مدفن برسلّا وفيها تمجيد للثالوث الاقدس قال كاتبها : « يا ابَ الذين انشأتهم وخلقتهم امنح السلام لمركلُس . لك المجد في المسيح المصلوب »

(١) ان هذا الرسم يدل على الكلمة اليونانيّة Χριστός اي المسيح

Ὁ Πάτηρ τῶν πάντων οὗς ἐποίησεν Κωνσταντῖνος εἰρήνην, ζωὴν Κ. Μαρκέλλον. Νοῖ δόξα Χρ' καὶ ἐν Ἁγίῳ Πνεύματι

وان قابلنا تلك الكتابة بما نرثهُ في صلاتنا اليونانيَّة اتَّضح لنا جليًّا انَّ الاعلانات في آخر الطلبات (Ἐκφώνησις) هي قديمة العهد ترتقي الى الاجيال الاولى لأنَّا نتلوها في ليتورجيا القديس يعقوب وفي تعليم الرسل الاثني عشر (διδαχὴ τῶν δώδεκα Ἀποστόλων) . وهذه كتابة اخرى وُجدت في مقبرة دوميتلَّا حيث يمدحون بركدياس ويقولون عنهُ انهُ « آمن بالمسيح يسوع وعاش في الآب والابن والروح القدس » (vixit in Patre et Filio et Spiritu Sancto)

وتجد في دياميس رومية صور الخليقة جمعاء من الانسان الى الجماد . ففي بعض التصاوير نعاين السماء مصوَّرة بالنجوم السواطع والارض في ربيعها مقسومة حلَّة بديعة من ضروب الزهر وانواع الخضرة والاشجار تتمايل باغصانها والجداول تتراكض بين الصخور والاحجار او في السهول على الاعشاب وكأني بهم قد دعوا الخلائق باسرها تمجيد الباري جلَّ جلالهُ . وقد صوَّروا ايضاً فصول السنة الاربعة وزيَّنوا الجدران بالاطيار كالحمامة والطاووس والعنقاء . والحمامة رمزاً الى النفس الطاهرة . والطاووس يمثل القيامة لان ريشهُ يتجدد كل سنة مع تقادم الايَّام . ولدينا رسم بديع من النجوم السماوية في مغارة الاشيليين (Acilii) حيث ترى السماء بكواكبها اللوامع تزينها كتابة صغيرة رآها قسطنطين الملك وهي Ἴσστω νυκτὸς اي بهذا تظفر

وقد صوَّروا في الدياميس سقوط آدم وحوَّاء في الفردوس . وقد نالت تلك العقيدة حظًّا وافرًا فيما بين الشعوب القدماء حتى رسموها في معابدهم وهياكلهم ودونوها في كتبهم . ولقد الفى اهل العلم تلك الحقيقة عند المصريين والبابليين والاشوريين واليونانيين والرومانيين واهل الشرق الاقصى كالصينيين والهنديين . على ان المسيحيين قد اصلحوا بما عرفوهُ بالوحي ما دخل فيها من الحكايات والاوهام الباطلة . وقد صوروا آدم وحواء قبل السقطة وبعدها فهما طورًا بالقرب من الشجرة في الجنة يقطفان الثمرة المحرَّمة وطورًا تراهما بعيدين منها ويد متصاعدة من وراء السحاب تطردهما من الجنة . والحيَّة ملتفَّة على الاغصان

وقد مثلوا السيد المسيح كالملك على عرشهِ والناس بين يديهِ خاشعين مذعورين

وربّما احاطوا بهِ وسجدوا لهُ مقدمين لهُ فرائض السيادة والعبادة. وقد توفّرت منذ القديم تصاويرهم في الربّ يسوع ولطالما اعملوا الفكرة لاستنباط اجمل الوجوه وابدع الحركات والاشارات فلذلك تراهم يتفننون في رسومهم ولم يألوا في توفير عددها. واقدم رسم للمسيح ما كان رمزاً لاورفي (Orphée) وهو نادر الوجود نجدهُ ثلاث مرات ومعناه لا يخفى على من عرف الاساطير والحكايات الوثنيّة. فكما ان اورفي سحر الوحوش على زعمهم بانغام عوده والحان كتارتهِ هكذا الرب يسوع ذاك المرنم الالهي قد غيّر طباع الوثنيين وما كانوا عليهِ من التوحش في عباداتهم البربريّة بما اتاه من رفيع التعاليم وسامي العقائد. ولقد مثلهُ المصورون سائراً بين السهول والاعلام حاملاً عوداً جميلاً يرنم ترانيم الربوع والجنات او جالساً على شواطئ المياه ينشد انغاماً سماويّة فاذا سمعتهُ وحوش البراري والحيوانات الضارية سكن غضبها وانقادت الى غنائهِ المطرب. فيا حبذا ذاك الرمز وتلك الصورة التي تنطبق حق المطابقة على الرب يسوع وهو يجول في ربوع الجليل بين اشجار الناصرة او على شواطئ بحيرة طبرية او بين سفوح الكرمل او في اودية اليهوديّة. هناك على جبل التطويبات ترنو اليهِ الجموع الكثيرة. هناك الشيوخ البيض النواصي يصغون لهُ باحترام ووقار. هناك الشبان يُسحرون بعذب كلامهِ. هناك القوم كالبحر الساكن لا يبدون حراكاً امام ذاك الخطيب المصقع والشاعر المطرب امام ذاك المعلم الالهي

بيد ان صورة الراعي الصالح قد توفّرت منذ الاجيال الاولى وفقاً لما ورد في الانجيل الكريم حيث قال الربّ: انا الراعي الصالح وانا عارف برعيتي ورعيتي تعرفني. من رأى يوماً في جبال فلسطين ايام الربيع راعياً وانغامهُ تسرح ما بين الاعشاب والازهار يخال لهُ ان مصوري الدياميس جالوا في ربوع الشرق قبل العمل ورعوا تلك المشاهد بجمالها ورونقها ثم مثّلوها على الجدران. هناك في تلك التصاوير تماين الحملان ترقص بين الزروع الخضراء. هناك الخراف راتعات والاغنام جائلات على الصخور حانيات رؤوسها بين الكلإ او صاعدات في الجبل والراعي يقرن الى صوت الطبيعة انغام مزمارهُ فتدوي طوراً مالئة الفضاء يتردد صداها في الجبال والاوداء ثمّ يغيب شيئاً فشيئاً في هدوء القفر وسكونهِ. وطوراً يندفع هو نفسهُ في الفناء ليسلو عن وحدتهِ في تلك الانحاء. هناك ترى الراعي الصالح يترك القمة والتسعين خروفاً وينشد عن ضالّتهِ

حتى اذا وجدها حملها على اكتافهِ واتى بها فرحاً مسروراً ولذلك نعاينهُ دائماً في تلك الصور حاملاً حملاً ناعم الصوف ساكن البال. وربما مثلوا جداول الماء والاغنام منحدرات من اعلى الجبال لترتوي من تلك المياه. وربما وضعوا الى جانبهِ اناء حليب رمزاً الى الافخارستيا (١. وكانوا يرتلون في اناشيدهم: «يا ربّ نسألك انت الراعي الصالح ان تحمل نفس المائت على اكتافك الالهيَّة وتدخلها في ربوعك الازلية»

وقد رسموا المسيح على صورة السكة لان السكة هي رمز الافخارستيا. ومما يثبت قولنا كتابة شهيرة يرتقي عهدها الى القرن الثاني سطرها ابرقيوس اسقف هيراپوليس من اعمال افريجية حيث قال: «كان الايمان يهيّئ لي طعاماً اينما نزلت سكةً من الينبوع عظيمة طاهرة اصطادتها عذراء نقيَّة وهي توزّعها على الاحباب طول الايام ليقتاتوا بها». وقرنوا الى هذه الصورة رسم الحمَل الاقدس وفقاً لما ورد في الانجيل الكريم: هذا هو حمل الله الرافع خطايا العالم. ويا حبّذا ما اتوا بهِ من المعاني والرموز البديعة فانك ترى انهار الجنَّة الاربعة وعليها حملٌ ناصع البياض فالانهار تشير الى الاناجيل الاربعة التي انتشرت في اقطار العالم من تلك التعاليم السامية الالهيَّة. وكثيراً ما رسموا الحمَل تحت المرساة. والمرساة هي رمز الى الصليب الذي عُلّق عليهِ الحمل السماوي. وقد مثّلوا الحمل وحمامة بيضاء تُقبل اليهِ بفرح وسرور حاملة غرق زيتون دلالةً على انَّ النفس المحزونة السائرة في ارض الشقاء اذا وفدت الى الرب في سرّ محبتهِ تجد حينئذٍ سلام النفس وسكون الضمير. وربما اقبلت الحمامة تستند الى صدر الحمل لانهُ كما ان القديس يوحنَّا الحبيب اسند رأسهُ الى صدر الرب في العشاء السريّ كذلك النفس الطاهرة تستند الى قلب السيد يوم تتناولهُ في احشائها

ولو رمنا تسطير كل ما رسموهُ لوصف المسيح لطال بنا الكلام ولم ننل ما تصبو اليهِ الرغائب والآمال. ولقد اخترنا بعض التصاوير من حياتهِ المقدَّسة. فانَّ المسيحيين قد تتبعوا السيد لهُ المجد في اطوار حياتهِ فصوَّروهُ وهو طفل رضيع يرنو الى امهِ الطاهرة فيبسم لها ابتساماً ذا لطف ورقَّة يعجز القلم عن وصفهِ وايرادهِ. او ينظر الى

١) راجع مقالة حضرة الخوري جرجس عزيز «الافخارستيا في الاديات المسيحية» (المشرق ٤: ٦٢٤)

المجوس وهو يفتح لهم يديهِ الصغيرتين ويتعهّد مـا يُقدم لهُ من الهدايا والتقادم. ولمّا ترعرع وبدا كالشاب الرطب مثلوهُ على تلك الهيئة وعليـهِ حلّة خفيفة كثياب الرومانيين الاقدمين. وعلى هذه الصورة مثلوهُ وهو يصنع العجائب والآيات. وعقيب الجيل الثالث حسّن المصوّرون لَيّات وجه المسيح وعطفاتهِ حتى غدت صورهُ تقارب الكمال. فجعلوا لهُ من ثمَّ غديرتين تسيلان على كتفيهِ وصوّروا عينيهِ على افضل ما رسمتهما يد الانسان والقوا عليهِ مطرفاً واسع الاهداب

واذا نزل الزائر الى دياميس برسلّا يرى الملاك جبرائيـل مرفرفاً باجنحة قاطعة الفضاء الى ان يصل الى مريم العذراء فيقف امامها بالخشية والاحترام ويهديها التحيّة والسلام ثم يبشّرها بالمخلص الموعود بهِ من نشأة الادهـار. هناك يشاهد المرء فتاة تأسر الطارف حسناً وبهاء تخفي رأسها وبلسان حالها تقول: «ليكن لي كقولك» ولقد اعيد رسمها في مقبرة كاليستوس. وقد رسموا عن يمين العذراء الملاكَ جبرائيل قائلاً: ها انك تحبلين وتلدين ابناً ويدعى اسمهُ عمانوئيل. وعلى شمالها النبي اشعيا ينظر في اسرار الغيب مسطراً تلك الكلمات نفسهـا. وفي مقبرة القديس سبَسْتيان صوّروا الطفل يسوع في احضان البتول مريم ودوّنوا هذه الكلمات: عرف الثورُ صاحبهُ والحمار معلفهُ واما اسرائيل فلم يعرف خالقهُ. ومما يجمل ذكرهُ مـا رسم هناك من المناظر الجميلة حيث نعاين المجوس قادمين من بلادهم حاملين ذهباً ولباناً ومرّاً والنجم يلمع في كبد السماء. وقد البسوهم العامة والقلنسوة الفارسيّة. وكثيراً ما طار بهم طائر الفكر الى شواطئ الاردن فمثّلوا عماد المسيح كما سطرهُ الانجيليون. وقد صوّروا اعجوبة المخلّع (١ وهي رمز الى غفران الخطايا لان السيد قال لهُ فيها: مغفورة لك خطاياك. وقال ايضاً: لكي تعلموا انَّ ابن البشر له سلطان على مغفرة الخطايا فانا اقول للمخلع لك اقول: قم احمل سريرك وامضِ الى بيتك. ومثلوا تكثير الخبزات (٢ وقيامة لعازر من بين الاموات مرات عديدة (٣ وتحويل الماء خمراً في عرس قانا. وهذه الصورة من ابدع ما رسمهُ الراسمون: هناك ترى الاعمدة الرفيعة تكاد تلتصق بالسماء

١) قد صوّروا هذه الصورة عشرين مرة في الدياميس

٢) عُدّت تصاويرها ثلاثين مرة ٣) مصوّرة خمسين مرة

هناك الموائد الكثيرة والمدعوُّون جالسون على المقاعد المزينة والخدَم يذهبون من كل الجهات فيتقدمون بترتيب ونظام انواع الاطعمة وضروب المآكل. وقد اكثروا من رسم صورة يونان النبي في الديماميس اشارةً الى قول الربّ كما انَّ يونان بقي في بطن الحوت ثلاثة أيام هكذا المسيح يلبث ثلاثة أيام في بطن الارض ثمَّ يقوم ظافرًا على الموت والجحيم

٥

فبعد ان جثونا امام الابن صارخين مع الرسول: انت ربي والهي. هلمَّ نعاين طلعة الامّ ونشاهد تلك الفتاة الالهيَّة ونستدلّ بالتصاوير عمَّا كان لها من الاكرام والاجلال في الاجيال الاولى. هلمَّ فتأمل بتلك الملكة العظيمة الجالسة على عرشها بثوب مذهَّب موشًّى. فقد سبقت القديسين في الاكرام منذ الجيل الثاني ليس كما يزعم الملحدون انَّ المجمع الافسي اوَّل من اخترع اكرامها. ففي مدفن پرسلّا نجدها جالسة تارة بالقرب من ابنها على عرشها واخرى حاملة الطفل يسوع والناس يكرمونها. وقد وجد الاثريون في مقبرة پرسلّا ايضاً صورة يرتقي عهدها الى الرسل كما اقرَّ به الجاحدون انفسهم. نشاهد النبيَّ اشعيا متردّياً برداء طويل حاملاً بيده الشمال درج الكتاب واليد الثانية تشير الى نجم يسطع في السماء اشارة الى قول يعقوب: وها انَّ نجماً يخرج من اسرائيل. والطفل الرضيع يدير الطرف الى النبي بلطف وحنو. وممَّا يدلّ على اكرامهم للعذراء مريم ما نراه في المقبرة نفسها فانَّا نعاين شيخاً عن يمين فتاةٍ تصلّي وبالقرب منهُ فتاة اخرى مكشوفة الراس وفي يدها درج. وعلى شمال المصلّية شابة جالسة على عرشها وقد ارتأى السيد ڤيلپر في شرحه لتلك الآية ان المسيحيين الاقدمين اشاروا بذلك الى تكريس عفتهم وطهارتهم للبتول مريم كما نشاهد في عصرنا الحاضر. فانَّ تلك الفتاة تكرّس عفتها للتي هي اعلى من الشاروبيم واكرم من الساروفيم. وقد رسموا صورة البتول مغطاة الراس او مكشوفة وكثيرًا ما رسموها على الزجاج وعلى النواويس بما لا يحصى له عدد. وقد وجدوا اسم العذراء مريم على كاس مذهَّب محفوظ في المتحف اللاتراني

بيد انَّ الكنيسة كانت ايضاً موضوع رسوماتهم فتلك المصلّيات تمثل الكنيسة قاطبة تتضرَّع لاجل العالم اجمع. ولقد مثلوها كسفينة نوح تكدّها الامواج في بحر

العالم سائرة بين الصخور آمنة من غوائل العواصف والزوابع وكأن الرسام اراد ان ينبئ المؤمنين بتلك الصور انهُ خارجاً عن الكنيسة تجد الهلاك والبوار. وربما وجدنا المسيح نفسهُ يصلي باسطاً يديهِ على شكل صليب دلالة على انَّ الكنيسة لا ينتقض منها حجر ولا تخشى ابواب الجحيم ما دام الرب معها الى منتهى الاجيال يتضرَّع من اجلها

ولم ينسَ المؤمنون ان يرسموا بطرس الهامة في الدياميس وفي رسومهِ دليل باهر على ان الرئاسة البطرسيَّة لم تنشأ عن حبِّ الترفُّع والطمع في حبِّ المراتب كما زعم المنفصلون عن البيعة وارباب الضلال. ولقد جاءت الاكتشافات برهاناً ساطعاً على انَّ البابا هو راس الكنيسة (١ ولهُ قال السيد المسيح في شخص بطرس: ارعَ خرافي ارعَ نعاجي. واذا نزل الزائر الى تلك الدياميس او مدخل الواتيكان وتبصَّر في تلك الآثار عجب كل العجب من وفرة ما يرى هناك من التصاوير القديمة التي تمثل الرسول بطرس فانَّ هذا العدد الوافر ينبئ عما كان عليهِ هذا الرسول من الرفعة والإكرام في الادهار الاولى فضلاً عمَّا محاه الدهر من الآثار. ومن غريب ما يُرى ان تلك الصورة ليست مبتكرة خياليَّة كصور المسيح بل تجري على رسم محدود وصورة معروفة معهودة والسبب بديهيٌّ وهو ان القديس بطرس عاش فيما بينهم مبشراً وكارزاً فانطبقت صورتهُ في محفوظهم فرسموها كما عهدوها ودون ان يلحقوا بها تغييراً واصلاحاً. وكثيراً ما رسموا بطرس الرسول على الاقداح والكؤوس وذلك في طبقتين من الزجاج الملوَّن وزيَّنوها بالذهب الخفيف على غاية الاتقان وزخرفوها بالزهر والورد وربما سطروا عليها بعض كلمات كقولهم بطرس (Petrus). ولقد كثرت صورة الرسول بصحبة النبي موسى كليم الله فكما كان موسى في البريَّة قائداً ومرشداً لشعب الله الى ارض الميعاد كذلك اقيم بطرس رئيساً وإماماً للامم المسيحيَّة. وكثيراً ما رسموهُ يصطاد سمكاً من بحر هذا العالم كما في مدفن كاليستوس وفقاً لما قال المسيح وساجعلك صيَّاداً للناس. فتراه طوراً يضرب

١) راجع المقالة النفيسة التي كتبها الاب لويس جلابرت في المشرق (٦ (١٩٠٣): ٥٧٧) وعنوانها الرئاسة البطرسية في دياميس رومية » وهناك عدَّة تصاوير نُقلت عن رسوم الدياميس

الصخرة فتتفجر المياه كالانهار واخرى يلقي الشبكة على شواطئ البحار وتارة يسقي الشعوب من مياه الصخرة العذبة اي المسيح. وفضلاً عن ذلك رُسم مرارًا امام معلّمه الالهي. فنعاين الربّ غير مرّة مقدّماً لهُ العهد دلالة على انهُ هو موسى الجديد للشعب المسيحي. وكثيرًا ما ترى المسيح يسلمهُ المفاتيح طبقاً لما قال لهُ: وساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما حللتهُ على الارض يكون محلولاً في السماوات وكل ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماوات. وما اجمل ما نعاينهُ في المتحف اللاتراني من بديع الرسم حيث نرى بطرس حاملاً الدرج اي التعاليم الخلاصيّة كما نشاهد ذلك في ناووس سُطرت عليه هذه الكلمات: السيد يمنح شريعتهُ. لكنّ الرسول لا يرث السلطان الالهي الّا يرث ايضاً الوعد بانهُ سيحتمل الآلام لاجل سيّده ولذلك قد رسموهُ حاملاً صليبهُ سائرًا وراء الرب يسوع. وفي صورة اخرى بينما الربّ يسلمهُ عصا الرعاية نجد الديك امامهُ اشارةً الى انّهُ انكر المسيح ومع ذلك لم تُنزع عنهُ سلطتهُ

ولقد جمعهُ المصورون مع الرسل الكرام ولكنهم اقاموا لهُ بعض الدلائل تميّزهُ عنهم كتاج العظمة والرفعة وعصا الرعاية او هالة مذهّبة وضعوها حول رأسهِ لان الرب طوّبهُ وبينما هو مكلّل باكليل الفخر والمجد نعاين بقيّة الرسل مكشوفي الرأس كما نجد ذلك في جرن العماد المحفوظ في رافنّة. واذا قرنوا اليهِ صورة الرسول بولس رمزوا ايضاً الى قدرتهِ وسلطانهِ وقد ميّزوهُ بطرف طويل والقديس بولس ينظر اليهِ رهبةً ووقارًا فطورًا يخطب امام الشعوب والاناء المصطفى يصغي الى اقوالهِ وطورًا يمنحهُ درج الناموس الالهي

وممّا امتازوا بهِ في الاجيال الاولى الصلاة لاجل الاموات. فهم يتضرّعون الى القديسين بكلام رقيق كي يُدخلوا الى السماء من يعزّ عليهم. فكانوا يضعون موتاهم تحت حماية الشهداء والمعترفين كما تقرّ بهِ كتابات عديدة من الجيل الثاني. قال احدهم: ايتها القديسة باسيلّا انا نكل اليك ابنتنا مسينا التي عاشت عشرة اشهر: (Domina Basilla, commendamus tibi Mecinen filiam nostram quae vixit menses x.) وكانوا يرددون في محفوظهم ذكر موتاهم ويصلون دون انقطاع من اجل نفوسهم ويطلبون لهم من المولى الرحيم الراحة الابديّة والسلام التامّ ومحل هناء ومكان نور حيث لا وجع ولا حزن ولا بكاء بل حياة لا تفنى. ودونكم

كتابة جميلة قال كاتبها : (Ipsis , Domine, et omnibus in Christo quiescentibus, locum refrigerii, lucis et pacis ut indulgeas deprecamur) اي نسألك يا ربّ لهم ولكلّ الذين رقدوا في المسيح ان تمنحهم محل ندًى ونور وسلام. ولقد حفظت الليتورجيّات اليونانيّة والرومانيّة تلك الصلوات البديعة وهي ترنمها في صلواتها لاجل الاموات

هذا قليل ما اتينا بهِ من الآثار ولو رمنا ذكرها بطويل المقال لمضى الزمان ولم ننل ما تصبو اليهِ الاماني والاوطار. ولقد صحّ ان ندعوها براهين الجوامد والاحجار وفقاً لما قال الرب في انجيلهِ الطاهر: ولو سكت الانام عن الكلام نطق الجماد وغنّت الاحجار .

مؤلّف الدلالة اللامعة

بقلم حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

الدلالة اللامعة كتاب جدلي جليل مدار ابحاثهِ عن وحدة الكنيسة الجامعة الرسوليّة فحقيقة الرئاسة البطرسيّة العامّة وما تتفق بهِ الكنيسة الغربيّة والشرقيّة في المعتقد كالانبثاق والمطهر وما تفترق بهِ هذه عن تلك في الطقوس كالليتورجيّة والفطير والخمير وما يتّصل بذلك ممّا يخالف بهِ المنفصلون المتحدين من الطائفة الملكيّة الكريمة. وقد طبعتهُ المطبعة الواتيكانيّة بنفقة افتيميوس مطران صور المشهور في سنة ١٧١٠ فبقي غُفلًا لا يُعرف مؤلفهُ

بل جرى على الالسن وتناقلهُ الخلف عن السلف ان المطران افتيميوس هو مؤلف شتاتهِ ومنضّد بيّناتهِ ووواه نفرٌ من الخاصّة على علّاتهِ من مثل المطران غريغوريوس عطا في مختصرهِ التاريخي (ص ٢٤) ونقلهُ حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي في المشرق الاغرّ (٥ : ٧١) وحضرة الفاضل الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي في مجلة المسرّة (١ : ٤٦٠, ٣ : ١٨) الى غير هؤلاء من رجال هذا العصر المعروف بعصر التنقيب والاستقراء.

فرأيت من الواجب ان انبّه خواطر العلماء الى حقيقة مؤلفهِ على ما عثرتُ عليهِ اتفاقاً في اثناء مطالعاتي الطويلة معتمداً فيهِ على رواية المعاصر وهو خير ما يُركن اليهِ في مثل هذه التحقيقات. وليس من قصدي الغضّ من قدر المطران او الازراء على احدٍ من هؤلاء الافاضل بل مجرّد تمحيص الحقيقة عمّا علق بها فما هو باوّل كتاب عُزي الى غير مؤلفهِ بل له اشباه ونظائر على ما يعلمهُ كل من وقف على كتب الاوائل والاواخر

. . .

لا يجهل الخبير ان المطران افتيميوس الصيفي قد كانت غيرتهُ تحملهُ على ان يجهر بالحقّ دون خوف وان يتصدى لكل مناوئ له يجاور هذا ويناظر ذاك بلا توقُّف ولا تحذُّر. فمن هذه صفتهُ لا يضرب عن اسمهِ في صدر كتاب مثل الدلالة اللامعة

وكان — رحمهُ الله — من اقوى انصار الارتداد او الاتحاد في عصرهِ لا يدّخر وسعاً ولاسيما في سبيل الحضّ عليهِ والترغيب فيهِ كما ذكر عنهُ العلّامة فرحات. فكان تصريحهُ باسمهِ في الكتاب على منزلتهِ المعروفة بين قومهِ ادعى الى الثقة والاعتبار كما هو ظاهر. وكل ما تركهُ من آثاره الادبيّة ذكر فيهِ اسمهُ صريحاً فلا يخلو من سرّ اغفالهِ صدورَ الكتاب من قلمهِ بعد تصريحهِ فيهِ بطبعهِ لهُ على نفقتهِ وذاك اولى بالذكر من هذا. فمهما كان السبب الذي اضطرّهُ الى التكتُّم في الاوّل فانهُ كان يدعوهُ الى التكتم في الثاني ايضاً كما لا يغرب عن ذوي الالباب

وقد جاء في مقدّمة الكتاب ما نصهُ « . . . وليس من « وتبتي » النظر الصائب . . . ولا مندوحة لي بان امدّ يدي التي لم تطل الى ما يتعلّق بالديانة المسيحيّة والامانة الارثوذكسيّة » مما يشعر بان قائلهُ عامّي لا اسقف مثل افتيميوس الذي كان في عهدهِ كلّاً في الكلّ ينادي على رؤوس الاشهاد: « بان الطقوس والعوائد صنم الروم فيلزمني كسر هذا الصنم »

بل انّ من عارض هذا الكتاب بما تركهُ المطران افتيميوس من الرسائل والتآليف واعتبرهما بعضهما ببعض يجد بينهما فروقاً ظاهرة في اللغة والسياقة والاسلوب الجدلي. وبالنتيجة ان كتاب الدلالة اللامعة اعلى طبقة واسمى تعبيراً من كتابات افتيميوس

نفسهِ وقد كانت لا تخلو من هجنة العامي التي تدلّ على قلة ضلاعتهِ من اللغة ووقوفهِ على اسرار البلاغة

وزد عليهِ انَّ مثل العلّامة جرمانوس فرحات الذي ترجمَ افتيميوس باسهاب في كتابهِ ديوان البدع لا يذكر لهُ هذا الكتاب في جملة ما ذكرهُ من اعمالهِ وآثارهِ. فالذي يبدو لخاطري ان ارتداد الياس فخر الطرابلسي عن الكثالكة وكون الكتاب ليس لهُ في الحقيقة من جهة واعتناء افتيميوس بطبعهِ لهُ على نفقتهِ من جهة اخرى هو الذي جعل العامّة ان يعزوا الكتاب للثاني لا للاول كما لا يخفى

. . .

اجل قد ذكر المطران غريغوريوس عطا في مختصر تاريخ الروم (ص ٢٤) ان كتاب الدلالة اللامعة التأليف المشهور هو لافتيميوس لا لالياس فخر الطرابلسي. ولكني لا ادري على ما يعتمد والى ما يستند في تحكُّمهِ هذا الظاهر في نسبة الكتاب في حين ان كل الادلة متضافرة متظاهرة على مخالفتهِ مخالفةً صريحة كما يبدو لك من اضعاف هذه الفقرة الموجزة

فقد اومأ العلامة الشماس عبدالله زاخر من طرفٍ خفي الى نسبة الكتاب الى الياس فخر في ردّهِ عليهِ بقولهِ فيهِ: « انهُ اعترف سابقاً بحقيقة هذا الايمان اظهاراً لنفسهِ انهُ على الحقّ اليقين من معرفة الاقوال الابوية وصحّة التعليم المستقيم—متحلياً باثواب غريبة — رغبةً في المجد والشرف عند كثيرين » اه عن مقدّمة زاخر على كتابهِ المحاورة الجدليّة على الكلمات الربيّة

واجلى منهُ ما وجههُ العلامة الاب بطرس فروماج اليسوعي الى ابن فخر في ردّهِ عليه حيث قال: « أمّا انهُ اتخذ كتاب البادره ميخائيل نو اليسوعي الذي بهِ يبرهن بدلائل كثيرة مقنعة رئاسة البابا المطلقة على جميع المؤمنين وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحقائق غير هذه موفوضة من الروم واصلحَ إعراب هذا الكتاب ونسبهُ الى نفسهِ كأنهُ هو مصنفهُ ومؤلفهُ من كتب الكنيسة الشرقيّة ليقنع بهِ ابناء جنسهِ المنكرين هذه الحقائق . . . » اه

الى ان خاطبهُ بما حرفهُ: « قاتلُ الكتاب المتقدم ذكرهُ الذي نسبتَهُ لنفسك—متحلياً باثواب غريبة — كما ذكر عنك ابن زاخر اي اتلُ كتاب « الدلالة اللامعة » الذي بهِ

اعترفت ظاهرًا بما قبلتهُ من تعليم المرسلين المؤيد بشهادات آبائك القديسين . . . » اه عن مقدمة الاب فروماج على رسالته الجدلية التي دحض بها مزاعم ابن الفخر في تقديس الاسرار الالهيَّة

فلو ان الاب فروماج والشماس عبد الله زاخر القيا كلامهما على عواهنهِ لنهض حينذاك عليهما ابن الفخر وزيَّف قولهما فيهِ وكذَّبهما في ما افتأتا بهِ عليهِ ولكنهُ جرَّ ذيل الصمت على ذلك كلهِ كأنهُ لم يكن شيئاً مذكورًا خوفَ الفضيحة والعار فكان بهذا وذاك الدليل الكافي والشاهد المقنع

. . .

فالنتيجة اللازمة ان كتاب الدلالة اللامعة هو من تأليف الاب ميخائيل نو سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة الجليلة وقد اشتهر (رحمهُ الله) في اواخر القرن السابع عشر بما بذلهُ في حلب من جليل المساعي والخدم في جنب الدين والعلم ولديَّ فقرٌ من حياتهِ واعمالهِ ارجئها الى فرصة اخرى ان شاء الله

واما مهذَّب عبارتهِ فهو الياس فخر الطرابلسي ترجمان قنصليَّة انكلترة بحلب وقد رأيت انهُ نكَّب عن العقيدة الكاثوليكيَّة بعد ان دان بها مدَّة من حياتهِ مناضلًا عن اراء نقيلاوس كباسيلا وساوسطس الدرابزوني في كلمات التقديس والافشين اي دعوة الروح القدس ففنَّدها العلامة الشماس عبدالله زاخر اشدَّ تفنيد . ولي في ابن فخر مقالة ضافية تظهر قريباً ان وفق الله تعالى

واما المطران افتيميوس فلهُ الفضل الاظهر لطبعهِ الدلالة ونشرها بين ايدي طائفتهِ الجليلة فقد افاد هذا الكتاب جزيل الافادة في حركة الارتدادات التي جرت في اوائل القرن الثامن عشر رحم الله مؤلفهُ وجزى ناشرهُ خير جزاء انهُ سبحانهُ ولي الرحمة والاحسان

المشرق — نشكر كل الشكر حضرة القسّ جرجس منش على ايضاح حقيقة كنَّا التمسناها سابقاً في ابحاثنا عن قدماء المرسلين اليسوعيين في حلب لكنَّنا عدلنا عن الاعلان بها خوفاً من ان نبخس حقَّ الطيب الذكر المطران افتيميوس صيفي . بيد ان الادلة التي استند اليها حضرة الكاتب تميط اللثام عن وجه اليقين . ولدينا برهان آخر قاطع على صحة مقالهِ وهو الكتاب الاصلي الذي وضعهُ الاب ميخائيل نو لدحض الروم المنفصلين بخصوص القضايا الخمس

التي نكرروها . ففي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة حسنة فقد سقط منها بعض اوراقها الاولى . ولا شكَّ انَّ هذا الكتاب هو الذي اشار اليهِ الشماس عبدالله زاخر والاب بطرس فروماج في ردّهما على الياس فخر الطرابلسي . فقد قابلناهُ بكتاب الدلالة اللامعة المطبوع في رومية ثمَّ في القدس فاذا الكتابان واحد الَّا انَّهما على ترتيب مختلف من تقديم فصول وتأخيرها وتقسيم ابواب مع اختلاف في اللهجة والتعبير فنقح الياس فخر انشاء الاب ميخائيل نو وغيَّر ترتيب الكتاب فظنَّ انَّ ذلك كاف لينسبهُ الى نفسهِ زورًا . واهمّ ما في كتاب الدلالة اللامعة الشواهد العديدة المقتطفة من تآليف آباء الكنيسة اليونانيَّة باصلها اليوناني وتعريبها . وهي كلها في نسختنا باللغتين اليونانيَّة والعربيَّة فنقلها الياس فخر بحرفها . فنكرّر شكرنا لحضرة القسّ الفاضل المدقق ونتمنَّى ان يتحفنا قريبًا بما وعدنا بنشرهِ من ترجمتي الاب ميخائيل نو والياس فخر ل . ش

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشرهِ الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

فبعد مدَّة ايام ظهر ابنا الامير يوسف وكيخيتهم جرجس باز ونزلوا لعكا بطابقة سيتهم اليزبكيَّة فلبسهم الباشا حكام بالجبل وهما حسين وسعد الدين وطلعوا للجبل وطاردوا الامير بشير واخيه حسن وبشير جنبلاط واستقاموا حكاماً اياماً . ومن طمع الباشا رتَّب عليهم مالًا كثيرًا وقبلوا فيهِ غصبًا وصار طلب الغرش من الناس بما يفوق الاحتمال . فمن اتصال الطلب هاجت العامة وطاردوا اولاد الامير يوسف ورجَّعوا الامير بشير

ثم ان المذكورين حضروا الى متين واستقاموا بها اياماً كثيرة وكان والي الشام عبدالله باشا العظم . وبعد مدَّة قدموا اعراض للجزار وجاهم الطلب وتوجهوا من متين لعكا

وتحكم بتلك السنة حضروا الفرنسويَّة لمصر في ابتداء سنة الف ومايتين وثلاثة عشر (١٧٩٨ م) ثم حضر الفرنسويَّة وحاصروا عكا والاماره المذكورين كانوا في عكا واحتملوا شدَّة الحصار وقاسوا خوف ورعب واضطراب

وراقت الاحوال وبقيوا الاماره بحالهم بالوعد بغير نجاز الى انهُ في سنة الف

ومايتين واربعة عشر (١٧٩٩ م) بعد ذهاب وزير الاعظم من الشام بشهرين لبّس الباشا اولاد الامير يوسف حكام بالجبل وارسل معهم نحو سبعة الاف نفر عسكري وظهر الغرض. وقام الامير بشير واخيه وجنبلاط وراحوا برّ طرابلس وحكّموا اولاد الامير يوسف وكيخيتهم جرجس باز تحت مال معلوم ووضعوا رهينة الامير سليم وحرمة جرجس باز في عكا. وابتدا جرجس باز يفرض مال على الناس من مشايخ وعامّة ومطارنة ورهبان حتى ما بقي احد سالم من دفع غرش حتى من الغربيه (الاجانب) وكل مدّة يجدّ طلب وشي. ما لهُ نهاية

فمضى قريب سنتين وما عاد احتمل الاهالي (179r) كذا مظالم. فقاموا بغتة بشراسة كلّية على الحاكم وراح اناس جابوا الامير بشير والباقي وكبر الوهم على الاماره وكيخيتهم. فاقتضى انهم نزلوا لحرش السنوبر لبيروت واعلموا الباشا بما صار. فارسل عساكر وافرة والاماره راحوا لجبيل ومعهم عسكر قليل. ثم ان الامير بشير عمل ديوان بالشويفات وحضروا الاماره ومشايخ البلاد نصارى ودروز واتفقوا انهم يكونون راي واحد وروح واحدة ليس كما صار قبلاً. واذا كان يتمّ هذا فيتحد معهم على مدافعة الباشا والّا فلا يقارشهم بشي. فصرخوا جميعاً بصوت واحد انهم على قولهم ثم حلفوا الاماره والمشايخ على كنيسة السيدة بالشويفات انهم لا يخونون ولا يصدر منهم اشياء مغايره كليًّا. وهكذا جهروا واستعدوا لمحاربة الاماره وعسكر الباشا

فحصل مواقع بين الجهتين وراح قتلى (قتلى) والعسكر نهب الاماكن بالساحل. وظهر ان عسكر الباشا متقوي على عسكر الجبل. وبعدهُ انفهمت القضيّة: هو ان جهجاه عماد ظهر منهُ انحراف خفي ولما يصير حرب يعطي كسيره ويرمي للعسكر انهُ يهجم ولا يخاف وهذه رابطة بينهُ وبين جرجس باز. فلحظ البعض عن جهجاه ولاموه على عمله. فيصير يحلف ويلعن انهُ ما هو بادي منهُ ما يظنونهُ فيه. اخيرًا صار وقعة مشومة وعسكر الباشا وصل للشويفات واشتدّ القتال حتى عسكر الدروز ترفع للجبل والعسكر دقّر (توقف) بالشويفات ونظروا خيّال درزي وهو هارب من قدامهم تقنطر عند كنيسة السيدة الذين كانوا حلفوا عليها. فركضوا عليه وقطعوا راسهُ وهم فرحانين انهم قتلوا رجل كبير ويصير لهم بخشيش وافر. فرجع العسكر للحرش لمقرّه ومعهم

جملة روس. ومن الجملة الرأس المذكور . فرموهم قدام جرجس باز فوكّدهم (حدّق اليهم) نظر بينهم راس صاحبه جهجاه عماد. فانغمّ غماً عظيماً وشتم الذي قتلهُ، وكان معذوراً لانهُ لا يعرفهُ. ومن وقتهِ ارتخت (179٢) عزائم جرجس باز ونظر انهُ ما بقي نتيجة الّا بالوفق والصلح ان امكنهُ ذلك. فارسل معتمداً سرّاً للامارة والمشايخ يعرض لهم امر الصلح تحت شروط. فقبل الجميع ذلك وارسلوا لهُ رضاهم الوثيق. وبالحال كتب للاماره لجبيل يتركوا العسكر ويترفعوا من الساحل

وحينما فهم ارتفاعهم هرب من بين العسكر ليلاً وطلع لعند الجماعة المقيمين فوق الشويفات. فاصبح العسكر ما وجدوا قائدهم وتحققوا انهُ هرب للجبل. فخافوا خوفاً عظيماً ونزلوا الى المدينة يتحصنوا بها. فارسلوا علم للباشا بما حصل فكان الجواب يحضروا حالاً لعكا. وحالاً توجهوا براً وبحراً

ثمّ انّ الاماره والمشايخ راحوا لدير القمر وصار ديوان غفير وتصالحوا وتسالموا مع بعض. ثمّ جددوا القسم ما بينهم على كنيسة سيدة التلّة المشهورة بالدير انهم يكونوا حال واحد ورأي واحد والخاين يخونهُ الله .

ثمّ خصل التدبير كيف يكون حال الاحكام. فصار الوفق والرضى ان الامير بشير يضبط حكم دير القمر الى حدود بلاد جبيل وابنا الامير يوسف يضبطوا حكم جبيل. ولكن بتدبير الحوادث وخلافها التي تجدّ بالبلاد كلها فيكونون يتماطوا بتدبيرها الجهتين. وانتهى الحال هكذا. واذا طلب الباشا منهم مال الميري المعتاد فيرسلوا لهُ ما ينحاش لوقتهِ . ومضى تلك السنة ما انطلب منهم شيء. والباشا ما سأل عنهم ولا بدا منهُ شيء لنحوهم. وجرجس باز استقام في جبيل مع الاماره والبلاد راقت واستكنت نوعاً لعدم المظالم وطلب الغرش حيث عدم وجود السبب. وكان ذلك في سنة الف ومايتين وسبعة عشر (١٨٠٢ م) واستقام الحال هكذا ايام كثيرة

وفي باطن (اثناء) سنة الف ومايتين وثمانية عشر (١٨٠٣م) حسن عند الامير بشير يصالح الباشا ويخلص من الغوايل ولكن لا بُدّ جدّ مقتضى لذلك: اوّلاً لعدم حرية الامير بالاحكام وكأن الرايات صارت كثيرة. وجرجس باز مقبول بالبلاد اكثر. والامير حسن اخو الامير بشير طبعهُ (180٢) ردي وحسود والامير بشير صاحب شهامة ويحب الغرش واعتاد على السطوة ونفوذ الامر في كل الاشياء. والشيخ بشير جنبلاط عدوّ

للجهتين اي الامير بشير ولاولاد الامير يوسف ويرغب ان كل امر يجدّ يكون بشوره واطلاعه. ولكن ميلهُ وغرضهُ مع الامير بشير اكثر. والمذكور يلزم يداري الجميع وهذا يصعب عليه جداً. فاعتمد على مصالحة الباشا وبالمداورة ارضى جنبلاط وجرجس باز بذلك وارسلوا واسطة لعكا الذي يحسن تدبيرهُ جلب خاطر الباشا لنحوهم. وبوقته كان مبتدئ به تشويش الباشا فرضي عليهم وارسل خلعة للامير بشير فقط. ولكن هما بقيوا على اتفاقهم الاصلي مع بعضهم وابتدا الامير يرسل اموال الميرة

وانما الحال ما طال لان الباشا زاد مرضهُ وهو علة الاستسقا وقاسى اوجاع كثيرة وهو بهذه الشدّة ومنهمك في امور كثيرة بامور الاحكام: (اوّلاً) انهُ كان بيده منصب الشام بهذه السنة. ثمّ جاء لهُ منصب مصر وزينت ضياط (دمياط) من قرحهم بحكومته والمتولج بالتدبير والاحكام الشيخ طاها الكردي الذي كان يتعمدهُ جداً وحاييم اليهودي والذي صدر من المظالم والعدوان بالشام ما سبق نظيرهُ. وفي كل زمان حكمه وكله من تدبير طاها المذكور. والباشا عيان من مرضه ومسلم الامر لغيره. والاحوال بهذا الاضطراب. فقضى نحبهُ الباشا مات في ابتداء شهر محرّم سنة الف ومايتين وتسعة عشر (١٨٠٤م) وذهب من الدنيا وما استفاد سوى الوبال. وقبروهُ ضمن الجامع الذي بناه

ثمّ انّ العسكر الموجود بعكا ظهر منهُ عين غدر وطاها الكردي والواقفين في باب الحكم تحسبوا جداً. وبالحال اخرجوا اسماعيل باشا من السجن وهذا كان حاشه الباشا وغضب عليه. ولا نعلم امرهُ وقاموه (180٢) حاكماً ومسك البلد وهديت العساكر والاهالي من الشلش بوقته

وقد زعم قوم ان مدّة حياة الباشا لحين وفاته نحو ثلاثة وسبعون سنة منها تسعة وعشرون سنة حاكماً. واصل منشاه من بلاد البشناق. حضر لمصر وخدم عند علي بيك حاكم مصر وتقدّم عندهُ نظير كاشف واعلى من ذلك. وحينما قتل علي بيك هرب لبرّ الشام ثم توجه لاسلامبول. صادفهُ توفيق وبسماح الله تعالى صار واليساً على صيدا. والذي صدر من هذا الباشا من المظالم والمساوي والقساوة المريعة ما سُمع بمثله منذ دهور عديدة. واذا اردنا نشرح اعماله كلها يقتضي مجلدات. اوّلاً انهُ اتصل

لقتل وزراء وافنديه ومفتيه وقبوجيه واغاوات . ويرضي السلطان بالمال والمداورات ويتغاضوا عنـهُ . ثم خرب هلقدر بيوت مستورة بسلب مالهم ظلماً . ومنهم عدمهم الحياة عدواناً . ومـا كان عندهُ حنيه ولا شفقة . وكل من يخدمهُ آخرتهُ العدم كمثل بيت السكروج مخايل وبطرس خدموهُ زماناً وتركوا ذمتهم لكي يرضوهُ وكان يميل اليهم جداً . وفيما بعد عمل عليهم ذنوب كاذبة فخنقهم ورماهم بالبحر . والامير يوسف شهاب الذي كان يحبهُ وحينما هرب من مصر لدير القمر واكرمهُ الامير كثيراً واسعفهُ باشياء كثيرة وخلافهُ حينما راح لاسلامبول . وبعدما صار وزيراً خدمهُ بالمال وغيره ويمشي كل امر يطلبهُ . اخيراً انتهى الحال بعـد تلك الصحبة والمعروف اماتهُ مشنوقاً وبقي معلق ثلاثة ايام خلاف العوايد

ثم عادى طايفة الفرنسويّة وطردهم مع قناصلهم من يافا وصيدا وعكا . وخرب نظام الناس وحين حضروا الفرنسويّة لمصر ضبط مبالغ وز وغير اشياء للتجار بكل الساحل واكل حقه . ثمّ كل مركب يحضر من البرّ المصري هارباً من وهم (181r) الفرنسوية يضبطهُ ويقتل البحريّة والركاب . والذي جرى من هذا الباشا من المباري والاضرار بالناس ما يمكن وصفهُ ولا تقديرهُ . ولو لا تقصر تلك الايام ما خلص كل ذي جسد كما قال السيد بالانجيل . وهكذا لو يدوم هذا الانسان مدة اخرى كان الناس كل تلافها بالمال والحياة ايضاً . فسبحان من ازالهُ وكفى الناس شرهُ

وانّما الاغرب من هذا والاعجب كيف يموت على فراشه مع حال افتراه وبغيه ومساويه الفايقة . ولكن لله غايات في احكامه

ثمّ انهُ بهذه الفرصة هاج المتاولة في بلاد بشارة وملكوا صور بنوع السلطة . واما اسلام بيروت (فانّهم) تحسّبوا جداً من حكام الجبل لئلا يملكوا المدينة او يأذوهم . فتسلحوا واستعدّوا للقتـال وسببهُ انهم اعرضوا للامير حسن يحضر لمندهم لاجل المحافظة من جور عامة الدروز الذي تكرّر في ساحل بيروت . فما قبـل رجاهم مع اخيه الامير بشير وصاروا باضطراب لحين حضور الاوامر السلطانيّة باثبـات حكم عكا

ثم ظهر عصاوة بين اهالي وادي التيم وحاصبيا وبين اسماعيل باشا وهي كانت بغوًا وافتراء منهم . فارسل الباشا مبلغ عسكر وكبس القرايا المذكورة وقتل أنوف

من مايتين نفر واخذوا اسرى نحو ستين نفرًا . وكانت وقعة مشومة جدًا . فوصل الخبر الى الشيخ بشير جنبلاط . فجمع عسكر دروز ومتاولة وتوجهوا لناحية بلاد صفد ولكن بعدهُ فترت الامور وما حصل شيء مكدر

ثم ان الطرقات تلخبطت من عدم وكز الحكومة . فاتفق ان قتل حجاج قادم من الشام لبيروت وصل قريب قرية فالوغة . فحصل مشاجرة بين الركاب واحد المكاريه . فضربهُ الحجاج وقيل انهُ مات فانطرح الصوت فاجتمع دروز ونصارى وصار قتل ونهب من القتل فوصل الخبر لبيروت . ظنوا انهُ مع القتل بياوتة من جماعتهم وان الدروز قتلوهم . فحالًا حاشوا جملة جبلية وجدوهم بالمدينة (181 ٢) وسكروا البوابات . فبعدهُ حضر كتابة من الامير بشير الى متسلم بيروت باطلاق المحبوسين وكان ظهر حقيقة ما حصل ومضى الامر

ومما وجدناه تأليف شعر بتاريخ موت الجزار عند الذين خرَّب ديارهم في اواخر حكمه :

وافا السرور وصحَّ ترجيحُ الامل ... بهلاك غاشم لا يعادلهُ مثل
عين المظالم والمآثم والردى ... شرّ العوالم ان تفكَّر او عمل
احمد ولكن ليس يُحمد بالورى ... مغضوب في ثوب المساوي قد دخل
جزَّار لكن للفضائل جازرٌ ... مهدي ولكن بالرذايل قد حفل
بحياتهِ كان الغلا ثم الوبا ... والقحط والجور الذي لا يحتمل
وبموتهِ زال العنا يا حبذا ... هذا المنى غاب التعدي والوجل
جاز القدَّر عند ملكٍ يجتدي ... فيض المهالك في جحيم لم يزل
لله درُّك يا متون فقد بدت ... منك الحياة وطاب حكمك واعتدل
فاز الانام وارَّخوهُ بمقصدٍ ... هلك الشقي والى جهنم قد وحل

١٢١٩

ثمَّ في اوايل ربيع اول السنة المذكورة جاء المنصب الى ابرهيم باشا والي شام بولاية صيدا وطرابلوس . وحضر منهُ اعلام الى امراء الجبل يحرضهم على محافظة البلاد ويكونوا مطمأنين وما يصدر منهُ الَّا ما يسرُّهم . وطلب حضور جرجس باز للشام لمواجهتهِ . وحضر المذكور واطلع على الاوامر الشريفة الواردة للامير بشير من

السلطان ومكتوب من الوزير الاعظم مضمونهُ الامر ان يكون بطاعة ابراهيم باشا ويتمم امرهُ ويسعف في اصلاح برّ صيدا وبيروت وصورة الفرمان محررة باطن هذا الكتاب في ولاية ابراهيم باشا على الشام. واما هنا فنشرح صورة مكتوب الوزير الواردة للامير بشير وهو هذا :

(182ر) قدوة الاماثل والاقران ساكن ايالة صيدا الامير بشير زيد قدرهُ

« بعد السلام المنهي اليك انّ في هذا الاثنا جزار احمد باشا والي صيدا ارتحل لدار البقا وايالة الشام وصيدا وطرابلوس شام وامير الحاج توجّهت لعهدة سعادة ابراهيم باشا. وسعادة المومى اليهِ حسب المأمورية يقوم حالاً لمنصب صيدا لاجل ضبط وربط المملكة ورفع شرور ارباب الفساد. وانت يا ايها الامير المومى اليهِ تظهر حسن الصداقة وتكون برأي وامر وتحرير المشار اليهِ بكمال السعي وحسن الخدامات المرضيّة والصداقة والغيرة بموجب الامر العالي شأن الوارد اليك. انشا الله في وصولهِ تظهر كمال الغيرة والسعي وتكون عاملاً بموجب الاوامر من غير خلاف والسلام »

وكذلك صورة هذه الفرمانات حضرت الى يوسف جزار بنابلوس والمضمون جميعهُ لاجل ضبط البلاد. وبالباطن ان لا احدًا يلتفت لناحية اسمعيل باشا الذي اعتمد العصاوة في عكا ولا يريد يسلمها الى ابراهيم باشا وصار عندهُ عساكر وافرة

وفي شهر صفر حينما نظر الباشا المذكور ان الشيخ طاها الكردي عمال يوزع من خزينة الجزار خفية لخارج البلد وقصده يهرب الى بلادهِ وقيل الذي اخذهُ انوف من الف كيس فعمل الباشا حيلة لقتلهِ بطريقة قاسية. وهي انهُ اخرج امعاه من بطنهِ وهو حيّ الى انهُ مات. وجماعة الكراد هربوا من عكا حالاً والباشا تحصن جدًّا وارسل الفين عسكري لصيدا والف الى جسر بنات يعقوب لانهُ صار باحتساب من ابراهيم باشا المزمع يحضر نحوه بعساكر وافرة لطردهِ من عكا

وبغضون ذلك ورد مراكب باليك من اسلامبول ليافا والعمارة العثمانيّة توزعت بالجزر مثل قبرص ورودس. ومعهم اوامر ان كل مركب موسوق من سواحل برّ الشام فيقع عليهِ الضبط ويدوم اليتق هكذا الى ان يصلهم علم (182ر) ثاني. والمضمون حسب الواقع انهم خاشين من توزيع شيئاً من مال الجزار

وجاء منصب صيدا الى سليمان باشا تملوك الجزار وهذا كان ارسلهُ الجزار العام الماضي امير حاج . فحضر للشام بالحاج . وبلغهُ موت الجزار فاستقام بالشام وحصل لهُ مودة كليَّة مع ابراهيم باشا

ثم بهذه الفرصة لحكام جبيل تحرك الامير حسن اخو الامير بشير على اخذ الكورة ناحية طرابلس . وحيث ان مصطفى بربر لا يتركها للامير حسن فتوجه الامير المذكور بعسكر لمحاربة بربر . وحصل الكون (القتال) بينهما وعسكر الامير قتل ابن عمّ بربر وقتل كم نفر من المتاولة . واشتدت الامور وانطرح الصوت بالجبل وكان يصير شرّ عظيم . وما هو وقت كذا شرور نظرًا لتوقيف امور عكا

فابراهيم باشا ارسل علم الى بربر يرفع القتال ويلزم القلعة . ثم ارسل الخلاع للامير بشير بحكم الجبل . ثمّ خلاع الى ابناء الامير يوسف بحكومة جبيل . وانتركت مادة الكورة وهديت الاحوال . وجرجس باز حصل لهُ عزازة واكرام زايد من ابراهيم باشا

وبهذا الفتون وصل يوسف الجزار من نابلوس للشام لمواجهة الباشا . المذكور وجرجس باز اعتمد الوزير ياخذهم معهُ لصيدا . وعين عساكر كثيرة ومهمات الحرب . ثم في ربيع اول وصل اغاي الانكجاريَّة حضر من اسلامبول لبيروت . واخبر انهُ قادم العمارة الكبيرة لعكا واسماعيل باشا لا زال يعين عسكر وارسل مبلغ لصيدا وبيروت ومدافع ويحرضهم على الحصار

ثمّ في احد عشر تموز موافق ستة عشر ربيع الثاني قام ابراهيم باشا لصيدا بعساكر وافرة . وقبل بيوم ارسل سليمان باشا لصيدا ايضاً وجرجس باز والجزار توجهوا مع ابراهيم باشا . ولكن الجزار يذهب لنابلوس لجمع عسكر وفي صيدا يصير التدبير في كيف يكون في مادَّة عكا . فبوصول الباشا الى صيدا سلموا من غير حرب وكذلك بيروت ولكن قبلاً كانوا مستعدين للحرب . حتى حين وصل سليمان باشا (183) لصيدا ونظروا العسكر الذي معهُ قليل فابوا التسليم وقصدوا يحاربوهُ . لكن بوقته تكاثر العسكر البراني لزم سلموا . وابراهيم باشا ارسل متسلم الى بيروت وطلب المفتي وبعض الوجوه يحضروا صيدا . والامير بشير توجه بعسكر استقام في جسر الاولي في صيدا لحين حضور الوزر واستلموا صيدا . رجع لجون من غير ان يواجه الوزر . وانما ابراهيم باشا طلب من الامير مال لاجل

مصروف العسكر وفرض بالجبل مبلغ وارسلهُ . ثمَّ انَّ الباشا قام على عكا بالبرّ وسليمان باشا توجه بالبحر بقصد يصل حالًا ويحكي مع اسمعيل باشا

ثمَّ انَّ بشير جنبلاط عين عسكر دروز وكبس بعض قرايا نواحي عكا وقتل من عسكر ابراهيم باشا مبلغ ورجع لمحلهِ . ومن خصوص مفتي بيروت والباقي بقيوا في صيدا مدَّة ايام لان الباشا طلب ثلاثماية كيس دفعوا مايتين باقي عليهم ماية كيس . والمبلغ المذكور قرض يستوفوه من ديوان بيروت

وفي هذه الايام لما نظر الشيخ بشاره الخازن الذي زوق مكاييل تبعهُ والتجار توجوا منهُ لجونية بسبب ميزان الحرير هناك الذي كان مدخولهُ للامير حسن شهاب اخو الحاكم وقبلًا ميزان الحرير كان بالزوق واخذهُ الامير غصباً فالشيخ بلغ جهده في رجوعهِ للزوق فلم ينال فايدة . فتوجه لصيدا لعند جرجس باز وترجاه بامر الميزان . فاخرج لهُ امر من الامير بشير لاخيهِ بابطال الميزان من جونية ورجوعهِ للزوق . فما قبل الامير حسن وثبت الميزان في جونيه والشيخ بشاره ما استفاد من كل سعيهِ

وبهذا الاثناء صدر مناداة على المعاملة : المشخص بتسعة غروش ونصف . والمقرشخ ثمانية ونصف . وربع الفندقلي قديم بثمانية وربع . والسليمة بسبعة ونصف . وربع ريال فرنجي باربعة غروش . وعملة عشلية البياض في الماية خمسة . وصار بذلك راحة للناس حيث بهذه المناداة تسارت الاسعار بحلب والشام وما عاد خسارة

ثم انَّ ابراهيم باشا بوصولهِ لعكا سكر لسمعيل باشا البوابات واعتمد الحصار داخلًا وعسكر ابراهيم باشا متحاوطة (183٢) عكا برًّا وعساكر البحريَّة بحرًا . والباشا ترك العسكر وتوجه (الى) نابلوس والقدس يجمع مال الدوره وجرجس باز حضر لدير القمر وسليمان باشا بقي مع العسكر في حصار عكا . ثم صح من لشار على اسمعيل باشا يكبس العسكر ويرجع لعكا بعد ان يكون ارمى وهمًا . واكد لهُ انهُ بذلك يحصل لهُ خير عظيم . فسمع منهُ وطلع مع قوة عسكرهِ فكان الذي لشار على اسمعيل باشا هو نفسهُ اخبر سليمان باشا بما صار . فاستعدّ جيدًا وحصلت المعركة بينهم وقتل من عسكر عكا نحو تسماية نفر ومسك بعض من الاغاوات والباقي شردوا بالبراري والذي بقي ودخل عكا قليلين جدًّا . وضعف سعي لسمعيل باشا واعتمد على التسليم على يد قبطان باشي الذي لشار عليهِ وشركاهُ بهذه الموقعة . وكان

متخذه اميناً وصاحباً . وبعد ايام قريبة الخاش اسمعيل باشا . من يقول (يقال انهُ) كان هارباً من عكا وقالوا انهُ سلّم حالهُ . ودخل سليمان باشا لعكا وبعد ايام حضر امر من الدولة بطلب اسمعيل باشا وارسلوهُ بالبحر مقيَّداً . وبوصولهِ لاسلامبول قيل ان الوزير الاعظم رثى لهُ وصدر الامر بنفيهِ لقلعة وبعدهُ صح الخبر انهم قتلوه . وتحقق المنصب باسم سليمان باشا . وابراهيم باشا انعزل حتى من ولاية الشام وراح لبرّ حلب

ثم انَّ سليمان باشا وراغب افندي الذي كان حضر من طرف الدولة صاروا يبحثوا عن مال الجزار فما وجدوا شيئاً يحرز خلاف الذي كان ارسلهُ اسمعيل باشا للدولة مع القبطان باشي في اوَّل الحال من مال وتحف . يقولوا انهُ كان تبلغ ثمانية الاف كيس . غير ان اسماعيل باشا اصرف مالاً كثيراً على العساكر والاغاوات قبل الحصار وبعدهُ . فهذا ما جرى من وجود الجزار وبعده في جرتهِ (اي بسببه) والحمد لله من يحيي ذكرهُ ولسنهُ

ثم ثبت حكم صيدا وعكا الى سليمان باشا . وكان عندهُ جملة من مماليك الجزار . من الجملة علي اغا ابو عبدالله باشا . فهذا صار كتخداه وجاب لهُ منصب طرابلوس . ولكن استقام في عكا ما خرج منها (184r) كل حياتهِ . وباقي المماليك مثل محمد اغا ابو نبوت وغيرهِ فجماهم متسلمين في حكمهِ وحاييم الصراف بيدهِ الحلّ والربط وبالجبل الاحكام كما هي

ثم بعد ايام اجتهد الامير بشير وبرجس باز في اخراج الامير قاسم والامير سليم الذين كانوا رهينة بزمان الجزار . وبعد جملة رجاوات سمح سليمان باشا بطلوعهم لعند اهاليهم وبكلفة وافرة

ثم بوقتهِ طلعت اخلاع الحكم للامير بشير بحكم دير القمر واخلاع حكم جبيل من طرابلوس لابناء الامير يوسف واستكنت احوال الجبل للنهاية . وسليمان باشا يحب السلامة ومشايخ البلاد متفقين مع بعضهم

فشاني سنة الف ومايتين وعشرين ظهر من دروز المتن مطاولة على امرائهم . وتسلطوا على اراضي البقاع يزرعوا ويفلحوا . وصارت الفلاحين بارض البقاع وبعلبك مثل عبيد لهم . وربما ياكلوا الميري على اصحابها ولا يهابوا حكامهم . وهذا التعصب بادي

منهم من زمان من اختلاف الاحكام من الجزار والامير بشير ما كان يلاحظ برقته واتصلوا بالوقاحة والفجور لهذا الحد. والآن اقتضى يفرض الحكم فرض وزيادة ميري لاجل وفا المطلوب منهم من طرف عكا اولًا لشان ظلوع الامارا الذين كانوا مرهونين ثم مال الميري وعوايد وخلافهُ. فالجميع امتثلوا للامر عدا دروز المتن ما قبلوا يدفعوا غرش واحد. مع ان الذي يخصهم شي. جزئي. فعزموا على العصاوة واظهروا وداوة بليغة لنحو الحاكم وطردوا الحواليه. فانحق منهم الحاكم من جورهم ورداوتهم ليس في حقهِ فقط بل في حقّ حكامهم الذين يأكلوا منهم نفع كل سنة حتى اتّصل أذاهم الى العامة ايضاً في قرايا البقاع وبعلبك وزحلة والجبل نفسه. وما كانوا يرتدّوا عن شي. مهما لاح لهم من ضرر ونهب وقتل ايضاً فلا شي. يمنعهم حتى اتعبوا بيت الحرفوش ايضاً واختلسوا اراضي قرية الكرك وجمعوا غرش يحرز (184ᵛ) من مدخول النسلال وغيرهِ. ويوجد منهم طايفتين بيت القنطار وبيت حاطون ازدادوا بالبشاعة والزداوة ابلغ من غيرهم وصاروا في زحلة يجرمون الناس ويعملون الفحشا. وما من احد يقدر يمنعهم. ولهم ظروف عديمة الاحتمال. وهو انهم طلقوا امرأة من زوجها وزوجوها لغيرهِ وبعدهُ رجعوها للاول. وهم من اسلام زحلة وكلهُ من البراطيل. واحدهم خطف امرأة من جانب زوجها وعمل معها الردي ورجعها. وبالنتيجة صدر اشيا. كثيرة من هولا. الاردبا المغاضيب ظاهر ومخفي وضيعوا الناس وما احد يقدر يراجع ويشتكي حتى ولو اشتكى لا يستفيد شيئاً. ثم قتلوا رجلًا غريباً نصرانياً كان خارج من زحله. لحظوا ان معهُ دراهم فقتلوه. وجاوا لزحلة يحكوا قدام الناس انهم قتلوه من دون خوف ولا استحيا

والحاكم صار مقهور من هذه الاحوال ويكاتب امرا. المتن بعمل طريقة لطاعة هولا. الاردبا. ومقاصرتهم فالاماره المذكورين حيث هولا. القوم خدّامهم فلا يهون عليهم ابادتهم فيطمعوا بهم سيمة بيت جنبلاط وتتلاشى حريتهم ويخف مقامهم. ولكن حيث انّ هولا. المناحيس ظهروا بالزداوة مع الجميع حتى مع حكامهم بالمتن ولا عادوا هابوهم ولا يسمعوا لهم كلام حتى اتصلوا انهم صاروا يتطاولوا ويمنعوا غيرهم من الاطاعة ويخربوا في اراضي الامرا. والمشايخ وما عاد شي. يحتمل. فامرا. المتن منصور وفارس انحرفوا لجهة الحاكم وقبلوا في مقاصرة ناسهم حتى هم

ساعدوا بذلك. ثم صدر امر من الحاكم برفع طلب الفرش المفروض ورفع الحواليه من كامل المتن

ثم شاع خبر حضور عساكر عثملي لجسر الاولي في صيدا. وطلع منهُ لدير القمر واهالي المتن المغفلين ظنوا انهُ واقع حادث جديد بين الحكام في بعضهم

واذ كانوا مطمئنين في اشغالهم وافتراهم على الناس واذ شاع حضور الامير بشير وبشير جنبلاط والامير سليم وجرجس باز. وصلوا لحمانا والامير بشير قاسم مع العسكر (185) دروز ونصارى من الشوف. كبسوا قرايا البقاع بالتفتيش على الدروز الاردياء من بيت القنطار وحاطون. ومسكوا منهم والباقي هربوا. وكذلك الدروز الذين في بيوتهم لما فهموا الغضب واقع عليهم فهربوا للشام ومنهم احتموا بوجاق الدالاتيه. وهكذا صاروا مرتعشين ومضطربين. والذي امسك حمزه حاطون ونفرين من بيت القنطار قيدوهم وارسلوهم لحمانا وابن حاطون عمل حيلة وهرب. وبقي اولاد القنطار نفرين اخذوهم لدير القمر وسجنوهم هناك

وبتلك الليلة ذاتها التي وصلت الكبسة للكرك كان وصل جانب عسكر دروز مع الشيخ حسن جنبلاط والامير حيدر شهاب الى قرية كفر سلوان المختصة في بيت الحاطون وبيت المغربي وكبسوا القرية ليلاً. فهربت رجال حاطون. فدخل العسكر ونهب كامل رزقهم ومواشيهم. واما بيوت المغربي فما قارشوهم لان الغضب واقع على حاطون والقنطار بنوع خصوصي. ثم توجه العسكر لقرية المتين. فهرب رجال القنطار. فنهبوا بيوتهم وصارت نساهم تضرب بالحجارة وهاج الشر وقتل درزي من بيت برداس ووقع مجاريح نصارى. وارتدّ العسكر بعد نهب القرية تماماً. وبعد يومين جاء امر بهدم بعض بيوت بيت القنطار وحرقها بالنار. واما في كفرسلوان فما قام العسكر منها حتى حرق كامل بيوت حاطون وهدمها للارض. ثم حضر امر بحرق بيوت القناطرة التي بالكرك وفي زحلة وبضبط اغلالهم وارزاقهم. وصدر مناداة في زحلة كل من عندهُ امانة او شيء من الاشياء الى حاطون والقنطار يظهرهُ حالاً. وما ظهر شيء والحاكم ما صدقهم. فاخيراً قدموا خدمة خمسون غرارة شعير من عندهم. وبعضون ذلك حضر نحو ماية خيال من الشام للكرك لاجل المحافظة واستقاموا هناك

ثم بعد مقاصرة هؤلاء الطائفتين (185v) التفت الحاكم لمقاصرة باقي الطوائف وفرض عليهم منهم ثلاثين كيس ومنهم اقلّ بتدبير الاماره منصور وفارس. وانضاف لذلك بعض قرايا نصـارى . فصار طلب منهم غرش وذخاير. القول انهُ بالسابق كان طلب منهم فريضة وما قبلوها وطردوا الحواليه حين كان الجبـل عاصي على الجزار. فقصد الآن الحاكم يقاصرهم. وحاطون والقنطار تواقعوا على ضاهر التلّ شيخ الزبداني وبشير جنبلاط بان يصالحوهم مع الحاكم وما صار نتيجة

ثم بهذا الاثنا حضر امر لزحلة في ضبط كامل بيوت الدروز وذلك العام فقط والذي لهُ بيت ملك من اباه وجده يشنوه ويأخذ ثمنـهُ من البكليك. وصدر امر لكلّ الجبل ان لا احد يقبل في بيتـهِ من هؤلاء الطائفتين قنطار وحاطون ولا يطعموهم ولا يسقوهم

ثم حضر حسن جنبلاط الى بسكنتا من طرف الحاكم بطلب غرش مفرد هـذا عدا عن المبلغ انوف من ثلاثين كيس مأخوذة منهم قبلًا. فهاجت الناس وبالجهد حتى فرضوا المطلوب عمومي. وايضاً صار طلب غرش من اهالي الشوف. وكان البلاد ساوت بعضها. الّا ان مقاطعة المتن اقوى واكثر بدفع الغرش لانهم هما سبب الشرور كلها. والطوايف ذلّوا للنهاية وندموا بما صار منهم. ولكن تلف حال النـاس بجرتهم (بسببهم). ثم صدر امر بطرد حريم الطوايف واولادهم من كل الجبـل ولا من يشفع ولا يدفع. وامراهم ضدّهم والعامة طمعت فيهم وانقطعت قلوبهم من الهمّ والخوف. كما جرى لهم من البلوكباشي كان قادم من بسكنتا وصحبةُ المـال الماخوذ من القرية المذكورة ومتوجه الى حماتا مع نفرين من جماعته. فصادفه في وادي الجماجم تحت عين القبو اربعة خياله فتحتسب منهم. فانفرد من خدمهِ زله لنحوهم وضرب في وجههم بارود من بعدٍ . فبالحال تزلوا عن خيلهم وهربوا بالوادي مثل الارانب اذا نظروا (186r) العقاب في كبد السماء. وتركوا خيلهم. فاخذ البلوكباشي الخيل وجاء بهم للحاكم وحصل لهُ ولاتباعهِ انعام وافر . وبالنتيجـة حال هؤلاء الطوايف اضمحلّ جدًّا

وفي ثانيـة وعشرين تشرين الثاني قام الامير بشير الحاكم من حماتا لدير القمر. وكذلك باقي الامارا والمشايخ كل راح لمحلهِ. وتوكل في زحله عن الامير بشير قاسم

نهان بلوكباشي درزي واتباعهُ . وعسكر الهواره والدالاتيه الذين من الشام قاموا من الكرك في احدى وعشرين كانون الثاني ومعهم امر من الامير بشير انهُ حين قيامهم يحرقوا كامل البيوت الذين لبيت القنطار بالحوش قريب لزحله . فحرقوهم تمام وفرح اهالي زحله في ابادة هذه البيوت الذين هم شر وضرر . وكانوا اربعة وعشرين بيت وما عاد بقي لهم اثر (لهُ بقية)

العسل

نظر صناعي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي

انَّ مقالتنا في النحل (ص ٣٥ و١٩٠) تستدعي تتمة البحث في وصف العسل وخواصهِ وانواعهِ وفوائدهِ (١ بعد ان ذكرناه اجمالاً في وصفنا للهوام المعسّلة

ممَّا افادتنا الاسفار المقدَّسة انَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمَّا تجلَّى لموسى الكليم في مصر وانتدبهُ لخلاص شعبه من نير المصريين وعدهُ بانَّهُ يجعل بني اسرائيل في بلاد نامية الخيرات . واذ اراد الربّ ان يبين لهُ خصبها وصفها بكونها « بلاداً تدرُّ اللبن والعسل » (خروج ١٣ : ٥ و٣٣ : ٣ وتثنية ٦ : ٣)

واثبت قولهُ تعالى اولئك الجواسيسُ الذين ارسلهم موسى ليجسُّوا ارض الميعاد فلمَّا عادوا الى محلَّة العبرانيين قاموا شهوداً على صدق وعود الله قائلين لموسى (عدد ١٣ : ٢٨) : « قد صرنا الى الارض التي بعثتنا اليها فاذا هي بالحقيقة تدرُّ لبناً وعسلاً »

وقد تكرَّر هذا الوصف لبلاد فلسطين وسواحل الشام في سفري العدد وتثنية الاشتراع نيفاً وعشر مرَّات وكذلك ورد في بقيَّة الاسفار المنزلة

وان قال قائل انَّما هذه عبارة مجازية لا يُراد بها غير وصف جودة ارض الميعاد ووفرة مرافقها . اجبنا اننا نسلم بذلك ولكن يستفاد ايضاً من تكرارها انَّ العسل كان متوفِّراً في تلك الجهات الشرقيَّة

١) اطلب بحثاً مختصراً في ذلك مرَّ في السنة الثانية للمشرق (ص٢٦١ – ٢٦٤)

وفي كتب العهد القديم التاريخيَّة ما يؤيد توفُّر العسل في الاراضي المقدَّسة فمن ذلك ما اخبر بهِ صاحب الكتاب الاوَّل لسفر الملوك (١٤ : ٢٥) حيث روى ما حدث ليوناتان في ابَّان الحرب مع الفلسطينيين فدخل غاباً مع الشعب ووجد العسل يسيل من شجر الغاب فغمس فيهِ طرف عصاتهِ وأكل منهُ دون ان يعلم بحلف ابيه الذي جعل اللعنة على من يذوق طعاماً قبل مساء ذلك اليوم

وفي سفر القضاة (١٤ : ٨ — ٩) حادث آخر يدلُّ على وفرة العسل في تخوم بني اسرائيل وذلك خشرم النحل الذي وجدهُ شمشون في جوف اسد كان قتلهُ قبلها بأيام فاشتار عسل الخشرم واكل منهُ

وفي جملة الهدايا التي اوصى يعقوب بنيه (تكوين ٤٣ : ١١) ان يأخذوها ليستعطفوا وجه يوسف قبل ان ينزلوا ثانيةً الى مصر ليمتاروا قمحاً قد كان العسل

فهذه الشواهد وغيرها ايضاً نضرب عنها تثبت قولنا السابق في كثرة العسل في اقطارنا وذلك منذ عهد الآباء من نسل ابراهيم. ولا بأس اذا كانت تلك النحل بريَّة وعسلها بريًّا اذ لا فرق بين النحل الاهلي والبرّي

ولست ادري ايوجد اليوم ايضاً في انحاء فلسطين خشارم من النحل تحلُّ وتتوالد في تجاويف الشجر او مخاريب الصخور. وما لا يسعنا انكارهُ انَّ في اعالي لبنان من الجرد لا يزال الرعاة يجدون خزائن العسل ممَّا عسَّلتهُ نحل الجبل البريَّة. وكذلك رأينا بالعيان في مشارف جبال عكَّار هوامَّ النحل كانت تنفذ في الصخور وتخرج ما استدللنا بهِ الى وجود النحل والعسل في تلك الجهات

وروى لنا الثقة انهم رأوا قبل ٢٥ سنة طوائف من النحل طارت فوق قرية صليا ثم حطَّت غير بعيد عنها. فاسرع الاهلون واتوا بالاوعية كصناديق الخشب والجرار فنقلها كلٌّ منهم الى ارضهِ ولم تقلّ على عشرين كولرة وقد رجَّحوا انَّ تلك النحل كانت انفصلت عن طوائف اصليَّة مأواها في اعماق الاودية وبين صخور الجبل

فلا شكَّ انَّ تجريد لبنان عن غاباتهِ بتوالي الازمان أثَّر ايضاً في احوال النحل فقلَّت مستعمراتها مع نقصان غذائها ولكن يمكننا ان نتتبع آثارها حتى في اوائل تاريخ الميلاد فانَّ الانجيل الطاهر يروي عن يوحنَّا المعمدان (متى ٣ : ٤) انَّ طعامهُ كان

« الجراد وعسل البرّ ». وروى القديس لوقا (٢٤ : ٤٢) انَّ الرسل لمَّا ظهر لهم الرب بعد قيامتهِ قدَّموا له « قطعة من سمك مشوي وشهد عسل » وبذلك دلُّونا على ان العسل كان من طعام العامَّة في ذلك العهد اذ نرى قوماً من الصيَّادين يأكلونهُ كقوتهم اليومي سواء كان ممَّا اذخروهُ لسنتهم او ممَّا اشتاروهُ من بعض خلايا النحل البرِّيَّة وليس من الكواثر التي لا يشتار عسلها في الربيع وهو الفصل الذي جرى فيهِ ظهور الربّ لتلاميذهِ

وعلى كل حال يؤخذ من هذه الروايات انَّ العموم كان يُقبل على أكل العسل وناهيك بذلك دليلًا على اهتمام اهل الشام وفلسطين بل كافَّة المشرق بتربية النحل. وكان لاهل ذلك الزمان داعٍ آخر يحدو بهم الى العناية بالنحل وهو انَّ العسل كان يقوم في كثيرًا من اطعمتهم وادويتهم مقام السكَّر الذي يغني اليوم عن العسل وكان اذ ذاك استحضار السكَّر مجهولًا فلم يشع في اوربَّة الَّا بعد اكتشاف العالم الجديد لمَّا عمَّ استنبات قصب السكر فصاروا يعصرونهُ ثم يصفُّون عصيرهُ ويعقدونهُ (١ فكثر السكر وأُهمل العسل نوعاً. وزاد هذا التغاضي في القرن الاخير لمَّا صاروا يستخرجون السكَّر من الشمندر فيعقدون عصيرهُ كعصير قصب السكر وبذلك راجت سوق السكَّر رواجاً كاد ينسي جنى النحل

وممَّا كان يرغب الناس قديماً في تربية النحل الشمع المصفَّى من اشهادها. وقلَّما كان الناس ولاسيما وجوههم يستصبح بغيرهِ. امَّا اليوم وقد اكتشفوا الشمع الشحمي (stéarine) والبارفين (paraffine) وصاروا يستصبحون بالغازات والكهرباء فكسدت سوق الشمع العسلي لندرته وارتفاع اسعارهِ

*

ولكن ايا تُرى هل استحقَّ العسل ان يُعرَض عنهُ هذا الاعراض أليس فيهِ من الخواصّ ما من شأنهِ أن يحدو بالعموم الى استعمالهِ؟ دَعْنا نبحث عن بعض فوائدهِ

---

١ راجع في المشرق ١٠ (١٩٠٧) : ٦٥٦ و١٢ (١٩٠٩) ١٧٩) مقالتين حسنتين في السكَّر وقصب السكَّر للاب يوسف موغبين وللاديب ميشال الياس سماحه

واوّل ما يلوح للكيموي من تحليلهِ انهُ جامع لخواصّ الاطعمة المغذية لأنهُ مقوٍّ مري. موافق للصحة منظف للامعاء.

فكونهُ مقوّياً انّما استمدَّ ذلك من سكّريتهِ . وقد اثبت العلماء اليوم بالادلّة المتعدّدة ان الاطعمة التي مبناها السكر هي اصلح من سواها لتقوية الجسم. وممّا ثبت لهم بالاختبار انَّ الخيل والبغال والبقر وما سواها من حيوانات النقل والشغل اذا خُلط علوفها بمقادير معلومة من السكر كالادباس الغليظة وافضال تجفية السكّر قويت بنيتها وامكنها ان تثبت على الشغل زمناً اطول فتؤدي خدماً اعظم لاصحابها. وكذلك زادوا في طعام الجند كمّيّة من السكر ليقووا على اتمام مهنتهم الشاقّة في ايّام الحرب وغيرها

فترى من هذه الامتحانات ان علماء العصر عادوا فاكتشفوا ما كان يعرفهُ من قبلهم القدماء من تعزيز قوى الجسم باكل العسل. وكان المصارعون قبل نزولهم الى ميدان الصراع يغتذون بالعسل لعلمهم بانّهُ مصدر قوّة عظيمة وانهُ يجدي الاعصاب ثباتاً على العمل وصبرًا على الاتعاب

وقد قرأتُ في بعض كتب السيّاح الى شمالي اوربّة انَّ اهل اسوج ونروج اذا مدَّ عليهم الشتاء وواقهُ وتراكمت فوقهم الثلوج فلزموا بيوتهم ضعفت امزجة شبّانهم واحداثهم حتى كادوا يضنّون بالعسل فلم ير الاطبّاء طريقة اقرب لاصلاح قواهم من اغذائهم بالعسل وبجاء القرّاص الذي منهُ يُستخرج الحامض النملي (١

ولعلَّ ما رواهُ الكتاب الكريم (١ ملوك ١٤: ٢٧, ٢٩) عن يوناتان في الخبر السابق ذكرهُ من انّهُ لمّا ذاق عسل الغاب « انجلت عيناهُ » هو من هذا القبيل فيكون العسل ردَّ لهُ قواه فازال ما اصاب عينيهِ من الغشاء لتعبهِ

وليس العسل قوتاً مغذياً مقوّياً فقط بل هو ايضاً هني مري.. وكيف لا يكون ناجعاً للصحة مع ما يحتويهِ من صفوة النبات ولباب الزهور وعطر الاعشاب ممّا تمتصّهُ النحل وتفرزهُ بخبرة وتلوكهُ بدقّة ثمَّ تمجّهُ في مخاريب اشهادها ليبقى فيها كمونة للشتاء. فتجد في ذلك العسل كل خواصّ الزهور وعرفها الطيب وجوهر حياتها

١) راجع في المشرق (٧: ٥٥٣) مقالة الدكتور كيك في هذا الحامض النافع لتقوية الاعصاب

النباتيَّة مع ما امتزج فيها من نور الشمس المحيي وحرارتها المنعشة. وذلك ما حمل ميشله (Michelet) الكاتب الافرنسي على ان ينعت العسل بروح الزهر يريد انَّ النحل تأخذ خلاصة الزهور وتجبلها جبلاً عجيباً يحفظ لها خاصَّاتها الاصليَّة. والدليل على ذلك انَّ للعسل من التكيُّف ما يختلف على اختلاف الامكنة والحدائق والحقول فانَّ النحل تصون بكل حرص ما في زهرها من الخواصّ الطيبة ليزيد عسلها ذكاء ولذَّة فيتميَّز كل جنس من العسل عن الآخر كالعسل الصعتريّ والعسل الوردي

امَّا كون العسل منظفاً فلسهولة هضمه. وان ابدى معترضٌ ريباً في الامر وذكر انهُ اثقل نوعاً من الماء بحجم متساوٍ اجبناهُ انَّ الثقل النوعي في بعض الاطعمة ليس برهاناً على ثقلها في المعدة. فالامر على خلاف ذلك لانَّ العسل مريءٌ يُنيم تهضمهُ المعدة دون عناء. وهو مع هذا مبرِّدٌ للمعدة والاحشاء. مصفٍّ للدم ولذلك قد اعتبرهُ القدماء كمنعش للصحة بل كمطوِّل للحياة. قيل انَّ بقراط رئيس حكماء اليونان كان يصف استعمالهُ لمن يرغبون في اطالة حياتهم

وممَّا يجدر بالنظر انَّ للعسل كل خواصّ السكر دون مضارّه. نعم ان السكر يصلح لتقوية الجسم اذا دخل منهُ كميَّة في الطعام لكن الافراط منهُ ضارّ. فاذا بالغ احد في اكله قطع شهوة الطعام واضنك المعدة وهيَّج الاحشاء واثار في الاعضاء حرارةً بل حرقة. هذا فضلاً عمَّا يجلبهُ للاحداث من فساد الاسنان اذا اكثروا من الحلويات. امَّا العسل فخالٍ عن كل هذه الآفات لأنَّ تركيبهُ من ضروب السكر ويدخلهُ اقسام بالغة من مسهل خفيف يدعونهُ لافولوز (lévulose) ممَّا لا اثر لهُ في السكر المستخرج من القصب وبذلك يُضحي كدواء ناجع يُفضَّل استعمالهُ ممزوجاً في الاشربة بدلاً من السكر بل يداوى بهِ القبض والارق والامراض الناتجة عن اذى الاعصاب ومن منافعهِ الشهيرة تليينهُ للحنجرة اذا تغرغر بها المصاب بجسأة اللوزتين وتقرّحهما فانَّ حلاوتهُ الملينة تزيل تلك الجسأة وتبرئ تلك القروح

ولا يظنَّن القارئ انَّ هذه الموادَّ السكرية المختلفة هي مخزونة في الاثمار فقط. كلَّا فانَّ منها كميَّات وافرة ايضاً في الزهور وفي اوراق النباتات وقشور الشجر حيث لا يستطيع ارباب الزراعة استخراجها

امَّا النحل فانَّها لا تحجم عن ذلك بل تمتصّ ذلك العسل المكنون ولئلَّا يصيبهُ

الاختمار فيتلف تراهنٌ يعرضنهُ للهواء فيتبخر الماء الزائد فيهِ ثمَّ يأكنهُ فيهيّئن لنا ذلك القوت اللذيذ الذي وصفنا منافعهُ لتقوية الاعصاب وتبريد المعدة وتصفية الدم

والعسل كما هو معلوم يدخل في تركيب اصناف الاطعمة ولا سيما الحلويات والبيوب والجوارشات والقطائف والماجين ولكلها طرائق ومقادير يتفنن فيها ارباب الطباخة وصنعة الحلويات

ولا يسعنا ان ننسى الاشربة التي تنال من العسل بعض خواصها المرغوبة (١ منها الخمر العسلي (hydromel) الذي كان يُقبل عليهِ الاقدمون ايّ اقبال ولا يأنف من شربهِ اهل زماننا وانما يتخذون لتهيئته ضروب العسل الادنى جنساً كالعسل الذي تجتنيه النحل من زهور القمح الاسود (sarrazin) ثم (يخلطون العسل بالماء ويخمرونهُ بخميرة الجعة (البيرة) . وهذا الخمر يحوّلونهُ الى مُسكر كالعرق بتقطيرهِ في الانبيق كبقيّة الخمور المتخذة من الاثمار كالعنب والاجاص والقراصيا . ولهذا العرق ذوق لذيذ خاصّ بهِ كبقيّة اصناف العرق الاخرى . وكذلك تُستخرج منهُ الكحول التي تُشرب او صرفةً كالكونياك او ممزوجة لتهيئة مشروبات اخرى يصلحونها بها ويزيدون عليها السكر

وعرف العرب كثيراً من خواصّ العسل قال ابن بيطار في مفرداتهِ (٣ : ١٢١) نقلاً عن قدماء الحكماء : «قوّة العسل جالية مفتّحة لافواه العروق بجذب الرطوبات . . . وهو يجلو ظلمة البصر واذا تُحنِّك بهِ او تُغرغر بهِ ابرأ اورام الحلق واورام المثل التي عن جنبتي اللسان والحنك واللوزتين والخناق ويدرّ البول ويوقف السعال اذا شُرب سخناً بدهن الورد . . ولمّا العسل الغير المطبوخ فصالح للمعدة الباردة والامعاء الوارمة ووجع المعدة الكائن من البلغم وهو مُشهٍ للطعام ويغذو غذاء جيداً »

وقد شاع عند العرب شراب العسل . قال نجم الدين الشيرازي في كتاب الحاوي في علم التداوي (éd. Guigues. 11) : «شراب العسل المسخن للمعدة والكبد . وصفتهُ : يؤخذ من عسل النحل عشرة ارطال ومن السكر عشرة ارطال ومن السنبل والمصطكى والدارصيني والقاقلّة والعود الهندي والهيل وجوز بوا من كل واحد وزن درهمين وقرنفل درهم يُدقّ الادوية جريشاً ويلقى في طنجير ويُصبّ عليهِ ستة

١) راجع المشرق ٢ (١٨٩٩) : ٧١٣ – ٧١٤

ارطال من ماء عذب ويطبخ الى ان يرجع الى اربعة ارطال ويصفّى بخرقة صفيقة. ثمّ يُصبّ على ذلك الماء السكر والعسل ويُغلى ويؤخذ رغوتهُ اوّلًا فاوّلًا حتى يصير لهُ قوام ويُنزل عن النار ويُصفى ويرفع الى اناء ويستعمل بسهولة »

ومن المشروبات العسليَّة الشهيرة ما دعاهُ العرب بالسكنجبين (oxymel) اي مزيج العسل والخلّ او الخلّ العسلي كان يستطيبهُ اهل الشرق

ومجمل القول انَّ العسل من اصلح الاقوات وانجعها للصحة. ولنا في مثال الخالق نفسهِ اثبات على الامر فانَّهُ تعالى لمَّا اراد ان يقيت شعبهُ في البرّيَّة مدَّة اربعين سنة لم يجد لهم افضل من المنّ الذي كان طعمهُ « كقطائف بعسل » (خروج ١٦ : ٣١)

وقد سبق ان تركيب العسل يختلف على اختلاف النبات الذي يجني النحل زهورهُ. وانَّما يُقال بالاجمال انهُ يتألف من الموادّ الآتية: يدخلهُ من ٢٠ الى ٢٣ قسماً في المئة من الماء. ثمَّ من ٤ الى ٧ اقسام من السكر الطبيعي. ثم من ٦٥ الى ٧٠ قسماً من مادتي الغلوكوز (glucose) واللاڤولوز (lévulose) واخيرًا من قسمين الى اربعة اقسام عناصر مختلفة. امَّا الكيميويون الذين يحلِّلون العسل الى آخر اركانهِ فانهم يميزون انواعاً كثيرة من الموادّ السكريَّة التي اخصها السكر الطبيعي المستخرج من القصب والشندو ويوجد منهُ كميَّات وافرة في الجزر والذرة وغيرهما. وكذلك يميزون انواعاً من مادة الغلوكوز الحلوة فمنها الطبيعيَّة التي يدعونها سكر العنب لوجودها بوفرة في العنب كما في غيرهِ ايضاً من الثمار كالخوخ والتين — ومثلها مادَّة اللاڤولوز السكريَّة المستخرجة من القراصيا والتوت الفرنجي. فمن هذا التركيب واصناف الموادّ السكريَّة يلوح للناظر سبب الفرق الموجود بين العسل والسكر فيفضَّل الاوَّل على الثاني من وجوه عديدة

هذه نبذة وجيزة من شأنها ان ترشد الشرقيين الى ان يستنتجوا ما للعسل من الفوائد وما يستطيعون ان ينالوهُ من الارباح لو انقطع قوم منهم الى تربية النحل وترويج جناه. فانَّ لبنان يصلح لذلك اكثر من بلاد اخرى لاختلاف مناطقهِ حيث تختلف اصناف الزهور وباختلافها يمكن استحضار اصناف من العسل بحيث يدرُّ في الجبل جنى النحل كما كان يدرُّ في عهد بني اسرائيل في انحاء ارض الميعاد

تاريخ آداب اللغة العربية

نقد الجزء الثاني منهُ للاب لويس شيخو اليسوعي

في مثل هذا الشهر من عامنا الماضي (المشرق ١٤ : ٥٨٢) كتبنا فصلاً في انتقاد الجزء الاوَّل من هذا التاريخ فاثنينا على همَّة صاحبهِ وأفضنا في مزايا الكتاب وابدينا ما خطر على بالنا من الملحوظات رجاء ان يستفيد منها جناب المؤلف في اقسامهِ التالية او عند استئناف طبعهِ. وكنَّا تمنينا لو يحظينا المؤلف سريعاً بتتمَّتهِ فما خاب املنا وها هوذا قد اتحفنا بالجزء الثاني من تأليفهِ النفيس ويختمهُ قريباً ان شاء الله فيصبح كدستور في ايدي ادباء اهل الوطن

وقد قرأنا في مقدِّمة هذا الجزء الثاني كلاماً للمؤلف الاديب رواه في « موقع الجزء الاوَّل » وخصَّ حقارتنا بالذكر (ص ٧) مثنياً على اعتدال خطتنا في النقد شاكراً لحسن ظننا واهتمامنا في البحث والتنقيب وابدائنا للاحظاتنا وانتقادنا بتعقُّل واخلاص. والحقُّ يقال انَّنا في كتابتنا لذلك الفصل المطوَّل لم نقصد غير خدمة الآداب العربيَّة وتنشيط الذين يسعون في استخراج مكنوناتها ونشر دفائنها لا يزعهم في ادراك غايتهم وازع ولا يثبطهم مانع كجناب منشئ الهلال الذي نهض بين ادباء بلادنا نهضةً قلَّما جاراهُ غيرهُ في مثلها . فاذا وفيناهُ حقَّهُ من الشكر قمنا بالواجب ودعونا امثالهُ الى مباراتهِ في سباق كثرت اكاليلهُ وقلَّت فرسانهُ

هذا ومع ثنائنا على صاحب تاريخ آداب اللغة العربيَّة كنَّا عرضنا عليهِ بعض الآراء تحسيناً لعملهِ اذ نعلم حقَّ العلم انَّ تاريخاً مثل هذا يكاد ينوء تحت عبئهِ عاتق الجهابذة. لكنَّ ذوي الهمَّة تزداد عزائمهم مع ازدياد الآمال المنوطة بهم والاثقال الموكولة الى اهتمامهم

وعليهِ قد رأينا ان نستأنف الانتقاد لهذا القسم الثاني من الكتاب فنبيِّن محاسنهُ ونلحقهُ بالملحوظات التي دارت على خلدنا عند مطالعتهِ. فان شاء الله ينظر اليها المؤلف كما وعدنا بعين الاهتمام ولا يعدَّها هذه المرة « في غير مكانها او قبل اوانها »

*

يتناول هذا القسم من تاريخ الآداب العربيّة معظم العصر العبّاسي منذ صارت ازمّة الخلافة في ايدي بني عبّاس بانتصار السفّاح الى ان انتقض حبل دولتهم وتضعضعت اركانها بفوز الدولة البويهيّة وتدبيرها للامور حتى زمن الدولة السلجوقيّة. وقد قسم الكاتب هذه المدّة الى ثلاثة اطوار يشمل كل طور نحو مئة سنة بنيف قليل يبلغ مجموعها ثلثمائة سنة وقد جرى في ذلك أدراج الاستاذ الالماني كرل بروكلمان في كتابهِ تاريخ الآداب العربيّة (C. Brockelmann: *Geschichte d. arab. Litteratur*) بل كثيرًا ما نقل فصولهُ عنهُ حتى كدنا ندعو كلامهُ غير مرّة تعريباً لا تأليفاً وكان العدل يقضي بان يشير اليهِ مرارًا في اسانيدهِ التي رواها في ذيل الكتاب وانّما ذكرهُ فقط في جدول التآليف التي سرد اسماءها في فاتحة الجزء الاوّل من كتابهِ. وهذا قليل بالنسبة الى المنقولات عنهُ

وقد افتتح جرجي افندي هذا الجزء الثاني بشبه المقدّمات على العصر العبّاسي ونهضتهِ الادبيّة. فالمقدّمة الاولى (ص ١٠) عنوانها القرآن وآداب اللغة العربيّة زعم فيها « انّ العلوم والآداب في ابّان التمدُّن الاسلامي تكاثرت حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم.. واكثرها نشأ من القرآن او تولّد خدمة لهُ » وهو قول ذهب اليهِ المؤلف تزلُّفاً الى بعض القرّاء المسلمين لكنهُ لا يروق في اعين الادباء من ايّ طائفةٍ كانوا حتى المنصفين من المسلمين وقد روينا شيئاً من كلامهم في مقالتنا عن العلوم العربيّة في اوّل الاسلام (المشرق ١٤: ٢٩٩ — ٣٠٦)

ولا يفيدهُ الفصل الذي افردهُ لذلك فانّ مزاعم كثيرة هناك تنقض الحقيقة التاريخيّة ولا تنطبق على ما ذكرهُ جرجي افندي في كتبهِ فكيف يقنعنا بانّ التاريخ والجغرافية والعلوم الرياضيّة والفلسفيّة وغيرها نشأت من القرآن وقد ذكر هو نفسهُ كما ذكرنا مع كل اصحاب الآثار انّ هذه العلوم لم تظهر الّا في اواسط او اواخر القرن الثاني للهجرة. فيا ليتهُ اكتفى ببيان تأثير القرآن في اللغة العربية وفي آداب قومهِ الاجتماعية ولعلّهُ كان الاوفق لو قدّم الكلام في هذا الموضوع عند ذكرهِ القرآن في الجزء الاول من كتابهِ

ثم اردف هذه المقدّمة بمقدّمة ثانية جعلها كذكر اجمالي للعصر العبّاسي الاوّل

وهو بحث جليل كان يقتضي نظرًا دقيقاً في مميّزات ذلك العصر الذى دعاهُ بعصر الاسلام الذهبي . فشدَّ ما كان عجبنا اذ نظرنا هذا الباب ملخَّصاً في اربع صفحات لم يكد المؤلف يمسُّ فيها موضوعهُ . فانهُ بعد ذكرهِ الانقلاب السياسيّ الذي حصل بانتصار بني عبَّاس على بني اميَّة انتقل الى وصف الخلفاء الاوَّلين فوصفهم بما لا يروي غليلًا . فهنا كان ينبغي على الكاتب ان يبيّن كَلَف الخلفاء بالعلوم القديمة والحديثة وما صنعوهُ لذلك امَّا بمساعيهم الخاصَّة واماَّ بتنشيط العلماء وتقريب الوسائط لذوي الهمم فيعدّد مآثرهم في انشاء المكاتب وفتح المدارس في عاصمة دار السلام وغيرها وتجهيز المعاهد العلميَّة المختلفة ودعوتهم للادباء في قصورهم للمذاكرات والمحاضرات واقتراحهم على ذوي المقدرة وضع التآليف في العلوم . فكل ذلك ممَّا لا غنى عن ذكرهِ في باب مثل هذا فاهملهُ واجتزأ بكلامٍ عام يعرف الأدباء اكثر منهُ بكثير

وقد جعل المؤلف بين مميّزات ذلك العصر الذهبي (ص ١٩) حريَّة الدين فاتى لاثبات قولهِ بدليلين خفيفين لا يقنعان احدًا اعني تشيُّع المأمون وقوله بخلق القرآن ثم مثل اولاد ابي جعد . ولا يخفى ما يستوجب من البراهين والبيّنات بحثٌ مثل هذا أفما كان الاولى بالكاتب ان يضرب الصفح عن الامر فلا ينبّه الافكار الى ما لا يسعهُ اثباتهُ ؟

وختم هذا الباب (ص ٢٠) بذكر وزراء الفرس والموالي اي المسلمين غير العرب كآل برمك وآل الفضل وتأثيرهم في النهضة الادبيَّة . حسن ولكن ما بالهُ ألحق بهم الجواري والغلمان فقال : « ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري . . . وتكاثر الغلمان . . . وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء (١ » افهذا يا اصلحك الله ما رأيت من « ثمار الحضارة » ومن مميّزات « عصر الاسلام الذهبي » ! !

ويلي هذا الباب في مميّزات العصر العبَّاسي باب آخر (٢١ — ٣٧) في ما دعاهُ « العلوم الدخيلة » اي العلوم القديمة التي شاعت عند اليونان والفرس والقبط والهنود

١) قد اشار المؤلف في ذيل الصفحة الى نكتة ذكرها صاحب الاغاني (٦ : ٢٠٨) لحسين بن الضحَّاك فاتزلها منزلة الامور العمومية في ذلك العصر . فهذا ليس بتاريخ بل مسخ التاريخ

قبل العرب فجاء العرب ووكلوا نقلها الى الذمّيين لاسيما نصارى السريان (١ والفرس فعرّبوا منها شيئاً كثيراً لاسيما كتب الفلسفة والطبّ والنجوم. فالكثير من هذا الباب مع فائدته قليل العلاقة بآداب اللغة العربيّة فيا ليتهُ ابدلهُ من مواضيع أُخرى اعظم شأناً وامسّ حاجة كتاريخ مدارس البصرة والكوفة وما كان ما يمتاز بهِ اصحابها في الآراء اللغوية المتباينة فانّ ما كتبهُ في ذلك عن السيوطي (ص ١٨٤) لا يشفي غليلاً. ولو اراد دليلاً يرشدهُ الى هذا البحث الخطير لوجدهُ في احد المستشرقين الالمانيين وهو غستاف فلوغل ودونك اسم كتابهِ (G. Flügel: *Die gramm. Schulen der Araber*) طبعهُ في ليبسيغ سنة ١٨٦٢ وهو مشحون بالمعلومات عن ارباب الكوفة والبصرة ومناظراتهم اللغويّة. فسكوت جرجي افندي في « تاريخ آداب اللغة العربيّة » عن مسألة كهذهِ تُعدّ خللاً عظيماً

وما نقولهُ عن مدارس الكوفة يصحّ ايضاً في مدارس بقيّة مدن الدولة العبّاسيّة كالمدرسة النظاميّة في بغداد ومدارس اخرى اسلاميّة او نصرانيّة في دمشق وانطاكية وحلب ومصر كنّا نحبّ ان نطلع على شيء من تعليمها وطرائقها في التدريس وكتبها المعوّل عليها. فان شاء الله يسدّ هذا الخلل في الجزء الثالث من كتابهِ فيراجع كتاب الدارس في المدارس للنعيمي (اطلب المقتبس ٦ : ٢٢٤) الذي نُشر مختصراً باللغة الفرنسويّة بهمّة المسيو سوفار (H. Sauvaire) في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة. وفصولاً حسنة عن مدارس مصر وحلب في تاريخ المقريزي وتاريخ ابن ابي شحنة وغير ذلك ممّا يوقفنا على احوال مدارس العرب التي كانوا يستقون من مواردها حياة علومهم

فبعد هذه المقدّمات التي تستغرق ٤٠ صفحة دخل المؤلف اخيراً في موضوعهِ اي العلوم العربيّة الاصليّة فبحث تباعاً في الشعر والشعراء ثمّ في الأدب والأدباء ثمّ في النحو وعلماء اللغة ثمّ في الانشاء والمنشئين ثمّ في العلوم الاسلاميّة من فقه

٣) وعليهِ فانّ في قول جرجي افندي (ص ٢٤) « انّ المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان من العلم والفلسفة والطبّ والنجوم والرياضيات عند سائر الامم المتمدّنة في ذلك العهد » نظراً لانّ اولئك النقلة كانوا من النصارى غالباً او من اليهود والصابئين. امّا المسلمون فنقلهم منها قليل

وحديث وتفسير وختم الطور العبّاسي الاوّل بالتاريخ والمؤرخين وذلك في ١١٥ صفحة

وقد قدّم على باب الشعر نظرًا في اللغة (ص ٣٧ — ٤٠) كان الافضل ان يجمعهُ مع فصل آخر شبيه بهِ وهو علم اللغة (ص ١١٩ —١١١) فانَّ الفصلين في موضوع واحد يلزم احدهما الآخر فيتداخلان

ثمَّ جعل لباب الشعر المذكور تمهيدًا في خواصّ الشعر العباسي ففضل شعر هذا الطور على الشعر الجاهلي . فقال (ص ٤١) : « انتقل الشعر في الدولة العبّاسيَّة انتقالًا كبيرًا مثل انتقال الامَّة العربيَّة من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنة الى الناعمة » وقال (ص ٤٣) : « انَّ كلام الاسلاميين يُعدّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين منثورهم ومنظومهم »

فهذا الحكم كما ترى يناقض حكم ائمة اللغة القدماء الذين اطنبوا في مزايا الشعر الجاهلي وفضَّلوهُ على شعر المولَّدين من وجوه متعدّدة فروينا سابقًا اقوالهم . وان امتاز شعر هؤلاء بشيءٍ من الطلاوة والزخرف فكم يفوق عليهِ شعر اولئك بمتانتهِ وطبيعيَّتهِ وبلاغة معانيهِ وحرّ الفاظهِ وان كان لا يخلو ايضًا من مسحة البهاء والرونق كشعر زُهير والنابغة وغيرهما كما ترى في مجموع حماسة البحتري الذي نشرناهُ حديثًا . وكذا يُقال عن النثر الذي نقل لنا منهُ امثلةً صالحة صاحب كتاب الاغاني . نعم انَّنا لا ننكر انَّ ادباء العصر العبّاسي لتولُّجهم في الحضارة اتّسعوا في الابحاث اللغويَّة وتفنَّنوا في اساليب الانشاء . وانَّما المقابلة بين الطور الجاهلي والطور الاسلامي من حيث البلاغة ورصانة الكتابة فترى الشعر الجاهلي ونثرهُ تكسوهما حلَّة البيان لا يشينهما حشو ولا تطويل يبدوان خاليين من عيب التكلُّف سالمين من التشابيه البعيدة والاستعارات المتعقَّرة . فهيهات ان يبلغ المولَّدون شأو الجاهليين وليست الامثال التي ضربها جرجي افندي (ص ٤٣ — ٤٨) لتعدل بنا عن هذا الرأي لا بل من شأنها ان تزيدنا رسوخًا فيهِ . وبعض ما عدَّهُ هناك من المحاسن اولى ان يُعدّ انحطاطًا وتقهقرًا كوصف الغلمان والشعر المجوني . وزاد الشعر العبّاسي شيئًا ما ذكرهُ كاتبنا بعد ذلك (ص ٤٩) من الاستجداء بالشعر ثمَّ (ص ٥٠) التهتك والخلاعة . وقد اشار هناك الى وقائع لا تصلح الَّا لتن المواخير

ويتلو ذلك سياق مشاهير الشعراء والادباء في نحو مئة صفحة روى المؤلف

تراجمهم نقلاً عن كتاب الاغاني وتراجم ابن خلكان المعروف بوفيات الاعيان وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ويتيمة الثعالبي وكتاب الفهرست لابن النديم وهو يدلّ على ما بقي من آثارهم مطبوعاً او مخطوطاً معرّباً عن بروكلمان كما قلنا

ثمّ انتقل الكاتب بعد ذلك (ص ١٥٣ — ٢٢٠) الى العصر العبّاسي الثاني من السنة ٢٣٢ الى ٣٣٤ (٨٤٧ — ٩٤٦) وقدّم عليه بعض مقدّمات كما فعل في ذكر العصر الاوّل لتعريف مميزات ذلك القرن من حيث التاريخ والشعر والادب. وهي ناقصة كما هناك لا تدلّ على تعمّق كافٍ في الموضوع وقد تفّاها بتراجم الشعراء والادباء والنحويين والمؤرخين وذوي العلوم الاسلامية والعلوم الداخليّة اي الفلسفة والطبّ والرياضيّات. وذلك على طريقته في القسم الاوّل وزاد على فصوله فصل الجغرافية والجغرافيين (٢٠١ — ٢٠٥)

وهكذا فعل في وصف العصر العبّاسي الثالث (من ص ٢٣١ الى آخر الكتاب) حيث قدّم عليه المقدّمات في مميزات العصر المذكور واسباب النهضة التي جرت فيه بتعدّد الدول الاسلاميّة التي اقتسمت الدولة العبّاسيّة ومزايا شعره وآدابه. ثم تتبع تراجم اهله كما فعل في العصرين الاولين من مشاهير الشعراء والادباء واللغويين والجغرافيين والمؤرخين مع العلوم الاسلاميّة والدخيلة وزاد على هذا القسم باب الروايات والقصص كالف ليلة وليلة وقصّة عنتر

*

فيلوح من هذه الخلاصة انّ مؤلف تاريخ آداب اللغة العربيّة قصد ان يضمّ في كتابه مجمل اخبار كتبة العرب. ولعلّ اتساع نطاق هذه الابحاث اخرج عن دائرة فكره اشياء نراها اهمّ واخطر من بعض ما ذكره فكنّا احببنا مثلاً ان يروي لنا ما كان للنصارى من السهم المعلّى في نشر الآداب العربيّة بتآليفهم العديدة في كل الفنون وتعليمهم في مدارسهم فان هذا كان افادنا اكثر من بحثه في آداب اللغة اليونانيّة (٢٢ — ٢٨) الخارج عن موضوعه ومن استطراده الى الادب والانشاء عند الفرنج (ص ٢٧٧) ووصفه لبعض خرافات الفرنج (ص ٢٩٧)

وممّا كنّا وددنا الوقوف عليه الاصول التي نقل عنها بعض تصاويره الشرقيّة

كصورة ابن سينا (ص ٣٣٧) مثلاً التي هي اشبه بصورة راهب منها بصورة شيخ عربي ومثلها صورة يوحنا بن ماسويه (ص ٣٣)

ومن ملحوظاتنا في رواياته لاخبار الكتبة انهُ يتسع في تراجم من لا تفيدنا كثيراً معرفتهُ لفقدان مآثره ويختصر في اسطر قليلة سير بعض مشاهير الادب كما يجد المادَّة حاضرة في الكتب التي ينقل عنها

امَّا الفصول الخاصَّة التي ذكرها جرجي افندي عن كل واحدٍ من أُدباء العرب وتآليفهِ فانَّا نروي لهُ بعض ما فاتهُ منها اجابةً الى ملتمسهِ (ص ٥) وخدمةً للآداب . ولو تتبعنا كتابهُ صفحةً صفحةً لامكننا الاتساع في هذا الباب . وقد اثبتنا فقط ما لاح لنا من اوَّل وهلة

(ص ٦١) كلامهُ عن السيد الحميري لا يفي بالمقصود . وللمستشرق الفرنسوي بربيه دي مينار (Barbier de Meynard: *Le Seïd Himyarite*) كرَّاسة في مئة صفحة جمع فيها اخبارهُ وشعرهُ عن اوثق المصادر طُبعت في باريس سنة ١٨٧٥ فلو راجعها لاستفاد منها كثيراً لمعرفة شعراء ذلك العصر وانتقاد اعمالهم

(ص ٧١) في ذكرهِ لحماسة ابي تمَّام وشرحها للتبريزي كان الواجب تقديم طبعة فريتاغ التي سبقت الطبعة المصريَّة وتفوق عليها من وجوه متعدِّدة والعلماء الاوربيون لا يعوِّلون على غيرها فضلاً عمَّا فيها من الفهارس المختلفة . وممَّا نُشر آخراً في موسكو بالروسيَّة كتاب حماسة ابي تمَّام للاستاذ المستشرق كريمسكي (A. Krimski) جمع فيهِ ما ينوط بهذا المجموع من المعلومات

(ص ٨٠ — ٨١) لا نعلم سبب تقديمهِ للشاعرين عليّ بن الجهم المتوفي سنة ٢٤٩ وحسين ابن الضحَّاك المتوفَّى سنة ٢٥٠ وقد نبَّه سابقاً ان هذا العصر الاوَّل ينتهي في السنة ٢٣٢ فكان الاولى اذن تاخيرهما الى العصر الثاني . وكذلك يقال في ديك الجنّ المتوفَّى سنة ٢٣٥ (ص ٧٥)

(ص ١٠١) كتاب طبقات الشعراء الذي بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ليس هو لابي عبيدة كما ظنَّ وانَّما هو نسخة من كتاب ابن قتيبة الشهير مع بعض اختلافات في الروايات وزيادات شتى

(ص ١٠٢) قد خُدع الكاتب في ما رواهُ عن كتاب الغريب للاصمعي

فانَّ هذا الكتاب ليس هو في مكتبة ڤينَّة وانَّما يوجد فيهـا غريب الحديث لابن الاثير. وللاصمعي غير ما ذكرهُ هناك ككتاب الاضداد تحت الطبع في مطبعتنا. ولهُ كتابان في الابل طبعناهما ليس كتاب واحد كما روى

(ص ١٠٣) امكنهُ ان يزيد على ما بقي من تآليف ابي زيد الانصاري كتاب الهمز الذي سعينا بطبعهِ في الشرق في العام الماضي ثم طبعناه على حدة مع فهارس. وكذلك كتاب اللبأ واللبن قد طبعناه عن نسخة المكتبة الخديويَّة (راجع كتابنا البلغة في شذور اللغة ص ١٤١ — ١٤٥). امَّا كتاب المطر لابي زيد فكان سبقنا الى طبعهِ دون علمنا المستشرق الاميركي غوتْيل (G. H. Gottheil)

(ص ١٠٤) غريب المصنف لابي عُبيد قد نشر منهُ كتاب النعم حضرة الاب بويج اليسوعي في الجزء الثالث من مجموعة مكتبنا الشرقيّ (Mélanges de la Fac. Orientale, t. III, p. 1-144) فطبعهُ طبعاً غاية في الاحكام ١٤٤ صفحة. ثمَّ انَّ امثال ابي عبيد التي طبعها برتو (Bertheau) في غوتنجن لا تحتوي غير قسم منها. وانَّما طُبعت في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ في اوَّل كتاب التحفة البهيَّة

(ص ١٠٦) المفضليَّات لم يطبع منها العلَّامة توربك (H. Thorbecke) في ليبسيك سوى الثلث منها مع شروح قليلة. وكذلك طُبع منها قسم في دار الخلافة العليَّة سنة ١٣٠٨ مع شروح قليلة. ثمَّ طُبعت في مصر. واليوم ساعٍ في نشرها في مطبعتنا على احسن طريقة مع شروح ابن الانباري العلَّامة السر شرل لايال (Sir Ch. Lyall)

(ص ١١٥) انَّ طبعة المستشرق ديرنبورج لكتاب سيبويهِ ليس فيهـا من التعاليق المفيدة غير روايات النسخ المختلفة. امَّا الترجمة الالمانيَّة للدكتور ياهن فانَّها غنيَّة بالتعاليق والشروح المنقولة عن ابي سعيد السيرافي وغيرهِ. وكذلك الطبعة المصريَّة روت تقريرات السيرافي على هامش الكتاب وزيَّنت ذيلهُ بشرح شواهد سيبويه للشارح الشهير يوسف الشنتمري. والطبعات الثلث ينقصها الفهارس الواسعة

(ص ١١٨) لم تنشر بعد كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت كما روى وانَّما طُبع الكتاب في مصر دون اتقان كعادتهم في الطبع. ونسختنا المخطوطة تحتوي

شروح التبريزي ككتاب الالفاظ الـذي سبقنا الى نشره . ولابن السكيت كتاب القلب والابدال طبعهُ جناب الاستاذ اوغست هفنر في كنزهِ اللغوي (في مطبعتنا سنة ١٩٠٣ ص ١ — ٦٥) فنسيَهُ . وكذلك فاتهُ ذكر كتاب الاضـداد لابن السكيت وهو تحت الطبع في مطبعتنا

(ص ١٢٦) في باب الانشاء والمنشئين كان يحسن بهِ ذكر ما نُشر لعبد الحميد ابن يحيى الكاتب وسكت عنهُ في ترجمتهِ وهي اربع رسائل بديعة نشرها الاديب محمَّد افندي كرد علي في المقتبس ثم طبعها على حدة . فتعجبنا كيف نسيها جرجي افندي وهي اولى بالذكر من كثير مما وصفهُ

(ص ١٣١) كذلك سها عن ذكر رسائل ابن المقفع التي طبع منهـا قسماً الاديبان الشيخ طاهر افندي الجزائري ومحمَّد افندي كرد علي ونشراها على حدة مع رسائل عبد الحميد بن يحيى المذكورة . وكان يحسن بهِ ايضاً ان يذكر طبعتنا لكليلة ودمنة وهي منقولة عن اقدم نسخة مؤرخة تمتاز عن كل الطبعات السابقة بمحاسنها ومقدماتها العلميَّة

(ص ١٤٦) من المآثر المنسوبة للواقدي التي فاتهُ نشرها كتاب فتح الجزيرة طبعهُ نيبوهر (Niebuhr) في همبورج سنة ١٨٤٧ وفتوح البهنساء المطبوع في مصر . امَّا كتاب المغازي فكان طبعهُ في كلكتة سنة ١٨٥٦

(ص ١٦١) حماسة البحتري التي نشرناهـا في مطبعتنا مع تذييلات مطوَّلة وفهارس هي منقولة عن نسخة ليدن الفريدة التي أُخذ بعد ذلك رسمها بالفوتغراف وطُبعت على هذه الصورة لافادة العلماء

(ص ١٦٨) طُبع ايضاً للجاحظ مجموعة رسائل وهي احـدى عشرة رسالة نشرتها مطبعة التقدُّم في مصر سنة ١٣٢٤ من جملتهـا رسالة طبقات المغنِّين . وبين هذه الرسائل ما كان طبعهُ سابقاً فقيد الادب المستشرق الهولندي فان فلوتن في ليدن سنة ١٩٠٣ وهي الثلث الآتية : رسالة مناقب الترك ورسـالة فخر السودان على البيضان ورسالة التربيع والتدوير

(ص ١٧١) ادب الكاتب لابن قتيبة طُبع منهُ نُتف فقط في ليبسيك ثم طُبع طبعاً متقناً مع الفهـارس الجميلة في ليدن سنة ١٩٠٠ بسعي الدكتور مكس

غرونرت (Max Grünert) — اما كتاب الشراب والاشربة فطبعهُ اوّلاً احد المستشرقين (ي . د) في مجلة المقتبس (السنة الثانية) . وكذلك كتاب الامامة والسياسة كان سبق الى نشر قسم منهُ في برلين الالمانيان اسمهما بترسون واندرسون سنة ١٨٥٩ — ومما نشرناه نحن في المشرق كتاب لابن قتيبة لم يذكرهُ جرجي افندي اعني كتاب اللبأ واللبن . وقد نُشر على حدةٍ في كتابنا « البلغة في شذور اللغة » مع كتاب الرحل والمنزل لابن قتيبة ايضاً واللبأ واللبن لابي زيد

(ص ١٨٢) كتاب ابن ولّاد المعروف بالمقصور والممدود سبق الى نشرهِ قبل المصريين الدكتور پول برونل (P. Bronnle) فطبعهُ في ليدن سنة ١٩٠٠

(ص ١٨٥) لابي حاتم السجستاني كتاب في الاضداد يطبعهُ الآن في مطبعتنا الدكتور اوغست هفنر مع كتابي اضداد الاصمعي واضداد ابن السكيت السابق ذكرهما . وابو حاتم هو ايضاً الراوي لكتاب الشجر والنبات للاصمعي

(ص ١٨٨) قد فات المؤلف في ذكرهِ لمقصورة ابن دريد طبعة الجوائب في الاستانة سنة ١٣٠٠ مع شرح مطوّل عليها وطُبعت ايضاً في طهران مشروحة سنة ١٨٥٩

(ص ١٨٩) كتاب الالفاظ الكتابيّة الذي عُنينا بطبعهِ سنة ١٨٨٥ طبعهُ بعد ذلك السيد نعمان الالوسي في القسطنطينيّة سنة ١٣٠٢ غفلاً من الشكل وقد دعاه بالغلط « كتاب الفاظ الاشباه والنظائر » ونسبه سهواً لعبد الرحمان الانباري . والصواب انهُ لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني بدليل الطبعة القسطنطينيّة نفسها في عنوان مقدّمتها (ص ٤)

(ص ١٩٩) كتاب البدء والتاريخ ليس هو لابن زيد البلخي فانَّ الاستاذ هوار (Mr Huart) بعد طبعهِ للجزئين الاوّلين منهُ تحقّق انَّ الكتاب نُسب زوراً لابي زيد وانَّهُ تأليف المطهّر بن طاهر المقدسي الذي عاش بعد ابي زيد البلخيّ بنحو خمسين سنة . وقد نبّه المسيو هوار على ذلك في مقدّمة الجزء الثالث

(٢٠٠ ص) انَّ تاريخ سعيد بن بطريق الذي ذكرهُ هناك قد جدّدنا طبعهُ قبل ستّ سنوات عن نسخة خطيّة في مكتبتنا الشرقيّة . وأضفنا اليهِ بمساعدة الاديب حبيب افندي الزيّات والمستشرق كلرا دي ڤو تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي الذي ذيّل بهِ تاريخ ابن بطريق

وهنا كان يجدر بهِ ان يذكر تاريخاً آخر نصرانياً مهماً لاحد معاصري ابن بطريق الجزنا طبعهُ في مطبعتنا وهو كتاب العنوان لاغابيوس (محبوب) بن قسطنطين الرومي المنبجي وكان طبع منهُ قبلنا قسماً احد المستشرقين الروسيين في باريس

(ص ٢٠٤) ابن الحائك صاحب وصف جزيرة العرب وكتاب الاكليل لهُ ترجمة مطوَّلة في كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسي الذي نشرناه آخراً (ص ٥٨ — ٥٩)

(ص ٢٢٢) إسنادهُ نهضة العصر العباسي الثالث الى « ناموس النشوء والارتقاء » ليس بثابت كضعف ذلك الناموس الكاذب. وقد ناقض الكاتب نفسهُ بما نقلهُ سابقاً في تقهقر الكتابة وانحطاط الآداب عن ابن قتيبة (ص ١٧٨) . فلو صحَّ ناموس النشوء لما حصل ذلك التأخر كما حصل ثانيةً بعد العصر الثالث مدَّة اجيال عديدة الى عصرنا والناموس الصحيح هو قول النبيّ : ليس شيء ثابت على الارض

(ص ٢٤٨) امكنهُ ان يزيد في ذكرهِ لديوان المتنبي انَّ شرح العكبري أعيد طبعهُ سنة ١٣٠٨ في مصر وعلى هامشهِ كتاب الصبح المنبي عن حيثيَّة المتنبي للشيخ يوسف البديعي — وكذلك نقل ديوان المتنبي برمَّتهِ الى الالمانيَّة وقد نظمهُ شعراً الوجيه البارون يوسف ڤون هامر وطبعهُ في ڤينة سنة ١٨٢٤ . كما طبعت مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ رسالة الحاتمي في موافقة شعر المتنبي لكلام ارسطاطاليس

(ص ٢٥١) كتاب ادب النديم لكشاجم كان طبعهُ في مصر سنة ١٢٩٨

(ص ٢٥٨) ديوان السيد الشريف الملقب بالرضيّ الموسويّ بعد طبعتهِ الهنديَّة طُبع في بيروت في المطبعة الادبيَّة في جزئين وقد نقحهُ وعلَّق عليهِ شروحاً الشيخ احمد عبَّاس الازهريّ

(ص ٢٥٩) وكذلك سهما الكاتب عن ذكر ما طُبع في بيروت من ديوان مهيار الديلمي اي الجزء الاوَّل منهُ سنة ١٣١٤ في المطبعة الانسيَّة

(ص ٢٦٣) لابي العلاء المعرّي رسالة التذكرة التي نشرها المسيو كولن (G. Colin) فوصفناها في المشرق (ص ٢٣٦) . واذ روى هناك ما قُرف بهِ ابو العلاء المعرّي من قلَّة الدين كان يمكنهُ ان يشير الى مقالتنا في المشرق (٤ : ١٠٦٨) التي عنوانها « تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء »

(ص ٢٧٦) تعجبنا من قول الكاتب انَّ مقامات بديع الزمان « مشروحة في بيروت شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده » وكل من لهُ معرفة بالكتاب يقرّ بان الشرح مستوف يدلُّ على براعة الشارح. وزاد اندهاشنا لقولهِ « وهو غير عبد الرحمن الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابيَّة » فخاف ان لا يميز القرّاء بين فقيد الآداب الشيخ محمّد عبده وعبد الرحمان الهمذاني وبينهما مدَّة نحو الف سنة. وان قال انهُ اراد بديع الزمان الهمذاني قلنا انَّ الفرق بينهما اظهر من الشمس ولا يتفقان في شيء الّا كونهما من همذان فما الحاجة الى هـذا الملحوظ المشتبه. ومما كان يحقّ لهُ ذكرهُ انَّ رسائل بديع الزمـان طُبعت في مطبعتنا مشروحة شرحاً مطوَّلاً بقلم الشيخ ابراهيم الاحدب. وكذلك فاتهُ ذكر المقامات المطبوعة في الهند سنة ١٢٩٦ مع شرح خفيف على الهامش

(ص ٢٨٢) من غريب ما روى صديقنا عن طبعة الاغاني لابي الفرج الاصفهاني قولهُ « وقد طُبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءاً سنة ١٢٨٥ ثمَّ عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربَّا فطبعوهُ في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءاً ». فزاد في خارطة اوربَّة مدينة جديدة لم تُعرف والصحيح انَّ العلَّامة الشهير والاثري الكبير « رودلف برونو » (R. E. Brünnow) هو المهتمّ بنشر الكتاب نقـلاً عن عدَّة نسخ مخطوطة من الاغاني — وقد نسي جرجي افندي كتاباً آخر عظيم الشأن لابي الفرج طُبع في طهران سنة ١٣٠٧ وهو كتاب مقاتل الطالبيين واخبارهم وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة وجدناها في الهند وهو عزيز الوجود

(ص ٢٨٤ — ٢٨٧) في مرويَّاتهِ عن ابي منصور الثعالبي فاتهُ ذكر طبع الشيخ رشيد الدحداح لفقه اللغة اوَّلاً في باريس سنة ١٨٦١. وفي آخر طبعة مصر كتاب سرّ العربيَّة للثعالبي اغفل ايضاً ذكرهُ — وكتاب الاعجاز والايجاز طُبع في مصر ليس في بيروت سنة ١٨٩٧ مع شروح شتى لاسكندر افندي آصاف — كتاب خاصّ الخاصّ سبق طبعهُ في تونس سنة ١٢٩٣ وكان اوَّل طبع كتاب نثر النظم وحلّ العقد في دمشق سنة ١٣٠٠ — وكتاب مكارم الاخلاق طبعناه في المشرق (ج ٣ ص ٢٨) كذلك اقتصر في ذكر « غرر ملوك الفرس » وهو من اجلّ الكتب واتقنها ولم يُشر الى ترجمتهِ الفرنسويَّة للعلَّامة زوتنبرج سنة ١٩٠٠ — كتاب الثعالبي غار

القلوب في المضاف والمنسوب صفحاتهُ ٥٥٩ ليس ٦٠٠ وقد بخس حقهُ متولي طبعهِ بنشرهِ دون فهارس ولا ضبط — كتاب الكناية والتعريض طبع في مصر سنة ١٣٢٦ في مطبعة السعادة — كتاب من غاب عنهُ المطرب طبعهُ على حدة في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٩ الاديب محمَّد اللبابيدي — كتاب النهاية في الكناية هو غير كتابهِ النهاية في التعريض والكناية المطبوع في مكة سنة ١٣٠١ — وقد طُبع ايضاً تحت نظر محمَّد افندي صادق عنبر في مصر في مطبعة الجمهور سنة ١٣٢٤ كتاب الثعالبي احسن ما سُمع — ونسي من مطبوعات الثعالبي كتاب مؤنس الوحيد في المحاضرات طُبع سنة ١٨٢٩ في ڤينة مع ترجمة المانيَّة . ثمَّ كتاب الامثال المسمَّى بالفرائد والقلائد الذي طُبع في مصر بمطبعة دار الكتب العربيـة سنة ١٣٢٧ . وطُبع قبلهُ في مطبعة الترقي كتاب مرآت (كذا) المروءات سنة ١٨٩٨

(ص ٢٨٩) كتاب العمدة لابن رشيق طبع نصفها الاول في تونس قبل الطبعة المصريَّة بزمان — امَّا كتاب زهر الاداب للحصري فقد طُبع على هامش العقد الفريد لابن عبد ربهِ في مصر مرَّتين

(ص ٢٩١) في باب الروايات لم يذكر بعض الروايات العربيَّـة القديمة كقصة حيقار الحكيم (فليراجع ملحق حضرة الاب صالحاني على طبعتهِ الف ليلة وليلة) . وللاستاذ مرتين هرتمان بحث حسن في كثير من هذه الروايات العربية

(ص ٣٠١) كتاب الشجر لابن خالويهِ طبعهُ في برلين الدكتور صموئيل ناغلبرغ (S. Nagelberg) سنة ١٩٠٩ — امَّا كتاب «ليس» فطُبع في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ بتصحيح وضبط الشيخ احمد الشنقيطي

(ص ٣٠٣) كتاب ابن جني الذي طبعهُ في ليبسيك وترجمهُ الى اللاتينيَّـة الدكتور هوبرج اسمهُ « مختصر التصريف الملوكي » ليس «التعريف»

(ص ٣٠٩) كتاب الاتباع والمزاوجة لابن فارس نشرهُ نشراً جميلاً العلَّامة رودلف بروتو (غير المدينة !) وطبعهُ في غيتن سنة ١٩٠٦ وعلَّق عليهِ الملحوظات المديدة وختمهُ بالفهارس المفيدة

(ص ٣١٥) كتاب التنبيه والاشراف للمسعوديّ الذي طُبع في ليدن نقلهُ الى الفرنسويَّة العلَّامة كارا دي ڤو (Carra de Vaux) وذيَّلهُ بالحواشي وختمهُ

بالفهارس المتقنة — امّا تاريخ حمزة الاصفهاني فطُبع ايضاً في كلكتة سنة ١٨٦٦

(ص ٣١٨) يُضاف الى تآليف ابن مسكويه رسالة في دفع الخوف من الموت المنسوبة الى ابن سينا والاصحّ انها لابن مسكويه وقد نشرناها في المشرق سنة ١٩٠٨

(ص ٣١٩) انّ كتابَي ابي عمر الكندي تاريخ مصر وولاتها وتاريخ القضاة الذين تولّوا قضاء مصر قد نجز طبعهما في مطبعتنا قبل شهرين بهمّة المستشرق رفن گست (R. Guest) مع حواشٍ واسعة وفهارس على حساب لجنة تذكار جيب (Gibb)

(ص ٣٢٠) تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطيّة القرطبي نُشر اوّلاً في مجريط (مدريد) سنة ١٨٦٨

(ص ٣٢٣) تاريخ الوزراء لهلال الصابي المطبوع في مطبعتنا بهمّة العلّامة امدروز يحتوي ايضاً الجزء الثامن من تاريخ آخر موسّع لهلال في ١١٨ صفحة. امّا ترجمتا القضاعي وابي بكر الخطابي (ص ٣٢٤) فكان حقّهما ان يُؤخّرا الى الجزء الثالث وكلاهما توفي بعد السنة ٤٤٧ التي جعلها حدّاً للطور العبّاسي الثالث

(ص ٣٣٧) كتاب الشفاء لابن سينا طُبع طبعة سيئة على الحجر في طهران في مجلّدين سنة ١٣٠٣ — كتاب الاشارات طُبع جزؤهُ الاوّل في ليدن سنة ١٨٩٢ بعناية الاب فورجه (J. Forget) — كتاب النجاة ما هو الّا مختصر الشفاء فليس لهُ ثلاثة مجلدات كما ظنّ وهو كلهُ في آخر قانون ابن سينا المطبوع في رومية سنة ١٥٩١ ولا يتجاوز ٨٥ صفحة — وقد طبع العلّامة مهرن (Mehren) عدّة رسائل لابن سينا ونقلها الى الافرنسيّة وكذلك نشر حضرة الاب معلوف في المشرق رسالتهُ البديعة في السياسة

هذا ما سمح لنا الوقت بتسطيرهِ على جناح السرعة وفي تاريخ اداب اللغة العربية اشياء اخرى كثيرة تستدعي النظر والانتقاد لعلّنا نعود اليها عند سنوح الفرصة. وكفى بما سبق دليلاً على رغبتنا في تحسين هذا الكتاب فيفوق على سواه بغنى موادّه ودقّة تحقيقاتهِ

استعمال المُنفّطات في الطبّ

بقلم الدكتور كامل افندي سليمان الحوري

سبحان الله كأنّ اتّباع الزيّ امر ملازم للمرء في كافّة شؤونهِ حتى في تعاليمهِ الفلسفيّة والطبيّة. فمن راجع تاريخ الطبّ يرَ جليًّا ما كان للفصد من الاهمّية قبل نصف قرن او اكثر فكم عقب ذلك ردّ فعل مدهش بالانكفاف عن اخذ الدم باي صورة كانت حتى صار من يجرأ على ذكر الفصد من الاطبّاء يعرض نفسهُ للهزء والسخريّة إلى ان آب الأساة منذ بضع عشرة سنة الى الالتجاء الى الفصد في حين اللزوم. وقد كنتُ انشأت مقالًا في هذا المعنى نشرتهُ مجلّة الطبيب الأغرّ في عددين تحت عنوان « معالجة الامس ومداواة اليوم »

وما اعترى الفصد سابقاً من الهجران قد نزل ايضاً باستعمال المنفّطات اذ أعرض السواد الاعظم من الأساة عن استعمالها

وقد كنتُ انا كاتب هذه السطور من جملة من تبع « الموضة » في الاعراض عن المنفطات مدّة من الزمن. بيد ان اعراضي هذا لم يستمرّ طويلًا — ولحسن الحظّ — اذ ما عتمتُ ان شعرتُ بغلطي في حرمان مرضاي من هذه الواسطة الجليلة الفائدة وذلك انني عرضت يوماً على شاب مصاب بالجُناب الحادّ عمليّة بطّ الصدر فاعترضتني امّهُ وابيًا اعتراض لانّ مجرّد سماع العمليّة هالها. ورغماً عن كل ما بذلتهُ من البراهين لاقناعها بوجوب البطّ لم انجح وتوسّلتْ اليّ ان اداوي ولدها بطريقة اخرى اقرب مأخذًا. فرأيتني اذ ذاك مضطرًّا لمجاراتها نظرًا لإلحاحها وتوسّلها. واعتمدتُ في معالجتي اياهُ على تكرار وضع المنفّطات على خاصرتهِ الى حد عشرين مرة ونجحت في مداواتهِ

واتذكر ايضاً انني داويت امرأة وصيّة كانتا في الدرجة الثانية من التدرّن بوضع ثماني عشرة حرّاقة للأولى وست عشرة للثانية وقد مضى على ابلالهما كلتيهما من دائها بضع عشرة سنة وهما بغاية الصحّة الآن. والصبية منهما تزوجت بعد شفائها بسنة وهي لا تزال تتمتعُ بكمال الصحة وتمام العافية. نعم انهُ لا يسوغ ان اعزو

كلّ ما حزتهُ من النجاح في هاتين الحادثتين الى استعمال المنفطات وحدها . بل انني اشرتُ الى المريضتين استعمال الادوية المرممة والمضادّة لباشلس الدرني وشرب زيت كبد الحوت حتى ان المرأة منها شربت في اثناء المعالجة لا اقلّ من عشرة ليترات من هذا الجوهر المغذي

واليك الآن ما ذكرهُ لي احد الاطبّاء عن نفسه وكلامهُ يؤيد رأيي السابق قال :

« قد كان اساتذتنا اشربونا بُغض المنفطات وايّما بغض حتى قال احدهم عن اعتقادٍ ثابت : «انّ استعمالها يُعدّ ليس فقط غلطاً بل جرماً وجناية» ! . . . قال الراوي : ثم قضت الظروف بان اختبر فائدة التنفيط على نفسي شخصياً وذلك انهُ اعتراني الم شديد في القفص الصدري . وبينما كنت تحت سلطة نوبة سعال اشتدّت وطأة الألم عليّ بهذا المقدار حتى اصبح التنفس متعذرًا عليّ وكانت جهة صدري اليسرى تقف بلا حركة مدة ساعات متوالية ثم يتناقص هذا العارض ويعود في اليوم التالي او الذي يليه على اثر نوبة سعال او تحريك الذراع فقط

قال : وكنت قد استعملت على غير جدوى النُقَط النارية والخردليات والمورفين بيد انّ الالم لم يسكن إلّا عندما وضعت بوقت واحد ثلاث منفطات مختلفة الاتساع : واحدة بعشرة سنتات طولًا وعشرة عرضاً . وثانية بثمانية على ثمانية . وثالثة خمسة على خمسة

ثمّ اردف كلامهُ قائلًا : وبعد ذلك وصفتُ مئات من المنفطات ولم اشاهد قط حصول التهاب الكليتين الذرّاحي . انّما كان يحصل للبعض احياناً التهاب خفيف في المثانة . وكان هذا العرض يزول حالًا باستعمال لبخة من الكرّاث (الركل) » اه تلخيصاً

وها أنا ذا انقل للقارئ ما قالهُ طبيب آخر : قد شاهدتُ حوادث جُناب عديدة وداويتُها كلّها باستعمال الحرّاقات وكلها شفيت . وانا على يقين تامّ بان الالتجاء الى استعمال الحراقات قد انقذ عددًا ليس بالقليل من الذين كادوا ان يُحسَبوا في عدد الموتى . وبعكس ذلك يمكنني ان اذكر عدة حوادث موت عقبت استعمال البطّ الصدري واني اذكر حادثة جُناب مزدوج عولجت باربع عشرة حراقة ونالت شفاء مدهشاً . وحادثة ثانية اقتضى التخلّص منها اثنتي عشرة حراقة . فما يخشى حصولهُ من

استعمال الحراقات هو التهاب الكليتين. اذن دائماً قبل ان تصف لمريضك حراقة افحص بولهُ. واذا ما تحققت سلامة الكلى جاز لك استعمال الحراقة بلا محذور. فقد ذكروا من جملة المؤثرات في احداث التهاب الكليتين الذُراحي ما يأتي: اولاً ان توضع الحراقة اسفل مما يجب او تتساقط من جراء ارتخاء الرباط. ثانياً الافراط في استعمال الحراقات. على ان الطبيب يعلم وَشك حصول التهاب الكليتين الذُراحي من حصول الم خفيف واذ ذاك فيجب الاسراع باعطاء المريض ماء قِلي المعدني وجُرَع من ثاني كربونات الصودا يُزاد مقدارها تدريجاً. فعلى الطبيب اذن اذا امر بوضع حراقة ان يراقب الألم الكلوي وحالة البول

وعند ما يشاهد الطبيب ارتشاحاً بلورياً بطيء التحلل ويخشى منهُ ان يسبب التحامات في الرئة يحسن صنعاً باستعمال المنفطات

ويكفي ان يستفيد المرء من الحراقة زوال الم الخاصرة المتمدد الذي يحرم العليل الوسن فيصبح جسمهُ بعد هذه الراحة قادراً على مكافحة الداء المهدد حياتهُ

هذا وقد ثبت اليوم فعل المنفطات المفيد في كل الاحوال الاحتقانيَّة وفي حوادث ذات الرئة الشُعَبيَّة وفي بدء التدرُّن اذ ان افراز المُصالة التي تسببها يكون مساعداً على ازالة الاحتقان بعكس غير وسائط مثل التحويل او التصريف الجافّ بالنقط النارية الطيَّارة واليود والخردليات. فانَّ هذه الأخيرة كثيراً ما تكون سبباً في زيادة الاحتقان بدلاً من ان تكون وسيلة ازالتهِ وانقاصهِ. وقد اخبر الاستاذ الشهير الدكتور «كرانشه» (Dr Grancher) انهُ عالج بالحراريق متدرناً في القمة في بدء الدرجة الثانية فوضع على صدر ذلك الشخص اثنتين وثلاثين حراقة في مدة سنة وحصل الشفاء بعد ذلك

وقد جاء في جريدة «بوردو الطبية» بقلم الدكتور «داڤيزاك» (Dr Dave-zac): «انا اعتقد انَّ التنفيط بالحراريق كليّ الفائدة في الآلام الناشئة عن التهاب الرئة والبلورا. ويؤثر استعمالها على كل انواع المصرّفات بشرط ان يكون ثمَّ داعٍ يستدعي استعمالها. وينبغي رفع المنفطة نصف ساعة بعد ظهور الحرق ثم يصير بزل الفقاعات ووضع لبخة محلها مع كل وسائل التطهير ثم يوضع زيت او «فازه لين» مكوفر (vaseline camphrée)»

وافاد الدكتور « ميشيلو » وهو من المتحزبين ايضاً لاستعمال المنفطات انهُ اتفق لهُ المشاهدة الآتية قال:

« كنتُ قد عقدتُ العزم في حادثة انسكاب بلوري على اجراء عملية البطّ الصدري ثاني يوم. فاتفق ان اهل المريض وضعوا لهُ منفطة ومن غريب التوفيق ان الانصباب تناقص بهذا المقدار وبكذا سرعة حتى لم يبق الغد من لزوم لاجراء عمليَّة البطّ ! . . »

وقال الدكتور « فريكي » في جريدة « بوردو الطبيَّـة »: ان اكثر الاطبّاء الشبّان وطلبة الطبّ يضحكون بهزء عند مـا يسمعون من يتكلم عن المنفطات. وقد فاتهمْ انَّ للتصريف بالحراريق فوائد كليَّة جليلة عند مـا يبطئ الانسكاب البلوري بالتحلل اذ انها (اي الحراريق) تعاون كثيراً على ازالة السائل وتستدرك حصول الالتصاقات. قال: ولا شيء انجع من منفطة لإزالة وجع الخاصرة المتمنّد. فان وضع ذبابات ميلان (١ الصغيرة على صدور الاطفال المصابين بذات الرئة الشعبيَّة توليهم فوائد جزيلة. فلو فرض وجود بؤرتي التهاب متناسبتي المركز وصار وضع نقّاطة (ذبانة) ميلان على محاذاة احداهما لزالت بعـد يومين او ثلاثة بينا ان البؤرة الثانية تلبث في ملء دورانها

وتأثير المنفطات كلي النفع لتهدئة الدُفع الاحتقانيَّة المرتكزة في البلورا عند المتدرنين او القوبائيين: كالآلام المستقرة في محـل واحد والاحتكاك والخراخر. والزفير النفخي الخفيف. وقد سبقنا فذكرنا حادثة الشفاء التي توفق اليهـا الاستاذ « كرانشه » بوضع اثنتين وثلاثين منفطة على قمة رئة متدرنٍ في بحر سنة كاملة

هذا وانَّ كثيراً من الامراض العصبيَّة بين الاضلاع التي تستعصي على المورفين تذعن للحراريق سواء صار استعمال المورفين معها ام لا. كما انهُ في كثير من الآفات تحت الحادة المستقرة على الاغشية المصليَّة يُجتنى كبير فائدة من المنفطات: كمثـل

١) لصقة مؤلفة من: زفت. وراتينج. وشمع اصفر. وشحم وسحوق الذرّاح من كل ٦٠ وتربنتينا ١٥. وعطر اللاوندا وعطر الصعتر واحد من كل. وهـذه اللصقة هي الطف فعلاً من المنفطات الذراحية الاعتياديَّة وأكثر ما تستعمل للأطفال

الالتهابات المفصليَّة التي يطول امرها والتهاب المفاصل الدرني والتهاب ما حول البوق الخ

ولمعترض ان المنفطات تضني الجسم. ألا فليعلم المعترض ان فصل الحرّاقة اقل ازعاجاً للعليل بكثير من وخز الخاصرة واذا خيف من اصداد محلّ المنفطة فيُعمَد الى غسل الجلد بالصابون والكحول ثمَّ يُضمد المحلّ المنفط بقطعة قماش نظيفة معقمة او بورق « يوسف » نظيف

واذا أوجسَ الطبيب خيفةً من حصول عوارض ذُرّاحيَّة فيكتفي بان تكون المنفطة صغيرة وتكوَّر مراراً. ويجب رفعها بعد وضعها بخمس او ست ساعات ويوضع موضعها لبخة سخنة مركبة من ارز قد طُبخ في ماء الحامض البوريكي. فهذه اللبخة تعجل حصول القشّاعة. وهكذا يُوفَّر على البدن امتصاص قسم من المادَّة الذراحيَّة التي يخشى من تأثيرها على سلامة الكليتين

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

كان في فكرنا لو سمح لنا الوقت ان نتجوَّل في الانحاء المجاورة لماردين لنبحث عن الآثار الكتابيَّة المفقودة لاسيما في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة مع ما كانت عليه تلك البلاد من الرقي والعمران على عهد الرومان كما يشهد عليه تاريخ نصيبين حاضرة ما بين النهرين وحصنها الحصين التي طالما تنازع في امتلاكها الرومان والفرس وتاريخ دارا التي رمَّمها وحصَّنها الملك انستاس فعُرفت باسمه (Anastasiopolis) وآثارها الجليلة الباقية تشبه آثار تدمر وبعلبك. الَّا انَّ الزمان كان قصيراً وفي نيتنا ان نعود الى بيروت قبل اشتداد الشتاء

فعدلنا عن نصيبين ودارا لنرحل الى ديار بكر وهي مركز الولاية واحدى امهات مدن الدولة العلية مؤملين بانَّنا نجد فيها ما لا نجدهُ في غيرها من المخطوطات

فيوم الاثنين الواقع في ٢١ تشرين الاوّل قمنا باكرًا وبعد تقدمة الذبيحة الطاهرة سرنا مع قفل صغير في وجهة ديار بكر. وهذه المدينة موقعها شمالي غربي ماردين على ٧٣ كيلومترًا منها والطريق تقطعها اليوم عرَبات قليلة لكنها لم تصلح لذلك وقت سفرنا. وهي تمرّ بين حدائق وغابات. ثم تتوغل في رُبى وآكام الى ان تنحدر في السهول المجاورة لدجلة حيث بُنيت ديار بكر على ضفّة ذلك النهر الجليل احد الانهر الاربعة المذكورة في وصف جنّة عدن في سفر التكوين

وكان النهار معتدل الحرارة واديم السماء صافياً والهواء عليلًا فسرنا نحو ساعتين حتى قربنا من عين شيخان في بطحاء هناك ذات مياه واشجار واذا باصوات تتناوب وراءنا وبقوم يصرخون الينا أن: قفوا في مكانكم

فالتفتنا فابصرنا شرذمة من الجند في عدد عشرة او خمسة عشر معهم بعض ضباط وهم يسرعون الينا. فلمّا رأيناهم وقفنا عن المسير ننتظرهم لنعلم ماذا يريدون منّا واخذت انا كتاب صلاتي متنحّياً عن القفل ببعض الخطوات

ونحن لكذلك اذ سبق الجندَ احدُ رفقتهم كان بينهم كالدليل لابساً لبس الشرط فادركنا واذ رآني معتزلًا عن الآخرين اقترب منّي ليرصدني. فسألني عمّا وسألتهُ: ماذا تريد مني ؟ قال: اريد تفتيشك. قلت: دعني الآن اصلي صلاتي حتى يأتي رفقتك فننظر في مرادكم

فكأنّ كلامي هذا امضهُ فاخذ يدمدم ويزمجر ولعلّ الامر كان تفاقم بيننا لولا انّ الجند والضباط كانوا اقتربوا منّا فاسكتوا غضبهُ

ثم تقدّم احد الضبّاط وامرنا بان نُنزل احمالنا. فسألتهُ: ما معنى هذا الخروج وراءنا أنحن لصوص فارّون من الدولة وقد قضينا في ماردين خمسة عشر يوماً نتردّد على رؤساء الطوائف النصرانيّة وادباء المسلمين وعمّال الحكومة فلم يتعرّض لنا احد فلو طلبنا المتصرف لما تأخّرنا عن اجابتهِ

فكان جواب الضابط على كلامي انّهم مأمورون وعلى المأمور ان يقوم بما أُمر بهِ. فقلنا: ان كان الامر كذلك فلا بأس

وكان اوّل ما طلبوهُ منّا تذاكرنا فقدّمناها لهم وهي بمضاة بختم ولاية بيروت

فاحتفظوها ثم جعلوا يفتشون كل خروجنا واوعيتنا واذ رأى الجند زاد طريقنا اخذوا يقتسمونهُ بينهم كأنهُ غنيمة باردة.

ولمَّا انتهوا من تفتيش اثقالنا ارادوا تفتيشنا رغماً عن احتجاجنا على عملهم. فعاد اليَّ ذاك الشرطي الذي زجرتهُ فهمَّ ان يجسَّ ثيابي واطراف جسمي بنوع لا يليق فدعوت الضابط الاكبر وقلت لهُ: اني لا ارضى مطلقاً بان يمسَّني هذا الخبيث

فلمَّا سمع المفتش كلامي تنمَّر غيظاً ومدَّ شمالهُ الى لحيتي ورفع يمينهُ ليضربني فاسرع منصور احد اخوتي الذي كان مرافقاً لنا في سفرنا ليمسكهُ. امَّا انا فالتفتُّ الى الجمع قائلاً: كلكم شهود على هذا الانسان وتطاولهِ عليَّ فاذا وصلنا الى ديار بكر رفعت دعواي عليهِ الى سعادة قنصل فرنسة

فلمَّا سمع الضابط اسم قنصل فرنسة ردَّ عني الشرطيَّ واخذ يراضيني بقولهِ: انكم لستم بجريم حتى تنفروا من التفتيش. فاجبتهُ انَّنا رهبان واكرم من جريم فان ارادوا ان يفتشونا اريناهم كل ما في جيوبنا دون ان يمسونا بايديهم

وفي اثناء ذلك حاول واحد آخر ان يجسَّ رفيقي حضرة الاب يوسف شلفون فلم ينتظرهُ بل كشف لهُ صدرهِ قائلاً: فتش هنا لعلَّك تلقى اشياء خفيَّة. فضحك وارتدَّ عنهُ

وبعد ان فحصوا اوراقنا وكتبنا واخذوا منها ما راق لهم ومن جملتها كتاب صلاتي وغير ذلك سألونا عن اصلنا ومقامنا. واذ اعلمهم حضرة رفيقي انهُ ماروني الجنس ظنوهُ ارمنياً فانكر بتاتاً. ففهمنا من سؤالهم انهم اعتبرونا كجواسيس الارمن وانَّنا متنكرون تحت زيّ الاجانب

والحقّ يقال انَّنا لم نكن نعرف وقتئذٍ ما كان جارياً في اطراف الدولة من النهضة على الارمن وما كان السلطان عبد الحميد وانصارهُ يعدُّونهُ من المذابح والمجازر لطمس آثار العنصر الارمني. وانَّما انكشف لنا السرّ بعد ذلك بثلثة اشهر عند عودتنا الى بيروت

فعقيب هذا التفتيش غادرنا الجند فساروا الى جهة ديار بكر قبلنا كأنَّهم يريدون ان يفيدوا الوالي عن نتيجة مأموريتهم. وكان الوالي اذ ذاك انيس باشا من ألدّ اعداء النصارى واحد خواصّ الدولة الحميديَّة وكان اهل ماردين رأوا من آثار جورهِ

مدة متصرفيته ما جعلهم يسترحمون الدولة ويطلبون تغييره . ومن مظالمه انه كان دس بعض اصحابه ليحرقوا اسواق النصارى فخسروا من جرّاء ذلك ما ينيف على ٢٥,٠٠٠ ليرة . واضطرهم بعد ذلك الى ان يوقعوا تقريراً يعلنون فيه انّ الحريق حصل على طريق الصدفة . فكان جواب الدولة لدعوة المظلومين انها رقّت المتصرف الى منصب الولاية فزاد شره وعمّ كل سناجق ولاية ديار بكر

فلمّا رأى ارمن ديار بكر اعماله وعلموا بانه استدعى رؤساء الدين والزمهم بان يُمضوا معروضاً للدولة يتشكرون فيه من حسن معاملته لهم اقفلوا حوانيتهم واخذوا يتحصنون في بيوتهم ليردّوا غارات من يناوئهم . فوقف دولاب الاعمال وخاف الوالي من ان يكتب ممثلو الدول في حقه فاخذ يطيّب قلوب اعيان النصارى ويعدهم خيراً اذا اقنعوا اهل دينهم بمواصلة اشغالهم كألوف عادتهم . فاجاب الاعيان الى طلبه وعادت بسببهم المياه الى مجاريها . وكان ذلك جرى عشرة أيام قبل سفرنا الى ديار بكر

امّا نحن فاستأنفنا السير في طريقنا بينما كنّا نتذاكر ما جرى لنا ولا نعلم ماذا حدا بعمّال الدولة الى هذه المعاملة الغريبة مع وجود التذاكر في ايدينا وسهولة الوقوف على امرنا من المراجع الرسميّة في بيروت . وكنّا مع ذلك في غاية الاطمئنان ننسب ما وقع في حقنا الى سوء تفاهم . ومشينا بقيّة يومنا دون شيء يكدّر خاطرنا

وبعد ان قضينا الليل في خان موقعهُ في منتصف الطريق سرنا قبل فجر اليوم التالي بين آكام متوسطة الارتفاع ثمّ تحدّرنا الى سهول واسعة قفراء حتى اشرفنا على دجلة فلاح لنا ذلك النهر العظيم الذي يخرج في وسط صخور مرتفعة يزيد علوّها عن ١١٠٠ متر على مسافة ١١٥ كيلومتراً شمالي غربي ديار بكر فينحدر كالسيول بقوّة شديدة وتنصبّ فيه سواعد عديدة حتى اذا بلغ ديار بكر اصبح نهراً زاخراً يصعب قطعهُ الّا في وقت الصيف

واهل ديار بكر يستمدّون من مياهه حاجتهم لسقي اراضيهم فتخصب بها اي خصب فترى حدائق المدينة تأتي بضروب الاثمار العجيبة المنظر الشهيّة الذوق . منها البطيخ (ويدعونهُ الزبش وهو الجبس) الذي يبلغ ثقلهُ من ٤٥ الى ٥٠ كيلو والبطيخ الاصفر البالغ من ٢٥ الى ٣٠ كيلو ولكليهما الذّ طعم . وقس عليهما بقيّة

اصناف الفواكه فانها تفوق كثيراً على فواكه بلاد الشام الّا اثمار الجهات الجنوبيّة كالليمون والتمر فانها لا تثمر هناك

وهم يزرعون ايضاً كميّات وافرة من التوت ويربّون دود الحرير ولهم الكروم الواسعة واصناف من العنب الطيب يصطنعون منهُ خمراً قليلاً لعدم رواج الخمر وعرقاً طيباً . وكذلك تبنُهم غاية في الجودة

امّا غلّاتهم من قمح وشعير وذرة فكأنها متوفرة لكنهم يكتفون منها بحاجاتهم لصعوبة نقلها وكُلَف ترويجها في الخارج . واذا مرّت عندهم السكّة الحديديّة البغداديّة فأمامهم ان تنتعش الهمم ويحيا الوات لاسيما اذا حصل لهم بعض الامان من قبائل العرب وشذّاذ الآكاد

قطعنا دجلة على دوابّنا قبل الظهر بقليل . واذا مدينة ديار بكر بازائنا تُشرف على النهر بنحو مئتي متر فوق تلّ تزينهُ الكروم . لكنّ المكارين اذ علموا انّ الحكومة تضبط الدوابّ لخدمة عسكرها على سبيل السُخرة لم يشاءوا ان يدخلوا البلد فساروا بنا الى قرية في غربي ديار بكر تُدعى علي بوار على مسافة ثلاثة كيلومترات منها فنزلوا هناك ينتظروننا الى صباح السبت ريثما نتمّ شغلنا فنعود معهم الى ماردين فتركنا حوائجنا في علي بوار تحت حفظ اخي منصور وسرنا الى المدينة ماشين

فما لبثنا ان بلغنا اسوارها المحدقة بها وطولها سبعة كيلومترات وهي اسوار عاديّة مبنيّة بالحجارة البركانيّة الضخمة السوداء يرقى البعض بناءها الى عهد الرومان بل الى عهد الفرس ويكاد علوّها يبلغ ٣٠ متراً ولهذا السور ٧٢ برجاً يدعمهُ . ووراءهُ سور آخر دونهُ يحمي المدينة مع قلعة حريزة في داخلها على انّ الخراب قد استولى على قسم من تلك المحصنات بتوالي الزمان وتقاضي الحكام

وكان دخولنا المدينة من بابها الغربي فلم يتعرّض لنا احد . ثمّ علمنا انّ الوالي كان امر الشرطة بان يوقفونا عند الباب الجنوبي حيث كانوا لنا بالمرصاد . فوقع الامر على خلاف انتظارهم بسبب السخرة كما رأيت . وسرنا نحن الى دير الآباء الكبوشيين فاستقبلنا بالترحاب والحفاوة حضرة رئيسهم الجليل الاب يوحنّا الذي كنّا اجتمعنا بهِ سابقاً ورأينا الكثير من فضلهِ .

وبعد ان تبادلنا عبارات الوداد اخبرنا الآباء المرسلين مـا جرى لنا في الطريق وكيف اوقفونا على غير داعٍ واخذوا بعض اوراقنـا بل تهدّدونا بالاهانة. فما سمع حضرة الرئيس هذا الخبر حتى قام من وقته واخذنا الى دار قنصل فرنسة لنبلّغهُ تفاصيل هذا الحادث. وكان القنصل اذ ذاك المسيو ميريه (Mr Meyrier) من ذوي الفضل والدين والهمّة القعسا. فلمّا وقف على واقع الحال اشار الى ترجمانهِ بان يرافقنا عند الوالي لترفع اليهِ شكوانا. فسرنا الى مجلس الحكومة حيث كان انيس باشا. فاخذهُ العجب اذ رآنا مع ترجمان القنصليّة بعد ان كان تقدّم بتوقيفنا الّا انّهُ سكت. فجعلنا نفصل لهُ ما اصابنـا من الاهانة ونحن مرسلون في حماية فرنسة ومعنا تذاكرنا المسجّلة في احدى ولايات الدولة ولم نأتِ ادنى عمل يوجب المعاملة غير القانونيّة التي جرت في حقّنا

فتلعثم الوالي في جوابهِ ولم يدرِ مـا يقول لكنهُ اخذ تذاكرنا التي كان الجند اتوهُ بها فبعد نظرهِ فيهـا مليًا قال: في تذكرتكم انكم مسافرون الى بغداد فما بالكم قصدتم ديار بكر ؟ اجبنا انّ غاية سفرنا هي بغداد لكنّ طريقنـا على كل مدينة نؤمل فيها وجود الآثار الادبيّة التي نسعى في طلبها فما كان يمكن ان نعدّد كل اسماء البلاد التي نمرّ فيها. فسكت

فبعد هذا طلبنا منهُ ان يردّ لنا حوائجنا المضبوطة ويقاصّ الجندي الذي تهدّدني بالضرب. فاجاب انّهُ يفعل ثم صرفنا. فرجعنا الى الدار القنصليّـة واعلمنا سعادة القنصل بما جرى بيننا وبين الوالي. فاوعز الينا ان نقـدّم لهُ معروضاً نودعهُ شكوانا ففعلنا. ثم نقل القنصل هذا المعروض الى التركيّة وارسلهُ الى الوالي مصحوباً بكتاب منهُ حيث شدّد النكير على ما صنعوا بنا والحّ على الوالي بان تُردّ لنا كلّ المسلوبات وان يجازى الشُرطي على سوء معاملتـهِ وان نُعطى اخيرًا بيولوديًا ليخفرنا من مدينة الى اخرى جنديّان يقيمان في خدمتنا كلّما احتجنا اليهما. ففي صباح اليوم التالي اعادوا لنا كل اوراقنا وكتبنا على يد سعادة القنصل ثم أُرسل لنا البيولودي قبل خروجنا من ديار بكر

اقمنا في ديار بكر ثلاثة ايّام فقط فزرنا في اثنائها رؤساء الدين ووجوه الطوائف

وعلمنا ما كان يجول في خاطرهم من الهواجس فكأنهم يشيمون برق الزوبعة ويسمعون عن بُعد هزيم الرعد

وعند زيارتنا لطائفة الارمن وجدنا في ديوانها اسقفاً يعقوبياً كان محتمياً في جوارهم. فاخبرونا انَّ اسمهُ عبدالله الصددي وانهُ وقع بينهُ وبين بطركهِ عبد المسيح خلاف كبير فاراد البطريرك ان يستعين بالدولة ليلقيهُ في الحبس. فلمَّا استروح المطران عبدالله ذلك النبأ فرَّ هارباً من دير الزعفران والى ديار بكر مجاهرًا بارتدادهِ الى الكثلكة. واذ اراد انيس باشا توقيفهُ اسرع السيد عبدالله فالتجأ الى حماية قنصل فرنسة بصفة كاثوليكي مرتدّ عن اليعقوبية وبقي ايَّاماً في الدار القنصليَّة حتى نُقل مخفورًا الى دار اسقفيَّة الارمن الكاثوليك. وكل يعرف ما صنع بعد ذلك الاسقف عبدالله اذ انتمى الى الكثلكة وبقي في خدمة الكنيسة السريانيَّة الى ان اغواهُ شيطانُ الطمع ثانيةً بعد ان عزلت الدولة البطريرك عبد المسيح قبل خمس سنوات فطلب لنفسهِ البطريركيَّة اليعقوبيَّة واظهر بذلك انَّ ارتدادهُ الى الكثلكة لم يكن عن سلامة نيَّة بل لغايات زمنيَّة اثارهُ الله

وزرنا كنائس ديار بكر كنيسة مار قشيون للكلدان وكنيسة مار سرجيوس للارمن الكاثوليك وكنيستي الروم واليعاقبة وكلتاهما على الطرز القديم لعلَّهما ترتقيان الى ما بعد الفتح الاسلامي بقليل. امَّا الكنيسة الكاتدرائيَّة الكبرى السابقة لعهد العرب فاتخذها المسلمون كجامع لصلاتهم وهي باقية الى يومنا مع ما طُمس من محاسنها على كرور الدهور

وفي جوار الكنيسة الكلدانيَّة في الابنية اللاحقة بها من الدار الاسقفيَّة مكتبة قديمة يبلغ عدد كتبها بين مطبوعة وخطيَّة نحو ٥٠٠٠ كتاب وجدنا فيها آثار حسنة كلدانيَّة وعربيَّة من جملتها مجموع شعر نرساي وديوان ورده الشاعر الشهير وتاريخ عربي لاحد نساطرة القرن الثالث عشر وقد باشر بطبعهِ اليوم سيادة مطران سعرت السيد ادي شير فظهر قسمهُ الاوَّل مترجماً الى الافرنسيَّة (راجع المشرق ١٢: ٧١٢) ومنها كتاب في الديانة النصرانيَّة وتعاليمها وآدابها لابن التلميذ وغير ذلك ممَّا يعزّ وجودهُ كبعض المطبوعات القديمة

وممَّا رأينا في كنيسة الارمن ذخيرة ثمينة تُصان بكلّ اكرام وهي على حسب

تقليدهم احد المسامير التي سُمر بها السيد المسيح على صليبه. فهذه الذخيرة مودعة في صوان من بلور مثلث الزوايا طولهُ ١٥ سنتيمترًا وعلى الصوان كتابة ارمنيَّة هذه ترجمتها في السنة ١٠٩٨ من تاريخنا (الارمني) الموافقة للسنة المسيحيَّة ١٦٥٠ ظهر في هذه كنيسة القديس سركيس المسمار الذي سُمِّر بهِ الربّ في صلبوتهِ »

وللصوان قاعدة تُعرض فوقها الذخيرة وهي ذات ثلاثة وجوه . فعلى الوجه الاوَّل ثلاث كتابات لاتينيَّة : الاولى فحواها : خاتم سمعان دي سنت اندره فارس ماغوصا (Famagouste) من قبرس . والثانية معناها : هذا مسمار السيد المسيح . والثالثة هي رسم شمار سمعان السابق ذكرهُ . وفي اثره : اننا نسجد للربّ الذي يكافئنا امين »

والوجه الثاني عليهِ رسم صورة السيد المسيح مع تلامذتهِ بعد قيامتهِ وتوما امامهُ ساجدًا لهُ وجاعلًا اصبعهُ في جنبهِ . امَّا الوجه الثالث فعليهِ رسم الصليب وعلى جانبي الصليب ملائكة تحدق بهِ

نقلنا هذه المعلومات عن مقالة كتبها في ذلك حضرة الاب يوحنَّا رئيس الرسالة الكبوشية في ديار بكر ثم نشرها في مجلة الارض المقدَّسة (La Terre Ste. 1897 - pp. 49 - 55) وعنهُ اخذنا رسم الذخيرة كما تراها (ص٦٢٥) . وقد روينا خلاصة قولهِ دون ان نقطع بصحة الذخيرة والمظنون انَّ هذا الاثر المقدَّس حصل عليهِ احد ملوك الارمن في القرون الوسطى فاهداهُ الى ملوك الفرنج في قبرس فلمَّا خرج الفرنج من تلك الجزيرة اخذوا معهم تلك الذخيرة حتى صارت في ملك الفارس سمعان دي سنت اندره . وعلى كل حال نحيل القرَّاء الى ما كتبهُ العلَّامة روهو دي فلوري في ذخائر الآلام عمومًا وفي المسامير المقدَّسة خصوصًا (Rohault de Fleury : *Les Instruments de la Passion*. pp. 172 - 181)

ومن غريب ما جرى لهذه الذخيرة بعد خروجنا من ديار بكر ببضعة أيام انَّ الاكراد نهبوا الكنائس فسلبوا تلك الذخيرة وباعوها مع قاعدتها . فاشتراها مسلم اسمهُ علي ثمَّ باع القاعدة بثقلها فضة امَّا المسمار فعالجتهُ امرأة علي فكسرت الاسطوانة البلوريَّة ورمتها مع المسمار في قمامة الدار . وكان الارمن في اثناء ذلك يبحثون عن الذخيرة فسألوا عليًّا عن امرها وسأل هذا امرأتهُ فاخبرتهُ بالامر فجاء الارمن ولم

يزالوا يفتشون عن الذخيرة حتى وجدوها وتحققوا صحتها ثمَّ اتحفوا عليا بهبة عوضاً عنها. وردُّوا الذخيرة الى كنيستهم وزادوا اكراماً لها

وبنسبة زيارتنا لديار بكر رأينا من اللائق درس تاريخها فهذه خلاصة ما استفدنا من بحثنا نثبتهُ هنا لفائدة القرَّاء الذين لا يسمعون الَّا القليل عن مدن بلاد ما بين النهرين

ديار بكر اسم حديث لمدينة يرتقي عهدها الى منين من السنين قبل التاريخ النصراني وكان اسمها القديم آمد وبهذا الاسم ورد ذكرها في الكتابات الاشوريَّة ويقال ايضاً أميد وأميدوس. وسمَّاها الترك قرا آمد اي آمد السوداء لسواد حجارتها البركانيَّة وسمَّاها قدماء الفرس « كركتيو سرتا » اي مدينة الكركتيين احدى امم الفرس

واوَّل ما ورد ذكرها التاريخ في كتابة لملك الاشوريين المسمَّى « اشور نزيرهبال » حيث يفتخر بفتح آمد وذلك بين السنتين ٨٦٠ و٨٧٠ قبل المسيح. ويروي موسى الخوريني مؤرخ الارمن في الفصل الثلاثين من تاريخهِ ان دقران او تغران احد ملوك الارمن رمَّم آمد وزخرفها فجعلها مقاماً لاختهِ قرينة الملك استياج المادي وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد

ثمَّ بقيت آمد خاملة الى القرن الرابع بعد المسيح فحصَّنها قسطنطين الكبير وقيل قسطنس ابنهُ فدُعيت مدَّة باسمهِ قسطنطينية. واشتهرت آمد بعد ذلك بمقاومتها لملكي الفرس سابور الثاني في القسم الآخر من القرن الرابع ولقباذ في القرن السادس فلم يستطيعا فتحها الَّا بعد الجهد الجهيد وبواسطة الخونة. فافرغ الفاتحان غضبهما على اهلها بالقتل والنهب والدمار

الَّا انَّ المدينة كانت لا تلبث ان تقوم من خرابها وتعود الى عزّها السابق لاسيما في عهد يستنيان الملك الذي ضاعف الهمَّة في مناعتها. وجدَّد الملك هرقل بناء كنيستها الكبرى المعروفة اليوم باوس جامع. وكان فتحها في عهد العرب على يد العياض بن غنم سنة ٢٠ للهجرة. وعُرفت في العهد العربي بديار بكر. لأنَّ بني بكر وتغلب كانوا احتلوا الانحاء المجاورة لها. فاطلقوا اسم ديار بكر على الجهة الغربيَّة من

الجزيرة واسم ديار تطلق على الجهة الشرقية عند جزيرة بني عمر. ثمَّ اختصوا مدينة آمد باسم ديار بكر لانها حاضرة تلك البلاد

وفي ايام الدولة العباسيَّة تنقلت آمد فصارت في حكم بني بويه ثم الروم ثم المردانيين والفاطميين والارتقيين فتتبع غالبا اصحاب ماردين وحصن كيفا. ولمَّا فتح الصليبيون مدينة الرها اضافوا ديار بكر الى ملكهم ثم عادت الى حكم المسلمين. وفتحها المغول في اواخر القرن الرابع عشر فبقيت في عهدتهم حتى ملكها شاه اسماعيل في اوائل القرن السادس عشر فلم يحكموا عليها الَّا عشر سنوات فدعا امراء الاكراد السلطان سليماً فوأوه عليها سنة ١٥١٥ وبقيت منذ ذاك تحت سيطرة الدولة العثمانية

ودخلت النصرانيَّة في ديار بكر في القرون الاولى للميلاد حتى ان التقليد ينسب تنصرها الى المرسولين توما وتداوس والدليل على نجاحها انها كانت مقاماً لرئيس اساقفة تنوط بها اسقفيات عديدة كسنجار ودارا ونصيبين وبيت زبدا. وكان مطرانها سمعان من جملة الذين حضروا المجمع النيقاوي الاول سنة ٣٢٥. واشتهر في القرن الخامس اسقفها اقاقيوس بمحبته للفقراء وافتدائه للاسرى

وفي القرن الخامس نفث النساطرة ولاسيما اليعاقبة فيه سمَّهم لا بل اتَّخذها اليعاقبة ككرسي بطاركتهم الى زمن ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر فانتقل منها الى ماردين. وكنيسة اليعاقبة من اقدم كنائس ديار بكر. وكان للملكيين ايضا اساقفة في ديار بكر عُرف منهم ابراهيم الثاني في عهد فوطيوس. لا بل لا يزال حتى يومنا كرسي ديار بكر من كراسي الطائفتين الملكيَّتين الكاثوليكيَّة والارثذكسيَّة وان بقي مراراً الكرسي فارغاً. وكنيسة الروم قديمة ترتقي الى القرن الثامن وكانت في ايدي الكاثوليك الى اواسط القرن الماضي

امَّا الكلدان فان كوارث الزمان كانت تعدَّت عليها فطمستها البدع في آمد الى ان قام في اواسط القرن السادس عشر يوحنَّا سولاقا الكلداني فخضع للكرسي الرسولي اتمَّ الخضوع فاقامهُ البابا بولس الثالث بطريركاً على طائفته وجعل كرسيَّهُ في آمد سنة ١٥٥٣ فردَّ كثيرين من اهلها الى الايمان الكاثوليكي وخلفهُ عبد يشوع مطران الجزيرة بعد موته شهيداً سنة ١٥٥٥ فتفقَّى آثارهُ لكنَّ النساطرة اثاروا عليه وعلى

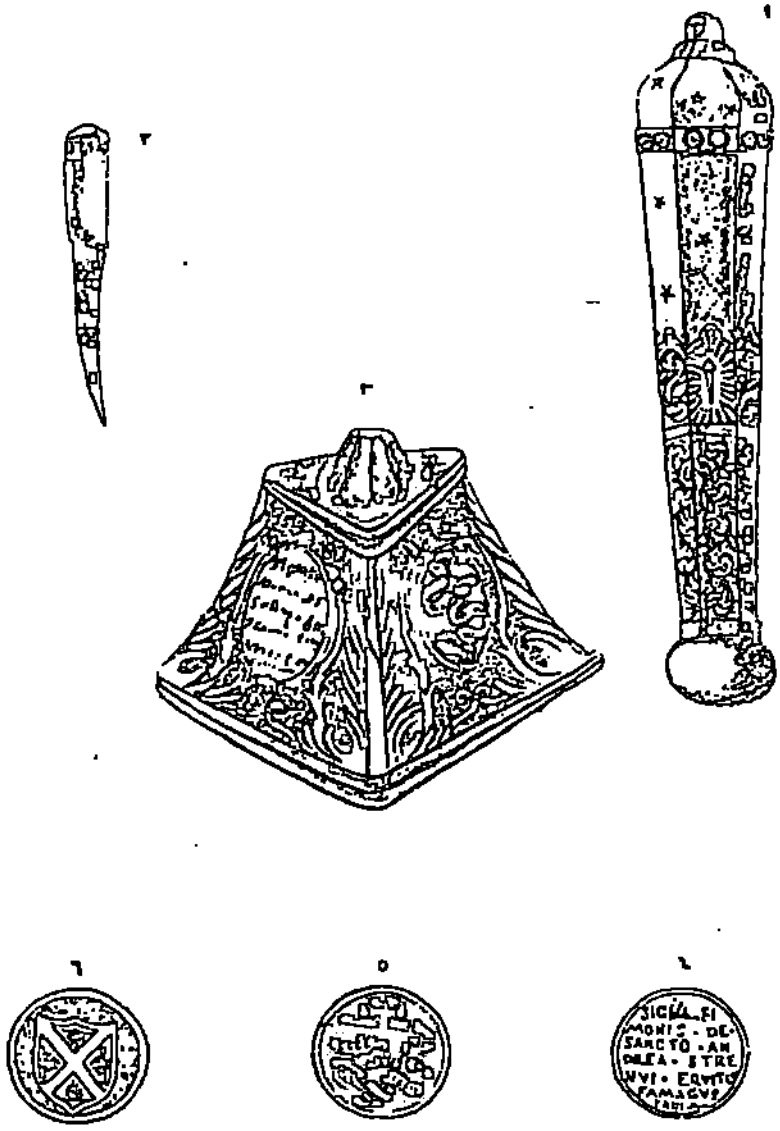

ذخيرة المسمار المقدّس في ديار بكر

١ صورة الصولجان الذي تُحفظ فيه ذخيرة المسمار المقدّس في ديار بكر
٢ صورة المسمار المقدّس دون رأسه المفقود
٣ القاعدة الفضيّة التي تُعرض عليها ذخيرة المسمار المقدّس
٤–٦ تصاوير وجوه القاعدة ورسومها

رعيّته اضطهاداً عظيماً وحرّكوا عليه عمّال الدولة فصارت كنيسة آمد في حالة حرجة لاسيما بعد موته سنة ١٥٦٥ .

وفي اوائل القرن السابع عشر عادت الكثلكة الى بعض الازدهار في آمد برجوع ايليا السادس البطريرك النسطوري فهذا نبذ التعليم الناطرة ونال من الحبر الاعظم درع الرئاسة وعقد في آمد سنة ١٦١٦ مجمعاً حضره كقاصد رسولي رئيس الآباء الفرنسيسيين في حلب الاب توما دي نوفار (Thomas Obicini de Novarre) الا انّ الدين الكاثوليكي تعرّض لعدّة اضطهادات بعد وفاته سنة ١٦٢٧ وفي ايّام خلفه ايليا السابع المتوفّى سنة ١٦٦٠

وفي تلك الاثناء عهد الكرسي الرسولي الى الآباء الكبوشيين رسالة ما بين النهرين فعزّز جيشهم الكثلكة وادخلها في طور جديد وذلك سنة ١٦٦٧ اذ ارسل المجمع المقدّس الاب يوحنّا دي سنت ايغنان (J - B. de St Aignan) مع راهبين آخرين الى آمد فابتدأوا ينشرون العقائد الكاثوليكيّة بغيرة عظيمة وما لبث عدد كبير من الناطرة واليعاقبة والروم ان نبذوا اضاليلهم وتبعوا الايمان الكاثوليكي

وزادت هذه الحركة لمّا جعل الكرسي الرسولي مدينة ديار بكر كرسي البطاركة الكلدان الكاثوليكيين المعروفين باليوسفيين (١ فضمّوا قواهم الى قوى المرسلين من السنة ١٦٧٠ الى السنة ١٨٢٧ حيث جُعل الكرسي البطريركي للكلدان في الموصل وكانوا في غضون ذلك ردّوا كل الناطرة الى حجر الكنيسة

وقد قاسى المرسلون والبطاركة في آمد من الاضطهادات والمشقّات ما يطول ذكره الّا انّ مساعي الكبوشيين الرسوليّة واعمالهم الخيريّة من تمريض المرضى واعالة الفقراء على اختلاف اديانهم بكل الاخلاص والنزاهة جلبت اليهم محبّة الاهلين عموماً من مسلمين ونصارى وكبار وصغار حتى انّ الولاة وامراء الاكراد اخذوا يعزّونهم ويكرمونهم

وما لبث اليعاقبة والارمن الغريغوريّون ان تبعوا مثال الكلدان فاهتدى منهم

١) راجع في المشرق (٣: ٨٧٨) مقالة السيد ادي شير والقس بطرس نصري التي عنوانها « طائفة الكلدان الكاثوليك »

عدد وافر في آمد والقرى المجاورة لها واقام لهم الكرسي الرسولي اساقفة الى يومنا وعدد الكاثوليك اليوم في ديار بكر ونواحيها يبلغ نحو ٦٠٠٠ منهم ٢٥٠٠ كلدان و ١٨٠٠ ارمن كاثوليك و ١٢٠٠ سريان . و ١٥٠ روم كاثوليك والبقيَّة من اللاتين

امَّا الغريغوريُّون فكان عددهم عند مرورنا نحو ١٢٠٠٠ واليعاقبة ١٥٠٠ والروم الارثذكس ١١٠٠ والبروتستانت نحو ١٠٠٠ فالنصارى نحو ثلث اهل ديار بكر وتوابعها والباقون مسلمون واكراد وشركس . ولطوائف الكاثوليك في ديار بكر مدارس . امَّا المرسلون الكبوشيون فيهذّبون الذكور والبنات معاً تساعدهم في عملهم راهبات افرنسيَّات من فرنسا . لا بل صارت الرسالة الكبوشيَّة كلها اليوم في عهدة الكبوشيين الفرنسويين بعد ان كان يديرها رهبانهم الايطاليون

وقد تجوَّلنا مدة اقامتنا في ديار بكر في اسواقها واحيائها فرأيناها كثيرة الاقذار قد استولى الخراب على قسم من ابنيتها . وبين هذه الابنية ما تلوح فيه مسحة من البهاء القديم ومنها ما هو على الطرز الفارسي . وقد شيَّد بعض الاعيان بيوتاً حسنة في هذه السنين الاخيرة . وبين مساجدها ما هو محكم البناء ولا سيما جامعها الكبير الذي مرَّ ذكرهُ وفي داخله السواري الضخمة والنقوش البهيَّة . ومن ابنيتها التي تستحق الذكر قلعتها القديمة الراقية الى عهد الروم كانت فيها كنيستان الواحدة على اسم مار يوحنَّا المعمدان هي الآن مسجد لتلاة الجند والاخرى اتخذوها كمستودع للاسلحة . ويسقي ديار بكر مياه غزيرة طيبة تأتيها بالاقنية من الجبال المجاورة

وما كنَّا نظنّ انَّ ديار بكر بعد خروجنا منها بأيام قليلة ستضحي منقعاً للدم اذ فتح الوالي ابوابها للاكراد فحدثت تلك المذابح التي قُتل فيها ١٢٠٠ نصراني اكثرهم من الارمن وأُحرقت مخازنهم ونُهبت بيوتهم . على انَّ الآباء المرسلين اظهروا وقتئذٍ من المروءة ما لا يفي بشكره لسان فانقذوا نحو ٥٠٠٠ شخص في ديرهم وعالوهم مدَّة اسبوعين وكذا فعل قنصل فرنسة في داره . وكانت قرينتهُ الفاضلة تهتمُّ بالفقراء والجرحى اهتمام الام وبعد ايَّامٍ خرجت من ديار بكر مع ٢٠٠٠ منهم ورافقتهم الى حلب ولم تشأ ان تنفصل عنهم حتى قطعوا الفرات وصاروا في امان . فقدَّرت الحكومة الفرنسويَّة شهامتها واهدتها جائزة فاخرة (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة في الحجاز ونجد (تابع)

ولم تخلُ بقيَّة مدن الحجاز من آثار النصرانيَّة كالطائف على مسيرة يوم من مكَّة (١ وعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قسّ بن ساعدة اسقف نجران كما رووا. وفي التقويم النبطوري (ص ٨) الذي اشرنا اليه سابقاً فطبعهُ حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ ان النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من اهل دينهم والله اعلم

*

وان توغَّلت في قلب جزيرة العرب ورقيتَ ما يرتفع في اوساطها من التلال والمشارف لقيت بلاد نجد التي افاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم:

فيا حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ ... إذا عضَّتهُ بالعشيّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ اذا ما تنسَّمت ... ضُحًى او سرت جنحَ الظلام جنائبُهْ
بأجرع مرّاءٍ كأنَّ رياحهُ ... سحابٌ من الكافور والمسكُ شائبُهْ
واشهد لا انساهُ ما عشتُ ساعةً ... وما انجابَ ليلٌ عن نهار يعاقبُهْ

ففي نجد وجهاتهِ وجدت النصرانيَّة لدعوتها قلوباً تقبَّلتها بالترحاب فهناك كانت عدَّة قبائل عُرفت بتديُّنها بدين السيد المسيح كطيء والسكون والسكاسك وكندة وقد مرَّ بك انَّ ثمَّ كانت اديرة لرهبان النصارى كدير سَعْد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيء قرب جوّ من ديارهم

١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان ابو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكَّة

امّا نصرانيّة قبائل نجد فلنا عليها عدّة شواهد. قال السائح الانكليزي بالغراف في كتاب رحلته الى جزيرة العرب (ج ١ ص ٦١) عن بلاد الجوف: «ان اهل الجوف لا يعرفون عن اصلهم وتاريخهم الا القليل لكن التقاليد المحليّة تزعم انّ تلك البلاد كانت قبلًا تدين بالنصرانيّة وانّ انصار النبيّ كعلي وخالد بن الوليد اضطرّوا الى استعمال اقطع الادلّة اي السيف ليدخلوا اهلها في الاسلام (١)»

وقال في محلّ آخر (ص ١١١): «قبل الاسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة واقعة في بحبوحة السلام الذي فقدتهُ بعد ذلك. وكان اكثرها يدين بالنصرانيّة بل يرجّح انها حفظت دينها بعد الاسلام الى خروج بني اميّة عليها (٢)»

وخصّ بالذكر تلك القبائل المتنصرة فقال (ص ٨٤) انّ عرب نجد قبل الاسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيّ. وقد لقي ذاك السائح هناك عدّة آثار وابنية سمع الاهلين ينسبونها الى قدماء النصارى من جملتها بير شكيك الذي نزل بقربهِ

وليس كلام هذه الرحالة حديثَ خرافة بل تؤيد روايتَهُ الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد. وكانت اعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢٤٩). وكان لكندة بيت ملك فتولّوا على بني معدّ في انحاء نجد واوّلهم حجر آكل المرار ثم خلف حجرًا بنوهُ من بعدهِ ومنهم كان امرؤ القيس الشاعر

---

١) هذا نصّهُ بالحرف: Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire ; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que le pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid - ebn - Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive. » (Palgrave: *Voyage dans l'Arabie Centrale*. p. 61)

٢) وهذا قولهُ: « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Omniades. » (Id. I, 111)

امّا نصرانيّة كندة فلا شكّ فيها وقد اثبتنا ذلك في مقالة خصوصيّة حيث رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكيّة امرئ القيس (راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ — ١٠٠٦). وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هندُ الكبرى بنت الحارث الكنديّة حيث تفتخر بكونها « أمة المسيح وام عبده (اي عمرو بن هند) وبنت عبيده » (اي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة). وروينا ايضاً النصوص اليونانيّة التي نقلها فوتيوس في مكتبته (Migne-P. G. III, 46 — 47) عن المعاهدات التي ابرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في ايّام انسطاس ويوستينوس ويستنيان ولولا نصرانيّة كندة لما تسامحوا بذلك على الاطلاق. ويؤيد ذلك عبد المسيح الكندي في رسالته الى الهاشميّ في ايّام المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك) قال الكندي (ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠):

« ولسنا نحبُّ ان نفتخر بما لنا من النسق والنسق في العربيّة وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لآبائنا واجدادنا. فقد علم كلّ ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكنّنا نقول ما قاله رسول الحقّ بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانهُ غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الّا دين النصرانيّة الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي الى العمل الصالح ونعرف الله حقّ معرفته ونتقرّب اليه وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم »

وقال في محلّ آخر (ص ١٠٣) يشير الى دين كندة اجداده:

« ولولا انّ الديانة عندي اشرف من الحسب الجدّاني الزائل لكان يسمّى الكوت... لكنّي وجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرّف به وافتخر بمكاني منهُ وارغب الى الله في إماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانهُ غاية املي ورجائي الذي ارجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيها بفضله واحسانه وسعة رحمته »

فصحّ اذن انّ بلاد نجد لم تشذّ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقيّة انحاء العرب. وبه نختم هذا الفصل الذي تحرّينا فيه تاريخ النصرانيّة في جميع جهات العرب (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

R. P. Scheil : La Chronologie rectifiée du règne de Hammourabi (Extrait des Mémoires de l'Acad. d. Inscr., t. 39) *Paris, Klincksieck,* 1912, p. 12, 4°. 1 Pl

تصحيح تاريخ ملك حمورابي

انَّ الشهرة العظيمة التي نالها ملك بابل حمورابي بعد اكتشاف دستوره الخطير قد استلفتت اليه كل الانظار. الّا انَّ الآثار المستخرجة من اعماق الارض لم تفدنا تاريخاً مدقّقاً لاعماله مدّة ملكه الطويل في اواخر القرن الحادي والعشرين قبل المسيح. على انَّ حضرة الاثري الجليل الاب شيل الدومنيكي امكنهُ ان يسدَّ هذا الخلل بوصف عدّة صكوك وعقود كُتبت في عهد الملك المذكور ومصدَّرة بتواريخ مضبوطة ومن جملتها كتابة اكتشفها حضرة الاب فجمع تلك الآثار ونظَّم كل معلوماتها ورتَّب تواريخها حتى استخرج منها توالي الاحداث التي جرت على عهده وذلك مدّة ما ينيف على ٤٣ سنة. وعلى رأي الاب شيل انَّهُ دوَّن دستوره في اواخر حياته ل. ش

Daremberg - Saglio-Pottier : Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines, 46 fasc. (TABELLA — TEXTRINUM), *Paris, Hachette,* 1912

معجم العاديات اليونانيَّة والرومانيَّة

هو القسم السادس والاربعون من هذا التأليف النفيس وبهِ يبتدئ حرف T والمجلد الخامس وممَّا يحتويهِ من المواد الجديرة بالاعتبار لحسن سبكها ووفرة معلوماتها وشهرة كاتبيها مادَّة ذبيحة الثيران (Taurobolium) للاثريّ اسبراندیو (Espérandieu) ومادَّة الارض كأمّ الاحياء (Tellus) للاستاذ هيلد (Hild) ومادَّة الهياكل (Templum) للعلّامة سورلين دوريني (Sorlin-Dorigny) هذه في الدينيّات. وممَّا هناك في الرسوم والحقوق مادَّة السجلّات (Tabularium) بقلم لافاي (Lafaye) ومادَّة السجل (Tabellio) ثم الشهادة (Testimonium) وكلتاهما لسيو لاكريفان (Lécrivain) ومادَّة الوصاة (Testamentum) للعالمين (Beauchet et Cuq). وممَّا نُشر في الاثريّات مادَّة الخيام (Tentorium)

للعلامة شابو (Chapot) ومادة السطح (TECTUM) للاستاذ جارده (Jardé) ومادة لوح (TABELLA) ثم زهر اللعب (TESSERA) من تأليف لافاي. وخصوصاً مادة مثقال (TALENTUM) للكاتب الشهير بابلون (Babelon) وغير ذلك مما لا يسعنا تعداده. وقد سرنا ما ضموه الى هذا الجزء كملحق ألا وهي ترجمة حياة اول من باشر بهذا المعجم الفريد اعني المرحوم ادمون ساغليو (Ed. Saglio) مع صورته والترجمة بقلم المسيو برتيه وصيفه في هذا العمل ومنجز مشروعه بهمته مع مساعدة المسيو برج لافاي. وقد اضافوا الى هذه الترجمة الخطاب الذي القاه المسيو اومون (M. H. Omont) رئيس مكتب الاثريات والفنون الجميلة تأبيناً للمسيو ساغليو

س. رنوفال

ELEMENTA GRAMMATICÆ ARABICÆ cum Chrestomathia, Lexico Variisque Notis auctoribus PP. A. DURAND ET L. CHEIKHO S. J. Editio altera emendata. *Beryti., Typogr. PP. Societatis Jesu*, 1912, IV-488. in-4

اصول اللغة العربية وعروضها مع منتخبات نثرية وشعرية ومعجم وتذييلات

نشرنا هذا الكتاب قبل خمس عشرة سنة وما كنا لنظن ان سيعاد طبعه وهو مصنف في اللاتينية لكليات اوربية خصوصاً وعددها محصور فراج الكتاب رواجاً اضطرنا الى اعادة طبعه بعد اصلاحه وتحسينه فلنا الامل الطيب ان المستشرقين يلمحونه كما في السابق بنظرهم. وفي ما ورد علينا في الشهرين الاخيرين من رسائلهم ضامن على اصابتنا المرمى

ل. ش

THE ARABIC AND TURKISH MANUSCRIPTS in the Newberry Library, described by D. B. Macdonald D. D.

قائمة المخطوطات العربية والتركية في مكتبة نيوبري

اهدتنا ادارة مكتبة نيوبري في شيكاغو قائمة مخطوطاتها العربية والتركية التي تزين خزائنها وهي عبارة عن ٢١ كتاباً وصفها احد اساتذة كليتها المستشرق مكدونلد. واحسن ما وجدناه في تلك الآثار مختصر المجسطي لبطلميوس اختصره نصير الدين الطوسي ودعاه تحرير المجسطي وكتاب المصباح في النحو لابي الفتح ناصر المطرزي شارح مقامات الحريري وبعض رسائل السيوطي كرسالة في اصحاب

الحديث ورسالة البدور السافرة في امور الآخرة. فنشكر للمهدين هديتهم ونطلب لمكتبتهم اقبالاً ونجاحاً ل. ش

كتاب الرسالة البرهانية في تبرير الديانة النصرانية

للطيب الذكر كيريو كير مكسيموس مظلوم بطريرك طائفة الروم الكاثوليك

طبعة ثانية . في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩١٢ (ص ٤٥)

هذه ١٨ سؤالاً القاها احد شيوخ المسلمين على غبطة البطريرك مكسيموس مظلوم ضمنها مجمل ما يطرأ على خاطر قومه من المشاكل بحق الدين المسيحي واسراره . فكان جوابه اسرع من الصدى برسالة اثبت فيها صحة معتقدات النصارى نافياً عنها ما يتوهمه البعض في اسرارها من المناقضة للعقل والبعد من التصديق . والمؤلف في اجوبته على كل سؤال يضرب الصفح عن شواهد الوحي ويكتفي بما يرضى به العقل الصائب من الادلة المقنعة . فانتشرت هذه الرسالة ونالت الحظوى لدى معاصري كاتبها وطُبعت وقتئذٍ على الحجر . وقد اقترح علينا آخرًا احد الافاضل تكرار طبعها ففعلنا واصلحنا الطبعة القديمة على نسختين خطيتين وذيلناها ببعض الشروح دفعاً للالتباس وقفيناها برسالة أخرى هي كخلاصة المعتقد النصراني كان سطرها اسقف ملكي في القرن الثالث عشر وهو بولس الراهب وارسلها الى احد ادباء المسلمين في عصره . فنؤمل لهذا الكتيب انتشارًا عظيماً لاسيما بين اهل الاسلام الذين كثيرًا ما يعرضون علينا مثل هذه الاسئلة ل. ش

كتاب منهج المعرفة في علم الفلسفة

وضعهُ الخوري يوحنا ابي مارون معتوق الماروني اللبناني على مختصر الفيلسوف العصري العلامة جاك بلمس الكاهن الاسباني

المجلد الاول طبع في المطبعة الانطونية في عبدا (لبنان) ١٩١٢ (ص ٥٢٨)

قد تعددت في هذه السنين الاخيرة التآليف الفلسفية المدرسية . ولا بأس في ذلك فان زيادة الخير خير . ولعلَّ كثيرين يقبلون على هذا الكتاب الجديد لسهولة مأخذه وكثرة ايضاحاته والاصل الذي استند اليه صاحبهُ في تأليفه ألا وهو ذلك الكاتب

الاسباني الذي شرّف وطنهُ بتآليفهِ الكاهن جاك بلمس . فانَّ مصنفاتهِ لم تُفد فقط مواطنيهِ بل نُقلت الى اكثر الالسنة الاوربيَّة فعمَّ نفعها كل طبقات المجتمع المتمدّن. وقد امتازت تآليفهُ الفلسفيَّة على غيرها لبُعد غورها وسداد تعاليمها . فشكرًا اذن لحضرة مؤلف منهج المعرفة في علم الفلسفة على تعقُّبهِ آثار ذلك الاستاذ وتقريب افكارهِ الى اهل الشرق وهذا المجلد الاوَّل يتناول علم المنطق بمقدّماتهِ وفروعهِ واقسامهِ وملحقاتهِ في كتابين يليهِ كتابٌ ثالث في الطريقة الفلسفيَّة لاستخراج الادلة ومعرفة مواردها . وكل كتاب ينقسم الى رؤوس ومطالب وللمطالب صدور ومتون واذيال بحيث لا يبقى بحث دون ايضاح مستوفٍ في كل اقسامهِ . وفي آخرهِ عشر صفحات لاصلاح اغلاط الكتاب ل . ش

ܬܦܣܝܪܬܐ ܕܦܪܘܬܣܛܢܛܝܐ ܕܡܛܒܥܐ ܕܐܒܗܬܐ ܕܒܝܪܘܬ ܒܫܢܬܐ ١٩١٠-١٩١٢

تفنيد الاضاليل البروتستانية

طبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٠-١٩١٢

انَّ الجمعيَّات البروتستانيَّة اذ رأت الطوائف الكاثوليكيَّة في الشرق لا تنقاد لاضاليل تبثّها افرغت كنانة الجهد في اغواء الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة لعلَّها تنال منها ما لم تُصبهُ من الطوائف المتحدة مع رومية بالايمان لعلمها بانَّ اولئك المنفصلين اشبه بقطعان لا راعي لها . وممَّن سعى البروتستانت في تضليلهم النساطرة فدخلوا جبالهم وبثوا بينهم تعاليمهم الباطلة حتى اجتذبوا منهم عددًا وافرًا بمدارسهم ودراهمهم . على انَّ قسمًا كبيرًا منهم انتبهوا لفعل المضلّين ورجعوا الى حجر الكنيسة منذ نحو عشر سنوات وهم لا يزالون ثابتين على ايمانهم . فلتسكين عزيمة هؤلاء المرتدّين وهداية الضالين اراد حضرة الاب شمويل جميل رئيس الرهبان الكلدان في الموصل ان يؤلف كتابًا في الكلدانيَّة يجمع فيهِ البراهين القاطعة على ضلال البروتستانت وصحة الايمان الكاثوليكي فانجز مشروعهُ وجاء كتابهُ حافلًا بالبينات النظريَّة والشواهد التاريخيَّة المثبتة لقولهِ . ومما يمتاز بهِ هذا الكتاب انَّ مؤلفهُ قد اوعبهُ بالنصوص المنقولة من كتب النساطرة وتآليف علمائهم وكلُّها تُزيف

المدّعيات البروتستانيّة وتؤيد تعاليم الكنيسة البطرسيّة. وطُبع الكتاب احسن طبع على مطبعتنا الحجريّة بخطّ يُعدّ من ابدع خطوط العصر. فنشكر حضرة الاب على هذا العمل الجليل الذي اضافهُ الى خدماتهِ السابقة للعلم والدين ونتمنى لكتابهِ الرواج التامّ ونحضّ المستشرقين على اقتنائهِ لمضامينهِ الاثريّة ل. ش

كتاب

الاقتداء بالمسيح

ترجمهُ الاب فرنيه الراهب اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١١ (ص ٢٦٥)

يسرّنا ايّ سرور اقبال اهل الشرق على هذا التأليف البديع الذي يُعدّ بعد الاسفار المنزّلة افضل كتاب تتداولهُ ايدي البشر. فلا عجب والحالة هذه ان يسعى محبُّو الدينيّات في نقلهِ وتقريب مناهلهِ وترويج منافعهِ الجمة. وان خصصنا لغتنا العربيّة بالذكر وجدنا لهذا الكتاب عدّة تعريبات عُني اصحابها باخراجهِ على انماط مختلفة فمنهم من تحرّى السذاجة والسهولة كالاب الكرمليتاني شلستينو دي سنتا ليدوينا الذي عرّبهُ لاوّل مرّة سنة ١٦٦٣ فطبعهُ في رومية بمصادقة العلّامة الماروني ابراهيم الحاقلاني ثمّ تكرّر مرارًا طبعهُ بالعربيّة والكرشونيّة في رومية وبيروت وغيرهما مع اصلاحات شتى. ومنهم من فضّل الرقّة والطلاوة مع الضبط والتنقيح كحضرة الاب فرنسيس ماريًا القرّاء الحلبي الفرنسيسي الذي نشر ترجمتهُ في القدس الشريف سنة ١٨٩٩ على صورة بهيّة والحقّ كل باب باعتبارات تقويّة. وكانَ حضرة الاب ڤرنيه اليسوعي عمد الى هذه الترجمة الجديدة ليزين ذلك الكتاب بمسحة من العربيّة الفصحى مؤملًا بهذا التزويق ان تروج سوقهُ لدى الادباء ومحبي التعابير المزخرفة والالفاظ المنمّقة. وها نحن نورد مثالًا من الترجمات الثلث ننقلهُ عن الفصل الثاني من الكتاب الاوّل (العدد ٢ و ٣) دلالة على خواصّ كل منها

ترجمة الاب شلستينو

٢ كفّ عن الرغبة الزايدة في تحصيل العلوم لان قد يوجد هناك تشويش عظيم وخداع جسيم . لان اصحاب العلوم يستحسنون نظر الناس اليهم و يبتغون ان يسموهم حكماء . اشياء كثيرة التي معرفتها تفيد النفس منفعة قليلة او لا تحصل منها منفعة البتّة . فهو احمق غاية الحمق من عزم على امر سوى ما يفيده خلاص نفسه . فكثرة الكلام لا تشبع النفس بل العيشة الصالحة تقرّ الذهن . والضمير الطاهر يزيد ثقةً بالله

٣ بقدر ما كثر علمك ورسختَ فيه تدان اشدّ دينونةً ان لم تعش ازكى عيشةً فاذًا لا تتعظّم بصناعة من الصنائع ولا تفتخر بعلم من العلوم . ولكن الاجدر ان ترهب من المعرفة الموهوبة لك . وان ظهر لك انك كثير المعرفة وغزير الفطنة فحينئذٍ اعلم ان توجد اشيا كثيرة لا تعرفها . لا تتاما (كذا) بعلمك بل الاولى ان تعترف بجهلك . لماذا تطلب تفضيل نفسك على احد اذ توجد عدّة من الناس اكثر علماً منك وارفر فقاهةً ومهارةً في الشريعة . فان قصدت علماً مفيدًا وتعليماً حسناً ارغب ان تكون مجهولاً محسوباً كلا شي

ترجمة الاب ف . الفرّا

٢ كُفَّ عن الرغبة الزائدة في تحصيل العلوم . لانّ هناك تشتيت البال العظيم والغرور الجسيم . انّ أهلَ العلم كلّ معرّضٌ في ان يُظهروا انفسهم للناس ويُدعَوا حكماء . أشياء كثيرة فأما تفيد النفس وقد لا تُفيدها البتّة . وانهُ لأحمق الحمقى مَن عُني بغير ما هو عائد لأمر خلاصهِ . كثرةُ الكلام لا تُشبع النفس بل العيشة الصالحة تُريح القلب والضمير الصالح يوليهِ ثقةً بالله عظيمة

٣ بقدر غوّك وتعمُّقك في العلم تكون دينونتك اشدّ صرامةً اذا لم تكن سيرتك أفضل قداسةً . فاذن لا تتعظّم ولا تفتخر بصناعة من الصنائع او بعلمٍ من العلوم بل كُنْ على وجَلٍ من المعرفة التي أُوتيتها وان خُيِّل لك انّك واسعُ العلم سريعُ الفهم فاعلم انّ ما تجهلهُ لهو أكثر مما تعرفهُ بكثير . لا تتكبّر بل بالأولى أقرر بجهلك . لِمَ تُريد ان تفضّل نفسك على غيرك ويوجد كثيرون احذق منك في المعارف وأفقهَ في علم الشرائع ان ابتغيتَ علماً ومعرفةً يجديانك نفعاً فارغب في ان تكون مجهولاً ومحسوباً كلا شيء

ترجمة الاب ڤرنيه

٢ دع عنك الافراط في الحرص على طلب العلم اذ يورث من الاغترار وشرود العقل شتات ما يعظُم . الذين تعلّموا تطيب نفسهم باظهار ما تعلّموا وبان يُعدّوا في الحكماء . امورٌ كثيرة الاطلاع عليها قليل الجداء للنفس او لا يُجلى منهُ بطائل . ولقد تفاقم سفه من صرف غايته الى سوى ما يُفضي به الى الخلاص . انّ النفس لا تشبع من كثرة الكلام لكن من سار سيرةً مرضيةً ثلج صدرهُ ومن طهُر قلبهُ وجد في نفسهِ ثقة بالله عظيمة

٣ كلّما ازددت علماً وفيهِ تعمُّقاً ازدادت دينونتك هولاً ما لم يزدد سلوكك قداسةً ولذلك لا تتكبّرنّ مما اقتبست من علم وفنّ بل الأولى ان تخاف خوفًا اذا حصّلت معرفةً من المعارف . وان خُيِّل اليك ان تعلّمت اشياء شتى عرفتها كُنه معرفتها فاعلم ان الامور التي تجهلها لا يحصى عددها . لا تتكبر بل الاجدر أن تُقرّ بجهالتك . فما بالك تترفع على غيرك وقد كثر من يرعك علماً وبالشريعة خبرةً واذا اردت ان التعلّم والعلم يفيدانك فليك ان تطيب نفساً بكونك خامل الذكر وتيًا منسيًا

فترى انَّ لكل ترجمة من المزايا ما يرغب فيهِ قوم دون غيرهم فليختر كل ما يشاء. والاختيار موكول لحسن الذوق ل.ش

دعاة الضلال

بحث نقديّ اجتماعي عصري بقلم الخوري يوسف الصائغ البولسي
طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ١٢٠)

هذا كتاب نودّ لو رأيناهُ في ايدي كلّ شبّان العصر الذين يتباهون بالانتماء الى اولئك الزنادقة الضالّين والمضلّين اعني ڤولتير وجان جاك روسو وديدرو. فانَّ مؤلفهُ الفاضل جمع فيهِ من شواهد كبار الرجال من كاثوليك وبروتستانت وتكرة الوحي وزعماء الكفر ما يسوّد وجه ذاك المثلّث الجهنمي الذي لم يعرف غير الفساد والخراب ونشر على الارض من الشرور والآفات ما اربى على كل طوفان عرمرم وكلّ وباء فتّاك. وما من احد يمكنهُ ان ينسب حضرة الكاتب الى الاغراض وهو يدعم كل اقوالهِ بنصوص ينقلها عن اوثق المصادر واصدق المؤرخين والشهود العيانيين. وقد سُرنا خصوصاً بفصلهِ الثاني حيث وصف بضاعة دعاة الضلال وكشف جهلهم المطبق. فهيّا أيها الشبّان المتفرنجون اشخصوا الى اجدادكم وافتخروا بهم او أقرئوهم الوداع الى ابد الدهر ل.ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفهِ سليمان مصوبع المحامي
الكرّاس الثاني طُبع في صيداء (ص ١٢١ — ٣٦٠)

افدنا القرّاء في عددنا الاخير عن صدور هذا القاموس الفريد في لغتنا. والشغل قائم على ساق فها قد اتانا منهُ الكرّاس الثاني الذي لا يقلّ عن ٢٢٠ صفحة فيتناول المواد الداخلة في آخر حرف الالف ثم الحروف الثلاثة التابعة الى مادّة « الشين » فنهنّئ جناب المؤلف على عملهِ ونحضّ كل محبي الحقوق على اقتناء معجمهِ ل.ش

الضرران الاكبران المسكر والدخان

رسالة الدكتور كامل سليمان الخوري عيسى من حمص
بمطبعة حمص سنة ١٩١٢ (ص ٦٨)

يرى الطبيب بخبرتهِ اضراراً لا يراها غيرهُ. فكأنَّ جناب طبيبنا الحمصيّ

الدكتور كامل وجّه نظرهُ خصوصاً الى السكارى والمدخنين فرأى من تأثير الكحول والدخان في من يتعاطوهما ما حملهُ على تعريف مضارّهما والتحذير من آفاتها فنتمنّى انّ المصابين بهذين الدائين يطالعون هذه الرسالة ويقتنعون بما يقدّم لهم الكاتب من البراهين على سوء عقبي هاتين العادتين ويتعالجون بما يصف لهم من الادوية للكفّ عنها ل.ش

امثال الشرق والغرب

جمعهُ يوسف توما البستاني

طُبع في مصر في المطبعة اليوسفيّة سنة ١٩١٢ (ص ١٢٨)

امثال او بالحري حكم نطق بها اماثل الناس في الشرق والغرب جمعها احد الادباء وقسمها اربعة وعشرين فصلًا على مقتضى المعاني مباشرةً بالعلم ثمّ العمل ثمّ الكسل ثم الصبر وختم جزءًا. وقد الحقها في آخرها ببعض امثال او حكم عموميّة لاهل الصين ومراكش ولبعض الحكماء والفلاسفة وجدّد طبع الرسالة الحاقيّة في الامثال التي استعارها المتنبي من اقوال ارسطوطاليس وختمها بوصايا مفيدة عرّبها الدكتور ورتبات في المقتطف او ابراهيم افندي رمزي في كتابهِ الذي عنوانهُ « اياك ». وليست هذه الحكم في درجة واحدة من الصدق والذكاء بل كان بعضها يستدعي تنبيهاً من الجامع في ذيل الكتاب وعلى كل حال فالمجموع حسن تفكهة الخواطر وتهذيب العقول ل.ش

شذرات

آثار بابليّة قديمة نشر العلّامة الانكليزي لنغدون (S. Langdon) في مجلّة العاديّات (S. Bibl. Arch., XXXIII, p. 221) كتابةً من اقدم الكتابات الاشوريّة وهي رسالة للملك « ريم سين » ملك لارسة احد معاصري الملكين حمورابي (٢١٣٠ — ٢٠٨٨ ق م) وسنسوايلونا (٢٠٨٧ — ٢٠٥٠) مدارها على محاربة بابل في اواخر عهد حمورابي — واثبت العلّامة ڤيذز

(E. Weidner) سنداً الى كتابة قديمة انَّ قدماء الكلدان كانوا يقيسون بالدرجات المسافة بين نجمين من النجوم الثوابت وان قياساتهم بلغت ضبطاً عجيباً (Or. Lit. XIV. p. 345) — ومما توفَّق الى اكتشافهِ الاستاذ انغناد (A. Ungnad) اثر كتابي يثبت قتل الملك سنَّاحريب بمكيدة ولديهِ كما ورد في سفر الملوك الرابع (١ مل ١٩ : ٣٦و٣٧) وبهِ تزول المشاكل التي كانت تريب العلماء في صحَّة هذا الخبر بل جاء الاكتشاف كشاهد جديد على حقيقة الاسفار المقدَّسة (S.S. Times, LIII, p. 395) — ويقرب من هذا ما اثبتهُ الاستاذ ديشس (S. Daiches) بخصوص ما ورد في سفر اشعيا النبيّ (٣ : ١٨ — ٢٣) عن حليّ نساء بني اسرائيل فهناك ذُكرت الخلاخل والاهداب والاهلَّة واجناس المصاغات فبيَّن الكاتب ان تلك الحلي كلها مذكورة في اناشيد الإلهة عشتار البابليَّة وفي قصة انحدارها الى الجحيم فاستنتج من ذلك اوَّلاً انَّ نساء العبرانيَّات كنَّ يتزيَّنَّ بحليّ نساء بابل في ذلك الزمان وثانياً انَّ وصف النبي اشعيا لتلك الحليّ شاهد باهر على قدم سفرهِ وصحَّتهِ

حديث خرافة — نقلت جريدة جون ترك في عددها ١٩٨ (٣ شعبان ١٣٣٠) خبراً غريباً نرويهِ تفكهةً للقرَّاء . قالت ما ملخَّصهُ : شاع انهُ وجد عند اليسوعيين لمَّا نُفوا من بلاد بيرو سنة ١٧٧٠ كنز من النقود والجواهر كانت تبلغ قيمتهُ ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ليرة فهذا الكنز نقلتهُ الى اوربة سفن اسبانية خرج في مسيرها قرصان فسلبوهُ منها وانزلوهُ في جزائر كوكوس حيث جعلوهُ في مأمن واخفوهُ ثمَّ مات القرصان وبقي الكنز مدفوناً . فهذا الكنز الدفين قد اجتمع للتفتيش عنهُ قوم من الانكليز في مقدَّمتهم شقيقتان السيدة باري تيل (Mrs Barry-Till) ومس دافيس (Miss Davis) وقد نالوا من حكومة كوستا ريكا الرخصة في التفتيش على الخزينة . وعمَّا قليل سيخرج من بليموث مركب يُدعى ملمور (Melmore) في وجهة تلك الجزائر لطلب الكنز — قلنا هذه من الاكاذيب العديدة التي تناقلها الرواة القصصيون عن « الجزويت » ونحن نتمنى ان يصحَّ خبر الرحلة المذكورة لعلَّ بها تبطل احدى الاشاعات الخرافيَّة في الرهبانية اليسوعيَّة كما بطل غيرها كثير ممَّا روَّجهُ اعداء الدين وفنَّدهُ الف مرَّة العلماء المنصفون ولكن لا سماع لمن تنادي !

❊ السيف القاطع لعنق الفرّ الخادع ❊ بل قُلْ سيف كهام جرَّده من غمدهِ من لا يعرف من آداب الجدال شيئاً. وكفى الدليل عليه انَّ صاحبهُ لم يجسر ان يُعلن باسمهِ. وايمُ الحقّ انهُ حسناً صنع اذ لا يُقدم على الدفاع عن الشيخ البهائي الَّا من يستر نفسهُ تحت قُترة. امَّا ما دوَّنهُ الكاتب في تلك الوريقات من دعوى تحريف النصارى للكتب المقدَّسة فقد شممنا منهُ رائحة التلفيقات التنيريَّة التي عرفت نَتنها من تفنيدنا لكتابهِ المزوَّر الذي عنونهُ « العقائد الوثنية في الديانة النصرانيَّة » فليُعِدْ سيفهُ الى غمدهِ فانَّهُ من مخاريف الصبيان ليس صمصامةً ذكرًا

❊ تكذيب اشاعة ❊ روت مجلَّة الكلمة في العام الماضي (٧: ٣٠٨) خبرًا هذا مؤدَّاه قالت ان جنرالًا اسبانيًا كاثوليكيًا اسمهُ « فيكنديوس غارسيا ريوي بيريس » رفض جميع ضلالات كنيستهِ اللاتينيَّة واعترف بجميع عقائد وتعاليم كنيسة المسيح القويمة الرأي الارثوذكسيَّة » وذلك في مدينة بياريتا في ٦ — ١٩ نيسان من السنة ١٩١١ على يد الاب نيقولاوس بابوف. واتَّسعت الكلمة في وصف الجنرال وتعريف علمهِ وفضلهِ واسباب ارتدادهِ الخالية من كلّ غرض. فلمَّا قرأنا هذه الاسطر ارتبنا في صحَّة الخبر وسألنا الاب « ماير » احد الاساتذة الاسبانيين في كليتنا عمَّا يعرفهُ من امر الجنرال. فاجابنا انَّهُ لم يسمع قطّ باسمهِ وكتب للحال الى احد آباء مدرستنا الكبرى في مدريد فاجابهُ بعد مراجعة التقويم العسكري انَّهُ لا يُعرف جنرال بهذا الاسم في بياريتا ولا في غيرها وانَّ خبر هذا الارتداد كذب محض. فلم نكتفِ بهذا الجواب بل طلبنا من الشاب الاديب أكليمنضوس تُرْدَيرى في قنصلاتو دولة اسبانيا ان يكتب الى المراجع الرسميَّة ليتبين صدق الرواية فاتاه كتابان رسميَّان يؤيدان رسالة استاذ مدريد. فعلمنا بذلك انَّ هذا الخبر كاذب رواهُ السيد هواويني كما روى الخبر الذي زيَّفناهُ في عددنا السابق عن مدارس اليسوعيين في جزائر اليونان. ولا نشكّ انَّ ما رواه ايضاً السيد الموما اليهِ (في الصفحة ٤٠٩ من السنة عينها) عن ارتداد اربع راهبات كاثوليكيات الى الارثذكسيَّة » في نيويرك خارج من المعمل عينهِ اي انهُ اختراع واشاعة كاذبة. فتأمل!

أسئلة وأجوبة

س كتب لنا احد الكهنة مستفيداً: جاء في الفصل ٣٦ من سفر اخبار الايام الثاني (عدد ١) انّ يوآحاز بن يوشيا أُقيم ملكاً بعد ابيهِ. وفي العدد ١٠ منهُ انّ ملك بابل جعل صدقيا ملكاً بدلاً من يوياكين. اما سفر ارميا (٢٢: ١١) فيجعل ملكاً على يهوذا بعد يوشيا شلُّوم لا يواحاز. وسفر الملوك الرابع (٢٤: ١٧) يروي ان خلف يوياكين هو متّنيا. فكيف التطبيق بين هذه الآيات

مشكلان كتابيان

ج الجواب على هذين المشكلين انّ الملك الواحد عُرف باسمين مختلفين كما جرت العادة في عدّة بلاد ان يدعى الرجل باسم جديد عند جلوسهِ على عرش الملك. فابن يوشيا الملك بعد ابيه المدعو يواحاز في سفر اخبار الايام هو هو المدعو شلُّوم في سفر ارميا والامر بديهيّ وان لم ينبه عليهِ الكتاب الكريم. وانما صرّح بالامر في المشكل الثاني حيث قال كاتب سفر الملوك الرابع (عدد ١٧) «واقام ملك بابل متّنيا عمّ يوياكين ملكاً مكانهُ وغيّر اسمهُ صدقيا». ومثلهما الياقيم اخو يواحاز (المدعو شلُّوم) فان ملك مصر دعاهُ يوياقيم وبهذا الاسم عُرف في التاريخ. وكذلك ابن الياقيم (المدعو يوياقيم) تسمّى باسم ابيهِ يوياقيم بعد ان عُرف باسم يكنيا (٢ اخبار ٣٦: ٨ — ٩ و١ اخبار ٣: ١٦) الاب ي. د

س اعترض احد الكهنة على جوابنا في العدد السابق حيث قلنا انّ صورة المصلوب التي تُقام الذبيحة امامها يجب ان تكون من مادّة صلبة كالمعدن والخشب. فقال المعترض ان المجمع المقدّس والقديس لينوري اوجبا ما نفيناهُ

صورة المصلوب على الهيكل

ج ليس كلامنا عمّا يجوز ان يُعرض في حنيّة الكنيسة فوق الهيكل من صليب منقوش او منحوت لكن على ما يُنصب على المذبح فوق القربان الاقدس فيجب ان يكون صليباً من معدن او مادّة صلبة. ويُستغنى عن صليب المذبح اذا وجد ذاك الصليب مصوّراً او منحوتاً في صدر الكنيسة او على الجدار فوق المذبح ل. ش

السنة الخامسة عشرة العدد ٩ ايلول ١٩١٢

المشرق

النهضة الكاثوليكية في حلب

والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي

كان العالم النصراني بعد تقرير الاتحاذ بين الشرقيين واللاتين في فلورنسة سنة ١٤٣٩ استبشر بعصر ذهبي جديد يأتلف فيهِ الشرق والغرب معاً لصون حوزة النصرانية من المخاطر التي كانت تتهدَّدها ولرفع شأن الكنيسة الكاثوليكيَّة. كيف لا وكان آباء الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بعد الجلسات المتناوبة والابحاث المدقَّقة ومراجعة اعمال الآباء والتقاليد القديمة الراقية حتى مهد النصرانية اتَّفقوا على صكّ نهائي قرَّروا فيهِ كل عقائد الكنيسة اللاتينيَّة وامضوهُ بختمهم. وكان البطريرك القسطنطيني يوسف الثاني قبل صدور ذلك الصكّ بستَّة وعشرين يوماً توفي لكنهُ اعلن برقيم كتبهُ بخطّ يدهِ قبل موتهِ ببضع ساعات أنَّهُ « خاضع لكل ما تعلّمهُ كنيسة يسوع المسيح الرسولية التي هي كنيسة رومية القديمة ». وجاهر خلفهُ مطروفانس بقبولهِ لكل تعاليم المجمع موقّعاً على الصكّ كرئيس اساقفة كيزيك ثم بعد رجوعهِ الى القسطنطينيَّة كبطريرك. وقبل تعاليمَ المجمع بطريرك الاسكندريَّة فيلوثاوس برسالة انفذها الى البابا اوجانيوس الرابع فضلًا عن توقيع نائبهِ مطران هيرقلية وتوقيع دوسيتاوس نائب بطريرك اورشليم. وقبل المجمع ايضاً البطاركة الانطاكيون دوسيتاوس (وان ارتدّ بعد ذلك لاغراض) وخلفاهُ البطريرك ميخائيل الثالث مع اساقفة الكرسي الانطاكي وثيودوروس الخامس وكلهم من بطاركة القرن

الخامس عشر . وكذلك وردت من بطاركة الاقباط والارمن واليعاقبة رسائل خضوع للمجمع (١

فكل هذه التوقيعات وغيرها كثير كتوقيع ايزيدورس الروسي رئيس اساقفة كياف وداميانوس رئيس اساقفة الفلاخ والبغدان وموسى كبير رؤساء جبل اثوس كانت في اعين العقلاء كفاتحة عصر سلام ووفاق لولا انَّ شيطان الخلاف توجس خوفاً على ملكهِ فسوَّل لبعض ذوي الغايات والاغراض ان يدمّروا ما بناهُ المجمع ويدكُّوا اركانهُ فصار ما صار من تضعضع امور مملكة الروم وسقوط القسطنطينيَّة في ايدي الاتراك وأُصيبت بذلك الكثلكة في الشرق بجرح أليم كاد يكون القاضي عليها بين الطوائف النصرانيَّة الَّا الشعب الماروني الذي انتصر للحقّ وبقي ثابتاً على اعتصامهِ بحبل الكنيسة الرومانية فاستقى من ينابيعها المحيية ما انعشهُ وزانهُ بجلباب الفخر

١ ابتداء الرسالات الفرنسوية في حلب

بقي الشرق المسيحيّ نحو قرنين متسكعاً بظلام الخمول والجهل يئنّ تحت نير عبوديتهِ كجريح اوجعا لا يشفق احد على آلامهِ حتى مرَّ بهِ ذاك السامري المرموز بهِ الى السيد المسيح وخلفائهِ الاحبار الرومانيين فرقّوا لحالهِ وفكّروا في علاجهِ . . فأخذ الباباوات ينفذون الى رؤساء الكنائس الشرقيَّة وفوداً وسفراء يسعون لديهم في اثبات العقائد الكاثوليكيَّة ويعرضون عليهم الاتحاد مع الكرسي الرسوليّ منهم رهبان ومنهم اساقفة وقصَّاد رسوليُّون كفرا غريغرن وفرا سوريانو وغيرهما من السلالة الفرنسيَّة والايرين يوحنَّا اليانو ودنديني اليسوعيين والسيّد ليونرد دي ابيلا اسقف صيداء شرفاً غير انَّ هذه السفارات كانت موقَّتة فلم تأت بخير ثابت . نعم انَّ الرهبان الفرنسيسيين كانوا في الشرق منذ عهد قديم الَّا انَّ همّهم الكبير كان حفظ الاراضي المقدَّسة والدفاع عنها بما لديهم من الوسائل حتى اهراق دماءهم

على انَّ الله بعنايتهِ الصمدانيَّة ألهم رؤساء الكنيسة بان ينفخوا في تلك الكنائس البائسة روحاً جديدة تعيدها الى رونقها المفقود منذ انفصالها عن الدوحة

١) فليراجع كتاب « كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم » واعمال المجامع لماني ج ٣٩

البطرسيّة ومركز الوحدة الكاثوليكيّة فلم يروا وسيلةً اقرب لبلوغ غـايتهم من انشاء ارساليّات ثابتة تسكن في انحاء الشرق وتمتزج امتزاج المـاء بالراح مع اهلهِ فتبشهم من بيئتهم

وكانت وقتئذٍ فرنسة ماشية في مقدّمة الشعوب الكاثوليكيّة تسعى جهدها بنشر نفوذها وتجارتها ودينهـا في اقاصي البلاد ولا سيما في الممالك العثمانيّة لما كان بينها وبين سلاطين آل عثمان من المعاهدات الوثيقة والمعاملات الودّيّة. وكان ملوكها عيّنوا لهم سفراء في الاستانة وقنـاصل في الاساكل كالاسكندريّة وصيداء وفي بعض المدن الداخليّة كحلب ودمشق فرأى الحبر الاعظم اوربانوس الثامن انّهُ لا يستطيع ان يخدم الكنيسة الكاثوليكية في الشرق خدمةً اعظم من ان يرسل الى انحاء الدولة العليّة مرسلين فرنسويين. واتفق على الامر مع مجمع انتشـار الايمان ومع ملك فرنسة لويس الثالث عشر ورؤساء ثلث رهبانيّات عامين اي اليسوعيين والكرمليين والكبوشيين فصدرت اوامر الكرسي الرسوليّ المؤذنة بـذلك في اوائل سنة ١٦٢٥ وكتب ملك فرنسا الى سفيره الكنت دي سيزي (de Cézy) في الاستانة في تاريخ ١٤ شباط بان يعضد المرسلين مـا امكنهُ في مهمّتهم لدى الكنائس الشرقيّة واوصاه خاصّة باليسوعيين

كان اول من ندبهُ الرؤسـاء الى هذه الرسالة الابوان غـبار مانيليه .G) (Magnilier وجان ستيلّا (J. Stella) وكلاهما يسوعيّ من اقليم ليون ابحرا من مرسيلية في ٢٢ حزيران سنة ١٣٢٥ وبلغا الاسكندرونة في ١٨ تموز ثم دخلا حلب في ٣ آب من السنة

وكانت حلب في ذاك العهد احدى امّهات مدن تركيا تكاد تكون الرابعة او الخامسة من حواضرها وكان عدد سكّانها ينيف على ٢٠٠,٠٠٠ يُحسب النصارى الربعَ منهم والباقون مسلمون ويهود ويزيديون وهي تُعدّ كسوق الشرق ومحطّ رحال القوافل التي كانت تمرُّ فيها ذهاباً واياباً بين الشام والعراق وارمينية وما بين النهرين فعرفت الدول ما يبنى على امتلاكها من الامال فتناوبت عليها منذ عهد البابليين الذين كانوا يسمونها حلبون ثم المصريين ودعوها خلبو ثمّ رنّمها سلوقوس نيكانور (٣١١–٢٨٨) فدعاها بيرية.(Βέροια و Βερόη) ثمّ صارت من بعـد

الرومان الى البوزنطيين ثمّ الى العرب اشتهر بينهم بنو حمدان ثمّ بنو مرداس ثمّ السلجوقيون والأيوبيّون وتولاّها المغول ثم مماليك مصر حتى فتحها السلطان سليم بعد واقعة عين دابق سنة ١٥١٦

ولمّا احتلّها اليسوعيّان كانت امورها عادت الى الانتظام بعد الحروب المتوالية فراجت تجارتها واقبل اليها كل طلّاب الثروة وكان تجار الاروبيين قصدوها ايضاً لترويج مرافق بلادهم واستبدالها بمحصولات الشرق الواردة الى حلب. كان سبقهم الى ذلك البنادقة ثم تبعهم الهولنديّون ثمّ الانكليز. امّا الفرنسويّون فساتوا في اثر الجميع في اواخر القرن السادس عشر. وكان لاولئك الاجانب قناصل مفوّضون من قبل دولهم لتدبير امور الرعايا وللمفاوضات الرسميّة مع عمّال الحكومة العثمانيّة وكان الكاثوليك من اولئك الفرنج قد استقدموا بعض المرسلين الفرنسيسكان نحو سنة ١٥٦٠ فقلّدوهم تدبير امورهم الروحيّة

امّا النصارى الشرقيون فكان معظمهم عددًا الروم يبلغون عشرة آلاف ثمّ الارمن الغريغوريون نحو ٩٠٠٠ ثمّ السريان اليعاقبة ٦٠٠٠ واقلّ منهم الموارنة ثمّ الكلدان. وكان للروم والارمن والسريان اساقفة يُعنون بامورهم. امّا الموارنة فاوّل اساقفتهم في حلب تعيّن بعد ذلك باثنتي عشرة سنة. وامّا الكلدان فكانوا من تبعة نسطور. ولم يكن بين نصارى حلب من الكاثوليك سوى بضع مئات من الموارنة كان يُعنى بامورهم كهنة قليلون ولهم كنيسة صغيرة في الجديدة على اسم النبيّ الياس. وكانت بقيّة الطوائف منفصلة الّا افراد منهم اخذوا يقتربون من الكنيسة الرومانيّة بساعي الرهبان الفرنسيسيين اخصّهم مطران الروم ملاتيوس كيمه الحموي فهذا سُقف على حلب نحو السنة ١٦١٠ وكان رجلا عالمًا تقيًّا محبًّا للالفة والاتحاد مع الكرسي الرسولي وفي سنة ١٦٢٤ طلب بوساطة المرسلين ان يُطبع في رومية الكتاب المقدّس فلبّى المجمع المقدّس الى طلبته وبُوشر بالامر الذي لم يتم الّا بعد ٥٠ سنة بساعي تلامذة رومية الموارنة

فلما وصل اليسوعيّان الى حلب وعرف ذوو الغايات نيّتهما بان يستوطنا المدينة ليخدما النصارى فيها اجتمعوا وتآمروا عليهما فسُدّت في وجههما كلّ الابواب حتى لم يجدا مذبحًا يقدمان عليه الذبيحة الطاهرة الّا عند الموارنة وكان من جملة الذين

عارضوهما قنصلا البندقية والانكليز وبعض تجار الفرنج واعيان الروم فسعوا بهما لدى حاكم المدينة قره قاش محمد باشا (١٦١٧—١٦٣٠) وخدعوهُ بقولهم انَّ اليسوعيَّين قدما الى الشهباء كجواسيس اسبانية ليبوحا الى الاسبانيين باسرار الدولة. فتنمَّر الحاكم غيظاً على المرسلين واوقفهما ثمَّ تهدَّدهما بالقتل ان لم يخرجا من حلب في ظرف ثلثة ايام. وكان من واجبات القنصل الفرنسوي في حلب واسمهُ وقتئذٍ دوليفيه (Pierre d'Olivier) ان يدافع عن المرسلين الفرنسويين فكأنَّهُ خاف معاداة رصيفَيهِ البندقيّ والانكليزي وخشي بغض اعداء اليسوعيين فاهملهما وشأنهما كما ورد في رسالة لاحد تجار الفرنسويين يدعى فيليب كون (Philippe Caune) نشرها حضرة الاب رباط في كتابهِ الآثار الخطيَّة لتاريخ الشرق المسيحيّ (١. فاضطرَّ المرسلان الى الخروج من حلب وعادا الى الاسكندرونة مخفورين وبقيا هناك محبوسَين مكبَّلين بالحديد الى ان اقلع مركب انكليزي الى اوربة فأُنزلا فيهِ قهرًا وركبا البحر الى فرنسة. غير انَّهُ حدث نوء شديد لم يستطع النوتيُّون النجاة منهُ الَّا بان عدلوا في سيرهم الى مالطة وكان الاب مانيليه في اثناء ذلك بُلي بمرض عضال فرَّق لحالهِ رئيس المركب وانزلهُ مع رفيقهِ في الجزيرة وواصل سيرهُ بعد ايَّام الى فرنسة دونهما

فكان ذلك بعناية خاصَّة من الله لخير بلاد الشرق فانَّ الاب مانيليه شفي بعد زمن قليل واذ وجد مركباً آخر متوجّهاً الى الاستانة ابحر الى دار السلطنة مع الاب ستيلّا ليواجها هناك السفير الفرنسوي الكنت دي سيزي ويسالا بواسطتهِ رقيماً شاهانيًّا مرخَّصاً لهما بالسكنى في الشهباء. وكان وصولهما الى الاستانة في اواخر السنة ١٦٢٥

فرحَّب بهما السفير وسعى طاقة جهدهِ في ازالة العقبات التي تحول دون رغبتهما ثم طلب من الوزير كرجي محمد باشا بان ينال من الباب العالي فرماناً للمرسلين. لكنَّ الوزير ابى الامر قطعيًّا وبقي اليسوعيَّان كذلك الى اواسط تموز حيث شغب العسكر

١) هذا اسم كتابهِ (Rabbath: *Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient*, I, p. 375-379) قد ظهر منهُ المجلد الاوَّل وجزءان من المجلد الثاني. وعنهُ اخذنا عدَّة معلومات في هذه المقالة

على الوزير وطلب الينكشريّة من السلطان مُراد الرابع رأس كرجي باشا فلم ير السلطان بدًا من اجابة طلبتهم فقبلع رأس الوزير وقلّد الوزارة بدلًا منهُ صهرهُ رجب باشا. فهذا كان لين الجانب محبًا للسفير الفرنسوي فمنحهُ طلبهُ وسلمهُ فرمانًا تاريخهُ ١٨ تشرين الاوّل سنة ١٦٢٦ مضمونهُ الرخصة لليسوعيّين بان يستوطنا حلب لخدمة الطوائف النصرانيّة. فلمّا بلغ الخبر مسامع الاب الاقدس سرّ لهذا النبأ ايّ سرور وارسل يشكر السفير الفرنسوي في الاستانة على همّتهِ

امّا اليسوعيّان فتأهبا من وقتهما للرجوع الى حلب وكتب في اثناء ذلك الملك لويس الثالث عشر الى قنصلهِ فيها ليبذل وسعهُ في مساعدة المرسلين في كل حاجاتهما. فتمّ رجوعهما في اوائل سنة ١٦٢٧

وكان حدث في مدّة سفر اليسوعيين بعض التغيير في احوال المرسلين الفرنسويين فانّ الحبر الاعظم اجابةً الى التماس ملك فرنسة كان منح للكبوشيين الفرنسويين وللكرمليين الفرنسويين ان يفتحوا لهم رسالات في انحاء الشام. ففكروا ان يذهبوا الى حلب كما فعل اليسوعيون مؤملين فيها خيرًا لكثرة اهلها النصارى فضلًا عن الفرنج المتاجرين هناك

وسبق الكبوشيون الذين ارسلهم رئيسهم الشهير في فرنسة الاب جوزف الباريسي (Joseph de Paris) احد كبار رجال عصرهِ ومرشد الملك. واوّل من دخل حلب منهم الاب باسيفيك (Pacifique de Provins) سنة ١٦٢٦. وفي السنة التالية (١٦٢٧) اتى الكرمليون تحت قيادة الاب بروسبار (Prosper - du St. Esprit). وبهم حظي الحلبيون بثلث رهبانيّات جديدة كان الله اختارها لحصاد زرع ربّ البيت

على ان الكبوشيين ورهبان الكرمل لقوا كلهم عدّة مشاكل وعوائق كادت تحول دونهم والسكنى في حلب كما جرى لليسوعيين قبلهم. وقد اخبر الاب بروسبار الكرملي (١ انّ آباء رهبانيتهم عاكسهم الترك وبعض الفرنج في اتمام مهمّتهم لكنهم ربحوا الاوّلين بحسن سلوكهم وكبحوا جماح الآخرين بقوّة رسائل الملك

١) اطلب رحلة الشرق للاب فيليب الكرملي P. Philippe de la Ste Trinité: *Voyage d'Orient*, 1648, p. 468)

لويس. وكذلك الكبوشيون فان البنادقة ارادوا ان يمنعوهم عن استيطان حلب بل طمع فيهم القنصل دوليفيه رغماً عن اوامر الملك (١ لكن رئيسهم الاب باسيفيك انتصر على كل المعادين

امّا اليسوعيّان الاب مانيليه والاب ستيلّا فاستأنف اعداؤهما عليهما الحملة اذ رأوهما عادا الى حلب. فقام ثانيةً قنصلا البنادقة والانكليز مع قنصل هولندة وهيجوا عليهما ارباب الدولة باغراء ذلك العدوّ الالد الذي كان سعى اوّلاً بطردهما. وكادوا ايضاً يفوزون بالمرام كالمرّة الاولى رغماً عن الفرمان الشاهاني الذي بايديهما لولا انهُ حضر في غضون ذلك الى حلب المشير خليل باشا سائرًا مع جيشهِ لمحاربة العجم في بغداد فهذا كان عرف اليسوعيين في الاستانة وصادق على الفرمان الممنوح لهما فلمّا علم بما يكمن لهما اعداؤهما من المكايد استحضرهم امامهُ وقال لهم جهارًا: «انكم كلكم قوم كذبة خوّنة فاني اعرف هذين الراهبين وقد رأيتهما في عاصمة الدولة بل اني وقّعت على الفرمان الذي اعطي لهما فان كان احدكم يتعرّض لهما زجّتهُ في الحبس وكبلتهُ بالقيود». ثم التفت الى الراهبين وقال: «امّا انتما فلا بأس عليكما فاني ابسط عليكما كنف حمايتي»

فخزي اعداء المرسلين خجلاً وأُصيب بعد أيام اكبرهم عداوة بداء عُضال فمات ولم يحضر احد جنازتهُ. امّا المرسلان فخرجا مطمئنين واتخذا لهما مسكناً في الخان الكبير الذي كان نزل فيهِ قبلهما الكبوشيون والكمولميون

٢ اعمال المرسلين الفرنسويين من السنة ١٦٣٧ الى ١٦٥٠

ابتدأ المرسلون الفرنسويّون بفلاحة كرم الربّ بما عُهدوا عليهِ من النشاط والغيرة لكنهم في اوّل امرهم لم يمكنهم الاختلاط بالاهلين فقصروا عملهم الى ابناء جلدتهم من الفرنج بالوعظ وتوزيع الاسرار وتهذيب الاحداث واخذوا يدرسون اللغة العربيّة على بعض الاساتذة الوطنيين ليستطيعوا بمعرفتها ان يخالطوا النصارى الشرقيين فيخدمونهم في الروحيّات ويوسّعون نطاق اعمالهم الرسوليّة فبارك الله مساعيهم حتى تمكّنوا بعد زمن قليل من مباشرة خدمهم الروحيّة بلغة الوطنيين. وسترى انهم لم

(١ اطلب الآثار الخطيّة للاب رباط (Rabbath: *Documents*, I, 368,

يكتفوا بالتبشير والتعليم لكنهم سعوا بالكتابة ايضاً ونشر الكتب الدينيّة اماً تعريباً واماً تأليفاً

وقد لقي المرسلون الاوّلون في بدء رسالتهم في حلب عنتاً عديدة ذكرهـا في كتاباتهم . فمن ذلك انّ اعداءهم كانوا يمنعون عنهم الحسنات لمعاشهم ليجبروهم على مبارحة البلد . فلم ير الاب مانيليه بُدّاً من ان يرسل رفيقهُ الاب ستيلّا الى فرنسة ليأتيهما ببعض الصدقات ليسدّا بها عوزهما . فبقي هو وحدهُ في حالة يُرثى لها وكان مع ذلك لا يكفّ عن خدمة النفوس وتهذيب الناشئة . غير انّ قواه كانت تخور يوماً بعـد يوم فبلغ خبرهُ مسامع الاب جيروم كويرو (Jerôme Quéyrot) وهو يومئذٍ في ازمير فانتقل الى حلب سنة ١٦٢٩ وجعل يساعد الاب مانيليه في اشغاله العديدة فكان لهُ اكبر مُعين وافضل تعزية

وقد قاسى الكبوشيون مثل هذه البلايا حتى انّ رئيسهم الاب باسيفيك احتجّ على ظالميه فنجا من شرّهم وسافر بعـد حين الى اصفهان حيث انشأ رسالة جديدة لرهبانه فقام عوضهُ باعمال الرسالة في حلب الاب بوناونتورا دي لود (Bonaventure-de Lude) . وكذلك الاب بروسبر الكرملي خرج من حلب الى العجم لمثل هـذه الغاية ثم رجع الى الشهباء بعد بضع سنوات

وبينما كان المرسلون في ضنك عيشهم ينتظرون من الله فرجاً لضيقهم اذ فشا في حلب داء الطاعون وانتشر ايّ انتشار حتى بلغ عدد المطعونين عدّة آلاف في ايّام قليلة . فرأى المرسلون من اقدس واجباتهم ان يخدموا البائسين ويلطّفوا اوجاعهم ويمدّوهم لآخرتهم لا يكترثون لاشقّ الاتعاب واعظم الاخطار . فكان مثلهم يعمل في قلوب الجميع حتى انطلقت الالسن دون استثناء في مديح تفانيهم واقرّ اعداؤهم بسوء معاملتهم لاهل الفضل والبرّ بل صاروا يعتبرونهم كرجال الله ويتبرّعون عليهم بمالهم للمشاريع الخيريّة . وبلغ اليسوعيين انّ رفيقهما الاب جان ستيلّا مـات بذلك الطاعون عينهِ في مدينة اقينيون وهو يخدم المطعونين فجازاه الله بموت شهداء المحبة

ولمّا سكنت العدوى وهـدأ روع السكان عاد اليسوعيّان الى اعمالهما الرسوليّة بغيرة اعظم من ذي قبل وكان الاب كويرو رجلاً عميم الفضل واسع العلم كبير الهمّة فعرض نفسهُ على مطران الروم السيد ملاطيوس كرمه ليعلم ابنـاء طائفته اللغات

الافرنسيَّة والايطاليَّة والروميَّة فسرَّ المطران بذلك ودعا احداث طائفته الى مدرسة الاب المذكور في حي الجديدة فما لبثوا ان اجابوا الى دعوته وكثر عددهم وزاد اقبالهم على الدروس وشاع اسم الاب كويرو بين اهل حلب بل علم بامره بطريرك الفنار فارسل الى مطران حلب يحذره من اليسوعيين فلم يبالِ السيد كرمه لقوله فبقي الاب مداوماً على عمله بكل نشاط (١)

واذ رأى المرسلون انَّ احوالهم تحسَّنت نوعاً وانَّ الاهلين اخذوا يقصدونهم بملء الثقة عزَّزوا رسالتهم بمرسلين جُدد اتوها من اوربَّة حتى بلغ سنة ١٦٣١ عدد الكبوشيين الفرنسويين ستة منهم خمسة كهنة واصبح عدد الكرمليين اربعة ثلاثة منهم كهنة. وبقي اليسوعيَّان وحدهما دون مساعد يخدمهما في امور الدير الماديَّة

وكان كل هؤلاء المرسلين يسكنون في خان الفرنج لكلّ رهبنة منهم غرفتان او ثلاث غرف وذلك خوفاً من اوباش المسلمين وعمَّال الحكومة الذين ما كانوا ليدَعوا فرصةً الَّا يسومون المرسلين خسفاً ويضربونهم ويفرضون عليهم الجمالات والضرائب ولو نقلنا هنا بالتفصيل ما يروونهُ في رسائلهم من ضروب المظالم العظيمة في حقهم وحقّ نصارى حلب لما صدَّقها القرَّاء. وكانت تلك الغرف التي يأوون اليها ضيقة لا يأتيها النور في الغالب الَّا من سقوفها فكان المرسلون يقاسون من ذلك الامرَين. امَّا خدمهم الدينيَّة كالقدَّاس والارشادات فما كان يجوز لهم ان يقيموها الَّا في المعبد القنصلي فيجدون في ذلك ايضاً ضيقة وعسفاً

وبقي المرسلون على ذلك عدَّة سنين حتى رأى اكثرهم انَّ الحالة لا تُطاق فاستأجروا لهم بيوتاً في احياء النصارى ليس بعيداً من خان الفرنج واتخذوا لهم هياكل نقَّالة كانوا ينصبونها صباح كل يوم لاقامة الذبيحة الطاهرة ثم يوارونها في النهار وكان عمَّال الدولة اذا بلغهم عن المرسلين انهم نصبوا في تلك البيوت هيكلاً كبسوا المحلّ وغرَّموا الرهبان اموالاً طائلة حتى اضطرُّوهم الى ان يعودوا الى سكنى الخان غير مرَّة

وممَّا اخبر الاب بسون في تاريخهِ انَّ رؤساء اليسوعيين ارسلوا الى حلب اخاً مساعداً اسمهُ فلوري بشان (Fleury Bechesne) نحو السنة ١٦٣٣ فوكل اليهِ

(١) اطلب تاريخ الاب بسُّون (Besson: *Syrie Sainte*, 24)

الاب مانيليه ان ينقش غرفةً صغيرة في بيت كانوا استأجروهُ وينصب فيها صورة تقويّة ليصلّوا امامها فوشى بهم احد المبغضين الى الحكومة فارسلت شرطاً اوقفوا الاب كويرو والاخ المهندس وزجّوهما في الحبس واثقلوهما بالحديد واوسعوهما ضرباً حتى أُصيب الاخ بمرض شديد وكان الاسيران يشكران الله كرسل المسيح ان أُعطي لهما ان يحتملا الآلام لاجل دينهم وبقيا كذلك اياماً حتى اخرجهما تاجر افرنسيّ اسمهُ كونتور من السجن بدفع مبلغ وافر عنهما

ومن عجيب ما جرى للمرسلين بعد ذلك انّ الله اعلن براءتهم في اعين الحكومة وكان قدم الى حلب حاكم جديد وهو مرتضى نوغاي باشا كان التاجر كونتور من اصحابهِ فتبيَّن فضل المرسلين وخباثة اعدائهم وكان القنصلان الانكليزي والهولندي قد تحقّقا ايضاً حسن اعمالهم فشهدا لهم عند الحاكم فامر هذا بان يُعامل المرسلون بكل اكرام وحفاوة. امّا الواشي الذي كان سعى بهم فمات بعد قليل اسوأ ميتة مسموماً بفعل احد اعدائهِ ولم يتأسف عليهِ غير المرسلين الذين كانوا صفحوا لهُ عن سوء فعلهِ بهم

فكانت كل النكبات التي حلّت بالمرسلين كالريح الزعزع التي توصل في الارض جذور الشجرة فتزيدها قوّة ونموًّا. ومن ثم شرع المرسلون يتعاطون بنشاط جديد كل المشروعات الخيريّة. وكان الاب كويرو يعظ في كنيستي الروم والموارنة بالعربيّة واليونانيّة الحديثة وفي المعبد القنصلي بالفرنسويّة والايطاليّة وكان الاب مانيليه يعود المرضى ويزور المسجونين في رفقة الاخ بيشان الذي كان يدعوهُ الحلبيون رجل الله ويطرئون فضائلهُ ويستمدُّون بركتهُ وقد خدمهم خدمة نصوحاً بكل نزاهة وتفانٍ ومات بعد ذلك في خدمة المطعونين سنة ١٦٥٢

ورجع الاب كويرو الى تدريس الاحداث لكنَّ بعض الحسّاد من الروم انكروا على مطرانهم الرخصة المعطاة للمرسل لتعليم اولادهم زاعمين بأنَّهُ يجعلهم فرنجاً مثلهُ. فصعب الامر على السيد الاسقف وحامى عن الاب المرسل واطنب في مديح فضائلهِ لكنَّ الراهب لم يشأ ان يكون سبباً للخصام بين الراعي ورعيَّتهِ فطلب من المطران ملاطيوس ان يقيلهُ من وظيفتهِ التي كان بذل نفسهُ للقيام بها

واذ حصل لهُ بذلك وقت من الفراغ اخذ بتصنيف معجم واسع جمع فيهِ

مفردات ست لغات اي العربيّة والفرنسويّة والطليانية والروميّة القديمة والحديثة والتركية فدعاه كنز اللغات واضاف اليه كل ما يحتاج اليهِ الاجنبيّ لمعاملاته مع الاهلين فكان اوّل كتاب أُلّفهُ مرسل من هذا الصنف ولم يزل مخطوطاً

وفي تلك المدّة اطلق المرسلون العنان الى غيرتهم لانارة الاخوة المنفصلين وردّهم الى الحظيرة البطرسيّة. ولعلّ اوّل من ارتدّ منهم النساطرة وكان لهم في حلب كاهن يخدمهم يدعى شمعون وقد اخبر الاب كوارزميوس الفرنسيسي المعتمد الرسولي في كتابهِ «كشف الاراضي المقدّسة» انهُ توفق في حلب سنة ١٦٢٧ الى ردّ الكاهن المذكور الى حجر الكنيسة فقرّر صورة ايمانهِ عن نفسهِ وعن طائفتهِ (راجع المشرق ٦ : ٦٥٨) ولعلّ هذا الكاهن خضع للبطريرك الكلداني ايليّا السادس (١٥٩١ — ١٦٢٧) الذي كان متحداً مع الكرسي الرسولي (المشرق ٣ : ٨٢٦) على انّ هؤلاء النساطرة الحلبيين لم ينبذوا كلهم اضاليلهم. وقد افاد الاب بسون (Syrie Sainte, 46) عن حالتهم وشتات كلمتهم في زمانهِ اعني في اواسط القرن السابع عشر وما كان يبذلهُ اليسوعيون من المجهود في خدمتهم

وقد رأيت اعتبار السيد ملاطيوس كرمه الحموي للاب كريرو الذي انار كثيرين من الروم في حلب بمواعظهِ وتآليفهِ. وفي سنة ١٦٣٥ وقع اختيار اساقفة طائفتهِ عليهِ لكرسي دمشق البطريركي فدُعي افتيميوس والحّ على الاب كريرو ان يرافقهُ الى الفيحاء فرضي اليسوعي وخدم الكنيسة اليونانيّة هناك نحو ٢٠ سنة بغيرة لم تعرف السأم وفتح لاحداث الروم بدمشق مدرسة ازهرت بعد وقت قريب كمدرسة حلب واتت باثار شهيّة. وقد اخبر الاب جان امير اليسوعي في احدى رسالاتهِ (١ ان البطريرك افتيميوس الحموي مات بين يدي الاب كريرو ميتة الابرار متحداً مع رومية الاتحاد التامّ. وجلس بعدهُ على الكرسي الانطاكي افتيميوس الساقزلي ودعي افتيشيوس وكان كسلفهِ محبّاً لليسوعيين الذين كان اختبر فضلهم في حلب وكانوا شفوهُ من مرض المّ بهِ

وخلف السيدَ كرمه على كرسي حلب سميّهُ ملاطيوس الزُعيمي ودبّر كرسي حلب من ١٦٣٦ الى ١٦٤٨ وكان ايضاً عاملاً للّاتين لا يمنعهم عن ارشاد ابناء طائفتهِ

١) اطلب الاثار الخطيّة للاب ا. رباط (ج ١ ص ٤٠١ — ٤٠٢)

في المعتقدات الكاثوليكيَّة وهو الذي صار بعد ذلك بطريركاً انطاكيًا واشتهر باسم مكاريوس وقد ذكر المشرق غير مرَّة تآليفهُ وخبر رحلتهِ الى القسطنطينيَّة وبلغارية وروسيَّة وترييفهُ للتعاليم البروتستانيَّة (المشرق ٥ : ١٠٠٩ و٧ : ٧٦٦ و١١ : ٥٤١) ونشر لهُ الاب انطون رباط في كتابهِ الآثار الخطيَّة (ج ١ : ٤٦٨) رسالتهُ الى ملك فرنسة لويس الرابع عشر. ففي مدَّة اسقفيَّتهِ في حلب نما عدد الكاثوليك من الروم بساعي الرهبان اللاتين وخصوصاً اليسوعيين. وكان خلف الابَ كويرو رجلان من اماثل الرهبان واعظمهم فضلًا وهما الاب حبيب شيزو (Aimé Chezaud) وجان اميو (Jean Amieu) فهذان اليسوعيَّان جريا على آثار الاب كويرو واشباهه بكلّ اعمالهِ الرسوليَّة فاخذ عدد المنحازين الى الوحدة الكاثوليكيَّة يزداد يوماً بعد آخر بحيث يجوز القول انَّ حلب كانت المهد الاوَّل لطائفة الروم الكاثوليك

وكذلك يحقّ للسريان ان يعتبروا الشهباء كالمركز الاوَّل لطائفتهم الكاثوليكيَّة. وكان رجوعهم في ذلك الزمان عينهِ على يد المرسلين. جاء في سجل الآباء الكبوشيين في حلب انَّهم اهدوا الى الايمان في حلب بطريرك اليعاقبة شمعون الاوَّل فارسل على يدهم صورة ايمانهِ في ١٢ آذار سنة ١٦٤١ الى اوربانوس الثامن (١

وكان لليعاقبة مطران في حلب اسمهُ ديونيسيوس قسطنطين كان يرعى ابناء طائفتهِ منذ السنة ١٥٩٩ فبقي في تدبيرهم خمسين سنة وتوفي سنة ١٦٤٩ بعد ان اتاح لهُ الله ان يرتدّ الى الايمان الكاثوليكي وذلك على يد مرسل يسوعي يُدعى غليوم غوده (G. Godet) الذي قضى في حلب ست سنوات ومات برائحة القداسة بعد ان قدَّم نفسهُ كضحيَّة عن اثم احد كهنة الفرنج الذي جحد ايمانهُ فصار عثرةً في سبيل المؤمنين (٢ وجاء في ترجمة حياتهِ انَّ الله كان منحهُ ان لا يمرّ عليهِ اسبوع واحد دون ان يردّ للكنيسة الكاثوليكيَّة ثلاثة من الضالّين على الاقلّ

وفي هذا الوقت كان ارتداد « اخيجان بن عبد الغال مرّي » الى الكثلكة وهو الذي عُرف بعد ذلك باسم اندراوس وكان اوَّل بطريرك كاثوليكي لطائفته.

١) راجع السلاسل التاريخيَّة للقيكنت فيليب دي طرّازي (ص ١٧٦) وكتاب عناية الرحمان في هداية السريان للسيد ديونيسيوس افرام قشّاشه (ص ٣٥)

٢) اطلب الآثار الخطيَّة (ص ٣٩٨ — ٤٠٠ و٤١٧ — ٤٢١)

امَّا رجوعهُ فكان على يد الاب جان اميو اليسوعي كما ورد ذلك في تاريخ الاب بسُون (Besson: *Syrie Sainte*, p. 45) قال ما تعريبهُ : « ان الاب جان اميو كان مصادقاً لاحد ادباء السريان اسمهُ اخيجان وكان هذا شماساً في كنيسة (اليعقوبيَّة) فاهداهُ المرسل يوماً صورة من صور السيدة البتول مريم فاضحت لهُ مبدأ سعادتهِ لأنَّهُ ما كان ينظر اليها الَّا يشعر في قلبهِ نفوراً من البدعة اليعقوبيَّة وتقرُّباً الى الكنيسة الكاثوليكيَّة . فكانت هذه الافكار تشغلهُ ليلًا مع نهار فاخذ يتردَّد على الاب اميو ويعرض عليهِ مشاكلهُ حتى اكتسبهُ للكنيسة الرومانيَّة » . والظاهر من كتابات المرسلين ان الاب الكبوشي سلفستر دي سنت انيان (Sylv. de St. Aignan) والاب برونو دي سنت ايف (Bruno de St Yves) ساعدا الاب اميو في ارتداد اندراوس اخيجان ثم أُرسل الى مدرسة الموارنة في رومية حيث درس تحت نظارة الآباء اليسوعيين وبعد نهاية دروسهِ سامهُ البطريرك اسطفان الدويهي مطراناً وتولى تدبير الكنيسة السريانيَّة في حلب وتألفت مذ ذاك الحين الطائفة الكاثوليكيَّة السريانيَّة

ولحلب الفضل ايضاً في وجوع الارمن واتحادهم بالكرسي الرسولي . وتمَّ الامر فيها على يد المرسلين كبقيَّة الطوائف وقد ربح الاب حبيب شيزو شكر الارمن لغيرتهِ في خدمتهم اكثر من سواه . وممَّا ورد في تقرير للاب نيقولا بوارسون سنة ١٦٥٣ انَّ الاب شيزو كان يتفانى في خدمة الارمن واذ لم يكن للكاثوليك منهم راعٍ غيرهُ جعل يتمم لديهم كلَّ الفرائض الرعويَّة . وكان اصل هؤلاء الكاثوليك من تخشيوان في العجم واسقفهم اسمهُ اوغسطين من رهبانيَّة مار عبد الاحد فهذا علم بهمة الاب شيزو وعنايتهِ بابنائهِ الروحيين فكتب لهُ يشكره ويفوّضهُ بكل الانعامات الخاصة بشخصهِ . امَّا المنفصلون من الارمن فكان اسقفهم مبغضاً للكاثوليك الَّا ان الاب شيزو لم يكفَّ عن ارشاد رعيَّته حتى ردَّ كثيرين منهم

وفي غضون ذلك مرَّ بحلب كبير بطاركة الارمن جاثليق اشميازين فرأى رأي العيان ثمار غيرة الاب شيزو واثنى عليهِ الثناء الطيب امام اهل طائفتهِ . فكان هذا الثناء داعياً لارمن حلب كي يقبلوا على تعاليم رسولهم فاخذوا يطلبون منهُ ان يرشدهم واولادهم في امور الدين . ثم تعين على ارمن حلب اسقف جديد كان

يتردّد للاب المذكور ويدعوهُ ليلقي على شعبهِ الوعظ ويحضر طقوس الارمن في كنيسة الاربعين شاهدًا وكنيسة السيّدة في حيّ الجديدة. فرأى الاب شيزو انّ الله قد مهّد لهُ السبيل لبذر الايمان الكاثوليكي في قلوب هؤلاء الارمن ولاسيما اذ بلغهُ انّ قداسة الحبر الاعظم اوربانوس الثامن كان ارسل سنة ١٦٤٠ وفدًا الى جاثليقهم فيلبُّوس اغاباد (١٦٣٣—١٦٥٥). فاخذ يدرس الارمنيّة وأوعز اليهِ مطران حلب ان يفتح مدرسة يعلّم فيها بالعربيّة العلوم الفلسفيّة والدينيّة والادبيّة فاجاب الاب الى سؤالهِ وكان المطران مع كهنتهِ ووجوه رعيّتهِ يحضرون دروسهُ ولمّا اتقن الارمنيّة انشأ للارمن اخويّة كان يعظ لهم فيها بلغتهم. وبقي الاب شيزو يتفانى في خدمة الارمن حتى طلب ان يذهب الى العجم حيث عددهم اوفر فرحل الى اصفهان وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٦٦١ وكان اتقن اللغة الفارسيّة حتى ألّف فيها معجماً ووضع عدّة تآليف لايضاح المعتقدات النصرانيّة والدفاع عن تعليمها

ولم يهمل المرسلون الموارنة بل كانوا كلّهم يتردّدون الى كنيستهم ويعلّمون فيها الصغار ويرشدون المؤمنين وكان الاب جان اميو ممن تخصصوا بهذه الطائفة فافرغ كفاءة جهده في خيرها ثمّ انتقل الى لبنان وسواحل الشام فادّى للموارنة ايضاً خدماً عديدة وكانت وفاتهُ في دير الاباء الكبوشيين في بيروت في ٦ تشرين الثاني سنة ١٦٥٣ ودُفن امام باب كنيسة الموارنة فيها

ومن الوسائل الفعّالة التي توسّل بها المرسلون في حلب لنموّ الايمان الاخويّات التقوية. فلمّا رسخ قدم الآباء اليسوعيين في الشهباء انشأوا منها ما امكنهم. فالاب حبيب شيزو كان قبل اخوية الارمن انشأ اخويّةً للموارنة في كنيستهم تقاطر اليها ابناء تلك الطائفة بكل رغبة. وانشأ الاب جلبرت ريغو (Gilbert Rigault) اخويّة للتجار الفرنج غيرت بعد زمن قليل هيئة جاليتهم بما نفخته في قلوبهم من عواطف التقى والهمتهم من الاعمال الصالحة. وانشئت ايضاً اخويّة للاحداث بساعي الاب غوده المارّ ذكرهُ كان الصغار ينشأون فيها على كل آداب الشبيبة الصالحة

فكلّ هذه الاعمال تمّت في مدّة ٢٥ سنة الاولى التي قضاها المرسلون في حلب. ومنها ترى انّ الزرع كان سقط في تربة صالحة فاتى بالستين والمئة. وفي عدد آخر نتبع ان شاء الله آثار المرسلين فنروي مآثرهم في بقيّة القرن السابع عشر (لهُ بقيّة)

معالجة طنين الأُذنين

للدكتور كامل سليمان الخوري من حمص

ان طنين الأُذنين هو عرض مزعج وكثيرًا ما يحمل المصاب بهِ الى الوقوع في اشدّ حالات الضنك واليأس وينشأ هـذا العرض غالباً عن تهيج يعتري العصب السمعي في تشعباتهِ الاخيرة في التيه او في مسيره او في نقطة منشأهِ المركزيَّة. وقد يحصل طنين الاذن بدون وجود آفة في الجهاز السمعي وذلك في احوال فقر الدم وضعف الاعصاب او بعد تجرّع بعض عقاقير مثـل سليسيلات الصودا وكبريتات الكينين او بالحري املاح الكينين عموماً الخ. هذا وقد تختلف ظواهر طنين الاذن طبيعة ونغمةً وشدة ومدَّة. واحياناً تظهر بدون وجود اقـلّ طرش او انها تسبق حصول هذا الاخير. لكن الطنين يطرأ عادة عند حصول الطرش ويذهب متزايدًا معهُ.

يحصل الطنين في الاذنين اوّلًا: في الآفات الالتهابيَّة والجرحيَّة التي تطرأ على الاذن الخارجيَّة والاذن الوسطى

ثانياً: في التهاب الأُذن الوسطى اليابس او الجافّ

ثالثاً: في تعفنات الأُذن الداخليَّة. فالطنين الذي ينشأ عنـهُ المجرى يحصل من وجود جسم غريب فيهِ او تجمُّع سدادة صملاخيَّة أو في التهاب الاذن الخارجيَّة او في دمل المجرى

والعلاج الذي يوصف لمقاومة العلَّة المسبِّبة يزيل هـذا الطنين. وكذا القول عن علل الاذن الوسطى الحادّة اي علل الصندوقة او الطبلة. واما اذا استمرّ الطنين بعد شفاء العلة الاوليَّـة فلا احسن من استعمال الحمّام الهوائي المتشلشل حسب طريقة « بوليتزر » مع تمسيد الطبل. وعرض الطنين هذا يرافق اغلب الحوادث ان لم نقل كلها التي تُشاهد في التهـاب الاذن الجافّ. ويقتضي توجيه العلاج اولًا الى ازالة تهيج المراكز العصبيَّة بالمعالجة الداخليَّة التي قوامها التصريف. ثم الى مقاومة الالتصاق المفصلي

التهدد عظيمات الاذن كنحو التحام الركاب مع الشباك البيضي . وانقاص الضغط داخل التيه

امّا المعالجة الداخليّة والتصريف فيقومان بدهن جلد المجرى وباستعمال سدادات من القطن المُشرَب موادّ علاجيّة وبغسل الاذن بالمحاليل المسكنة الحاوية شيئاً من المورفين والكوكايين والبنج الخ . ويُعمد التصريف على النتوء الحلمي الشكل بوضع صبغة اليود والفرك ببلسم « فيوراڤانتي » ومنقطات صغيرة طيارة وخصوصاً نقط تاريّة . وبين العلاجات الممدوحة من الداخل لا شيء يفضل يودور البوتاسيوم وڤاليريانات النشادر . امّا في التهاب الاذن الجاف فيستحسن اضافة برومور البوتاسيوم الى يودوره كما ان استحضارات الكينين هي ذات فائدة كليّة في الطنين والدوار الناشئين عن آفات الاذن الداخلية . واذا كان الطنين انعكاسيًا مثل الذي يرافق علل المعدة والرحم ونقد الاسنان الخ فيوجّه علاجه الى السبب الاصلي

وقد اطرأ بعضهم استعمال الكهربائيّة بمجارٍ متواترة بوضع القطب الايجابي على النتوء الحلمي الشكل او المجرى والقطب السلبي على النقرة . امّا يجب مزيد الانتباه نظرًا لجوار الدماغ

العلاج الميكانيكي : ان نوع هذا العلاج هو كبير الاهميّة لانقاص الضغط في التيه الناشيء عن انفراز الركاب في الشباك البيضي : فيجب قنطرة بوق اوستاخيوس مرةً كل يومين مع نفخ الهواء في الصندوق . وامّا اذا كان الطنين شديدًا جدًا فلا بأس من تحميل الهواء المنفوخ ابخرة إثير او كلوروفرم او برومور الايتيل . امّا اذا كان وقت الربض لا يسمح لهُ بمقابلة الطبيب بنوع منتظم قانوني فيستعمل لهُ الهواء المتشلش بحسب طريقة بولتزر . امّا نفخ الهواء ببوق اوستاخيوس فيجب قرنهُ بتمسيد الطبل وتمديد الهواء في مجرى السمع الخارجي . وهكذا يتصل الى تحريك العظيمات هذا ولا يبرحنّ عن البال ان هذه العلة تكون عادة متفندة ولا ميل لها البتة الى الزوال او التناقص من تلقاء نفسها وعليه فيقتضي في معالجتها الداخلية والخارجية التمسك بالصبر والثبات وحينذاك يُرجى التخلص منها

. هذا وكثيرًا ما يُشاهد حصول طنين مزعج ناشيء عن تراكم الاوساخ والموادّ الصملاخية في الاذن وللتخلص منها يجب تطرية الكتلة بوضع بضع قطرات من

من زيت الزيتون النقي في الاذن يكرّر ذلك على عدة دفعات. ثم تُحقن الاذن بما. أذيب فيه شيء من الصابون بحقن كبير مضبوط ويكرر ذلك على عدة جلسات. يُحقن في كل جلسة لا اقلّ من خمسمائة كرام. وغالباً في الجلسة الثانية تبدأ الكتلة تتفتت او تخرج قطعةً واحدةً. هذا وقد يتفق ان يمرو المريض دوار من تأثير الحقن سيما اذا كان المحقن كبيراً. فيقتضي اخذ الحيطة عندما ينهض المريض من محله لئلا يسقط على الحضيض. وقد تكون الكتلة احياناً متصلبة فتستدعي عدة جلسات متوالية

صورة ايمان

الكاثوليكيين من طائفة الروم

توطئة

بين المجاميع النصرانية التي في مكتبتنا الشرقية مجموعة خالية من التاريخ يلوح من ورقها وخطّها انها كُتبت منذ نحو ١٥٠ سنة وهي عبارة عن فرائض تقويّة شتى جمعها احد الروم الكاثوليك في حلب لقادته الروحية وضمّنها الصلوات الطقسيّة والكلندارات السنويّة وتأملات مختلفة مع تبذتين حسنتين في ثوب سيّدة الكرمل وفي صلاة الورديّة وما يتوسط بها. واحسن ما في هذا الكتاب البالغ ٢٥٩ صفحة من قطع الثمن صورة دستور الايمان الكاثوليكي الذي يعتقده الروم الملكيّون جمع فيه صاحبهُ المجهول خلاصة العقائد الكاثوليكية التي يخالف فيها الروم المتّحدون بالكرسي الرسوليّ اخوتهم المنفصلين عنهُ مع خلاصة البراهين على صدقها. فرأينا في نشر هذا الاثر افادة وهو في الاصل من الصفحة ١١٩ الى ١٤٧ وقد تركناهُ على بساطته لم نصلح منهُ غير اغلاط نحويّة قليلة جدًّا. ولعلّ مؤلف هذه الخلاصة الاعتقادية هو الشماس عبد الله زاخر والله اعلم ل. ش

(119) صورة اعتراف ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم المتمسكين بتعليم الكنيسة الجامعة المقدّسة الرسوليّة مثبتاً بشهادات كتب الله المقدّسة ورسوم المجامع المسكونيّة وايضاحات آباء الكنيسة الشرقية القديسين وذلك بوجه الاختصار لدفع شكوك الذين لجهلهم يظنون انّ الاعتقاد بهذه الحقائق محدَث وان تلك المعتقدات

ليست مقلّدة لنا من آبائنا الاطهار الذين نرجو ان يثبتنا الله على صخرة اعترافهم آمين
اننا نحن الكاثوليكيين اولاد بيعة الله المقدّسة البطرسية نؤمن مصدّقين ونقرّ معترفين:

١ الرئاسة البطرسية

﴿ اولاً ﴾ برئاسة واحدة عامّة مطلقة في بيعة الله (120) الواحدة المقدّسة الرسولية وهذه الرئاسة هي التي قلّدها سيدنا يسوع المسيح لمار بطرس رسوله اذ اقامهُ صخرة كنيستهِ بالمساهمة والاشتراك ليسند جميع المؤمنين ويثبتهم بحقيقة الايمان بهِ. وهذا اشار اليهِ سيد الكلّ:

١ً بدعوتهِ رسولهُ هذا ماري بطرس الذي تأويلهُ صخرة لانهُ بهذا تقدّم فانبأه عن الحظّ المنتظرهِ اي انهُ عتيد ان يبني بيعتهُ عليه كما قال الذهبي فمهُ في مقالتهِ التاسعة عشرة من تفسيرهِ لانجيل ماري يوحنا

٢ً أعلن ذلك بوعدهِ لهُ ببناء البيعة عليهِ وذلك بقوله لهُ (متى ١٦: ١٧ — ٢٠): «انت صخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي» اي وعليك انت يا بطرس ابني بيعتي. فمن ثم قال الذهبي فمهُ في مقالتهِ الرابعة والخمسين من تفسيرهِ انجيل ماري متى: «ستُمنَع عن الكنيسة (121) الامواج الشديدة وهي مستندة على قاعدة واحدة اعني صيادًا واحدًا الذي جعلهُ المسيح اثبت من الصخرة»

٣ً حقّق ذلك بمنحهِ لهُ هذا الرئاسة بقولهِ لهُ بعد القيامة ثلثاً (يوحنا ٢١: ١٥ — ١٨): «يا بطرس أتحبني؟ ارع خرافي. ارع كباشي. ارع نعاجي» لانهُ تعالى بهذا الخطاب منحهُ سلطان الرعاية المطلق وسلّم بيدهِ كنيستهُ كلها. كما قال الذهبي فمهُ في مقالتهِ الثامنة والثمانين من تفسيرهِ لانجيل ماري يوحنا: «انّ سيد الكلّ اوضح لبطرس بهذا الخطاب انّ سبيلهُ ان يطمئن ويتقلّد التقدّم على اخوتهِ وكأنهُ يقول لهُ: انت تحبني فتقدّم على اخوتك. فالمسيح اذن اذ نهى تلاميذهُ عن محبة الترأس ألّا يتخذوا لهم معلماً ومدبراً على الارض لم ينفِ الترأس من كنيسته مطلقاً بل محبة الترأس وألّا يتخذ تلاميذهُ لهم معلمين بالنوع الذي كان (122) يتقدّم بهِ الفريسيون على تلاميذهم بل يخضعوا الذي يقيمهُ هو نفسهُ ونيساً عليهم ونائباً لهُ على الارض ليكون معلماً لبيعته لا من تلقاء نفسهِ بل من قبل معلمهِ السماوي الذي هو معلّم البيعة

ومدبرها الوحيد. فمن ثمَّ نعترف نحن خلواً من شكٍّ وريب:

١ انَّ ماري بطرس رأس التلاميذ وزعيمهم حسبما يدعوهُ الذهبيّ فمهُ في مقالتهِ الثانية والثمانين من تفسيرهِ لماري متى

٢ نعتقد انهُ الرقيب الناظر على جميع كنائس المسكونة حسبما يدعوهُ هذا القديس الجليل في المقالة الثامنة والعشرين من الدرّ (١ قائلاً: « انَّ بطرس بعد تلك السقطة الصعبة اصعدهُ المسيح الى درجة كرامتهِ الاولى ومنحهُ ان يكون رقيباً وناظراً على كنائس المسكونة باسرها

٣ نعترف انهُ رئيس رُعاة بيعة المسيح التي سلَّمها بيدهِ وانهُ صخرة الايمان التي بنى المسيح بيعتهُ (123) عليها وذلك حسبما يدعوه في مقالتهِ الرابعة والثلثين من الكتاب المقدَّم ذكرهُ حيث يخاطبهُ هكذا: « هاتِ الآن يا بطرس فقل لي انت الذي طوَّبك الربّ يسوع المسيح من اجل هؤلاء المضلين العتيدين ان يُضلُّوا رعية المسيح التي سلمها بيدك واقامك عليها رئيساً للرعاة ورقيباً على انفسنا » ثم انهُ يقول بعد ذلك « حقًّا انَّ بطرس صخرة الايمان التي بنى المسيح عليها بيعتهُ »

٤ نشهد انهُ المتقدّم بالسياسة على المسكونة اجمع كما يدعوهُ في المقالة الثامنة والثمانين من تفسيرهِ انجيل ماري يوحنَّا قائلاً: « انهُ وان كان يعقوب تال كرسي اورشليم الَّا انَّ بطرس تقلَّد سياسة المسكونة كلّها »

٥ فشهد انهُ رئيس التلاميذ وراعي العالم حسبما شهد القديس غريغوريوس نيصص في النوع الخامس من الباب السادس من كتابهِ المشهور (124) « بالفردوس العقليّ » حيث يقول: « انَّ ربنا خوَّل بطرس رئاسة التلاميذ ورعاية العالم والتقدُّم عليهم ». وهكذا ماري كيرلس الاورشليمي يدعوه في المقالة الثانية من كتابة الشهير « بوعظ البيت المقدَّس » وفي عظتهِ السابعة عشر من هذا الكتاب ايضاً قائلاً: « انهُ راس التلاميذ ورئيسهم وصاحب مفاتيح السماء »

٦ نعترف انهُ رئيس الرعاة للاغنام الناطقة حسبما تنشدهُ كنيسة الله في يوم عيدهِ في قانون السحر قائلة: « انت بالاستحقاق دُعيت صخرة واذ ثبَّت للمسيح ايمان بيعتهِ

١ يريد كتاب الدرّ المنتخب من مقالات القديس يوحنَّا فم الذهب الذي طُبع اولاً في حلب سنة ١٧٠٧

متوطداً جعلك رئيس الاغنام الناطقة ولذلك اعطاك مفاتيح ملكوت السماوات »

٢ رئاسة الحبر الروماني خليفة عامة الرسل

﴿ ثانياً ﴾ نعترف بالنتيجة انَّ الحبر الروماني لهُ هـذا التقدُّم نفسهُ في كنيسة الله بما انَّهُ خليفة الجالس في كرسيهِ لانهُ كما يقول الذهبي فمهُ في كتابهِ الثاني على الكهنوت: «ان الربَّ (125) مخلصنا يسوع المسيح محبّ الانفس ما سلَّم الرئاسة للقديس بطرس وحدهُ بل لخلفائهِ ايضاً لاجل اتحاد رعيتهِ اي لتكون جميع اعضاء الكنيسة متحدين برأس واحد حسب مراد المسيح ان تكون الرعية واحدة لراعٍ واحد». وهذا نتحقَّقهُ بتسليم المجامع المقدَّسة المسكونيَّة كافَّة:

١ً يتَّضح لنا ذلك من القانون السادس من المجمع النيقاوي الذي تشهد بهِ آباء هذا المجمع المقدَّس انَّ الكنيسة الرومانيَّة كان لها التقدُّم دائماً حيث يقولون: « فليكن اذاً للاسقف الاسكندري سلطان على مصر وليبية وبنتابولي لان الاسقف الروماني لهُ مثل هذه العادة » اي ليكن لاسقف الاسكندريَّة التقدُّم على اساقفة هذه البلاد المذكورة كما انَّ اسقف رومية لهُ التقدُّم منذ القديم على جميع المسكونة. وهذا نفسهُ تحقَّقهُ آباء هذا المجمع برسالتهم المرسلة الى (126) سلفستر البابا التي بها يعترفون بوجوب الانقياد الى حكمهِ قائلين: «انَّا نعترف بأنَّنا نكتب الى كرسيكم الروماني ما فسَّرناه ونقلناه من اليوناني ساعين جملةً الى حكم كرسيكم لاجل التثبيت». ويتأكد ذلك ايضاً من القانون السابع والثلثين والرابع والاربعين من الاربعة والثمانين رسماً المنسوبة لهذا المجمع والموجودة في كتاب الناموس المقدَّس لانهُ يذكر في القانون السابع والثلثين: « انهُ يجب ان تكون البطاركة اربعة لا غير وان يكون الرئيس والمقدَّم فيهم صاحب كرسي ماري بطرس السليح برومية ». وفي القانون الرابع والاربعين يذكر انهُ « كما انَّ البطريرك امرهُ وسلطانهُ على من هم تحت يدهِ هكذا لصاحب رومية سلطان على جميع النصرانيَّة لانهُ خليفة المسيح ربّنا على شعبهِ وكنائسهِ كلها ومن خالف ذلك فجماعة السينودس تحرمهُ » (127)

٢ً يتحقَّق ذلك من القانونين الرابع والخامس من المجمع السرديكي اللذين يحقق بهما هذا المجمع «وجوب تسلط الحبر الروماني بالسيادة والسلطان على جميع الاساقفة حتى انهُ يستطيع وحده ان يغيِّر احكامهم ويبطلها كما يشاء». وهذان

القانونان ما عدا وجودهما في اعمال المجمع نراهما ايضاً في كتاب الناموس العربي. ثمَّ يتأكد ذلك من رسالة هذا المجمع نفسهِ الى يوليوس اسقف رومية التي يعترف بها المجمع المقدَّس « انهُ واضح جدًّا ولائق ان تُقاد سائر كهنة الربّ من جميع الابرشيات الى الرأس اي الى كرسي ماري بطرس الرسول »

٣ نتحقق ذلك من المجمع الافسوسي الذي نرى فيهِ البابا سلستينوس يمنح اعظم البطاركة اي ماري كيرلس صاحب الكرسي الاسكندري سلطاناً لان يحرم البطريرك القسطنطيني اعني بهِ نسطور موضحاً لهُ انَّ هذا الامر يختصّ بالكرسي (128) الروماني وحدهُ بقولهِ لهُ : « انَّنا نخصُّك بسلطان كرسيّنا لتستعمل وظيفتنا وتتمّ القضاء على مثل هذا بشدَّة ان كان لا يجحد تعليمهُ ويحرمهُ ». وهكذا ارسل فحرم نسطور بسلطانهِ المطلق من غير توقُّف على حكم مجمع. وايضاً يتضح لنا هذا الامر من الكلام المحرَّر في العمل الثالث والذي قبلهُ هذا المجمع المقدَّس وهو قول القسّ فيلبس: « انهُ لا ريب عند احد وهو معلوم في جميع الدهور انَّ القديس بطرس الجزيل الطوبى مقدام الرسل ورأسهم وعمود الايمان واساس البيعة قد تسلم من المسيح مفاتيح ملكوت السموات وهو يحيا ويحكم الى الآن ودائماً باشخاص خلفائهِ »

٤ نتبيَّن ذلك من اصوات المجمع الخلقيدوني المقدَّس الذي لا يدعو الحبر الروماني الَّا « الرئيس المسكوني العام صخرة الايمان وخليفة ماري بطرس الرسول وراس الكنائس كلّها » كما يوجد ذلك محرَّرًا في جميع اعمال هذا المجمع المقدَّس وغيرهِ من المجامع المسكونيَّة المقدَّسة (129)

٥ يتوكَّد عندنا ذلك من قبول المجمع السادس بغاية التقوى والاحترام رسالة البابا اغاتون المحرَّرة في المجلس السادس من هذا المجمع وبها يوضح هذا الحبر القديس الذي تذكرهُ كنيستنا في عشرين من شباط « انَّ الكنيسة الرومانية ما زاغت عن التقليدات الرسولية قطّ وانهُ مختصٌّ باساقفتها تثبيت جميع اساقفة المسكونة لانهُ قد قيل لبطرس: انا طلبتُ من اجلك لئلَّا ينقص ايمانك فارجع انت وثبت اخوتك. فهناك وعد الربّ لبطرس انَّ ايمانهُ لا ينقص وحرَّضهُ على تثبيت الاخوة. وقد تحقق عند الكلّ انَّ رؤساء الكرسي الرسولي قاموا بذلك دائماً بالشجاعة التامَّة »

٦ نتحقق هذا ايضاً من قبول المجمع السابع لرسالة ادريانوس البابا الى

تلاسيوس البطريرك القسطنطيني التي عندما قُرئت في الجمع المقدَّس هتف جميع الآباء (130) بفم واحد: «أننا نقبل هذه الرسالة ونزيدها حسب تقليد آبائنا القديسين». وفي هذه الرسالة يخاطب البابا ادريانوس آباء المجمع قائلاً: «اننا قد حرمنا الهراطقة وجمعهم الزور امام قصادنا المرسلين اليكم لكي يُقلَع كلّ زوان من الكنيسة ويكمل قول سيدنا يسوع المسيح عنها: وابواب الجحيم لا تقوى عليها. وقولهُ لبطرس: انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي. ذاك الذي كرسيُّهُ في المسكونة كلها صاحب الرئاسة ورأس جميع كنائس الله. وقد اقتبل الرئاسة في كل مكان ولم يزل يقتبلها فلذلك ينبغي لكم ان تلتصقوا بصحة النيَّة وبكمال القلب بكرسينا الرسولي الذي هو رأس الكنائس باسرها»

وهذه الحقيقة عينها نتعلمها ايضاً من كنيسة المسيح فانها تثبتها لنا بتسابيحها في تذكارات الاحبار الرومانيين في مدار السنة جميعها لانها تدعو سلفسترس «هامة مراتب الكهنوت الذي جعل كرسي هامة الرسل» وتدعو لاون «وارث كرسي ماري بطرس وصاحب (131) غيرته» وتدعو مرتينوس «سلّم الراي القويم وهامة الاعتقادات الالهية» وغير هؤلاء البابوات الذين تعيّد لتذكارهم

٣ انبثاق الروح القدس من الاب والابن

﴿ ثالثاً ﴾ نعترف محققين انَّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن وان كنَّا لسنا بملتزمين ان نتلو ذلك بقانون الايمان منشداً (١ لانَّ اعترافنا بالايمان يتضمَّن ذلك. لانَّنا بقولنا انَّ الروح القدس ينبثق من الآب نفهم انهُ ينبثق من جوهر الآب وطبيعتهِ. والحال انَّ جوهر الآب والابن واحد كما نعترف بذلك فينتج اذن بالضرورة انهُ ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب اذ كان ينبوع انبثاقهِ الذي هو الجوهر الالهي هو للآب وللابن معاً. وهذا محقق عندنا:

١ً من قول سيدنا يسوع المسيح في الاصحاح السادس عشر من ماري يوحنا «انَّ كل ما للآب هو لي وانَّ الروح القدس يأخذ مما لي ويخبركم» ومن قولهِ: «اني

١) قد جرت العادة اليوم بين الروم الكاثوليك بان يصرّحوا بانبثاق الروح القدس من الآب والابن في دستور الايمان النيقاوي

اذا انطلقتُ (132) ارسلتُ الروح القدس اليكم ". فهذه النصوص جميعها تحقق عندنا انبثاق الروح القدس من الابن لانهُ ان كان الروح يأخذ مما للابن فليس يأخذ الّا الطبيعة الالهيّة بصدورهِ منهُ كما يصدر من الآب. وان كان الابن يرسل الروح القدس فلا يرسلهُ الّا بصدورهِ منهُ لانهُ لا يُرسَل اقنوم من اقنوم آخر بطريق الامر ولا بطريق المشورة بل بطريق الصدور حسبما علّمت جميع الآباء القديسين وان كان كل ما هو للآب هو للابن فيكون بَثّ الروح القدس للابن ايضاً لانّنا نتفلسف هكذا: « انّ كلّ ما للآب هو للابن والحال انّ بثّ روح القدس هو للآب فهو اذاً للابن ». وقد اعترف بهذه النتيجة الصادقة ماري اثناسيوس الرسولي بقولهِ في كتابهِ البرهان: « انّ كل ما للآب هو للابن غير الابوّة والحال انّ بَثّ روح القدس هو غير الابوّة فهو اذاً للابن ». ومثلهُ هذه العبارة نفسها يقولها الدمشقي في مقالتهِ الثامنة من المائة. فمن ثمّ نحن نعترف (133) ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن ولا بأس من قول سيدنا يسوع المسيح «انهُ من الآب ينبثق» لانّ قولهُ هذا لا ينفي انهُ ينبثق منهُ. لأنّهُ ان كان قولهُ « انّ لا احد يعرف الآب الّا الابن » لا ينفي عن الروح القدس معرفة الآب فمن بابٍ اولى قولهُ « انّ الروح القدس من الآب ينبثق » لا ينفي انّهُ ينبثق من الابن بل يشير الى انّ الابن يردّ المجد للآب بما انّهُ بدء الثالوث الاقدس

٢ وقد شهدت بصحّة هذا المعتقد آباؤنا القديسون منهم:

١ ماري اثناسيوس بقانون ايمانهِ الذي يعترف فيهِ مصرّحاً انّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن

٢ ماري كيرلس في الرأس الثالث من المجمع الافسوسي المقدس في كتابهِ المرسل الى الملك ثاودوسيوس في الرأس السادس والثلثين منهُ حيث يقول هكذا: « انّ الروح القدس الذي يرسلهُ المسيح على المعتمدين ليس هو روحاً غريباً منهُ بل الروح الذي هو منهُ وهو خاصّتهُ ». ويقول ايضاً (134) في رسالتهِ الى نسطور المحرّرة في الرأس السادس والعشرين من المجمع المذكور « انهُ وان كان الروح القدس قائماً باقنومهِ واعتُبر في ذاتهِ بما انّهُ روح وليس بابن الّا انهُ مع ذلك ليس هو غريباً من الابن لكونهِ يُدعى روح الحقّ. والمسيح هو الحقّ وينبثق منهُ مثلما ينبثق من

الاب ». وفي الرأس السابع والثلثين من كتابهِ الى ثاودوسيوس الملك المحرَّر في الرأس الثالث من المجمع المذكور يقول: « ان الذين يلتصقون بالمسيح يمنحهم حالاً روحهُ الذي يرسلهُ الكلمة من حيث انهُ يخرج من الآب ويفيضهُ علينا من طبيعتهِ كأنهُ من ينبوع ». ويقول ايضاً في هذا الرأس نفسهِ: « انَّ المسيح نفخ في رسلهِ قائلاً: « اقبلوا روح القدس » حسب قول يوحنَّا دلالةً منهُ الى كونهِ يفيضهُ من ذاتهِ مثل الآب ». وهكذا يبرهن في الخطاب الثاني المنفذ الى الملكين في الرأس الحادي والخمسين منهُ « انَّ الروح القدس ينبثق من الآب والابن ». ومثل ذلك في الرأس (135) الثالث والخمسين. وغير ذلك كثير من قول هذا القديس في المجمع الثالث

٣ يتأكد ذلك من قول القديس يوحنَّا فم الذهب القائل في المقالة الخامسة والسبعين من تفسير انجيل ماري يوحنَّا « انَّ الروح القدس يطير من جوهر الابن نفسهِ ». وايضاً في مقالتهِ السابعة والسبعين من تفسيرهِ المذكور « انَّ ليس الآب فقط يرسل الروح القدس بل الابن ايضاً ». وقد فهم هذا القديس جيّدًا انَّ المفهوم بالارسال ليس هو الَّا علة الصدور وذلك في مقالتهِ التاسعة والثلثين من تفسيرهِ لانجيل ماري يوحنَّا

٤ الوفاء في المطهر عن تبعة الخطيئة والذنوب الخفيفة

﴿ رابعاً ﴾ نؤمن معترفين انَّ الانفس بعد انفصالها من الاجساد اذا كانت غير متمّمة قوانين خطاياها وعليها بعض خطايا ليست هي للموت كما يقول ماري يوحنَّا الرسول اي لا توجب هلاكاً ابديًا بل عقاباً زمنيًّا فلا بُدَّ من ان تفي ذلك للعدل الالهي في النار المنظِّفة في المكان الذي يُدعى (136) مطهرًا وقد تحقَّق عندنا ذلك:

١ً من قول الرسول الالهي في الاصحاح الثالث من رسالتهِ الى اهل قورنثية حيث يقول: « انهُ ان بنى احدٌ على هذا الاساس اي على الايمان بيسوع المسيح ذهباً او فضَّة او حجارة كريمة او خشباً او حشيشاً فالنار تختبر عمل كل احد مهما كان فمن يبقَ عملهُ يأخذ ثواباً ومن يحترق عملهُ يخسرْ . واماَّ هو فيخلص لكن يخلص بالنار »

فهاهوذا الرسول يوضح لنا انَّ من بنى على ايمان المسيح خشباً او قشاً الذي هو كناية عن الخطايا العرضية فهذا يختبر الرب عملهُ بالنار المطهرة فيحترق عملهُ ذاك واما هو فينجو كمن ينجو بالنار اي كالفضة المنقاة بالنار التي تحرق النار ما فيها من الادناس وتخلص هي صافيةً منقاة. هكذا فهم هذا النصَّ آباؤنا القديسون واستنتجوا منهُ انهُ توجد نار يطهرنا الربُّ بها من بعض ادناس عرضية لا توجب الهلاك الابدي بل القصاص الزمني وهذه هي غير النار (137) الجهنميَّة لانَّ تلك لا خلاص منها واما هذه فيقول الرسول اننا نخلص منها مطهَّرين. هكذا اجاب القديس غريغوريوس بطرسَ تلميذهُ اذ سألهُ قائلاً: ألتمس منك ان اعرف اذا كان توجد نار منظِّفة ؟ فاجابهُ القديس قائلاً: « نعم انهُ يجب ان نصدّق انهُ توجد نار منظفة من خطايا خفيفة قبل الدينونة مثل كلمة بطَّالة وضحك سمج وغير ذلك لانَّ عمل كل احد مهما كان تختبرهُ النار ». وهذا الخبر اوردهُ الاب نيكن في المقالة الثانية والخمسين من كتاب الحاوي الكبير

٢ نتحقَّق ذلك من تقليد بيعة الله القديم الدائم لانها لم تزل تقدّم الطلبات والتضرُّعات بجميع صلواتها عن انفس الراقدين ملتمسة من الله ان يخلصهم من العذابات والاعتقال وينزع من وجوههم كل دمعة ويصعدهم الى مقرّ الراحة والنعيم وهذا جليّ كالشمس في جميع صلواتها. وعلى الخصوص ما تبتهل بهِ في افاشين السجدة يوم احد العنصرة (138) قائلةً: « انت المؤهل آبانا لقبول ما نسألك في هذا العيد بالاستعطاف فاستمع منَّا توسُّلنا نحن الخطأة الذليلين وارسل للمعتقلين المأسورين من المتوفَّين راحةً من لدُنك ونيّح عبيدك الراقدين وأسكنهم في مكان نيّر في مقرّ الراحة حيث يُعدم كل حزن وغمّ وتنهُّد ورتّب ارواحهم في مظالّ القديسين. الخ ». ولا تشهد كنيستنا بذلك في صلواتها فقط بل تحقق ذلك بترتيبها الحسن حيث لا تبرح تقدّم الذبائح الالهيَّة مبتهلةً « بان يخلص اولئك المعتقلون من عذاباتهم المؤلمة وينتقلوا الى النياح الابدي ». وهذا ظاهر لكلّ احد

٣ نتحقَّق ذلك بايضاحات آبائنا القديسين منهم الذهبي فمُ الذي يقول في مقالتهِ الحادية والعشرين من كتاب الدرّ « انهُ لا يكفيك ان تبكي المنتقل عنك فقط بل يجب ان تتضرَّع الى الله من اجلهِ بالصلوات وتعطي الصدقات وتقدّم عنهُ القدّاسات

الالهية كما امر الرسل الاطهار في تذكارات (139) الاموات ليطهروا بذلك كما طهّرت ضحايا أيوب اولادهُ ». ويقول ايضاً في العظة الحادية والثلثين من تفسيره انجيل مار متى: « ارسل مع ابنك المتوفّى ما تريد ان يكون لهُ لكي يحصل لهُ شرف اعظم هناك. وان كان ذهب من هذه الدنيا خاطئاً فلكي تحلّ خطاياهُ ». ويقول في عظتهِ الحادية والاربعين على تفسير الرسالة الاولى لاهل قورنتية: « فلنساعد اذاً الذين انتقلوا ولنعمل تذكارهم لانهُ اذا كان ابناء أيوب تطهرهم ذبيحة ابيهم فكيف تشكّ في انّ الذين ماتو ينالون تسلية اذا نحن قرّبنا لاجلهم القرابين ». ولهُ غير ذلك في مواضع كثيرة ممّا لا يمكن هنا ايرادهُ

٥ مشاهدة النفوس للمرأة الالهيّة قبل الدينونة العامّة

﴿ خامساً ﴾ نعترف بالنتيجة انّ هذه النفوس اذا وفت ما يجب عليها للعدل الالهي والنفوس القديسة ايضاً التي لا يجب عليها شيء تنتقل الى السموات وتتمتّع بالمشاهدة الالهيّة حسب وعد سيدنا يسوع المسيح بقولهِ (يوحنّا ١٢: ٢٦) « من يخدمني (140) فليتبعني وحيث اكون انا فهناك يكون خادمي ». والحال انّ سيدنا يسوع المسيح هو في السماء. فالذي يخدمهُ اذاً في هذه الحياة يحفظ وصاياه اذا ما مات بالربّ فانهُ يكون في السموات حيث يكون سيدهُ ورأسهُ ولا تتاخر مجازاتهُ الى يوم النشور لانّ الله امر ألّا تؤخّر اجرة الفاعل الى الغد. وهذا يتأكد:

أ) من قول الرسول الالهي الذي يوضح لنا بهِ انّنا متغرّبون عن الرب طالما نحن في الجسد فنُحظَر على الربّ فيقول في الاصحاح الخامس من رسالتهِ الثانية الى قورنتية (٢ كور ٥: ٦): « انّنا نحن نعلم انّنا حينما نحن في الجسد فنحن غرباء عن الربّ فلذلك نحن مستمرّون وتائقون بارادة صالحة ان نتغرّب من الجسد ونحضر عند الربّ ». ويقول في الاصحاح الاوّل من رسالتهِ الى اهل فيلبي: « اني اهوى ان أحلّ من هذا الجسد واكون مع المسيح ». وكذلك يُخبرنا ماري يوحنّا في الاصحاح السابع من جليانهِ انهُ (141) أبصر جمعاً كبيراً من القديسين امام العرش الالهي عليهم لباس ابيض وبايديهم سعف النخل. فلذلك نحن نعترف انّ اولئك الآباء الاوّلين الذين يذكرهم الرسول حقّاً انهم لم ينالوا المواعيد ولم يكملوا قبل مجيء

المسيح لان الطريق الى الاقداس لم يكن مطروقاً حيث ان الله نظر في بابنا نظراً افضل لكي لا يكمل اولئك الآباء اصحاب العهد العتيق خلواً منا نحن ذوي العهد الجديد. واما الآن فاذ نهج لنا المسيح طريق الاقداس بدمه فصار لنا وجوه مسفرة بالدخول الى السموات كما يقول الرسول (عبر ١٢: ٢٢): «واقتربنا من جبل صهيون ومن مدينة الله الحي اورشليم السماوية ومن جماعة ربوات الملئكة ومن بيعة الابكار في السماء ومن ارواح الابرار الذين كملوا» كما يشهد الرسول اي الذين كملوا بنيل المواعيد التي لم يكملوا بها قبل المسيح كما اوضح ذلك الذهبي فمه ايضاحاً جلياً في مقالته الخامسة والستين (142) والسادسة والستين من تفسيره سفر الخليقة

٢ وقد حقق لنا ذلك اباؤنا القديسون منهم الذهبي فمه في مقالته الحادية والعشرين من كتاب الدر حيث يقول: «ان اردت يا هذا ان تحصل لك تعزية فتفكر بذلك الميت كيف ان الله اخذه الى ملكوته وهو الآن يمرح بابتهاج». ويقول في هذه المقالة نفسها: «لا تظن ان ابنك مفقود حاشا بل هو محفوظ فهو الآن في يد الله العزيزة وها فمه الآن يتكلم بكلام اعظم بها، وفصاحة وعيناه تنظران البعد المستغرق والاشياء المستغربة وقدماه تجولان فوق السحب مع الملئكة». وما احسن ما قاله في افتتاح المقالة الرابعة والثلثين من الكتاب المقدم ذكره التي قالها عند اقترابه من الموت معرضاً بقضية الرسول قائلاً: «ان هذا القول لمحزن الا انني مملوء سروراً. اما وجه حزني فلانني لم اعد بعد اخاطبكم ووجه فرحي (143) وسروري هو ان زماني قد حضر لانحل من جسدي واكون مع المسيح»

٣ وهكذا كنيسة الله تتنهد لنا بذلك حيث انها لم تزل تعلن بتراتيلها «ان القديسين بأسرهم استحقوا معاينة وادي النعيم وانتظموا مع الملئكة فانهم الآن يشاهدون الله وجهاً لوجه» كما تهتف نحو القديس يوحنا الرسول في اليوم السادس والعشرين من شهر ايلول. وكذا تهتف نحو رهط الشهداء بكتابها المعزي: «ان السماء اقتبلكم ايها الشهداء وفتح لكم الفردوس القديم وصرتم داخلة متمتعين بعود الحياة». ومثل ذلك تهتف نحو القديس استفانوس في اليوم السابع والعشرين من كانون الاول قائلة: «يا انك ماثل لدى عرش المسيح». ونحو القديس جاورجيوس: «يا انك مستوطن مساكن ربك مع القوات العلوية». ونحو القديس

الشهيد (144) يعقوب الفارسي في اليوم السابع والعشرين من شهر تشرين الثاني قائلةً : « يا يعقوب المعظم لقد حصلتَ حيث محافل الشهداء وحيث المكان الاقدس الذي استقرَّت فيهِ جماهير القديسين مع ارواح القديسين في السماء في كنيسة الابكار حيث الآن قد صرت حالًا فيهِ وقاطناً »

واما الانفس الشريرة فنعترف بالنتيجة انها تمضي الى العذاب الابدي حسب شهادة سيدنا يسوع المسيح بايرادهِ خبر ذلك الغني الذي « مات وقُبر في الجحيم » . ومثل ذلك اخبار كثيرة وبراهين متعددة وردت في الكتب المقدسة لا نطيل اعترافنا بايرادها

٦ تقديس جسد الرب بكلام السيد المسيح

﴿ سادساً ﴾ نقرّ معترفين ان تقديس جسد سيدنا يسوع المسيح يتمّ بكلام الربّ لانهُ لا سبيل لنا ان نقدّس بخلاف ما قدَّس المسيح . والحال انَّ المسيح لم يقدّس الّا بكلامهِ . هكذا اعتقد (145) الآباء القديسون قاطبةً منهم الذهبي فم الذي يشهد بصحة هذا المعتقد في العظة المرتَّبة يوم خميس الاسرار قائلًا : « انَّ الذي يحوّل الاسرار المقدَّسة ويجعلها جسداً ودماً للمسيح ما هو بشر على الاطلاق بل هو المصلوب لاجلنا والكاهن ينوب عنهُ . نحن ننطق بما نطق بهِ ذاك واما النعمة والقدرة فهي لله لانهُ قال : هذا هو جسدي . فهذه اللفظة تغير الموضوعات » . ويقول ايضاً في عظتهِ الثانية على رسالة ماري بولس الثانية الى تيموثاوس : « انَّ هذه التقدمة لا يقدّمها الناس بل المسيح لانَّهُ كما انَّ الكلمات التي تكلَّم بها المسيح هي عينها التي يلفظها الكاهن الآن هكذا ايضاً التقدمة هي هي عينها » . فمن ثمَّ نعترف باستقامة انَّ تحويل جوهر الخبز والخمر الى جسد سيدنا يسوع ودمهِ انما يتمّ بقوَّة كلام الرب الملفوظ بفم الكاهن نيابةً عن المسيح لا بغيره وانما ندعو الروح (146) القدس بعد ذلك لا ليحيلَ الموضوعات ويقدّسها كأنها لم تكن حصلت على ذلك من قبل بل ليجعلها ان تكون لمغفرة خطايا الذين يتناولونها اي ليظهرها ويوضحها كما يقول ماري باسيليوس واكليمنضوس الالهي في خدمتيهما فيكون جسد المسيح ودمهُ بالفعل السرّي في نفوس متقبليهـا بالتناول تطهيراً لانفسهم واجسادهم ومغفرة لخطاياهم وشركةً للروح القدس

٧ التقديس على القطير والخمير

﴿ سابعاً ﴾ ثمَّ نعتقد انَّ التقديس في بيعة الله يتمّ بالخمير والقطير على حدٍّ سواء من غير فرق وتفضيل كما كان من البدء غير انَّ كل طائفة ملتزمة بطقسها وعادتها الجارية حتى ان كل من خالف ذلك يخطئ خطأً مميتاً. فهكذا نحن نعتقد وهكذا نؤمن كما سلّمت الينا آباؤنا القديسون ونرجو ان نموت على هذا الايمان ولا نحيد عن رشده اصلاً. ويا ليتنا نسفك دمنا الى آخر نقطة ولا نحيد (147) عن السنن الابويَّة ونخالف بذلك الروح القدس الهاتف نحو كلّ منّا بفم الحكيم في الاصحاح الثاني والعشرين من سفر الامثال قائلاً: « لا تتعدَّ حدود الاوَّلين التي وسمها آباؤك » (تمَّ)

(حاشية) هنا في الاصل تنبيه هذا حرفهُ: « اعلم ايها المسيحي انَّنا ملتزمون ان نتمسك بتقليدات الكنيسة المقدَّسة التي سُلمت الينا امَّا بالكتابة وامَّا بالعادة حتى ان الذي لا يتمسك بها او يضادّها يسقط في الحرم البيي كما حدَّد المجمع السابع في ختامهِ: انَّ كل من لا يقبل تقليدات الكنيسة المقدَّسة التي تثبت امَّا بالكتابة وامَّا بالعادة فليكن محروماً ومن لم نسح من البيعة فليكن عندك كوثني وعشار ». ثم الحق الكاتب هذا بثلاث آيات من رسائل الرسل: ١ً « ان بشَّركم ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم فليكن مفروزاً » (رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية (١ : ٨). ٢ً « من جاءكم بغير هذا التعليم فلا تقبلوه في منازلكم ولا تسلموا عليه سلاماً » (رسالة يوحنَّا الثانية ١ : ١٢). ٣ً « كونوا مستعدين لمجاوبة من يسألكم عن الكلام من اجل الرجاء الذي فيكم » (رسالة بطرس الاولى ٣ : ١٥)

نصيحة الزهور

موشح

لحضرة الخوري يوسف سماحه ق.ب

جاء الربيع فرحباً بزهورهِ وبعرفها الذاكي وشدو طيورهِ
وبَليل ريحهِ مع شذا كافورهِ يجلو همومَ الصدر طيبُ عبيرهِ
شهرُ الربيع يفوق كل شهورِ

عرّج على الروض النضير صباحا فلقد كستهُ يدُ الورودِ وشاحا
مرّ النسيم على الزهورِ ففاحا أرَجٌ شهيٌ يُنعشُ الارواحا
ويزيل حقًا علّةَ المصدورِ

كحلَ البنفسجُ مقلةً نجلاء ورنا الشقيقُ باعينٍ سوداء
والياسمين بمقلةٍ بيضاء وعيون نَرْسنا غدت زرقاء
من حين مُدّت إصبعُ المنثورِ

يا حبذا النظوم كللهُ الندى والجلّنار حكى بنَوْرهِ فرقدا
وكذا البهارُ بلون تبرٍ قد غدا والزنبقُ العطارُ قام ممجّدًا
حمدًا لربِ خالقٍ وقديرِ

يا ما أحيلي البلبلَ الصدّاحا بشجيّ صوتهِ قد نفى الاتراحا
قم عاطني كأس الشمول طِفاحا وذرِ الكآبة واغنمِ الافراحا
إنّ الزمان أتى بكلّ سرورِ

. . . . . .

أماه ما اشهى الرياضَ عليّا! أماه ما احلى الزهور لديّا
أماهُ اهوى قطفها بيديّا! (ينظر الى الزهور)
فلسوف اقطفكنّ شيًا شيًا
أدعُ الزهورَ بحسرةٍ وزفيرِ
قصدي انضدُ باقةً لأميمتي فتكون عندي خيرَ خيرَ هديّتي
(يلتفت الى زهرة المنثور النابتة في الحائط)
يا زهرةَ المنثورِ اجملَ زهرةٍ فلقد نبتِ بوسط حائط اوضتي
ولكم سقيتكِ في المسا وبكورِ
(زهرة المنثور)
إني بأمنٍ وسطَ هذا الحائطِ لا اختشي من ساقطٍ او لاقطِ
إني ارى مسعاكَ مسعى حابطِ ولو ارتقيتَ اراك مثل الهابطِ
رُحْ يا صبيُّ فانت كالمغرورِ

الولد: قد جاء في الامثال أنكِ حامضه حقًا وصورتكِ البهيّة عارضه

ضربتكِ ريحٌ مع بروق وامضهْ وبُليتِ في حشراتِ سمٍّ قارضهْ
حتى تصيري كالغفى المنثورِ

(يلتفت الى زهرة الفلّ)

يا زهرة الفلّ البهيّة مرحبا وسقيتِ من ذا النهر ماء طيبا
إني اخافُ عليكِ موجةً غاضبا لو كنتِ عاقلةً فعلتِ الواجبا
تبقينَ عندي في هناً وحبورِ

(زهرة الفلّ)

الماء غمرٌ والطريقُ كؤود وكذا الشواطئ كلهنَّ جليدُ
فاذا طمعتَ حقيقةً مفقودُ تبكي عليك الأمُّ يا مولودُ
اسفاً لجسمك في الثرى مقبورِ

الولد: إبقي مكانكِ لا أبا لكِ واقفهْ تقضينَ عمركِ في البلايا عاسفه
وظللتِ من هول الغوائل واجفهْ بعث الالهُ لكِ السيول الجارفهْ
وطغت عليك مياهُ كل بحورِ

(يلتفت الى الوردة)

يا وردةً يا ربّة الأزهارِ حاكى جمالُكِ طلعةَ الاقمارِ
لي فيك سرٌّ ليس كالاسرار تدرينَ سرّي دون ما إشعار
أنتِ العليمةُ بالذي بضميري

كم قد سقيتكِ بكرةً واصيلا عهدي بانك تحفظين جميلا
إني سألتك فاستجيبي السُّولا حاشاكِ ألا تنجزي المأمولا
تقضين أطيب عيشةٍ في دوري

الوردة: قد جاء في الامثالِ كل مملّقٍ يقتات من صاغيه لا تتملّقِ
فالشوك حولي فيلقٌ في فيلقٍ تقضي حياتك في ممات أزرقِ
ويداك ناعمتان مثل حريرِ

الولد: عهدي قديماً فيكِ انك جاهلهْ من اين جاءكِ ذا الذكا يا غافلهْ
تأتي بامثالٍ كمثل العاقلهْ او ما دريتِ الحقَّ لتك خاملهْ
رأيكِ منتنةٌ كريح قبورِ

(يلتفت نحو زهرة البنفسج)

يا زهرةً نبتت بوسط الطُّحلبِ أفدي بنفسجتي بأمي مع ابي
يا ربّة الحسنِ البهي لا ترهبي فلأنتِ فخر هديتي فتفرّلي
مني ولا تتظاهري بنفورِ

البنفسجة: اني نبتُّ بفضل ربّ خالقٍ بين الصخور بقرب نهرٍ دافقِ
لو أن حشدتَ فيالقاً بفيالقٍ زلّت بكم اقدامكم بخنادقِ
وانا بأمنٍ من وراء صخورِ

(الولد يقف حائرًا وقد اخذه القنوط)

ربّاهُ قد ضاقت بيَ الاحوالُ ربّاه خابت منيَ الآمالُ
وتملّك القلبَ الكئيبَ ملالُ أأعودُ صفرًا؟ إنّ ذا لضلالُ
يا خيبةَ المسعى ويا لقصوري!!!

(يعزم باعادة الكرّة على الزهور فتجيبهُ الزهور)

الزهور: رحماك دعنا في هنأ وسلامِ يعطيكَ ربّ العرش كل مرامِ
ان الحياةَ قصيرةُ الأيامِ لا تُعجل الآجالَ يا ابن كرامِ
لا تنزلنّ بنا اشرَّ نكيرِ

لا يطمعنك ما بنا من نُضرةٍ فلسوف يعقبها قبيحُ جهومةِ
أرأيت اقصر من حياة الزهرة حالًا يعاجلها الذبولُ بفترةِ
ولأنتَ في ذا الامر خيرُ خبيرِ

الولد: أأعودُ صفرَ الكفّ! ماذا أعملُ؟ واذا رأتني الامُّ صفرًا الخجلُ
لو كنتُ اعرف زهرةً لا تنبلُ لقصدتُها حالا ولم اتمهّلُ
لو انّ حوليها الوفَ غديرِ

الزهور: هي وسط صدرك يا صغيرًا ثابتهْ تلك المحبةُ والارادة ثبّتهْ
وبصيرةٌ وقّادةٌ لا خابتهْ تسعى الى سبلِ الهدى لا خابطه
لا تستوي ظلماتها بالنورِ

قدّم لامّك ان تشا اكرامها فعلًا حميدًا واكتنَّ سُلامها

وافكرْ بانك لا تفي إعظامها ان لم تقف بتهيُّبٍ قدامها
وتقول: أمي. ذاك نصحُ زهورِ

شركة انتشار الايمان

ومُنشئتها المكرَّمة ماري پولين جاريكو

بنسبة السنة الخمسين لوفاتها

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

كانت آخر وصيَّة فاه بها السيد المسيح عند وداعهِ لتلاميذهِ ليعود الى ابيهِ صاعدًا الى السماء أن: «كما ارسلني الآب كذلك انا ارسلكم وها اني قد أُعطيتُ كل سلطان في السماء والارض اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل لكلّ الخليقة وتلمذوا كل الامم معمدين أياهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم بهِ وها انا معكم كل الأيام الى منتهى الدهر»

فهذا الكلام الالهيُّ كان في الكنيسة بمثابة تلك الكلمة الخالقة التي لفظ بها عزَّ وجلَّ في اوَّل العالم اذ انَّهُ «قال فبرزت الموجودات من العدم أمرَ فلبَّت الكائنات لامره المطاع». قال مرقس الانجيليّ: «فخرج اولئك وكرزوا في كل مكان والربّ يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات المقارنة لهُ»

وقد ورثت الكنيسة الكاثوليكيَّة من رسل المسيح روح غيرتهم لنشر معتقداتها في اربع خوافق العالم لعلمها بان احدى سماتها المميزة لها من بقيَّة الاديان ومن سائر الكنائس المنفصلة كونُها جامعةً اي منبثَّة في العالم كلهِ. وترى آباء الكنيسة ومعلميها في كل كرور الاجيال اذا ما تجادلوا مع اهل البدع الخصوهم بذكر هذه الصفة الخاصة

انَّ الكنيسة البطرسيَّة فضلًا عن أُلفتها واتفاق اعضائها في المعتقدات واتصال سلسلتها بالرسل هي وحدها كاثوليكيَّة اي جامعة لا تخلو منها الاقطار الاجنبيَّة مهما كان بعدها وذلك منذ عهد الحواريين فان بولس الاناء المصطفى اوَّل ما يشكر

عليهِ إلهُ في رسالتهِ الى الرومانيين « انَّ ايمانهم يبشَّر بهِ في العالم كلهِ »

ومن المستحيل ان نتتبع هنا رسالات الكنيسة الى دولة دولة وامَّة امَّة ونفصِّل ما أتاه المرسلون من الاعمال العجيبة ليخضعوا الى نير المسيح اعزَّ الملوك شأناً وآبى الشعوب أنفة واعرق العشائر في الهمجيَّة. وانما نكتفي بذكر الرسالات التي قام بها رسل الكنيسة الكاثوليكيَّة في القرن التاسع عشر وما اجراه الله من الاعمال السامية في كل انحاء المعمور على يد فتاة افرنسيَّة خاملة لتوطيد اركان تلك الرسالات ومساعدة اصحابها في اتمام مهمَّتهم الشريفة

*

كانت الرسالات الكاثوليكيَّة منذ اكتشاف العالم الجديد قد دخلت في طور منظَّم فيلتجئ الاحبار الرومانيون وملوك الفرنج الى الرهبانيَّات ويطلبون من رؤسائها بعض رهبانهم ليفتحوا في البلاد الاجنبيَّة والمستعمرات الدوليَّة رسالات كان اولئك الملوك يقومون عادةً بنفقاتها فيسعى الرهبان بتعليم تلك الامم وتهذيب اخلاقهم واستئصال الخرافات الجارية عندهم ريثما يجعلونهم رجالاً جدداً وشعوباً راقية كبقيَّة الشعوب المتمدنة بفضل الدين النصراني. وقد شهد كل الشهود اليقينيين الذين زاروا البلاد التي احتلَّها المرسلون انهم ادركوا ما لم يستطع بشر الفوز بهِ بهمَّتهم وفضائلهم السامية وكثيراً ما اهرقوا دماءهم في سبيل تبشير اولئك الامم حتى انتزعوا من قلوبهم كل تباغضهم الغريزيَّة واشربوهم روح التقى والتمدُّن الصحيح

تلك كانت حالة الرسالات الكاثوليكيَّة مزدهرةً اي ازدهار اذ هبَّ ذاك الإعصار الهائل الذي قلب اوربَّة ظهراً لبطن نزيد بهِ الثورة الفرنسويَّة التي نفخها الروح الشرير في اعظم الدول رونقاً وبهاء فقوَّض اركانها وكاد يطمس آثارها

فكان لهذه الثورة صدى انعكاس في كل الاقطار الاجنبيَّة حيث كان المرسلون يضحُّون نفوسهم لتنوير الامم المتسكعة في ظلام الجهل والهمجيَّة فأُلغيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولم يعد بقيَّة المرسلين ينالون من مواطنهم المساعدات الماليَّة التي كانوا يستعينون بها لتهذيب الوثنيين ولتشييد الكنائس وفتح المدارس وبقيَّة المشروعات الخيريَّة. فما لبث أن قلَّ عددهم وصارت تلك الرسالات الى حالة مشئومة حتى عُدَّت اثراً بعد عين

ولمّا خمدت الفتن ورجعت اوربّة الى سكينتها وعاد للدين مقامهُ في النفوس واستأنفت الرهبانيّات اعمالها المبرورة لم ينسَ الاحبار الرومانيون الرسالات الاجنبيّة قياماً بامر السيد المسيح ان يُكرَز بالانجيل في العالم كلهِ. فاخذ مجمع انتشار الايمان في طلب الرسائل لتجديد تلك الرسالات ودعوة الامم الى الدين المستقيم

غير انَّ عملاً كهذا كان يستدعي من المبالغ ما لا يسع الكرسي الرسولي والرهبانيّات وحدها ان تقوم بكلفهِ الباهظة. لكنَّ عين الله لم تقصر وهو الذي وعد ان يكون مع كنيستهِ الى منتهى الدهر فاراد سبحانهُ وتعالى ان يظهر قوّتهُ على يد فتاةٍ ضعيفة انتدبها الى هذا المشروع الذي ينوء تحت عبئهِ الجبابرة وذلك لانَّ اعمال الله تلوح خاصة بضعف الآلات التي يتوسّل بها لانجازها وفقاً لقول الرسول (١ كور ١ : ٢٧) : « اختار الله الضعيف من العالم ليخزي القوي واختار الله الخسيس من العالم والحقير وغير الموجود ليعدم الموجود لكي لا يفتخر ذو جسدٍ امامهُ »

وهذه خلاصة ترجمة تلك الآنسة الشهمة وخادمة الله :

پولين ماري جاريكو (Pauline- Marie Jaricot) رأت النور في مدينة ليون في ٢٢ تموز سنة ١٧٩٩ وكان اصلها من عائلة صالحة سكب الله عليها غزير نعمهِ وافاض عليها سجال فضلهِ ماديًّا وادبيًّا فجمعت بين خيرات الدنيا والكنوز الروحيّة. وما كان غنى والديها بالاموال الّا ثمرة مساعيهما وكدّهما في الشغل. فان اباها انطون جاريكو كان الثالث عشر من اولاد رجل زراعي فاضل دخل بعد وفاة ابيهِ في احد معامل الحرير في ليون فتقدَّم وتوفّق باعمالهِ الى ان فتح معملاً على حسابهِ ادارهُ بهمّة وحكمة ونال ثروة واسعة. ولمّا حان وقت زواجهِ لحظ يوماً في كنيسة من كنائس ليون فتاة لم يعرفها كانت تلوح على محيّاها لوائح التقى والطهارة واذ سأل عنها وعرف انها ابنة فريدة الآداب من اسرة شريفة فاضلة لكنها قليلة المال طلب ان يقترن بها مفضّلاً الادب والتقى على كل حطام الارض. وكان اسم الفتاة جان لاتيه (Jeanne Lattier) فكان هذا الزواج المسيحي موردًا لنعم الله الوافرة على الزوجين الفاضلين فاخذا يتسابقان كخيل الرهان في اعمال البرّ

وهما مع ذلك يعنيان في تنمية ثروتهما بتحسين الادوات الحربيّة وتوفير الوسائل الاقتصاديّة

وما لبث ان ابتهج قلب الابوين بولادة ثلاثة اولاد صبي فبنتين اجتهدا في تربيتهم بكل حرص وتقى. وبينما كانا يرشفان من العيش ارغده اذ بليت فرنسة بتلك الثورة العظمى التي حوّلت البلاد الى منتع من الدم. وكان اصحابها يتعقّبون خصوصاً ارباب الدين فيحبسونهم ويوسعونهم هواناً ويقتلونهم باسم الحريّة فاضطرّ اكثرهم الى ان يهاجروا الى البلاد الاجنبيّة او يختفوا في منازل الخاصة. وكان المسيو جاريكو وقرينتهُ ممن اسرعوا الى مساعدة الكهنة المنكوبين بالهم ونفوذهم. واذ بلغ ذاك الوطنيّ الحرّ انّ زعماء الثورة اتوا لفتح مدينة ليون انتظم في سلك جنودها الامناء ليردّ غاراتهم. الّا انّ الفوضويين استولوا على تلك الحاضرة واخذوا يسفكون دماء من لا يجاريهم على اعمالهم القبيحة وجعلوا لمن يأتيهم برأس المسيو جاريكو جزاء كبيراً. فلم يبق له وسيلة للنجاة سوى الفرار من وجه اولئك الوحوش الكاسرة. فولى هارباً ثم تبعتهُ امرأتهُ مع اولادها الثلاث الحديثي السنّ فنجت بعون الله ولقيت زوجها فعاشا في العزلة مستخفيين حتى عاد للوطن شيءٌ من الهدوء فامكنهما ان يؤوبا الى دارهما

وولد لهما في تلك الايام الصعبة ثلاثة اولاد آخرين كانت بولين خاتمتهم. وقد لحظت امّها منذ نعومة اظفارها رقّة طباعها وحنوّها على الفقراء ورسوخها في التقى والصلاح فشكرت الوالدة ربّها على كونه منحها ابنةً مثلها فلم تدّخر وسعاً في تهذيب عقلها وتثقيف اخلاقها ولمّا بلغت اشدّها جعلت تأخذها رفيقةً في صلواتها وصدقاتها وكل مبرّاتها. وكثيراً ما كانت تناجيها وتصف لها عجائب الخالق وتحبب اليها كل المشروعات الخيريّة واعمال الغيرة الرسوليّة لخلاص القريب

فترعرعت الفتاة وقلبها يتلهب حبّاً لله ورأفة على البائسين فما كانت تجد راحة وسلواناً الّا في الصلاة او في خدمة الفقراء. وكانت اذا رافقت امّها الى الكنيسة وانتهت هذه من صلاتها فدعتها الى البيت استقصرت الزمان وطلبت من والدتها ان تسمح لها بمناجاة الله امام القربان الاقدس قائلة: «ارجوكِ يا امي ان تتركيني بعد بجوار يسوع الهي لاني اراني سعيدة بقربهِ ولا ترسلي احداً يرافقني الّا بعد زمن

طويل ». وقد كتبت فيما بعد عن نفسها: « اني كنت حينئذٍ اتكلم مع يسوع ربي كما اتكلم مع امي فاكشف لهُ افراحي واحزاني الصغيرة وابوح لهُ بنقائصي واعرض عليهِ رغبتي الشديدة في ارضائهِ »

امَّا حنانها على المساكين فكانت تتفنن في ان تظهرهُ لهم في كل حين فلا تدع واحدًا منهم يعود فارغ اليدين فتارةً تقاسمهم طعامها وتارة تجود عليهم بما أُعطي لها من الدراهم لحاجاتها او تلحّ على اهلها لتنال منهم صدقةً لمساعدتهم صغارًا وكبارًا

واذ رأت يومًا وهي لم تبلغ عشر سنوات من العمر السُقاةَ يستقون من بئر في بيت ابيها ماء والماء لا يقلّ سألت امها: كيف لا تُنزح البئر ولا ينفد ماؤها مع كثرة الماء المستخرج منها؟ فقالت لها امها: « لانَّ الينبوع الذي يجري الى البئر لا يُنزح ابدًا ولا يقلّ » فاردفت بولين: يا ليت لي يا امي بئرًا من ذهب لا ينفد لكي اقدر ان اسعف كل الفقراء ولا يعود احد يبكي ». فشرعت الام الحكيمة تبين لابنتها الصغيرة انَّ الصدقات المادية تنفد كلها لكنَّ للانسان صدقةً اخرى لا تفرغ ابدًا وهي الصلاة الى الله كي يلهم الفقراء صبرًا على اوجاعهم وتسليمًا لارادتهِ تعالى وان يمنحهم عزَّ وجلَّ ما لا نستطيع نحن ان نجود بهِ لتلطيف بؤسهم

وكما كانت بولين تفكر في المساكين لتسعفهم في ضروريات العيش كانت ايضًا ترغب في خلاص النفوس. ولمَّا سمعت يومًا اخاها المدعو فيلياس يخبرها بانَّهُ يوجد في الاقطار القاصية وثنيون وشعوب لا يعرفون الله خالقهم وانَّهُ هو يريد ان يذهب الى تلك البلاد ليشرهم بالايمان ويموت شهيدًا فينمو باستشهادهِ عدد المؤمنين. صرخت بولين انَّها تريد ان تسير معهُ لتعتني بالمرضى وتعلم الاولاد الصغار وتهتمّ بتزيين الكنائس وتموت مثلهُ. واذ اجابها اخوها انَّها لا يمكنها السفر الى تلك الاصقاع لضعفها اغرورقت عيناها بالدموع ولم تتمزَّ الى أن افهمها انَّها تستطيع ان تربح نفوسًا كثيرةً بصلواتها وبالحسنات التي تجمعها فترسلها لهُ وهو يصرفها في خير البلاد الاجنبيَّة لانقاذ الاولاد الصغار من الموت

وكان المسيو جاريكو في تلك الاثناء قد اصبح من اعظم تجار الحرير في مدينة ليون معدودًا بين اعيانها وافاضلها ولوفرة ثروته وعموم فضلهِ ودينهِ اقبلت عليهِ

اشرف العيال طالبةً ان ترتبط مع اسرتهِ بالزواج . فزوَّج بنيه وبناتهِ الا فيليباس الذي دخل في مدرسة سان سولبيس ليعدَّ نفسهُ للكهنوت وبولين التي كانت افكارها منصرفةً الى اعمال الخير . وقد سرَّها ما سمعتهُ يوماً من والدها : « ان مستقبل بولين لا يقلقني فانَّ الله على ما يظهر قد اختصَّها لخدمتهِ » . واذ ارادت امها يوماً ان تختبرها وتسبر غور افكارها جعلت تصف لها ما ينتظرها في العالم من رغد العيش والهناء التامّ اذا ما اقترنت بالزواج مع احد شبَّان ليون المعتبرين المشهورين بالثروة والدين . لكنَّ بولين قاطعت امها قائلة : « او لعلَّك يا اماه تريدين ان تمنعيني عن تلبية دعوة الله . فهيهات ان اختار لي غير الرب حصة فهو حسبي ولن ارضى بكل زخارف العالم » . فكان جواب الامّ بدموعها الى ان قالت لكريمتها : « معاذ الله يا ابنتي ان احول دونك والله قرين نفسكِ . فان كان هو اختارك لخدمتهِ فكوني اهلاً بختنكِ الالهي »

وكانَّ كلام الام هذا اصبح كوصاتها الاخيرة لابنتها لانَّها توفيت بعد قليل وفاة الابرار . فبكتها بولين وكانت تتذكر امثالها الصالحة فتنتعش نفسها بذكرها

وكانت بولين جامعة في شخصها كل ما يجتذب القلوب من الجمال الفتَّان وخلابة اللسان ورشاقة الحركات ولين العريكة والرزانة فكانت تسمع الناس يطرئون محاسنها ويثنون على اخلاقها ولعلَّ هذه المدائح كانت عملت في قلبها لولا انَّها حضرت يوماً عظة لاحد الكهنة الصالحين يُدعى ڤورتس (Wurtz) كانت اختها المتزوجة تتابع الى مشورتهِ وارشادهِ فسمعتهُ بولين مرَّةً وهو يسترسل في الكلام عن اباطيل العالم وغرورهِ واخطارهِ التي تتهدَّد النفوس وتوقعها في فخاخهِ الفتَّانة . فكان لهذا الخطاب وقعٌ عظيم في قلب بولين فما نزل الواعظ من منبر الخطابة حتى طلبت مواجهتهُ واعترفت اليهِ بكلّ خطايا حياتها وكشفت لهُ نعم الله اليها واتَّخذتهُ كمرشدها الروحي . ولمَّا انكفأت راجعة الى البيت نزعت عنها كل الثياب العالميَّة وارتدت باثواب خشنة بنفسجيَّة قاتمة واستغفرت جهاراً من كل الاهل والاقارب عمَّا صدر عنها من امثالها الرديَّة وطياشتها . فتأثر الحضور من كلامها وقبَّلها ابوها قائلاً : « اننا لم نعرف لك غير الاعمال المشكورة فباركك الله وارشدك الى كل صلاح »

والحقّ يقال انَّ سيرة بولين اضحت مذ ذاك الحين وهي في بيت والدها اشبه بسيرة النسَّاك او الراهبات الاشظف عيشاً والاشدّ زهداً فنزعت عنها كل ما كان لها

من الحلي والمصاغات فقدّمتها للمصلوب ثمّ باعتها ووزّعت قيمتها على الفقراء. وكذلك فساطينها اصطنعت منها حللًا للكنائس كما انّها اخذت تزين الهياكل بالزهور التي كانت تزدان بها قبلًا

ولم تكتفِ ابنة جاريكو بان تخدم الله وتعيش بالزهد والصلاح بل ارادت ان تكون لاهل البيت ولمن يقترب اليها قدوة حيّة لكلّ اعمال البرّ. وكان ارتداد اخيها بيلياس على يدها فبعد ان استسلم مدّة الاهواء زهد في الدنيا وانتظم في سلك لاكايروس وصار يجاري اختهُ في كل فضائلها وكانا يتراسلان بالتواتر ورسائلهما كلها مفعمة بروح التقى والغيرة في حب الله وخلاص النفوس وكان اخوها قاصدًا بعد دروسهِ الكهنوتيّة ان يذهب الى الرسالات الاجنبيّة لكنّ الموت حال دون رغائبهِ فمات موت اولياء الله

وكانت بولين تهتمُّ في اثناء ذلك بتربية اولاد اخوتها واخواتها وتسعى ان تطبع في قلوبهم منذ حداثة سنهم العواطف الدينيّة والفضائل المسيحيّة . وكذلك خدّام البيت وعمّالهُ فانّها افرغت مجهودها في اصلاح سلوكهم وتسييرهم على مقتضى الواجبات الدينيّة

ثمّ اخذت تجمع في بيتها بنات من العاملات والإماء. كانت تقضي زمانها في ارشادهنّ والصلاة معهنّ. ثمّ اختارت بينهنّ اعظمهنّ غيرة وانشأت لهنّ شركة دعتها « شركة المعوّضات لقلب يسوع عن الاهانات اللاحقة بهِ » كانت غايتهنّ التكفير عن ذنوب البشر وآثام الخطأة الذين يجرحون قلب الله بما يقترفونهُ من المآثم. فنمت هذه الشركة بعد قليل وكانت اعضاؤها يأتين من اعمال التقشف والاماتات ما يقضي منهنّ العجب

وكان في مدينة سان ڤاليه (Saint - Valliez) لاحدى اخواتها مادام شرترون (Mme Chartron) معمل كبير تُصطنع فيهِ الاقمشة المعروفة بالبرنجك تشتغل فيهِ نحو مائتي عاملة من فتيات النواحي. الّا انّ اكثرهنّ كنّ منقادات الى الفساد منهمكات في اباطيل العالم لا يعرفن من الدين اصولهُ ومبادئهُ الاولى. فكان المسيو شرترون وامرأتهُ يتأسفان على هذه الحالة التعيسة ويرغبان في تهذيب اولئك البنات فحاولت بولين ان تهديهنّ الى الصلاح فلازمتهنّ واخذت تؤدي لهنّ كل الخدم

التي بوسعها وتستعلم عن اشغالهنَّ وعيالهنَّ وتعودهنَّ في امراضهنَّ . فكان مثلها يؤثر فيهنَّ لاسيما اذ رأين ابنةً شريفة لابسة بكلّ احتشام وسائرة معهنَّ بكل لطف وانس . فتقرَّبن منها واخذن يصغينَ لكلامها وارشاداتها حتى امكنها بعد قليل ان تسنَّ للمعمل نظاماً قانونياً صارماً اوجبت على الجميع ان يسيروا بمقتضاه وكان من قوانينهِ انَّ العاملات يبتنَّ في المعمل ولا يخرجنَّ منهُ الَّا برخصة خاصَّة . ثمَّ دعت كاهناً غيوراً اسمهُ بلوتون (Bloton) ألقى عليهنَّ الارشادات التي زرعت في قلوبهنَّ بذور التقى والعيشة الصالحة فصارت الفتيات يستقبحنَ طياشتهنَّ الماضية وامسكنَ عن كل كلمة سمجة وجعلن لبسهنَّ مطابقاً لحياتهنَّ بل اخذن يثابرنَ على الاسرار ويعكفنَ على كل الفرائض الدينيَّة ونفينَ من جماعتهنَّ كل فتاة لا تقتدي بهنَّ

فصار ذلك المعمل بعد قليل اشبه بدير تُقام فيه كل الرياضات التقويَّة وتُمارس كل الفضائل المسيحيَّة . وكانت بولين في مقدَّمة الجميع تبعث الهمم وتنشط القوى بمثلها وكلامها . فكان يكفيها كلمة بل اشارة لتتسارع الفتيات العاملات الى سؤلها . وكنَّ في وقت الفراغ على مثالها يزرنَ القربان الاقدس في معبدٍ كانت بولين عُنيت بتشييدهِ قريباً من معامل اختها

ولمَّا عرضت عليهنَّ ان يشتركنَ في شركة التعويض التي كانت انشأتها في ليون اجاب اكثرهنَّ الى طلبها فجعلن يقدّمن للقلب الالهي اعمالهنَّ واتعابهنَّ تكفيراً عن اهانات البشر لعزَّتهِ تعالى . ومن الادلَّة على غيرتهنَّ انَّهُ لما حدثت في فرنسة ثورة عظيمة ارتعبت لها القلوب طلبت بولين ان يختاروا من الفتيات اربعين بنتاً ليصمن يوماً كاملاً على الخبز والماء لردّ غضب العدل الالهي عن الوطن . فسألت جميع العاملات دون استثناء ان تُدوّن اسماؤهنَّ لاتمام هذا العمل البارّ فصُمنَ ودامت بعضهنَّ على هذا الصوم القشف مدَّة اربعين يوماً

وطلبت منهنَّ يوماً آخر ان يعملنَ تساعية للغاية ذاتها يتلونَ فيها الصلاة الربيَّة والسلام الملائكي خمس مرَّات بتصليب ايديهنَّ لاكرام آلام المسيح فقمنَ كلهنَّ بهذه العبادة بل واظبنَ عليها بعد نهاية التساعيَّة فجرت كعادة بين العاملات

*

فهذه المشروعات التقوية وغيرها أهلت بولين الى عمل آخر وسولي ألهمها الله اياهُ

في اثناء ذلك. كان قلب بولين جاريكو متقداً بحب الخالق كأتون النار لا تجد راحةً الا بتمجيد اسمهِ تعالى وبالسعي الدائم في نشر محبتهِ. وقد ألفت السنة الثالثة والعشرين من عمرها كتاباً تقوياً في سر القربان وعبادة قلب يسوع طبعتهُ في ليون سنة ١٨٢٢ وضمنتهُ شواعر قلبها المضطرم بالحبّ الالهي وهي تصرّح هناك بأنها مستعدّة لان تُكابد كل عذابات العالم لتنال امنيتها في نشر ملك المسيح وبَعث الغيرة الرسوليَّة في قلوب الكهنة

وكان فيلياس اخوها في مدَّة دروسهِ الاكليريكيَّة يراسل بعضاً من المرسلين الفرنسويين في الشرق الاقصى فيصفون لهُ احوال البلاد التي يبشرون فيها وحاجات اهلها فيسرّ بكتاباتهم ويسعى بجمع بعض الصدقات يرسلها اليهم ليساعدهم في تنصير الوثنيين. لكنه رأى بعد قليل انَّ هذه الحسنات الموقتة لا تفي بالمقصود فعرض على اختهِ بولين لما يعرف من غيرتها الملتهبة بان تسعفهُ وتحرّض بعض اهل الكرم على مساعدة المرسلين في مهمّتهم لانقاذ اولئك المتسكعين في ظلام الوثنيَّة

فاخذت بولين تهتم بطلوب اخيها فتجرَّدت عمَّا كان في يدها من المال او ما كان يعطيها ابوها من الدراهم. وكانت لا تعرف السأم حتى تجمع من معارفها وصديقاتها ما تستطيع لاسعاف المرسلين وتطلعهنَّ على رسالاتهم لتحرك قلوبهنَّ على الجود والكرم. ومن العجب العجاب ان العاملات الفقيرات كنَّ يسبقنَ السيدات الغنيَّات في مساعدتهم وكانت فتيات معمل اختها اوَّل من اجاب الى طلبها فكنَّ في كل اسبوع يفرزنَ شيئاً من اجرتهنَّ للمرسلين في البلاد القاصية

لكنَّ هذه المبالغ التي كانت تجمعها بولين وترسلها الى المبشرين على يد اخيها ما كانت مع وفرتها لتأتي بفائدة كبرى اذ لا تسدّ غير حاجات بعض المرسلين لوقت قصير فكانت ليلاً مع نهار تفكر في الوسائط لتوسيع نطاق اعمالهم الرسوليَّة ومساعدتهم على طريقة منتظمة لينشروا الدعوة المسيحيَّة بانشاء المشروعات الدينيَّة كتشييد الكنائس وفتح المدارس وانشاء المعاهد الخيريَّة كالمياتم والملاجئ والمستوصفات وفكّ اغلال العبيد وانقاذ الاسرى. وكل ذلك لا يقوم بهِ المرسلون الَّا بالتناطير المقنطرة من المال فكيف العمل لسدّ مثل هذا الخلل؟ فكان هذا المشكل يشغل نفس بولين فتطلب من الله ان يلهمها حلاً مرضياً لهُ

ففي بعض ايام الشتاء من السنة ١٨١٩ اجتمعت افراد عائلتها في نادي الدار ليصطلوا حول النار ويتلهوا ببعض الالعاب. امّا بولين فكانت جالسة وحدها في احدى الزوايا اذ عنّ لها فكر كاللمع البارق ارتكض له جنانها فنظرت على بغتة مشروع شركة انتشار الايمان بصورته الحقيقيّة والسهلة معاً وذلك بان تعيّن بعض معارفها واصحابها فتؤلف كل واحدة مجموع عشرة اشخاص وتجمع من كل واحد من فرقتهم عشر بارات في الاسبوع اي فرنكين و٦٠ سنتيماً في السنة ثم تجعل لكلّ عشر عشرات رؤساء مئات يستلمون حسنات العشرات . وكذلك رؤساء الالوف يجمعون صدقات رؤساء المئات فيبلغون الدراهم المجموعة الى مركز واحد حيث تُقام لجنة لتوزيع تلك المبالغ على رسالات المرسلين في كل انحاء المعمور

فما لاح لبولين هذا الفكر حتى عرضتهُ على مرشدها الذي علم انّ اصبع الله هناك فحضّها على اخراجه الى حيز العمل فبدأت بنشاط عظيم واقبل كثيرون لينتظموا في سلك الشركة. لكنّ الشيطان ادرك ما سيصيبهُ من جرّاء هذا المشروع من الخذلان والخزي فسوّل لكثيرين ان يتصدوا له فاخذوا ينسبون مشروع الفتاة بولين الى غايات بشرية كحبّ الذات والفخفخة والتفرّد في الرأي فسلقوها بألسنة حداد لكنّ الله لم يهملها فواصلت العمل دون سأم شاكرةً له تعالى على ما نالها من تعييرِ الناس وسوء ظنهم فيها . وزادها نشاطاً انّ بعض الاساقفة والحبر الاعظم بيوس السابع بلغهم خبر هذه الشركة فأثنوا على بولين وآزروها ببركتهم وتمنّوا لو تنتشر شركتها في كل الانحاء. وفي ٣ أيار من السنة ١٨٢٢ اجتمع اثنا عشر رجلاً من كاثوليك ليون تحت نظارة كاهن غيور ودوّنوا قوانين الشركة كما سبقت اليها بولين جاريكو واتخذوا الوسائل لتوطيد اركانها وتوسيع نطاقها في كل العالم الكاثوليكي . والشركة تعتبر ذلك اليوم كمنشأها وتحتفل كل سنة بذكرهِ فتعقد فيه حفلة دينيّة يتولاها رؤساء الشركة واحبار الكنيسة ومشاهير الرجال

وقد امتدت هذه الشركة منذ ذاك الحين امتداداً عجيباً في خمسة اقطار العالم ولاسيما بعد ان صدرت عدّة براءات للاحبار الرومانيين لحضّها لغريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع ولاون الثالث عشر الذين اثنوا على هذه الشركة وحضّوا المؤمنين على الانتظام فيها واغنوها بالمقادير العديدة مع سهولة فرائضها وهي ثلاث

لا غير: ١ً ان يدون المشترك اسمهُ في سجلّ احد رؤساء الجمعيَّة. ٢ً ان يتلو كل يوم مرَّة واحدة الصلاة الربيَّة مع السلام الملائكي والنافذة الآتية الى شفيع الرسالات الاجنبيَّة: يا مار فرنسيس كسفاريوس تضرَّع لاجلنا. ٣ً ان يعطي كل اسبوع عشر بارات لرئيس فرقة العشرة الذي هو من جملتها

وهنا لا نرى بدًّا من القاء النظر على هذه الجمعية التي منذ تسعين سنة افاضت على الامم الاجنبيَّة من ثمار الخلاص والرقيّ ما لا يعلم بهِ غير الله ودونك نظرًا عامًا عن مدخولات ومصروفات هذه الشركة في السنة المنصرمة. كان مجموع حسنات شركة انتشار الايمان في السنة ١٩١١ بالغًا ٧,٢٧٤,٢٢٦ فرنكًا بزيادة ٢٨٧,٥٤٨ فرنكًا على السنة السابقة ١٩١٠ جمع من هذه المبالغ في فرنسا ٣,٠٢٥,٧٨٨ وفي الولايات المتحدة ١,٤٠١,٦٧٥ ف ثمَّ في المانية ٥٣٧,٦١٢ ف يُضاف اليها ٣٩٢,٩٥٠ في مقاطعتي الزاس ولورين. ثمَّ في بلجكة ٣٥٩,٩٥٢ ف ثمَّ في ايطالية ٢٥٣,٢٥٧ ثمَّ في اسبانية ٢٢٠,٩٤٧ ثمَّ في انكلترة ٨٢,٩٧١ ثمَّ في النمسة ٥٤,٥٧٥ الخ وقد وزّعت هذه المبالغ على اكثر من ٣٠٠ رسالة اجنبيَّة في جهات العالم حيث يشتغل نيف و ٢٥٠ اسقفًا و ١٣,٠٠٠ كاهن والوف مؤلفة من الاخوة والمعلمين والراهبات. وفي هذه الرسالات قد شُيدت ٢٠,٠٠٠ كنيسة و ١٥٠ مدرسة اكليريكيَّة يستعدّ فيها للكهنوت الوف من الكهنة الوطنيين. وهناك ١٥٠٠٠ مدرسة ومئات الوف من الدارسين هذا فضلًا عن عدد لا يُحصى من المشروعات الخيريَّة كالمستشفيات والميتم والملاجئ. وعدد المتنصرين الجدد البالغين في كل سنة ينيف على ١٥٠,٠٠٠ ما عدا المعمَّدين من ابناء النصارى وصغار الوثنيين

ثمَّ لشركة انتشار الايمان منشورات اخصها نشرة « الرسالات الكاثوليكيَّة » (Missions Catholiques) التي تصدر مرَّة في الاسبوع وهي تطبع مصوَّرة في ثماني لغات في الفرنسويَّة والايطاليَّة والالمانيَّة والهولنديَّة والاسبانيَّة والانكليزيَّة والبولونيَّة والمجريَّة. وللشركة نشرة اخرى تظهر مرَّة كل شهرين تحتوي اخبار الرسالات الكاثوليكيَّة (Annales de la Propagation de la Foi) يبلغ عدد نسخها ٣٠٠,٠٠٠ ويُنشر مثلها في ١٢ لغة

فترى من هذه اللائحة الموجزة ما تجري من الاعمال الرسولية في كل اصقاع

العالم بساعي شركة انتشار الايمان وما يعود لبولين جاريكو من الفضل بانشائها . ويا ليت هذه الشركة تنتشر في كل مدن الشرق بين جميع الكاثوليك فيشتركون بكل النعم والبركات التي تجري على ايدي المرسلين في كل انحاء المعمور

*

ولنعودنَّ الآن الى ترجمة بولين جاريكو ولنقل انَّ هذه الشهمة الفاضلة لم تجتزئ بذلك العمل الجبّاري السابق وصفهُ اي شركة انتشار الايمان بل انشأت عملين آخرين كادا يوازيانها نفعاً وخطرًا اولهما عبادة « الورديَّة الحيَّة » (le Rosaire Vivant) والآخر شركة المعامل المسيحيَّة (L'Usine chrétienne)

فباشرت بعبادة الورديَّة الحيَّة سنة ١٨٢٦ رغبةً منها ان تنشر اكرام البتول الطاهرة على طريقة سهلة في البلاد المسيحيَّة وخصوصاً بين طبقات الشعب . فكان المشتركون في هذه الجمعيَّة يقتسمون فرقاً كل فرقة خمسة عشر شخصاً على عدد اسرار الورديَّة الخمسة عشر فيقترعون عليها في اوَّل الشهر فاي سرٍّ وقعت القرعة عليه لاحدهم تلا كلَّ يوم بيتاً من الورديَّة متأملاً في ذاك السرّ . واذا انتهى الشهر عادوا الى القاء القرعة وهلمَّ جرًّا . ويتولى تدبير كل فرقة واحد يُدعى غيورًا

فهذه العبادة القريبة المنال المنعشة لروح الدين انتشرت في كافة بلاد اوربَّة واثبتها البابا غريغوريوس السادس عشر في رقيم تاريخهُ ٢٧ كانون الاوَّل سنة ١٨٣٢ ومنح اعضاءها النعم الروحيَّة وجعل لها كرديناً لا يراعي امورها ثمَّ قلَّد البابا بيوس التاسع تدبيرها رؤساء الرهبانيَّة الدومنيكانيَّة العامين فهم متولون اليوم ادارتها

وكان الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر يعزُّ بولين جاريكو ويثني على همتها ويشكر الله الذي اقام في فرنسة فتاة مثلها تنعش في القلوب عواطف البرّ والتقى على انَّ هذه الاعمال التي كانت بولين خصت بها حياتها انهكت قواها واضعفت مزاجها فقضي عليها ان تلزم الفراش . وفي تلك الاثناء في نيسان من السنة ١٨٣٤ حدثت في ليون فتنة عظيمة اثارها الجمهوريُّون والفوضويُّون فالتحم القتال بينهم وبين المحافظين وضُربت المدافع وانتشر الاوباش في البلد يقتلون وينهبون . وصرخ بعض الغوغاء : هلمَّ بنا الى تلّ فورفيار لنحارب سيدة الكاثوليك وشفيعتهم

وكانت بولين والبنات اللواتي تهتمّ بأمورهن يسكنّ في دار قريبة من كنيسة فورڤيار فبلغهنّ امر الثوّار وشملهنّ الخوف جميعهنّ ولم يرين وسيلة للخلاص الّا ان يلتجين الى الاسراب الواسعة التي تحت معبد فورڤيار لكنهنّ خفن ان يزعجن امهنّ في مرضها الثقيل. امّا هي فلمّا علمت بالخطر اشارت اليهنّ بان ينقذن القربان الاقدس قبل كلّ. فخرجن والقربان يتقدّمهن وفي ايديهنّ الشمع وحملن بولين على فراشها وكان رصاص العدوّ يدوي حولهنّ فلم يُصبن باذًى حتى بلغن تلك الاسراب وفيها اختفين مدّة خمسة ايام في رُعب متواصل الى ان انتصر المحافظون وصعدوا الى تلّ فورڤيار مترنمين بتسابيح مريم البتول التي نجّت المدينة

فرجعت بولين مع بناتها الروحيّات الى دارها ونُقل اليها القربان بحفلة حافلة حضرها قوم غفير بكل خشوع واكرام. لكنّ المرض قد تثاقل على بولين حتى ظنّ كثيرون انّها تموت لا محالة بعد قليل فتزوّدت باسرار الكنيسة واعدّت نفسها بكلّ حرارة لآخرتها

وهي كذلك اذ نقلت الجرائد انّ الاثريين اكتشفوا في دياميس رومية جسد احدى العذارى الشهيدات المدعوّة فيلومينا وانّ ذخائرها نُقلت الى مدينة موغنانو (Mugnano) حيث جرت عدّة معجزات باهرة بشفاعتها. فشعرت المريضة برغبة عظيمة الى ان تسافر الى ايطالية لتستمدّ من الشهيدة شفاءها وطلبت ان يُسمح لها بالسفر لكنّ الطبيب مع اهلها ومعارفها رأوا ان سفرها ضربٌ من الجنون وهي مدنفة على الموت لكنها لم تزل تلحّ عليهم حتى أيسوا من اقناعها فرخّصوا لها بالسفر وهم متأكدون انّها تموت في الطريق اوّل يوم رحلتها فسافرت ومعها الكاهن مرشد بناتها وامرأتان من اصحابها وكلهم في عربة اذ لم يكن في ذاك الوقت سكك حديديّة. وكان السفر يجري بهدوء حتى وصلوا الى قمّة جبل الالب فهناك اتى يوماً ولد بهي المنظر وتقرّب من العربة وقدّم للمريضة وردةً ذات عرف وشكل غريبين ثمّ توارى عن العيان من ساعته فعدّه رفقة بولين ملاكاً من الرب ارسلتهُ العذراء شكرًا لتلك التي انشأت شركة الورديّة الحيّة

وبعد ايّام وصلت بولين الى رومية على آخر رمق لكنها واثقة بشفائها فطلبت من البابا غريغوريوس السادس عشر ان يسمح لها بزيارته وطلب بركته فسرّ الحبر

الاعظم لمرآها سروراً عظيماً واثنى على مشاريعها الشريفة في خدمة الكنيسة وباركها ثمَّ طلب منها ان لا تنسى ان تصلي لاجله « عند دخولها في السماء » قال هذا وهو يرى انها ميتة لا محالة. فاجابتهُ بولين انها تفعل لكنها اردفت قائلة: « وان شفتني القديسة فيلومينا الشهيدة أتسمح أيها الاب الاقدس باكرامها في الكنيسة ». فاجاب امام الاحبار « لا شكَّ في ذلك لانَّ شفاءك اعجوبة من اكبر العجائب »

ثم استأنفت بولين سيرها وانتشر خبر وصولها فاقبلت الجموع لتنظرها. وكان دخولها الى موغنانو اشبه بنقل جنازة الى المدفن. فدخل القوم الى الكنيسة معها ووضعوها بقرب قبر الشهيدة. واذا بها شهقت شهقةً ظنوهـا حشرجتها الاخيرة وصرخوا طالبين بان تُنقل الى المستشفى. لكنَّ بولين اشارت بان يتركوها ترت هناك فبقيت ساعة بين حيَّة وميتة واذا بعرقٍ اخذ يسيل على وجهها والدموع تترقرق من عيونها فقامت معافاة واقبل الجموع يصرخون: فلتحيَ الشهيدة! شكراً للقديسة فيلومينا! وبعد أيام عادت بولين الى رومية وذكرت الخبر الاعظم بوعده. وكان البابا يشكُّ انها هي التي رآها قبل اسبوع فشكر الله على شفائها ورأى انَّ هذه المعجزة انما كانت جزاء الربِّ لتلك التي وقفت نفسها لخدمة الكنيسة بانشاء شركتي انتشار الايمان والوردية الحيَّة

ثمَّ رجعت بولين الى ليون وعدَّت شفاءها كفريضة جديدة تقضي عليها بتضحية حياتها في خدمة الله فتضاعفت غيرتها واجتهدت في توسيع نطاق مشروعيها السابقين فكانت تقضي الساعات الطويلة في مكاتبة مراسليها في انحاء اوربَّة وكان بينهم المطارين والاساقفة والاعيان وكل رجال الخير فيتلقون كلامها كضرب من الوحي

وفي تلك المدَّة افتكرت في انشاء شركة اخرى لنفعة الفعلة. فانَّهـا كانت ترى العمَّال والفعلة محاطين بضروب من المخاطر والاشتراكيون مع الفوضويين يسعون بتضليلهم وتهييج مطامعهم واستئصال روح الدين من قلوبهم ليحملوهم على الفتن وقلب الهيئة الاجتماعيَّة. فكان قلب بولين يكاد ينفطر لهـذا المنظر مع علمها بان الفعلة مجبولون على السذاجة والاستقامة وحبِّ الدين والفضائل الاهليَّة ففكرت في طريقة تعالج بها هذا الداء فلم تر وسيلةً افضل من ان تنشئ معامل مسيحيَّة مبنيَّة

على اصول الدين والوفاق بين اصحاب المعامل وعمّالهِ لا يُقبل فيها غير الفعلة الحسني السلوك

وابتدأت بانشاء معمل كبير على حسابها كأنها مبالغ كبيرة من خلفة والدها. فظهر هذا العمل بعد زمان كمشروع ملهم من الله لتمع روح الفوضى ونال في اوّل امرهِ نجاحاً كبيراً واثنى عليها الاساقفة وافاضل الرجال الّا انّ بعض الذين كانت الآنسة بولين وثقت باستقامتهم معها في تدبير المعمل خانوها واوقعوها في مشاكل امرّت بقيّة حياتها واذاقتها كأساً من الاوجاع رشفتهُ بالصبر الجميل في السنين الاخيرة من حياتها

وكان معظم همّها ان لا يُصاب احد بخسارة لسببها فكانت تقضي أيامها ولياليها في الاشغال الشاقّة لتفي لكل ذي حقٍّ حقهُ. ورأت في تلك السنين كثيرين من اصحابها معرضين عنها كانهم لم يعرفوها

لكنّ خادمة الله لم تقنط بل اعتزلت عن الناس وعاشت منفردة تصرف زمانها في الشغل والصلاة وممارسة اسمى الفضائل وكانت اتخذت الاب دي راڤنيان الواعظ الفرنسوي واليسوعي الشهير كمرشدها فكان يسندها في اوجاعها ويعزّيها في كل الاعمال التقويّة ولا سيما في حمل الصليب مع ابن الله المتألم لاجل البشر. فاضحت تحت ادارتهِ اشبه بمحرقة كان الله يتنسمها برائحة الرضى ويفيض عليها اغزر هباتهِ السماويّة. وكانت في تلك حالة الخمول والاوجاع لا تفكّر الّا في الكنيسة ورأسها المنظور وخلاص النفوس فكان الحبّ الالهيّ يضرم قلبها ويطهّر روحها كما يمحّص الذهب في البوتقة. وفي آخر سنة ١٨٦١ أُصيبت بمرض عُضال دام عليها نحو شهرين وصبرت على مضضهِ صبر الملائكة دون ان يخرج من فيها كلمة واحدة تدلّ على سأم او تمرمر. وغاية ما كانت تنوه بهِ ان يقبل الله اوجاعها لينصر الكنيسة على اعدائها ويلطّف اكدار ابي المؤمنين بيوس التاسع. وكانت آخر كلمة لفظت بها شفاهها: « فليكن قلب يسوع معروفاً ومحبوباً ومحمّداً في كل العالم الى الابد » ثمّ انطفأت كما ينطفئ السراج بهدوّ وسكينة. فكان يلوح على محيّاها سلام الله. وكان موتها في ٨ كانون الثاني من السنة ١٨٦٢ ولم يشيّع جنازتها الّا بعض الاصحاب

وجُعل على ضريحها صفيحة بسيطة مع هذه الكلمات: « هنا قبر بولين ماري جاريكو منشئة شركتي انتشار الايمان والورديّة الحيّة »

لكنّ الله الذي يبتلي اولياءه في هذا العالم كثيراً ما يعظم اسمهم ويرفع ذكرهم بعد مماتهم. وهذا ما حدث لبولين جاريكو فانّهُ تعالى منح نعماً غزيرة لمن التمسوا شفاعتها من جملة ذلك شفاء امراض وازالة عاهات ونجاة من بلايا استدعت السلطة الكنسيّة بان تهتمّ بتثبيت قداستها. فنشروا ترجمة حياتها وجمعوا الشواهد على النعم الملتمسة على يدها وارسلوا كل التعليمات الى رومية لتفحص هناك فحصاً مدقّقاً. وقد جاء من رومية في تاريخ ٣١ آذار من السنة الحاليّة ١٩١٢ انّ مجمع الطقوس باشر بامر تطويبها ووكل الى نيافة الكردينال فرّاتا الاهتمام بهذه الدعوى

فلا مراء انّ ادراج اسم المكرّمة ماري بولين في سجلّ الابرار سيبعث في النفوس غيرةً جديدة لمساعدة شركة انتشار الايمان والورديّة الحيّة. وقد بين الله بعد وفاتها انّهُ هو الذي الهمها ايضا انشاء المعامل المسيحيّة فانّ رجالا من ذوي الهمة ادركوا ما في هذا المشروع من المنافع لردّ غارات الاشتراكيين والفوضويين ونشر روح الدين بين العملة فانشئت معامل متعددة على شبه المعمل الذي انشأتهُ خادمة الله بولين جاريكو وقد اضحت منذ اربعين سنة هذه المعامل من اشرف واعظم المشروعات الاجتماعيّة التي تفتخر بها الكنيسة الكاثوليكيّة وتشهد لحسن نظر منشئتها الاولى جازاها الله الف خير واقام في شرقنا العزيز من يقتدي بصلاحها وغيرتها لمجد الله وفائدة الوطن

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثمّ في ثمانية ايّام من شهر شباط مات الامير فارس بهذه السنة صباح الخميس بداء الاستسقاء ولستقام بالمرض ثلاثة شهور واخذوه للساحل لدير البشاره بالزوق.

وتعالج كثيراً وما صار افادة لان جسمهُ عيَّان للغاية من داء الربو الذي كان بهِ منذ زمان. وتاسفت عليهِ الناس واناساً كثيرين انضروا بموتهِ كما يأتي الشرح. وقالوا ان عمرهُ خمسة وخمسون سنة. وحالاً حملوه من دير البشاره الى صليما مقرّ وطنهِ ودفنوه بتربة اباه واجداده. وقيل انهُ اعتمد وصار مسيحيًا حين موتهِ. واما اصلهُ فكان درزيًا ومات شهيد خدامة طوايف الدروز لانهم قهروهُ كثيراً وما فكروا بالعواقب. والان بدهم يتعبوا في معيشتهم لعدم وجود واحد في ارضهم مثل هذا الامير. لان اذا كان يطول عمرهُ كان يرجعهم لحريتهم. ولكن النحس يلحق بعضهُ والنيَّة تسبق العمل

وفي هذا الاثناء حصل محامره (مشاجرة) بين الامير سليمان شهاب وبين الامير بشير ابن مراد واتصل الشر بينهم وهدموا (186) بعض املاك لهم بالسواحل مثل دكاكين وبيوت كل منهم يهدم للآخر. والامير سليمان توجه الى جبيل شاكياً على بشير وجرجس باز مغرض مع سليمان. وانعرض ذلك للحاكم. وبغضون ذلك مات الامير فارس فصار توقيف الامر بينهما

ثمَّ صار طوشه كبيره في جبة بشري وهاجت الناس على بعضها وقتل رجال ونساء وجاريح. والتزم عبد الاحد باز يتوجه هناك لمقاصرة المذنبين. فحين لحظوا على ذلك هاجوا على الشيخ المذكور واتباعهِ وجرحوا يوسف الخوري من خاصة جرجس باز ومن ذلك الحمق المذكور وطرح الصوت في جبيل وجمع جانب عسكر لمقاصرة المذكورين العصاة. وفيما بعد تداورت الامور وانتهى هذا الشلش على سلامة

ثمَّ انَّهُ بهذه الايام ابناء الامير يوسف حكَّام جبيل قتلوا الشيخ حسين متوالي شيخ الهرمل وهذا هو غني وردي وعدو للامير جهجاه الحرفوش. فهذا جاء يواجه الاماره المذكورين استقام يومين وقصد الرجوع لمحلهِ. فمسكوه وخنقوه وارموه في جبّ وضبطوا اموالهُ التي اغلبها مواشي واسلحة وامتعة واما غرش فهو قليل. وسبب قتلهُ انهم مسكوا كتابة منهُ الى مصطفى برو طلب منهُ حكومة جبيل وانهُ حالاً يقتل جرجس باز واخيه ويمسك الامراء ويرسلهم لطرابلس بالقيد. فبرو ارسل المكتوب ذاتهُ للامراء المذكورين واعرضوه على الامير بشير فاذن لهم يعدموه متى وقع بيدهم

فوقع واكل جزاه لانهُ ردي جدا ولهُ عزوة (حزب) كبيرة بالهرمل ودايماً يرغب تلاف النصارى في جبيل

ثمَّ في شهر شباط حضر الامير بشير الحاكم والامير سليم حاكم جبيل وباقي المشايخ الى قرية صليما يأخذوا بخاطر ابنا الامير اسمعيل من جهة وفاة عمهم الامير فارس حسب العوايد. واخامروا عليهم وصار فرصة لبيت (187) الحاطون الذين هم اتباع الاماره المذكورين وترجوا بهم وواجهوا الامير بشير والامير سليم واشهروا خاطرهم عليهم بحيث يكونوا منقادين لحكامهم ويحسنوا سلوكهم مع الناس. فصدر الامر برجوعهم لمحلاتهم

ثم دخلت سنة الف وثمانمائة وستة موافقة الف ومايتين واحدى وعشرون

اعلم ان بهذه السنة حصل اشياء كثيرة بالجبل من الحكام في بعضهم

اولًا انهُ حصل مخالفة وتعدي في بلاد الضنيه واقتضى انهُ يتوجه جرجس باز وعسكر جبلي لمحاربتهم. فظفر بهم ورجع ومر على بعلبك بعزيمة من جهجاه الحرفوش. وحصل لهُ اكرام واحتفال كلي. ثمَّ توجه لدير القمر ودخل في موكب عظيم. وهذا الانسان حظي على عزّ وجاه ما سبق لغيرهِ قبل وبعد. وكان بينهُ وبين حاييم اليهودي صداقة ومحبة وافرة حسب الظاهر. وكذلك في خطرتهِ بالضنيه جرى مودة كليَّة بينهُ وبين مصطفى برير بطرابلس حتى كان يدعوهُ اخاه. ومن هذه الاحوال ما عاد فكر في عواقب الزمان. واعتمد الاقامة بالدير وزيَّن البيت الذي كان اشتراه وصار المتكلِّم في امور البلاد جميعها. وكل مادَّة مع امير وشيخ وخلافهم تحصل فترفع اليهِ اولًا والذي يقولهُ يصير

غير انَّ الامير بشير كان بحال القهر من عدم اعتبار الشيخ لهُ ولا سيما بمداخلتهِ بما لا يخصهُ. حيث ان حكم الجبل يخصّ الامير. وحده وحكم جبيل تبع الشيخ المذكور. وصار كل مدخول برّاني من هدايا وغيرهِ يشارك بهم الشيخ حتى ربع المدخول ما كان يصل للامير. والسبب كل مادَّة تتعرض على الشيخ منها يقضيها هو بنفسهِ ومنها يعرضها على الامير. وعلى كل حال الذي يريدهُ الشيخ يصير. وصار بيدهِ الحلّ والربط. والامير لهُ الاسم فقط في حكمهِ. وهو صابر على هذا الحال ويقدم لهُ كل اكرام واغلب الايام يستعمل الطعام (187) معهُ ودايماً يظهر لهُ بشاشة

ويقبل منهُ كلما يقولهُ . والشيخ كان يطمع في مودة الامير لهُ ويحتسبها صاغ . واطمأن من كل شيء يحدث من نحوه وكان متحد مع الشيخ بشير جنبلاط ومركن بهِ انما اركانهُ بالامير اكثر

ومع ذلك ما كان يجيء بفكرهِ ان احداً يغدر بهِ من اماره او مشايخ وذلك من ثلاثة وجوه : اولاً من محبة العشلي له . ثانياً من انقسام البلاد . ثالثاً كان سلوكهُ حسن مع الجميع يرضي الجميع ونيتهُ صافية . وصحيح ان هذه الثلثة اشياء كافية لمنع الضرر عنهُ غير انهُ غلط في تغيير خاطر سيتهِ اليزبكيَّة المختصة في ابناء الامير يوسف من زمان والدهم . وهم بيت عماد وبيت تلحوق وعبد الملك ومن يتبعهم . ومن كون المذكورين ضدًّا للامير بشير وجنبلاط فجرجس باز تركهم وتعلَّق في اضدادهم حتى صار مساعد في اهانة المذكورين ولا يلتفت اليهم البتة حتى بغضوه جدًّا وما يطلع من يدهم شيء . بسبب ان العشلي لا يسمع لهم . وحصلوا في ضيق كلي من المال والجاه . ودائماً طالعين وراهم بطلب غرش حتى ما خلوا لهم . حال يسليهم . وهذا ما كان رأي صالح من الشيخ المذكور . ونصحهُ جملة من اصحاب الفن انهُ لا يرخي من سيتهِ (اي لا يتركهم) خشية من عواقب الدهر الخؤون . الا انهُ انفرَ في صحبتهِ اولايك وهذا غلط لان المذكورين اعداء لهُ من قديم . وكان اضرّهم جدًّا منذ سبعة سنوات خصوصاً حينما لبس من الجزار حاكماً وطرد المذكورين ونهب بيوتهم العسكر وضبط رزقهم واهان سيتهم واتباعهم . الا انهُ بعد ما صار الوفقيه بينهم رغماً عن الجزار تداخل معهم بالحبّ والصداقه . وهم ايضاً اظهروا له مودة زايدة بالظاهر . فتعلق في مودتهم واركن الاركان الكلي . وبقي هكذا بهذه السنين . وكان اغلب اقامتهِ في جبيل بمقاطعة أمراه ويتردَّد قليلاً لدير القمر يستقيم اياماً ويرجع . الى انهُ بهذه السنتين (188[٢]) تحسن عندهُ الاقامة دائماً بدير القمر ونقل اعيالهُ من جبيل

وقيل انَّ الامير بشير كان يرغب اقامة الشيخ بدير القمر حتى لما كان يتوجه لجبيل في غرض فيصير الامير يواصل لهُ الطلب ويلج عليهِ بالرجوع . وذلك احتساباً اذا كان بعيد عنهُ يلعب في عقلهِ اصحاب الادواك ويبدأ منهُ غير امور . مع انهُ ابدًا ما يجيء في عقلهِ بداية شيء مخالف . كيف لا والحال الحاصل فيه من العزّ والجاه مما

لا يصير لاحد حتى وما صار للذين تقدموه. وبالنتيجة حصل هـذا الانسان بالغرور وقصر العقل بنوع لا يوصف .

ثم انهُ بهذهِ السنة في شهر رمضان جاء طلب من سليمان باشا للامير بشير بان يرسل جرجس باز لعكا حالًا لاجل امر ضروري لازم. فبالحال توجه المذكور لصيدا اولًا وهناك كان حايم اليهودي ينتظرهُ. واخذ معهُ هدايا معتبرة منهُ ومن الامير وصورة خطرته (سفرته) هذه بموجب تعريف الشيخ باز الى احد احبابهِ وقفنا عليهِ وهذا فحواه

« انهُ نهار الاثنين حضرنا لدير القمر بكل سلامة وعما صار من التوفيق والاقبال بهذه الخطرة يفوق الوصف عن شرحهِ. على انهُ حين وصلنا لصيدا طلع دالي باش والاغاوات يلاقونا لجسر الاولي. واخذونا بالآلاي. وبوصولنا الى باب المدينة وجدنا متسلم اغا والمعلم حايم وبعض الاعيان. فسلموا علينا بغاية الترحيب واستقمنا يومين بكل صفا. ثم توجهنا لصور وجدنا ملاقية عند جسر القاسميه دالي باش والمتسلم والاعيان نحو ثلاثمائة خيال. ودخلنا لصور بجمال العز. ثم توجهنا لمحروسة عكا فوجدنا خيل الدالاتية مع قني عمر ملاقين لنا الى المنشرخ. وحين دخلنا للمدينة انضرب مدافع كثيرة. وبعده تشرفنا بلثم اتك (رداء) سعادة الوزير المعظم وشاهدنا جناب علي اغا كتخداه بيك وحصل لنا اكرام ومجابرة لا توصف . واستقمنا ثلاثة ايام وتشرفنا بخلعة وافرة وكذلك بخلعة للامير بشير وخلعة للشيخ بشير جنبلاط. وبحمد الله جميع الامور (188*) فوق المرغوب

وكذلك برجوعهِ لدير القمر دخل بموكب عظيم ابلغ مما تقدم في خطرة بعلبك وصار شنك عظيم. والناس ماشيين قدامهُ للسرايا. وحين نزولهُ تلقاه الامير بشير بالحبّ والاكرام. وبعدهُ حضر الشيخ بشير جنبلاط سلم عليهِ. وصار الشيخ باز يوصف لهم ما صار وجرى في خطرتهِ. هذا ظنًّا منهُ انهم يفرحوا لسرورهِ. وصحيح صار هكذا ظاهرًا

ثم اظهر الكتابات التي معهُ من الباشا التي تعني حكومة الامير بشير بالبلاد وذلك دايم ابدي يكون حاكمًا. ثم والشيخ بشير يكون شيخ المشايخ لا يتغير وانهُ هو

نفسهُ جرجس باز يكون مناظر بالبلاد. ولا يتمّ شيء الا باطلاعه. وكان كل امله ان هذه الانعامات تمشي بالجيل

والحال صارت سبب لقصر اجله. لان من هذا الحين تغيرت الخواطر عليه. وان قلت لاي سبب ذلك هو ان سليمان باشا قادم لهُ منصب الشام وطرابلس من طرف الدولة. ويومئذٍ حاكم طرابلس مصطفى بربر وعاصي بطرابلس وضابط القلعة ضد خاطر الدولة. وسليمان باشا متى جاءه المنصب يرغب رفع بربر المذكور من طرابلس كليًا. وحيث فهم الباشا اتحاد باز مع بربر في خطرة محاربته بلاد الضنية وكان باز دخل لطرابلس بعزيمة من بربر واختلا واياه واظهر لهُ بعض شيء مرتلب منه فاوعدهُ باز انهُ يكون لهُ من اكبر المساعدين. وبلغ الباشا المودّة الزايدة الصايرة بينهما. لزم احضر باز لعندهُ في عكا وكلمهُ سرًا عن خاطر الدولة بارسال المنصب وطلب منهُ ان يغير خاطرهُ من جهة بربر ولا يسعفهُ بشيء اذا تمّ الحصار عليه او غير ذلك. وانهُ يكون عليه ليس معهُ

فاجاب جرجس باز للباشا انهُ ما يمكنهُ يطلع ضدًا لبربر حيث اوعدهُ وعدًا صادقًا مربوط بالقسم. انما لا يكون معهُ ولا عليه. ولا يتعارض الامر بكافة الاشياء. ولو طلب بربر اسعاف ما يتالهُ من وجه الجبل (189') . فلهذا كان جلّ السبب بالطلب لذهابه لعكا. وبعدهُ ما جاء المنصب الى سليمان باشا. والقول (ويقال) انهُ راجع الدولة بمنع ذلك حيث دخل عندهُ الوهم من جهة الوهابي الذي خرب اقلاع الحاج وربط الطرقات وملك اراضي الحجاز بالتمام. فالباين اعتذر وقبلوا عذرهُ

ثم بعد حضور باز من عكا وكبر مقامهُ وشأنهُ ازداد غرورًا واطمأن بما جميعهُ. وبهذا الغضون وقبل ذلك اظهر عداوة شنيعة مع الامير حسن اخو الحاكم وصار يكايدهُ ويقهرهُ في امور: اولًا منذ ثلاث سنوات ابطل ميزان الحرير من جونيه ورجوعه للزوق كما كان اولًا وذلك لاجل صالح الشيخ بشاره الخازن ثانيًا انهُ قصد بهذه السنة برفع يد الامير حسن من تسلطه على مقاطعة كسروان برجا بيت الخازن الذي الامير المذكور يبغضهم جدًا ودايمًا ينقب عليهم اشياء مقهرة ومضرة. فوقعت لهم الآن فرصة بالعزّ الذي به جرجس باز قصاروا يسرسوا عليه نحو الامير. والمذكور يبغض الامير والامير يبغضهُ. فصار يسعى في قهر الامير كيف كان. واطباع الامير

غير مرضيَّة لاحد حتى ولا لاخيه الحاكم. وكان الحاكم يتمرمر من احوال اخيه مع الناس ويذم منهُ. وجرجس باز ملاحظ ذلك. فطمع فيه وصار يفرد فيه بكلام ردي يسمع الحاكم والحاكم ينتهر من الكلام بحقّ اخيه ويحفظهُ في قلبهِ وما يحكي مع باز شيئاً. وحينما عزم باز بان يرفع يد الامير حسن عن كسروان جعل الواسطة الشيخ بشير جنبلاط ظناً منهُ انهُ يحبّ ويحفظ سره. وبالنتيجة امور مضحكة للغاية لانهُ صار يلقنهُ كلام يحكيهِ للامير بشير والامير يقول وجب

واخيراً توجه امر للامير حسن برفع قارشه (برفع يده) عن كسروان. ويظهر جرجس باز قدام الناس ان ليس لهُ خاطر ورضى بذلك. والحال ان الشيخ بشير كلما يصير من الكلام من باز يحكيهِ للامير ويبلغ اخيه حسن. وصار بيت الخازن يظهروا سرورهم انهم قهروا الامير حسن ويسمع المذكور ويتألم ومن غمهِ وعدم استملاكهِ (189v) طبعهِ باخذه الامور بالوسعة فتوجه في شهر شباط لدير القمر بزعمهِ انهُ يقتل جرجس باز. وكيف ما صار يصير

فبوصوله للدير كان الامير بشير في بتدين. فحضر امندهُ حالاً للدير وصار يأخذ بخاطره ويهمد اخلاقه. واختلا واياه سرًّا وقال حيث انّ الطبيخ مشتغل وانشاء الله يستوي قريباً فايش مقتضى لهذه العجلة الذي ربما ينتج منها اتعاب واضرار. فاذاً الصبر واجب. وبعد كلام كثير وقليل حتى همد غيظهُ ورجع لمحلهِ في غزير. وابتدا يستعجل ويحرك النار ويزيدها اضطرام حتى تستوي الطبخة قبل بوقت

وحال هذه الطبخة هو هذا: اي ان بيت عماد وما يتبعهم من كون عزمهم صار ضعيف وحالهم ورايهم مضمحل والامير بشير وجنبلاط يبغضوهم جداً بسبب رداوتهم ودلاعتهم وعدم استقامتهم والتزموا قبل هذه الايام اتحدوا مع الامير سليمان شهاب واجتهدوا بتغيير الحكم. وما طلع بيدهم. لان جرجس باز تركهم من بالهِ ومتحد مع الامير بشير والشيخ بشير. ونظروا لا فايدة من مساعيهم فلزموا بيوتهم

ففي هذه الأيام صار عليهم طلب غرش من الحاكم بمطابقة جرجس باز. واشتدّ الحال عليهم وراح جماعة منهم وقعوا على الامير حسن في غزير. وهي كانت ملعوب والطبخة ذاتها. وطلب الغرش والمضايقة هي مرتبة على تمام التدبير. وصار

الامير حسن يكاتب اخيه بشأنهم والمذكور يتفاوض مع جرجس باز ويبغضهُ فيهم. وصار الجهتين الامير وباز يواصلوا الحواليه لبيوتهم بالطلب والاستعجالات بايراد الفرش. والامير حسن يدفع عنهم سرًا مصروف الحواليه والاستعجالات وطال المصراع ايامًا كثيرة حتى الطبيخ قارب استواه

وفي شهر نيسان توجه بيت عماد مع جمهور من اتباعهم لدير القمر بحرفة منهم ليتواقعوا على الامير بشير برفع هذه الثقلة الحاصلين بها. فما ارتضى الامير بان يواجهوه (190) فرجعوا لمحلاتهم خايبين الامل. حتى ولا جرجس باز ارتضى يواجههُ. ثمَّ قصدوا يتوجهوا لجبيل لعند الاماره وجميع ذلك ملاعيب شيطانيَّة. وقليل من الناس لحظوا عليها. وصار البعض من احبا. جرجس باز يحذرونهُ من امر يأتي وما كان يلتفت لكلامهم لان الغرور داخل عليهِ. وقيل انَّ اشيا. كثيرة نظير هذه بلغوها للمذكور حتى من بيت عماد. وهو لا يعطي بالهُ ويقول ان الناس قصدها ان ترمي الفتنة بيني وبين الامير والشيخ. وبقي مطمأن على نفسهِ حتى اتت عليه المقادير

فراح المشايخ النبكيَّة المعلومين الى جبيل. وكان الامير حسن بتلك اليومين مواظب الصيد على نهر ابراهيم القريب لجبيل وهو طريق لبلاد جبيل. فحضر لعنده بعض من المشايخ بعسكر قليل من اتباعهم والباقي قادمين وراهم يبلغ الجميع نحو خمسانة نفر. ووصل الخبر عن مجيهم فما احتسبوا منهم لسبب ان الامير بشير كان يلزم جرجس باز بان يحرر الى اخيهِ عبد الاحد ويحذرهُ ان لا يقبل بيت عماد ولا يعطيهم وجه بالكليَّة. غير ان بعض من الحواشي الذي لهُ دراية وعقل حذر عبد الاحد باز ان يكون واعي لشغلهِ. الامور ما هي صاغ. فما اعطى بالهُ لكلامهم بسبب المكاتيب المتصلة من اخيهِ. حتى بيت عماد وتلحوق ارسلوا كتابة لعبد الاحد يعلموهُ بقدومهم ليتواقعوا على الاماره

الى انهُ في رابع يوم من شهر ايار وصلوا المشايخ وعسكرهم الى جبيل والامير حسن خلفهم. ودخلوا اجواق اجواق المدينة قريب الظهر. والاماوا وعبد الاحد يعاينوهم بالنضاره. وامروا للخدم يؤلفوا لهم قناقات. فالذي دخل اوَّلًا شرذمة من النفر وصاروا يركضوا على العيش والفاكهة ويخطفوا بعجة ويظهروا للناس انهم

مشحونين وبحال الجوع. وحضر طابور ثاني ومعهم المشايخ ثم لحقهم الباقي. وحينئذٍ امتلات المدينة من العساكر. وصاروا يخطفوا عمايم الناس (190ᵃ) وينهبوا الدكاكين والاسواق وهجموا على البيوت واشتغلوا بالنهب

امّا المشايخ فانهم راحوا لبيت عبد الاحد مع اتباعهم وقتلوا البواب ودخلوا الدار. فنزل اليهم عبد الاحد من بعد ما قوصوه وهو يتطلع عليهم من الشباك وحكم الرصاص في كفه. وتحقق عين الندر فاخذ سلاحهُ ونزل بالدرج وهم هاجمين عليهِ. فقوص شيخ درزي من بيت مصطفى وقتل حالاً وغار على المشايخ بالسيف. فانجرح علي تلحوق. فهجم العسكر بقوّة فولى راجعاً وهم يتبعوه. فارمى نفسهُ من مكان عالي فلحقوه من وراء السور وضربوه بالسيوف ومات. وباقي العسكر ملتهي بالنهب داخل البيوت وخارجها. نهبوا الجميع وشلحوا الرجال والنساء والاولاد. ثم نهبوا بيت عبد الاحد وعروا حرمتهُ لحدّ القميص. وهذا الحادث هو مهول جدًّا

وهم بهذا الغضب وصل الامير حسن وطلب الاماره الذين تحصنوا بالقلعة فما ارتضوا الّا بعد مراجعات كثيرة وبالخداع والتمليق حتى سلموا حالهم فاخذوا سلاحهم منهم وحاشهم في مكان تحت الحفظ

ثم نرجع الى جرجس باز وما جرى فيهِ هو انهُ نهار هذا الجمعة صباحاً حضر بشير جنبلاط للدير وصحبتهُ اتباعهُ متسلحين السلاح الكامل. ومنهم دخلوا ليلاً لاجل رفع الوهم. والامير كان مظهر غم لشان بيت عماد. ويظهر للشيخ جرجس باز انك مطابق معهم وعمال تحرر لاخيك يقبلهم وكلام نظير ذلك. فامّا المذكور فانهُ كان يحلف ويلعن انهُ ابدًا ما هو بادي منهُ خون في شي. وكان الامير يتحارف عليهِ بالكلام وكان منتظر اعلام تحضر من اخيه حسن بما صار

فبعد الظهر بساعة وصل خيّال من جبيل وكان الشيخ باز ساعتها مزمع ان ينام حسب عادتهِ. فارسل الامير تابعهُ حنا الدحداح يدعو باز لعند الامير فراح المذكور لعنده وصار يقول للشيخ ان الامير مغموم جدًّا بسبب توجه المشايخ لجبيل. وانك ابدًا ما حررت لاخيك يطردهم وكلام نظير ذلك (191ᵃ). وقال لهُ ان الامير يريد تحضر لعندهُ بهذه الساعة. فانغم الشيخ لتمّ الامير وقام حالاً وحضر لعند الامير وكان جالس وحدهُ بالاوضة الجوانيّة محل منامتهِ فامر لهُ بالجلوس ثم تكلموا مع بعضهم

قليلًا وصار الامير يظهر زعل بكلامهِ والشيخ يبرهن لهُ ويبرر نفسهُ مما تهم بهِ ويستعطف بخاطر الامير. اخيرًا قام الامير مغبون واراد الشيخ يقوم. فقال لهُ الامير اقعد مكانك وخرج بسرعة واغلق الباب وقفلهُ. وطلب حسن زين الدين بلوك باشي فحضر ومعهُ ثلاثة انفار وحبل ففتح الباب وقال لهم ادخلوا اخنقوا هذا الكلب واغلق الباب وبقي واقف برهة وساحب السيف. ثمَّ بعد حين طلب الشيخ بشير جنبلاط ليقف مكانهُ وطلع الامير من السرايا لبيت جرجس باز وطرد الحريم منهُ وختم كامل المحلات ورجع للسرايا كان الفرض انقضى. وسحبوا القتيل عريان ما عليهِ غير الستره وجروهُ من باب السرّ الى انطوش الموارنه ارموه هنـاك وريس الانطوش غطاه في حصيره مقطعة

ثمَّ احضر يوسف الترك المختص بجرجس باز وسجنهُ وبعد برهة امر بقتلهِ. فقطعوه بالسيوف ودفنوه حالًا. وبعد ثلاث ساعات صدر الامر بدفن باز في قبرهِ. وهم حاملينهُ الى المقبرة عريان ارمى عليه احد الناس عباةً مقطعة بوز وحين دفنهُ قاموا عنهُ العباة وارموه بالقبر عريان. حال محزن مكرب. وحين بلغ الامير امر العباية لجاب صاحبها وتهددوهُ بالعذاب فتشفعوا فيهِ وخرج سالمًا

ولمَّا انتهى حال هذه الموقعة تحكمت بوقت واحد فحضر الامير للسرايا وعزم على المسير لجبيل. فركب هو والشيخ بشير قرب غياب الشمس الى قرية عنبال وهناك حضر لعندهم بعض امراء بيت شهاب وباتوا في عنبال. وفي ثاني يوم السبت رحلوا مع عسكر غفير دروز ونصارى. وبوقتهِ جاء علم ثاني من الامير حسن واقتضى ان الامير يذهب للشويفات وهناك (1917) حضر لعندهُ اماره وغيرهم واستقام كم يوم. القول انهُ ارسل كتابة لاخيهِ ان يعمي اولاد الامير يوسف وما ارتضى. لزم ان الامير قام من الشويفات لجبيل هو وجنبلاط والامير ابن قمدان شهاب. وحين وصولهِ لجبيل اخرج الاماره الثلاثة حسين وسعد الدين وسليم وركبهم على الكدش وارسلهم الى قرية عشقوت قريب قرية عجلتون. وارسل معهم الامير حسن قمدان والامير بشير قاسم وبشير جنبلاط. ودخل بلوكباشي ومعهُ جملة انفار كتفوا الاماره واحرقوا شيش حديد واعموهم تمامًا وتركوهم هكذا. وعينوا لهم خرج يكفيهم ورجع جنبلاط للزوق. وثاني يوم توجه لقرية المتين ليعزي الامير منصور مراد في ولده المتوفى وبعده توجه الى محلة

المختاره . وكذلك الاماره والمشايخ رجعوا لمحلاتهم والامير بشير بعدما رتب الاحكام في جبيل حضر للزوق ينتظر اخلاع جبيل من طرابلس . فحضروا وهو بالزوق فلبسها ثمّ لبسها لاخيهِ حسن وجعلهُ ناظرًا على جبيل وكسروان . ثمّ فرضوا مبلغ غرش على بيت الخازن الذين هما كانوا سبب العداوة ما بين حسن وباز او من جملة الاسباب . وبعد ما قاسوا بهدلة ورزالة من الحواليه دفعوا يفيف عن خمسة وسبعون الف غرش . ثمّ انّ الامير وصل مقرّ حكمهِ وطرد كل من هو خادماً عند اولاد الامير يوسف وجرجس باز من دروز ونصارى واخذ منهم جانب مال . وانتهت الامور وما راحت الّا على من راح . وكلهُ من سوء التدبير وعدم الوعي

ثم كامل عملات الاماره وباز واخيه ما استفادوا شيئاً من مالهم التي هي مقارضة دين ذمة انوف من مايتين الف غرش لاسلام ونصارى ودروز وغربيــة . وتحكم حدوث هذا الزوال في باب موسم الحرير . وهذه المادة بظروفها ما جرت بالجبل بكلّ الزمان وهي تخلي من الله واحكام الرب لا تدرك . وبيت عماد (192') صاروا خاصة الامير حسن ولبسوا اكبرهم الشيخ فارس من الامير بشير وصار لهم انعــام وافر واعطي لهم ولبيت قلحوق جانب من رزق اولاد الامير يوسف . واستقرّوا في بيوتهم ونظامهم . وصار الجبل رأي واحد واوسل الحاكم عرض لمكا مع احمد القاضي يشرح عن مفاسد جرجس باز واخيه وانهم كاتبوا الانكليز ومرادهم يجيبوهم للساحل . وكلام منشي اضرار وخراب لزم قتلناه مع اخيــهِ . فجا الجواب من الباشا ان كان جرى ما تقول فما صار الّا الخير . ومن يقول ان قتل جرجس باز كان برضى حايم سرًّا ما بينهُ وبين الامير . والله اعلم بالخفايا . وشي مضى . وصاحب الانتقام حاضر وهو ينتقم من كل معتدي ولو بعد حين

ثمّ بعد نهاية هذه الاحوال ظهر من الامير بشير واخيه حرصاً زايداً . حيث ان الدروز بهذه الوقعة تمردوا وكان النصارى حطّ شانهم وعدموا حريتهم والدروز يحكوا ما يريدوه . والامير عين عندهُ خدم كثيرين . وحصّن بيت جرجس باز . وجعل بوابين وحراس كحال المدن وترك السرايا المطومــة واستقام بالبيت المذكور . وايضاً جنبلاط كثر رجالهُ ودخل بعقل العامة ان الشيخ متحسب من غدر الامير . والحال

هذا بعيد جداً . وانما صوت الجهتين من رأسهم ليس لهم كواخي ولا مشيرين بل كتبة وخدامين

ثم اجتهد الامير في مواساة حاييم اليهودي ودوام رضى الباشا عليهِ . فصار يرسل اموال الميريه والمتوجب على البلاد من غير طلب . وتسهل وجود ذلك بسبب الظلم الـذي انشاه على خاصة المقتولين بيت باز واخذ منهم مالاً غزيراً . وسكنت الامور ما بينهم . وكذلك مصطفى بربر الذي انقهر جداً من قتل جرجس باز الذي كان صاحبهُ . ولكن ما يطلع من اليد شي وارسل الخلاع للامير غصباً واظهر محبة ومودة وهي غصباً وقهراً ثمَّ انهُ توجه لعنـدهُ (192٧) لطرابلس الياس باز ابن اخو اعمامهِ المقتولين وكان هرب من جبيل حين المعركة والتجأ لبربر واكرمهُ وعين لهُ مصروف يكفيه . وبقي عنده اياماً وانتها هذا الحادث اي قتل اولاد باز تعمداً وعدواناً واعماء اولاد الامير يوسف بغتةً وافتراء في ابتدا سنة الف ومايتين واثنين وعشرين (١٨٠٧ م) ومضى الحال ويا لهُ من حال مكرب . مخوف وحال الطبيعة البشريَّة ورداوتها فهي اردى من الوحوش الضارية اذا كانت تقصد الردي وهذا الامير بشير ظاهره لطيف وما جاء في بال احداً يتصل لكذا قساوة مريعة وبعملهِ هذا انفهمت احوالهُ انهُ عديم الوفا ولا امان لهُ ولا يركن بهِ . وبالاخص نقضهُ القسم الذي حلفهُ على كنيسة السيدة بدير القمر باتحاده مع جرجس باز وانهُ لا يبدا منهُ شيئاً مغايراً لنحوه وقد خالف عهده هذا بنوع مهول ولا يعذر بهِ قدَّام الله . حيث على التحقيق جرجس باز ما صدر منهُ في حقهِ ما يوجب هذه القساوة . وانما كل هذا صار من الامير من حبهِ المال والجاه وارما نفسهُ بهذه التهلكة الذي الله يعلم كيف تكون عاقبتها لهُ ولاولاده من بعده . واما اخيه حسن فانهُ اكل جزاه باقرب الايام ومات بمرض اصعب واشدّ من ضرب السيف ويأتي الشرح عنهُ (لها بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

في قبائل العرب المتنصّرة

هذا فصل نجعلهُ كتتمة الفصل السابق فنسرد فيهِ على سياق حروف المعجم اسماء القبائل المتنصرة في عهد الجاهليَّة مع الادلَّة على نصرانيَّتها

١ ﴿ الازد ﴾ اسم عامّ يشمل القبائل الحميريَّة نسبة الى الازد بن غوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ. ونصرانيَّتهم مثبتة بنصرانيَّة القبائل المتفرّعة منهم وهي القبائل التي خرجت بعد انفجار سدّ مأرب فسكنت في انحاء الجزيرة وسيأتي ذكرها

٢ ﴿ امرؤ القيس ﴾ بنو امرئ القيس من بني زيد مناة بن تميم. وممن صرَّح بنصرانيتهم ابن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخهِ (ج ١ ص ٢٩٨) (ed. Houtsma) قال: «وتنصر من بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة». والى نصرانية بني امرئ القيس يشير ذو الرمة الشاعر حيث يقول:

ولكنَّ اهل امرئ القيس معشر يحلُّ لهم اكل الخنازير والخمرُ

٣ ﴿ الاوس ﴾ روينا في الباب العاشر من فصلنا الاوَّل (ص ١٠٨) اقوال الكتبة في نصرانيَّة الاوس بعد احتلالهم في مدينة يثرب وانهم المشار اليهم باهل الكتاب اي النصارى

٤ ﴿ اياد ﴾ من اقدم القبائل العربيَّة المتنصرة. نقل السيوطي في المزهر (١: ١٠٠) قول ابي نصر الفارابي في القبائل العربيَّة التي لم يؤخذ عنها اللسان العربيّ

لفساد لحق بأُمّتها: « ولم يؤخذ (اللسان العربي) لا من قضاعة وغسّان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانيّة » يريد اللغة الآراميّة التي شاعت بين العبرانيين بعد جلاء بابل. وقال البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨) (ed. Wüstenfeld): « دانت اياد لنسأن وتنصّروا ». وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ id.): « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصروا »

٥ ﴿ بكر ﴾ بن وائل قبيلة كبيرة اخت تغلب وقرينتها في القوّة والدين كانت ساكنة في الجزيرة واليها نُسبت ديار بكر. امّا نصرانيّتها فثابتة من كل الوجوه لا يُشكّ فيها. قال صاحب سيرة الرسول المعروفة بالحلبيّة (٣: ٩٥): « من قبائل العرب المتنصرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وجذام »

٦ ﴿ بهراء ﴾ فرعٌ من قضاعة اشتهروا بالنصرانيّة كما رأيت آنفاً بنصّ السيرة الحلبيّة. وقال اليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨): « تنصر من اليمن طيّ ومذحج والبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم » وجاء في كتاب البلدان للاصطخري (طبعة ليدن ص ١٤ ed. de Goeje,): « انّ بعض العرب تنصر ودان بدين الروم مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام ». وجاء في ترجمة ابي العلاء المعري لابن خلكان: « تنوخ احدى القبائل الثلث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب » ومثلهُ الفيروزابادي حيث قال: « كانت النصرانيّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وتغلب وبعض طيّ ». فترى انّ نصرانيّة بهراء شائعة في التاريخ

٧ ﴿ تغلب ﴾ بن وائل هي القبيلة المدنيّة الشهيرة وشقيقة بكر. كانت بلغت في الجاهليّة مقاماً قلما ادركتهُ قبيلة عربيّة اخرى قال عمرو الشيباني يصف شرف تغلب: « كانت تغلب بن وائل من اشدّ الناس في الجاهليّة وقالوا: لو ابطأ الاسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس (١ ». وكانت تغلب مع شدّتها عريقة في الدين. قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته يفتخر بشرف ودين نساء قومهِ:

قفانن من بني جُشم بن بكر جمعنَ بجيم شرفاً ودينا

١) اطلب شرح التبريزي لمعلّقة عمر بن كلثوم (ed. Lyall, p. 108)

اما هـذا الدين فكان دين النصرانيَّة كما هو مشهور . والشواهد على ذلك لا تُحصى كما رأيت آنفـاً من نصوص اليعقوبي والاصطخري والفيروزابادي وابن خلكان. وزد عليهـا قول ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨): « نزلوا (اي العرب) على خفارة فارس والروم حتى انَّ بعضهم تنصر ودان بدين النصرانيَّة مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام». وتجد في الباب الثامن من الفصل السابق شواهد اخرى تؤيد الامر ولا تدع ريباً لمستريب. قال جابر بن حنيّ يردّ على بهراء (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠):

وقد زعمت بهراء انَّ رماحَنا رماحُ نصارى لا تخوض الى الدَّمِ . . .

بل لدينا ادلَّة واضحة على ثبوت النصرانيَّة في تغلب حتى القرن الثالث والرابع بعد الاسلام وجاء في سراج الملوك للطرطوشي (ص ٣٦ من طبعة مصر ١٢٩٩) انَّ بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فأعلنوا بنصرانيتهم

٨ ﴿ تميم ﴾ هو ابن مرَّة بن ادّ من بني مضر العدنانيين وكانوا عـدَّة قبائل ودخلت النصرانيَّة في كثير منها كبني امرئ القيس وبني شيبان وبني أيوب ابن قلّام الذي منهم كان الشاعر النصراني الشهير عديّ بن زيد. وجاء في التـذكرة الحمدونيَّة (ص ١٧ و١٨ من نسخة برلين) في وصاة الحرث بن كعب لبنيـه انَّهُ « بقي على دين عيسى بن مريم مع تميم بن مرّ واسد بن خزيمة » فجعل النصرانيَّة في قبائل تميم بنسبتها الى رأسهم وشيخهم تميم بن مرّ

ولمَّا وفد بنو تميم على محمد كان احد زعمائهم الزبرقان بن بـدر ومما افتخر به البِيَعُ التي كان يشيدها قومهُ كما روى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩٣٥):

نحن الكرام ولا حيٌّ يعادلنـا منَّا الملوك وفينـا تُنصَب البِيَعُ

ومن تميم في الجاهليَّة كان اسقف نصراني يُدعى محمداً وهو محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم التميميّ (١

٩ ﴿ تنوخ ﴾ احدى قبائل اليمن ونصرانيتها مُجمع عليها فانَّ اليعقوبي في تاريخهِ (١: ٢٩٨) والاصطخري في كتاب مسالك الممالك (ص ٢٤) وابن خلكان

١) اطلب حياة محمد لسبرنغر (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, I, 161)

(ص ٤٢١) والفيروزابادي في معجمه يجعلون كلهم تنوخ من جملة القبائل المتنصرة بل ورد في كتب السريان ذكرًا لاسقف التنوخيين (١

١٠ ﴿ ثعلبة ﴾ بنو ثعلبة ثلاثة أبطن من طيء وهم ثعلبة بن ذُهل وثعلبة بن رومان وثعلبة بن جدعلة يقال لهم ثعالب طيء. ورد في الباب الثامن من الفصل السابق ذكر اساقفتهم. وقد عرف كتبة اليونان والرومان والسريان نصرانيتهم فذكرهم غير مرّة. واخبر الابشيهي صاحب كتاب المستطرف (ج ١ ص ١٣٥) قال: « رُوي انّ بني ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهُ فقالوا: يا امير المؤمنين انّا قوم من العرب افرض لنا. قال: نصارى؟ قالوا: نصارى. قال: ادعوا اليّ حجّاماً. ففعلوا جزّ نواصيهم ...». ويوجد غير هؤلاء ايضاً عُرفوا ببني ثعلبة اشهرهم بنو ثعلبة بن شيبان من بطون تميم

١١ ﴿ جذام ﴾ بن مالك بن نصر قبيلة يمنيّة من الازد كانت تدين بالنصرانيّة قال صاحب السيرة الحلبيّة (٣ : ٩٥) : « من قبائل العرب المتنصرة بكر ولخم وجذام » . وكذلك الفارابي في المزهر (١ : ١٠٥) يجعل جذام من النصارى الذين « يقرأون بالعبرانيّة ». وفي الفتوحات الاسلامية للبلاذري (٥٩ و١٣٥) والطبري (١ : ٢ : ١٧٠٢) وفي تاريخ ابن بطريق (طبعتنا ج ٢ ص ١٣) ترى جذاماً في جملة قبائل العرب المتنصرة التي تحارب جيوش المسلمين مع غسّان وكلب ولخم

١٢ ﴿ جرم ﴾ بن ريّان هم من قبائل قضاعة ونصرانيتهم ثابتة كنصرانيّة قضاعة. وقد مرّ بك في الباب الثامن من الفصل الاوّل ذكر اسقف لبني جرم. وكانت النصرانيّة في جرم منذ زمن قديم فانّ السريان ذكروا ديراً ابتناه الرهبان في ديار جرم منذ اواسط القرن الرابع (٢. وقد روى قزما الرحّالة الهندي في سفره الى الهند انّ بين الدانئين بالنصرانيّة في زمانه اي القرن السادس للمسيح كان النبط وبنو جرم (٣

١٣ ﴿ جرهم ﴾ نقلنا في جملة آثار النصرانيّة في مكّة ما رواه كتبة

---

١) اطلب النخب السريانية (Lagarde: *Analecte Syriaca* p. 128)

٢) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (Assemani: BO, II, 41)

٣) اطلب مجموعة مين (Migne, PG., t. 88 col. et 446)

العرب عن دين بني جرهم وعن ملكهم عبد المسيح واسقفهم في مكة . فليراجع

١٤ ﴿ الحدّاء والسمط ﴾ فروع من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم . كانوا يسكنون الحيرة ويدينون بدين اهلها . قال طُخيم بن ابي الطَّخماء الاسدي يمدحهم (الكامل للمبرّد ص ٢٦ ed. Wright):

بنو السمط والحدّاء كلُّ سميدعٍ لهُ في العروق الصالحات عروقُ
واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

١٥ ﴿ الحارث بن كعب ﴾ قبيلة يمنيّة كبيرة تنتسب الى مذحج الى كهلان احتلّت نجران ونواحيها وتنصرت وحسنت نصرانيتها ويظهر انّ الحارث بن كعب جدّ هذه القبيلة مات نصرانيًا فانّنا قد وجدنا في النسخة الخطيّة من التذكرة الحمدونيّة (Ms. Berlin, *Ahlwardt*, n°s 8359 et 60 ff. 17) ما حرفهُ (١):

« اوصى الحرث بن كعب بنيه فقال: يا بنيّ قد اتت عليّ مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنت نفسي بخلّة فاجر ولا بحتُ لصديق بسرّ ولا طرحتُ عندي مروءةً قناعًا ولا بقي على دين عيسى ابن مريم احد غيري وغير تميم بن مرّ واسد بن خزيمة . فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيتي والمكم فاتّقوا يكفيكم الهمّ من امورهم ويصلح لكم اعمالكم واياكم والمعصية لئلا يحلّ بكم الدمار وتوحش منكم الديار . . . فانّ لزوم الخطيئة تفقد البلية »

وهناك حاشية رواها ابن حمدون: « انّ النصارى في العرب كثير وبني الحرث ابن كعب كلهم نصارى »

وكانت نجران تحت حكم بني الحارث لمّا قصدها ذو نوءاس ملك حمير اليهودي فافتتحها وامتحن اهلها باخاديد النار فمات منهم عدد دثر مفضلين الموت الاحمر على جحود الدين . وبعد ظفر الحبش بذي نوءاس عاد بنو الحارث بن كعب الى امرة نجران وكان من اشرافهم بنو عبد المدان بن الديان الذين شادوا كعبة نجران وكنيستها المعروفة بالقليس التي افاض الكتبة في وصف محاسنها كما رأيت في الباب المختصّ بنصرانيّة اهل اليمن . وبقي بنو الحارث بن كعب على نصرانيتهم بعد ظهور الاسلام كما يؤخذ من كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen, *Skizze*, IV, ٨) حيث صالحهم نبيّ المسلمين على شروط عدّدها هناك ولم ينبذوا

١) ثم وجدنا هذه الوصاة في كتابين من مخطوطات باريس ومخطوطات مكتبتنا

دينهم. ومما رأيناه في احد مخطوطات مكتبة قديمة في حلب منسوباً الى شاعر من بني الحارث الابيات الآتية المشيرة الى دينهم القويم:

ألا انّنا من معشرٍ سبقت لهم ايادي من الحسنى فعُوفوا من الجبلِ
ولم ينظروا يوماً الى ذات محرمٍ ولا عرفوا الّا التقيّةَ في الفعلِ
وفينا من التوحيد والعقل شاهدٌ عرفناهُ والتوحيدُ يُعرَف بالعقلِ
نُعاين من فوق السماوات كلها معاينة الاشخاص بالجوهر المحلي
ونعلمُ ما كنّا ومن اين بدؤنا وما نحن بالتصوير في عالم الشكلِ
وانّا وان كنّا على مركبة الثرى فارماحنا في عالم النور تستلي
وما صدقتْ لم تخبره وانما رأت ذاتنا بالنور في العالم العقلي
فلم ترضَ بالدنيا مقاماً فاثرت حقيقةَ مسئولٍ وجلّت عن المثلِ

١٦ ﴿ (حمير) اخبار تنصرُها مرّت في باب النصرانيّة في اليمن فعليك بها. وزد على نصوصنا قول الفيروزابادي: «انّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصّروا».

١٧ ﴿ حنيفة ﴾ بنو حنيفة بطن كبير من بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة وقد مرّ ذكر تنصُّرهم في اثناء ذكر «النصرانية في حضرموت وعُمان واليمامة والبحرين» وفنّدنا هناك ما روي عن عبادتهم لصنم من عجين بل وجدنا في ذلك الهجو دليلاً على نصرانيّتهم لاشارته الى القربان الاقدس. ومثلهُ قول الآخر:

أكلت ربّها حنيفةُ من جو ع قديمٍ ومن اعوازِ

ومن حنيفة كان هَوذة بن عليّ المعروف بذي التاج ملك اليمامة الذي مرّ ذكرهُ. ومنهم كان مسيلمة بن حبيب الذي ناصب محمّداً وتبعهُ اهل اليمامة واستفحل امرهُ وكاد يظهر على الاسلام لولا خالد بن الوليد الذي غلبهُ وقتلهُ. ومما يدلُّ على نصرانيّة بني حنيفة ما ذكره ابن سعد في كتاب الوفادات (Wellhausen, p. 46) حيث روى خبر وفودهم على محمّد الى ان قال: «اعطاهم رسول الله اداوةً من ماء فيه فضل طهوره فقال: اذا قدمتم بلدكم اكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوا مكانها مسجداً ففعلوا». ثمّ يذكر انّ «راهب البيعة هرب فكان آخر العهد به». فذكرُهُ لبيعة بني حنيفة وراهبها دليل ساطع على نصرانيّتهم

١٨ ﴿ الخزرج ﴾ بنو الخزرج كبني الاوس كانوا يسكنون المدينة

ويُعدُّون من اهل الكتاب اي النصارى (يراجع ما سبق عن النصرانيَّة في المدينة)

١٩ و (ربيعة) هو اسم يطلق على القبائل العديدة المنتسبة الى ربيعة بن نزار وهي اكبر قسم من القبائل العدنانيَّة الاربع اعني انمار واياد وربيعة ومضر. وقد انتشرت النصرانيَّة في ربيعة حتى اوشكت تشمل كل بطونها وفروعها فترى من ثمَّ كتبة العرب اذا ذكروا النصرانيَّة في الجاهليَّة جعلوها خصوصاً في ربيعة قال الفيروزابادي: «وكانت النصرانيَّة في ربيعة». وشهد بذلك قبلهُ ابن قتيبة في المعارف (ص ٣٠٥ من طبعة مصر) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٧) والقاضي ابن صاعد في كتاب طبقات الامم (ص ٤٣ من طبعتنا) وغيرهم كثيرون. فقولهم «انَّ النصرانيَّة كانت في ربيعة» باطلاقهِ يدلُّ على انَّ هذا الدين كان الغالب عليهم على اختلاف قبائلهم. ويؤيد ذلك ما رويناه عن نصرانيَّة اعظم قبائل ربيعة كبكر وتغلب وامرئ القيس وحنيفة وشيبان الخ. فناهيك بذلك شاهداً على شيوع النصرانيَّة بين العرب (لهُ بقيَّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ طور عبدين

لم نُطل الاقامة في ماردين بعد رجوعنا من ديار بكر فاخذنا نستعدّ لسفرنا الى الموصل واذ لم نجد قفلاً اليها على طريق المدن المأهولة اتَّفقنا مع احد المكارين الاكراد ليعدّ لنا الدواب اللازمة فتعهَّد ان يرافقنا الى الموصل. وهؤلاء الاكراد اذا استوثقوا بعهد ثبتوا عليهِ ولم يخنثوا بأيمانهم. وكان سيرنا مع هذا الكردي مأمناً لطريقنا لانَّ شذَّاذ الاكراد ولصوصهم لا يتعرَّضون عادةً لمن كانوا في عهدة الواحد منهم. ثم اجدانا هذا المكاري نفعاً اعظم بملازمة خدمتنا في مدَّة تلك المذابح التي كان باشر بها هؤلاء الاكراد باغراء السلطان عبد الحميد

فكان وداعنا لماردين في صباح يوم الخميس ٣١ تشرين الاوَّل. فارقنا المعارف والاقارب رغماً عمَّا كان يبلغنا من الاخبار المزعجة فكانت الالسنة تتناقل الانباء

المتناقضة فلا نعلم ما فيها من الصدق او الكذب فجعلنا الامل على الله الذي لا يخيب رجاء المعتصمين بحبله. وكان اخي الذي صحبنا الى ديار بكر اراد ايضاً ان يمشي في خدمتنا الى بغداد فكان لنا في هذا السفر كلاكنا الحارس المنظور فلم يقتصد شيئاً من اتعابه وتفانيه ليجعل سفرنا هنيئاً ولا يُبقي لنا همًّا من جهة كل الماديّات. وكنّا ايضاً قدّمنا لمتصرف ماردين البيولردي الذي نالهُ لنا قنصل فرنسة في ديار بكر فعيَّن لنا جندياً يسير معنا فيردّ نظرهُ كل المعادين

كان مسيرنا شمالي شرقيّ ماردين على طريق قضاء مديات. فقطعنا التلال المتصلة بجبل ماردين بين حدائقها الغناء ثم غاباتها الوارفة الظلّ حيث ينمو خصوصاً العفص والبلّوط الحلو. وعلى هذه الاشجار يتكوَّن المنّ في الربيع فيجمعهُ اكراد القرى المجاورة ويبيعونهُ في ماردين وديار بكر والموصل. وهذا المنّ لذيذ الطعم واذا جُني حديثاً كان كالكزبرة يأتدمهُ الناس مع خبزهم. ومنهم من يحفظهُ السنين الطويلة بان يجعلهُ في دقيق الحنطة ويخزنهُ في امكنة باردة فيصلب كالحجر ويبقى على طعمهِ. وكثيراً ما يكون المنّ ممتزجاً بدقائق من ورق العفص التي تُفقدهُ شيئاً من لذّتهُ فيغلونهُ في الماء ويطفو الورق على الوجه فيُنزع ويصفّى المنّ وتُصطنع منهُ القطائف والحلويات (١

ثمَّ بلغنا الى رُبّى مكشوفة للشمس فيها الكروم الشهيرة بأثمارها الطيبة. وعنب ماردين كبقيّة الفواكه النامية فيها غاية في الجودة. وكان اهل تلك الانحاء يقطفون عنبهم فكانوا يأتوننا بسلال منها لنباركها. وهذا العنبُ غالباً يؤكل على حالتهِ او يزبَّب فيُرسل الى جهات تركيا واوربّة وقلّما يصنعون منهُ خمراً لصعوبة انفاقها عندهم. وخمر ماردين مع ذلك شهيرة ورد ذكرها في كتابات اليونان والرومان

حللنا عند المساء في قرية تُدعى قلّث تحتوي على نحو ٥٠٠ نفس نصفهم سريان كاثوليك والنصف الآخر يعاقبة. فنزلنا عند كاهن السريان وكان ذلك المساء يعيّدون عيد جميع القديسين وكان قد اتى القرية قبل وصولنا ناس هربوا من قرى ديار بكر فاخبروا انَّ الاكراد هجموا على نواحي آمد وشرعوا يقتلون وينهبون ويحرقون ضياع النصارى. فاقلق هذا الخبر اهل قلّث فجعلنا نطمئن بالهم ونهدّي روعهم بذكر

١) راجع في المشرق (١ : ١٠٧٨) مقالتنا عن « منّ بني اسرائيل »

عدل الحكومة السنيَّة التي تزجر اولئك الاشقياء وتجازيهم قريباً على سوء فعلهم وما كنَّا لنظنّ انَّ الدولة هي التي دفعتهم الى اقتراف تلك الاعمال الفظيعة انتقاماً من الارمن على زعمها . وفي تلك الليلة بلغنا ان الاكراد احاطوا بماردين

وقلّت هذه كانت قديماً حصناً منيعاً وبجوارها كان دير لقدماء الرهبان ينسب لمار آبا احد السيَّاح من تلامذة القديس اوجين والسريان الكاثوليك فيها اصلهم من اليعاقبة المرتدّين وكنيستهم حديثة واسعة لكنها فقيرة جدًّا . امَّا اليعاقبة فلهم هناك كنيسة عتيقة على طرز الكنائس الواقية الى القرن الخامس او السادس للمسيح وهي الآن كسرب يُنزل اليها في قلب الارض وهي ثلثة اسواق تسندها السواري وتزينها بعض التصاوير المطموسة وقد اراني الكاهن خادمها انجيلًا قديماً على رقّ ذا نقوش وصور جميلة وهو مكتوب بالحرف الاسطرنجلي . وقد وجدنا في احدى زوايا الكنيسة نسخة اخرى مثلها مهملة قد اتلفها العثّ والرطوبة . فعرضنا على الكاهن ان يبيعها او يعتني بامرها لئلَّا تُفقد فكان جوابهُ انهُ يبيعها لاحد الانكليز بثمن غالٍ . وهؤلاء اليعاقبة باسوأ حال لا يعرفون غالباً من امور دينهم شيئاً وقد دخل البروتستان بينهم منذ نحو خمسين سنة فاشربوا صغارهم اضاليلهم وافسدوا معتقداتهم

قمنا صباح الجمعة باكرًا وهو يوافق لغرَّة تشرين الثاني فقدَّمنا الذبيحة الالهيَّة على ذكر جميع القديسين . وكان لهذا العيد الشريف وقع مؤثر في قلبنا ونحن قد دخلنا في ذاك الجبل الذي تقدَّس فيهِ الوفٌ من النسَّاك الذين اخذوا الطريقة الرهبانيَّة عن مار اوجين تلميذ مار انطونيوس فعمَّروا الاديرة وسكنوا المغاور والكهوف ومارسوا اسمى الفضائل وازالوا ما كان في تلك البلاد من آثار الوثنيَّة حتى صار ذلك القطر كصعيد مصر اشبه بفردوس عدن لصلاح اهلهِ فدُعي لذلك بطور عبدين اي جبل القديسين

سرنا في ذاك النهار متوغلين في طور عبدين فكنَّا نرى عن بعد آثار اديرة قديمة ومناسك مختلفة ولا نكاد نلقى في طريقنا حيًّا الَّا بعض القرى الحقيرة يسكنها قوم من الاكراد او العرب . ونزلنا عند العصر في احدى تلك القرى تدعى خلدة اهلها كلُّها مسلمون فاضافنا شيخها وبتنا ليلتنا في دارهِ

وخلدة هذه محاطة بمغاور منقورة في الصخر كان النسَّاك يسكنونها في سالف

الزمان. فخرجتُ لاتفقّدها وانا اتلو كتاب الفرض القانوني فتوهّم بعض شبّان المحلّ اني سائر للتفتيش عن كنوز مخفية هناك فجرى لي معهم كما جرى لي سابقاً مع غيرهم في خان السبل (اطلب المشرق ٨: ٩٢١–٩٢٢) واخذت افسّر لهم انّ تلك الكهوف كانت مأوى للزهاد الذين جعلوا كنوزهم في السماء حيث لا يقرض عثّ ولا يسرق سارق على خلاف الكنوز المادّية التي تنفد وتفنى

ولمّا عدتُ الى بيت الشيخ اجتمع عندهُ اهل القرية فاخذوا يلقون علينا الاسئلة في امور شتى كانت تشغل افكارهم عن تاريخ تلك البلاد واهلها والدول التي تقلبت عليها ودينها القديم وغير ذلك حتى غلب علينا النوم بعد تعب الطريق. فطلبنا منهم ان يسمحوا لنا بان نصلي صلاتنا ثمّ نرقد لا سيما ان رفيقي حضرة الاب شلفون كان اصيب بعد خروجنا من ماردين بضنك وحمّى فكان محتاجاً الى الراحة

ثمّ واصلنا سيرنا حثيثاً قبل السحر لنبلغ الى مدياث في ضحى يوم السبت وكان فيه تذكار الموتى لاقدّس هناك لراحة نفوسهم في كنيسة السريان الكاثوليك. ولم نلقَ في طريقنا ما يستحقّ الذكر الّا انّنا كنّا نسمع من ابناء السبيل والمكارين النصارى انّ اخبار ديار بكر سيئة وانّ اكرادها قاموا على النصارى. فكنّا ننسب هذه الاقوال الى الاوهام فلا نعيرها بالًا

مِدْياث او مدياد مدينة قديمة سبقت عهد المسيح وهي حاضرة طور عبدين موقعها في بطحاء فسيحة تحدق بها الروابي والتلال المزدانة بالكروم والاشجار المثمرة وتسيل فيها العيون امّا اهل البلد فشربهم من الآبار وهي مركز قضاء يحكم فيها قائمقام تحت امر متصرّف ماردين ووالي ديار بكر. واهلها يبلغون من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة نصفهم مسلمون واكراد والنصف الآخر يعاقبة وارمن غريغوريّون وسريان كاثوليك

ومدياث تُعدّ كمقل اليعاقبة منذ دخلت بدعتهم ما بين النهرين فحوّلوا طور عبدين بعد ازدهاره بالفضائل ووفرة مشاهير رجاله ذوي البرّ والاعمال العظيمة الى قفر لم يبقَ فيه للدين الّا آثار بعد عين. وكثيراً ما جرت بين اهل الطور واكراد هذه النواحي حروب ومنازعات كانت الدولة تسف فيها الاكراد على خصومهم سرّاً وجهاراً. ويعاقبة طور عبدين مشهورون بالغلظة وفظاظة الطباع والجهل ولهم لغةٌ

تعرف بالطورانيَّة وهي السريانيَّة طرأ عليها بعض الفساد وقد ألَّف الاب باريزو (Parisot) وغيرهُ كتباً في لهجتهم وخواصها (١

كان مقامنا في مديات في دار السريان الكاثوليك حيث كان يقيم سيادة المطران يوحنَّا ممار باشي من قدماء تلامذة مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير والنائب البطريركي على ماردين فتلطف سيادتهُ واستقبلنا بمزيد الحفاوة فعددنا يومي اقامتنا عندهُ كيومي عيد وجد فيهما حضرة الاب شلفون راحةً ومعافاة من مرضهِ

وانتهزنا هذه الفرصة لنزور المدينة ونبحث عن آثارها الدينيَّة والادبيَّة . وللياقبة في مديات كنيسة قديمة كانت كرسياً لمفريان وبقربها دير يسكنهُ بعض رهبانهم ولهم حول المدينة كنائس واديرة منها كنيسة على اسم مار فيلوكسين احد مشاهير كتبة اليعاقبة وانصار يعقوب البرادعي وهي قديمة قد استولى عليها الخراب

امَّا المخطوطات فلم نجد منها في مديات لدى اليعاقبة سوى تآليف ابن العبري السريانيَّة كتواريخه وكتبهِ اللاهوتية والفلسفيَّة وكلها معروفة منها عدَّة نسخ في مكاتب اوربَّة . وكذلك أرونا بعض مخطوطات من الكتب المقدَّسة من الترجمة البسيطة يرتقي بعضها الى القرن العاشر والحادي عشر . واطلعونا ايضاً على بعض اعمال مجامع وكتب طقسيَّة وميامر للآباء لم نجد بينها ما فات امرهُ علماء اوربة

امَّا السريان الكاثوليك فحديثو العهد في مديات . كان اوَّل اهتدائهم سنة ١٨٤٦ حيث جرت مجادلة بينهم وبين السيد انطون سمحيري مطران ماردين على السريان الكاثوليك فاقنع بالحقيقة ثلاثة من اساقفتهم : زيتون جلبه مطران طور عبدين واسطفان مطران الجزيرة وغريغوريوس مطران حمص وحماة فانضمُّوا الى الكثلكة وتبعهم قوم من رعاياهم . لكنَّ اليعاقبة اثاروا على هؤلاء المرتدِّين انواع الاضطهادات وهيَّجوا عليهم عمَّال الدولة وصوَّروهم كتبعة الفرنج واعداء الوطن . وكان حينئذٍ مدبِّرًا لقصادة ما بين النهرين السيد مبارك بلانشه رئيس الرسالة السوريَّة على اليسوعيين سابقاً فلما علم بامر اولئك الكاثوليك وما اصابهم من الظلم ارسل رفيقهُ الاب يوسف لابورد ليهتمَّ بامورهم فقدم مديات وتعلَّم السريانيَّة وجاهد الجهاد الطيب في سبيل الكثلكة ففتح المدارس للصغار وابتنى كنيسة للكاثوليك فرجع على يدهِ كثيرون .

(١ المجلة الاسيويَّة الفرنسويَّة (JA, 9e Série, XIII, p. 167)

الّا انّ اليعاقبة سعوا بنفيه واخرجوه مرّتين بالقوّة من مديات وهو لم يزل يناصب اعداء الكنيسة وبقي على ذلك ست سنوات حتى وقعت في طور عبدين فتن جديدة وتهدّدوا الاب لابورد بالقتل فالحّ عليه كاثوليك مديات بان يرحل الى ماردين ريثما تهدأ الامور وعلم السيد بلانشه بما يدسّه اليعاقبة لرفيقه فامره بان يعود الى الموصل وهكذا بقيت رسالة مديات معرّضة من جديد للاخطار فقلّ الكاثوليك فيها حتى استأنفها مرسلو دير مار افرام في ماردين فكانوا في يوم مرورنا يصرفون جهدهم في ردّ اليعاقبة. وقد روى لنا بعض الذين عرفوا الاب لابورد عدّة اخبار تثبت قداسة هذا المرسل الذي عطّر بفضائله الرسوليّة انحاء بلاد سوريّة حيث كان قدوةً للرهبان اخوته والجمهور المؤمنين. وكان طبيباً نطاسياً يهتمّ بكل المرضى على اختلاف اديانهم مجّاناً وقد ساعدتهُ هذه المعارف الطبيّة في رسالة ما بين النهرين وبلاد الشام على اكتساب ثقة كل من كان يلتجئ اليه. وكانت وفاتهُ في بيروت برائحة القداسة في ٢٠ شباط ١٨٨٤

وكان يوم الاحد ٣ تشرين الثاني يوماً مشهوداً في مديات لانّ السيد حنّا معار باشي كان جعلهُ موعداً لسيامة شماس كان ارتدّ من اليعقوبيّة فعُقدت حفلة كبيرة غصّت الكنيسة بالحضور لمشاهدتها فاغتنم سيادتهُ الفرصة ليلقي عليهم عظة نفيسة بيّن فيها رئاسة الاحبار الرومانيين بشواهد الآباء السريان وعدّد مآثر الكنيسة الرومانيّة نحو الشرقيين وان كانوا بعيدين عنها. فكان لكلام الخطيب احسن وقع في النفوس. وفي غد ذلك النهار ركبنا الى دير العمر ونيتنا ان نسير منهُ الى سعرت

(لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

HISTOIRE DES ARABES par Cl. Huart, tome I. *Paris*, *Paul Geuthner*, 1912, in-8°, p. IV-381.

تاريخ العرب للمسو كلمان هوارت

انّ التآليف الفرنسويّة في تاريخ العرب قليلة. وآخر ما نُشر من ذلك تاريخ

سديليو الذي طُبع دفعتين غير انَّ هذا التأليف كان بعيدًا عن الكمال كتبهُ صاحبهُ قبل نصف قرن اذ كان معظم المصنفات التاريخيَّة مدفونًا في زوايا المكاتب ولم تنشر تلك التآليف القديمة التي كشفت لنا القناع عن حوادث كثيرة كانت او مجهولة او مرويَّة عن روايات ضعيفة فانخدع سديليو بحجتهِ المفرطة للعرب فرغبةً برفع قدرهم بخس حقوق غيرهم. ومن ثمَّ رأينا بلَّ السرور احد ادباء الفرنسويين المسيو كليمان هوارت الذي قضى سنين طويلة في الشرق بصفة قنصل دولتهِ وتقلَّب في عدَّة مناصب والَّف كتاباً في الآداب العربيَّة وهو اليوم من اساتذة العربيَّة في مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة في باريس عمد الى تأليف جديد في تاريخ العرب. وقد اهدانا القسم الاوَّل منهُ وهو يتناول اخبار العرب مباشرةً بأقدم آثارهم الى اواخر الدولة العبَّاسيَّة. ولم يقصد المؤلف بوضع هذا التاريخ الاتساع في تفاصيل الحوادث وانَّما جعل غايتهُ نظرًا اجماليًّا في الامور التي جرت على ايدي العرب مستندًا في روايتها الى التآليف القديمة والحديثة التي نُشرت في هذه الحقبة الاخيرة. وقد قسم هذا القسم الاوَّل ثمانية عشر باباً افتتحها بوصف جزيرة العرب وتعريف اقسامها ثمَّ تخطى الى بيان احوال العرب في انسابهم وتأليف قبائلهم وعشائرهم ثم عاداتهم الاهليَّة في الزواج والوراثة والقضاء والحرب والسلم والمهاجرات المتوالية والسكن في البادية والحضر ورعية المواشي ولهُ كلام هناك في اديانهم القديمة كنَّا وددنا لو اختصر فيهِ ما رويناه عن نفوذ النصرانيَّة في جزيرة العرب استنادًا الى روايات اصدق المؤرخين. والباب الثالث يشمل خلاصة اخبار العرب العرباء خصوصاً في اليمن منذ القرن الثامن قبل المسيح الى ظهور الاسلام. وقد تعجبنا انَّهُ لم يستند في شيء الى ما ورد عن العرب في الاسفار المقدَّسة وهي اقدم واوثق ما يُستند اليهِ في ذلك. وقد اضرب الصفح ايضاً عمَّا جاء في تآليف اليونان والرومان عن العرب وفيها معلومات مفيدة من كتبة معاصرين. ويلي هذا الباب بابان الواحد خاصّ بملوك غسَّان والحيرة والآخر بتاريخ مكة قبل الاسلام والمؤلف في كل ذلك لا يكاد يستند الى غير سيرة الرسول لابن هشام وتاريخي الطبري وابن الاثير. واوسع من ذلك الابواب الثلاثة التابعة المختصة بمحمَّد نبيّ المسلمين قبل هجرتهِ وبعد الهجرة مع نظر عامّ في الاسلام وسننهِ وفرائضهِ والمسيو هوارت قد لزم هنا في كلامهِ جانب الاعتدال ولعلَّهُ بالغ في ذلك

حتى جار عن الحقّ لتقتّـه الزائدة في بعض كتبة العرب. والابواب العشرة الاخيرة تحتوي على تاريخ الخلفاء الراشدين ثم الامويين ثم العبّاسيين والدول التي نشأت في زمـانهم كالسلجوقيين والاغلبيين والطولونيين والحمدانيين والفاطميين وختم ذلك بنظر في الشرع الاسلامي. وفي آخر كل باب جداول شتى للتآليف التي استند اليهـا الكاتب ولاسيما الملوك الذين ورد ذكرهم. هـذه خلاصة القسم الاوّل من تاريخ العرب. ونحن ننتظر بذاهب الصبر القسم الثاني فاذا ما ظهر نقدنا الجزئين نقداً علـيّاً مطوّلاً ان شاء الله

ل. ش

K. T. Khairallah : La Syrie. Territoire, Origines ethniques et politiques, évolution, esquisses : la vie politique en Syrie et au Liban. *Paris, E. Leroux*, 1912, p. 146.

سوريّة: نظر في نموها وعناصرها واحوالها الاجتماعيّة والادبيّة

ليس هذا الكتاب تأليفاً علـيّاً وانّما هو على مـا يظهر مجموع مقالات شتى نُشرت في جرائد باريس نقّحها كاتبها وطنيّنا «خير الله ت. خير الله» وابرزها على صورة تأليف مستقلّ. ومن سرّح النظر فيها وجدها متصفة بصفة المجالات التي تُدرج في الجرائد ليلتذّ بها القرّاء ساعةً دون ان يبحثوا عن تدقيقها فالفائدة من جمعها قليـلة وهي لا تصلح ان تُتّخذ حجّةً بل ربّما ضلّلت القرّاء بما فيهـا من المعلومات غير المضبوطة. وفي كتاب «سوريّة» لشياء كثيرة من هذا الصنف لو تتبعناها لاتّسع بنـا الكلام دون جدوى. فاي كاتب موثوق به زعم «انّ سوريّة مشتقة من اسم صور» (ص ٣) او ان «الشام» «من الشامة». وتُرى ايّ فائدة من ذكر «النَّوَر» بين شعوب سوريّة وهم من شذّاذ الناس لا يخلو بلد من بعض افرادهم. واي مسلم يرضى بان يجعلهم من السنّيين (ص ٩). وكيف يزعم (ص ١٣) انّ عدد اليهود في سوريّة وفلسطين «مئة الف» ولو ضاعفتَ هذا العدد لما بالغت. ثم لا يرتقي اصل الموارنة (ص ١٣ الى القرن الخامس بل الى السابع. وكم للمؤلف في الباب الثالث من الاقوال التي يرميها على عواهنها. ايجوز له مثلاً أن يقول (ص ٢٠) «انّ العرب لم يلقوا في سوريّة اعداء بل اخوةً بالدم اخذوا يجاهدون تحت راية واحدة لغاية واحدة». وهو يضادّ نفسهُ بعد هذا بقليل فيقول (ص ٢٠) «انّ اهل سوريّة

كانوا بقايا من اسم شتى » ثم عاد المؤلف (ص ٢٤) الى زعم البعض بانَّ المردة هم الموارنة فنسي ما كتبهُ سيادة المطران يوسف دريان وغيره في تفنيد هذا القول . والعلماء يشتقون اسم « المردة » لا من التمرُّد بل من لفظة فارسيَّة قديمة معناها الرجال الاقوياء لانَّ اصل المردة من بلاد فارس كما اثبت العلَّامة انكتيل دوپارُون (Anquetil-Duperron) . ثمَّ انَّ روايتهُ (ص ٣٣) لانشاء مدرسة الموارنة في رومية مخلة جدًّا ولم ينسَ هناك الَّا ذكر اليسوعيين الذين تقلَّدوا مائتي سنة في تهذيب الاكليروس الماروني . هذا وللمؤلف اقاويل اخرى عديدة لا يسمح لنا الوقت بتفنيدها سواء كانت عن سوريَّة القديمة او الحديثة . وممَّا لم ندرك معناه قول المؤلف (ص ٥٥) انَّ كليتنا البيروتيَّة واعمال رسالتنا انَّما « هي اوَّلًا يسوعيَّة ثمَّ كاثوليكيَّة (L'œuvre est avant tout *jésuite*. puis *catholique*) فهذا قول تشتمّ منهُ رائحة مشتبهة فلا نعلم كيف الكاتب استجاز تدوين مثل هذا الكلام والكلّ يعرفون (وهو المأخذ الوحيد لاعدائنا علينا) انَّ اليسوعي كاثوليكيّ قبل كل شيء وليس له غاية اخرى سوى خدمة الكنيسة الكاثوليكيَّة . وفي الختام نعود الى قولنا انَّ هذا الكتاب مجموع مقالات جرائد ليس تحتهُ كبير طائل لمعرفة سوريَّة . ل . ش

طبقات الامم او السلائل البشريَّة

كتاب علميّ طبيعيّ اجتماعي تأليف جرجي زيدان منشئ الهلال
طبع في مطبعة الهلال في بصر سنة ١٩١٢ (ص ٦٨٢)

يخوض جناب رصيفنا جرجي افندي زيدان في كل الابحاث التي يتعاطاها علماء زماننا ويفضّل عليها المواضيع التي لم يسبق اليها غيرهُ في الشرق فاذا رأى كتاباً جديدًا من ذلك في اللغات الاروبيَّة تسارع الى تقليده لا سيما اذا كان في شيء من المواضيع الغريبة التي يحبّ الشرقيون مطالعتها « ولكلّ جديد رهجة » . الَّا ان في ذلك خطرًا ظاهرًا لانهُ « قد يكون مع المستعجل الزلل » . وهذا كتاب طبقات الامم شاهد على قولنا فانَّ المؤلف جمع فيهِ او نقل مئين من الاخبار عن كل شعوب الكون حتى أوغلهم في الهمجيَّة فذكر شيئاً من اخلاقهم وعاداتهم وخصائصهم البدنيَّة والعقليَّة والادبيَّة ومنشأ كل امة منهم ودار هجرتهم ومقرّهم ودينهم وخرافاتهم فهي لعمري ابحاث يكلّ عن القسم الصغير منها اوسع الرجال علماً فاستقراها

جرجي افندي امة امة وذكر اوصافها ورسم صورها كأنهُ تعمّق في درس كل واحدة منها وهو يجري في كلامهِ فيها بثبات الجوّال في النوم الذي لا يخاف خطر السقوط ولو مشى على حافة الهاوية. والاغرب من ذلك انهُ اراد يدخل في ابحاث جيولوجيَّة عن اصل الانسان وقدمهِ وعارض (ص ١٢) بين الاسفار الالهيَّة واقوال العلماء واشار الى انَّ تعاليم الدين لا تنطبق مع اكتشافات العلماء ولاسيما اقوال دروين ومشايعيه اصحاب النشوء والارتقاء (ص ١٣ — ١٤) فتراه اذا ذكر اصل الانسان يقطع النظر عن الوحي الاوَّل ويجعل ظهورهُ منذ مئات الوف من السنين ويرجّح كونهُ وُجد اولاً في جزائر الهند الشرقيَّة (ص ١٥) ومزاعم أُخرى كثيرة يرويها جرجي افندي عن بعض العلماء غير الاثبات ولو كان منصفاً لأتى باقوال غيرهم كثيرين ممن يخالفونهم تماماً وهم ارقى علماً منهم كالعلَّامة كوفيه (Cuvier) والعلَّامة كاترفاج (de Quatrefages) والعلَّامة الجيولوجي المصري دي لاپاران (de Lapparent) وغيرهم. وخلاصة القول انَّنا لا نعتبر هذا الكتاب كتأليف « علمي » بل كلهاة للجمهور الذين لا يهمُّهم التدقيق في حقائق الامور وانَّما يريدون ان يصرفوا ساعات من زمانهم في التفكهة الخاطر وترويح البال لا غير ل. ش

شذرات

اليسوعيون والعلم — انَّ اهتمام اليسوعيين بكل ضروب العلوم البشريَّة يلوح في كل سنة بعدد لا يُحصى من المطبوعات الخاصَّة التي ينشرونها في كل اقطار العالم. فمنها كتب ضخمة في معظم لغات اوربَّة ومنها مقالات واسعة في المجلَّات العلميَّة التي يتولَّون نشرها او في المجلَّات العموميَّة. ومن اثارهم في العام الماضي انهم يوم وقوع كسوف القمر في ١٧ نيسان اختاروا مدينة تامور في بلجكة لرصودهم. فاجتمع تسعة من علمائهم من مراصدهم الاوربيَّة واتَّفقوا مع وزير المعارف في بلجكة وبقيَّة الفلكيين على ان يتبادلوا ملحوظاتهم في وقت الكسوف فكانوا يخابرون المرصد الملكي في بروكسل بالتلفون وبواسطتهِ يبلّغون نتيجة ابحاثهم الى برج ايفل ومنهُ الى بقيَّة انحاء اوربَّة. وقد اخذوا عدَّة تصاوير متقنة افادت المنجمين لضبط معارفهم عن النيّرين العظيمين — ومنها ما نشرهُ الابوان المرسلان

في بحاي الاب ستيخن (Steichen) وسيرب (Sierp) عن الينابيع المعدنيّة الحارّة في معاملات بحاي الغنيّة بدقائق الراديوم ومركباته وخواصه فكان لكتابيها احسن موقع لدى المكاتب العلميّة — ومما يشهد ايضاً لليسوعيين بالنشاط العلمي انّ الحكومة البريطانيّة بواسطة سفيرها في بطرسبورج نالت الرخصة لاحد علماء اليسوعيين ان يدخل روسيّة رغماً عن الشريعة النافية لرهبانيتهم ويجتمع بالبرنس غالتسين مدير مرصد بولكوفو لدرس الزلازل وحركاتها والاب المذكور هو الاب بيغوت (Pigot) الشهير بمعارفه الجيولوجيّة والمغناطيسيّة — ومنها ايضا المكتب الاعداديّ الذي فتحوه في طوكيو عاصمة اليابان لترشيح الشبّان بعد نهاية دروسهم الثانويّة لمباشرة الدروس العليا. وقد اقتنوا في وسط المدينة محلًّا رحباً حيث يشيدون عمّا قليلًا ابنية واسعة لكليّة جامعة. وهم في كل اسبوع يلقون المحاضرات في موادّ ادبيّة وعلميّة ودينيّة يتزاحم علية اليابانيين لاستماعها — ومن ذلك ايضاً مآثر علميّة جديدة سعى بنشرها الاب اليسوعي الفه (J. Algué) في جزائر فيليبين اكسبتهُ شهرة عظيمة في انحاء اميركا حتى انّ كليّة مانيلّا منحتهُ اكبر امتياز لديها لاجل اكتشافاته المتعدّدة في الجويّات والعلوم الكهربائيّة وخوّلهُ رئيس الكليّة المستر برتليت (Bartlett) رتبة ملفان شرف بحضور كل الاساتذة والطلبة — وفي احدى جلسات جمعيّة فرنسة الاثريّة خطب رئيسها واثنى الثناء الطيب على الاب كاميل دي لاكروا (C. de la Croix) معظماً الخطب الاليم الذي اصاب العلم بوفاته وهو الذي مدّة ثلاثين سنة بنيف اخرج من بطن الارض آثار مدينة پوتيه القديمة والقرى المجاورة لها فبيّن للعلماء ما كانت عليه تلك المدينة من الحضارة والترقي في ايّام تملّك الرومان على بلاد غاليا. وانشأ المتاحف وصنّف التآليف المتوالية حتى انّ الحكومة الفرنسويّة سنة ١٨٩٧ اهدتهُ وسام جوقة الشرف (اللجيون دونور). امّا الجمعيّة الاثريّة فانّها اقامت لليسوعي بعد وفاته تمثالًا جميلًا نصبتهُ مؤخرًا واحتفلت لتدشينه احتفالًا عظيماً

اوّل سائح في بلاد تيبت — في العام الماضي شيّد اهل كلكتة في مدينتهم اثرًا لاحد السيّاح المجريين اسمهُ اسكندر كسوما كورس (Al. Csoma-Koros) (١٧٨٤ — ١٨٤٢) زعماً منهم انّهُ اوّل اوربي دخل بلاد تيبت وزار عاصمتها لاصا. فحضر الحفلة مرسلون كبوشيون وعرضوا على المحفل كتابةً من

زعيم التيبتيين المعروف بدالاي لاما يمنح مرسلين من رهبانيتهم الطافاً وهدايا منذ القرن السابع عشر اعني قبل كورس بنحو ١٧٠ سنة. واصل هذه الكتابة مكتوب على شقة حرير هي اليوم في الواتيكان. ونحن ايضاً في مقالتنا عن « عجائب تيبت » (المشرق ١١ (١٩٠٨) : ٥٢٢ — ٥٣٦) ذكرنا دخول مُرسلين آخرين الى تيبت اوّلهم الراهب الفرنسيسكاني اودريك دي باردينوني في اوائل القرن الرابع عشر ثم انطون دي اندرادا اليسوعي سنة ١٦٢٤ ثمّ اليسوعيّان غروبر ودورفيل سنة ١٦٦١ وغيرهم ايضاً ذكرناهم هناك. ومنهُ يتّضح ما للمرسلين من الخدم المتعددة في سبيل العلم والدين معاً قبل مشاهير السيّاح المحدثين

المتاحف الفوتوغرافيّة — منذ اكتشاف الفونغراف وتدوين الاصوات على اساطينهِ ادرك العلماء ما في هذه الآلة من الفوائد لجمع الاغاني الشائعة في انحاء المعمور ودرس العلاقات التي بين انغامها ومعرفة اصول الموسيقى العموميّة. واوّل متحف أُنشئ لذلك كان انشاؤه في الولايات المتحدة نحو السنة ١٨٩٠ بمساعدة الاساتذة جيلمان (Gilemann) وفيوكس (Fewkes) وغيرهما. ثمّ قام الاستاذ المجري بيلا ڤيكار (Bela Vikar) وانشأ في بودابست سنة ١٨٩٧ متحفاً دوّن في آلاتهِ الفونغرافيّة ٥٠٠ نغمة مجريّة اضاف اليها النغمات التركيّة — ثمّ وسّع نطاق هذه الدروس علماء ڤينة (١٨٩٩) ثمّ فرنسة (١٩٠٠) ثمّ انكلترة (١٩٠١) ثمّ المانية (١٩٠٤) وفي كل هذه العواصم معاهد واسعة للدروس الموسيقيّة العموميّة فتسمع هناك كل انغام الشعوب من العالمين القديم والحديث بينها اغاني القبائل الافريقيّة واهل جزائر اوقيانية وهمج هنود اميركا فيستطيع العلماء ان يدرسوها درساً محكماً بالمقابلة فيتبيّنون سياقها وعلائقها واصولها وفروعها — وكما يدرسون الانغام كذلك دوّنوا لهجات الشعوب المختلفة والامم والقبائل والعشائر لاستنباط خواصّ لغاتهم ولفظهم ونبراتهم وبذلك تقدّمت الدروس اللغويّة تقدُّماً عظيماً. فترى كيف الاوربيون يستفيدون من الاختراعات الجديدة وصار الفونغراف الذي نتلهّى نحن بنغماتهِ مرقاةً للمعارف وتقدُّم الفنون

ما اشرفك ايها الدين — اخبرنا ما كان للدين من السهم الفائز في حادثة غرق تيتانك وكيف ان نوبة المركب عزفت بلحن ديني عنوانهُ « اليك

يا ربّ اقرب ». وفي هذه النسبة كتب رصيفنا منشئ الهدى فصلًا جميلًا في مقام الدين وشرفهِ نقتطف منهُ بعض اقوالهِ المجديَّة :

« ما اشرفكِ ايتها الامانة وما اسماك ايها النظام. فتح الموت شدقيهِ اذ انفلق البحر ليبتلع التيتانك فلم يذعر العازفون والموظفون في الباخرة ولا خانوا واجباتهم. سبحوا الله بالزمور والدفوف والابواق والطبول والقيثارات والصنوج وصرخوا جميعاً كمن فم واحد « اليك يا ربّ اقربُ فاقربْ » ما ارسخك في القلوب ايها الدين. يُنسي الفرح الانسانَ دينَهُ وتُنسيهِ أياه الشهوات والملاذّ لوقت وانما لا تتجلى عظمة الدين الّا في النكبات والفواجع

« اتريدون ان تقولوا لنا ان العلم ينفي الدين. ان الدين وهمٌ. انهُ خوف وخَوَر. انهُ تقليد او من ذخائر الخرافات لان الدين مثل النفس لا نعرف ما هي او اين هي. كذب الدهريون والملحدون كما كذب الدجّالون والمراؤون. اليس الدين الذي اوجد الامانة حتى الموت في الزوجين المتعانقين قبل ان يعانقها الموت ؟ اليس الدين الذي اوجد المروءة في اصحاب الملايين الذين آثروا الموت على النجاة وحولهم العذارى والزوجات والاطفال ؟ اليس الدين الذي خشع بهِ المعدّون للموت فجثوا يصلون بحرارة وايمان ورجاء بالرحمة ؟ كل قلب لا دين فيه لا ضمير لصاحبهِ وكل من لا ضمير لهُ عدو الانسانيَّة والرقي لانه يكون حيواناً فقط والحيوان لا يرتقي ولا يُرقي

« ما اشرفك ايها الدين ! ما اشرف مبادئك وتعاليمك انت باسط اليد بالتبرعات انت مالىء العيون بعبرات الشعور. انت مالئ البيوت بعواطف المحبة والنعرة والشفقة انت مالئ المستشفيات بالانسانيَّة. بالاطباء. بالممرضات. بالادوية. بالاسرَّة وبحسان الحسنات. انت مالئ الجرائد بالبحث والتحريض والاخلاص والتضحية. انت مالئ الكنائس والمعابد بالصلوات والابتهالات والتضرعات والترحمات. انت مالئ عيون رجال الدين قطرات حارة تنبعث من قلوب ملتهبة بنار المحبة وانت ملجأ الارملة واليتيم والمكتئب والمضطرب فما اشرفك ايها الدين ». نعم القول وحبذا القائل !

شطط مجلة المنار المصريَّة — كنّا نعدّ مجلة المنار كثيرة معتدلة تدافع عن صوالح المسلمين دون ان ترمي بنبالها الدين الكاثوليكي ومنذ امد قريب لا نكاد نرى عدداً من اعدادها الّا ترشق ديننا المستقيم بسهامها وذلك امرٌ لا يمكننا

السكوت عنهُ ونحن نعتبر الدين فوق كل الكنوز والخيرات الزمنيّة . ولعلّها تعتذر بقولها انَّ بعض نصارى البروتستانت يتحاملون على الدين الاسلامي . فجوابنا انَّها ينبغي عليها في اجوبتها ان تختصّ البدع البروتستانيَّة دون ان تمسّ كرامة الكثلكة وبين هذه وتلك بون عظيم . وان ابت الّا التطاول على ديننا فنطلب من اخوتنا المسلمين ان لا يشمئزوا اذا قابلناها بالمثل فننزل في ميدان الجدال مع مراعاة كل شروطهِ اعني (اوّلًا) البحث عن قضية قضية ومتابعة الكلام الى ان يحكم الحكَم المتّفق عليهِ من الفريقين بانَّ احد المجادلين مصيب والآخر مخطئ . (ثانياً) العدول عن كل الشخصيّات اذ لا دخل لها في الجدال . (ثالثاً) المساواة التامّة في حقوق الجدال . فان رضيتْ فبهِ والّا كفَّت عن مناهضة ديننا . فما لها والنبوّات عن المسيح وهناك من المباحث ما لا يخوض عبابهُ الّا علماء الاسفار المقدَّسة وكتبة المنار لا يدركون منها ظواهرها فضلًا عن بواطنها . وما لها والزعم بتحريفنا للكتب الالهيَّة فان احبَّت الخوض في هذا البحث فلتجب على مقالات الاب انطون رباط في الانجيل الشريف ولا تخلط كل المسائل ببعضها . فان مقالة «بشائر عيسى ومحمّد» للدكتور محمّد توفيق صدقي لو اردنا تفنيدها لما كفتنا اعداد عديدة من المشرق . فلتعمد المنار الى سؤال منها تثبت لها بطلان قولها فيهِ . وما لها ومديح لوتر زعيم البروتستانت الذين تردّ عليهم المنار في صفحاتها افلا ترى المناقضة بين الامرين . نقلت المنار (ص ٥٤٢) مقال مجلّة شورا عن لوتر حيث مُدح ذاك المبتدع لمناصبتهِ الدين الكاثوليكي . ولو عرفت مجلّة شورا او مجلّة المنار من هو لوتر وما هي اعمالهُ وكتاباتهُ لنبذتهُ كلتاهما ابد الدهر ولم ترضيا بتدنيس صفحاتها باسمهِ بعد ما كشفهُ من احوالهِ اعظم كتبة العصر واستخرجوهُ من دفائن المكاتب كالمسيو ڤيس (Weiss) والدكتور پاستور (Pastor) والاب الدومنيكي دينفل (Denifle) والاب اليسوعي غريزار (Grisar) حتى صار كثير من البروتستانت يخجلون من ذكر اسم ذاك الراهب الخالع الذي قضى حياتهُ بعد عصيانهِ على رؤسائهِ بالسكر والخلاعة وضروب التهتك والكذب والتزوير . فأنعم بمجلة المنار التي تتحرّى للدفاع عن هذا الزعيم الشريف !!

اسئلة واجوبة

س سألنا مستفيد من الكهنة عن عمود نسب السيد المسيح الذي رواه القديس متى في اوّل

انجيله أهو تاريخي ثابت وما سبب اختلافه عن سياق الانساب الواردة في اسفار العهد القديم؟
عمود نسب السيد المسيح في انجيل متى

ج لا شكَّ في انَّ هذا جدول النسب تاريخي ثابت الَّا انهُ اصطناعي فالقديس متى على مثال كثيرين من النسَّابين اختار لهُ طريقة سهلة لطبع هذه الشجرة النسبيَّة في عقول القرَّاء. فاتخذ لهُ عددًا رمزيًّا وهو السبعة فضاعفهُ ٢ × ٧ = ١٤ ثمَّ قسم الزمان بين ابراهيم والمسيح الى ثلاثة اقسام (والثلاثة ايضاً من الاعداد الرمزيَّة) اعني من ابراهيم الى داود وهو الزمن السابق للملكيَّة في اسرائيل ثمَّ من داود الى زربابل اي الزمن السابق لجلاء بابل ثمَّ من زربابل الى السيد المسيح بعد الجلاء المذكور. ولعلَّ القديس متى بنى هذا التقسيم باربعة عشر على ما ورد في سفر اخبار الأيام الاوَّل (٢: ١ — ١٢) حيث ذُكر عدد نسل ابراهيم الى داود اربعة عشر واذ لم يطرأ على بني اسرائيل امرٌ جلل كجلاء بابل اتخذه متى كقسمهِ الثاني فوجد عدد الملوك من داود الى زروبابل يزيد عن اربعة عشر بثلاثة فاهمل ذكر ثلثة ملوك من ذريَّة آحاب وعتليا لأنَّ الله كان لعن آحاب وابناءهُ واللعنة في الاسفار المقدَّسة تتناول الاولاد الى النسل الثالث وعليهِ اهمل متى احزيا ويواش واماسيا. امَّا القسم الثالث الذي يبتدئ باسم يكنيا وهو آخر اسم من القسم الثاني فالمرجَّح انهُ مصحَّف وان الانجيلي كان كتب في آخر القسم الثاني يواكيم لا يكنيا وبين الاسمين في العبرانيَّة تشابه وهما يهويكين (יהויכין) ويهويقيم (יהויקים) فشُبِّه على الناسخ وجعلهما واحدًا ي. د

س سألنا احد الأدباء من بغداد ايجوز استبدال ثوب سيدة الكرمل بايقونة معدنية وهل تكسب الغفارين الممنوحة لحامل الثوب بحمل الايقونة
الايقونة القائمة مقام ثوب الكرمل

ج اصدر المجمع المقدَّس قبل سنتين رقيماً اجاز فيهِ استبدال ثوب سيدة الكرمل بايقونة معدنيَّة. ويشترط لاكتساب الغفارين كما في السابق ان يُشرك المؤمن بالثوب على يد كاهن مرخَّص بذلك. فاذا اشترك جاز لهُ ان يحمل بدلًا من الثوب ايقونة معدنيَّة تمثل على احد وجهيها السيد المسيح مظهرًا قلبهُ وعلى الآخر صورة السيدة البتول. وهذه الايقونة يباركها الكاهن المفوَّض بوضع الثوب. وان كان المؤمن مشتركًا بأثواب غير ثوب الكرمل كثوب الجبل بلا دنس وثوب الآلام تُبارك الايقونة ذاتها على عدد الاثواب بواسطة كهنة مرخَّصين بذلك ل. ش

المشرق

الملائكة بازاء العلم والدين

نظر فلسفي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

الكنيسة الكاثوليكيَّة في كلندارها السنوي تذكر غير مرَّة الطغمة الملائكيَّة اجمالا او افراداً بتخصيص احد الزعماء الثلثة المبرّزين بينهم اعني ميخائيل وجبرائيل ورافائيل فتكرمهم اكراماً عاماً او خاصاً وتقيم الاعياد لذكرهم وتحضُّ ابناءها على الالتجاء الى شفاعتهم. لكنَّ الشهر الذي دخلنا فيهِ اي تشرين الاوَّل قد أُفرز لهذه العبادة ولاسيما لتكريم الملائكة الحرَّاس الذين عهد الله اليهم حراسة بني البشر ليرشدوهم الى كل خير ويصونوهم نفساً وجسماً من كل ضير

فرأينا ان ننتهز هذه الفرصة لنكتب فصلاً في هذا الصدد نجمع فيهِ خلاصة ما يستفاد من العلوم العقلية والدينيَّة بخصوص الملائكة اذ قد قرأنا في بعض المجلَّات والجرائد الوطنيَّة والمصريَّة التي صدرت في هذه المدَّة الاخيرة كلاماً ينافي حقيقة الواقع وينظم في سلك الخرافات ما يرويهِ ارباب الاديان عن هؤلاء الملائكة فنذكر في قسم اوَّل ما يُستدلُّ بهِ على هذا الامر من العلم الصحيح والعقل الصائب ثم نتخطى في قسم ثانٍ الى ما افادنا الوحي في هذا الشأن

ودفعاً للالتباس نقدّم على كلامنا ما نفهمهُ بالملائكة مع جمهور العلماء وعموم الناس فنقول: انَّ الملائكة ارواح منزهة عن المادة والاجسام الهيوليَّة ذات فهم وارادة خلقها الله لخدمتهِ وتنفيذ اوامرهِ . وسنعود الى هذا التحديد في غضون ابحاثنا

١ الملائكة بازاء العلم

إن استقصينا العلوم البشرية سواء كانت في دائرة الطبيعة المحسوسة او في نطاق ما وراء الطبيعة بقي عقل الانسان متحيراً متذبذباً في الجواب عن وجود الملائكة وتعريف احوالهم . امّا العلوم الوضعيّة الطبيعيّة فسبب سكوتها ظاهر لأنها لا تتجاوز حيز المحسوسات والملائكة كما قلنا مجرّدون عن المادّة فلا تمسّهم يد ولا تبصرهم عين ولا تسمع ركزهم اذن وقس عليهِ بقية الحواس التي لا تحكم في غير المادة ذات الاقدار المحسوسة من طول وعرض وسمك وعمق الخ . امّا سكوت العلوم التي موضوعها ما وراء الطبيعة فلأنَّ هذه تبني حكمها على حقائق اوّليّة او ثانويّة يثبت العقل صحتها بالمقابلة او بالتخطّي من المفعول الى الفاعل . وبديهي انَّ قضيّة وجود الملائكة لا تُنال بالمقابلة ويمكن نسبة كثير من المفاعيل الظاهرة في الكون الى الله توًّا دون توسط الملائكة والارواح

افنقول اذن ان قضيّة الملائكة خارجة عن حيز العلوم وانّها من القضايا التي يجوز للعلم ان يتغاضى عنها ولا يكترث لها ؟ كلّا ثمَّ كلّا

فان كان العلم قاصراً عن اثبات وجود الملائكة والارواح بنورهِ الخاصّ يمكنهُ ان يستضيء بانوار قريبة منهُ ترشدهُ الى معرفة الحقيقة

واوّل ما يلوح للعقل السليم اذا اعتبر العالم وطبقات الكون انهُ يرى في المخلوقات سياقاً عجيباً يوصل بين كل حلقة منها حتى تكاد تلتحم ببعضها وتشتبك بتواصل تامّ فيرتقي النظر في كل مواليد الطبيعة من الجماد الى النبات الى الحيوان الاعجم الى الناطق دون عناء . فيا ترى ألا يوجد بين الانسان المركّب من قوى مدركة وجسم حيواني وبين خالقهِ الاله ذي الجلال والكمال المالئ الكون بجبروتهِ الابدي الازلي وعلّة كل معلول مكانٌ لحلقة أخرى توصل بين هذه الخليقة ملكة العالم المنظور وربّها الواجب الوجود

فالجواب الذي يتبادر اليهِ العقل برويّتهِ وافرازهِ انَّ بين الكائنات المنظورة وخالقها الاعلى وسطاً اعني الارواح المخلوقة المجرّدة عن الهيولي فتكون بطبيعتها المنزهة عن المادة اقرب الى الله ممثلةً لكمالاتهِ في كيانها الشبيه بكيانهِ على قدر ما

يمكن المخلوق المتناهي ان يمثل صورة الخالق غير المتناهي. وهكذا تمثل نوعاً تلك الهاوية العظيمة التي بين الله عزَّ وجلَّ ومخلوقاته المشوبة بكدورة المادة وظلمة الشهوة

وهذا الدليل سبق اليه ائمة الفلاسفة فاختصر القديس توما اللاهوتي رأيهم بقوله: «لا بُدَّ من اثبات جواهر مجرَّدة عن الجسم هي واسطة بين الله والمخلوقات الجسمية. وذلك لانَّ الله بتكوينه المخلوقات انَّما يقصد الخير والخيرُ يتوقف على التشبُّه بالله. وهذا التشبه يكون اتمّ واكمل اذا ماثل المعلولُ علَّتهُ في ما به تُصدر العلَّةُ المعلولَ ولمَّا كان الله يصدر المخلوقات بالعقل والارادة اقتضى كمالُ العالم وجودَ مخلوقات مجرَّدة عن الجسم لا تُدرك الَّا بالعقل فقط»

وقد انتبه فلاسفة العرب الى ذلك فنقل القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٥٥) قول واحد منهم فقال:

قال بعض الحكماء ان لم يكن في فضاء الافلاك وسعة السماوات خلائق فكيف يليق بحكمة الباري تعالى تركها فارغةً خاوية مع شرف جوهرها وانهُ لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغاً حتى خلق فيه اجناس الحيوانات وغيرها. ولم يترك جوّ الهواء الرقيق حتى خلق لهُ انواع الطير تسبح فيها كما تسبح السمك في الماء. ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية الصلبة حتى خلق فيها اجناس السباع والوحوش ولم يترك ظلمات التراب حتى خلق فيها اجناس الهوامّ والحشرات. . . . فالملائكة صلاح العالم وتمام الموجودات وكمال الاشياء بتقدير العليم الذي لا يعزب عن علمهِ مثقال ذرَّة في الارض ولا في السماء

ولنا على وجود الملائكة دليل آخر قريب الى العقل مبني على هذا المبدأ الفلسفي وهو انَّ ما اتفقت عليهِ كافَّة الشعوب والامم لا بُدَّ من الحكم بصدقهِ وصحته اذ انَّ في ذلك الوفاق دليلًا على انَّ الحقيقة طبعها في عقل الانسان مكوّنُ الطبيعة نفسهُ: والحال انَّ القول بوجود الملائكة والارواح حقيقةٌ ثابتة شائعة عند كل الامم بلا استثناء. كما تشهد عليهِ جميع آثارهم وتواريخهم بل كثير من الطوائف الهمجيَّة تعتبر تلك الارواح كآلهة دونهُ تعالى او برفقتهِ عزَّ وجلَّ

ولنا في شهادة التاريخ دليل ثالث يجب على العقل ان يرضخ لهُ ويقرَّ بهِ خانعاً. فان اعتبرنا الاسفار المقدَّسة كتآليف تاريخيَّة فقط حرَّرها رجال ذوو فضل وعلم يوثق برواياتهم كما يُستند الى روايات كتبة صادقين لا غاية لهم تحملهم على الخداع ثم

عالمين محققين لا يسمحون لاحد بان يموّه عليهم بالتدليس والكذب وجب علينا الاقرار بوجود الملائكة اذ لا يخلو سفر من الكتب المنزلة عن ذكرهم مباشرةً بسفر التكوين (٣ : ٢٤) الذي ذكر الكرُوبين الحارس لجنّة عدن بعد طرد الابوين الاوّلين منها . وذكر الملائكة الثلثة الذين نزلوا ضيوفاً مكرَّمين على ابراهيم الخليل (تك ١٨) ثم الملاكين اللذين انذرا لوط واسرتهُ بحلول غضب الربّ على سدوم (تك ١٩) ثمَّ الملاك الذي افرج كربة هاجر واسماعيل في البرّية (تك ٢١) . ثمَّ الملاك الذي اوقف يمين ابراهيم عن ضرب ابنه اسحاق (تك ٢٢) ثمَّ الملائكة الذين رآهم يعقوب يرقون سلّماً سريّاً وينحدرون منهُ (تك ٢٨) . ثم الملاك المتقدّم في طريق بني اسرائيل ليرشدهم الى ارض الميعاد (خروج ١٤ : ١٩ و ٢٣ : ٢٠) ثم الملاك المصرّح ليشوع بن نون بانهُ قائد جيش الربّ (سفر يشوع ٥ : ١٣) . ثمَّ الملاك الداعي جدعون الى خلاص امتهِ (قضاة ٦) . ثمَّ الملاك المبشر بمولد شمشون وبدعوتهِ (قضاة ١٣)

ولو تتبّعنا بقيّة تاريخ بني اسرائيل في عهد الملوك رأينا ملاكاً يقوت الياً النبي في البرّية (٣ ملوك ١٩ : ٥ — ٧) وعاينّا الملائكة ينقذون السامرة من ايدي ملك الشام (٤ ملوك ٦ : ١٥) وشهدنا ملاكاً يعمل سيفهُ في جيش سنحاريب فيبدّد شمل الاشوريين (٤ ملوك ١٩) . ومن منّا يجهل قصة طوبيّا البارّ والملاك رافائيل رفيق ابنهِ الى بلاد ماداي وظهور الرافيم ليطهر شفاه اشعيا النبي (اشعيا ٦ : ٢—٧) وكشف الملاك جبرائيل لدانيال النبي (٨ : ١٦) عن زمن مجيء المسيح

والعهد الجديد لا يحيد ذرّةً في هذا الصدد عن مرويّات العهد القديم . افليس الملاك جبرائيل الذي انبأ زكريا بميلاد يوحنّا وبشر مريم العذراء بالسيد المسيح ؟ اليس الملائكة الذين اوعزوا الى يوسف بان يذهب الى مصر ليخلص الطفل الالهي من غضب هيرودس ثمَّ تقدّم اليهِ بالرجوع عند وفاتهِ وبسكنى الناصرة ؟ ألسنا نراهم بعد ذلك في آلام السيد المسيح اذ ظهر واحد منهم للربّ في بستان الزيتون ليقوّيهُ (لوقا ٢٢ : ٤٣) ثمَّ في قيامة المسيح يبشرون تلاميذهُ بهذا الخبر المبهج . ونراهم بعد صعود الربّ يعزّون التلاميذ (اعمال ١) ويكسرون اغلال بطرس ويفتحون ابواب سجنهِ (اعمال ١٢) ويعهدون اليهِ معموديّة الامم (اعمال ٨) وينشطون قوى

بولس في غضون سفره بحراً (اعمال ٢٧) ويميطون ستر الغيب عن اعين يوحنا الحبيب (سفر الرؤيا)

فترى انَّ شهادة اصدق المؤرخين متواترة منذ خلقة الابوين الاوَّلين الى زمن الحواريين في اثبات وجود الملائكة . فجاءت شواهدهم مؤيدة لما يتبادر الى حكم العقل السليم ولما اتفق عليهِ رأي كل الشعوب . فهي اصوات ثلثة توافقت على هذه القضية البيّنة والحقيقة الراهنة لا يستطيع ارباب العلم الاضراب عنها وتصميم سمعهم دونها . ومنها تتضح سخافة اولئك الكتبة العصريين المتشدّقين الذين يسخرون باهل الدين لاعتقادهم وجود الملائكة وينسبون عملهم الى الخرافات

٢ الملائكة بازاء الدين

فان كان العقل النيّر والذهن الصائب لا يجد في حقيقة وجود الملائكة ما يُستغرب دَعْنا نتخطى الآن الى ما يُعلمنا الدين المستقيم من امر اولئك الارواح وصفاتهم واحوالهم المختلفة . فترى كم يفيدنا الوحي الالهي الذي يوسع المعارف البشريَّة ويهدي الامم الخانعة لهُ الى حقائق ما كانت لتدور على خلدهم وتخطر على بالهم فيعقلها الانسان بعلم اصدق واثبت من العلوم الطبيعيَّة نفسها

أ ﴿ اسماء الملائكة ﴾ قد دعا الكتاب الكريم الملائكة باسماء مختلفة تدلُّ كلها على عظم شأنهم وسموّ مقامهم . فسمّاهم بالارواح حيث قال داود في مزاميره (١٠٣ : ٦) : « باركي يا نفسي الربَّ . الصانع ملائكتهُ ارواحاً » وكذلك قال بولس الرسول في رسالتهِ الى العبرانيين (١ : ١٤) : « اليس الملائكة جميعهم ارواحاً تُرسَل للخدمة » . وقد دعاهم أيوب (١ : ٦ و ٢ : ١) « بني الله الماثلين امام الله » : ويُدعون في انجيل متى (١٨ : ١٠) « بسكّان السماء » كما يدعوهم النبي داود (مز ١٠٢ : ٢١ و ١٤٨ : ٢) « بقوّات الربّ » وجنود العلي » . وكذلك يدعوهم سفر اخبار الأيام الثاني ١٨ : ١٨ وسفر نحميا (٩ : ٦) « بجند السماء » . وكل هذه الاسماء تشير الى رفعة قدرهم وخواصهم الراقية فوق البشريَّة . وانَّما اسمهم الشائع انما هو « الملاك » ومعناه في العربيَّة وبقيَّة اللغات السامية « المُرسَل » دلالةً الى مهمتهم الخاصَّة بان يكونوا رُسُلاً للعلي ينفذهم الى كل الخدم المنوطة بجلالهِ تعالى

ولم يُذكر من اسماء أعلام هؤلاء الملائكة غير ثلاثة اعني ميخائيل كرئيس جند السماء » (دانيال ١٠ : ١٣ ورؤيا ١٢ : ٧) ومعنى اسمه « مَنْ كالله » . ثم جبرائيل اي قوّة الله (دانيال ٩ : ٢١ ولوقا ١ : ١٩ و٢٦) ثم رفائيل اي شفاء الله (طوبيا ١٢ : ١٣) وقد وردت اسماء غيرهم من الملائكة في الكتب غير القانونيّة والاسفار الموضوعة واناجيل الزور كجرمئيل واوروئيل وغير ذلك مما ليس تحتهُ كبير امر

٢ ﴿ تكوينهم ﴾ ارتأى بعض قدماء الفلاسفة الوثنيين او المبتدعين ومن جملتهم ابن رشد انَّ الملائكة متصفون بالقِدَم موجودون منذ الازل امَّا مستقلين بالوجود عن الله سبحانهُ وتعالى وامَّا صادرين عنهُ منذ الازل . وكلا القولين باطل لانَّ الله عزَّ وجلَّ هو وحدهُ واجب الوجود موجود بذاتهِ وكل ما سواه مُحدث والمحدث معلول لا بُدَّ لهُ من علَّة تخرجهُ من العدم الى الكون . فالملائكة اذن خلائق الله أبدعهم بمشيئتهِ وخوَّلهم جوهرهم وكيانهم . امَّا الزمن الذي جرى فيهِ تكوين الملائكة فالآراء فيهِ متباينة والاسفار الالهيَّة لم تصرّح بهِ وانَّما تشير الى انَّ ذلك الامر حصل قبل خلقة الانسان في بدء تكوين العالم ويرجح مفسرو الكتب المقدَّسة كون موسى نوّه بخلقة الملائكة في مفتتح سفر التكوين حيث قال : « في البدء خلق الله السماء والارض » فقولهُ « السماء » يشمل الملائكة سكان السماء وزينتها . وزاد دستور الايمان في نيقيـة تصريحاً بقولهِ : « نؤمن باله واحد . . . خالق السماء والارض جميع الذي يُرى وما لا يرى » فنظم الملائكة في عداد الامور الخارجة عن دائرة عالم الحسّ . وقد اثبت ذلك المجمع اللاتراني الثالث سنة ١٢١٥ فحرم البابا لوقيوس الثالث الذين ينكرون « انَّ الله في بدء الزمان خلق من العدم كلَّ الكائنات المنظورة وغير المنظورة والخلائق الروحيَّة اي الملائكة والجسديَّة اي العالم الهيولي والخلائق الناطقة المشتركة بينهما اي الطبيعة البشريَّة » وقد نقل المجمع الفاتيكاني قول المجمع اللاتراني واثبتهُ سنة ١٨٧٠

٣ ﴿ عددهم ﴾ لم تذكر الاسفار الالهيَّة عدد الملائكة وما يمكن العقل ان يرتئيهُ بالاجمال انَّ هذا العدد لا يحيط بهِ احصاء بشر فلا بُدَّ ان يكون وافرًا جدًّا . وذلك أنَّا نرى اعمال الله متناسبة اذ صنع كلَّ شيءٍ على قول سفر الحكمة (١١ : ٢١) « بمقدار ووزن وعدد » فان كان عالم الاجساد المادّي المنظور قد توفَّرت فيهِ

المخلوقات المتنوعة التي لا يحصيها غيرهُ تعالى أفليس الاحرى ان يكون عالم الارواح وهو اشرف من العالم الهيولي ممتازاً بوفرة العدد والانواع التي تنطق بعظمة الخالق وقدرتهِ غير المتناهية. وفي الواقع قد رمز في الكتب المنزلة الى هذا العدد البالغ. فانَّ السيد المسيح ذكر في انجيل متى (٢٦: ٥٣) انهُ يستطيع ان ينال من ابيهِ « اكثر من اثني عشرة جوقة من الملائكة». ورأى منهم يوحنَّا الرسول في جليانهِ (٥: ١١) « ربوات ربوات والوفٌ الوف » وكان دانيال (٧: ١٠) قبل ذلك رأى في خدمة الربّ الالهِ « الوف الوفٍ يخدمونهُ وربوات ربوات واقفين بين يديهِ ». ومن هذا يتضح انَّ عدد الملائكة يفوق كلّ احصاء. وانَّ الله وحدهُ يحيط بعددهم

٤ ﴿ طبيعة الملائكة ﴾ قد غُرَّ بعض الكتبة الاقدمين بزاعم افلاطون وباقوال كتب دينيَّة ظنُّوها منزلةً كسفر اخنوخ ورؤيا آدم فجعلوا الملائكة مع تجرُّدها عن الجسم غير مجرَّدة عن المادة فزعموا انَّها حاصلة على مادة هوائيَّة او جوهر هيولي لطيف تستعين بهِ على العمل وبلغ التطرُّف ببعضهم الى ان نسب الى اولئك الارواح معظم الافعال البشريَّة من اكل وشرب وزواج مستندين في ذلك الى بعض آيات الكتاب المقدَّس التي اساؤوا فهمها او حملوها على غير معانيها. وما اجمع عليهِ علماء الكنيسة الكاثوليكيَّة منذ مئين من السنين انَّ الملائكة ارواح صرفة لا يخالطها شيءٌ من كدورة المادة. ومن ثمَّ ينكرون انَّ هذه الارواح مركبة من صورة ومادَّة كواليد الكون وانَّها تعمل اعمالاً حيويَّة في الاجسام وانَّها تحلّ في المكان بملأة اجزائهِ او تتَّصف بالقوى الشهوانيَّة والغضبيَّة لان كل ذلك خاصّ بالمادَّة والارواحُ العلويَّة مجرَّدة من كل مادَّة. وتجرُّدها هذا لا يجعلها في رتبة الله سبحانهُ وتعالى لانها بعيدة عن كمالهِ من وجوه متعدِّدة فانَّ قواها محدودة مُحدَثة مقيَّدة بخلاف الخالق الذي لا يحدُّهُ زمان ولا مكان. وكذلك في جوهر الملائكة نوعٌ من التركيب بما فيها من الفعل والقوَّة المتعاقبين اما الله عزَّ وجل فهو وحده فعلٌ محض

امَّا نصوص الكتب المقدَّسة التي تنسب بعض الاعمال المادِّيَّة الى الملائكة ففيها نظر فمنها ما لا يعني الملائكة كقول سفر التكوين (٦: ٢) « انَّ بني الله دخلوا على بنات الناس » فليس المراد ببني الله الملائكةَ كما ظنَّ البعض ولكن

ابناء شيث الذين كانوا صالحين ثم استسلموا للشهوات اما الملائكة فيعلون فوق هذه الشهوات علواً كبيراً وسوف يشبههم الابرار في القيامة كما قال السيد المسيح (متى ٢٢ : ٣٠) : « انهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ولكن يكونون كملائكة الله » — ومن هذه النصوص الكتابيَّة ما يصح عن الملائكة على طريقة المجاز اذ اتخذ بعضهم باذن الله اجساماً مستعارة لما ظهروا للبشر كرافائيل الملاك الذي رافق طوبيا متقمصاً بصورة جسديَّة فاظهر في كل حركاته وسكناته واكله وشربه انهُ انسان مثلهُ لكنهُ صرَّح لهُ بعدئذٍ (طوبيا ١٢ : ١٩) انَّ ذلك انَّما كان مجازاً وتعطُّفاً فقال : « لمَّا كنتُ معكم كان يظهر لكم اني آكل واشرب وانَّما انا اتخذ طعاماً غير منظور وشراباً لا يبصرهُ بشر »

فروحانيَّة الملائكة تلوح من هذه الآيات وغيرها كالشمس في رائعة النهار. وبثبوت هذه الحقيقة تثبت حقائق اخرى هي كنتائج لاحقة بها. من ذلك خلود تلك الارواح اذ لا يطرأ عليها فساد يستطيع ان يشوّهها والروح من ذاتها ثابتة الوجود لا يقدر ان يلاشيها غير الله وان كان الله لا يلاشي ذرَّة من عالم المادَّة مع فساد المادة وتحوُّلاتها فما قولك بالارواح غير القابلة للفساد

ثم انَّ هذه الارواح مخلَّدة كما هي روحانيَّة فلا بُدَّ ان تحيا حياةً جديرة بها اعني حياة شبيهة بالروح الخالق وذلك بعقلها وارادتها. وانَّما عقلها يفوق العقل البشري من حيث كماله وسرعة ادراكهِ وطريقة معرفتهِ وهي لا تحتاج الى ان تستقي معارفها عن المحسوسات فتُجرِّدها مثلنا عن المادَّة بل تعقلها في ذاتها دون تدريج ودون توسط وتدرك ماهيَّات كلّ الاشياء بلا تركيب ولا تفصيل ولا انخداع باعراضها. وكذلك ارادتها تميل طبعاً الى ما يدركهُ عقلها من الخير الكلي ميلاً كاملاً لا يمتزج بكدورة الشهوة كارادة البشر مع حرِّيَّة الملائكة للاختيار بين الامور المتباينة. على انَّ عقولهم تختلف وفقاً لطبقاتهم فيعقل بعضهم من الحقائق ما لا يعقلهُ غيرهم وكذلك تختلف قوَّة ميلهم الى المعقولات على مقتضى ادراكهم لماهيَّاتها

٦ ﴿ حالة الملائكة من النعمة ﴾ انَّ الملائكة مع شرف طبيعتهم فوق الطبيعة البشريَّة هم بعيدون عن الله بعداً غير متناهٍ فطبيعتهم رغماً عن خلوصها من كدورة المادَّة لا تؤهلهم الَّا لمعرفة الله ومحبتهِ من حيث هو مبدأ لوجودهم

١

٢

٣

٤

١ صورة السيد المسيح بين ملاكين في كنيسة القديسة إغاثا في رافنا (نحو السنة ٤٠٠م)
٢ صورة ميخائيل رئيس الملائكة في كنيسة رافنا من القرن السادس
٣ صورة ملاك الانتصار في دياميس رومية
٤ ملاك في يده صليب متوج من كتاب مخطوط في القرن السادس

الطبيعي وذلك ملائم لطبعهم. امّا معرفة الملائكة لله وتوجّه ارادتهم اليهِ من حيث هو موضوع سعادتهم الابديّة فذلك يفوق طبيعتهم ومن ثمّ يحتاجون الى نعمة خاصّة من الله لتؤهلهم لرؤيتهِ تعالى بالذات ويحصلوا بذلك على سعادتهم القصوى

على انّه تعالى لم يخوّل تلك النعمة ملائكتهُ الّا بعد امتحانهم لينالوا السعادة الابديّة بوجه الاستحقاق فجعلهم بعد خلقهم في حالة يمكنهم فيها ادراك سعادتهم باختيارهم الشخصي وعملهم الخاصّ مع النعمة الالهيّة. ولمّا بلّغهم الله بعض اوامره ليمتحن طاعتهم خام بعضهم عن الخضوع لمشيئتهِ تعالى ونشروا راية العصيان وكان زعيمهم ابليس خزاه الله خُدع بحسن صفاتهِ ونسي انّ محاسنهُ من كرمهِ عزّ وجلّ فنسبها الى نفسهِ وبخس حقوقهُ تعالى. ثمّ تبعهُ في تمرّدهِ قسم من مشايعيهِ على خلاف ميخائيل وغيرهِ من الملائكة الصالحين الذين انتصروا لله وخضعوا لمشيئتهِ وقاوموا الارواح المتمرّدة وجرت تلك الوقائع التي وصفها يوحنّا الحبيب حيث قال (الرؤيا ١٢: ٧ — ١١): «حدث قتال في السماء ميخائيل وملائكتهُ كانوا يقاتلون التنين وكان التنين وملائكتهُ يقاتلون فلم يقووا ولا وُجد لهم موضعٌ بعد في السماء فطُرح التنين العظيم الحيّة القديمة المسمّى ابليس والشيطان الذي يضلّ المسكونة طُرح الى الارض وطُرحت ملائكتهُ معهُ». وقال السيد المسيح مشيرًا الى سقوط ابليس (لوقا ١٠: ٨): «اني رأيت الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق»

فمنذ ذاك الحين نال الملائكة الابرار سعادتهم القصوى برؤية الذات الالهيّة كثواب امانتهم في خدمة الله التي لم يعودوا يستطيعون الحياد عنها الى ابد الدهر ونال الشيطان مع حزبهِ العقاب الذي استحقّهُ بعصيانهِ فنُفصل عن شركة الله بل زُجّ في الهاوية وجحيم النار الذي خلقهُ الله لجزاء معصيتهِ فعوقب بالنار المادّية وهو روح فوق المادّة. على انّ طبيعة الشيطان لم تتغيّر مع ذلك فبقي روحاً مجرّدًا عن الهيولي لم يحرمهُ الله قوى عقلهِ وارادتهِ وان كان منذ سقوطهِ يوجّهها الى الشرّ والأذى الى الطبيعة البشريّة التي يريد اجتذابها الى عصيانهِ ليكون نصيبها كنصيبهِ. الّا انهُ لا يستطيع ان يأتي بضرر بدون اذنهِ تعالى فمن لاذ بهِ وعاذ برحمتهِ نجا من مكايد ابليس خزاهُ الله

هذا ما افادنا بهِ الوحي الشريف عن حقيقة الملائكة الصالحين والاشرار وهو

مطابق لأحكام العقل الصائب والآثار الاجتماعيَّة بين ارقى الامم تمدُّناً وحضارةً فيزيل كثيراً من المشاكل التي لا يحلُّها الملحدون في تاريخ البشريَّة شاؤوا ام ابوا

ولا بأس هنا من الاستطراد في القول لتزييف مزاعم الذين ينكرون وجود الابالسة وينسبون الى الخرافة ما رواه عنهم كتبة الاسفار الالهيَّة . فان آثار اعمال الشياطين ظاهرة بين كل الشعوب الوثنيَّة حتى يومنا . ولا يمرّ علينا سنة دون ان نطَّلع على شيء كثير من ذلك في كتابات المرسلين في الصين والهند ومجاهل افريقية مما تبيِّنهُ اوثق الشهود بالعيان . هذا فضلاً عن تاريخ كل الامم بلا استثناء وان اختلفوا في اوصافهم وتعريف طبائعهم وتبيان خواصهم وجعلوهم في عداد الجانّ والمخلوقات الوهميَّة ولو لم يوجد في زماننا غير خوارق السرتم لكانت كافيةً لإثبات وجود الارواح النجسة وتأثيرها في العالم البشري

٧ ﴿ مراتب الملائكة ﴾ سبق انَّ الله يصنع كل شيء بوزن ومقدار . فمن المحال ان يكون خلق ذلك العدد العديد من الارواح الذي نوَّهنا بهِ دون ان يجعل فيهِ نظاماً وترتيباً . والى ذلك تُشير الآيات التي مرَّ ايرادها . فانَّ الملائكة يُدعَون بجيش السماء وبجند الله وبفرق سماويَّة وكل ذلك يثبت وجود نظام تامّ بين الملائكة وفي كل فئة من فئاتهم

ولكن يا تُرى ما هو هذا النظام وهل كشف الله القناع عنهُ نوعاً ليقف الانسان على بعض محاسنهِ . فالجواب على ذلك انَّ الوحي افادنا شيئاً من ذلك ايضاً فان استقرينا آيات العهد القديم والعهد الحديث وجدنا ذكراً لتسع طغمات من الملائكة فذُكر الكروبين في سفر التكوين (٣ : ٢٤) وغيرهِ من الاسفار المقدَّسة . وذكر اشعيا النبي السرافيم (٦ : ٢ و ٦) . واورد بولس الرسول في رسالتهِ الى اهل افسس (١ : ٢١) اسماء لاربع طبقات اخرى وهم الرئاسات والسلاطين والقوَّات والسيادات فقال ان السيد المسيح جلس من عن يمين الآب فوق كل هذه الطغمات الملائكيَّة . وكرَّر ذلك في رسالتهِ الى اهل كولسّي (١ : ١٦) وزاد على تلك الفئات فئة خامسة وهم العروش فقال : « انَّ بهِ (اي السيد المسيح ابن الله) خُلق جميع ما في السماوات وعلى الارض ما يُرى وما لا يُرى عروشاً كان او سيادات او رئاسات او سلاطين » . وصرَّح يهوذا الرسول (ع ٩) وبولس الاناء المصطفى (في رسالتهِ الاولى الى تسالونيقي

١٣:٤) باسم رؤساء الملائكة . اما الملائكة فاسمهم في كل الاسفار المقدَّسة ورُبَّما أُطلق هذا الاسم على كل طبقات الملائكة عموماً وان كان خاصاً بادنى طبقاتهم

وهذه الطغمات التسع لها مراتب معلومة يقسمها بعض الآباء واللاهوتيين الى ثلاثة اقسام : قسم اعلى وهم الكروبين والسرافيم والعروش الذين يقربون من جلاله تعالى ويقومون بخدمته الخاصة . وقسم اوسط وهم السيادات والقوّات والسلاطين الذين يبلّغون اوامره تعالى الى الفئات التي دونهم ويُظهرون قوّة الله في اعماله الخفيَّة والعلنيَّة . وقسم ادنى وهم الرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة الذين عُهد اليهم خصوصاً امر العالم الهيولي ولا سيما تدبير الانسان الناطق

وهذا القليل الذي نعرفهُ عن الملائكة ورتبهم لا يكاد يبلُّ الغليل حتى انَّ ائمة علماء الكنيسة عدُّوا معرفتنا للملائكة ورتبهم احرى ان تُدعى جهلاً . وترى الآباء نفسهم لا يتفقون في عدد مراتب الملائكة واقسامها وترتيبها وخواصها . قال اكبرهم واثبتهم علماً واسماهم عقلاً القديس اوغسطينوس في رسالة كتبها الى اوروسيوس(١ : « لا شكَّ انَّ في السماء عروشاً وسيادات ورئاسات وقوّات وانا اؤمن بذلك ايماناً حقًّا وكذلك لا ريب في انَّ بينهم فروقاً ولكن ان سألتني ما هي وباي شيء يختلف بعضها عن بعض اقررتُ بجهلي مهما أدَّى اقراري الى ازدرائك بي بعد ان دعوتني بالملقان الكبير »

٨ ﴿ اعمالهم ﴾ انَّ جهلنا بمراتب الملائكة يتناول ايضاً اعمالهم فلا يمكننا القطع بما يقلّدهم الله من المهن لخدمته او لخدمة الكائنات . وغاية ما يقال عنهم انهم منقطعون الى تسبيح الله واتمام اوامره . قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٥٥) : « انَّ الملائكة . . . لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يُؤمرون طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وانسهم بذكر الله وفرَحهم بعبادته خلقهم الله تعالى على صور مختلفة واقدار متفاوتة لاصلاح مصنوعاته واسكان سماواته »

وقد سعى مع هذا بعض الكتبة ان يعدّدوا اعمال الملائكة ويميّزوا بين مهنهم فميّزوا بينهم حملة العرش الالهي والعاكفين على حضرة القدس المستغرقين بجمال الربوبيَّة

---

١) اطلب مجموع الاباء اللاتينيين لمين (Migne P. L. XLII, 678)

والمداومين على التقديس والتسبيح والتهليل والمبلّغين لاوامر العلي والموحين باسراره الى اوليائه والموكلين بالامم والشعوب والجماعات الدينية والكنائس ورؤسا الدين والنازلين بالبركات على الخلائق والصاعدين الى الله بمبرّات البشر وحسناتهم وصدقاتهم وصلواتهم والمبتهلين خصوصاً بالمختارين وخدّامة سرّ الفداء والمعهود اليهم حفظ نظام العالم والافلاك

فهذه وما اشبهها من الاعمال الشريفة قد اسندها اولئك الكتبة الى آيات شتى وردت في الاسفار الالهية كرؤى الانبياء اشعيا وحزقيال ودانيال وكتاب طوبيا وجليان مار يوحنا الحبيب

٩ ﴿ الملائكة الحرّاس ﴾ واخصّ هؤلاء الارواح بالذكر الملائكة الموكلون ببني آدم المعروفون بالملائكة الحرّاس. ففي الكتب المنزلة ما يثبت وجودهم قال النبي داود (مز ٩٠) « انّ الرب يوصي ملائكته بكَ ليحفظوك في جميع طرقك على ايديهم يحملونك لئلّا تصدم بحجر رجلك... انجيه لانهُ تعلّق بي ». وأصرح من ذلك قول متى الرسول عن ملائكة الاحداث (١٨ : ١٠): « احذروا ان تحتقروا احد هؤلاء الصغار فاني اقول لكم ان ملائكتهم في السماوات كل حين يعاينون وجه ابي الذي في السماوات ». ومعظم الآباء في شرحهم لهذه الآية يستنتجون منها حقيقة وجود الملائكة الحرّاس لكافة البشر ولكل من افرادهم نخصّ منهم بالذكر اوريجانس المعلم والقديس يوحنا فم الذهب والقديس غريغوريوس نيصص والقديس امبروسيوس. قال القديس ايرونيموس في تفسيره (Migne, P. L, XXVI, 130): « ما اعظم شرف النفوس التي خوّل الله كل واحدة منها ان يقوم ملاك بحراستها من اوّل حياتنا الى ختامها »

والحقّ يقال انّ الله ذا الجود والرحمة لا يذر خليقةً أيّة كانت دون ان يشملها بعنايته وعناية ملائكته أفيمكنهُ ان يحرم من هذه النعمة اشرف خلائقه الجديّة المدعو بتلك الكون المحسوس مع ما يتهدّد جسدهُ ونفسهُ من المخاطر في كل اطوار حياته. وليس هذا مقصورًا على المؤمنين بل يعمّ كل فرد من افراد البشر. وهذه الحقيقة وان لم تكن من عقائد الايمان الّا انها شائعة بين اللاهوتيين ومعلمي الكنيسة حتى انّ ناكرها لا يسلم من الملام. فشكرًا لذاك الاله الجواد الذي انعم علينا بنعمة

كهذه ان يصحب كلَّ فرد منَّا احدُ امراء بلاطهِ السماوي ايرشدنا الى الخلاص وينير عقولنا ويحيد بنا عن الاثم وينشطنا على عمل الخير ويحرّك قلوبنا على الانابة الى الله ويسعفنا في كل حاجاتنا نفساً وجسماً ويرافق روحنا امام الديَّان ساعة موتنا

١٠ ﴿ هيئة الملائكة وصورهم ﴾ الملاك كما سبق جوهر مقدّس عن كثافة المادَّة الّا انَّ الانسان مركب من جسد ونفس لا يستطيع ان يُدرك الغير المنظور الّا مجسماً على صورة منظور حتّي. فلمَّا اراد ان يمثل لعينيهِ صورة الملائكة فكَّر اوّلًا في طبيعتهم المجرَّدة عن الهيولَى فسعى المصوّرون بالاشارة الى براءتهم فتارة البسوهم ثياباً بيضاء كالثلج وهكذا ظهروا بعد قيامة المسيح (متى ٢٨: ٣) وتارة جرَّدوهم عن كلّ ثوب دلالةً الى جوهرهم اللطيف المنزَّه عن الماديَّات والشهوات

ثمَّ افتكر الانسان في حالتهم من المجد ورفعة المقام فرمز عن ذلك برموز مختلفة فصوَّرهم في مقتبل الشباب دلالةً على خلودهم وجعل اكليلًا من النور حول هامتهم او الحفهم النورَ اشارةً الى كونهم ارواحاً نورانيَّة او اقامهم في وَقود النار تنويهاً باضطرامهم بحبّ الاله او البسهم الارجوان الفاخر معلناً بسعادتهم ورفعة شأنهم في ملكوت الله

واحياناً كثيرًا تأمَّل المرء اعمالَ الملائكة فاراد ان يخرجها بصورة محسوسة. فمثَّل الملائكة سجودًا وركوعاً امام الحضرة القدسيَّة او صوَّرهم باجنحة تنويهاً بسرعة انجازهم للاوامر العلويَّة. وهكذا ظهروا لاشعيا النبي ولحزقيال وليوحنَّا الحبيب. وكثيرًا ما يحتجبون باجنحتهم امام عرش الله هيبة ووقارًا. ومنهم من صوَّرهم وبايديهم آلات الطرب يدلُّ بذلك الى تسابيحهم المتواصلة لجلالهِ تعالى. ويصوّرون الحرَّاسَ منهم ممسكين بايدي الاحداث ليصونوهم من كل الآفات او يمشون في رفقة الموتى ليدخلوا بارواحهم الى النعيم بعد وفاتهم. وربَّما صوَّروا الملاك جبرائيل مبشرًا البتول وبيدهِ سوسنةٌ بهيَّة وصوّروا ميخائيل بهيئة قائد جند يدوس تحت رجلهِ الملاك المارد. وصوَّروا رفائيل مرشدًا لطوبيَّا في طريقهِ

فترى انَّ كل هذه التصاوير كإعلان البشر بمعتقداتهم في وجود الملائكة وكاقرار بصفاتهم الجليلة وخواصهم الفريدة

١١ ﴿ اكرام الملائكة ﴾ تقرَّر في ما سبق انَّ الارواح الملائكيَّة مقدَّسة ومتصفة بكل الصفات السامية التي تجعلها مرضيَّةً في اعين الله عزيزةً على قلبهِ وانَّها في رتبة اوليائهِ القديسين. وكلُّ من كان في هذا المقام يستحقُّ الاكرام ويستوجب العبادة كأنَّ الملائكة خلائق مستقلَّة بل كاصدقاء الله واصحاب معيَّتهِ ولا يقولنَّ القائل انَّ تلك العبادة تبخس حقوق الخالق. حاشا وكلَّا لانَّ اكرام تلك الارواح والتعبد لها والالتجاء الى شفاعتها في ضيقات الحياة انَّما هو عائد اليهِ تعالى الذي خلقها وخوَّلها تلك الصفات الجليلة. افيقال انَّ اكرام نائب الملك اهانةٌ للملك؟ او ليس هو بالحري واجب نظرًا الى علاقة النائب بملكهِ؟ وقد قال الربُّ غير مرَّة ان كل ما نصنع باحد رُسُلهِ ونوَّابهِ فبهِ نصنعهُ. وزد على ذلك ان للملائكة فضلًا آخر على البشر وذلك حراستهم لهم والاهتمام بشؤونهم الروحيَّة والجسديَّة. فكيف يتغاضى الانسان عن شكرهم وطلب حمايتهم والمجاهرة باكرامهم. افلا يكون تغاضيهِ نكرانًا للجميل؟

وان اعترض المعترض بقولهِ ان الرسول بولس في رسالتهِ الى اهل كولسي (٢: ١٨) نهى عن عبادة الملائكة اجبنا ان كلامهُ هناك عن اكرامهم كآلهة كما كان يفعل الوثنيُّون وبعض المبتدعين من اللاأدريين. وعلى هذا المنوال نهى الملاكُ يوحنَّا الرسولَ عن السجود لهُ في سفر الرؤيا (١٩: ١٠) وقس عليهِ بقيَّة الاعتراضات التي اوردها بعض البروتستانت وهم لم يدركوا معنى العبادة والاكرام كأنَّنا لا نفرق بين واجباتنا الاوَّليَّة للخالق والاكرام الثانويّ للقديسين والملائكة وشتَّان ما بينهما. قال اوسابيوس القيصري في كتاب الايضاح الانجيلي (Migne, P. G., XXII. 553): « انَّ لله خدَّامًا مقتدرين وقوَّاتٍ قائمة في انجاز اوامره فهؤلاء نحن نكرمهم الاكرام اللائق (κατὰ προσῆκον τιμῶντες) ولكنَّا نسجد لله وحدهُ ». وكرر ذلك القول في محلٍّ آخر (ibid., XXII, 193) بكل صراحة: « اننا قد تعلَّمنا ان نوقِّر هذه الارواح السماويَّة لاجل شرفها ورفعة مقامها دون ان نخلَّ بواجبات عبوديَّتنا لله وحده »

١٢ ﴿ اتفاق الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بخصوص الملائكة ﴾ انَّ الخلاف الواقع بين البيع الشرقيَّة والغربيَّة في بعض حقائق الايمان لم يمسَّ في شيءٍ معتقدهما في اخصِّ القضايا المنوطة بالملائكة فلو استقرينا كل الطوائف النصرانيَّة

من يونان وسريان وقبط وارمن وجدنا تعاليمهم في هذا الصدد متشابهة كما يظهر من نصوص طقوسهم واقوال معلميهم . فكلهم يتفقون في الاقرار بوجود الملائكة وبحقيقة جوهرهم المجرَّد عن الهيولي وكذلك يعتقدون وفرة عددهم واختلاف مراتبهم وسقوط بعضهم ونفيهم من السماء ويقرُّون بكون الآخرين قائمين بخدمة الله ومتممين لاوامره في كل ما يُعهَد بهِ اليهم ويصرّحون بوجوب اكرامهم بالنسبة الى الربّ سيدهم ويخصُّون بعض الاعياد لهذه الغاية . فكلُّ هذه المعتقدات لا تختلف فيها كنائس الشرق عن الغرب مع وجود بعض اختلاف في امور ثانويَّة تعدَّدت فيها الآراء بين العلماء دون ان تحكم الكنيسة فيها الحكم الفصل . ودونك بعض شواهد من هذه الطوائف تدلُّ على قولنا

فانَّ الكنيسة اليونانيَّة تذكر كل يوم اثنين الملائكة وتطلب معونتهم وفي السواعي دعاء للملائكة وصلاة للملاك الحارس . وفي القدَّاس صلاة الى الله تطلب منهُ ان يرسل « ملاك السلام والدليل الامين وحارس النفس والجسد » هذا فضلًا عن عدَّة اعياد في كلندارها لذكر الملائكة

انَّ اقدم الآثار السريانيَّة منذ القرن الرابع مباشرةً بالحكيم افرهط ثم مار افرام وبقيَّة الآباء وكذلك الطقوس في الكنائس الكلدانية والسريانيَّة والمارونية ومثلها كتب الكنائس النسطوريَّة واليعقوبيَّة مشحونة بذكر الملائكة وامتيازاتها وطغماتهم واعمالها . قال افرهط في ميمره الثامن عشر (طبعة باريس ص ٨٢٧) : « انَّ لله من الخدَّمة العاريين الوف الوف الذين يمجِّدون اسمهُ ويعظمونهُ ويصعدون وينحدرون لاتمام اوامرهِ في سرعة البرق . مقامهم في اعلى عليين وكلهم بفم واحد يعلنون بجبروت الله . كلهم مختارون كلهم محبوبون كلهم اقوياء وهم ينجزون مع ذلك اوامرهُ تعالى بخوف وارتعاد . . . كلهم يرددون تسبحة التقديس هاتفين : قدُّوس قدُّوس قدُّوس الرب اله الصباؤوت الارض كلها مملوءة من مجدهِ »

وقد نقل اغاتنج اوَّل مؤرخي الارمن في تاريخهِ كلام القديس غريغوريوس المنوِّر عن الملائكة قال : « خلق الله الملائكة في البدء من النور وحلَّاهم بالضياء الساطع وخوَّلهم العقل والفهم واتخذهم كخدمتهِ ليبلغوا اوامرهُ عزَّ وجلَّ الى الخلائق الناطقة » . ومثلهُ إزنيك الاسقف في القرن الخامس قد وصف الملائكة كارواح

مجرّدة عن الجسد وخصهم بكلّ خواصّ الارواح نافياً عنهم كل فساد وتغيير وتوالد ونموّ الخ . والكنيسة الارمنيّة كبقيّة الكنائس تستشفع بالملائكة وتكرمهم على حسب مقامهم في صلواتها الطقسيّة

فناهيك بهذا الاتفاق دليلاً قاطعاً على حقيقة تعاليم الكنيسة عن الملائكة وفي الآثار القديمة ما يؤيد هذا التعليم فانّ العلّامة البندكتي دون لوكلارك (H. Le - clercq) جمع في معجم الآثار النصرانيّة (Dictionnaire d'Archéologie chrétienne) كتابات قديمة وتصاوير مختلفة يرقى بعضها الى القرن الثاني او الثالث وُجدت في دياميس رومية وبلاد لا تدع شكّاً في معتقد قدماء النصارى بوجود الملائكة وسائر امتيازاتهم فعليك بها

وفي الختام نكرّر ما افتتحنا به مقالتنا انّ نكران بعض الكتبة الحقائق المنوطة بالملائكة ونسبتها الى الاختراعات والخرافات ادلّ دليل على سخافة عقل اولئك المتحذلقين وجهلهم المطبق اذ لا يتجاوز عقلهم دائرة المادّة فيحصرون العالم كلهُ مع عقلهم في هذا النطاق الضيق انارهم الله

مقالتان قديمتان في قوس قزح

نشرهما الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

انّ العرب الذين تعقّبوا آثار اليونان والسريان في علم الهيئة ووصف الكواكب وحركات الافلاك لم يخلفوا لنا الّا شيئاً قليلاً عن الظاهر الجويّة كالحرارة والبرد وثقل الهواء والامطار والثلوج . ولعلّ السبب انّهم لم يعرفوا تلك الآلات اللطيفة التي وضعها علماء القرون الاخيرة كالترمومتر والبارومتر ومقاييس الامطار والاهوية . ومن ذلك قوس الغمام المعروف بقوس قزح فانهم لم يكتبوا فيه الّا النزر الزهيد وذلك غالباً في اثناء كلامهم عن المناظر والبصريّات وقد راجعنا قوائم المخطوطات العربيّة في المكاتب الاوروبيّة وغيرها فلم نجد بينها ذكراً لقوس قزح

الّا فصلًا للحسن بن الحسن بن هيثم في مناظره نقلهُ الى الالمانيّة احد افذّه العلوم الطبيعيّة الاستاذ فيدمان (Eilhard Wiedemann) (١ . وكذلك وجدنا في ترجمة ابن الهيثم لابن ابي اصيبعة (٢ : ٦٠) وفي تاريخ الحكماء لابن القفطي (ص ١٦٧) ذكر رسالة في الهالة وقوس قزح يظهر انها اليوم مفقودة

وعليهِ سرّنا اننا وقفنا في كتابين من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة على رسالتين عن قوس قزح. فالرسالة الاولى تحتوي على سبع مقدّمات لتعريف قوس قزح تاريخ كتابتها في احدى النسختين سنة ١١٣٩ (١٧٢٦م) والاخرى لا تاريخ لها ولكنها اقدم عهدًا كما يُرى من مجموع رسائل هناك في الحساب والهندسة وهي الرابعة في الرتبة (ص ٨٠ – ١٨٢). وفي كتبهما لم يُذكر اسم المؤلف ولعلهُ هو ابن هيثم عينهُ المتوفى سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩م)

امّا الرسالة الثانية فهي تابعة للرسالة الاولى في المجموع المذكور (ص ٨٢–٨٥) وهي ايضًا خلو من التاريخ ومن اسم المؤلف. وفي آخرها « لمولانا حسام الدين » دون زيادة في التعريف. وفي كل من الرسالتين شكل مصور نقلناها هنا واحدًا من كل نسخة

ومن يطلع على هاتين الرسالتين يتحقق انّ العرب احسنوا في شرح وقوع قوس قزح وسببهِ وكانوا يجهلون وقتئذ ما اثبتهُ العلامة نيوتن سنة ١٦٧٠ انّ نور الشمس الابيض يتركب من سبعة ألوان يمكن تحليلها بالموشور وانّ هذه الالوان تتحلل في قطرات السحاب. ومن اراد تفصيل ذلك فليرجع بمقالتين مطوّلتين نشرهما سابقًا في المشرق (٣ (١٩٠٠) : ٢٤١, ٢٩٩) حضرة الاب الكسيس مالون اليسوعي

وقد اتبعنا في نشر المقالتين اقدم النسختين المكتوبة منذ نحو ٣٠٠ سنة ونقلنا في ذيل المشرق روايات المقالة الاولى عن النسخة الثانية التي وسمناها بحرف « ن ». وفي عجائب المخلوقات للامام زكريا القزويني (ص ٩٨–١٠١) فصل حسن في الهالة وقوس قزح يشبه في بعض اشياء المقالتين التاليتين فليراجع

(75) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيه وآلهِ اجمعين

امّا بعد فهذه مقدّمات (٢ يُحتاج اليها في معرفة قوس قزح (٣

١) اطلب نشرة العلوم الطبيعيّة والطبيّة في ارلنغن — (Sitzungsberichten d. phys. mediz. Sozietet in Erlangen, b. XLII, 1910, p. 49-57)

روايات عن نسخة (ن)

٢) مقدّمات سج ٣) زادت ن : الى معرفتها

﴿ المقدّمة الاولى ﴾ منها في بيان الانعكاس . وهي انهُ اذا وقع الضوء من جسم مضيء على جسم صقيل (١ انعكس ذلك الضوء ا من ذلك الجسم الصقيل الى جسم آخر (٢ وَضعُهُ من ذلك الجسم الصقيل (١ كوضع الجسم المضيء من ذلك الجسم الصقيل (١ بشرط ان لا يكون جهتهُ مخالفة لجهة الجسم المضيء (٣

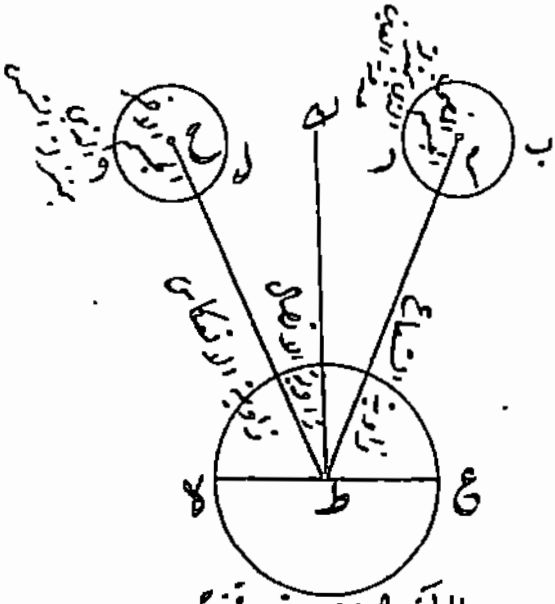

المرآة وهي بمنزلة قوس قزح

ويلزم ان يكون زاوية الانعكاس مساوية لزاوية الشعاع . ولنعمل لذلك شكلًا يتصوَّر منهُ (٤ : وليكن (٥ دائرة ب ر هي الجسم المضيء ودائرة ع ه هي المرآة و ع ط ه وترها (٦ و ل ر (٧ ا هي الجسم الآخر (٨ والخط الشعاعي الواقع من الجسم المضيء على سطح المرآة وهو خط م ط والشعاع المنعكس من

روايات عن نسخة (ن)

١) صيقل (كذا)
٢) منهُ الى جسم آخر يكون
٣) زادت ن : و ح
٤) زادت ن : وهو هذا
٥) وليكون (كذا)
٦) وتر فيها
٧) ودائرة ح
٨) هي الجسم الذي وضعهُ كوضع الجسم المضيء

سطح المرآة الى الجسم الذي وضعهُ من المرآة كوضع الجسم المضيء من المرآة هو خط ط ح فتكون زاوية م ط ح زاوية الاتصال وزاوية م ط ع زاوية الشعاع و ح ط ه زاوية الانعكاس والامام يسمّى زاوية الاتصال بزاوية الشعاع. وقد عُلم بالاستقراء انّ زاوية الاتصال تساوي (١ زاوية الانعكاس. هذا اذا كان الخطّ الشعاعي الواقع من الجسم المضيء على سطح المرآة غير قائم عليه واما اذا كان قائماً عليه كخط ك ط فان انعكاس الشعاع ايضاً يكون على ذلك الخطّ بعينه

﴿ المقدّمة الثانية ﴾ في بيان انعكاس شعاع البصر (٢ الحال في انعكاس الشعاع ايضاً كالحال في انعكاس الضوء لانّا اذا فرضنا خروج خطّ شعاعي من وسط الحدقة الى المرآة فلا يخلو امّا ان يكون ذلك الخطّ الشعاعي قائماً على المرآة او لم يكن. فان كان قائماً عليها انعكس الخطّ الشعاعي على الرائي وان لم يكن قائماً عليه انعكس الخطّ الشعاعي الى كل شيء وضعهُ من المرآة كوضع الحدقة منها ورُوي كلّ ما بين الخطين اعني الخطّ الشعاعي والخطّ المنعكس في المرآة وما لا يكون بينهما فلا يُرى البتة وفي الشكل المسطور (٣ في المقدّمة الاولى يتصوّر على ان يكون دائرة ب ر هي الحدقة والبواقي (٤ مجالها (71).

﴿ المقدّمة الثالثة ﴾ انّ المرآة اذا كانت صغيرة لم يظهر فيها أشكال المرئيّات بل الوانها لانّ الجسم لا يُرى مشكلاً (٥ الّا وهو بحيث يقسمهُ الحسّ (٦ واذا كان كذلك فكيف يُرى مشكلاً ما (٧ لم ينقسم في الحسّ. واذا عرفت هذا فاعلم انّ المرآة الصغيرة امّا ان يكون (تكون) مفردة اي واحدة او اكثر (٨ فان كانت مفردة فربّما لا يُرى ما تؤديه من اللون (٩ ايضاً. وان كانت كثيرة متلاقية ادّت كل واحدة منها اللون (١٠ ولم يؤدِ واحدٌ (١١ منها الشكل. وقولهُ في الملخص (١٢

روايات عن نسخة (ن)

١) متساوية ٢) الشعاع البصري
٣) المذكور ٤) فالبواقي
٥) متشكلاً ٦) الحس (كذا) ٧) فيا
٨) كثيرة ٩) تؤذايه (كذا) من الوان
١٠) شيئاً من اللون ١١) واحدة ١٢) الملخّص كتاب في علم الهيئة

« فاتّصل (١ من جملتها من تأدية (٢ اللون ما لو كانت متصلة متحدّدة (٣ لأدّت الشكل مع ذلك » معناه انهُ لو حصلت (٤ من مجموعة (٥ المرايا الكثيرة المتلاقية التي كل واحد (٦ منها صغيرة مؤدية اللون (٧ المرئيّ دون الشكل (٨ جملة متصلة ومتحدّدة (٩ اتصالاً حقيقيًا لأدّت مع ذلك الاتصال الشكل واللون معاً

﴿ المقدّمة الرابعة ﴾ المرآة اذا كانت ملوّنة لا يؤدي (تؤدي) لون المرئيّات كما هو بل لوناً متوسطاً بين اللونين اعني لون المرآة ولون المرئيّ . مثلاً ان لون الكافور اذا كان في الزجاج (١٠ الاخضر فانهُ لا يُرى (١١ بياضهُ بل يُرى على لون متوسط (١٢ بين الخضرة والبياض

﴿ المقدّمة الخامسة ﴾ صور (١٣ المرئيّات غير منطبعة في المرآة والّا لكان لتلك الصور (١٣ مقدار معلوم (١٤ في المرآة ولما كانت تنتقل (١٥ في المرآة بانتقال الناظر والمرآة ساكنة وكل واحد من اللازمين باطل (١٦ بل ادراكها على سبيل الخيال . ومعنى الخيال هو ان تجد (١٧ شبح شيء مع صورة شيء آخر كما تجد (١٨ صورة الانسان مع صورة المرآة ثم لا يكون لتلك الصورة انطباع حقيقي في مادة الشيء الثاني الذي يؤدي تلك الصورة ويرى (١٩ منها كما انّ صورة الانسان غير منطبعة في المرآة لما بيّنا في الوجهين

﴿ المقدّمة السادسة ﴾ الجسم الصقيل (٢٠ الذي يقع عليهِ شعاع البصر اذا كان شفّافاً ورؤي (٢١ مشفّاً بالفعل لم يمكن ان يُرى عليهِ هذا الخيال وان رُؤي

روايات عن نسخة (ن)

١) فما حصل
٢) ممّا تؤديه
٣) ومتّحدة (صواب)
٤) انهُ حصلت
٥) مجموع
٦) واحدة
٧) للّون
٨) شكلهِ
٩) لو كانت متّصلة متّحدة (صواب)
١٠) ان ارى لو كان الكافون في الزجاج
١١) لا يؤدي
١٢) يؤدي لوناً متوسطاً
١٣) صورة
١٤) مقرة معلومة (كذا)
١٥) ينتقل
١٦) بطه (؟)
١٧) انّ الحسّ يحسّ
١٨) تجمع
١٩) وترى
٢٠) الصقيل
٢١) فأري

عليه هذا الخيال لم يبقَ مشفًا بالقياس الى ما وراءهُ وان كان وراء الجسم الشفّاف الصقيل (١ جسم آخر ذو لون أدّى اللون وان لم يكن وراءهُ جسم لم يؤدِّهِ (٢

﴿ المقدّمة السابعة ﴾ اذا كانت النسبة بين الرائي واجزاء المرآة في الوضع نسبة (72) واحدة وكذلك النسبة بين كل واحدة (٣ من اجزاء المرآة وبين المرئي في الوضع واحدة كانت الزوايا التي تحدث من خطوط شعاعيّة تُتوهم خارجة من البصر الى المرآة [ومنعكسة من المرآة (٤ الى شيء (٥ ذي الشبح زوايا متساوية ويكون بمثل (٦ الشكل المرتسم من زوايا الشبح الى المرتسم من الخطوط الشعاعيّة الخارجة من البصر الى المرآة المنعكسة منها الى المرئي مستدير كأنّ (٧ هذا الشكل أُدير على نفسهِ بان يحيط الخطّ الذي بين (٨ الشيء ذي الشبح [والرائي ثانياً الوضع (٩ ويدار عليهِ الشكل لأنّ التجربة [انّما تقع فيما نسبتهُ كنسبة المرئي الى المرآة فقط (١٠ واما كل واحد (١١ من الرائي والمرئي فكشيء واحد غير منقسم فيكون كل واحد (١١ منهما مكان طرف المحور [على المرآة (١٢

فهذه جملة ما يحتاج اليها من المقدّمات [وبراهينها (١٣ مذكورة في علم المناظر (١٤ وشرح الملخص (١٥ (تمّ)

روايات عن نسخة (ن)

١) الصيقل (كذا) ٢) لم يؤدي (كذا) ٣) واحد

٤) هاتان الكلمتان سقطتا من نسختنا وهما في نسخة ن

٥) الشيء ٦) تمثيل

٧) مستديرًا وكانّ ٨) من

٩) هذا سقط من نسخة ن

١٠) كذا في النسخة ن . امّا النسخة الاصليّة فمغلوطة وهي تروى : انّما يقع فيها كلّه على المرآة فقط ١١) واحدة ١٢) للدائرة

١٣) لم تُروَ في النسخة الاصليّة

١٤) المناظرة (غلط)

١٥) في آخر نسخة ن : تمّت الرسالة سنة ١١٣٩ (١٧٢٦م)

المقالة الثانية في قوس قزح

(73) بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انَّ الاحساس بقوس قُزح على ما قالوا يتوقَّف على امور كوقوع الاجزاء الرشيَّة (كذا) الشفَّافة فوق الافق في مقابلة الشمس قريبة من الافق[1] وكونها متقاربة تُرى متصلة وغير متصلة لئلَّا يزل (١. وكونها قدَّام جسم كثيف ينعكس عنها الاشعة الواقعة عليهـا. وكونها (٢ بحيث ينعكس الشعاع البصري من كل واحد من تلك الاجزاء الى الشمس بحيث يتساوى زاوية الشعاع والانعكاس. وهذه الامور كلها يُعلم (تُعلم) بادنى تأمُّل بل بدونهِ الَّا هـذا والامر الذي سنذكرهُ فانهما امران يحتاجان الى بيـان ونحن بعون الله وحسن توفيقهِ نبين كلًّا منهما على وجه لا يبقى منهُ للناظرين حجاب ولا للمبصرين نقاب (٣

اعلم انَّ النـاظر اذا نظر الى كل واحد من تلك الاجزاء ووصل قسم (٤ الشعاع البصري الى جزء منـهُ يحصل هناك زاوية اذ كل جسم وان كان قطرةً كان فيهِ نقطة فاذا وصل طرفُ الخطّ اليهِ لا بُدَّ ان ينطبق على نقطة فيـهِ وبقي نُقطٌ (٥ أُخر فوقهُ وتحتهُ فيحصل زاوية لا محالة تحتهُ منهما احد ضلعيها هـذا الخطّ والآخر نقطة الجسم فهـذه الزاوية الحاصلة هي زاوية الشعاع. وكذا بين كل جزء ايضاً وبين الشمس خطّ مستقيم ضرورة تقابلهمـا. فلا شكَّ في وقوع زاوية بين هذا (٦ الخطّ وبين ذلك الجزء فوقهُ وفي وقوع زاوية اخرى بينهُ وبين الخطّ البصري وهذه لا حاجة هنا اليها

واذا عرفتَ ما ذكرنا فاعلم انَّ الشعاع البصري الواقع على كل جزء من تلك

١) كذا الاصل والظاهر وقوع تصحيف
٢) لعلَّهُ سقط شيء من الاصل نحو قوله: « وكونها كثيرة الاجزاء »
٣) وزاد هنا في الاصل: واما الذي سنذكر فسنذكره اما هذا فاعلم . . .
٤) في الاصل تصحفت الكلمة فروى « قسهم »
٥) في الاصل: نقطة
٦) وفي الاصل: هذه

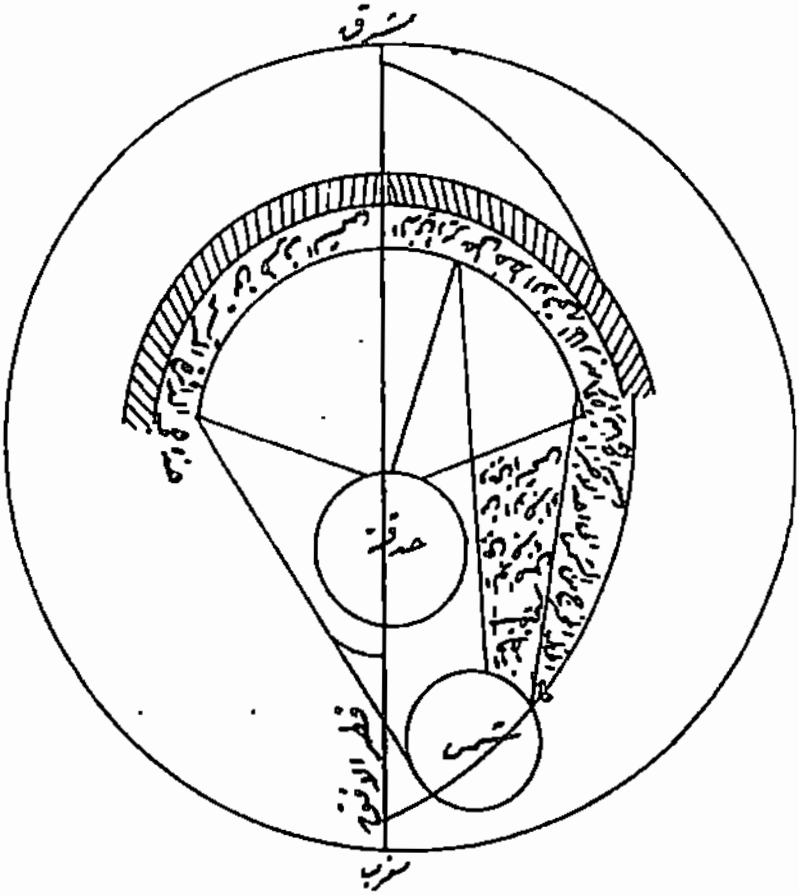

الاجزاء اذا انعكس الى الشمس فعلى قياس ما عرفت يلزم حصول زاوية بين الخطّ المنعكس وبين نقطة ذلك الجزء بلا شبهة . فهذه زاوية الانعكاس . فيجب ان ينطبق الخطّ المنعكس على الخطّ المستقيم الشمسي وزاويتهُ على زاويتهِ وأن تساوي هذه الزاويةُ زاويةَ الشعاع البصري وكونها واقعة على هيئة الاستدارة بحيث لو أدرنا الخطّ الشمسي الواصل الى واحد منها على قطر الافق للارّ بدائرة (74) ارتفاع الشمس لوقع طرفهُ على جميعها . ومعرفتهُ موقوفة على معرفة دائرة ارتفاع الشمسيّ والافق وقطرها ومرورها بدائرة الارتفاع . فالافق دائرة عظيمة تفصل بين ما يُرى من الفلك وبين ما لا يُرى وقطباها سمتي (سمتا) الراس والقدم . ودائرة ارتفاع الشمس وتسمّى

الدائرة الشمسيّة ايضاً (هي) دائرة عظيمة تمرّ بسمتي الرأس والقدم وطرف الخطّ الخارج من مركز العالم الى سطح الفلك الاعلى مساراً بمركز الشمس. فما بين طرف الخطّ والافق هاهنا يسمى ارتفاع الشمس اذا كانت فوق الافق وانحطاطها اذا كانت تحتها (تحتهُ) ولذا تسمّى دائرة الارتفاع وتقطع هذه الدائرةُ دائرةَ الافق بنقطتين متقابلتين حسب انتقال الشمس تسمّى كل منها بنقطة السَّمت. وما بينها وبين احدى نقطتي المشرق والمغرب من الافق يسمى قوس السَّمت ولظهورها بها يُسمى الدائرة السَّمتيَّة. والقطر خطٌ ينصف الدائرة. وما يقسمها مُنصفاً او لا فهو وَتْرها. فقطر الافق المارّ بدائرة ارتفاع الشمس (هو) الخطّ الواصل من نقطة السمت الى نقطة السمت

واذا عرفتَ هذا عرفتَ ما قلنا « بحيث لو أدَرنا الخطّ ... الخ (١» فاذا تمّت الامور ونظر الانسان الى تلك الاجزاء انعكست الاشعة منها الى الشمس ويؤدي كل منها ضوءها دون شكلها لصغرها فيرى قوساً قريبة من نصف دائرة مختلفة الالوان لاختلاف ضوء الشمس مع اللون الظاهر من تلك الاجزاء كما هو معلوم من النظر الى المرآة الملوّنة

فهذا هو البيان الاجمالي الكافي المناسب لما التمس الاخوان ومن اراد الزيادة فعليه بممارسة الكتب. وان اردت ان ترى ما ذكرنا رأي العين فعليك بمطالعة هذه الصورة (ص ٧٤٣) تقف عليها بقدر ما يمكن ان يتصوّر في السطح. وأدِم النظر اليها فانك كلما زدتَ نظراً وامعاناً زدت (زادت) حسناً واحساناً (واستحساناً). هذا ما قالهُ الحكماء على ما اشرنا اليه. واما نحن فالاولى بنا ايها المتشرّعة (؟) ان نضرب (75) عن امثال ذلك صفحاً مع انهم قالوا (٢: ٥ لا ينبغي ان يقال لقوس السماء قوس قزح فان قزح اسم الشيطان » . والله الهادي الى سداد الطريق لمولانا حسام الدين انعم الله عليه

١) هنا المؤلف يشير الى قوله السابق (ص ٧٤٣ س ٤-٦)
٢) يروى هذا في كتب الحديث الاسلامي

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (تابع)

ثمَّ بهذا الغضون تحرَّك الامير بشير على حاكم بعلبك الامير جهجاه وقصد يأخذ منهُ قرية الكرك القريبة لقرية زحله. والكرك المذكورة كان اخذها الامير يوسف شهاب وعمرَّها. وكان يصل لهُ منها نفع كبير. فحينما انعزل المذكور ثمَّ قتلهُ الجزار استخلصها الامير جهجاه وهدم منها كل الاماكن التي بناها الامير يوسف وبعده تركوها بيت شهاب لعدم استقرارهم بالحكم بزمان الجزار . ثم حينما اتحد اهل البلاد واظهروا العصاوة على الجزار وطال الامر الى حين مات فكانت هذه القرية التي هي الكرك دايماً متصورة في عقل الامير (193) بشير ويجي في باله اخذها. وانما جرجس باز ما كان يمكنهُ اربه ويمنعهُ عنها لان جهجاه بينهُ وبين جرجس باز صداقة كبيرة. فالان حيث قتل فما عاد مانع

فتحرك الامير لنوال مرغوبه. فاولاً كتب الى امراء بيت مراد يجمعوا عسكر وينهبوا قرية تمنين من حكم بعلبك. فنهبوها تماماً . وهؤلاء بيت مراد بينهم وبين جهجاه عفونه (عداوة) قديمة. وبغضون ذلك ارسل الامير حسن اخو الحاكم الى بيت حماده متاولة في جبيل وهم اعداء جهجاه لينهبوا بعض مزارع شمال بعلبك ورأس بعلبك ايضاً. ولهذا دخل الوهم على جهجاه وشاف عين الغدر من الامير بشير. وبوقتهِ انعزل ابراهيم باشا من ولاية الشام وتولى كنج يوسف. وحاصل توفيق من المذكور بارسال خلاع حكم بعلبك لجهجاه وصار المذكور في حيرة زايدة ووجل واضطراب. وفكر ان يرضي الباشا كيف كان نوعاً ويأمن على نفسه

وهو بهذا الفكر ومقدم للباشا ولسطة اذ شاع وصول مراسيل الامير بشير للشام واعراض للباشا بطلب حكم بعلبك. وبعد ان الوزير ارتضى بارسال الخلاع لجهجاه تغير خاطره وتوقف. فحينما بلغ جهجاه ذلك كبر الوهم عليهِ وصار في حيرة ما لها مصرف. وحالاً نقل هو واخيهِ واعيالهم الى بقعة بسهل البقاع في اراضي بعلبك

وجمع رجاله وصار يشالش من نار الدم. وكتب الى معتمده بالشام بان يدفع للوزير مهما طلب. وارسل عرضحال للوزير يعلمهُ بما عمله الدروز من النهب والسبي وزاد بالكلام. وارسل حرم واولاد ولطخ ثيابهم بدماء الحيوانات. دعواه ان الدروز وبيت حماده شلحوهم وجرحوهم وعلّمهم ان يبالغوا للباشا بما حلّ بهم

فلمّا نظر الباشا بهذه الاحوال غضب وتغير خاطره على الامير وارسل يتهدده ان لم يرجع كلما انتهب والّا يحضر بنفسهِ لزحاه يحرق ويخرب ويقتل ويصير شيء لا خير فيه. وانهُ يرفع قارشه (193) عن بلاد بعلبك تماماً

فلمّا وصل البلردي الى الامير تحسب من حدوث شرّ بينه وبين الباشا وبالاخص ان الباشا معين عساكر كثيرة لاجل مصالحه. فخاف الامير على اراضيه بالبقاع من دعس خيل العسكر. فحالًا حرر الجواب بالايجاب وكتب الى امراء بيت مراد يرجعوا كلما نهبوه من تنين وكذلك يحرر لاخيهِ يامر بيت حماده برجوع النهب الذي نهبوه. وتمّ ذلك بالممكن

وحينئذٍ ارسل الباشا خلعة الحكم للامير جهجاه واخذ روح نوعاً. غير ان المذكور ما لهُ اركان بالشملي وحالهُ ضعيف لا يقدر على مقاومة جبل الدروز. فقصد يأخذ رضى الامير بشير وهكذا لا يمكن يتم الا باعطاه الكرك. وبعد مراسلات كثيرة وكلام كثير وقليل ما امكن يرتضي بالصلح الّا بقرية الكرك تكون لهُ ملكاً. واقتضى ان جهجاه سمح بها غصباً وقهراً وكتب حجتها وارسلها للامير بيماً شرعياً صحيحاً وتحررت باسم ابناء الامير قاسم وخليل وامين. ووكل فيها نعمان بلوكباشي وصارت يد الامير جهجاه مرفوعة عن هذه القرية كليًّا ومضى امرها

ثمّ بهذه الايام تغلظ الامير على امراء صليا وسبيهُ بلغ الحاكم ان احدهم حسن جاء لهُ مكاتيب من الياس باز الذي حضر من طرابلس للشام. فارسل الحاكم يطلب المكتوب لينظر مضمونهُ. فنكر ان ما فيهِ شي بل شرح براني. واعتذر انهُ حين قواه شرمطه. فتزاول الحاكم (اخذه الرب) من ذلك وارسل ولده الامير قاسم مع خيل وزلم نحو خمسين نفر. فقبل وصولهم هرب الامير حسن لقاطع بكفيا فتواسط السادة امراء للتن وبعد الجهد انقطع الجرم على المذكور واخوته مبلغ وبما مع الكلف يبلغ خمسين كيس

وبعد ايام مسك الحاكم احمد العزير متوالي كان شوباصي على قرية شمسطار من قرايا بعلبك تخص اولاد الامير يوسف وضبطها الامير بشير وجاب (194ᵃ) الشوباصي ووكاه بالقرية كما كان. ففي هذه المدة حصل على المذكور وشاية انهُ عمال يكاتب الياس باز والخاش كتابة من المذكور الى المتوالي شرحهُ مفسدة وعبارات ردية تخص البلاد. فبالحال احضره الحاكم وقصد يقتله فتشفعوا فيهِ انما ضبط جميع ارزاقه. ثم ان الحاكم قصد يقتل الياس باز ولو كان بالشام. ولكن دخل واسطة بجلب رضى الامير عليهِ وتم ذلك. وحضر المذكور لدير القمر واجه الحاكم واشهر خاطره عليهِ وعين لهُ مصروف يكفيه. وكذلك حضر عرب الشلفون والياس اده اصدقاء بيت باز واشهر رضاه عليهم وطمنهم وذهبوا لبيوتهم

ثم بهذه السنة بعد نهاية مادة بيت باز والامارا. بايام قليلة ابتلي الامير حسن اخو الحاكم بمرض ردي وهو داء الرية وانما في ابتداه بواسطة علاج الحكماء والمداراة كانت اعراضه خفيفة. ولكن فيما بعد اشتد عليهِ وقاسى الاهوال لان مرض الرية مخوف ونقدر نقول ان الذي صار لهُ فهو قصاص من الله تعالى. لان الذي عمله فهو غير مرضي للرب. وبالنتيجة انهُ استقام بالتشويش نحو ثمانية شهور وقاسى اوجاع شديدة حتى انهُ كان يتمنى الموت. وفي شهر اذار تلف حاله وطلب اخيهِ الامير بشير فحضر لعنده لجبيل لان الحكماء شاروا بذهاب المريض لجبيل المناخ اوفق من غزير سيما بوجود الايام الباردة. وهذا صار لامر يقع منهُ اعتبار ان الناس تخاف الله وتخشى قدرته الالهيَّة وانتقامه بنوع العمل. لان هذا الامير حضر لجبيل واستقام بالبرج الذي كان قطن فيه عبد الاحد باز. وحين قرب موته صباح الاربعا في ثمانية عشر اذار سنة ١٨٠٨ موافق شهر صفر سنة ١٢٢٣ فمن الضيق صار يشالش وقام من فراشه وانحدف للطاقة الذي كان ارمى حاله منها عبد الاحد باز . وقصد يرمي نفسه. فركض الغلمان منعوه . وبعد برهة وجيزة مات وذهب للاخرة . وكان ذلك بعد عشرة شهور واربعة عشر يوماً من قتل جرجس باز واخيه فما كمل السنة. وانقم عليهِ الامير بشير غمًّا عظيماً. ثمَّ نقلوه لغزير وعمل لهُ (194ᵃ) مناحة عظيمة ودفنوه في تربة ابائه. ثمَّ اعطى نظام وجعل ناظرًا الامير قاسم عوض عمه لان اولاد المانت كانوا صغار والمدبرين معهُ اولاد الدحداح. ثم ذهب لدير القمر مقرّ حكمه وقيل ان

حسن اوصى اخيه قبل وفاته بان يرجع لابناء الامير يوسف رزقهم المظبوط ورجع بعض الرزق للمذكورين ليس كافٍ

ثم في سنة ١٢٢٤ (١٨٠٩ م) ابتدا بالمناكدة يوسف باشا والي الشام بعد رجوعه من حصار القلعة واخذها وطرد مصطفى برير في طرابلس. وكانهُ صار مستعز في نفسه ومقتدر فقصد يعطي نظام في اراضي حكمه. من الجملة يرجع المالكانات والاراضي بالبقاع الواضعين يدهم عليهم الامير بشير وجنبلاط. واتصلت الامور بينهُ وبينهم وسليمان باشا تواسط بينهم وحصل مراجعات كثيرة وهو لا يهجع من مشروعه. وطال الحال واقتضى ان سليمان باشا يشكوه للدولة. واخيرًا انقضت معهُ الامور بعزلهِ من ولاية الشام وجاء المنصب الى سليمان باشا المذكور في سنة ١٢٢٥ (١٨١٠ م) وصورة ما صار مقرّر باطن كتابنا هذا

وراقت الاحوال وصار الامير وجنبلاط يعملوا كل ما يريدوه واحكام الجبل استكنت والامير حصل في حرية كاملة ما من يناكف ولا يراجع. ومضى ايام كثيرة الى سنة ١٢٣٤ (١٨١٨ م) مات سليمان باشا والي عكا ودفنوه بالجامع فوق احمد باشا الجزار. وصار وهم عظيم عند حاييم وخواص الباشا بسبب مماليك الجزار الذين هم متسلمين في صور وصيدا وبيروت وغيرهم. واما محمد اغا ابو نبوت فانهُ كان في يافا متسلم وحين تلف سليمان باشا عمل حيلة عليه حاييم وطرده من يافا. وكذلك علي اغا انفاه من بيروت لتبرص. وبدا حاييم المذكور يجتهد بالكتابات لاسلامبول في احضار منصب عكا الى عبدالله بك ابن (195') علي باشا. وبعناء وتعب حتى رضيت الدولة بقيام المذكور. وهذا كان حدث السنّ ولكن فهيمًا جسورًا وحاييم اعتنى فيه جدًّا. وكان يحبهُ كحب ابوه لهُ وظن انهُ يسود ويعيش مطمأنًا ويحكم بالناس مثلما يريد ابلغ من زمان سليمان باشا. وهكذا باقرب الايام ورد المنصب وتولى عبدالله باشا الحكم بكل حرية وراحة. وحال الجبل بقي كما هو بالاحكام وغيرها لكون الباشا المذكور محجوز ما يمكنهُ يبتّ امرًا او يعمل شيئًا من دون ارادة ورضا حاييم المذكور

ثم دخلت سنة ١٢٣٥ (١٨١٩ م). ففي اواخرها ظهر من عبدالله باشا امور مغايرة وبغضة لنحو حاييم ومداقفة بجملة اشياء في ابطال ورفض امور بالاحكام

تصدر من حايم. وكان ملازمين الباشا مسعود الماضي شيخ ضيعه رجل ردي صاحب حركات وملاعيب. وكذلك غيره اناس اردياء وهم يبغضوا حايم. وصاروا يفهموا للباشا اموراً يتوسوس منها ويهونوا عليه امور الاحكام ويبعدوه عن حايم. والباشا من كونه حدث جاهل سمع كلامهم وحسن عنده اشوارهم. وصار يداقف حايم ويراجعهُ بكل مادة. واتصل للمطاولة معهُ بكلام قبيح ومهين. وحايم انوهم ما هذا التغير وجاهد كثيراً حتى يتلايم عليه بتركه هذا الحمق. وما كان يصير فايدة لا بل يزداد شراً ورداوةً في حقه. اخيراً لما اشتدت البغضة بينهما صار المعاومين يزيدوا النار

ثم حسنوا للباشا ان يقتل حايم حيث انهُ ما كان يرتد عن الحضور للخزنة ولا هو مفتكر في عزارة الباشا لهُ. ويفكر انهُ عرض ويزول حيث انهُ مربيه ويعرف سريرته. وثانياً لا بد يرجع لعقله بتصوره النعمة التي هو فيها ولولا سعي حايم ما حصل عليها. وهذا شيء اكيد ما فيه ريب. ولكن على ما يبان ان هذا صار بسماح الله تعالى وهو لغايات من الله تعالى لا ندركها. وبالنتيجة ان الامور تزيد يوماً بيوماً الا انهُ يوماً بعد (1957) العصر حضر الكيخية مع جماعة من خدام الباشا الى خان الافرنج الساكن بهِ حايم واحدروه باهانة لدهليز الخان وبالحال خنقوه وحملوه لجهة البحر ووضعوه في قارب ورموه في ناحية معاومة بالبحر. وثاني يوم قذفه البحر وجدوه على حافة الشط. فصدر الامر يرجعوه ثانياً بالقارب الى ما هو ابعد ويعلقوا في رقبته حجراً ثقيلاً. ورموه واكلهُ السمك وما عاد ظهر ابداً ولا الاثار الى يومنا هذا. ثم من بعد قتل حايم المذكور انفرد الباشا بالاحكام وصار يعمل بعقله ما يريد. اولاً حسن عنده ينشي عدل وسمعة جيدة. فاصدر امر برجوع كل رزق وملك الذي كان ضبطه الجزار بنوع الظلم وذلك في عكا وصيدا وبيروت وكل جهة في حكمه. وبعض الناس استولوا على بيوتهم. ولكن ما طال هذا المشروع لان الباشا ابطل ذلك وابتدأ ينشي المظالم ويفرض مال على اسلام ونصارى وما من يشفع ولا يدفع وضاجت الناس جداً. ثم التفت الى الجبل وطلب من الامير بشير مبلغ مال بخطاب قاسي ممتلي تهكم وكلام جبر. ولما راجع واعتذر الامير اظهر الباشا غضبهُ الشديد وصار يتكلم بحق الامير كلام ردي موجع. وطاشت الامور بينهما وحينما فهم

عامة الجبل انحراف الباشا على الامير قاموا جميعاً ضد الامير مما قاسوا من ظلمه بالمدة السابقة. وبلغ الباشا هيجانهم فما غث عليه. لا بل انهُ ارسل لهم كلاماً مع واسطة الذي جعلهم يطمعوا اكثر . ومالوا الى ناحية الامير سليمان شهاب ومرادهم يولوه عليهم حاكماً

ولما فهم الامير والشيخ بشير جنبلاط قوّة هذا الشر وبغضة الباشا لهم قاموا من البلاد وراحوا لحوران. واقتضى ان الباشا ارسل خلعة الحكم للامير سليمان وايضاً للامير حسن شهاب بن علي

ثم ان الباشا استولى بعض اماكن بالسواحل وهم تبعاً لمقاطعة الجبل. رفعهم من دفتر الجبل وهما اقليم الخرنوب لحد دير المخلص وكامل القرايا التي هناك. ثم وغير محلات في بر صيدا. وولج يوسف اغا من اتباعه (196') يحكم بهم ويستولي الميري وخلافه. وحيث ان اهل الجبل شاكين من المظالم التي سبقت وان حالهم صار مضمحل والباشا مراده مال لان الدولة طلبها متصل والتدبير عاجز في عكا لان الباشا احمق وولد وتدبيره خايس وكل يوم يطلب مال من الاماره والمذكورين ما هم عارفين كيف يتصرّفوا في حكمهم. وطالت الايام والامير بشير والشيخ بشير ذاقوا مرايرالصبر في خطرتهم هذه ومقدمين وسايط للباشا. وبعده نظر الباشا انهُ لا يرتاح مع الجبل فارسل لهُ كتابة انهُ يحضر. فحضر حالاً وضبط حكم الجبل والاماره المذكورين لزموا بيوتهم وراق حال الجبل عن الاول

ثم دخلت سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠ م) تحركوا اليهود بالشام اخوة حاييم وابن عمهم سلمون بالانتقام من عبدالله باشا والي عكا بسبب قتله حاييم

وبغضونها كان والياً بالشام درويش باشا فابتدوا يحركوا الشرور واعرضوا للباشا عن اختلاس مالكانات بالبقاع وظبطهم الامير بشير والشيخ بشير. وحسنوا للباشا يباشر امر رجوعهم لاصحابهم. فصار انهُ ارسل عسكر وكبس القرايا المختصين بالامير والشيخ ونهبوا الفلاحين وصار قتل ايضاً. فاعرض المذكورون لعبدالله باشا والمذكور كتب لدرويش باشا بخصوص ذلك ويرفع قارشه عن هذه الاماكن . وانهُ يتدبر مع الدولة. فدرويش باشا ما اقتنع بل زاد بالانتقام والشر. اخيراً حسن برأي عبدالله باشا انهُ يحارب درويش باشا ويطرده من الشام. ونظراً

الى ملازمته الى حايم منذ حداثته وكان يتطلع على كتابات الدولة وامور الاحكام فالّف فرمان مصطنع بظروفه الكاملة عنوانهُ انهُ منصب الشام جاء لهُ ودرويش باشا معزول. واحضر عبدالله باشا الامير بشير وافهمه مضمون الفرمان انهُ جاء لهُ من الدولة على التحقيق وامره بان يقوم للشام ويحارب درويش باشا ويطرده من الشام. وعين لهُ عسكر عشلي وكاتله عسكر جبلي. فانطفى الامير من كلامه وصدّق (196') مقالهُ وقام بالعسكر وجاء لارض المزه ودرويش تعجب من ذلك اعدم علمه عن شيء من طرف الدولة. لا بل اعلام الدولة متصلة لهُ. ولكن اقتضى على انهُ يعين عسكر لمحاربة الامير ومن العجلة ما امكنهُ يجمع عسكر كثير فالذي قدر جمعهُ بوقته واطلعهُ للمزه وحصل الحرب بينهم وظفر بهم عسكر عكا والجبل وقتل مبلغ من الجهتين

وبغضون ذلك وصل مصطفى باشا للشام والي حلب. (منهم) من يقول ان حضوره بطلب درويش باشا وغيرهم يقول بامر من الدولة لان في ابتدا الشر اعرض درويش باشا للدولة عن تعدي عبدالله باشا وكلامه الغير مرتب. وانما الوقت قصير كيف كان. والغاية حين وصل مصطفى باشا للشام ونظر الموقعة الردية التي حصلت والامير وعسكر العشلي لا زال باقين بالمزه بعد الوقعة ولكن قرية المزه انتهبت من فلتة العسكر. فحسن عنده يراسل الامير بشير ويسألهُ عن حضوره على اي صورة وان كان معهُ اوامر من الدولة يظهرها عياناً. ثم صار يبرهن ويحقق ان الدولة راضية جداً عن درويش باشا وتقدم لهُ شواهد كثيرة. فتوجه الواسطة واختلى مع الامير ومن بعد ما افهمه كلام الباشا ثم كلمهُ سراً ان الدولة متغيرة جداً من نحو عبدالله باشا من ظروف وشواهد كثيرة. فانتبه الامير وصار في دهدار كبير. وثانياً ان مصطفى باشا جاب معهُ عسكر وبسبب الوقعة صدر كتابات لكل جهة باحضار عساكر. والامير دخل عنده شبهة ومزاولة لئلا تكون احوال عبدالله باشا فارغة فبالحال قام الامير بالعسكرية من المزه وراح نواحي حاصبيا واعرض الى عبدالله باشا بما صار وعمّا سمعهُ من مصطفى باشا. فجاء الجواب انهُ يقوم للجبل. وما عاد بان شيء عن طرف عكا ولا من درويش باشا. وانما المذكور اعرض للدولة واخبرهم بكلما صار من (197') التعدي وعن خراب قرية المزه. وحينئذٍ اشتهر

غضب الدولة على عبدالله باشا وصدر الامر بعزله من ولاية صيدا. وجاء امر الى مصطفى باشا يكون مساعد والي الشام

ثم أمر الى ابراهيم باشا والي ادنه يقوم للشام مساعد ايضاً. وجمعوا عسكر كفاية وتوجهوا للبقاع وعبدالله باشا ما هو مفتكر كثير ولا هو مبالي فتحصن في عكا واعتمد الحصار. ويكتب للامير يحافظ بالجبل ويمسك الطرقات واعتمد ذلك انهُ يكون متحد مع عبدالله باشا غصباً لشأن تعديه في وقعة المزه. ولكن الشيخ بشير جنبلاط حسب حساب كبير اذا كان يخالف امر الدولة. فصار يشور على الامير يترك عبدالله باشا ويتحد مع الوزراء ويعملوا طرايق مريحة. فالامير ما سمع منهُ ومصرّ على عزمه مع انَّ بوقته كان يرتاح بكل ما يرغبهُ. لان درويش باشا داخل عليه الوهم من حال الجبل. واذ كان الشيخ بشير على كل جهده مع الامير وما افاد ثم اظهر لهُ خاطره انهُ يقدم الطاعة للعثماني ولا يمكنهُ يضادد

فلما شاف الامير هذا الحال خاف من تعرض الاهالي عليه فكتب لعكا وطلب انهُ يحضر بيروت فجاه الجواب لا بأس وارسل لهُ مركب ذخيرة لبيروت وامرهم باكرامه ويفرغوا لهُ القناق الذي يريده. وقام الامير من دير القمر برضى مشايخ البلاد ما احد تعارضه وذهب معهُ نحو ستون سبعون نفراً من خواصه وخدمه. ونزل بحرش الصنوبر خارج بيروت. لانهُ حسب خيانة اهل بيروت. لان درويش باشا ارسل لهم اناس خفية يعلمهم اوامر الدولة وانهم يكونوا خاضعين. وهم يرغبون ذلك ولكن خايفين من عبدالله باشا ومنتظرين النهاية. فالامير تحسب منهم فاستقام بالحرش وصار يستجرّ الذخيرة من المدينة

ثم ان الشيخ بشير بشوّر ورضى مشايخ البلاد انتخبوا الامير عباس شهاب ليكون حاكماً عوض الامير بشير. وذهبوا جميعاً للبقاع لمواجهة درويش باشا الذي ترحّب فيهم واكرمهم ولبس خلعة فاخرة للامير عباس يكون حاكم الجبل ويكونوا (197) مطمانين من ساير الوجوه. ورجعوا مسرورين

فلما بلغ الامير بشير بما حصل عزم على الذهاب لمصر وولّج رجل افرنجي اسمهُ اوبين يستأجر لهُ مركب افرنجي لدمياط من بيروت سرّاً. وبالحال قاولوا مركب بخمسة عشر الف غرش وارسله لقرية الناعمة ليلاً وقام الامير للناعمة. وقبل طلوع

الضوء نزل بالمركب واخذ الذي اراده من جماعته والباقي رجعوا لمحلاتهم . وبوصوله لدمياط راح العلم لوالي مصر . فجاء امر انهُ يذهب الى قرية معلومة لحين يطلبهُ ومضى الامر

ثم ان الوزراء المعلومين قاموا بالعسكر لعكا وعبدالله باشا سكَّر بوابات المدينة وصار مراسلات كثيرة بان يسلم لعكا ولم يصر فايدة . وبقي العرض ايام كثيرة ودخلت الايام الباردة وابراهام باشا مرض وتوفي . ومصطفى باشا انكرب جدًّا من قذارة المكان الذي هو فيهِ . ونظر عدم الافادة باخذ عكا . الَّا انهُ كان في مدة ايام طويلة ومن ضجره وصغر نفسه كان يشكي من ضجره لبعض من يلقي لعنده من اهالي تلك الاماكن . فصح من قرر لهُ ان كل الذي صاير ويصير هو بسعاية سلمون اليهودي وتدبيره الملعون . والقصد بذلك يأخذ ثاره من عبدالله باشا في قتله حايم وهذا هو السبب لا غيره . ويريد خراب البلاد والعباد لشأن تنفيذ مرامه

فالباشا انغم غمًّا شديدًا وكبر عليهِ الوهم من موت ابراهام باشا وعن الكدر والقرف الذي هو فيهِ بالاراضي فقام على حمية وراح لعند درويش باشا في صيوانه وصار يتفاوض معهُ بهذه الامور . وربما اظهر ملامه على سلمون والباشا يبرره لانهُ كان يحبه ويميل لتدبيره . فطلبه مصطفى باشا وصار يعاتبه ويسألهُ عن اصول هذا الشر وكيف حتى وصلت الامور لهذه الحالة المسرة المكربة . فصار سلمون يظهر انهُ ليس لهُ علم عن شيء . ولا اشار بشيء . بل شراسة عبدالله باشا ولدت كل هذه المساوي . واما هو فبري من كل تهمة . فراجعه مصطفى باشا واظهر لهُ براهين وشهادات كثيرة التي تؤكد ان كل ما جرى هو بتدبيره . ودرويش (198r) باشا صامت ما تكلم كلمة واحدة . اخيرًا انحنق مصطفى باشا وما امكنهُ يحتمل مداورة سلمون . فقام ومسك بصدر سلمون وقال لهُ : ان كل الغضب منك وعمال تتلاعب بالوزراء ولولا خاطر الذي قاعد لاضربك بهذا الخنجر ارمي مصاريفك للارض . شتمهُ كثيرًا ولرماه للارض وخرج لمكانهُ . ودرويش باشا ما احكى شيئًا بل امر يحملوا سلمون الى خيمتهِ الذي كان غمي عليهِ من الوهم . وثاني يوم وقع في حمى ودية وجابوا لهُ حكيم يهودي من ابو عتبه وحكم بالفصاده . فما ارتضى واشتدت الحمى وفي ليلة الاسبوع

مات ودفنوه في ابو عتبه وراح من الدنيا وما استفاد شيئاً غير الاثم والخطا وقصر الأجل

ثم ان الباشا والي الشام ارسل احضر روفاييل فارحي الصرّاف من الشام لاجل التدبير عوض سلمون. فبعد ايام قليلة ورد فرمان بعزل درويش باشا من ولاية الشام وذهابه لاكطاهيا. وان مصطفى باشا يكون مقيماً بالاراضي لامر ثاني يحضر لهُ من غير حرب ولا قتال. وبعد ايام حضر امر من الدولة بقيامهِ من حصار عكا ويحضر الشام والياً بها. وشاع الخبر ان الدولة رضيت على عبدالله باشا بواسطة محمد علي وجاء لهُ استقرار بولاية صيدا. واصلاح حال هـذا الباشا كان بوسيلة الامير بشير لان ذهابهُ لمصر كان توفيق عظيم ومحمد علي دائماً يفتش على صالحه. واذ كان حصل على غاية العز والجاه والذي حصل فيهِ ما صار خلافه فوجود الامير بشير عنده صار منهُ نفع كثير لمحمد علي. وربما عمل معهُ رابطة سرية في اخذ بلاد سوريه وانهُ يكون مساعداً لهُ. واذا كنت تعترض وتقول ان بعد حضور الامير من مصر بزمان حتى بدا امر اخذ سوريا. والحال انهُ بوقتهِ كان ابراهيم باشا بالمورا ومشغول الفكر من اشياء كثيرة. وبالنتيجة ان الامير حصل لهُ كرامة زايده من والي مصر وبواسطته انتهت مادة عبدالله باشا

وحضر الامير لمكا في شهر رمضان بحرية الكاملة. حتى ان الباشا ما كان يراجعهُ عن شيء. ومهما اراد يتم من غير مانع وطلع للجبل بموكب عظيم والامير عباس ترك الحكم وتوجه لبيته (198) بكل سلامة. اما الشيخ (فانهُ) يرغب يلازم الامير بشير حكم القديم ظناً منهُ ان الامير عذره فيما عملهُ. والحال ان الامير خلاف لان الامير مشغول منهُ جداً. وحين قابلهُ اخذ يده ليقبلها فنفر منهُ

ثم حين وصل نهر القمر وجاءت الناس تسلم عليهِ وجنبلاط من جملتهم فما اعطاه وجه كلياً. وبعد كم يوم ارسل طلب منهُ مال حسب امر عبدالله باشا. ويوصي لحواليهِ يعملوا ثقلة وظهر الغبن والاشمال وشيء ليس لهُ مداواة القلوب نفرت. واقتضى الشيخ نزح من البلاد. غاب اياماً ورجع فات على امارة المتن وطلب منهم يتحدوا معهُ في محاربة الامير ويطردوه من البلاد. فمنهم رضيوا معهُ. ثم وصل الى المختاره والتف اليهِ الامير عباس والامير سلمان والامير فارس شهاب وعلي عماد وما

يتبعهم وجملة دروز ونصارى حتى صاروا جمعاً غفيراً. ومن المتن جاء الامير عساف وغيره ايضاً والامير بشير حصل باضطراب كلي. فارسل طلب من عبدالله باشا عسكر وطرح صوت بالجبل. فحضر جانب عسكر وحضر الامير حيدر من صليما وايضاً باقي الامارة وعسكر من قاطع بكفيا ومن بيت شباب. وطلع الحاكم الى سهل السمقانيَّة وابتدا الحرب فيما بينهم

وكانت حروب مشومة جداً وكان الوقت بارداً في عز ايام الشتاء. اخيراً اشتدت الامور بينهما ووقع الحيف على عسكر المختارة. وحيث النيَّة ردية فطردهم عسكر الامير ولحقهم بقوَّة. اناس يقولون بالنهار (ومنهم) من يقول ليلاً. وظفروا بهم ويتراكدوا من قدامهم حين الوقعة الاخيرة. ومنهم ارموا حالهم بالنهر الذي كان طايف بوقته وماتوا

فلما نظر الشيخ والاماره هذا الحال ايقنوا بالهلاك فهرب الاماره لجهة كسروان وجبيل وبشير جنبلاط وعلي عماد وجماعتهم هربوا لجهة حوران والثلج نازل عليهم. وبالحال كتب الامير لعكا صورة ما توقع وترجى الباشا ان يكتب لوزير الشام مصطفى باشا بان يمسك المشايخ في حوران. والعجب انهُ كيف صارت العجلة بتنفيذ المقدور لان المشايخ لما (199') ما بلغوا حوران والكتابات وصلت لعكا وللشام. وحالاً توجه عسكر من الشام نحو ستماية نفر خيالة لحوران وصادفوا المشايخ وتحارفوا في مسكهم من غير شلش وطلبوا يدخلوا بوجاق الدالاتية ولبسوهم ألبق وجابوهم للشام. وقبل دخولهم رفعوا الالبق عن رؤسهم

وبوصولهم للصرايا قبل غروب الشمس بساعتين نظرهم مصطفى باشا فصدر امره بقطع راس علي عماد وارسلهُ مع خيال لعكا. البايز ان التدبير هكذا. ثم اخذوا الشيخ بشير لعند الباشا وهو بحال الخوف فوبخهُ عن عمله وبعده سجنهُ بالقلعة وحصل في كرب شديد. وبعد ايام طلبهُ عبدالله باشا والامير بشير صار مضطرب جداً من وجود الشيخ في عكا. فكتب الامير الى محمد علي والي مصر ان يلاحظ هذا الامر المهم ويترجى الرجا الكلي ان يكتب لعبدالله باشا يعدم الشيخ. وهكذا تم بوصول العلم من مصر خنق الشيخ بشير وشيخ من بيت عماد ورماهم خارج البوابة. وثاني يوم نظرهم الناس بحال العري طبّ على وجوههم بحال مهين. وبعد حين امر

بدفنهم . وزال مجدهم وشرفهم والباغي تدور عليه الدواير وكل لهُ دور يصالهُ ولو بعد حين

ثم علي جنبلاط ابن حسن فهذا حين الكون (القتال) حكمهُ رصاص هايف . فاخذوه جماعتهُ الى قرية ليداوره فات والاماره الهاربين ضاق بهم الفضا فجاوزوا البلاد والحاكم يفتش عليهم . فنظروهم في قاطع المتن فسكوهم واخذوهم لدير القمر . وهم الامير عباس وسلمان وفارس من بيت شهاب فحاشهم الامير في اوضة . ثم مساء ارسل لهم بلوكباشي وجماعتهُ كتفوهم واعموا اعينهم بشيش حديد محمي بالنار . ثم بعد عماهم ما شفي قلب الامير بشير منهم بل امر بقطع السنتهم ايضاً . وهذه انعدت قساوة وحشيّة . لان القتل اهون من هذا العذاب . فبعد ما قطعوا السنتهم طلب ينظر ذلك فجابوهم لهُ في صحن فوجد منهم لسان قصير قطعهُ ما هو كامل . فتخلق على الباوكباشي وامره بان صاحب هذا اللسان يقطعهُ مليح . وهكذا تم الحال في هؤلاء المساكين وباتوا بالسجن تلك الليلة (199) يا لها من ليلة سودا وثاني يوم اخذوهم لبيوتهم وهم عميان خرسان . وكان الناقص يُسكب رصاص في اذانهم فيصيروا طرشان ايضاً . وهذا الذي صار بسماح الله تعالى وهذه الحادثة صارت في سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م)

ومن بعد ذلك حصل الامير بغاية الراحة وضبط رزق الشيخ بشير جنبلاط . ثم هدم بيتهُ المعتبر ونقل جميع الرخام والبلاط والاخشاب وكل الآلات الموجودة بالمهار وصار البيت خراب . وربنا متكلف عليه الوف من الف كيس . واولاده وحريمهُ هربوا لحوران . وبعده الاولاد الكبار حاشهم الباشا في عكا وبعده ماتوا في عكا . قيل بالطاعون والاثنين الباقين احدهم راح لاسلامبول والثاني تعين في دولة مصر

تاريخ هجو في موت الشيخ بشير جنبلاط

ان المهيمن باستقامة امره بالعدل جازى من تفاقم شرهُ
واماتهُ الموت المريع لبغيه قتلاً بحدّ السيف ومحى ذكره
في حيث والده موسد جسمهُ في ترب عكا التحق في اثره
ما زال دايم الدهور مخلدا ابو ناكر ونكير ساكن قبره

في شهر شوال المبارك قد اتى خير المرأة في نهاية عمره
وهلاكه نفساً وجسماً مؤرخاً بجفير نار للعباد وحشره
١٢٤٠ (لهُ بقية)

ميمر
لتادرس ابي قرّة
في وجود الخالق والدين القويم

توطئة

بين مخطوطات دير الرهبانيّة الحليّة التابعة للروم الملكيين الكاثوليك في دير الشير نسخة من ميامر اي مقالات « تادرس » او ثاودورس ابي قرّة اسقف حرّان الشهير الذي تولى طبعها حضرة الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلّصي في مطبعة الفوائد سنة ١٩٠٥ بعد نشره في المشرق (٦ (١٩٠٣) : ٢٢٢) ذاك الميمر الفريد الذي عنوانهُ صحّة الدين المسيحيّ. وكان حضرتهُ استند في طبع هذه الاثار الجليلة الى نسخة مخطوطة تُصان في دير المخلّص تاريخها سنة ١٧٣٥ منقولة عن نسخة قديمة في دير مار سابا السيق قريباً من القدس الشريف كُتبت سنة ٦٥٥٩ لآدم اعني ١٠٥١ للمسيح في جبل اللكام فوق انطاكية

وفي سنة ١٩٠٨ اذ زرنا في دير الشير تلطّف حضرة رئيسه المفضال وسمح لنا بمطالعة مخطوطات مكتبة ذلك الدير القديم فوجدنا بينها كتاباً يشتمل مجموعاً لميامر ابي قرّة فنقلنا فهرس تلك الميامر لنعارضها بالميامر المطبوعة لعلّنا نجد بينها ما لم يُنشر بالطبع. فلم يخب املنا. ودونك نتيجة هذه المقابلة

هذه النسخة المباركة خالية من التاريخ وانّما يُستدلّ من ورقها ومدادها وكتابتها انها من القرن الثامن عشر. وفي اخرها ان الكتاب كان في « استعمال الاب الخوري مخائيل جربوع وقفاً مؤبداً للرهبنة الحليّة ». وعدد صفحاتها ١٦٦ صفحة. من قطع الربع تحتوي على خمسة ميامر اوّلها (من الصفحة ٢ الى ٥٩) الميمر الذي تولى نشرهُ في هذا العدد من المجلّة ولا اثر لهُ في النسخة المطبوعة. ثمّ يليه (ص ٥٩–٦٩) ميمر « تحقيق ناموس موسى » المنشور في المشرق (وفي طبعة الاب ق. الباشا ص ١٤٠ – ١٨٠). ثمّ يليها (ص ٩٩–١٢٨) ميمر ثالث جليل في بيان التثليث والتوحيد (في النسخة المطبوعة ٢٢–٤٨). والميمر الرابع (ص ١٢٨–١٥٦) موضوعهُ

موت المسيح (يوافق في النسخة المطبوعة ص ٤٨–٧١). والميمر الخامس وهو الاخير (١٥٧–١٦٥) عنوانهُ « انهُ لا تُغفر لاحد خطيئة الّا بأوجاع المسيح » (يوافق طبعة الاب ف. الباشا ٨٣–٩١) فمن هذه المقابلة يظهر أنَّ في النسخة المخطوطة المطبوعة ما لا يوجد في نسخة دير الشير اعني الميمر الثاني في حرية الانسان (١ – ٦٣) ثمَّ الميمر الخامس في تحقيق الانجيل (٧١–٨٣) ثم السابع في « انَّ لله ابناً هو عدلهُ في الجوهر ولم يزل معهُ » (٩١ – ١٠٣) وفي اثر الياس رسالة كتبها ابو قرّة الى صديق لهُ يعقوبيّ صار اورثذكيًا (١٠٤–١٤٠) ثمَّ ردٌّ على من ينكر ان تتحد (١٨٠ – ١٨٣)

فالاثر الادبي منثوره ما يشبهُ كل تآليف ثاودورس ابي قرّة بقوّة برهانهِ وبلاغة كتابتهِ وبحسن اسلوبهِ في البحث وسياق ادلتهِ مقرّباً للعقول المطالب العويصة فنتناولها دون عناء. امّا لغتهُ ففيها شيء من حشونة ذاك الزمان الذي كُتبت فيهِ وكانت العربيّة حديثة الانتشار بين نصارى هذه البلاد وهي مع ذلك لا تخلو من المزايا الحسنة كالوضوح والضبط وحسن الدلالة على المعاني

ولا حاجة هنا الى تعريف المؤلف وقد اثبتنا في المشرق (٦: ٦٣٢ و ٨: ٣٣٠) ما امكننا جمعهُ عن احواله. وممَّا ثبت بعد ذلك بالتحقيق انَّ ابا قرّة كان اسقفاً على الملكيين الكاثوليك في مدينة حرّان الحاضرة الرها في ما بين النهرين في قرن التاسع للمسيح وقد ذكرهُ البطريرك اليعقوبيّ ميخائيل الكبير في القرن الحادي عشر (Hist. de Michel le Syrien, ed. Chabot, III, 29-34) ودعاهُ هناك « ثاودوريكوس فوجلا » ولعلَّ ترجمة في السريانيّة « ابا قرّة » بالفجل (فوجلا) ممكناً لانَّ ابا قرّة كان من الدّ اعداء البدعتين اليعقوبيّة والنسطوريّة ولهُ اعمال كثيرة في اليونانيّة في مجموعة مين (Migne, P. G. XCVII, col. 1468-1609) وغيرها في العربيّة في خزانة الكتب الشرقية في لندن نشر منها أرنذزن مقالة في عبادة الصور وحضرة الاب لويس معلوف « مقالة في تأنس الله الكلمة » (راجع المشرق ٦: ١٠١١ – ١٠٢٢)

وهنا نكرّر شكرنا لحضرة رئيس دير الشير الذي وخَّص لنا بنسخ هذا الاثر ولحضرة الاب يوسف خليل رئيس الاباء اليسوعيين في زحلة ولحضرة الاخ بوليكربوس الراهب الحلبي اللذين ساعدانا في نسخ هذا الميمر

ل. ش

بسم الله الرحمن الرحيم

١ في وجود الخالق

اقول ان لنا عقولاً باطنةً واحواساً (وحواسَّ) خارجة اعني نظرًا بالعين وسمعاً بالاذن وشمًّا بالانف ومذاقاً بالفم ومجسّة باليد وفي غيرها من الاعضاء الجسدانيّة. واقول انَّ العقل بهذه الحواس يدرك معرفة اجزاء طبائع هذه الدنيا التي تُرى

وتجسّ اوّلًا بمنزلة أنّي لم اكن عاينتُ البحر قطّ لجئته ورأيتـه بعيني وسمعتُ صوتهُ باذني وشممتُ رائحتهُ بانفي وذقتهُ بفمي وجسستهُ بيدي ثمّ ابعدتُ عنهُ فصار الذي ابصرتُ منهُ وسمعتُ وحسستُ بيّناً في عقلي من داخل راسخاً مطبوعاً فيه

ومعروف ان احواسي (حواسي) لم تؤدِ (تؤدِّ) الى عقلي من معرفة البحر الّا جزءًا لانّ بصري لم يؤدِ (يؤدِّ) اليّ منظره كلهُ ولا سمعي صوتهُ جميعهُ ولا شمّي ولا جسّي ولا مذاقي الّا كذلك. وكلّ ما نال عقلي بحواسه معرفة اجزاء البحر التي وصفنا. وكذلك رأيتُ انّ عقلي ينال بها معرفة جميع الاشياء التي أعاين اجزاءها من السماء والارض وما بينهما من الهواء والسحاب والامطار والثلوج ما يشبه ذلك والجبال واصناف الطير والبهائم ودبّابات الارض والاشجار والنباتات وذوات البحر وسائر ذلك من جميع الاشياء التي تقع الحواس (3) عليها

كذلك على هذه الجهة عاينتُ يوماً شجرة من شجر البلوط فيها قضيبان احدهما راكباً (راكب) على صاحبه والريح يحرّكهما ويحتكّ احدهما بالآخر فاحتكّا حتى برزت منهما نار فاشتعلت فيهما. ورأيت عند ذلك ماء وبخارًا يخرجان منهما سوى النار التي رأيت فاحترقا وصارا رمادًا وترابًا فعرف عقلي بما عاينتُ انهُ كان في القضيبين نار وماء وهواء وتراب (١. وعرفتُ ايضاً انهما منها جُمعا وركّبا. وكذلك ايضاً رأيت حديدًا احتكّ بحجر فخرج بينهما نار فاحببتُ ان اجرّبهما فادخلتهما النار فرأيت كلّ واحد منهما عرق ماء وبخارًا واخيرًا بادا وصارا رمادًا وترابًا فعرفتُ انّ هذين ايضاً مثل القضيبين من هذه الاربعة الاشياء. رُكبا وجُمعا (١

هكذا على هذه الجهة اقول انّ العقل الباطن لا يعرف اوّلًا الطبائع باحواسه (بحواسه) الخارجة كالجهة الاولى لكن من دلالة اجزائها التي نال بمعرفتها من قبل باحواسه. بمنزلة اني عطشتُ يوماً وتناولتُ من ماء البحر جرعة لاشرب فلمّا ذقتها ولم توافقني القيتها فنزلتْ منحدرةً حتى وقعت على الارض وعلمتُ من اني لا اقوى على شربها ومن اني ادخلتها فمي فاحتوى عليها ومن حيث القيتُها فنزلتْ حتى ادركتْ الارض ووقعت عليها انّ جميع ماء البحر الذي عاينتُ والذي لم اعاين مثل

١) هذا محمول على زعم القدماء في العناصر الاربعة المعروفة بالامهات

هذه الجرعة لا اقوى على شربهِ وانَّ كلهُ (4) محدود محتوًى عليهِ وانــهُ نازل لا يقف حتى يجد شيئاً يحملهُ ويثبت عليهِ

كذلك جمتُ وتنــاولتُ طعامي من تراب لا اعلم ان كان يصلح لطعامي فأدنيتهُ من فمي فلمَّا لم يوافقني القيتهُ فلم يزل نازلًا حتى ادرك الارض فوقع عليهــا فعلمتُ من هذا الكيف انَّ الارض كلها ليست تصلح لطعامي وانَّها كلها محدودة محتوًى عليها وانَّها في طبيعتها منحدرة ابدًا حتى تجد شيئاً يحملها وتقوم عليهِ. هكذا استدلَّ عقلي على معرفة كمال الاشياء العظيــمة التي لا تدركها الاحواس (الحواس) بكمالها من اجزائها

ولذلك ايضاً اقول انَّ العقل يدرك معرفة كمال كل نوع من انواع الحيوان من الجزء الواحد من النوع وايضاً من بعض الانواع معرفة جماعتها بمنزلة أني لم اكن رأيت قطَّ ميتاً فرأيت جماعة اناس كثيرين ورأيت ميتاً فسألتهم: ما هذا. فقالوا: ميت. فحيث رايتهم يشبهونهُ في الطبيعــة اجمعين وقد حلَّ بهِ الموت استدلَّ عقلي من هذا الواحد انَّ الموت نازل بجميع الناس وهذا ليس من بصر عيني معرفتــهُ لاني لم ابصر جميع الناس موتى ولكن من الواحد منهم الذي استدللتُ بذلك منــهُ عليهم

وكذلك استدللتُ من غراب رأيتهُ ميتاً على الغربان اجمعين ومن عقاب واحد على العقبــان. وكذلك في البهائم من فرس وثور وكلب واحد على جميع الافراس والبقر والكلاب. وايضاً من هذه الانواع التي (5) ذكرت اعني من الانسان والعقاب والغراب والفرس والثور والكلب عرف عقلي انَّ الطير كلهُ والبهائم كلها ودوابَّ البحر كلها وجماعة كلَّ حيٍّ الذين لم اعاينهم ببصري موتى

على هذه الجهة عرفت ايضاً جميع الانواع النفسانيَّة وغير النفسانيَّة اعني الاشجار والنبات جميعاً والمعدنيَّة والحجارة التي لا تنبت أنَّها من الاربع طبائع رُكِّبتْ لانَّ عقلي حيث عاين الشجرة الواحدة من البلوط عرف انها من النار والهواء والماء والتراب جُمعتْ لستدلَّ منها على جميع شجر نوع البلوط انَّها من هذه جُمعت. ومن هذا النوع ايضاً استدلَّ على شجر نوع الأَرز والصفصاف واللوز والتين وعلى جميع الاشجــار والانبات النفسانيَّة أنَّها من هذه الاربع طبائع رُكبت. كذلك استدلَّ من الحديدة

الواحدة على جميع نوع الحديد ومن نوع الحديد على جميع الانواع المعدنيّة ومن الحجر الواحد على جميع انواع الحجارة. وعلى هذه الجهة من اجسام الاشجار النفسانيّة واجسام المعادن والحجارة الغير النفسانيّة كلها استدلّ وعرف انّ جميع اجسام اصناف الطير وانواع البهائم ودواب البحر واجساد الناس وكل جسد مركب انهُ من الاربع طبائع جُمع وركِّب من النار والهوا والماء والتراب. الى هذا الموضع قد وصفتُ كيف نال (6) عقلي باحواسهِ (بحواسّهِ) معرفة اجزاء الطبائع التي تُجَسّ وكيف نال من جزء كل نوع من الطبيعة معرفتهُ كلهُ وكيف نال من بعض الطبائع المعرفة على كلها

وبعد هذا رأيتُ انهُ يمكن لعقلي ايضاً ان يعرف اشياء باطنة لم يحسّ منها بعينهِ شيئاً بتّة جزءاً ولا غير جزء. ولكنهُ يستدلّ عليها من آثارها ويعرف صفتها من فعلها بمنزلة أنني مررتُ على شطّ النيل يوماً ورأيت خشباً كثيراً قد قُطع من غيضتهِ ونُقل وصُيّر على شطهِ ولم اكن رأيتُ قطّ خشبة قطعت من موضعها النابتة فيه وقال عقلي: «انّ هذه على غير طبيعتها وُضعت هاهنا لانهُ ليس لها في طبيعتها ان تقطع نفسها وتنتقل من موضع الى موضع» وعرفتُ من أني رأيتها على غير طبيعتها انّ شيئاً اقوى منها قطعها بقوّتهِ ونقلها الى ذلك الموضع وان كنتُ لم اعاين ذلك الشيء. وبعد ايّام ايضاً مررتُ بها فرأيتها قد نُشرت وعُمل منها سفينة فعرفتُ انّ ذلك القوّي الذي جرّها الى ذلك الموضع وعمل من صنعتهِ السفينة هو ايضاً حكيم

ومررتُ يوماً آخر بعد ذلك فرأيت السفينة في النهر مملوءة طعاماً فعرفتُ انّ صاحبها القوي الحكيم ايضاً محتاج خبزاً لانهُ يخدم حياة اناس في البعيد فأنشأها هكذا. (ومن ثمّ) رايتُ انهُ يمكن لعقلي ان يعرف من الاشياء الصنّاعَ لها الذين لم اعاينهم بشيء من الحواس (7) وانّما عرفهم من اثارهم وفعلهم

فلمّا علمتُ انهُ يمكن الامر الذي لم يُبصر بالحواس بتّة ان ينال معرفتهُ من لا يراه وصنّاعهُ على ما وصفتُ عرفتُ ايضاً انهُ يمكن للعقل من مثل معرفة هذا الوجه معرفةُ ما عُلم من كمال انواع الاشياء. اي معرفة الخالق بمنزلة اننّا علمنا ان الارض اجمع بكمالها محدودة من جميع نواحيها محتوى عليها منصبّة في الانحدار الى اسفل وهي من طبيعتها لا تنصبّ ولا تتحرّك فأمرُها على احد وجهين امّا ان تكون قائمة على جسد

يحملها على ما يوافق طبيعتها واما لا. فان كانت قائمة على جسد يوافق طبيعتها وجب ان يقوم ذاك الجسد على شيء اخر والآخر على آخر وكذلك واحدٌ على واحد حتى يبلغ الف الف واكثر من ذلك. وليس لها بدٌ من ان تنتهي الى واحد ليس تحتهُ شيء يحملهُ فتصير هي وما حملهـا على غير طبيعتها قائمةً الساعة. فعلى اي الامرين حوّلت امرها اعني كان تحتها شيء او لم يكن فهي على غير طبيعتها قائمة. والآن كل شيء يوجد على غير طبيعتهِ فشيء آخر اقوى منـهُ قهرهُ وصيّرهُ بقوّتهِ على غير طبيعتهِ. واما رأينا الارض قائمة على غير طبيعتها عرفنا انَّ شيئاً اقوى منها بقوّتهِ يحملهـا بلا محالة ونحن نرى قوّة هذا الشيء الحامل لها فوق الصفة لانَّ قوّتهُ تقدر تحمل الارض بكمالها وما عليها من البحار (8) والجبال وغير ذلك وهو لا يضعف ولأنها قامت كذلك ازماناً ودهوراً كثيرة لا تحصى ولا تفنى فهذا الشيء الحامل لها لا انتهاء لهُ

وايضاً على مثل ذلك عرفنا انَّ عظم قوّة هذا القوي من جهة اخرى عظم من هذه. نقول انهُ عرفنا ايضاً ان كل ما على الارض وفي البحار من الانواع جميعاً بمنزلة الاشجار والانبات والحيوان اجمع والجبال وغير ذلك من المركّبين من الاربع طبائع جميع وركّب من الهواء والنار والماء والتراب. وكل مـا رُكب فأجزاؤهُ اسبق منهُ في الطبيعة وربّما كانت مع ذلك اسبق منهُ في الزمان ايضاً بمنزلة تركيب البيت المجموع من حجارة وطين وخشب ومسامير وغير ذلك التي هي اسبق منهُ في الطبيعة والزمان. ونحن نعلم انَّ الارض والماء على ما لزمتهـا طبيعتهما قبل تركيبهما ان ينحدرا الى اسفل السافلين بلا ارتفاع. وعلى خلاف ذلك النار والهواء تلزمهما طبيعتهما ان يرتفعا الى اعلى العلاء بلا انحدار على غير تلاقٍ يكون بين هـذين وذينك الآخرين. فلمَّا رأينا انَّ هذه العناصر الاربعة قـد ارتفعت الى الوسط واشتبكت ووجدنا انَّ هذين قد انحدرا من اعلى العلو وذينك قد ارتفعا من اسفل السافلين على غير طبائعهما عرفنا انَّ هذا القويّ الذي لا توصف قوّتهُ امتـدّ بقوّتهِ الى فوق فقهر المرتفعَين واحدرهما الى اسفـل وقهر ايضاً (9) السفلانيين واصعدهما وشبكهما في الوسط. فان قال قائل انّها لم تزل في الوسط فانّنـا نؤاتيه ونقول فان كان الامر على ما وصفت فهي مضبوطة من هذا القويّ على غير طبائعها

في الوسط ذانك لا يرتفعان وهذان لا ينحدران فعلى اي جهة اخذت امرها فالقوّة واحدة اعني التي حبستها في الوسط والتي احدرتْ تلك من فوق واصعدت هذه من اسفل. اذاً قوّة هذا القوي في هذا الوجه اعظم من الاوّل ايضاً

وتُعرف على مثل ذلك قوّة هذا القوي وعظمُها وعدّتها من وجه آخر نقول انهُ لا يخفى انَّ النار والهواء والماء والارض متضادّة في الطبيعة تأكل بعضها بعضاً وها نحن نراها مجتمعة في هذه الطبائع المركّبة على غير طبيعتها مصطلحة وعداوتُها فارّةٌ من ان نراها هكذا فعلمنا انَّ هذا الشيء القوي هو الضابط لها بقوّته والقاهر لها في كل شيء هي فيه من الجبال والاشجار والانبات والطير والبهائم والدبّابات ودوابّ البحر والناس ونحن نرى اذ نسرّحها ادنى طرفة عين انّها تضادّ بعضها بعضاً فيرتفع ذانك الى اعلى العلوّ والآخران ينزلان الى اسفل السافلين فتهلك الدنيا على ما ذكرنا في طرفة عين. فمن هذا الذي وصفنا من ثبات وصلح هذه الاربعة اجزاء في الاشياء وهبوط المرتفعين وارتفاع المنهبطين واشتباكها في الوسط (10) وقرارها وذلك كلهُ على غير الطبيعة عرفنا انَّ هذا القوي الذي لا تُحصى قوّتهُ ولا توصف قدرتهُ انّهُ هو الضابط للكلّ

وايضاً مما راينا من هذا القوي انهُ جمع وركّب من هذه الاربعة اجزاء فوق الارض ما لا يُحصى ولا يُعدّ من كثرة انواع الاشجار والانبات والجبال والمعادن والطير والبهائم والدبّابات التي تدبّ على الارض وفي البحار عرفنا انهُ حكيم لا تحصى حكمتهُ مثل قوّته

وايضاً مما رأينا ورأيت من هذه الانواع التي ذكرنا ومن انَّ السماء والارض والهواء والشمس والقمر والكواكب ومياه البحار والانهار والعيون وكل ما يرى هو خادم حياة هذا الانسان عرفنا انَّ هذا القوي الحكيم ايضاً فيّاض خيّر لا يُحصى خيرهُ على قدر حكمته وقوّته

وايضاً لاننا راينا تسعة اعشار الناس اشراراً لا يبيدهم ولا يؤاخذهم بل قد اوسعهم من خيره مثلما اوسع الصالحين عرفنا انهُ فاضل بلا انتهاء

ومن انّنا رايناهُ قد امهل الاشرار لا يهلكهم بل يحتملهم عرفنا انهُ رحيم طويل الروح وان ذلك لِمَا يُرجى من عطفهم وتوبتهم. ولانّنا راينا فيهم كفّاراً يفترون

عليه ولا يؤاخذهم عرفنا انهُ حمول وصبور حليم لانهُ يترجاهم . ولاننا رأينا مَن كثُر شرُّهُ قد تغيَّر عليه واباد ذكرهُ من الارض عرفنا انهُ عادل ومعاقب كلًّا بسوء عملهِ

ولاننا راينا اشرارًا كثيرين انقلبوا من الدنيا في نعمة كثيرة لم يصبهم فيها سوء ولا مجازاة (11) شيء من عقوبة ما استوجبوا وراينا ايضاً صالحين انقلبوا من الدنيا باحزان ولم يروا فيها خيرًا ولا مكافأة باحسانهم ونحن نعلم انهُ عادل غير ظالم علمنا انهُ سيحشر الخلق ويبعثهم من الموت ويثيب الصالحين على قدر صلاحهم ويعاقب الطالحين على قدر ما استوجبوا

كذلك استدللنا على هذا الصانع وعلى صفاتهِ هذه التي ذكرنا من آثارهِ وافعالهِ

ونقول ايضاً انَّ هذا الصانع ليس من شيء قد كان عندهُ لم يزل معهُ فوُجد صُنع هذه الاشياء بمنزلة النجار الذي لا يقدر يظهر صنعتهُ ان لم يجد خشباً او الحدَّاد حديدًا ولكن من لا شيء انشأها وابتدعها . فمن اجل ذلك ليس هو صانعاً فقط ولكن خالق . وبيان ذلك من قياس الشيء الازلي والمحدث وخلافهما لانَّ الشيء الذي لم يزل لا يقبل تغييرًا ولا يفسد ولا يتلاشى ومن اجل ذلك هو دائم ابدًا . والشيء المحدث على خلاف هذا لانَّ اوَّل امرهِ واوسطهُ وآخرهُ على التغيير والفساد يجري اعني انه لم تكن فكان وهذا اوَّل تغيير وحيث كان فهو يقبل تغييرًا وفسادًا في انتقالهِ من شيء الى شيء في حالاتهِ كلها واخيرًا يتغيَّر ويتلاشى ويصير لا شيئاً ويعود الى الحالة الاولى التي لم تكن . ومن ذلك عرفنا ان الذي لا يقبل تغييرًا ولا فسادًا في شيء هو ازلي والذي يقبل تغييرًا فهو محدث . ولانَّا رأينا هذه الاشياء كلها التي تُرى تتغيَّر من شيء الى شيء وتفسد (12) عرفنا انها محدثة مبتدعة لم تكن فكانت . وايضاً ممَّا نراها بمعاينة انها تُبيد بعضها بعضاً وتتلاشى وخاصَّة نعرف ذلك من اجتماع النار والماء لانَّ الماء القليل اذا أُلقي في النار الكثيرة يحترق ويبيد ويتلاشى فعلمنا من انَّهُ يتلاشى انَّ ملاشياً اتى بهِ وكذلك الماء والنار والهواء والتراب وكل ما يقبل تغييرًا . كذلك اذن ذلك الصانع القوي الحكيم هو ايضاً خالق ومن لا شيء ابدع الاشياء وانشأها

فلما فرغ العقل من امر الخليقة وعرفها انها مبتدعة وعرف صانعها وخالقها منها كلهُ رفع نفسهُ الى خالقهِ فقال : قد عرفتهُ انهُ خالق فلعلهُ مع انهُ خالق هو ايضاً

مخلوق فاراد ان يعلم أمخلوق هو ام غير مخلوق فقال: ان كان مخلوقاً فمن آخر خُلق. والآخر يقع عليه الشكّ انهُ من اخر والآخر من آخر وهكذا واحد من واحد حتى يبلغ الالف الف واكثر من ذلك. ولا بدَّ من ان نقف على واحد خالق غير مخلوق. فلما وُجد خالقٌ غير مخلوق احبَّ ان يعلم اهو هذا الذي خلقنا او غير الخالق لنا فقال: ان كان بعد الخالق الاعلى (13) مخلوقون يخلقون ليس لهؤلاء ايضاً ان ينتهوا الى مخلوقين لا يُخلقون بمنزلة الناس. فراى انهُ قد ادرك بمعرفتنا الخالق الغير مخلوق الاعلى ومعرفة المخلوق الغير خالق الاسفل يتعين لا شكَّ فيها

فاراد ان يعلم ان كان المخلوقون الخالقون الذين ادخلهم الشكّ في الوسط موجودين او غير موجودين فعرف انهم غير موجودين لانهُ لا شيء مخلوق وخالق معاً. وذلك انهم لو كانوا موجودين قد كان كل واحد منهم خلق مثلهُ اعني كل واحد منهم قد كان مخلوقاً وخالقاً. ولانهُ لا شيء من الاشياء بتّةً يخلق مثلهُ فليس اولئك موجودين. وبيان ذلك انهُ لا شيء يخلق مثلهُ فالانسان المخلوق لا يستطيع يخلق مثلهُ والله الذي يستطيع كل شيء لا يستقيم ان يخلق مثلهُ فان كان الانسان والله اللذان تعرفهما (ومنهما الله الذي يستطيع كلّا) لا يخلقان مثلهما فلا شيء يستطيع يخلق مثلهُ. والّا فقد صار اعظم قدرةً من الله. فاذ لم يكن شيء يقدر يخلق مثلهُ فالمخلوقون الخالقون لمثلهم الذين كان الشكّ ادخلهم في الوسط ليسوا بموجودين. اذ ليس الّا خالق غير مخلوق ومخلوق غير خالق. وكلاهما ليس في وسطهما شيء اخر

والخالق منهما فهو هذا الذي خلق الدنيا ونحن خلقهُ وقد عرفنا انهُ الاهٌ لم يزل غير مخلوق وخالق كل شيء من لا شيء لا خالق غيرهُ. قويٌّ ليس لقوّته انتها. حكيم فيّاض جواد فاضل رحيم طويل الروح صبور حمول عليم عادل باعث الموتى محيي مُجزيٌ الصالحين بصلاحهم والطالحين بطلاحهم

فان قال قائل انك قلت انهُ لا يأتي شيء من الاشياء بمثلهِ. وها نرى الانسان يأتي بمثلهِ. فانّنا نجيبهُ اننا لم نقل انهُ لا يأتي الشيء بمثلهِ (14) ولكنّا قلنا انهُ لا شيء من الاشياء يخلق مثلهُ فاما الانسان فقد علمنا انهُ يأتي بمثلهِ في الميلاد ان احبَّ. واما ان يخلق فقد علمنا انهُ لا يستقيم لهُ. وان كنّا تركنا الفحص عن ذلك ها هنا. لان هذا الموضع ليس بموضعهِ. لان ارادتنا ليس الّا التثبيت ان الله موجود من غير خلائقهِ

فقط. وانَّ على هذا الاله وعلى صفاته هذه دلَّت طبائع عقولنا من آثاره وافعاله فلمَّا عرفتُ ذلك منها احببتُ ان نعلم ايضاً وجهاً آخر أهذا الخالق هو واحد او اكثر من واحد او هل في هذه الطبائع دلالة الى شيءٍ من ذلك. فالتمستُ ان نجدهُ لانها لا تدلّ على شيءٍ من ذلك. وبمنزلة أنَّنا كنَّا جماعةً نسير في طريق انتهينا الى كرم ورأينا رجلًا يجمع حجارة ويسيّج الكرم وقد اسرع في بنيانهِ. وتقدَّمنا قليلًا ورأينا كرماً آخر وابصرنا رجلين متفقين يسيّجانهِ ايضاً احدهما يجمع حجارة ويناول صاحبهُ والآخر يبني وقد اسرعا فيهِ. وتقدَّمنا ايضاً قليلًا فلقينا كرماً آخر فيه عشرة رجال قد اتفقوا في بناء سياجهِ فمنهم من ينقل حجارة ومنهم من يناول ومنهم من يبني وقد اسرعوا فيهِ. وتقدمنا قليلًا آخر. فاصبنا كرماً قد سُيّج وفُرغ منهُ. وليس عندهُ احد فسأل بعضنا الجماعة: كم ترون رجلًا بنوا هذا السياج. فاجابهُ رجل شيخ منَّا وهو رجل حكيم (15) وقال لهُ: امَّا ان تكون تعلم ان لهذا السياج صُنَّاعاً بلا شكّ وانهُ يحيط هذا الكرمَ بناء. فنحن نعلم ذلك لان بناءهُ يدلّ على ذلك وامَّا كم من رجل بناه فليس فيهِ اثر ولا دلالة على ذلك لانهُ يستقيم ان يبنيه واحد او اثنان او عشرة اذا اتفقوا على ما قد رأيناهُ في الكرم الذي مررنا بهِ. كذلك اذًا تعرف عقولنا من هذا الخلق ان لهُ خالقاً مع صفاتهِ تلك التي وصفنا لان اثر ذلك فيهِ على ما قد اثبتنا. فأمَّا ان يكون الخالق واحدًا او اثنين او اكثر من ذلك فليس في الخلائق من وجه الآثار والافعال الدلالة على ذلك على ما جرى عليهِ مثال سياج الكرم. اذًا ليس تدلّ الخلائق على الخالق انهُ وجه واحد فرد من هذا الوجه

٢ في الدين القويم

ثم انَّ طبيعتنا تعلمنا آية رسل الله وكتبهِ الحقّ التي جاءت من عند الله وأيهم دينهُ الحقّ الذي يجب ان يُعبد عليهِ مع صفاته الكاملة وأيهم امرهُ ونهيهُ وثوابهُ وعقابهُ

الحق اقول اني نشأتُ في جبل لم اعلم ما من الناس فيهِ. فنزلتُ يوماً لحاجة عرضت لي الى المدائن وجماعة الناس فرايتهم في اديان مختلفة فدعتني منهم فرقة هي على دين الحنفاء الاولين الى الدخول معهم فزعموا انهم يعبدون السبعة الكواكب الشمس والقمر وزحل والمريخ والمشتري وعطارد والزهرة والاثني عشر برجاً لانهم

هم الذين يخلقون ويدبرون هذا الخلق ويعطوه (ويعطونهُ) البخت الصالح والنعيم في الدنيا (16) والبخت السوء والشقاء وان نبيّهم في ذلك هرمس الحكيم

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من المجوس فقالوا: دع هؤلاء ليس هم على شيء ولكن هلمَّ الينا لان ما في ايدينا هو الصواب . وذكروا ان الههم الكبير يقال لهُ ذروان وان ذروان هو البخت وانهُ قبل ما يخلق الدنيا ضحّى الف سنة ليولد لهُ ولد وان امرأتهُ حبلت بابن يقال لهُ هرمزد وانهُ لمَّا حُبل بهِ سبعمائة سنة كان ذروان ابوه شكَّ انهُ لم يُحبَل بهِ وانَّ شكهُ ذلك صيَّر في بطن امرأتهِ ولدًا اخر هو الشيطان . وان ذروان علم بهِ فقال: ايُّ اولادي يبصر اولًا وجهي أياه اعطي الملك . وان هرمزد علم بذلك وهو في بطن امّهِ واخبر بهِ الشيطان وان الشيطان لمَّا علم ذلك ثقب بطن امّهِ وخرج من جنبها فجاء حتى وقف بين يدي ابيهِ وهو ظلمة اسود الوجه سمج فقال لهُ ابوه: من انت . فقال لهُ: انا ابنك الشيطان الذي صار لك من الشكّ فأعطني الملك على ما قلت . فحزن ذروان ولانهُ لم يحب ان يرجع عن كلمتهِ اعطاه الملك على هذه الدنيا سبعة الاف سنة . وان هرمزد ولدتهُ امهُ الى تمام الف سنة فخرج ضوءًا حسنًا جميلًا وانهُ خلق السماء والارض وما بينهما من انواع الطبائع على ما ترى الدنيا عليهِ من الحسن والبهاء الَّا انَّها كانت مظلمة ليس فيها نور فحزن واستشار الشيطان في (17) ذلك فاشار عليهِ ان ينكح امَّهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت الشمس لضوء النهار وايضًا ان ينكح اختهُ ففعل ونكحها فحبلت وولدت القمر لضوء الليل وان المجوس لذلك ينكحون امَّهاتهم واخواتهم وبناتهم ليلدن بنين مثل الشمس والقمر مثل هرمزد الاههم هذه صفتة آلهتهم وان مثل هرمزد قد اذن لهم ان يتناولوا جميع ما طاب لهم من شهوات الدنيا لانهُ من اجلها خلقهم . وزعموا ان نبيّهم الذي اتاهم بهذا الحقّ زَرْدَشت

وفارقتُ هؤلاء فلقيني قوم من السامرة وقالوا لي: لا تلتفت الى هؤلاء ولكن تعال الينا فانهُ لا احد على الحقّ غيرنا نحن اولاد ابراهيم واسحاق ويعقوب احبَّاء الله الاه السماء والارض وقد كان اوعد (وعد) اباءنا ان يخلّص زرعهم من ارض مصر ويورثهم ارض فلسطين ففعل وذلك على يدي موسى النبي فانهُ بعثهُ الى فرعون فضربهُ واهلَ مصر بتلك الاعاجيب والآيات فاخرج اباءنا من يديهِ قسرًا وشقَّ لهم البحر وغرق

فرعون واجتاده واخرج اباءنا الى البرية واطعمهم المنّ والسلوى وفجر لهم المياه من الصخرة واعطاهم ناموس الله يحلّ عليهم الحلال ويحرم الحرام عليهم واهلك فلسطين ودفع اليهم اراضيهم ونحن اولادهم حتى اليوم فما دمنا لهُ نحفظ الناموس فهو يحسن الينا واذا خالفناه عاقبنا ولشقانا في الدنيا فللمحسنين منّا حياة (18) صالحة في الدنيا وللمسيء الشقاء فاذا ما فارقنا الدنيا فهو الهلاك الى الابد فلا قيامة

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من اليهود فقالوا: لا تلتفت الى هؤلاء ولا تدخل معهم لانهم على ضلال فامّا ما خبّروك بهِ من ان الله الاه ابراهيم واسحق ويعقوب وانهُ وعدهم في زرعهم ما وعدهم وبعثهُ موسى واخراجهم من مصر وادخالهم ارض كنعان فالذي خبروك من ذلك فهو الحقّ قد كان ومضى وامّا قولهم انهم زرع ابراهيم واسرائيل فهم في ذلك كذبة بل هم قوم من المجوس وامّا زرع ابراهيم واسرائيل فنحن. وحقًّا انَّ الله ورّث اباءنا ارض اسرائيل ومكثوا فيها الفًا وخمسمائة سنة ملوكًا في نعمة لا يشبهها نعمة وانهم اخطوا (اخطأوا) فغضب الله عليهم ودفعهم الى ايدي الامم واجالوهم (وجلّوهم) عنها ولكن قد وعد اباءنا ان يبعث الينا المسيح فيجمعنا من اطراف الارض الى ارض اسرائيل ويشرّفنا على ما كنّا عليهِ في الامر الاول وان يسلطنا على الامم ويقيم موتانا ويجمعهم ايضاً الينا ويامر الارض فتخرج لنا الخبز المخبوز والاثمار الطيبة بغير عناء ولا شقاء وعمل مع كل نعمة وشهوة نشتهيها الى الابد والله لا يكذب وهذا الامر كائن ونحن منتظروهُ فلا تدخلنَّ مع احد الّا معنا لانهُ لا دين غير ديننا

ففارقتهم ولقيني قوم من النصارى فقالوا : لا يظلنك (يضلّنك) قول اليهود لان الله قد بعث (19) المسيح الذي يذكرون فلم يقبلوه وقد غضب الله عليهم وبدّدهم في جميع آفاق الارض وهم هالكون الى الابد ورجاؤهم باطل. ولكن عليك بدين المسيح وتعليمهِ وذلك ان الله آب وابن وروح قدس الاه واحد ثلاثة وجوه وجوهر واحد وفي هذا الجوهر الاه واحد وهذا الدين الحقّ الذي اعطانا للمسيح ابن الله في الانجيل وقد حلّل لنا الحلال وحرم الحرام ووعد انهُ يبعث الموتى ويكافئ المحسنين بملك السماء ويجزي المسيئين جهنم فلا دين حقّ الّا ديننا فلا يغرّنكَ احد

ففارقت هؤلاء فلقيني قوم من المنانيين وهم الذين يقال لهم الزنادقة فقالوا: اياك

ان تتبع النصارى او تسمع قول انجيلهم لان انجيل الحقّ في ايدينا قد كتبهُ الاثناعشر السليحيون ولا دين الّا ما في يدنا ولا احد نصراني غيرنا ولا احد يعرف تفسير الانجيل غير ماني صاحبنا. فقد علمنا انهُ قبل ان تُخلق الدنيا كان إلاهان مختلفان في جوهرين احدهما نور خيّر وهو الاه الخير والآخر شرير ظلمة وهو الشيطان. وقد كان في البدء كل واحد منهما في بلادهِ فنظر الظلمة الى النور والى بهائهِ وحسنهِ فاشتهاهُ فوثب عليهِ فقاتلهُ يريد يسبيه واذا النور جاهده في القتال فاشرف الظلمة على غلبة النور. فلما خشي النور على نفسهِ قطع منهُ قطعة فالقاها اليهِ واذا الظلمة ابتلعها (20). وان السماء والارض وما بينهما من الخلق من طبيعة الظلمة ومن القطعة التي القاها اليهِ النور من طبيعتهِ تكوّنت على وجه الاشتراك بمنزلة ان الانسان مخلوق من نفس باطنة وجسد ظاهر وزعموا ان النفس من طبيعة النور والجسد من طبيعة الشيطان المظلمة وكذلك حال الاشياء. كل ما فيها طيباً منعماً فهو من طبيعة النور وما ليس بطيب او ضارّ فهو من طبيعة الظلمة بمنزلة أنّ الماء يغرق من انغمس فيهِ ويحيي من شربهُ وينعمهُ فالجزء الذي يحيي منهُ فهو من النور وما يحرق ويهلك فمن الظلمة. فامّا الحيات والعقارب والاسود والنمورة والدبّابات وما يشبه ذلك فتلك جميعها من الظلمة. هذا اصل الدين وصفة المتهم. فامّا في الحلال والحرام فانهم يقرّرون شهوات الدنيا لمن يشاء فينعم فيها على ما يشاء. ولا يأمرون بتزويج بل من اشتهى امرأة فهي لهُ وكذلك المراة للرجل. ويفسرون الانجيل على مثل هذا التفسير ويزعمون ان قول المسيح: « من سألك فاعطهِ ومن سألك من المساكين صدقة فتصدق عليهِ » ليس هذا هكذا لان الذي قد اشقاه الله من المساكين في الدنيا لا يحلّ لاحد ان يصلهُ بشيء ولا يتصدّق عليهِ والّا فقد خالف الله الذي يريد ان يشقيهُ وهو يريد ان ينعمهُ لان الله لو شاء ان ينعمهُ لكان قد اعطاهُ مالاً مثلهُ ولم يحوجهُ اليهِ ولكن تفسير (21) كلمة المسيح « من سألك فاعطهِ » فهو الرجال والنساء يقول للمرأة: كل من سألكِ نفسكِ من الرجال فلا تمنعيه وكذلك للرجل من سألك من النساء نفسكَ فاعطِها اياها. هذا ومثلهُ تعليمهم في الحلال والحرام وفي امر اللاهوت

وفارقت هؤلاء فلقيني قوم من المركيونيين فقالوا: لا تلحق هؤلاء لانهم في اثم كبير بل تعال الينا لان انجيل الحقّ في يدنا وصاحبنا مركيون هو كان اعظم الناس بهِ

وبتفسيره وقد وصف لنا وعلّمنا امر اللاهوت وذكر ان الالهة ثلاثة: واحد منهم غيور عادل في الحقّ لا يحتمل الخطأ ولا لمن عمله عنده رخصة او رحمة دون العقوبة بما استوجب وهو الاله العتيقة الذي بعث موسى وصنع بمصر ما صنع. والثاني إله طيّب رحوم خيّر يفيض بخيره ولا يعاقب احداً وهو المسيح. والثالث ظالم شرير غاية كل خبث وهو الشيطان

وفارقت هؤلاء. ولقيت برديصان فقال لي: لا تسمع قول قوم ليس هم على شيء تعال اليّ الآن لاني انا ما في يدي هو الحقّ. أخبرك ان الالهة خمسة ازليّة. اربعة منها غير عقلية والخامس عاقل وان هذا العاقل قوي بعقله على الاربعة فقهرها وخلق منها الخلائق. يعني بالاربعة الغير عقليّة النار والهواء والماء والتراب. والعاقل هو الذي انشأ منها طبائع الدنيا بحكمته

وفارقت هؤلاء. ولقيني اخيراً (22) قوم من المسلمين فقالوا: لا تسمع قول احد ممّن لقيتَهُ لانهم اجمعين كفّار مشركون بالله ولا دين الّا دين الاسلام بعثه الله الى الناس كافّة على يدي محمّد نبيه وهو يدعوك ان تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً ويأمرك بالحلال وعمل الخير وينهاك عن الحرام وعمل السوء. وقد وعد ان يبعث الموتى وثوابُ المحسنين جنّة يجري من تحتها انهار من ماء ولبن وعسل وخمر لذّة للشاربين ونساء حور عين لم يطأهنّ الجنّ والانس للنعمة مما يشتهي الانسان من الطيبات كلها في قصور من زمرّد وياقوت وذهب وفضة وغير ذلك من مثله الى الابد ووعد للمسيئين جهنم لا تُطفأ نارها

فلما لقيوني (لقيني) هؤلاء كلهم بحيث تفكّرتُ بقول كل واحد منهم ورأيت جملتهم متفقين في ثلاثة اشياء ومختلفين ايضاً فيها. فاما اتفاقهم فكلّ واحد يدّعي انّ له الاهاً وانّ له حلالاً وحراماً وايضاً ثواباً وعقاباً الّا ما كان من او احد واثنين. واما خلافهم فانهُ يختلفون في صفات الههم وفي حلالهم وحرامهم وفي ثوابهم وعقابهم فاعدتُ النظر ايضاً وقلتُ انهُ يشبه الله في طيبه وفضله حيث رأى خلقهُ قد زاغ عن عبادة الحقّ ان يبعث اليهم رسلاً وكتاباً يبصّرهم ذلك ويردّهم اليه عن خطاياهم وقد جاء من جاء من كثرة الرسل والكتب واختلافها وامرُهم على احد وجهين: اما ألّا يوكن فيهم ولا (23) واحد جاء من عند الله واما ان كان فيهم احد فهو واحد.

ويشبه ان يكون فيهم واحد مما يعرف من فضل الله وعنايته بامر خلقه. ولكن كيف الحيلة الى معرفة هذا الواحد ؟

فرايتُ ان امري يشبه امر ابن ملكٍ قد كان لهُ اب ملك وكان ابوه محزوناً محتجباً لم يبصرهُ احد قط الّا اهل المودّة والخاصّة بهِ فأتتهُ حاجة في بعض البلدان فبعث ابنهُ فيها وهو حدَثٌ وبعث معهُ طبيباً كان لهُ ليحافظهُ من العاهات العارضة وصيّر لهُ ايضاً وزيراً لم يكن ابنهُ عاينهُ قط ولا الطبيب . فسار حتى انتهى الى تلك البلاد فضيّع الطبيب وتهاون الغلام بنفسهِ فمرض وسقم وعرف ابوه ذلك فلم تدَعْهُ مودتهُ ترك ابنهِ ولا تضييعهُ فكتب الى ابنهِ كتاباً فيه ثلاثة اوجه واحد منها يصف فيهِ صفة نفسهِ . والثاني يصف للغلام صفة مرضهِ ومن اي العاهات دخل عليهِ المرض وينهاهُ عنها الّا يتناولها . والثالث يصف لهُ دواء ويعلمهُ كيف الشفاء. وكيف ينبغي لهُ ان يدبر نفسهُ في صحّة نعيم لا يزول فلا يصيبهُ سقم ولا عاهة ابداً . وامرهُ بشربهِ بعد الصحّة . ودعا الملك بعض رسلهِ ودفع اليهِ كتابهُ وامرهُ بالمسير الى ابنهِ ودفعهُ اليهِ . فقبض الرسول الكتاب وسار بهِ الى الغلام . وكان للملك اعداء وحسّدة كثيرون لم يكونوا (24) يقدرون على ضرّه في شيءٍ لحال عزّه فلما عرفوا ان ابنهُ قد مرض وان اباه اهتمّ بهِ وانهُ بعث اليهِ في ذلك رسولاً وكتاباً وجدوا فرصةً ان يقرصوا الملك ان قدروا في ابنهِ فعجّل كل واحد فهيّأ (فهيّأ) رسولاً واختلق كتاباً مبهرجاً على لسان الملك يعلمهُ فيهِ صفة الملك اي صفتهُ كذباً وينهاهُ عمّا ينفعهُ ويامرهُ بما يضرّهُ وبعث اليهِ دواء اذا شربهُ قتلهُ . فقبض رسلهم كتبهم وساروا فوافوا قبل ان يدفع رسول الملك الحق كتابهُ . فتوافوا عند ابن الملك اجمعين ودفعوا كتبهم فقرأها فاذا هي مختلفة كلها في صفات الملك وفيما امرهُ ابوهُ ونهاه عنهُ وفي الادوية ايضاً . فدعاهم واجتمعوا عندهُ فبدر واحد منهم وقال : انا رسول الملك اليك بهذا الذي دفعت اليك . فقال الاخر لابن الملك : كذب ما هذا رسول الملك ولكني انا رسولهُ بكتابه الذي دفعت اليك . فقال آخر : قد كذب هذا وهذا انا رسول الملك . وصار كل واحد منهم يكذّب صاحبهُ ويكذبهم اجمعين ويثبت نفسهُ . ورسول الحقّ بينهم يكذبهم ويكذبونهُ وقد صار كواحد منهم . فقال لهُ الطبيب : سرّحهم الآن وانا افرز لك امرهم لاني طبيب واعرف هذه الاشياء لانها صناعتي واذا

اختلفت فليس فيها من الملك ان كان الّا كتابٌ واحد وقد اتوا اجمعين في كتبهم بثلاثة اوجه: الواحد إعلام الملك اياك صفاته. والثاني اعلامهُ اياك العاهات التي مرضت منها ونهاك عنها وارشادك الى الحال التي تُصحّك. والثالث الدواء الذي يصحّك وينعمك في حياة دائمة بلا مرض ولا سقم ابدًا. وانا على ما ذكرتُ لك طبيب واعرف ايضاً عاهات الامراض التي تسقم والحالات التي تصحّ واعرف صفات ابيك من شبهك لانك ابنهُ وان كنت لم تره. فهلمَّ بنا اوّلًا لننظر في ادوية هؤلاء الرسل وفيما ينهاك عنهُ الملك ويأمرك به في كتبهِ وصفاتهِ نفسه فالذي معهُ الدواء المنعم الى الابد وفي كتابهِ صفات العاهات التي اعرفها تمرض فنهاك عنها والتي تُصحّ فأمرت بها وصفات ابيك التي اذا تناهما وافقتْ شبهك فهو رسول ابيك الحق قبلناه والذي خالف ذلك رفضناه. فجمعوا الادوية فنظر الطبيب فيها فاذا كلها مختلفة وجماعة تنهي ابن الملك عما ينفعهُ وتأمره بما يمرضهُ ويسقمهُ الّا ذلك الكتاب الواحد الذي كان معهُ الدواء المنعم الذي كان ينهاه عما يمرضهُ ويامرهُ بما يصحهُ. وايضاً فيما كان وصف الملك نفسهُ فيها قياس الصفات كلها الى صفات الغلام فاذا ليس فيها صفة تشبههُ الّا الواحدة التي كانت في الكتاب الذي فيهِ صفة امراضهِ الحقّ والدواء المنعم. فاتخذ هذا الكتاب والدواء وعمل بهِ واقام عليهِ ودعا صاحبهُ واعلمهُ انهُ رسول الملك الحقّ واظهر كذب اولئك ودفعهم ابدَ الدفع واقصاهم عنهُ

فالملك المحزون الله تبارك وتعالى وابنهُ آدم وذريتهُ الذين خلقهم والطبيب العقل الذي أعطيهِ ليعرف بهِ الله وبهِ يعرف الخير ويعمل بهِ ويعرف الشرّ وينتهي عنهُ. وتضييع الابن للطبيب ووقوعهُ في المرض تضييع آدم نفسهُ للعقل ووقوعهُ في الخطيئة وخروجهُ من الجنة الى الارض وتصييرهُ مائلًا الى حياة الدنيا مثل البهائم. وبعثهُ اليه رسولًا اي بعث الله رسولًا يحق الى خلقهِ بكتابٍ يعلمهم فيهِ صفتهُ الحقيقيَّة التي يجب ان يُعبَد عليها ونهيهُ اياهم عن كل سوء وقبيح وامره اياهم بعمل الخير في الدنيا وسعادة الصالحين في الاخرة نعيمهُ الذي لا يزول ووعد الطالحين جهنم التي لا تُطفأ نارها فذلك الدين الواحد الحقّ

واعداء الملك الذين ارادوا ان يغيظوا الملك بابنهِ وهيّأوا رسلًا وكتباً وبعثوا اليهِ يملكوهُ فهم الشياطين قد فعلوا ذلك وقد جاء رسول الله وكتابهُ الحق الى

الدنيا فاجتمعوا على الانسان كل واحد يكذّب اصحابهُ ويدعو الى نفسهِ. وفيهم رسول الحقّ وهو الى (27) الساعة كواحد منهم غير معروف وهم الذين وصفتُهم فوق اي الذين تمرني واحدًا واحدًا حيث انحدرت من الجبل يدعوني كل واحد منهم الى نفسهِ اعني الحنفاء والمجوس والسمرة واليهود والنصارى والمانيــة والمركيونيّة والديصانيّة واديان اخر اكثر من هذه واختلاف كثير في الدنيا الّا انّنا اختصرنا على هذه الثمانية اديان او التسعة التي ذكرنا واخبرنا الى ماذا دعا كل واحد منها من صفات الله والحلال والحرام والثواب والعقاب. والان ينبغي لنا ان نصنع كما صنع الطبيب الحكيم وندع الكتب ناحيةً ونسأل العقــل: كيف عرفتَ صفات الله التي لا تبصرهــا الحواس ولا تدركها العقول من شبه طبيعة الانسان وكيف منها ايضاً الخير والشرّ والقبيح والجميل والثواب الذي ينعمها الى الابــد وخيرها وشقاوتها الدائم. واذا اخبرنا بذلك وعرفناه قــنا هذه الكتب التي علمنا فالكتاب الذي نجد فيهِ ذلك عرفناهُ انهُ من الله واقررنا بهِ وقبلناهُ ورحنا ما سواه

نقول ان عقولنا تستطيع ان تُبصر الله الذي لا يُبصر مع صفاته الذي يجب ان يُعبد عليها من شبه فواضل طبيعتنا بالارتفاع عنها على الخلاف. وذلك على مثل هذه الشبهة نقول بانهُ ليس احد من الناس يقدر ينظر الى وجه نفسهِ بعينهِ الّا من شبههِ بمنزلة الرجل الذي ينظر (28) الى المرآة فيبصر وجههُ من شبههِ الذي فيها. ومعروف انهُ اذا فعل فقد ابصر الشيءَ الذي لا يُبصَر في جميع صفاتهِ بشبههِ فالوجهان يشتبهان فيها بمنزلة لو انهُ جاءنا رجلان غريبــان احدهما يعرف الرجل الذي نظر في المرآة والاخر لا يعرفهُ ونظر الى الوجه الذي في المرآة قد كان الذي يعرفهُ يستبين ويعرف ان هذا وجه فلان والذي لا يعرفهُ اذا رآه عرف انهُ الوجه الذي كان في المرآة. اذن يستدلّ العقل بذلك في ذلك وبذلك على ذلك وبكل واحد منهما على صاحبهِ لا يشتبهان والحالة التي فيها لان وجه الرجل بعينهِ يرتفع عن الشبه الــذي في المرآة بالخلاف لانهُ موجود وذلك على الخلاف لانهُ موجود وهو ايضاً يبصر ويسمع ويشمّ ولا يفعل شيئاً من افعــال ذلك الوجه اذ يبصر شيئاً لا يبصر من شبههِ وان كان يرتفع من شبههِ بالخلاف

كذلك نقول اذا اطّلعنا بعقلنا في طبيعة آدم ورأينــا فواضلها رأينا الله منها

وعرفناه بحقّ لانهُ شبههُ الّا انّ الله يرتفع عنها بالخلاف لوجه الرجل بعينهِ في الشبه. وذلك هكذا نقول لطبيعة آدم فواضل ومناقص بمنزلة ادم في طبيعتهِ اليوم موجود وغدًا ليس بموجود وايضاً حيّ وميت عالم وجاهل حكيم وغير حكيم قوي وضعيف وكذلك جميع صفاتهِ زوجاً زوجاً تلك فواضل وتلك مناقص نقول انهُ في مناقص طبيعتهِ لا يُدرك (29) الله ولا الله شبههُ واما في فواضلها فهو يشبه الله ليس فيهِ فضيلة الّا وانك ترى الله فيها وتراها في الله لانها من الله جرت اليهِ بمنزلة الشبه الذي كان في المرآة اذ لم يكن فيها شجة وهي شبه الرجل لانهُ من وجه الرجل جرى اليها كل ما فيها وهكذا ننظر الله في فواضل طبيعة آدم (التتمة لعدد آخر)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

قبائل العرب المتنصّرة (تابع)

٢٠-٢١ ﴿ الكاسك والسكون ﴾ قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢١) « ومن قبائلهم الكاسك والسكون قبيلتان عظيمتان وهما ابنا اشرس بن ثور بن كندي (١) . ومما يؤيد تنصرهما انهما كانتا في دومة الجندل التي مرّ ذكر نصرانيتها ونصرانيّة صاحبها أكيدر السكوني. وقد صرّح ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٤٩) بنصرانيّة السكون قال: « وكان لقضاعة ملك اخر في كلب بن وبرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيّة وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأكيدر بن عبد الملك بن السكون ». وكان السكون والكاسك يسكنون ايضاً في حضرموت مخالفين لبني الحرث بن

١) والصواب ما قالهُ ابن دريد سابقاً (ص ٢١٨) « كندة هو كندي واسمهُ ثور »

كعب اهل نجران كما اخبر الطبري ولمّا ظهر الاسود العنسي محارباً لمحمد نبيّ الاسلام كان السكون والسكاسك من انصاره (١ وكذلك زاهم يحاربون خالداً مع بني كلب وغسّان وبهراء وكلهم من نصارى العرب

٢٢ ﴿ سليح ﴾ هي القبيلة العربيّة التي سبقت الغسانيين في الشام ودانت بالنصرانيّة قال المطهّر المقدسي في كتاب البدء المنسوب لابي زيد البلخي (éd. Huart, III, p 208): « واوّل من دخل الشام سليح وهم من غسّان ويقال من قضاعة فدانت بالنصرانيّة وملّك عليها ملك الروم رجلاً يقال له النعمان بن عمرو ابن مالك ». وقال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٢١٦) : « وردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ وتنصرت فأكسها الروم على العرب الذين بالشام » . وكذلك ابن واضح اليعقوبي في تاريخه (١ : ٢٩٨) : « تنصّر . . . من اليمن طي ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسّان ولخم ». وقبلهم الطبري في تاريخه (١ : ٢٠٨١) جعل سليحاً مع قبائل نصارى العرب المحاربين مع الروم. وبنو سليح يُدعون ايضاً بالضجاعم او الضجاعمة نسبة الى احد اجدادهم قال في التاج (٨ : ٣٧٣) : « ضجعم ابو بطن من العرب وهو ضجعم بن سعد بن عمرو الملقب بسليح بن حلوان بن عمران ». وقد ذكر الطبري (١ : ٢٠٦٥) الضجاعم مع قبائل النصارى المحاربة لخالد بن الوليد. ومن ملوك الضجاعم في الشام داود بن هبولة المعروف باللثق وكان نصرانياً (٢ وقال بن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) : « يضاف اليه دير داود في الشام »

٢٣ ﴿ شيبان ﴾ حي من بكر بن وائل . . قال في التاج (١ : ٣٢٨) : « هما شيبانان : احدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة الخ . وهما قبيلتان عظيمتان على بطون وافخاذ ». ونصرانيّة القبيلتين شائعة كنصرانيّة جذرهما بكر بن وائل . وكان مقام بني شيبان في بلاد الجزيرة المعروفة بديار بكر قريباً من دجلة حيث انتشرت النصرانيّة انتشاراً تامّاً . وبنو شيبان يُعرفون غالباً ببني ثعلبة في

١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٠٣–٢٠٠٤

٢) اطلب (Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 251-202)

تواريخ الروم والسريان (راجع ما قلناه عن ثعلبة) . ومن شيبان كان حارث بن عباد سيّد شيبان في حرب البسوس وقرن المهلهل . ومنهم بسطام بن قيس احد فرسان العرب المشهورين وسيد شيبان في يومي غبيط وحطط اللذين ذكرهما ابن عبد ربه في العقد الفريد (٣ : ٨٨ — ٨٩) وابن الاثير في تاريخه (١ : ٢٥٠) . وقد صرّح ابن عبد ربه هناك بنصرانيّة بسطام ويدعوه ايضاً حنيفاً فيثبت ما قلناه عن نصرانيّة الحنفاء . ومنهم ايضاً نابغة بني شيبان الشاعر الاموي الشهير له ديوان لم يُطبع حتى الآن . وقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٦ : ١٥١) نصرانيته . وكذلك هانئ بن قبيصة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦) : «كان شريفاً عظيم القدر وكان نصرانيًا وادرك الاسلام فلم يُسلم ومات بالكوفة »

٢٤ ﴿ ضُبيعة ﴾ كانوا اخوة بني شيبان ويُعرفون مثلهم بالثعالب يشاركونهم بكل احوالهم وهم نازلون في ديارهم ويدينون بدينهم . ومنهم كان الشاعر الجاهليّ الشهير طَرَفة بن العبد صاحب المعلقة

٢٥ ﴿ طيّ ﴾ من اكبر قبائل العرب واطولها باعاً وارقاها حضارةً واثبتها على خطوب الزمان . اصلهم من اليمن ينسبون الى طيّ بن ادد بن كهلان . وكانت ديارهم في نجد حيث الجبلان المعروفان بجبلي طيّ وهما أجا وسلما وكانوا يسكنون في اطراف اليمامة في نواحي تيماء وكانوا يدينون اولاً بالوثنية . وقد ذكروا لهُ صنماً كانوا يعبدونهُ يسمى الفُلس او الفَلس لم يتفقوا في تعريفه . ومما لا يُنكر انَّ النصرانية كانت كثيرة الانتشار بينهم . قال ابن واضح اليعقوبي (١ : ٢٩٨) : « تنصَّر من احياء العرب . . . من اليمن طيّ ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسَّان ولخم » فجعل طيّئاً في مقدَّمة القبائل المتنصرة . وقد اخبر ابن العبريّ في تاريخه الكنسي (Barhebræi Chronicon Eccl. III, 100) انَّ « احودما » المغريان سنة ٨٧٠ لليونان (اي ٥٥٩ للمسيح) تنقل بين العرب الطائيين وردّ كثيراً منهم . وكان اسم الطائيين عند السريان يعمّ كل العرب لكنهم يخصصون به بني طيّ ايضاً ويذكرون نصرانيتهم . ومن آثار النصرانية في طيّ اديرة للرهبان في انحائهم مرَّ لنا ذكرها . كدير عمرو في جبال طيّ (ياقوت ٢ : ٦٨٢) وكدير الثعالب لبطون من طي قريباً من بغداد (ياقوت ٢ : ٦٥٠) . ومن مآثر نصارى الطائيين

انَّ قوماً منهم وضعوا الخطَّ العربي كما شهد على ذلك قدماء الكتبة (راجع المشرق: ٤ (١٩٠١) ص ٢٧٨) وقد صرَّح مؤلفو العرب بنصرانية كثيرين من النصارى كحنظلة الطائي باني دير حنظلة (ياقوت ٢: ٦٥٥) الذي بسببه تنصَّر النعمان صاحب الغريين. وكاياس بن قبيصة بن ابي عفراء الذي ملك مدَّة بالحيرة. وكابي زُبيد الشاعر النصراني وكعدي بن حاتم الطائي سيد بني طيّ قال ابن سعد في وفادات العرب (Skizzen, IV, ٥١): «عدي بن حاتم كان على النصرانية» ومثلهُ ياقوت (٣: ٩١٣) والمستشرقون اليوم يجمعون على نصرانيَّة طيّ. وقد مرَّ بك قول الرحَّالة بلغراف (ص ٦٢٨). وكذلك العلَّامة فلهوسن (١ خصَّ طيّ بالعلائق القديمة مع النصرانيَّة وختم قولهُ بهذه الالفاظ «لو لم يظهر الاسلام لاضحت بعد زمن قليل بلاد شمالي العرب من البحر الاحمر الى خليج العجم كلها نصرانيَّة (٢)»

٢٦ ﴿ عاملة ﴾ قبيلة ينتسبون الى عاملة بن سبا من بني قحطان وقد سكنوا العراق ثمَّ انتقلوا الى جهات الشام واليهم تنتسب جبال عاملة. وكانوا يدينون بالنصرانية كجميع عرب الشام. وقد ذكر البلاذري بني عاملة في فتوح البلدان (ص ٥٩) في جملة العرب المتنصرين الذين حاربوا في تبوك وسول الاسلام سنة ٩ للهجرة مع الروم ولخم وجذام. وكذلك الطبري في تاريخه (ج ١ ص ٢٣٤٦) نظم عاملة في جملة احلاف الروم. قال في تاريخ سنة ١٤: «لمَّا اوافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعهُ من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلي وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسَّان بشر كثير»

٢٧ ﴿ العباد ﴾ قال ابن خلكان (éd. de Slane, 98): «العباد عدَّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى يُنسب اليهم خلق كثير منهم

---

١) اطلب كتابهُ عن اديان العرب Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 211

٢) وهذا نصُّهُ الاصلي: «In der Mitte zwischen den Qudâa und der Rabi'a-Tamim hatten die Taiji, vielleicht von Mesopotamien her, alte Beziehungen zum Christentum. Waere nicht der Islam dazwischen gekommen, so waere voraussichtlich binnen kurzem das ganze nordlich Arabien, vom Rotem bis zum Persischem Meerbusen, christlich gewesen.»

عديّ بن زيد العبادي الشاعر ". وقد روى هشام بن الكلبيّ (اطلب تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٦٩ — ١٧٠) عن نصارى العرب في العراق ما نصهُ :

وكانت يوضع على ريف العراق ينزلون الحيرة وكانوا ثلث فرق : الاولى تنوخ ومنهم قضاعة . . . وكانوا يسكنون بيوت الشعر والوبر ويعسكرونها غربي الفرات بين الانبار والحيرة وما فوقها فأنفوا من الاقامة في مملكة اردشير وخرجوا الى البريّة . والثانية العباد الذين كانوا يسكنون الحيرة واوطنوها . والثالثة الاحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم ولم يكونوا من تنوخ الساكنين من طاعة الفرس ولا من العباد الذين دانوا بهم فلك هؤلاء الاحلاف الحيرة والانبار وكان منهم عمرو بن عدي وقومهُ . . .

امّا تسميتهم بالعباد فانّ أبا الفرج في الاغاني (١١ : ١٦٢) علّلها بكونهم قاتلوا سابور ملك العجم واتّخذوا كشعارهم « يا آل عباد الله فُشتوا العباد »

٢٨ ﴿ عبد الدار ﴾ كانوا فرعاً من لخم وسكنوا مدّةً مكّة وكانت لهم فيها الوفادة والسقاية . ثمّ لحقوا بعرب العراق وتنصروا وسكنوا الشام وجبال فلسطين (١

٢٩ ﴿ عبد القيس ﴾ هي قبيلة من ربيعة كانت ساكنة في بلاد البحرين وكانت النصرانية غالبة عليها ووفدت على محمد سنة ٨ للهجرة مع سيدها بشر بن عمرو المعروف بالجارود وكان نصرانيًا (٢ . ومن هذه القبيلة كان بحيرا الراهب النسطوري (٣ والرثاب ابن البراء الشنّي قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٧) : « وكان (الرثاب) على دين عيسى عليه السلام وكانوا سمعوا في الجاهلية منادياً ينادي : ألا انّ خير الناس رثاب الشنّي »

٣٠ ﴿ عبس وذبيان ﴾ هما ابنا بغيض بن غطفان من قبائل مضر (٤ . ليس لدينا شواهد صريحة على نصرانيتها وانما يستدلّ عليها ببعض الدلائل فمن ذلك تنصّر قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سيد بني عبس في أيام داحس والغبراء .

١) اطلب سيرة محمد (Sprenger III, 432) ثم (Wellhausen, *Skizzen*, IV, 108)

٢) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠١) ثم Sprenger III, 372 و Wellhausen, *ibid.* 155)

٣) اطلب مروج الذهب طبعة باريس (٣ : ٣٥٧)

٤) اطلب تاريخ ابن خلدون (٢ : ٣٠٥ — ٣٠٦)

قال ابن الاثير في تاريخه (١: ٢٤٢ — ٢٤٣) انهُ تلب الى ربه « فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهّب بهِ ». وكذلك الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان منادماً لملك الحيرة النعمان بن المنذر مع سرجون بن توفيل (ويروى نوفل) وكان النعمان نصرانيًا وسرجون ايضاً نصراني رومي (١ فلا يُحتمل ان يكون الربيع بن زياد من عبدة الاصنام. وادلّ من ذلك على النصرانيَّة في عبس ظهور رجل بينهم من بني مخزوم بن عبس يدعونهُ خالد بن سنان ويذكرون انهُ كان نبيًا. قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٧٠): « ذُكر عن النبي صلعم انهُ قال (عن خالد بن سنان): ذاك نبيّ ضيعهُ قومهُ ». قال العصاميّ في كتاب سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (٢: « روي انّ خالد بن سنان كان في زمن كسرى انو شروان وانهُ كان يدعو الناس الى دين عيسى وكان بارض بني عبس واطفأ النار التي كانت تخرج من بئر هناك وتحرق من لقيتهُ من عابر سبيل »

وذكر العصامي في الكتاب عينهِ نبيًا آخر لبني عبس اسمهُ حنظلة بن صفوان (ص ٦٩) قال انهُ دعا قومهُ الى الله تعالى وصنع المعجزات ثمّ قتلهُ قومهُ

امّا ذبيان فشقيقة عبس ولا يبعد انها دانت بالنصرانية. وما لا ينكر انّ شاعرها الكبير النابغة الذبياني كان نصرانيًا بشهادة تاج العروس (١: ٣٣٧) نقلًا عن الصغاني والاصمعي قال في جملة ترجمة « الصليب »: « والصليب العلَم قال النابغة:

ظلّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الرؤاء منصوبِ

... وقيل سمّي النابغة العلَمَ صليباً لانّهُ كان نصرانيًا » (له بقيّة)

١) اطلب الاغاني (١٤: ١٤ و ١٦: ٢٢) ثمّ شعراء النصرانيَّة (ص ٧٨٩)
٢) من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (ص ٦٩)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٩ طور عبدين – الجزيرة – زاخو (تابع)

كنّا قبل خروجنا من مديات ابرقنا الى السيد عمنويل يوسف رئيس اساقفة سعرت ليفيدنا هل الطريق امينة فلم يأتنا جوابهُ وذلك ما حدا بنا الى ان نقدّم سفرنا الى الجزيرة. ثم علمنا بعد ذلك بان الجواب كان سلبيًّا الّا انّ ادارة البريد ضبطتهُ لئلّا ينتشر خبر ثورة الاكراد على النصارى

يوم الاثنين الواقع في ٤ تشرين الثاني سرنا في وسط طور عبدين قاطعين حزونهُ وبطونهُ بين اشجاره من العفص والبلوط والبطم وكانت الطريق مقفرة لم نعاين فيها من وقت الى آخر غير افراد من الحطّابين او بعض المكارين من الاكراد. ولقينا غير مرّة ايضاً في تلك الجهات الى الموصل بعض النفر اليزيديين المعروفين بعبَدة الشيطان وهم قوم يسكنون في جنوبيّ طور عبدين في جبل سنجار من ولاية الموصل ولهم من العادات الغريبة والتقاليد الخرافيّة المستترة ما كشف عنهُ القناع علماء زماننا. وقد سبق حضرة الاب انستاس الكرملي سنة ١٨٩٩ ودوَّن في المشرق (٢ : ٣٢ الخ) من الفصول المسهبة في تعريفهم واوصاف احوالهم ما يغنينا عن التكرار

حللنا في مساء النهار في دير للياقبة يُعرف بدير المُنر وهو دير كبير ذو ابنية قديمة محصَّن في وجه شذّاذ الاكراد ولهُ كنيسة قديمة على طرز كنائس القرن الخامس او السادس للمسيح يُنزل اليها بالدرج وتسندها السواري الضخمة. وكانت هذه الكنيسة غنيَّة بحليّها وآنيتها فمرّ بها تيمورلنك في اواخر القرن الخامس عشر واخذ مصاغاتها

ورهبان دير العمر قليلون يقضون معظم نهارهم في استثمار املاكهم ولا يكادون يعرفون غير القراءة البسيطة في العربية والسريانية وليس عندهم مكتبة. وكان اسقف مديات يوم مرورنا نازلًا بينهم ليتقاضى منهم الاعشار فلم نجده ارق كثيرًا من رهبان الدير وباعنا بنفسهِ علوفة دوابنا ولم يجد ما يباحثنا فيهِ غير اموره المادّيّة وفي هذا الدير سربٌ مظلم تحت الارض في جدرانهِ وجوانبهِ اجران مكلسة

يزعمون انَّ فيها عظاماً للشهداء. لم يستطع الرهبان ان يفيدونا شيئاً ثابتاً من اخبارهم وهم يدعونهم شهداء المصريين

وفي غدٍ توجهنا الى جهة الشرق قاصدين أزخ ومررنا عند الظهيرة بقرية يسكنها اليعاقبة وحدهم تدعى باسبرَّينا موقعها على تلّ وفيها ايضاً كنيسة قديمة وبعض كتب طقسية ثمينة تضعضعت فابتاعها الاميركيون. وكانت نواحي باسبرينا في سالف الأيام حافلة بالاديرة والنسَّاك وكلّها اليوم اثر بعد عين وربَّما بقي من تلك الاديرة بعض اطلالها او قسم من ابنيتها كدير مار اوكين وفي الغالب لا يسكنها الَّا راهب واحد لنظارة ارزاقها. وفي جنوبي دير العمر آثار قصور شاهقة وابنية نخصّ منها بالذكر قصرًا يُعرف بقصر حاتم الطائي والتقليد عند الاهلين انَّ بني طيئ كانوا يسكنون تلك الجهات وانَّ حاتماً سيدهم ابتنى لهُ ذلك القصر

ثم خرجنا من طور عبدين وانحدرنا الى البطائح التي يسقيها نهر دجلة وبعض روافده وهناك تبتدئ العاملة التي كان يدعوها قدماء السريان بازَبدى او بيت زبدا الشهيرة بخصبها

أزخ بلدة صغيرة ذات ٤٠٠ بيت كانوا سابقاً يعاقبة دون استثناء. فلمَّا جاء عمر باشا نحو سنة ١٨٤٠ لمحاربة الاكراد في جهات الجزيرة حالفهُ اهل ازخ وحاربوا معهُ اعداء الدولة لكن الاكراد اضمروا لهُ الشرّ وانتهزوا الفرصة بعد حين للغارة على ازخ تحت قيادة اميرهم بدرخان فنهبوا وحرقوا واستاقوا الى السبي النساء والاطفال. وصرخ الازخيون الى الدولة فلم يكن من مجيب فطلبوا من المرسلين الكاثوليك ان يساعدوهم على فكّ اسراهم ووعدوهم بالانتماء الى الكثلكة اذا توفقوا في مساعيهم. فصار الاب ويكدُّنا اليسوعي في صحبة المسيو بوره (Mr E. Boré) المنوط بسفارة فرنسة في الاستانة (وهو الذي بعد ذلك دخل في الاخوية اللازاريَّة وصار عليها رئيساً عامًّا) ودخل كلاهما على بدرخان امير الاكراد وبحسن سياستهما ادركا غايتهما وكسرا اغلال اسرى أزخ. امَّا اهل أزخ فلم يقوموا بوعدهم الَّا نحو ٣٠ عائلة ارتدُّوا الى حجر الكنيسة بهمَّة الآباء الدومنكيين نحو سنة ١٨٨٠ فابتنى لهم الآباء معبدًا صغيرًا وفتحوا لهم مدرسة وهم اليوم متمسكون بدينهم يزورهم المرسلون حيناً بعد حين. فنزلنا هناك تلك الليلة واتانا احد رهبان اليعاقبة

ببعض مخطوطات سريانية فابتعناها منها كتاب لغة سرياني بتصاوير ملوّنة وكتاب ايروتاوس تلميذ بولس الرسول وتعاليمه الموهومة

المسافة من أزخ الى الجزيرة خمس ساعات في ارض سويّة ذات تربة حسنة ومزارع نامية قطعناها في صباح النهار فبلغنا الجزيرة ساعةً قبل الظهر وحططنا الرحال في دير الاباء الدومنيكيين وكان يومئذٍ رئيسهم هناك حضرة الاب غلّان الذي كنّا اجتمعنا به سابقاً في فرنسة في دير فلاڤيني سنة ١٨٧٥ وهو اليوم احد الزوّار الرسوليين في الرهبانيات المارونية الكريمة في لبنان. فاستقبلنا بكل لطف متحفياً بنا واخذ بمعالجة الاب يوسف شلفون رفيقي الذي كان عاوده المرض بعد خموده فنال الشفاء التامّ على يد حضرة رئيس الجزيرة

قضينا ثلاثة أيام في الجزيرة وكانت نيتي ان نسافر منها الى سعرت لانّ الاخبار الواردة منها ومن ديار بكر وماردين كانت لا تزال متناقضة. فمنها ما يقلق البال ويزعج الافكار ويروي نبأ سلباً وقتلاً وضرباً ومنها ما كان على خلاف ذلك مطمئناً للقلوب نافياً لكلّ خطر. فاحببتُ ان أطّلع على صدق الخبر وصحّة الامر فذهبت مع اخي الى زيارة القائمقام وطلبت منهُ ان يرسل ضابطين في رفقتنا الى سعرت حسب منطوق بيرلدي والي ديار بكر. فبقي القائمقام واجماً ثمّ اقبل عليّ ليردّني عن هذا السفر الشاقّ دون ان يقرّ بما كان هناك من الفتن والمشاغب فالححت عليهِ حتى صرّح لي قائلاً: « ان كان لا مناص من هذا السفر فانتم وشأنكم امّا انا فلا اقبل عليّ المسؤلية في ذلك » فاتضحت لي حينئذٍ صحة الاخبار الواردة عن المذابح وغارات الاكراد في تلك الجهات. ومن ثمّ عدلنا عن السفر الى سعرت وكتبت الى سيادة مطرانها معتذراً لهُ عن اهمال زيارتهِ

وكانت سعرت في تلك المدّة اضحت في حالة حرجة فانّ الأكراد كانوا نهبوا ضواحيها وقتلوا فيها بعض الفلّاحين النصارى ودخلوا دير مار يعقوب للكلدان الكاثوليك وسلبوا امواله وحاصروا سعرت طالبين قتل المسيحيين الذين فيها. وكان الامر تمّ لولا قرينة الفريق التي كانت نصرانيّة فرنجية فالتجأ اليها السيد عنويل يوسف توما فانقذت النصارى من ايدي اولئك الوحوش الضراة بعد ان قضى المسيحيون ثلاثة اسابيع قاسوا فيها امرّ الاهوال

وبينما كنّا نحن ساعين في انجاز مقاصدنا كان رؤساؤنا في بلاد الشام في غاية الهمّ وانشغال البال بسببنا فانّ مكاتيبنا التي كنّا نحرّرها لهم في كل اسبوع لتوقفهم على احوالنا كانت انقطعت عنهم فتضبطها البوسطة المحلية. واذ كانت اخبار مذابح اورفا وديار بكر وماطية ومرعش قد انتشرت في جرائد اوربّا غلب الظنّ على اخوتنا في الشام أنّنا ايضاً ذهبنا ضحايا تلك المشاغب فخابر رؤساؤنا السفارة الفرنسوية في استنبول ليعلموا ما حلّ بنا فسعت السفارة بالامر وراجعت المقامات الايجابية دون ان تنال بصددنا المعلومات الشافية. فشاع الخبر انّنا قُتلنا وقرأنا ذلك في الجرائد الاوربيّة عند وصولنا الى الهند. امّا نحن فكنّا في الاطمئنان التام لم نجد شمرةً عن الخطّة التي سبقنا الى تحديدها ما عدا سفرنا الى الجزيرة كما رأيت

ثم صرفنا مدّة اقامتنا في الجزيرة لتفقد آثارها وزيارة ارباب طوائفها

الجزيرة مدينة وسطى مركز قضاء لاحقة بسنجق ماردين في حلف جبل الجودي الذي يزعم العرب انهُ الجبل الذي فوقهُ قرّت سفينة نوح بعد نهاية الطوفان. وقد دُعيت بالجزيرة لانّ نهر دجلة يحدق بقسم منها على شبه الهلال وهي في وسط رستاق مخصب واسع الخيرات. والعرب يدعونها جزيرة ابن عُمر وهو احد بني تغلب واسمهُ حسن بن عمر بن خطّاب التغلبيّ على ما روى ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧١). فهذا كان يملكها فعمل لها خندقاً اجرى فيهِ الماء ونصب عليهِ الرحى فاحاط الماء بها من جميع جوانبها فنُسبت اليهِ. وكانت الجزيرة تسمّى ايضاً بازبدى اشتقوا اسمها من السريانيّة بيت زبدى (ܒܝܬ ܙܒܕܝ) او (ܒܝܬ ܙܒܕܝܐ)

ودعوها ايضاً باقِرْدَى (ܒܝܬ ܩܪܕܘ) نسبةً الى جبل قردو وهو الجوديّ. وقال البعض انّ بازبدى وباقِرْدى قريتان كانتا متقابلتين الاولى في غربي دجلة والثانية في شرقيهِ. وروى ياقوت لشاعر فيها قولهُ يفضلها على بغداد :

بقَرْدى وبازَبْدَى مصيفٌ ومربعٌ وعذبٌ يحاكي السلسبيل بَرُودُ
وبَغْدَادُ ما بغدادُ امّا تراجا فحمّى وامّا بَرْدُها فشديدُ

والجزيرة سبقت تاريخ الميلاد ورد ذكرها في جغرافية بطلميوس وهو يدعوها صفا. وكذلك تكرّر ذكرها في تاريخ النصرانية الاولى فانّها كانت في مقدّمة

المدن المنتصرة وكان لها اسقف على كورتها وبعد ان ملكها الرومان مدة صارت في حوزة الفرس حتى فتحها العرب اما اهلها فبعد ان كابدوا لاجل الايمان اشدّ العذابات واستشهد كثيرون منهم في سبيل الدين انتسوا في القرن الخامس الى البدعة اليعقوبية وبقوا على ذلك الى القرون المتأخرة حيث عادت الكثلكة واناوت قسماً من اهل تلك البلاد. واهل الجزيرة اليوم مع القرى المجاورة التابعة لها نحو ١٢٠٠٠ نفس يقسمون ثلاثة اقسام ثلث منهم مسلمون وثلث ارمن غريغوريون ويعاقبة وبروتستانت وثلث كاثوليك من الكلدان ثمّ من الارمن واقلّ منهم السريان. وللآباء الدومنيكان في الجزيرة رسالة فتحوها سنة ١٨٨٤ سنتين بعد فتحهم لدير سعرت ولهم هناك مدارس عامرة للصبيان والبنات وكان يعلم في مدرسة الصبيان وقت سفرنا احد تلامذة مدرستنا الاكليريكية في بيروت

وفي الجزيرة عدّة مآثر قديمة دينيّة ومدنيّة. فمن ابنيتها القديمة قلعتها المشيّدة بالحجارة العاديّة السوداء البركانيّة والبيضاء الصلبة. لها مدخل فخم يعلوه اسدان منقوران في الصخر. وهي اليوم خراب. وكذلك خرب سورها الحصين الذي كان محدقاً بها واستولى الدمار على جسر كبير كان ممتدًّا فوق النهر ترى على جوانبه تمثال اسدين آخرين مع صورة منطقة البروج وكتابات عربيّة واقية على ما يظهر الى اواخر القرن الثالث عشر كما ترى في قلعة حلب التي سبق وصفها في المشرق (٢ : ١٨—٢٠) وللمسلمين في الجزيرة جامع قديم بني قسمٌ منهُ بأنقاض ابنية عاديّة. وفي ضواحي الجزيرة آثار اخرى منها ما يرتقي الى عهد ملوك الفرس ومنها ما هو اقدم زمناً خلّفهُ ملوك اشور كبعض كتابات بالقلم المسماري. امّا الآثار الدينيّة فمنها كنيستا الكلدان الكاثوليك واليعاقبة وكلتاهما من طرز الكنائس السابقة لعهد الاسلام يُنزل اليها في بطن الارض كالاسراب وفيها النقوش القديمة والسواري الضخمة. والكلدان في هذه السنين الاخيرة قد رمّموا الكنيسة وفتحوا لها النوافذ وزيّنوها بآنية التقديس. وزرنا سيادة اسقفهم هناك السيّد يعقوب اوراهام الذي يرعى ابناء طائفته بالتقى منذ سنة ١٨٨١ ولا يزال مواصلاً لهمّته حتى اليوم

امّا السريان الكاثوليك فقد ابتنوا لهم كنيسةً صغيرةً في عهد اوّل اساقفتهم هناك السيد فلابيانوس بطرس متاح سنة ١٨٦٥. وكان اسقفهم عند مرورنا السيد

يعقوب متى احمر دقنه الطيب الذكر تشرفنا بزيارته في ماردين حيث تواعدنا على الاجتماع في الجزيرة وهو في اهبة الرجوع اليها لكنَّ الاضطرابات التي حصلت وقتئذٍ اضطرَّتهُ الى البقاء في ماردين وفيها استأثر الله بهِ سنة ١٩٠٨ بعد ان تولَّى نيابتها البطريركيَّة نحو ٣٠ سنة

وللارمن ايضاً في الجزيرة كنيستان الواحدة للغريغوريين والأُخرى للكاثوليك وهما متوسطتان في الكبر حسنتان

اما الآباء الدومنيكان فهتمون بكل الاعمال الرسوليَّة في الجزيرة والقرى المجاورة ففي عهد رئيسهم المفضال الاب غزالس دوفال اتَّسعت الرسالة الدومنيكانية الى سعرت والجزيرة وطور عبدين. وفتح بساعيهِ المشكورة هناك عدَّة مدارس للاحداث. ويساعد المرسلين راهبات دومنيكيات لتهذيب الفتيات والاهتمام باليتامى ولهنَّ مستوصف في الجزيرة يؤدين فيهِ خدماً عظيمةً لاهل تلك الانحاء المحرومين من الاطباء والصيادلة لاسيما ان الجزيرة تكثر فيها الحمَّيات لاستنقاع مياه دجلة في بعض جهاتها. فهذه الخدم المتنوِّعة قد اثَّرت في قلوب كثيرين من اليعاقبة والغريغوريين وبهمَّة المرسلين قد نما عدد الكاثوليك

بُعيد الظهر من يوم الجمعة الواقع في ٨ تشرين الثاني شكرنا الآباء الدومنيكيين على ضيافتهم ثم سرنا في وجهة الموصل فقطعنا دجلة على جسر من القوارب المتلاصقة ورقينا في الجبال المشرفة على وادي دجلة فكنَّا نسرِّح النظر في تلك المزارع المخصبة والحدائق الغناء والاشجار الوارفة الظلال. وبعد خمس ساعات حللنا عند غروب الشمس في قرية نهروان فبتنا في منزل احد سكانها. ونهروان هذه كثيرة المياه نامية الخيرات. فيها نصارى من السريان الكاثوليك واليعاقبة. وقد وجدوا في جوارها مناجم من الفحم الحجري فاستثمرتها شركةٌ وطنيَّة مدَّةً ونقلوا الفحم الى بغداد ثمَّ اهملوها لكلف نقل الفحم وتعديتهِ

وفي غلس يوم السبت بعد صلاتنا سرنا في سهول واسعة وعلى شمالنا تنتصب جبال كردستان الآهلة بجيل الاكراد وكان يمتاز بينها جبل يرى عن بُعد كانهُ شبه سفينة فذاك الجودي او جودي داغ الذي يرتأي العرب انَّ عليهِ نزلت سفينة نوح. والثلج يغطيه في اكثر شهور السنة. وكان هناك قديماً دير للناطرة تُرى حتى اليوم

بقايا من ابنيته كان يدعى دير السفينة ورد ذكر حريقه سنة ٧١٦ للميلاد في التاريخ المنسوب لديونيسيوس التلمحري (راجع المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٢ ص ١١٣) ولعلّ الآثار التي توجد هناك الى يومنا هي من الدير المذكور فيزعم مكتشفوها انها من بقايا سفينة نوح. وفي معاطف الجبل قصر كان يدعى قديماً قصر ثمان او ثمانين (Θομανῶν) فزعم بعض الكتبة انهُ دُعي بذلك لان الثمانية الناجين من الطوفان احتاوه بعد خروجهم من السفينة

وفي ذلك اليوم دخلنا في ولاية الموصل التي كان اهلها حاصلين على الامان بينما كانت دماء النصارى تهراق سيولاً في الولايات الغربيّة والشماليّة كحلب وديار بكر ومعمورة العزيز ووان وبتليس فاستحقّ عبد الحميد ان يُدعى لاجلها بالسلطان الدموي

وولاية الموصل متسعة يبلغ تكسير مساحتها ٧٥,٧٠٠ كيلومتر مربع يحدّها في الشمال ولايتا وان وديار بكر وفي الجنوب ولاية بغداد وفي الغرب متصرفيّة الزور. امّا في شرقها فتخوم العجم. يبلغ عدد اهلها نحو ٣٥٠,٠٠٠ النصارى منهم نحو ٥٠,٠٠٠ والباقون مسلمون ونحو ٢٠,٠٠٠ من اليزيديّة والشبك والباجوران والصابئة الذين ذكرهم المشرق (٥ (١٩٠٢) : ٥٧٧)

عند هاجرة النهار اشرفنا على مدينة زاخو الواقعة بقرب نهر الخابور المعروف بالخابور الصغير من روافد دجلة وهو المذكور في نبوّة حزقيال فالنهر هناك ينقسم قسمين على شبه حلقة كبيرة وزاخو في وسط الحلقة اي في جزيرة الّا بيوت النصارى منها فهي مبنية على ضفة النهر الشماليّة حيث كنيسة الكلدان الكاثوليك وهناك نزلنا في ضيافة مطران زاخو السيد تيموطاوس المقسي المعروف بفضله وسعة معارفه وهو احد المتخرجين في مدرسة انتشار الايمان الشهيرة. قضينا في داره الاسقفيّة ليلة عددناها من اسعد ساعات سفرنا. وقد اطلعنا سيادتهُ على بعض المآثر الادبيّة التي امكنهُ الحصول عليها عند النساطرة وافادنا اشياء كثيرة عن تاريخ تلك الجهات واحوال اهلها وسيادتهُ مولود في القوش وطن كثيرين من مشاهير الكلدان وكان تولى رعاية ابرشية زاخو قبل وصولنا بثلاث سنوات وهو الى اليوم يتفانى في خدمة اهلها

الكلدان البالغ عددهم في زاخو وضواحيها نحو ٤٠٠٠ نسمة ليس نصارى غيرهم الا قليل من السريان الكاثوليك

زاخو مدينة قديمة كما يظهر من بقايا حصن قديم يحدق به القسم الايمن من الخابور وقد بقي من الحصن برج مثمن الزوايا متين البناء قد استولى الخراب على داخله. ومن المحتمل انهُ من عمل الفرس. وهناك ايضاً نادٍ واسع ذو نوافذ واعمدة ونقوش منقورة على جوانبه قد اتخذتهُ الحكومة كمقام لفرقة من جنودها

ومع قدم مدينة زاخو لا تجد لها ذكرًا في التاريخ ولا في معاجم البلدان وقد ظنَّ البعض انها هي بلدة الحسنيَّة المجاورة التي اشار اليها المقدسي وياقوت لكنَّ رأيهم ليس راهناً. واسم « زاخو » كلداني معناه الانتصار وفيه دليل على موقعة جرت هناك فدعاها الحزب المنتصر بهذا الاسم

والكلدان الكاثوليك في زاخو كانوا قديماً نساطرة فارتدُّوا على ايدي المرسلين الدومنيكان وفي زاخو مدفن احدهم الاب سولديني المتوفى سنة ١١٧٩

امَّا ابرشية زاخو فحديثة العهد كما اثبتهُ سابقاً حضرة القسّ بطرس نصري (في المشرق ٩ (١٩٠٦) : ٦٨٩) وعدَّ هناك الاساقفة الخمسة الذين نُصبوا على هذا الكرسي منذ السنة ١٨٥٩

وفي صباح اليوم التالي الموافق ليوم الاحد جاء اهل زاخو ليسلِّموا علينا وحضر كثيرون منهم قدَّاسنا ثمَّ ودعناهم في ضحى النهار قاصدين قرية مار يعقوب وديرها للآباء الدومنيكان (له تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

DIE WEISEN NARREN DES NAISABURI. Inaugural-Dissertation z. Erlangung d. Doktorwürde von **Paul Loosen**. *Strassburg, K. J. Trübner*, 1912, p. 47

كتاب اخبار عقلاء المجانين

كثيرًا ما تجد في كتب أدباء العرب فصولًا في حِكم وردت على ألسنة المجانين واخبارًا من سيرهم من شأنها ان تكون عبرةً للعقلاء. بل صنَّف بعضهم كتباً في هذا الصدد منها كتابان صبرا على آفات الدهر الواحد منسوب لابي الازهر محمَّد بن

زيد (ويروى مزيد) النحوي المتوفى سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) في مكتبة مدريد المعروفة بالاسكوريال والآخر في برلين منسوب الى ابي القسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري معاصر ابي الازهر المذكور وكلاهما يُدعى باسم واحد الّا انّ الكتابين يختلفان في الابواب والمواضيع فعمد الاديب پول لوزن من طلبة كليّة بون في المانية الى درس هذين الكتابين واثبات ما يوجد من العلاقة بينهما وبين مؤلفيهما مع مقابلة ابوابهما واخبارهما وذكر ما نقلهُ عنهما الأدباء في تآليفهم فجاء كتابهُ نقدًا حسنًا لهذا الاثر القديم قدمهُ للجنة علماء بون ليرشحوه به الى رتبة الدكتوريّة. فاعجبنا هذا الانتقاد العلمي وتمنينا لو جارى مواطنونا المؤلف في تدقيقه وتحقيقه ل. ش

Précis d'Allographie assyro-babylonienne par J. Halévy. Paris. E. Leroux. 1912 pp. XXIX-472

الخطّ الرمزيّ الاشوريّ البابليّ

أا بسط الملك « اور انكور » سيطرتهُ على تخوم بابل جنوبها وشمالها تسمّى بتلك « شومر واكّاد » اي المالك على ناحيتي بلاد بابل الجنوبيّة المدعوّة بشومر لما كان يجري فيها من الانهار والشماليّة المعروفة باكاد اي الصلبة لصلابة ارضها. فظنّ قوم من العلماء انّ هذين الاسمين يدلّان على عنصرين مختلفين احدهما سامي اي عنصر اكّاد والثاني غير سامي اي عنصر شومر وزعموا ان كلًّا من العنصرين كانت لهُ لغتهُ الخاصة وكتابتهُ المنفردة. فقام بعض المستشرقين وانكروا هذا الاختلاف ومن جملتهم الاستاذ الفرنسوي الشهير ج. هالوي الذي كتب الفصول المسهبة في المجلّات العلميّة ليثبت ان شومر واكّاد امّة واحدة من اصل واحد وان لغتها لم تختلف الّا في بعض العرضيّات. واذ كان العلماء المخالفون يسندون رأيهم الى كتابات تختلف صورتها الخطّية جعل المسيو هالوي بدروس متواصلة يبين انّ الخطّ الشومري هو رمزي كالخط الهيروغليفي بخلاف الخطّ الاكّادي الذي يدلّ على اصوات معلومة مشتقة بالاصطلاح من القلم الرمزي الاصلي كما يدلّ الخطّ الديموتيكي على الاصوات عند المصريين. فقام جدال طويل بين الفريقين وكل منهما يدافع عن رأيهِ بالادلة التي يراها الصواب غير انّ رأي المسيو هالوي قد اجتذب اليهِ القسم الاكبر من المستشرقين. ولتأييدهِ وتوسيع نطاقهِ قد جمع الاستاذ المشار اليهِ كتاباتهِ المتفرّقة في ذلك وعرضها على

صورة جديدة قريبة المنال تثبت مزاعمهُ وتنفي اقوال مناظريهِ. فجاء منهـا كتاب واسع ضمّهُ ملحوظاتهِ اللغويّة المتواصلة في توحيد لغتَي اكاد وشومر. ولا شكّ ان هذا التأليف بوفرة ادلّتـهُ يزيل المشاكل ويثبت وجه الحقّ. ونحن نتمنّى لهُ رواجاً كبيراً بين كلّ من يهمّهُ درس اللغة الاشوريّة ل. ش

O. Rescher : I. Arabische Handschriften der Koprülü - Bibliothek (*Sonderabdruck aus den Mitteil. d. Semin. f. orient. Sprachen z. Berlin*) = II Idem. Arabische Handschriften des Top Kapu Seraj (*Estr. d. Rivista degli. Studi Orientali*, Roma, 1912, vol. IV. 695-733 = III M-Y Bitar. Catalogue des Manuscrits précieux et Livres rares arabes du Comte Rochaid Dahdah. *Paris*, 1912, p. 94

مكاتب كوبريلي وطوب قپو سراي والكنت رشيد دحداح

بعد اعلان الدستور اضحت مكاتب الاستانة المقفلة قريبة المنال بحيث يمكن الادباء ان يتصفحوا مخطوطاتها ويستفيدوا من كنوزها الادبيّـة. فرأى بعض المستشرقين انّ احسن خدمة يقدّمونها للعلماء ان يدوّنوا اسماء مآثر كل مكتبة ويعرّفوا مضامينها. وللدكتور ريشر في هذا الامر فضلٌ مشكور فانّهُ وصف عدّة خزائن كتبيّة من خزانات حاضرة السلطنة. وممّا نشرهُ حديثاً وصف خزانتي كوبريلي وطوب قپو سراي فعرّف اخصّ مخطوطاتها ووصف من الاولى ١٢٢ كتاباً ومن الثانية ١٣٨ ك وقد اختصّ منها كتب الادب والتاريخ والعلوم. وذلك على الطريقة الجارية عند العلماء بتعريف خواصّ كل كتاب ومؤلفهِ وزمانهِ وبقيّة فوائدهِ — ونضيف الى ذكر هذين الكرّاسين قائمة ثالثة وضعها احد تلامذة كليّتنا الادباء نزيل باريس ميشال افندي بيطار وصف فيها ما خلفهُ من المطبوعات والمخطوطات فقيد العلوم الشرقيّة الكنت رشيد دحداح. وهي عبارة عن ٧٢٦ كتاباً بينهـا نحو ٣٠٠ من المخطوطات التي كان جمعها الكنت في بلاد الشام ومصر وتونس ومنها الكتب النادرة نخصّ منها بالذكر تأليفاً جليلاً صنفهُ الكنت في تاريخ العرب وآدابهم دعاهُ « السيّار المُشرق في بوار المشرق » خصّ جزءاً منهُ بتاريخ النصرانيّة بين العرب. فأملنا انّ هذه الخلفة الثمينة لا تتضعضع فيحصل عليها من يعرف قدرها ويفيد العموم بنشر بعض كنوزها الادبيّة . ل ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفه سليمان مصوبع المحامي . الجزء الثالث

في مطبعة العرفان في صيداء (ص ٢٤٣ – ٢٦٠)

هذا المعجم المفيد جارٍ طبعهُ بسرعة مشكورة تدلّ على انّ مؤلفهُ قد استكمل كل موادّه ولن يتأخر عن نشره تماماً . وهذا الجزء الثالث يتناول مظانّ حرف الجيم كله وقسم كبير من حرف الحاء الى « المستحقّ » . وهو في كل مادّة يذكر القانون الصادر بخصوصها مشيراً الى مضمونه الخاصّ في جدول منفرد لذلك والى اسانيده في ذيل الكتاب . ومن الموادّ المهمّة في هذا الجزء مادّة « الجمعيّة » (٢٧٥ – ٢٨١) و « الاجانب » (٢٨٢ – ٢٩٠) ففي باب الجمعيّات قرأنا (ص ٢٧٦) انهُ « ممنوع بتاتاً تأليف الجمعيّات السريّة » والماسونيّة كما هو معلوم داخلة في سلكها ل . ش

اطرب الشعر واطيب النثر

من آثار قدماء الادباء واهل العصر

القسم الاوّل اطرب الشعر . الطبعة الثانية

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٤١٥)

نشرنا قبل خمس سنوات هذا المجموع اللطيف الذي اقتطفناه من حدائق مجلة المشرق ترويحاً لنفوس الادباء ولاسيما طلبة المدارس فراق الكتاب في اعينهم واقبلوا عليه برغبة لوفرة موادّه الادبيّة وفنونه الكتابيّة حتى نفد بوقت قليل طبعهُ . وكانت في اثناء ذلك زادت في المشرق المواضيع الرائقة النثريّة والشعريّة فرأينا ان نجعل هذه الطبعة قسمين نخصّ الاوّل منهما بالمنظومات والمقاطيع الشعريّة ونفرد الثاني للآداب النثريّة . فهذا القسم الاوّل « اطرب الشعر » يحتوي على نيف ومئة قصيدة او قطعة من النظم ظهرت في السنين الخمس عشرة من مجلّة المشرق . وقد قسمناها تسهيلاً للمراجعة ابواباً شتى مباشرةً بالعزّة الالهيّة والسيد المسيح ثمّ مريم العذراء واسرار حياتها ثمّ الكنيسة ورأسها واسرارها المحيية ثمّ القصائد الدينيّة والزهديّة ثمّ المنظومات الاجتماعيّة ثمّ القصائد التاريخيّة وادبيات شتى . وفي اخرها بعض الاناشيد العاميّة من اقوال مشاهير القوّالين في لبنان . فبلغ هذا

القسم ٤١٦ صفحة يجد فيه عموم الادباء وعلى الأخص احداث المدارس ما يفكّهُ البابهم ويشحذ قرائحهم وينهج لهم اساليب النظم. ولا نشكّ انهم يتلقّونهُ بمزيد الاقبال ويزينون بمنظوماته ذاكرتهم فيتناشدونها في مجتمعاتهم ويتلونها على مسامع اهلهم وفيها كلُّ معنى شريف وكل لفظ لطيف ظريف فضلًا عن موافقتها للاحوال العصريّة وللذوق الجديد. بارك الله في قائليها ومنشديها وانمى عدد ارباب الاقلام الذين يرون زناد الافكار لخدمة المبادئ الدينيّة والآداب الاجتماعيّة وينزهونها عن كل ما يشين النفوس البارّة او يجعلها عثرة في سبيل الخير العامّ. اماً القسم الثاني من هذا المجموع « اطيب النثر » فقد سبق وصفهُ العام الماضي اذ تقدّم طبعهُ على القسم الاوّل (راجع المشرق ١٩١١ ص ٥٥٥) ل. ش

امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانية

للصحافي الكبير ستاثروس فوتيراس عرّبهُ عن اليونانيّة الاستاذ غطّاس افندي قندلفت

طُبع في المطبعة الوطنيّة في طرابلس الشام سنة ١٩١٢ (ص ٥٧)

لا ريب ان المسلمين لمّا فتحوا مملكة الروم وادخلوا في حوزتهم الشعوب النصرانيّة منحوا لرعاياهم النصارى امتيازات لا تقوم لهم قائمةٌ دونها. اخصّها تدبير رؤساء النصرانيّة لامور مرؤوسيهم في كل الدينيّات واحوال الشرع. وقد سعى كثيرون في تعريف هذه الامتيازات وبيان حدودها فمن ذلك مقالات كتبها صحافيّ يوناني شهير يُدعى ستاثروس فوتيراس في جريدة نيولوغس اليونانيّة فاحبّ حضرة الاستاذ غطّاس افندي قندلفت مدير المدرسة الاكليريكيّة في البلمند ان ينقلها الى العربيّة تعميماً لفائدتها فنشرها في كأس اهدانا منهُ نسخة. فنشكر لحضرة المعرّب ونفيدهُ انَّ كثيرين سبقوا الصحافيَّ ستاثروس فوتيراس واتوا بما هو اوسع واثبت منهُ لاسيما الكنت دي جيهاي (le Comte F. van den Steen de Jehay) في كتاب جليل هذا عنوانهُ (de la Situation légale des Sujets Ottomans non-Musulmans) طبعهُ في بروكسل سنة ١٩٠٦ في ٥٥٥ صفحة والمؤلف لا يدع بحثاً الّا خاض فيه واسندهُ الى اثبت الاسانيد. وفي كتاب الامتيازات للمسيو ستاثروس اشياء لا يجوز قبولها دون دليل مقنع فمن ذلك العهدة

الممنوحة من عمر بن الخطّاب للبطريرك صوفرونيوس الاورشليمي (ص ٥ — ٧) فانّنا سبقنا وانكرنا صحة هذه العهدة في المشرق (١٢ (١٩٠٩) ص ٦٢٩ — ٦٨٠ مع عهود اخرى شبهها تناقلها النساطرة واليعاقبة والارمن وكلها موضوعة. ومهما كان من امر هذه العهود لا شكّ ان للنصارى امتيازات قديمة وحقوقاً مرعيّة لا يجوز انتهاكها لاسيما بعد ان قرّرتها الدولة العثمانية غير مرّة. امّا المعاهدات الدولية بخصوص حماية نصارى الشرق فكان لفرنسة السبق في ابرامها ولم تحصل بقية الدول على امتيازات فرنسة الّا بعدها بزمن طويل. وكان الأولى بالمؤلف ان لا يخلط بين الامتيازات القديمة التي للبطاركة الشرقيين والامتيازات الدولية فيتتبع في التاريخ اصول كل منها وشروطها واحكامها ليس لليونان فقط ولكن لبقية الكنائس ايضاً. ويا ليته امكنهُ ان يكتشف العهدة المعطاة للبطريرك جناديوس من محمّد الثاني او يثبت لنا مضامينها. ومن ثمّ لا تعدّ هذه المجالة كتأليف موطد الاركان ودستور يمكن الرجوع اليه في تلك المسائل العويصة ل. ش

مدخل دروس القراءة

تأليف محيي الدين الخيّاط والقرام محمّد شاكر ياسين

طُبع في المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ (ص ٤٨)

يمتاز هذا المدخل بحسن التنسيق وسهولة الاسلوب والتفنن في المواد بحيث يقوى الطالب على تعلّم القراءة في وقت قصير مع وجود لذّة في التعليم. وقد وقع في الكتاب مع هذا عدّة اغلاط طبعيّة يجب اصلاحها في طبعة ثانية. فهو الرّصاص لا الرِصاص (ص ٣٤ و٣٥) والدَرْج لا الدُرْج (فيها) والجُلّنار لا الجُلْنار (٣٦) والبطّيخ (٣٧ و٣٨) والتِنّس (٣٩) والإثنين (٤٠ و٤٢) والرائحة الذكيّة بالذال (٣٦) والأربعاء (٤٢) وتشرين وحزيران (٤٣) والإبن والإبنة (٤٧). وكان الأولى في كتاب للاحداث ان تُنزع منهُ عبارة حيض الارانب (ص ٣٩)

برنامج جمعية اخوة التعليم المسيحي الكاثوليكي بحلب

للسنة الحادية والعشرين من تأسيسها سنة ١٩١١ (ص ٢٥)

نهنئ اعضاء هذه الجمعية ومدبريها ونشكرهم على نشاطهم وثباتهم في تأدية خدمتهم الصالحة لنفوس الاحداث. فان كان اصحاب الجمعيات الخيريّة يستحقون

الثناء لشفقتهم على ذوي البأساء. فكم يكون احرى بالمديح اولئك الذين يتفانون في تهذيب عقول الناشئة بطبع اصول الدين في قلوبهم. فانها لعمري صدقة تفوق الصدقة المادّية على قدر ما تفضل النفس على الجسد. وفي هذا البرنامج دليل على انّ اخوة التعليم المسيحي في الشهباء لا يضنّون ايضاً بدراهمهم ليؤلفوا قلوب الصغار ويجتذبوهم الى حضور الاجتماعات بما يوزّعونهُ على المجتهدين من المساعدات المادّية. فتضاعف بذلك اجرهم جازاهم الله خيراً وألهم في كلّ مدن الشام شبّاناً مثلهم يقتفون آثارهم

ل. ش

شذرات

قصر بيت الدين — هي قصيدة نظمها حضرة المعلم منصور ابي رزق بعد انفجار الذخيرة اللبنانيّة وقد وقف على تلك الاطلال وقرأها علينا فاخترنا منها ما يلي:

قَصرَ الشهابي قصرَ بيتِ الدينِ ... كم فيكَ من درسٍ ومن تلقينِ
يقفُ التصوُّر عند مجدكَ لُمحةً ... تغني الفكرَ عن دروس سنينِ
ويُبيح ذكرُ علاكَ غمّاً محزناً ... ويُسَرُّ في مرآكَ كل حزينِ
ولكم يحومُ على جمالكَ شاعرٌ ... فيفيض منك الوحيُ فيضَ معينِ
حجّت اليك خواطري وعواطفي ... فنظمتُ نوحي او نثرتُ حنيني
ووقفتُ عند القصر وقفةَ حائرٍ ... ارعى الجمالَ بمقلة المفتونِ
فتجلّتِ الآثارُ افخمَ عبرةٍ ... تُجري من العبرات كلَّ سخينِ
وعجبتُ للاتقانِ في البنيان والإ ... بداع في التصوير والتلوينِ
وسجدتُ للعزّ المكفّن في الثرى ... وبكيتُ فوق الموطن المدفونِ
ووقفتُ عند قصورهم وقصورنا ... أرثي العلى بتلهُّفي وأنيني
وشهدتُ كيف تزول امجاد الورى ... وتخلّف الآثارَ للتدوينِ

*

رفعَ الشهابيُّ البناءَ مجمّلاً ... ومعزّزاً بالرَّسم والتحصينِ

عالي الجدار كما تعالى قدره عن منتحى ذلٍّ ومضجع هونِ
داران: دارُ الحكم قامَ وراءها الحرمُ الاميري للظباء العينِ
وتقومُ بينهما المشاهد فتنةً للناظرين وطرفةً لعيونِ
احواضُ ماء ماضخات الماء رشّاشاً كتبرٍ قد ذوبتَ ثمينِ
ومداخلٌ ومعاطف ومواقفٌ وجنانٌ توليكَ مسَّ جنونِ
تلك المنازه كم افاء ظلالها رهطَ السرور مسيّدًا لحقونِ
فيها مجالٌ للسرور ومعرضٌ وبها مجالُ الكيف والتدخينِ
وتنوعت غُرف الحكومة عدّةً توحي المهابة لا تضنّ بلينِ
يا قاعة الطاوود كم من دهشةٍ بك للمريع وسجدةٍ لرصينِ
فلأنتِ تمثال الجمالِ مشخّصاً وفسيفساوكِ غايةُ التزيينِ
والنقشُ عجبُ ما يقومُ كشاهدٍ للمتقي بصناعةٍ وفنونِ
رحمتُ لابن كرامةٍ وشاكٍ في شعرٍ على وترِ العلى موزونِ
في كل بابٍ آيةٌ من نظامهِ تحيا وتحيي ذكرَ خيرِ دفينِ
فكأنهُ واميرهُ في مجدهِ يحكي ابنَ برمكَ في ذُرى هارونِ
ولهاهُ ذكرُ المشاهيرِ الأُلى بهم تباهت باحةُ المأمونِ
عهدَ الامير المنقضي المرجوَّ عُدْ نحن الكرام وانت غيرُ ضنينِ

*

قد جئتُ بيتَ الدين بعد خرابها وهتفتُ واجزعي لبيت الدينِ
حلّت بساحتها الخطوبُ فزعزعت ركنَ الجنوبِ فباتَ غيرَ ركينِ
ودعى الشمالَ على الجنوب تخوّفٌ من كيد خصم للبلاد كمينِ
وارتاعَ لبنان الاشمُّ لحادثٍ كالسرِّ في صدرِ الزمان مصونِ
ذاك انفجارٌ بالذخيرة مرعبٌ هال الجوار بضربة المجنونِ
فرواق غيمٍ من دخانٍ قاتمٍ ودويُّ رعدٍ هدَّ كلَّ حصينِ
وسماء بيت الدين تمطرُ ارضها بَرَدًا من « الخرطوش والكبسون »
كالدفع الرشّاش اذ بهمي حكت سربَ الطيور يحنّن فوق عيونِ
نسفت كما هدمت وقد قتلت من الشبّان كلَّ مروّعٍ مسكينِ

وأرتني الايتام عند قبورهم كبلابل يندبنَ فوق غصونِ
متثاقلينَ من المصاب وثوبهم للعين يشرحُ آية التأبينِ
لا كانَ تلسع عشر تموز ولا ذاق الوليدُ اليُتمَ كالقسلينِ
أثلاثةَ الشهداء ان رموسكم سُتران بالريحان والنسرينِ...

سراية التدرن اي السل بالعرق افادنا من حمص جناب الدكتور كامل افندي سليمان الخوري بما يلي :

« كان الاقدمون يعتقدون بسراية التدرُّن بواسطة الافرازات العرقية قبلما قرَّر الشهير « ڤيلمان » وبعده العلامة كوخ وجود الباشلس الدرني النوعي. ولكن بعد هذا الاكتشاف قلَّ اعتقاد القوم بسراية هذا الداء بواسطة مفرزات العرق وصاروا يوصون اهل المرضى باخذ الحذر خصوصاً من بصاق المساولين ومفرزاتهم المعدية الخ. أمَّا اليوم فقد عاد العلماء الى ترجيح سراية التدرُّن بواسطة العرق وهكذا فقد قرَّر العلَّامتان « بونسه وبيري » في الاكادمية الفرنسويَّة الطبيَّة في جلسة نيسان من هذه السنة اي ١٩١٢ القضايا الآتية : (اوَّلاً) . انَّ عرق المتدرِّنين من ذاته بدون ان تطرأ اليه مادَّة ما سارية من الخارج هو سامّ اي يحتوي مادة تسمَّى بعرف العلماء « جرثومة التدرُّن » (Virus) ويحتوي على باشلس التدرن. وقد تحققنا وجود المادَّة السامة في ٣٠٫٧٦ من مائة من الحوادث اي ما يقارب اربع حوادث من تسع من المتدرنين المصابين بآفات جراحيَّة او بالحدار الدرني او بالتهاب الصفاق الدرني الخ اي في آفات مغلقة تماماً وخفيفة الدوران والسير. (ثانياً) ان عرق المتدرنين يمكن ان يكون هو الحاصل والناقل لباشلس كوخ في اكثر من ٤١٫٦٥ من مائة من الحوادث. (ثالثاً) : ان اطراح باشلس التدرن بواسطة العرق يكون مرتبطاً بالتعفن التدرني من حيث تعمه في الدم وذلك متواتر الحصول وهذا الاطراح يبرهن على صحة هذا الفكر. وعليه فان ما يعرو المتدرنين من نوب العرق يجوز تنزيلهُ منزلة مجارين من شأنها افراز واطراح الباشلسات الدرنيَّة. (رابعاً) ان عرق المساولين هو عامل من عوامل العدوى ومخطر بحدّ ذاته إمَّا بطريق مستقيم : اي ان تكون العدوى حصلت رأساً بدخول المادَّة السارية على طريق الجلد عند الشخص المنتقلة اليه. وامَّا بطريق غير مستقيم : اي بتلويث قطع النسيج والشراشف والثياب والفرش الخ. (خامساً) :

ينتج مما سبق ان قوة العرق المعدية عند المتدرنين توجب التمسك بالتدابير والذرائع الخصوصية الوقائية تجاه كل شخص متدرن وان كانت آفاته جراحية مسدودة اي غير مكشوفة وسليمة السير والاعراض ومدفونة. (سادساً): ان هذه التدابير تقوم اولاً بالتطهير الدائم المستمر لكل المواد والامتعة المتلوثة بعرق المتدرنين مثل الانسجة والشراشف والثياب والفرش الخ. ثم يتمم عزل المتدرن الحقيقي في فراش على حدة اقله في بدء المرض. ثم عندما يتقدم الداء يجب ان يكون ساكناً في غرفة على حدة. ولا بدَّ من مقاومة فكرة انشاء البيوت الرخيصة الاجرة التي يزدحم فيها السكان الفقراء فان ذلك هو من اكبر دواعي انتشار هذا الداء الوخيم

اضطهادات البابويين للارثذكسيين — كنا نسمع ولا نزال بما تأتيه حكومة روسية المطلقة من اضطهادات الكاثوليك في بلادها. ولنا على ذلك من الشواهد المنقولة عن الشهود العيانيين ما يملأ كتباً ضخمة الا ان لمجلة الكلمة نظارات ملونة تبدي لها المرئيات على عكس ما هي فانها في عدة اعداد من مجلتها منها مقالة في عددها ١٢ من السنة الحالية عنوانها « قليل من كثير من اضطهادات البابويين للارثذكسيين » زعمت فيها ان الحكومة النمسوية تظلم الارثوذكس لسبب دينهم فتجبرهم على دفع الغرامات المالية وانها القت في السجن بعضاً منهم واقفلت كنائسهم وانها تعمل ذلك « لمجد البابا والبابوية » هكذا روت الكلمة. ونحن نعلن هذه المرة ايضاً بكذبها كما فعلنا في اعدادنا السابقة ولم تفتد حتى الآن نسبتنا اليها التزوير والمماحكة. وما نشهد به امام الله اننا قد عشنا زمناً في بلاد النمسا وعرفنا كثيرين ممن سكنوا بولونيا حيث يوجد الارثذكس وكلهم بلسان واحد يشهدون لحسن معاملة الدولة لكل المذاهب بلا تمييز ولم نجد في المجلات والجرائد المتعددة التي تأتينا من كل انحاء اوربة حتى روسيا وبولونيا والمانية من يشير الى هذه الاضطهادات المزعومة فان كانت الكلمة لا تكذب كالعرف عادتها فلتذكر لنا كل حادث اضطهاد بظروفه لكي نستطيع ان نتبين صحته. وما احرى بنا ان نعدد نحن ما يصيب الكاثوليك لاسيما الروثان من انواع العذابات بسبب دينهم. فانَّ الجرائد على اختلاف نزعاتها تأتينا بتفاصيل جديدة من ذلك في كل بريد. ومن اراد الوقوف على شيء منها عليه بالعددين ٦ و٧ من مجلة الجمانية

(ص ٢٥٢ و ٣١٠) حيث نقل منشئها الفاضل اخباراً لا تدع ريباً في الامر . ولمّا نشرت مجلة « التمدُّن الكاثوليكي » في رومية اخبار اضطهادات حديثة للكاثوليك وناقضتها « المجلة الروسية العصريَّة » باسم الحكومة عادت « التمدُّن الكاثوليكي » في عددها الصادر في ٢٠ تموز ١٩١٢ وأيدت اقوالها بالادلة التي لا تُنقض وتتبَّعت مساوئ الحكومة وعمالها مع الكاثوليك واساقفتهم وكهنتهم وذلك رغماً عن صدور حكم القيصر المانح الحريَّة للاديان فبقي المنشور الملكي حبراً على ورق . وكفانا شاهداً على ذلك انَّ مجلس الدولة حكم في ١١ نيسان من السنة المنصرمة على السيد ساجكوفسكي (Sajkowsky) اسقف سندومير الكاثوليكي بان يُحبس مدَّة ثلاثة اسابيع لانهُ في وعظهِ حذَّر المؤمنين من الشيعة الماسونيَّة وكذلك لم يسمح المجلس عينهُ للسيد شيپلاك (Cieplak) بان يزور كاثوليك ابرشيتهِ ومنها ان خمسة من اساقفة الكاثوليك يعيشون اليوم في المنفى لانهم فضَّلوا طاعة الحبر الاعظم على الخضوع لقوانين جائرة في حقِّ رعاياهم واشياء كثيرة يمكننا ان نعدِّدها لمجلة الكلمة . وان لم ترضَ بهذه الدلائل الواضحة نقلنا اقوال كثيرين من السياح الفرنج في روسية يستغظمون معاملة الحكومة للكاثوليك في هاتين السنتين

نظام الكنيسة الكاثوليكيَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة ملكيَّةٌ محضة تمتدُّ في كل اقطار العالم رأسها المنظور في عهدنا بيوس العاشر نائب السيد المسيح والخليفة المائتان والثامن والخمسون لبطرس الرسول عامة الرسل لهُ . مجلس امراء فخيم يتوقف من الكرادلة وهم اليوم ٦٤ واحد منهم اقامهُ بيوس التاسع و٣٠ لاون الثالث عشر و٣٣ بيوس العاشر وهم تابعون لاثنتي عشرة دولة . ثمَّ للكنيسة الكاثوليكيَّة ١٦٧٨ بطركاً او مطراناً او اسقفاً . فلها من الكراسي اللاتينيَّة الثابتة ٩٦٦ كرسياً منها ٩٠٥ كراسي في اوربَّة و١٣ في آسية (اي في الهند ويابان والعجم وتركيا) و١٣ في افريقية و٢٥١ في جهات اميركا و٣٩ في اوقيانية — ولها من الكراسي الشرقيَّة ٨٣ اعني ٢٠ للارمن و٣ للاقباط و١٤ للروم الروثنيين والصقالبة و١٣ للروم الكاثوليك الملكيين و٩ للسريان و١٣ للكلدان و١١ للموارنة — ولها من الكراسي الشرقيَّة ٤٥٧ كرسياً ومن القصادات

الرسولية ١٢ ومن النيابات الرسولية ١٦٠ اي ١١ في اوربة و٦٣ في آسية (الصين وكوريا والصين الهندية وملبار وتركية) و٤٥ في افريقية و٢٣ في اميركة و١٨ في اوقيانية . هذا فضلاً عن ٦٢ وكالة رسولية في جهات مختلفة — وللكنيسة الكاثوليكية رهبانيات متعددة كان يبلغ مجموع رهبانها سنة ١٩١٠ نحو ١٢٠,٠٠٠ اكثرهم عدداً الرهبان الفرنسيسيون كانوا ١٦,٩٦٨ ثمَّ يليهم اليسوعيون كانوا ١٦,٢٩٣ ثم اخوة المدارس المسيحية ١٤,٦٣٠ ثم الكبوشيون ١٠,٠٥٦ ثمَّ البندكتيون ٦,٧٧٩ ثمَّ الاخوة المريميون ٥٠٠٠ ثمَّ اللازاريون ٣,٠٠٠ ثمَّ الكرمليون ٢,٨٠٠ ثم التربستيون ٢,٤٧٢ الخ . هذا دون الراهبات البالغ عددهنَّ نيفاً ومايتي الف

الدكتور شبلي شميل والمقتطف كل يعرف الآراء الغريبة التي يدافع عنها الدكتور شميل في مصر فانهُ لا ينتصر فقط لدروين ولتعاليمهِ الواهنة لكنهُ نشر ايضاً راية الزندقة والالحاد وزعم

« ان العلم اليوم يرى ان المواد والقوى الموجودة في الطبيعة والمشتركة بين سائر كائناتها كافية وحدها لتفسير جميع تحولاتها وافعالها البسيطة والمركَّبة الراقية . . . وليس لنا اقلّ دليل علمي كذلك على وجود شيء غير منظور ما دام كلّ شيء تقوم بهِ مواليد الطبيعة موجوداً في العالم المنظور ينشأ فيهِ ويعود اليهِ حتى ولا دليل فلسفي كذلك يستقي مصادرهُ من العلم . . . »

فترى الى اي درجة من الجهل المركَّب يبلغ الكفر باصحابهِ حتى انهم ينسبون الى العلم سفاسف عقائدهم وسخافة آرائهم . وقد سرَّنا ان المقتطف في عدد سبتمبر الاخير (ص ٢٩٩ — ٣٠٠) ردَّ على الدكتور شميل بقولهِ عن مدَّعاه

انهُ « فرضٌ لا يقوم عليهِ دليل اذا اراد بالطبيعة ما هو منظور كما يظهر من سياق كلامهِ لان كل هذا المنظور لا يكفي في ما نعلم حتى الآن لتعليل الظواهر الطبيعية . . . وان كان تموّج النور قد اضطرَّنا الى فرض وجود الاثير فوجود المخلوقات يضطرُّنا الى فرض وجود الواضع لها . وعدم معرفتنا كنه هذا الواضع يضطرُّنا الى الاعتراف بجهلنا وبانَّ ما لا نعلمهُ الآن قد يكون اكثر كثيراً مما نعلمهُ »

فهذا القول كافٍ ليفحم الدكتور شبلي وامثالهُ . ويا ليت صاحب المقتطف الاديب تحاشى في ردّهِ بعض الفاظ تمسُّ الاديان كان في غنى عنها

الاله المجهول روى القديس لوقا في اعمال الرسل (١٧ : ٢٣) انَّ بولس الرسول شاهد في اثينة هيكلاً كُتب عليهِ « للاله المجهول » فاتخذ ذلك وسيلة ليبشر بين علماء تلك المدينة بلاهوت السيد المسيح . وحتى الآن لم يجد الاثريون

ذكرًا في الآثار القديمة لهذا الاله المجهول. الّا انَّ البعثة العلميَّة التي نالت الرخصة بحفر مدينة برغامة قد وجدت في العام ١٩١٠ لاوَّل مرَّة هيكلًا عليهِ في صدرهِ هذه الكتابة « للآلهة المجهولة » فجاء هذا الاكتشاف دليلًا جديدًا على صحة سفر اعمال الرسل وقدمهِ كما نصَّ عليهِ رئيس البعثة المسيو دورپفلد (M. Dorpfeld) في مجلة الآثار اليونانيَّة (Ath. Mitt., XXXV, 1910, §24—§26)

رسالة برقيَّة حول الارض ❊ لمَّا نجز سنة ١٩٠١ الحبل التلغرافي القاطع للاقيانوس الهادي اتَّفق ارباب التلغراف على ارسال نبأ برقي يطوف حول الكرة كلها ويعود الى مكان ارساله. فكانت نتيجة ذلك الاختبار ان الرسالة عادت الى مصدرها بعد الطواف بتسع دقائق ونصف. فهذه السنة ارادت جريدة التيمس في نيويرك ان تعيد ذلك الاختبار ولكن دون اتفاق مع احد فارسلت نبأ تلغرافيًا باسمها في تسع كلمات يقطع شمالًا مراكز التلغراف على طريق جزائر هونولولو ثمَّ الفيليبين ثم هونغ كنغ فسنغابور ثم بباي فسويس فجبل طارق الى فيَّال ثمَّ نيويرك حيث وصل بعد ١٦ دقيقة ونصف. فكفى به شاهدًا على رقي النظام التلغرافي في الدول المتمدنة

اكتشافات بوديَّة ❊ انَّ الاكتشافات المتعدِّدة التي اجراها العلماء في مصر تأتينا كلَّ يوم بمعلومات غير منتظرة. كان الاثريُّون يرون سابقًا انَّ ترجمة الاسفار المقدَّسة الى القبطيَّة لم تسبق القرن الخامس او السادس. وقد وقفوا مؤخرًا على قطع من البابير المصري عليها عدَّة نصوص من العهدين القديم والحديث كسفر تثنية الاشتراع ونبوَّة يونان وسفر اعمال الرسل مكتوبة بلهجة اقباط الصعيد التيبيَّة بالقلم الراقي الى اواسط القرن الرابع وقد نشرها العلَّامة بودج (W. Budge) وبيَّن في مقدَّمة كتابهِ انَّ هذه الاكتشافات وغيرها توجب بالاقرار انَّ الاسفار المقدَّسة قد نُقلت الى القبطيَّة منذ اوائل القرن الثالث وانَّ ترجمتها كانت تمَّت قبل اواخر ذلك القرن ومن هذا ينتج ايضًا انَّ النصرانيَّة كانت انتشرت في مصر والصعيد انتشارًا عظيمًا فتتأيد بهِ رواية المؤرخين الكنسيين التي شكَّ البعض بصحتها

مكاتب نقَّالة ❊ اعظم همٍّ للعلماء اذا انتقلوا من مكان الى آخر ان يجدوا مكتبةً واسعة يستفيدون منها الّا انَّ الامر يعتاص عليهم وكثيرًا ما

يتمنَّون لو ينقل احد معهم مكتبتهم التي اعتادوا مراجعتها . فهذه الرغبة قد حقَّقها اليوم العلم فانَّ بعض ذوي الثروة عمدوا الى رسم كتب ضخمة بالتصوير الشمسي على قطع صغير جدًّا بحيث لا يزيد حجم الكتاب على ٣ او ٤ سنتيمترات طولًا وسنتيمترين عرضاً وسنتيمتر ونصف سمكاً فيمكن ان يُجعل من هذه الكتب مئات بل الوف في صندوق واحد يسهل نقلهُ فاذا وصل العالم او الكاتب الى بلد امكنهُ بواسطة الفانوس السحري او المجهر تكبير صفحات هذه الكتب المصغَّرة والاستفادة منها ما شاء.

أسئلة وأجوبة

س سأل احد ادباء الدمشقيين إيلزم ذمةً الكاهن الذي قبل حسنة القدّاس ان يقدّم الذبيحة على نية المحسن وان لم يفعل أيحرم المحسن من ثمرة الذبيحة

حسنة القداس وثمرتها

ج محتوم على الكاهن الذي قبل حسنة القداس ان يقدّم الذبيحة على نيَّة المحسن وان لم يفعل يخطئ خطيئةً ثقيلة ويلتزم من باب العدل ان يعيد الحسنة الى صاحبها . امَّا ثمرة الذبيحة فلا تُنال لعدم وفاء الكاهن بوعده وانما ينال المحسن فقط ثواب صدقتهِ كما لو احسن الى فقير محتاج او ماكر لوجه الله

وسأل احد قرَّائنا ايوجد خطر لانتشار بعض الامراض اذا غُمس الاصبع في اجران الماء المقدَّس

اجران الماء المقدَّس وانتشار الامراض

ج زعم البعض انَّ حمَّى التيفوس والهيضة تنتشران بغمس الاصبع في اجران الماء المقدَّس . لكنَّ هذا من المكن البعيد لا يحصل الَّا بوقوع عدَّة شروط لا تجتمع الَّا نادرًا جدًّا . فالخوف اذن وهميٌّ اكثر منهُ واقعي وكم بالقهاوي والبيوت والنوادي العمومية من الاسباب التي هي اقرب كثيرًا لوقوع الوباء من اجران الماء المقدَّس والعجب انَّ المنتقدين يسكتون عنها ليوجّهوا نظرهم الى امور فضوليَّة فليطمئن الذين لا يكادون يدخلون الكنائس فضلًا عن كون الكنيسة لا تفرض على احد بالتبرُّك من الماء المصلَّى عليهِ . وعلى كل حال لا بُدَّ من تنظيف الاجران من وقت الى آخر كما تأمر بهِ القوانين البيعيَّة ل . ش

المشرق

البانية

نظر جغرافيّ تاريخي اجتماعيّ

للاب لويس شيخو اليسوعي

قلّما تجد في بلاد الدولة العثمانيّة قطرًا شغل افكار اربابها كالولايات الواقعة في حدود تركيّة اوربّة الشامة لبلاد البانية. فانّ سلاطين بني عثمان منذ تربّعوا في دست السلطنة في حاضرة البوزنطين صرفوا همّتهم الى تلك الجهات ليكسروا نخوة اهلها ويوطدوا فيها سيطرتهم. الّا انّهم لم يبلغوا منها غايتهم كما شاؤوا فكان ذلك البركان لا يخمد مدّة الّا ريثما يجمع قواه فيقذف حممهُ المصهورة ويلتهم بنيرانهِ ما تعرّض لثورانهِ. وكأن الالبان في هذه المدة الاخيرة عادت اليهم نوبة الهيجان فتهدّدوا الدولة بنشر معالم الفتن واصلاء الحروب في ثغور الممالك العثمانيّة فسمع زئيرهم حتى اقاصي البلاد وكان لزمجرتهم وقعٌ سيئٌ في القلوب. فلهجت الالسن في امورهم وكثر القال والقيل في احوالهم. فرأينا ان نحرّر هنا فصلًا جامعاً يوقف قرّاءنا على صحيح اخبارهم ليكونوا على بصيرة من يقينها ويميّزوا بين غثها وسمينها

١ جغرافيّة البانية

﴿ اسمها ﴾ عُرفت البانية في العهد القديم باسم ايبروس وكان يدخل فيها قسم من بلاد ايليرية ودلماطية. امّا اسمها البانية فلم يشع قبل القرون الوسطى قيل ان معناهُ البلاد الجبليّة وبهِ دُعيت بلاد اخرى لوفرة جبالها. والاسم الذي اطلقهُ

عليها الاتراك هو ارناوطلك اي بلاد الارناوط وقد زعم البعض انهم اشتقوه من لفظ الارغونوط احد شعوب اليونان القديمة. والصواب انَّ هذا الاسم مشتق من لفظة يونانيَّة حديثة ارفنيتيس (Αρβανίτης) التي هي البانية (Albanitis) بعينها فقالوا « أرونوط » ثمَّ قدَّموا النون على حرف العلة فقالوا ارناوط. امَّا الالبانيون فيدعون أنفسهم باسم شكيبتار ومعناه في لغتهم «حاملو النسر» او «ابناء العُقاب» وليس كما زعم البعض « ابناء الصخور » وانتسابهم الى العقبان انَّما كان لسكناهم بين الجبال ولذلك اتخذوا في سالف الاعصار النسر كشعارهم فرسموهُ على راياتهم. وبموجبهِ دعوا ايضاً اوطانهم شكيبريا

﴿ موقعها وحدودها ﴾ موقع البانية في تركيَّة اوربَّة بين الدرجة ٣٩ و٤٣ من العرض الشمالي وبين ١٩ و٢١ ,٣٠, من الطول الشرقي. تحدُّها شمالاً بلاد البشناق والجبل الاسود وجنوباً بلاد اليونان ويتصل بها غرباً بحر الادرياتيك وبحر اليونان وتتاخمها شرقاً ولاية الروملي ومقدونية فيبلغ طول بلاد البانية نحو ٥٠٠ كيلومتر وعرضها نحو ٢٨٠ ك

﴿ وصفها ﴾ بلاد الالبان اوفر بلاد تركية اوربَّة جبالاً وصخوراً تقوم في وسطها الاطواد كحواجز طبيعيَّة لا يقوى احد على قطعها. وقد ورد في خرافاتهم انَّ ابليس في قديم الزمان كان يطوف سهول الارض وعلى ظهرهِ جرابٌ كبير فيهِ الجبال ليقسمها بين جهات المعمور فلمَّا وصل الى نواحي الالبان انشقَّ الجراب فصار نصيب البانية من الجبال والصخور اوفر من سواها. وما يثبت بالنظر الى خارطة البانية انَّ جبالاً عديدة تقطعها على خطوط متساوية من شمالها الشرقي الى جنوبها الغربي حتى تكاد تتصل بسواحلها البحريَّة كلبنان. وهذه الجبال لاحقة بجبال الالب المتفرِّعة في انحاء اوربَّة الوسطى والجنوبيَّة. وهي تتركب في شمال البانية واوساطها من كربونات الكلس والطباشير وفي جنوبها من عناصر بركانيَّة. ومن هذه الجبال ما يبلغ ٢,٣٠٠ متر علوًّا فيتعمم بالثلوج الغرَّاء.

وتكثر هناك الامطار في الاودية لاسيما في تشرين وكانون وتجري فيها الانهار الزاخرة كنهر دَرين ونهر موراثا ونهر ڤولوتسا وصخار وغيرها. وهذه الانهار اشبه بسيول جارفة في فصل الشتاء فاذا جاء الصيف نضبت وكادت تيبس فلا تصلح للمراكب

والقوارب الّا نهر ارتا في حدود اليونان ونهر بوجانا قريباً من اشقودره . وفي البانية بُحيرات واسعة كبحيرات سويسرة اخصّها بحيرة اوخريدة وبحيرة برسبا وبحيرة قنتروك وبحيرة اشقودره

اما المناخ فيختلف اختلافاً كبيراً على حسب مواقع البلاد فالهواء معتدل في السواحل في فصل الشتاء بينما يقرس البرد في داخل البلاد على قدر ابتعادها من البحر . وفي اعالي الجبال ربّما هبطت درجات الحرارة الى ٢٠ و٢٥ تحت الصفر من المقياس المئوي حتى انّ الانهار عينها تجمد . امّا الربيع والصيف فيطيب فيهما الهواء في الجهات العليا على خلاف السواحل التي تغلب عليها الرطوبة والحمّيات لما يبقى من المستنقعات الوخمة في جوارها . وترتفع درجة الحرارة الى ٢٨ و٣٠ فوق الصفر

﴿ حاصلاتها ﴾ حاصلات البانية تتنوّع مع اختلاف طبقات علوّها . فترى في سواحلها وسهولها واوديتها ضروب الغلّات كالحنطة والشعير ولا سيما الذُرَة التي يغتذي بها عموم الاهلين وكذلك صنوف الخضر والبقول والقطن والكتان والقرمز والتبغ الجيد . اما التربة فكثيرة الخصب حتى ان الفلّاح يستغلّ منها في بعض نواحيها غلتين في السنة . وعلى معاطف تلالها الكروم الحسنة ويصطنعون الخمر المستطابة . وتكثر عندهم الاشجار المثمرة بانواعها لاسيما الزيتون ويزرعون شجر التوت لتربية دود القزّ . وعلى جبالها الغابات المتسعة من الصنوبر والشربين والدلب يستحضرون منها الاخشاب والراتينج

وفي جبالهم الذئاب والدببة والخنازير البرّية والنمورة ويصطادون الايائل . وهناك تحلّق النسور وكواسر الطير . وهم يربّون الخيل الجياد ومنها صنف بلدي معتدل القوام قويّ البنيّة . واكثر اشتغالهم بتربية المواشي فلهم القطعان التي لا يفي بها احصاء من الغنم والبقر والماعز وهم ينسجون من اصوافها المنسوجات المطرّزة وسواها التي يُقبل عليها الزبائن وتباع في الخارج

ولا تخلو البانية من المعادن المختلفة كالرصاص والحديد والفحم المعدني والقير الّا ان الاهلين لم يكادوا حتى اليوم يستثمرونها

﴿ اقسامها واخصّ مدنها ﴾ يقسم الجغرافيون البانية ثلاثة اقسام : البانية العليا او الشماليّة والبانية الوسطى او المركزية والبانية الجنوبيّة . امّا الدولة العثمانيّة

فانها جعلت البانية اربع ولايات: قوصوه ومناستر شرقاً ثمّ اشقودره ويانيه غرباً. فلقوصوه ستة سناجق: اسكوب وبرشتنه ويكي بازار وايبك وطاشليجه وبرزرين تُقسم الى ٢١ قضاء و١٦ ناحية ويربي قراها على ٣١٠٠ قرية. ولمناستر خمس سناجق: مناستر وسرفيجه ودبره وايلبصان وكوريجه تبلغ اقضيتها ٢٢ قضاء ونواحيها ٣٤ ويلحق بها نيف و١٩٠٠ قرية. ولاشقودره سنجقان: اشقودره ودراج مع ثانية اقضية وعشر نواحي يتبعها ٤٧٦ قرية. امّا يانيه فسناجقها اربعة: يانيه واركي وبروزه وبرات فيها ١٥ قضاء و١٠ نواحي ونحو ١٦٠٠ قرية. فاخصُّ مدنها الشمالية قوصوه واسكوب من اسواق التجارة المهمّة وبرشتنه احد المراكز الحربيّة الحصينة ويكي بازار او نوفي بازار في موقع راتشا حاضرة الصرب القديمة وايبك واشقودره التي لها فرضتان على بحر الادرياتيك اي بار ودراج الشهيرة قديماً باسم دورازُو ودير اكيوم احدى المدن التجاريّة الكثيرة المعاملات مع ايطالية. واشهر مدن البانية المتوسطة مناستر التي يدعوها الترك ايضاً بطاليه وهي مدينة وافرة الخيرات فيها بقايا اديرة قديمة اشتقوا منها اسمها ومعناهُ الدير. امّا البانية الجنوبيّة فاكبر حواضرها يانية او يانينة التي موقعها في جوار دودون الشهيرة في تاريخ اليونان بهيكلها حيث كان يُعبد المشتري ثمّ دعاها النصارى يوحانينا اكراماً للقديس يوحنّا الرسول ومنها اشتقّ المحدثون اسم يانينة. وهناك ايضاً مدينة اركى وهي ارجيروكسترو ليست بعيدة عن البحر حيث الفرضة الفاصلة بين البانية وايطالية

﴿ اهلها وعناصرها ﴾ انّ الاحصاءات في تعريف عدد الالبانيين تختلف كثيراً اذ كلها مبنيّة على الحدس والتخمين. والمرجح ان الالبانيين في الولايات الاربع يبلغون مليوناً ونصف مليون. وهم ينقسمون الى اسباط او عشائر يدعونها فيس او فراس لكل منها زعيم او امير يساعدهُ بعض الشيوخ في تدبير السبط. فالى هذه الشورى يرجعون في امورهم. والالبانيون على اختلاف اسباطهم يرتقون الى شعب قديم يُدعى بيلاسج (Pélasges) هاجر قسم منهُ الى ايطالية واليونان وهم ينقسمون اليوم الى عنصرين كبيرين هما في نزاع وخصام ابد الدهر العنصر الشمالي المعروف باسم غاغ (Guègues) والعنصر الجنوبي المسمى توسك (Toskes) يفصل بينهما نهر شكومب. وللعنصرين اخلاق الجبليين الذين يفضلون الاستقلال والحرية على ما

سواها وهم مطبوعون على شظف العيش والقناعة وكلهم من ذوي الفراسة والتحمُّس يرون في الحروب والقتال لذَّة وارتياحاً . ولهم نفوس ابيَّة فلا يصبرون على ذلّ ولا يغضون على ضيم فاذا سُفك دم احدهم لا يدعهُ اهلهُ مطلولاً فلا يزالون يرصدون القاتل حتى يقتلوهُ او واحداً من ذويهِ ولو كان اعزّ من عُقاب . والارناؤطي شاكٌ بالسلاح ابداً لا تفارقهُ بندقيَّتهُ ليلاً مع نهار ومن امثالهم : من نزع عني بندقيتي نزع عني اخي وسندي . وترى الاحداث والفتيات لا يسيرون الّا وفي اوساطهم الخناجر او الفرود . وان دعاهم الشيوخ الى الحرب لبّوا دعوتهم من ساعتهم فساروا الى مقاتلة العدو كسيرهم الى وليمة يتغنّون باغانيهم الوطنيَّة ويتناشدن القدود الحماسيَّة ولا يبالون بالموت . وبينهم التضامن والتحالف فيعدُّ كل منهم ابن عشيرتهِ كنفسهِ فيبذل ذاتهُ دونهُ . ولربّ البيت في العائلة المقام الارفع والسلطة التامة لا يأتي احد امراً الّا باذنهِ . واولادهُ اطوع لديهِ من خنصرهِ . امّا المرأة فهي في حالة حرجة تراها مقصورة في بيت ابيها وهي فتاة وفي بيت زوجها بعد اقترانها بشاب لم تعرفهُ على حسب رضى والدها . واذا اتت امراً مريباً قُتلت قتلاً شنيعاً بحكم اهلها الادنين وعليها في البيت الاشغال الشاقَّة فعيشتها اشبه بعيشة العبيد . ومع هذا ترى النساء في امان تامّ لو شئن لطُفن كل نواحي وطنهنَّ دون ان يتعرض احد لنفوسهنَّ او ينتهك حرمتهنَّ . والنساء عادةً قويَّات البنية طويلات القامة . ومع ما خُصَّ به الالبانيون من الفظاظة والخشونة قد اشتهروا ايضاً بالاستقامة وصدق المعاملة والامانة في الخدمة

وبين الالبانيين عناصر اخرى اختلطت بهم اخصُّها امَّة الزنزار وهم من الفلاخيين واصلهم من قدماء الداقيين الذين كانوا في خدمة الرومان وهم يمتازون عن الالبانيين بسحنتهم واخلاقهم وهم يشتغلون بالزراعة وابنية البيوت ورعاية المواشي

﴿ لغاتهم وآدابهم ﴾ للالبانيين لغة خاصة يرتقي اصلها الى السنسكريتيَّة فلها علاقة مع اللغات الاوربيَّة القديمة الّا انها امتزجت بتوالي الاعصار بكثير من الالفاظ الصقليَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة والتركيَّة . وبين لغة الغاغ ولغة التوسك اختلاف يُذكر حتى لا يكاد بعضهم يفهم البعض الآخر . ولهم كتب لدرس لغتهم سعى المرسلون الكاثوليك في نشرها منذ القرن السابع عشر في رومية بالحرف اللاتيني . وكذلك شاعت بينهم الروايات الوطنيَّة والانشيد . ومن شعرائهم في القرن الثامن عشر يوليو

باريبوا قصد القصائد الدينيَّة واشتهر بعدهُ في القرن التاسع عشر الكاثوليكي دي راد والمسلم نسيم بك . ولهم اليوم بعض جرائد ومطبوعات ادبيَّة . وكانت مدارسهم قليلة جدًا وسعت الدولة العثمانيَّة بنشر الحروف العربيَّة بينهم فكان ذلك من اقوى الاسباب لاهمال التخرُّج بالآداب الوطنيَّة . لكنَّ الكاثوليك كألوف عادتهم قد فتحوا المدارس لاحداثهم وهذَّبوهم على قدر ما سمحت به الاحوال

﴿ اديانهم ﴾ كان للدين الكاثوليكي التقدُّم على سواه قبل فتح الاتراك لبلاد البانية : ولمَّا بسطوا عليها سيطرتهم هاجر كثيرون الى ايطاليـة واستفزَّ الطمع بقسم كبير فدانوا بالاسلام ليحصلوا على املاك المهاجرين وعلى الامان والحريَّة . وقد اكد كثيرون من الذين عرفوهم انهم لم يأخذوا من الدين الاسلامي سوى قشرتهِ قال اليزه روكلو في جغرافيَّتهِ العامَّة (Elisée Reclus, *Géographie Universelle*) : " ليس للالبان المسلمين غيرة كبيرة على الدين وقد حفظوا كثيرًا من عادات النصارى القديمة فارتدُّوا دون ايمان صادق ومن امثالهم قولهم : حيث السيف فهناك الايمان ». والمسلمون اليوم في البانية نحو الف الف واكثرهم في ولايتي قوصوه ومناستر لقربهم من الاتراك

وفي البانية ايضاً ١٢٥,٠٠٠ من الروم التابعين لكنيسة الفنار لهم اساقفة يهتمون بتدبيرهم الروحي . واكثرهم في ولاية يانية . وكثير منهم في جهات اليونان

امَّا الكاثوليك فارقى اهل البانية حضارةً واكثرهم في ولاية اشقودره . ومنهم قبائل المردة والماليسور والماتية . يبلغ عددهم الرسمي ١٣٠,٠٠٠ لهم في البانية ست ابرشيَّات . منهـا ابرشيتان منوطتان بالكرسي الرسولي توًا وهما ابرشيَّة دراج وابرشيَّة سكوب . والابرشيَّات الثلث الاخر يرعاها ثلاثة اساقفـة من النمسويين كاسيهم في ولاية اشقودره في مدن سابا وأَلِتيو وبولاتي تحت رئاسة مطران مركزهُ في حاضرة اشقودره واسمهُ في يومنا السيد سيريجي (Mgr G. Sereggi) منذ سنة ١٩١٠

٣ نظر تاريخي

كانت البانية في القرون السابقة لعهـد الرومان موطناً لقبائل مستقلَّة تتنقَّل في جبالها وهي ترعى للمواشي . فلما قويت شوكة المقدونيين في القرن الرابع قبل المسيح

ساروا الى القسم الجنوبي من البانية وهو المعروف بإبيروس ففتحهُ فيلبوس ابو الاسكندر ذي القرنين وضمَّهُ الى بلاده فصار لاحقاً بدولة اليونان ومشى كثيرون من اهله في جيوش الاسكندر فامتازوا بشجاعتهم وبعد موت ذي القرنين استقلَّ بعض ملوكهم اشهرهم پيرُّوس في القرن الثالث قبل المسيح فانهُ نزع الملك من ايدي منتصبه وفتح الفتوحات العديدة وحارب الرومان وانتصر عليهم ومصَّر بلادهُ التي امست اخبارها دوراً عظيماً في اساطير اليونان فجاروا فيها مقام آلهتهم وكسوا جبالها واوديتها وينابيعها وغاباتها ثوباً قشيباً من خرافاتهم التي لم تزل تتناقلها عنهم اخلافهم فشاعت شيوعاً عظيماً

وكانت جهات البانية الشمالية والشرقيَّة المعروفة ببلاد إلِيريَّة وميزيا اخذت ايضاً تنبهُ من سِنتها وتنضو عنها ثوب الهمجيَّة فجمع اهلها كلمتهم تحت رئاسة ملوك وطنيين. الَّا ان الجبَّار الروماني لم يلبث ان يتطالَّ للبلاد الواقعة ما وراء بحر الادرياتيك طامحاً نحوها ببصره ففي السنتين ١٦٧ — ١٦٨ ق م زحف پول اميل بجنود رومية الى تلك البلاد وابطل دولها والغى سلالة ملوكها والحقها بالجمهوريَّة الرومانيَّة فصارت ادارتها في ايدي ولاة وحكَّام من قبل الدولة وبقيت تحت سيطرة الرومان اجيالًا عديدة الى ان خلفهم الروم البوزنطيون في القرن التاسع

وكانت النصرانيَّة دخلت في جبال البلقان وبين الامم ساكنة في وسطها بعد المسيح بزمن قليل نفذت اليها من مقدونية ومن نواحي اليونان حيث بشر بولس الرسول ثم تبعة الرسل. وقد ذكرت التواريخ الكنسيَّة اساقفة لبعض مدن البانية منذ القرن الثالث كما انها روت اخبار عدد من الشهداء ماتوا هناك في سبيل دينهم قبل قسطنطين

ولمَّا ضعفت دولة البوزنطيين انقضَّ الصقالبة والبلغار على البانية ولواحقها وصارت قسماً من بلغارية الكبرى فبقيت خاضعة لملوك البلغار ثلاثة اجيال حتى انتقض حبل الدولة البلغاريَّة فعاد ملوك الروم سنة ١٢٠٤ م واستولوا على البانية وانشأوا فيها دولة دامت مئة سنة بنيف واقطعوها امراء من قرابتهم من سلالة كومنين لكن ملوك نابولي والبنادقة جعلوا يرمون بطرفهم الى نواحيها فتملَّك الدوق حنَّا ثاني ابناء ملك نابولي على ألبيو وضبط البنادقة اشقودره وارتا وبعض

المدن الساحلية كدراج واستقلَّ القسم الآخر تحت حكم امرائها

ثمَّ ظهرت دولة بني عثمان فامتدت في القرن الرابع عشر والخامس عشر الى جهات البلقان وانتشبت تلك الحروب الهائلة التي شابت لها رؤوس الاطفال ففتح الاتراك مقدونية ورومانية والبلغار والصرب والبشناق فلم يقم في وجههم قائم معابذلة بعض ملوك النصارى من الهمة والبسالة الغريبة كجان هونياد (Jean Hunyade) ومتياس كورفين (Mathias Corvin) وغيرهما. وكانت البانية تتوقع غزوات الاتراك الذين عرفوا نخوة اهلها فامتنعوا مدَّة عن محاربتها ورضوا باداء الجزية من اميرها جان كستريوتا الذي ارسل ابنهُ جرج رهينةً للسلطان مراد الثاني. فبقي جرج في حوزة بني عثمان الذين غصبوهُ على دينهِ ودعوه اسكندر بك (Scanderbeg)

فلما مات ابوه طلب ان يُطلق سراحهُ فلم يُجب السلطان الى دعوتهِ فساءهُ ذلك وانتهز فرصة واقعةٍ جرت في نيسا سنة ١٤٤٣ ففرَّ هارباً بعد ان حصل على صكٍّ امضاه لهُ كاتب اسرار الدولة مؤداه ان تُفتح لهُ قلعة كرويا في البانية. فلما وصل الى وطنهِ اعلن بدينهِ النصراني وضبط القلعة ونادى بالحرب بين مواطنيهِ فتبعهُ الارناؤوط وسكَّان الجبل الاسود وسار بهم الى محاربة الاتراك وانكى فيهم النكايات المتوالية حتى صار اسمهُ مرادفاً للبطل المغوار وللفارس الظافر قيل انهُ غلب الجيوش العثمانيَّة في ٢٢ موقعة كبيرة وبقيت البانية طول حياتهِ حائزة لحريَّتها التامة

ولعلَّ البانية لم تكن لتفقد استقلالها بعد وفاة اسكندر بك سنة ١٤٦٧ لولا ان شيطان التفريق والتقسيم دخل بين زعمائها وصدع شملهم فعاد اليها الاتراك وضموها الى ممالكهم. وفي سنة ١٤٧٨ تخلَّى البنادقة للدولة عن اشقودره على انَّ هذا الخضوع للدولة العثمانية كان قليل الثبوت سريع العطب بالنظر اكثر منهُ بالفعل. وكان السلاطين اذا حاولوا الضغط على البانية قام اهلها في جبالهم وشقُّوا عصا الطاعة الى ان تعدل الدولة الى الرفق وتؤثر غضَّ النظر

وكثيراً ما دعا بعض امراء الالبان الوطنيين الى نفوسهم كالاميرين الالبانيين محمود مصطفى بوشتلي في اواخر القرن الثامن عشر فعصيا مدَّة على الدولة. وقام في اوائل القرن التاسع عشر علي باشا المعروف بالتبه دَلني والي يانية فهذا اقترن بابنة احد رؤساء الالبانيين وجيَّش الجيوش وعاهد انكلترة ثمَّ استقلَّ في الحكم

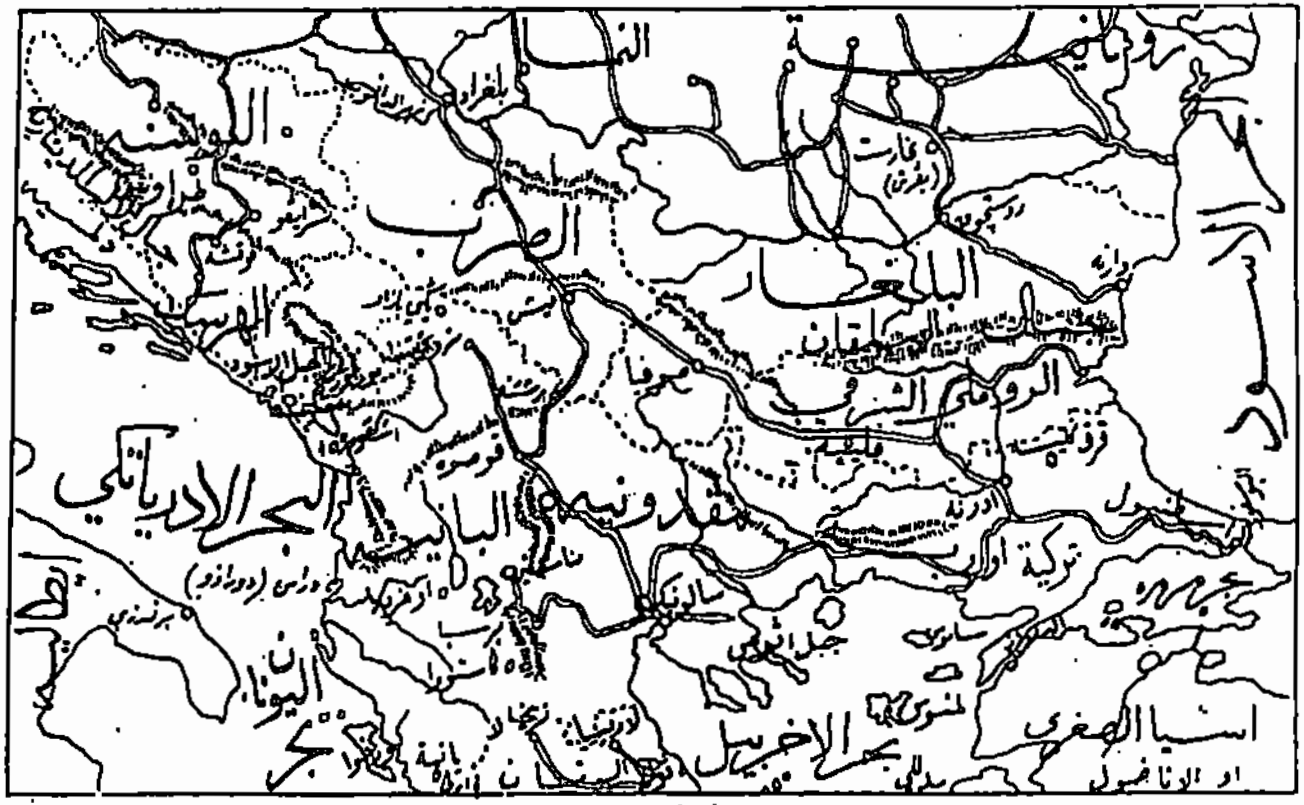

خارطة البانية

وشبه جزيرة البلقان

وجعل يانية قصبة ملكه فحصّنها وزانها وانشأ فيها المدارس وجهّز لها المكاتب متقفياً آثار الامم المتمدنة. وبقي كذلك الى السنة ١٨٢٢ حيث خانهُ خورشيد باشا فقتلهُ غيلةً بمساعدة اليونان

على ان الالبان لم يبرحوا عن طلب الاستقلال فاوقدوا نار الحرب سنة ١٨٣٠ ثمَّ سنة ١٨٤٣ ثم سنة ١٨٧٩ لما قصد مندوبو معاهدة برلين ان ينزعوا قسماً من البانية ليضموها الى الدول المجاورة ثم اخيراً السنة ١٨٨٧ فكانت كل هذه الثورات دليلاً باهرًا على اباء الالبانيين وتفانيهم في سبيل وطنهم وتفضيلهم المنيَّة على فقدان الحريَّة

٣ نظر اجتماعي

عرف الباب العالي ما في قلوب الالبانيين من الثبات ورباط الجأش والارتياح الى معامع القتال فاراد تأليف خواطرهم بأن منحهم بعض الامتيازات وعافاهم من أداء الجزية وتركهم في جبالهم يجرون على عاداتهم التي ألفوها منذ سالف الزمان في التشريع والمحاكمات وعقاب الجناة اذ يرفعون دعاويهم الى شيوخهم ولا يسمحون لعمّال الدولة بان يتداخلوا في امورهم الّا في بعض القضايا الملزمة. وكان المسلمون منهم ملتزمين بالخدمة العسكرية الّا انَّ كثيرين بينهم كانوا لا يؤدونها لقلّة ضبط الاحصاءات

امّا النصارى فكانوا معافين من الخدمة وربما انتظموا في سلك جيوش الدولة متطوّعين فكان المرّدة يؤلّفون فرقةً ممتازة لهم قائد من دينهم وراية خاصة تمثل الشمس حمراء تشعُّ على نسيج ابيض ذي اطار احمر. وفوق الشمس صورة الهلال وفوق الهلال صليب. وكان يسير بصحبتهم كاهن كاثوليكي يخدمهم في الروحيّات. وقد اعترفت الدولة العلية بفضل هؤلاء النصارى وجازتهم على بأسهم بان منحتهم في كل عام مئة حمل ذُرَة من اعشارها او ما يوازي ثمنها

وان سألت من هم هؤلاء المرّدة او المريديت كما هو الشائع. اجبنا انَّ البعض يقولون انهم من نسل اولئك المردة الذين كانوا في قيليقية وانتدبهم ملوك بوزنطية الى الدفاع عن لبنان على عهد بني امية فحاربوا المسلمين مدَّة الى ان وقع الصلح بين ملوك الروم والخلفاء فعادوا الى قيليقية. فمن المحتمل ان فرعاً منهم اعتصم بعد ذلك

بجبال البلقان فتناسلوا وكثروا وحفظوا عاداتهم واستقلوا في حفظ دينهم . ولهم امراء من جنسهم واميرهم منذ بضع سنوات البرنك (البرنس) بيد دودا وهو حفيد رجل شهير كان اسمهُ بيب دودا من صناديد قومهِ كان قصد ان يحرّر بلادهُ من سيادة الاتراك لولا انهُ عُوجل بالقتل مسموماً . امّا بيد دودا حفيده فاحتالت عليهِ الدولة وسعت باستقدامهِ الى الاستانة ثمَّ نفتهُ الى قسطموني . فكان نفيهُ موجباً لثورة جديدة في البانية . وقد سبق ان عدد الكاثوليك في البانية ١٣٠,٠٠٠ لكنَّ بعض السيّاح قد ضاعفوا هذا العدد حتى ان الرحّالة بوجاد (Poujade) الذي سكن بينهم مدّة قد جعل عدد المردة وحدهم ١٤٧,٠٠٠

ويجاري المردة في بسالتهم الماليسور الذي هم ايضاً من الكاثوليك ولعلهم اكثر عدداً من المردة . وهؤلاء الكاثوليك ولا سيما المردة يحبّون لفرنسة التجأوا غير مرّة الى حمايتها منذ القرن السابع عشر والثامن عشر

وكل هذه القبائل النصرانيّة منها والاسلاميّة معاً تائقة الا الاستقلال وتطلب وسيلة لتنال مرغوبها

وكان عبد الحميد قد سعى جهدهُ في ان يؤلف قلوب الارناؤوط فاتّخذ منهم فرقةً لحراسة شخصهِ وخوّلهم منحاً متعدّدة ورقّاهم الى مناصب رفيعة الّا انَّ كلّ هذه الامتيازات لم تُنسهم حرّيّة جبالهم . فلمّا حدث الانقلاب الاخير على يد تركيّة الفتاة كان لقسم من الالبانيين فيهِ حصة مذكورة فلولا انتصارهم للدستوريين في ٢٠ تموز سنة ١٩٠٨ في قوصوه وفريسوفتش لما تمَّ الامر بسهولة . كذلك لمّا حاول الارتجاعيون في نيسان سنة ١٩٠٩ بان يضبطوا زمام الحكم ثانية كان سقوط عبد الحميد بفضل عسكر الالبانيين

فهذه الخدم التي ادّاها جنود البانية للدستور كان من حقهم ان يُجازَوا عليها ببعض الاختصاصات فكان الامر على خلاف ما ظنّوا فان ارباب الدستور ارادوا ان ينزعوا عنهم امتيازاتهم القديمة وينظموهم في سلك بقيّة العناصر العثمانيّة فأحفظتهم هذه المعاملة وثقموا على الدولة ونشروا لواء العصيان في مواطنهم . فارسل وزير الحربيّة بعثةً عسكريّةً لمحاربتهم تحت قيادة طورغود باشا فساروا الى بلادهم وتشدّدوا عليهم ونهبوا قراهم وصادروا اهلهم فكانت نتيجة هذه المعاملة ان قام

الالبانيون وتألبوا من كل صوب وأوب وشنوا الغارة على جيوش الدولة وحملوهم خسائر كثيرة وتفاقم الامر حتى صار ذلك داعياً لسقوط الوزارة وجعلوا يسترضون الالبان. بل سار جلالة السلطان بعينهِ الى بلادهم لجبر خاطرهم ومنحهم العفو التام وتبرَّع عليهم بنحو ٧٠٠,٠٠٠ فرنك تعويضاً عن مالهم المفقود وكديةً عن دمهم المسفوك

على انَّ هذه الهبات والصلات الملكيَّة لم تكن لتشفي غليل الالبانيين انَّهم طلبوا اثبات امتيازاتهم القديمة بل ارادوا زيادة على ذلك ان توضع لالبانية حدود سياسيَّة ممتازة وان تُجعَل لها راية خاصة وان يكون ولاتها وعمَّالها من الالبان فقط وان تعرف لغتهم الالبانيَّة كلغة رسميَّة وان تتعهَّد الدول بتنفيذ هذه الاصلاحات. وقد كتب الالبانيون على اختلاف اديانهم قراراً للعمل بهذه البنود وقام مبعوثوهم في نادي العموم ليطلبوا الاعتراف بها محتجين على سوء معاملة جمعيَّة الاتحاد والترقي لمواطنيهم بعد ان تفانى الالبانيون في صالح تركيَّة. فكان لكلام هؤلاء المندوبين صدى استحسان في الوزارة وفي قلوب كل العثمانيين ولم يكن تأثيرهُ قليلاً في حلّ ندوة المبعوثين الاتحاديين. واصحاب الوزارة الجديدة لا يألون جهداً في اخماد لظى الالبانيين والكلّ في انتظار الانتخابات المقبلة ليروا ما سيكون من امرهم. فان هناك مشكلاً عظيماً لا يمكن حلُّهُ الَّا باخطار عظيمة على الدولة فان منحوا الالبانيين مطلوبهم فذلك اشبه باستقلال سوف يطلبهُ غيرهم ايضاً وان رفضوا عليهم طلبتهم اثاروا ذلك العنصر القويّ وعاد الالبانيون الى تهديد ثغور الدولة ولا سيما انهم في جوار الجبل الاسود والصرب والبلغار والمقدونيين وكل هذه العناصر في غليان متواصل اذا فار فائرهم لن يخمد الَّا بعد الجهد الجهيد ووقوع الاهوال وبينما نحن نكتب هذه الاسطر تدوي في آذاننا أنباء الحرب التي سُمع هزيمها في اطراف البلقان والله يعلم ما سيكون من امرها وقد سرَّنا انَّ الالبانيين الكاثوليك عرضوا نفوسهم على الحكومة السنيَّة متطوِّعين في خدمتها بل كتب المهاجرون منهم الى اميركة الى جلالة السلطان باستعدادهم للدفاع عن الدولة. لطف الله بعبادهِ ونجّى الوطن العزيز ممَّا يتهدَّدهُ من اسباب الخراب فهو اللطيف الرحيم

تاريخ حوادث الشام ولبنان

من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١)

عني بنشره الاب لويس شلوف اليسوعي (تابع)

ثمَّ انَّ الامير طرد من خدمتهِ منصور الدحداح ولزم بيتهُ وهذا كان معتمد عندهُ وابوه قبلهُ وبيده الحلّ والربط ويقضي مصالح للناس والامير يسمع منهُ

ثمَّ انهُ عند الامير رجل حمصي اسمهُ بطرس كرامه فهذا (كان) شاعرًا لبيبًا . فمن مدة سنين حضر لدير القمر يتردَّد على الامير فاعجب منهُ واستقام عندهُ يتسلَّى بهِ فقط . وحينما توجه لمصر اخذه معهُ وكان يساعدهُ بالتدبير مع حنًّا بحري . ومن كونه فهيم كان يقضي (200r) غرض وصار بيت سره وزاد ميلهُ لهُ جدًّا . وحينما رجع الامير من مصر للجبل تعلق فيهِ بزيادة وقدمه على منصور . وبعده مسك المغلق وصار بيدهِ حل وربط لزم ان الامير ترك منصور كليًّا وراح بيتهُ وصار بطرس المذكور يفعل ما يريد . وامووره ما هي مقبولة وصار بدهُ يسعد باقرب وقت وانشا امور غير جائزة ولا هي مرضيَّة . وطمع بالامير واولاده ومهما عمل ما يراجعوه وجمع مالًا غزيرًا وثبت الحكم للامير بكل راحة جملة سنين

ولا بُدَّ حصل حوادث خفيفة بالجبل قد غبي عنا معرفتها لعدم سؤالنا من بُعد المكان . الى انهُ دخلت سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢ م) وبهذه السنة عزم والي مصر باخذ بلاد سوريَّا . وحضر ولدهُ ابراهيم باشا بعساكر وافرة الى يافا وملكها وعبدالله باشا تحصن في عكا وحاصرهُ ابرهيم باشا . واخيرًا ملكها ومسك عبدالله باشا وارسلهُ الى الاسكندريَّة لعند ابيه . وحاشه ايَّامًا ثم اطلق سبيلهُ وراح لاسلامبول وباقي في برّ الترك الى يومنا هذا

ثم جاء ابرهيم باشا واستولى بلاد الشرق والشمال الى حدود آدنه . والامير بشير كان مطابق مع والي مصر في اخذ هذه الاماكن . وساد في حكم الجبل ويعمل ما يريد وبالمحارفات والمداورات جمع مالًا غزيرًا بسبب انشاء مال الفردة الذي دعوها اعانة خيريَّة وزيادات في مال الميري وغير اشياء . وما من يفتش ولا يراجع . وبطرس

كرامة صاحب الشور والتدبير. وهكذا مضت جملة سنين على هـذا الحال والناس مقهورة جدًّا. الى انهُ في سنة ١٢٥٥ (١٨٣٩) انطلب من الامير مـال الاعانة والسلاح ورجال ايضاً تروح لمكا للمحافظة. والجبل بحال الضيق والناس افتقرت جدًّا من المخاسر والفلا. وما بقي لهم صبر للاحتمال وكبر عليهم الرهم من امر السلاح وتعيين عسكر منهم لمكا. فهاجوا على حين غفلة في ابتدا سنة الف ومايتين وستة وخمسين (١٨٤٠م) وحصل اتفاق صاغ لا يتغير بين الدروز والنصارى وجميعهم يكونوا برأس واحد وصوت (200°) واحـد. وظهروا الجميع ضدّ ابراهيم باشا والامير بشير. واعطوا جواب لا يدفعوا مال ولا سلاح ولا غيره

فارسل ابراهيم باشا عسكر للبقاع فهجموا عليهِ الجبليَّة بغير تميز فقتل جانب منهم ومن النظام. ولكن عسكر الباشا ظفر بهم وجابوا منهم مرابيط لحبسوهم بالشام. ومنهم قتلهم شريف باشا بالشام. واهل الجبل هاجوا جدًّا وكل يوم يزيـد الحال اكثر. فخاف الامير من هذا الشرّ وقصد يداور الامور بالنوع الممكن. فصار يلتفت لناحية الدروز ويأملهم ويطمنهم وربما رشاهم بالمال على يد وسايط حتى جلبهم لناحيته وصاروا ضدّ النصارى. وبهذا النوع بردت تلك الحمية التي كانت حاصلة من النصارى في قاطع بكفيا وكسروان وجبيل ووقفت الامور. وحرَّر الامير الى ابراهيم باشا برفع محاربته الجبل وان الاحوال تنتهي على سلامة

وصار الامير يتحارف في كيف يملك المقاطعات. فعمل حيل كثيرة وخداع حتى امكنهُ يحوش بعض اماره من بيت شهاب ومن امراء المتن. فملك سبعة اماره ويتبعهم نحو خمسين نفرًا من خواصهم واتباعهم. والاماره قيَّدهم وارسلهم لمكا ومن هناك ارسلوهم للاسكندريَّة. والباشا هناك ارسلهم لبلاد السودان المضمون قصده يعدمهم لا محال. ومن جرى ذلك حصل وهم عند الاهالي وهديت الامور نوعاً ولكن القلوب شاعلة بنار والامير لازال يسعى بتدبير آخر وكل رغبتهُ يزيح كل متكلم بالجبل من امير وشيخ ويملك الجبل هو واولاده والكيخية بطرس كرامه الذي سلب مقتنى الفلاحين في حركات محرمة شيطانيَّة

كذا انهوا عنهُ ولكن الله لا يريـد البغي والجبر كما قال الله عن لسان لشعيا

النبي: كل رأي رأيتموه يشتته الله وكل قول قلتموه لا يثبت فيكم. الامير افتكر انهُ يملك الجبل اكيدًا ولكن الله لا يريد

ففي الوقت الذي بهِ عامل جهدهُ في ملك اربهِ واذ نفد لبيروت مراكب انكليز حربيَّة وشاع الخبر اتفاق اربعة ملوك اروبا على رفع محمد علي باشا والي مصر من حكم بلاد الشرق والباقي. وحضر ابراهيم باشا من انطاكية واتفق مع الامير بشير واهالي كسروان (201r) اظهروا الغرض واتحدوا مع الانكليز الذي جاب عسكر عثلي وطلعوا الى جونية واتفقوا جملةً على محاربة ابراهيم باشا والامير بشير. وصار محاربة في ساحل كسروان وقتل من الجهتين وابراهيم باشا نصب اورديه (معسكره) في عين صنين ومعهُ الامير خليل ابن الامير بشير وغيرهُ مع عسكر من بلاد الشوف. واشتدَّت الامور. وشرح الذى صار وكيف الانكليز ملكوا عكا وبيروت وصيدا وكيف طردوا عسكر ابراهيم باشا وعسكر الامير بشير اهالي الجبل فقد حررنا ذلك باطن كتابنا هذا

انا نقول هنا كيف انتهى حالُ الامير بشير وفروغ املهِ وصدق قول الشاعر « اذا كان يريد الله زوال نعمة عن قوم ففي الابتدا يعدمهم التدبير »

فهذا الامير من حين بداية الشرّ بالجبل صار يظهر شراسة ومقاهرة وقصد قهر الاهالي واطاعتهم بواسطة قوة دولة مصر الذي كان مستغرًا بها جدًّا. ثم وحسن عندهُ يفرق البلاد عن بعضها واخيرًا يدمس الجميع جملة. وقد ملك اربهُ بوقته حيث بسكون ذاك الهيج الذي كان حاش الاماوا الذين هم ذوو حركات ويتعبوه فبالحيل والخداع حاشهم ولو يمكنهُ عدمهم ما كان توقف. ولكن حسب حساب ان الدروز المتفقين معهُ ينوهموا من فكّ الرباط الذي مربوط منذ القديم ان الحاكم لا يقدر يدمي في ارباب المقاطعات من تلقا نفسهِ الا باسباب قوية وبطابقة اصحاب المقاطعات على بعضهم والذين متفقين الان مع الامير ليس هم من ذوي القوات المشهورين بل رعايا ومتقدمين. فجاء في فكرهِ يرسل الذين مسكهم لمصر وكتب انهم ينفوا لبلاد بعيدة ويبادوا هناك. ومفتكر في عدم ما بقي بالحيل كما هو الملحوظ. فجد هذا الحادث ومع ذلك كان متأمل بقوة دولة مصر يخذل مسعى الانكليز ويصير مداوره.

وذات الانكليز والعثملي من عجزهم يعودوا يتفقوا مع الامير ويحكم الجبل غصباً عنهم . ولو كان ترتفع يد محمد علي من بلاد سوريا

وان قلت ان ظنهُ هذا كان تم بسبب كتابة الانكليز وتأميلهم لهُ ان يترك دولة مصر ويتفق معهم وان يكون حاكماً الى الابد بكل طمأنينة . والحال (201٢) صحيح صدر هذه الكتابات من الانكليز والعثملي ولكن لو يرضى يسمع الامير كان يبان شيء آخر الذي بهِ يتوفر تلك المثالثه والخراب الذي صار في قاطع بكنيا من ابراهيم باشا . ولو ينزل الامير حين طلبوه كان ابراهيم باشا من الوهم ارتفع عن محاربة الجبل . ولكن الامير لا يمكن انهم يحكموه نظير وعدهم لهُ لان الاهالي قلوبهم شاعله بنار ومتهورين والعثملي والانكليز راغبين راحتهم من شكواهم الصحيح من ظلم الامير وبطرس كرامه . ولو انهُ بوقتهِ ما قبل هذا الطلب ونجا من الفخ المنصوب لهُ غير ان الله سامح بالتاكيد في زوال هذا الامير من الحكم وراحة اهل الجبل المظلومين

فمع اشتداد الامور باخذ الساحل وعكا ومحاربة ابراهيم باشا بقوّة وذهابهِ من الجبل للبقاع وطردهم العساكر من كل الجبل جددوا كتابة ثانية الانكليز والعثملي للامير بالطلب ولكن بشرح مقتصر عن الشرح الاول . ويطلبوهُ يحضر يطّلع على مضمون الفرمان السلطاني بشرح ما يخصهُ . فظن ان الاوامر ابلغ من الاوّل . وحيث ان امور ابراهيم باشا ضعفت عن الاوّل والامل بدولة مصر صار فارغ ففكر انهُ ينزل لصيدا وبوصولهِ يحصل على غاية المجد والاعتبار وعزم على المسير حالاً بتدبير بطرس كرامه واخذ اولادهُ الثلاثة لمعرفته عداوة اهل الجبل . ولكن اذا كان يطلع منصوراً فيجيب معهُ عساكر كثيرة عثملي وبعض عساكر جبلي المتفقين معهُ وحينئذٍ يكون مطمأن على اولادهِ اذا كان يقوم عليهم الاهالي في غيبتهِ والى حين ينظم امورهُ

فكل هذا الامل والظنون طلع خايباً . لانهُ بانتزاحهِ من الدير اضطرب اهل الجبل وبلغوا اموراً كثيرة للانكليز . ولكن الامور مقرره بالتفصيل من قبل ايام كثيرة ومنتظرين وقوع الامير عندهم حتى يديروا شغلهم . ولكن احياناً يصدر اشياء من الوهم رعانة وعجلة بغير معنى . وبالنتيجة حين وصل الامير لعندهم لصيدا

حصل التدبير ببعده عن الجبل . ومن كون صدر منهم الامان ونزل لعندهم برضاه فما سمحوا يهينوه بشيء بل اعرضوا عليه ان كان يرسلوه لاسلامبول (2012) او لبلاد الافرنج عدا بلاد فرنسا فانهم لا يسمحوا لهُ التوجه لها مطلقاً . فعاد ترّ الراي انهم يرسلوه الى مالطا بالمركب الذي جاء بهِ من صيدا . وصدر الامر باقامتهِ بمالطا بعيداً عن المدينة في مكان منفرد وباقي هناك الى يومنا هذا

والظاهر حين فهم سفره لمالطا احضر سريّته وسريّة ابنهِ قاسم واخذهم معهُ وبقي حريم اولادهِ بالجبل . واما كامل الاولاد واولادهم (فانهم) توجهوا مع جدهم . والارزاق التي لهم بالجبل والسرايا التي في بتدين انقام لهم وكلاء بحفظهم وملاحظتهم

ثم انهُ ثبت حكم الجبل بامر سلطاني للامير بشير قاسم وحصل الناس في حرية وارتفعت تلك المظالم والعوايد الردية لا زال يمتنوا لنظامهم والحكم ملاحظهم . واذا كان هذا الحال معهم والامير بشير واولادهُ بعيدين عنهم فتحصل الناس في راحة اذا لا يختلفون في بعضهم كما هي عوايدهم

ولكن الان الذي صار فهو عناية من الله تعالى ومجازاة حسب العمل وربنا لا يترك شيء من الاشياء التي تكون افتراء وعدواناً . يجازي الانسان على عملهِ . كما جرى بالايام السابقة من افتراء الامير حسن اخو الامير بشير بقتل جرجس باز واخوه واعمام اولاد الامير يوسف . ولو كان حصل ذلك بامر الامير بشير لكن بسعي ومطابقة الامير حسن الذي كان تأكد بوقتهِ لولا رداوة حسن المذكور وتدبيره الملعون الذي عمله بجلب طايفة اليزبكيّة بيت عماد وما يتبعهم . واجتهد كثيراً بغليان هذه الطبخة الردية وكان يسعى ليل ونهار وربما اذا كان اخوه الحاكم يداور الامور بابطالها فكان حسن يعطب اخوه كما انهُ قصد ذلك وراح لدير القمر يريد يقتل جرجس باز واذا منعهُ اخيه فقتل اخاه بقدر ما كان ردي وحب السلطه ونفوذ الامر . والامير بشير اجتهد كثيراً حتى ابطل عزمه وعاهدهُ بقسم في عجنة الطبخة الذي عمالين يطبخوها . وبالنتيجة ان نيّة حسن فهي رديّة جداً وعمله خبيث غير مرضي لله تعالى . وبيان لك بعد قتل الجماعة لبيت باز نحو عشرين يوماً حصل لهُ مرض مؤلم ردي وصار كمثل شيطان يعذبهُ ليلاً ونهاراً . وبقي عشرة شهور بهذا العذاب والاطباء

عجزوا عن مداواته . اخيراً شاروا عليه ينتقل (202*) لجبيل كون هوائها اوفق من غزير . واستقام في بيت عبد الاحد باز

وحينما اشتدّ عليه المرض وما بقي يمكنهُ يحتمل اعراضهُ فقصد يقتل نفسهُ ليستريح من اوجاعهِ . فقام من فراشه على حميَّة الى النافذة المطلة على البحر يريد يرمي حالهُ كمثل ما ارمى نفسهُ عبد الاحد باز حينما لحقهُ العسكر ليقتلهُ . وهذا من قساوة الاوجاع والاعراض المؤلمة التي هي امرّ من ضرب السيف . قصد يرمي نفسهُ ويموت قتيلاً نظير عبد الاحد . ولكن الغلمان مسكوهُ بقوة وتألم من مسكهم اياه وكان كمن يضربهُ سيف . لان بعد برهة وجيزة مات وكان جوزي حسب العمل

ثمَّ ان الامير بشير بعد ما ركز حال الحكم بالجبل قدم اهالي الامارا المنفيين اعراض للانكليز في احضار ناسهم من المنفى . وحين بلغ العسكر المصري لمصر وراقت الامور نوعاً توجه من طرف الحكم معتمد خصوصي بامر الى بلاد السودان واحضر الامارا المذكورين واتباعهم الى بيروت . وجاءت الاهالي اخذوهم لمحلاتهم بفرح وسرور . ولكن منهم امير مات بالمنفى من القهر والستة امارا حضروا سالمين . ووجدوا الذين نفوهم منغصين بالطا . المجازاة حسب العمل . وهكذا تنظر اغلب الامور يحصل جزاها من نوعها . واذا وايت ان بعضها لا يجازى بنوعها فلا تعجب لان حكم الله غير مدروك وغاياتهِ لا تقدر تفحصها . بل خاف وكن على حذر من وعيد الله وامتنع عن كل شرّ وافترا .

ثم ان هذا الامير بشير جلس في حكم الجبل في سنة الف ومايتين وثلاثة (١٧٨٨ م) وانتفى في سنة الف ومايتين وستة وخمسين (١٨٤٠ م) كانه حكم ثلاثة وخمسين سنة وهذا ما صار خلافهِ ابداً . ولو انهُ انعزل من الحكم مرتين وثلاثة واكثر ولكن يغيب ايام قليلة ويرجع كما كان . وكان من خواصه يحب السلطة والمال ويرغب جمع المال باي نوع اتفق لهُ . وعلى اي ذنب خفيف وثقيل المقاصرة تكون بسلب القرش ان كان من اماره او مشايخ او اساقفة او رهبان او عوام . وكل على قدر ما يستطيع يأخذ منهُ . وزاد اموال الميري عن المعتاد . وكل مدة يزيد مبلغ ويدّعي لكي يرضى الوزير (203*) في عكا ويمنع الضرر عن البلاد . وكلهُ اعذار غير مقبولة . لانهُ يتخذ مالاً لهُ لاجل عمار السرايا في بتدين الذي اشتغل

بها سنين كثيرة بغير فتور . ثم واشترى ارزاق كثيرة واملاك ومن اطالة اقامته بالحكم جمع مالًا غزيرًا . ولا يوجد غنيًا نظيره بالجبل حتى ولا بيت جنبلاط المشهور غناهم فالامير فاق عليهم . انما كان بهِ خصلة جيدة : اذا كان يستدين من احد مالًا او غير اشياء فيرجعهُ لهُ بالوقت المعين من غير طلب وزيادة قليلًا لعطل المال

ثم لا ننكر حسن ملاحظة الحكم ووجود الامان من التعدي والاختباطات التي كانت تحدث بالسابق من سطوة مشايخ الدروز واختلافهم مع بعضهم وهم جنبلاط وعماد وغيرهم . وحيث ان الامير قتل اغلبهم ومنهم انفاهم فصار يلاحظ الامور واستكن الحال بتملك الدولة المصرية . ولكن انشاء المظالم والطمع بطلب المال المستديم اضعف كل الملايح التي كانت بالامير لانهُ افقر الناس وقهرهم للنهاية . حتى من عدم الاحتمال هاجوا جميعاً بشراسة كليَّة حتى وصلت الامور لتلاف حال الامير وصار الذي صار

ثم انهُ صدر امر سلطاني برجوع كل ما ضبطهُ الامير من سابق ولاحق من ارزاق واملاك الى مشايخ وامرا وخلافهم فيرجع لاصحابهِ . وايضاً الذي اوهبهُ للناس من مال غيرهِ . فرجع كل شيء لاربابهِ مثل اولاد جنبلاط وبيت عماد وبيت ابو نكد وخلافهم . فالجميع استولوا الذي لهم والامير وكَّل في بيتهِ ورزقهِ من يثق بهِ . ولكن الرزق خفَّ كثيرًا بسبب (كون) اغلبهِ مضبوط من مال غيرهِ بالقوة والاقتدار وهكذا جلست الاحوال على هذا المنوال . انتهى

الباب الثالث [1]

(203ᵃ) اخبار جزئيَّة ونوادر حصلت بالجبل وبيروت في زمان قريب

— خبر قتل مشايخ يدعون ابو نكد في دير القمر —

انهُ في ابتداء ولاية الامير بشير بعد طرد الامير يوسف ووقوعه عند الجزار في عكا وهي كانت الاخيرة من حياتهِ كان موجود طايفة دروز بدير القمر من سميَّة

---

١) جاء في هذا القسم الثالث بعض حكايات ليس لها علاقة بالتاريخ ولا في اثباتها من فائدة فاغفلناها

بيت جنبلاط وهم مشايخ يسمون ابو نكد وليس هم معدودين من مشايخ العهدة بل تبع غيرهم. فهؤلاء خدموا عند الامير يوسف حينما كان حاكما وجعل نظرهُ عليهم وقدمهم عندهُ حتى صاروا من خواصهِ يسمع شورهم وكلامهم نافذ. والامير قصد بذلك لتصغير جنبلاط بنوع خصوصي. لابدّ حصل منهم تعدي ومطاولة لابن جنبلاط وباقي المشايخ

فلما انعزل الامير يوسف ونزح من البلاد ذهبوا معهُ. ومن اطالة الغربة والمرمة (والعذاب) فكّروا يرجعوا لمحلّاتهم بعد استعطاف خاطر الامير عليهم. فقدموا وسايط لاصلاح حالهم. وقيل ان جنبلاط والباقي سعوا باحضارهم وصاروا يداوروهم للنهاية حتى ارموا حالهم بشرّ اعمالهم وحضروا بكل طمأنينة. وثاني يوم وصولهم صار ديوان بالسرايا ولجتمع كامل مشايخ البلاد وكانوا جمعاً غفيراً ثم حضر الامير بشير للديوان وطلبهم كانوا نحو احد عشر نفرًا وبقي نفرين منهم ما حضروا واولادهم في بيوتهم

فلما دخلوا للديوان قاموا لهم الجميع وكل منهم مسك واحد واجلسهُ بجانبهِ باظهارهم لهم الحب والمودة. وبدأ الامير يعاتبهم ويوبخهم عن افعالهم وهم يعتذرون وطال الخطاب بينهم والامير يداورهم بالكلام. ثم بغتة اشهر حقهُ منهم وشتمهم وصرخ: دونكم هؤلاء الكلاب. فبالحال تنظر ضرب الخناجر في صدورهم من المشايخ فقط كل منهم قتل الذي بجانبهِ. وكانت (204:) ساعة مرعبة. وبوقتهِ قام الامير والمشايخ من الديوان الى جهة اخرى وجرُّوا القتلى احد عشر نفرًا باهانة وارموهم في بير وهو معروف بدير القمر. وباقي الطايفة هربوا. ومن وقتهِ صغرت هذه الطايفة وما عاد لها اعتبار الى اليوم

فهذه الاية الاولى التي عملها الامير بشير في اول حكمهِ بعد الامان الصادر وهؤلاء ليس هم مشكورين كثير ومحدثين نعمة ولكن هذا الذي صار. انتهى

— نادرة صارت معجبة —

انهُ في قرية تدعى يرمانا فوق انطلياس وهي من قرايا المتن صاحبها الامير بشير درزي وهو من بيت قايدبيه وكان شجيع وصاحب تدبير. وبهذه القرية طايفة دروز يقال لهم بيت منذر مختصين بالامير وخدامينه حين يطلبهم ولهم عليهِ نفع كل

واحد شيء معلوم يدفعهُ لهم . فظهر منهم عصاوة وجفا في حق حاكمهم الامير المذكور وزادوا بالرداوة حتى ما عاد امكنهُ يحتملهم

فاخيرًا حفر لهم حفرة شنيعة واباد اغلبهم . وهو انهُ جاب مبلغ بارود ووضعهُ في اسطبل الذي يدعونهُ بالجبل مراح . وفي ضهر هذا المراح بيت متسع وهو منزول لدار الامير لضيف يفاجيه . وكان يوقتـه مشمول خاطرهُ ومظهر غضبهُ على الطايفة المذكورة فرتب واسطة تدخل بينها بالصلح . فالواسطـة (تصرَّف) بكل دربة وتصنع حتى تمم الوفق واقتضى لذلك انهم يراجعوا الامير . فحضر اغلبهم الى المنزول الذي تحتهُ البارود وعمل لهم وليمة . وهم مجتمعين للغدا انفذ الامير رجل من اتباعه واعطا النار بالمراح المذكور فاشتعل البارود بالبيت الاسفل والاعلى وقتل كل من كان موجود . ومنهم طاروا بالجو وما خلص منهم ولا واحد . حتى الذي اعطا النار احترق بجملتهم ومات وقيل انهم نظروا واحد من الطايرين وهو اقوى الطائفة هابط للارض وماسك بيده خنجرهُ كانهُ يريد يضرب به عدوه

وبعد ذلك ما بقي احد من الطايفة حينما سمع ما صار الَّا هرب . وضعف حال هذه الطايفة جدًا وبعد سنين كثيرة حتى ابتـدوا ينموا ومع ذلك لا زالوا للان اضعف عن غير طوايف دروز المتن وغيرها

. . . . . .

— نادرة حصلت بالشويفات سجية —

انهُ توفي بالشويفات الامير موسى شهاب وحضر جملة اماره للفرض حسب العادة وقرية الشويفات المذكورة اغلبها دروز وهي مختصة بامارا دروز يسمُّوا بيت وسلان يدعوهم اماره الزيت لان رزق هذه القرية اغلبهُ زيتون . وكان لاحد الاماره المذكورين ابنة شريرة اسمها حبوس امراة احدهم . وهذه صايرة خصيصة للشيخ بشير جنبلاط ويحبها بطريق العشق الشيطاني . وصارت في غنـاء وجاه ويعدّوا خاطرها الكبار والصغار لشان الشيخ المذكور . فالان بموت هذا الامير قعدت تعمل فتنة كبيرة وتهيج الدروز على النصارى والشيخ بشير ما يفت عليـه (لا يستكره) كذا امر ويرغب من كل قلبه يبيد النصارى من الجبل ويعدم بيت شهاب المشاع عنهم انهم نصارى

والنابة عأمت بعض دروز وقاموا على غفلة وهم اخذين الميت للقبر صاروا يرجموا بيت شهاب بالحجارة ومنهم يضربوه بالبارود بجارة ملعونة. وكانت ساعة مهولة حيث ما في استعداد من الامارا وما معهم سلاح. وقتلت فرس الامير حسن شهاب وتجرّح رجل (205) وامرأة وقيل انهم ماتوا. وانجرح ايضاً بعض امارا ومنهم توجهوا لدير القمر يعلموا الحاكم ويجيبوا امر بهدم الشويفات وحرقها بالنار مع اهلها. وامرا. بيت رسلان قاسم وعباس هربوا لجبيل وطردوهم فنزلوا لبيروت

ثم ان الامير بشير الحاكم انغمّ جدًّا من هذا الفصل المريع. انما البان ان بشير جنبلاط ترجا جرجس باز يكون واسطة بهذه المادّة وتصدّر لتدبيرها وحضر للشويفات وهمد الشرّ واصلحهم في بعض. ورفع بيت شهاب من القرية ونقلوا لغير جهات وسكنت الامور. وما صار مفشه في شيء وما احد فهم باطن هذه المادة والذي صادف البهدلة وقصد الدروز يعدموه هو الامير بشير قاسم لانهُ كان قاطن بالشويفات والملعوب كان عليهِ بنوع خصوصي. ومع ذلك انتهت المصلحة على طلوعهِ من القرية المذكورة وترك بيتهُ الذي عمرهُ من مالهِ وقطن في عنطورة مدة طويلة وكان مقهور جدًّا. وبالاخص من حبّوس الشريرة

فانظر ما جرى من انتقام الله على المفترين: انهُ بعد مضي سنين كثيرة على رجوع الامير بشير من مصر ومقاصرتهُ للشيخ بشير جنبلاط من الجملة افتكر في مقاصرة حبّوس الردية. فارسل عليها حواله بطلب مال من دون تعيين وريس الحواله الامير بشير المذكور اعلاه. فلما نظرت حبّوس ان المذكور حواله عليها ايقنت بالهلاك. واما الامير (فانهُ) ما جناها كما تستحق ولكن هي كبر الوهم عليها بما سلف منها معهُ وبحقه فعزمت على الهرب

ويومئذٍ كانت مقيمة في قرية بشامون قريبة للشويفات والامير متحول هناك. فثالث يوم ذهب الامير للصيد في احدى الجبال القريبة وترك واحد من اتباعهِ مراقب. واما هي فانها اتفقت مع ابنها التي كانت ارسلتهُ لدير القمر بالرجا ورجع خايب مما جميعهُ وربما استشار الشيخ بشير وزاده وهمًا بتصعيب الامور وان الراي الهرب. فساعة وصول ابنها لعندها بالحال ذهبت من باب ثاني وصارت تمشي بطرقات عسرة غير مسلوكة. وارسل لها ابنها مركوب الى مكان بعيد عن القرية تلاقيهِ لهناك

(205ᵃ) فالرجل المراقب فكر انهُ يسأل عنها فما وجدها بالبيت فطار عقلهُ . وبالحال ارسل علم للامير فحضر حالاً وصار شلش عظيم وكل من الخدام راح لجهات بالتفتيش والامير ايضاً . فصادفها بمحل منفرد بين الشجر فحال ما نظرتهُ كادت تموت من الخوف فشتمها ورجعها للبيت . فبوصولها وقعت للارض وغمي عليها ثم صحيت فاخذها الخدامين الى محل فوقاني كل ما طلعت درجتين تغمى وتفيق . وحين وصلت الى مقرها غميت الغمو المهلك وماتت . فلما تحقق الامير موتها اعرض للحاكم فجاه الجواب يرتفع . والمرغوب هو هلاكها . واولادها تشتتوا وبعد زمان حتى رجعوا الى محلاتهم . انتهى

. . . . . .

– خبرية عن سكة زغل في قرية بيت شباب بالجبل –

ان بهذه القرية كانوا جماعة يسكوا معاملة زغل وخامر معهم حكام المقاطعة وطال الامر وامتدت هذه المعاملة بكل بلاد الشلي وترتب لها اناس يحضروا من بلاد شمال مثل أرفا وخلافها كل سنة ويعملوا بازار مع اصحاب السكة المالية صاغ باربعماية من العملة الملعونة ويصرفوها في بلادهم حكم السعر السلطاني . وبالجبل صار العملة غش وبعد حين يظهر الغش وتخسر الناس

فمن اطالة الأيام انكشف هذا السر الخبيث لان الذين فاتحين هذه الكرخانة عملة كبيرة وتفرقوا الى جهات وانفك احدهم بالشام في سنة ١٢١٤ (١٧٩٩م) وشنقهُ الوزير . مسكهُ بعملتهِ لانهُ اتفق مع واحد نصراني وواحد مسلم واستأجروا قبو في خان سليمان باشا . وكانت السكة ذهب اسلامبول سليمي وفي برهة خمسة شهور صارت معاملة الشام الذهب المذكور . ومن كونهِ خايس قيراط عن السكة القديمة فكان يصير بلبله وتوقيف ومشاجرات اذا كان يزيد او يخس قمحة عن القيراط . فصدر مناداة من الوزير عبدالله باشا ان هذا الصنف تقبضهُ الناس من غير وزن . فاصحاب السكة طمعوا وصاروا يجملوه ناقص قيراطين (207ᵃ) واكثر ولكن الذهب عياره جيداً فظهر امره بواسطة المسلم الذي كان يصرف الذهب وكذلك النصراني يرسل الذهب للخارج . فانفك النصراني واصحاب السكة وقتلهم الوزير مع غيرهم واحوا تهمه .

وقيل انهم وجدوا في بيت النصراني جراب كبير ممتلي ذهب عجر مفرشخ جمعهُ في ايام قريبة

ثم انهُ في طرابلوس سكوا واحد منهم وشنقهُ مصطفى بربر ثم راح منهم واحد لمصر ودخل في خدامة محمد علي باشا في ابتداء حكمهِ حينما كان مجتهد في سكة المصاري واخيراً شنق المذكور بالاسكندرية

ثمَّ ان الامير بشير لاحظ هذا الامر وابطل عملية السكة في بيت شباب وخلافها وارتاحت الناس من هذه الجهة

ثم انهُ في سنة الف ومايتين واربعة وثلاثين (١٨١٨ م) اظهر غضب شديد الامير بشير على بعض اناس من بيت شباب بسبب انهم قتلوا ولد خفية من اقرباهم بقصد يرثوه. وهو وهم من العيلة المغضوبة الذين كانوا يدقوا السكة او شركاهم. فبعد قتل الولد المذكور تجسم الشر بين الورثة وحصل تفتيش بليغ بوجود مال ابا الولد المقتول . وظهر لهُ اموال غزيرة عند انفار بالقرية وذلك بامر الحاكم وصار يحول على كل من عندهُ مال للمقتول والذي دخل لخزينة الحاكم مع الكلف والمصاريف من هذه الفتنة انوف من مايتين كيس . والنهاية ختمت في قتل نفرين الذين قتلوا الولد . جابوهم لدير القمر فطلب منهم الحاكم مبلغ مال فعجزوا عن وفاه فخنقهم وتحقق وجود هذه الاموال عند ابا الولد المقتول من السكة الزغل التي كانت تشتغل بالسابق بهذه القرية. وكان هذا الرجل شريك اصحاب السكة. وحيث المال حرام فانتزع من اصحابهِ ومثلما جاء راح

. . . . . .

— خبر الامير يوسف وكيف عمل في اخوتهِ المساوئ —

ان الامير يوسف شهاب في اواخر حكمهِ بالجبل كان لهُ اخوة احدهم اسمهُ الامير سيد احمد والباقي اسمائهم قاسم وافندي ونظنّ حيدر ايضاً. ولكن الذي مضادد لهُ بامر الحكم سيد احمد ودايماً الامير يوسف مضطرب من نحو اخيهِ المذكور. فاخيراً حسن عندهُ يعمي عيناه حتي يرتاح من غايلتهِ. فعلى حين غفلة والامير احمد مطمأن ارسل جماعة دروز فعموه بكلّ قساوة

فاخوتهُ تقمقموا من هذا الصنيع ولكن لا فايدة لهم. انا الامير افندي البابن

كان يتكلّم في حقّ اخيهِ الامير يوسف. وصار المبغضين يوسوسون لهُ عنهُ. فاحضرهُ في وقت وصار يوبخهُ ويحكي معهُ كلاماً قاسياً وبعد حين زجرهُ وقتلهُ. فقتل بغياً من غير ذنب يوجب ذلك. مع انهُ كان اميرًا عاقلًا محبوباً عند كل من يعرفهُ. حتى ذات اخيهِ فيما بعد ندم على قتلهِ ولكن شيْ صار

ولكن الله تمجد اسمهُ تمهل باجراء القصاص ولكن ما فات شيْ. الامير يوسف قتلهُ الجزار في عكا بعد ايام من قتل اخيهِ. واولاده بعد حين اعماهم الامير بشير كما تنظر باطن هذا الكتاب في واقعة جرجس باز واخيهِ. وهكذا القرضة انوفت مع رجها. لان اولاد الامير يوسف هم ثلاثة والذي اعماه ابوهم عمهم وهو واحد. ولكن الانتقام صار مضاعف. والبغي والافترا. والتهوين بعمل الردي لا يحتملهُ الله. وجازانهُ تصير بغير تحديد. انتهى

اذ كنّا قد انهينا حوادث الجبل واحكامه كل اوان باوانه مع احكام (209٠) الشام على قدر الامكان بما هو نقلًا صحيحاً ومنهُ ما شاهدناه عياناً والقصد بذلك كي يعلم اصحاب الدراية ومن يريد يطلع على ما حدث في كل زمان وعن تملق ابن ادم بالدنيا ولا يعتبر زوالها وما حدث لغيره قبلهُ من وبالها ويا لهُ من غرور بشيع وامل ردي شنيع. ولكن لا فايدة بالنصيحة ولو آل الامر للفضيحة فالصبر بالله تعالى على سماجة الطبيعة البشرية واستمرارها على العنا والامل الفارغ

وكانت نساخة كتابنا عن خطّ مؤلفهِ في شهر تشرين اول سنة ١٨٤٣ مسيحيّة موافق شهر شوال سنة ١٢٥٩ هجرية ونسألهُ تعالى حسن الختام ويعفي عنا بالتمام. تمّ

(المشرق) اجابة الى ملتمس كثيرين من القرّاء قد طبعنا هذا الكتاب على حدةٍ لما فيهِ من المعلومات الواسعة عن بلاد الشام وامور لبنان مدّة نحو ستين سنةً. وقد اضفنا اليهِ فهارس وملحوظات زيادةً للافادة

ميمر

لتادرس ابي قرّة

في وجود الخالق والدين القويم

مُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

نقول حيث اننا اطّلعنا بعقولنا في طبيعة آدم ورأيناه موجودًا قلنا ان كان آدم موجودًا فانَّ مَن صيَّره موجودًا بلا شكّ موجود. ومن وجود آدم ايضاً ابصرنا وجود الله ليس كوجود آدم لانَّ وجود الله يترفَّع عن وجود آدم على الخلاف. لانَّ وجود آدم وجود قد كان لهُ بدوٌ وصار لهُ فناء. واما وجود الله على الخلاف لم يكن لهُ بدوٌ ولا يصير لهُ فناء.

كذلك رأينا آدم حيًّا فقلنا ان كان ادم حيًّا عرفنا ان الله حيّ ولكن حياة الله ليست كحياة آدم بالخلاف. لان حياة ادم باندة تحتاج لثباتها اولًا الى لبن ثمَّ الى اكل وشرب وهي تَشبُّ قليلًا قليلًا فيصير الانسان مرّة غلاماً ومرّة شاباً ومرّة شيخاً ثمَّ يصير امرهُ الى الهرم والموت والفناء وغير ذلك مما يلحق حياة الناس. فاما حياة الله فترتفع على الخلاف لانها لم تبدأ ولا تحتاج ولا تشبُّ ولا تنتقل من حال الى حال ولا تهرم ولا تموت ولا تفنى

وكذلك رأينا ايضاً آدم عالماً فقلنا ان (30) كان آدم عالماً فالذي صيَّره عالماً هو بلا شكّ عالمٌ. ومن انَّ آدم عالم عرفنا ان الله عالم ولكن علم الله ليس كعلم آدم بل يرتفع عنهُ بالخلاف. لان علم ادم من حواسِهِ استقاهُ او من غيرهِ من الناس تعلَّمهُ ولا يعلم ما وراءهُ ولا ما كان قبلهُ ولا كثيرًا مما بين يديهِ. فاما علم الله فانهُ يرتفع على الخلاف لانهُ لم يستقِهِ من حواسهِ ولا تعلَّمهُ من احد ولا يخفى عنهُ شيء مما كان او يكون منذ الازل الى الابد

كذلك على هذه الجهة حيث رأينا حكمة ادم وبصرهُ وسمعهُ وقوَّتهُ وفيض خيرهِ وفضلهُ وبرّهُ وصبرهُ ورحمتهُ وتجاوزهُ وعفوهُ وعدلهُ وجميع فواضلهِ قلنا: ان كان ادم على هذه الفواضل فالذي صيَّره اليها هو بلا شكّ حكيم قويّ بصير سميع

جواد فاضل بارّ صبور رحيم متجاوز عادل . ومن ان آدم هكذا علمنا ان الله هكذا ايضاً ولكنّ الله يرتفع فيها عن آدم بالخلاف على حال مـا وصفنا فوقُ من الوجود والخير والعلم . اذن آدم فيهِ فواضل طبيعة تُشبه الله ومنها تُبصر عقولنا الله في صفاتهِ . ومن انّنا رأيناها في ادم عرفنا انها في الله وان كانت صفات الله ترتفع بالخلاف على ما ذكرنا

كذلك في آدم فواضل أُخر اكرم يشبه الله فيها على مثل ما يشبههُ في الفواضل التي ذكرنا انّنا نرى الله بعقولنا منها . اعني الولادة والانبثاق والرئاسة . لأنّا (31) رايتا آدم قد ولد وانبثق منهُ ما يشبههُ في الطبيعة ورأيناه رئيساً على من هو منهُ . فلما كان آدم والداً ورئيساً على من هو منهُ فالذي صيره والداً ورئيساً فهو والد ورئيس على من يشبههُ بلا محالة ولكن بالارتفاع على الخلاف . لانّ ولادة ادم لابنهِ تمّت بأُنثى وجماع وتربية . وانبثاق حواسهِ ايضاً من عضو من اعضائهِ بالانتقاص من جسدهِ وهو ايضاً اسبق منهما . ورئاستهُ ايضاً عليهما وان كان طباعهُ طباعهم ولكن ليست توافق اهواؤهم اهواءهُ في كل ما هوى . فاما ولادة الله لابنهِ منهُ وانبثاق روح قدسهِ فعلى الخلاف بالارتفاع ليس بانثى ولا جماع ولا حَمل ولا تربيـة ولا سَبق ولكنها معاً . ورئاستهُ ايضاً على اللذَين منهُ ليست مخالفة بل هما متفقان لهُ في الطبيعة والازلية والمشيئة والهوى ليس بينهم خلاف شيء البتة الّا انّ هذا والدٌ وذاك مولود والآخر منبثق والوالد منهم رئيس

فان انكر احد ان آدم شبه الله وانّ الله شبهُ آدم في الولادة والرئاسة كمثل ما هو شبههُ في سائر فواضلهِ فاننا نجيبهُ انهُ ما ينبغي لهُ ان ينكر ذلك لانـهُ ليس في آدم فضلٌ اكرم ولا ارفع من الولادة . والرئاسة لانهُ لو لم يلد لم يكن لهُ نعيم عيش ولا رئاسةٌ ولا منطق ولا فضل ولا شي من الفواضل التي نُسبت اليهِ بل صارت نعمة حياتهِ (32) مع الخنازير والحمير وجماعة البهائم التي ليست الرئاسة عليها رئاسةً بل هواناً وحقرةً إذ يُقال لهُ رئيس القرود والخنازير والخنافس والدود . ولكان منطقهُ ايضاً باطلاً لا يحتاجهُ لانهُ لم يكن معهُ من يعقل عنهُ ولا من يجيبهُ . وكذلك جميع فواضلهِ لم تكن تُعدّ فواضل اذ لم يكن معهُ من يشبههُ . فان كانت جميع فواضل آدم التي هي انقص من الولادة بما لا يحصى موجودة في الله وهو شبه الله فيها

ولا يُنكر لله ذلك فالولادة التي هي افضلها هي احقّ ان تكون في الله ولا تُنكر لهُ والّا لَفَضَلَ آدم على الله وصار فيهِ فضلان من افضل الفواضل ليسا هما في الله اعني الولادة والرئاسة وهذا ما لا يقبلهُ العقل الصحيح. فمن المحال اذن ان يكون في آدم فواضل ليست في الله اذ هو من المحال ان لا يكون آدم رئيس من هو مثلهُ ولكن رئيس الخلائق وقد سبق انَّ آدم لا يرضى ان يكون رئيس الخلائق ولا احدنا ايضاً يرضى ان يكون رئيس الخنازير والحمير والدبّابات والبق والبراغيث والخنافس والدود. وان كان آدم ونحن لا نرضى بهذا فكيف نصف الله بما لا نرضى بهِ لانفسنا

وان قلنا ان الله رئيس ولكنهُ على الملائكة والناس فهذا ايضاً هوان لأنَّ الملائكة والناس ابعد من الله في طبيعتهِ بكثير من بُعد الخنازير والنمل (33) والخنافس عن طبيعتنا لاننا نحن نوافقها في طبيعة الحياة فامّا الملائكة والناس فلا توافق الله في شيءٍ بتّةً والبعد فيما بينهم ابعد من السماء عن الارض بما لا يُحصى. اذن من يصف الله برئاسة ويزعم ان رئاستهُ على الخلائق فقد وصفهُ بالفسخ والهوان وبأمر لم يكن يرضى بهِ لنفسهِ ان يوصف بهِ. امّا اذا وُصف آدم او واحد منّا بالرئاسة على مَنْ هو منهُ او مثلهُ من الناس فلا يرى ذلك هواناً بل فخرًا ورفعةً ومجدًا والله تبارك وتعالى هو رأس بلا محالة فليس هو رأس الخلائق ولكنهُ رأس من هو مثلهُ فان كان رأس من هو مثلهُ وهو كذلك فقد ولد ابناً وانبثق منهُ روح وهو شبيه آدم وآدم شبههُ في الولادة والرئاسة

اذن ممّا استخرج العقل من شبه طبيعة آدم ثبت القول بانَّ الله ثلاثة وجوه والد ومولود ومنبثق وقد تحققت كلمة القائل الذي لا كذب في قوله حيث قال: «خلقَ الله الانسان وعلى شبه الله خلقهُ» هذا كذلك من صفة الله

ويقول ايضاً انهُ كما استطاعت عقولنا ان تستخرج لنا صفات الله التي لا تُبصَر من شبه طبيعتنا كذلك من طبيعتنا نستخرج لنا علم الحلال والحرام والجميل والقبيح والخير والشرّ الذي يصلحنا ويفيدنا والامر الذي نقوى على فعلهِ (34) بهِ. نقول ان كلّامنًا من نفسه يفكر ويعرف الامر القبيح الفاسد الذي يرتكبهُ صاحبهُ. بمنزلة ان كذّبنا أحد وأهانتنا احد وسخر بنا او خدعنا او نفانا او شتمنا او ضربنا او

ظلمنا او ارتكب مكروهاً او قهرنا على شيء من امورنا او ما يشبه ذلك من انفسنا نكره ذلك ونعرف ان هذا امر فاسد قبيح وشرير وحرام. اذن الامر الفاسد القبيح الشرّير الحرام هو ألّا تأتي الى صاحبك ما تكرهُ ان يصنعهُ هو بك من الأذى. والقوّةُ على فعلهِ ألّا تشتهي شيئاً مما يملكهُ صاحبك

نقول: وكل واحد منا من نفسهِ يحب ويعرف الامر الحسن الصالح الخير الحلال. بمنزلة انَّ كل واحد منا يحبّ ان يكرمهُ صاحبهُ ويفضّلهُ ويقضي حوائجهُ ويحلم عنهُ ان سفه عليهِ ويعفو عنهُ ان اساء اليهِ ويبذل لهُ المشورة التي هي غاية كل خير. اذن الامر الحسن الصالح الحلال ان تصنع بصاحبك الامر الجيد الجميل الذي تحبُّ ان يصنعهُ بك. والقوة على فعلهِ ان تلقي عنك شهوة الدنيا راساً مما تملكهُ انت وغيرك

هذا وقد اعلمتنا طبيعتنا ان الشرّ والحرام ألّا تصنع بصاحبك ما تكره ان يصنعهُ بك من القبيح فكيف تنال ذلك الخير والحلال؟ تنالهُ بان تصنع بصاحبك ما تحبّ ان يصنعهُ بك من الاحسان. وغاية ذلك كلهُ للحبّ (35) والحبّ بان يؤثر الانسان من يحبهُ على نفسهِ بمنزلة حبّ مالك لابنٍ لهُ وحيد قد وُلد لهُ على كبر سنهِ يريد ان يورثهُ ملكهُ لانهُ قرّة عينهِ وبهجة نفسهِ لا يقدر يضرهُ بشيء ولا يحزنهُ بل هو وملكهُ وما يملكهُ فدى لهُ. كذلك الرجل الفاضل الكامل بجميع الناس فانَّ الذي يفعل ذلك هو شبيه بالله لان الله تبارك لا يحبّ شيئاً من الدنيا لنفسهِ وليس لاحد عندهُ ضرورة ولا حزن البتة بل يتجاوز عمَّن اساء اليهِ ويحلم عمَّن يفتري عليهِ ويفيض خيرهُ على من لا يستوجبهُ ويبذل كل شيء في الدنيا لعامّة الناس ويخدم حياتهم بملائكتهِ وسمائهِ وارضهِ وما بينهما من انواع الطبائع جوداً وفضلاً منهُ لا يؤثر الصالح على الطالح ولا الخير على الشرير لكنَّ خيرهُ على الكلّ جار بالسويّة اذن غايتهُ هو الله في إنهائهِ عن عمل السوء والشرّ وفي امرهِ بان يصنع الخير وان يصير الانسان فيما بينهُ وبين الناس في كمال الخير على شبه الله وهذا مما علمتنا طبيعتنا الحلال والحرام في الدنيا كذلك تعلمت منها ما الثواب والعقاب في الآخرة

نقول انَّ عقولنا تعرف ما نعمة طبيعتنا وما شقاؤها في الدنيا وبنعمة كيانها في الدنيا وشقائها بها نستدلُّ على نعيمها وشقائها في الآخرة. من اجل ذلك قبل ان نصف تلك ينبغي لن نصف هذه ثمَّ نستدلُّ بها على تلك فنقول: ان حياة كل مخلوق

لا تثبت لهُ في الدنيا الّا من شيءٍ سواه يمدّهـا بهِ من خارج منهُ لقوامها بمنزلة أنَّ حياة الانسان لا تدوم لهُ ولا تثبت ان لم يمدَّها بأكل وشرب واستنشاق الهواء من خارج منهُ وما يشبههُ ذلك لان لا شيءٍ يعيش من نفسهِ بلا حاجة الى شيءٍ من غيرهِ تقوم بهِ حياتهُ الّا الله وحدهُ قائماً ما سواه من الاحياء فمن غيرهم تثبت لهم الحياة على ما قد اعلمنا

ونقول ان كل حيٍّ من المخلوقين قد صيَّره الله فيهِ شهوة الامر الـذي تقوم وتثبت بهِ حياته والحركة اليهِ والطلب له فصيَّر معادن وقد هيَّأها له ليستفيد منها فاذا نالها نعِم واذا لم ينلها شقي بمنزلة ان الامر الذي تقوم بهِ حياة طبيعتنا تمتدّ اليهِ شهواتها كأكل الطعام وشرب الماء واستنشاق الهواء ولباس الثياب التي تدفع البرد وسكنى البيوت التي فيها نكنّ ونستتر من الشمس والامطار والثلوج والجليد وغير ذلك مما يشبهه ومما تحتاجه طبيعة حياتنا وايضاً المعادن التي تتحرَّك اليها شهواتنا اذ تنال بها هذه الاشياء اذا احتاجت اليها فهي بمنزلة الارض التي تنبت لنا طعاماً والعيون التي تخرج لنا شراباً والهواء المنتشر لاستنشاقنـا والاغنام لاخراج الصوف والارض للقطن والكتّان لكسوتنا والجبال والغياض والحجارة والخشب لبناء منازلنا وغير ذلك مما نحتاج اليهِ (37) من المعادن التي اذا تناولت شهواتنا منهـا قوام حياتنا نعمتْ واذا عدمت ذلك ولم تتناوله شقيتْ . بمنزلة انَّ رجلاً يسير في قفر ويدركه الحرّ والسموم فيعطش ويلتمس الماء ولا يجدهُ فيحترق جوفه ويبس لسانه ويشقى الشقاء الذي لا اشدّ منه وان تهيَّأ له الماء البارد فتناوله برد جوفه ورطب لسانه ولذَّ بهِ واستراح اليهِ ونعم النعمة التي لا وراءها شيءٌ وكذلك في الجوع وفي غير ذلك من حوائج طبيعتنا . اذن نعمة الانسان في الدنيا الوجود والتناول للاشياء من معادنها التي هيَّأها الله له لقوام حياتهِ وغرس فيهِ شهواتها وشقاء عوزها ان عدمها . هكذا على مـا تعلمتْ عقولنا مما غرس الله في طبيعتنا من الشهوات التي تحرّك الى حالتها التي تقوم بها حياتنا وهيَّأها معادن تنال ذلك منها التي اذا نالتها نعمت وان لم تنلها شقيت علمتْ عقولنا ان في طبيعتنا شهوات اخر مغروسة ليست من الدنيا هي ايضاً كمال النعمة وغاية المنية ولها معادن قد هيأهـا الله بها لتناولها لتنعم بها التي اذا نالتها نعمت وان لم تنلها شقيت وهي هذه :

ونقول ان كل واحد منا يشتهي ان يعيش الى الابد ولا يموت وان يصير بدنهُ الى حالة لا تنالهُ عاهة ولا ضرورة ولا تغيير ولا فساد بمنزلة انهُ اذا أُلقي في النار لا يحترق (38) او في ماء لا يغرق او وقعت عليهِ صخرة لا تفدغه او ضُرب بسيف لا يجرحه او لُسع من حيَّة لا تضرّهُ او غير ذلك من المصائب والعاهات التي تضرّهُ في هذه الدنيا . وايضاً يشتهي اذا مدَّ بصرهُ الى مدينة من المدائن او بلد من البلدان ان يبصرهُ بما فيهِ ولا يحجز بين بصرهِ وبين ما اراد بُعدٌ ولا جبل ولا حائط ولا بيت ولا سترة ولا يخفى عنه منه خافية . وايضاً ان يعلم العلم كلَّهُ اعني علم كل الخير والشر والحلال والحرام وغير ذلك من العلم على صوابهِ بلا خطأ . ويشتهي ان يقوى على دفع كل شرٍّ ولا يضعف عن عمل خير وبرٍّ وصلاح وان يكون له غِنىً لا ينفد ليفيض بهِ على جميع الناس . ويشتهي ان يكون رحيماً حليماً عفيفاً طيباً عادلاً وغاية كل فضل فيحب كلًّا ويحبُّ كل ويصير في حياتهِ في نعمة لا زوال لها ولا يعتهُ فيها تقصير وغير ذلك مما يشبهه

ونقول انَّ معدن هذه الشهوات التي ذكرنا هو الله تبارك وتعالى بعينهِ لانه حي ولا يموت ولا يتغيَّر ولا يفسد ولا تصيبه عاهة الذي يبصر كلًّا ولا يخفى عنه خافية مما كان او يكون ويعلم العلم كلَّه من علم الخير والشرّ والحلال والحرام ويقوى على دفع الشرّ وعمل الخير بكمالهِ ذو غنًى لا ينفد غناه ويجود بهِ على كل وهو حليم رحيم طيب عفيف عادل يحب كلًّا وكلٌّ يحبه وهو في حياة نعيمهِ لا يزول عنه

فاذ قد عرفنا هذه الشهوات الفائقة المغروسة فينا وعرفنا معدنها ينبغي ان نعلم انه كما غرس الله فينا شهوات الدنيا وهيَّأها معادن ننال منها وننعم ولم يمنعنا اياها لئلَّا نشقى لانه لم يكن يشبهه ذلك بل جاء لنا بها التنعم قوام حياتنا بها على ما يشبهه . كذلك نعلم انه اذا غرس فينا هذه الشهوات الفائقة وهو معدنها تبارك وتعالى انه لا يمنعنا نفسه لئلَّا يشقينا لانه لا يشبهه ذلك بل يجود لنا بنفسهِ لنساكنهُ ونلامسه وننال لذَّتهُ ونعمته لهذه الشهوة التي تتوق انفسنا اليها التي هي غاية كل نعمة وكمال كل منية فنصير بهِ آلهة ننعم بهِ الى الابد

اذن غاية نعيم طبيعتنا ان نصير آلهة وننعم بالله ولسنا نقول اننا نتغير عن

طبيعتنا الانسية فنصير في الطبيعة آلهة لان هذا محال ولا يستقيم ان يكون مخلوقٌ غيرَ مخلوق ولكننا نبقى على ما نحن فيهِ من طبيعتنا الانسية ونشمل طبيعة الله ونصير بها آلهة من غير تغيير بمنزلة حديدةٍ نُدخلها النار فتحمى ونخرجها منها وقد صارت ناراً ولم تتغير عن طبيعتها بل هي حديدة مشتملة بنار تعمل عمل طبيعة النار لانها تحرق وتضيء وتسخن. كذلك الله تبارك وتعالى يشمل طبيعتنا ويخالطها من غير تغيير ولذلك تستفيد من ملامستهِ الحياة الدائمة بلا موت ولا تغيير ولا فساد ولا عاهة من فواضلهِ جميعاً التي ذكرنا انه قوى فينا شهواتها

هذه فواضل الله الذي كنا ذكرناها (40) فوقُ حينَ كنا نقيسها بفواضل طبيعة آدم وترفُّع الله فيها على آدم بالخلاف حيث وصفنا ان آدم موجود لكنهُ غير باقٍ وقلنا ان الله موجود. لكن يترفَّع عن الذي لآدم على الخلاف لانهُ باقٍ غير فانٍ. فهذا الفضل وجميع فواضلهِ التي كان يرتفع بها عن طبيعة آدم على الخلاف هي التي غرس الله شهواتها فينا لان من رأيهِ ان يجود بها علينا وينتهم طبيعتنا فيها الى الابد على ما ذكرنا وهذه هي النعمة التي علَّمتنا طبيعتنا ان تنعيمها ليس وراءه شيء

ونقول كما ان ذلك العطشان الذي وصفنا فوق حيث وجد ماء بارداً وشربهُ نَعِم بهِ وحيث اعوزهُ شقي كذلك تنعم طبيعتنا بالله ولكن ليس وجود نعمة الله ووجود شرب الماء سواء ولا شقاء عوز وجود النعمة وعوز الماء سواء بل شرف وعلو نعمة الله على الماء كشرف الانسان وعلوهِ على الماء. كذلك شدة شقاء عوزهِ اعظم من شدة شقاء عوز الماء. هذه النعمة ثواب الله لأحبائهِ وهذا الشقاء عقاب لمخالفيهِ على ما علَّمتنا طبيعتنا

فالان اذ عرفنا ذلك ينبغي لنا ان نصنع مثلما صنع ذلك الطبيب الحكيم ان نقدّم جميع الاديان التي لقينا فننظر في قول كل واحد منهم فيما يصف الله وفيما يصف ايضاً من رأيهِ الحلالَ والحرام والثواب والعقاب فالذي نجدهُ موافقاً لما علَّمتنا طبيعتنا من ذلك علمنا بيقين انهُ الحقّ الذي جاء من عند الله والذي يجب ان يُعبَد بهِ وحدهُ ولا بغيرهِ فنقبلهُ ونتخذهُ ونقع عليهِ (41) ونعبد الله بهِ ونرمح غيرهُ ونبعدهُ ونبغضهُ

فقد نظرنا في ذلك فلم نجد فيها من وصف الذي نعرف الّا الانجيل وذلك

انه وصف الله على ما علمنا ثلاثة وجوه آب وابن وروح قدس في قول المسيح لتلاميذه في اخر انجيل متى حيث قال: «كما بعثني ابي فقد بعثتكم اخرجوا الى الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلّموهم ان يفعلوا كلّ ما اوصيتكم به وها انا معكم الى آخر الدهر امين». هذا ما علّمتنا طبيعتنا من شبهها بالله سواء. فاما غير الانجيل من الاديان فلم يهتدِ واحد منهم الى شيء من ذلك ولكن وصفوا آلهتهم على ما استحسنت عقولهم الانسيّة الارضيّة. فنهم من كان قال ان اللاهوت كراكبٍ. ومنهم من قال ان الله يحبّ اثنين احدهما الشيطان والآخر هرمزد الناكح لامه. واخرون قالوا انهُ وجهٌ واحد فرد. واخرون قالوا انهما الاهان في طبيعتين مختلفتين خيّرًا وشرّيرًا والخيّر الله والشرّير الشيطان. واخرون قالوا ثلاثة واحد عادل وآخر طيب وآخر شيطان شرير. وآخرون قالوا خمسة آلهة اربعة منها غير عقليّة والخامس عاقل. واخرون قالوا واحد صمد لم يلد ولم يولد. هكذا وصف هؤلاء الله ولكنهم لم يصيبوا صفتهُ

نقول ان صفاتهم من الارض وليست من الله وصفة الانجيل وحدهُ من عند الله وذلك لانه اتانا بما علّمتنا بهِ طبيعتنا من شبهها بالله على ما وصفنا من فوق. كذلك ايضاً وصف الانجيل ان المسيح امر تلاميذهُ من عمل (42) الحلال وترك الحرام وعمل الخير واجتناب الشر وكمال الصلاح على ما علمتنا بهِ طبيعتنا ايضاً من اجتناب الشرّ وعمل الخير. انظروا الامر الذي تكرهونه ان يصنعه الناس بكم فلا تصنعوهُ بهم انتم والامر الذي تحبّون ان يصنعه الناس بكم فاصنعوه بهم

وعلّم الانجيل كيف يقوى الانسان على اجتناب الشرّ وكمال الصلاح فوصف ذلك في اربعة اوجه: الاول منها ترك ما في الدنيا والزهد فيها. والثاني الحبّ لله والايثار له عليها. والثالث الحب للناس ايضاً والايثار لهم. الرابع ترك القصاص والاخذ بالعفو والمكافأة بالخير بدل الشرّ والتشبُّه بالله. وهذا كما قال المسيح: «بع كل ما تملكه وأعطهِ للمساكين فيصير لك كنز في السماء. وخذ صليبك واتبعني». وايضاً: «لا تتخذ في الدنيا خبزًا ليومين ولا ثوبين ولا مخلاة ولا نحاساً في منطقتك». وفي حبه والايثار له على الدنيا قال: «من احبّ من الدنيا اباً او امًّا او امرأة او ولدًا او قرابةً او مالًا افضل مني فليس هو لي باهل». وفي الحبّ لبعضنا بعضاً قال: «وصيّة جديدة

اوصيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً وبهذا يعرف الناس انكم تلاميذي اذا احببتم بعضكم بعضاً وهذا الحبّ ان يؤثر الانسان من يحبه على نفسه مثلما احببتكم انا وفديتكم بنفسي » . وفي العفو والمكافأة بالخير والتشبه بالله قال: « قد قيل للاوّلين عين بعين وسنّ بسنّ ولكني انا اقول لكم لا تكافئوا الشرّ بالشرّ بل من (43) ضربك على خدّك الايمن فحوّل له الايسر ومن اخذ ثوبك فزده كساءك ومن سخّرك ميلاً فتسخّر له ميلين ومن استوهبك فهبه ومن استقرضك فلا تمنعه . ولا تبغض عدوك ولكن أحبّهُ وبارك من لعنك وأحسن الى من يقصيك وصلّ على من قهرك وعسفك لكيما تصير ولد ابيك الذي في السماء الذي يطلع شمسهُ على الاخيار والاشرار والصالح والطالح »

اذن بكمال الصلاح الذي علّمتنا طبيعتنا قد امرنا الانجيل وفي هذا النصف لان من رضي للناس بما يرضى لنفسه والقى حب الدنيا من نفسه وزهد فيها وآثر حبّ الله عليها وعلى نفسه وترك القصاص وعفا وكافأ الشرّ بالخير واحب عدوه تشبّه بالله الذي هو غاية كل خير وفضل وصار لهُ ولداً فهو العالي من الناس وهو الذي نقى عن الطبيعة امراضها وصيرها في منتهى صحتها . وبهذه الصحة ايضاً علّمتنا طبيعتنا

وفي هذا النوع الثاني لم نرَ احداً من اصحاب تلك الاديان عرفها ولا امر بها ولكن على الخلاف انهم رخّصوا لاصحابهم اتخاذ الدنيا وفرشوا لهم شهواتها والتشبّع في لذّاتها بامر قد قتلوا فيه الطبيعة وامرضوها به وحالوا بينها وبين حب البارئ وبين بعضهم بعضاً . ولم يامروا ايضاً بشيء من الفضل ولكن باخذ القصاص والانتقام كالسباع . لانهم لم يرضوا بالقصاص ولكن بالزيادة عليه وهم يشتمون ولا يقبلون الشتم وان شُتموا ضربوا وان ضُربوا قتلوا ولا يقتصرون على هذا (44) ايضاً ولكنهم ياخذون سيوفهم ويخرجون الى من لم يؤذهم فيقتلونهُ ويستبيحونهُ

وهذا رأي جميع الاديان والعجب منهم انهم يزعمون ان الله امرهم به وان كان هذا فساد الطبيعة كما انهُ فسادها والله تبارك وتعالى لا يحب فسادها بل صلاحها لانه امر ان يُبعَد بينها وبينه فاماً ما يورثها جهنم فلم يأمر به ولا بفساد الطبيعة وبالامر الذي يحول بينها وبين الله . فمن زعم اذن ان انفساد الطبيعة هو من عند الله

فقد اخطأ بقوله انهُ جاء من عند الله وكل من اتى بصلاحها وصحتها وبالامر الذي يقرّبها بهِ الى الله فهو من عند الله. فالانجيل الطاهر اذن الذي اتى بذلك هو وحدهُ جاء من عند الله لا محالة

وكذلك في امر الثواب والعقاب نقول ان الامر الذي علّمتنا طبيعتنا وعدّ بهِ ايضاً المسيح في الانجيل الصالحين والطالحين اعني الصالحين سكنى اللاهوت والكينونة معه فيهِ واحداً في الحياة الدائمة التي لا يزول نعيمها والطالحين العزلة عنها في جهنم الى الابد وهذا قول المسيح في الانجيل لتلاميذه في ذلك: « ان من يحبني يحفظ وصاياي والاب يحبه وانا والاب نأتيه ونسكنانا معه يصير ». وايضاً: « ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وانا اسأل الاب ان يعطيكم معزياً اخر يكون معكم الى الابد روح الحقّ الذي لم يُرَ في الدنيا ولم يعرفه احد ولم يقدر يقبله. فاما انتم فتعرفونه لانه معكم يسكن وفيكم هو ». اذن الذي يحفظ وصايا (45) المسيح فهو مسكن الآب والابن والروح القدس الى الابد والمحبوب منهم. وحيث اراد المسيح يعلّمهم ان ذلك ليس في الارض يكون فقط ولكن في السماء ايضاً قال: « الاب يحبكم لانكم احببتموني وآمنتم اني من عند الآب خرجت وجئت الى الدنيا وانا اترك الدنيا وارجع الى الآب. ثمَّ آمنوا بالله وبي فآمنوا. ما اكثر منازل بيت ابي ولولا ذلك لقلت لكم اني انا انطلقت لاهيئ لكم المنازل ». وقال ايضاً: « أرجع واضمّكم اليَّ لكيما تكونوا حيث اكون »

اذن من السماء من عند الآب جاء المسيح الى الدنيا والى الآب الى السماء عاد وهو مهيئ للمؤمنين بهِ في السماء عند ابيه المنازل ليكونوا معه حيث يكون. ومعروف ان ذلك عند الآب وفيه ايضاً لان المسيح كان منطلقاً الى ابيه في السماء ومخلفهم في الدنيا يطلب الى ابيه فيهم ليحفظهم حتى يجيئ الحين الذي يضمّهم فيه معه ومع ابيه واحداً. ويقول هكذا: « يا ابتاه قاوني وعرفوني بحق اني من عندك خرجتُ وآمنوا انك انت بعثتني والآن فانا اسألك من اجلهم وليس من اجل اهل الدنيا اسألك ولكن من اجل الذين اعطيتني الذين كانوا لك لان كل شيء لي فهو لك وكل شيء لك فهو لي وانا فيهم مُمجَّد ومن الآن لست في الدنيا وهؤلاء في الدنيا يبقون وانا اليك اجيئ. يا ابتاه القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتني لكيما يكونوا واحداً

كما نحن (46) واحد. حيث كنت معهم في الدنيا انا كنت احفظهم باسمك والذين اعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم احد الا ابن الهلاك. يا ابتاه ليس عن هؤلاء اسالك فقط ولكن عن الذين يؤمنون بي بكلامهم لكيما يكونوا اجمعين واحداً كما انك يا ابتاه فيَّ وانا فيك ان يكونوا هم فينا واحداً ليصدق العالم انك بعثتني وان المجد الذي اعطيتني فقد اعطيتُهم اياه ليكونوا واحداً كما نحن واحد. انا فيهم وانت فيَّ لكيما نكون اجمعين تامين كواحد ليعلم العالم انك انت الذي بعثتني واني احببتهم كما احببتني. يا ابتاه انا احبُّ ان يكونوا معي حيث اكون لينظروا الى مجدي الذي اعطيتني واحببتني قبل ان تنشئ العالم »

اذن المسيح ايضاً من عند الاب جاء الى الدنيا واليه عاد وهو في ابيه وابوه فيه وهو فيهم وابوه ايضاً فيهم. وايضاً كذا صيَّرهم حيث يكون وهو كما قال في ابيه ومعهُ واحد. اذن من قول المسيح في الانجيل مسكن الصالحين هو الاب والابن والروح القدس في السماء ومسكن الابن والروح القدس ايضاً في الصالحين ومسكن الصالحين في الله فهم واحد معهُ في الحياة الدائمة بلا موت ولا فناء ومثلهُ على ما قال الانجيل ايضاً: « ان الله الاب يحبُّ ابنهُ وكل شيء قد سلَّمهُ اليه. فمن آمن بالابن (47) فلهُ الحياة الدائمة ومن لا يخضع للابن فلا يرى الحياة ولكن غضب الله يحلُّ به ». وايضاً قال يوحنا البشير انه « حتى الان لم نكن نعرف لاي شيء خلقنا فمن الآن قد عرفنا اننا نبصر الله كما هو ونصير مثله »

اذن ما علمتنا طبيعتنا انها تشتهي الله وتتوق الى ان تبصرهُ وتسكنه وتصير مثله الاهاً في حياتهِ الدائمة ونعيمهِ الذي لا يزول هو علمُ الانجيل ووعدهُ. فمن هذا عرفنا ايضاً انه من قِبَل الله بحق لانهُ لم يخلقنا الا لذلك لينعمنا بنفسهِ مع ملائكته القديسين وليس لينعمنا في الاكل والشرب والفساد للنساء. لانَّ هذه نعمة قد اعطاها للحمير والخنازير وغير ذلك من الدواب على ما قال الانجيل المقدس ان المسيح اجاب الذين سألوه عن التزويج في الآخرة فقال لهم: « انكم قد ضللتم اذ تقرأون الكتب ولم تعرفوا قوة الله انما يتزوج الرجال النساء والنساء يصرنَ للرجال في هذه الدنيا واما في الآخرة فلا الرجال يتزوجون النساء ولا النساء يتخذن الرجال ولكنهم كمثل ملائكة الله » يقومون اجمعين ويصيرون اولاد الله لانهم صاروا اولاد

القيامة والهمّ معهُ في الحياة الدائمة ليس في الطبيعة ولكن في شركة الحياة على ما كنّا ضربنا عليهِ فوق مثلَ الحديدة التي صارت نارًا من غير ان تكون اهلكت طبيعتها وتحوّلت عنها وهذا امر لا يخطر (48) على بال احد من اصحاب بقيّة الاديان ولم يطلع على فكرهم البتّة لانَّ فكرهم كلهُ في الارض في الاكل والشرب والسفاح ونعيم الجسد لا يعرفون غيرهُ ولا تتوق انفسهم الى سواه كالدواب التي ليس لها همة غيره

اذن الانجيل دين الله الحقّ الذي يجب ان يُعبد بهِ على صفة الثلاثة الانواع التي كنّا ذكرنا انَّ طبيعتنا علّمتنا اياها اعني ان الله آب وابن وروح قدس. وفي الحلال والحرام ان نرضى لغيرنا ما نرضى لانفسنا من ترك الشرّ وعمل الخير والثبات في المودة الصالحة والتشبه بالله. وفي الثواب والعقاب ان يبصر الصالح لله ويساكنهُ ويشاركهُ في نعيم حياتهِ ويصير مثلهُ الاهًا الى الابد من غير ان تتغير طبيعتهُ. فامّا الطالحون الذين لم يؤمنوا بالمسيح فيُبعَدون عنه ويصيرون في عزلة عن حياتهِ في شقاء الى الابد. ولذلك نؤمن بهذا الدين ونتخذهُ ونتمسك بهِ ونعيش بهِ ونصبر على البلايا في الدنيا من اجلهِ للرجاء الذي وعد وثبوت على ذلك ونؤمل انّنا نلقى وجه الله عليهِ ونرمح ما سواه ونبعدهُ ونقصيه ولا نعدُّهُ شيئاً

فان قال قائل انك حيث لم تقبل دينًا الّا الذي اتى بهِ الانجيل لما ذكرت من تمام ما فيهِ من صفة الله والحلال والحرام والثواب والعقاب الامر الذي زعمت انَّ الطبيعة علّمتك اياه وامنت ليس من الله غيرهُ (49) ونزّهت الله ورفعته من ان يكون بعث الى الناس شيئاً وصفتهُ الاديان الاخر لحال خطاياها ونقصانها فقد انكرت ان يكون موسى النبي مبعوثًا وجعلت ما جاء بهِ خطأً ونقصانًا لانهُ لم يأتِ بما اتى به الانجيل بالخلاف والنقصان الكثير فموسى اذن ليس عندك من الله بُعث

فانّا نجيب هذا القائل ان قصدنا من كتابنا هذا ان نثبت ديننا من العقل وليس من الكتب ونقول انه من قبَل تثبيت العقل لم يكن عندنا موسى مقبولًا انه من عند الله ولا ما جاء بهِ غيرهُ وذلك لما اتوا بهِ من النقصان والخلاف لما علّمتنا طبيعتنا فلسنا نقبل من وجه العقل دينًا الّا الانجيل وحده لما ذكرنا من التمام والصواب الذي اتى بهِ. فامّا من وجه آخر فانا نقبل موسى والانبياء وعدهم انهم من الله وذلك حيث

عرفنا ان الانجيل من الله وقبلناه وصدقنا جميع ما فيه والانجيل يخبرنا ان موسى والانبياء المسمّين في العتيقة بُعثوا من الله فصدقناه وقبلناهم. وكذلك حيث سألنا الانجيل: ولاي سببٍ بعث الله موسى بهذا النقصان اذ لم يظهر في صفته اللاهوت الّا الاب وحدهُ ولم يدعُ الّا اليه. وايضاً لاي حال لم يأت بالامر الكامل من الحلال والحرام ولم وخص اشياء كثيرة ولم يذكر الثواب الكامل الذي من اجله خُلق الانسان ولا العقاب. فاخبرنا الانجيل انهُ اضعف (50) القوم كان ذلك. امّا في صفة امر اللاهوت لان القوم كانوا يعبدون الشياطين واوثاناً لا تحصى فامرهم موسى قائلاً: « دعوا عنكم كثرة الآلهة التي لا تحصى واعبدوا الله وحدهُ » رجاء انهم اذا تركوا آلهتهم وعبدوا الله كشف الله ابنهُ وروحهُ في الحين الذي ينبغي ان يعبدوه على التمام ومن اجل ذلك امر بكشفهِ لهم اذ ذلك الآب وحدهُ. وايضاً في امر الحلال والحرام مثل ذلك كان القوم في اعمال الامم في القتل والنهب والزنا والسرقة وشهادة الزور وغير ذلك من انواع الشرّ فلم يقووا على ان يتركوا الشرّ ويميلوا الى الخير برّة ومن اجل ذلك وضع لهم ناموساً في ترك الشرّ ورخّص لهم في اشياء كثيرة وترك لهم عمل الخير حتى يجيء حينهُ. وايضاً في امر الثواب والعقاب لم يقدر القوم ان يخرجوا من نعيم الدنيا رأساً ويقيموا على خير رجاء الله كي يأخذوا ثوابهُ بعد الموت لان قلوبهم كانت منغمسة في شهوات الدنيا لا يعرفون غيرها ولا يلتمسون الّا الامر العاجل فاعطاهم ارض فلسطين الامر الذي كانوا يؤملونهُ ويعلم انهُ يجذبهم اليه به

بهذا اخبرنا الانجيل وصدقناه في كل ما اعلمنا من امر موسى انهُ من الله بُعث وانّ ما جاء بهِ مع وجود النقصان من الله ولولا الانجيل لم نصدّق موسى انهُ من الله ولكنا من قبل الفكر كنّا نزعهُ اشدّ الزمع. كذلك صدّقنا الانبيا انهم من عند الله من قبل الانجيل وليس من العقل لاننا حيث اخبرنا المسيح انهم انبياء صدقناهم وحيث عرفنا جميع تدبير المسيح وقرأنا في كتبهم فوجدناهم قد كانوا سبقوا فوصفوا جميع تدبيرهِ على ما فعلهُ صدقناهم ايضاً انهم انبياء. فنحن الآن ليس من قبل كتب الانبياء نصدق بالمسيح وبامورهِ ولكن من قبل قول المسيح انهم انبياء ومن قِبَل انّنا رأينا تدبيرهُ مكتوباً في كتبهم صدقناهم

فنحن على هذا فصّلنا امور الاديان وعرفنا منها مـا هو من الله وما ليس من الله من علم الطبيعة

نخبر ايضاً من وجه آخر استدلّت بهِ عقولنا ان دين النصرانيّة من عند الله وذلك ان الامم بقوة الله انقادت الى تلاميذ المسيح وقبلت هذا الدين منهم وليس بقوّة الناس ولا قهرهم ولا حيلهم ولا مطامعهم كغيرهِ من الاديان. لان الوجوه التي تنقاد الناس فيها بعضهم الى بعض في الدنيـا على ما يرى العقل كثيرة. فربّما انقاد الناس الى رجل شريف لشرفهِ والى رجل غني لعطيتهِ او ايضاً الى سلطان وهذا انقياد الناس اليهِ لوجوه شتّى منهم لان السلطان يقهرهُ ومنهم لانهُ يتقي شرّهُ ومنهم لانهُ يرجو الاصابة بلزومهِ (52) ومنهم لانهُ يعتزُّ بهِ. وايضاً ربما انقادوا الى حُكم حكيم لحكمتهِ وايضاً الى من يغرّشهم شهواتهم ويوسعهم اهواءهم والميل الى ما يُنعمون بهِ طبيعتهم. وايضاً ربما انقادوا الى تعليم الله الذي يستحسنهُ والى غير هذه الوجوه التي ذكرنا ما يشبهها

ونقول انهُ ان خرج رجل يدعو الى الله على مثل هـذه الحالات سيما ان كان رجلًا شريفاً ملكاً يقهر الناس بالسيف ويبذل لهم العطايا والعزّ والشرف في الدنيا ويغرشهم شهواتها ونعيمها ويأتيهم من صفات الله ما هو سهل ممّا تستحسنهُ عقول العامّة ولعلّها من الصفات التي قد سبقهُ اليها غيرهُ قبلهُ وعرفتهـا العامة فليس بعجب إن انقادت لهُ الناس واتبعتهُ عليهِ وليس لهُ مع هذا حجّة مقبولة ان اراد ان يثبت لهُ دينهُ انهُ من عند الله لاتباع الناس اياه على مثل هذه الوجوه لانهُ لم يزل هذا ومثلهُ يكون في الدنيا من قديم الدهور وحديثها

والشاهد على ما ذكرنا دانيـال النبي قال ان بختنصّر ملك بابل صنع الاهاً من ذهب اي صنماً طولهُ ستون ذراعاً في ستة عرضاً وانهُ اقامهُ في بابل وامر بان يُسجد له وأعلم ان من لم يسجد له فهو ملقيهِ في الاتون وحرقه بالنار فاجتمع جميع الناس وسجدوا لهُ الّا الثلثة الفتية حنانيًا وعزاريًا وميصائيل فالقاهم في الاتون

كذلك لم (53) تزل العامة تنقاد الى ملوكها بالقهر اذن ليس بعجب ان تنقاد الناس الى من خرج يدعو الى دين فمن لم يتبعـهُ ضربه بسيفهِ ومن تبعه عزّه وافرشه فرش الدنيا وفخرها واموالها وسعة شهواتها ولذّتها ونعيمها وسيما ان كان

قبل ذلك شقياً لم يرَ خيراً قطّ ولم يسمع خبره وعلّمه من صفات الله ما تستحسنه عقول الناس السوقية امرٌ قد جاء به غيره من قبله وعبدت الدنيا الله عليه دهوراً كثيرة على ما جرى عليه امر بختنصّر لان الملوك تقهر مَن تحتها الى ما تحب والناس ايضاً تنقاد من اجل حياتهم ومن اجل شهواتهم ومطامعهم وعزّهم الى غير الحقّ ومن اجل ذلك اذن لا يثبت له امر انه من عند الله

فالذي يدعو الى الله على خلاف هذه الحالات مثل تلاميذ المسيح قوم كانوا اثني عشر رجلاً من اليهود واليهود كانت اسقط أمة في الدنيا عند الامم وابغضها اليهم وكانوا هم اذلّ مَن في أمّتهم واسفلها لا حسب ولا نسب لهم في الدنيا يطمع فيه احد وينقاد اليهم من اجله. وايضاً لم يكن لهم في الدنيا مال ولا منزل ولا مأوى ولا ثوبان ولا طعام يومين ولا مخلاة لينقاد اليهم التماساً لعطيتهم. وايضاً لم يكن لهم ملك ولا سلطان ولا سبب في الدنيا ولا قهر ولا عزّ لينقاد (54) اليهم احد لقهرهم او لخوفهم او التماساً للعزّ بهم بل قد كانوا على خلاف ذلك كل يقهرهم ويهينهم ويُغسلهم. وايضاً لم يكن فيهم من يفهم كتاباً ولا من عرف شيئاً من الحكمة الدنيويّة لينقاد الناس اليهم من اجلها. وكانوا يدعون الى دين النصرانيّة ولا يرخصون للناس في تناول شيء من شهوات الدنيا ولا كثرة نسائها ولا لذّاتها ولا فخرها لينقاد الناس اليهم بل على خلاف ذلك كله يعلّمون ترك ما فيها راساً. وايضاً لا يدعون الى الايمان بامر سمعوا به قطّ ولا بما تستحسنه عقولهم البشريّة ولا بما كان احد قبلهم دعا اليه احداً ولكن بامر جديد غريب لانهم قالوا: ان الله بعث ابنه من السماء واتى امراةً عذراء فتجسّد منها وولد منها الاهاً وانساناً ونشأ في الدنيا كواحد من الناس. ولمّا دعا اليهود الى الايمان به لم يطيعوهُ بل خالفوه واجترأوا عليه فضربوهُ وصلبوهُ وقتلوهُ ودفنوه وقام من الموتى بعد ثلاثة ايام وصعد الى السماء ولا خلاص لاحد من الخطيّة ولا من جهنم الّا به ولا الدخول الى ملك السماء الّا بالايمان به وانهُ الاه ابن الاه وبعثنا نكرز بين الناس بهذا ليحيوا

فهذا الايمان لا تقبلهُ عقول حكماء الناس ولا جهّالهم ولا اواسطهم وهو جدير ايضاً الّا يقبلهم احد لاجله وفي سواء ذلك الخلاف الذي ذكرنا انهم كانوا في الدنيا من السفالة بتّة (55). فنحن نرى الامم اجمعين قد قبلوهم على هذا الايمان وعلى هذه

الحالات التي ذكرنا وحوّلهم التلاميذ عن عبادة شياطينهم الطغـة النجسة التي كانوا نشأوا عليها هم واباؤهم واجدادهم واجداد اجدادهم حتى ملأوا الدنيا من هذا الدين في اربع زواياها الى يومنا هذا. ومعروف ان هذا كله الذي كان ما شركته قوّة انسية ولا حيلتها ولا ترخيص لاحد ولا شهوة جماع تطلق في هذا كله بل بقوة الله كان اجمع وباعاجيبه وانما قبلتهُ الامم لانهُ لم تشركهُ قوة ولا حيلة انسيَّة بتة

وتصديق قولنا ان المسيح قال في الانجيل الطاهر للتلاميذ : « كما بعثني ابي اليكم انطلقوا الى جميع الامم وتلمذوهم وعمّدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم بهِ وهاءنذا معكم جميع الايام الى تمام العالم فمن آمن عاش ومن لم يؤمن فهو مخصوم ومحجوج. وبعـد ان كلمهم يسوع صعـد الى السماء وجلس عن يمين الاب وخرجوا هم وكرزوا في كل مكان والربّ كان يعينهم ويحقق كلامهم بالآيات والعجائب التي كانوا يعملونها وبها قبلهم جميع الامم ». فقد تحقق كلامنا انهُ بقوّة الله قُبل هذا الدين في الامم ولم يشترك فيهِ قوّة انسيَّة ولا حيـلة ولا ترخيص ولا طمع فمن اجل ذلك هو من الله بلا محالة ولا دين غيره

فان قال قائل ان النصرانيَّة ليس (59) بقوّة الله قبلتها الامم ولا باعاجيب ولكن اضلّهم بولس واصحابهُ. فنقول: كيف ذلك وقد كانت الامم تعبد الشياطين وتسجد للاوثان الحجارة والخشب فردّت النصرانيَّة عبادتهم وسجدتهم الى الله. وايضاً قد كانت الامم في طغاسة الدنيا ونجاستها في هوتةٍ لم ينزلها احد ولا يستطيع ان يخرجها منها فغسلتهم واطلقتهم عن ذلك كلهِ ونقّتهم. اعني ان الامم كانت في نعيم طيب من طعام الدنيا وشربهـا وسكرها فانقذتهم من ذلك وألزمتهم الصيام الشديد والاقتصار على الخبز والماء.

وقد كانت الامم تتمادى على تزويج النساء الكثيرة واتخاذ الجواري كالخيل مع الزنا الفاحش القبيح الذي لا يحلّ ذكره فحصنتهم عن ذلك كلهِ والزمتهم العفة والاقتصار لمن اراد الدنيا على امرأة واحدة الى يومنا هـذا. وقد كانت الامم ايضاً تلبس ثياب الملوك المنسوجة بالذهب اصنافاً لا تحصى وتنام على اصناف فرش مثل

ذلك لا ثمن لها فبغّضت ذلك اليهم واقتصروا على ثياب الصوف والرقاد على الحصر وعلى الارض

وقد كانت الامم تغصب وتنهب مال كلّ وتقهر كلًّا على شبه ذلك فكفّتهم عن ذلك وصيّرتهم يوزّعون مالهم ومتاعهم على اهل الفقر والحاجة. وكانت الامم تسكن قصورًا وبيوتًا مموّهة مغشّاة بالذهب والفضة فبغّضت ذلك اليهم والزمتهم السياحة (57) في البراري والسكنى في المغاور والكهوف كالوحش. وكانت الامم سباعًا لا تُرام تبتلع الناس وتسحق عظامهم وتأكل لحومهم بلا رحمة ولا مرثية فصرفتهم عن ذلك وصيرتهم كالخراف بين الذئاب يُشتَمون فيحتملون ويُضربون فيمضون يُلطمون على الخد الايمن فيحوّلون الايسر توخذ ثيابهم فيجودون بأكسيتهم يُسخَّرون ميلًا فيتسخرون ميلين يستوهبون فيهبون يُستقرَضون فلا يمنعون يُلعنون فيباركون يُبغَضون فيحبّون وغير ذلك ممّا كانت الامم على مثلهِ من قبل والى هذا صيّرهم بولس واصحابهُ

فان كان هذا يا هذا عندك ضلال فلا اشكّ ان الهدى عندك خلافهُ ان تَشتُم ولا تُشتَم وتَضرِب ولا تُضرَب وان شُتمت أن تضرب وان ضُربت ان تقتل هكذا عندك ذلك وجميع تلك الاشياء التي وصفناها على الخلاف. فلا اظنهُ يوافقك على هذا اهل الحكمة والمعرفة بصواب الحقّ. لانك قد قلبتَ الاشياء الى ورائها وصيّرت الهدى ضلالةً والضلالة هدى وقد خشيتُ عليك ان دمتَ على هذا ان تلزمك لعنة اشعيا النبي حيث قال: «ملعون من صيّر الحلو مرًّا والمرّ حلوًا والنورَ ظلمةً والظلمةَ نورًا والخير شرًّا والشرّ خيرًا». اذن لم يُضلّ بولس واصحابهِ الامم ولكنهم هدوهم الى هذا الهدى

وايضاً نجيبك على ما ذكرت ان تلاميذ المسيح ليس بالاعاجيب اخضعت الامم الى دين النصرانيّة (58) فنقول: انك وفي هذا الوجه ايضاً بالضلال قلت. وان اردت ان يستبين لك ذلك انهُ بآيات الله واعاجيبهِ اخضعوهم وليس بالضلال على ما وصفت فهاتِ قرّب لنا رجلًا من قبلك فعلّمهُ دين النصرانية وصيّره اعقل الخلق واكيسهُ عندك وامضِ وابعث بهِ الى السند والهند والى اهل الصين الذين يعبدون الاوثان فيكرز لهم بهذا الدين ويدعوهم اليهِ ويلتمس منهم الدخول فيهِ

حتى تنظر هل يقبلهُ احد من حكمائهم او اواسطهم او يقدر يضلّ بهِ منهم احداً. فان لم يكن هؤلاء يقبلون من رجلك وهو اعقل الخلق فكيف قبلت الامم اولائك وقد كانوا اهل سكون ودعة ليس عندهم من مكر الدنيا ولا حكمتها شيء ؟ اذن بقوّة الله واعاجيبهِ قبلتهُ هي

وان انكرت ذلك ايضاً فهاتِ رجلك هذا وليدفع اليهِ الله حفظهُ وقوة اعاجيبهِ مثلما كان دفعها الى بعض تلاميذهِ وكان يحفظهُ وليأتِ الهند مثلما اتاها توما تلميذاً لهُ اذ ذاك حتى ننظر ان كان يعجز ان يفعل فعل توما وصنيعهُ لان توما على ما تحدّث قصتهُ حين اتى الهند كرز لهم دين النصرانية فقال: ان الله بعث ابنهُ من السماء الى الدنيا فتجسّد من امرأة عذراء وولد منها انساناً وان اليهود صلبتهُ فمات وبعد ثلاثة ايام قام من الموتى وصعد الى السماء وجلس (59) عن يمين الاب وانهُ الاه وابن الاه وهو الذي يبعث الموتى ويدينهم ويجازي كل انسان كما استوجب من خير او شرّ ولا خلاص لاحد الّا بالايمان بهِ. فلما سمعت ملوك الهند كلامهُ هذا قالت: ويحك انت رجل تهذي. فقال لهم: لستُ اهذي ولكن على تحقيق ذلك هاتوا لي رجلاً ميتاً حتى اريكم ذلك. فاتوه بميت فقال لهم: هل يستطيع نحيي هذا الّا من هو الاه ؟ قالوا لهُ: لا. فقال للميت: باسم يسوع المسيح المصلوب ببيت المقدس قُمْ. فقام الميت فحينئذٍ امن بالمسيح الملوك وغيرهم من الناس

فمن عاين ذلك من رجلك اذ كان يحفظهُ المسيح وكان معهُ هذه القوّة بأن يصنع هذا الصنيع ولا يعجز عنهُ بعد ان رآه العقل في اول مرة حين لم يكن معهُ هذه القوّة ولا هذا الحفظ الذي افادهُ المسيح لتلاميذهِ خضع لهُ الامم في هذا الدين ليس بقوّة الناس ولا حيلهم ولا عزمهم ولا مطامعهم ولا ضلالهم. كذلك اعلم وتيقن ولا تشكّ ان هذا الدين من الله لا شكّ فيهِ وليس منهُ غيرهُ ولا دين يرضى بهِ الاهُ له الشكر والمجد وللابن والروح القدس الان ودائماً والى دهر الداهرين امين وعلينا رحمتهُ اجمعين

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

قبائل العرب المتنصّرة (تتمّة)

٣١ ﴿ عِجل ﴾ قبيلة كبيرة من بكر بن وائل وهم عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم اخوة بني حنيفة وكلّهم نصارى كما سبق فتبعتهم عجل في دينهم. وعجل احدى قبائل النصارى التي ظفرت بالعجم يوم ذي قار (١ وكان سيدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي وكان على شيبان هانئ بن قبيصة النصراني (الاشتقاق لابن دريد ص٢١٦). وقد روى ابو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية (ed. Sachau, p. 314) « انّ العذارى النصرانيّات من العرب صُمن شكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنُصروا عليهم » وهو اصل صوم العذارى الواقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلثة ايام — وبقيت عجل على نصرانيتها حتى بعد ظهور الاسلام فحاربت خالد بن الوليد وجيوش المسلمين تحت قيادة جابر بن بُجير وعبد الاسود النصرانيين كما روى الطبري (ج١ ص ٢٠٣٢—٢٠٣٣) وابن خلدون (ج ٢ (تتمة) ٨٠) وقال كلاهما هناك انّ عبد الاسود وجابر كانا سائرين في نصارى العرب « من عجل وتيم اللات وضُبيعة ». ولم يعدل بنو عجل عن نصرانيتهم الى ايام بني امية والدليل على ذلك ان الطبري صرّح بنصرانية سيّد بني عجل أبجر بن جابر (الطبري ج ١ ص٣٤٦٠). وبقي ابنهُ حجّار على دينهِ يشهد عليهِ هجاء قالهُ فيهِ الشاعر عبدالله بن الزبير وكان حجّار من اشراف اهل الكوفة ودونك الشعر (الاغاني ١٣: ٤٦—٤٧):

سليلَ النصارى سُدْتَ عِجلًا ومن يكن كذلك اهلٌ ان يسود بني عِجلِ

---

١) اطلب الاغاني ج ٢٠ ص ١٣٣ — ١٤٠

ولكنهم كانوا لئاماً فسُدتم ومثلك من ساد اللئام بلا عقلِ
وكيف سجل ان دنا النصحُ واشتدت عليك بنو عجل ومرحلكم يغلي
وعندك قسّيس النصارى وصُلبها وغانية صهباء مثل جنى النحلِ

وهو القائل لما تهدّدتهُ بنو العجل بالقتل لهجوه سيدهم:

غُدّدني عجلٌ وما خلتُ انني خلاةٌ لعجل والصليبُ لها بعلُ...

يريد اكرام بني عجل للصليب على مألوف عادة النصارى

٣٢ ﴿ عُقيل ﴾ بطن من كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من غطفان. كان يسكنون اليمامة وكان اهل اليمامة كما سبق من اتباع النصرانيّة. وقد خصّوا بالذكر عُقيلاً وذكروا لهم اساقفة. ولمّا ظهر الاسلام دانوا به مدة حتى وفاة محمد ثم ارتدّوا الى دينهم فاضطرّ ابو بكر الصديق الى ان يرسل اليهم بعثةً لمحاربتهم

٣٣ ﴿ غسّان ﴾ لا حاجة الى الاطالة في ذكر نصرانيّة غسّان وقد مرّ لنا كلام مُسهب في ذلك. وليس بين كتبة العرب من يعدّد القبائل المتنصرة الّا ذكر في مقدّمتها او في جملتها قبيلة غسّان كالاصطخري في مسالك الممالك (ص ١٤) واليعقوبي في تاريخه (١: ٢٩٨) وابن سعد في كتاب الوفادات (ed: Wellhausen, Skizzen, IV, 7) والسيوطي في المزهر والفيروزابادي في مقدّمة المحيط (١. واشتهر منهم بنو جفنة ملوكهم الذين امتدحهم النابغة الذبياني بحسن الدين فقال:

بحلّتهم ذات الاله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب

٣٤ ﴿ فَرَسان ﴾ هي قبيلة من تغلب واليهم نُسبت جزائر فَرَسان. قال ابن الحائك في كتاب الاكليل (٢: «من جزائر اليمن جزائر فَرَسان وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت وفيهم بأس... ويحملون التجار الى بلد الحبش ولهم في السنة سفرة وينضمّ اليهم كثير

١) وممّن اتّسموا في تاريخ غسّان العلّامة نُلدك في كتابه (Die Ghassanischen Fürsten aus dem Hause Ǵafnas) وكذلك الرحّالة دوسّو وصفهم بالتحمّس الديني في النصرانية (Dussaud: *Les Arabes en Syrie avant l'Islam.*) قال عنهم: . . (Les Ghassanides . . fervents chrétiens et fondateurs de monastères, p. 52)

٢) اطلب معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٢–٨٧٤)

من الناس ونُسّاب حمير يقولون انهم من حمير ». وفي تاج العروس (٤ : ٣٠٦) « انَّ فَرَسان لقب عمران ابن عمرو . . . بن تغلب قيل لقب به لجبل بالشام اجتاز فيه وسكن ولده به ثمَّ ارتحلوا باليمن ونزلوا هذه الجزيرة فعُرفت بهم فلمَّا اجدبت نزلوا الى وادي مَوْزَع فغلبوا عليهم وسكنوا هنالك. ومن الفرسانيين جماعة يقال لهم التغالب يسكنون الربع اليماني من زبيد »

٣٥ ﴿ قُرَيش ﴾ أتينا في مطاوي كلامنا عن مكة بذكر آثار النصرانية في قُرَيش مع الشواهد على ذلك. فليراجع

٣٦ ﴿ قُضاعة ﴾ أشرنا مرارًا الى نصرانيَّة هذه القبيلة التي كانت تُعد من أمهات القبائل والى نصرانيَّة بطونها كجرم بن ريّان وسليح وكلب بن وَبَرة وتيم اللات. وممن صرَّحوا بدينها النصراني ابن واضح اليعقوبي في تاريخه قال (١ : ٢٣١) : « كانت قضاعة اوَّل من قدم الشام من العرب . . . فدخلوا في دين النصرانية فأكلهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب ». وقد مرَّ قول الفارابي (اطلب المزهر ١ : ١٠٥) عن نصرانية قضاعة. ومثلها الفيروزابادي حيث قال : « كانت النصرانيَّة في ربيعة وقضاعة وبهراء وتنوخ وبعض طيّ » وقد افادنا ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٥٨) انَّ دير خندف في نواحي خوزستان قد بنته ليلى القضاعيَّة المعروفة بخندف امّ ولد الياس بن مضر (١

٣٧ ﴿ القين ﴾ او بَلقين هم بطن من قضاعة بنو القين بن جسر بن الاسد بن وَبَرة ومن الشواهد على نصرانيتهم ما رواه الطبري في تاريخه (١ : ٢٣٤٧) عن هرقل انَّهُ سنة ١٤ للهجرة سار لمقاتلة المسلمين في اليرموك وكان معهُ من القبائل النصرانيَّة المستعربة « لخم وجذام وبَلقين وبَلِيّ وعاملة وتلك القبائل من قضاعة » وكانت هذه القبائل حاربت مع الروم سابقاً في تبوك سنة ٧ للهجرة (٢

---

١) وقد اقرَّ بنصرانية قضاعة العلَّامة ڤلهوزن فقال : « كل قبيلة قضاعة كانت متنصِّرة في القرن السابق للاسلام » (In dem Jahrhundert vor dem Islam hatten alle Quda'a-staemme es (das Christentum) angenommen. Wellhausen: *Reste arab. Heidentums*, p. 231)

٢) اطلب (Sprenger: *Das Leben d. Mohammad*, III. 292,295) راجع ايضاً تاريخ الطبري (١ : ١٨٧٣)

٣٨ ﴿ كلب ﴾ بن وَبَرة قبيلٌ عظيم من قضاعة يُقسم الى عدَّة بطون. وهم من اعرق العرب في النصرانيَّة واقدمهم عهدًا فيها. كما رأيت في تاريخ الشام والجزيرة (١ وقد عرفت قبيلة كلب بشرفها وعزّها. ومن امرائها النصارى زُهير بن جناب احد المعمرين. ومنهم بُحدل بن أُنيف النصراني حو معاوية بن سفيان كان لهُ كنيسة في دمشق. ومنهم دَحية بن خليفة قال ابن دُرَيد (في الاشتقاق ٣١٦): « هو الذي كان جبريل عليهِ السلام ينزل في صورتهِ (كذا) ». ومنهم فراقصة النصرانية زوجة عثمان وقد دعت ابنةً لها بمريم. وبقيت كلب مدَّة على نصرانيتها بعد الاسلام الّا بعضهم وفي المنتخب لياقوت (٢: اسلمت كلب غير مدرء كانوا نصارى ». وفي سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢). انَّ محمدًا دعا الى الاسلام قومًا من كلب يُعرفون ببني عبدالله فلم يقبلوا منهُ. وكانت كلب تسكن بقاع الشام حتى نُسبت اليها. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٦٩):

« البقاع. يقال لهُ بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة غيرة واكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجرّ. وبالبقاع هذه قبر الياس النبي عم (٣ »

٣٦ ﴿ كندة ﴾ سبق الكلام عن كندة ونصرانيَّة اهلها في اثناء كلامنا عن النصرانيَّة في الحجاز ونجد. وقد روى ابن هشام عن ابن اسحاق في سيرة الرسول ثباتهم على دينهم بعد ظهور نبيّ المسلمين قال (ص ٢٨٢): « اتى (النبيّ) كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهُ مُليح فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فابوا عليه ». ومن رجال كندة عبد المسيح عاقبُ نجران في اوّل الاسلام والعاقب عندهم دون السيد. ومنهم ايضًا حُجيَّة بن المضرّب الشاعر الذي ادرك الاسلام ومات على نصرانيتهِ كما روى في الاغاني (٢١: ١٦)

٣٧ ﴿ لخم ﴾ احد احياء اليمن الكبرى الشهيرة بنصرانيتها. قال صاحب السيرة الحلبية (٣: ٩٥): « ومن القبائل المتنصرة بكر ولخم وجذام ».

---

١) اطلب الباب التاسع من الفصل الاوّل ثم راجع ايضًا تاريخ ابن خلدون (٢: ٢٤١)

٢) اطلب (Lammens: *Etudes sur Mo'awia*, 287-289)

٣) لعلّهُ يشير بذلك الى « قب الياس » لكن قبر الياس النبي لا يُعرف مكانهُ

وكذلك اليعقوبي (١ : ٢٩٨) جعل لخماً من جملة القبائل النصرانيَّة في اليمن . ومثلها السيوطي في المزهر (١ : ١٥) . وبقيت لخم على دينها زمناً بعد الاسلام فتراها محاربةً لجيوش المسلمين مع جُذام وعاملة وغسَّان (اطلب فتوح البلدان للبلاذري ص ٥٩ وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٠٨١) . ومن لخم كان ملوك الحيرة الذين روينا اخبارهم وذكرنا تنصُّر كثيرين منهم . ومن لخم كان بنو عديّ بن الذميل النصارى الاشراف الذين ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٦) بيعتهم في الحيرة

ومن اللخميين بنو صالح الذين اختارهم يوستنيان ملك الروم لحراسة دير طور سينا كما ذكر ابن بطريق في تاريخهِ (راجع طبعتنا ص ٢٠٤) . وذكر كتبة العرب عدَّة اديرة وبيعاً بناها اللخميون كدير علقمة ودير حنظلة اللخمي وبيعة عدي بن الدُّميك اللخمي (ياقوت ١ : ٧٩٦)

٣٨ ﴿ مازن ﴾ بطن من الازد كانوا في العراق يدينون بالنصرانيَّة . وقد ذكر لهم البلاذري في فتوحاتهِ (ص ٢٨١) بيعةً فقال : « وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن وهم من غسَّان »

٣٩ ﴿ مَذحج ﴾ قبيلة يمنيَّة تنتسب الى مذحج وهو مالك بن ازد بن ادد بن كهلان . ذكرها ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) مع القبائل المتنصرة فقال : « تنصَّر من اليمن طيّ ومذحج الخ » . ومن مذحج كان بنو الحارث بن كعب اهل نجران المشهورون برسوخ قدمهم في الدين النصراني

٤٠ ﴿ معدّ ﴾ ابو القبائل العدنانيَّة . ورد ذكر نصارى معدّ واساقفة معدّ في تواريخ السريان كما سبق . وكثيراً ما كانوا يطلقون اسم المعدّيين على العرب المتنصرين كقولهم جرجس اسقف المعدّيين (١ وكذلك كانوا يدعون بني كلب النصارى بالمعدّيين (ܡܥܕܝܐ ܟܠܒܝܐ) ومثلهم بنو عقيل (ܡܥܕܝܐ ܥܩܝܠܝܐ) (٢

٤١ ﴿ مَهرة ﴾ حيّ عظيم من قضاعة ونصارى مثلهم ينتسبون الى مهرة بن حيدان وكانوا يسكنون اليمن مع الحميريين وكان اميرهم عند ظهور

---

١) اطلب (Land, *Anecdota Syriaca*, I, 47)

٢) Smith: *Thesaurus Sy.*

الاسلام الحارث بن عبد كلال وفد على نبيّ المسلمين كما روى الطبري (ج ١ ص ١٧١٧) مع ملوك حمير

٤٢ ﴿ ناجية ﴾ هم بنو ناجية بن عِقَال قوم الفرزدق ينتمي نسبهم الى تميم. ولنا على نصرانيتهم في الجاهليَّة شاهد باهر في ما رواه الطبري في تاريخ سنة ٣٨ (ج ١ ص ٣٤٣٤ — ٣٤٣٥) حيث حدَّث عن ابن الطُّفيل ما حرفهُ :

« قال كنتُ في الجيش الذي بعثهم عليُّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال فاتيناهم فوجدناهم على ثلث فرَق فقال امرنا لفرقة منهم : ما انتم . قالوا : نحنُ قومٌ نصارى لم نَرَ ديناً افضل من ديننا فتثبتنا عليهِ . فقال لهم : اعتزلوا . وقال للفرقة الأُخرى : ما انتم . قالوا كنَّا نصارى فاسلمنا فثبتنا على اسلامنا فقال لهم : اعتزلوا . ثم قالوا للفرقة الاخرى الثالثة ما انتم . قالوا : نحن قوم كنا نصارى فاسلمنا فلم نَرَ ديناً هو افضل من ديننا الاوّل فقال لهم : أسلموا . فابوا فقال لاصحابهِ اذا مسحتُ راسي ثلاث مرات فشدوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية فجيء بالذرّية الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية فقيل لعليّ : الا تأخذ الذرّية . فقال : لا . فلم يعرض لهم »

٤٣ ﴿ النبط ﴾ سواء عُدَّ النبط من العرب او من عنصر آخر لا شكَّ انهم اختلطوا بالعرب في انحاء شتى من بادية الشام وارياف العراق وتخوم مصر . . وتديُّنهم بالنصرانيَّة قديم تشهد عليهِ عدَّة شواهد لكتبة السريان واليونان والعرب رويناها في الفصل الاوَّل الباب الثالث . وقد صرَّح بذلك قزما الرحَّالة الهندي في القرن السادس للمسيح وغيرهُ كثيرون . وكان لهم كنائس يطيفون بها في مناسكهم واليها اشار متمم النويري يصف ناقتهُ :

بمُجَسَّدة عنس كأن سراتها فدَنٌ تُطيف بهِ النبط مرفَّعُ

٤٤ ﴿ النَّخع ﴾ بطن من مذحج السابق ذكرهم . كانوا نصارى يسكنون نواحي نجران . ومنهم كان بنو عبد المدان بن عُلة بن سعد العشيرة وهو مذحج من سادة اليمن . وكان زُرارة النخعي من اشرافهم وفرسانهم . قال ابن سعد في الوفادات (ed. Wellhausen, Skizzen, IV, ٦٩) : « هو زرارة بن قيس بن الحرث بن عبدًا . وكان نصرانياً » وجاء مثل ذلك في أُسد الغابة لابن الاثير (ج ٢ ص ٢٠٢)

٤٥ ﴿ النمر بن قاسط ﴾ حي من ربيعة نزلوا في الجزيرة مع بني تغلب

وبني بكر . وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة انَّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ وغر وكلب ثلاثتهم اخوة ». وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٧) انَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب واياد والقبائل العربيَّة المتنصرة . وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب (الطبري ج ١ ص ١٩٧٣)

١٦ ﴿ يشكُر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر . وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار . وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلًا على دينهم

هذا ما امكننا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير مما لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا ادلَّة غير التي ذكرنا . ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء الى امر مهمّ وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالباً ليكترثوا بذكر اديان قبائل العرب لاسيما قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم . وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امرًا غريباً على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء ارادوا بذلك تمييزها او قصدوا بيان اصلها الاجنبي . تمَّ الجزء الاول . (ويليه الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة)

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٠ مار يعقوب — القوش — ربَّان هرمز

تمرُّ طريق زاخو الى مار يعقوب بين جبال تُدعى بها « زاخو داغ » تفصل قضاء زاخو عن سهول الموصل . فلمَّا قطعناها احببتُ ان اتقدَّم امام القفل ماشياً لاصلي صلاتي في عزلة كمألوف عادتي . فوجدت في تلك الاودية من مشاهد الطبيعة ما كان يرفع قلبي الى الله . ولم يخطر على بالي ان اللصوص ربما كمنوا في تلك القفار يسلبوا ابناء السبيل

وانا لكذلك اذ واجهتُ في مضيق من الطريق نفرًا من اجلاف الاكراد المدججين بالاسلحة كانوا متجهين الى زاخو . فلمَّا رأوني منفردًا ماشيًا نظروا اليَّ شزرًا وتهامسوا سرًّا امَّا انا فلم ابالِ بل سلَّمتُ عليهم وسرتُ في طريقي دون ان انسب اليهم فكرًا سيئًا لكنهم بعد قليل استقبلوا رفقتي فسمعوهم يقولون في لغتهم : « ما لنا لا نقتل هؤلاء الكفار كما يفعل اخوتنا في سعرت وديار بكر » فاستدلُّوا من كلامهم على سوء نيتهم واسرعوا اليَّ طالبين ألَّا ابتعد عن القفل لاسيما اخي الذي اوقف نفسهُ لحراستنا في هذا السفر

والحقّ يقال انَّ هؤلاء الاكراد كانوا خلعوا العذار وقلبوا ولايات ديار بكر ومعمورة العزيز ووان ظهرًا لبطن . وهم عدَّة قبائل كالهاوند والكوتشك والحكَّاريين يبلغ عددهم في جبال كردستان وسهول العراق والجزيرة نحو مليونين وهم مسلمون شيعيون لغتهم فرع من الفارسيَّة وكثير منهم يرتزقون بالفلاحة الَّا انَّ قسمًا كبيرًا يفضلون قطع الطرق ولا تقوى الدولة على كبح جماحهم الَّا بالجهد الجهيد . فلمَّا اطلق السلطان عبد الحميد يدهم على الارمن في خريف سنة ١٨٩٥ اندفعوا كالسيل الجحاف الى كل الجهات حيثما يؤملون غنيمة باردة . على انَّ الله انقذ ولاية الموصل من شرهم

وبعد ان قطعنا جبال زاخو انتصبت امامنا جبال اخر تتصل شرقًا بجبال عمادية وكوتشانس حيث يقيم النساطرة . ففي مدخل تلك الجبال قرية صغيرة لا ينيف بيوتها على ٣٠ بيتًا تُدعى مار يعقوب . واسمها مشتقّ من اسم دير قديم كان هناك يرقونهُ الى قرون الميلاد الاولى . كان يسكنهُ كثير من الرهبان فخرب الدير وبقي في مكانهِ قوم من الفلاحين النساطرة . فلمَّا كانت اوائل القرن التاسع عشر سعى المرسلون الدومنيكان في ردّ تبعة نسطور الى حجر الكنيسة فبارك الله اتعابهم وارتدّ منهم اهل بعض القرى ومن جملتهم مار يعقوب . ثمَّ في السنة ١٨٤٥ اختار احد رؤسائهم الاب موكي قرية مار يعقوب فجعل فيها مقامهُ ليكون هو ورهبانهُ اقرب الى منازل النساطرة ليدعوهم الى الايمان الكاثوليكي . ثمَّ عمروا هناك ديرًا وانشأوا فيهِ مدرسةً سنة ١٨٧٥ لتهذيب بعض الاحداث الذين يرشحونهم للتعليم في مدارسهم القروية لاسيما في جبال النساطرة . وفي هذا الدير سكن مدَّة السيد بلانشه .Mgr)

(Planchet مدّة قصادته الرسوليّة في ما بين النهرين (١٨٥١ — ١٨٥٩) مع الاب يوسف لابورد رفيقه

ولا حاجة الى ذكر ما لقينا في مار يعقوب من التحفي فانّ رهبانهُ الافاضل استقبلونا على الرحب والسعة وأنسونا بلطفهم كل مشاقّ الطريق. فكانت ليلتنا بينهم من ابهج أوان سفرنا. وقد رأينا مدرستهم التعليمية الذي يبلغ عدد طلبتها نحو الثلثين تلوح على وجوههم لوائح النجابة والغيرة في خدمة مواطنيهم. ولا شكّ انّ هؤلاء المعلمين اسعفوا المرسلين في مهامّهم الرسوليّة بين الناطرة واكسبوهم ثقة الاهلين الذين ارتدّ منهم الى الكثلكة نيف وعشرون الفاً

وفي صباح اليوم التالي قدّمنا الذبيحة المقدّسة في كنيسة الدير التي هي حسنة الهندسة بديعة النقوش مع صغرها ثم زرنا القرية القريبة من الدير ومنها يكشف النظر على بلاد نينوى ومزارعها المخصبة. وفي هذه القرية بناء يدعونهُ قبر الاسد فيروى ان الاسود كانت تأوي في الزمن القديم الى هذه الجبال فلمّا سكن الرهبان القدماء هذا المكان ظهر فيهِ اسد رئبال كاد يفرّق شملهم فامر رئيسهم احد مرؤوسيه بان يذهب الى الاسد ويقودهُ اليه فاطاع الراهب من وقتهِ وجازاه الله عن طاعتهِ بان ذلّل امامهُ ذاك الوحش الضاري وجعلهُ داجناً ألوفاً يخدم الرهبان في حاجاتهم. وبقي في خدمتهم سنين طويلة حتى مات فاسف عليه الجميع وحفروا لهُ قبرًا بين اربعة اشجار من السنديان تُرى الى اليوم واهالوا الحجارة على جثة الحيوان. ومن عجيب الامور ان الربيع كسى هذه الحجارة خضرة فصارت كالقبة الخضراء.

انحدرنا يوم الاثنين من دير مار يعقوب الى بقاع الموصل ولم نسر اليها توًّا بل عدلنا الى الشمال لنزور مدينة القوش ودير رهبانها الكلدان. وبعد ساعتين بلغنا قرية معلثاي ومعناها في الكلدانيّة المدخل. قيل انّ هناك كان مدخل مدينة نينوى التي ذكر سفر يونان (٣:٣) انها كانت « تمتدّ على مسيرة ثلاثة أيام ». وقد باشر الاثريون الاوربيون قريباً من معلثاي حفريات اوقفتهم على جملة آثار من كتابات على الآجر وابنية وتماثيل تتراوح بين القرن السابع والعاشر قبل المسيح

ثمّ قطعنا على ظهر الخيل نهر دهوك الجاري هناك فناخت الدابّة الحاملة لحوائجنا كأنّها تريد ان تغتسل بالماء. فبلّلت قسماً منها ولو لم يُسرع صاحبها الى

زجرها لكان الخطبُ اعظم واتلفت كل لوازم سفرنا . وبعد ان تناولنا طعام الغداء على ضفة النهر سرنا حثيثاً الى القوش فبلغناها بُعيد العصر ولم ننزل فيها بل توجهنا الى دير على مسافة نصف ساعة منها وهو دير السيدة لرهبان مار هرمز الكلدان حيث نزلنا ضيوفاً مكرَّمين فاستقبلنا حضرة رئيسهم العام الاب بطرس كأعزّ الاخوان

ولا غروَ فانَّ رهبان دير السيدة بحسن استقبالهم ارادوا ان يبدوا بشكرهم للرهبانيَّة اليسوعية على فضلها نحوهم في انشاء ديرهم . فانَّ السيد مبارك بلانشه هو الذي في مدَّة قصادتهِ الرسوليَّة على ما بين النهرين كان سعى ببنائهِ وهندسته . ثم خلفهُ السيد امانتون (Mgr Amanton) الدومنيكي فساعدهم في اتمامهِ وتجهيز اثاثهِ . وهو دير واسع وثيق البناء بعيد عن ضوضاء العالم وكنيستهُ رحبة تقويَّة

وكان لهم سبب آخر دعاهم ايضاً الى الترحيب بنا . وذلك ان منشئ رهبانيتهم كان من اهل ماردين من عائلة تقرب عائلتنا وكان اسمهُ جبرائيل دَنبو . فهذا المذكور ولد في ماردين نحو السنة ١٧٨٠ وكان يتعاطى التجارة فسافر في غرَّة القرن التاسع عشر الى البصرة لاشغالهِ فنُي هناك بداء عُضال يئس من شفائهِ الاطباء . فوجه بنظره الى السماء ونذر الترهب اذا عوفي من مرضهِ فلم يلبث ان نال العافية التامَّة ورجع الى وطنهِ ليفي بنذرهِ . لكنَّ العيشة الرهبانيَّة كانت قد بطلت في بلاد ما بين النهرين منذ قرون عديدة فطلب مشورة احد الرهبان الكرمليين الذي اشار اليه ان يذهب الى لبنان ويأخذ من رهبانهِ قوانين الترهب ويعود الى وطنه فينشئ فيه اديرةً لاهل طائفته

فاستحسن جبرائيل راي المرسل الكرملي وقدم لبنان ولبس الاسكيم الرهباني في احد اديرة الرهبان الموارنة فلمَّا اتقن آدابهم النسكية بعد خمس سنوات عاد الى بلادهِ ثم دعا الى الرهبانية بعض اهل ملتهِ واعطاهم قانون مار انطونيوس ابي الرهبان . ثم عرضوا امرهم على يوحنَّا هرمزد بطرك الكلدان والسيد حنانيشوع مطران العماديَّة فنالوا منهما بعد الجهد الجهيد ديراً قديماً في الجبل المشرف على القوش يُعزى الى ربَّان هرمزد كانت بطلت فيهِ السيرة الرهبانية منذ مئتي سنة فانتقلوا

اليه ورسموه سنة ١٨٠٨ وسكنوا فيه الى يومنا . ورُقي جبرائيل الى درجة الكهنوت سنة ١٨١١ بعد الحاح الاخوة عليه

ثم كثر عدد الرهبان لقداسة منشئهم وحسن سمعة تلامذته وغيرتهم فبعد مدّة فتحوا اديرة أخرى منها دير السيدة او دير مارت مريم المذكور (١٨٥٨) ودير مار جرجس (١٨٦٢) . وقد اثبت الكرسي الرسولي هذه الرهبانية سنة ١٨٤٤ ومنها خرج نحو عشرين بطركاً او مطراناً او اسقفاً خدموا الكنيسة الكلدانية اصدق خدمة واولوها رقياً وبهاء بمشروعاتهم الرسولية المختلفة . هذا فضلاً عن عدد كبير من فضلاء الكهنة والرهبان الذين استحقوا ثناء مواطنيهم عموماً ببرّهم وغيرتهم الرسوليّة وتآليفهم المديدة

امّا الاب جبرائيل رئيسهم فدبرهم احسن تدبير الى السنة ١٨٣٢ حيث مات شهيد محبته . ففي ذلك العام خرج محمّد باشا امير الأكراد في راوندوز لمحاربة جنود الدولة ووالي الصادّيّة فوشى لديه بعض اعداء النصارى باهل القوش . فسار اليهم ليقاتلهم فهرب الالقوشيون الى دير ربّان هرمزد لكنّ الاكراد احاطوا بهم وقتلوا منهم كثيرين ومن جملتهم الاب جبرائيل وبعض رهبانه . وكان الاب جبرائيل نجا من ايديهم اذ رأى امراة تُعول وتصيح على ولدها الذي كان بقي وراءها . فحنّ عليها الاب الحنون وانفتل راجعاً ليخلص الولد فادركهُ الاكراد وقتلوه . وبقي جسدهُ بلا فساد حتى جاء الرهبان ودفنوه باكرام في احدى كنائس القوش فبقي هناك الى سنة ١٨٤٣ حيث نُقلت بقاياهُ الى دير ربّان هرمزد . وقد وجدنا في دير السيدة ترجمة حياته هذه بالكلدانية مع قصة دير ربّان هرمزد من السنة ١٨٠٨ الى ١٨٣٢ فاستنسخناها لمكتبتنا الشرقية ونسختنا هذه قد نقلها مؤخرًا الى الفرنسوية المستشرق الاديب موريس بريار (Maurice Brière) فنشرها في مجلة الشرق المسيحي (Orient Chrétien, XV, 410 et XVI 115, 259 et 346) دون اصلها الكلداني

فبين هؤلاء الرهبان الافاضل قضينا تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي بعد الصلاة وزيارة الدير تفقدنا مكتبة الرهبان الغنيّة بمخطوطاتها السريانيّة والعربيّة ودوّنّا اسماء الكتب التي رأينا في تعريفها افادة من جملتها كتب طقسية ودينية

مكتوبة على الرق . ثمَّ عند رأد الضحى رافقونا الى القوش لزيارة كهنتها ونظر آثارها

القوش بلدة قديمة اهلها اليوم نحو ٥٠٠٠ معظمهم كلدان كاثوليك وهي تُعدّ كمقل الكثلكة في جهات الموصل منها خرج عدد من مشاهير رجالهم . وللكلدان في القوش عدّة كنائس زرنا بعضها التي فيها مسحة من الطرز الهندسي القديم كما انّنا اجتمعنا ببعض كهنتها الذين يرعون شعبهم بكل همة وتقى . وكثيراً ما سعى المبتدعون البروتستانت وبعض اهل الفساد ان يُلقوا الزؤان في هذه التربة الصالحة ليغووا الالقوشيين بأضاليلهم فرُدُّوا خائبين وعساهم لن يفلحوا ابداً في تحقيق نيّاتهم السيئة — ومما راينا في القوش كنيس لليهود يحجّون اليه من كل صوب ويزعمون انَّ فيه قبر ناحوم النبي المنسوب في اوّل نبوّته الى « القوش » . وقد ارتأى البعض انّهُ ولد فيها مدّة جلاء بابل . لكنَّ هذا الراي ضعيف والارجح ان القوش المذكورة احدى قرى الجليل التي رأى القديس ايرونيموس اخربتها . وقيل غير ذلك ايضاً والله اعلم . واهل القوش يتكلمون حتى يومنا بالكلدانية الاميَّة كاهل القرى المجاورة للموصل وقد راينا منهم من ينقل الكتب القديمة ويرسم تصاويرها لاسيما الكهنة المولعين بدرس آداب اجدادهم ومآثرهم الخطيَّة

وفي عصر النهار رقينا جبل القوش لنزور دير ربّان هرمز الشهير وهو على مسافة نصف الساعة من القوش يُصعد اليه على طريق اشبه بالسلّم لكنَّ المسافر اذا بلغ اعلاه لا يلبث ان ينسى تعبهُ لما يشاهد من المناظر الرائقة والآثار البديعة . اذ وصلنا توارد الرئيس ورهبانهُ الى السلام علينا ومؤانستنا واستقبلونا في ديوان كبير يطلّ على سهول الموصل ودساكرها . ثمَّ تلطفوا وقدّموا لنا القهوة في فنجان من زمن الاب جبرائيل فأثّر فينا هذا التذكار واستلمنا تلك الذخيرة قبل شرب محتواها

ثمَّ دعانا حضرة الرئيس الاب افرام الى زيارة ديره فكانت تلك ساعة بهجة وسرور اذ تفقدنا بقايا مزار ينطق بلسان حاله عن مفاخر الكنيسة الكلدانية القديمة . وما يقال عنهُ بالاجمال انّ الدير بما يحيط بهِ من نواحي الجبال يشبه كنيسة عظيمة رفيعة الجدران قبتها السماء وسوقها الوادي وحنيّتها معاطف الجبل وراءها وهيكلها دير ربّان هرمز . وترى على جانبي الدير عدّة قلالي نقرها قدماء

النسّاك في الجبل شبه الكهوف فعاشوا فيها عيشة ملائكيّة في الصوم والصلاة والاشغال اليدويّة. وكان عددهم يبلغ المئين وهم اليوم عشرة او اثنا عشر. ثمّ درنا في داخل الدير ورأينا قلايةً المستحدثة التي نصفها منقور في الصخر الاصمّ كبعض قلالي قزحيًا او بيوت قرية معلولا

وهناك اسراب عميقة ضيّقة فيها قبور البطاركة النساطرة ثم الكاثوليك الذين سكنوا في هذا الدير. وترى لكل ضريح صفيحة من الرخام عليها دستور ايمان البطريرك بالكلدانيّة مع شعاره وتاريخ كتابته. واقدم تاريخ تلك الكتابات من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر للمسيح وهي كلها مرقومة بحساب اليونان وسني الاسكندر

ربّان هرمز منشئ هذا الدير عاش في القرن السادس للمسيح وقد خلط البعض بينهُ وبين سميّهِ الشهيد هرمزد الفارسي في اواخر القرن الرابع وقد استولى النساطرة على الدير عدّة اجيال حتى صار الى الكلدان الكاثوليك في القرن الثامن عشر بعد ان فنيت مدّةً العيشة الرهبانيّة فأضرم جذوتها الاب جبرائيل كما رأيت

وكنيسة دير ربّان هرمز محدثة لكنها محكمة البناء حسنة الهندسة والزينة داعية الى التخشع. وفيها قبر الاب جبرائيل فانّ ابناءه سنة ١٨٤٣ استحضروا لجثتهِ تابوتاً فخيماً ونقلوها بكل رونق واكرام الى هذه الكنيسة فدفنوها في ضريح خاصّ جعلوا فوقهُ كتابة بالشعر الكلدانيّ تشير الى المتوفّى ومقامهِ الرفيع وسنة وفاتهِ. فجثونا عند ذاك القبر وطلبنا شفاعة وليّ الله وصلينا لاجل نموّ وازدهار رهبانيتهِ

ثمّ خرجنا من هناك لنزور مكتبة الدير فوجدنا فيها مع صغرها مخطوطات كلدانيّة وعربيّة استفدنا منها لتاريخ الآداب النصرانيّة في جهات الموصل. ورهبان الدير اذا فرغوا من فرائضهم الدينيّة وبقيّة لشغالهم انقطعوا كقدماء الرهبان الى نسخ الكتب فهمّتهم وهمة امثالهم نجت تآليف كثيرة من تيّار الزمان

ثمّ اختلطنا بابناء الاب جبرائيل في تلك الليلة وعاينّا شظف عيشهم وزهدهم بكلّ ملاذّ الدنيا وحضرنا صلواتهم القانونيّة وتباحثنا معهم ملياً عن تاريخهم وامور رهبانيتهم فذكّرونا بالاب يوسف لابوردِ الذي سكن بينهم سنتين وتفرّغ لتعليمهم

اللاهوت وكان بينهم مثالاً لكلّ الفضائل الرهبانيّة. ثمّ رقدنا في قلاليهم الصخرية فكان رقادنا بينهم من اطيب الليالي

وعلى مسافة قريبة من دير ربّان هرمز شرقاً فوق قرية تُدعى عين سفنة كثيرة الخصب مزار اليزيديّة المعروف بالشيخ عادي فهناك كما يزعمون قبره في مشهد عظيم شيدوه لذكره. امّا الشيخ عادي هذا زعيم اليزيديّة فقد اختلفت الآراء في حقيقة امره وزمانه ومآثره (فلتراجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرملي في هذا المذهب ومنشئه في السنة الثانية من المشرق). والبعض يزعمون انّ عادي المذكور هو هو القديس أدّي او عدّي احد السبعين تلميذاً الذي بشر بالنصرانية في العراق فحفظ اليزيديون ذكره بعد ان مرقوا عن النصرانية. راجع مقالة للاب بسون (Besson) من قدماء المرسلين اليسوعيين في القرن السابع عشر نشرها المستشرق پردريزه (Mr. P. Perdrizet) في مجلة جغرافية عنوانها (Société de Géographie de l'Est, 1903, p. 280 et 429) ثم كتاب رحلة البارون فون اوبنهيم (Max von Oppenheim) من البحر المتوسط الى خليج العجم (ص ١٤٧ — ١٦٠). امّا مزار الشيخ عادي فقد دخلته سيدة انكليزيّة تدعى جرترودوه بال فوصفته وصفاً مدققاً في خبر رحلتها (G. L. Bell: *Amurath to Amurath*. p274-279) ويزعم البعض ان تلك الابنية بقايا دير نصراني قديم اتخذه اليزيدية في القرون الوسطى كمركز لدينهم. وفيه تأييد لزعم القائلين بنصرانيتهم سابقاً

وفي غلس اليوم التالي قدّمنا الذبيحة الطاهرة في كنيسة ربّان هرمز وكان واقعاً في ذاك النهار عيد احد قديسي رهبانيتنا القديس استانسلاوس شفيع حضرة اخينا فشعرنا بتعزية كبرى لتلاوة صلواتنا في ذاك المعبد قريباً من ضريح شهيد من اقاربنا. ثمّ اسرعنا فودّعنا رئيس الدير المفضال وسائر رهبانه الذين اختبرنا فيهم جميعاً صحة قول احد القصّاد الرسوليين سنة ١٨٦٠ «انّ هؤلاء الرهبان يجمعون بين التقى والعلم فضفروا اطانتهم اكليلاً من الفخر لا تفنيه الأيام»

ثمّ رجعنا الى القوش حيث كان دعانا الى الغداء حضرة الاب بولس اودو ابن اخي المثلث الرحمات البطريرك يوسف اودو الشهير واخذنا عنده صور بعض المخطوطات القديمة وامثلة لاجود الخطّاطين المحدثين رجاء ان نحفر في مطبعتنا طاقماً

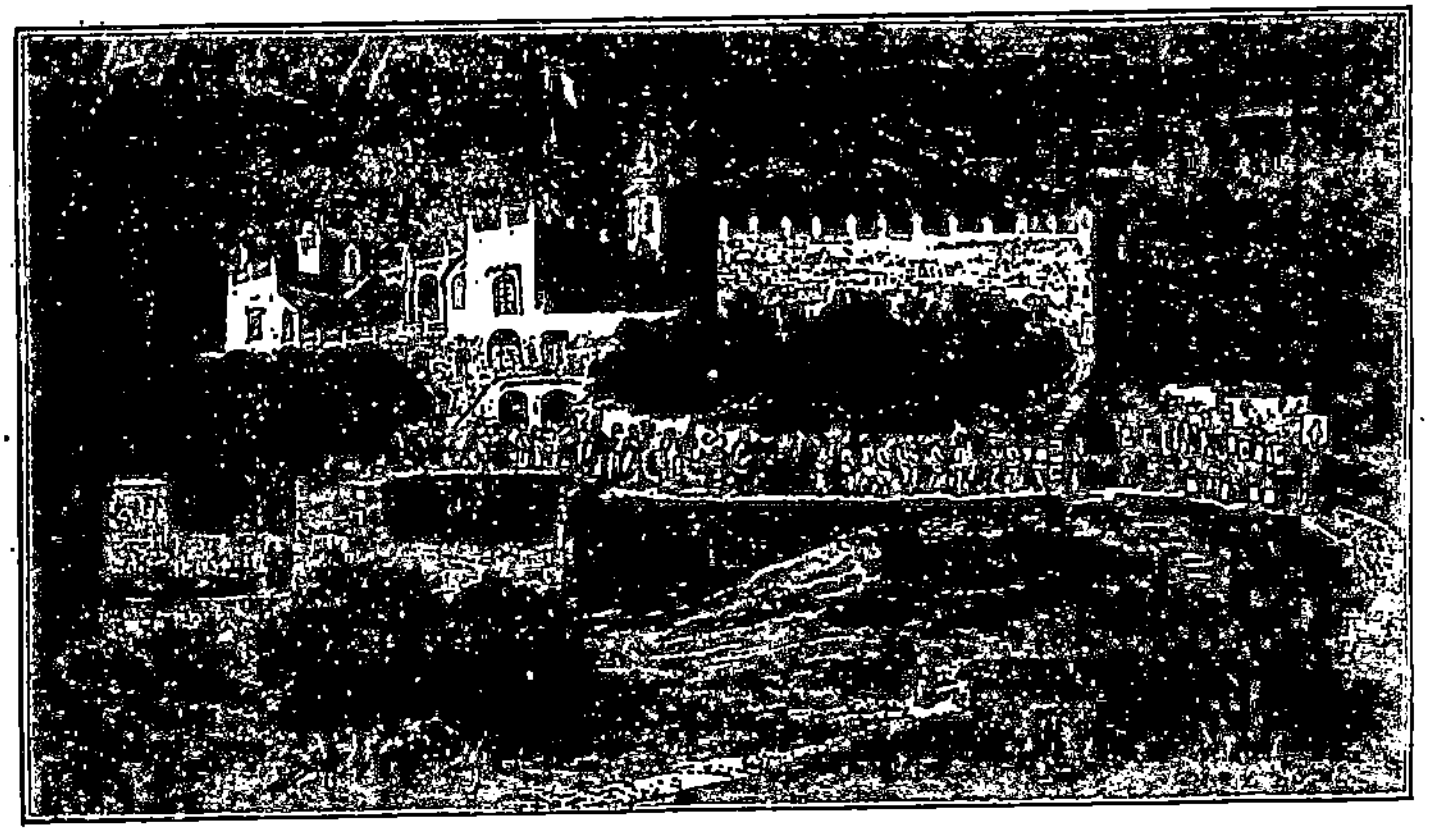

دير مار يعقوب للآباء الدومنيكان

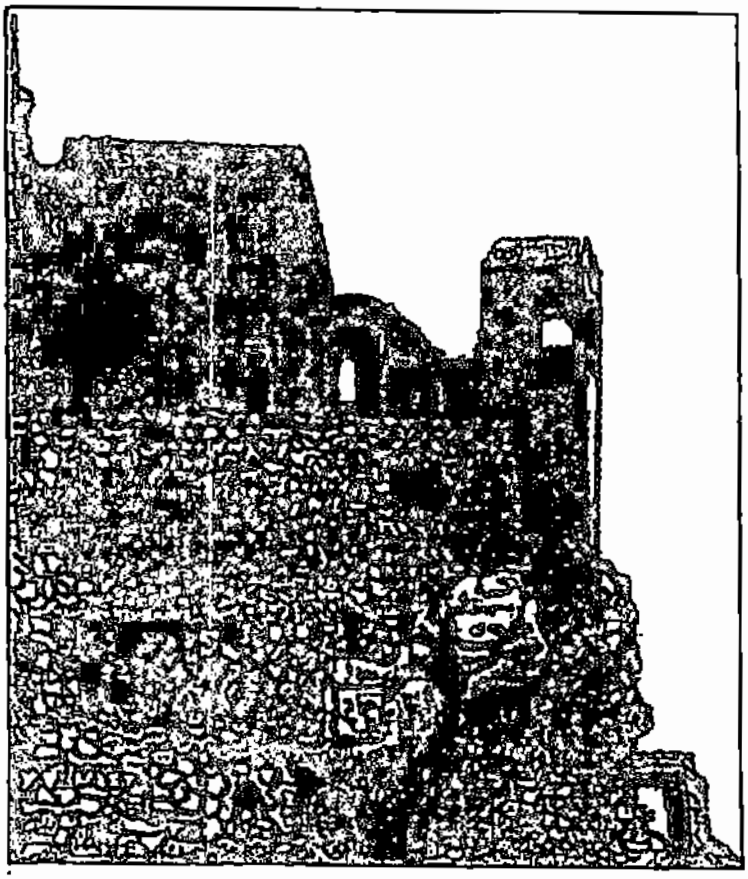

دير ربان هرمزد

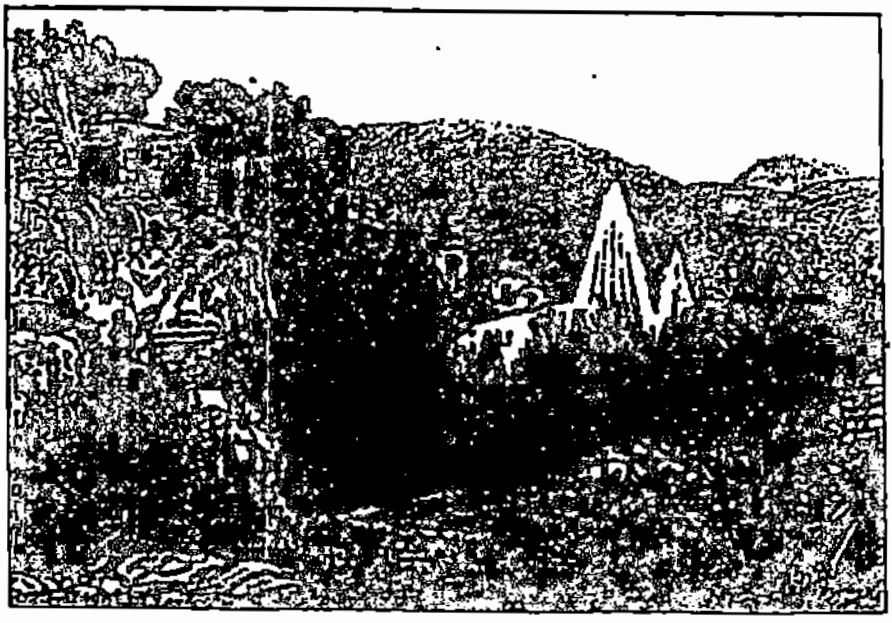

مزار الشيخ عادي لليزيديين

كلدانياً. وهو امر حال الزمان دون اجرائهِ فعلاً الى العام الماضي حيث نجز ذلك الطقم وهو اضبط قلم للكتابة الكلدانيَّة كما ترى

ܐܝܟ ܕܟܬܒܢܐ ܕܒܐܪܡܝܐ ܕܟܠܕܝܐ
ܕܗܘܐ ܒܟܠܗ ܐܡܬܐ ܕܟܬܒܢܐ ܐܝ ܕܐܬܟܬܒ ...

وبُعيد الظهر ودَّعنا اهل القوش ورهبان دير السيدة فسرنا الى تلّ اسقف من قرى الكلدان وسار في رفقتنا ثمانية فرسان ببنادقهم يتقدَّمونا في طريق يكثر فيها اللصوص لمرورها بين تلال. فلمَّا بلغوا بنا الى مأمن شكرناهم واعطينا كل واحد منهم تذكاراً تقويًّا فعادوا دَرْجهم مسرورين. تلّ اسقف قرية على ضفة نهر صغير عدد نفوسها من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ نفس كلهم كاثوليك يخدمهم كاهن شهير بغيرتهِ وكرمهِ الاب هرمز. فهذا لِما طُبع عليهِ من الاريحيَّة يقصدهُ الضيوف من نصارى ومسلمين واكراد فيفيضون في محامدهِ ويؤدون لهُ كل الخدم التي يطلبها بل يتحاكمون اليهِ وينقادون الى حكمهِ دون تأخُّر. فعرفنا بهِ ما للكهنة الافاضل من النفوذ حيثما وُجدوا. وقرب تلّ اسقف هذه قد احتفر اثريّ افرنسيّ يُدعى بلاس (Place) حفريَّات اوقفتهُ على اوعية قديمة وكتابات اشوريَّة. وفي شرقي تلّ اسقف خربة خورساباد التي وُجد فيها هيكل سرغون مع الآثار الجليلة والتماثيل التي اغنت متاحف اوربة

قمنا قبل فجر اليوم التالي لنسير باكراً مؤملين ان نصل الى الموصل في المساء. فبلغنا قرية بطنايا حيث قدَّسنا في كنيسة الكلدان. وبطنايا ايضاً كلها للكلدان الذين يناهز عددهم الالف. وكان راعيها لمَّا مررنا القس ابراهيم وكيل غبطة البطريرك عبديشوع والشبيه بالخوري هرمز في غيرتهِ ونفوذهِ. فبعد القداس اراناً ما في كنيستهِ القديمة من المخطوطات الطقسيَّة البديعة ووجدنا عندهُ مآثر ادبيَّة اخرى لبعض كتبة الكلدان وشعرائهم كفرساي ووردا وجاميع فيها ميامر ومواعظ ومقالات دينيَّة وادبيَّة. ثم رافقنا الى دير قريب من هناك على اسم مار اوراها كان قديماً للناطرة فاستولى عليهِ الخراب لكنَّ القسّ ابراهيم استنفد الوسع في ترميمهِ ومع قلة ذات يدهِ امكنهُ ان يعيد لهُ هيئتهُ القشيبة ويجدِّد كنيستهُ وكان لهُ الرجاء الوطيد ان يجعلهُ قريباً مدرسة اكليريكيَّة. وترى اهل الجيرة يساعدونهُ طاقة

جهدهم حتى الاكراد منهم والعربان الذين ينذرون النذور لهذا الدير فتُجاب ادعيتهم . وليس بعيداً من بطنايا بحشيقا التي اكتشفوا فيها عدداً لا يُحصى من الخزفيات البابليَّة

وقبل الظهر بساعة سرنا جنوباً الى قرية اخرى كبيرة اهلها ايضاً من الكلدان وهي تلّ كيف يبلغ بيوتها ٩٠٠ بيت وعدد نفوسها فوق ٥٠٠٠ حللنا عند كنيستها وقصدنا ان نسير منها الى الموصل في اصيل النهار لكنَّ كاهن الكنيسة لم يدعنا نسافر ذلك المساء لانَّ الطَّريق غير امينة فاقنعنا بان ننتظر صباح اليوم التالي فنسير في رفقة بعض المكارين . فتجوَّلنا في البلدة وزرنا بعض اهليها . والتلكفيون قوم من ذوي النشاط يهاجرون الى المدن القريبة للارتزاق . ومنهم من يذهب الى بغداد يحترف لاهله بالخدمة . والآباء الكرمليتان قد انشأوا في ديرهم في بغداد جمعيَّة لهؤلاء التلكيفيين لاسيما الاولاد ليهذبوهم ويصونوهم عمَّا يحدق بهم من الاخطار في الدين والآداب . وتلّ كيف مبنيَّة بالحجارة على خلاف القرى المجاورة وفيها كنيستان كنيسة السيدة المعروفة بمرت مريم وكنيسة مار قرياقوس . وفي الاولى عدَّة مخطوطات كلدانيَّة كاناجيل وطقوس وبعض تفاسير للاسفار المقدَّسة وميامر للآباء وقصائد دينيَّة اكثرها لمار افرام ومار يعقوب

يوم الجمعة ١٥ ت١ قمنا في بطن الليل وبعد صلاتنا مشينا في معية ركب نزلوا الى الموصل . فكانت السماء تشعُّ بنجومها الساطعة التي تُرى في ما بين النهرين اضوأ وانور منها في بلاد الشام لا سيما السيَّارات وبالاخصّ الزهرة التي كانت تنير طريقنا وكنَّا غير مرَّة نشاهدها في السماء بعد طلوع الشمس بزمن طويل لبهاء نورها

وبعد ان قطعنا التلال التي تفصل تلّ كيف عن الموصل بلغنا عند الفجر سهولاً رحبة كانت تنحدر الى دجلة . وكنا نرى من عن يمننا جبال الموصل حيث يقضي الموصليون فصل الصيف . وكنَّا نميز في عطف الجبل ابنية ضخمة فافادنا بعض رفقتنا انَّ تلك الابنية دير اليعاقبة الشهير بمار متّى حيث قبر ابن العبري امام اليعقوبية في القرن الثالث عشر الذي ترجمناه في السنة الاولى من المشرق فتمنينا لو يسمح لنا الوقت بزيارة ذلك الدير الذي استولى عليه الخراب في زماننا

ثمَّ جدَّدنا في السير نحو موصل الحدباء حتى لاحت لنا المدينة بمنائرها وابنيتها

وهي على ربوة تشرف على دجلة الجارية في شرقها فقطعنا النهر على جسر من القوارب كما فعلنا في الجزيرة. واذا بعامل اوقفنا ليتفقد حاجاتنا فاخذ تذاكرنا وصندوقة مذبحنا الثقال وكتاب صلاتنا وأبى ان يردّها فأكّدنا لهُ أننا نطالبهُ بها على يد قنصل فرنسة. ثم دخلنا البلد وسرنا توًّا الى دير حضرة الآباء الدومنيكان فاكرموا مثوانا واستقبلونا بمزيد الحفاوة. وكان رئيسهم حضرة الاب ديلامات (R. P. Delamette) نائباً عن حضرة الاب دوفال الذي كان الكرسي الرسولي استدعاه الى رومية قبل شهر ليعهد اليهِ بقصادة سوريَّة (البقية لعدد آخر)

النهضة الكاثوليكية في حلب

والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي (تابع)

انَّ النصف الثاني من القرن السابع عشر يستحقّ ان يُدعى العصر الذهبي للنهضة الكاثوليكيَّة في الشرق. فانَّ المرسلين الفرنسويين الذين كانوا بهمّتهم وتفانيهم زرعوا بالدموع اخذوا في اواسط القرن المذكور يحصدون بالفرح

على انَّ ذلك الفرح انَّما كان فرح القلب وتعزية الباطن اما في الخارج فانَّ حالتهم بقيت حرجة في مضايقة دائمة ممَّا يُصيبهم او يصيب ابناءهم الروحيين. ومن تصفَّح الرسائل العديدة التي كتبها في ذلك العهد المرسلون وقناصل الدول وسفراء الاستانة يأخذه العجب من كثرة البلايا المحدقة بالرهبان الذين كانوا يفلحون كرم الرب في جهات الشرق ويتذكَّر تعداد بولس الاناء المصطفى لاخطاره في التبشير حيث قال (٢ كور ١١: ٢٦): «كنت في اخطار السيوف وفي اخطار اللصوص وفي اخطار من امَّتي واخطار من الامم واخطار في المدينة واخطار في البريَّة واخطار في البحر واخطار بين الاخوة الكذبة وفي التعب والكدّ والاسهار الكثيرة والجوع والعطش والاصوام الكثيرة والبرد والعُري...»

فهذا الوصف ينطبق بتمامهِ على حالة المرسلين. فانَّهم بوجودهم في بلاد اجنبيَّة

ما كانوا يعرفون لا اهلها ولا عاداتها ولا لغتها كانوا معرَّضين كل يوم لمضايق شتى. فكانوا لا يعيشون الّا من بعض حسنات تُرسل اليهم من بلادهم اذا تأخّرت بلغت حالهم الى الضنك والعوز. وقد افادنا الاب بسون في تاريخه *La Syrie* (Besson. p.31) ان معاشهم كان كصوم متواصل ثم قال: « قلما نعرف رسالةً اجنبيّة يعيش اصحابها في شظف من العيش اعظم من المرسلين الموجودين في هذه الانحاء. »

وكذلك المسكن فان المرسلين في حلب كانوا في اسوأ حال. وما نعلمهُ عن اليسوعيين خصوصاً انهم لم يمكنهم على طول القرن السابع عشر ان يقتنوا لهم بيتاً يسكنونهُ فكانوا يبيتون غالباً في خان الفرنج في حجرتين او ثلاث حجر يتكرَّم عليهم بها قناصل الدولة الفرنسويّة. فهناك يقضون عامّة اشغالهم الروحية والادبيّة والماديّة. ومثلهم الكبوشيون والكرمليتان

وكانوا اذا سئموا من تلك الحالة واستأجروا لهم بيتاً وجدوا من اعداء دينهم من ضروب المضادرات واصناف المحن ما يضطرُّهم الى الرجوع الى خان الفرنج فيعيشون في ضنك وازدحام لا يمكنهم التصرف في اعمالهم الرسوليّة كما يشاؤون. ولولا ان لارباب الطوائف كانوا يدعونهم للوعظ والتعليم وتوزيع الاسرار في كنائسهم لما استطاعوا خدمة الشرقيين في مهامّهم الروحيّة

وهذه المشاق التي كانوا يقاسونها في منازلهم كانت تتضاعف اذا خرجوا. فانَّ بعض اشقياء المسلمين كانوا يرقبونهم فتارةً يوسعونهم شتماً وتارةً يضربونهم بعصيهم او سيوفهم وكثيرًا ما كانوا يجرّدونهم من بعض ثيابهم او يطالبونهم بالمال او يلكمونهم مجدّفين على دينهم الى ان يقوم احد من عقلائهم فيردّ عنهم اولئك الاجلاف لاسيما اذا راى صبر الرهبان وإغضاءهم عن مضطهديهم

وكان الاذى يلحق بهم في بعض الاحيان من قبل الولاة واصحاب الامر. فانَّ حلب كان يتوالى فيها الحكام الاتراك فيسرعون الى جمع المال بكل ما امكنهم من الوسائط لعلمهم بانَّ وقتهم قصير وان الدولة تطالبهم بمبالغ عظيمة لا يمكنهم الحصول عليها الّا بالوسائل الذميمة. وكان الولاة يطمعون خاصة بالمرسلين وجاء ان يصيبوا سهماً كبيرًا من المال المرغوب. لنا على ذلك شواهد متعدّدة فملأ كتباً ضخمة منها ما اخبره القنصل الفرنسوي بيكه (Picquet) عن بشير باشا الذي تولى

الحكم من السنة ١٦٥١ الى ١٦٥٦ فهذا مدّة ولايته لم يألُ جهدًا في مصادرة الحلبيين لاختلاس اموالهم. ثم جعل العيون على المرسلين ليرصدوهم ليلًا مع نهار حتى اذا وجدوهم يصلّون في غير المعبد القنصلي يعلمونهُ بامرهم فيصادرهم بالمال. فزجَّ لذلك في الحبس الاب شيزو (A. Chezaud) اليسوعي واحد الاخوة المساعدين وعون بورجوا (R. Bourgeois) وضيّق عليهما في السجن وامر بضربهما حتى ان الاب شيزو مرض مرضاً عضالًا فرحمهما بعض الفرنج وفداهما بمبلغ من المال. وكذلك راهبان كبوشيّان كبلهما بشير باشا بالاغلال ولم يزل يصادرهما حتى خلصهما القنصل الفرنسوي بماله الخاصّ

على انَّ المرسلين الفرنسويين كانوا لا يعدُّون اتعابهم وآلامهم شيئاً في سبيل خلاص القريب فانَّهم مع فقرهم المدقع كانوا يسعفون المساكين على قدر استطاعتهم فيقتسمون معهم القليل الذي لديهم. وكانوا غالباً يحرّضون تجار الفرنج على الاحسان اليهم. وكانوا يطوفون البيوت ليجمعوا الصدقات للاسرى والعجزة فيلطّفون بذلك اوجاعهم وينتهزون الفرصة ليلهموهم الصبر والتسليم لمشيئته تعالى وممارسة بقيّة الفضائل المسيحيّة

وقد امتاز المرسلون بحنانهم على المرضى وعنايتهم بالمسقومين فكانوا يعودونهم على اختلاف اديانهم ويوزعون عليهم الادوية. بل جعل المرسلون يدرسون الطبّ لمعالجتهم اذ كان الاطباء في ذلك الوقت اعزّ من بيض الانوق. فاشتهر في الطبابة الاب شيزو السابق ذكرهُ (١ ومثلهُ الاب گوده (٢ وكذلك الاب سيلوستروس الكرملتاني (٣ والآباء الكبوشيون (٤ فكانت هذه اعمال الرحمة الجسدية كوسيلة لمساعدة النفوس وإعدادها لآخرتها

وقد ظهرت خصوصاً محبة المرسلين للقريب في حلب مدة الاوبئة العديدة التي فتكت بأهلها في القرن السابع عشر. فان الطاعون فشا في انحاء الشام ثماني دفعات في ذلك العهد وكان لحلب من ضرباته السهم الأفوز لاسيما في السنوات ١٦٥٢ و١٦٦١

١) اطلب الآثار الخطيّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة (Rabbath: *Documents*, I, 53, 400)
٢) الآثار الخطيّة (Ib. I, 420)
٣) فيها (Ib. I, 438-439)
٤) فيها (Ib. I, 519)

و١٦٦٩ و١٦٨٦ و١٦٩٢ فان العدوى كانت تفتك فتكاً ذريعاً بالاهلين وحلب منقطعة عن المدن بعيدة من الجبال فكان يموت بوقت قريب الوف مؤلفة. كتب المرسلون ان سنة ١٦٩٢ كان عدد موتى النصارى كل يوم مائتين اما المسلمون فكان ينيف عدد موتاهم على الألف وبلغ في طاعون ١٦٦٩ العشرة الآلاف في احد الايام حتى قيل ان ثلث بل نصف اهل حلب ذهبوا ضحيّة الوباء. فالرهبان الفرنسويون كانوا اذا تأكد وقوع الموتان تخصصوا بخدمة المطعونين وسكنوا في وسطهم منقطعين عن اخوتهم الرهبان ليثابر اولئك على اشغالهم مع السالمين. وقد ذكر الآباء الكرمليتان في سجلاتهم (١ اسماء المرسلين من الفرنسيسيين والكبوشيين والكرمليتان واليسوعيين الذين نالوا من رؤسائهم نعمة المخاطرة بحياتهم في خدمة المصابين وقد مات بعضهم شهداء محبتهم من رهبانيات مختلفة منهم سنة ١٦٦٩ الاب جان بيار (Jean Pierre de la Mère de Dieu) رئيس الكرمليتان

فالله تعالى لم يدع كل هذه الاتعاب والشدائد التي قاساها المرسلون محبّة بالنفوس دون جزاء بل اتت باثمارها الشهيّة وفقاً لمواعيد المخلص حيث قال (يوحنا ١٢: ٢٤): «الحقّ الحقّ اقول لكم انّ حبة الحنطة التي تقع في الارض ان لم تمت بقيت وحدها وان ماتت اتت بثمر كثير»

قلنا انّ هذه الاثمار الجيدة التي جناها المرسلون الفرنسيون في حلب انما كانت في القسم الثاني من القرن السابع عشر. والفضل في ذلك لا يعود فقط للمرسلين بل لقناصل دولتهم الذين كانوا في اواسط ذلك الجيل من ذوي الدين والشهامة فجاروا الرهبان في خدمة الكثلكة. نخصّ منهم بالذكر القنصل انج دي بونين (L'Ange de Bonin) من ١٦٣٩ الى ١٦٥٢ ثمّ فرنسوا بيكه (Fr. Picquet) من ١٦٥٢ الى ١٦٦١ وفرنسوا بارون (Fr. Baron) من ١٦٦١ الى ١٦٦٩

فهؤلاء الثلثة قد اجمع معاصروهم على اطراء محامدهم. فانّ انج دي بونين احسن ادارة امور دولته مدّة قنصليّته في حلب. وقد اثنى على همته الاب بسّون في تاريخه (ص ٦٢) وذكر الخدم الطيبة التي خدم بها المرسلين حيث ذبّ عن حوزتهم وردّ مكايد اعدائهم وألّف قلوب الشرقيين بلطفه وفضله

١) راجع الآثار الخطيّة الجزء الثاني (Documents II, 5,10)

واشهر منه فرنسوا پيكه الذي خلفهُ في رتبته بعد وفاتهِ. فهذا الرجل كان من اسرة صيارفة فرنسويين من مدينة ليون ولد يوم عيد الفصح من السنة ١٦٢٦ فعُرف منذ نعومة اظفاره بخلالهِ الحسنة وذكاء عقلهِ ورسوخهِ في الدين والتقى فعرفت سموَّ فضلهِ الدوقة دي اغويليون اذ كان يدرس في باريس فطلبت من الملك لويس الرابع عشر ان يتعين فرنسوا پيكه بصفة قنصل عام على حلب. فاجاب الملك الى ملتمسها بعد ان تحقق ما اتّصف بهِ الشاب من السجايا الطيبة مع كونه لم يتجاوز السنة ٢٦ من عمرهِ. فما وصل الى حلب حتى اقرَّ الجميع بفريد خلاله وتوسموا فيهِ الخير للوطن وللدين معاً. ولم يخب ظنهم فيهِ فانَّ هذا الرجل العظيم قضى في حلب تسع سنوات كان لهُ في كل يوم منها مبرَّة بل مبرَّات فانهُ منذ وصوله اكتسب ثقة ابناء دولته بنزاهته واستقامته وتجرُّدهِ لنجاح امورهم. واجتلب مودة النصارى على اختلاف طوائفهم بما اظهر من التقى والتدين واكرام ارباب الدين ومساعدة المسيحيين في كل حاجاتهم الدينيَّة والزمنيَّة. بل تودَّد للمسلمين وعمَّال الدولة بما كان يجود به عليهم من الصلات والالطاف حتى ضربوا المثل في كرمه. امَّا المرسلون فعدُّوه كواحد منهم لما راوا من فضله العميم ومن غيرته المتقدة في خدمة الكنيسة الكاثوليكية وترقية شؤونها بين اهل الشرق

على ان القنصل پيكه مع ما كان مزداناً بهِ من الصفات كان ذا اباء عظيم ونخوة جنسيَّة لم يحتمل معهما ضيماً ولم يرضَ بظلم او جور فكان في الدفاع عن حقوقه او حقوق ذويه لا يخاف لومة لائم ولمَّا اراد بشير باشا ان يهضم شيئاً منها تصدى لهُ وردَّ بشهامة كل مطالبه غير مكترث لغيظه ووعيدهِ. وداوم على خطته حتى توالت الشكاوى على الوالي الى الباب العالي فاراد السلطان عزله لكنَّ بشير باشا عصى على الدولة وجمع الجند لمحاربة جيوشهم فخاف نصارى حلب على نفوسهم ونسائهم وذراريهم الَّا ان القنصل پيكه اوقف نفسهُ للذَّوْد عن حياضهم فلم يصابوا بأذى بل جاهر بشير باشا باكرام القنصل وفوَّض اليه احكام النصارى فكان الكل بلسان واحد يشكرون عدله واستقامته حتى جعل المسلمون انفسهم يتحاكمون اليه. فمنع مجاهه كثيراً من المظالم ريثما ارسل الباب العالي عسكراً لمحاربة بشير باشا تحت قيادة حسن باشا مستشار الدولة الذي كان سابقاً كاخية بشير باشا في حلب. فلمَّا قدم

بجيشه الى الشهباء ارسل الى القنصل بيكه واكرمهُ ايَّ اكرام واتفق معهُ على الوسائل لقصّ جناح الثورة فتمّ لهُ الامر كما شاء. فعظم في اعينه القنصل واهداه اثمن الهدايا من جملتها آنستان من اجمل فتيات دارهِ فردَّها القنصل شاكرًا ومُعلناً بنذره للعفة. فكان هذا الفعل داعياً للعجب والانذهال في اعين جميع اهل حلب. وثبت القنصل بيكه تسع سنوات في حلب قدوةً لاهلها في كل الفضائل المسيحيَّة الى ان قدم استعفاءهُ ليلبي دعوة الله في الكهنوت فسافر سنة ١٦٦٢ الى رومية ومعهُ ٢٥ من الاحداث اختارهم ليدرسوا في مدرسة انتشار الايمان ومدرسة الموارنة ثم يعودوا ويسعوا في خدمة ابناء طوائفهم. وبعد ان واجه في رومية الحبر الاعظم اسكندر السابع الذي استخبره بالتفصيل عن احوال كنائس الشرق ثم باركهُ واثنى على حسن دينه عاد الى فرنسة واستعدَّ لدرجة الكهنوت فسيم كاهناً بعد سنتين وبقي في ليون مدةً يباشر كل اعمال خدمة النفوس بغيرة لا تعرف الملل وكان الملك والكرادلة وكبار الدولة يطلبون مشورتهُ في معرفة احوال الشرق فخدم الشرقيين خدماً لا تحصى. الى ان اختاره الحبر الاعظم اينوشنسيوس الحادي عشر كقاصد رسولي على بابل وبلاد العجم فرُقّي الى درجة الاسقفية في ايلول سنة ١٦٧٧. ثم علم البابا حاجة كنائس الشام الى قاصد للنظر في امورها وتوطيد الايمان في قلوب المرتدين الى الكثلكة فعهد الى السيد بيكه بهذه القصادة فعاد الى حلب ودبَّر كل شيء بحكمته كما سترى ثم سافر الى العراق العجمي ليعتني بكنيسة بابل فخرج من حلب سنة ١٦٨١ واجتمع ببطريرك الكلدان يوسف الاوَّل في ديار بكر ثم رحل الى جهات الارمن بامر الكرسي الرسولي فزار كنائسها ثم دخل العجم وحظي في اصفهان بمواجهة الشاه عباس سنة ١٦٨٤ وقدم لهُ رسالة ملك فرنسة والطافهُ. ثم رحل الى مدينة همدان حيث اخذ يُعنى بكل شؤون كنيسة بابل وكنائس العجم المنوطة بتدبيرهِ لكنهُ اصيب بعد اشهر بداء عُقام فاستعد لملاقاة ربّه ومات موت الابرار في ٢٥ آب سنة ١٦٨٥ وكتبت ترجمة حياته المطوَّلة فطبعت في باريس بتفاصيلها الشائقة (Vie de Messire François Picquet, *Paris*, 1732)

وقد اطلنا في ذكر اعمال فرنسوا بيكه لما له من الفضل في ترقي الكثلكة في حلب كما سترى وكان لمَّا قدَّم استعفاءهُ عين كخلف لهُ في وظيفته رجلًا اختبر تقاه

وغيرتهُ اسمهُ فرنسوا بارون (Fr. Baron) الذي اقتفى آثار القنصل بيكه وخدم مثلهُ صوالح الوطن والدين انصح خدمة كما شهد عليه رؤساء الرهبانيَّات الفرنسويَّة الثلث في حلب اي اليسوعيون والكبوشيون والكرمليتان في رسالتهم المؤرخة في سنة ١٦٦٢ وكذلك بطاركة الارمن والسريان والروم في رسائلهم الى ملك فرنسة سنة ١٦٦٣ (١

فكان هؤلاء القناصل كما سبق عضدًا للمرسلين الذين ضاعفوا همَّتهم في فلاحة كرم الربّ الموكل الى عنايتهم . وكان املهم الكبير ان يجلبوا الى الكنيسة الكاثوليكيَّة امَّ الكنائس المنفصلين عنها دون جدال او خصام فيقنعوهم بصحة العقائد الرومانيَّة استنادًا الى تعاليم اجدادهم وآباء كنائسهم وشواهد طقوسهم

وكان افتتاح اشغال المرسلين مع الموارنة وكلهم كاثوليك بسطاء القلب مستعدُّون لقبول تعاليم الايمان برغبة وسرور . وكانوا فقراء قليلي العدد يخدمهم كهنة من لبنان ذوو علم زهيد يرتزقون بالحياكة وكنيستهم على اسم النبي الياس صغيرة في حي الجديدة . فانكبَّ المرسلون على تدبير هذا القطيع الصغير فرعوه بكل قواهم وثبتوه في الايمان القويم وانعشوا فيه روح التقى والاقبال على الاسرار . فكان الموارنة في مقدَّمة الجميع في ممارسة الفضائل المسيحيَّة واستماع الارشادات والمواعظ واتخاذ العبادات الكنسيَّة والانضواء في الاخويَّات الصالحة . واذ سعى بعض ذوي الاغراض ان يضعوا حدودًا لغيرة المرسلين بشكايات باطلة رفعوها الى غبطة البطريرك يوسف العاقوري لم تلبث هذه الغيمة ان تنقشع . فضاعف المرسلون اهتمامهم بموارنة حلب ثم تحسنت شؤونهم واخذ عددهم يربو شيئاً فشيئاً فبلغ سنة ١٦٧٠ نحو ١٥٠٠ وناهز ٤٠٠٠ سنة ١٦٨٥ . وفي ترجمة حياة القنصل بيكه (vie de Fr.Picquet,p.50-54) انقذهم من شرور معاديهم ونال لهم من المجمع المقدَّس ومن اهل البرّ في فرنسة صدقات واسعة كان يوزّعها عليهم وكان يوصي بكهنتهم المسافرين الى اوربَّة لجمع الحسنات . واذ راى اليسوعيون ان كنيسة النبي الياس ضاقت بهم سعوا لدى السفراء لينالوا لهم فرمانًا لتوسيع تلك الكنيسة لا سيما الاب ديشان

١) راجع الآثار الخطيَّة (Documents, I, 467, 469, 475)

(P. Deschamps). وما لبث بعض تلاميذ مدرسة الموارنة في رومية ان عادوا الى وطنهم واشتغلوا مع المرسلين في تهذيب ابناء طائفتهم واعدّوا لها قرناً ذهبيًّا في الجيل التالي على عهد الطيب الذكر جبرائيل فرحات

وكانت خدمة المرسلين للكنيسة السريانية اخطر واعظم. فانّنا روينا سابقاً ارتداد اندراوس اخيجان بن عبد الغال مربّي الى الكثلكة وسيامتهُ اسقفاً على حلب بيد انّ هذا الحبر الجليل ما كاد يجلس على كرسيّهِ حتى قامت قيامة اليعاقبة عليهِ وضايقوه بضروب الدسائس فخاف اندراوس على حياتهِ وهرب الى لبنان لكن المرسلين بمساعدة القنصل بيكه نالوا لهُ الفرمان الشاهاني من الباب العالي مثبتاً سلطتهُ على سريان حلب وعرضوا على الوالي ابرهيم باشا واقع الحال وبينوا لهُ خباثة اليعاقبة. فامر الوالي بارجاع اندراوس الذي اخذ مذ ذاك الحين يسوس رعيتهُ بكل تُقى ويدعو طائفة السريان الى نبذ البدعة اليعقوبيّة واتّباع الكنيسة البطرسيّة. ومع ما اصابهُ من المشاقّ من قبل المخالفين بقي في منصبهِ وعرفهُ الكرسي الرسولي بل ارسل لهُ بطريرك اليعاقبة منشوراً يقرّرهُ على حلب ويصرّفهُ في الرئاسة. فكان ذلك فوزاً عظيماً للكثلكة. ولم يزل الاسقف اندراوس يجدّ ويكدّ في ارتداد السريان المخالفين حتى قلع من قلوبهم زوان الضلال (١

على انّ المرسلين وكاثوليك حلب لم يكتفوا بما نالهُ اندراوس اخيجان من التقدُّم لكنهم راوا ان الايمان الكاثوليكي لن ترسخ قدمهُ في الكنيسة السريانية ما لم يكن لهم بطريرك كاثوليكي. فساعدهم الزمان في ادراك مأربهم. ففي تلك الايام توفّي بطريرك اليعاقبة المسمى يشوع بن قشه فراى القنصل الفرنسوي « بارون » خلف المسيو بيكه وكافّةُ المرسلين مع كهنة حلب انّ تلك انسب فرصة لترقية اندراوس اخيجان الى الرتبة البطريركيّة فنال له القنصل البراءة الشاهانيّة وارسل لهُ البابا اسكندر السابع دوع الرئاسة ورُقّي الى السدة البطريركيّة في ٢٠ آب سنة

١) راجع كتاب عناية الرحمان في هداية السريان للسيّد ديونوسيوس افرام نقّاش (ص ٢٤–٥٠) وكتاب الزهرة الذكيّة في البطريركيّة السريانيّة للقس اسحاق ارملة (ص ٨٨) والسلاسل التاريخيّة في اساقفة الابرشيّات السريانية للفيكنت فيليب دي طرازي (ص ١٧٨–١٨٧)

١٦٦٢ على يد بطريركين كانا اعلنا بخضوعهما للكنيسة الرومانيَّة اي البطريرك مقاريوس زعيم الرومي الملكي وخشادور بطريرك سيس على الارمن مع مطران حلب بهنام روجيحان اخي اندرواس الذي سُقف في ذلك اليوم عينهِ ليساعد البطريركين في رتبة تنصيب البطرك الجديد. فكان اندراوس اول بطريرك كاثوليكي على السريان بعد رجوعهم الى طاعة الكنيسة الرومانيَّة. واضحت حلب مهدًا لتلك الطائفة الكريمة بمساعي المرسلين الفرنسويين

على ان الكنيسة السريانية لم تنجُ من الشدائد والاضطهادات فانَّ اعداءها اليعاقبة تواطأوا عليها ولم يزالوا يتوسلون بكل الوسائل لمعاكسة الكاثوليك الذين بذلوا النفس والنفيس لحفظ وديعة الايمان. وعقب السيد اندراوس في رتبتهِ بعد وفاتهِ الصالحة (١) سنة ١٦٧٧ مطران القدس السيد غريغوريوس بطرس شاهادين الذي نال ايضاً من الحبر الاعظم درع التثبيت ومن الباب العالي الفرمان الشاهاني وأُقيم بطريركاً في ٢ نيسان سنة ١٦٧٨ في حفلة تولَّاها مطران الموارنة جبرائيل البلوزاني ومطرانان ارمنيَّان مع مطرانين جديدين سيما في ذلك اليوم للسريان يشوع مصر شاه لكرسي اورشليم ورزق الله امين خان لكرسي حلب. وقد جاهد البطريرك الجديد لحسن جهاد في سبيل ايمانه ولاجله سيق اخيرًا الى المنفى بمكايد اعداء الكثلكة رغماً عمَّا نالهُ من فرمانات الدولة وأُرسل سنة ١٧٠١ الى قلعة آطنه فوصل اليها مع المطران رزق الله امين خان بعد شقّ النفس فتوفي المطران ساعتين بعد وصوله ولم يلبث البطريرك ان تبعهُ للدار الباقية بعد ثلثة اشهر فلفظ روحهُ البارَّة في ٢٨ شباط سنة ١٧٠٢ وبموتهما نالت الكنيسة الحلبيَّة فخرًا جديدًا اعني نعمة الاستشهاد كما انَّ المرسلين الفرنسويين وجدوا في ثبات المرتدّين الى الحظيرة البطرسيَّة تعزية عظيمة لعلمهم بانَّ دم الشهداء افضل ما تُسقى بهِ زريعة الايمان لتنمو وتزكو. واليوم كانا يرى نتيجة تلك المحن بازدهار الكنيسة السريانيَّة الكاثوليكيَّة وانحطاط اليعقوبيَّة

وكما نفضت الكنيسة السريانيَّة غبارها في حلب في النصف الثاني من القرن السابع عشر كذلك الكنيسة الارمنيَّة استقت فيها من مناهل المرسلين الفرنسويين.

(١) كانت رتبة جنازهِ تقرًا للكنيسة الكاثوليكية اذ حضرها قناصل الدول وممثلو الدولة وصلَّى عليهِ ارباب خمس طوائف كاثوليكية بلغات كنائسهم

سبق لنا القول عن مساعي الاب شيزو اليسوعي في تهذيب ارمن حلب فبلغ عدد المتكثلكين منهم الى الالف في سنة ١٦٥٢. وجاراه في غيرته اليسوعيَّان الاب گوده والاب اميو (Amieu) ثم الاب سيلفسترس رئيس الكبوشيين والاب برونو رئيس الكرمليتان ولكلهم فضل كبير في تبشير ارمن حلب حتى ردُّوا اسقفاً ارمنيًّا كان من بلاد القبادوق مقيماً في الشهباء. على ان الاكليروس الارمني كان منقسماً فمنهم من يعضد المرسلين وينشطهم ومنهم من يعتبر اعمالهم كبخس واجحاف بالكنيسة الارمنيَّة. وكان وقتئذٍ مطران حلب الارمني محبًّا المرسلين يطرئ غيرتهم ويشكر اعمالهم الَّا انَّ جاثليق سيس في قيليقية الذي كان يقيم في حلب واسمهُ طورس (١٦٤٣ — ١٦٥٨) كان معادياً للكثلكة اخذ يحرّش مطران حلب على المرسلين ولعلهُ كان اغراه عليهم لولا ان كبير جثالقة الارمن جاثليق اشتميازين المسمى فيليب اغباك (١٦٣٢—١٦٥٥) مرَّ في تلك الاثناء بحلب ورأى بالعيان مشروعات المرسلين فاثنى على همتهم واعلن لهم بمكنونات صدره وبعواطفهِ الكاثوليكيَّة ودافع عنهم لدى ابناء ملَّتهِ فزاد بذلك اعتبار ارمن حلب للمرسلين وتواردوا لاستماع ارشاداتهم فانضوى منهم كثير الى البيعة البطرسيَّة

لكنَّ الكثلكة بين الارمن بلغت عزَّها بعد ذلك بقليل لمَّا توفي طورس وجلس على كرسي سيس الجاثليق خشادور (١٦٥٨ — ١٦٧٣) فاطلق الحريَّة التامَّة للمرسلين على ابناء ملته وكان يتردَّد الى منازلهم ويعمل بمشورتهم. ولدينا رسالة منهُ الى لويس الرابع عشر ملك فرنسة سنة ١٦٦٣ يصرّح فيها بايمانهِ وكذلك ارسل للحبر الاعظم اسكندر السابع صورة ايمانه على يد الاب سيلفسترس الكبوشي (١ واعلن بطاعتهِ لكرسي هامة الرسل. ثم رحل الى سيس وبقي على ايمانهِ وباسمه جاء الى حلب احد الاساقفة الارمن فخطب في صحة الايمان الكاثوليكي امام الشعب كلهِ واثبت حقيقة الرئاسة البطرسيَّة

وفي اثناء ذلك ارتدَّ كثيرون من الارمن في مقدَّمتهم مطران حلب وثلاثة عشر كاهناً كانوا كلهم يعتقدون عقائد الكنيسة الرومانية ويمارسون وصاياها. ولم

١) اطلب الآثار الخطيَّة (Documents, I, 467,472-473)

يستطع جاثليق القدس ازدوقدزور الداروني (١٦٤٥ — ١٦٧١) ان يثنيهم عن عزمهم

وفي تاريخ الارمن لتشامتشيان (Tchamitchian : *Histoire de l'Arménie*, III, 698) ما يؤيد ارتداد خشادور فانهُ روى هناك « ان هـذا البطريرك في السنة ١٦٦٣ كتب الى البابا اسكندر السابع كتاباً على يـد اسقف اشوتس اعلن فيهِ بايمانهِ الكاثوليكي واعترف برئاسة الحبر الروماني على الكنيسة جمعاء. وقد امضى معهُ ذلك الكتاب ثلاثة عشر اسقفاً ارمنياً وتسعة من رؤساء الكهنة (ورتيط) »

فهذا الفوز الكبير كاد ينفي بين ارمن حلب آثار الهرطقـة لاسيما بعد ان نما عدد الكهنة المرتدين وسيم ثمانيـة كهنة جدد بوضع يد البطريرك خشادور حتى بلغ عـددهم عشرين كاهناً كاثوليكياً. على ان خروج خشادور من حلب نشط المنفصلين على مقاومة الكاثوليك فسعوا لدى الحكومة بهوانيس الذي كان اقيم كوكيل اسقفي عليهم. فخاف هوانيس على نفسهِ من شرور الساعين وتوارى مـدةً لكنَّ القنصل بارون بنفوذهِ تمكن من كبح جماح المضادين وكشف دسائسهم لدى ولاة حلب

وكان ختـام القرن السابع عشر كصراع بين الارمن الكاثوليك يـندهم القناصل والمرسلون الكاثوليك وبين الارمن الغريغوريين الـذين خافوا ان يفقدوا شيئاً من امتيازاتهم الجنسيَّة وصوالحهم الزمنيَّـة اذا اقرُّوا بالرئاسة البطرسيَّة. وقد قام في اواخر ذلك الجيل عـدَّة اساقفة يترشحون للبطريركيات الثلث اعني جاثليقيَّة سيس وجاثليقيَّة القدس وجاثليقة اتشميازين منهم كريكور بدساغ (١٦٨٣—١٦٨٩) وازدوقدزور السسوني وماتيوس سارّ القيصري وكانوا كلهم يتظاهرون بالكثلكة رجاء ان يفوزوا برتبة الجاثليق او يسعفهم القناصل لدى الباب العالي لنوال الفرمان المثبت لرئاستهم. وفي سجلات الآباء الكبوشيين ان كريكور بدساغ جاثليق سيس جحد اضاليل الارمن على يد الاب بيار دي بلوا (Pierre de Blois) سنة ١٦٨٩

فهذه الغايات الزمنية كانت تريب المرسلين في صحة ايمان رؤساء الارمن الّا انهم كانوا يوملون انَّ ايمانهم سوف يقوى مع الزمان ويتأصلون شيئاً فشيئاً في الروح الكاثوليكي كما حصل بعد ذلك في اواسط القرن الثامن عشر (لهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

HARVARD SEMITIC SERIES, III. — SUMERIAN IN THE HARVARD SEMITIC MUSEUM. PART I, CHIEFLY FROM THE REIGNS OF LUGALANDA AND URUKAGINA OF LAGASH, copied with introd. a. index of Names of Persons, by **Mary Inda Hussey**, PH. D. — *Cambridge U. S. A., Harvard University*. 1912. *Leipzig, Hinrichs*. 4°,36 *pp.* + 81 *plates*.

الصفائح السومرية في متحف هرفرد الساي

كثيراً ما تجاري السيدات الاميركيات العلماء بتصانيفهن. لنا على ذلك شاهد جديد في ما انجزته آخراً سيدة تدعى «ماري إندا هوسي» الحائزة لشهادة الدكتورية في الفلسفة. فانها استقرت الصفائح الاشورية العديدة المصونة في متحف هرفرد فنقلت عنه صور ما كُتب منها باللغة السومرية (١ فصوّرت بعضها تصويراً شمسياً واخذت رسوم بعضها الآخر باليد فنشرتها في هذا القسم الاول من كتابها. ومن ينظر هذه التصاوير يقضِ العجب من دقتها وجلائها وضبطها التام. ومضامينها غالباً اوراق حساب وفذلك وبيان حقوق وديون لهياكل الآلهة. يرتقي تاريخها الى نيف والفي سنة قبل المسيح من عهد لوغالندا واوروكجينا ملكي لاغاش. ولاغاش هذه من اقدم بلاد الكلدان السفلى (٢ وهي التي عُرفت بعد ذلك باسم تلّه فاجرى فيها الحفريات الاثري الفرنسوي دي سرزك (de Sarzec) ثم تبعهُ اللازم (Cte. Cros) وهناك وُجدت الصفائح المذكورة والمرجّح ان اهل البادية اختلسوها فباعوها سراً للاميركيين. ومهما كان من الامر فان مؤلفة الكتاب لم تهمل وسيلة في ابراز عملها في صورة وافية بالمرام ليرجع اليه العلماء في ابحاثهم ويتخذوهُ حجة في ما يكتبونهُ عن قدماء الاشوريين. وقد اشارت الى كل التآليف السابقة التي لها علاقة بصنفها والحقتهُ بفهارس للاعلام مع الالقاب اللائقة بكل منها. فنمحض الشكر السيدة هوسي ونتمنّى ان الله ينسئ في اجلها لتنجز هذا السفر الجليل الذي من شأنهِ ان يوقفنا على احوال ملوك قدماء الكلدان ولعلّنا لا نلبث ان نعرف اخبارهم

١) راجع العدد السابق من المشرق (ص ٧٨٨)

٢) والبعض يقرؤون اسمها سيرپورلا

احسن من معرفتنا لاخبار الشام قبل عهدنا القريب . وكذلك نهنئ جناب الطبّاع هنركس (Hinrichs) الذي اجاد طبع هذا الكتاب حتى بلغ فيه الكمال س. ل

P. Alberto Vaccari J. S.: L'ARABO SCRITTO E L'ARABO PARLATO IN TRIPOLITANA. Grammatica elementare pratica, *Torino, G. B. Paravia,* 1912, in-8, VIII-187

القواعد الاصلية في اللغة العربية

منذ اعلان الحرب الايطالية التركية احسّ الايطاليون بحاجتهم الى معرفة اللغة العربية في طرابلس الغرب فتضاعفت همّة شبّانهم في درسها . واذ لم يجدوا في الايطالية كتاباً يرشدهم الى لهجة الطرابلسيين خصوصاً اراد احد الآباء اليسوعيين المتخرّجين سابقاً في كليتنا ان يسدّ الخلل نوعاً فوضع هذا التأليف كعجالة يستفيد منها الاحداث ريثما يضع غيره اوسع واجمع يُتخذ كدستور في التعليم . والكتاب يحتوي مع ذلك كثيراً من قواعد الصرف والنحو مع تمرينات ومباحثات عديدة تسهّل للدارسين التكلم بالعربية والكتابة فيها . وهناك ملحوظات خاصة باللهجة الطرابلسية مع تدوين لفظ اهلها بالحرف الاوربي . وفي آخر الكتاب مجموعة لاخصّ المفردات المستعملة في الكلام . فنهنئ حضرة المؤلف ونتمنّى لكتابه رواجاً ولا نكتم عليه وقوع عدّة اغلاط طبعية في كتابه يجب اصلاحها في طبعة ثانية ل . ش

GRAMATICA DE ARABE LITERAL por Clemente Cerdeira Interprete de España en Marruecos. I^a *parte, Imprenta Catolica, Beirut*, 1912, pp. IXII-215

الاصول العربية في اللغة الاسبانية

هذا ايضاً ثمرة الاحوال الجارية في شمالي افريقيّة . فان الشاب الاديب اكليمنضوس سرّدايره تسهيلاً للمعاملات الدولية بين مواطنيه واهل مراكش وضع لهم هذه الاصول وشرحها في الاسبانية . وهذا القسم الاوّل يتناول قواعد الصرف وما يختصّ بالمفردات من اسم وفعل وحرف . وقد اتّبع المؤلف في كتابه الاساليب الشرقية بعد ان تبيّن فضلها بدرسه العربية على اساتذة من بيروت . وكان المؤلف باشر بطبع الكتاب في المطبعة الحجرية الفرنساوية فطبع منهُ ١٢٨ صفحة ثم رأى في عملها خللاً وعدل لانجاز كتابه الى مطبعتنا الكاثوليكية فترى لذلك فرقاً كبيراً بين القسمين من حيث نظافة الطبع وجودة الورق والضبط . فاقتضى التنبيه ل . ش

Le P. Cyrille Charon : HISTOIRE DES PATRIARCATS MELKITES (Alexandrie, Antioche, Jérusalem). T. III. Les Institutions. Fasc. II, *Rome*, 1911, X-305 à 760)

تاريخ البطريركيات الملكية – الجزء الثالث: الرسوم. القسم الثاني

ان حضرة الاب كيرلس شارون يواصل بهمة لا تعرف الملل التأليف الكبير الذي تولّى نشره عن البطريركيات الملكية والذي يتناول تاريخها القديم والحديث ورسومها ونظامها وحقوقها القانونية. وقد ظهر منهُ سابقاً قسمان وصفناهما في وقتهما. وها هوذا القسم الثاني من الجزء الثالث الذي خصهُ المؤرخ بالطقسيات والنظامات والعادات الجارية في البطريركيات الملكية. وهو قسم يجمع من المعلومات والافادات التي لا يمكن الحصول عليها في مكتبة واسعة. فالمؤلف حفظهُ الله بعد ان قضى عدّة سنين في الشرق لا يألو جهدهُ في درس الطقس اليوناني الملكي من كل وجوهه ويبحث في كل مكاتب الخاصة والعامّة حظي في رومية بفتح السجلات الواتيكانية الغنية بمثل هذه الكنوز البيعية فاستخلص منها لبابها ولم يدع مسئلة الّا طرق بابها فجاء كتابهُ عبارة عن مكتبة دينية طقسية قانونية يحتاج اليها ليس الروم الملكيون فقط بل كل من يُعنى بدرس العلوم الدينيــة الشرقية. فنحضّهم جميعاً على اقتنائهِ ونؤكد لهم انهم يجدون فيه ما طالما طلبوه في مصنفات اخرى دون جدوى. ونشكر باسمنا وباسم الشرقيين عموماً مؤلفهُ على وضعه تأليفاً كهذا مع ما تكلف عليه من المشاقّ جازاهُ الله الف خير ومكنهُ من انجازهِ تماماً ل. ش

Karl Wied : Leichtfassliche Anleitung z. Erlernung d. Turkischen Sprache. 4to *verbesserte Aufl.*, *A. Hartleben's Verlag in Wien u. Leipzig*, 1912. XIII-184

طريقة سهلة لتعلم اللغة التركية

ان ازدياد المعاملات بين الدول الاوربيَّة والدولة العثمانيَّة يقضي بدرس التركيَّة اكثر من السابق وهذا ما حمل الاستاذ الالماني كُل قيد على وضع هذا الكتاب الذي طُبع بعد زمن قليل طبعته الرابعة وهي التي بلغتنا مؤخّرًا. فمن يقلّبهُ يتحقق حسن اساليبهِ ووضوحهُ وطرائقهُ التعليميَّة القريبة المنال التي تمكّن الطالب من التعمق بعدئذٍ في دقائق اللغة. وقد احسن المؤلف على ظننا بالعدول عن كتابة الالفاظ

التركيَّة بالحرف العربي في الاقسام الاولى من كتابهِ فرسمها بالحرف الاوربي الَّا في القسم الرابع الاخير حيث يكون الطالب قد تأسس في اصول اللغة . فيستطيع الخوض في شرح نصوصها . الَّا اننا لا نوافق المؤلف في طريقته لرسم بعض الحروف العربيَّة او التركية بحرفين او ثلاثة او اربعة من الحروف الاوربيَّة فيكتب الشين *sch* والجيم *dsch* والچيم *tsch* واذا كان الحرف مضاعفاً ضاعف هذه الحروف حتى تبلغ ثمانية ج = *dschdsch* وهذا من الغرائب مع وجود طرائق سهلة لذلك بالحروف المشكلة ش = ŝ او s̈ ج = ǰ او ǧ وچ = č . فهذه الاصطلاحات شاعت الآن في اوربَّة فنشير على المؤلف باستعمالها كما وددنا لو ان حضرة الاستاذ هرتمن (M. Hartmann) جرى عليها في كتابهِ عن لغة مصر والشام . ولا بأس ان يستدعي ذلك بعض النفقات مع زيادة اقبال الدارسين على هذه التآليف ل . رنزفال

THE MASS : A Study of the Roman Liturgy. By the Rev. Adrian Fortescue, *Longmans, Green and C°, London*, 1911, in-12, IX-428

بحث علمي في القداس على حسب الطقس الروماني

باشرت احدى الجمعيات الكاثوليكية في لندن (The Westminster Library) نشر مجموع من التآليف يشمل العلوم الدينيَّة التي يُعنى بها الكهنة خاصَّة . فصدر منها بالانكليزيَّة عدَّة منشورات بقلم مشاهير كاثوليك بريطانية العظمى . والكتاب المعنون آنفاً هو لاحد كهنتهم الافاضل حضرة الخوري ادريان فورتسكيو . الذي قضى سنتين في كليتنا البيروتية سابقاً متفرّغاً لدرس الطقوس الشرقية فأهلتهُ دروسهُ الى هذا التأليف الذي يقسم الى عشرة فصول وسبعين باباً فيتضمن كل الابحاث المنوطة بالذبيحة الالهية كاصلها الاوَّل وتركيبها واقسامها ومؤلفيها والاختلافات الطارئة عليها وتعريف كل معانيها ورموزها ولغتها . وهو في كل فصل يشير الى التآليف المتعددة التي راجعها واستند اليها ويقابل بين الطقس الروماني وبقية الطقوس القديمة ما يدلّ على مطالعات واسعة وحسن انتقاد وذوق سليم . وهناك عدَّة ابحاث تهمّ الشرقيين كمسألة استعمال اللغة اللاتينيَّة (ص ١٢٦) ومسألة التطير (ص ٣٠٠) ومسألة المناولة على شكل واحد (٣٧٦) . وقد خصَّ ملحقاً (ص

٤٠٢) بمسألة الصلاة الى الروح القدس (Epiclèse) في القداس وختم الكتاب بجدول للكتب الطقسية الشرقية والغربية (ص ٤٠٨) ثم بفهرس مطوّل على سياق حروف المعجم. فهذا السفر الجليل كما ترى لا يفيد الغربيين وحدهم بل كل من يريد ان يحيط علماً بالطقوس الدينية ل. ش

Dr de Grandmaison de Bruno: VINGT GUÉRISONS à LOURDES discutées médicalement. 2e éd., *Paris*, *G. Beauchesne*, 1912, pp. 313

بحثٌ طبي في عشرين شفاء في لورد

هذا تأليف جديد ينطق بعظمة مريم البتول ورفعة مقامها في لورد. وليس المؤلف لاهوتيًا او فيلسوفًا بنى كلامهُ على القضايا المنطقيَّة والاحكام العقليَّة وانما هو طبيب نطاسي نال في باريس ان يُلحق باطبَّاء مستشفياتها البلديَّة اسمهُ الدكتور دي غراندمازون فلما سمع ما تناقلتهُ الالسن عن ضروب الشفاءات العجيبة الجارية في مدينة لورد بشفاعة ام الله اراد ان يتحقق الامر بعينهِ فانتقل الى ذاك المزار واخذ يستكشف على طريقة علميَّة عن الحوادث العجيبة التي تُنسب الى شفاعة العذراء. فبعد ان تبيَّن صحتها مطَّلعاً على كل شهادات الاطبَّاء واوصاف المرضى قبل شفائهم وبعد شفائهم ونوع شفائهم عمد الى تحرير هذا الكتاب الذي اختار فيهِ عشرين من الشفاءات الجارية في لورد لجمع كل قرارات الاطباء عن كل مرض وعن معالجتهِ الطبيَّة واقرار الاطبَّاء بعجزهم عن شفائهِ بالوسائل المعروفة في زماننا ثم قابلها مع ما جرى بعد ذلك من الشفاء في حوض سيدة لورد وشواهد الاطباء وغيرهم من الثقات على انَّ ذلك لم يتمّ بعوامل طبيعيَّة ولا ادوية البتة بل تمَّ على خلاف ذلك امَّا في ساعة دخول المريض في مياه الحوض وامَّا عند طواف القربان الاقدس او بعد صلوات حارَّة في منارة السيِّدة بحيث لا يجوز نسبة الشفاء الى غير الله وسيدة لورد. وقد فند المؤلف كل ما توهَّمهُ اعداء الدين لنفي المعجزات كالاستهواء وغير ذلك حتى لا يسع القارئ الَّا ان يصرخ «انَّ اصبع الله لهاهنا». فالشكر كل الشكر للدكتور غراندمازون الذي وضع علمهُ الطبي في خدمة الدين ولم يُبقِ بادلَّتهِ عذرًا للملحدين الاب ك. ميجاسون

١ً كتاب تمرين الطلّاب في علم الحساب (طبعة ثانية صفحاتها ٢٦٠ + ٤٠) =

٢ً كتاب الادلة الغرّاء في سمو شأن مريم العذراء (صفحاتهُ وي + ٣٢٦)

والكتابان للعلامة الشيخ ظاهر خيرالله الشويري طبعا في بيروت سنة ١٩١٢ في مطبعة الاتحاد ويباعان في كل مكاتب البلد

تأليفان نفيسان جمع فيهما مؤلفهما الشيخ الفاضل بين الدين والدنيا و « ما اجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا ». فالكتاب الاوّل مدارهُ على علم الحساب كان صاحبهُ حفظهُ الله نشرهُ قبل سنوات فأثنى ارباب المدارس على اتقانهِ وصراحة عبارته وتفننهِ في تنويع المسائل وطرق حلّ الامثلة. وها هوذا قد اعاد النظر في طبعهِ واضاف اليه من الابواب والفصول ما ضاعف مضامينهُ » حتى صار كافياً للتاجر والصانع والزارع والمحترف ». فنشكر همة المؤلف ونطلب من الله ان يمدّ في اجله ريثما يخدم الوطن بطوّل في الحساب بشّرنا بتسليه للطبع ثم بكتاب في الحساب العالي والمطالب الرياضية لا يزال ناقصاً في لغتنا العربيّة .

امّا الكتاب الثاني فانهُ ادعى الى الثناء لانهُ يفوق على السابق فزوق الدين على الدنيا. وليس الكتاب ديني فقط بل هو مطرقة مهولة تدكّ في كل صفحة بل تسحق سحقاً الاضاليل البروتستانية العديدة التي اشاعوها في بلادنا بمطبوعاتهم وتعاليمهم فكنّا سابقاً زيّفنا كثيراً من تلك المزاعم الباطلة بردود مرسلي وهبانيتنا وقد سرّنا ان يقوم اليوم احد ابناء الكنيسة الارثذكسيّة فينتصر معنا للحقّ ويثبت اتفاق الكنيستين الشرقية والغربيّة في الحقائق الدينية التي ناقضها البروتستانت جزافاً فانكروها رغماً عن شواهد التاريخ وتواطؤ التقليد واحكام المجامع. فالمؤلف المحقّق كشف القناع عن سفسطاتهم في ١٧٥ صفحة من كتابهِ. ثم انتقل الى القسم الثاني الذي قصدهُ بعنوان الكتاب فجعل القسم الاوّل كتمهيد لهُ . وفيهِ يدافع عن شرف البتول الطاهرة التي تجاسر البروتستانت وانكروا ما خصّها الله بهِ من النعم والامتيازات كبتوليتها الدائمة وشرف امومتها الالهيّة وشفاعتها المشفعة وانتقال جسدها الى السماء وهو في كل ذلك يظهر الحقيقة في كل مجاليها ويثبتها بما لا يُنقض من الادلة. فما كنّا نقرأ من هذا الكتاب صفحةً الّا صرخنا « بارك الله في كاتبهِ ولا فُضّ فوهُ ». ومما سرّنا سروراً خاصاً ان جناب المؤلف لم يدافع فقط عن شرف

البتول الطاهرة بل عن بتولية خطيبها البار القديس يوسف (ص١٩٢—١٩٣) وهو يؤيد بذلك رأينا الذي قررناه سابقاً في ردنا على جريدة المنار الارثذكسية (في المشرق ٢ : ٤٣١ و٣ : ٣٨٠ و٤١٣ و٥١١) ومجمل القول اننا نوصي كل الكاثوليك فضلاً عن الارثذكس بمطالعة هـذا الكتاب الفريد في بابه وبنشره بين المؤمنين طاقة جهدهم وبالرجوع اليه في الردّ على السفاسف البروتستانية وبالشكر لمؤلفه على هـذه الخدمة الممتازة لكنيسة الله ل . ش

كتاب طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي المتوفى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م)

نشرهُ وذيلهُ بالحواشي واردفهُ بالروايات والفهارس الاب ل . شيخو اليسوعيّ

طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١٢ (١٤٥)

هو الكتاب الذي نشرناهُ سابقاً في المشرق وعرف الكل عظم شأنه اذ يرتقي الى تسعة قرون ويحتوي من المعلومات ما لا تجدهُ الّا في قليل من كتب العرب. وقد عرف القدماء خطرهُ فنقلوا كثيراً من فصوله كجمال الـدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء وابن ابي اصيبعة في عيون الانباء وابن العبري في مختصر تاريخ الدول والحاج خليفة في كشف الظنون. وقد طبعناه على حدة وزدنا عليه ٥٥ صفحة ضمّناها الروايات في نسخ لندن واصلاحات شتى ثمّ خمس فهارس لموادّ الكتاب وأعلامه الشخصية والمكانية وغير ذلك ممّا يبين فضل هذا التأليف الفريد في جنسه الناطق بترقي عرب الاندلس في القرون الوسطى ل . ش

كتاب آداب العرب

تأليف ابراهيم بك العرب

طُبع في المطبعة الاميريّة بمصر سنة ١٩١١ ص ١١٢)

كان قبل بضع سنوات محمـد عثمان جلال المصري عرّب قسماً من امثال الكاتب الفرنسوي الشهير لافونتين ونظمها شعراً فاستحسن كثيرون عملهُ وقـد اثنينا عليه في كتابنا علم الادب (ج ١ ص ٢٢٢). وها هوذا كتاب من صنفـه لاحد الشعراء العصريين جنـاب ابراهيم بك العرب ضمّنهُ مئة من اجود الامثال الادبية على السنة الحيوانات اختـار مواضيعها من مصادر شتى ونظمها بشعر رائق

يفضل على نظم محمد افندي عثمان. فلا غرو ان نظارة المعارف المصرية قرّرت طبع هذا الكتاب على نفقتها وارصت بتدريسهِ في المدارس العمومية . وهـذا مثل السرطان نقتطفهُ من الكتاب (ص ٦٨) دلالةً على طريقة المؤلف :

مشى السرطان يوماً باعوجاجٍ فقلّـد شكل مشيتهِ بنوهُ
فقال : علامَ تنحرفون . قالوا : سبقتَ بهِ ونحنُ مقلّدوهُ
فخالفْ يبرك الموجَ واعدلْ فانّـا ان عـدلتَ عـدلوهُ
امـا تـدري أبانا كلُّ فرعٍ يجـاري بالخطا من اذّبوهُ
وينشأ ناشئُ الفتيـان منّا على ما كان عوّدهُ ابوهُ

شذرات

براءة جديدة للحبر الاعظم كان آخر هذا العدد ممثّلاً للطبع اذ بلغتنا براءة لقداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر يعمم فيها الرخصة لكافّة المؤمنين ان يتناولوا القربان الاقدس على ايّ صورة شاءوا من خمير او فطير على شكل واحد او شكلين . وسنعود الى هذا الموضوع ان شاء الله في عدد آخر

نحن والكلمة اعارنا احد الاصحاب العدد ١٨ من الكلمة (١٥ ايلول ١٩١٢) الذي لم يُرسل الينا رأساً . واذا فيه فصلٌ عنوانهُ « صدق مجلّة الكلمة الارثذكسيّة وهذيان مجلة المشرق الجزويتيّة » (ص ٥٥٧ — ٥٦٦) فعرفنا الكاتب من طالعه . وظننّا ان سيادة المطران هواويني يثبت « هذيان مجلّة المشرق » في ردّها على مزاعم الكلمة واكاذيبها المتعدّدة التي فصّلناها في مقالتنا « كلمة في مجلة الكلمة » (المشرق ١٩١٢ ص ٢٢٩ — ٢٢٦) وفي نبذتنا « الكلمة وبطريرك القبط المستقيل » (ص ٣٩٨) وفي الشذرة « لغط الكلمة » (ص ٥٥٨) : فسكتت المجلّة عن كل ذلك وكذبها فيه اضرأ من النهار زاعمة انها « لا تعلق على كلامنا ادنى اهمية » اذ هو « من جملة مخرفاتنا وتمويهاتنا الجزويتية » (كذا بحرفه) لكنها تحرّكت اخيراً لتكذيبنا لشاعتها في ارتداد جنرال كاثوليكي الى الارثذكسية وتشمّرت غيظاً لعدم تسليمنا لقولها بعد ان خدعت قرّاءها باشاعات كاذبة دللنا اليها مراراً فهي تزعم ان الخبر صحيح وان الجنرال المرتدّ الى الارثذكسية هو معروف . ونحن لا

نخاجها في الامر اذا ثبتت حقيقتهُ وعليه قد راجعنا ثانية المراكز الرسمية في مدريد وبلغناهـا اقوال صاحب الكلمة وان شاء الله نفوز قريباً بالجواب فنوردهُ بحرفه لقرّائنا. وما كان احرى بسيادة المطران هواويني ان يثبت قولهُ بالبرهـان دون ان يسوّد صفائح كلمته بكلام يشمئز منهُ ادباء عصرنا. ونؤكد لسيادة الكاتب انهُ مخدوع بكثير من منقولاته عن المجلّات اليونانيـة والروسية المعادية للكاثوليك فيرويها دون ان يتحقق صحتها كشذرته مثـلاً في العدد المذكور (ص ٦٥٩) التي عنوانها « شيعة كاثوليكية في بيلوستوك روسيا » لأنـهُ لو وُجدت شيعة كهذه بين الكاثوليك لحرَمتها الكنيسة بلا شكّ. وكذلك روايتهُ هناك عن الحرس البابويّ هو « خبر كاذب » او مبالَغ بهِ وعلى كلّ لا يجوز رواية هذه الاخبار دون اسنادها الى جريدة صادقة . والّا سقطت حرمـة الراوي في اعين العقلاء وذكَروهُ بالخشبة الانجيلية

ترقّي الكنيسة الكاثوليكيـة في الصين بقيت الكنيسة الكاثوليكية مدّة نحو خمسين سنة تجاهد الجهاد المتواصل في انارة اهـل الصين ودعوتهم الى الدين المسيحي وهي لا تلاقي من الاثمار ما يوازي اتعاب اولادها. فانّ الكاثوليك هناك كانوا يبلغون سنة ١٨٤٠ نحو ٢٤٠,٠٠٠ وبعد خمسين سنة كان عددهم ٥٤٢,٦٦٤ اعني بزيادة ٣٠٢,٦٦٤ فقط وكان المرسلون مع ذلـك بلغوا ستة اضعافهم وكثرت الكنائس حتى صارت ثلاثة اضعافها. لكنّ هذه الحالة قد تحسنت كثيراً منذ عشرين سنة فبلغ عدد المتنصرين سنة ١٩٠٩ ١,٢٣٠,١٨٠ بزيادة ٦٨٧٠٥١٦ وهذه الحركة قد زادت في السنين الثلث الاخيرة بتنصّر ٢٨٠,٠٠٠ من الصينيين فكان عددهم السنة المنصرمة ١٩١١ ٨٤,٠٠٠ وكاد يبلغ في السنة الحالية ١٠٠,٠٠٠ والمرجّح ان هذه النهضة كانت ثمرة استشهاد النصارى الصينيين في حرب البوكسير حيث فضّل الوف منهم الموت على جحود ايمانهم. وقد جعل اليوم اهل الصين يعيرون الكثلكة اذناً صاغية فيدرسون تعاليمها ويعتبرون اعمالها العجيبة بينهم كمدارسها ومستشفياتها ومياتمها ومطابعها ومراصدهـا الفلكية ولا سيما فضائل ابنائها

جدول منقولات البريد الدوليّ نشر المكتب العامّ للدول

المرتبطة بالوفاق البريدي الدولي جدول بمجموع ما نُقل بواسطتهِ من المحمولات والطرودات سنة ١٩١٠ فاذا هي كما يأتي :

المنقولات	عددها
المكاتيب	١٠٥,٢٤٢,٦٧٧
بطاقات بريديَّة (كرت بوستال)	٢٧٧,٩٢٢,٠٨٦
مطبوعات	٥٥١,٩٢٩,١٦٨
مساطر تجاريَّة	,٢٨,٢٧٣,٦١١
ارساليات خالصة الاجرة	,١١,١٦٦,٢٨٨
طرودات اعتياديَّة	,٥٥,٤٠٥,٨٨٢
طرودات مبينة قيمتها (البالغ مجموعها ٦,١٢٥,٤٥٠,٧٦٢ فرنكاً)	,,٥,٧٧٠,٢٧٢
حوالات على البوسطة (ثمنها ١,٦١٤,٦٢٤,٦٣٩ ف)	,٢٨,٨٣٩,٤٢٦
جرائد للمشتركين	,٥١,٨١٢,٢١٢

أسئلة واجوبة

س سألنا من سبرنغفلد ماس جناب الاديب اسطفان الحلو متى ابتدأ في الكنيسة تثبيت القديسين والفحص عن سيرتهم وعجائبهم قبل موتهم وبعده

تثبيت القديسين في اليمة

ج لم تسمح الكنيسة قطّ بان يُكرم احد ابنائها المتوفين برائحة القداسة حتى الشهداء منهم اكراماً علنيًّا دون رخصة الاساقفة الذين كانوا يتبينون صحة استشهادهم وحسن سلوكهم . فاذا ثبت لهم الامر كانوا يقيمون على قبر الميت مذبحاً ويقدّمون الذبيحة عليهِ . وقد افادنا القديس اوغسطينوس انَّ اسقف المحلّ في زمانهِ كان اذا استشهد احد لاجل الايمان يفحص عن الامر فحصاً مدققاً ثم يرسل نتيجة بحثهِ الى رئيس اساقفة الاقليم فيعلن باتّفاق الاساقفة الذين تحت رئاستهِ قداسة الشهيد وجواز اكرامهِ او ينفون ذاك الاكرام لعدم وجود الادلّة الكافية على الاستشهاد وحسن الاعمال . وكانوا يدوّنون اسماء القدّيسين في سجلّات الكنيسة والذبتخات ويقرأونها في ايّام الاعياد والآحاد . ثمَّ لحظ الاحبار الرومانيون ان ذاك الفحص لم يتمّ دائماً بالاعتناء الكافي فأكرم اناسٌ لم يستحقوا ذلك فاختصّ البابوات بديوانهم الفحص عن اعمال القديسين وتثبيتهم وذلك في القرن العاشر فكان اوّل قديس تثبّت على

هذه الطريقة اولريك اسقف اوسبرج وذلك في المجمع اللاتراني الاوّل سنة ٩٩٣. ثمّ وضع البابوات عدّة مناشير فصّلوا فيها صورة الفحص عن قداسة اولياء الله وتبيان معجزاتهم لئلّا يحصل في ذلك ادنى تلاعب. ومن تحقّق اليوم كيف تجري الكنيسة في ذلك لا يستطيع ان يشكّ مطلقاً في سموّ فضائل القديسين ومعجزاتهم

س سألنا جناب سليم افندي صادر انعرف للبطريرك مكسيموس مظلوم المجلّدين الرابع والخامس من كتابه الكنز الثمين في اخبار القديسين

المجلّدان الرابع والخامس من كنز الثمين

ج هذان المجلدان قد اشار اليهما غبطة البطريرك المذكور في مقدّمته حيث ذكر انهُ يلحقهما بالمجلّدات الثلاثة الاولى المطبوعة في مطبعتنا لكنهُ عدل عن ذلك ولا نعلم سبب عدوله. امّا نسخ هذين المجلّدين فنظنّ انّ منهما نسخة في بطريركية الروم الكاثوليك في دمشق او في بيت الخواجات مظلوم في حلب لكننا لم نطّلع عليهما. وقد ورد ذكرهما في جدول مصنّفات البطريرك الذي سردهُ صاحب تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك (ص ١٢٤)

س سأل حضرة الخوري بولس صفير ايجوز ابقاء اشكال القربان اكثر من خمسة عشر يوماً ومتى تفسد تلك الاشكال

ج يؤخذ من جوابات المجمع المقدّس انّ اشكال القربان الاقدس ينبغي تجديدها كلّ ثمانية ايّام وعلى الاقلّ كل خمسة عشر يوماً. اما زمان فسادها فيختلف على اختلاف فصول السنة والامكنة وجنس الاشكال من فطير او خمير ويصعب تحديد وقت معلوم لفسادها وعلى كل حال يخطئ الكاهن الذي لا يستدرك خطر فساد الاشكال باهماله

س سأل احد كهنة ديار بكر ماذا نعرف عن احد كلدان ديار بكر ذهب الى ايطالية في القرن الثامن عشر وتوفّي فيها اسمهُ كيوركيس آدم

كيوركيس آدم

ج وجدنا في بعض مخطوطات مكتبتنا انّ المذكور كان اسمه كيوركيس ثمّ سيم كاهناً فدُعي حنّا ثم سافر من ديار بكر الى بلاد ايطالية وسكنها مدّة وتوفي في مدينة نابولي في ٣١ ايلول سنة ١٧٣٤ ودُفن جسمه في دير مار يوحنّا كربونارا لرهبان مار اغوسطين وظهرت في حياتهِ وموتهِ اثاثر القداسة ل. ش

المشرق

براءة رسوليّة

في جواز مناولة القربان الاقدس في الطقسين

(تعريب جريدة البشير)

يوس الاسقف

عبد عبيد الله للذكر المخلد

انما لعادةٌ عريقة في القدم بقيت مدّة طويلة من الزمن مرعيّة في الكنيسة ان المؤمنين المسافرين يتبعون بطيبة خاطر العادات والطقوس الدينية التي كانت تختلف لاختلاف الامكنة بشرط ان لا يكون فيها ما يُشتمُّ منهُ رائحة الاعتقادات الباطلة والعبادة الوثنية. وكان ذلك معمولاً بهِ لتوثيق عرى الوئام والاتحاد بين اجزاء الكنيسة الكاثوليكية الواحدة المتعددة اي بين الكنائس الخصوصية حسبما قال القديس لاون التاسع: « ان العادات المختلفة لاختلاف الامكنة والازمنة لا تحول دون خلاص المؤمنين اذا كان يربطهم جميعاً بالله الواحد ايمان واحد يعمل بالمحبة كلّ ما يستطيع عملهُ »

وقد كانت الضرورة تقضي بذلك فان الذين كانوا يسافرون الى البلاد الغريبة لم يكونوا يجدون فيها اغلب الاوقات لا معابد ولا كهنة من طقسهم الخاص. وكان هذا يجري في منح الاسرار او قبولها وخصوصاً سرّ القربان المقدس كما كان يجري في سائر الامور المختصة بالعبادة الالهيـة. ولذلك كان مسموحاً للكهنة والعلمانيين المسافرين المصحوبين بالشهادات الرسميّة ان يقدّموا الذبيحة الالهية او يتناولوا القربان المقدس في كنائس الـذين ليسوا من طقسهم. وكان الاساقفة والكهنة والشمامسة اللاتينيون يشتركون هنـا في رومية مع اليونانيين في تقدمة الذبيحة الالهية كما ان اليونانيين في الشرق كانوا يقدسون مع اللاتينيين وقد بلغ هـذا الامر من الشهرة حدًّا بعيدًا بحيث اصبح العمل بخلافهِ جديرًا ان يكون دليلًا على زوال وحدة الايمان او اتفاق القلوب

ولكن بعد ان فصل الانشقاقُ المحزن عن مركز وحدة الكنيسة الكاثوليكية قسماً عظيماً من الشرق المسيحي لم يعد مسموحاً بحفظ تلك العادة الصالحة. فانه لمّا اخذ مخائيل كرولاريوس ليس فقط يطعن الطعن الذميم بعادات اللاتينيين وطقوسهم بل يعلم ايضاً جهاراً ان التقديس على الخبز الفطير غير جائز بل باطل قام الاحبار الرومانيون بما تقتضيهِ وظيفتهم الرسولية ولكي يُبعدوا عن اللاتينيين خطر هـذا الضلال حرموا عليهم التقديس والمناولة على الخبز الخمير لكنهم سمحوا لليونان المرتدّين الى الوحدة والايمان الكاثوليكي ان يتناولوا على الفطير عند اللاتين. وقد كان ذلك في تلك الازمنة والامكنة مفيدًا بل ضروريًا لانهُ حينئذٍ لم يكن يوجد غالباً اساقفة متّحدون بكرسي الفتوباوي بطرس ولم يكن يوجد في كل مكان كنائس كاثوليكية للشرقيين. فكان يُخشى من ان الكاثوليك الشرقيين اذا لم يُسمح لهم بالمناولة عند اللاتينيين يذهبون الى كنائس واساقفة المنفصلين فيعرّضون نفوسهم لخطر اكيد على ايمانهم

ثم ان تغيّر الاحوال السعيد الذي حصل نوعاً اذ تمت المصالحة بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية في مجمع فلورنسة أحيا بعض الاحياء النظام القديم. فان اباء المجمع المذكور قد قرّروا « ان تقديس جسد المسيح هو صحيح سواء كان على الخبز الفطير او على الخمير وانهُ يجب الكهنة ان يقدسوا جسد الرب على الفطير او

على الخمير كل حسب عادة كنيسته الغربية او الشرقية . لكنهم قد زادوا بهذا الحكم تأييد الحقيقة الكاثوليكية في صحة التقديس على الفطير والخمير ولم يقصدوا اقل القصد منع المؤمنين من المناولة في الطقسين . بل لا ريب في انهم سمحوا بها رغبة في توفيق عرى السلم والوئام . يؤيد ذلك الرسالة المسهبة التي كتبها ايزيدوروس مطران كياف وكل روسية بعد ختام مجمع فلورنسة الذي كان له فيه اليد الطولى وحيث كان ممثلاً لدوروثاوس البطريرك الانطاكي وقد وجه تلك الرسالة سنة ١٤٤٠ من مدينة بودا بصفة كونه نائب الحبر الاعظم في ليتوانية وليفونية وسائر الامصار الروسية الى جميع الخاضعين لكنيسة القسطنطينية . فتكلم فيها عن الاتفاق السعيد بين اليونانيين واللاتين قال :

« استحلفكم بسيدنا يسوع المسيح ان لا يقوم انشقاق من الان فصاعداً بينكم وبين اللاتين لانكم جميعاً عبيد سيدنا يسوع المسيح وباسمه تعمدتم . ولهذا يجب على اليونانيين اذا وجدوا في ناحية اللاتين واذا كان في ناحيتهم كنيسة لاتينية ان يحضروا القداس الالهي عندهم ويسجدوا لجسد الرب يسوع ويكرموه بخشوع كما يفعل كل واحد في كنيسته الخاصة ثم ان يعترفوا بخطاياهم للكهنة اللاتين ويتبارك من ايديهم جسد الرب . وكذلك على اللاتين ان يحضروا القداس الالهي في كنائس الروم ويسجدوا فيها بايمان حي لجسد يسوع المسيح لان هناك جسد المسيح حقيقة سواء كان قد قدسه كاهن يوناني على الخمير او كاهن لاتيني على الفطير . بما انه يحق له الاكرام عينه سواء كان تحت الفطير او الخمير . وليعترف ايضاً اللاتين عند الكهنة اليونانيين وليتناولوا من ايديهم لان لا فرق بين الفريقين . هكذا قرر المجمع الفلورنتيني في جلسته العمومية في ٦ حزيران سنة ١٤٣٩ »

على انه وان كانت شهادة ايزودوروس تثبت ان مجمع فلورنسة قد سمح للمؤمنين بالمناولة في الطقسين فلم يعمل بهذا السماح في ما بعد لا في كل الامكنة ولا دائماً . وذلك خاصة لان الروم لم يلبثوا ان نقضوا اتحاداً لم يكن محكماً . فلم يبق من داع يحمل الاحبار الرومانيين على الاعتناء بحفظ انعام مجمع فلورنسة الذي ذكره ايزودوروس . لكنه قد بقيت عادة المناولة في الطقسين محفوظة في امكنة عديدة حتى عهد سلفنا بنديكتوس الرابع عشر فانه برسالته « Etsi pastoralis » التي وجهها الى الايطاليين اليونانيين بتاريخ ٢٦ أيار سنة ١٧٤٢ كان اول من حرم لاسباب صوابية ان يتناول العلمانيون اللاتين على الخمير من ايدي الكهنة اليونانيين وسمح لليونانيين الذين لا خورنية لهم ان يتناولوا على الفطير عند اللاتين . اما في

الاماكن التي انتشرت فيها عادة المناولة في الطقسين وكان يقطنها اليونانيون واللاتين معاً ولكل من الفريقين كنائس خاصة فقد عهد الى الاساقفة ان لم يتمكنوا من منع تلك العادة دون اثارة الشعب ومن شواعره ان يسعوا في منع ذلك بغاية اللين بحيث ان اللاتين يتناولون دائماً على الفطير واليونانيين على الخمير. وقد امر سلفنا في ما بعد ان ما كان قد قرّره بشأن اليونانيين الايطاليين يتناول ايضاً الملكيين والاقباط

وقد عمّت تلك الاحكام جميع الشرقيين شيئاً فشيئاً والاصح انها عمّت بحكم العادة لا بمقتضى قانون خاص. على ان ذلك لم يمنع الكرسي الرسولي ان يمنح بعض الاحيان اللاتينيين ما كان مراراً عديدة رضي بل سمح به اي ان الشرقيين الذين لهم كنائس خاصة هم انفسهم وبدون حاجة ماسّة يتناولون على الفطير

وقد حصل ذلك خصوصاً بعد ان دفع حبّ النفوس المضطرم بعض العائلات الرهبانية من رجال ونساء الى ان تتوجه من انحاء اوربة الى الاقطار الشرقية حيث ساعدت الكاثوليك من كل الطقوس بانشاء الكثير من اعمال المحبة المسيحية في ما بينهم وفتح المدارس لتثقيف الشبيبة في كل مكان. ولما كان ابناء تلك الرهبانيات بسبب الاقتراب المتواتر من الافخارستيا يعيشون عيشة هنيّة في وسط المصاعب والمتاعب فقد اثاروا دون عناء حبّ الاقتداء بهم في قلوب كثير من الشرقيين المعروفين بشدّة ميلهم الى التقوى والعبادة. ولمّا كان هؤلاء يصعب عليهم تحقيق رغبتهم تلك لدى ذويهم لبعد الاماكن او لقلّة وجود الكهنة والهياكل او لاسباب طقسية اخرى متنوعة فقد التمسوا بالحاح من الكرسي الرسولي ان يسمح لهم بالمناولة في الطقس اللاتيني فاجاب الكرسي الرسولي بعض احيان هذا الالتماس. فانهُ قد سمح لطلبة العلم في مدارس اللاتين وايضاً لغيرهم من المؤمنين الذين يحضرون القداس في كنائسهم وهم مشتركون في الاخويات التقويّة ان يتناولوا لداعي العبادة في بحر السنة في كنائس اللاتين القربان الالهي الذي يكون قد كرّسه الكهنة اللاتين بشرط حفظ حقوق خوارنة الرعايا ولا سيما ما يتعلق بالمناولة الفصحيّة والزاد الاخير

وزد على ذلك انهُ في المجمع الفاتيكاني عينهِ بين المباحث التي بحثت فيها اللجنة الخصوصية المعينة للاهتمام بشؤون الطقوس الشرقيّة قد كانت هذه وهي هل يحسن

ان تخفف بعض التخفيف شدة القوانين الكنسية المتعلقة بمنع اختلاط الطقوس خصوصاً في مناولة القربان الاقدس وان يسمح للمؤمنين بان يتناولوا على الطقسين. واذ كان آباء اللجنة المذكورة حكموا بان يسمح بذلك وضعوا قراراً بهذا المعنى. لكن غوائل ذلك الزمن قضت بانحلال المجمع قبل ان تسمح الفرصة بعرض القرار على موافقة عموم الاباء. ثم ان بجمع انتشار الايمان المقدس المختص بالطوائف الشرقية كي يحقق رغائب اولئك الذين كانوا يضطرون غالباً الى الامتناع عن المناولة لعدم وجود كنائس او كهنة من طقسهم اصدر حكماً في ١٨ آب ١٨٩٣ وفيه تنشيطاً على المناولة المتواترة قد رخص لجميع المؤمنين سواء كانوا من الطقس اللاتيني او الشرقي الذين ليس لهم حيث يقطنون كنائس او كهنة من طقسهم ان يتناولوا حسب طقس كنيسة المحل بشرط ان تكون كاثوليكية وذلك ليس فقط عند ساعة الموت او في عيد الفصح لكن في اي وقت كان تدفعهم فيه التقوى الى المناولة

ثم ان سلفنا لاون الثالث عشر السعيد الذكر في رسالته (Oriantalium dignitas Ecclesiarum) قد متع بهذا الانعام كل الذين لا يمكنهم لبعد المسافة ان يذهبوا الى كنائسهم بدون مشقة ثقيلة. لكنه في الوقت عينه حرم في المدارس اللاتينية حيث تكون عدة تلامذة شرقيين ان يتناول هؤلاء في الطقس اللاتيني وامر ان يكون هناك كهنة من طقسهم يقدسون ويوزعون عليهم المناولة اقله في ايام الآحاد والاعياد المأمور بها وذلك مع الغاء كل انعام سابق. لكن قد دلت الخبرة بعد ذلك على انه لا يتيسر في كل مكان الحصول على كهنة شرقيين فانهم لانشغالهم في محل آخر بخدمة النفوس لا يمكنهم في الآحاد والاعياد حتى وفي غيرها من الايام ان يحضروا الى كنائس اللاتين ويوزعوا على الطلبة والطالبات الخبز الملائكي التائقين اليه

ولهذا السبب تواترت العرائض الى هذا الكرسي الرسولي لكي يخفف من شدة قوانين الكنيسة في هذا الامر الخطير. وبعد ان اصدرنا بتاريخ ٢٠ ك١ سنة ١٩٠٥ بواسطة لجنة المجمع التريدنتيني المقدس حكمنا الذي بدؤه (Sacra Tridentina Synodus) في المناولة اليومية كثرت تلك التوسلات من قبل

الشرقيين الذين يسترخصون الانتقال الى الطقس اللاتيني كي يسهل عليهم الاغتذاء بالقوت السماوي. وبين اولئك عدد عديد من الفتيان والفتيات كانوا يرغبون رغبة شديدة التمتع بالانعام نفسه

فنحن بما اننا نعتبر ان عقيدة الايمان الكاثوليكي بصحة تكريس الخبز الفطير والخبز الخمير هي ثابتة ومسلَّم بها لدى الجميع ونعتقد فوق ذلك ان الكثيرين من اللاتينيين والشرقيين يستغربون بل يستثقلون ذلك النهي عن المناولة في اي كان من الطقسين وبعد ان استشرنا مجمع انتشار الايمان المقدس المناطة به شؤون الطقوس الشرقيَّة ودقَّقنا النظر في هذا الامر قد رأينا الغاء كل القرارات التي تمنع او تقيد حرِّيَّة الاختيار بين الطقسين في مناولة القربان المقدس. ونسمح لجميع الشرقيين واللاتينيين ان يقتاتوا بسرّ جسد الربّ المجيد امَّا على الفطير وامَّا على الخمير من ايدي الكهنة الكاثوليكيين وفي الكنائس الكاثوليكية من اي طقس كانت حسب عادة الكنيسة في القدم حتى " ان جميع الذين يُطلق عليهم اسم مسيحيين اجمالًا وافرادًا يتفقون ويتحدون يومًا في هذا السرّ ورمز الوفاق والاتحاد "

وانا لعلى ثقة بان الاحكام التي قررناها هنا سيكون منها لابنائنا الاعزَّاء في الامصار الشرقية من اي طقس كانوا فائدة عظيمة جدًّا ليس فقط لاضرام نار العبادة في قلوبهم بل ايضًا لتوثيق عرى الوفاق فيما بينهم. امَّا من حيث العبادة فلا يخفى على احد ان القربان الالهي الذي اعتاد اباء الكنيسة اللاتينيون واليونانيون ان يسمُّوهُ خبز الانسان المسيحي اليومي من حيث انهُ يغذي ويقوي بنوع ما صحَّة النفس تكون الحاجة الى مناولته امسّ عند الذين تكون فيهم المحبة والايمان اعني مبدئي الحيوة الفائقة الطبيعة عينيها قد اصبحا في خطر اعظم

ولذلك ان الكاثوليك الشرقيين المضطرين ان يعيشوا في وسط المنفصلين لا يلحق هذا الاختلاط الخطير ضررًا بايمانهم ومحبتهم اذا اعتادوا ان يتقووا بهذا القوت السماوي بل انهم يشعرون بانتعاش ونمو الحياة الروحية فيهم. اما ما يتعلق بالامر فقد تبيَّن جليًّا بما جرى حتى الان ان اناسًا متحدين ايمانًا ولكن مختلفين طقسًا قد ينجم بينهم دواعي منافسة واختلاف بسبب ان البعض يسهل لهم اكثر من البعض الآخر ان يتناولوا جسد المسيح. امَّا الآن فبما اننا نريد ان جميع المؤمنين

يشتركون حسب اي طقس شاءوا في هذه المائدة المقدسة التي هي رمز واصل ومبدأ الوحدة الكاثوليكية فلم يبقَ ريب في انهُ يجب ان يزداد فيما بينهم وفاق القلوب كما قال الرسول « انا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لانا جميعاً نشترك في الخبز الواحد (١ كور ١٠ : ١٧)

فهذا اذاً ما نقرّرهُ ونثبتهُ بملء سلطتنا الرسولية :

١ً في اقامة القداس الالهي لا يجوز للكهنة ان يخلطوا بين طقس وطقس . فعليهم ان يكرسوا ويناولوا سرّ جسد الرب كلٌّ حسب رتبة طقس كنيسته

٢ً عند ما تمسّ الحاجة ولا يوجد كاهن من طقس آخر يجوز للكاهن الشرقي الذي يستعمل الخمير ان يناول القربان المقدس المكرس على الفطير وكذلك يجوز للكاهن اللاتيني او الشرقي الذي يستعمل الفطير ان يناول على الخمير . ولكن على كل منهم ان يستعمل رتبة طقسهِ في المناولة

٣ً يجوز لجميع المؤمنين من اي طقس كانوا ولداعي العبادة ان يقبلوا سرّ القربان الاقدس المكرس في اي طقس كان

٤ً يفي كل مؤمن بوصية المناولة الفصحية اذا قبلها في طقسهِ ومن يد خوريّه الذي يبقى دون ريب مطيعاً لهُ في اتمام سائر واجباته الدينية

٥ً يجب ان يقبل المحتضرون الزاد الاخير في طقسهم الخاصّ ومن يد خوريهم الخاص . امّا في حالة الضرورة فيجوز ان يقبلوه من يد اي كاهن كان . ولكن على الكاهن ان يناول حسب طقسهِ

٦ً كلٌّ يابث في طقسه الاصلي حتى ولو اعتاد المناولة حسب طقس آخر مدة طويلة من الزمان . ولا يسمح لاحد ان يغير طقسهُ الّا لاسباب عادلة شرعية يكون الحكم فيها لمجمع انتشار الايمان المقدس المختصّ بشؤون الشرقيين . ولا يدخل في هذه الاسباب عادة المناولة على طقس آخر مهما طالت مدتها

وكلما قرّرناه وحدّدناه واعلناه في هذه الرسالة نريد ونأمر ان كل الذين يعنيهم يحفظونهُ بكل تدقيق ولا نسمح بالجدال فيهِ ولا بانتقاصهِ او خرق شيءٍ منهُ لاي سبب كان ولو خارق العادة وباي حجة او باي اسم كان بل نريد ان يحصل على مفاعيله الكاملة التامّة دون ان يمنع ذلك الاوامر الرسولية السابقة حتى التي صدرت في

الجامع العامة والاقليمية ولا ايا كان من العادات والرسوم ولو كانت مثبتة بالسلطة الرسولية او بسلطة سواها فهذه كلها ابطلناها ونبطلها

واننا تحقيقاً لما سبق ننقض ونأمر ان تُنقض كل تلك العادات والرسوم نقضاً صريحاً خاصاً كما لو كنا ذكرناها في هذه الرسالة كلمة بكلمة وكذلك ننقض كل ما يخالف ما قررناه

هذا واننا نريد ان نُنسخ هذه البراءة اذا كانت مطبوعة ومهورة بتوقيع المسجل وبختم احد الموظفين الكنسيين هي عينها يكون لها نفس القوة التي لبراءتنا هذه

اعطي في رومية بقرب القديس بطرس سنة الف وتسعماية واثنتي عشرة للمسيح في عيد ارتفاع الصليب وهي العاشرة لحبريتنا

الكردينال اغلياردي	الكردينال غوتي
رئيس دائرة الختم	رئيس مجمع الانتشار
الرسولي	الايمان

المناولة الحرّة في الكنيسة الكاثوليكيّة

بفضل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر

نظر لاهوتي تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

كان السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر ببنّته العالية وسموّ نظره وحسن تدبيره قد رفع شأن الكنيسة الكاثوليكية الى اوج العزّ فصارت بساعيةٍ كالسراج على المنارة يضيء ضوؤها لكل من يطلب النور او كالمدينة على الجبل لا تخفى عظمتها على احد ايًّا كان

فلمّا قام من بعده على كرسيّ هامة الرسل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيدًا وجّه نظرهُ خصوصاً الى المؤمنين المتبثين في اقطار العالم ليرعى كلّ الخراف الناطقة الموكولة الى همّته في الجمع مراعي الخلاص

فلتحقيق امنيته اخذ اوَّلًا في قلع الزوان الذي كان العدو اخذ في زرعه في حقل الكنيسة فضرب على الاضاليل العصريَّة المستجدَّة وابطل مزاعم بعض المحدثين الذين ستروا تحت حجاب العلم الكاذب تعاليمهم الوخيمة ثمَّ جعل ينشط بخطبه ويراءاته الرسولية واعماله الشخصية كل المشروعات الكاثوليكية من مؤتمرات عمومية ومجامع قربانية وانشاء محافل علمية ومنتديات اجتماعية حتى لم يفتهُ شيءٌ مما يصلح لخير الكنيسة وابنائها كتوجيه انظار الكتبة الى آداب الصحافة وبعث همم الشبَّان المنتظمين في الجمعيات الترويضية وعلمَّ جرًّا

ألا انَّ امام الاحبار مع عنايته بكل تلك الاعمال المتباينة قد جعل في مقدَّمة اهتمامه ترقية روح العبادة والتقى في الكنيسة كأنه اراد ان تصدق فيه السمة التي وسمهُ بها على ما يظنّ احد الاولياء تعريفاً بشخصه انهُ سيكون « كنار موقدة (ignis ardens) . وذلك ما رمى اليه باختياره لاسم بيوس الذي معناه ذو التقى والورع وزاد صراحةً لبيان خطَّته في ادارة الكنيسة حيث اتَّخذ له شعارًا كلمة الرسول (افسوس ١ : ١٠) ان يجمع ويجدّد في المسيح كل شيء

ولم تبق تلك الغايات الشريفة في طيّ النسيان بل جدّ في اخراجها الى حيز العمل منذ ابتداء رئاسته . فمن ذلك اصلاحهُ للموسيقى الكنسية وتحريضهُ للمؤمنين على قراءة الانجيل المقدس وحضُّهُ للواعظين بان يكرزوا كلام الله ويجيدوا في خطب المنابر عن الزخارف الباطلة والمواضيع التافهة القليلة الجدوى . ومنها امرهُ للكهنة وخدَمة الرعايا بان يشرحوا للشعب التعليم المسيحي في كل اسبوع

لكنَّ الكنيسة تستمدُّ خصوصاً اسباب حياتها من تلك الاسرار العجيبة التي وضعها السيد المسيح لتكون كمناهل النعم وينابيع الخلاص اذ منها يستقي ابناؤها الحياة وينالونها باوفر حظّ (يوحنا ١٠ : ١٠)

وقد امتاز بين تلك الابرار سرّ اعظم وارفع ألا وهو سرّ جسد ودم السيد المسيح في القربان الاقدس فهو المنّ الذي نزل من السماء فمن اكلهُ يحيا الى الأبد (يوحنا ١٠ : ٥٢) اذ انَّ آكلهُ يحيا بالمسيح كما يحيا المسيح بابيه السماوي (يو ١٠ : ٥٨)

فقد أنشئ هذا السرّ الفائق لكل ادراك البشر اضحى القربان الاقدس كركز حياة الكنيسة وكالروح الالهيَّة المحيية لجسم البيعة المنظور فحيثما تمتدُّ كنيسة الله

فهناك جسده الطاهر تجري منهُ سيول الحياة السماوية لتقدّس نفوس المؤمنين وترشحها لجنّات النعيم فهو هو الجسد الذي تحوم حولهُ النسور والعقبان (متى ٢٤ : ٢٨)

*

ومن خواصّ سرّ القربان الاقدس في البيعة المقدّسة انهُ رباط الحبّ بين كل ابناء الله اذ بهِ يعيشون تلك العيشة الاهليّة التي تجعلهم اولاد أب واحد هو الله بالذات وامّ واحدة هي كنيسة المسيح التي تولدهم في حجرها وتقوتهم بتعاليمها وتصونهم كبؤبؤ عينها ريثما يتصوّر المسيح فيهم فيجري في عروقهم دم واحد وتجمعهم حياة واحدة ويكونون مكمّلين بالوحدة (يوحنا ١٧ : ٢٣)

فهذه الميزة الشريفة انما تنالها الكنيسة بتوزيع سرّ القربان الاقدس الذي اتخذه السيد المسيح على شبه الطعام اليومي من برّ يقوت الاجساد وشراب ينعشهُ اعني شكلي الخبز والخمر. قال بولس الاناء المصطفى في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ١٦ — ١٧) : « كأس البركة التي نباركها اليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسرهُ اليس هو شركة جسد المسيح فانّا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لانّا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » فهذه الكأس وهذا الخبز لمّا رسمهما الرب كمربون الوحدة بين تلاميذه قال لهم : « كلوا . واشربوا منهُ كلكم »

وما لبث السيد المسيح ان صعد الى السماء وارسل روحهُ الذي حلّ على تلاميذهِ فتأيدوا بقوّتهِ . لكنهم عرفوا « انّ حياة الروح كحياة الجسد معرّضة للضعف والفشل اذا لم يسندها الطعام الذي أُعطي من الرب ولذلك يقول لوقا الرسول في الاعمال (٢ : ٤٢) انّ المسيحيين الاوّلين « كانوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات »

وبقي المؤمنون في الاجيال الاولى مثابرين على تلك العادة الحميدة فيتقرّبون كل يوم الى ينبوع الحياة إمّا في المجتمعات العامّة في الكنيسة كما اشار اليهِ صاحب الاعمال وبولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٠) ويوستينوس في دفاعهِ عن النصرانيّة واما في بيوتهم حيث كانوا يحفظون جسد الربّ فيتناولونه كل يوم في عزلتهم كما افادنا ترتليانوس والقديس قبريانوس وايريناوس

على انّ الايمان ضعف بعد ذلك بفعل البدع التي انتشرت في الكنيسة وبسبب

غزات البرابرة الذين زحفوا على المملكة الرومانية ثم لاجل الحروب التي جرت بين الامم المسيحية وكان امتداد الكنيسة في اقاصي البلاد مع صعوبات المواصلات يصرف ايضاً نظر ارباب البيعة عن المؤمنين فصار التقرُّب من سرّ القربان الاقدس نادرًا حتى انَّ الاحبار الرومانيين والمجامع المقدَّسة وضعوا حدودًا لذلك مَن تجاوزها اخطأ خطأً مميتاً

ثمَّ قام في الكنيسة رجال ابرار يتلهَّبون غيرةً على خلاص النفوس كالقديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانية اليسوعية والقديس فيليب دي نيري والقديس فرنسيس دي سال والقديس الفنس ليغوري وغيرهم كثيرين فنشروا العبادة القربان الاقدس وحثُّوا المؤمنين على المناولة المتواترة وتصدَّى اليسوعيُّون لبدعة جنسانيوس الساعية بابعاد المسيحيين عن سر الافخارستيا. فاتت مساعي هؤلاء مكلَّلة بالنجاح

ومن ثمَّ جعل الكاثوليك يزيدون رغبةً في التقرُّب من خبز الملائكة ولاسيما في القرن التاسع عشر بعد خمود نار الثورة الفرنسويَّة حيث شعر الكثيرون بوجوب قتل الكفر بالاقبال على الاسرار المقدسة. وقد حرَّض الاحبار الرومانيون كيوس التاسع ولاون الثالث عشر على التقرُّب المتواتر الى سرّ محبة الله في القربان

ولكن لم يبلغ منهم احد شأو قداسة رأس الكنيسة البابا الحالي فانَّهُ استحقَّ بان يُدعى رسول الافخارستيا. فمذ تبوَّأ عرش الخلافة البطرسية صرف مفروغ جهده الى دعوة المؤمنين الى ذلك الخبز الجوهري الذي نطلبهُ في الصلاة الربانية فانَّهُ في البراءات البابويَّة الاولى التي اصدرها كان يكرّر على كافة المؤمنين رغبتهُ في رؤية ابنا الله ملتفين كلَّ يوم حول المائدة الالهيَّة وفي ٢٠ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٥ فصل الحكم في ذلك وأثبت في رقيم اصدرهُ المجمع المقدَّس قانونيَّة المناولة اليوميَّة لكافَّة المؤمنين وأعلن برغبة السيد المسيح والكنيسة الكاثوليكيَّة في ان يتقرَّب الملهيُّون فضلًا عن الكهنة وارباب الدين الى ذلك السرّ الالهي مصرّحًا بانهُ لا يحول دونهُ سوى الخطإ المميت الواجب رحضهُ في سرّ التوبة

ثم اردف امام الاحبار فعلهُ ذلك بتسهيل امر المناولة على المرضى حتى الذين لم يمكنهم الصوم من نصف الليل تحت شروط معلومة وبمنحه الغفارين على المتقرّبين بالتواتر وحضّ الرعاة على اقامة الثلاثيات الاستعداديَّة لعيد القربان الاقدس

وما لبث ان رأى في تأخير الاطفال عن المناولة اجحافاً بحقّ نفوسهم فامر بان يتقرَّبوا عند بلوغهم سنّ التمييز بعد وقوفهم على اهمّ العقائد الدينيَّة

فكان لهذه النهضة الدينية الوقع الحسن في كل الصدور وزاد اقبال المؤمنين على التناول اضعافاً على ما كان قبلاً. فانَّ في كنائس رسالتنا السوريَّة قدَّم المؤمنون نيفاً ومئة الف مناولة على نيَّة الحبر الاعظم ودوَّنوا اسماءهم في سجلّ غاية في الرونق قدَّموه الى امام الاحبار في سنة يوبيله الاسقفي فسرَّ بهِ ايَّ سرور

*

على انَّ تلك الحركة الشائقة نحو سرّ القربان الطاهر التي عمَّت اقطار العالم المسيحي وجدت في بعض الكنائس الشرقية الكاثوليكية عوائق لم تلقها في بلاد اخرى وذلك اوَّلاً بسبب مادَّة الخبز المستعملة في بعض الطوائف وهو الخبز الخمير الذي تقدّسه الكنائس اليونانية على اختلاف لغاتها ثم السريانيَّة والكلدانيَّة والقبطيَّة وثانياً لعلَّة المناولة على شكلي الخبز والخمر في الكنائس اليونانية وفي الكنيسة السريانية فقط فكان الشرقي التابع لهذه الطقوس اذا اراد التقرُّب في الكنائس اللاتينيَّة او المارونيــة او الارمنيَّة التي تقدّس الخبز الفطير منعتهُ عن ذلك القوانين الجارية بامر الكرسي الرسولي الَّا عند الضرورة التامَّة ومثلهُ اللاتيني والماروني والارمني في الطقوس ذوات الخبز الخمير لم يُسمح لهم تناول الخمير تحت طائلة الخطأ

على انَّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رقيم اوَّل اعلنهُ بجمع انتشار الايمان في ١٨ آب سنة ١٨٩٣ ثمَّ في براءتهِ الجليلة المنونة « بشرف الكنائس الشرقيَّة » (Orientalium dignitas Ecelesiarum) خفَّف نوعاً هذا العبء الثقيل على عاتق النفوس التقيَّة فانَّهُ منح في رقيمهِ للكاثوليك من اهل الطقسين (الشرقي والغربي ان يتناولوا في طقس غير طقسهم في الاماكن التي لا يوجد فيها كاهن او كنيسة من طقسهم الخاصّ. امَّا في براءتهِ السابق ذكرها فانَّه بعد تأييدهِ لامتيازات الكنائس الشرقيَّة وتوسيعها بنعم جديدة اذن لكلّ الكاثوليك من الطقسين ان يتناولوا على شكل الخبز الفطير او الخمير في كل موضع لا يستطيعون دون ان ينالهم انزعاج كبير الذهاب الى كنيستهم بسبب بُعدها. لكنهُ قيَّد ذلك بشرطين ان يبقى الحكم في امر هذه المناولة للسادة المطارنة وان لا يُعدَّ التناول على غير طقس المتقرّب كتغيير لطقسهِ

لكنَّ هذه التسهيلات ذاتها لم تحلّ المشكل حلًّا وافياً اذ لم يستطع كثيرون من المؤمنين ان يفرزوا بين الانزعاج الكبير او الخفيف كما انهم لم يمكنهم في كل وقت ان يلتجئوا الى السادة الاساقفة فكانوا لا يزالون في ريب من امرهم فيمتنعون عن المناولة المتواترة ولا سيما اليومية التي حضَّ عليها امام الاجبار فجاءت البراءة البابويَّة الاخيرة مزيلة لذاك المشكل مبطلة للحواجز التي كانت بين اهل الطقسين دون ان تمسّ في شيء كرامتها

وهنا لا بُدَّ من ان نعود بنظرنا الى تاريخ الكنيسة وعاداتها في ممرّ الاجيال لنتأكد انَّ قداسة نائب المسيح لم يأتِ بمنحه رخصة المناولة الحرَّة امرًا عجيباً يخالف في شيء الكتب المقدَّسة او تقاليد الكنيسة في اجيالها الاولى حتى القرون المتوسطة وانَّما ألغى حكماً موقتاً لبعض اسلافه في القرون الاخيرة

*

دعنا اوَّلًا نبحث عن امر المناولة على الخبز الفطير او الخمير. لا بدع انَّ السيد المسيح في العشاء السرّي احال الخبز الى جسده والخمر الى دمه. فهذه حقيقة تشهد عليها الاناجيل المقدَّسة ورسائل بولس الرسول وآثار كل الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بلا استثناء في طقوسها وعاداتها وتقاليدها المتواترة جيلًا بعد جيل حتى اوائل النصرانية

فالخبز الذي قدَّسهُ الربّ هو الفطير كما يصرّح به الانجيليون الثلثة متى (٢٦: ١٧) ومرقس (١٤: ١٢) ولوقا (٢٢: ٧) بقولهم ان المسيح اكل الفصح في اوَّل يوم الفطير. وكان موسى نهى اليهود من قبل الله عن ان يأكلوا غير الفطير في فصحهم مدَّة سبعة ايَّام (خروج ١٢: ٢٠) فتعين من قول الانجيليين السابق انَّ المسيح قدَّس الخبز الفطير. ما لم يزعم الزاعم انَّ المسيح اكل الفصح قبل اوانه وهذا مما لا يوافق نصّ الانجيل ويخالف الشريعة مع انَّ الربّ اكد غير مرَّة انَّه اتى ليتمم الشرع فلا ينقض منهُ حرفاً. امَّا ما يؤخذ من آيات يوحنَّا (١٣: ١ — ٢ و ١٨: ٢٨ و١٩: ٣١ و٤٢) ان اليهود لم يأكلوا بعد الفصح وان يوم صلب المسيح كان يوم التهيئة فشكل كتابيّ سعى مفسرو الاسفار المقدَّسة بفضّه حلّوهُ

على طرائق مختلفة تثبت كلها عدم الاختلاف بين الاناجيل الثلاثة وقول يوحنا. وهو بحث خاض عبابهُ حضرة الاب انطون صالحاني في المشرق (١(١٨٩٨): ٧٧ و١٠٨) فتحيل اليهِ القرَّاء انفةً من التكرار

ثمَّ لو سلَّمنا للمعترض ان المسيح قدَّس في العشاء السرّي الخمير لا الفطير فيبقى انَّ المسيح قدَّس الفطير مساء الاحد اذ ظهر للتلميذين السائرين الى عمواس فاكل معهما واعطاهما سرّ جسدهِ عندما « اخذ خبزًا وبارك وكسر وناولهما... فعرفاه عند كسر الخبز » (لوقا ٢٤: ٣٠ و٣٥) وكان الخبز فطيرًا لوقوع ذلك الاحد في جملة الايام السبعة التي فُرض فيها استعمال الفطير

فان كان لا بُدَّ من الاقرار بتقديس السيد المسيح للفطير فلا تثريب على الكنيسة اللاتينية ومثلها الكنيستان الارمنية والمارونية لاستعمالها الفطير في القدَّاس

وان استقرينا التاريخ الكنسيّ من عهد الرسل الى ايام ميخائيل كرولاريوس في القرن الحادي عشر وجدنا الكنائس المنبثَّة في كلّ اقطار المسكونة شرقًا او غربًا يُقدّس بعضها على الخمير وبعضها على الفطير دون ان يحاجّ احد الفريقين الفريق الآخر بل ربَّما اختلفت العادة في الكنيسة الواحدة فقدَّمت الذبيحةَ تارةً على الخمير وتارةً على الفطير على مقتضى تقدمة المؤمنين الذين كانوا يأتون قديمًا بالخبز الذي يخبزونهُ في بيوتهم سواء كان خميرًا او فطيرًا لعلم الجميع بانَّ كليهما يُسمَّى خبزًا ويصلح لتقدمة الهيكل والذبيحة وقد وجدوا لكلّ شكل معاني رمزيَّة فيرون في خميرة الخبز الخمير شبهًا بنفس المسيح المحيية لجسدهِ ويرون في الفطير الخلوص والحقّ كما قال الرسول (١كور ٥: ٧—٨): « ألقوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجينًا جديدًا.. ولنعيّد لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء بل بفطير الخلوص والحق » فضلًا عن كون مستعملي الفطير كانوا يعتبرون عملهم موافقًا لامر الرب لموسى في سفر الاحبار (٢: ٤) حيث قال: « وان قرَّبتَ قربان تقدمة مخبوزًا في تنُّور فليكن جرادق من سميذ فطير... ورُقاق فطير... »

وكذلك الشواهد الواردة في اعمال الكتبة الكنسيين والآباء الاوَّلين فتجد بينها نصوصًا تخصُّ بالذكر الخبز الخمير او تصرّح باستعمال الفطير. وقد جمع البعض

هذه الاقوال التي لا يُستنتج منها الّا امر واحد جواز استعمال ايّ خبز كان من البرّ للتقديس ولا ننكر انَّ الخبز الخمير زاد شيوعاً في كنائس الشرق على الفطير الذي شاع اكثر في كنائس الغرب

وكان المؤمنون المنتقلون من الشرق الى الغرب لا يتردَّدون في التقرُّب من الخبز المقدَّس وإنْ فطيراً كما كان الغربيُّون في كنائس الشرق يتزجون باهلها فيتناولون القربان على شكل الخمير

لنا على هذا الاشتراك المتبادل في المناولة عدَّة دلائل منها ما رُوي في كتاب الاحبار (Liber Pontificalis, *ed. Duchesne*, I, 354) انَّ سفير الحبر الروماني جان اسقف بورتو تولَّى في كنيسة آجيا صوفيا في عاصمة الروم رتبة القدَّاس مع الاساقفة اليونان

واغرب من ذلك شهادة جليلة وردت في رسالة للبطريرك ميخائيل كيرولاريوس نفسهِ حيث كتب لبطريركي الاسكندريَّة وانطاكية ما رواه المشرق (١٤٤:١) نقلاً عن بارونيوس المؤرخ (ج ١٧ ص ٩٣) وهذا نصُّها الشائق معرَّباً « أتصل بنا انَّ بطريركي الاسكندريَّة واورشليم لا يكتفيان بان يقبلا في شركتهما اولئك الذين يستعملون الفطير بل انَّهما يستعملان هما ايضاً في الذبيحة المقدَّسة الخبز الفطير »

فهذه الشهادة من فم اكبر اعداء الكنيسة الرومانية تكفي لتفهم كل معترض لاستعمالها الخبز الفطير في التقديس والمناولة كأنَّها تأتي بذلك امراً منكراً. وزد على هذا الرسالة التي استشهد بها الحبر الاعظم من قول ايزودورس اسقف كياف حيث حضَّ هذا المطروبوليت شعبهُ على قبول الاسرار من ايدي الكهنة اليونانيين او اللاتين على حدٍّ سواء اذ كلهم ابناء كنيسة واحدة

على انَّ هذا الاتفاق لسوء احوال تلك الازمنة لم يدم طويلا وكأنَّ الاتراك على حاضرة ملك الروم ففتحوها واسرعوا الى وضع حاجز فاصل بين كنيستي الغرب والشرق بغيةً في التسلط على ممالكها جميعاً بعد تفريق كلمتها وفقاً للمبدأ الشهير « اقسم تملك »

وكلّ يعرف كيف دخلت الكنائس الشرقية في طور جديد بواسطة المرسلين

اللاتين منذ القرن السادس عشر. فانضمَّ الكبوشيون والكرمليون واليسوعيون الى اخوتهم الرهبان الفرنسيسيين وخلَّفوا لكنيسة المسيح شعوباً جديدة من كلدان وروم كاثوليك وارمن وسريان عادوا الى الحظيرة البطرسية وابهجوا قلب امنا الكنيسة بارتدادهم

على انَّ الكنيسة الرومانية رغبةً في توطيد ايمانهم لم تشأ ان تمسَّ في شيء طقوسهم الجليلة الموروثة عن آبائهم القديسين. ولذلك قد نشر الاحبار الاعظمون الرسائل المكرَّرة في تعظيم الطقوس الشرقيَّة والمحافظة عليها بكل تدقيق وربما تهدَّدوا بالتأديبات الكنسيَّة المرسلين اذا ما حاولوا ان يغضّوا من قدرها او يجلبوا المؤمنين الشرقيين الى مغادرتها. وكان من جملة ما نهوا عنهُ الاختلاط في مناولة القربان الاقدس على غير طقس فوضعوا بذلك حدوداً لبعض حقوق المؤمنين مفتدين به الخير العام على العبادة الخاصَّة

الَّا انَّ احوال الشعوب قد تغيرت اليوم فترى الشرق والغرب قد امتزجا امتزاج الماء بالراح وصار الكلّ يعرفون انَّ الطقوس مع عظم شأنها ووجوب حفظها ليست بأمور جوهريَّة. ومن ثمَّ لا ينقص شيء من كرامتها اذا دعا الداعي الى التساهل في توسيع نطاقها لما ينجم عن ذلك من الفوائد العميمة لذوي الكنيستين كتوثيق عرى الايمان ونموّ الحبّ والاخاء اذ يجلس كل الكاثوليك على مائدة واحدة ويأكلون خبزاً واحداً من فطير او خمير بلا اختلاف

وكان ارباب الكنيستين قد احسّوا بذلك فرفعوا غير مرَّة معاريضهم الى الكرسي الرسولي في تعميم المناولة الحرَّة للمؤمنين على اي طقس شاؤوا لئلَّا يُحرم الشرقيون او الغربيون من نعمة التقرُّب في ظروف كثيرة

ولما عُقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ تجدَّدت تلك المعاريض للكرسي الرسولي طالبةً الحريَّة التامَّة في المناولة على اي طقس كان فاحال الحبر الاعظم طلبهم الى لجنة لتفحصهُ. وكان في تلك اللجنة الطيب الذكر بطريرك السريان بهنام بني احد الراغبين في المناولة الحرَّة كما انَّ بطريرك اللاتين في القدس السيد يوسف فالركا كان يرى خيراً عظيماً في الترخيص بها

وعليه فلا يكون قداسة البابا بيوس العاشر الَّا محققاً لرغائب معظم المؤمنين

الكاثوليك في انحاء الشرق اذ فوّض بهذه النعمة الجزيلة فلهُ منّا الشكر العميم

*

هذا وقد بقيت قضيّة اخرى حكم فيها ايضاً نائب المسيح الحكم الفصل ببراءته الاخيرة لها علاقة مع الامر السابق اعني المناولة على شكلي الخبز والخمر فكما منح قداستهُ الاجازة لسائر المؤمنين بان يتقرّبوا على طقسي الخبز الفطير او الخمير على مقتضى مشيئتهم كذلك رخّص ضمناً للجميع بان يتناولوا على الشكلين او على الشكل الواحد كما يشاؤون وبهذا الحكم ايضاً ازال مشكلاً كبيراً شغل عقول ابناء الكنيسة الجامعة منذ قرون عديدة

ولهذا الحلّ اساسٌ ايضاً في اسفار العهد الجديد وفي عادة الكنائس واقوال الآباء القديسين

فيؤخذ من العهد الجديد ان السيد المسيح قدّس شكلي الخبز والخمر واعطاهما في العشاء السري لتلاميذهِ اجمعين وامرهم بان يفعلوا هم ايضاً كذلك لذكرهِ وجعلهم بقولهِ هذا كهنةً في كنيستهِ ليقدّموا الذبيحة الطاهرة على شبه طقس ملكيصادق اعني تحت شكلي الخبز والخمر. وكذلك كان سبق وقال لليهود اذ بشّرهم بقرب انشائهِ لسرّ القربان (يوحنا ٦: ٥٤ — ٥٧) «ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابديّة وانا اقيمهُ في اليوم الاخير لانَّ جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيهِ» وجاء مثل ذلك في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتيوس (١٠: ١٣ و ١١: ٢٣ — ٣٠)

على انَّ امر الربّ ومواعيدهُ للمتقربين من سرّ الافخارستيا تعمُّ ليس فقط المتقربين من شكلي الخبز والخمر بل المتقربين من الشكل الواحد ايضاً ومن ثمَّ لا يجوز القول بان السيد المسيح امر كل المؤمنين بالمناولة على الشكلين كما امر رسلهُ والكهنة من بعدهم ان يقدّموا الذبيحة على الشكلين. وذلك انّنا نرى الرب لا يقدّم لتلميذي عمواس غير شكل الخبز بعد ان باركهُ وكسرهُ. وكذلك في اقوال الربّ لليهود ربّما قصر كلامهُ على الخبز فقط حيث قال (يوحنا ٦: ٤٨ — ٥٣): «انا خبز الحياة آباؤكم اكلوا المنّ في البريّة وماتوا. هذا هو الخبز النازل

من السماء لكي لا يموت كل من ياكل منهُ . . . ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيهِ انا هو جسدي لحياة العالم » . ومثلهُ قول بولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٧) : « اي انسان اكل خبز الربّ او شرب كأسه على خلاف الاستحقاق فهو مجرم الى جسد الربّ ودمهِ » فتهدَّد بالجرم آكل الخبز وحدهُ او شارب الخبز وحدهُ بوضعهِ اداة الفصل

ويؤيد قولنا صاحب اعمال الرسل (٢ : ٤٢ و٤٦) الذي ذكر المؤمنين ومثابرتهم على الصلاة « وكسر الخبز » اي مناولة القربان الاقدس كما اتفق عليهِ المفسرون دون ذكر شكل الخبز

ثمَّ انَّهُ من المعلوم انَّ جسد الربّ بعد قيامتهِ جسدٌ حي متحدة بهِ نفسهُ الناطقة ولاهوتهُ الاقدس وكذلك دمهُ الزكي لا ينفصل عن جسدهِ ولاهوتهِ فمن اقتبل احد الشكلين نال السيد المسيح كلهُ بلا انقسام . على أنَّنا لا ننكر ان التقرُّب على الشكلين ادلّ على المأدبة الالهيَّة التي يدعونا اليها المخلص لذكرهِ السجود كما ان الذبيحة لا تُقام الَّا بتقدمة الشكلين كما امر بهِ السيد المسيح تلاميذهُ بقولهِ « اصنعوا هذا لذكري »

وان استقتينا بعد ذلك عادات الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة وجدنا لديها سنداً في اثبات المناولة على شكل الخبز فقط او على الشكلين وكانت العادة الغالبة ان يتناول المؤمنون جسد الربّ ودمهُ تحت الشكلين في الكنائس اذا حضروا الذبيحة في حفلات أيام الاحاد والاعياد . امَّا خارجاً عنها فكانت المناولة في الغالب على شكل الخبز فقط وذلك انَّ المؤمنين في الاجيال الاولى كانوا يحفظون في بيوتهم جسد الرب ليتناولوا بذلك الخبز السماوي في مدَّة الاسبوع يشهد على عادتهم كتبة القرون الاولى كترتوليان في كتابهِ الى زوجتهِ والقديس قبريان في كتابهِ عن الساقطين والقديس ايرونيموس في رسائلهِ

وكذلك كان السيَّاح والنسَّاك يأتون الى المدن ليحضروا حفلة القدَّاس أيام الأحد ثمَّ يعودون الى مناسكهم ومعهم جسد الرب تحت شكل الخبز فقط فيتناولونهُ في العزلة . اشار القديس باسيليوس الى ذلك في رسائلهِ وروفينوس في تاريخ الرهبان وبلاديوس في الاخبار الرهبانية (Historia Lausiaca)

ومما شهد لهُ المؤرخون الاقدمون ايضاً كارسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك ٦ ف ٤٤) وبولينوس الكاتب في ترجمة القديس امبروسيوس انها كانت عادة مألوفة في الكنائس ان يُحفظ في صوان خاصّ جسد الربّ تحت شكل الخبز وحده ليُحمل للمرضى ومن ثمّ لم يكن المرضى يتناولون غير الخبز دون الخمر ما لم يتناولوا قريباً من الكنيسة وبُعيد الذبيحة المقدَّسة

بل وردت في التواريخ القديمة بعض النصوص المثبتة انهم كانوا يتناولون ايضاً في الكنيسة على شكل الخبز فقط. من ذلك ما رواهُ المؤرخ سوزمان (ك ٨ ف ٥) عمّا جرى لامرأة هرطوقية في عهد القديس يوحنّا فم الذهب التي استبدلت مراءاةً الخبز المقدَّس بخبز آخر استحضرتهُ لها احدى جواريها فما كادت تدنيهِ من شفتيها حتى صار حجراً صلباً ولصق بفيها فادركت قبح صنعها واقرّت للقديس يوحنّا بجريمتها منيبة فاخرج الحجر من حنجرتها وابقاه في خزانة كشاهد على تلك المعجزة. وقد شاهد سوزومان ذلك الخبز المتحجر الباقي الى زمانهِ (راجع كتاب نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنّا فم الذهب ص ٤٩) وكفى بذلك دليلاً على انَّ القربان الاقدس كان يُعطى احياناً تحت شكل الخبز فقط

وكذلك افادنا القديس لاون الكبير بابا رومية في القرن الخامس في مبر الثاني والاربعين انَّ المانويين الذين كانوا يكرهون الخمر ويعدُّونهُ من مخترعات ابليس كانوا يندسُّون في جملة المؤمنين فيتناولون جسد الربّ «تحت شكل الخبز وحدهُ». ولمَّا قام خلفهُ القديس جلاسيوس امر بان يتناول كل المؤمنين الشكلين اي الخبز والخمر ليمتاز الكاثوليك عن المانويين. فبقي الامر كذلك مدَّة الى ان توارى اشياع ماني

وما لا يُنكر ان عادة المناولة على شكل الخمر بظلت في معظم الكنائس بدافع الظروف الشخصيَّة والمكانيَّة والزمانية

فاما الظروف الشخصية فلأنَّ كثيرين لاسيما من الاطفال والنساء يأنفون من شرب الخمر بل من رائحتها فاضطرّ الامر الكهنةَ في عدَّة كنائس ان يكتفوا بشكل الخبز. وزد عليهِ الخطر في اهراق الدم الكريم لسبب تزاحم المتناولين واضطرابهم في حركاتهم سواء شربوا من كأس واحدة او تناولوا القربان من الملعقة

فضلاً عن اشمئزاز البعض من شرب كأس او لَعْق ملعقةٍ مسَّها اشخاص ذوو عاهات ظاهرة او خفيَّة

واما الظروف المكانية التي دفعت كثيراً من ارباب الكنائس على ابطال المناولة على شكل الخمر فاصعوبة استحضار كمّيَّة كافية من الخمر في انحاء لم تُغرس فيها الكروم كالاقطار الشمالية او البلاد التي يُحظر فيها استحضار الخمر كبلاد المسلمين لاسيما اذا كثر عدد المتناولين

واما ظروف الزمان فلأنَّ الكنيسة قد اعتادت اكرام القربان الاقدس بحفظهِ في الكنائس ليلاً مع نهار للتقرُّب منهُ ولنقلهِ للمرضى ولزيارتهِ والسجود له وهذا مما يصعب اجراؤهُ في شكلي الخبز والخمر معاً لما يطرأ على اعراضهما من الفساد السريع اذا امتزجا. وهذا الخطر بعيد اذا حُفظ شكل الخبز وحدهُ لا سيما اذا جُدِّد كل ثمانية ايام وعلى الاقلّ كل خمسة عشر يوماً كما امر المجمع المقدَّس

فكلّ هذه الاسباب اوجبت بعد ردهة من الزمان ابطال عادة التناول على الشكلين فأُلغيت تاماً في الكنائس اللاتينيَّة والارمنيَّة والكلدانية والمارونية وبقي منها اثر خفيف في الكنيسة السريانية والكنيسة القبطية اذ يجعل الكاهن بعض نُقط من الدم الكريم على شكل الخبز قبل ان يُكسر فيقدّمهُ للمؤمنين . على انَّ هذا لا يكاد يصدق فيهِ معنى الشرب

فبقيت الكنيسة اليونانية وحدها محافظة على توزيع القربان على الشكلين ولعلَّ فعلها هذا كان من اعظم الاسباب في قلة عدد المتناولين في السنة اللهمَّ الَّا خميس العهد وبعض الاعياد الكبيرة. ومن غريب ما يجري عليهِ الروم الارثذكس انَّهم اذا قدَّسوا الخبز في خميس العهد حمَّصوهُ وطحنوه ومزجوه ببعض النقط من الخمر المقدَّسة وعلى هذه الصورة يحفظونهُ في كيس ويناولون منهُ المرضى والاطفال. وكل يرى ما في هذه العادة من قلة الاكرام لجسد الرب فضلاً عن انَّ هناك لم يبقَ اثرٌ للخمر ولا يجوز القول بان التناول يكون على شكلي الخبز والخمر

ومهما كان من الامر فانَّ خليفة هامة الرُّسل باطلاقهِ الحرِّيَّة للمؤمنين اقرَّ للكنيستين بصوابيَّة عملهما بل منح الكنيسة اليونانيَّة انعاماً جزيلاً اذ رخَّص لنحو مائتين وخمسين مليوناً من المؤمنين ان يجروا على مثال ابنائها فيتناولوا جسد الربّ

تحت شكليهِ اذا شاؤوا وهو امرٌ طالما رفضتهُ الكنيسة الرومانيَّة على اولادها سابقاً بل ردَّت طلبة ملوك المانية وبوهيمية والمجر الذين التمسوا تلك النعمة بالحاح لرعاياهم اللاتين . ثم انَّها بتساهلها هذا قد اوصدت الباب في وجه كثيرين من الشرقيين لاسيما الوجوه منهم الذين كانوا يطلبون الانتقال من طقسهم الى الطقس اللاتيني رغبةً في المناولة المتواترة وانفةً من استعمال الملعقة . فلم يبقَ لهم اليوم من داعٍ لمبارحة طقسهم

فالشكر اذن كل الشكر لقداسة البابا بيوس العاشر الذي وطَّد دعائم الطقوس الشرقية وضاعف ببراءتهِ هذه الجديدة روابط الحبّ والاخاء بين الشرق والغرب فيستطيع ابناؤهما ان يصرخوا مع النبيّ (مز ١٣٢ : ٢) : « ما اطيب وما الذّ ان يسكن الاخوة معاً » ويجلسوا على مائدة واحدة ويأكلوا خبزاً واحداً ويشربوا من كأس واحدة وبما تتمُّ الوحدة بين الكنيسة الظافرة والكنيسة المجاهدة حيث تزول احجاب الاسرار ويتمتَّع الابرار بنظر ذاك الاله الذي كشف لهم ايانُهم على الارض عظمَ جلالهِ وسموَّ جبروتهِ فاهَّلهم لان يروهُ وجهاً لوجه الى منتهى الادهار

شواعري في مدينة النور

للشاب الاديب الدكتور اميل عرب

وما ادراك ما مدينة النور ! هي عاصمة فرنسة في اصطلاح اهلها بل في عُرف جميع سكَّان العالَمين . دخل بنا القطار الطيَّار (الاكسبرس) في محطَّتها المدعوَّة محطة ليون ونحن وافدون اليها من مرسيلية في ضحى اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني من السنة المنصرمة . فما رنَّ في آذاننا اسم باريس عندما صرخ بهِ رائد القطار حتى شعرتُ في نفسي شبه هزَّة كهربائيَّة كادت تسحرني

وبعد هنيهةٍ ركبتُ الاوتومبيل فجعل يتطاير بي في شوارع باريس الفسيحة بين قصورها ومبانيها الفخيمة التي ذكَّرتني بما كنتُ اقرأهُ في حداثة السنّ عن المدن الموصوفة في اساطير الف ليلة وليلة . على انَّ مخيّلة الانسان كثيراً ما تعظِّم لهُ

الاشياء عن بُعد فينظمها في طرائف عالم الاوهام فاذا رآها في حقيقتها استصغرها وهذا ما جرى لي في تلك الساعة اذ عقب انذهالي الاوّل نوعٌ من الخيبة لمّا رأيتُ عاصمة الفرنسيس كغيرها من المدن وان كانت اعظم واجمل منها وسكّانها اوفر من سواها

*

مرَّ علينا في باريس احد عشر شهرًا فودَّعناها في ٢٦ ايلول مساء وركبنا القطار عينهُ ليعود بنا الى مرسيلية. وكان في محطة ليون نحو اربعين من اصدقائنا الفرنسويين والوطنيين قد رافقونا لتشييعنا فتبادلنا عبارات الوداد حتى آن وقت الرحيل فتحرَّك القطار يقلّنا الى جنوبي فرنسا وكان آخر نظرنا متَّجهاً الى مدينة النور والى اولئك الاصدقاء الذين كانوا يسلّمون علينا سلام الوداع فنشير اليهم بمناديلنا الخافقة كخفقان قلبنا

ما لبثت باريس ان توارت عن الابصار وانطرحتُ انا على صُفَّة القطار مسندًا رأسي الى وسادتها فحسستُ في نفسي بهزَّة جديدة او بالحري باضطراب عظيم كأني ارى حالي بين حيّ وميت وبين عالم الوهم وعالم الحقيقة

ففي تلك الاثناء مرَّت بازاء عيني كالبرق كلّ الامور والمشاهد التي عاينتها مدَّة اقامتي في باريس فلاحت لي فرنسة بعظمتها ورونقها مجسَّمةً في رؤيا عاصمتها فرأيتُ سلطانة الاعصار الجديدة في رونق مثلث زادها في قلبي حبًّا واعتبارًا

تصوَّرتُ لي فرنسة بسطوتها وقوَّتها العجيبة التي اكسبتها مرارًا الفخر المؤبد في اعين سائر الدول. وكنت قد رأيتُ في استعراض عيد الدولة الواقع في ١٤ تموز ما خلب لبّي وسبى قلبي حيث سار امام عمدة ممثلي الدولة وجمهور الحضور ١٢٠,٠٠٠ من الجند على مختلف ازيائهم وفرَقهم منهم الرَّجل والخيل ومنهم راكبو الدرَّاجات والطيَّارون في الجوّ ومنهم ارباب البطاريات والبحريون وكانوا كلهم يسيرون في نظام عجيب ورُواء مهيب وكان ختام استعراضهم حملةً مثلها ٤٠,٠٠٠ فارس فاقتحموا بجيادهم اقتحام الرجل الواحد مسلّمين على رئيس الجمهوريَّة. وفي مساء النهار طافوا في شوارع باريس وفي ايديهم المصابيح الزاهية الالوان تتقدَّمهم الراية الوطنيَّة وتصدح امامهم الموسيقى العسكريَّة بكل انغامها الحماسيَّة وكان

الشعب يسير على جوانبهم بكل تحشم ولا يراهم الراني الّا انحنى ليحيّي الوطن العزيز الممثّل برايتهِ المجيدة الخافقة فوق رؤوسهم

هذه صورة القوّة والبسالة تذكرتُها وقتئذٍ فصرختُ مع ابناء الوطن: فلتحيَ امّة الفرنسيس! فلتحيَ فرنسة الباسلة!

*

على انّ هذه القوّة الماديّة لم تعمل فيَّ كما عملتهُ قوّة فرنسة الادبيّة. فخطرت على بالي وقتئذٍ تلك الاعمال العظيمة والمشروعات الجليلة التي تفوق بها الامّة الفرنسويّة على جميع الامم من نوادٍ علميّة ومدارس عالية لا تُحصى لاحراز كلّ المعارف البشريّة المنبثّة في انحاء المعمور ومتاحف جمعت الطاف العالم وكنوزهُ المتفرّقة في واحد كمتحف اللوفر وكنائس يحيّر بناؤها عقول كبار المهندسين كنوتر دام ومنتمرتر وقصور فخيمة كالتروقاديرو ومشاهد عظيمة كالپانتيون والانفاليد ومباني خيريّة لا يضبطها احصاء. فكلّ ذلك كان يتخيّل لي فيذكرني برفيع مقام فرنسة من حيث الآداب والعلوم والفنون الجميلة والاعمال الخيريّة فلم اتمالك ان صرختُ: فلتحيَ فرنسة امّ الرجال العظام وسلطانة العالم الادبيّ بين شعوب المعمور!

*

وما كاد يخرج هذا الصوت من قلبي حتى اوقفني فكر آخر اطرب قلبي واقرّ عيني فرأيتُ فرنسة في منظر آخر أنساني مفاخرها السابق ذكرها وقوّتها الماديّة ومقامها الادبيّ الفريد ألا وهو رونقها الدينيّ وايمانها الحيّ. كنتُ اسمع قبل دخولي باريس انّ الدين كاد يُطمَس من قلوب الفرنسويين فأيم الله ان ذلك لإفك وكذب فاني في مدّة الاشهر التي قضيتها في عاصمتهم رأيت من دينهم ما اخجلني عن ضعف دين بعض مواطنيّ

نعم ليس دين الفرنسويين متوقفاً على بعض المظاهرات الخشوعية التي تُرى في بلادنا ولا على طول الاقامة في المعابد والصلوات المستطيلة وانّما ايمانهم يظهر بالعمل اكثر منهُ بالعواطف

وكان اعداء الدين يحسبون انهم اذا فصلوا الدين عن الكنيسة قتلوا الدين في القلوب واطفأوا نورهُ الساطع فخاب املهم وكذب حسبانهم فترى اليوم الدين في

فرنسة معززاً ظافراً في كلّ طبقات الأمة دون استثناء. واذ كنت ازور كنائس العاصمة كان يأخذ مني العجب مأخذهُ اذ ارى الجماهير المجمهرة يتقاطرون اليها خاشعين متورّعين بلا حياء بشري فسألت احد كبار القوم عن سبب هذا التزاحم فاجابني : « انما هذا ثمرة تحامل اعداء الدين علينا لانَّ الايمان كان كامناً في قلوبنا فلمَّا شنَّ اخصامنا علينا الغارة انتعش وازدهر واستيقظ النائمون من سُباتهم فعاد للدين بهاؤهُ »

قلتُ : وما هذا الشعار المكتوب على ابواب كنائسكم : حرّية . مساواة . اخاء

قال : « ومَن اجرى بهذا الشعار منَّا الكاثوليك لأننا لا نكتفي بقشرة الالفاظ بل نلزم معناها تماماً

« فالحرّية لدينا نحن الكاثوليك ان نتمسَّك بعرى الدين ونجاهر بعبادتنا الصحيحة فنعطي كلًّا حقّهُ لله ما لله ولقيصر ما لقيصر ولسنا لنتعرَّض لمن لا يوافقنا في معتقدنا ولكننا نريد ايضاً ان يقيسنا الغير بالمثل فيدَعونا نخدم الله كما نشاء

« والمساواة ليست عندنا اسماً بلا جسم . ادخل كنائسنا تجد الكبير والصغير الغني والفقير الخامل الذكر والشهير الرئيس والمرؤوس ممتزجين امتزاج الماء بالراح فلا يُبطر الغنيَّ غناه ولا يقنط الفقيرَ فقره فكلٌّ يقنع بما قسم لهُ الله واذا اضطرتهُ الحاجة وجد من يؤاسيهِ ويسدّ عوزهُ . وربَّما كان الفقير رئيساً في الكنيسة يخضع لسلطتهِ الاعيان والذوات

« ومثلهُ الاخاء فلن تعهدهُ بيننا كلاماً فارغاً فان روابط الحبّ تجمع كل القلوب فابونا واحد هو الله (متى ٢٣ : ١) وامُّنا واحدة كنيسة المسيح . نقول قولًا واحداً ونشترك في اسرار واحدة »

قال هذا واراني في الكنيسة كثيرين من اعيان الدولة والمبعوثين وقوّاد الجيوش ببزّاتهم الرسمية وكلهم مستحوذون بالصلاة كأبناء بيت واحد خانعين الى أب واحد . فبقيتُ واجماً اسرّح النظر في ذاك المشهد الجليل الذي ذكّرني بما رواه قدماء المؤرخين عن تقى الفرنسيس وورعهم

وكم لقيتُ مذ ذاك من دلائل الدين مدّة سكوني في باريس . فمن ذلك اكرامهم لموتاهم فكنت ارى اعظم الشوارع ازدحاماً اذا مرَّت فيها عربة الموتى اسرع الكلّ

الى كشف رؤوسهم امام الراحل الى ابديّته معلنين برجاء القيامة وخلود النفس. واذ زرتُ يوماً مقبرة الاب لاشاز (Père Lachaise) على سبيل الفرجة اخذني الاندهاش من كثرة الزوّار لقبور احبابهم اتوا ليزينوا ضرائحهم بالزهور ثم كانوا كلهم يجثون راكعين ليصلوا لراحة النفوس

وعادت الى ذاكرتي الحفلة الشائقة التي عقدها الكاثوليك في احد ايّام آذار في ندوة كبيرة تُدعى نادي قاغرام وكان عدد الحضور ١٥,٠٠٠ تحت نظارة الكردينال أميت (Mgr Amette) رئيس اساقفة باريس وكان حولهُ الاميرال بيانايه (l'Amiral Bienaimé) وزير البحريّة سابقاً وعدد كبير من المبعوثين والاعيان كالسيو ديني كوشين (Denis Cochin) والكونت دي مون (de Mun)

فبعد افتتاح الحفلة بالصلاة الى الروح القدس قام عدد من خطباء باريس فتكلموا في كل شؤون الكثلكة وتوسيع نطاق اعمالها وترقية مشروعاتها الخيريّة والعلمية والادبيّة. وختم نيافة الكردينال ذاك الاجتماع بخطبة كلها درر حضّ فيها الكاثوليك على تضحية النفس والنفيس في مقاومة التعليم اللاديني وبيّن انّ الدين والوطن معاً يدعوانهم الى هذا الجهاد الصالح

فدوى ذاك النادي الرحب بتصفيق استحسان الحضور وارتجّ باصوات تحمّسهم فكان مشهداً فريداً قلّما وجدنا لهُ من شبيه اللهم الّا المؤتمر الكاثوليكي السنوي الذي التأم في نادي الجمعية الجغرافية الرحب الارجاء الواقع في شارع سان جرمان وكانت الغاية منهُ مناهضة الشيعة الماسونية

وهذا المجتمع الفخيم قد عُقد في اصيل يوم الاحد في اواسط شهر حزيران بعد ان اعلنت جرائد باريس الكبرى بوشك وقوعهِ وكان لهُ عملٌ عظيم في الصدور

فكان المتقدّم في هذا الاجتماع الكومندان دي فرافيل (Cte de Fraville) جالساً على دكّة مرتفعة يحفّ به احد رؤساء شورى الدولة سابقاً وكثيرٌ من قدماء الوزراء وبعض مبعوثي دار الندوة وقوّاد الجيش وكلهم من لجنة الجمعيّة المركزيّة المعاكسة للماسونيّة في باريس

وان سألت ما هي هذه الجمعيّة وما هو تاريخها اجبتُك انّ سبعة من وجوه الكاثوليك في باريس اذ شعروا بالاخطار المحدقة والاضرار الجمّة التي تتهدّد

وطنهم فرنسة بدسائس الماسونيَّة اتَّفقوا قبل خمس سنوات على معارضة تلك الشيعة بكل ما يستطيعون من الوسائل. فبارك الله عملهم ودافعوا عن تحقيق رغبتهم دفاع الابطال بل شنُّوا الغارة على الماسونيَّة واماطوا النقاب عن قبائحها وارجاسها وانشأوا لمعاكستها جريدتين اسمهما « فرنسة العاملة وجريدة الناشئة الكاثوليكيَّة » (L'Action Française et le Journal de la Jeunesse Catholique) ومجلة شهريَّة كبيرة دعوها « المجلة اللاماسونيَّة » (La Revue Antimaçonnique) فهذه الجمعيَّة نمت بعد سنين قليلة حتى بلغ اليوم عددها سبعة آلاف. ومن جملة الخطباء المفوَّهين الذين رقصت القلوب لاستماعهم الملازم دريان (Cnt Driant) مبعوث مدينة نانسي الذي قام في مجلس الأمة غير مرَّة للدفاع عن شؤون الدين ولتكرار الطلب في ان يُجعل عيد المطوَّبة جان دورك كعيد وطني. ثم تناوب الخطباء وعدَّدوا ما تأتيه الماسونيَّة في فرنسة من الجنايات الفظيعة في حقّ الدين والدولة وبحثوا عن الادوية الناجعة تكبح شرّها وكشف اسرارها القبيحة

ومما تذكَّرتُهُ ايضاً من نهضة الدين اطلاقُ سراح الراهبة ڤالتين التي بعد ان قضت حياتها في خدمة المرضى والبؤسين هيَّج الفرماسون عليها اصحابهم وحملوا ظلماً احد القضاة ليحكم عليها بالحبس ثلاثة اشهر بدعوى ممارستها الطبّ على طريقة غير شرعيَّة فانتصر لها الصحافيُّون من جملتهم كتبة جريدة « التان » واثنوا على همة وزير العدلية « بريان » لالغائه حكم القاضي المذكور وتبرئته لساحة الراهبة

فهذه الاعمال وغيرها تمثلت اذ ذاك في عقلي فلم اتمالك من ان اكرّر تحيَّتي ثالثةً لفرنسة بقولي: فلتحيَ فرنسة ناصرة الدين! وليحيَ ذووها الناهضون للزندقة والكفر! فمن المحال ان تسقط دولة تذود عن حقوق الله وتجعل اتكالها عليه في اعمالها وتعضد برجالها ومالها كلَّ المشروعات الدينيَّة ليس في بلادها فقط بل في الاقطار كلها حتى اقاصي المعمور!

قلتُ هذا واذا بمرأى غريب لاح لي. رأيت سيدة وسيمةً جليلة المنظر لابسةً لبس الملوك على رأسها التاج وفي يدها راية مثلَّثة الالوان كُتب عليها « ليحيَ المسيح المحبّ لفرنسة » واذا بعدَّة وحوش طفرت من الهاوية لتهجم على السيدة وتنكس رايتها وكان مكتوباً على رأس كل وحش الفاظ تدلّ على كنهه ميَّزتُ بينها « ثورة.

فرضي . لا دين . ماسونيّة » فرأيتها تشبه مخالبها وفاتحة فاها لتمزّق السيدة وتفترسها . وهي على وشك العمل اذ رأيت ملاكاً عليهِ بزّة الجنود سالّاً سيفهُ الناري وعلى جبهتهِ مكتوب شعار ميخائيل « مَن كالله » فصرخ صراخاً ارتعدت لهُ فرائص الوحوش فتجدَّد امامي القتال الموصوف في سفر الرؤيا . فقاتل ميخائيل ملاك فرنسة اولئك الوحوش فلم يقووا وولّوا هاربين مخذولين فهتفت المرأة قائلة : المجد للمسيح محبّ فرنسة . الآن صار الخلاص والقوّة والملك لالهنا والسلطان لمسيحهِ (رؤيا ١٢ : ٧—١٠)

الدرّاجة

بحث تاريخي فني للاديب فريد افندي فارس نمرا احد طلبة الصيدلة في مكتبنا الطبي

قد قيل انَّ في الحركة بركةً وها قد اضحت الحركة اليوم فرضاً واجباً على الانسان اذا ما شاء ان يثبت سالماً موفقاً في ساحة الجهاد العظيم القائم في عهدنا بين الشعوب فمن تقاعس او تناعس سبقهُ اقرانهُ وفازوا بما كان يؤمل نوالهُ دونهم

وذاك النزاع في سبيل الحياة هو الذي دفع المرء الى اختراع الوسائل التي تقرّب عليهِ المسافات البعيدة وتنقلهُ بسرعة الطير بل اسرع الى اقاصي المعمور فاستعان اوّلاً بالرياح ليتجشم اخطار الاسفار ويخوض غمرات البحار ثم استخدم البخار والغازات ليعلو على اجنحتها الى اسحق البلدان ثمَّ رأى فضلاً عليها في الكهرباء فكاد يجاري البرق خفّةً

على انَّ تلك الاختراعات مع سرعتها الغريبة تقضي من النفقات الطائلة ما لا يستطيع ان يقوم بهِ غير كبار المتموّلين وذوي الثروة القارونيّة فطلب الانسان ما يخفف جريهُ مع رعاية الاقتصاد فلم يجد وسيلة افضل من استخدام قواه الطبيعية لتسيير الدرّاجات فاكتسب بها سرعة وخفة وتوفير مال واوقات

وكانت الدرّاجات قليلة الشيوع في بلادنا الى هذه السنين الاخيرة واليوم اذ عرف الناس ولا سيما الشبان فضلها اخذوا يزيدون اقبالاً عليها . وقد سبقت مصرُ قطرَ الشام في استعمالها حتى صار ركوبها امرًا مألوفاً في انحاء وادي النيل بل وُضعت

سباقات لراكبي الدرّاجات ينال فيها الجزاء من يبلغ غايةً معلومة قبل رصفائه . وقد افادتنا جريدة البشير آخرًا ان احد ركّاب الدراجات قد قطع المسافة ما بين القاهرة والاسكندريّة في الطريق الجديدة المنشأة حديثًا بينهما بظرف خمس ساعات وخمسين دقيقة . وهي لعمري سرعة عظيمة لانّ تلك المسافة لا تقلّ عن ٢٠٧ كيلومترات وقطار السكة الحديديّة السريع (الاكسبرس) يقطعها بقوّة البخار في ثلاث ساعات اعني في الدقيقة كيلومترًا و ١٥٠ مترًا

واذا قابلنا بين هذه السرعة وسرعة الرجل الذي لا يستعين بغير قوّة بدنه مع درّاجة بسيطة لرأينا الفضل للانسان على البخار من عدّة وجوه . نعم انّ الراكب المذكور لم يقطع في الدقيقة الّا ٧٤١ مترًا لكنهُ بالنسبة الى قوّته الجسديّة العضليّة قد فاق على قوّة البخار النارية والقوّة الحديديّة اذ وجد في جسمه تلك القوّة المخزونة فابرزها دون حاجة الى فحم ولا نار ولا بخار . فعاد الفضل في تسيير الدرّاجة الى عقله خصوصًا الذي اكتشف هذه العربة البسيطة والخفيفة التي يجدها في كل ساعة متهيئة لخدمته لا يعوزها علف وساسة كالخيل ولا خدمة وعمّال كالسكّة الحديديّة

واليوم حيث رغب الينا بعض الاصدقاء ان نكتب طرفةً عن تاريخ الدرّاجة وانواعها وفوائدها اجبنا الى طلبتهم بطيب الخاطر

١ تاريخ الدرّاجة

انّ الدرّاجة كبقيّة الاختراعات البشريّة ليست هي ابنة يومها بل تنقلت في اطوار شتى قبل ان تبلغ كمالها الذي نالتهُ في ايامنا . يُروى انّ اوّل من سبق الى استعمال الدرّاجة كان رجلًا افرنسيًا اسمهُ دي سيفراك (de Sivrac) اخترع سنة ١٦٩٠ عجلة صغيرة ذات دولابين متساويين من خشب جعل الواحد امام الآخر وركّب فوقها مركبة كمتن الدابّة كان يركبها فيسير بضربه الارض بقدميه مرّة على اليمين ومرّة على اليسار فتدور الدواليب بسرعة ولذلك دُعيت بالسيّار (célérifère) ثمّ حسّنوا المركبة فجعلوها على صورة فرس او دابّة كما ترى في الصورة

على انّ هذا الاختراع الاوّل لم يتسع نطاقهُ بل عُدّ كاللعوبة صبيان وكاد يبقى مجهولًا الى الربع الاوّل من القرن المنصرم ففي السنة ١٨١٨ وقع عليه نظر

احد الالمان من دوقيَّة بادن اسمهُ البارون دراي دي ساوربرون (Drais de Sauer-bron) كان متولياً توزيع المياه ونظارة الاحراج فرأى ان يحسّن اختراع دي سيفراك بوضعهِ في يد الراكب سكاناً يديرهُ كما يشاء الى الجهات المختلفة ويوقف به عجلتهُ طوع امرهِ

ومذ ذاك استوقفت الدرّاجات نظر العقلاء فاخذوا يبحثون عن الطرائق لتحسينها منهم الاسكوتلندي غاثن دازل سنة ١٨٤٦ اصطنع درّاجة سموها الحصان الخشبي لصورتها واشتهر بعدهُ فرنسوي يُدعى ارنست ميشو (Ern. Mi-chaud) كان مولعاً باصطناع الادوات الميكانيكيَّة فجعل للدرّاجة المعروفة قبلهُ مقبضاً ودوّاستين لتُدار العجلة برجلي الراكب. فشاعت اولاً ثمَّ أُهملت لثقل حركاتها وهي كلها من الخشب فكان الراكب يقاسي بتسييرها تعباً شاقاً حتى سئموها بكاسرة العظام وكان الاغنياء مع ذلك يشترونها ليزينوا بها منازلهم كتحفة فاخرة

ولمَّا كان معرض باريس الكبير سنة ١٨٦٧ عنَّ لارنست ميشو ان يبدل الخشب بالحديد وعرض درّاجتهُ على تلك الصورة للزائرين فاستحسنوها ونال جائزة على عملهِ ثمَّ كثر طلبها لانَّ الزبائن رأوا بالحديد فضلاً كبيراً على الخشب لاجل مرونتهِ وصلابتهِ وسهولة شغلهِ وتطريقهِ. ولم يزل مذ ذاك الحين المسيو ميشو يزيد في تحسين عملهِ فألبس الدولابين باطار من المطّاط (الكاوتشوك) واصلح الدرّاجات هو وغيرهُ من بعدهِ اصلاحات اكسبتها رشاقةً وخفَّة حركة وسرعة سير

ومما كان يكرّه ركوب الدرّاجة انَّ تمتطيها كان اذا مرَّ في امكنة محجرة او متوات او حفائر اهتزَّ جسمهُ بمرور عجلتهِ عليها لصلابتها. فاستدراكاً لهذا الخلل وضع الفرنسوي تروفُو (Truffauld) المطّاط المجوَّف فكان ينفخ فيهِ الهواء بمنفخة معدَّة لذلك. فكانت نتيجة هذا الاختراع ان الراكب لم يعد يشعر بما يلقاه في طريقهِ من الحصى وحُفر الارض

وكانت درّاجة تروفُو تسمَّى بسيكلاً (bicycles) وكان دولاباها على حجم مختلف فدولاب الامام كان كبيراً يبلغ قطراً متراً ونصف يجلس عليهِ الراكب فيديرهُ بالدوّاستين امَّا الدولاب الآخر الذي وراءهُ فكان صغير الشكل لا يزيد قطرهُ عن ٣٠ سنتمترًا فدُعيت هذه الدرّاجة بدرّاجة الفكبوت

على انّ هذه الدرّاجة كانت تعرّض راكبها لعدة اخطار فأهملت بعد قليل وابدلوها بالدرّاجة ذات الدولابين المتساويين اللذين لا ينيف قطرهما على ٨٠ او ٩٠ سنتيمترًا وهي البيسكلات (bicyclette)

ثمّ بعد قليل وُضع لهذه الدرّاجة سلسلة قوية مركّبة على دائرتين الواحدة تتصل بالدوّاس والاخرى بدولاب الوراء لتحريكه. وعلى طرفيهما اسنان متسارية تتشبث بكرات السلسلة وتديرها وهي الدرّاجة التي نالت رضى الجميع ففضلوا ركوبها الى يومنا مع اضافة عدّة تحسينات اليها لراحة راكبها وازدياد سرعتها. وكذلك قد أُبدل الحديد بالفولاذ اللين

٢ انواع الدرّاجات

رايت في تاريخ الدرّاجة ما طرأ على تركيبها من الاختلافات حتى بلغت الى الصورة التي شاعت فيها اليوم. على انّ هذه الدرّاجة عينها قد تفننوا في استحضارها وتسويتها على اختلاف الغايات التي توخوها فمنها ما يُصطنع للاحداث ومنها للسيدات فترى اليوم في بلاد كثيرة اولادًا ونساء يتجوّلون في الساحات والطرق العمومية دون ان يرى احد في ذلك عجبًا

ومن الدرّاجات ما يركبهُ شخص واحد او اثنان او اكثر وذلك بان تزدوج الدواليب ويلزم بعضها بعضًا بحيث تتفق حركات الركّاب. فالدرّاجة ذات المركبين (bicyclette tandem, duplette) تتألف من مقعدين على دولابين الواحد وراء الآخر. والدرّاجة ذات المقاعد الثلاثة (triplette) او الاربعة (quadru - plette) الى العشرة (déciplette) تؤلف كذلك لعدد من الركّاب يتواطأون في العمل كالبحريين في قذف المجاذيف

وبعض الدرّاجات تكون بدولاب واحد (monocycle) او دولابين كما رأيت. وكثير منها يُجعل لها ثلاثة دواليب اثنان من وراء وواحد في الامام (tricycle) وهي سريعة الحركة

وكذلك تختلف الدرّاجات المتخذة لنقل البريد او بعض لوازم الركّاب واخصّ منها الدرّاجات العسكريّة يركبها الجند امّا لرصد العدوّ وامّا لمقاتلته.

وقد اتخذوا فِرَقاً من الجند يركبون الدرّاجات في الحرب ودرّاجاتهم خفيفة جداً يمكنهم طيّها وحملها على عواتقهم في الاماكن الصعبة. واذا ركبوها يمكنهم ان يوقفوها بطرفة العين فيترجلون والدرّاجة بين افخاذهم ويطلقون بنادقهم ثمَّ يواصلون سيرهم دون تأخير قبل ان يدركهم العدوّ

فهذه الدرّاجات كما ترى دخلت اليوم في حياة العمران وتعدَّدت هيئاتها وانواعها الى ما لا يُحصى عدُّهُ. وقد ضربنا الصفح عمَّا يتحرَّك منها بقوَّة الكهرباء او البترول وغير محرَّكات (motocycle)

٣ فوائد الدرّاجة واستعمالها

واما فوائد الدرّاجة فقد كان الناس في اوَّل اختراعها يخافون تأثيرها في الاعصاب وحركات القلب لكنَّ هذا الخطر قد بعد اليوم لتحسين ادوات الدرّاجة والاطبَّاء يعدُّونها كترويض للجسم وجلبة لانشراحه وبسطه ولها لذَّة ذاتية تحصل في نفس الراكب فيشعر كأنَّهُ جواد ينهب الارض نهباً وغزال يقفز بين الآجام قفزاً ويخطر كيف يشاء ويقف أنَّى يشاء ويسير حيثما يشاء لا يثنيهِ عن اتمام عزمهِ الَّا ضعف عزائمهِ. تراهُ ممتطياً مركبتهُ يسابق النسيم البليل فطوراً تكون رفيقةً لهُ يثني الهوينا مشتبكاً بها وطوراً يتأبطها كأنَّها انيستهُ او إلفهُ العزيز الخفيف الظلّ والجانب وفي الامكنة الوعرة ومصاعد الآكام تنال شرفاً من صاحبها لانها تلزمهُ بحملها فتصبح والحالة هذه مركوبةً راكبةً. وحسنات هذه الدرّاجة انها تعلف من الهواء ولا تطلب غيرهُ مؤونة فحياتها بالهواء وممَّاتها بدونهِ وقد استعملها مأمورو البوسطة والتلغراف فوجدوا بها اكبر مساعد لانفاذ مأموريتهم وكثيراً ما يستخدمها الجند اوقات الحرب والسلم نظراً لخفتها وسرعتها وليس الخطر كبيراً في ركوبها لقلَّة ارتفاعها فاذا وقع احد رجال الفرقة وقف الذي وراءهُ حالاً بوضع رجليهِ على الارض ووقف الذين بعدهُ فيتلافون الخطر وكذلك يقدر الراكب ان يحارب ببارودتهِ ودرّاجتهُ تحتهُ دون ان تعيقهُ

وقد شاع استعمال الدراجة كثيراً في البلاد الاوربيَّة وهناك تجري مسابقات عديدة في كل سنة ولم تحرم البلاد المصريَّة من هذه السباقات كما رأيت لانَّ الصحف تفيدنا عن حركة الدرّاجات فيها وبلادنا السوريَّة قد صار لها نصيب منها

لانَّ شباننا قد بدؤوا يستعملونها واما استعمالها الطبيّ فهو ضدّ الامراض العصبية التي تستلزم العاباً رياضيَّة فنعم الدراجة لادراك هذا الغرض وقد يوصي بها ايضاً بعض الاطبَّاء لتقوية اجسامهم بعد مرض خفيف ولكن يجب ان يجتنب ركوبها كل من هو ضعيف البنية نحيف الجسم وصاحب مرض صدري

وخلاصة القول انَّ الدرَّاجة احدى الاختراعات العصريَّة التي تؤدي للانسان خدماً جمَّة فيحقُّ عليه الشكر لربِّه الذي يقرِّب بها وسائل معاشه الهنيّ

عودٌ على بدءٍ

للشيخ فدا حسين احد اساتذة كليَّة عليگده الاسلاميَّة

باسمهِ سبحانهُ

سعادة القسّ . . . مدير المجلة الغرَّاء المعروفة بالمشرق دمتم بالعزّ والكرامة الى يوم القيامة

وبعد فان الخُوَيدم ينهي بعد الدعاء لأيَّامكم لا اخلانا الله من انعامكم اني فيما مضى برهة قليلة من الزمان قد تشرفت بزيارة مقالتكم الرشيقة الشامخة الشان وخطابتكم الانيقة المبهرة للبّ كل انسان في نقض مقالة كاتب الكوثر التي حامى بها عن الاعراب الاوَّلين . . . الذين اشتهروا بانقاض العلم واطماس آثار الاقدمين من الحكماء المتألهين فاجتهد لذلك في نفي خبر الحريق الذي وقع على يدهم لمكتبة الاسكندريَّة التي لم تزل تعرف بكونها معدناً لكتب الحكماء السالفين

فلعمري لقد اعجبني وراقني ما اتيتم به في مقالتكم الغرَّاء من قواطع الحجج وسواطع البراهين في تفنيد راي هذا الكاتب والكشف عن بطول ما رماكم في كلامهِ ببغضة العرب ومعاداتها وتقبيح اخلاقها وعاداتها . واني فيما مضى من برهات الزمان وشذرات من الدهر الخوان قد عثرت على كلام مشبع طويل للعلامة مستر بُتلر (Buttler) الانكليزي صاحب الكتاب المعروف بفتوح العرب في مصر والاسكندريَّة وهو كتاب ضخم في اللغة الانكليزيَّة وافرد فيه باباً مستقلًا في

الردّ على من ذهب الى القول بوقوع الحريق على يد العرب في مكتبة الاسكندرية. فانتعشت نفسي لوضع مقالة مسهبة طويلة في اللغة العربية في الردّ على صاحب تلك المقالة النوّية وحججه الضعيفة الغير القوية وعنونتُها: «بفجعة الدهر على ضيق العلم بالكهر والصهر» فجاءت بعون الله كلاماً حافلاً طويلاً بالغ الارب في هذا الطلب. وقد مضت لذلك عدة سنين وبقيت هذه المقالة مطروحة في زوايا الخمول الى هذا الحين وحال بيني وبين نشرها عوائق الدهر وعاقني عن اكمالها ونشرها نوائب العصر. فبينما كانت الامور تجري هكذا اذ وقفتُ في تلك الايام على مقالتكم الرشيقة الباهرة النظام البديعة الانسجام فاستفدت منها عدّة فوائد والتقطتُ منها عدداً وافراً من العوائد يجب عليّ اتشكر منها اليكم والاعتراف بالامتنان العظيم من قبلي لديكم واحببت ان اقتبس من طور علمكم ناراً ومن ضياء فضلكم انواراً فها انا استأذنكم في التقاط هذه الفوائد وادراجها في مقالتي تكثيراً للوجوه والشواهد معزوّة الى اسم جنابكم ومنسوبة الى سامي خطابكم

ولكن قبل ذلك استمنحكم بان تتفضلوا عليّ بعيون بعض العبارات من الكتب التي اشرتم اليها واستشهدتم بها ولكن لم تأتوا بعيون الفاظها مخافة الاطناب في الكلام فاقتصرتم بمحض الاشارة اليها باحسن نظام. ولما ان هذه الكتب لا تكاد توجد في هذه البلاد الشاسعات اضطررت ان استمنحكم ببثّ عيون تلك العبارات ويكون لكم الفضل بذلك علينا انشاء الله تعالى. وتلك هي العبارات المطلوبة التي اشرتم اليها في مقالتكم الغرّاء وهي عدّة اشياء:

١) عين عبارة عبد اللطيف البغدادي والوزير جمال الدين ابن القفطي من اصول كتابيهما عمّا يتعلق بحريق مكتبة الاسكندرية

٢) اصل تلك الشواهد الاخرى التي جمعها المستشرق الشهير دي هامر التي اشرتم اليها في المشرق العدد الخامس لايار سنة ١٩١١ ص ٣٩٣ بقولكم «وقد جمع المستشرق الشهير دي هامر شواهد اخرى لا حاجة الى ذكرها...»

٣) اصل العبارة التي اشرتم اليها ايضاً في ص ٣٩٣ من العدد (٥) للمشرق لسنة ١٩١١ بقولكم «ان هذا المورخ (Paul-Orose) لم يتكلم عن حريق هذه المكتبة بل عن المكتبة الاولى المحروقة على عهد يوليوس قيصر ... الخ»

٤) اصل العبارة التي اشرتم اليها ايضاً في ص ٣٩٣ من العدد (٥) للمشرق سنة ١٩١١ بقولكم «كما افاد معاصره المؤرخ ايثاغريوس بل لم يذكر احد من القدماء... الخ»

٥) اصل نمرات الكوثر التي اجتهد كاتبها فيها نفي وقعة الحريق على ايدي الاعراب وخليفتهم عمر بن الخطاب

فان تفضلتم علينا باسعاف تلك المقترحات الخمس التي ذكرتُ آنفاً كانت لكم المنّة الابدية علينا ووجب علينا التشكر لكم ولو انسأ الله في اجلنا الى ابد الابدين ودهر الداهرين والّا فالامر اليكم وما انا من المتكلفين

ثم اني عجبت من سعة اطلاعكم على خبايا العلوم المشرقيّة وخفايا مطالب الكتب السالفة التاريخيّة العربيّة كيف غرب عنكم اذ مررتم ساكتين على وجوه السلب التي ذكرتموها من جهة نُفاة هذه الوقعة وما اتيتم عليها بردّ ونقض وهي باجمعها وجوه سخيفة واضحة البطول مبنيّة الفساد وليس مبناها غير الاستنكار والاستبعاد الذي لا مجال لهُ ولا محل في نطاق التحقيق والانتقاد وكان فيما ذكرتم في ذيل ذلك من وجوه السلب قولكم (٣٩٣ من العدد ٥ سنة ١٩١١): «وثانياً لان يحيى النحوي الذي يقال عنهُ انهُ راجع عمرو بن العاص.... الخ» والحال انّ معاصرة يحيى لعمرو بن العاص امرٌ ثابت متحقّق لم يبقَ فيهِ مجال لشكّ وريبة وذلك اني كنت قد قلبتُ هذا الامر ظهراً لبطن اوانَ اشتغالي بتسطير مقالتي المعنونة «بفجعة الدهر» فلم اجد بُدّاً من الذهاب الى معاصرتهما واتحاد زمانهما بشهادة يحيى النحويّ نفسهِ في بعض كتبهِ واليك اصل العبارة التي كتبتها في هذه المقالة ما تلك صورتها منقولة منها فاقول:

ومن اعظم الدلائل واكبر البراهين على معاصرة عمرو ليحيى النحوي قول يحيى نفسهِ في تفسيرهِ لكتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس فيما ذكرهُ ابن القفطي في اعلام العلماء باخبار الحكماء وقد سبقهُ في ذلك ابن النديم في الفهرست حيث قال «وذكر يحيى النحوي في المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطبيعي في الكلام في الزمان مثالاً قال فيهِ: مثل سنتنا هذه وهي سنة ثلث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي. قال ابن النديم: فهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحوي ثلثمائة سنة ونيف وقد يجوز ان يكون فسّر هذا الكتاب في صدر عمره لانهُ كان في ايام عمرو بن العاص». ومثلهُ ما ذكر ابن القفطي في اعلام العلماء قال: ذكر يحيى النحوي في المقالة الرابعة عند ما فسرها من كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس وتكلم في

الزمان فضرب مثالًا قال فيهِ: مثل سنتنا هذه وهي في سنة ثلاث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي » انتهى كلام ابن القفطي

قلت ومعلوم ان هذا دقلطيانوس القبطي مات في سنة ثلثمائة وثلاث وعشرين من سني المسيح عليهِ السلام وكانت وقعة الاسكندريَّة في سنة ستمائة واثنتين واربعين من سني الميلاد على صاحبها الاف التحيَّة من ربّ العباد الى يوم المعاد فهذا يوجب ان يكون يحيى النحوي حاضرًا في وقعة الاسكندريَّة وان يكون قد كتب تفسيرهُ للسماع الطبيعي لارسطوطاليس بعد وقعة الاسكندريَّة باربع وعشرين سنة. وشاهدُ ذلك انهُ قد عثر على مصنف ليحيى النحوي في السماع الطبيعي قد كتبهُ في سنة ستمائة واحدى وستين من سني المسيح سلام الله عليهِ وقد سماه فزيكا فيما ذكرهُ الفاضل العلَّامة وليم اسميث في كتابهِ المعروف الذي يدعى مجموع تواريخ المشاهير الروم واليونان ومشاهير آلهتهم (Sir W. Smith: *Diction. of Greek and Roman Biography and Mythology*) والذي احسب ان التاريخ الذي ذكرهُ الفاضل المذكور لتصنيف هذا الكتاب اقلّ من حسابنا بخمس سنين وشهادة يحيى نفسهِ دليل على صحة حسابنا فالأظهر انه صنف فزيكا في سنة ستمائة وست وستين من سني المسيح سلام الله عليهِ ان كان هذا الكتاب هو الكتاب الذي فسر منهُ السماع الطبيعي لارسطوطاليس » انتهى ما اردنا نقلهُ من مقالتنا المنونة: « بفجعة الدهر ». فان وافقتموني في هذا الراي ورايتم ان هذه الطريق الى اثبات معاصرة يحيى النحوي لعمرو صحيحة بالحساب اخبرتموني بذلك ويكون لكم المنة بذلك علينا فان نشرتم هذه العبارة تكملةً لنقض صاحب الكوثر فليس ذلك من فضلكم ببعيد والّا فالامر اليكم وما انا من المتكلفين. وليكن هذا آخر الكلام مني في تلك الرسالة المحقرة اليكم وألتمس منكم الجواب عنها عاجلًا معجلًا انشاء الله تعالى ويكون لكم المنة علينا الى اخر الدهر اه

﴿ المشرق ﴾ انَّنا نشكر للشيخ الاديب الفاضل والاستاذ العالم فدا حسين جميل ظنهِ فينا ونعتبرُ كلامهُ احسن جزاء عمَّا كتبنا في العلوم العربيَّة وعريق مكتبة الاسكندريَّة (في المشرق ١٤: ٢٩٩و٣٩٩) فانَّنا بردّنا هناك على مجلّة الكوثر لم نقصد البتَّة بخس حقوق العرب وكلٌّ يعلم ما نفرغهُ من الجهود في استخراج تآليفهم من

زوايا النسيان ورفع شأنهم لدى كلّ ذي عيان لكنّنا رأينا ايضاً انّ للتاريخ الصادق حقوقاً يجب مراعاتها وان كانت في بعض الامور لا توافق اوهام فئة من المحدثين الذين يغالون في اطراء العرب ورفعهم الى ذروة الكمال كأنّ منهم مصدر كلّ علم واليهم مرجع كلّ فضل وانّما احسن الامور اوساطها فالعدل يقضي بأن نقرّ بخدمة العرب النصوح للعلوم في عهد بني عبّاس وهو يضطرّنا ايضاً الى ان نقول بأنّهم لم يستيقظوا من سنتهم الّا بعد ظهور الاسلام بقرنٍ ونصف وانّهم بنوا على اساس من سبقهم لاسيما اليونان كما انّهم استعانوا في كثير من آدابهم ومعارفهم بقوم من اجانب المستعربين كالعجم والكلدان والسريان والروم. وناهيك للوقوف على حقيقة قولنا بمراجعة الكتب التي ألّفها العرب انفسهم في تاريخ الآداب كالوزير جمال الدين القفطيّ وابن ابي اصيبعة وابن خلدون والحاج خليفة وقبلهم ابن النديم صاحب الفهرست وابو القاسم صاعد الاندلسيّ الذي نشرنا آخراً كتابهُ الفريد « طبقات الامم »

هذا وقد بقي علينا ان نجيب الى اسئلة جناب الشيخ فنقول:

١ ان العبارات التي طلب ان نثبتها لهُ بنصّها الاصلي من كتابي عبد اللطيف البغداديّ والوزير جمال الدين بن القفطيّ في صدد حريق مكتبة الاسكندريّة قد رويناها بحرفها الواحد مع غيرها من النصوص في السنة الثالثة عشرة من المشرق (١٩١٠) ص ١٥٧ و ١٥٨ فلا حاجة الى تكرارها مع طولها

٢ الشواهد الاخرى التي جمعها المستشرق دي هامر هي التي نقلناها في العدد المذكور من المشرق (١٣: ١٥٨) عن ابن خلدون والحاج خليفة والمقريزيّ. فلتراجع

٣ شهادة بول اوروز او اوروشيوس (Paul-Orose) وردت في تاريخه (ك ٦ ف ١٥) (Migne, P. L. XXXI- 1037) المكتوب نحو السنة ٤٢٠ للمسيح والالفاظ التي استند اليها البعض لاثبات قولهم بانّ مكتبة الاسكندريّة حُرقت في زمانهِ بمساعي تاوفيل بطريرك الاسكندريّة هي هذه:

«Nos vidimus armaria librorum ; quibus direptis, exinanita ea a nostris hominibus , nostris temporibus, memorent, quod quidem verum est »

فانّ بعض المفسرين لهذا النصّ المستغلق ظنّوا انّ اوروشيوس روى انّهُ وجد خزائن مكتبة الاسكندريّة الكبرى المعروفة بالسيرابيوم بعد حرقها في زمانهِ اعني

بامر البطريرك تاوفيل الاسكندري . غير انَّ هؤلاء المفسرين لو راجعوا كلام اوروشيوس لأدركوا حقيقة معناهُ من قرائنهِ فانَّ المؤرخ يذكر هناك ما جرى من الحروب بين يوليوس قيصر وبومبيوس لمَّا تنازعا الملك في مصر وما سبَّب حربهما من الاضرار وكيف حُرقت احياء الاسكندريَّة في اثناء الحرب فامتدَّ الحريق الى مكتبة كان فيها اربعمائة الف كتاب فيقول اوروشيوس «انهُ رأى خزائن تلك المكتبة الباقية الى زمانهِ فارغةً من مصنَّفاتها المحروقة باثم رجاله» اي مواطنيهِ جنود الرومان. فوهم المفسرون في ثلاثة امور الاوَّل بزعمهم انَّ اوروشيوس يتكلَّم عن مكتبة هيكل السيراپيوم وكلامهُ هناك عن مكتبة اخرى شهيرة كانت تُدعى مكتبة بروخيوم (Bruchium) باسم الحيّ المعروف بهذا الاسم كما اعلمنا القديس ابيفانيوس في كتاب الاقيسة والاوزان (Epiphanius: *de Mensuris et Ponderibus*.c. 9). الثاني بظنهم انَّ اوروشيوس انَّما زار اخربة هيكل السيراپيوم وليس في كلامهِ ما يدلُّ على ذلك لأن هياكل الاسكندريَّة كانت متعدِّدة . والثالث بتفسيرهم قولهُ «على يد رجالنا» انهُ اراد النصارى وهناك يتكلَّم اوروشيوس لا كنصرانيّ بل كروماني فيقول انَّ الذين حرقوا تلك المكتبة انَّما كانوا من مواطنيهِ اي من الرومان مثلهُ

٤ ان شهادة المؤرخ ايفاغريوس في الكتاب الثاني والفصل الخامس من تاريخهِ واردة في جملة خبرهِ عن فتنة حدثت في الاسكندريَّة بعد موت تاوفيل باربعين سنة فيخبر ايفاغريوس انَّ ملك الروم مرقيان اراد ان يعاقب الاسكندريين لثورة اثاروها على جندهِ فهرب الجند وتحصنوا في الهيكل الذي كان قديماً لسيراپيس فاحاط بهم الشعب واحرقهم

« Cum milites in templum quod olim fuerat Serapidis se recepissent; populus eos illic obsedisse et vivos eos cremasse. »

فهذا دليل واضح على انَّ تاوفيل بتدميرهِ لهيكل سيراپيس لم يخرب منهُ الَّا القسم المختصّ بعبادة الصنم ليس الابنية الاخرى حيث كانت مكتبة السيراپيوم

٥ امَّا اعداد الكوثر التي رُدَّ فيها علينا فهي مرسلة الى الهند مع البريد ان شاء الله هذا ونشكر فضل مكاتبنا الاديب الذي استوجه نظرنا الى ما قالهُ ابن النديم

وابن القفطيّ في زمن يحيى النحويّ . وشهادتهما حرّية بالذكر الّا انّ في اقوال المؤرخين في هذا الصدد من التناقض والتباين ما لا يزيل المشكل بتمامهِ لأن يحيى النحويّ على قول علماء زماننا مستندين فيه الى قدماء الكتبة هو هو المعروف عندهم بيوحنّا الغراماطيقي (Joannes Grammaticus) او يوحنا المجتهد (Joannes Philoponus) وهم يجعلون زمانهُ في اواسط القرن السادس. وكذلك يقول ابن القفطيّ في تاريخ الحكماء انهُ كان تلميذ شاوارای او ساويروس الانطاكي الذي توفيّ سنة ٥٢٠ فبعيد عن التصديق ان يكون عاش يحيى النحويّ الى ايّام عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب اعني الى نحو السنة ٦٤٠ فبلغ من العمر قرناً ونصف بالتقريب . ولعلهُ وجد كاتبان باسم يحيى النحوي يكون العلماء خلطوا بينهما . ونحن معوّلون على درس هذا المشكل التاريخيّ قريباً ان شاء الله

زهرة الحياة

لحضرة الخوري يوسف سماحه ق. ب

هي الحياة الدنيا اشبه بزهرة تتفتح اكمامها في الصباح فتبدو جميلة المنظر زكيّة العرف تعطّر الارجاء بطيب شذاها وتستلفتُ الانظار الى بديع مرآهـا . فما اجملها عندما يبسم لها ثغر الغزالة فتنعكس اشعّتهـا على نقط الندى المكلّلة تلك الزهرة فتتلألأ كحبّات لؤلؤ على تاج من الذهب الابريز

ولكن ما قام قائم الهاجرة ورمت الشمسُ بجمرات الظهر حتى سخنت نقطات الندى فعادت بخاراً فشوّهت لون الزهرة . والشمس ترميهـا بسهامها الحادّة حتى سلبتها نضارتها !!!

مالت ربّةُ النور الى المغيب فصبغت الافق الغربي بلون اصفر . فكأنها وهي متدلّيةٌ في آخر الافق تقول بلسان حالها : الوداع أيتها الطبيعة الجميلة ! الوداع أيتها الحدائق الغنّاء . والمدن الغناء . والقصور الشاهقة . والانهار الدافقة !! . بل الوداع ايتها الازهار الغضّة . والمسالح البضّـة . التي كويتُكِ بجرّي الذي يذيب دماغ الضبّ . فلوّحتُكِ واحلتُ جمالكِ الرائع الى قبح دميم . فنضب منك ماء النضاضة .

فلا تشمين ان تصيري هشيماً مداساً ! ! ! قالت ذلك وتوارت في الحجاب / . . .

وكانت زهرتنا الوسيمة أثر فيها وطيس الحرارة فذبلت فتلاشت فسقطت هشيماً تحت ارجل المارّة ! ! . . . .

تلك هي حياتك ايها الانسان المغترّ بنُضْرَانه . المتنعم بما لديه من طيّبات الشبيبة لا يحسّ بما خبأه له الدهر من شقائه . انتبه يا هذا من غفلتك . واستيقظ من رقدتك . ولا يغرّنك زهو الشباب . فهو ما لا حقيقة له كالسراب . فانت في شرخ شبيبتك كزهرة الحقل . يبسم لك ثغر الزمان كما تبسم ربّة النهار للزهرة صباحاً فتنعشها وتدبّ فيها القوة فتنمو ويترقرق فيها ماء الجمال فتغترق الابصار بباهر رؤاها . وإنْ هي الا هنيهة حتى يتحوّل ذاك المبسمُ البادي الى جهومة تتناءى منها الابصار ! !

فلا تخدعنك ابتسامةُ الزمان وشرّةُ الشباب ورخاء العيش . فلا تعتّم شمس شبيبتك ان تأفل ويُقصر ليل شبابك ولا يبقى لك سوى بقية ذكرى محزنة / !

فان كنتَ احسنت العمل فانت من الرابحين . وان اسأت فعلى نفسك وكنت من الخاسرين . فاعمل لآخرتك كانك راحل غداً فالزمان يومان : ماضٍ لا يُردّ . ومستقبل لا يُعرَف له غد . ولا تكن كقوم غرّتهم الفانية . فغفلوا عن الباقية . فرحوا ومرحوا . وتمتعوا بلذاتهم ملياً كانهم فيها خالدون . فدرأت عليهم المنون من حيث لا يشعرون . فطفروا ذعراً وطلبوا مأمناً . فاذا الطرق في وجوههم مسدودة فصرخوا ربّنا ربّنا أجرنا انك غفور رحيم ! . واذ لم يكن صراخهم محبةً بالله ولا عن توبةٍ نصوح بل خوفاً من حرّ نار صَقَر المستمرة وسيف الموت المُصلَت فوق رؤوسهم فاجابهم الحق : « اني لا اعرفكم فطالما نبذتم شريعتي ودستم اوامري وذهبتم وراء شهواتكم وسجدتم لآلهةٍ لم يعرفها اباؤكم . بل تركتموني انا الينبوع الحيّ واحتفرتم لانفسكم آباراً مشققة لا تروي ظمأكم فانتم تموتون بخطاياكم وانا اتجدُ بهلاككم . ولو بسطتم ايديكم احجب وجهي عنكم لان ايديكم مملوءة من الدماء وقلوبكم نخرة وافكاركم زائفة شريرة . فتُرسلون الى سعير نار لا تطفأ ودودٍ لا يموت . كذا العُصاةُ والخطأةُ يحطّمون تحطيماً والذين تركوا الرب يُستأصلون . . . »

فيا ايها الذين زاغوا عن الشريعة . رحمةً بنفوسكم ارباوا بنفوسكم قبل ان يدنو الاجل . وينقطع الامل . فترون بعد هذه الحياة أيّ منقلب تنقلبون . . وما الموت ببعيدٍ عنكم . وما الحياة لكم بخالدة . بل هي كبخارٍ يظهر قليلاً ثم يبيد مضمحلاً . . . .

وحياةُ الدنيا نسمّى حياةً مثلما نُحسَبُ المجرَّةُ ضرا

النهضة الكاثوليكية في حلب

والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي (تتمة)

٣ الطوائف الحلبية في حلب من السنة ١٦٥٠ الى ١٧٠٠ (تابع)

. ظهرت النهضة الكاثوليكية بنوع اجلى في حلب في طائفة الروم الملكيين وقد بيَّنا سابقاً ما جرى على يد المرسلين في ايام السيد ملاطيوس كرمه الحموي فلمَّا صار بطريركاً وانتقل الى دمشق ورث عنهُ خلفهُ السيد ملاطيوس زعيم (١٦٣٥—١٦٤٨) ميلهُ الى الكثلكة ورخص للرهبان الفرنسويين ارشاد ابناء طائفتهِ على مقتضى تعاليم الكنيسة الرومانية . وكان لهُ قدوة في البطريرك افتيميوس الصائغ (١ الذي كان يجلّ الرهبان اليسوعيين في دمشق ويسلّمهم مدارس طائفتهِ ويرتشد بمشورتهم . وممن وقف نفسهُ على نشر الكثلكة بين روم حلب في ذلك الوقت الارشدياقون ميخائيل بجع تلميذ المرسلين ثمَّ وهبهُ داود اوَّل تلامذة مجمع انتشار الايمان الذي عاد الى الشهباء سنة ١٦٦١ فكلاهما عضد المرسلين في اثبات الحقائق الكاثوليكية ونفي ما كان سابقاً من النفور بين الكنيستين ولم تثنِ عزمهما الشدائد التي لقياها في سبيل غايتها . وكان السيد مكاريوس زعيم يزيد كل يوم تقرُّباً من الدين الكاثوليكي حتى انهُ جاهر بهِ غير مرَّة لا سيما لما جلس على كرسي بطريركيَّة انطاكية

---

١) هذا الاسم ورد محرَّفاً باسم اتيشيوس في المقالة السابقة والصواب افتيميوس كما نبَّه اليهِ حضرة الاب المحقق قسطنطين الباشا في المشرق (٩ : ٦٢٢)

من السنة ١٦٤٨ الى ١٦٧٢. ولدينا رسالتهُ التي ارسلها الى الحبر الاعظم على يد القنصل بيكه سنة ١٦٦١ مقرًّا فيها بخضوعهِ التامّ للكرسي الرسولي. وكذلك نُشرت رسالتهُ الى الملك لويس الرابع عشر في الآثار الخطّيّة (١. وبرجوعهِ وُجد في حلب في وقت واحد ثلاثة بطاركة من الكاثوليك الحديثي العهد بالكثلكة اي البطريرك الرومي الملكي مكاريوس المذكور والبطريرك كاتشادور الارمني والبطريرك اندراوس اخيجان السرياني

وتوطّدت الكثلكة في حلب بين الروم الملكيين في الربع الاخير من القرن السابع عشر فان مطروفان وغريغوريوس اسقفي حلب اثنى على ايمانهما المرسلون وقد كتب الثاني رسالةً ضمّنها خضوعهُ للحبر الروماني سنة ١٦٩٨. وفي ذلك الزمان وقع نزاع بين كيرلس الخامس واثناسيوس الرابع في امر البطريركيّة وكان الاوّل قد اختاره الدمشقيون واختار الحلبيون الثاني وكان كلٌّ منهما يتودّد الى المرسلين ويدّعي بصدق الايمان وان ظهر من كليهما ما يوقع الشكّ في صحة نيّتهما. على ان الدين الكاثوليكي زاد انتشارًا وتعمّق في قلوب كثيرين بهمة الرهبان الفرنسويين. وبذلك تمهد الطريق لطائفة كاثوليكيّة محضة لا يمتزج فيها زؤان الاضاليل الفوطيوسيّة. وهو الامر الذي جرى فعلًا بعد ذلك بقليل. وفي سجلّات المرسلين جداول تفصيليّة تعدّد اسماء المرتدّين من كهنة ومؤمنين يؤخذ منها ان عدد الكاثوليك في حلب اناف على عشرين الفًا في اواخر القرن السابع عشر. كانوا كباكورة ثلاث طوائف كريمة دخلت في حظيرة الكنيسة الرومانيّة فابهجت بيعة الله بثمارها الصالحة

٤ الاعمال الرسوليّة التي قام بها المرسلون من ١٦٥٠ الى ١٧٠٠

عرفتَ من هذا النظر العموميّ السابق كيف مهّد المرسلون الفرنسويّون الطريق للطوائف الكاثوليكيّة المستحدثة في الشهباء وكيف اسبغ الله نعمهُ على مساعيهم واتعابهم. وها نحن نعدّد في هذا الباب الاخير المشروعات التي تولّى

١) اطلب الآثار الخطيّة (Rabbath: *Documents*, I, 459,473)

ادارتها اولئك المرسلون ليرى القرَّاء انَّهم لم يدَّخروا وسعاً في فلاحة كرم الربّ فلا عجب أن اثمرت اعمالهم من الثمار الخلاصيَّة ما نما وزكا من بعدهم فصارت بهمَّتهم الكنائس الشرقيَّة اشبه بتلك الشجرة الباسقة الافنان المظلِّلة لطيور السماء بعد ان كانت كحبَّة الخردل اصغر من كلّ الحبوب (مرقس ٤ : ٣١)

انَّ امسّ عملٍ قام بهِ المرسلون عند دخولهم الشهباء ارشاد المؤمنين واثارة عقولهم . وذلك لأنَّ الجهل المطبق لتغلُّب كوارث الزمان كان قد استولى على الاذهان فلم يكد النصارى يعرفون من عقائد الايمان غير القليل الزهيد فاسرع المرسلون بعد أن اقتبسوا كفايتهم من مبادي العربيَّة الى وقف نفوسهم لتعليم الدين فباشروا اوَّلاً بجمع الاحداث ليعلِّموهم اصول التعليم المسيحيّ فكان هؤلاء الصغار اذا عادوا الى بيوتهم كرَّروا على مسامع اهلهم ما تعلَّموهُ فارشدوهم الى معرفة دينهم

ثمَّ رأى المرسلون ان يخالطوا الشعب ويفسّروا لهُ العقائد المسيحيَّة ويعدلوا بهِ عن الاضاليل التي كانت نفذت بين العموم بسوء فعل الزمان فجعلوا كلّ ايَّام الآحاد والاعياد يتناوبون في المواعظ والارشادات اوَّلاً في كنيسة الموارنة ثمَّ في كنيسة الارمن والروم فكان الحلبيُّون يتقاطرون الى سماع كلامهم كالعطاش الى ينابيع المياه وكثيرٌ من هذه الاوعاظ والخطب الدينيَّة باقية الى اليوم في مخطوطات توارثها الحلبيُّون ككنز ثمين منها للكرمليين ومنها لليسوعيين او الكبوشيين وقد نُشر بعضها بالطبع بعد ذلك وفي مكتبتنا الشرقيَّة قسمٌ منها في مجلَّدات متقنة الخطّ على ورق صفيق يُعرف باللبَّادي

ولم يكتفِ أولئك الصيَّادون باقتناص الاسماك الروحيَّة المقبلة اليهم بل اخذوا يجولون في بيوت الخاصَّة والعامَّة ليلقنوا الفقراء مبادئ الدين والآداب ويهذِّبوا النساء اللواتي كنَّ في تلك الازمنة مقصورات في بيوتهنَّ لا يستطعن الخروج منها الَّا مخفورات محصَّنات فيجمعوهنَّ في دار احداهنَّ ويعلِّموهنَّ ما يحتجنَّ اليه لخلاصهنَّ ولتربية اولادهنَّ

واذ وجد المرسلون اقبالاً من اهل الشهباء على تعاليمهم فكَّروا في نشر العبادات الكاثوليكيَّة بينهم فكان المرسلون الفرنسيُّون والكبوشيُّون يحيّون

اليهم اكرام آلام السيّد المسيح ورياضة درب الصليب والكرمليّون يشركونهم بثوب العذراء الطاهرة . امّا اليسوعيّون فانشأوا لهم الاخويّات المريميّة التي كادت تعمّ كلّ ابناء الطوائف الكاثوليكيّة

وكانت تلك الاخويّات تجمع اوّلًا نخبة الكاثوليك دون فرق بين طوائفهم فيقيمون الفرائض التقويّة في كنيسة الارمن ثمّ توفّر عدد الاتقياء حتّى اضطرّ المرسلون الى ان يقسموهم فجعلوا شركةً لكل طائفة تجتمعُ مرّة في كنيسة الطائفة فيتلون فرض السيّدة ويحضرون خطبة المرشد ويتفاوضون في امورهم الروحيّة. والحّ شبّان الموارنة وطلبوا ان تُنشأ لهم اخويّة خاصّة فاجاب الى دعوتهم الاب غليوم غوده (G. Godet) الذي توفّي سنة ١٦٥٠ ثمّ اقاموا اخويّة أخرى للاولاد من كل الطوائف طبعت في قلوبهم حبّ الفضيلة منذ حداثة سنّهم

وقد أتت كل هذه الاخويات باعمال جليلة كانت من اعظم الوسائل لبثّ روح التقى بين اهل حلب. ولدينا السجلّات التي كانوا يدوّنون فيها امور الاخوة ومبرّاتهم من عيادة المرضى وزيارة المحبوسين وتوزيع الحسنات على الفقراء . وكان يتعهّد المشتركون الحياد عن الملاهي ويلزمون لبس الثياب المحتشمة والقيام بفرائض خاصّة من العبادة والاماتات والتقرّب المتواتر من الاسرار

واذ تحقّق المرسلون اليسوعيون ان مثل الفرنج يؤثّر كثيرًا في الشرقيين افرغ الاب جان اميو (J. Amieu) كنانة جهده في نشر الفضائل المسيحيّة بينهم فأنشأ لهم اخويّة خاصّة تجتمع في الخان الفرنساويّ . فما لبثت هذه الجمعيّة ان نمت واتّسعت فدخلها كبار التجار الذين اضحوا قُدوة صالحة لكل اهل حلب فكانوا يثابرون على الاسرار ويتبرّعون بمالهم على ذوي البأساء ويصلحون بين الاعداء ويزيدون الايمان في قلوب الضعفاء

وممّا ساعد على نموّ اخويّة الفرنج في حلب انّما انضوى اليها القنصل فرنسوا پيكه فاظهر من التقى والورع والغيرة المتّقدة في خير القريب ما كان يعزّز الدين الكاثوليكيّ في اعين الجميع وقد اتّفق الاخوة فانتخبوه كرئيس لشركتهم الصالحة فتمّم واجباته بنشاط لم يعهدوهُ في غيره . وعليه لم يشاؤوا ان يقام رئيس آخر بدلًا منه . ولمّا خلفهُ

المسيو فرنسوا بارون في منصبه اراد ان يتقفّى آثار خلفهِ في تقواهُ وطلب مثلهُ ان يُدرَج اسمهُ في عداد الاخوة .

ثم توفي الاب جان اميو مرشد اخوية الفرنج فتولّى ادارتها راهب آخر يشبههُ في غيرتهِ وفضلهِ الاب جلبرت ريغو (Gilb. Rigault) الذي بلّغ الشركة ذروة كمالها حتّى انّ اهل حلب كانوا يشيرون بالبنان الى اعضائها ويثنون عليهم اطيب الثناء.

وكان المرسلون مع اهتمامهم بالارواح لا تفوتهم الاجساد فكانوا لا يكفّون في حلب عن مساعدة الفقراء لا سيما اولئك الذين كان الدهر بعد الغنى ورغد العيش اخنى عليهم وألصقهم بالدقماء فيخجلون من الاستعطاء . فكان المرسلون يقتسمون معهم قوتهم اليومي ويحنّنون عليهم قلوب مواطنيهم الفرنج

وقد رأيت في ما سبق انّ اهتمامهم بالمتوسمين والمرضى كان بالغاً جدًّا حتّى انّ بعضهم كانوا تفرّغوا لدرس الطبّ كي يعالجوا الامراض ويلطّفوا اوجاع المتوسمين فكانوا اذا خرجوا من اديرتهم تزاحم حولهم الحلبيّون وطلبوا منهم الادوية لأدوائهم او لعلاج ذويهم

وكان حنانهم على المرضى يزيد خصوصاً لدى فشوّ الطاعون فهذا الوباء كما مرَّ بك كان يتناوب على حلب فيرمي اهلها بسهامهِ القتّالة اما المرسلون فكانوا يتفانون في علاجهم قدر استطاعتهم ويعرّضون بنفوسهم الى خطر الموت بطيب القلب حاسبين موتاً كهذا في سبيل القريب شبيهاً بنعمة الاستشهاد

ومن اعمال المرسلين المشكورة في حلب خدمتهم للعبيد . وكان بين هؤلاء قومٌ ممّن أُسروا في الحرب فبيعوا كالرقيق ومنهم مَن استولى عليهم القرصان في البحر فاستعبدوهم . وكان كثير من اولئك المنكودي الحظّ نصارى في خدمة سادة من غير ملّتهم لا يسمحون لهم غالباً بان يمارسوا فرائضهم الدينيّة . فالمرسلون كانوا يتمشّون بهم ويجتمعون بهم سرًّا ليثبتوهم في ايمانهم او يردّوهم اليهِ اذا رأوهم جحدوا معتقدهم وقد رووا في رسائلهم اخبار عدد من اولئك العبيد الذين ارشدوهم ثمّ افتكّوهم من اسرهم او حملوهم على المجاهرة بدينهم . فنالت بعضهم محن وشدائدُ قاسوها بكل بسالة وصبر جميل . منهم بولونيٌّ اراد سيّدهُ ان يصنع بهِ الفحشاء فلم يجد الشاب وسيلة لأن ينجو من هذا الخطر الّا بقتل سيّدهِ فحُكم عليهِ

بالموت فمات راضياً مسلماً امرهُ الى الله في ١٢ شباط سنة ١٦٦٠ فبقي جسمهُ عشرة ايام في مكانهِ بلا فساد لم تمسّهُ وحوش الصحراء ولا كواسر الطير بل كانت تفوح منهُ رائحة عطرة حتّى دفنهُ بعض المسلمين باكرام لما تحقّقوا من براءتهِ (١

وكما مات هذا الشابّ شهيد عفّتهِ استشهد غيرهُ حبًّا بايمانهم منهم داود الحلبيّ الروميّ الذي أسهب معاصروهُ في وصف بسالتهِ وموتهِ الصالح (٢ . وكان هذا متولّياً لجمع الخراج من نصارى حلب فضغن عليهِ احد ابناء ملّتهِ والبسهُ يوماً عمامةً خضراء دون علمهِ ليوهم المسلمين انّهُ جحد دينهُ فلمّا علم داود بصحّة الامر ألقى عنهُ العمامة نافرًا فكان ذلك داعياً الى قتلهِ كأنّهُ بفعلهِ اهان الدين الاسلاميّ او ارتدّ عنهُ بعد الاقرار بهِ . وتفاصيل استشهادهِ قد رُويت في ترجمة القنصل بيكه بنوعٍ مؤثّر في القلوب (٣ . ويُخبرّ هناك كيف دخل اليهِ في حبسهِ الراهب الكرمليتانيّ برونو دي سنت ايف (Bruno de St Yves) وارشدهُ الى الدين الكاثوليكيّ وشدّد عزيمتهُ حتّى مات ميتة الشهداء بعد مقاساتهِ ضروب المحن في حبسهِ . وكانت وفاتهُ السعيدة في ٢٩ تموز سنة ١٦٦٠ وحضر حفلة جنازتهِ ثلاثة بطاركة وخمسة اساقفة وتقسّم النصارى ذخائرهُ ثمّ اشتهر بعد موتهِ بعدّة كرامات وارتدّ كلّ اهلهِ الى الدين الكاثوليكيّ ودخل حفيدهُ حنّا بن تدرس في رهبانيّة الكرمليتان ودُعي باسم داود دي سان شرل وصار بعد ذلك اسقفاً وقاصدًا رسوليًّا على ازمير(٤

ومنهم ايضاً شهيد آخر ارمنيُّ الملّة كان اسمهُ بأَلي (Baali) فهذا الشابّ كان يتردّد على المرسلين وكان ينتصر للدين الكاثوليكيّ ويدافع عنهُ بلا خوف ففي بعض الايّام اجتمع عليهِ فئة من اشقياء المسلمين الذين اوسعوهُ ضرباً فسبّ دينهم وكفى ذلك لأن يُرفع امرهُ الى الوالي فيحكم عليهِ بان يُحرق حيًّا في حارة النصارى المعروفة بالجديدة ما لم يرضَ بالاسلام فاجاب الشاب انهُ يفضّل الف موت على جحود دينهِ وسار الى الموت فرحاً متهلّلاً كأنّهُ يسير الى عرس وأُلقي في النار مقيّدًا . فلمّا

---

١) اطلب الآثار الخطيّة (Rabbath: *Documents* I, 456)

٢) راجع الآثار المذكورة (Id. I, 457-458)

٣) ترجمة فرنسوا بيكه (Vie de Fr. Picquet, pp. 96-150)

٤) الآثار الخطيّة (Documents, II, 6)

احترقت قيودهُ قام يتمشّى في النار كأنهُ لا يشعر بسعيرها فضربهُ الجلّاد ضربة على رأسهِ كانت هي القاضيــة وكان استشهادهُ في ١٢ تموز سنة ١٦٩٧ وكرّمهُ الله بالمعجزات كالشهيد داود السابق ذكرهُ (١

فكلّ هؤلاء شرّفوا الايمان الكاثوليكيّ بثباتهم وعزّوا قلوب المرسلين بقدوتهم الصالحة التي قدّموها لمواطنيهم . ولا غرو ان ترى بعــد ذلك نموّ عدد الكاثوليك في الشهداء حتى انّهم بلغوا نيّفاً وعشرين الفاً في اواخر القرن السابع عشر بعد ان كانوا بضع مئات عند وصول المرسلين سنة ١٦٢٥ . وفي الآثار الخطيّة التي نشرها الاب انطون رباط رسائل جمة تثبت ذلك تفصيلاً واجمالاً (٢

وما كان المرسلون يكتفون بنصارى الكنائس المنفصلة بــل كانوا يشملون بهمّتهم كلّ الضالّين بــلا تمييز كالبروتستانت التاجرين في حلب من انكليز وهولنديين (٣ وغيرهم بل رغب اليهم بعض الموحّدين ان يرشدوهم ففعلوا

وكان في حلب قومٌ من اليزيدية عبدة الشيطان والشمسيّة عبدة الشمس وبدعة هنديّة تُدعى بانيان فالمرسلون لم يشاؤوا ان يُحرم هؤلاء من نعمة الايمان فكانوا يزورونهم ويعودون مرضاهم ويسعفونهم في حاجاتهم فاكتسبوا بذلك ثقتهم وبعد حين جعلوا يثبتون لهم بطلان اديانهم وصحّة المعتقــد الكاثوليكيّ . وكان اليسوعيّون في مقدّمــة الذين يهتمون بأولئك المساكين فبارك الله مساعيهم وردّوا كثيرين منهم الى الدين القويم كما روى الاب بسّون في تاريخهِ وقد توفّق ايضاً الآباء الكرمليّون الى هداية قوم منهم (٤

وممّا يعود فضلــهُ الى المرسلين في القرن السابع عشر انّهم مهّدوا الطريق في الشهداء المعيشة الرهبانيّة . فانّ غوائــل الزمان كانت أنست بين النصارى تلك

---

١) وردت تفاصيل استشهاده في سجلّات الآباء الكرمليين في حلب (Documents II, 24-29)

٢) الآثار الخطيّة (Id. II, 27-29,66,73,86. etc)

٣) الآثار الخطيّة (Id. II, 6)

٤) اطلب (Besson: *Syrie et Terre Sainte*, 50-52) ثم راجع الآثار الخطيــة (Documents I,400,512)

البيئة الفضلى التي دعا اليها السيّد المسيح النفوس المتازة بتقاها فالمرسلون الفرنسويون اذ باشروا بزرع الفضائل المسيحيّة في القارب ما لبثوا ان وجدوا بين تلاميذهم رجالًا ونساء يتوقون الى الزهد في الدنيا ويرغبون في الانقطاع الى خدمة الله وتضحية نفوسهم في اعمال التنسك فاخذوا يصرفون عنايتهم الى اولئك المتورّعين فكانوا يخصّونهم بالارشادات التقوية والفرائض النافلة وممارسة الفضائل الرهبانيّة وربما يصحّ لهم ان يجمعوهم في اديرة خاصّة . من الآثار الباقية من ذلك العهد ما رواهُ الاب الكبوشي يستنيان دي طور (١ قال انّ آباء رهبانيّته في حلب علّموا عدّة بنات من اهلها ان يتبعن قوانين مار فرنسيس وكنّ يعشن كراهبات في بيوت الخاصّة وهنّ يمارسن كلّ فرائض الرواهب لا يخرجن من بيوتهنّ الّا لحضور القداس في الكنيسة وكنّ في العزلة يلبسنَ الثوب الرهبانيّ

وبعد حين اجتمعت بنات غيرهنّ من الارمن والسريان بلغ عددهن ٢٣ فطلبن من بطريرك السريان اندراوس اخيجان ان يلبسهنّ الاسكيم الرهبانيّ فالسيّد الجليل وكل امرهن الى رئيس الكبوشيين الاب جان دي سنت انيان (J-B. de St Aignan) فاخذ يرشدهنّ ويستعين بهنّ لكل اعمال التقى والصلاح بين نساء حلب (٢

وكما نشأت مذ ذاك الحين الرهبانيّة بين النساء الصالحات كذلك شعر بعض اتقياء الشبّان بدعوة الله الى التوهّب غير ان الامر لم يتسنّ لهم الّا بعد بضع سنوات في العشر الاوّل من القرن الثامن عشر ومنهم كانت الرهبانيّات اللبنانيّة المارونيّة البلديّة والملكيّة الشويريّة . على انّ بعض اولئك الشبّان سبقوهم فانتموا الى رهبانيّات غربيّة كالاخ اليّا الارمني السابق ذكرهُ والاب المكرّم ابراهيم برجس الماروني اليسوعي الذي مات شهيدًا في مصوّع سنة ١٦٨٣

ومن الاعمال التي باشرها المرسلون في حلب مدارس الاحداث . وكانت اوّل مدرسة فتحوها في حي الجديدة في دار كنيسة الروم تولّى تدبيرها الاب اليسوعي جيروم كويرو (J. Quyrot) سنة ١٦٢٨ فبلغ عدد طلبتها في السنة التالية ٣٠ طالبًا

١) اطلب كتابهُ مرسح تركيا (Théâtre de la Turquie, p. 467)

٢) الآثار الخطيّة (Documents I, 422-423)

كان الاب يعلّمهم العربيّة والايطاليّة واليونانيّة (٢ . لكنّ اعداء اليسوعيين اضطرّوهم الى العدول عن التعليم مدّة ثمّ عادوا الى تهذيب الشبيبة بعد خمس سنوات ففتحوا مدرسة اخرى مختلطة من اولاد كل الطوائف ذكروها مرارًا في رسائلهم . وكذلك الكرمليّون فتحوا مدرسة علّم فيها الاخ الياس المنتمي الى سيدة الكرمل وكان هذا حلبيًا من طائفة الارمن فكان يعلّم العربيّة والايطاليّة لنحو عشرين ولدًا. ومثلهم الكبوشيّون اداروا مدرسةً للناشئة الحلبيّة ورد ذكرها في رسالة لوزير ملك فرنسة لويس الرابع عشر (١

ولا شكّ انّ هذه المدارس لم تتجاوز في اوّل امرها مبادئ التعليم اي الكتابة والقراءة في العربيّة والايطاليّة والفرنسويّة مع اصول الدين وقواعد الحساب لكنها كانت نعمةً سابغةً في مدينة كحلب حيث كادت الآداب تُطمَس بعد ازدهارها. فاضحت كفاتحة عصر جديد فلن يمرّ على تلك المكاتب مئة عام حتى تصير الشهباء كهدٍ للنهضة الادبيّة بين نصارى الشام فمنها تنتشر الى بقيّة الانحاء.

بل نرى المرسلين يخصّون قسمًا من زمانهم للكتابة والتأليف فكانوا بذلك قدوةً للطوائف الشرقيّة. وشرعوا اوّلًا بتصنيف الكتب الدينيّة كالتعليم المسيحي وكتب الصلوات والتأمّلات وشرح العقائد الكاثوليكيّة والدفاع عن الدين القويم وقد اشتهر اليسوعيّون في ذلك فمذ دخلوا حلب درسوا لغة اهلها واسرعوا الى كتابة التآليف الروحيّة . منهم الاب حبيب شيزو الذي الّف كتبًا عديدة ونقل غيرها الى العربيّة والارمنيّة والفارسيّة قيل انّ عدد مصنفاته او منقولاته بلغ الاربعمائة (٢ . ومثلهُ الاب جان امير الذي عُني بتأليف كتب دينيّة في العبادة الى البتول وفي اكرام القديس يوسف ونقل كتاب الكردينال ريشليو في الكمال المسيحي وزيّف اضاليل المبتدعين (٣. وكذلك الاب ميشال نو (M. Nau) لهُ عدّة تآليف دينيّة منها كتاب الدلالة اللامعة (راجع مقالة حضرة القس جرجس منش ص ٥٢٣). وصنف الاب بوازو (Boisot) كتبًا منها ترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس

١) اطلب الآثار الخطية (Documents I, 380)

٢) الآثار الخطية (Id. I, 52,77,379-381,434.517 etc., II, 65)

٣) الآثار الخطية (Documents I, 53,92-63) ٤) الآثار الخطية (Id. I, 431)

وللكرمليين مآثر دينيَّة أخرى منها ما صنَّفهُ مرسلوهم في حلب من التآليف وقد وصف حضرة الاب انستاس الكرملي تلك الآثار في جملة ما عدَّدهُ من مصنَّفات اخوتهِ في الشرق واضفنا اليها اسماء كتب أخرى فاتتهُ (المشرق ٩: ٨٣١–٨٤٤)

ومثلهم الكبوشيُّون والفرنسيسيُّون ذُكر لهم في تواريخهم مصنَّفات عُنوا بوضعها او بنقلها (٣

ولم يقصر المرسلون في حلب عملهم على التآليف الدينيَّة بل صنَّفوا ايضاً عدَّة كتب لغويَّة وادبيَّة وتاريخيَّة وعلميَّة منها قاموس اللغة العربيَّة للاب شيفو وتعريب غراماطيق الاب ألفارس اللاتينيّ لهُ وقاموس آخر في اربع لغات لهُ وقاموس تركيّ لاتينيّ للاب اميو

ومن الخدم التي ادَّاها المرسلون في حلب للعلم انَّهم في رسائلهم لرؤسائهم ومواطنيهم كانوا يتَّسعون في وصف احوال الشرق عموماً وحلب خصوصاً فتجد هناك كنوزاً من المعلومات لا اثر لها في غيرها من الكتب. فمن ذلك وصف حالة الشهباء وابنيتها الدينيَّة والمدنيَّة وعادات اهلها ومرافقها وتجارتها وآدابها ونظامها السياسي ووصف مللها المختلفة حتى يستطيع من درس الباقي من تلك الآثار ان يكتب تاريخاً مطوَّلاً لحلب وجهاتها منذ اواخر القرن السادس عشر الى يومنا

وكان وزراء فرنسة يكاتبون المرسلين ويطلبون منهم ان يفيدوهم في توسيع نطاق الاعمال بين بلادهم والدولة العليَّة. ولمَّا ارادوا ان ينشئوا المكتبة الملكيَّة فرعاً لمخطوطات الشرق كان المرسلون الفرنسويون في حلب والاستانة وسطاً لتحقيق امانيهم. ففي رسائل الاب كريرو اليسوعي ما يروي فيها ابتياعهُ لعدَّة مخطوطات عربيَّة وتركية لمكتبة باريس ومساعدتهُ للمستشرق غوليوس (Golius) الهولندي في اقتناء غيرها لمكتبة ليدن (١ ..

وكان اذا لم يمكنهم ان يبتاعوا تلك الكتب ينقلوها الى الافرنسيَّة ويرسلوها

---

١) اطلب تاريخ الرسالة الكبوشيَّة في الشرق للاب هيلار دي برانتون (Hilaire de Barenton, p. 122-124)

٢) اطلب الآثار الخطيَّة (Documents 1, 404)

الى وزير الدولة كما فعل الاب نو الذي وقف على تاريخ بطاركة انطاكية الملكيين في حلب فارسل ترجمتهُ لوزير الدولة في فرنسة الشهير كولبار (Colbert)

وهذه الحركة العلميَّة امتدَّت بمثال المرسلين الى غيرهم من الاكليروس الحلبيّ كالبطريرك مكاريوس زعيم الشهير بتآليفهِ التاريخيَّة والطقسيَّة (١ والخوري بطرس التولويّ الذي ترجمهُ حضرة القس جرجس منش (٢ وعدَّد تآليفهُ ومنقولاتهِ

وكأنَّ الاعمال السابق ذكرها لم تروِ غليل المرسلين فانهم طلبوا حول حلب مدناً وقرًى ينتقلون اليها فيبشِّرون اهلها فمن المدن التي شكرت غيرتهم مدينة الاسكندرونة التي كانوا يتردَّدون اليها من وقت الى آخر فيرشدون اهلها ويوزعون عليها الاسرار المقدَّسة ولا يبالون بما يلاقونهُ في ربعها من الامراض والحيَّات. وكانوا اذا وجدوا فيها مركباً راسياً للفرنج زاروهم ودعوهم الى اتمام واجباتهم الدينيَّة. وممَّن امتاز بهذه الاعمال الخيريَّة الابوان شيزو وريغو (٣. وكذلك زاروا اهل كلس وانشأوا بينهم اخويَّة العذراء فاخذ عدد الكاثوليك ينمو فيها مذ ذاك الحين. ومن حلب خرج مرسلون آخرون فتقدَّموا الى جهات ما بين النهرين كالاب ميشال نو الذي رحل الى ماردين ليردَّ ما فيها من اليعاقبة. وكبعض الآباء الكبوشيين الذين ذهبوا الى ديار بكر واورفا فزرعوا فيها بزر الايمان الكاثوليكي

فهذه المشروعات تبيِّن علانيةً ما سبقنا وقلناهُ في مقدِّمة كلامنا انَّ حلب كانت في القرن السابع عشر مهد الكثلكة في الشرق وان الفضل في ذلك مرجعهُ الى المرسلين الفرنسويين. وان شاء الله نروي في مقالة أخرى ما اتوهُ في مطاوي القرن التالي

---

١) الآثار العلميَّة (Id. I, 48)

٢) اطلب المشرق (٦: ٧٦٩)

٣) اطلب المشرق (٦: ٧٦٩-٧٧٧)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ملحق بالقسم الأول

(التوحيد بين العرب) وممن فنّدوا رأي رينان في التوحيد الغريزي بين قدماء العرب المستشرق الشهير يوسف هالوي (Joseph Halévy) في مقالاته عن الكتابات المكتشفة حديثاً في بلاد العرب (١ بهمّة الرحالين اليها كالانكليزي دوغتي (Doughty) والقنصل الفرنسوي هوبر (Huber) والاستاذ اوتنغ (Euting) وكذلك العلّامة الاثري فيليب برجه (Ph. Berger) في كلمته عن كتابات تيماء (Inscriptions de Teimâ) ويتضح من هذه الاكتشافات ان عبادة الاصنام كانت شائعة في جزيرة العرب ومنظمة كما كانت عند غيرهم من الشعوب فلها هياكل وكهنة وذبائح وآلهة متعدّدون خلافاً لما زعم رينان رغبةً في معاداة الوحي

(عبادة الزُّهرة بين العرب) وهذا بعض قول اسحاق الانطاكي (ed. Bickell, I. 244-246) في الزُّهرة وعبادتها عند العرب ثم عدولهم الى دين المسيح

ܡܢܝܢ ܕܥܪܒܝܐ ܕܢܦܩܘ ܡܢ ܬܡܢ ܐܠܗܐ ܕܐܝܬ ܠܗܘܢ ܐܠܗ ܚܕ ܕܫܡܗ ܡܘܬܒ ܐܝܟ ܕܐܝܬ ܠܗ ܡܠܟ

« لهذا الكوكب (اي الزهرة) كانت قبائل ابناء هاجر (العرب) تقدّم الذبائح (لتنال نساؤهم موهبة الحسن والجمال) لكنّ نساءهم كبقية النساء فتبنّ جميلات ومنهنّ دميمات . ومنذ اقبلت النساء العربيّات على (عبادة) شمس البرّ (اي المسيح) فاضنّ جحدن (عبادة) ذاك الكوكب (الزهرة) الذي عبدنَهُ باطلاً . فانّ اولئك الاغراء (اي العرب) حنوا رؤوسهم للنير واناخم (خضعن) للتأديب . والنساء اللواتي تربّين في المقدس (اي البيعة) ابدلن (عبادة) الزهرة بعبادة المسيح واختلطن بمنا يصلاتهنّ »

(اصنام العرب) في تاريخ الجاهلية لابي الفداء (Fleischer: *Abulfedæ Hist. anteislamica*, p.180) ما حرفهُ عن اصنام العرب قال :

« وصنفٌ (من العرب) عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبائل فكان ودّ لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمدان (لهمدان) واللات لثقيف بالطائف والعزّى لقريش وبني كنانة ومناة للاوس والخزرج وهُبَل اعظم اصنامهم وكان هُبَل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلة على الصفا والمروة »

(ذو الخلَصة) المرجّح ان ذا الخلَصة لم يكن صنماً بل بيتاً او بالحريّ بيعةً نصرانيّة لقبائل اليمن . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٤٦١) :

« الخلَصة بيت اصنام لدوس وخثعم وبجيلة . . . وقيل هو الكعبة اليمانيّة التي بناها ابرهة بن الصبّاح الحميري . . . وقيل كان ذو الخلصة يسمّى الكعبة اليمانيّة وبيت الحرم الكعبة الشاميّة »

وقد ذكر ياقوت الكعبة اليمانيّة في محلّ آخر (٢ : ٧٠٣) ودعاها بدير نجران وعليه يجب القول ان القبائل التي كانت تحجّ اليها اعني خثعم وبجيلة ودوس كانت نصرانيّة

(الذبائح عند العرب) جاء في شرح المفضليات لابن الانباري (ed. Lyall, p. 228-229) في قول سلامة بن جندل « كأنّ اعناقها انصابُ ترجيب » انّ العرب « كانوا يذبحون في رجب » .

(نصرانية غسّان) يضاف الى ما ورد هنالك لليعقوبي قولهُ (ج ١ ص ٢٣٣) بعد ذكره لتنصر بني سليح في الشام : « وتنصرت غسّان بملكة من قبل صاحب الروم » وجعل تنصّرها على عهد « جفنة بن عليّة (ثعلبة) بن عمرو ابن عامر » . وكذلك الفيروزابادي في مقدّمة قاموسه قد قال : « انّ كثيراً من

ملوك الحيرة واليمن تنصَّروا واما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى ». وقد افادنا ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٧١) عن اخبار غسان بعد الاسلام ما حرفهُ قال :

« وقامت غسان بعد تنصرها من الشام بارض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهَّزوا الى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي بعدهُ خليج القسطنطينية وفي هذا الجبل باب الابواب وفيهِ من شعوب الترك المتنصرة والشركس واركس واللاص وكسا وسمهم اخلاط من الفرس واليونان »

(تنصر القيصر فيلبس العربي) قال اوروزيوس (اوروشيوس) المؤرخ الاسباني في القرن الخامس للميلاد عن فيلبس العربيّ « ان فيلبس سبق كلَّ الامبراطرة (القياصرة) في دينهِ بالنصرانية (Philippus-Arabs) Hic primus Imperatorum omnium Christianus fuit (*Paul-Orose, Hist.* VII, c. 20)

(ماوية ملكة غسَّان) جاء في تاريخ سوزمان (Sozomène, H. E., V, c. 1) انَّ الروم لمَّا ساروا لمحاربة الغوطيين الزاحفين على القسطنطينية استعانوا بفرقة من العرب الخاضعين لماوية

(مهاجرة النصارى الى بلاد العرب في اضطهاد دقيوس) اخبر اوسابيوس في تاريخهِ (Eusèbe, H. E., VI, c. 39) « انَّ كثيرين من النصارى هربوا الى بلاد العرب لمَّا ثار اضطهاد القيصر دقيوس »

(نفي الشهداء في بلاد العرب) قال تاودويطس المؤرخ في القرن الخامس عن ثالث القيصر الروماني « انَّهُ نفى كثيرين من المعترفين بالايمان في الرها الى حدود العرب » Qui (Valens) multos confessarios fidei Edessenos in finibus Arabiæ dispergi jussit (*Theodoret*, H.E. IV. 18)

(اساقفة العرب) وقد ذكر القديس ابيفانيوس في القرن الرابع (Epiphanius : *Anacph.* n° 12) اساقفةً اقيموا على قُرى العرب (μητροκωμίαι Ἀραβίας)

(فروة صاحب عمان) ومن مدن البلقاء عمَّان. وفي وفادات العرب لابن سعد (ed. Wellhausen, 20) انَّ فروة بن عمرو الجذاميّ كان عاملًا على عمَّان من

ارض البلقاء وكان نصرانيًا فاسلم عند ظهور الاسلام فغضب عليهِ هرقل وقتلهُ صلباً

(الفيلسوف النصراني بنتانوس في بلاد العرب) راجع في مجلة الكليّة الكاثوليكيّة (Université Catholique, 1853 XXXV, p. 329) للمستشرق البلجكيّ نيف (F. Nève) مقالة مسهبة يثبت فيها انَّ الهند المذكورة في تاريخ بنتانوس انَّما هي اليمن ليس الّا قال:

« Quand nous lisons (dans Eusèbe) que Démétrius archevêque d'Alexandrie donna en 189 à S. Pantène la mission d'annoncer l'Evangile dans les Indes, nous ne pouvous entendre par ce terme que l'Arabie Heureuse ».Cfr. aussi *Annales de Philosophie, 3e série*, t. XIII, XIV (p. 7) et XV »

(الرحمان) اسم الرحمان ورد مرارًا في الكتابات الحميريّة المكتشفة حديثاً ولاسيما في الكتابات النصرانيّة. اطلب مجلة الاسيويّة الالمانيّة (Fell: *Sudarab. Studien*, ZDMG, 1900, LIV, p. 252)

(شهداء نجران) راجع في المجلة الاسيويّة الالمانية (ZDMG XXXV, 1881, 1-75) مقالة مطوّلة في الآثار العربية والسريانيّة والحبشيّة المتوطة باخبار اولئك الشهداء للعلّامة الالماني فال (Fell: *Die Christenverfolgung in Südarabien*)

(سدّ مأرب) في رواية كتبة العرب عن هذا السدّ اشارة الى نبيّ دعا اهل اليمن الى التوحيد فابوا الاصغاء اليهِ فعاقبهم الله بانفجار هذا السدّ. فنجد في خبرهم عينهِ مع ما فيهِ من المزاعم الباطلة اشارة الى الدعوة النصرانيّة لدى ذكرهم ذلك النبيّ الذي دعاهم الى الله فقتلوهُ وهو على رأينا احد دعاة النصرانية وشهدائها في اليمن. دونك شيئاً من روايتهم نقلًا عن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (ed. de Goeje, p. 114):

« كان اهلها (اي اهل سبأ) . . . اغنياء صاحب صامت ومواشي فلم يكونوا يرون لاحد على انفسهم طاعةً الّا لمن قد ملكوه على انفسهم وانقادوا لرئاستهِ وكان لهم اوثان يعبدونها فبعث الله عزَّ وجلَّ اليهم نبيًّا اقام فيهم زمانًا يدعوهم الى الله فكذبوه فاوعدهم وخوَّفهم وحثهم على شكر الله على ما انعم عليهم فلم يلتفتوا الى قولهِ واستهانوا بهِ وقالوا: آتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وذبحوه ذبحاً . . . . فانبثق ذلك السدّ وانى على اهل هاتين المدينتين

(يريد سبأ المنقسمة الى مدينتين عظيمتين) . . . . . فلمّا حلّ جم هذا الحدث آمنوا بالله وسألوه العفو وانابوا وخضعوا فقبل الله تعالى ذلك منهم وقوّاهم وجمع كلمتهم وأيّد امرهم . . »

(كنيسة صنعاء) قرأنا في احد مخطوطات باريس (de Slane, Mss. Arab. Paris, Ms 701 ff. 71) عنوانهُ « تاريخ صنعاء اليمن لاحمد الرازي » كتبهُ سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) ما حرفهُ :

« حدّث غسّان بن ابي عبيد قال دخل عيسى بن مريم صلّى الله عليهِ في موضع الكنيسة (يريد في صنعاء !) فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على اثر مصلّاهُ . وهذه الكنيسة في وقتنا خربة وهي اسفل زقاق المنصبين في صنعاء في الجانب الغربي محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء . وقد بقي من هذه الكنيسة ضير شبه اسطوان على حرف الطريق الى سوق الطاوين والى درب دمشق . وقد ادركتُ عقودًا كثيرة كانت باقية الى سنة ٣٩٠ »

(النصارى في حضرموت) روى الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ١٨٥٢—١٨٥٦ و ٢٠٠٥ — ٢٠٠٧) ان قسًّا من قبيلتي السَّكون والسكاسك النصرانيتين كانوا يسكنون في حضرموت

(النصرانية في سُقُطرى) وممن اثبتوا دخول النصرانية في جزيرة سقطرى المؤرخ فيلوستورج (Philostorge, P. G., LXV, p. 470-482) من كتبة القرن الرابع للمسيح . وبقيت النصرانية فيها اجيالًا طويلة بعد الاسلام . قال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٣٧) : « وظهر المسيح فنتصر مَن فيها (اي جزيرة سقطرى) الى هذا الوقت » . وفي معجم البلدان لياقوت (٣ : ١٠٢) : ان في سُقُطرى « من جميع قبائل مَهرة وبها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى » ثمّ قال « واما اهل عدن فانهم يقولون لم يدخلها من الروم احد ولكن كان لاهلها رهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة »

ومثلهما الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر (ed. Jaubert. I. 47) . وافادنا الرحّالة مركو بولو في اواخر القرن الثالث عشر انّ سقطرى كانت خاضعة لبطاركة الكلدان الذين كان يرسلون لها مطارنة . عُرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ وقرياقوس سنة ١٢٨٢ فغلبت النسطوريّة على اهلها . ولمّا دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا اهلها نصارى كان استولى على جزيرتهم حديثًا عرب اليمن سنة ١٤٨٠ فحاربوهم سنة ١٥٠٧ وضبطوا جزيرتهم مدّة

(القديس فرنسيس كسفاريوس في سقطرى) لم ينسَ القديس كسفاريوس جزيرة سقطرى بعد نزوله اليها عند رحلته الى الهند بل ارسل اليها مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ اربعةً وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. الّا ان غزوات العرب المتوالية لم تعد تسمح لهم بالسكنى هناك. (راجع مقالة مطوّلة الكاتب الفرنسويّ رومانه دي كليو (F. Romanet de Caillaud) في مجلّة الارض المقدّسة (La Terre Sainte. 1889, pp. 174 et 187) وترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس الجديدة للاب برو (A. Brou: *St François Xavier*. I. 120)

(النصرانية في البحرين) ومن المحدثين الذين اشاروا الى تنصّر عرب البحرين قبل الاسلام الرحّالة بالغراف (Palgrave) في سفره الى اواسط جزيرة العرب (ج٢ ص ٢٠٢). راجع ايضاً ما نقلناه عن ياقوت (٣: ٨٧٣ — ٨٧٤) في ذكر فرسان (ص ١٣٧)

(تنصّر امرئ القيس البدء) وقد سبق الطبريُّ ابنَ خلدون في رواية تنصر امرئ القيس حيث قال في تاريخه (ج ١ ص ٨٣٤—٨٣٥):

« وكان من عمّال سابور بن اردشير وهرمز بن سابور وبهرام بن سابور بعد مهلك عمرو ابن عدي على فُرَج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابنٌ لعمرو بن عدي يقال له امرؤ القيس البدء وهو اوّل من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس »

وفي مروج الذهب للمسعودي (٣: ١٩٩) انّ امّ امرئ القيس البدء كانت غسّانية اسمها مارية اخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسّان

(النعمان ابن شقيقة) نقل ابن خلدون في تاريخه (٢: ٢٧١) عن البيهقي ان النعمان ابن الشقيقة « هو اوّل من تنصر » وقد رأيت سابقاً ان امرء القيس البدء هو اوّل ملوك المناذرة المتنصرين قبل ذلك بزمن طويل (كما روى ابن خلدون نفسه)

(تنصّر المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء) يزاد الى ما روينا ما قالهُ ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud, p. 299): « كانت الحيرة منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة ».

ومن الحيرة كان احد كبار السيّاح المعروف بمار يوحنّان (Chabot : *Le livre de la Chasteté*., p. 28) الذي تنسّك في جبل الإزل في دير معرتا. قال مؤلف كتاب العفاف السرياني (ܟܬܒܐ ܕܥܦܦܐ) انهُ « كان من الحيرة عربيّ الاصل من اسرة شريفة وبعد ان درس في مدرسة نصيبين ترهّب في دير معرتا وكرّمهُ الله بعمل المعجزات »

(المنذر والاسقفان اليعقوبيّان) هذا الخبر المرويّ عن المنذر رواه المؤرخ اللاتيني وكتور التوني (Victor Tununensis, †566) المتوفى سنة ٥٥٦ م في تاريخ سنة ٥١٢ بما حرفهُ :

« Alamundarus Saracenorum rex a defensoribus Synodi Chalcedonensis baptizatus, Theopaschitas episcopos a Severo Antiochensi episcopo ad se cum litteris missos, barbarum mirabiliter propositionem concludens atque superans, Deum immortalem ostendit » (*Migne* P. L., LXVIII, p. 95)

(تنصر النعمان بن المنذر) زعم عمرو بن متى (ed. Gismondi, p. ٤٨) وسليمان بن ماري (Id. p, ٥٦) ان النعمان بن المنذر مرض مرضاً شديداً فشفاه الاسقفان النسطوريان شمعون اسقف الحيرة وسبريشوع اسقف لاشوم مع الراهب ايشوع زخا. وانهُ اعتمد من بعدهِ ولداه المنذر والحسن قال: « وكان الحسن اشدّهم تمسكاً بالنصرانية وكان لا يمنع تقدّم المساكين اليهِ اذا دخل البيعة »

(النصرانية في المدينة) ومن الآثار المثبتة بوجود النصرانية في المدينة دير كان على جبل قريب من المدينة يدعى بسَلع فنُسب اليه دير سَلع وقد ذكرهُ الطبري في تاريخهِ وكان هذا الدير صار بعد ذلك في ايدي اليهود فجعلوه مقبرة وفيه دُفن الخليفة عثمان بعد قتلهِ (راجع الطبري ج ١ ص ٣٠٤٧)

(ابو عامر الراهب) هو ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن امية من بني عمرو بن عوف ذكره ابن الاثير في اسد الغابة (٤ : ٤٨٨) وذكر في تاج العروس (٤ : ١٧٣) له ابنةً تدعى شموساً

(الحنيف بمعنى النصراني) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربّهِ في وصف يوم الغبيط (٣ : ٨٨) « انَّ عتيبة قال لبسطام بن قيس سيد بني بكر : استأسر لي . . .

فناداه بسطام: ان كررتَ فانا حنيف. وكان بسطام نصرانيًا »

(نصرانيَّة بهراء) شهد على نصرانيتهـا ايضاً ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨) قال « انَّ بعضهم (اي بعض العرب) تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام »

(محمَّدان نصرانيَّان في الجاهليَّة يضافان الى محمَّد بن مجاشع اسقف تميم) هما محمد ابن حمران كان من نصارى مذحج وكان معاصراً لامرئ القيس وهو الذي سمَّاه امرؤ القيس بالشويعر. امَّا محمد بن خزاعي فكان من بني ذكوان بطن من سُلَيم قدم على ابرهة ملك اليمن فتنصر ومات على دينهِ (Sprenger : *Mohammad*, I, 161)

(وصية الحرث بن كعب) قد وجدنا هذه الوصية في كتب أُخرى منها خطية ومنها مطبوعة كما رويناها . ثم وقفنا على رواية مختلفة اثبتهـا العلامة غولدسير (Goldziehr) في كتابهِ (Abhandl. z. arab. Philologie, XLIII) وفيها يقول الحارث « انهُ على دين شُعيب » وروايتنا هي الاصحّ كما يلوح من القرائن. وقد روى ايضاً غولدسير « أُسيد بن خزيمة » بدلاً من « اسد »

(نصرانيَّة بني حنيفة) ومن المحدثين الذين صرَّحوا بنصرانية بني حنيفة ارنلد (Arnold Mulheisen : *Islam and its Relations to X*, p. 34) وكذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن معاوية (ص ٤٣١)

(نصرانيَّة خثعم) قد ذهلنـا عن ذكر نصرانية قبيلة خثعم. وقد شهد على الامر ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧٠٣) حيث قال عن دير نجران في اليمن وهو المسمَّى كعبة نجران او الكعبة اليمانية (راجع صفحة ١٤٣):

« وكان بنو عبد المدان بنَوهُ مربَّعاً مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعاً عن الارض يُصعد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجُّونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة ويحجهُ خثعم قاطبة »

فبقوله انَّ بني خثعم كانوا يحجون دير نجران اوضح بنوع صريح نصرانيتهم. وبنو خثعم كانوا ينتسبون الى خثعم بن انمار بن نزار بن معـد بن عدنان. وكانوا يسكنون في البحرين وفي اليمن مع عبـد القيس وبجيلة وحاربوا سابور ملك الفرس مع اياد (C. de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 48-49)

(اديرة لبني طيء) والى طيء يُنسب دير سِلسلة الذي كان في جهات الكوفة قبل الاسلام وهو سلسلة بن غنم بطن من طيء (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤٠٣) وهناك كان دير حُرَقة ودير امّ عمرو

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١١ الموصل

كان اوّل فكرنا بعد حلولنا في دير الآباء الدومنيكيين الاجلّاء ان نشكر الله الذي اوصلنا سالمين الى الموصل وزاد شكرنا لعزّته تعالى انّنا علمنا وقتئذٍ شيئاً من الاهوال التي حاقت بجهات ديار بكر وما بين النهرين حيث كنّا سائرين مطمئنين والدماء تسيل حولنا ونحن لا ندري

وبعد اتمامنا الفرائض الدينيّة اجتمعنا بآباء الدير وتبادلنا مليًّا عبارات الاخاء والوداد ثمّ زرنا معاهد مقامهم وما يلحق بهِ من الابنية المجاورة كالمطبعة والمدارس ولا سيما المدرسة الاكليريكيّة التي يديرها الآباء بكل اهتمام

وبُعَيد الظهر اسرعنا الى تقدمة واجبات الوقار والاكرام لغبطة السيّدين البطريركين جرجس عبد يشوع خيّاط بطريرك الكلدان على بابل واغناطيوس بهنام بنّي بطريرك انطاكية على السريان فتشرّفنا بلثم راحتيهما والتماس بركتهما وكان استقبال غبطتيهما لنا كاستقبال اعطف الآباء بل تلطّفت كلاهما ودعانا الى مأدبة فاخرة مع حضرة رئيس الآباء الدومنيكان فكاد هذا اللطف يخجلنا لولا علمنا بانّ السيّدين الجليلين (طيّب الله ضريحهما) ارادا ان يكرما في شخصنا الحقير الرهبانيّة اليسوعيّة فشكرنا لهما تعطّفهما باسم حضرة رئيسنا العام

وكذلك حظينا بشرف المثول لدى سيادة المطران يوسف اليّا خيّاط الكلداني اسقف العمادية والمطران بولس دانيال السرياني اسقف دارا شرفاً . وكان سيادة القاصد الرسولي على ما بين النهرين وكردستان السيّد هنري التابر وقتئذٍ غائباً من

الموصل فقدّمنا لوكيلهِ حضرة الاب اغوسطين صانغ مراسيم التجلّة ودرنا بصحبتهِ في انحاء دار القصادة التي وجدناها جديرة بمقام ممثل الكرسيّ الرسوليّ . ورأينا في الديوان صور القصّاد السابقين وفي جملتهم سيادة القاصد مبارك بلنشه الذي خلّد لهُ ذكرًا طيّبًا في الموصل باعمالهِ المبرورة . ورأينا في الموصل شيوخًا يثنون على مشروعاتهِ ويذكرونهُ بالخير مع الآباء يوسف لابورد ولويس كانوتي وبولس ريكادونًا ومنصور (مكسيليان) ريلُو ولكلّهم مآثر خلّفوها في حاضرة كردستان . ولمّا اتموا المهمّة التي عُهدت اليهم عادوا الى الشام بعد ان سلّموا تلك الرسالة الى حضرة الآباء الدومنيكيين الفرنسويين بدلًا من الايطاليين الذين تولّوا تدبيرها سابقًا

الموصل من المدن المنشأة في عهد الدولة الاشكانيّة كما هو مرجّح وقيل قبلها فخلفت مدينة نينوى التي كانت واقعةً على ضفة دجلة اليسرى فبُنيت الموصل على ضفة هذا النهر اليمنى وانّما اختلفوا في تسميتها بالموصل وقد وصفها ياقوت الحموي في زمانهِ فقال واحسن (معجم البلدان ٤ : ٦٨٢—٦٨٣)

الموصل المدينة المشهورة الطيّبة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظر كبيرًا وعظمًا وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محطّ رحال الركبان ومنها يُقصَد الى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يُقصَد الى اذربيجان . وكثيرًا ما سمعتُ انّ بلاد الدنيا الحقام ثلاثة نيسابور لانّها باب الشرق ودمشق لانّها باب الغرب والموصل لانّ القاصد الى الجهتين قلّ ما لا يمرّ بها . قالوا سُمّيت بالموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لانها وصلت بين بلد سنجار والحديثة وقيل بل الملك الذي احدثها كان يسمّى الموصل (كذا !) . وهي مدينة قديمة الاسّ على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقيّ نينوى . . . قال حمزة : كان اسم الموصل في ايّام الفرس نواردشير او بواردشير بالنون او الباء ثمّ كان اوّل من عظّمها والحقها بالامصار الظام وجعل لها ديوانًا برأسهِ ونصب عليها جسرًا ونصب طرقاتها وبنى عليها سورًا مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم آخر ملوك بني امية المعروف بمروان الحمار والجعديّ . وكان لها ولاية ورساتيق وخراج مبلغهُ اربعة آلاف الف درهم والآن فقد عمّرت وتضاعف خراجها وكثر دخلها . . . وكثيرًا ما وجدتُ العلماء يذكرون في كتبهم انّ الغريب اذا اقام في الموصل ستّة تبيّن في بدنهِ فضل قوّة . . . وما نعلم لذلك سببًا الّا صحّة هواء الموصل وعذوبة مائها . . . وليس للموصل عيب الّا قلّة بساتينها وعدم جريان الماء في رساتيقها وشدّة حرّها في الصيف وعظم بردها في الشتاء . فامّا ابنيتهم فهي حسنة جيّدة وثيقة بهيّة المنظر لانّها تُبنى بالنورة والرخام ودورهم كلها اتاج ومراديب مبنيّة ولا يكادون يستعملون الخشب في سقوفهم البتّة وقلّ ما عُدم شيء من الخير في بلد من البلدان الّا ووُجد فيها . . . »

فترى من هذا الوصف ما كانت عليه الموصل في القرون الوسطى بهيئة ملوكها بني حمدان التغلبيين ثمَّ توالت عليها الدول الاسلاميَّة من بني عُقَيل ثمَّ بني مروان ثمَّ السلجوقيين ثمَّ الايوبيين الى أن تغلَّب عليها المغول وخلفهم التركمان والعجم فنازعهم في ملكها بنو عثمان وولَّوا عليها الآغوات الذين اذاقوا اهلها امرَّ الشدائد فأنقذهم منها في اواسط القرن الماضي محمَّد باشا واليها بعد انتصاره على اولئك المستبدين الظالمين وتعميمه للامن والعدل فلمَّا مات بكاه الجميع كأعزّ الاصدقاء.

والموصل اليوم لا تشبه في شيء الوصف الذي وصفهُ بهـا ياقوت فترى ازقَّتها ضيِّقة وسخةً وبيوتها متراكمة بلا هندسة ولا نظام لا يزينها شيء من النوافذ الواسعة والطنف الجميلة فيضيق الصدر بسكناها

على انَّ بعض الاجانب والمثرين من اهلهـا اخذوا منذ بضع سنوات يبنون البيوت الرحبة والدور المتقنة الهندام والابنية العموميَّة المستطرفة كالمجلس والثكنة العسكريَّة ودار الولاية وبعض الكنائس والجوامع ومنازل الخاصَّة

امَّا الآثار القديمة فلم يبق منها الَّا القليل فمن جملتهـا بعض الخانات والمساجد والكنائس اخصُّها كنيسة الكلدان المعروفة بعمكيتا وبعض كنائس السريان واليعاقبة

والموصل يبلغ عدد اهلها اليوم نحو ٨٠,٠٠٠ نسمة ثلثاهم مسلمون وهم من بقايا القبائل العربيَّة القديمة والثلث الآخر من بقيَّة الامم والطوائف بينهم ١٠,٠٠٠ من كاثوليك الكلدان والسريان والارمن والباقون يعاقبة وبروتستانت ويهود

وموقع الموصل على ربوة لا تعلو فوق سطح مياه البحر الَّا ١٠٦ امتار فيقوى فيها الحرّ حتى يبلغ في الصيف ٤٥° من المقياس المئوي بـل يتجاوزها الى الدرجة الخمسين والمدينة مع ذلك طيبة الهواء . وفي لغة اهلها مسحة من لغـة الاعراب ولاسيما في سنجقيها كركوك والسليمانيَّة وباديَّتها

وكانت الموصل سابقاً مشهورة بمنسوجاتها وباسمها شاعت في اوربَّة الموصليَّات (mousselines) من الانسجة القطنيَّة الرقيقة الصنع مع متانتها . وكذلك بقيَّة صنائعها فكان اهلهـا يصطنعون الحليّ والمصاغات والاسلحة والطنافس . وكان في ولاية الموصل معادن يُستخرج منها الذهب والفضَّـة والنحاس لكنَّها أُهملت بعد ذلك لقلَّة الوسائط لاستثمارها . وهناك ايضاً مناجم من الفحم الحجريّ ومن

الكبريت ومنابع القير والنفط والملح المعدني وكلها كثيرة الجدوى طائلة الارباح لولا انَّ الحكومة لم تنشط الجمعيَّات المنعقدة لترويجها . وكذلك تكثر فيها المياه المعدنيَّة التي تصلح لعلاج بعض الامراض شرباً او استحماماً

وولاية الموصل غنيَّة ايضاً بمحصولاتها الزراعيَّة فانَّ تربتها من اجود الترب لا سيما اذا حُفرت فيها القنيّ لريّها كما فعل البابليُّون والعجم . وغلَّاتها وافرة تكفي لاهلها وتزيد عنهم كثيراً . وفي مفاوزها سائمة المواشي التي يرعاها الاكراد والعربان ويصدر منها الالوف المؤلفة الى البلاد الاجنبيـة وتُتَّخذ جلودها واصوافها فتُدبغ وتُصبغ ويستحضر منها ضروب الاكسية . وهناك ايضاً وحوش ضارية ذكرها الاقدمون كالاسد والنمر والببر والنعامة لكنها اليوم قد بادت منها وبقي في بواديها الضباع والذئاب والدبب والثعالب والوعول والايائل

وهذه الولاية اغنى من سواها بالحفريَّات القديمة ومنها استخرج ارباب العاديَّات كنوزاً من الآثار التي تزدان بها متاحف اوربَّـة . كفي منها بذكر نينوى التي تُرى بازاء الموصل فانَّ الحفريَّات التي اجراها هناك كبار الاثريين كالمسيو برتا (Botta) ولايار (Layard) ففي قسمهـا المعروف بكوينجيك اكتُشف قصر ملوك نينوى الذي رمَّمهُ سنحاريب بن سرغون . ثمَّ عقبهما المسيو لفتوس (Loftus) ورسام (Rassam) فاكتشفا قصرين آخرين فخيمين قصر اسارحدُّون بن سنحاريب وقصر اشوربنيال بن اسارحدون ووجدت هناك كتابات اشورية على الآجرّ في عدد ٢٠,٠٠٠ قطعة نصفها اليوم في متحف لندن البريطاني . ولما توفَّق المستشرقون الى حلّ لغز الكتابة الاشوريَّة انفتح امام العلماء عالم جديد وعرفوا من اخبار قدماء الامم الراقية الى مهد البشريَّة ما كانت طمستهُ كوارث الحدثان وبقي دفيناً في قلب الارض

وعلى هذه الاطلال قائم في عهدنا المشهد المعروف بنبي يونس فيزعم اهل الموصل انَّ يونان النبي بعد انذاره سكَّان نينوى وودّ غضب الله عنهم لحسن توبتهم توفي وقُبر هناك . وصوم نينوى الجاري في كنائس الشرق منسوب الى تلك الواقعة

امَّا حالة الموصل الادبيَّة فكانت قديماً حسنةً يشهد عليهـا العدد العديد ممَّن خرجوا منها فخدموا العلوم والآداب منهم نصارى كتوما المرغاوي النسطوري

مؤلف تاريخ الولاة بالكلدانيَّة واسحاق النينوي صاحب التآليف الدينيَّة والفلسفيَّة المتعدّدة وحنّا الحاديابيّ احد اساتذة مدرسة نصيبين وغيرهم. ومنهم مسلمون كبني الاثير وكانوا ثلاثة اخوة اشتهروا كلهم بالتأليف فواحد منهم مؤرخ شهير اسمهُ عزّ الدين علي والآخر اديب فاضل يدعى بضياء الدين محمد والثالث برزَ باللغة وعلوم الدين يُسمَّى مجد الدين مباركاً اصلهم من الجزيرة وانتقلوا الى الموصل. ومن الموصل كان ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان. وبهاء الدين بن شدَّاد كاتب صلاح الدين الأيوبيّ ومترجم سيرتهِ. وابراهيم الموصلي وابنهُ اسحاق نديما هارون الرشيد الشهيران بفنّ الغناء والموسيقى

اما الآداب في الموصل الحاضرة فانَّها كانت في منتصف القرن السابق بلغت الغاية من التقهقر والانحطاط. فلمَّا احتلَّها المرسلون الدومنيكيُّون الفرنسويون واستقرَّ فيها قدمهم صرفوا جلَّ عنايتهم في تهذيب الاحداث ففتحوا المدارس التي تُعدّ اليوم في مقدَّمة دور التعليم في تلك الجهات. وللآباء المرسلين ما عدا مدرستهم الكبرى التي يدرّسون فيها العلوم الثانويَّة مدرسة اكليريكيَّة انشأوها سنة ١٨٨٢ لتثقيف المترشحين للدعوة الكهنوتية من سريان وكلدان تخرَّج فيها عدَّة كهنة فضلاء ثمَّ مدارس ابتدائية ومياتم. وتساعدهم في تعليم الاناث راهبات من الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الثالثة يُعرَفنَ براهبات التقدمة (Sœurs de la Présentation de Tours) يتولينَ تدبير مدارس البنات وعدَّة اعمال خيريَّة منها ميتمٌ للصغار ومستشفى للمرضى ودار للقطاء

وقد اقتدى بالمرسلين ارباب الطوائف الكاثوليكية ففتحوا ايضاً المدارس لتهذيب احداث مللهم واخصّ هذه المدارس مدرسة اكليريكية للكلدان رقيت بعد نموها بهمَّة غبطة البطريرك الحالي عمانويل يوسف توما

وللمسلمين ايضاً في الموصل مدارس ابتدائية لاحقة بالجوامع. كما ان الحكومة تدير فيها مدرسة رشديَّة

اما الطباعة الموصليَّة فانَّنا قد سطرنا تاريخها في السنة ١٩٠٣ وهي الخامسة من المشرق (٥: ٤٢٢ و ٨١٠) وبيَّنا فضل مطبعة الآباء الدومنيكيين وما ادَّتهُ من الخدم للتعدّدة للدين والآداب في العراق وما بين النهرين في العربيَّة والكلدانيَّة

والسريانيَّة والتركيَّة والفرنسويَّة. وكذلك ذكرنا المطبعة الكلدانية ومطبعة الحكومة

وقد اجتمعنا مدَّة اقامتنا في الحدباء باماثلهـا المعروفين بتضلُّعهم في العلوم والآداب لا سيما غبطة بطريرك الكلدان الشهير بطول باعـه في اللغتين الكلدانيَّة والعربيَّة مع ما لهُ فيهما من المآثر وقد اطلعنا غبطتهُ على ما في القلاية البطريركية من المخطوطات وكثيرًا ما كان ارسل للمستشرقين الاوربيين من التآليف النزيرة الوجود فنشروها بالطبع

وكذلك زرنا بعض شيوخ المسلمين المشـار اليهم لمعارفهم الادبيَّة وبواسطتهم وقفنا على ما في بعض الجوامع من المخطوطات القديمـة بل امكنَّا ان نحصل عند بعض الباعة قسمًا صالحًا من التآليف الخطيَّة المحفوظـة اليوم في خزانة مكتبتنا الشرقيَّة بعضها ادبيَّة وشعريَّة وبعضها تاريخيَّة ودينيَّة لكتبة نصارى ومسلمين

ومع اهتمامنا بالتقاط تلك الآثار ودرس تاريخ الموصل الادبي رأينا من الأولى ان نحيط علمًا بدين اهلها الكاثوليك

كانت الكثلكة بعـد انتشار البدعتين النسطوريَّة واليعقوبيَّة في بلاد العراق والجزيرة اضحت في حالة حرجة لبعـد تلك الاقطار عن مركز الوحدة وعناية خلفاء هامة الرسل . لكن ارباب تلك الكنائس منذ القرن الثالث عشر اخذوا يوجهون انظارهم الى امّ المدائن ويرسلون صورة ايمانهم للاحبار الرومانيين كبريشوع الخامس ويابالاها الثالث طالبين من الكرسيّ الرسولي الشركة معهُ بالمعتقد الى ان قام يوحنَّا سولاقا في اواسط القرن السادس عشر ثمَّ كثير من اخلافهِ . وقد عدَّد سيادة المطران بطرس عزيز تلك المساعي الصالحة للتقرُّب من الكنيسة الرومانيَّة في مقالة مستجادة نشرها في السنة الخامسة من المشرق ١٩٠٢ (٥ : ١١١٥) يتَّضح منها فضل اهل الموصل في ارتدادهم الى الكنيسة المقدَّسة

وكذلك السريان اليعاقبة في الموصل ادركوا ضلالهم من وقت الى آخر فسعوا في الرجوع الى حظيرة الايمان الصحيح كالمفريان اغناطيوس داود الخيشوميّ الموصلي في القرن الثالث عشر الذين جاهر بخضوعهِ للكرسيّ مع المفريان باسيليوس يوحنَّا بن المعدنيّ ومثلهما في القرن الرابع عشر المفريان غريغوريوس متَّى حثُّو الموصليّ (١٣١٧ — ١٣٤٥) ثمَّ المفريان باسيليوس بهنام الحدليّ الذي حضر سفيرهُ الى رومية فقرَّر

باسيه خضوعهُ للحبر الروماني سنة ١٤٤٤ . وكذلك المفريانان باسيليوس نعمة الله اصغر وابن اخيه باسيليوس بطرس اصغر وكلاهما في القرن السادس عشر تردَّد في الرجوع الى الكثلكة وتقلَّبا مع الريح

على انَّ هذه الارتدادات بقيت متذبذبةً متقطعة فلم تثبت حتى قدم المرسلون الكبُوشيون الفرنسويون الى الموصل في اواسط القرن السابع عشر فكان دخولهم فيها في اواخر سنة ١٦٣٧ فاخذوا هناك يفلحون كرم الرب بكل نشاط وداوموا على ذلك نحو مئة سنة وبهمَّتهم ارتدَّ قوم من النساطرة واليعاقبة الى حجر الكنيسة منهم المفريان طيموثاوس عبد الجليل الذي انضمَّ بارشادهم الى الايمان سنة ١٦٣٧. ومنهم المفريان باسيليوس اسحق بن جُبير الذي دوَّن ترجمتهُ في المشرق (١١ : ٢٨٦) سنة ١٩٠٨ حضرة القس اسحاق ارملة ومنهم ايضاً القس خدر الكلداني الذي نشرنا رحلتهُ من الموصل الى رومية سنة ١٦١٠ في المشرق (١٣ : ٥٨١ الخ)

ولمَّا اضطرَّت الاحوال الآباء الكبُوشيين ان يبارحوا الموصل خلفهم فيها سنة ١٧٥٠ الآباء الدومنيكيُّون بامر الكرسيّ الرسوليّ وباغراء القس خدر السابق ذكرهُ . وكان اصلهم من الطليان واولهم الابوان طورياني (Turriani) وكوديلنشيني (Codeleoncini) وصلا الى الموصل في أيام مضطربة جدًّا فانَّهما وجدا عبَّاس الثاني شاه العجم وبعض الاغاوات المستبدين يتنازعون ملكها على انهما لم ييأسا بل اخذا يتعلَّمان لغة البلاد وتودَّدا الى الاهلين بل الى الحكام والامراء بتطبيب مرضاهم ومعالجة اسقامهم ففتحا لهما بالطبّ طريقاً الى القلوب ثمَّ خلفهما غيرهما فاشتهر منهم الآباء لانتزا (Lanza) الذي تعيَّن مدَّة كقاصد رسولي في بلاد الشام وصولديني (Soldini) وغارتزوني (Garzoni) ولكلهم مآثر مشكورة اخصُّها هداية بعض القرى المجاورة للموصل كالقوش وبطنايا وتلّ اسقف وتلّ كيف وهم اوَّل من طاف جبال النساطرة وكردستان فكانوا ممَّن زرعوا بالدموع ليحصد بعدهم خلفُهم بالترنيم. على انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة اخذت تتوطَّد شيئاً فشيئاً في القلوب فكانت الموصل بعد حلب المهد الثاني للكثلكة في الشرق . واليوم تراها زاهيةً زاهرةً يثني المرسلون على تُقى اهلها. وقد جمعوا قواهم الى مساعي الاكليروس الشرقيّ لردّ ما بقي هناك من المنفصلين عن كنيسة المسيح لاسيما النساطرة الذين في هذه السنين

الاخيرة اقلعوا عن اضاليلهم ليعترفوا بالايمان المستقيم ولهيف الكهنة يتنافسون في عمل الخير تحت نظارة رُعاتهم الغيورين. فللكلدان خورنيّتان كبيرتان وعدّة كنائس اقدمها كنيستهم الكاتدرائيّة على اسم الشهيدة مسكينة او مسكيتا ثمّ كنيسة مار ايشوعياب وكنيسة العذراء الطاهرة على ضفّة دجلة ومصلّيات عديدة وديران على اسم مار ميخائيل ومار ايليا الجديد غربيّ الموصل وجنوبها . قيل انّ عدد الكلدان في هذه الابرشية البطريركيّة وحدها مع القرى الكاثوليكيّة المجاورة لا يقلّ عن ٢٥,٠٠٠. وكذلك للسريان الكاثوليك ثلث كنائس: الطاهرة ومار آحودما ومار توما ولهم قريباً من الموصل دير شهير تجري فيه عدّة كرامات على اسم الشهيد مار بهنام . وهم اليوم في ولاية الموصل نحو ١٠,٠٠٠ وقد اشتهر بينهم رجال افاضل تشرّفت بهم ملّتهم كالطيّب الذكر البطريرك انطون سحيري والكثير المآثر السيّد اقليميس يوسف داود وغبطة بطريركهم الحاليّ الذي احرز له بمصنّفاته الذكر الجميل بين علماء عصره

هذا بعض ما قرّ به نظرنا مدّة اقامتنا في الموصل وكان يودّنا ان نتجوّل في ارباض المدينة ونتفقّد اديرتها ومزاراتها لولا قصر وقتنا واضطرارنا بمواصلة سيرنا الى بغداد (له بقيّة)

وزن فَعُول في العربيّة

نبذة لغوية للاب لويس ترفال اليسوعي

انّ كتب اللغة في العربيّة مع سعتها وضخم احجامها لا تزال مخلّة في اشياء كثيرة لم ينتبه اليها ائمّتهم او اشاروا اليها اشارة خفيفة لا تكاد تفي بالمقصود . فينبغي علينا الشكر للمستشرقين الذين لا يدّعون باباً الّا طرقوه وحجاباً الّا مزّقوه

فمن جملة تلك الابحاث درسهم للاوزان العربيّة من اسماء وافعال فانّهم اتّسعوا فيها وقابلوها باوزان اللغات الساميّة الشقيقات فاستفادوا من هذه المقابلة فوائد جمّة لبيان اصل تلك الاوزان وتركيبها واغراضها. فممّا نشروه منذ عهد قريب كتاب

للدكتور كرل بروكلمان (١ قابل فيه بين اوزان الاسماء والافعال في العربيّة والسريانيّة والعبرانيّة والحبشيّة واللهجات القريبة منها . واخصّ منهُ كتاب للعلّم بَرْث في اوزان الاسماء في اللغات الساميّة (٢

فمن جملة ما اورداهُ هناك وزن « فَعُول » بفتح الاوّل وتشديد الثاني المضموم ذكرا منهُ بعض الامثلة العربيّة من اوصاف وموصوفات وعرضاهُ على شبهه في اللغات السامية الاخرى كالعبرانيّة والسريانيّة والحبشيّة وكان سبقهما الى ذلك بعض المستشرقين كالاستاذ فيشر (A. Fischer) في المجلّة الاسيويّة الالمانية (ZDMG, LVIII (1904), p. 875-876) والاستاذ بريتوريوس (Prætorius) فيها (Ibid. LVII, 776) وڤولرس (Vollers) ونالينو (Nallino) فذكروا هذا الوزن في الاعلام العربيّة ورأوا انّ معناهُ التعطف والتودّد فسمّوا به هذا الوزن « caritatif »

على أنّنا رأينا كلامهم بهذا الصدد غير مستوفٍ فأحببنا ان نعود الى ذاك البحث فنعرض على اللغويين ملحوظاتنا فنذكر اوّلاً شيوع هذا الوزن ثانياً معانيهُ ثالثاً تركيبهُ ورابعاً اصلهُ

١ شيوع وزن فَعُول

ان وزن فَعُول شائع في العربية في عدّة موصوفات كبَلُوط وتَنُور وذَرُوح (سمّ) وزَقُوم (شجرة) وسَنُور (حيوان) وشَبُوط (سمكة) وعَجُور وفَرُوج وقَدُوم وقَعُور (بئر عميقة)

وجاء ايضاً في الاوصاف لكنّهُ نادر ومنهُ درهم سَتُوق اي زائف . واجازوا قَدُوس وسَبُوح بالفتح وان كان ضمّ الاوّل اشيع . جاء في تاج العروس في مادّة « سبح » ما حرفهُ :

« سُبُّوح وقُدُّوس والضمّ فيهما ويفتحان عن كُرَاع من صفاتهِ تعالى لانهُ يُسبَّح ويقدّس كذا في المحكم . . . قال ابو اسحق : السُّبُّوح الذي بَرّأه من كلّ سوء والقُدُّوس المبارك

---

١) وهو في قسمين ضخمين واسمهُ بالالمانيّة (C. Brockelmann : *Vergleich. Grammatik d. semit. Sprachen*)

٢) واسمهُ (J. Barth : *Die Nominalbildung in d. semit. Sprachen*)

والظاهر . قال اللحياني : المُجْمَع عليه فيهما الضمّ (قال) فان فتحتَهُ فجائز . وقال ثعلب : كلّ اسم على فَعُول فهو مفتوح الأوّل الّا السُّبُّوح والقُدُّوس فانّ الضمّ فيهما أكثر وكذلك الذَّرُّوح كذا في الصحاح . وقال الشيخ ابو حيّان في ارتشاف الضرب نقلًا عن سيبويه : ليس في كلام العرب فَعُول صفةً غير سُبُّوح وقُدُّوس واثبتَ فيهِ بعضهم ذُرُّوحًا فيكون اسمًا ومثلهُ قال القزّاز في جامعهِ . قال شيخنا : ولكن حكى الفهريّ عن اللحيانيّ في نوادرهِ انهُ يقال : دِرْهم سَتُّوق وشَبُّوط لضرب من السمك وفَرُّوج لواحد الفراريج . وحكوا ايضًا اللغتين في سَفُّود وكَلُّوب انتهى . وقال الازهريّ : وسائر الاسماء تجيء على فَعُول مثل سَفُّود وقَفُّور وقَبُّور وما اشبهها والفتح فيها اقيس والضمّ أكثر استعمالًا »

واكثر ورود هذا الوزن في الاعلام ولا سيما الاعلام الشائعة على السنة الجمهور فانّها كثيرة تُنيف على المئة كحَمُّود وسَأُوم وشَكُّور وصَرُّوف وفَضُّول وهلمّ جرًّا

ووزن فَعُول في الاعلام يشترك بين المذكّر والمؤنّث فالمذكّر كما مرّ والمؤنّث كأُمُّون (امينة) ورَجُون (ريجينا) وزَيُّوب (زينب) وغير ذلك

وربّما اتى وزن فَعُول بالتاء المقصورة على وزن فَعُولة فيقولون في الموصوف كَمُونَة لواحدة الكَمُون . ويقولون في الوصف حَمُوقة للكثير الحمق . ويقولون في الاعلام قَدُورة وبَدُورة (مذكّران) وحَبُوبة وزَيُّوبة (مؤنّثان)

٢ معنى وزن فَعُول

انّ المستشرقين السابق ذكرهم قد نظموا وزن فَعُول في جملة الاوزان الدالّة على التعطّف والتودّد بيد ان كلامهم في هذا الصدد لا يفي بالمرام فانّ لهذا الوزن على ما نرى معانيَ شتّى على صورتهِ المذكّرة والمؤنّثة : اوّلها المبالغة كما في قولك عَبُود عَلَم للكثير العبادة وقَمُور للبئر البالغة القعر وحَمُوقة للرجل المتناهي في الحمق وحَبُوبة للمرأة البليغ حبُّها في القلوب

ثانيها اقتصار اللفظ ونحتهُ فقالوا : جَبُور ومَخُول ورَفُول بدلًا من جبرائيل وميخائيل ورفائيل وطَنُوس عوض انطونيوس وعَنُوس نحتوهُ من عبد المسيح

ثالثها التودّد والتعطّف كحَنُون وجَنُول وزَيُّوب ونَسُوم (اعلام)

رابعها التصغير كمَرُّوم (مريم) وسَتُّوت (من ست او سيّدة) ونَجُوم (من نجمة)

خامسها اللقب مع اشارة الى بعض الموصوفات كدَبُوس وجَرُوس وشَخُود وكَبُوش وقَدُوم وقَشُور كلها من الاعلام .

٣ تركيب وزن فَعُول

يركَّب هذا الوزن بالعدول عن اوزان اخرى قريبة منهُ كما قالوا عُمَر في عامِر . فنقلوا الى فَعُول وزن فَاعِل (باسل بَسُول . مَالِك مَلُوك . جَابِر جَبُور . كامل كَمُول) ووزن فَاعلة (فاطمة فَطُوم . عائشة عَيُوش) ووزن فَعَلَل او فَيْعَل (زَيْنَب زَيُوب . زَيْنة زَيُون . مَرْيَم مَرُوم . صَيْرَف صَرُوف) ووزن فَعِيل وفَعِيلة (سَلِيم سَلُوم . فَصِيح فَصُوح . أَمِينَة أَمُون . وشَفِيقة شَفُوق . بديعة بدُوع) والأوزان فَعْل فِعْل فُعْل فَعَل الخ (بَدْر بَدُور وبَدُورة . هِنْد هَنُود . نِمْر نَمُور . حَسَن حَسُون . نَحْل نَحُول . لَحْد لَحُود . كُحْل كَحُول) . ووزن فَعْلَى (سَعْدَى سَعُود)

وربَّما ركَّبوا هذا الوزن من اسماء دخيلة او اعجميَّة فقالوا من ميخائيل مَخُول . ومن زَكَريَّا زَكُور . ومن انطونيوس طَنُوس . ومن سيسيليا سَسُول . ومن كاترينا كَتُور . ومن مارينا مَرُون . ومن هَيْلَانة هَلُون . ومن مادلينه وماتيلدا مَدُول ومَتُول . ومن ريجينا رَجُون

ورأيت انَّهم يختصرون بهذا الوزن الاعلام المركَّبة الاضافيَّة كشَكُور ولَطُوف ونَصُور وفَتُوح الخ اصلها شكرالله ولطف الله ونصرالله وفتح الله الخ

٤ اصل وزن فَعُول

الغالب على ظنِّنا انَّ وزن فَعُول ليس عربيًّا بل مستعارًا من احدى اللغات الشقيقات كالاراميَّة او العبرانيَّة لكثرته فيها . والدليل على ذلك انَّ اكثر الموصوفات العربيَّة على وزن فَعُول ليست اصيلة بل دخيلة كتَنُور وبَلُوط وزَقُوم وفَرُوج لا يمكن ردّها الى اصل عربيّ محض

وهي اقلّ وجودًا في الاوصاف كما رأيت اذ لم يذكروا من هذا الوزن الّا كلمتين نادرتين حَمُوقة وسَتُوق والثانية اعجميَّة . اما قَدُوس وسَبُوح فدخيلتان اصلهما من الآراميَّة فضلًا عن ترجيح الضمّ في اوّلهما

واكثر ما ورد من هذا الوزن الفاظ الاعلام وليس لها ذكر في المعاجم القديمة

الّا القليل منها كمنبود وهبود وحنود . والباقي شائع على السنة العامّة لم يُدوَّن في كتاب يركبونهُ كما يدور على السنتهم والله اعلم

مطبوعات شرقية جديدة

Un Newman Russe Vladimir Soloviev par MICHEL D'HERBIGNY. *Paris, G. Beauchesne et Cie*, 1911. in-12, XVI-336

سيرة الفيلسوف الروسي فلاديمير سولوفياف

ظهر في روسيّة في وقت واحد رجلان عظيمان ادّعيا اصلاح وطنهما وسلكا لنوال غايتهما طريقاً مختلفة احدهما لاون تلستوي الذي اراد ان يبني اصلاحهُ على دعائم واهنة فجحد الدين ونشر المبادئ الاشتراكيّة واثار في قلوب العامّة المطامع وروح الثورة فذهب ولم يبقَ من عملهِ غير طنطنة كلام واضغاث احلام . والآخر فلاديمير سولوفياف شخّص الداء الذي ينخر عظام وطنهِ روسيّة فوجدهُ في اتّباعها للكنيسة البوزنطيّة وانفصالها عن الوحدة الكاثوليكيّة . ولم يتّصل سولوفياف الى هذه النتيجة الّا بدرسهِ الخاصّ لتاريخ بلاده ومراجعة التقاليد الرسوليّة وتآليف آباء الكنيسة اليونانيّة في قرون النصرانيّة الاولى فاتّضح لهُ نور الحقّ وخصّ حياتهُ للتعليم اوّلاً في كليّة موسكو ثمّ انقطع للكتابة والتآليف المتعدّدة التي نشرها في روسيّة وخارجاً عنها وفيها بيّن الشرّ العظيم الذي اقترفتهُ القسطنطينيّة باغراء بطريركها فوطيوس واتباعهِ لمّا شقّت عصا الطاعة للكرسيّ الرسوليّ . ويظهر المؤلف في كلّ تآليفهِ متأهباً غيرة خير بلادهِ متقدّاً حبّاً لصالحها متفانياً في خدمة الحقّ ليس الّا وكتاباتهُ قد اثّرت في الوفدِ من مواطنيهِ ويؤمّل منها تمهيد السبيل للتقرّب من مركز الوحدة الذي اقامهُ السيّد المسيح في شخص بطرس وخلفائهِ . مات سولوفياف ولم تمت آثارهُ النثريّة والشعريّة التي سعت في جمعها شركة روسيّة من تلامذتهِ . فلمّا جدّدت نشرها جعل كثيرون يدرسونها ليستضيئوا بانوارها . وفي الكتاب المعنون آنفاً ملخص سيرة واعمال ذاك الرجل الشهير الذي عاش كالنسّاك واوقف حياتهُ للدفاع عن الحقيقة التي رأى نفسهُ سعيداً بمعرفتها ونشرها بين مواطنيهِ ويا ليت هذا الكتاب يُعرَّب لفائدة الروم في هذه البلاد فلا شكّ انّهم اذا قرأوهُ وجدوا في الكنيسة

البطرسيَّة حلَّ كلَّ مشاكلهم الطائفيَّة . وان شاء الله نعود الى نشر بعض اقوال ڤلاديمير سولوڤياف الذي ينطق اعداؤهُ نفسهم بصدق نيَّتهِ وسمو فضلهِ وقوَّة حجتهِ وبلاغة لسانهِ ل . ش

Ks. M. Czerminski s. j. : O. Maksymilian Kyllo Towarzystwa Jesusowego Misyonarz Apostolski. *Kraków*, 1911-1912. 2vols, XIV-344 et 352

ترجمة الاب مكسيميليان ريلّو

الاب مكسيميليان ريلّو هو الذي عُرف ببلادنا باسم الاب منصور ريلّو وكان احد اليسوعيين الذين استأنفوا اعمال رسالتنا الجديدة بعد الابوين بولس ريكادونا ومبارك بلانشهْ . ولهذا المرسل البولونيّ الاصل من المآثر الطيّبة والمشروعات الجليلة في ايطاليا ثمَّ في بيروت ولبنان حيث صار مدَّة رئيساً عاماً على الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ في بلاد ما بين النهرين حيث ارسلهُ الكرسيّ الرسوليّ غير مرَّة بصفة وكيلهِ الخاصّ ثم في رئاسة مدرسة انتشار الايمان واخيراً في انشاء رسالة الخرطوم حيث توفيَّ سنة ١٨٥٣ ما كنَّا نتمنَّى ان ينشرهُ احد اخوتهِ . فها قد تحقَّقت امنيَّتنا وطُبعت سيرة هذا الرجل العظيم باللغة البولونيَّة وكنَّا جمعنا كثيراً من مآثرهِ فأطلعنا عليها صاحب هذه الترجمة فدوَّنها بكتابهِ . وان شاء الله نروي لقرَّائنا عند سنوح الفرصة خلاصة هذه السيرة العجيبة التي قلَّما يُروى مثلها . وغاية ما نؤملهُ ان يُنقل هذا الكتاب من اصلهِ البولوني الذي لا نعرفهُ الى لغة أُخرى اقرب الى اللغات الشائعة بيننا ل . ش

Samuel M. Zwemer : The Moslem Christ. An Essay on the Life, Character and Teaching of Jesus Christ according to the Koran and Orthodox Tradition, *Edinburgh and London*, 1912, pp. 198

السيّد المسيح في القرآن والحديث والتقاليد الاسلاميَّة

انَّ مؤلف هذا الكتاب هو احد المرسلين البروتستانت الانكليز الذين وقفوا حياتهم لدرس العالم الاسلاميّ رغبةً منهم ان يقرّبوا المسلمين من النصرانيَّة ويزيلوا عنهم الاوهام التي يتصوَّرونها في الدين المسيحيّ . وهذا التأليف الجديد انَّما غايتهُ ان يبيّن المؤلف انَّ ما يرويهِ المسلمون في حقّ السيّد المسيح لا يوافق حقيقة الامر وانَّ شهادات القرآن والحديث والتقاليد الاسلاميَّة اذا عُرضت على محكّ الانتقاد تؤيد تعاليم النصارى . امَّا نحن فلا نبدي رأياً في هذا الكتاب ريثما نرى الفريقين

من مسلمين ونصارى يتبادلون آراءهم بكل حرّية وكلّ نزاهة لينصروا الحقّ فقط ويبطلوا ما يتصوّره بعضهم من الشبهات والاوهام . فان تمّ ذلك قربت القلوب وزال النفور وتمكّن الاخاء الصحيح بين كلّ الموحّدين ل . ش

Dr A. Dirr : Praktisch-theoretisches Lehrbuch d. Aegyptischen Vulgaer-Arabisch. 2e *umgearb. Aufl.*. *A. Hartleben's Verlag in Wien u. Leipzig*, 1912, pp. VIII-182

دليل اللغة العربية الدارجة في مصر

كما يدرس المستشرقون لغات الشرق واصولها وقواعدها الراهنة كذلك يتعلّمون ويعلّمون اللغات العاميّة الدارجة بين الشرقيين مع تدوين خصائصها المخالفة للغة العلم . وان اعتبرت لغتنا العربيّة خصوصاً تجدهم يدرسون لهجة كلّ بلد ويقابلون بينها وبين اللغة الاصوليّة لتعريف شواردها . وهوذا كتاب وضعهُ الدكتور الالمانيّ دِرّ في اللغة المصريّة قسّمهُ اقساماً عديدة بحث في كلّ باب منهُ عن احد مطالب الصرف والنحو مثبتاً فيه امتيازات اللهجة العاميّة عن اللغة الصحيحة وألحق كلّ باب بتمرينات شتى من الالمانيّة الى العربيّة ومن العربيّة الى الالمانيّة ثمّ اضاف اليه مكالمات وقصصاً ومعجماً للالفاظ الكثيرة الاستعمال . وهذه الطبعة الثانية قد حسّن فيها المؤلف عملهُ واستفاد من الملحوظات التي بلغتهُ من مكاتبيه . فنحضّ الالمان الساكنين في مصر ان يدرسوا هذا الكتاب فهو احسن دليل لتعلّم اللغة المصرية ل . ش

G. Zaïdan : Al Abbassa ou la Sœur du Calife. Traduit de l'arabe par M.-Y. Bitâr, mis en français par Ch. Moulié, *Paris, Fontemoing*, 1912. XI-320

العبّاسة اخت هارون الرشيد

بين الروايات التاريخيّة التي ألّفها صاحب الهلال قد امتازت روايتهُ المعنونة بالعبّاسة اخت هارون الرشيد جمع فيها ما ورد في كتب العرب عن البرامكة وعزّهم ثمّ نكبتهم فاخرج تلك المرويّات على صورة رواية خياليّة سدى لحمتها على منوال مؤثّر في القلوب فراج سوقها في الشرق . ولمّا زار المؤلف في الصيف الاخير عاصمة فرنسا احبّ الفرنسويّون احتفاء بالزائر ان تُنقل هذه الرواية الى لغتهم فنقلها احد تلامذة كليّتنا الادباء سابقاً ميشال افندي بيطار معلّم العربيّة في مكتب اللغات

الشرقيَّة الحيَّة في باريس ودَّجها احد القصَّاصين الفرنسويين على ذوق مواطنيه باختيار ما راق لهُ من اصلها العربيّ . فلا نشكّ ان الفرنج يتهافتون على هذه الرواية تهافتهم على البضاعة الشرقيَّة المستطرفة . ولم يسوءنا في هذا الكتاب غير مقدَّمة المسيو كلود فرَّار (Cl. Farrère) الذي حبَّا بالشرق الاسلامي اهان مواطنيه الفرنسويين في الصفحة الاولى من الكتاب حيث تأسَّف على انتصار شرل مرتل من عبد الرحمان الزاحف على فرنسة والممالك النصرانيَّة ودعا فوزهُ عملاً همجيًّا ! ! ! ل . ش

R. Jeannière, s. j. : CRITERIOLOGIA vel Critica cognitionis certæ, *Paris, G. Beauchesne* 1912, XVI-616, in-12

الطريقة الفلسفيَّة

في علم الفلسفة قسمٌ مهمٌّ يتبع علم المنطق ويُقدَّم على الابحاث الفلسفيَّة يُدعى بالطريقة الفلسفيَّة (Critériologie) وغايتهُ بيان الوسائل لاكتشاف الحقيقة والتنكيب عن الضَّلال والسفسطة فالاب جانيار اليسوعيّ ألَّف في هذا المعنى كتاباً واسعاً استفاد فيهِ من علوم قدماء المدرسيِّين (les Scolastiques) والفلاسفة المحدثين معاً فجاء تأليفاً ضخماً مستوفياً لم يَفُتْه شيء من الابحاث التي يتداولها علماء زماننا ومن المذاهب التي اشاعها كنت (Kant) واللاأدريُّون والرضعيُّون والملحدون فيبحث عنها كلّها بحثاً مدقَّقاً وينتقدها انتقاداً علميًّا يؤيدهُ بالبرهان القاطع . وقد وجدنا لهذا الكتاب المزايا الاربع التي تمتاز بها المصنَّفات النفيسة اعني الوضوح وقوَّة الحجَّة وابتكار الطريقة في ايراد القضايا واثباتها ثمَّ التفنُّن في التفسير . وعلى رأينا انَّ هذا الكتاب اولى بالاساتذة منهُ بالطلبة لخوضه في مسائل عديدة لا يحتاج اليها دارسو الفلسفة . وقد رأينا بالاجمال انَّ المؤلف يتأثَّر اعقاب معلّمي لوفان في بلجكة ولذلك قد عدل عن بعض الآراء الشائعة بين قدماء المدرسيِّين ولعلَّهُ مَلُوم في هذا الامر لأنَّ القدماء كانوا فيها ابعد نظرًا من المحدثين الاب ف . تورنيز

Dr H. Dauchez : GUIDE MÉDICAL DU MISSIONNAIRE ET DE L'EXPLORATEUR COLONIAL, Paris, G. Beauchesne, 1908, VI-340, in-12

الدليل الطبيّ للمرسل والرحَّالة الى المستعمرات الاجنبيَّة

انَّ المرسلين والسيَّاح احوج من غيرهم الى بعض كتب طبيَّة يرجعون اليها في

البلاد الاجنبيَّة التي يتنقلون فيها سواء كان لعلاج ما يعتريهم من الامراض بعيداً عن الأساة او لتطبيب الاجانب الذين يرشدونهم او يجولون بينهم وهم يعتبرون في الغالب مرشديهم والطائفين في بلادهم كأطبَّاء نطاسيين . على انَّ هؤلاء المرسلين والسيَّاح لا يعرفون عادةً من الطبّ الَّا اصوله العامَّة وليس في ايديهم من كتبه الَّا النادر او المخلّ . فسدًّا لهذه الثلمة وضع الدكتور دوشه من اطبَّاء باريس كتاباً صغير الحجم كبير الفائدة اختصر فيه علم الطبابة وضمَّنهُ ما يحتاج اليه الكهنة والمرسلون وارباب السياحات لتمريض المرضى ومعالجتهم في اكثر الاسقام والاوبئة مع وصف انواع الادوية التي يمكنهم ان يستصحبوها معهم او يستطيعون ان يُلفوها في كلّ البلاد الاجنبيَّة ويشرح لهم كيفية استحضارها مع عدَّة تصاوير تمثل لهم العمل وقد اطَّلع على هذا الكتاب كثيرون من كبار الاطبَّاء واستحسنوهُ كما اثنى على صاحبه النطاسيّ من التجأ اليه في البلاد النازحة ووجدوهُ كمكتبة طبيَّة مختصرة، جازى الله مؤلفهُ الذي اهدى كتابهُ الى ثلاثة من اولاده اليسوعيين المشتغلين في اعمال الرسالة ل . ش

كتاب المسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد

تأليف الخوري عبد الاحد جرجس البغدادي

طُبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٢٢٦)

قال احد الآباء القديسين: « ليس غلوّ في الثناء على مريم » . وقال السيّد جرمانوس فرحات:

لو كان للافلاك نطقٌ او فمٌ لترنَّموا بمديحكِ يا مريمُ

ومن ثمَّ يشملنا السرور كلَّما نرى احد كتبتنا الشرقيين يجرّدون قلمهم لاوصاف مريم وانَّما هذا السرور يتضاعف اذا كان الكاتب من اهل العلم والتُّقى كحضرة الخوري عبد الاحد جرجي فانَّ كتابهُ الحديث المعنون بالمسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد هو حقيقة مأثرة فاخرة قلَّما جاء بمثلها احد كهنة الشرق . وغاية ما يقال انَّها تتضمَّن لُباب الاسفار المقدَّسة واقوال الآباء وتعاليم اللاهوتيين في البتول الطاهرة . وقد جعل تأليفهُ ثلاثين فصلاً بحيث يصلح لرياضة الشهر المريميّ فيُتلى منهُ كلّ يوم فصل في الكنائس او في بيوت المؤمنين . وممَّا استحسناهُ في

هذا الكتاب انَّ كلَّ ما شرحهُ صاحبهُ البارع من عظم مقام مريم العذراء وسمو فضائلها وقوَّة شفاعتها انَّما اثبتهُ مبيِّناً فيهِ العلاقة بين والدة الله وابنها الالهيّ وفقاً لقول الآباء القديسين انَّ مريم سُلَّم المؤمنين الى يسوع فبئس من يفصل الامَّ عن ابنها او الابن عن امهِ ل . ش

دروس الجغرافيا . القسم الاوَّل

تأليف فوزي افندي العظم

طُبع في المطبعة الاهليَّة في بيروت سنة ١٣٣٠ – ١٩١٢ (ص ٤٨)

كتاب صغير الحجم لطيف الشكل نظيف الطبع جمع فيهِ مؤلفهُ الاديب مبادئ علم الجغرافية لصغار المدارس على طريقة تقرّبها الى فهمهم مع ٢٤ صورة تمثّل لهم الموصوفات ولو كان بعضها ادقّ واوضح لفازت على سواها . وكذلك بعض التحديدات تحتاج الى مراجعة نظر وتحوير

جواهر الادب في خزائن العرب

جُمع بعناية سليم افندي ابراهيم صادر

طُبع بالمطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٢٢٠)

هو الجزء الرابع من المجموع الادبيّ الذي تولَّى نشرهُ صاحب المكتبة العموميَّة فجعلهُ ابواباً وفصولاً اثبت في كلّ منها ما يوافقهُ من المعاني كالآداب والحكم واللطائف والحكايات . وخلاصة القول انهُ عارض بهِ كتابنا مجاني الادب بل نقل عنهُ قسماً كبيراً كالاخ يبلاج في مصر ولا بأس فانَّ زيادة الخير خير كما يقال ل . ش

تاريخ مدينة زحلة

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف

طُبع بمطبعة زحلة الفتاة في زحلة (لبنان) سنة ١٩١١ (ص ٢٩٨)

هي قلادة ثمينة صاغتها ايدي ابن محبّ ليزين بها جيد امّهِ المحبوبة اي الوطن العزيز . فهذا الحبّ البنوي ذلَّل لهُ كلّ الصعاب في التفتيش عن آثار زحلة التي كاد يطمسها الزمان . والحقّ يقال انَّ من راجع الكتب المطبوعة والمخطوطة لا يكاد يجد لزحلة ذكراً قبل مئة عام بيد ان نظر الحبّ يكتشف ما لا يراهُ غيرهُ ولم يزل جناب كاتبنا الهمام منشئ مجلة الآثار يقلّب الاوراق ويستفتي التقاليد ويرصد الجماد

نفسهُ حتى استخرج لوطنهِ تاريخاً يحسدهُ عليهِ غيرهُ من البلاد وهو عبارة عن ٣٠٠ صفحة تقريباً يجد فيهِ القارئ من الفوائد ما لا يعثر عليهِ في الكتب الضخمة . ولا غرو ان يكون وقع في هذا المجموع بعض الروايات الضعيفة السند فانَّ ذلك كالظلّ في الصور يزيد بهِ رونق محاسنها . فنهنئ زحلة بوجود كاتب مثل عيسى افندي خلَّد ذكر مسقط رأسهِ على ممرّ الايَّام ونهنئ عيسى افندي على ما ابداهُ من النشاط في رفع شأن وطنهِ جازاهُ الله خيرًا ل . ش

الروض النضير في روايات البشير (ع ٢)

بقلم بعض الادباء

في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١٢ (ص ١٥٨)

احدى عشرة رواية تفكّه بها قرَّاء جريدتنا البشير فودُّوا لو تُجمَع في كتاب منفرد . فها هي ذا قد ظهرت على حدة على صورة كتاب رشيق القدّ جميل الغلاف نظيف الطبع يصلح خصوصاً لاحداث المدارس تقرّ بهِ ابصارهم وترتاح الى قراءتهِ اذهانهم فيتعلمون بهِ الفضائل الاهلية والاجتماعيَّة فضلًا عن اساليب الكتابة في انشاء الروايات . وهو الثاني من جنسهِ سبقهُ بستان السارى في ثماني روايات أُخر ل . ش

شذرات

بيني وبين يسوع قصيد زفَّها اقرَّاء الشرق الشماس الفاضل حبيب جرجس اسطفان احد تلامذة المدرسة المارونية بنسبة عيد الميلاد الشريف

انت قلبي يسوعُ رمتَ فهاكا لا تُبخهُ يا ربَّهُ لِسواكا
يا حياة الارواح لا أغدُ ميتاً ماتَ من ماتَ عنْ حياة هواكا
انَّ في النفس منك مُرْوِيَ ظمءٍ لكمالٍ لها لِقاه لِقاكا
كلُّ شيءٍ تراكَ فيهِ وأحلى كلِّ شيءٍ أنْ فيهِ نفسي تراكا
يا كمالَ الجمالِ كلُّ كيانٍ كونهُ وثبةٌ تِهاها بَهاكا
بَهجةُ الحبِّ سكرةُ الفكرِ في الأكوانِ سرٌّ أنْ كلُّها تهواكا
يا هناء الراني وانتَ ضِياه في صداها وفي رِواها رآكا

منكَ هذا اليكَ ذاكَ فما أحـــلاكَ كلًّا للكلِّ ما أحلاكا
موجدي غايتي حياتي هنائي لا تدعني أشذُّ وحدي هلاكا
لا تضعني يسوعُ إنّي إن ضعتُ أضاعتْ مـا كوّنتهُ يداكا
لستُ مني أولى ولكنني منـــكَ وما في هلاكِ نفسي رضاكا
لك رسماً كوّنتني ثمَّ رقيتَ م إلى أن أبدعتَ مني أخاكا
أسفي أنْ محوتُ فيَّ وأدرى انتَ مني بما سنـاءُ سناكا
أسفي أنْ منعتُكَ القلب مثوا كَ مُريداً عليك فيه عداكا
أسفي أنني علوتُ فنـاء عدماً دونهُ مُـدينُ علاكا
سيدي سيدي اليـكَ ايابي وا شقاء لقلب مَن خـلّاكا
لستُ أهلاً لدافقٍ منك يُحيي او خليقاً بمبلجٍ من ضياكا
منبعَ الجود ليس حقٌّ لنفسٍ في بهاء تُفيضُ الّا سخاكا
كيف يخشى الجبهَ الاثيمُ يُدنيهِ م على جاذب الصليب نداكا
لا يرى الحبُّ في مُلتيك اثماً بل عليهِ يُلقى كساء دماكا
أيها الحبُّ يا يسوعيَ إنّي لك تحت الصليب في مَن أتاكا
مُدَّ كفيك لي وأولِ فمي رشفَ حياةٍ أفـاض سرُّ ولاكا
أدنني أدنني يسوعُ وأدخلـني الى القلب كلُّ عزّي عُناكا
قيّد النفس في هواكَ وأخلصـها لك الدهر لا لهذا رذاكا
ليس حرٌّ في الناس الّا لسيرًا لك يأبى من القيود فكاكا
لك كلّي مُلكٌ ولا أبتغي منـــك من الخير سيدي إلّاكا
سيّدي سيـدي اليكَ أجلني كيف تبغي وأعطني أن اراكا
ان موتي أن لا اموتَ فألقا كَ فوا لوعتي الى لقيـاكا
مُرّ بما شئتَ كلُّ مُرٍّ لذيذٌ منكَ والشهدُ علقمٌ لولاكا
فاحيَ يا سيدي يسوعُ حياةً وهنـاء لكلّ من يراكا
واحيَ من كلّ كائنٍ مدفقِ الكو ن لك الشكرُ والثناء دِراكا
كلُّ موتي ان لا أموت فألقا كَ وعيشي توقّعي ملقـاكا

مساحة الكرة الارضيّة — انَّ المسّاحين الاقدمين لجهلهم سعة

القطبين لم يمكنهم أن يضبطوا بالتدقيق مساحة كرتنا الارضيَّة فبعد السياحات الحديثة لتلك الجهات القاصية تولَّى عدَّة علماء جغرافيين ضبط مساحة كرتنا منهم علماء ثلثة ألَّفوا في ذلك التآليف الجديدة العلَّامة الفرنسوي بلديت (A. Baldit) والدكتور فاغنر (Dr H. Wagner) والاستاذ كرومل (Krümmel) فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ مساحة السيَّارة التي نقطنها تبلغ ٥١٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع قسمها البرّي يبلغ ١٤٩,٠٠٠,٠٠٠ ك م والبحري ٣٦١,٠٠٠,٠٠٠ فتكون نسبة البرّ الى البحر كنسبة الواحد الى الاثنين و ٤٢ من المئة

آلتان لكشف جبال الجليد بعد غرق مركب التيتانيك (راجع الصفحة ٤٢٥) اخذ العلماء يبحثون عن آلة حسَّاسة تعرف ركَّاب السفن بقرب جبال الجليد فقام عالمان ووضعا آلتين كثر فيهما الكلام في المجلَّات العلميَّة . الاولى للاستاذ برنس (Barnes, Journal. *September*. p, 330) هي مقياس حرارة لبيان اخفّ درجات الحرّ والبرد تدوّن من تلقاء ذاتها الاختلافات الطارئة على الجوّ ولو عن بُعد قاصٍ فاذا قربت قطع الجليد دلَّ عليها المقياس ونبَّهت افكار عمَّال المركب. والثانية مبنية على بعض خواصّ ماء الكهربائيَّة اكتشفها المسيو كوبلان (Coplan) احد اساتذة ليدس (Leeds) فآلتهُ تتأثَّر تأثُّرًا محسوساً بقرب قطع الجليد عند طفوّها فوق سطح البحر لتكهربها. كما انَّهُ جهَّزها ايضاً باداةٍ تكشف لهُ ما في الماء من الجراثيم الناجمة عن وجود الجليد

الريّ في ما بين النهرين باشر «السير وليم ڤلكوكس» في بنائهِ خزَّان يحصر مياه الفرات عند القرية المعروفة بالهنديَّة وسيكون طول هذا الخزَّان ٢٥٠ مترًا ذات ٢٥ قنطرة لتقسيم مياه الريّ وسيرتفع علوّ الماء فوق النهر سبعة امتار ثمَّ يقام تحتهُ خزَّان آخر يبلغ ارتفاع مائهِ مترين ونصف . والمظنون انَّ هذه المياه المخزونة كافية لريّ البلاد المعروفة سابقاً ببلاد البابليين البالغة نحو ٦٠٠,٠٠٠ فدَّان

ترقي التلغراف اللاسلكي ليس برج ايفل اعظم مراكز التلغراف الاثيري بل مركز پولدهو (Poldhū) في معاملة كورنوايل من اعمال انكلترَّة فهناك سوارٍ علوّها ٢٩٠ قدماً نصبها مركوني ويمكنها ان تخابر كل انحاء

اوربة وشمالي اميركة . واليوم يسعى الانكليز في تشييد مركز آخر في لندن في ناحيتها الغربيَّة ترتبط مع مراكز اخرى متواصلة تجعل في نيويرك ثم في مدينة القاهرة ثم في عدن ومن عدن الى بريتوريا جنوبي افريقيا وسينغابور في الهند الصينيَّة وهكذا يستطيع الانكليز في خمس دقائق ان يخابروا ايَّ ناحية كانت من كل اقطار الدنيا

المكتبة الالبانية بعد انجازنا لمقالتنا عن البانية ارسل الينا جناب المسيو هنري غويس (Mr H. Güys) احد المتخرجين في مدرسة اللغات الشرقيَّة الحية في باريس ونزيل بيروت منذ ثلاث سنوات كتاباً عنوانهُ المكتبة الالبانية اودعهُ تعريف ما نُشر منذ القرن الخامس عشر الى السنة ١٩٠٠ من المطبوعات الخاصَّة بالبانية وتاريخها ووصف اهلها وعاداتها ولغاتها . فجاء كتاباً واسعاً يتضمن وصف ٧٢٤ كتاباً في لغات شتى وكان باشر بجمعها المسيو اميل لوغران (Emile Legrand) فوصف منها ٤٩٧ عدداً فلمَّا توفي قام المسيو غويس بانجاز عملهِ وتحسينهِ وزيادة الفهارس المتعة التي ترشد القرّاء الى معرفة احوال البانية .

الاسماك الغريبة الجنس ان اسباب المواصلات بين الشعوب قد وفَّرت ايضاً اسباب المعاش لاختلاط الامم ببعضها وتبادل خيراتها فكم من الحبوب والبقول والمزروعات التي لم يُعرف سابقاً اسمها اضحت اليوم رزقاً للالوف من البشر . وكما نقلوا البزور والحبوب نقلوا ايضاً الحيوانات من دواب ومواشي وطيور بعضها لحمل الاثقال وبعضها للقوت وبعضها لمجرَّد الزينة كجموع البغاوات التي ترى في قصر يلدز وقصر شونبرون في ڤينة وكانوا الى هذه السنين الاخيرة لم يفكروا في الاسماك الغريبة الاشكال التي تُرى في انهار اميركا وفي بحيرات افريقية وبحار الهند واوقيانية . فاخذ الانكليز ثم الالمان والنمسويون والسويسريون في طلب تلك الاشكال واستجلابها الى بلادهم فاصطنعوا لها احواضاً في المعاهد العمومية او بركاً في بيوت الخاصة وبعضهم يربونها ثم يبيعونها باسعار غالية لطالبيها . وكل هذه الاسماك تمتاز امَّا بالوانها الزاهية العجيبة وامَّا بتركيبها الغريب وامَّا بطبائعها المستغربة وخواصها الغريزيَّة اللطيفة في توليد صغارها وتربيتهم وفي الدفاع والهجوم لطلب غذائها فصارت تجارتها رابحة حتى ان اصحاب المؤتمر الفرنسوي العلمي سنة ١٩١٠ اعاروا الامر بالاً واهتموا بتوفير تلك الاجناس لخير البلاد

اسئلة واجوبة

س سألنا من سارًا ناغر (البرازيل) وطنيُّنا سمان الخوري عقل ما رأينا في جمعية تتعبَّد للارواح حضر احدى جلساتها فرأى في اصحابها امورًا غريبة ادهشتهُ ثمَّ دعوهُ الى الانضمام بسلكها

غرائب جماعات الناجين للارواح

ج انَّ ما رآه جناب المستفيد هو من الامور الشائعة التي طنطنت بها فئات من الناجين للارواح (Spirites) وقد كتب العلماء في هذه الطائفة كتبًا ضخمة فمنهم من عزا اعمالهم الى الخزعبلات ومنهم من نسبها الى ارواح الموتى . والصواب انَّ كثيرًا من هذه الظواهر يمكن تعليلها بعلل طبيعيَّة سواء كانت ملاعيب رشيقة اعتادها بعض النصَّابين او هي اعمال بعض المصابين باعراض عصبيَّة شديدة اخصُّهم النساء . والكلام في ذلك يقتضي شروحاً طويلة . ومع هذا لا يُنكر انَّ في بعض تلك المظاهرات فعلًا للارواح . ولكن لا يجوز ان يقال انَّها ارواح صالحة او ارواح الموتى بل ارواح شرّيرة غايتها اغواء البشر . وعلى كلِّ حال فليعلم السائل انَّ الكرسيَّ الرسوليَّ حرَّم الدخول في تلك الجمعيَّات التي اقلُّ اضرارها أن تلقي بالمنتظمين فيها في اسقام بدنيَّة وادبيَّة ربَّما ادَّتهم الى اختلال الشعور

س وسألنا جناب حنَّا افندي مدوَّر كيف نوفق بين قول صاحب مروج الاخبار (ص ٩ س ١٨) حيث روى انَّ ولادة السيِّد المسيح كانت سنة ٥٠٩٩ للعالم وبين قوله (ص ٣٦١ س ٣) بان السيِّدة والدة الاله ولدت سنة ٣٦٨٥ فيكون مولدها قبل ابنها بنحو ١٦١٤ سنة

تاريخ ميلاد السيِّد المسيح وميلاد العذراء

ج معلوم انَّ آراء القدماء قد اختلفت جدًّا في حساب سنة تكوين العالم فقد عدُّوا لهم في ذلك نيفًا ومئة رأي فمنهم من قصَّر تلك المدَّة الى السيد المسيح حتى جعلوها ٣٣٨٣ سنة فقط وغيرهم اطالوها حتى بلغوها ٧٠٠٠ سنة ونيفًا . فصاحب مروج الاخبار اتَّبع في تدوين تاريخ مولد المسيح السنكسار الروماني كما نبَّه عليه فوضع ذلك في سنة ٥٠٩٩ للعالم . واما مولد العذراء فانهُ عدل في اثباته الى تاريخ آخر للعالم كان شائعاً عند اليهود اعني سنة ٣٧٠٠ (راجع كتاب الاب دي كوبيه التوفيق بين العلم وسفر التكوين ص ٢٨—٢٩) ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الخامسة عشرة من مجلّة المشرق ١٩١٢

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرقم على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) سلام الله (١) = ايها الطفل (قصيدة) بقلم الاديب حبيب افندي ثابت (٢) = حوادث العام المدبر للاب لويس شيخو اليسوعي (٤ — ٢٠ ; ٢ : ١٢٦ — ١٤٥) = كتاب اعمال الرسل اي الابركسيس. نظر تاريخي انتقادي للخوري ابراهيم حرفوش (٢١ — ٣٥) = النحل. نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (٣٥ — ٤٦ ; ٣ : ١٩٠ — ٢٠١) = لا حول ولا . . . (قصيدة) لحضرة الخوري رافائيل البستاني (٤٦ — ٤٩) = تاريخ حوادث الشام ولبنان من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١) عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (٤٩ — ٦٠ وباقي اعداد السنة) = آفة الاشجار المثمرة نظر علمي للاب يوسف كلتاغان اليسوعي (٦٠ — ٦٧) = النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (تابع): النصرانية في العراق (تابع): (٦٧ — ٧١) النصرانية في الجزيرة (٢ : ١٤٥ — ١٥١ ; ٣ : ٢١٢ — ٢١٤) النصرانية بين عرب شمالي سورية (٣ : ٢١٤ — ٢١٨ ; ٤ : ٢٠٧ — ٢٠٨) النصرانية في الحجاز ونجد (٤ : ٢٠٨ — ٢١١ ; ٦ : ٤٥٠ — ٤٥٥ ; ٧ : ٥٤٣ — ٥٤٨ ; ٨ : ٦٢٧ — ٦٢٩) قبائل العرب المتنصرة (٩ : ٧٠٠ — ٧٠٦ ; ١٠ : ٧٧٤ — ٧٧٩ ; ١١ : ٨٤٣ — ٨٤٩) ملحق (١٢ : ٩٢١ — ٩٢٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٢ — ٧٧) = شذرات: بطريرك مجهول (٧٧ — ٧٨) نبوة ماسونية — اليهود والدستور في المملكة العثمانية (٧٨ — ٧٩) = اسئلة واجوبة (٨٠) وكذلك في جميع اعداد السنة

العدد ٢ (شباط) من بيروت الى الهند رحلة للاب لويس شيخو (٨١ — ٩١ ; ٣ : ٢٠١ — ٢١٢ ; ٤ : ٢٩٨ — ٣٠٦ ; ٨ : ٦١٥ — ٦٢٦ ; ٩ : ٧٠٦ — ٧١١ ; ١٠ : ٧٨٠ — ٧٨٧ ; ١١ : ٨٤٩ — ٨٥٩ ; ١٢ : ٩٢٩ — ٩٤٧) = من أعلى مناوة بيروت (قصيدة) للاديب سليم البستاني (٩١ — ٩٤) = مرآة الحسناء ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مراش نبذة للاب لويس شيخو (٩٤ — ١٠١) = صفحة من التاريخ الحبشي والنوبي رسالة نجاشي الحبشة الى جرجس ملك النوبة في عهد بطريرك الاسكندرية فيلوثاوس للكافالير عبدالله افندي رعد (١١٥ — ١١٩) ملحق للاب لويس شيخو (١١٩ — ١٢٢) = الأنفلكسيا او عكس المناعة بقلم الدكتور حبيب افندي الدرعوني ١٢٢ — ١٢٦) = تاريخ تتويج الملك جرجس الخامس في الهند — المروّة الفرنساوية (١٥٨ — ١٥٩)

العدد ٣ (آذار) رسولا الخير العام في مدينة السلام للاب لويس شيخو (١٦١ — ١٧٩) = كلمة في مجلة الكلمة لهُ (٢١٩ — ٢٢٦) = الترقي العلمي في العام المدبر نظر لهُ (٢٢٦ — ٢٣٢) = محفل صنين — جدول طلبة المدارس في الدولة العثمانية (٢٢٨ — ٢٣٩)

العدد ٤ (نيسان) الحقوق الدولية في الحرب مقتطف من كتاب حقوق الملل ومعاهدات

الدول للامير امين ارسلان ببعض تصرّف واختصار (٢٤١—٢٥٠) = ابن وائل: مأساة تاريخية نثرية ذات ثلاثة فصول بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (٢٥١-٢٦٢ ؛ ٥ : ٢٨٠-٢٩٢ ؛ ٦ : ٤١٤-٤٢٥) = مبسر مفقود لقديس انطاسيوس السيناوي نشره الاب لويس شيخو (٢٦٤-٢٨٠) = تاريخ الحرير في بلاد الشام انسيو غستون دوكوسو (٢٨٠-٢٨٧ ؛ ٥ : ٢٧٤-٢٨٠) = تحية الصليب (قصيدة) من نظم الاديب سليم ابي رزق (٢١٧-٢١٨) = اعتناق سيدتين ايسكوبالتين الكنيسة الكاثوليكية – الحكم على غاليلو – زجلية على خراب طرابلس (٢١٨-٢١٩)

العدد ٥ (ايار) شاهد القيامة في دياميس رومية رواية خيالية لاميل كيهارت من الاكادمية الفرنساوية (٢٢١-٢٢٦) = الخلاصة الملسونية خطاب القاه الاب لويس شيخو (٢٢٦—٢٥٠) = حلب الشهباء ومجلة المقتبس لحضرة القسّ جرجس منش الماروني الحلبي (٢٥٠—٢٥٦) = من المهد الى اللحد (قصيدة) للاديبين سليم ابي رزق ويوسف جرجس الخوري من طلبة كلينا (٢٥٧-٢٦٢) = اليوبيل الاسقفي انبطة بطريرك السريان (٢٦٦) — تحية الشرق للمكتب الفرنساوي الجديد (قصيدة) للمسنيور يوسف الملم – الكلمة وبطريرك القبط المستقيل (٢٦٧-٢٦٩)

العدد ٦ (حزيران) يوبيل كلية اثينا ومؤتمر المستشرقين للاب لويس رترقال اليسوعي (٤٠١-٤١٢) = مصرع جبّار البحار للاب لويس شيخو (٤٢٥—٤٣٣) = العقائد الوثنية في الديانة النصرانية انتقاد للاب لويس شيخو (٤٣٣-٤٤٥ ؛ ٧ : ٥٢٩—٥٤٣) = وداع الام لابنها المهاجر (قصيدة) من نظم الاديب يوسف افندي غصوب (٤٤٦—٤٥٠) = الذكر المخلّد في سيرة السيد جرمانوس معقد للاب لويس شيخو (٤٥٦-٤٦٥) = شطط الشيخ النبهاني (٤٧٤-٤٧٦) – التقويم الصيني ودليل الهند الكاثوليكي للسنة ١٩١٢ (٤٧٦-٤٧٧)

العدد ٧ (تموز) غاية الغناء بفتح مملكة الهواء. مختصر محاضرة القاها الاب كلاوديوس بجاسون اليسوعي (٤٨١—٤٩٤) = نظر انتقادي في حكايات بعض شهداء الفرس على عهد الملك شابور لسيادة المطران ادي شير رئيس اساقفة سمرد الكلداني (٥٠٣—٥٠٩) = تاريخ قصر الخضر للاب سبستيان رترقال اليسوعي (٥٠٦=٥٢٣) = تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي: فَعِلَ يَفْعَلُ. فَعِلَ يَفْعِلُ. فَعُلَ يَفْعَلُ لحضرة الخوري دون حنا مرنا قاتوني القبر المقدس (٥٢٣-٥٢٦) = الأرق واسبابهُ ومعالجتهُ للدكتور كامل سليمان الخوري (٥٢٦-٥٣٩) = في عرين الملسونية (٥٥٧) لغط الكلمة – شهادة يابانية للكثلكة — كتاب الكهنوت (٥٥٨-٥٦٠)

العدد ٨ (آب) العقائد المسيحية في الدياميس الرومانية بقلم حضرة الخوري بولس سلمان (٥٦١-٥٧٣) = مؤلف الدلالة اللامعة لحضرة القسّ جرجس منش الماروني الحلبي (٥٧٣—٥٧٧) = العسل نظر صناعي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (٥٩٠-٥٩٦) = تاريخ آداب اللغة العربية (نقد الجزء الثاني) للاب لويس شيخو (٥٩٧-٦١٠) = استعمال المُنقّطات في الطبّ بقلم الدكتور كامل افندي سليمان الخوري (٦١١-٦١٥) = آثار بابلية قديمة (٦١٧) حديث خرافة – السيف القاطع لعنق الفرّ المخادع – تكذيب اشاعة (٦٢٨-٦٢٩)

العدد ٩ (ايلول) النهضة الكاثوليكية في حلب والرسالات الفرنساوية في القرن السابع

عشر للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي (٦٤١-٦٥٤ ; ١١ : ٨٥٩-٨٦٩ : ١٢ : ٩٢٠-٩٣٠) = معالجة طنين الأذنين للدكتور كامل سليمان الخوري (٦٥٥-٦٥٧) = صورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم نشرها الاب لويس شيخو (٦٥٧-٦٦٩) = نصيحة الزهور موشح لحضرة الخوري يوسف سماحه ق.ب. (٦٦٩-٦٧٣) = شركة انتشار الايمان ومنشئتها المكرمة بولين ماري جاريكو بنسبة السنة الخمسين لوفاتها نظر تاريخي للاب لويس شيخو (٦٧٣-٦٨٨) = اليسوعيون والعلم (٧١٥) — اول سائح في بلاد تيبت — المتاحف الفوتوغرافية — ما اشرنك ايها الدين — شطط مجلة المنار المصرية (٧١٦-٧١٩)

العدد ١٠ (تشرين الاول) الملائكة بازاء العلم والدين نظر فلسفي لاهوتي للاب لويس شيخو (٧٣١-٧٣٦) مقالتان قديمتان في قوس قزح نشرهما الاب لويس شيخو (٧٣٦-٧٤٤) = ميس لتادرس ابي قرة في وجود الخالق والدين القويم نشره الاب لويس شيخو (٧٥٧-٧٧٤ ; ١١ : ٨٣٥-٨٤٣) = قصر بيت الدين (قصيدة) لحضرة المعلم منصور ابي رزق (٧٦٣-٧٩٥) = مراية التدرن اي السل بالمرق — اضطهادات البابويين للارثوذكسيين — نظام الكنيسة الكاثوليكية — الدكتور شبلي شميل والمقتطف — الاله المجهول — رسالة برقية حول الارض — اكتشافات بردية — مكاتب نقالة (٨٦٥-٨٦٩)

العدد ١١ (تشرين الثاني) ألمانية نظر جغرافي تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو (٨٠١-٨١١) = براءة جديدة للحبر الاعظم — غمن والكلمة — ترقي الكنيسة الكاثوليكية في الصين — جدول منقولات البريد الدولي (٨٧٧-٨٧٩)

العدد ١٢ (كانون الاول) براءة رسولية للحبر الاعظم البابا بيوس العاشر عن المناولة في الطقسين (٨٨١-٨٨٨) = المناولة المرة في الكنيسة الكاثوليكية للاب لويس شيخو (٨٨٨-٩٠١) = شواعري في مدينة النور للدكتور اميل عرب (٩٠١-٩٠٧) = الدراجة: بحث تاريخي فني للاديب فريد افندي فارس خوا (٩٠٧-٩١٢) = عود على بدء للشيخ فدا حسين احد اساتذة كلية عليكده الاسلامية مع جواب المشرق (٩١٣-٩١٨) = زهرة الحياة (٩١٨-٩٢٠) = وزن فول في العربية للاب لويس رترفال (٩٤٧-٩٥٠) = بيني وبين يسوع (قصيدة) للشماس حبيب ج. اسطفان (٩٥٦) مساحة الكرة الارضية — آلتان لكشف جبال الجليد — الري في ما بين النهرين — ترقي التلغراف اللاسلكي — المكتبة الالبانية — الاسماك الغريبة الجنس (٩٥٧-٩٥٩) = فهارس (٩٦١-٩٧٦)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابو رزق (الاديب سليم) تحية الصليب (تخميس) ٢١٧
من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٥٧
ابو رزق (المعلم منصور) قصر بيت الدين (قصيدة) ٧٦٣

ايلا (الاب شرل اليسوعيّ) ابن وائل : مأساة تاريخيّة نثريّة ذات ثلاثة فصول ٢٥١ : ٢٨٠ ; ٤١٤
ارسلان (الامير امين) الحقوق الدوليّة في الحرب ٢٤١
انطاسيوس (القديس السيناوي) ميمرهُ المفقود في يوم الجمعة العظيمة ٢٦٤
اسطفان (الشماس حبيب) بني زيين يسوع (قصيدة) ٩٥٦
البستاني (الخوري رافائيل) لا حول ولا . . . (قصيدة) ٤٦
البستاني (الاديب سليم) من اعلى منارة بيروت (قصيدة) ٩١
بيهم (مختار افندي) نبذة لهُ في الاجانب ١٥٨
بيرس الناشر (قداسة الحبر الاعظم) براءتهُ في جواز مناولة القربان الاقدس في الطقسين ٨٨١
تورنيتز (الاب فرنسوا اليسوعيّ) النهضة الكاثوليكيّة في حلب والرسالات الفرنسويّة في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠=لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٦٩ ; ٩٥٣
تيوليه (الاب ت . اليسوعيّ) وصفهُ لبعض الكتب ٢٩٣ ; ٢٩٥
ثابت (الاديب حبيب) أيها الطفل (قصيدة) ٢
جوون (الاب بولس اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٧٠
حبيقة (المنسنيور بطرس) محفل صنين (قصيدة) ٢٢٨
حرفوش (الخوري ابراهيم المرسل اللبنانيّ) كتاب اعمال الرسل اي الابركيس ٢١
حسين (الشيخ فدا) عودٌ على بدء ٩١٣
الخوري (الدكتور كامل سليمان) الأرق واسبابهُ ٥٢٦ = استعمال المنقطات في الطبّ ٦١١ = سابلة طنبين الاذن ٦٥٥ = سراية التدرُّن اي السلّ بالعرق ٧٩٥
الخوري (يوسف جرجس) من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٦٠
الدرعوني (الدكتور حبيب) الأنفيلكسيا او عكس المناعة ١٢٢
دوكوسو (الميوغستون) تاريخ الحرير في بلاد الشام ٢٨٠ ; ٢٧٤
ديلفسيتر (الاب يوسف) لهُ وصف بعض مطبوعات ١٥٦ ; ٢١٥ جوابهُ على اسئلة كتابيّة ٦٤٠ ; ٧٢٠
ربّاط (الاب انطون اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ١٥٤ ; ٢١٥ — ٢١٦
رعد (الكافاليير عبدالله افندي) صفحة من التاريخ الحبشيّ والنوبيّ ١١٥
رترفال (الاب سبستيان اليسوعي) تاريخ قصر الخضر ٥٠٩ = لهُ وصف بعض مطبوعات ١٥٣ — ١٥٤ ; ٦٢١ ; ٨٧١
رترفال (الاب لويس اليسوعيّ) بويل كلّيّة اثينا ومؤتمر المستشرقين ٤٠١ = وزن قمّول في العربيّة ٩٤٦= لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٦٨ ; ٥٥٢ ٨٧٣
رنكين (جرج) تاريخ تتويج الملك جرجس الخامس ١٥٨
سلمان (الخوري بولس) العقائد المسيحيّة في الدياميس الرومانيّة ٥٦١
سماحه (الخوري يوسف ق . ب) نصيحة الزهور (قصيدة) ٦٦٩= زهرة الحياة ٩١٨
شيخو (الاب لويس اليسوعي) سلام الله . ادعية في رأس السنة ١ = حوادث العام المدبر في الشرق ٤ ثمّ في الغرب ١٢٦ = النصرانيّة وآداجها في العراق ٦٧ في الجزيرة ١٤٥ ;

٢١٢ بين عرب شمالي سورية ٢١٤ ; ٢٠٦ في الحجاز ونجد ٣٠٨ في المدينة ٤٥١ في مكة ٥٤٣ في نجد ٦٢٨ قبائل العرب المتنصرة ٧٠٠ ; ٧٧٤ ; ٨٤٢ = من بيروت الى الهند (سياحة) : من بيروت الى حلب ٨١ الى الفرات ٨٥ الرها ٢٠١ من الرها الى ماردين ٢٠٦ ماردين ٢٩٨ من ماردين الى ديار بكر ٦١٥ طور عبدين ٧٠٦ ; ٧٨٠ ازخ . الجزيرة . زاخو ٧٨١ مار يعقوب . ألقوش . ربان هرمز ٨٤٦ الموصل ٩٣٠ = مرآة الحسناء (ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مرّاش) ١٤ = ملحق بصفحة من التاريخ الحبشي والنوبي ١١٩ = رسولا الخير العام في مدينة السلام ١٦١ = كلمة في مجلة الكلمة ٢١٤ = الترقي العلمي في العام المدبر ٢٢٦ = نشرة لمجمع القديس انطانيوس البناوي في يوم الجمعة العظيمة ٢٦٤ = الخلاصة الماسونية (خطاب) ٢٢٦ = مصرع جبّار البحار ٤٣٥ = عقائد الوثنية في الديانة النصرانية (ردّ) ٤٣٣ ; ٥٣٩ = الذكر المخلّد في سيرة السيد جرمانوس مقدّ ٤٥٦ = نقد الجزء الثاني من تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان ٥٩٧ = نشرة لصورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم ٦٥٧ = شركة انتشار الايمان ومنشئتها بولين ماري جاريكو ٦٧٣ = الملائكة بازاء العلم والدين ٧٣١ = نشرة لمقالتين قديمتين في قوس قزح ٧٣٦ = نشرة لمجمع تادرس ابي قرّة في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥ = البابية : نظر جغرافي تاريخي اجتماعي ٨٠١ = المناولة المرّة في الكنيسة الكاثوليكية ٨٨٨ = بعض ملحوظات في حريق مكتبة الاسكندرية ٩١٥ = وله في كل اعداد المشرق تعريبات ووصف مطبوعات وشذرات واجوبة على اسئلة

شير (سيادة المطران ادّي) نظر انتقادي في حكايات شهداء الفرس ٥٠٣

طوران (الاب اسكندر اليسوعي) النحل ٣٥ ; ١٩٠ = العسل ٥٩٠

عرب (الدكتور اميل) شواعري في مدينة النور ٩٠١

العلم (المنسنيور يوسف) تحية الشرق بالمكتب الفرنسوي الجديد (قصيدة) ٢٩٧

غصوب (الاديب يوسف) وداع الام لابنها المهاجر (قصيدة) ٤٤٦

القلقيلي (الشيخ محمد المصري) انتقاده على كتابات الشيخ يوسف النبهاني ٤٧٤

گبهارت (اميل) شاهد القيامة في دياميس رومية ٢٢١

كسنتاكيس (الاب بطرس اليسوعي) له وصف بعض كتب ٧٢ ; ١٥٥–١٥٦ ; ٤٦٧

كلنبانان (الاب يوسف اليسوعي) آفة الاشجار المثمرة ٦٠

بجاسون (الاب كلاوديوس اليسوعي) غاية المناء في فتح ملكة الهواء ٤٨١ له وصف بعض المطبوعات ٤٧٤

مرتا (القانوني دون جان) تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي : فَعِلَ يَفْعُلُ . فَعُلَ يَفْعَلُ . فَعُلَ يَفْعِلُ ٥٢٢

مرّاش (فرنسيس) ملحق بديوانه ٩٤

ملوف (الاب لويس اليسوعي) نشرة لكتاب حوادث الشام ولبنان ٤١ ثم في بقية الاعداد (طبع على حدة)

منش (القس جرجس) حلب الشهباء ومجلة المقتبس ٢٥٠ = مؤلف الدلالة اللامعة ٥٧٣

ميخائيل الدمشقي صاحب كتاب تاريخ

حوادث الشام ولبنان ٤٦ وفي بقيّة اعداد السنة (طبع على حدة)
خرا (الاديب فريد) الدرّاجة ٩٠٧
نيرون (الاب ج . اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ٥٥٢
بكن (وليّ الدين) قولهُ في المرونة الفرنسويّة ١٥٩

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الخامسة عشرة من المشرق

الكتب العربية والسريانية الخ

ابن الانباريّ (ابو بكر) شرح معلّقة طرفة (٢٢٢)
ابن شرف القيرواني رسائل الانتقاد (٢٢٤)
ابو العلاء المعرّي رسالة في الوعظ والحكم (٢٢٥) = مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران (٢٢٦) = رسالة التذكرة (٢٢٦)
ابي كرم الخوراسقف نعمة الله) تعريب كتاب الفلسفة النظريّة للكردينال مرسيه. المجلد الثاني (٥٥٤)
ايلا (الاب شرل اليسوعيّ) رواية ابن وائل (٤٧٢)
ارسطاطاليس كتاب الاحجار (٢١٢)
انستاس (الكرملي) كتاب التعبّد ليسوع طفل براغ (١٥٧)
برنابجات (٢١٧ ; ٧٩٢)
البستاني (الاديب يوسف توما) امثال الشرق والغرب (٦٢٧)
بلميس (الاب يعقوب) ترجمة كتابه مبادئ الديانة للخوري بطرس مراد (٤٧١)
بيدجان (الاب بولس اللازوي) كتابهُ السرياني في حياة القديسين (٢٩٢)
التنّير (محمّد طاهر) نقد كتابه العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة (٤٢٢ ; ٥٢٩)
جبران (جبران خليل) الاجنحة المكسّرة (٢١٥)
جرجس (الخوري عبد الاحد) كتاب الملك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد (٤٥٤)
الجميّل (الاديب يوسف الاجثائي) زراعة التبغ التركيّ في لبنان (٧٦)
الجواد الادهم (رواية) (٤٧٢)
حبيقه (القسّ يوسف) كتاب الكهنوت المنسوب للقديس يوحنا مارون ١٥٧ ; ٥٥٩
خدمة السبت الظلم (٢٢٦)
الخوري (امين افندي) مطوّل في انشاء المكاتيب (٢٢٧)
الخوري (الدكتور كامل سليمان) الضرران الاكبران المسكر والدخان (٦٢٦)
الخياط (الاديب محيي الدين) مدخل دروس القراءة (٧٩٢)
دريان (الخوري لويس) الاعتقاد تجاه العقل والعلم (خطبتان) (٢٩٥)
دريان (سيادة المطران يوسف) لباب البراهين

الجليّة عن حقيقة امر الطائفة المارونية (٤٩٠)
دعبول (رشيد افندي البعبداوي) موجز تاريخ الطائفتين (٤٧٣)
الدميري حياة الحيوان بالانكليزية . الجزء الثاني (٣٩٣)
رباط (الاب انطون) الانجيل الشريف (٧٣)
رسائل رعائية (٢٣٨ ; ٢١٦)
رفائيل (السيّد هوادينيّ) الدليل الامين في خدم التكريس والتدشين (٧٤)
رثاء الاسى في رثاء السيّد جرمانوس مسقّد (٥٥٦)
الروض النضير في روايات البشير لبعض الادباء (ع ٣) ٩٥٥
زيدان (جرجي افندي) نقد كتابي آداب اللغة العربية . الجزء الثاني (٥٩٧) = كتاب طبقات الامم او السلاسل البشرية (٧١٤)
سيّور (الاب بولس البوليّ) كتاب زهور النفس من حديقة خوري ارس (٢٩٥)
شيخو (الاب لويس شيخو اليسوعي) تاريخ اغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المنبجي (٢٩٤) = تفنيد التزوير ردّ على كتاب محمّد التنير ٤٧٣ = اطرب الشعر واطيب النثر (القسم الاوّل) ٧٩٠ = كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسيّ ٨٧٦
ص.ع شهر قلب يسوع للمسأل (٧٥)
صادر (سليم افندي ابراهيم) جواهر الادب من خزائن العرب . الجزء الثالث (٢٩٣) الرابع (٩٥٥)
صاعد بن احمد الاندلسيّ كتاب طبقات الامم (٨٧٦)
الصائغ (الخوري يوسف البوليّ) دعاة الضلال (٦٣٦)
صفا بك (محمّد) رسالة مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي (٢٣٦)
صفير (الخوري جرجس فرج) مناجاة النفس (٥٥٦)
صنوع (الشيخ يعقوب) موليير مصر وما يقاسيه (٤٧٣)
ضومط (الاستاذ جبر) بحث في اللغة العربيّة (٢٣٧)
عبد الوهّاب التونسيّ (حسن حسني) رسائل الانتقاد لابن شرف القيروانيّ (٢٣٤) = رسالة في الحكم لابي العلاء المعرّي (٢٣٥)
العرب (ابراهيم بك) كتاب آداب العرب (٨٧٦)
العلم (الاديب فوزي افندي) دروس الجغرافيا ٩٥٥
علوان (الاب يوسف اللازريّ) ارج الوطنيّة في حياة الطوباويّة جان دوك الباسلة الفرنسيّة (٧٣)
العشيّي (الخوري يوسف) رواية ماسونيّ العذراء (٤٧٢)
غزّاله (الدكتور سليمان) لهجة الابطال (٢٣٣)
الغلاييني (الشيخ مصطفى) الدروس العربيّة (٧٥)
غويدي (الاستاذ اغناطيوس) زجليّة على خراب طرابلس (٢١٤)
فرنيه (الاب عطاالله اليسوعيّ) ترجمة كتاب الاقتداء بالمسيح (٦٣٤)
قندلفت (غطّاس افندي) امتيازات الجماعات المسيحيّة في المملكة العثمانيّة (مترجم عن اليونانيّة لستافرس فوتيراس) (٧٤١)
كاتفليس (الاديب وليم) رواية شقاء التاج او حرس جلالتها (٤٧٣)
مدرسة القديس بطرس (بسكنتا) اقاس

الطلّاب في مضمار الكتاب (٧٧)
مسعد (بولس افندي) بحث سياسيّ انتقاديّ في تاريخ مصر وسوريا والعلائق بينهما (٥٥٥)
المشعلاني (الاديب نجيب ملحم) الرهبان مَنْ هم . ماذا يعملون . ماذا ينفعون (٥٥٥)
مصوبع (المحامي سليمان افندي) قاموس القضاء الشرعي (٥٥٧ ; ٦٢٦ ; ٧٢٠)
الملوف (الاديب عيسى افندي اسكندر) تاريخ مدينة زحلة ١٥٥
المكاري (احمد الدمشقيّ) البرهان السديد في كشف الاسرار عن وجود الامير سليم عبد المجيد (٤٧٣)
ميرزا غلام (احمد) قصائد احمديّة (٧٦)
النيسابوري (ابو القسم الحسن) كتاب اخبار عقلاء المجانين (٧٨٧)
هبة الدين (الشهرستانيّ) تحرير نقل المجانز المتنيّرة (٢١٦)
ياقوت (الحمويّ) معجم الادباء الجزء الخامس (٢١٤)

مطبوعات اوربيّة

Anaissi (Tabia Abbas) : Bullarium Maronitarum (549)
Auboyneau (G.) et Fevret (A.) : Essai de Bibliographie pour servir à l'Histoire de l'Empire Ottoman (313 467)
Baudrillart (Mgr Alf.) : Fréderic Ozanam (553)
Below (G.von) und Meinecke (F.): Handbuch d. mittelalt. u. neuren Geschichte. I Erben (W.), Schmitz-Kallenberg (4.), Redlich (Osw.) : Urkundenlehre, 1er Teil (152)
Bitar (M-Y) : Catalogue des Manuscrits et des livres rares du Comte Rochaid Dahdah (789)
Blochet (E.) : Histoire des Mongols de Fadlallah Rachid ed-Din (313)
Boppe (A) : Journal et Correspondance de Gédoyn (314)
Brou (A. s. j.) : S' François-Xavier (553)
Browne (E. G.) : Kitab-i Nuqtatu'l Kaf by Ḥâjji Mirza Jani of Kâshân (72)
Cordeira (Clemente) : Grammática Espanola en idioma Arabe (551)
= Grammática de Arabe Litoral (871)
Chabot (J-B.) : Notice sur la vie et les travaux de M. Rubens Duval (156)
Charon (Le P. Cyrille) : Histoire des Patriarcats Melkites. T III. Les Institutions, fasc. 2
Cheikho (L. s. j.) : Agapius Episcopus Mabbugensis. Historia Universalis (394)
=Kitâb Ṭabaqât al-Umam ou les Catégories des Nations par Abou Qâsim ibn Sa'id (876)
Colin (Gab.) : La Tedkira d'Aboul 'Alâ al-Ma'arri (236)
The Conference of Orientalists ...held at Simla (313)
Czermiński (Ks. M. s. j.): Maksymilian Ryllo Towarzystwa Jesusowego Misyonarz Apostolski (951).
Dahlmann (Jos. s. j.) : Die Thomas-Legende und die aeltesten histor. Beziehungen d. indischen Altertumskunde (469)
Dauchez (Dr H.) : Guide Médical du Missionnaire et de l'Explorateur Colonial (954)
Davot (L'abbé) : Premières leçons de Catéchisme (315)
Delacroix (L'abbé Jean) : Ascétique et Mystique (468)
Delavaud (L.) : Le marquis de Pomponne (154)
Dirr (Dr A.) : Praktisch-theoretisches Lehrbuch d. Aegypt. Vulgararabisch (952)
Euringer (Dr Seb.) : Die Uberlieferung d. arab. Uebersetzung d. Diatessaron. Mit einer Textbeilage: die Beirutor Fragmente, herausg. u. übers

v. D'. G. GRAF (470)
Fortescue (Rev. Adrian) : THE MASS : a Study of the Roman Liturgy (873)
Gattrer (M. s. j.) et Krus (Fr. s. j.) : L'éducation de la Chasteté (156)
Gebhart (E.) : Petits Mémoires (395)
Gourlot (A. de) : JUDAS DE COLOGNE, récit de ma Conversion (468)
Grandmaison de Bruno (Dr de) : Vingt Guérisons à Lourdes discutées médicalement (874)
Halévy (J.) : Précis d'Allographie assyro-babylonienne (738)
d'Herbigny (M.) : Un Newman Russe, Vladimir Soloviev (950).
Huart (Cl.) : Histoire des Arabes, t. I (711)
Huby (J. s. j.) CHRISTUS : Manuel d'Histoire des Religions (466)
Hussy (Mary Inda) : Sumerian in the Harvard semitic Museum, Part I (870)
Isis Copia : Fleurs de rêve (393)
Jayakar (A. S. G.) : Ad-Damiri Ḥayat al-Ḥayawân. *Vol.* II (392)
Jeannière (R. s. j.) : Criteriologia vel Critica cognitionis certæ (953).
Khairallah (K. T.) : La Syrie (713)
Kratchkovsky (I.) : Abu Ḥanîfa ad-Dinawari. Kitab al-Ahbar at Ṭiwâl. Préface, Variantes et Index (552)
Lallemand (L.) : Histoire de la Charité. t. IV (153)
Legrand (E.) et Güys (H.) : Bibliographie Albanaise (959).
ΛΙΝΑΡΔΟΥ (ΒΑ) : Οἱ Μασσῶνοι ἐναντίον τοῦ Χριστιανισμοῦ (72)
Loosen (Paul) : Die Weisen Narren des Naisaburi (787)
Manasseowitsch (B.) : Lehrbuch, die arab Sprache durch Selbstunterricht schnell u. leicht zu erlernen (551)
Marçais (W.) : TEXTES ARABES DE TANGER ; transcription, traduction annotée, glossaire (767)
Margoliouth (D. S.) : Dictionary of learned Men of Yakut. V, (314)
Musil (Alois) : Neues aus Arabia Petræa (473)
Nicolas (A. L. M.) : Essai sur le Cheikhisme, III et IV
= Le Béyan Persan (233)
Palacios (M. Asin) : Noticia de los Manuscritos árabes del sacro Monte de Granada (471)
Poulpiquet O. P. (I. E. A de) : Le Dogme source d'Unité et de Sainteté dans l'Eglise (468)
Roscher (O.) : Ṭarafa's Mo'allaqa, mit Commentar des... el Anbari (232)
= Arabische Handschriften der Koprülü Bibliothek ; des top Kara Seraj (789)
Olmstead (A. T), Charles (B. B.), Wrench (J. E.) : Travels and Studies in the nearer East (Cornell Expedition) (152)
Rouët de Journel s. j : Enchiridium Patristicum (154)
Roupain (E.) Leçons et lectures d'Apologétique (155)
Ruska (Dr Julius) : Das Steinbuch des Aristoteles (312)
Schneider (Mgr W.) : Preuves de l'Immortalité de l'âme, adapté de l'allemand par. G. GAZAGNOL (468)
Vaccari (P. Alberto s. j) : L'arabo scritto e l'arabo parlato in Tripolitania. Grammatica elementare pratica (871)
Wied (Karl) : Leichtfassliche Anleitung z. Erlernung d. Turkischen Sprache. 4e *Aufl* (472)
Zaidan (G.) Al-'Abbassa ou la Sœur du Calife. Traduit de l'arabe par M.-Y. Bitâr (952).
Zwemer (S. M.) : The Moslem Christ (951).

فهرس رابع

لجميع مواد المشرق على ترتيب حروف المعجم

* ١ * آداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان وانتقاده ٥١٧—٦١٠
آدم (كيوركيس الكلداني) ٨٨٠
آرام : جدول الاقلام الآرامية ٥٢٠

آفة الاشجار المثمرة ٦٠
آلتان لكشف جبال الجليد ٩٥٨
ابراهيم باشا المصري وملكهُ لبلاد الشام ٢٧٠ —٢٧٣ ; ٨١٢—٨١٤
ابراهيم باشا والي الشام ٥٥ ; ٥١ ; ١٠٦
ابراهيم باشا زعيم الحميديَّة ٢٠٧
الابركسيس اي اعمال الرسل: نظر في هذا الكتاب ومؤلفهِ وصحَّتهِ ومضامينهِ ٢١
ابن وائل (مأساة نثريَّة ذات ثلاثة فصول) ٢٥١ ; ٢٨٠ ; ٤١٤
ابو قرَّة (تادرس) سيرهُ في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥
ابو نكد (مشايخ) ٨١٨
اثينا: يوبيل كليتها ومؤتمر المستشرقين فيها ٤٠١—٤١٢
اخيجان (اندراوس بطريرك السريان) ٦٥٢ —٦٥٣ ; ٨٦٦
الادريسيّ وجغرافيَّتهُ ٤٠٠
الاديان الوثنيَّة وخرافاتها بازاء الديانة النصرانيَّة ٥٢٠—٥٢٨
الأذان وسلطة طنينها ٦٥٥
الأرَق واسبابهُ ومعالجتهُ ٥٢٦
الارمن وغبطة البطريرك بطرس ترزيان ١٤
الارمن في حلب وارتدادهم الى الكنيسة الرومانيَّة ٦٥٣ ; ٨٦٨
الارواح ومناجاتها ٩٦٠
ازخ (بلدة) وصفها ٧٨١
اسبانية في السنة ١٩١١ ١٢٨
الاسكندريَّة وحريق مكتبتها على يد العرب ٦١٢
الاسماك الغريبة الجنس ٩٥٩
الاشجار المثمرة وآفتها ٦٠
اعمال الرسل اي الابركسيس مقالة في اثبات صحَّتهِ وموضوعهِ ومضمونهِ ٢١—٢٥
اكتشافات بُرديَّة ٧٩٩
الاكراد ٨٤٩—٨٥٠
البابية في السنة ١٩١١ ٥ نظر جغرافي تاريخي اجتماعي في ألبانية ٨٠١—٨١١
ألقوش ومآثرها ٨٥١
الالكحول واستقطارهُ ١٦٠
الله تعالى مقالة في وجودهِ عزَّ وجل ٧٥٧
الاله المجهول ٧٩٨
المانية واحوالها في السنة الماضية ١٣١—١٣٣
اميركا الجنوبيَّة في السنة المنقضية ١٤٤ اميركا الشماليَّة ١٤٢ الوسطى ١٤٤
امين خان (رزق الله المطران السرياني) ٨٦٧
انتقاد في حكايات بعض شهداء الفرس ٥٠٢
انتقاد كتاب تاريخ آداب اللغة العربيَّة (الجزء الثاني) ٥٩٧
انسطاسيوس (القديس السيناوي) سيرهُ المفقود ليوم جمعة الآلام ٢٦٤
انطاكية وكرسي مار بطرس فيها ٢٤٠
الأنفيلكسيا او عكس المناعة ١٣٢
انكلترَّة في العام ١٩١١ ١٣٦
اعتداءات الى الكنيسة الكاثوليكية ٢١٨
اوربَّة واحوالها في العام الماضي ١٣٦—١٤٥
اوزان عربية متداخلة ٤٧٦ ; ٥٢٢
اوستراليا في السنة ١٩١١ ١٤٥
الاوقاف الكنسية واولياؤها ٨٠
اوكين (القديس) زعيم النسَّاك ١٥٠
ايران واحوالها في العام المنصرم ١٥—١٦
ايطالية وحوادثها ١٤٠ حربها في طرابلس الغرب ٨ ; ١٤٠
أيلة والنصرانيَّة فيها قبل الاسلام ٢٠٩
الايقونة القائمة مقام ثوب سيِّدة الكرمل ٢٣٠
أيها الطفل (قصيدة) ٢

* ب * البابا سلفستروس الثاني والعرب ٢٩٩
بابل وقصادها الرسوليَّة ١٦٢–١٦٤ آثار بابليَّة قديمة ٦٣٧
الباخرة تيتانك الغارقة ٤٢٥–٤٢٢
باريس مدينة النور نظر في قوَّة اهلها وآداجم ودينهم ٩٠١
باز (جرجس) كيخية اولاد الامير يوسف الشهابي ٥٧٨–٥٨٩ ; ٦٩٠–٦٩٧
البحريّ (عبُّود) ١١٢–١١٥
البرتغال ونتنهُ ١٢٩
البريد الدولي ومنقولاتهُ ٨٧٥
بشير (الامير بشير الكبير) ٤٩٧–٥٠٢ الخ
بشير قاسم (الامير الشهابي) ٨١٦
البصائر (مجلَّة) انتقادها ٤٧٨
بطرس الرسول وكرسيُّهُ في انطاكية ٢٤٠
وثاثتهُ في دياميس رومية ٥٧١ في صورة ايمان الروم الكاثوليك ٦٥٨
بطنايا (قرية) ٨٥٧
بغداد تاريخ الرسالة الكرمليَّة في بغداد ١٦٢–١٦٥ ترجمة مرسلين كرمليّين فيها ١٦٥–١٧٩
باجكة واخراجا ١٤١
البلغار والترك سنة ١٩١١ ٨ ; ١٤٢
بيت الدين : قصيدة في حادثة انفجار البارود في قصرها ٧٩٢
بيره جك واحوالها ٨٩
بيكه (فرنسوا) قنصل فرنسة في حلب ٨٦٢–٨٦٥
بيني وبين يسوع (قصيدة) ٩٥٦
يوس العاشر ومآثرهُ سنة ١٩١١ ١٢٦ براءتهُ في جواز المناولة على الطفلين ٨٨١
* ت * تاريخ قصر الخضر في الجزيرة ٥٠٩–٥٢٢
تبوك ونصرانيَّتها ٢١١
تثبيت القديسين في البيعة وتاريخهُ ٨٧٦
تحيَّة الصليب (قصيدة) ٢١٧
تداخل اللغتين في الفعل الثلاثيّ : فَعِلَ يَفْعَلُ فَعُلَ يَفْعُلُ . فَعُلَ يَفْعِلُ ٥٢٣–٥٢٦
التدرُّن وسرايتهُ بالعرق ٧٩٥
ترزيان (غبطة البطريرك بطرس بولس) ١٤
الترقيّ العلميّ في العام المدبر ٢٢٦
تركيا في السنة ١٩١١ ٥ جدول طلبة المدارس فيها ٢٢٩
تقديس جسد الرب بكلام السيّد المسيح ٦٦٨
التقديس على النطير والخمير ٦٦٩
التقويم الصينيّ لسنة ١٩١٣ ٤٧٦
تلّ ارمن (قرية) ٢٦٠–٢٦١
تلّ اسقف (قرية) ٨٥٧
تلّ كيف (قرية) ٨٥٨
التلغراف اللاسلكي وترقيّهِ ٢٢٨ ; ٩٥٨
التنير (محمَّد طاهر) تفنيد كتابهِ العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة ٢٩٨ ; ٤٢٢ , ٥٢٩
تيتانك وغرقها ٤٢٥–٤٢٢
تيماء ونصرانيَّة اهلها ٢١١
* ث * الثالوث الاقدس في عقائد النصرانيَّة ٤٢٧–٤٤٢ الثالوثات الوثنيَّة ٤٤٢ الثالوث الاقدس في دياميس رومية ٥٦٤–٥٦٦
ثوب سيدة الكرمل والأيقونة العائقة مقامهُ ٧٣٠
* ج * جاريكو (المكرَّمة بولين ماري) منشئة شركة انتشار الايمان ٦٧٣–٦٨٨
جبرائيل (الاب دنبو الماردينيّ) منشئ وهبانيَّة الكلدان ٨٥٣–٨٥٦
الجزَّار (احمد باشا) وولايتهُ في الشام ٥٤–٦٠ ; ١٠٤–١٠٦ ; ٥٧٨–٥٨٢
الجزيرة : النصرانيَّة بين عربها في الجاهليَّة

١٤٥ ; ٢١٢
جزيرة بني عُمَر وآثارها ٧٨٢
جماعات المناجين للارواح ٩٦٠
جمعة الآلام ميمر مفقود للقديس انسطاسيوس السيناوي فيه ٢٦٤
جمعية الاتحاد والترقي ومساوئها ٥
جنبلاط (الشيخ بشير) ٧٥٤–٧٥٦ الخ
الجودي (جبل) ٧٨٥
جورج الخامس تتويجهُ واوصافهُ ١٢٠ تاريخ تتويجه في الهند ١٥٨
الجيولوجيّة والجغرافية والآثار في السنة ١٩١١ ٢٢٦
* ح * حاييم اليهودي ٦٩٨–٦٩٩ ; ٧٤٨–٧٤٩
الحبش في السنة ١٩١١ ١٧ صفحة من التاريخ الحبشي والتوبي ١١٥
الحثيون من هم ؟ ٢٤٠
الحجاز ونجد والنصرانيّة بين عربها في الجاهليّة ٣٠٨ ; ٤٥٠ ; ٥٤٣ ; ٦٢٧
حديث خرافة ٦٢٨
حرّان ومآثرها ٣٠٦
الحرب والحقوق الدوليّة فيها ٢٤١–٢٥٠
الحرير وتاريخهُ في بلاد ٢٨٠ ; ٢٧٤
حزب الحريّة والائتلاف ٦
الحَضَر ٥ تاريخ هذا القصر وكتاباتهُ الآراميّة ٥٠٩–٥٦٦
الحقوق الدوليّة في الحرب ٢٤١–٢٥٠
حلب ٨٤ منها الى الفرات ٨٥ حلب الشهباء ومجلّة المقتبس ٣٥٠–٣٥٦ النهضة الكاثوليكيّة فيها والرسالات الفرنسويّة في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
حلدة وآثارها ٨٠٨
حوادث العام المدبر ٤ ; ١٢٦
* خ * الخبز الفطير والخمير في الكنيسة ٨٩٣–٩٠٠ التقديس عليها ٦٦١
الخلاصة الماسونيّة ٣٢٦–٣٥٠
* د * دال ناد ملك الحبشة ١٢٠
داميان (المرسل الكرمليّ في بغداد) ترجمتهُ ١٧٤–١٧٦
الدّراجة : تاريخها وانواعها وفوائدها ٩٠٧
الدروز واحوالهم في لبنان ٨١٨–٨٢٢
درويش باشا والي الشام ٢٩٥ ; ٧٥٠–٧٥١
دروين : برهان حيّ على بطلان مذهبه في الأنثيلكيا ١٢٢
الدكتور شبلي شميّل والمتنصف ٧٩٨
دليل الهند الكاثوليكيّ لسنة ١٩١٢ ٤٧٧
دنبر (الاب جبرائيل الماردبني) منشئ رهبانية الكلدان ٨٥٣–٨٥٦
دومة الجندل ونصرانيّة اهلها ٢١٠
الدومنيكيّون ورسالتهم في الجزيرة ٧٨٥ في زاخو ٧٨٧ في الموصل ٩٤٥
ديار بكر وديار ربيعة والنصرانيّة فيهما ١٤٦–١٥١ ديار بكر (مدينة) واثارها ٦٣٠–٦٣٦
دياميس رومية وشاهد القيامة فيها ٢٢١–٢٢٦
الدياميس الرومانيّة والعقائد المسيحيّة ٥٦١–٥٧٣
دير ربّان هرمز ورهبانهُ الكلدان ٨٥٣–٨٥٦
دير الزعفران ٥ ٢
دير السمر في طور عبدين ٧٨٠
دير المخلّص وبويلهُ التوي ١١
الدين وشرفهُ ٧١٧ ميمر ابي قرّة في الدين القويم ٧٦٦
* ر * رأس العين (مدينة) ٣٠٨
رئاسة الحبر الرومانيّ على الكنيسة في معتقد الروم ٦٦٠
الرحماني (غبطة السيّد انطاطيوس افرام الثاني)

يوبلهُ الاسقفيّ ٢٩٦
رسالة برقيّة حول الارض ٧٩٩
الرسالات الترنسوبيّة في حلب في القرن السابع عشر والنهضة الكاثوليكيّة ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٢٠
رسولا الخير العام في مدينة السلام ١٦١–١٧٩
الرها ووصفها ٩١ ; ٢٠١
الروح القدس وانبثاقهُ من الآب والابن في الكنيسة اليونانيّة ٦٦٣
روسيّة وايران ١٦ احوال روسيّة سنة ١٩١١ ١٤١ مصادرها للكاثوليك ٧٩٦
الروم الكاثوليك في صيدنايا ٥٢–٥٣ في دمشق ٢٩٠–٢٩٥ في حلب ٦٥٠ ; ٩٢٠ صورة ايلاهم في القرن الثامن عشر ٦٥٧
رومية والحبر الاعظم ١٢٦–١٢٩ شاهد القيامة في دياميسها ٢٢١ العقائد المسيحيّة في اثار دياميسها ٥٦١–٥٧٢
الريّ في ما بين النهرين ٩٥٨
* ز * زاخو وآثارها ٧٨٦
زجليّة على خراب طرابلس ٢١٩
زهرة الحياة ٩١٨
زيدان (جرجي افندي) انتقاد الجزء الثاني من كتابهِ تاريخ آداب اللغة العربيّة ٥٩٧–٦١٠
* س * ساروفيم بطريرك الروم وحملتهُ على الكاثوليك ٢٩٠–٢٩٥
الساطرون او سنطروق ملك الحضر ٥١٦–٥١٩
سالياج (الاب انطونس اللازري) ١٠
السريان في حلب وارتدادهم الى الكنيسة الكاثوليكيّة ٨٦٦–٨٦٨
سقطري (جزيرة) والنصرانيّة فيها ٩٣٥
سلامُ الله ١
سليم باشا والي الشام ٢٦٦
سليمان باشا والي صيداء وعكّاء ١٨٠ ; ٢٩٠ توليّهِ على الشام ١٨٢–١٨٦ ; ٢٩١
سليمان السلحدار (والي الشام) ١٨٦
سنان باشا فاتح طرابلس الغرب سنة ١٥٥١ ٥٦٠
سنطروق ملك الحضر ٥١٢ ; ٥١٦–٥١٨
السنة الجديدة (أدعية) ١
سوريا واحوالها سنة ١٩١١ ١٠–١٥ النصرانيّة بين عرب شمالي سوريّة ٢١٤ ; ٣٠٧
سون يات سن زعيم الثورة الصينيّة ١٧–١٨
سياحة حديثة من بيروت الى الهند ٨١ ; ٢٠١ الخ
سيّدة لبنان ٤٧٨
* ش * شارت (الجنرال انتناس) وفاتهُ ١٢٧
الشام احوال بلادها في العام الماضي ١٠–١٥
الشام ولبنان وحوادثها من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ (١٧٨٣–١٨٤١) ٤١ ; ١٠٢ الخ
تاريخ الحرير في بلاد الشام ٢٨٠ ; ٢٧٤
شاهبادين (البطريرك غريغوريوس جرس) ٨٦٧
شاهد القيامة في دياميس رومية ٢٢١–٢٢٦
شدياق : اصل هذه اللفظة ١٦٠
الشرق وماجرياتهُ في العام المدبر ٤
شركة انتشار الايمان ومنشئتها المكرّمة بولين ماري جاريكو ٦٧٣–٦٨٨
الشعار IHS ومعناهُ ٢٢٩
شبّل (الدكتور شبلي) وردّ المقتطف على قولهِ ٧٩٨
شهداء القرس : انتقاد حكايات البعض منهم ٥٠٣
شواعري في مدينة النور ٩٠١
شوستر (المستر مورغان) في ايران ١٦
الشيخ عادي (مزار اليزيديّة) ٨٥٦

* ص * صادق بك (الامير آلاي) منشئ حزب الحرية والائتلاف ٦
صالح باشا الكوسا والي الشام ٢٩٠ ; ٣٦٢
الصليب وتعيينهُ (قصيدة) ٣١٧
صنين : نموة عقلهِ ٧٩ وثاؤهُ (قصيدة) ٣٢٨
صورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم ٦٥٧-٦٦١
صيدنايا واضطهاد الروم الكاثوليك فيها ٥٢
الصين وانقلاب دولتها ١٧-١٩ صناعة الحرير فيها ٢٨١-٢٨٣ التقويم الصيني للسنة ١٩١٢ ٤٧٦
* ط * الطب والجراحة وترقيهما ٢٢١
الطبيبات وترقيها سنة ١٩١١ ٣٢٨
طرابلس الشام وجليتها على خرابها سنة ١٢٨٩ ٢١٩
طرابلس الغرب والحرب الايطالية ٨ ; ١٤٠ بعض آثارها ٢٣٠
طور عبدين ومآثرهُ ٧٠٦ ; ٧٨٠
الطيران والطيارات تاريخ هذا الفن وتذليل مصاعبهِ ٤٨١-٤٩٤
* ع * العام المدبر وحوادثهُ ٤ ; ١٢٦ الترقي العلمي فيهِ ٢٢٦-٢٢٢
عبدالله باشا والي الشام ٥٦ ; ١٠٨
عبد الرؤوف باشا والي الشام ٢٦٥
العراق : النصرانية بين عربها في الجاهلية ٦٧ ريّ العراق ٩٥٨
عرب الجاهلية والنصرانية بينهم ٦٧ ; ١٤٥ الخ قبائلهم المتنصرة ٧٠٠ ; ٧٧٤ ; ٨٤٣ العرب والبابا سلفستروس ٢٩٩
العرق وسراية السل ٧٩٥
العمل : نظر صناعي اقتصادي ٥٩٠-٥٩٦
عقيدة التثليث عند النصارى ٤٢٧-٤٤٥ آثارها في دياميس رومية ٥٦٤-٥٦٦ العقائد المسيحية في الدياميس الرومانية ٥٦١-٥٧٢ عكاظ والنصرانية فيها ٦٢٧
علوش باشا والي الشام ٢٦٩ ; ٢٧٢
علي آغا واخباره ١٨٥-١٩٠ علي باشا والي الشام ٢٨٨
عود على بدء ٩١٢
* غ * غاية الغناء بفتح مملكة الهواء ٤٨١-٤٩٤
غليليو والحكم عليهِ ٢١٨
* ف * فرنسة : احوالها السياسية والدينية ١٢٤-١٢٨ مروءة اهلها ١٥٩ نظر في قوتها وآدابها ودينها ١٠١
الفرنسيسيون في حلب ٦٤٤ في بلاد نيبت ٧١٧
الفطير والخمير والتقديس عليها ٦٦٩ المناولة الحرة على الفطير والخمير ٨٨١-٩٠٠
فعول شيوع هذا الوزن في العربية ومعانيهِ وتركيبهُ واصلهُ ٩٤٧
فَعِلَ يَفْعَلُ فَعُلَ يَفْعُلُ وفَعَلَ يَفْعِلُ . وجود هذه الاوزان في العربية ٤٧٩ ; ٥٢٢
فيفاء : اصل هذه الكلمة ١٦٠
فيلوثاوس بطريرك الاسكندرية ١١٥-١٢٢
* ق * القارة او القارة ٤٧٩
القبط : كتابات قبطية قديمة في النوبة ٥٥٨ القداس وثمرة حسنهِ ٨٠٠
القربان الاقدس وتغيير اشكالهِ ٨٨٠ مناولتهُ الحرة في الطقسين ٨٨١-٩٠٠
قزما البطريرك الاسكندري ١٢١
القصادة الرسولية على بابل والعراق ١٦٢-١٦٤
قوس قزح : مقالتان قديمتان في وصفهِ ٢٣٦
* ك * الكاثوليك في الهند ١٧ ; ٤٧٧ في انكلترة ١٣١ في المانية ١٢٢ في فرنسة ١٢٦ في الولايات المتحدة ١٤٣ في الصين ٤٧٦ ; ٨٧٨

كاميل دي لاكروا (اليسوعي) والمشهد المقام لذكره ٧١٦
الكبوشيّون رسالتهم في الرها ٢٠٤ في ماردين ٢٠٢ في ديار بكر ٦٣٥ في حلب ٦٤٦—٦٥٤ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠ في نيبت ٧١٦ في الموصل ٩٤٥
كتاب الدلالة اللامعة ومؤلفهُ ٥٧٣
كتاب معالم الكتابة لعبد الرحيم القرشي ٥٦٠
الكتابات الآراميّة في قصر الخضر ٥١١—٥١٦
كرامه (بطرس) في خدمة الامير بشير ٨١٢
كرسيّ مار بطرس في انطاكية ٢٤٠
الكرمليّون في بغداد ١٦٢—١٧٩ في ماردين ٢٠٢ في حلب ٦٤٦—٦٥٤ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
كرمه (السيّد ملاطيوس) ٦٤٨ ; ٦٥١ ; ٩٣٠
الكرة الارضية ومساحتها ٩٥٧
الكلدان في حلب ٦٥١ في ولاية الموصل ٨٥٢ ٨٥٥ ; ٨٥٧ — ٧٥٨ ; ٦٤٣ ٩٤٦ رهبانهم ٨٥٢—٨٥٥
الكلمة (مجلة) ردّ عليها وبيان اكاذيبها ١٦٠ ; ٢١١—٢٢٦ ; ٢١٩ ; ٢٩٨ ; ٥٥٨ ; ٦٣٩ ; ٧٩٦ ; ٨٧٧ ثناء على بعض اقوالها ٧٩ ; ٢٠٨
كندا واحكامها ١٤٣
الكنيسة الكاثوليكيّة اعتداءات اليها ٢١٨ شهادة ياباني فيها ٥٥٩ الآثار الواردة عنها في الدياميس ٥٧٠ نظامها ٧١٧
كيرلّس الثامن (غبطة البطريرك) ويوبيلهُ الاسقفي ١١
الكيمياء وترقّيها ٢٣٠
* ل * لا حول ولا . . . (قصيدة) ٤٦
لابورد (الاب يوسف اليسوعي) في مسديات ٢١٠ في دير ريّان مرتز ٨٥٥
لبنان وحوادثهُ من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ (١٧٨٢—١٨٤١) ٤٩٤ ; ٥٧٧ ; ٦٨٨ ; ٧٤٥ ; ٨١٢ = مزار سيّدة لبنان ٤٧٨
لقا البشير صاحب كتاب الابركسيس ٢٢ ٢٨
* م * ما بين النهرين وربّها ١٥٨
الماء المقدّس والجرائم المدنية ٨٠٠
مار يعقوب (قرية ودير) ٨٥٠
ماردين ومقامها وتاريخها ومآثرها ٢١١ ; ٢٩٨
مارون (مار يوحنّا) وكتاب الكهنوت المسوري ١٥٧ ; ٥٥٩
ماري جوزف (المرسل الكرمليّ في بغداد) ترجمتهُ ١٦٥—١٧٢
الماسونيّة في الشام ١٣ الماسونيّة الارمنيّة ١٤ الماسونيّة في الصين ١٩ محفل صنّين ٧٩ الماسونيّة في فرنسة ١٣٥ في المكسيك ١٤٤ العلامة الماسونيّة ٢٢٦—٢٥٠ في عربن الماسونيّة ٥٥٧ نهضة الفرنسويين في معاكسة الماسونيّة ٩٠٥—٩٠٦
المتاحف الفوتغرافيّة ٧١٧
محمّد خان رشاد (جلالة السلطان) ٨—٩
محمّد علي صاحب مصر ٢٦٩—٢٧٢
المدارس وجدول طلبتها في تركيا ٢٢٩
مديات ووصفها ٨٠٩
المدينة (يثرب) والنصرانيّة فيها قبل الاسلام ٤٥١—٤٥٥
مرّاش (المرحوم فرنسيس) وملحق بديوانهِ ٦٤—١٠١
المراكب الهوائيّة: تاريخها وتركيبها وضروبها ٤٨١—٤٩٤
مرسلان كرمليّان في بغداد ١٦١—١٧٩
المرسلون الفرنسويّون في حلب في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
مريم العذراء في دياميس رومية ٥٧٠ تاريخ ميلادها ٩٦٠

المستشرقون وجدول مؤتمراتهم الدولية ٢٢٠
مؤتمرهم في اثينا ٤٠
مساحة الكرة الارضية ١٥٧
المسيح (السيد) واوهام التنبر فيه ٥٢٩ لاهوت
السيد المسيح في دياميس رومية ٥٦٤–٥٦٨
عمود نسب السيد المسيح ٧١٩–٧٢٠ تاريخ
ميلاده وميلاد العذراء والدته ١٦٠
مشاكل كتابية ٦٤٠ ; ٧١٩–٧٢٠ ; ٩٦٠
مصر في العام ١٩١١ ١٦
مصرع جبار البحار ٤٢٥–٤٢٢
مصطفى باشا والي الشام ٢٦٣
المصلوب وصورته على الهيكل ٥٦٠ ; ٦٤٠
المطهر وثبوت معتقده عند الروم ٦٦٤
معالجة طين الاذنين ٦٥٥
معقد (السيد جرمانوس) ترجمته ٤٥٦–٤٦٥
مقالتان قديمتان في قوس قزح ٧٣٦ .
المقتبس (مجلة) انتقاد اقوالها في حلب الشهباء ٢٥٠
المقتطف وقوله في الحكم على غليليو ٢١٨
حكمة في دروينية الدكتور شبلي شميل ٧٦٨
مكاتب نقالة ٧٩٩
مكاريوس (البطريرك ابن وعيم الحلبي) واعترافه بالكثلكة ٦٥١–٦٥٢ ; ٩٢٠
المكتب الطبي الفرنسوي في بيروت ١٢ تحية الشرق به (قصيدة) ٢٩٧
مكتبة الاسكندرية وحريقها على يد العرب ١١٢ المكتبة الالبانية ٩٥١
المكسيك وفتنة ١٤٤
مكة واثارها النصرانية قبل الاسلام ٥٤٣–٥٤٨
الملائكة بازاء العلم والدين ٧٣١–٧٣٦
اسماؤهم ٧٣٥ تكوينهم ٧٣٦ عددهم ٧٣٦
طبيعتهم ٧٣٧ حالتهم من النعمة ٧٣٨ مراتبهم ٧٣٠ اعمالهم ٧٣١ الملائكة الحراس ٧٣٢
هيئتهم وصورهم ٧٣٣ اكرامهم ٧٣٤ اتفاق كنائس الشرق والغرب في اجلالهم ٨٢٤
من اعلى منارة بيروت (قصيدة) ١١
من بيروت الى الهند (سياحة حديثة) ٨١ ; ٢٠١ الخ
من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٥٨–٢٦٣
المنارة (مجلة) وشططها ٧١٨
المناعة وعكسها ١٣٣
المناولة في الطقسين وبراءة الحبر الاعظم المؤذنة في ذلك ٨٨٣ مقالة في المناولة المرة في الطقسين ٨٨٨ المناولة على الخبز الفطير او الحبر ٨٩٣ المناولة على شكل واحد او شكلين ٨٩٧
منشورية والطاعون ٢٠
المنظمات في الطب ٦١١
مؤتمرات المستشرقين ٢٢٠ مؤتمرهم في اثينا ٤٠١
الموتى والصلات لاجلهم في دياميس رومية ٥٧٣
الموازنة في حلب ٦٥٤ ; ٨٦٥
موران (الكردينال) وفاته في استرالية ١٤٥
الموصل ولايتها ٧٨٦ تاريخها وآثارها ٩٣٩–٩٤٧
موناكو والدستور ١٤٣
ميسر لنادرس الى قرة في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥
ميسر منقود للقديس انطاسيوس السيناوي في يوم الجمعة الطيبة ٢٦٤
* ن * النبهاني (الشيخ يوسف) وشططه ٤٧٤–٤٧٦
نجد: النصرانية بين قبائلها ٦٢٧
النحل: نظر عملي اقتصادي في اصناف النحل واخلاقها ومنافعها ٢٥ ; ١٩٠
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٦٧ ; ١٤٥
هيئتهم وصورهم ٧٣٣ اكرامهم ٧٣٤ اتفاق كنائس الشرق والغرب في اجلالهم ٨٢٤
من اعلى منارة بيروت (قصيدة) ١١
من بيروت الى الهند (سياحة حديثة) ٨١ ; ٢٠١ الخ
من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٥٨–٢٦٣
المنارة (مجلة) وشططها ٧١٨
المناعة وعكسها ١٣٣
المناولة في الطقسين وبراءة الحبر الاعظم المؤذنة في ذلك ٨٨٣ مقالة في المناولة المرة في الطقسين ٨٨٨ المناولة على الخبز الفطير او الحبر ٨٩٣ المناولة على شكل واحد او شكلين ٨٩٧
منشورية والطاعون ٢٠
المنظمات في الطب ٦١١
مؤتمرات المستشرقين ٢٢٠ مؤتمرهم في اثينا ٤٠١
الموتى والصلات لاجلهم في دياميس رومية ٥٧٣
الموازنة في حلب ٦٥٤ ; ٨٦٥
موران (الكردينال) وفاته في استرالية ١٤٥
الموصل ولايتها ٧٨٦ تاريخها وآثارها ٩٣٩–٩٤٧
موناكو والدستور ١٤٣
ميسر لنادرس الى قرة في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥
ميسر منقود للقديس انطاسيوس السيناوي في يوم الجمعة الطيبة ٢٦٤
* ن * النبهاني (الشيخ يوسف) وشططه ٤٧٤–٤٧٦
نجد: النصرانية بين قبائلها ٦٢٧
النحل: نظر عملي اقتصادي في اصناف النحل واخلاقها ومنافعها ٢٥ ; ١٩٠
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٦٧ ; ١٤٥

(وبقيّة الاعداد) النصرانيّة ومفاخرها بازاء المعتقدات الوثنيّة ٥٣٠-٥٤٢ عقائدها المرسومة في آثار الدياميس الرومانية ٥٦١-٥٧٢ القبائل النصرانيّة بين العرب ٧٠٠ ; ٧٧٤ ; ٨٤٢ مزاعم مجلة المنار في النصرانيّة ٧١٨
نصيحة الزهور (موشّح) ٦٦٩
النفوس البارّة في الجنة قبل الدينونة ٦٦٦
نقد مزاعم مجلة المنار في النصرانية ٧١٨
النهضة الكاثوليكيّة في حلب والرسالات الفرنسويّة في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
النسمة في العام المدبر ١٢٣
نو (الاب ميخائيل اليسوعي) مؤلف الدلالة اللامعة ٥٧٣-٥٧٧
النوبة صفحة من تاريخ الحبش والنوبة ١١٥ ملوك النوبة النصارى ١٢٣ كتابات قبطيّة قديمة في النوبة ٥٥٨
* * الهند البريطانيّة وتتويج الملك جورج ١٧ الكاثوليك فيها ١٧ ; ٤٧٧
هولندة في جزيرة بلماس ١٤١
الهيئة: ترقي هذا العلم سنة ١٩٠١ ٢٢٦
* و * وادي القرى ونصرانيّة اهلها ٣١٠
وداع الأم لابنها المهاجر (قصيدة) ٤٤٦
وزن فعّول في العربية شيوعه ومعانيه وتركيبه واصله ٩٤٧
ويران شهر ٢٠٨
* ي * اليابان في العام الماضي ٢٠ شهادة ايابي للكثلكة ٥٥٩ اليسوعيّون في عاصمة اليابان ٨١٦
اليزيديّة في ما بين النهرين ٢٠٩ مزارعهم في الشيخ عادي ٨٥٦
يسوع وشعار اسمه الكريم ٢٢٠
اليسوعيّون في ماردين ٢٠٣ حديث خرافة عنهم ٦٢٨ في حلب ٦٤٣ - ٦٥٤ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠ في بلاد تيبت ٧١٧ اليسوعيّون والعلم ٧١٥ اليسوعيون في اليابان ٨١٦
اليهود والدستور في المملكة العثمانيّة ٧٩ اليهود في روسيّة ١٤٢
يوان شي كاي رئيس الجمهوريّة الصينيّة ١٩
يوبيل كليّة اثينا ومؤتمر المستشرقين ٤٠١-٤١٢
يوسف باشا والي الشام ١١١ ; ١٧٩
يوسف (الامير الشهابي) ٤٩٤-٥٠٠
اليونان وسياستها ١٤٢

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٤٩ السطر ١٢ غلط « السنة ١١٧٩ » والصواب « ١١٩٧ » وهذا الغلط ورد غير مرّة فليُصلح = ١:٨٠ = « عظيماً » ص « عظيماً ١:١٠٢ » تاريخ » ص « تاريخ » = ١٠٤ : ٢٠ « قنس » ص « قنس » = ١:١٠٨ « يوسف الجزّار » ص « يوسف الجرار » = ١٧٩ : ١٩ « المشدّ » ص « المسد » = ١٨٠ : ٢-٤ « الرحلاويّ شهيد ايانيه » هو جدّ بيت الشهيد في زحلة وخال المطران غريغوريوس عطا = ١٨٢ : ٢٤ « زينيل آغا » وقيل « زنبيل آغا » = ٣٠٦ : ٥ « L, 338 » ص « I, 338 » = ٣٥٩ : ١ « إلّا انّ » ص « ألّا انّ » = ٣٦١ : ١٨ « للأنباء » ص للأبناء » = ٣٩٧ : ١٤ « موصولٌ » ص « موصولٌ » - ١٨ « فتيئوا »

ص « تقيّنوا = ٥٠٠ : ١٥ » بين عرب شمالي سوريّة » ص « بين عرب الحجاز ونجد » = ٥٠٢ : ٢٢ « Philosaphoumena » ص « Philosophoumena » = ٥٠٠ : ٢٢ « ara- imaischem » ص « aramaischen » = ٥٠٦ : ٩ « كو بولاها اذر پروا » ص « گو بولاها واذر پروا » — ١٠ « فان كوبولاها كان ابن الملك بولار » ص « فانّ كوبولاها كان ابن الملك شابور واذپروا كان ابن الملك بولار » = ٥٠٧ : ٦ « اذرپر » ص « اذر پروا » = ٥٠٨ : ٢١ « عشرة سنين » ص « عشر سنين » = ٧٧٧ : ٢—٣ « كثيرين من النصارى » ص « كثيرين من الطائفين » — ٢٥—٢٦ « vom Rotem bis zum Persischem Meerbusen » ص « Roten . . . Persischen » = ٧٨٦ : ١١ « ولايتا » ص « ولايتا » = ٩٦٠ : ٥ « للارواع » ص « للارواح »

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Quinzième Année

1912

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1912

TABLES DES SOMMAIRES

XVe ANNÉE 1912

JANVIER

La paix de Dieu ! (p. 1).
Bilan de l'année 1911 : I. *Orient* (p. 4) : *P. L. Cheikho s. j.*
Les Actes des Apôtres (p. 21) : *L'abbé I. Harfouche.*
Les Abeilles (p. 35) : *P. M. Torrend s. j.*
Où en sommes-nous ? (poésie) (p. 46) : *L'abbé R. Bostani.*
La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (p. 49) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*
Insectes xylophages en Syrie (p. 60) : *P. J. Clainpanain s. j.*
Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 68) : *P. L. Cheikho s. j.*
Bibliographie orientale (p. 72). — Varia (p. 78). — Questions et Réponses (p. 80).

FÉVRIER

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (p. 81) : *P. L. Cheikho s. j.*
Du haut du Phare de Beyrouth ! (poésie) (p. 91) : *Mr S. Bostani.*
Poésies inédites de Fr. Marroche, *d'après un Ms* (p. 94) : *P. L. Cheikho s. j.*
La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 102) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*
Une page de l'histoire d'Abyssinie et de Nubie (Xe siècle)

(p. 115) : *Mr A. M. Baad.* — Appendice (p. 119) : *P. L. Cheikho s. j.*

L'Anaphylaxie (p. 123) : *Dr H. Daraouni.*

Bilan de l'année 1911 : (fin) (p. 129), II. *Europe et Amérique* : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 145) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 152). — Varia (p. 158). — Questions et Réponses (p. 160).

MARS

Figures de Missionnaires : les P. P. Marie-Joseph et Damien Carmes de Baghdad (p. 161) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 179) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Les Abeilles (fin) (p. 190) : *P. M. Torrend s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Orfa (p. 201) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 212) : *Le même.*

Réponse à une Revue arabe (زهرة) d'Amérique (p. 219) : *id.*

Le Progrès des Sciences en 1911 (p. 226) : *id.*

Bibliographie orientale (p. 226). — Varia (p. 238). — Questions et Réponses (p. 240).

AVRIL

Les droits internationaux de la guerre (p. 241) : *d'après l'Emir Amin Arislan*

Le fils de Wa'il. *Drame historique en trois Actes* (p. 251) : *P. Ch. Abéla s. j.*

Discours inédit de St Anastase le Sinaïte pour le Vendredi Saint (p. 265) : *Commentaire du Psaume* II *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

L'histoire de la Soie en Syrie (p. 280) *Mr Gast. Ducousso*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 287) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : (Mardin) (p. 298) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 307) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 312). — Varia (p. 317). — Questions et Réponses (p. 320).

MAI

Un témoin de la Résurrection dans les Catacombes (p. 321) : *d'après E. Gebhart.*

La Franc-Maçonnerie : ce qu'elle est, ce qu'elle veut, ce qu'elle fait (p. 326) : *P. L. Cheikho s. j.*

Critique historique de la Revue al-Moktabas (p. 350) : *L'abbé G. Manache.*

Les étapes de la vie humaine (p. 357) (poésie) : *Mr. S. Abou Rizq* et *Mr J. G. Khoury.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 363) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

L'histoire de la Soie en Syrie (p. 374) (fin) : *Mr Gast. Ducousso.*

Le fils de Wa'il. *Drame historique en trois Actes* (suite) (p. 380) : *P. Ch. Abéla s. j.*

Bibliographie orientale (p. 392). — Varia (p. 396). — Questions et réponses (p. 399).

JUIN

Les fêtes jubilaires et le Congrès des Orientalistes à Athènes (p. 401) : *P. L. Bonzevalle s. j.*

Le fils de Wa'il. *Drame historique en trois Actes* (fin) (p. 414) : *P. Ch. Abéla s. j.*

Le naufrage du Titanic (p. 425) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les prétendus emprunts du Christianisme aux cultes païens (p. 432) : *Le même.*

Les adieux d'une mère à son fils émigrant (poésie) (p. 446) : *Mr J. Ghassoub.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : le Christianisme au Hijaz (p. 450) : *P. L. Cheikho s. j.*

L'évêque Melchite Mgr. Germain Mo'accad (1853-1912) (p. 456) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 466). — Varia (p. 475). — Questions et Réponses (p. 479).

JUILLET

La Conquête de l'air (p. 481) : *P. Cl. Mejasson s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 495): *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Etude critique sur quelques récits hagiographiques (p. 503) : *Mgr. Addi Scher.*

Les Inscriptions araméennes de Hatra (p. 509) : *P. S. Ronzevalle s. j.*

Additions à la morphologie des Verbes en arabe (p. 523) : *Don Jean Marta.*

L'Insomnie : causes et remèdes (p. 526) : *Dr K. S. Khoury.*

Les prétendus emprunts du Christianisme aux cultes païens (p. 529) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : le Christianisme au Hijaz (p. 543) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 549). — Varia (p. 557). — Questions et Réponses (p. 560).

AOUT

Le Credo des Catacombes (p. 561) : *L'abbé P. Salman.*

Le P. Michel Nau s. j. auteur d'un ouvrage anonyme (p. 573) : *L'abbé G. Manache.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 577) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Le Miel (p. 590) : *P. Al. Torrend s. j.*

Etude critique sur la 2me partie de la Littérature arabe de Mr Zaidan (p. 597) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Vésicatoires en thérapeutique (p. 611) : *Dr K. S. Khoury.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite): Voyage à Diarbékir (p. 615) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : le Christianisme au Nejd (p. 627) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 630). — Varia (p. 637). — Questions et Réponses (p. 640).

SEPTEMBRE

La Renaissance Catholique à Alep et les Missions françaises au XVIIe siècle (p. 641) : *P. Fr. Tournebize s. j.*

Les bourdonnements d'oreilles (p. 655) : *Dr. K. S. Khoury.*

Une profession de Foi Catholique par les Grecs Melchites (p. 657), *éditée par le P. L. Cheikho s. j.*

Le conseil des Fleurs (poésie) (p. 669) : *P. J. Samaha o. b.*

L'œuvre de la Propagation de la Foi et la Vénérable Pauline-Marie Jaricot (p. 673) : *P. L. Cheikho. s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 688) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : les tribus arabes Chrétiennes (p. 700) : *P. L. Cheikho s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Tour 'Abdin (p. 706) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 711). — Varia (p. 715). — Questions et Réponses (p. 720).

OCTOBRE

Les Anges en face de la Science et de la Révélation (p. 721) : *P. L. Cheikho s. j.*

Deux traités anciens sur l'Arc-en-ciel (p. 736), *édités* par *Le même.*

La Syrie de 1782 à 1841, d'après un témoin oculaire (suite) (p. 745) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Un traité inédit d'Abucara (IXe siècle) sur l'Existence de Dieu et la vraie Religion (p. 757), *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : les tribus arabes chrétiennes (p. 474) : *Le même.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Tour 'Abdin-Azakh-Gésireh (p. 780) : *id.*

Bibliographie orientale (p. 787). — Varia (p. 797). — Questions et Réponses (p. 800).

NOVEMBRE

L'Albanie : coup d'œil général (p. 801) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841, d'après un témoin oculaire (fin) (p. 812) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Un traité inédit d'Abucara (IXe siècle) sur l'Existence de Dieu et la vraie Religion (fin) (p. 825), *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : les tribus arabes chrétiennes (fin) (p. 843) : *id.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite): Mar Ya'coub-Alkoche-Rabban Hormuz (p. 849) : *id.*

La Renaissance Catholique à Alep et les Missions françaises au XVIIe siècle (suite) (p. 859) : *P. Fr. Tournebize s. j.*

Bibliographie orientale (p. 870) . — Varia (p. 877). — Questions et Réponses (p. 879).

DÉCEMBRE

Constitution Apostolique de S. S. Pie X sur la Communion libre entre les différents rites (p. 881).

Etude théologique et historique sur le même sujet (p. 888) : *P. L. Cheikho s. j.*

Une année dans la Ville-Lumière. Impressions de touriste (p. 901) : *Mr E. Arab.*

Cyclisme et Bicyclette (p. 907) : *Mr F. Nohra.*

Encore l'incendie de la Bibl. d'Alexandrie (p. 912) : *Cheikh Fida Hosein.* — Appendice (916) : *P. L. Cheikho s. j.*

La fleur éphémère de la Vie (p. 918) : *P. Jos. Samaha.*

La Renaissance Catholique à Alep et les Missions françaises au XVIIe siècle (fin) (p. 920) : *P. Fr. Tournebize s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : (Notes supplémentaires) (p. 931) : *P. L. Cheikho s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Mossoul (p. 939) : *Le même.*

La forme جَمَّ en arabe (p. 946) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Bibliographie orientale (p. 950). — Varia (p. 956). — Questions et Réponses (p. 960). — Tables.

السنة السادسة عشرة العدد ١ كانون الثاني ١٩١٣

المشرق

عادات الامم في رؤوس الاعوام

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

يجد المرء في غرّة كلّ سنةٍ يتخطّاها شبهَ حياةٍ يستأنفها فكأنهُ بتوديعهِ لعام أدبر وسلامهِ على عام أقبل يضاعف قواه ويباشر شوطاً جديداً من عمرهِ . واذا اتمّ في سنتهِ المنصرمة ما كدَّر بالهُ وهيَّج بلبالهُ نسي ما نغّص عيشهُ او تناساهُ واحيا املهُ بما ترجّاهُ . فيكون رأس العام كبرزخ بين دهر مضى لا يؤسف عليهِ وعصر وافى يستبشر بخيراتهِ

فلا عجب بعد ذلك انَّ الامم كافّة عظّمت رؤوس اعوامها وتفنّنت في استنباط الوسائل لتعرب عن مكنونات صدورها وتجاهر بعواطف قلوبها . فما من احد الّا وأحب بالعام الميمون واستسلم للفرح وافاض في الادعية بالخير وتمنّى الاماني الصالحة

وقد رأينا بهذه السنة ان نسرّح ابصارنا في تاريخ الامم القديمة والحديثة لندوّن لقرّائنا شيئاً من العادات التي تفنّنها الناس في بدء سنتهم فانَّ في ذلك النظر عبرةً للمعتبر وجدوى للمستفيد

*

غنيّ عن القول انَّ الشعوب لم تتّفق على تعيين يوم معلوم يبدأون بهِ سنتهم اذ ليس في فصول السنة ما يستوجب اختيار يوم على آخر فانَّ السنة شمسيّةً كانت او قمريّةً تجري على نمط واحد فتتناوب الفصول الاربعة من ربيع وصيف ثمَّ خريف

وشتاء فتنزل الشمس في بروجها والقمر في منازلهِ دون ان يقضي يوم منها باختيارهِ وتفضيلهِ على سواه لافتتاح السنة

وعليهِ ترى الشعوب في تعيين بدء العام قد تباينوا وذهبوا مذاهب شتّى وها نحن نعدّد البعض منها

كانت السنة المصريّة شمسيّة ذات ٣٦٥ يوماً وكانوا في عهد السلالات القديمة يفتتحونها عند طلوع الشعرى اعني في ١٩ الى ٢٠ تموز وذلك لأنَّ النيل يأخذ في ذلك الوقت بالتصاعد . ولمّا صارت مصر في حكم اليونان جعلوا يبتدئون سنتهم في شهر توت الموافق سابقاً لليوم ٢٩ من شهر آب شرقيّ و١١ ايلول غربيّ فجعلوا اوّل توت رأس عامهم لوقوع الاعتدال الخريفيّ في وقتهِ وعنهم اخذ نصارى القبط حسابهم مع كبس السنة كلّ اربع سنوات واتّخذوا مثلهم اوّل توت كبدء سنتهم ودعوها بالنَّيروز وهي لفظة دخيلة اصلها من الفارسيّة ومعناها اليوم او العام الجديد

وكذلك الفرس والعجم كانت سنتهم شمسيّة كالمصريين الّا انَّ بدء سنتهم يقع وقت الاعتدال الربيعيّ او قريباً منهُ فكان اوّل سنتهم في غرّة شهر فروردين ماه الموافق لليوم ١٤ من اذار

وكان البابليّون ثم الكلدان والسريان بعدهم يتبعون السنة الشمسيّة مع بعض اختلاف عن المصريين والفرس فانَّ هؤلاء كانوا يجعلون سنتهم ذات ١٢ شهرًا متساوياً كلّ شهر منها ٣٠ يوماً ثمَّ يضيفون اليها خمسة ايّام لتصبح ٣٦٥ يوماً امّا البابليون والسريان فانّهم جعلوا اعدادًا مختلفة لكلّ شهر فبعضها ٣٠ وبعضها ٣١ يوماً . امّا بدء السنة البابليّة والسريانيّة فكان ايضاً في الاعتدال الربيعي . ومثلهم الصينيّون اختاروا هذا الاعتدال لافتتاح سنتهم

كانت السنة اليونانيّة قمريّة شمسيّة ذات ١٢ شهرًا قمريًّا مع الحاق شهر زائد على الشهر الثاني المسمّى عندهم باسم اله البحر بوسيدون (Ποσειδων) . امّا رأس السنة فاختلفوا فيهِ فانَّ الاثينيين كانوا يبتدئون سنتهم في الانقلاب الصيفي في الشهر المسمّى شهر الذبائح (Ἑκατομβαιών) . امّا المقدونيّون فكان اوّل سنتهم في الاعتدال الخريفيّ في شهر المشتري (Δίος) الواقع في ٢٤ ايلول . وكذلك اهل

سيارته . وكان الإيوليُّون يباشرون بسنتهم في الانقلاب الشتوي في اواخر كانون الاوَّل

هذا وكان الله عزَّ وجلَّ عيَّن لشعبه الشهر نيسان كاوَّل شهورهم حيث قال لموسى (خروج ١٢: ٢) : «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم اوَّل شهور السنة». وفي الرابع عشر منهُ كانوا يحتفلون بفصحهم . وبقوا على ذلك الى جلاء بابل فلمَّا عادوا الى وطنهم حفظوا نيسان كبدء سنتهم الدينيَّة واتَّخذوا تشري (اي تشرين) وهو شهرهم السابع كبدأ سنتهم المدنيَّة . لا سيَّما اذ استولى السلوقيُّون على بلاد الشام وكانوا يتبعون الحساب اليونانيَّ لكنهم يبتدئون سنتهم في تشرين الاوَّل المسمَّى عندهم غوربيايوس (Ὑπερβαιος)

وكانت السنة الرومانيَّة في اوَّل عهد رومية تبتدئ بشهر آذار وتنتهي بكانون الاوَّل وهو شهرهم العاشر (Decembris) ثمَّ اصلحوا هذا الحساب بزيادة شهر دعوهُ مرقيدونيوس (Mercedonius) . فلم يفِ هذا الاصلاح بالمرام حتَّى قام يوليوس قيصر سنة ٤٦ قبل المسيح وبمساعدة الفلكي سوسيجانس قسم السنة الشمسيَّة ١٢ شهراً مع كبس كلَّ سنة رابعة . وهذا الاصلاح اخذتهُ الكنيسة على علاَّته وجرى عليهِ النصارى شرقاً وغرباً حتَّى زاد الخلل بتوالي الاجيال واُصلح الحساب اصلاحاً نهائيًّا بهمَّة البابا غريغوريوس الثالث عشر فكاد اليوم يعمُّ كلَّ البلاد غير الامم المنتمية الى الكنيسة البوزنطيَّة اي اليونان والروم والروسيَّة والدول البلقانيَّة وكذلك الكنائس المنفصلة عن كرسيّ هامة الرسل

امَّا رأس السنة عند الرومان فكان وقعهُ في بدء شهر كانون الثاني ولم يوافقهم في ذلك كل النصارى فانَّهم عيَّنوا لرأس السنة ايَّاماً مختلفة على اختلاف البلاد بل تقلَّب البلد الواحد في تحديده فانَّ الكنيسة الرومانيَّة تبعت زمناً طويلاً عادة الدولة الرومانيَّة في جعلها اوَّل كانون الثاني كبدء سنتها وبعد ان عدلت عنهُ الى عيد ميلاد الربّ بالجسد في ٢٥ كانون الاوَّل عادت اليهِ ثانيةً بعد ان فصلت عيد ميلاد الربّ عن عيد الغطاس وجعلت في اليوم الثامن بعد الميلاد عيد ختانة الربّ . وكذلك اتخذت يوم عيد البشارة (٢٥ اذار) كاوَّل سنتها السياسيَّة فانَّ الاحبار الرومانيِّين في كتاباتهم الرسميَّة يعتبرون هذا اليوم كمفتتح سنتهم . وللكنيسة اللاتينيَّة يوم آخر

لابتداء سنتها الكنسيَّة وذلك في غرَّة كانون الاوَّل لوقوع وقت المجيء فيهِ

وهذه الاختلافات في تعيين رأس السنة تعدَّدت ايضاً في بقيَّة الدول النصرانيَّة فانَّ ملوك الروم مع الكنيسة اليونانية جعلوا مفتتح سنتهم في اوَّل ايلول وجرى على ذلك الروس حتى سنة ١٦٩٩ فاتخذوا اوَّل كانون الثاني كمفتتح لعامهم. والمملكة الفرنسويَّة جعلت رأس سنتها مرَّةً يوم عيد ميلاد الربّ ثمَّ عدلت عنهُ الى يوم عيد الفصح حتى اواخر القرون الوسطى فافتتحت سنتها في اوَّل يوم من آذار الى ان فضلَّت عليه بدء كانون الثاني سنة ١٥٦٤. ومثلها المانية وانكلترَّة كانتا تباشران بسنتهما يوم عيد الميلاد ثمَّ اتبعتا العادة الرومانيَّة فجعلتاها في اوَّل كانون الثاني: المانية سنة ١٦٩١ وانكلترَّة سنة ١٧٧٢. وكانت اسبانية تجدّد سنتها يوم عيد البشارة فجارت الكنيسة اللاتينيَّة في عادتها سنة ١٥٧٥ مع هولندة وبلجكة اللتين كانتا تبتدئان السنة يوم عيد الفصح. وكذلك دولة البندقيَّة كانت تعيّد راس السنة في اوَّل يوم من اذار ففي سنة ١٧٥٠ ألغت عادة تعييده في كانون الثاني. والارمن لا يزالون حتى اليوم يفتتحون سنتهم في عيد الدنح اي الغطاس

امَّا الدول الاسلاميَّة فانَّ سنتها قمرية محضة كما هو معلوم واوَّل سنتها واقع في محرَّم. الَّا انَّ تركيَّة في السنة ١٧٨٩ عيَّنت لها سنةً ماليـة بدؤها في ١ اذار شرقي وهذه السنة شمسيَّة تابعة للحساب القديم. وكان العرب قبل الهجرة يُنسئون شهرًا من شهورهم كلَّ سنتين او ثلث سنين اي يضيفونهُ الى الاشهر القمريَّة لتوافق سنتهم فصول السنة الشمسيَّة ودعوا ذلك الشهر بالنسيء

*

اذ تبيَّنت اختلاف الشعوب في تعيين رأس سنتهم بقي علينا أن نروي شيئاً من العادات الجارية عندهم في اوَّل السنة فنقول:

انَّ البابليين بوضعهم رأس العام في الاعتدال الربيعيّ ارادوا خصوصاً تعظيم الهم مرودخ الذي كان يمثل لهم الشمس فكأنَّهم نسبوا اليهِ في ذلك الوقت الانتصار على الظلمة كما تغلب الشمس ظلمات الشتاء فيزيد طول النهار على الليل. ومن ثمَّ كانوا في ذلك اليوم يقدّمون التقادم والذبائح للاله الشمسيّ ويستسلمون للافراح لفوزهِ بالشتاء.

إمّا المصريّون فكانوا يكرمون في ذلك النهار المتهم ايزيس وهي ايضاً معبودة شمسيّة يعتبرون النيل كاحدى هباتها للمصريين فكانوا يعظّمونهُ بضروب التعظيم لانهُ يبتدئ بالزيادة في ذلك اليوم حتى كانوا يلقون فيهِ فتاةً يدعونها عروس النيل يغرقونها لاكرامه . وكان الفرعون في ذلك اليوم يتقبّل هدايا عمّالهِ ويفرّق هو على خواصّهِ ألطافاً شتى

ثمّ توارث الاقباط شيئاً من عادات اجدادهم فكانوا في اوّل يوم من شهر توت وهو النيروز يدقّون البشائر ويقيمون الحفلات المتنوّعة التي وصفها كتبة العرب قال المقريزيّ في الخطط (١ : ٢٦٧) يذكر نيروز القبط :

« النّيروز اوّل السنة القبطية بمصر وهو اوّل يوم من توت وسنّتهم فيهِ اشعال النيران والتراشّ بالماء وكان من مواسم لَهْو المصريين قديمًا وحديثًا . . . والنيروز في اللسان السرياني العيد (١) وسُئل ابن عبّاس عن النيروز لمَ اتخذوهُ عيدًا فقال : انهُ اوّل السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبّون ان يقدموا فيهِ على ملوكهم بالطُّرَف والهدايا فاتخذتهُ الاعاجم سُنّةً . . . وقال ابن رضوان : ولمّا كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة ارض مصر رأى المصريّون القدماء وخاصّة الذين كانوا في عهد قلديانوس (ديوقلطيانوس) الملك ان يجعلوا اوّل السنة في اوّل الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الامر الاكثر فجعلوا اوّل شهورهم توت »

وقد بالغ المصريّون في افراح النيروز حتى جعلوها ثلاثة ايّام متواصلة فكانوا يخرجون الى القاهرة ويطوفون في الاسواق ويلعبون بالماء ويصبّهُ بعضهم على بعض ويأتون المنكرات حتى اضطرّ الخلفاء الفاطميّون وغيرهم ان ينهوا عن ذلك وربّما اقتصّوا من الفاعلين وحبسوهم وطافوا بهم على الجمال ليشهروهم لكن تلك العادات كانت تغيب مدّةً ثمّ تعود لتغلّب الاطباع . وممّن وصف النيروز قاضي الفاضل في تاريخ سنة ٥٨٤ (١١٨٨ م) قال :

« . . . ويركب فيهِ (اي النيروز) امير موسوم بامير النوروز ومعهُ جمع كثير ويتسلّط على الناس في طلب رسم رتّبهُ ويرسم على دور الاكابر بالجُسَل الكبار ويكتب مناشير ويندبهم مرسّلين . . . ويجتمع المغنّون تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبايدجم الملاهي وترتفع الاصوات . ويشرب الخمر والمزر شربًا ظاهرًا بينهم وفي الطرقات ويتراشّ الناس

---

(١) والصواب ان النيروز كلمة فارسية مركّبة من لفظتين معناها اليوم الجديد . يقال نَيْروز ونَوْروز

بالماء وبالماء والخمر وبالماء الممزوج بالاقذار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيهُ من يرشهُ ويفسد ثيابهُ ويستخفّ بحرمته فاماً ان يفدي نفسهُ واماً ان يُفضَح ». (وقال في تاريخ سنة ٥٩٣ (١١٩٦م) . . . « وجرى الامر في النوروز على العادة من رشّ الماء واستجدّ فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع وانقطع الناس عن التصرّف . . . »

ونقل المقريزي عن ابن ميسون في تاريخ سنة ٥١٧ (١١٢٣ م) ما كانوا يقدّمونه من الهدايا في النوروز قال :

« ووصلت الكسوة المختصّة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندريّة وما يتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسوادج وأُطلق جميع ما هو مستقرّ من الكسوات الرجاليّة والنسائيّة والبين والورق وجميع الاصناف المختصّة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء اربابها واصناف النوروز البطيخ والرمّان وعناقيد الموز وافراد البسر واقفاص التمر القوصيّ واقفاص السفرجل وبُكَل الخريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضان ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع حَبَر برمارق (قال) وحضر كاتب الدفتر المسابات بما جرت به العادة من اطلاق البين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو اربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر درهم فضّة والكسوات عدّة كثيرة من شقق ديبقيّة مذهّبات وحريريّات ومعاجر وعصائب نسائيّة ملوّنات وسقرلاد مذهّب وحريريّ وصفع وفوط ديبقية حريريّة . فاماً البين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمّن تحوزهُ القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمين ورؤساء المشاريّات وبحّارها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب . واماً الاصناف من البطيخ والرمّان والبسر والموز والسفرجل والعنّاب والمرانس على اختلاف اشكالها فيشمل ذلك جميع من تقدّم ذكرهم بشركهم فيه جميع الامراء ارباب الاطواق والاصناف وغيرهم من الاماثل والاعيان ممّن لهم جاه ورسم في الدولة »

ولم يكن الفرس اقلّ نشاطاً من المصريين في تعييد نيروزهم ولعلّهم جعلوهُ في الاعتدال الربيعيّ كالبابليين تبجيلاً لهرمز اله النور الذي كانوا يعبدونهُ في صورة الشمس والنار . وذكر القزويني في عجائب المخلوقات انّ الفرس « كانوا يزعمون انّ الله ادار الافلاك وسيّر الشمس والقمر وسائر الكواكب في هذا اليوم » . وجاء في كتاب اعياد الفرس لابن حمزة الاصفهانيّ انّ « اوّل من اتّخذ النيروز جمشيد احد ملوك الفرس الأوّل » . وكان الفرس يتفاءلون به ويتبركون بالنظر الى شمسه ويزعمون انّهُ يوم مختار لانّهُ مسمّى بهرمز وهو اسم المهيم « الصانع المتنيّ المربّي للدنيا واهلها » . وكانوا في هذا اليوم يتهادون الحلواء ويأكلون السكّر ويدّهنون

بالزيت . ورُوي انهُ قُدّم لعلي شيء من الحلاوى فسأَلَ عنهُ فقالوا : للنيروز . فقال : نَيْرِزُونا كل يوم . قال البيروني في الآثار الباقية (ص ٢١٦) :

« وكان النيروز فيهِ جرى الرسم بتهادي الناس فيما بينهم السكّر . والسبب فيهِ كما حكى آذرباذ مَوْبذ بغداد انَّ قصب السكّر انما ظهر في عملكة جِمْ (ملك الفرس) يوم نيروز ولم يكن يُعرف قبل ذلك الوقت وهو انهُ رأى قصبة كثيرة الماء قد بجّت شيئاً من عصارتها فذاقها فوجد فيها حلاوةً لذيذة فامر باستخراج مائها وعُمل منها السكّر . . . وتهادوهُ تبرُّكاً بهِ »

وكانت سُنّتهم ايضاً في النيروز صبُّ الماء فيهِ ويزعمون انَّ في هذا اليوم قسم الله السعادات لاهل الارض . وكان الملك يجلس فيهِ ويأتيهِ كلّ واحد من خدمهِ وحشمهِ بطرفة تعجبهُ . قالوا وكان الملك اذا استيقظ من نومهِ جعلوا امامهُ غلاماً حسن الوجه راكباً على فرس حسن على يدهِ بازي حسن ليقع نظرهُ على اشكال حسنة يتيمَّن بها

ومن غريب ما روى البيروني في الآثار الباقية عن الفرس في اصل يوم النيروز (ص ٢١٥) زعمهم :

« بان سليمان بن داود كان افتقد خاتمهُ فذهب عنهُ ملكهُ ثمَّ رُدَّ اليهِ بعد اربعين يوماً فعاد الى الملك جاهُ واتتهُ الملوك وعكفت عليهِ الطير فقالت الفرس « نَوْروز آمَدْ » اي جاء اليوم الجديد فسُمّي النوروز . وامر سليمان اربع فحملَتْهُ واستقبلهُ خطّاف فقال : أيها الملك انَّ لي عشاً فيهِ بُيَيضات فأعدِل لئلّا تُحطّمها . فعدل ولما نزل حملَ الخطّاف في منقارهِ ماء فرشَّهُ بين يديهِ واهدى لهُ رِجل جرادة فذلك سبب رشّ الماء والهدايا في النوروز »

واهل الهند والصين كانوا يقومون في بدء العام بمظاهرات شائقة فكان ملك الهند يخرج في موكب عظيم راكباً على فيل ابيض يتقدَّمهُ الجند والامراء . وكذلك ابن ماء السماء كان يسير برونق جنّي وكلاهما يدخل هيكل آلهتهِ لشكرهم ويقدّم الذبائح لاستلطافهم ثمَّ يكرم على العامّة بالهبات والعطايا فتُنار المدينة ليلاً وتتشح بابهى الاقمشة والحلي نهاراً وتصدح آلات الطرب وتُطلق الفراقيع النارية

وان تقرَّبنا من بلادنا الشاميَّة وجدنا الفينيقيين يزينون سواحلهم وسفنهم في رأس العام وكان يضحُّون حينئذٍ للبعل ضحاياهم

امَّا العبرانيُّون فلا يذكر الكتاب المقدَّس لهم حفلةً في اوَّل سنتهم الدينيَّة

نيسان . امّا السنة المدنيّة البادئة في شهرهم السابع اي تشرين فانّ يومهُ الاوّل كان عندهم عيدًا حافلًا كما ورد في سفر الاحبار (٢٣ : ٢٤) حيث قال الله لموسى : « مُرْ بني اسرائيل قائلًا في اليوم الاوّل من الشهر السابع يكون لكم عُطلةٌ تذكارُ هتاف البوق محفلٌ مقدّس . عملَ خدمةٍ لا تعملوا فيهِ وقرّبوا وقيدةً للربّ » . وبقي اليهود على ذلك حتّى يومنا قال البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية (ص ٢٧٥) . « واوّل يوم (من تشرين عند اليهود) عيد رأس السنة يُنفَخ فيهِ بالبوق والسوافر وهي قرون الكباش ويبطل فيهِ العمل كما يبطل في السبوت وفيهِ زعموا قرّب ابراهيم ابنهُ اسحاق عليهما السلام فندي بالكبش .

وقد عُرف هذا اليوم عند الربّانيين بعيد الابواق لنفخهم فيها في ذلك اليوم : وفي زعمهم انّ فيهِ تكون الدينونة الاخيرة حيث يدق الملائكة بالابواق ليدعوا الموتى

وكما كان اليهود يعظّمون رأس سنتهم كذلك العرب عظّموا اليوم الاوّل من محرّم لانهُ غرّة الحول ومفتتح السنة عندهم . قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٦٧) : « محرّم شهر مبارك قيل انهُ سُمّي محرّمًا لحرمة القتال فيهِ فاليوم الاوّل منهُ معظّم عند ملوك العرب يقعدون للهناء كما انّ اليوم الاوّل من سنة الفرس وهو النيروز معتبر عندهم » . وكان قدماء العرب في الجاهليّة يدعون الشهر الاوّل المؤتمر . قالوا دُعي بذلك لانهُ يأتمر بكل شيء ممّا تأتي بهِ السنة من اقضيتها " كأنّهم يحكمون بين السنة او شؤمها من مطلعها

الّا انّ الذين اشاعوا اكثر من سواهم عادات الافراح الجارية في رأس السنة انّما كانوا الرومان فانهم لمّا اصلحوا كانداهم وجعل يوليوس قيصر ابتداء سنتهم في كانون الآخر اتّخذوا ذلك اليوم كعيد عظيم وخصّوهُ باقدم آلهتهم يانوس او جانوس (Janus) ومنهُ اشتقّوا اسم الشهر الاوّل يناريوس او يناير فاعتبروهُ كالاله البادئ لكل شيء والمفتتح لكل الامور وكانوا يمثّلونهُ رأسًا بوجهين كانهُ يرى الماضي والمستقبل وجعلوهُ كاله السلام واقاموا لهُ هيكلًا كبيرًا يفتحون ابوابهُ طالما الدولة مشغولة بحرب مع غيرها ويقفلونها في ايّام السلام . وفي هذا اليوم كان ملوكهم الاوّلون يقدّمون للاله يانوس ألطف الهدايا من جملتها اغصانٌ من الزيتون والغار يقطعونها من غابةٍ قريبة لالهة الصحّة المدعوّة سترينا (Strena) كانّهم يطلبون لسنتهم العافية

والاقبال ومنها اشتقّ الرومان اسم هدايا رأس العام (strenæ) التي دخلت في بقيّة اللغات الاوربيّة كالايطاليّة (strenna) والافرنسيّة (étrennes) . فكان يجلس الملك او القيصر في ذلك اليوم فيهديه مجلس البلد الهدايا الغالية الثمن وكان هو ايضاً يغرّق على ملازميه ضروب الهبات. وقد تفنّن الرومان في هدايا رأس السنة فكانوا يصطفون ما يُرمز بهِ الى بركة السنة فكانوا غالباً يهدون الرُطب والتين والعسل لحلاوة طعمها كأنهم يتمنّون لبعضهم سنةً سعيدة طيّبة وكثيراً ما كانوا يرسلون لبعضهم تلك الهدايا مغطّاة بورق الذهب ويضيفون اليها قطعة من النقود الفضيّة او الذهبيّة . ثمّ جرت العادة ان يتهادوا السُرُج الخزفيّة اشارةً الى نورها وضوئها لتكون السنة نيّرةً زاهية لاصحابها وكانوا يرسمون على تلك الاسرجة ادعيةً كقولنا « عام ميمون وسنة مباركة ». وكان غيرهم يستبدلها بصور وتماثيل وصفائح من الشمع يكتبون عليها الفاظ التهاني او يرسمون الرسوم المبهجة . وشملت عادة تلك الهدايا كافّة الرومان فيهديها الاولاد لآبائهم والعبيد لسادتهم واهل الحرف لاساتذتهم . وفي ذلك اليوم كان الكهنة يدعون الشعب ليوقفوهُ على اعياد الشهر وكذا كانوا يفعلون في بدء كلّ شهر فدُعي اليوم الاوّل « كالندس » اي يوم الدعوة . لكنّ الرومان الوثنيين لم يلبثوا ان تماطعوا في ذلك اليوم من اللهو واللعب ما كانوا يخرجون فيهِ عن حدّ الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور

فلمّا ظهرت النصرانيّة واتّبعت الكنيسة الرومانيّة ثمّ بقيّة الكنائس حساب السنة الرومانيّة اخذ بعض النصارى في اوّل شهر يناير يشاطرون مواطنيهم المشركين افراحهم حتى خيف على ايمانهم ولذلك ترى الآباء في مياعرهم ومواعظهم كالقديسين يوحنّا فم الذهب وامبروسيوس واوغسطينوس كثيراً ما يزجرون اولئك المسيحيين المتحنفين في رأس السنة الوافقين لاهل الشرك في عاداتهم المستهجنة . وبناء عليه فرضت الكنيسة في ذلك اليوم على ابنائها الصوم والصلاة تكفيراً عن مآثم الوثنيين . قال القديس اوغسطينوس في شرحهِ للمزمور الثامن والتسعين : « انّنا في رأس العام نصوم لكي ننقطع الى الحزن والتوبة بينما يستسلم المشركون لافراحهم ». وقد ورد مثل ذلك في اعمال غيرهِ من آباء الكنيسة . وكذلك المجامع المكانيّة فرضت الصلوات والطلبات والصيامات في رأس العام الروماني وتهدّدت بالحرم

النصارى الذين لا ينقطعون عن عادات الرومان الوثنيين وبقيت تلك السُّنن مرعيَّةً الى القرن السابع كما يلوح من مجمع طور في فرنسة سنة ٥٦٧ ومجمع القسطنطينيَّة سنة ٦٩٢

فلمَّا سقطت دولة الرومان واندرست آثار الشرك في اوربَّة ابطلت الكنيسة شيئاً فشيئاً تلك التقيُّفات لا سيما اذ جعلت في رأس سنتها عيد ختانة الربّ وختمت بهِ الايَّام الثمانية المختصَّة بميلاد السيّد المسيح فعاد اوَّل العام عيداً بهيجاً منزَّهاً عن قبائح عبدة الاوثان واستأنف النصارى عادة التهادي ومبادلة الالطاف

وكذلك انتشرت تلك العادات في الشرق وكانوا يدعون رأس السنة قلنداس وهو الاسم اللاتيني السابق ذكرهُ منصوباً (Kalendas) وخصُّوا بهِ اوَّل كانون الثاني حتى بعد نقل سنتهم الى شهر آخر. قال القزويني في مطاوي ذكرهِ لاشهر الروم وقد جعل اوَّلها تشرين الثاني فقال عن كانون الثاني (عجائب المخلوقات ص ٧٦):

« في اليوم الاوَّل منهُ يُرجى المطر وفيهِ القلنداس بالشام يوقدون في الليلة نيرانًا عظيمة وكذلك في سائر بلاد النصارى سيما بانطاكية فانَّها اوَّل مدينة بدأت بها الملَّة النصرانيَّة »

ومثلهُ المسعودي في مروج الاخبار (٣ : ٤٠٦) . وقال البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٩٢):

« كانون الآخر في اليوم الاوَّل منهُ . . . عيد القلنداس . وتفسير قالندس خبزاً كان (١ . وفيهِ يجتمع صبيان النصارى ويطوفون في بيوتهم ويخرجون من دار الى اخرى ويقولون : « قالندس قالندس » بصوتٍ عالٍ ولحن فيُطعَمون في كلّ دار ويُسقَون اقداحاً من الشراب فبعضٌ يزعم انَّ ذلك لانهُ رأس السنة عند الروم وهو تمام الاسبوع من ولادة مريم . ويزعم بعضٌ انَّ آريوس لمَّا ظهر وأيهُ وتابعهُ من تابعهُ استولى على بيعة من بيعهم فخاصمهُ اهلها ثمَّ تراضَوا واصطلحوا على ان يطلقوا باجا ثلاثة ايَّام ثم يجيئونهُ سمًّا ويقرأون عليهِ بالثوب فمن انفتح لهُ الباب فهو مستحقُّها ففعلوا ذلك ولم ينفتح لآريوس وانفتح لهم زعموا . فلذلك يفعل صبيانهم ما يفعلون تشبيهاً بالبشارة التي بُشّروا بها في ذلك الوقت »

وكذلك ذكر البيروني (ص ٣٢٠) انَّ الصابئين القاطنين في سواد العراق جعلوا

---

١) والصواب انَّ قالندس معناها الدعوة كما سبق لانَّهم كانوا يدعون الشعب ليطعموهُ باعياد الشهر الجديد وكانت هذه الدعوة في شهر يناير احفل واجمع من سواها كما مرَّ ولذلك سمَّاهُ الروم ايضاً عيد القلنداس (Χαλανδῶν ἑορτή)

اليوم الاوّل من هلال كانون الآخر عيد رأس السنة كالقلنداس للروم

وكأنَّ هذه العادات التي ذكرها العرب في يوم قلنداس توالت على كرور الزمان بين اهل الشام فيوقد بعضهم انوار النيروز في القرى ويطلب صغارهم في ذلك اليوم هديَّة يدعونها بالصباحيَّة اي هديَّة صباح السنة الجديدة - وشاع ايضاً بينهم اسم السترَينة بمعناها وهم استعاروها من الرسالين الفرنج لا سيما الايطاليين فاشتقُّوها من كلمة (strenna) مع زيادة الباء في اوّلها دلالةً على زمن تلك الهدايا

واكثر العادات شيوعاً في ايّامنا تبادُل الناس بالزيارات والمكاتبات الوديَّة وإتحاف بعضهم بعضاً بالألطاف وتبرُّع المخدومين لخدَمتهم بشيء من المال

ولوقوع عيد ختانة الربّ في هذا اليوم تقيم الكنيسة الرتب الدينية وتدعو ابناءها ليشكروا الله على ما أنعم عليهم بهِ من البركات في عامهم المنصرم ويلتمسوا من مراحمهِ ان يعقبهُ بعام ميمون فيدرأ عنهم النكبات والبلايا واضرار النفس والجسد فتكون تلك الفرائض الدينيَّة كباكورة سنتهم ويكون الربّ مبدأ افراحهم وخاتمتها وهو الاوّل والآخر " فالسماوات تزول وهو يبقى وكلها تبلى كالثوب ويطويها كالرداء فتتغيَّر وهو هو وسنوهُ لن تفنى " (عبر ١ : ١١) . فلالهنا البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوَّة والقدرة الى دهر الدهور آمين (رؤيا ٧ : ١٢)

انين الثكلى

مع فقت ثلاثة بنيها . رواية واقعية تبيّن بعض نكبات المهاجرة

بقلم حضرة القس بطرس سارّة الراهب الماروني اللبناني

الام

ألا مَنْ لي بدمعٍ مثل بحرٍ اخوضُ غمارَهُ في جمع درّ
لانظمَ عِقدَهُ في سلك شعرٍ وانثرَ منهُ فوق صفيح قبرِ
يضمُّ أحبَّتي وحُماةَ امري
يضمُّ برمسهِ خيرَ البنينِ شباباً ضارعوا أُسدَ العرينِ

فُجعتُ بهم وهم مثل الغصونِ وقد قصفتْهمُ ايـدي المنونِ
ولم ترحم فـتىً بربيع عمرٍ
فما اقساكَ يا مالكَ المنونِ خطفت حشاشتي وضيا عيوني
وقد جرَّعتني كأس الشجونِ ثلاثاً يوم جرتَ على البنينِ
فامسى العيش عُسراً بعدَ يسرٍ
فتكتَ ببطرس الغصن الرطيبِ وقد أوديت بالخلِّ الحبيبِ
غداةَ نأى الى بـلدٍ غريبِ فبات القلب بالحزن الذيبِ
وبتُّ بدمعةٍ كالسيل تجري
وكنتُ رجوتُ ان أطفي الضرعا اذا ما عـاد ثالثهم سليما
ليشفي باللقا قلباً كليما فعـاد اليَّ وا أسفي سقيما
ونضرةُ وجهـهِ ذبلت كزهرٍ
اتاني جورجُ مهزولاً عليـلا كسيرِ القلب اذ فقد الخليلا
حسبتُ بطبِّهِ اشفي غليـلا فكان الطبُّ لا يغني فتيلا
وغـادرني بكسرٍ فوق كسرٍ
قضوا يا لوعتي شُهـداء جدٍّ ضحايا الهجر في تعبٍ وكـدِّ
وهم ساعون في إعلاء مجدي فكنت أشيمُ فيهم برقَ سعدي
ولكن خيَّبَ الآمـالَ دهري
ألا يا موت زُرْ لا لستَ مرّاً على ثكلى تفيض الدمعَ درّا
ترى في عيشها كمداً وضرّاً ألا زرْ يا منون فلست شرّاً
من العيش الذميم بُعيـد فخرٍ
وهل تحلو الحياة بُعيد ولدي اذا أمسوا رفاتـاً طيَّ لحد
بفقدهمِ توارى نجمُ سعدي ألا عجِّل فكأسك كأس شهدٍ
عـاي بـهِ احلي مرَّ صبري
دعوتك يا منون تعالَ هيّاً لارشف كأسكَ الحلو الشهيّا
جلالـك اذ تمثَّلَ في بنيـا حلوتَ ولم تعد مرّاً لديّا
فكأسك ليس حنظلـةَ بمرٍّ

تواردت المصائبُ بالتوالي . على قلبي فامسى لا يبالي
اذا ما داهمتْ سودُ الليالي اعرّضهُ الى رشق النبال
بصبرٍ قدَّ من جلمود صخر
لمَ يا ربّ انزلتَ المصائبْ بأمٍ غلتها بالسهم صائبْ
اتظلمني ا فحاشا لا تُعاتبْ فقلبي مُحرقٌ والدمعُ ساكبْ
عسى دمعي يغسل شَيْن وزري
على رحماك يا ربّ الجلالِ جعلتُ بنكبتي كل اتكالي
احطّ ببابك الاسمى رحالي فانت الجود لا ترفض سؤالي
وفرّج كربتي في يوم عسرِ
الهي انت رحمانٌ رحيمُ وانت بحالة الثكلى عليمُ
اذا ما كنتُ في البلوى اهيمُ بعين الحلم فاعطف يا حليمُ
على شكواي واسدلْ ستر عذري

الولد

ارى يا امّ في بلواكِ عبرى بحلّ رموزها العلّامُ أدرى
اذا ما شاء ربّ الكون أمرا بكونهِ فيؤتي المرء صبرا
على بلواهُ كي يحظى بأجرِ
لقد وسعتْ عنايته البريّهْ يدبّرها بحكمته السنيّهْ
فلا تجزع اذا طرأت بليّهْ أما لله احكامٌ خفيّهْ
ترى فيها الخلاف وليس ندري
فكوني قدوةً للامهاتِ مثال الصبر عند النائباتِ
وجودي يا أميمةُ بالصلاةِ على قبرٍ حوى صفو الرفاتِ
فتشكرك الرفاتُ واي شكرِ

الام

صدقتَ بنيّ لكن دع فؤادي يهيم بحزنهِ في كل وادِ
يئنّ من المهاجر والبعادِ ويشكو راجياً يوم المعادِ

عـاي ازاكمُ في يوم نشرِ
من الأَمزون (١) اشكو في مصابي أنهزَ الشؤم جُرتَ على الشبابِ
ألا لا كنتَ علّةَ الاغترابِ قضيتَ على فؤادي بالعذابِ
لحاكَ الله يا حفّار قبري

فكم يا مهجرٌ اثكلتَ أمًّا وكم اذللتَ لبنان الاشـا
ملأتَ هضابه ثكلًا وغمًّا وفي قلب البلادِ نفثتَ سمًّا
فكُدتَ تميته من شرّ كفرِ

اذا أغريتَ بعضاً بالنوالِ وجُدتَ عليهمِ بوفير مالِ
فكم من ضربةٍ كم من وبالِ تجرّ وكم قتلتَ من الرجالِ
فامسى رَبْعُ لبنانٍ كقفرِ

فكم فرّقتَ بين الامهاتِ وأقصيتَ البنينَ مع البناتِ
جعلتَ الشمل في شرّ الشتاتِ وبعتَ الدين بيع الكاسداتِ
وسُقتَ الى الضلالة كلَّ غُرّ

بَني وطني تفرّقتم جميعا فصبَّ عليكمُ الوطنُ الدموعا
حرامٌ تترك الامُّ الرضيعا وتمشي في مهاجرها الربوعا
لتجمع ثروةً بضروب مكرِ

تُـام بصنعها خـزيًا وعارا فلا تخشى المذلّة والصّغـارا
وربَّ صبيّةٍ خلعت عذارا وغرّ تاه بالكفر افتخارا
وباسم تمدّنٍ بالدين يزري

وكم من والدٍ ركب البحارا وغادر فتيةً باتوا حيارى
تفيض دموعهم ليلًا نهارا وليت جنانُهُ انفطر انفطارا
وتدميهِ أسًى نكبات هجرِ

ألا يا قاتلَ الله المهاجرْ بها دارت على رأسي الدوائرْ

(١) هو أكبر ضر في العالم واليه يؤمّ المهاجرون من كل حدب وصوب وهو كان مرسح الرواية وعلّة هذه النكبة

فقاضت عبرتي ملء المحاجر علامَ أيا فؤادي انت صابر
ألا ذُبْ حسرةً من مرّ صبري
أيا كولمبُ مكتشفَ البلادِ أراكَ ممدَّحاً بثنا السوادِ
لما قاسيتَ في خير العبادِ فبئسَ الفضلُ أضرم في فؤادي
لهيباً لا يني يكوي لصدري
فتحتَ العالم الزاهي الجديدا ونلتَ بفتحك الفخر المجيدا
فكان جزاكَ ان تُلقى طريدا فجُرتَ وانت تقصد ان تفيدا
فكنت أحقَّ من لومي بعذري
مقتكِ يا ربى كولومبَ لمّا أصبتُ بمهجتي فقضيتُ غمّا
لما لم ترحمي وُلدًا وامًا تئنُّ تحسُّرًا وتموت سقما
وتصرخ ليس من جبرٍ لكسري
انادي القبر بالدمع السخينِ فلا القى الجواب من الدفينِ
سوى صمتٍ وأركنُ للسكونِ وتنحدر الدموع من الجفونِ
تحاكي البحر في مدٍ وجزرِ

الولد

كفى أماه قد طال الرثاء لقد أدمى محيّاكِ البكاء
ألا صبرًا اذا حلَّ القضاء بحكم الله اجمعُنا سواء
على شرع الشؤون الكلُّ يجري
ومهلًا صابري في الحزن مهلا ولكن لا تظني الصبر سهلا
مصابك يا اميمة ليس يُسلي فنوحي واقرأي فصلًا فنصلا
مصائب سوّدت صفحات دهر
انا يا ام تُقت الى الخليلِ (١ بعيد فراقهِ المرّ الطويلِ
فسرتُ اليهِ في نفس السبيلِ الام بُنيَّ تركت املكَ في عويلِ
فصرتُ أسيرة الاحزان عمري

١) هو اخوه الذي قضى في نحر الأُزون قبله بثلاث سنوات

أبيت ولم اذق للنوم طعما اراعي في دياجي الليل نجما
اسائل ربَّ هذا الكون عمّا وراء القبر فهو يحيط علما
فيطلعني على مخفيّ امري

ارى تمثالكم ابداً امامي فاحسبكم ظفرتم بالحمام
انا في يقظةٍ ام في منام ؟ ترى هل من يبلّغني مرامي
ويجمعني بكم في يوم حشر ؟

الولد

من الاحزان يا امّي أفيقي وعزّي القلب بالقس الشقيق (١)
فان دعاءه خير الرفيق يرافقنا الى الوطن السحيق
ويهدينا الى اسمى مقرّ

هناك نقيم في خدر السماء بدار الخلد نرتع بالبقاء
أليس بهذا لقلبك من عزاء بلى امّاهُ كفّي من بكاء
تعزّي أنعمي بالًا وسرّي

الام

بَنيَّ ألا رحموا قلباً كسيرا لاحزان المصاب غدا اسيرا
فليس سواكم يرضى عشيرا مثالكمُ يكون له سميرا
يناجيه باضمار وجهر

بحق وفائكم ان ترحموني خذوني نحو ربّكمُ خذوني
لالقاكم واخلص من شجوني واسعد اذ تقرّ بكم عيوني
ايا ربّاهُ خذ بفكاك اسري

أراني ان مررت بمرج زهرٍ وان ابصرت إشراقاً لبدرٍ
امثلكم شباباً طيّ ذكري واذكركم ضحًى ببزوغ فجرٍ
فذكركمُ يدوم دوام عمري

---

(١) هو كاهن اخو الامّ الثكلى

وقائع العام المنصرم

نظر للاب لويس رتزفال اليسوعي

نظر عامّ

قد ودّعتنا السنة ١٩١١ وهي تُسمعنا دويّ مدافع الطليان في طرابلس الغرب وهاك شقيقتها ١٩١٢ تقرئنا الوداع وحولها الوف وربوات من قتلى الحرب وصرعى الاوبئة مضوا ضحيّة المطامع البشريّة وكم يذوق غيرهم في المستشفيات او في ساحات الحرب وشوارع مدن البلقان اوجاعاً يرون الموت بازائها راحةً

ولم تنحصر هذه البلايا في طرفي السنة بل كادت تعمّها فما انتهت الحرب الطرابلسيّة حتى لحقتها الحرب البلقانيّة فكانت ويلاتها افظع واعمّ فكم ارملت من نساء وكم ايتمت من اطفال وكم دمّرت من مدن ونسفت من قلاع . ولم تُحرَم مدينتنا بيروت من شرب نقطة من كأس الحروب المرّة ولا يزال يدوي في آذاننا صدى طلقات القنابل الطليانيّة لمّا فاجأوا ثغرنا في ٢٥ شباط فضربوا البارجة عون الله والنسّافة انقره واصابوا نحو مئتي نفس من جندهما ومن الاهلين المجتمعين في المرفا فعرفنا بالعيان ما هي الحرب وما هي تواليها وادركنا معنى صلاة الكنيسة في طلبتها حيث تضرع الى الله كي يقي العالم « من الطاعون والمجاعة والحرب » وفهمنا وصف زهير لنوائلها حيث قال :

وما الحرب الّا ما علمتم وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتَضرَ اذا ضرّيتموها فتَضرمِ
فتعرككُمْ عَرْكَ الرحى بثفالها ... وتلقح كشافاً ثمّ تُنتَجْ فتُتْئمِ

هذا وصف لحروب الجاهليّة التي تفرق عن حروبنا الحالية فرقَ الثريّا عن الثرى . فتفعل هذه في ساعةٍ ما لم تفعلهُ تلك في عدّة ايّام بل في اسابيع وشهور طويلة

بئست الحرب وبئس من يقبل على نفسهِ مسئوليّة شرورها . ولعلّ سائلاً يسأل كيف يستطيع عصر التمدّن ان يخوض مناقع الدم ؟ اين نتيجة مجلس التحكيم ومؤتمرات السلم في لاهاي ؟

ذلك كلّه حبرٌ على ورق ورقمٌ على صفائح المياه وضرب في الهواء ما دام الانسان مطبوعاً على المطامع وما دامت الدول لا ترضى بما قسم الله لها من النصيب. ألا ترى مثلاً الأُمة الالمانيَّة التي مذ جمع بسمرك قواها ودفعها على جارتها فرنسة فظفرت بها اخذت تعتبر نفسها كسيدة الممالك الاوربيَّة فلا ترضى ان تكون بينها ثُنياناً. ويغيظها خصوصاً ترقّي خصمها فرنسة فتعارضها في كلّ خطوة تتخطّاها الى الامام كما فعلت غير مرَّة في مرّاكش ولم تسكن زمجرتها حتى نالت قسماً من مستعمرات الكنغو الفرنساويَّة. وكذا قل عن سائر الامم التي تحاول الترفُّع والجاه وتنازع اقرانها لتوسيع دائرة نفوذها ونطاق سيطرتها. وعالمنا كما قيل طعمة القاها الله لسدّ جشع الشعوب

وليست المطامع الدوليَّة السبب الوحيد للحالة الحرجة التي اصبحنا فيها بل لذلك سببٌ آخر ينجم عن تلك المطامع كالمعلول عن علّته نريد «السياسة الحاليَّة» فانَّ خوف الدول الاوربيَّة من بعضها قد قسمها اليوم الى فريقين عظيمين التحالف الثلاثي (المانية والنمسا وايطالية) والاتفاق المثلّث (فرنسة وانكلترَّة وروسيا) فترى كلّ فريق منهما قائماً بالمرصاد لقرنه فاذا زاد الواحد شيئاً في قوّته البحريَّة او البرّيَّة اسرع الآخر الى زيادة مثلها لحفظ التوازن بينهما فلا يمرّ علينا اسبوع الّا تفيدنا الانباء الرسميَّة عمارة سفن جديدة من طرز الدردنوط (١ واستحضار طيّارات حربيَّة جديدة وانشاء اسلحة وتحصينات جديدة كأنَّ اوربَّة دار حرب واسعة مستعدَّة للقتال قرينة ادنى اشارة اربابها لتخوض غماره

امّا العمران واصلاح احوال الشعب وتخفيف الاثقال التي تئنّ تحتها مناكبهُ فكلّ ذلك يبقى من جملة المواعيد العرقوبية فترى العمّلة وجمهور الناس يئنُّون لما يلقونهُ من المشقّات في سبيل المعاش اذ زادت اثمان المأكولات ولوازم الحياة دون

١) كانت الدارعة الكبرى قبل ٢٠ سنة لا تكلّف اكثر من ٢٠ الى ٣٠ مليوناً من الفرنكات. والدردنوط يكلف اليوم من ٥٠ الى ٦٠ مليوناً. وقد باشرت انكلترَّة باصطناع واحد منها ذي ١٢ مدفعاً عيارها ٣٤٠ ملّيترًا بكلّف ٧٠ مليوناً. وكانت نفقات كهذه كافية قديماً لحرب باسرها

زيادة تُذكر في الاجور . فهذا ما يُنقم العَمَلة على الدول ويثير في قلوبهم ثوائر البغض والفوضى فيعمدون الى تلبيك الاعتصابات التي اضحت اخطاراً مهولة على البلاد كاعتصاب فَعَلة مناجم الفحم في انكلترة والمانية واعتصاب النوتيين في فرنسة وانكلترة

ومما تطير له القلوب شعاعاً ان زعماء الاشتراكيين يزيدون كلّ يوم قوّة وقد فازوا فوزاً عظيماً في مجلس الأمة في المانية حتى بلغ عددهم في انتخابات منتصف كانون الثاني ١١٠ وكانوا قبلها ٥٣ فقط وانتخبوا رئيس المجلس من حزبهم

فهذه الاخطار انما سببها الاقرب ذاك السلمُ المسلّح الذي اضطرّت اليه الدول الحاليّة بسياسة بسمرك الذي قلب احوال اوربّة ظهراً لبطن فان ذلك « الكنشلبار الحديديّ » كما دعوهُ بعد ان سحق النمسة في سادوفا سنة ١٨٦٦ وألجأها الى موالاة المانية والعدول عن فرنسة كرّ بخيله ورجله على فرنسة فكان ما كان في الحرب السبعينيّة ثمّ سعى طاقة جهده بعزل فرنسة عن بقيّة الدول وابعد عنها ايطالية التي لم تتم وحدتها الّا بفضل فرنسة وانما اراد ذلك لتكون هذه طعمةً لدولته . لكنّ فرنسة لا تزال ابنة الكنيسة البكر رغماً عن ولاة امرها المتشيّعين للماسونيّة والمغلّين باغلال المالية اليهوديّة فأمكنها بشفاعة المطرّبة جان درك وجزاء عن اعمالها الخيريّة التي تقوم بها في انحاء المعمور ان تنهض نهضةً جديدة واتّفقت مع انكلترة وعاهدت روسيّة فتمّ بذلك نظام جيشين هائلين . فالويل كلّ الويل اذا ما وقعت بينهما حرب عموميّة

ويوجد سببٌ ثالث ولعلّهُ اعظم من السببين الآخرين يجلب على الدول ضروب المحن والبلايا الّا وهو ضعف الدين في القلوب . فانّ عدل الله الرهيب يؤاخذ الامم بذنوبها ويسقط الأئمة في الحُفر التي يحفرونها ألا ترى ما يجري اليوم في البرتغال وبلاد المكسيك وكوبا وجمهوريّة الاكوادور والپراغاوي فانّ اهل تلك البلاد اصبحوا اليوم في الفوضى يقوم بعضهم على البعض طمعاً في السيادة وتغليب الاحزاب لاسيما الماسون الذين اثاروا الريح فيحصدون اليوم الزوبعة بعد ارخائهم العنان للتعاليم الكفريّة وخلعهم نير الديانة الضابط لاهواء الجمهور

وربّما تراخى حبل السلطة الداخليّة في بعض البلاد بسوء تدبير اصحابها فصارت

الامور الى هرج ومرج كما ترى في تركيا حيث ضبط الاتحاديون زمام السياسة فلم يحسنوا التصرُّف مع العناصر المختلفة التي جرحوا احساساتها او لم يتداركوا خلل الدولة ليصلحوهُ ويرقُّوا الزراعة والصناعة ويكفُّوا ايدي الجُناة في مقدونية واليانية ويشدُّوا ازر الوطنيين الصادقين وما الحرب البلقانيَّة الَّا ثمرة هذه السياسة الخرقاء. فلمَّا وقعت مذابح كوتشانه طفحت الكأس وقامت الدول البلقانيَّة بعزم شديد لم يقم في وجهه عائق . وبينما كان الوطن على شفا الهلاك وحُماة الدولة يسخون عليه بدمائهم كنت ترى الاتحاديين يتآمرون على ارباب الامر ليسترجعوا سلطتهم المفقودة

وما من شأنهِ ان يخمد قلقنا ويسكن بلبالنا بين هذه المصائب رجاؤنا بنهاية الحرب قريباً بعد الهدنة الاخيرة في چاطلجه التي صادقت عليها الدولة العليَّة مع دول البلقان الَّا اليونان. واملنا ايضاً بانعقاد مفاوضة دوليَّة في لندن فعسى ان تكون عقبى ذاك الاجتماع صالحةً تُسفر عنها لوائح السلام الثابت

الكنيسة وإمامها الاعظم

كان امام الاحبار وعموم اهل النصرانيَّة في العام الماضي يودُّون لو يحيون ذكرًا لانتصار قسطنطين الكبير الذي دحر اعداء دولتهِ سنة ٣١٢ ونزع الملك عن منتحبهِ مكسنسيوس وقفل الى رومية ظافرًا تحت ظلّ راية الصليب التي أوحيت اليهِ صورتها لحقنّ دماء النصارى وكسرَ شوكة الوثنيَّة بما اصدرهُ من التقارير لكافَّة انحاء مملكتهِ وبذلك خمد الجهاد العظيم الذي قام بين السيّد المسيح مذ ظهر للعالم وعدوّه الألدّ رئيس اركان هذه الدنيا ابليس خزاهُ الله

لكنّ الحبر الاعظم اذ رأى انَّ هذه الافراح لوقوعها في سنة انعقدت فيها نار الحرب بين ايطالية وتركيَّة من شأنها ان تتمّ دولتنا العليَّة تلطُّف وأجلها للعام المقبل واكتفى باقامة رتبة دينيَّة حافلة في كنيسة لاتران وهي الباسليقة القسطنطينيَّة وعلى جانبهِ الجرن الذي تعمَّد فيهِ قسطنطين على ما يقال . ثم عُقدت حفلة ادبيَّة وافق وقوعها تقريباً زمن معاهدة الصلح في مدينة لوزان

على انَّ الحبر الروماني كسيّدهِ اذا نالهُ فرح وقتيّ ربَّما عقبتهُ احزان تنغّصهُ وتذكّرهُ بصليب الجلجلة . ولعلَّهُ لا يقضي يوماً دون ان يحمل هذا الصليب ويشعر

بعبئهِ الثقيل . فمن ذلك مـا يراهُ قداسة البابا في البرتغال من نهضة الماسونيَّة على الكثلكة . فانَّ اصحاب الجمهوريَّة الجديدة لم يكفهم فصل الكنيسة عن الدولة ونهب اوقاف الكنائس ونفي الرهبان وطرد الكهنـة بل حدا بهم تطرُّفهم وبغضهم للدين الى ان ينفوا من لشبونة بطريركها الجليل السيد مندس بلو في ١٥ كانون الاول على انَّ خروجهُ من بلادهِ كان اشبه بانتصار اذ شيَّعهُ من قصره الى المحطة نيف وثمانية آلاف من الكاثوليك محتجّين على عمل الحكومة الماسونيَّة

ووجدت هذه الشيعة الملعونة الماسونيَّة في اسبانية لها نصيراً برئيس وزارتها كاناليجس الذي عرض على مجلس الامَّة عدَّة شرائع دسَّها لمناهضة الكنيسة. وقد سمح الله ان تضربهُ آخرًا يد احد الفوضويين فمات ضحيَّة المبادئ الكفريَّة التي نشَطها وذلك في ١٩ تشرين الثاني فعسى الصريع ان يكون في آخر ساعة حياتهِ اناب الى ربِّـهِ (١ . ونتمنَّى ان خلفهُ في الصـدارة لا يحذو حذوهُ ويفكّ عنهُ ربقة الماسونيَّة واليهود ورؤساء الشيعة . ونحن نعلم العلم اليقـين انَّ اسبانية اعرق في الدين واحبُّ لوطنها من ان تدع الماسونيَّة تنفث سمَّها القتَّال في ابنائها وانها تتصدَّى لمساعي تلك الشيعة فتذود عن حوزة دينها وملكها وتعزّي قلب ابي المؤمنين بعـد ان كدَّرتهُ معاداة كاناليجس للكنيسة

وكذلك المانية الكاثوليكيَّة تُضاعف همَّتها لتُعرب عن خلوص حبّها لخليفة هامة الرسل لينسيهُ بنوهُ الكتابات المهينة التي ينشرها في حقّ الكرسيّ الرسوليّ الاباحيُّون

---

١) ومما يثبت وجود العلائق بين كناليجس والماسونيَّة رسالة كتبها اليهوديّ ناثان كبير زعماء الماسونية الايطالية لرئيس المحافل الاسبانية الاخ موراينا (F.·. Morayta) في تاريخ ٦ ك ٢ سنة ١٩١٠ وفيهِ يصرّح ناثان بانَّ الماسون اتفقوا على اقامة كاناليجس بدلًا من موره (Moret) لعلمهم بانَّهُ يساعدهم في تمهيد الطريق للجمهوريَّة في بلدهِ وفي معارضة الكنيسة الكاثوليكيَّة. وهذه الرسالة قد قرأها في مجلس الندوة الاسبانية بحضور كاناليجس الدكتور اجلسياس (D. Iglesias) واذ نكر كاناليجس اقحمهُ الدكتور اجلسياس بذكر الجرائد التي اثبتت رسالة ناثان ولاسيما المراسلة الرومانيَّة (Corrispondenza Romana) . ولمَّا صادق المجلس الاسبانيّ بعد ذلك بشهر على الحريَّة الممنوحة للاديان غير الكاثوليكيَّة اسرع ناثان ونشر في جريدة « Avanti » لسان حال الماسونية خبر تغلُّب كاناليجس على الكاثوليك وسيره على الخطَّة التي نهجها لهُ الماسون

والبروتستانت وغُلاة الوطنيين فتراهم اذا مـا قال الحبر الاعظم او كتب او عمل شيئاً في اثبات الايمان او تزييف الاضاليل العصريَّة تسارعوا الى توجيه كلامهِ الى غير معناهُ او الى نسبة اعمالهِ الى النيات المعادية لوطنهم كما فعلوا لمَّا نشر قداسة البابا تلك البراءة الجليلة المعاني الجزلة الالفاظ في تذكار المئة الثالثة لتثبيت قداسة كرلوس بُروماي رئيس اساقفة ميلانو فلمَّا ذكر مآثر ذلك القديس في مناصبتهِ لتعاليم لوتاروس واشياعهِ في ايطالية هاج بروتستانت المانية وماجوا زاعمين انَّ كلام امام الاحبار اهانةٌ لدولتهم فاضطرُّوهُ الى ان يمنع نشرَها في المانية. وقد اشعرنا قداستهُ بما يلقاهُ في طريقهِ من المشاكل في المواجهة الخاصَّة التي تلطَّف فمنحنا اياها في ١١ كانون الثاني حيث قال لنا: « انَّ اعداء الدين يتعاضدون في مناصبتنا فلا يسعنا ان نقول او نفعل شيئاً الَّا شوَّهوا نيَّاتنا وافسدوا اقوالنا ليمنعونا عن نصرة الحقّ ». ولكنَّهُ بقوتهِ تعالى لا يثبطهُ عائق في اتمام واجباتهِ وهو خليفة ذاك الرسول الذي لم يَرُعْهُ تهديد مجلس اليهود فقال مجاهرًا: « انَّ الله احقّ ان يُطاع من الناس. انَّنا لا نقدر ان لا نتكلَّم » والحقّ يقال ان تلك الكلمة البابويَّة لا تزال مقولةً ومسموعة شاء اعداء الكنيسة ام أبوا. وقد اسمع بيوس العاشر هذه الكلمة الالمانَ الكاثوليك في هذه السنة ايضاً فأعلمهم انهُ يثني الثناء الطيِّب على الشركات الضمانيَّة المذهبيَّة التي يعقدها الكاثوليك بينهم للدفاع عن صوالحهم الزمنيَّة امَّا اذا كانت تلك الشركات شاملة لذوي مذاهب أخرى فانَّهُ لا يسمح ببقائها الَّا على شروط معلومة تنفي كلَّ ضرر يلحق بايمان الكاثوليك

وممَّا امتعض لهُ قلب رئيس الكنيسة تشدُّد الدولة الروسيَّة على الدين الكاثوليكي في مملكتها. فبعد الحرب اليابانيَّة كان جلالة القيصر تساهل نوعاً مع رعاياهُ واطلق لهم الحريَّة الدينيَّة فقام الوفٌ وربوات من الروثان الذين غصبوهم على جحود دينهم الكاثوليكيّ وطلبوا الرجوع الى مذهبهم القديم. فكأن الارثدكسيَّة الروسيَّة رأت في ذلك خطرًا على وجدانها وكانَّ ملكها خاف على رئاستهِ الدينيَّة فاسترجع القيصر اوامرهُ واستأنف المجمع الديني اضطهادهُ للكاثوليك فانَّهُ اعلن مؤخَّرًا انهُ يعاقب اشدَّ المعاقبة كلَّ روسيّ يبيع ذراعاً واحدة من ملكهِ للكاثوليك. فقرارات عدائيَّة كهذه من شأنها ان تثير البغض في القلوب وكفى بها شاهدًا على صدق جلَّة

الكلمة التي لم تأنف ان كتبت بأنَّ « الكاثوليك يضطهدون الارثدكس » (كذا) . ولا عجب بعد ذلك ان نرى الحبر الاعظم يكرّر احتجاجاته على روسيَّة في سوء معاملتها للكاثوليك الامناء في خدمتها كما فعل اسلافهُ غريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع ولاون الثالث عشر . ولنا الامل ان روسيَّة تسمع ذلك الصوت الجليل فان لها في الكثلكة ضمان عزّها وثباتها كما قرَّرهُ في كتاباته ثلادمير سلوفياف احد الروسيين المخلصين الحبّ لوطنهم

وقد اصابت قلب الحبر الاعظم كآبة جديدة في هذا العام بما لقيهُ من العصيان في المجلس الملّي الارمنيّ . فانَّ نائب السيد المسيح كان تلطَّف ورضي بانتخاب الاساقفة مع المجلس المذكور لغبطة السيد بولس ترزيان كبطريرك على قيليقية بعد استعفاء غبطة السيد بطرس صباغيان . ثمَّ اتبع ذلك بنعم جديدة منحها الطائفة الارمنيَّة اذ استدعى السيّد ترزيان وبقيَّة الاساقفة الى رومية حيث عيَّنوا رؤساء للكراسيّ المترملة وعقدوا مجمعاً لاصلاح شؤون الطائفة . فرأى اولئك المرّدة في هذه الانعامات اجحافاً في امتيازتهم المزعومة واتفقوا مع الاتحاديين الفرمسون ليكفّوا يد بطريركهم المفضال عن التصرُّف بشؤون رتبته وهم لا يزالون حتى الآن مصرّين على تمرُّدهم . امَّا السيّد ترزيان فانَّهُ اتكل على الله وعلى الكرسي الرسوليّ ولم تأخذهُ في دفاعهِ عن حقوق الكنيسة لومة لائم . ولذلك وجّه اليهِ قداسة البابا في ١٠ حزيران كتاباً يعزّيهِ ويثني على ثباتهِ ويحرم كلّ من تعرَّض لسلطتهِ من ابنائه المتمردين

وكما احزنت هذه الاعمال المستقبحة قلب رأس الكنيسة الكاثوليكيَّة كذلك اشجتهُ المظاهرات التي قام بها اشياع الثورة في رومية ذكرى لوحدة الايطاليَّة فرأوا من الواجب ان يرشقوا بسهامهم الطائشة سجين الفاتيكان فانتهز اليهودي ناثان تلك الفرصة ليقيء بتفلته الوخيمة على الصخرة البطرسيَّة . لكنَّ تلك المظاهرات المستقبحة لم تُفد الثورة شيئاً بل كانت برهاناً جديداً على انتقاض حبلها لا سيما اذا قُوبلت بتلك الحفلات الحافلة التي تسبي قلوب الناظرين كلّ يوم في ردهات البلاط البابوي فهناك يتحقَّق كلّ ذي بصر ما للدين من السلطان الاسمى والقدح الأفوز

أجل انَّ قلب بيوس العاشر مجروح بتصويب نبال اعداء الكنيسة اليها لكنَّهُ ايضاً ينالهُ من التعزية والسلوان ما يرجح افراحهُ على اشجانهِ . فمن ذلك ما رآهُ من انتعاش روح التُقى في قلوب المؤمنين منذ حضَّهم على مثابرة الاسرار وعلى المناولة اليوميَّة ولم يشاء ان يُحرَم منهُ الصغار حتى في نعومة اظفارهم عند بلوغهم الرشاد. وقد سُرَّ قداستهُ بكتاب ذهبيّ رفعتهُ رسالتنا السوريَّة الى اعتابهِ كان فيهِ مجموع نيّف ومئتي الف من المناولات التي قدَّمها المؤمنون الكاثوليك على اختلاف طوائفهم في انحاء الشام على نيَّة امام الاحبار بمساعي آباء رهانيتنا كتكفير عن الشتائم اللاحقة بشخصهِ الكريم . فبارك الاب الاقدس اولئك الاتقياء بركةً خاصَّة . ومن دلائل همتهِ وسهرهِ على خير كافَّة ابنائهِ مَنحهُ الشرقيين نعمةً أُخرى طالما كانوا تائقين اليها تزيد المناولة الحُرَّة بين كلّ الطوائف على ايّ طقس كان (راجع المشرق العدد السابق ١٩١٢ ص ٨٨١—٩٠١) فكان لهذه النعمة احسن وقع في صدور الكاثوليك الشرقيين بلا استثناء ولا شكَّ انها تأتي باثمار جديدة من التقى والروح المسيحيّ

وقد اثلج صدر الحبر الاعظم حادثٌ آخر اهتزَّت لهُ عاصمة النمسة بل اوربَّة جماء. فضلًا عن العالم الكاثوليكيّ نريد ذاك المؤتمر القربانيّ الذي عُقد في ڤينَّة من ١٢ الى ١٥ ايلول فجرت في اثنائهِ تلك المظاهرات الفخيمة التي لا يُرى لها من شبيه في اعظم حواضر الدنيا. وكان شيخُ الڤاتيكان يتبع كلّ حركات ذاك المشروع العظيم فتأتيهِ الأنباء تترى تعلمهُ يوماً فيوماً بل ساعةً فساعة عن كلّ ماجريات المؤتمر . وكان الماسون واليهود كألوف عادتهم قصدوا ان يشوّهوا تلك المظاهرات ويهيّجوا لماكستيا الرأي العام بالخطب والجرائد التي اكثرها تحت سيطرتهم في النمسة لكنَّ الله خيَّب آمالهم . وفاق هذا المؤتمر على المؤتمرات السابقة في القدس في مالين في لندن في منتريال في مدريد وكلّ يعلم ما اتت بهِ تلك المؤتمرات من المآثر العجيبة. أجل انَّ الامطار العرمرميَّة كانت في مدَّة مؤتمر ڤينَّة متواصلةً حتى انها افقدت الطوافات العلنيَّة بالقربان الاقدس شيئاً من رونقها وفخامتها لكنَّ الدين الكاثوليكيّ قد اصاب في ذاك المؤتمر من الشرف والعزّ والجلال ما لم يُصب الَّا نادرًا مثله . لعمري لو لم يرَ مليونٌ من الناس الوافدين لتلك الحفلات سوى الامبراطور فرنسوا جوزف وهو شيخ مهيب في سن ٨٢ سنة يتقدَّم في طواف القربان الاقدس متخشعاً

امام رب السماء كجندي المسيح ومقتدياً باحد اجداده رودلف دي هبسبورغ الذي لما رأى كاهناً يحمل القربان الاقدس لمريض نزل عن جواده واركب الكاهن ومشى امامهُ اجلالاً لرب البملوات المحجوب تحت الاعراض السرّية لكان ذلك كافياً لفخر الكنيسة . ولم يقتصر سلطان النمسة على ذلك بل اتى طول مدّة المؤتمر باعمال تنطق بايمانهِ الصادق ومحبّتهِ للكنيسة ورأسها المنظور على الارض فأنزل ممثل قداسة البابا الكردينال ڤان روسوم كضيف كريم في بلاطهِ كما اضاف امراء دولتهِ الاساقفة والاعيان القادمين من جهات المعمور . وتقرّب الامبراطور مع اهل بيتهِ وحاشيتهِ من القربان الاقدس في وقت المؤتمر . ولمّا سار الموكب الاخير في ١٥ ايلول مطيفاً باله السماء كان هو يتقدّم الجميع غير مكترث لهطلان الامطار . وفي ذلك اليوم خرج ارباب الدولة النمساوية ليشيّعوا القربان المقدّس في ملابسهم الرسميّة وبزّاتهم الفاخرة ينوب كلّ منهم عن أمّةٍ من امم اوستريّة المتعدّدة كالالمان والمجر والصقالبة والبوهيميين والتشاك لابسين ازياء بلادهم التاريخيّة الرفيعة القدر الغالية الثمن المرقومة والمزركشة بالذهب والقصب . وكانت عربات البلاط الآخذة بالعيون لعجيب صنعها تقلّ كبار الدولة وكان الامبراطور جالساً في احداها مع وليّ عهدهِ تجرّهُ ستة من الخيل المطهّمة . امّا افخر هذه العربات فكانت عربة الملكة مريم تريزا الامبراطورة النمسويّة الشهيرة واياها ركب الكردينال ڤان روسوم حاملاً لشعاع القربان . وكانت الجماهير المجمهرة الحاضرة في ذلك الموكب المهيب ما قُدّر عددهُ بمليون من البشر حتى خُيّل لبعضهم انّ اوربّة في ذلك اليوم انتقلت الى حاضرة النمسة . وممّن مثّلوا وطننا العزيز سيادة رئيس اساقفة بيروت على الموارنة المطران بطرس شبلي وهو كان يتمنّى لو رأى اهل بلادنا معاينين لتلك المناظر الفتّانة فيعرفوا قدر الدين في قلوب الغربيين . وخلاصة القول انّ المؤتمر القربانيّ كان انتصاراً دوليّاً للدين الكاثوليكي . ولذلك شكر قداسة الحبر الاعظم جلالة الملك فرنسوا جوزف الذي عزّز مملكتهُ بتلك المظاهرات الفخيمة وحقّق وعدهُ بان يجعل المؤتمر تحت حمايتهِ

إي وايمُ الحقّ لم يمت الدين كما زعموا واذا خصصنا بنظرنا الكثلكة رأيناها تنمو وتزداد كلّ يوم عدداً وفضلاً ففيها تصدق مواعيد منشئها الالهيّ حيث

قال انَّ انجيلهُ سيُبشَّر بهِ في العالم كلهِ . فلا تجد في عهدنا بلدًا ايًّا كان خاليًا من بعض ابنائها ولو جُزتَ الى اقصى جزائر اوقيانية ودخلت بين اعرق الامم في الهمجيَّة لَلَقيتَ مرسليها وكنائسها ومشروعاتها المتادة في سبيل الدين والتمدُّن

ومما تبتهج لهُ القلوب نجاح الكثلكة في البلاد البروتستانيَّة فتواصل بين اهلها الرقيَّ في معارج التقدُّم والنموّ حتى بلغ ابناؤها في اقلّ من مئة عام اضعاف ما كانوا عليهِ . فانَّ كاثوليك المانية كانوا سنة ١٨٠٠ عشرة ملايين وهم اليوم واحد وعشرون مليونًا . وترى حواضر الدولة حافلةً بكنائسهم زاهيةً باعمالهم الخيريَّة ومشروعاتهم الاجتماعيَّة حتى اضحت برلين نفسها عاصمة البروتستانيَّة احد مراكزهم المهمَّة . وكفى بذكر مؤتمراتهم السنويَّة التي يعقدونها كل عام للوقوف على تقدُّمهم من الوجهتين الدينيَّة والمدنيَّة

ولعلَّ هذا الرقيَّ اظهرُ واجلى في انكلترَّة . فان عدد الكاثوليك في انكلترَّة وحدها دون ارلندة قد زاد نحو عشرين ضعفًا فكانوا سنة ١٨٠٠ ١٢٠,٠٠٠ فبلغوا سنة ١٩٠٧ ٢,١٨٠,٠٠٠ لهم ٢,٠٧١ كنيسة يتولَّى تدبيرهم ٢١ اسقفًا و٤,١٦٦ كاهنًا . وفي ظرف الاثنتي عشرة سنة الاخيرة قد ارتدَّ الى الكثلكة ٤٤٦ عضوًا من الاكليروس البروتستانيّ و ٤١٧ من اعضاء البرلمان و٢٠٥ من ضبَّاط البحريَّة و١٣٢ من معلّمي الآداب والعلوم العليا و١٢٩ من المتفقهين و٦٠ من الاطباء و٦٦ من الأُسر الشريفة . . وللكاثوليك اليوم في مجلس الأمة ٨٢ عضوًا وفي مجلس الاعيان ٤١ لوردًا وفي مجلس الشورى ٢٠ ممثلًا

واغرب من ذلك نجاح الكثلكة في اوستراليا حيث لم يكن فيها سنة ١٨١٨ ولا كاثوليكيّ واحد وهم اليوم ينيفون على ١,٦٠٠,٠٠٠ يرعاهم ٣ مطارنة و١٤ اسقفًا و١,٤٠٠ كاهن فضلًا عن رهبانهم ورواهبهم البالغين ٥,٥٠٠

ومثلهما غرابةً الولايات المتحدة حيث كان الكاثوليك فيها سنة ١٨٠٨ اربعين الفًا لا يزيد عدد كهنتهم عن ٥٠ كاهنًا تحت رعاية اسقف واحد واليوم تضاعفوا حتى اناقوا على ١٠٦ اضعاف فصاروا وفقًا للاحصاء الاخير ٢٢,٥٨٧,٠٧٩ كاثوليكيًّا و١٦,٥٠٠ كاهن وقاصد وسوليّ و٣ كرادلة و١٣ مطرانًا و٨٨ اسقفًا و١٣,٢٠٤ كنائس

وزاد عدد الكاثوليك في هولندة في السنة ١٨٠٠ الى ١٩٠٧ ستين ضعفاً اذ كانوا ٣٠,٠٠٠ فقط فبلغوا ١,٨٢٢,٠٠٠ يتولّى رعايتهم مطران واربعة اساقفة و٣,٧٥٨ كاهناً و١٨,٨٢٥ راهباً او راهبة و٤١٦ كنيسة جديدة و١٣٦ كنيسة مرمّمة وقد انفقوا على تشييد تلك الكنائس في اقلّ من عشرين سنة ١٢٠ مليون فرنك وكان وزراؤهم سنة ١٩٠٤ ثلاثة بين ثمانية امّا المبعوثون فكانوا في مجلس النوّاب ٢٥ و١٨ في مجلس الاعيان

ولم تشذّ سويسرة عن هذا النجاح فان كاثوليكها كانوا سنة ١٨٠٠ ٤٢٠,٠٠٠ فزادوا على ثلاثة اضعاف وبلغوا اليوم نيّفاً و ١,٣٠٠,٠٠٠ يديرهم خمسة اساقفة ونائب رسوليّ

وكذلك البلاد التي تخضع للكنائس الرومية المنفصلة فانّ الكثلكة رغماً عمّا تلقاهُ من العوائق في سيليا لا تزال نامية فانّ الكاثوليك في رومانية ازدادوا من ١٦,٠٠٠ الى ١٥٠,٠٠٠ وفي البوسنة والهرسك من ٢٥,٠٠٠ الى نيّف و٤٠٠,٠٠٠ وفي بلغارية من ١,٣٠٠ الى ٢٨,٠٠٠ والصرب من ٦,٠٠٠ الى ٢٠,٠٠٠ واليونان من ١٥,٠٠٠ الى ٤٤,٠٠٠ ولما منحت روسيّة حرّية الدين لرعاياها بلغ فيها عدد الارتدادات من سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٩ ٢٣٠,٠٠٠ منهم ١٦٨,٠٠٠ في بولونية الروسيّة والبقيّة في سائر انحاء الدولة

وممّا رأيناهُ في لبنان مؤخّراً ارتداد ١٥٠٠ من روم كوسبا وجهاتها الى الكثلكة فنما بهم قطيع سيادة اسقف طرابلس السيّد الجليل يوسف الدوماني وكذلك أكّد لنا الثقة انّ عدداً ليس بزهيد من يعاقبة حماة اذ رأوا تقدّم الكثلكة في مدينتهم بهمّة غبطة بطريرك السريان السيّد اغناطيوس افرام الرحماني نووا ان يتّحدوا بالكنيسة الكاثوليكيّة بل اخذ بعض اساقفة اليعاقبة يتوقون الى هذا الاتّحاد لما يرونهُ في بطريركهم عبدالله الصددي من سوء التصرّف وقلّة الاكتراث للدين. فعسانا نرى يوماً تحقيق رغبة السيّد المسيح بان تكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد

فكل هذه الامور من شأنها ان تفرج همّ الحبر الاعظم وتسرّي عن قلبهِ . ولعلّ اعظم سرورهِ كان بنظرهِ الى فرنسة التي لطّفت نوعاً معاملاتها مع الكاثوليك ورجعت الى ما هو افضل لخيرها واوفق لماضي تاريخها . ففي ١٩ أيار اتّحدت القلوب

تحت راية واحدة في ظلّ حماية المطوّبة جان دارك الواقع في ذلك اليوم التذكار المئويّ لمولدها فكانت الافراح شاملة لعموم الفرنسويين على سواء واجتمعت الدنيا مع الدين لاكرام مخلّصة فرنسة. والامل معقود ان يُتخَّذ تذكار جان دارك السنويّ كعيد فرنسة الوطنيّ

وكذلك سُرّ كاثوليك الشرق بل النصارى عموماً لما صرّحت به الدولة الفرنسويّة من امر حمايتها للمسيحيين في انحاء الشرق وفقاً للمعاهدات التي جرت بينها وبين تركيّة مع مصادقة الكرسيّ الرسوليّ عليها واقرار الدول بثبوتها دون معارضة الى عهدنا هذا حيث دفع عامل المنافسة والطمع بعض الممالك الاروبيّة الى منازعة فرنسة ذلك الامتياز الخطير فرأت من واجباتها ان تقرّر حقوقها في وجه المعاكسين لسياستها وتنفي من عقول نصارى الشرق كل ارتياب في الدفاع عن صوالحهم في الاخطار الحاضرة. وقد اظهرت تلك الحماية فعلًا لأخذها بناصر المرسلين في الصين والعجم وتركيًا. فعسى ان تكون هذه الاعمال مُفتتح عصر جديد لفرنسة تنكشف فيه غيوم الاضطهادات الدينيّة. كما اننا نؤمّل انّ الشريعة الجديدة في تحرير الانتخابات تمهّد السبيل للسلام الاهليّ وتقرّب الدولة من الكرسيّ الرسولي فتعيد ما قطعتهُ جزافاً من العلاقات الوديّة

ولا يسعنا السكوت عمّا نالتهُ الكثلكة من الامتياز في بلاد نروج بنسبة اليوبيل الفضي الذي اقامهُ الكاثوليك في ١٨ أيار للسيّد فاليز (Mgr. Fallize) الذي كان اوّل نائب رسوليّ في تلك الدولة بعد انقطاع سلسلة اساقفتها بفعل الاصلاح البروتستانيّ المرحوم. واراد جلالة الملك هاكون ان يشارك الكاثوليك في افراحهم فمنح سيادتهُ وسام القديس ارلاف من رتبة كومندور وذلك بنبأ برقيّ ارسلهُ نصف ساعة بعد عودتهِ الى مملكتهِ وهو راجع من حفلة دفن والدهِ الملك فردريك الثامن ملك دنيمرك. وفي هذه الفرصة افاضت الجرائد والمجلات البروتستانيّة في مديح صاحب اليوبيل ونشرت صورتهُ وكتبت فصولًا اطرأت فيها الكنيسة الكاثوليكيّة ايّ اطراء وسنروي شيئاً من كلامهم في شذراتنا ان شاء الله

وترى فوز الكثلكة في تلك البلاد التي احدى شرائعها كانت سنة ١٨٤٢ الحكم بالموت على كلّ كاهن كاثوليكي يدخلها وبالنفي واستصفاء المال على كلّ علمانيّ يعترف بها

ونضيف الى هذه الاخبار الدينيَّة المفرحة ذكر حفلات اليوبيل الاسقفيّ الفضي لغبطة بطريرك السريان الكاثوليك السيّد اغناطيوس افرام الرحماني فتشكلت لذلك لجنةٌ خاصّة تولّت ترتيب الاحتفال في ٢١ نيسان فتوالت الرتب الدينيَّة الشائقة وعقبتها التهانئ الرسميَّة من ممثلي الكرسي الرسولي والطوائف الكاثوليكيَّة والحكومتين المحليَّة واللبنانيَّة وكان كثيرون من ابنائهِ السريان وغيرهم اهدوا غبطتهُ الهدايا الثمينة التي عُرضت في احدى قاعات الدار البطريركية. ودامت تلك الاعياد ثلاثة ايّام ظهر في اثنائها ما لصاحب اليوبيل في كلّ القلوب من عظم القدر وخلوص الحبّ

وبالاجمال نُعدّ هذه السنة كسنة ميمونة على الدين والكنيسة وفيها خمدت نوعاً تلك الفتن التي كانت الماسونية وانصارها اثاروها لمناهضة ارباب الدين في لبنان وانحاء الشام. وانّما رُزئنا بفقد اسقفين جليلين كانت وفاتهما خطباً اليماً على طائفتهما نريد الطيّب الذكر السيّد جرمانوس معقّد اسقف اللاذقيَّة شرفاً على الروم الكاثوليك الذي خصهُ المشرق بمقالة مطوّلة (١٥: ٤٥٦—٤٦٧) ثناء على اعمالهِ الخيريَّة والسيّد يوسف دياب رئيس اساقفة حلب على الموارنة المعروف بغيرتهِ وتقاه (لهُ بقيَّة)

كتاب العمل بالاصطرلاب

لعليّ بن عيسى

عُني بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

سبق المشرق سنة ١٩٠٠ (٣: ٨٢٤—٨٣٩ و٩٨٣، ٩٨٦) فوصف الآلات الرصديَّة التي اتّخذها العرب لمراقبة الفلك وقياس حركاتهِ. وقد خصَّ هناك حضرة الاب كولنجت بالذكر الاصطرلاب (وكتبوها ايضاً اسطرلاب بالسين) وهو كما يدلّ عليهِ اسمهُ اليوناني آلة لقياس الكواكب الثابتة والسيارات في طلوعها وغروبها وميلها وارتفاعها وغير ذلك من حركاتها التي تعرّف احوال الفلك ليلاً ونهاراً وفي فصول السنة المختلفة. وهذه الادلّة كان سبق الى وضعها

اليونان اوّلاً ثم زاد العرب في تحسينها حتى صارت منسوبةً اليهم وكانت على اشكال منها التام ومنها الكُريُّ ومنها المسطَّح ومنها ربع الاصطرلاب

وممَّن أحسن في تعريف الاصطرلاب الحاجّ خليفة في كتابهِ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون حيث قال (١ : ٣٣٤) : « علم الاصطرلاب علم يبحث فيهِ عن كيفيَّة استعمال آلة معهودة يُتوصَّل بها الى معرفة كثير من الامور النجومية على اسهل طريق واقرب مأخذ مبيَّن في كتبها كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع وسَمْت القبلة وعرض البلاد وغير ذلك او عن كيفية وضع الآلة على ما يبيَّن في كتبهِ وهو من فروع علم الهيئة »

ثم ذكر الحاج خليفة اصل الكلمة من اليونانية الى ان روى الرواية الآتية التي ندوّنها تفكهةً للقرّاء قال : « وقيل انَّ الاوائل كانوا يتَّخذون كُرة على مثال الفلك ويرسمون عليها الدوائر ويقسمونها بالنهار والليل ويصحّحون بها الطالع الى زمن ادريس عليهِ السلام وكان لادريس ابن يسمَّى لاب ولهُ معرفة في الهيئة فبسط الكُرَة واتَّخذ هذه الآلة فوصلت الى ابيهِ فتأمَّلها وقال : من سطَّرهُ ؟ . فقيل : سطَّر لاب . فوقع عليهِ هذا الاسم » . ثم اردف الحاج خليفة : « وقيل انَّ اصلها فارسيّ من استاره ياب اي مدرك احوال الكواكب » والصواب ان الكلمة يونانيَّة كما مرَّ يؤيد ذلك ما قالهُ الحاج خليفة بعد هذا عن واضع الاصطرلاب : « وقيل اوَّل من وضعهُ بطلميوس واوَّل من علَّمهُ في الاسلام ابرهيم بن حبيب الفزاري »

ولقدماء الكتبة عدَّة تآليف في الاصطرلاب معروفة كلها باسم واحد « العمل بالاصطرلاب » ذكر منها صاحب الفهرست لليونان كتاب العمل بالاصطرلاب لثاون الاسكندراني (ص ٢٦٨) وكتاب العمل بالاصطرلاب لأبرُن (ص ٢٦٩) ثم ذكر للعرب كتابين لابي اسحق ابرهيم بن حبيب الفزاري من ولد سمرة بن جُندب وهو اوَّل من عمل في الاسلام اصطرلاباً عملهُ مبطَّحاً ومسطَّحاً . الاول « العمل بالاصطرلاب وهو ذات الحلق » والثاني « العمل بالاصطرلاب المسطَّح » (ص ٢٧٣) . ثم عدَّد غير ذلك من كتب العمل بالاصطرلاب لابي محمَّد ابن عمر بن الفرُّخان ولماشاءالله اليهودي (ص ٢٧٣) ولمحمَّد بن موسى الخوارزميّ (ص ٢٧٤) ولحبش بن عبد الله (ص ٢٧٥) ولغيرهم ايضاً . لكنَّ معظم كتبهم قد فُقد ولعلَّ اقدم ما بقي من الرسائل في العمل بالاصطرلاب الرسالة التي نتولَّى نشرها عن ثلاث نُسخ الواحدة في مكتبتنا الشرقيَّة حديثة والثانية قديمة يقدَّر انها من القرن الثالث عشر هي في آخر مجموع رسالات طبيَّة لدى جناب الدكتور اسكندر افندي البارودي والثالثة في دمشق في مكتبة الملك الظاهر هي قديمة ايضاً تلطَّف جناب الباحث المدقّق حبيب افندي الزيَّات فقابل عليها نسختنا فدوَّن ما بينها من الاختلافات

امَّا المؤلف فلا نكاد نعرف من امرهِ شيئاً . فانَّ في كتب الحكماء كابن القفطي وابن ابي اصيبعة وغيرهما لم تُروَ لهُ ترجمة وانَّما جاء اسمهُ فيها عرضاً والمرجَّح انهُ عليّ بن عيسى الذي ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٢) في باب اسماء الصنَّاع حيث قال : « عليّ بن عيسى غلام المَرْوَرُوذيّ » يريد انهُ اخذ عن احد علماء الفلك الذي عرَّفهُ سابقاً اي عُمر بن محمَّد المروروذيّ مؤلف كتاب صنعة الاصطرلاب المسطَّح . ثم ذكر لعليّ بن عيسى غلامين اخذا عنهُ

وهما احمد ومحمد ابنا خلف . ويقال انهُ كان يتعاطى الطبّ وكان طبيباً للخليفة المعتمد الذي تولّى الخلافة من السنة ٢٥٦ الى ٢٧٩ هـ (٨٧٠-٨٩٢ م) وليس من هذا الكتاب نسخ معروفة الّا نسخة سقيمة كما يظهر مصونة في مكتبة ليدن (Cat. Cod. Or. Lugd. Batav. III, 139-140) ولعلّ في مكتبة الاسكوريال نسخة ثانية منهُ لم نطّلع عليها ذكرها الغزبري (Casiri, n° 972) تحت اسم العمل بالاصطرلاب لعلي بن عيسى الاشبيلي (كذا) وهي في ٢٥ باباً.

وفي مكاتب اوربّة الشرقية كتب غير كتابنا في الاصطرلاب كلها احدث عهداً من كتابنا منها العمل بالاصطرلاب لاصبغ بن محمد الغرناطيّ المتوفّى سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٦ م) ولأمية بن عبد العزيز ابي الصلت الاندلسيّ ٤٦٠-٥٢٩ هـ (١٠٩٦-١١٣٤ م) ولشمس الدين محمد بن النزولي (نحو السنة ٧٤٥ هـ ١٣٤٤ م) ولبهاء الدين العاملي (المتوفّى سنة ٩٥٤ هـ (١٥٤٧ م) وغيرها . ولا نعرف كتاباً في الاصطرلاب نُشر بالطبع قبل كتابنا سوى اختصار علم الاصطرلاب للشيخ ابن الشاط طُبع على الحجر في غرناطة سنة ١٨٨٤ والله اعلم

(90r) بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العمل (١ بالاصطرلاب صنعهُ عليّ بن عيسى المنجم قال: اوّل ما يُحتاج اليهِ من عمل (٢ الاصطرلاب معرفة العضادة ثمّ معرفة اجزاء الارتفاع ثمّ معرفة الحُجرة ثمّ معرفة نطاق البروج ثمّ معرفة المرئيّ ثمّ معرفة المُقنطرات ثمّ معرفة خطوط الساعات ثمّ معرفة مدار السرطان ومدار الحمل ومدار الجدي ثمّ معرفة الكواكب الشماليّة ثمّ معرفة الكواكب الجنوبيّة ثمّ معرفة خطوط الاستواء ثمّ معرفة سمت الرأس ثم اخذ الارتفاع (91r) ثمّ وضع الارتفاع على المقنطرات ثمّ معرفة النظير ثمّ معرفة استخراج الساعات ثمّ معرفة الطالع والغارب ووسط السماء ووتد الارض ثمّ معرفة الساعات المستوية ثمّ معرفة قوس النهار ثمّ معرفة قياس الكواكب الثابتة بالليل ثمّ معرفة رؤية الكواكب الثابتة ثمّ معرفة استخراج ما مضى [من الليل من ساعة (٣ بالكواكب ثمّ معرفة مقدار الليل ثمّ معرفة اجزاء

١) ويروى: الحلّ ٢) ويروى: من علم
٣) ويروى: من النهار ساعة

ساعات النهار وساعات الليل (١ وكم كل واحد منهما من الساعات (٢ المستوية ثمَّ معرفة الساعات المستوية بالليل ثمَّ معرفة مطالع البلاد ثمَّ معرفة مطالع الفلك المستقيم ثمَّ معرفة ارتفاع نصف النهار في كلّ يوم بالقياس [ثمَّ معرفة ارتفاع كلّ برج من البروج في كل اقليم ثمَّ معرفة لرتفاع الكواكب الثابتة في وسط السماء (91r) في كلّ بلد ثم معرفة مقدار نهار الكوكب وليلته (٣ ثمَّ معرفة الكواكب الثابتة في الشمال والجنوب عن سَمت الرأس ثم معرفة الجزء الذي تطلع معهُ الكواكب والجزء الذي يتوسَّط معهُ السماء والجزء الذي يغرب (٤ معهُ ثمَّ معرفة الاوتاد والبيوت الاثني عشر بالاصطرلاب ثمَّ معرفة استخراج درج المطالع من درج السواء ثمَّ استخراج درج السواء من درج المطالع ثمَّ معرفة الساعات اذا عرفتَ الطالع ثمَّ معرفة الطالع اذا عرفت الساعات ثمَّ معرفة اي كوكب شئت ان تعرف ارتفاعهُ من الكواكب الثابتة اذا عرفت الطالع وكذلك اذا اردتَ معرفتهُ من الساعات بالليل او بالنهار (٥ ثمَّ معرفة ارتفاع نصف النهار في كل يوم وفي كلّ بلد اذا عرفتَ جزء الشمس ثمَّ معرفة جزء الشمس اذا عرفت ارتفاع نصف النهار في كلّ بلد ثمَّ (92) معرفة عرض البلاد من ميل جزء الشمس في كل بلد ثمَّ معرفة الميل اذا عرفت ارتفاع نصف النهار في كل بلد (٦ ثمَّ معرفة الميل كله ثمَّ معرفة استخراج السمت من الاصطرلاب

التفسير (٧

امّا (العِضادة) فهي التي تكون في ظهر الاصطرلاب ولها شظيَّتان (٨ فيهما ثُقبتان يُنفَذ بهما اشعاع الشمس (٩ وتُقاس بهما الكواكب

١) ويروى: اجزاء الساعات بالليل والنهار
٢) ويروى: بالساعات
٣) هنا في النسخ تقديم وتأخير دون اختلاف يُذكر
٤) ويروى: يعرف ٥) ويروى: والنهار
٦) ويروى: في كلّ يوم
٧) ويروى: الباب « العَمَل بما وصفنا »
٨) ويروى: شطبتان ٩) ويروى: ارتفاع الشمس

(واجزاء الارتفاع) هي الاجزاء المقسومة في ظهره (١ ومنها [يُعلَم كلّ الارتفاع (٢

(والحُجرة) هي الحلقة المقسومة كلّها بثلثمائة وستين جزءًا وهي محيطة بالصفائح والعنكبوت (٣

(والعنكبوت) هي الشبكة المخرّقة المرسوم [عليها البروج (٤ والكواكب الثابتة

(ونطاق البروج) هو حدّ منطقة البرج الخارج

(المُريّ) هو الزيادة التي تكون في رأس الجدي لتماسّ (٥ الاجزاء التي على الحُجرة

(المُقنطَرات) هي الخطوط المقسومة المتحايقة المرسوم (92ظ) فيما بينها اعداد ما يكون في الاصطرلاب . ان كان سُدُساً فستّة ستّة . وان كان ثُلُثاً فثلثة ثلثة . وان كان نصفاً فجزءين جزئين . وان كان تامّاً فجزء جزء

(وخطوط الساعات) هي الخطوط المتقطّعة القصار المعمولة من مدار رأس السرطان الى مدار رأس الجدي وهي احد عشر خطًّا وفيما بينها مكتوب اثنا عشر جزءًا بعدد الساعات

(مدار رأس السرطان) هي الدائرة اللطيفة من الثلث دوائر التي تقاطعها خطوط الساعات . واذا أُدير (٦ رأس السرطان لزمتها لزوماً مستوياً من حيث ما أدرتَهُ

(ومدار الحَمَل) هي الدائرة الوسطى ويلزمها رأس الحَمَل من حيث ما ادرتَهُ

(ومدار الجَدْي) هي الدائرة التي في جوف (٧ الصفيحة وهي اوسع الدوائر الثلث ويُماسّها رأس الجدي [من حيث ما (٨ أدَرْتَهُ

(والكواكب الشماليّة) هي (93ظ) كلّ ما كان داخلًا في نطاق البروج

(والكواكب الجنوبيّة) كلّ ما كان خارجاً عن نطاق البروج

---

١) ويروى: على ظهر الاصطرلاب
٢) ويروى: يُعرَف الارتفاع كما هو
٣) ويروى: في العنكبوت
٤) ويروى: عليها البروج
٥) ويروى: لقياس
٦) ويروى: اذا ادرتَ
٧) ويروى: في حرف
٨) ويروى: كيف ما

(خطّ الاستواء) هو الخطّ المستقيم الآخذ من المشرق الى المغرب وهو يقطع الصفيحة على استقامة بنصفين ويمرّ على مركزها .

اخذ الارتفاع – النظير

[اذا اردت أنْ تأخذ الارتفاع فعلّقْ الاصطرلاب بيمينك وحرّك العضادة بيسارك حتى يدخل شعاع الشمس من الثقب الاسفل منها (١ . فاذا فعلتَ ذلك نظرتَ الى طرف العضادة الصغير المحدَّد على كم وقع من الاجزاء المرسومة في (٢ ظهر الاصطرلاب [فتبتدئْ بالعدد من الاقلّ الى الاكثر (٣ فما كان فهو ارتفاع الشمس في ذلك الوقت.] وضع الارتفاع على المقنطرات (٤ على مثل العدد الذي خرج لك من الارتفاع فان كان ذلك في اوّل النهار عددتَهُ من المشرق ثمّ وضعتَ جزء (93v) الشمس عليهِ وان كان في آخر النهار عددتهُ من المغرب ثمّ وضعتَ جزء الشمس عليهِ [ونظرتَ الى خطّ الأفق فما وافى من البروج والدرج هو الطالع في ذلك الوقت ان شاء الله (٥

(والنظير) هو الجزء المقابل لجزء الشمس من البرج السابع بعد البرج الذي فيهِ الشمس ويمرّ على الولاء حتى ينتهي الى البرج السابع] من ذلك البرج ومثل العدد الذي انتهت الشمس اليهِ في برجها فذلك موضع النظير (٦

استخراج الساعات (٧

اذا وضعتَ جزء الشمس على مثل الارتفاع الذي وجدتَ فانظر الى النظير (٨

---

١) روت احدى النسخ ذلك مختصرًا بقولها: « اخذُ الارتفاع ان يعلّق الاصطرلاب وتحوّل العضادة حتى ينفذ الشعاع في الثقبين جميعًا »

٢) ويروى: على ٣) ويروى: ويبتدئ من اوّل العدد

٤) ويروى: وان تعدّ في المقنطرات

٥) هذا ناقص في احدى النسخ

٦) ويروى: « ثمّ عدّ من ذلك البرج مثل العدد الذي انتهت اليهِ الشمس في برجها فذلك موضع النظير ان شاء الله »

٧) ويروى: « ما مضى من النهار من ساعة »

٨) ويروى: الى جزء النظير

على ايّ خطّ وقع من خطوط الساعات وعدّ من ابتداء المدّ فالموضع الذي ينتهي اليه وعليه النظير فهو مقدار ما مضى من الساعات (١ وكسورها

استخراج الطالع والغارب وجزء وسط السماء ووتد الارض وخطّهما

اذا وضعت جزء الشمس على مثل الارتفاع الذي وجدت فانظر الى خطّ المشرق وهو اوّل (٢ 94°) خطّ من خطوط المقنطرات من جهة المشرق فما قطع من البروج والدرج فذلك (برج الطالع وجزؤهُ)

وان اردت (جزء الغارب) وهو نظير جزء الطالع [فهو ما قطعهُ خطّ الغارب من البروج والدرج (٢

وان اردت معرفة (جزء وسط السماء) فانظر ما قطعهُ خطّ وسط السماء من البروج والدرج والدقائق فهو جزء وسط السماء

(وخطّ (٣ وسط السماء) هو الخطّ الآخذ من وسط قُطب الاصطرلاب الى الحُجرة حتى يقسم عروة الاصطرلاب بنصفين

وان اردت معرفة (وَتد الارض) فانظر الى ما قطعهُ خطّ وتد الارض من البروج والدرج فهو جزء وتد الارض

(وخطّ وتد الارض) هو الخطّ المتّصل بخطّ وسط السماء الآخذ من وسط الاصطرلاب الى اسفل الارض على استقامةٍ من خطّ (٤ 94°) وسط السماء حتى يقطع الحجرة بنصفَيْن ونصفَ الساعات ايضاً بنصفين

معرفة الساعات المستوية وكسورها

وان اردت معرفة (الساعات المستوية) فضَعْ جزء الشمس على خطّ المشرق وتُعلّم على الموضع الذي يوافيه (٤ رأس الجدي من الحُجرة . ثمّ أدِرْ جزء الشمس حتى تضعَهُ على مثل الارتفاع الذي وجدت . ثمّ انظر الى الموضع الذي وافاهُ رأس الجدي من الحجرة فتُعلّم عليه . ثمّ عُدّ من الموضع (٥ الذي كنت علّمتَ عليه حتى

١) ويروى : من الساعات المعوجّة ٢) ناقص في احدى النسخ
٣) ويروى : ومعرفة خطّ
٤) ويروى : وافاهُ ٥) ويروى : من الموضع الاوّل

ينتهي الى العلامة الأخرى (١ فما كان من العدد فكلُّ خمسة عشر جزءًا ساعة مستوية وما لم يُتمّ خمسةَ عشر فكسور من ساعة مستوية

(95') في معرفة قوس النهار

اذا اردتَ ان تعرف (قوس النهار) فضَعْ جزءَ الشمس على خطّ المشرق ثم تُعلّم على الحجرة في الموضع الذي يوافيه رأس الجدي ثم أدرْ جزء الشمس حتى تضعَهُ على خطّ المغرب ثمّ انظر ما قطعهُ رأس الجدي من العدد الذي حول الحجرة فما كان فهو قوس النهار

قياس الكواكب الثابتة (٢ ومعرفة ما مضى من الليل من ساعة

[اذا اردتَ ذلك فقس ايَّ كوكب شئت من الكواكب الثابتة . وهو ان تعلّق الاصطرلاب ثمّ تنظر في ثُقْبَي العضادة بعين واحدة حتى يتبيّن ذلك الكوكب ثمّ اعرف ارتفاعهُ كما تعرف ارتفاع الشمس (٣

فان اردت معرفة (ما مضى من الليل) فضَعْ رأس ذلك الكوكب على مثل الارتفاع الذي وجدت في المشرق او المغرب ثمّ انظر الى الجزء الذي فيه الشمس من البروج على ايّ خطّ وافى من الساعات فما كان فهو ما مضى من الليل من ساعة (95'). فان اردت الطالع فالجزء الذي وقع على خطّ الطالع (٤ فهو جزء الطالع . وكذلك الجزء الذي وقع على جزء الغارب (٥ فهو جزء الغارب . والجزء الذي وافى خطّ وسط السماء فهو جزء وسط السماء والجزء الذي وافى وتد الارض فهو جزء وتد الارض فاعلم ذلك

---

١) يروى : الثانية

٢) ويروى : الثابتة بالليل

٣) روي هذا التعريف على صورة اخرى في احدى النسخ : « اذا اردت ذلك فانظر ايَّ كوكب اردتَ قياسهُ فعلّق الاصطرلاب بيمينك وحرّك العضادة بيسارك ثمّ انظر بعين واحدة حتى ترى الكوكب من الثقبين جميعًا اللذين في أُذُني العضادة فاذا رأيتَهُ فانظر الى طرف العضادة المحدّد على كم جزء وقع من الارتفاع فما كان فهو ارتفاع ذلك الكوكب الى الجهة التي هو فيها من المشرق او المغرب »

٤) ويروى : على خطّ المشرق ٥) ويروى : على جزء المغرب

في معرفة قوس الليل (١

اذا اردت ذلك فضَعْ جزء الشمس على خطّ المغرب ثمّ علّم على رأس الجدي ثمّ أدِرْ جزء الشمس حتى تضعهُ على خطّ المشرق ثمّ عُدّ من العلامة التي كنتَ علّمتَ عليها الى الموضع الذي انتهى اليهِ رأس الجدي فما كان فهو قوس الليل . فان اردتَ ان تعلم كم هو من ساعة مستوية فاقسم ذلك العدد على خمسة عشر فما كان فهو ساعات الليل المستوية

(96r) معرفة اجزاء ساعات الليل والنهار

اقسم قوس النهار (٢ على اثنتي عشرة ساعة فما كان فهو اجزاء ساعات النهار وان شئتَ وضعتَ (٣ نظيرَ جزء الشمس على خطّ المغرب ثمّ تعلّم على رأس الجدي وتُدير النظير حتى تضعهُ على ساعة (٤ مضت من النهار ثمّ تنظر كم تحوّل (٥ رأس الجدي فما كان فهو اجزاء ساعات نهار اليوم

[فان اردتَ معرفة اجزاء ساعات الليل فضَعْهُ على خطّ المغرب ثمّ تعلّم على رأس الجدي ثمّ أدِرْ جزء الشمس حتى تضعهُ على ساعة ثمّ تنظر كم بين الخطّ والخطّ (٦ فما كان فهو اجزاء ساعات الليل لذلك الوقت . وان شئت قسمت قوس الليل على اثنيْ عشر جزءا فما كان فهو اجزاء ساعات الليل في ذلك الوقت

معرفة مطالع البلاد

(96v) اذا اردت معرفة مطالع البلاد لبُرج [من البروج (٧ فضَعْ اوّل ذلك البرج على خطّ المشرق ثمّ علّم على رأس الجدي ثمّ أطلع البرج الذي تُريد او الجزء

١) ويروى : مدار الليل
٢) ويروى : النهار او الليل
٣) ويروى : فضَعْ . . . . . .
٤) ويروى : على ساعات
٥) ويروى : كم تحرّك
٦) روي في احدى النسخ هكذا : « معرفة اجزاء ساعات الليل . فتمام اجزاء ساعات النهار الى ثلثين فهو اجزاء ساعات الليل فاذا اردت ان تعلم كم هو جزء الشمس فضع جزء الشمس على خطّ المغرب ثمّ علّم على رأس الجدي . . . ثمّ تنظر كم بين العلامة التي علّمتها وبين الموضع الذي انتهى اليهِ رأس الجدي »
٧) ويروى : او لجزء من البروج

الذي تريد من البرج حتى تضعهُ على خطّ المشرق ثمّ تنظر الى العلامة التي كنت علّمت على الحجرة كم بينها وبين الموضع الذي انتهى اليهِ رأس الجدي فما كان فهو مطالع ذلك البرج او الجزء الذي أطلعتَ

معرفة مطالع الفلك المستقيم

ضعْ اوّل ذلك البُرج على خطّ الاستواء ثم علّمْ على رأس الجدي ثمّ أطلع ما تريد مطالعهُ (١ من البروج او اجزاء البروج حتى تضعهُ على خطّ الاستواء كما وضعتَ البرج ثمّ تنظر كم بين العلامة التي كنت علّمت وبين الموضع الذي انتهى اليهِ رأس الجدي من الحجرة فما كان فهو مطالع ذلك البرج [او الجزء من الفلك المستقيم (٢

(97r) [معرفة مطالع الفلك المستقيم من جهة اخرى. وهو ان تضع اوّل البرج الذي تريد مطالعهُ على خطّ وسط السماء ثمّ تعلّم على رأس الجدي ثمّ تدير البرج او الجزء الذي تريد حتى تضعهُ على خطّ وسط السماء ثمّ تنظر كم بين العلامة التي كنت علّمت وبين رأس الجدي فما كان فهو مطالع ذلك البرج في الفلك المستقيم (٣

معرفة ارتفاع نصف النهار

اذا اردتَ ذلك بالقياس فارصد الشمس حتى تنتهي [الى غاية الارتفاع فما وجدت (٤ فهو ارتفاع نصف النهار لذلك البرج (٥ في ذلك البلد . فان اردت ارتفاع رأس برجٍ من البروج في اقليم من الاقاليم فانظر الى مدار ذلك البرج ان كان مما يُخطّ في الصفائح (٦ فما وافاهُ من العدد فهو ارتفاع رأس ذلك البرج في ذلك الاقليم . وان لم يكن مما يُخطّ (97v) في الصفائح فأدِرْ رأس ذلك البرج في ذلك الاقليم حتى تضعهُ على خطّ وسط السماء ثمّ تنظر ما وافى من العدد فهو ارتفاع [ذلك البرج (٧ في ذلك الاقليم

١) ويروى : إطلاعهُ
٢) ويروى : او الجزء من البرج فافهمْ ذلك
٣) كل هذه النقطة ناقصة في احدى النسخ
٤) ويروى : الى غاية ارتفاعها فما وجدتَ من الارتفاع في ذلك الوقت . . .
٥) ويروى : في ذلك اليوم ٦) ويروى : في الصفيحة
٧) ويروى : رأس ذلك البرج

معرفة ارتفاع الكواكب الثابتة في الاقاليم

اذا اردت معرفة ذلك في اقليم من الاقاليم فضع رأس ذلك الكوكب على خطّ وسط السماء ثمّ انظر ما وافى من العدد فما كان فهو ارتفاع ذلك الكوكب في ذلك الاقليم فان اردتَ ان تعلم (١ ارتفاعهُ في الشمال او الجنوب عن سَمْت الرأس فانظر [ان كان فيما بين سمت الرأس ووسط الاصطرلاب فارتفاع ذلك الكوكب في الشمال عن سمت الرأس (٢ وان كان فيما بين سمت الرأس الى رأس الجدي فارتفاع ذلك الكوكب في الجنوب عن سَمْت الرأس في ذلك الاقليم. فان اردت الجزء الذي يطلع مع (٣ الكوكب فضع رأس ذلك الكوكب على خطّ المشرق ثمّ انظر ما وافى خطّ المشرق من البروج والدرج فهو الجزء الذي يطلع مع ذلك (98r) الكوكب ان شاء الله

فان اردت ان تعرف [ما يغرب مع الكوكب (٤ فضع راس ذلك الكوكب على خطّ المغرب ثمّ انظر ما وافى المغرب (٥ من البروج والدرج فهو الجزء الذي [يغرب مع الكوكب (٦ . فان اردت ان تعلم الجزء الذي يتوسّط معهُ ذلك الكوكبُ السماء فضَعْ رأس ذلك الكوكب على خطّ وسط السماء ثم انظر ما وافى خطّ وسط السماء من البروج والدرج فهو الجزء الذي [يتوسّط معهُ ذلك الكوكب السماء (٧

معرفة البيوت (٨ الاثني عشر

اعرف الطالع والغارب ووسط السماء ووَتَد الارض ثمّ أدِرْ جزء (٩ الطالع الى تحت الارض حتى تضعهُ (١٠ على خطّ ساعتين من خطوط الساعات ثمّ انظر ما وافى

١) ويروى: تعرف ٢) هذا كلّهُ سقط من احدى النسخ
٣) ويروى: معهُ
٤) ويروى: الجزء الذي يغرق معهُ ذلك الكوكب
٥) ويروى: خطّ المغرب
٦) ويروى: يغرق معهُ ذلك الكوكب
٧) ويروى: يتوسّط وسط السماء مع الكوكب في ذلك الاقليم
٨) ويروى: اقامة البيوت ٩) ويروى: درجة
١٠) ويروى: تضعها

خطّ وسط السماء (98ᵃ) من البروج والدرج [وهو جزء التاسع (١ ثمّ أدر جزء الطالع ايضاً حتى تضعهُ على خطّ اربع ساعات من الخطوط المرسومة للساعات ثمّ انظر ما وافى خطّ وسط السماء من البروج والدرج فهو جزء الثامن (٢ فاحفظهُ . ثمّ أدر نظير جزء الطالع (٣ حتى تضعهُ على خطّ ساعتين من الخطوط المرسومة للساعات . ثمّ انظر ما وافى خطّ السماء من البروج والدرج فهو جزء الحادي عشر [ونظيرهُ الخامس . ثمّ أدر النظير ايضاً على ساعتين أخريين فما وافى وسط السماء من البروج والدرج فهو جزء الثاني عشر ونظيرهُ السادس فقد قامت لك البيوت الاثنا عشر لانّ الاوّل مثل السابع والثاني مثل الثامن والثالث مثل التاسع والرابع مثل العاشر والخامس مثل الحادي عشر والسادس مثل الثاني عشر فافهم ذلك ان شاء الله (٤ .

معرفة ما يصيب درج السواء من درج المطالع (٥

[اذا اردت ان تعلم ما يصيب درج السواء من درج المطالع (٦ أقصِر رأس الجدي اوّل برج شئت معرفة ذلك منه (٧ على خطّ المشرق ثمّ علّم على رأس الجدي وأدر (٨ العنكبوت حتى ينتهي الجزء الذي (99ᵃ) اردت ثمّ انظر كم جزء [تحوّل من رأس الجدي (٩ فما كان فهو ما يصيب درج السواء من درج المطالع . فان اردت ان تعلم ما يصيب (١٠ درج السواء فضع رأس الجدي في اي موضع اردت من الحجرة وتعلّم (١١ عليه . وانظر الى خطّ المشرق ما قطع من البروج

١) ويروى : فذلك جزء التاسع ونظيرهُ الثالث
٢) وزاد في احدى النسخ : ونظيرهُ الثاني
٣) وفي احدى النسخ زاد : وهو جزء الغريب
٤) هذا مختصر في احدى النسخ هكذا : « ثمّ أدر النظير حتى تضعهُ على خطّ اربع ساعات ثم انظر ما وافى خطّ وسط السماء وهو الثاني عشر ثمّ كل بيت يلقى نظيرهُ »
٥) ويروى : « تحويل درج السواء الى درج المطالع »
٦) ناقص في احدى النسخ
٧) ويروى : اجعل رأس اي برج اردت معرفة ذلك منهُ
٨) ويروى : ثمّ أدر
٩) ويروى : تحرّك رأس الجدي من الحجرة
١٠) ويروى : يكون ١١) ويروى : ثم علّم

والدرج فاحفظهُ. ثمَّ أدر رأس الجدي بقدر ما تريد من درج المطالع ثمَّ انظر الى خطّ المشرق ما قطع من البروج والدرج فهو ما يصيب درج المطالع من درج السماء.

واذا عرفت الطالع واردت ان تعلم ما مضى من النهار من ساعة فانظر الى نظير جزء الشمس على اي خطّ وقع من الساعات فهو ما مضى من النهار من ساعة وكسر ساعة . واذا عرفت الطالع واردت معرفة الارتفاع منهُ فانظر الى جزء الشمس على ايّ خطّ [وافت من المقنطرات (١ (°99) فهو الارتفاع في ذلك البلد وفي ذلك الوقت . واذا علمتَ ما مضى من النهار من ساعة واردتَ ان تعلم الطالع فضَعْ نظير جزء الشمس على ما مضى من النهار من الساعات (٢ ثمَّ انظر الى خطّ المشرق ما قطع من البروج والدرج فهو جزء الطالع

فاذا علمتَ ما مضى من النهار من ساعة واردتَ ان تعلم كم الارتفاع فضع نظير جزء (٣ الشمس على ما مضى من النهار من الساعات ثمَّ انظر الى جزء الشمس [اي جزء وافى من العدد (٤ فهو الارتفاع في ذلك الوقت . [واذا عرفتَ الطالع بالليل واردت ان تعلم ارتفاع كوكب من الكواكب الثابتة (٥ فضع جزء الطالع على خطّ المشرق ثمَّ انظر الى رأس ذلك الكوكب ما وافى من العدد فهو ارتفاع ذلك الكوكب

واذا عرفت ما مضى (°100) من النهار والليل من ساعة واردت ان تعرف ارتفاع كلّ كوكب من الكواكب الثابتة من الساعات فان كان ذلك من الليل فضع جزء الشمس على ما مضى من الساعات ثمَّ انظر الى رأس ذلك الكوكب ما وافى من العدد [فهو ارتفاعهُ وان كان نهارًا خالفت ذلك ان شاء الله (٦ . وان

١) ويروى : وَقَعَ المقنطرات ٢) ويروى : من ساعة
٣) ويروى : درجة
٤) ويروى : اي جزء المقنطرات التي تشاكل العدد
٥) ويروى : واذا اردت معرفة ارتفاع كوكب من الكواكب الثابتة من الطالع
٦) يروى فقط : فهو ارتفاع ذلك الكوكب

اردت ان تعرف (١ ارتفاع نصف النهار في كلّ يوم فضع جزء الشمس على خطّ وسط السماء في الاقليم الذي تريد ثمّ انظر ما وافاهُ من العدد فما كانَ فهو ارتفاع نصف النهار في ذلك اليوم

فان اردت ان تعرف جزء الشمس وقد علمت ارتفاع نصف النهار فانظر الى الربع الذي فيهِ الشمس (٢ من ارباع السنة فان كنت في الربيع فأدِرْ الربع الذي من رأس الحمل الى آخر الجوزاء على خطّ وسط السماء ثمّ انظر اي جزء وافى ذلك الارتفاع الذي قسّتهُ فهو موضع (400°) الشمس في ذلك اليوم . وان كنتَ في الصيف فأدِر الربع الذي من رأس السّرطان الى آخر السنبلة ثمّ انظر ايّ جزء وافى مثل ذلك العدد (٣ موضع الشمس . وان كنت في الخريف فأدر الربع الذي من رأس الميزان (٤ الى آخر القوس ثمّ انظر ايّ جزء وافاهُ من العدد في مثل ذلك الارتفاع وهو موضع الشمس . وان كنتَ في الشتاء فأدر الربع الذي من رأس الجدي الى آخر الحوت ثمّ انظر ايّ جزء وافى مثل ذلك العدد فهو موضع الشمس

معرفة عَرض البلاد من ارتفاع الكواكب

وهو ان تقيس ايّ كوكب شئت من الكواكب التي هي قريبة من القطب في غاية ارتفاعهِ ثمّ قِسْه في غاية انحطاطهِ (٥ ثمّ خذ ما بين الارتفاعين (101°) ورُدّ (٦ نصفهُ على الاقلّ او انقصهُ من الآخر الاكثر فما بلغ او بقي فهو عَرض ذلك البلد . واذا اردت ان تعرف عرض الاقليم من قبل جزء الشمس فانظر كم ارتفاع رأس الحمل او الميزان في ذلك الاقليم فأنقصهُ من تسعين فما بقي فهو عرض ذلك الاقليم

---

١) ويروى : واذا اردت معرفة

٢) ويروى : اذا اردت معرفة جزء الشمس من قبل الارتفاع وقد عرفت الارتفاع فانظر في اي ربع انت . . .

٣) ويروى : مثل عدد الارتفاع

٤) ويروى : من اوّل الميزان

٥) ويروى : انخفاضه

٦) ويروى : وزد

معرفة ميل الشمس (١

واذا عرفت ارتفاع نصف النهار واردت ان تعلم كم مَيْل الشمس في ذلك اليوم فانظر فان كان الارتفاع اكثر من ارتفاع رأس الحمل فألقِ منهُ ارتفاع رأس الحمل فما بقي فهو قدْر المَيْل في ذلك اليوم. وان كان الارتفاع اقلّ من ارتفاع رأس الحمل فألقِه من ارتفاع رأس الحمل فما بقي فهو المَيْل في ذلك اليوم. وان اردتَ ان تعلم كم المَيْل كلهُ فانظر كم ارتفاع (101ظ) رأس الحمل ثمَّ انظر كم ارتفاع رأس الجدي او رأس السرطان فما كان بينهما من العدد فهو قدْر الميل كلّه

وان اردتَ ان تعرف السَّمت (٢ فخذ الارتفاع ثمَّ ضَعْ جزء الشمس على ميل الارتفاع الذي اصبت آ من جهته (٣ فان فعلت ذلك فانظر ما وافى جزء الشمس من الخطوط المرسومة للسمت آ فما كان (٤ فهو السمت في الوقت الذي اخذتَ لهُ القياس. وان كان العدد الذي أصبتَ آخذاً من مشرق الاستواء آ اي تحت الارض فالسمت بين مشرق الاستواء (٥ الى الشمال. وان كان العدد آ الذي اصبت (٦ آخذاً من مشرق الاستواء الى وسط السماء فالسَّمت فيما بين مشرق الاستواء والجنوب. وان كان السمت الذي اصبت فيما بين وسط السماء الى مغرب الاستواء فالسمت فيما بين الجنوب ومغرب الاستواء. وان كان (102ظ) السمت فيما بين مغرب الاستواء الى تحت الارض فالسمت فيما بين مغرب الاستواء والشمال. فليكن استعمالك السمت اذا اردت استعماله والاستخراج به خطّ نصف النهار على هذه الجهة. وخطّ مشرق الاستواء من خطوط السمت هو الخطّ آ الفاصل فيما بين (٧ السَّراوَيْن من المشرق وخطّ مغرب الاستواء من المغرب هو الخط الفاصل فيما بين (٧ السَّراوَيْن ايضاً

١) ويروى فقط: « معرفة الميل »
٢) زادت احدى النسخ: بالاصطرلاب
٣) ويروى: من جهة المشرق او المغرب
٤) ويروى: فما كان من عدد
٥) هذا سقط من احدى النسخ
٦) ويروى: الذي اخذتَ للسمت
٧) ويروى: الفاصل بين

(١ معرفة قوس نهار كلّ درجة وقوس ليلها

اذا اردت ان تعرف قوس نهار كل درجة وقوس ليلهـا وهو ما يدور من الفلك من وقت طلوع ذلك الجزء الى وقت غروبهِ فضَعْ ذلك الجزء عـلى افق المشرق واعرف موضع رأس الجدي من اجزاء الحجرة ثمَّ أدِرْ ذلك البرج حتى يقوم على قوس المغرب ثمَّ انظر كم زال (102°) رأس الجدي عن موضعهِ الذي كان فيهِ من اجزاء الحجرة فما كان فهو قوس نهارهـا . وان اردت قوس الليل فأنقص قوس النهار من ثلثمائة وستين فما بقي فهو قوس الليل

معرفة كلّ كوكب يكون ظاهرًا عند ساعات معلومة تمضي من الليل

عليك ان تضع درجة الشمس على ما مضى من الليل من ساعـة ثمَّ تنظر الى طرف الكوكب الحادّ هل وقع على شيء من المقنطرات ام لا فان وقع على عدد المقنطرات فالتي وقع عليها هو ارتفاعهُ . وان لم تقع على شيء منها فليس بظاهر في ذلك الوقت . ومعرفة الطالع بالفلك المستقيم من الطالع ببلدك ان تعلم ان الطالع الذي يخرج لك بما اصف من العمل انّمـا هو الطالع بالفلك (103°) المستقيم في الموضع الذي طولهُ وطول بلدك فيهِ من الارض سواء . ثمَّ ضع درجة الطالع ببلدك على قوس المشرق ثمَّ انظر الى خطّ مشرق الفلـك المستقيم ايّ جزء قطع من فلك البروج فهو الطالع بالفلك المستقيم

معرفة الطالع بايّ بلد شئت من الطالع ببلدك

اذا كان بلد طولهُ من القبّة مثل طول بلدك وعرضهُ مخالفة لعرض بلدك وان اردت ان تعرف من الطالع ببلدك الطالع بالبـلد الآخر فاعرف مَن الطالع ببلدك الطالع بالفلك المستقيم ثمَّ اعمد الى الصفيحة المعمولة لميل عرض البلد الذي تريد ان تعرف الطالع فيهِ فضع الطالع الذي يخرج لك بالفلك المستقيم على خطّ مشرق الفلك المستقيم من هذه الصفيحة ثمَّ انظر الى قوس المشرق (103°) من هذه الصفيحة ايّ جزء قطع من منطقة البروج فهو الطالع في ذلك البلد

---

١) من هنا الى آخر الرسالة ناقص في نسخة مكتبة دمشق

معرفة درجة الشمس من ارتفاع نصف النهار

اذا اردت ذلك فاعرف ارتفاع الشمس في ذلك اليوم في خطّ نصف النهار واعرف في اي نصفَي الفلك الشمس هي أفيما بين اوّل السرطان الى آخر القوس ام فيما بين اوّل الجدي الى آخر الجوزاء . ومعرفة ذلك ان تنظر فان كان ارتفاع نصف النهار جنوبيًّا والارتفاع يزيد في كلّ يوم فالشمس فيما بين اوّل الجدي الى آخر الجوزاء . وان كان الارتفاع جنوبيًّا وهو ينقص في كلّ يوم (104') فانها في النصف الآخر من الفلك . وان كان ارتفاع نصف النهار شماليًا والارتفاع ينقص في كلّ يوم فالشمس فيما بين اوّل الجدي الى آخر الجوزاء . وان كان الارتفاع شماليًا وهو يزيد في كل يوم فالشمس فيما بين اوّل السرطان الى اجزاء القوس . واذا عرفت هذا فاعمد الى الصحيفة المعمولة لمثل عرض بلدك وأدِرْ بروج نصف الفلك الذي فيه الشمس على خطّ نصف النهار فايّ اجزاء البروج وافق من المقنطرات من ارتفاع نصف النهار فهو موضع الشمس

في معرفة درجات ممرّ الكواكب الجارية

اعلم انّ زُحل والمشتري والمرّيخ والقمر توجد في خطّ نصف النهار ويستطاع (140') معرفة درجات ممرّها في الوجه الذي اصدر (؟) . فامّا الزهرة وعطارد فلا يوجدان (١ في خطّ نصف النهار في البلاد المسكونة من الارض . فاذا اردت ان تعرف درجات ممرّ [(٢] في خطّ نصف النهار فارصد الكوكب حتى يصير في خطّ نصف النهار وقس [٣] كوكب من كواكب الاصطرلاب في ذلك الوقت واعرف من ارتفاع الكوكب درجة [٤] ففيه درجة ممرّ الكواكب ومعرفة درجات ممر الكواكب التي في الاصطرلاب ان تضع طرف الكوكب الحادّ على

---

١) ويروى : يؤخذان
٢) وقع شيء من الاصل ولعلّ التتمّة قوله : ممرّ كوكب من الكواكب الجارية
٣) هنا ايضًا وقع كلمة او كلمتان من الاصل لعلّه : وقس طيو كل كوكب
٤) كذا وفي الاصل بياض

خطّ نصف النهار ثمّ لنظر الى خطّ نصف النهار ايّ جزء قطع من فلك البروج فهو درجة ممرّ الكوكب

تمّ كتاب العمل بالاصطرلاب.» وجاء في نسخة دمشق: تمّت اعمال الصفيحة الافاقيه (؟) وسائر اعمال الاصطرلاب والله الموفق للصواب»

ملحق برسالة العمل بالاصطرلاب

تتمّةً للافادة ننقل هنا فصلًا من كتاب مفاتيح العلوم لابي عبدالله محمّد الخوارزميّ الذي نشرهُ في ليدن المستشرق المرحوم ڤان ڤلوتن سنة ١٨٩٥ عنوانهُ « في آلات المنجمين » ذكر فيهِ الأصطرلاب وما يتوط بهِ قال (ص ٢٣٣—٢٣٤)

الأصطُرلاب معناهُ مقياس النجوم .... (الأصطرلاب التامّ) هو المعمول لدرجةٍ درجةٍ . (والنصف) هو المعمول لدرجتين درجتين. (والثُلث) هو المعمول لثلاث درج ثلاث درج . (والسُدس) هو المعمول لست درج ستّ درج . (والعُشر) هو المعمول لعشر درج عشر درج. فاما (الرُبع) فانهُ آلة غير الاصطرلاب على شكل رُبع دائرة يؤخذ بهِ الارتفاع وتُستخرج الساعات . (العِضادة) شبه مسطرة لها ظبيتان تسميان اللِبنتين وفي وسط كلّ لِبنة ثُقبة وتكون هذه العضادة على ظهر الاصطرلاب وبها يؤخذ ارتفاع الشمس والكواكب. (الحُجرة) هي الحلقة المحيطة بالصفائح الملصقة بالصفيحة السُفلى وقد تكون مقسومة بثمانية وستين قسماً . (الأمّ) هي الصفيحة السُفلى. (العنكبوت) هي الشبكة التي عليها البروج والعظام من الكواكب الثابتة. (منطقة البروج) في العنكبوت هي المقسومة بدرج البروج . (المُريّ) زيادة عند رأس الجدي يُماسّ الحجرة ويُسمّى مريّاً لانهُ يُريّ اجزاء الفلك . (المُقنطرات) هي الخطوط المقوّسة المتضايقة المرسومة فيما بينها اعداد درج الارتفاع في الصفيحة وفوقها يجري العنكبوت . (خطوط الساعات) هي الخطوط المتباعدة وهي تحت المقنطرات . (خطّ الاستواء) هو الخطّ المقسوم الآخذ من المشرق الى المغرب المارّ على مركز الصفيحة . (خطّ نصف النهار) هو الخطّ الذي يقطع خطّ الاستواء على زوايا قائمة وابتداؤهُ من العروة . (الاصطرلاب الكُريّ) هو كُرة فوقها نصف كرة مشبكة بمنزلة العنكبوت من الاصطرلاب المسطّح . (الفَرَس) هو قطعة شبيهة بصورة الفرس يُشدّ بها العنكبوت على الصفائح . (القُطب) هو الوَتد الجامع للصفائح والعنكبوت . (انواع الاصطرلابات) كثيرة واسامها مشتقّة من صورها كالهلالي من الهلال والكُريّ من الكُرة والزَورقي والصَدَفي والمُسرطَن والمبطّح واشباه ذلك. (آلات الساعات) كثيرة فمنها الطَرجهارة. ومنها ديّة الساعات ومنها الرُخامة ومنها المُكحلة (راجع المشرق ١٠: ٧٥) ومنها اللَوح . (وذات الحلق) هي حلق متداخلة يُرصد بها الكواكب. (الكُرة) معروفة من آلات المنجمين وبها تُعرف هيئة الفلك وصور الكواكب وتسمّى ايضاً (البَيضة)

يحيى النحوي . من هو ومتى كان ؟

حل مشكل تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

قياماً بوعدنا في العدد السابق نتقدم على درس مسألة حارت فيها عقول الكتبة المحدثين ولعلّهم زادوها تعقّداً بابحاثهم وهي مسألة يحيى النحويّ الذي روى عنهُ المؤرخ المسلم جمال الدين القفطيّ (راجع المشرق ١٣ : ٩٥٧) انّهُ ادرك ايّام العرب وفتحهم لمصر وانهُ دخل على عمرو بن العاص اميرهم فسألهُ ان يجود عليهِ بخزائن كتب اليونان التي جمعها بطليموس المعروف بفيلاذلفوس فاستشار عمرو في امرها الخليفةَ عمر بن الخطّاب فتقدّم بحرقها بانياً حكمهُ على برهان ذي حدّين « فامّا انّها توافق كتاب الله ففيهِ عنها غنًى وامّا فيها ما يخالفهُ فلا حاجة اليها »

فهذه الرواية قد سبق لنا البحث في صحّتها دون القطع بها في ردودنا على محمّد طاهر التنير كاتب مجلّة الكوثر (راجع المشرق ١٤ : ١٥٨ و٢٩٩ ولا سيّما ٣٨٨) وابرزنا الادلّة التي تؤيّدها مع ذكر الحجج التي من شأنها ان تنفيها او تضعفها . وكان اخصّ الاسباب الموجبة لريبنا انّ العلماء يشكّون في كون يحيى النحوي عاش الى ايّام العرب لانّهُ لو ادرك زمانهم لكان بلغ نيفاً و١٦٠ سنة وهذا ممّا يندرُ جدًّا ولا يصحّ القول بهِ الّا اذا اثبتتهُ الاسانيد الصادقة . ومن ثمّ انكر كثيرون صدق هذه الرواية وعدّوها من الخرافات ونسبوها اوّلاً الى ابن العبريّ زاعمين انّ التعصّب الديني حدا بهِ الى روايتها في كتابه مختصر تاريخ الدول . وقد بيّنّا في مقالاتنا السابقة انّ المسلمين سبقوهُ الى ذكرها وروَوا للعرب من حرق الكتب واتلافها في بلاد اخرى ما يؤيّد خبر حريق مكتبة الاسكندريّة . ومهما كان من الامر بقي المشكل التاريخيّ بصدد يحيى النحويّ فتُرى من هو ؟ ومتى عاش ؟ وهل ادرك الفتح الاسلاميّ لمصر حتى عرفهُ عمرو بن العاص ؟

فالجواب عن هذه الاسئلة يقضي بمراجعة كلّ ما كُتب عن يحيى النحوي وما رواهُ قدماء المؤرخين عن وجدانهِ وترجمة حياتهِ وتآليفهِ

وما ينبغي بادئ بدءٍ التنبيه اليهِ انّ الكتبة اليونان لم يذكروا احدًا باسم يحيى

النحوي وانّما ذكروا باليونانيّة رجلًا شهيرًا باسم يوحنّا فيلوبونوس ὁ Ἰωάννης Φιλόπονος » ومعناهُ « يوحنّا الحريص على الشغل » وقد دعوهُ ايضاً بيوحنّا الغراماطيقيّ « ὁ Γραμματικός Ἰωάννης » وكذلك السريان كيوحنّا الأسيوي وميخائيل الكبير وابن العبريّ دعوهُ يوحنّا او يوحنان فيلوفونس ويوحنان غرامطيقوس (ܝܘܚܢܢ ܦܝܠܘܦܘܢܘܣ ܕܩܪܡܛܝܩܘܣ) . وهذا ما يذكرون عنهُ قالوا انَّ يوحنّا فيلوبونس كان اصلهُ من مدينة الاسكندريَّة واحد تلامذة الفيلسوف أمونيوس بن هرمياس الذي ازهر في اواخر القسم الثاني من القرن الخامس وكان يعلّم في الاسكندريَّة نحو السنة ٤٨٠ وعاش الى اوائل القرن السادس. فانصبَّ يوحنّا على علوم اليونان حتى برع في كتب ارسطو وافلاطون والَّف في الفلسفة كتباً عديدة تشهد لهُ بطول الباع صبر بعضها على آفات الدهر فنُشرت طبعاً في البندقيَّة من ذلك شروحهُ على كتب ارسطاطاليس في انالوطيقا (طُبع سنة ١٥٠٤) وفي النفس (سنة ١٥٣٥) وفي ولادة الحيوانات (سنة ١٥٢٦) وكتاب الظواهر (سنة ١٥٥١) وكتاب فيزيكا او الطبيعيَّات (سنة ١٥٢٧) وتفسيرهُ على كتاب الفيلسوف نيكوماخس في الحساب ولهُ ردّ في ١٨ كتابًا على الفيلسوف الوثني بروكلوس في حدوث العالم طُبع سنة ١٥٣٥ ونُقل الى اللاتينيَّة فطبع في ليون سنة ١٥٥٧ ولهُ ردّ آخر على الفيلسوف جامبليك في نفي الاصنام

وهذه الكتب التي ذكرها اليونان عرفها العرب وعدَّدها ابن النديم في الفهرست بل ذكر غيرها ايضاً كما سترى وهو هناك يدعو يوحنّا فيلوبونس بيحيى النحويّ كأنهُ ترجم الى العربيَّة الاسم اليونانيّ السابق ذكرهُ فروى (ص ٢٤٩) انهُ فسَّر كتابي ارسطو المعروفين بانالوطيقا الاولى والثانية وكتاب باري ارمنياس وكتاب السماع الطبيعيّ (ص ٢٥٠) وكتاب الكون والفساد (ص ٢٥١) قال ابن النديم : « شرح تامّ والعربيّ دون السرياني في الجودة». وكتاب الثاني عشر مسئلة التي نقضها يحيى النحوي على بروقلس (٢٥٣) واردف ابن النديم : « ذكر يحيى النحويّ في المقالة الاولى من النقض عليهِ انهُ كان في زمان دقلطيانوس القبطيّ بل على رأس ثلثمائة ملكهِ هذا صحيح » . وكتاب في ان كلّ جسم متناهٍ فقوَّتهُ متناهية مقالة وكتاب الردّ على ارسطاليس (كذا) ست مقالات . وكتاب ما بال لارسطاليس

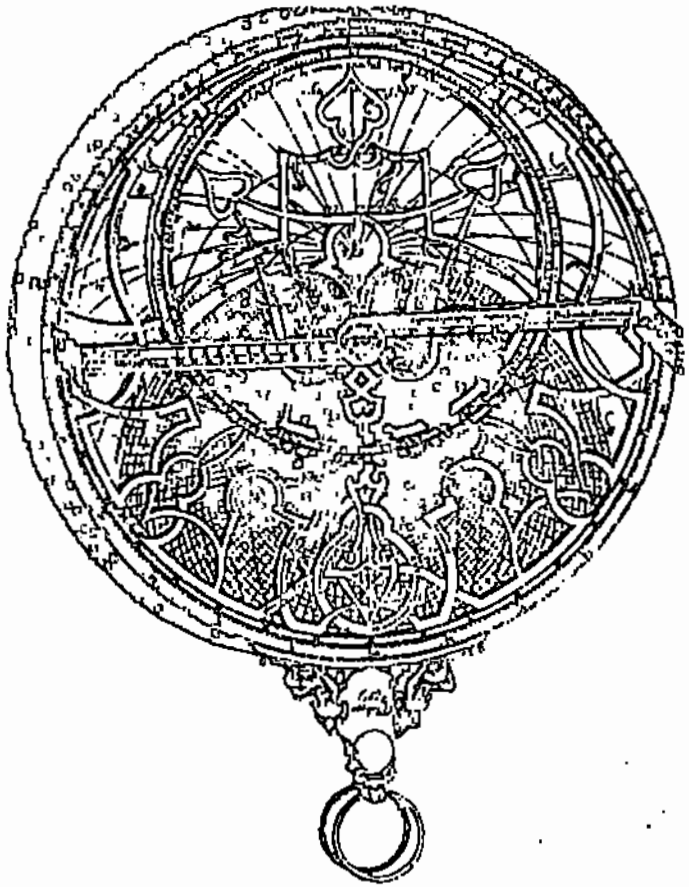

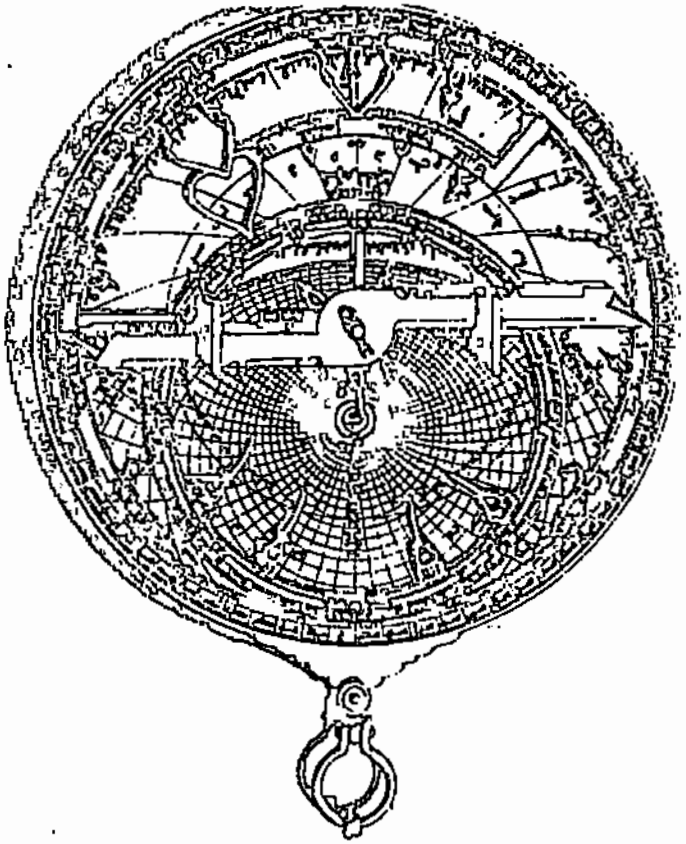

(ص ٢٥٤) . وكتاب تفسير اعضاء الحيوان (ص ٢٦٤) .

فكلّ هذه كتب فلسفيّة كتبها يوحنّا فيلوبونوس باليونانيّة وذكرها بعد ابن النديم جمال الدين ابن القفطيّ في تاريخ الحكماء (٣٥٦)

ومما يستفاد من كتبة اليونان والسريان والعرب عن يوحنّا المذكور انّهُ كان يعقوبيّ النحلة كما ورد في تاريخ يوحنّا الاسيوي وميخائيل الكبير والتاريخ الكنسيّ لابن العبريّ. قال ميخائيل (ص ed. Chabot . II, 244): «وفي هذا الزمان (اي نحو ٥٥٠ للمسيح) عُرف يوحنّا فيلوبونس». ثمّ روى (ص ٢٥٥) كيف اتّبع بدعة القائلين بانّ في الله تعالى فضلًا عن الاقانيم الثلاثة ثلاثة جواهر وطبائع مختلفة وهي البدعة المعروفة بالمثلّثين (Tritheisme) التي كان ابتدعها يوحنّا المعروف باسقصناغيس (ܐܣܩܘܢܐܓܝܣ) فحُرم بسببها وقد وقعت كتبهُ في ايدي يوحنّا فيلوبونوس فألّف فيها كتاباً ليدافع عن تعاليمها. فلمّا عرف به الاسكندريون حرموهُ كما حرمهُ رؤساء اديرة بلاد العرب نحو السنة ٥٧٣ (المشرق ١٥: ٣٠٧)

وما رواهُ هنا الكتبة اليونان والسريان عن بدعة يوحنّا فيلوبونوس اثبتهُ ايضاً العرب قال ابن النديم (ص ٢٥٣):

«كان يحيى تلميذ ساواري وكان اسقفاً في بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبيّة ثم رجع عمّا يعتقدهُ النصارى في التثليث فاجتمعت الاساقفة وناظرتهُ فغلبهم واستحقّتهُ وآنستهُ وسألتهُ الرجوع عمّا هو عليهِ وترك اظهاره فاقام على ما كان عليهِ وابى ان يرجع فاسقطوهُ»

ومثلهُ روى جمال الدين ابن القفطيّ مع بعض اختلاف في الرواية (قال ص ٣٥٤):

«يحيى النحويّ المصري الاسكندراني تلميذ شاواري كان اسقفاً في كنيسة الاسكندريّة بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبيّة ثم رجع عمّا يعتقدهُ النصارى في التثليث لما قرأ كتب الحكمة واستحال عندهُ جعل الواحد ثلثة والثلثة واحداً ولمّا تحقّقت الاساقفة بمصر رجوعهُ عزّ عليهم ذلك فاجتمعوا اليهِ وناظروهُ فغُلب وزيّف طريقهُ فعزّ عليهم جهلهُ واستحقّوهُ وآنسوهُ وسألوهُ الرجوع عمّا هو عليهِ وترك اظهار ما تحقّقهُ وناظرهم عليهِ فلم يرجع فاسقطوهُ عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت»

وقال ابن العبري ملخّصاً ذلك في كتاب مختصر تاريخ الدول (ص ١٧٥):

« وفي هذا الزمان اشتهر بين الاسلاميين يحيى المعروف عندنا بنرماطيقوس اي النحويّ وكان اسكندريًا يعتقد اعتقاد النصارى اليعقوبيّة ويشيد عقيدة سلوري . ثم رجع عمّا يعتقده النصارى في التثليث فاجتمع اليه الاساقفة بمصر وسألوه الرجوع عمّا هو عليه فلم يرجع فاسقطوه عن منزلته »

فكلّ هذه النصوص متناصرة في ايضاح امر ثانٍ من امور يوحنّا فيلوبونوس اي تشيّعهُ لليعقوبيّة ثمّ انتصارهُ لبدعة جديدة في الثالوث الاقدس اذ قسم الثالوث ونسب الى جوهرهِ الوحيد ما لا يصحّ الّا على اقانيمهِ عزّ وجلّ . وقد عدّد كتبة اليونان والسريان والعرب انفسهم التآليف التي وضعها في آرائهِ الدينيّة . فبعضٌ منها مستقيمة الرأي كتآليفهِ في ستّة أيام الخليقة الذي ذكرهُ فوطيوس في مكتبتهِ الشهيرة (Bibl. Photii, cod. 43 et 240) وكتابهِ في الفصح . وكتابهِ في الردّ على تاودورس المصيصي (Id. ap. Migne, 8a, 9b) ولعلّهُ الكتاب الذي دعاهُ صاحب الفهرست (ص ٢٥٤) بالردّ على نسطوس . وبعضها منافٍ للتعاليم الصحيحة ككتابهِ عن الثالوث الاقدس الذي ذكرهُ القديس يوحنّا الدمشقي في مقالتهِ عن البدع (Migne, P. G. t. 94, p. 743) وكتابهِ ضد المجمع الخلقيدونيّ (Photius, cod. 55 et 75) وكتابهِ في قيامة الاجساد (Id. cod. 21)

هذا ما شاع من امر يوحنّا فيلوبونوس واتّفق فيهِ تقريباً اليونان والسريان والعرب الّا في قول العرب بانّهُ « كان اسقفاً » ولم يقل بهِ احد غيرهم . ومما تفرّدوا بهِ قولهم بانّهُ عاش الى زمن فتح مصر وعرف فاتحها عمرو بن العاص قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٥٤) : « وعاش (اي يحيى النحويّ) الى ان فُتحت مصر على يدي عمرو بن العاص فدخل اليهِ واكرمهُ ورأى لهُ موضعاً » . وقال جمال الدين ابن القفطيّ (ص ٣٥٤) : « وعاش (اي يحيى النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندريّة ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلم واعتقادهُ فلازمهُ وكان لا يكاد يفارقهُ » الى آخر ما رويناهُ سابقاً في الشرق (١٣ : ٩٥٧) من قصّة مكتبة الاسكندريّة وحريقها . فليُراجع . ومثلهما قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ١٧٥) : « وعاش الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندريّة ودخل على عمرو . . . » الى آخر ما هناك وهو ملخّص عن ابن القفطي بلا مراء

ويستعمل ابن العبري نفس عباراته . والعجب انّ ابن العبري لم يروِ هذا الخبر في تواريخه السريانيّة الكنسيّة والمدنيّة التي طبعها العلماء ابلوس (J. B. Abbeloos) ولامي (T. J. Lamy) وبيجان اللازاريّ ما يدلّ على انّ ابن العبري لم يجد شيئاً من ذلك في كتب السريان

هذا وقد تفرّد العرب عن اليونان والسريان في امر آخر وهو ذكرهم كتاباً في التاريخ ليوحنّا النحويّ رووا منهُ بعض قطع منها نبذة رواها ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٦) تحت هذا العنوان « ذكر اوّل من تكلم في الطبّ » اوّلها : « على رأي يحيى النحوي وجد في تاريخه على الولاء رئاسة الى ايّام جالينوس ثمانية الخ » واتبعها بسرد اسماء الاطبّاء . وبعد ان روى كلاماً عن « غير كلام يحيى » قال (ص ٢٨٧) : « رجعنا الى كلام يحيى » فذكر قوله عن جالينوس وبقراط . وفي الصفحة (٢٨٩) منهُ قال : « ومنذ وفاة جالينوس الى عهدنا هذا على ما اوجبهُ الحساب الذي ذكرهُ يحيى النحوي واسحاق بن حنين بعدهُ تسع مائة سنة » ثمّ نقل عن تاريخ يحيى النحويّ ما كتبهُ في مدح ذياسقوريدس . وكذلك ابن القفطيّ نقل شيئاً من التاريخ المنسوب الى يحيى النحوي (ص ١١—١٢) في ذكر اوّل من اظهر الطبّ ثمّ نقل (ص ٩٢) ما ورد من ذلك في الفهرست بحرفهِ دون التنبيه اليه كما اثبتنا ذلك في ما نقلهُ عن ابي قاسم صاعد الاندلسيّ في كتاب طبقات الامم . وكذلك نقل عن الفهرست (ص ١٨٣) ما رواهُ ابن النديم عن تاريخ يحيى النحوي في مدح ذياسقوريدس

وكما تفرّد العرب عن سواهم من السريان واليونان في نسبة التاريخ ليوحنّا النحويّ كذلك نسبوا اليهِ دون غيرهم تشاغلهُ بالطبّ فقال ابن النديم (ص ٢٥٥) :

« ولهُ (اي ليحيى النحويّ) تفسير لبعض من كتب جالينوس في الطبّ . . . قال وذكر يحيى في المقالة الرابعة من تفسيرهِ لكتاب السماع الطبيعيّ كلاماً في الزمان فضرب مثالاً قال فيهِ « مثل سنتنا هذه وهي سنة ثلث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي » فهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحوي ثلثمائة سنة ونيّف ويجوز ان يكون فسّر هذا الكتاب في صدر عمرهِ لانهُ كان في ايّام عمرو بن العاص »

وقد نقل جمال الدين ابن القفطيّ (ص ٣٥٦) كجاري عادتهِ هذا الكلام عن

الفهرست دون التنبيه الى اصلـه . لكنهُ اتبعهُ بفصل غريب عن يحيى النحويّ نرويهِ هنا بحرفهِ (ص ٣٥٦—٣٥٧) وهو قد نقلهُ عن تاريخ ضاع اليوم لعبيدالله ابن بختيشوع قال :

« وذكر عُبَيْد الله بن جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب انّ اسم يحيى ثامسطيوس (١ قال وكان قوياً في علم النحو والمنطق والفلسفة . . . قال وإن كان (يعني يحيى) قد فسّر كتباً كثيرة من الطبيّات فلقوّته في الفلسفة أُلحِقَ بالفلاسفة لأنّه أحد الفلاسفة المذكورين في وقته وسبب قوّته في الفلسفة هو أنّه كان ملّاحاً يعبّر الناس في سفينته وكان يحبّ العلم كثيراً فإذا عبر معه قوم من دار العلم والمدرس الذي بجزيرة الاسكندريّة يتحاورون فيما مضى لهم من النظر ويتفاوضونه فيسمعه فحثّ نفسهُ للعلم فلمّا قوي رأيهُ في طلب العلم فكّر في نفسه وقال : قد بلغتُ نيفاً وأربعين سنة وما ارتضتُ بشيء ولا عرفتُ غيرَ صناعة الملاحة فكيف يُمكِنُني أن أتعرّض لشيء من العلوم وفيما هو يفكّر إذ رأى نملةً قد حملت نواةً تمرة وهي دابّة تصعد بها فوقعت منها فعادت وأخذتها ولم تزل تجاهد مراراً حتى بلغت تمرتها وانتهت إلى مقصدها فلمّا رآها يحيى النحويّ قد بلغت بالمجاهدة غرضها قال : إذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة والمناصبة فبالحري أن أبلغ غرضي بالمجاهدة . فخرج من وقته وباع سفينته ولزم دار العلم وبدأ بتعلّم النحو واللغة والمنطق فبرع في هذه الأمور لأنّهُ أوّلُ ما ابتدأ بها فنُسِبَ إليها واشتهر بها ووضع كُتُباً كثيرةً منها تفاسير وغيرها »

هذا مجمل ما نعلمهُ عن يحيى النحويّ يضاف اليهِ قول جمال الدين ابن القفطي (ص ٥٥) انّ اوليطراوس الطرسوسيّ الطبيب الملقّب بالهلال ثمّ (ص ٥٦) اريباسيوس الطبيب الاسكندراني ثمّ (ص ٢١٢) فوليس الاجانيطيّ الطبيب كانوا بعد يحيى النحويّ في اوّل الملّة الاسلاميّة

فبعد هذه المعلومات يجب ان نستخلص منها صادق الخبر عن يحيى النحويّ ونتفي ما لا يمكن اثباته بحثّ الانتقاد فنقول :

(اوّلاً) يتّفق الكتبة اليونان والسريان والعرب في اثبات وجود رجل يُعرف بيوحنّا فيلوبونوس اي المجتهد او يوحنّا غرامطيقوس وهذا الاسم الثاني قد عُرِّب بالنحوي فسماهُ العرب يحيى النحويّ

(ثانياً) يتّفقون ايضاً في تعريف صفاتهِ فهم مجمعون على القول بأنّهُ كان

---

١) والصواب ان ثامسطيوس الفيلسوف عاش في ايّام يحيى النحويّ

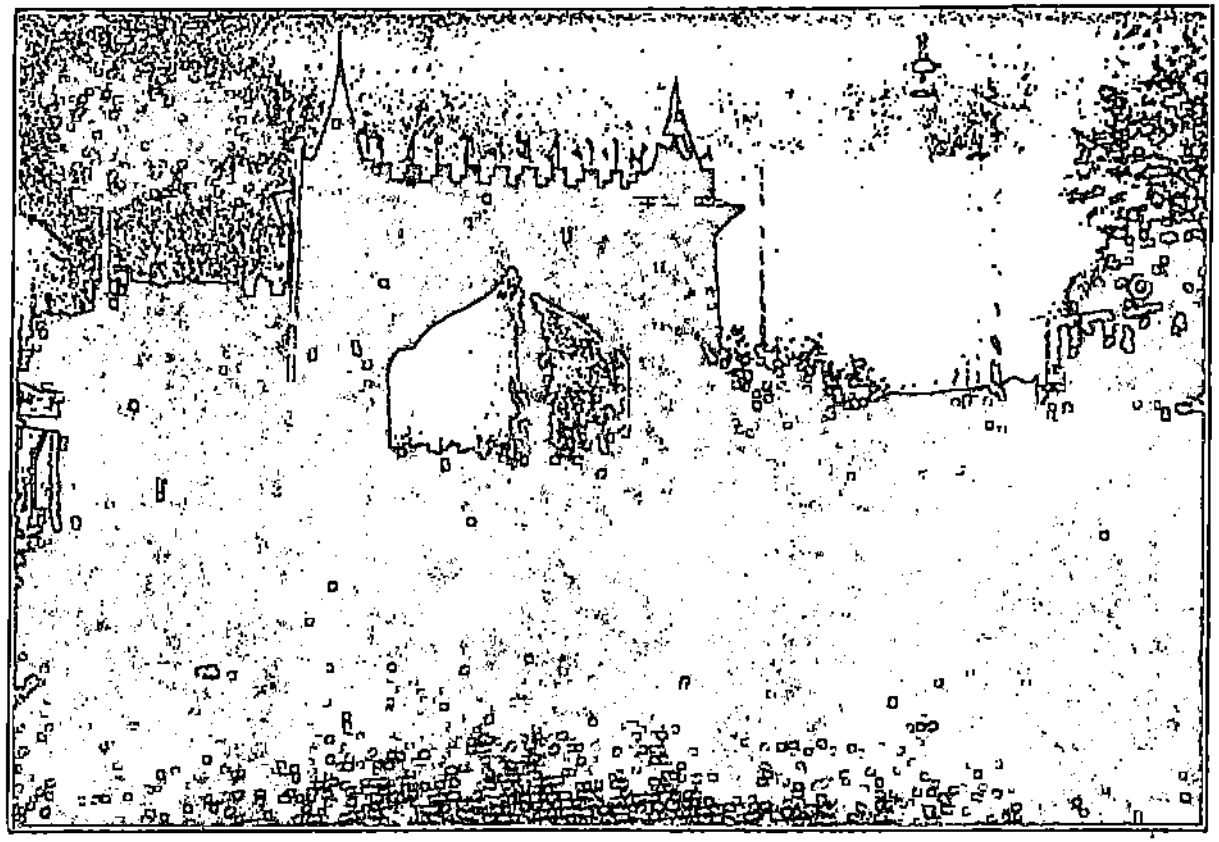

قوس الانتصار الذي نصبه البلغار في ادرنة

فيلسوفاً اسكندريّ الاصل واسع المعارف الفلسفيّة مفسّراً باليونانيّة لكثير من تآليف ارسطو .

(ثانياً) يروون ايضاً بالاتفاق انهُ كان نصرانياً يعتقد اعتقاد اليعاقبة معاكس تعاليم المجمع الخلقيدونيّ في طبيعتي المسيح الالهيّة والانسانيّة

(رابعاً) ولا يختلفون بنسبة بدعةٍ جديدة اليه سواء قالوا انهُ هو السابق اليها كما ظنَّ الكتبة اليونان او انهُ انتصر لها بعد مبتدعها المسمّى يوحنا اسقصناغيس كما روى السريان فحُرم كلاهما بسببها وهي بدعة القائلين بتثليث الجوهر الالهي فضلاً عن اقانيمه

(خامساً) بل اتّفقوا ايضاً تقريبا بتعيين زمن ظهور يوحنا فيلوبونوس فان اليونان يجعلونهُ من تلامذة أمونيوس بن هرمياس الذي كان يعلم في الاسكندريّة نحو السنة ٤٨٥ الى اواخر القرن الخامس واوائل السادس . وكذلك يذكرون مناظرتهُ للفيلسوف سمبليقيوس وذلك قبل السنة ٥٢٩ للمسيح . لانَّ سمبليقيوس خرج في تلك السنة الى بلاد الفرس . ويؤخذ من كلامهم انَّ هذه السنة ٥٢٩ انتهى يوحنا من تآليف ردّه على الفيلسوف بروقلس في قدم العالم كما ذكر في آخر كتابه . اما السريان والعرب فيقولون انهُ كان تلميذاً لشاوراي او ساوراي اعني ساويرس بطريرك انطاكية الدخيل واوّل بطاركة اليعاقبة الذي اشتهر بنصرة المذهب اليعقوبيّ بين السنة ٥١٠ الى سنة وفاته ٥٤٠ للمسيح (١ . فينتج من ذلك انَّ مولد يوحنا فيلوبونس لا يمكن تأجيلهُ الى ما فوق السنة ٤٨٠ للمسيح

(سادساً) تفرَّد العرب وحدهم بقولهم انَّ يحيى النحويّ كان اسقفاً بمصر في الاسكندريّة او في احدى مدنها وهو قول لا يصدق مطلقاً عن يوحنا فيلوبونس اذ لم يدخل المذكور في سلك الكهنوت . كذلك لم يقل غير العرب انَّ يحيى النحوي اشتغل بالطبّ وألّف فيهِ . وهم وحدهم ذكروا لهُ تاريخاً ورووا منهُ بعض المقاطيع

(سابعاً) امّا بلوغ يحيى النحويّ الى زمن الفتح العربيّ لمصر الذي جرى السنة ١٨ للهجرة (٦٤٠) فهو ايضاً من مرويّات العرب وحدهم او من نقل عنهم كابن

---

١) وقيل انهُ توفي سنة ٥٣٩ . وقد جاء في العدد السابق ٥٢٠ بالغلط

العبريّ . وهذا من الامور التي لا يمكن التسليم بها بلا سند اذ توجب القول بانّ يحيى النحوي عاش من السنة ٤٨٠ الى السنة ٦٤٠ فتكون حياتهُ وقت الفتح ١٦٠ سنة على الاقلّ . وان لم يكن هذا مستحيلًا الّا انّهُ نادر جدًّا وان ثبت فعلًا اشار اليهِ الكتبة لغرابتهِ وليس احد من الكتبة ذكر انّ يحيى فيلوبونس كان من المعمّرين فادرك سنًّا كهذا .

حلّ المشكل

فان كان الامر كذلك ولا يمكن التسليم بان يوحنّا فيلوبونس عاش الى زمن العرب أفنقول اذن ان كتبة العرب اخترعوا روايةً لا صحّة لها فخدعوا بالسراب مع انّ هؤلاء الكتبة قريبو العهد من الفتح الاسلاميّ لمصر لا سيما ابا الفرج ابن النديم الذي كتب بعد فتح عمرو بن العاص لمصر بثلثمائة وخمسين سنة فقط وكتابهُ الفهرست نسيج وحدهِ في الدقّة وسعة المعارف يدلّ على انّهُ كان ممتّعًا بمكتبة كبيرة ذات التآليف النادرة المفقودة اليوم . ومثلهُ جمال الدين ابن القفطي الذي جاء في ترجمتهِ انهُ كان حاصلًا على مكتبة كبيرة

كلّا ولا بُدَّ من حلّ المشكل على وجه آخر سبقنا اليهِ صاحبا المقتطف في سنتهما الثامنة والثلثين سنة ١٩١١ (ص ٢٣٦ و٤٤٢) حيث لخّصا ما كتبهُ اليهما « جرجس افندي فيلوثاوس عوض من ادباء الاقباط المدقّقين في التاريخ »

فنحن مع شكرنا لمن اماط القناع عن وجه الحقيقة نعود الى الامر لاثباتهِ واضافة الادلّة اليهِ فنقول : -

(اوّلًا) لا شكّ في انهُ وجد رجلان اطلق عليهما العرب اسم يحيى النحوي .

(ثانيًا) الواحد وهو الشهير بيوحنّا فيلوبونس اي الحريص على الشغل ازهر منذ العشر الثاني للقرن السادس وكان يُعرف عند اليونان بالغرامطيقيّ الذي ترجمهُ العرب بالنحويّ وكان الاحرى بهم ان يعرّبوها بالاديب اذ الغرامطيق عند الرومان واليونان كان يشمل عدّة فنون حتّى الانشاء والبيان والخطابة والكتابة ويوحنا هذا اشتهر خصوصًا بالفلسفة ثمَّ انكبَّ على درس اللاهوت والعقائد الدينية فضلَّ عن الايمان اذ تبع اضاليل اليعاقبة والنوثليين اي ذوي المشيئة الواحدة وانتصر لبدعة

جديدة جعلت في الله تعالى ثلاثة جواهر لوكيانات مختلفة فاسقطوهُ هو وبدعتهُ . اما زمن موتهِ فمجهول . وعلى كلّ حال ينبغي القول بأنهُ توفي قبل الهجرة بنحو اربعين سنة

(ثالثاً) امّا الثاني الذي عُرف بيحيى النحويّ فهو كاتب مصريّ عاش قبل الفتح المصريّ وبعدهُ زمناً طويلاً وهو يُدعى يوحنّا النقوي او النخوي اسقف نخو المعروفة عند اليونان بنيقيوس او نيكيو (Nikiou) وعند اللاتين باسم Niciu او Nichium وقد اتّسع بوصفها العلّامة الشهير بمعارفهِ الشرقيّة كاترمار في كتاب مذاكراتهِ عن مصر (Quatremère: *Mémoires sur l'Égypte*, I,423) واثبت هناك انّها هي مدينة بشاتي (Pschati) ثمّ عُرفت باسم ابشاي وعلى رأي كتبة المقتطف « انهـا مدينة قرب منوف في مديريّة المنوفيّة من اعمال القطر المصريّ » فتصحّف اسم يوحنّا النخويّ على نوعين اوّلاً بان أُبدل اسم يوحنّا بيحيا وذلك لانهم قديماً كانوا يكتبون « يحنّا » وكانوا يهملون النقط فصارت « يحا » فقرأوها « يحيا » . وثانياً بان ابدلوا « النَّخوي » للسبب عينهِ « بالنحوي »

(رابعاً) وزاد وهمهم بان وجدوا بين يوحنّا فيلوبونس (اي يحيى النحوي) ويوحنّا اسقف نخو (يحيى النخوي) تشابهاً في بعض الاحوال اذ كان كلاهما مصريّاً وفقيهاً وكاتباً وكلاهما ايضاً مدافعاً عن المذهب اليعقوبيّ وقد حكم الاساقفة على كليهما لاسباب مختلفة فجعلوا الاسمين لمسمًّى واحد

(خامساً) ويثبت قولنا ما وجدوهُ من آثار يوحنـا اسقف نخو او نيقيوس واوّل من اورد شيئاً من تاريخهِ ساويروس ابن المقفع في تاريخهِ لبطاركة الاسكندريّة اذ ذكرهُ في تاريخ يوحنا السنُّودي (ed. Seybold, I, 129-130) حيث روى انّ الابا (الانبا) حنا اسقف نيقيوس حضر وفاة البطريرك المذكور سنة ٦٨١ للمسيح واجتمع مع بقيّة الاساقفة لانتخاب خلفهِ المسمّى جرجه واذ لم يرضَ بهِ عبد العزيز بن مروان والي مصر اختاروا بدلاً منهُ المسمّى اسحق فبقي ثلاث سنين ومات (٦٨٣ م) وخلفهُ سيمون فترأس على كنيسة الاسكندريّة سبع سنين . وفي ايامهِ اجتمع الاساقفة لمحاكمة يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النخوي) فاوجبوا عليهِ القطع عن الاسرار والسبب انّهم كانوا سلّموهُ تدبير اموال الديارات وسياسة الرهبان

في مصر فبلغهُ انَّ بعض الرهبان اتوا بذنب كبير فعاقب واحدًا منهم وضربهُ ضرباً مبرّحاً مات منهُ بعد عشرة أيام . لكنَّ يوحنا غضب على الاساقفة الذين قطعوهُ واختاروا آخر بدلًا منهُ وتوعَّدهم بغضب الله عليهم قال ابن المقفَّع (ص ١٣٥): «وبعد أيام قلائل تمَّ كلام الاسقف القديس على الاساقفة المساعدين على قطعهِ»

ثمَّ وجدوا ليوحنا هذا تاريخاً كتبهُ بعد فتح العرب لمصر بسنين قليلة وفيهِ يذكر تفاصيل ذلك الفتح كمؤرخ عياني وما جرى بين الروم والعرب من المناوشات والمعارك الى ان استقرَّ الامر للمسلمين. فهذا التاريخ كتبهُ يوحنا اسقف نيقيوس باليوناني فقُقد الاصل لكنَّ احد الاقباط كان عرَّبهُ بتصرُّف واختصار وهذا التعريب نفسهُ اخذته ايدي الضياع ولعلَّهُ موجود في زوايا بعض اديرة الصعيد. وكان احد الاحباش عمد الى تلك الترجمة العربية فنقلها الى الحبشيَّة. فهذه الترجمة الحبشيَّة يوجد منها نسختان في مكتبة باريس العموميَّة فنشرها قبل ٣٠ سنة المستشرق الفرنسوي زوتنبرغ (H. Zotenberg) ونقلها الى الفرنسويَّة وعرَّف خواصها وما يستفاد منها لتعريف المؤلف وفتح العرب لمصر

هذا ما يُعرَف من احوال يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النحوي) الذي عرف العرب وعاش نحو اربعين سنة بينهم بعد استيلائهم على مصر ولا بُدَّ انَّهُ يكون اختلط بهم بصفة كونهِ احد زعماء النصارى واساقفتهم ووكيل اديرة رهبانهم فاحتاج اليهِ العرب كوسيط بينهم وبين مواطنيهِ الاقباط وقد ذكر في تاريخهِ دخولهم الى مدينة نيقيوس او نحو كرسيّ ابرشيَّتهِ

وكذلك يجب القول انَّ معرفتهُ بالتاريخ واخبار العرب استوقفت انظار فاتحي مصر فآنسوا بهِ ولاسيما زعيمهم عمرو بن العاص . ولعلَّ المنافرات الجارية بينهُ وبين اهل ملَّتهِ زادتهُ تقرُّباً من العرب ونفوراً من قومهِ

ويظهر من تاريخهِ انهُ كان موالياً لقورس البطريرك الاسكندري زعيم المنوثليين الذي يدعوهُ العرب بالمقوقس وناصرهم في فتح الاسكندريَّة. فهذه الصداقة قرَّبت يوحنا اسقف نيقيوس (يحيى النحوي) من العرب ومن عمرو ونسبهم. وكذلك في تاريخهِ المذكور نبذة عن اوَّل من وضع الطبَّ كما روى ابن النديم

فبالحالة هذه نفهم كيف امكن كتبة العرب ان يخلطوا بين رجلين ويجعلوهما

شخصاً واحداً نسبوا اليهِ اعمال الاثنين . فالفيلسوف الاسكندريّ مفسّر ارسطو هو يحيى النحويّ اليوناني والمبتدع لبدعة تثليث الطبائع في الله عزّ وجلّ . والاسقف المؤرخ صاحب عمرو بن العاص الذي عاش الى زمن العرب وخالطهم هو يحيى النحويّ اسقف نيقيوس او نخو

ومنهُ يتّضح قول صاحب الفهرست بعد نقلهِ شيئاً من اقوال يحيى النحويّ : «وهذا يدلّ على انَّ بيننا وبين يحيى النحويّ ثلثمائة سنة ونيف ... لانهُ كان في ايّام عمرو بن العاص » وقد قلنا انَّ صاحب الفهرست ألّف كتابهُ سنة ٣٧٧ للهجرة اي ٩٨٧ للمسيح فان طرحنا ٣٠٠ من ٩٨٧ بقي ٦٨٧ وهذا يوافق ما ورد في تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفّع عن زمن يوحنا اسقف نخو

وان سأل سائل وهل يُعرَف ليوحنا هذا تآليف فلسفيّة فجوابنا ان ذلك من المحتمل وفي تاريخه ما يدلّ على معرفتهِ للآراء الفلسفيّة وعلى كل حال انَّ اشتغالهُ بالتاريخ كان يوجب مطالعة كتب عديدة ومنهُ يتّضح اقتراحهُ على عمرو بان يسلّمهم خزائن كتب اليونان لمعرفتهِ باليونانية اذ كتب هو في هذه اللغة تاريخهُ . ومن المحتمل ايضاً ان يوحنا اسقف نيقيوس اشتغل بتفسير كتب جالينوس في الطبّ وانَّ كتاب السماع الطبيعيّ الذي ورد ذكرهُ في الفهرست هو من تصنيفهِ والله اعلم

فهذا ما خطر على بالنا في هذه المسئلة التي لا نرى لها وجهاً قريباً للحلّ غير ما ذكرنا والله الموفق الى الصواب

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٢ على طريق بغداد

كان اليوم الثاني والعشرون من تشرين الثاني يوم وداعنا للموصل فقدّمنا الذبيحة الطاهرة لآخر مرّة في كنيسة الآباء الدومنيكان التي هي اجمل كنائس الموصل ذات ثلثة اسواق من الطرز الرومانيّ البوزنطي يعلوها قبّتان مرتفعتان

تركنان الى ثمانية اعمدة وهي على اسم القديس عبد الاحد منشئ الرهبانية الدومنيكية. ثمَّ ذهبنا الى مقام السيّدين البطريركين فطلبنا بركتهما وبعد ان شكرنا حضرة الآباء المرسلين تحفّزنا للسفر

للراحل من الموصل الى بغداد طريقان طريق برّية تمرُّ باربل شمالي دجلة حيث غلب الاسكندر الملك داريوس وظفر بمملكة الفرس ثم بكركوك الشهيرة بينابيعها النفطيَّة التي كان الكلدان يدعونها بمدينة بيت ساوخ وهي كركورا (Corcura) القديمة وهذه الطريق برّيةٌ تقطعها القوافل بنحو عشرة ايام. وطريق نهريَّة على دجلة يقطعها المسافر راكباً للاطواف المعروفة بالكلكات. وهي اقصر وآمن من الطريق السابقة ففضلناها على الاولى لا سيما انّنا لم نؤمّل الفوز بما قصدناه من رحلتنا اي وجود الآثار الكتابيّة والمخطوطات القديمة مع ما تذكّرنا من قول الشاعر في هجو اربل :

تبًّا لشيطاني وما سوّلا لأنّهُ انزلني إربلا
نزلتُها في يوم نحسٍ فما شككتُ انّي نازلٌ كربلا
وقلتُ ما اخطا الذي مثّلا باربلٍ اذ قال بيتُ الخلا
هذا وفي البازار قومٌ اذا عاينتَهم عاينتَ اهل البلا
من كلّ كرديّ حمارٍ ومن كلّ عراقيّ نفاهُ الفلا
ربعٌ خلا من كل خيرٍ بلى من كلّ عيبٍ وسقوط ملا
اخطأتُ والمُخطئ في مذهبي يُصنَعُ في قسّتهِ بالدِلا

وان اردتَ ان تعلم ايها القارئ اللبيب كيف يتمّ السفر على الاطواف أحلتُكَ الى تصاوير قديمة لا تزال مرسومةً فيها اطواف قدماء الكلدان . ففي قصر خرساباد ترى صورةً يترقّى عهدها الى ثلثة آلاف سنة بنيّف وهي تمثل قوماً من البادية يمدّون اطوافهم لينحدروا عليها الى الجنوب فترى في ايديهم ظروفاً ينفخونها فاذا بلغت حجتها الاصليّ شدّوا فوهتها ثمَّ ربطوها ببعضها حتّى يبلغ عددها العشرين والخمسين والمئة على قدر ما يريدون ان ينقلوا من الاثقال . فاذا تمَّ نفخها وربطها طلوها بالقطران ثم جمعوها بحصيرة من سعف النخل ونسّقوها صفوفاً على شكل مربّع او مستطيل ثمَّ بسطوا فوقها ألواحاً متساوية او اخشاباً غليظة يعبّون عليها احمالهم ثمَّ يطلقون هذه الاطواف الى جري المياه فتنحدر معها بقوّة الماء حتى تبلغ

غايتها . ولا بُدَّ لهـذه الاطواف من ملّاح او اكثر يزيد حركتها بقذافهِ وينظّم سيرها في وسط النهر لئلّا تصدم بضفّتيهِ او بالصخور البارزة منهُ . ومن ثمَّ ينبغي ان تكون المياه مرتفعة فوق قعرها فان قلّت المياه في وقت الصيف صعب ركوب الكلك او تقطّعت الاطواف بصدمها الصخور فيغرق الكلك

فطوفٌ مثل هذا ركبناهُ من الموصل الى بغداد وانّما كان صغيرًا مستطيل الشكل طولهُ نحو اربعة امتار في عرض ثلاثة ففرشنا على مقدّمهِ بساطًا واتخذنا مؤخرهُ لمبيتنا فاقمنا شبه حجرة نأوي اليها كانت جوانبها من اللبد والمشمّع لنتّقي حرّ النهار وبرد الليل وعند الصباح كنّا نحوّل تلك الحجرة الى معبد صغير نتلو فيهِ صلواتنا ونقدّم الذبيحة الطاهرة

وكانت مياه النهر عند وصولنا الى الموصل قد قلّت في نهاية الصيف فيصعب ركوب الكلك عليها لكنَّ الله سهّل الامر بنعمتهِ فهطلت الامطار مدّة اقامتنا في الحديثة فتصاعدت المياه وقوي ميل النهر فتيسّر لنا السفر

ففي اصيل ذاك النهار ركبنا سفينتنا هذه . وأحبَّ حضرة الآباء الدومنكان ان يرافقونا الى النهر فودّعونا داعين لنا بسلام الرحيل . وكان أذى بهم اللطف الى ان يقدّموا لنا زادًا للسفر فعجزنا عن شكرهم وطلبنا الى الله ان يجزل ثوابهم

كنّا على ظهر طوفنا ثمانية اشخاص منهم كاهن كلدانيّ طلب ان يرافقنا الى بغداد ثم مسلم من وجوه تكريت كان عائدًا الى وطنهِ ثمَّ يهوديّ مسكين من نصيبين استرحمنا لنقلهُ بصفة خادم ثمَّ بدويّ لقيادة الطوف وتسييره في مأمن من شواطئ النهر . وكنّا طلبنا من الحكومة المحلّية ان ترسل معنا ضابطًا لما كنّا نسمع من حركات الاكراد في الجهات الواقعة بين الموصل وبغداد

ليس سيرٌ اهدأ واهنأ من سير الكلك على دجلة والفرات اللهمَّ اذا كان النهر زاخرًا فانَّ الراكب لا يشعر بحركة البتّة فيسير وعلى جانبيهِ ضفّتا النهر يسرّح فيها نظرهُ دون انقطاع فتتوالى الصور وهو لا يملّ من معاينتها وربما ارتسمت اشكالها في الماء اذا كان صافيًا فيجد المتأمل في انعكاسها على تلك المرآة الصقيلة بهجةً ولذّة وكثيرًا ما يمتدّ البصر الى الجهات المجاورة التي تُشرف على النهر من قرى وآكام وغابات ولا سيما غابات النخل التي تبسط شُطَبها في الفضاء فيتلاعبُ بها النسيم . واذا

مدَّ الليل رواقهُ تلألأت في الفلك الكواكب الزُّهر وتمثَّلت للعيان في وجه المياه

سرنا في ذلك المساء والهواء عليل والجوّ صافٍ فكان من اهنإ ايام الربيع . وبعد ثلث ساعات من الزمان وصلنا الى قيَّارات الموصل فهناك ترى الماء فائرًا يتكوَّن منهُ القير وعلى جانبي النهر حمَّامات كبريتيَّة ومعدنيَّة يستحمّ بها المرضى فكنَّا نستنشق رائحة الكبريت والنشادر . وقد اشتهرت هذه القيارات قديماً فقال في وصفها ابن بطوطة (٢ : ١٣٣)

وحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالقيَّارة بقربة من دجلة وهنالك ارض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويُصنع له احواض يجتمع فيها فتراهُ شبهَ الصَّلصال على وجه الارض حالكَ اللون صائلاً رطباً وله رائحة طيّبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتنفذه الى جوانبها فيصير ايضاً قاراً وبقربة من هذا الموضع عين كبيرة فاذا ارادوا نقل القار منها اوقدوا عليها النارَ فتُنشف النارُ ما هنالك من رطوبة مائية ثم يقطعونه . وقد تقدّم لنا ذكرُ العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو

وهذه المنابع المعدنيَّة تمتدُّ على مسافة بضعة اميال بل وجدنا منها في صباح يومنا التالي وكان قوم من المستحمّين قائمين بجوار احد هذه الحمَّامات الذي يعرف بحمَّام عليّ . وقد وصف السيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرت حالاً (في المشرق ٣ : ١١٦) منابع النفط التي تجاور مدينة كركوك في المحلّ المعروف ببابا كركور . كما وصف الدكتور نابوليون ماريني (٦ : ١٤٠) هيت ومنابعها المعدنيَّة في العدوة الشرقيَّة قريباً من الفرات

وكان الشيخ المسلم الذي معنا يعرف تلك الجهات فيرينا ما يستحقّ بينها الذكر ففي صباح اليوم الثاني من سفرنا كان مرورنا قريباً من «قلعة نمرود» او «تلّ كنج» على ضفَّة دجلة الشمالية حيث اجرى الاثريّون لايَرْد (Layard) وشميد (Schmidt) ورسَّام (Rassam) حفريَّات مهمَّة فوجدوا ثلثة قصور لآصارحدُّون وسلمنآصر الثالث وهيكلين كبيرين وبرجاً كُتب عليهِ انَّ مشيدهُ سلمنآصر بن اشوربنيبال . وفي تلك القصور تصاوير عجيبة وتماثيل مختلفة لآلهة الاشوريين وكتابات مسماريَّة . وهناك مسلَّة من الحجر البركانيّ الاسود يدعوها اهل تلك البلاد مسلَّة نمرود وهي ايضاً من آثار سلمنآصر ورد فيها اسم ملك اسرائيل ياهو في جملة الملوك الدافعين الجزية لملوك بابل

وكان رفيقنا المسلم محباً للآداب حريصاً على معرفة الآثار فاخذ يلقي علينا الاسئلة على تاريخ البابليين ومآثرهم فاعجبتهُ شروحنا . ثمَّ انتقل الى مشاكل دينيَّة في حقّ النصرانيَّة فرأينا انَّ في عقلهِ من الاوهام ما نعهدهُ في كثير من اهل ملَّتهِ فيتصوَّرون النصرانيَّة على غير صحَّتها وينسبون اليها كثيراً من الخرافات التي يسمعونها من شيوخهم او يقرأونها في كتبهم دون ان يطلعهم احد على حقيقتها . وكان هذا الشيخ سليم النيَّة فاذ عرف منَّا وجه اليقين اقرَّ بسوء فهمهِ لمعتقدات النصارى اثابهُ الله وارشدهُ وامثالهُ الى سواء السبيل

وفي يومنا هذا لقينا في طريقنا نهرين كبيرين من سواعد دجلة يصبَّان فيها اعني الزاب الاعلى (بربوك زاب) الذي دعاهُ اليونان (Lycus) نهر الكلب كنهرنا اللبناني ورأسهُ في بلاد العجم في حدود اذربيجان يصبُّ فيهِ نهر يُعرف بالغزير وكلاهما يدخل في دجلة . والنهر الآخر هو زاب الاسفل او الصغير (كرتجك زاب) يجري ايضاً من فارس ويصب في دجلة على مسافة نحو ١٠ كيلومترات من الزاب الاعلى شرقاً . وبقرب الزاب الاعلى على دجلة كانت مدينة « الحديثة » المعروفة بحديثة الموصل وحاضرة تلك البلاد قديماً

وبين النهرين تلٌّ يُدعى اليوم قلعة شرقاط على الضفَّة الغربيَّة من دجلة على نحو تسعين كيلو متراً من الموصل فهذا التلّ مربَّع الشكل وفي اعلاه شبه هرم هو بقيَّة برج كان قديماً . الاشوريين اقاموهُ لالههم اشور وكان على سبع طبقات على عدد السيَّارات السبع وهو المعروف بالزقورة (١ (ziggourat) . وحول التلّ اخربة استوقفت انظار الاثريين فباشر لايرد الفرنسويّ مع رصفائهِ هناك بحفريَّات اوقفتهم على بقايا هيكل عظيم كان مشيَّداً لذكر الاله اشور وجدوا فيهِ سواري واعمدة ومعابد شتى وتماثيل اشوريَّة وكتابات مهمَّة منها واحدة كانت مكرَّرة على قطع من الآجرّ على اربع زوايا الهيكل يُستفاد منها انَّ مشيّد الهيكل او مرمّمهُ انما كان الملك تجلات فلاسر الاوَّل في اوائل القرن الثاني عشر قبل المسيح . وكل هذه الابنية الفخيمة كانت باللبن ومنها ما صبر على الزمان اكثر من الحجر . ثم استأنف الالمان

١) اطلب صورتها وشرح معناها في المشرق (٣: ١٠٥٢)

الحفريات في هذه السنين الاخيرة واكتشفوا آثاراً من مدينة كانت هناك حاضرة الاشوريين. وهؤلاء العلماء الالمان عدلوا بعد ذلك الى حفر آثار مدينة اخرى في البرية كان موقعها على مسافة ٥٠ كيلو متراً من اشور في شمالها الغربي نعني بها مدينة الحضر (Hatra) التي فكّ حضرة الاب سبستيان رنزفال قرّاءنا الكرام بوصف تاريخها وآثارها ورسم خارطتها وكتاباتها الآرامية التي سبق هو الى حلّ رموزها (راجع المشرق ١٥: ٥٠٩—٥٢٢)

وبعد مرورنا على الزابين عند الظهيرة سمعنا جلبةً كأنَّ قوماً يصرخون في أثرنا ثمَّ عقبها صوت طلقات نارية فنظرنا واذا بخمسة او ستة من خيّالة العرب يتجوّلون على شاطئ النهر ويتهدّدونا ببندقيّاتهم وهم يريدون على ما يظهر ان يوقفونا لينهبوا أمتعتنا. لكنَّ الضابط الذي كان في رفقتنا اطلق هو ايضاً عليهم بندقيّتهُ وأراهم بزّتهُ العسكريّة فلمّا عاينوهُ اركنوا الى الفرار

وفي اصيل النهار مرَّ طوفنا قريباً من مناجم ملح معدني تمتدّ في تلك الجهات على جانبي النهر يُستخرج منها كميّات وافرة من الملح الذي تصدرهُ ولاية الموصل الى بقيّة انحاء تركيا.

وكان من عن يميننا على ضفّة النهر المقابلة اخربة عظيمة لقصر من عهد الخلفاء بقي منهُ جدران وقناطر ونقوش بديعة وكان للقصر مسجد ذو قبّة يُرى حتى اليوم وقد اتّخذت الحكومة التركيّة قسماً من هذه الابنية جعلت فيها ثلّة من جندها لحراسة الطريق وهي تُعرف بخان خزنينا

وبعد ساعة من الزمان قُبيل غروب الشمس بقليل بلغ بنا المسير على دجلة الى تكريت احدى المدن الشهيرة في التاريخ على حدود جزيرة فاصلة بينها وبين العراق وهي تُعدُّ اليوم من سنجق بغداد بعد ان كانت ملحقة بسنجق الموصل

تكريت هذه راقية الى زمن الفرس ولعلّ اسمها مشتقّ من اسم دجلة اليونانيّ لوقوعها على ضفّته الغربيّة وزعم ياقوت في معجم البلدان (١: ٨٦٢) انّها دُعيت تكريت باسم امرأة من نصارى العرب تُدعى تكريت تزوّجها مرزُبان من العجم بعد ان تبعها في دينها فتنصّر. ونقل ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٨٩) عن كتاب اللباب ان تكريت المذكورة كانت "بنت وائل اخت بكر بن وائل "

وقد حصّن الفرس تكريت وجعلوها قلعة حصينة قال ياقوت: « انّ بعض ملوك الفرس (وهو سابور بن اردشير) اوّل من بنى قلعة تكريت على حجر عظيم من جصّ وحصّى كان بارزًا في وسط دجلة ولم يكن هناك بناء . . . وجعل بها مسالح وربايا تكون بينهم وبين الروم لئلّا يدهمهم من جهتهم امرٌ فجأةً . وكان بها مقدّم على مَن بها قائد من قوّاد الفرس ». ولما فتح العرب الموصل في ايّام عمر بن الخطاب افتتحوا تكريت صلحاً على قول البلاذري وعنوةً على قول غيره . قال البلاذري: فتحها مسعود بن خُرَيث الشيبانيّ (قال) : « وكانت لامرأة من الفرس شريفة فيهم يقال لها دارى ثم نزل مسعود القلعة فوُلدُهُ بها وابتنى بتكريت مسجدًا جامعاً وجعلهُ مرتفعاً عن الارض لأنّهُ أمّنهُ على خنازيرهم فكره ان تدخل المسجد »

وتكريت لعبت دورًا مهمًّا في تاريخ النصرانيّة اشتهر فيها القديس ماروثا الكبير اسقف ميافارقين الذي كان في عهد يزدجرد فارسلهُ سفيرًا مرّتين الى ملكي الروم اركاديوس وتاودوسيوس الصغير وهو الذى كتب اخبار الشهداء المستشهدين في العراق والجزيرة على عهد سابور وجمع ذخائرهم في ميّافارقين فدُعيت لذلك بمدينة الشهداء (Martyropolis) . وفي القرن السادس تشيّع اهلها لليعقوبيّة ثم جعلوها مركزًا لاحد المطارنة فكان اوّل مطرانٍ منهم عليها مروثا التكريتي (٦٢٩— ٦٤٠) الكاتب اليعقوبي الشهير صاحب النافور المعروف باسمهِ ومؤلف عدّة ميامر لهُ ردود على النساطرة وتفاسير على الكتب المقدّسة . وثبت اهل تكريت على نصرانيّتهم كما افادنا ابن حوقل وكان لهم عشر كنائس تُرى اثار بعضها الى يومنا منها جامع الاربعين الذى يصلي فيهِ المسلمون في يومنا وفيهِ نقوش وآثار جليلة

وفي ايّام المتوكل حُفر قريباً من تكريت بامرهِ نهر الدُّجيل فاخذوا قسماً من مياه دجلة ليسقوا سواد سامرّا الى قرب بغداد . وهذا النهر عُرف ايضاً بالاسحاقيّ نسبة الى اسحاق بن ابرهيم صاحب شرطة المتوكّل الذى قام بحفرهِ

وفي هذه المدينة تكريت ولد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٣٢ ﻫ (١١٣٨م) وكان ابوهُ ايوب والياً على قلعتها . وبقيت تكريت مدّةً على مناعتها ثم خربت بعد ان صارت في حكم الاتراك واليوم هي بلدة صغيرة اغلب سكّانها مسلمون وعرب ولمّا رسونا عندها اقبل اهلها حول كلكتنا يصخبون ويتخاصمون ليبيعونا شيئاً

من مآكلهم وكانوا ينظرون الينا نظرهم الى الوحوش الغريبة وكان بعضهم يتزلون في كلكتنا ليروا على قولهم أيوجد بين امتعتنا شيء محظور فلم ننجُ من لجاجهم الّا باعطائهم « البخشيش » وبمساعدة الشيخ المسلم الذي رافقنا ونزل هناك

لم نُطل الاقامة عند مرسى تكريت فسرنا عند المغرب منحدرين الى الجنوب وما لبث الليل ان كسا الارض بجلبابهِ فشعّت النجوم زاهيةً زاهرةً وبعد ساعتين طلع القمر فجلّل تلك البقاع بنورهِ اللطيف فكانت ليلةً سعيدة رفعت بقلوبنا الى مكوّن بدائع الطبيعة والمصوّر مسحةً من جلالهِ تحت رونق الكائنات

وفي تلك الليلة مررنا بعدّة امكنة شهيرة في التاريخ لكنّها اليوم آثار بعد عين اوّلها « دُور » المعروفة بدُور تكريت وهي دُورة القديمة المذكورة في تاريخ حرب يليانوس للفرس (Ammien Marcellin, XXV, 6, 8,) وتُدعى اليوم بـدُور الامام لمشهد هناك رفيع اقامهُ ارباب الشيعة لذكر الامام محمّد بن موسى من سلالة الحسين هو على شبه برج مربّع تعلوهُ قبّة مرتفعة

ثم اسكي بغداد التي كانت تُدعى بالكرخ (Charcha) وفيها مجموع من الابنية القديمة المتهدّمة كمسجد منسوب الى ابي دُلف الشهير عند العرب بكرمهِ ومنهُ الى اليوم بقايا صالحة وكقصر المتوكّل الذي سكنهُ مدّةً هذا الخليفة وفيهِ قتلهُ مماليكهُ الاتراك باغراء ابنهِ محمّد المنتصر الذي خلفهُ ولم يهنأ بالخلافة الّا نصف سنة

وهناك ايضاً قناة نهروان التي كان احتفرها ملوك بني ساسان لري تلك الجهات

وعند منتصف الليل بلغنا سامرّا على طرف شرقيّ دجلة وهي اليوم بلدة لا يزيد اهلها على ٣,٠٠٠ نفس او اقلّ كلهم مسلمون ثلاثة ارباعهم من الشيعة يرتزقون برعية المواشي واعمال الزراعة

وسامرّا هذه قلعة قديمة عرفها الرومان باسم حصن سومرا (Castellum Sumere) ثم خرب الحصن في اوّل عهد العرب. فلمّا صار الحكم الى ثامن خلفاء بني العبّاس المعتصم بنى مدينة في هذا المكان سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) لصحّة هوائها وجودة تربتها وسكنها وشاع اسمها على صورة اخرى فقالوا : سُرَّ من رأى والاسم ليس بعربيّ كما زعم البعض واصلهُ من « شومر » جيل من قدماء البابليين. قال القزويني في آثار البلاد (ص ٢٥٨) :

« وسبب بنائها انَّ جيوشهُ كثروا حتى بلغ مماليكه سبعين الفًا فـدُّوا ايديهم على حُرَم الناس واذا ركبوا انحطم كثير من الصبيان والعميان والضعفاء من ازدحام الخيل فاجتمع عامّة اهل بغـداد ووقفوا للمعتصم وقالوا: قد عمَّنا أذى جيوشك اما تمنعهم و تنقلهم عنّا والّا حاربناك . . . فقال: هذه الجيوش لا قدرة لي بها. ثم انحوّل وركب ابة وساق من فوره وترل سامرًّا وبنى بها دارًا وامر عسكره بمثل ذلك فعمر الناس حول قصره حتى صارت اعظم بلاد الله بناء واهلًا وانفق على جامعها خمسمائة الف دينار وجعل وجوهَ حيطانها كلها المينا وبنى المنارة التي كانت من احدى العجائب وحفر الإسحقي وبنى الملوك والامراء بها دورًا وقصورًا وبنى الخلفاء بها ايضًا قصورًا والمتوكل اشتقّ من دجلة قناتين شتويّة وصيفيّة تدخلان الجامع وتتخلّلان شوارع المدينة. وفي جامعها السرداب المعروف الذي ترعم الشيعة ان مهديهم يخرج منهُ . . . »

وسكن سُرَّ من رأى بعد المعتصم ابنهُ الواثق ثم المتوكّل اخو الواثق ثم المنتصر ابن المتوكل وخلفاؤهم الى ايّام المعتضد فبنوا قصورًا انفقوا عليها اموال الدولة لاسيما المتوكل الذي بنى عشرين قصرًا منها العروس والمختار والوحيد والجعفري والغريب والنرد واللؤلؤة انفق عليها نحو ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم والدرهم زهـاء الفرنك تقريبًا. قال القزويني:

« ولم ترل سامرًا في زيادة عمارة من ايّام المعتصم الى ايّام المستعين فعند ذلك قويت شوكة الاتراك ووقعت المخالفة في الدولة فلم ترل في نقص الى زمان المعتضد بالله فانهُ انتقل الى بغداد وترك سامرًا بالكليّة فلم يبق بها الّا كرخ سامرًا وموضع المشهد والباقي خراب يباب يستوحش الناظر اليها بعد ان لم يكن في الارض احسن ولا اجمل ولا اوسع ملكًا منها فسبحان من تتقلّب الامور ولا يتغيّر بتغيّر الازمنة والدهور »

ولم يبقَ اليوم من ذلك البهاء الّا قرية حقيرة وهي مع ذلك قضاء من اقضية سنجق بغداد. امّا مشهد المهدي صاحب الزمان فيقصدهُ اهل الشيعة من كل صوب ويزعمون ان هذا المهدي يأتي منهُ في آخر الزمان مع السيّد المسيح ليدينا العالم وينقلون الى جواره موتاهم كما يفعلون في كربلاء. وقد أُقيم فيه حجر صحّي منعًا للوباء. قال ابن بطوطة في وصفها: « وهي معتدلة الهواء رائقة الحسن على بهائها ودروس معالمها »

وقد تولّى الاثريّون في هـذه السنين الاخيرة الحفر في سامرًا اخصُّهم المأسوف عليه الجنرال بيليه (Général de Baylié) الذي غرق قبل سنتين في نهر ميكون. وقد درس فيها قصور الخلفاء وعرّف هندستها واثبت انَّ بُناتها استعاروا كثيرًا مما

كان يُنسب الى العرب من ابنية الفرس وهندستهم (١. وقد وصف في كتابهِ ايضاً مسجد الخلفاء الذي هناك والمأذنة التي فوقهُ وهي يُصعد اليها بدرج على شكل حلزوني ومثلها مأذنة مسجد ابي دُلف السابق ذكرهُ ومأذنة جامع بني طولون في مصر كلها من طرز واحد وعهد واحد . واستأنف الحفر بعدهُ هناك الدكتور هرتسفلد الالماني فوجد من الآثار ما يطول ذكرهُ

وبين سُرَّ من رأى وبغداد نحو ١٤٠ كيلو متراً على دجلة قطعناها في اليوم الثالث من سفرنا من الموصل (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

في آداب نصارى الجاهليَّة

اتينا في قسمنا الاوَّل بما وقفنا عليهِ من النصوص التاريخيَّة والشواهد الثابتة العيانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في كلّ انحاء العرب حتى اقصاها بعداً وانحاها حداً ثم عدَّدنا القبائل التي نسب الكتبة اليها عموماً او الى بعض بطونها التديُّن بالدين المسيحي

وها نحن اليوم نباشر بالقسم الثاني من كتابنا نجمع فيهِ ما ينوط بآداب نصارى العرب في الجاهليَّة . ونزيد بالآداب كلّ ما خلَّفوهُ لنا من مآثرهم في الكتابة واللغة والامثال والحكم والانشاء والشعر والخطب ممَّا رواهُ عنهم ائمَّة الادباء

١) اطلب كتابهُ المنون (Général de Beylié : *Prome et Samarra*)

الذين جمعوا شوارد اللغة العربيَّة وآثارها في القرن الثاني بعد الاسلام . فانَّ هذه البقايا مع ما تضعضع منها بتوالي الزمان تنبئ بترقّي النصرانيَّة بين اهل الجاهليَّة وتثبت من وجه آخر سعة نفوذها في جزيرة العرب. ويُضاف الى هذه المآثر الادبيَّة عادات ألفها عرب الجاهليَّة قبل الاسلام واستعاروها من النصارى فتجدهم في اطوار حياتهم الدينيَّة والمدنيَّة يتقلّدونهم ويأخذون مآخذهم حتى لا نكاد نرى في بعض الانحاء اثرًا من وثنيَّتهم السابقة . فكلّ هذه الظواهر يشهد عليها الشعراء القدماء والرواة الذين نقل الكتبة المسلمون عنهم اخبار الجاهليَّة فنثبتها على علّاتها مع الاشارة الى مواضعها كما فعلنا سابقاً

الفصل الاوَّل

النصارى والكتابة العربية

اوَّل خدمة أدَّاها نصارى العرب لقومهم تعليمهم الكتابة . وهي قضيَّة يشهد عليها تاريخ الكتابة العربيَّة واصولها

لما ظهر الاسلام في العشر الثاني من القرن السابع للمسيح لم تكن جزيرة العرب كما زعم البعض حديثة العهد بالكتابة. وانما كانت الكتابة شائقة في بعض الانحاء دون غيرها . فكان لاهل اليمن كتابة يسمُّونها المسند شاعت في بني حمير بينها وبين الكتابة الحبشيَّة في كثير من الحروف شبه ظاهر . وكانت حروفها منفصلة . وقد وجد سيَّاح الفرنج كارْنو وهالوي وغلازر من آثارها في هذه السنين الاخيرة الوفاً من الكتابات يرقى عهد اوَّلها الى ما قبل المسيح بنحو ٤٠٠ او ٥٠٠ سنة ومنها ما كتب في القرون التابعة للميلاد حتى القرن السادس . وهذه الكتابة التي حلّوا اسرارها ونشروها في عدَّة تآليف صابئيَّة ليست عربيَّةً كما ظنَّ البعض منهم كابن خلدون في مقدَّمته (٢: ٣٤١ من طبعة باريس) حيث قال : «وكان لحمير كتابة تسمَّى المسند ... ومن حمير تعلَّمت مضر الكتابة العربيَّة الَّا انهم لم يكونوا مجيدين لها»

وكان في جزيرة العرب كتابة أخرى شاعت في شماليّ بلاد العرب وفي غربيّها وهي الكتابة النبطيَّة وقد ظهرت على صورتين صورة منها مربَّعة الحروف محكمة

الصُّنع مع صلابة في شكلها شاعت خصوصاً في شماليّ العرب واستعملوها في النقود والابنية لها علاقة مع الخطّ الآرامي المعروف بالاسطرنجلي وصورة أخرى مستديرة الشكل خشية الصُّنع جرى استعمالها غالباً في نسخ المعاملات والصكوك وما شاكلها

فهذه الكتابة النبطيَّة على صورتيها هي اصل الكتابة العربيَّة. ويدعوها العرب بالجزم اخذوهـا عن الامم المجاورة لهم . وكان النصارى هم الذين علّموها العرب سواء قيل أنّهم وضعوها او انّهم نقلوهـا كقوم وسَط . ولنا على ذلك شواهد تثبت قولنا. فانَّ العرب الذين بحثوا عن اصل الكتابة العربيَّة نسبوها الى رجال من بَوْلان من قبيلة طيّ كانوا عـلى دين المسيح يسكنون الانبار فقاسوها على شكل السريانيَّة . قال السيوطيّ في المزهر (١: ٣٩٠)

« انَّ اوَّل من كتب بخطّنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرَّة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من عرب طيء . . . علّموهُ اهل الانبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها فتعلّمها بشر بن عبد الملك (١ وكان لهُ صحبة بحرب بن امـيَّـة لتجارتهِ عندهم فتعلَّم حرب منهُ الكتابة. ثم سافر معهُ بشر الى مكَّة فتعلَّم منهُ جماعة من قريش قبل الاسلام وسُمّي هذا الخطّ بالجزم لانهُ جُزم اي قُطع من الخطّ الحميري وتعلَّمهُ شرذمة قليلة منهم. . . »

وكذلك نقل صاحب الفهرست (ص ٤) عن ابن عبَّاس قولهُ :

« اوَّل من كتب بالعربيَّة ثلثة رجال من بَوْلان وهي قبيلة سكنوا الانبار وانَّهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً متقطّعة وموصولة وهم مرامر بن مرَّة (ويقال مروة) واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة (ويقال جدلة) . فاماَّ مرامر فوضع الصور واماَّ اسلم فتصل ووصل واماَّ عامر فوضع الاعجام . وسُئل اهل الحيرة : ممَّن اخذتم الخطّ العربي . فقالوا : من اهل الانبار »

ومثلهما ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٢٠٥) :

« وحكوا انَّ ثلاث نفر من طيّ اجتمعوا ببقعـة وهم مرامر بن مرَّة واسلم بن سِدْرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخطّ وقاسوا هجاء العربيَّة على هجاء السريانيَّة فتعلَّمـهُ قوم من الانبار وجاء الاسلام وليس احد يكتب بالعربية غير بضعة عشر انساناً »

وروى البلاذري في فتوح البلدان (ص ٤٧١) مثل هذا القول لكنَّهُ روى « بيعَة » بدلاً من « البقعة » وبيعَة مدينة قرب الانبار. ثم زاد ايضاحاً بقولهِ عن بشر :

١) هو اخو صاحب دومة الجندل النصرانيّ (راجع القسم الاوَّل ص ١٠٨ ١٣٠)

« وكان بشر بن عبد الملك اخو أُكَيدر ابن عبد الملك بن عبد الجنّ الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلّم بشر الخطّ العربيّ من اهل الحيرة ثمّ اتى مكّة في بعض شانه فرآه سفين بن اميّة بن عبد شمس وابو قيس بن مناف بن زُهَرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلّمهما الخطّ فعلّمهما الهجاء ثم اراهما الخطّ فكتبا ثمّ انّ بشرًا وسفين وابا قيس اتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سَلَمة الثقفي فتعلّم الخطّ منهم وفارقهم بشر ومضى الى ديار مضر فتعلّم الخطّ منهُ عمرو بن زُرارة بن عُدَس فسمّي عمرو الكاتب ثم اتى بشر الشام فتعلّم الخط منهُ اناس هناك. وتعلّم الخطّ من الثلثة الطائيّين ايضاً رجل من طابخة كلب فعلّمهُ رجلًا من اهل وادي القرى فاتى الوادي يتردّد فاقام بها وعلّم الخطّ قوماً من اهلها »

فهذا الخطّ هو الذي بعدئذٍ نُسب الى الكوفة لمّا عُني اساتذة الكوفة بتحسينهِ في اوائل الاسلام. امّا الخطّ الثاني النسخيّ فالظاهر انّ العرب اخذوهُ من نصارى النبط المجاورين لجهات الحجاز ومن رهبان مدين ووادي القرى الذين ذكرهم شعراء العرب ويؤيّد ذلك قول بعض الكتبة انّ واضعي الكتابة العربيّة كانوا من طسم وجديس وقال ابن النديم في الفهرست (ص ٤) والحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ١٤٥) « كانوا من ملوك مَدْين » وذكرا رأي من ادّعى انهم وضعوا الخطّ العربيّ على لسانهم وهي ابجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ». فذكرُهما لمَدْين وذكر البلاذري لوادي القرى يؤيّد قولنا (راجع ما ورد في القسم الاوّل عن النصرانيّة فيها)

وقد وجد العلماء من هذا الخطّ النسخيّ امثلة عديدة يرتقي عهدها الى عهد الخطّ الآخر. ومن ثمّ لم يعد يجوز القول كما ورد في كتاب القلقشندي عن الخطّ (المشرق ٤ : ٢٨٠) بانّ « الخطّ الكوفي هو العربي. وانّ الخطّ النسخي وضعهُ ابن مقلة في القرن الثالث للهجرة » وعلى كلّ حال لا بُدّ من الاعتراف بفضل النصارى لتشييع الخطّ في جهات العرب

وما عدا هذه الشواهد التي تنسب الكتابة الى قوم من النصارى قد ورد في تراجم الشعراء وقصائدهم ما يشير الى شيوع الكتابة بين النصارى قبل الهجرة. فمن ذلك ما روى صاحب الاغاني (٢١ : ١٩٥) وغيرهُ من قدماء الكتبة عن طرفة والمتلمس وعن الرسالتين اللتين كتبهما عمرو بن هند لعاملهِ المكعبر في البحرين موهماً بانّهُ يوصي لهما بخير وهو يضمر لهما الشرّ. فقضّ المتلمس صحيفتهُ واعطاها غلاماً عبادياً من غلمان الحيرة فقرأها لهُ: « باسمكَ اللهمّ من عمرو بن هند الى المكعبر.

امّا بعد اذا جاءك كتابي هذا من المتلمس فاقطع يديهِ ورجليهِ وادفنهُ حيًّا (١» فلمّا عرف مضمونها فرَّ هارباً . امـا طرفة فلم يشاء ان يقف على محتويات صحيفتهِ فمات قتلًا وضُرب المثل بصفيحة المتلمس للمتهوّر في التهلكة . وفي هـذا دليل على انَّ العباديين وهم قوم من النصارى في جهـات الحيرة كانوا يعرفون الكتابة ويعلّمونها غلمانهم . وفي الاغاني (٥ : ١٩١) ان المرقّش الاكبر واخـاهُ حرملة « دفعهما الى نصرانيّ من اهل الحيرة فعلّمهما الخطّ »

ولنا دليل اخر في المعلقات التي زعموا انّهـا كُتبت على الحرير وعُلّقت على استار الكعبة واخصّ المعلّقات لشعراء من قبائـل نصرانيّة كتغلب وبكر وكندة ففي كتابتها برهان على شيوع فنّ الخطّ بين النصارى

ومن الادلّة على ذلك مـا جاء في شعراء النصرانيّة من الاشارة الى الكتابة كقول حاتم الطائيّ (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتعرف آثار الديار توهّماً كخطّك في رقّ كتاباً مُنمّنا

وقال المرار بن منقذ يصف اخربة دارٍ :

وترى منها رسوماً قد خلَتْ مثل خطّ اللام في وحي الزُّبُرْ

ومثلهـا لبيد حيث قال :

وجلا السيول عن الطلال كأنّها زُبُرٌ تجدّ متونها اقلامُها

وسبقهم امرؤ القيس فشبّه طلل الدار بوحي الزبور في عسيب يماني :

لمن طلل ابصرتهُ فشجاني كخطّ زبورٍ في عسيبٍ يماني

وقال ايضاً مخمّساً زبور الرهبان :

قفا نبكي من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عفت آياتهُ منذ أزمانِ
انت حججٌ بعدي عليها فأصبحت كخطّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ

وقد افتخر اميّة ابن ابي الصلت بقومهِ اياد لمعرفتهم بالكتابة . فقال :

قومي اياد أُمَمٌ أُمَمُ او لو أقاموا فتهزّلُ الشَّمَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطّ والقَلَمُ

القطّ هو الكتاب . وقد بيّنّا سابقاً انّ بني اياد من اوّل القبـائل المتنصرة .

١) راجع في المشرق (٥ : ١٠١٦–١٠٦٣) تفاصيل هذه القصّة

ومنهم كان لقيط الايادي (راجع القسم الاوّل ص ٧٥) الذي ارسل لقومه صحيفة ينذرهم فيها بما يتهدّدهم من الاخطار من جانب كسرى (١ اوّلها :

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى من بالجزيرة من اياد

هذا ومما ينفي كلّ شكٍ في ما نقولهُ ان الكتابتين العربيّتين اللتين وُجدتا حتى اليوم من عهد الجاهليّة هما لقوم من النصارى . فاقدمُهما الكتابة التي رسمنا صورتها في القسم الاوّل الباب التاسع (ص ١٠٣ ١٠٤ وهي الكتابة المكتشفة في زُبَد في جوار الفرات يرقى عهدها الى السنة ٥١٢ للمسيح اي قبل الهجرة بمئة وعشر سنين وهي في ثلث لغات اي اليونانيّة والسريانيّة والعربيّة تُصرّح بان المشهد الذي أُقيم هناك انما شُيّد تذكارًا للقديس سرجيوس الشهيد وفي اوّلها الاسم الكريم او دعاء لهُ تعالى (٢

والاثر الثاني وُجد في حرّان من اعمال بلاد حوران مكتوباً باليونانيّة والعربيّة تاريخهُ ٥٤ قبل الهجرة اي السنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح ورد فيهِ انّ هناك «مرطول» (Martyrium) اي مشهد لتذكار القديس يوحنّا المعمدان هذا اوّلهُ بالعربيّة

انا شرحبيل بر (بن) طلسو (ظالم) بنيتُ ذا المرطول سنة ٤٦٣ . . .

وقد رسمنا مع هذه الكتابة كتابتين اخريين عربيّتين الواحدة بالحرف النبطي وجدها في نمارة في الصفا الرحّالة دوسو وهي مكتوبة على ضريح احد ملوك الحيرة يُدعى امرؤ القيس بن عمرو تاريخ وفاته ٧ كانون من السنة ٢٢٣ لبصرى الموافق لسبعة كانون الاوّل من السنة ٣٢٨ للمسيح . والاخرى عن صفيحة قرآن كُتبت على الرقّ من القرن الثالث للهجرة وهي خاصّة مكتبتنا الشرقيّة

فكلّ هذه الحجج والبيّنات دعت بالعلماء المستشرقين الى ان ينسبوا الكتابة العربيّة او على الاقلّ انتشارها بين العرب الى النصارى واوّلهم امامهم دي ساسي (Bon S. de Sacy) الذي كتب في هذا الصدد مقالة واسعة اثبت فيها استعارة العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق وما بين النهرين قال في المجلّة الاسيويّة (J. A., Ire Série, X. 210-211) مشيرًا اليها :

J'établissais par des preuves de toute espèce que l'écriture . . .

١) راجع تاريخ ابن الاثير (١ : ١٥٧ طبعة مصر)

٢) اطلب رحلة المسيو دوسو (R. Dussaud) الى بادية الشام (ص ٢١٦، ٢٢٤) وكتاب ليدزبرسكي (Lidzbarski) في الكتابات الآرامية (ص ٤٨٤)

fut apportée dans le Hedjaz de la Mésopotamie, où les Syrieus l'avaient propagée parmi les tribus arabes qui avaient, du moins en partie, reçu la religion chrétienne, ce culte auquel la mauvaise foi a si souvent reproché de favoriser l'ignorance, et qui, comme l'histoire en fait foi, a toujours amené à sa suite l'art d'écrire et le goût pour l'étude.

وقال الاثري الشهير فيليب برجه في كتابه عن اصول الكتابة (Ph. Berger: *Histoire de l'Ecriture dans l'Antiquité*, 2de éd., 287) « ان الكتابة العربية وجدت قبل محمّد كانت نصرانيّةً قبل ان تتحوّل الى اسلاميّة »

L'écriture arabe existait avant Mahomet, elle a été chrétienne avant d'être musulmane.

ومثلهما المستشرق العلّامة ولهوزن (J. Wellhausen : *Reste arab, Heidentums*, p. 232) أكّد بان الكتابة العربية شاعت اوّلًا بين النصارى ولاسيما العباديين في الحيرة والانبار فقال :

Die Christen haben das Arabische wol zuerst als Sprichtsprache gebraucht. Namentlich die Ibaedier von Hira und Anbar scheinen sich in dieser Beziehung Verdienste erworben zu haben.

ويوافق هؤلاء الكتبة الدكتور الالماني روثستين (G. Rothstein : *Die Dynastie d. Lahmiden in al Hira*, p. 26) والاستاذ المجري الشهير غولدسيهر (J. Goldziher : *Muhammedanische Studien*, I, 110)

فهذه الشواهد كافية لتثبت حقيقة قولنا بانّ الفضل الكبير في تعليم الكتابة العربيّة للمسلمين يرجع لنصارى العرب وان لم ننكر انّ لليهود ايضاً حصّةً في ذلك لا سيما في المدينة كما ذكر البلاذريّ . وكذلك ذكروا انّ بعض العرب كتبوا في الجاهليّة بالعبرانيّة الّا انّ عبرانيّة ذلك العهد هي الآراميّة او السريانيّة كقول صاحب الاغاني (٣ : ١٤) عن ورقة بن نوفل « انّهُ كان يكتب بالعبرانيّة من الانجيل ما شاء » والله اعلم (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Axel Moberg: BUCH DER STRAHLEN-Die groessere Grammatik des Barhebræus. *Erster Teil u. Stellenregister* (1913) pp., 436 *Leipzig.*

كتاب الصحي لابن العبري

ورد في المشرق (١ : ٥٥٧ — ٥٥٨) ذكر الكتب اللغويّة التي نال فيها ابن العبري قصبة السبق بين السريان . وقيل هناك انّ اكبر هذه التآليف انّما هو كتابهُ المسمّى بالصحي (ܣܗܪܐ ܕܢܗܘܪܐ) اي الضياء . وهذا الكتاب مع فضله لم يُطبع الّا طبعةً حجريّة تولّى نشرها الخوري الفرنسويّ مارتين في باريس سنة ١٨٧١ . والى هذه الطبعة السقيمة يرجع علماء السريانيّة حتى الآن لكنهُ منذ خمس سنوات اراد احد اساتذة مدرسة لُند المستشرق الالماني مربرغ ان يقرّب فوائد هذا الكتاب من طلبة العلوم الشرقيّة فترجم قسماً منهُ الى الالمانيّة اي مقدّماتهِ العموميّة وها هوذا انتهى من بقيّة اقسامهِ اعني احوال الاسم والفعل والحرف عند السريان . ولم يكتفِ بنقلهِ الى لغة اوربيّة نقلًا مضبوطاً بل اضاف اليهِ ملحوظات شتّى واصلاحات على الطبعة الحجريّة وفهارس للالفاظ اللغويّة المشروحة . حتى جعلهُ احسن الاسانيد التي يستند اليها اصحاب التآليف في لغة السريان على مثال امامي المستشرقين تيودور نولدك وروبنس دوڤال . فنحضّ العارفين بالالمانيّة في بلادنا من طلبة اللغة السريانيّة على اقتناء هذه الترجمة المفيدة الاب ب . جورن

LE THALER DE MARIE-THÉRÈSE. Etude de Sociologie et d'Histoire Economique par Marcel-Maurice Fischel, *Paris, Giard et Brière*, 1912, XXXI-208

الريال النمساوي

من غريب الامور التي ألفها عرب الحضر والمدر على عهدنا في قسم كبير من بلاد الجزيرة الى حدود العراق ثمّ في شمالي افريقية واواسطها كالسودان والدرفور ونوبية وكردوفان ودنقلة والصحراء ومراكش انهم اعتادوا في متاجراتهم استعمال نقود قديمة مضروبة في النمسا على صورة مريم تريزا امبراطورة اوستريا التي ملكت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فشاع في البلاد المذكورة ريالها حتى لم يكد

العرب يقبلون غيره وتكرَّر لذلك مراراً عديدة سبكهُ منذ ١٦٠ سنة بل يُسبك غير مرَّة في السنة الواحدة . ففي العام الماضي ١٩١١ ضُرب منهُ ٨,٣٨٧,٢٠٠ قطعة صُرفت كلها في جهات الشرق وبين العرب . فاحبَّ الدكتور الفرنسويّ فيشل ان يبحث عن اصل هذا الشيوع الغريب واتساع دائرته واسبابه فوضع كتاباً ضخماً سعى فيه عن ايضاح الامر فبعد ان لخَّص تاريخ متاجرة الدول الغربيَّة مع الشرق لاسيما فرنسة بيَّن كيف دخل الريال النمساوي في المعاملات التجاريَّة بادئ بدء وكيف غلب استعمالهُ على غيره حتى انَّ العرب لم يعودوا يرضون بسواه . فعلَّل الامور باسباب سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة اثبتها في هذا الكتاب على طريقة مستطرفة . وزاد على هذه الاسباب داعياً آخر وهو اتخاذ العرب هذا الريال كحلية تزين بها نساؤهم رؤوسهم وكقلائد لبناتهم اذ رأوا في تمثال مريم تريزا صورة ملكة عظيمة الشان متوَّجة بتاج الملوك فاستحلوها وفضَّلوها على سواها . وقد تعجَّبنا لدى مطالعة هذا الكتاب من علم صاحبه الذي امكنهُ ان يكتب كتاباً في نيف ومائتي صفحة عن قضيَّة لا يستطيع واحد من اهل الشرق ان يكتب فيها صفحة واحدة ل . ش

ՀՈՐՍ ԱՌԵՏԱՌՈՒԹԻՒՆ

եւ

ԳՈՐԾՔ ԱՌՔԵԼՈՅ

ترجمة الاناجيل المقدَّسة واعمال الرسل في الارمنيَّة الحديثة

طُبع بساعي الآباء اليسوعيين في مطبعتنا الكاثوليكية في بيروت (١٩١١ ص ٤٨٧)

انَّ الطائفة الارمنيَّة سواء كانت كاثوليكيَّة او غريغوريَّة لا تستعمل في طقوسها غير اللغة الاصليَّة المعروفة عندهم بالقرابار (գրաբար) الراقي عهدها الى القديس مسروب الكبير في القرن الخامس للمسيح . على انَّ هذه اللغة الشريفة قد يشكل اليوم فهمها على جمهور الارمن . فاستدراكاً لهذا الخلل سعت الجمعيَّات البروتستانيَّة بنقل الاسفار المقدَّسة الى الارمنيَّة الحديثة فنشروها كعادتهم نشراً واسعاً في كلّ أوب وصوب رجاء ان يجتذبوا بواسطتها ابناء الكنيسة الارمنيَّة الى اضاليلهم . فهذا ما حدا بالآباء اليسوعيين المرسلين في جهات الارمن الى ان يُقدموا على ترجمة جديدة للاناجيل الاربعة ولاعمال الرسل عدلوا فيها عن التعبير

القديم غير المفهوم من العامّة في زماننا ونزّهوها معاً عن كلّ لفظة مطروقة مستهجنة. وقد رجعوا في هذه الترجمة الى الاصل اليونانيّ امّا الروايات المخالفة لهذا الاصل التي وردت في ترجمة القديس مسروب الشائعة باسمه فاهملوا بعضها لأنّ اهل النقد لم يقفوا حتى اليوم على نسخة خطيّة ثابتة يمكن نسبتها اليه. مثال ذلك ما ورد في لوقا (١ : ٢٨): «السلام عليك يا ممتلئاً نعمةً» وفي اليونانيّة (κεχαριτωμένη) فانّ الترجمة المسروبيّة فسّرت هذه اللفظة بكلمة معناها المسرورة والفرحة (բերկրեալ) والاوفق ان تترجم بكلمة مطابقة لليونانيّة وهي (լի շնորհեալ). وقد اضاف النقلة الى المتن بعض شروح قصيرة واضحة لازالة كلّ ابهام عن بعض الآيات التي يحوّلها البروتستانت عن معناها الصحيح ليثبتوا بواسطتها تعاليمهم الفاسدة وهذه الترجمة الجديدة قد صادقت عليها اللجنة الكتابيّة بعد فحصها في رومية ف. ت

سيرة القديس يوحنّا الدمشقي الاصلية تصنيف الراهب مخائيل السمعاني الانطاكي. نشرها لاوّل مرّة الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي. بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ٢٦)

لمّا وصفنا المخطوط الحادي والخمسين من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وفيه مقالات عديدة للقديس يوحنّا الدمشقيّ تاريخها اواسط القرن الثامن عشر ذكرنا انّ في آخر الكتاب ترجمة حياته وظننّا انها ملخّصة عن ترجمته اليونانيّة المنسوبة الى يوحنّا البطريرك الاورشليميّ (وقيل الصواب الانطاكيّ) من كتبة اواخر القرن العاشر وانّ معرّبها هو الراهب انطوني من سيق مار سابا المذكور اسمهُ في اوّل الكتاب. فهذه الترجمة العربيّة منها وجدها حضرة الخوري قسطنطين الباشا في ثلاث نسخ الواحدة قديمة ناقصة لا تاريخ لها كانت في حمص والثانية وُجدت في كفربو من اعمال حماة تاريخ كتابتها سنة ١٦٤٦ وفي اوّلها مقدّمة للراهب مخائيل السمعاني الانطاكيّ يقول فيها انّهُ قد صنّها بعد دخول سليمان بن قطلمش الى انطاكية سنة ٦٥٩٣ للعالم (١٠٨٤ م). والثالثة اقدم هي من مخطوطات مكتبة الواتيكان تاريخ كتابتها سنة ١٢٢٣. فقابل حضرة الخوري ق. الباشا بين هذه النسخ فتأتّى لهُ ان يستخرج منها سيرة تامّة نشرها في مطبعة الآباء البولسيين في حريصا. وهو يظنّ انّ هذه النسخة العربيّة هي الترجمة الاصليّة التي بعدئذٍ شاعت في اليونانيّة بتصرّف

كبير على اسم يوحنا بطريرك انطاكية وانّها وضعت اوّلا في العربية ومؤلفها هو ميخائيل الراهب المذكور في مقدّمة النسخة الثانية ثم نقلها بعد ذلك يوحنّا بطريرك انطاكية الى اليونانيّة بتصرّف . ونحن مع تقدمة التهانئ لحضرة الخوري ق . ب . نرى مشكلاً في نسبته ترجمة القديس يوحنّا الدمشقي العربيّة الى الراهب ميخائيل وفي نسبته نقلها اليوناني الى يوحنّا الانطاكي وقد عاش هذا في القرن العاشر على عهد نيقوفورس الثاني فوقاس وكتب الراهب ميخائيل بعدهُ بنحو مائة سنة في القرن الحادي عشر بعد دخول ابن قطلمش الى انطاكية سنة ١٠٨٤ فالرجاء من حضرته ان يحلّ لنا هذا المشكل التاريخي ل . ش

شذرات

الكنيسة بازاء اعدائها — تأسّف حضرة الخوري ا . م . غ . احد الآباء المرسلين الكرعيين في بوانس ايرس على ما وجدهُ في الجمهوريّة الفضيّة من معاداة بعض الكتبة للكنيسة الكاثوليكية فنظم هذه القصيدة منتصراً لبيعة الله مبيّناً فيها انّ مساعي اعداء الكنيسة لا تضرّ بسواهم وانّ الكنيسة لا بُدّ فائزةٌ شاؤوا ام ابوا:

رَسَمَ الالهُ على الكنيسة آيةً تتزعزع الدنيا ولا تتزعزعُ
صَرعت قوى من رامَ صَدْمَ صليبها أبداً تدوم وللأعادي تصرعُ
شَنَّ العوالمُ غارةً لقتالها فتقهقروا وتشتّتوا وتضعضعوا
والنصرُ دوماً دأبُها وشعارُها وسيوفها عنقَ الضلالةِ تقطعُ
يا من عمدت الحربَ مَعْها فارتجع كي لا تعودَ بعينِ حزنٍ تدمعُ
هاكَ المثالَ اذا قصدت قتالها وتيقّنْ بانَّ نفسكَ تخدعُ
قردٌ رأى يوماً حذاهُ حمامةً بيضاء كالثلج النقيّ تلمعُ
أتتِ ارتقتْ غصناً باعلى دوحةٍ في روضةٍ فيها البدائعُ جُمَّعُ
وبهاؤها بهرَ العيونَ بنورهِ فكأنها شمسُ الماء تشعشعُ
جمعتْ جموعَ فراخها من حولها وغدت بهم شبه الثريّا تسطعُ

من مُدهش بجماله من كاملٍ بصفاتهِ حذقاً وحسناً يجمعُ
من طائرٍ من ماثلٍ من صادحٍ سبحاً ومجداً للمهيمن يرفعُ
حرق الحشا من تي المشاهد قردنا واذابهُ الحسدُ الخبيث المُفجعُ
وغدا كمن فقدَ الهُدى من قهرهِ يرغي ويلطمُ رأسهُ ويُبمبعُ
قصدَ الحسودُ قتالها ليميتها ظنّاً بان الضيمَ عنهُ يدفعُ
ما اذنبتْ لكن رآها أنها بدرُ الجمالِ وانه المُستشنعُ
هجمَ الجهول وقلبه متحرقٌ وبقصدهِ غصنَ الحمامة يقطعُ
ليزجها حتى الحضيضِ وزعمهُ بسقوطها كاسَ المنونِ تُجرّعُ
فتسلّقَ الغصنَ الذي هي فوقهُ في همّةٍ تحكي النسيمَ واسرعُ
وبدا يعضّضهُ ويقرض جذعهُ ويجزّهُ طوراً وطوراً ينزعُ
جهلَ التعيسُ بانه إن قطّع م الغصنَ فحالاً عمرهُ يتقطعُ
قالت له تلك الحمامةُ: يا غبي اجهلتَ انكَ بابَ حتفكَ تقرعُ
لم يرتدعْ فالحقدُ اعمى قلبهُ وأبى النصائحَ والمواعظَ يسمعُ
شفقت عليهِ وحذّرتهُ فما ارتضى الّا حماقةَ فعلهِ يتتبّعُ
حتى تحطّمَ غصنهُ فدرتْ لهُ اصداءُ اوديةٍ وهو يتصدّعُ
وانقضّ منحطّاً بصحبةِ قردنا فتكسرت اطرافهُ والاضلعُ
وتضرّجتْ جثمانه بدمائهِ وحياتهُ بالرغمِ عادَ يودّعُ
فبكى دماً ندماً على مفعولهِ وتمازجت فيهِ الدما والأدمعُ
ندمَ التعيسُ ولات ساعة مندمٍ راحت ندامته سدًى لا تنفعُ
امّا الحمامة فحلّقت بترفرفٍ نحوَ الكواكبِ بالهنا تتمتّعُ
وفراخها ضحكت عليهِ لجهلهِ وتطايرت نحو العُلى تتجمّعُ
والقردُ اضحى اسفلاً متجندلاً والطرف منهُ محرّقاً يتطلعُ
ذابت حشاه واكتوتْ امعاؤهُ وقضى بموتٍ للصخور يُفجّعُ
كيدُ العدوِ عليهِ يرجعُ دائماً والنصرُ دوماً للكنيسة يرجعُ
هذي الكنيسة لا تذلُّ لقاتلٍ وتُذلُّ راساً ضدّها يترفّعُ
هذي الكنيسة لا يُصدّعُ ركنها وصليبها وركنَ الجحيم يصدّعُ

هذي الكنيسة لا خلاصَ بدونها تتزعزع الدنيا ولا تتزعزعُ

اعتراضات محمّد طاهر التنير روى حضرة الاب تورنبيز في مقالتهِ عن النهضة الكاثوليكيَّة في حلب في القرن السابع عشر ما ابداهُ بعض نصارى الشهباء في سبيل دينهم من البسالة حتى فضّلوا المنيَّة على الدنيَّة وماتوا كراماً لحفظ شرفهم ودينهم . فقام كاتب عرف قرّاؤنا تطاولهُ على ديننا في كتابهِ المعنون « العقائد الوثنية في الديانة النصرانيَّة » الذي زيَّفناهُ بكرّاسين تحت عنوان « تفنيد التزوير لمحمّد طاهر التنير » فاخمناهُ بهما وكان بوسعنا ان نطيل ذلك الردّ في عدَّة مجلَّدات . وكأنَّ هذا الكاتب الغرّ نقم علينا فظنَّ انَّهُ هذه المرَّة يصيب في مجلَّتنا مقتلاً لكن ساء ظنُّهُ فانَّ الاخبار التي نقلها حضرة الاب تورنبيز عن شهداء حلب رواها عن اوثق المصادر بل عن شهود عيانيين دوَّنوها عند وقوعها وقد دلَّ حضرة الكاتب في ذيل مقالتهِ على هذه الاسانيد التي يمكن التنير واصحابهُ ان يرجعوا اليها . وهي مرويَّة اوَّلاً في ترجمة القنصل الفرنسويّ « فرنسوا بيكه » الذي كان في تلك الايَّام قنصل مملكتهِ في حلب واعلمَ دولتهُ بوقوعها . وثانياً دوَّنها المرسلون الفرنسويُّون في كتاباتهم المرسلة الى اوربة والمصونه حتى اليوم في سجلَّات الدولة الفرنسويَّة حيث يستطيع كلّ من شاء ان يفحصها ويتحقَّق صدقها . وثالثاً ورد ذكرها في تاريخ يرقى كاتبهُ الى ذلك العصر طُبع بالفرنسويَّة والايطالية عنوانهُ (Besson : *Syrie et Terre Sainte*) . رابعاً ولا يزال نصارى حلب يروون حتى اليوم كثيراً من هذه الاخبار ويكرمون اولئك الشهداء . وقد شاهدنا في بعض احيانهم قبر واحد منهم . افيطلب محمّد طاهر التنير اكثر من هذه الشواهد ؟ . ولو عرف ما نعرفهُ من اخبار ذلك الزمان بل لو تذكَّر ما هو اقرب منَّا وعاينهُ بعض شيوخنا بل كهولنا واحداثنا كحوادث الشام سنة ١٨٦٠ وحوادث الارمن سنة ١٨٩٥ وآطنة سنة ١٩٠٩ لودَّ لو ان تبقى تلك الاعمال الهمجيَّة مستورةً الى ابد الدهر . ولكن ليس خفيّ الَّا سيظهر ان شاء الله . امَّا شتائم الكاتب فلا نكترث لها ويكفينا ان نقول لهُ انَّ ما عدَّهُ في مقالة الاب تورنبيز كذباً وخرافة دليل واضح على انَّهُ يجهل اخبار زمانه التي كلّ منَّا بل كلّ من رواة المسلمين يعرفون اكثر منها . وما احرانا نحن من جهتنا ان نقيم الحجَّة على محمّد طاهر التنير الذي من

اوّل عدد من وزّيتهِ الحديثة ابتدأ بالسفاهة وجرح احساسات النصارى بصورة صليب علّق على عارضتهِ حذاء ونصبهُ فوق رؤوس ملوك البلقان سامح الله الدولة التي تسمح بنشر مثل هذه المسوخ

اثر روماني في بيروت بينما كان الفعلة في اواسط الربيع الاخير يحفرون لوضع اساس بيت في رأس بيروت اذ وقفوا على صفيحة طولها متر و١٢ س في عرض ٤٧ ملمترًا وسمك ٤٠ م وجدوا عليها كتابة لاتينيَّة محكمة الصنع مهمّة لتاريخ بيروت نشرها حضرة الاب لويس جلابرت من اساتذة كليّتنا في نشرة اكادمية الكتابات والفنون الجميلة (Académie des Inscript. et Belles-Lettres, *Juin*, 1912, 248-256)

C. Valerio. T. f., Fab(ia tribu). Rufo, honor(ibus) decurionalib(us) orn(ato) dec(urionum) dec(reto), praef(ecto) coh(ortis) VI praetor(iae), tr(ibuno) mil(itum) leg(ionis) VII Cl(audiae) P(iae) F(idelis), misso cum vexillo ab Imp(eratore) Nerva Traiano Optumo Aug(usto) Ger(manico) Dacico Parth(ico) Cyprum in expeditionem, praef(ecto) alae Gaetulor(um), praef(ecto) Imp(eratoris) Caesaris Trani (*sic*) Hadriani Aug(usti) P(atris) P(atriae) (duum)virali potestate, L. Careius Adiectus Sedatianus ob merita.

فيستفاد من هذا الاثر ان رجلًا من مستعمرة بيروت الرومانيَّة اسمهُ كاريوس أدجكتوس سيداتيانوس عُني بحفر هذه الكتابة تذكارًا لضابط يُدعى ڤاليريوس روفوس اشتهر بعدّة وقائع نال من فضل الامبراطور ادريان نحو السنة ١٢٩—١٣٠ للمسيح رتبة شرفيَّة اذ جعلهُ كنائبهِ في بيروت لمّا اختارتهُ بلديَّتها كاحد الاثنين (duumvir) المتولّين تدبير احوال المدينة . وفي الكتابة المذكورة اشارة الى خدم أخرى اداها ڤاليريوس روفوس لدولتهِ اوّلها محاربتهُ للفرس مع الامبراطور طرايانوس سنة ١١٤ كضابط في الفرقة السابعة المعروفة بكلوديا . ثم بعثتهُ العسكريَّة الى قبرس نحو ١١٦ او ١١٧ لكبح جماح اليهود الذين روى عنهم المؤرخ ديون كاسيوس انهم كانوا عمدوا الى الثورة فنهبوا مدينة سلامينة وقتلوا ٢٤٠,٠٠٠ من اهل تلك الجزيرة . ثم تعيينهُ كقائد لفرقة من الفرسان تُعرف بالجاتوائيَّة . فترى خطر هذا الاثر لتاريخ بيروت وقبرس والامبراطورين طرايانوس وادريان ومنهُ يرجّح انَّ ادريان شرَّف بيروت بزيارة خاصَّة فاختارتهُ البلديَّة كرئيسها شرفًا

أسئلة وأجوبة

س ارسل لنا من سدني (اوستراليا) حضرة الخوري يوسف الدحداح قطعة من جريدة انكليزيّة تدعى الشمس تاريخها ١٠ ت ٢ سنة ١٩١٢ (The Sun. November, 10, 1912) فيها صورة حيوان شبيه بالانسان اصطادهُ بعضهم وادّعوا انهُ من نسل الحيوان المتفرّع منهُ الانسان

ج الحيوان المذكور كما تشهد عليهِ الصورة المرسلة نوع من القرود التي لا ذنب لها وهو اقربها من شكل الانسان يُعرف باورنغ هوتنغ (Orang- Outang) والعلماء يعرفونهُ من مدّة طويلة ومن جملة احد جدود الانسان او شقيقاً لهُ خلط الدرّة بالبعرة

س وسأل من البقاع حضرة الخوري اسطفان يوسف الشدياق ايجوز للشرقيين قراءة الروايات الخلاعيّة المحرّمة في اصلها الاوربيّ كتآليف اسكندر دوماس واوجين سو وغيرهما

ج معلوم انَّ الكتب المخالفة للدين والمنافية للآداب اذا حرمها الكرسيّ الرسوليّ في لغاتها الاصليّة هي محرّمة ايضاً في ترجماتها . فالشرقيّون كغيرهم من الكاثوليك يخطئون اذا عرّضوا نفوسهم لخطر الكفر او لفساد الآداب بمطالعة تلك التآليف الضارّة . امّا هل تنالهم ايضاً العقوبات الكنسيّة التي يستوجبها الغربيّون بمخالفة امر المجمع المقدّس فالامر ليس بمقرّر

س وسأل مستفيد من بغداد من هو « ارسطاطاليس بن نيقوماخوش الجهراشي » الذي ورد ذكرهُ في طبقات الامم لصاعد الاندلسي الذي ترجم طبعهُ في المشرق (١٩ : ٦٦٩)

ارسطاطاليس بن نيقوماخوش الجهراشيّ

ج قد اثبتنا في ذيل المشرق هناك انَّ اسم الجهراشيّ قد التبس علينا وذكرنا انَّهُ من المحتمل ان المؤلف اراد « الاسطاغيري » نسبةً الى اسطاغيرا وطن ارسطو . فقام صاحب لغة العرب (١ : ١٨٩) ليفند هذا الرأي وتأوّل لهُ تأويلات غريبة كقولهِ انَّ الجهراشيّ تعريب « Γεραίος » اي الشيخ او نسبة الى « Γεραιστος » احد آلهة اليونان او نسبة الى مدينة غرسته (Géreste) مدينة يونانيّة . وكلّ ذلك لا اصل لهُ ولا فصل . والصواب انَّ « جهراش » مدينة في حوران واسمها جرش او جهراش (Gérasa) فنسب اليها صاحب طبقات الامم نيقوماخوس ابا ارسطاطاليس وذلك غلط بل خلطٌ منهُ لانَّهُ وُجد عالم من جرش اسمهُ نيقوماخوس الجرشي او الجهراشيّ كان رياضيًّا وفيلسوفاً في القرن الاوّل بعد المسيح فظنّ صاحب طبقات الامم انهُ والد ارسطو . وبذلك سقطت تأويلات صاحب لغة العرب ل . ش

السنة السادسة عشرة العدد ٢ شباط ١٩١٣

المشرق

البرهان الصريح
في اثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي

في ستَّة اعداد من مجلَّة المنار المصريَّة الاسلاميَّة (ع ٤ الى ١٠) في العام المنصرم مقالات واسعة تحت عنوان « بشائر عيسى ومحمَّد » بامضاء « الدكتور محمَّد توفيق افندي صدقي الطبيب بسجن طره بمصر » زعم فيها كاتبها انَّهُ ينقض اساس الديانة المسيحية فيظهر بطلان حجج النصارى في ألوهيَّة المسيح فكتب ستَّة فصول في نحو مئة صفحة قدَّم عليها مقالة عن القرابين والضحايا تتبَّع في كلها بعض نصوص الاسفار المقدَّسة مدَّعياً انَّها لا تصدق عن السيِّد المسيح بل هي اولى بنبيهِ (١. فلم يمكنَّا السكوت عن هذه المماحكات والافتراءات فعزمنا على ردّ هذه الحجج الواهنة واثبات وجه الحقّ امتثالًا لقول بولس هامة الرسل في رسالتهِ الاولى (٣: ١٥) حيث قال: « كونوا مستعدّين دائمًا للاحتجاج لكلّ من يسألكم حُجج الرجاء الذي فيكم ولكن بوداعة ومهابة ». وعليهِ فانَّنا نضرب صفحًا عمَّا نسبهُ الكاتب الى نبيهِ من كتبنا المقدسة ونكتفي بالدفاع عن حقيقة معتقدنا بالوهيَّة السيِّد المسيح . واستنكافاً من الخصام والجدال اللذين لا يجديان نفعاً في غالب الاوقات قصدنا ان

١) والعجب ان بعض المسلمين اذا جادلوا النصارى تلوا آيات الاسفار المقدسة ولا ينسبون اليها التحريف الَّا اذا وجدوا فيها شيئًا لا يوافق آراءهم

لا نعود نأتي في ما سنقول بذكر مجلّة المنار ومكاتبها الدكتور محمّد توفيق افندي صدقي ليكون كلامنا عامًّا يشمل كلّ القرّاء من ايّ دين كانوا فلعلّهم يذعنون الى اليقين « فيعرفون الحقّ والحقّ يحرّرهم » كما قال الربّ (في يوحنّا ٨ : ٣٢)

مقدّمات

في مقالاتنا التالية نفترض امورًا لا بدّ من تقديمها لئلّا تكون حججنا مبنيّة على ركن فاسد . واوّلها صحّة اسفار العهد الجديد واخصّها الاناجيل الاربعة المقدّسة باعتبارها ككتب تاريخيّة محضة كما بيّن الامر حضرة الاب انطون رباط في مقالاته المقرونة بالانجيل الشريف (١ التي لم ينقض احد حتى الآن ادلّتها الواضحة

وكذلك اسفار العهد العتيق سواء كانت اوّلية يعترف بصحّتها اليهود والبروتستانت مثل الكاثوليك او ثانويّة لم تُكتَب في الاصل بالعبرانيّة بل في اليونانيّة او الكلدانيّة واقرّ معظم اليهود بصحّتها قبل المسيح اذ هم نقلوها لبطالسة مصر في القرن الثالث قبل الميلاد في ترجمتهم السبعينيّة وحاجّهم بها المسيح ورسلهُ

ونضرب الصفح ايضاً عن سرّ الثالوث الاقدس الذي يقتضي اثباتهُ ادلّة خاصّة قائمة بذاتها . كما اننا في ذكرنا للكنيسة لا نعتبرها الّا كجمعية دينيّة بحتة مع صرف النظر عن خواصّها وتميّزها عن بقية المجتمعات الدينيّة

نفهم بالالوهيّة كون السيّد المسيح الجامع في شخصهِ الكريم الطبيعتين الالهيّة والبشريّة ليس هو الّا اقنوما واحدًا كما انّ كل واحد منّا هو انسان فرد قائمٌ بعنصرين مختلفين هيولي هو الجسد وروحيّ هو النفس . وكما انّ للانسان الواحد اعمالًا هيوليّة تتمّ في جسدهِ كالاكل والشرب واعمالًا روحيّة تتمّ بقواه العقليّة كالفكر والارادة وكلّها مع ذلك تنسب الى شخصهِ فكذلك للسيد المسيح اعمال بشريّة اتاها في ناسوتهِ كالنوم والمشي والتعب والولادة والموت واعمال الهيّة قام بها لاهوتهُ كالمعجزات العديدة التي صنعها امّا في ذاتهِ وامّا في غيرهِ كتجلّيهِ في جبل الطور وكاقامتهِ الموتى . ومصدر هذه الاعمال المختلفة هو الشخص الواحد الالهيّ الذي وحدهُ

١) وهذه المقالات قد طُبعت على حدة وهي تباع في مطبعتنا الكاثوليكيّة

امكنهُ ان يقول دون كفر وتجديف : « انا نور العالم . انا الطريق والحقّ والحياة . انا والآب واحد » ولولا الوهيتهُ لحقّ لليهود ان يصلبوهُ ويقتلوهُ لانَّ كلاماً مثل هذا لا يصحّ لبشر

*

انَّهُ لأمر مقرَّر تشهد لهُ التواريخ القديمة وتقاليد الامم باسرها انَّ العالم كان في عهد المسيح ينتظر مخلّصاً ينقذهُ ممَّا لحق بهِ من الشرور المتفاقمة والفساد العامّ الذي حطَّ بهِ الى اقصى درجات الذلّ والهوان

ولبيان الامر يكفي العاقل المتروّي ان يلقي نظرًا خفيفاً الى حالة الدنيا قبل السيد المسيح فيرى ما كانت صارت اليهِ من الانحطاط الأدبي والضلال المطبق وذلك حتى بين الامم الارقى رتبةً في سلّم الحضارة المادّيّة والارفع مقاماً في معارج العمران المدنيّ كالبابليين والمصريين والفينيقيين واليونان والرومان

فانَّ تآليف المؤرخين والآثار العديدة المكتشفة في العصر الاخير في كلّ انحاء الشرق جاءت متناصرةً متعاضدةً تتّفق كلّها في وصف فساد اديان تلك الامم وتعاليمها البذيئة وابرازها النجسة الدنسة . فان اقاصيص آلهتهم واعمالها الشرّيرة لَممَّا يندى لهُ الجبين خجلاً اذ نسبوا اليها كلّ الاهواء البشريّة الرجسة فقدّسوا اقبح الشرور والمآثم في آلهتهم ليزكّوا نفوسهم باقتدائها فكان زُحَلُهم (ساتورنوس) شرّ الآباء ينتذي بلحوم ابنائهِ . وكان مشتريهم (جوبتير) زانياً . وزُهرتهم (ڤانوس) عاهرةً ومريخهم (مارس) جلفاً قتّالاً . وعُطاردهم (مركوريوس) سارقاً . وباخوسهم سكّيرًا فاذا احتفلوا باعيادهم كرّموهم باقتفاء مآثمهم . ومن اطّلع على ما كتبهُ في ذلك اليونان والرومان روّاد التمدّن حتى نقلهُ ما يرى في تآليفهم من الشناعة في الامور الدينية فكانوا لاكرام آلهتهم يأتون بأفظع المنكرات واقبح الارجاس كعرض بناتهم في الهياكل للفحشاء ونصب التصاوير النجسة والطواف بها في الساحات . وكانت اسرار ألوسيس (Eleusis) وكيبال (Cybèle) تقام في جنح الظلام وفي اسراب الهياكل لئلّا يفتضح بكشفها اصحابها

وما كانت اديان البابليين والمصريين ارقى واشرف فانَّهم كانوا ألّهوا مواليد الطبيعة كلها من جماد ونبات وحيوان فعبدوا الحجارة الصمّاء وضروب الاشجار

كالنخل والسرو واخسّ الحيوانات كالخنّيت والجرّة والخنافس والثعالب. ومن اراد الوقوف على آلهتهم كفاهُ ان يدخل بعض متاحف المدن الكبرى كلندن وباريس وبرلين والقاهرة فيعوذ بالله من جهل اولئك الشعوب بل من جنونهم

ولدينا في انحاء الشام ما ينطق بلسان حالهِ عن نجاسة الاديان القديمة . فانَّ آثار عبادة عشتروت الفينيقية وملوخ الكنعانيّ وادونيس الجُبَيليّ لا تزال باقية في جوارنا فكانوا في أفقا والمنيطرة وبعلبك ينذرون فتيتهم وفتياتهم للعهارة ويضحّون اولادهم لملوخ فيلقونهم كحرقة في النار . وكانوا في حمص يعبدون حجرًا سوداء وفي سواحل فلسطين بعل زبوب (اي بعل الذّبان) والاله داجون (اي التنّين او الحوت) فيقترفون في معابد هذه الالهة الخنى المآثم من مضاجعة ذكران وقتل رجال ولاسيما اطفال صغار وجدوا مؤخرًا هياكلهم المنبئة بتضحيتهم في انقاض اريحا

ولم تكن هذه الاعمال والتعاليم منحصرة في العامّة بل شملت ائمّة المتأدبين والفلاسفة . فانّهم مع اقرارهم بانَّ العقل البشريَّ يثبت توحيد الاله كانوا يمارسون الشرك كغيرهم من الناس ولا يجسرون على المجاهرة بمعتقدهم خوفًا من الجمهور وترى في تعاليمهم حتى اوسعهم ادراكاً واثبتهم عقلًا آراء فلسفية في صفاتهِ تعالى وحقيقة النفس البشريّة وآخرة الانسان ما يضحك منهُ صغارنا ويفندونهُ بما تعلّموهُ في اوّل سنّ الرشاد . فهذا سقراط الذي مع اثباتهِ لوجود اله واحد حكَمَ بوجوب اتّباع دين الشرك الوطني . وهذا افلاطون جنح الى مذهب الحلول . وهذا ارسطو ارتاب في خلود النفس . وهذا زوادشت جعل الشرَّ إلهًا بازاء إله الخير . وهذا بوذا الهنود ذهب مذهب التقمّص وجعل الاله محلّ مجموع الكائنات . وما قولنا بالفلاسفة الأبيقوريين والكلبيين وغيرهم ممّن كانوا يعلّمون علانيةً وجوب نبذ كلّ شريعة ادبية للاستسلام الى الشهوات العالية وقس عليه بقية مذاهبهم الفاسدة

نعم انَّ الله كان اتّخذ لهُ شعبًا مختارًا في بني اسرائيل فسهر عليهِ بعين عنايته وافاض عليهِ اسبغ نعمهِ وارسل اليهِ انبياءهُ لينقذوهُ من ضلال الشرك وفساد الامم لكنّهُ كان لا يزال يميل الى مفاسد الامم المجاورة لهُ حتى اقتضى الامر ان يؤدّبهُ الله ويضربهُ ضربات اليمة ليوقظهُ من سِنَتهِ ويعيدهُ الى الصراط المستقيم . وكان في عهد المسيح قد عدل الى الاعتقادات الباطلة والخرافات الصبيانية السمجة التي لا

تليق بشأنه تعالى ويعجّها العقل السليم والتي تراها حتى اليوم مدوّنة في تلمودهم وهم يعتبرونها اعتبارهم لتوراة موسى واقاويل الانبياء بل يفضّلونها عليها. وكانت الاحزاب والشيع قد تعدّدت بينهم اخصّهم الفرّيسيون الذين مع محافظتهم على شريعة الربّ اضافوا اليها سُنَناً باطلة وتعاليم خاصّة وضعوها ليتحكّموا في سياسة الشعب اليهودي ويخدموا صوالحهم الشخصيّة. ثمّ الصَّدُوقيُّون الذين نبذوا الايمان بالقيامة الاخيرة ليستسلموا للملذّات

تلك كانت حالة الدنيا من حيث الدين وما قولك بها من حيث السلطة والاجتماع البشريّ. فانّ الرومان كانوا منذ ٧٠٠ سنة مدّوا في انحاء الارض بحزم وثبات ظلّ سيادتهم وسحقوا تحت الاقدام كلّ دولة تعرّضت لهم حتى سكتت الارض امامهم كما قال الكتاب عن الاسكندر. غير انّ هذه السلطة العليا التي رونقها الظاهر يبهر الابصار كانت محفوفةً بالمكاره وضروب العصبيّة والقهر. فانّ الرومان كادوا ان يستعبدوا قسماً كبيراً من الارض فانّ العبوديّة اضحت كقرح شنيع في جسم الانسانيّة اذ جعلوا نصف الارض عبيداً للقسم الآخر فكان العبيد يُباعون في الاسواق كالسلع وكان لكل من وجوه الرومان بينهم الألوف المؤلّفة منهم ذكور ومنهم اناث يتصرّفون بهم كما يشاؤون لهم عليهم حقّ الحياة والموت فيتلهّون بهم ويلقونهم للسباع. وكان الوفٌ منهم ليس لهم شغلٌ الّا ان يبسطوا الجمهور بالمقاتلة والمجالدة والمسايفة فيقتل بعضهم بعضاً في المراسح او يقاتلون الحيوانات الضارية بهجةً للشعب لتقرّ اعين النظّار برؤية موتهم

وكانت العائلة اسّ المجتمع البشريّ قد ضعفت روابطها حتى كادت تتلاشى فان أبا العائلة كان لا يرى في امرأته غير آلة لسدّ شهواته الوخيمة فيطأها لادنى علّة وكان الولد معدوداً كملكٍ خاصّ يتحكّم في حياته وموته دون مراجعة.

امّا ملوكهم وقياصرتهم فانك لو استقريت اعمالهم وسيرتهم المفردة والاجتماعيّة لأخذك اشدّ الانذهال من فظائعهم. فانّ اسماء طيباريوس وكلوديوس وكاليغولا ونيرون ودومسيان مكتوبة في التاريخ باحرف دمويّة لا يتتبع القارئ تفاصيل حياتهم الّا تقشعرّ منهُ الفرائص وترجف الابدان فيصرخ: ويلاهُ كيف استطاع العالم ان يعيش تحت سلطة مثل هؤلاء الطغاة. بل تجد في سير اشهرهم كاوغسطوس

قيصر وتيتوس وطيطوس وطرايانوس ما لا ينطبق مع ثناء بعض المعاصرين . فانَّ اوغسطوس اقام لنفسهِ هيا كل ليُعبد فيها كاله . وتيتوس قتل ظلماً كثيرين من كبار الدولة . وطيطوس ألقى في مرسح بيروت للوحوش ثمانين الفاً من اسرى اليهود بعد الحرب الاورشليميَّة . وطرايانوس امر بقتل النصارى واستسلم للواط النجس وهلم جرًّا

*

هذا بعضٌ من عدٍّ ونقطة من وبل ولو شئنا لاتَّسعنا كثيرًا في هذه المادَّة التي تستغرق في كتب أهل البحث المجلَّدات الضخمة الَّا انَّ في اسطرنا القليلة ما يشعر بسوء حالة العالم الادبيَّة في تلك العصور الهمجيَّة . وهذا ما حدا بتلك الامم الى أن تطلب لها مخلّصاً يكسر اغلالها وينقذها من ورطة فسادها

بل قل انَّ تلك الرغبة الى مخلّص للبشر وفادٍ للانام كانت مطبوعةً في قلوب الشعوب منذ القديم ترقى الى اصول كيانها فكلُّها تشهد انَّها كانت في بدء امرها في مرتبة شريفة وسعادة تامَّة سقطت منها بذنبٍ اقترفهُ اوَّل اجدادها وجذور فروعها فوُعدت من رحمة خالقها بمنقذٍ يمدُّ اليها يد المساعدة ويتنازل الى ضعفها ليخلّصها من رقّ عبوديَّتها . فاسمع بعض اقوال امتها تجدها صدًى لما ورد في سفر التكوين حيث اخبر موسى بسقوط الابوين الاوَّلين واردفَ ذلك بوعد الخلاص على يد نسل المرأة حيث قال الله للحيَّة التي استتر بها ابليس لغايتهِ الذميمة (تكوين ٣ : ١٥) : « أجعلُ عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها فهو يسحق رأسكِ وانت ترصدين عقبهُ »

فان فتحتَ كتب الهنود وتصفَّحت اساطير المصريين والفرس والصينيين واليونان والرومان ردَّدتْ اقوالُهم على مسامعك صوت اسفهم على ما فاتهم من السعادة القديمة وأملهم بمستقبل يُعيد اليهم ما خسروه على يد الهٍ مرسل من علٍ ليشفي جروحهم ويبرئ اسقامهم . وهذه التقاليد الصحيحة المقرَّرة التي كساها كلٌّ من الشعوب بتوالي العصور حللًا من التخيُّلات الباطلة لا يمكن تعليلها الَّا بان يُقال انَّها استقتها من معين واحد ومن اصلها الاوَّل الشامل لكافَّة الامم البشريَّة

فان استقتينا الهند وفارس لانَّ اهلهما اقرب من مهبط الوحي الاوَّل لوقوعهم

في البلاد التي يغلب الرأي على كونها موقع جنان عدن وجدنا في تقاليدهم اشارات واضحة الى هبوط الجنس البشري وخلاصه على يد إله رحوم. فانّ اهل الهند كانوا يزعمون انّ حيّة تُدعى شَيْن او كاليوغ فتشت سمّها فسمّت الارض واهلكت سكّانها فنزل إله من السماء اسمهُ شيفن فلبس جسماً بشرياً وامتصّ السمّ فنجا العالمون بفضله. ومن خرافاتهم المنبئة بانتظارهم لمولود مخلّص العالم قولهم عن الهم فشنو انهُ يتجسّم يوماً بجسم بشريّ لينفي الشرور التي عمّت المخلوقات بفعل سيرا عدوّ البشر

وكان من اعظم ذبائح الهنود ذبيحة يدعونها إكيام ويقدّمون فيها لآلهتهم حمّلاً للتكفير عن الذنوب وكانوا يتلون في هذه التقدمة صلاةً من جملتها قولهم: «متى يا تُرى يولد المخلّص المنتظر؟ متى يأتي الفادي لينقذنا (١)»

امّا الفرس فاشاروا الى هذا التقليد بان وضعوا للعالم إلهين متناقضين اله الشرّ يدعى «اهريمان» واله الخير يسمّونهُ «هرمزد». فاله الخير تلافياً للشرور التي ادركت البشر بخباثة اهريمان اخذ جسداً وظهر للبشر على صورة ميثرا فانتصر من اله الشرّ وشرك الجنس البشري بغلبته

ويُضاف الى هذه الشهادات ما نقلهُ ابو الفرج بن العبري في كتاب مختصر الدول حيث روى عن زرادشت مشترّع الفرس ما حرفهُ (ص ٨٢ من طبعتنا):

«في هذا الزمان كان زرادشت معلم المجوسيّة واصلهُ من بلد اذربيجان وقيل من بلاد الثور وقيل انهُ من تلامذة اليَّا النبي. وهو عرّف الفرس بظهور السيّد المسيح وامرهم بحمل القرابين اليه واخبرهم انّ في آخر الزمان بكرًا تحبل بجنين من غير ان يمسّها رجل وعند ولادته يظهر كوكب يضيء بالنهار وتُرى في وسطه صورة صبيّة عذراء. وانتم يا اولادي قبل كل الامم تحظون بظهوره فاذا شاهدتم الكوكب امضوا حيث يهديكم واسجدوا لذلك المولود وقرّبوا قرابينكم فهو الكلمة منبئة السماء»

ومثلهم الصينيّون فان كنفوشيوس مشترّعهم صرّح غير مرّة بمعتقده بمخلّص يقوم يوماً ليرشد العالم قال في احد كتبه المدعو بالوسط الثابت (٢: «اني انا

١) راجع كتاب ارغست بدين عن تقاليد الشعوب في مجيء المسيح (Bedin: *Les Traditions Messianiques*, p. 253-255)

٢) الطب (L'Invariable Milieu, trad. par *Abel Rémusat*, p. 144, 145)

كنفوشيوس قد بلغني انَّهُ سيقوم في بلاد الغرب رجلٌ بارّ مرسل من السماء وحاصل على السلطة التامَّة في الارض وهو يباشر من المبرَّات ما لا يحصى عددهُ امَّا اسمهُ فلا يستطيع احد ان يفوه بهِ وانا كنفوشيوس قد بلغني انهُ القدُّوس الحقّ[1]: وقال في كتابهِ تشونغ يونغ : «سوف يقوم امير حكيم عالم بشأن السماء واحكام الاله جامع في شخصهِ كلّ الكمالات . الفضائل تنمو لهُ كلّ الامم والقبائل حتى ابعدها حدودًا واعرقها في الهمجيَّة لأنَّ حكمتهُ واسعة لا يُسْبَر غورُها ولا ينفد معينُها »

وسبق كنفوشيوسَ فيلسوف صينيّ آخر يُدعى مانتيوس ذكر المخلّص المنتظر لنجاة الامم وشبَّههُ بمطر جَوْد يحيي الارض بمياههِ فقال : « ان الشعوب في انتظار المرسل من السماء كما تنتظر الارض اليابسة الندى والمطر لتنتعش بهما » . فكأنك تسمع بهذا القول صدى نبوَّة اشعيا حيث كان يصرخ الى رجاء اسرائيل المنتظر (٤٥ : ٨) : « أقطري ايتها السماء من فوق وتُمطر الغيومُ الصدّيقَ . ولتنفتح الارض ولتنشر الخلاص ولتُنبت البرّ . وكان لاهل الصين صورة تدلُّ على ذلك النبي الرمزيّ فيجعلون النمامة في حجر امرأة دلالة على انَّ المولود المنتظر سوف يولد من امرأة وان كان اصلهُ من السماء »

ومن اقدم الشعوب التي يُرى فيها تقليد الاله المنقذ للبشر المصريُّون فانَّهم رووا في اخبارهم الدينيَّة انَّ الحيَّة تريفون تسلَّطت على الارض والبحر فسكبت عليهما ضروب البلايا والاضرار لولا انَّ الهًا يدعى « هورس » ابن الالهة ايزس انحدر الى الارض وحارب التنين وكشف عن الخلائق اوجاعها وكُربها

وان اقتربنا من الشعوب التي ورثت عن الامم القديمة علومها ورقيَّها وجدنا تقاليد اخرى تؤيد هذه الحقيقة فانَّ اليونان زعموا بانَّ بطلًا يدعونهُ بروموثاوس اراد ان يختلس من السماء نارها لعلَّهُ يُضحي بذلك شبيهًا بالآلهة لكنَّهُ أُخذ بذنبهِ فطُرح على جبل مقيَّدًا لتصير احشاؤهُ طعامًا لنسر كاسر « فآلامهُ هذه لا يستطيع بشر ان ينقذهُ منها الَّا إله ينزل من السماء ويكفِّر عن ذنب المجرم بما يقاسيهِ هو من

١) راجع (Tchoung-Young: trad. de *Pauthier*, 1841, p. 66-69)

٢) نقلهُ شمدت (Schmith: *Rédemption du genre humain*, p. 41)

العذابات بتضحية نفسه عنهُ ». وهذا التقليد الذي خصَّهُ رواة الخرافات بهرقلس اله اليونان رواهُ الشاعر اسخيل (Eschyle) في رواية پرومونوس وپلوترخس المؤرخ على صورة جديرة بمنتظر الامم واشبه بالحقيقة كما ذكرناها

واجلى منهُ ما ورد في كتاب افلاطون الذي عنوانهُ ألقيباذ (Alcibiade) فهناك يوجهُ افلاطون كلامهُ الى تلميذه فيقول لهُ ما تعريبهُ : « دَعْنا يا القيباذ ننتظر رسول السماء ليلقننا واجباتنا نحو الآلهة ونحو البشر وانّنا نؤمل من جوده تعالى ان ذاك اليوم قريب »

وكما اليونان هكذا ايضاً اثبت الرومان التقليد عينهُ عن نجاة البشر من شرورهم : فكلّ من درس اللاتينيَّة يعرف القصيدة الزراعيّة (Églogue) الرابعة التي نظمها الشاعر ڤرجيليوس حيث يذكر قرب تتمّة ما تنبأت عنهُ احدى السبلّات (Sibylles) وكنّ سبع فتيات يعددهنّ الرومانُ مُلهمات من الالهة لكشف اسرار المستقبل . فذكر ڤرجيليوس سبلّة كوما وروى قولها بانّهُ « سيقوم عمّا قليل نسلٌ الهيّ يطهّر الارض من شرورها ويعيد للبشر ما سلبوهُ من السعادة ». نعم انّ ڤرجيليوس قد وَهِمَ فظنَّ ان هذا المولود هو ابن احد قناصل الرومان لكنَّهُ بذكره لتلك النبوَّة قد كان شاهدًا حقًّا على التقليد العام في ميلاد المخلّص لنجاة العالم

وفي ذكره لتلك السبلّة شاهد آخر على انّ الامر كان شائعاً بين الرومان الذين كانوا يعتبرون رواية السبلّات كوقائع لا شكّ في نجازها ويحفظونها في هياكلهم

وقد جاء في تواريخ ذلك العهد عند الرومان ما يثبت اعتقادهم بخروج ملك قدير من اليهوديَّة يدبّر الامم ويهديها . قال المؤرخ سويتونيوس في ترجمة القيصر ڤسپسيانوس : « كان شاع في الشرق خبر قديم ومتواتر ان الاقدار قد حتمت بانّ قوماً يأتون من الشرق فيتولّون تدبير الامور (١ » وقال تاقيتوس المؤرخ : « كان كثيرون يعتقدون انهُ ورد في اسفار الكهنة الاقدمين انّ هذا في الزمان يفوز الشرق وانّ

---

١) هذا قولهُ بالحرف : Percrebuerat oriente toto vetus et constans opinio, esse in fatis, ut eo tempore Judæa profecti rerum potirentur. (*Sueton.*, *Vita Vespasiani*. 4)

رجالًا يقدمون من اليهودية يتولّون التدبير (١ » وكان سبقهما الخطيب شيشرون في كتابهِ المعنون بالتنجيم فيذكر هذه النبوّة الشائعة بين الرومان ولا يدري في من تتحقّق ومتى تتمّ (٢

وشاع بين اهل غاليا ان عذراء ستحبل بمخلص العالم فاتخذ لهم كهنتهم المعروفون بالدرويد (Druides) هيكلًا في مدينة شرتر كتبوا على واجهتهِ « للعذراء الوالدة » (Virgini parituræ). وقد وجد الفاتحون لاميركا تقاليد مثل هذه في المكسيك وبلاد بيرو

فيؤخذ من كلّ هذه الشواهد ومن غيرها ايضاً انّهُ عند ظهور المسيح كانت الامم على اختلاف نزعاتها وامكنتها متفقة على اعتقاد ظهور رجل عظيم او ملك او اله يُصلح ما غلب على الارض من الفساد وسوء الاحوال (٣ . وهذا الرجل سوف يكون خروجهُ من الشرق (وبالنسبة الى الصين من الغرب) وتكون اليهودية موطنهُ

*

هذا وان كان الامر ثابتاً مقرّرًا لدى الملل الاجنبيّة فلا غرو ان يكون اثبت واشيع لدى اليهود فانّ تاريخ هذه الامّة منذ وقع اختيار الربّ على رأسها الاوّل وجدها الاعلى اعني ابراهيم الخليل يثبت ذلك بادلّة وبراهين لا تُحصى . بل يجب القول انّ وجود الامّة اليهوديّة كلّهُ مترتّب على مجيء المسيح

واوّل ما يلوح ذلك في دعوة الرب لابراهيم ابي المؤمنين فانّهُ اذ افرزهُ الله من بين اهل الشرك واخرجهُ من وطنهِ اراد ان يوضح لهُ سبب اختياره لهُ هو ان يبارك الامم في شخصهِ بالمولود الخارج من نسلهِ (سفر التكوين ١٨:١٨ و٢٢:١٨).

١) وهذا نص تاقيتوس Pluribus peruasio inerat, antiquis sacerdotum litteris contineri, eo ipso tempore fore ut valesceret Oriens profectique Judæa rerum potirentur (*Tacite, Hist.* 5)

٢) راجع كتابهُ (Cicéron : *de Divinat.* I, c. 54)

٣) لو عقل عبد الوهّاب النجّار رأى في الشواهد التي نقلها في كتابهِ « العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانية » دليلًا واضحاً على تقاليد الامم في مجيء السيّد المسيح واهمالهِ لا نقلًا عن تلك الامم فيعنون كتابه « الرموز الوثنية عن صحّة الديانة المسيحيّة »

وبعد أن فضّل الله اسحاق ابن الحرّة على اسمعيل ابن الأمة وعدهُ في الرؤيا (تك ٢٦ : ٥) « بانهُ سيبارك في نسلهِ كل الامم ». ثم جعل الملك لاصغر ابنيهِ يعقوب فانطق ابا الاسباط ساعة وفاتهِ حيث تنبأ لابنهِ يهوذا بالسلطان على اخوتهِ وبخروج المسيح من ذرّيتهِ فقال (تكوين ٤٩ : ٨—١٠) وفي قولهِ ما ينفي كلّ شكّ عن اصل المسيح وزمن ظهورهِ : « يهوذا ايّاك يحمد اخوتك . يدُك على قفل اعدائك . يسجد لك بنو ابيك . يهوذا شبلُ اسد . من فريسةٍ صعدتَ يا بُنيّ . جثم وربض كأسد وكلبوة فمن ذا يقيمهُ . لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبهِ حتى يأتي شيلو وتطيعهُ الشعوب ». فشيلو المذكور على اتّفاق رأي كلّ المفسّرين اليهود وسواهم هو المسيح . وزمن ظهورهِ عند زوال صولجان الملك من يهوذا وبني اسرائيل اعني يوم تولّى هيرودس الادوميّ على اورشليم . وتمّ الخطب بعد ذلك بمدّة عند خراب اورشليم اذ فقد بنو اسرائيل كل سلطة ملكيّة ومدنيّة وقضائيّة وتشتتوا في كلّ انحاء المعمور . فاستطاع يوحنّا الحبيب ان يهتف في كتاب الرؤيا (٥ : ٥) مشيرًا الى نبوّة يعقوب : « قد غلب الأسد من سبط يهوذا »

وكما سبق يعقوب وعيّن السبط الذي منهُ سيولد المسيح مع زمن ظهورهِ لبني اسرائيل كذلك موسى النبيّ لم يمكنهُ ان يسكت عن مجيئهِ اذ لم تكن شريعتهُ الّا تهيئةً لشريعة ذاك الذي سيفدي اسرائيل وايّاهُ تنتظر الامم . ففي سفر تثنية الاشتراع (١٥ : ١٥ — ٢٠) بعد ان حذّر موسى من الالتجاء الى السحرة والعرّافين صرّح بمجيء نبيّ من اسرائيل يرشدهم ويجب عليهم الخضوع لهُ فقال : « يقيم لك الربّ إلهك نبيًا من بينكم من اخوتك مثلي لهُ تسمعون ... قال لي الربّ : اقيم لهم نبيًا من بين اخوتهم وألقي كلامي في فيهِ فيخاطبهم بجميع ما آمرهُ بهِ واي انسان لم يقع كلامي الذي يتكلم بهِ باسمي فاني ايحاسبهُ عليهِ ». فما اصرح هذا القول وما ادلّهُ على السيّد المسيح كلمة الله من نسل اسرائيل الذي اشار بازاء اليهود الى هذه الآية خصوصًا حيث قال لهم (يوحنّا ٥ : ٣٦ — ٤٧) : « انتم تبحثون في الكتب لأنكم تحسبون انّ لكم فيها الحياة الابديّة فهي تشهد لي .. لكم من يشكوكم عند الاب موسى الذي فيهِ رجاؤكم فلو كنتم تؤمنون بموسى

لكنتم تؤمنون بي لأنهُ كتب عني فان كنتم لا تؤمنون بكتبهِ فكيف تؤمنون بأقوالي »

وجاءت بعد هذا نبوّات لا تُحصى زادت الامر ايضاحاً بحيث يجوز القول انَّ اسفار العهد العتيق انما هي اوَّل انجيل المسيح لأنها تحتوي كلَّ تفاصيل حياتهِ فتصفها وصفاً احقّ بوصف مؤرخ منها بوصف نبيّ وليس في امور عامّة فقط بل في ادقّ ظروف حياة المسيح كما سترى بحيث لا يُقبَل يوم الدين عذرٌ لمن لم يتبع الحقّ بعد معرفتهِ (لهُ بقيّة)

قصّة ارشليدوس الحبيس

اثر نصراني نثرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين المخطوطات التي وجدناها في حلب قبل عشر سنوات كتاب متوسّط الحجم مستطيل مكتوب على ورق لبّادي صفيق وحبر اسود في المتن واحمر واخضر في العناوين بجموع صفحاتهِ ١٥٦ وتاريخ كتابتهِ سنة ١٧٨٣ يحتوي قصص بعض القديسين والشهداء اوَّلها قصّة احد القديسين النسّاك يسمّى ارشليدوس الحبيس في ١٨ صفحة . وهي قصّة ظريفة مؤثرة في القلب فيها اشارة الى مدرسة الفقه الرومانية في بيروت ما يدلّ على انَّ الحبيس المذكور عاش في اواخر القرن الرابع وهناك ايضاً ورد ذكر قدّيس اسمهُ رومانوس كان انشأ في جهات فلسطين ديراً حيث ترهب ارشليدوس. فزادنا ذلك رغبةً في نشرها لقدمها

ثم اخذنا نبحث في اسفار القدّيسين كاعمال البولندسيين وغيرهم من جامعي اخبار الاولياء لعلّنا نحظى ببعض المعلومات عن ارشليدوس المومأ اليهِ فلم نقف لهُ على ذكر فاخذنا العجب من ذلك وتصفّحنا السنكسارات المختلفة للروم والارمن والسريان وغيرهم فرجعنا بالخيبة. وكان حضرة الخوري ي. فورجه (Forget) تربل مدرستنا قبل ٢٥ سنة باشر بطبع سنكسار للاقباط في مطبعتنا فراجعناهُ واذا بنا قد عثرنا على ضالّتنا فهناك في الجزء الاوَّل (ص ٢٠٨) واليوم الرابع عشر من شهر طوبه الموافق لتشرين الاول خلاصة حياة « الانبا ارشليدوس »

كما هي في كتابنا الّا انّها مختصرة في صفحة ونصف. فسُررنا بما لقينا وعزمنا على نشر الترجمة كما هي في نسختنا الخطيّة

وبينا نحن مباشرون بالعمل اذ علمنا انّ احد علماء هولندة المسمّى ڤنسنك (A. J. Wensinck) وجد هذه القصّة في نسخ سريانيّة ونشرها في مجموع عنوانهُ «قصص قديسين شرقيين اخصّها عن مصادر سريانيّة» (Legends of Eastern Saints chiefly from Syriac Sources) وانّ الكرّاس الاوّل منها مختصّ بالحبيس ارشليدوس (The Story of Archelides) فكتبنا الى صاحب الكتاب فتلطّف وارسل الينا نسخة من مصنّفهِ واذا هي تحتوي قصّة حبيسنا في ثلاث لغات اي السريانية والعربية والحبشيّة مع ترجمة انكليزيّة وفي كلّ من نسخ اللغتين السريانيّة والعربيّة عدّة روايات مختلفة منها في العربية ثلاث روايات: طوّلة فمتوسّطتان. وقد قدّم على كتابهِ مقدّمة لتعريف المخطوطات التي اخذ عنها والمقابلة بينها وتعريف اقدمها. وعلى رأيهِ ان النسخ العربية مأخوذة عن نسخة قبطية مفقودة. واقدم ما لديهِ من المخطوطات نسخة سريانية من القرن التاسع. امّا النسخ العربية فانهُ وجد بينها نسخة تاريخها سنة ١٥٤٥. وليس في هذه المقدّمة شيء يفيدنا عن ارشليدوس وزمانهِ وصحة خبرهِ. امّا نسختنا فتخالف النسخ المطبوعة في بعض امور وهي اقرب ما يكون لروايتهِ الثانية الموسومة بحرف ا (Ms A, p. 17-27) فغروبيا هنا لقرّائنا ولا غرو انهم يجدون في مطالعتها لذّة. ولغتها حسنة لم نصلح منها سوى بعض اغلاط نحويّة قليلة كالتطبيق بين الفعل والفاعل والمثنى والجمع ما لا يمسّ الاصل في شيء بتّة

(١٣) نبتدي بعون الله وحسن توفيقهِ نكتب

قصّة القديس الفاضل ارشليدوس (١ الحبيس

صلاته تكون معنا امين

كان رجل من اهل رومية اسمهُ يوحنّا وكانت لهُ امرأة اسمها سندقلافا (٢ وكانا كثيري الرحمة للغرباء والمساكين ولم يكن لهما ولد وانّ المباركَيْن سألا الله ان يرزقهما ولداً فرزقهما هذا القديس ارشيلدوس فعاش ابوهُ سنةً ونصف وتنيّح فبقي ارشليدوس يتيماً من ابيهِ وانّ والدتهُ احسنت تربيتهُ فنشأ نشوءاً مباركاً وكانت سيرتهُ في صغرهِ تدلّ عليهِ انهُ يكون قديساً مختاراً عابداً لله. ثمّ دفعتهُ والدتهُ الى رجل مبارك (٣ يعلّمهُ الحكمة والسُّنَن من الزبور ومن الانجيل المقدّس

١) ويروى: ارشليدس وارشيلدوس وارشيلدوس واركليدوس

٢) ويروى: سندولفا وسندقلا وسقلبتكي

٣) في احدى نسخ الدكتور ڤنسنك (B ٣) يدعى الرجل تارنيلس

ولم يزل القديس عند ذلك الانسان حتى تعلّم كلّ ما يحتاج اليهِ فقال لوالدتهِ : قد فرغت ايّامي (١ من التعليم فأُريد ان اتعلّم الحكمة . فقالت لهُ : يا حبيب الله اينما وجدتَ الخير والصلاح فاذهب اليهِ . ثمّ قال لها : اني سمعتُ انَّ في مدينة بيروت اناساً يعلّمون الحكمة فان (2r) اذنتِ لي بالمضيّ الى هناك ذهبتُ لازداد علماً . فاذنت لهُ والدتهُ بذلك قائلةً لهُ : امضي (امضِ) كما تحبّ انت وإلهنا يدبّرك ويحفظك

ثمّ انَّ القديس ارشليدوس اعدَّ ما يصلح لشأنهِ في الطريق واعطتهُ والدتهُ من المال اربعمائة دينار وغلامين يكونان معهُ لخدمتهِ . فتزوَّد صلاتها وذهب الى الميناء فاستأجر لهُ سفينةً وركب فيها هو وغلاماهُ (٢ متوجّهين الى بيروت . وكانت والدتهُ قد اوصتهُ هكذا : يا ولدي لا تطوّل الغيبة لعلَّ في عودتك يسبّب الله لنا رجلاً من كبراء المدينة فأزوّجك بابنتهِ . فقال لها القديس : كما يشاء الله يكون

فلمّا ان لجّجوا في البحر لحقتهم شدّة عظيمة حتى انكسرت السفينة من كثرة الامواج وشدّتها . فتعلّق بدفّ من دُفوف المركب وكذلك غلاماهُ (٢ حتى خرجوا الى الشطّ . ثمّ انهم ساروا قليلاً فوجدوا على شاطي البحر رجلاً ممّن كانوا معهم في السفينة وهو غريق فعرفوهُ وجلس القديس ارشليدوس وغلاماهُ (٢ يبكون عليهِ بكاء الاخ على اخيهِ زماناً طويلاً ثم حفر لهُ الغلامان ودفناهُ مكانهُ

ثمّ التفت الغلامان فنظرا مولاهما يسيل الدموع فقالا لهُ : يا سيّدنا (2v) ما لك تبكي فهذه حال الدنيا هكذا كما ترى فواحد يغرق وآخر يُقتل وآخر يموت على فراشهِ وليس يبقى الّا الله وحدهُ . فقال لهما ارشليدوس المبارك : اذا كان لا بدَّ من الموت وان نصير مثل هذا الانسان فأنا احبّ ان امضي الى الرب واطلب منهُ المغفرة ولا اموت بخطيئتي . وهذه الدنانير التي معي فخذا منها كلّ واحد مائة دينار وانتما من الآن وصاعداً تكونان حرّين (٣ لوجه الله . وكتب لهما كتاب عتاقهما

---

١) ولعلَّ الصواب : قد فرغتُ يا امّي كما ورد في نسخة ا (ص ١٨)

٢) في الاصل : غلمانهُ

٣) في الاصل : تكونوا احرار

ثمَّ قال لهما : اني اسألكما بالله الذي لا إله الّا هو ان لا تمضيا الى والدتي فانها اذا رأتكما ولم تَرَني معكما يكثر غمُّها ويشتدّ حزنها . فلمّا سمعا هذا الكلام من مولاهما حزنا لذلك حزناً شديداً وقالا لهُ : سمعاً وطاعةً لامرك . واعتنقاهُ وقبّلاهُ وبكيا عليهِ وبكى هو عليهما ايضاً وقال : صلّيا عليّ وانطلقا بسلام وانا اسأل السيّد المسيح ان يهديني في طريقهِ

ثمَّ انفصل القديس ارشليدوس عنهما وسار من بلادٍ الى بلاد حتى انتهى الى دير القديس رومانس ولمّا وصل الى ذاك الدير المبارك قرع الباب فخرج اليهِ البوّاب وفتح لهُ وكان الاخوة كلهم في الكنيسة يصلّون . فقال (3r) لهُ البوّاب : يا ولدي هل انت تائه فنهديك او تعوزك نفقة فنعطيك . فقال لهُ ارشليدوس : يا ابانا (١ انا تائه عمّا يقرّبني الى ربّي ويحتاج الى رحمتهِ فجئتُ الى ديركم هذا المقدّس لأصير راهباً واحب سيّدنا يسوع المسيح وابكي هنا على خطيئتي باقي ايّام حياتي . قال له البواب : اصبر هاهنا حتى اذهب أُعلم الرئيس (٢ ثمَّ انهُ ذهب الى الرئيس وسجد لهُ قائلاً : يا ابانا (١ على باب الدير غلام شاب وقد ذكر انهُ يريد يترهّب . فقال لهُ الرئيس : ائتني بهِ حتى ابصرهُ

فخرج البوّاب ودعاهُ اليهِ فأقبل وهو يطأطئ رأسهُ لا ينظر لوجه احد من الناس حتى دنا من الرئيس وسجد بين يديهِ فقال لهُ الرئيس : يا ولدي من اين انت وماذا تطلب ؟ قال لهُ ارشليدوس : يا ابانا (١ انا انسان خاطئ كثير الخطايا وجئتُ الى الربّ واليك لتصيّرني راهباً واكون في هذا الدير الى موتي . قال لهُ الرئيس : يا ولدي انت بعد صبيّ شابّ وليس ينبغي لنا ان نصيّرك راهباً حتى تخدم ايّاماً وتبصر سُنّة الرهبان وما هم عليهِ الاخوة من الصوم والصلاة ونبصر ايش هو صبرك فان كنت تصبر على ذلك ادخلناك (3v) الى الرهبنة . فبكى القديس وقال : يا ابتاه من اجل المسيح لا تطوّل عليّ لكن رهّبني واجعلني من صفوف الملائكة مع اخوتي

١) في الاصل : يا ابونا

٢) وسيأتي قريباً انَّ هذا الرئيس هو القديس رومانوس بعينهِ وهو احد النسّاك في القرن الرابع للمسيح كما يرجّح ومنهُ يتبيّن زمن القديس ارشليدوس

وانَّ الرئيس من قبل مجيء القديس كان قد اعلمهُ الروح القدس بامرهِ ففرح بهِ فرحاً عظيماً وعند ذلك امر بضرب الناقوس وجمع باقي الاخوة في الكنيسة فصلّى على القديس ارشليدوس وألبسهُ الاسكيم المبارك وفرحت بهِ الأخوة كلهم فرحاً عظيماً لانَّ نعمة الله كانت ظاهرة (ظاهرة) عليهِ . ثمَّ قال لهُ الرئيس : اجلس يا ولدي في الدير مع اخوتك. قال لهُ ارشليدوس : « يا ابتاهُ عهداً عاهدتُ ربّي اني لا اخرج خارج باب الكنيسة بقيَّة عمري وحياتي ولا انظر الى وجهِ بشري لا رجل ولا امرأة . ومعي هاهنا مائتا (١ دينار فان رأيت أيها الاب ان تأخذها وتجعل المائة الواحدة برسم الاخوة والمساكين والمائة الاخرى تنفقها في مصالح الدير . وأعطني قلّايةً في داخل الكنيسة (٢ » . فاخذ الرئيس منهُ المال ودفع اليهِ قلّايةً داخل الكنيسة

فلبث القديس فرحان مسروراً . فلمّا حان وقت الطعام جاءهُ الخادم بخبز وطبيخ فقال لهُ القديس : لا تأتني بطعام (4' الّا من السبت الى السبت ويكون بقلةً لانَّهُ طعامي ولانّي سمعتُ ايضاً انَّ طعام صومويل (كذا) النبي كان بقلةً . فتعجّب الرئيس وكلّ الاخوة من حرص القديس وكلّ اجتهادهِ وكان المبارك في تلك القلاية مواظباً (مواظباً) على الصوم والصلاة والسهر والبكاء والتضرّع الى السيّد المسيح ليلاً ونهاراً . وكان القديس الانبا رومانوس يمضي اليهِ كلَّ يوم ويعزّيهِ ويؤنسهُ وكان يُعجب كثيراً من هدوهِ ونسكهِ

فلمّا مكث في الدير اثنتي عشرة (٣ سنة واحتبس خبرهُ عن والدتهِ هذه المدّة وما جاءها منهُ كتاب ولا عرفت لهُ خبراً وجّهت في طلبهِ غلامين الى بيروت فسألا عن القديس ارشليدوس فقالوا لهما : لم يقدم الى هذه المدينة انسان اسمهُ ارشليدوس فرجعا الى والدتهِ وقالا لها : انهُ لم يُعطنا احد خبرهُ . فلمّا قالا هذا المقال خرّقت (خرقت) ثيابها وصرخت وطرحت الرماد على رأسها من شدّة حزنها على ولدها وجعلت تنوح وتبكي قائلةً : يا ابني ما هو هذا الذي حال بيني وبينك هل في البحر

١) في الاصل : مائتين
٢) ويروى في نسخة A : في داخل الدير
٣) في الاصل : اثنى عشر

كان فرقُك (١ او اللصوص قتلوك او السباع اكلوك. وهي مع ذلك لا تخفّ (٢ من البكاء الليل والنهار حتى ارعب حزنُها اهل سكّان رومية (4٢)

ولمّا طالت المدّة فكّرت في نفسها قائلةً : ليس لي مثل انّي ابتني فندقاً واجعل مسكني فيه فعسى يترل فيه انسان يعطيني خبر وحيدي وحبيبي وبهجة قلبي ارشليدوس

وكان ذلك بتوفيق الله فانها عملت واشترت جميع ما تحتاج اليه العمارة من خشب وغيره وانها احضرت البنّائين ودفعت لهم مالاً جزيلاً وابتدأوا في بناء الفندق . فلمّا فرغوا من بنيانه احضروا اليه اوّلاً من الرهبان والكهنة والمساكين واصلحت لهم طعاماً وشراباً فاجتمعوا واكلوا وشربوا . ثمّ اعطتهم مالاً كثيراً قسموهُ بينهم وسألتهم ان يبتهلوا الى الله كي يطلعها على خبر ولدها وحبيبها . وسكنت هي في الفندق وكان الناس من سائر الآفاق يترلون في ذلك الفندق

وبعد مدّة ست سنين نزل في ذلك الفندق ستّة انفار من مصر وقد كانوا عند خروجهم من مصر قد اقتدوا بدير القديس رومانس وتباركوا من القديس ارشليدوس واقاموا في الدير ثلثة ايّام وكانوا يبصرون العجائب التي تجري على يد القديس ارشليدوس ما لا تُحصى فتعجّبوا من ذلك وساروا في طريقهم يتذكّرون ما كان يصنع من العجائب ويسبّحون (5٢) الله

فلمّا وصلوا الى مدينة رومية نزلوا في ذلك الفندق الذي ابتنتهُ والدتهُ . فلمّا جاء الليل واذا في الفندق رجلٌ يُصرّع صرعاً (٣ شديداً فكان كلّ من يراهُ يرثي لهُ لما كان فيه من الشدّة. فقال واحد من اولئك الستّة الرجال المصريين لاصحابه بتوفيق من الله : آه لو كان هذا الرجل المسكين يمضي الى دير القديس رومانوس لكان يصلّي عليه القديس ارشليدوس فيبرأ لوقته من الشدّة التي هو فيها بقوّة السيّد المسيح . قال الآخر : أرأيت يا اخي الى ذلك القديس وما يظهر الله على يده من العجائب ؟ . قال الثالث : وكيف لا يكون كذلك وقد ترك عنهُ الاطعمة والمآ

١) في الاصل : غريقك
٢) في نسخة A : لا تكفّ
٣) في الاصل : يصرع اصراعاً

غذاؤهُ (١ من السبت الى السبت بَقْلة ولا يبصرهُ احد ولا شغل لهُ غير الصوم والصلاة والسهر والطلبة والتضرُّع الى الله والبكاء والتنهُّد فكيف لا تكون العجائب على ايدي مَن هذه الاعمال اعمالهُ ولا يشفي لكلّ من يقصدهُ ؟. قال الواحد : ارأيتم يا اخوتي الى العلامة التي فيهِ ما أحسنها . قال الآخر : اظنّ انهُ رادى (٢ او دخل الى حربٍ فصارت فيهِ هذه العلامة . قال الآخر (5') : ليست هي كذلك بل هي خلقة من وقت الولادة

وكانت امهُ سندقلافا في مشرفٍ لها تطّلع على هؤلاء القوم فسمعت جميع ما قالهُ اولئك الرجال وتحدَّثوا بهِ وعرفت جيّدًا انهُ ابنها وخاصّة لذكرهم تلك العلامة . فتقلقلت (٣ واضطربت احشاؤها ونزلت الى عندهم وعيناها تهطلان الدموع فقالت لهم : سألتكم بالله الحيّ ان تخبروني بما كان من هذا المبارك ارشليدوس نعمى الله يسهّل لي على لقائهِ ويهب لي الشفاء على يديهِ لانهُ قد طلعَ فيَّ طلوعٌ منذ ثماني عشرة سنة وقد انفقتُ مالي على الاطبّاء ولم ينفعني شيء . فقال لها اولئك القوم : ايتها الامرأة انتِ حرمةٌ منقطعة وذلك القديس من بلد بعيد فتعجزين عن المضيّ اليهِ . قالت لهم المباركة : لو أقتُ مدَّة حياتي ووصلتُ الى هذا القديس فابرأني من هذا الوجع الذي انا فيهِ ولو كان قبل موتي بيومين لكان ذلك احبّ اليَّ من الدنيا وما فيها ولا ابقى معذَّبة

فعند ذلك اجاب اولئك قائلين : فاذا صمّمتِ (٤ على السير تأخذين معك مالًا وتستعينين بهِ على شقاء الطريق (6') وسيري حتى تصلي (٥ الى مدينة دمشق وتعبري على فلسطين فاذا حصّلت (٦ الى فلسطين فاسألي عن دير رومانوس . فاذا وصلتِ اليهِ فالقديس ارشليدوس هناك فيهِ . ونخبركِ قبل مسيركِ ونقدّم لكِ النصيحة انكِ لا تقدرين تدخلين اليهِ ولا تنظرينهُ ولا يكلمكِ ولا لغيركِ الّا البوّاب

---

١) في الاصل : غداهُ
٢) راداهُ رامَاهُ بالمجارة وفي A : راوى
٣) في A : فتقلّقت
٤) في الاصل : همّت
٥) في الاصل : تصالين
٦) وفي A : حيّلتي

فقط وهو الذي يمضي اليهِ ببقة من السبت الى السبت . وانما القديس المبارك يصلي على زيت وماء فتدهنين (١ بهِ ويرزقكِ الله الشفاء على يدهِ

ثمَّ انَّ الامرأة ذهبت الى الاسقف وقالت لهُ : يا ابتاه ها مالي وضيعي وعبيدي وبهائمي وجميع ما أملكُ يكون لله وللكنيسة بعد وفاتي وان رجعتُ اصير في مالي وضيعي وكل مالي . ثمَّ انها اخذت رجلاً من غلمانها وركبت في البحر قائلةً : على اسم سيّدي يسوع المسيح . وفي مدَّة سنتين سهَّل الله لها فوصلت الى دير رومانوس المبارك الذي فيهِ ابنها ارشليدوس

فنزلت على باب الدير وجلست واذا البوَّاب فتح الباب ليخرج فرأى امرأة جالسة على (6') باب الدير فقال لها البوَّاب : ما شأنكِ جالسةً هاهنا هل تهتِ عن الطريق ام تحتاجين الى نفقة . اجابت الامرأة وقالت : انا محتاجة الى نعمة الله ربّي واعلم انَّ لي اليوم مدَّة عشرين سنةً قد طلع لي طلوع وانفقتُ مالاً جزيلاً ولم ينفعني شيئاً واني سمعتُ بهذا القديس ارشليدوس فاتيت الى المسيح والى قُدسهِ وقُدسكم ليصلّي عليّ وأُرزَق الشفاء على يدهِ المباركة . فقال لها البوَّاب : اعلمي ايتها الامرأة انَّ هذا القديس لم يرَهُ احد لا امرأة ولا رجل ولا يكلّم احداً من يوم ادخلوهُ الى هذا الدير فكيف يكلّمك وانت امرأة بل انا ادخل اليهِ واعرّفهُ بخبركِ ويصلّي على زيت وماء وتدّهنين (١ بهِ ويعطيك الله الشفاء على يدهِ

فلمَّا ايقنت انها لن تصل اليهِ ولا تكلّمهُ قالت لهُ : يا ابانا (٢ اسألك بالله اذا دخلت الى هذا القديس تقول لهُ : يا قديس الله انَّ امك سندقلافا على باب الدير وهي تقول لك : يا ابني اظهر وأرني (٣ وجهك مرَّةً واحدة قبل موتي . فدخل البوَّاب الى المبارك ارشليدوس (7') وقال لهُ الرسالة واعاد عليهِ خطاب امّهِ . عند ذلك اجاب القديس وقال : انّي رأيتُ البحر في الحلم وغلاماً شابًّا عليهِ ثياب بيض . ثمَّ قال للبواب : امضِ (امضِ) الى امّي وأقرئها عني السلام وقل لها :

---

١) في الاصل : تندهنين

٢) في الاصل : يا ابونا

٣) في الاصل : اوريني

يا أمي وانا اريد ابصرك وانظر اليك لكني اخالف ما قالهُ السيّد المسيح في انجيله المقدّس : من لا يترك اباهُ وامّهُ ويأخذ صليبهُ ويتبعني فليس لهُ معي نصيب بل يا امّي كلّ صلاة اصليها انا اذكرك فيها

فخرج البوّاب وبلّغ امّ القديس رسالتهُ فقالت للبوّاب : ارجع الى ابني وبهجة قلبي وقل لهُ : يا ابني انا اعلم انّهُ ما ينبغي لي ان اقبّل بفمي النجس لفمك المقدّس لاني خاطئة بل اقبّل يديك ورجليك والله يا ولدي ان جسدي لم يعرف قطّ رجلًا غير ابيك الذي اعطاني اياه سيّدي يسوع المسيح وان رأيتك يا ولدي وبلغتُ (١ شوقي منك بالنظر الى وجهك الطاهر ايش يضرّك ذلك وقد سمعتَ الانجيل المقدّس يقول انّ سيدنا يسوع غفر للخاطئة خطاياها لمّا (7٧) قبّلت رجليه . بالله عليك يا ولدي أرني وجهك الطاهر مرّة واحدة قبل الموت وقد علمت يا ابني ان ليس لي ابٌ ولا امٌ ولا اخ ولا اخت ولا ولد غيرك

فدخل البوّاب وبلّغهُ ما قالت امّهُ . فقال القديس : ارجع اليها وقُلْ لها : ان انا خرجتُ اليك يا امّي اكون نقضتُ العهد الذي بيني وبين سيّدي يسوع المسيح وخطئت لديه فيغضب عليّ لتجاوزني (٢ عن عهده . وبعد ذلك يا امّي ترين رفاقي في ملكوت السماء وليس انا معهم فتحزنين عليّ . وان فرق الله بيني وبينك في هذه الدنيا فانّ السيّد المسيح سيجمع بيننا في الآخرة فلا تجزعي . وان اردت يا امّي انا اطلب الى الرئيس فيجعلك في دير النساء وتكوني بالقرب مني تعرفين خبري واعرف خبرك وان كرهت ذلك فانطلقي بالسلام الى منزلك والربّ سبحانهُ يهوّن عليك

فخرج البوّاب وبلّغها رسالة القديس فقالت لهُ : ارجع اليه قل لهُ : يا ابني ما ارجعَ قلبك بهذا الكلام . فوالله العظيم ان رددتني (٣ خائبةً فاني اطرح نفسي في البحر او أهلك ذاتي في البرّيّة فتأكلني (8٤ السباع ويكون لك يا ابني اثمٌ منّي . فدخل البوّاب وقال لهُ الرسالة . فاجاب القديس : ارجع الى امّي وقل لها : ان

١) روى A : وبلّيت
٢) في الاصل : لجوازي
٣) في الاصل : ردّيتني

احببتِ أن تقيمي فأقيمي (١ وان احببتِ المسير فامضي بالسلام والربّ يحفظكِ حيث ما توجّهتِ

فخرج البوّاب وردّ عليها الجواب فقالت لهُ: ادخل الى ابني وقل لهُ: بحقّ المسيح عليك وبحقّ الصليب ومَنْ صُلب عليهِ بهواهُ ومشيئتهِ وبحقّ اكليل الشوك الذي وضعوهُ على رأسهِ وبحقّ المرارة التي أُسقيها . وبحقّ الحربة التي طُعن بها انك تُريني وجهك قبل الموت . وبحقّ الثديين اللذين رضعتهما وبحقّ البطن الذي حملك أرِني وجهك مرّة واحدة

فدخل البوّاب واعاد الخطاب على القديس فقال: اصبر في مكانك حتى افرغ من صلاتي فاذا عرفتَ وعلمت اني فرغتُ من صلاتي فاخرج الى امّي وقل لها تدخل ولا تدع انساناً آخر يدخل قبلها . ثمّ قام القديس وصفّ قدميهِ في مكانهِ واقبل يصلي ويدعو الى السيد المسيح . فلمّا انقطع عن صلاتهِ دخل البوّاب فوجد القديس قد تنيّح فبكى عليهِ (٢ 8) بكاء شديداً ثمّ خرج فقال لامّهِ: ادخلي الى ابنكِ

عند ذلك دخلت وهي فرحانة مسرورة بالدخول اليهِ . فلمّا وصلت الى الموضع الذي فيهِ القديس وجدتهُ قد تنيّح . فلمّا نظرتهُ متنيّحاً غميت عليهِ وسقطت على الارض . فعندما فاقت (افاقت) من غشيتها قالت: يا ولدي انّ الثديين اللذين ارضعاك هما صارا لك سمّاً وقتلاك والرجلين اللتين حملتاك هما سعيتا اليك من رومية فقدّمتا موتك . يا ابني جئتُ لافرح بك فصار فرحي حزناً لا انقضاء لهُ . لم اعلم يا ولدي انّ كلامي يكبر عليك . يا ابني قطعتَني وابكيت عيني

وانها لم تزل تبكي وتمدّد طويلاً حتى سمع الرهبان جميعهم فقالوا للبوّاب: ما هو هذا الصياح والصراخ . قال لهم: عامود كبير انكسر ووقع في الدير . قالوا لهُ: وما هو العامود الذي وقع . قال لهم: ارشليدوس قد تنيّح وذلك انّ امّهُ جاءت اليهِ من رومية وبعثتني اليهِ مرّة اولى وثانية ولم يُجبها ان تبصرهُ وفي المرّة الثالثة حمّلتني أيمانات شديدة فلمّا سمع (٣ 9) ذلك اشتدّ وصعب عليهِ فقال لي: قف (٢ برّاً حتى افرغ من صلاتي . فصلّى القديس وتنيّح . وأعلمكم اني كنت ادخل اليهِ

١) في الاصل: فتيمي
٢) في الاصل: قاف

مراراً وارى الكتب في حجرهِ وهو يقرأ فيهـا وآخر يحدثهُ فأقول لهُ : من الذي يحدثك ؟ فيقول لي: (صاحب) المصحف. وذكر لي ايضاً انهُ اذا كان في يدهِ مصحف لبعض الآباء والقديسين لا يظلّ (١ صاحبهُ عندهُ حتى يفرغ من الحجّة التي في قراءتهِ

حينئذٍ اجتمع الاخوة والرهبان على جسد القديس وبكوا عليهِ بكاء شديداً . فلمّا علمت امّهُ انهم يريدون يحملونهُ تقدّمت الى جسد القديس ارشليدوس وقالت: بقيامتك بين يدي المسيح لن اصبتُ لديك حسنةً ادعُ (٢ الى الله ان يقبض روحي انا الخاطئة . ثمّ قبّلتهُ ولوقتها تنيّحت

فعجب الرهبان لذلك عجباً عظيماً لجمعهما وكفّنوهما فقال بعض الرهبان : لا نضع جسدهُ مع جسد امّهِ . فتكلّم القديس وقال : يا اخوتي لا تفرقوني من والدتي التي تعبت عليّ وربّتني من الصغر حتى الآن . يا اخوة لا تفرقوا بيني وبينها لانها شقيت (9) بي في هذه الدنيا وقد سمعتُ دعاءها وسألتُ السيّد المسيح ان يقبض روحها . فاجابني سبحانهُ

ففعل الاخوة كذلك وجمعوا في مغارة واحدة الزكي المبارك ارشليدوس ووالدته سنقلافا . ثمّ اجتمع الرهبان والراهبات من ديوراتهم لنياح القديس وامّهِ وعملوا لهما صلاةً حسنة . وكان بكاء وعويل لم يُسمع بمثلها

ولمّا تقدّموا الى جسد القديس ارشليدوس وهمّوا ان يحملوهُ في التابوت قال لجماعة من حضر: « انا اسأل السيد المسيح ان يكافئكم يا اخوة عن كلّ همّة في الدنيا . وان يسلم انفسكم في الآخرة من فخاخ العدوّ بشفاعة السيّدة المختارة الطاهرة ومار يوحنّا المعمدان وبشفاعة هذا القديس المبارك ارشليدوس ووالدتهِ سندقلافا وجميع الآباء والانبياء والرسل والشهداء والقديسين والابرار الصديقين آمين ». تمّت

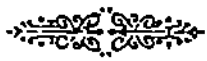

١) في الاصل: لا يزال

٢) في الاصل: ادعي

البيّنة القاطعة في صاحب الدلالة اللامعة

لحضرة الخوري قسطنطين باشا ق.ب

قد قيل انَّ الحقيقة بنت البحث. فلمَّا نشر حضرة القس جرجس منش مقالتهُ في مؤلف الدلالة اللامعة (المشرق ١٥ : ٥٧٣) وجدناهُ مصيباً في ما قصد اثباتهُ بانَّ صاحب هذا الكتاب هو الاب ميشال نو المرسل اليسوعي ليس الطيّب الذكر افتيميوس صبحي كما ذكرنا نحن ذلك في ترجمتهِ بعد غيرنا من الكتبة. على انَّ حضرة الخوري قسطنطين الباشا انتصاراً للحقّ وجد في هذا الزعم ظرًّا فجاء بهذه المقالة يبيّن فيها انَّ الحقيقة في الوسط وانَّ كتاب الدلالة اللامعة هو للسيّد افتيميوس وانَّما استفاد من كتاب للاب ميشال نو يشبههُ في الموضوع والشواهد يدعى الاحتجاج. وقد حشّينا المقالة ببعض الحواشي ابدينا فيها ملحوظاتنا بتجرُّد عن كل غرض ل.ش

نشر حضرة القس الفاضل جرجس منش في المشرق (١٥ : ٥٧٣) مقالةً نفعنا الله بعلمهِ خالف فيها «ما جرى على الالسن وتناقلهُ الخلف عن السلف» في نسبة كتاب الدلالة اللّامعة لغير مؤلفهِ المشهور. ونسبهُ للاب ميخائيل نو اليسوعي رحمهُ الله. واذ كان قصدهُ «التمحيص عن الحقيقة ممَّا علق بها» كما يقول فنشكرهُ على ذلك ثم نستأذنهُ بالمشاركة لهُ بهذا البحث وانتقاد مقالتهِ والإشارة الى ما جاء فيها بعيداً عن الواقع في الاستدلال ونرجو من فضلهِ ألَّا يحمل كلامنا اذا خالفنا رأيهُ على غير معناه

١ً لم يُطبع كتاب الدلالة اللامعة الطبعة الاولى في مطبعة الواتيكان على نفقة المطران كما قال حضرتهُ بل طُبع في مطبعة مجمع انتشار الايمان (١ وعلى نفقة المجمع نفسهِ كما يظهر من اول صفحة منهُ

٢ً لم يُضرب المطران افتيميوس عن ذكر اسمهِ في صدر الكتاب لكونهِ ليس من تأليفهِ كما ظنَّ حضرتهُ بل لكونه طُبع باحسان المجمع المقدَّس بعد تكرار الطلب وحتى لا يُغضب البطريرك كيرلُّس الخامس الذي لم يكن حينئذٍ مجاهراً بالايمان الكاثوليكي بل كان معادياً لهُ ولأتباعهِ. ولعلَّ سبب ذلك كان من اهمال الذي

١) لا شكَّ ان حضرة القس ج. منش اراد بمطبعة الواتيكان مطبعة مجمع انتشار الايمان اذ لم يكن قديماً للواتيكان مطبعة خاصَّة (المشرق)

وقف على طبع الكتاب . فانهُ اهمل ايضاً ذكر اسم الكتاب في المقدّمة حيث كان يجب ان يكون بعد قولهِ (ص ٨): ووسمتُ رسالتنا هذه . . .

٣ وقول حضرتهِ «بان كل ما تركهُ المطران من آثارهِ الادبيّة ذكر فيهِ اسمهُ صريحاً» فيهِ نظرٌ ويحتاج الى بيان حتى تصحّ نتيجة هذا القياس ويكون لحضرتهِ الشكر اذا افادنا عمّا عندهُ من مؤلفات المطران فان الذي عندنا في دير المخلص منها اكثرهُ غفلٌ لا يُعرف انهُ لهُ الّا بعد المطالعة والاستدلال على ذلك بما وردَ فيها من اعمالهِ واحوالهِ (١

٤ وما اقتضبهُ حضرتهُ من مقدّمة الكتاب لا يوهم ما اراد من أنّ كاتبهُ «كان عامياً لا مطراناً». لانّ مُجمل الكلام هناك يدلُّ على انهُ كلام اعتذار وتأدُّب جرى عليهِ الكتّاب ويصحُّ ان يقولهُ المطران لمن كان اكبر منهُ مقاماً او سنّاً كالبطريرك والمطارنة. وهذا نصُّ كلامهِ: «مع اعترافي باني لستُ من فرسانِ هذا الميدان ولا لي في حلّ هذه العقــدة يدان وليس من رتبتي النظر الصائب والفكر الثاقب» بل يدلُّ في قولهِ التالي: «ولا مندوحة لي بان امدَّ يدي (التي لم تطُل) الى ما يتعلّق بالديانة المسيحيّــة» على انهُ أُستقف من واجباتهِ تعليم ما يتعلّق بالديانة المسيحية ولا مندوحة له من ذلك

٥ اذا قابلنا كتاب الدلالة اللامعة بما ابقى المطران من الرسائل يظهر لنا لحن وركاكة في كلامهِ لاعتقادهِ ان التأنّق بالكلام او زخرفة الانشاء يمنع عامّة القرّاء عن فهمهِ او لانهُ لم يكن ضليعاً بالعربيــة ولم يخرج عن هذه القاعدة في كتاب الدلالة كما يظهر للناقد البصير وان لزم اعادة النظر فيهِ وتنقيحهُ

٦ واهمال العلّامة المطران جرمانوس فرحات لذكر هــذا الكتاب في ترجمة المطران افتيميوس التي وضعها لهُ في ديوان البدع لا يصحّ ان يكون دليلًا على ما اراد بعد ما عُرف غرض المؤلف فيها رحمهُ الله . فانّ ما نقلهُ عنهُ «الطقوس والعوائد صنم الروم فيلزمني كسر هذا الصنم» لا وجود لهُ الّا في ديوان البدع ولم تبلغ اليهِ تهم اخصامهِ في شكاويهم عليهِ

---

١) ويا ليت حضرة الكاتب ايضاً ذكر شيئاً من هذه التآليف (المشرق)

٧ ليس المطران غريغوريوس عطا اول مَن نسب الكتاب للمطران افتيموس ولم يكن ذلك تحكُّماً منهُ بل نقلهُ عمَّن تقدَّمهُ وعُمدتُهُ كتاب التختيكون الذي سيأتي ذكرهُ

٨ راجعنا بإمعانٍ مقدِّمة المحاورة الجدليَّة للشماس عبدالله زاخر فلم نستطع ان نستخرج منها ما اراد حضرتهُ والذي ظهر لنا ولا يظهر سواه لكل مطالع ان هذا الشماس الغيور قصد في مقدِّمة محاورتهِ بيان حال ابن فخر ونفاقه واعترافه بصحَّة الايمان الكاثوليكي صريحاً اذ قضى زماناً طويلاً متمسكاً به وهو متلبس بهِ رياء وخداعاً لنيل الشرف بتقرُّبهِ الى اعيان الكاثوليك والقناصل والمرسلين (١ واذ صار ترجمان قنصل الانكليز « شرمن » جحد الايمان وناصب ذويهِ العداء مع سلبستروس القبرصي الذي منحهُ لقب لنرثاتي . فلو كان عبدالله زاخر يُريد تعنيف ابن فخر بكتاب الدلالة كأنهُ تأليفهُ لما اكتفى بهذه الاشارة اللطيفة مع خصمهِ الذي شواهُ بحدَّة قلمهِ من كل جانب ولو كان يعلم ان هذا الكتاب لهُ لاتَّخذَ منهُ سهاماً كثيرة اكثر اصابةً واشدَّ نكايةً كالتي طعنهُ بها في محاورتهِ الجدليَّة والدحض الخطير

٩ وقد طالعنا مقدِّمة الرسالة الجدليَّة للاب بطرس فروماج التي اقتضب منها حضرتهُ ما أحبَّ ليبرهن ان كتاب الدلالة اللامعة هو نفس كتاب الاب ميخائيل نو الذي اصلح اعرابهُ الشماس الياس فخر . على ان الذي بان لنا منها أنَّ المؤلف رحمهُ الله اخذ على نفسهِ فيها بيان حال الياس فخر ليبرهن انهُ لم يكن هرطوقيًّا صوريًّا فقط بل متلاعباً بالدين كاذباً وغاشًّا في ايمانهِ . او بالحري منافقاً لا دين لهُ وهذا نصُّ كلامهِ :

« هل يقدر هذا الرجل ان ينكر انهُ منذ زمان قليل لم يكن سالكاً مع الكاثوليكيين المتمسكين بايمان الكنيسة البطرسيَّة مُظهراً لهم الاكرام والمحبَّة . أما كان مشتركاً معهم في الاسرار المقدَّسة . فليقل لنا كم من مرَّةٍ اعترف بين ايدي المُرسلين الرومانيين وتناول منهم الاسرار المقدسة . وكم من مرَّة اظهر الغيرة لإظهار حقّ ايمان الكرسي الرسولي ولبيان ضلال الروم المشاقين . أما انهُ اتَّخذ كتاب البادري ميخائيل نو اليسوعي الذي بهِ يبرهن البادري

---

١) لمَّا كان في رومية الخوري سبرافيم طاناس موفدًا من البطريرك كيرلس الحلبي ليقدم صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي سنة ١٧١٨ للبابا اكليمنضوس الحادي عشر طلب ونال منهُ لقب شرف من رتبة كافلير (Cavaliere) لخالهِ منصور صيني ولالياس فخر المذكور

المذكور بدلائل كثيرة متنة رئاسة البابا المُطلقة على جميع المؤمنين وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحقائق غير هذه مرفوضة من الروم وأصلح اعراب هذا الكتاب ونسبهُ الى نفسه كانهُ هو مصنّفهُ ومؤلفهُ من كتُب الكنيسة الشرقية ليُقنع بها ابناء جنسهِ الناكرين لهذه الحقائق. الخ »

فانَّ « لامُ » التعليل بقولهِ « ليُقنع » متعلقة « بنسبهُ » لان قصد الكاتب بهذا بيان غيرة ابن فخر الكاذبة قبلًا على نشر الايمان الكاثوليكي

١٠ ولعلَّ حضرة الاب منش لم يطّلع على كتاب الاب ميخائيل نو فخيل لهُ انهُ نفس كتاب الدلالة اللامعة مع ان الكتاب المذكور سواء كان الاصلي ام الذي اصلح إعرابهُ الياس فخر يختلف كل الاختلاف عن كتاب الدلالة وقد افادنا عن اسم هذا الكتاب ومضمونهِ ومؤلفهِ العلّامة بطرس ارنودي اليسوعي في كتابهِ الشهير على تفسير المزامير المنقّح بقلم العلّامة الشماس عبدالله زاخر في صفحة ٣٠٧ من المجلّد الثاني المطبوع في مطبعتنا المخلصية فدعاهُ « كتاب احتجاج كنيسة الروم المقدّسة عن استقامة ايمانها وجليل اعتقادها » وصرّح باسم مؤلفهِ « البادري ميخائيل اليسوعيّ » ولدينا منهُ نسختان قديمتان بلا تاريخ : الاولى بخطّ جميل كانت ملك المرحوم شكرالله غانم البيطار من اعيان حلب ومن اعظم واول ضحايا سلبستروس القبرصي. والثانية مختلفة عنها خطًّا وانشاء وهي اقدم من الاولى وناقصة في مجموعة بقلم المطران افتيميوس وتلاميذهِ (١ ولدى المقابلة يظهر للمطالع ان الواحدة لا تختلف عن الثانية الّا بكونها اقلّ لحنًا في الاعراب وركاكة بالتأليف وكلاهما يختلفان كثيرًا عن كتاب الدلالة (٢

---

١) في هذه المجموعة صورة اعتراف الايمان الكاثوليكي التي نشرها المشرق (١٥: ٦٥٧) وارتاب ناشرها حضرة الاب لويس شيخو في مؤلفها فقال « لعلّ مؤلفها هو الشماس عبد الله زاخر والله اعلم » وهي بالحقيقة للمطران افتيميوس اذاعها سنة ١٧٢٣ بعد ما ارسل اثناسيوس الدباس من القسطنطينية صورة مخالفة للايمان الكاثوليكي طالبًا من اعيان الاكليروس والشعب ان يمضوها ويرسلوها لهُ الى هناك وارسل معها رسالة بجمع البطاركة التي فنّدها تلك السنة الشماس عبد الله زاخر في كتابه المشهور بتفنيد المجمع العنيد

٢) وفي مكتبتنا الشرقية ايضًا من كتاب الاحتجاج نسختان قديمتان الواحدة ناقصة في اولها وآخرها اشرنا اليها في مجلّتنا (١٥: ٥٧٧) والاخرى افضل واقدم منها لم نتنبه اليها تاريخها

١١ وان اعترض علينا بان كلام الاب فروماج الوارد بعد ذلك قد صرّح فيه بذكر كتاب الدلالة . قلنا انهُ ذكر كتاب الدلالة بعد الكتاب المتقدم ذكرهُ لانهما من باب واحد ولكونهِ اكثر انتشاراً وشهرة واقرب منالاً بعد طبعهِ

فعلى ما يظهر ان هذه الدعوى كانت على لسان ابن فخر فقط ولم يجاهر بها قلمهُ في كتبهِ او مراسلاته التي وقفنا عليها وامامنا صورة رسالة مطوّلة كتبها من حلب في ١٥ نيسان سنة ١٧٢٥ وارسلها الى البابا بناديكتوس الثالث عشر منقولةً عن الاصل بخطهِ وختمهِ المحفوظ في سجلّات مجمع انتشار الايمان في ورقة ٣٢٢ من مجلد اوراق سنة ١٧٢٥ بهذا العنوان Greci Melchiti Congregazioni partico-lari وقد صوّر نفسهُ فيها اتمّ تصوير فانهُ بعد ان مدح ذاته بما احبَّ اخذ يقذف سُمَّ قلمهِ بل سمَّ قلبهِ في المرسلين والمطران افتيميوس وابن اختهِ البطريرك الجديد كيرلس طاناس حتى بلغت بهِ الوقاحة الى مخادعة البابا بصحّة رسامة سلبستروس في القسطنطينيَّة . فلو كان ابن فخر يدَّعي لنفسهِ حقيقة كتاب الدلالة لما استطاع ان يضرب عن ذكرهِ في معرض كلامهِ عن نفسهِ بالمناضلة عن الايمان الكاثوليكي وهو اجلُّ ما يستطيع ان يمدح بهِ نفسهُ

وعندنا ايضاً رسالة ارسلها مكاريوس مطران طرابلس الى رئيس مجمع انتشار الايمان في تاريخ ٢٠ كانون الاول سنة ١٧١١ محفوظ اصلها بامضاء المطران وختمهِ وخطّ يد الياس فخر نفسهِ توصيةً باخيه ميخائيل وهي في عدد ١٣ من مجلد اوراق السنة ١٧١١ يقول فيها « انهُ اخو الشماس الياس فخر المناضل عن الايمان الروماني بالقول والفعل والقلم وربما بلغ جلالتكم بعض مصنَّفاتهِ » . فلو كان ابن فخر يدَّعي لنفسهِ كتاب الدلالة الذي كان قد طُبع وانتشر منذ سنةٍ لما استطاع ان يضرب عن ذكرهِ باسمهِ

*

فيلزم ممَّا تقدَّم اذاً انهُ لا تصحّ نسبة كتاب الدلالة الى الاب ميخائيل نو ولا الى الياس فخر طالما لم يَقُم على هذا دليل غير الذي انصرف الى كتاب الاحتجاج

سنة ١٦٨١ اي من عهد المؤلف وهي اضبط من النسختين اللتين ذكرهما حضرة الخوري ق . الباشا كما سترى ولعل هذه النسخة هي التي تنقّحها الياس فخر (المشرق)

ومن ثمَّ ينبغي لنا أن نأتي بالبيّنات على صحّة نسبتهِ الى المطران افتيميوس فنقول :

١ً ان اول هذه الحجج واقربها الينا ما اعتمد عليه حضرة الاب لويس شيخو في المشرق (٥ : ٧١ و١٥ : ٧٥٢) ولا نظنُّ انهُ قرّر مسألة تاريخيّة مهمّة مثل هذه بلا سند يُعوّل عليهِ (١

٢ً ما ورد في مقدّمة كتاب مرشد الخاطئ الذي طُبع سنة ١٨٦٣ في المطبعة اليسوعيّة وأيًّا كان كاتب هذه المقدّمة يظهر من كلامهِ انهُ كان عارفاً حقّ المعرفة بتاريخ الرسالة اليسوعية القديمة واعمال رجالها اذ قال في صفحة ١٩ في معرض كلامهِ عنهم

« ومن جملة تلامذة (مدرستهم) الدمشقية افتيميوس الذي فيما بعد صار رئيس اساقفة صور وصيدا والّف الكتاب المعروف بالدلالة اللامعة ولاجلهِ لُقِّب بنفّة العلم لانهُ اظهر فيهِ فهماً عظيماً في الكتب المقدّسة والآباء القديسين »

٣ً لا ريب انَّ كتاب الدلالة اغضب كثيرًا بطاركة الروم غير الكاثوليك وعارضوهُ فيهِ كما ورد في جريدة المنار (١ : ٢٨) وفي تاريخ نشأة طائفة الروم الكاثوليك الذي طُبع في مصر ملحقاً بتاريخ ميخائيل بريك قال في صفحة ١٠١ : « وفي ايام نارفيطوس تُوفي (والصواب ارتسم) افتيميوس مطران صيدا . . . وخبرهُ مشهور عند الجميع وقد كتب في ذلك كتاباً سمّاهُ الدلالة اللامعة » . ومعلوم أنَّ شهادة هذا الكاتب المجاهر بالعداوة للمطران افتيميوس وبالولاء والمديح لالياس فخر المعاصر لهُ اضطراريّةٌ دفعهُ اليها الحقُّ الساطع لا غير

٤ً الخوري يوحنا العجيمي مؤرّخٌ مدقّق مشهور وُلِدَ ونشأ في جون بجوار دير المخلص تحت رعاية عمّهِ الخوري ميخائيل (الذي صار مطراناً باسم مكاريوس) ونسيبهِ الخوري اسطفان عطاالله الذي تولّى طبع كتاب الدلالة وكلاهما من اقدم تلاميذ المطران افتيميوس ولا بدَّ انهُ اعتمد على افادتهما فيما كتبه عنه في كتاب التختيكون بكلامهِ على دير المخلص ومؤسسهِ إذ قال : « ابتدأ (افتيميوس) يجاهر بالكرازة وإشهار الايمان الكاثوليكي المقدّس والّف فيهِ كتاباً دعاهُ الدلالة

---

١) قد اتّبعنا في قولنا الرأي العام دون التحقّي في المسألة كما فعل حضرة الابوين القس ج . منش والخوري ق . الباشا (المشرق)

اللامعة مشحوناً من الشهادات الواضحة البيان وارسل اعرضهُ على الكرسي الرسولي ... والتمس طبع الكتاب المذكور لنشرهِ في البلاد الشرقيَّة وارسلهُ الى رومية (بعد الأذن بذلك) صحبة احد شمامسته اسطفان عطاالله خواجا من دير القمر سنة ١٧٠٧ وحال وصولهِ الى رومية قبلهُ الكرسي الرسولي بكل إكرام وباشر طبع الكتاب الذي أنجز سنة ١٧١٠ واحضر لهُ جملة نُسخ منهُ نشرها في هذه البلاد وحصل منهُ خيرات عظيمة »

٥ وهذا مطابق لِما وقفنا عليهِ من مراسلات المطران ومقرَّرات مجمع انتشار الايمان في مجلَّدات مختلفة من سجلَّات المجمع المذكور بشأن طبع الكتاب وفوائد انتشارهِ حتى ترجمهُ المطران الى اليونانيَّة والتمس طبع هذه الترجمة . ولولا الخوف من إطالة الكلام مع الكفاية بما تقدَّم لكنَّا نشرنا شيئاً ممَّا نقلناه عن السجلَّات المذكورة مع بيان كلِّ مجلَّد والورقة التي نقلنا عنها

*

ومن حيث ان كتاب الاب نو غير معروف حقَّ المعرفة ينبغي لنا ان نبسط فيهِ الكلام كما يستحقّ لبيان علاقتهِ مع كتاب الدلالة اللامعة فنقول : انهُ من العنوان الذي وضعهُ لهُ مؤلفهُ الفاضل بدون ذكر اسمهِ فيه ومن مقدمتهِ يُعلَم لطف الاسلوب الذي جرى عليهِ في كتابهِ اذ نسج كلامهُ فيهِ بالاحترام والمحبة لكنيسة الروم وكتب صلواتهم وأقوال الآباء القديسين وبطاركتهم « محامياً عن صحَّة إعتقاد كنيستهم وحسن إيمانها ضدَّ من رماها بالبدعة في الامور التي اشاعها بعض الافراد لجهلهم كمثل زوان قليل نبتَ في حقل الرب الواسع » الى ان قال : « اذا كان في عصر النور والعلم والقداسة ظهر في الشرق آريوس ونسطوريوس وامثالهما فلا يُستغرب ان يظهر بعد ذلك من يكون شرًّا منهم وكذلك في الغرب بلاد العلم ظهر كلفين واصحابهُ . ولذلك يعتمد على كتب الصلوات والتعليم دون الافراد لكون هذه الكتب جليلة القدر وقديمة العهد وصادقة اكثر من الناس الجهَّال ولا تختلف في هذه الامور عن كتب الكنيسة الكاثوليكية بل في بعض الاحيان تكون في كتب كنيسة الروم بكلام أفصح واكثر واجمل » . ثمَّ يخاطب رؤساء الكهنة كأنهُ يقترح عليهم كتاباً اكبر واوسع في هذا الباب كالدلالة اللامعة قائلاً :

« يا اخوتي رؤساء كهنة الله المختارين انا الحقير الذليل عبدكم اثبت لكم هذه بشهادات كثيرة لكنها قليلة باعتبار جملتها فالمأمول من فضلكم انتم العارفين اقوال كتبكم ان تزيدوا على ذلك وتجيبوا اقوالاً اكثر واقوى بالمعنى وتقوموا معي للاحتجاج عن كنيستكم العظيم شرفها وتبريرها عمّا تكلّموا عليها فيكون لهذا التعب المفيد مجازاة عظيمة. وتكلّموا كما واجب عليكم لانكم نور العالم وقصدُ الباري تعالى الذي وضعكم فوق كافة الناس مثل شموس ان تسعوا في تنوير المسكونة وإضاءة الساكنين في الظلمة وتخلصوا بحكمتكم من يطلب الشيطان هلاكهُ ولا تتركوا الشياطين يسهروا ويسعوا في هلاك النفوس اكثر منكم في تخليص المؤمنين الذين ارسلكم الله جميعكم ويحاسبكم عن كل نفس هلكت منهم »

ودونك « ديباجة الكتاب » بحرفها الواحد:

نسخة دير المخلص بعد الفاتحة (١

لمرفتي بعلوّ الفضائل ووصف العلم وصحّت الآراء التي استمرّوا عليها الآباء الاطهار في كنيسة الروم تعجّبتُ لمّا سمعتُ من بعض الناس بان الروم المحتلفين (كذا) عنهم قد بعدوا اليوم من اعتقاد هؤلاء القديسين واتمسّكوا بايمان مضاضدًا (كذا) لهُ في امور متعدّدة. فانا الفقير ما اسرعتُ في تصديق ذلك لعلمي بجاري العادة بين الخلف ان ينسبوا الى طائفة ما كلّ ما رأوا من العيب والنقص وعند اقوام من المنحصرين فيها فشرعتُ في فحص الامر وتمييز الحقّ من الباطل. . .

١) حضرة الكاتب ارسل لنا هذه الديباجة بالصورة الفوتغرافيّة عن نسختي دير المخلص ولا فرق بينهما الّا في بعض الفاظ لا يُبأ بها. فاكتفينا باحدى النسختين واثبتنا بدلاً من الثانية ديباجة نسخة مكتبتنا الشرقية التي هي مؤرخة ويرقى عهدها الى زمن المؤلف ولعلّها هي النسخة التي تمّمها الياس فخر فنسبها لنفسهِ (المشرق)

نسخة المكتبة الشرقية (سنة ١٦٨١)

اعلموا يا اخوتي انهُ لمّا حصل لي بنعمة الله تعالى الاطلاع على الفضائل السامية وعمق العلوم وصحّة الآراء التي استمرّوا عليها الآباء الأطهار في كنيسة الروم فتعجّبتُ ممّا سمعتهُ من بعض الناس اذ يقولون انّ الروم المفترقين منهم قد بعدوا اليوم من اعتقاد هؤلاء الآباء القديسين واتمسّكوا بايمان مضادد لهُ في امور متعدّدة فلم اسرع في تصديق ذلك لسببين الاوّل لعلمي انّ جميع المنبولين في الكنيسة من معلمين الشرق القديسين هم مقبولين عندهم في الغاية وغالب كتبهم موجودة بيدهم يتلونها الليل والنهار. والسبب الثاني لمعرفتي بالعادة الجارية بين عوامّ الناس انهم متى شاهدوا في بعض من الطائفة نقصاً ما فنسبوهُ الى الجميع. فلهذا طرحتُ ثوب الكسل وشمّرت عن ساعد العزم وشرعتُ في البحث وفحص الامر وتمييز الحقّ من الباطل. . .

وكان بودّنا ان ننشر بعض فصول الكتاب لكنّنا نكتفي بنقل ما ذكرهُ في

الفصل السابع من الجزء الرابع جواباً لمن يزعم ان سلطة البابا بطلت لانهُ خالف الشريعة الانجيليَّة فيقول

« انظر يا اخي بطلان ذلك وميّز . فمن جهة البعض من الروم المضادين لاقوال كتبهم المقدَّسة وقليلي العلم والساكنين في البلاد التي فيها الايمان ضعف والرذيلة قويت يفترون على البابا بغير علة ويقولون انهُ مخالف . ومن جهة اخرى بقية الروم وجميع النصارى المقيمين في الدنيا كلها ومنهم أناس لا يُحصَون كاملين في العلوم والفضائل يقولون عن البابا انهُ غير مخالف فمن من الفريقين يجب التصديق ؟ »

ومما ذكرهُ في الفصل الثاني من الجزء الخامس عن عدم التنويه باسم البابا في القداس قولهُ :

ويشغل الكتاب في نسختنا نحو ٢٠٠ صفحة (١ بقطع نصف ربع . ويُقسم الى خمسة اجزاء الاول منها يحامي فيه عن استقامة ايمان كنيسة الروم بانبثاق الروح القدس من الاب والابن . ويشتمل على خمسة فصول . والجزء الثاني يحامي فيه عن اعتقادها بسعادة القديسين ويشتمل على ستة فصول . والجزء الثالث يتضمن اعتقادها بتطهير النفوس بعد الموت ويشتمل على سبعة فصول . وفي الجزء الرابع يدافع عن اعتقادها برئاسة القديس بطرس وخلفائه على جميع المؤمنين ويشتمل على ثمانية فصول . وفي الجزء الخامس يحامي عمَّا تتَّفق فيه كنيسة الروم مع الكنيسة الكاثوليكية بالطقوس والعوائد وما تختلف عنها فيه نظير الاصوام وتعييد الاعياد والتقديس على الخمير والفطير والحساب وغير ذلك

« يذكر البابا كثيرون منهم (اي الروم) كالساكنين في بلاد الروس وبلاد الافرنج (٢ . وفي الشرق السكوت عنهُ غير مقبول ولا مرضي قط (٣ والعالمون يذكرونهُ عندهم بانفرادهم . . . والروم القدماء منعوا ذلك وهم اصحاب العلم والفضيلة فلمَ لا يتبعهم الروم الجدد وهم مولودون

---

١) ونسخة مكتبتنا الشرقية الكاملة صفحاتها ٢٦٥ وفي الصفحة ١٩ سطر لم تجزئ كتابتها في ٥ ايلول سنة ١٦٨١ وكانت « ملك القس يوحنا الماروني المكنى بابن زنده » (المشرق)

٢) كان في زمان المؤلف نحو اثني عشر مليوناً من الروم الكاثوليك في مملكة بولونية وروسية عدا الذين كانوا في ايطالية

٣) كتب المؤلف كتابه سنة ١٦٧٠ كما يؤخذ من كلامه على حساب عيد الفصح لتلك السنة وكان يومئذٍ البطريرك الانطاكي مكاريوس الحلبي الذي مات سنة ١٦٧٢ بعد ما جاهر

منهم بالروح ومتلمذون لهم. وان كان بعض الروم يصنعون ذلك في بعض الكنائس المتقدم ذكرها فلم لا يمنع هكذا جميع الروم لكمال المحبة والاتفاق... فيظهر اذاً انهُ صار من التغافل او من الضرورة فاما التغافل فليس من المعقول والادب إن تنسب هذا الى البطاركة لانهم اناس من افضل الروم ومختارين فربما يكون من الملازمة والضرورة. فليفحص عن هذا اصحاب الفحص والتفتيش »

ومما تقدَّم يظهر ان كتاب الاحتجاج اقدم من كتاب الدلالة الذي صنَّفه المطران افتيميوس على شاكلته وباقتراحه (٣ لكن هذه المشاكلة لا تتجاوز موضوع الكتاب باكثر مسائله وهو يختلف عنه بغير ذلك كما يأتي:

١ً كتاب الاحتجاج عقد فصلًا لبيان صحَّة الحساب الجديد وخطأ القديم وفصلًا لتحليل اكل السمك في الصوم وفصلًا لتحليل اكل اللحم للرهبان وتحليل اكل المخنوق في الكنيسة اللاتينية مما لم يذكر عنها شيئاً بالاطلاق كتاب الدلالة

٢ً انفرد كتاب الدلالة بفصل مطوَّل على القداس والصلوات وباقي الطقوس في الكنيسة اليونانية واللاتينية وتاريخ وضعها وهو كافٍ وحده ليكون دلالة لامعة على سعة معارف المطران بطقوس الكنيسة وجليل قدرها عندهُ . وانفرد ايضاً بفصل اخر جميل وهو المحاماة عن تحريم زواج الكهنة في الكنيسة اللاتينية

٣ً خالف كل منهما الآخر بوجه البحث في الفصل الذي خصَّهُ كل منهما للكلام على اختلاف الاصوام بين الكنيسة الرومانية واليونانية

٤ً كتاب الدلالة يتوسع كثيرًا في فصوله وبيان المسائل التي يبحث في حلها فان الفصل الذي عقده كتاب الاحتجاج لبيان جواز التقديس على الخمير والفطير في ست صفحات مخطوطة يقابلهُ في كتاب الدلالة فصل مطوَّل في ٢٣ صفحة مطبوعة . وكذلك ايضاً قصر كتاب الاحتجاج فصلًا باربع صفحات على علامات الكنيسة

باتحاده وطاعته للحبر الروماني نظير من تقدَّمه من البطاركة الانطاكيين الذين كما يقول عنهم اعلنوا اتحادهم وطاعتهم لهُ بالطريقة المكنة لهم اي بدون ان يعلم بذلك احد في القسطنطينية

٣) لا نرى حاجة للتصريح بعد ما تقدم بان المطران افتيميوس كان عنده نسخة قديمة كاملة من كتاب الاحتجاج نقلت عنها نسختنا الناقصة في مجموعته التي تقدم ذكرها وتلك النسخة القديمة هي التي اعتمد عليها واستفاد منها لتأليف كتابه مثل غيرها من الكتب القديمة

وشروطها وقد بسط ذلك كتاب الدلالة باربعة فصول كبيرة في الجزء الاول وجعل علامات الكنيسة ركناً لبحثه في سائر الكتاب وقس على ذلك

٥ نفس مؤلف كتاب الاحتجاج نفسُ عالم بارع التصرف في إلباس المعاني الجدلية ثوب المدافعة بلسان غير لسانه ومع هذا يظهر عليه نفس الفيلسوف النظري بخلاف كتاب الدلالة اللامعة فانهُ يتجنب النظريات وبراعة القياسات ودقتها ويُكثر من الشهادات والحوادث التاريخية التي لا تحتاج الى دقة نظر وإعمال العقل ليفهمها العامة فانه لم يذكر قط سفر الرؤيا الذي استشهد به كثيراً كتاب الاحتجاج بشرح مطول يكلّ عن فهمه عامة الناس

٦ يشارك كتاب الدلالة لكتاب الاحتجاج في كثير من الشهادات المنقولة من كتب الاباء والصلوات الطقسية في اليونانية مع تعريبها وقد استشهد بها كل من بحث في المسائل المذكورة قبله باليونانية والعربية وراجع المطران مؤلفات العلماء فيها باليونانية (١ والعربية لكنه انفرد عمَّن تقدمه ومن اتى بعده بشهادات كثيرة تُعدُّ بالمئات نقلها عن مخطوطات قديمة بالعربية من مؤلفات الاباء ومعلمي الكنيسة مما لا يجتمع في مكتبة غير مكتبة «قفّة العلم» ولا يزال اكثر هذه الكتب الى اليوم في مكتبة دير المخلص وهذه الشهادات او المخطوطات التي نقلها عنها تشهد له بسعة الاطلاع وشدة حرصه على كل ما كان يطالع . وقد قابلنا كثيراً من هذه الشهادات على اصلها فوجدناها منقولة بامانة وتدقيق يبلغ بعض الاحيان الى نقل الاعلام بالغلط اتباعاً لاصلها

(١ يؤخذ من مراسلات المطران افتيميوس ان البعض من الابرشيَّة الاورشليميَّة نقلوا الى العربية كتاب زخريا جورثانو وارسلوا بعض نسخ منهُ الى الابرشية الانطاكية سنة ١٧٠٤ فقصد المطران افتيميوس ان يعارضه بكتاب الدلالة ليبطل به فساده وكتب بذلك الى الكردينال سكريبانتي (Sacripanti) يلتمس منهُ ان يرسل لهُ بعض الكتب الجدلية في هذا الباب المطبوعة في رومية باليونانية ليستعين بها على تأليف كتابه فأرسلت اليه منها كتاب الردّ على تجاديف زخريا المذكور وكتب المعلم يوحنا متى كايوفيلو ومصنفات الكردينال بيساريون وكتب ديمتريوس كيدوني وكتاب المعلم بطرس اركوديوس في اتفاق الكنيسة الشرقية والغربية. وهذه الكتب استلمها المطران الخوري يوسف مخائيل بموجب وصل بخط يده اذ كان موفد من مطرانه لهذا الامر ولامثال اخر

فمن هذه الكتب التي استشهد بها: كتاب ميامر ابي قرّة الذي نشرناه عن نسخة دير المخلّص (ص ١٥٤ من طبعة القدس) وكتاب الباتريكون (ص ٢٧٧ و٢٧٨) ونسكيّات القديس باسيليوس (ص ٦٩) وكتاب البرهان للقديس صفرونيوس (ص ١٢١ و١٣٦ و١٩٢ الخ) وكتاب الحاوي الكبير (ص ٤٨ و٢٧٤ الخ) وكتاب الناموس (ص ٨٤ و٨٥) وهذه النسخة التي اخذ عنها السيد افتيميوس لا تزال في مكتبة دير المخلّص وفيها غير قوانين مجمع نيقية فاستشهد بها . على خلاف كتاب الاحتجاج الذي لم يستشهد بكتاب الناموس ولم ينقل الّا عن قوانين نيقية. وكذلك كتاب تاريخ ما جرى لاغناطيوس من فوطيوس (ص ٤٦ و١١٩). وكتب اخرى كثيرة نضرب عنها كمؤلفات يوحنّا الدمشقي ويوحنّا فم الذهب والقديس غريغوريوس والسنكسار الخ

والنتيجة ان كتاب الدلالة اللامعة تاليف المطران افتيميوس صيفي يختلف عن كتاب احتجاج كنيسة الروم تاليف الاب مخائيل نو اليسوعي بالوضع والترتيب والتبويب والبراهين وطريقة سردها وغير ذلك لكنهما يقصدان غاية واحدة شريفة بيان صحّة اعتقاد كنيسة الروم في بعض الامور التي يرفضها اليوم بعض اولادها الذين تدعوهم الى وحدتها ليرجعوا الى الصواب الذي ما كان عليه اباؤهم بمحبة والديّة وبصوت اولادها الصالحين نظير الاب مخائيل نو والمطران افتيميوس نفعنا الله بفضلهما واكثر من امثالهما في كرم الرب

المشرق — خلاصة هذه المقالة (اوّلاً) انّ كتاب الاب ميخائيل نو اليسوعي المسمّى بالاحتجاج هو غير كتاب الدلالة اللامعة وان كان صاحب الدلالة استعان بحجج وشواهد وردت في كتاب الاحتجاج. (ثانياً) انّ كتاب الدلالة اللامعة هو صورياً للمطران افتيميوس صيفي كما يظهر من تحتيكون المجيبيّ ثمّ التقليد المتواتر الى زماننا. (ثالثاً) امّا ما اراده عبدالله زاخر بتعبير الياس فخر « بتحليّه باثواب غريبة » وما اراد الاب بطرس فرومان بقوله انّ الياس فخر « اتخذ كتاب البادره ميخائيل نو اليسوعي . . . واصلح اعرابهُ ونسبهُ الى نفسهِ » ثم بتصريحهِ « انّ هذا الكتاب هو الدلالة اللامعة » ففيهما مشكل لم نر حلّهُ تامّاً لحضرة الاب ق. الباشا. ويا ليتهُ اتى باحد النصوص من مقرّرات مجمع افتشار الايمان التي اشار اليها ووجدها في سجلّات هذا المجمع ولا شك انّ بينها ما يصرّح باسم مؤلف كتاب

الدلالة. ولعلّ فكّ هذه العقدة بان يقال انّ كتاب الدلالة اللامسة الذي جرى فيهِ السيّد انتيميوس صيفي مجرى الاب ميخائيل نو في كتاب الاحتجاج ولم يذكر فيهِ اسمهُ امّا تواضعاً وامّا عملاً بالفطنة قد نقّح عبارتهُ الياس فخر وزاد فيهِ بعض زيادات طفيفة فتفاخر بعملهِ الى ان نسب الكتاب الى نفسهِ زوراً . ومن المحتمل ايضاً ان يكون نقّح كتاب الاحتجاج للاب ميخائيل نو كما رأيت فنسبهُ الى نفسهِ فوبّخهُ على فعلهِ الشماس عبد الله زاخر وظنّ الاب بطرس فروماج انّ عبد الله زاخر قصد بذلك كتاب الدلالة اللامسة بدلاً من كتاب الاحتجاج والله اعلم. وقد اوقفنا حضرة القس جرجس منش على المقالة السابقة فابدى فيها بعض الملحوظات لم يسمح لنا طول المجلّة للطبع بنشرها

وقائع العام المنصرم

نظر للاب لويس رترفال اليسوعي (تتمّة)

سياسة الدول

١ اوربة

﴿ فرنسة ﴾ كان افتتاح السنة ١٩١٢ مشئوماً للوزارة الفرنسويّة فاستعفى المسيو دي سلف وزير الخارجيّة ثم تبعهُ بقيّة اعضاء وزارة كاليو فخلفتها في ١٢ ك ٢ وزارة اخرى شكّلها المسيو بوانكاره مع المسيو بريان للعدليّة وستيغ للداخليّة ودلكاسه للبحريّة وميلران للحربيّة وحفظ لنفسهِ وزارة الخارجيّة . فوقعت هذه الوزارة لدى العموم موقع القبول ووقفت بازاء الدول موقفاً شريفاً اكسب لها ثقة الاهلين والاجانب

وفي ١٠ آذار تجدّد انتخاب قسم من نوّاب مجلس العموم فكان الفوز للمعتدلين ووقع الاختيار على بعض الكاثوليك الصادقين كمسيو غليار بنسل (G. Bancel) ومسيو أنسه (Ancé). وفي هذا الشهر حدثت في باريس تلك الفتن الغريبة التي أثارها احد الأئمة المدعو بونو (Bonnot) فجاهر بالمنكرات وقتل احد رؤساء الشرط وتحصّن في دار رجل من مناصريهِ فلم يسلّم حتى نُسفت الدار

وقبضوا على الاثيم مجروحاً فلم يلبث ان مات في ١٨ منهُ . وبعد اسبوعين قام صعلوكان آخران غرنيه (Garnier) وفاله (Vallet) فأتيا مآثم فظيعة فتعقَّبهما الشرط لكنَّهم لم يقووا على قهرهما وقتلهما الَّا بعد محاصرتهما مدَّة ثماني ساعات

وفي منتصف شهر نيسان مات المسيو بريسون رئيس مجلس الندوة واحد اعضاء الماسونيَّة المجاهدين الذي سعى بتنفيذ عدَّة قوانين معادية للدين فخلفهُ في رئاستهِ في اواخر ايَّار المسيو بول ديشانل من المعتدلين . وكذلك ترأس المسيو غالي (H. Galli) المعتدل مشورة بلديَّة باريس في ١٤ حزيران

لكنَّ اعتصابات عمَّال المراكب في الماثر ومرسيلية وبوردو ودونكرك والجزائر اقلقت الخواطر في حزيران واوائل تموز وتفاقمت حتى وقعت بين المعتصبين ومعارضيهم مناوشات جرى في غضونها دم رجال من الفريقين

وفي هذين الشهرين دار الكلام في مجلس العموم على اصلاح قوانين الانتخابات العموميَّة فخطب في ذلك اوَّلًا المسيو برانكاره وتفاوض المندوبون في هذا الشأن مرارًا حتى صادقت الاغلبيَّة على وجوب ذلك الاصلاح بان تكون لبعض المتازين بعلومهم او املاكهم الواسعة او خدمهم للدولة اصوات على نسبة امتيازاتهم . وهذه القوانين يتباحث فيها الآن مجلس الاعيان والمظنون انَّهم يثبتونها قريباً

وفي ١٤ تموز عُرضت الجيوش في لونشان بحضور دولة باي تونس والملكة السابقة لمدغشكر راناڤالو . فكانت حفلةً بهيجة اعرب فيها الجنود وسائر الحضور عن تحمُّس وطنيٍّ بليغ . وعقبت هذا العرض في ١٠ ايلول التمرينات العسكريَّة تحت قيادة الجنرالين جوفر وغاليانى وماريون وخُتمت في ١٧ منهُ بحضور الرئيس فاليار والغرندوق نيقولا الذي صرَّح باعجابهِ من نظام جيوش فرنسة وحسن قيامها بكل الاعمال العسكريَّة . ومن الاحداث السياسيَّة الهامَّة سفر المسيو برانكاره الى روسيَّة في اواسط آب حيث أيَّد ما بين الدولتين من الاتفاق والولاء

ولمَّا باشرت الدول البلقانيَّة بالحرب مع الدولة العثمانيَّة لم تبق فرنسة جامدةً ساكتة بل صرَّح رئيس مجلس العموم بخطَّة الدولة الفرنسويَّة في تلك الاحوال

الحرجة اعني سعيها في اعادة الصلح بين المتحاربين وحصر الحرب في البلقان وحيادها عما يمسّ حقوق الدول البلقانية مراعاةً لصوالح فرنسة الاقتصاديّة وحفظ نفوذها الادبيّ في الاناضول وسوريّة

ولمّا نشبت الحرب وصار الانتصار حليف الممالك البلقانيّة اقترح المسيو پوانكاره على دول التحالف الثلاثي بعد اتّفاقهِ مع روسيّة وانكلترّة بان تتعاهد الدول عن امتلاك اراضٍ في الشرق الادنى (désintéressement territorial) فلم ترضَ تلك الدول باقتراحهِ بل وافقتهُ فقط في عرض توسُّطها بين المتحاربين

وممّا سُرَّ بهِ الوطنيُّون في فرنسة في العام المنصرم تعزيز بحريّتهم بنجاز الدارعتين «باريس» في طولون و «فرنس» في مصنعة لوار من جنس الدردنوط . و «فرنس» هذه هي الرابعة من جنسها وهي مهولة طولها ١٦٥ مترًا وعلوّها ٩ امتار فيها محرّك من التوربين قوّتهُ ٢٩٠٠٠ حصان بخاري ويدفعها اربع وثلاثات وسرعتها نيّف وعشرون عقدةً في الدقيقة وفيها ١٢ مدفعاً في ستّة ابراج عيار كلّ مدفع ٣٠٥ ملّمترات ثم ٢٢ مدفعاً عيارها ١٨٨م فضلًا عن اربع اساطين لقذف الطوربيل ويحرس دائرتها درعٌ من الفولاذ سمكها ٢٧٠ ملّمترًا في وسطها و١٨٠ م في الاطراف على عرض اربعة امتار و ٩٠ س

وكذلك فرح الفرنسويّون لزيارة ملكة هولندة لباريس فاستقبلوها بكل اكرام ووداد

وقد شعر الكاثوليك في هذا العام ببعض الاعتدال في خطّة الدولة مع ارباب الكنيسة وقرّ نظرهم بما رأوهُ من نفور الرأي العام عن معاداة الدين مع نهضة الكثيرين على الماسونيّة واشياعها رغماً عن مساعي تلك الشيعة المستقبحة التي اجتمعت شوراها في ١٨ ايلول وجدّدت انتخاب رئيسها العام دوبيار (Debierre) المعروف ببغضهِ لكل شاعرة دينيّة وتضحية الوطن لغايات الماسون

واستبشر الكاثوليك ايضاً بالانتخابات البلديّة التي فاز فيها الاحرار على النوضويين في باريس ومرسيلية وروان وليل . فسعى المنتخبون في عدّة مدن باعادة الطوافات الدينيّة في عيد القربان الاقدس فأقيمت برضى العموم وبغاية الرونق في

بولوني وكاستر وغيرهما . وكذلك الاعياد المقامة لتذكار المئة الخامسة لمولد الطوباويّة جان دورك تمّت بمعظم الأبهة في كلّ بلد ولا سيما في اورليان

وجرت مظاهرات أخرى فخيمة في مدينة انسي في ١٤ حزيران لنقل ذخائر القديسَين فرنسيس دي سال اسقف جنيفة وجان فرنسواز دي شانتال الى دير راهبات الزيارة الجديد . ومثلها الزيارة الوطنيّة لمعبد سيّدة لورد في ٢٢ آب جرت باحتفال عظيم فكان عدد الزوّار الوفاً مؤلفة نقلهم ٣٢ قطاراً خاصاً من كلّ انحاء فرنسة وكان عدد المرضى الطالبين الشفاء نيّفاً وألف شفي منهم ازيد من مئة من اسقام شتى عجز عنها الاطبّاء.

وقد انعم الكرسي الرسوليّ على الفرنسويين في هذا العام بان رضي بالفحص عن سيرة رجلين فاضلين من اولياء الله لتطويبهما اعني فيليبت ڤرو (Ph. Vrau) وكاميل فيرون ڤرو (Cam. Féron-Vrau) اللذين مدّة حياتهما خدما الدين خدماً مشكورة لا يفي بها إحصاء. وانشأا الانشآات الخيريّة المتعدّدة التي تنانيا في نجاحها فضلاً عن ممارستهما لأسمى الفضائل المسيحيّة وهما من العلمانيين

ومما دلّ على همّة الكاثوليك في فرنسة عدّة مؤتمرات عقدوها في العام الماضي منها في آذار مؤتمر لمعارضة نشر التصاوير السمجة والمنشورات المنافية للآداب . ومنها مؤتمر في اياول لتنشيط منشورات الصحافة الحسنة الصالحة . ومؤتمرات أخرى للشبيبة وللمشروعات الكاثوليكيّة

وقد فُجع الفرنسويّون بوفاة بعض رجالهم المعدودين اخصّهم الاميرال دي كوڤرڤيل الذي مات ميتة الابرار في ١٤ آذار وكان زار مع اسطوله غير مرّة سواحل الشام . شرّف أمّتهُ بشهامة الجنديّ الباسل وبالغيرة الملتهبة في سبيل الدين الذي دافع عن حقوقهِ في مجلس الاعيان ببلاغة غريبة — ثمّ المسيو هنري پوانكاره ابن عم الوزير واحد العلماء الرياضيّين المبرّزين مات فجأةً في باريس في ١٧ تشرين وعمرهُ ٥٨ سنة — ومن موتى السنة الماضية الطيّار الشهير لاثام (Latham) مات في الصيد في مدينة برازاڤيل من اعمال كونغو في ٢٥ حزيران — واشهر من كلّ هؤلاء فقيد الكنيسة والوطن الطيّب الذكر الكردينال رئيس اساقفة ليون السيد كوليه (Mgr Coullié) المولود سنة ١٨٢٩ دعاهُ ربُّهُ الى دار البقاء في ١١ اياول بعد أن أدّى لرعيّتهِ ولسائر

مواطنيه خدماً جليلة لاسيما سميهُ في اعلان جان دارك شفيعة فرنسة واتخاذ يوم عيدها كعيد وطني

يضاف الى هـذه الفواجع غرق الغوّاصة فندميار (Vendémiaire) قريباً من تونس فكان فقدها رزءاً عمومياً لفرنسة

ولستاء الفرنسويّون المحبّون لوطنهم من اقامة الحكومة عيداً وطنياً لاحد اركان الثورة الفرنسويّة جان جاك روسو فعيّن المجلس لهذا العيد ٣٠,٠٠٠ فرنك لكنّ تلك الحفلات كانت باردة لم يظهر فيها الشعب شيئاً من الحماسة وتأسّف ذوو الذوق السليم من تعظيم رجل حطّ بفرنسة الى دركات الذّل بتعميم مبادئه الفاسدة. وكأن الحكومة عينها خجلت من هذه الاعياد المدنيّة اذ رأت الوزارة بعد مدّة تطرّف معلّمي مدارسها اللادينيّة وتواطؤهم ليعرقلوا امور التعليم العامّ في شركاتهم. ومن جرّاء فعلهم عزّلت الوزارة على الغاء تلك الاجتماعات الثوريّة

﴿ المانية ﴾ ألمعنـا في مقالتنا الاولى الى سياسة المانية الدوليّة وتجديد التحالف الثلاثيّ احدى ثمرات الحرب السبعينيّة . نعم انّ الالمان وملكهم يتوقون الى السلام واعلّ سفر المركيز دي سان جوليانو الى برلين انما كانت غايتهُ توطيد السلام في الاحوال الحاضرة لكنّ هـذا السلام المسلّح لا يحلّ المشاكل التي تتهدّد المجتمع الانسانيّ فما دامت المانية تزيد كلّ يوم تسليحاتها وتعتر العساكر وتجنّد الجنود لتحفظ لنفسها السيادة في اوربّة فلا شكّ انّ جاراتها يجارينها في العمل فتأتي ساعة والله اعلم بقرب وقوعها اذ تنشب بين الدول حروب لم يُر لها من شبيه في القرون الخالية . وما كانت الحرب البلقانيّة مع ويلاتها سوى صورة ضعيفة لما ينتظر من شرور حرب عموميّة . فليت شعري ماذا فعلت مؤتمرات السلم وما الذي نتج عن مساعي العقلاء لاصلاح ذات البين . فليعلم المصلحون انّهم لا يجدون دواء لهذا الداء العضال الّا في مبادئ الدين التي نبذتها الدول ظهريًّا فانّ النصرانيّـة وحدها تستطيع ان توطّد السلام على ركن متين لأن الربّ قد سلّم مقاليـد السلام الى كنيستهِ وما دامت الشعوب تسمع صوتها تمتّعت بنعمة الوفاق والوئام . وياليت قادة الدول ورؤساء الامم يحكّمون نائب المسيح في منازعاتهم ويرضون باحكامهِ العادلة كما فعل بمارك مع اسبانية لا شكّ انّهم ينجون بتحكيمهِ من شرور عظيمة

على انَّ اخطر خطر يتهدَّد المانية لا يأتيها من الخارج بل من داخلها فانَّ الحزب الاشتراكيّ يستفحل شرُّهُ وتتفاقم مطامعهُ كلَّ يوم وقد اختبر الامر القيصر بنفسهِ في اوائل السنة المنقضية لمَّا شغب الاشتراكيون وطالبوا الامبراطور بحقوقهم في بلاطهِ بوستدام . وما لبثت انتخابات مجلس العموم (الرشستاغ) ان كشفت لابصار كلّ ذي عين انَّ الاشتراكيَّة اصبحت في الدولة الالمانيَّة اكبر عامل في خرابها . فانَّ عدد مندوبيهم الذي كان قبلًا لا يتجاوز ٥٣ بلغ من ١٢ الى ١٥ كانون الثاني ١١٠ وخسر حزب الوسط عشرة كراسيّ فبقي عددهُ ٩٣ امَّا مبعوثو بولونية فزاد نفوذهم حتى يمكنهم ترجيح فرقة على اخرى اذا انضمُّوا اليها . ومن غريب ما اسفرت عنهُ هذه الانتخابات انَّ رئيس مجلس الندوة شيدمان ونائبهُ اشتراكيَّان . فحدِّث ولا حرج عن غضب القيصر لدى علمهِ بنتائج الانتخابات لاسيما عند افتتاح المجلس اذ صرَّح الاشتراكيُّون بنيَّاتهم الفاسدة ففكَّر القيصر مدَّةً في حلّ المجلس واستئناف الانتخابات لكنَّ المندوبين الاشتراكيين خمدوا نوعاً وغلَّبوا بعد حين حبَّ الوطن على بقيَّة الاعتبارات

في ٦ شباط زار برلين اللورد هلدين وزير الحرب في انكلترَّة فزعم الناس انَّ الغاية من تلك الزيارة انَّما هي حصر التسليح . لكنَّهُ في الواقع لم تلبث الدولتان ان عرَّجتا على توفير مراكب الدردنوط . وفي ٢٢ ايَّار صادق مجلس الدولة بكلّ تحمُّس على تخصيص اكثر من مليار فرنكات للجيش وللحربيَّة فزادت المانية عدد جنودها ١٦٠,٠٠٠ . وكذلك خصَّت ببحريَّتها مبالغ طائلة لم يجدها ارباب البحر مع وفرتها كافيةً لمرامهم

وممَّا لهجت بهِ ألسنة الصحافيين فأوَّلتهُ تأويل مختلفة انَّ القيصر حضر مأدبةً اعدَّها لهُ المسيو كمبون سفير فرنسة في برلين في ١٩ آذار وهذه مرَّة ثانية منذ الحرب السبعينيَّة يُؤدبهُ السفير

وقد عرفت المانية في هذه السنة مضارّ الاعتصابات في اواسط آذار لمَّا أضرب عن الشغل ٢٠٠,٠٠٠ من معدّني مناجم الفحم في وستفالية على مثال رصفائهم الانكليز فاعتصبوا وشغبوا على اصحابها . ولمَّا اراد الجند ان يتداخلوا بينهم لكفّ اذاهم جرت بين المعتصبين والجند مناوشات قُتل فيها البعض وجُرح البعض من

الجهتين . وفي هذه المناجم عينها حصل انفجار هائل قُتل فيهِ مئة من العملة في ٨ آب

وقد رُزئت المانية في ٢٤ ايلول باحد مشاهير ساستها البارون مرشال الذي قضى مدَّة في الاستانة بصفة سفير لدولتهِ فأحكم بينها وبين الدولة العليَّة عُرى الوفاق ثمَّ نُقل آخرًا الى سفارة لندن حيث كان القيصر يبني عليهِ آمالًا طيِّبة فلم يقضِ في رتبتهِ سوى اربعة اشهر ونصف اذ لبَّى دعوة ربهِ . ثم خُتمت السنة بوفاة كاتم اسرار الدولة « كيدرلن وختر » فكان موتهُ في سلخ ك ١

وما لا ينكر ان المانية فقدت لدى الدولة العثمانية شيئاً من نفوذها واعتبار قوَّتها العسكريَّة منذ اعلان الحرب البلقانيَّة اذ ثبت للجميع انَّ الاسلحة الالمانيَّة والنظامات العسكريَّة الالمانية ليست افضل من سواها كما زعموا لانَّ مدافع البلغار المجهزَّة في معامل كروزو في فرنسة أتت في نكاية المحاربين بما لم تأتهِ مدافع كروب . وكذلك نظام البلغار في حركاتهم وسكناتهم كان مفضَّلًا على النظام الالمانيّ التركيّ . ومن قائل بانَّ المدافع المبيعة للاتراك كانت عتيقة او من صنف ادنى كالدوارع التي باعها الترك من الالمان . ويظهر انَّ المانية سعت ثانيةً في كشف هذه الغمامة لاستئناف علائقها الوداديَّة مع بني عثمان لانَّ الاخبار الاخيرة افادت بانَّ العميد العسكريّ الالمانيّ سافر الى جاتلجه لمراقبة الحركات العسكريَّة . ولا شكَّ انَّ مواجهة وليّ عهد النمسة لجلالة القيصر غليوم في ٢٢ ت٢ كانت غايتها المفاوضة في امور البلقان

هذا ولا يمكننا ان نسكت عن المؤتمر السنويّ الذي عقدهُ الكاثوليك في المانية في اواسط آب في مدينة آخن (Aix - la-Chapelle) وهو المؤتمر التاسع والخمسون احتفلوا فيهِ احتفالًا باهرًا بالتذكار المئوي لمولد زعيم الكاثوليك وندتورست (Windthorst) وفيهِ جدَّد المؤتمرون عزائمهم على الدفاع عن صوالح الدين في وطنهم وبحثوا عن وسائط جديدة لتوسيع نطاق همَّتهم في كل دوائر العمل . وخُتم المؤتمر بطواف مهيب حضرهُ ٣٥ الفاً من الكاثوليك

﴿ انكلترَّة ﴾ دخلت السنة وملكها جورج الخامس يتجوَّل في انحاء الهند وقد وصف المشرق (١٥ : ١٣٠) ما اقام لهُ اهلها من الاعياد بنسبة تتويجهِ وكان رجوعهُ من بمباي الى اوروبَّة في ١٠ كانون الثاني لكنَّهُ لم يكد يصل الى مملكتهِ حتى فُجع بوفاة صهرهِ الدوق فيف اثر نكبة الباخرة دلهي وزُكام تحوَّل الى ذات الجنب

بعد بلوغه الى مصر فتوفي في اصوان وهو يقصد الخرطوم. ثمَّ تضاعف كدر الملك بغرق النوَّاصة الموسومة بالنمرة ٣ صدمتها احدى السفن فغرقت مع بحَّارتها

وجاءت بعد قليل كثالثة الاثافيّ اعتصاباتٌ المدنيين فابتدأت في دربيشير في ٢٦ شباط ثمَّ امتدَّت الى انحاء اخرى حتى بلغ عدد المعتصبين نحو المليون في غرَّة آذار وجاراهم المدنيون في فرنسة والمانية وغيرهما في التضامن والتكاتف ودامت الحال الى العشر الاوَّل من نيسان فلم يهدأ المعتصبون حتى قرَّروا بان تُعطى لهم اجرةٌ عادلة لا يجوز خفضها . لكنَّ هذه الشروط بقيت متذبذبةً غير راهنة فحدثت في الصيف اعتصابات اخرى اشترك فيها عمَّال النقلة للمراكب ثمَّ بحَّارة السفن التجاريَّة ولم يعودوا الى الشغل الَّا بعد شهرين

وفي ليلة ١٤ الى ١٥ من نيسان وقع غرق السفينة تيتانك التي فصَّلت مجلَّة المشرق (١٥ : ٤٢٥–٤٣٢) خبر سفرتها الاولى ونكبتها المؤلمة

ومن الحوادث المكدِّرة التي كادت تُختم بها السنة محاولةُ احد الفوضويين بان يقتل نائب الملك في الهند اللورد هردنج اذ رمى قنبلة على هودج الفيل الحامل للنائب فجرح اللورد جرحاً بليغاً وقُتل سائس الفيل فكان لهذا الخبر وقعاً سيئاً في كلّ الدوائر السياسيَّة وقد رأيت استياء قداسة الحبر الاعظم لدى بلوغ الخبر الى مسامعه

ومن اخبار انكلترَّة السياسيَّة تقدُّم مسألة حكم ارلندة الاستقلاليّ (Home Rule) الذي دافع عنهُ المستر اسكويث وعُرض ثلاثاً على مجلس العموم فاصاب اكثريَّة الاصوات والمظنون انَّ هذا الاستقلال الاداريّ لابُدَّ ان تنالهُ ارلندة رغماً عن المعترضين لهُ في مجلس الاعيان . وفي مدَّة المناقشات عن هذا الاستقلال كرَّر بعض المبعوثين حملاتهم على الكنيسة الانكليكانيَّة الرسميَّة فطلبوا فصل الكنيسة عن الدولة في بلاد اسكوسيا ففازوا بغايتهم في جلسةٍ اولى

وفي ٩ ايَّار جرت تمرينات الاساطيل الانكليزيَّة فتمَّت حركات المراكب على اختلاف اجناسها بكل نظام بحيث ظهر سباق البحريَّة الانكليزيَّة وترقيها المتواصل . وبعد ذلك بشهرين في ١٠ تموز استعرض الملك جورج كلّ القوَّات البحريَّة

فسُرَّ من وقيها . وخطب في ٢٢ منهُ اللورد شرشيل فأثبت انَّ سيادة البحر لا تزال في حوزة انكلترَّة

وفي ١٣ حزيران استعفى اللورد الكنشلبار هلدين فتعيَّن بدلًا منهُ كوزير الحربيَّة الكولونل سيلي (Col. Seely)

ومما لستبشر بهِ كلُّ الوطنيين ومحبي السلام انَّ اتَّفق المفوَّضون العثمانيُّون مع مندوبي الدول البلقانيَّة على اختيار لندن لعقد مفاوضاتهم المنوطة بابرام الصلح فكان افتتاحها في ١٦ ك ١ بعد ان رحَّب السر ادوار غراي بالمندوبين واعرب عن املهِ الوطيد بنجاح اعمال المؤتمر . وكانت الحكومة الانكليزيَّة عيَّنت لهذه المفاوضات بلاط سان جمس الملكيَّ

﴿ النمسة ﴾ اظهرت خوفها من احتلال ايطالية لسواحل البانية لمَّا ضربت مدنها هناك لكنَّ الدولتين المتحالفتين ما لبثتا ان اتَّفقتا في العمل

ثم عاد استياء النمسة فتضاعف بعد الحرب البلقانيَّة لمَّا رأت جيوش الصرب في اواسط ت ١ قد استولت على ولايتي مناستر وقوصوه وتهدَّدت اشقودره وطابت لها مرسًى بحريَّة على الادرياتيك فتنمَّرت النمسة غيظاً وانذرت بمحاربة الصربيين واخذت تحشد جيوشها وتجهِّز عُدَدها الحربيَّة . وكان مجلس مندوبيها في ١١ ت ١ قد صادق على تخصيص مليوني جنيه في الميزانيَّة لاستحضار بوارج ومراكب طوربيليَّة وغوَّاصات

ومما يجدر ذكرهُ عن النمسة في العام الماضي تعيين الكونت برشتلد كوزير للخارجيَّة خلفاً للمرحوم الكونت ديرنثال في ١٧ شباط . وقد اكتسب الوزير الجديد شهرةً بما اقترحهُ على الدول لاصلاح تركيَّة اعني مبدأ اللامركزيَّة بحيث تُعطى العناصر المختلفة في الدولة العثمانيَّة ادارات قائمة بذاتها فتسوس كل ادارة امورها الخاصَّة ولا ترجع الى المركز الاصلي في دار السلطنة الَّا في الامور العموميَّة . فاعار كثيرون اقتراحهُ بالًا ورأوا انَّ فيهِ حلَّ الازمة العثمانيَّة . وفي ٢٤ ايلول خطب الكونت خطبةً مهمَّة ذكر فيها مسألة الصلح بين تركيَّا وايطالية واشعر بتلبُّد الغيوم السياسيَّة في البلقان وان النمسة لارتباط احوالها باحوال تلك البلاد لا يمكنها ان تبيت مطمئنةً الَّا بان يكون تسليحها وافياً برًّا وبحرًا

ومن اخبار النمسة المهمّة وفاة نائب الكرسيّ الرسولي في ڤينّة السيّد باڤونا (Mgr Bavona) كانت وفاتهُ في ٢٠ ك١ وخلفهُ في منصبهِ السيّد سكاپينلي — وفي اواسط ايار جرى المؤتمر القربانيّ الذي وصفناهُ سابقاً

﴿ المجر ﴾ في ٥ آذار حدثت ازمة وزاريّة اضطرّت وزارة « خوين هدرڤاري » الى تقدمة استعفائها فقبلها الملك فرنسوا جوزف — هذا وكانت احوال المجر في غليان واضطراب ففي ٤ نيسان حصل بينهم وبين اهل كرواتيا نزاع اوجس الناس من عواقبهِ خيفةً — وفي اواخر شهر ايار حدث بين الاحزاب المختلفة مشاجرات دمويّة بسبب سنّة تعميم حقّ الاقتراع — وكذلك المبعوثون في مجلس العموم كانوا في اختلاف متداوم وزاد بينهم الهرج والمرج لاسيما في ٧ حزيران اذ ظهر بغتةً في شُرفة الصحافيين المسيو كوفاكس احد النوّاب الوقفيين واطلق مرارًا مسدّسهُ على رئيس المجلس الكونت تسزا (Tisza) فأخطأهُ ثمّ انتحر باطلاق الرصاص على نفسهِ. وتجدّدت بعد ذلك الفتن بين الحزب الاشتراكي والمحافظين في ١١ منهُ وتواصلت مدّةً ولمّا استأنف البرلمان جلساتهِ في ١٧ ايار عاد اصحاب الفتن بمساعي اهل النوخى الى معارضتهم

﴿ روسيّة ﴾ عرضت بلاد منغولية في ١٠ كانون ١ على روسيّة بان تجعلها في حماها فلبّت روسيّة الى طلبها — في ٢١ حزيران صادقت الدوما على زيادة مهمّة في ميزانيّة البحريّة لتجهيز سفن حربيّة جديدة — وفي ٤ تموز تواجه في پور بلتيك قيصر روسيّة وامبراطور المانية فكثر بسبب ذلك القال والقيل — وفي ١٢ منهُ جرت في مدينة ريڤال حفلةٌ فخيمة لوضع الحجر الاوّل للمرسى البحري الذي سيكون فيهِ مربط للاسطول الروسيّ الجديد — وفي ٦ ايلول احتفل الروس في بروودينو بتذكار السنة المئة لانتصارهم على نابوليون في واقعة مسكوڤا — وفي ١٢ منهُ تجدّدت انتخابات الدوما بعد الغاء الدوما الثالثة بامر القيصر — وفي ٢١ منهُ تقابل في بلمورال وزير الخارجيّة الكونت ساسونوف والسير ادوار غراي فسقط باجتماعهما ما قيل عن ضعف الاتفاق الثلاثيّ

﴿ اسبانية ﴾ لم يزل كناليجاس قابضاً على زمام الامر لكن سياستهُ الخرقاء

لم ترض احدًا من اصحاب الاحزاب حتى قدَّم استعفاءه مدَّة ثمَّ استرجعهُ بعد حين. ولم يزل مترددًا في سياستهِ يجري على هواه في الامور ويعرّض دولتهُ لاخطار الانقلاب السياسيّ وثورة الفوضويين الى ان باغتهُ احد هؤلاء الاشرار فاطلق عليهِ مسدَّسهُ وقتلهُ فذهب ضحيَّة الفوضى التي نشط بسياستهِ معرَّتها وذلك في ١٢ ت ٢ وعمرهُ لا يتجاوز ٥٨ سنة وقام بدلًا منهُ في منصب رئيس الوزارة الكونت الماسوني رومانونس — والاشتراكيون في اسبانية في ظلّ هؤلاء الوزراء الاحرار يزيدون كلّ يوم لحةً وقد وقعت بينهم وبين الكرليين مناوشات في ايار في ٧ نيسان — ومن المجاريات التي شغلت افكار الدولة الاسبانيَّة المعاهدة المرَّاكشيَّة بينها وبين فرنسة فطالت المخابرات حتى وقع بعض النفور بين الدولتين وخيف من تفاقم الامر لسوء تصرُّف قنصلَي مزغان ومغادور ثمَّ تحسَّنت الاحوال واستدعت اسبانية قناصلها اظهارًا لصداقتها ثم رضي مندوبو الدولتين بالشروط الاخيرة فصادقوا عليها في اواخر ت ٢ وعيَّنوا لكل دولة منطقةً خاصَّة بها وفُضَّ هذا المشكل بعد تمنُّعهِ زمنًا طويلًا وقد اقامت اسبانيا اعيادًا وطنيَّة في ٣ ت ١ شاركهم فيها الاميريكيون وذلك بنسبة التذكار المئويّ للدستور الجاري اليوم في اسبانية المعروف بكورتس (les Cortès) — ومن اخبار اسبانية المحزنة وفاة الكاتب الشهير "مندس اي بيلايو" احد مشاهير وطنهِ توفّي في ١٩ ايار وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦ وكتبهُ كلُّها تشهد لهُ بسموّ الفكر وسعة العلم والبلاغة العجيبة فضلًا عمَّا كان عليهِ من التشبُّث بالدين القويم — وفي ٢٨ منهُ فُجعت اسبانية بوفاة ٨٠ من ابنائها أُصيبوا بحريق في حفلة سينماتغرافية في ڤلاديال — ومن الأنباء المفجعة ايضاً وفاة ماري تريزا اخت الملك الفونس وقرينة ملك باڤارية فرديننذ

﴿ ايطالية ﴾ كانت حرب ايطاليـة في طرابلس الغرب الشغل الشاغل للحكومة التي وطَّنت العزم على مدّ سيطرتها على تلك البلاد ولم تدَّخر وسعاً في تحقيق امنيَّتها فضربت المدن الساحليَّة واستولت على زارة وبلدة بعد معارك عنيفة لكنَّها لم تستطع ان تقوم في وجه الجنود العثمانيَّة والقبائل المتحالفة التي كانت تصدُّها عن التقدُّم الى داخليَّة البلاد فعدلت الى ضرب السفن العثمانية وحصون جزيرة العرب وإنزال عساكرها في جزائر الارخبيل وبحر ايجه فكان اوَّل افتتاحاتها

جزيرة ستمباليا ثمَّ رودس في ٤ ايار ثمَّ جزائر اخرى عديدة . ونفذت نسافاتها في مضيق الدردنيل لمهاجمة الاسطول العثماني وخرجت منهُ سالمةً . ولعلَّ هذه الحرب آكانت طالت مدَّتها لولا امور البلقان التي الجأت تركيًا الى ابرام الصلح فأمضت الدولتان المعاهدة التي اتُّفق عليها نوَّابهما في اوشي ثمَّ في لوزان في ١٨ ت ١ ومن شروطها ان يمنح جلالة السلطان الاستقلال الداخليَّ لطرابلس وبرقة فيعلن ملك ايطالية سيادة دولتهِ عليهما وان يعيِّن السلطان معتمدًا عثمانيًا يتولَّى مراقبة المصالح العثمانيَّة في تلك البلاد ويقيم في حاضرة طرابلس ويأخذ راتبهُ من ايطالية وكذلك تدفع ايطالية راتبًا لشيخ الاسلام الذي يعيِّنهُ ايضًا السلطان ولرجال الشرع الذين يُقامون هناك . هذا فضلًا عن دفعها لقسم من الدين العمومي العثمانيَّ ثمَّ تردّ الجزر المضبوطة في بحر ايجه بعد انسحاب الجنود العثمانيين من طرابلس . امَّا تركيًا فتتعهَّد بمنع تهريب السلاح وبالعفو العامّ عن سكَّان جزر الارخبيل . وفي اثر ذلك تجدَّدت العلاقات التجاريَّة بين الدولتين

ومن اخبار ايطالية سفر الملك الى البندقيَّة في ٢٢ شباط بعد اجتماع الامبراطور فرنسوا جوزف وغليوم في بلاط شونبرون لتوثيق التحالف الثلاثيّ — وفي ١٤ آذار اطلق شاب فوضويّ اسمهُ دلبا على مركبة ملك ايطالية وقرينتهِ ثلاث طلقات فلم يصبهما ومن غريب الامور انَّ الملك كان متوجّهًا الى البنتيون لحضور جناز أُقيم عن نفس والدهِ همبرت المقتول غيلةً . فكان لعمل الشقيّ اسوأ وقع في قلوب الحضور الذين هتفوا لسلامة الملكين من الخطر ثمَّ وردتها تلغرافات التهانئ من كلّ الانحاء .

ومن موتى السنة في ايطالية دوقة جنوة وجدَّة ملك ايطالية توفَّاها الله في ١٥ آب يوم عيد السيدة — وقد رُزئت في الشهر السابق ايطالية براهب من اكبر خطبائها الكنسيين الاب غايتانو زوكي اليسوعي احد كتبة مجلَّة التمدُّن الكاثوليكي (Civiltà Catolica)

وفي ١٤ نيسان احتُفل بتدشين قبَّة الجرس في البندقيَّة وهو الذي أُقيم بعد سقوط القبَّة الشهيرة السابقة قبل خمس سنوات

﴿ البرتغال ﴾ حالة هذه الجمهوريَّة المستحدثة لمَّا يُرثَى لهُ فان الماسونيَّة قد دَّت بها الى اقصى دركات الذلّ والتقهقر فلا تسمع الَّا بالمنازعات والخصومات بين

ارباب الامر ذاتهم فتفاقمت الفوضى واستفحل الفساد حتى صار اصحاب الجمهورية نفسهم يتأسفون على حالة البلاد السابقة . وفي ١ شباط اعلنت الحكومة بالاحكام العرفية . وتواترت الاعتصابات حتى اضطروا الى توقيف كثيرين من اصحاب الفتن في شباط وحدثت مناوشات سالت فيها الدماء في شهر حزيران . امّا معاكسة الحكومة الجديدة لارباب الدين وللحزب الملكي فانها تذكر باشنع أيام الثورة الفرنسوية وقد طردت الدولة بطريرك لسبونة كما مرّ وزجّت في الحبس عدداً لا يُحصى من حزب الملكيين وهي تعاملهم في السجن معاملة بربرية فتحرمهم الطعام وتلقيهم على الحضيض ليلاً مع نهار في البرد القارس وتذيقهم اصناف العذابات والمصادرات . واذ زار سفير انكلترة بعض اولئك المحبوسين الابرياء احتجّ على معاملتهم بكذا قساوة حتى انّ كثيرين منهم ماتوا لما كابدوا في السجن من ضروب العذاب . فكانت هذه الاحوال السيئة اكبر داعٍ لسقوط الوزارة فخلفتها وزارة ارغست دي فسكنسلوس الذي تبع رصفاءه في تطرّفه ومعاداته لاهل الدين وللأسر البرتغالية الشريفة . ولعلّ هذا التصرّف السيّئ مع الملكيين هو اعظم دافع يدفعهم على قلب الجمهورية فان حزب الملك مانويل الثاني يبذل المجهود في مقاومة الجمهورية واصحابها التي اصبحت في اعين انصارها رجساً وشناعةً لكنهُ حتى الآن لم يفلح

﴿ بلجكة ﴾ اسفرت الانتخابات الجديدة عن فوز باهر للحزب الكاثوليكي فخذل الاشتراكيون والاحرار الذين كانوا يتوقعون الغلبة على محبي النظام وروّاد الدولة . فارادوا بعد خيبة آمالهم ان يثيروا الفتن في المملكة لكن الحكومة استدركت الامر وعاقبت زعماء الثورة عقاباً زاجراً . وكان افتتاح المجلس الجديد في ١٢ ت ٢ تحت نظارة رئيسه الهمام المسيو شولارت (Mr Schollaert) — وفي ٢٦ منهُ استأثر الله بوالدة ملك بلجكة كونتسة دي فلاندرة فعمّ الحزن اهل المملكة لما عُرفت به المتوفّاة بفريد السجايا

﴿ اللوكسمبورج ﴾ توفّي في ٢٥ شباط الغرندوق غيليوم

﴿ سويسرة ﴾ سافر اليها في ايلول امبراطور المانية لحضر تمرينات جيشها واثنى على نظام العسكر وبسالته . وقبل عودته الى المانية أدّب له رئيس الجمهورية

مأدبة تبودلت فيها الانخاب وأُلقيت الخطب في توثيق عرى الوداد والعلاقات التجاريَّة والادبيَّة بين المانية وسويسرة

﴿ هولندة ﴾ اهتمَّت بتحصينات مدينة فلاسنغ (Flessingue) ليمكنها في وقت الحرب ان تردَّ غارات جاراتها وتمنعهم عن المرور في بلادها فخيف ان تكون يد لالمانية في الامر — وقد مرَّ ذكر زيارة ملكتها وليلمين لفرنسة ما جدَّد العلائق الوداديَّة القديمة بين الدولتين

﴿ لسوج ونروج ودنيمرك ﴾ في ٧ آذار وردت الاخبار المشئمة بادراك الرَّحالة النروجي امونسن القطب الجنوبيَّ في ١٦ ك ١ من السنة ١٩١٢ — وفي ١٥ أيار مات فجأة في همبورج ملك دنيمرك فردينند الثامن اخو ملك اليونان وابو ملك نروج هاكن

﴿ تركية ﴾ في اوَّل العام الماضي اخذ عقلاء الدولة العليَّة يعاينون الاضرار التي الحقتهم فيها جمعيَّة الاتحاد والترقي وتحققوا تضحيتها المصالح الوطنيَّة لغاياتها الخاصَّة فقام في وجهها حزب الائتلاف ولم يزل يكشف مساوئها حتى اجتذب اليه الرأي العام وسقطت بعد مدَّة وزارة سعيد باشا فخلفهُ في ١٧ تموز مختار باشا وشكَّل وزارة جديدة لتنقذ الوطن من التهلكة التي بلغ اليها بسوء تصرُّف الاتحاديين وتغافلهم عن الاصلاحات العسكريَّة وتحصين طرابلس الغرب . واذ علم جلالة السلطان بحقيقة الامر وتلاعب جمعية الاتحاد والترقي في الانتخابات الاخيرة امر بالغاء مجلس المبعوثان لتُستأنف الانتخابات على طريقة قانونيَّة ثمَّ أجلها الى آخر الحرب البلقانيَّة . فمذ ذاك الحين جعل الاتحاديُّون يسعون في معارضة الحكومة ونصب المكايد لكنَّ الوزارة الجديدة عملت بعزم وشدَّة لاسيما لمَّا استلم كامل باشا في ٢٩ ت ١ زمام التدبير فألقى القبض على فئة من المتآمرين على الدولة وعلى جلالة السلطان واطَّلعوا على خبث كثيرين منهم كانوا عمدة الوزارات السابقة فاخذوا البعض منهم تحت الاستنطاق وبثُّوا العيون على غيرهم

هذا ما كان من امور تركيَّة الداخليَّة امَّا الاحوال الخارجيَّة فانَّها كانت حرجة منذرة بالاخطار . فانَّ الحرب الطرابلسيَّة افقدت الدولة العليَّة الولاية الوحيدة الباقية

لها في افريقية وعقبتها الحرب البلقانيَّة فتهدَّدت اقسام الدولة الحيويَّة وانذرتها بفقد ولاياتها الاوروبيَّة وحتى الآن لا يُعرَف كيف تنتهي هذه الحرب المشئومة وما هي الضحايا التي يُقتضى على الدولة الرضى بها مرغومةً

فكانت هذه الاحوال السيئة مدعاةً لبعض السياسيين ان يعرضوا على الدولة اصلاحات تنجو بها من العطب منها قرار الكونت برتشتلد في اللامركزيَّة لتُعطى العناصر المختلفة في الدولة استقلالاً اداريًّا وغير ذلك من الاصلاحات لبسط الامان في انحاء الولايات وتنشيط الزراعة واحياء موات الصناعة وتوفير الماليَّة

وان خصصنا بالذكر بلاد الشام ولبنان وجدنا انهُ قد نالها ايضاً قسمٌ من اوجاع الوطن اذ ضُرب مرفأ بيروت وقُتل مع بحَّارة سفينتي عون الله وانقره قومٌ من اهل المدينة . ثمَّ طُلب رديف بيروت والشام فتقدَّم كثيرون اولادهم ضحيَّة عن الوطن — ولمَّا دخل الصيف زارنا ضيف ثقيل فاحتلَّت عدوى الكوليرا جهات آطنه وحلب وحمص ودمشق حتى بلغت اطراف البقاع وتخوم لبنان وذهبت بعدد عديد من الوطنيين ولم يتقلَّص ظلُّها الَّا في اواسط الخريف

وفي هذه السنة انتهت مدَّة متصرفية دولتلو يوسف فرنقو باشا على لبنان فاستغنم الاهلون هذه الفرصة ليعرضوا على الدول مطالب رأوا حاجتهم اليها ماسَّةً فطالت المخابرات وبذل كثيرون من اللبنانيين غاية وسعهم في تنفيذ تلك المطالب الى ان وردت عليهم البُشرى بقبول كثير منها مع الخبر الرسميّ لتعيين دولة ارهانس قيوجيان باشا الارمنيّ الكاثوليكيّ كخلف للمتصرف السابق . فمن ذلك تعديل طريقة الانتخابات الاوَّليَّة ثمَّ تحرير انتخابات بعض الامكنة كدير القمر والشوف ثم زيادة الجنديَّة الى ان تبلغ ١٢٠٠ عسكريّ ثم رؤية المحاكم للدعاوي التجاريَّة بدايةً واستئنافاً ثمَّ عدم مسيس المجلس الاداريّ واخيراً فتح مرفأين للبنان في جونية شمالي بيروت وجهات نبي يونس جنوباً . وقد امضت الدولة العليَّة والدول الست العظمى البروتوكول الذي عُدِّل بهِ قانون لبنان الاساسيّ والامل معقود بان سينتج منهُ خير للبنان

وقد اسف اللبنانيون في العام الماضي على فقد بعض اعيانهم الذين خدموا وطنهم زمناً طويلاً بهمَّة واخلاص اخصُّهم الاميران يوسف اسمعيل وقبلان ابي اللمع

والشيخ رشيد الخازن . ورُزئت الآداب في ١٨ آب بوفاة اللغويّ الشهير الشيخ سعيد الشرتوني احد اركان النهضة العلميّة في القرن الاخير الذي خلف آثارًا تنطق له بسعة المعارف اللسانيّة اخصُّها معجمهُ اقرب الموارد — . ومن الخطوب التي حلّت بلبنان حادثة انفجار مستودع البارود في بتدين وقد وقعت هذه الفاجعة في ١٩ تموز فاودت بحياة ثلاثة رجال واصابت كثيرين بجراح خطرة فسُمع صوتها الى جهات صيداء واتلفت قسماً من سراي الامير بشير واخربت بيوتاً وعمائر شتى . وقد ثبت مع ذلك انَّ الامر لم يكن اعتداء بفعل فاعل بل لسوء نظارة ذوي الامر وعدم اصلاح المخزن المعرَّض لمثل هذا الالتهاب

﴿ الدول البلقانيّة ﴾ رأت هذه الدول انَّ سوء تصرُّف الحكومة العثمانيّة الدستوريّة مع ابناء جنسها لا سيما في مقدونية بعد مذبحة كوتشانا لم يَعُد يُحتمل فألحّت على تركيّة بالقيام بمواعيدها السابقة للاصلاح نهائيًّا فان لم تفعل كانت الحرب . فامرت حينئذٍ تركية جنودها باقامة تمرينات عظيمة في نواحي الروملي وتحوم بلغارية فزاد الامر بلغارية حنقاً وتأهباً للحرب . وبينما الناس في القيل والقال عن مصير الامور اذ اعلن الجبل الاسود وهو اصغر الدول البلقانية فقطع العلائق الرسمية مع تركية في ٨ ت ١ . ورغماً عن مساعي الدول في منع الحرب تبع البلغار الجبل الاسود في ١٤ منهُ فقطعوا العلائق مع الباب العالي وكذا فعل السرب ثم اليونان في ١٧ وشبَّت نيران الوغى ولم تلبث الانباء البرقية ان بلّغتنا ما نالتهُ جنود الدول البلقانيّة المتحالفة من الفوز المتوالي فسارت جنود الجبل الاسود (في ١٦ ت ٢) ظافرةً واتجهت الى ناحية اشقدرة . وفي ١٩ منهُ أسر مصطفى باشا . وفي ٢٣ فتح السرب يكي بازار ثم اسكوب في ٢٥ منهُ . امَّا البلغار فظفروا ظفرًا باهرًا في كرك كليسه (٢٤ ت ١) ثمَّ في لوله برغاس (٢٨—٣٠ ت ١) ثمَّ في تشورلو وسراي (٥ ت ٢) ففُتحت لعساكرهم الطريق الى رودستو ورُدَّت الجيوش العثمانيّة الى چاتلجه — وفي غضون ذلك دخلت عساكر اليونان في ولاية يانينة واستولت على سانيجه . وبعد ايّام تهدَّد اسطولها مدينة سالانيك فاستسلم اهلها (في ٨ ت ٢) . فلمَّا وردت كلّ هذه الاخبار بُهت لها السياسيُّون وصرَّح المستر اسكويث في مأدبة دعاهُ اليها رئيس بلديّة لندن قائلًا في نخب شربهُ : « انَّ

خارطة اوربّة الشرقيّة عما قليل سوف تنقلب انقلاباً تامًّا » . ثمَّ اتّفقت تركيّة مع المتحاربين على الهدنة كما مرَّ وانفتحت بينهم المخابرات للصلح وحتى الآن لم يجرِ الاتفاق بين المندوبين

وبينما كان وطيس الحرب متّقدًا قامت البانية (في ٢٨ ت ٢) باغراء النمسة وايطالية واعلنت باستقلالها . وفي ٧ ك ١ شكّلت لها وزارةً مستقلّة جعلتها تحت سيادة السلطان فكان الوزراء عشرة خمسة منهم مسلمون وثلاثة اورثدكسيّون وكاثوليكيّان يرأسهم اسمعيل كمال بك رئيس الشورى المتألفة من ١١ عضوًا

ومما يروى من اخبار اليونان في العام الماضي تعيين السيّد لويس بتي Mgr) (Louis Petit من مشاهير الرهبان الصموديين كرئيس اساقفة الكاثوليك في اثينة . وفي ٢ نيسان عُقد في حاضرة اليونان مؤتمر المستشرقين واحتُفل بيوبيل كليّة اثينة (راجع مقالتنا في المشرق ١٥ : ١٠١) . وفي اواخر ت ٢ توفّي في الاستانة بطريرك الفنار السيّد يواكيم الرابع فكان لنعاهُ تأثير شديد بين ذويهِ لما اظهر من الحزم في الدفاع عن صوالح امّتهِ بازاء الحكومة الدستوريّة — وقد حصلت في جزيرة ساموس اضطرابات عظيمة فقُتل الامير كرياسيس ونزل الاتراك في الجزيرة فحصلت بسبب ذلك فتن ومناوشات اوجبت تداخل قناصل فرنسة وانكلترة وروسيّة . امّا كريت فما نشبت الحرب البلقانيّة حتى ارسلت وفودًا لتعلن لليونان انضمامها اليها

ومن اخبار السرب سقوط وزارة ميلانوفتش في ٢ شباط ثمَّ رجوعها في ٩ منهُ وانحلال مجلس العموم (سكوبتشينا) في ١٤ منهُ . امّا ميلانوفتش فتوفي في غرّة تموز . وقد مرَّ انَّ النمسة تهدّدت السرب بالحرب اذا ما اتّخذوا لهم مرفأً في الادرياتيك . وقد تلافى آخرًا هذا الخطر المسيو دانيف رئيس المجلس البلغاري في سفرهِ الى بودابست فمُنحت دولة السرب مرفأً بشرط ان تصادق على استقلال البانية . ومن اهم شواغل السياسة الاوربيّة التوفيق بين مصالح الدولتين

وقد اخذت ايضاً رومانية تدّعي بحقوقها وتطلب لها املاكاً من البلغار وجعلت تعبئ الجيوش وتذخر الذخائر . ولها وزارة جديدة قامت بعد سقوط الوزارة السابقة في ١١ نيسان

٢ اميركة

ارسل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر الى اساقفة اميركة منشوراً بديعاً يحضّهم على الدفاع عن حقوق الهنود المظلومين في عدّة انحاء ويبيّن انّ المعاملات السيّئة التي تُصيب هؤلاء المساكين تسوّد وجه المدنيّة وتعاكس مبادئ النصرانيّة قطعياً. وبينما كان الحبر الاعظم ينتصر لهؤلاء الهنود البائسين اشاعت الجرائد تفاصيل الظلم الفظيع الذي يلحق بهنود اميركة الجنوبيّة في جهات البيرو والبرازيل بفعل الشركات الانكليزيّة التي هناك . فعيّنت الدولة الانكليزيّة لجنة تفحص عن الامر واذ ثبتت لها الحقيقة عنّفت الفاعلين ثم اخذت تبحث عن الوسائط لمعالجة ذلك الداء . فكانت نتيجة البحث انها لم تجد غير الرسالات الكاثوليكيّة وحدها لتهذيب تلك القبائل الهنديّة كما فعل اليسوعيّون سابقاً . ووافقتهم في هذا القرار حكومة الولايات المتّحدة التي اقرّت بفضل الرسالات الكاثوليكيّة . وما لبث الحبر الاعظم أن ارسل الى اميركة وفداً من الفرنسسكان الانكليز مع نائب من قبله وهو الاب جينوكي ليقرروا ما يناسب حالة هؤلاء الهنود . وكان العبيد السود من جنسهم في ٢٧ ايّار نشروا لواء العصيان في جزيرة كوبا

﴿ الولايات المتّحدة ﴾ ومن اخبار الولايات المتّحدة الاستقبال الباهر الذي صار للكردينال فارلي اذ جاء للاقاته عند عودته من رومية خمسون الفاً من الكاثوليك ورحّب به ارباب الدولة وكتب في اطرائه البروتستانت الفصول الواسعة — وفي ٤ نيسان و٦ ايّار فاض نهر الميسيسيبي فأتلف مقاطعات فسيحة واغرق كثيرين — وفي ١٠ حزيران ابتدأت المناقشات بين حزبي المستر روسفلت والمستر تافت بشأن تجديد انتخاب رئيس الولايات المتّحدة . فتمادى النزاع الى ان وقع الاختيار على المستر ولسن من حزب الديموقراطيين — وفي ٢٤ آب امضى الرئيس تافت القوانين المختصّة بترعة بانامـا

﴿ المكسيك ﴾ كانت المكسيك في العام الماضي دار حرب بين الثورة والحكومة النظاميّة فان بورفيريو دياز بعد انقلابه عن دست السلطة التي تربّع فيها ٣٥ سنة وظهور خبثه وجوره اركن الى الفتن وحرّك اهل الشرور فقامت الحرب

على ساق بين حزب الرئيس مادرو القانوني وحزب الماكسين وتوالت بينهما المعارك فكانت الحرب سجالًا الّا انّ حزب دياز انخذل آخرًا

﴿ جمهوريّة الاكواتور ﴾ جمهوريّة الاكواتور اي خطّ الاستواء ألفت ايضاً الفتن والانقلابات السياسيّة منذ وفاة غارسيا مورينو الكاثوليكيّ الغيور الذي كان رفع شأن بلاده ورقّاها الى اعلى درجة الحضارة . وفي العام المدبر ألفت الحكومة القبض على خمسة من زعماء الثائرين . وكذلك بلاد (باراغواي) تمكّنت الحكومة من كبح جماح الثورة فيها

﴿ كندا ﴾ عقد اهلها لاوّل مرّة مؤتمرًا لتعزيز اللغة الفرنسويّة

﴿ سان دومنغ ﴾ مرّ ذكر انتخاب اهاها لرئيس اساقفتها السيد نويل كرنيس لجمهوريتهم

﴿ هايتي ﴾ في ٨ آب توفي رئيس جمهوريتها الجنرال لوكنت في حريق التهم بلاطهُ — وفي ٩ منهُ خلفهُ في منصبهِ الجنرال اوغست تنكريد

٣ آسية

﴿ الصين ﴾ السنة المنتهية هي سنة معدودة في تاريخ الصين دخلت فيها تلك البلاد طورًا جديدًا فانّ حكمها المطلق سقط بسقوط الدولة التترّية الحاكمة منذ السنة ١٦٤٤ . فانفتحت السنة والجنود الموالية للدولة تحارب في سبيلها الّا انّ الشر لم يزل يتفاقم ويستفحل حتى اضطرّ الامبراطور ان يتنازل عن ملكهِ فتمّ ذلك في غرّة شباط فخرج من حاضرتهِ مع قليلين من حاشيتهِ ثم أُعلن بالجمهورية التي دُعي « سن يات سن » الى رئاستها موقتًا ثم خلفهُ « يوان تشي كاي » في ٢٠ شباط فما لبثت الامور ان اختلت وأُعلن في باكين بالاحوال العرفيّة في ٤ آذار . واغتنم محبّو الشعب هذه الفرصة لنشر الثورة وحدث في تيان تسين فتن في ٧ آذار فاضطرّت الجنود الفرنسويّة واليابانيّة ان تنزل الى البرّ لمحاربة الثائرين — امّا منشورية فبقيت متمالئة بدولة الامبراطور فحدثت فيها عدّة وقائع بين الجيوش النظامية واهل الثورة — وكذلك مشى اهل الثورة الى نانكين فكادوا يفتحونها ولا تزال الامور حتى الآن مضطربةً والحكومة في حاجة عظيمة الى المال لتُقوّم اوَدها

﴿ اليابان ﴾ احتلّت جيوشها موكدن في اوّل شهر شباط — في ٢٩ تموز

توفي في طوكيو الميكادو ملكها موتسو هيتو الذي ضبط عنان الامر منذ سنة ١٨٦٧ وبلغ بلاده مقاماً عالياً بين الدول . وقد خلفهُ ابنهُ جوشيهيتو وعمرهُ ٢٣ سنة . امَّا حفلة دفن الملك فلم تتمَّ الَّا في ١٣ ايلول وفي يومها انتحر الجنرال نوجي فاتح بورارثور اكراماً للملك جرياً على عادة مستقبحة في تلك البلاد عند موت ملوكهم

﴿ العجم ﴾ في ٦ آذار تنازل الشاه محمَّد علي خان لابنهِ عن حقوق الملك لكن الامور غاية في الاضطراب والجيوش الروسيَّة احتلَّت بعض البلاد لصيانة رعاياها

٤ آفريقية

﴿ مصر ﴾ انَّ الحزب الوطنيَّ في السنة الماضية حاول أن يزيد نفوذهُ فصدرت منهُ اعمال ومكايد اوجبت الحكومة ان تتعقَّب بعض زعمائهِ وتتشدَّد على الصحافة الحرَّة — وكانت الدولة العليَّة طالبت مصر بمساعدتها في الحرب الطرابلسيَّة ثمَّ جدَّدت طلبها في اوَّل الحرب البلقانيَّة فلم تجبها الحكومة المصريَّة الى طلبها بل لزمت الحياد فاستنتجوا من ذلك انَّ سيادة تركيَّة عليها اسم بلا جسم — وفي الصيف الاخير عزمت انكلترة ان تجعل الاسكندريَّة مربطاً لاسطولها في البحر المتوسط واخذت تحصّن مرفأها لهذه الغاية

﴿ مراكش ﴾ حاولت الجيوش الاسبانيَّة ان تعزّز مركزها في شمالي مراكش فاحتلَّت في آذار بعض الامكنة لكنَّها أصيبت في سوق عرباء بخسائر عظيمة في ٢٧ آذار — وفي غرَّة نيسان أمضى الحاكم الفرنسويّ رينيو ومولاي حفيظ شروط السلم في فاس . بيد انَّ كثيرين من المراكشيين واصلوا القتال في دبدو ثمَّ ثار الجند في فاس وقتلوا بعض الضبَّاط الفرنسويين وغيرهم من التجار مع المرسل الكبوشي الاب فابر لكنَّ الجنرال ليوتي والجنرال غورو والجنرال اليكس وبعض الضبَّاط اظهروا من الاقدام والبسالة ما اذهل كلَّ الناس فنتحوا مراكش بعد محاصرتها والمضايقة على الفرنسويين الذين فيها واخمدوا نار الثورة بعزيمتهم البالغة واعلنوا مولاي يوسف سلطاناً بعد تنازل مولاي حفيظ عن الملك — فجازت الحكومة الفرنسويَّة اولئك الابطال وانتخبت الاكاديمية الفرنسويَّة الجنرال ليوتي كعضو من اعضائها وهذا الجنرال من قرابة احد آباء كليَّتنا البيروتية

﴿ اوغندا ﴾ انَّ رسالات الآباء البيض فيها لا تزال راقيةً وبهمَّتهم يزيد كلّ

سنة عدد المرتدين الى الدين القويم فترى اهل تلك البلاد منذ تنصُّرهم دخلوا في سُبل الحضارة والتمدُّن بعد ان كانوا يعيشون عيشة همجية . وقد زادوا غيرةً ونشاطاً اذ بلغهم انَّ الحبر الاعظم اصدر براءة في ١٢ آب سنة ١٩١٢ لتُفحص دعوى تطويب ٢٢ من مواطنيهم الذين ماتوا شهداء ايمانهم من السنة ١٨٨٥ الى ١٨٨٧ وفضَّلوا ان يُحرقوا بالنار على ان يجحدوا دينهم وكان في مقدَّمتهم شرل لوانغا ومتى موروزولا من اسرة الملك السابق . فترى ان الدين الكاثوليكيّ اليوم كما كان في اوَّل الكنيسة يثمر حيثما حلَّ ثمار النعمة والخلاص

السُّفن المستحدثة للحرب البحريَّة

للاب جاك هرنو اليسوعي

نشر في اوَّل سنة من مجلَّة المشرق (١ : ٥٢٩ — ٥٣٦) حضرة الاب لامنس مقالة مستفيضة في ترقّي فنّ الحرب البحريَّة وصف فيها ما بلغتهُ الدول من التحسينات المتوالية في ابتناء عمائرها وتجهيز مراكبها وذلك بمناسبة الحرب التي وقعت بين اميركة واسبانية

واذ قد مرَّ على ذلك النظر خمس عشرة سنة والدول لا تزال تسعى في ترقية اساطيلها لتزيد قوَّتها وتضاعف الوسائط لتصون بوارجها من القذائف المدمِّرة وتحسّن اسلحتها لمواجهة العدوّ قصدنا ان نعود الى هذا البحث فنستقري ضروب السفن الحربيَّة التي عليها اليوم معوَّل الدول للدفاع عن كيانها في الحرب البحرية

١ (الدوارع) هي اليوم الحصون البحريَّة واليها مرجع قوَّة الدول . فانَّها جامعة بين وسائل الدفاع والهجوم معاً . وميزتُها بامرين : الاوَّل قوَّة مدافعها والثاني منعتها بالدروع التي تصونها من قذائف العدوّ . وقد خصُّوا اليوم باسم دردنوط (Dreadnought) اكبرها حجماً وارهبها تدميراً . فتلك سيِّدة البحار اشتقُّوا لسمها من كلمتين انكليزيَّتين معناهما التي لا ترهب عدوًّا وكان لسم احدى السُّفن الانكليزيَّة فابُني بعد ذلك على طرزها سُمّي باسمها

وما يدلُّ على ثقة الدول بهذه الدوارع انهم في العام ١٩١١ انزلوا منها في البحر ١٣ دارعة حمولها اجمالاً ٥٠٠,٠٠٠ طنّ وبلغ ثمنها مليارًا و ٤٠ مليون فرنك. وهم يدعونها بدوارع اسطوليّة (cuirassé d'escadre) اشارةً الى مقامها في الاساطيل البحريّة لانّها تتقدّم على سواها وتتصدّى قبل غيرها لردّ غارة العدوّ

وهذه الدوارع تُبنى عادةً على رسم واحد وتنبى بغاية واحدة فمقصودهم منها ان تُجهّز بمدافع ذات عيار كبير لرمي العدوّ بالقذائف المدمّرة. وسرعتها تنيف قليلاً على ٢٠ عقدة في الساعة

ومع كون هذه المدرّعات لا تختلف في صورتها ترى كلّ دولة تصون سرّ عمارتها بحيث لا يعرف العدوّ تنسيق جهازها الحربيّ الّا بعد نجازها . وانّما هو اليوم امر مقرّر أنْ تجعل المدافع الكبيرة زوجاً زوجاً في ابراج مقفلة ومنها ما يكون ثلثاً ثلثاً . وقد يُعدّ اليوم الفرنسويّون ابراجاً لاربعة مدافع يجهّزونها لدوارعهم في هذه السنة

فتوفير هذه المدافع في بُرج واحد يقتضي مكاناً اوسع على قدر كبر عيارها. وعليه اذا زاد عيار المدفع على ٣٠٥ ملّمترات وجب تقريب الابراج من محور السفينة بل رأوا الافضل ان تُجعل الابراج كلّها على خطّ المحور وهكذا فعل المهندسون البحريّون في دارعة « فرنس » الجديدة

على انّ الدوارع الكبيرة يقتضيها ايضاً ادوات بخاريّة قويّة لتحريكها ولذلك لا يمكن ان ينيف عدد الابراج عن خمسة . واذا كان لكل برج زوجٌ من المدافع انحصر عددها في عشرة ما لم يُجعل في كلّ برج اكثر من مدفعين

امّا عيار هذه المدافع فقد جعلته فرنسة واليابان ذا ٣٤٠ ملّمترًا وانكلترة ٣٤٣ م والولايات المتحدة والمانيسة بأنّهُ ٣٥٦ م ويقال انّهم سيزيدون على هذا العيار . على انّ المدافع التي عيارها ٣٠٥ م كافية لمواقعة العدوّ عن بُعد وانّما زادوا في عيارها لتكون القذائف اكبر وتدميرها اعظم واهول . . ومن المعلوم انّ القذائف تزيد بنسبة مكعّب العيار

لكنّ الدوارع تحتاج الى صيانة نفسها من ضربات العدوّ وكما هي تقذف قذائفها تُرمى ايضاً بقذائف العدوّ فلا بُدّ اذن ان تدرّع بازاء السفن المعادية . وهذه

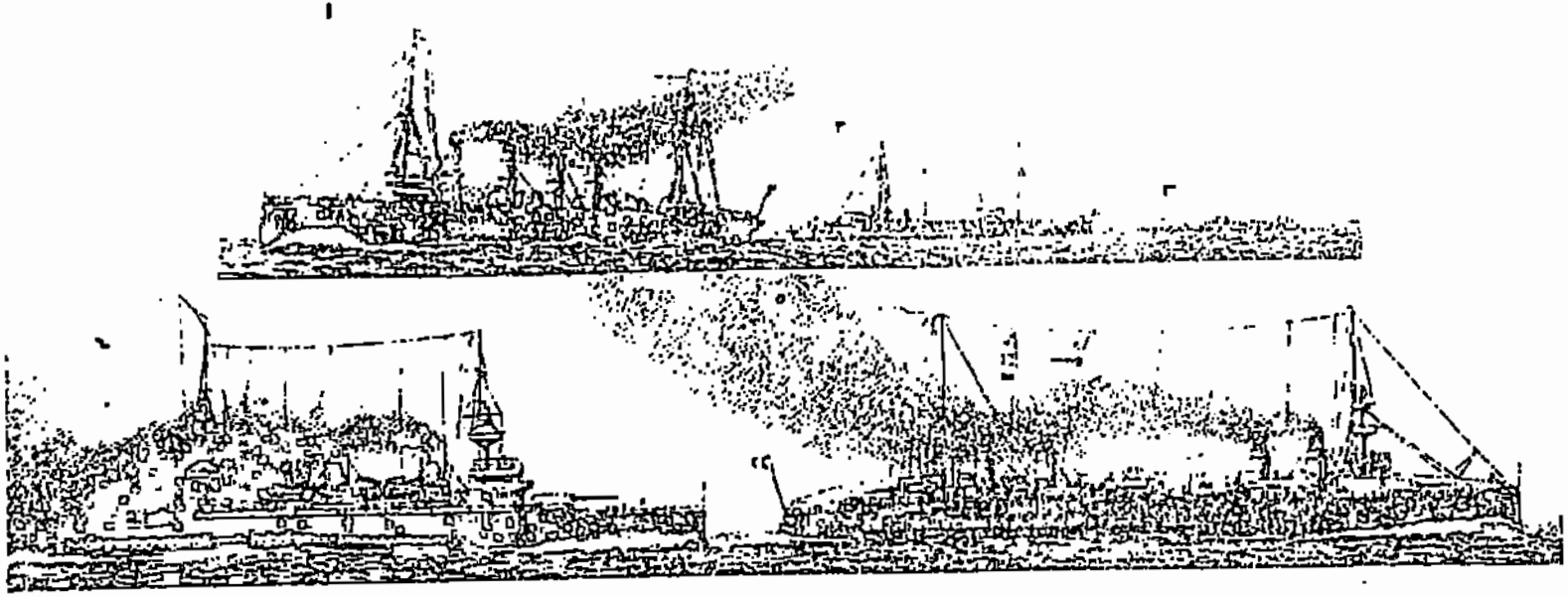

١ طرّاد حربي ٢ سفينة ماكنة للنسافات ٣ غرّاسة ٤ دارعة الاساطيل من طرز الدردنوط ٥ طرّاد مدرّع

الدرع كانت اولاً من الحديد المطروق سمكها ١٢ سنتمتراً ولا تقي الا ادوات المركب المبنية فوق سطحه . وهكذا كانت الدارعة كاراو (Gloire) وامثالها سنة ١٨٥٩ لكنَّ تحسين المدافع وازدياد قوة البطاريات اوجب ارباب البحر ان يحذفوا دائرة السفينة كلها بدرع متينة من الفولاذ يبلغ سمكها ٥٥ سنتمتراً جديرة بان ترد القذائف . وكذلك سطح السفينة وجدوا ان تلك القذائف اذا وقعت عليه نفذت فيه واصابت جسم السفينة الحيوي وعطلت ادواتها فلذلك جعلوا ايضاً سطحاً من الفولاذ فوق سطح السفينة صوناً لها من أذى القذائف . وكانت الدارعة كارنو (Carnot) من هذا الطرز

لكنهم بعد قليل لحظوا ان تلك الدرع السطحية غير كافية لصيانة ادوات المركب فضاعفوها وجعلوها درعين اعلى فاسفل حتى اذا خرقت القذائف بانفجارها الدرع العليا ضعفت قوتها او تلاشت ببلوغها الى الدرع السفلى التي تقي ادوات المركب . وعلى هذه الصورة ابتنوا الدارعة بوفه (Bouvet) وخففوا نوعاً الدرع العمودية المحيطة بالمدرعة . فجعلوها ٤٠ سنتمتراً

واليوم قد حفظ الفرنسويون عادتهم بتدريع السفينة كلها اعلاها واسفلها اما الانكليز والاميركيون فتخفيفاً لحركة الدارعة وزيادة سرعتها قد اكتفوا بالدرع الجدارية المحيطة باواسط السفينة دون ان يحتووا اطرافها . ولا شك ان مراكبهم في خطر اعظم من الدوارع الفرنسوية

ومما يهتم له ارباب السفن البحرية سعيهم في زيادة سرعة الدوارع . والامر منوط خصوصاً بمحركاتها . والمحرك المستعمل اليوم غالباً هو التجنون البخاري (turbine) لكنَّ تحريكه يقتضي كميات وافرة من الوقود ولذلك اذا تحتم على الدوارع اسفار بعيدة اتخذت كمحرك ادوات متناوبة (machines alternatives) وقد اطرأ البعض استعمال المحركات المدفوعة بقوة بعض الزيوت والارواح لكنَّ قوتها كما ثبت بالتجربة لا تكفي حتى الآن لدفع الدوارع وتسييرها بالسرعة المرغوبة

٢ (الطرّادات المدرعة) لما شاعت في السنة ١٩٠٦ الدوارع من طرز الدردنوط ظنَّ كثيرون انَّ الطرّاد المدرَّع (croiseur-cuirassé) يبطل عمّا قليل

ويُلغى من عداد السفن الحربيَّة . على انَّ هذا الظنَّ لم يتحقَّق حتى اليوم لما امتازت به هذه الطرَّادات من الخواصّ . فانَّها سريعة الجري منيعة الجهاز واسعة الافناء بحيث تستطيع ان تنقل عددًا وافرًا من الجند البحريين . وقد عرف البيروتيُّون فضل هذه الطرَّادات وعاينوا محاسنها فنهما الطرَّاد « فكتور هوغو » الذي قدم الى ثغرنا لتطمين خواطر الاهلين سنة ١٩٠٩ لمَّا بلغ فرنسة خبر مذابح آطنة وسوريَّة الشماليَّة فقطع في ثلاثة ايَّام فقط المسافة الفاصلة طولون من بيروت وهي لا تقلّ عن ألفي ميل بحريّ

وقد سعى الانكليز في تحسين هذه الطرَّادات من السنة ١٨٩٦ الى السنة ١٩١١ حتى جعلوها على طرز جديد دعوهُ « طرَّاد القتال » (battle-cruiser) يصلح غاية الصلاح الوقائع الحربيَّة : ومثالهُ الطرَّاد ليون (Lion) اي الاسد . جعلوا سمكَ درعهِ ٢٣ سنتمترًا . وجهَّزوه ببطاريَّة تشتمل على ثمانية مدافع عيارها ٣٤٣ ملمترًا منظَّمة اثنين اثنين في ابراج مشيَّدة في محور السفينة ثم اضافوا اليها ١٦ مدفعًا اخر عيارها ١٠٢ م وسرعة هذا الطراد ٢٨ عقدة في الساعة

وخلاصة القول انَّ الطرَّادات المدَّرعة لا تختلف عن الدوارع الَّا بكون درعها الطف واخفّ وسرعتها اعظم . الَّا انَّ هذه السفن تستوجب نفقات كبيرة لسعتها ولكثرة ما تحتاج اليهِ ادواتها من الوقود لبلوغ غايتها . ولذلك لا يُعوَّل عليها في الحروب كما يعوَّل على الدوارع الممتازة وكبر مدافعها

٣ (النسَّافات والماكسة للنسافات) النسَّافات (torpilleurs) سفن صغيرة كانت منوطةً بالدوارع لقذف الطوربيل لكنَّهم وجدوا انَّ هذه لا تستطيع ان ترافق الاساطيل في غمر البحار ولا تقوى على انوائها . فاستبدلوها بالسفن الماكسة للنسَّافات (contre - torpilleurs) التي لا يتجاوز محمولها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ طنّ . وقد حسَّنوها بامرين : الاوَّل بان جعلوا وقودها غاز البترول بدلًا من الفحم . والثاني بان زادوا قوَّة الطوربيل ولا سيما منذ نشوب الحرب اليابانيَّة الروسيَّة

فقذائف الطوربيل اليوم اشدّ انفجارًا واعظم خطرًا منها سابقًا وذلك بزيادة حجمها ثمَّ بتغيير موادّها الانفجاريَّة فكانوا سابقًا يتَّخذون قطن البارود المغموس في الازوت واليوم قد وجدوا ما هو اسرع التهابًا . لكنَّ لكلّ دولة اسرارًا في

تركيبها تضنُّ بها على اقرانها . وكانت الطوربيل قبلاً تُقذف ليلاً لانَّ النسّافات كانت مضطرّة الى ان تقترب من سفن العدوّ فلو رآها العدوّ بانهار لضربها ودمّرها وكانت في الليل تبهرها الضياء الكهربائيّة التي ترقدها السفن المعادية فلا تحسن النسّافة تنظيم قذائفها . امّا اليوم فيمكنهم ان يقذفوا الطوربيل من مسافة بعيدة حتى انَّ بعض هذه القذائف يمكنها ان تنسف سفينة العدوّ عن بعد ٦٠٠٠ متر وهي ذات سرعة غريبة فانّهم يجهزونها في اساطين ضُغط فيها الهواء فاذا أُطلقت قطعت ٣٠ عقدة في الساعة وجرت جرياً مستقيماً منتظماً يمكنهم تحديده بكل دقّة

٤ً (الغوّاصات) تزداد يوماً بعد يوم اعتباراً وخطراً . ولفرنسة حتى الآن السبق في تجهيزها . وما بُني منها مؤخّراً تشغل مساحتهُ ما يوازي ٧٤٠ طنّاً من ماء البحر واذا غاصت بلغت الف طنّ . وليست هذه السفن كما في السابق مقامةً لحفظ شواطئ البحر لكنّها تسير مع الاساطيل وتحارب العدوّ اينما كان . ولبلوغ هذه الغاية اقتضاهم تعزيز هذه السفن بالاجهزة المتينة ثمّ زيادة سرعتها لتقطع كالدوارع نحو ٢٠ عقدة في الساعة ومن ثمّ وسّعوا مستودعات وقودها وحسّنوا تجويز معاهدها ليستطيع بحّارتها ان يعيشوا اياماً في جوف البحر دون اذًى . فوجب لهذه التحسينات المتوالية ان يكبّروا الغوّاصات واتّخذوا لها محركات من الزيت لانّها لا تشغل مكاناً كبيراً مع كونها كافية لتسييرها

٥ً (سفن حربيّة اخرى) انَّ الحرب الروسيّة اليابانيّة ارشدت ارباب البحر الى استعمال عدّة سفن ليست هي في ذاتها معدّة للحرب لكنّها تلعب في أبّان الحروب دوراً مهمّاً نعني بذلك السفن التي تبث الالغام في طريق العدوّ (mouilleurs de mines) والتي تصون الدوارع من شرّها

ان الالغام التي تلقى اليوم في البحر في طريق السفن حول المدن المحصّنة والموانئ هي من اعظم الاخطار التي تتهدّد السفن الحربيّة تنفجر بادنى مسّ فاذا صدمتها دارعة تلفت بلا محالة . فهذا ما اوجب الدول ان تتّخذ صنفين من السفن ليلحقوها بالاساطيل البحريّة فالصنف الاوّل غايتها القاء تلك الالغام ونصبها في طريق العدوّ مع تعيين امكنتها ليتّقي غير المحاربين ضررها . والصنف الثاني جُعل لاصطياد تلك

الالغام والسعي في إنفجارها قبل ان تعثر فيها الدوارع . وهذه السفن هي غالباً سفن صيد للاسماك خصّوها باصطياد الالغام

القذائف والقنابل البحريّة

وكما حسّنوا السفن الحربيّة كذلك صرفوا همّتهم الى تحسين القذائف فعدلوا عن القذائف المحشوّة بالبارود الاسود لقلّة اضرارها وحشوها بموادّ كثيرة الانفجار . لكن هذه الموادّ شديدة الخطر على المدافع فتتلفها بعد ضربات قليلة كما لحظوا آخرًا في الحرب البلقانيّة اذ تلفت سريعاً مدافع كروب في ايدي الاتراك وفسدت . فتلافياً لهذا الخلل يجب ملاحظة امرين: الاول حسن سبك المدافع كما لا يخفى . والثاني اجادة تركيب القذائف بحيث تخرج من فوهة المدفع دون ان يفسد تركيبها باطلاقها وهذا يقتضي نظرًا خاصاً بجَلْ موادّها وإحكام تركيبها

ثمّ ان هذه القنابل لتدرك غايتها من نكاية سفن العدوّ يجب ان يكون غلافها الحديدي متوسّطاً بين الرقّة والسمك الزائد فتنفجر ليس باوّل صدمة بحيث يكون فعلها زهيداً في درع السفينة لكن بعد نفوذها فيها الى جسم السفينة . وكانوا قبلاً يجعلون فتيلة الذخير التي تُفجر القنبلة في مقدّمها فكانت تلتهب بسرعة عند مسّ سفينة العدوّ ولا تأتي بالاضرار الباطنيّة المأمولة . فلنوال هذه الغاية اخذوا يجعلون ذلك الذخير في قعر القنبلة واتخذوهُ من فولمات الزئبق فتنفجر القنبلة بعد تمكّنها من السفينة بواسطة فتيل ينفذ في جوفها الى الفولمات . امّا حشو القنبلة حالاً فيتركّب من موادّ شبيهة بالديناميت اخصّها زيوت القطران مع النتروجين (phénols nitrés) كالحامض البكريك (acide picrique) والنتروكريزول (nitrocrésols) والنتروطولوان (nitrotoluènes) وقد فضّلوا هذه المركّبات لثباتها وشدّة فعلها مع هوادة اسعارها وسهولة قذفها

هذا ما يختصّ بالقذائف الانفجاريّة التي يُقصد اطلاق حشوها التفجّر الّا انّ هذه القذائف لا تستطيع النفوذ في درع السفينة الكثيفة الصلبة . فان قصدوا نفوذها في تلك الدرع اخذوا قنابل الفولاذ المغموس بعنصر الكروم (acier chromé) ولا يجعلون في قلبه الّا حشوًا قليلاً من الموادّ الانفجاريّة نسبتهُ الى ثقل القنبلة كنسبة الواحد الى ٤٠ فهذه القنابل يمكنها اذا كانت سرعتها بالغة

وصدمت درع سفينة العدوّ على خطّ مستقيم ان تنفذ فيه نفوذاً مساوياً لعيارها ولو كانت الدرع من الفولاذ المسلّح. فهذه القنابل تدعى قنابل الخرق obus de rupture) ومنها ما نسبة موادّه الانفجارية الى ثقله كنسبة الواحد الى ١٥ فهذه القنابل ايضاً تؤذي درع السفينة اذى خطيراً فيمكنها ان تنفذ فيها نفوذاً مساوياً لنصف عيارها. ومعظم النقابات البحرية تتخذ اليوم لهذه القنابل اشكالاً مختلفة واخصّها قذائف الحديد المذاب. امّا فرنسة والولايات المتّحدة فتستعملان قنابل من الفولاذ محشوّة بالموادّ المنفجرة المتكسّرة ولهما في ذلك فضلٌ مقرّر. ولهذه القنابل في جوانبها تقاطيع محدّدة فاذا انفجرت القنبلة تطايرت شظاياها على ابعاد متفاوتة يبلغ بعضها مسافة الف الى ١٥٠٠ متر واذا اصابت حيّاً نفذت في جسمه وقطّعته كما لحظوا في الحرب الروسيّة اليابانيّة فانّ قنبلةً يابانيّة انفجرت على البارجة « ألماز » فقطعت الجسر وانفجرت في مؤخر السفينة فقتلت قطعها خمسة عشر بحّاراً. وبين هذه القطع ما هو كالخردق بل اصغر فينفذ في كلّ كوى السفينة ومنافذها ويرشّ ركّابها فيتناهم او يجرحهم جروحاً عديدة

ولهذه القنابل عمل آخر فانّها اذا انفجرت اطلقت غازاتها وسُمع لها دويٌّ عظيم ربّما خرق صماخ البحريين وأفقدهم حاسّة السّمع. ثمّ انّ لتلك الغازات روائح شنيعة ضارّة اذا استنشقها البحارة خنقتهم لا سيما الحامض البكريك فانّهُ بانفجاره يولّد جانباً كبيراً من اوكسيد الكربون الذي تكفي كميّة خفيفة منهُ لخنق مستنشقها لا سيما في معاهد مقفلة في وقت الحرب

ولعلّ سائلاً يسأل معلومٌ ان الدوارع الحربيّة لا تقي بدروعها الحديديّة الّا جوانبها الطافية فوق البحر وأمّا الاقسام الغائصة في البحر فليس لها درع تصونها فليت شعري ألّا يمكن تصويب القنابل الى تلك الاقسام الخالية من الوقاية

نجيب على هذا السؤال انّ القنابل المستعملة اليوم بيضويّة الشكل واذا قذفت بها المدافع اطلقتها على خطّ مستقيم فتصدم السفينة عادةً فوق سطح البحر. ولو اراد العدوّ لامكنهُ ان يصوّبها الى ما تحت ذلك السطح لكنّ القنابل المرسلة على وجه البحر تنفذ في مياهه ثمّ تخرج مرارًا حتى تفقد قوّتها فتسقط في قعره وعليه كثيراً ما تذهب سدىً بلا فائدة ولذلك لا يضربون في الغالب تلك الاقسام الغائصة في

الماء ويتركونها الى رحمة الطوربيل التي تضربها من تحتها . ومع ذلك قد ثبت اليوم ان بعض القنابل اذا قُذفت في الماء قريباً من السفن المادية تستطيع ان تصيبها في الاقسام المجرَّدة عن الدرع وتتلفها . وهذا ما اختبرهُ الانكليز في دارعتهم هيرو (Héro) التي اتخذوها هدفاً في تمريناتهم فغرقت بفعل قنبلةٍ اصابت اطرافها الغائصة في الماء فانفجرت وحطَّمت قعر الدارعة فدخلت فيها المياه واغرقتها

فترى مما سبق انَّ للحرب البحريَّة اهوالًا شبيهة بالحرب البرّية بل اعظم وافظع منها وقانا الله شرورها واثبت سلامهُ بين كافة بني البشر

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣ دار السلام

تحدَّر بنا الطَّرف (الكلك) من سُرَّ من رأى الى بغداد بسرعة لشدَّة مجرى دجلة هناك فكنَّا نمرّ وسط بلاد كانت عامرةً تزاحمت في ملكها الدول القديمة لخصبها ووفرة خيراتها واليوم لم يبق منها الَّا اخربة تنعق فوقها الغربان . فمن ذلك آثار القادسيَّة المبنيَّة على نهر دُجيل على مسافة نحو عشرين كيلومترًا من سامرَّا كان يُصنع فيها قديماً الزجاج . وليست هذه القادسيَّة العظيمة التي فيها وقعت المعركة بين العرب والفرس حيث كانت الدَّولة على الفرس في ايَّام عمر بن الخطاب . وعلى مسافة ثلاثة اميال منها في برِّيَّة العدرة الشرقيَّة آثار مدينة اخرى كانت من اكبر مدن البابليين تُدعى اوبيس ورد ذكرها في الكتابات المسماريَّة وفي مؤرخي اليونان كهيرودوت وكسانوفون . وهي اليوم خراب يباب . ثم اطلال مدينة بَلَد وهي غير بَلَد التي بين الموصل ونصيبين . ثم قرية حَرْبى المشهورة قديماً بمنسوجاتها القطنيَّة وهي مقابلة للحظيرة قرية كبيرة . قال ياقوت : « ان فيها تُنتج الثياب الكرباس الصفيق » . ثم مزارات للعلويين كمُشَيدة ورانة جرت فيها وقائع مع اهل الشيعة وفيها قبور اصحابهم

وكنا نتذكر على الاخص اولياء الله الذين قدّسوا في قرون النصرانيّة الاولى عُدوَتَي دجلة منهم شهداء لا يُحصَون ماتوا بطيب الخاطر في سبيل دينهم في عهد سابور ويزدجرد ومنهم نساك زهدوا في الدنيا وعاشوا عيشة الارواح السماويّة في اجسام ضعيفة تشهد تواريخ معاصريهم على اعمالهم ومعجزاتهم

وفي صباح يوم الثلثاء ٢٥ تشرين دخلنا في رباض بغداد قرب بلدة صغيرة على ضفّة دجلة اليمنى جعلوها احد اقضية بغداد يدعونها بالكاظميّة نسبةً الى احد ائمّة اهل الشيعة الامام موسى الكاظم فيها مسجد جامع يحتوي قبرهُ والشيعيّون يعظّمون هذا المزار ويتقاطرون الى زيارتهِ من كل انحاء العجم . والمسجد المذكور حسن البناء واسع الفناء مزيّن بالنقوش الزاهية تعلوهُ اربع قبب وستّ منائر كلّها مذهّبة . وقبّتهُ الوسطى قد صفّحها بالذهب الخالص نصر الدين شاه العجم بعد رجوعهِ من اوربّة سنة ١٨٧٣ لمّا حجّ الى مزارات اهل مذهبهِ . وكانت شمس الضُحى تضرب اشعّتها على هذه القبب فتبهر الناظر اليها

وبازائها على هذه الضفّة الشماليّة بلدة اخرى تُعرف بالمعظّم فيها جامع شهير اقامهُ السنّيون على طرز بديع وفيهِ قبر الامام ابي حنيفة احد الاربعة الفقهاء الذين يتبع سننهم اهل السنّة وهم يلقّبونهُ بالامام الاعظم ويزورون مقامهُ كل يوم سبت . وكان الامام المذكور في عهد هارون الرشيد

واذ كنّا نتبع الابصار بأبنية البلدتين وخصب تربتهما وزكاء منابتهما والجوامع اللطيفة التي تزينهما أدركنا الجسر الممتدّ بين الضفّتين وهو جسر نقّال لا يمكن القوارب والاطواف ان تمرّ ما دام ممدودًا فوق النهر . وعند وصولنا كان قفلٌ عظيم يقطع الجسر واذا هو قفل العجم الكبير أتى من جهات مختلفة وكان يتألّف من عدد وافر من زوّار النجف وكربلاء اتوا بمنين من جثث موتاهم ليدفنوها في احد مزاراتهم تبرّكًا (١ فبقينا نحو الساعة ننتظر مرورهم ريثما يُزاح الجسر فنستطيع ان ندخل بغداد . فكنّا نتأنّى بالنظر الى هؤلاء العجم بازيائهم الوطنيّة وبينهم الاغنياء والفقراء والرجال والنساء والشيوخ والاحداث في ملابس متشكّلة وعلى رؤوسهم القلانس

١) وقد اثبت الشيخ هبة الله الشهرستانيّ تحريم نقلها (المشرق ١٥ : ٣١٦)

والالباد يلهجون بوطانتهم الاعجميَّـة وكانت دوابُّهم موسوقة بالتوابيت تجري وتُسمع عن بُعد جلاجلها الرَّنانة بجلبة تصمُّ بها الآذان

فرفعوا اخيرًا عوارض الجسر وامكنَّا ان نواصل مسيرنا الى دار السلام فبلغناها بعد ثلاثة ارباع الساعة نمشي تارةً في ظلّ النخيل المائسة سعوفها في الفضاء وتارةً على مقربةٍ من قصور المثرين من البغاددة او المزارات للصفَّحة بالصينيّ والكاشانيّ. وكانت القوارب تمرّ بقربنا ذهاباً واياباً واخصُّها القُفَف. والقفة عبارة عن سفط مستدير الشكل واسع قطرُهُ نحو متزين ينسجونهُ من الخوص والحلفاء وقضبان الرمّان فيخيطونها ببعضها بخيوط من ليف النارجيل ثم يطلونها بالقير خارجاً وداخلاً. وهم يحركونها بمقذاف ينتهي بلوحة يدعونها غرّافة . ويكفي غالباً ملّاح واحد لادارتها فينزل الذين يريدون قطع دجلة في هذه القفف الشبيهة بدنيَّة القضاة او طابيَّة الكهنة (١

ثم بلغنا المدينة وكانت القفف والقوارب تزداد وحركة البغداديين تنمو ولغط الملّاحين يتصاعد حتى امكنَّا اخيرًا ان نفتح لنا طريقاً في وسطهم فأرسينا طوفنا على شاطئ دجلة وبعد قليل حللنا كضيوف في دير حضرة الآباء الكرمليين

وان سألت ماذا حلَّ بكلكتنا اجبنا ان هذه الكلكتات لا تستطيع صعود النهر فاذا بلغت غايتها حُلَّت الواحها وبيعت اما ظروف الطوف فيعود بها الملّاح الى بلده ويحملها جملًا يركبهُ فوقها

استقرَّ قدمُنا في مدينة السلام في ظهيرة يوم الثلثاء ٢٦ ت ٢ ومكثنا فيها الى ٣ كانون الاوَّل. وقد لقينا لدى ابناء سيّدة الكرمل في بغداد من الاحتفاء وشواعر الحبّ الصادق ما اثبت لنا انَّنا حللنا بين اخوان. وكان رئيسهم وقتئذٍ الطيب الذكر الاب « ماري جوزف دي جيزو » احد اركان الرسالة الكرمليَّة في بغداد منذ نحو خمسين سنة. وكان نائبهُ حضرة الاب « پيار المنتمي الى امّ الله R. P. Pierre de la Mère de Dieu) من تلامذة مدرستنا تيڤولي في بوردو الذي حظيت بلادنا بجلوله في جوارنا اذ تعيَّن منذ ثلاث سنوات كرئيس دير جبل الكرمل. وكان

١) الطب وصفها في مقالة الدكتور ماريني عمَّا ورثهُ اهل العراق من الاشوريين (المشرق ٤: ٦٦٠)

ايضاً من جملة رهبان بغداد رجل الخير الاب داميان دي سان جوزف رفيق الاب ماري جوزف في كل اعماله الخيرية ولاسيما علاج المرضى . ومنهم حضرة الاب انستاس المنتمي الى مار الياس تلميذ كليتنا سابقاً وحضرة الاب بوليكرب مدير مدارس الرسالة هناك . ففي مدة الاسبوع الذي اقتبساه بينهم تجاروا كلهم في خدمتنا ومؤانستنا فنقدم للاحياء منهم عواطف شكرنا اما الموتى فنطلب لهم الجزاء الصالح في دار الابرار . وقد دونا في المشرق في العام الماضي (١٥ : ١٦٠—١٧٩) ترجمة الابوين المرحومين « رسولي الخير العام في مدينة دار السلام » الاب ماري جوزيف وداميان واغتنمنا تلك الفرصة لذكر تاريخ الرسالة الكرملية في العراق عموماً وفي بغداد خصوصاً فنحيل اليها القراء وفي مراجعتها غنى عن التكرار

وقضينا بقية يومنا الاول في زيارة دير الآباء الكرمليين مباشرة بالكنيسة (انظر الصورة) ثم المدارس وسائر معاهد الدير التي سبق فوصفها المشرق في المقالة المذكورة

ثم سرنا في اصيل النهار في رفقة الاب داميان طبيب بغداد الى دار القنصلية الفرنسوية لزيارة سعادة ممثل دولة فرنسة وكان وقتئذٍ المسيو بونيون احد كبار المستشرقين الذي اشتهر بمطبوعاته السريانية والمندائية والاشورية فرحب بنا واوقفنا على كثير من الكنوز الادبية التي اكتشفها في جهات العراق وما بين النهرين . وسرنا أن لقينا في خدمته بصفة ترجمان دولته حبيب افندي دانيال شوريز من طلبة كليتنا سابقاً ثم تشرفنا بتقبيل ايدي السيد اغناطيوس نوري رئيس اساقفة بغداد على السريان الذي كنا رأيناه قبلاً في ماردين فسبقنا راجعاً الى كرسي ابرشيته . ولم يكن اذ ذاك في مدينة السلام من الاساقفة غير سيادته

وصرفنا صباح اليوم التالي في زيارة كهنة بقية الطوائف الكاثوليكية من كلدان وارمن وروم كاثوليك وزرنا كنائسهم لاسيما الكاتدرائية الجديدة للكلدان واستحفينا عن اعمالهم الرسولية ومشروعاتهم الخيرية ومدارسهم . فتحققنا ان الكنيسة الكاثوليكية قد بلغت في بغداد بهمة المرسلين والاكليروس الشرقي مقاماً رفيعاً منذ اواسط القرن الماضي حتى اصبح الكاثوليك ثلاثة او اربعة اضعاف عددهم قبل خمسين سنة . ويقدرون عددهم من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠ اكثرهم الكلدان

ثم السريان ثم الارمن ثم اللاتين وقليل من الروم الكاثوليك . ويبلغ عدد النصارى غير الكاثوليك نحو ٣٠٠٠ اكثرهم ارمن غريغوريون فيكون مجموع النصارى من ١٠,٠٠٠ الى ١٢,٠٠٠ وهو عدد قليل بالنسبة الى مجموع اهل بغداد البالغ على ما يقال ١٦٠,٠٠٠ من السكان بينهم ٦٠,٠ من اليهود والباقون مسلمون سنيون او شيعيون . لكنهم مع قلتهم يمتازون بآدابهم وتمدنهم ونفوذهم . وقد زرنا بعض اعيانهم فاختبرنا حسن صفاتهم لاسيما تفاهم وعروقهم في الدين نخص منهم بالذكر الوجهاء آل اصفر الذين ساعدوا المرسلين في كل اعمالهم وانفقوا قسماً كبيراً من مالهم في سبيل الخير فباركهم الله وانمى ثروتهم وانقذهم مراراً من كوارث الدهر

وقد زرنا ايضاً في ذلك اليوم دير راهبات التقدمة اللواتي أشرنا الى اعمالهن في الموصل والجزيرة فلهن في بغداد اعمال مثلها كمدارس الاناث وميتم للفتيات المهملات ومأوى للغرباء ومستوصف ومستشفى وغير ذلك مما يستوجب شكر جميع البغاددة دون استثناء .

ثم اخذنا نصرف النظر الى معرفة احوال بغداد المدنية والادبية ونتتبع مآثرها القديمة والحديثة .

بغداد مدينة اسلامية شيدها ابو جعفر المنصور الخليفة العباسي سنة ١٤٥ للهجرة (٧٦٢ للمسيح) في مكان مزارع عُرفت باسم بغداد او بغداذ وهو اسم اعجمي مركب من لفظتين معناهما « هبة الله » وقيل غير ذلك . وقد اخبر ياقوت في معجم البلدان انَّ ثمَّ كانت بيعةٌ للنصارى وقيل دير للرهبان استشار المنصور واحداً منهم في تخطيط مدينة هناك فدلَّهُ على وضعها (١ . فاستدعى اشهر المهندسين من الروم والسريان وغيرهم فخطَّطوها وابتنوا فيها الابنية الفاخرة من قصور وجوامع ودور للعمال فانتقل اليها المنصور من الكوفة وسكنها هو وخلفاؤهُ فاصبحت بعد حين من امهات المدن الشرقية فوصفها الشعراء والكتبة بجنَّة الارض وحاضرة الدنيا وغرَّة البلاد وعين العراق ومدينة السلام ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف حتى قال ابن زُرَيق الشاعر :

---

١) راجع ما نقلناهُ عن ابن خلدون في خبر ابتناء بغداد في كتاب مجاني الادب (٥ : ٢٠١)

سافرتُ ابني لبغدادٍ وساكنها مثلاً قد اخترتُ شيئاً مثلهُ الناسُ
هيهاتُ بغدادُ والدنيا باجمعها عندي وسكانُ بغدادٍ همُ الناسُ

على ان هذه المحاسن لم تخلُ من شوائب كثيرة لاسيما اذ تشوّهت بتزاحم الناس فيها فذمّها عبدالله بن المعتز بقولهِ: «بغداد وسخة السماء ورمدة الماء والهواء. جوُّها غبار. وارضُها تُجار. وماؤها طين. وترابُها سرجين. وحيطانُها تُروز. وتشرينها تموز... ضيقة الديار. وسيئة الجوار... حشوشهم مسائل. وطرقهم مزابل. وحيطانُهم اخصاص. وبيوتهم اقفاص...»

ثم توفّر عدد سكّان بغداد حتى ضاقت ضفّة دجلة الشمالية عن ايوانهم فجعل الناس يبنون على ضفّتها اليمنى مدينةً عُرفت بالكرخ فكان يجمع بين الجانبين جسر كبير وبقيت بغداد في مدّة خمسة اجيال عاصمة الدولة العبّاسية سواء حكموا بنفسهم او صار الحكم المدنيّ في ايدي بني بويه والاتراك والسلجوقيين مع حفظ الخلفاء للسلطة الدينية. وفي تلك الحقبة فضّل الكثيرون منهم السكنى في سرّ من رأى كما سبق ذكرهُ. امّا الآثار الباقية من تلك القرون فقليلة منها بقايا القلعة القديمة وفيها المُطبق اي السجن الذي كان تحت الارض كانوا يجعلون فيهِ اصحاب الجنايات الكبرى فيشارون بهم او يقتلونهم جوعاً ومنها بعض الجوامع اخصُّها جامع سوق الغزل من ابنية الخليفة المستنصر قبل دخول المغول بقيت الى يومنا منارتهُ ثم جامع الخاصكي وكذلك باب الطلسم وبعض الخانات كخان عرتمة وفي هذه الابنية نقوش جميلة واشغال هندسية دقيقة يُعجب بها الزوّار

ومنها مشاهد ومدافن اشهرها مدفن السيّدة زبيدة امرأة هارون الرشيد. ومنها آثار مدارس لاسيما المدرسة المستنصريّة التي اتّسع كتبة الشرق في وصفها فذكر جناب جرجي افندي صفا نبذةً من تاريخها (٥: ١٦٤) واردف الشيخ الفاضل محمود افندي الالوسي فوصف احوالها وتعليمها (٥: ٩٦١) ونقلنا ما رواه ابن الجوزي في ساعتها العجيبة (١٠: ٨٠) وعاد حضرة الاب انستاس الكرملي الى اوصافها في مقالتهِ عن مدارس الزوراء في عهد الخلفاء (١٠: ٣٩٠) مع اثباتهِ لصورة بقاياها الى يومنا. ومثلها بقايا المدرسة النظامية هناك (١٠: ٤٤٠)

ثم حلّت ببغداد خطوب متوالية بفتح المغول لها فدخلها هولاكو سنة ٦٥٦ هـ

(١٢٥٨ م) وقتل آخر الخلفاء العبّاسيين المستعصم بالله ونهب اموالها واعمل السيف في اهلها وملكها فبقيت نحو مئة سنة تحت حكم المغول وخلفهم في ملكها امراء وسلاطين مستقلّين ثم فتحها تيمورلنك (١٤٠١ م) وجعلها لولاة من قومهِ الى ان استولى عليها امراء الترك المعروفون بكراكويولي. ثم فتحها العجم مرّتين في عهد اسماعيل شاه سنة ٩١٥ ﻫ (١٥٠٩ م) فملكوها ربع قرن وانتزعها من حكمهم السلطان سليمان القانونيّ ثم تملّكها شاه عبّاس الى ان استرجعها السلطان مراد الرابع سنة ١٠٣٢ ﻫ (١٦٢٨ م) ومذ ذاك الحين يملك عليها بنو عثمان وولاتهم

والآثار الباقية من بعد فتح المغول لبغداد ليست من المحاسن الهندسية على شيء الّا بعضها كمسجد الامام موسى الكاظم السابق ذكرهُ ومسجد السيد سلطان علي ومسجد الشيخ عُمر

وبغداد اليوم لا تزال من حواضر السلطنة العثمانيّة . تمتاز بتجارتها الواسعة فتُصدر القناطير المقنطرة من الحنطة والأرزّ والماش والعفص والتمر . وتنقل الى جهات الولايات والى الهند والعجم الجلود والصمغ والسمسم . ولها المنسوجات الحريريّة والاقمشة والقطنيّات والمصاغات الذهبيّة والفضيّة وغير ذلك ممّا يجعل بغداد وولايتها في مقدّمة الولايات بوفرة صادراتها ومثلها الواردات اليها

امّا حالة بغداد من حيث الترقّي الادبيّ والتهذيب العقلي فهي دون حالتها التجاريّة . ففي دار السلام عدّة مدارس وكتاتيب متوسّطة منها مدارس رسميّة للحكومة كالاعدادية والرشديّة والملكيّة ومنها مدارس اسلاميّة تقتصر غالباً على درس مبادئ اللغات والعلوم الدينية . واشهر مدارس بغداد المدارس الكاثوليكية وخصوصاً مدرسة الآباء الكرمليين المدعوّة مدرسة القديس يوسف التي سبق لنا وصفها ومدرسة الطوائف الكاثوليكية للكلدان والسريان والارمن المعروفة بمدرسة الترقّي الكاثوليكي ومدرسة الارمن الغريغوريين ومدرسة المهد الاسرائيليّ . والدروس في اكثر هذه المدارس تتناول اللغات العربية والافرنسية والتركية واصول التاريخ والجغرافية والحساب . ولبغداد مكتب صناعيّ شيّدهُ مدحت باشا سنة ١٨٧٠ مدّة ولايتهِ وهو الذي انشأ مطبعة الولاية وجريدتها الزوراء

امّا اهل بغداد فمن عناصر مختلفة بينهم العرب والعجم والترك والاكراد والهنود

وعمّال الفرنج فضلًا عن اليهود . والبغاددة معروفون بذكاء عقلهم وطيب اخلاقهم ومؤانستهم للغريب وكرمهم وشفقتهم على الفقير . وازياء رجالهم اقرب من ازياء اهل البادية يلبسون الكوفية والعقال او العمامة مع القمباز (ويدعونهُ الزبون) والجبّة وضروب الاعبية امّا النساء فيتّزرن بالحبرات الحريريّة او الاقمشة الملونة. ومنازلهم ذات طبقة واحدة سفلى يبنونها بالطين والكلس الّا دور الوجوه والاعيان فانّها اشبه ببيوت اهل الشام مبنية بناء منتظماً ولها القاعات المتسعة . والبغداديّ عادةً شديد البنية مفتول الخلق لجفاف هواء بلده. لكنّ ذاك الهواء في الصيف متّقد الحرارة فلا تطاق شدّة التهابهِ ولذلك يتّخذون لهم السراديب تحت الارض فيسكنونها في فصل الصيف . وفي الليل ينامون على السطوح . وفي فصل الشتاء يشتدُّ البرد وتهطل المياه وربّما فاض نهر دجلة وتعدّى حدودهُ وكثيرًا ما اتلف النفوس والاملاك فلم يرجع الى مسيلهِ الّا بعد الجهد الجهيد. امّا لغتهم فهي العربية يختلط فيها شيءٌ من لهجة العربان مع عدّة الفاظ تركية وعجمية

ويلحق ببغداد اقضية عديدة وسنجقان سنجق الحلّة او الديوانية وسنجق كربلاء يسكن فيها مع اهل الحضر عشائر من اهل البادية والغالب عليهم الفلاحة ورعية المواشي وحياكة الاعبية ونسج الحصر . وفي سنجق كربلاء مزارا العجم المعظّمان على شبه مكّة والمدينة وهما النجف وكربلاء. ففي النجف مشهد علي بن ابي طالب وفي كربلاء مشهد ولديهِ الحسن والحسين وهم يثاون في كل سنة فاجعة قتل الحسين في يوم عاشوراء. وعلى مقربة من النجف مدينة الكوفة الشهيرة التي اصبحت اثرًا بعد عين. وفي سنجق كربلاء ايضاً مزار ذي الكفل الذي يزعم اليهود انّ فيهِ قبر النبيّ حزقيال (راجع وصفه في المشرق لحضرة الاب انستاس ٢ : ٦١—٦٦). ومن آثار ولاية بغداد عقرقوف التي اتّسع ايضاً في وصفها حضرتهُ (المشرق ٣ : ٨٦٥ و٤ : ٢٠٧ و٢٨٥). وفيها ايضاً اثار قصور ترقى الى زمن الناذرة كقصر الأخيضر الذي وقف على بقاياهُ الاثريّ الفرنسويّ المسيو لويس ماسينيون فوصفهُ في كثرة الكتابات والفنون الجميلة (راجع المشرق ١٢ : ٤٧٩) ثم آثار مدن قديمة كالوركاء (المشرق ٦ : ٤٥٤) وبابل وتلّو ونيفار او نيبور والدير وابي حبّة او ليبار وبرز والخمر ولرسام ومُغَيّر وفي كلّها قد احتفر العلماء الحفريّات التي اوقفتهم على اجلّ الآثار المثبتة بحضارة

البابليين والاشوريين وعمرانهم وفتحت لهم عالماً جديداً كان مدفوناً تحت انقاض تلك البلاد لا سيما بعد ان فكّوا اسرار الكتابة الاشوريّة

ولم يبرح عن بالنا الداعي لسفرنا الى بغداد اي التفتيش عن الآثار الادبية والتآليف العلمية والاجتماع بذوي المعارف وأدباء الطوائف . فكان حضرة الاب انستاس الكرملي دليلنا والواسطة الى مبتغانا فنشكر لهُ فضلهُ وحسن لطفهِ . فمن حظنا بمعرفتهم من أدباء النصارى حبيب افندي شيحا صاحب تأليف « ولاية بغداد ماضيها وحاضرها ومستقبلها » الذي وصفناهُ (في المشرق ١١ : ٩٥٣) ونسيبهُ نجيب افندي شيحا وكلاهما مزدان بالمعارف والاداب. ثمَّ الشماس فرنسيس اوغسطين جبران من اساتذة مدرسة الاتفاق الكاثوليكي والطبيب النطاسي نابوليون ماريني من متخرّجي مكتبنا الطبيّ . وكذلك زرنا بعض مشاهير المسلمين واخصّهم السيّد نعمان الالوسيّ صاحب التآليف العربية المتعدّدة وشكري افندي الالوسي مؤلف كتاب « بلوغ الارب في احوال العرب » الذي نال الجائزة في مؤتمر ستوكهلم (المشرق ٢ : ٥٢٣ و٣ : ٢٣٦) وكلّهم استقبلونا بكل حفاوة واكرام وآنسوا بنا واطلعونا على كثير من آثار القدماء لا سيما الكتب اللغويّة والادبيــة والدواوين نخصّ منها بالذكر نسخة قديمة حسنة من مقامات ابن ماري النصرانيّ الذي نشر منهُ مقامــةً حضرة الاب انستاس (راجع المشرق ٣ : ٥٨٩١) وبعض رسائل ابن الاعرابيّ ومصنّفات ابن السكّيت

ثمَّ زرنا دار الكتب العموميــة الحاوية قريباً من ألف كتاب في فنون شتى وجدنا بينها بعض الكتب العزيزة الوجود انتسخنا شيئاً منها

وهدانا اصحابنا الى بعض الورّاقين فوجدنا عندهم عدّة مخطوطات امكنّا الحصول عليها بقيمة متوسّطة وهي اليوم تزين مكتبتنا الشرقية . هذا فضلاً عن قسم من مطبوعات العجم والهند التي يصعب الوقوف عليهــا في الشام . فشكرنا رحلتنا الى مدينة بغداد اذ لم نَعُدْ منها بصفقة خاسر

ولما كان الثلثاء ٣ كانون الثاني وفيهِ عيــد رسول الهند القديس فرنسيس كسفاريوس احتفلنا بذكره مع حضرة الآباء الكرمليين بغاية البهجة . وفيــهِ كان موعد سفر احدى السفن الانكليزيّة الى البصرة فشكرنا الرهبان المرسلين على جميل

ضيافتهم وودّعناهم لنواصل سيرنا الى الهند . وكذلك افترقنا في ذلك اليوم عن اخينا العزيز الذي كان رافقنا الى بغداد ليقوم بكل حاجات سفرنا . ولم يَعُد الى وطنه ماردين الّا بعد شهرين لثورة الاكراد في ولاية ديار بكر (له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LES ORIGINES DU CULTE DES MARTYRS par Hippolyte Delehaye s. j. Bollandiste. *Bruxelles*, 1912, pp. 501

اصول تكريم الشهداء

انّ تآليف البولندستيين في تاريخ اولياء الله وانتقاد آثارهم وتعريف كلّ ما يتعلق بشؤونهم يعتبرها كلّ العلماء كاوّل ركن لدرس تراجم القديسين لعلمهم بانّ جماعة اولئك الكتبة فازت بقصب السبق على سواها في هذا الصدد منذ ثلثمائة سنة . والكتاب الذي ألّفه احدهم في العام الماضي وهو كتاب اصول تكريم الشهداء لحضرة الاب ديليهاي يثبت ذلك الاعتبار ويؤيده . فانّ كاتبه انبأ بعلم واسع ونقد مدقّق فدوّن في ٥٠٠ صفحة كلّ ما يختصّ باكرام اولئك الذين قدّموا للمسيح اعظم شهادة محبّتهم اعني شهادة دمهم الزكيّ اهرقوه بطيب القلب ليدافعوا عن حقيقة ايمانهم . فبيّن كيف المؤمنون منذ اوائل الدورانيّة كانوا يتزاحمون في خدمتهم وهم في السجون قبل تنفيذ الحكم فيهم وكيف كانوا يجلّونهم كاولياء الله ويتبارون ادعيتهم ويرافقونهم الى منقع الدم ويتمنّون لو يموتون معهم . فروى كلّ ذلك عن شواهد المؤرخين المعاصرين لاولئك الشهداء وعن اقوال الآباء الذين مدحوهم في مياموهم بل عن شهود لا تُردّ شهادتهم وهم كتبة الوثنيين كلوقيان في كتابه « موت الغريب » وكذلك سجلّات المحاكم الرومانيّة وتقارير الشهداء . وانتقل منها الى وصف قبورهم ومشاهدهم وما كانوا يصنعون عند زيارتها وفي احتفالاتهم السنويّة لاكرام اصحابها في الشرق والغرب معاً مع ما جرى على ذلك الاكرام من التقلّبات في كلّ بلد ثم ذكر كثيراً من الآثار المنقوشة على ضرائحهم او ذخائرهم فجاء كتاباً فريداً في جنسه لا يستغني عنه الاثريّون والمؤرخون والكتبة الكنسيون بل يستفيد منه

كلّ من يطلب معرفة عادات القدماء في اكرام الموتى والرجاء في الحياة الآخرة . فنشكر حضرة المؤلف ونوصي باقتناء كتابهِ كلّ من يحبُّ الاطلاع على مفاخر النصرانيَّة وتفاني ابنائها في ايمانهم القويم. ل . ش

J. de la Vaissière s. j.: I. Philosophia Naturalis = II. Eléments de Psychologie expérimentale, *Paris.*, *G. Beauchesne*, 1911 XIX-399

الفلسفة الطبيعيَّة وعلم النفس

الفلسفة الطبيعيَّة تتناول علم الكائنات الطبيعيَّة والعالم الهيولي (Cosmologie) ثم علم النفس (Psychologie) فالمؤلف اليسوعيّ الاب دي لافسيار بوضعهِ هذا الكتاب قد نوَى ان يربطهُ بتأليف الاب جانيار السابق وصفهُ حتى اذا انتهى الدارس من حفظهِ انتقل الى درس الفلسفة الطبيعيَّة . وقد جعلهُ جزئين بحث في الاوَّل عن المساحة والفضاء والحركة والزمان والمكان مقابلًا بين اقوال الفلاسفة والرياضيّين ثمَّ انتقل الى تعريف الاجساد غير الآليَّة وخواصها مع بيانهِ لمزايا الجماد ثم تخطّى الى البحث عن مبدأ الحياة في النبات ثمَّ وصف الحياة والحسّ في الحيوان مستشهدًا باقوال القدماء والمحدثين جامعاً بين العلوم العصريَّة وآراء الفلاسفة الاثبات . وقد خصّ الجزء الثاني بالنفس البشريَّة فدرس جوهرها وقواها مباشرًا بحثها وحركتها وادراكها ثمَّ قواها المشتركة بين النفس والجسد ثمَّ عقلها المجرَّد عن الهيولي المدرك للكليَّات ومشيئتها الحرَّة . ثمَّ بيَّن اصل النفس وكيانها وقيامها في الجسد وخاردها مستقرياً لآراء الفلاسفة السابقين ومنتقدًا ما فيها من الاضاليل كتعليم دروين في التحوُّل النوعيّ . وللمؤلف في كلّ ذلك علم واسع يحيط بكل الاختراعات المستحدثة ولا يفوتهُ شيء من ترقّي العلوم العصريَّة . ولهُ في كتابهِ الحواشي المفيدة والتذييلات والفهارس المقرّبة للعلمين والمتعلّمين كلّ فروع الفلسفة الطبيعيَّة . وللاب لافسيار كتاب آخر تقدَّم عنوانهُ وهو مكتوبٌ باللغة الفرنسويَّة على خلاف الاوَّل وهو باللاتينيَّة وضعهُ صاحبهُ للعلماء خصوصاً جمع فيهِ معارف النفس الوضعية التي شاعت اليوم بين الكتبة العالميين كالصور الحسيَّة والمظاهر الخياليَّة والاميال الغريزيَّة وبعض الحوادث المؤثرة في اشخاص مستعدين (télépathie) وملحوظات اخرى عديدة

رواها في هذا الكتاب وبحث عن اسبابها ومصادرها وكيفيَّة وقوعها تفيد معرفتها جدًّا الفلاسفة لاسيا العالمين الذين يطّلعون في المجلّات على وصف تلك الظواهر العجيبة فيعللونها بعلل بعيدة . ومجمل القول انّنا نعدُّ هذه المجلّدات الثلثة كمعدن جديد للمعارف الفلسفيَّة في عهدنا ف . ت

Franklin E. Hoskins :I. From the Nile to Nebo. Philadelphia. 1912, pp. 377 = II New Testament. First Font Reference, Beirut, 1912, pp. 357

رحلة من النيل الى جبل نبو – العهد الجديد مع مقابلة الآيات

اهدانا جناب استاذ الكليَّة الامريكانيَّة المستر هوسكنس هذين الكتابين من ثمار همّته . فالاوّل يشتمل على وصف رحلة باشرها المؤلف من مصر الى جزيرة العرب حتى جبل نبو حيث استأثر الله بعبده موسى . والكتاب جامع بين اخبار رحلته وذكر رواية الاسفار المقدسة فحيثما نزل الرحّالة وصف ما لقيهُ في كلّ مرحلة من الآثار ثمَّ انتقل الى ذكر ما ورد في توراة موسى عن رحيل بني اسرائيل وخروجهم من مصر وقطعهم لبحر القلزم وتوغّلهم في برّيَّة سين وبقيَّة براري التيه حيث قضوا اربعين سنةً قبل ان يدخلوا ارض الميعاد فيجد القارئ لذَّة وافادة في هذه المقابلة بين الماضي والحاضر مع ما هناك من التصاوير المتقنة التي تمثّل انحاء البلاد ومآثرها . وقد خُتم الكتاب ببعض الجداول والفهارس منها قائمة لميزان الحرارة في كلّ موضع حلّهُ المسافر ثمَّ جدول لآيات الكتاب المقدَّس التي ورد ذكرها او شرحها في اثناء الرحلة وفي الاخير فهرس واسع للمواد على حروف المعجم . وقد سرّنا ما وجدناهُ في الكاتب من دفاعهِ عن صحَّة اسفار التوراة ونسبتها الثابتة لموسى على انّنا لم نوافقهُ على تحديدهِ للمعجزة (ص ٢٠–٢١) وشرحه على طريقة طبيعيَّة ما اخبر بهِ الكتاب الكريم عن قطع بني اسرائيل لبحر القلزم وعن معجزات كثيرة رواها موسى واعتبرها كلّ المؤمنين بالوحي خارقةً للطبيعة ومن ثمَّ نراهُ مخطئًا بقولهِ (ص ٢٠) (we modern thinkers have practically abolished the distinction between the « natural » and the « supernatural ») فهذا المبدأ نقضٌ للدين الصحيح ولكل ما رواهُ الكتاب الكريم في العهدين القديم والحديث من الخوارق الفائقة لقوى الطبيعة المخارقة

اما الكتاب الثاني فهو طبعة جديدة عني بها الاستاذ هوسكنس في اسفار العهد الجديد المطبوعة سابقاً عند الاميركان الّا انهُ زيّن هوامشها بتعيين الآيات المتشابهة كما ترى في التراجم اللاتينيّة وغيرها الّا انّ التراجم العربيّة الشائعة في هذه البلاد خاليةٌ منها ما عدا الطبعة الموصليّة الكبيرة التي تولّى نشرها الطيّب الذكر السيّد اقليمس يوسف داود ففي لحف صفحاتها دليل الشواهد المتشابهة ل . ش

Paul Collinet : ÉTUDES HISTORIQUES SUR LE DROIT DE JUSTINIEN. T. I., XXXII-338. *Paris. Larose et Tenin*, 1912

دروس تاريخيّة على سُنن الملك يستنيان

انّ مضامين هذا الكتاب رُضمت خصوصاً لفائدة اهل الشرع والغاية من تأليفه اوّلاً بيان خواصّ الشرائع التي سنّها في القرن السادس للمسيح ملك الروم يستنيان او بالحري الفقيه تريبونيان وزملاؤهُ المجتمعون بامره . وثانياً تعليل اهمال المحدثين لهذه السُّنن . فوّلف الكتاب المسيو كولينه يبحث اوّلاً عن الفروق الموجودة بين أحكام يستنيان والحقّ الرومانيّ الشائع في مدرستي الفقه في بيروت وقسطنطينيّة في القرون السابقة فيثبت انّ الغاية من تحرير يستنيان للحق الرومانيّ واصلاحه لم تكن كما يظنّ البعض تحسين الشرائع الرومانيّة كأن شرائعهُ افضل منها كلّاً بل رأى يستنيان انّ احوال زمانهِ كانت تغيّرت فاقتضى تطبيق الشرائع الرومانيّة مع تلك الظروف الجديدة التي طرأت على المملكة الرومانيّة اعني اوّلاً شيوع النصرانيّة في الدولة الرومانيّة وثانياً تغلّب التمدّن اليونانيّ على مملكة الروم . وفي الواقع من قابل بين احكام الشرع اليستنياني والاحكام الرومانيّة الشائعة اذ ذاك في الغرب وجد فضل الاولى على الثانية . فنشكر المؤلّف على اثباته هاتين القضيّتين وبهما نفع العلم اجمالاً وافاد الشرقيين خصوصاً الذين استقوا من موارد المثلث يستنيان لان كثيراً من احكام العرب منقولٌ بلا شكّ عن الفقه اليستنيانيّ الاب ف . توربيز

تاريخ حوادث الشام ولبنان

لمخائيل الدمشقي . عُني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعيّ

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٢٣٣)

عرف قرّاء المشرق ما امتاز بهِ هذا الكتاب الذي ألّفهُ احد نصارى دمشق من

طائفة الروم الملكيين الكاثوليك لفائدة بعض ممثلي الدول على ما نظنّ وقد ضمّنهُ تفاصيل اخبار الشام ولبنان في مدّة نحو ستين سنة اعني من السنة ١٧٨٢ الى ١٨١١ حيث جرى في ولاية سورية وحاضرتها دمشق وسواحل لبنان من الحوادث الخطيرة ما لم يجرِ فيها سابقاً . وكاتبهُ المتستّر تحت اسم ميخائيل الدمشقيّ كان كما يلوح من مطاوي كلامهِ رجلًا متولجاً في خدمة وطنهِ عارفاً حقّ المعرفة بكلّ ما جرتْ بلادهِ فهو يصفها لا عن سمع بل كشاهد عيانيّ ولعلمهِ بانّ كتابهُ يبقى في دائرة الكتابات السرّيّة تراهُ يتكلّم بصدق لهجة يمدح ما يجب مدحهُ ويقبّح ما يجب تقبيحهُ دون مراعاة الاشخاص او تدليس في الحديث . وهذا ايضاً ما حدا بهِ الى ان يكتب دون ان يكترث لتنقيح كلامهِ وللتأنّق في التعبير . فلغتهُ اشبه بلغة اهل دمشق الجارية على ألسنة عامّتهم او اوساطهم . وهي مع بساطتها لا تخلو من سلاسة ورشاقة فضلًا عن حسن وصف الكاتب لما يخبر بهِ وبحثهِ عن اسباب الامور وعواقبها وما بينها من العلائق . فتجدهُ جامعاً لصفات المؤرخ الموثوق بروايتهِ . فنشكر حضرة الاب معلوف الذي نقل هذا الكتاب عن النسخة الوحيدة الباقية منهُ في المتحف البريطاني في لندن فنشرهُ وعلّق عليهِ الحواشي المفيدة والحقهُ بالفهارس المسهلة للتفتيش عن موادّهِ

ل . ش

القسم الاوّل من كتاب الافخولوجي الكبير المسمّى بالقنداق

عُني بجمعهِ وتنسيقهِ على الاصل اليونانيّ وفائيل هواويني استف بروكلن

طبع في نيويرك سنة ١٩١٢ (ص ٣٣٨)

اثنينا على همّة سيادة المؤلف في طبعهِ كتاب خدم التكريس والتدشين (في المشرق ١٥ : ٧٤) وها هوذا اتحف طائفتهُ بكتاب آخر اجدى نفعاً نزيد بهِ كتاب القنداق الذي يحتوي خصوصاً رتبة القداس الالهيّ للقديسين الجليلين يوحنّا فم الذهب وباسيليوس الكبير مع خدمة البروجيازمينا اي السابق تقديسها فضلًا عن الصلوات العموميّة مساء وليلًا وسحراً وهذا الكتاب قد تكرّر طبعهُ على صور مختلفة عند الروم الاورثدكس والروم الكاثوليك منها قديمة وكيكة العبارة ومنها حديثة منقّحة نوعاً . وقد احبّ السيّد وفائيل هواويني ان يعيد النظر في هذه الخدم كلّها

ويزيدها تنقيحاً ويدعمها بالشروح الوافية لبيان كيفيَّة اتمامها على حسب ظروف متيميها من رئيس كهنة او كاهن مع شمَّاس او بدون شمَّاس . ثمَّ الحقها سيادتهُ بصلوات يحتاج اليها الكاهن كصلاة المطالبي اي الاستعداد لتناول الاسرار . وصلوات على نفوس المتنيحين وعلى التلَّات والاثمار وختمها بخدمة سرّ الاعتراف الالهيّ . فترى ما في هذه الطبعة من المزايا والفوائد فنشكر لسيادة المهتمّ بها ونحض محبّي الليتورجيَّات الشرقيَّة على النظر فيها . وقد وقفنا في هذه الطبعة على شواهد تثبت اعتقاد الكاثوليك اوَّلاً في تطهير النفوس في الآخرة كما ترى في الصلوات على الراقدين (ص ٢١١—٢٢٤) وفيها يُطلب غفران الخطايا للموتى لينالوا الرحمة الالهيَّة . وثانياً في دخول الموتى الى السماء قبل الديانة الاخيرة حيث يطلب الكاهن للميت (ص ٢٢٢) ان «ينحلَّ جسدهُ الى ما تركَّب منهُ وتترتَّب نفسهُ في مصفّ الصديقين ... وفي مظلَّل القديسين» كما انهُ ورد في صلاة للقديس غريغوريوس (ص ١٩٤) «انت الآن تفرح وتبتهج معهم (اي مع المسيح والابرار) في الاخدار السماويَّة» . فالقديسون اذن في السماء مع الله قبل قيامة الاجساد . وممَّا سُررنا بمطالعته ذكر ترتيب خدمة سرّ الاعتراف ولا سيما صورة الحلّ عن الخطايا (ص ٢٣١—٢٤٢) التي عرَّبها سيادتهُ عن الافخولوجي السلافي . وقلَّما كنَّا نجد حتى الآن وصفاً مدقَّقاً لهذه الرتبة الجوهريَّة ل . ش

دروس الاشياء

تأليف فوزي العظم وسليم هاشم

القسم الاول . طُبع في بيروت في المطبعة الاهليَّة سنة ١٩١٢ (ص ٦٨)

افضل الطرائق لتعليم الاحداث ما تشبَّه بغريزة الانسان الطبيعيَّة . فالولد ينظر الى الاشياء ثم يُلقَّن معرفتها بالسمع . فدروس الاشياء التي شاعت اليوم في البلاد الغربيَّة تجري على هذا المثال . وقد اخذ الشرقيون يقتدون باهل الغرب في ذلك فنشروا في مصر والشام عدَّة تآليف مثَّلوا فيها تصاوير مواليد الطبيعة ومزجوها بالدروس والتمارين طبقاً لعقل الصغار . والكتاب الذي سبق عنوانهُ من افضل ما طُبع من ذلك تتبَّع فيهِ مؤلفاهُ الاديبان طبقات الطبيعة مباشرةً بالانسان ملكها ثمَّ تحدَّرا منهُ الى الحيوان الاعجم ثم الى النبات ثم الى الجماد والمعادن في ٢٣ درساً

مع تمارين لكل درس. وقد لاحظنا في بعض تعريفات الكتاب نقصاً او ابهاماً كقوله في اليدين (ص ٦) « تتألف اليد من ثلاثة عظام واحد من الكتف الى المرفق واثنان من المرفق الى الكتف ». ومثله تعريف الرجلين. وكان الأولى لو جُعلت الاسماء مع الهيكل العظميّ المرسوم هناك (ص ٥) او تحته مع الاشارة الى الاعداد. وكقوله في تعريف الاعصاب (ص ٧) انها « حبال بيض تنقل الارادة من النخاع الى الجسم » والصواب « تنقل الحركة » لانّ الارادة قوّة مجرّدة عن الحواسّ. وقوله عن اللحم (ص ٧) « انهُ يدعى العضلات » ومعلوم ان العضلات غير اللحم. وهو « الجذع » بالذال لا بالزاي (ص ٦) وهو الدرس « الثالث والعشرون » لا الثالث عشر (ص ٦٦) وغير ذلك ممّا يحتاج الى بعض تنقيح ل. ش

سجين جيماج : رواية تاريخيّة ادبيّة فكاهيّة

بقلم الخوري يوسف العشيتي

في المطبعة السلبيّة (عشيت) سنة ١٩١٢ (ص ٥٢)

قيل انّ الحديد بالحديد يُفلَح. فهذه الرواية ألّفها حضرة الخوري يوسف العشيتي ليتفكّه بها القرّاء ويستفيدوا معاً من اخبارها البهيجة وتعاليمها الادبيّة فيعدلوا عن تلك الروايات البذيئة التي تدنّس قارئيها وتطبع في عقولهم المبادئ الفاسدة وقد اجاد المؤلف في حسن سبكها وانسجام عبارتها

الاكليروس في لبنان

بقلم مارون عبّود

في المطبعة عينها سنة ١٩١٢ (ص ٦٠)

عو ردُّ صائب لكاتب فاضل. على طعن كاذب لشابّ جاهل. كان الشاب المذكور وضع مقالة نشرها في جريدة السلام موضوعها اقرب الوسائل لاصلاح لبنان وقد ادّعى فيها كبعض الاغرار انّ الاصلاح المرغوب يتوقّف على نبذ الدين ومعاداة اربابهِ ونزع الاوقاف من ايديهم وانشاء المدارس اللادينيّة وغير ذلك من السفاسف التي تلقّنها بعض اغرار المهاجرين من زنادقة اميركة. فنثني على مروّة ونيس تحرير جريدة الحكمة الذي اوقف نفسهُ لتزييف هذه الترّهات وبيان فضل رجال الدين في عمران لبنان فأبكم الخصم بقوّة حجّتهِ وانتصارهِ للحقّ ل. ش

شذرات

من هو المتعصب طلب منّا محمّد طاهر التنير ان نثبت لهُ صحّة ما رواهُ احد كتبتنا في استشهاد بعض نصارى حلب فلبّينا طلبتهُ وذكرنا لهُ عدّة ادلّة على حقيقة المرويات وأيدنا ذلك بما يزيل عنهُ كلّ التباس اعني بذكر ما يشبهها من الوقائع القريبة العهد منّا ولا يجهلها اثنان. فقامت قيامة محمّد طاهر التنير وصرخ بالويل والثبور ونسبنا الى التعصّب الذميم . فاستغربنا ضحكاً لدى اطّلاعنا على اقوالهِ وطنطنة كلامهِ . وتذكّرنا المثل « ضربني وبكى وسبقني واشتكى » . فان امكنك يا محمّد افندي ان تتبرأ من اهانة الصليب في وريقتك بانكارك ما ادرك معناهُ كلّ القرّاء أفتستطيع ان تنكر كتابك الموسوم باسمك الذي لم تخجل ان تعنونهُ « بالعقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة » حيث جعلت صليب الرب المحيي وفادي العالمين بازاء آلهة نجسة رجسة مثل كيشنا واندرا المحاربين وأهنت ديناً يتشرّف بهِ اكبر الدول جاهاً وارقى الامم حضارةً ويعترف بهِ ستمائة مليون من البشر يتمنّون لو ضحّوا في سبيلهِ النفس والنفيس وماتوا شهداء صليبهِ في ظلّ تلك الراية الظافرة التي دحرت قوّات الجحيم وفكّت اغلال بني آدم وفتحت لهم ابواب النعيم. فليحكم الحكم من هو المتعصّب !. وان كان محمّد التنير لا يكتفي بهذا الدليل على تعصّبنا افدناهُ انهُ وصلت الى يدنا تلك الكتابات البذيئة التي ارسلها الينا هو او انصارهُ خفيةً دون امضاء حيث يتهدّدوننا بالرصاص ويشتموننا باقذع الكلام الذي لا يفوهُ بهِ غير الانذال فبئس تعصبنا ونعم تساهل هؤلاء الاحرار !!!

قد ماتت هذا عنوان محاضرة القاها احد الزنادقة المدعو سبستيان فور في مدينة ليل من اعمال فرنسة في غرّة كانون الثاني الاخير فزعم انهُ يُثبت للحضور موت الكنيسة الكاثوليكيّة . فلمّا انتهى من خطابهِ قام الكاهن ديفرانج (l'abbé Desgranges) منتصباً فقال للخطيب : انّ محاضرتك هذه قد القيتها غير مرّة على مسامع الجمهور ولم يك احد لينقض كلامك اماً انا فاقول لك : انّ الكنيسة اليوم احيا منها سابقاً وهذه ادلتي وما من احد يستطيع ان ينقدها :

كان عـدد الكاثوليك في انكلترة سنة ١٨٠٠ ١٢٠,٠٠٠ فصار سنة ١٩٠٠ ٢,١٨٠,٠٠٠ كان في هولنـدة ٣٣٠,٠٠٠ فصار ١,٨٢٢,٠٠٠ كان في رومانية ١٦,٠٠٠ فاضحى ١٥٠,٠٠٠ كان في البشنـاق ١٥,٠٠٠ فصار ٣٩٨,٠٠٠ كان في اليونان ١٥,٠٠٠ فصار ٤٤,٠٠٠ وفي البلغـار كان ١,٣٠٠ فاضحى ٢٨,٠٠٠ وفي الصرب كان ٦,٠٠٠ فصار ٢٠,٠٠٠ . لم يكن في الدنيمرك وفي اسوج ونروج ولا كاثوليكيّ واحد فبلغ سنة ١٩٠٠ ٢,٩٤٠ في الدنيمرك و٢,٥٠٠ في اسوج ومثل هذا العدد في نروج . في روسيّة عاد الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة من ١٩٠٥ الى ١٩٠٩ ٢٣٠,٠٠٠ اورثذكيّ منهم ١٦٨,٦٠٠ بولوني . بلغ عدد المرتدّين الى الكنيسة الكاثوليكية في تركية اوربـة من السنة ١٩٠٩ ٢٤,٨٥٥ . ثمّ انّ الكاثوليك في رسالات افريقية الحديثة ٨٥٠,٠٠٠ وفي آسيـة ٤,٦٠٠,٠٠٠ في سيلات ازداد عددهم في الخمس وعشرين السنـة الاخيرة من ١١٧,٣٤٢ الى ٢٠٠,٠٠٠ وصاروا في الصـين الهندية مليوناً . وكانوا في الصين سنة ١٨٠٠ ٢٠٠,٠٠٠ فاضحوا اليوم مليوناً ونصف . وجاء في احصاء اليابان سنـة ١٩١١ انّ عدد الكاثوليك هناك ١٤٨,٥٢٣ . هم في البرازيل ١٤,٤٥٠,٠٠٠ وفي الولايات المتحدة ٢٢,٥٠٠,٠٠ في كندا ٢,٣٢٠,٠٠٠ وفي باتاغونية ٢٧,٧٠٠ وفي اوستراليا ١,١٦٠,٠٠٠ وفي جزائر اوقيانية ٢٥,٠٠٠ وفي زيلندة الجديدة ١٠٨,٠٠٠ وكان اسم الكاثوليك في كلّها سابقـاً مجهولاً او لا يُعبأ به . فمن هو الميت أكنيسة او بالحريّ «ميّت الاحياء» الذي لا يعلم حقيقة امر كنيسة الله ؟ كلّا « لم تَمُتْ »

جائزة نوبل هذه الجائزة السنويّة تعطى بعد حكم لجنة خاصّة لأفضل عالم اشتهر في السنة ببعض تآليفه . وهي قـد أُعطيت في العام المنصرم للعلّامة الفرنسويّ الدكتور كرّل (Dr Carrel) فهذا الطبيعيّ الشهير ناقض مزاعم دروين وانصاره في تحوّل الانواع وقد انكر موخّرًا في نادي علماء باريس كون الانسان متولّد من اي قردٍ كان فقال ولم يخش مناقضاً : تحقّقتُ بعد دروسي المتوالية انّهُ من المستحيل ان يكون جدّ الانسان قردًا من القرود السابقة للتاريخ (Il est impossible que l'homme ait jamais eu pour ancêtre préhistorique un singe quelconque) فهـذا قول العلماء فتعجّب بعد ذلك مما نقلهُ محمّد طاهر

التنير في وريقته الاخيرة تفكهةً لقرائه حيث اثبت صورة انسان ادَّعى قوم انهُ من سلسلة القرود وذكر اكتشاف جمجمة قالوا فيها انها « تُظهر للعالم الحلقة التي كانت بين الانسان واجدادنا القرود » فاختر بين اقوال العلم الثابت ومزاعم المتشدقين التي رواها التنير دون كلمةٍ في تزييفها

اسئلة واجوبة

س سأل مستفيد متى كانت سنة وفاة جمال الدين علي بن يوسف الشهير بابن القفطي صاحب كتاب تاريخ الحكماء

ج توفي سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) في حلب ومولدهُ سنة ٦٨٥ (١١٧٢ م) امَّا ما جاء في المشرق (١٥ : ٣٨٩) عن تاريخ وفاتهِ في سنة ٦٢٤ (١٢٢٧ م) فغلط وانَّما هي سنة وفاة ابيهِ يوسف

س سأل آخر عن بركة البيوت بالماء المقدَّس في يوم عيد الغطاس ما اصلها وهل هي شائعة في كلّ الطوائف وهل واجب اجراؤها

ج اصل هذه الرتبة تذكار معموديَّة السيّد المسيح التي يُحتفل بها في عيد الغطاس . ففي ذلك اليوم اعتادت الكنائس الشرقيَّة وبعض كنائس الغرب ان تبارك ماء يصلُّون عليهِ صلوات معيَّنة ثم يباركون بهِ الشعب ويرشُّهُ الكهنة على بيوت المسيحيين . وعادة تبريك الماء والرش بهِ ليست جاريةً في كلّ محلّ فلا يعرفونها في بلاد كثيرة وعلى خلاف ذلك في بعض الانحاء يتكرَّر تبريك الماء والرشّ بهِ غير مرَّة في السنة كعيد الفصح والعيد الكبير والعنصرة وعيد الصليب . فيجب على الكاهن مراعاة العادات في الامكنة التي هو فيها

س وسأل احد الكهنة الموارنة ان كان الصوم الكبير يتمّ باربعين يوماً فكيف يبلغ الترتيبُون هذا العدد بعدم صومهم السبت

ج عادة الصوم الاربعيني اختلفت مع اختلاف الازمنة والامكنة واراد بهِ النصارى كلهم اكرام صوم السيّد المسيح لكنَّ عدد الاربعين لم يؤخذ دائمًا بالحصر بل بالاتساع . ولمَّا كان صوم السبت في كنائس الشرق غير محكوم بهِ (الَّا سبت النور) كما في كنائس الغرب نتج عن ذلك انَّ صوم الشرقيين لا يزيد عن ٣٦ يوماً ل . ش

المشرق

عجائب الخلايا في النبات والحيوان

لحضرة الاب بسكندر طوران اليسوعي

اذا عرضتَ على عدسة المجهر صفيحةً رقيقة من مركَّب نباتيّ او قشرةً دقيقة من لحم حيوان رأيت في نسيجهما العدد العديد من حبوب ناعمة متلاصقة متراصّة تبدو لعينك على اشكال شتى. ولو شئتَ لامكنك ان ترى تلك الحبوب في بعض الظروف حيَّةً تقوم باعمال حيويَّة. فتلك الحُبَيبات هي الخلايا

وقد ادَّت الاختبارات المتوالية التي باشرها الطبيعيُّون في تراكيب النبات والحيوان الى ان يحكموا في كون الوالد النباتيَّة والحيوانيَّة دون استثناء مركَّبة من الخلايا وان الخليَّة هي العامل الحيويّ في جوهر النبات والحيوان معاً اعني انَّها مبدأ تلك العجائب التي تظهر على الارض في كل جسم حيّ. فوسا رأيت في خلق الحيوان من عظام ولحم وقلب ورئة واحشاء ومعدة وكبد واعصاب وشرايين وفي جرم النبات من خشب وورق واغصان وزهور واثمار فكل تلك الاجسام الآليَّة تتركَّب من هذه العُدَد الدقيقة المعروفة بالخلايا وهي نتيجة فعلها الحيويّ

امَّا تركيب الخليَّة فيتكوَّن من مادَّة مائعة يدعونها النطفة الاولى او الجرثومة الاصليَّة (protoplasma) تُحدق بهنَةٍ اصفق واكمد لوناً يدعونها النواة . وهذه النطفة تلوح لمن يفحصها كالهلام (gélatine) او كبياض البيضة المعروف بالآح ولذلك سمّوها ايضاً بالمادَّة الآحيَّة المكوّنة. واذا حلَّلتها وجدتها مركَّبةً على الاخصّ من الكربون والاوكسيجين والهيدروجين والازوت مع بعض آثار معدنيَّة من الفسفور والكبريت والبوتاسيوم والكلسيوم ويمكنك ان تجد ايضاً في بعض الحيوان آثاراً من الحديد واليود

وتركيب الخلية النباتية في النبات الغضّ يشبه تقريباً تركيب الخليَّة الحيوانيَّة فهي ايضاً تتكوَّن من نطفة اصليَّة ونواة. واذا بلغت الخليَّة نموَّها وجدتها كغُدَّة صغيرة تحيط بمادَّتها المائعة جليدةٌ تصونها. والمادَّة المائعة هذه تتركب كما في الحيوان من الكربون والاوكسيجين والهيدروجين والازوت. ولكن تمتاز عن الحيوان بما يُرى فيها من البزور الدقيقة التي يؤثر في بعضها النور الشمسي فتتكيَّف بمادَّة ملوَّنة يدعونها الكلوروفيل (chlorophylle) والبعض الآخر يتولَّد منهُ النشأ (amidon)

فهذه المعلومات الابتدائيَّة عن الخليَّة وتركيبها تمهِّد لكلامنا الطريق عن عجائب الخلايا سواء كانت نباتيَّة او حيوانيَّة. وها نحن نباشر بالاولى

١ الخلايا النباتيَّة

لو عمدنا الى نباتٍ ما فحلَّلنا اجزاءهُ التي يتركب منها حتى اقصاها كما يُحلَّل نسيج الصوف او قُرصة القطن نُتفاً دقيقة لوجدنا الخلية في آخر تحليلنا. فورق النبات وزهرهُ وبزرهُ وثمرهُ وقشرهُ وخشبهُ كلّ ذلك مجموعٌ من الخلايا ولا فرق بين جبابرة الاشجار كارز لبنان وادقّ الاعشاب فان خلاياها كلها لا تكاد تختلف بعضها عن البعض الآخر في ايّ نباتٍ كان وفي كل اقسام النبات فترى فيها تلك العُدَد الشفَّافة في عدد ألوف الالوف بل ربوات الوف الالوف مما لا يفي به احصاء. ومنها تتكوَّن الاشجار العاديَّة التي تزين كُرتنا كالحشائش الدقيقة التي تطأها اقدامنا

وهذه الخلايا ان وُجدت في احوال ملائمة لطبعها واصابت تربة وحرارة ورطوبة توافقها تحفَّزت للعمل فتراها تنتفخ فتنقسم فتتفرع فيلتحم بعضها بالبعض في سرعةٍ غريبة. وقد احصى احد النباتيين معدَّل الخلايا التي تتكوَّن في ورقة من نبات الاربياء في طور نشوئها فاذا هي تبلغ في الساعة الفي خليَّة وهذه الخلايا تتَّسق وتنتظم انتظاماً تامًّا وفي كل خليَّة بزورها الخاصَّة التي يعمل فيها ضياء النور فيلوِّنها الواناً متباينة من اخضر واصفر فاقع او فاتح الخ. وقد اثبت احد كبار النباتيين انَّهُ رأى فطرًا نما في ليلة واحدة فصار حجمهُ كحجم القرعة بعد ان كان لا يتجاوز حجم

البندقة . ولم يبلغ هذا النموّ الغريب الّا بتوفّر خلاياهُ التي بلغ عددها في تلك الليلة ١٧ مليارًا او في الدقيقة الواحدة ٦٦ مليونًا من الخلايا وهو لعمري عددٌ تحير منهُ اذهان كل المُعتبرين

فليت شعري من اين للخلية تلك القوّة النامية ؟ انّما قوّتها في نفسها فهي هي مركز تلك الحياة العاملة . نعم انّها تمتصّ من التربة رطوبتها وعناصرها المختلفة وتستمدُّ من الهواء بخارهُ وحرارتهُ ونورهُ وحامضهُ الكربونيّ لكنّها هي العاملة في تلك الموادّ لتحوّلها الى خلايا نباتيّة جديدة

قلنا انّ للخلايا غُدَدًا وتلك الغدد كشبه اكياس صغيرة تحتوي على المادّة الآخيّة او النطفة الاصليّة . فترى ما هي تلك الغُدَد ؟ وما هي منافعها ؟

اسمع ما كتبهُ في ذلك احد ائمّة الطبيعيين المسيو فابر (Fabre) في كتابهِ المعنون بالنبات (La Plante, p. 32) فانّهُ قد وصف تلك الغدد وصفًا محسوسًا يقرّبهُ الى عقول جميع القرّاء حتى الاحداث مع دقّتهِ وضبطهِ العلميّ . قال :

« أترى في الازقّة والشوارع هذه الاخلاق الرثّة التي تطأها ارجل السابلة . فاكثرها يعلوها الوسخ وتشينها الاقذار . فاذا جمع الجامع هذه الخرق يفرزها طالبها فمنها ما يختارهُ ليصنع منهُ ورقًا ناعمًا ومنها ما يعدّهُ للورق الصفيق الخشن . ثم تُلقى تلك الخرق في اجران فتُغسل غسلًا شديدًا فاذا نُظّفت من ادرانها تسلّطت عليها مخاليب الفولاذ المسنّنة فزّقتها وقطّعتها قطعًا دقيقة ثم تناولتها دواليب أُخر فسحقتها ونعّمتها وجعلتها في الماء على شبه المعجون (البالوظة) وانّما تبقى كدرة اللون فلا بُدّ من قصرها لتبيضّ فيلقون فيها العقاقير التي تعمل فيها فتحوّل ذاك اللون الى لون ابيض يقق كأنّهُ الثلج بياضًا . ثم تخلفها ادوات أُخر تبسط ذاك المعجون فتدور عليهِ الاساطين فمنها ما يرقّقهُ ومنها ما يصقلهُ الى ان يصير ورقًا تامّ الاهبة

« فهذا الورق كان قبلًا خرقةً قذرة وكانت الخرقة قطعةً من نسيج بالٍ . وهذا النسيج قبل ان يُلقى على الزبابل كانت قد توالت عليهِ الاعمال فكم من مرّة بعد حياكتهِ ولبسهِ رُحض في المياه الحارّة وقرّضهُ رمادُ الاشنان ونفذ فيهِ غسول الصابون وكم قُصر بالمقاصر وعُرض على الشمس والهواء والانواء . فيا لله ما هي تلك المادّة الغريبة التي لا تقوى عليها اشدّ عوامل الزمان التي تبقى في كمالها رغمًا عن الفساد

والاقذار التي تثبت تحت مطارق اعظم الادوات وتخرج آخرًا من كلّ هذه المحن تامّة المرونة ناصعة البياض فتصير في ايدي الكتبة قرطاساً بديعاً صقيلاً معدًّا لأن يكون نجيّ افكارنا ومستودع اسرارنا

« اعلم رعاك الله انّ مادّة هذا الورق انّما هي تلك الغُدَد النباتيّة التي قلنا عنها انّها كغشاء الخلايا وهي داخلة في تركيب الالياف وبقيّة اقسام النبات وقد دعوها بالمادّة الخلويّة (cellulose) لانّها في الاصل تجاويف تتضمّن النطفة الاصليّة وما يعوم فيها من البزور. فشاقة القطن والكتّان تتركب من هذه المادّة مع اختلاط بعض الاجسام الغريبة فهي كخام الحرير تُنتج في المعامل فتُتّخذ للملابس واذا بليت تلك الاثواب حوّلوا اخلاقها الى ورق كتابيّ بعد نزع كلّ الاجسام الغريبة عنها بحيث يجوز القول انّ الورق هو محصول تلك القشرة الخفيفة او التجاويف الرقيقة التي تضمّ الخلايا النباتيّة »

على انّ هذه الخلايا وان كانت مادّتها واحدةً ليست على نمط واحد فربّما غيّرت هيئتها الاصليّة الكرويّة فتارةً تصير مستطيلة الشكل وتارةً تنتظم اسلاكاً وتنفتح اطرافها فتصير على شبه التيّ المتواصلة والقساطل الملتحمة تجري فيها رطوبة التربة وتنتقل فيها المائيّة من جذورها السُفلى الى اطراف اغصانها فتلك شرايين النبات . ومنها ما ينفلق عموديًا فتتركب عليها مادّة اصلب بحيث لا تعود تصلح لتنمية النبات ولا تجري فيها المائيّة الحيية لكنها تفيد الشجرة بصلابتها اذ تصونها من آفات الجوّ واذى الحيوان وتجديها قوّةً وثباتاً كما ترى في قشرة الشجر وأليافه

فهذا ما يختصّ بتجاويف النبات وغُدَدهِ . فدعنا الآن ننظر ما تحتويه تلك الغُدَد . سبق القول انّها تشتمل على قليل من المائع الآخيّ الذي يمكن تحليلهُ الى اربعة عناصر خاصّة وهي الكربون والاوكسيجين والهدروجين والازوت مع بعض آثار من مركّبات معدنيّة . على انّ هذه العناصر وان كانت قليلة يمكنها بفعل الخليّة ان يتألّف منها مركّبات عديدة متباينة تختلف ذوقاً ولوناً وشكلاً حتى يقضي الانسان العجب من وفرة استحالاتها ومحصولاتها

ألا اعتبر قطعةً واسعة من التربة كيف تأتي بزروعات شتى مع انّ التربة واحدة ومياه الريّ واحدة والفلاحة واحدة وسماد الارض واحد . فالبزور التي في غُدَد الخلايا

هي التي تصنع هذه العجائب فتمتص كلُّ خليَّة منها ما يلائمها . فالورد يستمدُّ منها اوراقهُ واشواكهُ وازهارهُ ذات الحمرة الدمويَّة والارجوانيَّة والقرمزيَّة والقانئة فضلًا عن رائحتهِ الذكيَّة . والزنبق يلتمس منها زهرتهُ البيضاء وريحهُ الخاصَّ بهِ . وقس عليهِ بقيَّة الزهور من صفراء وزرقاء وخضراء مع اختلاف عجيب في اللون الواحد مما تميزهُ العين وتتمتَّع بهِ ويقصر اللسان عن نعتهِ

ولو انتقلنا من الازهار الى ذكر الاثمار لزاد عجبنا فالعنب قبل نضوجهِ حامض الطعم ثم يصبح حلواً كالعسل . وكم من طعم لذيذ في الخوخ والاجاص والكمثرى والقراصيا والشاه بلوط واللوز والموز والليمون فلا ترى لثمرتين طعماً واحدًا وعبيرًا واحدًا . فأحص بعد ذلك كل اشكال النجوم (صغار النبات) والنبات والاشجار التي تضيق عن لسانها اكبر المعاجم واوسع الكتب . فمن هو العامل لهذه عجائب المخلوقات . انما هو الخليَّة وما خزنهُ الله في قلبها من عناصر الحياة

فتلك الخليَّة الدقيقة التي لا تُرى الَّا بالمجهرات المكبِّرة عند انفصالها من الخليَّة الامّ ترث منها نشأً حيًّا ندعوهُ بزرةً فهذه البزرة تجد في باطن غذتها غذاء تنالهُ من ذاك الآخ الذي هي عائمةٌ فيهِ حتى اذا وُجدت الخليَّة في الشروط اللازمة من رطوبة وحرارة اندفعت للعمل ثم مدَّت في الارض عروقها اللطيفة فامتصَّت منها غذاء جديدًا ثم ذرَّت اوراقها الدقيقة فوق الارض فحلَّلت عناصر الهواء لتغتذي ايضاً من اوكسيجنهِ وهيدروجينهِ وازوتهِ حتى اذا نمت وبلغت اتت هي ايضاً بنسلها الشبيه بها فان كانت قرطباً اولدت قرطباً وان كانت حنطةً اتت بحنطة او ارزةً خلَّفت ارزةً . فيا لله ما اعجب صنيع الخليَّة وما اعظم فعل البزرة التي في قلبها

قلنا ان تلك البزرة تعوم في مائعٍ . وذاك المائع يختلف ايَّ اختلاف ففي بعض الخلايا لا يكون الَّا الهواء . وفي غيرها لا يكاد المائع يختلف عن الماء الصافي . ويوجد خلايا تحتوي صبغاً من الراتينج كخلايا الصنوبر وغيرها تشتمل على ضروب الصمغ كالقراصيا تجد في خلايا الحصرم عصيرًا حامضاً وفي خلايا التين لبناً حريفاً وفي خلايا قصب السكَّر شراباً حلواً كالعسل وفي خلايا الفلفل والبطاطا دقيقاً ناعماً . هذه تخزن في خلاياها طيباً عطريًّا كقشرة الليمون . وتلك قطرات من الزيت كالزيتون والجوز واللوز . ومنها ما أودع سمًّا ذعافاً كبعض الفطور والشوكران او اذخر ذرَّات خضراء

ومواد تلوّن بكل الالوان الاوراق والزهور ويُطلعنا المجهر في غيرها على تبلّورات دقيقة كالإبر الناعمة في هيئات شتى وصور عجيبة. وكل هذه المواد التي لا يفي بها احصاء لا يستمدُّها النبات من الخارج وانّما يصطنعها في معملهِ الباطني ويفرزها مع المائيّة التي تجري في عروقهِ. فأنعم بالنبات عاملًا قديرًا حاذقًا يصطنع بالقوّة المودعة في ذاتهِ الحلويات والحوامض والزيوت والعطريّات الاطعمة والسموم. وكل ذلك من فعل الخلايا النباتيّة (١

وان قلت انّ الانسان يجاري النباتات في عملها ويأتي بما تأتيهِ بتركيباتهِ الكيمويّة. أجبنا أجل له ذلك ولكن شتّان بين عملهِ وعملها . انظر مثلًا كيف يصطنع الانسان المادّة السكّرية (glucose) فانّهُ بواسطة ادوات قويّة وعوامل شديدة يحوّل لباب القمح والذُرة والبطاطا الى نشأ ويستحضر من النشأ تلك المادّة السكّرية التي تشبه العسل بحلاوتها وانّما يبلغ غايتهُ بالكهر والصهر. امّا النبات فيدرك الغاية نفسها باللين والهدوء بل يصنع ما لا يصنعهُ الانسان مع كل ادواتهِ التي يتوسّل بها فالنبات يستحضر بخلاياهُ لباب البُرّ ودسم النلّات وهو الذي يحوّل النشأ الذي يحيط بحبّة القمح الى مادّة حلوة حليبيّة يستخدمها لانشاء اوّل غُدَدهِ وخلاياهُ الحيويّة

وخلاصة القول ان فعل النبات اعظم واوسع واعجب من فعل الانسان وليس لهُ في اصطناع تلك المحصولات المتنوّعة الّا وسائل قليلة العدد يكشفها التحليل الكيمويّ أعني الكربون والاوكسيجين والهيدروجين والازوت وآثار من بعض المعادن. وانّما يعمل فيها عامل واحد وهو الخلية الحيّة

ولمّا عاين الطبيعيّون هذا العامل الطبيعي سعوا بعد تحليلهِ بتقليدهِ وأمّل بعض الماديّين انهم اذا ركّبوهُ كما هو في الطبيعة اتخذوهُ عاملًا كالخلايا النباتيّة لينوب عنها. ولكن ساء ظنّهم فانّهم حسبوا التركيب الكيمويّ الذي يستحضر مركّبات النبات يمكنهُ ان يستغني عن مبدأ الحياة العامل فيها. فخاب املهم لانّ الحياة ليست نتيجة التركيب والتحليل وانّما هي احدى هبات الخالق التي لا يستطيع الانسان ان يتقلّدها

١) اطلب كتاب المسيو فابر في النبات (Fabre: *La Plante*, p. 33)

*

هذا وليست العجائب الطبيعيَّة التي تجترحها الخلايا النباتيَّة محصورةً في المواليد العظيمة التي نراها بازائنا في كل حين لاسيما جبابرة الاشجار والاغراس المثمرة والزهور وما شاكلها وانَّما لها اعمال عديدة لا يكاد يبصرُ الانسان عيزها فانَّ في عالم الكون عدد لا يحصى من النجوم الدقيقة وصغار النباتات التي لا تُعرف غالباً الَّا بالنظَّارات والمجاهر فلها ايضاً حياتها الخاصَّة التي تقوم بها خليَّة واحدة فيها او خلايا معدودة ومن يتتبَّع اعمالها يجدها آخذةً بمجامع القلوب. وربَّما كانت هذه الخلايا اشدَّ قوَّةً واثبت حياةً من الاشجار الكبيرة فهي تحيا حيث لا يستطيع نبات غيرها ان يصبر ويثبت حيناً

فمن ذلك نجمٌ غاية في الدقَّة اسمهُ في لسان العلم برتوكوكس (Protococcus وهو عبارة عن بزرة ناعمة ذات خليَّة واحدة. فهذا النجم لا يحيا الَّا فوق اشمخ الاطواد ووسط الثلوج الغرَّاء. فتجدهُ في قمم جبال الالب وفي جوار القطبين حيث لا يعيش حي من حيوان او نبات فاذا غمرَتهُ الثلوج زكا ونما وتكاثر ولوَّن الثلج حولهُ بلون احمر ورديّ. واذا نضج بذر البذور العديدة ثم انفقع والقى تلك البذور في الفضاء. فينقلها الريح الى جهات اخرى فتنبت

والحقّ يقال انَّ الطبيعة لم تدع نقطةً من ارضنا دون ان تتبرَّع عليها بمواهب الحياة. فلو اعتبرنا الصخور الصماء والمغاور والحجارة المصهورة والمستنقعات الآجنة وقشور الاشجار العاديَّة المتعفنة والاثمار الفاسدة وبقايا النباتات والحيوانات المستولي عليها الفساد لوجدنا فيها كلها عدداً وافراً من تلك الكائنات الحيَّة والذرَّات العامة تبدو للعيان على اشكال مختلفة تارةً كالطحلب على وجه المياه. وتارةً كالأشنة على أنياف الشجر العتيق او الحيطان المتهدِّمة. وحيناً كعفونات وبُقع بيضاء على الخبز المتعفن او كخمورات على وجه بعض المشروبات او جُليدات نباتيَّة ترافق كلَّ النجاسات والمقاذر. فان تلك حيَّويَّات تتناسل وتتوالد ولا يعيرها الانسان بالَّا وربَّما تقذَّر منها لكنَّها تأتي باعمال غاية في النفع وتخدم الانسان خدماً جليلة فانَّها اذا نبتت في الصخور فتَّتتها وحوَّلتها الى تربة نافعة واذا علت الاوساخ نزعت عنها

موادّها الفاسدة واعادتها صالحةً لخدمة البشر بتحويلات متتابعة بحيث تدخل في الكائنات النافعة ودولاب الكون فتتجدّد وتستأنف مسيرها

دونك مثلاً قريباً: انظر هذه الشجرة التي اقتلعتها الريح فرمتها على الارض. فللحال ينشأ فوق جثمانها عدد لا يُحصى من النباتات الصغرى التي ذكرناها كالطحالب والفطور والأُشن تتغذى منها ويساعدها في فعلها ملايين من الحشرات فضلاً عن تأثير الانواء فيها وكل هذه العوامل لا تزال تقطّع الصخرة اليابسة وتنخرها وتفتّتها حتى تعود بعد ردحة من الدهر تراباً يصلح ثانيةً للزراعة والفلاحة وتقوم بدلاً منها اشجار حيّة عوضاً عن الميتة (١

وان سأل القارئ ومن اين اتت تلك الخلايا التي تقاطرت الى الشجرة الميتة اجبنا انها نجمت من خلايا أُخر تطاير بها الهواء ونقلها الى جرم الشجرة فوجدت فيها غذاء لتحيا وتثمر

فهلمَّ ايها المتفلسفون من الماديين الناكرين لوجود الخالق افيدونا كيف انَّ هذه الخلايا مع كونها كلها متشابهة التركيب لا تخرج عن جنسها ونوعها. فلا تأتي خليّة الورد بخليّة الزنبق ولا تثمر حبّة القمح فولاً بل تبقى كل خليّة في خواصها النوعية. فمهما تشدّقتم ومهما لفظتم لا تجدون جواباً على ذلك الّا ان تعودوا الى كلمة الخالق في بدء سفر التكوين لمّا قال الله (تك ١: ١١): «لتنبت الارض نباتاً عشباً يبزر بزراً وشجراً مثمراً يخرج ثمراً بزره فيه بحسب صنفه» (له بقيّة)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني جرجس افندي صفا (*

عودٌ على ما بدأ به في المشرق السنة الخامسة ١٩٠٢ صفحة ١٦٠ في بيان كتبي المخطوطة

١ كتاب ﴿ اجابة السائل الى معرفة الرسائل ﴾ وهو ثمان وعشرون ورقة لم يُذكر فيه اسم المؤلف طولهُ ١٥ سنتيمترًا وعرضهُ ١٢ س اولهُ:

١) راجع كتاب المسيو فابر (Fabre: *La Plante*, p. 38)

*) بينما كنا نسعى بنشر هذه المقالة اذ بلغنا ما أُصيب به جناب مكاتبنا من الخطب الاليم بوفاة نجلهِ برَّد الله كبدهُ ورحم الفقيد رحمةً واسعة

بسم الله الرحمان الرحيم ربّ يسّر يا كريم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمّان الاكملان على سيّدنا محمد خاتم النبيين. (الى ان يقول :) وبعد فقد سألني بعض اخواني ان اضع لهُ اوراقًا في معرفة مصطلح ديوان الانشاء وكتابة الاسرار الشريفة المصونة مما عليهِ العمل بالبلاد الشامية وطرف من مصطلح الديار المصريّة

الى آخر ما كتب في المقدّمة من بيان غرضه من هذا الكتاب ثم ذكر كيف يُكتب للملوك والحكّام والوزراء وغيرهم

ومما ذكره « صورة ما يُكتب الى متولي صرخد وعجلون وحسبان والسلط وامراء كسروان وبعض امراء العرب ومقدمي البلاد كابن الحبيش وابن هلال الدولة مقدم الزبداني والجيّة وابن بشاره مقدم بلاد صفد وابن معن مقدم الشوف (كذا) » وما يكتبون هم لمن فوقهم

ثم ذكر كيف يكتب للعلماء وللعامة والفقراء والزهّاد وما يكتب في الامان والهدنة. وهذه صورة ما ذكر انّهُ يكتب في الهدنة قال : « واما الهدنة فانها لا تكون من نوّاب الممالك وانما تكون من السلطان نفسه لمن اراد هدنة من ملوك الكفّار وتكون الى أجل معلوم يهادن بها احدهما الآخر على نفسهِ وعساكرهِ وبلادهِ ورعاياهُ وما يدخل في بلاده اما على مال يقرّرهُ لهُ على ذلك واما على شيء. واما اذا كان التقرير من الجانبين مواصفةً (١ فليس اثباتها في هذه الورقات من شرط كتابنا وانّما اثبتناها ليستضيء بها المحتاج الى شيء منها وصورته :

هذا ما كان اليهِ واجل (؟) اليهِ مولانا السلطان فلان خلّد الله تعالى ملكهُ وسلطانهُ وشرّف بهِ زمانهُ الملك فلان الفلاني عادنه حين تردّدت اليهِ رسلهُ وتوالت عليهِ كتبهُ واملهُ لمسئلهِ وسألهُ ان يكف عنهُ أسلهُ فرأى سدّد الله آراءهُ انّ الصلح اصلح وان معاملة الله اربح وعادن هذا الملك وبسيّه على نفسهِ واهلهِ وولدهِ ونسلهِ وجميع بلادهِ من مال وجهات وبلاد وعسكر وجنود وجموع وحشود ورعايا في مملكتهِ من المقيم والطاري والسائر بها والشاري هدنةً مدّتها اول هذه الساعة الذاهبة وما يتلوها مدّة كذا وكذا (والعادة ان يحسبوها شمسيّة واشهرًا وايامًا وساعات حتى تستكمل السنين الشمسية المهادن عليها) يحمل فيها هذا الملك فلان الى بيت مال المسلمين والى تحت يد مولانا السلطان فلان قيّم امير المؤمنين في هذه المدة

١) لم اجد هذه اللفظة بالمعنى الذي اراده في كتب اللغة التي عندي كالمغرب والمحيط ومحيط المحيط والمصباح ومختارات الصحاح والتاج واللسان والسامي. والتراجع فانها حريّة ان يُبحث عنها

ويذكر المقرّر ويحرّر ثم يقول:

يقوم جا هذا الملك من ماله (كذا) وما يتكفل عابيه من حزبه اهل بلاده وخراج اعماله (ثم يذكر اقساطه) قياماً لا يحوج معهُ الى تكلف مطالبة ولا الى تناوله بيد منالبة

الى ان يقول:

ويمنع ايدي النهب ويكف الغازي ويمنع الاذى ويردّ من ترح من رعايا هـذا الملك اليهِ ما لم يدخل في دين الاسلام ويشهد الشهادتين ويقرّ بالكلمتين المتادتين

ومنها:

وعليهِ ان لا يكون عيناً للكفّار على بلاد الاسلام وان دنت بهِ او بعدت وان ينهي ما يتجدد عنده من اخبار الاعداء ولو كانوا اهل ملتهِ

الى ان قال:

ويشهد بهِ الحضور في الملكتين. وتؤرّخ بالعربي والسرياني

انتهى ما اخترناه من كتاب اجابة السائل. وفي آخر الكتاب: « نجز الكتاب في رابع شعبان المكرم سنة اربعين وثمانمائة (١٤٣٦م) احسن الله عاقبتها بمنّهِ وكرمهِ »

ويتلو كتاب اجابة الطالب هـذا ﴿ كتابُ كشف المروط عن محاسن الشروط (١ ﴾ « تأليف الشيخ الامام الكامل العالم العامل فريد عصره ووحيد دهره ابو محمد الحسن ابن الشيخ المرحوم النازل بفناء الله المتمسك بعفوه وكرمه زين الدين عمر بن حبيب احسن الله عاقبته في الدارين بمحمد وآلهِ وصحبهِ »

وفي آخره: « وافق الفراغ من هـذه النسخة المباركة نهار الاثنين المبارك رابع عشر جمادي الاولى من شهور سنة اربعين وثمانمائة (١٤٣٦ م) على يد العبد الفقير المعترف بالذنب والزلل محمد بن محمد الزنجي الحنفي عفا الله عنهُ بمنّهِ وكرمهِ وعن جميع المسلمين وغفر الله لمن قرأ فيهِ ودعا لكاتبه بالتوبة والمغفرة » . وهو يبلغ ٦٧ ورقة بخط دقيق في كل صفحة سبعة عشر سطراً أُضيفت الى الكتاب الاول يشتمل

---

١) قال الحاج خليفة في وصفهِ (٥ : ٣١٥) : كشف المروط عن محاسن الشروط للشيخ بدر الدين حسن ابن زين الدين عمر بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ (١٣٧٧ م) اوّلهُ: « الحمد لله القاضي بالحق المتمم بالكتاب المسطور الخ. قال اورد فيه جملة من السجلّات على اصطلاح اهل العصر والشام

على صور شتى مما يكتب في عقود البيع والتعويض والمناقلة والسلم والرهن والتفليس والصلح والشفعة وغيرها من العقود باسرها والوقف والحضانة والوصيّة والنفقات والفروض والمحاضر والمجالس والسجلات والحلف والتفويض والاسناد والاذن وغير ذلك

وفي آخره مجموعة على حدة مضمومة اليه تبلغ ٢٢ ورقة بخط دقيق نظير خط الكتاب السابق تحتوي خطباً متنوعة في النظام منها ما ذكر فيه اسم مؤلفها فمنها لنور الدين (كذا) ومنها لاحمد ابن علي ومنها لابي بكر بن احمد ومنها لمحمد (كذا) ومنها خطبة وقف ومنها خطبة لعمر بن الخطيب ومنها لفتح الدين ولاحمد المالكي ولاحمد الحنفي دون زيادة في تعريف هذه الاعلام . وفيها بعض تعاز وتقاليد حكمية وفيها يمين النواب في القلاع ولا بأس ان نذكر صورة هذه اليمين:

والله وتالله وبالله (ثلاثاً) ووالله العظيم الذي لا اله الّا هو البارئ الرحمن الرحيم الطالب الغالب المدرك المهلك الضار النافع عالم الغيب والشهادة والسرّ والعلانية وما تخفي الصدور القائم على كل نفس بما كسبت والمجازي لها بما احتقبت وحق جلال الله وقدرة الله وكبرياء الله وسناء الله وسائر اسماء الله الحسنى وصفاته العليا انني من وقتي هذا وساعتي هذه وما مدّ الله في عمري اخلصتُ نيتي هذه ولا ازال مجتهداً في اخلاصها واصفيت سريرتي ولا ازال مجتهداً في اصفائها في طاعة مولانا السلطان وخدمته ومحبته وامتثال مراسيمه والعمل بأوامره واني والله العظيم لا اظهر لمولانا ولا لاحد من اولاده واخوته سوءاً ولا غدراً ولا خديعةً ولا مخامرة ولا خيانة في نفسي ولا مال ولا غلال ولا حصون ولا بلاد واني والله ابذل جهدي وطاقتي في طاعة مولانا السلطان وحفظ قلعته ومتى اطلعتُ على ان احداً من المتجرّدين بها خان مولانا السلطان في ماله او قلعته او بلاده او غلاله او اخراج هذه القلعة من يده بمخامرة او مكاتبة انهي امره الى من يوصل ذلك الى مولانا السلطان واجتهد في ابطال ما اعتقده

ومنها:

واني والله في احوال السلطان بهذه اليمين من اولها الى آخرها لا انقضها ولا شيئاً منها ولا استثني فيها ولا شيء منها ولا اخالف شرطاً من شروطها ومتى خالفتها او نقضتها او شيئاً منها او استثنيت فيها او في شيء منها طالباً نقضها فيكون كلما املكه من صامت وناطق صدقةً على الفقراء والمساكين من المسلمين وكل زوجة في عقد نكاحي او اتزوّجها في المستقبل طالقاً على سائر المذاهب وعلي الحج الى بيت الله الحرام بمكة والوقوف في جبل عرفة ثلثين حجةً متوالية متتابعة كوامل حافياً حاسراً وعلي صوم الدهر كله الّا الايام المنهي عن صومها وعلي ان افك الف رقبة مسلمة من اسر الكفار كل ذلك بطريق النذر المضيّق وقته ان خالفتُ هذه اليمين او شرطاً من شروطها واليمين يمين انا فلان ويشهد على ذلك وكفى بالله شهيداً

٢ مجموعة طولها ١٨ سنتيمترًا بعرض ١٢ س تحتوي على شرح لطيف ﴿ للقصيدة الطنطرانية (١ ﴾ التي اوّلها :

يا خليَّ البال قد م بلبتَ بالبَلْبالْ بالْ
بالنوى زلزلتني م والعقلُ بالزلزال زالْ

يتضمن بيان اللغة والاعراب بخط فارسي جميل جدًّا عشر اوراق

ويليه ﴿ شرح نفيس على ابيات ضوء المصباح في النحو ﴾ ١٥ ورقة فيه بيان اللغة ثم الاعراب ثم محلّ الاستشهاد وكلا الشرحين غاية في الضبط واسم المؤلف مجهول. كُتب الشرح الثاني سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م)

ثم ﴿ شرح مسألة الكحل النحوية ﴾ المشهورة وهي عمل اسم التفضيل في المظهر تأليف نجم الدين سعيد اوله : « بسم الله الرحمن الرحيم امّا بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله فيقول المولى المعظم والفاضل المفخم كشّاف المشكلات حلّال المعضلات نجم الملّة والدين شمس الاسلام والمسلمين سعيد ». وهو ١٦ ورقة. ثم قصيدة مثلثة مثل مثلثات قطرب مجهول ناظمها في خمس اوراق اولها بعد البسملة والمقدّمة (٢ :

يقال للماء الكثير غُمْرُ والحقد في الصدر فذاك غِمْرُ
والرجل الجاهل فهو غُمْرُ ليس لهُ خُبْرٌ من الاخبار

﴿ وديوان فخري زاده ﴾ اوله بعد البسملة : « الحمد لله الذي انار بنور الهداية والتوفيق ابصار ذوي البصائر ». اربعون ورقة كُتب سنة ١١٦٤ هجرية (١٧٥١ م) فمن نظمه مدحُ الوزير الافخم والي العراقين الوزير احمد باشا ابن الوزير حسين باشا حين تولى بنفسه الاغارة على الطائفة المسماة بآل قشعم :

اغرتَ مُغارًا فيه اكرمُ مَغنم وحزت فخارًا فيه كلُّ التكرّم
علوتَ متون السابحات على الوغا وخُضت غمارًا دونها عطرُ منشم

---

١) هذه القصيدة الشهيرة قد نشرها العلّامة دي ساسي في كتابه الانيس المفيد (ج ٢ ص ١٠٨) ونقلها الى الفرنسوية وعرّف صاحبها المسمى معين الدين احمد بن الرزّاق الطنطراني من اساتذة المدرسة النظاميه في بغداد في عهد منشئها نظام الملك في القرن الخامس للهجرة

٢) راجع كتاب البلغة في شذور اللغة والقصيدة هناك (ص ١٦٦)

وذكر في ديوانه مراسلات شعرية وردت اليه من بعض شعراء زمانه وما اجاب به فمن ذلك قصيدة ارسلها اليه ابو النجاة صادق بن علي بن الحسن بن هاشم الحسيني الاعرج اولها:

لئن سمحتْ بالمدح منّا القرائحُ فما احدٌ منّا لغيرك مادحُ

ومنها: وان شُدَّ رَحلٌ بالمسير فانما اليك اخو العلياء تُطوى الصحاصحُ

وان احد ادلى من الناس دلوَهُ فما هو الّا من قليبك ماتحُ

وفي آخر المجموعة استغفارة للعلميّ (؟) لاميّة مخمسة:

يا نفس سيري لداعي الحق بالعجلِ يا نفس توبي عن الاسراء والخللِ

يا نفس اياكِ والتسويف في العملِ أستغفر الله من اثمي ومن زللي

ومن وجودي ومن علمي ومن عملي

٣ (مجموعة فلسفيّة) قديمة جليلة وصفها الاب لويس شيخو وصفاً مطوّلاً في مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٧ ونقل عنها احدى مقالاتها . والمجموعة قديمة مكتوبة منذ نحو خمسمائة سنة على الاقل كما يظهر من هيأة ورقها لكنها خالية من التاريخ وهي بخطّ نسخي جليّ وحرف مائل الى الغلظ طولها ٢٣ سانتي وعرضها ١٦ س عدد صفحاتها ٣٦٠ وفي الصفحة ١٧ سطراً . وهي تحتوي على ما يأتي من الرسائل

١ً (رسالة في الاخلاق) هي ٢٥ ورقة ناقصة من اوّلها ومن آخرها . لكنّها معروفة وهي للشيخ ابي زكريا يحيى بن عديّ الفيلسوف النصراني المتوفّى سنة ٩٧٥ للمسيح طُبعت في بيروت مرّة اولى بهمّة المرحوم يوسف الشلفون في المطبعة العموميّة سنة ١٨٩٦ ثمّ تكرّر طبعها في مصر سنة ١٨٩١ . وفي مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت منها نسختان خطّيّتان

٢ً (كتاب ترسيس (كذا) في تدبير المنزل) ورقاتهُ ١٣ . ذكر فيه كيف ينبغي ان يسوس الانسان بيتهُ وماله ويتصرّف مع زوجته وخدمه ويربّي اولادهُ . امّا مؤلفهُ فاسمهُ مُبهم يجوز ان يقرأ ترسيس او نرسيس او برسيس ولعلّهُ نارسيوس الرومي الحكيم الذي ذكرهُ ابن ابي اصيبعة (في طبقات الاطبّاء ١ : ٣٥) في جملة الاطبّاء المشهورين بعد جالينوس انهُ "قدم الاسكندريّة فصار واحداً منهم" . وهذا الكتاب منقول عن اليونانيّة

٣ً (رسالة دامسطيوس) « وزير اليان وهو يوليانوس الملك في السياسة نقلهُ ابن زرعة من اللغة السريانيَّة » والرسالة في سبعة اوراق . موضوعها كيف يجب على الملك ان يسوس نفسهُ ورعيَّتهُ وجندهُ وحشمهُ ومملكتهُ وكيف ينبغي لهُ ان يسعى في سعادتهم . ودامسطيوس (Themistius) من فلاسفة القرن الرابع للمسيح كان وثنيًّا واحد ندماء القيصر يوليانوس المعروف بالمارق (Julien l'Apostat) كان من مفسّري كتب ارسطو . وكتابهُ هـذا في السياسة لم يُذكر في جملة تآليفهِ اليونانيَّة . امَّا معربهُ ابن زرعة فكان من البدعة اليعقوبيَّة واشتهر بترجمة كتب القدماء توفّي سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م)

٤ً (رسالة افلاطون الحكيم) « الى فرفيريوس في حقيقة نفي الغمّ والهمّ واثبات الزهد جواباً عن سؤال كان سبق منهُ اليهِ » . هذه الرسالة في خمس اوراق ولم تُذكر في جملة اعمال افلاطون وانَّما يشبهها بالاسم رسالة من رسائلهِ لا ينطبق محتواها على هذه سمَّاها في مجموعة اعمالهِ (De amovendis animæ curis) ولعلَّها لاحد تلامذتهِ او المنتمين الى آرائهِ . هذا اوَّلها :

« بسم الله الملك الحقّ والاله الصادق بلغات الافتراق المقصود بالاتفاق القديم الذي لم يزل منشئ مبادئ الحركات الاولى خالق الاضداد في الاصلاح والافساد . . . »

وفي آخرها ملحق ورد فيهِ قول فيثاغورس في الفقر والغنى

٥ً (رسالة المعاني لحرمس الفاضل المثلث الحكمة في معاتبة النفس) تستغرق ٣٢ ورقة وهذه الرسالة تُعرف ايضاً بزجر النفس طبعها لاوَّل مرَّة في بونة من اعمال المانية سنة ١٨٧٣ العلامة بَرْدِنْهوِر (Otto Bardenhewer) مع ترجمة لاتينيَّة وشروح . وكرَّر طبعها في بيروت حضرة الخوري فيليمون الراهب المخلّصي سنة ١٩٠٦ . وفي مكتبة الآباء اليسوعيين البيروتيَّة منها ثلث نسخ خطيَّة

٦ً (مختصر من كتاب الاخلاق لجالينوس) في ٢٢ ورقة . الاصل اليونانيّ (Περὶ ἠθῶν) طُبع غير مرَّة (راجع Galeni, *Scripta minora*, ed. Muller. II, p. 31) . ولعلَّ هـذه الترجمة هي التي نسبها ابن ابي اصيبعة لحبيش الناقل النصرانيّ . دونك اوَّلها بعد البسملة :

الخلق حال للنفس داعية الى الانسان ان يفعل افعال النفس بلا روِيَّة ولا اختيار وبيان

ذلك انَّ في الناس قوماً اذا فاجأهم الصوت الهائل ارتاعوا وبُهتوا واذا رأوا او سمعوا شيئاً مضحكاً ضحكوا عن غير ارادة وربَّما ارادوا الامتناع فلم يمكنهم ولذلك فحصت الفلاسفة عن الخلق هل هو للنفس التي ليست بناطقة فقط او بشوب الناطقة منهُ شيء

٧ً (رسالة لجالينوس ايضاً في انَّ قوى النفس توابع لمزاج البدن) هذه ايضاً ملخَّصة عن مقالة يونانيَّة لجالينوس (Id., Muller II, 32-79) وهي في اربع صحائف. وجاء في وصف مخطوطات قصر الاسكوريال في مدريد لمخائيل الغزيري (Casiri, *Bibl. Escur.* I, 255) انَّ هذه الرسالة عرَّبها حبيش ومنها هناك نسخة. وهذا اوَّلها في نسختنا بعد البسملة:

« لمَّا فحصتُ عن اتباع قوى النفس لمزاج البدن مرَّات كثيرة مع معلّمي وبانفرادٍ من نفسي ومع حذَّاق الفلاسفة وجدتُ القول بذلك حقاً وناقماً للذين يريدون زينة انفسهم . . . ومبدأ جميع القول الذي نريد ان نذكرهُ هو معرفة اختلاف افعال النفس وانفعالاتها الظاهرة في الصبيان الصغار وذلك انَّ منهم من نجدهُ صابراً ومنهم جريئاً ومنهم شرهاً ومنهم خلاف ذلك . . . فقوى انواع النفس الثلاث واجزاؤها الثلثة في الصبيان بالطبع مختلفة . . . »

٨ً (رسالة لجالينوس ايضاً في الحثّ على تعلُّم الصناعات والعلوم) مختصرة في ورقتين وهي في الاصل اليوناني ١١ ورقة طبعها مركردت (Marquardt) في جملة مقالات جالينوس (Galeni, *Scripta minora* I, 102-129). فمن قولهِ في المقدِّمة :

« . . . فانَّ (الانسان) وحدهُ لهُ قبول تعلُّم الصناعات الكثيرة واستعمالها واكثر الحيوان غير الناطق لا يعاني شيئاً من الصناعات وما كان منهُ يعاني صناعةً ما فانَّما يعانيها بالطبع لا بالارادة والانسان لا يفوتهُ معرفة شيء من هذه فانهُ يشارك العنكبوت في النسج والنحل في البناية ومع هذا لا يفوتهُ ما يعانيه المتألِّهون كالطبّ والكهانة واشفاء المرضى والإخبار بما تحت الارض وفوق السماء »

وممَّا جاء فيها قولهُ بعد ان اوضح انَّ العلم افضل من المال :

« كيف لا يفهم محبُّو المال انَّهم انَّما يؤثرون ويختارون من الحيوان الذي لا خلق له ما كان فيهِ فضيلة ما تأديبيَّة كالخيل التي قد عُلِّمت جودة المشي والعَدْو وسرعته . والكلاب والطيور التي قد عُلِّمت الصيد فانَّ هذا آثر عند الناس من باقي الخيل والكلاب والطيور التي لم تؤدَّب . وهؤلاء يعلِّمون عبيدهم الصناعات وقد يعلِّمونهم بعض الآداب العلميَّة وينفقون عليهِ مالاً ويخدمونهم ليُحصِّل مال كثير وينفلون امور نفوسهم حتى يصير العبد بصناعتهِ العمليَّة او العلميَّة يساوي الآلاف من الدراهم وسيِّدهُ لو صار عبداً لم يساوِ مئة لمدمهِ ذلك ولا بعض الف درهم ولا درهماً واحداً بل قد نجد هذا الرجل لا يرضى احد ان يأخذهُ مجاناً »

٩ (كتاب التفاحة لسقراط وهو غير كامل والموجود منهُ عشر صحائف . هذا الكتاب ينسبهُ البعض لارسطاطاليس (Wenrich: *de auctorum græcorum versionibus*) وما يؤخذ من نصوص نسختنا اولى بسقراط اذ ورد فيها ما يشير الى اقوال سقراط قبل موتهِ لمَّا اضطرُّوهُ الى شرب السمّ . وقد نقل هذا الكتاب ابراهيم بن حسداي الربّان اليهودي عن العربيَّة الى العبرانيَّة . وهذا ما ورد في اوَّل الكتاب بعد البسملة :

مختصر كتاب التفَّاحة لسقراط

ذُكر انَّ سقراط الفيلسوف لمَّا حضرتهُ الوفاة اجتمع اليهِ اصحابهُ فرأوا منهُ علامات الموت ما يئسوا بهِ من حياتهِ وظهر لهم منهُ من السرور وصحَّة العقل ما طمعوا لهُ في ان يكون يحسّ من نفسهِ سوى ما ظهر لهم . فسألهُ تلاميذهُ عن ذلك فقال : انَّ الذي يظهر لكم من سروري ليس من طمع مني في الحياة بل من ثقة مني بالروح بعد الموت . فقال تلميذهُ : عرِّفنا لكي نثق نحن ايضاً اذا سلكنا سبيلك ونتعزَّى في امرك . قال : اني لمتكلّف لكم الكلام ولكني بادئ بهِ فاسمع (كذا) من رفيقك فاني أراهُ جمَّ بالكلام . فقال هذا التلميذ الآخر : اني وان كنتُ راغباً في استخراج الكلام منك أيها المعلّم الناصح فانهُ يقبضني عن ذلك ان الطبيب الذي سقاك الدواء امرني ان اتركك تُقلّ الكلام . فقال سقراط : اني تارك رأيهُ ودواءهُ ومكتفٍ من الادوية والاقرات بريح تفَّاحة تمسم نفسي ريثما اقضي حاجتكم وكيف ادع الكلام لاجل الدواء وافضل ما رجوتُ بهِ القوَّة على الكلام فيها . ثم اخبروني أموقنون انتم بفضل الفاسفة التي سمعناها حبّ الحكمة ام لا . قالوا : ما زمناها الَّا لطلبنا بفضلها . قال : أفي الدنيا ذلك الفضل ام في الآخرة . قالوا : اذ رأينا غير اهلها افضل في الدنيا عيشاً من اهلها فقد اضطرَّنا الرأي الى ان نرجو ذلك لها في الآخرة . قال : فاذاً ان كرهتم الموت الذي هو السبيل الى الآخرة فقد كرهتم ما فيهِ الفضل لكم ورضيتم ما فيهِ الضرر عليكم وانكم احقَّاء ان تنظروا ما هذا الموت المكروه عند العامَّة هل تجدونهُ غير مفارقة الروح للجسد . قالوا : لا . . . »

١٠ (رسالة من كلام جمعهُ حنين بن اسحاق من آراء ارسطوطاليس في انَّ الضوء ليس بجسم) للقيم بن هلال الطائي . رسالة في خمسة اوراق . وهي التي نقلها من هذه المجموعة الاب لويس شيخو ونشرها مع ترجمتها الفرنساويَّة في مؤتمر المستشرقين في باريس (Congrès des Orientalistes de Paris, 1897, III, 129-142) . فجامعها حنين بن اسحاق هو احد مشاهير نصارى السريان ونقلتهم المبرّزين توفي سنة ١٦٠ للهجرة (٨٧٤ م) امَّا القيم بن هلال الصابي فعاش بعد حنين

بزمن قليل وتوفي سنة ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) . وفي هذه الرسالة ما ينطق بفضل ارسطاطاليس وعقله الثاقب وسعة معارفه الطبيعيّة

١١–١٩ (رسالات أخر) بقيّة هذا المجموع في نحو ٥٠ صحيفة تحتوي قطعاً من تسع مقالات ذهبت باكثرها ايدي الضياع فجُمع منها ورقاتها الباقية. فالاولى قطعة من مقالة لعليّ بن ابراهيم الكنرطاليّ في التشريح — والثانية قطعة من رسالة في ستة اوراق لا يُعلم صاحبها وهي تتضمّن كلاماً على طريق الفلسفة في الشرائع والسياسة ولعلّها للفارابيّ — والثالثة قطعة من كتاب الثمرة لبطليموس شرح احمد بن يوسف الكاتب (Cfr *Wenrich*, p. 231) معروفة ومنها نسخٌ خطيّة متعدّدة — والرابعة قطعة فلسفيّة في الكليّات — والخامسة قطعة من كتاب الاخلاص اختصار الاسكندر افرودوسي (كذا) — والسادسة قطعة في الآداب — والسابعة قطعة من قصّة برلام ويوشفاط — والثامنة قطعة من كتاب تدبير المتوحّد لابي بكر ابن الصائغ الشهير بابن باجّة — والتاسعة الاخيرة قطعة من كتاب الملّة للفارابيّ. وافضل ما في هذه القطع القطعة الثامنة لابن باجّة (Avenpace) احد كبار فلاسفة المسلمين في الاندلس المتوفّى سنة ١١٣٨م وقد فضّله البعض على ابن رشد وكان بينهُ وبين الوزير الفتح ابن خاقان عداوة ولذلك يخصّ حطّهُ في كتاب قلائد العقيان ونسبهُ الى الكفر والالحاد. وقد اطرأ غيرهُ في ذكره ومدحوه. وعلى الاخص ابن ابي اصيبعة الذي نعتهُ بأوحد زمانهِ في العلوم الحكميّة واعجوبة دهرهِ وقال: « انهُ لم يكن بعد ابي نصر الفارابي مثلهُ في الفنون التي تكلّم عليها » وقد فسّر ابن باجة كتب ارسطو وتتلمذ لهُ كثيرون منهم القاضي الوليد محمد الشهير بابن رشد. وقد ذكر ابن ابي اصيبعة كتاب تدبير المتوحّد الذي نحن في صددهِ وقال انهُ بدأ فيهِ ولم يكملهُ. وهذا اوّل الكتاب كما في نسختنا:

نبذة من كتاب تدبير المتوحّد

قال ابو بكر ابن الصائغ: تقال لفظة التدبير على ترتيب افعال نحو غاية مقصودة ولهذا يطلقون على الاله اسم مدبّر العالم. وهذا قد يكون بالقوّة وقد يكون بالفعل ودلالتها على ما يكون بالقوّة اكثر واشهر لان هذا الترتيب يختصّ بالفكر الانساني. وقد يقال التدبير بعموم لكل افعال الانسان وبخصوص على ترتيب المدينة والمنزل وبعض التدبير يتقدّم على بعض في

الشرف فتدبير الاله هو التدبير المطلق وهو التدبير الاشرف. والتدبير ينقسم الى صواب والى خطإ...

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٤ العراق – شط العرب – خليج العجم

كانت الباخرة التي ركبناها لشركة انكليزية تُدعى تِغرس (Tigris) اي دجلة وهي تنتقل بين بغداد والبصرة ولا تصلح للخوض في البحار لاستواء قعرها. واذا قلّت مياه النهر سارت سيرًا بطيئاً لئلّا تصدم بقاعهِ فترتطم. وكانت الامطار لحسن طالعنا قد اعلت سطح النهر فقطعنا المسافة التي تفصل بغداد من البصرة بيومين ونصف ولا تُقطع عادةً باقلّ من اربعة ايّام وهذه المسافة نحو اربعمائة كيلومتر

ركبنا السفينة في مساء يوم الثلاثاء ٣ ك ١ امّا موعد السفر فكان في سحر اليوم التالي. وكان بعض الآباء المرسلين تلطّفوا فرافقونا ليشيّعونا واوصلونا بعض تلامذتهم القدماء من موظفي السفينة وكذلك ارسل سيادة المطران اغناطيوس نوري كاهنين من كهنتهِ ليقرئانا الوداع فشكرنا الجميع على ما اظهروهُ نحونا من الانس ومزيد الحفاوة. ثم قضينا قسماً من تلك الليلة في السَّمَر في صحبة العمّال وبعض ادباء البغاددة المتحدرين معنا الى ولاية البصرة

وفي غلس يوم الاربعاء اقلعت السفينة فجرت في اواسط دجلة وجرت جريًا حثيثاً لكنهُ ليّناً لا يكاد يحسُّ بهِ الراكب فكنّا نرى ارباض بغداد وفيها ما فيها من انواع المزروعات تميس في وسطها اشجار النخل بسعفها موسوقة بشماريخ التمر وعذوقهِ الضخمة. ودجلة في هذا المكان تقترب من نهر الفرات حتى لا يبقى بينهما مدًى واسع فيُخصب كلا النهرين ما بينهما من الاراضي التي تُعَدّ من اجود تُرَب المعمور فهناك تزرع صنوف الغلّات والارزّ والقطن وقد نظم القدماء تلك الجهات في عداد جنائن الارض بل عدُّوها من جنّات عدن . ولولا ما استولى على سكّانها

من خمود الهمّة في القرون الاخيرة لدرّت لبناً وعسلاً كفلسطين واكثر منها (١. والامل معقود اذا أُصلحت القنيّ القديمة وانتظمت اعمال الريّ التي عرضها ولكوكس ووصفها جناب تلميذ كليتنا المهندس لدمونْ افندي بشارة (في المشرق ١٢: ٣٥٣) على ان عمرانها السابق يعود اليها

وفي ضحى النهار رأينا عن بعد في ضفّة النهر الشمالية ابنيةً ضخمة اخذت تتجلى شيئاً فشيئاً للعيان واذا هي قنطرة عظيمة مبنية بالآجرّ يبلغ علوُّها نيفاً وثلاثين متراً وبقربها بقايا قصر ذي اربع طبقات يرتفع فوق اربع قناطر أُخر فكنّا نعاين نوافذهُ وأُطرهُ ورواشنهُ واروقتهُ وجدرانهُ ونقوشهُ ولا تشبع العين من رؤية زخارفهِ. فتلك انقاض طاق كسرى او ايوان كسرى الذي تكرَّر ذكرهُ في تاريخ الفتوحات الاسلامية وقد خصَّهُ حضرة الاب انستاس الكرملي بوصف ولسع دوَّاهُ في اعداد السنة ١٩٠٢ من المشرق (٥: ٦٧٣ و ٧٨٠ و ٨٣٤) فافاد واجاد ولم يبقِ لنا مجالاً للمزاد. فهناك كانت مدينة طيسفون (Ctésiphon) الشهيرة حاضرة ملوك العجم الاكاسرة من الدولتين الاشكانية ثم الساسانية. وكان بازائها مدينة أُخرى اقدم عهداً تُدعى سلوقية بناها على ضفّة دجلة اليمنى او الغربية سلوقوس نيكاتور احد قوّاد الاسكندر في اوائل القرن الثالث قبل المسيح. وكان العرب يدعون هاتين المدينتين وبعض المدن المجاورة لها بالمدائن وبقيت المدائن عامرةً يقيم فيها جاثليق النساطرة الى ان غلب عليها تمرّ بغداد فدخلت في خبر كان

ومن الآثار الباقية قريباً من هناك جامع صغير امكنهُ قديم ولطيف البناء شيَّدهُ المسلمون لذكر سلمان بالك اي سلمان الطاهر من اصحاب نبيّهم وهو المعروف بسلمان الفارسيّ كان زاهداً وقيل راهباً نصرانياً نسطورياً اسلم فتولّى عمل المدائن وكانت وفاتهُ سنة ٣٦ هـ (٦٥٧ م) ويزعمون انهُ عاش ٢٥٠ بل ٣٥٠ سنة (كذا).

ولنهر دجلة بعد ذلك تعاريج وليّات عديدة يبتعد فيها عن الفرات بعد اقترابهِ منهُ وهي تعرّض السفينة للارتطام ولذلك كان قائماً على جانبَيْ مقدَّمتها نوتيّان لا يزالان يسبران قعر النهر فيعلمان الربّان بنتيجة سَبرهما

ثم وصلنا الى العزيزيّة وهي بلدة صغيرة على ضفّة دجلة اليُسرى اصبحت منذ

(١) اطلب مقالة الاب انستاس في حالة بغداد التجاريّة والزراعية (المشرق ٨: ٣٤١)

سنة ١٨٨٤ مركزاً مهماً بفتح ترعة جادي واستثمار منجم من الملح المعدني هناك وفيها يقيم اليوم قائمقام السنجق وقد صار اقبال اهلها على الزراعة فزادت الغلات زيادةً مذكورة. وكان على يميننا سنجق الحلّة حيث كانت بقرب الفرات بابل القديمة التي استخرج الاثريون كثيراً من عاديّاتها. وهناك بقايا برج نمرود حيث يُروى ان بني نوح شيّدوا ذاك الصرح العالي الذي فيه تبلبلت السنتهم. واخربتهُ الباقية في يومنا تبلغ ١٢٩ قدماً في العلوّ و١٥٨ في الطول و١١١ في العرض. امّا الحلّة فمدينة وسطى اهلها ٣٠,٠٠٠ وتُعرف بحلّة بني مزيد موقعها في ارض بابل. قيل انّ اوّل من اختطّ منازلها وعظّمها سيف الدولة صدقة بن دبيس بن عليّ بن مزيد الاسديّ سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م)

ووراء هذا السنجق سنجق كربلاء حيث مدينة كربلاء والنجف مزاريّ الشيعة كما سبق وهناك كانت قديماً على الفرات او بعض شعبهِ مدن شهيرة كالحيرة حاضرة بني المنذر والكوفة الشهيرة بنُحاتها والانبار حيث اقام بنو عبّاس مدّةً قبل بناء بغداد والقادسية حيث كانت المعركة العظيمة التي ابادت ملك الاكاسرة وفتحت العراق للمسلمين في أيام عُمر بن الخطّاب. وتلك الجهات كلها ذائعة الشهرة جرت فيها وقائع تشيب لذكرها الاطفال منذ عهد الدول الاولى التي ظهرت على الارض الى زمن دولة الاتراك. وفيها يدخل سواد العراق الذي افاض قدماء الكتبة بوصف خصبهِ ووفرة غلّاتهِ وزيادة خيراتهِ

في صباح الخميس ٥ ك ١ ارست سفينتنا ساعةً عند كوت الامارة وهي مدينة صغيرة اكثر اهلها مسلمون شيعيّون وهي احدى اقضية بغداد ومركز لقائمقام. قيل انّها دُعيت قديماً باسم امير على قبيلة ربيعة كان يدعى بكوت. ولعلّ كوت هذه قامت بعد خراب مدينة كانت هناك في وسط الطريق بين البصرة وبغداد على الجانب الغربيّ من دجلة عُرفت بواسط واشتهرت في القرون الاولى من الاسلام بكثرة بساتينها ومياهها وغلّاتها وقصورها فاخفى عليها الدهر

*

وفي ظهر النهار بلغنا حدود ولاية بغداد ودخلنا ولاية البصرة وكنّا في جانبي النهر منازل وخياماً تسكنها قبائل من العرب فكان صغارهم اذا رأوا سفينتنا

تراكضوا اليها واغلبهم في أسمال رثة او لا يستر عريهم ثوب فيصرخون طالبين البخشيش فكان ركاب السفينة يلقون في النهر قطعاً من الخبز او دريهمات فيتهافت الصغار للحال ويرمون بنفسهم في الماء فيلتقطونها او يغوصون الى قعر النهر فيستخرجونها. وكلّ هذه نواحي العراق يكثر فيها العرب وهم من قبائل شتى (١ اكثرهم عدداً قبيلة المنتفك قيل ان عدد خيمهم ٧٠,٠٠٠ ونفوسهم ٣٥٠,٠٠٠ وكان اميرهم منصور يُدعى بسلطان البرّ وهم يسكنون ولاية البصرة في السنجق المنسوب اليهم وكلهم شيعيّون . ومنهم بنو لام على حدود ولايتي بغداد والبصرة في جهات العمارة عدد خيمهم ٢٤,٠٠٠ والنفوس ١٢٠,٠٠٠. ومنهم بنو دُلَيم خيمهم ٤٤,٠٠٠ والنفوس ٢٢٠,٠٠٠ في غربيّ ولاية بغداد. ومنهم بنو عنزة وعددهم يبلغ نحو ٥٠٠,٠٠٠ لكنهم متفرّقون في العراق والجزيرة والشام ومثلهم بنو شمّر الذين يبلغون ١٨٥,٠٠٠ وعدد خيمهم ٣٧,٠٠٠ وبنو طيّ البالغ عدد خيمهم ١٧,٠٠٠ ونفوسهم ٨٥,٠٠٠. ومن قبائل العراق الشهيرة بنو خزاعة او الخزاعل الذين عرّفهم في المشرق سنة ١٩٠٧ (٥ : ١٢٨ ; ١٦٣ ; ٢٠٦) حضرة الاب انستاس الكرملي وكذلك بنو عُبَيد

ولهؤلاء الاعراب عادات يمتازون بها في احوالهم وتدابيرهم السياسيّة والادبيّة تحت قيادة امرائهم او شيوخهم لم يكادوا يخالفونها منذ اجيال عديدة ومعاشهم غالباً من رعية المواشي. وبينهم اهل الحضر الذين يرتزقون بالفلاحة

اوّل مدينة لقيناها في ولاية البصرة عمارة وهي مركز قضاء يقيم فيها المتصرف وتحتها ثلاثة اقضية. ومدينة عمارة حديثة البنيان يرتقي اصلها الى سنة ١٨٦٠ حيث ظفر الفريق محمّد بك الدياربكرلي بقبائل العرب التي كانت هناك وابتنى ثكنة لجنود الدولة فجاء قوم من البصرة وبغداد فسكنوا في جوارها وعدد اهلها اليوم نحو ١٢,٠٠٠ وهي طيّبة الهواء. وقد انشأ فيها المرسلون الكرمليّون دار رسالة ومعبداً ومدارس فيبلغ اليوم فيها عدد الكاثوليك قريباً من الالف (راجع مقالتنا رسولا الخير العام في مدينة السلام في المشرق ١٥ : ١٦٩ و ١٧٢)

---

١) اطلب كتاب المرحوم حبيب شيحا في بغداد (H. K. Chiha: *La Province de Bagdad*, p. 234-250)

وسنجق عمارة يبلغ خصباً غريباً لطيب تربتها وكثرة القنيّ والمنّيات التي تجري فيها مياه الريّ فتسقي نواحيها حتى انّ محصولاتها الزراعيّة كادت تبلغ ٢٠٠,٠٠٠ طنّ لولا انّ قسماً من تلك المياه تستنقع في بعض البطائح فتتولّد فيها الحشّيات الخبيثة التي اشتهرت بها ولاية البصرة وتنقل جراثيمَ تلك الحشّيات ضروبٌ من البعوض وهم يدعونهُ البقّ فدعوا مستنقعات البصرة بأمّ البقّ لكثرة هذه الحشرات فيها

وكذلك عُرف في سنجق عمارة وما يليها من سنجق المنتفك قومٌ كثرٌ فيهم القال والقيل زيديهم الصابئة او المندائيّون وفي المشرق في اعداد سنيه الثلاثة ١٩٠٠—١٩٠٢ مقالات مستفيضة لحضرة الاب انستاس الكرملي في تعريف هذه الشيعة الغريبة واصلها وفصلها وتعاليمها فلتراجع . وهم يسكنون في جوار دجلة لما قُضي عليهم من الاغتسالات المتعدّدة في الاسبوع وقيل انّ عددهم لا يتجاوز من عشرة آلاف الى ١٢,٠٠٠ نفس

وفي سنجق المنتفك في القضاء المعروف بشطرة العمارة كانت مدينة لاكاش احدى حواضر قدماء الكلدان الذين سبقت دولتهم مملكة الاشوريين . وهذه المدينة الجليلة لم يبقَ منها سوى اخربة تُعرف باسم تلّو فاحتفر فيها المسيو دي سرزك (de Sarzec) والكبيتان كُرو (Cne Gros) الحفريات التوالية التي اوقفتنا على اقدم آثار تلك الدولة فنُقل منها قسم كبير الى متحف اللوفر في باريس . وكذلك الانري الانكليزي القنصل تلّر (Teller) استخرج دفائن ثمينة من التلّ المعروف بابي شهرين واحتفر الالمان زرگلي وكلها في قضاء شطر العمارة . وهناك اخربة المُقيّر التي اجروا فيها الحفريّات وتعرّفوا منها انّها مدينة اور الكلدانيين موطن ابراهيم الخليل المذكور في سفر التكوين (١١ : ٣١) وقيل انّ فيها كان مولدهُ . وزعم البعض انهُ ولد في اركَ المعروفة اليوم بالوركاء من مدن العراق (اطلب وصفها في المشرق ٦ : ٤٥٤ للاب انستاس الكرملي)

في رأد الضحى من يوم الجمعة ٦ ك ١ مررنا بقرب جامع لليهود وأبناء من عن يمينا يدعونهُ نبي عُزَير ويدّعون انّ فيه قبر عزرا الكاهن صاحب السفر المنسوب اليه في التوراة وهم يحجّون اليه من كل صوب ويعظمونهُ وقد ابتنوا حولهُ بعض الخانات والمنازل لاهل نحلتهم

وفي منتصف النهار بلغ بنا السير الى القرنة وهي مدينة صغيرة حديثة البناء اتخذتها الدولة العليّة لمراقبة حركات العجم المجاورين لتلك الناحية . واسمها القرنة اشارة الى اقتران دجلة والفرات عندها فيبتدئ منها ما يدعونهُ بشطّ العرب . ومن القرنة الى خليج العجم تستطيع السيرَ السفنُ التجاريّةُ الكبرى التي لا تتجاوز عادة مرسى البصرة اذ يبلغ عرض النهرين نحو الفي ذراع في عمق سبعة او ثمانية امتار . والتقاليد المحليّة تزعم انَّ الفردوس الارضيّ كان هناك وأرونا شجرةً كبيرة من جنس البذر كثيفة الاغصان صفراء الزهور ادَّعوا انَّها شجرة معرفة الخير والشرّ المحكيّ عنها في سفر التكوين (٢ : ١٧) . وفي القرنة يجري كلّ يوم مدُّ البحر وجزرُهُ فانَّ بحر الهند المتَّصل ببحر فارس يمدُّهُ ويجزرهُ وبحر فارس يُصعد مياه شطّ العجم ويهبط بها . واذا صعدت المياه سقت للقاطعات المرتفعة فوق الارصفة من البصرة الى القرنة . والقرنة هذه مشهورة بانسجتها الناعمة منها الأعبية الرقيقة الغالية الثمن المعروفة بالخاشيّة

وبعد قليل اندفع مركبنا ايسير شوطهُ الاخير فوصل في اصيل النهار الى البصرة فارسى في الحوض الذي تجري اليه مياه شطّ العرب بازاء المدينة او بالحري بازاء ابنية مرفأ البصرة لانَّ المدينة تبعد عن الميناء نحو خمسة اميال . وكانت في المرسى سفينة اسمها جاوة (Java) من احدى الشركات الانكليزيّة (British India Steam Navigation C°) على وشك السفر الى بمباي فنزلنا محلّ الشركة في المدينة لقطع اوراقنا واذا بالمحلّ مقفل فزرنا الوجهاء من آل الاصفر من اقارب بيت الاصفر في بغداد ثمَّ عدنا راجعين وانتقلنا الى الباخرة جاوة فقطعنا فيها اوراق سفرنا

وكان بودّنا ان نتجوَّل في المدينة مع شهرتها في تواريخ العرب غير انَّ بعض رفقتنا الذين كانوا يعرفونها حقّ المعرفة افادونا انَّ البصرة الحاليّة ليست بصرة العرب فانَّ الحاليّة حديثةٌ ليس فيها ما يستحقّ الذكر . فاهلها نحو ٢٥٠٠٠ معظمهم المسلمون وبينهم نحو الفي ارمنيّ غريغوري ونحو الف كاثوليكيّ وللآباء الكرمليين دارٌ في البصرة يسكنها غالباً احد مرسليهم ويدير مدارسها ويخدم نصارلها وكذلك للكلدان كنيسة ورعيّة تحت نظارة احد كهنة المنوط بالكرسيّ البطريركيّ .

والمدينة ضيقة الارجاء وسخة يتزاحم فيهـا اهلها وتكثر فيها الاوبئة . وانما اتخذ والي البلد وحاشيته والقناصل واصحاب الاعمال التجارية لهم مقاماً اصلح واقرب الى الشط منذ زمن مدحت باشا فبنوا فيه الدور الواسعة والمعاهد الفسيحة

امّا بصرة القديمة فتبعد عن الحالية نحو عشرة اميال في جوار قبر زُبَير الصحابي وبه تُدعى . وكان بانيها الخليفة عُمر في مكان مدينة اخرى قديمة في السنة ١٤ للهجرة (٦٣٦ م) واشتهرت بعد ذلك بتجارتها وبلغ عدد اهلها نحو مئتي الف وفيها كان النحاة البصريّون الذين نازعوا فئة الكوفيين في آرائهم اللسانيّة في القرون الثلاثة الاولى للاسلام لكنّ تلك الحركة خمدت بعد ذلك وقد اخبر ابن بطوطة في كتاب رحلته كيف انهُ سمع خطيب البلدة يلحن في خطبة يوم الجمعة . ثمّ خربت بعـد ذلك وقد بقي من آثارها سورهـا القديم مع شرفاته وابراجه . وزُبَير التي خلفتها قريةٌ يبلغ اهلها نحو ٥٠٠٠ نفس وحولها مزارع ومباطح اشتهر بطيخها

وليس بعيداً منها تلّ احتفرهُ الاثريّون ووجدوا فيهـا عاديات ترتقي الى عهد الدولتين الاشوريّة واليونانيّة فاستدلّوا بهـا على ان هناك كانت مدينة طريدون (Térédon) التي اتخذها نبوكدنصّر كرفا لجنوبيّ مملكته وكان البحر يمتدّ اليها وهو اليوم بعيد عنها

والبصرة في زماننا واسعة المتجر تبلغ قيمة صادراتها السنويّة ما يساوي نحو ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وغنى البصرة بمحصولات غلّاتهـا ولا سيما تمرها الشهير الذي تبلغ اصنافهُ فوق السبعين صنفـاً ويصدرون منهُ نيّفاً وخمسين الف طنّ وذلك من البصرة وحدها . امّا ولاية البصرة فيبلغ مجموع تمرها نيّفاً ومليوني طنّ

ومن صادرات البصرة الملح فانّ هناك ملّاحات واسعـة كملّاحات حمدان والكويت وغيرها وملحها من اجود الاصناف قيل انّ ملّاحة حمدان تتّسع نحو ١٨ كيلومترًا مربّعاً ولو شاؤوا لاستخرجوا منها في السنة الفَ الفِ كيلو من الملح

وفي ولاية البصرة ايضاً كانت قديماً غابات واسعة تأوي اليها ضواري الحيوان بقي منهـا الى اليوم ذئاب وسباع وخنازير البرّ وحمار الوحش والنعام وقليل من الاسود والسباع . وكثيراً ما ورد ذكر الاسود في تواريخ العراق وعرب المنتفك يصطادون بعضها الى يومنا في سنجق نجد اللاحق بالبصرة قيل انّ بنات شيوخهم

كنَّ اذا خطبهنَّ احد لا يرضين به زوجاً الَّا اذا قتل اسدًا واتى برأسه الى خطيبته كمهر واجب للاقتران بها

سارت سفينتنا جاوة في سحر يوم السبت ٧ ك ١ متَّجهةً الى مصبّ شطّ العرب في بحر فارس والمسافة من البصرة اليه نحو تسعين كيلومترًا . وكانت السفينة غاصّة بالركّاب اكثرهم من اهل الشيعة قدموا من العجم والهند الى النجف وكربلاء ليزوروا مشاهد اوليائهم وهم اليوم عائدون الى بلادهم . فسنحت لنا الفرصة بان ندرس طباعهم فكانوا يقضون نهارهم في الحديث وشرب الشاي وتدخين النرجيلة وفي خدمتهم عبيدٌ لا شغل لهم الَّا إعداد اكلهم وشربهم وكان طعامهم لا يكاد يختلف كلّ يوم وهو الخبز والارزّ يؤدمونهُ بادام اصفر مركَّب من الخردل والافاويه يدعونهُ الكاري وكانوا اذا انتهوا من اكلهم تبعتهم نساؤهم وهنَّ غير محتجبات فيأكلنَ بعدهم ثمَّ يأكل الخدَم . واهل الشيعة لا يسمحون لذميّ ان يمسّ طعامهم وان فعل كسروا الآنية التي اكل او شرب منها . وكنَّا نسمع لغَط تلك النسوة وجلبتهنَّ طول النهار الَّا في اوقات الصلاة فكان الرجال يجتمعون من جهة والنساء من جهة اخرى وكلّ فئة تتغنَّى بالسور القرآنيَّة على نغمة تطرب منها الآذان . واكثر هؤلاء العجم يقرأون القرآن وهم لا يفهمون معناهُ اذ لا يعرفون العربيَّة فكانوا اذا كلَّمناهم بهذه اللغة يعجزون عن الجواب ويكرمونا لمعرفتها

وصلنا بعد مسير ساعة الى مدينة المحمَّرة وهي مدينة حديثة على ضفَّة شطّ العرب الشماليَّة وهي خارجة عن حدود تركيَّة تخصّ العجم . وكانت هذه المدينة خاملة الذكر الَّا انَّ الانكليز منذ نحو عشرين سنة جعلوها مربطاً لسفنهم وعندها يصبّ في شطّ العرب نهر كارون . فالسُّفن الانكليزيَّة نالت الرخصة من دولة العجم بان تقطع النهر فتبلغ الى الاهواز حيث تُفرغ سلعها التجاريَّة التي تنقلها من هناك مراكب صغيرة الى شُشتر حتى اصفهان . فصارت بذلك المحمَّرة مركزًا تجاريًّا هامًّا وزاد نفوذ الانكليز في جهات فارس

وفي ظهر النهار وصلنا الى مصبّ شطّ العرب في الخليج العجميّ فتختلط مياههُ العذبة بالماء الملح . وهناك على العدوة اليمنى بلدة فاو وهي عبارة عن قلعة للدولة العليَّة تحرسها فرقة من الجند وحولها بعض ابنية للجمرك والتلغراف وبيوت

قليلة لعرب تلك الناحية مع بعض الاشجار التي تظلّلها . وللانكليز في فاو مركز تلغرافي متصل بالهند ويمتدّ من فاو برًّا الى الاستانة ومنها الى اوربا . وقلعة فاو شيّدها الاتراك لمراقبة حركات الانكليز في تلك الجهات ولمزاحمة تجارة العجم في المحمرة . وعند مصبّ شطّ العرب كانت قديماً مدينة عبّادان التي خربت اليوم كان يسكنها على ما قيل عرب النصارى المعروفين بالعباديين فسُمّيت باسمهم عبادان

وقد تأكد الاثريّون انّ بحر العجم كان يتّصل في القرون السالفة الى جهات بغداد فالنهران دجلة والفرات لم يزالا يأتيان بتربة يسحبانها في سيرهما حتى تكوّنت بها اراض جديدة غاية في الخصب

ولم نُطل الاقامة في فاو فسرنا في خليج العجم الذي يفصل بلاد فارس عن جزيرة العرب . فمررنا في مساء النهار قريباً من قضاء الكويت من اقضية ولاية البصرة التي يتولّى شؤونها الشيخ مبارك الصبّاح فكاد ان يستقلّ بتدبيرها وتدبير نواحيها بمساعدة الانكليز . ولحضرة الاب انستاس في المشرق سنة ١٩٠٤ (٧ : ٤٤٩ ؛ ٥٠٧) مقالة مستجادة في الكويت وكائنة احوالها لولا انّ مراقبة المطبوعات في ذلك الوقت اسقطت منها قسماً كبيراً

اصبحنا في غد ونحن خائضون بحر العجم وكان ذلك اليوم موافقاً للاحد ٨ ك ١ وفيه عيد الحبل بالعذراء مريم بلا دنس فنصبنا مذبحنا النقّال في احدى غرف السفينة التي تلطّف ربّانها وسمح لنا بها وقدّمنا الذبيحة المقدّسة ذكرًا لتلك التي تدعوها الكنيسة كوكب البحر وكان البعض من ملّاحي السفينة اصلهم من البورتغال وهم يدينون بالدين الكاثوليكيّ فدعوناهم لاستماع القدّاس فاجابوا بارتياح الى دعوتنا واظهروا من التقى ما اوقفنا على حسن ايمانهم

وبعد طلوع الشمس بمدّة ارست سفينتنا عند مدينة من العجم اسمها بوشهر قضينا امامها بقيّة يومنا . وبوشهر هذه مدينة تجاريّة ليس فيها ما يستحقّ الذكر لكنّ تجارتها واسعة لكونها فرضة شيراز والسفن الانكليزيّة تتردّد اليها من الهند فتُنقل منها محصولات العجم . ومنها أجرَ معنا سائحان الماني كانا تجوّلا في جهات العجم وكان قصدهما ان يعودا الى اوربّة على طريق بغداد وما بين النهرين لكنّهما اذ سمعا بما جرى هناك من الفتن عدلا عن طريقهما فقصدا الهند . وكذلك ركبت

السفينة سيدة انكليزية تدعى مس تنر (Miss Tanner) كانت قطعت وحدها اقطار العجم مع خادمة وطنية لتؤلف كتاباً عن تلك البلاد

ومن بوشهر عادت سفينتنا مغربة فقطعت عرضاً الخليج العجمي الى جزائر البحرين وهذه الجزائر يقطنها نحو خمسين الفاً من العرب يرتزقون كلهم من صيد اللآلئ . وكان موسم صيد اللؤلؤ قد انتهى يوم وصولنا وهو يدوم من اواسط نيسان الى اواسط تشرين الاول . وقد وصف حضرة الاب انستاس مغاصهم بكل ظروفه في مقالته عن الكويت (المشرق ٧ : ٥٠٧) فلتُراجع

وهذه جزائر البحرين كان اهلها قديماً نصارى كما اثبتنا ذلك في مقالاتنا عن النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ولا يزال بينهم آثار من دينهم القديم كعادة اكرام الصليب . وتُرى الى اليوم بقايا كنائس كانت هناك سابقاً ولانكلترة النفوذ في تلك الجزائر حتى انَّ البعض يعدّونها من املاك الانكليز

وكنّا مدّة سيرنا في بحر العجم نغاير ما ابريطانية العظمى من النوز في تلك الجهات فانَّ اربعة اخماس المراكب التي كنّا نصادفها كانت انكليزية وكفى بذلك دليلاً على تقدُّم تلك الدولة في جهات العجم حتى بغداد التي فيها يُقيم طول السنة طرّاد انكليزي للدفاع عن صوالح الجالية الانكليزية . فانكلترة سلطانة الخليج العجمي بلا منازعة

وفي البرّ الذي وراء البحرين بلاد الاحساء العربية المعدودة من نجد والدولة قد جعلتها سنجقاً لاحقاً بولاية البصرة مركزهُ مدينة الاحساء المعروفة ايضاً بالحفوف يبلغ عدد اهلها نحو ١٢٠٠٠ واهل نجد يرتزقون بالنخل وبصيد الاسماك والغوص على اللؤلؤ ولهم المواشي الكثيرة وضروب الخيل الجياد . ومن مدن نجد المذكورة في عهدنا القطيف وقطر . واهل نجد من الشيعة الوهابية التي ظهرت في تلك البلاد منذ نحو ١٢٠ سنة وتفاقمت حركة انصارها حتى خافت الدولة على سلطتها ولا تزال النار حتى الآن كامنة تحت الرماد . وتعصُّبهم الديني بالغ مبلغهُ لا يدعون اجنبياً يسكن بينهم وقلّ من امكنهُ من سيّاح الفرنج ان ينفذ في وسطهم ليصف بلادهم . وليس للتعليم بينهم نصيب الّا بعض الكتاتيب الابتدائية القليلة

وصلنا في صباح يوم الاربعاء ١١ ك ١ الى لنجه من مدن فارس الساحلية

المفتوحة لتجارة العجم وهي حسنة الموقع كثيرة البساتين الّا انّ حركتها التجاريّة دون حركة بوشهر . واهمّ من لنجه مدينة بندر عبّاس التي بلغنا اليها في اليوم التالي . وهذه المدينة كانت تدعى گمرون فلمّا اختارها الملك شاه عبّاس في اوائل القرن السابع عشر كفرضة بلاد كرمان انتسبت اليه وموقعها قريب من مضيق هرمز وفيها تباع بضائع العجم لا سيما الصمغ العربي والطنافس الغالية الثمن والشالات والانسجة العجميّة والمصاغات المختلفة ولقربها من جزيرة العرب يقبل على بضائعها عرب عُمان واليمن . واهلها نحو عشرين الفاً . ولانكلترّة بازائها جزيرتان صغيرتان اسمهما كشم ولارك ارادت ان تحصّنهما ثم اهملتهما لاحتدام حرّهما في الصيف

ومن بندر عبّاس دخلت السفينة في مضيق هرمز الذي يوصل خليج العجم ببحر عُمان . وهرمز جزيرة في شماليّ المضيق لا يزيد اليوم اهلها على ٥٠٠ وكانت قديماً كبيرةً عامرةً فترقى اليها المراكب وتنقل اليها امتعة الهند فتُرسل الى كرمان وسجستان وخراسان فاستولى عليها البرتغاليُّون في القرن السادس عشر . ودخلها المرسلون اليسوعيُّون وكان اوّلهم الاب غسبار بَرْزه (G. Barzée) في عهد القديس فرنسيس كسفاريوس فنشر فيها الدين الكاثوليكيّ . ثمّ غلب الانكليزُ البرتغاليين في القرن السابع عشر واخربوا المدينة (لهُ بقيّة)

النار العجيبة في القبر المقدّس

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

طلب منّا جناب صديقنا الدكتور اغناطيوس كراتشكوفسكي نزيل بيروت سابقاً ان ننقل لهُ ما كتبهُ العرب في امر النار العجيبة التي توقد كلّ سنة في القبر المقدّس يوم سبت النور على موجب الكلندار الشرقيّ القديم . فاجابةً الى سؤله ندوّن هنا شيئاً من اقوال العرب في هذا الصدد بل نشمع قليلًا في هذا الموضوع زيادةً للافادة

انَّها لعادةٌ تترقَّى الى قرون النصرانيَّة الاولى ان تُقام في بيرمون عيد الفصح وسبت الجمعة العظيمة المعروف بسبت النور رتبةٌ شاعت في كنائس الشرق والغرب تُدعى برتبة النار الجديدة. فان كل المصابيح والمشاعل في يوم جمعة الآلام تُطفأ اشارةً الى حداد البيعة المقدَّسة على عرسها الالهيّ الذي مات فداء عن ابنائها. ففي مساء ذلك السبت كان المؤمنون يجتمعون في الكنائس ليحيوا الليل في الصلاة واوَّل ما كانوا يُقدمون عليهِ أن يستوروا نارًا جديدة لم يشاؤوا ان يأخذوها من نار عاديَّة سابقة مبتذلة بالاستعمال بل كان يستورونها قدحاً بالزَّند وقد وجدوا في ذلك رمزًا مشارًا اليهِ في الاسفار المقدَّسة اذ قال السيّد المسيح انَّهُ الحجر الذي رذلهُ البنَّاؤون فصار رأساً لزاوية البناء الادبيّ الذي جاء ليقيمهُ في العالم لمجد ابيهِ. ومن هذا الحجر عينهِ اذ قُدح بالآلام تأتينا تلك النار الالهيَّة التي انارت العالم وطهَّرت النفوس واضرمت القلوب بمحبَّتهِ تعالى

فاذا اوقدت هذه النار باركوها وألقوا فيها البخور ثمَّ يستوقدون منها كلّ المصابيح والاسرجة الكنسيَّة بل يتبارك المؤمنون بها فينقلونها الى منازلهم. واخصّ هذه المشاعل الشمعة المعروفة بالفصحيَّة يُذكونها برتبةٍ جميلة ويوقدونها في الحفلات العموميَّة طول مدَّة الزمن الفصحي اعني اربعين يوماً رمزًا الى اقامة السيّد المسيح اربعين يوماً على الارض بعد قيامتهِ حتى اذا دخل عيد الصعود اطفأوها بعد قراءة الانجيل المخبر بارتفاع السيّد المسيح الى السماء.

ولا شكَّ انَّ تلك رتبة النار الجديدة كانت تقام بحفلة شائقة في كنيسة القبر المقدس التي شيَّدتها القديسة هيلانة بعد قدومها الى اورشليم وبحثها المدقَّق عن الامكنة التي قدَّم فيها ابن الله ذبيحتهُ الدموية لخلاص العالم. فكان المؤمنون في وقت الفصح يتواردون الى القدس الشريف ليكرموا آلام المسيح وقيامتهُ في نفس الامكنة التي تمَّت فيها تلك الاسرار المحيية وكانوا اذا رأوا النار الجديدة استبشروا بها واقتبسوا من انوارها لهم ولذويهم ولا نرى احدًا منهم يصرّح بظهور تلك النار على طريقة عجيبة

واوَّل شهادةٍ تاريخيَّة ثابتة وردت مدوَّنةً في كتب الاقدمين هي شهادة لسائح فرنسويّ يُدعى برنردوس الراهب (Bernardus Monachus) قدم من

بلاده الى الاراضي المقدَّسة نحو سنة ٨٦٥ الى ٨٧٠ وقد طُبعت رحلتهُ في اصلها اللاتيني غير مرَّة . اطلب مجموع الآباء اللاتينيين لمين (Migne. P. L. CXXI, 569-576 n° 10) ففي الفصل العاشر من هذه الرحلة يقول ما تعريبهُ :

« وفي السبت المقدس الذي هو يعرامون الفصح يُتلى صباحاً في كنيسة القبر المقدس القرض الالهي وفي اثره يتغنَّون بالكيريالبسون الى ان ينحدر الملاك فيوقد النور في المصابيح المعلَّقة فوق القبر المذكور ومن نوره يوزّع السيّد البطريرك للاساقفة ولبقيَّة الشعب لكي يستنير به كل واحد وينقلهُ الى بلاده . وكان اسم البطريرك المذكور ثاودوسيوس وهو رجل عظيم القدر كان راهباً في ديره المبتعد عن القدس ١٥ ميلاً فلعظم فضله اختطفهُ النصارى مرغوماً ليقيموهُ عليهم بطريركاً »

فهذه الرواية لمؤرخ فاضل معروف بتقواهُ تبيّن انهُ لم يُرد ان يخدع مواطنيه وانهُ يعتبر ظهور النور يوم سبت النور في كنيسة القبر كمعجزة الهيَّة . وكما لا يمكننا ان ننسب اليه المكر والخداع كذلك لا يجوز ان ننسب التدليس الى البطريرك الاورشليمي ثاودوسيوس الذي عرفهُ الراهب واطرأ فضائلهُ . وترجمة هذا البطريرك واردة في كتاب الشرق المسيحي للوكيان (Lequien · *Oriens Christianus*, III, 370) وذكر من اعماله ما يزيد برّهُ وقداستهُ وقد ارسل الى القسطنطينيَّة الكاهن اليّا فحضر هذا باسمه المجمع الذي قرَّر حقوق القديس اغناطيوس وحرم فوطيوس الدخيل سنة ٨٦٧ وامضى اعمال المجمع كاتبهِ (ib , 372) . والمؤرخ برودوس يذكر الاعجوبة كشيء عادي يجري في كنيسة القبر المقدَّس كل سنة (١

فهذه الشهادة يردّدها الكتبة اللاتينيون الذين سبقوا عهد الصليبيين كغليوم ماسبوري (Guilelmus Malmesburgensis : *Gesta reg. Angl.* l. IV, c. 367) ثم هلينند (Helinand : *Chron.* l. 47) ثم ألبريك (Alberic, *Pertz* SC. G. SS. XXIII) ثم فنسان دي بوفه في كتابهِ الشهير بمرآة التاريخ (Vincent de Beauvais : *Spec. hist.* l. XXV, c. 103) ثم ريشرد نعمة الله

---

١) وقد نشر اصحاب سجلَّات الشرق اللاتيني (Archives de l'Orient Latin. I, 375) رواية يونانية في نار القبر المقدس العجيبة لكاتب يُدعى نيقيطاس كتبها لملك الروم قسطنطين السابع المدعوّ برفيروجنيت في نيسان سنة ٩٤٧ الّا انَّ ناشريها مرتابون في صحتها فلم نذكرها

سنة ١٠٢٧ (Richard de la Grâce de Dieu, cfr. *Vogüé. les Eglises de Terre Ste*, 427) ثم في رحلة اودوريك اسقف اورليان (Rad. Glaber: *Chron.* IV, c. 6) وفيها روى اودوريك المذكور انهُ ابتاع لكنيستهِ من بطريرك القدس القنديل الذي ظهر فيهِ النور قبل سواه. والبابا اوربانوس الثاني قد اشار الى هذه الاعجوبة في خطابهِ الذي القاهُ في كلرمون ليحضّ فيهِ النصارى على الجهاد الصليبيّ ليستولوا على الاراضي المقدّسة

امّا في عهد تملُّك الصليبيين على القدس الشريف فالشواهد على ظهور النور في كنيسة القبر المقدّس متعدّدة منها شهادة موريقيوس نائب البابا بسكال الثاني اخبر انهُ حضر اعجوبة النار المقدّسة في ٢٠ نيسان سنة ١١٠١ ومنها شهادة فوشه دي شرتر نحو السنة ١١٠٢ م (Foucher de Chartre: *Gesta peregr. Franorum*, ch, XXIV) ثم دانيال الروسي سنة ١١٠٦—١١٠٧ فانَّ هذا في كتاب رحلتهِ (Daniel, Hégoumène russe: *Pélerinage*, c. 97, p. 75, éd. 1889) اخبر انهُ وضع باذن ملك اورشليم بلدوين (Baudouin) سراجهُ على قبر المسيح مع اسرجة الملكيين ورهبان دير مار سابا ثم قال: « فاتّقدت تلك الاسرجة الموضوعة على القبر امّا اسرجة الفرنج المعلّقة فوقهُ فلم تُسرَج » وقد قدّم هذا الكاتب على فصلهِ مقدّمة انتقاديّة قال فيها انّهُ يُروى عن هذه النار العجائبيّة امور غريبة ليست هي صحيحة منها قولهم انّ الروح القدس ينزل على هذه الاسرجة على صورة حمامة فيوقدها ومنها قول غيرهم بانهُ يبرق من السماء برقٌ فيسرجها. قال الخيغومان: كلّ هذه الروايات لا صحّة لها وانّما تتّقد هذه الاسرجة بنعمة الله. ثمّ يروي ما شهدهُ بالعيان كما مرَّ

فنكتفي بهذه الشواهد للكتبة الفرنج القدماء التي تثبت امر نور القبر المقدّس في يوم سبت النور. وليس بين الرواة من يرتاب في صحّتها. الّا أن يقال بانّهُ وُجد بين اصحاب كنيسة القبر المقدّس اناسٌ خبثاء احتفظوا سرّ خداعهم دون ان يبوحوا بهِ الى غيرهم تدليساً او طمعاً والله اعلم باسرار القلوب

*

فلنأتينّ الآن بشواهد كتبة العرب الذين ذكروا هذا الامر. وما لا ريب فيهِ

انَّهُ لم يوجد بينهم احد انكر ذلك قبل القرن الحادي عشر فانَّ المؤرخين والجغرافيين الذين سبقوا ذلك العهد كابن خرداذبه والبكري وناصر خسرو لم يذكروا شيئاً من هذا

واقدم ما نعرفهُ من شواهد العرب في النار الظاهرة في كنيسة القيامة يوم سبت النور شهادة ابي الحسن عليّ المسعوديّ المتوفى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) مؤلف مروج الذهب في كتابهِ التنبيه والاشراف المطبوع في ليدن سنة ١٨٩٣ فقال (ص ١٤٣) في هيلاني ام قسطنطين الملك:

« وبنت هيلاني بايليا الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت الذي يظهر منها النار يوم السبت الكبير الذي صبحهُ الفصح »

فهذا الكلام لا يشعر بخبث او مكر او شعوذة وانَّما المؤلف يصرّح بالامر كأنَّهُ يصدّق بوقوعهِ. لكنَّ المسعودي في كتاب مروج الذهب (٣: ٤٠٥) ذكر الامر على وجه آخر فقال :

ولمس منهُ وهو تشرين الاوَّل عيد كنيسة القيامة (كذا) بيت المقدس وفي هذا العيد تجتمع النصارى من سائر الارض وتنزل عندهم النار من السماء فتُسرج هنالك الشمع ويجتمع فيهِ من المسلمين خلقٌ عظيم للنظر الى هذا العيد ويُقلّع فيهِ ورق الزيتون وتكون للنصارى فيهِ اقاصيص. ولهذه النار حيلة لطيفة وسرّ عظيم قد ذكرنا وجه الحيلة في ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب

وهي رواية غريبة اذ لا نعرف احداً غير المسعودي روى انَّ ظهور النار في كنيسة القيامة كان يحدث في ٥ تشرين الاوَّل لا في السبت الكبير . اما كتابهُ القضايا والتجارب فهو مفقود

والشهادة الثانية بعد المسعودي قد وردت في كتاب ابن القلانسيّ الذي عنوانهُ كتاب ذيل تاريخ دمشق وبين مؤلفهِ والمسعوديّ السابق ذكرهُ مئتا سنة بنيّف لأن وفاة ابن القلانسيّ وقعت سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٢ م) فقال في كتابهِ المطبوع في مطبعتنا (ed. Amedroz, p. 66-67) انَّ الحاكم بامر الله رأى في تاريخ سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٨ م عدداً كبيراً من نصارى مصر خرجوا ليحضروا الفصح في بيعة القيامة (والمسلمون يدعونها بالقمامة تعصُّباً) قال:

فسأل الحاكم ختكين العضدي الداعي وهو بين يديهِ عن امر النصارى في قصدهم هذه البيعة

وما يتقدونهُ فيها واستوصفهُ صفتها وما يدَّعونهُ لها وكان ختكين يعرف امرها بكثرة تردده الى الشام . . . فقال : هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجُّ اليها عند فصحهم . . . فاذا حضروا يوم الفصح فيها . . . يعلّقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن البلسان وآلتهِ ومن طبيعتهِ حدوث النار فيهِ مع دهن الزنبق ولهُ ضياء ساطع وإزهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليهِ حديدًا ممدودًا كهيئة الخيط متصلًا من واحد الى آخر ويطلونهُ بدهن البلسان طليًا يخفونهُ من الابصار حتى يسري الخيط الى جميع القناديل . . . ويتوصّل بعض القوّام الى ان يقرّب النار من الخيط فاذا صلّوا وحان وقت النزول فُتح باب المذبح وعندهم انَّ مهد عيسى عليهِ السلام فيهِ وانهُ عُرج بهِ الى السماء منهُ ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من انفاس الخلق الكثير ما يحمى منهُ الموضع ويتوصّل بعض القوّام الى ان يقرّب النار من الخيط فيحاق بهِ وينتقل بين القناديل من واحد الى واحد ويشعل الكل ويقدّرهُ من يشاهد ذلك انَّ النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل »

ثم يخبر المؤلف بامر الحاكم ان تُهدم الكنيسة قال : « فهُدمت ابنيتها وقُلعت حجرًا حجرًا . . . وشاع هذا الخبر بمصر فسُرَّ المسلمون بهِ ودعوا للحاكم دعاء كبيرًا على ما فعلهُ » . فترى من هذه الرواية ما نقلهُ ختكين العضدي للحاكم بامرهِ . الّا ان في روايتهِ ما لا يُصدَّق . فان كان الحديد ممدودًا بين القناديل مع الخيط المطلي بالبلسان فكيف لم يشاهدهُ احد من الحضور وكيف لم يظهر الخداع . وكذلك اخطأ ختكين بقولهِ « انَّ مهد عيسى في المذبح » وانَّ « عيسى عُرج بهِ منهُ الى السماء » فكفى بهذا دليلًا على انَّ روايتهُ غير ثابتة وانهُ رمى الكلام على عواهنهِ

والشاهد الثالث على الامر هو زين الدين عبد الرحيم الدمشقي الشهير بالجوبري المتوفّى نحو السنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) فعاش بعد فتح صلاح الدين للقدس وخروج الفرنج منها سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) . وللجوبري كتاب « المختار في كشف الاسرار » الذي اتّسعنا في وصفهِ في المشرق السنة ١٩٠٩ (١٢ : ١٨٦ و٣١٦) وقد روينا عنهُ هناك (ص ١٩٣) ما ذكرهُ من « خدعة الرهبان في ايقاد النور في كنيسة القيامة » . وهذا قولهُ بالحرف عن نسختين قديمتين في مكتبتنا (ص ٥٨ و١١٩) قال في باب « كشف اسرار الرهبان » :

« اعلم ان هؤلاء القوم اعظم ناموس لهم قنديل النور في كنيسة قمامة من بيت المقدس وهو من عمل الرهبان وقد ارتبط عليهِ جميع النصارى واساطهم واجناسهم . وقد كان الملك المعظّم ابن الملك العادل دخل الى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب الذي جاء : لا ابرحُ حتى ابصر

هذا النور كيف ينزل . فقال لهُ الراهب : ايها احب الى الملك هذا المال الذي يتحصّل لك من هذا الوجه او اطّلاعك عليهِ فاني ان كشفتُ سرّهُ عدم السلطانُ هـذا المال فاتركهُ مستورًا واربح هذا المال الجزيل . فلمّا سمع السلطان ذلك فهم باطن امره فتركهُ على حالهِ . وذلك انّ هذا القنديل هو اعظم النواميس التي وضعها الاوائل وما انا ابيّنهُ واكشف سرّهُ . وذلك انّ لهُ في رأس القبّة حقًّا من حديد متّصلًا بالسلسلة التي هو معلّق فيها وهو مُهندم في هلال القبّة لا يطّلع عليهِ احد غير الراهب والسلسلة لها حقّ وفيهِ خلوٌ فاذا كانت ليلة سبت النور صعد الراهب الى الحقّ وجعل فيهِ مطبوخ الكبريت على مثال السنبوسكة ويجعل تحتها نارًا موقتة الى الساعة التي يريد ان ينزل فيها النور ويدهن السلسلة بدهن البلسان فاذا جاء الوقت أوقدت النار نقطة المطبوخ على رزّة السلسلة في ذلك الحقّ المهندم فاشتدّ من تلك النقطة دهنُ البلسان وجرى مع السلسلة نازلًا الى القنديل فتعلق النار في فتيلة القنديل وتكون مستيّة اوّلًا بدهن البلسان فتوقدها فافهم ذلك »

قُلنا ما اعظم الفرق بين هذه الرواية والرواية السابقة حتى لا تكاد تجد بينهما توافقًا البتّة . ونتعجّب من قول الجوبري بانّ جميع النصارى قد ارتبطوا على امر هذا القنديل ثمّ من قولهِ بعدهُ انّ ذاك الراهب وحدهُ يعرف بسرّهِ وهو لا يذكر غير قنديل واحد لا قناديل عديدة كما قال ختكين . فنشكّ اذن بصحّة روايته ومطابقتها للواقع

وها هذا آتي بشاهد رابع يظهر من كلامهِ ما هو اقرب الى الصحّة لا سيما انهُ يتكلّم كشاهد عيانيّ نريد به السبط بن الجوزيّ المتوفى بعد الجوبري بزمن قليل سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م) قال في تاريخهِ مرآة الزمان ما ننقل هنا بعضهُ (راجع حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسيّ ص ٦٨) قال :

« سكنتُ في بيت المقدس عشر سنين وكنتُ ادخل الى القيامة في يوم فصحهم وغيره وبحثتُ عن اشعال القناديل في يوم الاحد (كذا) عيد النور وفي وسط القمامة (كذا) قبّة فيها قبر يعتقد النصارى انّ المسيح عليهِ السلام لمّا صُلب دُفن فيهِ ثم ارتفع الى السماء . فاذا كان ليلة السبت في السحر دخلوا الى هذه القبّة فنظروا قناديلها ولهم فيها طاقات مدفونة في الرخام وفي الطاقات قناديل قد اوقدوها من السحر وللقبّة شبابيك فاذا كان وقت الظهر اجتمع اهل الدين من النصرانيّة وجاء الاقسّاء . فدخلوا القبّة وطاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقّعون نزول النور فاذا قارب غروب الشمس تقول الاقسّاء : « انّ المسيح ماخط عليكم » فيضجّون ويبكون ويرمون على القبر الذهب والفضّة والثياب جملة كثيرة . . . فاذا غربت الشمس اظلم المكان فيناولها بعض الاقسّاء ويفتح طاقةً من زاوية القبة بحيث لا يراهُ احد ويوقد شمعته من بعض القناديل ويصيح : قد نزل النور ورضي المسيح . وتخرج الشمعة من بعض

الشبابيك فيضجون ضجة عظيمة ويوقدون القوانيس ويحملون هذه النار الى عكا وصور وجميع بلاد الافرنج حتى رومية والجزائر وقسطنطينية وغيرها تعظيماً لها »

فهذه الرواية على رأينا اقرب الى الصدق وكأنها حكاية حال ما يحدث كل سنة في القدس الشريف على يد الروم الاورثدكس والارمن الغريغوريين وهي تخالف رواية ابن القلانسي والجوبري كما ترى . لكنَّ ابن الجوزي يردف كلامهُ برواية الخبر السابق ذكرهُ عن الملك المعظَّم ابن الملك العادل فيرويهِ عن صلاح الدين نفسهِ كأنهُ جرى بين صلاح الدين وبطرك اورشليم . فالله اعلم باصدق الخبرين

ويلي ابنَ الجوزي شاهد خامس وهو زكريَّاء بن محمَّد القزويني المتوفى ايضاً كالجوبري وابن الجوزي في القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣م) قال في كتابهِ آثار البلاد (ed. Wüstenfeld, p. 109) في جملة ما كتبهُ عن بيت المقدس :

« وبها (اي بيت المقدس) قمامة وهي كنيسة عظيمة للنصارى في وسط البلد لا ينضبط صفتها حسناً وعمارةً وتنسيقاً وكثرة مال . في موضع منها قنديل يزعمون انَّ نوراً من السماء ينزل في يوم معلوم ويشعلهُ وهذا امرٌ مشهور عندهم . حُكي انَّ بعض اصحاب السلطان ذهب اليها ذلك اليوم وقال : اني اريد ان اشاهد نزول هذا النور فقال لهُ القسّ : ان مثل هذه الامور لا تخفى على امثالك . لا تُبطل ناموسنا فانَّا نُشبه على اصحابنا لتنشية امرنا فتجاوزَ عنهُ »

فانظر رعاك الله هذا الاختلاف بين الروايات . وكيف نسب القزويني الى بعض اصحاب السلطان ما رواهُ الجوبري عن الملك المعظَّم وابن الجوزي عن صلاح الدين

ولنا شاهد سادس في اواخر القرن السابع نفسهِ ألا وهو ياقوت الرومي الشهير المتوفَّى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٧ م) ففي مادة « قمامة » من كتابهِ معجم البلدان (ed. Wüstenfeld, ٤ : ١٧٤) روى ما يشبه بعضهُ نصَّ القزويني قال :

« ولهم في موضع منها (يريد كنيسة القيامة) قنديل يزعمون ان النور ينزل عليهِ من السماء في يوم معلوم فيشعلهُ . وحدَّثني مَن لازمهُ وكان من اصحاب السلطان الذي لا يمكنهم منعهُ حتى ينظر كيف امرهُ وطال على القسّ الذي يرسّمهِ امرهُ (قال) فقال لي : ان لازمتنا شيئاً آخر ذهب ناموسنا . قلتُ : كيف . قال : لانَّا نشبه على اصحابنا باشياء نعملها لا تخفى على مثلك واشتهي ان تُعفينا وتخرج . قلتُ : لا بُدَّ ان ارى ما تصنع . فاذا كتابٌ من النيرنجيَّات وجدتُهُ مكتوباً فيهِ انَّهُ يقرّب منهُ شمعة فتتعلَّق بهِ بتتهُ والناس لا يرونهُ ولا يشعرون بهِ فيعظم عندهم ويطيعون »

ولعلَّ الذين اتوا بعد هؤلاء من كتبة المسلمين وذكروا نور السبت الكبير نقلوا مع بعض التصرّف عن الذين اثبتنا اقوالهم كابن العربيّ والحاج خليفة ومجير الدين الحنبليّ . ودونك رواية مجير الدين المتوفّى سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢١ م) في كتابه الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل قال (طبعة مصر ١ : ٢٦٨) :

« وممَّا وقع ببيت المقدس في شهور سنة ٣٩٨ (١٠٠٨ م) ان الحاكم بامر الله ابو علي المنصور بن العزيز الفاطمي امر بتخريب كنيسة القيامة من بيت المقدس واباح للعامَّة ما كان بها من اموال وامتعة وغير ذلك. وكان ذلك بسبب ما أُنهي اليه من الفعل الذي تتعاطاه النصارى يوم الفصح من النار التي يحتالون بها بحيث يتوهَّم الاغمار من جهلتهم انَّها تنزل من السماء وانَّما مصبوغة بدهن البلسان في خيوط الابريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على العظام منهم والعوام وهم الى الآن يستعملونها في القيامة ويسمّى ذلك اليوم عندهم سبت النور . . . »

وفي هذا الزمان على التقريب كان احمد بن الحريريّ صاحب منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والاعيان ومن كتابه نسخة في مكتبتنا . ففي تاريخ سنة ٣٩٨ هـ ذكر هدم الحاكم بامر الله لكنيسة القيامة واشار الى قصَّة خُتكين مع الخليفة الفاطميّ في صددها . لكنَّهُ ينعت هناك ختكين « بالظالم الغشوم الفاتك السفَّاك للدماء » فأضعف بذلك الثقة في قوله

فهذا ما ورد في كتب المؤرخين المسلمين في امر نور السبت الكبير . امَّا اوَّل النصارى الذي اشتمَّ من هذا النور رائحة الخداع فهو ابن العبريّ في تاريخه المدنيّ السريانيّ الذي اختصره بعد ذلك وعرَّبهُ . ففي ذكره لاعمال الحاكم بامر الله روى خراب كنيسة القيامة على يده ونسب الامر الى نور السبت الكبير الذي كان ينزلهُ البعض مكرًا من سقف كنيسة القيامة الى القنديل الذي فوق القبر

وان طلب الينا القارئ ان نبدي في اقوال الكتبة رأينا اجبنا انَّهُ من المحتمل بل من المرجَّح انَّ هذه الاعجوبة ظهرت مرَّة او مرارًا في القرون الوسطى اذ لا يمكننا ان ننسب الخداع او الجهل لعلماء عقلاء يؤكدون انهم عاينوا الامر ووصفوهُ على طريقة لا تبقي مجالًا للريب ومحلًّا للغشّ

وعلى كلّ حال لا بُدَّ من القول انَّ هذه الاعجوبة قد بطلت منذ عدَّة قرون فالتجأ اذ ذاك بعضُ ذوي الغايات الى الشعوذة امَّا رغبةً في زيادة حرص النصارى

على زيارة القبر المقدَّس واماً طمعاً في حطام الدنيا. وكلتا الغايتين ذميمة اذ لا يجوز صنيع الشرّ لينتج من ذلك خير

وكذلك أبدينا استياءنا سنة ١٩٠٩ (في المشرق ١٢: ١٩٣—١٩٤) من تسامح ارباب الروم في التمويه على الزوّار كلّ يوم السبت الكبير اذ يقيمون رتبة النار الجديدة ويظهرونها للحضور كأنها نار سماوية . ونقلنا هناك (ص ١٩٤) كلام السيّد رفائيل الهواويني صاحب مجلّة الكلمة حيث ينكر على زعماء طائفته ما يصنعونهُ ليثبتوا ظنَّ الناس في اعجوبة لا صحّة لها وهو كلام رجل عاقل يسوءهُ ان ينسب الغرباء الزورَ والخداع الى طائفته . وكذلك نشرنا في السنة عينها (المشرق ١٢ : ٣١٦) رسالة للخوري الياس شهوان في سلخ اذار سنة ١٨٧٦ وصف فيها تلك الخدعة كما عاينها وهو كاهن يعقوبيّ يمثّل طائفتهُ مع مطراني الروم والارمن الغريغوريين في داخل القبر المقدَّس . وبهذا الكفاية عن هذا النور المزبور انار الله بنور هدايتهِ جميع الضالّين

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي

« البيّنات عن مجيء المسيح وتعريف شخصهِ الكريم (تابع)

وقد اثبت موسى نبوّةَ انطق بها الله ساحرًا استقدمهُ احد اعداء بني اسرائيل ليلعن شعب الله فلم يستطع الّا ان يبارك ألا وهو بلعام نطقَ بالبركة مرغوماً وبارك نسل يعقوب وتنبّأ بالمسيح الذي يخرج منهُ قائلًا (عدد ٢٤: ١٧): « يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل فيحطّم طرفَيْ موآب ويريح جميع بني شيث »

ولم يقم بعد موسى رجل اعظم من الملك داود بن يسّى واليهِ اوحى الله مرارًا انَّ فيهِ تتمّ المواعيد التي وعد بها يعقوب ابنهُ يهوذا وكان داود من سبطهِ . فجاءهُ ناتان

النبي (٢ ملوك ٧ : ١٦—٢٠) واعلمهُ بانَّ ابنهُ سليمان سيبني لهُ هيكلاً وانَّ ملكهُ لن يزول الى الابد فقال : « اقيم من بنيك من نسلك الذي يخرج من صُلبك واقررتُ ملكهُ فهوَ يبني بيتاً لاسمي وانا اقرُّ عرشهُ الى الابد ... ويكون بيتك وملكك ثابتين الى الدهر امام وجهك وعرشك يكون راسخاً الى الابد ». وهذا الوعد قد كرَّره لهُ الرب مراراً واثبتهُ لهُ بالأيمان في المزامير كقولهِ تعالى (مز ٨٨ : ٢٠—٢٨) : « وجدت عبدي داود . بدهن قداستي مسحتهُ . معهُ تثبت يدي وذراعي تؤيدهُ ... الى الابد احفظ لهُ رحمتي . اجعل نسلهُ الى الابد وعرشهُ مثل ايام السماء ... حلفتُ بقداستي ولا اكذب على داود ليدومنَّ نسلهُ الى الابد وعرشهُ ... راسخاً الى الابد » . فقول كهذا من فم الله صريح واضح مؤيَّد بالأقسام المحرَّجة لم يتحقَّق الَّا في ذاك الذي قال عنهُ الملاك لمريم (لوقا ١ : ٢١—٢٣) : « ستلدين ابناً وتسمّينهُ يسوع ... وسيعطيهِ الربّ الاله عرش داود ابيهِ ... ولا يكون لملكهِ انقضاء »

وتوالت الانبياء بعد داود وكرَّرت مواعيد اله اسرائيل بحيث لم يبقَ فيها موضع للريب فجاء اشعيا (٧ : ١٤) بتلك الآية التي طنَّت لها آذان الملك آحاز وكلّ بني اسرائيل بل دوت لها مسامع البشر قاطبةً : « يؤتيكم السيّد نفسهُ آيةً ها انَّ العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمهُ عمّانويل » . فهي الآية السجديَّة بل الالهيَّة التي دوَّنها الانجيليّ متَّى في اوَّل بشارتهِ (١ : ١٢—٢٣) بعد اعلانهِ بحبل مريم من الروح القدس : « وكان هذا كلُّهُ ليتمّ ما قيل من الربّ بالنبيّ القائل : ها انَّ العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى عمّانويل الذي تفسيرهُ الله معنا » . وفي القرآن عينهِ ما يؤيد صريحاً نبوَّة اشعيا وآيات الانجيليين حيث قال في سورة آل عمران : « اذ قالت الملئكة : يا مريم انَّ الله يبشّرك بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين ... قالت : ربِّ أنَّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر . قال : كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانَّما يقول لهُ كن فيكون » . وقد ورد في كتب اصحاب الحديث (راجع كتاب العرائس للثعلبيّ ص ٣٢٧ من طبعة مصر سنة ١٢٩٨) ما نصُّهُ : ما من مولود الَّا والشيطان يمسُّهُ حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان الَّا مريم وابنها »

ولاشعيا النبيّ آيةٌ اخرى مثل السابقة صراحةً في كون المسيح هو من نسل داود بن يسّى واضاف اليها صفاته الالهيّة حيث قال (١١ : ١—٥) : « ويخرج قضيب من جذر يسّى وينمي فرع من اصوله ويستقرّ عليه روح الربّ روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوّة روح العلم وتقوى الربّ ... ويكون العدل منطقة حقويه والحقّ حزام كشحيه »

وجاء في اثر اشعيا ارميا النبيّ فجاراهُ في نبوّته صدقاً وبياناً فقال (٢٣ : ٥—٦) « ها انّها ستأتي ايّامٌ يقول الربّ أقيم فيها لداود نبتاً صدّيقاً ويملكُ ملكٌ يكون حكيماً ويُجري الحكم والعدل في الارض في ايّامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل في الدعة وهذا اسمهُ الذي يُدعى به : الربُّ برّنا »

ولمّا تفاقمت الشرور على بني اسرائيل وجلا ملوك بابل جموعهم وكادوا ييأسون من الخلاص عاد الربّ فأوحى الى دانيال حقيقة مواعيده وزاده علماً على ما انطق به ألسنة اسلافه فعرّفهُ زمن مجيء المسيح المنتظر وكلّ ما سيجري له وكيف يقتلهُ شعبهُ فيُذلّ وتُخرّب اورشليم فقال (٩ : ٢١—٢٧) :

« بينما كنتُ اتكلّم بالصلاة اذا بالرجل جبرائيل الذي رأيتهُ في الرؤيا عند البداءة طار سريعاً ولمسني في وقت تقدمة المساء وبيّن وتكلّم معي وقال : يا دانيال اني خرجتُ الآن لأعلمك فتفهم . . . وانيت لأخبرك لانّك رجل رغائب فتأمّل الكلمة وافهم الرؤيا . انّ سبعين اسبوعاً حُدّدت على شعبك وعلى مدينة قُدسك لإفناء المعصية وإزالة الخطيئة وتكفير الاثم والاتيان بالبرّ الابديّ واختتام الرؤيا والنبوّة ومسح قدّوس القدّوسين فاعلم وافهم انهُ من صدور الامر باعادة بناء اورشليم الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستّون اسبوعاً فتعود تُبنى السوق والسور في ضيق الاوقات وبعد الاسابيع الاثنين والستّين يُقتل المسيح والشعب الذي ينكرهُ لا يكون لهُ . وشعبُ رئيس آت يدمّر المدينة والقدس . . . وفي اسبوع واحد يثبّت لكثيرين عهداً ثابتاً وفي نصف الاسبوع يُبطل الذبيحة والتقدمة وفي جناح الهيكل تقوم رجاسة الخراب . . . »

فأيم الحقّ هذا تاريخٌ ليس نبوّة . فانّ الربّانيين كانوا مجمعين بانّ الاسابيع المذكورة هنا هي اسابيع سنين لا سبّات ايّام كما ورد في سفر الاحبار (٢٥ : ٨) : « واحسب لك سبعة سبوت من السنين سبع سنين سبع مرّات فتكون لك ايّام سبوت السنين السبعة تسعاً واربعين سنة » واذ قد عُرفت سنة صدور امر ارتحششتا ببناء اسوار مدينة اورشليم وهي السنة العشرون لملكه (نحميا ٢ : ١) الموافقة للسنة

٢٩٩ لبناء رومية فاذا اقتضى ان نضيف اليها مجموع التسعة والستين اسبوعاً سنوياً اي ٤٨٣ سنة فيحصل منها ٧٨٢ سنةً لبناء رومية وهي السنة ٣٠ من تاريخنا التي تعمّد فيها المسيح واخذ بالتبشير . وفي نصف الاسبوع السبعين قُتل وأُبطلت الذبيحة اي سنة ٣٣ لتاريخ الميلاد . وكان بعد ذلك ما كان من خراب اورشليم وهيكلها على يد طيطس كما رواهُ المؤرخ يوسيفوس اليهودي

وليس اقلّ صراحةً ونورًا ما نطق بهِ نبيّان آخران اعني حجّاي وملاخي . فحجّاي بيّن ما سينالهُ من الفخر هيكل اورشليم الذي بناهُ زربّابل بدخول المسيح متمنّى الامم اليهِ فقال (١ : ٧—١٠) : « هكذا قال ربُّ الجنود انّي مرّةً بعدُ عن قليل أُزلزل السماء والارض والبحر واليبس وأُزلزلُ جميع الامم ويأتي متمنّى جميع الأُمم فأملأُ هذا البيتَ مجدًا قال ربُّ الجنود » . ومن المعلوم انّ هيكل زربّابل قد خرب السنة ٧٠ للميلاد فيتعيّن على اليهود امّا بان يسلّموا بمجيء المسيح الذي شرّف ذلك الهيكل بدخولهِ فيهِ او ينبذوا نبوّة حجّاي من جملة الاسفار المقدّسة التي في يدهم

امّا ملاخي فبيّن الغاء الذبائح الدمويّة المقدّمة في هيكل اورشليم بما سينوب عنها من التقدمة الجديدة على هياكل الكنيسة في المعمور كلّهِ فقال (١ : ١٠—١١) : « انيّ لا مسرّة لي بكم قال ربّ الجنود ولا ارضى تقدمةً من ايديكم لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كلّ مكان تُقتّر وتقرّب لاسمي تقدمة طاهرة لانّ اسمي عظيم في الامم قال ربُّ الجنود »

فترى انّ هذه النبوّات ضاربةً كلّها على وتر واحد فتناصرت على بيان مجيء المسيح وتعريف اصلهِ الاوّل من ابراهيم بابنه اسحاق وحفيدهِ يعقوب ثمّ سبط يهوذا بن يعقوب ثمّ فرع داود بن يسّى من سبط يهوذا فكان ذلك امرًا تقرّر في كلّ الاذهان وعرفهُ الخاصّ والعام حتى انّ معاصري المسيح اذ كانوا يلتجئون اليهِ لشفاء اسقامهم وعاهاتهم لم يلتجئوا اليهِ بغير قولهم : « يا يسوع ابن داود ارحمنا » . وكذلك عرّفتنا تلك النبوّات زمن مجيئهِ وحدّدت ما سيجري بسببهِ من الانقلابات التي يشهد بصحّتها تاريخ كلّ الكتبة

*

على انّ نبوّات الانبياء لم تكتفِ بكل ذلك بل أتت بجميع تفاصيل حياة

المسيح وتعريف شخصهِ الكريم واعمالهِ قبل ان يخبر بها الاربعة المبشرون من اوَّل ظهوره على الارض الى ما بعد وفاتهِ

فقد شهدت تلك النبوَّات على سلسلة نسبهِ الراقي الى داود وابراهيم كما رأيت وكما اثبتهُ الانجيليان متى (١: ٢—٦) ولوقا (٣: ٣١—٣٤) — وتنبَّأ ميخا عن مولدهِ الزمنيّ في بيت لحم وهو الازليّ القديم فقال (٥: ٢): «وانتِ يا بيت لحم افراتة انَّك صغيرةٌ في ألوف يهوذا ولكن منكِ يخرج من يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجهُ منذ القديم منذ ايَّام الأوَّل» — وسبق قول اشعيا في ولادتهِ من عذراء وقول حجَّاي في دخولهِ الى هيكل زربَّابل — وصرَّح داود بما روى متى عن وفود الملوك عليهِ للسجود لهُ (مز ٧١: ١٠—١١): «ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليهِ الهدايا . ملوك شبأ وسبأ يقرّبون لهُ العطايا ويسجد لهُ جميع الملوك وتتعبَّد لهُ كلّ الامم» . ومثلهُ اشعيا (٦٠: ١—٦) اذ وصف مجد اورشليم بمسيحها الخارج منها فقال: «قومي استنيري . . . عليكِ يُشرق الربّ ويتراءى عليكِ مجدهُ فتسير الامم في نوركِ والملوك في ضياء اشراقكِ . . . كلهم من شبأ يأتون حاملين ذهباً ولباناً يبشرون بتسابيح الربّ»

وكذلك سبق ارميا (٣١: ١٥) وتنبَّأ بما يجري من قتل اطفال بيت لحم موطن راحيل كما وصفهُ متى: «هكذا قال الربّ: صوتٌ سُمع بالرامة ندبٌ وبكاء مرٌّ . راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزَّى لأنَّهم ليسوا في الوجود»

واتَّفق الانجيليُّون في انَّ يوحنَّا المعمدان المعدّ لطريق المسيح هو هو الذي اشار اليهِ ملاخي آخر انبياء اسرائيل حيث قال (٣: ١): «هاءنذا مُرسل ملاكي فيهيّئ الطريق امامي وللوقت يأتي الى هيكلهِ السيّد الذي تلتمسونهُ وملاك العهد الذي ترتضون بهِ . ها انهُ اتٍ قال ربُّ الجنود». واتَّفقوا كذلك في وصف بشارة يوحنَّا الصابغ كما اثبتها اشعيا في نبوَّتهِ (٤٠: ٣—٥) واستشهد يوحنَّا بها مخصّصاً تلك الآية بنفسهِ (يو ١: ١٣): «صوتُ صارخٍ في البرّيَّة أعدُّوا طريق الربّ واجعلوا سُبل إلهنا في الصحراء قويمة . كلّ وادٍ يمتلئ وكلُّ جبل وتلّ ينخفض والمعوّج يتقوَّم ووعر الطريق يصير سهلاً ويتجلَّى مجد الربّ ويعاينهُ كلّ ذي جسد»

وكما وصف الانبياء مبادئ حياة المسيح وصفوا اعمالهُ وقت حياتهِ الرسوليَّة فتنبَّأ

اشعيا عن اوّل بشارتهِ في الجليل وسواحل بحر الشام مقام سبطي زبولون ونفتالي وبقعة الاردنّ حيث تمكنّت عبادة الاصنام قائلًا (٩ : ١—٣) : « قد زال الادلهام عن التي كانت في الضيق . انّ الزمان الاوّل أزرى لارض زبولون وارض نفتالي واما الاخير فأكرمَ طريق البحر عبر الاردنّ جليل الامم . الشعب السالك في الظلمة ابصر نورًا عظيماً . الجالسون في بقعة الموت وظلالهِ اشرق عليهم نورٌ » . وكذلك بيّن ما امتاز بهِ السيد المسيح في تبشيرهِ للجموع فقال عن لسانهِ (اش ٦١ : ١—٣ ولوقا ٤ : ١٨ : « انّ روح السيّد الربّ عليّ لأنّ الربّ مسحني لأبشر المساكين وارسلني لاجبر المنكسري القلوب وأنادي بعتق المسبيّين وبتخلية المأسورين لأنادي بسنة الربّ المقبولة ويوم انتقام الهنا واعزّي جميع النائحين » . وقال ايضاً وفيهِ اشارة الى صوت الآب في معموديّة المسيح (اش ٤٢ : ١—٣ ومتى ٣ : ١٧ ولوقا ١٢ : ١٨ : « هوذا عبدي الذي اعضُدهُ مختاري الذي سُرّت بهِ نفسي قد جعلتُ روحي عليهِ فهو يُبدي الحكم للامم لا يصيح ولا يجلب ولا يُسمَع صوتهُ في الشوارع قصبةً مرضوضةً لا يكسر وكتّاناً مدخّناً لا يطفئ يُبرزُ الحكم بحسب الحقّ . . . ولشريعتهِ تنتظر الامم » . وعدّد ايضاً اشعيا معجزاتهِ وبقولهِ استشهد المسيح في جوابهِ الى يوحنّا (٣٥ : ٤—٦ ومتى ١١ : ٥) : « هوذا إلهكم . . هو يأتي ويخلّصنا حينئذٍ تتفتح عيون العُميان وآذان الصمّ تنفتح ويطفر الاعرج كالأيل ويترنّم لسان الابكم » .

وبشّر النبيّ زكريّا (١١ : ٩) بدخولهِ الى اورشليم على اتانٍ فقال : « ابتهجي جدًّا يا بنت صهيون واهتفي يا بنت اورشليم . هوذا ملكك يأتيكِ صدّيقاً مخلّصاً وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان » . وذكر داود سرّ قربانهِ وكهنوتهُ على رتبة ملكيصادق بتقدمة الخبز والخمر فقال (مز ٢١ : ٢٧—٣٠) : « سيأكل البائسون ويشبعون ويسبح الربّ ملتمسوهُ انّ قلوبكم تحيا الى الابد . . . كلّ سمان الارض اكلوا وسجدوا » . وقال (مز ١٠٩ : ٤) : « اقسم الربّ ولن يندم أنت كاهنٌ الى الابد على رتبة ملكيصادق » . وقد سبق قول ملاخي عن تقدمتهِ الطاهرة في كلّ اقطار الارض بدلًا من الذبائح الدمويّة في اورشليم

فماذا نقول الآن عن آلام السيّد المسيح التي تنبّأ بها الانبياء فدقّقوا في وصفها فذكر داود خيانة يهوذا الاسخريوطي (مز ٤٠ : ١٠) : « صاحب سلامي الذي

اتّكلتُ عليهِ واكل خبزي هو رفع عليَّ عقبهُ ». وعرّف زكريّا قيمة الأُجرة التي اخذها كثمن صفقتهِ وبهِ ابتاعوا حقل الخزّاف (١١: ١٢—١٣ ومتى ٢٦: ٤٧—٥٠) : « وزنوا أُجرتي ثلاثين من الفضة فقال لي الرب: ألقِها الى الخزّاف ثمناً كريماً ثمّنوني بهِ » ولمّح داود الى نزاعهِ في بستان الزيتون (مز ٤٤ : ٥—٦) قائلاً : « توجّع قلبي في داخلي واهوال الموت وقعت عليَّ عراني الخوف والرعدة وغشيني الارتعاش ». واشار زكريّا (١٣: ٧ ومتى ٢٦: ٣١) الى تفرّق الرسل وهربهم وقت آلامهِ : « اضربُ الراعي فتتبدّد الخراف

ثمَّ اتّسع داود بوصف اتّفاق الامم واليهود كبيلاطوس وهيرودس وامراء الشعب والكهنة في الحكم بالموت على المسيح (مز ٢: ١) : « لماذا ارتجّت الامم وهذّت الشعوب بالباطل قام ملوك الارض والعظماء ائتمروا معاً على الربّ وعلى مسيحهِ ». وخصّص بالذكر شهود الزور الذين شهدوا عليهِ امام قيافا (مز ٢٤: ١١): « يقوم عليَّ شهود جور ويسألونني عمّا لا اعلم: يجازونني عن الخير شرّاً ». ثمَّ روى اشعيا ما قاساهُ من العذابات في الليلة التي قضاها في دار قيافا (اش ٥٠: ٦—٧ ومتى ٢٦: ٢٧) : « بذلتُ ظهري للضاربين وخدّي للناتفين ولم استر وجهي عن التعييرات والبصق ». وافاض داود النبيّ في وصف صلبهِ وما جرى لهُ على الصليب في المزمور الحادي والعشرين الذي ذكر السيّد المسيح اوّلهُ على الصليب (مرقس ١٥: ٣٤)

« الهي الهي لماذا تركتني . . . انا دودة لا انسان عارٌ عند البشر ورذالةٌ في الشعب كل الذين يبصرونني يستهزئون بي يفترون الشفاه ويحرّكون الرؤوس. فوّض الى الرب امرهُ فليخلّصهُ وينقذهُ فانّهُ راضٍ عنهُ . . . فتحوا عليَّ افواههم اسدًا مفترسةً زائرةً كالماء انسكبتُ وتفكّكت جميع عظامي . . . ثقبوا يديَّ ورجليَّ اني اعدُّ عظامي كلّها وهم ينظرون ويتفرّسون فيَّ يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون . . . »

ومثلهُ دقّةً وتفصيلاً واضحاً قول اشعيا النبيّ حيث قال (٥٣: ١—١٢) :

« انّهُ ينبتُ كفرخٍ امامهُ وكجرثومةٍ من ارض قاحلة لا صورة لهُ ولا جاه فننظر اليهِ ولا منظر فنشتهيهِ . مزدرًى ومخذول من الناس رجل اوجاع ومتمرّس بالعاهات . . . لقد اخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا فحسبناهُ ذا برصٍ مضروبًا من الله ومذلّلاً جُرح لاجل معاصينا وسُحق لاجل آثامنا تأديبُ سلامنا عليهِ وبشدّتهِ شُفينا . كلّنا ضللنا كالغنم كلُّ واحدٍ مال الى طريقهِ فألقى الربّ عليهِ اثم كلّنا . قُدّم وهو خاضع ولم يفتح فاهُ كشاةٍ سيق الى الذبح وكحمل صامتٍ امام الذين يجزّونهُ ولم يفتح فاهُ . من الضيق والقضاء أُخذ ومن يصف مولدهُ . انهُ قد

انقطع من ارض الاحياء ولاجل معصية شعبي اصابتهُ الضربة فُنح المنافقين بقبره والاغنياء بموته لانهُ لم يصنع جوراً ولم يوجد في فمهِ مكر . . . »

فهذا كلُّهُ اشبه بتاريخ لواقعٍ سبق منهُ لامور تلحق وتحدث بعد النبيَّين بثمانمائة او الف سنة . يُضاف اليها آية زكريا في صلب المسيح (١٣ : ٦) : « ما هذه الجراح في وسط يديك . هي التي جُرحتُها في بيت محبيَّ » وآيتهُ في طعنهِ بالحربة (١٢ : ١٠) : « وافيض على بيت داود وعلى سكان اورشليم روح النعمة والتضرُّعات فينظرون اليَّ انا الذي طعنوهُ » . وآية داود في سقيهِ الخلَّ والمرَّ (مز ٦٨ : ٢٢) : « جعلوا في طعامي مرارةً وفي عطشي سقوني خلًّا »

لكنَّ الانبياء لم يصفوا فقط آلام المسيح بل أعلموا ايضاً بقيامتهِ ومجدهِ فقال داود عن قيامتهِ من القبر (مز ١٥ : ١٠) : « انَّ جسدي سيسكن على الرجاء لانك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فساداً قد عرَّفتني سُبل الحياة وستملأني فرحاً مع وجهك » . وقال اشعيا معلناً بما نالهُ من المجد بموتهِ الاختياري عن البشر بعد العذابات التي مرَّ وصفها (٥٣ : ١٠—١٢) : « فانَّهُ اذ أجعلُ نفسهُ ذبيحةَ اثمٍ يرى ذرِّيَّة وتطول ايامهُ ومرضاة الربِّ تنجح على يدهِ . . . اجعل الكثيرين نصيباً لهُ والاعزَّاء غنيمة لانَّهُ افاض للموت نفسهُ وأُحصي مع العُصاة وهو حمل خطايا كثيرين وشفع في العصاة » . وصرَّح زكريا بنعمة مغفرتهِ للخطايا (١٣ : ١) : « في ذلك اليوم يكون ينبوعٌ مفتوحٌ لبيت داود ولسكَّان اورشليم للخطيئة والنجس » . ووصف داود صعودهُ الى السماء مع نفوس الابرار الناجين بفضلهِ وجلوسهُ عن يمين ابيهِ فقال : (مز ٦٧ : ١٩) « صعدتَ الى العلى وسبيتَ السبيَ واعطيتَ عطايا للناس » وقال (مز ١٠٩ : ١ ومرقس ١٦ : ١٩) : « قال الربُّ لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك » . واجاد يوئيل في وصف حلول الروح القدس على التلاميذ وتكلُّمهم بألسنة غريبة في عليَّة صهيون (٢ : ٨—٢٩ واعمال ٢ : ٢—١٨) فقال : « وسيكون بعد هذه اني أُفيض روحي على كلِّ بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبَّانكم رؤى . . . وعلى عبيدي واماني أُفيض روحي في تلك الايام واجعل عجائب في السماء وعلى الارض . . . ويكون انَّ كلَّ من يدعو باسم الربِّ يخلص لانها في جبل صِهيون وفي اورشليم تكون النجاة كما قال الربُّ »

وتنبأ اخيراً في مجد كنيسة المسيح وانضمام الامم اليها اشعيا النبي حيث وصفها بصورة اورشليم الجديدة فقال (٦٠: ١—٤)

« قومي استنيري فانَّ نورك قد وافى ومجد الربّ اشرق عليكِ . . . فتسير الامم في نورك . . . ارفعي طرفك الى ما حولكِ وانظري كلُّهم قد اجتمعوا واتوا اليك . بنوكِ من بعيد يأتون وتحملين بناتك في حضنك حينئذٍ تنظرين وتتهلَّلين ويخفق قلبك ويرحب . . . مجد لبنان يأتي اليكِ . . . لزينة مقدسي وامجّد موطئ قدميَّ وبنو الذين عنَّوكِ يقدمون خاضعين ويسجد لأخماص قدميكِ كلُّ من ازدراكِ . . . وبما انكِ كنتِ مهجورةً مكروهةً فلم يكن احد يجتاز فيكِ سأجعلكِ فخر الدهور سرور جيلٍ فجيل . . . »

ولا يظنَّن احد انَّ هذه النبوَّات لم تصف الَّا مجداً زمنياً ومفاخر بشريَّة محضة فانَّها تُعلن ايضاً بكمالات المسيح الالهيَّة بل تكشف القناع عن لاهوته . قال اشعيا النبيّ (٩: ٦—٩) يصف ولادتهُ : « انهُ قد وُلد لنا ولدٌ أُعطي لنا ابنٌ فصارت الرئاسة على كتفهِ ودُعي اسمهُ عجيباً مشيراً الهاً جبَّاراً أبا الابد رئيس السلام لنموّ الرئاسة ولسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكتهِ ليقرّها ويوطّدها بالانصاف والعدل من الآن الى الابد » . فانَّ اسماء كهذه دُعي بها مولود بيت لحم وابن داود لا تحقّ لغير الله اذ هو كفرٌ ان يدعى بشرٌ « الهاً جبَّاراً » او « ابا الابد » — وكذلك دعاهُ الكتاب (مز ١١٠: ١) ربّاً (אדני) وهو اسم مختصّ بالربّ الاله . ودعاهُ اشعيا (١٢: ٣ و٤٥: ٨) « يسوع » او « يشوع » اي المخلّص وهو اسم المسيح الخاصّ دُعي بهِ لانَّهُ وحدهُ من حيث هو الله امكنهُ ان يخلّص البشر من خطاياهم (متى ١: ٢١) . ودعاهُ سفر الحكمة « ابن الله » ليس بالمجاز بل بالحقيقة كما يظهر من قرينة كلامهِ عن الذين قاموا عليهِ وطلبوا موتهُ لكونهِ جعل نفسهُ ابن الله الحقّ قال (٢: ١٨—٢١) : « لنكمن للصدّيق فانَّهُ ثقيل علينا يقاوم اعمالنا ويقرّعنا على مخالفتنا للناموس ويفضح ذنوب سيرتنا يزعم انَّ عندهُ علم الله ويسمّي نفسهُ ابن الله . . . ويتباهى بانَّ الله ابوهُ فلننظر هل اقوالهُ حقّ ولنختبر كيف تكون عاقبتهُ فانَّهُ ان كان الصدّيق ابنَ الله فهو ينصرهُ وينقذهُ من ايدي مقاوميهِ . . . هذا ما ارتأوا فضلُّوا » . — بل دُعي بالاسم العظيم اي اسم « الاله » فسَّاهُ ارميا (٢٣: ٦ و ٣٣: ١٦) : « الربُّ برّنا » وفي العبرانيَّة « يهوه » (יהוה צדקנו) — ومثلهُ اسم المسيح في اشعيا (٧: ١٤) حيث قال انهُ يُدعى « عمانويل » (עמנואל)

اي الله معنا. فكفى بهذه الشواهد ادلة على انَّ النبوّات خصَّت المسيح بالألوهيَّة بلا مراء.

*

ولم ينظر الانبياء والآباء الاوّلون الى المسيح فقط بعين الوحي السابق والرجاء الوطيد وانَّما كانوا ايضاً رموزًا عجيبةً اليهِ والى اسرار حياتهِ ولا سيما صليبهِ وموتهِ. فانَّ الله لم يشاء ان يبهر العالم بحلول كلمتهِ على الارض دون ان يعدَّ قلوب البشر الى استقبالهِ. وان كانت الطبيعة لا تصنع شيئاً على بغتة بل تأتي باعمالها بالتدريج فكم بالحري كان يليق بهِ تعالى ان يرمز الى ابنهِ الحبيب ببعض اولياتهِ ليمثلوا سلفاً شيئاً من اسرار حياتهِ وصفاتهِ الالهيَّة. وترى السيّد المسيح نفسهُ ثمَّ رسلهُ من بعدهِ يؤكّدون لنا انَّ اولئك الرجال كانوا يمثلون ابن البشر ببعض كمالاتهِ

وعليهِ فقد اعتبروا (آدم) كمثال المسيح (١ كور ١٥: ٢٢،٤٥) من حيث هو رأس الجنس البشريّ الطبيعيّ. ففضلهُ المسيح اذ اضحى رأس جنسنا المفديّ بدمهِ وبكر الخلائق كلّها (كولسي ١: ١٥)

وقد مثَّل (هابيل) في شخصهِ المسيح لمَّا قدَّم تلك التقدمة التي تنسَّمها الربّ برائحة الرضى (تك ٤: ٣—٥) فقدَّم المسيح تقدمةً افضل منها ونطق دمهُ الزكيّ لدى الله بابلغ من دم هابيل (عبر ١٢: ٢٤)

أُعطي (ابراهيم) مواعيد البركة لنسلهِ فصار اباً لسائر المؤمنين (تك ٢٢: ١٨) فجاء المسيح وافياً بتلك الوعود فحلَّت بركة ابراهيم بواسطتهِ على جميع الامم (غلاطية ٣: ١٣—١٤)

رمز (ملكيصادق) الى تقدمة ذبيحة العهد الجديد غير الدمويَّة بالخبز والخمر (تك ١٤: ١٨ ومز ١١٠: ٤ وعبر ٥: ١٠)

كان (اسحاق) مثال المسيح في حملهِ حطب محرقتهِ لمَّا طلب الربّ من ابراهيم ان يصعد ابنهُ محرقةً على جبل موريا (تك ٢٢: ١—١٥) ففضلهُ المسيح عند ما حمل خشبة صليبهِ وانجز ذبيحتهُ (يعقوب ٢: ٢١)

(يوسف البارّ) في حياتهِ كلّها رمزٌ الى السيّد المسيح اذ باعهُ اخوتهُ وصار عبدًا في مصر ثمَّ جعلهُ الله ثقيانًا للفرعون ومخلّصاً لامّتهِ من المجاعة. فالمسيح

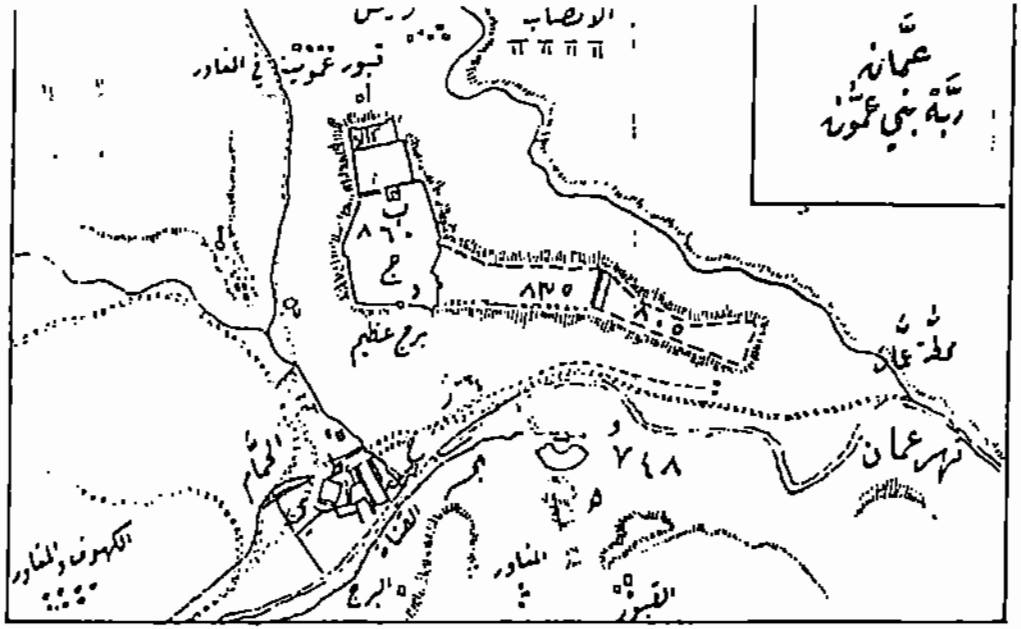

١ البركة المخزن ب القصر الساساني ج القلعة د هيكل الزهرة هـ المركح والملعب و المغنى ز الكنيسة الصغرى ح الكنيسة الكبرى ط خان في جامع

نقد يوناني من نقود عمان

لسلمتهُ امّتهُ للموت فكان موتهُ سبباً لمجدهِ وجلوسهِ من عن يمين الله وخلاص الامم عن يده

(موسى) صورة المسيح من حيث كان قائدًا لشعب الله الى ارض الميعاد فضلًا عن كونهِ ألمح هو في تثنية الاشتراع (١٨: ١٥) الى العلاقة بينهُ وبين المسيح . ففضلهُ المسيح اذ قاد الشعوب كلّها الى السماء بعد ان فتحها بدمهِ الكريم

كهنوت (هارون) كبير احبار العهد القديم (خروج ٣٠: ٣٠) يشير الى كهنوت اعظم وافضل منحهُ الله لابنهِ الالهيّ وهو قد مسحهُ كاهناً ابديًا ووسيطاً بين الله والناس (عبر ٥: ٤ و٨: ١—١٦)

من يجهل انّ (أيوب) باوجاعهِ كان رمزًا الى المسيح . وانّ (داود) مثّلهُ بعظمتهِ وانتصاراتهِ على الاعداء فدعاهُ بالروح ربّهُ (مز ١٠٩: ١) مع كونهِ ابنهُ بالنسب. وانّ (سليمان) ملك السلام كان صورة ذاك الذي القى سلامًا على الارض منذ مولدهِ فصرخت الملائكة: المجد لله في العلى وعلى الارض السلام

(ارميا) استحقّ ان يرمز الى المسيح بدعوتهِ قومهُ الى الله وبتفانيهِ في سبيل شعبهِ ولذلك لمّا ظهر المسيح ظنّ اليهود انّ ارميا عاد الى الارض (متى ١٦: ١٤)

وقد اكّد السيّد المسيح بنفسهِ ان (يونان النبيّ) كان مثالهُ اذ ابتلعتهُ الحوت فبقي ثلاثة ايّام وثلاث ليالي في بطنها ثمّ خرج حيًا كما يخرج هو من قبره حيًا بعد ثلاثة ايّام (متى ١٢: ٣٩ و١٦: ٤ ولوقا ١١: ٢٩)

وقد رجد الآباء في غير هؤلاء رموزًا الى المسيح كيعقوب ويوشع بن نون وبعض القضاة وصموئيل النبي وزربّابل وغيرهم . وفي كلّ ذلك دليل على انّ الله مهّد الطريق لابنهِ باختيارهِ بين ابناء شعبهِ رجالًا من الاماثل الفضلاء رسموا خاصّةً من خواصّهِ ولمحةً من ملامحهِ لانّ امورهم كما قال الرسول (١ كور ١٠: ١١) عرضت لهم رموزًا لموعظة البشر

*

وكما اجتبى الله اناسًا ليمثلوا ابنهُ قبل مجيئهِ كذلك اختار لشعبهِ رموزًا اخرى غير ناطقة تمثلهُ . فكان (الحمل الفصحيّ) المضحّى سنويًا في فصح اليهود رمزًا الى حمل الله الحامل خطايا العالم والمضحّى عن آثامهم (يو ١: ٢٩ و١ كور ٥: ٧) . ورمز اليهِ

(تابوتُ العهد) الذي فيهِ كانَ يقيم مجدُ الله بين البشر . فجاء المسيح وصار عمانوئيل اي الله معنا . وكان رمزهُ (التيسُ المخلّى وتيسُ التكفير) المحكيّ عنهما في سفر الاحبار واشار اليهما الرسول (عبر ١٣: ١٢) . ومثلهُ (عمود الغمام) الذي كان يتقدَّم بني اسرائيل في التيه فاعتبرهُ مار بولس رمزاً الى معموديَّة المسيح (١ كور ١٠: ١—٤) . وهناك ايضاً اثبت انَّ المسيح هو (الصخرة) التي ضربها موسى فأنبع منها المياه فشرب بنو اسرائيل في البرّيَّة ورَوُوا . فالمسيح يروي النفوس بتعاليمهِ كما انهُ يغذيها بجسدهِ الحيّ المرموز اليهِ (بالمنّ) الذي اكلهُ بنو اسرائيل فماتوا امَّا المنّ الذي يعطيهِ هو فمن اكل منهُ لن يموت (يو ٦: ٣١—٥٢)

ومن رموز العهد العتيق الى السيّد المسيح سُلَّم يعقوب (تك ٢٨: ١٢) التي رآها ممتدَّةً من السماء الى الارض وملائكة الله صاعدةً عليها ونازلةً منها . فابن الله هو الوسيط بين السماء والارض وقال لتلاميذه . « انكم سترون السماء مفتوحةً وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر » . ومنها (خباء العهد) الذي كان يدخلهُ كبير الاحبار مرَّةً في العام تكفيراً عن خطيئتهِ وخطيئة الشعب امَّا المسيح فدخل الى خباء لم تصنعهُ ايدي البشر اي السماء « ليتراءى امام وجه الله لاجلنا » (عبر ٩: ٢٤) . ومنها (الحيَّة النحاسيَّة) التي اقامها موسى في البرّيَّة لشفاء الملدوغين بالحيَّات (عدد ٢١: ٢٩) فكان المسيح مصلوباً هو الشافي لكل ادواء البشريَّة فصرَّح بانَّ تلك الحيَّة كانت مثالهُ في صلبهِ (يو ٣: ١٤) ومنها (الذبائح في العهد القديم) التي رمزت الى ذبيحة المسيح الكاملة فانَّ هذه قد تقدَّمت مرَّةً واحدة على جبل الجلجلة فكفَّرت عن ذنوب البشر امَّا تلك فكانت تتكرَّر لنقصها . ورموز اخرى غير هذه كفلك نوح وعصاة موسى وجزَّة جدعون وغمامة الياّ . وفي كلّها اشارات لطيفة الى السيّد المسيح ومميّزاتهِ

فمن لا يأخذهُ العجب بعد هذا من مقام المسيح ومنزلتهِ في العالم فايّ انسان بل اي ملك بل ايّ نبيّ عاش في العالم فلك عقول العالمين واستولى على قلوبهم الوفاً من السنين قبل وجودهِ بينهم فلولا انهُ الله لأُغلق على البشر ادراك هذا السرّ العجيب . فكلّ انسان تبتدئ حياتهُ يوم ولادتهِ وحياة المسيح ابتدأت منذ وُجد اوَّل انسان على الارض . وقد عرف السيّد المسيح ذلك احسن معرفةٍ اذ تراهُ في حياتهِ لا يفعل

فملًا الّا ليتمّ ما سبق واوحى بهِ كاله الى انبيائهِ وكثيرًا ما نبّهَ رسلهُ الى اقوال الانبياء (راجع لوقا ٢٢: ٣٧ ومتى ٢٢: ٢٩) واذ اراد بطرس ان يدافع عنهُ في بستان الزيتون زجرهُ قائلًا (متى ٢٦: ٥٤): «كيف تتمّ الكتب فانّ هذا ما ينبغي ان يكون» واذ كان على الصليب (يو ١٩: ٢٨—٣٠) «رأى انّ كلّ شيء قد تمّ فلكي يتمّ الكتاب قال: انا عطشان. فلمّا اخذ يسوع الخلّ قال: قد تمّ». وبعد قيامتهِ وبّخ تلميذي عمواس (لو ٢٤: ١٥) لقلّة ايمانهما «بكل ما نطقت بهِ الانبياء» لانهُ «كان ينبغي للمسيح ان يتألم هذه الآلام ثمّ يدخل الى مجدهِ. ثمّ اخذ يفسّر لهما من موسى ومن جميع الانبياء ما يختصّ بهِ في الاسفار كلّها». وكذلك فعل مع بقيّة التلاميذ (٢٤: ٤٤) حيث قال لهم: «هذا هو كلامي الذي كلّمتكم بهِ اذ كنتُ معكم انهُ ينبغي ان يتمّ كل ما كُتب عني في ناموس موسى وفي الانبياء والمزامير حينئذٍ فتح اذهانهم ليفهموا الكتب»

هذه شهادة النبوّات فليجسر ايّ انسان كان من اي دين كان ان ينكر قوّتها الالهيّة او بالحري فلتجثُ كلّ ركبة في السماء والارض لذاك الذي هو «الألف والياء البداءة والنهاية» يسوع المسيح «الشاهد الامين وبكر الاموات ورئيس ملوك الارض الذي احبّنا وغسلنا بدمهِ من خطايانا» (رؤيا ٥—٨) (لهُ بقيّة)

شهيد سر الاعتراف

روى المبشّر قبل شهرين خبرًا مؤثرًا عن كاهن كاثوليكيّ مات في روسية شهيد سرّ الاعتراف. فنظم حضرة الخوري الياس الحاتك هذه الواقعة بالشعر وارسلها الى مجلّتنا فها نحن ننشرها شاكرين لحضرتهِ

قضى يخنقُ الكتمانُ في صدرهِ السرّا ... بريءٌ جنى وغدٌ وحمّلهُ الوزرا
وحيّرتِ الدنيا جسامةُ ذنبهِ ... وما هو بالجاني ولا عرفَ النكرا
تسرّعتِ الحكّامُ في شجبِ كاهنٍ ... فما استأنفَ الدعوى ولا ميّزَ الامرا
وكان أطيرُ الغير علّةَ شجبهِ ... فأفعمهُ رُعباً واسكتهُ ذُعرا
فلا هوَ سفّاحٌ ولا الحالُ ناطقٌ ... يُبيّن بعد القتلِ اظفارهُ حمرا

ولا شهدَ الجُرمَ الفظيعَ محدّثٌ يخبّر بين الناس مَن فعلَ الشرّا
تحمّلَ جورَ الحكمِ حيرانَ مطرقاً ولم يقُل القاضي لعلّ لهُ عذرا
وقالَ: قصاصُ الخلقِ اهونُ وقعهُ على المرء من سخط المهيمن في الاخرى...
روت صحفُ الأخبارِ قصّةَ كاهنٍ وسارت بها الركبان تستوقف الفكرا
وهاكَ تفاصيلَ الروايةِ صرّحَ م البشيرُ بها نثرًا فاوردتُها شعرا
لتُطلع في التاريخ اجملَ صفحةٍ ويطفحَ وجهُ الدين من ذكرها بِشرا
وتصفعَ خدَّ الكفر ان قام ناقدًا وتكسر سهمَ الخصمِ في نحرهِ كسرا
هناكَ بارض الروس أُوقف كاهنٌ بتهمة قتلٍ ذاق من جورها المرّا
وكانَ قتيلٌ من يدٍ بريّةٍ رماهُ رصاصُ الخصمِ فاخترقَ الصدرا
فاسرعَ استاذٌ هنالك ناسباً الى الكاهنِ البَرِّ الجريرةَ والكفرا
وجاء الى مستنطقٍ قائلًا لهُ: هلمَّ الى التفتيشِ واكتشفِ الغدرا
فنقّب هذا في الكنيسة دائرًا وجالَ سريعاً في بناياتها طُرّا
وفي غرفةِ الخوري رأى بندقيّةً لإثباتِ هذا الجرم باقيةً حرّى
فقالَ: رأينا الشاةَ والذئبُ قُربها مضرّجةً فالذئبُ باقرُها بقرا
كفى بلسانِ الحال اصدقَ شاهدٍ فلا تُتهموا زيدًا ولا تظلموا عمرا...
فما خبر الخوري الى الاسقف الذي رماهُ بسهمِ الحرمِ عن عرشهِ جهرا
تجمّعتِ اللعناتُ تصخب فوقهُ من الشعب وانهالت على رأسهِ تترى
وحاكمهُ القانونُ والناسُ واحدٌ بإبعادهِ راضٍ وتعذيبهِ مُغرى
فكان جزاء القتل شغلَ مشقّةٍ وخيبةَ آمالٍ بها يقطعُ العمرا...
حرامٌ قضاةَ الارضِ رفقاً بصامتٍ براءتهُ في عرضِ جبهتهِ تُقرا
براءة ذاك الذئب من دم يوسفٍ يقول لكم: رفقاً وربُّكمُ ادرى...
مضى زمنٌ والناس تلهجُ بالذي جرى وحديثُ المينِ بينهمُ يُشرى
الى ان تناسى حادثَ الامس كلُّهم ومدّت يدُ الأيام من فوقهِ سترا
وللكاهن المسكين في الصدر انّةٌ يصعّدها سهماً ويُرجعها جمرا
تنوء بهِ الاقيادُ والحكم جائرٌ ويشتاقُ أن لو كانَ في نفيهِ حرّا
لهُ حارسٌ صُلبُ الفؤاد ملازمٌ ليستاقهُ عسفاً ويقتادهُ قسرا

ويُرجعهُ والسوطُ يُلهبُ ظهرَهُ ... الى عهدِ اسرائيلَ اذ كان في مصرا
وأى كلَّ اثقال الحياة خفيفةً ... ولا تُبهظُ الاثقالُ مَن حملَ الصبرا
فكم غافلَ الحرّاس والليلُ سائدٌ ... وقام الى تسبيحهِ يسبقُ الفجرا
يردّدُ شكرَ الله والناس حولهُ ... نيامٌ وطرْفُ الله يقظانُ لا يكرى
قضى تحتَ هذا النير عشرينَ حجّةً ... ولو شاء ربُّ العرش كانَ قضى دهرا...
تصرّمتِ الأيام والحقُّ خلفها ... طواهُ اثيمٌ لا يودُّ لهُ نشرا
فاوقفتِ الآجالُ تيّارَ شرّهِ ... وهبَّ ملاكُ الموت يعصرهُ عصرا
وقام على الاستاذ صوتُ ضميرهِ ... فاوسعهُ شتماً وأسمعهُ زجرا
وأوحت اليهِ النفسُ انّك مذنبٌ ... يهوّلهُ الماضي وتُفزعهُ الذكرى
فباحَ بسرٍّ بعد ما طال حجبهُ ... وانحنى عليهِ الصدرُ اضلاعهُ العشرا
اقرَّ لدى الحكّامِ بالصدق انّهُ ... هو القاتل المُعزي الى الكاهن المكرا
وقد صرعَ الزرّاعَ بالامسِ طامعاً ... باموالهِ واسترف المالَ والتبرا
وحاولَ إلصاقَ الظنون بغيرهِ ... فملّهُ الخنّاسُ مطلبهُ الوعرا
وارجعَ تلك البندقيّةَ بعدما ... اتمَّ بها فعلاً جريمتهُ الكبرى
فاودعها في دار كاهنهِ الذي ... روى تحت ختم الاعتراف لهُ السرّا
ليلبثَ قدّام الحكومة صامتاً ... ويلتصقَ الذنبُ الفظيعُ بهِ قهرا
فأسكتتِ الخوري خطيئةُ غيرهِ ... كأنَّ لها في كنف مهجتهِ وترا
وقابلَ ضيقَ النفي والأسر صابراً ... وقد كان بالتعذيبِ أستاذُنا احرى
وضنَّ بسرٍّ حرّمَ الدينُ كشفهُ ... ولو بادَ خلقُ الله عن ساحةِ الثرا
وباتَ شهيدَ الواجبات ومثلهُ ... جديرٌ على تلك الشهامة ان يُطرى...
افاقَ ولاةُ الامر انَّ اسيرهم ... بريءٌ ويا ليتَ البريءَ مع الاسرى
فمن قبل ذاك اليوم جادَ بنفسهِ ... وخطَّ لهُ الظلّامُ في ارضهم قبرا
وراح من المنفى الى الوطن الذي ... ينالُ بهِ عن كلّ نائبةٍ اجرا...
فاين دعاةُ الكفر مَن ثارَ شرُّهم ... على الدين يُروون التخرّص والهُجرا
واينَ الألى يستلقونَ طياشةً ... باخبارِ ذاك الرهط فلينظروا الخُبرا
ويا راوياً للكذب هل بعدما جرى ... تحاول بالتمويه ان تحجب البدرا

حملتَ على الدين المقدّس ناسباً لخدّامهِ في وقت خدمتهم شرّا
فكذّبك الحالُ الذي ادهش الورى وخطّ لهُ التاريخُ في صدرهِ سطرا
ومثلك يا هذا يبرحُ بشرّهِ ليُكتَبَ في ذيل الطروس ولا يُقرا

ربّة بني عَمُّون

بحث تاريخي اثري بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

من تجوّل في شرقيّ الاردن طارياً تلك الديار الداثرة وسرّح الانظار في هاتيك المدن البائرة وتأمل ما كانت عليهِ من المجد والثروة في الاجيال الدابرة وكيف انقلبت من رَفْع عزّها وانقرضت بعد ان تعاقبت عليها الدول الفاتحة تذكر النبوّات الرهيبة التي قضت عليها بالخراب والبوار دهرًا طويلًا من قبل ان ينزل بها شيء من طوارق الايام ونوازل الحدثان واذا وقف على تلك الاطلال المبعثرة ملكتهُ رهبةُ الاثار فسبحان الباقي العظيم من لا يتغيّر بتقلُّب الادهار فيمرّ في خلده قول الشاعر العربي:

اتى على الكلّ امر لا مردّ له حتى قضوا فكأنَّ القوم ما كانوا

على ان ما يطرب له قلب الزائر في رحلاته العلمية بين تلك الامصار انه يعثر على اسماء المدن القديمة بلفظها وحروفها كما نطق بها القدماء انفسهم وسطّرها مؤلفو الكتاب وغيرهم من المؤرخين الوثنيين وقد يختبر بنفسه قول الاوروبين في الشرق بانه بطيء الحركة في مراقي النجاح لا يميل الى التغيير والاقتراح. هناك يراقب اخلاق الاهلين وعوائدهم وما اتخذوه في معيشتهم من مأكول ومشروب واثاث وملبوس وغيره كأن لم يحدث في عالمهم تقدُّم وفلاح. فهي هي دون ان يطرأ عليها زيادة ونقصان منذ اربعين جيلًا فينتقل الى دهر لم يكن ليعهد تمدُّنهُ ولا دارت في خلده احوالهُ وشؤونهُ الى عصر الآباء والاسرائيليين في طور نشأتهم فيدرك اذ ذاك ان ما دوّنهُ كتاب الله من حياة العبرانيين لم يكن من مستنبطات الاذهان ولا من مخترعات الازمان كما يتوهّم ارباب الضلال

ومن اقدم تلك المواطن عهداً واوفرها اثاراً ربّة بني عمون التي حلّت محلّاً رفيعاً في الاجيال الماضية ودام عزّها ومجدها حيناً طويلاً تُنازع غيرها من المدن الشرقيّة الكبرى وهي اليوم تُلفت أبصار السيّاح بما بقي فيها من كنوز الدهر الغابر ولذلك احببنا ان ننشر من انقاضها الحاضرة ما وعاه لنا الزمن من تلك المعالم البائدة ونبعثها من لحد النسيان قبل ان تُهدم ابنيتها القديمة وتصبح ردوماً واطلالاً. ولا يُنكر ما وراء تلك المقالات الكتابية الاثرية من جليل الفوائد ممّا تتجلّى بها مشكلات الكتاب فضلاً عمّا يستعين به المطالع على ادراك ما تعسّر عليه من معضلات الآيات. ولقد قسمنا مقالتنا هذه الى قسمين : فالقسم الاول يبحث عن تاريخ الربة وقبل ذلك اتينا بشيء عن اسمائها وذكرنا موقعها الجغرافي ودوّنّا في القسم الثاني وصف عمان وآثارها الحاضرة ممّا ترتاح اليه النفس وتلذّ له المطالعة

١ مدينة عمان واسماؤها

اول اسم عُرفت به عمّان الرَّبّةُ (רבה) ومعناها جليٌّ لمن نال سهماً من اللغات الساميّة كالسريانية والعبرانيّة. والرَّبّة هي العاصمة ودار الملك وهي مشتقّة من (רב) مصدر يدل على الكثرة لان العاصمة تجمع عدداً كبيراً من كبراء وشرفاء وامم يستنجدون دارَ السلطان لما يجدون هنالك من ضروب الزين وانواع الملاهي والمسرّات فضلاً عن راحة البال لا سيما في بلاد اصبحت من عهد قديم دار حرب واضطراب. وكانت الشعوب السالفة في عبر الاردنّ تسمي قصبة البلاد باسم الرَّبّة وكانوا يضيفون اليها لقب الشعب ليكون بينها وبين غيرها تمييز مخصوص فلذلك دعوا قصبة بلاد مواب برَّبّة مواب (רבה מואב) ودعوا عاصمة بلاد العمونيين برَّبّة بني عمون (רבה בני עמון) وقد ذكرها على هذا المثال كتاب الله الكريم دفعات شتّى (١ واربما دعاها الانبياء والشعراء بمدينة المياه (עיר המים). واذا سافر المرء اياماً

١) ودونك الآيات التي ورد فيها ذكره ا. اولاً سمّاها الكتاب ربّة بني عمون في تثنية الاشتراع ف ٣ ع ١١ – سفر الملوك الثاني ف ١١ ع ٢٦ و ف ١٧ ع ٢٧ – ارميا ٤٩: ٢ حزقيال ٢٥: ٢. ثانياً جاء ذكرها وحدها فسماها الربّة في يشوع ١٣: ٢٥ – الملوك الثاني ١١: ١ – وف ١٢ ع ٢٧ و ٢٩ – الايام الاول ٢٠: ١ – ارميا ٤٩: ٣ – حزقيال ٢٥: ٥ – عاموس ١: ١٤)

طوالًا في تلك البوادي والقفار بين وقدات الحرّ وهجماته وانتهى الى تلك الديار شعر بانه في جنّات فسيحة ترويها المياه الغزيرة فيجلس تحت افنان نخائلها الضافية الظلال يستقي من عذب مواردها. هناك الآبار الكثيرة الندية والحديثة فما يكاد يحفر في تلك الارض حفرةً صغيرة الّا وتتدفق منها المياه المتفجرة ولذلك ترى الاعراب واردين اليها بمواشيهم واذا سألهم المسافر عن اسم عمّان اجابوا بكلام الاستعارة انها مدينة المياه على انّ هذا الاسم أطلق في الايام القديمة على المدينة السفلى كما سنبينه في موضعه ولقد ذكرها الانبياء ايضا باسم معبوداتها فدعوها بمدينة ملكوم او ملكام (עיר מלכם او מלכום). وقال استفانوس البيزنطي انها كانت تدعى باسم الإلهة عشتروت لوجود هيكل فيها لتلك المعبودة. وقد سماها اشوربانيبال حين افتتحها ببيت عمون (בית עמון) وفي اللغة الاشورية يدلّ البيت على الحصن الحصين والهيكل العظيم. وبعد ان درجت الايام دعاها المؤرخون من يونان ورومان فيلاذلفيا (Φιλαδέλφεια) نسبةً الى بَطلَماوس فيلاذلفوس (Πτολεμαῖος Φιλάδελφος) (٢٨٥ – ٢٤٧ ق.م) وهو الذي رمّم فيها هيكل الزُهرة وعبادة الشمس. وكذلك دعتها المسكوكات المكتشفة ما بين اسوارها. وعلى هذا المثال ذكرها اوسابيوس في كتابه معجم الاسماء (Ὀνομαστικόν). ولما نزل فيها الاعاجم وبنوا فيها القصر الكبير لم يغيّروا رسمها بل دعوها عمّان واتى العرب من بعدهم وابقوا ذلك الاسم دون ان يُنزلوا به تحريفاً ولذلك يقول المقدسي في الجيل العاشر: وعمّان هي حاضرة البلقاء. ولبث هذا الاسم الى يومنا هذا مرسوماً في حوافظ الناس يوردونه على هذا المنطق (١

٢ موقعها الجغرافي

مدينة عمّان واقعة في الجنوب المائل الى الشرق من ارض فلسطين ما بين

---

(١) ومما يحسن ذكره هنا ان الرّبّة اسم مدينة من مدن اليهودية ذُكرت مع قرية يعاريم في سفر يشوع ف ١٥: ١٠ ولم تُكشف آثارها الى هذا الحين وهي تتميّز عن ربّة بني عمّون. والرّبّة في زمننا الحاضر مدينة كبيرة في اواسط افريقية على نهر النيجر كانت تجارة الارقاء رائجةً فيها ويكثر فيها اليوم بيع العاج

الدرجة الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين عرضاً والدرجة الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين طولاً، واذا سافر المرء عند طلوع الشمس راكباً قطار الحجاز من الشام ادّى به السير عند المساء الى محطّة عمان وهي تبعد عن دمشق ٢٢٢ كيلومترًا وآثار عمان تبعد عن موقف القطار اربعين دقيقة واذا امتطى جوادًا من السلط طالباً عمان وصل اليها بخمس ساعات. وكم من امير من امراء العرب طوى ذاك المدى طيرًا ينهب الارض لسرعة جواده فاذا انتهى الى تلك الارض رأى امامهُ سهلًا خصيباً يريح الانظار تتدفق في جوانبه الجداول فتنمي تلك الحدائق الملتفة الاشجار فيقف ليعاين تلك المناظر البهجة وما زانتهُ يد الانسان من المشاهد البديعة. هناك نهر عمان يجري بين جنّات واسعة ثم يمتدّ فيصير راسياً لنهر الزرقاء المعروف في الكتاب المقدس باليَبوق (Pbq). والمدينة السفلى يقسمها النهر الى قسمين وعلى جانبيهِ قد ارتفعت ابنية الشركس على آثار مدينة المياه ومدينة الملك. وعمّان تعلو عن سطح البحر نحو ٧٣٥ مترًا

٣ تاريخ مدينة عمان

ان العمّونيين هم من نسل لوط كما سطّره الكتاب فولدت لهُ ابنتهُ الصغرى ابناً سمّته بنعمي وهو ابو بني عمون. ومن رام تدوين تاريخهم من اول نشأتهم اتّضح له ان تقدُّمهم في مراقي العمران اشبه بتمدن بني اسرائيل فكانت اول خطواتهم في معارج الحضارة تضارع حياة الاباء الذين عاشوا بين مواشيهم واغنامهم يسرحون بها في تلك الجبال والهضاب منتجعين ربوع الخصب والنماء واردين الى مجاري المياه. وربّما كانوا في اول امرهم قاطنين في المغاور المجاورة للربّة لانها لم تزل مأوى الرعيان وعابري الطريق الى يومنا هذا فكانوا يقضون لياليهم فيها آمنين من وطأة الاعداء والغزاة. وبعد ان درجت الايام ورأوا من الضرورة استخدام الخيم اخذوا ينسجون بيوت الشعر طلباً لحاجات غنمهم. على انهم اقاموا لهم بيوتاً صغيرة بنوها بالآجرّ والطين كما تشهد عليه الآثار الخارجة عن البلد. ولم يسكنوها الّا الزمن القليل من السنة بل كانوا في رحيل مستديم يقطعون الارض الى مواقع الكلإ ولبث دينهم التوحيد دهرًا لا يُعرف له حدّ في هاتيك الاجيال يقيمون

الذبائح للعلي. بيد أنهم بعد تعاقب الازمان اختلطوا بمن حولهم من الجبابرة الوثنيين ورأوا من عوامل الطبيعة ما أثر بهم لا بل خُلبوا بجمالها كما قال الكتاب وشاهدوا من قوة المخارقات وافعالها كالشمس والقمر ما اوعبهم رهبةً ووقاراً فنسوا الخالق حيناً بعد حين وألهوا قوى الطبيعة الشيء بعد الشيء. فلذلك عبدوا الشمس والقمر والسيارات فاقاموا لها الهياكل العظيمة والمعابد الفخيمة. ومن أشهر آلهتهم كاموش (١ وملكوم وهما معبوداهم العظيمان حتى دعاهم الانبياء بشعب كاموش وشعب ملكوم لعلّ ملكوم هو نفس مولوك (מלך) فقد قال عنه الكتاب انهم كانوا يقدّمون له تقادم اولادهم وبناتهم ويحرقونهم بين ايدي مولوك (העביר את בנו ואת בתו באש למלך) وكان لملكوم كهنة وذبائح تقام في الهياكل او في الغابات تحت اشجار السنديان او على المشارف وسنذكر في منتهى الكلام ما عثرنا عليه في تلك الاصقاع من الآثار. ولقد سجدوا للإلهة عشتروت فكانوا يصوّرونها على ضروب متنوّعة فطوراً كانوا يمثلونها على صورة عشتروت الفينقيين واخرى على مثال عشتروت الفلسطينيين. وعبدوا البعليم وهي إلهة غريبة لم تنشأ في بلادهم بل حملوها من ارض كنعان لما كان بين العمونيين والكنعانيين من المواصلات العديدة فرسموها على انواع مختلفة فتارة كانت كالجماد وتارة كالحيوان واخرى كالانسان. والبعليم عندهم هو المبدأ العامل وعشتروت المبدأ القابل فمنهما تولّدت الآلهة على زعمهم

فهذا الطور من حياتهم سمّاه العلماء دهر الشيوخ فكانوا يختارون لانفسهم

١) ومما يزيد قولنا ما وُجد في ديبان او ديبون القديمة في الجانب الشرقي من الاردن وهو قطعة من الرخام الاسود يحتوي على ثلاثين سطراً وهي اليوم في متحف اللوفر في باريس ويخبرنا الحجر الموآبي عن حروب الملك ميشع (Mésa) وما جرى لهُ مع عمري ملك اسرائيل. والملك نفسه هو الذي اقام ذلك الاثر وقد دُوّن نحو سنة ٨٠٠ ق م على عهد عمري. قال فيها: «انا ميشع ابن كاموش جاد ملك موآب الديبوني. ان ابي قد ملك على موآب ثلاثين سنة وخلفتهُ بعد وفاته وأقمتُ هذا النصب اكراماً لكاموش تذكار خلاص لانهُ انقذني من جميع الظالمين وانالني مرادي من اعدائي حتى من عمري ملك اسرائيل. وقد ضايقوا موآب اياماً كثيرة لان كاموش كان ساخطاً على ارضه وعلى عبدي قال كاموش: قم بنا سأروي شهوتي به وسأسحق اسرائيل سحقاً ابدياً». واسم كاموش قد أدخل في استهلال الكتابة وذُكر اثنتي عشرة مرّة في المدح والثناء فيعزو لكاموش كل ما يلحقهُ من الاضرار او ما يناله من الافراح. وذكرت تلك الكتابة الاسم صوفاً بلفظهِ العبراني (מזבח) قال: «وسلب اواني صوفاً وقدمها لكاموش إلهي»

رجالًا ممّن عُرفوا بثاقب آرائهم وصحّة آدابهم ونزاهة سيرتهم وفطنتهم ودرايتهم يَكِلون اليهم مشكلات الامور فكانوا الحاكمين في الدعاوي الداخلية والمصلحين للاحوال الخوارج لا بل كانوا في بعض الاحوال يقومون مقام الكهنة وارباب الدين وعلى الاجمال كانوا مسلّطين في الامور الدينية والسياسية والاجتماعية واذا دعتهم الايام كانوا يمتطون الخيل ويحشدون الجيوش لشنّ الغارات او ردّ الاعداء . ولو اردنا ان نضع حدًّا للمشابهة لرأينا الاعراب في ايامنا صورةً للعمونيين في هاتيك الايام .

بيد انّ ذاك الطور لم يلبث أن تلاه دهر سمّوه دهر الملوك اقاموا به عليهم رجلًا واحدًا قلّدوه زمام السلطة . وممّا يستلفت الاذهان انّ الأُمم السالفة كانت تختار من ملوكها من كان قويّ الجسم جبّارًا يرعب الجيوش بسطوته ويرجع القوم بعلو قامته وضخامة اعضائه فاول ملك ملّكه العبرانيّون هو شاؤل وكان شاؤل من كتفه فما فوق اطول من كل الشعب . وكذلك فعل العمونيّون فاول ملك ساد عليهم هو عوج وعاش في الجيل السادس عشر قبل المسيح وكان من بقية الرفائيين (١ ومن غريب امره انه كان مالكًا على ارض باشان مستوليًا على سلخة وأدرعي . ولما امر الرب الاسرائيليين بافتتاح تلك البلاد انكسرت جيوشه امام بني اسرائيل فلم يجد بدًّا من الهرب فانهزم تاركًا لهم مدنهُ واموالهُ وغنمهُ واعتصم بالرَّبة لما وجد فيها من الامن والسلام (٢ فضلًا عمّا فيها من الحصون المنيعة والقلاع الحريزة فحمل اليها سريرهُ وكانت الربة شهيرة على ايام موسى بذاك السرير الغريب وطول السرير تسع اذرع وعرضهُ اربع اذرع بذراع الرجل (تث ٣ : ١١) فملّكوه عليهم لما ألفوا فيه من صفات الملك وغدت الربة منذ ذاك الحين عاصمة بلاد العمونيين . فاعدّ لنفسهِ جيشًا واتّخذ حاشية وقوّادًا لدفع هجمات الاعداء . ودارت الحروب بين

---

١) والكتاب يسمّيهم زمزميين وهم الجبابرة المشهورون منذ القدم — وكان في ارض العمونيين قبل نزولهم فيها قوم من الجبابرة يسمّونهم زمزميين فاهلكهم الربّ واقام مكانهم بني لوط (تثنية الاشتراع ٢ : ٢٠)

٢) وقال الرب لبني اسرائيل : واذا دانيت جهة بني عمون فلا تُعادوهم ولا تُناجهم (تثنية الاشتراع ٢ : ١٩)

يشوع والامم القاطنين في عبر الاردن فاذلّهم وامتلك اراضيهم بيد ان الربة لبثت مستقلة بين ايدي العمونيين فوهبوا ليشوع نصف ارضهم اعطاها يشوع لبني جاد فكانوا يؤدون من ذاك العهد الجزية من مواشيهم لآل اسرائيل

وكان الله قد نهى الاسرائيليين عن مخالطة الامم واتخاذ بناتهم فلم يكترثوا لكلام الله ولا حفظوا عهدهُ بل اخذوا حيناً بعد حين يتزوجون ويزوجون ويخالطون العمونيين فكانت نتيجة معيشتهم ان عبدوا البعليم والعشتروت وكاموش وملكوم — فقد يحسن بنا ذكر ما كان يجري هنالك من الحفلات الدينية والطقوس الغريبة فكانت العذارى يَطُفْنَ حول الصنم يسحبن ثيابهنَّ الضافية الاذيال بين اصوات الدفوف والمزامير والكنارات وبين الترانيم الخلاعية والاغاني المهيجة . وبقيت تلك العادة بين العرب كما اشار اليها امرؤ القيس حيث قال في معلّقته :

فمثلُ لنا سربٌ كأن نعاجهُ عذارى دوارٍ في ملاءٍ مذيّلِ

فغضب الرب غضباً شديداً على بني اسرائيل لانهم عبدوا البعليم والعشتروت وآلهة بني عمون واسلمهم الى العمونيين ثماني عشرة سنة فظلموهم بما كانوا ينهبونه من الغنم بالغزوات المتواصلة وداسوهم تحت اقدامهم ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل طمحت بهم النفس الى افتتاح يهوذا وبنيامين وآل افرائيم فاستغاث اسرائيل بالرب في شدّته فاجابه الرب مستهزئاً : اذهبوا واستغيثوا بالآلهة التي اخترعوها فهي تنقذكم . على ان قلبه رقَّ لهم وارسل لهم مخلِّصاً يفتاح الجلعادي . فذهب يفتاح الى الربّة وخابر الملك بالصلح فلم يقبل بالصلح والسلام فمضى وحشد العساكر ونزل بجيش عظيم فدحر بني عمون وردّهم الى ارضهم مغلوبين (قضاة ١١ : ٣٣)

ومضى جيل على تلك الحال والعمونيّون مذلّلون لا يميلون الى الحروب بيد انهم تقوّوا في تلك المدّة ورأوا من ضعف بني اسرائيل ما شجّعهم ودفعهم على القتال فنزعت نفوسهم للغزوات (١مارك ١١ : ١—١١) فنزلوا بملكهم الى يابيش جلعاد فقال جميع اهل يابيش لناحاش ملك العمونيين وهو الملك الثاني الذي ذُكر له اسم في الكتاب : « اقطع لنا عهداً فنخدمك . فقال لهم ناحاش العموني : على هذا اقطع لكم عهداً اقلع كلَّ عين يمين لكم واجعل ذلك عاراً على بني اسرائيل » . ومما عثر عليه

العلماء في ابحاثهم الاثرية ان الاقدمين كالمصريين والاشوريين والبابليين كانوا اذا ارادوا ان يذلّوا انساناً شوّهوا اعضاءه بما جعله كريهاً مستحقرًا فطورًا كانوا يقلعون عينه كما ورد في الكتاب واخرى كانوا يقطعون لسانه وتارة كانوا يحلقون لحيته وذلك عار عند الاقدمين اذ اللحية تُعدُّ عندهم زينة الرجل وصورة المهابة ومثال الكمال. فلما سمع شاول بما جرى اخذ ثورين فقطعهما وأنفذ الرسل الى جميع تخوم اسرائيل يقولون: كل من لا يخرج وراء شاول وصموئيل هكذا يُصنع ببقره. فاجتمع جيش عظيم وقاتل بني عمون فتشتّت من بقي منهم ولم يبقَ اثنان مجتمعين

وفي آخر عهد شاول لمّا نشأت بينه وبين داود المنازعات كان داود كثيرا ما يلجأ الى بلادهم ويحتمي في الربة عند الملك ناحاش. فتوثقت عرى المحبة والصداقة بينهما فلما مات ناحاش عقبه ابنه حانون على عرشه (٢ ملوك ١٠: ١٦) فقال داود: اصنعُ رحمة الى حانون بن ناحاش كما صنع ابوه رحمة اليَّ فارسل عبيدًا ليعزّوه عن ابيه فظنّهم جواسيس قدموا ليعرفوا قوتهُ وارضه فاهانهم اهانةً عظيمة وارسلهم الى وطنهم فكانت نتيجة ما حدث ان اضطرمت نيران الحرب بينه وبين الملك. فاستنجد العمونيون ملك ارام دمشق فنزل ملك ارام بمركباته الحديدية وخيله وعسكره وانتهى الى سهل ميدبا اي مادبا الحديثة فدار القتال بينهم والتحم الفريقان فقُتل شوفاك قائدهم وانهزم الباقون وتشتّتوا. على ان داود كان يخشى دائمًا وطأة الاعداء ورجوع الحرب ما دامت قلاع الربّة بين ايدي العمونيين ولذلك لما ادبر الشتاء وبدا الربيع بزهوره حيث كان الملوك يخرجون فيه للقتال ارسل داود يوآب لمحاربة الربّة (٢ مل ١٢: ٢٦) ولبث داود في اورشليم في قصره فمضى يوآب بجيش عظيم وحاصر المدينة السفلى المتدة على شاطئ نهر عمان وكانت تدعى مدينة الملك. واخذها دون عناء لقلّة منعتها. وتعسّرت عليه المدينة العليا لما فيها من الحصون الكثيرة فضلًا عن المؤن الوافرة التي تعينها على احتمال الحصار. فكان العمونيّون يرمون جنود يوآب بالنشاب والصواعق وكانت السهام ترمي الجيوش لكثرتها. فعاد يوآب عن محاصرتها وبعث بكتاب لطيف يدعو الملك داود للمحاربة قائلًا: ها قد اخذتُ الربّة وحزتُ على مدينة المياه مدينة الملك (עיר המים עיר המלוכה) فاجمع بقية الشعب وانزل على المدينة وخذها انت لئلّا آخذ المدينة

فيكون الفتح على اسمي. وكان ملك الربة قد اعدّ المعدّات في قلاع الربة وحشد الجيوش العديدة وكان في تلك المدينة العليا بركة كبيرة يُنزل اليها بالدرجات الى عين المدينة السفلى وكان الاهلون يعرفون لها بابًا تحت في الصخر واذا انشبت الحرب دحرجوا الحجارة على بابها فلم يُعرف لها اثر. فجمع داود كل الشعب وسار الى الربة فحاربها واخذها بعد النصب الطويل واخذ تاج ملكوم (١ المهم وكان وزنه قنطارًا من الذهب بالحجارة الكريمة فكان فوق رأس داود . واغتنم من المدينة غنائم وافرة جدًا واخرج الشعب ووضعهم تحت المناشير ونوارج من حديد وطرح منهم في أتون الآجر فارتاعوا مذ ذاك الحين وخضعوا لملوك اسرائيل واصبحوا عبيدًا لداود يؤدون له الجزية والاعشار من محاصيل بلادهم . على ان داود اختار منهم من وجدهم ابطالًا فيما بينهم ولذلك نعاين في عداد جيشه حالق العموني

وخلف ناحاشَ ابنه شوبي وكان مسالمًا لداود (٢ مل ١٧ : ٢٧) مدّة ملكه ولمّا هرب داود من وجه ابشالوم ابنه الفى امامهُ من يعتني به ويقدّم له ما يحتاج اليه من الطعام. ولما دخل داود محنايم جاء شوبي بن ناحاش وقدّم له فرشًا وطروسًا واوعية خزف وحنطة وشعيرًا ودقيقًا وفريكًا وفولًا وعدسًا وحمصًا مشويًا وعسلًا وسمنًا وضأنًا وجبن بقر فأكل هو والشعب الذي كان معه

وملك سليمان وتزوج ببنات العمونيين وبنى لمنّ هيكلًا تجاه اورشليم قال الكتاب: وبنى سليمان مشرفًا لكاموش رجس موآب في الجبل الذي تجاه اورشليم ولمولك رجس بني عمون. ولم يُسمع عنهم بعد ذلك نبأٌ حتى ايام عزيا (٨١١—٧٦٠) حيث ادّوا الجزية له من اغنامهم. وتمرّدوا على ايام يوثام ملك اورشليم فقاتل ملكهم وتغلب عليهم (٢ الايام ٢٧ : ٥) فادّى له بنو عمون في تلك السنة مئة قنطار فضة وعشرة

---

١) جاء في الترجمة البروتستانية التي طُبعت في المطبعة الاميركانية : وأخذ تاج ملكهم. فقد ترجموا ملكهم وممّا يظهر ان الكلمة العبرانية تدل على ملكوم الاه العمونيين كما فسرهُ الآباء اليسوعيون في ترجمتهم فضلًا عن ان الملك لا يستطيع ان يحمل تاجًا وزنهُ قنطارًا والآثار انفسها تخبرنا على ان ملكوم كان ممثلًا على كرسي او عرش ومن فوق راسه شيء يشبه القبة وعليها تاج كبير

الآف كرّ من الحنطة وعشرة الاف من الشعير وادّت له بنو عمون في السنة الثانية والثالثة مثلها

وكانت الربة زاهرةً عامرة على ايام الانبياء تجمع عددًا عديدًا من الناس ما بين اسوارها وكانت عبادة ملكوم سائدةً فكان الانبياء يأسفون على حالتها ويتنبّأون على خرابها المستقبل. قال ارميا النبي: «ها انها تأتي ايام يقول الربُّ اسمع فيها هتاف القتال في ربَّة بني عمون فتصير تلّ ردم وتُحرق توابعها بالنار... قال الرب اصرخنَ يا بنات الربَّة وتحزّمنَ بالمسوح واندبْنَ وطُفنَ عند الاسيجة فان ملكوم يذهب الى الجلاء هو وكهنتهُ ورؤساؤه جميعاً ما بالكِ تفتخرين بالاودية لقد ذبل واديكِ ايتها البنت العاصية المتوكلة على كنوزها. هانذا اجلب عليك الرعب يقول السيد رب الجنود» (ارميا ٤٩: ١-٧). وقال حزقيال النبي (٢٥: ٢): «اجعل وجهك يا ابن البشر الى بني عمون وتنبأ عليهم هكذا قال السيد الرب: بما انكِ ايتها الربَّة قلتِ نعماً لمقدسي لانه دُنّس ولارض اسرائيل لانها استوحشت ولآل يهوذا لانهم ذهبوا الى الجلاء. هانذا اجعلكِ لابناء المشرق ميراثاً فيقيمون حظائرهم فيكِ ويجعلون فيك مساكنهم ويأكلون ثمرك ويشربون لبنك واجعل ربَّة مناخاً للابل وبني عمون مربضاً للغنم». وقال عاموس النبي: «سأضرم نارًا في سورية فتأكل قصورها مع صيحة في يوم القتال وعاصف في يوم الزوبعة ويذهب ملكوم الى الجلاء هو ورؤساؤه معاً قال الرب» (عاموس ١-١٤)

وقد تمت تلك النبوات الرهيبة على ايام اشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٦) فلمّا حاصر الربَّة اضرم نارًا في اسوارها وهدم قصورها وملكها وجلا اهلها الى بلاد الاشوريين وسار معهم الكهنة وخدَمة ملكوم وحملوا عبادتهم الى تلك الاراضي الغريبة. قال في سجلّاته: «واخذتُ بيت عمون في الحوران». وصار العمونيون الحين بعد الحين تحت سلطة الكلدانيين والفرس وقد اقام فيها الاعاجم قصرًا سماهُ العلماء بالقصر الساساني وهو اليوم في المدينة العليا كما سنبينه. وعقبتهم زمناً طويلًا الدولة المصرية والسورية حتى ان بطلماوس فيلاذلفوس دعاها فيلاذلفيا نسبةً الى اسمه. وكانت الدول كلها افتتحتها بنت فيها المنازل الكبرى وشيدت اسوارها واقامت فيها البروج والمعاقل. وروى بوليبوس المؤرخ ان انطيوكس الكبير (٢٢٠-١٨٥ق.م)

حاصر في قلعة الربة جيوش بطلماوس فيلوپاتور ولم يتمكن من افتتاحها الّا بخيانة وذلك ان اسيرًا كي ينجو من العذاب انبأ الملك عن البركة الموجودة تحت القلعة فمنع انطيوكس المياه عن اهل القلعة فاستسلموا بعد ايام لامر الملك انطيوكس لما اصابهم من العطش الشديد

وفي سنة ٦٥ قبل المسيح ملكها ملوك العرب المدعوين بالنبطيين وبقيت في حوزتهم الى السنة ٣٠ ق م. ومما يؤيد كلامنا ما عثرنا عليه من الاثار النبطية لا سيما النقود القديمة باسم عبداس الاول والثاني ومايكوس الثاني الذي ملك تسع عشرة سنة اي من سنة ٤٧ الى ٢٨ قبل المسيح واما اريتاس الرابع اي الحارث الملقب فيلوپاتور (١٩ ق.م-٤٠ ب.م) فقد امتدت سطوته على الربّة زمنًا طويلًا. ويفيدنا يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان هيرودس الملك حاصر القلعة واخذها بالعطش. ومما يظهر ان پمپايوس غابينوس هو الذي جعل فيلاذلفيا تحت امارة الرومانيين

ودخل فيها الدين النصراني منذ الجيل الاول وقد ظنّ بعض المؤرخين ان المؤمنين الاوّلين هربوا من اورشليم لما حدث فيها من الاضطهادات والتجأوا الى عمان. وقد اصبحت تلك المدينة من اكبر المدن النصرانية وراء الاردن وغدت مع تقادم الازمان دار اسقفية وشُيدت فيها المدارس العالية ليتلقن فيها الاكليريكيون الدروس الدينية وبُنيت فيها الكنائس العديدة كما تشهد عليها اثارها الحاضرة. وقد ذكر المؤرخون الكنسيون انّ اساقفتها حضروا المجامع الاولى المسكونية كأفسس وخلكيدونية وفي نيّتنا ان نسطر مقالة اخرى في مدينة عمان النصرانية ونذكر اساقفتها وكنائسها ومدارسها وسننشرها ان شاء الله عن قريب

٤ آثار الربّ في عهدنا الحاضر

ان المدينة العليا من الربّة تحتوي على بديع الاطلال ورفيع الابنية ومن اشهر تلك الاثار القلعة العظيمة وهي راقدة على جبل مرتفع وفي اعلاه سهل واسع يشبه الزاوية فالفرع الاكبر من الزاوية طوله تسعمئة متر وعرضه ثمانون مترًا فيتجه من الشرق الى الغرب والفرع الثاني طوله ٤٠٠ متر وعرضه ٦٠ م ويتجه من الجنوب الى الشمال والوديان العميقة تحيط بها من كل الجهات وقد اصطنعوا من الناحية

الشمالية خندقاً واسعاً حتى اصبحت القلعة منيعة لا تقوى عليها ايدي الفاتحين . ويرتقي اعلى الجبل شيئاً فشيئاً من الشرق الى الجنوب الى ان يصير علوه مئة وثلاثة وثلاثين متراً وقد بُنيت الاسوار من كل انحائها بالحجارة الكبيرة على الطريقة اليونانيّة الرومانيّة وشُيّدت عليها البروج المرتفعة حتى غدا علوها اكثر من عشرة امتار كما في الزاوية الشمالية ومما يستوقف الابصار البرج الجنوبي وله باب جميل نُقشت فيه انواع الزهور

وفي مقرن الزاوية يوجد باب عظيم يحتوي على ثلاثة ابواب ولم يبقَ هناك الا اساس الاعمدة الاربعة الكبيرة الراقدة على وجه الارض . واذا صعد السائح بعض الخطوات نحو الشمال الفى امامه هيكلاً لم يترك لنا الدهر منه غير مقدمته وبعض الاعمدة المذكورة . وهذا الهيكل هو على الشكل الكورنثي ويتضح انَّ بانيهُ هو القيصر مارقوس اوريليوس الفيلسوف (١٦١—١٨٠م) وقد وجدنا هنالك نقوداً من الملك المذكور عليها مرقوم: فيلادلفيا هرقل البقاعي (Philadelphie d'Hercule de Cœlé-Syrie) وقد عثرنا على اثر حجري هناك سُطّر فيه اسم مارقوس اوريليوس وكان الملك المذكور قد بنى ذاك الهيكل على اسم هرقل اي الشمس معبودة العمونيين

ومن تقدم نحو الشمال بين الاحجار والانقاض عاين القصر الساساني وله ست وعشرون متراً طولاً وخمس وعشرون عرضاً وفي منتصفه فناء واسع قد هبطت قبّتهُ الجميلة وبينما نحن نتأمل في جدران تلك الحجرة وما رُقش عليها اذ خرجت حية رقطاء تتمايل ذات اليمين وذات الشمال وقد يأوي الى تلك الاخربة عدد وافر من الحيات كما روى ساكنو عمّان . وفي مؤخر تلك الفسحة اربع حُجَر وفي زاوية كل منهما برج عظيم . وقد يسحر الانظار ما رقش على جدارها من النبات والاثار هناك عناقيد العنب تتساقط على الحائط ببديع نقشها هناك اوراق الدوالي وانواع الازهار تنبئ بجليّ البيان عن حذق ناقشها . وكأن صانعها اراد ان يمثل اثار تلك الربوع وقد اشتهرت تلك الارض بوفرة عنبها الى ايامنا الحاضرة وهي تذكرنا بقصر المُشَتّى (١ قال المقدسي في الجيل العاشر (ص ١٧٥) : انَّ فيها قبر اوريا قائد الملك

١) قصر المشتى بناء مربع طولهُ ١٤٦ متراً وعرضهُ ١١٦ لهُ ابراج اربعة في كل زاوية .

داود الذي قُتل في محاصرة الربّة — ومن وراء القصر الساساني فناء كبير طولهُ مئة وثمانية امتار يمتدّ من الشرق الى الغرب وثلاثة وتسعون من الشمال الى الجنوب. واما الحائط الشمالي فكان مزيّناً بالكوى يضعون فيها التماثيل

ومما هو حري بالاعتبار ان ذاك الجبل يحتوي على بركة خفية مبنية في منحدر الجبال من جهة الشمال وكانت تجمع المياه لاهل القلعة ايام الحصار وينزل اليها الاهلون بدرجات كبيرة يستقون منها دون ان يعلم احد موقعها فضلًا عن ان تلك البركة يحجزها عن المحاصرين خندق اصطناعي يصدّ المحاربين عن الهجوم وكانت الجنود المحاربة تضع عليها ايام القتال حجارةً فتخفيها عن الابصار

واذا وقف الزائر على قمة القلعة وسرح الانظار فيما حوله من الآثار رأى المخازن القديمة ممتدّة في اعلى الجبل بيد انّ نوازل الايام وايدي الانام قد هدمتها فلم يبق منها الّا اطلال دائرة واحجار محطّمة . وقد يجد السائح على سفح الجبل جنوبيّ القلعة بناء من الشكل الكورنثي وحائطهُ الشمالي مرتفع كما كان في الاعصر الخوالي وله ثلاثة ابواب فقد سمّاهُ بعض العلماء هيكل الزهرة وظنّهُ غيرهم انه نادٍ عمومي تلتئم فيه الجموع والشيوخ ليبحثوا عن مصالح المدينة . وكان بالقرب من النادي شارع مبلّط مزيّن بالاعمدة من جهتيه الشرقيّة والغربيّة . وكانت القوافل ترد اليه من كل الانحاء حاملة بضائع الشرق والشمال وقد اصبحت الربّة محطّ القوافل المصرية والشامية في الاجيال القديمة

واذا خطا بعض الخطوات نحو الشرق وقطع الجدول عاين المرسح الشهير ويسميه الاهلون الملعب (١ . فهو كما كان من الفي سنة لم يطرأ عليه تغيير فهو روماني الاصل قيل ان بانيهُ هو ترابانوس الملك وهو اكبر المراسح الموجودة في سوريا . على ان موقعه من احسن المواقع بحيث يقي المتفرّجين من اشعّة الشمس حيناً طويلًا من

وقد يجمل فيه بابه الكبير وحائط الباب وكان على ذلك الحائط نقوش بديعة تمثل اثار تلك البلاد كلها وحيواتها وكان طول تلك المنقوشات ستين متراً وعلوها خمسة امتار وقد منح تلك النقوش السلطان عبد الحميد لملك الالمانيين فاقتلعها الملك وحملها سنة ١٩٠٤ الى برلين عاصمتهم وهي من اجمل آثار متحفهم

١) ولعلّهُ هو الذي سمّاهُ ياقوت (٣ : ٧٣٠) والمقدسي (ص ١٧٥) ملعب سليمان

النهار فضلاً عن ان الاصوات ترتفع من اسفل فلا يغيب عن الحواس حرف واحد لاسيما اذا ساد السكوت. وهذا المرسح مركب من ثلاث مراتب فالمرتبة الاولى لها خمسة صفوف من المقاعد . والمرتبة الوسطى فيها اربعة عشر صفاً من المقاعد والمرتبة الثالثة فيها ستة وعشرون صفاً من المجالس . وفي اعلى المراتب كانوا يضعون سدة الملك او الحاكم فكان يسود على الجميع ويقف على كل حركات المشخصين او المبارزين وهذا المرسح يجلس فيه اربعة آلاف ناظر . واذا رام احد النزول او الصعود تيسر له ذلك دون عناء فانهم اقاموا في وسط المرسح طرقاً تؤدي الى درج يمتد من وراء الملعب . وفي اسفل المرسح يعاين المرء حجرتين كبيرتين كانتا معدتين لسجن الاسود والنمورة والتماسيح . وفي ساحة الملعب كان المبارزون يتصارعون امام جموع لا يُحصى لهم عدد — ولربما كانت العربات تتسابق في ذاك السهل الواسع والخيول تتجارى في ذاك الميدان

وبالقرب من المرسح يوجد بناء كبير سماه الاثريون مُقَنَّى (ωδεῖον) وكان ذاك الملعب مخصوصاً بالنساء دون غيرهنَّ يقضينَ فيه اوقات اللهو والسرور بين الاغاني والترانيم . وقد ارتأى بعضهم ان ذاك المرسح خُصَّ بالنساء فكن يمثلن فيه ادوارهنَّ على ان الرجال كانوا يجتمعون به لسماع الروايات . وفي الجنوب عثر السكان على نواويس واسعة وقبور منحوتة في الصخر . وعلى جانب نهر عمّان بنى الرومان حماماً بقيت اثارها الى ايامنا (لهُ بقيّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهلية

كثيراً ما كنّا نسمع في حداثة سننا بانَّ اللغة العربيّة لغة القرآن وانها كلها

اسلاميَّة وقد قرأنا ذلك في بعض كتب الاوربيين الذين لم يفقهوا الامر ورموا الكلام على عواهنه ولعلَّهم قالوا ذلك لأنَّ القرآن اوَّل كتاب دوَّنهُ العرب على الرقّ او الجلد او البرديّ او رقاق العظام . على انَّ اللغة العربيَّة سبقت الاسلام كما هو معروف ونطقَ بها قبائل شتى منها قبائل نصرانيَّة كشفنا القناع عن دينها المسيحيّ . واثبتنا فضل النصارى في سبقهم الى الكتابة العربيَّة

وليست غايتنا هنا ان نتتبَّع كلَّ مفردات لغتنا الشريفة فنروي ما جاء منها على ألسنة النصارى فانَّ ذلك مستحيل اذ كانت العربيَّة مع وفرة لهجاتها واحدةً في القبائل النصرانيَّة وغيرها كما انَّ لغة النصرانيّ في عهدنا لا تختلف عن لغة المسلم

ومع اقرارنا بذلك يمكننا انْ نجمع عدَّة مفردات وردت في المعجمات العربيَّة القديمة دخلت في اللغة بواسطة نصارى العرب لا سيما شعرائهم . ومجموعها دليل واضح على تأثير النصرانيَّة في امة اهل الجاهليَّة

وتسهيلاً لبيان الامر نروي هذه الالفاظ على حسب معانيها مباشرةً بالالفاظ الدالَّة عليه تعالى وكمالاته واسمائه الحسنى

١ الاسم الكريم واسماؤهُ الحسنى في الجاهليَّة

انَّ الوثنيَّة كانت عمَّت قبل المسيح كلَّ جهات جزيرة العرب كما سبق لنا بيانهُ وشهدت عليه المآثر المتعدّدة . فان وجدنا فيها ديانة التوحيد ووصف كمالاته تعالى والفاظاً دالَّة على ذلك بعد المسيح فلا بُدَّ من القول انَّ العرب الذين ناهوا بها كانوا موحّدين فهم اما يهود واما نصارى وعلى الاقلّ انَّهم استعاروها من اولئك الموحّدين . على انَّنا نعرف الجهات التي كان يسكنها اليهود في جزيرة العرب اما النصارى فكانوا منبثّين في كلّ انحائها فيجب القول انَّ هذه الالفاظ هي غالباً للمسيحيين دون اليهود

(الله تعالى) لا مراء بانَّ اسمهُ عزَّ وجلَّ كالاله الحقّ سبحانهُ وتعالى قد سبق عهد الاسلام وشاع في كلّ انحاء العرب وقد وجدهُ صاحب الشريعة الاسلاميَّة مكرَّماً معظَّماً بين ابناء جنسه المكيّين فهو يكرّر اسمهُ في القرآن كالاله العظيم الذي ليس فوقهُ إله وان كان بعض منهم يشركون به آلهة غيرهُ دونهُ رتبةً

امّا اشتقاق هذا الاسم فلم يتّفق عليهِ كتبة العرب وقد زعموا غالباً انّهُ عربيّ الاصل وانّهُ مركّب من لفظة اله مسبوقة بال التعريف كانّهُ « الاله » اختصروه بالله. امّا علماء اللغات الساميّة فيجمعون على انّ هذا الاسم مشتق من اصل آراميّ (ايل ܐܝܠ) مفخّم بزيادة الهاء جاء في الكلدانيّة والسريانيّة على صورة آلَهَا (ܐܠܗܐ ܐܠܗܐ) فقالوا بالعربيّة الله بلام اصليّة مفخّمة. وقد جاء الاسم الكريم في الكتابات النبطيّة والصفويّة فالنبطيّة ذكرتهُ منسوباً اليهِ كزيد الله وعبدالله وتيم الله وورد في الكتابات الصفويّة منفرداً. ولمّا كانت النصرانيّة دخلت الى بلاد العرب خصوصاً من جهات الشام وتمكّنت بين احياء النبط اطلقوا اسم الله في لهجتهم على الاله الحقّ كما شاع بين طوائف السريان ونقلوهُ في اسفار العهد القديم والحديث منذ اوائل القرن الثاني للمسيح. وخلاصة القول انّ اسم الله دخل في جزيرة العرب بنفوذ النصرانيّة خصوصاً. وعليهِ قد تكرّر هذا الاسم الكريم في الشعر الجاهليّ الذي كان معظمهُ لشعراء نصارى من قبائل نصرانيّة كربيعة وبكر واياد وغيرهم. ولا نرى حاجة الى ذكر امثلة عديدة لهذه الحقيقة لثباتها وكثرة استعمال اسم الله في الشعر الجاهليّ امّا بقيّة آلهة العرب فقلّ ما ورد ذكرها اذ كانت الديانة الوثنيّة قد تقلّص ظلّها قبل ظهور الاسلام. وكفى بايراد اقوال بعضهم في الاسم الكريم على صورتيه « الله » او « اله » قال زيد بن عمرو (عن رواية ابن هشام):

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رضيّاً لا يُبَى الدهرُ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقهُ إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمّ ربّاً فلن أرى ادين إلهاً غيرك الله ثانيا

وقال الاعشى (شعراء النصرانيّة ص ٣٦٥):

وذا النُّصُب المنصوب لا تنسكنّهُ ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا

وقال بعض الاياديين (كتاب البيان للجاحظ ١: ١٩٠):

ونحن اياد عبدُ الاله ورهطُ مناحيه في السُّلَّم

وقال لميّة بن ابي الصلت:

إلهُ العالمين وكلّ ارضٍ وربُّ الراسياتِ من الجبالِ

ويقرب من اسم الاله اسم الربّ كقول بن أوس بن حجر:

اطعنا ربّنا وعصاهُ قومٌ فذقنا كلّهم طاعتنا وذاقوا

(الاسماء الحسنى) يريد العرب المسلمون بالاسماء الحسنى صفاتٍ لهُ تعالى تدلُّ على اخصّ كمالاتهِ عزَّ وجلَّ استخرجوها من بعض اقوال القرآن وعدُّوها ٩٩ اسماً. واسماء الله لا عداد لها كما هو معروف لأنَّ كمالاتهِ تعالى لا يضمُّ بها احصاء. ومهما وُصفت بهِ الذات الالهيَّة فما تلك الاصناف الَّا نقطة من بحر. ولا نتتبَّع كلَّ اسم من هذه الاسماء وانَّما نكتفي بما هو ادلُّ على جلالهِ تعالى وعظمتهِ وقدرتهِ وعلمهِ ورحمتهِ فنجدها كلّها سبقت على ألسنة اهل الجاهليَّة واذ كان الله الواحد الصمد قد عرفهُ العرب كما قلنا بواسطة الموحّدين ولا سيما النصارى وجب القول بان هذه الصفات استعارها ايضاً كتبة العرب وشعراؤهم عن الدين النصرانيّ والاسفار المقدَّسة التي كان يتداولها ارباب هذا الدين

وكمالاتهُ تعالى على صنفين صنفٌ منها يعرّف الذات الالهيَّة في نفسها بقطع النظر عن المخلوقات كلّها والصنف الآخر يشعر بصفات العزَّة الالهيَّة بالنسبة الى الكائنات الخارجة عنهُ

فمن الصنف الاوَّل ما دلَّ على وجودهِ تعالى الواجب وقيامتهِ بذاتهِ وجلالهِ وعلمهِ وحكمتهِ وقدرتهِ وغناه وابديَّتهِ. وكلّ هذه الصفات قد عرفها اهل الجاهليَّة من نصارى العرب واستعاروها من الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث. فمن ذلك قول اميَّة بن ابي الصلت يصف عظمتهُ وجلالهُ وفي كلامهِ كثير ممَّا ورد في القرآن من الاسماء الحسنى فقال (شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٧):

الك الحمدُ والنعماءُ والملك ربَّنا فلا شيء اعلى منك مجداً واجدُ
مليكٌ على عرش السماء مهيمن لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجدُ
عليهِ حجابُ النور والنورُ حولهُ واعظم نور حولهُ تتوقدُ
فلا بشرٌ يسمو اليهِ بطرفهِ ودون حجاب النور خلقٌ مؤبَّدُ

ومنها في وحدانيَّته وصمدانيَّته وملكهِ المتعالي:

فسبحانَ من لا يعرفُ الخلقُ قدرهُ ومن هو فوق العرش فردٌ موحَّدُ
ومن لم تنازعهُ الخلائقُ مُلكهُ وان لم تفرّدهُ العبادُ فمفردُ
مليك السماوات الشداد وارضها وليس لشيء عن قضاهُ تأوُّدُ

وفي وحدانيَّتهِ وقدرتهِ وبقائهِ قال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤):

سبحانَ ذي العرش سبحاناً يعادلهُ ربُّ البريَّة فردٌ واحدٌ صمدُ
مسخَّر كلُّ ما تحت السماء لهُ لا ينبغي ان يُناوي ملكهُ احدُ

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتهُ يبقى الاله ويودي المالُ والولدُ

ولزيد بن عمرو في وبويتهِ وولائهِ وابديّته قولهُ (كتاب البدء والتاريخ ١: ٦٢) وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦):

ألا كلُّ شيء هالك غير ربنا وفه ميراثُ الذي كان فانيا
وليٌّ لهُ من دون كلّ ولايةٍ اذا شاء لم يُعسوا جميعاً تواليا
وان يكُ شيء خالداً وممرّاً تأمّل تجدْ من فوقهِ الله باقيا
لهُ ما رأت عينُ البصير وفوقهُ سماء الاله فوق سبع سمائيا

فترى في كلّ هذه الابيات عدداً عديداً من اسمائهِ عزّ وجلّ كالواحد والاحد والفرد والصّمد والاوّل والآخر والباقي والعزيز والعظيم والكبير والعليّ والمتعالي والمحتجب والماجد والمجيد والقادر والقويّ والقهّار والمقتدر والملك ومالك الملك وذي الجلال والمقدّس والحقّ والعليم والحكيم والغنيّ وكلّها من اوصافهِ الدالّة على كمالاتهِ الذاتيّة. امّا الصفات الالهيّة المنبئة بالعلاقة بين الخالق والمخلوق فورد منها كثير في الشعر الجاهليّ ومصدرها كما في الصفات السابقة التعاليم النصرانيّة الشائعة في جزيرة العرب. فمن جميل ابيات اميّة بن ابي الصلت قولهُ يصف خالق البريّة (شعراء النصرانيّة ص ٢٢٨):

هو الله باري الخلق والخلقُ كلّهم اماءٌ لهُ طوعاً جميعاً واعبُدُ
وانّى يكون الخلقُ كالخالق الذي يدومُ ويبقى والخليقة تنفدُ

ووصفهُ هناك بالمحيي المميت:

وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويُحيي دائماً ليس يجمُدُ

ولهُ في وصف تكوين العالم اقوال كثيرة كقولهِ في السماء (شعراء النصرانيّة ص ٢٢٦)

بناها وابتنى سبعاً شداداً بلا عَمَد يُرَيْن ولا رجالِ
وسوّاها وزيّنها بنورٍ من الشمس المضيء والهلالِ
ومن شُهبٍ تلألأ في دُجاها مرابيها اشدّ من النصالِ
وشقّ الارض فانبجست عيوناً واغوارًا من العذب الزلالِ
وبارك في نواحيها وزكّى بما ما كان من حرثٍ ومالِ

ولقسّ بن ساعدة في الخالق وغايتهِ من الخلق (شعراء النصرانيّة ص ٢١٦):

الحمدُ لله الذي لم يخلق الخلقَ عبثْ

ومثلهُ لعديّ بن زيد وسمّاهُ مسبّحاً وخلّاقاً (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٤):

ليس شيء على المنون بباقٍ غيرَ وجهِ المسبِّح الخلّاق

ومما يضاف الى صفته بالخالق قول امية بن ابي الصلت (العرائس للثعلبي ص ١٥)

اذا قيل من ربُّ هذي السما فليس سواهُ لهُ يضطربْ
ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعاً كَذِبْ

وسمّاهُ اميّة كبيرًا ومنشئاً ومُحيياً وقديرًا فقال:

بحمدوا الله وهو للمجد اهلٌ ربُّنا في السماء امسى كبيرا
ذالك المنشئ الحجارة والار ض وأحيائهم وكان قديرا

ووصفهُ قسّ بن ساعدة بالمهيمن (شعراء النصرانيّة ٢١٧):

فاعرفُ بالملك المُهَيْمِن مما غالهُ بالبأساء والنحسِ

ونعتهُ امية ابن ابي الصّلت بالسّليط والمقتدر فقال:

انَّ الانام رعايا اللهِ كلّهمُ انَّ السّليطَ فوقَ الارض مقتدرُ

وسمّاهُ الكريم فقال:

ثمَّ يجلو النهار ربٌّ كريمٌ بهاءٍ شعاعُها منثورُ

وقال اعشى قيس:

ربّي كريمٌ لا يكدّرُ نعمةً فاذا تُنوشد في المهارق انشدا

وخصّهُ زهير بن ابي سلمى بمراقبة الاعمال والانتقام لها في معاتبته:

فلا تكتمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يعلمِ
يؤخّر فيوضع في كتاب فيُدّخر ليوم الحساب او يعجّل فينقمِ

ووصفوهُ بالرحمان والرحيم. قال الاعشى (شعراء النصرانيّة ص ٣٩١):

فلئن ربّك من رحمته كشف الضيقة عنّا وفسح

وقال المثقّب العبديّ (شعراء النصرانيّة ص ٤١٥):

لى الرّحمانُ انواماً اضاعوا على الوعواع انراسي وعيبي

وقال سلامة بن جندل يصفهُ بالرحمان والجابر والجامع (اطلب طبعتنا ص ١٩)

عجلتم علينا حجّتين عليكمُ وما بيْنَ الرحمانُ يمتد ويطلقِ
هو الجابرُ العظمِ الكسيرِ وما بنا من الامر يجمحُ يشّعثُ ويفرّقِ

ويروى: «هو الكاسرُ العظمِ الامينِ». ووصفهُ زيد بن عمرو بالرحمان والغفور فقال (الاغاني ١٣: ١٦):

اربًّا واحدًا ام الفَ ربٍ ادينُ اذا تقسّمتِ الامورُ

ولكن اعبدُ الرحمانَ ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفورُ

ودعاهُ الورقة بن نوفل بالسميع المجيب فقال (الاغاني ٣:١٦) :

ادينُ لربٍ يستجيبُ ولا ارى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا

اقول اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعيا

فهذه الاسماء كلّها من صفات الله تبارك وتعالى تثبت جليًّا بان اهل الجاهليّة المتنصّرين لم يَفُتهم شيءٌ من معرفة الاله الحقّ (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

P. Paul Cheneau et Pétraqui Khayat : Ma premièro année de Français. *Jérusalem*, 1912. p. 171

اوّل سنة لدرس اللغة الفرنسويّة

انّ اقبال اهل هذه البلاد على درس اللغة الفرنسويّة حدا بكثيرين من الاساتذة الى نشر الكتب المدرسيّة المسهّلة للطلبة معرفة قواعدها . ومن احسن ما وُضع لهذه الغاية كتاب جديد جمع فيه حضرة الاب بولس شِنو وجناب الاديب بتراكي خيّاط اصول تلك اللغة الشريفة على طريقة واضحة سهلة جدًّا في ٥٢ درسًا ويشتمل كلّ درس معجمًا لبعض الالفاظ ثمّ قواعد قليلة يليها تمرينات شتى من العربيّة الى الفرنسويّة ومن هذه الى تلك وفي آخر الكتاب جدول لكلّ الالفاظ المشروحة بحيث يستغني الدارس عن مصنّفات أخرى مدّة سنة كاملة فنحضّ ارباب المدارس على اتخاذ هذا الكتاب لمدارسهم وهو متقن الطبع في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف ل . ش.

صحائف واجبات خدمة الرعايا

لسيادة المطران بولس عريضة رئيس اساقفة طرابلس

طبعت في طرابلس في مطبعة النجاح

نعم المشروع تولّاهُ السيّد الجليل بولس عريضة رئيس اساقفة طرابلس لفائدة اكليروسه . وذاك ان سيادته جمع في عشر صفائح مختلفة الاقدار معظم واجبات كهنة الرعايا بحيث يستطيعون بكل سهولة ان يذكروا خلاصة اللاهوت الادبيّ

الذي درسوهُ قبل الكهنوت ولا شك في ان كل اساقفة الطوائف يستصوبون هذا العمل ويسعون في الاقتداء به لكثرة فوائده . فانَّ خادم الرعيَّة بلمحة العين يمكنهُ الوقوف على واجباتهِ الكهنوتيَّة لا سيما في منح الاسرار المقدَّسة . ودونك جدول هذه الصحائف فترى ما تحتويه من المعلومات : ١ً صحيفة كبيرة في اخصّ واجبات خدمة الرعايا في نظام حياتهم وفي خدمتهم للرعيَّة مع بيان المحظورات عليهم . ٢ً صحيفة في واجباتهم عند منح سرَّي العمودية والتوبة . ٣ً صحيفة في واجباتهم عند منح الاسقف سرَّ التثبيت . ٤ً—٥ً صحيفتان في واجبات الخوارنة فيما يختصّ بسرّ الاوخارستيا والقداس مع اعلام في نظام القداس . ٦ً—٧ً صحيفتان في نظام اخصّ واجبات للعرّف وفي الحوادث المحفوظة للسيّد البطريرك وللاساقفة . ٨ً—٩ً صحيفتان في واجبات خدمة الرعايا في تزويج العرسان وفي الموانع المبطلة او المانعة للزواج وفي مسوّغات التفسيحات للموانع . ١٠ً صحيفة في واجباتهم في منح سرّ المسحة وفي الصلاة على الموتى ودفنهم

انفاس الطلّاب في مضمار الكتّاب

انتخبها المنسنيور بطرس حبيقة من كتابات تلامذة مدرسة القديس بطرس
الجزء الثاني . طُبع في المطبعة اللبنانيَّة جسر ضهر بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٥٠)

لا شيء ينشّط طلّاب المدارس كنشر باكورة ما انتجتهُ قرائحهم . وكأني بهذه الزهور الادبيَّة تزيد نضارةً وعبيرًا اذا جناها الجاني في مشارف لبنان حيث التربة اكرم والهواء اصفى ولا سيما اذا كان الجاني هو الذي عُني بزرع تلك الاغراس فسقاها بعرق جبينهِ واهتمَّ بنموّها وراقب ازدهارها . فنهنئ البستانيَّ بطيب جناه ونطلب من الله ان يجعل تلك الحديقة الغنَّاء طبق مرام راعيها واساتذتها الافاضل الذين آزروهُ في عملهِ الشريف ل . ش

الزَّهرات . للأستاذ يوسف افندي الفاخوري

الجزء الاوَّل . طُبع على نفقة نخبة من تلامذتهِ الندماء
في المطبعة الكاثوليكيَّة بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٣٨)

كما عُني المنسنيور بطرس حبيقة بنشر منشاءات طلبة مدرستهِ كذلك سعى بعض نجباء طلبة كليتنا الاقدمين بنشر مقالات استاذهم المحبوب جناب يوسف

افندي الفاخوري فاعربوا بفعلهم عمّا تكنّهُ صدورهم من الشكر لمن اوقف نفسهُ لتعليمهم . والزهرات عبارة عن نحو ٣٠ قطعة منها خطب ومنها مقالات واوصاف شتى وقصائد حسنة للاستاذ الوما اليه. كان تلامذتهُ اودعوها ذاكرتهم فارادوا ان ينتفع منها غيرهم من محبّي الأدب لا سيما الاحداث . فنهنّئ التلامذة بمعلمهم كما نهنّئ الاستاذ بتلامذتهِ

ل . ش

شذرات

الكلمة الاميركانيَّة ابت مجلّة الكلمة الأرثوذكسية الكثلكة بسهامها الطائشة . كانت في العام الماضي (١٩١٢ ص ٤٨) عند نشوب الحرب الايطاليَّة التركيَّة روت انَّ الحبر الاعظم والاكليروس البابويّ اعتبروا تلك الحرب « كحملة صليبيَّة جديدة ضدّ اعداء المسيحيَّة » فبيَّنا في المشرق (١٥ : ٢٢٣) كذب هذه الاشاعة التي نشرتها الجرائد المعادية للكثلكة لتغري المسلمين بمواطنيهم الكاثوليك . وها ان الكلمة تضرب اليوم على طنبور آخر ففي عددها الاوَّل من السنة الحاليَّة نشرت مقالة مفعمة بغضاً تهيّج فيها هذه المرَّة الحكومات البلقانيَّة واصحابها الارثوذكس على البابويَّة . والمقالة للسيّد رفائيل الهواويني المعروف بخطتهِ المعتدلة (!) هذا عنوانها (ص ٣٢) « البابويَّة بازاء انتصارات شعوب البلقان المسيحيَّة الارثوذكسيَّة على أمَّة الاتراك الاسلاميَّة » فزعم فيها انَّ الحرب البلقانيَّة هي حرب صليبيَّة وانَّ الحبر الاعظم خوفاً على الكثلكة من غلبة المشاقين (كذا) سعى لدى النمسة ان تتداخل وتضع حدّاً لمطالب الممالك الارثوذكسيَّة وانَّ « اعوانهُ لا يكفّون من الكرز والتبشير قولاً وفعلاً بمحالفة التاج البابوي مع الهلال الاسلاميّ ضدّ الصليب » (كذا ص ٣٥) . وكلّ يعرف ان قداسة بيوس العاشر في هذه الحرب البلقانية كما في الحرب الايطاليَّة لزم سياسة الحياد التامّ ولم يَفُه بكلمة واحدة تشير الى تفضيلهِ امَّة على امَّة . وان كان بعض الكاثوليك في اوربَّة كتبوا مقالات يفضّلون فيها اعتدال الاتراك مع الكاثوليك على تطرُّف بعض ارباب الامر في البلقان كتب غيرهم كثيرون مقالات أخرى لا تحصى اظهروا فيها موالاتهم للامم البلقانيَّة .

فهذا هو انصاف الكلمة التي تنثث في كلّ عدد من اعدادها سمّها الذعاف ولا تبالي بتناقض اقوالها . اصلحها الله وهدى كتّبتها المنقادين للهوى —

فكاهة هلاليّة في عدد مجلّة الهلال الاخير فبراير ١٩١٣ (ص ٢٩٨—٣٠١) مقالة تحت امضاء ا . ز (اميل زيدان) عنوانها العمر والتعمير ورد فيها عدّة مزاعم لا صحّة لها بناها على اساس واهٍ وافتتحها بذكر حبّة القمح التي « وجدوها في نواويس الفراعنة فجرّبوا زرعها ونمت » وهو حادث كذّبهُ العلماء بعد انتشار روايتهِ مرارًا فنتعجّب من ا . ز انهُ عاد الى هذه الخرافة . ومن فكاهات هذه المقالة باب عنوانهُ « نحن وآباؤنا » سعى فيهِ ان يبيّن ان معدّل العمر في عهدنا قد زاد فصار بين اربعين الى ٤٥ سنة بعد ان كان ٢٨ سنة في فرنسة قبل الثورة الفرنسويّة فصار بعدها ٣٢ من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٢٥ وهو اليوم ٤٦ . وهي اقوال تحتاج الى ملحوظات متعدّدة لا يسعنا هنا ايضاحها ويُستنتج منها غير ما اراد الكاتب كأنّ الثورة الفرنسويّة وما تبعها من الفتن والفوضى مدّدت الفرنسويّين وزادت في عمرهم !!! . وممّا اثبتهُ هناك من المبكيات المضحكات قولهُ (ص ٣٠١) :

وفي القرون الوسطى اخطّت الاسباب الصحية وزادت الوفيات زيادةً فاحشة (كذا) ولا غرو ففي تلك القرون اخطّت سائر احوال الجنس البشري (كذا) فكانت الامراض الوبائيّة تنتشر فيهم ويتركون الامر لعناية الله (؟؟) ويفضّلون الصلاة على العناية بانفسهم (كذا) ولو عقلوا لسعوا في اصلاح حالتهم من غير ان ينتظروا اعجوبة من عند الله . فالسماء لا تعين من لا يعين نفسهُ . ومما يروى عن تلك الايّام انّ الناس اهملوا اجسادهم وتفرّغوا للاعمال الروحية (زه ! زه !) لدرجة انّ احد آباء الكنيسة كتب مرّة الى فتاة ينصحها بان لا تستحمّ ابدًا لئلا توجّه التفاتًا الى امور هذه الدنيا

فما اظرف هذا الكلام من فيك يا ا . ز انّك لقد عرفت من اين تؤكل الكتف فانّ صلاة اهل القرون الوسطى واهتمامهم بالروحيّات ذلك ما افسد امزجتهم وعرّضهم للوفيات ! . فنرجوك ايّها الطبيب النطاسيّ ان تروي لنا كيف اكتشفت هذه الميزانيّة في حياة اهل القرون الوسطى وان تثبت لنا احصاءات العلماء في ذلك العهد لتؤيّد زعمك . كأنك نسيت انّ الحروب الطاحنة في القرون الوسطى هي التي فتكت باعمار كثير من البشر . وكأنكَ لا تعلم ان الاوبئة التي ظهرت في تلك الايام كالطاعون الاسود كان اذرع فتكاً منهُ في القرون المتأخرة ونحن نرى ايضاً

مفاعيلهُ السيئة في زمننا رغماً عن كلّ اكتشافات المحدثين للمصول الواقية وغيرها . وكأنك تجهل انَّ في كلّ عهد اطول الناس اعماراً انَّما كانوا الرهبان المنقطعين الى الزهد وخدمة الله . وكأنك . . . وكأنك . . . ولولا علمنا بأنَّك نقلت ما كتبت عن تآليف بعض المتشدقين لما بسطنا لك عذراً وانَّما نأسف على انَّ كاتباً عاقلاً ينقل مثل هذه السفاسف ونأسف على مجلّةٍ كالهلال تسوّد صفحاتها بتدوينها لها فليتحقّق ان « الروحيّات » التي تقصر العمر ليست الروحيّات الدينيّة بل الروحيّات المسكرة

كتاب الدلالة اللامعة ونسبتهُ الى السيّد افتيميوس صيفي — رأيت في العدد السابق احتجاج حضرة الخوري قسطنطين الباشا وادلّتهُ لاثبات حقيقة نسبة كتاب الدلالة اللامعة الى السيّد افتيميوس صيفي . وقد ذيّلنا مقالتهُ ببعض انتقادات تضعف نوعاً تلك الدلائل . لكنَّ حضرة القس جرجس منش ارسل لنا ملحوظات أخرى يُقلّب فيها رأيهُ على رأي مناظرهِ نقتطف منها اظهرها بياناً

١ً يرى حضرة القس منش مثلنا انَّ شهادة الاب بطرس فروماج (ص ١٠٥ — ١٠٦) عن نسبة كتاب الدلالة اللامعة الى الاب ميخائيل نو لا تزال ثابتةً وانَّ حضرة الاب ق. الباشا لم يُحسن تفنيدها

٢ً انَّ شهادة الخوري ميخائيل بريك المرويّة هناك (ص ١٠٨) ليست مرويّة بتمامها وهذا نصّها بالحرف الواحد (ص ١٠١ من الطبعة المصريّة):

« وفي ايّام تاوفيطوس هذا توفي افتيميوس مطران صيدا وهو اوّل من تبع الاراخنة (يريد الدين الكاثوليكيّ) التي نشأت لذلك العهد وخبرهُ مشهور عند الجميع وكان لافتيميوس ابن اخت يقال لهُ سيرافيم وكان قد جعلهُ قسّاً عندهُ وهو على معتقد خاله متمسكاً به وقد كتب في ذلك كتاباً سماهُ الدلالة اللامعة »

فيحصّل من هذا القول انَّ كاتب الدلالة اللامعة ليس هو افتيميوس صيفي بل ابن اختهِ سيرافيم (١

٣ً ومن الغريب انَّ معاصري افتيميوس كانوا يجهلون انَّ كتاب الدلالة

(١ عندنا نسخة خطيّة من تاريخ ميخائيل بريك في نصّها المذكور بعض اختلاف يرجّح رأي حضرة الخوري ق . الباشا : وهذا حرفهُ (ص ١٧) : هذا (اي افتيموس) كان لهُ ابن اخت اسمهُ سيرافيم وسامهُ قسّ عندهُ وكان اعتقاده كمثل خاله انَّما ذلك سرّاً ليس جهراً كما انَّ خالهُ الان حرصهُ (حرّضهُ) ان يتمسك في البابسطة (البابويين) وصنع لهُ كتاباً ولقبهُ الدلالة اللامعة والاليق ما يقال « الضلالة المظلمة » (المشرق)

اللامعة من تاليفهِ فانَّ مثل الخوري حنَّا الحورانيَّ المفاخر بانتمائهِ الى افتيميوس تراهُ في رسالتهِ التي وجَّهها اليهِ في السنة ١٧٢١ يطيل لسان الثناء عليهِ والتلطُّف بهِ والاعتذار اليهِ وانَّما يقتصر عند ذكره « كتاب الدلالة » على ارسال نسخة منهُ الى ابن اختهِ ناصر ومباهاة هذا بها . وهذه الرسالة قد نشرها الاب باشا نفسهُ في مجلَّة المسرَّة (٣ : ١٨–٢٢) أفما كان الاولى والامثل بالخوري ان يثني ما شاء على الطران لتأليفهِ الدلالة دون كلّ شيء سواها فيما لو كان معروفاً انَّها من تأليفهِ حقيقةً . وفي ذلك من الخطورة ما لا يغرب عن احد

٤ً واما ما تناولهُ حضرة الاب عن كتاب التختيكون الكنسي وجعلهُ عمدة ادلتهِ وشواهدهِ فقد اضعفهُ حضرته من حيث لايدري بدعواهُ ان صاحب التختيكون « اخذهُ عن القول الشائع » فاذا كان مؤلفهُ الاب يوحنا العجيمي اخذ قولهُ بالسماع سواء كان من تلاميذ افتيميوس ام من سواهم ... فهو بالطبع لم يتثبت في صحة ذلك المسموع كما يظهر بادنى تأمل

٥ً ثمَّ زاد حضرة القس ج . منش شهادةً اخرى على ما اوردهُ في المشرق (١٥ : ٥٧٥) وهي شهادة الاب انطون ونتوري المرسل اليسوعي حيث يوجه كلامه الى الياس فخر وينسب اليهِ الدلالة اللامعة قال ما نصُّهُ :

« تذكَّر يا الياس انك انت بالصواب وبدلايل مقنعة قد اثبت سابقاً حقيقة ايماننا (ايماننا) وحكمة (وحكمت) على كل من لا يعتقد بها انهُ رجل اراتيكي ولقد كنت حينئذٍ تسمى حسناً فمن ذا الذي سحرك ورجَّعك الى طريق الضلال . انك قد اوردت انت سبب ذلك لرجل معتبر من طائفتك يشهد هو مع رجل آخر مثلهُ ذو (؟) شرف امام حضرة قنصلنا على سبيل الشريعة اذا إحتاج الامر وهي انهُ لما كنت في بيت احد هذين الشخصين وسألك صاحب المنزل عن الشهادات الموردة منك في كتاب الدلالة اللامعة لاثبات حق تعليم الكرسي الرسولي وحق ضلال الروم هل هي صحيحة ام لا ؟ فاجبتهُ حالاً قائلاً : اي نعم انها كلها صحيحة حقيقةً . فقال لك ذلك (الرجل) : فلماذا اذاً تتكلم الان ضد الحق الواضح المعروف منك؟ فما كان جوابك لهُ سوى انك وضعت حينئذٍ اصبعك في فمك ثم اخرجتها لاحساً اياها قائلاً : ما يدي اكل . مشيراً بذلك الى انك انما تافقت على الحق المعروف منك لتربح خيراً زمنياً . . » اه عن الرسالة الجدلية التي ابطل بها الاب انطون ونتوري مزاعم ابن الفخر في بتولية القديس يوسف والرئاسة البطرسية

(المشرق) يرى القرَّاء انَّ الشواهد ليست بكافية لأن تقطع حجَّة نسبة

كتاب الدلالة اللامعة الى السيّد افتيميوس صيفي . فعلى كلّ فريق ان يرتاي في ذلك ما يشاء . وبهِ الكفاية

❊ اين المحبّة واين الهمجيّة ❊ قد خُصّت الكنيسة الكاثوليكيّة بمحبّتها كلّ الاسقام لتعالجها وكلّ العاهات لتبرئها او تلطّفها ومن جملتها ذاك الداء العياء الذي يشوّه بشرة الانسان ويفني حياتهُ نقطةً نقطةً دون انقطاع نريد بهِ البَرَص الذي ذكرنا في المشرق (٥ : ٥١٤–٥١٦) مشروعات الكنيسة في علاجهِ لمّا زيّفنا مزاعم جريدة المنار الاورثذكسيّة . وذكرنا هناك شهيد محبّتهِ في خدمة البُرْص الاب داميان البلجكيّ في جزائر ملوكاي الذي اجمع كلّ العالم المتمدّن على اطراء تفانيهِ . وليس مثل الاب داميان شيئاً منفرداً فانّ مستشفيات البُرص التي يديرها المرسلون الكاثوليك في عهدنا تنيف على العشرة منها ثلاثة مستشفيات يديرها الآباء اليسوعيّون في جزيرة مدغسكر وفي حاضرة بماي في الهند وفي الصين . ومما روتهُ مؤخّراً انباء الصين انّ مرسلي الرسالات الاجنبيّة في مقاطعة كوانغ سي كانوا منذ بضعة اعوام يحنّون الى ما هنالك من البُرْص الذين يتضوّرون جوعاً ولا يشفق عليهم احد من ابناء جنسهم الوثنيين . ففي السنة ١٩١٠ امكن المرسلين ان يقتنوا ملكاً واسعاً في جوار مدينة نانْ ننغ (Nan-ning) فأخذوا في تشييد مستشفى واسع ليؤوا اولئك البائسين الذين يقضون حياتهم خارجاً عن المدن بين الادغال والشجر . فلمّا كاد ينتهي البناء ذهب رئيس المرسلين الى حاكم البلد الجنرال « لو يُنغ تَنغ » وبأنهُ ما عوّلوا عليهِ من اعانة البُرْص لئلّا يصيروا عبئاً على السكّان فاثنى على مروّتهم ووعدهم بالمساعدة . ولمّا قرب وقت فتح المستشفى اذ علموا في صباح اليوم ١٤ من ك ١ المنصرم انّ الجنرال المذكور ارسل فريقاً من الجند فاحاطوا بالادغال حيث كان اولئك المنكودو الحظّ واضطرّوهم الى ان ينحدروا الى خنادق المدينة ثمّ اخذوا يطلقون عليهم بندقيّاتهم حتى قتلوهم كلّهم في عدد ٣٩ ابرص ثمّ جمعوا عليهم الحطب ورشّوا عليهِ البترول واوقدوهُ وكان هناك قوم من الوثنيين اجتمعوا من المدينة فلم يرقّ قلب واحد منهم على اولئك المساكين . امّا الجنرال فنشر منشوراً ادّعى فيهِ انّ البُرْص اعداء المجتمع الانساني وانّ السماء لم يبتلهم بتلك البارى الّا لآثامهم فمساعدتهم هي جناية في حقّ الدين . فليحكم الحكم اين المحبّة

واين الحجيّة . وبينما نحن نسطر هذه النبذة اذ بلغنا خبر وفاة ابرين يسوعيين ماتا في مدغسكر في خدمة البُرَص اسمهما الاب جان بيزيم (Jean Beyzim) المولود في بلاد بولونيا سنة ١٨٥٠ فطلب من الرؤساء ان يقف نفسهُ في خدمة المصابين بالبَرَص فتفانى في علاجهم عشر سنوات في مستشفى مارانا (Marana) الذي انشأهُ لهذه الغاية سنة ١٩٠١ فكانت حياتهُ بين البُرَص كحياة احنّ الأمهات بين اولادها توفّي في رائحة القداسة في ٢ ت ١ ١٩١٢ . وبعدهُ بعشرة ايام استأثر الله برسل آخر في ذلك المستشفى عينهِ الاب ازيدور دوبوي (Isidore Dupuy) احد ابطال الرسالة الكاثوليكيّة في مدغسكار الذي كانت جازتهُ الدولة الفرنسويّة فاهدتهُ وسام شرفها اي صليب اللجيون دونور لخدمهِ المتواصلة للحمة الفرنسويّة سنة ١٨٩٥ واذ خدم مدّةً المصابين بالبَرَص أُصيب هو ايضاً بدائهم فتناثرت لحمانهُ بذلك المرض العضال مدّة سنتين حتى قضى حياتهُ بين الاوجاع شاكرًا الله على تلك النعمة التي فضّلها على كلّ الامتيازات البشريّة فكان يقول انّ الله جعلني كاثليار البرص

تعدُّد الآلهة سأل محمود افندي الناظر من امّ درمة (في مصر) صاحبي المقتطف الدكتورين في الفلسفة السؤال الآتي: «كان قدماء اليونان يقولون بتعدُّد الالهة فيقولون انّ للجمال الهاً وللنور الهاً وللحرب الهاً فكيف ذلك مع انهُ كان فيهم فلاسفة مفكرون». فكان جواب منشئي المقتطف (يناير ١٩١٣ ص ٩٣) ما حرفهُ :

ج . يظهر لنا انّ التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى عقيدة التوحيد . فاذا لم تكن هذه العقيدة قد وصلت الى الناس بالهام الهيّ فيكون وصول بعضهم اليها تحكُّم لا موجب لهُ لانهُ كما يصحّ عقلاً ان يكون في العالم اله واحد يصحّ ان يكون فيهِ الهان او ثلاثة او اكثر . سمعنا مرّةً عن اكبر العلماء (!) يبرهن على وجوب وحدة الخالق بقولهِ: اذا وجد في العالم الهان فيستحيل ان يكونا متساويين في كلّ شيء واذا اختلفا في القوّة تغلّب احدهما على الآخر ولاشاءُ فيبقى اله واحد . فقلنا لهُ: كيف تثبت المقدّمة الاولى وهي قولك: انّهُ يستحيل ان يكونا متساويين في كل شيء لأنّنا لا نراه من البديهيات . فاستغرب ذلك منّا وقال: هاتوا لي شيئين متساويين . فقلنا لهُ انّ الجوهر الواحد من الذهب او الفضّة يماثل الجوهر الآخر وهب انهما مختلفين (كذا) فاحدهما لا يلاشي الآخر . فوجم كأن هذا المثل لم يخطر على بالهِ قبلاً . ولذلك يرجّح علماء الاديان الآن انّ عقيدة التوحيد وصلت الى الناس بالهام الهيّ

هذا ما قالهُ الدكتوران في الفلسفة وهو في الغرابة بمكان . واغرب منهُ اخفاهما

لذاك « العالم من اكبر العلماء » . ونحن نقترح على احد صغار فلاسفتنا ان يجيب الجواب الحق على هذه الاقوال السفسطيَّة

احتجاج باطل نشرت جريدتا الحارس (في عددها ٣٢٧) ودليل الحمص (ع ٧١) رسالةً تحت امضاء « سليم سامي جقي معلم المدرسة السريانيَّة بحماة » ردَّ فيها على ما كتبهُ المشرق ونشرتهُ جريدة البشير في امر السريان اليعاقبة في حماة وبطريركهم عبدالله الصددي فدعا قول كاتب المقالة افتراء . فكان (اوَّل) ما انكر على صاحب هذه المقالة انَّهُ سمَّى الامَّة السريانيَّة القديمة باليعاقبة . فاخذنا العجب من هذا الاحتجاج الغريب فنكر ما هو اوضح من النهار وإنْ سألت ايَّ رجل شئت في الشام وما بين النهرين والعراق من هم اليعاقبة لم يخطئ الفرد الواحد في الدلالة عليهم بل اعجب العجب انَّهُ ينكر الاسم الوحيد الذي عرفوا بهِ وان فضل سليم افندي سامي جقي ان يدعوهم بالسريان العتق فهو مخير في ذلك لانَّنا نعلم انَّ عتق تلك الطائفة هو البلى بعينهِ — ثمَّ احتجَّ (ثانياً) على تنويه حضرة كاتب المقالة بارتداد بعض ارانك اليعاقبة الى الكثلكة وان شئتَ قُلْ ارانك العُتق الى الجدَّة وارانك الضالين الى الهدى . ومن العجب انَّهُ مع احتجاجهِ يقرّ بارتداد « شيعة قليلة العدد » ثمَّ « بانحياز البعض مع قسيسهم » وان نسب ترك مذهبهم القديم الى نتيجة انفعالات طائفيَّة وضغائن نفسانيَّة » . فاقرَّ من حيث لا يدري بصحَّة قول كاتبنا امَّا كلامهُ عن النيَّات فندع الامر لله الذي يعرف وحدهُ اسرار القلوب — واحتجَّ (ثالثاً) واخيراً على ما قيل في « سوء تصرُّف بطريرك السريان العتق وقلَّة اكتراثهِ للدين » ويا ليت الامر لم يكن كما قالهُ كاتبنا . فليفدنا سليم افندي سامي جقي باي صفة نصف تصرُّف رجل عدل عن مذهبهِ وجاهر بمعتقد السريان الكاثوليك مدَّة خمس عشرة سنة واكل خبزهم وانتفع بحسناتهم وجمع في روسية وفرنسة مالاً وافراً باسمهم ثمَّ نكص على عقبيهِ راجعاً الى مذهبهِ الاوَّل كأنَّ الدين ثوبٌ يُلبَس اليوم ويُنزع غداً . فلا مناص من احد امرين امَّا انهُ دان بالكثلكة رياء بغير اعتقاد وهو عارٌ عليهِ وامَّا انهُ صدق باعتقادهِ فعودهُ الى مذهبهِ العتيق لمطامع ذميمة عار اعظم واقبح . فان كان هذا ليس بسوء التصرُّف فترى ماذا يكون ؟ ثمَّ انَّ البطريرك بعد جحودهِ للايمان الكاثوليكيّ سافر الى انكلترة

وتقرّب من الشيع البروتستانيّة ورحل الى الهند طمعاً بالمال كما نقلتهُ الجرائد ثمَّ دار على ابرشيّات السريان الفتق فخصَّ بنفسهِ كثيراً من مداخيلها حتى نفر منهُ كثير من اساقفتها واتحد السيّد بطرس اسقف صدد بكنيسة الروم الارثوذكس في حمص بحيث طنطنت مجلّة الكلمة باهتدائهِ الى الاورثوذكسيّة (الكلمة السنة الثامنة ص ٣٠٥) وعدل اثنان غيرهُ الى الكنيسة الكاثوليكيّة اعني السيّدين اسقف القدس الشريف واسقف حمص وكلاهما يصرّح بما ألحق بهما البطريرك من بخس حقوقهما . افهذا كلّهُ لا يستحقّ ان يوصف بسرّ التصرُّف . فما كان أحرى بسليم افندي سامي الجتي ان يلزم الصمت ولا يحوجنا الى ذكر كلّ ذلك سامحهُ الله

اسئلة واجوبة

س سألنا احد موارنة الثغر متى تكون مناولة الشعب في القداس على حسب الطقس الماروني

مناولة الشعب في الطقس الماروني

ج قد نصَّ على ذلك كتاب القداس المارونيّ في مقدّماته (راجع ايضاً كتاب منارة الاقداس الدريهي) حيث يقول انَّ الكاهن بعد ان يتناول جزء القربان الكبير وقليلاً من الدم وبعد ترييح الصينيّة والكاس يجب عليه ان ينظر ايريد احد من الشعب ان يتناول الاسرار فينحدر الى الدرابزين ويناولهُ واذا انتهى من مناولات الشعب يتناول ما بقي من الجسد والدم

س وسال اخر هل ابطل الحبر الاعظم وجوب المناولة الفصحيّة في كنيسة الرعيّة برقيه الاخير الذي سمح فيهِ للرهبان ان يوزعوا للمؤمنين القربان في كنيستهم يوم عيد الفصح

المناولة الفصحيّة

ج كلّا لم يبطلها قداستهُ لأنَّهُ ليس من الواجب ان تكون هذه المناولة يوم الفصح اي احد القيامة بل في احد الايام المعيَّنة لذلك المتدَّة عادةً من احد الشعانين الى احد الثالوث الاقدس عند اللاتين والى الاحد الجديد عند الشرقيين فمن أَلِف عادة المناولة اليومية يستطيع ان يختار ايَّ يوم شاء للمناولة الفصحيّة في كنيستهِ ل.ش

المشرق

مقالة

في صلب السيد المسيح

للشيخ ابي نصر يحيى بن جرير التكريتي

توطئة

من جملة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة التي وصفناها سابقاً في المشرق سنة ١٩٠٦ (٩: ٦٤٧–٦٤٨) كتاب نصرانيّ قديس يدعى كتاب المرشد منقول سنة ١٨٩٠ عن نسخة خطيّة قديمة في مكتبة دير السيّدة في الشرفة. وهذا الكتاب لاحد قدماء الكتبة الباقية اسمهُ الشيخ ابو نصر يحيى بن جرير التكريتيّ وهو كاتب جليل لا نعرف من امره الّا الزهيد القليل. فمن ذلك أنهُ يُدعى في صدر الكتاب تلميذًا لكاتبين بارعين من اهل ملّتهِ ازهرا في اوائل القرن الحادي عشر للمسيح وهما الشيخ يحيى بن زرعة والشيخ يحيى بن عديّ البغداديّ وكلاهما من افضل فلاسفة عصرهم نقلا شيئاً كثيراً من كتب اليونان الى العربيّة وترجمهما ابن ابي اصيبعة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطبّاء (ج ١ ص ٢٢٥). وقد ذكر ابن ابي اصيبعة تلميذهما يحيى التكريتيّ هذا بعد ذكر اخيهِ الفضل. قال في الفضل (ج ١ ص ٢٤٣): «الفضل بن جرير التكريتي. كان كثير الاطلاع في العلوم فاضل في صناعة الطبّ حسن العلاج وخدم بصناعة الطبّ الامير نصير الدولة بن مروان. وللفضل بن جرير التكريتيّ من الكتب مقالة في اسماء الامراض واشتقاقاتها كتبها الى بعض اخوانهِ وهو يوحنّا بن عبد المسيح». ثمّ اردف في ذكر صاحبنا فقال: «ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي كان كاخيهِ في العلم والفضل والتبحّر في صناعة الطبّ وكان موجودًا في سنة ٤٦٢ (١٠٧٩ م) وليحيى بن جرير التكريتي من الكتب كتاب الاختيارات في علم النجوم وكتاب في الباه ومنافع الجماع ومضارّه ورسالة كتبها لكافي الكُفاة ابي نصر محمّد بن محمّد بن جهير. (وكتاب) في

منافع الرياضة وجهة استعمالها » . فيؤخذ من هذا الكلام انّ ابا نصر صاحب المرشد اشتهر في اواخر القرن الحادي عشر وبرع كاخيهِ الفضل في الطبّ وفاق عليهِ في علم النجوم . والظاهر انّ شقيقهُ الفضل كتب ايضاً في الديانات فانّ ابا نصر ذكر لهُ في الباب الخمسين من كتابهِ المرشد تأليفاً دينياً وصفهُ بما يلي : « وكان اخي ابو سعد الفضل بن جرير نوّر الله ضريحهُ عمل كتاباً حسناً كاملاً في القرابين وشرح فيهِ حال القرابين على سائر المذاهب فأوضح فيهِ معاني كانت مستورة ملغوزة وانا اختصرتُ من كلامهِ في هذا الباب ما اثلثهُ كافياً بحسب غرضي » . وكلّ تآليف الاخوين قد فُقدت الّا كتاب المرشد الذي نحن في صددهِ . وقد لقينا منهُ نسخة غير نسخة الشرفة في ماردين في مكتبة المرحوم السيّد ايليا ميلوس . وفي اوربا منهُ نسختان الاولى في المكتبة الفاتيكانيّة غير كاملة وصفها العلّامة السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة (ج ٣ ص ٦٠٩) ودعا كاتبهُ يحيى بن جرير بالماء المنسلة وسمّى الكتاب « تشييد قواعد الشريعة المسيحيّة والقوانين السلسيّة كما تقتضيهِ الملّة اليعقوبية وهو اربعون باباً » ولعلّ المؤلف بعد ذلك نظر في كتابهُ ووسّعهُ وعمّمهُ لمنفعة جميع اهل الشرق لانّ النسخة التي في يدنا تبلغ ٥٦ باباً . ومثلها النسخة الثانية في مكتبة اوكسفرد المرسومة بعدد ٣١ (Al. Nicoll: *Bibl.* *Bodleiana Cod. Arabici* p. 23) فانها كاملة وقسمها الاكبر قديم في اوّلهِ وآخرها قطعٌ بخطّ اقرب الى عهدنا كتبهُ راهب يدعى جنام سنة ١٨٨٠ ذيونان الموافقة لسنة ١٥٧٢ للمسيح . واسم الكتاب هناك « كتاب المصباح المرشد الى الفلاح الهادي من التيه الى سبيل النجاة » والمؤلف دُعي ايضاً يحيى بن جرير بالماء . وفي مقدّمات كتاب مصباح الظلمة لابي البركات ابن كبر (ص ٢٤٩) من نسختنا دعاهُ ابن جريز بالزاي . وكتابهُ المرشد او المصباح المرشد الى الفلاح من امتع الكتب النصرانية القديمة اذ جمع فيهِ مؤلفهُ الفاضل كثيراً من معتقدات النصارى في التوحيد والتثليث وفي حياة المسيح واسراره وشريعتهِ وعادات نصارى زمانهِ . ومن هذا الكتاب لم يطبع الّا باب واحد وهو الهادي والثلاثون عنوانهُ : « في الكهنوت » نشرهُ العلّامة الانكليزي كورتن (W. Cureton) سنة ١٨٦٥ ونبذة من الفصل الثلاثين في القيامة وتحقيق امرها اقتطفها بوكوك الشهير في ماحوظاتهِ على ابن سيرون وطبعهُ في اوكسفرد سنة ١٦٥٥

فرأينا بنسبة الاعياد الفصحيّة ان ننقل لقرّائنا باباً من هذا الكتاب تنويهاً بقدرهِ وهو الباب الثاني والعشرون (ص ٢٤٨–٢٦٣) على صلب السيّد المسيح اثبت فيهِ المؤلف حقيقة الصلب مبيّناً ان هذه القضيّة لا تبخس من قدر المخلّص كما زعم مانى المبتدع الفارسي بل هي تؤول الى مجدهِ وشرف ديانتهِ ومن ثمّ لا صحّة لقولهِ ولرأي من يزعم مثلهُ انّ الله ابدل المسيح على الصليب بشخص آخر يشبههُ

(p. 248) في وجوب صَلْب المسيح

والردّ على مانى القائل بانهُ لم يُصلَب لانّهُ اكرمُ عند الله واجلّ منزلةً من ان يكون اليهود يفعلون بهِ ذلك وانّما خُيّل اليهم ذلك

(قال) ينبغي لنا ان نقرّر اصل ما تقرّ بهِ الشرائع الالهيّة ونحمل (ونحلّ ؟)

امر (249) الصَّلب الذي جرى على المسيح ثمَّ نتبع ذلك بدلائل تختصّ بدين النصارى خاصَّةً

يوجب ما جرى من الصلب في الاصل الاوَّل انَّ تدابير الله تعالى وموجبات حكمته بعضها عرفها الحكماء والاصفياء والانبياء وبعضها عجزوا عن معرفتها فسلّموها الى الحكمة الالهيَّة كقول بولس الرسول (١ كور ١ : ٢٥) : انَّ الامر المُستَنكَف من فعل الله احكمُ واحسنُ واشرفُ قدرًا واجلُّ من حكمة الناس (١ ». يريد بذلك انَّ الجَهَلة الذين لا يفهمون الاسرار الالهيَّة ينسبون بعض اعمال الله الى السَّفه والاهمال والعَبث تعالت الحكمة الالهيَّة عن هذا

يقولون من ذلك : ما الفائدة كانت في خَلق العالم ثمَّ في نقضهِ وفسادهِ ؟ ولِمَ خُلق في الوقت الذي خُلق فيهِ ولم يكن ذلك من قبل او من بعد ؟ ثمَّ لِمَ خلقَ الله ما خلق على تدريج واكملَ خلقهُ في ستَّة ايَّام ؟ وما الفائدة (250) كانت في خَلق الشجرة ومَنع آدم منها فانها لو لم تُخلَق لم يطمع آدم في الدنوّ منها ؟ ولِمَ مُنع منها ؟ . واشباه هذه الاشياء التي تتحيَّر فيها الجَهَلة وكشف الله تعالى السرّ فيها للحكماء

ومع هذا يقولون : هبْ انَّ آدم خالفَ فما الواجب لسَرَيان الخطيَّة الى اولادهِ ؟ ولِمَ لا يُهلك الله الكفَّار والعُصاة ؟ وهذا بعد ان قالوا : لِمَ خلقهم الله مستطيعين . ويقولون : لِمَ يُبسط الله الغَيثَ على الابرار والاشرار ؟ ولِمَ يُطلع شمسهُ على الاخيار والاشرار ؟ ولِمَ يُدِرّ رزقهُ عليهم حتى انَّ الجَهَلة والاشرار احسن من غيرهم ؟ ولِمَ يُسلّط الاشرار على الاخيار ؟ وما الفائدة في خَلق السباع الآكلة والحيَّات الخانقة والحشرات المفسدة ؟ لجهلهم الحكمة الموجبة لخلقها . واشباه هذه الاشياء التي لو عددتُها لصارت تذكارًا لهم وزيادة في كفرهم

وكذلك يقولون : لِمَ خلقَ الله الشيطان ولمَّا خلقهُ كفرَ بهِ وخالفهُ ؟ ولِمَ لا ابادَهُ واهلكهُ بل سلَّطهُ على الناس حتى اغرى اليهودَ بجحود مسيحهِ ؟ ولِمَ مكَّن اليهود من مسيحهِ اذ هو اكرمُ عندهُ من أن يمكّن منهُ اعداءهُ ؟ هذا من بعد ان سلَّموا

١) قد روينا ترجمة هذه الآيات كما رواها المؤلف على لفظها القديم

الينا بان المسيح وُلد من عذراء من غير ان تُنقَض العذرة وانهُ وُلد من غير أب. واشباهُ (251) ذلك من الاشياء التي ظهرت بالحكمة فجهلوا اسبابها

وهكذا جرى الامر في الاقرار بصلب المسيح فانَّهم انكروهُ وانكارهم لهُ في ظاهر الامر يوجب احد أمرَين او هما جميعاً. احدهما ادخال الضعف على الله (تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا) اذ ارتكب اليهود من مسيحهِ ما ارتكبوا لضعفه وعجزهِ عن خلاصهِ. او انهُ كان قادرًا على خلاصهِ ولم يخلّصهُ ولم يدفع عنهُ لهوانهِ عندهُ. وهؤلاء لم يفهموا ما جاءت بهِ الانبياء من العلامات والآيات التي ذكروها ممَّا يدلّ على صلب المسيح فمنهم من صرَّح بذلك مثل دانيال النبيّ (٩:٢٦) ومنهم من رمز ولغز وكشفتْ عنهُ وصحَّحتهُ حسب ما فهمتهُ من التفاسير الكاشفة عن حقائقهِ. هذا مع اتّفاق النصارى واليهود على ذلك. فالنصارى تقول انَّ المسيح لهذا ظهر وانَّهُ بارادتهِ التي هي ارادة الله صُلب. واليهود تقول انهُ ظهر شخصٌ من الاشخاص فافترى على الله وقال: «انني ابنُ الله» فقتلناهُ صلباً على ما امرنا موسى حيث قال (تث ٢١:٢٣): «انَّ من افترى على الله يجب ان يُصلب ويُرفع على خشبة» كأنَّهُ يُرفع الى الذي افترى عليه. واذا شهد المخالفون والمرافقون على شيء واحد زال المِراء فيه (252) والشكّ في معناه

ثمَّ مع هذا اي شيء في الصلب (لو لم يكن لهُ حقيقة) من العزّ والفخر حتى يُنسب الى المسيح وهو لم يُصلَب؟. ومعلوم انَّ في ظاهر امره من الذلّ والشناعة ما يجب ان تخفيهُ النصارى اجلالًا للمسيح فأمَّا وهم يصحّحونهُ ويفتخرون به ويقولون انَّهُ هذا خُلق وظهر وبه كان الخلاص وبه زال حافظ الفردوس عن حفظه وانفتح الفردوس وامكن ان يدخلهُ المستحقّون وقد كان قبل ذلك لا يمكن لاحد الدخول اليه فقد زالت التهمة

وايضاً الامم المختلفة قد كان اشخاص منها حاضرين في بيت المقدس شاهدوهُ مصلوباً. ثم ليس بمنكر ان يُظهر الله العزّ بعد الذلّ والقوَّة بعد الضعف كما جرى الامر في موسى وفرعون. فان موسى كان راعياً ذليلًا فقهر فرعون وهو ملك قويّ وجرى في التدبير بينهما ما يحمل الجهلة على ان يستغيثونهُ وينكرون صحَّتهُ

ودَعْ هذه الاشياء وخذ في ان تُعدّ لنا جواباً عمَّا نسألكَ أيها الحكيم ماني. أترى

ان الله لما خلق الناس مع باقي الحيوانات وأدرّ لهم الارزاق وقوّاهم على السعي في مصالحهم ثمّ اماتهم أفعلَ ذلك (253) لعجزهِ عن تركهم احياء ام يوجد معهُ تعالى ضدٌّ موكل بإفساد ما أصلح. خبّرنا عن هذا

ثمّ ان كان الموت بقضاء الله وارادته فكيف ساوى فيه بين ابرهيم والنمرود وبين موسى وفرعون؟ فهل هذا الظاهر لضدٍّ معهُ وشريك لهُ كما تقول للمجوس؟ او لضعفه وعجزهِ كما يقول الجَهَلة والكفرة؟ لانهُ خلق الناس مختارين بإجماع ثمّ قدّرهم على مخالفة امرهِ وعاقبهم على ذلك. والّا تعجبتُ من إرسال الله تعالى موسى الى فرعون وهو الملك الجبّار بمصر القادر النافذ الامر في اقاليم كثيرة وعندهُ الحكماء والسحراء والمنجمون. وموسى راعي غنم وهو ألثغ اللسان معهُ عصاً حقيرة يروم ارشاد فرعون الى الصواب حتى ان فرعون غضب واشتدّ غيظهُ واستهان بالرسالة. فعاد موسى الى ربّه وشكى اليه ما جرى من فرعون فقال لهُ الله حسب ما نطقت به التوراة (خر ٤: ٢١): «انّني انا صلّبتُ وقسّيتُ قلب فرعون» ففي هذا من ظاهر الشناعة ما تظنّهُ الجَهَلة وفي باطنه من الحكمة ما تتحقّقهُ العلماء.

ثمّ انهُ امر الملاك فقتل الابكار من اهل مصر جميعهم ولم ينَلْ ابكارَ بني اسرائيل شيء من السوء (254) بل خلّصهم من هذه المحنة بدم خروف حقير وجرى ما جرى من امرهم في خروجهم من مصر ومقامهم في التيه. وأرسلَ عليهم الحيّات ذوات السمّ القاتل فكان مَن تهشّمهُ الحيّة ونظر الى حيّة النحاس التي امر بها موسى ان تُنصَب على رمح عالٍ يسلم من الموت ومن لم ينظر الى تلك الحيّة النحاسيّة تلف. واشياء أخر عدّة ظاهرها مستقبح وباطنها يوحي بالحكمة الباهرة

ثمّ انّ اكثر انبياء بني اسرائيل ثاروا عليهم وقتلوهم فلم يمنع الله عنهم القتل فانّ اشعيا النبيّ نشروهُ بمنشار. وارميا النبيّ طرحوهُ في جبّ السباع. وزخريا النبيّ قتلوهُ بين الهيكل والمذبح. وكفروا به تعالى مرارًا عدّة. وما تأخر عنهم قليلًا موسى حتى اخذوا حليّ نسائهم وصاغوا منها العجل وقبل ان يفرغ الصائغ من عمله عبدوهُ وذبحوا لهُ الذبائح. ولو اثّرت فيهم الآيات والمعجزات حين خُسف بهم او حين نزلت عليهم النار مع الكبريت فاحرقتهم لقد كان اجود في صلاحهم من الحقد عليهم والتشفّي فيما بعد

فاحمل يا هذا ما جرى من صلب المسيح على هـذه القياسات . فان قلتَ : ألا منع الله عن المسيح ما جرى عليهِ من اليهود ؟ قلنا : انهُ لهذا ظهر وبهِ تمَّ (255) ما انذرت بهِ الانبياء . فان قلت : اذن موجب ما جرى على المسيح انما هو نبوَّة الانبياء ؟ . قلنا : لا بل نظرت الانبياء الى ذلك الامر نظرًا الهيًّا لما كان مزمعاً ان يجري وكأنها شاهدتهُ عن بُعد كالشبح الخفيّ فنطقت بحلولهِ كأنها حاضرة . فان قلتَ : فان كان هذا الامر من الامور الضروريَّة فما ذنبُ اليهود ؟ . قلنا : انَّ اليهود لم يفعلوا ذلك لتكميل ارادتهِ بل لابادتهِ وهلاكهِ . وعلى كلّ حال فانَّ النـاس خُلقوا مستطيعين ذوي اختيار ومشيئة قادرين على فعل الخير والشرّ

فأخطرْ بالك يا هـذا طرحَ بختنصَّر لدانيال النبيّ في جبّ السباع وطرح الصبيان في اتون النار فانَّ هذا فعلهُ باختيارهِ والله تعالى لم يمنعهُ عن ذلك لكنه منع السباع من اضرار دانيال ومنع النار عن الصبيان فالمنعُ كان لما لا اختيار لهُ اعني السباع والنار واما ذوو الاختيار فلم يكفّهم ولم يمنعهم من القاء ذاك للسباع وهؤلاء للنار

وكذلك افهم في اليهود بانهم اناس مختارون ذوو استطاعة اليهم ان يفعلوا الخير والشرّ فلو منعهم من الاضرار بالمسيح لكانوا مضطرّين . فان قلتَ : انهُ قد كان يمكنهُ تعالى ويقدر ان يمنع اليهود عن المسيح كما منع قوم لوط واعمى عيونهم عن دخول منزل لوط وكما يبّس يد بعض الملوك فمنعهُ ان يأخذ رجلًا من الانبياء من غير ان يحول (256) بينهم وبين اختيارهم . قلنا : قـد كان يقدر على ذلك وفعلهُ بالمسيح مرّتين وثلاثًا حين قبض ايدي اليهود عنهُ وانصرف من عندهم فلم يقدروا ان يُلقوا بـهِ (لوقا ٤ : ٣٠) وحيث قدموا عليهِ ليأخذوهُ فسقطوا على وجوههم لهيبتهِ على ما نطق بهِ يوحنَّا البشير (١٨ : ٦) الَّا انَّ منعهم من المسيح رأساً اقلّ في المعجز كثيرًا من قبضهم عليهِ وصلبهِ ودفنهِ ثم قيامتهِ من القبر بعد ثلثة ايَّام وأحقر كثيرًا

فالناس قد يمكنهم ان يدفعوا البلايا من بعضهم بعضاً واما الاحياء بعد الممات فلا يستطيعهُ الَّا الله وحدهُ . فالله تعالى لم يدخل على مسيحهِ في تسليمهِ للصَّلب وهنًا (تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا) وانَّما المعجز ان يجري على المسيح ما جرى من الصَّلب

والموت والدفن والقيامة وانبثاث رسله في آفاق الارض ونشر بشارته في الامم وقبول الامم هذا الامر الفظيع ظاهره الشنيع قبل تأمل السر فيه . فهذا اعظم من المعجز المتوقف على منع اليهود عن المسيح او حمايته عنهم

فاذن تسلط اليهود عليه وصلبه وما جرى من امره اعظم في باب المعجز من منعهم عنه اذ كان الناس قبلوا ذلك من الرسل مع ما فيه من الذلة والشناعة (257) وسخف الظاهر وانما قبلوا ذلك منهم بالآيات والمعجزات التي اظهروها لهم والتي ألزمتهم قبول اقاويلهم فيما ذكروه من حال المسيح . فلما دخلوا في هذه الشريعة انكشفت لهم الاسرار الخفية فيما جرى عليه التدبير

وايضاً فقد كان الله تعالى لوّح على لسان الانبياء تلويحاً من غير تصريح انّ الناس يقومون بعد الموت فليتحقّق هذا في نفوسهم قام المسيح من بعد دفنه واقام في هذا العالم اربعين يوماً وظهر للتلاميذ ولجماعة من الأتباع والاصفياء وشاهدوه حتى انّ توما السليح لم يصدّق قول اصحابه فيما ادّعوا من قيامته الى ان ظهر له في العلّية مع غيره من التلاميذ واخذ بيده واراه موضع الطعنة والمسامير وقال له : الآن يا توما امنت وتيقّنت بانّني انا هو . فقال له توما : تحقّقت وآمنت . فقال له المسيح : الطوبى لمن لم يشاهدوني ويؤمنون بي (يو ٢٠ : ٢٤—٣١)

وقد كان الحفظة من الروم (الرومان) موكّلين بالقبر لئلّا يقرب احد من التلاميذ اليه فقيامته ميتاً من القبر وظهوره للجماعة بعد دفنه (258) اعظم من منع اليهود عنه لانّ منعهم وصدّهم عنه قد كان يمكن ان يقع فيه شكّ فامّا صلبه ظاهراً وموته ودفنه وقيامته من بعد دفنه وصعوده الى السماء وانفاذ رسله الى الآفاق وطاعة الناس لهم على ما دعوهم اليه فاعظم من المعجز واكبر امراً

ألا ترى ما فعل الشيطان بأيوب فانّه لمّا رآه قد أثرى وحسُنَ حاله في جسمه ونفسه وولده واملاكه وبهائمه وجميع احواله قال : لو تمكّنتُ منه لأبليتُه بالبلايا التي تدعوه الى الكفر بالله . فكفّ الله عن حماية أيوب فتسلّط عليه الشيطان فأمرضه وأسقمه وقرّح بدنه واظهر فيه الدود واتلف اولاده وبهائمه وافقره فلم يؤثّر ذلك في امانة أيوب شيئاً لكنّه بقي على ما لم يزل عليه من التوكّل على الله ولم يزل يقول : انّ الله اعطى والله اخذ فليُعظَّم اسمُ الله ويُمجّد على السرّاء

والضرّاء . فلمّا رآهُ الشيطان على ما لم يزل من الثقة بالله تحيَّر وانخذل . امّا الله فاذ رأى امانتهُ ابرأهُ من امراضه وازال عنهُ اوصابَهُ وردَّ عليه نعماءهُ . فكان هذا اعظم في كَبْت الشيطان وخمود سلطانه من ان يمنعهُ عن أيوب . ففي هذه الاشارات كفاية (259) لمن أنصف

*

فلنأخذ في أسلوب الوجوب من بعد ما ذكرنا من الكلام على جهة المعاندة فنقول : انَّ المسيح اخبر التلاميذ واليهود ايضاً بانَّهُ سيُصلَب ويموت ويُدفن ومن بعد ثلثة ايَّام يقوم . ولو اراد ان يهرب ويستتر لفعلَ كما فعل دفعاتٍ . والعلَّة في انَّهُ استتر اوَّلاً وفي آخر الامر اسلم نفسهُ لانَّهُ في الاوَّل لم يكن قد اكملَ سنَّتهُ ولا علَّمها الناس فامَّا في الاخير لمَّا اكمل السنَّة العتيقة بنفسه وسنَّ الحديثة واكملها حينئذ اسلم نفسهُ ولم يهرب من اليهود لكنَّهُ مضى الى الموضع الذي جرت عادتُهُ بان يمضي اليه مرارًا وهو الموضع الذي كان يهوذا الدافع عارفاً به

ونعلم ذلك ايضاً من قوله : انا هو الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسهُ عن غنمه . ومعنى هذا انَّهُ يُصلَب ويموت ويحيي عن آدم واولاده تلك الخطيَّة الاولى التي جرت في الفردوس اذ هو صار قرباناً عوضاً عنهم

ونعلم ذلك ايضاً من قوله لليهود (يو ٢ : ١٩) : « انقضوا هذا الهيكل وانا ابنيه في ثلاثة ايَّام » . ولم يفهموا قولهُ ولا مُرادَهُ بهذا القول لانَّهُ انما عنى بذلك (260) جسدهُ وانَّهم سوف يقتلونهُ فيعود حيًّا بعد ثلاثة ايَّام

ومن قوله لهم لمَّا عنَّتوهُ وطلبوا آيةً فقال (متى ١٢ : ٣٩) : انَّ « قبيلة السوء تطلب آيةً فلا تُعطى آيةً اكبر من آية يونان النبيّ فكما انَّ يونان بقي في احشاء الحوت ثلثة ايَّام وثلث ليالٍ هكذا ابن البشر يكون في قلب الارض ثلثة ايَّام وثلاث ليالٍ »

ومن قوله للتلاميذ (متى ١٧ : ٢١) « انني أُصلَب واموت وأُدفن واقوم من بعد ثلثة ايَّام . ومن قوله لليهود (يو ٨ : ٢٨) : انكم ستصلبونني . حتى انهم قالوا لهُ : من الذي يريد بك هذا

ومن تشجيعهِ لتلاميذهِ وقولهِ لهم (متى ١٠ : ٢٨) : « لا تفزعوا من الذين يقتلون الجسد . ومن علمهِ بالخيرات التي ينتجها موتهُ من خلاص البشر واهلاك

الشيطان. ومن زجره لشمعون وقوله لهُ (متى ١٦: ٢٣): « انطلق الى ورائي أيها الشيطان » اي انك تُؤثر ما يريد الشيطان ليكون الناس سدى في طغيانهم

(سؤال) اذا كان الامر على هذا فلِمَ اضطرب المسيح وسأل ان يُدفَع عنهُ كأس الصلب والموت ؟

(جواب) انما ظهر منهُ ذلك ليحقّق ناسوتهُ . ولأنهُ أشفق على اليهود الذين عملوا (261) في ابادة نفوسهم. ولأنَّ تبدُّد الغنم يصعب على الراعي. فلأجلنا كلّنا ولرأفتهِ بنا واشفاقهِ علينا اظهر منهُ التنفُّر ولأنَّ الغرض كان انقاذنا من خطيَّة آدم فامَّا هو فلم تتطرّق عليهِ خطيئة لا قولًا ولا فعلًا ليجزع من الموت فقد قال النبيّ (اش ٥٣: ٦): « انَّ الله حمَّلهُ خطايانا وصار بدلنا لعنةً ». وهو القائل لليهود (يو ٨: ١٦): « من منكم يوبخني على خطيئة ». وقال ماري بولس الرسول (عبر ٤: ١٥): « انهُ اشبهنا في جميع الامور ما عدا الخطيئة » . ويوحنَّا المعمدان يقول (يو ١: ٢٩): « هذا حمل الله الحامل خطايا العالم »

وان اردتَ ان تزيل عن نفسك هذا الشكوك فاعلم انَّ تدابير المسيح هي على اربع جهات : احدها طبيعيّ بمنزلة كونه من جسد ونفس وانهُ حُمل بهِ تسعة شهور . والآخر ناموسيّ كالختانة والقرابين التي قُرّبت عنهُ والتي هو قرَّبها . والثالث التدبير المظنون بهِ انهُ طبيعيّ كالأكل والشرب والجوع والنوم والفزع قبل الصلب فانَّ هذه فعلها سيّدنا ليحقّق عندنا ناسوتهُ لنأنس بهِ ونقبل افعالهُ بحسب الطاقة ونعلم انَّ ذلك لم يكن خيالًا لكن حقيقةً غير انَّ ذلك بارادتهِ ومشيئتهِ (262) لا عن اضطرار وفزع حقيقيّ مثلنا . والرابع هو على طريق المعجز مثل كونه وُلد من غير اب ولا انتقاض عذرة وانهُ مشى على الماء وغير ذلك من المعجزات التي اظهرها . والعلَّة في انهُ صلّى قبل القبض عليهِ لا لحاجة منهُ لذلك بل ليعلّمنا ان نصلّي ونستعين بالله عند كلّ شدَّة . والعلَّة في انهُ سأل ان يجوز عنهُ كأس الموت ليظهر لنا ناسوتهُ والّا لما قال لتلاميذهِ (متى ٢٠: ١٨): « انَّ ابن البشر يصعد الى اورشليم ويسلَّم الى الكهنة » والاحبار ويحكمون عليهِ بالصلب ويقوم من بعد ثلاثة ايام »

والشكّ الذي يتعلّق بهِ المخالفون هو العلَّة في قولهِ (لو ٢٢: ٤٢): « لا تكن ارادتي لكن ارادتك يا ابتي »

فالجواب انَّ المسيح وان عبَّر بهذا القول عن نفسهِ عبَّر بهِ عن الجنس البشريّ جميعهِ (١ فكأنَّهُ يقول: انَّ الطبيعة البشريَّة لضعفها مائلة الى الشهوات وهي قليلة الصبر على الشدائد وكثيرة الفزع منها فلا أُوثر ما تميل اليهِ طبيعة الناسوت لكن ارادتي وارادتك واحدة فالذي تريد أُريدهُ اذ كان جوهري وجوهرك واحدًا ومشيئتي ومشيئتك واحدة. ولهذا قال (يو ٨: ٢٨) «لم آتِ من ارادة نفسي». فهذه شهادات دالَّة على صحَّة الصلب وانهُ لم يكن خيالًا (26) لكن امرًا حقيقيًّا

ثمَّ انَّ الله غير محتاج الى هذه الحيلة التي زعموها ليخلّص بها مسيحهُ من الصلب بان جعل آخر يشبههُ مبدلًا منهُ فانهُ لو اراد ذلك لخلَّصهُ ومنع اليهود عنهُ من غير ان يحتاج ان يطرح شبههُ على غيرهِ ويهرّبهُ من اليهود بحيلة لطيفة. وهَبْ انَّهُ شُبِّه لهم انَّ المصلوب هو المسيح كقول ماني فما قولهُ بالذي مات على الصليب بعد ان تكلَّم بعدَّة اشياء وشرب الخلّ والمرارة واوصى ليوحنَّا بمريم امّهِ وامر مريم ان تتبع يوحنَّا وغير ذلك ممَّا قالهُ واظهرهُ. هل كان ذلك كلُّهُ خيالًا ام حقيقيًّا؟ ثم لمَّا اظلمت الشمس ولمَّا تشقَّقت القبور وقامت الاموات أفكان ذلك ايضًا خيالًا؟ ولمَّا انشقَّ باب الهيكل لمَّا اسلم روحهُ؟ فهل هذا جميعهُ كان خيالًا ام حقيقيًّا؟ فليكن فيما اوردتُهُ في هذا المعنى كفاية لمن اراد ان يفهم الغرض من الصلب. (تمَّ الباب)

عجائب الخلايا في النبات والحيوان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

ان شئت ان تدرك ما اودع الخالق في خلايا النبات من القوى الغريزيَّة العجيبة ينبغي أن تحلّل كيميائيًّا ايَّ نبات وقع تحت يدك مهما كانت صورتهُ او زهورهُ او ثمرهُ. فترى ما هي نتيجة ذلك التحليل؟ احرقْ النبات المذكور تجدْ انَّ محصَّل هذا التحليل غازاتٌ تنبعث منهُ وبقايا رماد من المعادن الداخلة في تركيبهِ. وكلّ هذه

١) لعلَّ المؤلف هنا وهو يعقوبيّ النحلة لم يصرّح عن اقرارهِ بمشيئتي السيِّد المسيح وطبيعتيهِ الالهية والبشريَّة الباقيتين في تمامها في اقنومهِ الواحد

العناصر كما قلنا قليلة زهيدة مرجعها الى الكربون والهيدروجين وفي بعض الاحيان الى شيء من الازوت مع آثار معدنية

فما هو الكربون ؟ هو ركن من الاركان الذي منهُ يتكوَّن الفحم . وما الاوكسجين والهيدروجين ؟ هما الغازان اللذان يتركَّب منهما الماء . وليس الازوت والاوكسجين سوى العنصرَين المركِّبَين لهوائنا . فيكون مُحصَّل تحليلنا للنبات انهُ جسمٌ مركَّب من فحم وماء وهواء

ومن اين استمدَّ النبات هذه العناصر ؟ انهُ يستمدّها بلا شكّ من الوسط المحدق به اعني من الارض والهواء . امَّا الارض فانَّ النبات يلقي جذورهُ في تربتها فيمتصُّ منها غذاءهُ وامَّا الهواء فتمتدُّ اوراق النبات في فضائهِ وتحلّلهُ وتفرز منهُ حاجتها لحياتها ونموّها

معلوم انَّ الكربون هو معظم ما يتركَّب منهُ النبات ولاسيما الاشجار الضخمة . فان احرقتَ مثلًا سنديانةً في مكان محجوب بحيث تطفأ جمرتها كما يفعل الفحّامون في «مشحرتهم» تحوَّلت السنديانة الى فحم الذي يكاد يبلغ حجمهُ حجم السنديانة الاصليّ . فمن يا ترى بلّغ هذه الشجرة الى هذا العظم ؟ فلا شكَّ انَّها الخليَّة التي نحن في صددها

فلبيان هذا الامر دَعْنا نوقد هذه السنديانة في الهواء فهذا الوقود يتطاير الى الفضاء ويمتزج الكربون في الهواء الجويّ فيأخذ منهُ عنصر الاوكسيجين ويتحوَّل منهُ الى حامض يسمُّ الحيوانَ والانسان ويقتلهما وهو الحامض الكربونيك . وربَّما تصاعدت منهُ كلَّ يوم الى الجوّ كميَّات وافرة هي كافية لأن تفني ما على الارض من الاحياء . أفلا ترى ما يوقد على وجه الارض في المدن والقرى من المواقد العديدة التي يتصاعد دخانها من المداخن الى الجوّ فضلًا عن البراكين العديدة فالحامض الكربونيّ المنبعث منها يفسد الهواء في كلّ آن وفي كلّ مكان . وزد عليهِ ما تمجّه الحيوانات والبشر من صدورها بالزفير بعد استنشاق الهواء . فكلّ ذلك حامض كربونيّ قتّال . ومثلهُ الروائح الكريهة التي تفوح من الاجسام الآليَّة عند انحلالها وفسادها . فكيف يا تُرى ينجو الانسان من آفة هذا السمّ الذعاف ؟

ألا انظر حكمة الخالق ورحمتهُ بمخلوقاتهِ فانَّهُ تعالى كما خلق الانسان لخدمتهِ

والحيوان الاعجم لخدمة الانسان كذلك خلق النبات لخدمتهما معاً وانَّما العامل الكبير لهذه الغاية هو الخليَّة التي نحن في صددها

وان سألت وكيف يكون ذلك ؟ فدونك الجواب . انَّ الخليَّة اذا اخضرَّت تولَّدت فيها بذور خضراء من مادَّة ملوَّنة يدعونها كلوروفيل (chlorophylle) تستعين بها لتحليل الحامض الكربونيّ المنبثّ في الهواء بمساعدة اشعَّة الشمس فيعود الى عنصريه الاصليين اي الكربون والاكسيجين فاذا انفكَّ رباطهما وبطل تركيبهما زال الاذى وأمن الانسان والحيوان

على انَّ الخليَّة لا تكتفي بالتحليل حتى تأخذ بالتركيب كما يفعل حذَّاق الكيميويين الذين يحلّلون ويركّبون الاجساد في مختبراتهم . ولكن اين عمل ارباب الكيمياء من عمل النبات ؟ فانَّ النبات بما طبعهُ الله في غريزته يأتي بما لا يبلغهُ اولئك الَّا باستنفاد القوى وافراغ المجهود واستخدام العوامل القويَّة كالكهرباء . فالنبات اذا حلَّل الحامضَ الكربونيك استولى على كربونه فقرنهُ بما في ذاته من العناصر كالاوكسيجين والهدروجين وبعض الاملاح ومركَّبات الازوت والنوشادر . وباقتران الكربون معها اضحت تلك العناصر مادَّة للسكَّر وللاثمار اللذيذة ولباب النبَّات واخشاب الاشجار وازهار النجوم . لله درُّ الخلية ما اعظم عملها وما اغزر مفاعيلها . فلو فحصتَ ما يجري فيها من الحركة بواسطة المجهر لأخذ منك العجب كلَّ مأخذ . فترى موانع الخلايا تجري بقنيّ دقيقة من خليَّة الى اخرى فتتواصل وتمتزج وتتبادل خوائدها بنظام لا مثال لهُ ثم تتصاعد منها الجزة تستغني عنها وتستمدُّ بدلاً منها غازات هي اليها في حاجة ويشملها النور فيبعث فيها قوى كيمويَّة جديدة تتكيَّف على حسب اجناس النبات . فكلّ عمَّال هذا العمل العجيب قد نشأوا بقوَّة اوَّل خليَّة حيَّة رافقت تلك البزرة

وليت شعري ما هي تلك البزرة في اوَّل كيانها انَّما هي جسمٌ غاية في الدقَّة اصغر كثيراً من رأس ادقّ الدبابيس . ففي هذه البزرة مبدأ عامل اعني الخلايا القليلة التي منها تولَّد جرثوم النبات ولو فحصتَ باكبر المجهرات تلك الخلايا مع جرثومها لما رأيت في جوفها غير أليَاف دقيقة جدًّا وحُبَيبات غاية في الدومة اما مبدأ حياتها فلا يقع تحت الحواسّ . فان كانت تلك البزرة حيَّةً ما لبثت ان نمت

وسمقت الى ان تبلغ علواً كبيراً كشجرة الاوكاليبتوس مثلاً البالغة في التربة الملائمة مع الحرارة اللازمة الى علو مئة متر . والشجرة المتكونة لا تخالف البتة جرثومتها الاصلية وشكلها النوعي . وهذا العمل تقوم به كل سنة الوف من البزور غيرها . وكل شجرة تحمل من تلك البزور ما لا يحصى عداً فيبقى جنسها الى آخر الدهر دون ان تفقد تلك البزور قواها المحيية او تنتقل الى جنس سواها . تلك هي الخواص المذهلة التي وضعها الخالق في كل خلية من الخلايا . فليقم الملحدون وليتجاسروا ان ينسبوا كل هذه العجائب الى فعل الصدفة كما يزعمون . وان ارادوا ان يثبتوا لنا سلطان عواملهم الكيموية وغيرها فليعيدوا الحياة ان استطاعوا لبزرة واحدة فسدت جرثومتها لطارئ ما حتى تعود تنمو بعد ان ماتت . فان عجزوا عن ذلك ولا اراهم الا عاجزين فليقروا برب الكون وخالق الطبيعة التي تبكتهم بلسان حالها فتمجد الله بفعلها وهم يجحدونه كافرين

*

وقد اعتبرنا فيما سبق خلية النبات وحدها فان وجهنا نظرنا الى خلية الحيوان لوجدنا فيها عجائب مثلها بل ارقى منها درجة

ولا غرو فان خلية النبات تنتج سوقاً وورقاً وزهوراً وعطوراً او سموماً وخشباً اما خلية الحيوان فتولد مواد لينة كاللحوم ومواد صلبة كالعظام ومواد عطرة كالمسك ومواد قاتلة كسم الحيات . وتنشئ ما هو اعظم من ذلك اعني تلك الاجهزة العجيبة والحواس التي يتركب منها جسم الحيوان والانسان وفيها مركز شواعره واحساساته كالدماغ والقلب والعينين والاذان وهلم جراً

وهذه الاجهزة والمشاعر تجدها مع اختلاف قليل في كل ما في الارض والسماء والبحار من الحيوان والطيور والاسماك حتى ادق الحشرات واصغر الهوام التي لا يستطيع بصرنا ان يدركها لصغر حجمها . لا بل ان لبعض تلك الحشرات حواس ادق واكمل من حواس الانسان نفسه

واذا اعتبرت الحيوان في اطوار حياته وعمله وجدت ان في الخلية مبدأ تلك الحياة والاعمال . فانها هي التي تمد المادة التي يتكون منها الجسم الحي . وهي التي ينموها وتوفر اعدادها وانتظام اقسامها على موجب رسم خاص تتكيف

بكيفيَّات مختلفة فتصبح امَّا انساناً واما طائرًا واماً سمكةً او دودة . وهي التي تبعث في الحيوان تلك القوَّة التي يستعين بها الحيوان لحركاتهِ واتمام وظائفهِ (١.

واغرب ما في الخليَّة من القوى انَّها تستطيع ان تنقسم فتنتج خلايا مثلها وكلّ خليَّة جديدة تفعل فعل الخليَّة الامّ حتى تبلغ اعدادها بقليل من الزمن ألوف الالوف دون انقطاع فتتركَّب منها الاعضاء على اختلاف صورها وتراكيبها وتقوم مقام ما تلفَ منها وفسد بالعمل او بطول الزمان او بعوارض الامراض . وقد كان الاطبَّاء يذهبون سابقاً انَّ جسم الانسان بما يتناوب فيهِ من الخلايا وما يتولَّد من الخلايا الجديدة فيهِ بدلًا من القديمة يتجدَّد تماماً بعد سبع سنين بحيث لم يبقَ في ذلك الجسم ذرَّة واحدة من الخلايا التي سبقت تلك المدَّة . امَّا العلماء المحدثون فبعد فحص ادقّ ونظر اضبط قد ارتأوا انَّ تجديد الجسم البشريّ لا يتم بسبع سنوات كما زعموا بل بثلاثين يوماً فقط (٢

وما يقال عن الانسان يصحّ ايضاً في الحيوان غير الناطق الذي يشبه الناطق في حياة جسدهِ مع مراعاة الاحوال واجناس الحيوانات وكبرها او صغرها . فمن لا يقضي العجب بازاء هذه الحياة الفائضة التي تتدفَّق من الخليَّة وتندفع اندفاع السيل الجارف في كلّ انحاء المعمور وفي الالوف المؤلَّفة من اصناف الحيوانات وفي كلّ اجهزة اجسامها

وايمُ الحقّ انَّ العقل البشريّ يبقى مبهوتاً متحيّرًا اذ يعدّد ما في الارض من ضروب الحيوانات فانَّ الطبيعيين الذين تتبَّعوا انواع الحيوان في الهواء وعلى وجه البسيطة وفي اعماق البحار قد تأكَّدوا انَّ انواع الحيوانات المعروفة تبلغ مئات الالوف . افادت مؤخرًا مجلة الكوسموس العلميَّة (Cosmos, 3 *Octobre*,1912) انَّ احد مشاهير علماء الطبيعة في انكلترَّة نشر كتاباً حديثاً في ذوات الفقرات (les Vertébrés) فبلغ تعدادها الى ٤٧,٢٠٠ نوع عرفها الطبيعيُّون ووصفوها الى يومنا

ومن ذلك شكل من الهوامّ التي تحطّ على اوراق بعض الاشجار كالكرم

---

١) راجع مجلة الابحاث (Etudes, *Janvier*, 1877)

٢) الطب سلم الابحاث الجدليَّة (Diction. d'Alès, I. p. 91)

والدَّرْدار فتمصُّها فيظهر على الاوراق بعضها شبهُ النفَّاطات والطبيعيُّون يدعونها لذلك إريوفي (Eriophyie) فبلغ عدد ما عرف من انواعها ٢٢٧ نوعاً مقرَّرًا وذلك في قسم واحد من قارَّة اوربَّة . فلو امكنهُ ان يتفقَّد بقيَّة انحاء اوربَّة وسائر المعمور لملَّهُ كان وجد ما ينيف على الالوف . وقس عليهِ كلَّ ضروب الحيوانات والهوامّ والحشرات القائمة كلّها بقوَّة الخليَّة

والعجب العجاب انَّ تلك الخلايا تأتي باعمال متباينة على حسب كلّ شكل من الحيوان بل في اقسام الحيوان الواحد . اعتبر الفيل مع ضخمهِ والحشرة التي لا تُرى في غير المجهر . قابل بين مَخار البحر والفرس وبين السرطان والطير فما اعظم الاختلاف بين لحومها وعظامها . بين قرونها وريشها . بين حُمَة النَّحلة وخرطوم الفيل او انيابهِ . خذ الجسم الواحد واعرض كلّ عضو على الآخر فايّ بَوْن بين كلّ منهما . اترى العين شبيهةً بالرجل ؟ او اليد بالاذن او الدم بالعظم او الجلد بالجهاز العصبي ؟ ومع كثرة كلّ هذه الاعضاء . على الاختلاف البعيد الذي بينها قد صدرت بلا استثناء من الخلايا الاصليَّة وكانت كلُّها في بدء امرها متشابهةً بل كانت بالقوَّة في خليَّة واحدة حيَّة . ومن عجيب امر تلك الخليَّة انَّها على شكل واحد في كلّ الحيوانات . فان ارباب الطبيعة يعلمون انَّ البويضة الاصليَّة هي هي في كلّ الحيوانات بلا تميز ظاهر بل هي هي في الخلايا النباتيَّة الاصليَّة . فما اعظم قدرة ذاك الذي يستطيع ان يُخرج من مادَّة زلاليَّة هي نطفةُ الخليَّة حافرَ الفرس وبرثنَ الاسد ومخلبَ الطائر وجناح النسر وزعنفة السمك وقصعة السلحفاة . فانَّ العلم اذا رنا الى هذه العجائب سكت متحيّرًا لا ينبس بكلمة ولا يحير جوابًا واذا بلغ الى ينابيع الحياة ورأى مياهها المحيية تتفجَّر وتنور وتتفرَّع وتنتظم دون ان تشذَّ عن عملها البتَّة فتبرز نظام كل هذه الكائنات التي على الارض وجَمّ وخرَّ ساجدًا واقرَّ انَّ لمعارفهِ حدودًا لا يمكنهُ ان يتجاوزها وانَّ وراءها الله قديرًا يضبطها ويدبّرها ويرعاها بعينهِ الساهرة ليقوم مبدأ الحياة الذي كوَّنهُ فيها بما عُهد اليهِ من العمل

فهيهات ان نكتفي بزاعم دروين وتبعتهِ فنوافقهم على قولهم بتواصل الانواع وتداخلها في بعضها واشتقاق كلّ نوع من الآخر . فهي كانت سابقًا كما هي اليوم ممثلةً في كلّ آن لقول بارئها (تك ١ : ٢٩) : انمي واكثري واملائي كلّ

الارض » فصحَّ ما اردفهُ قائلاً : « ومنذ ذاك الحين اتمَّ السماء والارض وكلّ زينتهما (تك ٢ : ١) فسبحانهُ تعالى وتبارك اسمهُ

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٥ مسقط – كُراتشي – بماي

واهل هرمز قوم من صعاليك العرب يرتزقون من الصيد . وهناك مناجم من المُغرة وهو طين احمر فيهِ شيء من اوكسيد الحديد يُتَّخذ كصبغ فبعض من سكّان مسقط يستخرجونهُ لحساب اصحابهِ . وفي مسقط ايضاً معادن اخرى من الرصاص والفضَّة ليس احد يُعنى باستثمارها

وصلنا في صباح الجمعة ١٣ ك ١ الى مَسْقط بعد ان عدلت باخرتُنا جارة عن سواحل العجم ميممةً جوانب العرب سائرةً الى الجنوب الغربيّ . فدخلنا بحر عمان المتَّصل بالاوقيانوس الهندي ثم نفذت السفينة بين صخور عالية حتى ارسينا في مرفأ طبيعيّ تصونهُ الصخور عن هبوب الرياح . واذا نحن امام قصر عالٍ على جانبيهِ بيوت اوربيَّة لقناصل الدول وعمّال شركات المراكب والدواوين البحريَّة في وسطها شجر النخل وكل هذه المباني تُشرف عليها من كلّ انحائها صخور بركانيَّة منتصبة عموديًّا حولها على شكل نصف دائرة . فاستغربنا هذا المنظر ومتَّعنا النظر بمشاهدتهِ ساعةً ثمَّ انحدرنا الى البرّ لنشاهد المدينة عن كثب . فافادونا انَّ القصر الذي كان ألفتَ ابصارنا هو لسلطان عُمان المسمَّى فيصل بن تركي المتولّي على بلاد عُمان التي موقعها شرقيّ جزيرة العرب على سواحل البحر شمالي حضرموت واليمن وجنوبي البحرَين يملك على نحو مليونين ونصف من العرب . ومسقطُ هذه حاضرةُ ملكهِ ومن مدنهِ مطرح وصُحار

ومدينة مسقط لا تُرى من البحر فانها واقعة وراء الصخور التي تحجبها فسرنا اليها واذا هي كقرية كبيرة الّا انَّها متجمعة يكتنفها سور وتقطعها سوق مقبَّبة للتجار

ازياء المسلمين في بلاد الهند

واهل الصنائع واكثرهم من العجم والهنود والحبش امّا العرب فيسكن كثير منهم في الخيم المجاورة للمدينة الّا بعض اهل الحضر الساكنين في البيوت ولغتهم مشوبة بالفاظ اعجميّة . وسألنا بعضهم عمّا لديهم من الكتب المخطوطة او المطبوعة فلم نعثر على شيء منها سوى بعض مطبوعات حجريّة مبتذلة . وسوق الادب عندهم كاسدة حتى ان صغارهم لا يجدون هناك من يُعنى بتربيتهم وتعليمهم . لكنّ البروتستانت فتحوا عندهم مستودعاً لنشر التوراة على حساب الجمعيّة البريطانيّة فيوزّعونها كما يفعلون في البحرين وقد رأينا الوكيل الذي عُهد اليه امرها فصرّح لنا بانّهُ لا يكاد يجد في تلك الجهات من يستفيد من بضاعته حتى ولو اهداهم اياها.

ومدينة مسقط تجاريّة اكثر منها ادبيّة لوقوعها في مدخل بحر العجم ولعلّها المدينة الوحيدة من بلاد عمان ترسي عندها السفن البخاريّة فتأتيها بالبضائع الاوربيّة ومحصولات الهند وسلع العجم وتنقل منها مرافق عُمان . واهلها اليوم يبلغون نحو ٣٠,٠٠٠ يرتزقون برعية المواشي وبمحصّل النّخل

وقد عرف الاوربيّون ما لمسقط من حسن الموقع وكان اوّل من فتحها منهم الفاتح الشهير ألبوكرك سنة ١٥٠٧ فتملّكها البرتغاليّون الى سنة ١٦٥٨ ومن آثارهم كنيستان للرهبان الاغوسطينيين هما اليوم جامعان ثمّ انتزعها منهم الانكليز وفي القرن الثامن عشر تولّى عليها سلاطين من الوطنيين الى عصرنا يضربون النقود باسمهم لكنّ الانكليز يرقبون حركات امرائها وقد امدّوا سلطانها فيصل في هذه السنة بجيش وانتذوهُ من ايدي طلّاب دولته فردّوهم بمبلغ من المال ثمّ بسطوا على حاضرته حمايتهم بل كادوا يعدّونهُ كاحد عمّالهم . وللانكليز في مسقط قنصل ينقاد السلطان لمشورته ومدخل المرفأ محصّن بالقلاع التي تخفق فوقها راية السلطان مع الراية الانكليزيّة .

وقد خافت فرنسة ان تفقد ما لها في تلك الجهات من النفوذ فسعى احد تجارها هناك المرحوم غوغويه (A. Goguyer) لدى حكومة دولته كي تقيم في مسقط لها قنصلاً فلبّت ملتمسهُ وكان اوّل قناصلها سعادة المسيو اوتاقي الذي نُقل منذ عهد قريب الى قنصليّة دمشق . تعيّن قنصلاً على مسقط سنة ١٨٩٠ وكان يوم مرورنا ملازماً دارهُ مبلوّاً بحمّى خبيثة فزرناهُ وسُرّ بمواجهتنا وليس من الكاثوليك سواه

مع عمّاله ولا كنيسة لهم واخبرنا ما يلقاهُ في مهنتهِ من المشاكل بمعارضة الدولة الانكليزيَّة واعلمنا بان شركة الساجري الفرنسويَّة قد قرَّرت ارسال مراكبها الى البصرة مرَّة في الشهر وقد اجرت الامر فعلًا بعد مدَّة لكنَّها اعرضت عنهُ لمزاحمة السفن الانكليزيَّة

وبعد ان انتهينا من تفقّد المدينة عدنا الى مركبنا الذي كان عيَّن ساعة سفرهِ في ظهر النهار. ولمَّا قرب ميعاد إقلاعهِ واذا برجل عليهِ بزَّة جند الانكليز ركب السفينة وسأل عنَّا فسلَّمني كتاباً انكليزيًّا بتوقيع القنصل الانكليزيّ في مسقط يقول فيهِ بانَّهُ بلغهُ انَّ احد المرسلين الكاثوليكيين مبرّز في لعب الشطرنج فيؤمّل من لطفنا بان نشرّفهُ في دارهِ القنصليَّة ليختبر بنفسهِ حذق اللاعب

ولإدراك الامر لا بُدَّ ان نعلم القارئ استطرادًا بانَّ حضرة رفيقي الاب يوسف شلفون كان مغرماً منذ حداثتهِ بلعب الشطرنج الملقَّب بلعب الملوك واذ وجد على ظهر السفينة قوماً من الهنود يلعبون بهِ راقبهم ليتحقَّق ما قيل عن مهارتهم وهذا اللعب قد اخترعهُ صدفةً احد اجدادهم فلا غرو ان يكون لهم فيهِ السبق على سواهم. لكنَّهُ لم يلبث ان لحظ انَّ المخبر دون الخبر فلاعبهم وعجم عودهم ونال منهم غير مرَّة. فشاع خبرهُ بين الركّاب وطلبت السائحة الانكليزيَّة السيّدة تنر (Miss Tanner) ثمَّ ربّان المركب وغيرهما ان يرضى بملاعبتهم فكان لهُ الفوز في اغلب الاحيان. ولمَّا نزل الركّاب الى مسقط ذكروا للقنصل الانكليزي حذق الاب في لعب الشطرنج فاحبَّ ان يعاينهُ ويلاعبهُ فارسل لنا ذلك الكتاب يدعونا الى منزلهِ

فاخذني العجب من هذه الدعوة وعارضتُ الجنديّ بقولي انَّهُ حان وقت السفر ولا ندحة لنا للنزول الى البرّ. فكان جوابهُ انَّ القنصل يستطيع ان يوقف السفينة ويؤخر سفرها. على انني بعد مشاورة رفيقي اجبتُ كتابيًّا سعادة القنصل شاكرًا لهُ حسن ولائهِ ومعتذرًا لديهِ بقرب ساعة السفر مصرّحاً لهُ بأنَّ تأخير سفر السفينة لداعٍ غير مهمّ لمَّا يسوّ ركّاب السفينة فاقنعهُ جوابنا. على انَّ معرفة الربّان بمضمون كتاب القنصل زادتهُ اعتبارًا لشخصنا وامر بأن نُحصى في عداد ركّاب الدرجة الاولى

وعند الظهيرة برح مركبنا مرفأ مسقط ووجّه سيرهُ نحو الجنوب الشرقيّ الى

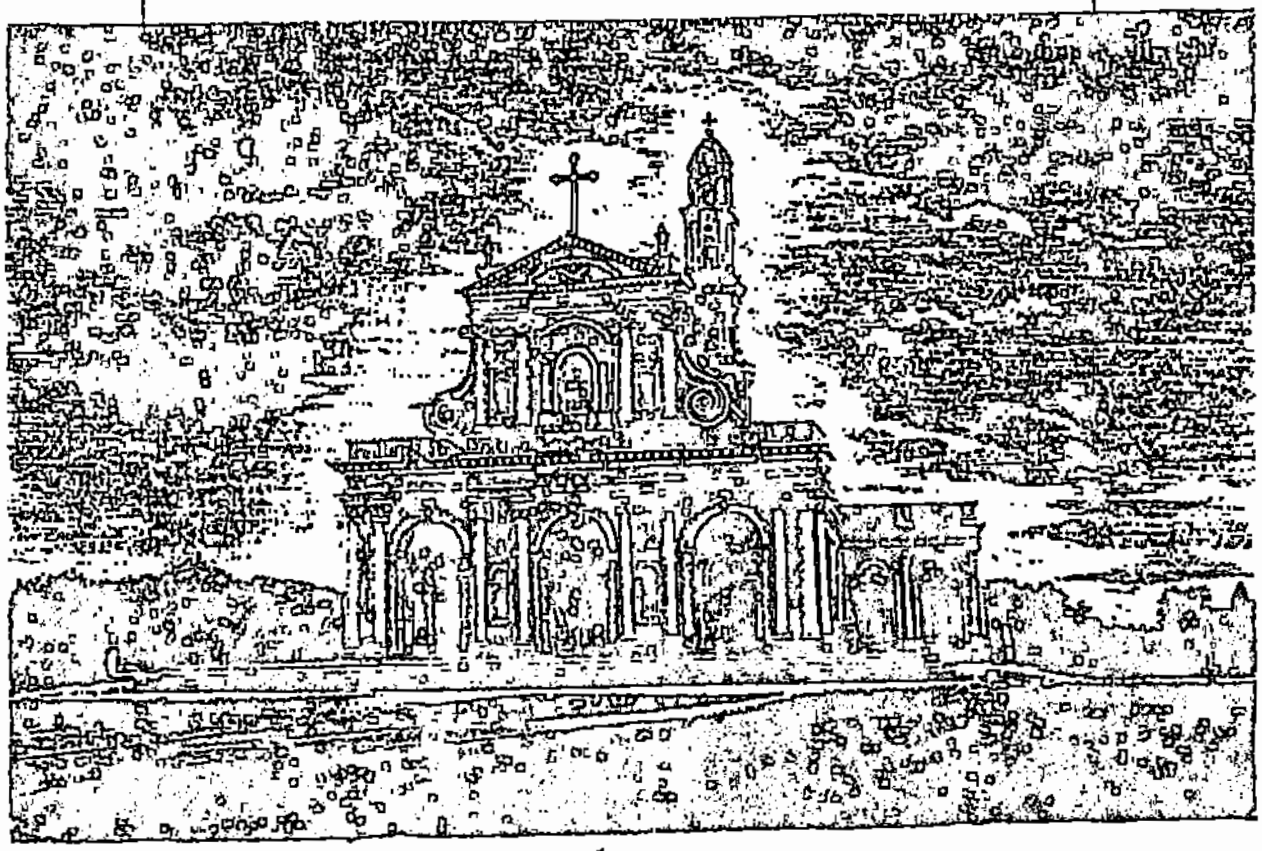

كنيسة كاثوليكيّة في الهند

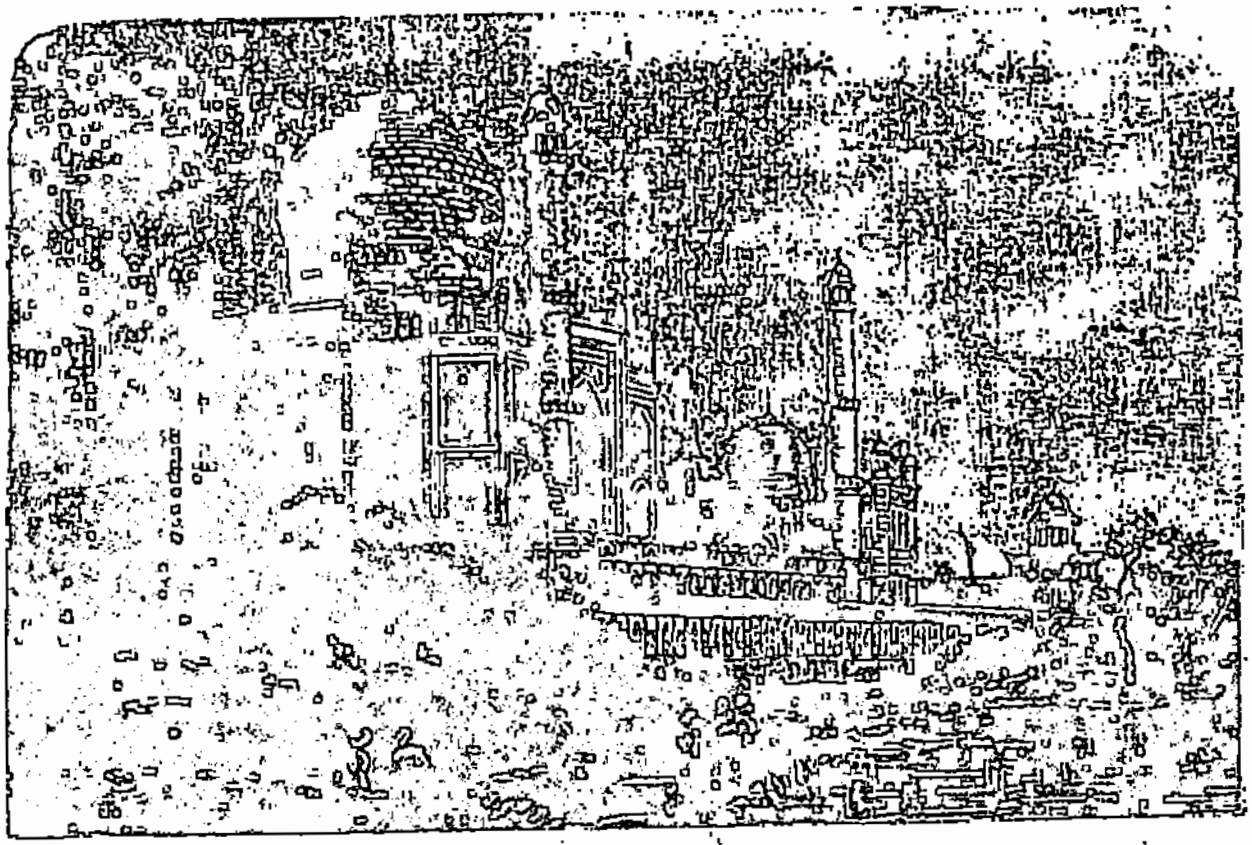

قصر لاحد ملوك المسلمين في هندستان .

جهات الهند تجري بقيّة نهاره ثمّ طول الليل وصباح الاحد الواقع في ١٥ك ١ فوصل بعد مسير عشرين ساعةً الى مرفأ كوراتشي وهي مدينة حديثة من مدن الهند واقعة في معاملة السند يمرّ قريباً منها شعبٌ من نهر الهندوس الزاخر . وكان املنا ان ننتقل من مركبنا جاوة ساعة وصولنا الى مركب آخر يسير الى عدن لكنّ ذاك المركب كان سافر قبل وصولنا بخمس ساعات فتحتّم علينا ان نذهب الى بمباي بعد لبوثنا يومين في كوراتشي لأنّ مركبنا جاوة كان يحتاج الى هذه المدّة ليفرغ ما شحنهُ من البضائع والغلّات من البصرة والعجم ومسقط . فرأينا في الامر عناية خاصّة من الله لنعاين شيئاً من احوال الهند

فنزلنا في كوراتشي ولم نعلم انّ للآباء اليسوعيين هناك ديراً عامراً . فلمّا وقفنا على ذلك اسرعنا فركبنا عربةً اقلّتنا الى محلّهم وهو في اقاصي المدينة والمدينة عينها تبعد عن المرفإ نحو ساعة ونصف فاذا هناك دير متوسط الكبر وكنيسة عظيمة مبنيّة على الطرز الفرنسيّ الجميل مع مدارس زاهرة يتقاطر اليها نخبة من شبّان البلد منهم وطنيّون من الهنود والپارسيّين ومنهم اجانب لا سيما الانكليز والارلنديّين

فكان حلولنا بين اخواننا الرهبان على الرحب والسعة وهم كلّهم من الالمانيين لانّ كوراتشي لاحقة برسالة بمباي التي يهتمّ بامورها الآباء الالمان بينما يُعنى برسالة كلكوتة اليسوعيّون البلجيكيون وبرسالة مادورة اليسوعيّون الفرنسويّون وبرسالة منغالور اليسوعيّون الايطاليّون . هذا فضلاً عن بقيّة الرهبانيّات التي تشتغل في اقاليم اخرى من انحاء الهند

كان اليومان اللذان قضيناهما في كوراتشي يومَي راحة وبهجة تامّة بعد اتعاب سفرنا ولم يدّخر الاباء المرسلون وسعاً في توفير اسباب هنائنا لاسيما انهم كانوا قرأوا في جرائد اوربّة انّنا قُتلنا في مذابح ارمينية فاطلعونا على رواياتها . وقد زرنا بصحبتهم انحاء المدينة وأرونا ما يستحقّ الذكر فيها . وكوراتشي هذه مدينة محدثة كانت قبل مئة سنة قرية حقيرة وهي اليوم مدينة عامرة يبلغ اهلها نحو مئة الف نفس . وللاوربيين فيها الدور الحسنة والمباني البهجة ومعظم تجارتها اليوم الحبوب والقطن وقد جعلها الانكليز بمرفإها الجديد وسككها الحديديّة احدى حواضر مدن الهند بعد ان كان العرب يبيعون فيها سابقاً الرقيق والعبيد . وفي احد انحائها حظيرة

واسعة للحيوانات الغريبة المجموعة من الهند والبلاد المجاورة بينها الاسود والنمورة والسباع واصناف الحيّات والتماسيح واشكال الطيور كالنسور والعقبان والببغاوات اعجبنا منها شكل من الغربان البيض على خلاف لونها المعروف وحيوانات أُخرى اهداها امراء الهند ذلك المتحف

ووافق وصولنا الى الهند الفصل الطيّب من السنة مدّة وقوع وقت الزمهرير في بقيّة البلاد فكان اديم السماء صافياً والحرّ مع اشتداده محتملًا والبحر هادئاً والارض مكتسية بزخرفها من النبات فكنّا ننظر الى ما هناك من الاشجار الغريبة والاثمار الشهيّة اللذيذة التي كنا نعرفها بالسمع دون العيان كالعنبة والفلفل وجوز بوا وكنّا نعاين خصوصاً بشوق غابات النارجيل مع جذورها الباسقة وسعفها المنتشر في الهواء كالمظلّات الواسعة تأوي اليه الغربان الناعبة

ومن غريب ما شاهدنا هنالك في ارباض المدينة بروج الصمت وتسمّى في لغتهم دَخما وهي صروح عالية مربّعة او مستديرة تُرى عن بُعد كالمآذن يُصعَد اليها بتراقٍ في داخلها وفي اعلاها سطح على شكل المشبَّك يعرض عليه مجوس الناحية موتاهم فتحطّ عليها الغربان وتنقرس لحومها ولا يبقى الّا العظام فتسقط بين عوارض المشبَّك الى بئر تحتها وذلك لئلّا تتدنّس الارض او النار بشيء نجس

وهؤلاء المجوس بقيّة من مجوس العجم وتبعة زرادشت يعبدون الشمس والنار ويقولون بإلهين اله الخير واله الشرّ هما في نزاع مستديم وقد هربوا الى الهند لمّا تشدّد عليهم المسلمون وصادروهم ولهم في الهند هياكل يوقدون فيها النار دون انقطاع ويعبدونها كصورة اله النور الذي تمثّله غزالة النهار . وهم يُدعَون في الهند باسم پارسي (Parsis) وهي لفظة مشتقّة من الفارسي اشارة الى اصلهم . وعددهم في الهند نحو ٨٠,٠٠٠ وهم معروفون بنشاطهم وتمدّنهم وذكائهم يتقلّدون الاوروبيين في ازيائهم . ويمتازون بشبه تاج كتاج اساقفتنا يجعلونهُ على رؤوسهم وكان البعض منهم على مركبنا يعرفون الانكليزيّة فتباحثنا معهم عن تاريخهم ودينهم . ولهم في الهند اليد الطولى في التجارة ومصارفهم من اعظم مصارف الهند . وكانت لغتهم قديماً الزنديّة وهم اليوم يتكلّمون بالهندستانيّة والغوجراتيّة اعظم لغات الهند شيوعاً واغلبهم في عهدنا لا يكترثون للدين فاصبح الاله مثون اي الدينار معبودهم الاعظم

وقد سُررنا لما رأيناهُ في كوراتشي من تقدُّم الكنيسة الكاثوليكيَّة وانَّما اكثر الكاثوليك من الاجانب لاسيما نصارى غوا والبرتغال وعلى الاخص الارلنديين المتجندين في الجيش الانكليزي فترى هؤلاء الجنود في الآحاد والاعياد يأتون بنظام فيحضرون الرتب الدينيَّة بكل خشوع ويتغنَّون بالاغاني الروحيَّة . وقد رأيناهم في الكنيسة ساعة وصولنا يحتفلون بيوبيل شفاعة القديس يوسف فأثَّر فينا منظرهم اي تأثير اذ رأيناهم يطوفون حول الكنيسة بتقىً ويسمعون عظة الخطيب بلذ السرور . وهؤلاء الجنود جمعوا مالاً من رواتبهم قبل خمس سنوات فاقاموا امام الكنيسة تمثالاً كبيرًا لشفيع بلادهم القديس پتريك فلمَّا نصبوا التمثال كانوا يأتون في ساعات الفراغ ليزيّنوهُ وجعلوا حولهُ حديقةً غرسوا فيها ضروب النبات واصناف الزهور واذ رأى قائدهم عناية الآباء بخير الجمهور منحهم ارضاً واسعة ومساعدات ماليَّة مكَّنتهم من تشييد مدارس واسعة على شرط ان يخصُّوها في وقت الاوبئة لخدمة الجنود الموبوئين وقد رأينا احداث المدارس المتقاطرين اليها وحضرنا روايةً مثلوها تمثيلاً اصوليًّا متقناً . وفي اثر هذه الرواية وزَّعوا الجوائز على مستحقيها وصرفوا التلامذة الى الفسحة السنويَّة التي تدوم شهرًا بنسبة وقوع عيد الميلاد ورأس السنة . وافادنا رئيس المدرسة انَّ التلامذة باجتهادهم وهمَّتهم نالوا غير مرَّة ثناء الفاحصين الذين ترسلهم الحكومة لامتحانهم ومن جرَّاء ذلك يمنح سنويًّا نظَّارُ المعارف هذه المدرسة مبلغاً ماليًّا لنجاح تلامذتها . وتصيب الراهبات اللواتي يسعين هناك بتهذيب البنات بمبالغ مثلها لرقيّ مدارسهنَّ

ويوم الثلاثاء في ١٧ من ك ١ بعد ان شكرنا آباء مدرسة كوراتشي عدنا الى سفينتنا جاوة فاستأنفت المسير ومخرت البحر جنوباً دون ان تتريَّث حتى بلغنا في منتصف يوم الخميس ١٩ منهُ ذاك المرفأ الواسع الارجاء الذي اعدَّتهُ يد الطبيعة واحكمتهُ دون عمل الانسان اعني مرفأ بمباي (Bombay) الذي من اسمه اشتقُّوا اسم المدينة ومعنى بمباي باللغة البرتغاليَّة المرفأ الحسن امَّا الاهلون فصحَّفوهُ فيقولون مُنْباي ويذهب البعض الى انه اسم احدى إلاهات الهنود . وبفضل هذا المرفأ الطبيعي قد نالت بمباي مقاماً رفيعاً في الهند وتعدُّ من حواضرها مثل كلكوتة ودهلي ومدرس

نزلنا في بمباي في كليَّة الآباء اليسوعيين المعروفة بمدرسة القديس فرنسيس

كسفاريوس . وهي مدرسة واسعة كاكبر مدارسنا في اوربّة مجهّزة بكل لوازم التعليم على الطرائق المحدثة لا ينقصها شيء من تجهيزات الاكتشافات العصريّة الموافقة لغايتها من اسلاك تليفونيّة ومصابيح كهربائيّة ومتاحف علميّة

فكان استقبال المرسلين لنا كما في كوراتشي في غاية الوداد واذ كانوا دخلوا في عطلة الاعياد الميلاديّة تفرّغوا لخدمتنا بكل رغبة . وكان بين الرهبان بعض الآباء الذين عرفناهم سابقاً في انكلترّة في مدرسة ديتون هال (Ditton-Hall) حيث كانت دار العلوم اللاهوتيّة لليسوعيين الالمانيين فسرّهم قدومنا الى الهند بعد أن أخبروا بموتنا في جملة ضحايا الارمن

قضينا اسبوعاً كاملاً في بباي فامكننا ان ندرس احوال البلد درساً تعساً . وكان اوّل ما قضت علينا واجبات الكهنوت ان نزور سيادة رئيس اساقفة بباي السيّد دالهوف (Mgr Dalhoff) سليل الرهبانيّة اليسوعيّة وخلَف السيد مُورِنْ (Mgr Meurin) الشهير باعماله الرسوليّة في الهند وكتاباته عن الماسونيّة التي كان من الدّ اعدائها لما عرف من شرورها المتفاقمة . فالسيّد دالهوف أكرمَ افادتنا وهنّأنا بالنجاة من مذابح الاكراد وعرض علينا الاقامة مدّة في بباي والسياحة في غيرها . فشكرنا لسيادته تلطّفهُ وطلبنا بركة مساعده السيد بيدرلَين (Mgr Biderlein) اسقف پونا (Poona) اليسوعيّ مثلهُ

بباي مدينة من امّهات مدن الهند وعاصمة اقليم الهندستان موقعها بازاء افريقية في غربيّ الهند على خطّ مثلّث كبير يغوص راسهُ في اوقيانوس الهندي ويمتدّ جانباهُ بين بحر بنغال وبحر عمان وبباي تابعة لارخبيل صغير لاحق بجزيرة سلسات . ولحسن موقعها الذي تحيط به الجبال مع سعته اضحت اليوم عاصمة الهند التجاريّة يتوارد اليها اهل تلك البلاد على اختلاف اجناسهم مع عدد لا يُحصى من الاحباش والعجم والعرب فيكاد الناظر يجد في هذه المدينة وحدها كلّ عناصر البشر وازياءهم ويسمع لغاتهم . والاحصاءات الاخيرة تبلغ عدد سكان بباي الى نحو المليون من النفوس

وما زاد موقع بباي اعتباراً سككها الحديديّة التي توصلها بداخليّة البلاد وبعواصم الهند حتى اقصاها كدهلي وكلكوتة والالهباد ولاهور فتتوارد اليها كلّ مرافق تلك

الانحاء ومن اعظم متاجرها القطن والغلات المختلفة قيل انّ مبلغ واردات بماي وصادراتها سنويًا لا يقلّ عن ١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك والسُفن التجاريّة الكبيرة من كلّ الدول تأتيها بسلع اوربّية وتنقل عنها محصولات الهند

وبماي تقسم الى قسمين المدينة الاوربيّة التي لا تخالف حواضر الفرنج في شيء والمدينة الوطنيّة حيث يشمّ المسافر رائحة الهند ويرى احوال اهلها في دينهم ودنياهم وكان هذا القسم الثاني هو الذي استوقف ابصارنا على الاخص

والهنود امّا مسلمون وامّا وثنيّون . فالمسلمون ارقى حضارةً واذكى عقولًا من الوثنيين يسعون اليوم في جمع كلمتهم لمباراة الاوربيين وتقوية عنصرهم فلهم المدارس الجامعة لدرس العلوم الشرعية وغيرها والجوامع الفخيمة والمشروعات الخيرية والمؤتمرات الملّية وينشئون عدّة صحف في لغات البلاد لا سيما الهندستاني والكوزراتي والعربيّ وانّما مطبوعاتهم غالبًا سقيمة الطبع قليلة الضبط والمسلمون في الهند فوق ثلث المسلمين في العالم كلهِ يبلغون ٦٠ مليونًا

اما الوثنيّون فعددهم في الهند نحو ضعف عدد المسلمين فهم ينيفون على المئة مليون من النفوس يُقسَمون غالبًا الى براهمة وبوذيين يعبدون ضروب الآلهة الممثلة لهم القوّات العلويّة وقوّات الطبيعة . وفي اديانهم كثير من الارجاس التي يأنف الكاتب من ذكرها فضلًا عن وصفها . ولآلهتهم تصاوير غاية في القباحة والشناعة كصور بوذا وسيوا لا يستطيع ان يعاينها الناظر الّا يأخذهُ العجب من ضلال البشر في اوهامهم الباطلة . وبين تلك التماثيل صور نجسة كالتنكام يعرضونها على اتباعهم فيكرمونها . وكنّا ننظر مشايعي تلك الاديان يدخلون في هياكلهم صباحًا فيقرأ لهم سدَنَتُها قيامًا من كتبهم الدينيّة في اوصاف الاوثان ونزاع الآلهة واخلاقهم الفاسدة ثمّ يلصقون على جباههم علامات وخطوطًا بالوان مختلفة كالاحمر والاصفر لتقيهم غضب اولئك الالهة وشرور اعدائهم

ومن بلايا هؤلاء الهنود ما فيهم من اللفوف (les castes) المتباينة فانّهم يُقسمون الى طبقات شتى لا تختلط طبقةٌ بأخرى وارقى هذه اللفوف طبقة البراهمة الذين يعتبرون لهم كلفٌ سماويّ فيرون الطبقات التي دونهم بعين الازدراء والهوان كما يرى السيّد عبدهُ وعلى زعمهم انهم يتنجّسون اذا آكلوا سواهم او كلموهم او

اقترنوا ببناتهم وعادات كثيرة لا تخطر على بال غيرهم من البشر

ومنها حالتهم في الزواج وذلك انهم يعدّدون الزوجات حتى انَّ الرجل الواحد يتّخذ عدّة نساء بل عدّة بنات فتيات قبل سنّ وشادهنّ واذا مات الرجل بقيت تلك النساء والبنات مقصورات وان لم يتمّ الزواج مطلقاً وكانت العادة قبل تملّك الانكليز اذا مات الرجل دُفنت معهُ نساؤهُ او حُرِقن مع جثّته وهنّ احياء ولا تزال هذه العادة البربريّة جاريةً في بعض الجهات القاصية حيث لا يستطيع الانكليز ان يمنعوها

ومن عاداتهم الاغتسال المتواتر بماء الكنج النهر المقدّس عندهم وهم يزعمون ان من استحمّ بهِ طهر من ادران آثامهِ

ومنها اكرامهم لبعض الحيوانات لا سيما البقر فالبقرة عندهم مقدّسة تحلُّ فيها روح الآلهة ولذلك لا يستطيع المسلمون والفرنج ان يأكلوا لحومها الّا خفيةً عن معظّميها . وكنّا نرى في اسواق بمباي بقرًا مهملًا كان يجري من حانوت الى آخر فيحسن اليه الهنود بعلوف والهنديّ يرى نفسهُ محظوظاً اذا اغتسل ببول البقرة واذا مات وفي يدهِ ذنبها

وقد رأينا ايضاً الافيال الضخمة تجري وعلى ظهورها شبه البيوت والهوادج وتحمل الاثقال العظيمة ويسوسها اصحابها بتؤدة فتجري طوع امرهم وتستعين بخراطيمها كما يستعين الانسان بيديهِ

وقد زرنا في بمباي المعاهد العموميّة والنوادي العلميّة والمدارس الوطنيّة . والحكومة تنشطها جميعاً بالهبات الماليّة لا تفرق بين دين ودين ولا تقدّم جنساً على جنس وانّما تقيس جوائزها على قدر نجاح تلك المدارس في الفحوص السنويّة قدّام لُجَن تُعيَّن لتلك الغاية

وفي مقدّمة هذه المدارس مدرسة القديس فرنسيس كسفاريوس للآباء اليسوعيين فانَّ تلامذتها لهم السبق على سواهم . ففي السنة التي مررنا بها في بمباي كانت الحكومة خصّصت ثماني جوائز فاخرة لمن يفوزون بقصبة السبق فنال ستًّا منها طلبة مدرسة القديس فرنسيس . ومن ثمَّ ترى اقبال الجميع على الانتظام في سلك تلامذتها وعددهم ينيف على الالف بينهم جمّ غفير من ناشئة البراهمة والبوذيين والمجوس الذين

مرَّ لنا ذكرهم . والدروس في هذه المدرسة ترشح التلامذة امدَّة مناصب في الحكومة او تؤهلهم للدخول في بعض الفروع الخاصَّة كالشريعة والطب

وللاباء اليسوعيين مدرسة اخرى داخليَّة تُعرف بمدرسة السيدة مريم (S' Mary's College) هي كالمدرسة الاعداديَّة لكليَّة القديس فرنسيس

فتلك المدارس الكاثوليكيَّة من شأنها ان ترفع بين اهل الهند مقام الكنيسة الرومانيَّة هذا فضلًا عن بقيَّة مشروعاتهم الخيريَّة التي في بماي كالمستشفيات والملاجئ ومدارس البنات واعمال الطباعة والصحافة . وعدد الكاثوليك يبلغ اليوم في ابرشيَّة بماي ٣٠,٠٠٠ وهو في الهند كلّها نحو ٢,٥٠٠,٠٠٠ ولم يكد يبلغ مليوناً قبل خمسين سنة

وقد اهتممنا في بماي بان نطّلع على حركة الآداب العربيَّة بين اهلها المسلمين فلم نجد هناك ما كنَّا نؤمّلهُ . فانَّ مكتبتها العموميَّة ليست غنيَّة بالمخطوطات العربيَّة واكثرها كتب فقه وعلوم دينيَّة . وليس لدى باعة الكتب ما يستحقّ الذكر الَّا بعض مطبوعات لاهور وبماي ولوكنو واكثرها مطبوع على الحجر طبعاً سيئاً كالشفاء لابن سينا الَّا البعض منها كرسائل اخوان الصفا في اربعة مجلَّدات

وكنَّا لا نزال نستعلم عمَّا في بماي من اصحاب العلوم الاسلاميَّة لعلّهم يطلعوننا على شيء من آثار الاقدمين فزرنا احد امراء العلويين من سلالة عليّ بن ابي طالب فوجدنا عندهُ بعض كتب فارسيَّة جميلة بخطّ بديع وتصاوير . وتعرَّفنا ببعض الشيوخ الذين كان علمهم منحصراً بدرس القرآن والفقه وحظّهم من آداب اللغة قليل

وكدنا نيأس عن وجود اثر يُذكر بين عرب الهند اذ ارشدنا الله على طريق الصدفة العجيبة في عشاء الليلة التي سبقت سفرنا الى اكبر الكتبيين في الهند اسمهُ الشيخ الشيرازي ويلقَّب بملك الكتّاب . فهذا كان عندهُ في بيتهِ مكتبة واسعة جمع فيها معظم مطبوعات الهند والعجم مع عدد وافر من المخطوطات . فذهبنا الى بيتهِ وقضينا ساعتين من الليل بين كتبهِ فاخترنا منها نحو الخمسين ثمَّ عدنا في سحر النهار اليه قبل سفرنا واخذنا مثلها عدًّا وبعد الاتفاق على قدر اثمانها نقلناها الى المدرسة وجعلناها في صندوق على عجلة تُحمل الى مركبنا

ومن اعزّ ما وجدناهُ هناك من المخطوطات النفيسة كتاب في معجم الأدباء

قديم الّا انّ اوّلـهُ مفقود وكتاب مختصر اصول الفلسفة لبهمنيار بن الرزبان من تلامذة الشيخ الرئيس ابن سينا يُدعى تحصيل بهمنيار وهي نسخـة فريدة تاريخ كتابتها سنة ٩٠٥ هـ (١٥٠٤ م) وكتب أُخرى في الهيئة والحساب والادب نصفها ان شاء الله مع بقيّة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة

ووافق اسبوع اقامتنا في بباي استعداد الكاثوليك لعيـد الميلاد فكانوا يجتمعون كلّ مساء لاجراء رياضات تقويّة فتغصّ بهم كنيسة المدرسـة على رحبها فيؤثر تقاهم في كلّ الناظرين

وكان الآباء المرسلون يشيرون علينا بان نطوف بعض جهات الهند ولا سيما في المدن التي رائجة فيهـا سوق الآداب العربيّة وبالاخص كلكوتة حيث الحكومة انشأت منذ نحو ثمانين سنة مطبعة نشرت تآليف جليلة كنّا لستجلبنا اكثرها لمكتبتنا في بيروت غير انّ رغبتنا في الرجوع الى برّ الشام في اوائل السنة ١٨٩٦ حدا بنا الى تقصير مدّة سفرنا

وكان شدّ ما نرغب اليه زيارة اديرتنا المختلفة في كلّ جهات الهند فان عدد تلك الاديرة ينيف على المئة ولكلّ دير اعمالهُ المختلفـة من مدارس عليا او وسطى او كتاتيب بسيطة ومن رسالات لتبشير الوثنيين حتى البراهمة ومن مشروعات خيريّة شتى كالمياتم ودور الصنائع ومن اعمال علميّة معتبرة كمراصد فلكيّة ومطابع لنشر ضروب الكتب في اللغات الهنديّة والاوربيّة. واعظم من ذلك رغبتنا المتأهبة لنظر مدينة غوا حيث يُكرَم جسد رسول الهند القديس فرنسيس كسفاريوس وهو لا يزال في صورتهِ الاصليّة ولين اعضائهِ كمـا كان يوم موتهِ في جزيرة سنسيان حيث كان مصمّماً على دخول الصين للتبشير بالدين. وحفظُ جسدهِ من الفساد اعجوبة دائمة تنطق بفضل الديانة التي دعا اليها اناساً لا تحصى وتابوتهُ الفخيم يُفتَح كلّ خمس سنوات امام جمهور عظيم يقبلون لمشاهدة ذاك الجسـد الطاهر فيكرمون رسولًا اقترف آيات لا تحصى منها احياؤهُ لعشرة اموات ونشر الايمان في كل جهات الهند واليابان . وذكرُ اعماله الاثيرة يحيي في قلوب مئـين من المرسلين النيرة لخلاص الوثنيين فيدعون على مثالهِ الوفاً من المشتركين الى حجر الكنيسة ويصبغون منهم بمياه المعموديّة كل سنة نيفاً وعشرين الفاً . فكففنا ايضاً عن هذه الرغبة خوفاً من ان تطول غيبتنا على

اخوتنا في بيروت وهم لا يعلمون ما جرى بنا ابأن المشاغب التي حدثت في ما بين النهرين وجهات الارمن

وكانت احدى سُفن الشركة الانكليزيّة الكبرى المدعوة « Peninsula » متأهبة للسفر فعوّلنا على ركوبها في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ كانون الاوّل

(البقيّة لعدد آخر)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني جرجس افندي صفا (تابع)

٤ ﴿كتاب مجموعات﴾ بخطّ قديم غير مذكور فيهِ تاريخ انتساخهِ ويشبه ان يكون كُتب منذ اكثر من اربعمائة سنة طوله ٢٧ سنتمترًا وعرضهُ ١٧ س بخط حسن دقيق مضبوط النقل يحتوي: ١ً على كتاب (النزهة المبهجة في تشحيذ الاذهان وتعديل الامزجة) للشيخ داود البصير الانطاكي المشهور المتوفّى سنة ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) جمع فيهِ بين الطبّ وعلم الحكمة الالهيّة وهو ١٢٧ ورقة وفي الصفحة ٢٩ سطرًا

٢ً كتاب (قسطا بن لوقا الفيلسوف اليوناني (١ في الباهم وعللهِ ومُداواتهِ) قال « وهي المقالة الاولى من كتابٍ ألّفهُ لابي الفطريف البطريق احد اعيان ارمينية» وهي سبعون باباً في ١٥ ورقة

٣ً كتاب (قسطا المذكور وهي المقالة الثانية من كتابه في الدم ومنافعه في ابدان الناس والعلل التي تحدث عن تغييره في كمية وكيفية وعلاج ذلك) وهي اربعون باباً في ١٠ اوراق

٤ً كتاب (قسطا المذكور ايضاً في المرار الاصفر) وهي المقالة الثالثة من كتابٍ ألّفه لابي الفطريف البطريق وهو عشرون باباً في اربعة اوراق

٥ً كتاب لابن (قسطا المذكور في المرار الاسود) ألّفه لابي الفطريف المذكور وهو اربعة وعشرون باباً وتسعة اوراق

١) راجع في المشرق سنة ١٩١١ (١٤: ٩٤-٩٦) ما كُتب عن قسطا بن لوقا وتآليفهِ

٦ً كتاب (قسطا المذكور في اشتراك الطبائع بعضها ببعض) ألّفه لابي الغطريف المذكور وهو ١١ باباً في ثلاثة اوراق

٧ً كتاب (له في الروضات بالأذهان) وهي المقالة السادسة من كتاب ألّفه لابي الغطريف المذكور في ٥ اوراق

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ترجمة قسطا المذكور وعدد الكتب التي ألّفها وفي جملتها الاربعة الاولى ولم يذكر في جملتها الكتابين الاخيرين وكأنه لم يعلم بهما وقال ان الكتب الاربعة المذكورة ألّفها لابي الغطريف البطريق مولى امير المؤمنين ثم قال: «ان ابا الغطريف كان في ارمينية وكان من اهل العلم والفضل فعمل له قسطا كتباً جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الالفاظ في اصناف العلوم وان قسطا كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لا يُطعَن عليه فصيحاً في اللغة اليونانية والسريانية والعربية نقل كتباً كثيرة من اليونانية الى العربية واصله يوناني»

٨ً مقالة (في الماليخوليا لاسحق بن عمران) قال في اوله بعد البسملة:

«هذا كتاب مختصر صنعهُ اسحق بن عمران المتطبب في الداء المعروف بالماليخوليا وهو الوسواس السوداويّ تذكرةً لنفسه بما عساه ان يعروه من النسيان سيما عند دنوّه من الشيخوخة التي كان افلاطون يسميها امّ النسيان ورحمةً لمن ينظر فيه من محبي الطب وابناء الحكمة (ثم قال): قال اسحق بن عمران لم اقرأ لاحد من الاوائل في الماليخوليا كتاباً مرضياً ولا كلاماً شافياً في هذا المرض الا لرجل من المتقدمين يقال له روفين الافسيسي وهذا الرجل وان كان وضع في هذا المرض كتاباً فيه مقالتان احتشد فيه بجميع عقله واحسن واجاد في البحث عنهُ وعن عوارضه وطريق معالجته فانهُ انما خصَّ بصناعته صنفاً واحداً من هذا المرض وهي العلّة الشراسيفية وألغى ذكر صنوفه الباقية الا انهُ محمود ممدوح بما فعل من وضعه كتابهُ لانَّ من اتى بأيسر شيء من الصواب مما يُنتفع به فاضلٌ ممدوح بما فعل من وضعه كتابه كمن اتى على التمام وبلغ الغاية وان كان قد قصّر عن المراد»

وقد ذكر هذه المقالة ابن ابي اصيبعة في جملة ما الفه اسحق بن عمران في ترجمته وقال «ان كتابهُ في الماليخوليا لم يُسبَقَ الى مثله» وهو سبعة اوراق. واسحاق بن عمران كان طبيباً بغداديّ الاصل وخدم في افريقية زيادة الله بن الاغلب مدّة ثم قُتل بامره وصُلب نحو سنة ٢٩٥ (٩٠٨ م)

٩ً (كتابه الثاني في الماليخوليا) وهو عشرة اوراق

١٠ً مقالة له (في الايارجات) ولم يذكرها ابن ابي اصيبعة وهي ثلاثة اوراق

وقال في آخرها : « قد اتممنا جملة الكتاب الذي ألّفهُ في الماليخوليا واصنافهِ وعلله ومُداواتهِ ووفّينا ما كنّا وعدنا به من اثبات الايارجات الكبار (١ على النسخة القديمة والحمد لله على عونه واحسانه امين » ثم يليه ما يأتي هكذا :

صفة الاطريفل (٢ الصغير : على النسخة القديمة المندية مما ينفع في استرخاء العروق في المقعدة في غلبة البواسير ويقوي المعدة الضعيفة من كثرة البلغم وينشف الرطوبة ويحفظ الصحة ويبعد من الهرم

١١ً (ذكر اخلاطه وكيفية تركيبها) في نحو ورقتين ولم يذكر في اول هذه الصفة ولا آخرها لمن هي والظاهر انها لاسحق المذكور

١٢ً يلي ذلك كتاب آخر هذا عنوانهُ : «الكتاب المعروف بالمولودين لحنين ابن اسحق المتطبب» اوّلهُ بعد البسملة :

قال حنين بن اسحاق المتطبب خادم امير المؤمنين اني وجدتُ كلَّ من شاهدتهُ ممَّن لقيتهُ وعاينتهُ ممَّن طلب اسباب ما غمض سببهُ وغاب دليلهُ واعتاصت الحجّة فيه يطلبون التفاوض في السبب الذي صار المولود لسبعة اشهر اول من يتربّى من الاطفال ثم من بعده المولود لتسعة اشهر ثم من بعده المولود لعشرة اشهر وصار الشهر الثامن الذي بين الشهر السابع والشهر التاسع كل مولود فيه لا يربّى . واني رأيتهم مع شدّة حرصهم على ذلك وطول التفاوض فيه والمعاناة له لم يصلوا الى معرفته ولا سلكوا طريقاً يتبيّن به الوصول الى ذلك ففكّرت في ان القدماء اذا كانوا قد بحثوا عن جميع ما يُحتاج اليه مما تبلغه طاقة الانس وتقدّموا في ذلك جميع اهل زماننا وفضلوهم فيه حتى ان المثل قد جرى بان الاوّل لم يدع للآخر شيئاً يبحث عنهُ واظنهم قد فعلوا ذلك في سائر الامور وان كان بعضها خسيساً قليل الدرك فضلاً عن الامور الجليلة فاظنهم لم يدعوا ذلك في هذا الغرض العظيم الخطر فرجعت بكرب (٣ (الى ان قال) انه ظفر بكتاب لأبقراط اجلّ الاطباء قدراً واعظمهم غنًى في الطب وانّه خصّ هذه المسئلة بما اطال به في الجواب عنها وشرح كلام أبقراط ومعانيهُ فيها واوردَ تحصيلهُ لها على طريق السؤال والجواب وذكرها مفصلةً مسئلةً مسئلة وجواباً جواباً (وقال) انه ألّفها للسيّد امير المؤمنين اطال الله بقاءه

وهي ستّة اوراق . ثم ذكر ذيلاً لهذا الكتاب في صفحة يتضمّن بيان مسائل تنظيم المنى في توليد جميع الاجنّة وما السبب في سلامة من يسلم منها ومن عطب

---

١) الايارج معاجين مُسهلة واللفظة فارسية معناها الدواء الالهيّ

٢) الاطريفل في الفارسية الدواء المؤلف

٣) وفي الكتاب يكبر وهو سهو من الكاتب

مَن يعطب . وفي آخر الكتاب ما يأتي : « الى ههنا هذه النسخة بخط ابي زيد (١ من والرسان (؟) وحكى ابو زيد (٢ انه وجدها هكذا بخط ابي زيد حنين بن اسحق في الكاغد هكذا وقع في الام (اي الاصل) » وكل هذا المجموع بخط دقيق مضبوط واضح تحتوي كل صفحة منه على ١٩ سطرًا وطول الكتابة في الصفحة ٢٢ سانتي وعرضها ١٢٫٤

٥ ﴿ الجزء الثاني من التهذيب ﴾ لسعد الدين مسعود التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م) ولم كتابه تهذيب المنطق والكلام والقسم الاول منه في المنطق (اوله بعد البسملة وفاتحة الكتاب) : « وبعد فهذه غاية تهذيب الكلام في تحرير وتقريب المرام من تقرير عقائد الاسلام جماعةُ تبصرة لمن حاول التبصير من ذوي الافهام وتذكرة لمن اراد ان يتذكر من ذوي الافهام » والجزء الثاني هذا الذي نحن في صدده يقول في اوله بعد البسملة : القسم « الثاني في علم الكلام من التهذيب وعلى الستة وقع التبويب » . ثمَّ يحدّد علم الكلام بقوله :

الكلام (٣ هو العلم بالعقائد الدينية عن الادلة اليقينية وموضوع المعلوم من حيث يتعلق بذلك وبحث فيه عن اثبات الصانع والنفس وخلودها والثواب والعقاب والشريعة وغير ذلك مما هو من مقدّمات علم الالهيات

وهو ٦٠ ورقة وكل صفحة منه ١٥ سطرًا طول المكتوب في الصفحة ١٠ سانتي بعرض ٦ بخط دقيق والقسم الاول من الكتاب وهو قسم المنطق مشهور وله شرح مشهور ايضاً يسمى التذهيب على التهذيب وحاشية عليه للخبيصي . وعندي شرح عليه للدواني خط وتحقيقات وتدقيقات عليه وعلى حاشيته الجلالية في كتاب مخطوط كبير يقول الشارح في آخره : « هذا آخر ما يتعلق بقسم المنطق من هذا الكتاب وجلّ ما فيه من المباحث والابواب وقد بقي قسم الكلام منهُ متوارياً

---

١) كنية حنين المذكور (راجع ابن ابي اصيبعة)

٢) الظاهر انه ابو زيد آخر وهو الناقل لهذا الكتاب

٣) جاء في مقدمة ابن خلدون : الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلّة العقلية والرد على المبتدعة . وهو المسمى علم الالهيات وكانوا يتناظرون فيه ويتجادلون بالكلام فغلب عليه اسم علم الكلام

بالحجاب فلو وجدت نسخة منه لشرحتهُ على وجه التفصيل والاطناب وكشفت عن وجوه فرائده نقاب الاحتجاب وعن كنوز فرائده الاتراب »

فيكون القسم الثاني هذا من التهذيب نادر الوجود وقد قال لي حضرة صاحب الشرق الاغرّ انه يوجد منه نسخة في احدى مكاتب اوربا

٦ ﴿ مجموعة ﴾ تحتوي على الكتب الآتية : ١ً (كتاب التذكرة في علم الحديث) تأليف الشيخ الامام عمر بن الملقن المتوفّى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) جاء في اخره : تمت التذكرة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد الفقير الى الله تعالى محمد بن علي بن خليل الشهير بالمنهاجي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين بتاريخ يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ذي الحجة الحرام سنة ٨٢٧ (١٤٢٤م) قوبلت هذه النسخة على نسخة أخرى بخط مؤلفها ختمها بما مثالهُ : « صحّ ذلك وكتب عمر بن عليّ الانصاري الشافعي . قال مؤلفهُ : فرغتُ من تحرير هذه التذكرة في نحو ساعتين من صبيحة يوم الجمعة سابعة عشرين جمادى الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمائة أحسنَ تقضيها وما بعدها بخير وعافية »

٢ً (رسالة في الحدود) تشبه الكتاب المشهور بالتعريفات للسيد الجرجاني وهي تشتمل على حدود وتعريفات اولها بعد البسملة :

« الحمد لله القدير الذي خلق كل شيء فسوّاه . السميع الذي يسمع مناجاة الضمائر وخفيّات السرائر وان صمتت الافواه . البصير فلا متحرك ولا ساكن في السماء والارض الّا يراه . العليم بما كان وما يكون وما يسقط من ورقة الّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس خلق ذلك فاحصاه . الحليم فلا يعجّل بالعقوبة على من عصاه (الى ان قال) : اعلم يا اخي هداك الله ان الحدّ عبارة عن المقصود الذي يحصره ويحيط به احاطة يمنع ان يدخل فيه ما ليس منهُ وان يخرج عنه ما هو منهُ : ومنه اشتقاق حدود الدار والحدّ في اللغة المنع وبه سمّي البوّاب حدّاداً لمنعه الطارق من الدخول »

وفي آخره : « قد تجز غرضنا من كتاب الحدود بحمد الله وعونهِ وحسن توفيقه وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبهِ وسلم تسليماً على يد مؤلفه الفقير اليهِ تعالى محمد المنهاجي غفر الله له ولوالديه ولكل

---

١) وهو كتاب القسم الثاني من التهذيب الذي نحن في صدده

المسلمين اجمعين امين بتاريخ اليوم المبارك يوم الاحد لتسع ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٦ م)

٣ (رسالة ايساغوجي للابهري): مشهور

٤ رسالة (في اداب البحث) كُتبت بالتاريخ المذكور والمجموعة كلها ٤٠ ورقة منها ١٥ سطرًا طول المكتوب في الصفحة ١٣ سانتي بعرض ٨٤

٥ كتاب (تعريفات السيد الجرجاني) المشهور نسخة جليلة مضبوطة كُتبت سنة ٩٧٥ هجرية. طُبع مرارًا في اوربة بمساعي دي ساسي وفلوغل (Flügel) ثم في مصر. توفي الجرجاني سنة ٨١٦ (١٤١٣ م)

٦ كتاب (التنبيه على اوهام ابي عليّ (١ في اماليه) اوله بعد البسملة:

قال ابو عُبَيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكريّ رحمه الله: الحمد لله خيرُ ما بُدئ به الكلام وخُتم وصلى الله على محمد وآله وسلّم. هذا كتاب نبهتُ فيه على اوهام ابي علي رحمه الله في أماليه تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند محتجًا في جميع ذلك بالشاهد والدليل فاني رأيت من تولّى مثل هذا من الردّ على العلماء والاصلاح لأغلاطهم والتنبيه على اوهامهم لم يعدل في كثير مما ردّه عليهم ولا انصف في كلّ ما نسبه اليهم. وابو عليّ رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنُبل ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحلّ الذي لا يُجهل وبحيث يقصر عنه من الشاد الاحفلُ ولكن البشر غير معصومين من الزلل ولا مبرّئين من الوَهْم والخطل والعالم مَنْ عُدّت هفواتهُ وأُحصيت سقطاتهُ كفى المرْءَ نُبلا ان تعدّ معايبه. فلما اوريتُ من هذه الفوائد كابيها وابديت خافيها اعطيت بها القوس باريها واهديتها الى المعتمد على الله المؤيّد بنصر الله خلّد الله دولته وثبّت وطأته لالتماس اسرار الحكم واقتباس انوار الكلم وعنايته بانواع العلم واخذه من جميعها باوفر قسم لا اعدمهُ الله نجحًا من السعد مُليحًا وطائرًا من اليمن سنيحًا

ثم بدا بالكتاب فقال: انشد ابو علي رحمه الله اشعارًا منها قول بُرَيه بن النعمان ولم ينسبهُ ابو عليّ:

لقد طرقتْ فؤادكَ مستحثًا مطوّقةٌ على فَنَنٍ تغنّا

---

١) هو ابو عليّ القالي صاحب كتاب الامالي المشهور وقد طُبع كتابه الامالي في مصر حديثًا وهو ابو علي بن عيذون بن هرون بن عيسى القالي اخذ عن ابي بكر بن دريد الازدي وابي بكر ابن الانباري وثعلب وابن درستويه وغيرهم ولد في ديار بكر سنة ٢٨٨ وتوفي بقرطبه سنة ٣٥٦ (٩٠١-٩٦٦ م) وله كتاب الامالي والبارعة في اللغة بناه على حروف المعجم وهو يشتمل على خمسة الاف ورقة وكتاب المقصود والممدود وغير ذلك

يميلُ بها وتركبهُ بلحنٍ اذا ما مَنَّ للمحزونِ أنّا

ومنها :

وهاتفين يشجو بعدما سَجعتْ وُرْقُ الحمامِ بترجيعٍ وإرنانِ
باتا على غصنِ بانٍ في ذرى فَنَنٍ يردّدانِ لحوناً ذاتَ الوانِ

وفسّر ما ورد في هذه الاشعار من الحان الحمامة المراد به النُّغات : * ع * (١ وانما المراد به اللحن الذي هو ضربٌ من الاصوات المصنوعة للتغنّي ودليل ذلك قولهُ «مطرِّقةٌ على فَنَنٍ تَغنّا» وقول الاخر «يردّدان لحوناً ذات الوانِ» . انما اراد ذات الوان من الترجيع كما قال في البيت قبله «بترجيعٍ وإرنانِ» . ثمَّ اردف :

قال ابو علي رحمه الله : واصل اللحن ان تريد الشيء فتورّي عنه . . . الخ . (وقال في محلّ آخر) وذكر ابو عليّ رحمه الله خطبة عبد الملك وانشادهُ شعر قيس بن رفاعة :

مَنْ يَصِلْ ناري بلا ذنبٍ ولا تِرةٍ يَصِلْ بنارِ كريمٍ غير غدّارِ

* ع * انما هو قيس بن ابي رفاعة واسمهُ دِثار وقد ذكره ابو عليّ بعد هذا في كتابه على صحتهِ . وذلك في الحديث الذي رواه التوّزيُّ عن ابي عبيدة قال : كان ابو قيس بن ابن رفاعة يَفِد سنةً الى النعمان اللخميّ وسنةً الى الحرث بن ابي شمّر الغسّاني فقال لهُ يوماً وهو عنده : يا ابا قيس بلغني انكَ تفضّل النعمان عليّ . وساق الحديث الى آخره قال ابو علي : والوِتر الذَّحل بكسر الواو لا غير * ع * هذا وهم منه الواو تُكسر وتفتح في الوتر ذكر ذلك يعقوب وغيره وقال في محل اخر (وذكر شعرًا اورده ابو عليّ ولم يفسّره) : ان ابا علي كثيرًا ما يشغله تفسير ظاهر اللغة عن تفسير غامض المعاني وقد افردتُ لشرح معاني نوادرهِ كتاباً غير هذا اه

والكتاب الذي نحن في صدده ٦٨ ورقة طول المكتوب في الصفحة ١٤ سانتي بعرض ١٠ والصفحة ١٥ سطرًا وفي آخره ما يأتي : «آخر كتاب التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليهِ . فرغ من تعليقه يوم الاثنين لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة (١٢٦٤م) احسن الله تقضّيها بالقاهرة المحروسة» . فيكون قد كُتب منذ ٦٦٩ سنة وهو غاية في الضبط بالشكل الكامل يحتوي على كثير من دقائق اللغة ولم اقف على ترجمة للمؤلف سوى في عيون الانباء لابن ابي اصيبعة فانهُ ذكر له ترجمة غير مستوفاة قال :

هو ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري من مرسية من اعيان اهل الاندلس واكابرهم

١) يريد بهذا الحرف الاشارة الى الاعتراض على ابي علي او التعقّب له

فاضل في معرفة الادوية المفردة وقواها ومنافعها واسمائها ونعوتها وما يتعلق بها وله من الكتب كتاب اعيان النبات والشجر بات الاندلسية »

والظاهر ان المعتمد على الله الذي الّف له الكتاب هو المعتمد على الله ابو القاسم محمد بن عبّاد المذكورة ترجمتهُ في اول كتاب قلائد العقيان

٧ كتاب ﴿ نهاية البهجة في النحو ﴾ وهو يحتوي على قصيدة تائية عدد ابياتها ٨٩٧ بيتاً تأليف الشيخ ابراهيم الشبستري النقشبندي الملقب بسيبويه الثاني من علماء القرن العاشر وعليها هوامش للمؤلف بخطّ نسخي حسن للغاية غير مذكور فيه تاريخ نسخه . اولها :

تيمّنتُ بسم الله مبدى البريّةِ منيضِ الجدَى مُعطي العطايا السنيّةِ
واحمده حمدًا يوافي بنعمةٍ وجودًا وجودًا منهُ عمّت وخصّتِ
لهُ الفتحُ يوم الخفض والرفعُ ينتا جزاءً بعدلٍ او عطاءً بمنّةِ

ومنها :

وهذا كتابٌ ناظمٌ لمسائلٍ بها حاجة الطلّاب في النحو مسّتِ
وبالنطق والنحوي حوى كلَّ نكتةٍ بتحريرها كُتب النحاة تقصّتِ
كتاب جزيل خُصَّ من بين كتبهم باحسن ترتيبٍ وازين حلبةِ
سديدُ المعاني رائقُ اللفظ مبهجٌ مسمّى لامر ما غاية جمّةِ
شموسُ معانٍ عن معاني قرائحٍ تجلّت وبالنظم القويم تحلّتِ
نفائسُ آراءٍ نتائجُ فكرةٍ عرائس انظار عليَّ تجلّتِ

ومنها باب الاسم :

وما الاسمُ الّا ما يدلّ بنفسه ولم يُستفد منه الزمان بحينةِ
وخُصَّ بتنوين ولامٍ وخافض والإخبار عن مدلوله والاضافةِ
ووصفٍ وتصغيرٍ وتثنيةٍ وان ينادى وتأنيثٍ وجمعٍ ونسبةِ

ومنها في التنازع :

ومفعولٌ استغنيتَ عنهُ حذفتهُ واظهرتَ او أخّرتهُ عند حاجةِ
وذلك ما قد شاع في كلامهم وللسابق الإعمالُ ايضًا بقلّةِ
فمن لاحق الاضمار اذ ذاك مطلقًا وفاقًا وقد يأتي باسقاط فضلةِ
وان منع الاضمارَ والحذف مانعٌ على قولهم اظهرتهُ للضرورةِ
واما الذي قال امرؤ القيس منشئًا ولو انّ ما اسعى لادنى معيشةِ
كفاني ولم اطلب قليل قليس من قبيل التراع لاختلاف القضيّةِ
ولم يتنازع ما تعدّى بنفسه الى ثالث في قول بعض الائمّةِ

وفي اخرها :

فرغتُ وقد ابدى المحرَّمُ غُرةً لتسعيا من هجرةٍ نبويةٍ

٨ كتاب ﴿ يتيمة الدهر ﴾ وهو كتاب حكم اوله :

بسم الله الرحمان الرحيم قال الوزير السيد ابو الحسين بن احمد بن الحسن بن عليّ رضي الله عنهُ الحمد لله العليّ الكبير القوي القدير . العليم الخبير السميع البصير . منشئ كل شيء ومبيده . ومبدئ كل حيٍّ ومميده . ومبدع كل مكان وموجده . ومحدث كل زمان ومنفده . (الى ان يقول) : وقد جمعنا من انشائنا في كتابنا هذا الفًا وجيزة واجريناها مجرى الامثال . وفصولاً قصيرة قد جعلناها عدةً الولاة والعمال . وعدّة للعقلاء وذوي الاعمال . وقصدنا فيما الّفناه من ذلك وجه الاختصار ليقلّ لفظه ويسهل حفظه وجعلناهُ الف فصل ومثل في ثمانية ابواب : ١ً في الاستعانة على حسن السياسة . ٢ً في الاستعانة على فضيلة العلم والعمل . ٣ً فيما يستعان به على الزهد والعبادة . ٤ً فيما يُستعان به على ادب اللسان . ٥ً في الاستعانة على ادب النفس . ٦ً في الاستعانة على ادب الاخلاق . ٧ً في الاستعانة على حسن السيرة . ٨ً في الاستعانة على حسن البلاغة . واستعنّا فيما وصفناه من ذلك بالله الجليل وهو حسبنا ونعم الوكيل

وهذه نبذة من بابهِ الاوّل :

قال الوزير السيد ابو الحسين رضي الله عنه وغفر له : آفة الملوك سوء السيرة . وآفة الوزراء خبث السريرة . وآفة الرعية مخالفة الطاعة . ومفارقة الجماعة . وآفة العلماء حبّ الرياسة . وآفة الرعاء ضعف السياسة . وآفة القضاة شدة الطمع . وآفة العدول قلّة الورع . . . (ومن هذا الباب) واعلم انّ الايدي باصابعها . والملوك بصنائعها . فانّ وزيرَ الملك عينُهُ . وامينهُ اذنُهُ . وكاتبهُ نطقُهُ . وحاجبهُ خُلقُهُ . ورسوله عقلُهُ . ونديمه مثلهُ . . . (ومنه) وان اصطنعت فاصطنع من يترع الى اصل وابوّة . ويرجع الى عقل ومروّة . فان الاصل والابوة يمنعانهِ من التدنّر والخيانة . والعقل والمروّة يبعثانه على الوفاء والامانة . فانّ كل فرع يرجع الى اصلهِ . وكل شيء يعود الى طبعه . . . (ومنهُ) اربعة تُعرف باربعة : الكاتب بكتابته والعالم بعراعته والحليم بافعاله والحكيم باحتماله . اربعة تدلّ على الدهاء تجرُّع الغصص وتوقّع الفرص واستداد الآراء ومداهنة الاعداء اه

وهو نحو ٦٠ ورقة مضبوط بالشكل الكامل ولا تاريخ لكتابته ويشبه ان يكون قد كُتب من مدة لا تقلّ عن اربعمائة سنة الى خمسمائة سنة

٩ كتاب ﴿ مجموع منتخبات شعر فارسيّ وعربيّ ﴾ اوله بعد البسملة : « الحمد لله الذي نوّر وجه حبيبهِ بتجليات الجمال . فتلألأ نورًا وابصر فيه غايات الكمال ففرح سرورًا » . ثم يكمّل المقدمة بالفارسية ثم بالعربية الى ان يقول : « فصار منتخباً لو عُرض نزّه الناظر . وروّح الخاطر . ولم يحصل منه لطالعيه ملال . ولا

لن نظر فيه كلال» . ثم يقول : «فصار له (اي ان الف له الكتاب) وصف الحال (شعر)

ساد الامامُ لخمس عشرة حجةً يا قربَ مولد سيّدٍ من سيّدِ
ان النبوّة والمروّة كلها لمحمد بن محمّد بن محمدِ

الى ان يقول : «سلالة الوزراء العظام خلف السلف الكريم شرف الدولة والدين امير حاجي محمد» . والكتاب مقسم الى عدّة ابواب وفصول في افتتاح المكاتبة والجواب عنها وفي ذكر المنازل والاوطان والنزل والتهاني والبشارات والتعازي والمراثي والعتاب والشفاعة والتهادي والوفاء وضدّه والاعتذار والوعيد وغير ذلك . وهو اكثر من مائة ورقة وفي الصفحة ١٥ سطرًا وفي آخره : «تمّ المنتخب في اوائل شوّال سنة ثمان واربعين وسبعمائة (١٣٤٧ م)» . وهو مضبوط بالشكل الكامل فمما ورد فيه في ما يتعلق بالشجاعة والسخاء :

كلّا بلوتُ فلا الثناء تُطربني ولا تخشّعتُ من لأوائها جزعا
لا يملأ الهولُ صدري قبل موقعه ولا اضيق به ذرعًا اذا وقعا

ومنه : نُسخت برفدك آية الحرمانِ وعلت لوفدك رايةُ الاحسانِ
لا يترك الدينارُ ساحة كفّهِ الّا يُنادي انت رزقُ فلانِ
فكأنّهُ في كيسهِ عرضٌ فما يبقى زمانًا فيه بعد زمانِ

٩ الكلستان بالفارسي خطّ قديم جميل وهو كتاب مشهور للعجم الفّهُ الشيخ سعدي بن عبد الله الشيرازي المتوفّى سنة ٦٩١ (١٢٩٢ م) في ثمانية ابواب اوّلها سيرة الملوك ثمّ اخلاق الفقراء ثمّ القناعة ثمّ الصمت وغير ذلك من الادبيّات وسمّاهُ الكلستان اي حديقة الورد . وقد طُبع مرارًا ونقلهُ الى العربيّة المرحوم جبرائيل المخلّع كاتب الديوان الخديوي في الاسكندريّة وطبعهُ في بولاق سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٦ م) . وفي آخره : «تمّ الكتاب بعون الله الوهاب على يد العبد الضعيف النحيف صنعي اللكديّ الكاتب النكيدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات في اواخر شهر ربيع الآخر سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٥ م)»

١٠ نسخة ثانية من الكلستان جاء في آخره : «فُرغ من كتابة هذه النسخة سنة ٩٨٥ (١٥٧٧ م)» وهي نسخة جليلة مكتوب تحت كل كلمة ترجمتها بالتركيّة

(له بقية)

الحديقة النباتية في مدرسة الطبّ الفرنسويّة

للشاب الاديب اسعد افندي ملحمه احد المتخرّجين في مكتبنا الطبيّ

ليس بين العلوم الطبيعيّة التي ينصبُّ الطلبة والباحثون على درسها علم اوسع نطاقاً وادقّ مسائل واغزر منافع واجلب للسلوى من علم النبات فانَّ فيهِ ما يبهج الابصار ويفكّه الارواح ويجدي الافادة واللذّة معاً . ولا تخال الجسم الّا منشرحاً اذا ما كانت النفس مستغرقة بين الاعشاب واشكال النباتات والازهار . فكم من دارس سئم الكتاب وملَّ اليراع وضاقت نفسهُ عن الاستزادة في الدرس والتنقيب عدل الى روضتهِ النباتيَّة وسرّى عن قلبهِ وجدَّد نشاطهُ وهمّتهُ في مواصلة احراز العلوم . وكم من فيلسوف قضى الساعات وابصارهُ تستعرضُ زهرةً جميلة او نباتاً غريباً يرى فيهما من غوامض الاسرار ما لا يستجليهِ غير المدقّق الممحّص ويرقى بعد تأملهِ فيهما الى تلك الحكمة السامية التي زيَّنتهما بذاك الجمال الرائع الآخذ بمجامع الصدور

على انَّ الدارس والفيلسوف يكتفيان غالباً بما يجدانهِ من مواليد الطبيعة على مقربةٍ منهما امَّا النباتيُّون والحشائشيُّون فانهم لولوعهم بضروب النبات واشكالهِ لا يخافون ان يتجشَّموا الاتعاب ويباشروا الاسفار البعيدة ليجمعوا ما لم تصل اليهِ يدهم عن كثب فتارةً يتوقَّلون الجبال وتارةً يستبطنون الاودية فلا يدعون بقعةً الّا نقَّبوا في زواياها ولا غوراً الّا تتبَّعوا كل جوانبهِ فاذا رأوا نباتاً جديداً لم يعرفوهُ او شكلاً كانوا يرغبون الى الوقوف عليهِ فرحوا باكتشافهم لتلك الضالَّة ومتَّعوا النظر بمعاينتها ثمَّ تسارعوا فاحرزوها في صندوقة حشائشهم بكل حرص

وليست هذه النباتات دائماً من الاصناف الكبيرة الزاهية بل ربَّما كانت حقيرة دقيقة ولعلَّها فُطورٌ لا تُرى الّا بالمجهر فنظرُ النباتيّ يجد فيها من الخصائص ما لا يجدهُ نظر الامّي فتدلُّهُ عدسيَّتهُ على عجائب تخلب عقلهُ وتسحرُ لبَّهُ فينتقل من دهشة الى دهشة حتى اذا ما رأى الله كاملاً في تلك الاجسام الناعمة ردَّد لعجبهِ صوت ذاك الفيلسوف الجليل والمعلّم الكبير القديس اوغسطينوس حيث يقول : انَّ الله لعظيمٌ في الاشياء الكبيرة وهو اعظمُ منهُ في الصغيرة

ثم يعود بعد التعب والنصب الى داره كأنّ صندوقته أودعت مال قارون او كنوز معادن الترنسفال فينظّم تلك النباتات ويرتّبها على حسب اصولها وفروعها واجناسها وانواعها. حتى اذا اتمّ تدوينها ترقّب الفرصة للتجوّل في ناحية اخرى ليواصل عمله من جمع اشكال غيرها وهكذا لا يزال بين ذهاب واياب الى ما شاء الله لانّ العمر ينتهي قبل ان يتمّ العمل لوفرة مواليد الطبيعة النباتيّة التي لا يزال كثيرٌ منها مجهولًا حتى في كلّ بلدٍ من البلاد

*

على انّ كثيرين من ارباب النبات لا يسعهم التجوال في الامكنة البعيدة والتسنّم الى مشارف الجبال فيتمنّون لو قام رجل حازم يدني اليهم ضروب النبات ويمكّنهم من درسها على مقربةٍ منهم فيمتّعوا النفس بجليل فوائدها دون مشاقّ التفتيش فاجابةً الى هذا المرغوب ترى حكومات البلاد المتمدّنة تهتمّ بغرس منابت واسعة يجمع فيها الاختصاصيّون ما يتيسّر لهم من الاعشاب واشكال الحشائش والنباتات تسهيلًا لدرس العلماء وطلبة علم النبات ويستنبتون الاغراس الاجنبيّة التي يستحضرونها من الخارج

ولم تكن بلادنا السوريّة لتحرَم مثل هذا العمل الجليل الشان بفضل وهمّة رجال علم كبار انشأوا في هذه الديار حديقةً نباتيّة هي حديقة المكتب الطبيّ الافرنسيّ في بيروت التي يتولّى تدبيرها حضرات الآباء اليسوعيين وعليها مدار رحى كلامنا في هذه النبذة فنقول :

يرتقي عهد غرس هذه الحديقة الى عام ١٨٩٢ في الجنينة اللاحقة بكليّة القديس يوسف وما هي الّا ثمان حجج خلَت منذ نُقلت الى الارض المخصّصة بتشييد المكتب الطبي الافرنسي الجديد وها هي اليوم اضحت روضةً غنّاء تطوّق تلك البناية الحديثة التامّة الهندسة المتقنة البناء يطلّ عليها عابر طريق الشام من بعيد ويرى من وراء السور سقوفها الرماديّة فلا يتمالك اذا مرّ بجانبها من ان يحسّ بعاطفة الشوق تدفعه فيدخل ليتفقّد هناك عمارتين من الحجر الرملي مشيدتين الى يمين الداخل ترتكزان على اعمدة منحوتة الحجارة ثمّ عمارةً كبيرة الى يساره قواعدها متينة ذات قناطر مهيبة الشكل فخيمة تنتهي في جانبها ببنايتين متوازيتين

والحديقةُ الى جنب هذا القصر الباذخ فاذا اجلتَ الطرفَ فيها وقع على فسحة من الارض مائجة اخضرارًا تشوق النفسَ بأزاهير مختلفة الالوان تشكلها فتزيدها جمالًا وبهاء كانها السماء في كبدها النجوم تتلألأ . فيها من الاشجار ما يضارع سقوف الدور علوًّا يبلغ البعض منها الخمس عشرة ذراعاً والبعض يتعدى العشرين ألِفتها طير السماء فاصطنع العصفور بين اوراقها عشّهُ واتخذ الهندليب اغصانها منبرًا يتغنّى عليهِ تغريدًا فترقص لهُ افنانُها طرباً واذا مرَّ بها النسيم تصطفق لهُ اوراقُها تأهيلًا وترحيباً . وفي وسط الحديقة بركة ماء تنعكس على مرآتها قرون الغزالة وتتفجّر منها المياه بثقوب وتسري بقنوات تنشعّب في جوانب الروضة فتسقي الاشجار الباسقة وتنساب بين تلك الاعشاب الخضراء فتحييها وتشيها . ويتصاعد من وسط البركة دائقات من القصب الهندي ومن سوق البرديّ اللطيفة ومن اوراق اللينوفر فكأنَّ عرائس النيل استوطنت تلك البقعة من الارض فكستها باثوابها النضرة والوانها الزاهية

وان كانت هذه الحديقة كبيرةً تقرُّ بها العين ويُفرَج بها القلب لمحاسنها فانَّها اكبر واهمّ من حيث فائدتها لأنَّ معظم تلك النباتات والاعشاب هي من موادّ الصيدلة فتدخل في تركيب الادوية التي ينتفع بها جسم الانسان في علّاتهِ

والحديقة المذكورة ايضاً مدرسة عمليّة لطالب هذا الفنّ فيدرسها درساً متواصلًا ليتبيَّن خواصّ النباتات فيجتزّ من عصيرها او من اوراقها او اغصانها او زهورها تلك المفردات الطبيّة التي جعل الله فيها شفاء للعالمين فيستمدّ هكذا من الطبيعة نفسها ترياقاً ليخفّف عن كاهل الانسانيّة ما اثقلتهُ بهِ من الاعباء الثقيلة

وغنيّ عن القول انَّ النباتات التي يتخذ منها الصيدليّ موادّ ادويتهِ انَّما تتركّب من اجهزة خاصّة كالاصول والجذوع والاغصان والورق والزهر والثمر مرجعها الى خلايا اصليّة سبق حضرة الاب طوران فوصفها في العدد السابق من المشرق (ص ١٦١—١٦٨) وافاض في بيان تركيبها وعملها ونموّها بامتصاصها من التربة ماء فيهِ بعض الاملاح التي تغتذي منها النباتات وبتحليلها للهواء بواسطة جهازها التلويني الاخضر المعروف بالكلوروفيل مع فعل اشعّة الشمس فتتخذ منهُ كربونها الذي منهُ يتكوَّن معظم جرم النبات

على انّ النبات لا يقوم بهذه الاعمال الجليلة الّا اذا وُجد في احوال توافق كيانهُ . واذا نُقلت تلك الاغراس من مواطنها الى دار غربة أبت النموّ ما لم تجد في منابتها شروطاً شبيهة بموطنها الاصليّ من قبل التربة ومظاهر الجوّ كالحرارة ورطوبة الهواء او جفافهِ وغير ذلك ممّا لا غنى عنهُ لكل صنف من النبات فان استوفى النباتيّ تلك الشروط لقي جزاءهُ قريباً بما تنبتهُ الارض من نباتات البلاد السحيقة والاقاليم القاصية التي وجدت في غربتها وطناً جديدًا وأنست بنباتاتٍ غيرها لم تعرفها في منبتها الاصليّ

فحديقة النبات التي اتّخذها الآباء اليسوعيّون لاستنبات الاشجار والنباتات المتنوعة والتي عوّلنا على وصفها مستوفية لتلك الشروط كما سترى

*

اعلم انّ هذه الحديقة تشغل فسحةً واسعة على شكل مربّع منحرف تبلغ مساحتهُ ١٢٠ مترًا طولًا و٤٠ م عرضاً . وكانت ارضها سابقاً بائرة لحظاء اهملتها الطبيعة ويد الانسان العاملة ولدن أفاق ونشط لها الآباء اليسوعيّون جعلوها جنّة زاهية زاهرة بل خميلة طال فيها شجر الاوكليبتوس وبسق في الفضاء ومثلهُ النبق والسدر والجميز

وقد عانى المتولّون لهذا العمل مشقّة اعظم في تبليد بعض الاغراس والاعشاب التي استحضروها من امصار بعيدة مختلفة المناطق حرًّا وبردًا وطولًا وعرضاً وارتفاعاً وهبوطاً ونشفاً ورطوبة لئلّا تتلف باقتلاعها من بلادها وغرسها في تربة لا توافقها او في احوال جوّية تقضي عليها بالبوار . وذلك ما عرفوهُ بالاختبار غير مرّة اذ فسدت نباتات كريمة كانوا استقدموها بكُلَف عظيمة من بلاد بعيدة لخلل وقع في استنباتها

ولحسن الطالع انّ هواء بيروت هو معادلٌ تقريباً لهواء كلّ شواطئ بحر الروم التي تنقسم سنتها بين فصلَين صيف فشتاء . فالصيف يمتدُّ من ايّار الى كانون الاوّل وتتفاوت فيهِ الحرارة التي تزيد وطأتها في شهري تموز وآب . واذا افل هلال تشرين مدَّ الشتاء رواقهُ وطلع بدر كانون مطوّقاً بالغمام والسحاب المطر فيتدرّج القرُّ فيهِ تدريجاً ويشتدُّ في اواسط كانون الاوّل وطول كانون الثاني الّا انّ قرب البحر لا يُفسح بالتغيرات الفجائيّة التي تحدث في البلاد الداخليّة ومقياسُ الحرارة يتراوح

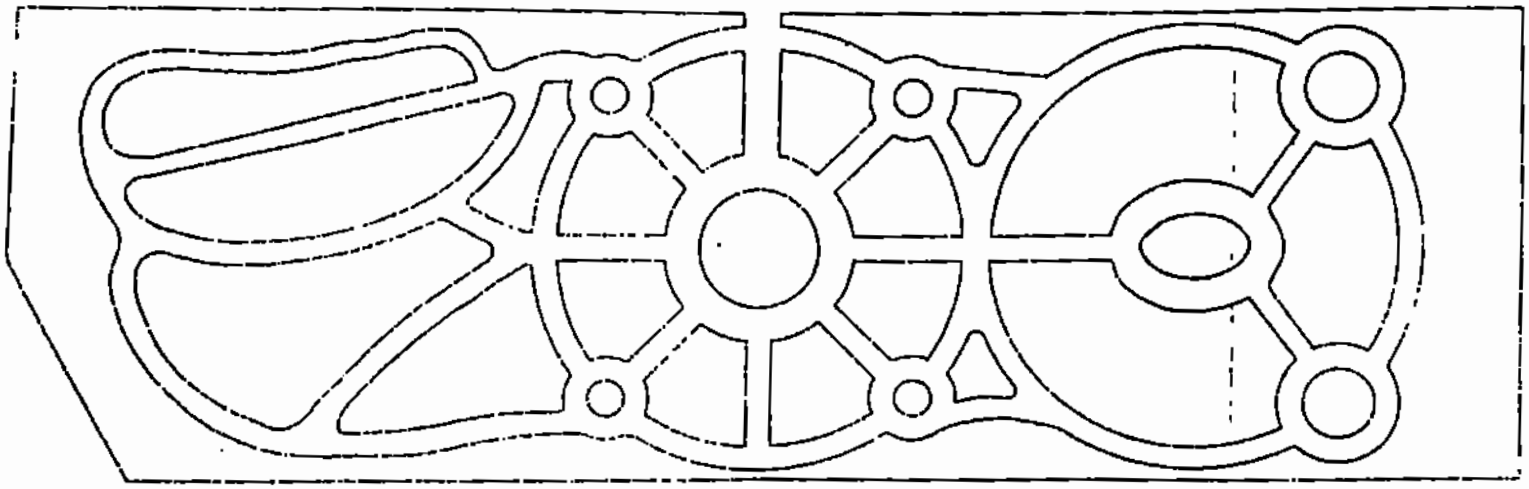

رسم الحديقة النباتيّة في المكتب الطبيّ الفرنساويّ

في بيروت والسواحل في فصل الصيف بين ٢٥° و٣٠° يكون اديم السماء صافياً والهواء لافحاً والرطوبة شديدة . ويهبط المقياس في الشتاء الى ١٨° متراوحاً بينها وبين ١٣° ويندر فيها الجليد والصقيع . وفي هذه الاثناء ولا سيما في الكانونَين وشباط تتهاطل الامطار الغزيرة وتغوص جذور النبات بلا انقطاع في رطوبة دائمة وباردة وذلك من اعظم العوائق لتوطين النباتات المنقولة من البلاد الواقعة بين دائرتي الانقلاب

امّا تربة الحديقة التي كلامنا عنها فانها تتركّب من الرمل والطباشير ففي الطبقة العليا منها في سمك ١٥ سنتمترًا الى ٢٥ س تجد الرمل المنتشر الذي تذريه الرياح ولا يقرّ لهُ قرار وهو من طبعهِ قاحل عقيم . وتحتهُ طبقة اخرى تتركّب من الرمل الاحمر الكثيف المتراصّ وهذه الطبقة مخصبة تنفذ فيها اصول النبات لكنّها في الصيف تجفّ سريعاً بفعل الشمس الحامية فلافاةً لاضرارها لا بُدَّ من سقي التربة بالتواتر لتخصب وتمرع

واعلم انَّ كثيرًا من النباتات اذا لم تجد في بلادنا ما يوافقها من الهواء تذبل وتيبس فاستدراكاً لهذا الخطر واحتفاظاً بكثير من النباتات العزيزة الوجود الغريبة الاصل اقاموا في هذه الحديقة بناء مزجّجاً يصحّ ان ندعوهُ بالمحضنة طبقاً لاسمهِ الفرنسويّ (les serres) الذي معناهُ صوان النبات . وهو عبارة عن بناء لطيف بجرز الحديد وصفائح الزجاج طولهُ عشرون مترًا في عرض اربعة امتار والمحضنة تقسم الى نصفَين النصف الواحد اشدّ حرارةً وهو يوافق بعض نبات البلاد الحارّة والنصف الآخر حرارتهُ معتدلة تلائم اشكالًا غيرها من النبات

فالغاية اذن من هذه المحاضن ان تقي بعض النباتات من البرد القارس فتجديها حرارةً اصطناعيّة تكفيها لحياتها ونموّها وذلك بتساطل يجري فيها ماء مسخَّن . وهي على خلاف ذلك في وقت الصيف تصون غيرها من النباتات من وَقَدات الحرّ باعتدال هوائها

وزجاج هذه المحاضن ليس بزجاج عاديّ شفّاف بل هو زجاج خشيب غليظ تنفذ فيهِ اشعة الشمس ملطّفةً بحيث تُحجَز حرارتُها (rayons athermanes) ويُخفَّف نورها وعملها فتبقى حرارة المحضنة معتدلةً ابدًا

قلنا انّ المحضنة على قسمين فالقسم الذي لا يحتاج الّا الى حرارة متوسّطة تكفيه الحرارة الجوّية المحدقة بالمحضنة وتُجعَل فيه النباتات التي تتلف بالجليد كنباتات مستعمرة الكاب في جنوبي افريقية وبلاد اميركة الجنوبيّة واوستراليـة وجنوب الصين. فحرارة هذا القسم من المحضنة تتراوح في فصل الشتاء بين ٢٠° و٢٦°

امّا النصف الثاني من المحضنة حيث تشتدّ الحرارة فتصعد من ٣٠° الى ٣٥° ولا يجوز هبوطها دون ١٥° فهو مجهّز للنباتات الخاصّة بالاقاليم الحارّة كالنخل والتارجيل وضروب الخنشار المشجّر

ومحضنة المكتب الطبيّ هي اليوم غنيّة بالاشجار والاعشاب التي تكسوها ثوباً قشيباً من الحسن على حداثة نشأتها الّا انّ كثيراً من هذه النباتات الاجنبيّة لقرب عهد استنباتها لم تبلغ بعد تمامَ البلوغ او تُرى صغيرة دقيقة

وممّا يستوقف الابصار بين هذه النباتات الاجنبيّة المنقولة الى حديقة النبات والمصونة في النصف الحارّ منها شجرة الكينا فانها مع صغرها تنمو نموًّا عجيباً على تباين تربتنا عن تربتها الاصليّة وموطنها الاوّل فان موطنها جبال اميركا المعروف بالكورديليار وضفاف نهري الامازون والاورينوك حيث تختلف احوال الجوّ. فتنتقل من الحرارة الى البرودة ومن الامطار الى الغيوم دون ان يتجاوز ميزان حرارتها الدرجة ٢٠° او يهبط دون ١٢°

وقد اتّسع اليوم نطاق زراعة هذا الصنف فترى شجرتها نامية على اختلاف اجناسها في بلاد عديدة من آسية واوقيانية ولا سيما الهند الانكليزية وجزيرة جاوة لما وجد زارعوها في هذه الاقطار من صلاح التربة وموافقة الاحوال الجوّيّة ولتوفّر زراعتها قد هبطت اليوم اسعار الدواء المستخرج من قشرتها الذي يفضل على سواه في علاج الحُمّى الدوريّة. واوّل من نبّه الى هذا الدواء الناجع الطبيب الجنوبيّ سبستيان بادوس (Seb. Bados) سنة ١٦٦٣ على انّ الفضل في تعريف منافعه ونشره في اوربّة يعود الى الآباء اليسوعيين الذين بثّوا في القرن السابع عشر عوائد الكينا ومنافعها لمعالجات الحُمّيات وقد عُرفت لذلك زمناً طويلاً في اوربّة باسم مسحوق اليسوعيين (Poudre des Jésuites) . والكينا شجيرةٌ رشيقة ذات اوراق بيضويّة الشكل وضلوع ضاربة الى الحمرة يكسوها شبه الخَمَل الناعم

ولو حوّلت هناك نظرك من شجرة الكينا الى شُجَيْرة اخرى في جوارها لرأيت ما طالما التذذتَ بشروبه وجهلت صورة نباته اعني بها شجرة البنّ المدعوّة في عُرف العلماء بالقهوة العربيّة (coffea arabica) وهي تبسق في موطنها حتى تبلغ سبعة او ثمانية امتار طولاً وازهارُها بيضاء وعطرُهـا طيّب عبق ولها تاريخ جدير بالاعتبار الّا انّ الجهّال خلطوا فيه ايّ خلط فمنهم من لم يميّز البنّ عن الحشيشة ومنهم من زعم انّ للبنّ ذكرًا في التوراة وقال غيرهم انّ قدماء اليونان عرفوا القهوة. وممّا خُدع به بعض كتبة القرون الوسطى انّ اصل القهوة في العربيّة الخمر ثم أُطلق اسمها بعدئذٍ على مشروب البنّ فظنّوا انّ العرب عرفوا قديمًا قهوتنا هذه. والصحيح انّ العرب لم يذكروهـا قبل القرن السادس عشر كما اثبت الامر استاذنا الدكتور گيك في مقالته عن اصل القهوة سنة ١٩٠٣ (في المشرق ٦: ٦٨٥–٦٩٢ مع عدّة تصاوير) والمرجّح انّ العجم سبقوا العرب في استعمال القهوة ثمّ اخذها اهل مصر عن العرب

ولشجرة البنّ حبوب بيضاء الشكل اذا حُمّصت تولّدت منها مادّة زيتيّة عطرة يدعونهـا كافيون (caféone) تطيّب مشروب القهوة ولكن اذا زادوا في غليانها تطايرت المادّة المذكورة وفقدت القهوة لذّتهـا وطيب رائحتها. ومن منافع هذا المشروب انهُ ينبّه الاعصاب وينعش القوى الخامدة ويوقد الذهن ويزيل السكر. لكنّ الافراط من استعمالها مضرّ فالمكثر من شرب القهوة يأنف الأرق ويصاب بطنين في الآذان ويسدر بصرهُ ويتعرّض للكابوس والرجفان

والاطبّاء يستخرجون من القهوة مادّة أُخرى يدعونها كافئين (caféine) يقوّون بها ضعف القلب ويعدّلون وجيبهُ ونبضاته

ومن المشروبات الشائعة اليوم بمثابة القهوة الشاي. ومن نباته في محفظة المكتب الطبيّ نموذج حسن من شكلـه الاكثر شيوعًا المسمّى بالشاي الاخضر (thea viridis) وهو نبات ذو اوراق صغيرة جاسية متناوبة محدّدة الرأس. واذا حان وقتها ازهرت الزهور في اصول تلـك الاوراق ويكون زهرها امّا مفردًا او متجمّعًا عنقوديًّا في عدد ثلاثة او اربعة ازهار بيضاء او ضاربـة الى الصفرة رائحتها قليلة. وان جفّفوا اوراقها استعملوها كحبوب القهوة شرابًا لذيذًا يساعد على تنمية

حركة الدم في العروق ويفيد لتسهيل التنفس وتنبيه قوى الجسد والروح لانَّ في اوراق الشاي مادَّة منعشة كما في القهوة

واذا تقدَّمتَ بعض خطوات رأيت شجرة اخرى تبلغ في نموّها طول شجرة الشاه بلُوط (الكستنا) ألا وهي شجرة الكولا (Kola acuminata) اصلها من بلاد افريقية الشرقيَّة يستعمل الاطبَّاء حبوبها المعروفة بجوز كولا التي خُصَّت كالقهوة والشاي بالعنصر القوّي الذي مرَّ ذكرهُ وهو في الكولا اوفر منهُ فيهما . ولها مع ذلك تأثير عظيم في الجهاز العضلي لوجود قلويَّات في لونها الاحمر المعروف باحمر كولا . ويظهر انَّ الوطنيين في اواسط افريقية استعملوا الكولا شراباً لتوفير قواهم وعلى رأي الاطبَّاء المحدثين انَّ هذا المشروب افضل مما يوصف لردّ القوى المفقودة وقد بيَّن اختبارهم انهُ انجع دواء لاراحة الجسم بعد تعبهِ وان لم يتَّفقوا في تعليل الامر

وفي هذه المحضنة نيّف ومئة نبات من اجناس وفصائل مختلفة جامعة بين الفوائد العلميَّة والمنافع الطبيَّة فضلًا عن مسحة جمالها . ومنها ما لا تُعرف لهُ فائدة علاجيَّة او علميَّة لكنَّهُ يزين المحضنة باشكالهِ البهيَّة كالفصيلة المدعوَّة بالمستعجلة (orchidées) فانَّ غرابة صورها ووفرة انواعها وزهو الوانها تستدعي الى العناية بها وتستلفت النظر اليها فيجد النباتي في استنباتها لذَّةً خاصَّة اذ منها ما يشبه النحلة بصورتهِ (ophrys apifera) ومنها ما هو اشبه بالعنكبوت (ophrys arachnites) . ولا حرمك الله ايها القارئ الكريم مرأى الشكل المعروف بالفانيلات العطرية (vanilla aromatica) الذي فيهِ صنف يحتوي على عطر ذي اريج ذكيّ معدود من اطيب الاصناف العطريَّة

وهناك ايضاً ضروب النخل والخنشار التي تخلب النظر ببديع جمالها . فللاوَّل ساقٌ طويل مستقيم ذو عُقد وعليهِ ليفٌ كشعر الانسان وفي اعلاهُ اوراق ملساء او مطويَّة طيًّا رائعاً تظلُّها المراوح في انبساطها . امَّا الثاني فاوراقهُ المتفرّقة سنانيَّة الشكل عدَّدة الاطراف ومخرَّمة كأنَّ يد الطبيعة اهتمَّت بنسجها وتطريزها وتشكيل فُرَجها لتبهت نظرنا بمحاسن اعمالها

وفي وسط المحضنة حاجز يفصل بين القسم الحامي الهواء والجانب المعتدلهِ فان

شئت ان تنفذ الى هذا الاخير مررتَ بباب في صدر الحاجز ولوقتك تشعر بهبوط درجة الحرارة لانَّ هذا النصف خالٍ من اجهزة التدفئة وحرارتهُ المعتدلة تأتيه من اشعَّة الشمس وحدها وهي كافية لتصون النبات المودع فيها من انقلابات الهواء الخارجيَّة

وممَّا هناك من الاشجار الجديرة بالذكر شجرة اصلها من الهند يدعونها باپايه (papayer) وفي لسان العلم (papaya vulgaris, carica papaya) وطولها اليوم متر تشبه في هيئتها النخل . ولها الاثمار الطيّبة الشبيهة بالبطيخ مع صغرها ولون هذا الثمر اصفر مع ميلهِ الى الحمرة وفي باطنهِ لبابٌ يؤكل . ويستخرجون من هذا الثمر بالشدخ عصيرًا يتَّخذ كمهل

ومنها نوع من الخطميَّة يُدعى هِبسكوس (Hibiscus albelmoschus) قد ازدهي في هذه السنة بزهرهِ البديع الاصفر الكبير الذي تفوح من حبوبه رائحة المسك والعطَّارون يتخذونهُ لتركيب نوع من العطر المُعنبر (ambrette)

وفي هذه القسم المعتدل الحرارة ٧٥ صنفاً من الدقاقير المستعمل اكثرها في الطبّ تراها منتظمةً باحسن هندام على رفوف تتصاعد كالهرم فتخالها العين كطاقة واحدة من الزهور فتُعجب بجمالها

والحديقة كما أعلمنا فسيحة تشغل قسماً منها ٤٥ نوعاً من الاوكالبتوس كلّها نامية بسرعة غريبة ومعظم تلك الاصناف في شمالي الحديقة فمنها ما بلغ طولهُ ٢٠ الى ٢٥ متراً واغصانها تظلّل ما حولها بظلّ وارف وهي تتدلّى باوراقها المستطيلة وعند ملتقى الاوراق تتفتَّح زهرتها الشبيهة بالكمثة وتكون ازهارها امَّا مفردة متفرّقة واما مجموعة متضامَّة . ولاوراقها هيئات متنوعة على حسب انواعها مع بعض الخواص الجنسيَّة وهي في الاشجار الكبيرة متناوبة جاسية جافية خضراء الى الزرقة وعلى وجهها حبوب تحتوي على زيت طيَّار يدعى اوكالبتول (eucalyptol) وهو ذو رائحة عبقة كالكافور ينسبون اليهِ خاصَّة الاوكالبتوس في تطهير الاماكن من الجراثيم الوبيئة . ويعلّلون ايضاً هذه الخاصَّة بكون الاوكالبتوس ينمو سريعاً فيحتاج لنموهِ الى ماء وافر فيمتصّ مياه المستنقعات التي حولهُ وبذلك تنجو الامكنة المجاورة من الميكروبات المعدية والحمّيات التي تتوفَّر في تلك المستنقعات . وروح الاوكالبتول السابق ذكرهُ ينفع في الزكام الشعبيّ وفي امراض المسالك البوليَّة . وما

لا ينكر انَّ هذه اشجار الاوكالبتوس تكسو حديقة المكتب الطبيّ ثوباً من البهاء وتنطق بلسان حالها عن نموّ تلك الحديقة وغناها مع تمثيلها لقوّة الطبيعة

سرّح الآن بنظرك الى ما تحتويهِ تلك الحديقة من ضروب النخل فانَّ اصنافهُ لا تقلّ عن ٤٥ نوعاً وهذه الانواع قائمة على ساقها في كلّ جهات الحديقة مباشرةً بما هو منها منتصبٌ كالحرس عند المدخل . فالعين لا تكلّ من الشخوص الى اشجارها المزدانة بجريدها البديع وسَعَفها المهيب الواقي بظلّهِ انحاء البستان والصافق باوراقهِ عند هبوب النسيم كما تخفق الرايات في الفضاء ويروق للبصر زهرهـا الناعم الذي يتفتّح مزدهياً على علوّ بعض الاقدام

ومن المعلوم انَّ النخل من اشجار المناطق الحارّة فهي تردان بهِ كما تردان المناطق الباردة بشجر الشربين والارز وكما تردهي الاقاليم المعتدلة بشجر السنديان والزيتون والكرمة . ومن نواميس الكون انَّ كلّ غريب اذا تناءى عن وطنهِ ذلَّ فالنخل وهو في بلادنا غريب التربة لا يبلغ من الطول مـا يصيبهُ في موطنهِ حيث يسمق فيتجاوز احياناً مئتي قدم وهو لا يكاد يبلغ المئة في سواحلنا وعلى قدر ابتعادهِ من المنطقة الحـارّة يضعف ويزيد هزالهُ وهو على عكس ذلك اذا قرب من خطّ الاستواء . فيُرى في الهند مثلاً عالي الراس ثابت القدم تعصف فيهِ العواصف وتساورهُ اعاصير البحور الهنديّة دون ان تزحزحهُ . ولقد حدث منـذ بضع سنوات ان انواء البحر غمرت بعض الجزائر الواقعة قريباً من نهر الكنج فاودت بحيـاة مئتي الف من سكّانها ولم يكن لينجو منهم غير الذين ساعدهم حسن بختهم فتمكّنوا من التوقّل الى رؤوس النخل فكان اولئك البائسون يتدلّون عـلى اغصانها كأنَّهم العثاكيل تحمل بشراً لا تمراً والماء من دونهم تتلاطم امواجه وتعوم فوقهُ جثث الغرقى

ولعرض البلاد فعلٌ في جودة النخل كما لطولها بـل تأثير العرض فيها اكثر من الطول لما يجد النخل في عرض بعض البلدان من الحرارة والرطوبة معـاً لانَّ هذا النوع يحبّ ان تغوص اصولهُ في الماء وتسمق فروعهُ في السماء وهو الى الرطوبة اشدّ حاجةً منهُ الى الحرارة ولذلك ترى انواعهُ اوفر في عروض البلاد وازكى ثمراً . ومن اوفق البلاد لنموّه سواحل البحر والجزُر ودليلـهُ نموّ النخل في حديقة المكتب الطبيّ الفرنسويّ فانَّ كثيراً من انواع النخل المنقولة من الاقاليم الحارّة او البلاد

المعتدلة الهواء تسمق حتى يكاد بعضها يجاري نخل مصر وتأتي بأثمار جنيّة غاية في اللذّة . وخلاصة القول انّ ضروب النخل في هذه الحديقة تُعدّ كملوك اشجارها وجبابرة نباتها فيُقضَى على الاوكاليتوس نفسهِ ان يقرّ بالسبق لوصيفهِ النخل

ومن الاشكال التي يستنبتها اصحاب الحديقة الفصيلةُ التينيّة (ficus) وهي ستّة انواع اخصّها التين العباديّ (ficus religiosa) المعروف ايضاً بالتين الهنديّ الجبّاريّ (ficus gigantesque des Indes) لهُ خاصّتان يمتاز بهما : احداهما انّ بعض عيدانهِ تتلوّى فترتكز في التراب وتصبح كدعائم تستند اليها الاغصان الافقيّة الضخمة ومع الزمان ترى جذور هذه الشجرة كالسواري البديعة المقنطرة . والثانية انّ منها يُستخرج صمغ اللكّ وذلك بفعل حشرة كالصرصور يدعونها حشرة اللكّ (coccus lacca) فهي تُسيل ذاك الصمغ بوخزتها واذا جمد جمعوهُ واتّخذوهُ في الصناعة للاصباغ ولشمع اللكّ

ومن الفصيلة التينيّة المذكورة التين اللزج (ficus elactica) الذي من عصيرهِ يستخرج اهل الهند معظم المطّاط اي الكاوتشوك الشائع استعمالهُ في عهدنا . ومنها الاصناف المدعوّة في لسان العلم باسم بسيديوم (psidium) وفي لسان العموم باسم كوياف (goyaviers) ولاشجارها ثمرٌ لذيذ يبلغ في حديقتنا نضوجاً تامّاً

ومن الفصيلة الآسية (myrtacées) التي زكت انواعها واتت بثمارها الطيّبة في حديقتنا الطيّبة نوع الجمبوز (jambosa vulgaris) ونوع الميلالوكا (melaleuca) . فالجمبوز هنديّ الاصل لهُ ثمر في كبر الزيتونة يحمرّ بعد خضرتهِ ثمّ يسودّ لدى نضجهِ تُستحضر منهُ مشروبات مبرّدة . ومثلهُ الميلالوكا

ومن الاشجار التي استوطنت الحديقة شجيرة تُدعى بشاي الحبش (catha edulis) اصلها من البلاد الحارّة في آسية وافريقية . والعرب يُعنَون بزراعتها وهم يأكلون اوراقها دون انام وينسبون الى اكلها منافع جمّة ضدّ الطاعون وامراض اخرى

وللفصائل الصنوبريّة (conifères) في الحديقة غابةٌ صغيرة موقعها جنوبيّ غربي البستان وهيئة هذه الاشجار كما هو معلوم تخالف كثيراً ما سبق لنا وصفهُ فانّ خضرة اغصانها القاتمة وانتصاب سوقها وهامتها المخروطة الشكل تجعلها مهيبةً في

عين ناظرها وفي هذه الغابة ١٨ صنفاً مختلفاً والغالب عليها الصنوبر والسرو وبينها جنسان من الأرز اعظمها شأناً ارز لبنان المعروف بعظمتهِ وفخامتهِ وصلابة عودهِ وقد بلغ شكلهُ في الحديقة متراً ونصف واذا ما سمق بلغ الاربعين متراً طولاً وانبسطت اغصانهُ وتمدَّدت اوراقه وظلَّلت فسحةً واسعة من الارض . واذا تأصلت جذورهُ في الارض تشبَّثت بها واستمسكت . وللارز اللبنانيّ هيأة فخمة تأخذ بمجامع القلب وجلال يدهش النظر ورائحة طيبة تعطّر النسيم وهو يزهر في ابان الربيع ولهُ ثمر شبيه بالصنوبر . ويضرب المثل في صبرهِ على الزمان وهو لا يزال في نموّ واعتلاء وخشبهُ لا يعمل فيهِ الفساد (راجع مقالة في الارز في المشرق ١ : ٧٢٧)

ولو اردنا ان نستقري ما في هذه الحديقة من الاشجار والنبات لطال بنا الكلام فانَّ ما نُقل من البلاد القريبة اليها واصبح اليوم متوطّناً فيها يبلغ ٣٠٠ نوع بحيث يجوز القول انَّها في قطرنا الشامي لا نظير لها يجاريها

فلا عجب انَّ من يزورها ويتأمَّل خواصَّها يخرج ولسانهُ ينطق بالشكر لمن تولَّى تجهيزها وافرغ ما لديهِ من المجهود في حفظها وتنميتها وتنسيق انواعها نريد بهِ حضرة الاب لويس بولوموا (R. P. L. Bouloumoy) الذي منذ عشرين سنةً لم يأخذهُ ملل في العناية بها ليلاً مع نهار

ونحن تلامذتهُ نعدّ نفوسنا سعداء اذ يمكننا ان ندرس خواصّ هذه المواليد الطبيعيَّة تحت نظارتهِ فانَّها لعمري آنات لذيذة نقضيها بمعيَّتهِ بين هذه الاغراس المختلفة نتتبع ميزاتها فرداً فرداً ونستنشق روائحها ونجني بزورها واثمارها

وايمُ الحقّ انني لا أنس ما انسَ تلك الساعة التي دخلت فيها لاوَّل مرَّة هذه الحديقة بصفة احد تلامذتها وكساعد لحضرة ناظرها فذلك ما قرَّب الينا معرفة هذه الكنوز الطبيعيَّة وقد رأينا تجهيز المحفظة وعاينَّا اطوار حياتها منذ سنتين فرأيناها قد بلغت بهمَّة استاذنا ما هي عليهِ اليوم من المحاسن . وكم رافقناهُ في التجوّل حول بيروت في رُباها وبطحائها لنجمع في كلّ فصل من السنة ما خُصَّ بهِ من النبات والازهار . وقد بلغ بنا السرور مبلغهُ اذ رأيناهُ قد شمَّر ساعد الجد لتأليف كتابهِ البديع في النبات السوريّ وقد طبع قسماً منهُ اي صور ذاك النبات لجاء مجموعاً شائقاً بل طرفة من طُرف الصناعة جازاهُ الله خيراً وألهمنا الاقتداء بهمَّتهِ

حديقة المكتب العلمي الفرنسي مع قسمي محطته

فانَّ رجالًا مثلهُ يفتخر بهم الوطن العزيز ويرقى براسطتهم الى معارج الحضارة والعمران

خشبة عجيبة

بقلم حضرة الخوري رافائيل البستاني في مدرسة الحكمة

عودٌ من الخشب المجفَّف أنضرا ... وزكا بأصلاد الجلامد مزهرا
غرسَتْهُ كفُّ الله في صخر على ... يفسح باورشليمَ في اعلى الذُرى
هطلت عليهِ سحائبٌ خمسٌ بها ... ينبوعُ امواه الحياة تفجَّرا
امرٌ عجابٌ امرُ عودٍ يابسٍ ... اضحى لدُنْ رَوِيَ احمرارًا اخضرا
عودٌ مضى عشرون قرنًا وانقضت ... وهو النضيرُ ولن يهابَ الادهرا

كم حاولت احرقـهُ اعداؤه ... فغـدوا وَقُودًا للظى متسعّرا
وتحوّلت نيرانُهم وضِرامُهـا ... خصباً واقبالًا وغيـثاً ممطرا
ولكم توالت عُصبـةٌ سرّيّةٌ ... كالشوس تبغي ان تَرجَّ المشفرا
فعظامهـا نَخِرَت وادركها البـلى ... يبـلى الحديد وعودُنا لن يُنخَرا

* * *

لله عودٌ مـا أجلَّ صنيعَـهُ ... اولى العقولَ تعجُّبـاً وتحيُّرا
عودٌ بهِ عَرَكٌ(١) ضعافٌ اخضعوا ... شُمَّ الانوف ولم يتودوا عسكرا
نفرٌ اذلَّ نفوسَهم إمـلاقُهم (٢ ... ووضوعُ حرفتهم اناهمُ آزدرا
لم يملكوا الّا شباكاً رُقّعت ... ومخاصـاتٍ قواربٍ والمزرا
قومٌ من الأزماع (٣ لاحسبٌ لهم ... والجهلُ فيهم قد بـدا متصدّرا
راموا افتتاح بسيطةٍ فتأهّبوا ... بتجرُّدٍ عمـا يُعَـدُّ ليتهرا
نهجوا مناهج انكرتها حكمةٌ ... بشريّةٌ وسياسـةٌ في ذا الورى
« فاذا اراد الله فعـلًا باهرًا ... جعل المسيرَ من الامور ميسّرا »
« لو شاء لاصطاد الغُثاءُ تشاعماً ... ولراع ظبيٌ في العرين غضنفرا »
فتقلّدوا الردَّ الصغير وقد مضوا ... ومسيرُهم في الارض يوصل بالسُّرى
وتفرّقوا فيهـا لكيما يظفروا ... والناس تجمع شملَها كي تظفرا
ذهبوا ولا ذهبٌ ولا ذخرٌ ولا ... ما يجعل النجحَ العظيم مقدّرا
يتقنّع الغازون في شكّكٍ وهم ... وجـدوا الدروع بعُودهم والمغفرا
والفاتحون يهـدّدون بصارمٍ ... وبيطش جبّارٍ عتا وتكبّرا
ولقد نراهم اخضعوا الدنيا لمن ... كالمصّ بات على الصليب مسمّرا
يَعِدُ الغزاةُ الخاضعين لسيفهم ... بنوال ما فيهِ السرور توفّرا
وصراخهم ملأَ الفضاء محرّضاً : ... «صوموا وتوبوا واحذروا شرَّ الثرا»
قد احرزوا النصر المبين وانما ... بمساتهم وعجائبٍ لن تُنكرا
نصروا بأسرهم قلوبـاً حرّةً ... ولكمْ ضيعُ المكرمات استأسرا

١) عَرَك جمع عرَكيّ وهو صيّاد السمك
٢) الاملاق الفقر ٣) الازماع الخاملون

* * *

لله من قوم مُراة ألبسوا م الدنيا قشيبَ رداء فضل ازهرا
جهلاء أميّون الحم نُطقهم حكماء يونانٍ وندوةَ قيصرا
قد هالهم بالامس جاريةٌ فما اضحوا وإلّا مثل آساد الشرى
لم يرهبوا ظلماً ولا ضرباً ولا سجناً ولا موتاً زؤاماً احمرا
بدأوا بكبح نفوسهم ثمّ أنبروا متدرّعين حقائقاً وتصبّرا
قهروا الجحيم فاحرزوا فوزاً على جند الضلال ولم يسلّوا خنجرا
ظفروا باجناد الغواية والخنى وعلى عدوّ في القلوب تستّرا
غرسوا باصقاع البسيطة عودَهم فنما وازهر بالمحاسن مثمرا
بسقت بسوقاً مدهشاً افنانهُ تزري بارياحٍ تهبُّ لتهصرا
وامتدّت الاغصان في شرقٍ وقد جازت الى غرب البلاد الابحرا
اثارها اعلى واقصى منزلاً من ان يُعدّ جميلها او يُحصرا . . .

* * *

يا أيها العودُ الرفيع مقامُهُ منك الفضيلة والسماح تحدّرا
كم رامَ دفنك تحت ردم كنيسة انصارُ بُطلٍ فارتقعتَ مظفّرا
فلكم نرى كسرى تكسّر سهمُهُ في نحره او قيصراً قد قصّرا
كسّرتَ يا خشبُ الحديدَ من الألى رسفوا بهِ متململين تضوّرا
ستظلُّ عوناً للعباد ومرشداً ومغيث مظلومٍ اتى مستنصرا
قد كنتَ عاراً في زمانٍ غابر فغدوت مجداً للملوك ومفخرا

* *

يا من منحتَ المعجزاتِ خُشيبةً انت المراد ولستُ اعني آخرا
فلقد جعلتَ الارضَ مُلكاً والقلوبَ أريكةً وذوي الفضائل أذخرا
والبرَّ والحسناتِ جنداً ظافراً يسبي نفوساً عَبدةً ليُحرّرا
بالسلم لا بالحرب دوّخت البلا دَ وما كسّرت بل اتخذتَ لتجبرا
فحصونك الشمُّ المنيعةُ بيعةٌ تُردي الذي يبغي الحصار تحسّرا
سفراؤك البلغاء اسفارٌ بها وجهُ الهداية والحقائق أسفرا

وسلاحك الماضي براهينٌ زرتْ بشفار ابيضَ مرهفٍ او اسمرا
قوّادك الابطال قُيِّدَ قلبُهم بقيود حبّك رغبةً وتحيُّرا
عجباً لقوّادٍ ابوا ان يركبوا الّا المخاطرَ والعناء ومنبرا
حملوا على نُوَب الزمان فاكسبوا اسرى البلايا والشقاء تحرُّرا

* * *

يا من نزلتَ لتمتلي فامدُدْ يدًا معوانةً كيلا نضلَّ ونعثرا
واسكب غيوثك في نفوس الحلت بسموم أهواء القلوب فتنضرا
جدِّدْ وأنجز وَعْدَ قسطنطين اذ خاطبتهُ : «خذ ذا الشعار فتُنصرا»
هَبْنا انتصارًا في حروب قلوبنا لننال مجدًا قامعين المنكرا
فنعيش في أرَج الفضائل والتقى فيفوح مسكُ ختام عمرٍ اذفرا

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانية في لغة عرب الجاهلية (تابع)

السماء والجحيم وما فيهما

كما اقتبس عرب الجاهلية معارفهم عن الحقّ سبحانهُ وتعالى من نور النصرانيّة ودُعاتها خصوصاً كذلك يجب القول انهم عرفوا الآخرة بفضلهم وان امكنتهم ان يستعيروا شيئاً منها من اليهود الّا انّ اليهود كما سبق لنا القول كانوا متزوين في بعض انحاء جزيرة العرب ولم يختلطوا مع اهلها الّا اختلاطاً يسيرًا على خلاف النصارى الذين رأيناهم في ما مرّ ساكنين في كلّ اقطار العرب لا يخلو منهم حيّ واحد فلا عجب ان يكونوا بثّوا تعاليمهم في دار الخلود بين اهل البادية والحضر كما نشروا تعريفهم للخالق عزّ وجلّ

(السماء) معلوم انَّ السماء مقام الله حيث يتجلّى للابرار وحيث يقيم في خدمته ملائكة متزّهون عن الهيولي . . . وقد مرّت لنا ابيات لاميّة بن ابي الصلت وصف فيها تلك السماء العليا . فلا حاجة الى تكرارها وانّما نضيف اليها قولهُ في الدارين :

دارٌ دعاها ثمَّ أعرَبْنا بها واقام بالاخرى التي هي امجدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً :

فأمَّ ستًّا فاستوَتْ أطباقُها وأتى بسابعةٍ فأتَّى تُوردُ

وتُدعى السماء ايضاً بجنّة الخلد وبالفردوس وجنان عَدْن . قال اميّة بن ابي الصلت :

ربّي لا تحرمنّي جنّةَ الخُلْد م وكن ربّي بي رؤوفاً حفيّاً

وقال حكيم بن قبيصة يخاطب ابنهُ بشرًا (في الحماسة ٧٩٢ ed. Freytag,)

فما جنّةُ الفردوس هاجرتَ تبتغي ولكن دعاكَ الخبزُ والتمرُ احسبُ

ومثلهُ لحسّان بن ثابت (تاج العروس ٤ : ٤٠٥) :

وانَّ ثواب الله كلَّ موحّدٍ جنانٌ من الفردوس فيها يخلّدُ

وقال النابغة (المخصّص لابن سيده ٩ : ٥٦) :

فسلامُ الاله يندو عليهم وفيُوءُ الفردوس ذات الظلالِ

وللسماء في الشعر القديم اسماء غيرها منها برْقع وعدن ونعيم قال اميّة بن ابي الصلت (المخصّص ٩ : ٦) :

وكأنَّ برْقعَ والملائكُ حولها سِدرٌ تواكَلَهُ القوائمُ اجردُ

وجاء في عَدْن له ايضاً :

جهنمُ تاركٌ لا تُبقي بنيًا وعَدْنٌ لا يطالُها رجيمُ

وقال في النعيم :

لم يُخلَقِ السماء والنجومُ والشمسُ مها قمرٌ يقومُ
قدّرهُ المهيمن القيّومُ والحشُّ والجنّةُ والنعيمُ
الّا لأمرٍ شأنهُ عظيم

وسماها ايضاً دار صِدْق قال :

وحلَّ المتّقون بدارِ صدقٍ وعيش ناعم تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنّوا من الافراح فيها والكمالِ

(الملائكة) واخصُّ ما في السماء الملائكة . ومعلوم ان ذكر الملائكة لم يمكنهُ

ان يتّصل الى العرب الّا بطريقة وحي سابق ودين شاع فيه المعتقد بوجود الملائكة كالنصرانيّة . وقد اجمل امية في وصفهم فقال :

يتابعُ المتنصفون بسجرةٍ في الفِ الفٍ من ملائكَ تُحشَدُ
رسلٌ يجرون السماء بأمرهِ لا ينظرون ثواه من يتقصّدُ
فهمُ كأرْبِ الريح بينا أدبرتْ رجعت بَوادي وجهها لا تُكرَدُ
حذْفٌ مناكبهم على أكتافهم زَفٌّ يزفُّ جم اذا ما استنجدوا
واذا تلاميذُ الاله تعاونوا غلبوا ونشّطهم جناحٌ ممتدُ
نهضوا باجنحةٍ فلم يتواكلوا لا مبطئٌ منهم ولا مستوغدُ

ولهُ من قصيدة اخرى :

ملائكةٌ اقدامهم تحت عرشهِ بكنّيهِ لولا الله كلّوا وابلدوا
قيامٌ على الاقدام عانينَ تحتهُ فرائصهم من شدّةِ الخوفِ تُرعَدُ
وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوحي رُكّدُ

وهناك قد ميّز طبقات الملائكة واشار الى عددهم ومختلف اعمالهم ورتبهم كالكروبيم والحرّاس وصرّح باسماء بعضهم كجبرئيل وميخائيل قال :

امينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهم ومِيكالُ ذو الروح القوي المسدّدُ
وحرّاسُ ابوابِ السماوات دونهم قيامٌ عليها بالقنا والمُهنّدُ
فهمُ العبادُ المصطفون لأمرهِ ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنّدُ
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربًّا فوقهُ ويمجّدُ
وراكعهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعًا يردّدُ آلاء الاله ويحمدُ
ومنهم ملفٌّ في الجناحين رأسهُ يكاد لذكرى ربّهِ يتفصّدُ
من الخوفِ لا ذو سآمةٍ بعبادةٍ ولا هُوَ من طول التعبّد يجهدُ
ودون كثيفِ الماء في غامضِ الهوا ملائكةٌ تنحطُّ فيهِ وتصعدُ
وبين طباق الارض تحت بطونها ملائكةٌ بالامر فيها تردّدُ

وانشد الكسائي لعلقمة بن العبد يمدح الحارث بن جبلة . وتروى لشاعر من عبد القيس يمدح النعمان وفيها ذكر الملئكة (راجع التاج في مادّة ملك . وشرح بانت سعاد لابن هشام ed. Guidi, p. 42) :

تعاليتَ ان تُعزى الى الانس خلّةٌ وللانس من يعزوكَ فهو كذوبُ
فلستَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأكٍ تنزّلَ من جوّ السماء يُصوّبُ

ولامية ايضاً في الملائكة الموكلين بالمخلوقات السفلى قولهُ (اساس البلاغة ٢ : ١٦٦) :

وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيه وتسمعُ

وقد كثُر ذكر الملاك جبرائيل في الشعر القديم . قال عمران بن حطّان :

والروح جبريلُ فيهم لا كفاء لهُ وكان جبريلُ عند الله مأمونا

وقال حسّان بن ثابت (ديوانهُ طبعة ليدن ed. Hirschfeld, p. 42) :

يا حارِ في سِنَةٍ من نوم ارّلكم ام كنتَ ويحك منتزًا بجبريل

وقال ايضاً (ib. 1) :

برجالٍ لستمُ أمثالهم أيّدوا جبريلَ نصرًا فنزَلْ

وقد لقّبهُ حسّان في محلٍّ آخر بالروح القدس (ib. p. 2) :

وجبريلٌ امينُ الله فينا وروح القدس ليس لهُ كفاء

ويروى : « رسول الله » . وكذلك ذكروا الملاك ميخائيل ودعوهُ ميكال قال ورقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من الله وحيٌ يشرح الصدرَ مُنزَلُ

وذكروا من طغمات الملائكة الكروبيّة وهم الكروبيم وصفهم في تاج العروس « بسادة الملائكة والمقرّبين الى حَمَلَة العرش » . كقول امية بن ابي الصلت السابق ذكرهُ (التاج ٢ : ٤٥٤) :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجّدُ

وقال في السارفيم ودعاهم بالسرافيل (كتاب البدء للمقدسي ١ : ١٦٨ ed. Huart) وعجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦ ed. Wüstenfeld,) :

حُبس السرافيلُ الصوافي تحتهُ لا واهنٌ منهم ولا مستوغِدُ

ومما وصفه شعراء الجاهليّة في السماء عرشُ الله الذي تكرّر ذكرهُ في الاسفار المقدّسة من العهدين العتيق والحديث . ومن البديهي انّ عرش الله ليس شيئاً هيولياً مجسّماً وانّما المراد بهِ عزّتهُ تعالى وثباتهُ . قال امية وهو غير ما سبق لهُ (الاضداد لابن الانباري ص ٥١)

ملكٌ على عرشِ السماء مهيمنٌ تعنو لعزّتهِ الوجوهُ وتسجدُ

وقال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٤) :

سبحان ذي العرش سبحانًا يعادلهُ ربُّ البريّة فردٌ واحدٌ صمدُ

ويروى: « سبحاناً يدوم لهُ . وسبحاناً يعود لهُ » . ومثل العرش السريرُ قال امية (كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ١ : ١٦٥) :

مجّدوا الله فهو للمجد اهلٌ ربُّنا في السماء امسى كبيرا
بالبناء الاعلى الذي سبق الخلـ ـق وسوّى فوق السماء سريرا
شرجعاً ما ينالهُ بصرُ العـ ـينين ترى دونهُ الملائك صُورا

فالشرجع الخشبة المربّعة الطويلة وهي ايضاً العرش والسرير

(جهنم) ليست معرفة شعراء الجاهلية بجهنم وعذابات الهالكين ووجود الشياطين دون معرفتهم بالسماء واهلها . قال كعب بن مالك في وصف جهنم (اتقان علوم القرآن للسيوطي ١ : ١٥٨) :

تَلَظّى عليهم حين أنْ شدَّ حَسُّها بزُبْر الحديدِ والحجارة ساجرُ

وقال امية بن ابي الصلت (فيه ١ : ١٥٩) :

فأُركِسوا في حميم النار أُثَّمُ كانوا عُتاتاً يقولون الكذب والزورا

ويروى: « في جهنم انهم كانوا عصاة » . وقال وقد اجاد في بيان حال الهالكين (شعراء النصرانية ١ : ٢٢) :

وسيقَ المجرمون وهم عُراةٌ الى ذاتِ المقامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً وعجّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا مبتّين فيستريحوا وكلّهمُ ببحر النار صالِ

وقال فيهم (خزانة الادب ٢ : ٤٦) :

فهم يَطفَون كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ

وقال النابغة الجعدي مستغفراً وطالباً النجاة من جهنم (خزانة الادب ٤ : ٤) :

يا مالك الارض والسماء ومن يَفرَقْ من الله لا يَخَفْ إنما
اني امرؤ قد ظلمتُ نفسي وإلا م تَعفُ عني اغلا دماً كنا
أُطرَحُ بالكافرين في الدرك م الاسفل يا ربِّ أُصطلي الضَّرما

وقال امية بن ابي الصلت يذكر الابرار ونعيمهم والاشرار وجحيمهم :

هما فريقانِ فرقةٌ تدخلُ م الجنّةَ حفّت جمٍ حدائقُها
وفرقةٌ منهم قد أُدخلت م النار فساءتْ مرافقُها
لا يستوي المنزلان ثمَّ ولا م الاعمالُ لا تستوي طرائقُها

وكما جعلوا الملائكة في السماء كذلك عيّنوا جهنّم لابليس وفرقته من الشياطين

والجنّ الذين هبطوا من السماء بخطيئتهم فاخذهم الله بعصيانهم . قال امية (لسان العرب ١٥: ٤٠٩):

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكُ ذُلّلوا وهمُ صعابُ

وقال امية ايضاً ودعا الشيطان شاطناً (اللسان والتاج والصحاح في مادة عكا):

أيا شاطنٌ عصاهُ عكاهُ ثمّ يُلقى في السجن والاغلالِ

ودعاهُ عديّ بن زيد ابليساً (تاريخ العصامي سمط النجوم العوالي ص ١٩):

وأهبطَ ابليسا واوعدهُ نارًا تلهّبُ بالإسعار والشررِ

وقال امية بن ابي الصلت:

وترى شياطينًا تروغُ مُضاعةً ورَواغها صبرٌ اذا ما يُطرَدُ
تُلقى عليها في السماء مذلّةٌ وكواكبٌ ترمى بها فتمرّدُ

وفي هذه السماء العليا قال ايضاً:

فأتمّ سبعًا فاستوت أطبافُها وأتى بسابغةٍ فأتى تُوردُ

وقد كثر في الشعر الجاهلي ذكر الدينونة والحساب وما يتبعهما من ثواب او عقاب قال زهير بن ابي سلمى في معلّقته يتهدّد المنافقين بالدينونة:

فلا تكتُمنّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى وَمهما يُكتَمِ اللهَ يَعلَمِ
يؤخّر فيوضع في كتاب فيُدّخر ليوم الحساب او يُعجّل فيُنقَمِ

وقال امية بن ابي الصلت:

يوقَفُ الناسُ للحساب جميعًا فشقيٌّ معذّبٌ وسعيدُ

وقال النابغة الذبياني يذكر معتقد بني غسّان بالدينونة:

فلا يحسبونَ الخير لا شرّ بعدهُ ولا يحسبون الشرّ ضربةَ لازبِ

وقال لبيد (ديوانه ص ٢٨ . ed. Huber):

وكلُّ امرئٍ يومًا سيعلمُ سعيَهُ اذا كُشفت عند الاله المحاصلُ

ويروى في المخصّص (١٢: ٧١): «اذا حصلت عند الاله الحصائل». وروى السيوطي لأميّة بن ابي الصلت (في اتقان علوم القرآن ١: ١٥٨)

ولا يوم الحساب وكان يومًا عبوسًا في الشدائد قمطريرا

وقال امية ايضاً (فيه . وفي الاغاني ٣: ١٢٩):

انّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شابَ فيه الصغيرُ شيبًا طويلا
ليتني كنتُ قبل ما بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا

كلّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امره الى ان يزولا
وأجمل الموت نصب عينك واحذرْ غولة الدهر انّ للموت غولا

وقال ايضاً (خزانة الادب ٤ : ٧):

لا تخلطنّ خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانجُ عريانا
كلّ امرئ سوف يُجزى قرضهُ حسناً او سيئاً ومديناً كالذي دانا

وهم يذكرون مع الدينونة والحساب يوم الحشر وبعث الاجساد وقيامتها من قبورها وجزاء العالمين الاخير. قال امية ووصفهُ تعالى بالباعث للموتى:

الوارثُ الباعثُ الاموات قد ضمنت ايّامُ الارض في دهر الدهاريرِ

وقال قس بن ساعدة (الشرشي ٢ : ٢٠٥ ومحاضرات ابن العربيّ ٢ : ٦٧٠ وكتاب المعمرين لابي حاتم السجستاني ص ٧٦):

يا ناعيَ الموتِ والاموات في جدثٍ عليهم من بقايا خزّهم خرَقُ
دَعْهم فانّ لهم يوماً يُصاح بهم فهم اذا انتبهوا من نومهم فُرُقُ (١
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهم خلقاً جديداً كما من قبلها خُلقوا
منهم هراةٌ وموتى في يُباعهم منها الجديد ومنها الأورق الخلقُ

وقال عبيد بن الابرص يذكر القيامة (خزانة الادب ١ : ١٦٠):

انت المليكُ عليهم وهم العبيدُ الى القيامهْ

وقال امية وله السهمُ الافوز في وصف الدينونة وذكر ايضاً العرش وميزان الحساب والزُّبُر اي الاسفار المقدّسة التي اوحى بها الله لهداية العالمين (كتاب البدء ٢ : ١٤٦):

ويومُ موعدهم ان يُحشروا زُمرًا يومُ التغابُنِ اذ لا ينفع الحَذَرُ
مستوسقينَ مع الداعي كأنّهمُ رجلُ الجرادِ رقتهُ الريحُ تنتشرُ
وأُبرزوا بصعيدٍ مستوٍ جرزٍ (٢ وأُنزل العرشُ والميزانُ والزُّبُرُ
وحُوسبوا بالذي لم يُحصِ احدٌ منهم وفي مثل ذاك اليوم مُعتبَرُ
فنهمُ فَرِحٌ راضٍ بعيشهِ وآخرون عصَوْا مأوامُ السَّقَرُ
يقولُ خُزّانها : ما كان عندكمُ ألم يكُنْ جاءكم من ربّكم نُذُرُ
قالوا: بلى قبلنا قتيةٌ بطروا وغرّنا طول هذا العيش والعُمُرُ
قالوا: امكثوا في عذاب الله ما لكمُ الّا السلاسلُ والاغلالُ والسَّعَرُ
فذاك عيشهمُ لا يبرحون بهِ طول المقام وان صحّوا وان ضجروا

١) وروى الباقلاني في اعجاز القرآن (ص ٢٢): كما ينبّهُ من نوماتهِ الصَّعِقُ
٢) كذا في الاصل. والصواب جَرَزٍ. يقال ارض جَرْز وجَرَز وجُرُز اي مُجدبة

وآخرون على الأعراف قد طمعوا بجنّةٍ حفّها الرمّانُ والخضرُ
انّ الانامَ رعايا اللهِ كلهمُ هو السّيطرُ فوق الارض مقتدرُ

وهو القائل ايضاً في وصف الجحيم والنعيم (القاصد النحويّة في هامش خزانة الادب ٢: ٣٤٦ ومنتخب ربيع الابرار Ms Wien, ff 16v)

سلامك ربّنا في كلّ فجرٍ بريئاً ما تليقُ بك الذّمومُ
عبادُك يخطئون وانت ربٌّ بكفّيك المنايا والحتومُ
غداةَ يقولُ بعضهمُ لبعضٍ ألا يا ليت امّكمُ عقيمُ
فلا تدنو جهنّمُ من برئٍ ولا عدنٌ يحلُّ بها الاثيمُ
فهم يطفونَ كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ
جهنّمُ تلك لا تبقي بنيًّا وعدنٌ لا يطالبها الرجيمُ
فلا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَبْنٌ ولا فيها مليمُ
اذا بلغوا التي أجروا اليها تقبّلهم وحُلّل من يصومُ
وخُفّفت النذورُ واردتهم فضول الله واتمت القسومُ

فهذه الاوصاف كلها لا تُرى في غير الاسفار المقدسة التي كانت في ايدي النصارى فاخذها عنهم شعراء العرب قبل الاسلام. ولاميّة المذكور ابيات ذكر فيها انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم (كتاب البدء ٢: ١٤٥):

والناسُ راثَ عليهم امرُ ساعتهم فكلّهم قائلٌ للدين أيّانا (١
ايّامَ يأتي نصارام مسيحهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا (٢
م ساعدوهُ كما قالوا إلههمُ وارسلوهُ يريد الغيث دسّانا (٣

ومعلوم في معتقد المسلمين انّ السيّد المسيح (عيسى) هو الذي ينزل في آخر العالم ليدين العالمين. فكفى بهذه الشواهد دليلًا على انّ كل الالفاظ الواردة في القرآن والحديث عن الدينونة واحوالها قد سبق اليها اهل الكتاب في الجاهلية كما سبقوا الى اسماء الله الحسنى (لهُ بقيّة)

---

١) راثَ اي تأخّر. يريد ان الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول بعضهم لبعض أيّانا اي متى يحلّ يوم الدين

٢) كذا في الاصل. ونظنّ ان الصواب «الكائنين» اي الماضين

٣) الدُّسّان المرسل. يريد انّ المسيح تقدّمهم كالرائد الذي يتبع الكلأ. ولعلّ في هذا اشارة الى قول السيّد المسيح في انجيل يوحنّا (١٤: ١٢): «اني ذاهب لاعدّ لكم المكان». وفي كتاب البدء: وارسلوهُ كسوف الغيب. وفي اللسان: يسوف الغيث

الصاعقة

للاديب فريد افندي ضرا من طلبة المكتب الطبيّ الفرنسويّ

انَّ صوت الصاعقة اكثر ما يُسْمَع في سواحل الشام ولبنان في الثلثة الشهور الاولى من السنة . فلا بأس ان نذكر شيئاً عن هذه الظاهرة الجوّيَّة التي تعمَّق العلماء في درسها في هذه السنين الاخيرة وابدوا فيها ملحوظات جديدة تفيد معرفتها

١ مقدَّمات في كهرباء الارض والهواء

الارض احد الاجرام الموصلة للكهرباء . فالكهرباء المنبثَّة فيها تنتشر على وجهها . والهواء على خلاف ذلك اذا تكهرب حفظ كهربائيَّتهُ وعزَّلها . امَّا الجلد فهو مجال للمظاهر الكهربائيَّة التي تحصل بامتزاج كهربائيَّتي الارض والهواء.

واوَّل ما ينبغي البحث عنهُ في هذا الامر تعريف اصل كهرباء الارض والهواء . من اين تكهربُهما ؟ لم يتَّفق العلماء في بيان ذلك . فمن المحتمل انَّ الارض لمَّا كوَّنها البارئ اودع فيها كميَّات كهربائيَّة حفظتها مكنونةً في جرمها منذ انفصلت في الجوّ عن غيرها من الاجرام العلويَّة . وهذه الكهرباء الارضيَّة غالباً سلبيَّة

وللارض مورد آخر من الكهرباء نريد بهِ المظاهر الجوّيَّة التي تحدث في الهواء فمن ذلك ما يولّدهُ التبخُّر من الكهرباء . ومنها الكهرباء التي تصيب الارض بالمطر فقد لحظوا انَّ الماء اذا تفرَّق في الجوّ استعار من الهواء قسماً من كهربائتهِ السلبيَّة واغنى بها الارض عند هطلانهِ . ويحدث مثل هذا في الشلَّالات التي تتحدَّر من الجنادل العليا فيتفرَّق ماؤها وتتساقط على صورة نُقَط ماء دقيقة تتكهرب سلبيًّا بمسيسها الهواء وتزيد كهربائيَّة الارض بسقوطها عليها

وكما الارض كذلك الهواء لهُ كهربائيَّتهُ التي هي ايجابيَّة في الغالب وقد اتَّخذوا مقاييس مختلفة لتعريف كميَّة كهرباء الجوّ وافضلها ان تتَّخذ قضيباً من حديد كالسنُّود وتوصلهُ بمقياس الكهرباء المسمَّى الكترومتر فرأس القضيب المحدَّد يحلل كهرباء الجوّ فيمد الكهرباء المجانسة لكهرباء الالكترومتر ويجذب الكهرباء

المخالفة لهُ فهذه الكهرباء تجري الى القياس فيدلُّ ابرتهُ عليها بكل تدقيق وبذلك تُعرف كميَّتها

على انَّ كهربائيَّة الارض وكهربائيَّة الهواء يحدث فيهما بعض اختلاف في الانواء الجوّيَّة ولا سيما عند حصول الغيوم فالغيوم على حسب طبقاتها تتكهرب تارةً بكهرباء الارض السلبيَّة وتارة بكهرباء الهواء الايجابيَّة وربَّما اختلفت فيها الكهرباء من ساعةٍ الى اخرى بل في دقيقتين او ثلاث دقائق من مكان الى آخر على مقتضى سرعة سير هذه الغيوم وهبوطها وارتفاعها كما تحقَّقوهُ بامتحانات متواترة بواسطة الطيَّارات وغيرها وذاك ما يُعرَف بالتكهرُب بالنفوذ (électrisation par influence) وبهِ تُدرَك خصوصاً الظواهر الجوّيَّة من برق ورعد وصاعقة

فافترض انَّ غيوماً تكوَّنت في الجوّ فمنها ما يبقى عالياً في الجلَّد فيتكهرب بالكهرباء الايجابيَّة ومنها ما يمرُّ على الارض فيكاد يمسُّها فيتكهرب بكهربائيَّتها السلبيَّة فاذا هبَّت الريح وتلاعبت بهذه الغيوم ذات الكهربائيَّة المختلفة احتكَّت ببعضها وباحتكاكها حصلت تلك الظواهر بقوَّة اضعف او اشدَّ حسب كميَّات الكهرباء التي فيها فيكون البرق خفيفاً او مستطيلاً ويحدث رعد او لا يحدث بموجب قوَّة اصطكاك الغيوم ببعضها وربَّما رُؤي البرق البعيد دون ان يُسمَع صوت رعده على حسب بُعد المسافات

٢ البرق

البرق ظاهرةٌ مضيئة تحصل في الجوّ وقت حدوث الانواء والزوابع . وهو خطٌّ منير ابيض اللون غالباً ذو بهاء ساطع يحدث على صور شتى غير قياسيَّة

وكان الرأي المتغلب سابقاً عند العلماء ان البرق شرارة كهربائيَّة تتقد عند تلاقي غيوم مكهربة بكهرباء مختلفة او بين الغيم المتكهرب وأثر آخر على وجه الارض يكهربهُ ذاك الغيم بنفوذه

بيد انَّ هذا الرأي قد أُهمل اليوم بعد ان قاسوا طول البُرق التي يقيس البعض منها نحو عشرين كيلومترًا طولاً فلا يمكن القول بانَّ شرارةً كهربائيَّة تمتدُّ امتداداً كهذا . وزد على ذلك انَّ الغيم ليس هو موصلاً متابعاً اذ هو يتركَّب من نُقط

مائيَّة دقيقة هي منبثَّة في الهوا ومنفصلة عن بعضها فيتخلَّلها الهواء الرطب . والرأي الغالب اليوم انَّ البرق سياق شرارات متعدِّدة تنتشر في الجوّ بين نقط ماء الغيم سائرةً من نقطة الى غيرها كما تجري شرارات الكهرباء في صنعة زجاج تُلصَق عليها شذور القصدير

وقد ميَّز الفلكي اراگو ضروباً من البرق جمعها في ثلاثة اقسام فنظم في القسم الاوَّل البروق التي تلوح للعين على شبه خطّ ذي اطراف محدَّدة تتفجَّر بسرعة ويراها الناظر كالثُّلَم المخدَّدة ثمَّ البروق المتكسِّرة الخطوط يميناً وشمالاً (éclairs en zigzags)

امَّا القسم الثاني فخصَّهُ بالبروق الصفحيَّة التي تسير الغيوم امَّا على جوانبها وامَّا على بسطة صفحتها ويختلف لون هذه البروق فتكون حمراء او ضاربة الى الزرقة او مائلة الى اللون البنفسجيّ . وهذه البروق اشبه ببعثات من النور المتفجِّر من بعض ادواتنا الكهربائيَّة . ولعلَّها هي كالبروق المذكورة في القسم الاوَّل وانَّما هي محجوبة بالغيوم . والبعض من بروق هذا القسم الآخر تُرى على شكل الاشجار وغيرها تظهر كحبوب السبحة او تلمع كالجواهر المتلألئة المتفرقة على بساط كبير على شكل الشرارات التي تحدثها بعض المجاري الكهربائيَّة المتواترة في صفيحة نديَّة

وقد خصَّ اراگو القسم الثالث بالبروق الكرويَّة وهي بروق تُرى على شكل كرةٍ من نار تسير في السماء سيراً ليناً ثمَّ تنفجر متفرقعةً . وقد ارتاب البعض في صحَّة وقوعها لكنَّ الشهود على معاينتها كثيرون وان لم يعرف العلماء حتى الآن كيفيَّة حصولها . وما لا ينكر ان المراقبين للبرق رأوا هذه الكرات الناريَّة على كبر رأس الانسان في وقت الزوابع وكانت كأنَّها تدور على وجه الارض بسرعة خفيفة لكنَّها كانت تتوارى بعد بضع من الثواني تارةً على لجأة دون ان يبقى منها اثر وتارةً بعد انفجارها وفعلُها فعلَ الصاعقة

وقد وصف اراگو حادثاً جرى لهُ شخصيًّا قال : « بينما كنتُ جالساً الى مكتبي ونافذة غرفتي منفتحة قليلاً واذا بكرةٍ ناريَّة لاحت لي في وسط الجوّ المغيم القاتم فرأيتها سائرةً على هدوء حتى صارت فوق شجرة فانفجرت انفجار الصاعقة . ولا إخال انّي خُدعت معاً ببصري واذني مع الفترة الحاصلة بين ما رأيتهُ وما سمعتهُ »

على انَّ غيرهُ من العلماء لا يسلّمون بصحّة هذه الحوادث او يعلّلونها تعليلهم لبعض المظاهر النوريّة في شبكيّة العين اذا رأت نورًا شديد اللمعان . وقد سلّم غيرهم بصحّتها وجعل هذه الكرة النوريّة بمثابة كُرَيّات صغيرة تلوح بفعل قطبي بطاريّة قوّتها من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ مقياس كهربائيّ (Volts) في سطح بعض الموانع . ولعلّ العلم يزيدنا ايضاحاً في سببها عمّا قريب

وللبرق سرعة غريبة لا يكاد القياس ان يثبتها واوّل من حاول تدوين مدّته العلّامة اراگو الوما اليه فانهُ اتّخذ فُلكةً (disque) سوداء رسم عليها مئة دائرة بيضاء على ابعاد متساوية ثمَّ أدارها بسرعة مئة دورة في الثانية بحيث كانت كلّ دائرة تمرُّ امام العين مرّة في كلّ عُشر من الف ثانية بعد اختها . ثمَّ عرض تلك الفلكة لضياء البرق في ليلة مبرقة مرعدة ليستدلّ بها على مدّة دوام البرق فان كانت مدّة البرق تدوم عُشرًا من الف ثانية او اكثر من ذلك كان المنتظر ان تختلط الدوائر البيض فلا تشعر العين بالسواد الذي بينها وعلى خلاف ذلك اذا دامت زمناً اقل من عُشر الالف فان السواد بينها يلوح للعين . وفي الواقع هكذا كان فانَّ عينهُ رأت ذلك السواد فاستدلّ على انَّ البرق اذا خطف البصر لا يدوم عُشرًا من الف ثانية . والمرجّح اليوم انَّ دوامهُ لا يزيد على مئة جزء من الف الثانية

امّا تاوّيات البرق في الجوّ فتعليلها باختلاف احوال الغيوم التي تنتشر الشرارة الكهربائيّة بينها لوجود بعض الاقسام التي هي ازيد ايصالًا لمجرى الكهرباء من غيرها

وان اراد الراقب أن يعرف المسافة التي بينه وبين البرق فليحصِ عدد الثواني التي تفصل ظهور البرق من وقت سماعهِ للرعد وليضرب هذا العدد بعدد ٣٣١ مترًا فالحاصل يدلّهُ على تلك المسافة . والصعوق لا يرى البرق حتى يصاب بغتةً بالصاعقة دون تمادٍ في الوقت

وفي اوربّة ظاهرةٌ اخرى لم نعهدها في بلادنا نعني بها بروق الحرارة فانّها كثيرة في فصل الصيف ويرونها في بعض الاحيان والسماء صافية لا يشوبها غيم . فهذه البروق انّما تدلُّ على حدوث انواء وزوابع في جهات بعيدة فان البلجكيين لحظوها في بلادهم اذ كانت الزوابع واقعةً في اواسط فرنسة . وربّما كان السبب في

نظرها دون اثر ظاهر يدلُّ عليها استدارةَ الكرة الارضيَّة اذ تجري تلك الزوابع في بلاد اهبط موقعاً من غيرها فيرى البرق وحدهَ بانعكاس ضوئهِ في الجوّ

٣ الرعد

ليس الرعد سوى صوت انفجار كهربائيّتين مختلفتين عند اصطكاكهما بسبب رجوع الهواء بغتةً الى الفراغ فان كان الناظر قريباً من مكان حدوث ذاك الانفجار سمع لهُ صوتاً باغتاً قاصفاً شديداً كصوت لغم او مدفع يُطلَق بقربهِ. امَّا اذا كان بعيداً عنهُ بُعداً ما فيسمع لهُ دمدمةً يدعونها هزيم الرعد يمكن تعليلها باسباب شتى اوَّلها انَّ الانفجار المذكور لا يحصل في وقت واحد اذ شرارة الكهربائيَّة تنتقل من نقطة الى أُخرى على مسافات طويلة فيتتابع صوتها في اذن السامع . والثاني انَّ لهزيم الرعد اصداء في الاودية تردّد صوت الرعد من بعد وقوعهِ . ويمكن ان يضاف الى السببين المذكورين سبب ثالث وهو انَّ الرعد لا يحصل بطلقة واحدة من الكهرباء بل بطلقات متوالية فاذا حصلت الطلقة الاولى حدث اضطراب في الجوّ بسببها وتقاربت غيوم متباعدة فيحصل من اصطكاك هذه الغيوم طلقات ثانويَّة متعدّدة تتوالى ريثما يعود التوازن بين اجزاء الهواء

وهذه الاسباب عينها تبيّن كيف يسمع السامع في بعض الاحيان دويّ الرعد بالتدريج فيشتدُّ حتى يبلغ معظمهُ بطلقة تكون اشدّ واعظم من سواها يُعقبها دويّ ثانٍ يضعف شيئاً فشيئاً حتى يزول تماماً

امَّا المدَّة التي يلحظها الناظر مرارًا بين البرق والرعد فمن اختلاف الوقت بين انتقال النور والصوت فانَّ النور ينتقل بسرعة عظيمة تبلغ في الثانية ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر بخلاف الصوت الذي يقطع في الثانية ٣٣١ متراً فقط ومن هذا القياس يمكننا ان نعرف بُعد الرعد والصاعقة عنّا كما سبق

٤ الصاعقة ومفاعيلها

كثيرًا ما يقصف الرعد في الجوّ بين الغيوم دون ان تصاب الارض باذاه ولكن يمكن انَّ الكهربائيَّة الجوّيَّة تقترب من الارض المكهربة سلبيًّا فتمتزج الكهربائيَّتان بقصيف شديد واذا وقع ذلك ببناء او معدن او شجرة او حيوان او

انسان صُعق وأُصيب باضرار شتى . واكثر ما يُصاب بالصاعقة ما كان مرتفعاً او محدَّد الرأس كالصروح والابراج وقمم الجبال والاشجار الباسقة ومن ثمَّ ينبغي الابتعاد من هذه الامكنة وقت الانواء لخطرها

ومما يجذب كهربائيَّة الجوّ الامكنة الرطبة والمعدنيَّات وكلّ ما هو من الموصلات الجيّدة للكهربائيَّة كالاسلاك التلغرافيَّة التي تتأثَّر جدًّا من كهربائيَّة الجوّ وربَّما اتَّقدت في هذه الاسلاك شرارات الكهرباء

وقد ترى في بعض الاحيان في البراريّ اشجاراً مصعوقة على انَّ بعض الاشجار يتأثَّر اكثر من البعض الآخر اما لجنس خشبها واما لاختلاف تعمُّق جذورها في الارض فالحَوْر مثلاً اجذبُ للكهرباء من السنديان . والصاعقة اشدّ تأثيراً في الاجرام السيّئة الوصل للكهرباء فانَّها تحطمها فتتطاير شعاعاً او تحرقها وتمحي آثارها

وكذلك المعادن اذا اصابتها الصاعقة عملت فيها على اختلاف اتّصالها باجسام تحسن نقل الكهرباء او لا فان كانت المعادن على انسان او حيوان نزعت شعر جلده وجرَّدتهُ من ثيابهِ لأن الشعر والثياب ليست موصلة للكهرباء اما الجلد فتحرقهُ وتحلّل انسجتهُ وفعلها اسوأ في الاعصاب فانَّ الصاعقة ربَّما ضربتها بالفالج او افقدتها كلّ حس وحركة . وكذلك الحواسّ والمشاعر فانَّ بعض المصعوقين اصيبوا بالصمم او بالعمى ومنهم من كُسرت عظامهم او فسد دمهم فقُتلوا بفساده او بشلل الاعصاب

وقد لحظوا احياناً على جسم المصعوقين حروقاً مختلفة الشكل والهيئة . ومنهم من تتشنَّج جثثهم وترتعش كانهم ممنوُون بالكُزاز وفي الغالب تجمد اجسادهم وتيبس وتُرى على سطحها خدوش غريبة واغرب من ذلك انك ترى على اعضائهم تصاوير الاشياء التي ضُربوا بقربها

وممَّا تأكَّدوهُ ايضاً بالامتحان انَّ المصابين بالصاعقة يخزنون في جسمهم شيئاً من الكهرباء فاذا امسكهم احد شعر باهتزازها كما لو مسَّ آلةً مولّدة للكهرباء

ومن المصابين من يُغمى عليهِ فقط فاذا افاقوا شعروا بحروق وبضربة قويَّة في الدماغ او بشلل في اعضائهم السفلى . ومنهم من يشعر ببرد قاوس في اليدين والرجلين

وبضيق شديد وغصّة مؤلمة . وان أُصيبت المرأة الحبلى سقط في الغالب حملها

امّا علاج المصروق فبأن يُدلك جسمهُ دلكاً طويلاً او يُصبّ عليهِ الماء البارد ويُخنق وان ظهر عليهِ اثر الاختناق فيُعالج بجذب لسانهِ او يُنعَش بالاثير او بمزيج يركَّب من مئة قسم من الماء مع قسمين من زيت القرفة وعشرة غرامات من شراب السكّر . او ايضاً بثلاثين غراماً من الثير بنطينا مع صفرة البيض و٣٥ غراماً من الماء

وكان حقّنا ان نذكر هنا القضيب الذي تُتّقى بهِ الصاعقة والاسلاك التي يمنطقون بها البيوت لهذه الغاية غير انَّ المشرق سنة ١٩٠٠ (١٢٦:٣) سبق ونشر مقالةً وافية في ذلك لحضرة الاب موريس كونجت استاذ الطبيعيّات في المكتب الطبيّ الفرنسويّ فنحيل اليها قرّاءنا

مطبوعات شرقية جديدة

Robert Bellarmin. Les Marques de la véritable Église, traduit par L. CRISTIANI. *Paris, Bloud et Cie.* 1912, pp. 64

مقالات بلرمينوس عن علامات الكنيسة.

ليس بين التآليف العديدة التي وضعها الكردينال روبرت بلرمينوس اليسوعي (١٥٤٢—١٦٢١) اوسع شهرةً واعظم نفعاً من كتاب جدالاتهِ الذي وقع على ضلالات البروتستانت كطرقة دكّتها دكّاً وبيّنت فساد اساسها . وهذا الكتاب قد تكرَّر طبعهُ في بلاد شتى لمنافعهِ الوافرة . ومع انَّ هذه المجادلات قد اتّسعت اليوم ووجد الكاثوليك ادلّة جديدة للدفاع عن معتقدات الكنيسة لا يزال كتاب بلرمينوس دستوراً حسناً يُرجع اليهِ ويُقتبس من انوارهِ لاسيما القسم المختص بعلامات الكنيسة الحقيقيّة اعني وحدتها وقدلستها ورسوليّتها وكاثوليكيّتها اي انتشارها في كل العالم . فهذا القسم لحسن مضامينهِ قد احبَّ المسيو كريستياني الحائز بدرجة اللنتة في اللاهوت ان ينقلهُ من اصلهِ اللاتينيّ ويطبعهُ على حدةٍ في مجموعة

المسيو بلود المعروفة « بدرس العلوم الكنسية » وصدّرهُ بترجمة مؤلفهِ الكردينال مع ذكر جدول مؤلفاتهِ . واذ رأى في بعض ابوابهِ طولًا اختصرها دون مسّ جوهرها وذيّل الكتاب ببعض الملحوظات المفيدة . ولمّا كان يمكنهُ ان يتوسّع اكثر فيها لأنّ بلرمينوس مع سموّ فضلهِ اراء لا تخلو من بعض الشذوذ فمن ذلك رأيهُ عن كاثوليكيّة الكنيسة فانّ بلرمينوس ارتأى انّهُ يكفي لتحقيق هذه العلامة ان تكون الكنيسة الكاثوليكيّة انتشرت في العالم بتتابع الاجيال والرأي الغالب اليوم بعد الاكتشافات المتعدّدة التي وقف عليها الاثريون يمكن اثبات جامعيّة الكنيسة في كلّ قرن بالنسبة الى غيرها من الاديان . فانّها كانت منذ المسيح الى يومنا ذاك الجبل الذي يراهُ الكلّ ويقصدهُ طالبو الحقيقة والنور الاب ج . لوفنك

I-ГО Kyrcs : Arabskaja Xrestomatija, St *Pétersbourg*, 1912, pp. 104

منتخبات عربيّة مع معجم عربيّ مسكوبي

هذه المنتخبات جمعها صاحبها لافادة طلبة كليّة بطرسبورج افتتحها بحكم ثم اعقبها باحاديث لنبيّ المسلمين ثمّ ختمها بنوادر وحكايات وكلّ ذلك من تآليف قديمة دون ان يصرّح جامعها باسماء اصحابها . وهي بالاجمال حسنة الضبط الّا بعض اغلاط طبعيّة لحظناها . والمعجم الذي يلي هذه النخب يحتوي على اخصّ المفردات الوارد ذكرها في النصوص السابقة مشروحة باللغة الروسيّة

AL-FAKHRI : Histoire des Dynasties Musulmanes par Ibn at-Ṭiqṭaqà, tradnit. de l'arabe et annoté par Emile Amar. *Paris, E. Leroux,* 1910, pp. 628

ترجمة فرنسويّة لتاريخ الفخري لابن الطقطقي

تاريخ ابن طقطقى المعروف بالفخري من احسن ما كُتب في اخبار الدولتين الامويّة والعبّاسيّة وقد عرف العلماء الاوربيّون فضلهُ منذ نقل عنهُ امام المستشرقين دي ساسي مقاطيع صالحة في منتخباتهِ الشهيرة . ثم نشرهُ الالماني اهلورت (Ahlwardt) بتمامهِ وعاد بعدهُ المرحوم هرتويغ درنبورغ فكرّر طبعهُ مصحّحاً على عدّة نسخ . وهاك اليوم ترجمة هذا الكتاب باللغة الفرنسويّة للاديب اميل أمار الذي قرّب منافعهُ لمحبّي التاريخ الشرقيّ من الفرنج . وقد راجعنا قطعاً من هذه

الترجمة على اصلها العربيّ فتحقّقنا ان المترجم احسن اجمالًا في نقل الكتاب الى الفرنسويّة وفهم غالباً دقائق الفخري على انّنا لحظنا ايضاً في بعض المواقع خللًا في الترجمة ودونك امثلة على ذلك. قالَ ابن طقطقى (في الصفحة ٢٠٢) انَّ « الخيرات كانت دارّة » في عهد بني عبّاس فترجم هكذا Les bonnes œuvres les biens de toute sorte y abon- والصواب jaillissaient d'abondance daient وترجم البيت الآتي (ص ٢٠٣) « ذلّها اظهر التودُّد منها ويها منكم Leur humiliante défaite leur a » (lisez: كجزّ المواسي) كجزّ المواسي fait prendre le masque de l'attachement, mais il garde contre vous une haine bien vivante comme une blessure au rasoir La faiblesse (de la dynastie abbasside): والمعنى الصحيح هو هكذا l'a forcée à user de douceur, mais (en réalité) elle vous garde une haine profonde comme serait celle d'une lame de rasoir. وكذلك لم يحسن ترجمة بيت السنّاح (ص ٢٠٤): « بني اميّةَ قد افنيتُ جمعكمُ فكيف لي منكم بالاوّل الماضي ». فقال في ترجمة الشطر الثاني ah ! que n'ai-je pas eu à souffrir de vous au commencement dans le passé والمعنى الصحيح هو: comment pourrais-je (que ne puis-je) atteindre le premier qui a autrefois fondé votre dynastie وغير ذلك ممّا لا يسعنا تعدادهُ. وعلى كل حال اوجب المترجم بعمله علينا شكرهُ لاسيما وقد ذيّل ترجمتهُ بالحواشي والملحوظات المفيدة وختم كتابهُ بفهرس واسع للاعلام ل. ش

Saglio-Pottier, Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, Fasc. 47 (Textrinum-Tibia), 138. grav., *Hachette*, 1913

الجزء ٤٧ من معجم العاديّات اليونانيّة والرومانيّة

تتوالى اجزاء هذا المعجم النفيس بنظام وهي كلّها على وتيرة واحدة من الحسن والاتقان ولا يمرّ علينا سنتان حتى يبلغ العمل الى النجاز فيذخر لعلماء فرنسة ذكرًا مخلّدًا. وفي هذا الجزء قد اوقفت ابصارنا بعض المواد التي تستحقّ بالخصوص شكر الاختصاصيين منها مادّة (Tibia) اي الزمّارة والشبّابة للسيوت ويناخ (Th.

(Reinach الذي مع اتقانهِ لتاريخ العاديات يعرف الموسيقى ادقّ المعرفة . ثمّ مادّة (TEXTRINUM) للمسيو شابو (V. Chapot) تتمّة مقالة باشر بها في القسم السابق عن الانسجة والاقمشة ولهُ ايضاً مادّتان اخريان في البنايات المقبّبة (THOLUS) وفي العروش (THRONUS) شرحهما بالتدقيق والعلم الواسع . ومما اعجبنا ايضاً مادّة عصا الاله باخوس (THYRSUS) للمسيو ا . ج ريناخ (A.-J. Reinach) ومادّة الحمّامات (THERMÆ) للمسيو برنوا (T. Renoit) ومادّة مرسح (THEATRUM) للمسيو نافار (O. Navarre) اتّسع فيها في وصف المراسح اليونانيّة والرومانيّة . ومادّة كنوز ومدافن (THESAURUS) لسورلين درويني (Sorlin - Dorigny) ومادّة تيساوس احد ملوك اثينا المزعومين (THESEUS) واخيرًا مادّة الجمعيّات الذهبيّة (THIASOS) لمسيو لوكريفان (Ch. Lécrivain) وفي هذه المقالة عدّة معلومات عن الجمعيّات الشرقيّة الدينيّة الشائعة في العالم الرومانيّ وما يختصّ بالشيع الشرقية . فترى غنى هذا المعجم وعظم فائدتهِ لكل من يريد ان يقف على علوم الرومان واليونان

ر . س

A descriptive List of the Arabic Manuscripts acquired by the Trustees of the British Museum since 1894, compiled by A. G. Ellis and Edw. Edwards, *London*, 1912, pp. 111

وصف المخطوطات العربيّة الداخلة في خزانة المتحف البريطاني منذ سنة ١٨٩٤

كان المستشرق الشهير وليم كورتون (W. Cureton) باشر منذ سنة ١٨٤٦ بطبع قائمة المخطوطات العربية المصونة في المتحف البريطانيّ في لندن فوصفها وصفاً محكماً في اللاتينية ثمّ عاد الى العمل سنة ١٨٥٢ بمساعدة العلّامة شرل ريو (C. Rieu) ثمّ اكمل هذا الوصف الدكتور ريو المذكور سنة ١٨٧١ فكان مجموع ما وصف كلاهما من المخطوطات يبلغ ١٦٥٣ مخطوطاً . ثمّ حصل المتحف المذكور على مخطوطات عربية جديدة فعهد اربابهُ وصفها الى همّة ش . ريو الذي قام بعملهِ احسن قيام سنة ١٨٩٤ فوصف بالانكليزيّة ١٢٩٠ مخطوطاً مدارها في كلّ العلوم العربية . ووصفهُ يُعَدّ آيةً في بابهِ لضبطهِ ودقّتهِ . ومذ ذاك الحين لم يزل المتحف البريطاني يقتني تآليف خطّيّة جديدة كنّا نودّ لو يصفها احد العلماء فقام بهذه المهمّة

اثنان من ناظري المتحف المذكور احدهما المستر ا. ج. اليس الذي اجتمعنا به غير مرّة في لندن واختبرنا همّته. وليس وصفهما كاوصاف الدكتورين كورتن وريو في الافادة وانّما هو عجالةٌ ريثما يتولّى العمل احد المستشرقين. ومع هذا فالقائمة كافية لمعرفة اسماء الكتب الجديدة ومؤلّفيها ومواضيعها وسنة كتابتها فضلًا عن ثلاثة فهارس تسهّل التفتيش وتعرّف اسماء المؤلفين. فشكرًا لمن عرّفنا بهذه الكنوز الادبيّة ل. ش

L'Epitre au Fils du Loup par Bahaou'llah. Traduction française par **Hippolyte Dreyfus**, *Paris, H. Champion,* 1913, XVIII, 125

رسالة بهاء الله الى ابن الذئب

وما ادراك من هو ابن الذئب؟ هو السيّد المجتهد المعروف بالشيخ باقر الاصفهاني كان يتولّى قبل ثلاثين سنة عمل مدينة اصفهان فتشدّد على بعض المتشيّعين للشيعة البابيّة وقتل منهم قوماً فدعاهُ البابيّون باسم ابن الذئب. ولمّا كانت السنة ١٨٩٠ وجّه اليه منشئ الشيعة ومعبودُها بهاء الله رسالةً كانت آخر كتاباته المعدودة لدى انصاره كوحي الهي ولم يلبث ان مات في عكّا سنة ١٨٩٢. فمن يتصفّح هذا الكتاب يتحقّق ما كان عليه بهاء الله من الإعجاب بنفسه فحدا به الكبر الى ان يدّعي بحلول اللاهوت فيه فيفوه بأقوال تنبئ بوحي الله اليه يضمّنها مواعيد لشيعته وتهديدات لمعاديه واوصافاً لاحواله مع الله الحالّ به. فغاية ما يقال في هذا الكتاب انّ صاحبهُ ضالّ او مضلّ وكلتا الحالتين تدعو الى اسف على من بُلي بهما ل. ش

Kitab al Ṭawâsîn par Aboû al Moghith al Ḥosayn ibn Manṣoûr al Hallâj, publié par Louis Massignon, *Paris, P. Geuthner,* 1913, pp. 220

كتاب الطواسين لابي المغيث الحسين بن منصور الحلّاج

في سنة ٣٠٩ (٩٢٢ م) قتل الخليفة المقتدر في بغداد تمثيلًا وصلباً وحرقاً احد مشاهير المتصوّفين الشهير بالحلّاج. وقد كان هذا الرجل طاف بلاد الاسلام وهو يتعاطى الزهد ويذهب مذهب الصوفيّة ويكتب ويخطب في الناس وقيل انهُ ادّعى

انَّ الالهيَّة حلَّت فيهِ فتتلمذ لهُ كثيرون حتى خاف الخليفة من فتنتهِ وامر بقتلهِ بعد مناظرتهِ . على انَّ سيرتهُ بقيت بعد موتهِ كلغز لم يفكَّهُ معاصروهُ فمنهم من زكَّاهُ ومنهم من عدَّهُ مستنوياً خدَّاعاً . وقد خلَّف الحلَّاج عدداً عديداً من التآليف التي اخذت معظمها ايدي الضياع . الَّا ان جناب المستشرق الشهير لويس ماسنيون احد اساتذة الجامعة المصريَّة في هذا العام قد وقف لهُ على كتاب يُدعى بالطواسين ورد ذكرهُ في قائمة الفهرست لابي الفرج ابن النديم فاحبَّ نشرهُ وترجمتهُ الى الفرنسويَّة مع بيان صحَّة نسبتهِ الى الحلَّاج واضافة عدَّة شروح اليهِ منقولة عن كتب قديمة فارسيَّة وعربيَّة . والغاية التي توخَّاها جناب الاستاذ بنشر هذا الاثر اماطة القناع عن محيَّا ذاك الرجل الغريب وتعريف كنه تعاليمهِ . واملنا عظيم في انَّهُ يفوز بغايتهِ ويستحقّ بذلك ثناء المغرمين بمعرفة اصحاب البدع وزعماء النحل المذهبيَّة ل . ش

تاريخ الصحافة العربيَّة

بقلم الفيكونت فيليب دي طرازي

الجزء الاوَّل . طبع في المطبعة الاديبيَّة سنة ١٩١٣ (ص١٦٠)

ليست الصحافة العربيَّة عريقة في القدم وقد اتَّسع مع ذلك نطاقها حتى كادت الصحائف تضيق عن استيعاب تاريخها . وعليهِ قد استحقّ جناب الفيكونت فيليب دي طرَّازي ثناء العموم اذ تفرَّغ لوضع تاريخ قائم بذاتهِ يشمل اخبار هذا الفنّ المستحدث الذي لم يعرفهُ قدماء العرب . وليس العمل بقريب المنال رغماً عن قرب عهد الصحافة فكم من الجرائد والمجلَّات لم يكد علماؤنا يعرفون اسماءها لقلَّة شيوعها او لقصر اعمارها وان عرفوا اسماءها عدُّوها من الاوراق المنسيَّة التي لم ينظروها بامّ العين . فجناب وطنيّنا الهمام رأى في هذا العمل مأثرة يشكرهُ عليها الباحثون عن تاريخ النهضة الادبيَّة في بلادنا فضلًا عن المستشرقين فلم يدَّخر وسعاً في استحضار كلّ المعلومات لتسطير هذا التاريخ بضبط ودقَّة وجمع نحو ١٢٠٠ صحيفة او مجلَّة ليستعين بها لادراك وطرهِ فاصاب الهدف . وها هوذا قد انجز الجزء الاوَّل من هذا الكتاب الفريد الذي وجدناهُ حافلًا بالفوائد عن مبادئ الصحافة العربيَّة ثمَّ عن رقيّها في طورها الاوَّل اعني من السنة ١٧١٩ حيث انشأ الجنرال بونبارت في مصر « الحوادث اليوميَّة » فعهد انشاءها الى السيّد اسمعيل بن سعد الخشَّاب الى السنة ١٨٦٩ . ولم

يكتفِ جناب المؤلف بذكر كلّ جريدة باسمها مع بيان تاريخ نشأتها ومكان صدورها بل كثيرًا ما اضاف الى ذلك تعريف خطّتها وترجمة اصحابها مع صور اربابها او عاضديها وقد احسن باضافة الفهارس المفيدة في آخر الكتاب ويا ليتهُ افرز للمجلّات والجرائد فهرساً مفردًا فلا تُخلطَ مع الاعلام. وهذه الاعلام عينها الاولى نظمها على ترتيب الاسماء الشائعة دون الاسم الشخصي كنظم جرجس زوين في الزاي وبطرس كرامهِ في الكاف اذ الكلّ يعرفون زوين وكرامه ولا يعلمون انّ اسم الاوّل جرجس والثاني بطرس . وهذه امور يسهل استدراكها في جزء آخر فنثني على هذا التأليف اطيب الثناء ونتمنّى لهُ رواجاً عظيماً ل.ش

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

القسم الاوّل . في تاريخ النصرانيّة وقبائلها في عهد الجاهليّة

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٥٢)

كان حقّ هذا الكتاب أن يُقدَّم على تأليفنا شعراء النصرانيّة لولا انّ كثرة الاشغال حالت دون رغبتنا في نشرهِ سابقاً . وهذا القسم الاوّل منهُ هو تاريخيّ بحتٌ جمعنا فيه اقدم شواهد كتّاب السريان واليونان والرومان والعرب عن دخول النصرانيّة في جزيرة العرب وانتشارها في انحائها حتى اقصى اطرافها ونفوذها بين قبائلها في القرون التي وسمها البعض زورًا بعهد الجاهليّة . فلا شكّ انّ الذي يطالع فصول كتابنا المدعومة الى اوثق الاسانيد يأخذهُ العجب من شيوع الدين المسيحيّ في احياء العرب قبل الاسلام . وفي قسم ثان نبيّن ان شاء الله ما خلّفهُ اولئك النصارى من الآثار الباقية حتى زماننا

الرجل الواقف

وهي الرواية الرابعة من روايات البشير تعريب القس مبارك ثابت اللبنانيّ

بيروت المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين سنة ١٩١٣ (ص ٢٤٢)

انّ الروايات لا تجدي في الغالب نفعاً كبيرًا الّا انّها تساعد القرّاء على تقطيع وقتهم في عالم الاوهام ويا ليتها لا تصوّر لقارئها الاهواء الباطلة وتحرّك في قلبهِ الشواعر السافلة البذيئة كما هو الجاري في كثير منها . وهذه رواية الرجل الواقف

مبنيّة على اشرف عواطف القلب البشريّ التي ينعشها روح الدين وتحييها المروءة الصادقة وتبلّغها الفضيلة اقصى درجة الايثار . فنشكر حضرة المعرّب لهذه الرواية ونحضّ محبّي القصص على التفكّه بمواضيها ل . ش

صديق العائلة

نهنّئ حضرة الآباء الكبوشيين لنشرهم مجلّة صديق العائلة فجاءت مأثرة جديدة تُضاف الى مآثرهم السابقة . وبها زاد عدد المجلّات الكاثوليكيّة التي سبق لنا تعدادها في المشرق سنة ١٩١١ (١٤ : ٦٣٨,٧٧) بارك الله في كلّ فاعلي الخير

الروزنامة السليميّة

هو جدول لطيف لسنين القرن العشرين مع جدول الشهور وجزّار لايّام الاسبوع يمكن الاستدلال بها على الايّام التي وقعت فيها الحوادث بعد معرفة السنين والاشهر الجارية فيها . وقد طبعت هذه الجداول طبعاً متقناً بالحرف الاحمر والخطّ البديع بهمّة جبرائيل افندي فارس الخوري الخنّار في بيروت فنثني على ذكائه وحسن عمله

هدايا أُرسلت الى ادارة المشرق

١ رسالة رعائيّة لسيادة القاصد الرسولي على سوريّة الاخ فريديانو جيانيني رئيس اساقفة سرّه بمناسبة الصيام الاربعيني لسنة ١٩١٣ في الرّبين (مطبعتنا الكاثوليكيّة)

٢ منشور عموميّ وجّهه غبطة السيّد الجليل مار يوسف عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى عموم طائفته بمناسبة دخول السنة الجديدة ١٩١٣ (في الموصل)

٣ منشور سيادة المطران الجليل اثناسيوس صوايا متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعهما بندبة طليعة الصوم في الكنيسة وصفاقا (مطبعة القديس بولس في حريصا)

٤ رسالة رعائيّة في واجبات كهنة الرعايا لسيادة المطران بولص عوّاد رئيس اساقفة قبرس (في مطبعتنا الكاثوليكيّة)

٥ تقرير جمعيّة الملجأ الصحّي الثدري في ظهر الباشق قرب قرية رومية لبنان ١٩١١–١٩١٢ (مطبعة الحسناء في بيروت)

٦ التقرير الثالث لجمعيّة اغاثة المسلول وفيه خلاصة اعمالها لسنة ١٩١٢ (المطبعة الادبيّة في بيروت ١٩١٣)

٧ خطاب السيّدة سلمى صائغ كتّاب في حفلة جمعيّة شمس البرّ عن كون ابناء الفقر اكثر تأثيراً في ترقية الهيئة الاجتماعيّة من ابناء الغنى (مطبعة الحسناء)

٨ نبذة مختصرة في الصحف العربيّة المصوّرة بقلم التيكونت فيليب دي طرّازي (المطبعة الكاثوليكيّة)

٩ الاحتجاج على الاموجاع وهي شكاوي لمالي صاحب الدولة اوخانس قوبجيان باشا بواسطة مكتب المحامي سجعان بك عارج (في جونيه لبنان)

١٠ تعليم دين التوحيد المعروف بدين الدروز (ص ٢٢)

---

1 Notes sur le Dialecte arabe de Bagdad par M. Louis Massignon. *Le Caire* 1912, pp. 24

2 Dr. P. Basilio Cattan : Cenni intorno alla Vita di Mgr Neofito Nasri Vescovo di Saidnaia (*Roma*, 1912, pp. 33)

3 Faculté de Médecine de Beyrouth: Les nouveaux Bâtiments. Construction, Inauguration, *Beyrouth*, *Impr. Catholique*. 1913 pp. 26

4 Bulletin Annuel de l'Association amicale des Anciens élèves de l'Univ. St-Joseph, XIIe année, *ibid.* 1912, pp. 114

شذرات

مريم العذراء ازاء الصليب للاديب سليم أبي رزق احد طلبة مدرستنا الكليّة :

وقفت مريمُ تلقاء الصليبْ مع رسولٍ شاحبِ اللونِ كئيبْ
فبكتْ والقلبُ منها في وجيبْ وعلتها صفرةُ الموتِ الرهيبْ
إذ رأت شمسَ ابنها عندَ المغيبْ

أي بنيَّ الواهبَ الناسَ الحياةْ كيف ترضى الموتَ صلباً كالجُناةْ
أفلا تسمع تعييرَ العُداةْ أوَ لا تُبصر هزءَ الشامتاتْ
نافذًا كالسهمِ في قلبي الكئيبْ

وا حبيبَ القلبِ ما هذي الجروحْ نكأت في مهجتي انكا القروحْ
ما الذي شوّهَ ذا الوجه الصبيحْ ليتني غُيّبتُ في طيِّ الضريحْ
قبلَ أن اشهدَ ذا اليومَ المشيبْ

قد رويتُ الارضَ من سيلِ الدموعْ فعلتْ وجهَ السما آيُ الخشوعْ

كيف لا تهتزُّ اركانُ الربوعْ وحسامُ الحزنِ قد قدَّ الضلوعْ
واضاعَ الصبرَ من كلِ القلوبْ

كبّلوا ربّي باشواكِ القتادْ واتقبوا كفّيهِ يا شرَّ العبادْ
واطعنوا جنبَيهِ بالسُّمر الحدادْ وأذيقوهُ تباريحَ الجهادْ
انه القهّارُ في الدينِ الرهيبْ

ويلَ صبري حين قاسى ولدي ألماً يشفي غليلَ الحُسّدِ
ليتَ صرفَ الدهرِ وارى جسدي قبلَ أن أبصرَ هولَ المشهدِ
بينَ قومٍ ليسَ لي فيهم نسيبْ

خذلتني في بلاني السيّداتْ وجنتني في مصابي النادباتْ
ويحَ قلبي من سهامِ النائباتْ آهِ ما اشقى حياةَ الأمهاتْ
لم يدُرْ في خلدي هذا النصيبْ

يا ملاكَ الربِ نفّسْ كُربتي يا رسولَ اللهِ خفّفْ لوعتي
فلقد أخفيتَ عني محنتي عندما بشّرتني في غرفتي
فدهاني الخطبُ في يومٍ عصيبْ

لم تُخبّرني بكاساتِ الحِمامْ كي أُعِدَّ النفسَ للموتِ الزؤامْ . . .
ثمَّ ناحت واشتكت وقعَ السهامْ واكتسى الحرُّ بجلبابِ الظلامْ
وإله الخلقِ في حزنٍ يُذيبْ

صاحَ: يا قومُ اذكروا صنعَ الجميلْ وانقعوا بالماءِ من قلبي الغليلْ
واحسبوني بينكم كابنِ السبيلْ فلكَمْ ابرأتُ فيكم من عليلْ
ولكَمْ فرّجتُ عنكم من خطوبْ

ثمَّ حانت نظرةٌ منه إلى ذلكَ التلميذِ يبكي مُعْولا
قالَ: لا أترك احبابي الأولى ذقتُ من اجلهم جهدَ البلى
كاليتامى بين أنيابِ الكروبْ

ثمَّ نادى الربُّ: يوحنا الوديعْ هاكَ أُمي انها امُّ الجميعْ
ثمَّ ناجى أمَّهُ نجوى الوجيعْ: هذا يوحنا ابنكِ كفّي الدموعْ
وتبنّي الناس في شخص الحبيبْ

مـذ بغى ماء لإرواء الظما جرّعوه الخـلّ ممزوجاً بمـا
قالَ : لا أشربُ هذا العلقما ثمَّ احنى الرأس طوعاً فارتمى
وافاضَ الروحَ من فوقِ الصليب

يا له من مشهدٍ يدمي العيونْ ويفيض السيلَ من غرب الجفونْ
إن ربَّ المجدِ قد ذاقَ المنونْ بعد أن قاسى تباريحَ الشجونْ
من قُساةٍ أمرُهُ فيهم عجيبْ

رأتِ العذراء اشباحَ الردى في مُحيًّا ربِّهـا بينَ العدى
رُزئت بفقدها نورَ الهدى ثمَّ قالت ليتني متُّ فِدَى
خالقي وابني ومولايَ الحبيبْ

حينما ألقوهُ في وسطِ الضريحْ وقفتْ تبكي وتشكو وتنوحْ
من يداوي قلبيَ المضنى الجريحْ إن قلبـاً ثخُنت فيه الجروحْ
ما له بينَ البرايا من طبيبْ

إن في مهجتهـا الحزنُ طمى وهمى من عينها الدمعُ دما
فترى السلوى لهـا والبلسما أن تذوقَ الموتَ ظلماً مثلما
ذاقه الفادي على عودِ الصليبْ

أمَّ ربي انتِ نبراس الأسى فادفعي بالصبرِ تيّارَ الأسى
فدماء الربِ تحيي الأنفسا وهي تجلو عن حمانا الابؤسا
وتنجي الخلقَ من حرِّ اللهيبْ

كرامات لقداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر قداسة البابا الحالي لا يسوس الكنيسة فقط بحكمة غريبة لكنّهُ قـد استحقَّ ايضاً ان ينال من رأس الكنيسة غـير المنظور ان يجترح معجزات باهرة تأتينا اوثق المجلّات بتفاصيلها: منها خمس كرامات جرت في العام الاخـير كنّا وددنا لو سمح لنا المكان بروايتها المفصّلة نخصّ منها بالذكر شفاء شابٍ اصمّ يدعى بيار دي بومند عمرهُ ٢١ سنة كان فقد السمع تماماً بعد خرق صماخيهِ قبـل سنتين ففي ١٠ من شهر ايلول المنصرم اعاد لهُ البابا سمعهُ بمنحه بركتهِ وتأكيد امّ المصاب انَّ ابنها واثق بشفائهِ على يـد الحبر الاعظم فكان لهُ على حسب ايمانهِ. وكذلك بارك الحبر الاعظم احد السادة اليونان

الكاثوليك المقيم في رومية الذي كان اعتراهُ فالجٌ في جنبهِ الشمالي فشفي من ساعتهِ. وشفى ايضاً راهبة افرنسيسيَّة كان يُنتظر وفاتُها من ساعة الى أُخرى لتدرُّن مزمن في احشائها فحملوها من فيرنسة الى رومية على آخر رَمَق فما دخلت الى مخدع الحبر الاعظم ونالت بركتهُ حتى خرجت وحدها سالمةً ونزلت الدرج دون مساعد وهي اليوم تثني على طبيبها علانيةً — والحبر الاعظم اذا استغرب احدٌ صدور هذه الاعمال على يدهِ تبرَّأ منها ونسبها الى سلطان المفاتيح البطرسيَّة

﴿ هيجان جديد في جرمانيا ضدَّ الجزويت ﴾ كتب السيد هراويني تحت هذا العنوان نبذةً زعم فيها سنداً الى المصادر الفريَّة « بانَّ في جرمانيا حالاً هيجاناً عظيماً ضدَّ الجزويت . وانهُ قد انعقد مؤخرًا ما ينيف عشرين اجتماعاً في كثير من المدن الكبرى اصدرت قرارات إقفال جميع اديرة الجزويت في جميع انحاء جرمانيا » . وهذا الخبر كمثل بقيَّة الاخبار التي ينقلها سيادة المطران هراويني عن الكثلكة والجزويت خالٍ من الصحَّة لانَّ كلًّا يعرف انَّ اليسوعيين لا دير لهم في جرمانيا منذ طردهم بسمرك ظلماً سنة ١٨٧٠ . امَّا الاجتماعات التي ذكرها سيادتهُ فهي للبروتستانت ومعلوم انَّ البروتستانت لا يحبُّون اليسوعيين الذين يقاومون تعاليمهم الباطلة . وما كان الاجدر بهِ ان يذكر لا عشرين اجتماعاً بل مئة للكاثوليك يطلبون فيها رجوع اليسوعيين الى جرمانيا . فهذا دليل جديد على انصاف السيد هراويني هداهُ الله !

﴿ سؤال لمجلَّة الهلال ﴾ روى صاحب الهلال في عددهِ السادس (مارس ١٩١٣ ص ٣٢٤) انَّ « في البطركخانة المارونيَّة رسالةً من لويس التاسع ملك فرنسا في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد يوصي فيها خيراً بالموارنة ويعدُّهم من الفرنساويين » الى ان يقول مخاطباً البطريرك « نعاهدكم نحن ومن يخلفنا على عرش فرنسة ان نحميكم انتم وجميع شعبكم كما نحمي الفرنساويين ونسعى دائماً في سبيل سعادتكم » . فنطلب الى كاتب هذه الاسطر ان يزيدنا علماً في ما روى وهل يعرف الرسالة ؟ ومن اعلمهُ انَّها في البطركخانة المارونيَّة ؟ وان كانت في مكتبة اخرى أيمكنهُ ان يذكر لنا نصَّها الاصليَّ الذي طالما بحثنا عنهُ وتشوَّقنا الى معرفة حرفهِ الواحد فاذا دلَّنا عليهِ نشرنا رسمهُ بالفوتغراف في مجلَّتنا لانَّهُ من اعظم الآثار

﴿ عقد الزواج عند بعض الطوائف المسيحيَّة ﴾ هو عنوان مقالة لصاحبة فتاة الشرق ومحرّرتها لبيبة هاشم تطاولت فيهِ على احد اسرار كنيستنا الكاثوليكيَّة وهي لا تدرك من امرهِ شيئاً . فدونك ما كتبت واحكم عن طول باعها في شرح الاسفار المقدَّسة قالت:

« دُعيت في هذه الايَّام لحفلة زفاف فاستلفت افكاري منها قول الكاهن للعروس: «اخضعي لرجلكِ كما تخضع الكنيسة للمسيح فانَّ الرجل رأس المرأة كما انَّ المسيح رأس الكنيسة » وفي عبارة اخرى: ادعيهِ لكِ سيّدًا . فكان لهاتهِ الكلمات تأثير عظيم على سمعي عقبهُ ضحكة هزءٍ واستخفاف وتلاها زفرة اسف واشفاق مني . ذلك لعلمي انَّ مثل هذه الآيات المناقضة للطبع وللعقل لا يكون لها اقلّ تأثير في حياة الازواج » . . . (الى ان قالت) « انَّ تلك العبارات يلطم بها الكاهن قلب المرأة الرقيق » . . . (ثمَّ اتت بهذا الاعتراض) « وربَّ معترضٍ من رجال الدين يقول انَّ ذلك من جملة القوانين الكنسيَّة التي نظمها الرسل بالهام من الله فلا يمكن تغييرها وعلى ذلك اقول انَّ الله سبحانهُ وتعالى الهم الرسل الى ترتيب تلك القوانين بما يلائم حالة البشر وتأخرهم في ذلك العهد ولكنهُ لم يأمرهم بالمثابرة عليها في الازمنة المستقبلة لعلمهِ بما سوف يحدث من التغيير الذي يدعو الى اصلاح تلك الشرائع بدليل قولهِ لهم: كلّ ما تربطونهُ على الارض يكون مربوطاً في السماء وكلّ ما تحلّونهُ على الارض يكون محلولاً في السماء . . . »

قرأنا هذه النبذة فقلنا ما احراها ان تعقب فينا ايضاً « ضحكة هزءٍ واستخفاف تتلوها زفرة اسف واشفاق » . وان قيل : انَّ هزءَ كاهن واستخفافهُ بالجنس اللطيف مثافٍ للادب قلنا : انَّ هزءَ امرأة واستخفافها بكلام الله وصلوات الكنيسة وهي لم تدرك معناها بل نزعتها عن قرائنها لأنفى من الادب فضلاً عن كونهِ نهاية في الكفر فكيف تزعمين ايَّتها السيدة ان في هذه اقوال الكنيسة استعبادًا للمرأة فاين شممتِ من اقوالها كلمة هوان وتذليل ؟ أترين ان خضوع المرأة لزوجها استعباد فكلُّنا اذن عبيد اذا خضعنا لسلطة شرعيَّة . زه ا زه ! ألا تعلمين انَّ العائلة اوَّل المجتمعات الانسانيَّة وانَّهُ لا يمكن ان يكون في ايّ مجتمع كان رأسان فان كان في العائلة حقٌّ للرئاسة فالى من يعود ؟ أالى المرأة الضعيفة المحتاجة الى سند ومدافع عن حرمتها او الى رجلها وصاحب مجدتها ؟ وكيف ظننتِ انَّ خضوع المرأة لزوجها يمنع كونها شريكة لهُ في حياتهِ تساويهِ منزلةً في الشرف والآداب والاخلاق ؟ ألا يكفي للمرأة ان تكون في العائلة بمثابة القلب بينما يكون زوجها بمثابة الرأس وكما لا يستغني الرأس عن القلب فلا يستطيع القلب ان يحيا بلا رأس . وان كان هذا الرأس

مثالهُ المسيح افتتذلّل المرأة بطاعتها لزوجها وهي تعلم انَّ الرسول يأمر زوجها بان يحبّها ايضاً كما احبَّ المسيح الكنيسة وبذل نفسهُ دونها. فايم الحقّ كان يجب على كل مرأة تعقل ان تجثو شاكرة لفضل الكنيسة التي وحدها شرّفت جنسها واعادتهُ الى مقامهِ الرفيع. فهما صنعت المرأة لا مناص لها الّا ان تكون خاضعةً لزوجها كما ورد في بدء سفر التكوين. فالرجاء منكِ أيّتها السيّدة اذا احببتِ الكتابة ان لا تتجاوزي طوركِ فاكتبي عن الازياء والمودات ما شئتِ ولكن لا تخبطي في ما ليس هو من شأنك لتعرّفي ارباب الدين ما يجوز وما لا يجوز وترشديهم الى شرح الكتب المقدّسة كأنّهم هم ولاة الدين يربطون ويحلّون دون تمييز ودون قواعد ثابتة لا يستطيع بشر تغييرها

منشور الى عموم ابناء الوطن هو منشور لسيادة جراسيموس مسرّة مطران بيروت على الروم الارثدكس يدعو فيها المحسنين من كلّ الطوائف الى مساعدة عيال الجنود الابطال الذين قُتلوا في ساحة الحرب البلقانيّة. وهي مرّة ثانية استحقّ سيادتهُ شكر العموم لاريحيّتهِ في تخفيف بلايا الاهلين الذين ضحّوا اولادهم في سبيل الوطن ويا ليت سيادتهُ يسرد لنا اسماء اولئك الابطال ليبقى ذكرهم مكتوباً في صفائح القلوب. وامّا من المطران رفائيل هواويني ان لا ينسب عمل سيادة رصيفهِ الى مساعدة الهلال على الصليب كما كتب آخرًا عن قداسة الحبر الاعظم (راجع الصفحة ٢٣٣)

تعدُّد الآلهة: جواب اوّل على المقتطف وقف الاديب انيس الخوري من تلامذة كليّتنا على ما كتبهُ المقتطف في تعدُّد الآلهة فكتب الينا ما يأتي:

«اني لستُ دكتورًا في الفلسفة كصاحبَي المقتطف ولكن اخذني العجب ممّا كتباهُ في مجلّتهما في هذا العدد ونحن نكتفي اليوم ان نلقي عليهما الاسئلة الآتية نرجوهما ان يجيبا عليها. ١. أيقرّان بان العقل يستطيع ان يرقى بنوره الطبيعيّ الى معرفة وجود الله او لا؟ ٢. فان اجابا بالايجاب فنسألهما أهذا الاله الذي يؤكّد العقل وجودهُ ألا يقرّر ايضاً بانّهُ واجب الوجوب قائم بذاتهِ كامل الصفات غير متناهٍ العلّة الاولى لكلّ الموجودات حرّ بعملهِ قادر على كلّ شيء؟ فان انكرا انحصما التاريخ واقوال قدماء الفلاسفة. وان قالا بالايجاب فلا بدَّ ايضاً ان يسلّما بأنَّ العقل يثبت وحدانيّة الله كما يثبت الصفات المذكورة لانَّ هذه الصفات لا يمكنها ان تقوم بتعدد الآلهيّة كما يظهر لكلّ من يعقل. امّا المثل الذي ضربهُ صاحبا المقتطف

عن وجود جوهرين متماثلين من الذهب او الفضة فهو اعتراض صبياني تتعجب كيف عرض انكر الكاتبين كأنهُ يمكن المقابلة بين جواهر مادية متناهية والجوهر الروحاني الغير المتناهي الجامع لكل كمال »

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب توما افندي كيّال عن بيتين رويناهما (في المشرق ١٥ : ٥٤٧) عن ابن ابن خُرَيم في خمرة التقديس فطلب في اي جزء من الاغاني وردا

بيتان لأبن بن خُرَيم

ج وردا في الاغاني (ج ١٦ ص ٤٥) وفي معجم البلدان (٢ : ٥١)

س وكذلك سأل من مالطة حضرة الخوري جرجس البحلاني من هو ناظم الابيات الآتية التي وُجدت على صفيحة قبر في متحف تلك الجزيرة بخط كوفي تاريخ كتابتها سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) :

أنظر لنفسك هل في الارض من باقي ... او دافع الموت او للموت من راقي
الموت اخرجني قسرًا (قهرًا) فيا اسفي ... لم تنجني منهُ اثوابي اغلاقي (١
وصرت مهتًا (٢ بما قدَّمتُ من عملٍ ... عصىً عليَّ وما خلَّفتهُ باقي
يا من رأى القبر اني قد بنيت (٣ بهِ ... والترب غير اجفاني وآماقي
في مضجعي ومقامي في البلا عبرٌ ... وفي نشوري اذا ما جاء خلَّاقي

ج لم نعرف قائل هذه الابيات ومثلها كثير على القبور لا يعرف اصحابها فنشكر سلفاً من امكنهُ ان يفيدنا شيئاً عن ناظمها والبيت الثالث مكسور

س سأل احد تلامذتنا الروم ما اصل السلالة الروسيَّة المعروفة برومانوف ومتى ضبطت ازمّة التدبير في تلك الدولة

سلالة رومانوف

ج جدُّها الاعلى مهاجر روسيانيّ اسمهُ اندراوس كوبيلا دخل روسيَّة في القرن الخامس عشر . ولم يزل ابناؤهُ وحفدادهُ يتقلَّبون في خدمة الدولة حتى جلس الواحد منهم المسمَّى فيدور نيكيتيش على كرسي موسكو فسعى بجعل السلطة في ايدي ابن كان ولد له قبل دخولهِ في سلك الرهبان اسمهُ رومانوف وتمَّ ذلك سنة ١٦١٣ واليهِ ينتسب قياصرة روسيَّة . وكانت السنة الحاليَّة تذكار المئة الثالثة لهذا الواقع المهمّ فأُقيمت الحفلات في روسيَّة بسببهِ ل . ش

١) اصلح : اغلاقي ٢) الصواب : رهنًا ٣) الصواب : ثويتُ

المشرق

يوبيل

اخويّة العملة البيروتيّة

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

لو اقبل رجل من اهل الثغر في ظهيرة كلّ يوم أحد الى مقام كنيستنا البيروتيّة لرأى عدداً وافراً من عمّة البلد يتزاحمون عند مدخلها واكثرهم لابسون ثيابهم المتينة بحالة فقرهم الّا انّها نظيفة لائقة بيوم الربّ وهي افخرُ ما لديهم

فان سألت مَنْ هولاء القوم وماذا يقصدون بدخولهم الى الكنيسة اجابك كلّ منهم بلا تلجلج: انّنا قدمنا لحضور اخويّة العملة المنسوبة الى الامّ الحزينة

فادخل ان شئتَ معها تجدهم ينفذون الى كنيسة المدرسة فلا تلبث حتى تغصّ بهم مع رحبها . ثمّ تبتدئ بعد قليل رياضات تقويّة يتلونها جملةً ويعقبها خطابٌ دينيّ يلقيه عليهم مرشدهم احد آباء الكنيسة وتُمنَح في اثره بركة القربان الاقدس او تُرَيَّح صورة الامّ الحزينة بينما تصدح موسيقى الاخويّة ويتغنّى القوم بملء فيهم ومن صميم قلوبهم بمديح العذراء الطاهرة او ينشدون الاناشيد الروحيّة التي تُعرب عن ايمانهم وتقاهم . فاذا تمّت الحفلة انفرط سلك جمعهم وعادوا الى بيوتهم يتحادثون عمّا رأوا وما سمعوا بينما تتفاوض العمدة مع المرشد في شؤون الاخوة

فهذه الاخويّة قد بلغت في العام الحالي السنة الخمسين لانشائها وهي ثابتة في رياضاتها المبرورة واعمالها المشكورة فأحبّت ان تستوقف سيرها حيناً لتنظر ما قطعتهُ من الشوط ليس مللاً او تباهياً بل لتشكر الله على ما اسبغ عليها من النعم وتجديداً

لتواها بذكر من سبق فتقدّس في هذه الشركة الصالحة فتستأنف سيرها بنشاط مقتفية لآثارهم جارية على امثالهم . فتحقيقاً لهذه الغاية نذكر اوّلاً لابنائها الاب الذي اختاره الله لينشئ جمعيّتهم ويؤلّف شتاتها بهمّته ثمّ نبيّن كيف قام هذا العمل على يده فنمت حبّة الخردل وزكت واضحت شجرة باسقة ممتدّة الاغصان وارفة الظلّ ونختم بذكر المشروعات التي لحقت بهذه الاخوية والفروع التي تفرّعت منها فعاد اليها فضلها

١ منشئ اخوية الامّ الحزينة

أترى هذه الصورة التي اثبتنا لك رسمها في مفتتح مقالتنا . تأمّلها تجدها ممثلة للحزم والرقّة للشدّة واللطف معاً . جبهة واسعة مرقومة عليها الروّية والتفكير في المساعي الصالحة . عينان زرقاوان تنفذان الى قلب الناظر . ثغر باسم يجذب اليه من يراه . وجنتان قاحلتان كانهما لاحد نسّاك البراري او زهّاد الصعيد . بنية مهيبة وقامة طويلة كما لرئيس جيش تسعى وراءه جيوش منظّمة يقودها الى الحرب والانتصار

تلك صورة منشئ اخويّة الامّ الحزينة الطيّب الذكر الاب يوحنّا فيوروفتش الدلماطي الراهب اليسوعي والمرسل الغيور

بلاد دلماطية داخلة في اعمال النمسا وهي مجاورة لبحر الادرياتيك بازاء ايطالية ومعظم اهلها من العنصر الصقلبي كأهل الاقطار المجاورة لها من كرواتية والجبل الاسود والصرب وهم القوم المتازون باصالة الرأي والنشاط والثبات في العمل . ولمجاورة الدلماطيين البحر قد اعتادوا في كلّ آن خوض غمراته سواء كان للارتزاق من الصيد او لتجشّم الاسفار البعيدة تزاد ذلك في جلدهم وقوّة بنيتهم

ففي حاضرة تلك البلاد وفرضتها الكبيرة على البحر المدعوّة راغوزة كان مولد يوحنّا فيوروفتش في ٢٠ ك ١ سنة ١٨١٩ وكان ابواه كاثوليكيين لكنّ حروب تلك الازمنة كانت نكأت فيها وألصقتهما بالدقعاء . فنشأ الولد فقيراً يتحمّل في صغره مضض العوز والفاقة كأنّ الله اراد ان يذيقه منذ نعومة اظفاره مرارة الفقر ليشفق بعدئذٍ على ذوي البأساء

فما بلغ الحدث سنّ الرشاد وارتشف جرعة من مبادئ العلوم حتى اضطرّ والده الى ان يختار له حرفة يرتزق منها ويلطّف نوعاً اعباء الفقر عن عائلته . فلبّى الصغير الى

دعوة والده وبعد التجربة وجد ان الملاحة احسن فن يزاوله فاخذ مذ ذاك الحين يتجول في سواحل وطنه في خدمة غيره من البحريين يقذف القوارب وينصب الشراع ويكافح الرياح ويصادم تيار البحر حتى اصبح بعد قليل من احذق مواطنيه في فنه فاتخذ له سفينة شراعية على حسابه وجعل يتنقل في البلاد المجاورة ثم استسلم للعناية الالهية وابعد في اسفاره حتى بلغ الى سواحل ايطالية ثم تخطى الى شواطئ تركية بل الى ثغور سورية فزارها كتاجر قبل ان يتعاطى فيها تجارة اعظم واشرف فيبتاع للسماء دروراً ثمينة تردان بها ديار الخلود

وكان جهاد يوحنا في سبيل المعاش وركوبه البحار ومعاناته للمشاق والمخاطر في زمن كانت البواخر قليلة قد قوى جنانه وصلب اعضاءه وضاعف عزائمه فكان يزدري بالاخطار ويبطش بكل من حاول التعرض له في مزاولة اشغاله وكان مع ذلك رقيق القلب لا يرى بائساً الا تعطف عليه وبره على قدر استطاعته فاستحق ان يرحمه الله كما رحم قريبه

بقي يوحنا عشرين سنة يمارس تلك المهنة الشاقة وهو لا يكاد يبالي بامر نفسه ولا يفكر الا في الربح الزمني غير انه كان يلوذ من حين الى آخر بحماية مريم العذراء الملقبة بنجمة البحر ولا سيما اذا أصيب بنكبة عظيمة. وذلك ما حدث له يوماً اذ ثارت على سفينته الانواء ليس بعيداً عن الاستانة وقويت عليها الرياح فزقت الشرع وصدمت السفينة بالصخور فتحطمت ولولا شفاعة السيدة البتول التي استغاثها لذهب الربان ضحية ذلك النوء الهائل فنجا بعد شق النفس والتجأ الى دير قريب للآباء اللعازريين الذين رثوا لحاله واووه مدة حتى ثابت اليه قواه وامكنه ان يعود الى شغله

لكن هذا الحادث كان استوقف فكرته واثار عقله فادرك عطب هذه الحاضرة وشرف الحياة الآخرة فرحض نفسه بالاسرار المقدسة ورجع الى وطنه ليمارس حرفته بتقى لكنه كان لم يزل يشعر في قلبه داعياً يبغض اليه حطام الدنيا ويدفعه الى الزهد بها حتى قرأ يوماً فصلاً من كتاب الاقتداء بالمسيح اثر فيه اي تأثير فحمله الى تحقيق نيته وبعد ان طلب مشورة احد الرهبان الفرنسيسيين سافر الى رومية واعتزل بضعة ايام في احد اديرة الآباء اليسوعيين منقطعاً الى الرياضات الروحية رغماً عما كان يجد في ذلك من الثقل والملل لكنه لم يلبث ان عرف دعوته وشعر في نفسه بفرح

وسكينة ضمير لم يألفهما سابقاً فطلب الانضواء الى الرهبانية اليسوعية فأُجيب الى ملتمسه في ٤ من شهر ايار سنة ١٨٥٢ فعدَّ تلك النعمة من سوابغ نعم الله عليه وانقلب رجلاً جديداً في المسيح

وكان الرئيس العام على الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ذاك الوقت رجلاً عريقاً في البرّ والصلاح اسمهُ الاب بطرس بكس فاستدعى الطالب الجديد واذ تحقَّق دعوتهُ وما طُبع عليهِ من السجايا الطيّبة الموافقة للرسالات الاجنبيَّة وعرف انَّهُ سافر الى سوريَّة عرض عليهِ ان يُعدّ نفسهُ للاعمال الرسوليَّة في تلك البلاد . وكانت الرسالة السوريَّة اذ ذاك حديثة العهد وهي في حاجة ماسة الى مرسلين غيورين يشتغلون بنشاط في كرم الربّ . فسُرَّ يوحنَّا بما قيل لهُ ودخل في اقليم ليون الذي عُهدت اليه شؤون تلك الرسالة

قضى يوحنَّا ستَّ سنوات في فرنسة ليعمّق في قلبه اساس الفضائل الرهبانيَّة التي تؤهّلهُ لاعمال المرسلين وكان رئيسهُ في دير الابتداء راهباً بالغ القداسة وهو الاب دي فورستا (de Foresta) منشئ المدارس الرسوليَّة التي اغنت الرسالات الاجنبيَّة بعدد عظيم من اماثل المرسلين فهذا معلم السيرة الروحيَّة وطّد في قلب تلميذهِ فيروفتش دعائم الفضيلة وبذل الذات . واذ فتكت الحمّيات الخبيثة بعدد من المبتدئين لم يجد الاب دي فورستا مساعداً اعظم في تمريضهم من يوحنا فكأنهُ وطّن نفسهُ مذ ذاك الحين على خدمة المطعونين كما فعل في سوريَّة غير مرَّة

وبعد تجازهِ رياضات المبتدئين ابرز نذورهُ الاولى ثم انقطع مدَّة اربع سنوات فقط الى درس الآداب والفلسفة واللاهوت فنال منها حاجتهُ لخدمة النفوس في الرسالات دون ان يتعمَّق بها كما هو شأن الرهبان اليسوعيين الذين يقضون في إحرازها عشر سنوات وانَّما تساهل الرؤساء معهُ في ذلك لتقدمه في السنّ ولحاجة رسالة سوريَّة الى عمَلة جدد

ففي سنة ١٨٥٨ رُقّي الاخ فيروفتش الى درجة الكهنوت المقدَّسة ثمَّ أُرسل الى بلاد الشام فسكن في مدرسة غزير سنتين كمعلّم وناظر على التلامذة وكان في اوقات الفراغ يدرس العربيَّة الَّا انَّ همَّتهُ الاكبر كان ان يترجم عن افكارهِ في هذهِ اللغة دون درس اصولها لزعمه انَّ ذلك نحوٌ والنحو لا تفهمهُ العامَّة . ومع هذا

تمكّن نوعاً في تلك الاثناء من غايته بكثرة اختلاطهِ مع صغار المدارس وخدمة الدير والفقراء

وبينما كان متفرّغاً لاعماله الصالحة في تهذيب الشبيبة اذ حدثت في دمشق وفي انحاء لبنان تلك المذابح التي اسالت دماء النصارى كالسيول فقُتل منهم ظلماً نيف وخمسة عشر الف رجل فترمّلت النساء واضحى عدد عديد من الصغار ايتاماً يتضرّرون جوعاً ففُتحت عدّة مياتم بهمّة المرسلين اللاتينيين والراهبات الفرنسويّات اجتمع فيها مئون من هؤلاء الايتام الذين نجوا بفضل المحسنين من موت الجسد وفساد الاخلاق . وكان ميتم اليسوعيين في بيروت من اعظم هذه المآوي الخيريّة

واذ عرف الرؤساء حسن عناية الاب فيوروفتش بتربية الصغار وحنانهِ عليهم دعوهُ الى بيروت ليهتمّ بأولئك الاحداث فعُني بامرهم مدّة سنتين وكان لهم بمثابة والديهم الطبيعيين بل اعطف منهم اذ قرن بين تهذيبهم الادبيّ وتربية اجسادهم

وفي السنة ١٨٦٢ جمعوا هؤلاء الايتام في ابنية واسعة شيّدوها لهم في معلّقة زحلة لضيق دير بيروت ونموّ التلامذة في مدارسه . فبقي الاب فيوروفتش خالياً من همّهم متفرّغاً لاعمال الرسالة وحدها . فجعل يعود المرضى ويزور الفقراء فما لبث ان رأى عدداً من العملة والمساكين لا يفي بهم احصاء يتواردون الى بيروت لطلب المعاش فلا يهتمّ احد بشؤونهم الروحيّة فيعيشون عيشة البهائم ويفتقدون بعد قليل ما طُبعوا عليه من الاخلاق الرضيّة باعمالهم للدين وابتعادهم عن الاسرار المقدّسة

فتمّ هذا الامر المرسلَ الغيور واخذ يبحث عن الوسائل الكافلة بحفظ هؤلاء المنكودي الحظ من عدوى الاثم ووباء الكفر فلم يجد وسيلةً اقرب الى تحقيق امانيهِ من انشاء اخويّة تقويّة على اسم السيّدة الطاهرة تجمع فيها العملة ويرشدهم بواسطتها الى البرّ والسيرة الحميدة

وكان الآباء اليسوعيّون قد عرفوا بالاختبار ما ينجمُ من الخير عن هذه الشركات الصالحة فانشأوا في ديرهم القديم سنة ١٨٥٢ اخويّة على اسم العذراء البريئة من الخطيئة الاصليّة لاعيان البلدة واواسط القوم . وكذلك عادوا فباشروا باخويّة ثانية لنساء البلدة في سنة ١٨٦١ . فنجح العملان كلاهما ايّ نجاح واثمرا الثمار الشهيّة لخير النفوس ولمجد الكنيسة

على انَّ جلب هؤلاء العملة الى ممارسة رياضات تقويَّة لم يكن امرًا يسيرًا وهم غالباً منهمكون في الاشغال المادّيَّة غائصون في بحر الهموم الزمنيَّة لتدبير عيالهم وسدّ عوزهم اليوميّ . فألهم الله الاب يوحنّا بان يستعين ببعض اعضاء اخويَّة الحبل بلا دنس ليقترب من قلب البائسين ويكتسب ثقتهم . فوجد بين اولئك الافاضل من اجابوا بطيب خاطر الى دعوته وخصوصاً احد رجال الخير الذي لهُ حصَّة في كلّ عمل صالح أُنشئ في البلدة جناب المُهام نقولا افندي قاطي . فكان الاب فيوروفتش يتردَّد الى اسواق بيروت وبرفقته هؤلاء الاماثل فيستخبر عن احوال العَمَلة وعن عيالهم واولادهم ويمدُّ اليهم يد المساعدة عند حاجتهم حتى امكنهُ شيئاً فشيئاً ان يجذبهم الى الكنيسة ويلقي عليهم بعض الارشادات ويلقّنهم واجبات دينهم وينقّي ضمائرهم بسرّ الاعتراف ويوزّع عليهم بعض الادوات التقويَّة كالصور والمسابح والصلبان ويحضّهم على ان يأتوا اليه باصحابهم

فبقي على ذلك اشهرًا حتى كثر عدد هؤلاء العملة وعلموا ما يكنّهُ قلب المرسل الفاضل من الحبّ لهم . فعرض عليهم انشاء اخويَّة منظَّمة يجتمع ذووها مرَّة في الاسبوع ليقيموا فرائض العبادة لمريم العذراء فتبسط امّ الله حمايتها عليهم وعلى افراد عيالهم . فرَضُوا بذلك ومن ثم نشأت اخوية العذراء لهؤلاء العملة واتخذ لهم مرشدهم الامَّ الحزينة كشفيعة خاصة ليقتدوا على مثالها اوجاعهم واتعابهم وينالوا من مراحمها النعم في بلاياهم

هكذا ابتدأ ذاك المشروع الخطير الذي جملهُ صاحب الترجمة في مقدَّمة كلّ همهِ نحو ٣٨ سنةً ولم يزل يسعى في تحسينهِ وترقيتهِ حتى اضحى من اجمل الاعمال الرسوليَّة التي تُعنى بها رسالتنا واجداها نفعاً لخلاص نفوس العمال كما سترى في الفصل الآتي بعد انتهائنا من خلاصة سيرة منشئهم البارّ

ولم يقصر المذكور نظرهُ على ابناء اخويَّتهِ بل كانت غيرتهُ تعمّ الجميع بلا استثناء . وكان ذلك يظهر خصوصاً في استماعهِ اعترافات الخطأة فانَّهُ كان يفتح لهم قلبهُ كالمسيح سيّدهِ دون محاباة بالوجوه فيتقبَّل بكل لطف الصغار والكبار الاغنياء والفقراء بل كان قلبهُ يرقّ شفقةً ويتطاير فرحاً اذا اتاهُ احد كبار المجرمين متذكّرًا قول الربّ عن الفرح الذي يشمل ملائكة السماء بتوبة احد الخطأة فكان يثني على

قصده وينشط همّته ويسهل له الاقرار بخطاياه ويلقي عليه الاسئلة ليخفّف عنه موءونة فحص ضميره واذا اتمّ اقراره نصحه بالنصائح الابويّة وبيّن له كم هو خفيف نير الربّ وحفظ وصاياه ثم يرسم عليه قانوناً سهلاً ليعود ثانيةً الى طبيبه الروحيّ . وكثيراً ما كان يفرض على التائب بان يأتيه باحد اصحابه فيتّخذه كوسيلة لارتداد غيره من الأثمة . وقد عرفنا كثيرين من وجوه البلدة انفسهم الذين ما كانوا يحبّون ان يكشفوا ضميرهم الى غير الاب يوحنّا فيوروفتش

وكانت غيرته تلك تتضاعف في ايّام تفشي الامراض الوبائيّة حينما كان كثيرون من المسئولين يفرّون هاربين فكان هذا الراعي الصالح يبذل نفسه في خدمة المصابين لاسيما في عدوى الهواء الاصفر التي ظهرت مرّتين في بيروت سنة ١٨٦٥ و١٨٧٥ وفتكت بالاهلين فتكاً ذريعاً فان الاب فيوروفتش درس هذا الداء درساً خصوصيّاً حتى يتسنّى له ان يساعد الفقراء في غيبة الاطبّاء . وقد كتب في ذلك رسالةً طُبعت في مطبعتنا البيروتيّة واتى علاجهُ بنتائج حسنة جدًّا . وكان في تلك الايّام يقضي نهاره متنقّلاً في احياء المدينة فيعود بعد المغرب عيًّا منهوك القوى . وكان يسير الى حيثما يطلبهُ المصابون فيهتمّ بالروح والجسد معاً وقد استدعاهُ غير الكاثوليك ايضاً كالروم والمسلمين واليهود فاجاب الى طلبتهم دون تريّث وكان يوزّع عليهم الادوية مجّاناً . وقد ردّ حينئذٍ الى الله كثيرين من الخطأة الذين تمادوا في الجهل حتى انّهُ كان يقول : انّ الهواء الاصفر خير المرسلين وافضلُ المنذرين . وكان هو يعرّض نفسهُ للموت في كلّ ساعة مع اخوته الرهبان فلم يُصب منهم واحد بالوباء بنعمة خاصّة من الله . وقد عرفت الحكومة الفرنسويّة لهم فضلهم فاهدتهم اوسمةً شكراً على مروّتهم امّا الاب فيوروفتش فاسرع وباع وسامهُ وأنفق ثمنهُ على المحتاجين

ثمّ رأى الاب يوحنّا بؤساً آخر يستدعي همّتهُ في بيروت فما كان منهُ الّا ان قصد تلطيفهُ فزرد بؤس المحبوسين فانّهُ تمكّن برخصة ارباب الأمر من زيارتهم فرأى كثيرين منهم في اسوإ الاحوال ماديًّا وادبيًّا فاخذ يتردّد عليهم لاسيما في الاعياد الكبيرة ويرشدهم ويعزّيهم ويمنحهم الاسرار المقدّسة ثمّ شرع يستعطي لهم ويجمع الحسنات عند اهل الكرم فيوزّع عليهم الملابس والاطعمة والدراهم ويوصي بهم حرسهم . فكانوا يعدّون يوم مجيئهِ اليهم كموسم عظيم . وعلى مثالهِ يجري اليوم خلفهُ

وكان في جوار بيروت معامل حرير يتوارد اليها العملة من لبنان في بعض فصول السنة فسأل الاب فيوروفتش اصحاب تلك المعامل ان يأذنوا لهُ بارشاد اولئك العملة مرَّة او مرَّتين في الاسبوع فوقع عملهُ احسن موقع لديهم اذ تحقَّقوا انَّ العمَّال يزيدون امانةً ونشاطاً على قدر ازدياد روح الدين في قلوبهم وكثيرون منهم قد اعتادوا مذ ذاك الحين الى يومنا ان يأتوا صباح الاحد الى كنيستنا فيتمموا واجباتهم الدينيَّة بكل تدقيق

ولمَّا انتشر صيت الاب فيوروفتش في انحاء لبنان استدعاهُ الكهنة الى بعض القرى ليعطي الرياضات الروحيَّة لاهلها فكان لكلامهِ مع بساطتهِ تأثير كبير في القلوب وقد سمعنا غير مرَّة الذين حضروا رياضتهُ في دير القمر يثنون على غيرتهِ الرسوليَّة ويذكرون عدد المرتدّين بواسطتهِ الى ممارسة الفرائض الدينيَّة

وكان المترجم مع هذه الاعمال لا يحبُّ البطالة مطلقاً فاذا بقي لهُ شيءٌ من الوقت صرفهُ في الكنيسة مستحرًّا بالصلاة امام القربان الاقدس او امام ايقونة العذراء فكان الذي يشاهدهُ لا يتمالك عجباً من رقَّة عبادتهِ . وكم كنَّا نراهُ يتلو المسبحة او الفرض الالهيَّ بتخشُّع كان يؤثِّر فينا ايَّ تأثير

وكان مرسلنا الغيور محبًّا للدرس فاذا انتهى من اشغالهِ الروحيَّة انعكف على مطالعة كتب الآباء القديسين واللاهوتيين . وقد ابقى عدَّة آثار تُعرب عن حصافة عقلهِ وكثرة مطالعاته نخصُّ منها بالذكر كتابهُ الواسع الفوائد المعنون بالكنيسة الجامعة الذي ألَّفهُ مع حضرة الاب جرجس فرج صفير . ولهُ ابحاث تاريخيَّة ودينيَّة واجتماعيَّة ورسائل عديدة نُشر بعضها في فرنسة

فترى انَّ هذا الرجل الصالح تاجر بوزناته احسن المتاجرة ولم يحضر امام ديَّانه صفر اليدين . وكان في السنين الاخيرة من حياته يتجرَّد كلَّ يوم عن هذا العالم الفاني ليعدَّ نفسهُ لاستقبال خالقهِ بالطمأنينة والثقة . واذ لحظ الرؤساء انحطاط قواهُ ارسلوهُ في اواسط الصيف السنة ١٨٩٨ الى ديرنا في بكفيا فثقلت عليهِ هناك وطأة المرض في اوائل شهر ايلول واذ ذاك اسرع الى طلب الاسرار الاخيرة فاقتبلها بكل تُقىً مصغياً الى صلوات الكنيسة وربَّما كان يردّدها صارخاً : « ما اجمل وما اسمى هذه الصلوات المملوءة عذوبة » . وبعد ان استغفر من الحضور عمَّا يكون فرط منهُ

من النقائص شكر الله الذي منحهُ نعمة الدعوة الرهبانيَّة والكهنوتيَّة وارضى خلفهُ بابناء اخويَّتهِ وحضَّ الدارسين من الرهبان على الجدّ والنشاط في خدمة الله وخلاص القريب - ثم اسلم الروح الى بارئه بكل هدوء في ٩ ايلول الموافق للاحد الاوَّل من الشهر الذي كان اختارهُ للمناولة العموميَّة في اخويَّته لاكرام قلب يسوع الاقدس

وما انتشر خبر منعاهُ حتى طلب اولادهُ الروحيُّون ان تُنقل جثَّتهُ الى بيروت فتُدفن في مدفن كليَّتنا قريباً منهم لكي يتذكَّروا وصاياهُ ويقتفوا بامثاله فكانت حفلة دفنه في كليَّتنا غاية في الرونق والتأثير اذ اقبل الى حضور جنازته كلّ الذين عرفوا فضلهُ ونالوا احسانهُ يعدّدون مآثرهُ ويبكونهُ كأعزّ الاقارب ولم يشاؤوا ان يُدفن قبل ان يُفتح تابوتهُ ويتباركوا منهُ آخر مرَّة بتقبيل يدهِ الطاهرة

وفي الاحد التالي أعدَّت عمدة الاخويَّة جنَّازًا حافلًا لراحة نفسه فالبسوا الكنيسة لبس الحداد واقاموا لهُ ضريحًا كسوهُ بعلامات الحزن . وكان كاتب هذه الاسطر قد دُعي لتأبين الفقيد فبنى كلامهُ على آية سفر الرؤيا (١٤ : ١٣) : « طوبى للاموات الذين يموتون في الربّ . . . لأنَّ اعمالهم تتبعهم »

٢ اخويَّة الامّ الحزينة

سبق انَّ اخويَّة الامّ الحزينة كانت بكر اعمال الاب يوحنَّا نيوروفتش الرسوليَّة العموميَّة . وقد قرأنا في رسائله بل رأينا رأي العيان نظام تلك الشركة التقويَّة فيمكننا ان نروي عنها ما ثبتت لنا معرفتهُ

شرع الاب المذكور بتأليف هذه الاخويَّة سنة ١٨٦٣ حيث كانت الاحوال قد ضاقت في الجبل فنزل كثير من اللبنانيين الى بيروت طلبًا للرزق كحمَّالين وبنَّائين وباعة وخدَّام واكثرهم لا يعرف من امور الدين الَّا القليل الزهيد مما تعلَّموهُ في حجور امَّهاتهم لقلَّة المدارس في ذاك الوقت . فلمَّا تمكَّن مرسلنا الغيور من جذب نفر منهم الى كنيستنا القديمة في حيّ الصيفي اختار بينهم اعظمهم نشاطًا وبعد امتحانهم مدَّة جعلهم كعمدة الاخويَّة وعلَّق على صدورهم ايقونة العذراء الطاهرة . امَّا الطالبون الجدد فكان يقبلهم في درجة المبتدئين ويعيّن لهم احد المتقدّمين ليرشدهم ويعدّهم للانتظام بين الاخوة فاذا رآهم بعد اشهر مواظبين على رياضات الاخويَّة سالكين في سبيل الصلاح ادرجهم في سلك الاخوة بعد مصادقة المشورة على قبولهم

ولمّا نما عدد الاخوة حتى بلغ المئين بل زاد على الالف اتّسع ايضاً مرشدهم في تعديد الوظائف وتوفير عدد الوكلاء فجعل لكلّ حيّ من احياء المدينة ناظراً او اكثر يفيدونهُ عن احوال الاخوة وحسن سلوكهم وحاجاتهم وامراضهم فيقف بذلك على امورهم ويسدّ كلّ خلل يطرأ

امّا الاجتماعات العموميّة فعيّن لها ظهر الاحد والعملة في ذلك اليوم منقطعون عن الشغل. فكانوا اذا حان الوقت وسمعوا الناقوس يجتمعون في الكنيسة فيقضون ثلث الساعة في استماع قوانين الاخويّة ومختصر التعليم المسيحيّ مع صورة فحص الضمير ثمّ يتلون اخصّ الصلوات التي يجب على المؤمن ان يعرفها . وكان المرشد قد تفنّن بوضع هذه الرياضات فتعود بالنوبة مرّة بالشهر فقط فلا يحصل من تكرارها السأم

ثمّ كان المرشد يرقى المنبر فيخطب فيهم نصف ساعة في بعض حقائق الدين والمعتقدات او في وصايا الله والكنيسة والادبيّات . وكان كلام الاب فيروفتش مع عجمته مسموعاً يُصغي اليه الجمهور بشوق لأنّ الاب كان يخطب كرجل ذي سلطة وبصوت جهور كثير التفنّن في نغماته وكان يحسن الحركات الخطابيّة حتى انّها مراراً كانت ادلّ على المقصود من لهجته الغريبة . وقد تمكّن بارشاداته الى ان يطبع في قلوب سامعيه ايماناً حيّاً كان يظهر في كلّ تصرّفهم مع عيالهم وقريبهم

وممّا سعى به ليزيد رغبة الاخوة في الاخويّة انشاؤهُ لجوقة موسيقيّة كانت تشنّف آذان السامعين بقدودها المطربة فتزيد الحفلات الدينيّة بهاء وجلالاً وقت ذبائح القربان الاقدس او بركة صورة العذراء في اثر العظة . وقد عانى العناء الكثير في تنظيم هذه النوبة وحفظها لأنّهُ رآها وسيلة عظيمة لزيادة رونق الاخويّة

وحدّد للاخويّة في السنة رياضتين الواحدة في اوّل الخريف اذ يعود المصطافون من الجبل الى اشغالهم السنويّة فتدوم خمسة عشر يوماً يجتمع في مدّتها الاخوة بعد غروب الشمس بنصف الساعة . والاخرى في الجمعة السابقة لجمعة الآلام اتّخذها كاستعداد لاتمام الفرض الفصحيّ وكان يدعو للرياضتين كلّ العملة سواء كانوا من الاخوة او لا . ولا يسعنا ان نصف ما اتت به هذه الرياضات من الخير بين العموم فانّ

اثمارها الروحيَّة لا يفي بهـا احصاء كما اقرّ بهِ كلّ من حضرها ورأى اقبال الجمهور عليها

وكان الاب المرشد قـد استحضر لهذه الغاية صوراً كبيرة شفّافة بالوان ناصعة كان ينيرها في آخر المواعظ واذا هي مختصر ارشادات الرياضة قد رسم فيها عواقب الانسان من موت ودينونة وجحيم ونعيم مع الخطايا الرئيسيَّة وغـير ذلك مما كان يشرحهُ للحضور في آخر كلامهِ قبل بركة الختام . وكان المرسلون اخوتهُ اذا ساروا الى مكان لرياضة اخذوا معهم تلـك الصور وهم يدعونها مزحاً « بأبالسة الاب فيوروفتش » . ومن عجيب مـا جرى من امرها انَّ الاب منصور نورمان رئيس رسالتنا سابقاً كان اخذها معهُ الى حوران فجعلها في اسطوانة من التنك فخرج عليهِ العربان يريدون سلب امتعتهِ فما وجد لينجو منهم غير تلك الاسطوانة فصوَّبها عليهم فظنُّوها مدفعاً وولَّوا هاربين فكان الاب منصور يقول متنكّهاً : « قد نجوتُ بفضل شياطين الاب فيوروفتش »

وكان الاب يوحنّا يحبّ الحفلات الدينيَّة التي من شأنها ان تعظّم الديانة في اعين الشعب . فمن ذلك حفلة عيد شفيعة الاخويَّة اي الأمّ الحزينة في الاحد الثالث من شهر ايلول فكان الاخوة يطوفون في احواش كلّيتنا يتقدَّمون بالنظام امام صورة سيّدة الاوجاع والنوبة تـدقّ نغماتها الشجيَّة وهم يتغنَّون بالاناشيد والترنيمات على ايقاع الصنوج ويصلُّون لشفيعتهم . وكان قد استحضر لهذا الطواف عدداً وافراً من الرايات الملوَّنة والبيارق المثلة للعذراء مريم وغيرها من القديسين يحملها المتوظفون او اولاد المدارس وكانت تُختم هذه الحفلة بطلبة الام الحزينة عند الهيكل الجميل الذي كان اقامهُ الرشـد لذكرها وهناك تمثال بديع لامّ الله حاملةً في حجرها جسم ابنها الطاهر لمّا أُنزل عن الصليب

واعظم من هـذه الحفلة موكب الاخوة في الاحد التابع لعيد القربان الاقدس اكراماً لسرّ جسد الربّ فانَّ مرشدهم لم يدَّخر يومئذٍ وسعاً ليجعل ذاك الطواف في غاية الأُبهة والرونق فكان يدعو ليترأسهُ نيافة القاصد الرسولي او احد ارباب الاكليروس مع عدد عديد من الكهنة فيُحتفل القربان الاقدس بالجلال اللائق بشأنه يتقدَّمهُ نحو الالفين من الحضور ماشـين بالنظام والخشوع صارخين كالجموع يوم دخول المسيح

الى اورشليم : « هوشعنا مبارك الآتي باسم الرب » . فكان هذا المنظر يؤثر جداً في كل من يشاهده . وكان هذا الطواف في السنين الاولى يسير من ديرنا العتيق الى حيث اليوم محطة المدوَّر لولا انَّ قلة احترام بعض الاشقياء اوجب حصره في ضمن ديرنا

وكان للاخوية مواسم اخرى يظهر المنتمون اليها في مجالي افراحهم كموسم تجديد الانتخابات السنوية وكعيد رأس السنة اذ يقدّمون لرؤساء الكلية تهانئ الاخوة

واعضاؤها يستوقفون ايضاً الانظار في جنازة الاخوة فانهم اذا مات احدهم اجتمع كثيرون منهم عند جثته وصلّوا عليه مع مرشدهم وشيّعوه باحتفال الى مقامه الاخير فتصير بحضورهم طلعة الفقير شبيهة بطلعة الغني بل اوقع في القلوب اذ ليس هناك جاه عالمي او فخفخة

ومعلوم انَّ اخوية مثل هذه اكثر تبعتها من المساكين او الرقيقي الحال تحتاج الى مصاريف بالغة لمساعدة من ينكبهم الدهر فلا يملكون طعام ليلة او يلقيهم المرض على فراش الألم فليس من يعودهم ويلطّف اوجاعهم . وكان الاب فيوروفتش اخذ على نفسه ان يسعف هؤلاء البائسين ولكن كيف يمكنه الامر وهو راهب فقير ليس له ثروة يستمدُّ منها . لكنَّ المحبة تذلل كلَّ المصاعب فجعل مرشد الاخوية لا يدع باباً الّا طرقه ليحنّ قلوب الاغنياء على الفقراء فتبرّعوا عليه بشيء من مالهم . ثمَّ اخذ يكتب الرسائل الى الجمعيات الخيرية في فرنسة والى رؤساء رهبانيته ويستعطف كلَّ من عرفه من ذوي الجود والكرم فامكنه ان يجمع ما يكفيه غالباً في كل سنة لمساعدة المنكوبين اعني نحو عشرة الاف قرش . وكان يودّ ان يدّخر لهم رأس مال يقسّم عليهم ريعه لكنّه لم يتوفّق لرغبته هذه ولعلَّ الله لم يشأ ان يجعل الاب تقته بذلك المال المجموع فيكون اتكاله على الله وحده الذي يقيت طيور السماء ولم يدع شعرة من رأس عبيده تسقط دون اذنه فيصح فيهم قول النبي (مز ٣٦ : ٢٥) : « لم ار صدّيقاً مخذولاً ولا ذرّيته تلتمس خبزاً »

وان سأل السائل وهل يُعرَف عدد الذين انضمّوا الى اخوية الامّ الحزينة . اجبنا انَّ سجلات هذه الشركة تحتوي منذ اوّلها الى اليوم نحو عشرة آلاف اسم . وهو لعمري عدد بليغ ينطق بفضل منشئ هذا المشروع الصالح ووفرة ثماره في النفوس

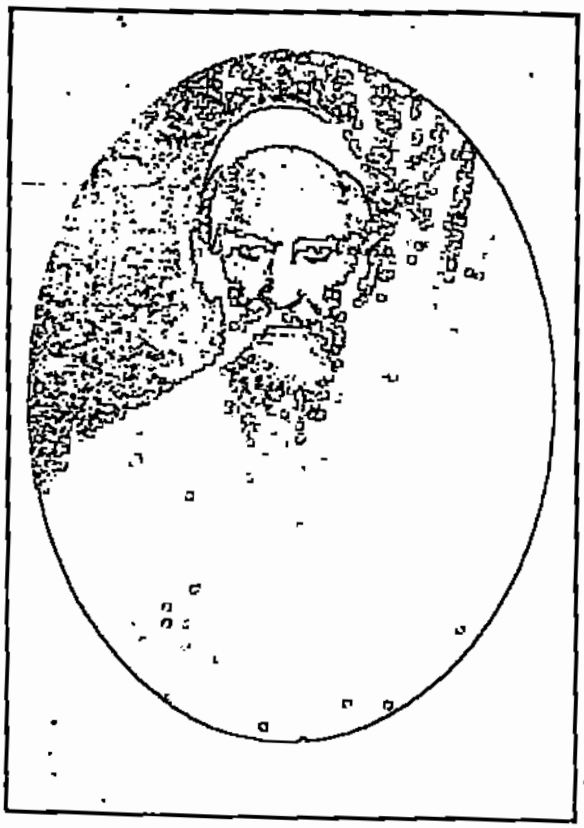

الاب يوحنا فيوروفتش اليسوعي

منشئ اخوية الام الحزينة

١٨١٩ – ١٨٩٨

٣ الملحقات باخويّة الام الحزينة

على انَّ العـدد الآنف ذكرهُ لا يشمل المشروعات اللاحقة باخويّة الامّ الحزينة التي امتدَّ خيرها الى نفوس كثيرة من اعضائها وغيرهم ايضاً وهـا نحن نذكر ذلك بالاجمال. ومن هذه المشروعات ما قام بهِ خلفاء الاب فيوروقتش

يعود الفضل الى هذه الشركة انَّهـا كانت مثالًا لاخويّات أُخرى أُنشئت على نمطها في انحاء مختلفة وكان الساعون في ذلـك غالباً من اعضاء اخويّة الامّ الحزينة اذ كانوا ينتقلون الى امكنة شتّى في لبنان او في بعض مدن السواحل حتى في اميركة عينها فكانوا يتّفقون مع كهنة تلك الجهات فينشئون شركات على منوالها

ومن فضلها ايضاً عبادات صالحة ألفها رجال التقى فنالوا بركاتها. اخصّها عبادة قلب يسوع الاقدس فان الاب فيوروقتش حبّب الى ابناء اخويتهِ اكرام ذاك القلب المضطرم حبًّا للبشر فجعل فوق منبح الامّ الحزينة صورة هـذا القلب الالهيّ كما ظهر للطوباويّة مرغريتا مريم ليوثّر نظرهُ في قلوب الفقراء خصوصاً

فلتحقيق امنيّتهِ هذه كان يدعو ابناء الاخويّة في صباح الجمعة الاولى من كلّ شهر الى حضور الذبيحة الالهيّـة والتقرّب من سرّ القربان الاقدس فكانوا يجيبون الى دعوتهِ بطيب الخاطر اما الذين كانت تحكم عليهم الاشغال بالتبكير في عملهم فانَّهم كانوا يستعيضون عن ذاك اليوم بالاحد الاوّل من الشهر فيتباون فيهِ الاسرار لاكرام قلب الربّ والتكفير عن مآثم البشر

ثمَّ انَّ الاب فيوروقتش رأى بعد ذلك ما هو اولى وافضل فانَّهُ دعا اربعين من ابناء الاخويّة ليقضوا ليلهم في ديران كلّيّتنا فكانوا يتناوبون في السجود للقربان الاقدس المصمود في ليلة الخميس الى الجمعة الاولى من الشهر في كنيستنا فيحيون تلك الليلة صلاةً وتسبيحاً ساجدين خمسةً خمسةً مدَّة ساعة تامّة. فهذه العبادة المنشأة قبل ثلاثين سنة لا تزال جاريةً حتى اليوم فتستطر نعم الخالق على المدينة وتردّ غضبهُ عن آثام اهلها. ثمَّ الحق بهذه العبادة عبادةً اخرى للصليب المقدّس باقامة رياضة درب الصليب في كلّ مساء الجمعة من اسابيع السنة يقيمونها في كنيستنا

ولعلَّ الاب يوحنّا اراد ان يطبع في قلوب اولادهِ ذكر آلام السيّد المسيح اذ عمد سنة ١٨٦٨ ان يؤلف فئـة من الزوّار لاورشليم والامكنة المقدّسة . فعرض

عليهم الامر ولم يطلب من كلّ واحد منهم لسفرهم بحرًا وبرًا ومعاشهم مدّة خمسة عشر يوماً الّا خمسين قرشاً . فنال هذا المشروع حظوى لدى الصلة فكان يجتمع منهم كلّ سنة ستّون شخصاً يتولّى المرشد قيادتهم وتدبيرهم والعناية بهم روحاً وجسماً فيدخلون القدس الشريف بموكب حافل وخشوع تامّ يتلون الورديّة اثنين اثنين او يرتّلون التراتيل التقويّة وفي مقدّمتهم زعيمهم الفاضل كأنّهُ قائد جيش ظافر فيخرج اهل اورشليم لمعاينة هؤلاء الوفود ويرافقهم النصارى الى كنيسة القيامة حيث يتباركون بالزيارة الاولى للقبر المقدّس

وكانوا يقيمون في القدس اسبوعاً كاملاً يضيفهم الآباء الفرنسيسيّون في مثواهم فيستعدّون مدّة ثلاثة ايّام بالترويض وتنقية الضمير للمناولة العموميّة ثمّ يتنقّلون الى كلّ الزيارات التي في المدينة ولا يحلّون في مكان الّا أعطوا لمن يشاهدهم قدوة صالحة . ثمّ كانوا اذا انتهوا من زيارة القدس يذهبون الى بيت لحم والى عين كارم بالنظام عينهِ فيتحفّى بهم اهلها ويثنون على ورعهم وايمانهم . وكانوا اذا رجعوا الى وطنهم لا يلهجون الّا بنعمة تلك الزيارة شاكرين فضل مرشدهم الذي احظاهم بها . وقد عاد الاب فيروفتش مدّة عشرين سنة الى زيارة القدس مع قومهِ فانعش بذلك في قلوب مواطنينا ذكر تلك الامكنة التي يقدم كثيرون من الاجانب الى التبرّك برؤيتها ويكاد يجهلها القريبون منها . على انّهُ قد لقي بعد ذلك في سبيلهِ من العوائق بسبب جوازات السفر وغيرها ما احوجهُ الى ايقافها . وخلفهُ اليوم حضرة الاب ديد مصمّم العزم على استئنافها قريباً ان شاء الله

وليست هذه المشروعات وحدها ناجمةً عن اخويّة الامّ الحزينة بل ألحقوا بها اعمالاً أُخرى لا يُنكَر فضلها منها جمعيّة الشبّان تحت حماية القديس لويس غنزاغا التي يسعى اعضاؤها المنتسبون الى اخويّة الصلة بالمحافظة على كلّ الآداب الصالحة والسيرة المسيحيّة ثمّ يجهدون نفسهم في الاهتمام بصغار الصنعة واهل الحرف الذين لا يسعهم غالباً ان يتربّوا في المدارس . وهؤلاء الشبّان يبلغ عددهم الاربعين

امّا الاحداث الذين يُعنَون بامرهم فعددهم يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ يجتمعون كلّ يوم احد بعد اخويّة الرجال في مدارس حيّ الدحداح فيقضي الشبّان مدّةً من زمانهم في نظارتهم ويساعدهم في عملهم المبرور تلامذة مدرستنا الكلّيّة من

اكليريكيين وعلمانيين الـذين يلقنونهم الصلوات ويشرحون لهم التعليم المسيحي ليتأهبوا للمناولة الاولى. ويتخذون عدة وسائل ليجذبوهم الى هذه الاجتماعات بأن يوزعوا عليهم ثياباً واطعمةً والعاباً واذا حان وقت مناولتهم الاولى ألبسوهم الملابس البيضاء واقاموا لهم الحفلات الشائقة فينشأ هؤلاء الاحداث على روح الدين ويصرفون نفوسهم في البرارة والتُقى. وربَّما اهتمُّوا باهل حرفةٍ واحدة فجمعوهم وهذَّبوهم وارشدوهم الى العيشة المسيحيَّة كما فعلوا مع صَبَغة الاحذية (اولاد البويا) وغيرهم فأتت كلّ هذه الاعمال بالنتائج المرغوبة المبهجة لقلب امّنا الكنيسة

فترى من تعداد هذه المشروعات الطيّبة انَّ اخويَّة العملة لم تُخيب أمـل منشئها بل اتت بأثمار تضاهي رجاء الكنيسة المقدَّسة فيها فيحقّ لهـا في ختام هذه السنين الخمسين ان ترفع الى الله شكرها الحميم على ما انعم بهِ عليها وان بدا منها تقصير في شيءٍ فهي تطلب منهُ تعالى ان يفسح لها الاجل كي تستدركهُ وتتلافاهُ عمَّا قليل باضعاف همَّتها في سبيل الخير

ثم انَّها لا تنسى كلَّ الذين آزروها في العمل فتستمدّ لمنشئها الطيب الذكر ان يجزل الله لهُ الثواب في دار البقـاء. وتلتمس لخلفيهِ من بعدهِ حضرة الاب ادوار ميشال الذي افرغ مجهودهُ في ادارتها مدَّة ١٨ سنة ثم حضرة الاب ديد مرشدهـا الحالي وحضرة مساعديهما الخوري يوحنَّا طنوس والخوري بطرس فرج ان يفلحوا زمناً طويلاً كرب البيت قبل ان ينالوا جزاء اتعابهم في منازل الابرار. كما انَّها تشكر كلَّ المحسنين اليها في حاجاتها المادّيَّة والادبيَّة وتتوسَّل الى الله بان يثيبهم على إحسانهم منة ضعف

واذ هي تتأهب لتدخل في طور جديـد من حياتها تتمنَّى لكل من إنضوى اليها ومشى تحت رايتها ان يجعلوا نصب عينهم الغاية الشريفة التي أُنشئت لاجلها اعني خلاص نفوسهم بثباتهم في ايمان اجدادهم وممارستهم كل الفضائل الجديرة بابناء ملكة السماء في حياتهم الفرديَّة والعائليَّة والاجتماعيَّة ثمَّ اجتهادهم بان يكونوا لقريبهم كالاسرجة المنيرة الوقَّادة يستضيئون بها لمعرفة الصلاح فينهجوا على مثالهم سُبُل البرّ وينالوا وإيَّاهم جزاء العبد الصالح المؤتمن على الكثير بعد ثبوت امانتهِ على القليل

الحَجْر الشرعيّ

بقلم حناب المحامي القانوني انطون بك شحيبر

من هم المحجورون

يتصوَّر الكثير ان المرء حرٌّ على الاطلاق بمالهِ وملكهِ يتصرَّف فيهما كيفما شاء واراد . بيد انَّ الشرائع والقوانين لم تطلق هـذه الحرِّيَّة بل جعلتها قيد ظروف خصيصة وشرائط معلومة اذا فُقدت اصبح الانسانُ مقيَّدًا في تصرُّفاتهِ وصار امرهُ فيها الى غيرهِ من حاكمٍ وولي ودائنٍ ووصي

اجل متى كان الانسان بالغًا رشيدًا عاقلًا حصيفًا نبيهًا مدركًا مميِّزًا حسن التدبير بريء الذمَّة مقتدرًا على ادراك الحقّ والقيام بالواجب فهو الحرُّ بمالهِ وملكهِ يتصرَّف فيهما تصرُّفًا شرعيًّا بمطلق ارادتهِ . والَّا اي اذا كان صغيرًا لا يميِّز او مجنونًا لا يعي او معتوهًا قليل الفهم فاسـد التدبير او سفيهًا مبذِّرًا متَّبع الاهواء او مديونًا يهتضم حقوق الغير فيُحجَرُ اي يُمنَعُ من تصرُّفاتهِ القوليَّة . والمراد هنـا بالمنع من « التصرف القولي » عدم اعتبار العقود التي يعقدها المحجور (بعد الحجر لا قبلهُ)

فالحَجْر اذًا هو : « مَنع شخصٍ مخصوص عن تصرُّفهِ القولي » في مـا يملكهُ من دينٍ وعينٍ ونقدٍ وعقارٍ الخ » ويقال لذلك الشخص بعد الحَجْر « محجور » . مثلًا ان من يصرف ماله في غيرِ موضعهِ ويغفل في اخذهِ واعطائهِ ويتبع الهوى ويبذِّرُ المال في الشرب والفسق والمَيسر فهو ممَّن يوجب الشرع حجرهم في ظروفٍ معيَّنة . وكذلك يُحجَرُ من كان فاسـد التدبير حتى في الامور الخيريَّة كالرجل الذي يحرمُ عيالَهُ المأكل والملبس والمسكن ولوازم التربيـة لكي ينفق « جميعَ » مالهِ في سبيل بناء المسجد فمثل هذا يجيزُ الشرع منعهُ من تصرُّفهِ القولي

فاذا تدبرتَ مـا مرَّ بك من الالماع وضح لديك ان الشرع والقانون أوجبا او اجازا منع فريق من الناس عن التصرُّف واولئك هم المحجورون واليك بيانهم

ان المحجورين هم :

الصغير والمجنون والمعتوه : وهولاء محجورون لذاتهم اي بدون ان يصدر حكم الحاكم بوجوب حجرهم

والسفيه : ولا يُحجَرُ الا بحكم الحاكم

والمديون : ولا يُحجرُ الا بحكم الحاكم مبنياً على طلب الغرماء اي ارباب دينهِ (١

وها نحن مبينون هويّة كل منهم :

١ الصغير

﴿ الصغير ﴾ ويُقسم الصغير الى صغير غير مميّز وصغير مميّز . فالصغير غير المميّز هو الذي لا يفهمُ البيع والشراء ولا يعلم كون البيع سالباً للملكيّة والشراء جالباً لها ولا يفرق بين الغَبْن الفاحش الظاهر كالتقرير في العشرة خمسة وبين الغَبْن اليسير . واما الصغير المميّز فهو الذي يميّز هذه المذكورات . وقد سبق القول ان الصغير مميّزاً كان او غير مميّز انما هو محجور لذاتهِ اي ممنوعٌ عن تصرّفه القوليّ لمجرّد كونهِ صغيراً اي بدون حاجة الى حجر الحاكم بحيث انه ان عقد عقداً كالبيع والشراء او تعهّد بامر كالكفالة فلا يُعتبرَ عقدُه ولا يُعمَل بتعهُّدهِ . على انهُ لا بدَّ من التصريح انَّ الصغير غير المميّز إن تصرّف فيُعتبَرُ تصرُّفهُ اذا كان في حقّهِ نفعٌ محض (وان لم يؤذن بهِ وليُّهُ) . مثلاً لو قبل الصغير هديةً او هبةً فتصرُّفهُ هذا معتبرٌ ولو لم يُجِزْهُ الوليّ . ولا يعتبر تصرُّفهُ الذي هو في حقّهِ ضررٌ محض (ولئن كان ذلك التصرّف بإجازة الولي) . مثلاً لو وهب الصغير شيئاً لاخر باجازة وليّهِ فلا يعتبرُ هذا التصرُّف

اما في العقود الدائرة بين النفع والضرر في الاصل كالبيع مثلاً فان كانت تلك العقود صادرة من صغير (غير مميّز) فلا اعتبار لها (اجازها الوليّ او لم يُجِزْها) واما ان كانت صادرةً من صغير مميّز فيكون اعتبارها موقوفاً على إجازة الوليّ بحيث ان رآها مفيدةً بحقّ الصغير اجازها والّا فلا . حتى ان الصبي المميّز لو باعَ مالَهُ بدون

(١) ان مَن أُريد حجرهُ من طرف الحاكم لا يشترط حضورهُ لديهِ بل يصحُّ حجرهُ غياباً ولكن يُشترط وصول الخبر اليهِ والى ان يصلهُ خبر الحجر تكون عقودهُ واقاريرهُ معتبرة

اجازة وليه ولو بضعف القيمة فلا ينفذ بيعه ولا يقال ان في هذا البيع نفعاً ظاهراً فينبغي ان ينفذ بلا اجازة

وقد يحدث ان الصغير (المميز) تظهر عليه امارات الرشد قبل الاوان . ففي مثل هذه الحال يجوز للولي ان يسلمهُ مقداراً من مالهِ (من مال الصغير) ويأذن لهُ بالتجارة لاجل التجربة فان تحقَّق الوليُّ رشدَهُ (اي رشد الصغير) دفعَ اليه باقي امواله واجاز لهُ التجارة على ان اذن الولي لا يتخصص بزمان ومكان ولا بنوع من البيع والشراء بحيث ان الوليَّ لو اذن الصغير (المميز) شهراً يكون مأذوناً على الاطلاق ويبقى مستمراً على ذلك الاذن وكذلك لو قال لهُ : « اذنتُكَ ان تبيع وتشتري في بيروت » يكون مأذوناً في كل مكان . وايضاً لو قال لهُ : « اذنتك ان تبيع وتشتري الصوف والحرير » كان لهُ ان يبيع ويشتري ايَّ مالٍ كان . وتكون حينئذٍ تصرفات الصغير المميز في الخصوصات الداخلة تحت الأذن معتبرة لانه يكون بمنزلة البالغ

ولكن لو تبيَّن للولي (بعد الاذن) ان الصغير يتصرَّف بغير رشد فلهُ ان يحجرهُ ويبطل الاذن . بيد ان هذا الحجر يجب ان يكون معلوماً بمثل الوجه الذي صدر بهِ الاذن وذلك صيانةً لحقوق المتعاملين مع الصغير . مثلاً لو كان الولي اذن الصغير بصورةٍ علنيَّة فعرفَ العموم انهُ مأذون واخذوا يتعاطون معهُ ويعتبرون تصرُّفاتهِ القولية فلا يجوز للولي ان يحجرهُ بحضر رجلين او ثلاثة في دارهِ بل يجب عليه ان يحجرهُ حجراً عاماً معلوماً لدى العموم — واعلم ان الولي ان اذنَ الصغير المميز ثمَّ مات (الولي) فيبطلُ الاذن بموتهِ بحيث ان جميع العقود التي يعقدها الصغير (المميز) بعد وفاة وليه الذي اذنه تكون غير معتبرة

وقد يحدث ان الصغير (المميز) يأنس من نفسهِ الرشد ويلحظ انهُ يستفيد من تصرفهِ فيطلبُ من وليهِ ان يأذنه فيمتنعُ الولي عن اجابة طلبه فحينئذٍ يحقُّ للحاكم ان يأذن ذلك الصغير اذا رأى في تصرفهِ منفعةً وليس للولي الآخر ان يحجر على الصغير بعد ذلك حتى اذا ماتَ ذلك الحاكم فليس للوليِّ ان يحجرَ على الصغير بعد موتهِ بيد ان للحاكم نفسهِ او لمن خلفهُ ان يحجرَ على الصغير بعد ما اذنهُ إن تبيَّن لهُ ان تصرُّفاتهِ عن غير رشد

صورة سيدة الاحزان

المكرّمة في اخويّة العمة في بيروت

ومعلومٌ ان الانسان اذا بلغ ورشد فلا يُعتبر حينئذٍ صغيرًا ولا يكون من ثمَّ محجورًا بل يجب ان يُعطى جميعَ امواله لكنَّما يُستحسن ان يجرَّب بالتأني فان تحقق كونه رشيدًا تُدفع اليه حينئذٍ اموالهُ والَّا فلا. وذلك لان البلوغ وحدهُ لا يكفي لاعطاء الصبي اموالهُ بل يجب ان يكون بالغاً ورشيدًا معاً . وبناء عليه فلو اعطى الوصيُّ الصغير مالهُ (قبل رشده) فضاع المالُ في يد الصغير او اتلفهُ كان الوصيُّ ضامناً اي انهُ يُجبَر على اعطاء بدل ذلك المال الضائع من مال نفسه . وقد يحدث ان يستثبتَ بلوغ الصبي ورشده فيدفع اليه اموالهُ لكنه يلحظ بعد ذلك انه سفيه فحينئذٍ يُحجَرُ عليه من قبل الحاكم بسبب السفه لا الصغر

سنُّ البلوغ والرشد

بقي ان نعلم امرًا هامًّا وهو في اي سنٍّ يُعتبر الصغير بالغاً في نظر الشرع

ان حدَّ البلوغ يُثبَت ببعض الدلائل الطبيعية المعروفة التي لا محلَّ هنا لذكرها . على ان مبدأ سنِّ البلوغ في الرجل اثنتا عشرة سنة وفي المرأة تسع سنين ومنتهاهُ في كليهما خمس عشرة سنة بحيث انه إذا ادرك الانسان السنة الخامسة عشرة من عمره يُعتبَر بالغاً حكماً ولو لم تظهر فيه آثار البلوغ الطبيعية — واما اذا ادرك العمرَ الذي هو من تسع سنوات في البنت ومن اثنتي عشرة سنة في الرجل الى خمس عشرة سنة في كليهما وظهرت فيه آثار البلوغ فيُعدّ بالغاً واذا ادرك هذا العمر (اي من ٩ الى ١٢ او من ١٢ الى ١٥ كما مرَّ) ولم تظهر آثار البلوغ فهو المراهق وهي المراهقة . (ومعنى المراهق القريب من البلوغ) — واذا اقرَّ المراهق في حضور الحاكم ببلوغه فان كانت جثتهُ تتحمل البلوغ ولم يكذّبه ظاهر الحال يصدَّق وتكون عقوده وتقاريره نافذة ومعتبرة والَّا فلا. على انَّه اذا اقرَّ بذلك مرةً امام الحاكم فلا يصبح لهُ الرجوع عن اقراره بل يؤاخذ بهِ وفقاً للقضايا الشرعية . اما الصغير الذي لم يدرك مبدأ سن البلوغ (٩ سنوات للانثى و ١٢ سنة للذكر) فانه اذا ادَّعى البلوغ لا يُقبل ادعاؤهُ ولا تسمع دعواهُ بهِ

فاذا راجعت ما مرَّ بك تبيَّن لك ان الصغير ينقسم الى :

صغير غير مميّز

صغير مميّز

مُراهق
بالغ غير رشيد

وقد تقدَّم البيان عن وصف كل من هـذه الحالات . على ان الانسان اذا بلغ ورشد فهو حرٌّ غير محجور من تصرُّفاته القولية ما لم يكن في حالة الجنون او العته او السفه او الدين كما سيأتي الكلام

٢ المجنون

الجنون فنون على ما قالت الامثال لكنَّ الشرع يقسمُه الى قسمين: الجنون المُطبِق والجنون غير المطبق. فالاول ما كان في حالة مستمرَّة غير منقطعة بحيث انه يستوعب جميع اوقات المجنون. واماَّ الثاني فهو ما كان لا يستوعب جميع اوقات المجنون بحيث ان صاحب هذا الجنون (غـير المطبق) يكون في بعض الاوقات مجنوناً ويفيق في بعضها

فالمجنون المُطبق هو في حكم الصغير غير المميز فكلُّ ما قلناهُ عن هذا الصغير (غير المميز) ينطبق على المجنون المُطبق. بناء عليه لا يجوز من تصرُّفاتهِ القولية الَّا ما كان في حقِّهِ نفعٌ كقبول الهديَّة والهبة . واماَّ ما كان في حقِّهِ ضررٌ محضٌ فلا يعتبر تصرُّفه فيه وان اجازه وليُّهُ . — ومـا دار بين النفع والضرر فيحتاج تصرُّفهُ فيهِ الى اجازة الوليّ . الى آخر ما اوردناهُ في باب الصغير غير المميز

والمجنون غير المطبق لهُ حالتان: الاولى ان يفارقهُ عارض الجنون في وقت افاقتهِ بالكليَّة . وفي مثل هذه الحالة تُعتبر تصرُّفات المجنون غـير المطبق كتصرُّفات العاقل . والثانية ان يفيق من عارض جنونهِ ناقص العقـل قليل التدبير . وفي مثل هذه الحالة يكون في حكم الصغير المميز كما شرحنا عن هذا ايضاً آنفاً

واذا تدبَّرتَ ما سبق تبيَّن لك ان المجنون ينقسم الى: ١ً مجنون مطبق . — (وحكمهُ كحكم الصغير غير المميز) . ٢ً مجنون غير مطبق يفارقهُ الجنون بالكلية عند افاقتهِ . (فحكمهُ عند الافاقة كحكم العاقل) . ٣ً مجنون غير مطبق يبقى عند افاقتهِ ناقص العقل (فحكمهُ حكم الصغير المميز)

ولا حاجة الى القول ان المجنون (مطبقاً كان ام غـير مطبق) اذا شفي من جنونه وثبت ذلك يفكُّ عنهُ الحجرُ ويُعتبر تصرُّفه كتصرُّف العاقل

٣ المتوه

قد اختلفَ اهل الشرع في تفسير (المتوه) على ان أرْجَحَ ما قيل فيه انه مَن كان قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير الّا انهُ لا يضرب ولا يشتم كما يفعلهُ المجنون وقد حدَّدت المجلّة المتوهَ بقولها انه « هو الذي اختلَّ شعورُهُ بحيث يكون فهمُهُ قليلًا وكلامه مختلطاً وتدبيرهُ فاسداً ». وهو محجور لذاته كما تقدّم القول. — واما من جهة الحجر فهو (اي المتوه) في حكم الصغير المميز فكلُّ ما قلناهُ سابقاً عنهُ (اي الصغير المميز) ينطبق على من كان معتوهاً

٤ السفيه

السفه (على ما في الدرّ المختار) « تبذير المال وتضييعه على خلاف مقتضى الشرع والعقل ولو في الخير » . فالسفيه اذًا هو العامل بخلاف موجب الشرع واتباع الهوى ومن عادتهِ التبذير والاسراف في النفقة وان يتصرَّف تصرُّفات لا لغرض او لغرض لا يعدّهُ العقلاء من اهل الديانة غرضاً مثل دفع المال الى المغنّين واللعّابين واهل الخلاعة والغبن في التجارات عن غير محمدة . وتبذير المال كما يكون (في الشر) ان يجمع اهل الشرب والفسق في دارهِ ويطعمهم ويسقيهم ويسرف في النفقة ويفتح باب الجائزة والعطاء عليهم يمكن ايضاً وقوعهُ . (وفي الخير) بان يصرف جميع مالهِ في بناء المسجد

فمما تقدَّم تعلم ان من يصرف مالهُ في غير موضعهِ ويبذر في مصاريفهِ ويضيع امواله ومن يغفل في اخذه واعطائهِ ولم يعرف طريق تجارتهِ وتمتّعهِ بحسب بلاهتهِ وخلوّ قلبه يُعدُّ سفيهاً ويُحجَر عليه . — على ان الفقهاء قد اختلفوا في حجر السفيه فمنهم من قال انه محجورٌ بنفس السفه ولا يتوقف على القضاء ومنهم من قال انه لا يثبت الّا بقضاء القاضي . وقد اختارت جمعية المجلة هذا الرأي الاخير فقالت في المادة ٩٠٨ منها : « للحاكم ان يحجر على السفيه » ومتى حُجر على السفيه من طرف الحاكم يُشهَر هذا الحجر على الناس مع بيان سببه ويعمّ هذا الحجر جميع اموال السفيه

واعلم ان الفاسق اذا بذَّر وأسرف في مالهِ فانه يعدّ ايضاً سفيهاً ويُحجَر

امّا في المعاملات فان السفيه المحجور كالصغير المميز ولكنه يختلف عنه بمسائل : منها ان وليَّ السفيه الحاكمُ فقط وليس لابيه وجدّه واوصيائهِ حقّ الولاية عليه .

ومنها ان تصرّف الوصي في مال الصبي جائز وفي مال السفيه المحجور باطلٌ. ومنها ان السفيه المحجور اذا اوصى بوصيّةٍ جازت من ثلث مالهِ واما الصبي فلا تجوز وصيّتهُ. ومنها ان عقد زواج السفيه المحجور وطلاقه جائزٌ ومن الصبي باطل. ومما قاله الفقهاء ان السفيه المحجور اذا باع او اشترى نظر القاضي في ذلك فما كان خيرًا اجازهُ وما كان فيه مضرّة ردّهُ

ثمَّ ان النفقات اللازمة للسفيه المحجور ولمن لزمتهُ نفقتهم (اي نفقاته ونفقات عياله) انما تؤخذ من مالهِ

واعلم ان السفيه المحجور لا يكون بيعهُ نافذًا الّا اذا اجازهُ الحاكم لمنفعة يراها فيه كما انه لا يصح اقرارهُ (اي إقرار السفيه) بدينٍ لآخر مطلقًا يعني ان ليس لاقرارهِ تأثير في حق امواله الموجودة في وقت الحجر والحادثة بعدهُ غير ان ذلك لا يؤثر في حقوق الغير المشروعة بحيث انه اذا ترتّبت عليه حقوق للناس فانما تؤدّى من امواله. وكذلك اذا استقرض دراهم وصرفها في نفقتهِ فان كان قد صرفها بالمعروف ادّاها الحاكم من مالهِ وان كان قد صرف زائدًا عن القدر المعروف يؤدي مقدار نفقتهِ ويبطل الزائد منها. وذلك لان القصد من حجر السفيه ان لا يبدّد مالهُ جزافًا فان استدان لضرورةٍ لا خوف على مال الدائن من الضياع وان استدان لاسرافٍ ضاع مال الدائن لانه خاطرَ بماله اذ يكون اعطى لسفيه محجور اعلن الحاكمُ حجرهُ للناس. هذا وان السفيه المحجور يبقى تحت حكم الحجر الى ان يكتسب صلاحًا وعندئذٍ يفكُّ الحاكم حجرهُ ويعلن الفك للناس. والمراد بذلك انه لا يكفي لاجل رفع الحجر صلاح السفيه ورُشدهُ بل يقتضي ان يثبت الصلاح والرشد لدى الحاكم وان يحكم بهِ ويذيع حكمهُ بين الناس

المديون

معلومٌ ان المديون من في ذمّتهِ مالٌ للغير والدَّين في نظر الفلسفة الاجتماعية والاقتصادية تيسيرٌ في وقت المضايقة وتسهيل في المعاملات والمبادلات البشرية من تجارية وصناعية وزراعية وغيرها بحيث لا يمكن الاستغناء عنه لدى جميع الامم ولاسيما الامم الراقية. فلو امتنع الدَّين لوقفت الحركة العمرانية والالفية وتأثرت الحياة الفرديّة والقومية. فهذا الفلّاح الزارع قد نقبَ ارضهُ وفلحها وزرعها وبذل في هذا

السبيل كلّ ما كان لديه من النقود وبينما كان يرقب بذاهب الصبر زمن الحصاد ليستغلّ ثمرة اتعابه احتاج الى مبلغ من المال اماً للقيام بأوده واود عياله واماً لوقاية الزرع من الهلاك واماً للامرين معاً فماذا يفعل وهو صفر اليدين فلا سبيل له الّا ان يستدين المال على قصد الايفاء آن الحصاد . — وذاك الصانع قد ابتاع المواد الاولية واعدّ الادوات اللازمة للعمل وشرع في صُنع السلع وقبل انجازها احتاج الى النفقة على نفسه وعلى مساعديه فيعمد الى الاستدانة تسهيلاً لامره وتيسيراً لمشقّته . — وذلك التاجر الذي رأس ماله الفٌ يستطيع بفضل الدين ان يتاجر بما قيمته عشرون الفاً فتتوفّر لديه الارباح ينتفع بها هو ومعاونوه بتجارته . فلو بطل الدين لانحصرت موارد الارتزاق ضمن دائرة ضيّقة جداً لذلك كان من الواجب ان تُبذل جميع الوسائل الممكنة لحمل اصحاب الاموال النقدية على عدم ابطال الإدانة . فبعض المشترعين قد اجازوا للدائن ان ينتفع بجزء من ارباح المديون المقدّرة مع الضمان وسمّوا ذلك فائدة او فايضاً او مرابحة وما ذلك الّا تشويقاً للتمول كي يعدّ اصحاب العمل بماله

وليس هنا محل البحث بذلك بل نقول ان الشرع عندنا قد وضع جملة وسائل مرجعها تأمين الدائن على دينه منها الرهن والبيع بالوفاء وبالاستغلال والكفالة ومنها ايضاً « حجر المديون » وهو ما نبحث فيه الان . وهو انه اذا لحظ الغرماء (اي ارباب الدين) ان مديونهم افلس اي ان الدين الذي في ذمّته اصبح مساوياً لماله او زائداً عنهُ او اذا خاف اولئك الغرماء ان يُضيع مديونهم مالهُ بالتجارة اوان يخفيه اوان يجعلهُ باسم غيره فلهم ان يراجعوا الحاكم بذلك ويطلبوا اليه ان يحجرهُ وعندئذٍ للحاكم ان يحجرهُ بطلبهم وان يشهر ذلك على الناس وذلك كله على قاعدة ان يتحمّل الضرر الخاصّ دفعاً للضرر العامّ . فاذا تدبرتَ ذلك وضح لديك انه لاجل حجر المديون يجب ان يكون (المديون) مفلساً (بالتعريف السابق ذكرهُ) وان يكون ذلك الحجر مبنياً على طلب الغرماء وصادراً من طرف الحاكم وان يشهر الحكم على الناس

وهنا مسألة فيها نظر وهي انه اذا طلب الغرماء حجر المديون فالحاكم ينظرُ في الامر فان كان المديون مقتدراً لكنه يمتنع عن اداء الدين مماطلةً حينئذٍ حجر الحاكم

مالهُ وباعهُ وادّى دينهُ مبتدئاً بما بيعهُ اهون في حقّ المديون وذلك بتقديم النقود فالعُروض فالعقار . وان كان مفلساً حجرَ الحاكم المديون (كما رأيت في تعريف الحجر) اي منعهُ من التصرّف بمالهِ وعن الاقرار بدين جديد لاخر الخ . ثمّ يبيع اموالهُ ويقسمها بين الغرماء تاركاً لهُ ما كان ضرورياً من اللباس والمسكن بالنسبة الى حالهِ بحيث ان كان لهُ ثيابٌ ثمينةٌ باعها واشترى لهُ من ثمنها ثياباً رخيصةً تليق بحالهِ وان كانت لهُ دارٌ يمكن الاكتفاء بدونها باعها ايضاً واشترى مسكناً لائقاً بحاله واعطى الزائد للغرماء . واما لو كان لا يمكن الاكتفاء بدون ما للمديون من الملبس والمسكن ابقاهما القاضي لهُ ومثل ذلك قل عن سائر موجوداته البيتيّة

وطالما المفلس محجور فيُنفق عليه وعلى عيالهِ من مالهِ

والحجر على المفلس المديون يشمل كلّ ما ملكه قبل الحجر ولكنهُ لا يشمل ما ملكه بعد الحجر

وليس للمفلس المديون المحجور ان يأتي عملاً يؤدي الى ابطال حق دائنه . وعلى ذلك فلا يسوغ لهُ ان يتبرّع او يهب او يتصدّق او يبيع مالاً انقص من ثمن مثله وبالجملة فان عقوده (المضرّة) بحقوق الغرماء في حق امواله الموجودة وقت الحجر انّما هي باطلة ولكنها تُعتبر في حق امواله التي اكتسبها بعد الحجر . واما اقرارهُ بدينٍ فلا يُعتبرَ بحق امواله الموجودة آن الحجر ولكن ذلك الاقرار ينفذ على ان يؤدي المقرّ به ممّا يكتسبُ بعد الحجر

ملاحظة

ان ما اوردناهُ عن حجر المديون انما هو بموجب الاصول الفقهية الشرعية . امّا القانون فقد وضع بابَ الحجز (في قانون اصول المحاكمات الحقوقية) وبابَ الافلاس (في قانون التجارة) وضمّن البابين المذكورين ايضاحاتٍ اقتضتها الاحوال العصرية . على ان من تأمل باب الحجر الشرعي الذي اتينا على بيانه في هذه المقالة وقابلهُ بما جاء في بابي الحجز والافلاس من القانون يندهش اذ يرى الشرع قد استدرك قبل اجيالٍ امورًا دقيقة لم يأتِها القانون الّا بعد اختبارٍ طويل

رسالة مكسيموس الحكيم

عُني بنشرها حضرة القس جرجس منش المارونى الحلبي

توطئة

ما كاد يرتقي سلبستروس القبرسي سدّة البطريركية الانطاكية حتى اثار جذوة الاضطهاد على الشعب الكاثوليكي وبذل اقصى جهده وعنايته في ان يستأصل منهُ العقيدة الكاثوليكية فتفنّن ما شاء التفنن والى ما فتقت لهُ فكرتهُ من ضروب الحيل والقسوة في عود قومهِ الى الشقاق حتى ظنَّ جلُّ اهل القرن الثامن عشر ان الكاثوليكية كادت تمحى من صدور ابناء الطائفة الملكية الكريمة لولا الله العزيز يتداركها بلطفٍ من علائهِ ويسدّد خطاها ويشدّد عزائمها في ذلك المعترك الهائل والاضطراب المستدّ الصدى

وفي سنة ١٧٢٥ اصدر هذا البطريرك خلاصة ايمان ضمَّنها « انكار القضايا الخمس وقاعدة الكلام الربّاني في الاسرار ». وحمل الناس على تلاوتها وكل من ابى الامتثاد بما فيها دفعهُ ليد القضاء حتى غصَّت السجون باولئك الاشراف الاماجد وهبَّ حينئذٍ العلّامة عبدالله زاخر الى تفنيدها بكتاب سماهُ « البرهان اليقين على فساد ايمان المشاقين » واضطُرَّ بعدهُ ملكية حلب الى تأليف « اخوية لنصرة الايمان الكاثوليكي » من « روساء ومتقدمين . روساء عشرات كلهم متصفون بالغيرة نحو نصرة الايمان المقدس منهم عشرة انفار ورؤوس على الجميع » انتهى بعضهُ عمَّا رواهُ مؤرخو الرهبانية الشويرية الجليلة

وقد كان يترتب على كل فرد من هذه الاخوية ان يتلو « صورة الايمان الكاثوليكي » دلالةً على اقرارهِ بهِ وقد نشر هذه الصورة حضرة الاب لويس شيخو في مشرقهِ الاغرّ (١٥ : ٦٥٧ وما يليها) فعارضهُ حضرة الخوري قسطنطين الباشا في نسبتها الى عبدالله زاخر مدعياً انها من تأليف مؤسس الرهبانيَّة المخلصية المطران انتيموس الصيفي (المشرق ١٦ : ١٠٦) على ان ما اعتمد عليهِ حضرتهُ فيما ارى لا يسند مدَّعاهُ ولا ينفي كل اعتراض عنهُ . . . ولعل صاحب المشرق الفاضل يعثر في المخطوط الذي اخذ عنهُ « صورة الايمان » على قوانين تلك الاخوية (١ وهي اذا وجدت فهو لا يخلو من اشارة الى تلاوة تلك الصورة او الخلاصة الكاثوليكية

ولا ريب في ان هذه الاخوية قد بلغت ما تمنَّتهُ من الانتشار والازدهار بفضل عناية الحبر الاروع الخطير المطران مكسيموس الحكيم وقد وجَّه اليها في سنة ١٧٣٣ رسالة ضافية اثنى فيها على نشاطها وغيرتها وحضَّها على مواصلة اعمالها وملازمة الثبات في منهاجها القويم واكثر لها فيها من عبارات التجلُّل والتعزية على ما تحملهُ افرادها من ضروب المشاقّ والمغارم في سبيل نصرة

١) لم نجد هذه القوانين في المخطوط المذكور (المشرق)

الايمان الكاثوليكي . وهذه الرسالة الجليلة تدلّ على ما كان عليهِ ذلك الحبر العظيم من الرسوخ في التقى وسائر الفضائل السامية والتشبّع من الروحي وآيات الاسفار المقدسة ولعلي اعود في فرصة اخرى الى نشر ما اتصل بي من اعماله ومحامده ان شاء الله

(20) من مكسيموس مطرانكم وخادمكم الى الرعية المقدسة ، الاخوية الكاثوليكية ، جزيل البركات السموية والارضية

انهُ لمن الواجب ان يتبع الاجناد قائدهم وان (21) يتشبه الجيش بالاناس الاتقياء من معسكرهم . وفي هذا اوصى الرسول المؤمنين ان يتشبهوا به كما تشبَّه هو بالمسيح . وانهُ لمستحبٌ ومستحسن ان يتذكر الجيش في معركة الكفاح الحالة التي سلكها قائدهم واسلافهم لكي يسلكوها هم ايضاً كونها هي الحالة المستقيمة التي توصل تابعيها الى الغلبة باعدائهم . فمثل هذا التذكار هو حميد ومفيد جدًّا لنا الآن نحن المحاربين ضرورة في ميدان هذه الهيجاء . لانهُ اذ قد تحقَّقنا بحقيقة الايمان ان الله قد اختارنا بسيدنا يسوع المسيح الذي جعلهُ لنا رأساً ورئيساً ابديًّا يدوم معنا بشخص نائبه الحبر الاعظم ذي الرئاسة المطلقة . وصيَّرنا به جسداً مقدساً منتظماً في كنيسته التي هي امُّنا كلنا واشركنا باعضائه المختارة الذين شاركوا آلامهُ وسمَّانا اخوتهُ واخوة بعضنا بعض (22) وبموجب هذا الاستحقاق العظيم الذي خصَّصنا به الهنا الجواد بيسوع المسيح ربنا وقائدنا . وقد اعدَّ لنا حيوةً ابدية سعيدة ان نحن تفوناهُ وتبعنا اثر خطواتهِ . فيا ما اعظم حظَّنا واسعدهُ ان نحن سلكنا هذه الطريق الضيقة الامينة التي سلكها قائدنا الحقيقي يسوع المسيح مخلصنا . وقد تبعهُ بها اسلافنا في ميدان الجهاد المقدس والآن قد حظوا به متكلّلين

فلننظر الان ايها الاخوة المحاربون كيف كانت حيوة قائدنا . وفي اي حالة تقضَّت وما هي الطريق التي سلكها بها . فمن المعلوم ان جميعكم تجيبون بما شهد به الانجيليون انهُ تعالى اتى لكي يقبل الآلام . واذا تصفَّحنا حالات حياته فاننا نراها قد تقضَّت بفقر مدقع (مدقع) مذيب واتعاب مختلفة متزايدة وغربة مديدة متطاولة واضطهاد شديد مقلق وافتراء محض مزعج (23) وضيقات متنوعة متتابعة وآلام موجعة تتَّالة واخيراً انتهت بموت شنيع مهين جدًّا . فهذا بعضُ البعض من المتاعب

التي عاناها معلمنا وقائدنا في طريق حياته المقدسة . وبهذا غلب العالم والقى اركونهُ الى الخارج وقام غالباً ظافراً بمجد ربوبيّ

هكذا اخوتنا الاتقياء ارباب هذا الجيش المقدّس الذين جاهدوا المالك بصبر وشهامة . وقد اجازوا كل حياتهم وهم ساعون على الرجاء المكين واحتملوا العذابات الفادحة والميتات المتنوعة تبعاً لقائدهم لكي يماثلوا حياتهم بحياته . واخبارهم تشهد لهم على ما صابروهُ من الاتعاب الشاقّة والاوجاع الناكية . وبمثل هذه الحال المؤلمة المحتقرة قد حصلوا غالبين وصاروا فائزين وقهروا اعداءهم الذين هم الجسد والعالم والشيطان . والآن هم في السماء مكلّلون مع سيدهم (24) الذي غلب وجلس على كرسي ابيه . ووعد لكل من يغلب ان يُجلسهُ معهُ على ذلك الكرسي الذي هو المجد الابدي

كذلك امّنا الكنيسة المحاربة ايضاً قد تجاهد مقابل المضطهدين دائماً وتقاوم ظلمهم وكفرهم وتحاربهم بتعاليمها المستقيمة . وقد طردت الذئاب المفسدة بصبرٍ مقدّس وقطعت بكلمة الحق كلّ باطلهم وهذيانهم . ومع ذلك كانت تتفداهم (تفتادهم) وترشدهم وتقبل الضالّة منهم بفرح وهشاشة . ولم تزل مستعدّة لمحاربة العالم واراكنته الى استقبال الراجعين اليها لانها امٌّ حقيقيّة . ومن شيمها التربي والاحتمال وطرد المضلّ والضال . وبهذا تربي اولادها وتظفر غالبةً بمن يحاربها كما فعلت ولم تزل فاعلةً

فها هوذا يا اخوتي قد اوردتُ لمحبتكم مختصر (25) الحالات التي قضى بها حياتهُ قائدنا واخوتنا الاتقياء . وها قد اوضحتُ بايجاز الطريق التي سلكوها والغاية التي حصلت لهم منها . ولمّا كنّا نحن معهم جيشاً واحداً في حضن امّنا الكنيسة الجامعة المتحدون (متحدين) بها بايماننا العامّ المقدس وصرنا اعضاء هذا الجسد الوحيد المبتاع بالدم الكريم وحصل يسوع المسيح رأسنا وقائدنا . فقد لزمنا ان نتألّم معهُ لكي نملك معهُ كما فعل اخوتنا الذين تقدمونا . ومن الواجب ان تتألّم الاعضاء مع رأسها وتحارب معهُ لكي تظفر بظفره وحينئذٍ تتملك معهُ . ولهذا يقول الرسول الالهي (٢كور١ : ٧) : ان كنتم شركاء الآلام فستكونون شركاء المجد ايضاً » . فهكذا يجب علينا ان نتذكر حيوة مخلصنا الذي هو رأس ايماننا . ونتبع اثر خطواته

في الجهاد المنصوب لنا . وغائل القديسين الذين تقدموا . لان « كل الذين (26) يعيشون بتدين بهِ سيُضطهدون » (٢ طيموتاوس ٣: ١٢)

ولقد سمعت بما حركهُ عليكم الاعداء الذين يريدون يَرْأسوكم ويتسلطوا عليكم لا لكي يفيدوكم بتعليمهم ومثلهم حقائق الايمان والاعمال الصالحة بل لكي ينتقموا منكم ويظلموكم ويغشُّوكم ويقدّموكم الى الحكام والولاة تقدمة ظالمة ويسلبوا اموالكم ويتلفوا ديانتكم ان قدروا . والذي سبق من اعمالهم يعلمنا بما هو عتيد ان يفعلوهُ

وقد بلغني ايضاً ما اظهرتموهُ من الشجاعة المقدسة والغيرة المسيحية اللائقة بابناء الكنيسة الحقيقيين الذين يحمون عرض امّتهم . اعني حرية الايمان الكاثوليكي المستقيم وهذا من الواجب ان يُفضَّل على خيرات العالم باسرها حتى وعلى هذه الحياة ايضاً . وقد سرَّني هذا الاضطهاد الجديد الذي تقدّم بهِ لله مجدًا واكراماً (27) وللكنيسة شرفاً وبهاء وللقديسين سرورًا وابتهاجاً وللمؤمنين تمكيناً وثباتاً وللشياطين خزياً وعذاباً وللاعداء توبيخاً وعارًا . حقًّا يا اخوتي انني لمّا تأملت مثل هذه الخيرات المعتبرة عندي لعظم قيمتها الجزيلة جدًا سُررت مغتبطاً واشتهيت ان اكون حاضرًا معكم بجسدي كما انا حاضر عندكم بروحي لكي اشترك بمثل هذا الشرف الرفيع . الّا ان الله قد رأى لنا رأينا افضل صواباً حيث لم يرد ان اكون عندكم لئلّا يثقل عليكم امري . ولكن في هذا كفاية لتعزيتي ومسرَّتي ان اسمع عنكم بانكم مجاهدون ومستعدُّون للجهاد ايضاً . وهذا الفرح المقدس قد فعل بي فعلًا هذا حدهُ حتى اني فرحت ايضاً بخسارة الاموال التي أُصرفت بمثل هذا الجهاد الحسن . لاني سمعت الرسول الطوباوي يمدح الذين صبروا على اختلاس اموالهم بفرح (28) . ولهذا انا امدحكم ايضاً لانكم دفعتم اموالكم فدية عن ايمانكم بفرح . ولتعلم محبتكم باوكد الايقان انهُ قد حصل لكم بدفع هذه الاموال اجرًا عظيماً (اجرٌ عظيم) اعظم من الذي يعمّر كنيسة في هذه البلدة . لان هذه الاموال قد أُعطيت لاجل ثبات الايمان وعمارة الكنيسة المتنفسة التي هي جماعة المؤمنين بالمسيح واعضاء جسدهِ المقدس . ومن المعلوم ان عمارة المؤمنين لأفضل

شرفاً من عمارة مجامع المؤمنين. لان هذه غايةٌ وتلك واسطة لهذه. والغاية اجلُّ واعظم من الواسطة بأضعاف

فلهذا سرّوا ايها الاخوة المكرّمون بالخير الذي انشأهُ الله بكم واقامهُ بجهادكم. ولا تحزنوا لاجل تلاف (تَلَف) الاموال الزائلة التي لا بدَّ لنا ان نتركها وتتركنا هي ايضاً ثم يتسلّمها غيرنا ويتلفها وربما في طريق غير صالحة. بل ابتهجوا واجذلوا (29) بالخيرات الراهنة التي سيعطيناها ربنا يسوع المسيح اذا غلبنا كما غلبَ. فلنجاهدنَّ اذاً بطمأنينة ولنسعَ بهذه الطريق المستقيمة المؤدّية الى حيوة الابد. ولا نشفقنَّ على شيء ارضيّ بل نشفق على مخلّصنا الذي سفك دمهُ لاجلنا وهو يطلبنا اليه لكي نتبع اثر خطواته ساعين في هذه الطريق التي هيّأها لنا بهذه الايام منّةً جليلة منهُ تعالى. لانهُ يعلم كل شيء ويعلم بالذي هو انفع لخلاصنا ويدبرهُ بمشيئة صالحة. فلنقبلهُ نحن بشكر وارتضاء ونجدَّ في طلبهِ بفرح واجتهاد ساعين في الجهاد المنصوب لنا منهُ لمنفعتنا وربح الخلاص الابدي

ولكنَّ هذه السبيل القصيرة ونحن حاملون عارهُ بافتخار متدنّس عالمون انهُ بهذا يرضى بنا وعلينا. وان شاء فانهُ يغنينا وان كنّا فقراء. وان سمح فانهُ يفقرنا ولو كنا اغنياء. وقد نرى مثل (30) هذا باعيننا كل يوم ونعرفهُ جيداً. ولقد نعلم ان الله العادل قد دبّر هكذا وهو ان اناساً اغنياء قد اجتهدوا ان يحموا مالهم بديانتهم واتلفوها خوفاً على مالهم. فاهملهم الله واتلفوهما كليهما. وقد خسروا الدنيا والاخرى معاً

فاعتبروا بمثل هؤلاء الذين ليس لهم همٌّ واهتمام الّا بما هو ارضيٌّ. ويختصّ بالتدبير العالمي فقط فمثل هذا الاهتمام الرديّ الذي يسمّونهُ هؤلاء تدبيراً ليس هو تدبيراً بل إدباراً ودَمَاراً. وهو رأي الاناس الاشرار خدّام هذا العالم الباطل الكذّاب لا المسيح. اما انتم يا اولادي الاحبّاء فلا تهتمّوا بالعالم ولا فيما للعالم الخدّاع بل اهتموا فيما للرب الصالح الصادق في مواعيدهِ ووعيدهِ واجتهدوا في حماية الايمان الكاثوليكي المستقيم الذي بدونهِ لا يرى احد ربّنا يسوع المسيح (31) واستعدّوا لمحاربة اعدائهِ دائماً بنيّةٍ مستقيمة صالحة. كونوا حكماء في تصرّفكم الجيد لا بروح العالم المضلّ بل بروح المحبة والاخلاص بروح الفطنة والشجاعة بروح

الغيرة والسلامة الباطنة كونوا حكماء مع الخارجين عنكم وودعاء مع بعضكم بعضاً وروح الرب يحلُّ فيكم ويرشدكم في كل عمل صالح . لا تخافوا الاشرار بل خافوا الرب وحدهُ وتمسكوا بايمانهِ تمسكاً حسناً واحفظوا وصاياهُ حفظاً جيداً . وهو يرد اعداءكم على اعقابهم ناكصين ويضاعف عليكم الخيرات الروحية والجسدية . وانا ابتهل اليهِ تعالى في شأن ثباتكم وتمكينكم وان يكون معكم وينميكم ويكثركم ويرشدكم حافظاً (لكم) في الطريق المستقيمة المؤدية الى حياة الابد . حيث قائدنا واخوتنا المجاهدون امين

(32) سلّموا على كل اخ بالمسيح من الكهنة والعوام شركاء ايماننا المستقيم . يسلّم عليكم اخينا (اخونا) الخوري نيقولاوس الرئيس المكرم . وكل جماعة الرهبان الاتقياء مع ولدنا الشماس عبدالله التقي . وكل الذين عندنا يقرأونكم السلام . والنعمة والبركة مع جميعكم امين

سُطرت بدير ماري الياس النبي (بقرية المحيدثة من ناحية المتن بلبنان) في اليوم الـ ١٤ من شهر آب سنة ١٧٣٣ م

خاتمة

وهي المرّة الاولى التي يُنشر فيها شيء من رسائل المطران مكسيموس وقد ظفرت بنسخة منها بخط شماس لاوندريس سالم الحلبي فهو ادعى الى الثقة بهِ والاعتماد عليهِ فيها لانهُ نقلها فيما يظهر عن نسخة مؤلفها الجليل والنسخة حسنة الخط تقع في ٣٩٦ صفحة من القطع الثمن الصغير . والرسالة جليلة القدر جزيلة الفوائد لما حوتهُ من ايات التعازي والمراشد ومؤلفها الحكيم كاتب عارف باصول اللغة العربية وما فيها من الهفوات لا سيما في تعدية بعض الافعال واستعمال بعض الالفاظ يُغتفر لهُ إذا علم المطالعُ قصور يد كاتبها في عهدهِ عن الوصول الى وسائل التدقيق المتوفرة في هذا العصر

واما « الاضطهاد الجديد » الذي اشار اليهِ في خلال الرسالة فهو ان سلبتروس السابق الذكر كان ارسل الى حلب بعد رحيله عنها وكيلاً عنهُ واهباً يدعى « حبيب الاعور » في ٢٠ تموز سنة ١٧٣٣ فنهضت الفئة الكاثوليكية او « الاخوية الكاثوليكية » الى مقاومتهِ حتى تمكنت من طردهِ وإبقاء الكنيسة في حوزتها بعد ان انفقت على ذلك ثمانية الاف وخمس مئة غرش وهي تعادل خمسة واربعين الف فرنك من النقود الدارجة اليوم

وكان سلبتروس هذا اعاد حلب الى ولايتهِ البطريركية بامر سلطاني في اواسط سنة ١٧٣٢

بعد ان خلعت منها رقبة سلطانه الجائرة بخط سلطاني ايضاً في مناوي سنة ١٧٣٠ فلما تمكنت الثلة الكاثوليكية من إبعاد ابن الاعور فصلت حلب عن سلبستروس في سنة ١٧٣٤ واعادتها الى عهدة مكسيموس مؤلف الرسالة المنشورة بتوسط والي حلب وقاضيها فعاد اليها راعيها الحكيم في سنة ١٧٣٦ بعد ان قضى في لبنان ثلث سنين وقد انفقت هذه الثلة على ذلك سبعة الاف وخمس مئة غرش وهي تساوي اربعين الف فرنك من نقود اليوم

فيكون جملة ما انفقتهُ ٤٢٥٠ ليرة فرنسوية وهو بعض ما تكبدتهُ من المشاق والمغارم في سبيل الايمان الكاثوليكي جزاها الله جزاء الخير وخير الجزاء

واما الذين اشار المطران اليهما في آخر رسالته فهما الخوري نقولا الصائغ والشماس عبدالله زاخر اثابهم الله وبلّ ثراهم بوابل الرحمة والرضوان انهُ سبحانهُ اللطيف الكريم

المناعة

محاضرة لجناب الدكتور حبيب افندي الدرعوني القاها في ندوة جمعية الاطباء والصيادلة في غرة نيسان

المناعة مسئلةٌ حيوية صعبة المراس كثيرة التشعُّب لم تزل وقفاً على البحث ولن تزال كذلك ما دامت في حيّز الحدس والافتراض من حيث تعليلها واستجلاء خفاياها والسبب ان مجهولات جمّة تعترض الباحثين في حلّها وكلّما كُشف عن واحدةٍ تقوّض شيء من بناء النظريّة المعوّل عليها في شرح المناعة وتعريف اعمالها . فاذ ذاك تقتضي الحال تشييدَ نظريّة جديدة تنطبق على المعلومات الحديثة التي فاز بها العلم على يد العلماء الدائبين في استخراج مكنونات البيولوجيا

والبرهان ان شارحي المناعة ذهبوا في شروحهم ونظرياتهم مذاهب شتى ليس لي في هذه الوقفة ان آتي عليها كلّها بل انني اقطع بكم كل هذه المراحل المهجورة على قطار سريع فلا نقف حتى نلج المحطّة الكبرى اعني بها نظريّة العلّامة إهرليخ (Dr Ehrlich) وهي التي استهوت طلّاع هذه المباحث وأرضت شروحها جماعة المنقّبين عن حقيقة المناعة وحركة آلاتها

لمَّا شاعت هذه النظرية كتبتُ في تعريفها مقالًا مسهباً في مجلة المشرق سنة ١٩٠٠ (٣:٦١٧) فيكون قد مضى عليها اثنتا عشرة سنة وهي صابرة على محكِّ الانتقاد واليها المرجع في فهم المناعة وادراك عللها . وكنت في كل هذه الفترة أتعقَّب كلَّ شاردةٍ من هذه المسئلة فأعيها وأبحث عن المعلومات المستحدثة في هذا الصدد فأعلقها عليها الى ان أعلنَ الدكتور ريشه (Dr Richet) بوقوع الانافيلكسيا وهي عكسُ المناعة كما تعلمون فدرست تفصيلها ونشرت السنة الماضية في مجلة المشرق ذاتها مقالةً في خواصها العجيبة (١٥:١٢٣)

كتبت هذين المقالين ولم يبدُرْ في خلدي ان سيأتي يومٌ تتوالى الاكتشافات البيولوجية وتنجلي بعض غوامضها فيلوح لنا ان هذين المظهرين المناعة وعكسها ينشأانِ من اصل واحدٍ وانهما فرعان نبتا على أرومةٍ واحدة غير ان كلًّا منهما أخذ وجهةً مخالفة للآخر فأصبحا متعاكسَيْن في مفعولهما . كقولك الإباء والكبرياء فكلاهما عاطفةٌ نفسانية تولَّدت عن ترفعٍ في النفس فكانت خلَّةً حسنةً في الإباء وصارت نقيصةً لمَّا أضحت كبرياء . ومثلهما البخل والاقتصاد فان منشأهما حبُّ الاحتفاظ بالمال الَّا ان هذا الميل عيبٌ في البخل وفضيلة في الاقتصاد . وعلى هذا النحو تجري المناعة والانافيلكسيا

ولكن قبل تفصيل هذا الرأي الجديد الذي يرجع شيوعهُ الى عهد قريب بل ايَّام قليلة وينير منعطفات المناعة بانوارٍ علميةٍ جديدة تبدِّد ظُلماتها وتكشف معجماتها رأيت من الضروري ان أجعل لكم نظريَّة الدكتور اهرليخ في المناعة لان نسبتها الى الرأي الجديد الذي سأشرحهُ كنسبة القاعدة الى البناء او نسبة البناء الى حاجاتهِ وكمالاتهِ

*

من المعلوم ان في كل خليَّة من خلايا الحيوان مادَّةً أولى هي ركن تكوين تلك الخليَّة يسمونها بروتوبلاسما اي الجرثومة الاصليَّة او النطفة الاولى (راجع الصفحة ١٦١) وفي كل جرثومة توجد عناصرُ من دأبها ان تجذب اليها الموادَّ المغذية السائرة في الدم فتخزنها وتأتلفَ بها ائتلافاً شديداً . فقد شوهد مثلًا ان السكَّر موجود في البروتوبلاسما ليس محلولًا بل متحدًا اتحادًا لا تفصلهُ الَّا الحوامض

الكيماوية. وعلى هذا المنوال يعتبر اهرليخ في البروتوبلاسما عناصر اخرى تحصل بينها وبين المادة السامة المدعوة بالتوكسين (toxine) الموجودة في الدم مجاذبة شديدة وقد دعاها بالسلاسل الجنبية (chaînes latérales) ثم افترض لها طرفين الواحد متصل بالبروتوبلاسما وسماه حامل السم (toxophore) والطرف الثاني سائب بشكل كلاب سماه حامل الكلاب (haptophore) وعنده ان السلاسل الجنبية اذا شمت رائحة التوكسين في الدم تسعى اليه حتى تلتصق به وتمسكه بواسطة كلابها . واذا تم هذا الاندغام تصبح السلاسل الجنبية معطلة اي غير صالحة للقيام باعمالها الطبيعية فلا تعود تجتذب المواد الغذائية لان مواد التوكسين متى علقت بها لازمتها مدة طويلة

فلا بد اذ ذاك ان سلاسل جديدة تخلف السلاسل المعطلة حتى تقوم بعمل الغذاء وذلك ما يتم فعلاً جرياً على ناموس فيدكرت (Vidkert) القائل بان الطبيعة سخية في هباتها وترد المفقود اضعاف اضعاف . فاذا حصل ذلك وأشبعت تلك السلاسل الجديدة بالتكاسين تعود تتعطل بدورها ثم تخلفها سلاسل جديدة غيرها ويستمر التعطيل والتجديد على هذا النمط حتى يتفاقم عدد السلاسل في الخلية الواحدة فيصبح ثقلاً وعبئاً عليها فتضطر الى ان تقذف بعضها وتدفعها الى مجرى الدم فتسير فيه سائبة . وقد تستمر في حالة انفصالها على نفس العمل الذي كانت تعمله حين كانت متصلة بأصلها اي انها تلتهم التكاسين التي تألفها طبعاً حيثما صادفتها في الدم وبهذه الطريقة تقوم المناعة في الجسم لان السلاسل السائبة تروح وتغدو في مجاري الدم وتكمن للتكاسين التي تسبح فيه فتقبضها وتحتفظ عليها اللهم اذا كانت تلك التكاسين من ذات الجنس الذي كان علة توليدها ولهذا السبب سموها انتيتوكسين اي مضادة للتوكسين

تلك خلاصة نظر اهرليخ في المناعة وفضله فيه انه عدل بكليته عن الاراء التي تقدمته فنسب علة المناعة الى مبدإ حيوي عامل بينما كانت آراء من سبقه تحصر تعليلها في فعل الامتزاجات الكيماوية فكأني به قد شيد نصباً للمناعة على قاعدة علمية واعطاه شكله ورسم فيه اعضاءه ومثل رأسه ولكن ملامح ذلك التمثال بقيت مطموسة مدة من الزمن حتى جاء نوابغ النحاتين فاجالوا ازاميلهم

في ذلك الوجه المطموس وحفروا المقرّات وصقلوا النواتئ فظهرت الملامحُ ونسّت الى المتأملين بها عن هويّة الشخص الذي قصدوا تمثيلهُ

ان المناعةَ حسرت عن وجهها وبان محيّاها لمّا ان فصّلت الاختبارات ما قد اجملهُ اهرليخ فاعلمتنا مثلًا ان ما يسمّيه اهرليخ بالسلاسل الجنيّة انما هي مجموع مواد كالملصقات (agglutinines) والمحلّلات (lysines) التي تكل منها دورٌ خاصٌ في ايجاد المناعة او إحداث الاناڤلكسيا . فضلًا عن ان هذه المقتبسات العلمية الحديثة اصبحت حقائق محسوسةً يمكننا استخراجها وفرزها ودرس خواصّها كما سنبيّن :

قلنا ان المناعة مسئلة كثيرة التشعُّب . انما يسهل علينا ادراكُ هذا المظهر العجيب اذا اعتبرنا انَّ بين البدن والعوامل المرَضيَّة جهادًا متواصلًا وان هذا الجهادَ جارٍ على خطّةٍ حربية نظامية بديعة الترتيب فهناك القلاع المنيعة تقاومُ العدوَّ وتثبتُ في وجههِ على قدر طاقتها وان غُلبت على أمرها زحف حماتُها لملاقاته والاحاطة بهِ فتفتك بهِ وتصدُّه حتى تنال الغلبة او يقوى هو عليها فيتمُّ له الظفر . امّا القلاع الثابتة فهي مجموع الخلايا المكوّنة لانسجة البدن على اختلافها واما الحامية فهي تلك الخلايا السائبة السابحة في مجاري الدم اعني بها الكُرَيّات البيضاء التي تُغيرُ على الجراثيم المرَضيَّة وتمدُّ يد المساعدة الى الخلايا لكي تاخذ بناصرها وتُقصي عنها تلك الجراثيم الدخيلة

واذ تقرَّر هذا التشبيه وهو في الواقع حقيقةُ الحال لننظر كيف يتمّ هذا العمل :

انَّ الخلايا الثابتةَ في مواضعها والخلايا السائبةَ وهي كُرَيّات الدم البيضاء (leucocytes) تعمل سويّةً على ابادة الجراثيم المرضية بابتلاعها فان فازت بهذه المهمّة ساقتها غنيمةً باردة والتهمتها او دفعتها الى مخزن الموادّ المهضومة برسم التمثيل . امّا اذا كثُرت تلك الجراثيم من انيابها وافضى الامر الى النزال والاقتتال فلا غروَ ان الخلايا — اذا قُدّر لها الفوز — لا تخرج من هذه المصادمة الّا وقد لحقَ بها ضررٌ ونالها تعطيل

امّا السموم المهاجمة فثلاثة انواع : نوع ضعيفٌ ذليل بطيء التحليل فيتمُّ

هضمه تدريجاً ويُفرزُ الى الخارج بهدوء ومن دون حركةٍ مرَضية

ونوعٌ اشدُّ من الاول واغزرُ مادةً او اقرب تحليلاً فهذا لا يتمُّ دفعُهُ الى الخارج الّا مرفوقاً بانفعالٍ موضعي او عمومي تختلف درجة شدّتهِ

ونوع غاية في الشدّة والوفرة ينحلُّ تركيبهُ الكيماوي بغتةً فيحصل منهُ انفجار السمّ بعد هضمهِ بكميّة غزيرة فيقتل الجهاز البدني ويبيدهُ

فينتج ممّا تقدم ان الانفعال الحاصل من الجرثومة المرضيّة الداخلة في الجسم يكون بنسبة كميّتها وماهيّتها. ومقياسُ شدتهِ يدلُّ على درجة التأثر اللاحق بالبدن في سياق عراكهِ ضدّ المرض . وهذا الانفعال — بقطع النظر عن كميات الجراثيم وماهياتها — قد يختلف شدةً او ليناً حسبما يكون حصل بينه وبين المرض نزالٌ سابقٌ او كانت تلك اول واقعةٍ التقيا بها . فمن ثمَّ امّا ان يكون الانفعال خفيفاً فيقولون انَّ هناك مناعةً او انه يكون في إبّان التأثُّر والشدة فتكون منه الانافيلكسيا اي عكس المناعة

اما إحداث هذه الاعراض الانفعاليّة فليس محصوراً بتوكسين الميكروب حسبما جاء في نظرية اهرليخ بل يوجد موادّ كثيرة كالميكروبات الميّتة ونفايات الخلايا والموادّ الزلالية وغيرها التي تثير انفعالاً في الجسم اللهمّ اذا كانت سبقت فدخلته غير مرّةٍ وقد اطلقوا عليها اسم انتيجان (antigéne) اي مولّدة الاضداد لانها لا تكاد تلج الدم حتى يقذف في وجهها من باطن الكريّات اضداداً للنكاية بها يدعونها أنتيكور (anticorps) . وتسهيلاً للتعبير اسمحوا لي في سياق هذه المحاضرة ان اترجم عن الانتيجان بالمولّد او المولّدات وعن الانتيكور بالاضداد

وهنا يظهر لكم ان الدائرةَ التي حصر فيها اهرليخ عمل التوكسين قد اتّسعت كثيراً وشملت كلَّ مادةٍ تدخل الجسم وتُحدث فيه انفعالاً فسمحت لنظرنا الحاسر ان يوسع مجاله ويرى مظاهر كثيرة أُغلقت علينا من قبل ويحلُّ إشكالها بردّها الى الاكتشافات الحديثة وكما ان الجسم بكليّتهِ تنشأ فيه خواصُّ جديدة لدى احتكاكهِ بالمولّدات كذلك مصل الدم فانه يكتسب ايضاً خواصَّ جديدةً ونوعيّة . وليست هذه الخواصُّ وهميّةً بل فعليّةً يمكننا الوقوف عليها في قوابل المختبرات

الكيماوية بما يحصل من الفعل الظاهر للعيان كلما جمعنا بين هذا المصل وبين مولدات خواصه الامر الذي لا يحدث في المصل السليم

وهذه التوطئة تدنينا من النقطة التي تدور حولها مسئلة المناعة اعني بها خواص المصل المكتسبة وخواص الاضداد

غير خافٍ ان معظم المولدات بل كلها موجودة في حالةٍ يدعونها شبه غروية (état colloïdal) وقد يكون فعل المصل فيها على حالين اما بتجميدها او بتسييلها. واليكم مثالاً نأخذه من المولدات الميكروبية : اذا جُعل ميكروب الكوليرا في مصل دمٍ جديد تراه يتحرك ويعيش كما لو كان في مرقِ الاستنبات اما اذا وُضع في مصل دمٍ مُمنَّعٍ ففي الحال تقف حركته ويتلاصق ويتجمد كُتَلاً صغيرة ثم يعقب هذا التجمُّدَ تسييلٌ بطيءٌ ينتهي بتحليل الميكروب (bactériolyse)

وهذا مثالٌ آخر باعتبار الخليات كمولدات :

اذا وضعنا كريات دم الخروف الحمراء في مصل ارنب جديدٍ تبقى تلك الكريات سليمةً كما لو كانت سابحةً في الماء المالح الفسيولوجي . امّا لو كان هذا مصل الارنب معالجاً من قبل بتلك الكريات الحمراء لرأيتها تتجمد اولاً ثم تأخذ بالانحلال

وفي الحالين سواء كانت الاضداد من المُلصقات (agglutinines) او من المحلّلات (lysines) لا يكون مفعولها الّا نوعيًّا اي انها لا تبرز بخواصها المكتسبة جديدًا الّا اذا خالطت مولداتها . وعليه اذا اعتبرنا المثالين الآنف ذكرهما وبدلنا ميكروب الكوليرا بباشلس التيفونيد ودم الخروف بدم الثور فلا يحصل أدنى تغيير بل يظلّان كما لو وُجدا في مصل جديد . وليست تلك الخواص مجرَّد افتراض — كما نوّهتُ سابقاً — بل هي حقيقة اختبارية تمكّننا من افراز كل من المُلصقات والمحلّلات واعادة مفاعيلها في القابلات الكيماوية

وخلاصة القول ان تأثير السموم في الجسم على اختلاف اجناسها بالنظر الى شدة خطرها او قلّته يرجع الى امتداد سطح هذه السموم او انقباضه وبعبارة اخرى الى شدة ذوبانها او قلّته في السائل الذي تُوجد فيه. ومثلها مثل ركامٍ من الثلوج تلبّدت على رأس منحدر في اسفله قريةٌ فان أخذت هذه الثلوج تذوب تدريجاً اجرت الماء

من تحتها فانحدرت في مسيلها وغارت في الوديان والسهول اما اذا افترضنا حاملاً قوياً اذاب تلك الثلوج دفعةً واحدة فلا ريب ان انحلالها الفجاءي ينهمر سيلاً عرمرماً يجرف القرية ومن فيها. ولا عجب فان هذا الامر نشاهده في المواد العلاجية . فكم مادةٍ منها — الكالومل مثلاً — تكون قلة خطرها من قلة ذوبانها بالرغم عما فيها من الاصول السامة التي لو طرأ ما يعجل في ذوبانها لصار سمها ذعافاً . وعلى هذا النحو تتصرف كل الانتيجانات من المواد الشبه الفروية التي نحن في صددها .

على ان بعض هذه الانتيجانات كالميكروبات وخلاصاتها (endotoxines) تكون من طبعها مستعدة للتجمد قبل ولوجها في الجسم وبعضها مستعدة للتسييل اكثر منها للتجمد كالخليات والتكاسين الكثيرة الذوبان فعندما تدخل في الجسم يزيد هذا الاستعداد او ينقص حسب خواص الوسط الذي توجد فيه . مثال ذلك ان تُدخل في جسم رجلٍ سليم قليلاً من التوبركولين (tuberculine) بمقدارٍ جزء من مئة من الف فلا ينتج فيه أدنى انفعال لا موضعياً ولا عمومياً لان هذه الجرعة في الظروف العاديّة لا تنحلُّ الّا على رسلها وفي زمنٍ مديدٍ مما لا يساعد على إحداث الانفعال . اما اذا أدخلتَ ذاك المقدار في رجلٍ مصدورٍ فانهُ يُحدث انفعالاً عمومياً وموضعياً لانه يوجد في مصل ذلك المصدور كميّة من المحلّلات (lysines) التي من دأبها ان تُسيل فجأةً كميّة التوبركولين المذكورة

واليكم مثالاً اخر يُزيد المسئلة وضوحاً : اذا اخذنا مادّةً غير مضرّةٍ عادةً كمصل الحصان وحقنّا بعشرين كِلاماً منه انساناً سليماً فلا يحدث هذا الحقن ادنى انفعال . اما اذا حقنّا بهذه الكمية انساناً محسّاً عولج بها قبلاً (اي انه من مدّةٍ سابقة حُقن بهذه المادة) فتحدث على الاثر اعراضٌ معروفةٌ بالأعراض المصليّة . ولماذا حصلت تلك الاعراض ؟ لان في مصل هذا الانسان المحسّس وُجدت محلّلات غير موجودة في مصل الانسان الاول السليم وبينما كانت السموم منقبضة وكامنةً في مصله لعدم وجود محلّلات تذوّبها كانت المحلّلات مرابطة في مصل الرجل المحسّس فتدانعت اجزاؤها وذوّبت السموم وحلّلتها فحدثت تلك الاعراض التي نسميها اليوم اعراض الانافيلكسية . وكما انه توجد في مصل الدم محلّلات تعمل الاعمال الآنف ذكرها قد يوجد ايضاً في مصل الدم موادّ تعاكس عمل المحلّلات وهي التي سميناها

مجمّدات فهذه تفعل ضد تلك اي انها تمسك الانتيجان وتجمّده فكأني بها تحبسه او تقيّده فلا يعود في امكانه نفث سمومهِ في الدم وبذلك تحصل المناعة لان مصل هذا الدم تكاثرت فيهِ المُلصقات ورجحت كثيراً على المحلّلات فاصبحت الغلبة لها ومن ثمَّ نشرت سطوتها في ذلك المصل فصار ممنّعاً

واذا حقنّا حيواناً ممنّعاً بجرعة قتّالة من ميكروبات الكوليرا الميتة فلا يحدث منها ضررٌ لان مصل هذا الحيوان ممتلئ من المُلصقات التي من دأبها ان تضمّ الميكروبات الى بعضها وتضيّق سطح انتشارها . كذلك الميكروبات الحيّة فانها تظلّ حيّةً وتتكاثر اذا أُدخلت في وسطٍ مناسبٍ لها وبخلاف ذلك اذ أُولجت في وسطٍ ممنّع فانها تتوقّف في مكانها ويدخل عليها نكروس الالتصاق فيصير شأنها شأن الميكروبات الميتة التي اوردنا مثالها

والخلاصة التي يجدر بنا استنتاجها من مقدّمات هذه النظريّة ان المناعة تحصل من وجاحة المُلصقات على المحلّلات في الدم لان بواسطتها تتمّ الشروط المقتضية للاشاة التسمّم وكسر شوكة الانتيجان من اي نوعٍ كان بتجميدهِ في مكانه وتضييق سطح انتشارهِ حتى يدركه نكروس الالتصاق واذ ذاك تأتي المحلّلات وتفعل فعلًا نافعاً بتحليلهِ وتنظيف الجسم من نفاياتهِ

لقد كنتكم الى الان هذه المزيّة النافعة التي في المحلّلات منعاً لاضطراب الافكار في تفهّم خواص كلٍ من الملصقات والمحلّلات كما ذكرتها فهي هي كما فصّلتها واعتبروها كما شرحناها مع هذه الزيادة وهي : ان اخلاق المحلّلات كاخلاق اللئيم اذا قدر لها ان تتغلّب في بادىء الامر فهي تتمرد وتتبدّد وتعصر السموم وتسيلها وتقذفها الى اقاصي الجسم لتقتله . امّا اذا تغلّب الكريم والكريم في موضوعنا هي الملصقات فإنك ترى المحلّلات تتراءى وتتداني قدّام انداد الغالبة وتغسل لها اقدامها وتنظفها عن أوساخها وعلى هذا النمط يتمّ الدور الثاني من المناعة لان الملصقات بعملها الاول جمّدت الوادّ السامّة دون ان تلاشيها . ولكن بتجميدها لها منعت المحلّلات من عملها المسيّل الفجاءي الذي منه خطر التسمّم وسمحت لها تحت مناظرتها بعملها المنظف وذلك بان تحلّل الانتيجان المجمّد تدريجاً بنوع ان لا يعود له كبير تأثير على الجسم بل يُقذف الى الخارج بواسطة الاجهزة الطبيعيّة

مزيّة هذه النظرية على سواها امكان تحقيقها بالاختبارات الكيماوية كما انها تدل عن الاعراض الكلينيكيّة فضلاً عن انها جاءت لنا مفتاحاً يفتح بهِ جميع ابواب المظاهر الحيوية المغلقة فبواسطتهِ أُتيح لنا ان نسعى لترجيح الملصقات على المحللات حتى نساعد عمل المناعة وبهِ ندرك خاصيّة التلقيح والعلاج بالمصل واليهِ المرجع في ادراك التشخيص المصلي لفيدال (Widal) وطريقة وستيرمن (Westermann) في الكشف عن الزهري الى غيرها من المظاهر الحيوية التي سقط عجبها من اعين الاطباء لكثرة رؤيتهم لها لكنها ترشد عقولهم الى معرفة قدرة الله وتفعم قلوبهم شكراً لألطافهِ

قصيدة عامية

في الغلاء ووقوف الحال

من نظم الياس افندي سابكي الشامي

وهو مثال حسن جداً في لغة العامّة من الطبيعيّة والتفنّن في الكلام فضلاً عن الفكاهة

١ يا لطيف ويا ستّار مثل هالسنه ما صار يشتكي ارباب الكار
الصنّاع مع التجار

٢ صاحب الصنعه يا اخوان ما يسحب اجرة الدكان تشوفوه دايماً زعلان
ووجهه يقدح جمرة نار

٣ ما يسحب اجرة الصانع ولذا عقله ضايع كسدانه عنده البضايع
وصاير بامره محتار

٤ صار يتدّين المصروف من صديق صاحب معروف وقلبه حزين ملهوف
ما عنده نفقة نهار

٥ بدّه يجيب لعياله طحين كونهم كلهم جوعانين واولاده منتظرين
واقفين باكين باب الدار

٦ يمشي عاكف الرحمن حتى يصل للثمان يقول له دخلك امان
قيد عندك بالدفتر

٧ قيد عندك طحين وزيت عمّال يصرخو في البيت وان كان الليلة ما اعطيت
ما نتعشى كبار وصغار

٨ يا عمّي انك مغشوش وطل الطحين بست قروش فكلامك عندي بوش
انصحك لا تتمرمر

٩ هذا عندنا سعر الزاد ولونه اسود زي الرماد وان سألت عن المتاد
اختفى وما له آثار

١٠ اشتكينا عل طحّانه قالوا الحقّ عل خزّانه حاله سودا وريّانه
ومطلي دايرها بشحار

١١ والخزّانة ما بتردّ الذهب معها تعدّ والغني إيده ما يمدّ
يوتو من غير ستار

١٢ يخزنوا قوت العباد يحرموا الفقير الزاد هل تجارة يا اجواد
يبغضها رب الانوار

١٣ عندنا تاجر من اهل الود عنده ستين الف مد مهما تسبه ما بيرد
عابد الله والدينار

١٤ هلكت نصف مليون عباد حتى ينتفع افراد عشرة عندهم ايراد
وكمالة الامة تتقهقر

١٥ ما عاد امكان الفقير يحصل قوته خبز شعير وتاجر القمح متل المير
وشواربه متل عنتر

١٦ يقول السنة ربحان هذا فخره يا اخوان ليته يحلسه الشيطان
التاجر مع السمسار

١٧ حتى وصل معه الجور صار يسفره بهل زور لحيفا ولدير الزور
لحلب وديرة عكّار

١٨ صارت غيرة وتجارة يفتكرو حالهم امارة لو وفرا ديون الحارة
ما يبقى معهم دينار

١٩ بهمة والينا الغيور باعماله دايماً مشكور بعث قوّة للبابور
ما يشحنو ولا قنطار

٢٠ خافت كل الخزانة البوايك عندها مليانة الحديدة كانت حيانة
حطوه ببير ما فيه قرار

٢١ الله قدّر يا خالي كل شي بالشام صار غالي والان يخطر ببالي
اوصف كافة الاسعار

٢٢ قفة الرز بستين رطله تسعة عين بالعين والتاجر لما يزين
كانه يزين اسوار

٢٣ واللحمة اوقيتها بقرشين تُدفع نقدي لا بالدين والسمنة رطلها باربعين
وبسبعة رطل السكر

٢٤ زيت الكاز آه يا خالي الحمد لله ما هو غالي يبيعونه بالمثقال
بسعر القرفة والعنبر

٢٥ بتلات غروش البطاطة بالبطن تعمل شماطة يصبوها بالجاطة
وتمشي عشرة لنفار

٢٦ يخرب بيت القرنبيط صار يباع بالقراريط رطله بخمسة شي بسيط
الاوفق ياكلو زعتر

٢٧ الفقير ياكل خبز حاف والنومة من غير لحاف حالته كاملة الاوصاف
بالورق ما تتصور

٢٨ لو تمشي ليلة زيتون يعطي اولاده بالقانون كل واحد مثل الهارون
يرضيه بخمسة ستة كبار

٢٩ والزيتون ما هو رخيص صاير بياعه حريص للسفر صار له ترخيص
المدّ باربعين قول اكثر

٣٠ وان مضاها ياكل فول انفع للصحة ومقبول يقول اطيب من المعمول
واكله يكون من دون عيار

٣١ والبقلاوى بالتقدير اكلها مضرّ للفقير تجعل له عمره قصير
بالمعده تساوي اضرار

٣٢ ما ياكل جنس الحليب بقلة اكله قد يصيب مانعين اكله بالتطبيب
ومخصصينه للكبار

٣٣ والقشطة تضرّ الامعا اسمعوا يا ناس هل سمعه يفرح بنهار الجمعه
حتى يقطع الزفر

٣٤ لو بدي احكي بالتحريف يمضي الشتا مع الصيف وما اخلع عنه توصيف
عن حياته هل معتر

٣٥ شي هل حاله الحزنيه حكينا جز من الميه وحياتكم يا فنديه
جعلناها باختصار

٣٦ ونبدي الان عل مالية تشوفها كلها مخفية ما تنظر منها مصرية
ولو جبت لها الفين نظار

٣٧ ما يخصم البنك اوراق والصراف اصبح منضاق حال التاجر ما ينطاق
وافلاس الصانع ظهر

٣٨ اغلب الشوام اصحاب فن واوربا عليهم ما تحن يا ناس دخل في الظن
اساسه حرب البلقان

٣٩ حتى صارت طتاعه ورفعت اسعار البضاعه احلفكم يا جماعه
افتكروا بغلا الاسعار

٤٠ غلا فاحش ما بينطاق عموم البضاعه بالاطلاق نقدي من دون كتب اوراق
ولو طلبنا عشر ازرار

٤١ صاحب الاملاك ما يرن عل مستأجر ما بيحن صار شريك اصحاب الفن
قال بالملك نحن احرار

٤٢ هذا عايش يا اخوان عيشة وزير مع سلطان لو عمل كل يوم سيران
ايراد املاكه مسوكر

٤٣ لكن الصانع مسكين كل شغله اصبح بالدين من عطل الوقت يستدين
ويكسر نفسه للتجار

٤٤ يشكي له كل الحاله يكتب عليه كمبياله ويطلب منه كفاله
حتى دينه يتسوكر

٤٥ لما يشوف حاله منضاق ما يدفع الاستحقاق بالبروتستو تصير اوراق
وما يعطيه مهلة نهار

٤٦ الصانع يصير مأيوسْ ما عنده يدفع فلوسْ تشوفوه دايماً مدعوسْ
على عيشته يتحسَّرْ

٤٧ هل حاله كلها من الحروبْ يلزمها صبر ايوبْ حرب البلقان وانكوبْ
واليونان مع البلغارْ

٤٨ هل سنه تاريخناها وبالسجلّ قيدناها للمشرق اعطيناها
لينبه فيها الافكارْ

٤٩ شوهل تاريخ المنحوسْ ما صار مثله بحرب الروسْ بدنا نقيده بالقاموسْ
مع تاريخ بطرس الاكبرْ

٥٠ لانه من سنين عديده ما صار سنة فريده نظمنا عليها قصيده
ليقروها بالامصارْ

٥١ الله يغير معنا الحالْ فهو القدير المتعالْ لان العطل معنا طالْ
صار له خمس سنين كبارْ

٥٢ هل قصة كتبناها بالدفتر قيدناها وبالجريده طبعناها
والفناها بآذارْ

٥٣ بسنة الف وتسعمية وثلثّ عشر مسيحية على حساب الغربية
حسابهم مضبوط لا يُنكرْ

٥٤ كلامي مبني باساسْ تشهد معي كل الناسْ ناظمها مسابكي الياسْ
يطلب من القاري اعذارْ

٥٥ يطلب عفو من القاري تكلمنا بأي جاري العربية مش كاري
ولا اعرف انظم اشعارْ

٥٦ ما اعرف عربيته هي اسمها ترادّيه عملتها فكاهيه
ليقروها كبار وصغارْ

٥٧ ليشوفو حالة الشامْ حالة حزينه تمامْ هي الخاتمة والسلامْ
نطلب العفو يا غفارْ

٥٨ يا ارحم الراحمينْ بعزتك نستعينْ افرج عن المظلومينْ
يا عزيز ويا جبارْ

٥٩ ربّي ترأف بعبادك ان الرأفة عاداتك فارحمنا برحماتك
بجاه رسلك الاطهار

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

١٦ من بمباي الى عدن – البحر الاحمر – رجوعنا الى بيروت

انَّ المسافة بين بمباي وعدن تبلغ نيفاً والفي كيلومتر تقطعها السفن في خمسة ايَّام على الاقلّ . وكانت باخرتنا المسمّاة سُتْلاج (Sutlej) من كبار البواخر حسنة التجهيز محكمة الادوات متقنة المعاهد سريعة السير ناقلة لبريد برنديزي وكان معظم ركابها من الاوربيين ولاسيما وجوه الانكليز على انَّنا وجدنا بينهم بعض تلامذة مدارسنا في الهند فسرَّنا الاجتماع معهم وبسط الحديث في امور تلك الاقطار . وكان احدهم محرّرًا في جريدة بمباي المعروفة بالبشير الكاثوليكيّ (Catholic Examiner) وهي كثيرة الانتشار في انحاء الهند يعدُّونها كلسان حال الكاثوليك في تلك الجهات

وكان سفرنا من اطيب الاسفار لانَّ بحار تلك البلاد هي في وقت الشتاء هادية ساكنة على خلاف بحرنا المتوسّط . فكانت السماء لا يشوبها غيم ومياه البحر شديدة الزرقة لعمق اغوارها فتمخر سفينتنا المياه ولا نكاد نشعر بحركتها . وكان اذا دخل الليل لاح الفلك مزداناً ببروج ونجوم لم نعهدها في اقطارنا فكنَّا نرقبها بملء الشوق امَّا البحر فكان يشعُّ شعاعاً عند اصطدام السفينة بألوف الالوف من صغار الحيَّوينات التي تنتشر على وجه المياه فتُرى كأنَّها شعلة نار

امَّا البرّ فلا ترى العين لهُ اثرًا مدَّة ثلاثة ايَّام كاملة وهو لعمري منظر يؤثر في الانسان اعظم التأثير اذ يرى نفسهُ في بطن الواح يسيرة بين السماء والماء لا يرى من العالم غير افراد معدودين يخوضون معهُ غمر البحار تحت رحمة خالقهم فتتجلَّى للمسافر عظمة ربّ الكون ويشعر بعدمهِ بازاء مالك ناصيتهِ

ووافق وقوع عيد ميلاد السيّد المسيح في اثناء مسيرنا الى عدن . وهو موسم جليل يحتفل بهِ الانكليز احتفالاً باهرًا في اوطانهم ومستعمراتهم ويدعونهُ باسم قديم معناهُ قداس المسيح (Christmas) فاراد رئيس باخرتنا ان لا يُحرَم النوتيُّون وركّاب السفينة من بهجة ذاك العيد فامر بان تُنشر الرايات وتزان المعاهد العموميَّة مع ظهر السفينة بالاقمشة واكاليل النبات وطاقات الزهور ووُزّعت المشروبات والحلويات على الجميع

امّا نحن فانّنا فكّرنا ايضاً في اقامة رتبة دينيَّة في اواسط الليل كما هي عادة الكنيسة اللاتينيَّة فطلبنا من القبطان ان يفرد لنا بعض غرف المركب لنُعدّها للذبيحة المقدَّسة وان يسمح للنوتيَّة الكاثوليكيين بحضور الحفلة فاجاب المرما اليه بكل لطف الى ملتمسنا وارسل الى النوتيَّة يخبرهم بالرخصة الممنوحة لهم . فزيّنا الغرفة بصور تقويَّة ونضّدنا الزهور والرياحين ثم نصبنا هيكلنا النقّال واوقدنا الشمع عند منتصف الليل فباشرنا بالحفلة وكان بعض النوتيين يرتلون الاغاني الروحيَّة وتترتّب فئة منهم . فكان لهذا الاجتماع وقعٌ حسن في قاربهم وهم لم يعتادوه قبلًا على البحر وكان ذاك النهار يوم بهجة وحبور للركّاب اجمعين تلوح على وجوه الكل امارات الفرح

وعند منتصف النهار من يومنا الرابع رأينا عن شمالنا جزيرة سقطرى المشهورة قديماً باسم ديوسقوريدس . وقد ذكرنا في مقالتنا عن تاريخ النصرانيَّة وآدابها في الجاهليَّة (ج ١ ص ٦٩ و١٤٦) تديُّن اهاليها بدين المسيح ورسالة اليسوعيين فيها . واليوم هي تحت حماية انكلترَّة واهليها اخلاط من الزنج والعرب والهنود يتاجرون بالصبر السقطريّ والتمر والنيل . وطول هذه الجزيرة نحو ١٣٠ كيلومترًا في عرض ٤ ك فيها جبال يبلغ اعلاها ١٤٠٠ متر . والجيولوجيُّون يذهبون الى انها كانت قديماً متَّصلة ببلاد الصومال من اعمال افريقيَّة ففصلتها الزلازل عنها

ثمَّ دخلنا في اليوم الخامس في خليج عدن فكنّا نشاهد يميناً جبال حضرموت ثمَّ ما يليها من سواحل اليمن وشمالًا نسرّح الابصار في اطراف افريقية مباشرةً برأس غواردافوي ثم اقطار الصومال والكالا حتى ارست السفينة قريباً من عدن فنزلنا الى البرّ وقصدنا ان ننتظر فيها يومين او ثلاثة ايام ورود سفينة افرنسيَّة من شركة المساجري تركبها الى سويس ونفقة السفر عليها نصف النفقة على الباخرة الانكليزيَّة

وكان نزولنا في عدن في دير الآباء الكبوشيين الذين اكرموا مثوانا في مدة اقامتنا عندهم. وكان هناك سيادة المطران لويس لاسارّ (Mgr L. G. Lasserre) النائب الرسولي على رسالة بلاد العرب والصومال فانس بنا وافادنا بما رواهُ لنا عن اعماله واعمال المرسلين الكبوشيين بين الحبشة والكالا اذ كان مع السيّد مسّايا (Mgr Massaja) الذي جعله بعد ذلك الحبر الاعظم لاون الثالث عشر كردينالاً. ثم مع السيّد تورين (Mgr Taurin) خلفه وكذلك بيّن لنا احوال رسالة عدن والصومال التي عُهدت الى عنايته سنة ١٨٨٩

وعدن مدينة معتبرة لوقوعها عند مدخل البحار الهنديّة على ممرّ كلّ السفن القادمة من الشرق الاقصى فيأخذون منها حاجتهم من الفحم والماء الشروب. وهي على قسمين قسمٌ فيه الفرضة البحريّة (Steamer Point) وما يلحق بها من المستودعات التجاريّة والتحصينات ومقامات القناصل وثكنات الجند ودور الاجانب. وقسم هو في البرّ يبعد عن البحر نحو ساعة ونصف وهناك مدينة عدن الوطنيّة والاسواق وبيوت الاهلين. واهل عدن نحو ٤٠,٠٠٠ معظم تجارتهم البنّ والقطن والغلّات الواردة من انحاء اليمن. ويشتدّ الحرّ كثيرًا في عدن حتى انّ بعض الاجانب لا يستطيعون الصبر عليه الّا بالاستحمام المتواتر ومنهم من ينزل ساعات في احواض الماء ويشتغل كذلك. والماء قليل في عدن واهلها يشربون من الآبار. وكان في قديم الزمان للمدينة صهاريج عاديّة وثيقة كان اصحابها يشربون منها فاستولى عليها الخراب واليوم يصرف الانكليز على ترميمها المبالغ الطائلة ليعود الاهلون الى الاستقاء منها

وكانت عدن سابقاً لسادة من اهل اليمن فاستولى عليها الانكليز سنة ١٨٣٩ وهم يعتبرونها كنقطة مهمّة من مراكزهم لاجل مستعمراتهم الهنديّة وقد حصّنوها تحصيناً واثقاً في وجه كلّ عدوّ يناوئها فلها القلاع الحريزة والمدافع الكبيرة التي تحرس قسمَيها البحري والبرّي مع عدد عديد من الجند فلا يستطيع احد فتحها الّا بعد شقّ النفس. ولهم فسحة واسعة وراءها كما انّهم يملكون منذ سنة ١٨٥٧ في البحر جزيرة تزيد عدن تحصيناً على مسافة ثمانية كيلومترات من سواحل العرب تدعى پاريم (Périm) ويحصّنها ايضاً مضيق باب المندب الواقع في غربيّها بين البحر

الاحمر وخليج عدن فمن هذا ترى انَّ نكتةً راسخة القدم في تلك الجهات لن يقوى عليها عدوّ

امَّا من حيث الدين فالغالب على اهل عدن الاسلام الَّا الاجانب من الفرنج وغيرهم وكانت عدن قبل الاسلام مركزًا لقبائل نصرانيَّة ثبت قوم منها على ايمانهم مدَّة ثمَّ انقطع عنهم ارباب الدين فتضعضعوا ولمَّا كانت السنة ١٨٨٩ فصل الكرسي الرسوليّ رسالة عدن عن رسالة الكالا وسلَّمها الى الآباء الكبوشيين والسيد لاسار اوَّل نائب رسوليّ عليها

وللمرسلين في عدن محلَّان الواحد عند الفرضة البحريَّة حيث اقمنا في ضيافتهم ولهم فيهِ كنيسة بهيَّة يتردَّد اليها الكاثوليك ولا سيما الجنود الارلنديُّون المرابطون في البلد فيحضرون كلَّ يوم احد وعيد الرتب الدينيَّة بكل تخشُّع ونظام ويسمعون الوعظ بالانكليزيَّة ولهم ايضاً مدارس يعلِّمون فيها اللغات الاوربيَّة ويهذِّبون ناشئة العيال الاوربيَّة التي تسكن عدن ويساعدهم في التعليم الاخوة المريميُّون . امَّا المدينة الوطنيَّة فلهم فيها مقام لليتامى من العرب والصومال ويساعد الآباء الكبوشيين راهبات من اخويَّة الراعي الصالح وغيرهنَّ ايضاً ومدارسهنَّ على قدم النجاح

على انَّ الآباء الكبوشيين لم يكتفوا بعدن بل حاولوا ان يفتحوا لرسالتهم منافذ اخرى ليخدموا الوطنيين ففي سنة ١٨٩١ دخل احدهم الاب يستنيان حُدَيدة حيث يقيم قوم من الاجانب وقنصل فرنسويّ فوجدوا في طريقهم عقبات ذلَّلوها بعد حين حتى صار العرب يتقرَّبون منهم ويثنون على همَّتهم وتفانيهم في مساعدة الفقراء وتعليم الصغار . ومن المرسلين الكبوشيين في حُدَيدة الاب فولجنس عذباء احد طلبة كلِّيَّتنا البيروتيَّة كان هناك اذ مررنا في عدن

وفتح احدهم الاب اونجلست سنة ١٨٩٣ رسالة اخرى منوطة بعدن وذلك في العدوى الافريقية الموازية لعدن في بربرة بين الصومال فامتلكوا اراضي واسعة ليشغلوا فيها اليتامى الذين يربُّونهم بالفلاحة وهذه الرسالة لا تزال مزهرةً حتى اليوم . ومن اعمال المرسلين هناك انهم اخذوا يدرسون لغة تلك البلاد فصنَّفوا كتباً مفيدة لدرسها منها قاموس صومالي انكليزي وانكليزيّ صومالي وبعض كتب دينيَّة طبعوها في لندن

وقد صرفنا الوقت الباقي لنا في زيارة بعض الذوات كالقنصل الفرنسويّ والحاكم الانكليزي . ثمَّ سرنا الى زيارة مدينة عدن الداخليَّة فسرنا اليها مشياً وقطعنا سهلاً رحباً ثمَّ رقينا الى آكام قليلة الارتفاع الى ان بلغنا الى مضيق بين جبلين يسهل سدُّهُ في وجه العدوّ وهناك طريق منحوت في الصخر ينفذ الى مدينة عدن

فاجتمعنا في البلد ببعض تجار الشام كانوا مقيمين هناك يتاجرون بالبنّ فعرَّفونا ببعض شيوخ المدينة الذين لهم المامٌ بالآداب فرأينا انَّ بضاعتهم زهيدة جدًّا . امَّا الآثار الادبيَّة فلم نجد منها الَّا اليسير وامكنَّا مع ذلك ان نحصل على خمسة او ستَّة كتب ادبيَّة مخطوطة

وزرنا هناك ميتًا للآباء الكبوشيين في محلّ يعرف بشيخ عثمان فرأينا من نشاط هؤلاء الاحداث وذكائهم ما سرَّنا . وللراهبات ميتمٌ آخر للبنات . وقد اقام المرسلون هناك كنيسة حسنة لخدمة اولادهم وللجنود الارلنديين الكاثوليك ولبعض العمَّال الفرنسويين المتاجرين مع الاهلين

واهل عدن لفيف من عناصر البشر يختلفون لونًا ولغةً وزيًّا . وكنَّا نرى من المدينة صروحاً عالية كالصروح التي رأيناها في كوراتشي للمجوس ومنهم في عدن قوم ينقلون اليها موتاهم . ويشرف على عدن جبال وصخور كنَّا نرى فيها الجدران العالية فقيل لنا انَّ ذلك سدُّ ملكة سبا فيزعمون انَّها شيدتهُ كخزَّان للمياه لتسقي اراضي عدن في جدبها . وما لا يُنكر انَّ عملها يدلّ على رقيّ بُنَاتها الاقدمين

وكان سفرنا من عدن يوم الاحد الواقع في ٢٩ كانون الاوَّل . وفي صباح ذلك اليوم احتفل المرسلون بقداس حافل جعلوهُ كختام السنة وكانت الكنيسة رافلة بزينة عيد الميلاد فأُقيمت رتبة شائقة ابهجتها الموسيقى العسكريَّة بنغماتها مع اناشيد الجنود الحماسيَّة

وفي عصر النهار طلبنا بركة سيادة النائب الرسولي وشكرنا حضرة الآباء المرسلين فركبنا باخرة المساجري القادمة من بلاد تونكين على طريق كولومبو حاضرة جزيرة سيلان المعروفة عند قدماء العرب باسم سرنديب . وكان ذلك اليوم شديد الحرارة ونحن في اواخر كانون وكنَّا رأينا في عدن المرسلين الكبوشيين لاحتدام الحرّ

لابسين الصوف الابيض الخفيف وعلى رؤسهم القبعات البيضاء الواقية من وقدات الشمس

فمررنا بامان وقطعنا مضيق باب المندب فنفذنا في بحر القلزم المعروف بالاحمر. وكان البحر هادياً في ذلك الفصل على عكس بحر الشام وهو يهيج في فصل الصيف. وقد قطعنا المسافة بين عدن وسويس باربعة ايام . ولم يطل علينا الزمان لأننا كنا نمرّ بين قارتي آسية وافريقية فتتجدد امامنا المناظر من ساعة الى أخرى فرأينا من جهة العرب جُدَيدة المارّ ذكرها وجاورنا جزيرة باريم وكنا نرى في سواحل افريقية نواحي الصومال وكان قوم من اهلهم اتوا الى مركبنا قبل سفره فسرّونا بحركاتهم والعابهم وكان البعض من فتيتهم يصعدون الى السواري ثمّ يرمون بنفسهم من اعلاها الى قعر البحر ليلتقطوا دريهمات كان الركّاب يلقونها لهم

وفي الليل كنّا نرى المنائر المضيئة التي يرتشد ارباب السفن بانوارها . وقد مرّ لنا وصفها في المشرق (٤ : ١٠٤٣) وقد عرفنا بنورها موقع جيبوتي (Djibouti) وابوك (Obok) اللتين اتخذتهما فرنسا كمستودع فحم لسفنها

ويوم الاثنين مررنا ليس بعيداً عن جدّة وهي فرضة مكّة وبلاد الحجاز وكنّا شهدنا قبلها من جهة الشمال بلاد الحبشة وما احتلّهُ منها الايطاليُّون وكانت الحرب عند مرورنا لا تزال قائمةً على ساق بينهم وبين جيوش النجاشي منليك وانتهت بعد ثلاثة اشهر بكسرة الجيوش الطليانيّة وقائدهم باراتياري فاضطرّ الايطاليُّون الى ان يكتفوا بحلول مصرّع وقسم من سواحلها وذلك ما عُرف باسم مستعمرة الاريثره (Erythrée) . وذكّرتنا مصرّع باحد مواطنينا الحلبيين المكرّم ابرهيم جرجي المارونيّ من الرهبانيّة اليسوعيّة الذي مات فيها شهيد الايمان في سنة ١٥٩٥ بعد تبشيره بالدين المسيحيّ في الهند

ويوم الثلثاء توسّطنا في مسيرنا بين تهامة يميناً والنوبة شمالاً . والسفن قلّما تربط في تلك الجهات اللهمّ الّا بعض المراكب الشراعيّة التي تتنقّل على سواحلها المجدبة غير المأهولة . وانّما وراءها من الجهة العربيّة « المدينة المنوّرة » التي فيها قبر نبيّ المسلمين والخلفاء الراشدين

قمنا في صباح اليوم التالي الاربعاء واذا هو رأس سنة جديدة وهي ١٨٩٦

دخلنا فيهـا باليمن والبركة وكان ذلك النهار كاحد ايّام الربيع في سوريّة فتلطّفت وهجات الحرّ لتقرّبنا من بـلاد الشام . فكان اوّل فكرنا ان نقدّس باكورة ذلك العام بتقدمة الذبيحة المقدّسة لعزّته تعالى ودعونا الى حضورها بعض الركّاب فاجابوا بطيب الخاطر . ثمّ صرفنا باقي يومنا بالفرح وكانت السفينة في ذلك النهار تجتاز بين سواحل مصر فترى من جهتها الجبال المعروفة بالسلسلة العربيّة (chaine arabique) وبين خليج عقبة ثمّ شبه جزيرة سينا . فكانت تلوح لنظرنا تلك الانحاء التي جرت فيها الحوادث العجيبة المسطّرة في اسفار موسى الكليم . فلدى مشاهدتنا جبل الطور كنّا نفكّر في تجلّي الربّ لشعبه في وسط الرعود والبروق ليُعلن اليهم بوصاياه ثمّ نتذكّر مسير بني اسرائيل في تلك الاقفار مدّة اربعين سنة والربّ يرعاهم ويقيتهم ويظفرهم من كلّ اعدائهم بالمعجزات الباهرة . وهناك آثار أخرى مسيحيّة وغيرهـا سبق الى وصفها المشرق (راجع رحلة خليل صبّاغ الى طورسينا ٧ : ٩٥٨ و١٠٠٣ ووصف طورسينا للشمّاس افرام ٩ : ٧٣١ و٧٩٤ ثم وصف معادن جبل الطور القديمة للاب لادسلاس استفانسكي ٩ : ١٠٦١ و١١٢٩)

وفي مساء ذلك النهار احبّ القبطان ان يبهج النوتيين وعمّال السفينة بتوزيع بعض الهدايا عليهم وكذلك تبرّع الركّاب بهبة مالية جمعوها ففرّقوها عليهم . فشكرهم البحريّون الذين اجروا على ظهر السفينة عدّة ألعاب رياضيّة سُرّ بها الركّاب وصفّقوا استحساناً لها مراراً . وبعد غروب الشمس بلغت الباخرة سويس فارست عندها ساعات حتى منتصف الليل ثمّ قطعت الترعة فبلغت بنا صباحاً الى بورت سعيد حيث اضافنا حضرة الآباء الفرنسيسيين بما عُهدوا من اللطف فبقينا في ديرهم زمناً تسافر احدى السفن الى بيروت امّا مركب الساجري فواصل مسيره الى مرسيلية

وانتهزنا نحن فرصة مكوثنا في بورت سعيد لتسطير اخبار رحلتنا فنُشرت وقتئذٍ في اللغة الافرنسيّة في احدى مجلّات اوربّا وذلك ما سمح لنا ان نروي تفاصيل هذه الرحلة التي كان فاتنا كثير منها لولا تلك المذكّرة

وكانت اوّل سفينة امكنّا ركوبهـا للرجوع الى بيروت سفينة شركة اللويد النمساوية المسمّاة امفتريت فركبناها يوم الاربعاء ٨ ك الثاني فاوصلتنا الى بيروت في

صباح الجمعة ١٠ منهُ بعد نوءٍ شديد قابلنا بين هيجانهِ وهدوءِ البحر الهندي والبحر الاحمر

حدّث ولا حرج بما شمل اخوتنا الرهبان في بيروت اذ رأونا رجعنا بالسلام بعدما انقطعت عنهم رسالاتنا مدةً وانتشرت في حقّنا الروايات المزعجة . وكان يوم عودتنا تمام اربعة اشهر منذ خروجنا من بيروت فابدينا الشكر الجزيل لذاك الذي ارسل ملاكهُ فانقذنا من كلّ الشرور المحدقة بنا لذكرهِ المجد الى ابد الدهور

الحجل اللبناني

لحضرة الاب يوسف الخوري من اساتذة كليتنا

ولّى الشتاء وزمهريرهُ . وأقبل الربيع وغريرهُ . فتنفّس الطيرُ الصعداء . وتغرّد بآيات الحمد لبارئهِ الذي نجّاهُ من اعباء الشتاء . فافرجهُ من ضيقتهِ واخرجهُ من وكرهِ ولو رثّ الإهاب مهزول الجسم شاحبهُ

هاكه بعد بروزه محوّماً فوق المراعي الطيبة وضارباً بجناحيهِ على السهول الخصبة ليعالج هزالهُ ويستبدل ضمورهُ بالسمن فألفتَ اليهِ نظر الصيّاد وأهاب به من خمول الشتاء الى تشميس بارودهِ من الرطوبة وتجهيز بندقيتهِ وجلاها من صدإ الخباء والتشمير عن ساعده لمطاردة الطير في مجاثمه وملاحقتهِ الى وكناتهِ لانه خُلق لخدمتهِ وسُخّر لافادتهِ ومنفعتهِ

لكل بلاد اطيار تفوق بعضها بعضاً بالحسن والظرف وبالنفع لقوت الناس فاحسن بلادنا طيرًا واطيبهُ لحماً الحجل فاصحاب البيوت يقتنونه والصيّادون يلاحقونه ووعور لبنان وغاباتهُ وحزونهُ وبطاحهُ غاصّة بهِ . واذا لحظنا في اخلاقهِ ما يستحق الذكر ويسلّي الخاطر رأينا خدمةً لقراء هذه المجلة العلميّة ان نكتب لهم شيئاً عن طبيعة هذا الطير الذي يقتنيهِ الغنيّ في بيتهِ وينهب الصيّاد الارض وراء اقتناصهِ معتمدين في وصفنا العيان والاختبار لا النقل والسمع فنقول :

﴿ وصف الحجل واشكاله ﴾ الحجل من فصيلة الدرّاج والكروان والقبج

وربّما اطلقوا عليهِ اسماءها وصاحب حياة الحيوان يسمّيه ايضاً بالسماني والانثى الحَجلة والعامّة تسمّيها « السركة » وقت الصيد فقط وهي تصحيف سلكة وهو طائر فوق الحمام قريب من القطا عبل الجسم ململمهُ صغير الرأس احمرُهُ ابتر الذنب مدوَّرهُ قصير الساق مرتفع الجؤجؤ كثير الريش نسبة الى هيكلهِ . والحجل اشكال متّحدة طبيعةً مختلفة هيئةً وحجماً منها الاحمر وسميّ كذا لاحمرار ناصع في مخالبهِ وساقيهِ ومنقارهِ وعينه وبعض ريش جناحيهِ ويكثر وجوده في اميركا لاسيما الجنوبية كالبرازيل وكولومبيا وبعض نواحي افريقية والهند واليابان وشوهد منه بقلّة في لبنان وسورية والسنجابي وتراه بكثرة في اوربا لاسيما في شمال فرنسة وهو المسمى عندهم « perdrix » . ومنها الرومي او الدمشقي وربما سميّ كذلك او لحق بهِ هذا الاسم لكثرتهِ في بلاد اليونان وجهات الروم ودمشق الشام . ويُرى ايضاً في جهات ارمينية والعجم لا سيما في وعور لبنان وغاباتهِ وقد اقتصرنا في الكلام عليه دون سواه في هذا المقال لانتشاره في بلادنا ولأن الواجب يقضي علينا بوصف القريب دون الغريب فنذكر شيئاً من طبائعهِ وتربيتهِ وتدجينهِ وطرق صيده المتعارفة في بلادنا

﴿ خواصُّهُ ﴾ يختلف الحجل الدمشقي او حجل بلادنا عن سواه في بعض الاشكال والالوان ويتفق معهُ طبيعةً فكلُّ ما نورده هنا يصحُّ على الغالب نسبته لبقية الاجناس فهو صغير الرأس رماديّ الريش ارقط الجناح احمر الساقين قويّ المنقار اعكفُهُ قصير الذنب ابترُهُ يغلب عليه الخوف والتحذُّر فلذا لا يحلّق كغيره في الفضاء ولا يجثم على المحالّ المطلقة والاشجار الباسقة بل ينسلُّ بين الادغال ويختفي بين فصائل الباذنجان وخلال الأنفاق والصخور ولا يطيرُ الّا محرجاً ولمسافة قريبة غير بعيدٍ من الارض وينفذ في الهواء مسرعاً كأنه بطيرانهِ حجرٌ خرج من المقلاع او سهمٌ زلّ عن القوس ومتى اضطرَّ لمغادرة وكرهِ وربضهِ فلا يبرز دفعةً واحدةً بل يتوقر وينفرُدُ مرات متقطعة كأنهُ يجسّ نبض الطريق ليأمن مرور العدو ثمّ يدرج درجاً حتى يبلغ نهايته . ودروج الحجل — والعامة تسميهِ نقلة — يُضرب بهِ المثل بالخفة واللباقة ويشبَّه نقلُ الراقص بها لان بانضمام المخالب وموازنتها وإسبالها ما يشبه ايقاع الموسيقي واوزانها المطربة

والحجل يؤثر فيه الحرّ فيتقيه فلا تراهُ يخرج لطلب رزقهِ الّا عند انبثاق الفجر وفي الفيافي والبطاح وعند انتشار الضباب . وقد يمرّ فيما سوى ذلك فوقهُ حجر الصياد فلا يُثيره من خبائه مع ان قوّة الشعور فيه متوفرة وبالغة حدّها وكما ان الحرّ يضيمه كذلك القرّ يعمل في جسمهِ فمتى غشى الثلج جوانبهُ يهبطُ السواحل والبقاع ويستمرُّ فيها الى ان يطيب الهواء ويزول الثلج . ثمَّ انَّ الريح حتى الخفيفة تحدو به الى الاعتزال والاحتجاب فلا يطلبُ فيها طعاماً ولا يلتمس قوتاً ويستكف من الشتاء لشدة وقعهِ عليه فيضمر جسمه ويرثُّ لباسهُ ويتناثر ريشه . ومن طباعهِ انهُ بذويهِ فلا يعيش الّا مع اسراب من جماعتهِ وقلما رأى الصيادون حجلًا طريدًا في غير ايّام السفاد ويسمونها « ايام الفقاد » وهي في عرفهم الزمان الذي يطلب فيه الذكر انثاهُ للازدواج ويشترك كلاهما بتهيئة عشهما وهذه الاسراب يسمّيها الصيادون رفوفاً تتألف غالباً من الذكور ولا دخل للاناث بها والحجل لا يبيت في مكان بات فيهِ سابقاً بل في جوارهِ لئلّا يهتدي اليهِ العدوّ ومتى اخلى مكاناً محرجاً لا يعود اليه في مستقبل الايام

ويعيش الحجل الى السنة الخامسة عشرة ويزعم البعض انَّ سني عمرهِ على قدر عدد بيض انثاه وعلامة المعمّر تصلُّب لحمهِ واعصابهِ وارتخاء عضلاتهِ وتضخُّم ساقيه وسوادهما . ويتميّزُ الذكر عن الانثى بكبر رأسهِ وضخامة ساقيهِ وهنةٍ على رأس مؤخر مخالبه تكبر وتصلب مع الايام ولحمه من اطيب اللحوم وألذّها والصيادون يولون عليهِ . ويخاصم الثعلبُ الحجل فيُلجئهُ الى مخالفة طبيعتهِ والجثوم على الاشجار تخلُّصاً من اذاه وربما وقع امامه من الخوف منحلًا وهو يلحقه

﴿ طعامه ﴾ تضرب النائمة المثل بمعدة الحجل فتقول لصاحب البطنة : معدتهُ تقطع الصوّان ولسانه كمنقار الحجل تكسر الحجارة . وربما يولع اكثر من ذلك لان الحجل لا يعفو عن شيء فيأكل ما يقدَّمُ لهُ بلا تحذر الّا انه يلتذ بالنبات فاذا قدّمت له قرةٌ وبُرٌّ الا يمسُّ الثاني قبل ان يأتي على الاول وفي ايام الحصاد يدمق على السهول فيتلف الاغمار وعلى المكادس فينبرها نبرًا ويطارد الهوامّ والحشرات فيبتلعها وهي طائرة وينحدر على الكروم فيأكل عناقيدها . وهو من اصبر الطيور على العطش حتى قيل انهُ لا يشرب بحياته ماء والصيادون يقطرون الماء عن الداجن

لاعتقادهم بان الماء يجعلهُ غير صالح للصيد على المنصة في ايام السفاد ذكرًا كان او انثى

﴿ تمشيشهُ ﴾ عجيب هذا الطير في اطواره وغيرته فألفتهُ المعهودة تتحوَّل في اوائل اذار الى خصام شديد وعراك قويّ ونفور زائد فقلما ترى ذكرًا يقرب الاخر وقلّما تتابلا الّا تصارعا وتضاربا حتى انه يسمع صوت القتال عن بعد فالضعيف يختفي والقويّ ينفض الخوف ويبرز كالكاسر كلّ ذلك ناتج عن الغيرة والتسابق الى الاناث. فاذا سمع الذكر صوت الحجلة حلّق على غير مألوف عادته في الفضاء يفتّش على مقرّها

وذكر صيّاد امامي مرةً انه شاهد اربعة حجال يختصمون على انثى اثنان اثنان وثلاثة واربعة حتى تفانوا الّا واحدًا خرج من هذه المعمعة مهشّماً مجرَّحاً. وتستمرُّ هذه الحرب السجال شهرًا وربّما طالت حتى يزول الملول ويجتمع كلّ ذكر بانثى فينفرد بها ولا يفارقها غيرة وخوفاً فينضّد معها قشّ العش ثم تبدأ بالبيض وربما باضت من غير ذكر لكنّ ذاك البيض لا يصلح للحضونة فيفسد ولا ينتفُ (يمردر) ويبلغ بيضها الى العشرين وقلّما شوهد اكثر من ذلك وبعض الاناث تبيض الموسم غب الموسم ومنها السنة تلو الاخرى وعلى قول البعض ان البيض يقلّ كل سنة واحدة وهكذا الى النهاية وهذا مما يؤيد زعم القائلين بان الحجل يعيش على عدد بيضهِ

ووجد الصيّادون في العش بيضاً صغيرًا ما برحوا الى الآن في لبنان يظنونهُ من وضع الحجل وهو بالحقيقة بيض انثى لم يكن منها الذكر تماماً

ثم ترخم الانثى على بيضها مدة عشرين يوماً على الاكثر ويقيم الحجل بجانبها وربّما تركها وقت الحضانة واستقلّت هي بعملها. والدميري في كتاب حياة الحيوان يزعم ان الذكر يشارك الانثى بالحضانة فيرخم على البيض الذي داخله ذكر فقط. وغيره يقول انه يرخم عليهِ متى ذهبت انثاه لطلب رزقها والله اعلم

وجرّب بعض الصيّادين فاطاق في مكان منفرد ذكرًا وانثى داجنين فعشّشا واستقلّت الانثى بالحضانة ولم يكن الذكر يقترب منها ولا يمسّ بيضها او يعاونها في اعالة صغارها مع انه كان دائماً معها في عشّ واحد

والذي يرى من هيئة العش ان الحجل لا يتأنّق كبقية الطيور بصنيع عشهِ

وحبكه حبكاً يضمن تماسكه فيكتفي بتنضيد ما يجمعهُ من القش اليابس بجانب بعضهِ حتى اذا اصابته ريح نثرته في كل مكان

﴿ بروز الفرخ ﴾ متى دبَّت في الفرخ ضمن البيضة نسمةُ الحياة تشعر امهُ بقوة طبيعتها فتنقب عقب البيضة بمنقادها فيظهر رأس الفرخ ثم تأخذ بتوسيعهِ ووبيداً الى ان تنفرج القشرة ويصبح قادراً على الخروج بذاته فيخرج واذا مات احد صغارها تحمله بمنقادها سراً وتقذف به بعيداً عن العش لئلا يتأذى من رائحته البقية . والمقول ان الذكر يأتي بعد تلك الغيبة الطويلة وبمنقاده طعام يزقُّهُ للفراخ ويتولى بالمناوبة مع الانثى اعالة الصغار الى ان يقووا على الحركة فيلحقون والدتهم كما يلحق القوب الدجاجة

وصغار الحجل تخرج من البيضة مرتاشة كلها بخلاف بقية الطيور البرّية فيظهر عليها الزغب تدريجاً والحجل يحفظ فطرته الطبيعية وان تسلطت عليه عوامل اخرى . جرَّب بعضهم والقى تحت دجاجة (قرقة) بيض حجل ففقس البيض في وقتهِ وخرج منه الفرخ وكانت الدجاجة تعامله كصغارها فترقُّه وتضمُّهُ تحت جناحيها وهو يتبعها كبقية الفراريج اينما ذهبت وايان حلَّت وهو يغرّد ويقرقر كصغار الحجل . ولمَّا كبر خاصمهُ الفراخ حتى الدجاجة فاضطرَّ صاحبه ان يفصلهُ ويعتني به وكان بالحجم على قدر نصف البريّ

﴿ تدجينهُ ﴾ يستمرّ الفرخ في العش حتى ينشط فحينئذٍ على الاصح تستقل الانثى بامر الاهتمام به وتعوّده على الطيران فتخرج به بميقات خروجها مقرقرةً امامهُ وهو يتبعها كما يتبع القوبُ الدجاجة ويتّفق حينئذٍ مرور الصيادين او الرُّعاة فيدركونهُ والوالدة تُظهر حينئذٍ من الشجاعة ما يحيّر العقل فقد تهجم وهي طائرة على الصيَّاد وتضربهُ بمنقادها وجناحيها وتدور حوله مشيرة بتصويتها الى صغارها ومنذرة اياهم بالخطر والصيَّاد يتركها وشأنها في تلك الحالة شفقةً على صغارها . ومتى حصل الصيَّاد على عددٍ من الفراخ يضعها في قفص من يقطين على شكل ابريق الفخار ويعتني بها ويحافظ على تدفئتها لاسيما في الليل ويقدم لها طعاماً من « القبابيط » وصغار البيض وحبوب العنب ولبّ الخيار والقثاة ويحاذر لمسها بالاكف لانَّ ذلك يميتها ويتوفر بالعناية بها حتى تبلغ « التزويقة الصحيحة » وهي في عرف الصيادين تريُّش الحجل

بريشهِ الحقيقي الذي يُعرفُ به وبروز العلامات في الرأس المميّزة للذكر عن الانثى وتغير الصوت من الصفير الى التغريد (التكلم) ويقاسي الحجل في هذه التربية من الاوجاع والالام اشكالاً والواناً وقد لا يقوى ولاسيما اذا كان يُدَجَّن على مقاساة الآلام فيموت

ومتى ربي الفرخ في البيت صغيراً ألفه وما زال به كالدجاج لا يفارقهُ ويقترب من الناس بغير حذر ويصعد عليهم مصوتاً تصويتاً لطيفاً وقد رأيت بعضاً من الصيادين يطلقونه وشأنهُ فيسرح في البرية ويعود كالحمام الى قفصه بخلاف المأخوذ كبيراً امّا عن الشرك او عن سواه فيظل برّياً لا يتصيَّد واذا اطلقتهُ ذهب دون امل الى رجوعهِ والعيال السورية لاسيما اللبنانية تقتني الحجال في بيوتها إعجاباً بمنظرها وتيمُّناً بصورتها واعتقاداً بان الخير معقود برجوعها . ويباع الحجل الداجن بريالين في سورية وقد يبلغ ثمنهُ ستة ريالات متى كان ماهراً في الصيد ومدرَّباً عليهِ

﴿ طرق صيده ﴾ قد تفنَّن الصيَّادون في سورية وذهبوا في صيد الحجل طرقاً ومذاهب شتى لأن فيه من اللباقة والتمرُّن على الرماية ما يدهش ويجدي الثناء على اصحابهِ فالذي يرمي حجلاً طائراً يحقّ له ان يحصى في عداد مهرة الصيادين

فان اراد الصيَّادون الخروج الى صيد الحجل دعا بعضهم بعضاً فيذهبون بكلابهم السلوقيَّة الى « المَحجة » صاخبين حادين كانهم بهرجان الى ان يقتربوا منها فيصمتون وينبثُّون فرقاً فرقاً تتقدمهم كلابهم فتهتدي هذه بقوة الشمّ الى مكمن الحجل وتشيره فيصوّبون عليه بنادقهم فمن اصاب الهدف يصخبون له استحساناً واعجاباً ويتقدمُ الكلب من الحجل المقتول ويحمله بفمهِ ويناوله لصاحبه . والحجل الذي يثار بيومٍ كهذا وينجو من الصياد يخلي مكانه حالاً ويقلّ ظهوره وتغريده ويكثر حذرهُ وربَّما مات من الخوف

ويُصاد الحجل بالشرك ايضاً وشركهُ على مثال الشبكة يطرحه الصيَّاد في سهل مقصدهِ للحجال ويغرس اطنابهُ جيداً وينثر في كل جهاتهِ حبوب القمح فياتي الحجل لالتقاطها فتعلق رجلاه فيها وينتشب ساقاهُ وكلما حاول التملص اشتدَّ عليه الضغط فيقع كالمذبوح واقصاً . وهذه الطريقة كان يستعملها القدماء في بلادنا قبل ظهور السلاح السريع الطلق وقد بطلت الان وندر استعمالها

وربما تصيَّدوا «بالمطعمة» وذلك انهم يخطُّون في التراب في وطإ محجلة خطاً فتياً ويجلسونهُ على شكل ميزاب الترميد ويملأون باطنهُ براً وينثرون على ظاهره تبناً وقمحاً فيشاهده القبج ويهبط اسراباً اسراباً بصياح وتصويت وينبره نبراً فيستأنف الصياد إجلاسه مرات ليتعوَّد الحجل عليه ويقيم بمجربة منه فترةً يغطيها بالاوراق والاغصان وفي الفترة كرةٌ صغيرة تقابل الثلم فيختفي فيها ممتنعاً عن كل حركة ومدخلاً فوهة بندقيته بالكرة لجهة الثلم فاذا انحدرت الحجال اصطفت حول الثلم كالمسكر او كالنادبات حول الميت فيفرغ عليها بندقيته فيقع ما يقع . والصيادون المهرة يستنكرون هذه الطريقة واذا مرّوا بمطعمة حرقوها كي يبتعد عنها الحجل وخاصموا صانعها لخلوها من لذة الصيد ولقضائها على الأقباج مرةً واحدة

وفي اوائل تشرين الاول تترك الانثى صغارها وتقيم مع غيرها من الاناث وكذا الذكور الى ان يأتي زمن السفاد فيبدأ عهد الخصام ويستأنف زمن الغيرة كرَّته فتتناثر عقود الاسراب ويخفت الضعيف مستكناً ويظهر القويُّ كاسراً . والحجل في ذاك الوقت يفقد كل شعور ويطرح عنه كل خوف وتحذُّر فتقترب منه ولا يجفل وتكاد تلمسهُ ولا يطير فاذا كان للصياد حجل داجنٌ حمله الى محجلة ونصبهُ على اريكة واستتر بجانبه وهيَّجه للتغريد بصفيره فيبدأ بالمخاتلة والمراوغة فاذا سمعه بريّ انقضَّ عليه كالباز على العصفور ليقتلهُ غيرةً وانتقاماً فيبادره الصياد بناره ويهلكه وذكر لي صيادٌ مرةً انه نصب حجلهُ مرةً وكان ضعيفاً فجاء اليه بريّ تدلُّ ملامحه على تقادم عهده وقوَّته وجثم على القفص يعارك الداجن من داخل والصياد لا يجسر على اطلاق النار مخافة اهلاك حجله ايضاً فقام اليه ولم يهرب حتى اقترب منه وصار يلمسهُ وربما جاءت الانثى ايضاً الى الحجل

قلنا انَّ العامَّة يدعون انثى الحجل «سركة» وهي تصحيف سلكة ويطلقون عليها هذا الاسم وقت الصيد فقط اذ يتَّخذونها لاصطياد الحجل البرّي . وذلك من اهم الدروس في معرفة اطوار وطبائع الحيوانات ففيه تظهر سنة الله متجليةً بكل معانيها ورسومها وفيه يُرى كلُّ ما خلق في الجوّ ودبَّ على الارض اكثر حرصاً واشدّ تمسكاً من الانسان بنواميس باريء الوجود ويصاد عليها في ايام السفاد . وطريقة الصيد عليها كما على الذكر فاذا كانت هذه لبقة ماهرة استجلبت اليها كل من سمعها

من الذكور وجعلتهم يتعاركون امامها ويتفانون فياخذهم الصياد بناره غنيمة باردة

والصيادون يطعمون سركاتهم الثوم قبل اجلاسها على المنصة تهييجاً لها والحجل الداجن قد يخرس وهو على المنصة ولا يتكلم متى سمع آخر اشدّ منهُ بأساً وقوة وقد روى لي صيادو بلادنا ما اذكره بكل تحفظ قالوا ان لطيران الحجل وهبوطهِ المطمئن ونزاله لمثله رعدةً ترعد الصيّاد كما يرعد صاحب الحمّى فتمنعهُ من الضغط على ديك البندقية ويعبرون عنها بلفظة « طرد » فسبحان الخالق الذي خصَّ كل طير بأخلاقٍ يصون بها جنسهُ وتمنع الانسان ملكهُ من ان يستبدَّ بهِ ويفني نسلهُ

فهذه خلاصة ما عاينّاه في حجل بلادنا فلعلهُ يقع لدى القرّاء موقع الاستحسان ويزيدهم شكرًا لبارئ الكون فيخدمون بنشاط ذلك الذي سخَّر لخدمتهم طيور السماء وحيتان الماء

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

سبب نكران اليهود ليسوع المسيح

وكأني اسمع هنا اعتراض المخالفين فيقولون : ان كان الامر كما تقول عن انتظار كلّ الشعوب لمجيء المسيح وعن سبق النبوّات في تعريف زمنهِ ومكانهِ وكلّ تفاصيل حياتهِ من مولدهِ الى صعودهِ الى السماء أفما كان الاولى بالأمّة اليهوديَّة ان تتقدَّم في معرفتهِ على كلّ من سواها وفي يدها تلك الاسفار المدوَّنة في كلّ سطر من سطورها النبوّات المصرّحة بهِ . فان كان الامر على خلاف ذلك واليهود ينكرون كونهُ المسيح الموعود فضلًا عن انكارهم للاهوتهِ أفليس هذا برهاناً جليًّا على انَّ شروحنا لكلام الانبياء مبنيَّة على اوهام باطلة لاسند لها في واقع الامر

نقول انَّ هذا الاعتراض اقوى حجَّة لدى الخصوم يتشبَّثون بها لردّ البيّنات التي

اوردناها من تقليد الشعوب ومن نبوّات العهد القديم ومن ثمّ لا بُدّ من تفنيدها قبل ان نواصل كلامنا في اثبات الوهيّة المسيح فنجيب: (اوّلًا) انّهُ من الامور المقرّرة تاريخيًّا في اعمال يوسيفوس اليهوديّ وفي كتب اليهود القديمة الراقية الى عهد يسوع المسيح انّ بني اسرائيل كانوا في بدْ تاريخ النصرانيّة يراقبون بفروغ الصبر من يوم الى آخر مجيْ مسيحهم . ولذلك ترى رؤساء الكهنة والكتبة يرسلون الى يوحنّا المعمدان يسألونهُ أهو المسيح المنتظر وان كان ليس هو بهِ فما بالهُ يعمّد كأنّهُ المسيح (متى ١١: ٢ لوقا ٣: ١٥ و٧: ١٨ يوحنّا ١: ١٩—٢٦) وكذلك يلقون السؤال عينهُ على يسوع (يو ١٠: ٢٤). وكان قبل ذلك قد استفتاهم هيرودس عند قدوم المجوس الى اورشليم عن مكان مولد المسيح (متى ٢: ٤—٥) فلم يتردّدوا في جوابهم بل أتوا للحال بنبوّة ميخا (٥: ٢) المصرّحة بميلادهِ في بيت لحم أفراتة . كما انّهم لم يرتابوا في الجواب لما سألهم الربّ عن المسيح ابن مَنْ هو فقالوا لوقتهم: انهُ ابن داود (متى ٢٢: ٤٢—٤٣)

(ثانيًا) ويظهر انتظارهم لمجيْ المسيح في ذاك العهد من شواهد أخرى لا سيما اخبار الصالحين من اليهود كزكريّا البارّ والد يوحنا المعمدان الذي «بارك الله لافتقادهِ شعبهُ واقامتهِ لهُ قرن خلاص من بيت داود . . . يسبق ابنهُ يوحنا امام وجههِ» (لوقا ١: ٦٤—٧٦). وكسمعان الشيخ الصدّيق «المنتظر تعزية اسرائيل الذي أوحي اليه بالروح انّهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ» فطلب من الله اذ رآهُ وحملهُ على ذراعيهِ «ان يُطلق عبدهُ بسلام لأنّ عينيّهِ ابصرتا خلاصهُ المعدّ امام وجه الشعوب» (لو ٢: ٢٥—٣١) . وكحنّة ابنة فنوئيل التي لمّا رأت يسوع الصبيّ «اعترفت للربّ وحدّثت عنهُ كلّ من كان ينتظر فداء اسرائيل» (٣٦—٣٨). ومثلهم اندراوس تلميذ يوحنّا المعمدان الذي ارشدهُ معلّمهُ الى يسوع فبشّر اخاهُ سمعان بانّهُ «وجد ماشيح الذي تأويلهُ المسيح» (يو ١: ٤١)

(ثالثًا) بل يلوح الامر من تسرّع اليهود في ذاك الوقت الى اتّباع كلّ من كان يأتيهم مدّعيًا بانهُ المسيح كتاوداس ويهوذا الجليليّ كما ذكر جمليئيل في سفر الاعمال (٥: ٣٦—٣٧) ويوسيفوس في العاديّات. وكيوناتان القيرواني (يوسيفوس حرب اليهود ك ٧ ف ٣٧) وكبركوزبا وبركوكيبا وغيرهم. وقد قرّفهم بذلك السيّد

المسيح حيث قال لهم (يو ٥:٤٣) : انا اتيتُ باسم أبي فلم تقبلوني وان أتاكم آخر باسم نفسهِ تقبلونهُ » . بل سبق وحذَّرهم من المدَّعين زوراً بانهم مسحاء حيث قال (متى ٢٤:٥) : « انَّ كثيرين سيأتون باسمي قائلين انا المسيح ويضلُّون كثيرين »

(رابعاً) ولنا في اهل السامرة المجاورين لليهود والمعتقدين باسفار موسى ما يؤيد هذه الشواهد في انتظار بني اسرائيل لقرب مجيء المسيح وذلك في ما رواهُ يوحنَّا (٤:٢٤) عن السامريَّة التي لقيها يسوع عند بئر يعقوب فقالت لهُ : « قد علمتُ انَّ ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكلِّ شيء » .

(خامساً) وما قولنا بارلئك اليهود الابرار الذي عرفوا الحقَّ وقبلوا تعاليم السيِّد المسيح وآمنوا بهِ . منهم في مدَّة حياة السيِّد المسيح كالرسل والتلاميذ السبعين والنساء الصالحات وغيرهم الذين بلغ عددهم خمسمائة في بعض ظهورات السيِّد المسيح من بعد قيامتهِ (١ كور ١٥:٦) ومنهم بعد صعودهِ كالثلاثة الآلاف الذين عمَّدهم الرسل في اورشليم يوم حلول الروح القدس (اعمال ٢:٢١) فتبعهم خمسة آلاف مرَّة أخرى (٤:٤) وغيرهم ايضاً حتى اخذ المؤمنون بالرب في الازدياد جماعات من الرجال والنساء (أع٥:١٤) . وهؤلاء اليهود المؤمنون لم يكونوا فقط في اورشليم بل في مدن اخرى ايضاً كدمشق (اع ٩:٢ و٢٥) ويافا (١٠:٥) وانطاكية (١٣:١) بل في كلِّ اليهوديَّة والجليل (٩:٣١) وسواحل آسية الصغرى (١٤:١ الخ) هذا فضلاً عن السامريين (٨:١٤ و٩:٣١) والامم (١٠:٤٨ الخ)

(سادساً) وكما انَّ كلَّ هؤلاء اليهود المتنصِّرين آمنوا بيسوع واعتقدوا انَّهُ هو ابنُ الله الحيّ كذلك قد ورد في تآليف الربَّانيين ما هو كافٍ ليفحمهم ويثبت انَّ المسيح المنتظر صدقت خواصُّهُ في يسوع وحدهُ . فمن ذلك قولهم انَّ حالة اليهود عند مجيء المسيح تكون حرجةً كثيرة الشدائد كما ورد في كتابهم المثنى (Mischna, Sota, IX, 15) وفي كتاب عزرا الرابع (٦:٢٤) وغيرهما ايضاً . وذاك ما تحقَّق في الأمَّة اليهوديَّة اذ انقطعت سلالة ملوكها الشرعيين وصار الصولجان في يد هيرودس الادوميّ واخذت الدولة الرومانيَّة بالضغط عليهم حتى نُصب النَّسر الرومانيّ فوق هيكلهم وقامت في جانبهِ رجاسة الخراب كما قال دانيال .

ومنها قولهم انَّ ايليا سوف يظهر عند مجيء المسيح قالوا ذلك في فصول من

كتاب التلمود (Baba mezia. I, 8 و Eduioth, VIII.7) لكنَّهم اخذوا المجاز بدلًا من الحقيقة لأنهم ظنُّوا ان السابق الموعود ليمدّ طريق الربّ في ملاخي (٣:١) وفي اشعيا (٤٠:٣-٥) هو ايليًا بشخصهِ والصواب انهُ ليس ايليا بالذات بل يوحنا المعمدان الذي جاء بروح ايليًا كما قال الملاك جبرائيل لابيهِ زكريًا (لوقا ١:١٧) انَّهُ يتقدَّم وجه المسيح « بروح ايليًا وقوَّتهِ » . وعنهُ قال المسيح (متى ١١:١٠ و١٤) «هذا هو الذي كُتب عنهُ هاءنذا مُرسل ملاكي امام وجهك يهيئ طريقك قدَّامك ... وان اردتم أنْ تقبلوا فهو ايليا المزمع أن يأتي »

ومنها ايضاً تكريرهم في كتبهم بأن المسيح سوف ينتصر على اعداء اسرائيل ويملك الى الابد . وهذا قد ورد مرارًا في كتاب مزامير سليمان (المزمور ١٧:٢٤ —٤١ وفي جملة اقوال الفيلسوف اليهوديّ فيلون كما في كتابه الثواب والعقاب (ع ١٦) وتكرَّر في المثنى في كتاب بركوث (ف ١ ع ٥) وفي كلّها كلام صريح عن ظفر المسيح باعدائهِ وملكهِ المتداوم . ومثلهُ قول الملاك جبرائيل لمريم العذراء (لوقا ١:٣٢ — ٣٣) عن المولود منها : « انَّ الربَّ الالـه يعطيهِ عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء » . على انَّ اليهود اذ كانوا شعباً لحميًا لا يفكرون الَّا في حطام الدنيا والملك الزمنيّ كانوا يفسّرون كلّ آيات الكتاب المقدَّس عن انتصارات زمنيَّة فيتخيَّلون المسيح كفاتح يزحف بجيوشهِ الجرَّارة الى اقاصي البلاد ويذلّل كلّ الدول ليوطّد ملك اسرائيل . وذهلوا عن رقّ عبوديَّة أخرى اشدّ واقسى من عبوديَّة المصريّين التي كانت سحقت الجنس البشريّ وجعلتهُ في حوزة العدوّ الجهنمي ولذلك لم يمكنهم ان يقبلوا قول المسيح بانَّهُ سيتألَّم ويُجلَد ويُصلَب ويموت وبموتهِ يغلب اركون العالم ومن ثمَّ كانوا اذا سمعوهُ يتنبَّأ عن موتهِ يقولون لهُ (يو ١٢:٣٤) : « قد سمعنا من الناموس ان المسيح يدوم الى الابد فكيف تقول انت انهُ ينبغي ان يرتفع ابن البشر ؟ » . ومع انَّ كلام الانبياء في آلام المسيح اضوأ من الشمس كما اثبتنا ذلك كانوا يريدونهُ ظافرًا ممجَّدًا امام الناس كسليمان وداود بل اكبر منهما . على انَّ بعضهم اقرُّوا بان المسيح ينبغي لهُ ان يتألَّم على حسب منطوق الانبياء منهم الربَّاني تريفون (Tryphon) في جدالهِ مع القديس يوستينوس الفيلسوف (Justin, *contra Tryphon.* 89,90)

وكما تصوَّر اليهود المسيح سلطاناً معظماً تعنو لهُ كلّ ملوك الارض كذلك حملوا كلام الانبياء عن مجد اورشليم الروحيّ على معناهُ الحرفيّ فظنُّوا ان المسيح سيحوّل مدينتهم الى كرسيّ ممالك العالم والى حاضرةٍ غاية في الرونق والبهاء تقصدها كلّ الشعوب وتتذهل من عظمتها وجمالها وسيعود العصر الذهبي الى الارض . مع ان اورشليم خربت بعد ذلك بزمن قليل ولم يُبق فيها اعداؤها حجرًا على حجر كما تنبَّأ عنها المخلص (لوقا ١٩ : ٤١) وذهب معظم اهلها سبياً وقتلًا

(سابعاً) ومن عجيب امر اليهود انهم اذ كانوا غائصين في هذه الافكار العالميَّة لا يرون لمجد المسيح غير الجاه الزمنيّ فانهم بأنَّ النبوَّات كانت تثبت كون المسيح إلهًا وابن إله وقد نقلنا بعض آياتهم في ذلك . والسيّد المسيح في الانجيل المقدَّس اضطرَّهم غير مرَّة بان يقبلوا آيات الانبياء المثبتة لاهوتهُ كما فعل اذ سألهم عن المسيح ابن من هو فقالوا: ابن داود. فاردف قائلًا (متى ٢٢ : ٤٣–٤٦) : فكيف يدعوهُ داود بالروح ربَّهُ حيث يقول : « قال الربّ لربّي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك . فان كان داود يدعوهُ ربًّا فكيف يكون هو ابنهُ . فلم يستطع احدٌ ان يجيبهُ بكلمةٍ »

(ثامناً) لا بل لو كان اليهود منصفين لوجدوا ليس فقط في الاسفار المقدَّسة شواهد واضحة عن لاهوت السيّد المسيح ولكن في كتب احبارهم ايضاً وخصوصاً في شروحهم على الاسفار المنزلة . وهم يؤكّدون مثل النصارى انَّ النبوَّات يدور معظمها على المسيح الآتي. هكذا قال ربّي يوناتان بن عزئيل وربّي أبّان في الترجوم الكلداني عند شرحهما لقول زكريَّا النبيّ (٩ : ٩) : « يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتيكِ صدّيقاً » ولقول اشعيا النبي (٢٥ : ٩) : « يقال في ذلك اليوم هوذا الهنا الذي انتظرناهُ وهو يخلّصنا ... فنبتهج ونفرح بهِ » ولقول سفر نشيد الاناشيد (١ : ٣) : « اجذبني وراءكَ ... فنبتهج بكَ ونفرح ذاكرين حبَّكَ » فيصرّح الشارحان بان هذا الملك الآتي « هو المسيح وانَّ بهِ يتمّ فرح اورشليم لانَّ إله اسرائيل يسكن عيانًا على جبل صهيون ليس بمبعوثيهِ الانبياء فقط بل بشخصهِ الكريم »

وكذلك يفسّر الربَّانيُّون قول اشعيا (٣٠ : ٢٩) : « ولا يتوارى معلّمكَ من بعد بل تكون عيناك تريانِ معلّمك » قال ربّي يوناتان : انَّهُ يريد المسيح

فيقول لاسرائيل : « انَّ عينيك تريان لاهوتهُ » وكذا شرحهُ ربّي صموئيل بن يحيي وصاحب كتاب السفر (١ فقالا : « اذا جاء المسيح ترى عيناك يا اسرائيل ابا العهد العتيد ويُصبح الله القدوس المبارك مُعلّمكَ وجهاً بوجه ولا يردّ وجههُ عنكَ »

وقال صاحب مدرش كوهلت في شرحهِ سفر الجامعة : « اذا جاء المسيح يثبت الله القدُّوس عرشهُ بين الابرار ويظهر لهم كلمة حكمتهِ المحجوبة منهم سابقاً فيوحيها من فيهِ الى معلّميهم »

وكذلك صاحب مدرش تهيليم في شرحهِ على آية النبيّ باروك (٣ : ٣٨) « وبعد ذلك تراءى على الارض وتردَّد بين البشر » يقول انّ هذا يتم في عهد المسيح « لانَّ الربّ الاله القدُّوس المبارك سوف يجعل سكناهُ بين الصالحين فيشيرون اليهِ باصبعهم قائلين مع صاحب المزامير : هوذا إلهنا »

واجلى من ذلك قول ربّي هدرشان في شرحهِ على سفر التكوين (٢ « ان اسم الله الكريم « يَهوَه » المذكور هنا انَّما هو اسم الملك المسيح » . وهذا القول عجيب في بابهِ لانَّ الربّانيين يعظّمون اسم « يهوه » الى حدّ انهم لا يجسرون على لفظهِ ويبدلونهُ باسم « ادوني » اي « ربّ »

ومثلهُ وضوحاً قول صاحب مدرش تهيليم (٣ في شرحهِ لآية ارميا النبيّ (٢٣ : ٦) « وهذا اسمهُ الذي يُدعى بهِ الربّ (يهوه) برُّنا » قال : « يتّضح من هذه الآية انَّ الله العظيم قد اعطى اسمهُ الكريم « يهوه » للمسيح .. لانَّ كلام ارميا هنا انَّما هو عن الملك المسيح »

فترى انَّهُ لا عذر لليهود في جحودهم ليسوع المسيح ولمَّا نسبوا اليهِ التجديف لانَّهُ قال امام قيافا بانهُ ابن الله الحيّ هم الذين كفروا وجدَّفوا على الله وصمّوا آذانهم وصلّبوا قلوبهم على اقوال الانبياء والربّانيين مفسري آياتهم

(ثامناً) ثمَّ لا بُدَّ ايضاً من القول بانَّ الانبياء كما تنبَّأوا على حياة المسيح واعمالهِ ولاهوتهِ كذلك سبقوا واشاروا الى نفي الله لشعب اسرائيل ورَذْلهِ كما جاء في نبوَّة دانيال (٩ : ٢٥) : « يُقتَل المسيح والشعب الذي ينكرهُ لا يكون

١) راجع كتاب غلاتينوس (Galatinus) (ص ١٨١—١٨٤)

٢) في كتاب غلاتينوس المذكور ص ١٢٦ ٣) فيهِ ص ١٢٩

لهُ » . ومثلهُ قول ملاخي (١ : ١٠) لشعب اسرائيل ينذرهم باللعنة وببركة الامم بدلًا منهم : « انّي لا مسرّة لي بكم قال ربُّ الجنود ولا ارضى تقدمةً من ايديكم لانهُ من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كلّ مكان تُقدَّم وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة لانَّ اسمي عظيم في الامم قال ربُّ الجنود اما انتم فدنَّستموهُ » . وآيات كثيرة مثل هذه تراها في اسفار الانبياء.

وكما أنذر اولئك الانبياء بني اسرائيل باللعنة والنفي كذلك السيّد المسيح كرَّر الامر عينهُ مرارًا باقوالهِ وامثالهِ . فمن ذلك قولهُ تعالى للفريسيين والشيوخ ورؤساء الكهنة (متى ٢١ : ٤٢—٤٤) : « اما قرأتم قطّ في الكتب انَّ الحجر الذي رذلهُ البنَّاؤون هو صار رأساً للزاوية . من عند الربّ كان ذلك وهو عجيب في اعيننا ولذلك اقول لكم انَّ ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأُمّة تصنع ثمرهُ ومن سقط على هذا الحجر يتهشَّم ومن سقط هو عليه يطحنهُ » . ومثل هذا امثال كثيرة ضربها السيّد المسيح لهم كمثل فَعَلَة الكرم القاتلين لابن ربّ البيت ومثل التينة غير المثمرة وما سوى ذلك ممَّا أثار عليهِ بغض اليهود فاسلموهُ الى الموت

فترى من هذه الوجوه كلّها ان اعتراض المعترض الذي يجحد دعوة السيّد المسيح محتجًّا بكفر اليهود لها لا يجديه نكرانهُ نفعاً بل يزيدهُ اثماً ان كابر الحقّ واعمى دونهُ بصرهُ

*

فبعد هذه المقدّمات يجوز لنا ان ندخل في موضوعنا فنبيّن الوهية السيّد المسيح رأساً بدرس حياتهِ واعمالهِ واستنادًا الى ارثق الادلّة نريد بها الاناجيل المقدّسة ثمَّ اعمال الرسل ورسائلهم ثم الآثار التاريخيّة الكنسيّة والمدنيّة الباقية من ذلك العهد . ونقسم هذا الدرس فصولًا نثبت في كلّ فصل منهُ لاهوت السيّد المسيح من احد هذه الوجوه

الفصل الاول

الوهيَّة المسيح في مولدهِ

معلوم انَّ حياة البشر تبتدئ بمولدهم . وهي لعمري حقيقة لا تحتاج الى اثبات

فمن نكرها عُدَّ ممسوساً بعقلهِ . فهذا نابوليون الكبير . وهذا اوغسطوس قيصر العظيم . وهذا الاسكندر ذو القرنين . ومثلهم اكبر الآباء كنوح وابراهيم واشهر المشترعين والانبياء كموسى وايليا واحكم البشر كسليمان وارسطو . فانهم مع عظم شأنهم وكثرة آثارهم وشهرة اعمالهم ابتدأ عمرهم في نقطة من الزمان سبقها العدم في تاريخهم . فمن بحث عنهم قبل ذلك الوقت اضاع تعبهُ بل قُلْ انهُ فقد شعورهُ

ومع اطّراد هذه القاعدة وُجد لها شذوذ واحد في مدى الادهار . وصحّ الشذوذ في شخص فرد امكنهُ وحدهُ ان يؤكد دون كذب انهُ كان قبل مولدهِ الزمنيّ وقبل انتظامهِ بين مواليد البشر

وما هذا الانسان الوحيد الّا السيد المسيح الذي افتتح يوحنّا البشير انجيلهُ بوصف مولدهِ الازليّ من الآب حيث قال (يو ١ : ١ و١٤) : « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . . . والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا وقد ابصرنا مجدهُ مجد وحيدٍ من الآب مملوءاً نعمةً وحقًّا »

ومثلهُ شهد يوحنّا المعمدان المعروف بالسابق بانَّ المسيح المولود بعدهُ قد سبقهُ وهو اقدم منهُ فصرخ قائلاً (يو ١ : ١٥) : « هذا هو الذي قُلت عنهُ انَّ الذي يأتي بعدي قد جُعل قبلي لانهُ اقدم منّي ومن امتلائه نحن كلُّنا اخذنا »

وكذلك السيد المسيح صرّح غير مرّةٍ بانَّهُ كان قبل مولدهِ الزمني فقال لليهود (يو ٨ : ٥٦–٥٨) : « ابراهيم ابوكم ابتهج حتى يرى يومي فرأى وفرح . فقال لهُ اليهود : لم يأتِ لك بعد خمسون سنةً وقد رأيت ابراهيم ؟ فقال لهم يسوع : الحقَّ الحقَّ اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن »

فهذه شواهد اضوأ من النهار او يجب محوها من الاناجيل المقدَّسة لكنَّ السماء والارض تزولان وكلمة منها لا تزول او يتحتَّم الاقرار بانَّ السيد المسيح هو إله كان قبل مولدهِ البشري في الزمان . وهو القول الصحيح المؤيَّد بنبوات الانبياء العديدة فانَّ ميخا مثلاً (٥ : ٢) في نبوّتهِ عن مولد المسيح في بيت لحم يصرّح بانَّ هذا المولود « مخارجهُ منذ القديم ومن الأيام الأُوَل » ويعلمنا اشعيا (٩ : ٦) ان المولود المنتظر من الشعوب « يدعى اسمهُ عجيباً مشيرًا الهًا جبَّارًا أبا الابد رئيس السلام » وكلّ ذلك ما لا يصدق في انسان محض هو ابن يومهِ . كما انَّ اشعيا ايضاً في نبوّتهِ

عن العذراء الحُبلى (٧ : ١٤) يدعو ابنها « عمانوئيل » اي الله معنا فاثبت بذلك وجودهُ قبل الحبل بهِ ومولدهِ . ومثلهُ قول داود النبيّ عن مولد ابن الله في بدء الدهور (مز ٢ : ٧) عن لسان الآب الازلي: « انت ابني وانا اليوم ولدتُكَ »

فهذه الآيات كلُّها تتوافق في بيان وجود المسيح قبل مولدهِ بالجسد اعني من حيث طبيعتهِ الالهيَّة التي لا يحدُّها الزمان ومن حيث مولدهِ في حضن الآب قبل كلّ الدهور

*

ولو اعتبرتَ الآن خبر مولد السيد المسيح كما رواهُ متَّى ولوقا لوجدتَ امورًا اخرى تثبت الوهيَّتهُ

(اولًا) انَّ ظروف مولدهِ قد عيَّنها الانبياء بكلّ دقَّة . منها المكان كما مرَّ في نبوَّة ميخا . والزمان كما اعلن بالامر دانيال النبيّ . ومنها حالتهُ الفقريَّة في مولدهِ بين الحيوانات (اشعيا ١ : ٣) . وكذلك سجود المجوس لهُ وتقدمة الهدايا في مولدهِ قد تنبأ بها داود فقال (٧١ : ١٠) : « ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليهِ الألطاف . ملوك شبأ وسبأ يقرّبون لهُ الهدايا »

(ثانيًا) تجد في مولد السيّد المسيح من المعجزات ما يجعلهُ في مقام لم يعهدهُ البشر فانَّهُ وحدهُ ولد من غير أب ودون زرع بشريّ بفعل الروح القدس بعد ان بشر الملاك بهِ امَّه . هو وحدهُ قد خُصَّ بحضور الملائكة عند مهدهِ وتسبيحهم لله في العلى وتمجيدهم لاسمهِ القدوس وسجودهم لهُ (لوقا ٢ والرسالة الى العبرانيين ١ : ٦) . وحدهُ ايضًا قد سجد لهُ ملوك الشرق وهو في سريرهِ

(ثالثًا) ولا بأس في انَّ السيّد المسيح ولد في حالة الضعف والفقر مضَّجعًا في مذود مقمَّطًا في اللفائف فانَّهُ اختار ذلك من تلقاء نفسهِ اذ جاء ليعلّم البشر الرضى بالفقر والمسكنة والازدراء بغنى العالم وجاه الدنيا فلو اختار ان يولد في قصر الملوك وفي بذخ العيش ألم يكن بذلك ابعد عنهُ الفقراء والرعاة وكذَّب بمثلهِ ما علَّمهُ بلسانهِ . وكم كان اشرف لهُ ان يأتيهُ الملوك فيسجدون لهُ في مغارة بيت لحم من ان يدخلوا اليهِ في بلاط احد الملوك . فتعفيرهم الجباه امامهُ في التراب لأدلّ على رفعتهِ واظهر لمقامهِ السامي من ان يكرم ملوك ملكًا صغيرًا في قصر احد امثالهم

(رابعاً) وزد على ذلك انَّ هؤلاء الملوك لم يحضروا بدعوة بشر ولكن رأوا كوكباً في السماء دلَّهم عليه بلعام احد اجدادهم كآية مجيء المسيح حيث قال (سفر العدد ٢٤ : ١٧) : « اراهُ وليس حاضراً أبصرهُ وليس بقريب . يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل فيحطّم طرفَي موآب . . . ويتسلَّط الذي من يعقوب » فاذ لاح لهم عرفوهُ واسرعوا ملبّين صوت الله ولم يتريَّثوا لدى هيرودس الملك بل للحال اذ أعلمهم الكتبة ورؤساء الكهنة ان بيت لحم هي مكان ولادتهِ نبذوا وراء ظهرهم فخفخة اورشليم وعزَّة ملكها ليرحلوا الى قرية بيت لحم الحقيرة

(خامساً) ثمَّ انَّ في هداياهم ذاتها ما هو اهل بشأن المولود الذي سجدوا لهُ لا كانسان فقط بل كإله . فانَّهم قدَّموا لهُ اللبان الذي يُحرَق على المذابح اجلالاً للإله كما كان جارياً في هيكل اورشليم كأنهم اعترفوا بلاهوت المولود . ثم اهدوهُ الذهب الذي هو اثمن المعادن واعلاها قدراً فاعترفوا بملكهِ الذي ليس لهُ انقضاء . وقدَّموا ايضاً المرّ الذي كانت تُخنَّط بهِ جُثث الموتى دلالة على انَّهم لم يفصلوا ناسوتهُ عن لاهوتهِ واقرُّوا بكيان طبيعتيهِ الالهيَّة والبشريَّة في اقنومهِ الالهيّ الوحيد .

(سادساً) وماذا نقول بعد ذلك عن دخولهِ الى الهيكل في اليوم الاربعين من ميلادهِ اذ اولى هيكل زربَّابل شرفاً اعظم من شرف هيكل سليمان كما سبق ودلَّ عليهِ النبيُّ حجَّاي (٢ : ٧) : « قال ربُّ الجنود : اني مرَّة بعدُ ازلزلُ جميع الامم ويأتي مشتهى الامم فأملأُ هذا البيت مجداً . . . وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاوَّل قال ربُّ الجنود وفي هذا الموضع أُعطي السلام »

فنسأل كلَّ من هو خالٍ عن الغرض ايُّ بشرٍ وُلد ميلاداً كهذا . اليس هذا كافياً للاعتراف بانَّ المولود إله وابن اله . فهيهات هيهات ان يدَّعي انسان بشرف كشرفهِ (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

ԽՆՄԻԼԻ ՀԱՅԿԻՔ
ԵՎ
ԱՌԱՔԵԼՔ ԹՈՒՐՔԱԿԱՆ

ترجمة الاناجيل المقدَّسة واعمال الرسل في التركيَّة

طبع بساعي الآباء اليسوعيين في مطبعتنا الكاثوليكيَّة في بيروت ١٩١٣ ص ٥٧٥)

في عدد سابق (ص ٧٤) ذكرت مجلَّة المشرق العمل المفيد الذي قام بهِ الآباء المرسلون اليسوعيون في جهات الارمن اذ نقلوا الى الارمنيَّة الحديثة الاناجيل الاربعة القانونيَّة مع اعمال الرسل ليتلافوا بذلك الاضرار الناتجة عن الترجمة البروتستانيَّة . لكنَّ اللغة التركيَّة هي شائعة ايضاً في بلاد الارمن ولعلَّها راجحة في بعض النواحي على الارمنيَّة فيحتاج الكاثوليك الى ترجمة العهد الجديد في التركيَّة بدلاً من الترجمة التي اشاعها الاميركان في تلك الولايات . فالمرسلون الكاثوليك تحفَّزوا ايضاً لهذا العمل وانجزوا ترجمة الاناجيل والاعمال في التركيَّة كما فعلوا في الارمنيَّة . على انَّهم قد نشروا هذه الترجمة التركيَّة بالحرف الارمني ليس بالعربيِّ الذي لم يعتدهُ الارمن وقد تحرَّوا جهدهم الدقَّة والضبط في الترجمة مع مراعاة آداب اللغة التركيَّة وهي منقولة عن الاصل اليونانيِّ اجمالاً الَّا في بعض الدقائق التي رجَّحوا فيها الترجمة اللاتينيَّة الرسميَّة وبيَّنوا صوابها في المقدَّمة . وكذلك اضافوا الى الترجمة بعض الشروح المنقولة من اقوال الآباء الاقدمين . وممَّا يزيد قدر هذه الترجمة انَّ المجمع المقدَّس صادق عليها برقيم تاريخهُ سنة ١٩٠٨ فحالت بعض الاسباب عن نشرها الى الآن

الاب برتولو

M. Rémy. SPIRITES ET ILLUSIONISTES. Paris; A. Leclerc, 1911 pp. 254.

المناجون للارواح والمشعوذون

تألفت في باريس لجنةٌ من العلماء الاثبات بينهم الطبيعيُّون والاطبَّاء والجرَّاحون والفسيولوجيُّون ليدرسوا درساً مدقَّقاً تلك المظاهر التي يكشفها المناجون للارواح في

عاضراتهم والتي يُقبل الناس عليها اقبال الجياع على القصاع وكثُر فيها القال والقيل حتى انَّ عدَّة جرائد في باريس كجريدة للاتين والجرنال وايكو دي باري والاكلير تباحثت فيها فكان يوجب الواحد ما ينكرهُ الآخر . وممَّن دخل في هذه اللجنة رجل راجح العقل واسع المعارف الطبيعيَّة اسمهُ المسيو ريمي كان منذ ٢٩ سنة يراقب اعمال المناجين للارواح ليستطلع اسرارهم ويبيّن ما فيها من الصحّة او الخزعبلات . وما هذا الكتاب الذي نحن بصددهِ سوى خلاصة مراقباتهِ عرضها في محاضرات القاها امام اعضاء اللجنة وغيرهم في احد مراسح باريس الكبرى سنة ١٩٠٧ ثمَّ زاد عليها ملحوظات جديدة فطبعها منذ عامين . وقد راجعنا هذا الكتاب الذي يلوح من خلالهِ انَّ المؤلف تتبَّع بكل تدقيق حركات المتعاطين مع الارواح والنصَّابين وكشف كثيرًا من اسرارهم المزعومة فاماط عنها الستار . وهذه خلاصة ملحوظاتهِ انَّ خمسين في المئة من المظاهرات المنسوبة الى الارواح ليست الَّا مكرًا وخداعاً ثمَّ انَّ اربعين من الباقي يمكن تعليلهُ بعلل طبيعيَّة سعى المؤلف بوصفها وبيان حقيقتها . فيبقى عشرة في المئة لا يستطاع حملها على العوامل المعروفة في عالمنا فلا بُدَّ انَّ تُنسَب الى علل خارجة عن الطبيعة المحسوسة وان شئت انسبها الى الارواح ليست ارواح موتى كما يُظَنّ ولا ارواح صالحة بل هي ارواح شرّيرة اتَّفق كلّ الشعوب على خبثها ودعوها بالشياطين . وممَّا اثبتهُ في كتابه انَّ معظم الذين يتعاطون هذا الفنَّ يُمسُّون بشعورهم او يصابون بامراض عصبيَّة وغيرها تعرّض حياتهم لاعظم الاخطار فحذارِ حذار من مزاولتهِ الاب ه . ريشار اليسوعي

Realencyklopaedie. HERZOG-HAUCK. Bd XXIII, pp. 816 et 700, Ergaenzungen und Nachtraege. *Hinrich's, Leipzig,* 1912-1913

دائرة المعارف البروتستانيَّة . الجزء الثالث والعشرون في قسمين

بعد انتهاء علماء البروتستانت من دائرة معارفهم الكبرى التي وصفنا اقسامها تباعاً في المشرق (راجع السنة ١٩١٠ ص ٧٢) استجدَّ على هذا التأليف الواسع عدَّة ملحوظات ومعلومات لم يسع اصحابها السكوت عنها . فالحقوا تلك الدائرة بمجلَّدين ضخمين جعلوهما كتتمة عملهم فاصلحوا ونقَّحوا وزادوا وانقصوا كما رأوهُ اقرب الى الحقيقة . وقد راجعنا مقالات عديدة من هذه الملحقات فوجدناها جديرة

بالاعتبار وان كانت موافقة للمذهب البروتستاني . على أنّنا لحظنا في الكتبة سميهم بالنزاهة التاريخيّة ونبذ التطرّف سواء تكلّموا عن الكاثوليك او عن غيرهم . فقد اقرّوا مثلًا انّ الكنيسة الانكليكانيّة الطقسيّة تتقرّب من الكنيسة الرومانيّة (ق ١ ص ٤٧) كذلك اقرّوا بازدياد عدد الكاثوليك في بريطانيّة العظمى في هذه السنين الاخيرة (ص ٤٠٠) وقد صرّحوا بان وزارة كومب في فرنسة اساءت في سياستها ولم تنل من اضطهادها للكنيسة الّا تمكين التحمّس الديني والتعلّق بالكرسي الرسولي (ص ٤٦٢) كما انّهم أبدوا اسفهم من توفّر الشيع البروتستانيّة التي تتناقض وتتخاصم وتضعف روح الدين (ص ٤٧٩) . وممّا يحتاج الى بعض تحرير قوائم الاحصاءات التي اثبتها المؤلفون عن الشرق والكنائس الشرقيّة فان كثيرًا منها لا ينطبق مع الواقع . ومثلها ما ارتاءه كتبة هذه الدائرة عن بعض الفرنسويين وآرائهم كاولّه لابرون (Ollé-Laprune) وبلوندل (Blondel) اللّذين نُسبت اليهما اضاليل عصريّة لم يذهبوا اليها . وعلى كلّ حال أنّنا نعدّ هذه الدائرة كساعد كبير للدروس التاريخيّة والذهبيّة . وفي كلّ مقالة جدول للكتب التي راجعها كلّ كاتب لتسطير مقالته . وكفى بما قلناه دليلًا على رسوخ قدم ارتئك الكتبة في ابحاثهم

الاب ف . تورنيز

تاريخ كلدو واثور

تأليف السيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

الجزء الاوّل . طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت (سنة ١٩١٣ ص ١٨٥)

كنّا ننتظر بفروغ الصبر ان يقوم في شرقنا من يبسط تاريخ الطائفة الكلدانيّة كما سبق بعض ذوي الهمّة فكتبوا تاريخ السريان والروم والموارنة والارمن . فها هوذا قد تحقّق رجاؤنا بل غلب الواقع ظنّنا فانّ سيادة المطران ادّي شير الجليل لم يقصر عملهُ في الطائفة الكلدانيّة بعد التاريخ المسيحيّ لكنّهُ حاول ايضًا ان يتحف الشرقيّين بمآثر قدماء الكلدان الذين طبّق ذكرهم المعمور مدّة الوف من السنين كما شهدت عليه ولا تزال تلك الحفريّات العجيبة التي تواصلها البعثات العلميّة في انحاء العراق والعجم دون انقطاع فتستخرج من اعماق الارض آثارًا يدهش لها التمدّن المصريّ مع رقيّهِ وعمرانهِ . وهذا القسم الاوّل من كتابهِ يشمل تاريخ كلدو واثور

في الاجيال السابقة لعهد السيّد المسيح الّا بعض ممالك ظهرت في الشرق من بعد موت الاسكندر المقدونيّ فانّ سيادتهُ تتبّعها الى زمن انقراضها بعد للمسيح كمملكة الفرثيين ومملكة اورهاي اي الرها . وقد تحرّى سيادة المؤلف في كلامهِ الرجوع الى كبار المؤرخين الذين كتبوا في زماننا من تلك الدول كالعالم بالعاديّات البابليّة الاستاذ لونورمان في كتابهِ الموسّع في الامم الشرقيّة القديمة وكمشاهير الاثريين في مقدّمتهم المسيو ماسبيرو في تاريخهِ الشرقيّ والمسيو اوبير والمسيو ميتان وكذلك استفاد من المجلّات المختصة بالاثار الشرقيّة كمجلّة الكتاب المقدّس والمجلة الاسيويّة الفرنسويّة . وكثيرًا ما استند سيادتهُ الى مجلّتنا المشرق معرباً عن ثقتهِ بكاتبيها . والكتاب متقن الطبع مزيّن بالتصاوير الجميلة مع خارطة ملوّنة فهو والحقّ يقال من اجود وابدع ما تُزان بهِ المكاتب ويُعطى لطلبة المدارس كجائزة . فنشكر المؤلف على هذه المأثرة النفيسة ونتمنّى ان يطلعنا قريباً عن القسم الباقي . امّا القسم المنتهي فيطلب في بيروت من حضرة الخوري يوسف طويل النائب البطريركي الكلداني وثمنهُ ثلاثة فرنكات دون اجرة البريد ل . ش

كتاب الحياة الهنيّة في الدعوة الرهبانيّة

نقلهُ الى العربيّة الخورفسقفوس افرام احمر دقنه المارديني

طُبع بمطبعة الاتحاد على طريق النهر (بيروت ١٩١٣ ص ١٦٨)

ليس في هذه الحياة دعوة اشرف واجدى نفعاً للمرء من الدعوة الرهبانيّة كيف لا وبها ينقطع الانسان عن ملاذّ هذه العاجلة ويزدري بحطام الدنيا ليصرف وجههُ الى خدمة ربّهِ ويهتمّ بالامر الوحيد الذي لأجلهِ خُلق على الارض الّا انّ هذه الدعوة لا يعرف فضلها الّا القليلون ممّن انار الله ابصارهم وأصغوا الى صوت داعيهم . فهذا الكتاب وضعهُ معلم جليل وهو القديس الفونس دي ليكوريّ لافادة جمهور المسيحيين قاصدًا ان ينبّه افكارهم الى شرف تلك الدعوة وفوائدها الجمّة وما يحفّ بها من الاخطار وكيف يمكن المدعوّين اليها ان يميّزوا ارادة الله ويلبّوا الى ندائهِ ثم يحافظوا على هذا الكنز الثمين اذا ما حصلوا عليهِ . فنعم ما عمل سيادة الخورفسقفوس افرام احمر دقنه رئيس الرهبانيّة الافراميّة السريانيّة في ماردين بتعريبهِ هذا الكتاب ليعمّ نفعهُ الشرقيين من كل الطوائف وقد اكتسب شكرًا مضاعفاً بزيادتهِ عليهِ

اثرين آخرين احدهما للقديس الفونس المذكور والثاني لاحد نسّاك البلاد الشرقيّة اعني رسالة القديس سهدونا من كتبة القرن السابع الى راهب نكث نذرهُ وهجر ديرهُ . فنحضّ كلّ الرهبان بل كلّ من يهمّهُ خلاص نفسهِ ان يطالع هذا الكتاب ويقتبس من انوارهِ ل . ش

La Ligue Maritime, REVUE MENSUELLE ILLUSTRÉE. Organe officiel de la Ligue Maritime française. 14° *année.* 8, *rue de la Boëtie, Paris VIIF, Revue simple, le N°* Fr 0, 25, *avec Supplément,* Fr 0, 75

﴿ مجلة العهدة البحرية الفرنسوية ﴾ تلطّف اصحاب هذه المجلّة فاتحفونا باعداد نشرتهم التي تصدر مرّة في الشهر وتحتوي مقالات مهمّة ومعلومات واسعة عن النقابة البحريّة الفرنسويّة وعن ترقّي فنّ الملاحة التجاريّة والعسكريّة في كلّ دول اوربّة . وهذه المقالات في الغالب لاختصاصيين من امراء البحر وضبّاط متقاعدين زاولوا سنين طويلة قيادة السُّفن فدرسوا درساً نمّاً كلّ ما ينوط بالتجارة البحريّة وفنّ الحروب البحريّة . ففي احد الاعداد الاخيرة من هذه المجلّة فصل مستفيض في تجارة الدول البحريّة غير فرنسة . وفيهِ فصل آخر عن اساطيل فرنسة الموجودة في البحر المتوسط يؤخذ منهُ انّ للدولة الفرنسويّة حالاً ثلاثة اساطيل كبيرة تحت قيادة الاميرال دي لابرار (de Lapeyrère) فلكل اسطول ستّ دوارع يقودها نوّاب عن الاميرال او رؤساء مراكب محنّكون . ودوارع الاسطول الاوّل حديثة البناء لم يمضِ عليها سنتان محمولها ١٨,٠٠٠ طنّ تحرّكها آلات تبلغ قوّتها ٢٢,٠٠٠ حصان بخاري وتسير كلها بسرعة ١٩ عقدة بثنف في الساعة . وفي كلّ دارعة اربعة مدافع عيارها ٣٠ سنتمترًا ثم ١٢ مدفعاً آخر عيارها ٢٤ س مثبّتة في كل برج اثنين اثنين ثم ١٦ مدفعاً عيارها ٧٥ ملّمترًا و ٨ من عيار ٤٧ م ثمّ اسطوانتان لقذف الطوربيل . وكذلك دوارع الاسطول الثاني من حيث سرعتها وحمولها وعدد مدافعها الكبرى امّا المدافع الوسطى والصغرى فاكثر عددًا لكنّ عيار بعضها دون مدافع الاسطول الاوّل . وهذه الدوارع تاريخ انشائها في سنتي ١٩٠٧, ١٩٠٨ . امّا الاسطول الثالث فدوارعهُ اقدم عهدًا ترقى الى ١٥ سنة وكذلك تسليحها وسرعتها دون الاسطولين الاوّلين وان كانت ايضاً شديدة القوّة .

ثم لفرنسة في البحر المتوسط اسطول آخر اخفّ مركب من ست بوارج مدرّعة تبلغ سرعتها من ٢٢ الى ٢٣ عقدة رأينا بعضها في بيروت كارنست رينان وجول فري وغيرهما. وما عدا هذه الاساطيل الكبرى لفرنسة خمسة أسطيلات لكلٍّ منها ستّ سفن لقذف الطوربيل ومعاكستها. ثم أسطيلان مركّبان من ١٧ سفينة غوّاصة. فترى ما للدول من الاستعداد للحروب البحريّة نجّانا الله من ويلاتها

شذرات

فضيحة للماسونيّة — كنّا ظننّا انّ الماسونيّة بعد ما نشرناهُ من اسرارها السمجة ودفائنها القذرة تعود الى اغوارها وتستر عارها. على انّ النار لا تزال تحت الرماد فترى ابناء الارملة اذا سنحت لهم الفرصة عجّوا وضجّوا علّهم يسترحمون الناس على ارملتهم البائسة التي ينزعون عنها لبس الحداد ويموّهون قبحها بالزخارف الباطلة املًا منهم ان تروج بضاعتها بعد كسادها ويخدعوا بتدليجهم من جهل حقيقة امرها. هذا ما فعلوا مؤخّرًا على تربة احد زعمائهم فبينما كانت كنيستهُ الارثوذكسيّة بصوت اكليروسها تطلب لهُ الغفران قام الماسون ومدحوا مبادئ عشيرتهم التي نعتوها « بالشريفة الحرّة السامية ». فجاء مدليجهم قدحاً وثناؤهم شيئاً. فمن جملة تلك الاقوال خطاب « فيلسوف الفريكة » الذي نكر وجود الله في كتبهِ كما بيّنّا وجعل الناس « جرادين لا يفقهون » فاستحق ان ندعوهُ بالجردون الكبير (راجع المشرق ١٣ : ٣٩٠) فقال في خطابهِ انّ الماسونيّ « مهما كان قبرهُ مقرًّا ابديًّا كان او جادّة الهيئة لمنّ يقدّسون القبور » (كذا) وقال: « مهما كانت عقيدة المرء الدينيّة او العقليّة في هذه العاجلة الفانية فانّ تقديسهُ الواجب وتفانيهُ في سبيل المجيد ليجعلانهِ من الاتقياء الاطهار والمقرّبين الابرار ولاخوف على هؤلاء في الآخرة ولاهم يحزنون ». فنعمت الماسونيّة التي تؤمّن البشر من كلّ عقاب بتقديسها الواجب اعني بنبذها لكل دين كما فعلتهُ ولا تزال منذ حلول شرورها على الارض! — ومنها خطاب الدكتور اسعد افندي عفيش الذي زعم « انّ الماسونيّة هي صناعة انشاء الرجال » فمن ليس بماسونيّ اذن ليس برجل لانّ « الماسونيّة امينة على مبدإها تزيل الشرّ وتدفع البؤس

وترّوع الخير وتبثّ الحبّ بين الناس بصرف النظر عن المذهب والوطن » (كذا). وعليه لا وطن للماسونيّ كما لا دين لهُ . افيوجد مدح اعظم للماسونيّ ولعشيرة البنّائين الاحرار زه ا زه ا — ومنها خطاب « التلميذ الوطني (وقد عرفت انّ لا وطن للماسون) » ميشال ابي شهلا » الذي زعم انّ الماسونيّ اذا قضى سقطت بموتهِ « الزاوية المثلّثة لبناء الانسانيّة والواجب » وينير الليل عليهِ « لانّهُ يرى ان نور مآثر الماسونيّ وصفاتهِ وضياء علمهِ تكشف ما يجترمهُ ابناء الظلمة تحت جنحهِ المدلهم فيتحيّن الليل الفرص ليوقع بهِ على حين غرّة » (كذا) فيا « تعتيز الانسانيّة » اذا مات الماسونيّ !!!

وعقب هذه الخطب مساء السبت الواقع في ١٩ نيسان الاخير خطاب آخر انطبق اسمهُ على مسمّاه « فضيحة الماسونيّة ... خطاب لم يسمع مثلهُ تحت سماء سوريا قدّمهُ خطيب الغرب الشهير الاستاذ جورج اطلس » (كذا بحرفهِ). وكنّا نعرف ما ستره الخطيب تحت هذا الاسم ليخدع السذّج على عادة ابناء الارملة . ولكن لم ينخدع الّا من شاء من الجهلاء العميان لانّ الخطيب ذو مآثر ادبيّة يعرفها الخاص والعام فاجتمع الماسون لاستماع مديح الماسونيّة المتسترة هذه المرّة بحجاب « الفضيحة » فرأى الحضور انّهُ احسن زيّ لتلك العاهرة وكان معظم الوفود من ابناء الارملة وعددهم لم يبلغ المئة فأنقمت قلّتهم خطيبنا المفوّه الذي افتتح كلامهُ متشكّياً عن جمود الناس وعدم اكتراثهم لخطاب « يقدّمهُ خطيب الغرب ولم يُسمع مثلهُ تحت سماء سوريا » . ثمّ اندفع في الكلام وهام على وجههِ فتكلّم على اشياء كثيرة وما نسيَ الّا بيان ما نوى اثباتهُ اعني مدح الماسونيّة فخاب امل الحضور وخرج ابناء الارملة بعد ساعة يرّفقون ويتقمّتون ويصرخون : يا لفضيحة الماسونيّة !

السيّد افتيموس صيفي مؤلف الدلالة اللامعة — بعد ايراد الادلّة نفياً وايجاباً على صاحب كتاب الدلالة اللامعة كنّا ختمنا الجدال بين حضرة الابرين قسطنطين الباشا وجرجس منش بقولنا انّ في ما رويناه الكفاية . على ان حضرة الاب قسطنطين وجد آثاراً جديدة ترجّح رأيهُ فكتب مقالة لتأييد قوله . فاجابةً الى ملتمسه نستخلص منها ادلّتها فقط لضيق المجال

﴿ الدليل الاوّل ﴾ رسالة للمطران افتيموس تاريخها ١٠ حزيران سنة

١٧٠٩ ارسلها الى مجمع انتشار الايمان « يلتمس من احسانه طبع كتاب لهُ مؤلف جديدًا يردّ فيه على كتاب لزخريّا برغانز نُشر في البطريركيّة الانطاكية ويسعى في رفع شأن الكنيسة المقدّسة الرومانيّة » ويصرّح في رسالتهِ بانهُ قد ارسل فهرس الكتاب على يد الرهبان الكبوشيين. وقد وجدنا هناك بالطليانيّة فهرس الجزءين الاوّل والثاني من الكتاب. امّا الجزء الثالث فلم يرسلهُ الّا سنة ١٧٠٧ بعد وقوفه على كتب كان طلبها من محاميه الكردينال سكراپنتي. وكتاب السيّد افتيميوس في المجلد الموسوم بالعدد ٥٠٠ وفيه رسائل مختصة بالروم الملكيين

(*Scritture originali riferiti nelle congregazioni generali Greci Melchiti.* Vol. 550)

﴿ الدليل الثاني ﴾ ثم عاد افتيموس سنة ١٧٠٧ وارسل الكتاب كاملًا مع شمّاسه اسطفان عطاء الله وطلب بواسطة الكردينال سكراپنتي من مجمع انتشار الايمان ان يُطبع « ذاك الكتاب الذي ألّفهُ ». فعرض الكردينال على المجمع مؤكّدًا ان الكتاب هو لافتيميوس وذلك في الجلسة المنعقدة في ٢ أيار سنة ١٧٠٧ وهذا بعض قوله بالحرف:

Monsignore Eutimio arcivescovo Greco Cattolico di Tiro e Sidone ha inviato a Roma un suo diacono per nome Stefano per rendere obedienza alla Santita di Nostro Signore e presentare all' Eminenze Vostre un libro, che il medesimo arcivescovo ha composto contro gli 'errori de Greci e la istanza . . . che sia stampato (*Acta S. C. P. F. an. 1707, 2 Maii* ff. 122)

﴿ الدليل الثالث ﴾ ثمّ تأخر طبع الكتاب مدّة لاسباب لا نعلمها فتكرّر ذكرهُ ثانية وثالثة في جلستين عُقدتا في ٧ ايار ١٧٠٨ و ١٦ نيسان ١٧٠٩ وفي كلتيهما يقال انّ الكتاب « تأليف افتيميوس »

. . . . suo libro da lui composto conra gli 'errori de Greci, (*Acta S. C. P.-F. an 1709; 16 April.* fol. 180)

﴿ الدليل الرابع ﴾ ولمّا نجز طبع الكتاب واستلم نسخهُ الشمّاس اسطفان قدّم المذكور عريضة شكر فيها المجمع المقدّس والتمس ان يُسمح لهُ بالعودة الى وطنهِ فقُرئت العريضة في الجلسة التي صارت في ٢٨ تموز سنة ١٧١٠ وفيها ذُكر ايضاً اسم المطران افتيميوس كمؤلف كتاب الدلالة اللامعة

« essendo gia compita la stampa del libro composto dal detto prelato »
(*Acta S. C. P. F. an. 1715, 28 Jul.*, fol. 290)

فبعد هذه الادلّة لا يبقى شبهة في انّ كتاب الدلالة هو للسيّد افتيميوس صيفي والسلام

الصحافة الكاثوليكيّة والمحالفة البلقانيّة عادت الكلمة في عددها الثالث من السنة الحالية (ص ١٣٤) فحاولت ان تبيّن ان الصحافة الكاثوليكيّة تنصر الهلال على الصليب كما فعلتهُ سابقاً فزيّفنا اقوالها فتبيّن انّ الكاثوليك في هذا الامر قد ذهبوا مذاهب شتى كلّ على مقتضى سياستهِ او نزعاتهِ . ومن اقوالها الكاذبة (وقد رأيت انّ الكذب ديدنها) والسخيفة معاً قولها (ص ١٣٦) « بان البابا البروتستانتي اي غليوم الثاني امبراطور المانية (كذا) كان دوماً يتودّد الى خليفة النبي على انّ البابا الرومانيّ ايضاً لم يكن اقلّ تودّداً الى هذا الخليفة من البابا البروتستانتيّ بل كانا كلاهما يتنافسان في هذا التودّد » فانظر يا رعاك الله كيف يتكلّم الاسقف هواويني عن اكبر سلطة ادبيّة في العالم . واكذب من ذلك قولهُ مروياً عن جريدة «نوفويه فرميا» قال انّ : «حلمي باشا سفير تركيا في فينّا قد بعث الى الباب العالي باعلام سرّي قال فيه ان البابا بيوس العاشر بإلحاح من النمسا قد بعث بمذكرة الى حكومات جرمانيا والنمسا وايطاليا يظهر فيها املهُ الوطيد بان حكومات المحالفة الثلاثيّة سوف يبذلون جهدهم في ان تكون مدينة سكوتاري داخلة في حدود المملكة الالبانيّة المنوي تأسيسها . . . » . فننشدك الله أيها السيّد الهواويني اتصدّق سفاسف كهذه ؟ وان لم تصدّقها فكيف يمكنك ان تنشرها ؟ فهب ان البابا كتب الى امبراطور النمسا فهل يُحتمل القول انّهُ كتب ايضاً الى ملك ايطاليا المحروم والى امبراطور جرمانيا « البابا البروتستاني » ؟ . وما لك لم تقل انّهُ كتب الى قيصر روسيّة والى ملك انكلترة ورئيس جمهوريّة فرنسة وكلّهم الآن يريدون ان اشتوديره تبقى لالبانيا المستقلّة ! فايّ متى يعقل محرّر الكلمة فلا ينقاد الى تعصّبهِ الاعمى ضدّ الكنيسة الرومانيّة امّ كلّ الكنائس ورأسها شاء ام أبى كما اقرّ بهِ كلّ قديسي الكنيسة اليونانيّة كيوحنّا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وشهاداتهم كافية لتفحم كلّ منفصل عن كنيسة المسيح الوحيدة

ارتداد رهبان انكليكان الى الكثلكة — كلّ يعرف ان الكنيسة الانكليكانيّة في ازمة دينيّة لا تزال تضايقها منذ رأى علماؤها المنصفون انّها خرجت عن سراطها المستقيم يوم تبعت ملكها هنريكوس الثامن الذي القاها في لجّة الضلال . ومن ثمّ لا تمرّ عليها سنة الّا يرعوي كثيرون من ذويها ولاسيما وجوهها الى الكثلكة . وممن نبذوا آخرًا الشيعة البروتستانيّة بعض تبعتها ممن تقلّدوا بالرهبان الكاثوليك فاخذوا منذ السنة ١٨٩٨ يأتسون بهم ويقتدون برسومهم وقوانينهم وصلواتهم القانونيّة على طريقة الرهبانيّة البندكتيّة وتشبّهاً بالقديس اوغسطينوس رسول الانكليز . وكان رئيسهم الاب كارليل (Erled Carlyle) قد نذر النذور الرهبانيّة على يد رئيس اساقفة كنتوربري الدكتور تمبل الانكليكاني . ثم تكهّن الرئيس المذكور وانضمّ اليه غيره من الرهبان فسكنوا ديرًا في معاملة يوركشير في بلدة بنسثورب (Painsthorpe) ثم انتقلوا الى جزيرة صغيرة تُدعى كلدي (Caldey) في سواحل البحر الشمالي . وعلى مثالهم أُنشئ دير للراهبات في ميلفورد هافن (Milford-Haven) . فهؤلاء الرهبان والراهبات لم يزالوا يتنسكون بممارسة الفضائل الرهبانيّة والانكليكان يفتخرون بهم بازاء الكاثوليك حتى انارهم الله آخرًا فعرفوا حق المعرفة انّهم ما داموا في الكنيسة البروتستانيّة ليسوا على طريق الخلاص فنبذوا كلهم الشيعة الانكليكانيّة وطلبوا الدخول في الكنيسة الرومانيّة فبعد الفحص القانونيّ ورياضة استعداديّة ومجاهرتهم بكل المعتقدات الكاثوليكية نالوا الحلّ عن الهرطقة على يد الاب دون كام (R. P. Dom Camm) الراهب الانكليزي البندكتي برخصة الحبر الاعظم وتمّ انضمامهم الى الكنيسة الكاثوليكية في ٥ اذار الماضي في حفلة القداس الذي اقامه مطران مناثيا الكاثوليكي . وعدد الرهبان اثنان وعشرون . وفي اليوم التالي جحدت الراهبات الاضاليل البروتستانيّة وعددهن ٣٧ راهبة . وقد ارسل الكردينال مري دلفال على لسان البرق تهنئة للمرتدين مع بركة قداسة البابا متمنياً لهم الثبات

حركة الافكار في الصين — منذ دخلت الصين في عداد الجمهوريّات اصبحت في حالة من قام من نومه بعد سُبات طويل . وقد افادنا احد مرسلي رهبانيّتنا في شنغاي انّ وجوه تلك الحاضرة الوثنيين بعد ازدرائهم بالاوربيين

اخذوا يشخصون اليهم كما فعل اهل اليابان ليدرسوا اعمالهم ويقتنوا بهم . ومما استوقف انظارهم خصوصاً اعمال المرسلين الكاثوليك ومشروعاتهم الخيريّة العديدة مع تواضع رهبانهم ورواهبهم وتفانيهم في خدمة الصينيين وحسن سيرة المتنصرين على يدهم. ومن غريب ما حدث هناك في غرّة السنة الجارية انّ اعيان المدينة من نصارى ووثنيين اولموا وليمة فاخرة دعوا اليها السيّد باريس (Mgr Paris) اسقف شنغاي اليسوعيّ وبعض رؤساء الكليّة الكاثوليكيّة ومرصدها الفلكي فأثنوا في خطبهم على همّة المرسلين وشكروا مساعيهم الجليلة وفضّلوها على كلّ اعمال سواهم من الاجانب. وكان من جملة المتكلّمين حاكم المدينة الوثنيّ المسمّى « اوثاي هيان » الذي اطرأ مشروعات المرسلين التي انشأوها ليس فقط لخدمة الاجساد كالمياتم والمستشفيات ودور العجزة ولكن على الاخصّ مشروعاتهم لتهذيب العقول وتعليم الآداب في مدارسهم ومرصدهم الفلكيّ ومطبعتهم التي نشرت كتباً لا يحصى عددها فأثّر هذا الكلام في وصفائهم الوثنيين ايّ تأثير وكان من جملتهم « ونغ يا تساي » قاضي المدينة و « سوتساه » رئيس الشرط العام والجنرال « لي » و « ياوتساي زنغ » رئيس البلديّة . وكلّهم وافقوا على كلام الخطيب وافاضوا في مدح المرسلين الكاثوليك الذين منذ ٣٥٠ سنة لم يثبطهم شيء في خدمة الصين. وكان بين الحضور رئيس شركة الترامواي والكهرباء الصينيّة المدعوّ « لوباهنغ » و « نيقولا تسو » صاحب معمل كبير لتجهيز الادوات المعدنيّة ورئيس البنك الهندوصيني وكلاهما من الكاثوليك وغيرهما ايضاً الذين بعد الغداء عرضوا على وصفائهم الوثنيين زيارة دار العجزة فرأوا فيها ما خلب عقولهم من الترتيب والنظافة وكمال الاهبة فاستقبلهم ٣٠٠ منهم بعضهم نصارى وبعضهم وثنيّون وشكروا كلّ الشكر رحمة الراهبات اليهم اذ يخدمنهم خدمة ارأف الأمهات على اعزّ اولادهن . ولم يخرج احد من المدعوّين الّا بعد ان اكتتبوا بمبالغ وافرة لاولئك المساكين واتّفقوا على ان يفتحوا مستشفى جديداً يسلّمون تدبيره الى راهبات العجزة الكاثوليكيّات لا سيما اذ علموا انّ تلك الرهبانية مع حداثة عهدها بلغ عدد راهباتها في اوربّة ٤٠٠٠ راهبة يعتنين بتمريض ٤٧,٠٠٠ عاجز او مريض. واذ رأى اعيان الوثنيين تلك الاعمال التي كانوا سمعوا عنها دون النظر اليها ارادوا ان يدرسوا هم ايضاً تعاليم الدين

النصرانيّ فاقترحوا على سيادة الطران باريس بان ينشئ لهم مكتبةً يجعل فيها اهمّ الكتب النصرانية ليطّلعوا عليها . فاسرع الاسقف واجاب الى ملتمسهم

مَنبع نهر الكنج — نهر الكنج من اكبر انهار الهند . واوّل من عرف اصل ينابيعهِ الاب اليسوعي انطون دي أندراد فتبعهُ من هردوار الى مخرجهِ في جبال حملايا سنة ١٦٢٤ واكّد في تاريخ رحلتهِ انَّ نهر الكنج يخرج من بُحيرَة . فلمّا كانت السنة ١٨٠٧ رحل الضابطان الانكليزيان روپر وڤاب (Roper et Webb) الى الهند وبحثا عن ينابيع ذاك النهر فزعما انَّ الاب دي اندراد خلط بين نهرين فنسب الى نهر الكنج ما لا يصحُّ الّا على نهر سوتلج الذي اصلهُ من بُحيرَة مناسَرْوار امّا الكنج فلا يخرج من بحيرة . فشاعت هذه الرواية وأُهمل رأي الاب دي اندراد حتّى قام في العام الماضي الاستاذ ڤسلس (Professeur Wessels) من علماء هولندة فبيَّن صحّة قول الاب دي اندراد عن مخارج نهر الكنج الذي تخرج شعبةٌ كبيرة منهُ من بحيرة اسمها ڤشنوگنگا اي « كنج الاله ڤشنو » . وكتب في ذلك كرّاساً في الالمانيَّة نفى فيهِ كلَّ ريب من هذا القبيل وبهِ ثبت انَّ احد المرسلين الكاثوليك سبق فعرَّف قبل غيرهِ بنحو مائتي عام اصول نهر الكنج . كما اثبت في زمانهِ يسوعيٌّ آخر وهو الاب سيكار (P. Sicard) منبع نهر النيل من البحيرات الواقعة عند خط الاستواء

زيارة رئيس الولايات المتحدة لكليَّة كَرْيتون — روى البشير آخرًا زيارة وداع المستر تافت رئيس الولايات المتّحدة الاخير لكليَّة الآباء اليسوعيين في جورجتون في ٢ اذار . وقد اراد الرئيس الجديد المستر وِلسون ان يظهر اعتبارهُ لهم فزار كليَّتهم في كَرْيتون (Creighton) من معاملة اوماها فاستقبلهُ رئيسها وتلامذتها بحضور الجنرال سميث احد المتخرّجين في الكليَّة فرحّبوا بهِ وهنّأوهُ على رتبتهِ السامية فاجاب مثنياً على اساتذة المدرسة الذين يعدّون للوطن رجالًا يكونون عمّا قريب فخرهُ وعضدهُ

مكتبة كاثوليكيَّة — سرَّنا خبر انشاء مكتبة كاثوليكيَّة عموميَّة في البلد بهمَّة جمعيَّة طوبيًّا البار المارونيَّة بجانب كنيسة مار مارون . وهو امرٌ كنَّا نتوق اليهِ من امد طويل فنتمنّى لهذا العمل كلَّ نجاح ونطلب من كلّ ذوي

الاريحيّة ان يعضدوهُ كي تصبح هذه المكتبة جامعة لكل ما يحتاج اليهِ الادباء لدروسهم وترويح بالهم

اسئلة واجوبة

س سأل الاديب ش ر من حلب من رأينا في ما كتبهُ صاحبا المقتطف في عددهما الاخير الصادر في نيسان ١٩١٣ (ص ٢٥٣) حيث قالا: « اكتُشفت اكتشافات تدلُّ على انَّ الانسان كان منتشرًا في اوربّا وجزيرة جاوى وما بينها من البلدان منذ نحو مئة الف سنة الى مليون سنة وانهُ كان على انواع مختلفة في ذلك العهد »

قدم الانسان

ج هذا منقول عن قوم يتسرَّعون في الحكم فيستنتجون النتائج من مقدّمات غير ثابتة . وان شاء الله نعود الى هذا البحث قريباً ونذكر اصدق ما تحقّقهُ العلماء الاثبات . وهنا نكرّر ما قلناهُ غير مرَّة ولو ثبت بالادلّة المقنعة الراهنة انَّ الانسان وُجد على الارض منذ مئة الف سنة بنيّف فهذا لا يمسُّ صحّة التوراة لأنَّ احصاءات التوراة قد تضاربت فيها الآراء ومن المحتمل ان سلسلة الآباء الاوّلين ليست بمتواصلة كما يظهر من شجرة نسب السيد المسيح في القديس لوقا التي تزيد حلقةً عليها لا ذكر لها في توراة موسى

س وسأل من الخرطوم يعقوب افندي مرعي : ١ً ايجوز للكاهن ان يحذف بعض صلوات القداس بداعي العجلة او لعدم معرفتها غيباً . ٢ً كم يجب ان تكون اغطية المذبح

صلوات القداس — اغطية المذبح

ج نجيب على (الاوّل) انَّ الكاهن يخطئ اذا اهمل شيئاً من صلوات كنيستهِ في القداس ما لم تكن بعض هذه الصلوات اختياريّة مسموح للكهنة ان يتلوها او لا . وان جهل منها شيئاً فليتعلّمهُ غيباً او يستعين بكتاب — وعلى (الثاني) بان العادة المألوفة في الكنيسة الرومانيّة ان تُبسط فوق المذبح ثلاثة اغطية من كتّان يمتدّ اعلاها على جانبي المذبح . ويجوز غطاءان يكون الاسفل مطويًّا . وقد قال البطريرك الدويهي في منارة الاقداس (ج ١ ص ١٤٩) انَّ الشرقيّين يتخذون هذه الاغطية من كتّان او من قطن ل . ش

المشرق

الذكار المئوي

لتحرير الكنيسة على يد

قسطنطين الكبير

بحث تاريخي نظري للاب فلوريان لافلي اليسوعي

انَّ في تاريخ البشريَّة احداثاً تسطع في سمائهِ سطوع الكواكب الزُّهر التي يستضيءُ بها المتحيِّر ويرجع اليها لتقويم سيرهِ في البوادي والقفار . فتلك الوقائع على مثال النجوم اللامعة يسترشد بها الباحث لفكّ ألغاز التاريخ البشري وادراك فلسفتهِ الغامضة

ولا شكَّ في انَّ الواقع الذي تحتفل النصرانيَّة بذكرِ مئتهِ السادسة عشرة في السنة الجارية هو من هذا الصنف اذ هو امرٌ جَلَل في ذاتهِ وذو شأن عظيم في لواحقهِ وعواقبهِ نريد بهِ الحكم الملكي الذي ابرزهُ قسطنطين في ميلانو سنة ٣١٣ في اثر انتصارهِ على مكسنطيس ودخولهِ الى عاصمة الدنيا رومية متفيِّئاً في ظلّ صليب المسيح فنشر قراراً منح فيهِ الحرِّيَّة التامَّة للدين المسيحي بعد ان قضى اتباعهُ ثلثمائة سنة يجاهدون في سبيله ويهرقون دماءهم في تعزيز رفعتهِ واعلاء منارهِ حتى استشهد منهم عدَّة ملايين لإثبات حقوقهِ المقدَّسة

وما احرى جيلنا الحالي ان يحيي تذكار ذاك الحادث الجليل بازاء الحكومات العصرية لتقتفي بآثار قسطنطين وتذود عن حمى الدين القويم . والحق يقال انَّ قسطنطين لم يكن موجداً لحقوق الكنيسة لانَّ الكنيسة نالت تلك الحقوق من الله الذي انشأها وجهَّزها بكل اللوازم لحياتها وفرض على رُسلها وخلفائهم بان يبشروا كل الامم ويدعوهم الى الايمان . وانَّما الفضل لقسطنطين لانَّهُ ادرك تلك الحقوق وكان اوَّل من اعلن بها رسمياً وحكم بمراعاتها . وعلى مثالهِ جرى كثيرون من الملوك فاستحقُّوا بعملهم ان يصون الله حقوقهم كما صانوا حقوق كنيستهِ . وعلى خلاف ذلك لمَّا نسي ملوك الشعوب وزعماء الامم تلك الحقوق المقدَّسة فرفعوا عقبهم على احبار البيعة واضطهدوا ابناءها لم تلبث الدوائر ان تدور عليهم فهبطت بهم الفتن والثورات عن اوج عزِّهم كما فعلوا بكنيسة المسيح

وعليهِ فانَّ هذا التذكار المئوي لجدير باعتبار كلّ الامم المسيحيَّة فيجب علينا ان نشكر الله الشكر الجسيم على تحرير قسطنطين لكنيسة الربّ اذ اخرجها من الديامس حيث كانت تعيش بالضنك والمحن ورفع سراجها على المنارة ليقتبس من انوارها العالم كلُّهُ وفتح كنوزها الالهيَّة لتستغني بها كلّ اقطار المعمور

ولكن ان كان يحقّ لجميع الامم ان تستبشر بهذا العيد المئوي فلشرقنا العزيز احقّ بالفرح والشكر عليهِ اوجبُ لله اذ كانت وطأة الاضطهادات الاخيرة التي سبقت عهد قسطنطين اشدّ اذى على نصارى الشرق حتَّى انَّ بعض اقطارنا الشرقيَّة اتخذت تلك المحن كتاريخ ردَّت اليهِ وقائع بلادها

ومن ثمَّ لا يسعنا نحن الشرقيين الَّا ان نلبي بسرعة الى صوت إمام الاحبار الذي دعا العالم الكاثوليكي الى احياء ذكر تلك النعمة الجزيلة في قلوب الجميع واسداء الشكر لعزَّتهِ تعالى اذ حرَّر كنيستهُ من ربقة ظلم الوثنيَّة واخرجها ظافرة من ذاك النزاع المستطيل الذي كاد يمحو آثارها لولا مواعيدهُ عزَّ وجلَّ بان ابواب الجحيم لن تقوى عليها

وقد اراد قداستهُ تنشيطاً للاشتراك بهذه الاعياد وتعميماً لبهجة خلاصها ان يخصص لذكرها يوبيلاً عاماً في رومية العظمى اوَّلاً ثمَّ في كافَّة اقطار المعمور جعل مدَّتهُ ثمانية اشهر من الاحد الجديد في غرَّة نيسان الى ٨ كانون الاوَّل عيد الحبل

بالعذراء مريم بلا دنس منح فيه غفراناً كاملاً على شروط معلومة أعلن بها حضرة نائب القاصد الرسولي في الثغر ونشرتها جريدة البشير في تاريخ ١١ نيسان .

وقد اخذت الجماهير المجمهرة تتوارد يوماً بعد يوم الى زيارة امّ المدائن وتتشرّف بمواجهة الحبر الاعظم الذي يستقبل الوفود بقلب يتوقّد حباً ويتلهّب غيرة على مجد الكنيسة

ومما قرّره قداسته ان يشاد مشهدٌ مهيب على طراز هندسي بديع قريباً من جسر ولفيوس الممتدّ فوق نهر رومية المسمّى تيبر حيث تمّ انتصار الملك قسطنطين على جيش عدوّه مكسنطيس ليكون تذكاراً باقياً بعد هذه الاعياد لدى اهل القرون الآتية كما انّهُ اعزّهُ الله امر بان يُزاد عدد خدمة النفوس في الحيّ الجديد الذي توفّرت ابنيته وكثر اهله عند ذاك المعبر وكان قبلاً قليل السكن لا يستلفت الانظار . وقد تقدّم قداسة بيوس العاشر بان تُقام حفلات شائقة في بعض كنائس رومية . فأفتُتحت في ٣٠ آذار في الدياميس ذكراً للشهداء الذين اشتروا بدمهم حرّية النصرانيّة . ثمّ تبعتها حفلات غاية في الرونق في كنيسة مار يوحنّا اللاترانيّة التي فيها كرسيّ البابوات فدامت ثمانية ايّام (٦ — ١٣ نيسان) . ثمّ أُقيمت حفلة ثانية في كنيسة الصليب الاورشليمي الملكيّة حيث يكرّم صليب الربّ توالت مدّة ثلاثة ايّام (٢ — ٤ ايّار) . وفي ١١ منهُ احتفل الحبر الاعظم بقداس بابوي في كنيسة مار بطرس . وسوف تُختم هذه الحفلات بثلاثيّة في كنيسة مريم العذراء المعروفة بالكبرى في ٦ الى ٨ كانون الاوّل يوم الحبل الطاهر بالبتول . وقد نوى رئيس الكنيسة بكل هذه الاعمال ان يستنهض همّة المؤمنين ليعظّموا ذاك التذكار ويُحلّوهُ محلّ افخم المواسم واجلّها

وهذا ما حدا بنا ايضاً الى ان نكتب في هذا اليوبيل العظيم فصلاً يثبت لقرّائنا الكرام شرف هذا التذكار فيقدّروه حقّ قدره ويشتركوا بالحفلات التي تُقام في اواخر شهر حزيران كما افاد حضرة نائب القاصد الرسولي فيزيدوها رونقاً بحضورهم ويتقرّبوا الى الاسرار المقدّسة ليربحوا الغفران اليوبيلي العظيم ويُشبعوا قلوبهم شكراً لله عن موهبة الايمان التي نالوها من فضله تعالى ويصلّوا على نيّة الحبر الاعظم ويطلبوا

من الله ان ينير الشعوب المتكعة في ظلام الشرك والضلال فيدخلوا في السفينة البطرسيَّة التي لا خلاص خارجاً عنها

١ النصرانية قبل فوز قسطنطين

لا يُعرَف فضل قسطنطين الكبير على الدين المسيحي الّا بمعرفة احوال النصرانيَّة قبل عهده. كان الرب يسوع في كلامهِ الى رسلهِ سبق وانبأهم بما سينالهم من ضروب المحن في العالم هم واتباعهم من بعدهم حتى انهُ قال لهم (يوحنا ١٦: ٢): «ستأتي ساعة يظنُّ فيها كل من يقتلكم انهُ يقرّب لله قرباناً»

ولعمري انَّ هذه النبوَّة قد تمَّت بالحرف في كلّ من الاضطهادات العشرة التي توالت على انصار دين المسيح مدَّة القرون الثلاثة التابعة لموتهِ وقيامتهِ حيث صُودر النصارى فقاسوا اجناس العذابات والموت فتأثرهم اعداؤهم كما يتأثرون ضواري الوحوش ليستأصلوا شأفتهم ويأمنوا شرورهم على قولهم

ولكنَّ الاضطهاد الاخير الذي سبق عهد قسطنطين بلغ نهاية الفظاعة ففاقت شناعتهُ على ما سلف من حيث طول مدَّته ومن حيث عمومهِ لسائر اقطار العالم الروماني الّا القليل منها . واخيراً من حيث العذابات التي اخترعها ملوك الرومان ليطمسوا آثار النصرانيَّة عن وجه الارض

ان الاحكام التي ابرزها القياصرة في حقّ النصرانيَّة وان أتت بفعلها السيّئ في مدَّة ثلثمائة سنة فتُل بموجبها ما لا يُحصى عدَّدُ من المؤمنين الّا انَّ ذلك التحامل لم يكن متواصلاً دون انقطاع فكان يثور حيناً ويخمد اخرى على حسب شراسة اخلاق اولئك الملوك او فظاظة عمّالهم في الولايات او من جرّاء فتن بعض المبغضين المهيّجين للشعب على المسيحيين. وربّما وقعت فترات كانوا يكفّون فيها عن التنكيل بالنصارى. بل وُجد بعض الملوك الذين انصفوهم وعاملوهم بالحلم كالكسندر سافيرس (٢٢٢—٢٣٥) الذي اقام في بلاطهِ بين آلهتهِ تمثالاً للمسيح وكفاليان (٢٦٠—٢٦٨) الذين اطلق بعض الحريَّة لاساقفة الكنيسة واقرَّ بحقوق النصارى بالاستملاك الشرعيّ. امَّا الاضطهاد العاشر فانَّه ثار ثائرهُ مدَّة عشر سنوات دون انقطاع اعان بهِ ديوقلطيانوس ولم يزل يتفاقم مع وصيفهِ غاليريوس وتابعهما عليهِ

مكسيميانوس هرقلس ثم القيصران ساويروس ومكسنطيس بن مكسيميانوس فسالت الدماء سيولًا زاخرة متوالية ظنُّوا بسببها أنهم قطعوا دابر النصرانيَّة حتى ان مكسيميانوس وغاليريوس افتخرا بانهما محوَا اسم المسيحيين لكثرة الذين قتلوهم في سبيل دينهم فنكتفي بذلك دليلًا على طول مدَّة هذه المحنة وقساوتها

وكذلك عموم الاضطهاد فانَّهُ قبل ديوقلطيانوس كان منحصرًا في بعض انحاء الدولة الرومانيَّة فتتَّقد نيرانهُ تارةً في الشرق وتارةً في الغرب او في بعض الولايات كايطاليَّة في اضطهاد نيرون ودومطيانوس وغاليَّة في عهد مرقس اوراليوس . وحينًا كانت المصادرة لطبقة خاصَّة من النصارى كاضطهاد مكسيمينوس الثراقيّ (٢٣٢ — ٢٣٧) الذي تتبَّع الاساقفة خصوصًا . وقلَّما شملت تلك الاضطهادات كلَّ تخوم الدولة الَّا في عهد داقيوس (٢٥٠ — ٢٥١) . امَّا الاضطهاد الاخير فانَّهُ ضغط على النصارى في كلَّ الجهات ضغطًا هائلًا لم يكد ينجو منهُ بلد اللهمَّ الَّا بلاد غاليَّة حيث كان يملك بصفة قيصر قونسطنس كلور ابو قسطنطين الكبير فلم يجد في تبعة دين المسيح ما يستوجب تلك المعاملات البربريَّة لا بل اكرمهم اذ رأى في امانتهم لدينهم ضمانًا على صدق خدمتهم لملكهم . وساعد الوثنيين على تعميم تلك الاضطهادات تواطؤ امبراطورَين واربعة قياصرة شرقًا وغربًا على متابعة خطَّتهم الجائرة المصمَّمة على تدمير النصرانية واطفاء جمرتها . فترى التقاليد الحيَّة واخبار المؤرخين المعاصرين والسجلَّات الدوليَّة ومدافن الشهداء كلُّها تتَّفق على بيان انتشار ذاك الاضطهاد الى اقاصي المعمور . وكان الحكَّام اذا حلُّوا في مدينة يدعون كلَّ نصاراها فيعرضون عليهم الاختيار بين احد امرين امَّا جحود ايمانهم وامَّا الموت لا مناص منهما . وربَّ مدينةٍ بلغ عدد شهدائها المئين والالوف . وهذه الاحكام لم تختصَّ بالرجال بل شملت الصغار والكبار الاغنياء والفقراء ولم تستثنِ النساء والعذارى . فانَّ شهداء دين المسيح شرَّفوا كلَّ اطوار عمر الانسان وكلَّ طبقات المجتمع الانساني وكلَّ اجناس البشر

وكما امتاز الاضطهاد العاشر بمدى زمانهِ وشموله لانحاء العالم كذلك فاق على الاضطهادات السابقة بشدَّة عذاباتهِ . فانَّ للمتعصبين لينلُوا شباة عزم المؤمنين اخترعوا

من العذابات ما يقشعرّ لوصفه البدن. فكانوا يتفنّنون في التمثيل بالشهداء ويطيلون عذاباتهم الساعات والايام ريثما تعجز فيهم كلّ حياهم فيقضون عليهم بالموت بعد ان اذاقوهم ما هو اشدّ من الموت. حتى صحّ فيهم قول الرسول في رسالته الى العبرانيين (١١ : ٣٣—٤٠) : « انهم بايمانهم قهروا الممالك وعملوا البرّ ونالوا المواعد وسدّوا افواه الاسود واطفأوا حدّة النار ونجوا من حدّ السيف وتقوّوا من ضعف . . . وعُذّب آخرون بتوتير الاعضاء والضرب . . وآخرون ذاقوا الهزء والجلد والقيود والسجن . رُجموا ونشروا وامتُحنوا وقُتلوا بحدّ السيف وساحوا في جلود الغنم والمعز وهم مُعوَزون مضايَقون مجهودون . . . وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الارض فهؤلاء كلهم مشهود لهم بالايمان . . . »

*

تلك كانت احوال الكنيسة لمّا ظهر قسطنطين الذي كان اصطفاه الله لينقذ المؤمنين من بلاياهم

كان قنسطنس كلور قائداً من قوّاد الرومان المبرّزين فرقّاه ديوقلطيانوس الى رتبة قيصر الذي كان كشُنيتان الامبراطور وارسله الى بلاد غالية ليحكم على قبائلها وشعوبها سنة ٢٩٣ . وكان لقنسطنس ابن وحيد يدعى قسطنطين اولدته له امرأته هيلانة المسيحيّة الوهاويّة الاصل فنشأ قسطنطين في حجرها محبّاً لفضيلة مزداناً بالخصال الفريدة التي اهّلته لاشرف المناصب فاحبّ ديوقلطيانوس ان يبقى بقربه في نيقوميدية عاصمة ملكه ليتدرّب على آداب الحرب

فاجاب قسطنطين الى رغبة ملكه وعمره اذ ذاك لا يكاد يتجاوز العشرين فبقي بعيداً عن والده منقطعاً الى خدمة مولاه بكل نشاط نحو عشر سنوات اضحى في اثنائها محبوباً لدى الخاصّ والعامّ ولاسيّما لدى الجنود الذين كانوا يطرئون شهامته واخلاقه الرضيّة

ثمّ اضطرّ ديوقلطيانوس الى مبارحة تدبير الدولة سنة ٣٠٥ وخلفه في منصبه السامي غاليريوس الذي عرف ميل الجنود الى قسطنطين فصرف جهده في نصب الشرك لهذا الامير لئلّا يكون يوماً عثرة له في استبداده . لكنّ قسطنطين انتهز يوماً الفرصة المناسبة ورغماً عن غاليريوس لحق بابيه في بلاد غالية ونجا من مخالب عدوّه

فطار ابوهُ فرحاً لوصولهِ اليهِ سالماً واخذهُ معهُ لمحاربة البكتيين في بريطانية فعادا ظافرَين سالمين. الّا ان قسطنس ما لبث ان شعر بدنوّ اجلهِ فقدَّم ابنهُ لجندهِ كخلفهِ في الحكم من بعدهِ شاكرًا لله على كونهِ احظاهُ بهِ قبلَ وفاتهِ . فلمَّا اسلم الروح تألَّب الجنود واعلنوا بابنهِ قسطنطين ليس قيصرًا فقط بل امبراطورًا واقسموا لهُ الطاعة المؤبدة

فلمَّا بلغ الخبر الى غاليريوس كتم الامر في نفسهِ خوفًا من شغب الجند لكنَّهُ كتب سرًّا الى صهره مكسنطيس في رومية الذي كان يقاسم اباهُ مكسميانوس في منصب الامبراطوريَّة وحضَّهُ على مقاتلة قسطنطين. على انَّ مكسميانوس وابنهُ مكسنطيس كانا يخافان طمع غاليريوس اكثر من قسطنطين فاتَّفقا على محاربة القيصر ساويروس الذي كان غاليريوس اقامهُ في ميلانو فغلباهُ وقتلاهُ في راڤنَّة واذ سار غاليريوس الى ايطاليا لينتصر لساويروس ويفتح رومية عاد خائبًا الى نيقوميدية وضاعف اضطهادهُ للنصارى

وكان قسطنطين في تلك الاثناء يحارب مع جيشهِ قبائل الجرمانيين والفرنك المتجمعة لخلع نير الرومان فظفر بها مرَّتين . ثمَّ علم بانَّ مكسميانوس ومكسنطيس تآمرا على محاربتهِ فسار اوَّلًا لمحاربة مكسميانوس فانتصر عليهِ وفرَّق جيشهُ ولم يشاء ان يقتلهُ رفقًا بشيخوختهِ لكن ذلك الشيخ الدو. كن لهُ سرًّا وعزم على قتل ابن قسطنس ولعلَّهُ كان نال اربهُ لولا فوستا زوجة قسطنطين وابنة مكسميانوس التي انقذت زوجها من مكائد ابيها فدارت الدوائر على الكائد وسقط في الحفرة التي حفرها لقسطنطين

ثم تواردت الاخبار الى ابن هيلانة بان مكسنطيس جيَّش الجيوش ليناجزهُ القتال فلم ينتظرهُ قسطنطين بل دخل ايطالية ومرَّ بميلانو حيث كان ليقينيوس مالكًا بعد ساويروس فوعدهُ قسطنطين بان يزوّجهُ باختهِ قسطنسية. وتعاهدا على الصلح ثمَّ واصل سيرهُ الى رومية وتحفَّز لمنازلة عدوّهِ الذي كان اضحى عبئًا ثقيلًا على اهل دولتهِ يسومهم خسفًا ولا يرعى لهم حقًّا ولاسيَّما النصارى منهم فانَّهُ كان اهدر دماءهم واستصفى اموالهم وجعلهم طعمةً لكل طامع

وفي تلك الاثناء اذ كان قسطنطين يقصد عدوَّهُ في رومية حظي بتلك الرؤيا

التي مهّدت الطريق لتنصره. ودونك الخبر كما رواهُ اوسابيوس القيصريّ الذي سمعهُ من قسطنطين نفسهِ فاخبرهُ بهِ بعد القَسَم مثبتاً لصحّة روايتهِ قال اوسابيوس في كتاب حياة قسطنطين :

« وهنا لا بُدَّ لي ان اروي روايةً صادقة سمعتُها من فم قسطنطين عينهِ بحيث لا يستطيع احد ان ينكر صحّتها. وقد كرّرها غير مرّة على مسامعي لمّا حظيتُ بمنادمتهِ مؤكدًا لي صدقها بالقسم قال : وبينما كنّا سائرين في عصر بعض الايام والشمس مائلة نحو الافق لاح لنا في السماء فوق الشمس المشعّة صليبٌ منير. فرأيتهُ رأي العين واستشهد الله على صدق قولي وكانت كتابة على الصليب تُقرأ جليًّا على هذه الصورة (Ἐν τούτῳ νίκᾳ) « فُز بهذا » اي بهذه العلامة تنتصر. ولا اذكر بالتدقيق المكان الذي كنّا بلغنا اليهِ ولكنّ الرؤيا كانت عموميّة قد شهدها الجيش باسرهِ واخذهُ منها العجب ». واردف اوسابيوس قائلًا : « وبقي قسطنطين غائصاً في بحر الافكار في ذاك المساء حتى ادركهُ الليل فنام واذا بالمسيح ابن الله ظهر لهُ في حلمهِ وفي يدهِ العلامة التي رآها في الجوّ وامرهُ بان يرفعها على اعلامهِ فتكون لهُ رهينة النصر

« فلمّا افاق الملك من نومهِ ارسل واحضر الصاغة فوصف لهم العلامة كما عاينها فقاموا بعملهم احسن قيام وقدّموا لهُ مثالًا منها رصّعوهُ بالذهب والجواهر الثمينة ثمّ رفعوها على اعلام الجيش وقد رأيتُ هذه العلامة مرارًا عديدة على الرايات العسكريّة وهي عبارة عن قناة مستطيلة مصفّحة بالذهب كان يعترضها في اعلاها عارضة على شكل صليب كان يتحدّر من طرفهِ نسيج من الارجوان مرصّع بالجواهر الساطعة النور على صورة عجيبة كانت تأخذ بالابصار. وفي رأس القناة كان اكليل من الذهب والحجارة الكريمة في وسطهِ الحرفان الاوّلان من اسم المسيح (باليونانيّة) على هذه الصورة ☧ . ومذ ذاك الحين حفر الامبراطور هذا الشعار على خوذتهِ وجرى جيشهُ تحت ظلّ تلك الراية »

هذا ما رواهُ اوسابيوس صديق قسطنطين ومؤرخ حياتهِ. وكان وصول الملك الى رومية في شهر تشرين الاوّل من السنة ٣١٢. فما لبث الجيشان ان نزلا ساحة

١ صورة رأس قسطنطين الكبير عن تمثال قديم ٢ـ٣ النوط التذكاري الذي ضُرب بأمر الحبر الاعظم للسنة السادسة عشرة لانتصار قسطنطين يمثل صورة الملك قسطنطين وقداسة بيوس العاشر

الوغى وآلهة مكسنطيس تمدّهُ بالظفر وكانت جنود مكسنطيس ضعف جيش قسطنطين الّا ان مراعيد السماء قامت لهم مقام المدد

فلمّا كان اليوم الثامن والعشرون من الشهر المذكور التحم القتال بين الفريقين وكان مكسنطيس يتلهّى بحضور الالعاب مع الشعب بينما كان جيشهُ يستقتل لاجلهِ. وكان سمع سَدَنة آلهتهِ يقولون انّهُ ان خرج من رومة قُتل فاكتفى بان يرسل الاوامر الى قوّادهِ. لكنّ الشعب اخذ يقرّعهُ على جبنهِ وعدم مروّتهِ فلم يرَ بُدًّا من ان يلحق بعسكرهِ لكنّهُ طلب قبل خروجهِ ان يعرف عاقبة القتال فكان جواب كهنتهِ ملتبساً هذا منطوقهُ : «في هذا النهار يهلك عدوّ الشعب الرومانيّ» فزعم انّ ذاك العدوّ هو قسطنطين وخرج الى جيوشهِ. فكان انضمامهُ الى جنودهِ داعياً لاستنهاض هممهم لكنّ قسطنطين اراهم الصليب وذكّرهم انّ عدوّهم جاء ليلقي بنفسهِ تحت وحمة سيوفهم فكان لكلامهِ احسن وقع في قلوبهم فهجموا هجوم الاسود على مكسنطيس وانصارهِ فالجأوهم الى تولية الأدبار فتأثر جيشُ قسطنطين اعقابهم حتى بلغوا الى الجسر الممتدّ فوق نهر تيبر وهو جسر ميلفيوس وكان قليل الاتساع فازدحم الهاربون وسقطوا في النهر فغرقوا وكان من جملتهم مكسنطيس فعرفوهُ وقطعوا رأسهُ وركزوهُ على رمح طويل. فاسرع رؤساء المدينة وفتحوا ابوابهم للملك الظافر فاستقبلوهُ استقبال المنقذ والمخلّص وخمدت نار الحرب من ساعتها وشكروا الله على موت الطاغية. وبعد قليل اوفدت المدن وفودها لتعلن بخضوعها لقسطنطين. واتتهُ التهاني من البلاد البعيدة تشيد بمدحهِ وتعدّد مظالم مكسنطيس وعلى الاخصّ اهل افريقية الذين طلبوا ان يُرسَل اليهم رأس القتيل ليطمئنوا خاطر الشعب الذي كان خائفاً من جورهِ على افتراض كذب الخبر

٢ حكم قسطنطين بتحرير الكنيسة

على ان هذه الافراح التي شملت العالم الرومانيّ كان فعلها اوقع في قلوب النصارى اذ علموا كيف نال قسطنطين نعمة الظفر فنشطت هممهم واستبشروا خيرًا وخرجوا بلا خوف من مخابئهم. وطيّب الملك خاطرهم اذ أعلن انهُ لا يريد لشعبهِ غير السلام كي يعيش الكل في بحبوحة الامن والوئام

وانما هذه المواعيد قد قرّرها الملك رسمياً بعد اشهر مع حليفه ليقينيوس. فلما اعاد لرومية سكينتها ورتّب عمالها وتلافى اضرارها المسيّة بسو. تصرّف مكسنطيس رحل الى ميلانو ليحتفل بقران اخته وليقينيوس . وكان اوّل ما فكّر فيه قسطنطين ان يضع منشوراً عمومياً يمنح فيه الحريّة الدينيّة لكل رعاياه فاصدر ذاك الحكم الذي هو كسجلّ تحرير كنيسة الله ودونك اخصّ نصوصه الخطيرة قال :

« من المعلوم انّ الحريّة الدينيّة لا يجوز المضايقة عليها فكل انسان حرٌّ في متابعة الدين الذي يؤثره . وقد صرّحنا سابقاً بان النصارى يجوز لهم ان يتمموا فرائض دينهم دون عائق . ولكي لا يبقى من هذا القبيل ادنى شبهة في مرامنا قد اتّفقنا نحن قسطنطين وليقينيوس المجتمعين في ميلانو على وضع قوانين ثابتة في ما يتوط بعبادة اللاهوت نمنح النصارى وسواهم اجمعين الحريّة في اعتقاد الدين الذي يفضلونهُ لكي تستمدّ بذلك حماية اله السماء علينا وعلى كل مملكتنا . فنعلن اذن جهاراً بان هذه هي ارادتنا المقرّرة بمنشورنا الحالي ان كل من يرغب التديّن بالدين النصراني لا يجوز لاحد ان يعارضهُ في قصده بل تُترك لهُ الحرية التامّة في ذلك . . . لانهُ يحقّ بعزّ مملكتنا وراحة دولتنا ان كلّاً من ابناء رعايانا يتمتّع بالحريّة الدينيّة فلا توضع عقبات في سبيل خدمة اللاهوت

« وعلاوةً على ذلك ورعايةً لحقوق النصارى نقرّر بان الامكنة التي كانوا سابقاً يجتمعون فيها لصلاتهم ونزعوها منهم تُردّ لهم حالاً دون تعويض امّا اذا كان احد قد اشتراها بماله فليُدفع لهُ ذلك المال من خزينة الدولة على حسب حكم المشنين . وكذلك الاملاك التي اغتصبوها من افراد النصارى تقضي بردّها لاصحابها بعد اداء ثمنها من بيت المال تعويضاً لمن اقتناها لئلّا تُبخس حقوق احد وينال اهل رعيتنا الامان والراحة

« وعلى هذا المنوال نثبت فعلاً ونقرّر اداء شكرنا نحو الاله الذي مدّ علينا مراراً ظلّ حمايته . ونريد انّ هذه البراءة المنبئة بحلمنا السامي وجودنا الملكي يُعلَن بها في كلّ مكان ليطّلع عليها الخاص والعام »

هذه اخصّ الاحكام التي اودعها قسطنطين الكبير منشور ميلانو الموقع باسمه

وباسم ليقينيوس حليفه وأرسلت الوفٌ من نسخها الى كلّ عمّالها في كافّة اقطار المعمور . امّا الاصل فوُضع في جملة سجلّات الدولة

لكنّ زمام المملكة الرومانيّة لم تكن باسرها في ايدي قسطنطين وليقينيوس فانّ قسماً من الدولة كان خاضعاً لصاحب نيقوميدية . وقد سبق ان غاليريوس كان يتولّاها لكنّ هذا الملك كان قد أُصيب سنةً قبل انتصار قسطنطين بداء عُضال كاقطيوخوس مضطهد بني اسرائيل فكان الدود يرعى احشاءهُ فينبعث منها رائحة كريهة افسدت كل بلاطه فذاق الامرّين واقرّ بان الله كان ينتقم منهُ وفاء عن دماء اوليائه الذين ظلمهم لدينهم . فتلافياً لجوره كتب قراراً منحهم فيه بعض حقوقهم لكنّ الموت عاجلهُ فبقي قرارهُ دون مفعول . وقام في الامر من بعده مكسيمينوس دايا ابن اخيه فجرى في محاربة النصارى على مثال غاليريوس . وقتل منهم قوماً .

ولمّا بلغهُ ان قسطنطين وليقينيوس اجتمعا في ميلانو انتهز الفرصة فسار الى البلاد الخاضعة لحكم ليقينيوس ليستولي عليها . لكنّ ليقينيوس اسرع وعاد الى مملكته وجمع عساكره فادرك مكسيمينوس دايا قريباً من ادرنة وناجزهُ القتال فكسرهُ وقطع نظام جيوشه حتى فتك فيهم واجتاحهم امّا مكسيمينوس فهرب الى باب الابواب الى ان بلغ طرسوس فهناك أيس من الظفر فطلب طعاماً واكل اكلاً ذريعاً حتى اكتظّ من الطعام ثمّ شرب السمّ فمات بعد آلام مبرّحة قاسى مضضها مدّة اربعة ايّام فكان موتهُ كموت المضطهدين للنصرانيّة من قبله

٣ لواحق حكم قسطنطين

ان تلك المآثر العظيمة التي ذكرناها لقسطنطين في تحريره كنيسة المسيح لم تكن سوى فاتحة اعمال أخرى عديدة قام بها ذاك الملك الكبير لخير الدين ولاصلاح المجتمع الانسانيّ الذي كانت الوثنيّة هبطت به الى اقصى دركات الذلّ . وها نحن نعدّد بعض تلك الاعمال الشريفة التي تولّاها ليرى قرّاؤنا كم اضحى عالم العمران مديوناً لقسطنطين وكيف فتح للمدنيّة باباً طرقهُ من بعده كل محبّي صلاح الشعوب وخير البشريّة وانّما الفضل في ذلك للدين الذي اعتنقهُ وجاهر بحقوقه رسمياً في

منشور ميلانو بحيث يجوز لكلّ مؤمن ان يردّد آية يوحنا في رسالته الاولى (٥ : ٤): « انّ الغلبة التي غُلب بها العالم انّما هي ايمانُنا »

لمّا تربّع قسطنطين في دست الامبراطورية وجد العالم الرومانيّ مقيّدًا بقيود الوثنيّة التي لم يحلّها غير النصارى مفضّلين المنايا على الدنايا . فان دستور الشرائع الرومانيّة كان قلب كل نظام المجتمع الانساني فسحق الضعيف وألّه الملوك وجعل للفحشاء مذابح وللآثام البشرية هياكل فعرف قسطنطين انّ الله الذي نصرهُ على اعدائه قد انتدبهُ لتلافي هذه الشرور فيعيد للخالق وللمخلوق رتبتهما في الهيئة الاجتماعيّة

امّا الخالق فطأطأ لهُ قسطنطين رأسهُ يوم رفع فوق جيشهِ لواء صليبهِ فاعترف بالاله الوحيد الذي لهُ وحدهُ المجد والعزّ والجلال الى ابد الدهور . وعاد بعد ذلك وجاهر بذلك الايمان غير مرّة كما فعل يوم اصطبغ بمياه المعموديّة . ويوم جلس في نيقية مع آباء المجمع فعدّ نفسهُ بينهم كاحد المؤمنين . وكلّ مرّة كان يغني الكنيسة الكاثوليكيّة بهباته الملوكيّة او شيّد بيعًا . فانّ قسطنطين أقام في رومية واورشليم والقسطنطنيّة وفي امكنة اخرى عديدة بيعاً جديرة بان تُنظم بين اجلّ الابنية الدينيّة واشرف الاعمال الهندسيّة . وقد عدّدها اوسابيوس القيصري في سيرة قسطنطين وكأنها تنطق بايمانهِ الحيّ واجلالهِ لكنيسة المسيح

واليهِ يعود الفضل في تطهير الاماكن المقدّسة واستخراج صليب السيد المسيح وذخائر آلامهِ من دفائنها بواسطة والدتهِ القديسة هيلانة فاقام لذكرها البازيليقات الموسومة باسمهِ

ومن دلائل اكرام قسطنطين الدين انهُ لم يشأ السكنى في رومية عاصمة المملكة الرومانيّة لئلّا يزاحم الحبرَ الاعظم في سلطتهِ الدينيّة وعليهِ جعل لهُ نائباً في رومية لتدبير احوالها المدنيّة وانتقل الى القسطنطينيّة حيث اتّخذ لهُ حاضرةً جديدة . ثمّ انّهُ ليس لدينا صكّ يُعلن بدفع قسطنطين حكم مدينة رومية الى الاحبار الرومانيين وانّما هو امرٌ مقرّر انّ الامبراطرة مذ ذاك الحين لم يعودوا يسكنون في رومية ليتصرّف الحبر الرومانيّ بتدبير العالم الكاثوليكي كما يشاء . ولمّا توالت على ايطالية بعد مئة سنة غزوات البرابرة المنحدرين من اقطار الشمال لم تجد الشعوب ملجأً وملاذًا

الّا لدى البابوات وكلّ يعلم انّ القديس لاون الكبير خلّص رومية من ايدي اتيلا وجنسريك وانّ كلّ المظلومين والملهوفين من اخاء العصور كالقديس اثناسيوس والقديس يوحنّا فم الذهب لم يعرفوا غير الكرسيّ الروماني كنصفهم في بلاياهم . قال القديس غريغوريوس الكبير في رسالته الى يوحنّا بطريرك القسطنطينيّة : « اذا بلغ احدٌ المقام الذي انا فيه تراكمت عليه الاشغال بحيث لا يعلم اهو حبرٌ للكنيسة او هو امير زمنيّ » . وقال غريغوريوس الثاني في رسالته الى الملك لاون : «انّ الغرب كلّه يوجّه بنظره الى ضعفنا فيعتبر شخصنا كوتيد السلام العام والحكم في كلّ الامور ولو شئت جلالك ان تختبر صحّة قولنا لأمكنّا اذا ما ظلمتَ رعاياك الشرقيين ان ندفع بقوّاته لمعارضتك انتصاراً للمظلومين »

فترى ان قسطنطين هو الذي سبق واشار الى رفعة الكرسيّ الروماني اذ تخلّى عن رومية لاحبار الكنيسة . وبذلك اكرم شخص السيد المسيح في نائبه على الارض وعلّم الملوك خلفاءهُ من بعده انهُ ينبغي عليهم أنْ يعطوا ما لله لله اذا ما ارادوا ان يؤدي رعاياهم ما لقيصر لقيصر لانّ صيانة حقوق الله اضمن وسيلة لحفظ حقوق ملوك الارض

*

وكما ردّ قسطنطين للخالق ولدينه مقامهما في نظام الكون كذلك سعى في حفظ حقوق المخلوق باصلاح الشرائع الرومانيّة المجحفة بها ثم توطيدها على دعائم النصرانيّة

واوّل ما استنفد فيه كتابة جهده الذود عن حمى الضعفاء وفي مقدّمتهم الاطفال الصغار . فانّ في جملة شرائع الرومان السيئة كانت سنّة تقضي على الاب بقتل مولوده الصغير اذا ما رأى نفسهُ قاصراً عن اعالته . فألغى قسطنطين هذه السنّة منذ اوائل عهد ملكه فنشر حكماً امر فيه تحت طائلة العقاب الشديد بان الصغار اذا عجز اهلهم عن اعالتهم يُعالون على نفقة الدولة وقد وقّع ذلك الحكم على صفيحة من النحاس كاقدس الشرائع وأوجبها . وكذلك تقدّم بان يُجمع اللقطاء وتُعنى الظئور بامرهم

ومن آفات الشرائع الرومانية اهتضامها لحقوق العبيد . وكانت العبوديّة كادت

تعمّ العالم القديم حتى ان المؤرخ الشهير تاقيتس نفسهُ رأى في هذا الامر غرابة فقال: « انَّ الجنس البشري يكاد لا يعيش الّا لمنفعة قليلين » (Paucis vivitur humanum genus) فكان للروماني الحرّ مئون بل الوف من العبيد كلهم طوع بنانهِ لا يجسر احدهم ان ينبس ببنت شفة الّا جُلد وقُتل باصناف العذابات دون ان يطالبهُ احد بفعله وكانت الحروب تنتهي باستعباد المغلوبين فيباعون بَيْع السلع واذا اقتنى احد عبدًا وسمهُ بميسم من الحديد المحمى على جبهته كاذلّ الحيوانات. وان شاء سيّد العبد قتلهُ بعبدهِ كيفما شاء وألقاهُ في بركته للحيتان. وكان العبد منظمًا في سلك الاشياء المادّية كانهُ ليس ابن بشر. قال الحكيم الروماني ثارون: « انَّ ادوات الفلاحة تُعَدُّ ثلاثًا: البقرة والعبد والمحراث وليس بينها فرق الّا ان البقرة تخور والعبد ينطق والمحراث لا لسان لهُ ». وقال كاتون المعروف بالمنتقد (Caton le Censeur): « على صاحب المُلك ان ينبذ عنهُ الادوات التي لم يَعُد بامكانه استعمالها كالجاريث العتيقة والخيل العاجزة والعبيد المسنين ». وقد بلغ استحقارهم العبيد الى ان وضعوا هذا المبدأ الغريب: « لا حقّ للعبد » (servus nullum jus habet). ومن ثم كنت ترى عددًا عديدًا من اولئك البائسين ينتحرون امّا غرقًا واما شنقًا لينجوا من حياة امرّ من الموت. وكان الوف منهم يُقضى عليهم بمحاربة الحيوانات الضارية في الساحات العموميّة او بالمبالدة بالسيوف بين بعضهم ريثما يُقتلون فيُبهج موتهم المعاينين لتلك المشاهد الفظيعة. واذ رأى الملك كاليغولا انَّ اغالة الوحوش المجموعة للالعاب العموميّة تكلّف الدولة نفقات طائلة امر بان يلقوا عبيدًا احياء لطعامهم!!

فلمّا ضبط قسطنطين عنان الملك سنَّ شريعة أولى (سنة ٣١٤) حظر فيها استعباد الرجال الاحرار وردّ فيها الحرّية لمن ثبتت للقضاة حالتهم الحرّة قبل الحروب الاخيرة. ثم اردفها بسنّة ثانية سنة ٣١٥ نهى فيها عن وسم العبيد في جباههم بالحديد المحمى لانَّ وجه الانسان يمثل صورة الخالق. وفيها ألغى عذاب الصَّلب الذي كان يُحكم بهِ على العبيد مع كسر سوقهم وذلك لاكرام صليب السيد المسيح الذي فدى البشر بموتهِ عليهِ

وفي السنة التالية سوّل لاصحاب العبيد اطلاق الحرّية لعبيدهم وكانت الشريعة

الرومانيَّة لا تسمح بالامر الّا على شروط باهظة خوفاً من فتنة العبيد امّا قسطنطين فانّهُ اقتصر على الاعلان بحرّيتهم امام الاستف والحضور من المؤمنين على حياة عبيدهم وفي السنة ٣١٩ اصدر حكماً اخر نزع بموجبه عن اصحاب الرقيق السلطة على قتلهم الّا بالمحاكمة وذلك تحت طائلة قتل القاتل الظالم . وختم هذه السُّنن الحكيمة بسنّة خامسة ألغى فيها المجالدة بين العبيد وغيرهم بالسيوف والمبارزات في الساحات العموميَّة تفكيهاً للشعب سنة ٣١٣

ومن شرائع قسطنطين المشبَّعة حكمةً والمفعمة بالروح المسيحيّ ابطالهُ للسنَّة القاضية بالزواج على الجميع دون اختلاف وذلك صيانةً لشرف البتوليَّة في الكنيسة وتنويهاً بمقام العيشة الرهبانيَّة وكان ذلك في السنة ٣٢٠ . وفيها ايضاً اصدر حكماً في معاقبة الخاطفين للبنات وابطل زواجهم ما دامت الفتاة في حوزة مغتصبها . وفي السنة ٣٣٠ ألغى شريعة الطلاق عملاً بتعليم الانجيل الطاهر وحفظاً لكرامة الزواج المسيحيّ

فهذه السُّنن قد وقَّعها قسطنطين بامضائهِ وكلُّها قد نهجت للعالم سبيلاً جديداً فنفى بالتدريج ما كان يُشتمُّ منهُ رائحة الشرك والأخلاق الهمجيَّة

على انَّ قسطنطين في شرائعه التي سنَّها في العشر السنين الاولى من ملكهِ كان يتحذَّر من اغاظة حليفهِ ليقينيوس المالك في بلاد الشرق والمجاهر بالدين الوثني فكان في سننهِ يقتصر على الاحكام الادبيَّة الموافقة لتعليم المسيحيين دون ان يصرّح بذكرها بخلاف الاحكام التي ابرزها بعد ذلك العهد من السنة ٣٢٣ الى وفاتهِ سنة ٣٣٧ فانها تثبت رسوخهُ في الدين كالحكم الذي اعلن به سنة ٣٢٣ وفيهِ منع من ان يُجبَرَ النصارى على مشاركة الوثنيين في بعض حفلات رسميَّة يمتزج فيها الدين . وكذلك حتم بقبول الاقضية التي يقضي بها الاساقفة في الامور المدنيَّة

وكذلك نقود قسطنطين والقابهُ عليها فانَّهُ بعد انتصارهِ على مكسنطيس تسامحَ بضرب نقودهِ على مثال نقود الملوك اسلافهِ لئلَّا يظنَّ احد انَّهُ دونهم سلطة واقتداراً فترى على بعض مسكوكاتهِ الرموز والشارات الوثنيَّة الشائعة من قبلهِ وهو يُدعى في بعضها مثلهم حبرًا اعظم (Pontifex Maximus) امّا بعد تفرُّدهِ في السلطان فنقودهُ خالية من تلك الرموز وبينها ما فيهِ اشارة الى الدين المسيحيّ

وكفى بذلك دليلًا على انَّهُ لم يعد يحذر الاعلان الرسميّ بدينهِ على رؤوس الملأ

فالفضل اذن كلّ الفضل لقسطنطين الذي على يدهِ دخل العالم الروماني في طور جديد وبواسطتهِ اندحرت الوثنيَّة التي كان المعلم ترتوليانوس في كتاب دفاعهِ عن النصرانيَّة قابلها بالتنين المتعدّد الرؤوس وصارت المملكة الرومانيَّة التي دعاها بالمسيح الدجّال مملكةً نصرانيَّة يدبّرها امبراطور مذعن لتعاليم المسيح . ونُصب لهُ في ساحة رومية قوس ظفر اضحى رمزًا لانتصارهِ على دين الاصنام كما انَّ قوس طيطوس الذي بقربهِ هو رمز على انتصارهِ على مملكة اليهود . ومذ ذاك الحين صحَّ قول الآباء في المسيح انَّهُ هو المنتصر هو المالك هو صاحب التدبير والسلطان (Christus vincit, Christus regnat. Christus imperat) فتمَّت نبوَّة دانيال (ف ٢) عن ذاك التمثال العجيب الذي كان ساقاهُ من حديد المرموز به الى الدولة الرومانيَّة فضربهُ الحجر الصغير المشار بهِ الى السيّد المسيح الظافر وسحق التمثال فصار الحجر جبلًا كبيرًا وملأ الارض كلها (دانيال ٢ : ٣٥)

فما احرى الكنيسة في هذا العام ان تشيد بذكر قسطنطين وتبارك اسمهُ لانَّهُ اجلسها على منصَّة الملك الذي لن يسلبهُ من يدها مغتصب وان كانت الكنيسة الرومانيَّة لم تنظم قسطنطين كما فعلت الكنيسة الشرقيَّة في سلك القديسين لبعض شوائب وجدتها في حياتهِ فانها قد توّجت هامتهُ باكليل من المجد ومثلتهُ في كنيسة القديس بطرس بصورة جنديّ المسيح والمدافع عن حقوقهِ كما انَّها لقَّبتهُ بلقب لم ينلهُ الّا القليل من البشر فدعتهُ بقسطنطين الكبير

موشح في القلب الاقدس

اثر مفقود للسيد جرمانوس فرحات

توطئة

لمّا اخذت عبادة قلب يسوع الاقدس تنتشر في الغرب في القرن السابع عشر جعل المرسلون ولا سيّما اليسوعيين يسعون في نشرها ايضاً بين الشرقيين . فنقل الاب بطرس فروماج سيرة الطوباوية مرغريتا مريم ألاكوك التي وكلَ اليها الربّ نشر هذه العبادة التقويّة ثمّ وضع كتاباً بيّن فيهِ خواصّ التعبُّد للقلب الالهيّ واثبت صوابهُ عقلاً ونقلاً . فأنشئت الاخويّات لاكرام قلب يسوع وشُيّدت المعابد واقيمت الرياضات التقويّة . ومن جملة الذين شاركوا المرسلين في تعزيز تلك العبادة السيّد الجليل والعديد المآثر المطران جرمانوس فرحات رئيس اساقفة حلب على الموارنة . ولهُ في ديوانهِ قصيدة رنّانة تغزّل فيها بجمال قلب مخلّص البشر وعرّض بذكر الاخويّة المنشأة لاكرامهِ في حلب (ص ٣٤ من ديوانهِ) بدؤها :

يا قلبُ طِرْ من وَكْنَة الاحشاء نحو الحبيب الفاخر الأزياء

وقد وقفنا لهُ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة على اثر آخر مفقود في محبّة قلب يسوع الاقدس المتألم وهو موشّح لطيف اودعهُ كثيراً من المعاني الخفيّة والرموز المشارة من الاسفار المقدّسة فاحببنا نشرهُ بنسبة عيد قلب يسوع الواقع في يوم الجمعة بعد الاسبوع المخصّص بعيد القربان الاقدس وهو كما نرى :

حبّ قلب أيسوعَ أقصى بُغيتي لستُ فيهِ استريبْ
وشقائي في هواهُ جنّتي وبهِ عيشي يطيبْ
فيهِ آلامي أراها لذّتي وعنا القلبِ الكئيبْ
في دواعي عأتي او غأتي هو لي اغنى طبيبْ

*

قلبهُ المطعون من ذاك السنانْ صار باباً للخلاصْ
فادخلوهُ بسلام وامانْ وأثروهُ باختصاصْ
تجدوا المنجى بذياك الجنانْ من فخاخ الاقتناصْ
ثمّ ترعوا خير مرعى في الجنانْ في رعى الوادي الخصيبْ

*

ياعذارى اطرحن عنكنّ الوسن كي تلاقين العروس
مستعدّات لإقبال الختن بمصابيح النفوس
قبل ان تُغلق جنّاتُ عدن ويجازى بالبؤس
كلُّ وانٍ لم يكن طول الزمن حاملًا نير الصليب

*

حمل الاوزارَ عنّا ذا الحمل حمل الله الذبيح
برّنا اكمله لمّا اكتمل وهو ذو قلبٍ جريح
فازَ بالخيرات طرًّا مَنْ دَخل ضمنَ احشاء المسيح
وحظي بالفوز بل نال الامل من غدا فيه سليب

*

حربةٌ قد ولجت في جنبهِ ليتني قد كنتُها
حيثُ لا مفصلَ لي من قلبهِ في حياةٍ عشتُها
قد حباني نعمةً في صلبه لم اكُ استحققتُها
يا فؤادي فاتّقد في حبهِ وأنِنْ في هذا اللهيب

[هتاف الروس المرتّلة] *

قلبُ محبوبي سريرٌ زاهرٌ احسنُ الزهر المطرّز
فاذا أغفل فقلبي ساهرٌ حائزًا اسنى السرور
انني بالحبّ صبٌّ حائرٌ فاكنفوني بالزهور
كيف لا والحبُّ عندي حاضرٌ في فؤادي لا يغيب

*

تحت رأسي يبسطُ اليد الشمال وأحاطت بي اليمين
أيلٌ يرتع في روس الجبال بالألوف الاطهرين
حولهُ الابكارُ غاداتُ الجمال تتبعُ الصدق الامين
حيثما سار بانوار الجلال ما لها منهُ مغيب

*

منبرُ اللاهوت كرسيُّ النقا روحُ ارواح الوجودْ
هيكل الله الصفيّ المتّقى فلهُ اسمى السجودْ
مذبحٌ فيهِ البخورُ المنتقى عرفهُ الزاكي الوَقودْ
فاعبدوا ذا القلب يا اهل التقى من اديبٍ ولبيبْ

[دعوة الحبيب]

*

يا عبادي أكرموا قلبي البهي واشهروني في العبادْ
انا خمر الروح والسكر الشهي وبيَ العزُّ المرادْ
انا اغنى مشتهى للمشتهي وعليَّ الاعتمادْ
ولواذُ المبتدي والمنتهي في نصيب ومصيبْ

*

انَّ قلبي يا عروساً لم يَزلْ مستعدًّا للقا
فاستقرّي فيهِ تحظي بالأملْ وتفوزي بالبقا
كلّ قلبٍ لم يلجهُ يحترلْ ويلازمهُ الشقا
ثمّ من صفّ العذارى يُعتزلْ والرجا منهُ يخيبْ

*

اسمعي يا ابنةُ واصغي وانظري وباذنيك انصتي
وتناسَي شعبكِ ثم اهجري انسابكِ واثبتي
يَصبُ مالكُ لبهاكِ فانذري عفّةً لهُ ابنتي
أسرعي يا خأتي ثمَّ أحضري وادخلي قلبي الرحيبْ

*

انّا خدرُكِ قلبي المنجرحْ فاختفي في حجلتي
واستكني ضمن جنبي المنفتح واغتذي من مهجتي
اعبدي قلبي الجريح المُنفسحْ وادخلي أخويّتي
واصحبي الابكار في الخدر الفرحْ والبسي ثوبي القشيبْ

*

قد غسلتِ قدميكِ فاتّقي بَعدُ ان تُدنّسي

وخلعتِ ثوبك البالي الشقي فلهُ لا تلبسي
ثوبيَ المرسومُ مني اعتنقي ثم اياه اكتسي
وتردّي بردا الطُهر النقي في الصبا ثمَّ المشيب

[جواب النفس] *

انتَ ثقبُ الصخرة المرموز في ما رأى موسى الكليمْ
كَنَفُ السرِّ بهِ من يختفي فاز بالأمن العظيمْ
ملجأ العاني وغوثُ المعتفي وشفا القلب السقيمْ
ان يَغبْ عن لحظي فبويبتي في اذ هو الناءي القريبْ

*

مشتهى الآكام مأثور الثرى غاية الحسن البديعْ
جبلُ الابكار مَنْ فيهِ ثرى ظلَّ في حصنٍ منيعْ
هام قلبي فيهِ من دون السوى وبهِ عفتُ الجميعْ
لذَّ لي فيهِ التصابي والهوى واذكى الحبُّ المذيبْ

*

يا جمالَ الكون من ذا لا يُرى في جمالك مغرما
حبُّكَ الوافي بأرواحي سرى مازجاً كلَّ الدما
لستُ اسار او يواريني الثرى بل ولو متُّ فما
ملتُ عمَّن حسنهُ ابهى الورى اذ هو الحسنُ العجيبْ

*

غُنيتي الفضلى اتحادي بيسوعْ منيتي خشفُ الوشا
لم يزل قلبي بعشقٍ وولوعْ منذ يومٍ قد نشا
ليس لي عن حبّ من اهوى رجوعْ وسواهُ لا اشا
لا ولا لي موصلٌ الّا الخضوعْ تحت اقدام الحبيبْ

[وصاة الحبيب] *

فوق قلبكِ اجعليني مَختَما كشذا مسكِ الختامْ
وانصبي فيكِ لحبي سُلَّما ترتقي أعلى مقامْ

وامنحيني القلبَ دوماً مثلما حزتِ قلبي بالتمامْ
بها رُمتِ فتالي مفتما أنني الداعي المجيبْ

الظواهر الطبيعيَّة والكهرباء

للدكتور يوسف افندي شرابيه احد اعضاء جمعيَّة العاملة بالكهرباء في باريس

تهولنا عظمة كُرتنا الارضيَّة وتدهشنا ضخامتها وكبر حجمها. لكننا اذا نظرنا اليها بنظر الفكر الصائب واعتبرناها على حسب ما يوحي بهِ الينا علم الافلاك وتثبتهُ معرفة الاجرام العلويَّة تحقَّقنا انها بالنسبة الى تلك الكائنات كذرَّة لا يكاد يُشعَر بوجودها تتنقَّل في فضاء اللانهاية. فهي ابنة الشمس تلوذ بها وتدور حولها مستمدَّةً منها النور والحرارة الضروريَّة لحفظ الحياة ونموّها على سطحها. تعوم في فضاء الجلَد مرتكزةً على قطبَيها لا يسندها ركنٌ وانَّما تحفظها قوَّة الجاذبيَّة العامَّة فتتمّ سيرها في فلكها بدقَّة وضبط عجيبين. ومع ما فيها من النقص والخلل قد شاءت العناية الالهيَّة ان تختارها لسكنى البشر فجعلتها مهدًا للانسانيَّة وموطناً للجنس البشري

غنيٌّ عن القول انَّ حياة الانسان جهاد على الارض فهي معرَّضة لآفات عديدة تتهدَّدها واسقام متنوِّعة تنقض اركانها. ذلك فضلًا عن العوامل الطبيعيَّة التي تفتك بها وتلاشيها. فتارةً تنفجر البراكين فتُهلك وتبيد. وتارةً تتزلزل الارض فتسوخ بمن فوق سطحها. تطغى البحارُ فتُغرق وتكسر الانواء اغلالها فتدمّر. تنهمر السيول فتجرف وتنفخ الرياح فتكتسح. تقصف الصواعق فتحطّم وتحمى الشمس فتحرق. فإنَّ هذه المظاهر كلّها الّا مفاعيل القوى الطبيعيَّة المنتشرة على كرتنا الارضيَّة. ويا ليتها بقيت ضمن حدودها ولم تتجاوز طورها لكانت نعمةً بل شرطاً ضروريًّا للحياة. فابن آدم يبقى واجماً مكبَّل الايدي ازاء هذه الخوارق الطبيعيَّة يرى نفسهُ عاجزًا عن تغيير سيرها قاصرًا عن استدراكها فما لهُ الّا ان يطأطئ رأسهُ مرغوماً على احتمال نواميس الوجدان معترفاً بقصورهِ امام هذه القوى العمياء والعناصر الثائرة

ومن العجب العجاب انَّ الانسان مع ضعفهِ امكنهُ ان يعيش في الارض وينمو

على سطحها مع ما يتهدّده من العوامل الطبيعيّة ويكتنفهُ من الاخطار . لا بل استطاع ان يقوى على تلك القوى الماكسة ويذلّلها لخدمته فكم تراهُ يتوسّل بها لصناعته ورغد عيشته وتوفير راحته فهو هو الذي أسر الرياح واستخدم حرارة الشمس وحبس مجاري المياه لتجري طوع امره وقهر البحار وقرّب المسافات وافتتح مملكة الجوّ وولج في مضايق الارض وحوّل الى نفعه كل هذه الكائنات القائمة في وجهه

والحقّ يقال ان هذه القوى رغماً عن ظواهرها المتنوّعة ليست الّا نتيجة قوّة وحيدة اودعها الخالق في المادّة اينما وُجدت فاذا ما ثارت وحلّت قيودها تفاقم شرّها فلا تُبقي ولا تذر وان اعتدلت ولزمت الخطّة المثلى اتت بالمنافع الجمّة والخيرات العميمة

*

فلسائل ان يسأل وما هي يا تُرى تلك القوّة العامّة وكيف تظهر لحواسّنا ! قد عرّفها علماء الطبيعيّة بقولهم انّها مجموعة قوًى كامنة في المادّة تصدر عنها بصورة اهتزازات مختلفة العدد متباينة الطول وهي تلوح لحواسّنا في ظواهر الحرارة او النور او الحركة او الكهرباء او تحت اشكالٍ اخر لم تدركها مشاعرنا لانّ حواسّ الانسان محدودة كما انّ ادوات العلم مع رقيها لا تزال ناقصة . فهذه القوّة العامّة الوحيدة المصدر المتكيّفة بكيفيّات شتى انّما هي اهتزازات مستديمة تحدث في دقائق المادّة . والحركة هي المبدأ الوحيد الذي منهُ تنال تلك المظاهر صُورها النوعيّة . فالحركة موجودة في ادقّ ذرّات المادّة كما نشاهدها في الاجرام العلويّة كالكواكب والنجوم والسيّارات المنتشرة في فضاء الاثير الى حدود اللانهاية . وكلّ ظاهرة معلومة كانت او مجهولة تنشأ عن الحركة التي في المادّة . وانّما الفرق في تلك الظواهر التي تؤثّر في جهازنا العصبيّ يحصل باختلاف طول اهتزازاتها وسرعتها

ومن ثمّ ينبغي القول بوجود نوع من الاهتزازات ذات سرعة وطول معلومين من شأنها التأثير في اعصاب العين فتولّد في بصرنا حاسّة النور والالوان كما يوجد نوع آخر منها يختلف طولاً وسرعة يؤثّر في شاعرة سمعنا فيولّد في آذاننا حاسّة الاصوات . ونوع ثالث يُشعرنا بالحرارة او الكهرباء وهلمّ جرًّا

على انّ شواعرنا القابلة التأثير كما سبق القول هي محدودة وذاك التأثير لا يحدث فيها الّا على اقيسة معلومة من سلّم الاهتزازات . وكم من حركة تحدث حولنا ونحن بها

جاهلون لعدم وجود حاسّة فينا تنبئنا عنها فانّ في الفضاء الوفاً بل ألوفَ ألوفٍ من الحركات تملأهُ دون ان نقوى على الشعور بها. والدليل عليه الصفيحة الفوتغرافية التي تدوّن الاهتزازات التي ما وراء اللون البنفسجيّ في الطيف الشمسيّ . وكذلك مقياس الحرارة الذي يُشعر بالاهتزازات التي هي دون اللون الاحمر. فترى من ثمّ انّ حياتنا تخوض في مجاهل لا يستطيع عقلنا ان يقف على اسرارها بل هي كلغز لا يمكننا حلّهُ اذ تحدق بنا الحوادث الطبيعيّة وتلامسنا الحركة وليس لنا مشاعر حقيقة بتعريف كيانها. وما حواسّنا الطبيعيّة الّا ادوات نهاية في الضعف بالنسبة الى ما نحتاجهُ منها لادراك كل طور من اطوار الحركة . وخلاصة القول انّ الحركة هي ركن الحياة وتموّجاتها تغشى جميع الاجرام المخلوقة وليس بينها اختلاف الّا بطولها وسرعة انتشارها

وقد اراد العالم الطبيعي كروكس (Crookes) الانكليزي ان يقف على عدد تلك الاهتزازات فاصطنع جدولًا بناهُ على اختبارات واصول علميّة اثبت فيه ما امكنهُ من تعداد تلك الاهتزازات في الثانية . فاتّخذ رقّاصاً وهميًّا يتمايل ذات اليمين وذات الشمال واجرى حركتهُ بقوّة معلومة بحيث تتضاعف الاهتزازات تضاعفاً هندسيًّا من الاثنين الى الاربعة الى ٨ ثم ١٦ ثم ٣٢ ثم ٦٤ وهكذا الى القوّة الحادية والستين فكان محصّل ما بلغ اليه في احصاء تلك الاهتزازات العدد الهائل الذي تراهُ ٢,٣٠٥,٧٦٣,٠٠٩,٦١٣,٢٩٣,٦٥٢ وقد وجد العالم المذكور انّ الاذن البشريّة تحسّ باهتزازات هذا العدد من القوّة الخامسة الى القوّة الخامسة عشرة فقط اعني من العدد ٣٢ الى ٣٢,٧٦٨ في الثانية بازدياد دقّة الصوت بموجب زيادة الاهتزازات . امّا ما تعدّى ذلك العدد فلا يعود يؤثر في سمعنا . ومن القوّة ١٦ الى القوّة ٣٥ من العدد المذكور تظهر التموّجات الكهربائيّة . ومن القوّة ٤٥ الى القوّة ٥٠ تتحوّل الحركة الى النور وتظهر الالوان وتتولّد الحرارة . ومن القوّة ٥٠ الى القوّة ٥٧ تصبح الاهتزازات كيماويّة اي لا تؤثر في غير الصفائح الفوتغرافيّة . وما بين القوّة ٥٨ الى ٦١ تتولّد اهتزازات الاشعّة المجهولة (rayons X) المعروفة باشعّة رنتجن . لكنّ في هذا السلّم الذي ضُوعف عدد اهتزازاته يوجد فسحات ذات اهتزازات لا تؤثر في حواسّنا ولا في ادوات العلم الحديث كالاهتزازات الواقعة بين القوّة ٣٥ الى ٤٥ وما

فوق القوَّة ٦١ فيقتضي علينا الاقرار بعجزنا تجاه هذه الخوارق وما تأتيه حولنا من العجائب ونحن لها جاهلون

هذه هي الاحوال النظريَّة التي توصل اليها العلماء المحدثون في بيان تركيب عالم المادَّة فزاد بذلك صحَّة قول الفيلسوف القديم انَّ روحاً او قوَّة تحرِّك المادَّة (Mens agitat molem) . فامري انَّ الكون اشبه بمختبر عظيم تولَّد فيه القوَّةُ المجربة اهتزازاتٍ مختلفة السرعة متفاوتة الامتداد تصطدم وتتلاطم وينفذ بعضها في بعض دون ان تمتزج قطّ او تختلط البتَّة وليس الذي ندركهُ منها سوى النزر القليل . وما نسمّيه بالكهرباء انَّما هو ضربٌ من تلك القوَّة العامَّة التي تظهر لنا متوشَّحة بحلل مختلفة فتولِّد النور والحرارة والصوت والكهرباء واشعَّة رنتجن واشعَّة اخرى مجهولة لم نتمكَّن حتى الآن على اكتشافها او تعريف كنهها

قد تبيَّنَ العلماء انَّ الكهرباء كامنة في جميع الاجسام ولكي تبرز فعلها الى العمل لا يقتضيها الَّا ان تؤثر فيها بعض العوامل وتتكيَّف ذرَّاتها بكيفيَّات معلومة كالاحتكاك والاصطفاق والضغط والحركة والحرارة والتحاليل الكيماويَّة فتبرز تلك القوَّة الكهربائيَّة على حسب تركيب الاجسام والوسط الموجودة فيه اشكالاً مختلفةً فتارةً تجري وحيناً تتوفَّر مختزنةً في الاجسام وطوراً تتكيَّف بكيفيَّات ظاهرة او مستترة مع صدورها جميعاً من القوَّة الواحدة التي وضعها الخالق في المادَّة

وكذلك تتشكَّل هذه الاهتزازات على حسب حدوثها في اجسام مختلفة التركيب او العنصر ففي التحاليل الكيماويَّة تظهر على شكل مجرًى كهربائيّ ينتقل الى مسافات بعيدة على اسلاكٍ من المعدن . واذا ما جرت في سلك رفيع وطويل أحمتهُ ورفعت درجة حرارته . واذا دخلت في اسطوانة فارغة من الهواء استحالت الى نور . وتصير في الحديد مغناطيساً واذا ولجت محلولاً كيماويًّا اذابتهُ وحلَّلتهُ وفرَّقت ذرَّاته

وليس في العالم الطبيعيّ ظاهرة من الظواهر الَّا ترافقها الكهرباء فانواء الجوّ والمغناطيس الارضي والزلازل وانفجار البراكين كلّها تحدث مصحوبةً بظواهر كهربائيَّة وربَّما سبقت الكهرباء وظهرت قبل وقوع هذه الطوارئ . والمراصد الحديثة مجهَّزة بأدوات تحسّ بدنوّ هذه الظواهر فتشعر بها قبل حلولها

وهذه الخوارق الطبيعيَّة اذا حدثت لا يستطيع الانسان غالباً ردّ غاراتها واتّقاء

عواقبها الوبيلة لكنّهُ يستطيع الآن ان يولّدها ويدبّر حركاتها لئلّا تلحق بهِ اذى بشذوذها فيضع لها حدوداً لا تتجاوزها ويكبح جماحها فتجدي لهُ نفعاً اذ يتوسّل بها لحاجاته ويستخدمها لصنائعهِ . أفلا ترى التلغراف اللاسلكي والتلفون والمحرّكات الكهربائيّة والنور الكهربائي والقطارات الكهربائيّة فكل هذه الاختراعات قد استخرجها الانسان من تلك القوّة الجامحة المدمّرة القاتلة التي ذلّلها لخدمتهِ ولعلّ هذه الاكتشافات العصريّة مع عظم نفعها ليست الّا قسماً صغيراً ممّا يعدّهُ لنا الغد لانّ مجال الاكتشافات واسعٌ جدًّا وهذه القوّة الغريبة التي يقال لها الكهرباء لا تزال بعد في مهد طفوليّتها ولم يدرسها العلماء درساً عميقاً الّا في العصر المنصرم . امّا الآن وقد دخلنا في القرن العشرين فان نطاق العلم قد اتّسع فكثر انصارهُ وتحسّنت ادواته وتوفّرت معاهدهُ وتوالت بعثاتهُ وتعدّدت جمعيّاتهُ فتنشّط المنكبّون على احرازهِ ولذلك ترى الاكتشاف تِلو الاكتشاف فلا بدع اذا وقف احفادُنا على ما لا نعلم بهِ اليوم فانّ الحصاد كثير والعملة قليلون

وقد دعا الله الانسان مالك الكون الى درس مملكتهِ التي جعل لها نواميس وشرائع هي في غاية الضبط والدقّة فلا يسعهُ ان يجهل البيت الذي اسكنهُ فيه الخالق وولّاهُ على تدبيرهِ . فعليه ان يفرغ جهدهُ في التنقيب عن تلك القوى الكامنة التي تكتنفهُ . فاذا اذّخر العلمَ الحقيقي ساعدهُ على كشف غوامض الطبيعة واماط لهُ النقاب عن بعض معمّياتها . وكلّما توغّل في مجاهل الطبيعة واستضاء بنور العلم الصادق وجد نفسهُ حقيراً امام تلك العظائم الدفينة وزاد تأكيداً بانّ هناك وراء هذه الظواهر والمرئيّات الطبيعيّة يداً ضابطة زمام المادّة يداً عاقلة حكيمة تحسن تدبير هذا الكون يداً ازليّة ابديّة اليها مرجعُ كلّ علم صحيح

امام هذه القوّة المحجوبة امام ذاك المحرّك غير المتناهي القدرة امام تلك اليد الضابطة الكل لا يتمالك المرء العاقل من ان يردّد آية النبيّ والملك داود : السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر بعمل يديهِ

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ

كان لعرب الجاهليَّة شركهم كما سبق الَّا انَّ الآثار العربيَّة الباقية من العهد السابق للاسلام قلَّما تُشعر بالتوثُّق لنفوذ التوحيد بينهم بفضل الدين المسيحيّ . وها نحن ذا ندوّن الالفاظ النصرانيَّة الواردة في شعرهم المثبتة لقولنا

(الدّين) انَّ لفظة الدين بمعناها الخاص اي العبادة لله قد سبقت الاسلام واوَّل ما نجد لفظها في الشعر العربيّ مدلولها الدين النصرانيّ . قال النابغة يمدح ملوك غسَّان النصارى بدينهم :

بحلَّتهم ذاتُ الاله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وروى اللسان حلَّتهم اي الارض المقدَّسة . ومثلهُ ما انشدهُ نبيّ الاسلام عن شاعر جاهليّ « لمَّا افاض من عرَفة الى مزدلفة وكان في بطن محسّر الذي كان موقف النصارى » (تاج العروس ٣ : ١٤٠ و٩ : ٣٦٢) . وفي الابيات اشارة الى الناقة التي كان راكبها في مسيره الى الحرم :

اليك تعدو قلقاً وضينُها معترضاً في بطنها جنينُها
مخالفاً دينَ النصارى دينُها

وكذلك روينا لورقة بن نوفل النصرانيّ قولهُ (الاغانيّ ٣ : ١٦) :

ادينُ لربٍّ يستجيب ولا ارى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهر داعيا
اقول اذا صلَّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا

ولأميَّة في معناهُ قولهُ :

رضيتُ بك اللهمَّ ربّاً فلن ارى ادينُ الهاً غيرك الله ثانيا

ومن حكم عديّ بن زيد قولهُ :

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

والدين ايضاً بمعنى الحكم والقضاء والحساب . قال السيّد المسيح (متّى ٧ : ١—٢) : « لا تدينوا لئلّا تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون » فجاءت اللفظة في الشعر الجاهليّ مقتبسةً عن الآية السابقة . قال خويلد بن نوفل الكلابيّ يخاطب الحارث بن ابي شمر (التاج ١ : ٢٠٧) :

يا حارِ أيقِنْ انّ ملكك زائلٌ وأعلم بأن كما تدينُ تدانُ

والى هذا المعنى يعود اسمهُ تعالى بالدّيّان ورد في الشعر الجاهليّ . وبهِ دُعي آل عبد المدان بن الدّيّان سادة بني الحارث بن كعب النصارى " الذين كانوا يتبارَون في البيع وزيها » (البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٧)

(العبد ... المتعبّد ... العبّاد ... العبادة) هي ايضاً مفردات سبقت الاسلام ودلّوا بها على من يعبد الله من النصارى . قال النابغة :

لو انّها عرضت لأشمطَ راهبٍ عبدَ الاله صرورةٍ متعبّدِ ...

وقال امية بن ابي الصلت في الملئكة :

فنعم العبادُ المصطفَون لأمره وبين دونهم جندٌ كثيفٌ مجنّدُ
ملائكة لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسجّدُ

والعباد قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على دين النصرانيّة فدُعوا بالعباد لزهدهم . ويقال لنسّاك النصارى الأعابد ايضاً قال ابو دؤاد الايادي يصف مصابيح الرهبان في مشارف الجبال (التاج ٢ : ١١٠) :

لمنْ كنار الرأس بالعلياء تذكيها الأعابدْ

وكثيراً ما يطلقون اسم العباد على كل البشر ولاسيّما الذين يعبدون الاله الحقّ قال امية :

لك الحمدُ والمنُّ ربَّ العبا دِ انت المليكُ وانت الحكَمْ

وقال ايضاً :

ولو قيل ربٌّ سوى ربّنا لقال العبادُ جميعاً كَذِبْ

ومثله العبادة مطلقاً خصّوها بعزّته تعالى . قال زيد بن عمرو :

ولكن اعبد الرحمان ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفورُ

وقال ورقة بن نوفل :

لا تعبدُنَّ الهاً غير خالقكم فان دعوكم فقولوا ينا حَدَدُ

(آمن ... ايمان ... المؤمن) كلّ هذه الالفاظ سبقت ايضاً الاسلام فاتخذها النصارى لاعتقادهم ولعلّهم استعاروها من السريان . وقد وردت في اخبار المتنصّرين في الجاهليّة كرواية اصحاب الكهف (مجاني الادب ٢ : ٢٣٢ — ٢٤٠) ورواية تنصّر اهل نجران (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٧٥٥) . لا بل ذكرها في القرآن (سورة البقرة ع ٢٨٥) واطلقها على النصارى ايضاً فقال : « والمؤمنون كلٌّ من آمن بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ ... لا نفرّق بين احد من رسلهِ » . ومثلها في سورة آل عمران : « ومنهم المؤمنون ... من اهل الكتاب امّة يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهَوْن عن المُنكر ... »

(العيد) هي من الالفاظ الدينيّة التي استعارها النصارى في الجاهليّة عن الاراميين وهي بالسريانيّة « ܥܐܕܐ » . وقد نطق بها امرؤ القيس فقال يصف سرباً من الما اي بقر الوحش :

فأنتُ سربًا من بعيدٍ كأنّهُ روامبُ عيدٍ في مُلاءٍ مهدَّبِ

اشار الى لبس الراهبات في اعياد النصارى للملاء والانسجة الطويلة الاذيال . ومثلهُ تصريحاً قول العجّاج في ثور وحش اعتاد الارباض كاعتياد النصارى اعيادهم (الالفاظ لابن السكيت ص ٤٩٦) :

واعتاد ارباضًا لها آربيّ كما يعودُ العبدَ نصرانيّ

(النذر) ومن عادات النصارى ان يوجبوا على نفوسهم نوافل تقويّة حبًّا بالله . وذلك النذر من السريانيّة « ܢܕܪܐ » . والنذير (٦٦:٥) عند بني اسرائيل المتطوع لخدمة الله . وجاء في قصّة مريم (سورة آل عمران ع ٣١) : « اذ قالت امرأت عمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّل مني » . وسبق اميّة بن الاشكر الكنانيّ (راجع حماسة البحتري ع ٥٢٠) فقال :

كم من اسيرٍ من قُرَيشٍ وغيرها تداركَهُ من سَعْيِنا نَذْرُ ناذرِ
فلمّا قدرْنا انقذناهُ ورماحُنا فآب الى آلائهِ غيرَ شاكرِ

وورد لاميّة بن ابي الصلت يذكر نذر ابراهيم لابنهِ اسحاق وفيه ذكر (الاحتساب) وهي ايضاً من الفاظهم الدينيّة بمعنى الثواب والاجر قال (تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨) :

ولإبراهيمَ المُوَفّي بنَذْرٍ إحناباً وحامل الاجذالِ

الى ان قال :

أُبَنيَّ اني نذرتُك للّـهِ شحيطاً فاصبر فدىً لك تالي

*

ثم الدين مقامـات وابنية مخصَّصة بالعبادة شاع عند العرب المسجد والمبد والمصلّى والمنسك والكعبة .. وكلّ هذه الالفاظ قد سبقت الاسلام واستعملها اهل الجاهليَّة ولاسيَّما النصارى للدلالة على دينهم

(المسجد) قال الزَّجاج في تعريفهِ (لسان العرب ٤ : ١٨٨) : « كلُّ موضع يُتعبَّد فيهِ فهو مسجد ». وقد اطلقوها على هيكل اورشليم كقول الطبري في تاريخهِ (١ : ٧٢٩) عن يوسف خطيب مريم : « تولّى يوسف خدمة المسجد » وقال ابن خلدون في تاريخهِ عن العذراء مريم (٢ : ١٤٤) انَّ حنَّة أمّها « جاءت بها الى المسجد فدفعتها الى عبّاده » . وقد مرَّ ايضاً ذكر « مسجد مريم » كما ورد في معرفة البلدان للمقدسيّ (ص ٧٧) . ولا نشكّ انّها وردت ايضاً في الشعر القديم . ومّما رواهُ سيبويهِ عن بعض الشيوخ (تاج العروس ٥ : ٤١٩) قولهُ :

اوصاك ربُّكَ بالتُّقى وأُولو النُّهى اوصوا بَنيهْ
فاختَرْ لنفسك مسجداً تخلو بهِ او صومعَهْ

(قال) الصومعة بيت النصارى . فذكرُ المسجد معها اشارةٌ الى انّها في معناها شائعة ايضاً عند النصارى . وقد ورد اسم المسجد في القرآن (سورة الاسرى ع ١) دلالةً على « المسجد الاقصى » في القدس الشريف

وما قلناهُ عن المسجد يصحُّ ايضاً في المعبد والمصلّى اي مقام العبادة ومحلّ الصلاة ومكان النسك فانَّ هذه الالفاظ كلّها يرتقي عهدها الى الزمن السابق للاسلام .

(الكَعْبة) اصلها الغرفة المكعَّبة اتّخذوها للكعبة الحرام في مكّة . وقد استعملها ايضاً النصارى للدلالة على كنائسهم في الجاهليَّة كما اشرنا اليهِ في القسم الاوَّل من كتابنا (ص ٩٤) عند ذكرنا كعبة نجران وكعبة اليمن دلُّوا بها الى كنيسة في نجران قال الاعشى :

وكعبةُ نجران حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بابوابها ...الخ

وكان لكنائسهم حَرَمٌ لا يجوز انتهاك حرمته ان دخلهُ جانٍ أمن على حياته . راجع في المشرق سنة ١٩١٠ (١٣ : ٧١) مقالة قنصل الشام المسيو ن. جيدون في حمى كنيسة دمشق قبل الاسلام وعلى مثاله كان حَرَم مكّة

وفي مساجدهم امكنة خاصة تُعرف باسمائها كالمحراب والقبلة

(فالمِحْرَاب) يراد بها مطلق المسجد . قال صاحب تاج العروس (١ : ٢٠٧) : محاريب بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلُّون فيها . وكذلك النصارى قد سمُّوا صدر كنائسهم المحراب كما دلَّ بها المسلمون بعد ذلك على صدر مساجدهم . قال في القرآن في سورة آل عمران عن زكريا (ع ٣٢) انهُ كان « يدخل المحراب على مريم » . وتكرَّرت في الشعر القديم قال الاعشى (لسان العرب ٧ : ١٧) :

كديمةٍ صُوِّرَ محرابها بمُذهبٍ ذي مرمرٍ ماترِ

وقال المسيّب بن علس (التاج ١ : ٢٠٧) :

او دميةٌ صوِّرَ محرابها او دُرَّةٌ شِيفَتْ الى تاجرِ

وقال امرؤ القيس :

كنزلان رملٍ في محاريب اقوالِ

وقال عدي بن زيد (شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٤) :

كدُمى العاج في المحارب اوكا م لبيضٍ في الروض زهرُهُ مستبرُ

وقال وضّاح اليمن :

ربَّةُ محرابٍ اذا جئتُها لم ألقَها او ارتقي سلَّما

ومثل المحراب القبلة وهي وِجْهَة المسجد جاءت في الشعر الجاهليّ روى صاحب اللسان (١٤ : ٣١٤) والجواليقيّ في المعرَّب (ed. Sachau, p. 9) لعبد المطلب قولهُ :

عُذتُ بما عاذَ به ابراهمُ مُستقبلَ القبلةِ وهو قائمُ

(ومما يلحق بالمساجد المنارة) وهي من النور كالسرجة وقيل من النار وقد اشتقَّها العلماء من السريانيَّة (صدُنْهَا) بهذا المعنى والمسلمون يريدون بها المئذنة . والمنارة سبقت عهد الاسلام فاستعملها امرؤ القيس في معلَّقته بمعنى المصباح كان الرهبان يوقدونهُ لمناسكهم في قمم الجبال ليلاً قال :

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنَّها منارةُ مُمسى راهبٍ متبتِّلِ

وكانت المنارة تُسرَج في الكنائس . ثمَّ اتخذوها بمعنى المجاز فاطلقوها على الصومعة ومقام الرهبان ومحلّ عبادتهم . وفي الاغاني (٢٠ : ٨٥) وردت المنارة والصومعة بمعنى واحد . وكثيراً ما كانت صوامع الرهبان مرتفعة مشيدة على شبه الابراج بل اكتشف الاثريون في كنائس ما بين النهرين وشماليّ سوريّة عدّة كنائس كانوا شيّدوا في اعلاها ابراجاً مستديرة او مربّعة يؤذنون فيها بمناسكهم او يقرعون فيها النواقيس فلمّا جاء الاسلام اتخذوا المنارة على مثال الصوامع وتلك البروج . وقد اثبت العلّامة غوتّيل (Gottheil) من اساتذة كلّيّة كولومبيا (١ ان المسلمين في اوّل عهدهم كانوا يجتمعون لصلاتهم دون اذان قال ابن هشام في سيرة الرسول (ed. Wüselfenld. p. 347): « وقد كان رسول الله حين قدموا انّما يجتمع الناس للصلاة بغير دعوة » وكذلك قال القسطلّاني في ارشاد الساري (ج ٢ ص ٣): « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيحيون الصلاة ليس يُنادَى لها » ثم « ذكروا ان يُعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونهُ فذكروا ان ينوّروا ناراً او يضربوا ناقوساً وأمر بلال (المؤذّن) ان يشفع الاذان » ثمَّ سُنَّ الاذان بعد ذلك في موضع بارز وموضع عالٍ . وربّما صعد المؤذّن سور المدينة ليدعو الى الصلاة انشد ابن البرّي للفرزدق (لسان العرب ١٦ : ١٥٠) :

وحتى علا في سور كلّ مدينة مناد يُنادي فوقها بأذانِ

واثبت غوتّيل انَّ اقدم مساجد المسلمين كمساجد بلد الحرام والمدينة والكوفة والبصرة ومسجد عمرو بن العاص في الفسطاط لم تُجهَّز لها المنارة وانَّ اوّل ما ورد ذكر المنارة في خلافة معاوية اقامها زياد بن ابي سفيان في مسجد البصرة . قال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص ٣٤٧–٣٤٨) : « لمّا استعمل معاوية زياداً بن ابي سفيان على البصرة زاد في المسجد زيادة كثيرة ... وبنى منارتهُ بالحجارة وهو اوّل من عمل المقصورة »

والمئذنة) محلّ التأذين اي النداء الى الصلاة وردت بمعنى المنارة والصومعة . قال في تاج العروس (٩ : ١٢١) : « المئذنة موضع الاذان للصلاة او المنارة كما في

١) اطلب مقالتهُ في المجلة الاسيويّة الاميركيّة (The Origin and History of the Minaret, JAOS, XXX, (1910) p. 132-154)

الصحاح. قال ابو زيد المئذنة والمؤذنة وقال اللحياني هي المنارة يعني الصومعة على التشبيه . والمؤذن المنادي للصلاة ». وقد جاءت في الشعر القديم قال عدي بن زيد النصراني (في معجم ما استعجم للبكري ص ٢٣٣) :

بتلّ جَحْوَشَ ما يدعو مؤذّنهم لأمر رُشْدٍ ولا يحثُّ اقتارا

ومن مرادفات المنارة عندهم ايضاً (المصباح) واصلهُ السراج وقد استعملهُ أوس بن حجر في شعره بمعنى المشعل الذي يوقدهُ رؤساء النصارى في ليلة الفصح قال يصف سناناً (راجع شعراء النصرانيّة ص ٤٩٤ وديوانهُ ص ٢٠ ed. Geyer,)

عليهِ كمصباح العزيزِ يشبُّهُ لِفَصْحٍ ويَحْشُوهُ الذُبالَ المفتّلا

قال الشارح : « اراد السنان الشديد الانتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لا سيّما اذا ألهبه في ليلة فصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان أنورَ واكثر ضوءاً »

واوّل الفرائض المقامة في المساجد الصلاة . وقد تكرر ذكرها في شعر النصارى قبل عهد الاسلام . قال منظور الاسديّ يصف بعيراً شبّه موقع ثفناته اذا برك بموقع كفّي راهب على الارض اذا صلّى عند الفجر (الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢) :

كأنّ مهواهُ على الكلكلِ موقعُ كفّي راهبٍ يُصلّي
في غَبَشِ الصُبْحِ او انتلى

وقال البعيث يذكر صلاة الرهبان وهم قيام (التاج ١٠ : ٥٣ واللسان ١٨ : ١١١) :

على ظهرِ عاديٍّ كأنّ أرومَهُ رجالٌ يتلُّون الصلاةَ قيامُ

(قال) « تلّى فلان صلاتهُ اي أتبع الصلاةَ او اتبع المكتوبةَ التطوّعَ . ثم كانوا يصلّون على الخمر في التقديس قال الاعشى يصف خمراً :

لها سارسٌ لا يبرحُ الدهر بيتها وان ذُبِحَتْ صلّى عليها وزمزما
ببابلَ لم تُعْصَرْ فسالت سلافةً تخالطُ قنديداً ومسكاً مختّما

ومثلهُ ما رويناهُ عن ابن بن خُزَيم في خمر جرجان (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباء جرجانيّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم يغزُ بها ساعةَ قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهيمُ نارَها طروقاً ولا صلّى على طَبْخِها حَبْرُ

والصلاة اكثر ما تتمّ بالسجود والركوع والتسبيح . وكلّ ذلك قد تكرّر ذكره عن نصارى العرب في الجاهليّة . قال المضرّس الاسديّ (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥) :

وسخالٍ ساجيةٍ العيون خواذلٍ يحادِ لينةَ كالنصارى السُّجَّدِ

(قال) « لينة ماء لبني خاضرة » . وكذلك ورد في شعر لبيد ممّا قالهُ في الجاهليّة (اطلب ديوانهُ في طبعة ڤينا ص ١١٣) وقد وصف الثور فشبّههُ عند اكبابهِ بالمصلّي الذي يقضي نذرًا قال :

فبات كأنّهُ يقضي نُذورًا يلوذُ بغرقدٍ خضلٍ وضالِ

(قال الشارح) : ويروى : يُطيفُ بغرقدٍ . وبات اي الثور اي بات مكبًّا كأنّهُ يصلي صلاةً يقضي بها نذرًا . والغرقد والضال نباتان .

قال آخر يصف راهبًا (المفضّليات ed. Lyall, p. 411) :

وأشعثَ عُنوانٌ بهِ من سجودهِ كركبةِ عنزٍ من عُنوزِ بني صخرِ

وأنشد في هذا الباب عن المرأة النصرانيّة الساجدة (كتاب سيبويهِ طبعة بولاق ٢ : ٩٢) :

فكتاها خرّت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانةٌ لم تحنّفِ

ومن عادة النصارى ان يحنوا رؤوسهم اكرامًا لرؤسائهم قال حُميد بن ثور (المخصّص لابن سيده ١٢ : ٨٧) :

فضولُ ازمّتها أسجدت سجودَ النصارى لأربابها

ومن قبيل السجود الركوع وهو انخفاض المصلّي لرأسهِ وانكبابهُ لوجههِ . وقد ورد في شعر امية بن ابي الصلت عن الملائكة قولهُ :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجّدُ
فساجدُهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربًّا فوقهُ ويمجّدُ
وراكعُهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعًا يردّد آلاء الالهِ ويحمدُ

وكان الراهب لكثرة صلاتهِ يدعى راكعًا . ومثلهُ الحنيف مرادف الراهب كما مرّ قال في تاج العروس (٥ : ٣٦٣) : « وكانت العرب في الجاهليّة تسمّي الحنيف راكعًا اذا لم يعبد الاوثان ويقولون ركع الى الله قال الزمخشري اي اطمأنّ قال النابغة الذبيانيّ :

سيبلغ عذرًا او نجاحًا من امرئٍ الى ربّهِ ربِّ البريّة راكعِ

ومن آداب الصلاة (التسبيحُ) اي شكرُ الله وتقديس اسمهِ وتعظيم آلائهِ جاءت في الشعر الجاهلي قال امية (تاج العروس ٢ : ١٥٧) :

سبحانهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ له وقبلنا سبَّح الجوديُّ والجمدُ

وقال الاعشى (لسان العرب ٣ : ٢١٠) :

وسبِّحْ على حين العشيَّات والضُّحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وروي بيت عمرو بن عبد الحق للاخطل على هذه الصورة (ياقوت ٤ : ٧٨١) :

وما سبَّح الرهبانُ في كلّ بيعة ايل الابيلين المسيحُ بن مريما

ومن الآداب الدينيَّة (الصوم) . والنصارى قد اشتهروا بهِ . قال النمر بن تولب (كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ١٩) :

صدَّت كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبيلَ الفصح صوَّامُ

وقال امية بن ابي الصلت عن الابرار في النعيم :

اذا باتوا التي أجروا اليها تقبَّلهم وحلَّ من يصومُ

ومن الفرائض الدينيَّة (الحجّ) ويراد بهِ اصطلاحاً قصدُ مكَّة للنسك لكنَّ اللفظة في الاصل يراد بهِ مطلق النسك . وهي مشتقَّة من العبرانيَّة חג وتكرَّرت في الاسفار المقدَّسة بمعنى العيد والاحتشاد وقد استعملها المقريزي في الخطط (ج ٢ ص ٤٧٤) لليهود . قال في ذكر اعيادهم في ايار : « وفيهِ عيد الموقف وهو حجُّ الاسابيع . . . ويقال لهذا العيد في زماننا عيد العنصرة » . وكذلك استعملها الكتبة المسلمون لغير قصد مكَّة قال الادريسي في وصف المغرب (ed. Dozy et de Goeje, p. ٦٤) عن قبر ابن تومرت انَّ « المصامدة جماعةً حجًّا يقصدون اليهِ من جميع بلادهم » . ومثلهم نصارى العرب فانَّهم استعاروا اللفظة من السريانيَّة وهي عندهم كثيرة الاستعمال للدلالة على كلّ الحفلات الدينيَّة فاتَّخذوها بهذا المعنى وبمعنى زيارة الامكنة المقدَّسة . فقد وردت في ذكرهم للكعبة اليمنيَّة اي كنيسة نجران وفي زيارة بيت المقدس وقد استعملها ابن القلانسي في كتابهِ ذيل تاريخ دمشق (ص ٦٩) لزيارة بيعة القيامة : « هذه بيعة . . . تعظّمها النصارى افضل تعظيم وتحجُّ اليها عند فصحهم » . وقال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢ : ٧٠٣) ان « بني عبد المدان بنوهُ مربعاً . . . فكانوا يحجونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجُّ الكعبة . ويحجُّهُ خثعم قاطبةً . . . »

وكانوا اذا حجّوا الى بعض كنائسهم طافوا حولها كما نصّ عليه قدماء الكتبة ومنهُ (الطُّراف) وعلى مثل ذلك كانوا يطوفون حول الكعبة (لهُ بقيّة)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني جرجس افندي صفا (تابع)

١١ ﴿ كتاب البصائر النّصيرية في المنطق ﴾ تصنيف الشيخ الامام القاضي زين الدين بن سهلان الساوي (١ وهو ١٦٩ ورقة وكل صفحة ١٧ سطرًا طول المكتوب في الصفحة ١٥ سانتي بعرض ١١ مضبوط بالشكل الكامل وهو غاية في الضبط والاتقان وخطهُ حسن كُتب في آخره ما يأتي :

علّقهُ لنفسهِ العبد الفقير الى رحمة ربّه محمد بن موسى بن مفرّج الاندلسيّ ثم الحرّاني حامدًا الله تعالى ومصلّيًا على رسولهِ محمّد وآلهِ واصحابهِ وازواجهِ ومسلّمًا ووافق الفراغ منهُ يوم الثلاثاء في العشر الاخير من ربيع الاول سنة ستّ وستمائة (١٢٠٩ م) بمدينة السلام بغداد حرسها الله تعالى . قوبل هذا الكتاب فصحّ بتوفيق الله اه

وقد طُبع هذا الكتاب في مصر بتصحيح العلّامة الشيخ محمد عبده المشهور عن نسخة مضبوطة وقابلتُ بين النسخة المطبوعة وبين هذه النسخة فوجدت في نسخة الطبع كثيرًا من التحريف والمخالفة للاصل بل كثيرًا من العبارات ساقطًا بحيث يختلّ المعنى ويُفقد الارتباط ببعضهِ ولولا خشية التطويل لأوردت شيئاً من هذا ولعلّي اعود اليهِ في فرصة اخرى

وممّا قال المؤلف ابن سهلان المذكور في مقدمة الكتاب :

« ولن يعرف قدر هذا الكتاب الّا من طال نظرهُ في كتب المتقدمين بين التأمل فيجد فيه عند تصفّحه ايضاح ما اغفلوه وتفصيل ما اجملوه وتنبيهاً على مواضع غلط يُهمُّ المتعلّم التفطّنُ لما عساها ذهبت عليهم »

وذكر في الفصل الاول ماهية المنطق ووجه الحاجة اليهِ ومنفعتهُ . وفي الفصل الثاني موضوع المنطق . ثم قسم الكتاب الى مقالات والمقالات الى فنون وفصول .

١) وفي كتاب كشف الظنون للحاج خليفة (مجلد ٣ صفحة ٤١٣) يسميه عمر بن سهلان الساوجي ويذكر لهُ كتاب الرسالة السنجرية في الكائنات النصريّة

وأدخل في الكتاب المقولات العشر وشرحها بأكمل بيان وتعقّب ابنَ سينا وغيره في مسائل كثيرة وذكر موجّهات القضايا (على طريقة مناطقة العرب) وتناقضها وعكوسها وقياساتها والمصادرة على المطلوب والامور الشبيهة بالقياس وهي ليست قياساً كالقسمة والاستقراء والتمثيل ثم ذكر موادّ الحجج ثم اجزاء العلوم البرهانية ثم ذكر رسوم الفاظ استُعملت غير مشروحة المعاني وهي العلم والعقل والظن والجهل والذهن والفهم والفكر والحدس والذكاء والحكمة. واطال في تحقيق المغالطات وبالجملة ان الكتاب جامع لكل ما يتعلق بالمنطق مما خلا كثير من كتب المنطق منهُ . ونظن ان هذه النسخة لا نظير لها في ضبطها وتصحيحها

١٢ ﴿ كتاب المُغرب ﴾ للمطرّزي شارح مقالات الحريري لا تاريخ لكتابته ويُظن انه كُتب منذ خمسمائة سنة او اكثر وهو قاموس في غاية الضبط في ٢١٨ ورقة طول المكتوب في كل صفحة ١٨ سانتي بعرض ١٣ مذكور في ظاهر الصفحة الاولى منه « انه كُتب باسم الجناب العالي الزيني ياقوت الابيجاري ». وهو غاية في الضبط والاتقان كامل الشكل بالحركات

١٣ ﴿ ديوان المتنبي ﴾ وعلى هامشه شرح كامل مستوفي لكل بيت من الديوان لم يُذكر مؤلفهُ . والمتن مضبوط بالشكل الكامل مع بيان الروايات التي قُرئ بها البيت وهو نهاية في الضبط وفي كثير منه مقدمة على القصيدة او الابيات يبيّن فيها الغرض الذي لاجله نظم المتنبي القصيدة او الابيات بياناً وافياً . فمن ذلك القصيدة التي اولها :

ذي المعالي فليَعْلُوا (١ مَن تعالى هكذا هكذا والّا فلا لا

فقدّم عليها ما نصّهُ وقال :

« انه ورد على سيف الدولة الخبر آخر النهار يوم الثلثاء لستٍ خلون من جمادى الاولى سنة اربع واربعين وثلثمائة (٩٥٥ م) بان جيش الدمُ ألدُّمستُق وجيوش النصرانية قد نازلت ثغر الحدَث في يوم الاحد ونصبت مكايد الحصون عليهِ وقدّرت انها فرصة لما تداخلها من القلق والانزعاج والعصم في تمام بنائه على يد ابن حمدان ولانَّ ملكهم الزمهم قصدها وانجدهم

---

١) هكذا ضبطها الناسخ بقلب نون التوكيد الفاً وكتابة التنوين بصورة النصب وعلى ذلك جرى في سائر الديوان

باصناف الكفرة واتخذ معهم المُدَد . فركب سيف الدولة لوقته نافرًا وانتقل الى موضع غير الموضع الذي كان به ونظر فيما وجب ان ينظر فيه في ليلة وسار عن حلب غداة يوم الاربعاء لسبع خلون من جمادى الاولى فنزل رَعْبَان واخبارُ الحدث مستمجمة عليه لضبطهم للطرق وتقديرهم ان يخفى عليه خبرهم . فلما اسحر لبس سلاحهُ وامر اصحابه بمثل ذلك وسار زحفًا . فلما قرب من الحدث عادت اليه الطلائع فاخبرتهُ بان العدو لمَّا اشرفت عليه خيول سيف الدولة على عجلة يقال لها العبرانيّ ولم يستقرّ به قرار واتبع اهل الحدث من البدار بالخبر خوفًا من كمين يتعرض الرسل . فنزل ابن حمدان بظاهرها وذكر خليفتهُ بما اتصل نازلوه وحاصروه فلم يخلِ الله من نصر عليهم الّا من نقوب نقبوها في قسطل كان قديمًا للمدينة وانتهم طلائعهم تخبر ابن حمدان في اشرافه على ثغر رَعْبَان فوقعت الصيحة فيهم فظهر الاضطراب وولى كل فريق على وجهه وخرج اهل الحدث فاوقعوا ببعضهم واخذوا آلة حربهم واعدُّوها في حصنهم اه

وفي آخره ثلاثة ابيات ملحقة بشعر المتنبي وهي :

تجنَّى عليَّ الذنبَ والذنبُ ذنبهُ وعاتبني ظلمًا وفي شفتيه العَتْبُ
وأعرض لمَّا صاد قلبي بكفّهِ فهلَّا جفاني حين كان ليَ القلبُ
اذا ابرم المولى بخدمة عبدهِ تجنَّى له ذنبًا وان لم يكن ذنبُ

قال بعضهم : سمعت ابا عليّ البلخيّ يقول : سمعت بعض بني اسد يقول : اخر ما سمعنا من ابي الطيب حين محاربتنا اياه ينشد :

كن الزمان يغرّني بامانهِ فاذاقني المكروهَ من حدثانهِ
فانا النذير من الزمان لكل من امسى واصبح واثقًا بزمانهِ

انشد ابو جعفر الرايعيّ قال : انشدني ابن الحسين العباسيّ قال : انشدني المتنبي لنفسه بفارس :

دنا ودُنا حتى اذا ما ألفتهُ نأى ونأى حتى كأن لم يكن اصلا
وقد كان شغلا للفؤاد دنوُّهُ فلما نأى زاد الفؤادُ به شغلا

ووقع الفراغ من تحريره رابع عشرين من صفر سنة خمس وخمسين وسبعمائة (١٣٥٤ م) والحمد لله وحده محرره العبد الضعيف النحيف الفريق في لجج المعاصي محمد بن عمر بن اسحاق القيصري احسن الله عاقبتها ولجميع المسلمين اجمعين

وكله مكتوب بخط جميل على ورق نفيس

٤١ ﴿ نسخة ثانية من ديوان المتنبي ﴾ بخط جميل كُتبت سنة ثمانمائة وسبعين هجرية (١٥٦٢ م) متن . وفي كثير من القصائد والابيات يُذكر في اوّلها مقدمة لبيان الداعي لنظمها كما مرّ في ما سبق وفي هذه النسخة زيادةٌ على تلك شرح

كثير من الالفاظ من المتنبي نفسهِ والاستشهاد على ذلك من شعر العرب . فمن ذلك قولهُ :

طلب الإمارة في الثغور ونشوهُ ما بين كَرخايا الى كَلْواذا

قال ابو الطيب : كَلواذا البلد بفتح الكاف والكلواذ بكسر الكاف تابوت التورية . ومنه :

احادٌ ام سداسٌ في أحادِ لُيَيْلَتُنا المنوطةُ بالتنادِ

قال ابو الطيب : يقالُ أحادَ وثُناء وثُلاثَ ورُباعَ وخُماسَ وسُداسَ وسُباعَ الى العشرة في المؤنث والمذكر غير مصروف والفرّاء يصرفها اذا جعلها نكرات وكل ما لا ينصرف من الاسماء ينصرف في الشعر لان الصرف الاصل وهذا الذي يُنسب اليه في العدد فيقال : ثُنائيّ وثُلاثيّ ورُباعيّ وخماسيّ الى عُشاريّ . قال ابو النجم :

فوق الخُماسيّ قليلًا يفضُلُهْ ادرك نيلا والرهانُ عَمَلُهْ

وانشد :

ضربتُ خماسَ ضربةَ عبشميٍّ أراد سُداسَ الّا يستقيما

وقال الكُميت :

فلم يستريثوكَ حتى رميتَ فوق الرجال خِصالًا عُشارى

وانشدني :

احمَّ الله ذلك من لقاء أحادَ أحادَ في شهرِ حلالِ

وقال الهذلي :

يصيد أحدان الرجال وان يجد ثناءُهُمُ يفرحْ بهم ثم يزددِ

وحكى ابن السكيت عن ابي عمرو : أدخلوا مَوْحَد مَوْحَد ومَثْنى مَثنى ومَثْلَث مَثْلَث ومَرْبَع مَرْبَع كذلك الى العشرة . وكذلك : أدخلوا أحادُ أحاد وثُناء ثناء وثُلاثَ ثلاثَ ورُباعَ رُباعَ الى العشرة . قال عليّ : وقال ابو الطيب وكان ابو حاتم تبع ابا عبيدة في قوله في كتاب المذكر والمؤنث «ورُباع رُباع لا نعلمهم» قالوا فوق ذلك . ثم رجع عنه في كتاب الابل ورباع الى العشرة . قال ابو الطيب : لُيَيْلَتُنا تصغير تعظيم كقول ابيد :

وكل اناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَةٌ تصفرّ منها الانامِلُ

الرواية التي اعرفها خُوَيْهِيَة وكذلك انشد المبرّد واليزيدي وثعلب والناس وانشدنيه المتنبي دويهية . وقال الانصاريّ : انا جُذَيلها المحكَّك وعُذَيقها المرجَّب (قال) وتصغير الاسماء على هذا كقول كُلَيب وعُمَير (قال) ومما يُروى عن امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رض انا هُوَيّ وسعي سلاحي والتنادي اراد التنادي بالرحيل اه

وفي آخر هذا الديوان ذكر مقتل المتنبي اوله : قال كنا كتبنا الى ابي نصر محمد ابن المبارك الجبلي نسأله شرح ذلك وهذا الرجل من وجوه الثني بهذه الناحية وله

ادبٌ وحرّية فاجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه : واما ما سألتماني عنه من خبر ابي الطيب . . . » . وساق الخبر في صفحتين . وفي آخر الخبر :

« هذا ما وجدتهُ في النسخة التي نُقلت بخط الخالديين وعلى ظهرها ابن ابي القسم المغربي وهو جميع ديوان ابي الطيب المتنبي وفيها مكتوب بعد الحمدلة ما مثاله : « وكتبهُ محمد المرّات بالموصل في سنة خمس وثلاثمائة (٩١٧م) وهو يستغفر الله عن عمد او خطإ » . ثم قال : « وشعر المتنبي مائة وثمان وثلاثون قصيدة ومائة واثنتان وثلاثون مقطوعة وما زاد على عشرة ابيات قصيدة وما كان عشرة ابيات او دونها مقطوعة » اه

١٥ ﴿ كتاب المعرفة ﴾ تأليف ابي العباس احمد بن ابي احمد الفقيه بخط دقيق وخطّه في غاية الحسن والضبط بالشكل ورقهُ جميل جدًا وهو ٤١ ورقة او ٨٢ صفحة في كل صفحة ١٩ سطرًا وطول الكتابة ١٤ سانتي وعرضها ٧ اوله بعد البسملة :

« الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور » (الى ان قال) : « قال ابو العباس احمد بن ابي احمد الفقيه رحمهُ الله . تتبّعت من علم دلائل القبلة وزوال الشمس ومنازل القمر وطلوع الفجرين ومقادير الفيء واوقات الصلاة مما الفهُ الماضون قبلي جُملًا والطفتُ للغاية بين ما اختلفوا فيه على قدر الزمان واقاليم البلدان بعد السبر والامتحان واختصرت اذلك كتابًا جامعًا لجليل علمه ولطيفه شاملًا على ما فيه بعون الله الكفاية لمن وُفّق للهداية وحملت الحساب على شهور العرب والروم والفرس دون حساب الهند والمغاربة والقبط رجاء التقريب على المتعلّم وتسهيل العناية على الناظر . . .

اما ابواب الكتاب فهي : ١ً تحويل القبلة الى الكعبة . ٢ً الجدْيَ والقُطب ونجوم القبلة ٣ً . جهات البلاد الى بيت الله الحرام . ٤ً هيئة الارض وتدويرها بالكعبة . ٥ً طول الارض وعرضها . ٦ً طول بيت الله الحرام وجزيرة العرب . ٧ً البحار وطولها وعرضها . ٨ً الانهار . ٩ً تقسيم الارض واقاليمها . ١٠ً الجبال . ١١ً البلاد

وفي هذا الباب رسم صورة المسجد الحرام والكعبة وما فيها من الاسطوانات . ثم ذكر المدينة . ثم ذكر البصرة ثم مدينة الحضر والخورنق ثم ذكر بيت المقدس ثم القسطنطينيّة وقصورها وكنائسها ووصفها . ثم البلد الرومية (رومية) ورسم صورة اسوارها . ثم بلد الرقيم واصحاب الكهف . وسدّ ياجوج وماجوج وصنعاء وبلد ارم ذات العماد والاسكندرية ومنارتها وقصر مَشيد والاندلس واصبهان وطبرستان وسمرقند وخرابات البلاد ووصف جميع ذلك . ثم ذكر مدة الدنيا الى يومهِ (الذي

الف فيه الكتاب) ثم ذكر الخلفاء الى الراضي ابي العباس احمد بن المقتدر الذي ولي سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م) وفيها ينتهي التأليف وفي آخر الكتاب ما يأتي: « تمّ الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة على نبيه النبيه محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وعترته والسلام سنة احدى وثمانين وسبعمائة الهجرية الهلالية (١٣٧٩ م) » فيكون تأليف الكتاب منذ ١٠١٩ سنة ونساخته من ٥٥٠ سنة . ومما جاء فيه وصف قسطنطينية نرويه تفكهة دون القطع بصحة الرواية قال :

وصف القسطنطينية

قال وبلد قسطنطينية على ما ذكره هارون بن يحيى اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً وفرسخهم ميل ونصف وعليه باب من ذهب غريباً (١ (كذا) يسمى باب الذهب يأخذ الى الرومية وفيه قصر الملك وعلى القصر سور واحد يحيط بجميع القصر يبلغ ذروة فرسخ وله ثلثمائة باب من حديد . وفيها كنيسة الملك قبتها من ذهب ولها عشرة ابواب اربعة من ذهب وستة من فضة وفي المقصورة التي يقف عليها موضع مصلاه اربعة اذرع في اربعة اذرع مرصع باللؤلؤ والياقوت . ومسنده الذي يسند اليه مرصع ايضاً بالدرّ الفاخر والياقوت الفائق . والموضع الذي يصلي عليه قس الملك ستة اشبار في ستة اشبار عود قماري وجميع حيطان الكنيسة مبنية بآجر معمول من الذهب والفضة وبين يديه اثنا عشر عوداً طول كل عود اربعة اذرع على رأس كل عود صورة تمثال قائم آدمي او مالك او طاوس او نرس . وبالبعد من هذه القبة على مائتي خطوة صهريج قد ارسل فيه قناة تجري منها الماء الى تلك التماثيل فاذا كان يوم عيدهم ملأوا تلك الصهاريج وحياضها فحوض يملأ بالنبيذ وحوض يملأ بالعسل الابيض وقد طيب بالقرنفل والسنبل وحوض يملأ بالماء والصهريج مغطى لا يتبين منه شيء فيخرج الشراب من افواه تلك الصور فيشرب الملك ومن خرج معه الى العيد . فاذا اراد الملك ان يخرج بسطوا له الرياحين في الطريق ويخرج من بين يديه عشرة آلاف شيخ عليهم ديباج احمر مسبلة شعورهم . ثم يجيء خلفهم عشرة آلاف شاب اوّل ما بقلت وجوههم عليهم ديباج اصفر ثم يجيء عشرة آلاف غلام عليهم ديباج اخضر . ثم يجيء عشرة آلاف خدم عليهم ديباج لون السماء وفي ايديهم طبرزينات منقشة بالذهب . ثم يجيء عشرة آلاف خصي اوساط وعليهم ملحم خراساني ابيض بايديهم صلبان الذهب ثم يجيء مائة بطريق عليهم ثياب ديباج ملوّنة بايديهم مجامر الذهب يبخرون بالعود . ثم يجيء مائة غلام عليهم ثياب مشهرة مرصعة باللؤلؤ يحملون تابوتاً من ذهب فيه كسوة الملك اصلاتو . ثم يجيء شيخ بيده طست وابريق من ذهب مرصعان بالدرّ والياقوت . ثم يجيء الملك وعليه ثياب الاكسون وهي ابريسم منسوجة بالجوهر وعلى رأسه تاج وعليه خفّان احد الخفين اسود والآخر احمر . وخلفه الوزير كلما مشى خطوتين يقول له الوزير : اذكر الموت والبلى .

---

١) لم اجد هذه الكلمة في كتب اللغة التي عندي ولتراجع

فيسير كذلك حتى ينتهي الى باب الكنيسة فيقدّم الرجل الطست والابريق فيغسل الملك يده ويقول لوزيره : اني بريءٌ من دماء الناس كلهم لا يسألني الله عن دمائهم وقد جعلتُها في عنقك . ويخلع الثياب التي عليه على وزيره ويأخذ دواة بلاطس وهي دواة الرجل الذي تبرأ من دم المسيح عليه الصلاة والسلام ويجعلها في رقبة الوزير ويقول لهُ : دِن بالحق كما دان بلاطس الحقّ . ويساق خلفهُ ثلاث جنائب عليها سروج محلاة بالدرّ الياقوت وجلالي ديباج مذهب بمثل ذلك لا يُركب عليه فيُدخلها الكنيسة وفيها لجام معلّق يقولون انه متى اخذت الدابّة اللجام نافرتا بلاد الاسلام . فتجيء الدابة فتشمّ اللجام فتنفر وترجع الى وراء ولا تتقدّم الى اللجام ويقال ان هذه الدابة من نسل دابة كانت لاسطلياس (١ . ثم ينصرف الملك الى قصره . وعرى (كذا) الكنيسة على عشر خطا عمود طوله ثلثمائة ذراع وعرضهُ عشرة اذرع في اربعة اذرع فوقها قبر معمول من رخام فيه اسطلياس الملك الذي كان في هذه الكنيسة . وفوق القبر تمثال فرس من صفر وفوق الفرس صنم على صورة اسطلياس وعلى رأسه تاج من ذهب مرصّع بالياقوت والدرّ وذُكر انهُ تاج هذا الملك ويده اليمنى قائمة كأنهُ يدعو الناس الى مدينة قسطنطينية . وعلى الباب الغربيّ اثنا عشر باباً صفارًا كل باب شبر في شبر قد اتخذت تلك الابواب على ساعات الليل وهذه الابواب تنفتح من ذات نفسها وتنغلق من ذات انفسها كلما مرّ ساعة من الليل انغلق باب . وذُكر ان هذه الابواب من عمل بليناس صاحب الطلسمات . وعلى باب القصر ثلاثة تماثيل من صفر على هيئة الفرس عملهُ بليناس طلسمات للدواب لئلا تصهل ولا تشغب بعضها ببعض . وقسطنطينية مشرفة على خليج يخرج من بحر لارنقة وناحية المشرق منها بحر الشام وناحية المغرب مفازة اذا خرجت من باب الذهب يأخذ بنة الطريق الى بلغار وطريق يسير الى الرومية يمرّ في مفازة اثني عشر يوماً الى سلوقية ثم يسير ثلاث مراحل الى مدينة بروقيّة ثم يسير شهرين الى بلد بلاطس ثم يسير خمسين يوماً الى الرومية وصلاة من بالقسطنطينية من المسلمين نحو المزراب وعليه سور ليس بالطويل تسير به امواج بحر الشام وهو سور واحد الّا من ناحية باب الذهب فان عليه سورين اه

وقال عن لسان خالد بن صفوان يصف مدينة البصرة لهشام بن عبد الملك :

وصف البصرة

اصلح الله امير المؤمنين أصف لك بلادنا فتنفيها بلادك هذه فتنظر أيّهما افضل واحسن . قال : هيهات فهو درّك يا ابن الاهتم . قال : نعم يا امير المؤمنين تندو قانصاً فيروح هذا بالشبُّوط والسَّمَّن وهذا بالظبي والظليم ونحن اكثر الناس ساجاً وعاجاً وخزًّا وديباجاً وخزيدة مناجاً ودابةً عملاجاً . بيوتنا ذهب . وغرفنا عجب . ونخلنا خشب . اعلاه الرُّطب . وادناه القصب . واوسطهُ العُطبُ . والنخل في مأركه كالزيتون عندكم في منابته وهذا في زمانه كذاك في ابّانه . وهذا على افنانه كذاك في اغصانه . الراسخات في الوحل الملتفحات بالنحل المطعمات في المحل . يخرجن اسناطاً . اعناباً واوساطاً كانها كُسيت رباطاً . ثم تتفرّع عن قضبان

١) لا نعرف من هو اسطلياس هذا لعلّهُ يريد يستنيانوس باني كنيسة آجيا صوفيا

كاللجين منظومة كاللؤلؤ الابيض ثم تصير زمردًا اخضر ثم تصير ياقوت احمر واصفر ثم تصير عسلًا معلقةً في الهواء لا قرب ولا اناء. فوقها الذباب ودونها الحراب لا يصيبها التراب ولا يقربها الذباب. ثم تصير امرالًا في آكمة الرجال يسمّى بها في المال وينفق على العيال. واما ضرنا العجب يا امير المؤمنين فان الماء يُقبل في ايام حاجتنا ونحن نيام على فرشنا لا تتنافس فيه من قلّة ولا نصير منه على ذلّة فيجري عبقًا فيطو طبقًا فيفيض مندفقًا حتى يُغسّل تتنا ويروّى متنا ويبدو حسنها. واما يوتنا الذهب فان لنا خراجًا في السنين والشهور نأخذه في اوقاته وننفقه في مرضاته ويسلّمنا الله من آفاته. قال: فه درّك يا ابن الاهتم أنّى لكم هذا لم تُغلبوا فيها ولم تُسبقوا اليها. قال: ورثناها من الآباء. ونورثها الابناء. ويسلّمنا الله ربُّ الماء وانا مثلُنا كما قال اوس في شعره:

اذا ما بحرُ خندفَ جاش يومًا تَغطمطُ موجهُ المتعرّضينا
فهما كان من خير فانّا ورثناه اوائل اوّلينا
وانّا مورثون كما ورثنا عن الآباء ان متنا بنينا

١٦ ﴿ تاريخ خط ﴾ جميل قديم قطع كامل نحو مائة وثمانين ورقة مخزوم من اوله ومؤلفهُ مجهول وقد قابلت هذا الكتاب على عدة كتب تاريخيّة فلم اجد انه واحد منها وظاهر منه انه بخط مؤلفهُ بدليل الضرب على بعض اسطر منه وكتابة بدلها بالخط نفسه وإلصاق بعض اوراق على ما كان كُتب والكتابة عليها غير ما كان وترك بعض من الصفحات او فسحة من الصفيحة بياضًا ممّا يؤكد ان الكتاب هو مسودّة المؤلف نفسه. كانت هذه النسخة للملك الظاهر بيبرس بن ايبك فانه كتب عليها بخطه ما يأتي: « طالع فيه العبد الفقير بيبرس بن ايبك الصالحي ». وقبل هذه الكتابة وبعدها الفاظ تعسر قراءتها بسبب قدمها واصابة الورقة شيء من العفن

امّا لغة الكتاب فحسنة متينة واسلوب التعبير فيه رشيق وهو يبتدئ من قبل سنة ٦٢٨ هجرية وينتهي الى سنة ٦٩٨ (١٢٣١—١٢٩٩ م) ومما جاء فيه:

خلافة المستعصم بالله

هو ابو احمد عبدالله الخليفة المستنصر بالله لمّا توفي والده المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة استدعاه شرف الدين اقبال الشرابي من مسكنهِ بالتاج سرًّا من باب يفضي الى غرفة في ظهر داره فحضر ومعهُ خادمهُ مرشد الهندي فسلّم عليهِ الشرابي بالخلافة واجلسهُ على سدة الخلافة بعد ان شاهد والده مُسجّى وكتم موته فلم يعلم بهِ الّا بعض الخدم. فلما

حضر استاذ الدار مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقميّ مؤذنًا بالاذان قبل صلاة الجمعة جريًا على العادة اسرّ اليه ذلك واستُكتم ثم عُرّف الوزير نصير الدين بن الناقد ايضًا وكُتم الامر الى ليلة السبت حادي عشر الشهر ثم استدعى الوزير فدخل من باب الدار الامير علاء الدين الطبريّ الظاهري الدويدار (١) مقابل دار الوزارة فحضر في محفّة لعجزه عن المشي وأُحضر استاذ الدار ايضًا فمثلا بين يديه وكُتب عدّة القاب فوقع تعيين الوزير باذن الخليفة على المستعصم بالله ثم أُحضر عمّه ابو الفتوح حبيب فبايعهُ واحضر بعده عشرة من اولاد الخلفاء فبايعوه ثم بايعه الوزير واستاذ الدار ثم بايعه اعمامه وهم ابو المظفر الحسن ويعرف بالتركيّ وابو القاسم عليّ ويعرف بالسيتيّ وابو الفضل سليمان ويعرف بالحاج وابو هاشم يوسف وولدا عمّ ابيه وهما المؤيد عبدالله الحسين والموفق ابو عليّ يحيى ولدا ابي الحسن عليّ ابن الخليفة الناصر لدين الله . ثم تقدم بتعيين الامراء لحراسة البلد وتقدم الى جميع الامراء من الشاميّين والغرباء ان لا يركب احد منهم ولا يخرج من داره . فاصبح الناس يوم السبت فشاهدوا ابواب دار الخلافة مغلقة وهي باب النوبي والعامّة والمراتب وقد أُمر عبد اللطيف بن عبد الوهاب الواعظ ان يُشعر الناس بوفاة الخليفة المستنصر بالله وجلوس ولده المستعصم بالله بما صورته : « ايها الناس ان امامكم المستنصر بالله قد درج الى رحمة الله تعالى وقد بويع ولده سيدنا ومولانا الامام المستعصم بالله ابو احمد عبدالله امير المؤمنين أيّد الله تعالى به الدين وجعل ايالته مباركة على جميع المسلمين » . ثم استُدعي الى دار الوزارة المدرسون ومشايخ الرُّبط والولاة والزعماء واعيان الناس وفُتح باب العامّة فدخل منه من استُدعي للدخول ومضوا الى بستان التاج وعليهم ثياب العزاء فبايعوهُ على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم وكان جلوسه في شُبّاك القبة وعليه البردة والطرحة والقضيب بيده وقد نُصب تحت الشباك كرسيّ ذو درج يرقى الناس عليه للمبايعة . وكان الوزير جالسًا على ارفع درجة لعجزه عن القيام واستاذ الدار قائم دونه بمرقاة يأخذ البيعة على الناس ويلقّنهم لفظ المبايعة (٢) . ثم أُسبلت الستارة وانفصل الناس وكانت الحال ساكنة والناس على اشغالهم ثم جلس في اليوم الثاني فدخل الامراء كافّة والمماليك وبايعوه . وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامّة حضرها من تخلّف من الامراء والغرباء وضروب الناس كالتجار الغرباء وغيرهم ثم أُوقفوا صفوفًا بين يدي الشباك وبين ايديهم العارضان تاج الدين الحسن بن المختار

---

١) كثيرًا ما ترد هذه الكلمة في التواريخ العربية وهي تركية مركبة من دويت وهي الدواة ودار وهي فارسية بمعنى صاحب اي صاحب الدواة والمراد كاتب الملك . ومثلها بيرقدار اي صاحب البيرق

٢) قال بن الساعي : حضرتُ مبايعة الخليفة الظاهر (وهو الظاهر بامر الله ابو نصر محمد بن الناصر لدين الله بويع سنة ٦٢٢ للهجرة) فكان جالسًا في شبّاك القبة بثياب بيض وعليه الطرحة وعلى كتفه بردة النبيّ صلعم والوزير قائم بين يديه على منبر واستاذ الدار دونه بمرقاة وهو يأخذ البيعة على الناس ولفظ المبايعة : « أبايع سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابا نصر محمد الظاهر بامر الله على كتاب الله وسنّة نبيّه واجتهاد امير المؤمنين وان لا خليفة سواه اه »

العلويّ وفخر الدين احمد بن الدامغاني ومقدّما البدريّة داود وحسين ووقف ارباب الدولة من يمين المنبر ويساره. فلما رُفعت الستارة قبّل الجميع الارض. وفي هذا المجلس أُحضر اقضى القضاة كمال الدين ابو الفضل عبد الرحمان بن الدمغاني ونقيب النقباء بهاء الدين ابو طالب الحسين بن المهتدي بالله ومدرّس النظامية الدل نجم الدين ابو محمد عبدالله الباداري واقرّ الجميع على اشغالهم شافهم بذلك ثم اشهدهم على نفسه انهُ قد وكل وزيره نصير الدين ابا الازهر احمد بن الناقد ثم أُحضر المحتسب جمال الدين ابا الفرج عبد الرحمان بن الجوزي وأمر ان يقرأ بارفع صوته قوله تعالى: « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يدُ الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرًا عظيماً »

ومنه ما روى في تاريخ سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م) عن خرافة امّ عنقود قال:

حدث بأكثر اهل بغداد امراض في حلوقهم وخوانيق ومات بذلك خلق كثير وذكرت امرأة انها رأت في المنام امرأة من الجنّ تكنّى امّ عنقود قالت لها: « ان ابني مات في هذه البئر (واشارت الى بئر داخل باب سوق السلطان) ولم يعزّني فيه احد فلهذا اختنقكم». فشاع ذلك في الناس فقصد البئر المذكور جماعة من العوامّ والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمة واقاموا هناك العزاء وكان النساء ينحن ويقلن:

أيّ امّ عنقود اعذرينا مات عنقودٌ وما درينا
لمّا درينا كنّا قد جينا لا تحردين منا فتختنينا

وما يناسب ذلك من الهذيان واكثرن من هذا وامثاله والقى الناس فيها الثياب والحليّ والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وانواع الحلواء واشعلوا عندها الشموع فلما اكثروا من ذلك عابه العقلاء والاكابر وانكروه. فامر الخليفة بمنع الناس من ذلك فحضر الشحنة الى هناك وقال: ان الديوان قد اقام امّ عنقود من العزاء وامر بسدّ البئر. فتفرّق الناس عنها

وفي آخر الكتاب نبذة قال المؤلف انه نقلها من كتاب مناقب بغداذ الذي الفهُ الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن الجوزي وهي ١٤ ورقة يذكر فيها تاريخ بناء بغداد وسبب تسميتها بهذا الاسم واسواقها وجوامعها وحماماتها وجسورها وقصورها وتجارتها وعدد سكانها وعدد اصحاب الحرف فيها على عهد المنصور والرشيد والمأمون وغير ذلك

ومما ذكرهُ ان « عدد الحمّامات فيها كان ستين الفاً واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر حمّامي وقيّم وزبّال وسقّاء ووقّاد يكون ذلك ثلاثمائة الف. وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد واقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الفَ الفٍ وخمسمائة الف وانها عُدّت في ايام المقتدر فكانت سبعة وعشرين الف حمّام

وفي ايام عليّ بن بويه بضعة عشر الفاً وفي زمن عضد الدولة خمسة الاف وفي سنة ٤٢٠ للهجرة ثمانية وسبعين » اه

١٧ ﴿ كتاب الفلاحة الرومية ﴾ وضعُ الحكيم قسطوس بن اسكوراسكينه (كذا) ترجمهُ سرجيس بن هلبا الرومي من اللسان الروميّ الى العربي تاريخ نساخته سنة ٦٩٤ ﻫ (١٢٩٥ م) وهو ١٧٩ ورقة قطع نصف بخط جميل متقن مضبوط بالشكل الكامل يحتوي على ١٢ جزءاً وكل جزء مقسم الى ابواب يذكر فيه ما يتعلق بزراعة الحبوب والاشجار وتلقيحها وتربية الحيوانات واستنباط الماء وكيفية عمل الخمر بانواعه ومنه الخمر الابيض وعمل الخمر لساعته وكيفية عصر الزيت وصيد الحيوانات الضارية ومنها السباع وصيد الطيور الكاسرة ومعالجة الخمر والزيت اذا اعتراهما فساد وكيف يعمل للخمر حتى القليل منه يكفي الجماعة من غير بشع يجدونه في طعمه وكيفية شحذ الادوات القاطعة وسقيها وكيفية عمل المداد وغير ذلك

(المشرق) هذا الكتاب قد طُبع سنة ١٢٩٣ ﻫ (١٨٧٧ م) وهو يدعى قبل الفهرس بكتاب الزراعة وفي عنوان الكتاب « كتاب الفلاحة اليونانيّة تأليف الفيلسوف الماهر قسطا بن لوقا الروميّ ترجمة سرجيس بن هلبا الروميّ » وفي اوّل المقدّمة : « هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة ». ويدعى قسطوس (ص ١٩) ابن اشكوزا شنكيه (Cfr Wenrich: *De auctorum graecorum versionibus*, p. 291)

١٨ ﴿ مجموع كبير ﴾ قطع نصف بخط حسن يبلغ ١٥٠ ورقة تاريخ نساخته سنة ١١١٧ (١٧٠٥ م) يحتوي على مقاطيع وقصص ونكات شتى وتاريخ وغير ذلك من مواعظ وحكم وامثال ونوادر ومما جاء فيه قصيدة للشاب الفاضل الشيخ احمد البقاعي (من البقاع) يمدح بها المولى الهمام العلّامة محمد افندي العمادي اولها :

صبٌّ تذكّر عهد لُبنى فصبى واجرى الدمع مزنا

ومن مديحه فيها :

نجل العماد ومن غدا تاديبه للقصّاد منتى
من آل من سادوا الورى جدًّا وآباء وأبنا

وفيه عدة قصائد وابيات وفصول لبعض شعراء ذلك العصر فمنهُ تاريخ للعلّامة محمد امين بن فضل الله المحبي لقصر بناه الشيخ مراد محمد اغا يحيى جاويش :

قصر بناه الفاضل الندبُ لا زالت الايام اميادَهْ

هذا البناء مباركٌ أرّخ قصرٌ مرادُ الله قد شادَهْ

ومن ذلك نظم لرياض افندي قاضي دمشق كان في تاريخ سنة ١٠٣٥ (١٦٢٥م) وكان اطرش واعرج منهُ بيت في التركية تعريبه:

ان عيّروني بأني اعرجٌ وبلا رجلٍ ففي كل فنٍّ لي يدٌ طولى

ولهُ غير ذلك مما لم نذكره حباً بالاختصار (لهُ بقيّة)

رسول الاتحاد بين الكنيستين

لحضرة الاب ا. دوغو اليسوعي

انَّ كنيسة المسيح واحدة فقط وتلك الاولى من سماتها التي يعترف بها كلّ من يتلو دستور الايمان فيقول « اعترف بكنيسة واحدة » الّا انَّ الاهواء البشريّة شوّهت نوعاً تلك الوحدة بانفصال قسم كبير من الشرق عن مركز الرئاسة فجرى الاصطلاح على المقابلة بين الكنيسة الامّ التي زمامها في يدي الحبر الروماني خليفة بطرس الهامة والكنائس المنفصلة المدعوّة بالكنيسة الشرقيّة وعلى الاخصّ بالكنيسة اليونانيّة. فنحن مراعاةً لهذا الاصلاح الوضعيّ نتكلّم في هذه المقالة عن الكنيستين اي الرومانيّة واليونانيّة

وغنيّ عن القول انَّ اتحاد هاتين الكنيستين كان الشغل الشاغل لكلّ من يهمّهُ خير الوحدة ويأبى شرور الانقسام ويودّ تتمّة قول السيّد المسيح في صلاتهِ قبل آلامهِ (١٧ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٣): «ايها الآب القدّوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد ... ولستُ اسأل من اجل هؤلاء فقط بل من اجل الذين يؤمنون بي عن كلامهم ليكونوا باجمعهم واحداً كما نحن واحد انا فيهم وانتَ فيَّ ليكونوا مكمّلين في الوحدة»

فمن يا تُرى من النصارى المحبّين للمسيح المفضّلين على الاغراض الشخصيّة مجد الهم يستطيع ان يصمّ آذانهُ عن هذه الدعوة ولا يُبهج قلب ربّهِ فيحظيهِ باقصى اشواقهِ ان يرى الوحدة بين المتنين الى شخصهِ الكريم

والحقّ يقال انّهُ وجد في كلّ عصر بين الشرقيين والغربيين رجال افاضل ترفّعوا عن اوهامهم وأماطوا عن عيونهم قناع الدعاوي الباطلة فسموا بجمع القلوب ولم يخافوا الخوض في غمر البحث بنزاهة واخلاص لازالة سوء المفهومية واثبات الحقائق المختلف في اعتقادها

لكنّ بين اولئك الاماثل الذين استحقّوا شكر النفوس التقيّة والعقول النيّرة المستقيمة لا نظنّ انّهُ وجد في الشرق رجلٌ اعظم واوسع فضلاً واسمى عقلاً واصدق قولاً وفعلاً من مطروبوليت مدينة نيقية وكردينال الكنيسة الرومانيّة بسّاريون الشرقيّ اليونانيّ الذي ضاء في سماء عصره كنجم متلألئ ألفتَ اليه انظار كلّ مشاهير زمانه فكان في وسطهم كنقطة دائرتهم وقطب افكارهم

والحقّ يقال انّ بسّاريون جمع في شخصه من المفاخر ما يكفي لتخليد كثيرين من الرجال فانّهُ كان كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً واسقفاً همّاماً وسياسيّاً محنّكاً واماماً في النهضة الادبيّة التي جرت على عهده في اوربّة وكلّ هذه الصفات لمّا يُقتضى لتفصيلها كتب واسعة كما فعل ارباب التاريخ الذين درسوا حياة هذا الرجل العظيم فكتبوا عنهُ الفصول المستفيضة بل ترجموا حياتهُ بمصنّفات مستقلّة لا يطالعها الباحث الّا يقرّ بتقدّم المترجم على اهل عصره . ولذلك ترى كلّ المولعين بتاريخ القرن الخامس عشر يتهافتون على اخبار بسّاريون فيذكرون اعماله ويطرئون مآثره وينقلون ادقّ اقواله ويبيّنون ما كان لهُ من الفضل على رجال عصره ومن التأثير في خدمة الدين ويعظّمون شهامتهُ بين العقبات العديدة التي عارضتهُ في مسيره

وعليه لم نقصد في هذه المقالة ان نستوفي وصف اعمال بسّاريون وانّما عوّلنا على ذكر مآثره في اثناء المخابرات التي دارت بين الكنيستين في عهد يوحنّا الثاني واخيه قسطنطين الثاني عشر آخري سلاطين الروم فاستحقّ ان يُدعى برسول الاتحاد بين الكنيستين

*

قال اوغست كونت الفيلسوف الوضعيّ : « ندعو حياة شريفة عظيمة اذا عقد صاحبها في شبابه النيّة على فكر سامٍ . ثمّ خصّ كهولتهُ بتحقيق ذلك الفكر »

لعمري انّ هذا القول هو خلاصة حياة بسّاريون الكهنوتيّة والاسقفيّة مدّة

الست السنوات التي دامت فيها المقاولات والاجتماعات بين رومية والقسطنطينيّة لتوطيد عرى الاتّحاد وذلك من السنة ١٤٣٣ الى آخر جلسات المجمع الفلورنتيني في ٦ تموز سنة ١٤٣٩ فانّهُ كان كنفس تلك المجتمعات واعظم ساعٍ في نجاحنا

*

كان مولد بسّاريون على الرأي الاصحّ في اوائل سنة ١٤٠٣ في مدينة طرابزون حاضرة الارمن من ابوين رقيقي الحال كانا يرتزقان بشغلهما فنصّرا ابنهما ودعواه يوحنّا واذ رأيا نجابة ولدهما جعلاهُ في خدمة اسقف البلد فتعلّم عندهُ مبادئ العلوم ثم أُرسل الى احدى مدن اليونان ليواصل فيها دروسهُ ولعلّهُ كان ناوياً ان يخدم الكنيسة بصفة كاهن عالميّ ولكنّهُ وجد في العيشة الرهبانيّة ما يقرّب اليهِ عبادة الله والتعمّق في العلوم فلبس الاسكيم الرهبانيّ ودعي بسّاريون ثمّ انقطع الى درس العلوم فنبغ فيها ثمّ قدم القسطنطينيّة ودرس على اساتذتها فاشتهر بالبلاغة ولمّا توفي سنة ١٤٢٥ ملك الروم مانويل باليولوغ انتدبهُ ارباب الدولة الى تأبين الملك وكفى بذلك دليلًا على ما كان اصاب لدى الخاصّ والعام من السمعة الطيّبة

ولمّا خلف يوحنّا الثاني اباهُ مانويل في الملك قرّب بسّاريون ووكل اليهِ بعض المهامّ فوجدهُ حكيماً نزيهاً متفانياً في خدمتهِ فجعلهُ رئيساً على احد الاديرة الكبيرة. وكان بسّاريون مع ترقّيهِ في المناصب ملازماً للسذاجة الرهبانيّة معتصماً بحبل التواضع الانجيليّ فكان المجد يتبعهُ وهو لا يطلب المجد وقد اقرّ بذلك كتبة الروم حتى الذين لم يوافقوهُ في آرائهِ كالمؤرخ سيروبولوس والكاتبين فرانتزس وبوبوف فانّهم كلّهم لسان واحد في وصفهِ كرجلٍ متجرّد عن حبّ الرئاسة والطمع في الشرف

وعاش بسّاريون مدّةً في جزر اليونان حيث كان الشعب ممتزجاً من عنصرين مختلفين العنصر اليونانيّ الوطنيّ والعنصر اللاتيني من بقايا ممالك الفرنج الصليبيين الذين استولوا مدّة على تلك الجهات فحصل من امتزاج العنصرين بعض التقرّب في العادات والتحبّب بين الشرق والغرب فزال التنافر . وكان الرئيس بسّاريون يتردّد على الجميع فكسب ثقتهم واعتنى بشؤونهم الروحيّة وتربية صغارهم . ومما يُعرب عن همّتهِ انّهُ درس في ذاك الوقت اللغة اللاتينيّة ثمّ اتقنها بعد ذلك في فلورنسة وصار يتكلّم بسهولة فساعدهُ الامر على مطالعة كتب الآباء اللاتينيين

وفي تلك الاثناء ايضاً صاحب بسّاريون قوماً من أدباء اليونان واخذ عنهم بعض العلوم كالرياضيّات والهيئة وراجع كتب قدماء اليونان كافلاطون وارسطو واحكم فلسفتهما وصنّف عدّة تآليف استحسنها علماء زمانهِ

فزادت شهرة بسّاريون في عاصمة المملكة ورأى الملك يوحنّا ان يتّخذهُ كسفيره الى ملك طرابزون وطنهِ ليعقد معاهدة بين الدولتين لردّ غارات الترك. فقام بسّاريون بهذهِ المهمّة وفاز بمرغوبهِ وعُقدت المحالفة المقصودة واستحقّ شكر الملكَين فاراد يوحنّا ان يثيبهُ على تلك الخدم المشكورة فعيّنهُ لكرسيّ نيقية المطربوليتيّ فتولّى تدبيرهُ وليس لهُ من العمر اكثر من ٣٢ سنة

لكنّ تلك الامتيازات لم تكن لتشغل فكر بسّاريون عن خدمة النفوس بل اوقدت قلبهُ غيرةً ازدادت على مقتضى المقام الرفيع الذي دُعي اليهِ

وكان الله قد اعدّ بسّاريون لمهمّة اعظم وصنيعة اعمّ نفعاً اراد ان يجزل خيرها على وطنهِ نعني بذلك توحيد كلمة نصارى الشرق والغرب لمناهضة الاتراك الذين كانوا يطمحون ببصرهم الى القسطنطينيّة لا يهدأ لهم خاطر حتى يطأوها بارجلهم ويجعلوا فيها مقرّ مملكتهم

لكنّ ملوك الروم قد عرفوا ما يتهدّد عاصمتهم فكانوا لا يألون جهدًا في استدراك هذا الخطر وتعزيز قواهم في وجه العدوّ . ولكن انّى يقوون على ذلك والاتراك يتقدّمون كلّ يوم الى الامام فصاروا يضايقون القسطنطينيّة برًّا وبحرًا وهم لا ينتظرون الّا فرصةً مناسبة لضرب المدينة. فكان قياصرة الروم حينما يوجّهون الابصار لا يرون خلاصاً الّا بعقد عهدة مع الغربيين الّا انّ الغربيين لا يحرّكون ساكناً ما لم يندبهم الحبر الرومانيّ الى معاضدة اخوانهم الشرقيين. وهذا ما لا يُرجى عملهُ ما دام الشرقيّون مصرّين على خلافهم للكنيسة الرومانيّة شاقّين لها عصا الطاعة

فلذلك هذه العقدة لم يجد ملوك الروم سوى واسطة واحدة ان يعرضوا على الحبر الاعظم عقد مجمع مسكونيّ يتفاوض فيهِ اللاتينيّون والروم في معتقداتهم حتى اذا اتّفقوا في التعليم وتوحّد الايمان حصلت ايضاً وحدة القلوب فينهض الحبر الاعظم همم ملوك الغرب ليمدّوا الى اخوتهم الشرقيين يد المعونة بحشد الجيوش والدفاع عن الصليب

على انَّ كثيرين من اولئك الملوك كانوا يرون في هذا الاتفاق صعوبةً لعلمهم بانَّ فئة من رعاياهم بعد انفصال فوطيوس عن كنيسة رومية ولا سيما خلفه ميخائيل كيرولاريوس لم يرضوا بتقديم الطاعة لرئيس الكنيسة ونائب السيّد المسيح على الارض. وكان نفورهم هذا قد زاد تفاقماً منذ اقتحم ملوك اللاتين على القسطنطينيَّة فملكوها نحو ستين سنة (١٢٠٤ — ١٢٦١) فلم تعد قلوب الروم تصفو لهم. وكان الاحبار الرومانيُّون لم يزالوا ينفذون الوسع في ازالة ذات البين فعقدوا لتلك الغاية عدّة مجامع لاسيما مجمع ليون سنة ١٢٧٤ فحضر نوّاب الروم ذاك المجمع وصادقوا على دستور الايمان لكنَّهم كانوا يرون في تأخير ملوك الفرنج عن إمدادهم سبباً كافياً لنكث مواعيدهم كما انَّ الفرنج ما كانوا ليثقوا برجوع الروم الى الكنيسة الرومانيَّة. ولنا في مانويل والد يوحنَّا الثاني ما يشهد على عدم استقامته فانَّهُ في الوصيَّة التي اوصى بها ابنهُ قبل وفاته ما تعريبهُ: « اي بنيَّ لم يبق لنا وسيلة لننجو بها من معرَّة بني عثمان ولجاجهم الَّا ان نتهدَّدهم بانضمامنا الى ملوك الفرنج فاذا رأيتهم يستعدُّون الى حصار القسطنطينيَّة اعرض على الفرنج عقد مجمع وأرسل وفداً لذلك ولكن أسعَ في تأجيل المفاوضات قدر امكانك واجتهد طاقتك في معارضة ذاك المجمع لأنَّ إباء اللاتين وعناد الروم على طرفي نقيض لا يمكن الموافقة بينهما »

فيؤخذ من هذا انَّ الروم لم يجروا في عملهم بنيَّة صادقة وانَّما كانوا يريدون ترهيب الاتراك وترغيب الفرنج في مساعدتهم مجَّاناً على غير شروط

لكن نفس بسَّاريون الشريفة واستقامة نيَّته لم ترضيا بهذا الدهاء والتدليس. ومن ثمَّ لمَّا اراد يوحنَّا باليولوغ ان يستأنف المخابرات مع الفرنج في امر الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة نبذ كلَّ مواربة وعزم على السير بصدق وحزم وثبات. وكان يرى انَّ بلادهُ صارت على شفا هارٍ وانَّها لا مناصَ لها الَّا بجمع كلمة نصارى الشرق والغرب

ومن ثمَّ اخذ يخطب ويكتب ويبيِّن لمواطنيهِ انَّ الخلاص بضمّ القوى مع الغربيين وانَّ احسن وسيلة لذلك الاتفاق الدينيّ وانَّ ما يستعظمهُ البعض من الاختلافات بين اللاتين والروم انَّما هو من قبيل التهاويل والاشباح المخيفة التي تبطل وتتبدَّد بالاجتماع لا سيما اذا كان الفريقان يجريان على خطة النزاهة وصدق العمل

وكان الحبر الاعظم الجالس وقتئذٍ على السدّة البطرسية اوجانيوس الرابع من اكبر رجال عصره فضلاً واوسعهم علماً اوقف نفسهُ منذ ضبط ازمّة التدبير لفكّ اغلال الكنيسة التي كان يناقضها في ذاك الوقت آباء مجمع بال (Bâle) الساعين بتغليب آرائهم الباطلة ليجعلوا البابويّة تحت حكم الشورى فاقدةً لاستقلالها الذي منحها اياهُ السيّد المسيح . فلم يشإ اوجانيوس ان يرضخ لاحكامهم فامر بالغاء المجمع لكنَّ اعضاءهُ ابوا الخضوع لامرهِ واستبدُّوا بمواصلة مجمعهم رغماً عن الحبر الاعظم الذي ضربهم بالحرم فاخذوا يوفدون الوفود الى الروم كي يكسبوهم الى حزبهم ويصرفوا نظرهم عن البابا الشرعي اوجانيوس الرابع

وكان الحبر الاعظم يلقى في الوقت عينهِ عثرةً في سبيله في مدينة رومية التي كان استولى عليها زعيمان فوضويّان كانا يتنازعان فيها السلطة المدنيّة فجعلا رومية كساحة قتال لا يمكن السكنى فيها فخرج البابا من عاصمتهِ متوجّهاً الى فارونسة

فتفضل بسّاريون عدلَ الروم عن مجمع بال العنيد وطلبوا من البابا ان يعيّن بلداً لعقد مجمع آخر قانونيّ يحضرهُ آباء الكنيستين . وكان بسّاريون منذ تعيينهِ لكرسيّ نيقية لا يفارق الملك فيعضدهُ بمشورتهِ ويحسّن في عينهِ منافع الاتحاد لينقذ وطنهُ من الاخطار المحدقة بهِ . وتحقيق تلك الامانيّ كان بسّاريون في وقت الفراغ يدرس القضايا التي تفصل الكنيستين فيراجع تآليف آباء الكنيسة اليونانيّة ويقابلها مع تعاليم اللاتين فيتأكد انَّ اللاتين محقّون لا يخالفون معتقد الكنيسة القديمة . ولا باس من كونهم في طقوسهم وآدابهم الكنسيّة لا يوافقون الروم فانَّ هذه العادات عرضيّة لا تمسّ جوهر الايمان

وعليهِ طفح قلب بسّاريون سروراً لمّا رأى انَّ الملك يوحنّا رضي بدعوة البابا اوجانيوس الذي عيّن مدينة فرّارة من اعمال ايطالية لعقد المجمع فجهّزت اربع سفن فاخرة عُقد لواءها لاحد ذوي قربى البابا الادنين فركبها القيصر يوحنا والبطريرك يوسف القسطنطينيّ ونوّاب بطاركة الشرق والسيّد ايسيدورس مطران كياف وجاثليق جميع كنائس روسيّة مع قوم من اعيان الروم واكابرهم يبلغ عددهم سبعمائة نفس وكان الحبر الاعظم تقبّل مصاريف سفرهم منذ خروجهم من القسطنطينيّة الى حين عودتهم اليها على نفقتهِ الخاصّة

كان خروج الروم من ثغر القسطنطينيَّة في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٤٣٧ فبلغوا البندقيَّة في ٨ شباط سنة ١٤٣٨ بعد سفر عاينوا فيهِ اهوال البحر وايقنوا بالهلاك. فاستقبلهم البنادقة بما لا مزيد عليهِ من الأجلال والأبهة وكان سفرهم من البندقيَّة الى فرارة اشبه بموكب المنتصرين. وكان احتفاء الحبر الاعظم بالوافدين افخم واجلّ. وقد فصَّل كلَّ ذلك حضرة الاب المرحوم دي كوبيه في كتابهِ كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم الذي عرَّبهُ جناب خليل افندي البدوي. وفي ٩ من شهر نيسان عُقدت اوَّل جلسةٍ عموميَّة حضرها الروم واللاتين واتَّفقوا فيها على المواضيع التي تدور عليها الابحاث. ولئلَّا يتَّسع مجال المفاوضات دون جدوى اتَّخذ الفريقان لجنات خاصَّة تتباحث في الامور ثم يعرض خلاصةَ ابحاثهم على آباء المجمع افرادٌ من الروم واللاتين فكان اوَّل من وقع الاختيار عليهِ بين الروم بسَّاريون

وقضى آباء المجمع بعد هذه الجلسة الاولى عدَّة اشهر ليعدُّوا موادَّ الجدال في الاجتماعات الخصوصيَّة وينتظروا الذين تأخر حضورهم من بعض جهات الشرق فعُقدت الجلسة الثانية في ٨ تشرين الاوَّل وكانت من افخم الاجتماعات حضرها الشرقيُّون بكل رونق حللهم وبزَّتهم واوسمتهم وكان القيصر في مقدَّمتهم على عرش جليل اهل بقامهِ فافتُتحت الجلسة بخطاب نفيس ألقاهُ باليونانيَّة بسَّاريون اعرب فيهِ عن قلب غيور مفعم بالحبّ لكنيسة المسيح واطرأ رغبة الجميع بقطع دابر الشقاق الذي يفصل الكنيستين ويمزّق رداء المسيح المنسوج غير المخيط وهو الذي لم يبتغِ لكنيستهِ شيئاً اكثر من الوحدة فيكون رأسها واحداً ورعيَّتها واحدة. وافاض في الكلام فذهب فيهِ كلَّ مذهب حتى اضرم قلوب الحضور رغبةً في الوئام. ثمَّ اخذوا يخوضون في ميدان الجدال على مقتضى ما شاءهُ الشرقيُّون. فعُرضت القضايا الخمس التي لا يوافق فيها الروم الكنيسة اللاتينيَّة اعني انبثاق الروح القدس من الآب والابن ثم مسألة الفطير في التقديس ثمَّ المطهر ثمَّ حظوى القديسين بمشاهدة الله عياناً قبل الدينونة العامَّة واخيراً قضيَّة الرئاسة البطرسيَّة على الكنيسة

ثمَّ توالت الجلسات حتى بلغ عددها الاربع عشرة. فكان الآباء اليونان يعرضون قضاياهم ويؤيِّدونها باقاويل معلَّميهم او يسعون باثباتها من الكتب المقدَّسة لكنَّ اللاتين كانوا لا يدعون مشكلاً الَّا يحلُّونهُ ولا عقبةً الَّا يذلِّلونها كما

يُرى من تفاصيل تلك الجلسات المحرّرة في اعمال المجمع الذي يُنسَب اصلهُ اليوناني الى بسّاريون وهو الذي عُرّب ومن تعريبهِ عدّة نسخ في بلاد الشام منها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقية يمكن الوقوف عليها

وامتاز في هذا المجمع بين اليونان رجلان اصبحا بعد زمان قليل كزعيمي حزبين متناقضين نريد بهما بسّاريون ومرقس الافسيّ فانَّ بسّاريون بصدق لهجتهِ وتواضعهِ واستقامتهِ في الجدال وكثرة مطالعتهِ لاعمال الآباء كان اذا رأى الحقّ لا يكابرهُ بل يجاهر بالاذعان لهُ لئلّا يقاوم الروح القدس. وكان مرقس الافسيّ على خلاف ذلك جمع حولهُ كلّ من يعادي اللاتين ويأبى الانقياد اليهم فكان كلّ يوم يسعى بعرقلة الجدال ويعود الى المشاكل التي حُلَّت عُقَدها ولا يرضى بما يأتيهِ الآباء اللاتين من الادلّة القاطعة

فكان بسبب مرقس الافسي يطول الجدال دون الفائدة المرغوبة . وكانت نيَّتهُ في ذلك وغاية حزبهِ معهُ ان يملّ الجميع من هذه المجادلات فتُهمل المسألة الدينيَّة ويُعدَل عنها الى المسألة السياسيَّة

غير ان بسّاريون ادرك مقصود مرقس ولذلك كان اذا رآهُ حاد عن خطّة الجدال ردَّهُ اليها واذا عاد الى ما فنَّدهُ اللاتين ذكَّرهُ بأن لا طائل تحت التكرار . وكان اذا شعر بتداخل السياسة البشريَّة في المفاوضات نبذها لئلّا ينصرف نظر الآباء الى الشؤون الزمنيَّة

وفي تلك الاثناء فشا الطاعون في فرّارة وذهب بحياة بعض المجتمعين فافرغ اصحاب مرقس الافسي كنانة الجهد ليفرطوا سلك المجمع لكنَّ بسّاريون رأى في ارفضاضهِ بطلان كلّ المساعي السابقة وشدَّد على مواصلة اعمالهِ فعرض وقتئذٍ البابا اوجانيوس نقل المجمع الى مدينة فارونسة فرضي القيصر وانتقلوا اليها وفيها عُقدت الجلسة الخامسة عشرة في ٢ آذار سنة ١٤٣٨ وتبعتها خمس جلسات أُخر اتَّضح فيها الحقّ تامّاً لا سيما بخصوص قضيَّة انبثاق الروح القدس بعد ان راجعوا النظر في مخطوطات الآباء القديمة واثبتوا نصوص القديسين باسيليوس ومكسيموس فجنح كثير من الشرقيين الى الاتحاد وظهر خُبث مرقس الافسي في عدّة تحريفات كان لا يأنف من التوسّل بها لغايتهِ النميمة لكن بسّاريون كان بعينهِ اليقظى يرذل

تلاعبهُ ويثبت صحّة النصوص القديمة بحيث لم يبقَ وجهٌ لمكابرة الحقيقة. وصادق على اقواله ايسيدورس جاثليق روسيّة وكثيرون من ائمّة الروم فنفروا من اعمال مرقس. ورأى القيصر نفسهُ في خطّة الاقسي بحثاً في شرف الروم

فعند وقتئذٍ البطريرك يوسف مع الاساقفة الشرقيين مؤتمراً حضرهُ الملك واعلنوا برضاهم عن احتجاج الغربيين وكتبوا صورة ايمانهم منقولة عن اقاويل الآباء الشرقيين التي وافقهم عليها الغربيّون

ثمَّ عادوا الى عقد جلسات اخرى الّا انَّ مرقس واتباعهُ اذ رأوا انَّ القسم الاكبر من الشرقيين جعلوا يمالئون الغربيين صمّموا العزم وهم افراد قليلون على مناقضتهم فقام مرقس وكان تارةً يصرخ انَّ الغربيين بزيادتهم على الدستور النيقوي قد خالفوا الآباء القديسين كأنَّ الكنيسة لا يجوز لها ان توضح ايمانها اذا نكر احدٌ بعض معتقداتها . وتارةً يكرّر انَّ اللاتين هراطقة لاعتقادهم انبثاق الروح القدس من الابن. فناصبهُ بسّاريون بكلّ حماسةٍ واثبت لهُ انهُ بايجابهِ الهرطقة على الغربيين يوجبها ايضاً على كثيرين من القديسين الشرقيين القائلين بقولهم . فلم يجد مرقس جواباً على معارضتهِ الّا ان يقول : « وما يدرينا ان كانت كتبهم لم تحرَّف » فافحمهُ بسّاريون بقولهِ : «ليت شعري ومن يستطيع ان يقول انَّ ميامر ومواعظ برمّتها قد أفسدت وان شروحاً مطوّلة على الاناجيل المقدّسة والاسفار الالهيّة وتآليف لاهوتيّة متعدّدة قد تلاعبت بها ايدي المحرّفين دون ان يشعر بها احد او يحتجّ عليها . . . ولاسيما انَّ هؤلاء الآباء قد شرّفوا كنيستنا الشرقيّة كالقديس مكسيموس الشهيد المصرّح بانبثاق الروح القدس من الابن فهذا لعمري غاية في الغرابة »

فما كان بعد هذا القول المسجديّ اعتراض لمعترض وكفّوا عن عقد جلسات جديدة اذ رأوا انهُ لم يبق شيءٌ جديد يأتي بهِ الشرقيّون لتأييد اقوالهم ولكن واصل الشرقيّون اجتماعاتهم الخصوصيّة مع السيّد البطريرك بحضور القيصر ليجدوا احسن وسيلة لتأييد الاتّحاد فكان لبسّاريون في تلك المفاوضات السهم الافوز يعضدهُ ايسيدورس مطران كياف فكان في كلّ جلسة يخطب الخطب البليغة ويثبت بالحجج الدامغة تعاليم الغربيين استناداً الى كتب آباء الكنيسة الشرقيّة ويستحلف اخوتهُ بان لا يكابروا الحقّ ولا يدعوا تلك الفرصة الوحيدة لاستئصال زوان

الشقاق بعد ما اظهر البابا والآباء الغربيُّون من اللطف والمجاملة ومراعاة آداب البحث وحسن الدفاع عن معتقداتهم ما لا يمكن الزيادة عليهِ »

فكان لكلام بسَّاريون احسن وقع في القلوب فصادق عليهِ معظم الاباء والقيصر نفسهُ الذي قام ايضاً خطيباً فيهم قائلاً : « لا ريب انَّ الانشقاق مرتعهُ وخيم لانَّ شرَّ الخطايا واعظمها افتراق الكنائس ومن يمنع الاتحاد كان نصيبهُ اسوأ عاقبة من نصيب يهوذا الدافع الذي خان سيّدهُ » فهتف الاساقفة في اثر هذا الكلام: « كلّ من لا يرضى بالاتحاد في الايمان المستقيم الرأي فليكن محروماً »

فبعد هذه الاعلانات الصريحة تداول علماء الشرقيين وكان بسَّاريون في جملتهم مع الغربيين في بقيَّة الامور التي لم يتَّفقوا فيها اعني مسألة الفطير وكلام الربّ الذي بهِ يتمّ تقديس الخبز والخمر ومسألة المطهر . فوجدوا انَّ تلك الامور حصل فيها سوء تفاهم بين الفريقين فاذ اوضح كلّ فريق حقيقة معتقدهِ زال الالتباس فقرَّروا انَّهُ يكفي ان تكون مادَّة التقديس خبز القمح فطيراً كان او خميراً حسب عادة كلّ كنيسة . وكذا صورة التقديس فانَّ الشرقيين بيَّنوا انهم يعتقدون كاللاتين انّ استحالة الاشكال تتمُّ بكلام الربّ : « هذا هو جسدي هذا هو دمي » وانَّا يلتمسون من الروح القدس بانَّ يُقرّ نعمة جسد ودم المسيح على المؤمنين . ولم يشكل عليهم امر المطهر لأنَّ الكلّ يقرُّون بوجود مكان موقَّت لمحض الخطايا العرضيَّة التي لم يفِ عنها المؤمن عند وفاتهِ او لأداء ما بقي عليه من الدَّين لعدل الله ولا بأس ان يُدعى ذاك المكان مطهراً او باسم آخر

وكانت بقيت قضيَّة رئاسة الحبر الاعظم على الكنيسة جمعاء ليس شرفاً فقط بل فعلاً ايضاً . على انَّ بسَّاريون الذي كان درس المعتقد درساً تعمَّا عرض على ذويهِ « ان يعترفوا للبابا ذات الحقوق التي كانت لهُ قبل الافتراق ويقرُّوا بانهُ نائب يسوع المسيح وخليفة القديس بطرس زعيم الرسل ورئيس كلّ الكنيسة الاعظم » وهكذا حُلَّت بهمَّة بسَّاريون كلّ المشاكل التي كانت تعوق تقرير صكّ الاتحاد

وفي ذات اليوم الذي تمَّت فيهِ هذهِ الموافقة بين الشرقيين والغربيين حدث امرٌ مهمّ جاء مثبتاً لها اثباتاً لا يمتزج فيه شيء من الاغراض الزمنيَّة نريد بذلك وفاة البطريرك القسطنطينيّ يوسف الذي أُصيب بنوبة من داء القلب لم تترك لهُ الَّا بضع ساعات

ليستعدّ لمواجهة ربّهِ فكان اوّل ما فكّر فيهِ ان طلب قرطاساً وقلماً ليحرّر صورة ايمانهِ في تلك الساعة التي لا يرى الانسان للخداع سبيلاً فكتب وصيّتهُ على الصورة التي اوردتها مجلّة المشرق سنة ١٩٠٤ (٧ : ٣٣٤) عن نسخة قديمة التعريب وفيها يقول :

« رأيتُ ان اكتب وأضع خط يدي وامضائي لجمهور اولادي واوضح رأيي علانيةً وهو انهُ كلّ ما ترضى بهِ الكنيسة الرومانيّة وتعتقدهُ نعمة الله الكاثوليكيّة وهي رومية القديمة فانا ارضى واقبل واقدّم بذلك طاعة عقلي واقراري ان الحبر الاعظم السعيد هو اب الآباء والرئيس الاعظم ونائب ربّنا يسوع المسيح وهو بابا رومية القديمة الضابط الايمان على كلّ المؤمنين. واعترف ايضاً بطهر النفوس . . . (والوصيّة مؤرخة) » في ٩ حزيران سنة ١٤٣٩ الاندكتيون الثاني »

فكان لهذه الوصاة تأثير كبير في جميع آباء المجمع كما انّ حفلة جنازة هذا البطريرك قلّما شوهد مثلها حفاوةً واجلالاً حضرها البابا وجميع الكرادلة

ولم يمرّ على هذا الواقع الخطير شهر بتمامهِ حتى اتّفق الشرقيّون على صورة صكّ الاتّحاد النهائي وكان الفضل في ذلك ايضاً لبساريون الذي انشأها بدقّة عجيبة لم تُبق ريباً ما لاحد ثمّ قدّموها للبابا موقعة باسمائهم باليونانيّة فتُرجمت الى اللاتينيّة . وعدد المذيّلين لها بختومهم من الشرقيين ثلاثون اي كلّ الذين حضروا المجمع بصفة رسميّة الّا مرقس الافسسي الذي كان رُشق بالحرم لا محالة لولا انهُ استرحم القيصر وطلب منهُ الّا تُفضح شيبتهُ امام اللاتين اذا رجع عن رأيهِ . كأنّ اقرار المرء بغلطهِ يشينهُ ولا يشرّفهُ . فأمهلهُ القيصر ريثما يعود الى القسطنطينيّة

واعلن الحبر الاعظم بذلك الصكّ في براءة بابويّة في اليوم السادس من تموز بحفلة عظيمة اجتمع فيها الاكليروسان اليونانيّ والغربيّ امتزجت فيها رُتب الكنيستين وألحان موسيقاهما على ابدع صورة . وفي ختام الذبيحة جلس البابا على منصّتهِ والقيصر على عرشهِ فقرئت البراءة في اليونانيّة ثم في اللاتينيّة وكان قارئها اليوناني بساريون الذي استحقّ ان يكون لهُ التقدّم اذ كان كما بيّنّا رسول الاتّحاد مع انهُ السابع في ترتيب الموقعين للبراءة بختمهم فكان بعد الله رائد الوحدة ونصيرها ومنفذها فعلاً . فتمّ ذاك المجمع العامّ الذي لا مناص للشرقيين أن يعدّوهُ مجمعاً مسكونيّاً اعلن فيهِ الشرق والغرب بمسيح واحد وايمان واحد ورئيس واحد فان نبذوهُ لا بُدّ لهم من

القول بان كنيسة المسيح المعصومة من الضلال ضلّت يوماً وقويت عليها ابواب الجحيم ما لم يقولوا ان مرقس الافسي وحده كان يمثل الكنيسة جمعاء على خلاف تعليم الايمان. فهذا سيف ذو حدّين لا مناص منهُ

وبعد نهاية المجمع بثلثة اشهر ابحر الروم (في ٢٦ آب ١٤٣٩) عائدين الى القسطنطينيّة مشيّعين بكل اكرام وكان بساريون في جملتهم وهو مستعدّ ان يناضل عن الايمان بازاء كلّ مواطنيهِ شفاهاً وكتابةً (١. فاراد الحبر الاعظم ان يجازيهُ على اتعابهِ وفي ١٨ كانون الاوّل من تلك السنة رقّاهُ الى رتبة كرادلة الكنيسة الرومانيّة فعل ذلك من تلقاء ذاتهِ في غيبة بساريون اذ كان يعرف نفورهُ عن الامتيازات الشرفيّة ولئلّا يقال انّ بساريون بتنفيذهِ لاعمال المجمع كان يطلب غايةً بشريّة. فكان اوّل كردينال شرقيّ لبس الارجوان لكنّهُ شرّف بزّتهُ هذه اكثر من ان يتشرّف بها. فطرب كلّ محبي الاتحاد وشكروا البابا على عملهِ هذا. ورقّى البابا معهُ الى منصب الكرادلة ايسيدورس مطروبوليت كياف وجاثليق روسيّة وكان هو ايضاً من اعظم المدافعين عن اتحاد الكنيستين

بقي بساريون في القسطنطينيّة سنةً كاملة وحاول ان يقنع مواطنيه بالانضمام الى الوحدة لكنّهُ وجد فيهم قوماً غلبت على قلوبهم الاوهام وختمت عليها الاهواء الباطلة فكان مرقس الافسي يصرخ بان الروم خانوا الايمان رغبةً في دنياهم وانّ الكنيسة اليونانيّة استعبدت لرومية العتيقة. فهاج القوم وماجوا واضطرّوا بعض الاساقفة الذين أمضوا صكّ الاتحاد ان يرجعوا عن رأيهم فبلغ الجنون ببعضهم الى ان صرخوا: «عمامة العرب ولا تاج احبار رومية». فكان بعد قليل ما كان وسقطت القسطنطينيّة في حوزة محمّد الفاتح رغماً عمّا بذل في نجاتها قسطنطين خلف يوحنّا الثاني والبندقيّون انصار الروم وغيرهم من الفرنج الذين اتوا لمساعدتهم ملبين دعوة البابا

امّا بساريون فلمّا رأى هيجان قومهِ ضدّ الاتحاد وتبيّن ان مساعيهُ ذهبت ادراج الرياح عاد الى ايطاليا حيث كان الحبر الاعظم استدعاهُ ليخدم الكنيسة في الرتبة

١) هذا ما صرّح به بساريون في احدى رسائلهِ على خلاف ما روى المؤرخ فرنترس بقولهِ انّ بساريون بقي في ايطاليا

الكردينالية . لكنهُ لم ينسَ وطنهُ وفي مدَّة نيّف وثلاثين سنةً قضاها في ايطالية الى وفاتهِ وقام في غضونها بمهامّ جليلة كان فكرهُ مشجعاً الى بلاد الروم ليرسل الى مساعدتهم كلّ العُدَد والذخائر الحربيَّة . ولمَّا فُتحت القسطنطينيَّة جُرح قلبهُ بجرح أليم فافاضَ الدموع السخينة عليها وكتب في ذلك خطاباً هو مدوَّن بين اعمالهِ يستترف عبرات قارئهِ

واذ فُقد الوطن العزيز صرف همَّهُ الى النفوس فكان لا يزال يناشد مواطنيهِ الله ليعودوا الى حجر الكنيسة الرومانيَّة التي فيها وحدها يلقون ضمادًا لجراحهم . ولدينا رسالة كتبها في ذلك هي معرَّبة في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة (راجع المشرق سنة ١٩٠٤ ج ٧ : ٣٣٥)

وهذه الرسالة قد كتبها بسَاريون نحو السنة ١٤٦٠ كمنشور بطريركي الى الروم وكان البابا بيوس الثاني اقامهُ خلفاً على كرسيّ القسطنطينيَّة للبطريرك القسطنطيني غريغوريوس المعروف بپروتوسنكلوس المتوفّى . واصل هذه الرسالة اليوناني في اعمال آباء اليونان في مين (Migne, P. G., t.161 col. 447-480) وقد عرَّبها جناب خليل افندي البدوي في كتاب آخري سلاطين الروم (ص ١٨٠ — ١٣٩) يلوح من مطاويها روح تفاني بساريون في خدمة ابناء وطنهِ لا يشتهي لهم الَّا السلام بعد بلاياهم المستحدثة ولكن لا سلام الَّا للذي يذعن للحقّ ويطيع للسلطة القائمة من الله فعلى الروم ان يتلافوا المصائب السابقة وانقراض دولتهم معترفين بالقضايا التي قرَّرتها الكنيستان اليونانيَّة واللاتينيَّة . وقد بسط ذلك بسطاً واسعاً وايدهُ بالبراهين العقليَّة والنقليَّة

وخلاصة القول انَّ بساريون يُعَدّ من اعظم رجال الشرق فضلاً واغزرهم علماً واشدّهم محبَّة لبني ملَّتهِ ولم يزل الى آخر انفاسهِ يبذل قصارى المجهود في استنهاض همَّة ملوك الغرب واستحثاث غيرتهم على اسعاف الروم حتى بعد فتح القسطنطينيَّة كما تشهد عليهِ كتاباتهُ وان حبط في ذلك مسعاهُ فما كان الَّا لسوء احوال ذلك الزمان . فالواجب على الشرقيين ان ينظموهُ في سلك اعظم مشاهيرهم فينصبوا لهُ تمثالاً في قاويهم بقرب اقمار الكنيسة الشرقيَّة الثلثة يوحنَّا الذهبيّ الفم وباسيليوس وغريغوريوس اللاهوتيّ كما انَّهُ شرَّف الاقطار الغربيَّة فاستحقّ شكرها العميم

بمشروعاته المتعدّدة التي ضربنا عنها صفحاً في هذه المقالة وكفاهُ فخرًا انّهُ زان رتبة الكرادلة الى سنة وفاته ١٤٧٢ بل كاد مرّتين يفوز باكثريّة الاصوات ليجلس على سدّة الخلافة البطرسيّة. وانّما لهُ فخرٌ اعظم من كلّ ذلك لا تمحقه الايّام وهو كونهُ رسول الاتحاد بين الكنيستين

البرهان الصريح
في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

الوهيّة المسيح في عيشته الخفيّة

رأيتَ انّ مولد السيّد المسيح مع ما رافقهُ من الذلّ والاتّضاع الاختياري دلّ دلالةً لامعةً على جلال لاهوته. وليست حياتهُ الخامدة بعد ميلاده الى ساعة خروجه للدعوة بين اليهود دون غرّة حياته بيانًا على تلك الالوهيّة اذا انتقدها الانسان بعين بصيرته ونزّه قلبهُ عن الاهواء الباطلة والاعتبارات الزمنيّة الواهية

قد اعتاد البشر لضعف ادراكهم ان يقيسوا امور الله على قياس شؤونهم المحسوسة وشتّان بين اعماله تعالى واعمال المخلوقات ولذلك ترى حياة المسيح على خلاف ما يتخيّلهُ الانسان في كبار الرجال من الجاه والغنى والشرف العالميّ والقوّة الماديّة فانّ هذه الاشياء انّما تشرّف بشرًا مثلنا وحيات ان تجدي شرفًا الّا متأنّسًا ظهر بين الناس لينهج لهم طريق السماء بممارسة الفضائل الساميــة. فلو كان السيّد المسيح نزل الى ارضنا بأبهــة الملوك وجلال السلاطين وبطش الفاتحين فايُّ فضل كان لهُ في فعله وهو ربّ الارباب تذعن لامره السماوات والارضون فانهُ لو فعل ذلك لكان زاد الانسان طمعًا في حطــام الدنيا ومثّاهُ في خيراتها الظاهرة وبفعله كان اغراهُ بدلًا من ان يشفي داءهُ. ولذلك قد آثر في مدّة حياته الخفيّة الخمول والهوان منقطعًا الى الفضائل التي وحدها تعظّم الانسان في اعين الله وتحرّرهُ من

ربقة الشهوات الدنيّة وتطلقهُ من اسر الخطيّة لانَّ « كل من يعمل الخطيئة هو عبدٌ للخطيئة » (يوحنا ٨ : ٣٤)

وممَّن خُدعوا بهذه الزخارف الباطلة اولئك المراطقة واصحاب الاناجيل الزور الذين خجلوا من ضعة المسيح وخموله في السنين التي قضاها مجهولًا في وقت طفوليتهِ ثم شبابهِ الى كهولتهِ فتراهم يذكرون لهُ الاعاجيب في مهدهِ وفي رواية هربهِ الى مصر من هيرودس وفي زمن اقامتهِ في ارض النيل ثم في مدَّة السنين التي صرفها في حانوت ابيهِ بالذخيرة القديس يوسف البتول . وهذه المعجزات تناقلها العرب ورواها مؤرخوهم وكتبة سير الانبياء كالكسائي في قصص الانبياء وكالثعابي في كتاب العرائس الذي طُبع مرارًا في مصر والهند ولو جمعنا تلك الاساطير لتألف منها كتاب ضخم اثبت انَّ السيد المسيح هو اكبر فاعل للمعجزات . ودونك مثالًا ممَّا رووهُ :

فمن ذلك قولهم انَّ المسيح كان يكلّم الناس في المهد وانَّهُ نطق امام بني اسرائيل لينقذ والدتهُ الطاهرة من تهمة الزنا . وانَّهُ في مسيرهِ الى مصر مع والديهِ وهم هاربون من وجه هيرودس كانت اشجار النخل تحني بعذوقها امامهم لينالوا من ثمرها . وانهُ انبت في بستان المطريَّة شجر البلسان بعد ان اغتسل في ماء بئرها . وانَّهُ في حداثة سنهِ كان يعمد الى طين فيصوّرهُ على شكل الطير ثمَّ ينفخ فيهِ فيطير . وانَّهُ أُتهم بقتل ولدٍ فأنطق الميت ليبرّرهُ من ذاك الاثم . وانَّهُ لمَّا دخل الكتَّاب ليتعلَّم اذهل معلّمهُ بعلمهِ العجيب غير المكتسب . وانَّهُ لمَّا تعلَّم حرفة الصباغة كان يصبغ في مغطس واحد ثيابًا فيخرجها في الوان شتى . وآيات اخرى كهذه اخترعوها تنويهًا بمقام السيّد المسيح ولا سند لها الَّا مخيلة واضعيها فنبذتها الكنيسة نبذ النواة منذ ظهورها ولم تقبل سوى الاناجيل الاربعة التي سبق المشرق واثبت صحتها وعدم تحريفها بأدلّ البراهين واقطع الحجج فلم يقف حتى اليوم من اعترض على كاتبها

فاذا يُستفاد اذن من هذه الاناجيل لمعرفة حياة السيّد المسيح ؟ لعمري انَّ ما رواهُ الانجيليّون لزهيد جدًّا لا يتجاوز صحيفةً واحدة وانَّما ذلك كافٍ لبيان الوهيَّة المسيح في تلك السنين الثلثين التي قضاها قبل ان يظهر دعوتهُ امام بني اسرائيل .

وفي اقوالهم البسيطة غنًى عن المعجزات الغريبة التي وضعها المدلّسون لتعظيم ابن الله

*

احد الاحداث القليلة المرويّة في الاناجيل عن السيّد المسيح في باكورة حياته خروجهُ الى مصر باشارة الملاك الى يوسف ابيهِ بالذخيرة قائلًا لهُ (متى ٢ : ١٣ — ١٤): «قُم وخذ الصبيّ وامّهُ واهرب الى مصر ... فانّ هيرودس مزمع ان يطلب الصبيّ ليهلكهُ . فقام واخذ الصبيّ وامّهُ ليلًا وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس»

ليت شعري ما أبعد هذا من قوّة اللاهوت ! افنزعم انّ الوهيّة المسيح ظهرت في هربهِ ايضاً ؟ نعم لأنّ قوّة الله كثيرًا ما تظهر في الضعف

لم يُعلن المسيح قوّتهُ وقتئذٍ بقتل هيرودس او بعملٍ آخر عجيب يقضي بالقول كما قال بعض الهراطقة انّ المسيح الهٌ فقط وما ناسوتهُ الّا خيال دون حقيقة لكنّهُ اظهر تلك القوّة بانّ أحبط آمال هيرودس على طريقة لم يشعرهُ بها فذهبت مكايدهُ ادراج الرياح واظهرت لكلّ رعاياهُ ظلمهُ وفظائعهُ بقتلهِ لاطفال صغار ابرار ثمّ زادت اليهود علماً بانّ الصولجان خرج من يهوذا كما كان تنبّأ بهِ يعقوب وانّ مجيء المسيح قد حان زمنهُ

وزد على ذلك انّهُ بقتل اطفال بيت لحم تمّت نبوّة ارميا النبيّ (٣١ : ١٥): «هكذا قال الربّ: صوتٌ سُمع بالرامة ندبٌ وبكاء مرّ . راحيل تبكي على بنيها وقد أبت ان تتعزّى لأنّهم ليسوا في الوجود» لكنّ ذاك الدم الزكي المهراق كان كمداد برّر نفوس اولئك الصغار من الخطيئة الاصليّة وفتح لهم باب الفردوس باستحقاقات المسيح فاديهم كما أنّهُ اضحى كدم هابيل يطلب الانتقام من الطاغية وعمّا قليل سيسمع الله صوتهُ فيضرب ذاك الملك العاتي الظالم ضربةً اليمة يشمت بحلولها كلّ مبغضيه

ولا بُدّ من القول ايضاً انّ السيّد المسيح اراد الدخول في مصر ليقدّس ارضها التي اصبحت بعد صعودهِ بقليل تربةً خصبةً ازهرت فيها النصرانيّة بنوع عجيب كما تشهد عليهِ الآثار المتعدّدة التي خلّفها القدماء ويستخرجها علماء عصرنا كلّ يوم من زوايا النسيان ومن مطاميرِ الفيّوم وغيرها . فهناك أُنشئت اوّل المدارس النصرانيّة

العموميَّة التي اشتهر فيها اقليميس الاسكندري وبنتانوس رسول اليمن واوريجانوس المعلّم . وهنـاك انتشرت العيشة الرهبانيَّة الفضلى التي حوَّلت بلاد الصعيد الى فردوس سماويّ بعد انطونيوس الكبير والالوف المؤلفة من تلاميذهِ . أفلا يجوز نسبة هذه المآثر الجليلة الى الطفل الالهيّ وهو كلمة الله الذي خلق بدخولهِ الى مصر عالمًا جديدًا روحيًّا كما خلق في البدء عالمنا الهيولي اذ قال لهُ : كن فكان . ثمَّ يجب القول ايضًا انَّ السيّد المسيح بدخولهِ مصر حقَّق فعلًا نبوَّة هوشع (١١ : ١) القائل عن المسيح المرموز اليهِ باسرائيل (متى ٢ : ١٥) : « من مصر دعوتُ ابني »

*

ومن المرويَّات عن المسيح في حداثة سنه ما اخبر بهِ لوقا (٢ : ٤١ — ٥٢) عن صعودهِ الى اورشليم في الثانية عشرة من عمرهِ حيث تخلَّف عن والديهِ وبقي في الهيكل على غير علمهما فابتعدا عن القدس وكلٌّ منهما يظنّ انَّ يسوع الصبيّ مع فرقة الآخر . ثمَّ طلباهُ بعد مرحلتهما الاولى فلم يجداهُ فعادا الى اورشليم كئيبَين وفي اليوم الثالث لقياهُ في الهيكل « جالسًا فيما بين المعلّمين يسمعهم ويسألهم وكان جميع الذين يسمعونهُ مندهشين من فهمهِ واجوبتهِ » واذ سألتهُ امُّهُ لِمَ صنع بهما هكذا وهما يطلبانهِ متوجّعين قال لهما : « لماذا تطلبانني ألم تعلما انَّهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لأبي »

تلك المرَّة الوحيدة خرج فيها السيّد المسيح عن خطَّة الاتضاع والخمول التي لزمها مدَّة حياتهِ الخفيَّة وبها اضوأ دليل على الوهيَّتهِ . (اوَّلًا) بتفرُّدهِ عن والديهِ اظهر بنوع جليّ انهُ هو السيّد يمكنهُ ان يصنع ما يشاء ويتصرَّف باعماله كيفما يشاء حتى في ابّان صباه وانَّهُ بقبوله الطاعة لاهله انَّما فعل ذلك من تلقاء ارادته وليس لاحد حتى ولا لوالدته الطاهرة ان يسألهُ السبب عن اعماله . (ثانيًا) بجلوسه بين علماء اسرائيل وهو في سنّ الطفولية أشعرهم بسعة تعاليمهم واسئلته التي القاها عليهم واجوبته التي كان يجيب بها على مطارحاتهم انَّ علمهُ ليس بثمرة الدرس الطبيعي المحصَّل بل هو من صفاتهِ الجوهريَّة فابصر رؤساء اليهود « مجد الكلمة المتجسد مجد وحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقًّا . . . الذي من امتلائهِ نحن كلُّنا اخذنا » (يوحنا ١ : ١٤ — ١٦) وتحقَّقوا مذ ذاك الحين ما سوف يقرُّون بهِ يومًا عند ما

يسمعونهُ فيصرخون (يوحنا ٧ : ٤٦) : « ما نطق انسانٌ قطّ بمثل ما نطق هذا الرجل » ويشهدون بانَّ علمهُ هذا ليس تحصيلاً قائلين (متى ١٣ : ٥٤ مرقس ٦ : ٣ ويوحنا ٧ : ١٥) : « من اين لهُ هذه الحكمة والقوّات اليس هذا ابن النجّار ... من اين لهُ هذا العلم وهو لم يدرس الكتب » . (ثالثاً) بكلامهِ العجيب الى مريم ويوسف حيث قال لهما : « ألم تعلما انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لأبي » . جاهر امامهما بكونهِ ابناً لله الازلي ولذلك دعاهُ « اباً » لهُ بالافراد معلناً بانهُ لا يريد أبوّةً مجازيّة بل ابوّة جوهريّة فنطق منذ تلك الساعة بحقيقة لاهوتهِ واكّد تلك النسبة التي لاجلها اراد اليهود بعد ذلك قتلهُ كما اخبر يوحنا (٥ : ١٨) حيث قال : « ازداد اليهود طلباً لقتلهِ ليس لانهُ كان ينقض السبت فقط بل ايضاً لانهُ كان يقول انَّ الله ابوهُ مساوياً نفسهُ بالله »

*

وبعد هذا الحادث لا يروي كتبة الاناجيل عن يسوع المسيح غير ما رواهُ لوقا بقولهِ (٢ : ٥١ — ٥٢) : « ثم نزل معهما واتى الناصرة وكان خاضعاً لهما » ولمّح الانجيليُّون الى ما كان يمارسهُ من الشغل في بيت يوسف حيث نقلوا ما كان يقال عنهُ « بأنهُ نجّار » (مرقس ٦ : ٣) « وابن نجار » (متى ١٣ : ٥٥) فاختصروا حياتهُ بتبيان خمولهِ وذكر خضوعهِ والاشارة الى ارتزاقهِ بالشغل

فماذا نقول ؟ أهذا يليق باله ؟ أنبني على هذه الصفة برهاناً لبيان ألوهيّتهِ ؟ او ليس الاحرى بالنصرانيّ ان يخجل من اله هذه صفتهُ ؟

كذا يقول العالم والذين « لا يفطنون لما لله لكن لما للناس » (مرقس ٨ : ٣٣) . امّا الله الذي لا يحكم كحكم البشر فقد اراد ان « يُجهّل حكمة هذا العالم » (١ كور ١ : ٢٠) بل اراد ان « يُبيد حكمة الحكماء ويرذل عقل العقلاء » (١ : ١٩) حتى يُظهر لكلّ ذي عين « انَّ مستجهَل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس » (١ : ٢٥) فاختار ابنهُ الوحيد هذه العيشة الخاملة لانَّهُ رآها احسن وسيلة ليلقّن الانسان العيشة الصالحة التي وحدها تعظّم المرء وترفع قدره على خلاف بقيّة المناقب التي يبتغي فيها البشر ولا يطلبون الّا الاستبداد والجاه العالميّ وبذخ العيش

عرف ابن الله انَّ اعداء الانسان ثلاثة عدَّدها يوحنَّا الرسول في رسالته الاولى (٢ : ١٦) حيث قال : « انَّ كلَّ ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة » فتلك هي الاسقام الثلثة التي ابتُلي بها جنسنا وفشت عُدواها في كلّ البشر فاراد طبيبنا الالهيّ الذي نزل من السماء ان يشفينا من هذه الادواء ولم يجد لذلك دواء انجع من ان يجعل سيرتهُ مثالًا لحياتهم فاراد ان يُخضع نفسهُ للشغل الشاقّ ليكسر شهوة الجسد الى لذَّات العالم. واراد ان يحمل عبء الفقر والمسكنة ليقمع شهوة العين التائقة الى حطام العالم واراد ان يعيش خاملًا ليناصب فخر الحياة فيا لهُ من مثال عجيب اعطاهُ ابن الله للبشر من شأنهِ ان يُفحم كلّ ابيّ متعظِّم وقدَّمهُ لنا بالفعل قبل أن يُعلّمهُ بالكلام لانَّ السيّد المسيح كما قال القديس لوقا في سفر الاعمال (١ : ١) ابتدأ ان يعمل بنفسهِ ما علَّمنا اياهُ بعد ذلك بكلامهِ اذ ليس برهان اقنع للانسان من المثل. وقد قال الحكماء : انَّ طريق الكلام طويل امَّا الامثال فطريقها مُختصر . فايّ انسان يستطيع ان يردّ كلام ابن الله اذا سمع من فيهِ قولهُ : « طوبى للمساكين . طوبى للمتواضعين . طوبى لمن يزدرون بهذا العالم واباطيل هذا العالم ليربحوا نفوسهم » فانَّهُ لا يسعهُ الَّا الانقياد الى قولهِ تعالى بعد ان رآهُ تذلَّل وتمسكن وحمل من قبلهِ. فهذه هي اعمال الله وهكذا شفى ابنُ الله امراضنا واخذ على نفسهِ عاهاتنا وبدائهِ شفينا (اشعيا ٥٣ : ٥)

ولا يفهم قوَّة هذا المثل الذي اعطاهُ السيّد المسيح للبشر الَّا من عرف حالة الامم يوم تأنَّس ابن الله فانَّ العالم بانتشار الوثنيَّة على وجه الارض كان غائصاً في ردغات الفساد فتخيَّر له آلهةً تضاهيهِ في شهواتهِ فأله تلك الشهوات وجنا راكعاً امام الزُّهرة العاهرة وباخوس السكير وناشتري الزاني وعطارد السارق وقس عليه بقيَّة المعبودات الشبيهة بها عند ارقى الشعوب تمدُّناً واوسعهم عقلًا كاليونان والكلدان والمصريين والرومان . فليت شعري من كان يقوى على مقاومة كلّ هذه الشهوات النجسة الَّا إله متأنس يعلّم الانسان طريق الفضيلة ويرشدهُ الى سبيل الصلاح ليس بكلامهِ فقط ولكن بامثالهِ المحسوسة فيستطيع ان يقول للعالم (يوحنَّا ١٣ : ١٥) : « اني اعطيتُكم قدوةً حتى انكم تصنعون كما صنعتُ انا » اذ « ليس عبدٌ فوق سيّدهِ » (متى ١٠ : ٢٤)

وقد مارس السيّد المسيح بمثلهِ اشدّ مما كان ينفر منهُ العالم . كان العالم يعتبر الشغل كسمة العبيد ويحبُّ الخلود الى الراحة ورغد العيش والملذّات فشرّف الشغل بمزاولتهِ لهُ مدّة ثلاثين سنة . وعلّم الانسان « انّهُ يولد للمشقّة كما يولد الطير للطيران » (ايوب ٥ : ٧) . كان العالم يعظّم الحرّية والاستبداد ويأبى الخضوع والطاعة فكسر السيّد المسيح عنفوانهُ بخضوعهِ لمخلوقاتهِ مع انّهُ الربّ الذي تحقّ لهُ كلّ رئاسة وكلّ عظمة . كان العالم لا يتوق الّا لحشد الاموال والغنى والماديّات الارضيّة فعلّمهُ السيّد المسيح ان يزهد بالدنيا ويقنع بالقليل وينبذ عنهُ المطامع ويعتبر الفقير كاخٍ لهُ ويُحسن اليهِ بالمال الذي هو في يدهِ كوديعة الخالق الذي وكلهُ اليهِ ليوزّعهُ على المحتاجين . وقد تمّم بكل ذلك ما تنبّأ عنهُ النبيّ داود في المزامير حيث قال عن لسان المسيح (مز ٨٧ : ١٦) : « اني في البؤس والكدّ منذ صباي »

هذا ما فعلهُ ابن الله مدّة السنين الطويلة التي قضاها في الناصرة افترى انهُ طاش سهماً بفعلهِ او ليس الاحرى ان يقال انهُ اصاب الهدف وأتى الامر من فصّهِ وداوى الجرح احسن مداواة فكأنّهُ قال بلسان حالهِ للانسان : انك قد هبطت من السعادة التي أعطيتها بالفردوس لأنّك بعجرفتك اردت ان تتشابه بالاله اذ خالفت وصيّة خالقك وفضّلت مشورة ابليس حين قولهِ لك بلسان الحيّة لحوّاء : « انكما تصيران كآلهة عارفي الخير والشرّ » فكان عصيانك سبب ذلكِ وشقائك فها انذا صرتُ شبيهاً بك انساناً فتشبّه بي واسلك مسلكي فهذه المرّة لا بأس عليك ان تصير الهاً بهذا الشبه وترقى الى اعلى مقام الشرف

فليقم الآن كلّ ذي عقل وانصاف وليقل لنا أفكان يمكن لإله ان يجري على خطّة امثل وطريقة اصوب ممّا اختارهُ السيّد المسيح ليزيل اضاليل العالم ويغلب شهواتهِ . وان تجرّأ احد وفكّر الامر اريناهُ الانقلاب العظيم الذي صار مذ ذاك الوقت في احوال الدنيا . اريناهُ الاغنياء ينبذون ثروتهم ليتبعوا ابن الله في تقشّفهِ اريناهُ عظام الدنيا يطلبون خدمة الصغار والمرضى والعجزة . اريناهُ الملوك نازلين عن منصّة الملك ليقضوا حياتهم في اعمال الاماتة والتقشّفات فلولا السيّد المسيح ومثالهُ أكان رأى العالم كلّ هذه العجائب . فليس للانسان العاقل بعد هذا الّا ان يصرخ هاتفاً الى خامل الناصرة : « انّك حقيقة انت ابن الله » (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

In Nordostarabien und Südmesopotamien. Vorbericht über die Forschungsreise 1912. Von Prinz Sixtus von Bourbon von Parma und Dr Alois Musil. Wien, 1913, pp. 20

رحلة حديثة الى شمالي جزيرة العرب وجنوبي ما بين النهرين

ليس بين الاوربيين المحدثين من اشبه في اقدامه وربط جأشه صديقنا وتزيل كليتنا سابقاً الدكتور لويس موسيل فانهُ منذ فارقنا سنة ١٩٠٠ عاد ثاني مرّات الى الشرق ودخل بلاد العرب وطاف مجاهل جزيرتهم حتى كادت تلك البوادي الممتدّة من الفرات الى الاردن ومن العراق الى الحجاز تعرفهُ كما يرحب بهِ اهلها من الحضر والمدر . وقد نشر اخبار اسفاره مع ما جمعهُ من الفوائد التاريخيّة والجغرافيّة والاثريّة عن تلك الجهات مع تدوين عادات اهلها ولغاتهم ومذاهبهم . وها هوذا قد استأنف رحلهُ فزار العام الماضي مع البرنس بكست من أسرة الامراء البوربون جهات شمالي جزيرة العرب وجنوبي ما بين النهرين فتحمّلا من المشاقّ ما كاد يفقدهما ثمرة اتعابهما وخرج عليهما شذّاذ البادية فنهبوهما . لكنّهما عادا والحمد لله سالمين وقد اسرع حضرة الدكتور موسيل الى تفصيل اخبار هذه الرحلة الاخيرة في مجلّة العلوم المطبوعة في فينّة فاهدانا منها نسخةً قرأناها بمزيد الشوق فنثني على همّته القعساء ونتمنّى ان ينشر قريباً الفوائد العلميّة التي اجتناها من هذه الرحلة ل . ش

Die christlichen Kirchen des Orients. Von Dr Konrad Lübeck. Kempten (Bayern), Koesel, in-18, pp. 206, 1912

الكنائس المسيحيّة في الشرق

يشتمل هذا الكتاب وصف الطوائف المسيحيّة المتفرّقة في الشرق مع تعريف خواصّها وطقوسها سواء كانت كاثوليكيّة او غير كاثوليكيّة . ففي الباب الاوّل منهُ مختصر تاريخ الكنائس التي انفصلت عن الوحدة الرومانيّة منذ القرن الرابع مباشرةً بالنسطوريّة ثمّ اليعقوبيّة بين الاقباط والحبش والسريان والارمن ثمّ الكنيسة الروميّة الفوطيوسيّة . ويلي هذا الباب فصل آخر في بيان احوال هذه الكنائس ونظامها في زماننا ولاسيّما الكنيسة اليونانيّة والمسكوبيّة . وفي اثره باب ثالث في تعريف

معتقدات الكنائس المذكورة ورتبها الطقسيَّة والاختلافات الكائنة بين الكاثوليكيَّة وسواها في الطقوس. وقد ختم هذه الفصول بمقالة عن الرهبانيَّات الشائعة بينها وعن تهذيب الرهبان والاكليروس. وقد لحظنا انَّ الدكتور صاحب هذا الكتاب قد دقَّق النظر في موضوعهِ فلم يكد يفوتهُ الَّا القليل فمن ذلك قولهُ (ص ٥١—٥٢) بان كرسيّ اجمياطين او قاغارشاپات قريباً من اريفان جنوبي جبل القفقاز قد انشأهُ القديس غريغوريوس المنوّر وهو قول رددنا عليهِ في كتابنا عن تاريخ الارمن الدينيّ والسياسيّ (١. وكذلك قد وهَمَ بقولهِ ان الجمعيَّة المكيتاريَّة هي فرع من الرهبانيَّة الانطونيَّة (ص ٣٢). وكان حقُّهُ ان يذكر في جملة المدارس الاكليريكيَّة المهتمَّة بتهذيب الاكليروس الشرقيّ مدرسة القديس لويس للآباء الكبوشيين في الاستانة ومدرسة كليتنا الاكليريكيَّة حيث يتربَّى بها سبعون من الاحداث من كلّ الطوائف وينالون اجازة الملفنة في الفلسفة واللاهوت ف . ت

Docteur Jeanne Bon. Thèse sur quelques Guérisons de Lourdes, présentée à la Faculté de Médecine et de Pharmacie de Lyon. *Paris*, 1912, pp. VII-150

دفاع طبيّ عن الشفاءات الجارية في لورد

رغماً عن مناهضة اعداء الدين وناكري المعجزات قد دخلت الشفاءات العجيبة الجارية كلّ سنة بل كلّ يوم في مدينة لورد بشفاعة العذراء مريم في طور علميّ حتى انَّ عدداً عديداً من الاطبَّاء الذين لم يريدوا ان يعيروها بالاً في المستقبل اخذوا اليوم يتولَّون البحث عنها. وقد بلغ عدد الذين ذهبوا منهم الى لورد في العام الماضي ٥٠٠ طبيب امكنهم ان يشاهدوا المرضى ويتحقَّقوا امراضهم التي عجز عن علاجها رصفاؤهم فطلبوا لهذه العارضات علَّة لم يجدها اكثرهم الَّا بالاقرار انَّ هذه الشفاءات جارية بقوَّة فائقة الطبيعة. وكنَّا في العام الماضي (المشرق ١٥ : ٧٧٥) ذكرنا كتاباً للدكتور دي برونو اثبت الامر علميًّا في ٢٠ شفاء جرت في لورد. واليوم قد اتانا كتاب آخر فيهِ دفاع طبيّ عن شفاءات اخرى لمسارلين كان أيس منهم الاطبَّاء فبرئوا بمجرَّد التجائهم الى سيدة لورد في مقامها. وهذا البحث العلميّ

(١ Tournebize: *Histoire politique et religieuse de l'Arménie*. Paris, 1910 pp. 401-467

مبنيّ على كلّ الاكتشافات الطبيّة دافع عنهُ صاحبهُ في هذا الكتاب ثمّ امام لجنة مركّبة من اساتذة المكتب الطبيّ والصيدليّ في ليون فاجاب على كلّ الاعتراضات قدّمها الفاحصون وبيّن انّهُ لايمكن تعليل تلك الشفاءات على طريقة طبيعيّة البتّة . فسبحان الله الذي أيّد ديننا الكاثوليكي بمثل هذه البراهين التي يؤيدها العلم نفسهُ فضلًا عن العيان . أفليست اصبع الله هنا ؟ الاب ه . ريشار

Adolphe Retté. Au pays des Lys noirs. Paris, Téqui, 1913 in - 12

منابت الزنابق السود

يتوق الانسان الى كلّ ما يعظّم نفسهُ ويرفعها الى ما فوق طبيعتهِ . ولا غرو فانّ الله قد دعا البشر الى تلك الدعوة الفائقة الطبيعة التي اوحى بها ابنهُ الوحيد فمن لبّى هذه الدعوة في الكنيسة التي انشأها وسلّم اليها وديعة وحيهِ اصاب تلك العظمة الحقيقيّة فصار بالنعمة والفضيلة « شريكاً معهُ في الطبيعة الالهيّة » (٢ بطرس ١ : ٤) امّا الذي يصمّ دونها اذانهُ فانّهُ يطلب عظمةً باطلة بممارسة تلك الاعمال السريّة الفاضحة التي يعرضها المبتدعون كما فعل اهل البدع قديمة من الادريين (Gnostiques) واشباههم فيزلّون نفوسهم ولا يلبثون ان يصبحوا في حوزة الشهوات الشائنة التي تهبط بهم الى اقصى درجات الذلّ . والكتاب الذي عنوانهُ « منابت الزنابق السود » شاهدٌ عيانيّ على القضيّة المذكورة فانّ صاحبهُ المسيو « رودلف ريته » اراد في شبابهِ ان يترفّع ويتشابه بالروح الالهيّ فدلّهُ بعض اصحابهِ على رجل اسمهُ غوايتا (St. Guaita) كان يناجي الارواح ويدعو نفسهُ كامثالهِ بالزنبق . فكاد « ريته » يصبح ضحيّة استهوائهِ لولا انّهُ نجا بطريقة عجيبة من مخالب الرجل . واذ هداهُ الله الى التوبة النصوح اراد ان يكتب هذا الكتاب فدعاهُ بالزنابق السود اشارة الى اولئك النصّابين المتلقّبين بالزنابق ليكشف خباثتهم ويحذّر بمثلهِ الشبّان لئلّا يُخدعوا بمكرهم . ومذ عاد المسيو ريته الى ربّهِ تائباً قد خصّ قلمهُ (وهو من مشاهير كتبة عصرنا) بخدمة الحقّ والدين وكان اوّل كتابٍ وضعهُ بعد رجوعهِ الى الله كتاب عنوانهُ « من الشيطان الى الله » (Du Diable à Dieu) ما فبلغ بزمن قليل طبعتهُ الثانية والثلثين . فنشير على شبيبة الشرق الذين يغويهم

اصحاب مناجاة الارواح ان يطّلعوا على هذا الكتاب ليقفوا على ما ينتظرهم من الاخطار فتناً وجيداً اذا اختلطوا باولئك الخدّعة الاب ل. جلابرت

C. A. NALLINO ; L'Arabo parlato in Egitto (MANUALI HOEPLI), 2ª ediz., Milano, 1913, pp. 531

اللغة المصريّة العاميّة

كان الاستاذ كرلو نالينو ألّف سنة ١٩٠٠ كتاباً في الايطاليّة خصّهُ باللغة العاميّة في مصر وصفناهُ عند ظهوره (في المشرق ٣ : ٥٦٩) وبيّنّا فضل مؤلفهِ . ثمّ انتدبت الجامعة المصريّة جناب الدكتور ليلقي فيها دروساً عن العارم الشرقيّة فقضى في مصر ثلاث سنوات اختلط في مدّتها مع اهلها وتمكّن في درس اللهجة العربيّة المصريّة فلم يزل يحسّن كتابهُ السابق فينقّح ويزيد وينقص حتى اذا نفد اعاد طبعهُ مع ما استفادهُ من معلوماتهِ الجديدة . وها هوذا اليوم قد حقّق امانيهُ بهذه الطبعة الثانية التي دقّق فيها النظر فضبط قواعد لهجة المصريين العاميّة ضبطاً تامّاً واضاف الى تلك القواعد محادثات شتى ومجموع الفاظ في اخصّ الامور التي يتداولها العامّة في حياتهم الاهليّة وكلّ ذلك مصوّر بالحرف الايطالي على حسب اصطلاح المستشرقين مع ملحوظات عديدة لغويّة وتاريخيّة وفي آخرها تمرينات ومنتخبات وامثال من شأنها تعريف لغة المصريين على احسن منوال . فنشكر الدكتور نالينو على عملهِ الذي نتمنى لهُ رواجاً تامّاً ل . ش

GUIDA DA CONERSAZIONE ITALIANO ARABO

الترجمان الايطالياني باللفظ العربي

طبع في المطبعة العلميّة ليوسف صادر ببيروت سنة ١٩١٣ (ص ٣٠٨)

انّ ادارة المكتبة العموميّة والمطبعة العلميّة للاديبين الشقيقين سليم ويوسف ابرهيم افندي صادر قد اصدرتا هذا الكتاب على مثال ما سبق لها من الترجمانات الفرنسويّة والانكليزيّة والبرازيليّة . وقد جاء هذا التأليف في وقتهِ بعد دخول الايطاليين طرابلس الغرب فهم في حاجة الى ما يسهّل المعاملات بينهم واهل تلك البلاد كما انّ مواطنينا المسافرين الى تلك الجهات يحتاجون الى كتاب كهذا فيهِ ملحوظات وتمارين لغويّة ومجموع مفردات وعبارات ايطاليّة متداولة مع ترجمتها العربيّة وتصوير لفظها

فيها . ومع ضبط تلك الالفاظ قد وقع في بعضها اغلاط يسهل اصلاحها في طبعة ثانية نحو (ص ٢٨) « Sceondo » الصواب « Secondo » و (ص ٥٠) « Lratello » والصواب « Fratello » و (ص ٦٦) « atrezzi » والصواب « attrezzi » و (ص ٧١) « colazione » والصواب « colliazione » و (ص ٩٠) « awocato » والصواب « avvocato » او « avocato » و (ص ١٦١) « l'avate » والصواب « l'avete » و (ص ١٨١) « prezo » والصواب « prezzo » الخ

ل . ش

المتعبّد لقلب يسوع

طبعة ثانية مصحّحة على نفقة اخويات قلب يسوع
في المطبعة الكاثوليكيّة ببيروت سنة ١٩١٣ (ص ٢٧٣)

انتشار العبادة لقلب يسوع الاقدس في عهدنا قد دعا كثيرين لوضع عدّة تآليف تقويّة تساعد على جني اثارها الروحيّة . ومن احسن ما نُشر في ذلك كتاب سمت بنشره لاوّل مرّة شركة قلب يسوع في البترون فراج لكثرة فوائده . وها هي ذا قامت بتجديد طبعه بعد تصحيحه وزيادة فروض تقويّة كثيرة عليه ليعمّ نفعهُ كلّ اخويّات قلب يسوع فانّ فيه اوّلاً كلاماً ملخّصاً في العبادة لقلب يسوع ثم بيان قوانين الشركة وجدول الغفارين الممنوحة للمنضوين اليها . ويليه عدّة رتب وصلوات تقام في الاجتماعات العموميّة مع انشيد للقربان الاقدس واعياد الشركة وفي آخرها فصول من كتاب الاقتداء بالمسيح تُتلى استعداداً للمناولة وفي الختام رسوم وخدمتها الجمعيّة الرئيسيّة لاخويّة قلب يسوع لانشاء شركات جديدة . فترى من هذه الخلاصة منفعة هذا الكتاب الذي أُحكم طبعهُ وأُتقن تجليدهُ

ل . ش

الاجوبة السديدة

وهو القسم الاول من الحقائق الدينية ازاء الاضاليل والاعتراضات العصريّة
بقلم الخوري يوسف العشيقي
بالمطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٤٠)

هذا بابٌ قد طرقهُ كثيرون من علماء الكاثوليك في عصرنا لدحض آراء الكافرين وسفاسف الجهلة الذين يردّدون كالببغاء ما يسمعونهُ من الاعتراضات على

الدين فيتشبثون بها كأنها براهين قاطعة وهي في الحقيقة اوهن من نسيج العنكبوت ولكن كم من ذُباب لا يستطيع النجاة من سدى العناكب ! وعليهِ نثني الثناء الطيّب على همّة حضرة الخوري يوسف العشيّ الذي عمد الى اشيع اعتراضات الملحدين في زماننا التي نفّدها السيّد دي سيفرر فبسطها للشرقيين بحيث لا يبقى للمعترض الّا ان يقرّ مذعناً للحقّ ما لم يُرد ان يكابرهُ ويأتي اثماً فظيعاً فلا يجوز لهُ يوم الحساب ان يعتذر بجهلهِ امام الديّان. ونشكر حضرة المؤلف خصوصاً على تفضيلهِ الاعتراضات التي شاعت حديثاً في بلادنا فوضع الهنّاء موضع النُقب جازاهُ الله خيراً ل . ش

النشرات الصادقة

بقلم الخوري انطون فرج من الاكليروس البطريركي
طُبعت في مطبعة الاخبار سنة ١٩١٣ (ص ٢٨ و٨٠)

يُدعى عصرنا عصر الانوار أفيا تُرى تبقى الحقائق الدينيّة وحدها محجوبة ؟ لا وايم الحقّ فانّ المعتقدات احقّ من غيرها « ان تُنير كلّ انسان آتٍ الى العالم » (يوحنّا ١ : ٩) كيف لا وهو الربّ القائل : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم » (متى ٢٨ : ١٩) ويقول الرسول (١ كور ٩ : ١٦) : « الويل لي ان لم ابشر » . ومن ثمّ ترى الكنيسة الكاثوليكيّة امتثالاً لدعوة منشئها تزرع كلام الله حيثما حلّت امّا بالتعليم الشفاهي وامّا بالكتابة . ويسرّنا انّ النشرات الدينيّة تنمو كلّ يوم وتكشف عن الدين القويم كلّ الشبهات . وممّا طُبع آخراً من ذلك في مصر « نشرات » بقلم احد فضلاء الروم الملكيين الكاثوليك حضرة الخوري انطون فرج الذي ساءهُ ابتعاد الاخوة المنفصلين عن الكنيسة الواحدة الجامعة فحاول بهذه النشرات ان يزيل عن قلوبهم غياهب الضلال باثباته انّ الكنيسة لا يمكنها الّا ان تكون واحدةً فقط وانّ هذه الكنيسة هي تلك التي وحدها تستطيع ان تثبت كونها كاثوليكيّة اي جامعة تشمل كلّ الاقطار والامم على خلاف الكنائس الخاصّة من نساطرة ويعاقبة وروم ارثدكس المنحصرة في حدود معلومة وقد عرض حضرة المؤلف هذه الادلّة على طريقة محسوسة قريبة المنال اعني طريقة محادثة بين كاهن وتلميذ . فعسى ان تأتي هذه النشرات بثمارها الغزيرة وتجمع القلوب بالوحدة كما طلبها السيّد المسيح بقولهِ « وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد » (يو ١٠ : ١٦)

من اين جئنا

تأليف الخوري مورو — تعريب الخوري لويس دريان
طُبع في بيروت في مطبعة الروضة سنة ١٩١٢ (ص ١٧٦)

انَّ الحقائق الفلسفيَّة والدينيَّة اذا كانت مبنيَّة على ركن علميّ كانت اثبت في العقل وارسخ في القلب . وممَّا نُشر بالطبع من هذا القبيل ثلاثة تآليف افرنسيَّة نفيسة لاحد كبار الفلكيين في عصرنا ألا وهو كاهن افرنسيّ يُدعى الخوري مورو (Moreux) الشهير بكتاباته العلميَّة واكتشافاته الفلكيَّة عنونها بهذه العناوين الثلثة « من اين جئنا — واين نحن — والى اين نسير » فزج فيها حقائق الوحي والتعاليم الوضعيَّة مزج الماء بالراح . وقد عمد حضرة الخوري لويس دريان المعروف بانشائه الرائق وذوقه السليم الى تعريب الكتاب الاوَّل المعنون « من اين جئنا » فاخرجهُ بالعربيَّة على صورة تكاد تشبه الاصل الشبه التام فنكَّه به قرَّاء جريدة الروضة تباعاً . وقد احسن بجمعهِ في كتاب مستقلّ يعتم فوائدهُ . وغاية ما يقال عنهُ انَّهُ من اجود الكتب التي يستطيع الأدباء ان يتداولوها ونشير على ارباب المدارس ان يجعلوهُ في ايدي طلبتهم ويعطوهُ كجائزة نفيسة لمستحقّيها . وأملنا ان لا يتأخر حضرة المعرّب ان يتحفنا بالكتابين الآخرين متَّعنا الله زمناً طويلاً باثار قلمهِ

ل . ش

كتاب آداب المراسلة (كتاب التلميذ)

تأليف الخوري بطرس البستاني
طُبع في المطبعة الماليَّة ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ١٧٣)

كان فنّ المكاتبات قبل خمسين سنة في بلادنا بديهيًّا يتعلَّمهُ الطالب بالتمرين الشخصيّ او بمطالعة بعض كتب التدريس المخلَّة المروفة بالانشاء كانشاء عطَّار وامثالهِ . على انَّ هذا الفنّ لم يزل يتحسَّن بهمَّة بعض ادبائنا العصريين كمحمَّد عمر نجا وعبد الباسط الانسيّ بين المسلمين وكالاخوين المرحومين سعيد ورشيد الشرتوني بين النصارى حتى اصبح سليم الذوق متوفر المادَّة . وقد كان حضرة الخوري بطرس البستاني اتحف ارباب المدارس بكتاب مستملح ضمَّنهُ العدد العديد من الرسائل العصريَّة فوفيناهُ حقَّهُ من الثناء سنة ١٩١٠ (المشرق ١٣ : ٥٤) وكنَّا ختمنا ذاك

الوصف بابداء رأينا لوضع كتاب مدرسيّ لتمرين الطلبة على آداب المكاتبة فهوذا المؤلف قد حقّق امانينا فوضع هذا الكتاب على ثلثة اقسام اودع القسم الاوّل بيان آداب كلّ باب من ابواب المراسلة على طريقة السؤال والجواب . والثاني خصّهُ بنصوص الرسائل ليقف الطالب على ممارسة الفنّ عملًا . والثالث فيه رسائل مختصرة يلزم الطالب توسيعها بعد معرفته لمضامينها . فجاء احسن كتاب نعرفهُ لمزاولة هذا الفنّ واتقانهِ بزمن وجيز ل . ش

قدوة الحسان في ابنة رولان

مأساة ذات اربعة فصول عرّبها الخوري بولس البستانيّ

طبع بمطبعة صبرا في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ١٤٠)

كان تفكّه قرّاء الجمالية بمطالعة هذه المأساة التي نُشرت في اعدادها تباعاً . ولا غرو فانّها تأليف احد نوابغ الشعراء الفرنسويين الفيكونت هنري دي بورنيه (H. de Bornier) وقد شخّصناها غير مرّة في مرسح كليّتنا فاصابت لدى الحضور استحساناً وافراً . ويا ليت المعرّب كان كساها من شعرهِ ثوباً قشيباً لكانت اوقع في النفوس وكذلك يقتضيها بعض التحوير ليسهل تمثيلها في المدارس حيث لا يليق تشخيص ادوار نسائيّة . وعلى كلّ نشكر حضرة الخوري بولس البستاني على اختيارهِ هذا الاثر الادبيّ لتقريب معانيهِ البليغة من اهل الوطن ل . ش

دليل لبنان وسوريّة

الجزء الاوّل لمنشئهِ بولس مسعد

طُبع في مصر سنة ١٩١٢-١٩١٣ (ص ٤٥٢)

كان الاحرى ان يُدعى هذا الكتاب " دليل العالم الشرقيّ " بل العالم الغربيّ ايضاً لان صاحبهُ الاديب بدلًا من ان يحصر كلامهُ في سوريّة ولبنان اتّسع في ابحاثهِ فتصدّى لامور متعدّدة لا علاقة لها مع سوريّة ولبنان . فانك تجد في هذا الدليل كلاماً مطوّلًا عن بلاد وعناصر ولغات واديان لا اثر لها في سوريّة فكأنّ المؤلف حفظهُ الله اراد ان يصنّف دائرة علميّة مختصرة فيتتبع القارئ في هذه النوافل حتى ينسى لبنان وسوريّة . وكم من امور هناك تحتاج الى زيادة تدقيق نقلها الكاتب عن مصادر لا يوثق بها فلو اردنا ان نتتبّعها لانتقادها لاحتجنا الى صفحات مطوّلة .

فانَّ في كلامهِ عن الطوائف الشرقيَّة وتواريخها عدَّة اقاويل غير ثابتة لا تنطبق مع حقيقة الواقع. على انَّنا نثني على همَّتهِ ووفرة مطالعاتهِ وجودة انشائهِ فان اراد ان ينفع مواطنيهِ فليتَّخذ مثالًا من الادلَّة الاوربيَّة كادلَّة بديكر (Baedeker) او جوان (Joanne) وغيرهما فيبتدئ بكلام عامّ عن سوريَّة ولبنان جغرافيًا وتاريخيًا ثمَّ ينتقل الى قسم قسم منهما فيصفهُ ماديًا وادبيًا بكلام موجز مشيرًا عند اللزوم الى تآليف اطول يمكن مراجعتها. ويخصّ المدن المهمَّة بوصف تاريخها وابنيتها ومعاهدها وحركتها التجاريَّة والعلميَّة الى غير ذلك ممَّا يحتاج اليهِ السيَّاح وغيرهم وينبذ وراء ظهرهِ ما لا يدخل في الموضوع. اما حاجتنا في دليل سوريَّة ولبنان الى تعريف اصل الخطّ في العالم والى وصف اللغات الهنديَّة والاوربيَّة كالسنسكريتيَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة. وماذا يهمُّنا تاريخ الحبش والاقباط والحميريين والوهابيين والصابئين واليزيديَّة وتعريف شيع البروتستانت وطوائف اليهود؟ هذا ما بدا لنا بمراجعة دليل لبنان وسورية واملنا انَّ المؤلف يصلحهُ في طبعة ثانية حتى يصير دستورًا يرجع اليهِ كلّ من يريد الاطلاع على احوال وطننا العزيز ل . ش

جداول عمومية لمعرفة درجات القرابة بين طالبي الزواج

للشماس عانوئيل ابي حطب

يفيدنا حضرة مؤلف هذه الجداول انَّها « نتيجة اسفار طويلة واتعاب جزيلة » ليسهّل على طالبي الزواج معرفة درجات القرابة الواجب مراعاتها في هذا السرّ عند الروم الاورثذكسيين. وهي موضوعة على طريقة مبتكرة شرح في ذيل الجداول كيفيَّة استعمالها. وقد سبق الكاثوليك الى اصطناع جداول اوضح منها طبعوها في كلّ اللغات منها جداول على شكل اربع دوائر طُبعت في مطبعتنا على الحجر سنة ١٨٩١ يُستدلّ بها من اوَّل نظر الى درجات القرابة. وعلى كل حالٍ نوصي الروم الاورثذكس باقتناء هذه الجداول المطبوعة في نيويرك

ارغنون

مجموعة اشعار لمحمَّد افندي بهجت

طُبع في الاستانة في مطبعة طنين سنة ١٣٢٧ (ص ١٤٢)

اهدانا جناب استاذ اللغة التركية في كليتنا هذه المجموعة البديعة المتضمنة ٥٦

قصيدة من نظمه في امة بني عثمان فعرضناها على المتعمقين في الآداب التركية فاجمعوا على استحسانها واثنوا على رقتها وتفنن ناظمها الذي كتبها في مواطن متعددة اذ كانت تستفزه القريحة بازاء مشاهد الطبيعة او الاحداث التي تقلب فيها في الاستانة العلية وسلانيك وبيروت من السنة ١٣٢٣ الى ١٣٢٧ . وقد جمعها كلها تحت عنوان « ارغنون » اشارةً الى آلة الطرب المعروفة بكثرة نغماتها ل . ش

شذرات

يا بتول اتحفنا الاديب الشماس منصور اسطفان من طلبة مدرسة الحكمة الزاهرة بهذه القصيدة التي نظمها بنسبة الشهر المريمي في مديح العذراء الطاهرة على مثال القصيدة الشطرانية الشهيرة:

يا بتولاً مثل نجم في فضا الآفاقِ ناقْ انتِ للطهرِ مثالٌ في سما الإشراقِ فاقْ

*

يا بتولاً بسرى تمديحكِ الاشعارُ عارْ وبكِ النظم علا مزدهياً كالنارْ
فبَي الكاتبَ ان ينظمَ عقداً ثاقباً فعسى في جيدكِ الزاهي درى المقدار دارْ(١
انتِ للخلّاقِ امٌ زانها حسن التقى انتِ للروحِ عروسٌ من سناها النارُ غارْ
انتِ للطهرِ اناءٌ ضمَّ فيه باسمٌ يشتفي منه جنانٌ ليس بالصبّار بارْ
انتِ امي انتِ فخري انتِ ذخري مريمُ انتِ عوني فيكِ قلبي نجمةَ البحّار حارْ
قد هجرتُ الاهلَ والاوطانَ فيكِ والحمى وفؤادي بهوى العذرا عن الاقدار دارْ(٢
فوجدتُ الجودَ في باحاتها مندفقاً ولقيت طالبَ الانعامَ باليسّار (٣ سارْ
ووجدتُ الاثمَ ممحوًّا لِمَنْ جا تائباً يذرف الدمعَ سخيّاً وهو بالاوزار زارْ
ولقيتُ الصفوَ والافراحَ فيها والتقى ولقيتُ الحبَّ فيها بنيةَ الانصار صارْ
ايها العذراء امي بلّغي قلبي المنى اذ غدا يرجو العطايا والى الاوطار طارْ

*

حبُّكِ الحارُّ قلوبَ الوُلدِ والعشّاق شاقْ وسنا قلبكِ والاحشاء بالخلّاق لاقْ

١) اي عرف العالم قدرك ٢) الاقدار بمعنى الاموال ودار تحوّل ٣) اليسّار كاليسار

قد رضعتُ الحبَّ طفلاً فمَ الألبان بانْ وسقيتُ القلبَ ماء لحشى الغصّانِ صانْ
فغدا الحبُّ شرابي منعشاً في القوى وبكِ القلبُ ولوعاً ليس بالأيمانِ مانْ (١
وأسلكِ العذبُ لقد عُلِّمتهُ من قبلما قد غدا في يقول الشعر بالاوزان زانْ
ودرستُ البرَّ والتقوى على عذرانا قبلما لُقِّنتُ نحواً لحجى الاذهانِ هانْ
فيكِ ابغي الخيرَ لا القىَ شقاً او كرباً انَّ من لاذ ببحرٍ فهوَ للمرجانِ جانْ
واذا لذتُ بكِ العمرَ فلا اخشى الردى لا كن لاذَ بظبيٍ فرشا عسفانَ فانْ (٢
فيكِ يضحي الموتُ يا مريمُ حلواً طيباً انَّا طرفي اليكِ في قلا الهجرانِ رانْ
قد وقفتُ العمرَ غصناً للجمالِ المرعي فاقبليه فهو اضحى فيكِ كالسوسانِ سانْ (٣
واكلاني يا أمَّ ولداً قد اتى مستنداً رحمةً منكِ وما هو عن ندى الرضوانِ وانْ
إنْ شقياً فاقبليني مثلَ عبدٍ نادمٍ كلُّ عبدٍ في حماكِ ثابتَ الاركانِ كانْ

وفاة عزيز استأثر الله برحمته احد اخوتنا المرسلين الذي له على هذه المجلة فضل يُذكر نزيد به المأسوف عليه الاب انطون رباط اليسوعي فعظم علينا فقده ورسالتنا تعوّل عليه لخدمة الوطن العزيز لسنين طويلة اذ لم يتجاوز السادسة والاربعين من عمره . وقد اسعدنا الله بمعرفته منذ صباه فاطّلعنا على ما خُصَّ به من التقى والخصال الحميدة . وكنّا اوّل من اوقفهم على دعوته الى الرهبانيّة ولم نزل منذ ذاك الحين نتتبّع خطواته في ترقيه المتداوم في معارج البرّ واحرازه للعلوم الدينيّة والدنيويّة . فبرع فيها كلّها حتى امكنه ان يكتب في كل الامور المطروحة في زماننا على بساط البحث تدلّ على ذلك قاطبة كتاباته التي خلّفها من بعده . وكان الفقيد مولعاً بالآثار الشرقيّة فجمع منها في باريس ولندن ورومية وحلب ودمشق ما لم يحصل عليه الّا افراد معدودون . وقد نشر من هذه الآثار خمسة اجزاء أقبل عليها المستشرقون واغاضوا في الثناء على نشرها الذي ذيّلها بالملحوظات المفيدة . وان شاء الله سيواصل اخوته نشر اقسام اخرى منها . وقد كان الرؤساء قد عيّنوا الفقيد للكتابة في المشرق فزيّن صفحاته بعدّة مقالات منها روايته في البرامكة التي يجوز لنا القول انّها احسن رواية طُبعت في العربيّة واجمع في تصنيفها كلّ ما كتبه المؤلفون الشرقيّون في بني برمك فادمجه في الرواية على طريقة مبتكرة . ومنها مقالاته في الانجيل الشريف

١) مان كذب ٢) الرشا صغير الظباء وعسفان مكان ٣) السانى كالسنى

التي نُشرت على حدة وضمّنها الادلّة القاطعة على صحّة الاناجيل وصدق نسبتها الى المبشّرين الاربعة وسلامتها من كلّ تحريف وكلّ ذلك على طريقة علميّة . ومن منشوراته رحلة اوّل رحّالة شرقيّ الى اميركا في القرن السابع عشر وترجمتا الطيّبي الذكر الكبير ثاوفيطس نصري اسقف صيدنايا وعبدالله قرألي ودحض الآراء الكاوينيّة للبطريرك مكساريوس ابن زعيم الحلبيّ وغير ذلك . وقد حرّر المرحوم جريدتنا البشير مدّةً . وكان يُحسن الكتابة الفرنسويّة وينظم فيها النظم الجيّد . وكان فضلًا عن ذلك واعظاً بليغاً وخطيباً مصقعاً فطلبهُ البطاركة والاساقفة مرارًا ليلقي في كنائسهم المواعظ والرياضات التي كان يتوارد اليها نخبة الرجال فضلًا عن جمهور الشعب وكان لا يخاف في سبيل خلاص النفوس تهديدات الاشرار كما اثبت ذلك فعلًا في بيروت وعكّار وعمشيت ولعلّ ما نالهُ من سوء فيّاتهم كان احد اسباب المرض العُضال الذي مُني به فاحتمل مدّة سنتين مُضضهُ بصبر جميل فمات متقدّماً حياتهُ كضحيّة لمجد الله تعالى وخلاص النفوس وكانت وفاتهُ يوم عيد العنصرة ١١ أيار

محلّل السرقة والسارق قرأنا في عدد الكلمة الصادر في نيسان الاخير (ف ٢٤١) نبذة بهذا العنوان « رئيس الاساقفة الكاثوليكي يحلّل السرقة » فاخذنا العجب من تحليل الاسقف المذكور واسرعنا الى قراءة الخبر فاذا بالسيّد هراويني الارثدكسيّ يصيح بالويل والثبور لأنّ رئيس اساقفة اوستراليا « السيّد كيلي البابويّ » خطب فيما بين القوم فقال : « اذا كان رجلٌ جائعاً وانهُ محترقاً ظمأً يستطيع ان يسلب ما في جيب رجل آخر » روى هذا السيد هراويني واردف روايتهُ بقوله : « قد تناقلت الاسلاك البرقيّة في جميع انحاء المعمور امر هذا التعليم من رئيس اساقفة وقائد امّة ولكن ما العمل وهذا مبدأ قديم ؟ سرى عليه البابويّون وجنودهم منذ القديم اذ علموا ان الغاية تبرّر الواسطة » . فيا لله اهذه كتابة اسقف ؟ او هذا مبلغ علمه ؟ فاين هذا من السرقة ؟ افلا تعلم أيها السيّد انّهُ واجب لازب على الانسان ان يتّخذ الوسائط ليصون حياتهُ من الموت فان كان اضنكهُ الجوع واحترق ظمأً كما رويت كيف تجهل بانّ كلّ الشرائع الدينيّة والمدنيّة تجيز لهُ بان يمدّ رمقهُ بأخذ ما يحتاج اليه لذلك وان كان لا واسطة هناك الّا أنْ يأخذ شيئاً من مال قريبه ففعلهُ هذا لم يُعدّ سرقةً لانّ « الضرورة الماسّة لا شريعة لها »

كما يقول المثل . وفي حالة الضرورة يجب على القريب ان يساعدك وان أبى اخلّ بواجباته فجاز للمدنف على الهلاك ان يأخذ حاجتهُ لحفظ حياته أفنسيت الرسل المقتلعين السنبل في السبت . فباستعظامك لهذا الامر ايها السيد هواويني اعربتَ عن جهل غريب لا بل سرقت سرقةً تستوجب في كلّ الشرائع الدينيَّة والمدنية عقاباً صارماً وهي ثلبُك لصيت رئيس ديني معروف بعلمهِ وتُقاه . بل نراك جريت على ذاك المبدأ الوخيم الذي نسبتهُ زوراً للكنيسة الكاثوليكيَّة « الغاية تبرّر الواسطة » لأنك في كلّ عدد من اعداد مجلّتك تتوسّل بكل الوسائل مهما كانت اثيمة (١ لترشق الكنيسة الرومانيَّة . ولكنْ سهامك طائشة لا تجرح غير راميها

التربية الحرَّة ساءنا اننا رأينا في الجزء الحادي عشر من المقتبس الصادر في ذي القعدة ١٣٣٠ (ص ٨٢٨ — ٨٤١) مقالة عرَّبها صاحب المجلَّة جناب صديقنا محمَّد افندي كرد علي في التربية الحرَّة والتعليم الحرّ فصادق على اقوال مؤلفها والمراد بهذه التربية وهذا التعليم الحرّ تجريدهما من كلّ صبغة دينيَّة . وكيف لا نساء نحن بل كلّ مسلم بل كلّ رجل عاقل من استصابة امر كهذا أفيريد جناب صاحب المقتبس انَّ صغار امَّتهِ يتربَّون دون معرفة خالقهم في جهل واجباتهم لمأة وجودهم . فهذه هي التربية الحرَّة وهذا هو التعليم الحرّ . وقد كتبنا في ذلك فصلين مطوَّلين في المشرق سنة ١٩١٠ (ص ٦٢٠ و ٦٩٠) بيَّنا فيهما انَّ المدارس العلمانيَّة معاديةٌ ابداً للاديان وانَّه لا يمكن ولا يجوز ان تكون المدارس علمانيَّةً بلا دين فليراجعها وينتقد عليها لنعرف حججهُ في ذلك

الكليات اليسوعيَّة في اميركة لليسوعيين في الولايات المتحدة سبع كليَّات او جامعات فضلاً عن عدَّة مدارس كبيرة : منها كليَّة جورجتون التي قرَّرت الحكومة انشاء مرصد فلكيّ فيها عيَّنت لهُ كمدير احد اساتذتها الاب نوندورف . وفي هذه السنة نُصب تمثال للسيد جون كارول اوَّل اساقفة باليمور سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة ومنشئ هذه الكليَّة بحضور نيافة الكردينال جيبونس وكلّ عمدة الحكومة — ومنها كليَّة سبوكان (Spokane) التي خصَّصت في العام الماضي

١) وقد جعلت جريدة البشير الف فرنك جائزة لمن يمكنهُ ان يثبت ان المبدأ المذكور قد ورد في احد كتب اليسوعيين فليسرع السيّد هواويني ويكتسب الجائزة !

فرعاً لدرس الحقوق الدولية — ومنها كلية فوردام (Fordham) الشهيرة بتعاليمها ورئيسها الاب ماك كاوسكي (Mc Gloskey) الشهير بنفوذه ومعارفه . ومن فروع هذه الكلية مكتبان كبيران احدهما للطب يلحق به مستشفى واسع والآخر لدرس الحقوق ولهم مكتب ثالث لمعالجة الصم يعرف بمكتب « افتح » تُعنى به فئة خاصة (The Xavier Ephpheta) . والكردينال الاميركي فارلي (Cardinal Farley) من تلامذة هذه الكلية — ومنها الكلية المنسوبة للاب ماركت اليسوعي مكتشف نهر ميسيسيبي (Marquette University) في ميلفوكي (Milwau-kee) وقد افتتحوا بها في العام الماضي فرعاً لتدريس الطب — ومنها كلية مار لويس (S' Louis University) في بلاد لوسيانا التي جهزوا فيها في العام الماضي مرصداً للظاهر الفلكية مع جهاز التلغراف اللاسلكي يبلغ الاخبار الى مسافة ١٥٠٠ كيلومتر — ومنها كلية لويولا (Loyola University) اضافوا اليها في اول العام المنصرم مكتباً للصيدلية في نيو اورليان (New Orlean) — ولهم كلية في شيكاغو شهيرة واخرى في سان فرنسيسكو وقد روى البشير آخراً ان راهبين من اساتذتها الاب روزتين والاب باور توفقا من اختراع مصل شاف من داء السرطان

حمام لزاجل — مرّت للشرق (٨٢٥:٦) مقالة في هذا الحمام وخواصه ومما روت احدى المجلات الاوربية ان احد الاطباء في بوسطن من حواضر الولايات المتحدة اذا عاد مرضاه استصحب معهُ بعض حمام الرُسل واذا وصف للمريض دواء ورأى في الامر مسيساً اخذ حمامة وكتب وصفة دوائه فعلقها تحت جناحيها ويطيرها فتذهب مسرعةً الى بُرجها عند اجزائيّ فيأخذ الوصفة ويعدّ الدواء ويرسله مع احد راكبي الدرّاجات او الاوتوموبيل فبعد دقائق يصل الدواء الى صاحبه

آخر احصاء اليهود في العالم — نشرت مجلة العالم الاسرائيلي الفرنسوية قائمة اليهود في الارض كلها قالت ان مجموع اليهود يبلغ ١١,٨٧١,٧٨٣ نفساً منهم في اوربة ٨,٨٤٢,٢٦٦ وفي اميركة ١,٨٩١,٤٠١ وفي آسية ٥٢٢,٦٣٣ وفي افريقية ٢٤١,٨٦٧ وفي اوقيانية ١٧,١٠٦ . ومعظم اليهود الاوربيين في روسية حيث يبلغ عددهم ٥,١١٠,٥٤٨ ثمَّ النمسة ١,٢٢٤,٨٩٩ ثمَّ المجر ٨٥١,٣٧٨ ثمَّ المانية ٦٠٧,٨٦٢ ثمَّ تركية اوربة ٢٨٢,٢٧٧ ثمَّ رومانية ٢٦٦,٦٥٢

ثمَّ ايطالية ٥٢,١١٥ ثم بافارية ٣٣,٦٦٥ . امـاً اوفر المدن بعدد اليهود فنيويرك وفيها ١,٠٦٢,٠٠٠ يهوديّ ثمَّ ڤرسوڤيا ٢٥٤,٧١٢ ثمَّ بودابست ١٨٦,٠٤٧ ثمَّ ڤينا ١٤١,٩٢٥ ثم لندن ١٤٤,٣٠٠ ثم اودسا ١٣٨,٩٣٥ ثمَّ برلين ٩٨,٨٩٣ الخ

أسئلة وأجوبة

س سألنا حضرة القس برنردس غيبرة ماذا يُعرف عن القديس البانوس الذي ذُكر استشهادهُ في عين زربه في السنكسار الارمنيّ في تاريخ ٢١ كانون الاوّل

القديس البانوس شهيد عين زربة

ج بحثنا كثيراً في كلّ ما لدينا من المطبوعات والمخطوطات عن الشهيد البانوس العين زربيّ فلم نجد لهُ ذكراً لا في اعمال القديسين ولا في السنكسارات المتعدّدة ولعلّ الاسم قد تصحّف وسنعرض السؤال على الآباء البولنديين الذين لم يفتهم شيء من اخبار القديسين

س سأل الاديب يوسف افندي صنبر ان نفيدهُ شيئاً عن ارجوزة العجّاج

ارجوزة العجّاج

ج للعجّاج عدّة اراجيز منها فائيّتهُ « يا صاح ما هاج الدموعَ الذُرَّفا » ومنها الجيميّة « ما هاج احزاناً وشجواً قد شجا » ومنها الرائيّة « جاريَ لا تستنكري عذيري » ورائيّة اخرى بدؤها « يا صاح ما ذكّركَ الأذكارا » ورائيّة ثالثة اوّلها « أنيخَ مسحولٌ مع الصغار » ومنها السينيّة « كم قد حسَرنا من علاقٍ عنّسِ » ومنها البائيّة « بكيتُ والحزن البكيُّ » وهذه الاراجيز طبع بعضها في ڤينّا المستشرق النمساوي ر. غاير (R. Geyer) ونُشرت في كتاب اراجيز العرب الذي نشرهُ في مصر السيّد محمّد توفيق البكري سنة ١٣١٣

س وسأل مستفيد اين يوجد كتاب صنعة الكاتب لابي الفرج قدامة بن جعفر وهل طبع الكتاب ومتى كان مؤلفهُ

ج لا ذكر لهذا الكتاب في مخطوطات خزائن كتب اوربّة كما اننا لم نجدهُ في جملة تآليف قدامة بن جعفر المذكورة في الفهرست لابن النديم (ص ١٣٠) وقد قيل انَّ منهُ نسخةً في مكتبة باريس لكننا لم نجد اسمهُ في فهرست كتبها . امّا قدامة المقول عنهُ انهُ مؤلفهُ فكان في القرن العاشر للمسيح وتوفّي سنة ٣١٠ هـ ل.ش

السنة السادسة عشرة العدد ٧ تموز ١٩١٣

المشرق

عنصر الكربون

نظر لحضرة الاب اسكندر طاوران اليسوعي

بيَّن لك وصفُنا للخلايا الحيَّة واعمالها العجيبة (راجع الاعداد السابقة ص ١٦١ و ٢٥٠) ما اودعهُ الله في جراثيم الحياة من القوى الكامنة. ولعلَّ ذاك الفعل يلوح بنوع اعجب في احد الاركان المعروف عند الكيميويين بعنصر الكربون

وما ادراك ما الكربون؟ جسم تراهُ منبثًّا في كل اطوار الطبيعة تراهُ بالعيان حيثما سرت ومهما لمحت. لا غنى لك عنهُ في كل امور المعاش. يدخل الكربون في تركيب لحمك وعظامك. ان اكلت امتزج الكربون بطعامك. وان لبست ثوباً خالطهُ الكربون. تستخدمهُ السيدات لحليهنَّ والملوك لتيجانهم. اذا خيَّم عليك الليل التجأت الى الكربون للاستنارة بضوئهِ وان ركبت البحر ساوت بك السفن بقوَّة بخارهِ. حاول الصعود الى الجوّ فيعيرك جناحيهِ لترقى في المناطيد. انفذ في اعماق الارض تجد الكربون مخزوناً في طبقاتهِ لخدمتك. ان قرسك البرد يدفئك الكربون وان تهدَّدك العدوّ رددتَ غاراتهِ بالكربون وليس البارود والديناميت وبقيَّة الاجسام المتفجرة سوى مركَّبات يمتزج الكربون بعناصرها

*

دعنا نمعن النظر في الكربون لعلَّنا ندرك شيئاً من خواصهِ الجوهريَّة. قلنا ان الكربون عنصر من عناصر الطبيعة والكيميُّون يريدون بذلك انَّهم لا يستطيعون ان يحلّلوهُ الى مركَّبات اخرى فهو من هذا القبيل على شبه الاوكسيجين والهيدروجين والازوت. ولكن شتَّان ما بينهُ وبينها من حيث وجوه كيانه فانَّ بقيَّة الاركان لا

تكون في الطبيعة الّا على حالة واحدة فبعضٌ منها جامد صَلب والبعض مائع سيّال او غازيّ وان اردتَ ان تغيّر حالتها هذه الطبيعيّة لتُسيل الجامد وتجمّد المائع احتجتَ الى عوامل قويّة كالنار والكهرباء على خلاف الكربون الذي تجدهُ في الطبيعة على احوال متباينة فهو تارةً جامد ذو صلابة تفوق على صلابة غيره وتارةً ناعم ملس كأنهُ الدقيق او أنعم لونهُ يتراوح بين السواد والصفرة والحمرة والكدة وربّما كان شفّافاً كالزجاج لا لون لهُ واسماؤهُ تختلف على اختلاف هيئاتهِ وصورهِ

من منّا لا يعرف الفحم . والفحم الخالص هو نفس الكربون . والكيميويّون يدعون فحماً اجساماً متعدّدة نحسبها لاوّل وهلة اجراماً متباينة التركيب . مثال ذلك سواد (شحّار) الداخن وسناج الاسرجة وفحم الخشب وضروب الفحم المكتنزة في قعر الارض منها نباتيّة ومنها معدنيّة (lignite, tourbe, houille, anthracite) فكلّها كربون مع بعض الاخلاط التي افسدتها . ومثلها البلومباجين التي يصطنعون منها الاقلام الرصاصيّة والسَّبج اي الخرز الاسود ثم العنبر والكهرب الاصفر اللذان تُستحضَر منهما القلائد والسُّبحات للتلهّي فهي ايضاً تراكيب الكربون . وان شئت كربوناً خالصاً من كل شائبة فدونك الالماس

فيا لله كيف يبرز العنصر الواحد تحت هذه الصور المتعدّدة . كيف جمع الله في ركن واحد خواصّ مختلفة حتى تراهُ ذليلاً مبتذلاً لا قيمة لهُ في بعض هيئاتهِ وهو على عكس ذلك جليل القدر غالي الثمن نادر الوجود في هيئات اخرى . فالغنيّ والفقير كلاهما في حاجة اليهِ

اعلم انّ الطبيعة كلّها ملأى من عنصر الكربون سواء كان في الكائنات الجامدة او في المخلوقات الحيّة . وهذا العنصر في حركة متدارمة فحيناً يتحلّل ويتقسّم وحيناً آخر يتركّب ويتجمّع . وليس هناك عوامل ميكانيكيّة قديرة تقوم بهذه الاعمال كما يفعل ارباب الكيميا في مختبراتهم بل عوامل طبيعيّة بسيطة تشتغل دون سأم ولا ملل فتؤلف تلك العناصر وعلى الخصوص عنصر الكربون فتستقهُ وتفردهُ ثم تركّبهُ وتنضدهُ . وتلك العوامل هي الخلايا الحيّة في النبات وليست كلها على سواء بل الخلايا المجهّزة بحبوب الكلوروفيل وهي المادّة الملوّنة الاوراق بالخضرة

فانَّ تلك الخلايا الخضراء اذا عملت فيها اشعَّة الشمس استحضرت كل يوم في كل نبات كميَّاتٍ من الكربون لا يحصيها الَّا خالقها وذلك على وجه الارض باسرها

ولعلَّ القارئ يسأل وكيف نعرف انَّ في النبات كربوناً ؟ ذلك لمن اسهل الامور . خذ رزمةً من الحشيش او قطعة من الخشب فألقهما في النار لا تلبث ان تجد بعد احتراقهما فحماً اي كربوناً — ضع كسرةً من الخبز على جمرة نار يتبخَّر ما فيها من الماء ثمَّ يسودّ الخبز فيحترق فهذا الكربون بعينه لأنَّ خبزك السميذ كان الكربون احد مركَّباته . كذلك اللحم اذا عرضتهُ على النار زمناً طويلاً اسودَّ وفحُمَ وهو ايضاً يحتوي كربوناً الَّا انَّ كربون اللحم على خلاف الخبز قد مرَّ بعمل حيّ فانَّ الحيوان رعى الكربون من النبات ثمَّ حوَّلهُ بفعل خلاياهُ الحيَّة الى لحمهِ . ومنهُ ترى انَّ أجرام النبات كما الحيوان تتكوَّن من خلايا النبات الخضراء . اي من الكربون لانَّ الكربون هو معظم ما فيها من العناصر وان كان يدخل فيها عناصر اخرى غيرهُ

والدليل على وفرة كمية الكربون ان تحرق خشباً في اتون تعزلهُ عن الهواء الكرويّ لئلَّا تتطاير موادُّهُ في الهواء فبعد احتراقهِ وتحوُّلهِ الى فحم تجد انَّ جرمهُ لم يختلف عمَّا كان قبل احتراقهِ . وليست مناجم الفحم التي تُستخرَج في ايَّامنا من بطن الارض في بلاد عديدة (ولا يخلو منها لبنان) سوى مستودعات عظيمة من فضَلات النبات الذي نما في اطوار الاجيال السالفة ثمَّ دفنتهُ في قعر الارض التقلُّبات الجيولوجيَّة فاختمر بفعل حرارة الارض حتى تفحَّم . وكذلك قُلْ عن مناجم النفط الذي ينبع في كوكبة وجهات بحر لوط وفي نواحي الموصل وفي بعض الاقطار الاوربيَّة . واشهر من النفط مناجم غاز البترول التي تُستخرج من بلاد عديدة وتُنقَل الى اقاصي المعمور . ومن المحتمل انَّ منها منابع في شمالي سوريَّة كما يروي الرواة . فالنفط والبترول يتركَّبان غالباً من الكربون الارضيّ بفعل الاستقطار الطبيعيّ . وان تتبَّعتَ تغيير احوالهِ رقيتَ من النفط والبترول الى الكربون المتجمِّد ومنهُ الى النبات الحيّ ثم الى الخلايا الاصليَّة التي بفعلها كوَّنت هذه الاجرام منذ الازمنة الخالية لتكون في عهدنا مستودعات وقودنا واصطلائنا واستصباحنا بل مؤونة قوانا وتحريك ادواتنا وآلات معاملنا . فسبحان الله الذي سبق فدبَّر كلَّ شيءٍ لخير البشر

لم يدع العلماء في عهدنا كائناً من الكائنات المادّيّة الّا شرّحوهُ وبحثوا في كلّ اقسامهِ حتى بلغوا منتهى دقائقهِ . حلّلوا الاهوية والابخرة سبروا اغوار البحار وشخّصوا ما فيها من مواليد الطبيعة . فكّكوا اصمّ الصخور والمعادن . استقصوا البحث عمّا تمجُّهُ الارض من اعماقها كحُمَم البراكين والمياه المعدنيّة او الغازيّة . انتقدوا كلّ ما في عالمنا من جماد ونبات وحيوان وآليّات ومختمرات وعفنيّات لئلّا يفوتهم شيءٌ من اسرارها . فكانت نتيجة ابحاثهم انّ كلّ تلك المواليد الغير المتناهية عدّاً ونوعاً وفعلاً يكاد تركيبها يعود في الغالب الى اربعة عناصر وهي الازوت والكربون والاوكسيجين والهيدروجين . والسَّبَق بينها مضمون لعنصر الكربون الذي نحن في صددهِ فهو داخل في تركيب كلّ ما يحيا على الارض من نبات او حيوان

فان اكلت خبزًا او لحماً او ثمرًا تردد كميّات من الكربون لانك ان عرضت هذه المآكل على النار تتفحّم وتتكربن . وان اردت طبخ طعام توقد نارًا من فحم خشبي او معدني وللحال ينبعث دخان اسود . فهذا كربون . ولعلّك تعمد الى الغاز او البترول او الى البنزين ظنًّا منك انّهُ ليس هناك فحم او كربون . كلّا سامحك الله والدليل عليهِ ان تجعل فوق لهيب الغاز صفيحة من زجاج او صحناً ابيض فتراهُ يسودّ من وقتهِ . فكفى بهِ شاهدًا على انّ الغازات والمائعات متركّبة من الكربون . وان اردت قائلًا : ها اني أوقد شمعةً بيضاء فليس هناك فحم والفحم اسود . قد اغتررتَ يا صاح فانّ الشمع سواء كان عسليًّا او شحميًّا او غير ذلك فالكربون هو معظم كيانهِ . ولعلّك تلتجئ في آخر الامر الى الكهرباء الّا انّ مولّد الكهرباء هو غالباً محرّك يمشي بقوّة الفحم او هما قطبان من الفحم يتكهربان سلباً وايجاباً

هلمّ بنا الآن الى البقاع لنتجوّل في الحقول او الحدائق . ترى امامك نباتاً وزهورًا واغصانًا وشجرًا . ان اعملت فيها نارًا عاينت للحال فحمًا وحيثما سرت وأنّى تقلّبتَ وجدت الفحم محدقًا بك شئت ام أبيت . وان سألت من اين لكل هذه الكائنات كربونها ألعلّها امتصّتهُ من اعماق الارض ؟ كلّا . احفر اذا شئت وعمّق فلن تجد في الارض كربونًا . وان ألفيت شيئاً منهُ وجدتهُ في حالتهِ الطبيعيّة لم يظهر فيهِ ادنى أثر التحليل لانّ الفحم المدفون لا يعمل فيهِ الفساد حتى بعد كرور الاجيال الوافرة

فكيف اذن اجتمعت في هذا النبات في هذه الاشجار الباسقة وفي هذه الغابات الواسعة تلك القناطير المقنطرة من الكربون ؟ اين خزانتها التي استمدّت منها لحمها لتنمو وتبسق في العلاء وتمدّ افنانها الوارفة في الجوّ ؟ اليس هناك منجم كربون او نقول انّهُ خُلق من العدم ؟ ومن المعلوم انّ الله وحدهُ يبدع الموجودات من العدم

كلّا ايها العزيز انّ هذه الكميات الوافرة من الكربون لم تصدر من لا شيء . امّا اذا سألت ما هو اصلها فاجيبك انّ هذا الكربون كان في الاصل منبثًّا في كلّ الانحاء . فمنهُ في الارض ومنهُ على الاخصّ في الهواء الكروي لكنّهُ ليس هناك متجمّدًا صلبًا كالفحم الماديّ مستدقًّا ناعمًا كما يُرى في الدخان المتطاير الى الجوّ وانّما هو على هيئة الموانع الغازيّة

فذاك الغاز اذا تسلّط عليهِ غاز آخر وهو الاوكسيجين امتزج بهِ وضمّهُ الى نفسهِ بحيث يصبح كلاهما جسمًا جديدًا مستقلًّا ذا خواصّ جديدة نريد بهِ الحامض الكربونيك .

وهذا الحامض لو بقي في الجوّ وزادت كمّيّاتهِ لأضحى سمًّا قاتلًا لمن يستنشقهُ الّا انّ الله تلافى ذلك الخطر بان ينفذ فيهِ نور الشمس وبنفوذه تستطيع اوراق النبات والاشجار ان تحلّل دقائقهُ فتمتصّ ما فيهِ من الكربون لتغتذي بهِ . امّا الاوكسيجين فيتطاير الى الجوّ ليستنشقهُ الانسان والحيوان ولا غنى لهما عنهُ . وعلى هذه الصورة تعمل خلايا النبات بكلّ سهولة ما لا يستطيع فعلهُ الكيمويّ الّا بعد الكدّ والجدّ وهي تخدم نفسها والحيوان معًا

ولعلّك تسأل ومن اين تصدر في الجوّ هذه الكميّات العظيمة من الحامض الكربونيك التي تحلّلها اوراق النبات اغذائها

ينبعث الحامض الكربونيك منك ايها القارئ ومني بل من كلّ انسان ومن كلّ حيوان حتى من اصغر الحشرات واسماك البحار . لانّ كلّ ما فيهِ نسمة حياة يولّد حامضًا كربونيًّا

وان استفتيت الكيمويين ليؤكّدوك على صدق الامر افادوك علمًا بقولهم انّ الهواء الجوّي الذي تستنشقهُ يتركّب من مزيج غازين هما الازوت والاوكسيجين فاذا نفذ الاكسيجين في رئتك وجد هنا دقائق الكربون فيسطو عليها وان شئت قل

يحرقها فيمتزج بها ويتكوّن من امتزاجهِ الحامض الكربونيك لانَّ الكربون الذي في جسم الحيوان لا يتلاشى بالاحتراق كما لا يتلاشى كربون الشجر الملقى في الأتون المتحوّل الى فحم اسود . لكن الحامض الكربونيك لا يبقى في صدر الحيوان بل يمجُّهُ بالشهيق عند تنفُّسهِ فيعود الى الهواء حيث يستأنف النبات تحليلهُ كما مرَّ

يا لله كم في العالم من عجائب اذا تأمّلها العاقل حار متذهلاً وجثا مخبتاً امام تلك العزَّة الالهيَّة التي وفَّرت في ارضنا كلَّ هذه الآيات . ليت شعري كيف امكن وجود رجال زنادقة بين البشر اعموا قلوبهم عن هذه الخوارق فانكروا الخالق ؟ أهم بشرٌ يعقلون او بُهمٌ عُجم لا يفهمون ! ينسبون عجائب المخلوق الى الصدفة وهم يأنفون نسبة مسمار صغير او اناء خشيب الى الصدفة لئلا يصبحوا اضحوكة في اعين الناس . فكيف لا يعدّهم العالم فاقدي الشعور ناقصي العقل اذا جحدوا وجود الخالق مع ما يصدر عن جودهِ من العجائب

ولربَّما تلقي عليَّ سؤالاً آخر بعد ما سبق من تعريف الحامض الكربونيك ووصف تحليلهِ فتقول : ومن اين لنا في جسمنا هذه كميَّة الكربون التي يأتلف بها الاوكسيجين بالتنفُّس ؟

اعلم أيها العزيز ان الكربون ممتزج في دمك يصحبهُ ابدًا . امَّا دمك فانَّهُ يجمعهُ من كل اطراف جسدك وذلك ان الكربون عند نفوذهِ في الجسم تعمل فيهِ الاعصرة الخضيَّة ثم يدفعهُ دم الشرايين (sang artériel) الى كل جهات الجسم لتغتذي بهِ انسجة لحومنا وعظامنا وما فضل من ذلك يعود بهِ الى الرئة الدم المسمَّى بالعرقي (sang veineux) فهناك يلتقي باوكسيجين الهواء فيتحوَّل الى حامض كربونيّ وهو غذاء النبات كما قلنا

وان اردفتَ قائلاً : ومَن ادخل في جسمنا هذا الكربون . فالجواب انَّ الكربون هو قسمٌ من مأكولنا فهو في خبزنا اليوميّ في اللحم الذي نبتلعهُ في الخضرة والبقول والحبوب التي نزدردها . في الزيوت والدهون وضروب السمن الداخلة في طعامنا . اذ ليس بين كلّ تلك المأكولات قوت واحد خالياً من الكربون البسيط كما في المآكل النباتيَّة او المركَّب كما في لحوم الحيوانات . ومن ثمَّ ترى الآن كيف الحيوانات

كلّها بلا استثناء تمجّ في الهواء ذاك الحامض الكربونيّ الذي يتّخذهُ النبات مادّة عملهِ فيصلحهُ ويردّهُ لنا في الطعام

وليس الحيوان وحدهُ مصدر الحامض الكربونيّ . بل لهُ مصادر اخرى متعدّدة هي الخزائن التي يتهافت اليها النبات لاستحضار الكربون . اخصّها المداخن التي تُرى على كلّ وجه الارض طبيعيّةً كانت كفوهات البراكين او صناعيّة كمداخن المعامل والمناجم والسكك الحديديّة والسفن البخاريّة فحيثما تُوقَد نار مهما كان وَقود سعيرها كالخشب والفحم الحجريّ والموانع والغازات فانّ كلّها ينبعث منها في كلّ يوم بل في كلّ دقيقة ما يوازي ملايين من الامتار المكعّبة من هذا الحامض الكربوني الذي تحلّلهُ نباتات الارض فتنمو باغتذائهِ لخدمتنا وتجدّد مؤونة كربوننا المفقود ثمّ تغنينا بالاوكسيجين المنظّف لنستنشقهُ وبذلك تتمّ هذه الدائرة العجيبة التي يطيف بها الكربون من الهواء الى النبات ومن النبات الى الحيوان ومن الحيوان الى الحالة الغازيّة في الهواء

وفي الطبيعة ما عدا هذه المصادر لتوليد الحامض الكربونيك مولّدات اخرى تزيد بها ما يبلى في الطبيعة من الاجسام الآليّة فيفسد كالنبات واوراق الاشجار وكاجسام الحيوانات الفاسدة والعفونيّات وطحالب المستنقعات وبقايا الاثاث البالية من اخشاب وجلود واسمال الثياب وضروب القُمامات والسماد والمختمرات فانّ هذه كلّها مناجم واسعة للحامض الكربونيّ لأن الاوكسيجين يعمل فيها كما سبق ويندمج بكربونها

وقد حسب بعض الكيميويين كميّة الحامض الكربونيّ التي يتحصّلها النبات في السنة من البشر وحدهم . فكانت نتيجة حسابهِ انّ رجلًا واحدًا يمجّ من فمهِ في الساعة من ٨ غرامات الى ١٠ غرامات من الحامض الكربونيّ اي من الكربون . فيكون مجموع افرازهِ منهُ في ستين سنة بين ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ كيلوغرام فإن أحصيت البشر كلهم مليارًا فقط بلغ مجموع حامضهم الكربونيّ في السنة ثمانين مليارًا من الكيلوغرامات وذلك ما يوازي جبلًا عظيماً من الكربون

ولا تظنّنّ أنّنا لدى ذكرنا احتراق الكربون بتنفّس الانسان نريد فناءهُ . كلّا فانّ في الطبيعة لا يُفقد شيء البتّة . فالاحتراق ليس بالتلف ولا الفناء وانّما هو فقط تغيير

الجسم من حالة الى أُخرى لانَّ دقائق الاجسام باقية كلها ابدًا وان اختلف تركيب هذه الدقائق. فكذلك دقائق الكربون لا تتلف ولا تفنى لكنَّها فقط تنتقل من حالة الى اخرى مختلفة

*

يخال لنا انك قنعت بما قلنا عن توفُّر الكربون في الطبيعة. ولكن دَعنا نستقري معك بعض فوائده في خدمتك اليوميَّة

ارى خاتماً في اصبعك وكأنهُ مفصَّص بحجرة كريمة تشعُّ في عين الناظر. هذه على ما يلوح لي ماسةٌ مترلة في خاتم ذهب فزادت حسناً على حسن. ولكن أتعرف ما هذه الماسة؟ هي اخت الفحمة

— ويلاه اتتهكَّم بي وتضحك مني. كيف تشبهها بالفحمة وكلتاهما على طرفي نقيض

— كلَّا ايها الحبيب ليس هنا مكان للتهكم لانَّ الماسة كالفحم من جوهر واحد هو الكربون الَّا انَّ هذا الكربون هو صافٍ في الماسة كدرٌ في الفحمة ولو وجد الكيموِيّون ادوات وعوامل غاية في القوَّة لأَحالوا الفحمة الى ماسة. وقد تمكَّن بعضهم من صنيع قطع صغيرة من الماس الصناعي (١. ومن ثمَّ ترى فضل الكربون اذ تُتَّخذ بعض انواعهِ لزينة الآنية المقدَّسة ولترصيع تيجان الملوك وحلي السيِّدات. وان حصل احد المثرين على ماسة في صغر بيضة الدجاجة عدَّ حالهُ اغنى من قارون (٢

هوذا قلم رصاصيٌّ في يدك بهِ تسطِّر كلامك وتُدوِّن افكارك على القرطاس. أتعلم انهُ هو ايضاً من الكربون وكالماس المذكور آنفاً. الَّا انَّ الماس كربون متبلور ولو انفذت فيهِ مجرًى كهربائيًّا لاضحى دقائق ناعمة كالبارمباجين الذي تُصطنع منهُ الاقلام الرصاصيَّة

ثم تلقي قلمك فتتصفَّح كتاباً منشوراً بالطَّبع فتلتذُّ بمعانيهِ البليغة وتقتبس من فوائدهِ. غير انَّ هذه السطور المطبوعة التي تفيدك علماً من افكار كاتبها لولا الكربون لمَّا امكنك استطلاع طلعها فانَّ حبر الطباعة الذي ابرز هذه الافكار هو

١) راجع مقالات في ذلك وردت في المشرق لحضرة الاب دي فراجيل (٦: ١٠٢٣ و٧: ٤٧ و٨: ٨٣٠) ٢) راجع مقالتين للاديب اسكندر افندي طحيني في مناجم الماس في ترانسفال واكبر ماسة وجدت هناك (المشرق ٦: ٨٦٥ و٨: ٢٨٥)

مركّب من الكربون المعروف بالسناج المجبول بقليل من الزيت والزيت ايضاً يتألف من الكربون

ها قد اقبل الشتاء وتنفخت الرياح وقرس البرد فما الوسيلة للاصطلاء ؟ هوذا الكربون قد اتاك ليدفئ جسمك سواء ارقدت تارك بالحطب او بالفحم الحجري او بالكوك فكل ذلك كربون مع بعض اختلاف في صفاته وتركيبه

ها الشمس قد توارت ومدَّ الليل رواقهُ فمن لنا بنور يجلي ابصارنا ويقشع عنّا الظلمات . ادعُ الكربون فيلبي دعوتك فتوقدهُ امّا زيتاً واما غازاً سيّالاً واما غازاً هوائيًّا مختلطاً في الغالب بغاز الميدروجين . وان فضّلت الاسيتيلين لسطوع نورها فالفضل ايضاً فيها للكربون الممزوج بالكلس

سِرْ بنا الآن الى محطّة سكّة حديديّة تَرَ هناك اسلاكاً ممدودة . تَرَ قطارات سائرة . تَرَ ادوات محرّكة بقوّة البخار فمن اين لهذا الحديد صلابتهُ ؟ فذاك من فضل الكربون الذي يُعرَّض عليهِ الحديد فيصلب ويستحيل الى فولاذ ذي خواصّ جديدة في وجدانهِ

ومثلهُ الحديد المتّخذ لصنع الادوات كالثريّات والشماعد والساعات والتماثيل فانّهُ لا يصلح لهذه الغايات الّا بان يُشرَب في تذويبهِ شيئاً من الكربون فيلين ويسهل سبكهُ ويدخل في القوالب المعدّة لهُ

وللكربون فضل آخر يُذكَر لهُ فيُشكَر تزيد بهِ التطهير واصلاح الفساد . فانّ الاطبّاء يصفون الكربون منعّماً دقيقاً لمن فسدت معدتهُ فالكربون ينظف المعدة وينقي الجرثومات العفنة . وكذلك التهاب الرئة فانّهُ يُداوى بالقطران الذي هو من موانع الكربون . اذا تغيّر اللحم بفعل الحرارة فاخذ في الفساد ترى الطبّاخ يغليهِ ثم يجعل في مائهِ المغليّ جمرات من الفحم وبذلك يزول الفساد

اذا عمد البستاني الى نصب وتدٍ في الارض او اراد عمّال البريد اقامة أنصاب تلغرافيّة تراهم يحرقون بالنار رؤوس هذه الانصاب او يطارنها بالزفت قبل ان يركزوها في الارض وذلك لعلمهم بانّ الكربون يصونها من الفساد والعفونة

وكم تُصفّى المياه من ادرانها بالكربون . فهَب انّك وُجدتَ في قرية ليس ماؤها شروباً او يستقي اهلها من مستنقعات وخيمة او عيون ذات ماء أجاج . فما العمل ؟

خذ برميلاً واثقب اسفلهُ ثمَّ اجعل في باطنهِ طبقات متناوبة من الرمل النظيف والفحم الخشبيّ المنعَّم ثمَّ صبّ فوقهُ ذاك الماء الوبيل فينفذ في الفحم والرمل ويصفو ثمَّ يسيل من الثقب الاسفل سلساً زلالاً خالياً من كلّ طعم سيّئ

وكذلك تُطيَّب الخمور بالحامض الكربونيّ . فانَّ النبيذ المنسوب الى شمبانيا لم يحصل على خواصهِ الممتازة الّا بما يمزج فيهِ من الحامض المذكور فاذا شربتهُ شعرت بحرافة لطيفة يستطيبها الشارب وتجعل طعامهُ هنيئاً مريئاً سهل الهضم

ولو اردنا تعداد كلّ الاجسام التي يدخل فيها الكربون بكميّات وافرة مركّباً تارةً مع الاوكسيجين والهيدروجين وتارةً مع الاوكسيجين والازوت لشمل كلامُنا جميع المأكولات والمشروبات في ضروبها المختلفة كالكحولات والمأكولات الدسمة والموادّ السكريّة من اثمار وبقول والحوامض الآليّة من خلّ وعصير الليمون الحامض والموادّ الآجيّة والزبديّة من زلال بيض وضروب الالبان والجبن

فكلّ صنفٍ من هذه الاصناف ينال من الكربون حصّتهُ الصالحة ولو تحرّينا وصف كلّ صنف وحدهُ لما انتهى بنا الكلام . ومن اراد الزيادة فلينظر في كتب الكيميويين الذين اتّسعوا في ذلك ولم يدعوا شيئاً الّا استقروا كلّ اقسامهِ ومنافعهِ

على انَّ الكيميويين ربَّما سهوا في تآليفهم عن امر واحد وجب عليهم ذكرهُ نزيد بهِ شكر العامل الاسمى والربّ القدير الاعلى الذي يضبط تحت حكمهِ تلك النواميس التي تنقاد اليها الطبيعة باسرها . وغاية ما وقف عليهِ العلماء حتى يومنا انَّهم ادركوا تلك النواميس وعرفوا طرائق تركيبها وتحليلها وتقلّبات احوالها لكنَّهم مهما استنفدوا من الوسع وافرغوا من كنانة الجهد لم يستطيعوا ان يجيّزوا الكائنات الجامدة بجرثومة الحياة . فبقي الجماد في ايديهم جماداً واقرّوا بقصورهم عن ترقيهِ الى طبقة الاحياء . فانَّ ذلك باقٍ وسيبقى الى الابد في حكم الخالق الذي لهُ وحدهُ ان ينعش الاجسام ويوليها هبة الحياة كما يفعل في الكربون الذي رأيناه جماداً في الهواء والتربة ثم لاح لنا في النبات حيّاً نامياً وفي الحيوان مزداناً بالحسّ والشعور . فقف ايّها الانسان عند حدودك وخرّ جاثياً امام عزّة خالقك ضابط مقاليد الحياة والموت

اصل النساطرة الحاليين

واحوالهم الدينية والمدنية

لحضرة القس بطرس نصري الكلداني

لا يخفى ان النساطرة هم التابعون بدعة نسطور الزاعم انَّ في السيد المسيح اقنومين الهي وانسانيّ . وكانوا يوماً قد انتشروا في كل المشرق من بلاد اثور والعراق والعرب والهند والصين جنوباً الى بلاد ارمينية والقفقاز شمالاً . ومن بلاد تركستان والعجم شرقاً الى بلاد سوريّة وفلسطين وقبرس ومصر غرباً . وبلغت طائفتهم اوج العزّ والترقّي في اواسط القرن الثالث عشر على عهد بابالاها الثالث اليغوري كما يتّضح من عدد المطارين والاساقفة الذين كانوا يحضرون من الاماكن القريبة فقط لانتخاب البطاركة على ما روى ماري بن سليمان وصليبا المؤرّخان . ثم اخذت تنحطّ رويداً رويداً حتى فقدت ذروة عظمتها بسبب الطمع في الرئاسة من جهة وسبب الاضطهادات التي قابلت الشرق على يد المغول والتركمان من جهة اخرى . فبلغت في القرن السابع عشر كمال الخمول والاضمحلال حتى لم يبقَ من تلك المفاخر التي كانت تعدّها وتتباهى بها سوى اثر زهيد . ويظهر ذلك خاصّة بشهادة المؤلف النسطوري المجهول الاسم الذي عاش في نهاية القرن الثامن عشر الذي لمّا رأى طائفتهُ النسطورية قد اوشكت الانقراض على زمانهِ اراد ان يخلّف لها اثراً ما . فوصف في مؤلّفهِ كثيراً من كنائسها المطرانيّة والاسقفيّة بوجيز من الكلام وعدّد في كلٍّ منها عائلاتها واساقفتها وكنائسها واديرتها لكي يعرف الخلف ما كان عليه السلف فيها من العز والانتشار السابق وقد طُبع هذا الاثر في المطبعة الكاثوليكيّة ببيروت سنة ١٩٠٩ بساعي حضرة الخوري بطرس عزيز الذي سُقف على كرسي سلست .

وكان بطاركة النساطرة قد هجروا لسبب الاضطهادات حاضرة بغداد حيث كانوا اقرّوا كرسيهم بعد خراب الدان وسكنوا احياناً في مراغا . ثم تنقلوا من مكان الى مكان الى ان بلغوا نواحي الموصل . فكانوا يسكنون تارةً في دير مار ارجين بقرب الجزيرة العُمريّة . وطوراً في دير مار هرمزد بقرب القوش احدى قرى الموصل . واحياناً في الموصل عينها . ولمّا انحصرت الرئاسة بشريعة الخلافة الابويّة التي سنّها

شمعون الباصيدي البطريرك (١٤٨٠–١٥٠٢) ومؤدّاها ان لا يُقام بطريرك الّا من عائلته المسمّاة الابويّة سواء كان اهلاً للرئاسة العُظمى ام لا فهاجت شعوب هذه البلاد النساطرة واختاروا يوحنا سولاقا احد رهبان دير مار هرمزد وانفذوهُ الى زومية. فرُسم (سنة ١٥٥٣) بطريركاً في عهد يوليوس الثالث البابا. ولما عاد سولاقا دخلت الكثلكة الى هذه البلاد وثبتت فيها لكن عدوّ الخير لم يدع سولاقا يشتغل في كرم الرب زماناً طويلاً. فان شمعون بن ماما بطريرك النساطرة اثار عليهِ اضطهاداً وسعى باغتيالهِ وقتلهِ. فمات شهيد الايمان سنة ١٥٥٥. وكذلك خلفاؤهُ عبد يشوع الرابع (١٥٥٥ – ١٥٦٧) ويابالاها (١٥٦٧–١٥٨٠) وشمعون دنحا (١٥٨٠–١٦٠٠) لم يتمكّنوا من السكنى في آمد والموصل القريبتين من البطريرك النسطوري المستفحل فيها. بل قصدوا مدينة سعرت وقطنوا فيها خوفاً من بطش اعدائهم. وبالنسبة الى هذا شمعون دنحا عُرف بطاركة النساطرة الحاليّون المعروفون باسم الشمعونيّين. فانهم بعد ان تنقّلوا من سعرت الى اورمي وخُسراوا وجولمرك اقاموا اخيراً كرسيّهم في قودشانس القريبة من جولمرك الى الآن

وبقي هؤلاء البطاركة الشمعونيّون زماناً طويلاً ثابتين على المعتقد الكاثوليكي اخذاً عن تعليم سولاقا الذي تسلسلوا منه. لكنّهُ قد انقطع بعدئذٍ من بينهم لاسباب شتى. اخصّها: انقطاع المواصلات بينهم وبين الكرسي الرسولي. واستعمال كتبهم ولاسيما الفرضيّة المشحونة بالاضاليل النسطوريّة بدون اصلاح. وسكناهم في الجبال النائية التي لا يصل اليها المرسلون. ولكنهم كانوا يجدّدون عهد الاتحاد مع السدّة الرسولية ويرسلون الى الاحبار الرومانيين صورة ايمانهم الكاثوليكيّ في فرص وازمان مختلفة

وهاك سلسلة هؤلاء البطاركة الشمعونيّين الذين اخذوا تسميتهم من شمعون دنحا الذي نسمّيه لذلك الاوّل. شمعون دنحا جلس من السنة ١٥٨٠ الى ١٦٠٠ – وشمعون الثاني (١٦٠٠–١٦٣٩) والثالث (١٦٣٩–١٦٥٣) والرابع (١٦٥٣ – ١٦٩٢) وكانوا كاثوليكيّين اقتفاء بآثار سولاقا كما سترى. ثم نزع اكثرهم الى النسطرة منذ ارتقاء شمعون الخامس المعروف بدنحا ايضاً وهذا جلس من السنة ١٦٩٢ الى ١٧٠٠. فخلفهُ شمعون السادس المسمّى سليمان (١٧٠٠ – ١٧١٠) والسابع

ميخائيل موختس (١٧٤٠ — ١٧٨٠) والثامن هرمز يوناه (١٧٨٠ — ١٨٢٠) والتاسع المسمّى ابرهيم (١٨٢٠—١٨٦١) العاشر وهو روبيل (١٨٦١—١٩٠٣) والحادي عشر المسمّى بنيامين وهو الحالي الذي جلس سنة ١٩٠٣ ولا يخفى ان البطريركية البابليّة الكائنة في نواحي الموصل قد تنظّفت من النسطرة منذ بداية القرن التاسع عشر ولم يبق منها اثر ما سوى في جبال كردستان واثور والعجم

وكان شمعون الاوّل مطران جلو وسعرت وسلمس اهتدى الى الكثلكة على يد ايليا اسمر الشهير مطران آمد وانتخبه بطريركاً على الكلدان سنة ١٥٨٠ وانفذ الى رومية صورة ايمانه الكاثوليكي على يد ايليا المشار اليه طالباً التأييد ودرع الباليون . فعاد اليه حاملاً سنة ١٥٨٢ البراءات الرسوليّة والدرع المقدّس والتنبيهات اللازمة لما يجب اجراؤهُ في دائرة البطريركيّة

وجلس شمعون الثاني سنة ١٦٠٠ ولبث حافظاً وديعة الايمان الكاثوليكي كما تسلمها من سلفائه وساعدهُ في ذلك الاب توما التوقاري رئيس المرسلين الفرنسيسيّين في حلب . وعلى يده أُنفذت صورة ايمان شمعون التي كتبها في ٢٨ تموز سنة ١٦١٩ في تودشانس حيث جلس البطاركة الشمعونيّون الى الآن . وعلى عهده نشأت بطريركية الكلدان التي اسسها سولاقا وازهرت بسعي خلفائه عبد يشوع ويابالاها وشمعون دنحا في الضعف والخمول بينما كان شان البطريركية الثانية البابليّة يستفحل ويرتفع على عهد ايليا السابع الذي ارسل صورة ايمانه الكاثوليكي الى بولس الخامس البابا سنة ١٦١٦

وقام شمعون الثالث سنة ١٦٣٩ . وهذا كتب صورة ايمانه في ٢٩ حزيران سنة ١٦٥٣ الى انوشنسيوس العاشر الحبر الاعظم في كنيسة مار جيورجيس التي في خسراوا حيث كان قاطناً وهذه بعض البلاد التابعة لبطريركيته : جولمرك . وبروار . وكاور . وجيلو . وباز . وداسن . وتخوما . وتيّاري . وسلمست . وران . واورمي . واسناخ . ومركا . وآمد . يقولون ان عدد سكّانها ينيف على ١٠,٠٠٠ عائلة

ومن الآثار التي تفيدنا عن احوال شمعون الرابع انهُ بعد اتحاده بالكرسي الرسولي نُفي من كرسيه بوشاية اعدائه فالتجأ الى اسكندر السابع الحبر الاعظم فعيّن البابا سنة ١٦٦١ لمساعدة نصارى بلاد العجم بلاجيدُس دي خانين

معاوناً لمطران بابل اللاتيني ونائباً على مطرانيّة اصفهان التي كانت مقترنة ببابل وكتب رسالةً الى عبّاس الثاني ملك العجم في تلك السنة عينها يسترحمهُ في ان يلطف بمار شمعون المشار اليهِ ويعيدهُ الى كرسيهِ . وعاون بلاجيدس المشار اليهِ مار شمعون في هذا الشأن . وعلّمهُ صورة الايمان الذي يجب ان يعترف بهِ

ولم يثبت هؤلاء البطاركة الشمعونيّون في المعتقد الكاثوليكي الذي اتى بهِ مولانا زعيم بطريركيّتهم بل نزعوا بتمادي الزمان الى النسطرة من جديد اذ لم يحصلوا على ما كانوا يؤملونهُ من مساعدة الكرسي الرسولي بسبب ظروف المكان والزمان خاصّةً . وتعلّموا من بطاركة الموصل البابليين تلك العادة المقوتة بان ينصبوا البطريرك بحقّ الخلافة من عشيرتهم الشمعونيّة . وجروا على مثال العائلة البطريركية الابويّة التي كانت سائدة ومؤيدة في الموصل ونواحيها ومن قرابتها العمومية . على ان هذه العادة قد انقرضت من البطريركية البابلية بموت مار يوحنّا ابن هرمز آخر بطريرك من هذه العائلة سنة ١٨٣٨ . لكنها لبثت مستمرّةً الى الآن في العائلة الشمعونيّة ولا نعرف بعد ذلك شيئاً عن هؤلاء البطاركة الشمعونيين فان اخبارهم غابت عنّا زماناً طويلاً

ولكن بيدنا رسالة مؤرخة في ٢٠ نيسان سنة ١٧٨٠ امضاها شمعون السابع وهو ميخائيل موخقس الى بيوس السادس الحبر الاعظم فيها يطلب ان يُعقد عهد في الاتحاد مع السدّة الرسوليّة . ملخّصها هو انهُ يعترف برئاسة الحبر الاعظم ويرفض الاضاليل النسطورية ويقبل ايمان الكنيسة الرومانيّة ويطلب ان تُنقّى الكتب الطقسيّة من الاضاليل وان تُطبع وتُرسل الى الشرق لفائدة بني طائفتهِ . وقد ظفرنا برسالة مؤرخة في ١٢ ك ١ سنة ١٧٧٢ من لدن اقليميس الرابع عشر البابا الى هذا شمعون البطريرك يقبلهُ فيها بانعطاف ابوي . لانهُ سعى باعادة بني بطريركيتهِ الى حضن الكنيسة ويحضّهُ على الثبات في هذا العمل المبرور ويعدهُ بكل خير . وبهذا التأريخ عينهِ من تلك السنة كان اقليميس المشار اليهِ قد انفذ الى يشوعياب ناظر الكرسي البابلي رسالة يظهر فيها لهُ فرحهُ لانهُ باسم عمهِ ايليا الحادي عشر البطريرك عقد الاتحاد مع الكرسي الرسولي وقبل الايمان الكاثوليكي . ثم حرّضهُ على التمسّك بهِ . ومن ثمّ لنا ان نؤكد على التحقيق كما يظهر من رسالة ايليا الموما اليهِ سنة ١٧٧٩

الى مار شمعون ان هذا الاتحاد قد تمّ بالتواطؤ والاتفاق بينهما . وان مار شمعون كان يومئذٍ خاضعاً لالياً ومعروفاً عنده بمثابة جاثليق راجع الى سلطانه الاعلى البابليّ

وليس لنا بعد هذا التاريخ اخبار هامّة عن هؤلاء البطاركة الشمعونيين الذين نزعوا من جديدٍ الى النسطرة الموروثة من آبائهم لانقطاع المواصلات بينهم وبين الكرسيّ الرسوليّ ولاجل خلوّهم من ارشاد ومساعدة الرسالات الكاثوليكيّة . ولكن على عهد شمعون التاسع المسمّى ابراهيم (١٨٢٠–١٨٦١) المّت بالنساطرة داهيةٌ عظمى . وهي غارة بدرخان بك الذي كان من نسل الاكراد الحاكمين على اقليم البهتان . وكان اميراً على الجزيرة . وكان يبغض النساطرة وينقم عليهم لاستقلالهم الى هذا العهد في جبالهم العاصية فولّت لهُ نفسهُ الى الهجوم عليهم واستولى على بلادهم . ونهب وسبى واعمل فيهم السيف . واجرى مذبحةً هائلة بينهم . ففرّ بطريركهم مار شمعون الى السيد خرستيان بن عيسى الرسّام الموصلي الكلداني الذي كان قد تعيّن قنصلاً من لدن الدولة الانكليزيّة في الموصل . وما زاد هذه الفاجعة هولاً هو ان النساطرة طلبوا الاستقلال وجاهروا بالعصيان . فاتّقد بدرخان بك غضباً وزحف بعساكره الى تلك الجبال الشامخة وأجرى ملحمةً بين العشيرة التيارية . فقتل وذبح واحرق القرى وسلب مواشيها واتلف غلّاتها . وأتت جيوشهُ الكرديّة بمنكرات يكلّ اللسان عن وصفها . حتى ان بعض العذارى ألقين انفسهن في الانهر طلباً للنجاة من الفضيحة . ولبثت ابواب هذا الجور والشراسة مفتوحةً وعاملةً بين النساطرة الى سنة ١٨٤٧ . فلما بلغ مسامع الدولة العليّة هذا الخبر ارسلت عساكرها تحت قيادة عثمان باشا بموجب التماس الدول ردعاً لذلك الطاغية . فترك بدرخان بك حصونهُ وانزوى في احدى قلاع تلك الجبال الشامخة . ولما اشتدّ عليه الامر سلّم نفسهُ لعثمان باشا فأُرسل الى النفي . وبعد هذا الظفر عوّلت الدولة العليّة على ان تستولي على بلاد كردستان ومراكز النساطرة واقامت فيها الولايات والاقضية وضربت عليها الرسوم الاميريّة . وفي هذه المذبحة قد قُتل كثيرٌ من النساطرة اعترافاً بالايمان ولا ريب في ان اكثرهم يُعدّون من الشهداء . لان اكثرهم قد عُرض عليهم الكفر بالمسيح كواسطة وحيدة للحياة . فآثروا الموت على الحياة . ولا بأس كونهم جهلوا حقيقة الكنيسة الكاثوليكيّة . لانهم كانوا في ضمير سليم يُعدّون من نفس

الكنيسة ولا بدع ان المحرّك الوحيد الذي حمل مثل هؤلاء على سفك دمهم انما كان حبهم للمسيح ذلك الحبّ الذي لا يمكن فصلهُ عن النعمة . ولو لم تكن نعمة الله مرافقةً لهم في هذا الجهاد عن ايمان المسيح لما استطاعوا الثبات بين تلك العذابات التي قاسوها حبًّا بالمهم . ولاسيما اذ قد اشتهر ان الذين نالوا هذه النعمة من اولئك القتلى كانوا من رجال ونساء واقليريقيّين ذوي تقوى وسيرة صالحة يؤمنون ببيعة المسيح وتعليمها على العموم

في ابرشيَّات النساطرة واحوالهم المدنيَّة والوطنيَّة

ان النساطرة في ايامنا هذه قد بلغوا من درجة الذل والانحطاط والجهل اقصاها . ويبلغ عددهم نحو مائتي الف وهم منتشرون في الجبال القاصية من اثور ومادي وفارس . ومعظم قوتهم اليوم هي في اورمي ونواحيها حيث لهم بعض التمدُّن . اما في بقيَّة الاماكن التي تبوَّأوها فهم في حال أشبه شيء بالبربريَّة . وكان بطاركتهم الشمعونيّون يتولَّون ادارة احوالهم ليس فقط في الامور الدينيَّة بل في المدنيَّة ايضاً لانهم عاشوا الى اواسط القرن التاسع عشر مستقلين من الدولة العلية كما رأينا . وقد بقي لهم الى اليوم نوع من الاستقلال وقد اقرُّوا منذ زمان طويل مركزهم في قرية قودشانيس (ܩܘܕܫܢܝܣ) من اعمال جولمرك في ولاية وان ولهم فيها بيعة على اسم مار شليطا تلميذ مار اوجين . وللكاثوليك مصلًّى صغير يقضون فيه شعائرهم الدينيَّة . اما الابرشيَّات الخاضعة لهم فتوجد في بلاد تركيا وايران . اما في ايران فلهم ابرشيَّات اورمي وسولدوز . وسائر الابرشيَّات توجد في البلاد العثمانيَّة . وقد اعتاد ايضاً الاساقفة النساطرة اصحاب الابرشيَّات ان يقيموا لهم من عائلاتهم في حياتهم نواطير الكرسي لكي يخلفوهم عليه بعد موتهم اقتداء بالبطاركة . وهم يمتنعون ايضاً مثلهم عن أكل اللحم طول حياتهم . فلنأخذ الآن في الكلام عن كل من هذه الابرشيَّات فنقول :

١ ان عدد الكلدان في ولاية اورمي يبلغ ٢٥,٠٠٠ بيت . وفي اورمي وحدها ١٦٠٠ بيت وقيل ان هذه المدينة بُنيت من نمرود الجبَّار . ويوجد في اورمي قرى كبيرة للكلدان اشهرها كوكابا (ܟܘܟܒܐ) ثم تل السا (ܬܠܐ ܕܣܐܠܐ)

وديكالا (ܕܝܟܠܐ) وكولباشان (ܟܘܠܒܫܢ) وعادا . وسبورگان (ܥܕܘܪܓܢ) وگريلان (ܓܪܝܠܢ) ومرشاباد (ܡܪܫܒܕ) وقراجلوا (ܩܪܓܠܘ) وعجلو (ܥܓܠܘ) وكهربخش (ܟܗܪܒܚܫ) وانهر (ܐܢܗܪ) واردیشي (ܐܪܕܝܫܝ) وزاتكيا (ܙܐܬܟܝܐ) وتحتوي هذه القرى على ٨٠٠ بيت تقريباً من النساطرة ما خلا القرى الاخرى الصغرى . وقبل هذه الازمان كان جميع اهل اورمي نساطرة . وكان يدبرهم خمسة اساقفة وهم : جبرائيل الارديشي وكان هذا الكرسي متقدماً على غيره في القدم والشرف وآخر في نزلو (ܢܙܠܘ) ويُسمى اشعيا . وآخر في كوكابا ويسمى ايليا . والرابع في گويلان ويسمى يونان . والخامس في ارموداغج ويسمى ايليا . وهذه الابرشيات كانت تعطي في كل مدة ثلاث سنين العشور البيعية لمار شمعون البطريرك

ولما كانت سنة (١٨٣٤ م) دخل البروتستانت الاميركيُّون في اورمي وفتحوا مدارس كثيرة في قراها ومدرسة كلية فيها وشرعوا ينشرون بدعهم . وتبعهم كثيرون فانحاز يوحنا اسقف گويلان الى مذهبهم وتبعهُ اشعيا اسقف نزلوا ايضاً مع ناطور كرسيه وايليا اسقف كوكابا . اما ايليا اسقف ارموداغج فمات . ولم يبقَ في اورمي سوى اسقف واحد وهو جبرائيل مطران ارديشي

وسنة ١٨٩٥ م اتى الروسيُّون الى اورمي فانحاز الى مذهبهم يونان المشار اليه هو وايليا ناطور كرسي ارموداغج مع كثيرين . وهؤلاء بعثوا بايليا الى بطرسبرج ورُسم ثمَّ اسقفاً على يد الروسيين ثم عاد الى اورمي . وفي سنة ١٨٩٥ ذهب جبرائيل اسقف ارديشي صحبة اثني عشر اكليريكياً لزيارة خانيشوع اسحق مطران شدين فقتلهم جميعاً الشيخ نيري . وكان هذا الاسقف الثاني عشر بين الذين قاموا في الاسقفية من هذه العائلة الواحد بعد الاخر . وبعد موت جبرائيل هذا تقوَّى الروسيُّون واخضعوا لطاعتهم كل كنائس النساطرة حتى مُحي اسمهم تقريباً من بلاد اورمي . ثم عاد منهم نفرٌ ايضاً الى النسطرة ينيف عددهم على ٨٠٠ بيت فاقام مار شمعون لهم كرسياً جديداً اسقفياً في قرية اسبورغان . وسُمي هذا الكرسي باسم يونان لان اوَّل اسقف خدم هذا الكرسي دُعي يونان . وبعد موته سنة ١٩١٠ رُسم لهم اسقف آخر باسم داود . وسنة ١٨٩٢ اقام مار ايليا عبواليونان بطريرك الكلدان كرسياً مطرانياً

في اورمي ورسم عليه السيد توما اودو . وعليه يكون في اورمي نحو ٨٠٠ بيت من النساطرة ومن الكلدان الكاثوليك نحو ٣٠٠ بيت . والباقي هم بروتستانت وروسيون

ولكن لم يتهيأ للبروتستانت والروسيين ان يحرزوا النجاح في نشر اضاليلهم . بل ناصبتهم الرسالة اللعازرية التي فُتحت في بلاد العجم ولاسيما في اورمي وخُسراوا بسعي القنصل اوجين بوري (Eugène Boré) الفرنسي الرجل الشريف الذي صار بعد ذلك رئيساً عاماً على اللعازريين . فانهُ طلب اولاً من عمّ شاه العجم حاكم اقليم اذربيجان على يد الكونت دي تُرسي (de Torsi) وزير فرنسا في فارس ان يخوّل حرية الدين للكاثوليكيين والاستقلال من سلطة النساطرة كما جرى في البلاد التابعة للدولة العثمانية نحو سنة ١٨٣٠ فتأيد هذا التحرير سنة ١٨٤٠ وهي سنة وصول الآباء اللعازريين اذربيجان لفتح الرسالات في خُسراوا واورمي . وكان رئيسهم الاول الاب فورنيه . وكانت الرسالة الاميريكية قد نجحت في نشر الكتب التهذيبيَّة وفتح المدارس ومعالجة الطلبة مجاناً . فتحرَّت الرسالة اللعازريَّة هي ايضاً اتخاذ هذه الذرائع نفسها لا بل فاقت أندادها في ابواب شتى . فان هؤلاء المرسلين وقفوا حياتهم مع عوائد اهالي البلد في شأن الاصوام والاعياد والمشرب ليستميلوهم الى حبهم واقاموا مركزاً لاخوات المحبة الناذرات انفسهنَّ لخدمة الله وحبّ القريب . وانشأوا مدرسة اقليروسية سنة ١٨٥٢ بسعي الاب دارنيس والاب يوسف فالركا الذي بنى لهم بيعةً فاخرة في اورمي . وهو الذي بعد ذلك صار بطريركاً على اورشليم . واهل اورمي بعضهم يعيشون من الكروم والبساتين وأكثرهم يزاولون التجارة . وحالتهم غالباً هي افضل من غيرهم لانهم حاصلون على الراحة وترفه المعيشة

٢ وسولدوز اسقفيَّة واقعة في الجنوب الشرقي من اورمي . ويوجد فيها نحو ٢٠٠ بيت من الكلدان منهم ١٢٠ نساطرة ونحو ستين بيتاً كاثوليكيًّا . والباقي بروتستانت

٣ وفي غربي سولدوز وشمال اورمي موقع تركاور وسركاور وهما الاسقفيَّتان الكبيرتان اللتان قبل ست سنوات كانتا تحت سلطة ايران . والآن هما تحت سلطة

العثمانيين. وفيها اكثر من ١٥٠٠ بيت من النساطرة واكبر قراها هي ماونة وفيها نحو ٣٤٠ بيت نساطرة ونحو ١٥٠ بيت كاثوليك. ولكن كلّ سكان مركوار نساطرة وكانت مركوار قبلًا ابرشيَّة مطران شمسدين. اما تركوار فكانت مختصَّة بمار شمعون ولكن لسبب المجاعة التي حدثت ثمَّ سنة ١٨٨١ م أُعطيت من مار روبيل حنانيشوع مطران بيت شمسدين ليتمكَّن في ضيق تلك السنة من القيام بمعيشته. لكن حنانيشوع المشار اليه مدَّ يده الى اخذ العشور في السنة التالية ايضاً. واذ كان البطريرك سخيًّا وشريف النفس ورأى ميلهُ الى هذه الابرشيَّة تركها تحت تصرُّفهِ. واهل تركوار ومركوار ياكلون غالباً بوجه العموم خبزهم من فلاحة الارض. وبعضهم يقتنون الغنم ويفلحون الارض بواسطة الجواميس

٤ وفي جنوب تركوار موقع بلد بيت شمسدين. اعني ابرشيَّة حنانيشوع اسحق المطرابوليط الذي له وحده حقّ سياميذ (سيامة) بطريرك النساطرة ولذلك يلقَّب بالسايوم. وفي شمسدين اكثر من ٣٠٠ بيت كلهم نساطرة. وهم يسكنون في ١٣ قرية صغيرة اسم احداها مار شمعون على اسم كنيسة مار يشوع اخي مار يهشوع الكسولي (ܡܪܝ ܝܫܘܥ) ولهم قرية اخرى تسمى تنير ولها اسقف آخر يُدعى دنحا يخضع لمطران شمسدين. واسم كنيستهِ مار قرياقوس

٥ وفي شمال غربي بيت شمسدين واقعة قرية مار يهشوع الكسولي المسمَّاة باسم كنيسة هذا القديس التي بُنيت بسعي يوحنا من بيت عبّا (ܒܝܬ ܥܒܐ) الكسولي الذي عاش في القرن الخامس. وبقربها قريتان أُخريان تنسبان اليها وعدد سكان قرية مار يهشوع ينيف على ٣٠٠ بيت من النساطرة و٧٠ بيتاً منها هم كاثوليك. واغلبهم يعيشون من رعية الغنم ولهم عسل كثير وحياتهم مترفهة

٦ وفي الجنوب الغربي لقرية مار يهشوع توجد سهول كوار. وفي هذا البلد نحو ٨٠٠ بيت من الكلدان يسكنون في قرى متفرقة وبينهم نحو ٢٠٠ بيت كاثوليك. والباقي نساطرة. وكان فيها يوماً اسقفان احدهما كان يجلس في كاكوران اسمه صليوا. والآخر في وزيراباد اسمهُ اسطفانوس. وقد مات كلاهما. ولكن لكاكوران تاطور كرسي يدرس الآن في بيت مار شمعون ويستعدّ للارتقاء الى هذا الكرسي. ويعيش اهل كوار من الزراعة

وسنة ١٨٨٥ انفذ مار ايليا عبواليونان بطريرك الكلدان شمونيل جميل الرئيس العام على الرهبان ليفتح رسالة في دزة الواقعة في ناحية كوار . وسعى هذا بكل غيرة في تمهيد الطرق الى استمالتهم واقناعهم بحقائق الايمان . وبعد اتعاب واخطار جسيمة تجشمها بينهم تمكن من ان يبني في دزة دارًا ومصلى لسكنى الكهنة المرسلين الذين يقطنون فيها الى اليوم لنشر روح الكثلكة بين اولئك الاقوام النسطورية

٧ وفي جنوب غربي كوار توجد جبال شامخة واودية وعرة وعميقة تسمى داسان العليا (ܕܗܘ ܥܠܝܐ) وهناك يسكن اهل جيلو . ويبلغ عددهم اكثر من ١٥٠٠ بيت ولهم اسقف اسمهُ مار سركيس يجلس في قرية مار زيما السنّاة على اسم شفيع كنيستها مار زيما تلميذ مار أوجين . واكبر قرية في جيلو هي زيريني وفيها ١٠٠ بيت . ويجلس فيها رئيس او مدير جيلو كلها المدعو بملك . واسم كنيستها مار تابور تلميذ مار زيما الطوباري . وروى بعضهم ان سكان جيلو هم من جنس اليهود وفي سحنتهم ولونهم شبهٌ باون اليهود ومعنى اسمهم « ملكهم » الحالية ولا يبعد ان يكون اصلهم من اليهود الذين كانوا قد سُبوا الى نينوى وبابل في سالف الازمنة . وهؤلاء يقضون حياتهم غالبًا في المهاجرة وقليلون هم الذين يشتغلون في بلادهم . اذ ليس لهم مكان يتمكنون فيهِ من الزراعة وتربية الغنم والمواشي . وكثيرون منهم بالكدّ يملكون قطعة ارض يمكنهم ان يبذروا فيها كيلًا واحدًا من القمح يوازي قبع رأسهم . وقسمٌ كبيرٌ من سكان جيلو مع ملكهم هم كاثوليك . وهم بمقام سائر العشائر المستقلة على نحو ما

٨ وغربي جيلو موقع ناحية باز وفيها اكثر من ٧٠٠ بيت منهم ١٦٠ بيتًا من البروتستانت الذين فتحوا في قرية منها تسمى ماتاختيشا مدرسةً ليليّة يدبّرها القس دانيال البازي . وفي قرية شراورنا وغيرها ينيف عدد الكاثوليك على البروتستانت

٩ وجنوبي باز موقع ناحية طال التي يبلغ عدد سكانها سكان باز وهم تابعون لاهل تخوما

١٠ وجنوبي طال موقع سكان تخوما . وهؤلاء يبلغون نحو الفي بيت .

واكبر قرى تخوما هي القرية المسمّاة تخوما گوايا (ܬܚܘܡܐ ܓܘܐܝܐ) وسكانها يبلغون ٨٠٠ بيت وكنيستهم على اسم مار شيون واكثرهم كاثوليك

١١ وفي الجنوب الغربي من تخوما يسكن الولطونيّون (ܘܠܛܘܢܝܐ) ويبلغ عددهم ٦٥٠ بيتاً . وهم ايضاً عشائر نظير سكان ناحية طال لكنهم خاضعون لسلطة الطيّاريين . وحياة سكان هذه الاماكن معرّضة للاخطار كما يعيش سكان بيت شمدين . واكبر كنيسة للولطونيين هي على اسم مار ادّي رسول الكلدان احد السبعين تلميذاً . ولهم بيعة اخرى على اسم مريم البتول عليها السلام

١٢ وعلى مقربة من الولطونيين العشائر المعروفة بالطياريّة او التياريّة . ويبلغ عددهم اكثر من ٥٠٠٠ بيت . واكبر قرية لهم هي اسيا وعدد سكانها نحو ٦٠٠ بيت . وكنيستها على اسم مار كيوركيس . وهؤلاء الطيّاريّة يُقسمون الى اربع قبائل وهي : (١) ابناء القلالي (ܒܢܝ ܩܠܠܝ) و (٢) ابناء الاكة (ܒܢܝ ܐܟܐ) . وهم سكان القسم الاعلى من بلاد التيّاريّة . وملكهم يسكن في كنشا . وهم يحبّون ملكهم ويُجلّونهُ جدًّا بحيث ليس من يتجاسر ويخالف امره في شيء . والقبيلتان الاخريان هما سكان (٣) گپا (ܓܦܐ) و (٤) سكان قرية القصر . وهؤلاء يدبّرهم ويسوسهم ملك آخر يسمى ملك برخو ويجلس في راگولا داسلا (ܪܓܘܠܐ ܕܐܣܠܐ) . وتسمى هاتان القبيلتان التيّاري السفلي . وملكها برخو هو الاوّل في الاكرام والقدميّة . وهو الآن كاثوليكي مع عدد غير يسير من سكان التيّاريّة السفلي . وهذان الملكان هما من قبيلتين ممتازتين . ومن المستحيل ان يقيم سكان التياريّة عليهم ملكاً دون رخصتهما . اعني التياريّة العليا من بيت ملك يعقوب . والسفلي من بيت ملك دانيال — ومن عاين سكان هذه البلاد تحقّق ان كسوتهم او هيئة لبسهم لم تتغيّر وتُشبه بالكليّة كسوة الاثوريّين . لا بل صيغة لغتهم تبيّن بنوع اجلى كونهم من سلالة الاثوريّين القدماء . فانهم يضعون في الاسماء المنتهية بالالف واوًا عوض الالف . ويلفظون عوض « ܬܐ » (ܬܘ) وعوض « ܡܠܟܐ » (ܡܠܟܘ) . ويجوز بنا ان نمدح خصال هؤلاء التياريّين وعوائدهم الحميدة التي يحقّ لهم ان يفتخروا بها . فان كلامهم هو نعم نعم ولا لا . وهم يأنفون من الكذب ويمتازون ببساطة قلوبهم واشتهروا ببسالتهم . فانهم

لا يخافون لا من القتل ولا من الحبس . واحسن عوائدهم ان السرقة لا وجود لها عندهم . فاذا حدث ان احداً منهم وجد سارقاً يُنفى حالاً من البلد بدون رحمة . ولذلك يتركون بكل امان جميع مقتنياتهم خارجاً عن بيوتهم . ولكن الغرباء في هذه الايام شرعوا لسوء الحظ يفسدون رويداً رويداً اخلاقهم

اما مسكن هؤلاء التياريَّة فهو ضيّق جداً وصعب المراس فانهم لا يملكون الاراضي الطبيعيَّة . فاذا اراد احدهم ان يتَّخذ لهُ مزرعةً صغيرةً اقتضى عليهِ ان يقيم سداً من حجارة كبيرة على حافة التراب وينقل تراباً على ظهرهِ فيفرغهُ في المكان ويساويهِ ليزرع فيهِ قليلاً من الحنطة او الشعير او الذرة وغيرها . ومن ثم يشبهون جداً اهل جيلو بقلَّة زروعهم . ومع ذلك فهم لا يحتاجون مثل غيرهم الى الغلَّات فيعيشون غالباً من غنمهم . وجبالهم مخصبة كثيرة الغابات . وهم يمتازون اخيراً بنظافة ثيابهم وبيوتهم عن سائر سكان الجبال نظير سكان تخوما وطال وغيرهما

١٣ وتحت جبال التياريَّة يسكن البروارِيّون المعروفون بالسفلين ويربو عددهم على ٧٠٠ بيت . وقسم عظيم منهم هم كاثوليك . فان اسقفهم يشوعياب كان قد اهتدى نحو سنة ١٨٨٥ الى الايمان الكاثوليكي ثم صادق عليهِ من جديد سنة ١٩٠٣ كما سنرى . فناصبهُ مار شمعون البطرك النسطوري ورسم عليهم اسقفاً آخر من عائلتهِ نفسها . والآن كلاهما يسكن في قرية دوري التي لها كنيسة على اسم مار كيوركيس

وما خلا هذه العشائر او القبائل التي ذكرناها توجد ايضاً قبائل اخرى من النساطرة الكلدان . وهم سكان لوين (ܠܘܝܢ) وبروار العليا او بلد قودشانيس والالبقنيون (ܐܠܒܩܢܝܐ) اهل بابنابش (ܒܒܢܒܫ) وهي باش القامة الحاليَّة . وسكان تياري في وان . فهؤلاء مع قبائل الدزنيين المجاورين لقودشانيس يبلغ عددهم نحو ٣٠٠٠ بيت

ومن الثابت ان النساطرة الكلدان الجبليين اعني بهم سكان التياريَّة والتخوميين واهل جيلو والبازيين والدزيين واهل طال والولطونيين واهل بروار العليا واللوينيين والالبقنيين وسكان تياري وكوار واهل شمدين وسكان مار يشوع هؤلاء جميعهم ما خلا اهل بروار السفلى يُسمّون هكاريين . ويخضعون لتدبير العائلة الشمونيَّة التي هي في غاية التوقير عندهم وتقيم في قرية قودشانيس . ويقوم

بادارتهم وشؤونهم في ايامنا من هذه العائلة ثلثة اشخاص على الخصوص وهم مار شمعون بنيامين بطريرك النساطرة . والمطران اوراها والشماس غرورد بك اخوه المدبّر لمصالح الكاثوليك الخارجيّة وقد اهتدى كلاهما الى الايمان كما سترى

اما حالة النساطرة فهي حالة يُرثى لها حقيقةً لانهم خالون من العلوم الادبيّة والدينيّة بالكليّة . وليس بينهم من يُعلّم ويتعلّم والذين يحسنون القراءة هم القسوس والشمامسة فقط بل تجد عدداً منهم لا يحكم جيداً القراءة البسيطة . ونقول بالاجمال ان جميعهم لا يستطيعون ان يكتبوا باتقان شيئاً . ويندر فيهم من يعرف ويفقه قواعد ديانته جيداً . ما خلا افراداً قليلين تخرّجوا في مدارس اورمي

واما طريقة معيشتهم المادّية فهي على الاغلب صعبة ومتعبة جداً لانهم يقتاتون غالباً من غنمهم . واشغالهم تقضي الكد والتعب لصعوبة جبالهم وقلّة اسباب الزراعة في اغلبها . ومع ذلك تراهم مع قلّة ذات يدهم يقومون كما كانوا الى يومنا هذا بجميع لوازم العائلة الشمعونيّة فيدفعون العشور بيد سخيّة . وقد وفر الآن البروتستانت والانكليز العطاء والدراهم عليهم بعد دخولهم بين النساطرة

ومن عوائدهم المذمومة انهم كانوا يؤذون الغرباء الذين يدخلون بينهم من الكاثوليك او غيرهم للتبشير . فاذا دخل احد ما بينهم كانوا يجرّعونهُ امرّ الشدائد والعذابات ويلقونهُ في اخطار مهلكة ليس لهُ التخلّص منها . غير ان الامور لم تبقَ على مجراها الاوّل وهو امرٌ معلومٌ في تاريخ الكلدان ما قد بذلهُ الكرسي الرسولي والبطريركيّة الكلدانيّة والرسالات الكاثوليكيّة في سالف الازمان ولا سيما في اواسط القرن المنصرم من الوسائط الفعّالة والهمّة والنشاط بشان استمالة هؤلاء النساطرة وتقريبهم وهدايتهم الى جادّة الحقّ . وقد رأينا ان مار ايليا عبوالبونان البطريرك قد فتح بينهم رسالة مهمّة بسعي الاب شمونيل المار ذكرهُ . وقد واصل اعمالها مار عبد يشوع الخامس خليفتهُ . ولكن اعظم من تفانى في سبيل اهتدائهم هو غبطة السيد عمانوئيل الثاني بطريرك الكلدان الحالي . وكفاهُ فخراً انه سعى لدى وجوههم باجراء هذا المشروع فلبّوا الى دعوته

وفي بدء الصوم الكبير من سنة ١٩٠٣ قدم الموصل كبار عائلة مار شمعون بطريرك النساطرة وغيرهم من ذوي الجاه الذين اتوا نوّاباً عن القرى والعشائر وكان

عددهم ينيف على خمسين شخصاً منهم اقليروسيون وهم المطران ابرهام ويوسف الارخدياقون وهما من المنذورين الذين لهم حق الخلافة في البطريركية النسطورية تبعاً لعادتهم . ويشوعياب اسقف دوري وغيرهم من القسوس والشمامسة . ومنهم علمانيون نخص منهم بالذكر غرود شمونايا الشريف ابن اخي مار شمعون لسان طائفته ومدبرها في الزمنيات . ويوحنا شمونايا ابن عمه الشهير بنفوذه . فرفعوا عريضة الى غبطة بطريركنا مختومة منهم في ١٠ آذار ١٩٠٣ ملتمسين منهُ ان يقبلهم بين قطيعه الكلداني وفيما طلبوا اليه : (اولاً) ان يهتم ويعتني براحتهم مادياً وروحياً ويكف عنهم اضطهاد الظالمين ويرتبهم الشرف والاعتبار لدى سلطان المملكة الجليل . (ثانياً) ان يُنشي لهم مدرسة عمومية بحسب رأي غبطته . (ثالثاً) ان يكون لهم مدارس اخرى ثانوية في القرى لتثقيف صبيانهم في التهذيب الروحي كما تقتضي الضرورة . (رابعاً) ان يكون لهم عدد كافٍ من الكهنة من ناحية الموصل للقيام بالمهام البيعية وتهذيب المهتدين الى الايمان والاتحاد الكاثوليكي . (خامساً) ان تشاد لهم كنائس ودور للصلاة حيث تقتضي الحاجة . (سادساً) ان لا يتغير لديهم كاندار الحساب القديم للسنة والشهور والاصوام والاعياد . (سابعاً) ان تحفظ العادة القديمة المتمسكة في بلادهم في شأن قبول التناول على شكلي الخبز والخمر . فلبى غبطته الى طلبهم . وبعد ان اصدروا صورة ايمانهم الكاثوليكي واعترفوا وتناولوا من يده اقتبلهم في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية والاتحاد بايمانها وبشر باعتدادهم لاون الثالث عشر الحبر الاعظم فكان هذا الخبر تعزية عظيمة لقلب ابي المؤمنين

وهكذا بعد اتعاب جزيلة انفتح الباب الذي كان مقفلاً في وجه المرسلين الذين كانوا يتوقون اليه منذ أمد بعيد . وترى اليوم المرسلين الكلدان جالسين في دزة من اعمال كاور وغيرها من المراكز . وللآباء الدومنيكيين دير في اشيثا اكبر قرى التيارية . وكل مرسل كاثوليكي يريد الدخول بينهم يقبلونهُ بفرح واكرام . والله المسؤل ان يوفق الناطقين في هذا الكرم وينتح في وجههم ابواب السعد والنجاح لتحقيق رغائبهم في خدمة الدين والوطن وانجاز نياتهم السامية الآئلة الى خير اخوتنا النساطرة لكي يتم على يدهم ذلك المشروع الجليل الخطير الذي طالما كان يتمناهُ سيد الكل بان تكون الرعية واحدة لراعٍ واحد

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

الوحي وكتبهُ وائمَّتهُ

ليس الدين طبيعيًا فقط يدرك حقائقهُ العقلُ البشري ويقرّرها بالادلّة العقليَّة . لكنَّهُ وضعيّ ايضاً وهو الذي اوحى بهِ الله الى عبادهِ وارشدهم اليهِ على يد بعض اصفيائهِ المعروفين بالانبياء. كموسى كليمهِ تعالى ولاسيما السيد المسيح كلمة الله فطورًا اوحى بمناسك وفرائض معلومة كالحنان والذبائح وطورًا انبأ باسرار تفوق ادراك البشر كاسرار العالم الآخر وبعض الحقائق الالهيَّة. ولا يخفى انَّ العرب في الجاهليَّة لم يعرفوا وحياً ولم يدينوا بدين وضعيّ بل افسدوا الدين الطبيعيّ ولحقوا بالشرك وعبادة الاصنام كما تدلُّ عليهِ الآثار المتعدّدة المكتشفة في عهدنا

على انَّ جهلهم بالوحي انَّما سبق عهد المسيح وقد بيَّنا في القسم الاوَّل من مقالاتنا نفوذ النصرانيَّة بين العرب. ولنا في لغتهم العربيَّة قبل الاسلام ما يثبت هذا القول. وذلك في استعمالهم للالفاظ الدالَّة على الوحي وكتبهِ وائمتهِ كما سترى

(الوَحي) هي اوَّل لفظة تدل على قولنا . فانَّها وردت في الشعر الجاهليّ قبل القرآن بمعنى تبليغ الله كلمتهُ الى انبيائهِ . قال ورقة بن نوفل الراهب النصرانيّ :

وجبريلُ يأتيهِ ومكالُ منهما من الله وَحيٌ يشرحُ الصدرَ مُنزَلُ

فبقولهِ « الوحي المُنزَل » بيَّن كونهُ يريد ديناً وضعيًا بلَّغ بهِ الله انبياءهُ. ومثلهُ قول اميَّة بن ابي الصلت في الملائكة واصاختهم لوحي الله :

وسبطٌ صفوفٌ ينظرون قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوَحي وُكَّدُ

امينٌ لوحي النذير جبرئيلُ فيهم ومِيكالُ ذو الروح القويّ المسدّدُ

وقد انتقلوا من معنى اللفظة الاصلي الى معناها المجازيّ فجعلوا الاسفار الالهيّة وحياً والمكتوب فيها وحياً قال جرير بهذا المعنى (معجم ما استعجم للبكري ص ١٠٦) :

لمن الديارُ بعاقلٍ فالأنعمِ كالوَحْيِ في ورق الزَّبورِ المُعْجَمِ

واذ كانوا يحفرون بعض آيات الوحي في الصخور اشاروا الى ذلك في اشعارهم. قال زهير يشبّه آثار الدار بكتابة الوحي (شعراء النصرانيّة ص ٥٧٥) :

« لمن طَلَلٌ كالوَحْيِ عافٍ منازلُهْ »

وعلى مثاله قال حسّان بن ثابت (سيرة الرسول ص ١٥٤ ed. Wüstenfeld)

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ كخطّ الوَحْيِ في الورق القشيبِ

وقد جاءت على لفظ الجمع في معلّقة لبيد قال يشبّه مسايل جبل ريّان ببقاء كتابة الوحي في الحجارة :

فَدَافِعُ الريّانِ عُرِّيَ رسمُها خلقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها

وقد دعوا كتب الوحي بالفاظ اخرى تدلّ على احترامها لكلام الله . فمنها (السِفر) واصلها من العبرانيّة ספר والسريانيّة ܣܦܪܐ ومعناها الكتاب وقد خصّوا بها الكتب الالهيّة . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٣) : « السِفر الكتاب من التوراة والانجيل وما اشبههما ». وقد وردت في القران في سورة الجمعة وفي الحديث بالمعنى ذاته. وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) دخول الحُسين بن ضحّاك الى احد اديرة النصارى بينما كان الراهب يقرأ « سِفراً من اسفارهم » اي كتبهم المقدّسة وكانوا يدعون كلًّا من تلك الاسفار (بكتاب الله). قال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيّة) :

ناشدتنا بكتاب الله حُرْمَتَنا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

وقد دعوا ايضاً كتب الوحي (مجلّة) وعلى هذا رُوي بيت النابغة في بني غسّان :

مجلّتهم ذات الإلهِ ودينُهم قومٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ

قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٦١) : « المجلّة الصحيفة يُكتَب فيها شيء

من الحكمة . واصل الكلمة من العبرانية ܢܒܘܐ اي الوحي والتبيان . وقد وردت في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٥ ed. Wüstenfeld.) حيث ذكر « مجلة لقمان يعني حكمة لقمان » وفي حديث انس « ألقى الينا مجالّ اي صُفُحاً »

وربما دعوا كتاب الوحي (بالصَّحيفة) جمعها صحائف وصُحُف واصلها من الحميريَّة والحبشيَّة بمعنى الكتاب والرسالة مطلقاً . قال لقيط الايادي في اوَّل قصيدةٍ يحذّر فيها قومهُ من كسرى (الاغاني ٢٠ : ٣٤) :

كتابٌ في الصحيفةِ من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إيادِ

ومثلها « صُحُف موسى وابراهيم » في القرآن يُراد بها كُتُب منسوبة الى موسى وابراهيم

ومثلها (المُصْحَف) بتثليث الميم اي الكتاب والمسلمون يخصُّونها بالقرآن . وقد سبق شعراء الجاهليَّة فنطقوا بها واطلقوها على اسفار النصارى قال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص١٦١) وورد في قولهِ اسم (الآية) اشارة الى مضامين تلك الاسفار :

تنا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ وعِرفانِ ورسمٍ عَفتْ آياتُهُ منذ ازمانِ
أتتْ حِجَجٌ بعدي عليهِ فأصبحتْ كخطِّ زَبُورٍ في مَصاحفِ رُهبانِ

واصل الكلمة من الحبشية ܡܨܚܦܐ (مَصْحَف) من ܨܚܦ (صَحَفَ) اي كَتَبَ

وقد استعملوا لفظة (القرآن) ولم يتَّفقوا على اصلها فمنهم مَن همزها وجعلها مصدرًا لقرأ بمعنى القراءة . ومنهم من رجَّح عدم همزها فقال قُرآن واستشهدوا ببيت حسَّان بن ثابت في هجوهِ لبني جمح (سيرة الرسول ص ٥٢٦) قال (١) :

جَحَدوا القُرآنَ وكذَّبوا بمحمَّدٍ والله يُظهر دينَ كلِّ رسولِ

وعليهِ تكون القُران من قَرَن اي جمع بمعنى مجموع الآيات . وعلى رأينا انَّ الهمز افضل وهو الشائع وعلى هذا اللفظ وردت في لاميَّة كعب بن زهير قال :

بَلِّغ هداك الذي اعطاك نافلةَ م القُرآنِ فيهِ مواعيظٌ وتفصيلُ

وعندنا انَّ اصل الكلمة من السريانيَّة ܩܪܝܢܐ وهي مصدر ܩܪܐ ومعناها

(١) راجع كتاب نولدك (Noeldeke: *Gesch. d. Qorans.* p. 25-27)

القراءة وقطعة من الكتاب لا سيما الكتاب المقدّس ويقال بهذا المعنى « رأس القِرْيان » (ܪܝܫ ܩܪܝܢܐ)

وقد استعملوا (الفُرْقان) بمعنى القُرآن قالوا دُعي بذلك لانهُ يفرق الحقّ من الباطل . وجاءت الكلمة في القرآن في سورة البقرة بمعنى التوراة حيث قال: « آتينا موسى الكتاب والفُرْقان » (راجع تاج العروس في مادّة فرق) . واصل هذه الكلمة على ما نرى من السريانيّة وهي ܦܘܪܩܢܐ بمعنى النجاة والخلاص مع الاشارة الى الفصل والتفريق . وقد وردت بمعنى الخلاص في القرآن في سورة الانفال حيث قال : « إنْ تتّقوا الله يجعَلْ لكم فُرْقانًا » فشرحهُ ابن سعيد بقولهِ : « الفرقان النصر على الاعداء » وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفُرْقان » بيوم النصر

ثمّ دعوا فصول القرآن (سُورة) فهمزها بعضهم واهمل همزها غيرهم فقالوا هي البقيّة من الشيء والقطعة منهُ . وقال غيرهم هي من السُورة بمعنى الرتبة والشرف كما قال النابغة يمدح النعمان :

أَلَمْ تَرَ انَّ اللهَ أعطاكَ سُورَةً ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يَتَذَبْذَبُ

والمرجّح ما ارتآهُ في ذلك العلّامة نولدك (Gesch. d. Qorans, p. 24) انّ اصلها من العبرانيّة ܣܘܪܬܐ معناها المِدْماك والساف من البناء ومجازًا هي سطور الكتابة والقطعة منها

ثمّ انّ وسيط الوحي بين الله والبشر (النبيّ) شرحهُ في تاج العروس (١ : ١٣٣) بقولهِ : « النبيّ على فَعيل الطريق الواضح يُهمَز ولا يُهمَز .. ومنهُ أُخذ الرسول لانهُ الطريق المُوضح المُوصِل الى الله تعالى » وعلى رأي العلماء هذا شرح بعيد واللفظة من العبرانيّة נביא والسريانيّة ܢܒܝܐ اي الناظر والرائي سلفًا لما يوحي اليهِ الله من الامور المستقبلة . وقد جاءت في الشعر الجاهليّ قال امية بن ابي الصلت عن مريم العذراء كتاب البدء للمقدسيّ (٣ : ١٢٣) :

فأدركها من ربّها ثمّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيٍّ مكلّمِ

وقال آخر :

كلّ اهل السماء يدعو عليكم من نبيٍّ وملأكٍ ورسولِ

ومثل نبيّ (الرّسول) اي المرسل من الله الى الناس قال امية في بعثة الله لموسى الكليم (سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٥):

وأنت الذي من فضل مَنٍّ (١ ورحمةٍ بعثت الى موسى رسولاً مناديا

وقال ايضاً عن لسان الملاك جبرئيل الى مريم يبشرها بالمسيح (كتاب البدء ٣: ١٢٣):

أنيبي وأعطي ما سُئلتِ فانّني رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بابْنَم (٢

وقد استعملوا بمعنى الرسول (النّذير) قال امية بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢: ١٤٦) عن لسان ابليس:

يقول خزنتها ما كان عندكمُ ألم يكن جاءكم من ربكم نُذُرُ

*

واخصّ ما عرفهُ العرب في الجاهليّة من الكتب المنزلة (التوراة والزبور والانجيل). فقالوا في التوراة (توريّة) ايضاً وهي كتب موسى الخمسة اي التكوين والخروج والعدد وسفر الاحبار وتثنية الاشتراع. ثمّ اطلقوها على اسفار العهد القديم اجمالاً. ومن غريب ما قالهُ بعض اللغويين في اصل هذه الكلمة انّها مصدر ورّى الزناد توريةً اذا اخرج ناره وانّ التوراة لغة طيّ في التورية وكلاهما بمعنى الاضاءة. وفي شرح المفضليّات (ص ٤٤٧ ed. Lyall) انّ توراة اصلها وَوْراة بقلب الواو تاء واصحّ من هذا ما رواهُ صاحب التاج عن الزجّاج حيث قال: «هو لفظ غير عربيّ بل هو عبرانيّ اتّفاقاً» وهو في العبرانيّة תורה ومعناها التعليم والحكمة. وقد وردت الكلمة في الشعر القديم. قال السموءل (راجع طبعتنا لديوانه ص ١٢):

وبنايا الاسباطِ اسباطَ يعقو بَ دارسُ التّوْراةِ والتابوتُ

وقد ذكروا (موسى) صاحب التوراة كما رأيت في باب (الرّسول). وقال السموءل (ص ١٢):

وانثلاقُ الأمواج طورَيْنِ عن مو سى وبَعْدُ المسلكُ الطالوتُ

---

١) وفي خزانة الادب (١: ١١٩): من فضل سَبَبٍ

٢) اي إرضي يا مريم بما يطلب الله منك فابشرك بمولدِ ابنٍ اي المسيح. وأبْنَم كابن والميم للتفخيم

وقال المخرّس بن ربعيّ (ياقوت ٣ : ٨٧) من ابيات :

فلمّا لحقنام قرأنا عليهمُ تحيّةَ موسى ربّهُ اذ يجاورهْ

وقد اكثر العرب من ذكر (الزَّبور) . قال المرقّش الأكبر (لسان العرب ١٦ : ٣) :

وكذلك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خطَّ ذلك في الزبو ر الاوّليّات القدائمْ

وقال امرؤ القيس (شعراء النصرانيّة ص ٦٥) :

لمن طَلَلٌ أبصرتُهُ فشجاني كخطّ زَبُور في عسيبٍ يماني

قال ابن الكلبيّ في كتاب انساب العرب (Ms de Paris, ff. 160) : « انّ امرءَ القيس اوّل من شبّه الطّلل بوَحي الزَّبور في عسيب يماني . وقد مرّ بك قوله :

أتتْ حججٌ بعدي عليها فاصبحتْ كخطّ زَبُورٍ في مصاحف رهبانِ

وجمعوا الزَّبور (الزُّبُر) قال المرّار بن منقذ في المفضّليات يصف دارًا :

وترى منها رسومًا قد علَتْ مثل خطّ الاعجميّ وَحي الزُّبُرْ

ويشبههُ قول الآخر :

او زُبُرٌ حمير بينها اخبارُها بالحيريّة في عسيبٍ ذابلِ

وقال كذلك اميّة بن ابي الصلت (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) في يوم الدين :

وأبرزوا بصعيدٍ مستوٍ جَرَزٍ (١) وأُنزل العرشُ والميزان والزُّبُرُ

امّا اصل الكلمة فقد اشتقّوهُ من قولهم زَبَرَ الكتابَ زَبْرًا كتبهُ . قال صاحب التاج (في مادّة زَبَرَ) : « قال الازهريّ واعرفهُ النقش في الحجارة وقال بعضهم : زبرتُ الكتاب اذا اتقنتَ كتابتهُ » . وجعلوا الذَّبر كالزَّبر كما قال صخر الغيّ :

أبانَ كبيرًا غيّ مخلّفةً تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذَبرٌ لمنتبهٍ يعرفهُ البُهْمُ ومن حَشَدُوا

ورُوي في حديث لابن الكلبيّ (ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٩١) دَبَرَ بالدال قال في وصف صنم ودّ : « قد دُبر عليهِ حائطان اي نُقش » . (قلنا) والصواب عندنا أن الزَّبر من الزَّمر والزَّبور كالمزمور وانمّا أُبدلت الميم باء كما جرى في لفظة « زمن » بالعربية وهي في السريانيّة ܙܒܢܐ بالباء . فكذلك الزَّبور او المزبور من العبرانيّة מזמור وفي السريانيّة ܡܙܡܘܪܐ و ܡܙܡܘܪܘܬܐ وهو التسبيح

١) الجَرَز الارض المجدبة . وفي الاصل حَرَز

ومثل التوراة والزبور (الإنجيل) اخذها العرب من اليونان εὐαγγέλιον بوساطة السريانية ܐܘܢܓܠܝܘܢ او اخذوها تراً من الحبشية ወንጌል على هذه الصورة. وعلى كلّ حال انّ اللفظة سبقت الاسلام. قال عديّ بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ. طبعة مصر ٤ : ٦٦ Ms de Vienne. ff. 213r) :

وأوتيا المُلْكَ والإنجيلَ تقرأُهُ تشفي بحكمتهِ أحلامنا عَلَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجعلَنا فوق البريّة اربابًا كما فعلا

وروى البكريّ في معجم ما استعجم (ص ٣٦١) لشاعر لم يذكر اسمهُ بيتاً هجا فيهِ راهباً هجر الرهبانيّة :

هجر الانجيلَ حبًّا للصبى ورأى الدنيا غرورًا فركنْ

وقال في محلّ آخر عن غلام يتغنّى بتلاوة الانجيل :

اذا رجّع الانجيلَ وامترّ ماندًا تذكّرَ محزونُ الفؤادِ غريبُ

والمرجّح انّ النابغة اراد الانجيل في ذكرهِ لمجأة غسّان لمّا قال :

بملّتهم ذاتُ الإله ودينُهم قومٌ فما يرجون غير العواقبِ

وكذلك من المحتمل انّ اميّة بن ابي الصّلت اراد الانجيل في البيت التالي حيث وردت لفظة الرقّ ومعناها السِفر (راجع الاضداد لابن الانباري ص ٨١ ولسان العرب ٩ : ٢٥٨) وهو يمدح بني اياد قومهُ النصارى :

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ اذا ساروا جميعًا والفيطُ والقُلُمُ

وكما ذكروا موسى وداود صاحبي التوراة والزبور كذلك ذكروا السيّد المسيح مع ذكرهم لانجيله الشريف وهم يدعونهُ (عيسى). روى ابن العربيّ في محاضرة الابرار (٢ : ٥٠) عن لسان قسّ بن ساعدة اسقف نجران : «الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبثاً ولم يخلق الناس سدى من بعد عيسى واكترث...». وفي اسم عيسى هذا سرٌّ من اسرار الاشتقاق العربية. قال في التاج (٤ : ٢٠٠) : «قال الجوهريّ عيسى عبراني او سريانيّ. قال الليث: هو معدول عن ايشوع كذا يقول اهل السريانيّة» على انّ عدولهم هذا من باب الغرائب. ولا نجد علّةً قد تبدّل في العربيّة على هذا المنوال. وعندنا انّ هذا التبديل جرى على يد اليهود الذين ادخلوهُ في العرب بغضاً

بالنصارى فدعوا يسوع باسم عيسى او عيسو وهو اخو يعقوب الذي نفاهُ الله من شعبهِ وكان هو وقومهُ الادوميُّون يُعدُّون رجساً في بني اسرائيل فقلبوا اسم يسوع ونقلوا عينهُ الى اوَّلهِ فجعلوا الرأس ذنباً وزعم بعضهم انَّ اصل عيسى « عِوَسى » قلبوا الواو ياء فصارت « عِيَسى » . قال امية بن ابي الصلت (كتاب البدء ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربِّ مريمَ آيةٌ منبّئةٌ بالمَبْد ١) عيسى بن مريم

والسيِّد يسوع اسمٌ آخر اشيع منهُ عند العرب وهو « المسيح » من العبرانيَّة משיח والسريانيَّة ܡܫܝܚܐ وهما كالعربيَّة مسيح واليونانيَّة Χριστός اي الممسوح بدهن الكهنوت والملك كما كانوا يفعلون باحبار بني اسرائيل وملوكهم وقال العرب غير ذلك . روى في تاج العروس عن شمر « انَّ المسيح دُعي بذلك لبركتهِ اي لانهُ مُسح بالبركة . وقال الراغب : سُمّي عيسى بالمسيح لانهُ مُسحت عنهُ القوَّة الذميمة من الجهل والشره والحرص وسائر الاخلاق الذميمة ... وفي بعض الاقاويل المسيح من المسّح لانهُ كان يسيح في البراري ويذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلّى حتى الصباح » . وكل هذه آراء ضعيفة والصواب ما قلناهُ انهُ من المسح . وقد تكرَّر اسم المسيح في الشعر القديم . قال عمرو بن عبد الحقّ ويروى لغيرهِ (اطلب المعاجم في مادَّة ابل) :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكل ايل الايابين المسيح بن مريما

ورُوي للسموءل (راجع ديوانهُ صفحة ٣٢) قولهُ :

وفي آخر الايَّام جاء مسيحُنا فأهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

وقال امية يذكر مجيء المسيح في آخر الازمنة ليدين البشر :

ايَّام يلقى نصارام مسيحَهمُ والكائنين لهُ وذا وقربانا

وذكر آخر محاربة السيد المسيح للمسيح الدجال وانتصارهُ عليهِ (راجع اللسان في مادَّة مسح ٣ : ٤٣٠) :

إذ المسيحُ يقتلُ المسيحا

وكانوا يسمّون المسيح (بالابيل) ومعناهُ الناسك والزاهد بالدنيا ودعوهُ بابيل الابيلين لانهُ كان بزهدهِ قدوة الرهبان كما مرَّ بك

١) في الاصل : والمبد ونظنّها تصحيفاً . وقد دعا المسيح عبداً لله من حيث ناسوته

وقد عظّموا ليلة مولد المسيح فدعوها ليل التمام . قال في اللسان (في مادّة تمّ ١٤ : ٣٣٤) : « قال عمرو بن شميل : ليل التمام اطول ما يكون من الليل . . قال الاصمعيّ . ويطول ليل التمام حتى تطلع فيه النجوم كلها وهي ليلة ميلاد عيسى . . . والنصارى تعظّمها وتقوم فيها »

ولم يذكروا فقط السيّد المسيح بل ذكروا امّهُ مريم العذراء كما رأيت . وذكروا القديس يوحنا الصابغ المتقدّم امام وجهه وذكروا تلامذتهُ . وممّا رووا عن (مريم العذراء) بتوليّتها وبشارة الملاك اليها بابنها الالهيّ وحبلها الطاهر بابنها من الروح القدس . ورد ذلك في القرآن وسبقهُ اميّة بن ابي الصلت فقال وفي قوله نظرٌ لما ادخلهُ فيه من المزاعم المنقولة عن الاناجيل غير القانونيّة (راجع كتاب البدء للمقدسي ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربّ مريم آيةٌ ... منبّئةٌ بالعبد عيسى بن مريم
انابتْ لوجه الله ثمّ تبتّلت ... فسبّحْ عنها (١ لومة الملوّم
فلا هي همّت بالنكاح ولا دنتْ ... الى بشر منها بفرجٍ ولا فم
ولطّت حجابَ البيت من دون أهلها ... تغيّبُ عنهم في صحاريّ رمرم (٢
يحارُ بها الساري اذا جنّ ليلهُ ... وليس وان كان النهارُ بمعلَم
تدلّى عليها بعد ما نام اهلُها ... رسولٌ فلم يَحْصَر ولم يَترَمرَم (٣
فقال : ألا تجزَعي وتكذّبي (٤ ... ملائكةٌ من ربّ عادٍ وجُرْهُم
أتيبي وأعطي ما سُئلتِ فإنّني ... رسولٌ من الرحمان يأتيكِ بابنٍ (٥
فقالت لهُ أنّى يكونُ ولم أكُنْ ... بغيًّا ولا حُبْلَى ولا ذاتَ قيّم (٦

١) سبّح عنها اي أبعد عنها وترّهها

٢) يقال لطّ الباب اذا اغلقهُ . ورمرم علَم مكان . والرمرم ايضًا الخشبة المشوكة المعروفة بالزمّام فنسب الصحاري اليها . يريد الشاعر ان مريم خرجت الى الصحراء وهناك بشّرها الملاك بولد ابنها وهو قول اشارهُ الشاعر من مزاعم الكتبة غير القانونيين

٣) حصر قصر عن الكلام . وترمرم حرّك شفتيه بالكلام . يريد انّ كلامهُ لم يكن كمثل كلام البشر

٤) اي لا تخبي ظنّهم فيك

٥) أعطي ما سُئلتِ اي ارضي بما يطلبهُ منك الربّ . وابن تفخيم ابن

٦) ذات قيم اي ذات زوج . والبيت ترجمة قول العذراء (لوقا ١ : ٥) : « وكيف يكون ذلك وانا لا اعرف رجلًا »

أأحرجُ بالرحمان ان كنتَ مؤمناً كلامي فاقمدْ ما بدا لكَ او قم (١
فسبَّح ثمَّ اعترَّها (٢ فالتقت به غلاماً سويَّ الخَلْق ليس بتوأم
بنفخةٍ في الصدر من جيب درعها وما يصرم الرحمنُ مِلْ أمرٍ يصرم (٣
فلمَّا أتَتْهُ وجاءت لوضعهِ فآوى لهم من لومهم والتندُّم (٤
وقال لها مَنْ حولها: جئتِ مُنكَراً فحقٌّ بأن تُلحَى عليهِ وتُرجَمي (٥
فأدركها من ربِّها ثمَّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيٍّ مكلَّم
فقال لها: انيَّ من الله آيةٌ وعلَّمني والله خيرُ معلِّم
وأُرسِلتُ لم أُرسَل غوياً ولم أكن شقياً ولم أُبعَثْ بفحشٍ ومأثم

امَّا (يوحنَّا المعمدان) السابق امام وجه المسيح فقد شاع ذكرهُ بين عرب الجاهليَّة وقد رأيت انَّ احدى الكتابتين العربيَّتين السابقتين لعهد الاسلام كانت على باب كنيسة في حوران مشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا (راجع الصفحة ٧١ مع رسم هذه الكتابة في الجدول ٦٨ — ٦٩) . وقد ذكر القرآن في سورة عمران (ع ٣٣ و ٣٤) ما روى عنهُ القديس لوقا في الانجيل من بشارة الملاك لابيهِ زكريَّا ومن مولدهِ العجيب ووصفهُ هناك بكونهِ « مصدِّقاً بكلمة من الله وسيِّداً وحَصُوراً ونبيًّا من الصالحين » فاطرأ ايمانهُ ورفعة مقامهِ وعفَّتهُ ونبوَّتهُ

والعرب يدعون يوحنَّا المعمدان باسم (يحيى) وهو ايضاً مع اسم عيسى احد ألغاز التبديل التي لم يذكر اللغويون سببها . ومن المعلوم انَّ يوحنَّا اسم عبراني مركَّب من كلمتين « يوحنَّن » (יוחנן) او « يهوحنن » (יהוחנן) اي حنَّ الله وترحَّم ومنهُ السريانيَّة ܝܘܚܢܢ فكيف اذن قُلب بيحيا . على رأينا انَّ الاسم قد تصحَّف في العربيَّة وذلك انهُ كان في الاصل « يحنَّا » فكتبوهُ قبل وضع النقط والحركات

١) حرج بالرحمان اي كفر والاصل مصحَّف بأخرجُ . والمعنى كيف آثمُ امام الرحمن . فان صدقتَ قولي فيهِ والَّا فافعل ما بدا لك من اقامة او ذهاب

٢) اعترَّها اي اعترض لها . يشير الى قول الانجيل انَّ الروح القدس ظلَّلها فحبلت بنعمتهِ وقوَّتهِ بابنها المسيح دون زرع بشريّ . فالنفخة في صدرها مجاز

٣) صرَمهُ بتَّهُ وفصلهُ . وقولهُ « مِلْ أمرٍ » اي من الامر

٤) في البيت تصحيف . والمعنى انَّ اليهود لمَّا رأوا ابنها شكُّوا في براءتها . وهو زعمٌ من مزاعم اناجيل الزور ومثلهُ قولهُ عن المسيح انهُ تكلم في المهد ليبرِّئ والدتهُ الطاهرة ورد ذلك في انجيل الطفوليَّة المصنوع

٥) لحاهُ بكَّتهُ وعابهُ وفي الاصل : بأن تُلحَى وهو تصحيف

« محا » فقرأوه « يَحيا او يحيي ». ولا نرى وجهاً آخر لتعليل هذا التغيير الذي حدث كما نظنّ قبل الاسلام فجرى عليهِ المسلمون وهم يدعونهُ بيحيى بن زكريا النبيّ او يحيى الحَصُور لعفافهِ عن النساء. وقد ورد اسم يحيى في الشعر الجاهليّ كما سترى

(والحواريّون) تلاميذ السيّد المسيح عند العرب وقد اختلفوا ايضاً في اصل هذه اللفظة فقال البعض انّ معناها القصّار لانّ رسل المسيح كانوا يقصرون الثياب وهو قول لا سند لهُ اذ لم يُعرَف احد من الرسل بمزاولة القصارة. وقال غيرهم هو من الحَوَر اي شدّة بياض العين في شدّة سوادها قالوا دُعوا بذلك لصفاء نيّاتهم وقيل بل لأنّهم كانوا صفوة الانبياء. (راجع لسان العرب في مادّة حور). وان صحّ ذلك يكون اشتقاق الكلمة من السريانيّة ܚܘܪܐ اولى ومعناها الابيض والصافي البياض والنقيّ. والصواب ان اللفظة حبشيّة ሐዋሪያ (حَوَاري) ومعناها الرسول. وما لا ريب فيهِ انّ اللفظة سبقت الاسلام. وقد جاءت في القصائد المعروفة بالاصمعيّات (ص ٧٥ Ahlwardt.) في بيت للضابئ بن الحارث بن ارطاة البرجميّ يشير الى رغبة رسل المسيح في الموت لاجل سيّدهم استشهاداً:

وكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي الى الله زُلفى ان يَكُرَّ فيُقتَلا (١

وقال السموأل يذكر الحواريّ (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٢):

وسَمَيْتُمُ والحواريَّ يحيى ومُتّى يوسفَ كأنّي وليتُ

يريد بالحواريّ يحيى على ما نظن يوحنّا الحبيب وكذلك ذكر متّى الرسول فخفّف. أمّا « يوسف » فلعلّهُ يوسف المعروف باخي الربّ (متّى ١٣ : ٥٥) او يكون يوسف اسم ابي متى كأنّهُ اراد مُتّى بن يوسف

ومؤنّث الحواريّين (الحَوَاريّات) قالوا عنّ نساء الأنصار لبياضهنّ. قال ابو جلدة وهو مسهر بن الشمان اليشكريّ (لسان العرب ٥ : ٢٩٩)

فَقُلْ للحَوَارِيّاتِ يبكينَ غيرنا ولا تبكينّا إلّا الكلابُ النوابحُ
يبكينَ الينا خيفةً ان تُبيحها رماحُ النصارى والسيوفُ الجوارحُ

قال جعل اهل الشام نصارى لانها تلي الروم وهي بلادها » (لهُ بقيّة)

---

١) ويروى : فيُقتَلا

كلمة

في تاريخ اشعة رونتجن ومنافعها

للدكتور الياس افندي الحاج
احد اعضاء جمعية التداوي بالكهرباء الباريسية

لا يكتفي العالم بالنظر الى الحوادث الطبيعية ليسرّ برؤياها وليقضي منها العجب بل يستقصي ايضاً تولّدها ومبعثها ويتتبّعها ليكشف غوامضها واسرارها فيدرسها ليقف على النواميس التي تربطها فيشرح كيفيّتها ويعلّلها ويستخرج منها المنافع ويدرأ ما ينتج عنها من الاضرار

واعظم شيء استلفت انظار العلماء في القرون المتأخرة انّما هو الكهرباء. فانهُ منذ اكتشف العالم الايطاليّ كلفاني في اواخر الجيل الثامن عشر اسرار الكهرباء اخذ اساتذة هذا الفن يتعمّقون في درسها ويتفنّنون في توليده تارةً بالبطاريّات وطوراً بالاحتكاكات. وسعوا بضبطها تحت قوانين تمكّنهم من استخدامها لمنفعة الانسان

واوّل من توسّل بالكهرباء لفائدة الطبّ على طريقة منظّمة هو دوشن البولوني (Duchenne de Boulogne) في اواسط الجيل التاسع عشر لكن شتّان ما بين الادوات التي استعان بها والتي هي اليوم في حكم المتطبّبين فانهم في اوّل الامر لم يتّخذوا لمعالجة مرضاهم سوى آلة من الكهربائيّة الراكدة. ثمّ اتّصلوا بالامتحانات المتوالية والدرس المتتابع الى تحسينات وتنظيمات عديدة فقوّوا المجاري وصاروا ينالون بثانية واحدة مجرى كثير التواتر ينتج منهُ بضعة ملايين من الاهتزازات. ثمّ جعلوا يدرسون مفعول هذه الشرارات الجهنّمية في الاجسام وانتشارها في الهواء واتّقادها في الاوعية الخالية منه

ففي الهواء المكشوف ترى هذه الشرارات عبارة عن صواعق صغيرة امّا في الاوعية الخالية نوعاً من الهواء فترى القطبين يولّدان شرارات يختلف تواترها باختلاف القوة المولّدة . واما اذا كان الفضاء زائداً وبالغوا في إفراغ الآنية من الغازات فترى نوراً ينبعث من القطب السلبي سائراً منهُ الى القطب الايجابي على خطّ مستقيم واذا

كانت القطوب متعددة ينقسم النور الى اشعة على عدد تلك القطوب اي انهُ يتولد في القطب السلبي شعاع واحد يتجه الى القطوب الايجابية على تعدادها

وفي الاساطين الزجاجية المنسوبة الى كروكس (Crookes) حيث الفضاء بالغ جدًّا لا يعود النور ينقسم مصوبًا الى القطوب الايجابية بل يتجه رأسًا امامهُ نافذًا في كل ما يصادفهُ من زجاج او غيره. وهذا الاختبار اجراه كروكس سنة ١٨٦١. ويستنتج من امتحانات غولدستين (Goldstein) سنة ١٨٧١ انه لا يمكن تولد النور الناتج عن الاشعة الكهربائية والصادر من القطب السلبي في الفضاء الّا اذا صادف ذلك الشعاع جسمًا صلبًا. وهذه الاشعة تورّد الورق الفوتوغرافي ولها مفعول على بعض الاملاح ككلورور الفضة وبيكرومات البوطاسا وأكسلات الحديد. كما انه اذا وُجد جسم بين مصدر هذه الاشعة والجسم الصلب ظهر خيالهُ بين الاثنين

وهكذا اتصل غولدستين سنة ١٨٧٦ الى ان أثبت كون القطب السلبي يولد شيئًا مجهولًا لا شكَّ فيهِ لكنَّ ماهيتهُ غير مقرَّرة وقد وافقهُ العلماء على رأيهِ. ومما ارتآهُ كروكس ان ذلك الشيء مادّيّ. وخالفهُ غولدستين في رأيهِ فزعم انَّ هناك قوَّةً ليس الّا

وفي سنة ١٨٨٣ ارتأى العلّامة ڤيدمان (Wiedmann) ان هذه الاشعة سلبية ولذلك اصطلحوا على تسميتها بالاشعة الكاثوديَّة (rayons cathodiques) وهي مركَّبة من تمازجات قليلة الطول

وبقي العلماء يدرسون هذه الاشعة ويختبرونها حتى سنة ١٨٩٢. وكان غولدستين يظن انَّها لا تستطيع ان تنفذ في الاجسام الصلبة مهما قلَّت كثافتها

امَّا هرتز (Hertz) فاثبت انَّ تلك الاشعة تخرق بعض المعادن اذا كانت قليلة الكثافة وذلك بانه عرض قطعة زجاج الاورانيوم مغطاة من جهة الكاثود بورقة من ذهب فرأى ان الزجاج بقي مشعًّا. واخذ ايضًا بعض قطع من الميكا وألصقها على الورقة الذهبية فرأى خيالها من الجانب الاخر قويًّا لكنهُ قليل الوضوح

وفي سنة ١٨٩٤ راى لينار (Lénard) ان الورق الحسّاس يسودُّ عن بُعدٍ وان اكثر الاجسام تشعُّ من جرّاء ذلك الشعاع

وكانت السنة ١٨٩٦ سنة الاكتشافات الطبية ففيها اكتشفوا مصل الخناق وفيها عرض رونتجن على جمعية التداوي بالعوامل الطبيعية في مدينة روتزبورج خلاصة امتحاناته واكتشافهُ العجيب الذي لم يَعُد للطبّ ولا للجراحة غنًى عنه نريد بهِ اكتشافهُ للاشعَّة النافذة في الاجسام الصلبة المعروفة باسمهِ (rayons Roentgen) وطريقة اكتشافهِ هو انه لاحظ صدفةً تشعُّع بعض قطيعات من البلاتينوسيانور الباريوم (platinocya-nure de barium) قرب اسطوانة هيتورف المغطاة بكاملها بكرتون اسود كثيف لا يخرقهُ النور الاعتيادي ولا اشعَّة الطيف فوق البنفسجية . ثم راى ان المرآة المركَّبة من البلاتينوسيانور تشعُّ ايضاً إشعاعاً خفيفاً وراء كتاب مؤلَّف من الف صفحة ووراء قطعة خشب او صحيفة من معدن الالومينيوم سمكها ١٥ مليمترًا. فتحقَّق حينئذٍ انه وجد عاملًا جديدًا غير معروف حتى ذلك الوقت ولذلك دعوا تلك الاشعَّة بالاشعَّة المجهولة (rayons X) فاحبَّ رونتجن ان يدرس خواص هذه الاشعَّة فرأى:

١ً انَّ اختراق النور للاجسام الصلبة متوقف ليس فقط على كثافة هذه الاجسام بل على ثقلها النوعي ايضاً

٢ً انَّ حرارة هذه الاشعَّة قليلة جدًّا

٣ً ان العين لا ترى هذه الاشعَّة لانها لا تؤثر في شبكيتها

٤ً وانَّ تلك الاشعَّة تنتشر على خطّ مستقيم دون التواء ولا انعكاس بخلاف الاشعَّة العاديَّة . وهي من خواصها العجيبة

٥ً انَّ اوَّل نقطة تقع عليها هذه الاشعَّة المجهولة انَّما هي الاسطوانة وانَّها كلَّما بعدت عن هذه النقطة خفَّت قوَّتها بالنسبة الى مربَّع المسافة

٦ً ان هذه الاشعة الجديدة تختلف عن الاشعَّة السلبيَّة المعروفة بالكاثوديَّة بجملة خواص اعظمها عدم تأثير المناطيس فيها

٧ً ان بعض الاجسام تشعّ بفعل هذه الاشعَّة المجهولة

وهكذا درس فعلها الفوتوغرافي ورسم صور عدَّة اجسام عاينها بفعل تلك الاشعَّة فاخذ رسم عظام يدهِ وراء المرآة وصوَّر بعض قطع معدنيَّة داخل علبة خشبيَّة

هذا هو ابتداء ذاك الاكتشاف العجيب الذي لا تحدّ منافعهُ وبهِ يمكننا ان

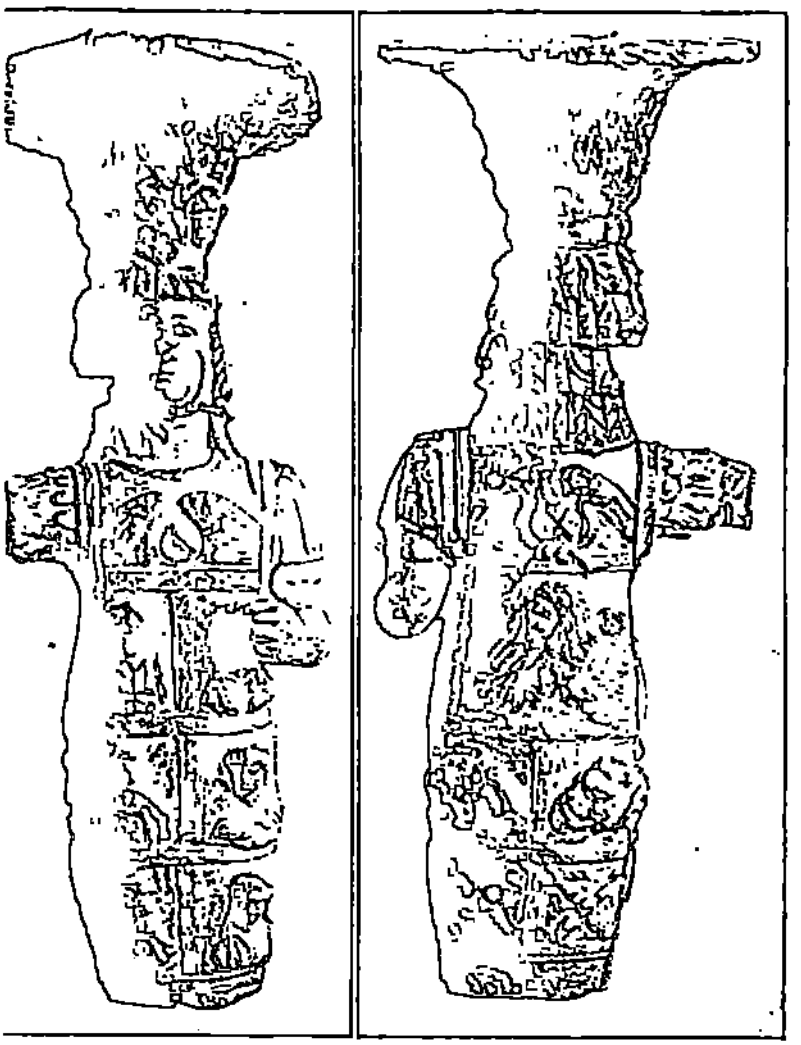

تمثال جوبتير البعلبكي المكتشف حديثاً: وجهه وظهره

نشخّص عدّة امراض ونعالج الامراض المزمنة . وطريقة التشخيص على نوعين : الاولى عياناً بالنظّارة المشمّة (miroir de platinocyanure de baryum) والثانية بالرسم على صحيفة من زجاج حسّاس . وطريقتها واحدة اي ان يوضع المريض بين الاسطوانة والمرآة او الزجاجة الحساسة

فيمكننا بالطريقة الاولى مثلاً ان نشرّح المريض تشريحاً حقيقياً دون ان نهرق ادنى نقطة من دمهِ . ودون ان نجرحهُ ونولمهُ البتّة نسبر غورَ جسمهِ وهو واقف امامنا غير عالم اننا نكشف اسرار باطنهِ فنرى رئتيه او بالاحرى لا نراهما اذا كانتا بحالتها القانونيّة . اما اذا كانتا مصابتين بتدرّن او مرض غيره فتظهر صورة ذلك المرض

نرى قلبهُ اذا كان متضخماً ام لا . نرى أبهَرَهُ (aorte) أهو متمدّد ام لا . نرى شغاف صدرهِ النصفي (médiastin) اذا كان فارغاً ام مبتلًى ببعض الاورام او الغدد المتضخمة . نرى العظام والمفاصل كلّ عظمٍ وكلّ مفصلٍ على حدةٍ . نرى المريءَ (oesophage) والمعدة والامعاء بعد ان ندخل فيها معجون البسموت . اذ ان البسموت كثيفٌ يحجز النور فيُظهر صورة الاجهزة التي دخلها . وان قيل انّ البسموت سمّ فكيف تصِفهُ ؟ اجبتُ اننا نجرّع المريض من ٥٠ الى ١٠٠ گرام من كربونات البسموت النقي وهذا ليس بسمّ على خلاف مزيج نترات البسموت السامّ وانّما يُشترط في كربوناتهِ ان يكون ذا نقاوة كيماويّة

فمن الثابت اذن ان الاشعة تخدم الطب والطبيب خدمةً لا مثيل لها لكنّها لا تأتي وحدها دائماً بالتشخيص الكافي كما ان السماعة او نقر العضو بالاصبع لا يكفي وحدهُ لاتمام تشخيص المرض . نعم في بعض الظروف يمكننا بواسطة الاشعة وحدها ان نتحقّق تشخيص الداء بدون ادنى مساعدة لكن يجب دائماً ان نتّخذ كلّ ما في طاقتنا من الوسائل ونستخدم كل ما اوجده العلم الحديث من طرائق التنقيب لنثبت تشخيصنا بدون شك ولا تردُّد . لان الصورة التي نراها هي « اثرٌ صامت » يجب على العقل فهمهُ والمشخّص بفعل عقلهِ يفسّر الاثر وتفسيرهُ نتيجة القوة الحاكمة الطبية

مثال ذلك : رجل يشكو الماً في صدرهِ فنجد مثلاً في المرآة الكهربائيّة خيالاً ثابتاً في أبهر القلب . فلا يمكننا والحالة هذه بدون ان نستعين بالعلامات الاعتياديّة

الكلينيكيَّة ان نؤكد على اي داء يدلُّ هـذا الخيال أعلى تمدُّد الشريان (anévrisme) او على ورمٍ حصل فيهِ او في غيرهِ من الاعضاء.

على أنَّنا نستطيع في حوادث اخرى ان نثبت وجود الداء او عدمهُ تزًّا دون الاستعانة بالعلامات الطبيَّة بل يمكننا ان نصلح التشخيصَ الطبيَّ كما جرى لنا مع احد زملائنا الاطبَّاء الذي شعر مدَّة سنين طويلة بألم في ظهرهِ كان يسبِّب لهُ البول الدموي وقد تفاقم عليهِ الداء حتى اضطرَّهُ الى استعمال المورفين بكميَّة وافرة. وكان استشار في مرضهِ أعلام الطبِّ في بيروت فارتأى بعضهم بعد التشخيص انَّهُ مصاب بداء السرطان وقال غيرهم انهُ سلٌّ كلوي وصرَّحوا لهُ انَّهُ لا يعيش اكثر من شهر او شهرين. ولمَّا فاتت عليهِ هذه المدَّة وهو حيٌّ يُرزق ارسل اليهِ جناب الدكتور جانغ واستدعاهُ الى بيروت لتفحصهُ باشعَّة رنتجن. ففعلنا واذا سبب دائهِ حصاةٌ كانت في المثانة. ففرح ايَّ فرح لمَّا اوقفناهُ على علَّة الداء ولم يلبث ان استخرج الحصاة فشفي بعد قليل وعاد الى عيشتهِ المنتظمة نابذًا لاستعمال المورفين

وكذلك امراض العظام ربَّما اوقفتنا عليها الاشعَّة رأسًا وبكلِّ تدقيق دون سواها. والامثال على ذلك لا تُحصى. فمنها ما جرى لضابط نمساوي وقع عن ظهر فرسهِ فتورَّمت فخذهُ اليسرى ونُقل الى المستشفى واذ ظنُّوا انَّ عظم فخذهِ مكسور في اسفلهِ جعلوا لهُ جبارةً من الجفصين لكنَّ الاشعَّة الرنتجنيَّة ازالت هذا الوهم وبيَّنت للجرَّاح والمريض خطأهما فاخذ منهما الانذهال لمَّا رأيا صورة كسر الفخذ عموديًا عند مفصل الورك

ومنها ما حدث قبل شهرين لاحد الذوات الخواجا ن. ب فانَّ العربة انقلبت بهِ وكُسرت فخذهُ. فاسرع الاطبَّاء الى جبرها بالجفصين اظنَّهم انَّ الكسر في وسط الفخذ. لكنَّ احدهم زيادةً في تطمين بال المريض اراد ان يتحقَّق صحَّة هذا الحكم الطبيَّ فجاء بهِ الى مستوصفنا حيث صوَّرنا فخذهُ وورَّكهُ رغمًا عمَّا ركبوا عليها من قناطير الجفصين. فكانت نتيجة التصوير انَّ تلك كميَّات الجصِّ لا تجدي فتيلًا وانَّ الكسر قريب من المفصل الوركيِّ فعُولج المريض بالجذب المتواصل وتعافى سريعًا

ولو اردنا لأتينا بحوادث متعدِّدة يستغرق سردُها زمنًا طويلًا والقرَّاء في غنى عنها. وكذلك اضرب صفحًا عن الاجسام المعدنيَّة النافذة في الجسم كالابَر والرصاص

فانَّ رسمها ان اسهل الامور بعد ان كان ذلك يُعَدّ من المشاكل الصعبة . وكلّنا نعلم كم يصعب على الجرّاح تحديد موضع ابرة ولجت في اللحم . وكذلك الرصاص فانّهُ اذا اصاب عضواً غاص في اقاصي الجسم حيث لا يمكن تعريف مكانهِ . فربما يدخل الرصاص من الكتف او اليد او احد الجانبين فيستقرّ في السلسلة الفقاريّة . وكم من مرّة ولجت الرصاصة في قناة العظم نفسها . ولولا الاشعّة لبقي الجرّاحون اشهراً دون اكتشافها وذاق المرضى الاوجاع المبرّحة بسببها

هذا ما يختصّ بتشخيص الامراض وما قولنا بعلاجها فانَّ الاشعّة المجهولة لها في ذلك حصّة صالحة لا يسعني اطالة الكلام فيها وانّما اقول اجمالاً انَّ هذه الاشعّة تقوى على علاج القروح التي يعجز الاطبّاء والجرّاحون عن مداواتها كالآكلة (lupus) والسرطان الجلديّ (epithélioma) وقد وفّقنا الله الى شفاء جملة آفات منها مزمنة بعد استعمال غيرنا للمراهم والكيّ بالنار والحروق الكيموية

ومن الادواء التي تحسمها الاشعّة الدرّن الليمفاويّ الصغير الحجم الذي يحدث بوفرة تحت العنق وحول الرقبة (polymicroadénite tuberculeuse) . وكذلك قد ثبت بالتجربة انَّ اشعّتنا هي انجع دواء للداء المعروف بابيضاض الدم (leucémie) وقد عالجنا بها مريضين فتحسّنت حالها لكنهما لم يشفيا تماماً لعدم ثباتهما على العلاج ولا نعلم ماذا حلّ بهما

قرأنا في بعض المجلّات العلميّة انَّ الاورام المتّبة من السرطان العظميّ الدمويّ (ostéosarcome) ومن السرطان الليمفاويّ الدمويّ (lymphosarcome) تزول بفعل رنتجن . على انّنا لم نجرّب هذا العلاج حتى الآن اما لعدم ثقة المرضى بهِ واما لجهل الاطبّاء بنفعهِ

ولا احد ينكر منفعة اشعّتنا لتخميد الحكاك المزمن والبثور والنَّغط الجلديّ (الاكزيما) . ولا ازيدكم علماً اذا ذكرتُ فعلها بالاجهزة التناسليّة من ذكور واناث على انَّ استعمالها لا يجوز الّا على شروط مقرّرة وقد ضربت الحكومة على ايدي اولئك الاطبّاء الذين لا ذمّة لهم فيتّخذون لضرر المجتمع الانسانيّ ولسدّ الينابيع النسليّة طرائق العلاج التي اوجدها الخالق في الطبيعة . ولا بأس من استعمالها لعلاج النساء

العقيمات المصابات بالورم الليفي (fibrome) ونزيف الرحم الناتج عنهُ (métrorragie) وقد جرَّبناهُ في حادثتين فجاءت النتيجة وفق المرام

ولا شكَّ انهُ بلغكم فعل هذه الاشعَّة لازالة الشعر . وفائدتهُ مؤكَّدة في نزع شعر الرأس اذا بُلي الانسان بالقرع وقد اختبرنا حسن فعلهِ في كثير من المرضى . امَّا استعمالهُ لازالة شعر الوجه فلا يخلو من خطر فانَّ بشرة الوجه بعد سقوط شعرها تحمرّ وتضخم عروقها الرفيعة فيصبح المنظر قبيحاً . والمفضَّل في نزع شعر الوجه او هُدب العين اتخاذ المجرى الكهربائي الكلفانيّ بواسطة ابرة البلاتين التي تأتي بالمرغوب دون أذىً البتَّة

هذه بعض فوائد اشعَّة ونتجن سوَّلها الله لخدمة الطبّ والجراحة . ذكرناها بالاختصار ومن المقرَّر ان العلماء لا يزالون كلّ يوم يكتشفون منافع جديدة تنجم عنها . وفقهم الله الى ما فيهِ صلاح الانسان وعلاج اسقامهِ ليقوم هو ايضاً بخدمتهِ تعالى اذا حصل على تمام العافية بمنهِ وكرمهِ

تمثال جديد معدنيّ
لجوبتير (المشتري) البعلبكي

نظر اثريّ للاب سبستيان رنزفال اليسوعيّ

التمثال الذي رسمنا منهُ هنا صورتين هو من معدن البرنز اي مزيج النحاس والقصدير وقد وُجد منذ عهد قريب في بعض جهات لبنان أبى المكتشف ان يدلّ عليها . وهو بلا شكّ اعظم واجمل تمثال يُعرف من هذا الشكل الى يومنا ولذلك قد تفرَّغنا لدرس مميّزاتهُ وها نحن نهدي قرَّاء المشرق خلاصة بحثنا ليقفوا على خواصّ هذا الاثر الذي ابتاعهُ اليوم احد اهل باريس وادخلهُ في جملة طُرف متحفهِ

قد مرَّت لنا في المشرق نبذة وصفنا فيها صورة ناتئة من هذا المبرَد البعلبكيّ وجدت في قرية السخنة على مسافة مرحلة من تدمر (راجع المشرق ١١ : ٣٠٧—٣٠٩) وهي منحوتة في صخر كلسيّ . وقد رسمنا تلك الصورة وشرحنا الكتابة اللاتينيَّة التي في لحفها . والتمثال الذي نحن في صدده الآن شبيهٌ بتلك الصورة الَّا

في بعض الخواص التي تستحق الذكر . فنصفهُ وصفاً مختصراً لانَّ الصورتين اللتين يراهما القارئ تنوبان عن الوصف الطويل وفي نيَّتنا ان نعود الى هذا البحث في مقالة نفردها لذلك في مجموع مكتبنا الشرقي

تمثالنا كما ترى ليس سالماً بل هو محطَّم فالرأس منفصل عن عنقهِ ومصاب بشدخ من عن يمينهِ شوَّه شعره . وقد فُقد القسم الاسفل من جسم الشخص . وكذلك تلفت الذراع اليمنى وكانت يدها تُلهب بالسَّوط امَّا الذراع اليسرى فسالمة وكانت قابضة على طاقة من السنبل وهي الآن قد اعوجَّت نحو صدر الشَّخص وسحجت رأس احد الاشلاء المصوَّرة

وكان على جانبي التمثال عجلان الواحد عن شمالهِ لا يُرى في الصورة ولم يبق منهُ سوى رأسهِ وقسم من كاهلهِ . امَّا الآخر فكان عن يمينهِ ولم يتلف منهُ سوى رجلهِ اليمنى . وقد عمدنا الى القطع المحطَّمة الباقية فجبرناها على قدر الامكان ثمَّ جعلنا تمثال الاله على قاعدة صناعيَّة من الشمع الابيض ثمَّ نصبنا احد العجلين على يمينهِ واخيراً ركزنا هذا التمثال على قاعدتهِ المدنيَّة . وهذه القاعدة قديمة صحيحة مجهَّزة بثقبَين في كل جوانبها ولعلَّها اخطر واهمّ ما يستوقف النظر في اثرنا كما سترى

وان اعتبرت صورة المشتري في هيئتهِ الكاملة ولحظت دقائق جهتيهِ من الامام والوراء تبيَّن لك انَّ الاله كالمألوف عادتهِ في مقتبل العمر غير ملتحٍ . وكذلك لمَّتهُ غزيرة على ما هو معروف . وفوق رأسهِ سلَّة واسعة تُدعى كلاثوس (calathos) مزدانة بالسُّنبل وبتراصيع تمثل الحجارة الكريمة التي كان الاله البعلبكي محلَّى بها . وفي اعلى السلَّة يُرى قرص الشمس تلتصق به حيَّتان مشتبكتان ومثلهما على ظهر التمثال بزيادة جناحين والسلَّة المذكورة هي كالدنيَّة وان شئت قُل كقلنسوة كهنة الروم

ورداء الاله معلَّق بحمالتَين كما هي العادة ورُسمت عليهِ تقاطيع . وبين الحمالتين يلوح ايضاً القرص المجنَّح وهو كالقرصين السابق ذكرهما على مثال القرص الأشوري الشبيه بصليب منقَّط الزوايا وفيهِ شاهد حيّ على ثبات الشرقيين في رسم تصاويرهم ورموزهم القديمة حتى طور التاريخ الروماني

قلنا انَّ رداء الاله ذو تقاطيع والباقي منها ستَّة في كلّ قطعة صور نصفيَّة

تمثل الهةً وثنيّة غير انّ هذه التصاوير ليست واضحة وقد طُمست نوعاً بفعل الزمان ولذلك يصعب تعريفها بتدقيق . ودونك رأينا في ذلك مبنيًا على المقابلة بين هذا التمثال وبقيّة تماثيل جوبتير البعلبكيّ المعدنيّة المعروفة . فالصفّ الاوّل يمثّل اله الشمس (Hélios) وإلهة (كذا) القمر (Séléné) . ويمثّل الصفّ الثاني إلهة الحرب (Athéna) على رأسها الخوذة ثم الاله هرمس او عطارد (Hermès) مع العصاة الملتفّ حولها حيّتان (caducée) . وترى في الصف الاسفل المشتري (Zeus) والالهة هيرا (Héra) . ولا شك في صحّة صورتي الصفّ الاوسط امّا بقيّة التصاوير فليس مشكلٌ فيها اللهمّ الّا صورتي الصفّ الاخير . وعلى كلّ حال ليس تحت ذلك كبير امر لانّ قدماء النقّاشين كانوا يتفنّنون في نقش رداء الاله . ولعلّك تسأل أما كان تحت الصف الاسفل صفٌّ آخر ذو صور الهيّة غيرها ؟ كلّا لا نظنّ لانّ المعدن كانت سعتهُ اضيق من ان تكتفي لرسم صور اخرى . ويؤيد ذلك انّ الوجه الخلفي لا تزيد صفوف صوره على الثلاثة وتحتها نقوش بسيطة ورديّة فقط (rosaces)

فلنصفنّ الآن قفا التمثال . ترى اوّلًا بين الحالتين القرص المجنّح مع الحيّتين الملتفّتين على جانبيه كأنّ المصوّر اراد ان يجمع في شعار واحد ما كان مفرّقاً في الوجه الامامي بين سأة الرأس والصدر . ولا بأس لانّ هذا الشعار قد تكرّر رسمهُ على هذا الشكل في مصر وفي انحاء آسية اعني القرص الشمسيّ والاجنحة والحيّتين . وتحت الشعار تربيع واحد على مدى خانتين فيه صورة عُقاب ناشر جناحيه وساقاهُ متباعدتان امّا مخلباهُ فلا يحجمان على الصاعقة كما يُعرف من بقيّة تصاوير هذا الاله ومعلوم انّ النسر كان رمز جوبتير . والصفّ الثاني يمثّل رأسي اكباش الاله غُمون على شبه بقيّة التماثيل المعدنيّة . امّا الصفّ الاسفل فترى فيه نقشين يمثّل كلّ واحد منهما صاعقتين مشتبكتين . وصورة الصاعقة ترى ايضاً على جانبي الاله لكنّها قليلة الوضوح في صورتنا الشمسيّة

وكان العجلان واقفين على جهتي تمثال الاله كما هو مقرّر من عدّة تصاوير قديمة وكانت وجهها غالباً مائلة نحو الاله . وقد جعلها النقّاش صغيرين بازاء عظمة الاله . قلتُ عجلين لا ثورين لأنّهما في فتاء السنّ وقرونهما في اوّل طلوعها دون الدلالة على خصاها

تمثال جوبتير البعلبكي

مع قاعدته وصورة احد العجلين القائمين على جانبيه

بقي علينا ذكر القاعدة التي عليها التمثال وقلنا انها اهمّ ما يستدعي النظر في هذا الاثر لانهُ اوّل تمثال معدني من المشتري البعلبكيّ وُجدت قاعدتهُ . والقاعدة سالمة لحسن الطالع وعلى كل وجهٍ من وجوهها الاربعة يُرى ثقبان دلالةً على انَّ هذا التمثال كان معدًّا لتُجعل فيهِ عارضتان فيُحمل في الحفلات الدينيّة على اكتاف حاملَين سابق فلاحق او متكاتفين كما كانوا يفعلون في بعلبك في الاعياد والمواسم على ما اخبر بهِ قدماء الكتبة

ثمَّ انهُ يوجد فوق القاعدة امام جوبتير نقب مستدير كانوا يركزون فيهِ امَّا مجمرةً للبخور (thymiatérion) وامَّا اناء يسكبون فيهِ خمرًا لإكرام الاله . وكل ذلك مفقود

وكان التمثال باجمعهِ مع قاعدتهِ وعجلَيهِ مموَّهًا بالذهب كما تدلّ عليهِ عدّة آثار ظاهرة في اقسامهِ . وكفى بذلك دليلًا على جمال هذا الاثر المعدني البديع الذي يفوق بحجمهِ الآثار السابقة اذ يبلغ طولهُ مع قاعدتهِ بعد اصلاحنا لهُ ٣٥٢ مترًا . وكان مجوّفًا . وهو محكم الصنع ونقوشهُ غاية في الحسن منقورة بدقّة

واذا عارضناهُ بالتماثيل المعروفة الى يومنا هذا وجدناهُ مختلفًا عنها بعض الاختلاف . واقرب تمثال بالشبهة اليهِ هو تمثال معدني مصون في مجموعة المسيو دي كلارك (Mr de Clercq) في باريس والشبه بينهما في الثوب فقط وزينتهِ الامامية والخلفيّة . ومن اراد الاطّلاع عليهِ فلينظر صورتهُ في كتاب المسيو دي ردّر (M. de Ridder) الذي عنوانهُ (Collection de Clercq, *Catalogue*, t. III, pl. 35) ثمَّ في مقالة للمؤلف عينهِ عنوانها (Bronzes syriens) نشرها في المجموعة (MONUMENTS ET MÉMOIRES, fondation Piot, t. XII) ففي هذين التأليفين كما في تأليف المسيو دوسُو (Notes de Mythologie syrienne) يجد الاثريّون وصف كلّ ما يُعرف عن جوبتير البعلبكيّ من آثار حجريّة نادرة او منقورة ومعدنيّات الخ : فيتضح من ذلك انَّ تمثالنا افضل اثر واقرب شبهًا على المرجّح بالعمود الذي كان يُكرم في هيكل بعلبك في القرن الثالث للمسيح

بيروت في ٢٥ ايار سنة ١٩١٣

الشاهد العيان على احوال البلقان

رحلة الاب لويس دترفال اليسوعي الى ادرنة

كان نظر العالم باجمعه متجهاً نحو ادرنة منذ سار اليها البلغار فحاصروها واخذوا بخناقها . وكان همّنا اعظم من سوانا اذ قدّر الله بوجود اعزّ اهلنا واقاربنا في تلك المدينة فانقطعت عنّا اخبارهم زمناً طويلاً ونحن نتقلّب على جمرات النار لما يتهدّدهم هناك من الاخطار ليلاً مع نهار . فما وردت الانباء بفتح ادرنة في اواخر آذار حتى تلطّف رؤساؤنا وفوّضوا الينا افتقاد المنكوبين لعلّنا نخفّف عنهم اعباء تلك المحنة . نعم انّ اخبار البرق كانت صرّحت بانّ المستعمرة الاوربيّة في ادرنة سالمة كلّها فطمّنتنا نوعاً لكنّنا كنّا نودّ ان نتحقّق الامر عياناً . وسترى انّ انشغال بالنا لم يكن بجرّد وهم وانّ اولئك الاحباب ما كانوا لينجوا من اهوال الحرب لولا نعمة خاصّة من المولى الذي نشكره على صفحات هذه المجلّة شكراً مستفيضاً كما هو اهلهُ

اقلعنا من بيروت في ٤ نيسان راكبين الباخرة الخديويّة وفي حسابنا انّنا نعود اليها بعد اربعة اسابيع اذ كنّا نظنّ انّ الوصول الى ادرنة سهل وانّ الطريق اليها مطروقة من بحر سفيد او الارخبيل فننزل الى ده ده اغاج او الى بورغاس فتقلّنا منها السكّة الحديديّة الى ادرنة . لكن عقبات كثيرة اعترضتنا فحالت دون مرامنا

واوّل ما عاقنا في تحقيق امنيّتنا اننا لم نجد في ازمير مركباً يُبحر الى ده ده اغاج فقُضي علينا بان نسير الى الاستانة . ولعلّ الامر كان لطفاً من الله لأنّ البلغار ما كانوا يرخّصون لاحد بالنزول الى ده ده اغاج الّا بجواز خاصّ من وزير الحربيّة فكان اضحى سفرنا سدًى

فابحرنا الى الاستانة وكان البحر في هياج عظيم منذ خروجنا من رودس فلم يهدأ بعد استئناف مسيرنا من ازمير حتى بلغنا جزيرة متيلين (مدلّي) فلمّا قربنا من تنيدوس سكنت الريح وانقشعت الغيوم فصفا اديم الجوّ وخمد البحر فقربنا من مضيق الدردنيل وابصارنا حيثما تقع تقرّ لمشاهد الطبيعة الفتّانة فكنّا نشخص الى جزيرة لمنوس غرباً والى امبروس وشبه جزيرة الدردنيل البديعة شمالاً وشمالاً شرقاً

والى سواحل آسيـــة وآثار طروادة شرقاً واخيراً الى تنيدوس والجزائر الصغرى القريبة منها جنوباً . وكانت شمس الربيع تكسو هـذه المناظر حلة من النور فترسل اليها اشعتها الذهبيَّة في ضحى النهار فلا يشبع النظر من رؤية محاسنها فكان الركّاب صوتاً واحداً : لله ما اجمل هذه المشاهد

وممَّا زاد هذا النظر بهجةً ما لقيناهُ هناك من مراكب اليونان الحربيَّة فكان اسطولهم متفرّقاً تلوح سفنهُ في أهبتهـا الحربيَّة من دوارع ونسَّافات وكانت سُفن أخرى نقَّالة تسير ذهاباً واياباً فتُقدم حيناً وتتوارى حيناً آخر . فقال بعض رفقتنا : لو امكنَّا ان نحضر واقعةً حربيَّة لزاد بهـا تأثرنا ورأينا ما يتمنَّى كثيرون ان يروهُ

وما قالوا ذلك حتى عرجت بنا الباخرة الى قرب مدخل الدردنيل واذا بنسَّافتين تركيَّتين تسيران بسُرعة تحت حماية بطاريَّات الحصون . وكنَّا نظن انهما لا تجسران ان تخرجا من المضيق لمحاربة اسطول اليونان . وما اشدَّ ما كان انذهالنا اذ رأيناهما متَّجهتين بجرأة الى الامام فرَّتا قريباً من باخرتنا ثمَّ خرجتا من المأزق ورمتا بقنابلها النسَّافات اليونانيَّة . فعاملهـا اليونان بالمثل والتحم القتال بعد قليل بين عموم السفن . لكنَّ اليونان خوفاً من بطاريَّات المعاقل اخذوا حذرهم وتباعدوا فدوارعهم ارست حيث لم تُصب بمدافع الاتراك البرّيَّة امَّا السُّفن الصغيرة فتوارت بين تنيدوس وجزيرة هناك شماليَّة حيث جمع اليونان على ما يقال ذخائرهم الحربيَّة . ومن المحتمل انَّ النسَّافتين التركيَّتين قصدتا ذاك المخزن (الجبخانة) لتفجراهُ فسار اليونان للدفاع عنهُ . وما تحقَّقناهُ ان الاتراك بعد ثلث ساعة دحروا اليونان تماماً . وكنَّا نرى العدد الجمّ من جنود الدولة واقفين عند الحصون يرصدون حركات المتقاتلين وهم مستعدّون لاطلاق مدافعهم على الاعداء

وما عدلت الباخرة بنا قليلاً عن الارخبيل حتى رأينا الطرَّاد « مجيديَّة » الشبيه بمجيديَّة يمخر البحر لاحقاً بالنسَّافتين . ثمَّ ارسينا بازاء مدينة الدردنيل فشاع هناك الخبر انَّ البارجة اليونانيَّة أفروف (Avéroff) ارتطمت في نواحي امبروس وانَّ الاسطول العثماني خارج ليحاول القبض عليها او يحرقها . لكنَّ الخبر لم يتأكَّد

وفي اثناء مرورنا في مضيق الدردنيل كنَّا نسرّح الابصار في التحصينات القويَّة التي عزَّزت بها الدولة ضفَّتي المضيق لا سيما الضفَّة الاوربيَّة بعد مفاجأة البوارج

الطليانيَّة لذاك المعبر واقامت هناك مرايا كهربائيَّة على مسافات قريبة لكشف سفن العدوّ وكذلك نصبت على جانبي المضيق عدَّة مدافع حجبتها في قُتَر هذا ما عدا المدافع ذات العيار الكبير المجهَّزة في الحصون

ثم خرجنا من مضيق الدردنيل فلنا قليلًا واذا بالاسطول التركيّ في تمام اهبته الحربيَّة ومراجله تغلي متحفِّزًا للسير عند اوَّل اشارة . فرأينا بوارجهُ وقواطعهُ كطرغود رنيس وبرباروس ومسعوديَّة مع المدفعيَّات والنَّسافات والمعاكسة للنَّسافات . ثمَّ اقتربنا من غاليبولي فعاينَّا من عن ظهر السفينة آثار الزلزال الاخير الذي دُهمت بهِ في شهر آب المنصرم حيث خربت الآذن وتقوَّضت المساكن وتداعت جدران الابنية وكنَّا نشاهد حركات الجنود المستعدَّة لمحاربة البلغار واليونان . امَّا القرى المحيطة بغاليبولي في شمالها الشرقي من جهة بولير وشاركوي فكانت تلوح لنا عن بُعد بيضاء ناصعة في وسط الخضرة فنتعجب من حسنها . واذ نظرنا اليها بالنظَّارة المجهرة بانت لنا حقيقتها فاذا هي مضارب للجند احتلُّوها في مدَّة الحرب . وقد اكد لنا ضبَّاط المركب انَّ هناك بين ٤٠,٠٠٠ الى ٥٠,٠٠٠ جنديّ مستعدّين لمناجزة العدوّ القتال . وذكر اولئك الضبَّاط ما جرى لباخرتنا « توفيقية » قبل شهر ونصف اذ تكاثف عليها الضباب فارتطمت . واضطرّ الرئيس الى ان يفرغ قسمًا من شحنها فيزلهُ الى البرّ وكان البلغار يرقبون حركات السفينة فظنُّوا انها تُفرغ موادّ حربيَّة ممنوعة واخذوا يطلقون عليها قذائفهم وقد اروا آثار رصاصهم في ظهر المركب . فللحال امر الرئيس بنشر راية بيضاء . وكفَّ البلغار عن الضرب ثمَّ قدم منهم مفتِّشان ليتبيَّنا الامر فاوفد الرئيس معهما نائبهُ الى العمدة البلغاريَّة فازال كلّ شبهة بشرح الحال كما روتهُ الجرائد وقد حدث مثل ذلك لمركب الفرنساوي سوزت فراسينه (Suzette-Fraissinet) . ولمركب آخر ممَّا يشهد على ان البلغار لا يُراعون احدًا في سبيل صوالحهم ولا يصبرون على الغضّ من حقوقهم

وصلنا الى الاستانة في ١٢ نيسان وما لبثتُ ان اجتمعتُ برجال السفارة الفرنسويَّة فطلبتُ جوازًا يمكّنني من السفر الى ادرنه . فتلطَّف المسيو بوب كاتب اسرار السفارة فارسل في اليوم عينهِ نبأً برقيًّا الى معتمد الدولة الفرنسويَّة في صوفيا لينال لي الرخصة اللازمة من الوزارة البلغاريَّة لادخل ادرنة . فانتظرتُ الجواب اسبوعًا بل اسبوعين

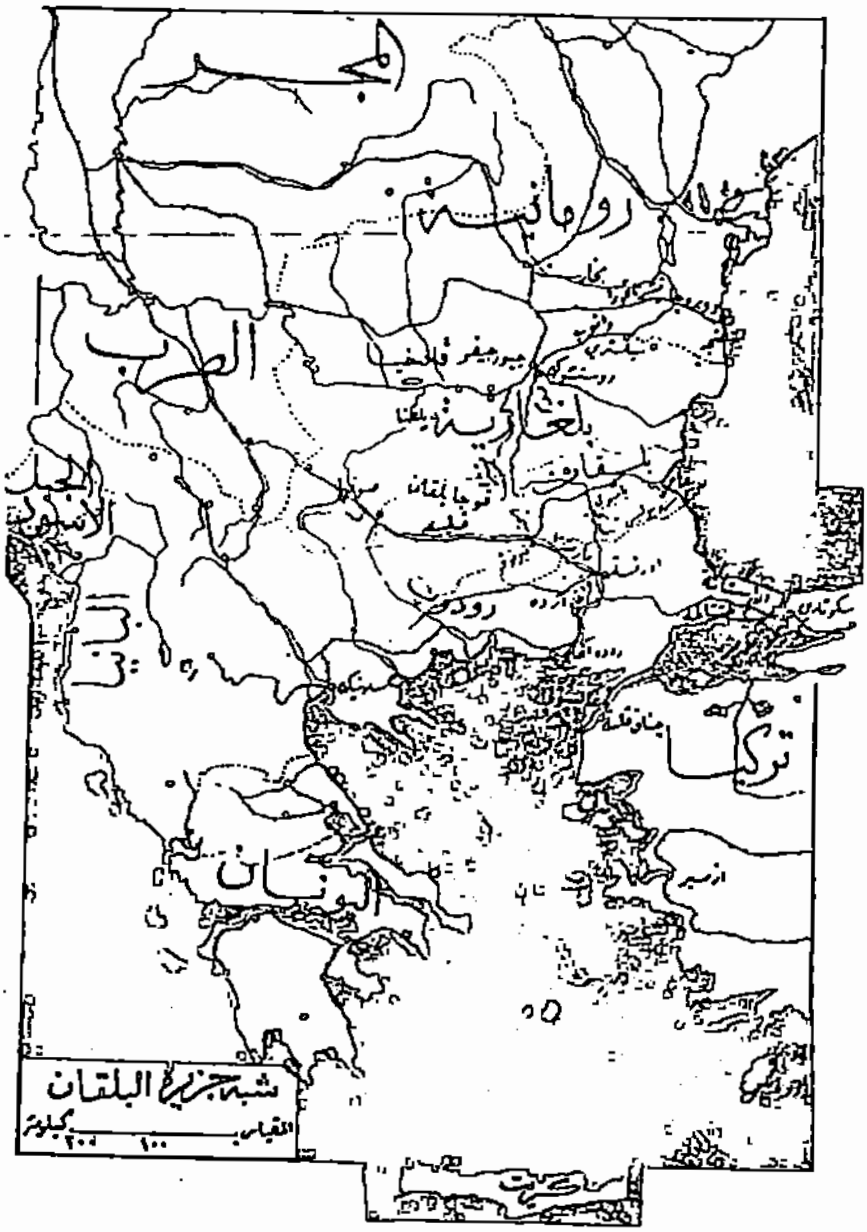
رومانيا
الطرب
بلغاريا
الجبل الأسود
تركيا
اليونان
شبه جزيرة البلقان
المقياس
١٠٠
٢٠٠
كيلومتر

حتى خاب الامل من نوال الجواز المطلوب . فاخذت كلّ المعلومات عن سفر البواخر وواجهت المسيو پوپوف الملازم الحربي البلغاري في سفارة روسيّة فتحقّقت انهُ ليس طريق اخرى الى ادرنة غير طريق ثارنه كل اسبوعين او طريق رومانية من قسطنجه وبخارست وجورجيفو ثمّ قطع نهر الدانوب الى روستشوك . فاخترتُ هذه الاخيرة مع مشاقّها توفيرًا للوقت

وانتهزتُ فرصة اقامتي في الاستانة لازور الاقارب والمعارف — وقد اذهلني ما لحظتُ من هدوّ الحاضرة وسكينة اهلها والجيوش قائمة على ساق الحرب عند ابوابها اذ كانت لا تزال عساكر الدولة والحلفاء تحت السلاح على مسافة ٣٥ او ٤٠ كيلومترًا فقط من الاستانة وعددهم لا يقلّ عن ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل . وكنّا نرى الاسطول الدوليّ مزيّنًا لترعة البسفور ومن جملة سفنهِ الحربيّة الطرّاد « هنري كاتر » الذي اقام مدّة في مرسى بيروت

وممّا شاهدناهُ بملء الاسف قصر چيراغان الذي التهمتهُ النيران بعد ان اتّخذهُ المبعوثان كمتدى جلساتهم السياسيّة . لكنّنا وجدنا في منتزه يلدز كشك ما سرّى كلّ همومنا واشرح صدرنا بما جمعتهُ الطبيعة هناك من المحاسن الفتّانة وكان الربيع زاد هذا المكان بهاء وجمالًا فبسط فيهِ خمائلهُ الخضراء ومدّ عليهِ اشجارهُ الفنواء ورقش زهورهُ الزهيّة العطرة مع ما يكشف النظر من مباني العاصمة وقصورها وجوامعها ومناورها في جانبي آسية واوربّة معًا . فكنت تائهًا ثملًا بمشاهدة تلك البدائع كأنّي انتقلتُ الى عالم آخر أنساني الوجدان

وقد زرت فيما زرتهُ جامع ايوب من اجمل المآثر البنائيّة الاسلاميّة وجامع القهريّة الذي كان قديمًا كنيسة بوزنطيّة مزدانًا بتصاوير عجيبة من الفسيفساء أزالوا عنها الملاط الذي كان يحجبها ويشوّهها لمّا زار جلالة ملك المانية السلطان عبد الحميد

*

وركبنا باخرةً رومانيّة يوم السبت ٢٦ نيسان في عصر النهار مبحرين الى قسطنجه فمدنا الى نظر خفاف البوسفور الذي قطعناهُ طولًا من الجنوب الى الشمال فكانت ابحار الركّاب لا تشبع من معاينة تلك المناظر الآخذة بمجامع الفؤاد الساحرة لعيون الناظرين . وما كنّا لنملّ من تلك المشاهد لولا انّ الريح التي رافقتنا عند

خروجنا من الاستانة اخذت تشتد واضحت عاصفة لما بلغنا مضيق البوسفور الشمالي حيث عاينا الاستحكامات والتحصينات التي عُزّز بها ذلك المعبر كما فعلوا في مضيق الدردنيل

وهناك يبتدئ البحر الاسود الشهير بانوائه المشؤومة فلاحت لنا شمالاً عن بعد بين الغيوم المتكاثفة قرية دركوس التي يشرب اهل الاستانة من مياهها المجلوبة بالقني . وكان البلغار قد حوّلوا مجراها عن المدينة قبل الهدنة. وكذلك لم نميّز تميزاً واضحاً مدينة ميديا التي تعيّنت كتخم بلاد البلغار الشمالي الفاصل بينها وبين تركيّة

في صباح اليوم التالي القت باخرتنا مرساها في قسطنجه وهي مدينة مستجدّة البنيان زاهية العمران على طرز المدن الحديثة وموقعها في مقام مدينة قديمة للرومان اسمها قنسطنطينيانة . وهي كلها فوق صخور تعلو قليلاً عن سطح البحر وتشبه بأبنيتها وهندسة شوارعها واسباب رفاهيتها اجمل المدن الاوربيّة. ورأينا هناك كنيساً اليونود محكم الهندام فخيناهُ كنيسةً وكذلك مررنا بجامع للمسلمين مشيّد على الطرز الروماني البوزنطي على مثال كنيسة فُرْفيار في ليون . ومركز المدينة على مسافة كيلومترين من البحر تتواصل بينها وبينهُ ابنيةُ الخاصّة. وعلى جوار البحر حمّامات يتقاطر اليها المستحمّون في فصل الصيف. وكذلك يصطافون في كلّ سواحل البحر الاسود الغربيّة ومدنها كفارنه وبورغاس فانها مواقع بهجة طيّبة الهواء كثيرة الخيرات ومرافق الحياة تلطّف حرارةَ صيفها الريحُ الشماليّة التي تهبُّ في معظم نهارها

كان موعد سفر القطار السيّار (الاكسبرس) الساعة السادسة فركبناهُ متّجهين الى بخارست فقطعنا مستنقعات دوبروجا المتكوّنة من مياه نهر الدانوب وامتداد المياه البحريّة . وسيلستري في جنوبيّ تلك المستنقعات التي كان يحوم فوقها او يسبح في مياهها الوف من ضروب الطيور البرّيّة كالبطّ والوزّ والكركيّ والغرّاص والبلشان. وبعد ساعة سرنا على مقربة من مدينة « طومي » الشهيرة بمنفى الشاعر اوفيديوس ثمّ جاورنا مدّةً السدّ المنسوب الى القيصر طرايان حتى قطعناهُ فوصلنا الى تشرناڤودا الواقعة عند موصل شعبتين من نهر الدانوب البالغ عرضُ مسيلها ستّة عشر كيلومترًا مع ما يتوسّطها من المستنقعات

فلقطع هذه البحيرة قد شيّد المهندس الفرنساوي ساليني (Saligny) من السنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٥ جسرًا ترعيًا يُعدّ من اعظم وأحكم الجسور المعروفة في العمور. وهذا المشروع يُقسم الى ثلثة اقسام : الاوّل هو عبارة عن جسر يرتفع فوق الشعبة الكبرى من نهر الدانوب على علوّ ٣٨ مترًا بحيث تستطيع اكبر السفن الشراعيّة المرور تحتهُ وهو يتألف من قناطر متعدّدة تبلغ سعة الواحدة منها ١٩٠ مترًا ثم اربع ١٤٠ مترًا ثمّ ١٥ قنطرة في سعة ٦١ مترًا وهذه القناطر راكزة فوق اساس متين عمقهُ ٣١ مترًا. والقسم الثاني عبارة عن طريق مرتفعة (chaussée) فوق المستنقعات طولها ١٣ كيلومترًا مجهّزة بجواجز في عدد ٣٤ حاجزًا لحبس المياه وإطلاقها. والقسم الاخير جسر ثانٍ على شعبة الدانوب الغربيّة يتركّب من ثلث قناطر سعة كلّ قنطرة ١٤٠ مترًا واحدى عشرة ترعة عرض الواحدة ٥٠ مترًا

فبينما كنا نقطع هذه المعابر ونعاين المياه المحدقة بنا مع العوارض الحديديّة التي تمرّ في وسطها كنّا نشعر بحرّج متامنا فيستولي علينا شبه الاقشعرار والجزع على أننا كنّا نرى ايضاً فوق المياه الزرقاء مدفعيّات لحكومة رومانية كانوا زانوها بالرايات اكراماً لعيد الفصح الواقع في ذلك اليوم على الحساب الشرقي فيروقنا نظارها

وبعد ان اجتزنا تلك المعابر بلغنا فتشتي ثمّ سرنا الى بخارست في وسط سهول وروابٍ قليلة الارتفاع كلها خضراء بما ينمو فيها من الغلّات الوافرة التي تجعل رومانية احد اهراء اوربّة. وكنّا نميّز بين الخضرة قرىً يسكنها التسيغان (Tzi-ganes) وهم كنوَر بلادنا. وهناك ايضاً جواسق لبعض ارباب الثروة

أحلّنا القطار في بخارست في ظهر النهار فلم يمهلنا الّا ساعةً لزيارة المدينة . هذه عاصمة رومانية تمتدّ في بطيحة واسعة كثيرة الخصب وعدد سكّانها لا يقلّ عن ٣٠٠.٠٠٠ نفس فيها الشوارع المتقنة والساحات الفسيحة والاسواق الرائجة والابنية الشاهقة تجاري اهلها في هندامها الحواضر الاوربيّة لا سيما في نصف القرن الاخير . قيل انّ بانيها راعٍ اسمهُ بوقور فنُسبت اليهِ المدينة ودُعيت بقرش (Bucuresci) . وكان اوّل ورود ذكرها في آثار القرن الرابع عشر وقد فتحها سنان باشا سنة ١٥٩٥ ثم نزعها من ايدي الاتراك الامير الوطني ميخائيل ثمّ تناوبت في ملكها الدول حتى صارت اخيرًا سنة ١٦٨١ عاصمة الفلاخ والمداف

ثمَّ عدنا الى القطار فسرنا نحو الجنوب متوجهين الى جورجيفو (Giurgevo) وهي مدينةٌ وسطى على ضفَّة الدانوب يرقى عهدها الى القرن الرابع عشر ابتناها احد الجنويين اسمهُ سان تسرزو (San Zorzo) او جيورجيو وزحف اليها الاتراك غير مرَّة وملكوها . وفي عهدة ادرنة سنة ١٨٢٩ أُعيدت الى الفلاخ . وجورجيفو اخر تخوم رومانية الجنوبيَّة وبازائها روستشوك البلغاريَّة يفصلهما نهر الدانوب الذي يخصب المدينتين ايَّ خصب

فقطعنا النهر في ٢٠ دقيقة ووطئنا ارض البلغار . وغنيٌّ عن القول انَّ العمَّال لم يدَعونا نخالط اهل مدينتهم الَّا بعد التفتيش النظاميّ وفحص التذاكر المدقق لا سيما الذين اتوا مثلي من الولايات التركيَّة . لكنَّ الديوان رأى جوازنا قانونيًّا وبعد ساعة دخلنا دير الرهبان الآلاميين الذين يخدمون في روستشوك الرعيَّة الكاثوليكيَّة ولهم كنيسة كاتدرائيَّة من الطرز القوطيّ المحكم البنـاء . ويديرون مدارس يعلّم فيها الاخوة المارست النمسويُّون فرحَّب بنا الرهبان وسرُّوا باستقبالنا وكان اسقف المدينة غائباً وهو فرنسويّ الاصل السيّد دوليه (Mgr Doulcet) لكنَّهُ طاعن في السنّ منتهك القوى وقد شاع انَّ رومية عيَّنت لهُ خلفاً

روستشوك والبلغار يدعونها روسه (Russé) مدينةٌ متوسّطة الكبر موقعها عند مصبّ نهر لوم (Lom) في الدانوب . واهلها ٣٤,٠٠٠ منهم ٩٠٠٠ مسلم عائشون في الوفاق والوئام مع البلغار ولهم ٢٨ جامعاً او مسجداً . وروستشوك قديمة العهد ومن المدن المحصَّنة كان الرومان يدعونها برستا . وفي سنة ١٨١٠ فتحها الروس ثمَّ عاد الاتراك الى ملكها سنة ١٨٧٧ وحشدوا فيها جنودهم الَّا انَّ الروس رموها بقنابلهم من جورجيفو فبرحها الاتراك وصارت في حوزة الروس ثم ملكها البلغار

*

وفي صباح اليوم التالي اي الاثنين أقلَّنا القطار صباحاً متَّجهاً الى صوفيا فقطعنا نحو ثلثي بلغارية طولًا من الشمال الشرقيّ الى الجنوب الغربيّ وذلك مدَّة ثماني عشرة ساعة دون انقطاع كالسفر من بيروت الى حلب . ومع طول هذا السفر ومشاقهِ لم يأخذنا الملل لما كنَّا نشاهد من احوال البلاد واخلاق اهلها البلغار

والحقّ يقال انَّ بلغارية طيِّبة التربة كثيرة الخصب . ولها الجبال الشاهقة والمناظر

صورة عامة للمدار

البهجة التي ذكرتنا بجبال وسهول فرنسة وانكلترة. وكنا نظن ان الحرب الحالية اضرت بالزروع لانشغال الفلاحين في ساحة الوغى لكن البلغار من عنصر قوي ذوي همة عظيمة فقام الشيوخ والاولاد والنساء باعمال الفلاحة في غيبة الرجال. ولا غرو ان شعباً كهذا يصيب مستقبلاً حسناً

وكنا نشاهد بارتياح هؤلاء البلغاريين ونقرأ على سحنتهم آيات النشاط والاقدام فلا عجب ان كانوا لا يهابون الكد وتضحية النفس في سبيل الوطن . وكان اكثرهم لابسين ملابس العيد البهية الالوان المختلفة الازياء وكانت نساؤهم وبناتهم حاليات آذانهن بطاق من الزهور او غصن من الاكاسيا المزهرة

واخذ قطارنا عند خروجه من روستشوك يصعد شيئاً فشيئاً الى المشارف المطلة على ضفة نهر الدانوب اليمنى فكنا نمتع عيوننا بنظر سيد الانهار وساعديه نهري لوم وجنترا اللذين يقطعهما القطار غير مرة. وبعد ساعتين بلغنا نجداً متسعاً علوه ٧٠٠ متر فوق سطح البحر وكنا نشاهد من ثم كشبه بحر اخضر من الاشجار والغابات النباء بينها الوهاد المحجوبة بالخضرة . وكانت جبال البلقان تلوح لنا عند الافق وشمس اصيل النهار تخضبها بالوانها الوردية. وما لبثنا ان اقتربنا من تلك الجبال عند مغيب الشمس والثلوج تكسو قممها بثوبها الناصع. فقطعنا كوجا بلقان وجاورنا بلقنا حيث جرت سنة ١٨٧٧ تلك الوقائع التي اكسبت عثمان باشا فخراً مؤبداً فانه مدة اربعة اشهر ونصف قاوم كل قوات المسكوب ولولا شهامة جنود رومانية ونجابة سكوبليف لما ألجي عثمان باشا الى التسليم . وكنا نرى في طريقنا الآثار المنبئة بتلك الحوادث فهنا مدافن للقتلى وهناك كنائس ومشاهد ومزارات لذكر الابطال وفي محل آخر تماثيل ورموز تدل كلها على ما حدث من الملاحم والمآثر المفجعة

وكان دخولنا في صوفيا بعد منتصف الليل بنصف الساعة وكان البرد شديداً والجبال التي حول المدينة معممة بالثلوج الغراء. فبعد ساعات قليلة قضيناها في احد النزول بحثنا في السحر عن كنيسة الآباء الكبوشيين فاذا هي قريبة فقدمنا الذبيحة الالهية ثم خرجنا لنستأنف طلب الرخصة من الوزارة الحربية بدخول ادرنة. ولحسن التوفيق وجدنا في صوفية قنصل ادرنة الفرنساوي وهو المسيو كوينه (Mr Cuinet) الذي كان ابرق مراراً الى سفارة دولته من سلامة المستعمرة الاوربية في ادرنة فلجئنا

به وقدّمنا له فرائض الاكرام شاكرين لجنابه حسن رعايته لاقاربنا . وكذلك رحّب بنا معتمد الدولة الفرنسويّة في صوفيا ولمّا علم باني تجشّمت سفراً طويلاً واني لم أحظ بالجواب المطلوب على يد السفارة في الاستانة جعل في وقته يخاطب بالتليفون الوزارة الحربيّة ملحّاً عليها بان تمنحني الرخصة بالدخول الى ادرنة. فوعدته خيراً وما مرّ عليّ بضع ساعات حتى فزتُ بالمرغوب عند المساء.

وقد صرفتُ قسماً كبيراً من النهار في تفقّد حاضرة البلغار وآثارها ودخلتُ قبل كلّ الى كنيستها الكاتدرائيّة التي شيّدوها على اسم القديس اسكندر تذكاراً لاوّل تحرير البلغار على يد المسكوب. وهي حقيقة بناء فخيم لم يدخروا فيه شيئاً من محاسن البناء والهندسة والنقش والفسيفساء وسيتمّ تدشينها قريباً بعد نهاية الحرب. وكذلك زرنا الباسيليقة القديمة « سوينا صوفيّا » المبنيّة في القرون الوسطى . وهي من الطرز البوزنطيّ ذات ثلث اسواق وقد اضرّ بها احد الزلازل التي دهمتها. ودخلنا ايضاً مجلس النوّاب المعروف بالسوبرانيه ومكتب البريد . وفي المدينة غير ذلك من الابنية التي مررنا بقربها كالقصر الملكيّ والكنيس الاسرائيليّ والحمّامات العموميّة. والحقّ يقال انّ صوفيا تجاري بمحاسنها ونظافة شوارعها وازقتها اكبر عواصم اوربّة

وصوفيا مدينة رومانيّة يرقى عهدها الى القرن الاوّل للمسيح وقد جعلها القيصر طرايانوس رأس معامرة ودعاها اولبيا سرديقا (Ulpia serdica) ثمّ اتّخذها الامبراطور اورليان سنة ٢٧١ مركز ولاية جديدة (Dacia mediterranea) وقيل انّ قسطنطين الكبير كان يرتاح الى سكناها فيدعوها عاصمتهُ رومية . وقد احتلّها البلغار سنة ٨٠٩ فجعلوها تحت مملكتهم . والبلغار كما لا يخفى من العنصر الاوغروفنيّ المقارب للعنصر التركيّ وامّا لغتهم فقط فهي صقليّة اخذوها من الوطنيين الذين استولوا على بلادهم . واسمها صوفيا مشتقٌّ من اسم كنيستها الكاتدرائيّة . وقد فتحها بنو عثمان سنة ١٣٨٢ فبقيت في حوزتهم ٥٠٠ سنة يتولّاها امراء الروملي المعروفون بيكلربك. وملكها المسكوب سنة ١٨٧٨ فاتّخذوها كحاضرة امارة بلغارية وكان اميرها الاوّل البرنس اسكندر دي باتنبرغ في ٢٩ نيسان ١٨٧٩ ولمّا قلبتهُ الثورة سنة ١٨٨٦ خلفهُ الملك الحالي فرديند دي سكس كوبرغ غوتا في ٧ تموز ١٨٨٧

ثم نودي به قيصراً في السنة ١٩٠٨ . وقد شيّدوا بقرب الكنيسة الكاتدرائيّة تذكاراً جليلاً لتحرير البلغار من معدن البرنز يمثل اسكندر الثاني قيصر روسيّة وبجواره اربعة من قادة دولته . وصوفيا راقية كلّ يوم في مخارج التقدّم وعدد اهلها حالاً ٨٠,٠٠٠ ولم يكن سنة ١٨٨٠ الّا ٢٠,٠٠٠ . امّا بلغارية فكان عدد سكّانها قبل الحرب الاخيرة ٤,١٠٠,٠٠٠ نفس منهم ٣,٢٠٠,٠٠٠ من العنصر البلغاري ثمّ ٥٠٠,٠٠٠ من الترك و ٩٥,٠٠٠ تسيغان و ٨٤,٠٠٠ روماني و ٦٩,٠٠٠ يوناني و ٣٦,٠٠٠ يهودي ومثلهم الارمن مع غيرهم . ومن المعلوم انّ الحرب وسّعت كثيراً حدود البلغار

ورأينا في صوفيا عدداً عديداً من أسرى الترك لاسيما الضبّاط وهم في بزّتهم العسكريّة ما عدا السيف يتجوّلون في المدينة بتمام الحرّيّة وقد فرّقتهم الحكومة البلغاريّة في انزال شتى وهي تصرف عليهم من مالها . وعلى ابواب هذه الانزال رجلان من الشرط يرقبان الاسرى وعند المساء يناديهم الشرط باسمائهم

قلنا انّ لغة البلغار هي صقليّة اي اخت الروسيّة لكنّ لغات اخرى جارية ايضاً على ألسنة البلغار واخصّها التركيّة فانّها شائعة في بلغارية يتكلّم بها الالوف من المسلمين الذين لم يهاجروا منها بعد تحرير بلغارية سنة ١٨٧٧—١٨٧٨ ومنهم من لا يعرف غيرها كعشائر البوماك (Pomaks) الذين يمتازون بملابسهم فعلى رؤوس رجالهم العمائم المعروفة بالصاريق وتلبس نساؤهم الياشماق وكلّهم حائزون على حرّيّة دينهم لا يعارضهم احد فيه . والمسلمون في بعض المدن اكثر من سواهم بعد البلغار كفيليبه وروستشوك حيث التركية اشيع من اليونانيّة . وقد اختبرنا الامر حيث افادتنا في سفرنا اللغة التركيّة اكثر من اليونانيّة

وكان بودّنا ان نقضي في صوفيا يومين او ثلاثة لولا رغبتنا في قضاء واجباتنا الاهليّة في ادرنة . ففي صباح يوم الاربعاء ٣٠ نيسان طارت بنا اجنحة البخار الى مدينة صارت في الاشهر الاخيرة مطمح الآمال . فما كدت اصدّق اني في ذاك النهار أعاين وطني واعزّ اقربائي

بلغنا عند الظهيرة مدينة فيليبه التي يدعوها البلغار بلوفديف (Plovdiv) الواقعة

على ضفّة نهر ماريتزا والقطار يكاد يجاري هذا النهر طول النهار . وفيليبه كصيفتها صوفيا في ترقٍ متواصل . كان القدماء يسمّونهـا اوملپياس (Eumolpias) ثمّ تسمّت بمدينة فيليب اكراماً لفيلبّوس الثاني ملك مقدونية . واهلها اليوم ٤٨,٠٠٠ عدًا بينهم ٨,٠٠٠ مسلم يقضون فرائض دينهم في ٢٦ جامعاً او مسجدًا . وهي مدينة رائجة الاسواق كثيرة المرافق . على انّ ضيق الوقت لم يسمح لي بزيارتها

وكنّا نواجه في طريقنا قطارات حديديّة للصرب كانت موسوقة بادوات حربيّة وقذائف اتّخذوها لمحاصرة ادرنة . وقد لحظت الفرق العظيم بين العنصر البلغاري والعنصر الصربيّ . فانّ الصرب بيض الالوان شقر الشعور والشوارب زرق العيون مستطيلو الوجوه امّا البلغار فسحنتهم خشنة وبنيتهم ضخمة . وكنّا نعاين الفريقين اذا التقيا ينظر بعضهم الى بعض شزرًا كأنهم اعداء وهم في الامس كانوا متحالفين لمحاربة الاتراك

وفي مساء النهار بلغ بنا مسير القطار الى محطّة مصطفى باشا حيث كان جيش البلغار معسكرًا في مدّة حصار ادرنة ثم قطعنا بعد حين قاضي كوي ثمّ مراش وكنتُ اشعر بتأثّر اعظم على قدر اقترابنا من ميدان الحرب حيث جرت الدماء البشريّة سيولًا ودُفن الوف وربوات من الابطال

وبعد قليل بلغنا الجسر الحديديّ الذي قطعهُ شكري باشا يوم تسليمهِ لادرنة فأخذ القطار يسير سيرًا لينًا فوق نهر اردا (Arda) بينما كنّا نعاين مياههُ الجارية تحتنا ولما توسّطنا الجسر رأينا نحو ثلث من جانبهِ قد سقط في النهر وكان البلغار اصلحوهُ واقاموا لهُ ركائز من خشب فقطع قطارنا على رسلهِ ذلك المعبر المخطر ثم صفرت اداتهُ واخذت تنهب الارض نهبًا وللحال صرخ الركّاب متهلّلين وكان كثير منهم من البلغار فسمع جلبتهم اخوتهم المعسكرون هناك فهتفوا مثلهم كأنهم يهنئونا بالسلامة

والمسافة من هناك قريبة الى ادرنه فوصلنا بعد بضع دقائق الى قراغاج وهي محطّة ادرنه فنزلت وانا في غاية التأثّر ولاعج الشوق فركبت عربة اقلّتني من المحطّة الى البلد والمسافة بينهما ٢٠دقيقة واذ طرقتُ باب دارنا الوالدية دقّت الساعة العاشرة

من الليـــل وهي الليلة السابقة للشهر المرعي وفي اوّلهِ عيد صعود الربّ الى السماء
(لها بقيّة)

اصل الحياة

خطاب القاهُ الاديب منصور افندي السوداء من جمعيّة الشبيبة الكاثوليكيّة

ليس كلّ شيْ في الطبيعة مادّةً هيوليّة . قال العلّامة دي كاترفاج (Mr de Quatrefages) : لا يستطيع الانسان مهما تعاظم جهلهُ الّا يرى في الطبيعة صنفين من الموجودات يختلفان كلّ الاختلاف اعني الجمادات والاجسام الاليّة

لا ننكر انهُ يوجد في كليهما خواصّ مشتركة تدخل فيها جميعاً فانّ في دقائق الجسم الحيّ كما في تركيب الاجسام الصلبة اركاناً لا تختلف كالكربون والاوكسيجين والهدروجين والازوت والكبريت والفسفور فتعمل فيها العوامل الطبيعيّة والكيموية وتدخلها على سواء في الجوامد وفي الاجسام الحيّة

لكنّ هناك ما عدا هذه الاركان المشتركة فروقاً عظيمة تفصل بينهما فصلاً باتّاً لانّ لخلايا الحيّ وجداناً لا يدركهُ التحليل الكيموي وخواصّ لا تملكها المادّة قطعيًّا

فمن ذلك انّ لاجسام الاحياء بنياناً يتكيّف بكيفيّات لا يفي بها احصاء على خلاف الجوامد المدنيّة فانّ تركيبها يلزم حالةً واحدة

ومنها انّ الحيّ ينمو ويبادل في كلّ ساعةٍ دقائقهُ مع العالم الخارجيّ فيدخل عليهِ التركيب والتحليل بلا انقطاع . واذا بطل التركيب ودام التحليل أُصيب الحيّ بضربة لازبة تدعوها الموت . امّا الجسم الجامد فيبقى على تركيبهِ اللهمّ الّا اذا سطا عليهِ احد العوامل الخارجة

وكذلك الحيّ نراهُ يتقلّب في اطوار مختلفة فيلوح في عالم الوجود ثمّ ينمو حتى اذا بلغ تمامهُ آل الى الضعف والهرم . امّا المعادن فلا تنمو واذا نمت كان نموّها بانضمام اقسام خارجة اليها ليس بتحويل الاجسام الغريبة الى ذاتها

ولخيرًا كلّ يعلم انّ الحيّ يولّد شبيهاً به بالتناسل وهيهات ان تستطيع ذلك الجوامد

ولكن من اين للحيّ هذه الخواصّ المميّزة لهُ عن الجماد ؟ ذاك سؤال يلقيهِ كلّ انسان يبحث عن حقائق الامور امّا الجواب عنهُ فيتحصّل من ارباب العلم الحقيقيّ . قال الطبيعيّ دي كاترفاج : « انّ معظم علماء عصرنا المعدودين في جملة اركان العلم الموثوق بهم لوفرة معارفهم يتّفقون بالرأي على انّ هذه الخواصّ التي نلحظها في الاجسام الآليّة انّما هي ناجمة عن قوّة ذاتية خاصّة ندعوها الحياة تنضمّ فيها الى القوى غير الآليّة »

وهنا يبتدرنا السائل بالسؤال قائلًا : وما هي الحياة ؟ نجيب انّهُ لا مشكل في تمييز الكائنات الحيّة عن سواها من الموجودات المعدنيّة الصلبة لكنّ الآراء تتعدّد وتتقسم في تعريف ماهيّة الحياة او المبدأ الحيّ

أليست الحياة مجموعاً خاصاً من القوى الكيموية كما زعم الماديّون فارتأوا انّ الحياة هي تركيب الدقائق الماديّة على صورة خاصّة . فممّن ذهبوا الى هذا الرأي الكيموي هيدون (Hédon) لكنّهُ لمّا اراد ان يعرّف الجرثومة الاولى او النطفة الاصليّة (protoplasma) التي منها يتركّب الحي ناقض نفسهُ بنفسهِ ونزع عنها الحياة التي اراد اثباتها فيها

ثم ظنّ الطبيعيّ غلاي (Gley) انّهُ يفكّ هذا السرّ بنسبتهِ الحياة الى عوامل كيموية وطبيعيّة معاً فلم ينل من فعلهِ غايةً اذ رأى انّ تلك العوامل تغذي الاحياء وتنميها وهي على عكس ذلك تحلّل وتفني المادّة الجامدة فهذه العوامل لا تعلّل الحياة والحياة ارقى من كلّ عامل طبيعيّ وكيمويّ ولا يفيدنا عنها علماً الّا بيان اصلها

اصل الحياة

اذا رقيتَ سلّم الاعصار الخالية بلغت زمناً كانت فيها ارضنا حُمّة نارية ذائبة يضغطها ثقل ثلاثة آلاف جلد لا يستطيع ان يعيش فيها حيٌّ من الاحياء بل يستحيل وجود مبدأ الحياة فيها . ثمّ مرّت على كرتنا الاجيال فبردت قشرتها وأمكن وجود الاجسام الحيّة فيها فلا بُدّ من القول انّ تلك الحياة ابتدأت فمن اين بلغت اليها الجرثومة الاولى او الخليّة الحيّة الاصليّة . فالماديّون يلقون من شرح

القضيَّة عَرَق التربة ليعلّلوا وجود مبدأ الحياة . فمن مزاعمهم الغريبة انَّ ارضنا اذ كانت سائرة في الفضاء بسيرًا حثيثًا لقيت في طريقها سديمًا من مادَّة العوالم العلويَّة فكان في جملتها جراثيم حيَّة ادخلت الحياة في ارضنا . لكنَّ هذا التعليل الوهميّ مخالف لكل مبادئ العلوم الوضعيَّة فضلًا عن كونهِ لا يشرح كيف وُجدت الحياة في بقيَّة الاجرام العلويَّة ولذلك اهمل المادّيون هذا الرأي وطلبوا تعليلًا آخر لئلّا يضطرُّوا الى الاقرار بوجود الخالق وموجد الحياة

ومن اشيع المذاهب التي راجت سوقها لدى تاركي وجود الله مذهب هِيكل (Hæckel) الذي اعلن بان الطبيعة وحدها تستطيع ان تعلّل ذاتها ومن ثمَّ على زعمهِ انَّ كلَّ من ينسب شيئًا من الطبيعة الى غيرها يضادّ العلم . ولمَّا طلبوا اليهِ أن يثبت علميًّا وجود الاجسام الحيَّة بعد عدمها اخترع مذهبًا جديدًا سعى في وضع اساسهِ وتشييد اركانهِ بالحجج السوفسطائيَّة مدَّة اربعين سنة فكان كلَّ يوم يبدل ويزيد وينقص ويتلوَّى ويعوجّ حتى كشف خصومهُ تلاعبهُ وخزعبلاتهِ واوهامهُ المختلفة وبيَّنوا تزويرهُ في رسم الصوَّرات فجلبوهُ عارًا وسربلوهُ خزيًا

وها نحن نبسط هنا خلاصة المذهب الهيكليّ ليكون القرَّاء على بصيرة منهُ فننتقدهُ كمذهب علميّ وفلسفيّ معًا فاذا بيَّنا بطلانهُ اضطررنا صاحبهُ الى ان يقرّ بوجود الهٍ صدرت عنهُ الحياة لأنَّ هيكل عينهُ قد اكَّد انَّهُ لا بُدَّ من التسليم بعقيدة وجود الخالق اذا ما ثبت بطلان مذهبهِ

قد دعا هيكل مذهبهُ بالمذهب الفرديّ (monisme) لزعمهِ انَّ الطبيعة كلها نجمت عن عامل فرد الذي بتحوُّلهِ المتواصل على موجب سُنَنٍ ازليَّة لا مناص منها تداول وترقَّى متسلسلًا من الفرد الاوَّل الى ما لا نهاية لهُ من الكائنات . وقد تشدَّق بقولهِ انَّ مذهبهُ هذا وحدهُ مذهبٌ مؤسس على اصول العلم . امَّا القائلون بانَّ اصل الحياة من مكوِّنٍ خارج عن طور الطبيعة فانَّهُ يدعوهم بالثنويين ويدعو مذهبهم مذهب الثنويَّة اللاهوتيَّة (le dualisme théologique) وينسب قولهم الى الجهل والى اوهام لا سند لها

ذلك مجمل قول هِيكل استاذ كليَّة يانا (Iéna) الذي دافع عن مذهبهِ هذا دفاع الامّ عن ولدها واللبوة عن شبلها . وقد كرَّر في كتاباتهِ العديدة انَّ كلَّ مظاهر

الحياة مرجعها الاخير الى المظاهر الطبيعيَّة والكيمويَّة فلا فرق بين هذه وتلك. ومن اقوالهِ الغريبة « انَّ كلَّ شيءٍ يعلَّل اخيرًا بالمظاهر الميكانيكيَّة سواء كانت حركات الاجرام السماويَّة وسقوط الحجارة او نشوء النبات حتى ضمير الانسان »

فترى انَّ هيكل متوغل في المادَّة لا يرى غيرهـا في كلّ الطبيعة ومواليدها الثلثة من جماد او حيّ او ناطق فهلمَّ بنا ننظر كيف يثبت رأيهِ والى اي ركن يسند البناء الذي شادهُ فان كان الركن مكينًا رضينا بزعمهِ والَّا سقط البنـاء وصحَّ فيهِ قول السيِّد المسيح ان سقوطهُ يكون عظيمًا

كان قدماء الملحدين اذا انكروا وجود الخالق وارادوا تعليل الاحياء التجأوا الى التولُّد الذاتيّ (génération spontanée) امَّا هيكل فاخترع الفاظًا جديدة ظنَّ انهُ يموّه بها على البسطاء فدعـا اصل المولَّدات الحيويَّة « التكوُّن الرئيسي الطوعيّ » (l'archigonie autogonique) ثم يباشر هيكل اثبات قولهِ زاعمًا انَّ اوَّل ظهور هذا التكوُّن انَّما كان بوجود مادَّة دعاها النطفة الاولى (archi-planon) ثمَّ هذه النطفة تنسَّمت بروح الحياة (bioplanon) ومنها تكوَّنت كلّ مظاهر الحياة التي لم تزل تتسلسل بالتولُّد حتى وصلت اخيرًا الى الانسان الاوَّل. وهنا اتَّسع في كلام طويل على وصف مجالي الحياة في كلّ طبقاتها

وهكذا زعم هيكل انَّهُ اثبت رأيهُ بالبرهان . لكنَّ خصومهُ اوقفوهُ للحال وسألوهُ قائلين: وهذه النطفة الاولى من اين حصلت وما هو اصلها

اسمعوا جوابهُ المضحك الذي يعيدنا الى التولُّد الذاتيّ بعد ان زعم انَّ مذهبهُ يخالف هذا المذهب قال :

« ان الجراثيم الاصليَّة (les monères primitives) قد تولَّدت ذاتيًّا في اعماق البحر كما تتكوَّن التبآورات الملحيَّة في المياه الصافية فكذلك تركَّبت عناصر الكربون والحامض الكربونيّ والهدروجين والازوت وبتألُّف هذه الاركان وُجدت الحياة في اوَّل العـالم مع فعل الكهرباء والحرارة والضغط الشديد والامتزاجات الكيمويَّة وعوامل أُخرى نجهلها لانَّ احوال تلك الاجيال الاولى كانت تخالف احوال زماننا الحاضر »

... صفوة المذهب الهيكلي الذي زعم انهُ كافٍ ليجحد وجود الخالق وينفي فعلهُ في الجماد لانشاء الحياة

مهما تفنَّن هيكل في كلامهِ وعدَّد من العوامل الاوليَّة لا مناص لهُ من القول بالتولُّد الذاتيّ وانَّ الحيّ يوماً خرج من الجماد. وعليهِ اذا ثبتنا انَّ التكوّن الطوعي مستحيل بطل مذهبهُ واضمحلَّ زعمهُ

شاع بعد ارسطو ذاك المبدأ الشهير انَّ فساد الواحد توليد الآخر (corruptio unius generatio alterius) وبناء عليهِ اعتقد القدماء انَّ بعض الحيوانات السافلة تتولَّد من العفونيَّات. وجاراهم في رأيهم علماء القرون الوسطى لكنَّهم نسبوا ذلك التوليد الذاتي الى قدرة الله الذي اتَّخذ بعنايتهِ هذه الوسيلة لتنمية الاحياء في العالم. ثم قامَ من بعدهم في القرن السابع عشر قوم زعموا انهم يولِّدون فيران وعقارب دون تناسل لكنَّ الطبيعيّ رادي (Redi) ازال تلك الاوهام واماط عن وجه الحقيقة

ثمَّ اكتشف العلماء المُجهر فلاحت لهم عوالم جديدة من الحيويات الدقيقة التي كانوا يجهلون وجودها ولم يعلموا طريقة نموّها فعادوا الى اثبات التوليد الذاتيّ بنفي التناسل من حيّ الى حيّ. فعاكسهم سبالانزانيّ (Spallanzani) وابطل مزاعمهم. لكنَّ بوشه (Pouchet) استأنف الجدال سنة ١٨٥٨ ليقرّر مبدأ التكوُّن الطوعيّ مؤكِّدًا انَّ كائنات حيَّة تتولَّد في بعض المقامات خلوًا من حيّ سابق اولدها. وقد اثبت المشرق سنة ١٩١١ (١٤: ٥٣—٥٤) كيف تصدَّى لهُ العلَّامة باسطور وبيَّن بالتجارب المتعدِّدة المكرَّرة امام الجمعيَّات العلميَّة بانَّ الحيّ يتولَّد من الحيّ (omne vivum ex vivo) وانَّ المزاعم السابقة مبنيَّة على اوهام محضة او على امتحانات غير وافية لأنَّ بوشه وتبعتهُ اتَّخذوا لاثبات رأيهم وسائل لم تُحكَم فيها كلّ موارد الحياة ولو عقَّموا الهواء من كلّ الجراثيم الحيَّة لما تولَّدت احياء جديدة

فكان لامتحانات باسطور صدًى عظيم في كلّ الدوائر العلميَّة التي لم تَرَ الّا الاذعان للحقيقة الواضحة. لكنَّ الماديين وانصارهم رأوا في ذلك تلاشي مذهبهم ووجوب القول بخالق أوجد بقدرتهِ الحياة على الارض فاخذوا يطلبون لهم حججاً لاثبات رأيهم

وممَّن نالوا في ذلك بعض الشهرة المستر بورك (Burke) الذي روى المشرق في

السنة ١٩٠٥ اختباراته (٨ : ٧٣٢ و ١١٥٠) ردًّا على المقتطف فهذا الطبيعي اتخذ ثلاثة انابيب مفرغة من الهواء وادخل فيها سوائل معقَّمة اضاف اليها هلاماً ثمَّ قسماً من البپتون (peptone) والملح (chlorure de sodium) فجعل هذا المزيج في كلٍّ من الانابيب الثلثة لكنَّهُ اضاف الى الاوَّل دقائق من برومور الراديوم والى الثاني من كلورور الراديوم وابقى الثالث على حالهِ . فبعد ايَّام وجد في المزيجين الاوَّلين ذرَّات كرويَّة كانت تنشأ فتنمو ثمَّ تنقسم الى شبه الخلايا. فصرخ بورك ظافرًا انهُ أولد احياء من الجماد ودعا الذرَّات النامية راديوب (radiobes) اي مواليد الراديوم . واوَّل ما لحظهُ العلماء من امرها انَّها تخالف الميكروبات الحيَّة في عدَّة امور فهذه تقتلها الحرارة امَّا الراديوب فتوارى فقط ثمَّ تعود بهبوط درجة الحرارة . كذلك وجدوا انَّ الماء الحارّ يقتل الميكروب ويحلّل الراديوب كما انَّ الراديوب تتحجب مع النور وتلوح في الظلمة على خلاف الميكروب . فبعد زمن قليل كشف سرَّ الراديوب العلَّامة رامساي (S. W. Ramsay) وبيَّن انَّ الراديوب ليست باحياء وانَّما هي نتيجة تحليل ماء الهُلام بواسطة املاح الراديوم فينشأ من ذلك كُريَّات غازيَّة ذات غلاف دقيق تلوح كالخلايا الحيَّة امَّا نموّها فبفعل الراديوم في الهلام ويزيد هذا الفعل حتى تنقسم الكريَّات . واذا نفذت فيها الحرارة بَرَّد الهلام وتفجَّرت الكريَّات الغازيَّة فلا يبقى اثرٌ للراديوب . امَّا الراديوم الباقي فيستطيع ان يستأنف فعلهُ في الهلام غير مرَّة بتركيب ذرَّات جديدة خالية من الحياة

وقام بعدُ بورك طبيب فرنساويّ من اساتذة نانت اسمهُ الدكتور اسطفان لودرك (Mr S. Leduc) فعمد الى اختبارات اخرى زعم انها تثبت التوليد الذاتي فعرضها على نادي العلوم في فرنسة في الجلسة المعقودة ٢٦ ت ٢ سنة ١٩٠٦ قال « انهُ اصطنع حبَّة مركَّبة من السكَّر وسلفات النحاس وجعلها في مزيج من الماء والهلام وفوسفاتور البوطاسا مع شيءٍ من الملح . فلحظ انَّ الحبَّة المذكورة انتفخت ثمَّ ذرَّت بنبات بلغت اغصانهُ ٣٠ سنتمترًا وفي جوانب الاغصان اوراق باشكال مختلفة كالاشواك والسنابل والكرين كما ترى في النباتات » . فارتأى موسيو لودرك انهُ اكتشف الطريقة التي تولد احياء من الجماد بواسطة العوامل الطبيعيَّة والكيموية وحدها وتغنَّى بنشيد الظفر

على انَّ ظفر المسيو لودوك لم يدم زمناً طويلاً فبيَّن له احد مشاهير الطبيعيين الفرنسويين المسيو دارنسوفال (Mr d'Arsonval) انَّ تلك المتبتات ليست من جنس الاحياء وانَّما هي داخلة في باب امتزاج السوائل في بعضها المسمَّى اوسموز (osmose) وهو شيء معروف . فدُعي اكتشاف المسيو لودوك تهكُّماً احجيَّة الحياة (le calembourg de la vie) وبلغ الخبر الى وزير المعارف فمزَّق القرار الذي كان كتبهُ لترقية المسيو لودوك الى رتبة استاذ في مكتب العلوم الفرنسويَّة (le Collège de France) وبعد ان عاد هذا الاكتشاف المزعوم على صاحبهِ بالخزي رأينا مجلَّة مصريَّة قد اثبتتهُ مؤخَّراً تأييداً لرأي الماديين . وليس هذا اوَّل انكشاف يصاب بهِ بدر المجلَّات المصريَّة

وقد طنطنت جرائد الملحدين باكتشاف آخر لاحد علماء انكلترَّة الماديين الاستاذ هكسلاي (Huxley) الذي كان استخرج من اعماق البحر حمأةً غرويَّة هلاميَّة بيضاء ارتأى انَّها هي النطفة الاصليَّة التي كانت مبدأ الكائنات الحيَّة فدعاها باثيبيوس (bathybius) اشارةً الى وجودها في قعر البحر وكتب في ذلك كتاباً اهداهُ الى صديقهِ هيكل الذي شكرهُ على اكتشافهِ وأمَّل منهُ خيراً لكنهُ لم يجدهما نفعاً

وبعد احدى عشرة سنة حضر هكسلاي مؤتمر علماء وطنهِ في شيفلد . فافتتح المؤتمر رئيسهُ المستر الان (Allmann) فعوَّض بذكر نطفة الباثيبيوس فلمَّا انتهى قام هكسلاي خطيباً وتخطَّى الى ذكر الرئيس للباثيبيوس فاقرَّ بأنَّهُ هو ابو هذا المولود وانَّهُ هو الذي عمَّدهُ باسمهِ الغريب وانَّهُ كان في حسبانهِ انَّ الطفل سينشأ ويترعرع لكنَّهُ لم يزل سقيماً مهزولاً لم يحقِّق ما بنى عليهِ والدهُ من الآمال بل جملهُ خزياً واضحوكة عند الناس ومن ثمَّ يتبرَّأ منهُ بازاء المؤتمر العلميّ ويقرّ بان هذا المولود الحيّ ليس هو الَّا راسباً من سولفات الكلس امتزجت معهُ في رسوبهِ بعض موادّ آلية

فكان الحضور يسمعون هذا الخطاب ويستغربون ضحكاً وأثنوا على رصيفهم الذي اقرَّ هكذا بخطإهِ على طريقة هزليَّة ومات الباثيبيوس من ذاك الوقت ما لم نجد حتى اليوم آثار حياتهِ في المجلَّات المصريَّة المتأخرة في سبيل العلم كمألوف عادتها على انَّ هذه الاختبارات لم تقنع بعد هيكل وتبعتهُ فانَّهم يحيون رجاءهم كلَّ

يوم في اكتشاف ينابيع الحياة وحجتهم انَّ الكيميويين يركّبون اليوم اجساماً عديدةً مشكلة التركيب كالكحولات والحامض الخلّي والحامض النملي والمادَّة البوليَّة (urée) فالامل معقود ايضاً ان يركّبوا مادَّة حيَّة كما ترى في زلاليَّات الكربون

على انَّ ذوي العقل الراجح يردُّون على قولهم بانَّ مبدأ الحياة هو في طور اعلى من المادَّة فهمـا ركّبوا وحلّلوا لا يستطيعون ان يُوجدوا مادَّة حيَّة. وهذا القول يكرّرهُ ليس اللاهوتيُّون فقط بل العلماء الماديّون انفسهم. قال احدهم العالم الشهير ورشوف (Virchow): « انَّنا نقرّ بصراحة نحن الماديين انَّنا نودّ لو صحَّ مذهب التولُّد الذاتي لكنَّا لم نعلم حتى اليوم اختباراً واحداً يثبت تولُّد مادَّة آلية من مادَّة غير آليَّة . ومن ثمَّ يجب القول انَّ الذي ينفي هذا المذهب ليسوا اللاهوتيين بل العلم المقرَّر »

وزاد تندال (Tyndall) تصريحاً على ورشوف وهو يرتأي رأيهُ في نكران الروحيَّات فقال : « انَّ من قـال بتولُّد الحيّ ذاتيًّا يأتي برأي نهاية في الغرابة والفحش » وتندال هذا من الوضعيين نكرّة وجود الاله

ولا يجدي هيكل نفعاً قولهُ بان الاحياء في زماننا لا تتكوَّن من ذاتها وانَّما تكوَّنت قديماً لاختلاف الظروف . لأنَّ هيكل بزعمهِ هذا ينكر ثبوت سُنَن الطبيعة التي لا تتغيَّر مع الزمان والمكان فان سلَّم بانَّ الحيّ في عهدنا لا يتولَّد من ذاتهِ وجب عليهِ القول بذلك في الازمنة الخالية . وقد علَّل الامر الجيولوجيّ الشهير السير دي لاپاران (de Lapparent) حيث قـال : « نسلّم لهيكل بان القوى الطبيعية كانت في سالف الدهور اشدّ واقوى منها اليوم ولكنَّها لم تكن من جنس آخر وان قلنا بالتولُّد الذاتي وجب القول بانَّ حقيقة تلـك القوى كانت مختلفة عن حقيقتها اليوم وذلك شطط ظاهر »

فان كان الامر كذلك لا يبقى لهيكل الَّا ان يقرّ بشططهِ فان رضي جرى مع العلم واتمَّ ما شرط بهِ على نفسهِ ان يقرّ بوجود الخالق اذا ثبت انَّ مذهبهُ ليس بصحيح . وان ابى قام عليهِ العلماء حتى الماديّون وزيّفوا رأيهُ الواهن باسم العلم والحقيقة

وكم يكرم الانسان ذاتهُ باقرارهِ بحقيقة وجود ذاك الذي رفعهُ فوق المادَّة واعطاهُ قوى نفسهِ . وهكذا فعل تندال بعد تشبُّثهِ بمبدأ الماديين فقال : « اني اجد

في الحيّ الارضي موطناً ارتقي بهِ من دقائق المادّة الى تكوين الخالق» . وقال درون نفسهُ: «انّهُ يوجد نوع من العظمة ورفعة المقام اذا اعتبر الانسان الحياة وخواصّها كهبة وهبها الخالق في بدء وجودها للمخلوق»

وعليهِ قد صدقت التوراة الصدق التامّ اذ افتتحت كلامها في سفر التكوين بذكر خلقة الله للحيّ بعد ذكرها لتكوينهِ المادّة الجامدة وهذا التوافق العجيب بين آيات الوحي وبيّنات العلم يقرّر على اجلى منوال انّ الدين شقيق العلم وليس بينهما مناقضة البتّة

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

ألوهية المسيح في شهادة القديس يوحنّا المعمدان

قد حان الوقت للسيّد المسيح بان يظهر وهو القائل (لوقا ٨ : ١٦) «ليس احد يوقد سراجاً فيغطّيهِ باناء او يضعهُ تحت سرير بل يجعلهُ على منارة ليرى الداخلون نورهُ» وكان المسيح (يوحنّا ١ : ٩): «هو النور الحقيقي الذي ينير كلّ انسان آتٍ الى العالم»

كان يكفي لهذا النور الالهيّ ان يظهر للعالم ليُبهر العالم فيقرّ الناس باجمعهم لسطوع نورهِ . ومن ثمّ ما كان المسيح محتاجاً لشهادة انسان ليثبت دعوتهُ . أفما كانت النبوّات العديدة المفصّلة اوضحت كلّ اسرار حياتهِ وحدّدت كلّ تفاصيل مجيئهِ من زمان ومكان واحوال مختلفة ؟ الم يستطع ان يفحم الجاحدين بذكر مولدهِ العجيب في بيت لحم وسجود الملوك لهُ في مذودهِ وشهادة سمعان الشيخ وحنّة النبيّة

يوم دخوله الهيكل ! كلّ ذلك كان كافياً مستوفياً جديرًا بان يُقنع اليهود بانّ يسوع هو المسيح ابن الآب الازلي

لكنّ الله في رحمته أعدّ لضعف بني اسرائيل شهادةً أخرى لم يمكنهم ردّها نريد بها شهادة يوحنّا المعمدان التي تقوم وحدها مقام اصدق الشواهد عن لاهوت المسيح

ومن المعلوم انّ الشهادة تزيد قوّةً ويقيناً على قدر فضل الشاهد. فمن هذا القبيل لا نجد في صفحات تاريخ العالم ما يشبهُ شهادة يوحنّا المعمدان. فانّها شهادة فريدة كما كان الشاهد بها فريدًا في شخصه ومقامه

قام في العالم انبياء عظام كإبراهيم كموسى وايليّا واشعيا ولكن ليس بينهم واحد سبقهم انبياء غيرهم فتنبأوا عن مجيئهم وعن اعمالهم الّا يوحنّا بن زكريّا الذي صرّح الانبياء برتبته ومهنته فقال ملاخي (٣ : ١ راجع متى ١١ : ١٠). « هاءنذا مرسل ملاكي فيهيّئ الطريق امامي والوقت يأتي الى هيكله السيّد الذي تلتمسونهُ وملاك العهد الذي ترتضون به » . وقال اشعيا (٤٠ : ٣ راجع متى ٣ : ٣ ومرقس ١ : ٣ ولوقا ٣ : ٤) : « صوت صارخ في البرّيّة أعدّوا طريق الربّ واجعلوا سبل الهنا في الصحراء قويمة ». ومثلهُ تنبّأ عنهُ زكريّا والدهُ فقال (لوقا ١ : ٦٦) : « وانت ايّها الصبيّ نبيّ العلي تُدعى لانك تسبق امام وجه الرب لتعدّ طريقهُ »

وكذلك تفرّد يوحنّا بمولده العجيب على حسب بشارة الملاك وبتقدّسه في احشاء والدته وبافاضة النعم على والديه يوم ولادته وختانه . وامتاز بعيشته في البرّيّة في النسك وشظف العيش واعمال البرّ والرياضات التقويّة لابساً الملابس الخشنة من وَبَر الابل آكلًا الجراد وعسل البرّ منذرًا باعمال التوبة مقرّعاً الخطأة غير متهيّب لعظمة الملوك ورؤساء اسرائيل . وكانت الجموع تتوارد اليه لتسمع كلامهُ وتنيب الى الله على يده وكلّهم يعتبرونهُ كنبيّ ويتساءلون اليس هو النبيّ العظيم الموعود به من الانبياء. وقد عظّمهُ السيّد المسيح بقوله (متى ١١ : ٩ — ١١) : « انهُ نبيّ وافضل من نبيّ . . لم يقم في مواليد النساء اعظم منهُ » وبقوله (يوحنّا ٥ : ٣٥) انهُ « كان السراج الموقد المنير » . وقد ختم يوحنّا تلك الحياة الصالحة بميتة الشهداء اذ لم يُحابِ بالوجوه وانكر على هيرودس زواجهُ بامرأة اخيه فأُلقي في السجن وقُطع رأسهُ باغراء الزانية التي قبّح اعمالها

ذلك كان الرجل الذي اختاره الله ليؤدّي الشهادة على السيّد المسيح وكفى بشهادته دليلًا على لاهوت يسوع بن مريم

وهذه الشهادة لها المقام الارفع في حياة يوحنّا المعمدان بل هي هو وكأنّهُ لم يُرسل لغاية اخرى الّا ليؤدّي بها . قال يوحنّا الانجيلي عن المعمدان (١ : ٦ — ٨) : « كان رجلٌ مرسل من الله اسمهُ يوحنّا . هذا جاء للشهادة لكي يشهد للنور حتى يؤمن الجميع على يده . لم يكن هو النور بل كان ليشهد للنور » . ولمّا ارسل اليهود من اورشليم كهنةً ولاويّين يسألون يوحنّا المعمدان ماذا يقول عن نفسه اجابهم بقوله (يوحنّا ١ : ٣٢) : « انا صوت صارخ في البرّيّة قوّموا طريق الربّ » . ومُفاد هذا القول انّهُ جاء ليعدّ الطريق للمسيح ويهيّئ القلوب لقبول دعوته ويشهد لهُ . وكذلك السيّد المسيح مع عدم احتياجه الى شهادة غيره استند الى شهادة يوحنّا حيث قال لليهود (يوحنّا ٥ : ٣١ — ٣٢) : « ان كنتُ انا اشهد لنفسي فليست شهادتي حقًّا انّما الذي يشهد لي هو آخر وانا اعلم انّ شهادتهُ حقٌّ »

فعلينا اذن ان نبحث عن شهادة يوحنّا ونتبيّن معناها الصحيح

لم يؤدِّ يوحنّا المعمدان شهادةً واحدة بل عدّة شهادات وكلّها ترمي الى غاية واحدة الى الاعلان بان يسوع هو المسيح المنتظر والاله الحيّ . شهد بذلك اوّلًا وهو جنين في احشاء والدته . وشهد به ثانيًا يوم تعميده للسيد المسيح . وشهد ثالثًا امام جمهور الشعب . ورابعًا امام تلاميذه . وخامسًا واخيرًا امام رؤساء الشعب والفريسيين والاحبار

١ (شهادة يوحنّا في احشاء والدته) لعمري انّها لميزةٌ عظيمة اختصّ بها يوحنّا المعمدان بان يقوم شاهدًا لابن الله من قبل مولده وذلك كما اخبر به لوقا الانجيليّ (١ : ٣٩ — ٤٦) لمّا رحلت مريم العذراء بعد حملها الطاهر بابن الله الى زيارة نسيبتها القديسة أليصابات . فما دخلت بيتها وأسمعتها صوت سلامها حتى « ارتكض الجنين في بطن اليصابات وامتلأت من الروح القدس فصاحت بصوت عظيم وقالت : مباركةٌ انت في النساء ومباركة ثمرة بطنكِ . من اين لي هذا ان تأتي امُّ ربّي اليَّ فانّهُ عند ما بلغ صوت سلامكِ الى اذنيَّ ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني فطوبى للّتي آمنت لانّهُ سيتمّ ما قيل لها من قبل الربّ »

فهذه الشهادة ادّاها يوحنّا الجنين ليسوع ربّه الجنين فكأنّهُ عند دخول مريم في بيت أليصابات شقّ عليهِ ان يبقى في احشاء امّهِ فودّ لو امكنهُ ان يخرج من مستودعهِ ليسجد لخالقهِ الذي زكّاهُ في تلك الساعة وطهّرهُ من الخطيّة الجدّيّة التي يولد فيها بنو آدم . واذ لم يمكنهُ ان يؤدّي شهادة اللسان أنطق بقوّة الروح القدس والدتهُ اليصابات فنابت عنها بالشهادة الحيّة وأعلنت بمقام مريم العذراء التي دعتها «امّ ربّها» اي امّ إلهها ودعتها «المباركة بين النساء» واقرّت بانّ الجنين المولود منها هو «الربّ» اي الاله «والثمرة المباركة» التي وُعد بها اسرائيل . ثمّ لم يلبث ان حلّ ذلك الروح على زكريا ابي يوحنّا فشهد للاهوت المسيح بالنبوّة مؤكّدًا (لوقا ١ : ٦٨ ٨٠) ان «اله اسرائيل افتقد وصنع فداء لشعبهِ» وانهُ «اقام قرن الخلاص في بيت داود وافيًا بوعدهِ للانبياء» وانّهُ هو «العليّ» فدعا لذلك ابنهُ يوحنّا «بنبيّ العليّ ليمدّ طريقهُ» وينال شعب اسرائيل بنعمتهِ مغفرة خطاياهم . وانهُ اخيرًا ذاك المشرق الذي عنهُ تنبّأ سميّهُ زكريّا النبيّ (٦ : ١٢) فظهر «ليضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت ويرشد اقدامهم الى سبيل السلامة»

فما ابلغ هذه الشهادات التي يجوز ان ننسبها الى يوحنّا في غرّة حياتهِ بفم والديهِ ولا سيما والدتهُ كما قرّر ذلك الآباء والمعلّمون شرقًا وغربًا . قال القديس امبروسيوس الملقّب في شرحهِ على انجيل لوقا :

«سمعت اليصابات اوّلًا بأذنيها الصوت لكنّ يوحنّا احسّ قبلها بالنعمة . هي سمعت وفقًا لنظام الطبيعة وهو تقبّل وفقًا لسرّ حصل في باطنهِ . شعرت الامّ بمجيء مريم امّا الابن فشعر بمجيء المسيح الذي في احشائها . . . الامّان كلتاهما باعجوبة باهرة تنبّأتا بروح ولديهما . . . امتلأ يوحنا من الروح القدس فملأ منهُ والدتهُ أليصابات»

وقال قبلهُ الذهبيّ الفم في خطبتهِ التي رواها عنهُ متافرستس ولله درّهُ من خطيب :

«ما كاد غادينا ينزل الى ضعف جنسنا حتى سار من وقتهِ الى صديقهِ يوحنّا وهو في احشاء والدتهِ فاذ شاهد يوحنّا من مستودع امّهِ يسوعَ المقبل اليهِ في احشاء مريم زعزع كلّ جدران الطبيعة صارخًا : «اني أرى سيّدي فلا انتظر الى موعد ولادتي . اني لا احتاج الى تسعة اشهر اذ حلّ في روح الاله فاخرجُ من حبس الظلام واشهد بالعجائب الجارية . انا العلّم فأعلم بمجيء المسيح واكشف عن سرّ تجسّد ابن الله . انا البوق الصارخ فاستعير لسان امّي لأعلن بهذا السر

واجمل الحياة في رحمها . . كيف ابقى مقيَّدًا بالاغلال في حبس البطن وقد قدم اليَّ من يفك الاغلال . جاء الكلمة ليحرّر كلّ شيء أفأبقى اسيرًا ؟ كلّا ها اني اخرج . انا السابق فأسبق وابشّر للجميع : هوذا حمل الله هوذا رافع خطيئة العالم . . . انا الصوت الصارخ فاهتف : ها قد لبس ابن الله الوحيد طبيعتنا الجسدية . . . »

٢ (شهادة يوحنّا للاهوت المسيح يوم عماده) انحصرت شهادة يوحنّا الاولى في بيت والديهِ فرّت عليهِ السنون وهو يعيش في البرّيّة في العزلة والزهد وكذلك المسيح بقي محجوباً في الناصرة ثلاثين سنة وكلاهما ينتظر ورود الساعة المعيّنة من الله لكشف سرّ الفدى . فتقدّم اوّلًا ظهور السابق منذرًا ليعدّ طريق الربّ وداعياً بني اسرائيل الى التوبة ومعموديّتها لاستقبال المسيح المنتظر وهو مع ذلك لم يشاهدهُ عياناً منذ مولدهِ . فاراد السيّد المسيح ان يعتمد ايضاً بمعموديّة يوحنّا وهو في غنًى عنها ليؤيّد بذلك دعوة السابق ويعرفهُ بشخصهِ الكريم ويفتتح دعوتهُ الشريفة . فما اقترب المسيح من يوحنّا طالباً معموديّتهُ حتى اوحى بهِ الروح القدس الى يوحنّا فاراد هذا من ساعتهِ ان يخضع لهُ ويتذلّل امامهُ كالمرؤوس امام رئيسهِ والعبد امام سيّدهِ لولا ان المسيح امرهُ بتعميدهِ . قال متى الرسول (٣ : ١٣ — ١٧) : « حينئذٍ أتى يسوع من الجليل الى الاردن الى يوحنا ليعتمد منهُ وكان يوحنا يمانعهُ قائلًا : انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليَّ . فاجابهُ يسوع قائلًا : دع الآن فهكذا ينبغي لنا أن نتمّ كلّ برّ » . فتعمّد يسوع وجرى ما جرى من الآيات التي اعلنت بدعوتهِ امام الشعب حيث انفتحت السماء ونزل على يسوع الروح القدس في صورة جسديّة مثل حمامة وسُمع من السماء صوت الآب قائلًا : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت » وكان اوّل شاهد على هذه العجائب يوحنّا المعمدان نفسهُ واكّد صحّتها كما روى يوحنا في انجيلهِ (١ : ٣٣ : ٣٤) : « وشهد يوحنا قائلًا : اني رأيتُ الروح مثل حمامةٍ قد نزل من السماء واستقرّ عليهِ وانا لم اكن اعرفهُ لكنّ الذي ارسلني لاعتمد بالماء هو قال لي : انّ الذي ترى الروح ينزل ويستقرّ عليهِ هو الذي يعمّد بالروح القدس وانا عاينتُ وشهدتُ انّ هذا هو ابن الله »

فليت شعري ايّ شهادة اعظم واثبت من شهادة يوحنا المعمدان الذي كان يعتبرهُ اليهود لقداستهِ كنبيّ عظيم وقد اطرأ يوسيفوس اليهودي مآثر قداستهِ في كتابهِ

العاديات اليهودية (Josephus, *Ant. Jud.*, XVIII. v. 2) وروى ايضاً تعظيم اليهود لشخصه حتى نسبوا كسرة جيوش هيرودس انتياس لقتاله له . وكذلك عدّهُ في القرآن (في سورة آل عمران ٣ : ٣٤) : « مصدقاً بكلمة من الله وسيّداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » وقال في سورة مريم (١٩ : ١٤) « انهُ كان تقياً وبرّاً بوالديه ولم يكن جبّاراً عصياً » فهذا هو الذي شهد ليسوع في معموديّته بانّهُ ابن الله وان الروح القدس حلّ عليه وانّهُ يعمّد بالروح القدس لمغفرة الخطايا ليس بالماء فقط للتوبة كمعموديّة يوحنا

٣ (شهادة يوحنا للاهوت المسيح امام الشعب) قلنا انّ يوحنا أُرسل من الله ليعدّ الطريق لمجيء المسيح فقد جعل ذلك نُصب عينيه في طول مدّة كرازته حتى قبل أن يأتي اليه السيّد المسيح ويعتمد منهُ فانّهُ في اوّل كلامه الى اليهود يصرّح بذلك كما روى الانجيليّون . قال القديس متى يروي خطاب يوحنا الصابغ (٨ : ١٢) : « اثمروا ثمراً يليق بالتوبة . . . انا أُعمّدكم بالماء للتوبة واما الذي يأتي بعدي فهو اقوى مني وانا لا استحقّ أن احمل حذاءهُ وهو يعمّدكم بالروح القدس والنار . الذي بيده المذرى ينقّي بيدره ويجمع قمحهُ الى الأهراء ويُحرق التبن بنار لا تُطفأ . . . » فهي شهادة صريحة وصف فيها يوحنا المعمدان السيّد المسيح بالقوّة وعلوّ المرتبة وبالمعموديّة الروحيّة ثم خصّهُ بصفة الديّان للاشرار والابرار

وزاد يوحنا الانجيلي صراحة في شهادة المعمدان عن لاهوت المسيح فقال (١ : ١٥ — ١٧) : « ويوحنا شهد لهُ وصرخ قائلاً : هذا هو الذي قلتُ عنهُ انّ الذي يأتي من بعدي قد كان قبلي لانهُ اقدم مني . ومن امتلائه نحن كلّنا اخذنا نعمة مكان نعمة لانّ الناموس أُعطي بموسى واما النعمة والحقّ فبيسوع المسيح حصلا . الله لم يرهُ احد قطّ . الابن الوحيد الذي في حضن الآب أخبرَ »

فلله درّها من شهادة ذهبيّة احتوت كلّ صفات اللاهوت : ١ً قِدمُ المسيح الذي مع كونه جاء في الزمان بعد يوحنا هو مع ذلك كان قبلهُ لازليّته . ٢ً كمالهُ الالهي اذ هو ممتلئ من النعم حتى انّ الكلّ يأخذون من امتلائه ويغترفون من بحره . ٣ً شرفُ المسيح فوق موسى اذ اورثنا الحقّ والنعمة . فكان الله انعم على شعبه بالناموس لكنّ الناموس وحدهُ لا يبرّر الانسان بل يوجب اثمهُ كما قال بولس الرسول . فجاء السيّد المسيح فبدل هذه النعمة بنعمة اعظم وهي نعمة التبرير والقوّة لممارسة

فرائض الناموس. ٤ً جوهر المسيح الالهيّ الذي وحدهُ كان في حضن الابن مساوياً لهُ في الجوهر وعارفاً بكل اسرارهِ التي نزل الى الارض ليكشف بها للبشر فيكونوا « معلَّمين من الله » (يوحنا ٦ : ١٣)

وقد اثبت يوحنا هذه الشهادة امام اليهود في يوم آخر كما روى الانجيليّ (يو ١ : ٢٩) قال : « وفي الغد رأى يوحنا يسوع مقبلاً اليهِ فقال : هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطيئة العالم هذا هو الذي قلتُ عنهُ انهُ يأتي بعدي رجلٌ قد جُعل قبلي لانهُ اقدم مني وانا لم اكن اعرفهُ ولكن لكي يُظهَرَ لاسرائيل جئتُ انا اعمد بالماء » فترى انَّ شهادات يوحنا لا تبقي ريباً لمستريب وكلّها تصف المسيح بصفات اللاهوت . وهذه الشهادة الاخيرة تعرّفهُ كفادي البشر من خطيئتهم باستحقاقات لاهوتهِ مشيرةً الى كونهِ ذاك الحَمَل الذي تنبَّأ عنهُ اشعيا (٥٣ : ٧) حيث قال عن المسيح : « قُدِّم وهو خاضع ولم يفتح فاه . كشاة سيق الى الذبح وكحَمَل صامت امام الذين يجزُّونهُ ولم يفتح فاهُ . . . هو حمل خطايا كثيرين وشفع في العُصاة »

٤ (شهادة يوحنا امام تلاميذهِ) كان ليوحنا تلاميذ كما ليسوع تبعوهُ ليجروا على طريقتهِ النسكيَّة . فكما شهد ليسوع امام الشعب شهد ايضاً امام تلاميذه وعرَّفهم برتبة المخلص وصفاتهِ الالهيَّة . فمن ذلك ما اخبر بهِ يوحنا الانجيليّ (١ : ٣٥) انَّ المعمدان كان يوماً مع اثنين من تلاميذهِ فنظر يسوع ماشياً فقال : « هوذا حمل الله فسمع التلميذان كلامهُ فتبعا يسوع » . وكان الواحد منهما اندراوس اخا سمعان فجلب اخاهُ الى يسوع بعد ان تتلمذ هو لهُ . وعليهِ ترى انَّ اوَّل من تبع يسوع قد تبعهُ باغراء يوحنا المعمدان استناداً الى شهادتهِ

وقد كرَّر يوحنا هذه الشهادة وهو في حبس هيرودس انتيبا قبل موتهِ بزمن قليل وذلك انَّهُ اراد ان يرشد تلاميذه الى اتباع يسوع فلا يبقوا بعد موتهِ كخراف بلا راعٍ ولذلك اتخذ وسيلة لطيفة ليوقفهم على حقيقة دعوة المسيح ليروا اعمالهُ العجيبة . ويستدلّوا بها على كونهِ ابن الله قال متى في انجيلهِ (١١ : ٢ — ٦) ومثلهُ لوقا (٧ : ١٨) : « ولما سمع يوحنا وهو في السجن باعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذهِ يقولان لهُ : أأنت الآتي ام ننتظر آخر فاجاب يسوع مستشهداً بقول اشعيا عنهُ (٣٥ : ٥ و ٦١ : ١) : « اذهبا وأعلما يوحنا بما سمعتما ورأيتما . العميان يبصرون

والعرج يمشون والبُرص يطهّرون والصمّ يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشّرون وطوبى لمن لا يشكُّ فيَّ » ومن المقرَّر انَّ يوحنا لم يشكَّ مطلقاً في المسيح فكان جواب السيّد المسيح في الظاهر ليوحنا وهو بالحقيقة لتلاميذهِ . ولذلك مدح يوحنا بعد ابتعاد تلميذيه ذاك المديح الجليل الذي اشرنا اليهِ سابقاً

٥ (شهادة يوحنا امام رؤساء الشعب والكهنة) ولعلَّ اعظم من كلّ الشهادات السابقة الشهادة التي ادَّاها يوحنا المعمدان للربّ يسوع امام رؤساء الشعب والكهنة . لانَّ هذه طلبوها منهُ رسمياً وعلى صورة قانونيَّة كما يطلبها ارباب الامر . قال الانجيليّ يوحنا (١ : ١٩—٢٤) :

« وهذه هي شهادة يوحنا اذ ارسل اليهود من اورشليم كهنةً ولاويين ليسألوهُ من انت فاعترف ولم ينكر واعترف انّي لستُ المسيح . فسألوهُ : اذن ماذا أإيليّا انت . فقال : لستُ إيَّاهُ . أالنبي انت : اجاب : كلَّا . فقالوا لهُ : فمن انت لنردَّ الجواب على الذين أرسلونا . ماذا تقول عن نفسك . فقال : انا صوتُ صارخٍ في البريَّة قوّموا طريق الربّ كما قال اشعيا النبيّ . وكان المرسلون من الفريسيين فسألوهُ وقالوا لهُ : فلمَ تعمّد ان كنتَ لست المسيح ولا ايليّا ولا النبيّ . اجابهم يوحنا وقال : انا اعمّد بالماء ولكنَّ بينكم من لستم تعرفونهُ هو الذي يأتي بعدي وقد جُعل قبلي الذي انا لا استحقّ ان احلّ سير حذائهِ وكان ذلك في عبر الاردنّ »

فترى في هذه الشهادة الرسميَّة كلّ ما سبق ليوحنا من تذليل نفسهِ وتعظيم سيّدهِ المسيح الذي نوَّه بقدمهِ مع كونهِ وُلد بعدهُ

وليوحنا شهادة اخرى ادَّاها لتلاميذهِ ولليهود معاً جمع فيها كل صفات السيّد المسيح الالهيَّة . قال يوحنا في انجيلهِ (٣ : ٢٦ — ٣٦) :

وكانت مناظرة بين تلاميذ يوحنا واليهود في شأن التطهير فاقبلوا الى يوحنا وقالوا لهُ : يا معلم ذاك الذي كان معك في عبر الاردنّ الذي انت شهدت لهُ ها انهُ يعمّد والجميع يقبلون اليهِ . فاجاب يوحنا وقال : لا يستطيع الانسان ان يأخذ شيئاً ما لم يُعطَ لهُ من السماء . انتم تشهدون لي بأني قلتُ لكم انّي لستُ المسيح بل انا مرسل امامهُ . من لهُ العروسة فهو العروس واما صديق العروس الواقف يسمعهُ فهو يفرح فرحاً لصوت العروس ففرحي ها قد تمَّ ولهُ ينبغي ان ينمو ولي ان انقص لأنَّ الذي جاء من العلاء هو اعلى من الكلّ والذي من الارض هو ارضيّ وبالارضيَّات يتلفظ والذي اتى من السماء هو فوق الكل وبما عاينَ وسمع يشهد ولكن ليس احد يقبل شهادتهُ والذي قبل شهادتهُ فقد ختم انَّ الله صادق لأنَّ الذي ارسلهُ الله يتكلَّم بكلام الله لأنَّ الله لا يعطي الروح بمقدار . الآب يحبُّ الابن وقد جعل في يدهِ كلّ شيء من يؤمن بالابن فلهُ الحياة الابديَّة ومن لا يؤمن بالابن فلا يعاين الحياة ولكن غضبُ الله مستقرّ عليهِ »

فمن يعتبر هذه الشهادة يجدها تامةً وافية جامعة لأخص الكمالات الالهيَّة التي في المسيح فان يوحنا يصرّح بان « رسالة يسوع من السماء » وانَّهُ «هو فوق الكل لانَّهُ اتى من السماء » وانَّ ما يشهد بهِ من الحقائق والاسرار « قد عاينهُ وسمع بهِ » وانَّهُ « يتكلَّم بكلام الله » وانهُ « هو ابن الله » وان « الآب الذي يحبُّ ابنهُ جعل في يدهِ كلَّ شيءٍ » فالذي « يؤمن بهِ لهُ الحياة الابديَّة » وبخلاف ذلك «غضب الله يستقرّ على من لا يؤمن »

فليت شعري أكان يمكن ليوحنا المعمدان ان يؤدي شهادةً افضل من هذه في لاهوت المسيح النازل من السماء العالم باسرار الله المؤتمن لقدرة الله ابن الآب المحبوب منهُ والمانح للحياة الابديَّة . وهذه الشهادة نطق بها نبيٌّ واعظم من نبيٍّ بل افضل مواليد النساء الذي أقرَّ بعظم شأنهِ اليهود والمسلمون معاً . حتى انَّ السيّد المسيح امكنهُ ان يفحم اعداءهُ لمَّا سألهم (متى ٢١ : ٢٥) عن معموديَّة يوحنا من اين كانت من السماء ام من الناس . حتى اذا قالوا من السماء اردف بقولهِ : فما لكم لا تؤمنون بشهادتهِ عني ؟ وان قالوا: من الناس خافوا من الشعب لأنَّ يوحنا كان يُعَدُّ نبيًّا عند جميعهم . فشهادة يوحنا لا تزال الى يومنا سيفاً ذا حدَّين تؤثم من ينكرها او تقضي على من يسلّم بها ان يؤمن بلاهوت المسيح (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Le Livre Noir. L'Anarchie dans la Grande Loge Nationale d'Egypte. *Le Caire*. 1912 (arabe 38 p. français 35 p.)

الكتاب الاسود او الفوضى في المحفل الاكبر الوطني المصري

قال الرب (لوقا ١١ : ١٧) : « كلُّ مملكة تنقسم على نفسها تخرب وكلُّ بيت ينقسم على نفسهِ يسقط » وهذه الآية تصدق اليوم في الماسونيَّة التي لا يجمع اعضاءها الَّا معارضة الدين والدسائس للسلطة الشرعيَّة وما عدا ذلك فاغراض شخصيَّة ومصالح ذاتيَّة لا تلبث ان تفرّق الكلمة وتنفّر القلوب . ولنا في الماسونيَّة المصريَّة خصوصاً عبرة قريبة فانَّ اعضاءها منذ سنتين يتهارشون ويتقاتلون حتى اصبحت محافلهم التي يزعمون انها منتديات السلام والاخاء ميادين خصام ولكام تصاعدت جلبتها من

اغوار الماسونية الى الخارج ومن ار[illegible] الى [illegible] الكتاب المعنون بالكتاب الاسود الذي طبعهُ بعض بناء الاوملة [illegible] على ادريس بك راغب رئيس الشرق المصري الاعظم وحزبهِ . فليقم الماسون بعد ذلك ويثنوا على شيعتهم فن اثارها قد عرفناها . فها هي ذا قد اثبتت فعلًا صحّة كلّ ما كتبناهُ في كراريسنا المعنونة بالسرّ المصون في شيعة الفرمسون

كتاب معالم الكتابة ومغانم الاصابة لعبد الرحيم بن علي بن شيت

عُني بنشرهِ وتعليق حواشيه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩١٣ (ص ١٩٢)

هو كتاب نفيس نشلهُ حضرة الخوري قسطنطين من ايدي الضياع فنشرهُ بالطبع . وهو في ثمانية ابواب مدارها على الكتابة وآدابها وشروطها وطرائقها . وهو مع كونهِ اضيق نطاقاً من صبح الاعشى للقلقشندي لا يخلو من فوائد جمّة كالباب الخامس وهو في الالفاظ التي يقوم بعضها مقام بعض على مثال كتاب الالفاظ الكتابيّة لعبد الرحمان الهمذانيّ . والباب السادس في الامثال التي يستشهد بها الكاتب في انشائهِ . والباب الثامن في ما لا بدّ للكاتب النظر فيه والتحرُّز منهُ . وكان الكتاب لقدمهِ واشتباك خطوطهِ صعب القراءة فلم يزل حضرة الخوري قسطنطين يدرسهُ حتى فكَّ اكثر الغازهِ اما مؤلفهُ فلم يقف حضرتهُ على شيءٍ من احوالهِ الّا انهُ استدلّ على كونهُ من أدباء القرن السادس للهجرة في زمان الملك صلاح الدين . ولعلّهُ هو القاضي الفاضل الشهير الذي كان كاتباً لصلاح الدين واسمهُ ايضاً عبد الرحيم بن عليّ لكنَّ هذا مولدهُ في عسقلان وتولّى القضاء على بيسان وكانت وفاتهُ سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) والله اعلم . وكان الاولى ببعض فصول هذا الكتاب ان تُضبط بالشكل الكامل دفعاً للالتباس . وقد افادنا حضرة ناشرهِ بانهُ ضرب صفحاً عن الفصل السابع لسقوط قسم كبير منهُ ولكن كان يجدر بهِ على الاقلّ ان يذكر فحواهُ . وبعض الابواب تحتاج الى شروح اوفى . في الصفحة ١٨ س ٧ الشطر الثاني مكسور ولعلّ صوابهُ « ابداً يَسْرَةً وتلك جنيبَةً » وفي الصفحة ١٥٤ س ١٦ ضُبطت « المَيْضَأة » بفتح الميم والصواب المِيضَأة او « المِيضاءة »

ل . ش

اللُّمعة في تكذيب الرُّدْعة

انشأها السيّد اقليميس يوحنا معمارباشي ونيس اساقفة تكريت شرفاً

طُبعت بمطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٣

بينما نرى غبطة السيد عبد المسيح بطريرك السريان اليعاقبة سابقاً واسقفيه الجليلين ايليا وابراهيم مطراني القدس الشريف وحمص قد نبذوا الاضاليل اليعقوبيّة وافرحوا امّنا الكنيسة الكاثوليكيّة بدخولهم في الحظيرة البطرسيّة نرى على خلاف ذلك رجلاً اكل سنين طويلة خبز الكاثوليك فجحد ايمانهم ورفع عقبهُ على الكنيسة الرومانيّة المحسنة اليه نريد به افريم برصوم الراهب اليعقوبيّ الذي تستّر باسم الهفوذياقون نعمة الله دنو فطيع كرّاسةً في دير الزعفران دعاها بالردعة وادّعى انّهُ فنّد فيها رسالة الرجعة للقس الفاضل اسحاق ارمله التي انتقد فيها على بعض مزاعمه. فسرّنا ان سيادة المطران اقليميس يوحنا معمارباشي قام فانتصر لكاهنه وضرب بعصاته الراعويّة الشاة الجرباء وزيّف سفسطاتها فيا ليتها ترعوي وتعود تائبة الى قطيع الراعي الوحيد لئلّا تصبح فريسة الذئاب الخاطفة فتندم حيث لا ينفعها الندم

ل. ش

حياة القديس يوحنّا دي لاسال

للخوري بولس عويس

طُبع بمطبعة الفرير الصناعيّة بالاسكندريّة سنة ١٩١٣ (ص ٤٦٣)

لمّا ادرج قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر سنة ١٩٠٠ اسم يوحنا دي لاسال في سجلّ القديسين اسرعنا فنشرنا مقالةً في المشرق (٤: ٤٦٥–٤٧١) اختصرنا فيها اعمال ذلك الرجل البارّ الذي انشأ المشروعات العظيمة واخصّها جمعيّة اخوة المدارس المسيحيّة المنتشرة اليوم في كثير من البلاد وخصوصاً في اقطارنا الشرقيّة حيث يخرّج ذووها الشبيبة في العلوم والآداب، ما على افضل منوال. ومن ثمّ قد سُرّرنا بنشر حياة القديس مشيئ طريقتهم مطوّلةً مفصّلة بقلم احد افاضل الكهنة الموارنة المدرّسين في مدارسهم حضرة الخوري بولس عويس المعروف بمآثره الكتابيّة فراجع لتأليفها المستندات الوافرة التي استعارها من مكتبة الفرير فاخرجها على صورة شائقة. ولا شكّ انّ هذه الترجمة تبعث في قارب كثير من احداث بلادنا الرغبة في الاقتفاء.

بصاحبها . والكتاب مصدَّر باجازة السيد المفضال اغناطيوس نوري مطران السريان بمصر وكنَّا نودّ لو شُفعت برخصة سيادة النائب البطريركيّ على الموارنة هناك كما تقتضي القوانين الكنسيَّة ل.ش

بمناسبة التذكار المئوي لميلاد فردريك اوزانام

لاحد الآباء اللازريين (نقلاً عن مجلة الجبانيَّة. ص ٣٩)

لمَّا احتفلت شركة القديس منصور دي بول في الثغر بيوبيلها الخمسيّ سنة ١٩١٠ ذكرنا في المشرق (٣: ٤٨١—٤٩٣) تاريخ هذه الشركة الخيريَّة وما عاد بانشائها من الفضل لذاك البطل الهمام والكاثوليكيّ المحض فريدريك اوزانام . والسنة الحاليَّة هي السنة المئة لمولد هذا رجل الله فأقيمت لتذكاره الحفلات في كلّ البلاد التي نالت من فضله على يد شركة مار منصور ولم تتأخر شركات بلادنا عن ذلك . وقد سرَّنا ما افردتهُ مجلة الجبانيَّة لذكره وهي مقالة دبَّجتها يراعة حضرة منشئها الاب يوسف علوان ثم نُشرت على حدة تعميماً للفائدة ومضمونها لباب اعمال فريدريك اوزانام الحقيقة بتخليد ذكره ل.ش

شذرات

انتقاد الاب انستاس الكرمليّ أطلعنا حضرة نائب بطريرك الكلدان في الثغر على مقالة نشرها في مجلَّته لغة العرب (ص ٢٧٢) نقداً على رحلتنا من بيروت الى الهند حضرة الاب الكرملي « انستاس » وان شئتَ قل « ساتسنا » (مقلوب انستاس) او قل « البعيث الخضري » او قل « ابو الخير نهر ابن جابر الطائي » او قل « عصام الدين ابو يوسف يعقوب العكاوي » او قل « كاظم الدجيليّ مدير مجلة لغة العرب المسؤول » . لانَّ حضرتهُ تستَّر تحت كل هذه الاسماء المستعارة ليكتب ما يشاء . فالاسماء عديدة والقلم واحد والله اعلم بما قصد من تنكُّره . وما كنَّا لنكترث لفعله لولا انَّهُ على حجَّة الانتقاد اراد غير مرَّة التحامل على شخصنا الضعيف . وفي العدد الذي نشير اليه شاهد جليّ على قولنا كما سترى

ففي المقالة التي اوقفونا عليها ادَّعى حضرة الاب انستاس انتقاد ما كتبناهُ عن

بغداد والعراق في رحلتنا من بيروت الى الهند فافتتح انتقاده بهذا الكلام اللطيف « في ما كتبهُ الاب لويس شيخو الغثّ والسمين القضّ والقضيض على انَّ الاوهام تغلب على ما فيهِ من حقائق الكلام » (كذا) وختم هذه المقدّمة بقولهِ : « لا جرم انهُ رأى كل هذه المواقع في الكتب التي تبحث عن هذه الديار فاغتنم فرصة سفرهِ في هذه الارجاء ليكتب عنها ما كتب ». فالقول صحيح يا حضرة الاب ولم ننكره مطلقاً لا بل يلوح من مطاوي كلامنا في كل صفحة منهُ واي اثم في ذلك ؟ ألا يجوز لكاتب اذا كتب سِفر رحلتهِ الى بلد ان يضيف الى ما رأى معلومات استفادها من غيرهِ ولاسيما اذا كانت رحلتهُ تمّت في وقت قصير كرحلتنا التي لم تزد على ثلثة اسابيع من الموصل الى خليج العجم فلم نخطّ الرحال في غير الموصل وبغداد اياماً قليلة كما روينا ولم يكن في يدنا اذ ذاك كتاب نرجع اليه فاين الزور اذا سددنا الخلل بعد ذلك ؟ وزد عليه انَّ هذه الرحلة نشرناها بعد ١٦ سنة فاستجدَّت امور في العراق أفأتينا شططاً بذكرها تتمّةً للفائدة. فانظر رعاك الله انصاف الاب انستاس في تقريعهِ لنا كأنَّنا اتينا بذلك تزويرًا وهو اعلم بمن يفعل ذلك ! !

ثم عدَّد حضرة المنتقد في اربع صفحات اوهامنا الفظيعة واغلاطنا المريعة فنادى بالويل والثبور فتارةً يأخذ علينا قولنا عن زيارة مقام الامام الاعظم « يوم السبت » وصوابهُ « يوم الجمعة » او ذكرنا للسيّد « هبة الله الشهرستاني » والاصح « هبة الدين » او يقرّعنا بعدم تدقيقنا لوصف « قُفّة » نهر بغداد ! ! وتارةً يحاجّنا على وهمنا في تعريف رتبة احد الرهبان الكرمليين الذي دعوناهُ نائباً للرئيس او لاننا لم نصلح تصحيف كلمةٍ وردت في احد النصوص التي نقلناها بحرفها. وحيناً يقرّعنا على كوننا اوردنا احد معاني اسم بغداد اي « هبة الله » فقال الاب انستاس : « كان يحسن بهِ ان يضع تأويلهُ تحت شك » ولو قرأ بقيّة العبارة لرأى اننا لم نقطع برأينا اذ اردفنا ذلك التأويل بقولنا : « وقيل غير ذلك » . وطوراً يلومنا على ما اوردناهُ من الاحصاءات عن عدد اهل بغداد بين مسلمين ونصارى وغيرهم كأنَّهُ يجهل انَّ الاحصاءات في بلادنا غير مضبوطة فيقدّر الواحد ما لا يقدّر الآخر . واغرب من ذلك ان الاب انستاس استفظع رسمنا لصورة كنيسة حضرة الآباء الكرمليين في بغداد فتهكّم بنا قائلاً انَّ تلك الصورة ليست صحيحة. وقد اقرَّ مع

ذلك انَّ تلك الصورة نشرتها المجلات الاوربيَّة كصورة كنيستهم فان كنَّا انخدعنا بها فمن المخطئ أنحن او الاب الكرملي الذي نشر تلك الصورة وسكت عن ناشرها بعد نشورها سهواً كما يدَّعي. ومن كبائرنا التي اخذها علينا انَّنا دعونا مدرسة «الاتحاد الكاثوليكي» بمدرسة «الترقي الكاثوليكي» وقس على هذه الانتقادات التافهة ما اشبهها كبعض اعلام قديمة كتبناها على خلاف ما يرضى به الاب انستاس وكلّ يعرف انَّ الاعلام البابليَّة تُروى على صور شتى. وقد ختم هذا الفصل الانتقادي بالاسطر التالية التي نرويها بحرفها ليرى القرَّاء حسن ذوق كاتبها وعدلهُ في النقد قال:

هذا مجمل ما رأيناهُ من الاوهام في رحلة الاب لويس شيخو اليسوعي الى بغداد فقط. فما القول في الرحلة كلها؟ بل وما القول في ما يكتب عن تواريخ الاجيال المنقرضة والقرون الخالية؟ وما عسى ان تكون منزلة ما يكتبهُ مثلاً عن قبائل العرب وما يتعلّق باديانهم؟ فلا جرم أنَّ الاغلاط تُكال حينئذٍ كيلاً ولا تُقال قولاً (كذا). وبهذا القدر كفاية لمن يريد ان يقف على مكانة مؤلفات حضرة الاب ونحن لم نتعرَّض لما في عباراتهِ من الاغلاط الجمَّة التي تزيد كلامهُ غموضاً وخفاء لانَّ ذلك يجرُّنا الى تطويل اذيال المقال الى ما لا يسعنا فيهِ المجال فاكتفينا بالاشارة اذ انَّ اللبيب من الاشارة يفهم»

هذا ما سطَّرتهُ يد راهبٍ قمنا في بيروت بخدمتهِ مدَّة نحو شهرين كاعزّ الاخوان فكتب ما يأنف منهُ ادنى الكتاب ادباً. فسوَّد بضربة قلم كل ما وفَّقنا الله الى كتابتهِ منذ ٣٥ سنة ولو اردنا تفنيدهُ لكفانا شهادات حضرة الاب انستاس عينهِ ننتزعها من نحو مئة رسالة كتبها الينا سابقاً واثنى فيها على تآليفنا فحقَّق قول الشاعر:

فبين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عين السخط تبدي المساويا

وان سألت أيُّها القارئ عن سبب قلبهِ لنا ظهر بجنهِ أجبنا انَّ هناك سرًّا دفيناً نكتمهُ صوناً لشرف الاب ولكرامة رهبانيَّتهِ الجليلة ونحن نعلم انَّ رؤساءهُ لو اطَّلعوا على ما يكتبهُ مرؤسهم لمَّا اضربوا عنهُ صفحاً «واللبيب من الاشارة يفهم»

ولو اردنا ان ننتقد على كتابات مجلَّة امة العرب لا زوراً وتحاملاً بل انتقاداً عادلاً لمَّا نقصت المادَّة. راجع مثلاً مقالة الطباعة (ص ٢٢٣—٢٣١) المنسوبة الى «ابرهيم حلمي» ولعلَّهُ احد الاسماء التي استعارها الاب انستاس متنكراً كعادتهِ وقد قال هناك انهُ استند الى مقالتنا التي نشرناها في المشرق (في السنين الثالثة والرابعة والخامسة) فدونك ما كتبهُ عن مطابع سوريَّة قال ما حرفهُ (ص ٢٣٠):

اما المطابع في البلاد العربيّة فدخلت اوّلاً لبنان على يد الراهب الماروني عبدالله ظاهر سنة ١١٤١ وكان لها مطبوعات جمّة ليس هنا محلّ لذكرها ودخلت الطباعة حلب في القرن الثامن عشر واوّل مطبعة ظهرت فيها على ما نعلم المطبعة المارونيّة سنة ١٨٥٧ ومنشئها المطران مطر وهي باقية حتى الآن .... واوّل مطبعة ظهرت في الشام المطبعة الحنفيّة الخ

فكيف زعم انهُ استند الى المشرق وفي هذه الاسطر القليلة من الاغلاط ما فيها : ١ً اوّل مطبعة دخلت لبنان كانت في قزحيّا سنة ١٦١٠ (راجع المشرق ٣: ٢٥٣–٢٥٦) . ٢ً ولم تدخل على يد راهب بل على يد ايلي بسكالي الايطالي (المشرق ٣: ٢٥٤) . ٣ً ووليتها مطبعة حلب قبل مطبعة الشوير . ٤ً اوّل مطبعة ظهرت في حلب ليست المطبعة المارونيّة سنة ١٨٥٧ كما قال مناقضاً لقوله ان الطباعة دخلت حلب في القرن الثامن عشر بل هي المطبعة التي أتى بها البطريرك الرومي الملكيّ اثناسيوس نحو السنة ١٧٠٤ وعدّدنا في المشرق (٣: ٣٥٦) مطبوعاتها . ٥ً المطبعة الشويريّة التي ذكرها في لبنان لم تدخل « على يد الراهب اللبناني الماروني عبدالله ظاهر سنة ١١٤١ » بل على يد الشمّاس الرومي الملكي الكاثوليكي عبدالله زاخر سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥) (المشرق ٣: ٣٥٩) . ٦ً اوّل مطابع الشام ليست المطبعة الحنفيّة بل مطبعة حنا الدوماني سنة ١٨٥٥ نبقيت في ايدي النصارى نحو ٣٠ سنة قبل ان يبتاعها محمّد الحنفيّ فدعيت باسمهِ سنة ١٨٨٣ (راجع المشرق ٤: ٨٧٨) فهكذا نسخ الكاتب بل مسخ مقالتنا في المشرق سامحهُ الله !

موشّح قلب يسوع نشرنا هذا الموشّح في العدد السابق (ص ٤١٧) مروياً للسيّد جرمانوس فرحات . ثمّ اطّلعنا على نسختين اخريين لم يذكر فيهما اسم المؤلف . وقد افادنا حضرة القس جرجس منش انّ هذا الموشّح او النشيد هو في الحقيقة للخوري نقولا الصائغ الرومي الملكيّ صاحب الديوان الشهير وانّهُ قالهُ سنة ١٧٥٠ في مناسبة ابراز هنديّة عجيبي نذرها الاحتفالي . وأيّد ذلك بفقرة من تاريخ رهبان مار يوحنا الصابغ في الشوير صرّح فيها الكاتب بانّ الموارنة دعوا في ذلك اليوم بقيّة الطوائف لحضور تلك الحفلة وانّ الخوري نقولا نظم اذ ذاك نشيدهُ . فنشكر الكاتب على ما افاد

الثُّوام قد طنطنت الجرائد في هذا العهد الاخير بذكر داء عُضال يُصاب بهِ اهل اواسط افريقية وزعموا انّ هذا الداء لم يُعرَف سابقاً . على

ان ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦م) قد ذكرهُ في تاريخهِ في اواخر القرن الرابع عشر وعرَّفهُ بكل تدقيق. قال يروي موت جاطة سلطان مالي جنوبي تمبوقتو في تاريخ سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣م) ماحرفهُ (طبعة مصر ٦ : ٢٠٢):

قال واصابتهُ علَّة النوم وهو مرضٌ كثيرًا ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصاً الرؤساء منهم. يعتادهُ غشيُ النوم عامَّةَ ازمانهِ حتى يكاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الَّا في القليل من اوقاتهِ ويضرُّ صاحبهُ ويتصل سقمهُ الى ان يهلك. (قال) ودامت هذه العلَّة بخلطهِ (تخلطهُ) مدَّة عامين اثنين وهلك سنة ٧٥ (٧) (راجع مجلَّة الاسلام (C. H. Becker: *Der Islam*, I, 197-8)

اسئلة واجوبة

س سأل من جناب حضرة القس بولس سباط السرياني: ١ً من هو الربَّان دانيال المكنَّى بابن الحطَّاب. ٢ً والربَّان داود بن بولس. ٣ً وهل يعرف لهذا ميمر في الاشجار والنبات في السريانيَّة

دانيال بن الحطَّاب — وداود بن بولس — ميمر في الاشجار والنبات

نجيب على (الاوَّل) انَّ دانيال هذا كان راهباً يعقوبيًّا وكاتباً عاش في النصف الثاني من القرن الرابع عشر كتب في السريانيَّة والعربيَّة وهو صاحب كتاب الاصول الدينيَّة والقواعد البيعيَّة المقدَّسة الموجود في خزانة كتب ليدن وقد سمَّاهُ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (٢ : ٢٤٤) اصول الدين وشفاء قلوب المؤمنين وذكر لهُ شعرًا سريانيًّا. نجيب على (الثاني) انَّ داود بن بولس كان ايضاً كاتباً يعقوبيًّا من بيت ربَّان كان راهباً ثمَّ سُقف في القرن الثالث عشر ذكرهُ ابن العبريّ في كتاب خزانة الاسرار. صنَّف كتباً جدليَّة وادبيَّة وميامر شتى نثرًا وشعرًا. ونجيب على (الثالث) انَّنا لم نجد بين المصنَّفات المعروفة لداود المذكور ميمرًا على النبات والشجر. ولعلَّهُ قسم من الكتاب المنسوب اليه عن وصف الاقاليم

س وسأل من صيدا جناب توما افندي كيَّال أيوجد في مكاتب اوربَّة او غيرها كتاب للسيِّد الشريف الرضي معنون بحقائق التنزيل ودقائق التأويل

ج لا ذكر لهذا الكتاب في ما لدينا من قوائم الكتب بل لم يصفهُ الحاج خليفة في كتابهِ كشف الظنون

س وسأل جناب الكتبي يوسف افندي صفير لأيّ سبب تدعى انكلترَّة بريطانية العظمى

ج ذلك لتمييزها عن مقاطعة بريطانية الفرنسويَّة المدعوَّة قديماً ببريطانية الصغرى لمَّا استعمرها بعض اهل جزيرة بريطانية العظمى المواجهة لها ل. ش

السنة السادسة عشرة العدد ٨ آب ١٩١٣

المشرق

سياحة

في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين

كنّا نتشوّق منذ زمن مديد الى زيارة طور عبدين وتفقّد آثاره ومعاهده والوقوف على عاديات كنائسه ومعابده والاطّلاع على حالة اديارهِ وصوامعه وكانت قراءتنا تواريخ ائمة السريان تزيدنا ارتياحاً الى قضاء المرغوب. واتّفق ان غبطة بطريركنا الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني عهد الينا مهنة التعليم في دير الرهبان الافراميّين بماردين فلم يكد يمرّ علينا العام حتى قيّض لنا الله سبحانهُ الفوز ببغيتنا اثناء العطلة السنويّة فقصدنا الجبل المذكور في شهر ايار ترويحاً للنفس من متاعب الدرس وثقةً باننا نعثر على شيء يستحقّ الذكر ويستوجب استلفات انظار المستشرقين وغيرهم من روّام الاطّلاع على احوال بلادنا. فادركنا والحمد لله شيئاً ولو زهيداً من تلك الآثار شئنا ان نطرف بهِ قرّاء المشرق الاغرّ. وقبل ان نقصّ فذلكة سياحتنا نورد لمحة في تواريخ طور عبدين واحواله

موقع طور عبدين

يشتمل طور عبدين في يومنا سلسلة جبال واقعة شرقي ماردين ويحدّها شرقاً نهر القورنّية وقضاء جزيرة ابن عُمَر وغرباً ماردين وما والاها وشمالاً نهر دجلة وجنوباً نصيبين والبرّية. وكان يشمل قديماً جبل الازل وباعربايا وجبل قودس. فجبل

الازل هو الى الجنوب وجبل قورس الى الشمال وباعربايا تتخلل كليهما . وورد ذكر جبل الازل في مصنَّفات المؤرخين وكتب سير النسّاك الشرقيين . واول من قصدهُ مار اوجين (+ ٣٦٣) وتلامذتهُ السبعون الذين انتشروا انتشاراً عظيماً وشادوا فيه اديرة فخيمة لبث في القرون المتوسطة دوراً مهماً يستحقّ الاعتبار . واشتهر فيه عدَّة من الكتبة النساطرة واليعاقبة وراجت فيه اسواق العمران الروحي والعلمي مدَّة طويلة

جبل الإزل

اشتهر في جبل الإزل رؤساء اديرة ورهبان افاضل ثم تغلَّب عليه النساطرة في القرن السادس . واوَّل رئيس دير نسطوري في جبل الازل كان باباي التصيبيني العلَّامة (+٥٦٩) (١ وابرهيم الكبير الكشكري المعروف بالرئيس الاوَّل على جبل الازل وهو الذي حتم على الرهبان النساطرة ان يجزّوا شعر رأسهم على شكل اكليل تمييزاً لهم من الرهبان الساورنيين (اليعاقبة) الذين كانوا يجزّون شعر رأسهم كله (٢ ثم يوحنا رئيس دير المغارة واورد يشوع دناح مطران البصرة عنهُ في كتاب العفة (ع ٤٦ ص٤٦٩) ان احد امراء الارمن حاول ان ينقل جسده بعد موته الى بلاده اقراراً بفضل حازهُ بواسطته في شفاء ابنته فانكر عليه الجبليون ذلك فقطع احد هامته جنوده ومضوا بها الى بلادهم . وظلَّ جسده في ديره وشاد الرهبان فوق ضريحه كنيسة فخيمة وسُمّي ذلك الدير دير مار يوحنا الطاني الى يومنا . ومنهم حبيب رئيس دير الازل الذي عاش اثنتين وتسعين سنة ودُفن في دير مار اوجين (٣ . ومنهم ربَّان سفرا الذي ترهَّب في دير مار اوجين وشاد ديراً فخيماً على بعد مرحلتين منهُ ودُفن فيه (٤ واستمرَّت اديرة جبل الازل في حوزة النساطرة دهراً طويلاً حتى تغلَّب عليها اليعاقبة في اواخر القرن السادس عشر كما سترى في كلامنا على دير مار اوجين ولم يبقَ فيه ذكر لنساطرة بتَّة

---

١) راجع كتاب العفة ليشوع دناح طبع بيجان (عدد ١٧ و٧١ ص ٤٤٧ و ٤٨٤)
٢) راجع كتاب الرؤساء لتوما المرجي (٢ : ١٠ طبع بيجان)
٣) كتاب العفة (ع ٦٩ ص ٤٨٢)
٤) فيه (ع ١١٠ ص ٥٠١)

باعربايا

امّا باعربايا فمتوسّطة بين جبل الازل وجبل قورس. وكان فيها اديرة ومدارس شتى لكلتا الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة. وذكر صاحب كتاب العفة (ع ٢٥ ص ١٩٤) عن مار آبا مشيّد دير بطورا ان اصلهُ من باعربايا من قرية حُردفته ولعلّها دفنة الواقعة شرقي حصن كيفا وسيأتي ذكرها. وكان آبا وطنيًّا لبكيروتا الذي شاد دير شموتا في جبل فردون بين بازبدي وباعربايا (١ وروي يشوع دناح ايضاً في كتابه (عدد ٤٧) ان يشوع زخا النسطوري شاد ديرًا فخيماً في باعربايا ونصب فيه معلّمين واقام فيه مدارس وذكر (عدد ١٠٣ ص ٤٩٧) اسم قرياقس اسقف بَلَد (٢ وقال انهُ توجّه الى بلاد باعربايا فوشّحهُ الرَّبّان باعرث بالاسكيم الرهباني. وظلّت باعربايا ابرشيّة نسطوريّة الى عهد يشوع الصوباري (+ ١٣١٨) (٣

امّا السريان اليعاقبة فخصّوا باعربايا بابرشيّة المفريان وجعلوها الاولى لاعتبارها كما يستفاد من قوانين المجمع الذي عُقد في عهد ماروتا التكريتي مفريانهم (+ ٦٤٩) اذ ورد فيها ما تعريبهُ (٤: ٥ رتّب آباء المجمع اثنتي عشرة ابرشيّة تحت رئاسة مفريان تكريت اوّلها باعربايا». امّا اليوم فقد خُصّ اسم باعربايا بقرية صغيرة في طور عبدين بين كربوران ودير الصليب

جبل قورس

اما جبل قورس فموقعهُ شمال جبل الازل وباعربايا يشغل قرى الصور وقلّث والاحمدي والرومانية وغيرها يستوطنهُ قوم من اكراد المحلّميّة واليعاقبة وهو اخصب الجهتين واغناهما موصوف بطيب هوائه وغزارة مياهه وكثرة غلّاته واهلهُ عائشون في السعة بخلاف اهل طور عبدين

---

١) كتاب العفة (٥١: ٤٧٤)

٢) بَلَد مدينة في الجزيرة على شاطئ دجلة تابعة لولاية الموصل وهي مسقط رأس اثناسيوس الثاني (+ ٦٨٨) بطريرك اليعاقبة

٣) روبنس دوڤال (Duval: *La Littérature syriaque*, p. 402)

٤) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (٢: ٤١٩)

ابرشية طور عبدين

كان طور عبدين قبل عهد الانفصال من البيعة الرومانيَّة كرسيًّا استقفيًّا خاضعاً لمطرانيَّة دارا (١ على ما جاء في كتب السلف. فانهُ كان للبطريركيَّة الانطاكيَّة اثنتا عشرة مطرانيَّة لكل منها عدَّة اسقفيَّات. فكانت المطرانيَّة الثانية عشرة دارا ولها ثلاث اسقفيَّات وهي جبل سمسون وطور عبدين وباتسمون (٢ لكنَّ هذا النظام الجليل تبلبل ودارت عليهِ الدوائر في القرون المتوسِّطة خاصَّةً فأفرز طور عبدين اوَّلًا بابرشيَّة المفريان كما نوَّهنا اعلاه في كلامنا على باعربايا ثم جُعل كرسيًّا مطرانيًّا ثم كرسيًّا بطريركيًّا للسريان اليعاقبة كما سترى في كلامنا عن مذيات

اديرة طور عبدين

من تصفَّح تواريخ ائمَّة السريان والنساطرة واليعاقبة اخذه العجب والانذهال من انتشار الايمان المسيحي في طور عبدين الذي ازدان بالاديرة الكثيرة الكبيرة منذ القرن الرابع. واوَّل من نشَّ في السيرة النسكيَّة في هذه البلاد الشرقيَّة كان القديس يعقوب افراهاط الحكيم الفارسي فانهُ ذكر في كتابه البراهين في المقالة السادسة التي صنَّفها سنة ٣٣٧ اقرانهُ الرهبان واورد في المقالة السابعة ما شرحهُ: «كتبتُ اليك في ذلك كلّه ايها الحبيب. لانَّ في عصرنا قوماً ضحوا بحياتهم للعيشة النسكيَّة وهجروا الدنيا وانقطعوا للنسك والزهد وغدوا قدّيسين (٣». وكتب ايضاً القديس ماروثا مطران ميافرقين سنة ٤٢١ اسماء جمة من النسَّاك والرهبان الذين استشهدوا في عهد شابور الثاني ملك الفرس (٣٠١–٣٧٩ م)

بيد ان الامام الذي برز في الرهبانيَّة الشرقيَّة هو اوجين المعروف بآبون (احم) المتوفى سنة ٣٦٣ غادر مصر بعد ان تتلمذ للقديس انطونيوس ابي الرهبان في سبعين تلميذًا حتى وصارا جبل الإزل وقضوا ثلاثين سنة في مغاور

---

١) وقد رمَّم دارا ملك الروم انستاس فدُعيت باسمهِ انستاسيوبوليس (Ἀναστασιόπολις)

٢) عن نسخة سطرنجيلية قديمة تخصّ دير الزعفران

٣) اطلب مياموهُ (Patrologia Syriaca, *Aphrantes*, p. 355)

وكهوف وصوامع ضنية فلما بلغوا الثلاثمائة والخمسين جعلوا يطوفون ويشيّدون الاديرة. وللقارئ ان يعرف عددها ووصفها اذا راجع خاصةً كتاب العفّة وغيرهُ من كتب سير النسّاك. وذلك ما دعا الاهلين الى ان يطلقوا على جبل الازل اسم طور عبدين (ܛܘܪܥܒܕܝܢ) اعني جبل عبيد الله. ولم يكتفِ هؤلاء التلامذة المباركون بانشاء الاديرة في هذا الجبل بل وصل منهم نفر صالح الى الموصل والعراق وبلاد الفرس. على ان شابور لمّا اعجبتهُ خصالهم الحميدة وخلالهم الفريدة واندهل من العجائب الجمّة التي كان الله يجريها على يدهم أطلق لهم الحريّة التامّة في مملكته فذهبوا اثنين اثنين حسب مشورة رئيسهم القدّيس وبشّروا بالايمان المسيحي وصنع الرب على يدهم خيراً كبيراً. وشادوا في كل مكان يشمره اديرة وكنائس ومعابد ومدارس ولم يضنّوا باجود ما عندهم في سبيل خدمة إلههم حتى تأرّج عبير اخبارهم في الدنيا ونالوا الغاية القصوى

امّا اليوم فينكمش الفؤاد غمّاً وحسرةً لدى مشاهدته آثار تلك الاديار الدوارس وما صارت اليه من الانحطاط والذلّة بل العدم. ولا مرية انّ من عمي مذهبهُ فسد مشربهُ. وقد ذكر يوحنّا مطران ماردين اليعقوبي (+١١٦٦) ما تعريبهُ: «لم يبقَ في عهده اعني يوحنّا المذكور في الشرق اعني في طور عبدين ولا في ابرشيّة ماردين راهبٌ واحد ولم يعد يعرف احد كيف يكون الرهبان. فهو نشط لتجديد الاديرة وتعميرها وحثّ القوم على الانقطاع اليها. فشاد اديرة شتى في طور عبدين وفي ماردين (١» اذ كانت قد تصدّعت منذ مائتين او ثلاثمائة سنة (٢

كنائس طور عبدين

وما عدا الاديرة الكثيرة العظيمة ففي طور عبدين كنائس جميلة واسعة تباري افخر الكنائس وافخمها. وكانت على طرز كنائس القرن الخامس والسادس في بنيانها وضخامة جدرانها اذ كانت معقلاً حصيناً وملاذاً اميناً للاهالي يتحصّنون فيها من غارات الاعداء. ومما يتحرّق له الفؤاد اسفاً وحسرةً ان اغلبها قد عفت رسومها

١) راجع المكتبة الشرقية للسمعاني (٣: ٢٢٠)
٢) المكتبة الشرقية (٣: ٢٢٨)

وأمحقت آثارها ولم يبقَ منها سوى حجارتها الضخمة. كل ذلك لمنازعات قومية ومدنية ثارت بين الجيليين والأكراد فشغلتهم عن الاكتراث لامور دينهم ولبدت في قلوبهم ظلمات جهل حالكة حتى غدوا في القرون الاخيرة قوماً لا يعرفون من الدين الا ظواهره وعجزوا عن الاعتناء بالتهذيب والتعليم الروحي والزمني. فيا سبحان الله ما افظع الجهل والاستبداد وما اشنع المروق من الدين القويم

وقائع طور عبدين

طرأت على طور عبدين طوارئ شتى وطمست معظم آثاره وبدّدت كتبهُ وعتائقه وافقدتهُ بهاءهُ ورونقهُ. فكان الفرس تارةً وطوراً الروم يغزونهُ ويدوّخونهُ حتى ظهر الاسلام فملكوه. ثم تغلّب بنو حمدان العرب التغلبيون وكان جدّهم حمدان ابن حمدون التغلبيّ الرَّبعي فسادوا بلاد الجزيرة سنة ٨٦٨. وفي عام ٨٧٢ اوقع مسرور البلخي بالاكراد اليعقوبيّة سكان طور عبدين وما والاه فهزمهم. ثم أجبروا على اتباع الاكراد في اللغة والمذهب. وذلك أنهُ في عهد الخليفة المأمون (٨١٣–٨٣٣) لمّا ظهر الاكراد في كردستان وفي مقدمتهم المهدي المعروف بالمقنّع لوضعهِ برقعاً على وجهه هذا كان يدّعي النبوّة فسار هو واصحابه الى بازبدى وطور عبدين وتغلّبوا عليها ونهبوا الاديار والكنائس. فسيّر المأمون الامير حسناً في جيش فقهرهم وهزمهم من دير قرقين. ولمّا ان قُتل المهدي صاحبهم اقاموا بدله هرون ففتك بهِ جند الخليفة فسيّروا بدله بابك ومنهُ تسلسل الاكراد (١ وهم قسمان قسم يعرف بالرباح يسكنون القرى وقسم يُعرف بالسياه يقطنون الخيم. وكلهم دانوا بالاسلام على مذهب عليّ (٢

وذكر ابن الاثير (٩: ١٤) في حوادث سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٣ م) ان باذاً المرواني واسمهُ ابو عبد الله الحسين بن دوستك الكرديّ لمّا قوي امره واشتدّت شوكته خافهُ عضد الدولة صاحب الموصل فحضر عنده. ولكنهُ لمّا رأى ما هو عليهِ

١) راجع تاريخ المورّخ الرهاوي السرياني الذي طبعهُ غبطة السيد اغناطيوس افرام الرحماني في الشرفة (ف ٢١٤ ص ٢٢٩) وتاريخ ابن العبريّ طبع الاب بيجان (ص ١٤٤)

٢) شرح مجاني الادب (ص ١٢١)

من البأس والشدّة انهزم منهُ . فاستفحل امر باذ وملك ميافرقين وكثيرًا من ديار بكر ووصل بعض اصحابه الى نصيبين فاستولوا عليها . ثم راسل باذ زيارَ اكبر قوّاد صمصام الدولة في الصلح فاستقرّ الحال بينهم على ان تكون ديار بكر والنصف من طور عبدين لباذ . وما عتم ان تجدّد لباذ الطمع في هذه البلاد فاستولى على طور عبدين كله سنة ٩٨٧ وظلّ بالجبل

ولم يكتف باذ الكرديّ بطور عبدين بل جمع سنة ٩٩٠ الاكراد البشنويّة وقصد الموصل لمحاربة بني حمدان التغلبيين فتناوشوا القتال . ولمّا اراد باذ الانتقال من فرس الى آخر سقط واندقّت ترقوتهُ فأتاهُ ابن اختهِ عليّ بن مروان واراده على الركوب فلم يقدر فتركوهُ وانصرفوا الى الجبل واحتموا به . ثم قُتل باذ قتلهُ بعض العرب وحملوا راسهُ الى بني حمدان (١

امّا بنو مروان الاكراد فملكوا هذه البلاد الى سنة ١٠٩٥ وفيها توفي منصور ابن نظام الدين بن ناصر الدولة آخر بني مروان ومدّتهم مائة وخمس سنين . ومات منصور في بيت رجل يهوديّ فحملتهُ زوجتهُ الى تربة ابائهِ . ثم حجّت وعادت الى بلد البشنويّة فابتاعت ديرًا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر واقامت فيه تعبد الله (٢

وقام بعد بني مروان الملوك الارتقيّون (١٠٩٥—١٤٢١) وتملكوا هذه النواحي وكانت ماردين كرسيّ ملكهم . وسنة ١٢٣٢ زحف التتر الى طور عبدين وفتكوا برهبانه وسبوا ونهبوا وقتلوا خلقًا كثيرًا (٣

ثم ظهر تيمورلنك سنة ١٣٣٦ وسار سنة ١٤٠٠ الى دنيسر وماردين وطور عبدين وقوّض ابنية شتى من كنائسهِ واديرتهِ وهدم رسومهُ وآثارهُ وكان لا يدخل قرية الّا افسدها وعاث بها . وتوفي تيمورلنك سنة ١٤٠٥ وخلفهُ ابنهُ شاه رخ — وكانت المنازعات متواصلة في طور عبدين والقتالات متتابعة . وهي التي جرّتهم الى الانحطاط وثلّت دعائم دينهم وهبطت بهم الى قعر الجهل والذلّ الى يومنا هذا

---

١) ابن الاثير (طبعة بولاق ٩ : ٣٦)
٢) ابن الاثير (١٠ : ١٠٦)
٣) تاريخ الرهاويّ (ع ٥٢٤ ص ٢١٢)

ديانة طور عبدين

كانت النصرانيَّة شائعة في طور عبدين ثم تغلَّبت النسطوريَّة واليعقوبيَّة ثم دان اغلبهم بالاسلام واستمرَّ منهم قسم صالح حافظ على الاعتقاد بالمذهب اليعقوبيّ القائل بالطبيعة الواحدة في المسيح. وجاء في تواريخ السريان اليعاقبة انه في عهد البطريرك اسمعيل (+١٣٦٦) جحد نفر كبير من يعاقبة طور عبدين الايمان المسيحيّ ودانوا بالاسلام وعُرفوا بالمحلّميَّة وتبعهم قوم من قرى ماردين كرشل وقباله ومصرتا وغيرها. كلّ ذلك لسوء تصرّف البطريرك المذكور لانهُ في عهده ادركت طور عبدين مجاعة شديدة اجبرتهم على نقض الصوم فاوفدوا قوماً اليه يستمنحونهُ الاذن في ذلك فأبى فألحّوا في الطلب فلم يكترث لهم فأيسوا من خلاص نفسهم واتفقوا على هجر المذهب اليعقوبيّ والتدين بالاسلام

وأضيف الى ذلك ان المذهب البروتستنتي دُسَّ فيما بينهم في القرن السابق ولا سيما في مذيات حاضرة طور عبدين. امَّا السريان الكاثوليك فمنذ اواسط القرن التاسع عشر افرغوا الوسع في اعادة اليعاقبة الى حضن البيعة الجامعة وفتحوا الرسالات في مذيات وباتّه وكربوران وباقسيان وقلث وحاح. والأمل معقود ان اولئك القوم يعودون الى ايمان آبائهم وأجدادهم فتتجدّد رسومهم الدائرة وطقوسهم الدارسة ومبادئهم الطامسة

لغات طور عبدين ومنائه

امَّا اللغة الشائعة في طور عبدين فهي السريانيَّة مكسَّرةً امتزجت فيها كلمات كرديَّة وعربيَّة. والبعض لا يتكلَّمون الَّا بالكرديَّة فقط وفي مذيات يتكلمون بالعربيَّة والسريانيَّة والكرديَّة. والكرديَّة اعمّ من كلتا اللغتين. وقد صنَّف الاب باريزو (Dom Parisot) وغيره كتباً في لهجة طور عبدين وخواصها (١

وليس في طور عبدين صناعة مشهورة يحتاون منها كفافهم فان قلَّة حركتهم باعثٌ قويّ الى اشتداد فاقتهم. واغلبهم يتعيَّشون من ارزاق الاديرة والكنائس. ومنهم قوم دأبهم الفلاحة وحرث الاراضي وغرث الكروم. وفي بعض القرى نفرٌ

---

١) راجع المشرق (١٥ : ٧١٠)

يشتغلون بالحياكة ونسج الأعبئة وغيرها وقوم يشتغلون بالفخار والسكاكين وما شاكلها

عوائد آل طور عبدين

ان لكلّ قرية تقريباً شيخاً يراجعونه ويسمّونهُ مختاراً او كهيا . ولكلّ قضاء آغا . ففي كفرجوزة مثلاً آغا لهُ الحكم على خمس او ست قرى . وغيره في عرتاس وغيره في مزيزخ . وللمتحلّميّة اميرٌ يقطن في كفرحوّار . وغيره في حَبْسَينه في حوزته نحو خمس عشرة قرية . وغيره في آصر ولهُ خمس او ستّ قرى وقس عليه سائر القرى

وعند ما يولد الولد يعمّدونهُ بعد ثمانية ايام او اقلّ وفي ذلك يخالفون طقس اجدادهم الذين كانوا قضوا بالعماد في عيد الدنح وسبت النور فقط

امّا الزواج في طور عبدين فعند النصارى يتزوّج الشابّ في عمر العشرين بنيّف والفتاة في السنّ العاشرة الى السابعة عشر وفي بعض القرى يتزوج الشاب بابنةٍ اكبر منهُ سنًّا . والمحلّميّة في ذلك يقتدون بالنصارى . واغلبهم يحتفلون اعراسهم مدّة ثلاثة ايّام والآغوات سبعة ايّام . وفي بعض القرى يحمل الاهلون الهدايا من المآكل الى ذوي العرس . وقبل العرس ببضعة ايّام ينصبون على سطح دار العريس رايةً يعلوها منديل ملوّن الشكل دلالة على العرس . ولمّا يحضر القسّ ليكلّل العريسين ينصرف الحضور كلّهم ويُغلق الباب ولا يبقى الّا الكاهن والعريسان والقريبان اعني العرّابين وفي يد احدهما سيف او خنجر مسلول . ويقيمون مراقباً على سطح الدار يعدّ الناس عن الدخول ريثما تنتهي بركة الاكليل

واذا مات احدهم كائناً من كان يغسلون جسمهُ بماء حارّ وصابون ويكفنونه ويحملونه الى الكنيسة بالبكاء والعويل فيجنّزهُ الكاهن ويدفنونه . والشاب عند موته يطلقون البنادق تفجّعاً عليه . ويقام للميت مناحة ثلاثة ايام متتالية يحملون في غضونها الى أهله اصناف المآكل . واذا سار الاهالي من قرية الى اخرى ليعزّوا آل الفقيد قصدوا ضريحه اوّلاً واطلقوا فوقهُ العيارات ثم اقبلوا الى دار الميت ليعزّوا آلهُ . وقلّما يتصدّقون بحسنات قداديس على ارواح موتاهم والحسنة لا تتجاوز الغرش او الغرشين .

وفي صومهم يتبعون طقس البيعة السريانيَّة اليعقوبيَّة ولهُ مزيد الاعتبار عندهم فانهم يفضلون احياناً سفك دم القريب على مخالفته

واساقفة طور عبدين وكهنتهُ ورهبانه يجولون البيوت والمزارع يجمعون البواكير ويستونها الزدق (اوصل) لقوتهم وغذائهم . ويتلون صلوات سريانيَّة استغاثة بالعذراء مريم كي تبارك زروعهم وغلّاتهم

ومن عوائدهم المقيتة القَسَم بالباطل باسم الله وقدّيسيه فانه فاشٍ بينهم فشوًّا فاحشاً وهي عادة جارَوا فيها المسلمين

ويحافظون على البطالة ايام الآحاد ولكنهم يشتغلون اغلب الاعياد ولا سيما في الصيف . والرجال منهم يحضرون القدّاس ايام الآحاد امَّا النساء فالعجائز فقط . ومن عوائدهم السيئة التكلُّم بافراط والصياح والجلبة في الكنائس . وسرّ الاعتراف عندهم لا اعتبار لهُ وقلَّ من يعترف مرَّة في العام . وفي بعض الاحايين يتلو الكاهن صورة الحلّ على نفرٍ منهم سريةً . اما تناول القربان المقدس فغير شائع عندهم واذا تناول احدهم خرج حالًا من البيعة دون شكر اذ يجهلون الصلوات حتى الصلاة الربيَّة والسلام الملاكي وقانون الايمان لقلَّة المدارس او اذا شئت فقل لعدمها . فهم مقتنعون باهداب الطقسيَّات وشواعرها لا يفقهون شيئاً من مكنونها ومضمونها . وقلَّما يعتني كهنتهم السذَّج بالوعظ والنصح والحثّ على الفضائل المسيحيَّة . ولا ريب انهم اذا استمرُّوا هكذا ضلّوا سبيل الصواب وآل امرهم الى البوار والخراب وفشا فيهم الجهل والغلظة واشتدت طباعهم فظاظة وخشونة . اعاذنا الله من ذلك

وها اننا في سياق كلامنا نورد شيئاً ممَّا ألمعنا اليه في هذه القدّمة وعلى الله الاتكال في كلّ الاحوال

أ سفرنا من ماردين الى الصور

غادرنا ماردين على بركة الله في ١١ ايلول ١٩١٢ يصحبنا شقيقنا القدسي يوسف ومررنا بغياض زاهية ورياض أنيقة ولما ان وصلنا الى خشخوكه حيث المياه الصافية جلسنا للتريح وأجلنا النظر في وادي بيت قديش (هومصل) امامنا ورأينا بساتين ماردين الشهيرة كباسانس والزّنار ووادي شبا الذي وصفهُ صفيّ الدين الحلّي التنبي (١٢٨٧—١٣٤٠) في عهد الملك الصالح الارتقي بقوله :

ان كان بالجوسق النعمانُ تاه فكم من جوسق لك بالشعبين معمورِ
لو مرَّ عادُ بن شدَّادٍ بجنته لقام يقرعُ فيها سنَّ مغرورِ

ولمحنا ايضاً شمالي قلعة ماردين ووادي الصفا الذي ذكره صفيّ الدين ايضاً قائلاً :

عجنا على وادي الصفا فصفا عيشي وولَّى الهمُّ مرتحلا
ولنا جا والشمسُ في اسدٍ قيظاً فخلنا برجها الحملا

والتفتنا الى يميننا فشاهدنا جنَّات قبا له ونهراسي وبنابيل وباقرقره وبحر الطور ورشمل وهي على ما كانت عليه من الرونق والبهاء في عهد صفيّ الدين القائل :

من نفخة الصور ام من نفحة الصورِ احييتِ يا ريحُ ميتاً غيرَ مقبورِ
ام روض رِشْمَلَ اعدى عطر نفحتهِ طيَّ النسيم بنشرٍ فيه منشورِ
وقائلٍ اذ رأى الجناتِ عاليةً والحورَ مقصورة بين المقاصيرِ
لمن ترى الملك بعد الله قلت لهُ مقالَ منبسط الآمالِ مسرورِ (١ . . .

ولا جرم ان ماردين كانت تحاكي اخصب البلاد وابدعها في عهد ملوكها الارتقيين وهذا ما حمل صفيّ الدين ان يضارعها بدمشق الشام بل يفضّلها عليها بقوله :

يا مَن يقايس ماردينَ بجلّقٍ بَعُدَ القياس واين منها جلّقُ
لم تُذكر الشهباء في سبقِ العُلى الّا كَبَت شقراؤها والأبلقُ
كم ماردين لماردينَ تراثبوا ومن المحالِ طلابُ ما لا يُلحقُ

واراد صفيّ الدين بالشهباء قلعة ماردين لا مدينة حلب وقد ذكرها بهذا الاسم في ديوانه مراراً فمن ذلك قوله :

ولا تُقِم بالموصل الحدباء انَّ شهاب القلعة الشهباء
يخرق شيطان صروفِ الدهرِ

وقد صرَّح صفيّ الدين بجودة مناخ ماردين وطيب هوائها وعذوبة مائها وآنس من نفسه ميلاً شديداً الى البقاء فيها وخيَّرها على الحلّة وطنة وعلى غيرها من البلاد الكثيرة التي شاهدها فقال :

جُبْتُ البلاد ولستُ متخذاً بها سكناً ولم ارضَ الثريا مسكناً

١) يريد الملك الصالح صاحب ماردين ١٣١١ — ١٣٦٢

حتى انتهتُ بماردين مطيّتي فهناك قال لي الزمان: لك الهنا (١

(بافاوا) ثم استأنفنا المسير الى قرية بافاوا فيها البساتين والمياه الغزيرة يشويها نفرٌ من اليعاقبة لهم كنيسة حقيرة. ولم نرَ فيها شيئاً من الآثار فغادرناها الى مركه وعقبة الميزران حيث كان قطّاع الطريق يتعرّضون للسابلة ويسلبونهم امتعتهم. وعند عصر النهار يممنا بلدة الصور

(الصور) كانت الصور مدينة حافلة بالنصارى وجاء في سيرة جبرائيل رئيس دير قرقين ذكر يعقوب مطرانها الذي حضر دفنهُ جبرائيل عام ٦٦٨ وقبله اشتهر قرفوس اسقفها الشهيد الذي ورد ذكره في كلندار الرهبان صليبا للاب ب. بترس اليسوعيّ البولندي (سنة ١٩٠٨ ص ١٦٩) في اليوم الثالث من كانون الاوّل. وكان يوحنا بن شيله الماردينيّ اسقفها (١٤٧١–١٤٨٤) فارتسم بطريركاً لليعاقبة باسم يوحنا الثامن عشر. وخلفه في الاسقفيّة سويرا يشوع ابن القس يوحنا القلثيّ الذي سيم بطريركاً ايضاً سنة ١٥٠٩ بعد وفاة نوح البقوفاري (٢ وفي عهد بطريركيّة بطرس الرابع (١٥٧٦ – ١٥٩١) شقيق البطريرك نعمه كان اخوه مينا اسقفاً على الصور واعتنق الايمان الكاثوليكيّ المقدّس ثم هجره وعاد الى المذهب اليعقوبيّ

غير ان اغلب اهالي الصور وما جاورها كانوا منذ القرن الرابع عشر قد دانوا بالاسلام في عهد اسمعيل البطريرك (+١٣٦٦) للسبب الذي ذكرناه في التوطئة وفي يومنا ليس بينهم غير مسلمين يسودهم بيكوات وفيها قائمقام ايضاً ونفر من النصارى يقصدونها للتجارة. وتكثر في الصور اشجار الحور والزروع على اختلاف اشكالها وفيها نهر جار ينبجس من نواحي قلث ويسقي اراضيها

ويعلو البلد قلعة حصينة تطلّ عليه وعلى جهات قلث والاحمدي وفيها اشجار لوز وغيره وآبار وآثار دور يحيطها سور محكم. قيل انّ القلعة كانت تتوسط البلد. وتجاه البلد تلّ عالٍ فيه آثار دير كان يُعرف بدير مار يوحنا

وفي البلدة جامع كان يُعرف بجامع قرفوس الشهيد المذكور سابقاً لكن بابه حديث البناء وقد شيد سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) ورقينا الى منارته بستٍ وثلاثين

١) راجع بحاني الادب (١ : ١٣٤)

٢) راجع الزهرة الزكيّة في البطريركيّة الانطاكيّة (ص ٨٠ و٨٢)

درجة تعلوها قبة ذات نقوش لطيفة . وتمهّدنا في الصور بيعة امّ السبعة لأنها كانت على اسم الشهيدة شموني واولادها السبعة . امّا اليوم فقد أُحيلت الى جامع وهي مبنيّة بحجارة ضخمة لها ثلاثة اسواق في وسطها قبور للمسلمين وفيها تابوت مجلّل بالاقمشة يحجّ اليه المسلمون

٢ً من الصور الى قلّث

ولمّا ابتلج صباح ١٢ ايلول سرنا في برّية خصيبة الى قرية (الاحمدي) واهلها كلّهم مسلمون وفيها كنيسة شادها يوحنا مطران ماردين (+١١٦٦) ولم يسمح لنا الاهالي ان ندخلها : فقصدنا (قالوق) وفيها آثار كنيسة كان يوحنا المذكور قد شادها ايضاً (١ وانتهينا الى (الرومانيّة) فشاهدنا فيها كنيسة كبيرة صبرت على نوائب الزمان وبالقرب منها حجارة كثيرة تشير الى القرية التي كانت الى جانب الكنيسة وفي يومنا لا يوجد فيها من ينفخ نارًا . امّا الكنيسة فهي ذات ثلاثة اسواق ولجنا بابها الجنوبيّ فلمحنا بابين كبيرين فوق احدهما حجرة ضخمة مرسوم فيها الصليب المقدّس وحجرة الباب الثاني مشوّهة . ثم دخلنا سوقها الثالث وفيه اربعة اروقة بسدّ وفي الجهة الشرقيّة رواقان مفصولان بسدّ وفي السدّ باب يتصل بالمذبح يعلوه ثلاث كوّات الى الشرق حسب الطقس البيعيّ . وطول الكنيسة ثلاثون ذراعاً في عرض عشر اذرع تقريباً . وبعد ذلك عدنا من الرومانيّة الى قلّث والنهر على شمالنا فوافيناها عصر النهار وحللنا في كنيستنا السريانيّة التي شادها السيد يعقوب متى احمر دقنه سنة ١٨٨١ واستضفنا حضرة القسّ بولس هيو تلميذ الخوري افرام رئيس ديرنا

(قلّث) كانت قلّث حصناً منيعاً وكان فيها اسقف خاضع لبطريرك ماردين وفي عهد يوحنا الحادي عشر (١٠٤٢—١٠٥٧) خصّت بكرسي الفريان (٢ وسنة ١٧٨٢ تألّب في قلّث يعاقبة طور عبدين واقاموا لهم بطريركاً في بيعة مار يوحنا رجلاً يقال له متى الثعلب فبعد رسامته انقلب راجعاً الى ماردين وناصب البطريرك الشرعي مار

---

١) المكتبة الشرقيّة (٢ : ٢١٧) ومجلّة المشرق (١٢ : ٦٧١) حيث وردت اخبار ايليا ابن الكزبر

٢) راجع الزهرة الزكيّة (ص ٥٢)

اغناطيوس ميخائيل جروه وسجنهُ اربعين يوماً ثم فرَّ الى الموصل (١ وتوفي ميتي سنة ١٨١٧

وشرقي قلث دير فخيم على اسم القديس آباي تلميذ مار اوجين وكان جافلاً بالرهبان حتى ان السريان يذكرون في كالندارهم في ٢٠ ايلول « عيد الفرمين القديسين بدير قلث بجبل قورس » وفي غرة شباط يعيدون « لاسطينا اعني بيضاء امّ القديس آباي » (ܐܣܛܝܢܐ ܕܒܝܬ ܩܠܬ ܕܐܒܐ) (١

ومن بقايا دير مار آباي التي لم تطمس يطّلع الراغب على عظم شأنه وضخامة بنائه وحسن موقعه وسعته. فانَّ طولهُ تسعون ذراعاً في عرض ستين وقد تقوَّض كله ويشاهد على بابهِ الغربي حجر مكسور على شطرين منكَّس يشتمل احدهما على ثمانية عشر سطرًا والثاني على اثني عشر سطرًا بالحرف السطرنجيلي قرأنا فيه اسم داود ولعلَّهُ البطريرك داود (١٥١٩—١٥٢١) ورأينا حجرًا ثانياً على الباب الجنوبي رقم فيهِ بالسطرنجيلية :

ܕܝܘܢܝܣ ܒܪ . . .	ديونيس ابن . . .
ܟܠ ܕܢܩܪܐ ܢܫܠܡ ܥܠ ܟܠ	كل من يقرأ فليصل على كلّ
ܡܢ ܕܡܫܬܪܟ . . .	من اشترك . . .

وألفينا امام الدير الى جهة الجنوب حوضاً ناشفاً كانت تنحدر اليهِ المياه من صومعة ثاودوطا. ودوَّن ابن العبري في تاريخهِ السرياني المدني (ص ٣٢١) ان نجم الدين سلطان ماردين (١١٣٥—١١٧٦) لمَّا ابتُلي بالمرض ظهر لهُ مار آباي في الحلم واوصاه بالرفق والاحسان الى النصارى. فانقلب نجم الدين عمَّا كان عليهِ من الخشونة والعسف وتودَّد الى النصارى وجعل يهتم بصيانة بيعهم ويسعى في تشييد كنائسهم وترميم اديرتهم . وكان يجول في الاديرة انتجاعاً للصحَّة ونال الشفاء بصلوات مار آباي. ولعلَّهُ بعد شفائهِ رمَّم دير مار آباي اقرارًا بفضلهِ

ثم اننا تمهَّدنا داخل بيعة الدير فصادفنا في جهتها الشرقيَّة غرفة مربَّعة فيها مذبح

١) الزهرة الزكيَّة (ص ٦٧)

٢) كندار الربَّان صليبا للاب بطرس اليسوعي (BHO, 174, 195)

صغير ورواق ظريف . وفي الناحية الجنوبيّة حجران كبيران في كلٍّ منهما صورة سبع ناتئة وفي الجهة الشرقيّة الشماليّة غرفة فيها سرب لم نعثر فيهـا على شيءٍ من الكتابات قيل انها كانت قديماً متعبّدةً للرهبان

وشمالي دير مار آباي صومعة مار ثاودوطا فيها سربٌ ايضاً وستّ مغاور وفيها ماء جار . وشرقي شمالي قلّث دير صغير لمار ديمط يتبعهُ على مسافة ربع ساعة ديرٌ آخر لمار شاباي (١ داخلهُ مغارة فيها ماء

واعلم ان الاديرة المذكورة آنفاً كانت قد تصدَّعت على عهد يوحنـا مطران ماردين فاهتمَّ بتجديدها في جملة الاديرة والكنائس الكثيرة التي شيَّدها ورمَّمها واليك ما تعريبه نقلاً عن العلّامة السمعاني (٢ : ٥ تجدَّدت هذه الاديرة في ابرشيتي . وهي دير مار آباي ودير مار ثاودوطا القدّيسين الجليلين الشهيرين صـاحبي العجائب » . . . وقال ايضاً (٣ : « ووقف المطران يوحنا لدير مـار آباي الشهيد رحوين . ويسمى هذا الدير دير قلث موقعهُ شرقي الصور »

امَّا دير مار ديمط فهو مبنيٌّ على اسم ديمط الفارسي ولهُ في قورس عيد في ٢٤ ايلول (٤

ثم زرنا كنيسة قلّث الكبرى التي استوفى وصفها الاب لويس شيخو اليسوعي في المشرق (١٥ : ٨٠٨) وأيد أنهـا من كنائس القرن الخامس او السادس وهي كسرب ينزل اليها في قلب الارض ولها ثلاث اسواق تسندها السواري وتزيّنها بعض التصاوير المطموسة . وهي مسقفة بالاجرّ الاحمر وفيها عواميد ملتصقة بالجدران وتحت رواق المذبح الى الناحية الشماليّة رأينا هذه الكتابة فصوَّرناها بالقلم اذ لم يتيسَّر لنا ان ناخذ رسمها ولم يُقرأ منها الّا لفظتها الاخيرة بمعنى « سيّدي »

CSWNHKVPIE (٢)

وفي شمالي الكنيسة مزار يزعم الاهلون ان فيه ضريح سمعان القناني احد الرسل

١) كان شاباي احد تلامذة مار اوجين : بيجان سير القديسين (٣ : ٤٧٣)

٢) راجع المكتبة الشرقية (٢ : ٢٢١) ٣) فيها (٢ : ٢٢٧)

٤) راجع سير القديسين ليجان (٦ : ٥٢٦ و٥٤٣) وكلندار الاب بترس البولندي اليسوعي (BHO, p. 196)

الاثني عشر وفي كتبهم الفرضيَّة السريانيَّة ابيات شتى تذكر سمعان القنانيّ يوم عيده في ١٠ ايار وتروي عنهُ انهُ اتى الى جبل قورس وانذر بالايمان المسيحيّ فيهِ

امَّا الكنيسة فهي مشيَّدة على اسم مار يوحنا الديلميّ (١ تلميذ ارجين رئيس النسَّاك (بيجان سير القدّيسين ٣ : ١٧٣) قصد مار ارجين من الموصل واتَّشح بالاسكيم الرهبانيّ ولمَّا تفرَّق تلامذتهُ في البلاد ليبشِّروا بالانجيل مار يوحنا الى بلاد الديلم في فارس ونصَّرهم. وقد وردت سيرة اعماله في الفهرس العربيّ من مخطوطات مكتبة باريس (Bibl. Nat. n° 281). وورد في كتاب العفَّة ليشوع دناح مطران البصرة (عدد ١٧ و ص ٥٠٤) من طبع الاب بيجان ان يوحنا الديلميّ شاد ديرًا في جبل فارس قرب ارَّجان. وان مسقط رأسهُ هي الحديثة لا الموصل وانهُ سُبي الى بلاد الديلم وانهُ شاد ديرين ولما توفي دُفن في دير السريان

وفي هذه الكنيسة بعض المخطوطات السطرنجليَّة والسريانيَّة منها انجيل حسب الترجمة الحرقليَّة مكتوب على ورق والفصل الاخير منهُ وهو الحادي والعشرين من انجيل يوحنا مكتوب بحروف ذهبيَّة وملوَّنة. كأنَّ الكاتب فعل ذلك اعتبارًا لرئاسة بطرس وتسليم السيد المسيح لهُ رعاية الخراف والكباش والنعاج. واليك تاريخ الانجيل :

ܠܡܪܝܐ ܕܐܠܗܐ ܡܪܝ ... ܥܠ ܡܢܗܪ ܡܢܗܪ ܕܫܡܫܐ
ܕܐܝܟ ܕܢܗܘܐ ܫܪܝܐ ܡܢ ܡܫܝܚܐ ܡܪܝ . ܡܢ ܕܢܩܒܠ ܡܢܗ

١) الديلم طائفة من الفرس كانوا يسكنون شيراز واذربيجان واردبيل شمالي غربي فارس لعبوا دورًا مهمًّا في الحروب مع الاتراك في القرون المتوسطة. وذكر ابن الاثير سنة ٨١ هـ (٧٠٠ م) ان قزوين كانت ثغرًا للمسلمين من ناحية ديلم وابلى بعض المسلمون بلاءً عظيمًا ثم اغارت الديلم وقهروا المسلمين (٤ : ٢٢٢). واورد ايضًا في تواريخ سنة (٢٠١ – ٨١٦) ان عبدالله والي طبرستان افتتح البلاذر الشيرز من بلاد الديلم وأسر ابا ليلى ملكهم (٦ : ١٢٤) وسنة ٣٠٩ (٩٢١ م) سار ليلى بن النعمان الديلميّ من جرجان الى الدامغان وقتل من اهلها مقتلة عظيمة وعاد الى جرجان. ثم سار نحو نيسابور فقبض عليهِ وقُطع رأسهُ وصُلب على رمح وحمل رأسهُ الى بغداد (٨ : ٤٦). وسنة ٩٨٤ ملك الديلم الموصل وانهزم باذ الكردي (٩ : ١٦). وسنة ٩٨٥ استظهر الديلم على الاتراك ببغداد وكانوا خمسة عشر الفًا. وسنة ٣٧٩ (٩٨٩م) وقعت الفتنة في شيراز بين الاتراك والديلم (٩ : ٢٥) وفي بغداد ايضًا (٩ : ٢٢) الخ الخ

ܕܐܬܟܬܒܘ ܡܢ ܟܬܒܐ ܕܢܝܚܐ ܕܚܝܐ ܕܐܝܢܘܢ ܕܡܪܝ ܡܪܝ ...
ܐܝܓܢܛܝܘܣ ܡܪܝ ܡܪܝܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܝܬ ܒܗ ܡܪܝܐ ܕܡܫܝܚܐ
ܕܒܝܬ ... ܕܐܬܟܬܒ ܒܡܕܝܢܬܐ ܕܡܪܕܝܢ ܡܢ ܫܘܠܛܢ ܥܠ
[ܡܪܝ] ܕܝܠܗ ܕܡܪܝ ܝܘܚܢܢ . ܒܝܕ ܡܪܝ ܡܪܝܡ
ܒܪܗ ܕܡܪܝ ܐܒܪܗܡ ܕܡܪܝ ...

« ... اجتهد في استكتاب هـذا الكتر المنعم حياة اعني الانجيل المقدّس ابونا مار اغناطيوس البطريرك الجليل الذي صار سبباً لكتابة كهذه ... وهو من مدينة ماردين الحصينة ابن ابرهيم المعروف بابن وُهَيْب . نُسخ الانجيل في دير مار حنانيا (الزعفران) سنة ١٦٢٦ (١٣١٥ م) لكنيسة مار يوحنا بقلّث نسخة الشمّاس مسعود بن جرجس الاربليّ التركمانيّ »

وجاء في اوّل صفحة هذا الانجيل بحروف كرشونيّة ما نصّهُ :

« سنة ١٩٨٢ (١٦٧١م) « الذي يأخذ الكتاب محروم محروم محروم من في الاب محروم محروم محروم من في الابن محروم محروم محروم من في الروح القدس محروم محروم محروم ومن في راس جمجمة شمعون بطرس محروم ومن في العذراء ومن في الاثني عشر ومن في الاربعة الأنجيليّة ومن في الاثنين والسبعين ومن في الثلاثمائة والثمانية عشر اباء نيقية »

ووقّع على ذلك بختمه المطران متى بن صالح وقال: « قد صرت مطراناً على مار آباي سنة ܐܠܦ اي ١٦٢٣ يونانيّة (١٣١٢ م) وسنة ܐܠܦ ܘܫܬ اي ١٦٧٢ (١٣٦٣ م) كتبت هذا الحرم

وفي الكنيسة ايضاً كتاب حسّايات نُسخ سنة ١٤٨٧ م هذا تعريب ما كتبهُ الناسخ في آخره :

« انتهى كتاب الحسّايات سنة ١٤٨٧ م في ايلول في دير مار آباي بجبال قورس عند قلّث التابعة لقضاء الصور . في عهد اغناطيوس يوحنا ١٨ ابن شيلّه (+١٤٩٤) البرطليّ . وباسيليوس المقربان ابن اخت البطريرك خلف (+١٤٨٤) وساويرا القلّثي مطران كرسي دير مار آباي الجليل الذي في الصور بقلّث . . . كُتب الكتاب لكنيسة مار يوحنا الديليّ بقرية قلّث . نقلهُ من ثلاث نسخ مصحّحة ومدقّقة يعقوب المزوّق (١ الراهب ابن عبدالله من قرية الاحمدي وكان مسكنهُ في دير مار موسى النبكيّ تاج الشهداء الكائن في جبل الدخان . صاروا على الرهبان المحبرين القاطنين دير مار آباي الذين اسكن معهم وهم تسعة . . . ودونيسهم مترو في دير مار ثاودوطا فوق دير مار آباي . صاروا على الكهنة السبعة المتوجين خدمة بيعة مار يوحنا بقرية قلّث »

١) هو يعقوب المزوق الذي صار بطريركاً يعقوبياً سنة (١٥١٠) وتوفي سنة (١٥١٩)

وختم بقوله: « انا ساويرا (١ بالاسم اسقف أيدتُ هذا التذكار . وأمرنا ان لا يمحوه احد » . وورد في تاريخ كتاب الفرض الصيفي المنسوخ سنة ١٥٥٣ ما تعريبهُ:

« انتهى كتاب الصلوات الصيفيّ سنة ١٥٥٣ م في عهد البطاركة اغناطيوس يعقوب الحصني (من حصن كيفا) الساكن في صلح . وباسيليوس شمعون مغريان المشرق اصلهُ من كفرشامع . وقرلس مطران مذيات . واثاسيوس مطران حساح وباسيليوس مطران الزرجل ويوحنا مطران قرقين . وموسى مطران دير مار آباي . . وتسمة رهبان »

نُسخ الكتاب اوّلاً في دير حبشاس وانتهى في دير صلح المعروف بدير اللُّبع . في عهد اغناطيوس بن شمعون الرازيّ بطريرك طور عبدين الذي انشأ نيّفاً ومائة وخمسين راهباً واقام لهم اديرة ثووها وصنّف المياسر كمار افرام ونظم حسّايات كأبي نصر المرحوم (٢ والف رسائل وطقوساً بيعيّة ونواقير »

ولم نعثر في كنيسة قلّث على كتب أقدم من التي ذكرناها وبعد هذا عدنا الى دار القسّ بولس هيمو وبتنا ليلتنا فيها (لهُ بقيّة)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني جرجس افندي صفا (تابع)

١٩ ﴿ كتاب تاريخ الامم ﴾ الى آخر مدة السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري مختصر وهو ثلاثون ورقة قطع ربع غير مكتوب فيه تاريخ نساخته ويشبه ان يكون كتب في سنة ٩٣٠هـ لانه ينتهي في هذا التاريخ وكاتبهُ مجهول (٣

---

١) اصل ساويرا من قلّث وارتسم مطراناً على الصور سنة ١٦٨٨ وسمي سويرا يشوع وعام ١٥٠٩ خلف نوحاً البقوفاوي في بطركيّة اليعاقبة . وسنة رسامته أُكره على الاسلام فاسلم ثم ندم وهرب الى قبرس وتاب توبة نصوحاً

٢) ورد اسم ابي نصر في تواريخ كتب سريانيّة شتى ولم يُضف اليها اسم وطنهِ وزمانهِ

٣) تقدّم لنا ذكر كتاب المعرفة ووصفه (ص ٣٣٩) وقد جاء فيه ذكر النور الذي يظهر في قبر السيد المسيح في القدس وقد قرأنا ما كتبهُ مؤخراً حضرة الاب شيخو عن مؤرخي الاسلام في امر هذا النور (ص ١٨٨) فاردنا ان نذكر ما جاء في كتاب المعرفة المزبور اتماماً لذلك قال في الكتاب المرقوم بعد كلام: « فاذا كان فصح النصارى وهو يوم السبت الكبير

٢٠ ﴿ رسالة في الاسطرلاب ﴾ ١٣ ورقة بخط دقيق قطع نصف كل صفحة ٢٣ سطرًا وهي بقدر ضعفي كتاب العمل بالاسطرلاب الذي نشرهُ المشرق الصادر في كانون الثاني سنة ١٩١٣ (ص ٢٩–٤٦) وفيها مباحث غير مذكورة في الكتاب المنشور في المشرق وتحتوي هذه الرسالة على ستين بابًا ولم يذكر فيها اسم المؤلف ولا تاريخ كتابتها اولها:

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على اشرف رسلهِ محمد وآله وصحبه اجمعين . اما بعد فهذه رسالة في الاسطرلاب مشتملة على ستين بابًا وخاتمة الباب الاوّل في حدّهِ والقاب اجزائه الخ . ويتخلّل الابواب فصول

ومما جاء فيها في الباب السابع والثلاثين في معرفة مقدار مسافة من مساحتها مانع كعَرْض الانهار وبُعد جدار القلعة المحاصرة :

« وطريقهُ ان تقف في شاطئ النهر او في موضع ترى منه اسفل جدار القلعة وتعلّق الاسطرلاب وتحرّك الضادة حتى يقع الشعاع البصري من الثقبين ويصل الى الموضع المطلوب معرفة بعده مثل الطرف الآخر من النهر واسفل جدار القلعة ثم دُرْ وانظر حتى ترى من الثقبين فاذا رأيتهُ فاسح ما بين موقفك الى اسفل الموضع فما حصل فهو مقدار ارتفاع ذلك المرتفع »

ومنه في معرفة عمق البئر :

« ينبغي ان تضع خشبة عليه تقوم مقام قطره وتعلّم على وسطه وتعلّق فيه جسمًا ثقيلًا مضيئًا يصل الى قعره بطبعه وتقف قريبًا من البئر وتدير الضادة الى ان ينفذ الخطّ الشعاعي من الثقبين قاطعًا للخشبة ويصل الى الثقيل ثم تمسح ما بين العلامة ونقطة تقاطع الخطّ الشعاعي مع الخشبة

وذلك يوم يخرج الناس من موضع القبر الى الصخر وحول الصخر درابزينات يتطلعون الى موضع القبر يبتهلون كلهم ويتضرّعون الى الله تعالى من وقت الاولى الى المغرب ويحضر الامير وإمام المسجد ويغلق السلطان الباب الذي على القبر ويقعد على الباب فهم على هذا حتى يروا نورًا كأنهُ نار يضاء يخرج من جوف القبر فيفتح السلطان الباب عن القبر ويدخل اليها وفي يده شمعة فيشعلها من ذلك النور فيخرجها والشمعة تشتعل ولا تحترق فيدفعها الى الامام فيأتي الامام بتلك الشمعة فيشعل قناديل المسجد فاذا تداولت تلك الشمعة ثلاث ايدي احترقت بعد ذلك وصارت نارًا ويكتب الخبر الى السلطان ويعلمه ان النار نزلت في وقت كذا من يوم كذا. فاذا نزلت وقت الصلاة الاولى من ذلك اليوم كان دليلًا عندهم على ان السنة ليست بخصبة ولا قحطة واذا نزلت وقت العصر دلت على ان السنة قحطة » . وقد قدمنا ان مؤلف هذا الكتاب انتهى منه سنة ٣٢٢ للهجرة (٩٣٤م) فهي تضاهي في القدم شهادة المسعودي التي وردت في المشرق (ص ١٩٢) بل هي اقدم منها

وتضرب في مقدار القامة وتقسم حاصل الضرب على ما بين موضع القدم ونقطة تقاطع الخط الشاعي مع الخشبة فخارج القسمة مقدار عمق البئر »

ومنه باب في معرفة إحداث القنولت واجراء المياه اذا اردت ان تعلم من ماء البئر في اي موضع يظهر على وجه الارض. ومنه باب في معرفة إجراء القناة بطريق آخر اسهل

ومنه باب في معرفة ارتفاع مرتفعات لها مانع من الوصول الى مسقط حجرها وغير ذلك مما خلت منه الرسالة المنشورة في المشرق

٢١ كتاب ﴿ نضرة اللباب في شرح بهجة الالباب في علم الاسطرلاب ﴾ تأليف محمد بن علي الحميدي (والمتن للسيد عبد الحليم القيصري) وهو ١١٢ صفحة بخط دقيق في كل صفحة واحد وعشرون سطراً مضبوط النقل جيداً اوله : « الحمد لله الذي جعل الليل لباساً والنهار نشوراً ». نسخ هذا الكتاب سنة ١١٨٧ للهجرة (١٧٧٣م) وفيه رسوم واشكال ومما جاء فيه عند شرح كلمة اسطرلاب قال (١ :

انه تخصص من بين الالات لسهولة طريقه وقرب مأخذه او لكثرة نفعه وهو بالسين وعند البعض بالصاد قال كوشيار الحكيم في بعض تصنيفاته معناه ميزان الشمس ومن ثمة ظن البعض تركيبه من اسطر بمعنى الميزان ولاب بمعنى الشمس. وفي بعض تصانيف ابن ابي ريحان هو في لغة اليونان اسطرلابون معناه مرآة الكواكب. وبعضهم قال : واجد الكواكب. وقال بعضهم : اسطر بمعنى السطر بمعنى التصنيف ولاب اسم ولد هرمس الحكيم وهو اول من اخترع الاسطرلاب. وقيل اول من اخترعه بطليموس ويؤيد الاول ما نقل شارح مقامات الحريري عن ابي نصر الفتي : لما وسم لاب ولد هرمس دوائر الفلك في سطح مستو قال هرمس : من سطر هذا؟ قيل لاب : في جوابه فمن هذا قيل اسطرلاب. هذا حاصل ما في شرح الرسالة الطوسية (ثم قال) وقال الزنجاني انواعه خمسة الشمالي والجنوبي (وهو مثل الشمالي في العمل والهيأة الا ان دائرة الجدي هي دائرة السرطان وبالعكس) والكروي والمطبل والسرطاني (٢

ويقول الشارح في آخر الشرح المذكور انه « فرغ من تأليفه في حجة لو زيد عليها سبعة عشر وضرب جذر المجتمع في خمسة ونقص عشر الحاصل من المجذور عاد الى الاول ». وفي آخر هذا الكتاب رسالة لبدر الدين محمد سبط الشيخ جمال الدين المارديني في العمل بالربع المجيب تشتمل على مقدمة وعشرين باباً وهي ثمان صفحات

١) راجع في تعريف الاسطرلاب ما جاء في المشرق (ص ٣٠)
٢) اي على صورة الكرة والسرطان كذا في الهامش

٢٢ رسالة ﴿ في معرفة حساب منازل القمر ﴾ بأيّ نجم يُهلّ الهلال في كل شهر منها وذكر البروج الاثني عشر وقسمة المنازل عليها وكل ما فيه نظير للآخر من الشامية واليمانية وذكر سنة النجوم وزيادتها على سنة الاهلّة وما يقطع القمر والشمس من المنازل في الايام والليالي واختلاف الناس في ابتداء العدد بحلول الشمس في المنازل وذكر الفصول الاربعة وقسمة البروج والمنازل عليها وفي ايّ وقت يكون كل فصل من الشهور ومعرفة منزلة الشمس في ايّ يوم اردت من اي فصل كنت فيه ومعرفة المنزلة الطالعة والساقطة والمتوسطة ومعرفة ما مضى من الليل ومنزلة القمر وصفة منازل القمر على ما سمّتها العرب واعداد نجومها وهيآتها واختلاف اشكالها والظاهر منها والخفيّ والمنير والمنطمس واختلاف اسمائها وجهاتها والوانها ومقاديرها في رأي العين ونسبتها الى الصور المذكورة ومعرفة نزول الشمس الى البروج من كل شهر من شهور السريان. وهي ستّة اوراق ونصف قطع ربع تاريخ كتابتها سنة ١٠١٥ للهجرة (١٦٠٦ م) ومضموم اليها رسالة اخرى في خمسة اوراق تأليف تقيّ الدين (١ ابن المعروف المصريّ الراصد وهي شرح تسعة ابيات شعر من نظم المؤلف نفسه. قال في اول الرسالة بعد البسملة والمقدمة:

وبعد فهذه رسالة شرحتُ فيها الابيات التسعة التي نظمتُها في استخراج التواريخ المشهورة من التاريخ العربي وعكسه تبصرةً للطلّاب وتذكرة لأولي الالباب. اعلم انه لما كانت معرفة الزمان المنضبط بنرّة الشهر تحقيقاً اي من حين اجتماع النيّرين اجتماعاً حقيقياً او من وقت إمكان رؤيته متوقفة على معرفة تقويمها وذلك متوقف على معرفة ذلك الزمان وكان ذلك الزمان مستحيلاً لما فيه من الدور وطلبوا قطعة تجعل الشهر تقريباً ليؤخذ منهُ التقادم ثم تعرف بذلك النرّة المحققة فجعلوا المحرّم ثلثين يوماً والصفر تسعةً وعشرين يوماً وهلم جرّاً الى آخر السنة فحصل بذلك المقصود. الّا انه لمّا كان الشهر الوسطيّ واثنتي عشرة ساعة محققة مستوية واحدى عشرة درجة حصل من هذا الكسر في بعض السنين يوم كامل فاحتاجوا الى جعل ذي الحجّة في تلك السنة ثلثين ثم ضبطوا تلك الكسور فوجدوا في كل ثلثين سنة قمرية احدى عشرة سنة كبيسة وهي: ب ه ز ى ح به ح كا الد الو الط. فاهملوا ما زاد عنها من الكسور وهو ثلث ساعة وخمس سدس عشر ساعة لانهُ لا يتحصل منه يوم كامل الّا في الفي سنة ومائة وستين سنة

ثم ذكر تاريخ السريان وتاريخ الاسكندر بن فليفوس الرومي ومبدأهُ من اول

١) لم اقف على ترجمة المؤلف فيما عندي من التراجم ولعل الشرق يتحفنا بترجمته

السنة التي خرج فيها لتملكه الدنيا وانهُ ذو القرنين الثاني غير باني السدّ على الصحيح وقال « ان ايام سنته ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و١٢ درجة وخمس ونصف خمس درجة بتقريب قريب على رأي السلطان ألوغ بيك وفي كل اربع من سنيه يخلون شباط تسعة وعشرين يوماً فتبقى السنة ثلثمائة وستين يوماً ويزول الكسر تقريباً »

ثم ذكر تاريخ القبط والنصارى والفرس والجلالي وسني الملكي والفارسي الجديد وضع في زمان السلطان جلال الدين بن الب ارسلان السلجوقي. ثم تاريخ مختصر وقال انَّ بطليموس بنى اوساط المجسطي عليه . ثم تاريخ العبرانيين والرومانيين ثم ذكر معرفة غرّة الاشهر

٢٣ ﴿ كتاب مرشدة الطالب الى اسنى المطالب ﴾ نحو مائة ورقة قطع ربع بخط دقيق وكل صفحة ١٧ سطرًا وهو بغاية الضبط في علم الحساب والجبر تأليف العلّامة شهاب احمد بن الهائم اوله: « الحمد لله على التحقيق والشكر له على التوفيق كتب سنة ١٠٤٠ للهجرة (١٦٣٠ م)

٢٤ نسخة اخرى من ﴿ كتاب مرشدة الطالب الى اسنى المطالب ﴾ في الحساب كتبت سنة ٩٩٢ للهجرة (١٥٨٤ م) كتبها محمد شمس الدين المعروف بسبط الزرعي. ومجموع اليه كتاب آخر في الحساب لعليّ بن محمد بن محمد (كذا) ابن عليّ القرشيّ الشهير بالقلصاديّ الاندلسيّ السبطيّ اوله: « الحمد لله السريع الحساب مقلّب القلوب ومهيّئ الاسباب وهو بقدر كتاب المرشدة المارّ ذكره يسمى كشف الجلباب في علم الحساب . كتاب ثالث مضموم اليهما قريب الحجم من المرشدة في علم الحساب بخط مغربي غير مذكور فيه تاريخ نساخته اوله بعد البسملة:

« وبعد فانَّ اصحابنا طلبة العلم اكرمهم الله تعالى سألوني ان اقيّد لهم جملة مختصرة من مسائل الحساب وكيفية العمل فيها ببيان شافٍ من غير برهانٍ على ذلك فاجبتهم الى ذلك وسلكت فيه طريقة الشيخ الفقيه الاجل الازكى الاعدل ابي جعفر التوزري التونسيّ »

امّا المؤلف فيسمي نفسهُ في المقدّمة بمحمد شرف الدين بن احمد الهذلي الشابي المهدويّ الدار الحرساوي منشأً التونسيّ قراءةً

٢٥ ﴿ كتاب خواصّ الاحجار ﴾ لجمال الدنيا والدين شمس الدين محمد

ابن احمد صقر النسائي الدمشقي وهو ١٤ ورقة قطع ربع اوله : « الحمد لله العزيز الغفار الواحد القهار » وهو نسخة قديمة غير مذكور فيها تاريخ كتابتها

٢٦ ﴿ مختصر مفردات الراغب ﴾ بخط حسن دقيق مضبوط النقل للغاية عدة اوراقه ١٠٦ قطع ربع تحتوي الصفحة على ٢٥ سطرًا وهو في اللغة تفسير الفاظ القرآن تفسيرًا وافيًا وقلّما يذكر معنى اللفظة الّا ويذكر اصل المعنى مثلًا : « دلوك الشمس » ميلها للغروب من دلكتُ الشمسَ دفعتُها بالراحة ومنه دلكتُ الشيْ بالراحة . « الدّمغ » كسر الدماغ ومنه حجة دامغة . « الرّسل » الانبعاث على التؤدة . ناقة رسل سهلة السير وإبل مَراسيل منبعثة انبعاثًا . ومنه الرسول المنبعث وتُصُوّر منه تارة الرفق فقيل : على رِسْلك اذا أمر بالرفق . وتارة الانبعاث فاشتُقّ منه الرسول

٢٧ ﴿ مرقاة كلام العرب ﴾ ٨٢ ورقة قطع ربع خط جميل مضبوط بالشكل الكامل غير مذكور تاريخ نساخته ويظهر من هيأة ورقه انهُ كُتب منذ نحو اربعمائة سنة على الاقلّ وهو يذكر اللفظ العربي ومرادفهُ ثم يذكر ترجمة اللفظة بالفارسيّة مثالهُ « الهيأة والصورة والخلقة والشارة بيكره » . « النفس والعَرَض والجسم والجسد والبدن تَنْ » . وهو مقسّم ابوابًا والابواب فصولًا فيذكر اعضاء الانسان ثم اصناف الانسان ثم الحِرَف ثم الامراض ثم الاطعمة ثم الامتعة والاقمشة والاسلحة ويذكر الحيوان والنبات وغيرها على نحو هذا الترتيب

٢٨ ﴿ السامي في الاسامي للميداني ﴾ صاحب مجمع الامثال وهو ١٢٢ ورقة قطع ربع من الورق الكبير خط فارسي دقيق بديع جدًا وهو في نهاية الضبط والاتقان مضبوط بالشكل الكامل بكل احكام اوله :

« (بعد البسملة) الحمد لله الذي لا يتمّ امر دون حمده . ولا يبلغ وصف كُنْه قدره ومجده . (الى ان يقول) وجعلته (اي الكتاب) اربعة اقسام القسم الاول في الشرعيات وما يناسبها . والثاني في الحيوانات وما ينضاف اليها . والثالث في المُلْويّات . والرابع في السُفليات يشتمل كل قسم على ابواب وفصول ملتقطة من عدّة كتب اصول . وأعرضتُ عن الاستشهاد بالاشعار المشهورة . واقتصرت على ذكر اللغة المأثورة . وتركت الجموع الجارية على سَنَن القياس . ليصغُر حجمه في اعين الناس . هذا بعد ان اذكر منها صدرًا صالحًا في صدر الكتاب وأعقب ذكره فهرس الاصول والابواب »

وقسمه الى ٦٤ باباً وكل باب الى فصول ويأتي باللفظة العربية ومرادفاتها وجمعها وترجمتها بالفارسية مثال منه :

« الله واله خداي سزاي پرستش . الآلهة ج الالاهية . خدايى . (ثم يعد كل ما يُطلَق على الباري وغيره من الاسماء والصفات بحيث لا يغادر من ذلك شيئاً) . الازليّ والقديم والدائم والأبدُ همیشه . الآل واهل البيت وآل ياسين خاندان . الكتاب والسفر والزبر والقبطُ والصحيفة نامه . الزُبور والقطوط والصُحُف (ج) . الحرب والبأس والهيجاء والوَغَى والوقعة والوقيعة واللقاء والقتال كارزار . المأزق والمأزِمُ والمأفِط تنكناي حرب . رجل مِسْلَق ومِسلاق وسلّاق وسليق قوي سخن . بقّاق وبقباق وثرثار ومكثار ومُسهب بسيار كوي . العنق والجيد والرقبة والمادي والكرد والمَرَاد والتليل كردن »

ومما ذكره المؤلف مستوفى مـا جاء مثنى من الاسماء ثم الاتباع والمزاوجة وما يكون للكلمة الثانية معنى وما لا يكون ثم ما اتفق لفظه وافترق معناه وقال في اخره انه فرغ من تأليفه سنة ٤٩٧ (١١٠٣م) ولم يذكر في هذا الكتاب تاريخ نساخته ويشبه ان يكون نُسخ منذ اكثر من اربعمائة سنة

٢٩ ﴿ كتاب النوادر في اللغة ﴾ تأليف ابي زيد الانصاري وفي آخره كتاب مسائية في اللغة ايضاً بخطّ محمد بن المكرَّم بن ابي الحسن بن احمد الانصاري الخزرجي الكاتب مؤلف كتاب لسان العرب قال في آخره : « فرغ من تعليقه ابو عبدالله محمد بن المكرَّم بن ابي الحسن الانصاري الخزرجي الكاتب عفا الله عنه بالمزيّة القاهرة حماها الله تعالى بكرمه وصانها في سنة ٦٧٥ (١٢٧٦ م) ثم يقول : « نُقلت هذه النسخة من نسخة بخط مولانا السيد الشريف تاج الشرف ابي عبدالله ابن السيد الشريف ابي القاسم عبد الرحمان بن عليّ الحسيني الحلبيّ . رضي الله عنه » . وهو مضبوط بالشكل الكامل على الهامش ذكر الروايات التي في نسخ اخرى من هذا الكتاب وهو نحو مائتي ورقة قطع ربع بخط دقيق جميل . وهذا هو الكتاب الذي طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة بعناية المرحوم الاستاذ اللغوي سعيد الشرتوني فبنى طبعهُ على نسختنا

٣٠ ﴿ شرح شافية ابن الحاجب ﴾ في الصرف تأليف الامام عبدالله بن محمد بن احمد الحسيني وهو ٢١٦ صفحة بخط دقيق مضبوط بما يحتاج اليه من الشكل في كل صفحة ١٣ سطراً كتبت هذه النسخة سنة ١٠٦٦ للهجرة (١٦٥٥ م) عن

نسخة كتبت عن نسخة كتبت عن نسخة كتبت عن النسخة التي كتبت بخط المؤلف

٣١ ﴿كتاب ربط الشوارد في حلّ الشواهد﴾ وهو شرح شواهد شرح التصريف للعلّامة رضي الدين محمد بن ابرهيم بن يوسف الشهير بابن الحنبلي . وفي ظهر اول صفحة من الكتاب بخط فارسي جميل جدًا ما يأتي بلا نقط: « هذه نسخة جليلة نادرة وهبها المولى الفاضل الفاصل بين الحقّ والباطل مولانا الشيخ محمد السروبي (١ الشافعي للفقير محمد بن اسحاق قاضياً بثغر دمياط وسكور (كذا) ومضافاتها نسخ هذا الكتاب سنة ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م) وهو ٥٤ صفحة قطع ربع من الورق اوله : « نحمدك يا من ليس لهُ مثال ولا لمزيد برّهِ نقص ولا زوال ». امّا متن التصريف فهو للزنجاني وشرحهُ للتفتازاني

٣٢ رسالة ﴿في الاستعارات﴾ ورسالة ﴿في البلاغة﴾ لابي الليث ورسالة ﴿في بيان المجاز﴾ للعلّامة عصام الفها بالفارسيّة وتُرجمت الى العربية ولم يذكر اسم المترجم . ورسالة بخط فارسي جميل للغاية شرح خمسة ابيات نظمها صدر الشريعة جمع فيها اجر الشعر العربي اولها: « الحمد لله الذي منح اهل العلم بكامل انعامه وسريع احسانه » والشارح غير مذكور اسمه في هذا التأليف وكل هذه الرسائل مجموعة في مجموع يبلغ نحو مائة ورقة قطع ربع وبعضها مذكور فيه انه نُسخ سنة ١١٧٥ للهجرة (١٧٦٠ م)

٣٣ ﴿شرح لامية العرب﴾ خطّ جميل جدًا والمتن مضبوط بالشكل الكامل والشرح مضبوط بالشكل المحتاج اليهِ ضبطاً دقيقاً وهو شرح مطوّل نحو ١٥٠ ورقة قطع ربع غير مذكور فيه اسم المؤلف ولا تاريخ نساخته ويشبه ان تكون هذه النسخة مفردة وانها أُلفت وكتبت منذ اكثر من ثلاثمائة سنة اوّله :

ابلغ كلامٍ رصّعتهُ يراعة . وانبغ نظامٍ رصّفته براعة . شكر من انطق اللسان بالكلم النوابغ . وطوّق الانسان بالنعم السوابغ . (الى ان يقول في المقدمة) ولما تحلّيت بما حلا وراق . وجنيتُ اليانع من ثمرات الاوراق . حملق اليّ الدهر حملقة المحارب او الحريب وطوى عني كشحهُ فعل المستريب . . .

ثم ذكر هذه القصيدة فقال: « وهي وان شرحها حبر بعد حبر . ووشحها همام

١) هذه اللفظة يمكن ان تقرأ البتروني والبيروني والبيروتي

إثر همام بوشاح درّ . لم تبرح فريدة مكنونة . وخريدة في خدرها مصونة » . ثم ذكر ان شرحها المنسوب الى الزمخشري فقال « ان نسبة ذلك الشرح اليه فِرْيَة . وافك ما فيه مِرْيَة » . ثم ذكر الشعر وتعريفه ثم ترجمة الشنفرى ثم قال :

« قال القالي في اماليه . لاميّة العرب من المقدّمات في الحسن والفصاحة والطول . وكان ناظمها اقدر الناس على قافية . وقال ابن هشام : كان اهل الادب يقولون اولى ما تُراض به الابناء لاميّة العرب والسبع الطوال فانها تفتق الالسن بالفصاحة وتهذّب الاخلاق وتزيد في العقل . قال عبد القادر البغدادي : وقد شرحها جماعة منهم الخطيب التبريزيّ والزمخشريّ وابن الشجري وابن اكرم

(ثم قال) وقد وقفت على الثاني (اي شرح الزمخشري) وعلى شرح ابن الشجري فوجدته صغيرًا في نحو الكرّاسة وستقف على ما في الشرحين من الاوهام »

٣٤ ﴿ تحكيم العقول باقوال البدر بالنزول ﴾ تأليف العلّامة علاء الدين اقبرس (؟) «وهو ردّ على بدر الدين الدماميني وتخطيئته في تأليفه الكتاب المسمّى بنزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم مخطّئًا الصلاح الصفدي في شرحه لامية العجم » يبلغ نحو ١٥ ورقة قطع ربع كُتب سنة ١٠٢٣ للهجرة (١٦١٤ م) وفي آخره تقريظ لشيخ الاسلام شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني وآخر للشيخ زين الدين ابي بكر ابن العجمي وآخر للشيخ شمس الدين الزركشي مطوّل وآخر للشيخ احمد بن عبد الوارث الصديقي . وهو يحوي فوائد ونوادر لغوية ونحوية وبيانية وشواهد نفيسة شعرية . ولنا كلام آخر يتعلّق بهذا الكتاب نكتبهُ في فرصة اخرى ان شاء الله تعالى

٣٥ ﴿ ميزان الادب لعصام ﴾ مختصر في النحو والمعاني والبيان نحو ٩٠ ورقة قطع ربع بخط جميل دقيق كتب سنة ١١٧٢ الهجرة (١٧٥٨ م)

٣٦ ﴿ شرح المعلقات السبع للزوزني) نسخ سنة ٦٠٦ للهجرة (١٢١٠ م) وفي آخره شرح قصيدة النابغة الذبياني المشهورة : « يا دار ميّة بالعلياء فالسَّنَدِ » للزوزني ايضاً نُسخت في التاريخ المذكور وكلا الشرحين غاية في الضبط

٣٧ ﴿ شرح شواهد المفصّل ﴾ في النحو خطّ نسخي بديع على ورق جميل ١٦٠ ورقة اوّله : « الحمد لله الذي فضّل الانسان بفضيلة البيان وشرّفه بشرف النطق وفصاحة اللسان » . ويذكر البيت واللغة والمعنى والاعراب ولم يُذكر فيه اسم المؤلف

ولا تاريخ نساخته. وفي آخره رسالة نحو ١٥ ورقة لراءة بالك سروري (كذا) في شرح امثلة في الصرف قال انهُ « ألّفها في اوائل الشباب ثم اضاعها مدة من الدهر ثم عثر عليها » وتلك الامثلة التي شرحها غريبة في بابها فانها في التصريف والاعلال تصير كأنها خارجة عن العربية

٣٨ ﴿ شرح ابيات الايضاح والمفتاح ﴾ قطع ربع بخط دقيق نحو مائتي صفحة غير مذكور فيه تاريخ نساخته ولا اسم مؤلفهِ ويشبه ان يكون نسخ منذ خمسمائة سنة على الاقل اوله: «الحمد لله المؤيد بحسن توفيقه. الهادي بادلّة الطافه الى طريقه». وهو نسخة جليلة مضبوطة وكل صفحة منه ٢١ سطرًا

٣٩ ﴿ كتاب نشر اليراعة ﴾ ٢٢ ورقة قطع ربع بخط رفيع يسمى « خير الكلام في التقصّي عن اغلاط العوام » للمولى علي چلبي قاضي مرعش نسخ سنة ٩٧٨ الهجرة (١٥٧٠ م). ويحتوي ايضاً على الرسالة القلمية لعلي افندي الشهير بجنائي زاده والرسالة القلمية لطورسون زاده والرسالة القلمية لمحمد چلبي افندي الشهير بغني زاده والرسالة القلمية لام الولد زاده والرسالة القلمية للمولى چلبي الشهير بقره محمود چلبي والرسالة القلمية للطفي بك زاده. وهذه الرسائل تتضمن وصف القلم بعبارات بليغة مسجعة ومنها ما هو موازنة بين القلم والسيف

٤٠ ﴿ مقامات الحريري ﴾ وعليها في الهامش شرح الكلمات اللغوية المحتاجة للتفسير ومكتوب على هامش المقامة السابعة والثلاثين ما يأتي: « قرأ عليَّ المولى مؤيد الدين احمد بن القاضي شرف الدين بن الزنكي كاتب هذه النسخة من اول المقامات الى آخر السابعة والثلاثين قراءة فهم وتدبّر وذلك في مجالس آخرها ١٨ من جمادى الاولى سنة ٧٢٢ وآخرها بسندي فيها الآتي ان شاء الله عند ختم الكتاب. كتبهُ محمد زنكي شادى الغانم » وهذه النسخة مضبوطة بالشكل الكامل. وعلى الهامش مؤاخذات على الحريري من ذلك قول الحريري في المقامة السابعة والثلاثين « فسقط الفتى في يدهِ » قال في الهامش: « انه كناية عن الندم وذكرُ الفتى هنا خطأ اذ ليس المعنى ان الشيء يسقط في يد نفسهِ وانما المعنى سقط الندم في يد الفتى »(١. وفيه

١) راجع شرح ده ساسي فان فيه كلاماً مشبهاً في هذه الجملة

بيان اصل اشتقاق كثير من الالفاظ من ذلك قول الحريري في المقامة الثامنة والعشرين: « فرأيتها بكرة عروبة » قال في الهامش : عروبة يوم الجمعة سميت بذلك لظهورها واشتهارها واصلها من الاعراب وهو البيان والظهور » (١) . ومنه في شرح المقامة الثانية والعشرين قول الحريري «والمهيمن على العمال» قال في الهامش: المهيمن الامين واصله مؤتمن من الامن لفظه لفظ المصغر وليس بمصغر والذي جاء من ذلك الفاظ يسيرة »

٤١ ﴿ مقامات الزمخشري وشرحها له ﴾ بخط فارسي دقيق جميل مضبوط للغاية نسخ سنة ١٠٨٢ للهجرة (١٦٧٠ م)

٤٢ ﴿ ديوان يوسف افندي الكريمي ﴾ عاش في القرن العاشر للهجرة وهو نحو ستين ورقة بخط حسن قطع ربع اوله : « الحمد لله الذي اخرج منه قرائح ذوي النباهة والزكن » اول قصيدة منه :

نأى والاماني الكاذبات بي تدنو بديع جمالٍ من محاسنه الحسنُ

وفيه قصائد لشعراء العصر ارسلت للناظم منها ابتداء ومنها ارسلت اليه جواباً

٤٣ ﴿ ديوان شهاب الدين احمد الفيومي المسمى بكرامات الولي ﴾ وهو نحو مائة ورقة قطع ربع كتب سنة ١١١١ للهجرة (١٦٩٩ م) اوله : « الحمد لله وليُّ الحمد ومستحقُّهُ »

فن شعره ملتزماً الجناس في كل مصراع :

بي بعقود الوصل حلّت وحلّتِ وحلّت لقلبي الصبرَ اذ بيَ حلّتِ
اراها اراها البين مرآة نوعتي تصدّت فرامت قتلتي وتصدّتِ

ومنها :

غزالَ الصفا من بعدك العيشُ ما صفا ولا طاب لي مذ قيل عزّةُ عزّتِ
اما لكَ عن صدٍ اما لك عن صدٍ فتيٍ وكهلٍ في المحبّة ما فتي

٤٤ ﴿ كتاب شذور الذهب ﴾ وهو ديوان شعر من انشاء الشيخ الامام العالم العلّامة برهان الدين ابي الحسن علي بن موسى بن ابي القاسم ابن علي

---

(١) وفي شرح دي ساسي انه تعريب أربا النبطية اه . وهي في السريانية ܥܪܒܐ

الانصاري (١ ١٢٠ صفحة قطع ربع كبير نظمه المؤلف في علم الكيمياء القديمة وتفنّن في نظمه فاظهره بمظهر الغزل والحماسة والزهد وغير ذلك وهو من بديع النظم ونظن ان هذه النسخة لا ثاني لها في الضبط والاحكام ولم يذكر فيها تاريخ نسخها ويظهر من قدم ورقها وهيأة الخط انها كتبت منذ اكثر من ٦٠٠ سنة وقد وقفتُ على نسخة من هذا الكتاب في دمشق في مكتبة الملك الظاهر وهي مشحونة بالغلط واخرى في بعض المكاتب نظيرها في الغلط . وعندي واحدة بخط المرحوم السعيد الذكر المثلث الرحمة المطران جرمانس فرحات الشهير وهي كثيرة الغلط والتحريف حتى ان جملة ابيات فيها لا محصّل له وقد عني المرحوم المشار اليه في اتقانها وكتابتها على ورق نفيس لاعجابه بنظمها وهو مع كثرة تنقيبه لم يظفر بنسخة صحيحة . ولا باس من ذكر مثال من هذا الديوان ليعلم مبلغ اقتداره في الشعر وبلاغته قال على قافية القاف :

اذا افترّ من جَوْن الغمائم بارقُهْ ... بكى الوَدْقُ من خَبْث الانامِ وادقُهْ
بدمعٍ كأنَّ الريح تنثر لؤلؤًا ... على خدّ روض سندسيّ حدائقُهْ
لدى طللٍ قد كان بالبيض ناطقًا ... فاخرس من بعد الفصاحة ناطقُهْ
تُحلّي بهِ ورقاؤه طوق جيدها ... وينفضُه من عن جناحيه ناعقُهْ
فيالكَ من روض كستْهُ يدُ الحيا ... مُنوّنةً تأبى سواها عواتقُهْ
هي الوشيُ لا ما احكم الفرسُ نسجَهُ ... بصنعاء مما يقصُر الطرفَ رائقُهْ
ورياضٌ حكتْ ملتفَّها العينُ فاغتدى ... يُمثّل شخصَ العينِ للعينِ آنقُهْ
يُؤجّجُ نارَ النَّورِ بَردُ ظلالهِ ... ويدفعُ حرَّ الشمس بالظلّ وارقُهْ
كأن ثغورَ الباسماتِ اقاحُه ... ضحىً وخدود الغانياتِ شقائقُهْ
كأنَّ الذي يحسرُ من زهراتهِ ... ويسفرُ مشوقٌ تلقّاه عاشقُهْ
كأنَّ عيون النرجس الغضّ اضمرت ... لهُ حسدًا في الحبّ فهي رواقُهْ
كأن الذي يُخفى من النَّور نبتُهُ ... باكمامه رمزٌ توارت حقائقُهْ

١) الاندلسيّ الجياني نزيل فاس ولي خطابة فاس لم ينظم احد في صناعة الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ وفصاحة الفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه انه ان لم يملك صناعة الذهب ملك صناعة الادب وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء توفي سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧م)

كأنَّ سنى الماء في جَنَباتِهِ جرى بين قضبان الزبرجد دائبُهْ
كأنَّ تلالَ الدوح فوق غديره ترائب مزرورٌ عليها بنانُهْ
كأنَّ غصونَ الآس عند اهتزازها يُجاذبُ بعضٌ بعضها ويُبانِنُهْ
كأنَّ التفاف اللدن منها بمثله وداعُ محبٍّ ضمَّ الفًا يُفارِقُهْ
كأنَّ ثراها عنبرٌ طاب فاكتفى بنفحتهِ عن مسكِ دارينَ ناشقُهْ
كأنَّ بياضَ الشمس يطوي سوادَهُ كما نشر الإصباحَ في الليل فاتقُهْ
كأنَّ غلاماً من بني الزنج جرَّدت لتصيده سِحاً عليه بطارقُهْ
كأنَّ رُبى بطحانها تحت مُزنِهِ عرائسُ مضروبٌ عليها سُرادقُهْ
كأنَّ شذاها حين تنسجها الصَّبا من المسك ما ابدى من العَرف فاتقُهْ
كأنَّ بها غبَّ السماء بغاياً يُنَشِّرُ فيها رَيطَهُ ونَمارقُهْ
كأنَّ بقايا المزن في رَيِّق الحبا تُطيلُها من نخل مَلهمَ باسقُهْ
كأنَّ ذرَاها حين صوَّح نبتُها فتى اشمات نارَ المشيب منارقُهْ
كأنَّ الرسوم الدارسات خلالها رمائمُ اموات يكنها برارقُهْ
سألْ غابَ البدرُ عنها فأظلمت مناربُه من ليلها ومشارقُهْ

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذُكر. ومن ظريف نظمه قولهُ في اثبات الكيميا بطريق البرهان قال:

وان كُنتما في ريبةٍ منه قاسما قياساً وبُرهاناً من الصُبح أنورا
الم تَرَيا أنَّ النِذاءَ تُبيدُه حَرارتُنا بعد ايضاضٍ تحمَّرا
دماً قانياً حتى اذا ما تمخَّضت به النارُ في اصلابنا وتمدَّرا
وصار دماً من بعد أن كان نُطفةً تكامل حتى صار خلقاً مصوَّرا
فحرَّكه بعد اتساع فراره تَضايقهُ عند التمام ليطهرا
وكان نباتاً يملأ العينَ حُسنَهُ فهاج الى ان صار في العين اصفرا
ومن قبل ما قد كان يذرًا مكوَّناً يجمع الهوى والماء والنار في الثرى
تردَّد في الاطوار حتى تمكَّنت بطينته روحُ الحياة ليُنشرا
كذا في ثرى احجارنا الذهب الذي يكون اذا ما قيس بالنضر انضرا
كما كان بالامكان في الدم نُطفةً فصار به حيًّا مريداً مفكرا

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٥ مفردات نصارى العرب الدالَّة على رؤسائهم ورهبانهم

وكان للنصارى في جزيرة العرب كما في بقيَّة البلاد نظامهم الديني ورُتَبهم من رؤساء ومرؤوسين يسوسهم الرُّعاة وزعماء الدين . ويمتاز بينهم العبَّاد والمنقطعون لخدمة الله في الرهبانيَّة . والدليل على ذلك الفاظ متعدّدة وردت في آثار عرب الجاهليَّة تشهد على قولنا شهادةً واضحة

فمن الفاظهم التي استعملوها للدلالة على رئيس النصارى (الأَبيل) وقد اتَّخذوهُ للدلالة على السيّد المسيح كما ورد في البيت المنسوب للاعشى وللاخطل ولابن عبد الجن :

وما سبَّح الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ايلُ الايلينَ المسيحُ بن مريما

قال في لسان العرب (١٣ : ٦) « وكانوا يعظِّمون الأَبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله » . وهذه اللفظة سريانيَّة أَحْمَلُلا (من فعل أَحْلا اي ناح وبكى على خطاياهُ) ومعناها في السريانيَّة الزاهد والناسك والراهب وكانوا يتَّخذون عادةً رؤساءهم من الرهبان المتبتلين

ومن الفاظهم الخاصَّة برئيس النصرانيَّة « البَطْرَك » « والبِطْرِك » على ما جاء في التاج (٧ : ١١١) قال : « هو مقدَّم النصارى . وقال : البطرك هو البِطْريق ومنهم من جعل البطريق مقدَّم جيش الروم » والصواب انَّ البطرك كلمة يونانيَّة (Πατριάρχης) معناها ابو الآباء امَّا البطريق فلفظة لاتينيَّة (Patricius) . وقد جاء اللفظان في الشعر القديم قال الراعي يصف ثورًا (لسان العرب ٧٢ : ٢٨١) :

يلو الظواهرَ فردًا لا أليفَ لهُ مَشْيَ البطريكِ عليهِ رَبْطُ كتّانِ

وقال امية بن ابي الصلت في البطريق (التاج ٦ : ٢٩٦) :

من كل بطريقٍ لِبطْريقٍ نقيّ الوجهِ واضحْ

وكذلك انشد ابن بريّ (اللسان ١١ : ٢٠٣) :

فلا تكرونني انّ قومي اعزّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

ومن الناظهم (الجاثليق) وهو دون البطرك واصل الكلمة من اليونانيّة ومعناها المسكوني (Καθολικός) وقد استعملوهُ لرؤساء النساطرة والارمن قال صاحب القاموس : « هو رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام ... ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثمّ المطران تحت يدهِ ثمّ الاسقف يكون في كلّ بلد من تحت المطران ثمّ القسيس ثمّ الشمّاس ». وقد ورد اسم الجاثليق في شعر بكر بن خارجة (معجم البكري ص ٣٧١) :

بمارةَ مريمَ وبدير زكّى وبَرْ توما ودير الجاثليقِ

امّا (المطران) فأصلها على هذه الصورة من السريانيّة ܡܛܪܢܐ او ܡܛܪܢܠ والسريان اختصروها من ܡܛܪܘܦܘܠܝܛܐ اليونانيّة (μητροπολίτης) ولم نجدها في الشعر القديم

واشيع من المطران عند العرب (الأُسْقُف) زعم ابن السكيت انهُ مشتقّ من السَّقف وهو طول في انحناء وهو تأويل غريب. والصواب انهُ مشتق من اليونانيّة (ἐπίσκοπος) بواسطة السريانيّة ܐܣܩܘܦܐ. وقد وردت اللفظة في الكلام القديم. روى ابن سعد في كتاب الوفود في شروط محمّد الى اهل نجران : « لا يغيّر أُسقف عن اسقفيّتهِ ولا راهب عن رهبانيّتهِ ولا واقف عن وقفانيّتهِ ». وكذلك روى البكريّ في معجم ما استعجم للحسين بن الضحّاك يصف دير العُمْر (ص ٧٦٩) :

عجّت اساقفها في بيت مذبحها وعجّ رهبانها في عرصة الدارِ

ومن الناظهم الدالّة على رؤساء النصارى (الحَبْر) ويقال الحِبْر واصلها العالِم. ثمّ خصّوها بكبير النصارى واستعملوها ايضًا لغيرهم. قال ابن بن خُرَيم يذكر خمر التقديس (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المُبَيْنِمُ نارَها طروقًا ولا صلّى على طبخها حَبْرُ

وجاء في الجمهرة :

او زُبر حِمْيَرَ بينا احبارُها بالحيرة في عسيبٍ ذابلِ

وروى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٨٥) قول الشاعر :

لو كنتُ مرتَهَناً في القُوسِ أفتَنَني منها الكلامُ وربّانيّ أحبارِ

قال ابن هشام القُوس صومعة الراهب والربّاني مشتقّ من الربّ اي السيّد ومثلهُ الحبر بمعنى «السيّد العالم» . وجاءت الحبر بمعنى العالم من اليهود او كبيرهم ومنهُ كعب الأحبار . ويشبهُ قول الشمّاخ (اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطّ عِبْرانيّةً يمينٌ بتيماء حبرٌ ثمّ عرّض اسطرا

وكما دُعي رؤساء النصارى بالاحبار دعوهم ايضاً (بالأرباب) . قال حُميد بن ثور (المخصّص ١٢ : ٨٧) يصف بعيراً يطأطئ برأسهِ ليُركَب :

فُعولَ ازمّتها أسجدتْ سجودَ النصارى لأربابها

وروى في التاج (: ٣٧١) : « لأحبارها »

ومن الالفاظ المختصّة برئيس النصارى عند العرب (الساعي) . قال في التاج (١٠ : ١٨٧) : « الساعي لليهود والنصارى رئيسهم الذي يصدرون عن رأيهِ ولا يقضون امراً دونهُ . وبالمعنيَين فُسّر حديث حذيفة في الامانة ان كان يهودياً او نصرانياً ليردّنّهُ على ساعيهِ »

وممّا ذكرهُ اللغويون (القَسطوس) قال في التاج (٤ : ١٩٢) : « هو رأس النصارى واللفظة رومية » لم يمكننا ردّها الى اصلها ولعلّها مصحّفة

ومنها (القسّ) شرحهُ اصحاب المعاجم برئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم واللفظة سريانيّة قَسّا اي شيخ وتأتي على وزن فَعيل قَسْقَسْ ومنها القسّيس في العربيّة . قال جرير في القسّ (المعرّب للجواليقي ص ٣٩) :

صبّحن تُوماء والناقوسُ يقرَعهُ قسُّ النصارى حراجيجاً بنا تَجِفُ

قالوا تُوماء من اعمال دمشق . ورواية معجم المستعجم للبكري (١ : ٢١٥) : ثُوماء . قال ثُوماء ماء لكندة . وروى في لسان العرب (١٤ : ٣٤٣) : « صبّحن تَيماء » . ومن الشواهد في القسّ قول الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرفت لا يرثي قس أشعث في بيكنه مندس حن اليها كحنين الطس

ومنه اسم قس بن ساعدة خطيب العرب واسقف نجران. ومما ورد في القسيس قول عبدالله بن زبير لحجار بن ابجر العجلي (الاغاني ١٣ : ٤٧) يقرعه في نصرانيته :

وعندك قسيس النصارى وصلبها وغانية صهباء مثل جنى النحل

وجمعوه على قساقسة . قال امية بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢٠٧) :

لو كان منفلت كانت قساقسة بجيهم الله في ايديهم الزبر

والاسم من القس (القسيسية والقسوسة) وفي الحديث « لا يغير قسيس من قسيسيته » واللفظة مشتقة من السريانية ܩܫܝܫܐ وبنى منها العرب فعل قس

ودون القس (الشماس) عرفه ابن سيده في المخصص بقوله (١٣ : ١٠٠) : « من رؤوس النصارى يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة » . واللفظة سريانية ܫܡܫܐ اي خادم البيعة . وقد تسمى بعض العرب بالشماس كما ورد في الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي حماسة ابي تمام (ص ٢٥٥) . وجمعها خلف بن خليفة (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨ ed. Goeje) على شماميس فقال :

كأنا شماميس في بيعة تقسس في بعض عيدانها

وجمعها البحتري على شمامس حيث قال (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣) :

بين شمامس وقسوس

ومن الالفاظ التي وردت في المعاجم لرتب النصارى الواقف والواقه والواهف . (فالواقف) على ما ورد في لسان العرب والقاموس والتاج خادم البيعة مشتقة من وقف النصراني وقيفى اذا خدم البيعة ونقل في التاج (٦ : ٢٦٩) الحديث في كتاب محمد لاهل نجران « ان لا يغير واقف من وقيفاه » (قال) : « الواقف خادم البيعة لانه وقف نفسه على خدمتها » . وروى ابن سعد (ed. Wellhausen. ٧٧) « من وقفانيته » . و (الواقه) قيم عرفوه « بقيم البيعة التي فيها صليب النصارى بلغة اهل الجزيرة » التاج (٩ : ٤٢١) . وروى الحديث السابق : « لا يغير واقه من وقهيته » . والوقاهة كالوقهية والواقه بالقاف كالواقه وروى الحديث ايضاً : « ولا واقه من وقاهيته » . ومثلها (الواهف) قال في التاج (٦ : ٣٧٣) : « الواهف سادن

البيعة التي فيها صليبهم وقيمها كالرافه وعملها الرِّهافة بالكسر والفتح والرُّهفيَّة والهَنْيَة. وقد رَهَفَ يَهِفُ رَهْفاً ورَهافةً. وقال ابن دريد في المخصَّص (١٣ : ١٠٠) : « الرافه مقلوب عن الراهف »

ومثل الرافه (السَّاعور) شرحها في التاج (٣ : ٣٦٨) : « مقدَّم النصارى في معرفة علم الطبّ وادواته واصلهُ بالسريانيَّة ساعورا ومعناهُ متفقِّد المرضى ». والساعور (صُهْدُوْل) في عهدنا تُقال في الجزيرة لقيّم البيعة وفي مصطلح السريان يُراد بها المدبّر والزائر مطلقاً

واكثر ما تعدَّد عند العرب من المفردات النصرانيَّة الالفاظ الدالَّة على الرُّهبان ومساكنهم . فمنها (الأَبيل) التي مرَّ ذكرها ومعناها الزاهد والراهب . وقد ذكرنا اصلها السريانيّ . ومن غريب التأويل ما ذكرهُ في التاج (٧ : ١٩٩) : « الابيل الراهب سُمّي بهِ لِتأبُّلهِ عن النساء وتَرْكِ غشيانهنّ قال عديّ بن زيد :

. أتى رافه فأقبَلْ حِلفتي بأيلٍ كلَّما صلَّى جأرْ

وقال ابن دريد : هو ضارب الناقوس وانشد :

« وما صكَّ ناقوسَ الصلاةِ ايلُها »

ومثل الأَبيل (الأَيْلِيّ والأَيْلِيّ والهَيْلِيّ) وكلّها بمعنى واحد اي الراهب ولعلّها مقلوبة عن الابيل . قال الاعشى :

وَمَا أَيْلِيٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

واشهرُ من الابيل والايليّ (الرَّاهب) فأكثرَ من ذكرهِ شعراء العرب قال الاعشى (تاج العروس ١ : ٢٨) يحلف بمسوح الرهبان والكعبة :

حلفتُ بثَوْبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمُضَاضُ بن جُرْهُمِ

اراد بثوبَيهِ مسحَيْهِ كما قال جرير (التاج ٨ : ٦٩ وسيرة الرسول ٣٨٥) :

لا وَصْل اذ صرمَت هندٌ ولو وقفَتْ لاستفتَتْني وذا المسحَيْنِ في القُوسِ

وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨٩) بيت الاعشى : « بثوبَيْ راهب الطور » وروى ايضاً « وثوبَيْ راهب اللُّجِّ » (راجع المفضَّليَّات (ص ٤٨ ed. Lyall) واردف البكري قائلاً : « قيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام بقولهِ راهب اللجّ . . . والتي بناها قُصَيّ يعني مكَّة »

وكان رهبان جزيرة العرب يسكنون في البلاد واعالي الجبال كما يشهد عليه بيت انشده ابن الاعرابي (التاج ١ : ٢٨١) :

لو كلّمتْ رُهبانُ دير في القُلَل ... لانحدر الرُّهبانُ يسعى فنزلْ

قالوا الرُّهبان هنا مُفرد كالراهب . وقال ربيعة بن مقروم الضبّي يصف مقام الراهب ونسكهُ (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لو انما عرضت لأشمطَ راهبٍ ... في رأس مُشرفةِ الذُّرى متبتّلِ
جثّارِ ساعات النيام لربّهِ ... حتى تخدّد لحمهُ مُتشمّلِ
لصبا لبهجتها وحُسن حديثها ... ولهمّ من ناقوسهِ بتترّلِ

والمتشمل المتغنّي في تلاوة الزبور . قال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١) :

وبربٍ ناد لو رآهنّ راهبٌ ... لهُ ظلّةٌ في قُلّةٍ ظلّ رانيا

يقال رنا اليه اي طرب لحديثه . وممّا وصفوهُ وافاضوا في ذكرهِ مصباحُ الراهب الذي يوقدهُ ليلًا لصلاتهِ فيُرى عن بُعد ويستهدي بهِ طارق الليل . قال امرؤ القيس في معلّقتهِ يصف لمعان البرق ويشبّههُ بسراج الراهب عند صبّهِ الزيت على الفتيلة ليذكيهُ :

أصاحِ ترى برقًا أُريكَ وميضهُ ... كلمعِ اليدَين في حبيٍّ مكلّلِ
يُضيء سناهُ او مصابيحُ راهبٍ ... أمال السليطَ بالذُّبالِ المُفتّلِ

ومثلهُ قول كُثيّر (اللسان ١٥ : ١٧٩) :

او مصابيحَ راهب في يَفاعٍ ... سفّهَ الزيتَ ساطعاتِ الذُّبالِ

وقال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١) :

نظرتُ اليها والنجومُ كأنّها ... مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّالِ

قال الشرّاح : القفّال عبّاد النصارى لانهم قفلت جاوردهم اي يبست من العبادة . وقال المزرّد اخو الشمّاخ (عن ديوانهِ المخطوط) :

كأنّ شعاع الشمس في حُجُراتها ... مصابيحُ رُهبانٍ زهتها القنادل

وذكروا لبس الرهبان للسواد قال الاعلم (في الهذليّات ص ٥٧) يصف قتمة جلد الضباع :

سودٍ سحاليلَ كأنّ جلودهنّ ثيابُ راهبْ

وقد وصفوا الرهبان بالتبتّل . قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٤٨) :

تُضيءُ الظلامَ بالعشاء كأنّها منارةُ مُمسى راهبٍ مُتبتّلِ

والصَّرورة مثل المتبتّل (١ قال النابغة الذبياني (ديوانهُ في العقد الفريد ص ١١)

لو انّها عرضت لأشمط راهبٍ عَبَدَ الالهَ صَرُورةٍ متعبّدِ
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالهُ رُشدًا وان لم يرشدِ

كذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتشعُّث لُمَّتهم زهدًا واصوامهم . قال منظور الاسديّ (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢ ولسان العرب ١٣ : ٦) :

كأنّ سواهُ على الكَلْكَلِ مَوْقِعُ كفَّيْ راهبٍ يصلّي
ببازلٍ وَجناء او عَيْهَلِ في غَبَشِ الصُّبح او التنلّي

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

عن راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ صادي النهارَ لليلهِ متهجّدِ

القَهَل يُبْس الجلد من العبادة . والتهجّد السهر للصلاة . وكانوا يتلون الزبور خصوصاً في صلاتهم كما قال امرؤ القيس يصف رسوم الدار (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) :

أتت حججٌ بعدي عليهِ فأصبحتْ كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وكما افاضوا في ذكر الرهبان كذلك بيّنوا منازلهم في بلاد العرب فخصُّوا منها بلاد مَذْيَن قال كثيّر عزّة (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَذْيَنَ والذينَ عهدُهم يبكون من حَذَرِ العقاب قُعودا
لو يَسْمعونَ كما سمعتُ كلامها خرّوا لعزّةَ رُكَّعًا وسجودا

وقال جرير (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مَذْيَنَ لو رأوكِ تنزّلوا والعُصْمُ من شَعَفِ الجبالِ النافرِ

وكذلك خصّصوا وادي القرى كناسك للرهبان قال جعفر بن سراقة احد بني قرّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعذرةَ اذ تلقى يهودًا وبَعْثَرا

---

١) وفي الحديث . « لا صرورة في الإسلام » قال الزجاجيّ معناهُ التبتُّل وترك النكاح

منناهُ من عليا معدٍّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين فرحٍ وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

وكذلك عيّنوا مَوْزَن وهو بلد بالجزيرة في ديار مُضر كاحد مناسك الرهبان. قال كثيّر (راجع التاج ٣ : ١٩٩ وياقوت : ٤ : ٦٨٠):

كأنهمُ قصرًا مصابيحُ راهبٍ بمَوْزَنَ رَوَّى بالسليط ذُبالها
هم اهلُ الواحِ السريرِ وبُنْيِهِ قرابين اردافًا لها وشمالها

قصرًا اي عشيًا . والسليط الزيت كما مرّ . وعدّد صخر الغيّ (لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذليّات ص ١٢) امكنةً اخرى يسكنها الرهبان كبلاد الروم ومنازل تنوخ وحوران وزَبَد. قال :

والله لو اسمعتْ مقالتَها شيخًا من الشُّعْثِ رأسُهُ لَبَدُ
بأبهُ الرومُ او تنوخُ او م الآطام من صَوْرانَ او زَبَدُ
لَنَاتَحَ البَيْعَ يوم رؤيتها وكان من قبلُ يَمْمُهُ لَكَدُ

فذكرُهم للرهبان في كلّ هذه الامكنة يؤيد قولنا في القسم الاوّل عن شيوع النصرانيّة في انحاء جزيرة العرب

وكانوا يدعون الرهبان بالحُبساء. و (الحبيس) في المعاجم المحبوس في سبيل الله اي المُفرَز لذلك فيقولون حبيس الله (١

وكذلك دعوا الرهبان (بالحُنَفاء). وقد مرّ لنا كلام في الحنيف في القسم الاوّل من كتابنا (ص ١١٦) حيث اثبتنا انّ الحنيف جاءت بمعنى الراهب. كفى شاهدًا على ذلك قول صخر الغيّ في الهذليّات (ص ٤٥ ed. Kosegarten) :

كأنّ تواليهُ بالمَلا نصارى يأتون لاقوا حنيفا

ومن اسماء الراهب عند العرب (الدَّيْرانيّ) قالوا انهُ صاحب الدير نسبةً اليه على شذوذ والصواب انهُ من السريانيّة دَمْدَمُل . ومنها ايضًا (الرَّبيط) قال الزجاجيّ: هو الراهب. وفي التاج (٥ : ١٤٣) : «الربيط الراهب والزاهد والحكيم الذي ظلف اي ربط نفسهُ عن الدنيا اي سدّها ومنعها». ومنها (الجُلاذيّ) و(الجُلَذي)

١) اطلب كتاب المعمّرين للسجستاني (Goldziher. *Abhandlungen*, XXXII)

قال في التاج (٢ : ٥٥٧) هو خادم البيعة والراهب والجمع الجَلَاذِيّ بفتح الاوّل وقد ورد في الشعر القديم قال تميم بن مُقبل :

صوتُ النواقيس فيه ما يفرّطهُ ايدي الجلاذيّ جونٌ ما يغنّينا
كأنّ أصواتاً من حيث تسمعُها صوت المحارث يخلجن المحارينا

ورُوي البيت الاوّل : « الجلاذي وجون ما يغنّينا » والثاني : « صوت المحابض ينزعنَ المحارينا »

ومن اسماء الراهب ايضا (التّهاميّ) جاء في المخصّص لابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « التهاميّ في قول ابن الاعرابيّ الراهب لانهُ ينهم اي يدعو . ومن المحتمل انّها مستعارة من السريانيّة ܬܗܡܐ اي الباكي والزاهد كما قالوا الابيل . او هي مشتقّة من الحبشيّة كما ارتأى العلّامة نولدك (Beitraege, p. 56) . وجاءت اللفظة في الشعر القديم قال الاسود بن يعفر (لسان العرب ٢٠ : ٦٦) :

وقالوا شربتَ قلتُ يكفي شربكم سنانٌ كنبراس التّهامي تفتّقُ
تمنّتهُ العصا ثمّ استمرّ كأنّهُ شهابٌ بكفّي فارسٍ يتحرّقُ

وقد رأيت انهم دعوا الراهب (بالأشعث) لتشعّث لمّته قال الشاعر (لسان العرب ١٩ : ٣٤١ راجع ايضاً المفضّليّات ص ٤١١) :

وأشعثَ عنوانٌ به من سجوده كرُكبةِ عَتْرٍ من عنوزِ بني نَصْرِ

وقال صخر الغيّ :

شيخاً من الشُّعْثِ رأسهُ لبدُ

وقد سمّوا الراهب (المُقدّس) اذا زار بيت المقدس كما قال امرؤ القيس يصف ثوراً ادركتهُ الكلاب فقطّعت جلدهُ :

فأدركتهُ يأخذنَ بالساقِ والنّسا كما شبرقَ الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

قال في اللسان (٨ : ٥٠) شبرق جلدَهُ اي قطّعهُ . يقول قطّعهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى الراهب الذي يجيء من بيت المقدس فقطّعوا ثيابهُ تبرّكاً وكانوا يتبرّكون به وبمسحه الذي هو لابسهُ واخذ خيوط منه حتى يتمزّق ثوبهُ وقيل المقدّس الحبر »

ومن اسماء الراهب عندهم (المتعبّد) قال ابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « هو المنقطع في الصومعة » وقد مرّ في الشعر

وقد ابتنوا من الراهب اسماً فقالوا « الرهبانيَّة » ومنهُ ما ورد في سورة الحديد (ع ٢٧) : « وقفَّينا بعيسى بن مريم واتيناهُ الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيَّةً ما كتبناها عليهم الَّا ابتغاء رضوان الله »

وكما ذكروا الراهب ذكروا (الراهبة) وجمعوها الرواهب . قال امرؤ القيس (العقد الثمين ص ١١٨ والتاج ٤ : ٤٣) :

فآنستُ سرباً من بعيدٍ كأنهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مُهذَّبِ

ودعوا الراهبة ايضاً (بالدَّيْرانيَّة) وردت اللفظة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢٩) وفي معجم البكريّ (٣٧٧) . ودعوا الرواهب ايضاً (بالعذارى) ومنهُ عدَّة اديرة وصفها العرب وسمَّوها اديرة العذارى (راجع البكري ص ٣٧٦ وياقوت في معجم البلدان ٣ : ٦٧٨) ومنهُ صوم العذارى « للعذارى النصرانيَّات من العرب شُكْرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار » (الآثار الباقية للبيروني ص ٣١٤)

وعلى ظنّنا انَّ (الحَوَاريَّات) ارادوا بها ايضاً العذارى الرواهب قال مُسهر اليشكري (اللسان ٥ : ٢٩٩) :

فَقُلْ للحَوَاريَّات يبكينَ غيرنا ولا تبكِنَّا الَّا الكلابُ النوابحُ

ويلحق باسم الراهب « المحرَّر والنَّذيرة » ورد ذكرهما في المخصَّص (١٣ : ١٠١) في باب الرهبانيَّة ونحوها قال : « هما الابن أو الابنة يجعلهُ ابواهُ قيِّماً وخادماً للكنيسة وانَّما كان يفعل ذلك بنو اسرائيل كان ربَّما ولد لاحدهم ولد فحرَّرهُ اي جعلهُ نذيرةً في خدمة الكنيسة ما عاش لا يسعهُ تركها » . وقد وردت لفظة المحرَّر في القرآن عن لسان والدة العذراء مريم فقال (سورة آل عمران ٣ : ٣١) : « اذ قالت امرأتُ عِمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا » . والنذيرة من العبرانيَّة נזיר اي المنذور للربّ

(لهُ بقيَّة)

الشاهد العيان على احوال البلقان

رحلة الاب لويس رترفال اليسوعي الى ادرنة (تتمة)

يكلّ اللسان عمّا يخالج قلب المرء في بعض ظروف حياته اذا تنازعتهُ عوامل الخوف او الرجاء او الظفر بالمرغوب . فهذه العواطف كلّها كانت ممتزجةً في صدرنا اذ انفتح امامنا باب مسقط رأسنا ورأينا سالمين اولئك الذين ارتعدت فرائصنا مرارًا خوفاً على حياتهم الثمينة في مدّة حصار ادرنة . فبقي اللسان متلجلجاً لا يسعهُ الّا تكرار الشكر لله على نعمة سلامتهم

وزاد شكرنا لهُ تعالى الذي اوصلنا ايضاً بالعافية بعد ٢٦ يوماً مضت منذ برحنا بيروت وفي حسابنا انّنا ندخل ادرنة في ثلث هذا الوقت وكلّ يعلم انّ المسافة بين الاستانة وادرنة لا تستغرق عادةً في السكة الحديديّة اكثر من ثماني ساعات فصرفنا ثلثة اضعاف الزمن الكافي لارتياد طريق امينة تؤدي بنا الى غايتنا . فلم يخب املنا مع ما لقينا من مشاقّ السفر

فاخذنا في ذلك المساء نصيباً من الراحة نتبادل عبارات التهاني على سلامة جميعنا ثمّ طلبنا من ساعتنا ان تسرد علينا تفاصيل حصار ادرنة من اوّلها الى ختامها فرووها وكانت روايتهم الحيّة تمثل لنا الاخطار الجمّة التي احاقت بهم مدّة نحو خمسة اشهر وملاك الموت حائم فوق رؤوسهم لا رجاء لهم في غير رحمة الله . والحقّ يقال انّ هذه العناية الصمدانيّة شملت على طريقة مجسوسة كلّ المستعمرة الاوربيّة المقيمة في ادرنة فلم يُصب واحد منها بأذًى سواء كانوا من الرهبان او من بقيّة الجالية . وكانت مع هذا قذائف العدوّ تخرق الجوّ فوق هامهم والرصاص يتطاير الى كلّ جانب فيُسمع صفيرهُ دون انقطاع ليلاً مع نهار . وقد سقطت بعض هذه القذائف قريباً من دارنا فانفجرت واحدة على بعد ٤٠ او ٥٠ قدماً منها وكسرت واحدة اخرى باباً ثم ساخت في الارض حيث رأيناها دفينةً . وكان احد انسبائنا يخرج كلّ صباح الى دواوين الريجي فلمّا دخل يوماً في باحة الديوان اذ انفجرت بغتة على مسافة اربعة او خمسة امتار منهُ قذيفة محشوّة رصاصاً (shrapnell) ومن وقته سقط على جدار بناية

هناك فلمّا هدأ الصوت قام سليماً لكنّهُ رأى الجدار قد نفذت فيه بنادق الرصاص فثقبتهُ كالغربال . وسقطت قذيفة أخرى في اقبية الريجي دون ان تُلحق باحد ضرراً

والعجب العجاب انّهُ لم يُصَب كاثوليكيٌّ واحد بأذًى في ادرنة مدّة كلّ الحصار . امّا القتلى من بقيّة الاهلين فقد بلغ من عُرف منهم نحو المائتين وهو عدد قليل بالنسبة الى ما أُطلق من القنابل على المدينة فبعضها تفجّر في وسط البيوت وبعضها نفذ في جدران المساكن وخرج منها . وكان البلغار يطلقون قذائفهم من وراء الآكام المحيطة بأدرنة فلا يمكنهم ان يميّزوا بتدقيق بين احياء الاوروبيين ومساكن الاهلين . كما انّهم لم يراعوا المنازل القنصليّة والمعاهد الرسميّة رغماً عن الرايات الدوليّة المنشورة فوقها فاحتجّ القناصل على عملهم لكنّ احتجاجهم لم يزل حبرًا على ورق ولم تزل حياة الجميع عرضةً للاخطار طول مدّة الحصار

فلمّا انتهى الرواة من تفاصيل هذه الوقائع كرّرنا آيات الشكر لضابط مقاليد الموت والحياة ثمّ اخلدنا الى الراحة حتى الصباح فاحتفلنا بترتيب عيد صعود الربّ الى السماء وفي اثرها زرنا بقيّة الاقارب وسمعنا من افواه الجميع اخبارهم الشخصيّة وما عانوهُ من المشاقّ وكيف نجوا من الاخطار . وكان لسانهم لا يلهج الّا بآيات الشكر للرب الذي بعينهِ الساهرة انقذهم من الف ميتة

وفيه ايضاً زرنا المستشفى العسكري الذي يقوم بتدبيره حضرة الرهبان الصعوديين فلقيتُ عندهم ١٥٠ جنديًا ممن أُصيبوا بضروب الجراحات فسرنا وسطهم وسلّمنا عليهم وكانوا اذا سمعوني اتكلّم بالتركيّة او العربيّة يبشّ وجههم وينطق لسانهم فيسرّون بمحادثتي لهم . وقد وجدتُ بينهم نفرًا نقعت اطرافهم لشدّة البرد الذي قاسوهُ فقُطعت ايديهم وارجلهم . وكذلك تفقّدنا مستشفى الراهبات حيث عدد الجرحى كعدد المعالَجين في المستشفى العسكري . ذلك ما عدا مستشفيات اخرى منها لجمعيّة الصليب الاحمر او الهلال الاحمر ومستشفيات اخرى تتولّى في اغلبها معالجة الجرحى الراهبات او السيدات المحسنات

ولا يسعنا هنا الّا ان نردّد عبارات الشكر والمنونيّة التي كان يلهج بها كلّ اهل ادرنة وقراغاج مثنين اطيب الثناء على مروّة الكهنة الكاثوليك ورهبانهم ورواهبهم فانّ عدد الجرحى الذين عُنوا بمعالجتهم والفقراء المعوزين الذين سدّوا

رمقهم يبلغ الالوف لانَّ الآباء الصعوديين وحدهم كانوا عند اعلان الهدنة يعالجون ٥٠٠ من الجرحى. فما قولك ببقيَّة الرهبان والراهبات كالفرنسيسيين ورهبان القيامة البولونيين واخوات اغرام والراهبات الصعوديَّات فانَّ اديرتهم كانت قد استحالت الى ملاجئ ومآوي يلوذ بها كلّ من يخاف على حياته. بل كان الرهبان يطوفون المدينة غير مكترثين لانفجار القنابل ليلًا مع نهار فيعودون المرضى في البيوت القارس ويوزّعون الحسنات على المساكين او يجلبون الى اديرتهم الذين كانوا معرّضين في بيوتهم للهلاك

ومن غريب الاتفاق انَّ سراديب دير رهبان القيامة قد ضمَّت في وقت واحد قناصل دول فرنسة والنمسة وروسيَّة واسقف البلغار الكاثوليك ومتروبوليت الروم الارثدكس وحاخام اليهود وعددًا لا يُحصى من اهل ادرنة من كلّ جنس وكلّ دين . وقد اجتمعنا ببعض اولئك المكروبين فكانوا يصرّحون علانيةً بانَّ للرهبان الكاثوليك اريحيَّةً لم يعهدوا لها من شبيه ومروءةً لن يبرح ذكرها من قلوبهم . امَّا الجنود الذين كانوا في مستشفياتهم فكانوا يودّون لو بقوا طول حياتهم عند الرهبان والراهبات فيدعونهم آباءهم وامّاتهم واذا ودَّعوهم نطقت دموعهم الفائضة عن شكرهم لتفانيهم في خدمتهم دون استثناء

*

وكأني بالقرّاء الكرام يطلبون مني ان افيدهم عما جرى في حصار ادرنة من الحوادث الهامَّة فاقول اجمالًا انَّ ادرنة مدينة حريزة منيعة تُعَدّ من احصن المواقع الحربيَّة لما يكتنفها من الآكام فضلًا عن ثلاثة مجارٍ من المياه التي تسيل حولها فتزيدها حصانةً . وكان للمدينة من الاستحكامات ما يقوى على ردّ غارات الدّ الاعداء لولا بعض النقص في تموين البلد بالقوت اللازم لا سيما انَّ ارباب الامر لم يجهلوا انَّ ادرنة في وقت الحصار تُصبح ملجأ لاهل القرى فكان من الواجب توفير الذلات لسدّ هذا الخلل . وقد لحظوا انَّ ضبَّاط العسكر كانوا يتنعَّمون بالمآكل المتنوّعة على خلاف الجند الذين كانوا يتضوَّرون من الجوع ولا ينالون لسدّ رمقهم الّا قطعاً غير كافية من خبز الماش الاسود الذي لا يرضى به اشدّ الناس فاقةً

وكان هناك خلل آخر وذلك في الاسلحة فانَّ مدافع كروب لم تكن موافقة لرمي القنابل كالمدافع الفرنسويَّة المصنوعة في معمل كروزو . وكذلك بنادق الاتراك

كانت مختلفة العيار فكان بينها ما لم تنفذ فيه القذائف او لم تبلغ قذائفهُ الغاية المقصودة. وكان الاتراك في حاجة الى طيّارات ليرصدوا حركات العدوّ ويرموهم من علُ وكانَ عسكر البلغار مجهَّزًا بمثلها

ومما اضرَّ بتركيَّا في الحرب ان بعض اركان الدولة كانوا منقسمين بينهم يهتمُّون باغراضهم السياسيَّة وتغليب احزابهم بدلًا من جمع كلمتهم في سبيل الوطن. وكانت السياسة تشغل كثيرين من الضبَّاط عن واجباتهم العسكريَّة . وقد اقرّ بعضهم انَّ الضبَّاط بسوء مثلهم اضعفوا الحميَّة الوطنيَّة في قلوب جنودهم . وبينما كان الجنود يستقتلون في محاربة العدوّ او يرمون قنابلهم في ظلمة الليل من الخنادق حيث كاد دمهم يجمد في عروقهم من البرد كان الضبَّاط يقضون الليل في الملاهي واللعب ليس احد يهتمُّ بتنظيم ضرب القنابل وتبليغ الاوامر الى المحاربين فايّ عجب بعد هذا ان كانت قذائف الترك متضعضعة لا تأتي بفائدة . وكان البلغار في اثناء ذلك يرقبون بدقَّة كلّ حركات الجنود العثمانيَّة ويلحظون شططهم ليستفيدوا من اغلاطهم

فالمسؤوليَّة في كلّ ذلك على الضبَّاط لانَّ كلّ اهل ادرنة لسان واحد في الثناء على مروءة الجند وصبرهم على مشاقّ الحرب وطاعتهم العمياء في القيام باوامر رؤسائهم مع ما كان يصيبهم من بلاء المجاعة وعناء البرد الشديد . وقد اخبرنا الآباء الصعوديُّون انَّ بعض هؤلاء المساكين كانوا يقرعون ابواب ديرهم ويطلبون كسرة من الخبز ولو بثمن بندقيَّتهم . وكم مات منهم قتلًا وبردًا وجوعًا دون ان ينبسوا بكلمة ولو شغبوا على ضبَّاطهم لقُضي على الجيش بأسره فكانوا على خلاف ذلك يصبرون الصبر الجميل على ضيقتهم. ولمَّا دخل البلغار مدينة ادرنة وجدوا بينهم نفرًا باتوا طاوين منذ يومين وثلاثة حتى اربعة ايَّام لم يذوقوا لماظةً

يحيط بادرنة سبع عشرة قلعةً وقد صرفت الدولة في تحصينها المبالغ الطائلة لتمرينها بالذخائر وتعزيزها بالدافع وبحفر الخنادق واحاطوها بالاسلاك الحديديَّة المسنَّنة فجعلوها كمنطقة بل مناطق عديدة لا يمكن قطعها الَّا بعد شقّ النفس والخسائر الجسيمة . وقد رأينا بالعيان تلك المناطق وتحقَّقنا صعوبة خرقها فكنَّا نرى على عرض ثمانية الى عشرة امتار الاسلاك الغليظة مشتبكةً ببعضها محدَّدة الرؤوس تسندها العمد الحديديَّة الراكزة في الارض . وكانت المدينة كلُّها مصونة بمثل هذا التجهيز

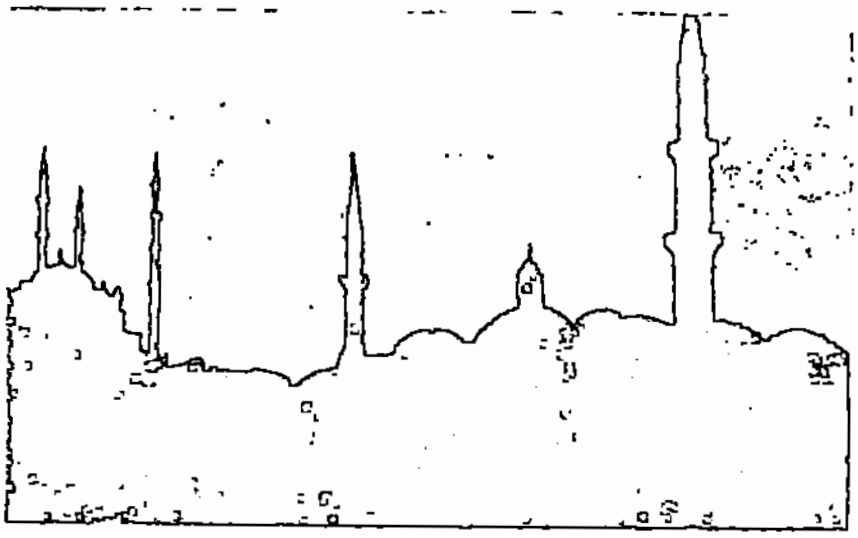

جامع السلطان سليم في ادرنة

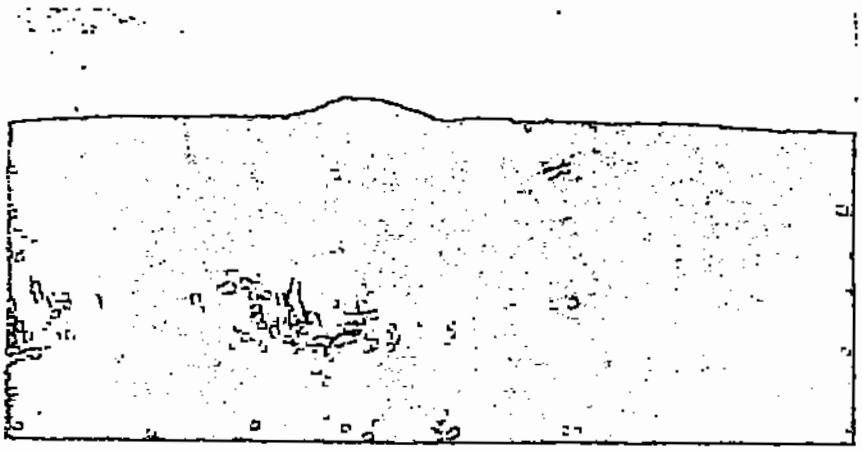

تجهيز البطاريات البلغارية على ادرنة

ومثلها الحصون والبطاريات وكان عدد مدافع الاتراك لا يقلّ عن ٦٠٠ مدفع ولكلّ مدفع خزانة قريبة منهُ يتناول منها الطوبجي حاجتهُ من القذائف. والخزانات في قُتر مستورة وحفائر لا يراها العدوّ .

ما أبعد فنّ الحرب في أيامنا وطرائق تحصين المدن عمّا اعتادوهُ سابقاً . كان القدماء يعزّزون مدنهم بحصون شاهقة وابنية سامقة يحفرون حولها الخنادق الواسعة ويدعمون جوانبها بجدران متينة منعطفة لا يُستطاع توقّيها فيقيم العدوّ الأيام والاشهر بازائها الى ان يفتح لهُ معبرًا الى باطنها او يرتدّ عنها خائباً مدحورًا. امّا الاستحكامات الحاليّة فانّها تُحجب على قدر الامكان عن نظر العدوّ . وانّما يختار رؤساء الجيش الآكام التي يكشفون منها على حركات المعادين لكنّ التحصينات يجعلونها في اماكن منخفضة صوناً لها عن ضربات القذائف . والمدافع ذاتها يوكرونها في حفائر وانّما ترتفع فوهتُها قليلًا عن سطح الارض وكثيرًا ما يسترونها بالحشائش والأدغال لئلّا يقف العدوّ على مراكزها

وكان في ادرنة للترك بطاريّتان عظيمتان تتألف الواحدة من ستّة مدافع كبيرة من معمل كروب وكان موقعهما في مكان مكشوف قريباً من قراغاج استعانوا بهما لضرب البلغار في معسكرهم ثمّ في حصون «كرطل تيبه» لمّا استولوا عليها. واشتهرت بين قلاع الاتراك قلعة باباس تيبه بما ابداهُ اصحابها من البسالة في الدفاع وبما حدث في جوارها من الوقائع الدمويّة. وهذا الحصن قريب من جسر مراش أُتيح لنا بان نزورهُ . ولمّا اقتربنا منهُ كانت ابنيتهُ تلوح لنا مقطوعة الرأس كأنّ القنابل قد دمّرت شرفاتها ولم نلبث ان نتحقّق انّ الحصن كان في اهبتهِ التامّة وتحصيناتهُ كلّها في وطإ الارض وفي بطون الخنادق يعلوها اكوام من التراب واصونة تحول دون قنابل العدوّ . ولحظنا حول الحصن وفي وسطهِ ثقوباً واسعة ونشوزًا من التراب والردم فهناك كانت سقطت قنابل البلغار فبعضها البالغ من ١٥ سنتمترًا الى ٢٢ سنتمترًا كان يغوص في الارض الى عمق مترين ونصف حتى ثلاثة امتار

ومن الخدع الحربيّة الجارية في أيامنا ان يضربوا العدوّ من مكان معلوم يطلعونهُ عليهِ ثمّ يفرغونهُ بنقل الدافع الى امكنة اخرى خفيةً فيُضيع العدوّ قذائفهُ بضرب المكان الاوّل لوهمهِ انّ المدافع لا تزال في مقامها. وقد اكثر البلغار من هذه

الخدع حتى تجاوزوا الحدود فمن ذلك انَّ نفيرهم كان يدقّ النغمات التركيَّة ويدعون بأدعية الاتراك بل نشروا زورًا الراية البيضاء غير مرَّة وكانوا على خلاف ذلك لا يراعون الذين احتموا بظلّها وربَّما اطلقوا قذائفهم على الامكنة الخافقة فوقها تلك راية السلم(١وقد اكَّدوا لنا انَّ البلغار لم يكترثوا للمهتمّين بشؤون الجرحى فصوَّبوا اليهم بنادقهم مع كونهم امتازوا عن المحاربين بشريطة بيضاء . فكان هذا العمل سبباً موجباً لاهمال المرضى دون مساعدة والقتلى دون دفن في ساحة الحرب

فترى انَّ هذه الحرب كانت حرباً عواناً وانَّ البلغار كانوا وطّنوا العزم على استئصال شأفة اعدائهم وقد أتوا من الاعمال الهمجيَّة ما يسوّد وجه التمدّن العصريّ كتجهيزهم على الجرحى في ميدان الحرب ودفنهم لبعض المجروحين قبل موتهم وكنهبهم لمدينة ادرنة بعد فتحها فكان الجند يدخلون بيوت الاهلين فيسلبون منها ما شاؤوا بل دخلوا بيوت الاجانب فخطفوا عدَّة اشياء ظلماً . وكان الاروام عند دخول البلغار قد استسلموا للفرح وخرجوا بصلبانهم ليستقبلوهم وساعدوهم في النهب والسلب لكنَّهم لم يلبثوا ان ندموا على فعلهم اذ وجدوا البلغار لا يرعون لهم جانباً بل اخذوا يغتصبونهم اموالهم ويجرّدونهم من املاكهم . وقد سمعتُ في ادرنة غير واحد من الاروام يقول لي : انَّ البلغار ليسوا بمتمدّنين ولا اظنّ اننا نفوز بسلام في صحبتهم ولعلَّهم يضطرّونا الى الخروج من ادرنة . وكذلك قد اثبت الراي العام بانَّ البلغار فظاظ الطباع خشان الاخلاق مع ما طُبعوا عليه من البسالة وخُصّوا به من الحنكة في الآداب الحربيَّة . فهم في عهدنا بمثابة الفاتحين في اوَّل ظهورهم وقد زادتهم الانتصارات الاخيرة اباء وانفة . ولذلك ترى اليوم اليونان والصرب قد انقلبوا عليهم بعد ان سيروا في محالفتهم

*

قضينا في ادرنة خمسة عشر يوماً فحان وقت الرجوع الى بيروت : ففي ١٦ آب

---

١) ولعلّ عذر البلغار انَّ مدافعهم كانت على مسافة ثمانية او عشرة كيلومترات حيث لا يمكن تسديد الضرب بالدقة اللازمة . وقد ضرب البلغار مسجد السلطان سليم الجميل المندسة لأنَّ الاتراك كانوا اتخذوا احدى منارته كمركز للتلغراف الاثيري . لكنَّ الضرر اللاحق بهذا المسجد ليس بعظيم والشائع انَّ البلغار يريدون تحويلهُ الى متحف عموميّ

ركبنا القطار من ادرنة ميمّمين بورغاس على البحر الاسود لما كان وقع من الخلاف بين البلغار واليونان فحُجزت دوننا ثانيةً طريق دهده اغاج. وبتنا ليلةً في ترنوفو سيمن وهي مدينة لطيفة منقسمة الى قسمين كبودابست موقعها على ضفّتي نهر مارتزا. وقد عاينّا هناك مناظر الطبيعة الآخذة بالابصار لاسيّما عند طلوع الشمس التي كست تلك الجهات بضيائها المنيرة وأعارتها محاسن بعض انحاء فرنسة. وتعرّفنا يومئذ باحد الاطبـاء العسكريين العثمانيين الدكتور رشيد افندي الازمرلي الاصل كان يخدم عسكر دولته في ادرنة فاسره البلغـار في من اسروا وارسلوهُ الى ترنوفو حيث اكتسب ثقة الاهالي بلطف طباعهِ فصار البلغار انفسهم يتعالجون عندهُ

بين تيرنوفو وبورغاس تمتدّ السهول المخصبة والمروج النضرة. فترى الغلّات النامية وضروب المزروعات لا سيّما بقرب مدينة يمبولي حيث يسيل نهر طوجا وهناك يقرّ النظر بمرأى احد جبال البلقان المحلّق في اعالي الجوّ شمالاً

بورغاس مشتقّة من اليونانيّة πύργος وهي مدينة ساحليّة ذات مرفأ حديث متقن تولّت بناءهُ شركة بلجيكيّة والمدينة في طرف جونٍ مستطيل ترى عن جانبيها شمالاً مدينة انكيالوس الصغيرة وجنوباً مدينة سوزوبوليس القديمة. وفي اقصى الجون في البرّ بحيرة ومستنقعات كانت سابقاً متصلة بالبحر. والاثريّون يؤكدون انّ هناك كانت مدن قديمة لما تقذفهُ المياه على اطراف البحيرة من الخزفيّات والمسكوكات والنقود. وقد افادنا المسيو تاكشلا (M' Tacchella) مدير متحف صوفيا وناظر مكتبتها العموميّة سابقاً واليوم رصيف المسيو هومول (M' Homolle) في حفريّات بلغارية انهُ كانت قديماً مدينة تدعى اردروم على مقربة من بورغاس زحف عليها الهونيّون في القرون السالفة فقتلوا اهلها ودمّروها ثمّ توالت عليها القرون فطمست آثارها الّا بعض قطع من جدرانها تُرى بقاياها حتى الآن وعلى رأيهِ انهم لو باشروا هناك حفريّات قانونيّة لوجدوا آثاراً جليلة كآثار هركولانوم وپمپاي

امّا سوزوبوليس فقد استخرج عاديّاتها المسيو دوغران (Degrand) قنصل فرنسا في فيلبي مع المسيو تاكشلا فوجدا آثاراً بديعة منها سبعة نواويس لم تُنهك حرمتُها يرتقي عهدها الى القرن الثاني او الثالث قبل المسيح وكان في ضمنها آنية غاية في الحسن مصوّرة عليها تصاوير دقيقة كصيد الضواري وصورة الاله ابولّون والهات

الفنون الجميلة . وقد بيعت هذه الآنية بمبلغ ١٨٠٠٠ فرنك . وسواحل بلغارية من بورغاس الى فارنة غنيّة بالآثار المطمورة التي لم يكد يمسّها الاثريّون

وقد بلغنا ان ملك البلغار فرديننذ ذو خبرة بالغة بالعاديات ولاسيما المصكوكات القديمة التي لديهِ منها مجموعة كبيرة . وهو ينشط الاثريين ويساعدهم في مشروعاتهم . وبهمّتهِ باشروا حفريّات مدينة نيكوبوليس الواقعة بجوار روستشوك . اما السياسة فالملك فرديننذ احد اربابها المعدودين . قيل انَّ فوز الدول المتحالفة في الحرب البلقانيَّة اليهِ يرجع معظم فضلهِ . ولا يفصل السياسة عن الشواعر الدينيَّة فانَّهُ في ايام الحرب كثيرًا ما كان يحضر تقدمة الذبيحة الالهيَّة امَّا وقت الهدنة فانَّهُ لم ينقطع عنها يومًا واحدًا . وقد اوصى اهلَ الدين باقامة الصلوات على نيَّة جيشهِ . ومما اثبتهُ لنا الثقة انَّهُ قد اتمَّ واجباتهِ الفصحيَّة في بعض الآحاد التالية لعيد الفصح وكنَّا اجتمعنا في ادرنة بمعلم ذمَّتهِ الاب قوسما (P. Cosme) الكبوشي

بورغاس مدينة صغيرة لطيفة في وسطها الحدائق والاشجار هوائها معتدل وكانت قبل الحرب الاخيرة تتوقَّل معارج الرقي وقد كسدت اليوم سوقها التجاريَّة ولعلَّ فتح البلغار لدده اغاج يضرُّ بمستقبلها فتتحوَّل قريبًا الى دده اغاج حركة الاشغال . وبورغاس غنيَّة بالصيد فيصطادون الاسماك من بحرها وبحيراتها ويصطادون الطيور والظباء في غاباتها وجبالها التي هي كمنتهى دعائم البلقان

والكاثوليك في بورغاس قليلو العدد لا يزيدون على ثماني او عشر أسر من الفرنج المولودين في الشرق . ولراهبات مار يوسف مدرسة كبيرة يتردَّد اليها نحو ١٥٠ فتاةً يتربين على الآداب الفرنساويَّة . امَّا اهل المدينة فزهاء ١٣٠٠٠ نفس اكثرهم من البلغار ثمَّ اليونان . واقلّ منهم الارمن والترك واليهود والتسيغان (النَّوَر) وقد شاع بينهم لبس الطربوش وكثيرون يتكلمون بالتركيَّة . وليس لليونانيَّة سوق رائجة في بورغاس مع وفرة اليونان . ولعلَّ سبب ذلك نفور البلغار من العنصر اليونانيّ وفي القلوب حزازات لاسيما مذ اغتصبت الدولة البلغاريَّة كنيسة الروم بعد حوادث سنة ١٩٠٥ فاختصَّتها بمواطنيها

صرفنا في بورغاس ثلاثة ايَّام منتظرين سفر الباخرة النمسويَّة سالزبورج ففي يوم الاربعاء ٢١ ايَّار اقلعت باخرتنا التي كان يتقدَّمها دليل بحريّ صيانةً لها من وبال

الالغام الملقاة في البحر الاسود منذ اوّل الحرب البلقانيّة وكانت باخرتنا مثقلةً وسقها من طحين وذرة وجلود واخشاب مع تسعة مدافع من البرونز عيارها ٢٢ سنتمترًا ومدفعين آخرين من مدافع كروب الثقيلة وادوات لرمي القنابل المحشوّة (١

سرنا نحو ساعة بامان واذا بالسفينة قد ارتفعت بغتةً ثمّ جنحت بشدّة الى اليمين فنظر الركّاب بعضهم الى بعض مرتعبين خوفاً من لغم تكون الباخرة صدمت بهِ على ان هذا الجزع سكن نوعاً لمّا رأوا الضبّاط والنوتيين رابطي الجأش ساكني البال . ثمّ جرت الباخرة مدّة بينما كان اربابها يستوضحون عن الامر فوجدوا انّ الماء قد دخل في قعر المركب واخذ يتزايد حتى اضطرّوا الى تفريغهِ بالطلمبات وامر الرئيس بنشر الراية المنذرة بالخطر وبالرجوع القهقرى الى ميناء بورغاس مع استحضار قوارب النجاة . فعدنا على رسلنا ووصلنا سالمين الى حيث اقامنا شاكرين الله على نجاتنا من الغرق . وبعد البحث تحقّق ذوو الخبرة انّ باخرتنا كانت عثرت في طريقها بسفينة يونانيّة تُدعى اليس (Elis) كانت قبل سنتين او ثلاث سنوات غرقت بعد خروجها من بورغاس في احد الانواء الشديدة . ومن عجيب الصدف انّنا بتأخرنا عن الرجوع الى الاستانة نجونا من خطر آخر كان اصابنا لا محالة اذ انّنا كنّا ركبنا مركب المساجري « سنيغال » الذي أُصيب بلغم عند دخوله في ميناء ازمير فتعطّلت بعض ادواته

عدنا فقضينا ثمانية ايّام أُخر في بورغاس ريثما افرغت الباخرة شحنها ثم تولّى العمّال اصلاح ما حدث لها من العطل فسدّوا مجاري المياه موقّتاً حتى امكننا في ٢٨ من الشهر ان نستأنف المسير الى الاستانة . بعد ان رأينا ادرنة مرّة ثانية في حوزة الاجانب وكنّا رأيناها في كانون الثاني سنة ١٨٧٨ تحت سيطرة الروس . خفّف الله عن عباده ويلات الحروب وألهم الدول القناعة بما قسم لهم من الاملاك لهناء رعاياهم

وكان حضورنا لمصاب الباخرة سازبورج خيراً لاربابها لانّهم عرفوا ان ستُقام عليهم دعوى بسبب الحادث المشروح آنفاً فجاء القنصل النمساويّ في بورغاس الى دير الآباء الكبوشيين حيث كنّا مقيمين وطلب الينا بصفة كونهِ وكيل شركة اللويد النمساويّة

(١) كانت الدولة قد باعت هذه المدافع المثقلة لاحد اليهود الذي اراد نقلها الى اوربّة فضبطها البولناو لظنّهم انّها من الموادّ المهرّبة ولمّا وقفوا على صحّة الامر اعادوها لصاحبها الذي قصد ارسالها الى تربسته

ان نقدّم لهُ قرارًا في حقيقة الواقع نمضيهِ بتوقيعنا فاجبنا الى ملتمسهِ بطيب الخاطر فشكر لنا الوكيل وربّان الباخرة عملنا ايًّا شكر

وكان على ظهر هذا المركب مسافرًا معنا مطروبوليت قرق كليسه الروميّ الارثدكسي الذي نال اخيرًا بعد فتح المدينة الرخصة بالسفر الى الاستانة ليزور بطريرك الفنار الجديد ويطلعهُ على احوال كنيستهِ بعد الفتح البلغاريّ . واذ كنّا على الباخرة في غرفة واحدة تسنّت لنا معرفتهُ فلقينا منهُ رجلًا ذا لطف ومؤانسة فقضينا مع سيادته ساعات نتكلّم بالروميّة ونتبادل اطراف الحديث حتى انّ الحضور كانوا يقضون العجب اذ يرون احد اساقفة الروم مصافيًا لراهب يسوعيّ . وقد اطلعنا سيادتهُ على كثير من امور رعيّتهِ وما قاساهُ الاهلون من الضيقة في مدّة حصار المدينة وكان يشكر الله على انّهُ امكنهُ ان يخفّف وطأة ذلك الخطب عن مواطنيهِ دون مراعاة اديانهم وقد بذل للمسلمين انواع الخدم حتى انّ مفتي المدينة قصدهُ رسميًّا وشكرهُ الشكر الحميم على مروّتهِ واراد ان يقبّل علانيةً قدميهِ لولا انّ المطروبوليت صدّهُ مرارًا عن فعلهِ . فاستنتجنا من ذلك ان رزايا الوطن لم تضعف في قلوب رعايا الدولة شواعر الإخاء والوئام بل زادت تلك الروابط وثاقًا

ولم نتريّث كثيرًا في الاستانة فركبنا اوّل باخرة افرنسيّة وجدناها فنقلتنا الى بيروت في اوائل حزيران بعد غيبتنا عنها شهرين بأيّف

مريم اخت لعازر ومريم المجدلية والخاطئة التائبة

بحث كتابي للاب جاك مرنو اليسوعيّ

في ٢٢ من شهر تموز احتفلت الكنيستان اللاتينيّة واليونانيّة بعيد قديسة اشتهر اسمها في الانجيل الطاهر وتكرّر ذكرها بين النساء اللواتي نلنَ نصيبًا من سوابغ نعم المخلّص وخدمنَهُ في حياتهِ وعُنينَ بدفنهِ بعد موتهِ وحظين بنعمة رؤياهُ حيًّا بعد قيامتهِ نريد بها القديسة مريم المجدليّة . فاستحقّت بذلك ان تخصّها الكنيسة بالاكرام وتخلّد اسمها في سجلّات اولياء الله

على انَّ ذكر المجدليَّة لا ينفصل غالباً عن قبح سيرة الخاطئة التي ذكرها لوقا وصرفت قسماً من حياتها في الخلاعة والزنا وربما تحنَّن عليها الربّ وألهمها اعمال التوبة النصوح فأتت الى بيت الفريسيّ سمعان الابرص حيث دهشت قدمي يسوع بالطيب وبلّتها بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها

وزد عليهِ انَّ ذكرها يُحيي ذكر اخيها لعازر اذ نالت مع اختها مرتا ان يقيم الربّ شقيقهما من القبر كما انهما ضافتا في بيتهما غير مرَّة السيّد المسيح في بيت عنيا

تلك امور تخالج عقل المؤمنين لدى ذكر مريم المجدليَّة ولا يكادون يفكرون في انَّ هناك مشكلاً طالما شغل بال المفسّرين الذين لا يعلمون أمريم المجدليَّة هي في الحقيقة اخت لعازر ومرتا أو هي تلك الخاطئة التائبة التي وصفها لوقا في بيت الفريسيّ عند اقدام فادي البشر. أفتصدُق الحوادث المرويَّة في الاناجيل المقدَّسة عن مريم واحدة او عن ثلث نسوة اتَّفقن في بعض الامور واختلفن في غيرها ؟. فلترجيح احد الرأيين لا بُدَّ من عرض الخلاف الذي وقع في ذلك بين الكتبة الكنسيّين في القرون الاخيرة ثمَّ نعود بالنظر الى نصوص الاناجيل المقدَّسة لننظر ما يستفاد من آياتها. واخيرًا نستفتي الآباء ومعلّمي الكنيسة مع ما ورد من الشواهد في الكتب الطقسيَّة شرقاً وغرباً لعلَّنا نقف على حقيقة الامر

١ً الحوار الجدال

بقي العالم النصراني مدَّة نحو الف سنة لا يكاد يرتاب في وحدة تلك النسوة الثلث ولم يحرّك كاتبٌ ساكناً في هذا الصدد حتى قام كاتب افرنسيّ يُدعى جاك لوفاڤر من ايتابل (Jacques Lefèvre d'Etaples) فنشر سنة ١٥١٦ كتاباً عنوانهُ « مريم المجدليَّة » ارتأى فيهِ: اوَّلاً انَّ مريم اخت مرتا ومريم المجدليَّة مختلفة كلتاهما عن الخاطئة. وثانياً انهُ من الواجب التفريق بين الثلث في الكتب الطقسيَّة. وتأييدًا لرأيهِ اثبت عدَّة شواهد لاقدم الآباء كاوريجانس ويوحنا فم الذهب وامبروسيوس وايرونيموس بخلاف القديسين الذين اتوا بعدهم كغريغوريوس الكبير وبيدا المكرَّم وبرنردوس الذين ارتأوا التوحيد بين الثلث دون داعٍ موجب. امَّا آيات الانجيل فلم يوجد فيها دليل قاطع على انَّ هناك امرأةً واحدة بل الاحرى ان يقال انَّها تفرّق بينهنَّ بما تثبت لكل منهنَّ من الخواصّ المختلفة

كان لهذا الكتاب صدى ورنة في انحاء الغرب فعاكسهُ معظم علماء العصر ومن جملتهم اسقف روشستر الانكليزي يوحنا فيشر الذي فنّد كتاب جاك لوفاڤر سنة ١٥١٨ فنشر تأليفهُ المعنون بالمجدليَّة الواحدة (de unica Magdalena) فغلب رأيهُ على رأي لوفاڤر حتى انَّ المكتب اللاهوتي في باريس انتصر لهُ واصدر حكماً هذا منطوقهُ « يجب تفضيل رأي القديس غريغوريوس الكبير لمزيد انطباقهِ على نصوص الاناجيل وعلى شواهد الآباء والآثار الطقسيَّة ومن ثمَّ نقضي بتحريم الكتب التي تخالف هذا التعليم » فوقع هذا الحكم موقع الاستحسان وأُهمل رأي لوفاڤر الايتابلي

وبقيت الامور على حالها نيفاً ومئة سنة حتى استأنف الجدال سنة ١٦٣٦ عالمٌ مفضال كان كنشلياراً لكليَّة دواي (Douai) وهو اللاهوتي استيوس (Estius) الشهير بتآليفهِ . وكان المذكور استفتى المجمع الروماني في الامر وقدَّم لفحصهِ كتاباً وضعهُ في التمييز بين المريمين والخاطئة فكان جواب المجمع انَّهُ مأذون بنشر كتابهِ . وكذلك وافقهُ على زعمهِ بعض علماء كليَّة باريس دون القسم اللاهوتيّ منها الذي بعد مقاومتهِ لهذا الرأي لم يرَ بُدًّا من التساهل في اثبات الرأي المخالف

وكان القسم الثاني من القرن السابع عشر زمنَ بحثٍ وتعمُّق في العلوم الدينيَّة والتاريخيَّة فكانت مسئلة المجدليَّة من جملة الابحاث التي انعم فيها المحققون نظرهم ليستدلُّوا على الرأي الصحيح فتحفَّز قومٌ من فطاحل العلماء من بندكتيين ويسوعيين كمابيليون (Mabillon) وبولندوس (Bollandus) منشئ جمعيَّة البولنديين وغيرهما فراجعوا كل اثار الكتبة الكنسيين في اوائل النصرانيَّة ودقَّقوا البحث في الطقوس القديمة الشرقيَّة والغربيَّة فقام الجدال على ساق بين العلماء فمن سالبٍ ومن موجب ومن موحِّد ومُثَلِّث . ولم يكتفوا بالجدال بل ارادوا اصلاح الكتب كما فعل هاردوين (Hardouin) رئيس اساقفة باريس الذي نشر كتاب الصلوات القانونيَّة سنة ١٦٨٠ وغيَّر ما كان في الكتاب السابق بخصوص المجدليَّة ففرَّق بينها وبين مريم اخت لعازر ثم الخاطئة . فأثار كتابهُ اهواء القوم حتى خطَّأهُ بعضهم وصوَّبهُ البعض الآخر وكان من جملة الذين ذهبوا الى مذهبهِ البندكتي الشهير دون كالمات (Don Calmet) في كتابٍ اودعهُ لباب علمهِ الواسع . وخالفهم غيرهم في رأيهم

فوحّدوا المريمين والخاطئة ولم يصوّبوا اصلاح الكتب الطقسيّة لجلالها كالاب البولندي سوليار (Sollier) في اعمال القديسين. وكأنّ وطيس الجدال قد خمد بعد ذلك لما ألغت رومية الطقوس الخاصّة ببعض الابرشيّات وتقرّر بدلاً منها الطقس الرومانيّ الذي كاد يعم انحاء اوربّة وهذا الطقس الرومانيّ يتبع لرأي القديس غريغوريوس في توحيد المريمين والخاطئة

٢ً فحص آيات الاناجيل بخصوص المريمَين والخاطئة

دونك ما ورد في الاناجيل من الآيات التي عليها محور الجدال . ورد في متى (٢٦ : ٦ — ١٣) وفي مرقس (١٤ : ٣ — ٩) ذكر امرأة لم يصرّح الانجيليّان باسمها فاخبرا أنها دخلت قبل الفصح والفطير بيومين في بيت سمعان الابرص في بيت عنيا حيث كان يسوع متّكئاً فكسرت قارورة طيب من سنبل الناردين وافاضتهُ على رأس يسوع واذ غضب قوم من التلاميذ لفعلها اثنى الربّ على صنيعها كأنّها سبقت وطيّبت جسدهُ للدفن

وكذلك روى الانجيليّان (متى ٢٧ : ٥٦ و٦١ ثم ٢٨ : ١ — ١٠ ومرقس ١٥ : ٤٠ و٤٧ ثم ١٦ : ١—١٠) وجود مريم المجدليّة التي كان قد اخرج منها الربّ سبعة شياطين عند صليب يسوع وقت موتهِ ثمّ في دفنهِ مع غيرها من النساء. وظهور السيّد المسيح لها وحدها ومع بقيّة النساء بعد قيامتهِ

وجاء في لوقا (٧ : ٣٦—٥٠) ذكرُ امرأة خاطئة أتت الى يسوع باكيةً تائبة. اذ كان متّكئاً في بيت فريسيّ يدعى سمعان فوقفت عند رجلَي يسوع وبلّتهما بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ودهنتهما بالطيب . ولمّا فكّر الفريسيّ في نفسهِ كيف يمكن ان يكون يسوع نبيًّا اذ لو كان بهِ لعلم انّ تلك المرأة خاطئة فكشف الربّ دفين افكارهِ وبيّن لهُ بمثل المُداين المسامح لمديونَيهِ انّ تلك المرأة الخاطئة مع وفرة خطاياها قد استحقّت الغفران لعظم ايمانها ومحبّتها ثم اطلقها بسلام

وروى لوقا عن مريم المجدليّة (٨ : ٢ — ٣) انّها كانت من جملة النساء اللواتي ابرأهنّ يسوع من ارواح شرّيرة وامراض فتبعنهُ مع الرسل ليبذلنَ من اموالهنّ في خدمتهِ وانّ مريم المجدليّة هذه اخرج منها سبعة ارواح شرّيرة

وهو لوقا ايضاً الذي اخبر (١٠ : ٣٨ — ٤٢) كيف يسوع دخل قريةً فقبلتهُ

امرأة اسمها مرتا كانت مهتمة باعمال الضيافة لتحسن استقبالهُ وانَّها كانت لها اخت اسمها مريم كانت جالسة عند قدمي يسوع تسمع كلامهُ . واذ لامتها مرتا امام يسوع لعدم مساعدتها في الخدمة اثنى الربّ على مريم قائلًا : انَّها اختارت النصيب الاصلح

وفي الفصل الرابع والعشرين منهُ (ع ١٠) ذكر انَّ مريم المجدليَّة كانت مع النساء اللواتي رأين الملائكة عند قبر المسيح فاخبروهنَّ بان الربَّ قد قام كما قال

امَّا يوحنا فكرَّر ذكر مريم اخت مرتا ولعازر في الفصل الحادي عشر من انجيلهِ حيث روى قيامة لعازر من الموت في بيت عنيا . ثمَّ اردف في الفصل الثاني عشر ذكر العشاء الذي صنعوه ليسوع في بيت عنيا ستَّة ايَّام قبل الفصح فخدمتهُ مرتا . امَّا مريم فاخذت رطل طيب من سنبل النارديين فدهنت بهِ قدمي يسوع ومسحت قدميهِ بشعرها فتشكك يهوذا الاسخريوطيّ من هذا العمل كأنَّهُ إسراف باطل فمدح المسيح تقواها قائلًا : انَّما حفظت ذاك الطيب لدفنهِ

ثمَّ ذكر يوحنا كبقيَّة الانجيليين (١٩ : ٢٥) وقوف مريم المجدليَّة عند صليب يسوع . كما روى بعد ذلك (٢٠ : ١ و ١١ — ١٩) ورودها الى القبر وتفصيل ظهور الربّ لها في هيئة البستاني وكلامهُ اليها والى التلاميذ بواسطتها

هذه كافَّة النصوص التي ورد فيها ذكر مريم اخت لعازر من بيت عنيا ومريم المجدليَّة والخاطئة التائبة . وعليها بنى اصحاب التوحيد والتمييز بينهنَّ رأيهم فلنسمع ادلَّة الفريقين كليهما

يقول (اصحاب التمييز) ان هذه الآيات لا تصدق عن امرأةٍ واحدة بل عن ثلاث نسوة اذ ليس نصٌّ صريح يثبت ان مريم اخت لعازر هي مريم المجدليَّة وان احدى المريمين هي الخاطئة التي غفر السيّد المسيح خطاياها لا بل يفرق الانجيليُّون بينهنَّ اذ ينسبون الى كلّ واحدة اعمالًا خاصَّة بها

ويردف هؤلاء على قولهم برهاناً آخر فيقولون : قد اعتاد يوحنا الانجيليّ في ذكر الأعلام زيادةَ ايضاحٍ ان وُجدت ثمَّ شبهةٌ او التباس بين الاسماء فاذا ذكر يهوذا اخا يعقوب صرَّح بقولهِ (يوحنا ١٣ : ٢٢ : « يهوذا غير الاسخريوطيّ » واذا اورد اسم سمعان قال (١٤ : ٦) : « سمعان بطرس » دفعاً للالتباس مع سمعان الآخر تلميذ يسوع . وان وجد اسمان لمسمًّى واحد ذكرهما كقولهِ (١١ : ١٦ و ٢٠ : ٢٤) :

« توما الذي يسمّى التوأم » فلو كانت مريم المجدليّة هي مريم اخت مرتا ولعازر لما سكت عن ذلك بل كان نوّه اليه حذرًا من سوء الفهم على الأقلّ مرّة واحدة . فسكوتهُ دليل على ان هناك مريمين

ومثلهُ لوقا فانهُ اعتاد التدقيق في رواياتهِ للاسماء حيث فرق (٦ : ١٤—١٦) بين « سمعان الذي دعاهُ بطرس وسمعان المدعو الغيور » وبين « يهوذا اخي يعقوب ابن حلفى ويهوذا الاسخريوطي » وبين اليعقوبين « ابن زبدى وابن حلفا المعروف باخي الربّ ». وفعل لوقا مثل ذلك في سفر الاعمال (١ : ١٣) أفلا يكون من العجب ان يذكر امرأةً واحدة فتارةً يسهو عن اسمها (الفصل ٧) ولا يدعوها الّا باسم الخاطئة وتارةً يدعوها باسم مريم اخت مرتا من بيت عنيا (الفصل ١٠) وتارةً يدعوها مريم المجدليّة دون ان ينبه القرّاء الى وحدة المسمّيات

لا بل من يمعن النظر في نصوص لوقا يتأكّد انهُ اراد ثلثة اشخاص فانهُ بعد ذكرهِ للخاطئة التائبة في احدى مدن الجليل نائين او كفرناحوم يذكر مريم اخت لعازر في بيت عنيا من مدن يهوذا ويذكرها كأنهُ لم يرِ شيئاً عنها سابقاً فقال (١٠ : ٣٩) : « وكانت لهذه اختٌ تُسمّى مريم » فانّ عبارة مثل هذه لا تُقال الّا لمن ورد ذكرهُ لاوّل دفعة — وكذلك عند ذكرهِ مريم الثانية فانّ لوقا اذا خصّها بالذكر (٨ : ٢ — ٣ و٢٤ : ١٠) ألحق اسمها بنسبتها « المجدليّة » فان كانت هي اخت لعازر لما سها عن ذكر الامر

ويأتي المدافعون عن تثليث النساء بدليل آخر فيقولون لو كانت مريم المجدليّة هي الخاطئة المذكورة في لوقا (ف ٧) لما كان سمح لها السيد المسيح بان تتبعهُ مع بقيّة النساء الصالحات التي ابرأهنّ فتبعنهُ ليقمنَ بخدمتهِ وخدمة رسلهِ لانّ ذلك كان اثار على الربّ بغض الفريسيين وعلّل شكواهم عليهِ بدخول امرأة خاطئة في خدمتهِ مع انّنا لا نجد احدًا قرّف السيد المسيح بذلك فسكوت اعدائهِ دليل على انّها غيرها

*

هذه ادلّة المثلّثين فترى انّها لا تخلو من القوّة . امّا (الموحّدون) للنسوة الثلث فيعتمدون قولهم على وحدة اسم مريم وعلى بعض التشابه في ما يرويهِ الانجيليّون في نصوصهم فيقولون انّ هذا كافٍ للدلالة على انّ المسمّى واحد . فمن حججهم : ١ انّ

الخاطئة المذكورة في لوقا (ف ٧) اراقت الطيب على قدمي يسوع ومسحتهما بشعر رأسها كما فعلت مريم اخت لعازر على رواية يوحنا (١١: ٢ و١٢: ٣). ٢ً يصرح الانجيليان مرقس (١٦: ٩) ولوقا (٨: ٣) بان السيد المسيح كان قد اخرج من المجدليَّة سبعة شياطين فهي اذن الخاطئة. ٣ً ان الخاطئة اراقت طيبها على قدمي يسوع في بيت سمعان الابرص كما اتَّفق عليهِ متى ومرقس ولوقا وقد صرَّح يوحنا باسم الفاعلة فدعاها مريم اخت مرتا. ٤ً ويقولون ان مريم اخت لعازر كانت تدعى بالمجدلية لأنَّها كانت لها املاك في مدينة مجدل فنُسبت اليها وانَّ المسيح سمح لها بان تخدمهُ بعد توبتها

على انَّ اصحاب التمييز يردُّون على هذه الحجج بقولهم انَّ إراقة الطيب على قدمي يسوع قد حدث غير مرَّة مع اختلاف ظروف المكان والزمان والاشخاص فلا يجوز نسبة الامر الى واحدة. اما قول الانجيليين مرقس ولوقا بان المجدليَّة اخرج منها السيد المسيح سبعة شياطين فلا يثبت كونها هي الخاطئة الزانية لانَّ الله يسمح بان الشياطين تدخل في اجساد اناس ليسوا بخطأة. وكذلك لا يُستنتج كون الخاطئة والمجدليَّة واحدةً لانَّ كليهما دهنت قدمي يسوع في بيت سمعان اذ هو محتمل ان رجلين دُعيا بهذا الاسم لانَّ لوقا لا يدعوهُ بالابرص كما فعل متى ومرقس لكنَّهُ يدعوهُ فرّيسيًّا ويجعل اراقة الطيب زمناً طويلاً قبل متى ومرقس اللذين عيَّنا لذلك يومين قبل الفصح. ومثلها اراقة الطيب لمريم اخت لعازر كانت مختلفة الاحوال فجرت ستَّة ايَّام قبل الفصح كما روى يوحنا وذلك في بيت الاختين في بيت عنيا ليس في بيت سمعان. وكذلك يرتاي المميِّزون للنسوة ان الموحدين يقولون جزافاً بان مريم اخت لعازر دُعيت بالمجدليَّة لأملاك لها في مجدل. فانَّ هذا تخمين وحدس فقط كقولهم ايضاً انَّ المسيح سمح لها بخدمتهِ بعد توبتها

فيتبيَّن ممَّا سبق انَّ لمسألة التمييز بين النسوة الثلث سنداً كافياً في النصوص الانجيليَّة وان لم يكن فصلاً جازماً

٣ً التقليد الكنسي والطقوس

بقي علينا ان نستفتي ما ورد في هذا الصدد في بطون التواريخ الكنسيَّة واقوال الآباء والتآليف الطقسيَّة ما يرجح رأياً على آخر ولا بُدَّ من تنبيه القرَّاء انَّ

اختلاف الآباء والطقوس في هذا الامر لا يمسُّ المعتقدات بل هو امر تاريخيّ عرضيّ امكن المفسّرين ان يتباينوا فيهِ كما جاز للكنائس ترجيح رأي على آخر

(الاسكندريون) اقدم الآباء الذين تكلّموا عن النسوة الانجيليّات اقليمس الاسكندري في اواخر القرن الثاني الّا انَّ تفسير هذا الكاتب كلّهُ مجازيّ مبنيّ على الرموز ومن ثمَّ لا يمكن الاستشهاد بهِ وان وحّد بين الثلث

وأصرح منهُ في ذلك اوريجانوس المعلّم لكنَّ هذا تصرَّف في رأيهِ فتارةً يجعل النسوة ثلثاً بل اربعاً لئلّا يُنسَب الى الاناجيل اقوال متضاربة وتارةً يوحّد بينهنَّ فيزعم انَّ يوحنا اخذ اقوال بقيّة الانجيليين فأتمّ نقصها . وقد زعم في ميمره الثاني على شرح نشيد الاناشيد انَّ نصوص الاناجيل لا تتكلّم الّا عن امرأتين فقط . فاختلافهُ في آرائهِ يدلّ على انّهُ وجد في الاناجيل مشكلاً لم يأخذ على نفسهِ حلّهُ

وكذلك لا يؤخذ برهان قاطع من تفسير القدّيس كيرلّس الاسكندريّ الذي ميّز في شرحهِ على انجيل يوحنا بين وليمة لوقا والولائم المهيّأة ليسوع في بيت عنيا ولكن سكت عن وحدة او كثرة الدامغات بالطيب قدمي يسوع

(الآباء اللاتين) المعلّم ترتوليان اوّل من بحث بينهم عن الامر فوحّد بين النسوة وبين كلّ الولائم وذلك وفقاً لتعليمهِ الاواطيقيّ بخصوص التوبة ومنح الغفران للتائبين مرّةً واحدة فقط وعليهِ لا يجوز اتخاذهُ كسند

وبعدهُ كتب ايلاريوس في القرن الرابع وذكر النسوة في شرح انجيل متّى ولكن دون ترجيح رأي على آخر

وتبعهما القديس امبروسيوس الذي يجعل الامر تحت شكّ وريب في شرحهِ على لوقا فقال انهُ من المحتمل انَّ الخاطئة التي دهنت قدمي يسوع كما اخبر لوقا ليست هي التي اراقت طيبها على رأسهِ كما روى متى ومرقس

ولمعاصرهِ القديس ايرونيموس شرحان متباينان شرحٌ مجازيّ في مقدّمتهِ على نبوّة هوشع يوحّد فيهِ النسوة الثلث . وشرحٌ حرفيّ وذلك في شرحهِ على متى يفرق فيهِ بينهنَّ او بالحري يجعلهنَّ امرأتين المطيّبة قدمي يسوع والمغسلتها بدموعها وهي الخاطئة والمهريقة بطيبها على رأسهِ وهي غير تلك . فمن ثمَّ ترى كلّ فئة من الموحّدين والمثلثين

للنسوة امكان ... تشهد بقول ايرونيموس وان كان الشرح الثاني الحرفي مفضلاً على الشرح المجازي

ومثلهم اوغسطينوس الكبير الذي في كتابهِ عن توفيق الانجيليين رجّح وحدة النسوة الثلث ثمَّ عاد في شروحهِ على انجيل يوحنا وابدى شكوكهُ في الامر . ومن اقوالهِ في تردّدهِ قولهُ في احد مياميرهِ : «انَّ بيت لعازر كان خالياً من الاثم فانَّ الصلاح كان في قلب مرتا وكذلك كانت مريم صالحةً وان كان الاثم ولج يوماً في ذلك البيت فانَّ الربَّ بدخولهِ اليهِ قد ابعد عنهُ كلَّ اثم »

(الكنيسة السريانيَّة واليونانيَّة) إمام الكنيسة السريانيَّة هو القديس افرام وهو من انصار التوحيد بين المريمين والخاطئة وذلك بكلام جليّ لا يبقي ريباً قالهُ في احد مياميرهِ

وعلى خلاف ذلك القديس يوحنا فم الذهب فانَّهُ يفصل بين الخاطئة ومريم اخت لعازر بقولهِ انَّ الاولى كانت بلغت بخطاياها الى قعر الذلّ واما الثانية فكانت امرأة فاضلة جديرة بالاكرام

فيتّضح من كلّ هذه الاقوال انَّ الكتبة الكنسيّين لم يعرفوا شيئاً باتًّا بخصوص المريمين والخاطئة وكلّهم يرجعون الى نصوص الانجيل ولو ثبت لهم دليل من التقليد او التاريخ لما ضربوا عنهُ صفحاً

فيبقى شاهد (الطقوس) . ومما لا يُنكر ان صلوات الطقس اللاتيني الراقية الى القرن السادس والى القديس غريغوريوس الكبير تكرّر مراراً في فرضها ورتبة قداسها انَّ الخاطئة والمجدليَّة واخت مرتا كانَّ امرأة واحدة . وبعكس ذلك الكنيسة اليونانيَّة التي صلواتها وفرائضها اقدم من الفرض اللاتينيّ فانَّها تميّز ثلاث نسوة وتعيّد لكل منهنَّ في يوم خاصّ ففي سلخ اذار تذكر الخاطئة التائبة وفي ١٨ منهُ تعيّد لمريم اخت لعازر من بيت عنيا وتفرد اليوم ٢٢ من تموز لمريم المجدليَّة . الّا انَّها في الميناون تشير الى ما تشترك فيهِ المريمان فتدعو مريم المجدليَّة حاملة الطيب كمريم اخت لعازر

فترى ان الطقوس كبقيَّة الشواهد متذبذبةٌ ايضاً لا تأتي ببرهان قاطع . فيجوز للمفسّرين ان يغلّبوا رأياً على رأي كما يشاؤون

على انَّ الشائع اليوم في اعتقاد اكثر المؤمنين انَّ اقوال الاناجيل تصدق على امرأة واحدة. ولعلَّ شيوع هذا الرأي انَّما حصل بواسطة الوعَّاظ الذين يتَّخذون ارتداد الخاطئة وسيلةً للحضّ على التوبة التي تغيّر قلوب اعظم الخطأة فتجعل الزانية نفسها عزيزةً على الله الذي يتبرَّع على التوبة النصوح بأثمن المواهب واسبغ النعم وينسى كلّ ما اجترحهُ صاحبها من الكبائر كما غيَّر السيد المسيح قلب اللصّ اليمين وادخلهُ معهُ الفردوس يوم وفاتهِ

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

ألوهيَّة المسيح في آداب حياتهِ

قد بلغ السيّد المسيح ذروة حياتهِ. انتشع الغمام الذي كان يحجبهُ في الناصرة. اعلن بسموّ مقامهِ صوتُ الآب الذي جعل فيهِ كلّ مسرَّتهِ وحاول الروح القدس عليهِ على شكل الحمامة. قام يوحنَّا بالشهادة للاهوتهِ امام بني اسرائيل فتوارى من بعد ادانها كما تتوارى الكواكب لدى طلوع الشمس

فها هي ذا شمس البرّ قد برزت من وراء الافق "كالعروس الخارج من حجلته تبتهج كالجبَّار للعَدْو في السبيل من اقاصي السماء خروجها والى اقاصيها دورانها وليس من يتوارى عن حرّها" (مز ١٨ : ٥—٧). وانَّما نور هذه الشمس السماويَّة وحرّها هما اللاهوت الذي كان في شخص المسيح الكريم ومهما لطَّفت الطبيعةُ الانسانيَّة نور اللاهوت وحرَّهُ فكان لا بُدَّ للالوهيَّة ان تلوح ايضاً من وراء حجاب الناسوت

فعلينا في هذا الفصل ان نعتبر سيرة السيّد المسيح وآداب حياتهِ فنبيّن ان تلك

الآداب ليست آداب انسان محض بل هي اعمال اله وفضائل تفوق على كلّ قدسية بشريّة وتثبت كونهُ ابن الله الحيّ النازل من السماء لخلاص العالم

ان حياة الانسان لا تخلو ان تظهر في ثلاثة مظاهر اوّلاً في علائقهِ مع الاله ثمّ في تصرُّفهِ مع القريب واخيرًا في سلوكهِ الخاصّ واعمالهِ الشخصيّة فان احسنَ في هذه المواطن الثلثة ولم يخلّ فيها البتة ادرك الكمال. على انَّ البشر قلّما يرقون اوج الكمال وان بلغوهُ لم يبلغوهُ الّا بعد النقص المتتالي وبعد المشقّة وكدّ النفس

فألق بنظرك رعاكَ الله الى تاريخ البشر واستقرِ سيرة مشاهير الرجال في كلّ امّة وكلّ بلاد لا تجد بعد البحث والتنقيب رجلًا واحدًا جمع فيهِ كلّ المناقب الطيّبة دون نقص ولا عيب لا بل ترى كثيرين من اولئك المشاهير اشتهروا بسيّئاتهم اكثر منهم بصلاح اعمالهم وفضائل حياتهم . فمن يا ترى بين اولئك المبرّزين قد جمع في نفسهِ كلّ السجايا الحميدة من سموّ عقل وعلم واسع واخلاق رَيضة وكرم وشهامة واقدام ورقّة طباع فان حصل الواحد على نصيب منها عُدَّ محظوظًا . وهيهات ان ترى واحدًا قد تفرّد بشيمٍ وخلال لا يُرى فيها ممزوجًا شيءٌ من النقص . وان خصصت بالنظر الآباء والانبياء رأيت ايضًا انَّ فضائلهم محصورة في بعض الاعمال لا تشمل كلّ صنف من الصلاح والبرّ . اذ ليس كامل الّا الله

على انَّ هذا الكمال قد اراد الله ان يُريَهُ للعالم مرّة واحدة وذلك في شخص ابنهِ الالهيّ الذي وحدهُ بلغ منتهى الكمال فاقرَّ بهِ اعداؤهُ ولو مرغومين

اوّل ما قصدهُ السيّد المسيح في حياتهِ ان يكون قدوةً للبشر في تُقى الله واكرام الخالق فاظهر في ناسوتهِ اسمى الفضائل التي يُسرُّ بها نظر الآب السماوي . وقد سمعناهُ وهو في الثانية عشرة من عمرهِ يذكّر مريم ويوسف انَّ هذه هي دعوتهُ « ان يكون فيما هو لابيهِ » (لوقا ٢ : ٤٩) . وهي الغاية التي وجّه اليها كلّ اعمال حياته أن يكرمهُ تعالى « ويبذل نفسهُ قربانًا وذبيحةً لله رائحة مَرْضيَّة » (افسس ٥ : ٢) تفوق على كلّ القرابين والذبائح المقدَّمة لله . فعن لسانهِ كان قال النبي داود (مز ٣٩ : ٧ — ٩ وعب ١٠ : ٧) : « ذبيحةً وتقدمةً لم تشأ . . . حينئذٍ قلتُ : هاءنذا آتي . . لاعمل بمشيئتك يا الله »

فقدّم السيّد المسيح لله ابيهِ كلّ قوى عقلهِ وذهنهِ ونفسهِ كأطيب المحرقات .

ولذلك تراهُ في كلّ اعمالهِ لا يطلب الّا رضى الآب واتمام مشيئتهِ كما صرّح بذلك غير مرّة فقال في انجيل يوحنّا (٨ : ٢٩) : « انيّ افعل ما يرضيهِ كلّ حين » وكذلك قال لليهود (يو ٥ : ٣٠) : « اني لستُ اطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي ارسلني » . ولمّا لقيهُ تلاميذهُ مع المرأة السامريّة عند بئر يعقوب ودعوهُ ليأكل ممّا ابتاعوهُ في المدينة قال لهم (يو ٤ : ٣٢ — ٣٤) : « انّ لي طعاماً آكلهُ لستم تعرفونهُ انتم . . . انّ طعامي أن اعمل مشيئة من ارسلني وأُتمّم عملهُ » . وهذه مشيئة الآب قد جعلوا نُصب عينهِ في كلّ تصرُّفهِ حتى في ساعة نزاعهِ في بستان الزيتون حيث صرخ ثلاثاً : «لا تكن مشيئتي بل مشيئتُك» . وقد شهد بولس الرسول على تضحية المسيح مشيئتهُ لابيهِ حيث قال عنهُ (روم ١٥ : ٣) : « انّ المسيح لم يُرضِ نفسهُ »

وكما انهُ لم يطلب في كلّ اعمالهِ غير رضى الله كذلك لم يطلب مجد نفسهِ بل تمجيد الاب فقط كما قال لليهود (يو ٨ : ٥٠) : « انا لا اطلب مجدي » . وامكنهُ ان يقول بملء الثقة في آخر حياتهِ (يو ١٧ : ٤) في صلاتهِ الى ابيهِ : « انا قد مجّدتك على الارض واتممتُ الذي اعطيتني لأعملهُ » وعلى خلاف ذلك قد بكّت الفريسيين ووبّخهم على قلّة ايمانهم لأنهم لم يطلبوا مجد الله بل مجد الناس كما قال لهم (يو ٥ : ٤٤—٤٥) : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تطلبون المجد بعضكم من بعض ولا تبتغون المجد الذي من عند الله وحدهُ »

ولم ينفصل السيّد المسيح تمجيد الله عن محبّتهِ التي كان صرّح انّها اوّل الوصايا وأعظمها فعرّفها بقولهِ (متى ٢٢ : ٣٧) : « أحبب الرب الهك بكل قلبك وكلّ نفسك وبكل ذهنك » . فكانت محبّتهُ للآب محبّة ابرّ البنين واصدقهم حبًّا لأنّهُ كما قال (يو ٨ : ٥٥) كان « يعرفهُ ويحفظ كلامهُ » . وقد اظهر هذه المحبّة في كلّ ظروف حياتهِ ولا سيما لمّا طلب منهُ الآب ان يضحّي نفسهُ لاجل البشر فاجاب بطيب القلب الى وصيّتهِ وقرّر ذلك بقولهِ (يو ١٠ : ١٧—١٨) : « من اجل هذا يحبّني الآب لاني ابذل نفسي عن خرافي . هذه وصيّة قبلتُها من ابي » . ولمّا حان وقت السير الى الآلام والموت لم يستنكف عنهما بل قام وذهب الى حيث كان يعلم ان سيطلبهُ اعداؤهُ للموت فقال لتلاميذهِ (يو ١٣ : ٣٠) : « ليعلم العالم اني احبُّ الآب واني كما اوصاني الآب هكذا اعمل قوموا ننطلق من ههنا »

وهذا الحبّ العظيم الذي اضطرم بهِ قلب السيد المسيح نحو ابيهِ هو الذي كان يدفعهُ الى ان « يعتزل في القفار ويصلّي » كما اخبر لوقا (٥ : ١٦) ومرقس (١ : ٣٥) وكثيراً ما كان « يخرج الى الجبل ليُصلّي ويقضي ليلَهُ في الصلاة الى الله » كما لوقا (٦ : ١٢) ويوحنا (٦ : ١٥) وذلك على « حسب عادتهِ المألوفة » كما صرَّح بهِ لوقا (٢٢ : ٣٩)

وهذه المحبَّة نفسها لله كانت تحدو بهِ الى ان يقدّم كلّ ما يؤول الى مجد الله ونشر خدمتهِ . وكان اذا رأى احداً يخلّ بذلك غار لله كما فعل لمَّا رأى الباعة والصيارفة ينتهكون لحرمة الهيكل (متى ٢١ : ١٢) « فاخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسيّ باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتي بيتَ صلاةٍ يُدعى وانتم جعلتموهُ مغارةً للّصوص »

وكذلك غضب على الكتبة والفرّيسيين وانذرهم بالويلات (متى ٢٣ : ١٣ — ٣٦) لأنهم ضحّوا شريعة الله لتغليب سُنَنهم البشريَّة وللفوز باغراض شخصيَّة سافلة

وكان في ما خلا ذلك يكرم السلطة الدينيَّة ويقوم بكل فرائضها . كما كان يفعل اذا ابرأ البرص (لوقا ٥ : ١٤ و١٧ : ١٤) فكان يأمرهم بان يُروا نفوسهم للكهنة على حسب سنَّة موسى ويقرّبوا القرابين المفروضة لذلك . بل تلطَّف واجاب الى طلبة شيوخهم لمَّا سألوهُ ان يبرئ غلام قائد المئة (لو ٧ : ١ — ٩) وألحّوا عليه قائلين لهُ : « انهُ يستحقُّ ان تصنع لهُ هذا لانهُ يحبُّ أمّتنا وقد بنى لنا مجمعاً »

وكان في كلامهِ الى جمهور الشعب يأمرهم بالاصغاء الى كلام الكتبة والفرّيسيين وان كانت اعمالهم غير مطابقة لتعاليمهم وذلك لجلوسهم على كرسيّ موسى فقال (متى ٢٣ : ٢ — ٣) : « ان الكتبة والفريسيين جالسون على كرسيّ موسى مهما قالوا لكم فاحفظوهُ واعملوا بهِ واما مثل اعمالهم فلا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون »

وقد اراد في آلامهِ ان يظهر اكرامهُ لسلطة رئيس الاحبار وذلك لمَّا استحلفهُ بالله ان يقول لهم هل هو المسيح ابن الله (متى ٢٦ : ٦٣) فاجابهُ السيّد المسيح بكل رزانة « انهُ هو » مع علمهِ بانَّ جوابهُ سيكون سبباً للحكم عليهِ بالموت

وقد ختم السيد المسيح حياتهُ باعظم دليل على قنوتهِ لعزَّة الله اذ « أسلم روحهُ

بين يدي ابيهِ » (لوقا ١٣ : ٤٦) وذلك في الساعة عينها التي ضحّاهُ الآب السماوي فداء عن آثامنا واشعرهُ ببغضهِ للخطيئة التي لبس المسيح شبهها حبًّا بنا حتى كاد لا ينظر اليهِ فصرخ يسوع مردّدًا آية المزامير (٢١ : ١) : « إلهي إلهي لماذا تركتني »

فترى انَّ السيد المسيح كان قدوةً سامية للتقى ولكل الفضائل التي يستطيع الانسان ان يمارسها في خدمة إلههِ ومن ثم استحقَّ أن يؤدي لهُ الآب الشهادة على رضاهُ التامّ بهِ قائلًا « متى ٣ : ١٧) : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ » . فهيهات ان ترى في العالم من جاراهُ في اكرامهِ للآب السماوي وإنجاز كلّ وصاياهُ حتى انهُ « لم يخلّ بنقطة واحدة من الناموس حتى اتمَّ الكلّ » (متى ٥ : ١٨) و « من امتلائهِ نحنُ كلُّنا اخذنا » (يوحنا ١ : ١٦)

*

ذلك كان كمال ابن الله في عبادتهِ وتقاهُ وتسبيح اللاهوت . فماذا نقول الآن عن كمال اعمالهِ مع القريب فانَّ فيها من الصفات الفريدة ما لا يشقُّ غبارهُ انسان على الارض مهما عظمت درجة فضلهِ

اوَّل دليل على حبّ السيد المسيح للبشر تجسُّدهُ ونزولهُ من السماء لاجل خلاصهم كما صرح بذلك (يو ٣ : ١٦) : « هكذا احبَّ الله العالم حتى انهُ بذل دونهم ابنهُ الوحيد » . ولم يلزم مدَّة ثلاثين سنة من حياتهِ الخمول والذلّ والطاعة والشغل الشاقّ الّا ليعلّم جميع البشر ولاسيما العَمَلة ان يقدّسوا حياتهم العاديَّة واعمالهم اليوميَّة التي لا يعتبرها الناس وهي امام الله تستحقُّ ثوابًا عظيمًا ان قدَّسها الانسان بالنيَّة الصالحة وصبر على اتعابها وبلاياها

وقد لاحت فضائل المسيح في اعين العالم خصوصًا في سني كرازتهِ ودعوته . وذلك في معاملاتهِ لكل طبقات الناس

اختار كتلاميذهِ رجالًا أميين جهلاء يرتزق اكثرهم بالصيد والاشغال المادّيَّة فأخذ يعلّمهم ويثقّفهم ويعدُّهم الى دعوةٍ ما كانت لتخطر على بالهم . فكم قاسى من الاتعاب ليزيل اوهامهم وليُصلح نقائصهم وليبذر في قلوبهم الفضائل التي لم يألفوها فتارةً يبكّتهم على ترفّعهم وطلبهم للرئاسة (متى ٢٠ : ٢٢ ولوقا ٢٢ : ٢٥) ويذكّرهم انَّهُ هو السيد جاء ليَخدُم لا ليُخدَم . وتارةً يرفع عقولهم عن المادّيات

لئلا ينصرفوا همتهم الى المأكل والمشرب والملبس. (مرقس ٨ : ١٣ ومتى ٦ : ١٣) . وحيناً يردّهم عن طلب الانتقام (لوقا ٩ : ٥٤ — ٥٥) وهو في كلّ احوالهم يحتمل فظاظة طباعهم ويصبر على جهلهم وقلّة ادراكهم وفشلهم وذلك حتى آخر حياته بل بعد قيامته (مرقس ١٦ : ١٤)

اختلط مع الجموع فعُني بشؤونهم وابرأ امراضهم وشفاهم من عاهاتهم واقام موتاهم واخرج منهم الارواح النجسة واحتمل لحاجتهم اذ كانت الجماهير المجمهرة تُقبل اليه من اليهودية وفلسطين والشام وفينيقية والمدن العشر وما وراء الاردن (متى ٤ : ٢٤ — ٢٥ لوقا ٦ : ١٧) فكانوا يحدقون به لينظروهُ ويسمعوا تعاليمه وربّما ملأوا البيوت التي يدخل اليها (مرقس ٢ : ٢ ولوقا ٨ : ١٩) ولا يدعون له وقتاً ليأكل خبزاً (مرقس ٣ : ٢٠) وكان «كلّ من به داء يتهافت عليه ليلمسهُ» (مر ٣ : ١٠) ويزحمونهُ (مر ٥ : ٢٤) ويمسكونهُ لئلا يذهب من عندهم (لوقا ٤ : ٤٢) وهو مع كلّ ذلك حليم صبور لا يفوه بكلمة تنبئ عن ضجره او قلّة صبره بل يتمّ بالحرف ما كتب عنهُ النبيّ (اشعيا ٤٢ : ١ — ٣ ومتى ١٢ : ١٨ — ٢٠) : «هوذا فتاي الذي اخترتهُ حبيبي الذي سرّت به نفسي أحلُّ روحي عليه فيخبر الامم بالحكم. لا يماري ولا يصيح ولا يسمع احدٌ صوتهُ في الشوارع قصبةً مرضوضةً لا يكسر وكتّاناً مدخناً لا يطفئ حتى يُخرج الحكم الى الغلبة» . ومن ثمَّ كان الربّ يتحنّن على الجموع القادمة لاستماعه ويبذل نفسهُ لخدمتهم . وكان اذا رآهم في البرّيّة لا يريد ان يصرفهم الى منازلهم دون طعام «لئلا يخوروا في الطريق» (مرقس ٨ : ٣) ولذلك اصطنع مرّتين تلك المعجزة العظيمة لمّا فات ألوفاً من الجموع بخبزات قليلة واسماك زهيدة (متى ١٦ : ٨ — ١٠) لكنّ تحنُّنهُ عليهم كان اعظم اذا رأى اسقامهم الادبيّة «كأنهم كانوا معذّبين منطرحين مثل الخراف التي لا راعي لها» (متى ٩ : ٣٥)

وكان قلبهُ الحنون يميل خصوصاً الى الضعفاء والمنكوبين فيدعوهم بالطف الدعوات التي لم يخرج مثلها من فم بشر قبلهُ فيقول (متى ١١ : ٢٨) : «تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والمثقلين وانا أريحكم» وكانت هذه الدعوة تشمل حتى الصغار والاحداث «فكان يضع يديه عليهم ويصلّي قائلاً : «دعوا الصبيان ولا تمنعوهم

لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوت السماوات » (متى ١٩ : ١٣ — ١٤)

وكان حنان قلبهِ اعظم واوسع للخطأة ليجذبهم الى التوبة والاستغفار من خالقهم . والانجيل مملوء من الشواهد على رقّة قلب يسوع على هؤلاء المساكين . فمن يستطيع ان يقرأ ما ورد من ذلك في سيرة المسيح دون ان يتفطَّر قلبهُ شكرًا على رحمتهِ نحو متى العشّار (متى ٩ : ٩ — ١٣) ونحو زكّى رئيس الجباية (لوقا ١٩ : ١ — ١) ونحو المرأة السامريّة (يو ٤ : ١ — ٢٧) ونحو الخاطئة الباكية عند قدميهِ (٧ : ٣٧—٤٧) . وقد صوَّر السيّد المسيح رحمتهُ نحو الخطأة في تلك الامثال العجيبة التي تؤثر في القلوب الجلموديّة عينها كمثل الخروف الضالّ والدرهم المفقود والابن الشاطر (لوقا ف ١٥) . وكان لا يخاف من لوم الفريسيين فيمتزج بالعشّارين والخطأة ويقبل دعوتهم ليكسب ثقتهم ويصلح سيرتهم . قال لوقا (١٥ : ١—٢) : « وكان العشّارون والخطأة يدنون منهُ ليسمعوهُ فتذمَّر الفريسيُّون والكتبة قائلين : ان هذا يقبل الخطأة ويأكل معهم » امَّا الربّ فكان يفحمهم بقولهِ (لوقا ٥ : ٣١) : « لا يحتاج العافون الى طبيب لكن ذوو الاسقام اني لم آتِ لادعو صدّيقين بل خطأة الى التوبة » . وبانت بهِ رحمتهُ الى ان اطلق سبيل الزانية دون ان يحكم عليها (يو ٨ : ١٠) بعد ان كشف لشكاتها آثامهم قائلًا : « من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرجمها بحجر » لكنَّهُ اوصاها بالّا تعود تخطئ

ولم يقصر الرب حسن معاملتهِ على الصغار والخطأة بل وجَّه عنايتهُ الى كلّ النفوس حتى الفريسيين والصدوقيين وكافَّة اعدائهِ فكان لا يأنف من ان يكلمهم ويباحثهم ويكشف لهم اسرار ملكوت الله واذا دعاهُ احد منهم الى بيتهِ اجاب الى دعوته فأكل عند الفريسيين غير مرَّة (لو ٧ : ٣٦) مع كونهم كانوا يرقبونهُ ليأخذوهُ بكلمة . واذ اتى واحد منهم اليه ليلًا وهو نيقوديموس قبلهُ وأعلن لهُ باسرار ملكوت الله (يو ٣ : ١—٣٥ و١٩ : ٣٩) حتى تتلمذ لهُ كيوسف الرامي (يو ١٩ : ٣٨) . وكذلك الصدوقيُّون فانَّ السيد المسيح ردَّ ضلالهم في قيامة الموتى بكل لطف (متى ٢٢ : ٢٩) اذ رآهم جهلاء لا يدركون حقائق الايمان

وممَّا امتاز بهِ السيّد المسيح في تصرُّفهِ مع الناس أنَّهُ كان يعطي كل ذي حقّ حقَّهُ دون محاباة للوجوه ولا مراعاة للاشخاص فلا يطلب رضى الاولياء ولا فضل

الاغنياء بل يجعل نفسهُ كالمتكل ليربح الكلّ لابيهِ . كشف خبث هيرودس (لوقا ١٣ : ٣٢) وعلّم الطاعة لقيصر في ضمن الزمنيّات (متى ٢٢ : ٢١) دعا ارباب الثروة الى الكمال ودلّهم على طريقهِ (متى ١٩ : ٢١) كما انّهُ أثنى على ارملة ألقت فلسين في الخزانة (لوقا ٢١ : ١ — ٤) كسر من زهو الفريسيين المتكبّرين واطرأ تواضع العشّار (لوقا ١٧ : ١٠ — ١٤) صنع المعجزات لعلاج كل المسقومين ولم يشأ ان يصنع آيةً امام هيرودس ليخلّص نفسهُ بل لم يُجبهُ بكلمة منضلًا هزءهُ على موافقته في فضوله . دفع الجزية لجباة الدرهمين مع كونهِ حرًّا لئلّا يشكك الناس (متى ١٧ ٢٢ — ٢٦)

فترى انّ السيد المسيح كان مثال الكمال في سيرتهِ مع البشر كما كان قدوتهم في تُقى الله وعبادتهِ تعالى . ولو اردنا شاهدًا آخر لا يُنكر على كمالهِ في تصرّفه مع البشر كفانا بهِ في شهادات اعدائه عليه فانّهم لم يجدوا ليشكوه في محاكمهم وامام بيلاطس والي الرومان الّا شهادات زور عرف كلّ كذبها الّا ما صرّح هو ذاتهُ به علانيةً اعني كونهُ ابن الله

*

بقي ان نبيّن كمال السيّد المسيح في مظهر ثالث وهو حياتهُ الشخصيّة والفضائل التي مارسها في عيشته الخاصّة واعمال حياته الفرديّة فنقول :

انّ الانسان اذا ما خالط بني جنسهِ وشخصت اليهِ ابصارهم لرفعة مقامه بينهم ربّما موّه عليهم وحلّى نفسهُ بثوب مستعار يحجب عن العيون نقائصهُ الطبيعيّة حتى اذا انجلى عنهُ الناس وعاد الى سيرتهِ اليوميّة خلع عنهُ ذاك الرداء وعرفهُ اصحابهُ كما هو بلا بهرج ولا زخرف باطل

ومن امعن النظر في حياة السيّد المسيح الخصوصيّة وجدهُ بلغ كمالها كما ادرك كمال الصلاح في خدمة اللاهوت والتصرّف مع العالم

نبذ السيد المسيح في عيشتهِ كلّ رفاهية ونعمة واختار الزهد والعيشة الشظفة . افتتح دعوتهُ بصوم عجيب دام اربعين يوماً واربعين ليلةً فشعر بالجوع . ثم شاطر تلاميذهُ مآكلهم البسيطة التي اعتادوها مع فقرهم من خبز شعير واسماك يصطادونها او كان يعيش معهم من بعض صدقات يُحسن بها اليهِ نساء صالحات ذكرهنّ لوقا (٨ : ٣)

كان يقاسي اتعاب الاسفار فيطوف البلاد ماشياً ليبشّر فتراهُ جالساً عند بئر يعقوب وهو تعبان من السير (يوحنا ٤ : ٦) وكان لبسهُ بسيطاً خشناً ورداؤه غير مخيط (يوحنا ١٩ : ٢٣) . امّا مسكنهُ فكان يختلف على اختلاف من يضيفهُ في بيتهِ حتى انهُ قال (لوقا ٩ : ٥٨) : « انَّ للثعالب اوجرةً ولطيور السماء اوكاراً وامّا ابنُ البشر فليس لهُ موضع يُسند اليهِ رأسهُ »

وكان مع زهدهِ وقشف عيشهِ يأنف من كلّ كبر وجاه عالميّ ويستنكف عن كلّ عظمة وترفُّع حتى انهُ كان في وسط تلاميذهِ كالذي يَخدُم (لوقا ٢٢ : ٢٧) . بل كان يقول (متى ٢٠ : ٢٨) : « انَّ ابن البشر لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم » وقد اثبت ذلك فعلاً غير مرّةٍ ولاسيما في العشاء السرّي حيث غسل ارجل تلاميذهِ وامكنهُ ان يجعل نفسهُ قدوةً في تواضعهِ حيث قال (متى ١٧ : ٢٠) : « تعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب » . ومن ثمَّ لمّا علم انَّ الشعب ارادوا ان يختطفوهُ ويقيموهُ ملكاً انصرف عنهم للحال الى الجبل وحدهُ (يوحنا ٦ : ١٥)

وقد حملهُ تواضعهُ الى الطاعة مع كونهِ هو الربّ والسيد بل اطاع في حياته وموته كما قال الرسول (فيلبي ٢ : ٣) عنهُ انهُ « اذ كان في صورة الله لا يعتدُّ مساواتهُ لله اختلاساً اخلى ذاتهُ آخذاً صورة عبدٍ . . . فوضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب »

لكن ذاك التواضع الذي التحفَ ابنُ الله بشواعرهِ لم يكن ليثنيهُ عن بذل نفسه لاجل البشر . فحيثما سرت رأيتهُ قدوةً لذاك التفاني العجيب في سبيل حاجات الجموع ومداواة كافّة اسقامهم حتى ان كلّاً منهم كان يستطيع تكرار آية الرسول القائل (غلاطية ٢ : ٢٠) : « أحبَّني ابنُ الله وبذل نفسهُ لاجلي » كما ان الربّ يسوع امكنهُ ان يعرض نفسهُ كمثال التجرُّد وجحود النفس حيث قال (متى ١٦ : ١٤) : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبهُ ويتبعني » وقد ختم حياتهُ بتقدمة نفسه للموت عن احبّائه وهي اقصى حدود المحبّة كما قال (يو ١٥ : ١٣) . ووضع نفسهُ من تلقاء ذاته دون ان يغصبهُ على ذلك احد وهو القائل (يو ١٠ : ١٧ — ١٨) : « من اجل هذا يحبُّني الآب لاني ابذل نفسي لآخذها ايضاً ليس احد يأخذها مني ولكنني ابذلها باختياري ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان

أن آخذها ايضاً ». فاتمَّ طوعاً ما فاه به قيافا رئيس الكهنة بروح النبوة (يو ١١ : ٥٠) قائلاً : « أنكم لا تعرفون شيئاً ولا تفتكرون انهُ خير لكم ان يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الامَّة كلها » ولذلك تراهُ سائرًا الى الموت بكل طيب قلب دون ان يصنع شيئاً لينقذ نفسهُ من تلك العذابات والاوجاع التي كانت تنتظرهُ وكان سبق فوصفها لتلاميذهِ في كلّ تفاصيلها (متى ٢٠ : ١٩)

فهذا الزهد وهذه الضعة وتلك الشهامة العجيبة كلّ ذلك كان مقروناً بطهارة وقداسة حياة ليس وراءها من مزيد . وكان يشعر تلاميذهُ بذلك البرّ العظيم فيصرخون كبطرس (لو ٥ : ٨) : « أخرج عني يارب فاني رجل خاطئ » او كقائد المئة (متى ٨ : ٨) : « يا رب لستُ مستحقًّا ان تدخل تحت سقف بيتي » . ومع ما كان الفرّيسيُّون والكتبة يخترعونهُ من الشكايات الباطلة في حقّه لم يخفْ ان يحتجّ على كذبهم علانيةً ويفحمهم بقوله (يو ٨ : ٤٦) : « مَنْ منكم يثبت عليَّ خطيَّة » . فهذا اعمري كلام لا يقولهُ الّا من وثق من نفسه تمام الفضل والبراءة لاسيما بازاء قوم معادين يطلبون ادنى هفوة ليهلكوه . بل اقرُّوا بكمالهِ في كل اعمالهِ غير مرَّة كقولهم (مرقس ٧ : ٣٧) : « لقد احسن فيما صنع » ومثل ذلك قال تلميذا عمواس (لو ٢٤ : ١٩) : « كان يسوع الناصريّ رجلاً نبيًّا ذا قوَّة في العمل والقول امام الله والشعب كلّه » وكقول صاحب سفر الاعمال (١٠ : ٣٨) : « اجتاز يسوع يُحسن الى الناس »

فليقم الآن كل مُنصف وليقُلْ لنا أيوجد في العالم ام وُجد قطّ مثالٌ من قداسة الحياة وطهر السريرة كمثال السيّد المسيح . نعم انّنا لا ننكر انّهُ وُجد احياناً قدّيسون عظام شهدت التواريخ على سامي فضائلهم ولكن اين ذلك من قداسة السيد المسيح التي من فيضها نالوا ومن نورها اقتبسوا وان كانوا اضحوا قدوة لغيرهم بحسن اعمالهم فما ذلك الّا لكونهم تعقَّبوا آثار المسيح فكلّ منهم يقول كبولس الرسول (١ كور ٤ : ١٦) : « اسألكم ان تقتدوا بي كما اقتدي انا بالمسيح » . ولولا المسيح لأضنكهم عبء خطيئتهم فيصرخون كالرسول عينهِ (روم ٧ : ٢٠) : « الويل لي انا الانسان الشقيّ من ينقذني من جسد الموت هذا »

والحقّ يقال ان يسوع وحدهُ المثال الكامل الخالي من كلّ نقص الذي اعطاهُ

الله للبشر ليقتدوا به ويرسموا في قلوبهم فضائله. فانَّ الآب السماوي اذ أسمع صوتهُ من الغمام قائلاً « هذا هو ابني الحبيب » اردف ذلك بقوله « اياه اسمعوا » اراد به على ما شرحهُ الآباء ان تُصغي الى تعاليمه وتقتفي بآثاره . لانَّ الله يوم الدين سيميّز مختاريهِ على حسب الشبه الذي يراهُ بينهم وبين ابنه الالهي كما قال الرسول (روم ٨ : ٢٩) : « انَّ المختارين الذين سبق الله فعرفهم سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكرًا ما بين اخوة كثيرين »

ثم انَّ الربَّ يسوع نفسهُ لم يأت في حياتهِ كلَّ ضروب الفضائل الَّا لنقتدي بها فيقول لنا كما قال لتلاميذهِ (يو١٣ : ١٥) : « اني اعطيتكم قدوةً حتى انَّكم كما صنعتُ انا بكم تصنعون انتم ايضاً » وكما قال ايضاً (متى ١٧ : ٢٠) : « تعلَّموا مني ... »

وقد جرت الكنيسة على هذا التعليم فانَّها في كلِّ اسرارها وكلِّ ارشاداتها وكل عنايتها لا تنوي الَّا امرًا واحدًا ان تطبع صورة المسيح في اولادها فتقول لكلٍّ منهم قول الرسول (غلاطية ٤ : ١٩) : « يا بُنيَّ الذين اتمخَّضُ بهم مرَّةً أُخرى الى ان يتصوَّر المسيح فيهم »

فلذلك ترى انَّ شخص المسيح منذ ظهر في جبال يهوديَّة قد اضحى قُبلة كلِّ الشعوب. اليه توجّه كلُّ النفوس بأبصارها لتقتدي به بحيث يجوز ان يقال ان كل ما ظهر من الصلاح منذ عشرين جيلًا على الارض اصلهُ المسيح . وقد اقرَّ بذلك احد كبار الزنادقة انفسهم . قال ڤولتير إمام الملحدين : « ليس بين كلِّ الحكماء الاقدمين رجلٌ واحد امكنهُ ان يؤثّر في آداب الذين يقطنون في حيّه قريباً منهُ امَّا السيد المسيح فانَّهُ اثَّر في العالم كلّه (١ »

فهذا هو المثال الذي قصد الاقتداء به الحواريُّون لمَّا طافوا العالم وتجشَّموا كل الاخطار ليقيموا دعوتهُ . هو المثال الذي نصبهُ امام عيونهم الوف الالوف من الزهاد في البراري والقفار فنبذوا الغنى والملذَّات وعاشوا في جسم بشريٍّ عيشة ملائكيَّة .

---

١) هذا هو كلامهُ في الحرف Aucun sage n'a eu la moindre influence sur les mœurs de la rue qu'il habitait, et Jésus-Christ a influé sur le monde entier (Voltaire)

هو المثال الذي سند الشهداء الذين أدّوا للمسيح شهادة الدم في كل انحاء المعمور فساروا الى الموت سَيْرَهم الى ألذّ الولائم واشهى المسرّات . هو المثال الذي استنزل الملوك عن عروشهم لينقطعوا الى اعمال البر . هو المثال الذي يريد التشبُّه به ذاك العدد الموازي لكواكب السماء من الرهبان والراهبات الذين يتفانون في تلطيف كل الاسقام البشريّة من معالجة امراض شتى كالسلّ والبرص والجنون وخدمة العجزة وحضانة اللقطاء وتربية الايتام وتهذيب الناشئة

وكما كان المسيح مثال كل الازمنة هو ايضاً قدوة كل اطوار حياة الانسان فالى يسوع الطفل ينظر الصغير في حجر والدته وباسمه يلهج اذا تحرَّك لسانه وحذوَهُ يحذو اذا بلغ سنَّ الرشاد . ثمَّ يسلك مناهجهُ اذا ترعرع ويأتسي بامثاله اذا بلغ أشُدَّهُ وخاض غمرات الحياة وساوَرَتْهُ خطوب الزمان . يجد الفقير فيه اسوةً في ضنك عيشه وبنوره يستضيء الغنيّ لئلّا يجعل في الغنى أملهُ . العَمَلة يقتفون معالمهُ ليقدّسوا اشغالهم اليوميّة . والائمة يهتدون به ليحسنوا رعية مرؤوسيهم ويعاملوهم مثلهُ بالرفق والرحمة والاناة . آثارَهُ يقتصُّها الرهبان في زهدهم . وعلى مثاله يجاهد المضطهدون والمجرَّبون من العالم والشيطان . تحت كنفه يدخل الوليد في ميدان الحياة وبين يديه يسلّم المدنفون على الموت ارواحهم بكل ثقة

ومهما بحث الانسان على سرّ هذه القوّة العجيبة لا يجدها الّا في لاهوت يسوع فلو كان المسيح انساناً محضاً لأصبح اسمهُ منذ قرون عديدة نسياً منسيًّا وتراهُ كل يوم يزداد عظمة وارتفاعاً في اربع خوافق العالم اذ « ليس بأحدٍ غيره الخلاص لانهُ ليس اسمٌ آخر تحت السماء ممنوحاً للبشر به يخلصون » (اعمال ٤ : ١٢) . فلا بُدَّ « ان تجثو لهُ كلُّ ركبةٍ ممَّا في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ويعترف كلُّ لسان انَّ الرب يسوع المسيح هو في مجد الله ابيه » (فيلبي ٢ : ١٠–١١) (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL: XVI., TA'RIKH-I-JAHAN GUSHA OF JUWAYNI, ed. by Mirza Muhammad Qazwini, 1912, XCIII-٢٩٢+ ٥٤٥ = XIX THE GOVERNORS AND JUDGES OF EGYPT BY EL-KINDI ed. by. Rhuvan Guest,. 1912, pp. 72 + ٦٨٢ = XX THE KITAB AL-ANSAB OF AL-SAM'ANI, reproduced in facsimile by D. S. Margoliouth, 1912. 7 + ff 603

مطبوعات جديدة لجمعيّة جب

هذه ثلاثة كتب نفيسة اتحفتنا بها عمدة الجمعيّة المنسوبة الى جيب وقد انتهت من طبعها حديثاً

(الاوّل) تاريخ فارسيّ عنوانهُ جهان گشاى اي فاتح الدنيا لعلاء الدين عطا ملك جوينيّ المولود سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٣ م) احد كتبة ملوك المغول . ضمّنهُ تاريخ جنكزخان وغزواتهِ وفتوحاتهِ في القرن الثالث عشر . وتاريخهُ معدود في جملة اصدق الآثار لكثرة علمهِ واختلاطهِ بالاعمال الديوانيّة وقربهِ من الامور التي حاول وصفها . وهذا الكتاب قد استفاد منهُ عدّة مؤلفين اوربيين اخصّهم البارون دأوهسن (Bon C. d'Ohsson) لكنّهُ لم يُنشر سابقاً منهُ الّا فقرات فاستحقّت لجنة جيب شكر المستشرقين بطبعها الكتاب على ذمّتها طبعاً متقناً . وقد عُني بنشر الاصل احد علماء فارس محمّد مرزا القزوينيّ . وزادهُ نفعاً جناب الاستاذ برَوْن (E. G. Browne) بتصحيحهِ وتقديمهِ عليهِ المقدّمات الواسعة بالانكليزيّة والفارسيّة لتعريف المؤلف ووصف تاريخهِ والمخطوطات الباقية منهُ . وقد ذُيّل النصّ الفارسي بالروايات وأُلحق بفهارس لاعلام الرجال والاماكن والقبائل والكتب المذكورة في التاريخ . فجازى الله خيرًا كلّ من سعى بنشرهِ وكمال اهميتهِ

والكتاب (الثاني) اعظم شأناً لاهل بلادنا وهو كتاب الولاة وكتاب القضاة لابن عمر محمّد الكندي وصفنا قسماً منهُ طُبع سابقاً في نيويرك بهمّة جمعيّة مكميلان ومساعي الدكتور كونيغ (راجع المشرق ١٢ (١٩٠٩) : ٢٣٠) وقد نبّهنا هناك انّ العالم الانكليزي غست (R. Guest) يُعنى ايضاً في طبعهِ وها هوذا قد انجز عملهُ فجاءت طبعتهُ كاملةً لا ينقصها شيءٌ من اسباب الكمال . فالقسم العربيّ قد نُشر

في مطبعتنا على ورق صفيق وبحرف مشرق مع ملحوظات عديدة في ذيل الكتاب وملحقات فريدة من كتب عزيزة الوجود . ضاعفت فوائد الاصل وهو اقدم تاريخ يُعرف لمصر ولولاتها في القرون الاولى للهجرة . وهناك مقدّمات انكليزيّة غاية في الافادة طُبعت في لندن ولم ينس حضرة ناشر الكتاب ان يزين كتابهُ بالفهارس الواسعة وبجدول الالفاظ الغريبة التي وردت في تاريخ الكندي . وفيهِ ايضاً خارطتان بديعتان تعينان على مراجعة اسماء البلدان التي ذكرها المؤلف في مصر وفي بقيّة المملكة العبّاسيّة فهما قلنا في اطراء الكتاب كان دون حقّهِ

امّا الكتاب (الثالث) فهو ايضاً من اجلّ الكتب وانفعها وهو كتاب الانساب للقاضي ابي سعيد عبد الكريم السمعانيّ (٥٠٦–٥٦٧ هـ = ١١١١–١١٦٢م). فمؤلفهُ الشهير يتتبع الاعلام على حروف المعجم ويضبط انسابها ويذكر من اشتهروا بالنسبة اليها . وهو كتاب ضخم ينيف على ١٢٠٠ صفحة وفي الصفحة ٣١ سطراً ناعماً فلو طُبع على الحروف لأتى عدّة مجلدات فنشرتهُ جمعيّة جيب بالصورة الفوتغرافيّة على نسخة المتحف البريطاني بعناية المستر اليس (A. G. Ellis) ناظر الديوان الهندي (India Office) في لندن وقدّم عليهِ الاستاذ مرغليوث مقدّمة انكليزيّة في اربع صفحات . ولكن لسوء الحظ تنقصهُ الفوائد التي في بقيّة مطبوعات جيب من فهارس وملحوظات ولعلّهم يفعلون بعد ذلك جعلهم الله موردًا للعلوم ل . ش

Mgr Douais, évêque de Beauvais : La Communion des Enfants à l'âge de discrétion. *Bloud et Cie, Paris,* 1913. pp. 78

مناولة الاحداث البالغين سنّ الرشاد

لمّا اصدر سنة ١٩١٠ المجمع المقدّس بمصادقة الحبر الاعظم بيوس العاشر القرارات التي بدؤها (Quam singulari) المختصّة بالمناولة الاولى الواجب منحها للاحداث عند بلوغهم سنّ الرشاد رأت بعض الكنائس في هذا الامر غرابةً الّا انّ اللاهوتيين وعلماء التاريخ الكنسيّ تلقّوهُ بلْ الفرح واثبتوا مطابقتهُ التامّة لتعليم الانجيل الطاهر وللتقاليد الكنسيّة القديمة . ومنّن كتبوا في ذلك المناشير البليغة الواسعة السيّد دواي اسقف بوفه في فرنسة فكان لكلامهِ احسن وقع بين اكليروس وطنهِ وسائر الكاثوليك . فانّهُ لم يدافع فقط عن صوابيّة اوامر الكرسي

الرسولي وموافقتها لآيات الاسفار المقدَّسة وعادات الكنيسة الاولى بل اثبت ايضاً ما ينجم عنها من سوابغ النعم لحفظ براءة اولئك الصغار الذين دعاهم السيّد المسيح اليه وزجر تلاميذهُ لمَّا ردُّوهم عنهُ . فانَّ جسد الربّ هو للاحداث انجع دواء لما فيهم من الاميال المنحرفة وافضل وسيلة لصون طهرهم وطبع الفضيلة في قلوبهم وعليهِ يجب على الوالدين وعلى المعلمين والآباء الروحيين ان يمتثلوا احكام الكرسي الرسوليّ بكل دقَّة وينبذوا كلّ العادات الجارية على خلافها ويسهلوا للاولاد عند بلوغهم سنّ التمييز التقرُّب من ذاك السرّ المحيي والمنّ الالهيّ الذي يقوّي نفوسهم ويردّ عنهم غارات العدوّ الجهنمي وهو يسعى في ذاك المقام الحرج ان يسقطهم في اشراكهِ . فنشكر المسيو باود لطبعهِ هذا المنشور على صورة كتاب ادخلهُ في مجموعهِ المعنون بالابحاث اللاهوتيَّة . لكنَّنا لحظنا في كلام سيادتهِ انَّهُ نسب الى بعض الكنائس الكاثوليكيَّة في الشرق جريها على عادة مناولة الاطفال قبل ادراكهم سنّ التمييز (ص ٢ و٦٥) وهو امر قد بطل منذ زمن طويل كما هو معلوم

الاب ج . لوقنك

Herr D. W. Myhrman's Ausgabe des Kitâb Murid an Ni'am wa Mubid an Niqam kritish beleuchtet von K. V. Zetterstêen, *Upsala and Stockholm*, 1913, pp. 64

انتقاد طبعة كتاب سيد النعم ومبيد النقم للسبكي

ذكرنا سابقاً في المشرق سنة ١٩٠٩ (١٢ : ١٧٤) طبع هذا السفر الجليل وعناية طابعهِ في نشرهِ . وقد دوَّن المستشرق السويدي عدَّة ملحوظات مفيدة انتقاداً على هذه الطبعة بعد مراجعتها على نسخ خطيَّة وها هو قد نشرها لافادة الذين يحبُّون التدقيق والضبط في هذه الآثار القديمة . وسيتلقَّى العلماء هذه الانتقادات بالشكر لصاحبها

كتاب التعليم الصغير

بقلم الاب يوسف علوان اللعازري

مطبعة ا. موريس وشركائه بالاسكندريَّة (ص ١١٥)

يستفاد من مقدَّمات هذا التعليم انهُ الجزء الاوَّل من مختصر الديانة للصفوف الاوَّليَّة المأمور بهِ من قداسة البابا بيوس العاشر لجميع ابرشيَّات اقليم رومية وانهُ نُشر

بامر سيادة النائب الرسولي للاتين والقاصد الرسولي للشرقيين. فكفى بذلك شاهداً على ضبط معلوماته وقد زاد حضرة المعرّب عليه بعض الملحوظات في ذيله . وكان الجدير به ان يزيد في الصفحة ٥٨ تنبيهاً الى الترخيص للمرضى بالمناولة دون الصوم بعض الاحيان اذا طال مرضهم او وجب عليهم شرب الدواء . امّا الصوم الذي اوجبهُ (ص ٨٣) على الشرقيين منذ سنّ التمييز فليس هو مقرّر وعلى كلّ حال قد اتّفق آباء مجمع الشرفة والاقباط على تعيين السنة ٢١ للقيام بفريضة الصوم ل.ش

تاريخ الحرب البلقانيّة

بقلم سليم العفّاد . الجزء الاوّل يشتمل على خريطتين و١٤ رسماً
مطبعة الهلال بالفجّالة سنة ١٩١٢ (ص ١٢٢)

انّ الحرب البلقانيّة التي انفجر بركانها في العام الماضي ولا يزال حتى الآن يُسمع دويّها المرعب اوقفت انظار العالم كلّهِ وقد احبّ اهل بلادنا لو جُمعت تفاصيلها في كتاب منفرد يُرجع اليهِ في ماجريات تلك الحرب . فاجابةً لمرغوبهم نشر الكاتب الاديب سليم العفّاد هذا التاريخ وقدّم عليه فصولاً مفيدة في تعريف شبه جزيرة البلقان واقسامها ووصف الامم التي تتزاحم في ملكها من بلغار وصرب ورومان والبان وجبليين ويونان . ثمّ تخطّى الى شرح اسباب الحرب الاخيرة بعيدةً كانت كالمسألة الشرقيّة او قريبةً كهضم حقوق المتحالفين . حتى بسط بعد ذلك احوال المتحاربين من جيوش وقوّاد وأدوات حربيّة . والقسم الاخير من الكتاب يشتمل الوقائع التي جرت بعد اعلان الحرب بين الاتراك والمتحالفين ولا سيما البلغار وينتهي بفتح قرق كليسه ووصف المعارك المنتشبة في اواخر تشرين الاوّل والعشر الاوّل من تشرين الثاني. وقد زاد المؤلف كتابهُ حسناً بما اودعهُ من خرائط الحرب وصور ملوك الحلفاء واركان الجيوش مصدّرة بصورة « المؤرخ الكبير جورجي بك زيدان منشئ مجلّة الهلال » الذي قدّم لهُ المؤلف كتابهُ تنويهاً بفضله ل . ش

الاعتقاد تجاه العقل والعلم

مجموع خطب ألقاها في بيروت سنة ١٩١١ الخوري لويس دريان
الجزء الاوّل . طُبع في مطبعة النهضة (بيروت) ص ١٥٦

كنّا اثنينا على قسم من هذه الخطب التي نشرها سابقاً حضرة المؤلف وهو اليوم

قد انجز ما بقي منها وهي ثلث خطب نفيسة في الدين الطبيعي والدين الوحي والديانة المسيحيَّة جعلها كتتمَّة البناء الادبي الذي اراد تشييده في العقول بعد وصفه الارتياب العصري واثباته لوجود الخالق وبيانه الوفاق بين العقل والعلم . وقد لزم الخطيب في كل هذه الخطب خطَّة واحدة اي تأييد مواضيعه بالادلَّة العقليَّة والنقليَّة والردّ على اعتراضات المعترضين وذلك على طريقة مصاقيع الخطباء مازجاً بين اللذيذ والمفيد . القريب والبعيد . البسيط والبليغ مع تفكيه المخيلة بالتشابيه المبتكرة وتحريك العواطف بالامثال المثيرة والاوصاف المؤثرة فهذه الخطب حريَّة بان تكون في ايدي كل من يرغب في معرفة اصول الدين الثابتة واركانه المتينة . وفي عدد آخر نذكر ان شاء الله مجلَّته المعنونة « بالرسالة » التي نرحب بها هذه المرَّة فقط ل . ش

كتاب الفلسفة النظريَّة

للكردينال مرسيه . عرَّبهُ وعلَّق حواشيه الخور اسقف نعمة الله ابي كرم

قسمان : المجلَّد الثالث في علم اليقين = المجلَّد الرابع في علم النفس

طبع في المطبعة العلميَّة على نفقة الاديب يوسف صادر ويباع في المكتبة العموميَّة (١٩١٢)

سرَّ السوريين عموماً والموارنة خصوصاً بترقية سيادة الخور اسقف نعمة الله ابي كرم حديثاً الى درجة الاسقفيَّة في رومية العظمى بعد ان تولَّى فيها بضع سنوات رئاسة المدرسة المارونيَّة بحكمة ودراية وكنَّا عرفناهُ قبلها منذ ثلاثين سنة رجل فضل واسع وعلم راسخ تعدَّدت آثارهما بعد ان تخرَّج سيادتهُ في مدرستنا في غزير فتفرَّغ للتعليم وللكتابة في كليتنا ثم صنَّف المصنَّفات المستجادة وعُهد اليه تدبير الدارس . فلا عجب أنْ قدَّر الكرسي الرسولي كل هذه المآثر فاجازها بالمنصب الرفيع الذي دُعي اليه . وتعريب سيادته لكتاب الفلسفة النظريَّة للكردينال مرسيه هو من اجل خدمه العلم . وقد وصفنا سابقاً القسمين الاوَّلين . وفي يدنا القسمان التابعان ومدارهما على علم اليقين وعلم النفس . وفي كليهما من الابحاث العامَّة والخاصَّة ما يترقى الى معرفته الذين لا يقنعون بظواهر القشور ويتعمَّقون في جواهر الامور لئلَّا يصبحوا لعبةً في ايدي السوفسطائيين الذين شوَّهوا بتمويهاتهم وجه الحقّ . وقد امتاز الكردينال مرسيه بدرس المذاهب الفلسفيَّة المستحدثة والتمييز بين غثّها وسمينها . ولم يكتف سيادة المعرَّب بضبط ترجمة الاصل لكنَّهُ علَّق ايضاً عليه الحواشي المفيدة

وذيلهُ بالملحوظات المهمّة . فنحضّ اهل بلادنا على درس هذا التأليف وتدريسهِ لانهُ جمّ الفائدة خصوصاً كتاب علم النفس الغنيّ بالمسائل العصريّة التي يخبط فيها كثيرون ممّن لم يعرفوا حقيقتها ل . ش

شذرات

نحن والتقليد فالى اين المصير — سُرَّ قرّاؤنا بنظم الاديب الياس افندي مسابكي الذي نشرناهُ في احد الاعداد السابقة عن الغلاء وسوء الحال . وهاهوذا اتحفنا بمثل آخر من اقوالهِ في اللغة العاميّة عن تقليد اهل بلادنا للاجانب :

اصغوا لي ذوي الافكارْ لنحكي بالحريّهْ التقليد عمّ الاقطارْ وصرنا بحاله فقريّهْ

١ التقليد عمّ الاقطارْ خصوصاً عنّا بوسط الشامْ
حتى بالمدارس صارْ التقليد ماشي تمامْ
صاروا يلبّسوا الصغارْ آخر طرز يا سلامْ
بدلة كحليْ وفيها زوارْ كل زر بستين مصريّهْ

٢ عل خصر لازم زنّارْ من الجلد آخر موضهْ
وبرنيطة قش بكتارْ شريطه عليها محطوطهْ
وقبّه مكويّه على النّارْ وقطة رقبه مربوطهْ
ويحكو حكم الجزّارْ ليلبّسوهم بسويّهْ

٣ متى ما صارو شبابْ تشوف الاغلب طفرانينْ
الربع يشتغلو كتّابْ والبقايا بطّالينْ
وان حاكيتهم بالصوابْ يقولوا عنّا خرفانينْ
ينسوا الصرف والاعرابْ ويحكوا بلغة فرنجيّهْ

٤ المستخدم باربع ليراتْ يلبّس مراته حريرْ
يشتري من الخبراتْ الذراع بليره بالتقديرْ
يقلّد البكاواتْ حتى الباشا والوزيرْ
وان قصّر تقول لهُ هاتْ لي بسعر الافنديّهْ

٥ تقول له بذي اجيره وبذي اجير لغراض السوق
وبذي كورسه قصيره وفسطانين يكونوا عالذوق
وبذي مشاط بتحجيره وبذي حلق وبذي طوق
يا ما تعمل الغيره هلكت ناس بعديه

٦ وخصوصاً لبس البنات ما عاد لحق الشغيل
البرنيطه باربع ليرات والفسطان من صوف تقيل
رادنكوت يا بابا هات بالبلد ما له مثيل
صار بدهم كمشة ليرات وما في منهم مصريه

٧ لانني يليق المصروف لو صرف الفين دينار
ايراده من جنس الصوف الفين باله قول اكثر
املاكه تعد الوف وحوانيته للايجار
تمن بايراده وشوف ما يصرف ربع المية

٨ والمحتاج يعطوه رحمات يعرفوه انه فقير
والمتوسط حاله مات ولحقه الافلاس والتكسير
ان قلد البكاوات وان صرف مثل الامير
بعده لازمه ندابات تندب حالته الحزينه

٩ انا انصحك يا بيك ان تبطل التقليد
عاقد فراشك مد رجليك ساعتها تكون سعيد
معاشك يصير يكفيك وتشوف عمرك عما يزيد
وما في انسان يضاهيك وتعيش عيشه هنية

الرسالة الكاثوليكية في مادورة ذكرنا في رحلتنا الى الهند بالاجمال حالة الكنيسة الكاثوليكية في الهند . واليوم قد افادتنا احدى المجلات الهندية انَّ في اقليم مادورة وحده بلغ عدد الكاثوليك في آخر سنة ١٩١٢ ٢٦٠,٠٠٠ يعنى بهم نحو مئة مرسل من الرهبانية اليسوعية التي دخلت في السنة الخامسة والسبعين منذ عهدت الرسالة الى عنايتها . ولهذه الرسالة مدرسة كبيرة اعظم من كليتنا في بيروت عدد تلامذتها ٢٠٥٠ اثنت على رقيها الحكومة الانكليزية

مرارًا . ولها ٢٢٨ مدرسة ابتدائيَّة للذكور عدد تلامذتها الكاثوليك ٨٧٥١ والوثنيين ٥٢٦٣ والمسلمين ٢٤٨ والبروتستانت ٢٥ . ثم سبعة مدارس ثانويَّة للذكور ايضاً يتلقَّى فيها العلوم ٦٠١ كاثوليكيّ و٧٢٣ وثنيًا . ولها ٤٠ مدرسة ابتدائيَّة للاناث بينهنَّ ٢٨٥٨ كاثوليكيَّة و٥٧٥ وثنيَّة و٢٨ مسلمة وسبع مدارس ثانويَّة تحضر دروسها ٥٤٥ كاثوليكيَّة و ٢١٨ وثنيَّة . وللرسالات مطبعة للغات الهنديَّة ومرصد فلكيّ . ومن اجل اعمال الرسالة عناية المرسلين بتبشير البراهمة . والكاثوليك وحدهم امكنهم حتَّى الآن ان يغلبوا تعصُّب البراهمة فنصَّروا منهم عددًا صالحًا رجالًا ونساء

❊ تجارة الولايات المتحدة ❊ بلغت تجارة الولايات المتحدة في العام الماضي مبلغاً عجيباً فكانت صادراتها الى الخارج اثني عشر مليارًا من الفرنكات ووارداتها ثمانية مليارات بزيادة اربعة مليارات في الصادرات . والأمل انَّ هذه الحركة التجاريَّة تزيد كثيرًا في العام الجديد لاسيما عند انجاز الاميركان لترعة پناما وقد اتَّفقوا على تدشينها في ٢٥ ايلول من السنة الجارية وفيه تذكار المئة الرابعة لاكتشاف الاسبان لاوقيانوس الهادي — ومما يدلّ على تقدّم الولايات المتحدة غزو اساطيلهم البحريَّة ولمَّا جرى في العام المنصرم معرض السفن الحربيَّة الاميركيَّة كان عددها بين كبيرة وصغيرة ومدرَّعات الدردنوط والغوَّاصات ١٢٣ سفينة وبحَّارتها ٢٦٠٠٠ تحت نظارة الف ضابط

❊ فائدة في القصَّاد الرسوليين في سوريَّة ❊ لمَّا سبقنا وكتبنا مقالتنا عن القصادة الرسوليَّة في سوريَّة المشرق ١٢ (١٩٠٩) : ١٢) ذكرنا بين قصَّادها المؤقتين الاب داسيداريوس رئيس الاراضي المقدَّسة الذي اوفده الكرسيّ الرسولي لبتّ الحكم في قضيَّة صور القديس مارون . وقد افادنا حضرة القس لويس بليبل اللبناني في مجلَّة كوكب البرِّيَّة أنهُ اكتشف منشورًا في دير مار الياس شوايا لمجمع عقد في ١٠ نيسان سنة ١٧٤٧ بحضور الاب داسيداريوس المذكور بصفة قاصد رسولي والسيّد البطريرك سمعان عوَّاد تأيدت فيه ثلاث قضايا اوَّلها ثبوت المطارين في رعاياهم . وثانيها المحافظة على الرتب الكنائسيَّة بلا تغيير . ثالثها تفويض السيّد البطريرك باختيار ايّ وكيل اراد لهُ . والمنشور مصادق عليهِ من تسعة اساقفة

الصلحون السوريون — وما ادراك من هم ؟ اصحاب جريدة المهذب المنتمية الى بولس افندي الكفوري المحروم وكل من كان على شاكلتهم ممّن نسوا الخشبة المعترضة في عيونهم ليروا القذى في عيون ارباب الكنيسة فبلعوا الجمل وصفّوا من البعوضة وهم لا يزالون يصرخون « الاصلاح الاصلاح » على شرط ان لا يعالج سقمهم طبيب . ومن جملتهم معرّب مقالة النهضة الاصلاحيّة اسعد افندي صابات الدمشقي الذي ابى اكليروس طائفته الفضلاء ان يوافقوهُ في مخالفة سنن البيعة فظنّ انهُ ينتقم منهم بتعريب مقالة لاحد اعداء الدين في الاضاليل العصريّة او الموديرنيسم ويا ليتهُ عرّب شيئاً حديثاً لكنّهُ اخذ مقالة كُتبت منذ خمس سنوات اذ كان وطيس الجدال حامياً وهو اليوم قد خمد بعد ان فازت الكنيسة بالنصر على خصومها كمألوف عادتها فجاء تعريب اسعد صابات « كالخردل في آخر الغداء » كما يقول الفرنج اعني في غير وقته بعد ان كسر حكمُ الكرسيّ الرسولي نخوة بعض المتمرّدين الذين ذهبت مساعيهم ادراج الرياح والكنيسة في عزّها ورقيها الدائم تسخر من قرّات الجحيم وفشل معاديها . فخطئتَ الحفرة يا اسعد افندي !

الدروس العليا في كليّتنا — لمّا أنشئت كليّة القديس يوسف في بيروت سنة ١٨٧٤ لم يكن فيها من العلوم العليا سوى اللاهوت والفلسفة فنالت من مكارم الحبر الاعظم لاون الثالث عشر الرخصة بمنح شهادتي المأذونيّة والملفنة فيهما لمستحقيهما . وفي السنة ١٨٨٣ انتدبت الوزارة الفرنسويّة رؤساء رسالتنا الى انشاء مكتب طبي كفرع يلحق بالكليّة (راجع تاريخهُ في المشرق ١٩٠٨ (١١ : ٣٤١ — ٣٥٤) ولا يخفى ما نالهُ من الامتيازات من فضل الدولة العليّة والدولة الفرنسويّة معاً . ثمّ تكرّمت الحكومة الفرنساويّة على الكليّة بان رخّصت لها بمنح شهادة البكالوريا لمن اتمّوا دروسهم الثانويّة فيها ونجحوا في الامتحانات الكتابيّة والشفهيّة المفروضة عليهم . وفي السنة ١٩٠٣ أُلحق بالكليّة فرع آخر وهو المكتب الشرقي لدرس الآداب الشرقيّة الخاصّة . ولهذا المكتب نشرة علميّة ظهر منها الى الآن سبعة مجلّدات ضخمة . وفي المدّة الاخيرة قد نالت كليّتنا انعاماً جديداً لتوسيع نطاق دروسها العليا نريد به انشاء مكتبين مهمّين واحد للحقوق وآخر للهندسة يكونان تحت نظارة كليّة ليون الفرنساويّة فاصبحت بهما كليّتنا جامعة لفروع العلوم العالية

اسئلة واجوبة

س كتب من الخرطوم حضرة القس يوسف غبريل الشابي. ما حرفهُ : « طالما البابا هو رئيس الكنيسة شرقاً وغرباً لماذا لا يدخل في انتخابه آباء شرقيُّون . ثمَّ لماذا لا يُنتخب كرادلة من الشرقيين

الشرقيُّون في انتخاب الباباوات وفي مصفّ الكرادلة

ج لا مانع البتة من ان يشارك الآباء الشرقيُّون اخوتهم الغربيين في انتخاب رؤساء الكنيسة الاعظمين وانما ذلك مقيَّد بقوانين وشروط قلَّما يقوم بها اهل الشرق وذلك خصوصاً لقلَّة الكاثوليك الشرقيين فانَّهم بالنسبة الى عدد الغربيين كنسبة الواحد الى الثمانية . ومعلوم ان عدد الكرادلة لا يتجاوز السبعين . فان كثر يوماً عدد الشرقيين بارتداد المسكوب والروم جاز ان يُنتخب بعض من الشرقيين للمنصب الكردينالي واذا ما نال احدهم اغلبيَّة الاصوات صار حبرًا اعظم . ولا يُخفى انَّهُ وجد في القرون الكنيسة الاولى الى القرن التاسع عدَّة باباوات شرقيين بينهم يونان وسوريُّون كتب عنهم فصولًا المرحوم الاب ا. رباط في مجلَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة . وقد ذكر المشرق في مقالته عن رسول الاتحاد بين الكنيستين اي بسَّاريون انَّ هذا المطربليت اليوناني ورصيفهُ ايزيدور رئيس اساقفة كياف المسكوبي رُقيا الى رتبة الكرادلة . وكاد ينال بسَّاريون في احد الانتخابات عدد الاصوات القانوني البابويَّة ومَن رقي في زماننا الى مقام الكرادلة غبطة بطريرك الارمن انطون حسُّون سنة ١٨٨٠

س وسأل من دمشق جناب سابا افندي مخائيل سيوفي بماذا يمتاز البطريرك الانطاكي الملكي عن البطريرك الانطاكي الماروني وعن البطريرك الانطاكي السرياني

امتياز بطاركة انطاكية

ج ان كتاب نظام الكنيسة الكاثوليكيَّة (Gerarchia Cattolica) الذي يُطبع كل سنة في رومية لا يجعل امتيازًا بين بطاركة انطاكية وانَّما ينظمهم على حسب زمن انتخابهم . امَّا تاريخيًّا فالبطاركة الملكيُّون اقدم من الجميع كما هو معلوم اذ كانوا قبل تفرُّع الطوائف وانقسامها في القرن الخامس ل . ش

المشرق

العاديّات الكتابيّة في القرون الاولى للنصرانية

نظر اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (*)

انَّ العاديّات الكتابيَّة التي استخرجها الاثريّون في الازمنة الاخيرة من بطون الارض قد اضحت علماً جديداً يتّسع كلّ يوم نطاقهُ ويتّخذهُ المؤرخون كسندٍ وطيد لتعريف ما فاتنا من الاخبار السالفة . وكثيراً ما اصلحوا بها مزاعم الكتبة الاقدمين وزيّفوا اوهامهم او اثبتوا اقوال البعض منهم دون البعض الآخر لأنَّ هذه الآثار تنطق بلسان حالها عن شؤون الذين دوَّنوها وقد شهد على صحتها كل قاصٍ ودانٍ اذ رُقمت في الغالب على الحجارة او نُقرت في المعادن كالحديد والشبه او رُسمت على الخزفيّات والواح الخشب او كُتبت على البردي والرق فبقيت مطمورةً بين الاطلال حتى جدَّد حياتها ارباب الحفريات وبعثها من دفائنها الباحثون عن العاديّات

وليس كلامنا هنا عن الكتابات الاشوريَّة ولا عن الآثار المصريَّة الهيروغليفيَّة التي كشفت للعلم عالماً جديداً لا بل نضرب صفحاً عن الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة التي قلبت اليوم ظهراً لبطن تاريخ اليونان والرومان فكادت تقرّب الينا عهدهم فتوقفنا على ادقّ احوالهم في عيشتهم الاهليَّة وحياتهم الاجتماعية . وفي عاداتهم

(*) اخص ما ورد في هذه المقالة قد نقلناه عن فصل مطوَّل كتبهُ حضرة الاب لويس جلابرت (P. L. Jalabert) اليسوعي من اساتذة كليتنا في معجم الدفاع المسيحي الذي يُعنى بنشره الاب هـ. داليس اليسوعي في باريس (Dictionnaire d'Apologétique chrétienne, art,. ÉPIGRAPHIE, pp. 1403-1458).

ومعاملاتهم المختلفة في كلّ امور دينهم ودنيـاهم فانَّ معجم العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة الذي وضعت اقسامهُ مجلَّة المشرق كلُّهُ مبنيٌّ على هذه الاثريَّات الذي يزيد اليوم عددها على ثلاثمائة الف كتابة بين صغيرة وكبيرة قصيرة وطويلة وجدوها في كلّ انحاء الدولة الرومانيَّة القديمة حتى اقاصي تخومها المعروفة

وانَّما اقتصرنا في هذه المقالة على عاديَّات أُخرى اهمّ واجدر بالاعتبار نريد بها العـاديَّات المسيحيَّة اليونانيَّة واللاتينيَّة الراقية الى قرون النصرانيَّة الاولى منذ عهد رسل السيّد المسيح الى الهجرة وظهور الاسلام . وهذه الكتـابات المنبعثة من مكامنها بعد انحجابها عن العيان مدَّة اجيال طويلة قد بلغ عدد مجموعها اليوم نحو الخمسين الفاً . وهو لعمري عدد وافر وان كان دون عدد العاديَّات الوثنيَّة لأنَّ الكتابات الوثنيَّة سبقت عهـد النصرانيَّة بنحو ٣٠٠ سنة ثمَّ لا عجب في توفُّر الكتابات الوثنيَّة وقلَّة الكتابات النصرانيَّة بعد ظهور النصرانيَّة الى قسطنطين الكبير لأنَّ امور الدولة كانت كلّها في ايدي القياصرة وكان النصارى مضطهدين ينبغي عليهم ان يعيشوا في الخمول او يحتجبوا عن نظار اعدائهم في الدياميس او في الامكنة المعتزلة فما كانوا ليفكّروا في تدوين مآثرهم او تعريف شؤونهم لئلّا يقف خصومهم على تلك الآثار فيتّخذونها حجَّة عليهم لمصادرتهم

ومن المرجَّح ايضاً ان قسماً من الكتابات المنسوبة الى الوثنيين بعد المسيح ليست لهم بل لنصارى لم يريدوا ان يُشعروا بدينهم فجروا في كتابتها مجرى الوثنيين واتخذوا عباراتهم الرسميَّة متحاشين فقط ما يدلّ على الشرك والتوثن . وهذا الامر قد لحظهُ ائمة الاثريين كامام علماء العاديَّات النصرانيَّة الكاثليكي دي روسّي (J. B. de Rossi) وفرنتس كومون (F. Cumont) والاثري الانكليزي رمساي (Ramsay) وغيرهم واستدلُّوا عليهِ ببعض الادلَّة اللطيفة المؤيدة لرأيهم كاستبدال النصارى بعض الفاظ بما هو اقرب الى معتقدهم فمن ذلك لفظة (κεῖται) اليونانيَّة المرقومة على قبور الوثنيين بمعنى امتدَّ وانطرح فالنصارى جعلوا بدلاً منها κοιμᾶται اي رقَدَ دلالةً على رجائهم بالقيامـة . وكذلك ترى الوثنيين يختمون كتاباتهم على القبور بطلب العافية والصحَّة لموتاهم χαῖρε, ὑγίαινε فالكتابات النصرانيَّة ابدلتها بطلب السلام او سلام الله للميت . وغير ذلك من الدلائل الخفيَّة

اخصُّها القاب نصرانيَّة كقارئ او كاهن او اسقف مما لا يمكن نسبتهُ الى الوثنيين

فبعد هذه المقدِّمات ها نحن نذكر اوَّلاً تاريخ العاديَّات النصرانيَّة ونبين خواصَّها وميزاتها ثمَّ نعرِّف مضامينها وما يُستفاد منها لاثبات الدين المسيحي

١ تاريخ العاديَّات النصرانيَّة وخواصَّها

خلَّفت النصرانيَّة في الشرق والغرب آثارًا جمَّة في القرون النصرانيَّة الاولى ولا سيَّما بعد قسطنطين لكنَّ زحفات البرابرة في الغرب والفتوحات الاسلاميَّة في الشرق طمست كثيرًا من تلك المآثر وتبعتها الحروب الطاحنة التي انتشبت في الاعصار الوسطى فاندفن معظم العاديَّات النصرانيَّة في الردوم والاخربة . وبقي الامر على ذلك حتى القرن السادس عشر حيث بعث الله العقول من سِنَتها فجرت نهضة جديدة دعت ارباب البحث الى التفتيش عن العاديَّات القديمة . وبينما كان اكثرهم يطلبون الآثار الوثنيَّة صرف غيرهم النظر الى الاثريَّات النصرانيَّة فلم يخب فيها أملهم

وكان اوَّل ما اخرجوا منها الى عالم الكون عاديَّات دياميس رومية . وقد سبقت مجلَّتنا هذه وذكرت سنة ١٩١٠ (ج ١٣ ص ١٦١—١٧٣) خلاصة تاريخها ومحتوياتها منذ وقف عليها لاوَّل مرَّة القانوني الشهير بوزيو (A. Bosio) المتوفَّى سنة ١٦٢٩ حتى هذه السنين الاخيرة التي توالت فيها الاكتشافات الاثرية على يد دي روسّي وتلامذته . فنُحيل القرَّاء اليها انفةً من التكرار

على انَّ تلك المآثر الكتابيَّة لم تكن منحصرةً في عاصمة الدولة الرومانيَّة بل انتشرت انتشار النصرانيَّة نفسها اي في كل البلاد المعمورة والعالم اجمع كما كان امر المسيح تلاميذهُ بقولهِ لهم : « اذهبوا الى العالم كلِّهِ وتلمذوا كلَّ الامم »

فلا غرو ان ظهرت ايضاً في اقطار متعدِّدة بقايا تلك العاديَّات ولا سيما الكتابات المنبئة بشؤون النصارى فوجدوا كثيرًا منها في انحاء اوربا كايطالية وغالية واسبانية وبريطانية والمانية والنمسة حتى روسيَّة الجنوبيَّة ثم جهات البلقان واليونان . ومنها في افريقية كمصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومرَّاكش الى مجاهل افريقية واعالي النيل والسودان والحبش . ومنها خصوصاً في آسية كبلاد الشام والاناضول وارمينية والعراق وفارس وبوادي جزيرة العرب حتى فارس والهند

وتركستان والصين كما ظهر في البعثات الاخيرة التي قام بها العلماء الاوربيون في العُشر الاوَّل من هذا القرن الجاري . وكفى بذلك دليلًا ساطعاً على ان انوار الدين المسيحيّ عمَّت كافَّة اصقاع العالم القديم

وهذه الكتابات تمتدُّ من اواخر القرن الاوَّل للميلاد ثمَّ تتوالى جيلًا بعد جيل حتى القرن السابع او الثامن وما جاء منها بعد ذلك العهد لا ينظمونهُ في عداد الكتابات القديمة بل يدخلونهُ في جملة كتابات طور احدث وهو طور القرون الوسطى الخارج عن نطاق بحثنا

وليس لتلك الكتابات كلها تاريخ يعيّن زمانها لأنَّ قسماً كبيرًا منها خاوٍ من التاريخ . امَّا المؤرخة فتارة تؤرخ بتعيين زمن قناصل رومية او بذكر الملوك الذين رُقمت الكتابة على عهدهم كملوك الرومان والفرنك والقوط . وقد جاء في كثير منها اسم بابا رومية الجالس على كرسي بطرس في زمنها . والكتابات الشرقيَّة مؤرخة بتاريخ الاسكندر او اليونان (اي ٣١٢ ق م) ولبعضها تواريخ محليَّة كتاريخ انطاكية (٤٩ ق م) وتاريخ بصرى (١٠٦ ب م) وشاع في الكتابات المصريَّة تاريخ الشهداء او تاريخ ديوقلطيانوس (٢٨٤ م) كما فضَّل السريان وغيرهم تاريخ العالم على مقتضى الحساب البوزنطي الذي يجعل مولد المسيح سنة ٥٥٠٨ لآدم . ويبلغ عدد الكتابات اليونانيَّة المؤرخة نحو ١٤٠٠

امَّا الكتابات الغفل من التاريخ فاكثر عددًا وهي تنيف على عشرة آلاف بين الكتابات اليونانيَّة . وقد تمكَّن الاثريون من تعريف زمن معظمها بتدقيقهم في البحث وذلك امَّا بدرس صور حروفها وطريقة كتابتها لأن هيأة الكتابة اختلفت بين جيل وجيل وامَّا برسومها ورموزها كالصليب والانجر والسكة والحمامة والكأس وسعف النخل واوَّل حروف اسم المخلّص فانَّ لهذه الرسوم واشكالها تاريخًا يُعرَف بهِ تاريخ الكتابة تقريباً . فانَّ الانجر مثلًا هو من اقدم الرموز التاريخيَّة النصرانيَّة في بعض البلاد . والحمامة لم تظهر قبل السنة ٣٧٨م وقس عليهِ بقيَّة الرموز . ومثلها الأعلام والالقاب استدلُّوا بها على زمن بعض الكتابات

وممَّا تقرَّر لدى الاختصاصيين من علماء الآثار انَّ النصارى في صورة كتاباتهم القديمة قد جروا على طريقتين مختلفتين الطريقة الأولى سبقت لعهد قسطنطين والثانية

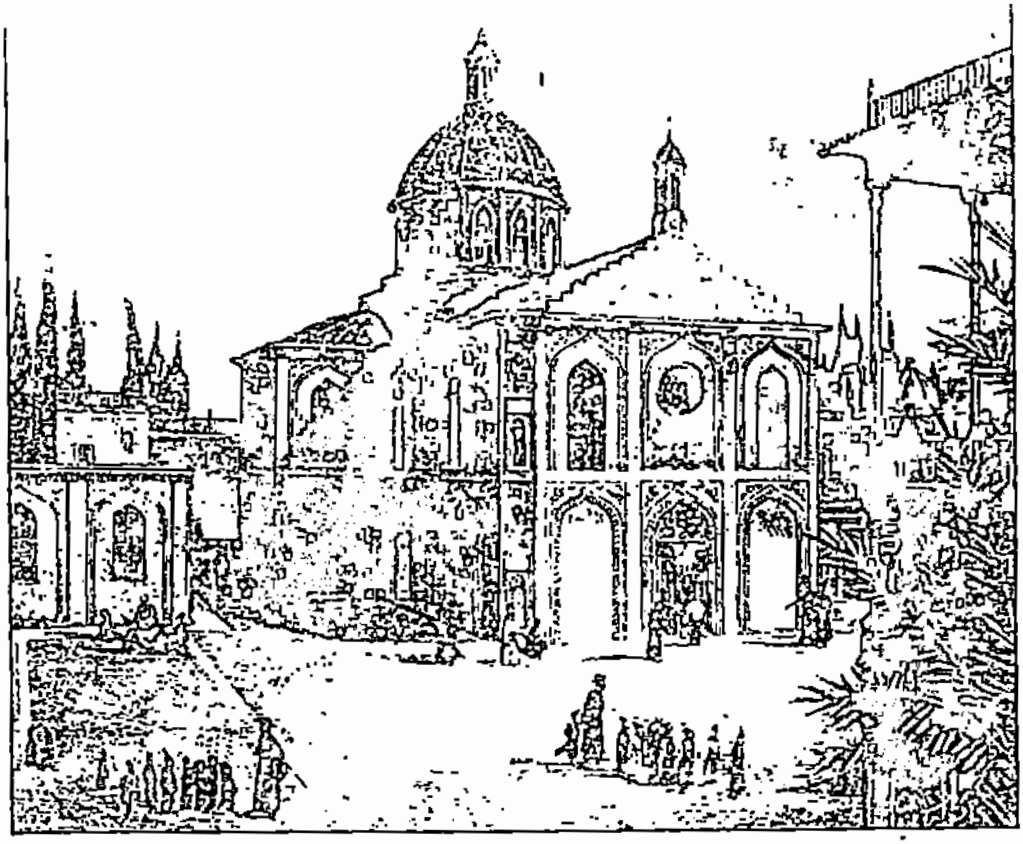

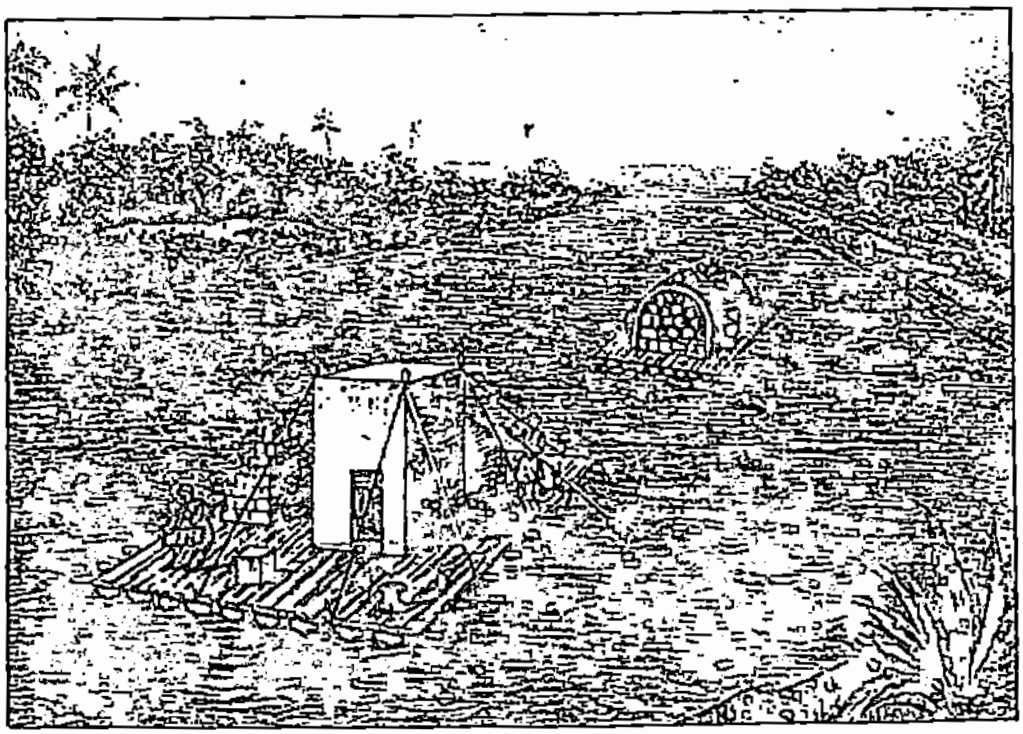

١ كنيسة الآباء الكرمليين ومدرستهم في بغداد ٢ الاطراف (الكلكات) على دجلة

تبعتهُ . ففي الاولى مسحةٌ من السذاجة والبساطة لا تُنكَر وهذه الكتابات غالباً قصيرة لا تزيد عن الفاظ قليلة لاسيما الكتابات التي على مدافن الموتى فانَّها تقتصر على اسم الميت مع بعض الرموز النصرانيَّة فقط ومنها ما يزيد على اسم الفقيد تعريف سنهِ ويوم وفاتهِ ودفنه وتُضاف في غيرها ادعيةٌ للميت غاية في البساطة كقولهم : حييتَ في الله . او حييتَ في المسيح . او في السلام . او مع القديسين . او في الراحة والهناء . وقد قُرئ على بعض المدافن : صلِّ لاجلنا . او برَّد الله روحك (١

امَّا الصنف الثاني بعد قسطنطين فانهُ اغزر مادَّةً واوضح معنىً لا سيما الكتابات الضريحيَّة اذ لم يعد النصاري يخافون الاعلان بدينهم فيقدّمون على هذه الكتابات مقدَّمات كهذه « في هذا الضريح يرقد بسلام فلان » ثم يعدّدون اسماء الميت والقابهُ ويثنون على فضلهِ وصلاحهِ كقولهم «فلان ذو الحكمة الباهرة والنفس الطاهرة والقدوة الحسنة » وما شاكل من المديح . امَّا الرموز فيعتاضون عن خفيّها بجليّها كالصليب او اسم السيد المسيح المختصر كما ورد على راية قسطنطين

ومن غريب ما لحظهُ الاثريون انَّ الكتابات الدفنيَّة والرموز النصرانيَّة التي وُجدت في بلاد غالية وبلاد شمالي افريقية اشبه شيء بالكتابات الرومانيَّة التي سبقت في الدياميس فكأنَّ نصارى تلك البلاد كانوا يتقلّدون العادات الجارية في رومية وكفى بذلك دليلًا على نفوذ سلطة الكنيسة الرومانيَّة ورئاستها . وهذا ما كشف عنهُ النقاب المسيو مونسو (Monceaux: *Hist. littér.*, II. p. 121-125) فانَّهُ قد احصى ٦٠٠٠ قطعة من كتابات نصرانيَّة رافية الى القرن الثالث للمسيح وجدوها في المغرب وجهات البربر وفي قرطجنَّة فمعظمها على صورة الكتابات التي وُجدت على قبور شهداء الدياميس اللهمَّ الا ميزات طفيفة تُعرَف بها الكتابات الافريقيَّة

ويؤيد ذلك انَّ ارباب الآثار وجدوا في عدَّة امكنة ابياتاً شعريَّة نظمها احد شعراء رومية النصارى ليزين بها قبر احد احبار الكنيسة . فشاعت الابيات في انحاء أخرى ورسموها على قبور غيرهم مع تغيير اسم الميت رغماً عمَّا يصيب الابيات من خلل الوزن بهذا التغيير

---

١) اطلب Monumenta Eccl. liturg. p. CI-CVI et CXXIV-CXXXI et KAUFMANN : Handbuch, p. 211 seqq

وما قرَّره المسيو مونسو عن كتابات شمالي افريقية قد عمَّمهُ اثريٌّ آخر من ائمة ارباب العاديات النصرانيَّة المسيو لوبلان (١ في كتبهِ المتعدّدة فاثبتهُ عن معظم الكتابات الاثريَّة التي اكتشفوها في انحاء اوربَّة . والظاهر انَّ نصارى الاقاليم الغربيَّة كانوا استنسخوا الكتابات التي وجدوها مرقومة في رومية على ابنية النصارى فحذوا حذوها في بلادهم

هذا ما ثبت اليوم عن الكتابات النصرانيَّة في الغرب امَّا الكنائس الشرقيَّة فلبُعدها عن مركز الوحدة الدينية لم تلزم في كتاباتها طريقةً واحدة فتجد اختلافاً كبيراً بين ما وجدوهُ منها حيث يلوح لاوَّل وهلة ان كاتبيها تبعوا في تدوينها ما جادت بهِ قريحتهم او ما سوَّلتهُ لهم ظروف الامكنة والازمنة . وان قابلت بين الآثار الكتابيَّة النصرانية التي جمعوها من الشام وفلسطين ومصر وبلاد العرب امكنك من ساعتك ان تعرف الجهات التي كُتبت فيها . وربَّما امتازت كتابات اقاليم القطر الواحد كاقاليم الاناضول واقاليم مقدونية واليونان التي يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يُذكر

ويظهر الفرق المذكور في بعض الاحيان حتى بين ايالة وايالة وبين مدينة ومدينة وبين قرية وقرية فيميّز الاثريّ دون صعوبة لهجة كلّ بلد وطريقة كتابتهِ واشاراتهِ الخاصَّة حتى يستطيع ان ينسب كل كتابة الى اصلها والمكان الذي كُتبت فيهِ سواء كانت في انحاء فلسطين او الشام او في حوران او احدى مدن مصر مع تعيين زمانها تقريباً

فهذه بعض خواصّ امتازت بها الكتابات النصرانيَّة في القرون الاولى . فهلمَّ بنا الآن نذكر فوائدها التي رفعت قدرها في اعين ذوي الاعتبار

٢ الفوائد المقتبسة من اكتشاف الكتابات النصرانية القديمة

قلنا سابقاً انَّ العاديَّات اجمالاً من ادلّ الشواهد على تاريخ القدماء واحوالهم في دينهم ودنياهم . وهذا القول يصدق عن العاديَّات المسيحيَّة كما يصحّ في غيرها

(١ راجع (Le Blant : *Manuel*, p. 75; *Recueil*, II, p. 152-157; *L'Epigraphie Chrét.*, p. 48-51)

ايضاً . فكل من يسرح النظر في تلك الآثار الكتابيَّة لا يلبث ان يشاهد الدين النصرانيَّ باسرهِ قائماً بازائهِ في حلَّة قشيبة لم تحكها يد الاجيال ولكن نسجتها ايدي تلامذة المسيح الاوَّلين واتباعهم الذين اخذوا عنهم التعاليم الدينيَّة فلا يستطيع احد ان ينسب اليهم تزويرًا او تمويهاً حتى اذا قابل بين نصرانيَّة تلك الاجيال السالفة وتعاليمها وآدابها الحاليَّة وجد بينهما الشبه التام فاضطرَّ الى ان يقرَّ بان الدين الكاثوليكي ثابت المعتقد لم يختلف البتَّة مع كرور الدهور وتوالي العصور . وبياناً لذلك ها نحن نفحص بعض ما ابدتهُ تلك الكتابات القديمة من الشواهد تأييدًا لمعتقدات الكنيسة فيرى انَّ « يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى مدى الدهور » (عبر ١٢ : ٨) وانَّ كنيستهُ الكاثوليكيَّة التي انشأها لم تحد ذرَّةً عن تعاليمهِ وتعاليم رسلهِ فسبحان الذي وفَّر للعالم اسباب الايمان وبنى دينهُ على صخرة لا تتزعزع

اوَّلاً الكتابات الاثريَّة والاسفار المقدَّسة

واوَّل ما يُستفاد من الكتابات الاثريَّة النصرانيَّة شرقيَّةً كانت او غربيَّة وفرةُ منقولاتها عن الاسفار المقدَّسة من العهدين العتيق والجديد . فالنصوص المنقولة عن العهد العتيق اكثرها من سفر المزامير (ولا تقلَّ عن خمسين مزمورًا) ومن الاسفار المعروفة بالحكميَّة لموافقة هذه الاسفار للأدعية وابراز عواطف النفس وعادةً لا تزيد هذه الشواهد على ذكر آية او آيتين الَّا البعض منها فهي اطول فانَّ احدى كتابات قبرس الواقعة الى القرن الرابع نقلت المزمور ٢٤ باسرهِ (Bull. de Corr. Hellén., 1896, p. 346-351) كذلك وجدوا في رودس صكًّا مختومًا من القرن الثالث او الرابع يحتوي المزمور ٨٠ الَّا خاتمهُ (Akad. d. Wiss. z. Berlin, 1898. p. 582) ووجدوا على عتبة باب كنيسة قديمة في شمالي سوريَّة عدَّة آيات منقولة عن المزامير وعن سفر نشيد الانشيد (Prentice and Littmann, PAE. n°s 839-840) مشروحةً بمعناها الرمزيّ عن بيعة الله عروس الروح القدس وفي العاديَّات المكتشفة في مصر وافريقية وسوريَّة شواهد أخرى من سفر الحكمة وامثال سليمان وابن سيراخ

وكذلك العهد الجديد فقد نقلوا عدَّة آيات منهُ بينها نصوص من الاناجيل الاربعة القانونيَّة وآيات من جميع رسائل القديس بولس الرسول رُقمت على حجارة

قديمة وخزفيات ورقوق وبرديّ في بلاد الغرب والشرق معاً لاسيما سوريّة ومصر وشمالي افريقية فهذه المنقولات تشهد بلسان حالها على شيوع الكتب المقدَّسة في تلك البلاد وتثبت شبهها التامّ جوهرياً بالاسفار التي نتداولها اليوم فتسقط حجّة المدَّعين بأنَّ النصارى حرَّفوا تلك الكتب المنزلة او تلاعبوا فيها. فسبحان الذي أفحم الخصوم بهذه الاكتشافات العجيبة

وهذه الشواهد منقولة عن نسخة الكتب المقدَّسة اليونانيَّة المعروفة بالسبعينيَّة الراقية الى القرن الثالث قبل المسيح وقد استفادوا منها تصحيح بعض روايات مصحَّفة بسهو النسَّاخ فمن ذلك انَّ ثلاث كتابات حجريَّة وُجدت في شمالي سوريَّة تروي كلام الملائكة في مولد المسيح (لوقا ٢ : ١٤): « المجد لله في العُلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرَّة » فقولهُ المسرَّة ورد في الكتابات « εὐδοκία » (اي مسرَّة الله) بدلاً من « εὐδοκίας » التي تغيّر شيئاً من المعنى فكانوا يشرحونها بقولهم: وعلى الارض السلام للناس ذوي المسرَّة (بالله). فتبيَّن المعنى وزال الالتباس

ومما استفادوهُ ايضاً بالمقابلة بين شواهد الكتب المقدَّسة الاثريَّة والمكتشفات العاديَّة الحديثة انَّ لُغة العهد الجديد وهي اليونانيَّة ليست كما زعموا لهجةً بربريَّة خاصَّة برسل المسيح مثبتة باصلهم الساميّ ولكن تحقَّقوا انَّ الحواريين في كتاباتهم التي خلَّفوها من بعدهم انَّما نطقوا بلهجة زمانهم اي باليونانيَّة الشائعة في ذلك الزمان بين العامَّة فتحاشوا اللغة الفصحى التي كان الادباء يتأنَّقون بها في كلامهم مع علية الناس وفضَّلوا عليها اللغة الدارجة اقربها من فهم العموم. والدليل على شيوع هذه اللغة بين اليونان في ذلك الزمان انَّهم وجدوا في النيوم خزانةً من اوراق البرديّ ومن الخزفيات عليها الوفٌ من الكتابات اليونانيَّة تحتوي على رسائل وصكوك ومعاهدات وفذالك ورصول كلُّها من هذه اللغة المستحدثة التي كتب بها تلاميذ المسيح اسفار العهد الجديد فجاءت هذه المقابلة مثبتة اصحَّة الاسفار الالهيَّة كاشفة لبعض معاني الفاظها المستغلقة التي كانوا قبلاً يدَّعون انَّها لهجة خاصَّة باليهود الساميين. وممَّن بيَّنوا ذلك بتآليف خاصَّة العلماء الانكليز والالمان (واكثرهم من البروتستانت) كثايِر (Thayer) وكنَدي (Kennedy) في كتابهِ عن اصول يونانيَّة العهد الجديد (*Sources of New Testament Greek*) وديسمان (Deissmann)

ولخت (Licht) وغيرهم الذين بيّنوا اصول نيف وخمسمائة كلمة كانوا قبلاً يزعمون انها من مخترعات كتبة العهد الجديد لجهلهم اللغة اليونانيّة فقرّروا انها كلها موجودة في الاثار اليونانيّة المكتشفة في الفيّوم وغيرها من النواحي

والامثلة المؤيدة لذلك كثيرة منها لفظة الاخ (ἀδελφός) فانهم كانوا يزعمون انها لا تدلّ على غير الشقيق وانّ معناهـا المجازي اي عضو الشركة لم يعرفهُ غير كتبة العهد الجديد. فبيّنت الكتابات المدنيّة انّ اللفظة كانت معروفة بمعنيَيهـا في ايام الرسل

ومن ذلك لفظة (ἱλαστήριον) التي لم يكن يُعرَف لهـا غير معنًى واحد اي غطاء تابوت العهد كما ورد في الترجمة السبعينيّة. امّا بولس الرسول ففي رسالتـه الى الرومانيّين اتّخذ هذه الكلمة بمعنى « الفدى » او الكفّارة فقـال (٣ : ١٤) عن المسيح « ان الله جعلهُ كفّارةً بالايمان بدمهِ لاظهار برّهِ بمغفرة الخطـايا » فظنّوا انّ القديس لم يُحسن اختيار الكلمة. لكنّ الكتابات المكتشفة في قوص وفي الفيّوم اوردت الكلمة بالمعنى الذي ذكرهُ بولس. وامثال اخرى كثيرة

وقد انجلت بفضل هذه الاكتشافات عدّة مشاكل كتابيّة كان خصوم الكنيسة يصوّبونها على الدين كسهام نافذة وقد اضحت اليوم معدودة في جملة السهام الطائشة فمن ذلك الكتاب المسكونة الذي ذكرهُ القديس لوقا في الفصل الثاني من انجيلهِ وجعلهُ قبل موت هيرودس وولاية كيرينيوس على سوريّة فانّ العلماء حاولوا تخطئة الانجيليّ في ذكر هذا الواقع استنادًا الى تاريخ يوسيفوس اليهودي الذي سكت عن الامر وكذلك احتجّوا بكتابة مدينة انقرة التي ورد فيها ذكر اعمال اوغسطوس قيصر ولا ذكر هناك لهذا الاكتتاب. على انّ هذه الحجج وغيرها كان جمعها شُورر (Schürrer) في تاريخ اليهود قد بطلت الآن باكتشاف عدّة آثار بيّنت صحّة رواية الانجيل من جملتها كتابة لاتينيّة وُجدت في بيروت وهي اليوم في البندقيّة (CIL, III, 6687) تذكر اكتتاباً جرى في عهد كيرينيوس غير الاكتتابات المذكورة في تاريخ يوسيفوس وفي اثر انقرة. ومنها كتابة اخرى لاتينيّة وُجدت في تيفولي قريباً من رومية تذكر تعيين كيرينيوس كوالٍ على سوريّة مرّتين وبذلك تزول مشاكل أخرى كانوا ينسبون فيها الغلط الى لوقا زورًا

ومما عدّوه من اوهام القديس لوقا قولهُ (٣ : ١) عن لوسانياس انهُ كان رئيس رُبع على ابيلينية في بدء بشارة يوحنا المعمدان ودعوة المسيح فقالوا انَّ لوسانياس هذا الذي جعلهُ لوقا ٣٠ سنة بعد المسيح انما عاش ٣٠ سنة قبل المسيح فيكون لوقا غلط بستين سنة في تاريخهِ. لكنَّ هذا الاعتراض قد فنَّدتهُ الكتابات المكتشفة حديثاً اخصُّها كتابة وجدوها في أبيلا في جوار دمشق (CIG, 4501) ذكرت لوسانياس آخر عاش في عهد طيباريوس كما روى الانجيليّ

وكم وجدوا كتابات أخرى رفعت في اعين العلماء الاثبات رتبة القديس لوقا فصاروا يعدُّونهُ من اصدق المؤرخين. وكثير من هذه الكتابات قد اكتشفوها في الشام كما تريرد (Clermont-Ganneau,RAO, 414-429) واثر فقرا (Jahrb d. k. d. arch. Inst., XVII, p. 107) وفي كليهما إثبات لما رواهُ لوقا عن اغريبا الثاني وبرنيقة. هذا فضلاً عمَّا عثروا عليهِ من الكتابات في انحاء الاناضول التي تؤيد رواية الانجيليّ المذكور في كتاب اعمال الرسل حتى صار اعداء الدين نفسهم يدافعون عن محتويات هذا الكتاب وعن صدق نسبتهِ الى لوقا (راجع في المشرق ١٥ : ٢١ مقالة حضرة الاب ابراهيم حرفوش في سفر الاعمال)

ثانياً الكتابات وتاريخ الكنيسة

كنَّا نعرف من رواية المؤرخين الكنسيين ومن تآليف قدماء النصارى انَّ كنيسة السيّد المسيح انتشرت بنوع غريب منذ ظهورها في كلّ اقطار العالم فجاء اكتشاف العاديات النصرانيَّة في معظم انحاء الدولة الرومانيَّة مؤيداً لهذا الواقع التاريخي ومزيفاً لمزاعم الملحدين الذين عوَّلوا على معارضة اولئك المؤرخين مدَّعين انهم بالغوا في وصف انتشار الكنيسة لغايات. فالكتابات الاثريَّة قامت من لحدها لتشهد بصحَّة اقوال الرواة الكنسيين ولو اردنا لرسمنا خارطةً واسعة تدلّ على البلاد والمدن والقرى التي ظهرت فيها تلك الكتابات النصرانية فيأخذ العجب كلّ القرّاء لما يرونهُ من امتداد الكنيسة الى كل انحاء المعمور حتى لم يكد يخلو من بعض اعضائها اقصى مراكز الدولة الرومانيَّة ويتحقَّقون فعلاً ما كتبهُ ترتليانوس المعلم في دفاعهِ عن النصارى في اوائل القرن الثالث حيث قال للوثنيين: «انَّنا ابناء الامس وها نحن نملأ مدنكم وقراكم وشوارعكم ومنتدياتكم حتى لو توارينا لخفتم من عزلتكم

وانفرادكم » . وممن رسموا خارطةً كهذه الاثريُّ الفرنسويّ لو بلان (Le Blant) لكنَّهُ اكتفى بخارطة بلادٍ غالية وحدها . فيستدلُّ منها الناظر على سيطرة النصرانيَّة في تلك المواطن . فما قولنا لو فعل مثل ذلك عن اسبانية وايطاليـة وصقلية وانحاء اليونان وبلاد آسيـة والشام وعربية ومصر وما بين النهرين حتى العراق وفارس وتركستان . فالحقّ يقال انَّ هذه الاثريات احسن شاهد عن شيوع النصرانية وتحقيق كلمة السيد المسيح لتلاميذهِ (اعمال ١ : ٨) : « ستنالون قوَّة الروح القدس الذي يحلُّ عليكم فتكونون لي شهودًا في اورشليم وجميع اليهوديَّة وفي السامرة والى اقصى الارض »

وممَّا يزيد هذه المكتشفات اعتبارًا ويوليها قدرًا جليلًا انَّهـا لا تشهد فقط على انتشار الدين المسيحي بل تثبت ايضاً وحدة نظامهِ العجيب الذي وصفـهُ بولس الرسول حيث قال في رسالتهِ الى اهل افسس (٤ : ٥) : « للجميع ربٌّ واحد وايمان واحد ومعموديَّة واحدة » وقد نقلت احدى كتابات سوريَّة آية الرسول دلالةً على هذه الوحدة . ومعلوم انَّ الوحدة المذكورة لا تقوم دون رئاسة وخضوع كل الاعضاء الى رأس واحد وليس في الكنيسة رأس آخر الَّا الذي أقامهُ السيّد المسيح اعني بطرس حامة الرسل وخلفاءهُ على كرسي رومية

ومن ابدع ما اكتُشف في عهدنا تأييدًا لهذه الحقيقة كتابة حجرية وجدها سنة ١٨٨٣ قريباً من سنَّاد في بلاد فريجية احد علماء البروتستانت و . م . رماي (W.M. Ramsay, *Cities*, p. 722-729) دعاها العلماء « ملكة الكتابات النصرانيَّة » وهي اليوم في متحف الفاتيكان وقد اهداها السلطان عبد الحميد الى قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في نسبة يوبيلهِ الاستقفي . وهذه الكتابة راقية الى اواسط القرن الثاني للمسيح كتبها ابرقيوس اسقف هيرابوليس لتوضع كصحيفة ضريحيَّة على قبرهِ وهي تحتوي ٢٢ بيتاً من الشعر اليوناني ذكر فيها ابرقيوس صفة نفسهِ « كتلميذ راعٍ صالح ارشدهُ الى الايمان وفهم الاسفار المقدسـة » ثمَّ يروي سياحته الى بلاد مختلفة كسوريَّة وما بين النهرين حتى نصيبين مـا وراء الفرات ويخصص بالذكر « رومية العظمى التي وجد فيها ملكةً جليلةً لابسة حللًا ذهبيَّة وحذاء مرصَّعاً بالذهب والشعب التابع لها المختوم بخاتم النور » . ثمَّ يصف ما وجدهُ في رومية والبلاد التي

عاينها من التعاليم الالهيَّة والاسرار المحيية » ولاسيما الخبز والخمر والسمكة الرمزيَّة التي اصطادتهـا عذراء طاهرة ». وفي ختام الكتاب « اعلانٌ لمن ينهك حرمة القبر بدفع جزاء قيمتهُ الفا دينار للدولة والف دينار لوطنهِ هيرابوليس »

فكل من درسوا هـذه الكتابة من كبار الاثريين اقرُّوا دون تلبُّث وتردُّد بأنها افخر شاهد واسطع دليل على شرف النصرانيـة في القرون الاولى للمسيح وعلى صفاء تعاليمها وعظمة اسرارها ولاسيما على رئاسـة الكنيسة الرومانية العليا فوق كل كنائس المعمور اذ هي ملكة العالم النصراني وشعبهـا هو الشعب المختار المختوم بختام نور المعمودية اللامع

وقد حاول بعض اعداء الكنيسة ان يطفئوا ضياء هذه الكتابة فاخترعوا المزاعم الغريبة ليثبتوا انها ليست كتابة نصرانيَّة الَّا انَّ ائمَّـة الاثريين ألقموهم الحجر وفنَّـدوا كل آرائهم الواهية فلم يبقَ اليوم مَن يجاريهم في زعمهم الَّا المكابرون للحقّ

وكما افادتنا الكتابات الاثريَّة انتشار الكنيسة ووحدتها كذلك تجد فيها ادلَّة نيِّرة على ما قاستهُ الكنيسة من الاضطهادات والمصادرات سواء كان من قبـل الوثنيين والقياصرة الذين مثَّلوا بهم وقتلوا منهم الالوف المؤلفـة كما تشهد عليه الكتابات الموجودة على مدافن شهداء الدياميس وغيرهـا او من قبل البدع المخالفة التي ناصبت كنيسة المسيح فشذبت الكنيسة تعاليمهـا وحرمت زعماءها . وفي الكتابات الاثريَّة ما يدعم ذلك وقد وُجدت بين الكتابات عدَّة آثار لبدع الادريّين (Gnostiques) والمونتانيين والمانويين والدوناتستيين وغيرهم تصف مُناصبتهم لكنيسة المسيح ولتعاليم الاباء. وكلّ هذه البدع قد دخلت في خبر كان اذ لم تكن مبنيَّة على الصخرة البطرسية

ثالثاً الكتابات الاثرية وتعاليم الكنيسة

رأيت في ما سبق ما افادت الكتابات الاثريَّة لتعريف احوال الكنيسة في حياتها الخارجية وليست الافادات عن حياتهـا الداخلية دونها شأناً وهاك البرهان على ذلك

(دستور الايمان) معلوم انَّ دستور الايمان يقوم باعتقـاد اله واحد في ثلاثة

اقانيم آب خالق لكل الموجودات وابن متجسد في احشاء بتول ليفدي البشر من تبعة خطيئتهم وروح قدس منبثق من كليهما. ثمَّ اعتقاد كنيسة واحدة جامعة رسولية مع الايمان بالقيامة العتيدة

فكل هذه المعتقدات قد وردت في الكتابات الاثرية على صور شتى تتفق جوهرًا وتختلف عرضاً . فتوحيد الله لا يُحصى عدد الآثار التي تكرَّر فيها ذكرهُ هكذا: « الله واحد هو. ليس الّا اله واحد. الله الواحد الصمد. الله الملك السرمدي » او على صورة الدعاء : « لله المجد . الهي ارحمني . ربّي أغثني . يا الله أجرني من العذاب . اللهمَّ أنقذ شعبك . اذكرني يا ربّ في ملكوتك »

ومثلها عددًا الكتابات التي تذكر الثالوث الاقدس على هذا المنوال : « باسم الثالوث الاقدس . ما اعظم قدرة الثالوث الالهيّ . المجد للاب والابن والروح القدس »

واكثر منها عدًّا الكتاباتُ الواردة على اسم السيّد المسيح والمعلنة بلاهوتهِ على هذه الصور : « اله واحد مسيح واحد. هو المسيح ابن الله . حيثما يحلُّ المسيح فاز الانسان بالسعادة. اختم يا ربّ هذا البيت بختمك وختم ابنك الالهيّ . هنا يسكن المسيح ابن مريم فابتعد يا ابليس. النصر والفوز للمسيح الاله . هذا مسكن المسيح المنتصر ومعهُ الايمان والرجاء والمحبَّة. هو الفادي هو مخلّص العالم ». او يخصّصون ذكر صليب الربّ هكذا : « فاز الصليب بالنصر . انتصر المسيح بصليبهِ . بازاء الصليب تسقط قوَّة العدو . بهذه العلامة أنتصرُ على سائر اعدائي »

ومما تعدَّد ذكرهُ خصوصاً على مدافن المسيحيين ذكرهم للقيامة ورجاؤهم بالبعث في يوم الدين حتى لا يكاد يخلو منها قبر واحد في بعض الامكنة كبلاد غالية وغيرها على صور مختلفة. مثلاً: « هنا فلان راجي القيامة . سلام لفلان ريثما يحظى بالقيامة . نيّح يا ربّ فلاناً وأقمهُ في اليوم الاخير مع اوليائك . وعلّم جرنًا

(الاسرار) الاسرار المقدَّسة السبعة هي التي تحيي الايمان في قلوب النصارى وتستمدّ لهم النعم من الربّ . والكتابات النصرانيَّة القديمة مملوءة من ذكرها وتعظيمها وعلى الخصوص سرّ المعموديَّة وسرّ القربان الاقدس

فالمعموديَّة ورد ذكرها في هذه الكتابات برموز عديدة فتارة يدعون النصرانيَّ

العتد « مؤمناً ومثبتاً بالايمان » وتارةً يصفونهُ بكونهِ « منوَّرًا » وحيناً يُدعى « مختوماً » اي بختم العماد او « مُنعَماً عليهِ » او « مطهَّرًا بماء العماد » ولا يذهلون عن ذكر معموديَّة الصغار انفسهم فيعلنون بانهم ماتوا « بعد قبول نعمة الله » وان توفي الميت لابساً ثوب العماد الابيض صرَّحوا بهِ في الكتابة الدفنيَّة

وكما نوَّهوا بذكر سرّ العماد كذلك ذكروا سرّ القربان الاقدس . وقد رأيت في كتابة ابرقيوس كيف اشار في كتابة قبرهِ اشارةً لطيفة الى هذا السرّ فروى « انَّ الايمان قد غذاهُ في كلّ البلاد التي حلّها بسمكةٍ كبيرةٍ نقيَّة اصطادتها عذراء طاهرة ليأكلها دون انقطاع اصحابها » ولا شكَّ انَّ ابرقيوس نوى بذلك سرّ القربان وقد دعاهُ بالسَّمكة لأن السمكة كانت رمز السيِّد المسيح وكثيرًا ما صوَّروها في الدياميس والمعابد النصرانيَّة وكانوا يجدون في خمسة حروفها اليونانيَّة (Ἰχθύς) خلاصة صفات المسيح اعني "يسوع المسيح الاله الابن المخلِّص » . وقد سبق المشرق (٤ : ٦٧٣ — ٦٨١) واثبت فصلًا واسعاً عن « سرّ الافخارستيَّة في العاديَّات المسيحيَّة بقلم القس بطرس عزيز (وهو اليوم مطران سلمست) فنحيل اليهِ القرَّاء ويجدون هناك عدَّة شواهد جليلة على ما ذكرنا من جملتها كتابة ابرقيوس في اصلها اليونانيّ .

وفي تلك العاديَّات اشارات الى بقيَّة اسرار الكنيسة كالتثبيت الذي كانوا يمنحونهُ مع المعموديَّة والتوبة والكهنوت وسرّ الزواج وان كان ذكرها اقلّ من ذكر المعموديَّة والقربان لقلَّة الدواعي الى ذكرها

(الطقوس البيعيَّة) ترتقي الى زمن الرسل جوهريًّا لكنَّ رؤساء الكنائس قد راعوا في ذلك الظروف المكانيَّة والزمنيَّة فكانوا على حسب احوال المؤمنين يتَّسعون في الصلوات وضروب العبادات والنوافل لا سيما في المواسم السنويَّة والاعياد الحافلة مع حفظهم للاقسام الجوهريَّة التي تُرى حتى يومنا في كلّ الطقوس الشرقيَّة والغربيَّة . وفي الكتابات القديمة نصوص منقولة عن تلك الطقوس الشبيهة بالطقوس الشائعة في زماننا

وكثيرًا ما وردت تلك النصوص مصحوبةً باسم قدّيسين وشهداء يستمدّ اصحاب الكتابات شفاعتهم ويطلبون معونتهم وكانوا يجعلون في مدافنهم ذخائر اولئك الشهداء . وقد وجدوا في احد قبور نصارى القرن الرابع مع ذخائر للشهداء

قطعةً من صليب الربّ الذي اكتشفتهُ الملكة هيلانة امّ قسطنطين وذخائر اخرى من الاراضي المقدَّسة (١ . وناهيك بذلك برهاناً على اكرام القديسين وذخائرهم في الكنيسة منذ اوائل النصرانيَّة خلافاً لما زعم البروتستانت

ومن فوائد الكتابات النصرانيَّة العاديَّة انَّها تعرّفنا بكلّ النظام الكنسيّ وتعدّد كلّ درجاتهِ من القارئ البسيط والشمّاس الى أئمة الاحبار . وكم افادتنا من اسماء اساقفة مجهولين لا يحصى عددهم وكم اثبتت من اسماء كراسيّ اسقفيَّات في مدن صغيرة بل في بعض القرى . فمن يا تُرى كان يخيل لهُ بان بلدة صغيرة كمادبا التي لم تزد مساحتها عن ميل واحد مربَّع كانت تحتوي عشر كنائس وكان يسوسها اسقف لولا اكتشاف الفسيفساء العجيبة التي وجدوها فيها منذ عهد قريب . وقس عليهِ بقيَّة انحاء الدولة الرومانيَّة

ومن فضل هذه الكتابات قد عُرف مقام رئيس الكنيسة جماء وسلطانهُ الاعلى على كلّ كنائس المعمور . وفي المشرق (٧ : ٥٧٧ — ٥٨٥ السنة ١٩٠٣) مقالة خاصَّة للاب ل. جلابرت في وصف العاديَّات المنبئة برئاسة القديس بطرس وخلفائهِ على كنيسة المسيح مع عدَّة تصاوير جميلة حسبنا الاشارة اليها حذراً من التكرار الممل

ومن درس الكتابات النصرانيَّة التي نحن في صددها وقابل بينها وبين الكتابات الوثنيَّة وجد ما كان للدين المسيحيّ من الفضل اذ غيَّر وجه العالم بعد فسادهِ ورحض كلّ ارجاس الوثنيَّة وادخل في الهيئة الاجتماعيَّة كلّ الفضائل التي ترفع بقدر الانسان وتقدّس حياتهُ وحياة اسرتهِ وعيالهِ وتعدّ للوطن رجال فضل وفضيلة يفوقون على مشاهير رجال الوثنيَّة كما تفوق الثريَّا على الثرى . فانَّ هذه الكتابات لا تصف فقط العيشة الرهبانيَّة ونسك السيَّاح بل تذكر الفضائل الاهليَّة التي لم يكد يعرف الوثنيُّون اسمها فضلًا عن جوهرها كالتواضع والوداعة والتُّقى والعفاف وحبّ الاعداء والتفاني في سبيل المنكوبين وغير ذلك ممَّا يعود فضل تعميمهِ بين البشر الى كنيسة المسيح وحدها

واخصُّ ما يُستفاد من تلك الكتابات تجرُّد اصحابها عن هذا العالم واعراضهِ

---

١) اطلب P. Monceaux : *Epigr. chr. d'Afrique*, n° 297, 317, 319

ومنشآته ليرفعوا بنظارهم الى دار البقاء حيث ينتظرون المجد الابديّ . ومن ثمَّ لا يكترثون لاوجاع هذه الفانية ونكباتها ويفضّلون على مثال المسيح ضنك العيش وحمل الصليب ليحيوا معهُ الى الابد . وترى اصحاب تلك الكتابات يزدرون بالموت ويعدّونهُ كباب الخلود ويعتبرون المقابر كمنامات يرقدون فيها لزمن قصير

وكان بودّنا أن نؤيد كلّ ذلك بالشواهد المنقولة عن الكتابات الاثريّة لولا خوفنا من الاسهاب ومن اراد الزيادة أحلناهُ الى كتب عديدة وُضعت في تعريف العاديّات النصرانيّة في كلّ اللغات الاوربيّة والى مجلّات خاصّة تظهر في اوقات معلومة تفيد من كلّ اكتشاف جديد حتى اصبح علم العاديّات النصرانيّة فنًّا قائماً بذاته أقاموا لهُ في بعض الكليّات اساتذة من الاثريين ليدرّسوا اصولهُ وميزاتهِ وقوانينهُ ومحتوياتهِ الرحبة الافناء . ارشد الله اهل هذه البلاد الى تتبع اذهانهم بدرسها لا سيما العاديّات المكتشفة في بلادنا . فمن المستغرب ان يسبقنا الغرباء الى معرفة تاريخ بلادنا ومفاخرها ونحن نكاد نجهلها تماماً

صندوق اسرار من اعمال الاحرار

بقلم قوّال لبناني

كنّا انتهينا في كراريسنا عن الماسونيّة الى الجواب الماسونيّ ونقّضنا قمرهُ على أننا عدلنا عن كوارعهِ مؤجلين النظر فيها لفرصة أخرى فسبقنا احد المبيرين باحوال الشيعة وتفقّد مكنونات تلك الكوارع فوجد في الزوايا خبايا فأفاد مواطنيهِ عن مكتشفاتهِ ونظمها شعراً من الشعر العاميّ اللطيف فاتحفنا بنسخة منهُ . وها نحن ننقل عنهُ قطعةً تتويجاً بفضل صاحبهِ المجهول . وهي تحتوي خبر صندوقة وجدها المفتش في ملحقات الكوارع تتضمّن كثيراً من اعمال الماسون فانشد لا فُضّ فوه : ل . ش

فتحتُ الصندوق باستعجالْ حظيت بعلبه من جفصينْ
فيها سجلّ الاعمالْ مزركش بزرد ثمينْ
فرحت ونزلوا دموع عيني وقلت تمّ المقدّرْ
بيظهر ربّي داعيني من قبل ما اتصوّرْ

تاعن ايدي المسكيني مشاريع الماسون تظهرْ
وتُنشر في كل مديني ويُعرف فضل المُفضلينْ

للحال مسكت دَفي وفي كفي نقرته تا ونْ
نقرته تا ونْ بكفي وقلت لهُ بلَش بالفنْ
بلحن القرادي كفي من حيث حروفه احنْ
وحقّ براهينك وفي وخلي الجميع مقتنعينْ

جاوبني بلسان الحالْ يا قوّال تحت امركْ
تحت امرك يا قوّالْ ما بخالف وحياة عمركْ
افتح سجلّ الاعمالْ وقول ايش ما عنّ بفكركْ
علّه بيرتدّ الجهّالْ وبيفيقوا حاج سكرانينْ

فتحت سجلّي ونوّيتْ طالع اعمال الاحرارْ
ببلاد الغرب ابتديتْ تا اعرف فيها شو صارْ
اول مشروع خير لقيتْ طرد الرهبان الكبارْ
ومنعُن من ان يقنوا بيتْ او يتسمّوا ملّاكينْ

سمعت الشيخ كومب بصياحْ بيشرقط مثل البارودْ
وبيقول حالف ما برتاحْ حتى لاشي تياب السودْ
شو من وراهم ارباحْ الّا صلاه مع سجودْ
وان صلّوا مسا وصباحْ من ذلك ايش منتفعينْ

يا مسون ان كنتوا رجالْ ما عاد بدها برادّيهْ
رزق الرهبان كلّه حلالْ للشيعه الماسونيّهْ
عندهم رزق واموالْ مليار ليره نقديّهْ
منتقاسها بالعدالْ بيطلع للفرد ملايينْ

عالقليل منتخلّصْ من الوعظ والرياضاتْ

حاجي يومية الاجراس تقرع سبع تمان مرات
طحاونا بكلمة خلاص وجهنم وسوات
واعتراف وقانون وقصاص وفصحية وصيام خمسين

في الجيل وفي نبوات تاملي بيكربونا
ملا الجيل خرافات بيدينه بيلحقونا
حلو يعتق يا سادات خليهم يعتقونا
ما بقا بدنا قاوسات صرنا منهم طفرانين

ومن بعد كومب الملفان نهض واحد عا زيو
وبافصح لهجه ولسان ثبت كل كلام خيو
ثم هتف يا اخوان تهيوا لخطابي تهيوا
عندي راي كبير الشان ديروا دينة اليمين

نحنا من قبل النجوم خلقنا واحرار وبينا
ومن عهد آدم لليوم ما احد تحكم فينا
بابا رومي ايش فيه لزوم يتحكم برقابينا
واجب سوى عليه نقوم وعنه نكون مستقلين

يا للخطبه النفيسه ويا للخطيب الجبار
بحركة يد وتعبيسه حمس جميع الحضار
صاحوا ككلاب عا وقيسه صيحة رجف منها الدار
وقالوا حكومه وكنيسه ضروري يكونوا منفصلين

وبعد مشهد هيك مهول بيقول سجل الاعمال
سجل الاعمال بيقول خطيب تالت قز وقال
بعد في مشروع مجهول كان واجب يعطالو بال
هو جعل الزواج محاول من سلطة المطارين

ايش في داعي يا اخوانْ حتى الخوري يعاقبنا
ويربطنا طول الزمانْ بمرا ما تعود تعتقنا
خلّي القاضي بالديوانْ يجوّزنا ويطلّقنا
ومن ضمّ نبدّل نسوانْ تا يصيروا فوق التسعينْ

هيدي ثلاث مشاريعْ مذكوره براس الكتابْ
نفعها عمّ الجميعْ ايش في لشيخو عليها جوابْ(١
وقد تمرت تمر بديعْ عافرنسا بدون ارتيابْ
وانجحتها نجاح سريعْ لحق صيته بلاد الصينْ

بالاول كانوا الرهبانْ يربّوا اولاد المدارسْ
عاروح طاعة الرحمانْ وتكريمه بالكنائسْ
اليوم البنات والصبيانْ هجروا الله بالخاصْ
وعبدوا عوض الصلبانْ المطرقه ونقير الطينْ

تركوا الصليب بالمرّهْ وبدلوا تعليم المسيحْ
في تعليم صقل الفرّهْ واتقان الشنيرد مليحْ
صارت الافكار حرّهْ وفلتوا فلته من صحيحْ
والحيا شلحوه برّهْ وما عادوا مستحيينْ

كلمة عيب واسم حرامْ شالوها من القواميسْ
وكلمة هوا واسم غرامْ صارت موضوع التدريسْ
لفظة يسوع ومريمْ قلبت عروس وعريسْ
برابر برابر ملا نظامْ عملتوه يا ماسونيّينْ

حكموا في النا تنسيقْ ونظام الرهبانيّاتْ

---

(١) حقًّا قد افحمنا الماسون فلا نجد جوابًا ونقضي بانّ لهم اليد الطولى في المشاريع الخيريّة والمساعي الشريفة

حيث كان يقضي بتفريق دروس الصبيان عن البنات
وحطّوا لكل رفيقه رفيق يسليها بعض المرّات
حتى في اكثر تدقيق يكونوا الاولاد مضبوطين

غفا غفا يا ماسون هيدي مشاريع خيريه
هيك الاصلاح هيك يكون يا ما بلاه بالكليه
خلعتوا الحيا من العيون وسرتوا بمبدا الحريه
حتى يتصلح الكون ويخف الشر اللعين

لكني انا محير كيف ما حلّوا لحد الآن
مفعول الاصلاح يظهر ويتصلح طبع الانسان
الفظايع ليش عام تكثر وعازيادي لا عانقصان
وفرنسا عام تتقهقر بعكس ما متراجيين ؟

ايش السبب تا الحبوس قد ضاقت عالمحابيس
وكثروا سرّاق الفلوس والسكريه والمناحيس
كيفتا رئيس الدروس عامل للزعران رئيس
ومهذب ميل الانفوس صاير اول الرزلين ؟

طردتوا الرهبان من الدور ومن كل التشفيات
حيث كان ظهر منهم قصور بخدمة اصحاب العاهات
كيف تا بعد ثلاث شهور صاحوا المرضى بالطرقات
ردّوا لنا بنات منصور سواهم ما لنا معين

وطردتوا الرهبان والكل من فرنسا بوجه العموم
حتى الدين معهم يفل والحريه بداله تقوم
كيف تابقي الشعب يذل وحق الغير بقي مهضوم
وضاق بالمقابر المحل عالقتلى والمنتحرين

درّجتوا كتاب الطلاق وعملتوا الحرام حلال
تا تزيلوا سبب الشقاق بين المرا والرجّال
كيفتا بدل الرواق كلمالو ازداد القتال
ومتى الصبي لحاله فاق ما بيعرف امه مع مين ؟

ليش هالتشويش المضر سايد يا ماسون فيكم
وليش شرايع كومب الحرّ عن الدين ما بتغنيكم
حدا في هالسر يقرّ او بكفر بمباديكم
وان قرّيتوا معي بجرّ شيخو وناس غيره كتيرين

ثم اتبع الشاعر نظمهُ البديع واخرج من صندوقتهِ طُرَفاً غيرها عن الماسونيَّة في البرتغال وسواها وختم بقولهِ :

الخلاصه يا كاثوليك بنبهكم وبوصيكم
اتركوا مذهب التعليك واثبتوا في مباديكم
من الشوك ما بيطلع فريك الشوكه شوكه بتعطيكم
التمرة عالشجره بتنبيك ان كانت عنب او تين

لا تخدعكم المواعيد بُطلها صاير مفهوم
قشر ذهب جوف وقيد لشبه برمّان صادوم
من صدّقها وصار سعيد وما تاكّد انهُ موهوم ؟
والبريد يزداد تاكيد يسأل بعض المدوعين

. . . . . .

تلك نبذة من هذه المنظومات المستطرفة التي سيتفكّه بها كل اهل لبنان صغارًا وكبارًا فتصيب قلب الماسونيَّة بسهم صائب

سياحة
في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تابع)

٣ من تلّث الى مذيات

في فجر يوم الاربعاء ١٣ ايلول غادرنا قلّث وتوغّلنا في الجبال ورأينا عن بعد آثار اديرة ومناسك مختلفة حتى وصلنا الى (تفه) واهلها مسلمون من المحلّميّة ليس فيها من الآثار ما يُذكر. ثم استأنفنا المسير الى (عين كاف) واهلها كذلك من المحلميّة وهي قريبة من قرية (نونب) والى جنوبيها قرية (حلدح) (١ تحيطها مغاور الزهّاد و(شور آصبح) (٢ التي كان الشمّاس ايليا (٣ ابن الكزير الماردينى قد قصدها سنة ١٧٠٧ فخطر على بالنا استحضارهُ لشراب البطيخ قال انهُ كان يحضر بطّيخاً وعسلاً فيشقّ البطيخة ويملأها ملعقتين عسلاً ويدعها في الشمس ثم يعصرها ويستخرج منها مقدار مائة درهم من العرق الحادّ القويّ. وكان اذا حضر اليه احد وطنيّه وسقاهم منه أخذهم العجب من اختراعه. واقام ابن الكزير في شور اصبح شهراً كاملاً ثم انتقل الى عين كاف وقالوق حيث ألفى كنيسة فخيمة. وهي من آثار يوحنا مطران ماردين († ١١٦٦) وقد ذكرناها هنا

ثم توجّهنا الى قرية يقال لها دير زبينا (ومنا واحمل) واملهُ اسم احد تلامذة مار اوجين. واهالي هذه القرية كلهم مسلمون من الطائفة المحلّميّة وهم يقرّون حتى يومنا بانهم كانوا نصارى ثم اسلموا. وتفقّدنا جامع القرية وهو كبير وناحيتهُ الجنوبيّة متداعية وكذلك سورهُ الشمالي ويلوح فيه اثر للمذبح في الجهة الشرقية يقصدهُ الناس للزيارة. وعلى بابه بعض النقوش تمثّل صورة ابريق وكفّ ذات ثلاث اصابع. وعلى الباب الثاني نقوش منقّطة. وفي فنائه قبّة قديمة والى جانب البئر لمحنا حجرة مربّعة

١) راجع المشرق (١٥: ٧٠٨) وقد رويت هناك «خلدة» غلطاً
٢) المشرق (١٢: ٦٧١)
٣) ارتسم كاهناً سنة ١٧١٢ رسمهُ المطران احنوخ في دير الزعفران

مرقومة بحروف كوفيّة حاولنا ان ننسخها فلم يسمح لنا الشيخ . واعلم ان لهذه القرية سوراً آثاره ظاهرة . وشرقيّ الجامع بناء فخيم جدرانهُ ظاهرة ويلوح انهُ كان ديراً او كنيسة . وبعد هذا ركبنا الى (لستل) واهلها مسلمون من المحلّميّة ابتنوا فيها جامعاً حديثاً ثم سرنا الى (مذيات) فبلغناها عند الغروب ونزلنا في كنيسة طائفتنا فتحفّى بنا حضرة القس بطرس حمّال الافرامي النائب البطريركي وبالغ في اكرامنا

٤ مذيات — بطاركة طور عبدين ومطارينها

مذيات او مدياذ (ܡܕܝܬܐ) قصبة طور عبدين موقعها في بطحاء فسيحة تحدق بها الروابي والتلال المزدانة بالكروم والاشجار المثمرة واهلها يشربون مياه الآبار وهي مركز قضاء يحكم فيها قائمقام يراجع متصرّف ماردين ووالي ديار بكر واهلها يبلغون من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة معظمهم يعاقبة وفيها ثمانون عائلة من البروتستنت وخمسون من الاسلام وثلاثون بيتاً من الكاثليك من سريان وارمن وكلدان . ولنا فيها كنيسة صغيرة شادها الاب يوسف لابورد اليسوعيّ الذي قصد مذيات سنة ١٨٥٠ وسعى سعياً حثيثاً لنشر الايمان الكاثليكي ولقد كانت اتعابهُ اتت بالثمار المخصبة لولا تعصّب الجبليين وجهلهم الغليظ واغراؤهم لمأموري الدولة به فنفوهُ . ولغتهم هي السريانيّة المكسّرة والكرديّة والتركيّة ايضاً . وكثيراً ما جرت بين الاكراد واليعقوبيّة فتن ومنازعات ثبّطتهم عن التيار في سبيل التقدّم والعمران روحيّاً وزمنيّاً (١

وكان يسكن مذيات عند زيارتنا اياها غبطة البطريرك عبد المسيح (٢ الذي اعتنق الايمان الكاثليكي بمساعي الخورفستقوس يعقوب الملكي في القدس الشريف

---

١) المشرق (١٥ : ٨٠٦)

٢) سافر من مذيات الى الملبار في غرّة ايّار ١٩١٢ ولبث ثلاثة ايّام بالموصل حاول فيها اليعاقبة المواصلة ان يثبّطوه عن الذهاب فلم يتمكنوا . فركب الى بغداد وحلّ كنيستنا وكذلك في البصرة ثم سار الى الملبار ورسم لليعاقبة مفريانًا ومطارنة ثم عاد الى القدس الشريف في اواخر اذار ١٩١٣ وفي نيسان اقرّ بالايمان الكاثوليكي كما ذكرنا

في ١٠ نيسان ١٩١٣ ثم قدم الى بيروت واقرّ بالايمان الكاثوليكي في كنيستنا بحضور غبطة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني في ٣ أيار سنة ١٩١٣

. واعلم ان رئاسة مذيات الروحية كانت منوطة بمطرانية دارا ثمّ بمفرانيّة تكريت على ما اوردناهُ في المقدّمة . غير انهُ منذ القرن الرابع عشر تبلبل النظام واستفحل الشقاق فقام بطاركة ومطارنة واساقفة لملّة او ابرشيّة او قرية واحدة. واوّل من تولّى رئاسة طور عبدين وثوى مذيات كان سابا ابن القسّ ابي حسن مطران صلح الذي جاء بهِ اساقفة طور عبدين الى ماردين في جمهور من المشايخ والشعب واستمنحوا اسمعيل البطريرك (†١٣٦٦) الصفح عن مخالفتهم وصيّة الصوم فرفضهم البطريرك فعاد نفرٌ منهم الى الجبل ساخطين ورسموا سابا بطريركاً في ٦ آب ١٣٦٤ وسمّوه اغناطيوس وهو اوّل بطاركة طور عبدين . واضطرّت الاحوال قساً صالحاً منهم الى هجر اليعقوبيّة والدخول في الاسلاميّة كما نوّهنا بهِ في المقدّمة. وبعد وفاة اغناطيوس سابا خلفهُ سنة ١٣٨٩ يشوع المذياتيّ (†١٣٩٦) ثم مسعود (†١٤٢٠) ثم احنوخ العينورديّ مطران قرتمين (†١٤٤٥) ثم قوما الباسبريني مطران قرتمين (†١٤٥٥) ثم يشوع العينورديّ (†١٤٦٦) ثم فيلكسين مطران حاح وهو عزيز بَرْسبتا وتوفي في حصن كيفا سنة ١٤٨٨ وخلفهُ البطريركان شابا ويوحنا وتوفي شابا سنة ١٤٨٩ ويوحنا سنة ١٤٩٣ وتولّى مكانهما مسعود الزازي سنة ١٤٩٥ ولهُ كتاب سرياني في السيرة الروحيّة الرهبانيّة اسمهُ ܟܬܒܐ ܕܡܫܚܐ وهو الذي رسم سرًّا اثني عشر قساً فغضب عليهِ آل طور عبدين وسجنوا بطريركهم في البيعة اربعة أيام ثم انهزم الى قرية كليبين بماردين واوفد الى الجبليين رسالة حرم فيها كل من يرسم بعدهُ بطاركة لطور عبدين. بيد ان حرمهُ لم ينفذ الّا زمناً وجيزاً. على ان الجبليين رسموا غير المذكورين آفناً منهم اغناطيوس شمعون الحاجي (ܫܡܥܘܢ ܚܐܓܝ) سنة ١٥٤٩م كما يستفاد من تاريخ كتاب فرض الصوم خاصّة دير مار مرقس باورشليم . ومنهم اغناطيوس يعقوب الذي استوطن دير صلح كما ذكرنا في كلامنا عن فنقيث تأث الصيفيّ المنسوخ سنة ١٥٥٣ ومنهم البطريرك حبيب المذياتيّ الجاهل الكتابة سنة ١٦٧٤ وكان اذ ذاك عبد المسيح الهاويّ (†١٦٨٦) البطريرك الشرعي وفي عهد حبيب ثارت فتنة عمياء في الجبل اضطرّت حبيب على الهرب بزيّ راعٍ الى

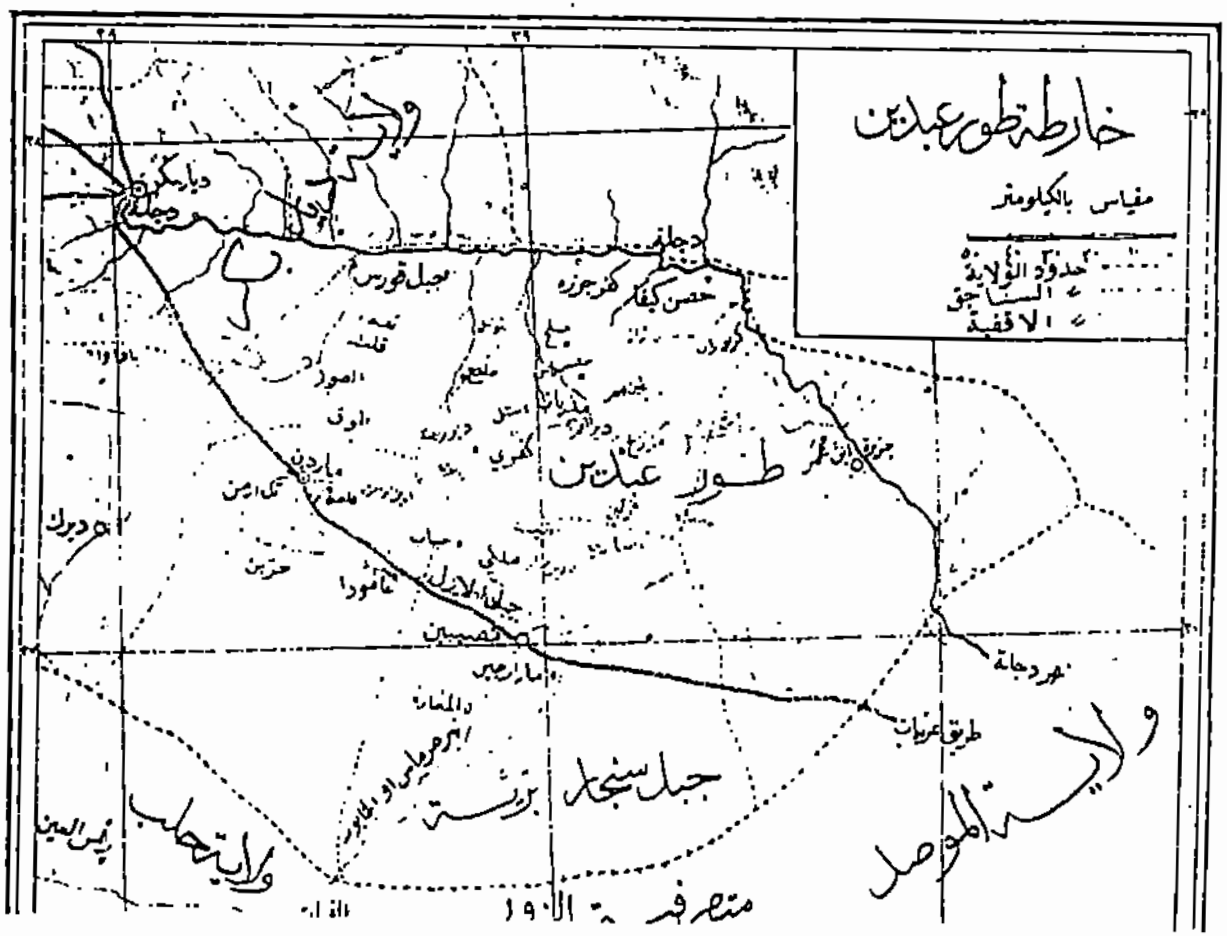
خارطة طور عبدين
مقياس بالكيلومتر
حدود الولاية
السناجق
الاقضية
دياربكر
دجلة
جبل قورس
حصن كيفا
كفرجوزه
طور عبدين
جبل سنجار
ولاية حلب
ولاية الموصل
طريق غربيات
نهر دجلة
متصرفية الاول

٣٤٢

احدى خيم العرب فشعر الجليّون وبادروا اليهِ واتوا به الى مذيات . ومنهم يوثان البطريرك الذي رسمهُ متى بطريرك ماردين الدخيل في حياتهِ سنة ١٨١٧ ورفضهُ البطريرك جرجس خليفتهُ في دير الزعفران وناصبهُ فهرب يوثان الى قرية حباب واستوطن دير مار ايليا خمس سنوات حتى مات († ١٨٢٢) وفي عهد بطريركيته كان في طور عبدين اربعة بطاركة كما قرأنا في تاريخ انجيل كنيسة شمعون الزيتيّ المعروف بابي قرّه بجبناس المنسوخ سنة ١٨١١ في عهد البطريرك متى وآحا واشعيا ويوسف . وسنة ١٨٢٥ كان غريغوريوس زيتون المذياتيّ من آل جلما (١ المشهورين بطريركاً لطور عبدين وظلّ هكذا حتى سنة ١٨٣٦ فنبذ اليعقوبية وتبع المثلث الرحمة البطريرك انطون سمحيري سنة ١٨٤٦ ومات سنة ١٨٨١م

امّا المقارين الذين تولوا رئاسة طور عبدين فمنهم باسيليوس شمعون من كفر شامع كما ذكرناهُ في كلامنا عن فنتيث قلّث سنة ١٥٥٣ واشهرهم المفريان غريغوريوس شمعون اصلهُ من قرية باتهِ وتطرن على اورشليم ثم سيم مفريانًا لطور عبدين سنة ١٧٨٦ في عهد البطريرك ميخائيل جروه († ١٨٠٠) ولهُ بعض التصانيف ذكر منها الاب ل . شيخو اليسوعي (في مجلة المشرق ٩ : ٦٥٠ و٦٥١ تحت عدد ١١٢) كتابين الاوّل لمار غريغوريوس شمعون المفريان الطوراني في التريصاجيون على المذهب اليعقوبيّ والثاني لباسيليوس شمعون القاتوليق اي المفريان وهو عين المفريان المؤلف مقالة التريصاجيون وهذا الكتاب الثاني يتضمّن شرح الصلاة الربيّة . وذكر ايضاً الاب ل . شيخو تحت عدد ١١٣ كتاباً آخر يتضمّن اربع مقالات للاب الفاضل المفريان شمعون ولهُ كتاب لاهوت مختصر اسمهُ (ܡܠܦܢܘܬܐ) منهُ نسخ شتى ولهُ خطب على مدار السنة منهُ نسخة في دير الزعفران . فهذه الكتب كلها هي تأليف المفريان شمعون الطورانيّ الذي ذكرناهُ . ومنها نسخ شتى في دير ماردين ذُكر فيها اسمهُ صريحاً . ولهُ ايضاً ميامر سريانيّة وكرديّة في التوبة ومقالة في شرح القدّاس على المذهب اليعقوبيّ . امّا تسميتهُ تارة غريغوريوس وطورًا باسيليوس فسببه انّ

١) من آل جلما تتفرّع عائلة كدّا او ابغر الماردينيّة اصلهم من مذيات فهجروها واستوطنوا ماردين وكانوا في مقدّمة الذين تبعوا البطريرك انطون سمحيري في الايمان الكاثوليكي

صاحب كرسي اورشليم يسمّى غريغوريوس وصاحب كرسي الفريان يسمّى باسيليوس عند اليعاقبة

كنيسة فيلكسين او اخسنايا

تعهّدنا في مذيات بيعة كبيرة متهدّمة منسوبة لفيلكسين الغريب (أصصصلا) مطران منبج († ٥٢٣) الشهير بتعصّبه للمنوفستيّة . وآثارها ظاهرة وسوقها الواحد معقود بالاجرّ ورواق المذبح معقود بحجارة ضخمة . ولها بابان وفي جنوبيها مقبرة يليها بيت آخر فيه ضريح حبيب البطريرك المشار اليه . وفي الناحية الثانية ضريح آخر يزعم المذياتيّون ان فيه هامة اخسنايا ولكنّهم متوهّمون . على ان اخسنايا وُلد في تحل بباجرماي ثم ظعن ابواه الى باسبرينا ولمّا شبّ وترعرع سار الى دير قرتين وانقطع الى الدرس فبرع في السريانيّة واليونانيّة ثم سار الى الرها وتلمذ بانطاكية فاتقن اللغات والمعارف وغدا نابغة زمانه وفسّر العتيقة والحديثة من اليونانيّة الى السريانيّة (١ كما ذكر يعقوب الرهاوي († ٧١٨) ثم رسمهُ بطرس القصّار بطريرك انطاكية سنة ٤٨٥ مطراناً لمنبج . فاشتغل بالتصانيف حتى بلغت تآليفهُ مائة وسبعين مجلّدًا . وهو الذي رسم سويرا بطريركاً لانطاكية في مدينة صور سنة ٥١٢ وزُجّ في السجن خمس سنوات لشدّة تعصّبه للمنوفستيّين ثم سيق الى غنغرا حيث خُنق في اتون الحمام في ١٠ كانون الاوّل ٥٢٣ . فحمل جثّتهُ ابن اخته الى منبج وجعلها في ضريح رخام . ولمّا خربت منبج بعد ذلك بقليل (٢ نهض نفر من ذوي اخسنايا وحملوا هامتهُ الى طور عبدين وشادوا عليها كنيسة في مذيات سمّوها كنيسة اخسنايا الى اليوم . وسنة ١١٤٥ دوّخ الاكراد طور عبدين ومذيات واخذوا الصندوق والقوا هامة اخسنايا في الازقّة فحملها مطران مذيات ووضعها في هيكل دير مار ابرهيم (٣

---

١) روبنس دوتال (ص ٦٤ و٦٥)

٢) كان خراب منبج اخيرًا على ما ذكر ابو الفداء سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣ م) في منتصف شعبان على اثر زلزلة عظيمة اقلّت سكانها وازالت محاسنها فقال :

منبج اهلها حكوا دودَ قزٍ عندهم تجعل البيوت قبورًا

٣) نقلنا هذه الرواية عن نسخة سريانيّة نُسخت في القرن الرابع عشر

وتعهّدنا في مذيات ايضاً بيعة العذراء مريم الحديثة البناء وبيعة برصوما الجديدة وقد انتهى بناؤها سنة ١٩١٠ وزرنا دير مار شربيل (١ وبناؤه حديث ايضاً يقطنهُ ثلاثة رهبان وكنيستهِ مبنيَّة في عهد البطريرك بطرس († ١٨٩٤)

ثم تفقّدنا بيعة الشهيدة شموني وهي صغيرة لكنَّها الاولى عند المذياتيين وهي كنيسة الرعيَّة . واليها على ما قيل نُقلت كتب اديار طور عبدين كلّها لئلّا تأخذها يد الضياع . كنَّا نعلم نحن بالكتب القديمة الموجودة فيها ككتاب تعليم الرسل (ܬܠܡܝܕܐ) وغيره . فبالغنا في الالحاح والتمسنا ان يُرونا المكتبة فأخفق أملنا غير اننا لمحنا في الكوَّة كتاباً فتمنا اليه فاذا هو كتاب الهدايا لابن العبري منسوخ في ١٩ آب سنة ١٣٣٥ م فعثرنا في آخرهِ على قوانين لابن الصليبي يليها القانون السادس من قوانين الرسل لاحد علماء الاقباط في البطاركة والاساقفة وامتيازاتهم وتقدُّم الحبر الروماني عليهم قاطبةً فاخذنا القلم لننسخ ذلك القانون فأبى الرئيس سامحهُ الله . فخرجنا منكسرين خائبين بالرغم عن تلطفنا في الالحاح . غير انَّنا بعد شهور وسَّطنا حضرة الاب المفضال القسّ بطرس حمّال في الامر فاستكتبهُ وارسلهُ الينا واليك نصّه :

ܡܢܝܢܐ ܕܫܠܝܚܐ ܕܡܢ ܡܢܝܢܐ ܕܡܫܝܚܐ . ܕܥܠ ܕܐܢܫ
ܡܢ ܡܠܟܘܬܐ ܕܐܝܟܢܐ ܕܩܢܘܢܐ . ܡܢܐ ܕܦܛܪܝܪܟܐ ܘܐܦܣܩܘܦܐ
ܘܕܩܢܘܢܐ . . ܕܥܕܬܐ ܡܠܟܝܬܐ ܕܒ ܐܝܟܐ ܐܝܟܐ ܕܦܛܪܝܪܟܐ
ܐܚܕ ܠܗܘܢ ܡܠܟܘܬܐ ܕܐܢܫ ܩܢܝܢܐ ܐܝܟܐ ܐܚܕ ܕܡܫܬܡܥ . .
ܘܡܢܝܢܐ ܕܫܠܝܚܐ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܐ ܘܫܘܝܝܬ ܠܗܘܢ ܡܠܟܐ . ܡܠܟܘܬܐ ܕ
ܡܠܟܘܬ . ܡܢܐ ܕܠܐ ܕܫܠܝܚܐ ܡܠܟܐ ܡܠܟܝܬܐ ܕܦܛܪܝܪܟܐ ܘܦܣܩܘܦ ܡܢܡܢܐ
ܘܡܠܟܝܬܐ ܬܡܢ . . . ܡܢ ܐܝܟ ܦܛܪܝܪܟܐ ܘܡܠܟܝܬܐ . . ܡܢܐ
ܕܐ ܘܐܝܟ ܦܛܪܝܪܟ . . ܘܡܢܡܢܐ ܡܠܟ . . ܡܢ ܐܝܟ
ܦܛܪܝܪܟ ܘܡܢ ܐܝܟ ܐܝܟ ܕܡܫܬܡܥ ..

(وترجمتهُ) « القانون السادس من قوانين الرسل جمع احد علماء القبط الارثذكسيين (يريد اليعاقبة) في البطاركة والاساقفة وكراسيهم . . أمرَ الرسل القدّيسون والاباء الارثذكسيّون ان يكون البطاركة اربعة طبقاً لعدد الاقطار الاربعة والعناصر الاربعة . . واوَّلهم ورئيسهم بطريرك رومية ولهُ الرئاسة على كلّهم لكونه خليفة بطرس رئيس الرسل في الكرسي الروماني السامي الرفيع . . ثانيهم بطريرك الاسكندريَّة . . ومعهُ بطريرك القسطنطينيَّة وهو الثالث . . ورابعهم بطريرك انطاكية سوريا »

---

١) لعلَّهُ شربيل الرهاوي الشهيد سنة ١٠٥ راجع سير القدّيسين (بيجان ١ : ٩٥)

ثم اننا زرنا في مذيات دير مار ابرهيم معلّم يوصوما ولهُ عيد يحتفل بهِ اليعاقبة في ١٨ نيسان (١ ويسمّى اليوم دير ابرهيم الكشكريّ وهابيل . وبناؤه قديم يظهر انهُ من آثار الرومانيين وقد رُمّم حديثاً . وفي بيعة الدير مقبرة وثلاث غرف صغيرة وعلى بابها كتابة سطرنجيليّة اليك نصّها :

ܐܢܐ ܐܠܝܐ ܚܫܝܠܐ ܒܪ ... ܐܢܐ ܕܡܬܩܪܝܢܐ ܡܪܝ ܐܠܗ ..
ܕܥܠܡܐ ܡܪܝܐ ܐܬܝܢ ܠܒܝܬܐ ܕܥܠܡܐ ܐܠܗ [ه]

« ايليا الملفان الحقير ابن . . انا الشمّاس صلّوا على . . سنة ٩٧٦ (٦٦٥ م) . وقد جدّد الدير سنة الف وسبعمائة [واربع] (ويجوز ان تُقرأ) الف [واربع] وسبعين يونانيّة (اي سنة (٧٦٣ م او ١٣٩٣ م) »

وفي الكنيسة مذبح للعذراء مريم ومحلّيان منفردان احدهما لمار ابرهيم والآخر لمار هابيل . وعندهم حلّة كهنوتيّة قديمة تكاد تبلى يُظنّ انّها من الملبار من عمل الهنود يتّشحون بها مرّة في العام . وقد زانتها صور لطيفة تمثّل هيئة خراف ونعاج وجمال وضروب الحيوانات يُظنّ ان احداها تمثّل رَفْقة راكبة احد الجمال مزفوفة الى اسحق ولعازرُ ماشٍ امامها

وفي الدير كتاب ضخم يستحقّ الاعتبار وهو بيتكاز يتضمّن الصلوات والطقسيّات على مدار السنة وفصول الاناجيل حسب النصّ الحرقليّ من خميس الآلام الى القيامة . تكرّم بهِ علينا احد الرهبان الاربعة القاطنين في الدير فطالعناهُ بلذّة شاكرين للراهب لطفهُ . وألفينا فيهِ فوائد شتى منها انّ كاتبهُ يورد الاختلاف الطقسيّ الذي كان في عهده في الرها وماردين . وقال في رتبة غسل الاقدام مساء خميس الفصح ان احد البطاركة ادخل العادة بان يمسح القدم بالزيت بعد الغسل . وهي عادة جارية حتى يومنا في بيعتنا الكاتدرائيّة بماردين خلافاً لسائر الابرشيّات . وفي هذا الكتاب ايضاً حسّايات شتى على مدار السنة ونوافير وكلندار السنة . ورسامة الرهبان والراهبات وطقوس العماد والاكليل الخ

وجاء في آخر النوافير ما تعريبهُ :

---

١) كلندار الاب بترس (ص ١٨٠)

« نُسخ البيتكاز على نسخة الربان صليبا من دخيرون (١ وقد قال رحمهُ الله في نسختهِ انهُ نقلها عن نسخة ميخائيل الكبير البطريرك († ١٢٠٠) »

وترجح ان صليبا هذا هو الربان صليبا الحاجي ١٣٣١ الذي نشر كلنداره الاب بترس اليسوعيّ البولندي سنة ١٩٠٨ في بروكسل

وورد فيهِ بعد قرآآت اسبوع الآلام ما تعريبهُ :

« انتهت قرآآت آلام الرب الخلاصي . . جمعها باعتناء جزيل الربان دانيال العلّامة الباتني [نسبة الى بيت باتين قريةٍ في حرّان بالرها] واسحق تلميذهُ النشيط »

وورد في آخر البيتكاز بخطّ مختلف عن خطّ البيتكاز مامعناهُ :

« انا ديوسترس شمعون العينوردي مطران الجزيرة وهبتُ هذا كتاب البيتكاز ليوحنا ابن شوشان العينوردي . كتبتُ هذا بخط يدي سنة ١٤٨٤ لليونان (١٧٩٥ م) في ١٧ تشرين الاوّل »

ثم جاء ما نصُّهُ بخط الكاتب نفسهِ :

ܫܠܡܘ ܕܟܬܒܐ ܒܪܒܥܐ ܕܫܒܛ ܫܢܬ ܐܠܦܝܢ ܘܬܫܥܡܐܬܐ ܫܢܝܢ ܠܝܘܢܐ ܕܡܪܝܐ ܕܥܠ ܡܢ ܕܟܬܒ ܗܢܐ ܕܥܠ ܡܢ ܕܢܫܠܡ ܠܗ ܠܡܪܝ ܫܡܥܘܢ

« انتهى الكتاب في رابع آب المار سنة ١٧٧٩ لليونان (١٤٦٨م) كتبهُ الراهب شمعون »

فمن ذلك كلّه يتضح ان بيتكاز دير الشرفة المعروف ببيتكاز الشيخ المنسوخ في القرن الثاني عشر اقدمُ من هذا لكن هذا اغنى واحفل بالفوائد منهُ

٥ سفرنا من مذبات الى باتنه

ويوم الخميس ١٤ ايلول قصدنا قرية باتنه فصبّحنا في قرية حيسناس وألفينا فيها كنيسة فخيمة تُنسب الى شمعون الزيتيّ المعروف بابي قرّة . وقد ورد ذكرهُ في تاريخ الرهاويّ الذي نشرهُ غبطة بطريركنا (ف ٢١١ ص ٢٣٧) وما جرى لهُ من المجادلة الدينيّة مع الخليفة المأمون (٨١٣—٨٣٣) في حرّان اذ كان مطرانها وسمّي ثاودرس اسقف حرّان أبا قرّة . وورد ذكره في كلندار الاب بترس اليسوعي في ٣ حزيران وفي ٣ كانون الثاني ܕܫܢܬ ܫܬܝܢ ܘܐܪܒܥܝܢ ܘܫܬܝܢ (٢ . وقد عثرنا في

١) في الاصل ܒܝܬܢܐ ولعلها اسم علم او تكون تصحيفاً

٢) في هذا القول نظر . وعندنا انهُ لا بدَّ من التمييز بين رجلين تلقّبا بابي قرّة ولعل

ماردين على نسخةٍ من مجادلته اليك عنوانها: « مجادلة ابي قرّة اسمهُ مار شمعون من حبسناس اسقف حرّان مع المأمون بن هرون الرشيد ». وجاء في اخرها: « كملت مجادلة مار شمعون مطران حرّان ونصيبين والخابور من قرية حبسناس »

امّا الكنيسة فهي على طرز كنائس طور عبدين الراقية الى القرن السابع وما بعدهُ ولها بابان احدهما شمالي اذا دخلهُ الداخل امتدّ الى يمينهِ وشمالهِ رواق يتضمّن سوق الكنيسة الاوّل حيث كان يقف الموعوظون في قرون الكنيسة الاولى. وعلى يمين الداخل بابٌ آخر يتّصل بمصلّى مار ثاودوطا . وفي السوق الثاني بابان كبيران يفضيان الى سوق البيعة الثالث حيث قدسُ الاقداس يعلوه رواق شاهق في حجارتهِ نقوش بديعة تستلفت الانظار . وعلى وسعها وفساحتها تراها عاليةً الّا انّها خالية من الزينة البيعيّة بالكليّة . وممّا استقبحناه فيها صورتان منقوش فيهما تمثال صبيّ على شاكلة علب الحلويات وهما موضوعتان على جداري البيعة . وخارج البيعة رواق خصّ للصلاة الفرضيّة في فصل الصيف . على ان من عوائد الطوائف الشرقيّة اقامة الصلوات خارج البيعة من العنصرة الى تشرين وقلّما تخلو كنيسة من كنائس طور عبدين من مصلّى كهذا.

وقرأنا في انجيل الكنيسة التالي بالسريانيّة ما تعريبهُ :

« نُسخ الانجيل لكنيسة مار شمعون الزيتي بقرية حبسناس بهمّة الشيخ جلّو بن ميرزا . يد قس مذياني من آل غريغو . في عهد الآباء . متى بطريرك انطاكية . والبطريرك اثنا والبطريرك اشيا . والبطريرك يوسف . بشاركة طور عبدين في ٢٦ تشرين الثاني سنة ٢١٢٥ يونانيّة (١٨١٤ م) »

وفي حبسناس دير للعازر الحرّاني يعيّد له اليعاقبة في ٤ أيار (ܡܪܝܡܐ ܕܥܕܬܐ) كما ورد في كلندار الاب بترس اليسوعي . فتعهّدنا وألفينا على بابه حجرًا مكتوباً بالسطرنجيليّة تعريبها: « بُنيت هذه القلّاية باعتناء الرّبان يوسف » ليس فيها تاريخ . وفي فناء الدير صومعة مشيّدة بحجار ضخمة على احدها مكتوب بالسطرنجيليّة كتابة حديثة لم يتيسّر لنا قراءتها

كليهما كان ايضًا اسقفًا على حرّان الواحد بعقوبي هو شمعون الزيتي المذكور هنا صاحب المجادلة التي جرت امام المأمون والآخر ملكي وهو تاودورس ابو قرّة صاحب التآليف اللاهوتيّة الشهيرة التي نشرها حضرة الاب ق . الباشا ونشرنا غيرها في المشرق ل . ش

أمّا كنيسة الدير فهي صغيرة واطئة والظاهر انها ليست قديمة العهد وعثرنا فيها على كتاب حسّابات تاريخهُ في اخره يقول كاتبهُ في السريانيّة انهُ انتهى من نسخهِ « في دير مار لعازر ومار لسيا ومار فولا المصري تجاه حبسناس سنة ٢١٨٣ (١٨٧٢م) »

وشاهدنا ايضاً كتاب نوافير من جملتها نافور ديوسقورس . واغناطيوس . وبطرس بطريرك انطاكية . وفي هامش النافور عن بطرس هذا قولهُ : « بطرس البطريرك الذي كان ينير قناديل بيعتهِ من نور اصابعه . واشتهر سنة ٩٠٢ (٥٩١ م) » وهو بطرس الثالث القلنيقيّ (الرقّي) بطريرك اليعاقبة (٥٧١—٥٩١ م)

وفيهِ ايضاً نافور ماروثا التكريتيّ مفريان اليعاقبة (+ ٦٤٩) جاء في هامشه انهُ « ارتسم مفريانا للمشرق سنة ٥٢٩ [sic] (٨٤٠ م) وهو الذي صنّف ورتّب صوم نينوى في المشرق وفي كل مكان (١ »

وفيهِ ايضاً نافور للبطريرك ابن وهيب (+١٣٣٣) الفهُ في دير الزعفران . وفيهِ نافور آخر لساويرا اسقف سمياط رئيس دير افتونيا بقنّسرين . . جاء في ختامهِ ما معرّبهُ :

(استخرجهُ من اليونانيّة الى السريانيّة ابراهيم الآمدي سنة ٩٠٩ (٥٩٨ م) وتوفي ساويرا سنة ٩٣٦ (٦٢٥ م) وهو اثناسيوس [الجمّال ٥٩٥—٦٣١] الذي رسم مار جبرائيل اسقفاً »

يريد بهِ جبرائيل رئيس دير قرتمين وسيأتي ذكرهُ في كلامنا عن دير العمر . وفي حبسناس نحو خمس عشرة عائلة من المسلمين والباقي هم يعاقبة

وشمالي حبسناس قرية (بشرش) فيها بيعة آثارها باقية منسوبة ليوحنا المعمدان وليس فيها بيوت للسكنى

وغادرنا بشرش الى (صلح) فمررنا بعمود شاهق تسمّيهِ العامّة « قامه » وهي صومعة ناودورطا وليس فيها كتابة . وغدوة النهار بلغنا دير مار يعقوب الحبيس

١) ورد في كتاب النفّة ليشوع دناح (عدد ٩٣ ص ٤٩٣ من طبع الاب بيجان) ان سبر يشوع مطران باجرمايي لمّا حصل طاعون في ابرشيّتهِ سنة ٥٦٧ م اقام الباعوث فزال الطاعون . وجاء في هذه المجلّة [المشرق ٩ : ١٧١] ما يؤيد ذلك . ولعلّ ماروثا مفريان تكريت اتّخذ تلك العادة من الناطرة بجاوريه . ومن ثم فليس هو الواضع الاوّل لهذا الصوم لان سبر يشوع كان قبلهُ بنيّف وستين سنة . راجع المشرق في المحل المرقوم تقف على فوائد شتى تنوط بصوم نينوى

وهي من اقدم قرى الجبل واهمها واعظمها في صلح والعامة يسمونها صالح بالاف. امّا الدير ففي خارج القرية وكنيسته من ابدع الكنائس وافخمها واعلاها واقدمها والنقوش الثابتة تحيط جدرانها الخارجة . ولها مصلّى صيفي كالعادة فيه ثلاثة اعمدة الاثنان للصلاة الفرضيّة والثالث للانجيل الكريم . وتعلو باب الكنيسة الخارجي هيئة شمس ذهبت بها الامطار على كرور الزمان . وفي ناحيتها الجنوبيّة ثلاثة ابواب مسدودة بالحجارة الضخمة . امّا داخل الكنيسة فعلى طرز كنائس طور عبدين القديمة وعلى رحبها هي عالية وفي الجدارين اللذين على يمين الداخل وشماله سبعة حجار قبور مرقومة بالسطرنجيليّة اقدمها «ܫܢܬܐ ܐܠܦܐ ܕܫܬܝܢ ܕܝܘܢܐ ܕܡܪܝ ܚܢܢܝܐ» اعني « حنانيا اسقف سروج سنة ١٠٠٠ يونانيّة (٦٨٩ م) »

وحجر آخر « ܫܢܬ ܡܐܬ ܫܒܥܝܢ ܘܫܬܐ ܕܡܪܝ ܐܒܪܗܡ ܕܡܪܝ ܐܒܪܗܡ » انتقل من هذا العالم سنة ١٠٦٥ (٧٥٤ م)

وغيره مكتوب « ܕܡܪܝ ܐܒܪܗܡ ܕܡܪܝ » سنة ١٢٠٦ (٨٩٥ م)

وغيره مكتوب « ܕܡܪܝ ܐܒܪܗܡ ܕܡܪܝ » سنة ١٢٢٣ (٩١٢م) وفي هذا الدير مدفون ايضاً البطريرك اغناطيوس سابا اوّل بطاركة طور عبدين (١٣٦٤—١٣٨٩) واشتهر في صلح دانيال الصلحي مفسّر الزبور وابن سيراخ وسرّ الميرون في القرن السابع (١ ذلك كلّهُ يشير الى قدم الدير . والكنيسة معقودة كباقي الكنائس بالآجر الاحمر وباب المذبح قديم فسيح تعلوه النقوش الظريفة . وفي الخورس عمودان حجريان لكتابي صلاة الفرض البيعي . وفي الكنيسة نسخة من الانجيل الطاهر حسب النص الحرقلي بديع الكتابة يتضمّن صوراً شتى من جملتها صورة صعود ربّنا الى السماء في جبل الزيتون فترى الرسل وبطرس مقدامهم واقفاً وسطهم مشّحاً بحلّة الكهنوت الى غير ذلك من الصور الظريفة اللّطيفة

وتجاه الكنيسة غرفة مربعة باسم برشابا يسمّونهُ بيت القديسين حيث قبور الاقليروس وامام باب الدير ضريح اغناطيوس مرقس بن قيقي الموصلي الذي رسمهُ مفريانًا سنة ٩٩١ اثناسيوسُ الصلحي البطريرك ٩٨٧—١٠٠٣م) ويحيط الدير غرف شتى كان يثويها النسّاك والرهبان تنيف على مائة قلّاية

١) راجع كتابنا الزهرة الذكية (ص ٢٨)

وقد عثرنا على انجيل في كنيستنا بديار بكر اليك تاريخهُ معرَّباً عن السريانيَّة :
« انتهى كتاب العهد الجديد سنة ١٧٨٦ (١٤٧٥م) في ٢٨ أيار بدير مار يعقوب الحبيس المصريّ ومار برشابا وتلاميذه الكائن في ناحية صَلَح عاصمة طور عبدين. في مقاطعة حصن كيفا. في عهد البطريركين. . اغناطيوس خلف [١٤٥٥–١٤٨٤] واغناطيوس عزيز [بن العجوز ١٤٦٦–١٤٨٨] ومار باسيليوس المفريان عزيز . . صلّوا على اختي الراهبة ساره وعلى الراهبة مريم العجوز المباركة »

ذلك دليل قاطع على عظم شأن صَلَح ومنزلتها اذ يسميها الكاتب عاصمة طور عبدين . أما مار يعقوب الحبيس مؤسس الدير فهو يعقوب المصري ولهُ عيد في ١٨ ايلول . ومن اخباره انهُ نال اكليل الشهادة مع احد عشر من تلاميذه في عهد ورهران او بهرام ملك الفرس ٤٢٠ — ٤٤٠ م قتلهم شامير قائده (١ . أما برشابا فديرهُ داخل قرية صَلَح وهو دير فخيم كبير وقد ضبطهُ الاسلام . واليوم يسكنهُ شيخ صَلَح المسلم وقد شاد فيه غرفاً جديدة . وفي صَلَح ثمانون بيتاً من المسلمين وثلاثون من اليعاقبة في يومنا

ثم انتهينا الى قرية (باته) وحللنا في كنيستنا الكاثوليكيَّة فنهض الينا مرحباً بنا حضرة القسّ ابرهيم كَرَم الافرامي . وطابت نفسنا بما رأيناه في البيعة من الزينة والنظافة وهي على صغرها حافلة بالاثاث البيعيَّة والصور الكريمة وامامها فناء فسيح وغرفتان ومحلٌ للاستقبال . واوَّل من فتح الرسالة الكاثوليكيَّة في باته كان القس بطرس صلبو الافرامي الذي قصدها سنة ١٨٨٤ وثوى بيتاً حقيراً كان يقيم فيهِ الذبيحة الالهيَّة حتى تموز سنة ١٨٨٩ فباشر بناء هذه البيعة على اسم سيّدة النجاة بهمّة ومساعي البطريرك جرجس شلحت († ١٨٩١) والمطران اغناطيوس نوري والاب يوسف گالاند الدومنكيّ . وفي ٢٢ تشرين الاوَّل ١٨٨٩ اقام فيها القدّاس الاوَّل . وقد اتت اتعاب هذا الاب النشيط بالثمار الشهيَّة فاعتنق الايمان الكاثوليكي زهاء عشرين عائلة في باته وغدوا قدوةً صالحة لمن يجاورهم بالتقوى والمثال الحسن

وبعد ان تناولنا طعام الغداء تفقَّدنا بيعة اليعاقبة وهي على اسم ابينا مار افرام السريانيّ . وآثارها قديمة الّا ان بناءها حديث وفيها كتاب حكايات نُسخ سنة

١) كلندار الاب بترس (ص ١١٥)

١٨٢٦ في عهد البطريرك جرجس اليعقوبي المعروف بالسيار (١٨١٨—١٨٣١) وكان في عهده البطريرك يوحنا الذي قضى في حباب سنة ٨٢٢

وطالعنا في الكنيسة بيتكازاً كبيراً معتبراً نُسخ سنة ١٤٨٦ م في ٢ ايار في دير مار قرياقس بجزه عند كفرزه وجاء في آخره تاريخ منظوم في صفحتين اليك فحواه بتصرّف قليل :

« انتهى نسخ هذا البيتكاز سنة ١٧٩٧ (١٤٨٦م) في ٢ ايار في عهد اغناطيوس عزيز بن سبنا بطريرك طور عبدين. ويوحنا مطران دير قرقين . وقرلس يوحنا مطران مذيات . وديونوسيوس يعقوب المذياتي مطران حاح وباسيليوس مطران الزرجل وارزن وسعرد : ابي وعرّابي . انا القس توما المذياتي مع الاخوة والرهبان والميّاد الذين يستغرقون المائة . وهم من طور عبدين . وسبعة رهبان من دير المتينية [وهو دير من قضاء دير كه غربي ماردين] وتسعة رهبان ارزنيين . هذه اسماء الرهبان الحاحيين [نسبة الى حاح او هَخِه] والصوفنيين [نسبة الى قرية صوفان ؟]

ثم ذكر الناسخ انه نقله « من نسخ مدقّقة للربّان بهنام ابن القسّ سابا المرحوم المذياتي . وداود الفونيقي [من بلاد حمص وحماة] » . ولهذا داود ميامر سريانيّة على حروف الهجاء لدينا نسخة منها . جاء في آخرها انهُ الفها سنة ١٧٧٤ لليونان (١٤٦٣ م)

وسرنا بعد الظهر الى قرية (عَرْناس) جنوبي باته وعلى ربوتها كنيسة كبيرة تُنسب الى والدة الله ومار بسّوس الشهيد وقرياقس ويوليطي امّه الشهيدين وهي تضارع كنيسة حبسناس التي وصفناها سابقاً يعلوها الآجرّ الاحمر وفي فنائها حجر منكّس مما يدل على جهل البنّاء . كُتب فيه بالسريانيّة « شُيّدت كنيسة مار قرياقس اكراماً للثالوث الاقدس » وفيها رواقان للصلاة في الصيف كالعادة . وفيها كتاب صلوات هذا تاريخهُ معرّباً :

« انتهى كتاب الفنقيث الشتويّ في ١٩ حزيران سنة ٢٠١٦ (١٧٠٥م) في عهد دغا العرناسيّ ابن حوشاب بطريرك طور عبدين . نُسخ لبيعة والدة الله ومار بسّوس ومار قرياقس التي في قريتهم في عهد اغناطيوس جرجس الموصلي بطريرك ماردين ١٦٨٦ (١٧٠٨ م)

وفيها فنقيث آخر على رقّ بالحروف السطرنجيلية يتضمّن صلوات السنة كلها يرتقي تاريخهُ الى القرن الثالث عشر هذا تعريب آخرهُ :

« انتهى نسخ هذا الجزء من التنقيث الشتويّ سنة ١٥٦٦ (١٢٥٥ م) في ٢٨ تشرين الاوّل بدير والدة الله ومار يعقوب ومار ديط المعروف بدير القرن موقعه في جبل الازل. كتبه يعقوب ابن القس يوحنا مولده في زبدينا قرية في القلمة الحديثة بنصيبين في عهد رؤساء البيعة الذين تحفّزوا للخصام والمشاحنة. مار يوحنا البطريرك [السابع عشر المعروف بابن المعدني ١٢٥٣–١٢٦٣] ومار ثاودوسيوس البطريرك ومار اثناسيوس (١ وباسيليوس مطران دير ترقين. . اهتمّ الآباء وجعلوا هذه الذخيرة الروحية في كنيستهم المبنيّة على اسم الشهيد الجليل بسّوس. . وفي هذا الدير سبعة عشر راهباً. اجتهد بصنع ورق الرقّ رهبان دير ترقين »

وتفقّدنا في جنوبي غربي عرناس ديرًا متهدّماً يُعرف باسم دير مار ديط (ومحلّه) الجديد وليس فيه احد بتّة . وفي عرناس زهاء ثمانين عائلة يعقوبيّة وعشرين اسلامية . امّا في باته فعشرون عائلة سريانيــة كاثوليكية وعشر اسلامية ونيّفاً ومائة عائلة يعقوبيّة (لهُ بقيّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة (تابع)

٥ مفردات نصارى العرب الدالّة على رؤسائهم ورهبانهم (تابع)

وهذه الفاظ أخرى نردفها باسماء الرهبان وردت ايضاً في لغة اهل الجاهلية منها (السائح) بمعنى الراهب المتفرّد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرته (ص ٢٠)

١) لا ندري من هو ثاودوسيوس واثناسيوس ولعلّ احدهما هو ديونوسيوس [السابع المعروف بنجور ١٢٥٣–١٢٦١] الذي ارتسم ابن المعدني بطريركاً بعده بسنة وثلاثة اشهر تقريباً . فاضحى من ثم بطريركان للياقبة كلٌّ يسعى في تأييد البطريركية لهُ . وكلاهما كانا في عهد ابن العبريّ . امّا البطريرك الثالث الذي ذكرهُ مؤرخ كتاب التنقيث باسم اثناسيوس فلا ندري من هو وقد اهمل ابن العبري ذكرهُ . ولعلّهُ كان معروفاً بصفة بطريرك في طور عبدين فقط

عن اوّل داعٍ للنصرانيّة في نجران. وذكرها المؤرخون عن نعمان ملك الحيرة لمّا ساح في الارض بعد تنصّرهِ وزهدهِ. والاسم السياحة قال في التاج (٢: ١٦٨): « السياحة والسُّيُوح والسَّيَحان والسَّيْح الذهاب في الارض للعبادة والترهُّب (قال): ومنهُ المسيح عيسى بن مريم عليهِ السلام فيبعض الاقاويل لانهُ كان يذهب في الارض فاينما ادركهُ الليل صفَّ قدميهِ وصلّى حتى الصباح » وقد مرَّ بك ان هذا الاشتقاق ليس بصواب

ومنها (الناسك) وهو المتعبّد المتقرّب الى الله بالصوم والصلاة واعمال البرّ اطلقها العرب على الراهب. والاسم النُّسك بتثليث اوّلها

وكان الرهبان يحلقون وسط رأسهم وهي (القُوقة) والرجل مقوَّق. جاء في كتاب الاضداد (ص ١٣٢. وفي اللسان ١٢: ٢٠٠):

أيها القسُّ الذي قد حلَق القوقةَ حلقهْ
لو رأيتَ الدفَّ منها لنسقتَ الدفَّ نسقهْ

ومنها (الحازي والعرّاف والكاهن) وهي الفاظ التبست عليهم فتردّدوا في معانيها. ولا شكَّ انها أُطلقت ايضاً على نصارى الجاهلية. فالحازي عندهم « الكاهن والعائف والعالم بالامور » (راجع التاج في المادّة) واللفظة معرّبة من العبرانيّة (חוזה) اي الناظر والنبيّ او مأخوذة من السريانيّة ܚܙܝܐ او ܚܙܝܐ اي المتفقّد والناظر والحكيم ارادوا بها رئيس الدين لحكمتهِ ولعلّها ترجمة اليونانيّة (ἐπίσκοπος) بمعنى الناظر اي الاسقف والراعي الديني

وكذلك (العرّاف) ارادوا بها الساحر والمنبئ بالمستقبل عموماً. وقد خصّوا بها النصارى قال جعفر بن سراقة في شعر مرَّ ذكرهُ (ص ٥٩٨):

فريقانِ رهبان بأسفل ذي الغرى وبالشام عرّافون فيهن تنصّرا

ومثلها (الكاهن) فانّها وردت بمعنى مدّعي معرفة الاسرار والتعاطي اخبار الكائنات في الماضي والمستقبل. والاسم الكَهانة. لكن للكاهن معنى آخر لم يجهلهُ العرب في الجاهليّة نزيد بهِ معنى خادم الدين ومقرّب الاقداس للاله وهو معناها في العبرانيّة כהן وفي الآرامية ܟܗܢܐ فلا بُدَّ من القول انَّ العرب استعاروهُ منهما للدلالة على كهنة اليهود والنصارى وقد رأيت في فصولنا السابقة عن تاريخ

النصرانية في جزيرة العرب شيوع هذا الدين في كل انحاء العربيّة. والدين المسيحي لا يقوم الّا بالنظام الكنسيّ اي بوجود اساقفة وكهنة ومنهُ يتّضح أنّهم لم يريدوا بلفظة الكاهن السَّحرة والمشعوذين فقط بل اخذوها ايضاً بمعناها الخاصّ اي راعي الدين القويم وخادم الاسرار المقدّسة وان لم ينصّوا عليهِ. وقريب منهُ قول صاحب لسان العرب (١٧: ٢٤٥): « العرب تسمّي كلّ من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً ومنهم من كان يسمّي المنجم والطبيب كاهناً » فطبيب الارواح احقّ بهِ من سواه. وفي تاريخ عرب الجاهلية اخبار بعض الكهّان الذين دعوا الى الله وردّوا عن المنكر وارشدوا الى الخير ما يدلّ على أنّهم كانوا ارفع مقاماً من السَّحرة

٦ مفردات نصارى الجاهلية الخاصّة بكنائسهم واقداسها

سبق لنا عدّة الفاظ مشتركة استعملها نصارى العرب لمناسكهم وعباداتهم كما سبقوا غيرهم الى استعمالها كالمسجد والكعبة والمحراب والمنارة والمئذنة. ولهم الفاظ أخرى خاصّة بهم تجري عندهم حتى اليوم وكانت شائعة قبل الاسلام كما سترى

منها (الكنيسة) وهي لفظة ساميّة بمعناها المجمع عبرانيّتها כנסתא وسريانيّتها ܟܢܫܬܐ فاتت بمعنى محلّ صلاة اليهود والنصارى ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود. ومن الشواهد على استعمال اللفظة قديماً لمعبد النصارى قول جرير يهجو بني تغلب النصارى (الكامل للمبرّد ص ٤٨٥ ed. Wright):

ما في مقام ديارِ تغلبَ مسجدٌ رجسا كنائسُ خَنْثَمٍ ودِيَان

(قالوا) الخَنْثَم الخَرَف الاخضر

واشيع منها لفظة (البيعة) وهي سريانيّة ܒܝܥܬܐ ومعناها البَيضة والقبّة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً. وذكرُها مكرَّر في الشعر الجاهليّ. قال ورقة ابن نوفل (الاغاني ٣: ١٦):

اقولُ اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمكَ داعيا

ومثلهُ للزبرقان بن بدر التميميّ لمّا وفد على نبيّ المسلمين (سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

و تدم منها قول لقيط بن مَعْبد في عينيّته التي وجّهها الى قومه ليحذّرهم من كسرى ذي الاوتاد (مختارات شعراء العرب لهبة الله العلويّ ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥) :

نامَتْ فؤادي بذاتِ الخالِ خَرْعَبَةٌ مرّت تُريد بذاتِ العَذْبَةِ البَيَعا

(قال) : ذات الخال وذات العذبة مكانان . ويروى : بذات الجذع . وروى في التاج « نامت .. خزعتهُ » وهو تصحيف . ومثلهُ قدماً قول عبد المسيح بن بقيلة (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) :

كم نجرّعتُ بدَيْرِ الجَرَعَهْ غصصاً كَبِدي بها مُنْصَدِعهْ
من بدورٍ فوق اغصانٍ على كثبٍ زُرْنَ احتساباً بيَعهْ

ومنها (القُلَّيس) قال في المخصّص (١٣ : ١٠٣) : « القُلَّيس بيعةٌ كانت بصنعاء للحبشة هدمَتْها حِميَرَ ». واللفظة دخيلة اصلها من اليونانيّة Ἐκκλησία . وقد وصف قدماء الكتبة هذه الكنيسة باوصاف تدلُّ على حسنها وفخامة بنائها وكان بانيها الملك ابرهة (راجع ما نقلناهُ من اقوالهم في مجاني الادب ج ٣ ع ١٠١ وج ٧ ص ١٢٩٦)

ومنها (السعيدة) جعلها ابن سيدة (١٣ : ١٠٣) وياقوت (٤ : ٧٥٦) في جملة مناسك النصارى وقالا عنها انّها « بيتٌ كانت تحجُّهُ ربيعة في الجاهليّة » وقد مرَّ بك ذكر تنصُّر ربيعة

واجلُّ ما في البيعة (هَيكَلُها) وهو صدرها حيث تُقام الصلوات والرتب واللفظة عبرانيّة הֵיכָל وآراميّة ܗܝܟܠܐ وهي فيهما بناء العبادة الكبير . والهيكل في العربيّة البناء العظيم واستُعمل لكلّ كبير الجسم . قال التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٩) : « الهيكل اصلهُ في البناء » . وقال في الاغانيّ : « الهيكل العظيم من الخيل والشجر . ومنهُ (؟) سُمّي بيت النصارى الهيكل ». وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهليّ . قال عنترة (راجع العقد الثمين ص ١٨١) :

تَمْشي النعامُ بهِ خُلَاء حولَهُ مَشْيَ النصارى حولَ بيتِ الهيكلِ

قال في المخصّص (١٣ : ١٠٤) : « الهيكل بيت النصارى فيهِ صورة مريم عليها السلام ... وربّما سُمّي بهِ ديرهم » وفي لسان العرب (١٤ : ٢٢٥) :

« الهيكل بيت النصارى فيه صورة مريم وعيسى » . وقال الاعشى (الاضداد ص ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤) يذكر الهيكل :

ومنا ، ايليٌّ على هيكل بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا .

ومثلهُ قول الآخر وقد مرَّ :

وما قدَّس الرهبانُ في كلّ هيكلٍ ايلُ الايلين المسيح بن مريما

وفي الهيكل (المذبح) وهو محلّ التقديس والقربان . واصلهُ محلّ الذبح وتقدمة الذبيحة فاستعملوهُ مجازًا قال في التاج (٢ : ١٣٨) : « ومن المجاز المذابح للمحاريب والمقاصير في الكنائس وبيوت كُتب النصارى . سُميت بالمذابح للقرابين » . وقال في اساس البلاغة (١ : ١٩٢) : « مررتُ بمذابح النصارى وهي محاريبهم وموضع كتبهم ونحوها المناسك المعتقدات »

قال الحسين بن الضحّاك (راجع معجم البكري ص ٣٦٩) :

عجَّت اساقفُها في بيت مذبحها وعجَّ رهبانُها في عرصة الدارِ

وكان للكنائس (محاريبُها) وقد مرَّت . واخصّ ما كانوا يزينون بهِ هياكلهم (الصليب) تنويهاً بموت السيّد المسيح مصلوباً . وقد تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهلي وجمعوهُ على صُلب وصُلبان وصرَّحوا بعبادة النصارى للصليب وباتخاذهم لهُ كتبة وكرأية . وقد أقسم بهِ عديّ بن زيد فقال (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سعى الاعداء لا يألونَ شرًّا عليكَ وربِّ مكّة والصليبِ

راجع ايضاً ما قيل في القسم الاوّل عن اكرام النصارى لمكّة في الجاهليّة (ص ١١٨) . وممَّن ذكروا الصليب النابغة الذبيانيّ (تاج العروس ١ : ٣٣٧) قال :

ظلَّت القاطعُ انعامٍ موبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزوراء منصوبُ

قال الصغّاني (Lane s.v) : « سمَّى النابغة العَلَمَ صليباً لأنَّهُ كان على صليب لانهُ كان نصرانيًّا » وقال شارح ديوان النابغة (شعراء النصرانيّة ص ٦٥٥) : « اراد النابغة صليب النصارى وكان النعمان نصرانيًّا » . وقد ذكر الاخطل خروج النصارى لحروبهم والصليب يتقدَّمهم (ديوانهُ ص ٣٠٩) :

لمّا رأونا والصليبَ طالعا خلَّوا لنا راذانَ والمزارعا

ومن شعر عبادة العرب للصليب حجار بن أبجر قال يهجو بني سجل النصارى (الاغاني ١٣ : ٤٧) :

تُعبّدني سجلٌ وما خلتُ أنني خلاةٌ لسجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

اي تعبد المصلوب. وروى في التاج (١٠ : ٩٠) للأقيشر :

في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلهَهُمْ حاشاي اني مُسلمٌ معذورُ

وكانوا يسمون جباههم بالصليب قال حجّة الدين الصقليّ في كتاب أنباء نجباء الأبناء لخالد بن يزيد في امرأته رملة الزبيريّة (ص ٩٤) :

أُحبُّ بني الدرّام طرًّا لاجلها ومن أجلها حبّبت أخوالها كلبا
فان تُسلمي أُسلم وان تتنصّري يخطُّ رجالٌ بين اعينهم صُلبا

وبنوا من الصليب فعلًا فقالوا صلّب اي رسم الصليب كما رأيت في شعر الاعشى :

فما أبليُّ على هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

وكان نصارى العرب كما غيرهم يزينون كنائسهم بنقش الصور ونصب التماثيل فيكرمونها نسبةً الى ما تمثّلهُ لهم من اولياء الله وفضائلهم. ولنا في شعر اهل الجاهليّة عدّة شواهد على ذلك. فذكروا (الصورة) وهي هيئة الشيء وشكلهُ لا سيما هيئة اولياء الله. وقد سبق في باب تاريخ النصرانيّة بين عرب الحجاز (ص ١١٦—١١٧) انّ العرب كانوا وضعوا في الكعبة صورة «الملائكة والانبياء كموسى ومريم وعيسى»: ومنّن ذكروا الصور النصرانيّة الاعشى كما سبق فبنى من الصورة فعلَ «صارَ»:

وصلّب فيهِ وصارا

يريد الراهب الذي نصب الصليب في الهيكل وزانهُ بالصور. وتسمّى الصورة (تمثالًا) قال في التاج (٨ : ١١١) : «التمثال الشيء المصنوع مشبّهاً بخلق من خلق الله عزّ وجلّ. (قال) والتماثيل هي صور الانبياء. وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت». وكانت تلك الصور تُتقن بالفن وينقشونها بالالوان ويطلونها بالذهب. قال عبدالله بن عجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢) :

غرّاء مثل الهلالِ صورتُها ومثل تمثالِ صورةِ الذهبِ

(قال) ويروى : بيعة الذهب. وروى ياقوت لشاعر قديم (٣ : ٥٢٥) :

حتى اذا كُنَّ دُوَيْنَ الطِرْبالْ يَشَرَ منهُ بصهيلٍ صَلْصالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثالْ

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حَلْيٌ يشبُّ بياضَ النحر واقدُهُ كما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وكانوا يطوفون حول الصور لاسيما في اعيادهم . قال الحارث بن خالد المخزومي (الاغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرةُ خَوْد مثل تمثالِ يمنةٍ تظلُّ النصارى حولَهُ يومَ عيدها

ومثل الصورة والتمثال (الدُّمية) جمعُها الدُّمى واصلها من السريانيَّة ܕܡܘܬܐ ومعناها الشبه . قال في التاج (١٠ : ١٣١) : « الدُّمية الصورة المنقَّشة من الرخام (عن الليث) . وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامّ من كلّ شيء مستحسن في البياض او الصورة عامّة (وهو قول كراع) . قال ابن الاثير : هي الصورة المصوَّرة لأنَّها يُتنوَّق في صنعها ويُبالَغ في تحسينها . . . والدمية أيضاً الصَّنم . . . لتزيينها وتنقيشها كالدُّمى المصوَّرة » . ولذلك ضربوا المثل في حسنها فقالوا : « احسن من دُمية (امثال الميدانيّ ١ : ٣٠٠) وقد شبَّهوا بها نساءهم قال الاعشى (التاج ٦ : ٣٤٤) :

وحُورٍ كأمثال الدُّمى ومناصفُ

وكان سبقهم داود النبيّ الى هذا التشبيه فوصف في المزامير (مز ١٤٣ : ١٢) : بنات المنافقين « المزيَّنات كدُمى الهياكل » . ومعظم الشعراء القدماء الذين ذكروا الدُّمى خصُّوا بها بيَع النصارى ومحاريبهم دلالةً الى عادتهم المألوفة بتزيين كنائسهم بالصور ليكرموها لا ليعبدوها كالاصنام قال عديّ بن زيد (في الكامل للمبرّد ed. Wright, 460) :

كدُمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروض زهرهُ مستنيرُ

ومثلهُ للاخوص في الاسلام (الاغاني ٤ : [illegible]) :

كأنَّ لُبْنى صَبيرُ غادية او دميةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ

وقال عُمر بن ابي ربيعة (الكامل ص ٣٧٠) :

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال امية بن ابي عائذ (ديوان الهذليين ص ١٧٧) :

او دميةٌ المحراب قد لعبتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإفراسِ

وتبعهُ ابو العتاهية فقال (الاغاني ٣ : ١٥١) :

كأنَّ بعتّابةَ من حسنها دُمْيةُ قسٍّ فتنت قسّها

وممَّن وصفوا الدُّمى امرؤ القيس حيث قال (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٢٨) :

كأنَّ دُمَى سُقْفٍ على ظَهر مرمرٍ كسا مُزبَدَ الساجوم وشياً مصوَّرا

ومثلهُ النابغة الذبيانيّ (العقد الفريد ص ١٠) :

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيتْ بآجرِ نُشادُ وقَرْمَدِ

وكذلك قال عبيد بن الابرص (الاغاني ١٩ : ٨٦) :

واوانسٌ مثل الدُّمى حورُ العيونِ قد استُبينا

وقال سُلمى بن ربيعة (الحماسة ص ٥٠٦ ed. Freytag) :

والبيض يرفُلْنَ كالدُّمى في الرَّبْط والمُذهبِ المَصُونِ

وقال زياد بن حَمَل (الحماسة ٦١٤) :

فيها عقائل امثالُ الدُّمى خُرُدٌ لم يَغْذُهنَّ شتا عيشٍ ولا يَتَمُ

ويظهر من شعرهم انَّ هذه الدُّمى كانت تُصطنع في بعض انحاء العرب كهَكِر قيل انهُ موضع في اليمن قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٢٤ في العقد الثمين) :

كناعتَين من ظباء تالعٍ على جؤذرَين او كبعضِ دُمَى هَكِرْ

وكذلك ميسان وقيل انها مَيْسان بين الواسط وبصرة قال سُحَيم :

وما دميةٌ من دُمَى مَيْسَنا نِ معجبةٌ نظرًا واتصافا

ولعلَّهم اطلقوا ايضاً على الصورة اسم (النُّصُب) وهو في الاصل كل ما كان يُنصَب فيُعبَد من دون الله تعالى والجمع أنصاب ويقال نُصُب بضمَّتين والجمع نُصُب. وقد خصُّوها بعبادة الاوثان فارادوا بها حجارةً كانت حول الكعبة كانوا يصبُّون عليها دماء الذبائح . ولعلَّ النصارى ارادوا بها معنى الصورة عموماً دون الوثن لورود اللفظة في شعر البعض منهم

وقد امتازت كنائس النصارى (بالناقوس) وكان قديماً خشبةً طويلة يقرعون عليها بخشبة قصيرة اسمها (الوَبيل) او (الأَبيل) يقال نَقَس بالوبيل الناقوس نَقْساً اذا ضربهُ ثمَّ جعلوا بدلاً من الخشبة لوحاً من نحاس كانوا يقرعون عليهِ . وهو اليوم

(الجَرَس) على صورة نصف المخروط وهو عربيّ ايضاً ذكرهُ في التاج قال (٤ : ١١٨): « والجرس الجلجل ... والذي يُضرَب به ». وتكرَّر في الشعر الجاهليّ ذكر النواقيس. قال المتلمِّس يذكر خروجهُ الى بلاد غسَّان حيث كثرت الكنائس والنواقيس (راجع طبعتنا لديوانه) :

حنَّت قَلُوصي جا والليلُ مُطَرِّقٌ بعد الهدوِّ وثاقَتْها النواقيسُ

قولهُ « بعد الهدوّ » اي عند السَّحَر لانَّ عادة الرهبان ان يقرعوا نواقيسهم للصلاة قبل الفجر. ومثلهُ قال المرقّش الاكبر (المفضّليات ص ٤٦٥) :

ونسعُ تَرْقَاء من اليوم حولنا كما ضُربت بعد الهدوِّ النواقسُ

ومثلهما للأعشى (راجع الجوهري في مادَّة حدّ) ويروى لعنترة (العقد الثمين ص ١٧٩) :

وكأس كعين الديك باكرتُ حدَّها بفتيانِ صدقٍ والنواقيسُ تُضْرَبُ

وقال الاسود بن يعفر وجمعَ الناقوس على نُقُس (التاج ٤ : ٢٦٣) :

وقد سبأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبلَ الصباح ولمَّا تُقْرَعِ النُّقُسُ

واكثر ما كانت النواقيس في الدساكر والقرى قال لبيد (ديوانهُ ص ١٣٧) :

فصدَّهم نطقُ الدُّجاجِ عن السَّمَهْد وضربُ الناقوس فاجتُنِبا

قال الشارح : « والناقوس انَّما يكون في القرى فلمَّا مرُّوا بالقرى كرهوا دخولها فعدلوا عنها واجتنبوها وكانت قصداً على الطريق » . ومثلهُ للجعديّ :

ودسكرةٍ صوتُ ابوابها كصوتِ الموانح بالحَرْأَبِ
سبقتُ صباحَ فراريجها وصوتَ نواقيسَ لم تُضْرَبِ

وكان ضارب الناقوس الراهب والراهبة والقسّ. قال وبيعة بن مقروم من ابيات مرَّت ذكر فيها الراهب (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لَصَبا لبهجتها وحُسن حديثها ولَهَمَّ من ناقوسهِ يتترَّلِ

وروى في الاغاني لبعض الاغفال عن راهبة :

تضربُ بالناقوسِ وَسْطَ الدَّيرِ قبل الدُّجاجِ وزقاء الطَّيرِ

ومثلهُ لجرير في القسّ (البكريّ ٢١٥) :

صبحنَ نَرْماء والناقوسُ يقرعهُ قُسُّ النصارى حراجيجاً بنا نجفُ

وقال جرير ايضاً (البكري ٣٦٨) :

لمّا تذكرتُ بالديرَيْن ارّقني صوتُ الدجاج وقَرْعٌ بالنواقيسِ

وقال الاعشى ودعا ضارب الناقوس بالأَبيل وهو ايضاً الجبر كما مرَّ (راجع حماسة البحتري ص ٥٦) :

فانيَ وربَّ الساجدينَ عشيَّةً وما صكَّ ناقوسَ الصلاة أبيلُها
أصالحكم حتى تبوّؤا بمثلها كصرخة حُبلى بشَّرتها قَبُولها

ويؤيد ذلك قول المثل في القاموس: « رأيت أبيلاً على وَبيل » اي حبراً على عصا رعايته . وقيل بل الابيل هو عصا الناقوس كالوبيل

امّا (الجَرَس) فلم نجدهُ في شعر قديم . وانّما ورد ذكرهُ في الحديث قال في أسد الغابة لابن الاثير (١ : ٣٥١) عن لسان محمّد في الوحي : « احياناً يأتيني (اي الوحي) في مثال صلصلة الجَرَس ». وفي حديث آخر رواهُ مسلم (٤ : ٤٥٠): « الجَرَس مزامير الشيطان (١ »

وكانوا ينيرون كنائسهم بالانوار ويسرجون فيها السُّرج ويضيئونها بالمصابيح قال عمر ابن ابي ربيعة (الاغاني ١٥ : ٧) :

نظرتُ اليها بالمحصَّب من منى ولي نظرةٌ لولا التحرُّجُ عارمُ
فقلتُ اشمسٌ ام مصابيحُ بيعةٍ بدت لك خلف السُّجف ام انتَ حالمُ

وكانوا على الاخصّ يقيمون فيها الرتب الدينيّة . مرَّ ذكر صلاتهم وسجودهم وتسبيحهم في كنائسهم . وكانوا يقرّبون القرابين في القدّاس ومنهُ قول الاعشى :

وما قدّس الرهبان في كلّ هيكلٍ . . .

ومثلهُ قول البكري في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) يصف رتبة قدّاس النصارى « وضجَّ الرهبان بالتقديس »

ومن مناسكهم (القُرْبان) هو في الاصل كلُّ ما يُتقرَّب بهِ الى الله . وقد خُصَّت بقربان النصارى. قال امية (كتاب البدء ٢ : ١٤٥) :

ايّام يَلْقى نصارام سيحَهُمُ والكائنينَ لهُ وذّا وقُرْبانا

(١ اطلب Goldziher : *Abhandl. z. arab. Philologie*, p. 189

وروى في اللسان لجرير (١٥ : ١٢٥):

او تتركون الى التنّين هجرتكم ومسحكم صلبهم رخمان قربانا

وقد بنوا منهُ فعلاً فقالوا (تقرَّب) اذا اخذ القربان. قال الاعشى يمدح هوذة بن عليّ النصرانيّ الذي اعتق مئة من أسرى تميم يوم الفصح (تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧):

بهم تقربَ يوم الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

ومثلهُ ما اخبر صاحب الاغاني (٢ : ٣٢) عن عديّ بن زيد وهند بنت النعمان كيف دخلا يوم خميس الفصح كنيسة الحيرة « ليتقرَّبا » يريد تناولهما الفصحيّ وكانوا يدعون القربان (الشَّبَر) ولعلَّ اللفظة سريانيَّة « ܫܒܪܐ » وهي الطعام والغذاء. ارادوا بها قوت النفوس وقد وردت في الشعر القديم. قال عديُّ بن زيد يحلف بالقربان (شعراء النصرانيَّة ١٥٢ ولسان العرب ٦ : ٥٨) :

إذ اتاني نبأٌ من مُنْعِمٍ لم أخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

قال الشارح: « الشبر هو الانجيل والقربان » . وقد وردت الكلمة في شعر العجّاج فافتتح احدى اراجيزه بقوله :

الحمدُ لله الذي أعطى الشَّبَرْ

فشرحوا الشَّبر بالعطيَّة والموهبة. وكأنها تعريب اللفظة اليونانيَّة افخاوستيا (Εὐχαριστία) ومعناها الموهبة الصالحة فاطلقوها على القربان. وورد لابن السكيت في اصلاح المنطق (طبعة مصر ص ١٥٩) في شرح بيت عديّ: « قيل في الشبر ههنا انهُ القربان »

وقد خصُّوا بالذكر (خمر القربان) ورووا صلاة النصارى عليها وتقديسهم لها وقد مرَّت في ذلك ابيات ابن بن خُزَيم (الاغاني ١٦ : ١٥) :

وصهباء جرجانيَّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تنفرْ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ الميثُ ناوها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حَبْرُ

ومثلهُ فيها للاعشى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بينها وان ذُبحتْ صَلَّى عليها وزَمْزما
ببابلَ لم تُعْصَر فسالت سُلافة تخالط فنديدًا ومسكًا مختَّما

فبذكره للصلاة عليها خصَّ الخمر المقدَّسة . وقال الاعشى ايضاً :

وصهباء طاف يهوديها وابرزها وعليها ختم
وقابلها مستهاماً لها وصلّى على دنّها وارتسم
فزرّ عليها غير مستكبر على الشرب او منكر ما علم

النهاميّ صاحب الدير وقد مرّت وروي (قطب السرور Ms de Paris ff. 67): « طاف يهوديها » ولعلّهُ تصحيف لانّ اليهوديّ لا يصلّي على الخمر ولا يطيف بها. وكذلك قال علقمة وذكر (الكأس) وخصّ خمرها بصفات اقرب الى الخمر المقدّسة :

كأسُ عزيزٍ من الأعناب عتّقها لبعض أربابها حانيةٌ حومُ
تشفي الصُداع ولا يؤذيكَ طالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدوم
ظلّت تُرقرقُ في الناجود صفتُها وليدُ أعجمَ بالكتّانِ مقدومُ

قالوا اراد بالعزيز الملك . وقالوا بل اراد كبير النصارى كقول اوس بن حجر يذكر فصح النصارى :

عليهِ كمصباحِ العزيز يَشُبُّهُ لفصحٍ ويحشوهُ الذُبال المفتّلا

وكما شربوا خمر القرباب اكلوا خبزهُ المقدّس . وقد بيّنّا (ص ٧٢ و١٣٩) ان هجو بعض الشعراء لبني حنيفة النصارى على « اكلهم لربّهم » انّما ارادوا بهِ تقرّبهم من القربان الاقدس فقرّعوهم بما لم يدركوا معناهُ فقالوا :

أكلتْ حنيفةُ ربّها زمن التقحُّم والمجاعَهْ
لم يحذروا من ربّهم سوءَ العقوبة والتباعَهْ

ومثلهُ قول الآخر :

أكلتْ ربّها حنيفةُ من جو عٍ قديمٍ ومن إمرّازِ

والنصارى يشيرون الى القربان (بمائدة الربّ) كما دعاها بولس في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ٢١) . واللفظة شاعت عند عرب الجاهليّة اخذوها ايضاً من نصارى الحبش وهي عندهم ማእድ وقد وردت في القرآن بهذا المعنى (في سورة المائدة ع ١١٢ و١١٤) حيث يذكر انّ الحواريين طلبوا من المسيح ان يُنزل عليهم مائدة من السماء فأنزلها . واراد بها العشاء السرّي.

ولا شكّ انهُ كان لهم في كنائسهم (منبر) للكرازة واعظم شاهد على قولنا

انَّ اللفظة ليست عربيَّة بل مستعارة من نصارى الحبش ግስጋዴ اي مجلس وكرسي الخطابة ثم اخذها المسلمون (١. قال الفرزدق في آل أبي العاصي (ديوانهُ ed. Boucher. p. 19) :

ولن يزالَ امامٌ منهمُ مَلِكٌ اليهِ يشخصُ فوق المنبر البَصَرُ

(لهُ بقيَّة)

القديس اوغستينوس شفيع المذهب الدرويني

نظر فلسفيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

نشر الدكتور امين ابو خاطر الزحلاوي في المقتطف (آب ١٩١٣ ص ١٦٢ — ١٦٩) فصلًا عنوانهُ « القديس اوغستينوس وناموس النشوء والتحوُّل » صدَّرهُ بثناء طيِّب على ذاك النابغة الفريد المعدود « من اعظم اقطاب الكنيسة اللاتينيَّة » فسرَّنا هذا الثناء من قلم رجل يتصفَّح كتب ارباب الدين . لكنَّ جنابهُ لم يلبث ان نسب الى نفسهِ اكتشاف اميركة جديدة على نحو كولمبوس وبعد أن اكَّد لنا انَّ للقديس « مصنَّفات كثيرة يرجع اليها علماء الدين في التعليم والاستشهاد » ناقض نفسهُ بنفسهِ فقال : « وآراؤهُ الفلسفيَّة التي يقول بها علماء هذه الايَّام دُفنت في خزائن رجال الدين ورجال الدين انفسهم يجهلونها .. ولو رجعوا الى ذلك الحبر النابغة وهو حجَّتهم في التعاليم الدينيَّة لعرفوا خطأهم ورجعوا الى الصواب واجتهدوا اجتهاده في تطبيق العلم على الدين »

فنسألك يا جناب الدكتور كيف تطبِّق بين قولك « انَّ علماء الدين يرجعون الى مصنَّفات القديس اوغستينوس الكثيرة في التعليم والاستشهاد » وقولك انَّ « آراء القديس الفلسفيَّة مدفونة في خزائن رجال الدين الذين يجهلون تلك الآراء » أفيظن الدكتور ابو خاطر ان الكاثوليك يقتنون كلَّ اعمال القديس اوغستينوس ليدفنوها في مكاتبهم ويجعلوها مأكلًا للسوس . فليطمئنَّ بالًا وليعلم جنابهُ

١) راجع مقالة للمستشرق بكر (C. H. Becker) عنوانها المنبر عند قدماء العرب (Orient. Stud. Theod. Noeldeke. 1,331 - 351)

انّ علماء الكنيسة في عهدنا يدرسون مصنّفات القديس ويعلمون حقّ العلم ما تحتويهِ من الآراء الصحيحة والضعيفة

قلنا الآراء « الصحيحة والضعيفة » لانّ القديس اوغستينوس وضع من التآليف ما لا تكاد السنون تكفي لمطالعتهِ وكتب عن كلّ العلوم الشائعة في زمانهِ افمن العجب انهُ يكون جنح في بعض اقوالهِ الى آراء ضعيفة لم يستصوبها العلماء من بعدهِ والدليل عليهِ انّ القديس عينه وضع تأليفاً في كتابين واسعين دعاهُ باعادة النظر في تآليفهِ (Retractationum libri duo) فأصلح ونقّح وصرّح واوضح وبيّن ارتيابهُ في بعض مزاعمهِ وردّ على غيرها . فكفى بذلك برهاناً على قولنا . فلا يجوز اذن ان يُستَند اليهِ في كلّ تعاليمهِ دون ان تُعرَض على محكّ الانتقاد . وآباء الكنيسة انفسهم ليسوا بمعصومين من الغلط الّا عند اتّفاقهم في تعليم الحقائق الدينيّة

*

بعد هذه المقدّمة دعنا ننظر ماذا اكتشف الدكتور امين ابو خاطر في تآليف القديس اغوستينوس منافياً لتعاليم أرباب الدين

قال الدكتور: «انهُ لا يدّعي باكتشاف هذه الكنوز لكنّهُ اطّلع على شذرات منها في مجلّة الدكتور كابانس وهو حجّة في التاريخ ينقّب عن كنوزهِ المدفونة في خبايا الازمنة وقد طالع تلك المصنّفات على كثرتها واستخرج منها كنوزاً نشرها في مؤلف خاصّ »

نشكرك أيها الدكتور على تعريف أسانيدك . فانّك كما يقول المثل الفرنسويّ « قد اظهرت لنا طرف أذنك » . . أتعرف من هو كابانس الذي اخذت عنهُ ؟ هو أحد زنادقة القرن الثامن عشر من رصفاء فولتير وروسّو ودالمبير اي احد الكفرة الملحدين بل اعظم منهم كفرًا وهو الذي قام يوماً في مجمع العلوم وصرخ قائلاً : « انّ اسم الله لا يجوز ان ينطق بهِ احد في مجمع علميّ » كأنّهُ تعالى اسمٌ بلا مسمًّى وقد قال لاروس في معجمهِ انهُ كان على المذهب المادّي (de l'école sensualiste) وانّهُ كان يعدّ النفس كقوّة مادّيّة فقط . فهذا هو كابانس الذي جعلتهُ « حجّة في التاريخ منقّباً عن الكنوز المدفونة » ولا نعلم لماذا سكتّ عن فضلهِ الوحيد كطبيب

ومؤلف الطيبات. افتحسب أيها الدكتور النطاسي انَّ الطبَّ والفلسفة علمان متلازمان فهيهات !

وهب انَّ كابانس كان « فيلسوفاً منقباً عن الكنوز المدفونة » فماذا اكتشف في اعمال القديس اغوستينوس ؟

تجيبنا ان منقولات كابانس عن كتب القديس اغوستينوس تدلّ على موافقة تعاليمهِ لمذهب دروين ليس بين اقوالهما الّا فروق طفيفة حتى « صحَّ ان يكون القديس اغوستينوس هو واضع مذهب النشو وان يُنسَب اليهِ وليس لسواهُ » (كذا ص ١٦٩)

نعم الاكتشاف وخزياً لك يامستر دروين لأنك اختلست مذهبك ممَّن سبقك زمناً وعلماً وفاق عليك كما تفوق الثريَّا على الثرى !!

ولكن فلنسمع اقوال دروين ونقابل بين آرائهِ الواهنة وما قالهُ القديس اغوستينوس. يُعرَف مذهب دروين بمذهب الارتقاء والنشوء ويقال ايضاً مذهب التسلسل والتحوُّل خلاصتهُ انَّ الانواع التي تُرَى على وجه الارض من ضروب النبات واصناف الحيوان حتى الانسان نفسهُ عائدة الى اصل واحد تفرَّعت منهُ على مقتضى ناموس النموّ الطبيعيّ والارتقاء بفعل بعض العوامل الخارجيَّة اذ تنتخب الطبيعة من مواليد الاحياء ما يوافقها وتلاشي ما لا يوافقها فيحصل بذلك الانتخاب الطبيعيّ بقاء الاصلح. وعليهِ يجب القول انَّ الانسان تفرَّع من البهيمة العجماء كما انَّ الحيوان غير الناطق كان في الاصل نباتاً وان فُقدت بتوالي الازمنة بعض الحلقات المثبتة لتواصل السلسلة . ولا يستنكف تبعة دروين عن القول بانَّ النبات ذاتهُ تفرَّع من الجماد بل يجعل بعضهم المادَّة ازليَّةً وان كان دروين لم يبلغ الى جحود الخالق ونفي الخلق

وليس من غرضنا ان ننقد هذه المزاعم وكفانا القول بان فئة من اعظم علماء العصر قد زيَّفوا هذا المذهب وبيَّنوا انَّهُ لم يُبنَ على اساس علميّ منهم ميفرت (Mivart) العالم الشهير الذي قال في كتابهِ عن تكوين الانواع (ص ٦٣ الخ) « انَّ مذهب دروين لا يمكن تأييدهُ بالبرهان بل هو رأي صبيانيّ ». وقال العلَّامة الفرنسويّ اغاسيز (Agassiz) : « انَّ مذهب دروين وهمٌ باطل لا حقيقة لهُ في

العلم بل لسلوبهُ خارج عن الخطة العلميَّة » . وهذا الحكم الصارم في التحوُّل والنشوء قد ابرزهُ الموالون لدروين واصحابهُ انفسهم بل الملاحدة الماديون ما يبيّن أنهُ ليس ثمت تعصُّب دينيّ كما يزعم البعض . قال العلّامة الالماني فرخو (Virchow) : « لا يسوغ لنا ان نحكم بأن الانسان سلالة قرد او غيرهِ من البهائم ولا يجوز أن نفوه بمثل هذا القول » . وقال ولّاس (Wallace) في كتابهِ عن الانتخاب الطبيعيّ (ص ٣٣٢) : « لا يصحّ في الانسان رأي دروين في الارتقاء بالانتخاب الطبيعيّ ولا بُدَّ من القول بانهُ خُلق رأساً » ومثلهُ ونشل (Winshell) في كتاب الارتقاء كرَّر غير مرَّة « ان دعوى الارتقاء لم تثبت ببرهان » . واصرح منهُ قول هكسلي (Huxley) صديق دروين (في كتاب خطبهِ ص ٢٢٦) : « لم يثبت لنا حتى الآن بالبرهان انَّ نوعاً من النبات او الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعيّ » ومثلهُ صراحة تندل (Tyndall) الشهير في كتابهِ فائدة التخيُّل العلميّ (ص ٤٦٩) فقال : « لا ريب في انَّ الذين يعتقدون رأي الارتقاء يجهلون انَّهُ نتيجة مقدّمات لم يُسلَّم بها » . واعجب من هذه الاقوال اقرار دروين عينهِ في كتابهِ اصل الانواع (ص ٤٨١ من طبعتهِ الاولى) : « يدفعني التشابُه والتمثيل الى القول بانَّ كلَّ الحيوانات والنباتات من اصل واحد لكنَّ التمثيل دليل خادعٌ (١ »

*

فاذ عرفتَ مجمل مذهب دروين ورأي العلماء في بطلانهِ بقي علينا ان نعمل النظر في اقوال القديس اغوستينوس ونقابلها مع مذهب دروين لنبيّن ما بينهما من التشابه او التباين

واوَّل ما يمنّ لنا انهُ من المستغرب ان يقال عن نابغة كالقديس اغوستينوس أجمع العلماء وارباب الدين على تعظيمهِ في كلّ جيل انهُ ارتأى رأياً دعاهُ علماء عصرنا الاثبات رأياً واهناً ووهماً خالياً من السند العلميّ ومذهباً صبيانياً . او ليس الاحرى ان يقال انَّ صاحبنا الدكتور ابا خاطر والدكتور كابانس نسبا اليهِ زوراً ما لم يقل بهِ

١) راجع كتاب اصل الانسان والكائنات لحضرة المتوري جرجس فرج صفير وكتاب الحقّ في الردّ على بطل دروين لابرهيم افندي حوراني

والحقّ يقال انّنا راجعنا في الاصل اللاتينيّ الشواهد التي عرّبها الدكتور امين ابو خاطر فرأيناها او بعيدةً عن الاصل او مبتورةً عن قرائنها التي تفسّر معناها او مختصرةً مشوّهة بالاختصار او ناقصة في مظانّها لعدم الضبط في تعيين فصولها اللاتينيّة المنقولة عن تأليف القديس اوغستينوس المنون « بالتكوين بالمعنى الحرفي » (de Genesi ad Litteram) . وهذا التأليف قد قسمهُ مؤلفهُ الملفان الى اثني عشر كتاباً وهو يشغل في مجموع الآباء اللاتين لمين ٢٦٥ صفحة بالحرف الناعم في ٣٣٠ فصلًا (Migne. P. L., XXXIV. p. 225-485) فغاية ما نقلهُ الدكتور ابو خاطر منها لا يزيد عن ثلاث صفحات انتزعها من ذاك التأليف الواسع كما تُنتزع بعض الحجارة من بناء عظيم فتفقد كلّ رونقها ومعناها

وكان يحقّ على الدكتور امين كاشف هذه الكنوز الدفينة ان يدرس التأليف الذي قصد تبيان مكنوناته درساً نعمًا فيبيّن خواصّهُ ويفيدنا عن غاية القديس اوغستينوس من تأليفهِ ويتتبّع كلّ اقسامهِ ويثبت علائقهُ لعلّهُ كان اقنعنا بعد ذلك عن درونيّة ذاك النابغة . فبروايتهِ لبعض اسطر قصيرة نقلها من هنا ومن هناك قد خدع قرّاءه واوقعهم في حيص بيص . قال بعض مشاهير الكتبة : « ليس من كتاب على وجه الارض الّا يوجب الشنق على صاحبهِ اذا نُقلت عنهُ نُتَفٌ يتغيّر معناها بانتزاعها من قرائنها »

هلمّ بنا اذن نبحث عن مذهب القديس اوغستينوس بخصوص تكوين العالم والمخلوقات فنقول :

(اوّلًا) انّ القديس اوغستينوس في نصوص لا تُحصى من كتبهِ العديدة قد اثبت انّ الله تعالى قد خلق العالم واخرجهُ من العدم بلا حرّيته في بدء الزمان . ومع ترجيحهِ لكثير من آراء افلاطون قد ردّ على افلاطون وتبعتهِ بخصوص تكوين العالم فبيّن كونهُ من العدم وحرّية الخالق في خلقهِ وامتياز الجوهر الالهيّ الواجب الوجود والغير المتناهي عن مخلوقاتهِ الزمنيّة المحصورة في كونها وكمالاتها المنوطة بصانعها . فمن هذا القبيل يخالف اوغستينوس فريقاً كبيراً من كلّ اصحاب النشوء والتحوّل الذين قالوا بقدم العالم وينطبق تعليمهُ مع تعليم كلّ آباء الكنيسة دون استثناء

(ثانياً) لمّا رجع القديس اوغستينوس الى الله بالتوبة ونبذ مزاعم المانويين

القائلين بالثنوية اي بمبدأي الخير والشرّ والناسبين خلقة العالم للاله الشرّ حاول الردود عليهم بعد سنةٍ واحدةٍ من ارتدادهِ الى الله فوضع من السنة ٣٨٨ الى ٣٩٠ كتابهُ الذي عنوانهُ « في التكوين ردًّا على المانويين » وقد شرح في هذا التأليف اعمال الله في ستَّة ايَّام الخليقة كما رواها موسى في اوَّل سفر التكوين شرحاً رمزيًّا كأنَّها ستّ رؤى كشفها الله لموسى عن بدء الخليقة والقديس اغستينوس في كتاب اصلاحاتهِ (ك ١ ف ١٠) يلوم نفسهُ على تأييدهِ لهذا الرأي

ثمَّ عاد القديس بعد ثلاث سنوات (سنة ٣٩٣) فاستأنف وهو كاهن شرح سفر التكوين في تأليف جديد قصد ان يفسّر فيهِ كتاب موسى تفسيرًا حرفيًّا لا سيما فصولهُ الاولى عن الخليقة . فوضع من هذا التفسير ستَّة عشر فصلًا في نحو ٣٠ صفحة لكنَّه عدل بعد ذلك عن تتمَّتهِ لمَّا رأى انَّ العمل اتَّسع بهِ الى حدٍّ بالغ حتى كاد ينوء تحت اعبائهِ كما قال . وقد سمَّاهُ بشرح سفر التكوين الحرفيّ (de Genesi ad Litteram liber imperfectus)

وكأنَّ القديس العلَّامة خجل من نكوصهِ فلمَّا كانت السنة ٤٠١ وهي السنة الخامسة من اسقفيَّتهِ على بونة شدَّد عزيمتهُ وباشر بتأليف اوسع على طريقة جديدة وسمَّاهُ مثل كتابهِ السابق « شرح سفر التكوين بالمعنى الحرفيّ » وهو الكتاب الذي نحن بصددهِ . وقد قضى بابنة افريقية اربع عشرة سنة في تصنيفهِ فلم ينتهِ منهُ الَّا سنة ٤١٥

وكانت غاية القديس من وضعهِ لهذا الكتاب بيان التوفيق بين سفر التكوين والعلوم الشائعة في عصرهِ ليفحم الذين زعموا كاللاحدة في زماننا ان العلم والدين خصمان متنافران لا شقيقان متآخيان . وكان مفسّرو الكتب المقدَّسة في عهدهِ ينقسمون الى قسمين فمنهم الاسكندريّون كاوريجانس وتبعتهِ الذين كانوا يشرحون سفر التكوين شرحاً رمزيًّا فجنح اليهم اوغستينوس في كتابهِ الاوَّل حيث ردَّ على المانويين ثمَّ عدل عن رأيهم كما رأيت . والقسم الآخر السوريّون وانصار مدرسة انطاكية الذين كانوا يتشبَّثون بالشرح الحرفي . فاراد القديس اوغستينوس التقرُّب من طريقتهم في هذا الكتاب دون لزوم كلّ آرائهم وبذلك نهج طريقاً وسطى

(ثالثاً) مجمل رأي القديس اغوستينوس في تكوين العالم يرجع الى امرين :

الاوّل انّ الله خلق الكائنات بفعل واحد من مشيئته الالهيّة كما ورد في المزامير (٣٢ : ٩) : «قال فكانت امر فوُجدت» وقد أيّد القديس قولهُ بآية من سفر يشوع بن سيراخ (١٨ : ١) التي منطوقها في ترجمتنا العربيّة هكذا «الحيّ الدائم خلق جميع الاشياء عامّةً» فقولهُ «عامّة» اراد بهِ دون استثناء والترجمة موافقة للاصل اليونانيّ (κοινῇ) لكنّ الترجمة اللاتينيّة التي استند اليها القديس اغوستينوس منطوقها على هذه الصورة «creavit omnia simul» فلفظة simul معناها «سواء» اي «خالق الله كلّ شيءٍ معاً» فعلى هذا النصّ اللاتينيّ بنى القديس مذهبهُ في خلقة العالم فارتأى ان تكوين المخلوقات قد تمّ في طرفة عين ليس في ازمنة متوالية بل سواء ومرّة واحدة

والامر الثاني انّ العالم مع كونهِ خُلق في زمن واحد لم يُخلَق في كمالهِ وحسنهِ وانّما خلق الله تعالى مادّة الكون وجعل فيها قوّات تُبرز فعلها بتوالي الاجيال بعد ان تكون المادّة بالتقلّبات الطارئة عليها ترشّحت لقبول تلك الكائنات فيبعث الله اذ ذاك تلك القوّات الكامنة ويوليها ان تظهر بصورتها الخاصّة بها. ففعلُ الله في تنظيم المادّة وتهيئتها لطور جديد ذلك ما يدعوهُ القديس اوغستينوس بأيّام الخليقة الستّة وهو لا يريد ان تُشبَّه تلك الايام بأيّامنا البشريّة المقيسة بالساعات. لأنّ الشمس والقمر النيّرين العظيمين اللذين نتخذهما لقياس زماننا لم يُخلقا على ما ذكر موسى الّا في اليوم الثالث فكفى بذلك دليلاً على انّ موسى لم يقصد أيّاماً كأيّامنا بل اطواراً غير مقيسة تحسّنت فيها المخلوقات بتوسّط الخالق

وقد شرح اوغستينوس معنى أيّام الكون شروحاً اخرى فقال (في شرح التكوين ردّاً على المانويين ك ١ ف ٣٣) انّ موسى قسم تكوين العالم الى ستّة اقسام ليجعل عمل الله كمثال الاسبوع للانسان فيشتغل ستّة أيّام ويستريح في اليوم السابع. وقال ايضاً (ك ١ ف ٣٤) انّهُ من المحتمل انّ اطوار الخليقة الستّة تدلّ على اطوار حياة الانسان واليوم السابع على راحة نفسهِ في الابديّة. وقال ايضاً (ك ١ ف ٣٥–٤٢) انّ للعالم ستّة ادهار فالدهر السابع يدلّ على نهاية العالم ويوم الابديّة

فهذه الشروح كلها وغيرها ايضاً عرضها القديس اغوستينوس دون ان يقطع بها وغايتهُ ان ينفي اياماً زمنيَّة كأيامنا

وكأني بكابانس والدكتور امين يعترضان علينا قائلين: ان كانت المخلوقات كلها قد خُلقت في زمن واحد أفلا ينتج من ذلك انَّ الله تعالى اودع في المادَّة قوَّة كي تبرز من ذاتها بالنشوء والترقي في كرور الادهار المواليدَ النباتيَّة ثم بعدَ اجيال أخرى المواليد الحيوانيَّة الى أن تنتهي اخيرًا الى صُنع الانسان . وهذا هو مذهب النشوء بالذات . وعليهِ فيصحّ القول ان القديس اوغستينوس هو مخترع المذهب الدروينى القائل بتحوُّل المخلوقات فما قولنا

نجيب على ذلك بانَّ القديس اوغستينوس قد اغنانا عن مشقَّة البحث في تعريف مذهبهِ ولو زاد كابانس والدكتور امين ابو خاطر تعمُّقاً في درس اقوالهِ لأدركا مقصودهُ لا محالة

انَّ القديس اغوستينوس يقسم المخلوقات كلها الى قسمين: قسمٌ منها خُلق في كمال نوعهِ منذ البدء والقسم الآخر قد خلقهُ الله « في قوَّتهِ مكنونًا في اسبابهِ » « .. Deum ab exordio sæculi primum simul omnia creavisse, quædam conditis jam ipsis naturis, quædam præconditis causis » (*De Gen. ad Litt.* l. VII, c. 28 n. 42) او كما يقول في محل آخر خلقهُ بالقوَّة والعلَّة « potentialiter et causaliter » ويشبِّه خلق الله للمخلوقات بالبزرة الصغيرة التي تحتوي في ذاتها بالقوَّة جذر الشجرة واغصانها واوراقها وازهارها واثمارها التي كلها في البزرة لكنها لا تظهر الَّا في اوقاتها الملائمة . (acceptis opportunitatibus prodeunt) فكذلك العالم لمَّا خلقهُ الله جعل فيهِ جراثيم كلّ المخلوقات اصليًّا ومباشرةً كعلَّاتٍ زرعيَّة (rationes seminales) وتظهر في الوجود عند استعداد المادَّة لقبولها

وقد ظنَّ البعض كالاستاذ تسام (Zahm : *Bible, Science et Foi*) ان القديس اغوستينوس بقولهِ هذا قد اراد تسلسل الانواع بعضها من بعض وهو شطط ينفيهِ القديس صريحًا في التأليف الذي نقل عنهُ كابانس والدكتور ابو خاطر حيث قال (في الكتاب التاسع الفصل ١٧ ع ٣٢) مؤكدًا ثبات الانواع وعدم نشوء

بعضها من بعض فقال ما تعريبهُ الحرفي: «ان لعناصر هذا العالم الهيولي قوّتها المحدودة وصفاتها الخاصّة التي منها يُعرف ما يستطيعهُ كلّ واحد منها وما سينتج او لا ينتج من كلّ منها ... ومن هذا يحصل كون حبّة الحنطة لا يخرج منها حبّة فول ولا من الفول حبّة حنطة وكذلك من الحيوان لا يولد انسان ولا من الانسان حيوان»

فاين هذا القول من مذهب دروين فانّهُ منهُ على طرفي نقيض. ويخالف القديس اغوستينوس مزعم دروين في امر آخر. فانّ دروين سواء قال بالخلق الاوّل او لا يجعل في الكائنات قوّةً ذاتيّة تمكنها دون فعل الخالق من الترقّي من نوع الى آخر. امّا القديس اغوستينوس فيجعل تلك العِلَل الاصليّة والجراثيم الاوّلية تحت حكم الخالق فهو وحدهُ الذي يوليها القوّة مبدئيًا لتخرج الى حيّز الوجود بعد كيانها في اسبابها الاوّليّة. وهذا الامر يثبتهُ خصوصاً في تكوين الابوين الاوّلين ليس فقط في النفس التي نفخها الله فيها بعد عدمها ولكن ايضاً في جسدهما الذي كانت عناصرهُ في تراب الارض. فقال في تأليفهِ عن التكوين بالمعنى الحرفي (ك ٧ ف ٢٤ ع ٣٥): «فليقرُوا اذن اذ لا يوجد في الكتب المقدّسة ما ينفي هذا الرأي بانّ الانسان قد جُبل في اليوم السادس على هذا المنوال. فمن حيث الجسد كانت اصولهُ مكنونة في عناصر العالم امّا نفسهُ فخُلقت خلقاً تامًا كما خلق الله الكائنات في اليوم الاوّل (اي من العدم) ... ولمّا حان الوقت نفخها في الجسد المجبول من التراب (١)»

وممّا يزيد نفي القديس اغوستينوس لمذهب الماديّين انّهُ يرذل التولّد الذاتي الذي ذهب اليهِ قدماء الفلاسفة وكثيرين من الماديّين في عهدنا (٢ قال في كتابهِ الثالث عن الثالوث الاقدس (ف ٨ ع ١٣). ليس من حيوان يتولّد تولّدًا ذاتيًا لكنّ مواليد الاجسام الحيّة كلّها جراثيم غير منظورة هي مكنونة في عناصر الطبيعة»

---

١) وهذا قولهُ الحرفي Credatur ergo, si nulla Scripturarum auctoritas seu veritatis ratio contradicit, hominem ita factum sexto die, ut corporis quidem humani ratio causalis in elementis mundi; anima vero jam ipsa crearetur, sicut primitus conditus est dies ... donec eam suo tempore sufflando, hoc est inspirando, formato ex limo corpori insereret. (*De Gen. ad Lit.* l. VII. c. 24)

٢) راجع مقالة الاديب منصور افندي السوداء في اصل الحياة (ص ٥٢٧)

فبعد هذه الشروح يتّضح معنى النصوص المبتورة التي نقلها كابانس والدكتور ابو خاطر فحملاها على غير مقصودها فكلها تشير الى الامرين الذين سبق ايرادهما اعني خلقة المخلوقات في زمن واحد وتكوين الجراثيم الاصليّة التي بتوالي الازمان برزت الى عالم الكون تحت نظارة باريها وبقوّة فعله

ولسنا نقول انّ مذهب القديس اغوستينوس هو المذهب الاصحّ في تفسير تكوين العالم او انهُ خلو من كلّ مأخذ (فانّ هذا يستدعي درساً خصوصيًّا نضرب عنهُ صفحاً) ولكننا نؤكد انّ مذهبهُ بعيد جدًّا عن المذهب الدرويني وانّ اللذين نسبوا اليهِ رأي النشوء والترقّي حادوا عن الصواب وخبطوا خبط عشواء فعليهم ان يطلبوا لمذهب النشوء شفيعاً غير القديس اوغستينوس والسلام

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

ألوهيّة المسيح في معجزاتهِ

اثبت السيّد المسيح الوهيّتهُ بقداسة سيرتهِ التي شهد لها اعداؤهُ فضلاً عن تلاميذهِ وتبعتهِ . ذلك ما تحقّقناهُ في الفصل السابق باستقراء اعمال حياتهِ التي وجدناها مرآة اسمى الفضائل وخلاصة كل البرّات

لكنّ الانبياء كانوا سبقوا وقرّروا بان المسيح اذا جاء اجترح المعجزات العظيمة وصنع الآيات الباهرة التي تفرزهُ عن السحاء الكذبة . قال اشعيا (٣٥ : ٤–٦) : « لا تخافوا . هذا إلهكم .. هو يأتي ويخلّصنا حينئذٍ تنفتح عيون العُمي وآذان الصمّ تتفتّح وحينئذٍ يطفر الاعرج كالأيل ويترنّم لسان الابكم » . وكان في تقليد اليهود ان المسيح سوف يصنع عجائب اعظم من عجائب موسى والانبياء . فكان لا ندحة لمن يدّعي كونهُ المسيح الموعود ومنتظر الامم ان يؤيد قولهُ بصنيع الخوارق والمعجزات

ولا غرو ان المعجزة الصحيحة المقرَّرة التي تفوق كلَّ قوى الطبيعة هي وحدها تستطيع ان تثبت دعوة المرسلين من الله . فانَّها كالخاتم الملكي الذي يُختم بهِ منشور السلطان ليُعرف انهُ صادر من ديوانهِ فلولاهُ لما امكن المأمورين ان يميِّزوا بين رسالة الملك وكتابة احد المشعوذين . وما دام الارتياب فلا تتحتَّم الطاعة على المرؤوسين ريثما يزول كلُّ شكٍّ بظهور امضاء الملك ووضع خاتمهِ . فكذلك المعجزة هي خاتم الله المثبت لدعوة رسلهِ الصادقين فان لم يأتِ الرسول بآيةٍ لتحقيق رسالتهِ كان خارجيًّا خادعاً او مخدوعاً والذي يقبل دعوتهُ يكون غرًّا جاهلًا

فاذ قام يسوع ابن مريم بين امَّتهِ وادَّعى انهُ هو المسيح كان لا بُدَّ لهُ ان يثبت قولهُ بالمعجزات ليزيل كلَّ ريبٍ في شخصهِ . فهل يا تُرى حقَّق يسوع هذا الشرط وافتعل الآيات التي تبيِّن انهُ ليس فقط مرسلًا من الله بل الهًا حقًّا كما قال ؟

١ً وصف معجزات السيِّد المسيح

ان معجزات السيِّد المسيح قد اتَّصفت بصفات لم تتكيَّف بها آيات غيرهِ من الرسل

واوَّل ما امتازت بهِ تلك المعجزات عددها العديد الذي كان كافياً لينفي كلَّ مكر وخداع ويثبت صحَّتها . وقد صرَّح الانجيليون غير مرَّة بوفرة عددها فذكروها اجمالًا لقصورهم عن تعدادها قال متى (٤ : ٢٣ — ٢٤) : « وكان يسوع يطوف الجليل كلَّهُ ... ويشفي كل مرضٍ وضعف في الشعب فذاع خبرهُ في جميع سورية فقدَّموا اليهِ كلَّ من كان بهِ سوءٌ من المعذَّبين بالامراض والاوجاع المختلفة والذين بهم شياطين والمتمرِّضين في رؤوس الاهلَّة والمخلَّعين فشفاهم » . ثمَّ كرَّر مثل هذا القول في مواطن اخرى (٨ : ١٦ ثمَّ ١٢ : ١٥) ولاسيما في الفصل الخامس عشر (ع ٣٠ — ٣١) حيث قال : « فدنا اليهِ جموع كثيرون معهم خُرس وعميان وعُرج ومعوَّقون وآخرون كثيرون فطرحوهم عند اقدامهِ فشفاهم حتى تعجَّب الجموع لانهم رأوا الخُرس يتكلَّمون والعُرج يمشون والعميان يبصرون ومجَّدوا اله اسرائيل » . ومثلهُ مرقس (١ : ٣٢ و٤٥ ثمَّ ٣ : ١٠ — ١٢) ومثلهما لوقا (٤ : ٤٠ — ٤١ ثمَّ ٥ : ١٧ ثمَّ ٦ : ١١) وهو الذي اعلمنا (٦ : ١٩) بانَّ « كلَّ

الجمع كانوا يطلبون ان يلمسوهُ لأنَّ قوَّةً كانت تخرج منهُ وتُبرئ الجميع » ولم يخالفهم يوحنَّا الذي ختم انجيلهُ بقولهِ (٢٠ : ٣٠—٣١ و٢١ : ٣٥) : « انَّ يسوع اصطنع آيات كثيرة لم تُكتب » وانَّ اعمالهُ « لو كُتبت واحدةً واحدةً لما ظنَّ ان العالم نفسهُ يسع الصُّحف المكتوبة » مشيرًا بهذا الغلوّ البديعيّ الى آياتهِ غير المحصاة . وقد افادنا في محل آخر (٧ : ٣١) انَّ كثيرين من الجمع آمنوا بهِ قائلين : « اذا جاء المسيح أفلعلَّهُ يعمل آياتٍ اكثر ممَّا عمل هذا »

وليست معجزات السيّد المسيح وافرةَ العدد فقط لكنها مختلفة الانواع بحيث لا يستطيع احد ان ينسبها الى علل طبيعيَّة لانَّهُ تبارك اسمهُ في وقت واحد كان يصطنع آيات غاية في الاختلاف امَّا بمجرَّد لمسهِ او بوضعهِ يديهِ على المرضى او بمسّ ثوبهِ او دون لمس البتَّة بمجرَّد ارادتهِ حتى ولو بعُد المرضى عنهُ دون ان ينظرهم او ينظروهُ . فهما طلب الملحدون تعليلًا لعجائبهِ لزمهم الاقرار بحبط مساعيهم

وقد ذكر الانجيليُّون بعضًا من هذه الآيات فعدَّدوا منها ٢٨ معجزةً شملت كلَّ قوَّات الطبيعة التي ظفر بها ابن الله فعشرٌ منها ذلَّل بها الكائنات غير الناطقة فحوَّل الماء خمرًا في عرس قانا (يو ٢ : ١ — ١١) ووفَّر صيد الاسماك لتلاميذهِ مرَّتين بنوع عجيب (لو ٥ : ١ — ١١ ويو ٢١ : ١ — ١٣) واخمد بامرهِ نوءَ البحر (مت ٨ : ٢٣ — ٢٧) واوجد في فم سمكةٍ استارًا لدفع الجزية (مت ٧ : ٢٣—٢٦) ومشى على مياه البحر (مت ١٤ : ٣٣ — ٣٦) وكثَّر الخبزات والاسماك مرَّتين فقات بها ألوفًا من الآكلين (مت ١٤ : ١٥ — ٢١ ثم ١٥ : ٣٢ — ٣٨) وتجلَّى امام تلاميذهِ فكسا نفسهُ بالنور واضاء وجههُ كالشمس (مت ١٧ : ١ — ٩)

وثلاث عشرة معجزة اخرى خصَّ بها الانجيليُّون شفاء الامراض وهي شفاؤهُ لأبرص (مت ٨ : ١—٤) ثمَّ لعشرة بُرص معًا (لو ١٧ : ١٢—١٩) ثمَّ مرَّتين لمخلَّعين (مت ٩ : ١ — ٧ ويو ٥ : ١—١٥) ثم ابرأهُ لليابس اليد (مت ١٣ : ٩—١٣) ثم للمنزوفة بنزيف دم (مت ٩ : ٢٠ — ٢٢) ثمَّ شفاؤهُ لحماة بطرس من الحمَّى (مت ٨ : ١٤—١٥) ثمَّ فتحهُ لعيني المولود اعمى (يو ٩) ولعيني اعمى بيت صيدا (مر ٨ : ٢٢—٢٦) ولعيون اعميين آخرين قرب اريحا (مت ٢٠ : ٢٩—٣٤) ثم شفاء الاصمّ الابكم (مر ٧ : ٣٢—٣٧) والملوّ بداء الاستسقاء (لو ١٤ : ٢—٦)

ثم ابن رئيس كفرناحوم (يو ٤ : ٤٦—٥٤) وغلام قائد المئة (مت ٨ : ٦—١٣)
وثلاث معجزات أخر اقام فيها الموتى اعني ابنة يائير رئيس المجمع (متى ٩ : ١٨ —٢٦) ووحيد ارملة نائين (لو ٧ : ١١—١٧) ثمَّ لعازر (يو ٧ : ١—٤٤)

ويجوز ان تضاف الى هذه الآيات خوارق أخر حدثت بسبب المسيح لتثبت دعوتهُ كظهور الملائكة عند مهدهِ او في عدَّة اطوار من حياتهِ (مت ١ : ١٠ ثم ١ : ١٣ و١٩ ثم ٤ : ١١ ثم ٢٨ : ٢ و٥—ومر ١ : ١٣ —ولو ١ : ٢٦—٣٨ ثم ٢ : ٩—١٥ ثم ٢٢ : ٤٢— ويو ٢٠ : ١٢) وكظهور النجم للمجوس (مت ٢ : ٢) وكصوت الاب يوم عمادهِ (مت ٣ : ١٧ الخ) ويوم تجليهِ (مت ١٨ : ٥) ويوم صلاتهِ في الهيكل الى ابيهِ كي يمجدهُ ابوهُ (يو ١٢ : ٢٨) وكظهور الروح القدس على شكل حمامة في عمادهِ (مت ٣ : ١٦ الخ) وظهور موسى واياياً في تجليهِ على جبل الطور (مت ١٧ : ٣) وكانتشار الظلمة على الارض وقت صلبهِ (مت ٢٧ : ٤٥ الخ) وانشقاق حجاب الهيكل وزلزلة الارض وقيامة اجساد القديسين وظهورهم عند موتهِ (متى ٢٧ : ٥١—٥٤) فكلّ هذه العجائب قد جرت بسبب السيّد المسيح وكلُّها تشهد لعزَّتهِ وعلو مقامهِ

ومما يزيد قدْر هذه المعجزات وقوَّة دليلها انَّها لم تجرِ في ظلمة الاجيال السابقة للتاريخ او بين شعب عريق في الهمجيَّة او في القفار ومجاهل البلاد بل حدثت في ازمنة راقية في التمدُّن وسط الشعب اليهوديّ الذي فاق على سواهُ بكتبهِ المقدَّسة وبمعرفتهِ لدين الحقّ وكثرة انبيائهِ الذين عوَّدوهُ على صنيع الآيات وبنظام احبارهِ وكهنتهِ وكتبتهِ ممَّن لا ينخدعون بالشعوذة

وزد عليهِ انَّ المسيح لم يصنع معجزاتهِ خفيةً بل في الشوارع والساحات وفي مدن كبيرة وعلى الجبال وفي هيكل اورشليم حيث كان يحدق بهِ الوفٌ من الناس يلحظون كل حركاتهِ لا يفوتهم شيءٌ منها

وكان بين اولئك الجموع عدد وافر من اعداء المسيح الذين كانوا يرصدونهُ ويتتبَّعون كلّ اعمالهِ ليرموا عليهِ الشكوى ويتهموهُ بالسحر ويهيّجوا عليه القوم منهم الفريسيُّون والهيرودوسيُّون والصدوقيُّون والكهنة ورؤساء الشعب وكلُّهم ناقمون عليهِ لكشفهِ رياءهم وخبثهم وتقريعهِ لكبريائهم وتنديدهِ بمطامعهم فلو رأوا

شبهةً في احدى آياتهِ لطعنوا عليهِ جهارًا وطاخرهُ بالمثالب . وقد تجرأ بعضهم فقال عنهُ في الشعب انهُ يصنع تلك العجائب بقوَّة الشيطان وبواسطة بعلزبوب فلم يأنف السيّد المسيح ان يردّ عليهم ويلقمهم الحجر حتى لم يعودوا الى مثل تلك التهمة (مت ١٢: ٢٦–٢٧ ولو ١١: ١٩)

لا بل زادنا اعداء المسيح ثقةً بمعجزاتهِ اذ ارادوا غير مرَّة ان يبحثوا عن صحَّة معجزات الربّ ليجدوا فيها مغمزًا فينكروها . وقد صنعوا ذاك خصوصاً عند شفائهِ للضرير الاكمه الذي روى خبرهُ يوحنَّا (ف ٩) فان الفريسيين استنطقوهُ هو ووالديهِ ومن كان يعرفهُ ليعلموا بصحَّة شفائه فانجلى لهم الحقّ كانجلاء الشمس في كبد السماء لكنَّهم صمُّوا الآذان عن صوتهِ واعموا ابصارهم دون نورهِ الساطع فرذل الله امَّتهم

٢ً خواصّ معجزات السيّد المسيح

ولعلّ معترضاً يوقفنا عند هذا الحدّ فيقول انَّنا نسلّم بمعجزات يسوع وقد نطق بها القرآن ايضاً فذكر (سورة آل عمران ع ٤٣ وسورة المائدة ع ١١٠) انهُ «جاء بالبيّنات وانهُ ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله» ولكن الم يأتِ بالمعجزات غير المسيح من الانبياء فهو كواحد منهم ولا فضل لهُ على سواهم

كلّا ليست معجزات السيّد المسيح كمعجزات بقيَّة الانبياء بل هي تفوق عليها من عدَّة وجوه

فمن خواصّها انَّها كلّها للرحمة والنعمة على خلاف معجزات الانبياء السابقين فانَّ خوارقهم مقسَّمة بين الرحمة والنقمة . هذا موسى كانت اكبر آياتهِ الضربات العشر التي ضرب بها المصريين وملكهم فرعون بل ضرب بني اسرائيل نفسهم عدَّة ضربات لمَّا اعمل فيهم السيف عند نزولهِ من جبل سينا فرآهم عبدوا العجل فقتل منهم ثلاثة الآف رجل (الخروج ٣٢ : ٢٨) ثمَّ ضربهم ثانية عند فجورهم ببنات موآب فقتل منهم ٢٤,٠٠٠ رجل (سفر العدد ٢٥ : ٩) وضرب قورح وداثان وابيرام مع ١٤,٧٠٠ آخرين يوم عصيانهم عليهِ (العدد ١٦ : ٣٥–٤٩) وغير ذلك من الضربات التي ظهر فيها عدل الله وثبتت سلطة عبدهِ

ومثلهُ ايليًا الذي ضرب الارض بالقحط ثلاث سنوات (٣ ملوك ١٧ : ١) وقتل انبياء البعل (٣ مل ١٨ : ٤٠) وانزل نار السماء على مئة من الجند الموفدين اليهِ من قبل أحزيا الملك ليمسكوهُ (٤ مل ١ : ٩—١٦)

وكذلك اليشاع (٤ مل ٢ : ٣٣—٣٤) لعن باسم الرب ٤٢ صبيًا هزئوا بهِ فخرجت دبّتان من الغاب وافترستاهم

. امّا معجزات السيد المسيح فلا ترى فيها اثرًا للغضب او للانتقام . فلم يضرب احدًا من اعدائهِ بآفةٍ ما بل شفى مرضاهم كما فعل بغيرهم فكذا صنع بابنة يائير رئيس المجمع (مر ٥ : ٢٢ ولو ٨ : ٤١) وردّ للمكس اذنهُ اليمنى التي قطعها بطرس بسيفهِ (يو ١٨ : ١٠ ولو ٢٢ : ٥١) ولم يشأ ان ينزل نار السماء على قرية سامرية لم يقبلهُ اهلها كما طلب ذلك منهُ تلميذاهُ يوحنا ويعقوب بل زجرهما بقولهِ : « لستما تعلمان من اي روح انتما » (لو ٩ : ٥١—٥٥) . وتراهُ في كلّ وقت آلامهِ يحتمل كلّ العذابات كحمل وديع لا يصنع ادنى آيةٍ لينتقم من اعدائهِ بل يصلّي لاجلهم ويطلب لهم المغفرة من ابيهِ السماوي بقولهِ : « انهم لا يدرون ما يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) ومع كثرة ما جرى من المعجزات عند موتهِ لم يُصِب باذىً ما احدَ اعدائهِ . بل كان في حياتهِ لا يريد ان يدين احدًا حتى المرأة الزانية (يو ٨ : ١١) رحمها ولم يحكم عليها (١ وهو القائل (يو ١٢ : ٤٧) : « ان كان احد يسمع اقوالي ولا يحفظها فانا لا ادينهُ لأنّي لم آتِ لادين العالم بل لأخلّص العالم » وكان اذا اراد ان ينذر البشر بعقوبة يمثلها لهم في النبات او في الحيوان كما فعل لمّا ايبس التينة غير المثمرة (مر ١١ : ١٢—٣١) ولمّا سمح الابالسة ان يدخلوا في الخنازير (لو ٨ : ٣١) . فترى كيف تفوق معجزات السيّد المسيح على آيات الانبياء فحقّق في شخصهِ الكريم قول النبيّ اشعيا عنهُ (٤٢ : ١—٣ ومت ١٦ : ٢٠) : « هوذا عبدي الذي اعضدهُ مختاري

---

١) ومن العجب انّ عبد الوهّاب افندي التنّير في كتابهِ الاخير الموسوم بتاريخ الفحشاء الملو قمًا على النصرانيّة لم يخجل بان ينسب رحمة السيّد المسيح نحو الزانية الى تنشيط الفحشاء وهو الذي حذرها من العود الى الخطيئة وكسر سمّاً نخوة الفريسيين بحكمتهِ العجيبة . فهكذا يحمي الغرض اصحابهُ

الذي سُرَّت بهِ نفسي قد جعلتُ روحي عليهِ فهو يبدي الحكم للأُمم . . . قصبةً مرضوضة لا يكسر وكتّاناً مدخّناً لا يطفئ . . .)

وقد احسن احمد شوقي الشاعر المصريّ في وصفهِ لرفق السيّد المسيح ورحمتهِ فقال في ديوانهِ (الشوقيّات ص ١٣) :

وُلد الرفقُ يوم مولد عيسى والمروّات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت بسناهُ من الثرى الارجاء
وسرت آيةُ المسيح كما يَسْـــري من الفجر في الوجود الضياء
فملأ الارض والعوالم نوراً فالثرى مائجٌ بما وثناء
لا وعيدٌ لا صولةٌ لا انتقامٌ لا حُسام لا غزوةٌ لا دماء

ويوجد فرقٌ آخر بين معجزات السيّد المسيح وبقيّة الانبياء وهو انّ آيات سائر الانبياء محصورة في تذليل بعض العناصر لحكمهم بقوّة الله فهذا يفلق البحر كموسى وذاك يقهر سلطان النار كالفتية الثلاثة فتكفّ عن الحريق وغيره يلجم شراسة الاسود كدانيال فلا تؤذيهِ . ومنهم من يحيي ولداً ميتاً كاليشاع او يشفي ملكاً مريضاً كاشعيا او يوقف الشمس في مسيرها كيشوع بن نون الى غير ذلك من العجائب التي روتها الكتب المقدّسة

امّا معجزات السيّد المسيح فانّها تناولت الكون باسرهِ فتارةً يغيّر جواهر الكائنات فيحوّل الماء الى خمر وتارةً يوفّرها وينميها كما فعل مرّتين لمّا فات الجموع في البرّية فاشبعهم خبزاً وسمكاً . يأمر الرياح فتسكن ويجمّد الماء تحت قدميهِ فيسير عليهِ . يأمر الملائكة فتخدمهُ بعد صومهِ . الشمس والقمر يشهدان لهُ عند موتهِ . الموت يردُّ فرائسهُ حتى بعد اربعة ايام من موتهم بامر منهُ . الشياطين تخرج صارخةً امامهُ : حقّاً انت قدّوس الله (مر ١ : ١٤ لو ٤ : ٤٣) الماهات كلّها طوع مشيئتهِ لا يعصى عليهِ ايُّ مرضٍ كان . فهيهات ان ترى نبيّاً صنع ما صنعهُ السيّد المسيح

وفي معجزات المسيح خاصّة ثالثة تمتاز بها عن آيات سائر الانبياء فترفع مقامهُ بينهم كرفعة السماء عن الارض . كانت قوّة المعجزات في الانبياء والرسل دون استثناء قوّةً مستعارة وهي في السيّد المسيح قوّة شخصيّة منوطة بذاتهِ الالهيّة

انظر رعاك الله كيف صنع موسى معجزاتهِ . صنعها بدعوة خاصّة من الله اذ

ظهر لهُ وهو يرعى غنم يترو (شعيب) حميهِ في مدين (الخروج ٣: ١٠) واذ حاول ان يتنصَّل من هذه الدعوة أكَّد لهُ الله انهُ يعضدهُ بقوَّتهِ ويصنع على يدهِ المعجزات وكرَّر لهُ مرارًا بأنَّهُ هو تعالى يصطنع الآيات: «امدُّ يدي واضرب مصر بجميع آياتي التي اصنعها فيها» وقس على ذلك بقيَّة آيات موسى فانَّ الربَّ هو الذي يرشدهُ الى ضرب البحر بعصاهُ لينجو بنو اسرائيل وهو الذي يتقدَّم اليهِ بضرب الصخر لينفجر منهُ المياهُ ويأمرهُ بنصب الحيَّة النحاسيَّة ليشفى بنظرها الملسوعون. فترى موسى في كلِّ هذه المعجزات كآلة في يد الله يصنع ما يُؤمر بهِ

وكذلك بقيَّة الانبياء يتوسَّلون الى الله متذلِّلين كي يُتيح لهم ما يطلبونهُ من الآيات. كما فعل ايليَّا لمَّا اراد انْ يبعث من الموت ابن ارملة صرفت «فانهُ صرخ الى الربِّ قائلًا: أيها الربُّ لتَعُد روح الغلام الى جوفهِ. فسمع الربُّ لصوت ايليَّا وعاد الغلام حيًّا» (٣ مل ١٧: ٢١). ومثلهُ صنع اليشع لما اراد ان يقيم ابن الشونمِيَّة (٤ مل ٤: ٣٣) فانهُ لم يباشر العمل الَّا بعد صلاتهِ الى الله. لعلمهم جميعًا انهم عبيد الله ليست قوَّة العجائب سوى موهبة من فضلهِ

امَّا المسيح فانَّهُ يتصرَّف بقوَّات الطبيعة تصرُّف السيِّد بعبدهِ فيغيِّر نواميس الطبيعة كيفما شاء وكلَّما شاء بمجرَّد ارادتهِ. يقول لهُ الابرص (مت ٨: ٣): «يا ربُّ ان شئتَ فانت قادر ان تطهرني» فيلمسهُ يسوع قائلًا: «قد شئتُ فاطهر». — اتت اليهِ الكنعانيَّة تطلب شفاء ابنتها بايمان صارخةً: ارحمني أيها الربُّ ابن داود. فأجابها: «فليكن لكِ كما اردتِ». — يرى ابن الارملة الوحيد محمولًا الى القبر فيحنُّ على امِّهِ ويوقف النعش قائلًا للميت (لو ٧: ١٤): «أيها الشابُّ لك اقول قُم. فاستوى الميت وبدأ يتكلَّم فسلَّمهُ الى امِّهِ». — لا بل يُعدُّ الموت امامهُ كالرقاد كما فعل لما دخل بيت رئيس كنرناحوم فنحَّى الباكين قائلًا: «تنحَّوا. انَّ الصبيَّة لم تَمُت ولكنها نائمة. فضحكوا منهُ فلمَّا اخرج الجمع دخل وامسك بيدها فقامت الجارية» (مت ٩: ٢٤—٢٥). — سأل الاعميين الطالبين شفاء بصرهما: هل تؤمنان اني اقدر ان افعل ذلك. فقالا لهُ: نعم يا ربُّ. حينئذٍ لمس اعينهما قائلًا: كايمانكما فليكن لكما»

فترى في كلِّ هذه المعجزات انَّ المسيح لا ينسب قوَّتهُ الى غيرهِ لعلمهِ بانَّ تلك

القوة كما تصدر من شخصه الكريم فلا يحتاج الى ان يلتمس من الله نعمة العجائب الكائنة في ذاته . وربما كانت تلك القوة تصدر منهُ بمجرد لمس ثوبهِ كما جرى للمرأة ذات نزيف الدم التي قالت في نفسها (مت ٩ : ٢١) : « ان مسستُ ثوبهُ فقط برئتُ » فلما مسَّت طرف ثوبهِ برئت وكذلك فعل اهل جنَّاسر قال متى (١٤ : ٣٥—٣٦) : « فعرفهُ اهل ذلك المكان . . . فأتوا اليهِ بكل من بهِ مرض وسألوا ان يلمسوا ولو طرف ثوبهِ فكل من لمسهُ برئ » . بل كان يأمر العاهات فتطيعهُ كما فعل لما دخل بيت سمعان ووجد حماتهُ ممنوَّة بحُمَّى شديدة « فزجر الحُمَّى ففارقتها » كما انتهر الرياح والبحر مرَّةً أخرى « فحدث هدوءٌ عظيم وتعجَّب الناس قائلين : ايّ انسان هذا فانَّ الرياح والبحر تطيعهُ » (مت ٨ : ٢٦—٢٧) . — وتلك القوَّات الخارجة منهُ كانت تصيب البعيدين كالقريبين كما فعل لابن رئيس الملك فابرأهُ عن بُعد وقال لوالدهِ : « امضِ ان ابنك حيٌّ » فكان كذلك

وزيد على هذه الخواصّ الثلاث خاصَّة رابعة امتازت بهِ معجزات المسيح عن عجائب كلّ الانبياء سواهُ وهي كون المسيح اورث تلامذتهُ تلك القوَّة العجيبة فاعطاهم ان يصنعوا المعجزات . فان من راجع اسفار العهد العتيق يجد بين أولياء الله كثيرين قد اقترفوا الآيات واتوا بالعجائب ولكن لسنا نجد واحدًا اورث هذه الموهبة ذويهِ وتلامذتهُ الَّا السيّد المسيح الذي منح هذه النعمة تبعتَهُ مدَّة حياتهِ واورثهم اياها بعد موتهِ . قال متى (١٠ : ١) : « ودعا تلاميذهُ الاثني عشر واعطاهم سلطانًا على الارواح النجسة لكي يخرجوها ويشفوا كلّ مرض وضعف » وافاد مثلهُ لوقا (ف ١٠ : ١—١٩) ان يسوع ارسل اثنين وسبعين من تبعتهِ وارصاهم « ان يشفوا المرضى » وانهم لما عادوا قالوا لهُ : « يارب ان الشياطين ايضًا تخضع لنا باسمك » . . ومما قالهُ اذ ذاك : ها انا قد اعطيتكم سلطانًا ان تدوسوا الحيَّات والعقارب وقوَّة العدوّ كلّها وليس شيءٌ يضرُّكم »

وبعد قيامتهِ جدَّد لهم تلك الموهبة واورثها في شخصهم لكنيستهِ حيث قال (مر ١٦ : ١٥—١٨) : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان . وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين ويتكلمون بألسنة جديدة ويحملون الحيَّات وان شربوا شيئًا مميتًا فلا

يضرُّهم ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون » لا بل وعدهم بانهم يصنعون عجائب اعظم من عجائبهِ قائلًا (يو ١٤ : ١٢) : « الحقَّ الحقَّ اقول لكم انَّ من يؤمن بي يعمل الاعمال التي انا اعملها ويعمل اعظم منها »

ولعمري لم تكن هذه المواعيد عرقوبيَّةً فمنذ عهد الرسل الى اليوم لا تزال موهبة العجائب والمعجزات تتبع الكنيسة الكاثوليكيَّة وتشهد لمنشئها الالهيّ وما كاد السيّد المسيح يصعد الى السماء حتى جعل تلاميذهُ يصنعون المعجزات باسمهِ فانَّ بطرس هامة الرسل قال للاعرج من بطن امهِ (اعمال ٣ : ٦) : « باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ » فبرئ من ساعتهِ . وتعدَّدت العجائب على يدهِ حتى انَّ ظلَّهُ فقط كان يشفي المرضى من كل عللهم (اع ٥ : ١٥) . وقد بقيت هذه العطيَّة في الكنيسة حتى ايَّامنا وقد رأى العالم منها في عهدنا عددًا لا يُحصى في لورد وفي لالوفي (La Louvesc) وفي ارس ولم ينقطع نسل القديسين وفاعلي العجائب كفى ان نذكر منهم دون بوسكو (Don Bosco) والقانوني كوتولنغو (Cottolengo) والخوري ڤيانه خوري ارس (B^eux Vianney, Curé d'Ars) فانَّ معجزاتهم العجيبة قد شهدها في زماننا الوفٌ ومئات الوف من البشر الذين انابوا الى الله بسببها بالتوبة الصادقة . فسبحان الذي اعطى سلطاناً كهذا لبني البشر

نبوَّات السيد المسيح

ومما يحقُّ لنا بان نضيفهُ الى معجزات السيد المسيح نبوَّاتهُ التي سبق وانبأ بها عن امور تمَّت كما دلَّ اليها . وهذه النبوَّات اوفر عددًا من نبوَّات غيرهِ من الانبياء . واوضح معنىً وأثبت حلولًا مع قرب وقوعها

١ً فمن ذلك انَّهُ سبق وانبأ بآلامهِ مفصِّلًا لكل ما سيحلُّ بهِ من خيانة احد تلامذتهِ (يو ٦ : ٧١ و١٣ : ٢٦ الخ) وهرب تلاميذهِ (مر ١٤ : ٢٧ الخ) وجحود بطرس الثلث (مت ٢٦ : ٣٣ — ٣٥ الخ) ومحاكمتهِ لدى الرومانيين (مت ٢٠ : ١٩ ولو ٩ : ٤٤) وما سيلحق بشخصهِ من الاهانات والجلد والصلب والموت (مر ٨ : ٣١ و٩ : ٣١ و١٠ : ٣٤ ولو ٩ : ٢٢ ويو ٣ : ٨ و٢٨)

٢ً تنبَّأ عن قيامتهِ وضرب لها مثل يونان النبيّ في بطن الحوت ثلاثة ايام (مت

١٢ : ٤٠ و١٦ : ١ و٢١ ثم لو ٩ : ٢٢ و١١ : ١٠ — ١٤) وهذه النبوءة شاعت حتى انَّ اعداءهُ بعد موتهِ رووها عنهُ لبيلاطوس (مت ٢٨ : ٦٣)

٣ً سبق واشار الى صعودهِ الى السماء مرَّتين (يو ٦ : ٦٢ ثم ٧ : ٣٤)

٤ً تنبَّأ عن حلول الروح القدس على التلاميذ بعد صعودهِ (لو ٢٤ : ٤٩ ويو ١٤ : ١٦ و٢٦)

٥ سبق واعلم تلاميذهُ بما سيحلُّ بهم بعد صعودهِ من الاضطهادات لاجل اسمهِ (مت ٦٤ : ٧ ومر ١٣ : ٨ ولو ٢١ : ١١) مع نشرهم لانجيلهِ والشهادة لهُ في العالم اجمع (مر ١٣ : ١٠)

٦ً وصف ما ستلقاهُ كنيستهُ في الاجيال المقبلة من المقاومات مع فشل ابواب الجحيم عنها (مت ١٦ : ١٨)

٧ً تنبَّأ لبطرس وخلفائهِ بثبوت ايمانهم الى منتهى الاجيال (لو ٢٢ : ٣٢)

٨ً تنبَّأ عن خراب اورشليم على يد الرومان مفصِّلًا لكل ظروف محاصرة المدينة المقدَّسة مع ما سيحلُّ فيها من الحروب والمجاعات والزلازل (مت ٢٤ : ٤—٤٠ ومر ١٣ : ٥—١٠ ولو ٢١ : ٨—١٢)

٩ً صرَّح بخراب هيكل اورشليم مؤكدًا بانهُ لن يبقى منهُ حجر على حجر (مت ٢٤ : ٢ ومر ١٣ : ٢ ولو ٢١ : ٦)

وكلُّ هذه النبوَّات التي ما كانت لتخطر على ذهن بشر قد تمَّت بالحرف بعد زمن قليل كما تشهد عليهِ الاناجيل عينها او سفر اعمال الرسل او رسائل القديس بولس او تواريخ المعاصرين كيوسيفوس اليهوديّ في كتابيهِ العاديَّات اليهوديَّة والحرب اليهوديَّة وكتابات الآباء الاولين كاغناطيوس وايريناوس . وبعض هذه النبوَّات لا يزال كلَّ يوم يزيد صراحةً وحجَّة . كانتصار الكنيسة من كلِّ اعدائها وعصمة الحبر الروماني بحيث يصحُّ فيهما كلَّ ساعة آخرُ قولِ المسيح لتلاميذهِ قبل صعودهِ الى السماء (مت ٢٨ : ٢٠) : « ها انا معكم كلَّ الأيام الى منتهى الدهر »

٣ً لاهوت السيِّد المسيح في معجزاتهِ

انَّ المعجزات والنبوَّات التي سبق لنا ايرادها مع بيان خواصها المميِّزة لصاحبها عن

كلّ الانبياء والرسل تقودنا الى نتيجة لا مناص منها اعني اثباتها لألوهيّة السيّد المسيح فنقول:

(اوّلاً) بيّنّا في مقدّمات مقالاتنا من نصوص العهد العتيق لا بل من اقوال الربّانيين انفسهم انّ المسيح منتظَر الامم ليس هو انساناً محضاً بل الهاً ايضاً. والحال قد ثبت انّ يسوع ابن مريم هو وحدهُ ذاك المسيح وانّهُ ليس فقط اتمّ ما ورد عنهُ من النبوّات فحقّقها في شخصهِ الكريم ولكن اصطنع ايضاً المعجزات الصحيحة لاثبات هويّتهِ فهو اذن إله ليس في لاهوتهِ شكّ ما لم تُنكَر تلك المعجزات او يزعم الزاعم انّ الله أيّد المكر والكذب بسلطان المعجزات وكلاهما مستحيل كما ترى

(ثانياً) انّ من يرضى بصحّة الاناجيل وعدم تحريفها — ولا بُدّ لكلّ عاقل ان يسلّم بهما كما قرّرنا في مقالات سابقة — ينبغي عليهِ ايضاً ان يصادق على كون المسيح هو اله وابن الله

وذلك انّ الملاك جبرائيل ببشارتهِ للعذراء صرّح لها بانّ المولود منها «ابن العليّ يُدعى» (لو ١: ٣٢) وانّهُ «القدّوس وابن الله» (١: ٣٥) وكذلك اليصابات دعت مريم «امّ ربّها» (١: ٤٣) — ولمّا جرّب ابليس السيّد المسيح في البرّيّة لم ينكر عليهِ الربّ قولهُ «ان كنتَ ابن الله» (لو ٤: ٣) وانّما خذلهُ لسبب آخر اذ كان يعرض عليهِ الاعمال الباطلة — وكذلك لم يزجر المسيح نتنائيل لمّا قال لهُ: «انت ابن الله انت ملك اسرائيل» (يو ١: ٤٩). ثم رضي ايضاً بقول تلاميذهِ بعد صيدهم العجيب (مت ١٤: ٣٣) اذ «جاؤوا وسجدوا لهُ قائلين: بالحقيقة انت ابنُ الله» ومثلهم مرتا بعد وفاة اخيها اذ قالت لهُ (يو ١١: ٢٧): «انا مؤمنةٌ انّك انتَ المسيح ابن الله الآتي الى هذا العالم» — فكلّ هذه الاقوال لو لم يكن المسيح الهاً لكانت تجاديف ينبغي عليهِ ان ينتقدها ويزجر القائلين بها ويصرّح بكونهِ ليس هو الهاً ولا ابن الله. فاذ لم يفعل فذلك دليل واضح على انهُ هو اله وابن الله حقّاً

(ثالثاً) ولم يسكت فقط السيّد المسيح عن المعترفين بلاهوتهِ بل اثنى عليهم كما فعل مع بطرس حامة الرسل اذ اعترف بهِ صريحاً بقولهِ (مت ١٦: ١٥): «انتَ المسيح ابن الله الحيّ». فاجابهُ يسوع بقولهِ: طوبى لك يا سمعان بن يونا فانهُ ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن ابي الذي في السماوات». فلو لم يكن

المسيح ان الله والهاً معاً لاقترف اثماً فظيعاً يستوجب الموت بثانيهِ هذا على كفر بطرس فهيهات ان يؤيد الله لمعجزات زنديق مثلهُ يغرّ الناس بسكوتهِ عن شططهم

(رابعاً) لا بل دعا السيّد المسيح نفسهُ بابن الله صريحاً فانَّهُ بعد ان ابرأ الأعمى منذ مولدهِ قال لهُ يسوع : اتؤمن انتَ بابن الله . فاجاب وقال : من هو يا سيّد لأؤمن بهِ : فقال لهُ يسوع : قد رأيتهُ وهو الذي يكلمك . فقال لهُ : قد امنتُ يارب وسجد لهُ »

واعظم من هذا شهادتهُ العلنيَّة الرسميَّة امام محفل اليهود وكبير احبارهم لمَّا اجتمعوا ليلًا ليحكموا عليهِ بالموت واذ لم يجدوا في الشهادات الزور سبباً كافياً للحكم عليهِ سألهُ قيافا رئيس الكهنة مستنشدًا بالله (مت ٢٦ : ٦٣) : « أقسم عليك باسم الله الحيّ ان تقول لنا هل انتَ المسيح ابن الله . فقال لهُ يسوع : انتَ قلت ». وكرَّر هذه الشهادة مرَّة ثانية في صباح يوم موتهِ اذ « قال لهُ الجميع : أفأنت ابنُ الله . فقال لهم : انتم تقولون اني انا هو » (لو ٢٢ : ٧) . واثبتوا ذلك امام بيلاطوس حيث بيَّن لهم انهُ بريء لم يجد فيهِ موجباً للموت فصرخوا (يو ١٩ : ٧) : « انَّ لنا ناموساً وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت لانهُ جعل نفسهُ ابن الله »

فكلّ هذه الآيات تبيّن صريحاً انَّ المسيح اعلن بكونهِ ابن الله جوهريًّا لا مجازًا لانهُ لو كان ذلك على طريقة المجاز كما يقال لكلّ البشر انهم ابناء الله لما رأى احد في قولهِ شيئاً ملوماً

(خامساً) وكما ادَّعى المسيح انهُ ابن الله اعلن ايضاً بانهُ اله بطرائق شتى فنسبهُ تارةً يؤكد بانهُ « الربّ والمعلّم » (يو ١٣ : ١٣ — ١٤) وتارةً يصرّح بانهُ اعظم من موسى (مت ١٩ : ٨—٩) ومن سليمان ويونان (مت ١٢ : ٤١ — ٤٢ ولو ١١ : ٣١—٣٢) وحيناً يُعلن بأنهُ كان قبل ابراهيم « الحقّ اقول قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يو ٨ : ٥٨) وانَّ ابراهيم كان يبتهج ان يرى يومهُ فرآهُ وفرح (٨ : ٥٦) . ولم يكتفِ بان يقول عن نفسهِ انهُ مرسل من الآب (يو ٥ : ٣٦—٣٧ و٦ : ٣٠ ، ٤٠ و٥٨ و٨ : ١٦—١٨ الخ) بل دعا الله اباهُ (لو ٢ : ٤٩ ويو ٢ : ١٦ و٥ : ١٧ و٨ : ١٧ الخ) لا بل يقول صريحاً لليهود (يو ١٠ : ٣٠) : « انا والآب واحد » . فايّ تجديف اعظم من هذا لو لم يكن المسيح الهاً

(سادساً) وقد صنع المسيح كثيراً من معجزاتهِ رأساً ليثبت انهُ إله فنقض السبت وعمل فيهِ الآيات ليقنع الفريسيين بانهُ « ربُّ السبت » (مت ١٢ : ٨ مر ٢ : ٢٨ لو ٦ : ٥). غفر الخطايا كإله واذ رأى اليهود في هذا العمل تجديفاً قائلين : من يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله . فللوقت صنع آية ليثبت كونهُ الهاً « فلكي تعلموا انَّ ابن البشر لهُ سلطان على الارض ان يغفر الخطايا قال للمخلَّع : لك اقول : قم احمل سريرك واذهب الى بيتك » . وهذه السلطة الالهيَّة قد منحها لتلاميذهِ بقولهِ (يو ٢٠ : ٢٢) : « خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفَر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » — واذ سألهُ تلاميذ يوحنَّا أهو المسيح المنتظر اكتفى بان يشير الى معجزاتهِ دلالةً على انَّهُ حملُ الله الذي اشار اليه معلمهم (يو ١ : ٢٢) — ولمَّا اراد اليهود ان يرجموهُ لزعمهم انَّهُ جدَّف قال لهم يسوع : « اني اريتكم اعمالاً كثيرة حسنة من عند الآب فلايّ عمل منها ترجموني . فاجابهُ اليهود : انَّنا لسنا لعمل حسن نرجمك لكن للتجديف ولانك تجعل نفسك الهاً وانت انسان » فكان جواب المسيح : « ان لم اعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي . . فان لم تريدوا ان تؤمنوا بي فآمنوا بالاعمال لتعلموا وتؤمنوا انَّ الاب فيَّ وانا في الاب (يو ١٠ : ٣٦—٣٨) » . وقد كرَّر ذلك مراراً مؤكداً انَّ معجزاتهِ تدلُّ على لاهوتهِ — ولمَّا صنع تلك المعجزة الفائقة لمعجزات كلّ من سبقه اعني اقامة لعازر بعد موتهِ باربعة أيام صرَّح بانَّهُ يفعل ذلك لاثبات لاهوتهِ وانهُ هو القيامة والحياة (يو ١١ : ٢٣,٤١) . فهذه كلُّها شواهد لا يمكن نقضُها تدلُّ على انَّ معجزات السيّد المسيح مثبتة للاهوتهُ بلا محالة (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Drei arabische Quellenwerke über die 'Aḍdâd mit Beitraegen von P. A. Salhani, und einem spaetarbischen 'Anhange herausg. von Dr Aug. Haffner, *Beirut, Impr. Catholique,* 1913, pp. XVIII-282

ثلاثة كتب في الاضداد للاصمعيّ وللسجستانيّ ولابن السكيت مع ذيل للصغانيّ

من قلَّب معاجم اللغة الكبيرة كلسان العرب والقاموس والتاج والصحاح اخذهُ العجب من كثرة استشهاد اصحابها بائمة اللغويين كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد

وغيرهم ممن كنّا نعدّ تآليفهم اثراً بعد عين . لكنّ همّة المستشرقين في عصرنا أبت الّا ان تستخرج بعض تلك الكنوز من دفائنها فلم يكدوا في مطلبهم . وقد أنشدنا سابقاً كثيراً من تلك الضوالّ فنشرتها مطبعتنا الكاثوليكيّة . وها هوذا مجموع جديد يحتوي اربعةً من نفائس الآثار اللغويّة لاقدم ارباب اللغة وهي كلّها في موضوع واحد اعني الاضداد العربيّة للاصمعيّ ولابي حاتم السجستاني ولابن السكيت وللصغاني نقلها الدكتور ارغست هفنر احد اساتذة كلّيّة إنسبروك الفضلاء عن مخطوطات الاستانة وفينّة وبطرسبورج وبغداد وقدّم عليها الملحوظات المفيدة مع بيان الروايات المختلفة وختمها بثلاثة فهارس على حروف المعجم الواحد لاسماء الشعراء الذين وردت ابياتهم في الاصل والآخر لالفاظ الاضداد ثم للقوافي . والكتاب يبلغ ثلاثمائة صفحة قد طُبع في مطبعتنا على احسن منوال مضبوطاً بالشكل الكامل وقد تولّى نظارة طبعه حضرة الاب ا . صالحاني فافرغ الوسع في ضبطه وألحق كلّاً من تلك التآليف بتراجم مؤلفيها وتعريف مصنّفاتهم وزاد في ذيلها عدّة ملحوظات . ولا نشكّ في انّ محبّي الآثار العربيّة يتلقّون هذا الكتاب بمزيد الارتياح فيتخذونه في سلك اعزّ مآثر خزائنهم ل . ش

L. Cheikho, s. j. : Catalogue raisonné des Manuscrits Historiques de la Bibl. Orientale de l'Université St Joseph (Mélanges de la Fac. Orientale, VI, 213-304, Beyrouth, 1913, pp. 92

قائمة المخطوطات التاريخيّة المصونة في خزانة المكتبة الشرقيّة

باشرنا سابقاً في المشرق وصف مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة فعرّفنا منها ١٣٠ كتاباً ولم يسمح لنا الوقت بمواصلة العمل . واذ لم يزل المستشرقون يلحّون علينا لتفيدهم عن محتويات هذه المكتبة لبّينا دعوتهم فنشرنا في مجموع مكتبتنا الشرقيّ في الافرنسيّة وصف المخطوطات التاريخيّة فقط التي حصلنا عليها وهي لا تقلّ عن ١٥٠ مصنّفاً معظمها في العربيّة والبعض منها في الفارسيّة والتركيّة والسريانيّة . وطريقتنا في هذا الوصف طريقة المستشرقين الذين يعرّفون كلّ خواصّ الكتاب كمؤلفه وموضوعه واقسامه بحيث يقف البعيد فضلاً عن القريب على كلّ محتوياته وشؤونه . وقد دللنا على اصل كلّ كتاب ومكان وزمان مبيعه ل . ش

L. Ronzevalle, s. j. : Un traité de Musique arabe moderne, Préface, traduction française, texte et notes (Mélanges de la Fac. Or. VI, 1-120) Beyrouth 1913, pp. 120 *avec Planches.*

الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقيَّة (طبعة ثانية)

لم يبرح عن ذكر قرّائنا نشر هذه الرسالة لاوّل مرّة في المشرق سنة ١٨٩٩ (٢: ١٤٦, ٢١٨ الخ) كان تولّى طبعها وتذييلها بالحواشي حضرة الاب ل. رنزفال ثمّ طبعناها على حدة فنفد طبعُها . فاستغنم حضرتهُ هذه الفرصة ليجدّد طبع الرسالة ويصلح ما وقع فيها من الاغلاط على نُسخ خطّية جديدة ونشرها في مجموع مكتبنا الشرقيّ لسنته السادسة . وقد خصّ بهذه الطبعة المستشرقين المولعين بدرس الموسيقى العربيَّة ولذلك نقلها لهم الى الافرنسيَّة وعلّق عليها التعليقات الموافقة لذوق الاوربيين ليوقفهم على بقايا هذه الصناعة كما هي جارية في عهدنا وضمّنها الجداول المفيدة للمقابلة بين الديوان العربيّ وديوان الموسيقى الغربيَّة . ونعلم سلفاً انَّ ارباب الصنعة يقبلون على هذا التأليف ويثنون على سعة معارف ناشره ل. ش

Die Welt des Islams. Zeitsch. d. deut, Gesellschfat f. Islamkunde ; herausg. v. Prof. Dr Georg Kampffmeyer. *I Bd., Heft* 1, XVI-84, *Berlin.*

مجلّة عالم الاسلام

انَّ اختلاط الغرب بالشرق بعد الحوادث التي جرت في هذه السنين الاخيرة يستدعي كلّ يوم وضع تآليف جديدة في العالم الشرقيّ ولا سيما الاسلاميّ لقربهِ من الحدود الغربيَّة . والاوربيُّون يقبلون على هذه المصنَّفات اقبال الجياع على القصاع رجاء ان يدركوا لغز الاسلام من حيث الدين والشرع والتاريخ والآداب والعادات لكنَّ هذا يهرف بما لا يعرف وذاك يقدح او يمدح كما تصوّرهُ لهُ غاياتهُ . ولعلَّ صديقنا الاستاذ كمفماير اقرب الى الطريقة الوسطى من سواهُ اذ عاش زمناً طويلاً في بلاد الاسلام ودرس طباع المسلمين وكتب عنهم . ومن مآثرهِ الجديدة هذه المجلّة « عالم الاسلام » التي جعلها كلسان حال جمعيَّة المانيَّة عُقدت في برلين لدرس الاسلام وما يتعلق بهِ . ويكتب في المجلّة المذكورة بعض الاختصاصيين الذين لهم طول الباع في الابحاث الاسلاميَّة . فنرحب بهذا المشروع ونتمنّى لهُ رواجاً كبيراً ل. ش

. Henry Dugout, s. j. ATLAS PHILOLOGIQUE ÉLÉMENTAIRE. Essai de classification géographique des Langues actuellement parlées. *Zi-Ka-Wei. Impr. de l'Orphelinat de T'ou-sè-wè*, pp. 104, avec 15 *Planches*.

اطلس اللغات الشائعة على وجه الارض

ألّف هذا الكتاب احد الآباء اليسوعيين المرسلين في الصين وطبعهُ طبعاً بديعاً في مطبعة رسالتنا هناك. وغايتهُ ان يجمع بنظر عامّ كلّ اللغات الشائعة اليوم في انحاء المعمور وقارات العالم الخمس فيبيّن طوائفها واقسامها وما يوجد بين كلّ طائفة منها من العلاقات وعدد الذين يتكلّمون بها والجهات التي هي شائعة فيها. وهذا لعمري بحث جليل كثيراً ما يعرضهُ علينا قرّاؤنا فعليهم بهذا الكتاب الذي يكفي لشفاء غليلهم مع ما فيهِ من الخرائط المتقنة التي تروق النظر بحسن الوانها وشاراتها. فنشكر المؤلف على هذا العمل النفيس الذي يشهد للمرسلين على اهتمامهم بنشر الاداب والعلوم حيثما حلّوا

ل. ش

دستور الرؤساء في رئاسة مرؤوسيهم

للاب ڤالوي اليسوعيّ عرّبهُ حضرة القس مبارك المتيني

طُبع في مطبعة الارز جونية (لبنان) سنة ١٩١٣ (ص ٥٨٩)

الاب مباركُ ڤالوي محقّق كثير التآليف الدينيّة والادبيّة التي تكرّر طبعها مدّة حياتهِ وبعد وفاتهِ († ١٨٦٩) ولعلّ كتابهُ في سياسة الرؤساء لمرؤوسيهم (Le gouvernement des communautés religieuses) افضل تآليفهِ جدّد طبعهُ خمس مرّات في حياتهِ مع ضخمهِ. والحقّ يقال انهُ استوفى ذاك الموضوع الصعب المراس ونهج للرؤساء طريقاً سهلاً اذا سلكوهُ تنصّلوا من تبعة الرئاسة ومسؤليّتها امام الله الذي سيحاسبهم على تدبير مرؤوسيهم حساباً مدقّقاً يوم الدين. ويكفي المطالع ان يقرأ فصول الكتاب المتعدّدة ليتحقّق انّ المؤلف لم ينسَ شيئاً من واجبات الرؤساء وفرائضهم المختلفة في كل شؤون الحياة الرهبانيّة. فبتعريبهِ لهذا الكتاب قد خدم حضرة القس مبارك المتيني رؤساء الرهبانيّات البلديّة خدمةً ممتازةً. فأملنا ان كل رئيس دير يجعل هذا الكتاب كدليلهِ الامين ومرشدهِ اليوميّ في

تصرُّفهِ مع رهبانهِ . بل يشمل نفع الكتاب كلَّ من لهُ حصَّة في سياسة الناس عموماً لما ضمَّنهُ المؤلف من الحكم والمبادئ العامَّة التي تصلح لتدبير الرعايا والمجتمعات البشريَّة

ل . ش

منتخبات الشيخ امين الحدَّاد

طُبعت بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩١٣ (ص ٢٤٠)

رُزئت الآداب العربيَّة في العام الماضي بهذا الفرع النامي من الدوحة اليازجيَّة فات الشيخ امين الحدَّاد في تمام كهولتهِ (١٨٦٨—١٩١٢) مصاباً كشقيقهِ الشيخ نجيب بداء التدرُّن القتَّال . وقد نُقلت آخرًا رفاتهُ الى مدفن العائلة في كفرشيما بعد نقل رفات خالهِ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجيّ بزمن قليل . وقد خلَّف الشيخ امين كآل بيتهِ الادباء آثارًا تنطق بفضلهِ اكثرها متفرق في الصحف المصريَّة . ولهُ مقالات عديدة نشرها في مجلَّة انيس الجليس التي تولَّى تحريرها مدَّة عشر سنوات وكلُّها ممتازة بحسن سبكها وبعدها عن التكلُّف والتعقيد وهي خصلة ورثها من خالهِ الشهير بانسجام كتاباتهِ . والمنتخبات التي نحن بصددها مجموعة من تلك المقالات خصوصاً أُضيفت اليها بعض قصائدهِ . وفي نيَّة الجامع ان يفرد لها ديواناً مستقلًّا . فنشكر الذين عُنوا بنشر هذه الدرر التي بها اتَّسع كنز الآداب النصرانيَّة الحديثة فيرجع اليها ارباب القلم وينحو نحوها احداث المدارس

ل . ش

تاريخ الصحافة العربيَّة

بقلم الفيكنت فيليب دي طرازي

الجزء الثاني طُبع في المطبعة الاديبيَّة (سنة ١٩١٣ ص ٢٢٤)

لم يمرَّ علينا اربعة اشهر مذ اثنينا على هذا الكتاب النفيس وبيَّنا فضل مؤلفهِ الاديب الذي اخذ على عاتقهِ عبئاً تنوء تحتهُ مناكب طائفة من الكتَّاب . وهذا الجزء الثاني اوسع نطاقاً من الاوَّل وان كان اقصر حقبةً اذ لا يتناول سوى ثلاث وعشرين سنةً (١٨٦٩—١٨٩٢) لكنَّ الصحافة العربيَّة في هذه المدَّة خرجت كالطفل من مهدها والقت عنها التمائم . فتوفَّرت الجرائد في انحاء السلطنة العثمانية وظهر عدد منها خارجاً عن الدولة العثمانية في عواصم اوربَّة واقطار افريقية وان لم تتجاوز بعد الى

نواحي اميركة . فتتبع جناب المؤلف كل هذه الصحائف مهما قصرت اعمارها وشحط مزارها وذكر تاريخها ولمح الى مضامينها مثبتاً لرسوم منشئيها بل دوّن تراجمهم وعدّد مصنّفاتهم حتى انّ الكتاب اضحى تاريخاً عمومياً للآداب العربيّة فضلاً عن اخبار الصحافة . فجازى الله الف خير من قام بهذا العمل وخدم وطنهُ خدمةً يشكرها له الخلف بعد السلف ل . ش

قرّة العين في رواية الى اين

تأليف هنريك سنكيفيج . ترجمها من الايطالية المرحوم القس توما أيوب
طُبعت في المطبعة المارونيّة بحلب (ص ٢٣٦ وثمنها ريال مجيدي)

لمّا ظهرت قبل ١٢ سنة رواية « الى اين » (Quo Vadis) تهافت عليها القرّاء ونُقلت الى كل اللغات الاوربيّة فاصابت رواجاً عظيماً ليس فقط لحسن انشاء كاتبها وتفنّنهِ في تنسيقها بل خصوصاً لضبطهِ اوصاف كل عادات الرومان في دينهم ودنياهم على عهد نيرون حتى انّ القارئ ينسى زمانهُ فيعيش بين اولئك القوم ويرى رأي العيان احوالهم ويسمع اقوالهم ولاسيما نيرون ملكهم ولولا بعض فصول اتّسع فيها المؤلف في وصف خلاعة قدماء الرومان لجعلتها عثرةً في سبيل النفوس الطاهرة لعُدّت الرواية من افضل الروايات العصريّة . وممّا امتاز بهِ الكتاب وصف النصرانيّة وفضائل اهلها في ذاك الجيل الفاسد بين الوثنيين المتهتّكين بعد رسالة بطرس نائب المسيح ورئاستهِ مدّة خمس وعشرين سنة لكنيسة رومية التي شرّفها بفضائلهِ وموتهِ . وليس اسم الرواية « الى اين » سوى احدى مقدّمات استشهادهِ الجليل مع بولس الرسول وصيفهِ في الرسالة . فترى انّ هذه الرواية جامعة لضروب المحاسن رغماً عمّا شان بعض اقسامها . وهذا ما حدا بفقيد الآداب المرحوم القسّ توما أيوب الحلبي الى تعريبها كما عرّب سابقاً رواية تشبهها بل تفوق عليها من بعض الوجوه « فابيولا » للكردينال وَيسمان . لكنّهُ رحمهُ الله عمد الى العمل مستنداً الى الترجمة الايطالية التي نقّحها ثلاثة من الكهنة الايطاليين برضى المؤلف نفسهِ . وهذه الترجمة العربيّة قد اتقنها المعرّب اي اتقان فهي مثال لضبط النقل وحسن التعريب . ولو طُبعت قبل وفاتهِ لما وقع فيها بعض اغلاط طبعيّة لحظناها فيها ل . ش

كتاب سحر بابل وسجع البلابل

للسيد جعفر الحلي النجفي

طُبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٣١ (ص ٤٦٤)

سحرُ بابل لكنَّ من البيان لسحراً وسجعُ البلابل ومن البلابل ما يتغنَّى شعراً. وهذا منهما وهو ديوان احد السادة العلويين الذي دهمتهُ المنون في عز كهولته (١٢٧٧ — ١٣١٥هـ) نزيد بهِ السيد جعفر الحليّ النجفيّ ذا المآثر الطيبة. وديوانهُ من الشعر العراقيّ الجيّد جمع شواردهُ جناب اخيهِ السيّد هاشم الحسينيّ الحليّ فعُني بنشرهِ على ترتيب القوافي وذيَّلهُ بالحواشي التاريخيَّة الكاشفة عن كثير من اسراره. ولولا ضيق المكان لنقلنا منهُ نبذاً توقف على فضل الشاعر واساليبهِ العجبة المطربة

حقائق وعِبَر

تأليف اسكندر الخوري البيتجالي

طُبع في مطبعة القبر المقدَّس بالقدس الشريف سنة ١٩١٣ (ص ١٩٣)

انخدعنا بعنوان هذا الكتاب فظننا انَّنا نلقي ضمنهُ « حقائق وعبراً » فما قرأنا بعضاً من صفحاتهِ حتى اشتممنا منها رائحة الزندقة والعداء الدين فتعجَّبنا كيف تساهلت « مطبعة القبر المقدَّس » الارثدكسيَّة بنشر كتاب مثل هذا يطعن في الدين وتعاليمهِ في كل صفحة من صفحاتهِ فتارة يهزأ بالعقائد النصرانيَّة بالكلام البذيء وتارة يشتم ارباب الدين باقذع الشتائم فينعتهم بلصوص وخدَّاعين يموّهون على الناس لترويج غاياتهم الدنيَّة واشياء كثيرة غير هذه تدلُّ على سفاهة الكاتب وتهتكهِ جرياً على آثار « فيلسوف الفريكه » . ومن العجب انَّ المؤلف مع اطرائهِ « الزواج الحرّ » في نصوص عديدة يحظر الزواج على الفقراء الضعفاء. قال (ص١٧٥) : « تأثير زواج الفقراء الضعفاء على الاجتماع كتأثير العلَّة الجراحيَّة على المريض ان لم تذهب بحياتهِ زادت في فساد جسمهِ وانحلالهِ » وفي الصفحة عينها يقول هذا القول الغريب : « الانسان خاضع لثلاثة نواميس الناموس الطبيعي والديني والمدنيّ وهو كلَّما اطاع ناموساً عصى الناموسين الآخرين » . وما قولنا بكلمات اخرى كهذه (ص ١٣٤) : « لولا خوف جهنَّم لاستوى المؤمن والملحد » وكهذه (ص ١٢٥) : « رجال الدين والحكَّام

في الشرق يضطهدون العقل والذكاء في الشعب .... لئلا يعود يترفع عن تقديس هفواتهم وتسبيح معاصيهم » وغير ذلك مما يأنف قلمنا من تسطيره ولم تستنكف مطبعة القبر المقدس من نشره ل.ش

اخوة واخوات يسوع

بحث علمي للاب انطون صالحاني اليسوعي

طبع في المطبعة الكاثوليكية للمرسلين اليسوعيين بيروت ١٩١٣

ما كنا لنظن ان كاهناً كاثوليكياً يدعي بان اخوة واخوات يسوع هم اولاد القديس يوسف بعد ما الحمنا سابقاً كاتب المنار الارثدكسي فاثبتنا له بتولية هذا القديس العظيم في الشرق في سنتيها الثانية والثالثة . فنشكر حضرة الاب صالحاني الذي عاد وانتصر للحقيقة . نعمى الكاهن الذكور ان يرعوي ويسلم بما هو اليوم مقرر في كل الكنيسة شرقاً وغرباً وان لم يكن معدوداً من عقائد الايمان ل.ش

فريدريك اوزنام – النادي الكاثوليكي – قوانين النادي الكاثوليكي

ثلاث كراريس اتحفتنا بها مجلة المرأة الغراء بعد نشرها في اعداد سنتها الرابعة وطبعها على حدة . فنحث رسل المحبة على مطالعة ترجمة ف . اوزنام بقلم حضرة الخوري نقولا دهان رئيس المدرسة البطريركية في دمشق فهناك مثال نعم المثال لكل من يقصد خدمة القريب بغيرة ونزاهة . ونحرض السماة بجمع كلمة الشبان الكاثوليك على التروي في مقالة النادي الكاثوليكي لحضرة الاب بولس سيور المرسل البولسي مع ما يليها من القوانين لينشئوا في كل مدينة وبلدة منتدى للناشئة الكاثوليكية يتدربون فيه على الحياة المسيحية ويترشحون للاعمال الآيلة الى خير الهيئة الاجتماعية عموماً ودينهم ووطنهم خصوصاً

الرسالة

مجلة كاثوليكية كهنوتية تصدر مرة في الشهر

بارك الله في من اخرج الى حيز الوجود فكراً طالما خطر على بالنا ووددنا لو قام به احد رجال الفضل لنفعة اولئك الذين دعاهم الرب ملح الارض ونور العالم فيسعى

بصيانة ذاك الملح من الفساد ويزيد ذاك النور بهاء ليستضيء به كل طالب نور . وذاك ما قصده حضرة الخوري لويس دريان بانشائه مجلة الرسالة التي صدرت في غرة شهر تموز . فغايته ان يقدم للكهنة الكاثوليك من كل الطوائف صحيفة خاصة بهم توقفهم على كل ما من شأنه ان يرسخ قدمهم في الفضيلة ويرقيهم في المعارف الدينية والادبية ليسيروا دائماً في مقدمة الشعب المسيحي ويرشدوه الى غايته بامان . والعددان الاولان من هذه المجلة يضمنان لنا نجاح العمل ولا سيما انَّ القائم به ليس فرداً من الافراد بل لجنة من الكهنة مؤلفين من جميع الطوائف الشرقية الكاثوليكية . وقد بارك هذا المسعى السيدان الجليلان المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت على الموارنة والسيد اثناسيوس جوايا مطران بيروت على الروم الملكيين الكاثوليك ونشطاه برقيم خاص . فيا حبذا لو مهد هذا العمل السبيل الى انشاء جمعية كهنوتية تضم كهنة كل الطوائف يتباحث فيها اصحابها في المصالح الكاثوليكية العمومية فانهم باتحادهم يخدمون الكنيسة في الشرق احسن خدمة ويظفرونها من كل اعدائها ل . ش

شذرات

انصاف صاحب مجلة لغة العرب روى صاحب مجلة العرب فصلاً من خطب ابن الجوزي في مجلة كوكب البرية (تموز ١٩١٣ ص١٠٣) ونص في ذيله على بعض اغلاطنا فقال : انَّ اسم الجوزي هو بفتح الجيم لا بضمها كما روينا في مجاني الادب (٥ : ٢٨٩) . ثمَّ روى في الصفحة التالية سنة وفاة ابن الجوزي سنة ٥٩٧ هـ الموافقة لسنة ١٢٠١ م ثمَّ قال في الحاشية « امَّا الاب لويس شيخو فقد ذكر مقابلاً للسنة الهجرية ١٢٠٢ مسيحيَّة (المجاني ٥ : ٢٧٩) وهو غلط ظاهر ومثل هذه الاغلاط كثيرة في كتابه فلينتبه القارئ عند مطالعته الكتاب » فنشكر حضرة صاحب مجلة لغة العرب على الفاته نظر القرَّاء الى اغلاطنا الكثيرة ولو راجع حضرته طبعات كتابنا مجاني الادب لوفَّر على نفسه زمناً ثميناً ورأى ان هذه الاغلاط الطفيفة أُصلحت منذ سنين عديدة فانَّ لدينا طبعةً من المجاني الخامس طُبعت السنة ١٨٩٩ فترى هناك اسم ابن الجوزي وسنة وفاته بالضبط اللازم . فانظر انصاف

حضرة الاب انستاس في انتقاده ولعلهُ قابل بين طبعتين من كتابنا فنصَّ على الغلط دون الاصلاح . سامحهُ الله

﴿ خنافس الصحافة ﴾ نضمُّ صوتنا الى صوت « زحلة الفتاة » (في عددها ٦٥) للاحتجاج على جريدتي البلاغ والمصوّر اللتين لا تزالان ترميان الدين المسيحيّ بالمثالب والشتائم . فالعجب كل العجب ان الحكومة المحليَّة تسكت عن مثل هؤلاء الاغرار كالباقر والتنير مع تواتر الاوامر الواردة من الاستانة في محاكمة الذين يطعنون في الاديان . فليعلم ارباب دولتنا انَّنا نشكُّ بصدق مواعيدهم في الاصلاح والتوفيق بين العناصر الوطنيَّة ما داموا يضربون الصفح عمَّن يسعى في التفريق ويجرح احساسات النصارى في ما يعدُّونهُ اشرف من الكنوز واعزّ من الحياة نفسها

﴿ نصائح صحيَّة للعموم ﴾ ارسلت لنا جمعيَّة اغاثة المسلول ورقة تحتوي على ستّ نصائح للعموم يتَّقون بها داء السلّ فنشكر الجمعيَّة المذكورة ونستصوب نصائحها ويا ليتها كانت وضعت في مقدَّمة هذه النصائح ذكر خوف الله الذي هو بدء الحكمة واحسن ضمين لصحة النفس والجسم معاً

﴿ فنّ الرمي بالاشعَّة ﴾ اشعَّة رنتجن لم تُستخدم حتى اليوم الَّا لمنفعة المجتمع البشريّ وها هي الآن قد دخلت في الفنون الحربيَّة باكتشافٍ جديد جعلها من اكبر آفات الحروب اذ تأتي بما لم تأتِ به المدافع وقذائف الطوربيل وغيرها . فانَّ احد المهندسين الايطاليين المسمَّى اوليفي (M. Ulivi) المستخدم في فرنسة كان منذ بضع سنوات يسعى بدرس فعل اشعَّة رنتجن في الاجسام المعدنية بمساعدة مدير شركة تأمين الحياة المسيو ماين (M. Mayen) الذي اعارهُ مركباً مجهَّزاً لاسفاره الخاصَّة يدعى لادي هنريت (Lady-Henriette) ليقوم فيهِ بامتحاناتهِ فتمكَّن المسيو اوليفي من وضع آلة لرمي الاشعَّة الى مسافات بعيدة يستدلُّ بها على ما في دائرة تلك الاشعَّة من الاجسام المعدنيَّة وعلى قوَّتها الكهربائية والمغناطيسية وان كانت تلك الاجسام مراكب حربية تحتوي على ذخائر بارود وقذائف عرف محتوياتها وامكنهُ ان يفجرها فيدمّر المراكب حتى اعظمها ضخماً كالدريدنوط . وقد عرض اوليفي على الحكومة الفرنسويَّة ان يبيعها حقوقهُ في امتياز آلتهِ . وقد حضر آخراً الامتحانات التي صنعها

في ميناء المسافر الجنرالان جوفر (Joffre) ودي كستلنو (de Castelnau) فتأكدا صحتها وقد أجرى اوليفي بالاشعة التي دون البنفسجية - rayons infra violets) وهو يدعوها باشعة ف (rayons F) صناديق مملوءة بارودًا على مسافة ٢٣ كيلومترًا . فهذا لعمري فنّ عجيب دعوهُ بفنّ الرمي بالاشعة -radioba listique) والله أعلم بما سينتج عنهُ من التهاويل ابان الحرب . وعمّا قليل سيستأنف اوليفي امتحاناته في البحر الشمالي على مسافات ابعد من السابقة

الكثلكة في الصين بعد سقوط السلالة الملكيّة المنسوبة الى التتر اصبحت أسر عديدة من اشراف الدولة السابقة في حالة حرجة لإعراض الجمهوريّة الجديدة عنهم فانشأ المرسلون اليسوعيّون جمعيّات من المحسنين لمساعدة اولئك المنكوبين وتربية اولادهم فأثّر مثلهم احسن تأثير في الصينيين الذين اثنوا على هيئة الكاثوليك واخذوا يرسلون الصدقات لرؤساء الجمعيّات . وقد ارادت الامبراطورة السابقة ان تكون في مقدّمة المحسنين فخصّت ملكاً واسعاً لهذه الغاية

ومن اخبار المرسلين ان نشراتهم العلميّة تزداد كل يوم وتستوقف انظار ادباء الصينيين . وللاباء اليسوعيين في شانغاي مجموعة علميّة (Variétés Sinologiques) بلغ عدد مجلداتها الخمسة والثلاثين عدًّا هذا فضلًا عن مطبوعات أخر عديدة منها جريدة يُنشئها آباء صينيّون يسوعيّون ومنها عدّة تآليف للاب (ڤگر L. Wieger) اليسوعي قرّظها علماء الصين . وفي تشرين الثاني من العام الماضي قد ارسل الكردينال مري دالتال رسالة باسم الحبر الاعظم يثني على غيرة هذا الاب وعلى خدمه العديدة في سبيل العلم والدين . وفي السنة الحالية باشر الكاثوليك بنشر جريدة أخرى ادبيّة علميّة سياسيّة . ومن منشورات المرسلين الحديثة خارطة كبيرة تدلُّ على احوال النصارى في الصين ومشروعاتهم الّفها الاب دي موادري (P. de Moidrey) . لمّا كليتهم الحديثة في شانغاي المعروفة بالفجر (l'Aurore) فيتزاحم فيها الطلبة من كل نحو على اختلاف اديانهم وحظيت برضى الحكومة الجديدة — ومن اخبار الصين السارّة انّ صدر وزارتها الاعظم المدعو « لو تشانغ سيانغ » هو من الكاثوليك العريقين بالدين . وكان سابقاً من البروتستانت لكنّهُ تزوج من سيدة بلجيكية كاثوليكية فأثّر فيه تقواها وطلب ان ينحاز الى الدين الكاثوليكي لمّا تعيّن كسفير

دولته في روسيا فجحد البدعة البروتستانتية في موسكو وفيها تمدد وتثبت على يد الاسقف اللاتيني هناك

اسئلة واجوبة

س سأل من حلب احد كهنتها . أصحيح انَّ ذخيرة عود الصليب واطواق القديسين اذا وُجدت في عنق انسان على فراش الموت لا تفارق روحهُ ما لم تُنزع عن عنقهِ

الذخائر المقدَّسة في عنق المنازعين

ج لا صحة لذلك مطلقاً . الَّا ان يُقال بحدوث الامر على سبيل المعجزة حيناً من الاحيان . ومعلوم انَّ المعجزات لا يُبنى عليها قاعدة مطَّردة

س وسأل من غزير حضرة القسّ ي ح . ا هل يجوز ان يُزبَّح القربان الاقدس بعد الجنَّاز بحضور جثَّة الميت

زبَّاح القربان بحضور جثَّة الميت

ج كلَّا لا يجوز . ما لم يُفهم بالزبَّاح بركة القربان التي يمنحها الكاهن في آخر القدَّاس فانَّ هذه داخلة في الذبيحة ويجوز تقدمة الذبيحة بحضور جثَّة الميت

س وسأل احد المستفيدين من باريس . اذا نعرف عن احد مطارنة الشام اليعاقبة المسمَّى حنَّا بن عيسى الصدَّدي

حنَّا بن عيسى الصددي اليعقوبي

ج لم نجد لهُ ذكرًا في ما لدينا من المطبوعات والمخطوطات . ولعلَّ احد قرَّائنا الدمشقيين يستطيع ان يفيدنا في ذلك علماً

س وسأل احد الأدباء من يافا : هل يؤثر جنون الوالدين او احدهما على عقل الولد اذا وُلد بعد فقد عقل الوالدين او احدهما ؟ فان قيل يؤثر سألنا فلماذا لا تمنع السلطة المدنيَّة زواج المتوه كما منعت زواج المبتلَين ببعض الامراض كالزهري والسلّ وخلافهما

تأثير الجنون في النسل

ج ليس تأثير جنون الوالدين في مواليدهما مطَّردًا حتى الذين وُلدوا بعد فقدهما لعقلهما . وعليهِ لم تجعل السلطة المدنيَّة مانعاً لزواج المولود منهما الَّا اذا ثبت فيهِ الداء بالوراثة

ل . ش

السنة السادسة عشرة العدد ١٠ تشرين الاول ١٩١٣

المشرق

رسالتان للسيّد جرمانوس فرحات

في رسوم وعوائد الرهبانية اللبنانية ورسوم الكمال

نشرهما الاب شارل إيلا اليسوعي

توطئة

اطلعنا حضرة الاب الفاضل الخوري يعقوب زعرور على مجموع مخطوطات دينيّة وهو كتيّب صغير الحجم يبلغ طولهُ ١٥ سنتيمترًا ونصف وعرضهُ ١٠ سنتيمترات ونصف . وقد اذن لنا حضرة الاب ان نقتطف شيئًا منهُ فنطرف به قرّاء المشرق

وقد عثرنا في هذا المجموع على رسالتين للسيّد جرمانوس فرحات نسخهما بيده ويراعه . فقد كتب الناسخُ انهُ في ذيل الرسالة الاولى ما حرفهُ :

« تمّ نسخه بيد الحقير جبريل فرحات الراهب اللبناني في دير مار انطونيوس قزحيا في ٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٩ »

فيكون تاريخ النسخة قبل سيامة المؤلف اسقفًا بخمس سنوات ونيف . وبعد وضعه لقوانين الرهبانيّة اللبنانيّة باثنتين وعشرين سنة (١) . اما زمن تأليف هذه الرسالة فلا يسعنا ان نبتّ فيهِ رأيًا . على انهُ اقدم عهدًا من تثبيت الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر لقوانين وفرائض الرهبانية المارونية البلدية عام ١٧٣٢ : ولكن مَن امعن النظر في مضمون هذه الرسالة لا يشكّ انها وُضعت بعد نشر المؤلف للقوانين . فان ثمّة من عوائد عيشة الرهبان اليومية وتفاصيل حياتهم المادّية ما لا يُصرّح بهِ القانون مُفصّلًا وان كان مبنيًّا عليهِ . وانما تُتلقّى العوائد في سلك القانون بعد ان جرت بالعمل ومرّ عليها الزمن

(١) راجع المشرق (٧ : ١٠٦ و ١٠٨)

ولم يرد ذكر الرسالة هذه في تركة المؤلف العلميّة المعروفة التي دوّنها في المشرق (٧ : ٢٥٤) حضرة الكاتب المدقّق القس جرجس منش فيكون لحضرة الاب يعقوب زعرور الفضل العظيم في انتشالها من ايدي الضياع فنمحضهُ خالص الشكر عنا وعن مواطينا الذين يرتاحون ولا شك الى مطالعة هذه الصحيفات لاسيما الرهبان فكأنها مرآة تمثّل لنا حياتهم في ذلك الزمان واعتناء عميد نهضتهم حتى في صغائر امورهم شأن كل مُمهّدٍ لسبيل الكمال المسيحي

ايضاً امّا الرسالة الثانية فقد ضمّنها المؤلف موادّ رياضة روحية مختصرة لعشرة ايام . وهي من خطّهِ اجزل الله ثوابهُ نسخها عقيب الاولى . ونحن ندرجها في اثرها وندعمها على لهجتها

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

وبعد فهذه رسالة تتضمّن جميع ما يلزم الرهبنة اللبنانيّة من العوائد والطقوس واصحاب الوظائف والمبتدئين وهي عشرة فصول

(الفصل الاول) في الامور اللازمة في صلوات الفرض . (الفصل الثاني) في نظام الاخوة في الكنيسة . (الفصل الثالث) في ترتيب قداس الاخوة . (الفصل الرابع) في ما يلزم من يعيّن لوازم القداس . (الفصل الخامس) في مايلزم القندلفت . (الفصل السادس) في مايلزم واضع مائدة الاخوة . (الفصل السابع) في ما يلزم المائدة . (الفصل الثامن) في ما يلزم الطباخ . (الفصل التاسع) في ما يلزم القهرمان . (الفصل العاشر) فيما يلزم المبتدئين

الفصل الاول

في الامور اللازمة في صلوات الفرض

(اولاً) يلزم الاخوة ان يرسموا اشارة الصليب آخر كل قومة من صلوة الليل . (ثانياً) يتقيّد واحد في قلب ورق كتاب الصلوة . (ثالثاً) تستعمل العكاز في صلوة السواعي . (رابعاً) البدو (البدء) للرئيس والكبير الشمامسة . (خامساً) صلوة ختام الصلوة للرئيس غالباً . (سادساً) ان الاخوة تقبّل يد الرئيس في الصلوة وعند الختام وهو لا يقبّل يد احد منهم الّا اذا وجد كاهن غريب فليقبّل يده . واما بعد الختام فلا يقبّل يد الرئيس الّا الاخوة الذين يصلون الصلوة الفرضية . (سابعاً) ان الرئيس له بدء بيت السيدة والموتى . (ثامناً) والمتقدم في القراءة الثانية لهُ كل ما للرئيس في القراءة الاولى . (تاسعاً) ان آخر بيت من الباعوث يقال في القراءة التي ينتهي عندها وذلك في كل صلوة فرضية الّا اذا قرأ المدرش يرجع آخر الباعوث (١ للرئيس . (عاشراً) اذا كان

١) المدرش او المدراش التسبحة وتكون عادةً شعراً . والباعوث الدعاء والصلاة

للحسّاية (١ فتحان طويل وقصير فليبتدئ الشماس بالفتح الطويل لكن اذا رأى الرئيس التفت اليه بالاشارة يلزمه ان يبتدئ بالقصير فلهذا يلزم الشماس ان يعطي باله الى الرئيس في مثل هذا المحل. (الحادي عشر) يلزم القراءة الثانية ان توافق قراءة الرئيس في الصوت والحركة. (الثاني عشر) ان مدارش الشحيم لا تقال من اول شهر ايار الى آخر شهر ايلول. (الثالث عشر) ان الصلوات الفرضية ان كانت نصف الليل فلتكن في وقتها المعين كما قال القانون. وصلوات السواعي تكون بعد الظهر بساعتين دائماً الّا ما كان قبل الاحد والعيد البطالة فلتكن بعد الظهر بساعة ونصف وان كانت صلوة الفرض في غير هذين الوقتين فهي مرتّبة مثلما تراه امامك

تعيين اوقات صلاة الغروب والستار والسحر حسب الاشهر

آذار	الغروب ٦	الستار ٦٧	السحر ٦٧
نيسان	″ ٦	″ ٦٧	″ ٦
ايار	″ ٦٧	″ ٧	″ ٦
حزيران	″ ٦٧	″ ٧	″ ٦
تموز	″ ٦٧	″ ٧	″ ٦
آب	″ ٦	″ ٦٧	″ ٦
ايلول	″ ٦	″ ٦٧	″ ٦٧
تشرين الاول	″ ٦	″ ٦٧	″ ٥
تشرين الثاني	″ ٦	″ ٦٧	″ ٥
كانون الاول	″ ٦	″ ٦٧	″ ٥
كانون الثاني	″ ٦	″ ٦٧	″ ٥
شباط	″ ٦	″ ٦٧	″ ٥

اما الصيام الكبير فلتكن فيه صلوة الغروب بعد الظهر بخمس ساعات والستار بعد الظهر بست ساعات ونصف. (الرابع عشر) اذا وجد على القرّاية احد المدبرين فله التقدُّم على الرئيس لكن لا يمزمهُ ولا يتطاول على الرئيس في شيء وليس له الّا صلوة الغفران فقط والرئيس يلزمه من باب الادب ان يكلفهُ ان يبدأ بالصلوة والى غير ذلك

١) الحسّاية صلاة الاستشفاع والغفران

الفصل الثاني

في نظام الاخوة في الكنيسة

(اوّلًا) فلتقف الاخوة الكهنة في الكنيسة امام الهيكل من عن يمين الرئيس وشماله متأخرين عنه قليلًا وباقي الاخوة متأخرين عن الكهنة قليلًا ايضاً . (ثانياً) يقولون طلبة السيدة منقسمة بين جوقين ليلة الاحد والاعياد البطالة . (ثالثاً) يلزم الذي يكون نائب الرئيس في الكنيسة ان يقبّل يد الكهنة في محل التقبيل . (رابعاً) لا يقرع احد صدره بعد فحص الضمير قبل الرئيس او نائبه . (خامساً) ثاني الرئيس يعزم على البخور في القرّاية

الفصل الثالث

في ترتيب قداس الاخوة

(اولًا) ان قدّس الرئيس اولًا فلهُ انتظف الهياكل . (ثانياً) اذا تعدّدت القداديس فليُتهيّأ للقداس الثاني من دورة كاس القداس الاول . (ثالثاً) يلزم ان يُقدّس للطباخ ورفيقه وللقهرمان قداس من اول صلاة السحر ليمضوا الى اشغال ديرهم وذلك يوم الاحد والعيد . (رابعاً) لا يوضع بخور زائد في المبخرة . (خامساً) ان لنا عادةً ان نقدس نصف الليل قداساً كبيرًا في ليلة عيد الميلاد وعيد القيامة فقط ونفطر بعد صلوة السحر

الفصل الرابع

في ما يلزم من جهة لوازم القداس

(اولًا) يلزم خادم القداس ان يتفقد لوازم القداس ويتممها كلها . (ثانياً) يضع كل يوم ماء جديدًا في الاناء وتكون نار المبخرة معتدلة . (ثالثاً) يلاحظ نظافة ضوء الشمع لئلّا يعتم وينهدم كثّونة الكاهن وبدلته . (رابعاً) يتفق مع الكاهن في الصوت والحركة . (خامساً) يقرع الجرس في اول القداس العام قبل ان يبدأ الكاهن بلبس البدلة . (سادساً) يلزم الاخوة في القرّاية والكنيسة ان يطيعوا الاخ المتقدم فيهم متى كلفهم للخدمة ام لغيرها . (سابعاً) يخدم اربعة في القداس الكبير وينقسمون جوقين كل جوق يقول بيتاً ويكونون متساوين في النغم والترتيل بكل جهدهم لئلّا يصير سجس

الفصل الخامس

في ما يلزم القندلفت

(اولاً) يلزم القندلفت ان ينظر كل ليلة هل يكون عيد في اليوم المقبل ليهيئ صلاته وان كان ليس له صلاة فليعلم الرئيس. (ثانياً) يلزم ان يعين فصل الرسالة والابركسيس والانجيل بعلامة لطيفة. (ثالثاً) ان ينظف الهياكل والايقونات من الغبار وينظف الشماعدين ودرجات الهيكل وينظف القنديل وماءه وذلك كله يكون ليلة الاحد. (رابعاً) يزين الهيكل ليلة الاحد والعيد باربع شمعات جدد وان كان العيد معظماً فست شمعات وان كان اعظم فثمان شمعات. (خامساً) يلزمه ان يخرج بدلة ألطف من بدلة ايام السبّة قبل صلاة الغروب ويهيئها مفتوحة لبهجة الاحد والعيد وكلما كان العيد اعظم يهيئ له بدلة اثقل. (سادساً) ويلاحظ دائماً البرشان الكبير والصغير واذا عازه ذلك فليخبز قبل عازته بيوم. (سابعاً) اذا غسلت الاخوة فليفتقد لبس الهيكل والبدلة فان كان يلزمهم الغسيل فليغسلهم عند الاخوة ويغيّر اسفنجات القداس اذا اتسخوا قليلاً ويغسلهم ان كان صاحب درجة مقدسة ويطرح الماء اما في جرن المعمودية او في النهر. (ثامناً) يعمل جهده كله في نظافة الهياكل وكنس الكنيسة وغسل اواني المركى (١ وسدّ افواههم والنتيجة يكون منظر الكنيسة وحده كافياً للعبادة. (تاسعاً) يعمل فتائل شمع لاستعمال الاخوة. (عاشراً) ينظف سُرُج القرّايات وملاقيطهم ومكانهم كل يوم سبت ويهيئ غزلاً لفتائل السرج والقنديل ويعمل الفتائل حاضرة ويفتقد فتائل السرج عندما يضويهم. (الحادي عشر) ينبّه الاخوة على الصلب كل يوم اربعاء وجمعة الا اذا كان الاثنيعشرية والخمسينيّات فلا صلب فيها. (الثاني عشر) ويقرع الجرس في وقت كل صلوة ليلاً ونهاراً واذا كان احد او عيد فليقرع الجرس وقت الغروب قبل الوقت المعين بنصف ساعة. (الثالث عشر) يلاحظ الماء المباركة فان كان تمّ كله فليطلب الى احد الكهنة ليبارك له على الماء. (الرابع عشر) عند طلبة السيدة يضيئ الشمعة امام الهيكل واذا كان احد او عيد فليضيئ شمعتين ويضيئ في العيد الاعظم شمع الهيكل كلهُ

---

١) اي اواني التقدمة المختصة بالقداس كالماء والخمر

الفصل السادس

في ما يلزم واضع مائدة الاخوة

(اولاً) يلزم واضع المائدة نظافة المائدة وكنس بيت المائدة الاربعاء والسبت وغسل مناديلها كلها توسخوا. (ثانياً) يغسل دف المائدة بماء حار كل شهر مرة. (ثالثاً) يضع قدام كل اخ ملعقة وثلاثة ارغفة والمنديل فوقهم. (رابعاً) يُبقي الكسر للطباخ ليتصرف بهم وان امكن فليضع منهم قدام الاخوة. (خامساً) يغسل فناجين المائدة في السبت ثلث مرات والقناني كل سبت مرة والاباريق على ما يقتضيه العقل. (سادساً) يضع اواني النبيذ والماء على المائدة يميناً وشمالاً وكذلك المملحات. (سابعاً) تكون له خزانة للخمر وما اشبهه ولا يجعل في القناني خمراً برأ الخزانة. (ثامناً) ينظف سراج المائدة وقناديلها وعليه دق الملح الناعم للمائدة

الفصل السابع

في ما يلزم المائدة

(اولاً) يكون طعام المائدة لونين واحد شديد وآخر رخو ويكون لون ثالث من خواضر الدير. (ثانياً) يطبخ رز يوم الاحد والاربعاء. ان كان ليس عيد والا فلينقل من الاربعاء الى العيد والبيض يكون في السبت مرة او مرتين او ثلث حسب الوجود. (ثالثاً) يلزم الطباخ ان يكون خادماً على المائدة ويزيد الطعام اذا نقص ويلاحظ احتياجات الاخوة ليقدمها لهم مثل خبز وخمر وملح وما اشبه ذلك. (رابعاً) يعتبر خدمة الكل بالسواء من المبتدئ الى رئيس العام والحذر ثم الحذر من ان يوضع لاحد الاخوة شيء مميز على المائدة من غير علّة مرض او ضعف احياناً ولو كان رئيساً عاماً. (خامساً) ليقرأ احد الاخوة وقت الاكل غداء وعشاء ولا تبطل القراءة الّا اذا كان على المائدة ثلثة اخوة فنازلاً. (سادساً) يأكل القارئ والطباخ معاً بعد فراغ الاخوة. (سابعاً) يرفع القارئ صوته في قراءته ويتأنى بها لتفهم الاخوة. (ثامناً) ويقرأ قانون الرهبنة في اول احد من كل شهر. (تاسعاً) وقت الغداء في الاحد والعيد يكون بعد القداس الكبير بنصف ساعة فان صار بعده قداس

آخر فيتأخر الغداء بعده و بقية الايام فهو كما تراه معيناً هنا شهراً فشهراً على نسق الساعات المرقومة تحته

آذار	نيسان	ايار	حزيران	تموز	آب	ايلول	تشرين	تشرين	كانون	كانون	شباط
٩½	٩	٩	٩	٩	٩	٩½	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠

واما العشاء فبعد صلوة الغروب بنصف ساعة وفي الصوم الكبير للتاسعة. (عاشراً) الأكل في الصوم الكبير مرة واحدة وعند المساء يوضع على المائدة من حواضر الدير أكل غير مطبوخ فمن اراد ان يأكل يأتي الى المائدة. (الحادي عشر) يوم جمعة الصلبوت لا يؤكل فيه طعام مطبوخ بل حشائش برّية متبّلة بزيت وخلّ. (الثاني عشر) يوضع الخمر على المائدة غداء وعشاء اذا كان ميسّراً واذا غاب من الاخوة وقت الغداء ثلثة فاكثر لا يوضع خمر واذا غابوا غيبة طويلة اي لم يحضروا غداء وعشاء فليوضع خمر. (الثالث عشر) يلزم الاخوة الغير كهنة ان يركعوا ثم يدخلوا المائدة والمبتدئون لا يدخلوا حتى يأذن لهم الرئيس او نائبه والّا فلينتصبوا قائمين امام المائدة الى النهاية (الرابع عشر) يلزم الاخوة ان يستأذنوا الرئيس في شرب الماء ثم يركعوا فيشربوا والكهنة يستأذنون ولا يركعون واماً في السفر فيكفي الاذن فقط ولا يركعون جميعاً. (الخامس عشر) اذا كان الرئيس غائباً فلا يجلس نائبه في مكانه على المائدة. (السادس عشر) غداء العوام يوم الاحد والعيد يكون بعد القداس الكبير ولا يقرع ناقوس المائدة الّا بعد ان يوضع للعوام اكلهم. (السابع عشر) لا يُبعث خمر الى الاخوة اذا كانوا يشتغلون في الحقلة ولا يشرب احد خمراً خارج المائدة الّا المريض والسافر

الفصل الثامن

في ما يلزم الطباخ

(اولاً) يلزم الطباخ اولاً خوف الله وطولة الروح. (ثانياً) ان ينقي الحبوب جيداً وينقي الخضرة ويغسلها جيداً. (ثالثاً) يحترس على نظافة الاكل ونظافة الاوعية والصحون جداً ويستعمل الغطاء للأكل احتراساً. (رابعاً) ويبيّت ما فضل من الطعام باواني فخّار حذراً من الزنجار ويصونها مغطاة في اماكن مضبوطة نظيفة. (خامساً) لا يطبخ بسمن الّا الاحد والعيد وسبت المرفع الكبير ومرافع القطاعات. (سادساً)

تفطر الاخوة في عيد ميلاد على عسل وجبن وفي عيد الكبير على عسل وبيض مسلوق ويوضع لكل واحد رغيف وبيضتان ويشرب فنجان عرق ولهم ان يتحدثوا بلا قراءة. (سابعاً) يلزم الطباخ ان يخبي له وللقارئ من كل لون صحن طعام لا يكون من فضلات الاخوة بل من قِدر الطعام ويبقيه سخناً لا فاترًا. (ثامناً) لا يزيد الطباخ صحن الاخ اذا نقص من فضلات صحون الاخوة الّا اذا لم يبقَ في القدر طعام. (تاسعاً) لا يخلط فضلات طعام الاخوة المرضى ولا طعام العوام مع طعام الاخوة. (عاشرًا) اذا شرب الاخ من الابريق يمسحه بمنديل المائدة ولا يبصق او يمخط بمنديل المائدة ابدًا لانه وُضع لان يمسح به يديه وفمه. (الحادي عشر) غسل الصحون يكون كل سبت على واحد من الاخوة كاهناً كان ام غير كاهن

الفصل التاسع
في ما يلزم القهرمان

(اولًا) المراد بالقهرمان الكلارجي وهذا يلزمه قبل كل شيء خوف الله ومحبة الاخوة. (ثانياً) يلزمه ان يكون حريصاً على رزق الرهبنة يلاحظ دائماً ان لا يتلف شيء في يده من تهاونه واهماله. (ثالثاً) يكون حكيماً منرزًا مع الغرباء لا يبسط يده في العطاء كثيرًا ولا يقبضها كل القبض. (رابعاً) ويلزمه ان يداري الحكام وترابعهم. (خامساً) وليحذر ان يخصص ذاته باكل او شرب او غيره دون الاخوة فهذا يصير فيه ملكة وغايته خسارة النفس. (سادساً) يستقبل الضيوف برجه بشوش لاسيما المساكين ولا يتحامق على خدام الدير. (سابعاً) يداري اخوته بكل حب ولطافة ولا يفضل العوام عليهم ولا يجعل له حبًا خصوصيًا مع العوام. (ثامناً) يحذر مجد العوام له حتى لا ينتش من المجد الفارغ فيفرط في رزق الاخوة فيصير بمنزلة حرامي. (تاسعاً) يتقدم فينبه الرئيس على كل شيء في ارائه من لوازم مونة الدير ومنزوله. (عاشرًا) يكلف خدام الدير الى نظافة الدير والمنزول والتكنيس ويضع كل حاجة في مكانها. (الحادي عشر) يستقضي الاخوة بالمحبة لا بالامر ولا يتنفر فيهم اصلًا لان هذه الوظيفة مادّة عظيمة في الامر والنهي فمن مشى فيها بغير اتضاع وافراز اضاع حياته باطلًا ومات مدانًا. (الثاني عشر) يلزمه اذا رأى الطباخ غشيماً ان يثور عليه بالمحبة ويدبره بخوف الله ويلزم الطباخ ان يطيعه بافراز

الفصل العاشر

في ما يلزم المبتدئين

(اولاً) يلزم الذي يدخل رهبنتنا ويشارك اخويتنا ان يعترف وقت دخوله اعترافاً عاماً كما امر قانوننا ثم يلبس زيّ المبتدئين ويدخل في التجربة وتحسب له مدة التجربة من وقت اعترافه العام ويُكتَب في دفتر خاص يوم دخوله ويوم نذره . ومدة التجربة سنتان . ولكن يلزمه قبل دخوله في التجربة ان يتردد مع الاخوة بثياب العوام نحو اربعة ايام او خمسة ليتنبّه الى ما هو متوجه اليه . (ثانياً) يلازم المبتدئ السكوت بحضرة رئيسه واكابر الرهبنة ولا يكثر الكلام ما بين الاخوة ولا يتكلم الّا حتى يؤمر ويخاطب الرئيس مكتّفاً . (ثالثاً) لا يكلّم في مدة التجربة عامياً الّا باذن الرئيس . (رابعاً) لا يجلس على المائدة الّا باذن الرئيس ويأكل بهدوء وادب مطرقاً بنظره الى ما قدامه . (خامساً) يعطي سمعه الى قراءة المائدة ليحفظ ما يفيده . (سادساً) لا يشرب خمراً اذا كان غير معتاد عليه ولا يتنشق التتن اذا لم يكن له عادة فيه . (سابعاً) اذا كان جالساً ومرّ عليه الرئيس ام احد الكهنة فلينهض قائماً مكتفاً مطرقاً حتى يفوت ولا يجلس ما بين الاخوة الّا حتى يأمره الاكبر فيهم بالجلوس . (ثامناً) يتجنب مشيته ويقطع هواه لرئيسه واخوته والّا فرهبانيته باطلة . (تاسعاً) يخضع لاخوته ويرضيهم بحسن سلوكه ليشهدوا له عند قرعة نذره والّا فيبقى مبتدئاً بلا نذر حتى يتهذب او يُطرد . (عاشراً) يخصّ ذاته بادنى الوظائف وادنى الثياب والحوائج . (الحادي عشر) ليكن اول من يدخل الكنيسة وآخر من يخرج منها باقراز ويقرأ قانون الرهبنة في كل سبت مرة ويكشف افكاره لرئيسه كل ليلة الّا قليلاً . (الثاني عشر) اذا كان جالساً وكلّمه الرئيس ام احد الكهنة فليقف مكتفاً مطرقاً ويجاوب باحتشام واذا وبخه الرئيس يجثو على ركبتيه صامتاً غير محتجّ ولا معتذر حتى يأمره الرئيس بالقيام والاعتذار . (الثالث عشر) يفرح اذا قوّمته رئيسه ويصلي من اجله لانهُ افاده ووقى عن عذاباته في المطهر بهذا القانون ويحذر من بغضة الرئيس ودينونته ومن دينونة الاخ الذي سبب لهُ القانون . (الرابع عشر) لا يجتمع المبتدئون معاً ولا يدخلوا قلالي بعضهم بعضاً . (الخامس عشر) لا يكشف افكاره الّا لرئيسه او لنائب الرئيس او معلم اعترافه ولا يقبل من احد سرّاً ولو

كان راهباً الأ ويكشفهُ لرئيسه . (السادس عشر) يتجنَّب الضحك والدالَّة والفضول وكثرة الكلام والتشبير وان تكلم مع احد الاخوة بقلة ادب او بعدم محبة فايركع له مستغفراً منه . (السابع عشر) يلزم المبتدئ ان يكون مثالاً صالحاً وفي اقواله واعماله لانهُ ما دخل الرهبنة الا حتى يحمل صليب يسوع سيده ويكفر بنفسه ويعدّ كل شيء كالزبل ليربح المسيح الذي من اجله دخل الرهبنة ليكون مجاهداً صابراً ناسكاً متقشفاً محقوراً متواضعاً تائباً طائعاً ويميت نفسه في كل حال واوان حتى الانتهاء.

تمَّ نسخه يد الحقير جبرايل فرحات الراهب اللبناني في دير مار انطونيوس قزحيا ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧١٩

رسالة في اصول الكمال الروحي

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد وبهِ ثقتي

مقدمة

(اعلم) ان غاية النفس وصولها الى الكمال . وهذا الكمال فرض لازم كلَّا الوصول اليهِ حسب رتبته . سواء كان كاهناً ام راهباً ام عزباً ام مزوجاً . ويُكتسب هذا الكمال بمحبة الله حسب (الرتبة) لانها اساسهُ . والطريق الموصل الى هذا الكمال المكتسب هذه المحبة الكاملة هو الرياضة التي تصير مدة ثمانية ايام ام عشرة . ينفرد فيها المسيحي عن مخالطة الناس في خلوة لينتبه الى ما يلزمه من تهذيب سيرته ليتنقى من العوائق والشوائب التي تعوقه عن اكتساب الكمال المؤسس على محبة الله الكاملة . وبما انا اقسم لك مدة الرياضة ثلثة اقسام الاول التطهير والثاني التنوير والثالث الاتحاد (١ . وكل قسم منها له ايام معينة من ايام الرياضة . وكل يوم له موضوعات خاصة تقرأها في ذلك اليوم

١) ان معلمي السيرة الروحية قد قسموا طرائق الكمال الى ثلاثة اقسام . اي تطهير القلب من ادرانهِ . ثمَّ تنوير الذهن بتأمُّل سيرة السيد المسيح وآلامهِ واخيراً الاتحاد بهِ تعالى بالحبّ الصادق . وهذه كثلاث مراقٍ يرتقي بها المسيحي سلّم الكمال على ما لخَّصهُ القديس اغناطيوس في كتاب رياضاتهِ المؤلف من اربعة اسابيع . اولها يُروّض فيهِ المسيحي نفسهُ على بغض الخطيئة ليطهر قلبهُ منها . وثانيها يتأمل فيهِ حياة المخلِّص لهُ المجد ليستضيء بنبراس فضائله . وثالثها يرتاض فيهِ على تأمل آلام المسيح لتثبت قدمهُ في سبيل قدوته . رابعها يخصّهُ بتأمل امجاد الرب كقيامته وصعوده فيعيش بحبّه تعالى على الارض عيشة الابرار المتحدين بهِ في نعيمهِ . فنعلم ان الحب يحوّل النفس نوعاً ما الى طبيعة المحبوب كما ان معاينة الابرار لهُ تعالى وجهاً لوجه وحبهم الناشئ من تلك المعاينة يجعلانهم شركاء طبيعته الالهية (رسالة القديس بطرس الثانية ١ : ٤)

القسم الاول في التطهير

اليوم الاول

(اعلم) ان المراد بالتطهير نقاوة النفس من دنس كل خطيئة فكرية ولفظية وفعلية. اقرأ في هـذا اليوم (اولاً) في بغض الخطيئة وشرّها. (ثانياً) في الندامة الناقصة والكاملة. (ثالثاً) في احتقار اباطيل العالم. (رابعاً) في الشقاوة الانسانية. (خامساً) في تضييع الزمان باطلاً

اليوم الثاني

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في فوائد السيرة الرهبانية وقوانينها. (ثانياً) في العواقب الاربع. (ثالثاً) ضعف الطبيعة الانسانية. (رابعاً) في تلاشي العالم ومجده الباطل. (خامساً) في الابدية

اليوم الثالث

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في التجارب ومضادّتها. (ثانياً) في الصبر والاحتمال. (ثالثاً) في النمو الروحي. (رابعاً) في اصلاح السيرة. (خامساً) في مضرّة الكسل والتواني والضجر

اليوم الرابع

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في اماتة الذات. (ثانياً) في مضرّة البطالة وفائدة الممارسة للامور الروحية. (ثالثاً) في الكبرياء والعُجب. (رابعاً) في الفرار من المعاشرة وفائدة الصمت. (خامساً) في محبة القريب ومضرّة ديمومة القريب

اليوم الخامس

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في الطاعة الرهبانية والطاعة البيعية. (ثانياً) في شرف دين المسيح وامانة الكنيسة الرومانية والخير الروحي الموجود فيهما. (ثالثاً) في امتلاك الطهارة والفرار من الزنا واسبابه. (رابعاً) في ترك محبة الذات والزهد في العالم والاهل حتى الوالدين. (خامساً) في فائدة الفقر الاختياري وترك محبة الفضة ومحبة البطن

القسم الثاني في التنوير

اليوم السادس

(اعلم) ان المراد بالتنوير امتلاك الفضائل. اقرأ في هـذا اليوم (اولاً) في

الادب والاحتشام. (ثانياً) في الاتكال على الله. (ثالثاً) في الوداعة وسلامة القلب. (رابعاً) في الشوق الى حمل الصليب. (خامساً) في فائدة تلاوة الكتب الروحية والمذاكرة الروحية

اليوم السابع

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في بحث الاعتراف والتوبة. (ثانياً) في احتقار الكرامات. (ثالثاً) في الاقتداء بالمسيح. (رابعاً) في الافراز. (خامساً) في معرفة الجميل

اليوم الثامن

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في الجهاد على اكتساب الفضائل. (ثانياً) في الشوق الى الاحتقار من الناس. (ثالثاً) في النصائح الانجيلية والرسولية. (رابعاً) في حسن السلوك امام الله والناس بسيرة صالحة. (خامساً) في المثل الصالح

القسم الثالث في الاتحاد

اليوم التاسع

(اعلم) ان المراد بالاتحاد رباط المحبة الكاملة بين الله والنفس. اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في فحص الضمير والندامة الكاملة. (ثانياً) في محبة الله واحساناته الينا. (ثالثاً) في انواع الفضائل وفي شر انواع الرذائل. (رابعاً) في شرف مريم العذراء وماري يوسف وفي سيرة بقية القديسين. (خامساً) في شرف القربان المقدس وفي كيفية الاستعداد لتناوله. سواء كان التناول سرياً ام روحياً وفي الشكر بعد التناول

اليوم العاشر

اقرأ في هذا اليوم (اولاً) في الاتضاع. (ثانياً) في مطابقة الارادة الالهية (ثالثاً) في فائدة الصلوات والتأملات. (رابعاً) في مناجاة النفس ربها. (خامساً) في سيرة يسوع وآلامه وموته

(تنبيه) انه يجوز لك ان تغير القراءة في موضوع الايام. وان تبدل يوماً بيوم وان تختصر الموضوعات وان تنقص ايام الرياضة حسب شور مرشدك والحمد لله دائماً

صورة الدفن السوري المكتشف حديثاً

مشروع
سكة حديد جبلية داخل فضاء المتن
على مشارف لبنان

بقلم جناب سرّ مهندس ولاية بيروت سابقاً بشاره افندي

اهدانا جناب المؤلف مقالتهُ هذه المطبوعة التي تشفّ عن رغبتهِ في تقدُّم لبنان وصوالح اهلهِ فاستحسنّا ادراجها في المشرق لينال القرّاء من فوائدها ويضعوا هذا المشروع على قدر طاقتهم لانّهُ حريٌّ بالاعتبار يعود على الوطن بالمنافع الجزيلة (المشرق)

في عام ١٨٨٥ كان قد استنهض همّتنا لتخطيط رسم سكة حديديّة المرحوم حمدي باشا ايّام كان والياً على سورية وبيروت. فنشرنا آنئذٍ كرّاسةً اوضحنا فيها إمكان انشاء سكة حديد اصوليّة من الخطّ الضيّق (بعرض متر) بين بيروت والشام وحوران

وكان من الواجب حسب المشروع الاعدادي الذي وضع في ذلك العهد ان يجاري خط سكة الحديد وادّيَ نهر بيروت وصاليا حتى حمانا حيث يدخل في نفق (تونل) على خمسة او ستّة كيلومترات ليبلغ خان مراد ومن هناك يمتد في خلف الجبل حتى زحلة والمعلقة ثم يتبع خط السكة الحديدية الحالية مخترقاً سهل البقاع فوادي يحفوفة فسهل الزبداني الخصب فوادي بردى فالشام فحوران

ولاسباب لا حاجة لايرادها هنا ضربوا صفحاً عن تسيير هذا الخط الصوابي في لبنان وعوّلوا على الخطّ ذي الاسنان الحالي. وكنا قد استندنا وقتئذٍ في انشاء خط حديدي الى اتساع نطاق التجارة والى ما يصيب الجهات التي يمرّ بها من التقدّم. وقد صحّ ما استندنا اليهِ ونتج عن ذلك الخط من التقدم الاقتصادي فوق ما كنا نؤمّلهُ

ولكي يطّلع القرّاء على بيان ما نستند اليهِ نأتي هنا على محصّل الاحصاء الذي كنا وضعناهُ في ذلك العهد لما كان يُنقل من الركّاب والبضاعة بين بيروت والشام وحوران

من المعلوم ان النقل كان يتمّ وقتئذٍ على الطرق الآتية :

اولاً — بواسطة مركبات شركة طريق بيروت والشام العثمانية. وقد جاء في تقرير مجلس ادارة هذه الشركة السنوي ان تلك المركبات كانت تنقل بين المدينتين ذهاباً واياباً عشرة الاف راكب وعشرين الف طن من البضاعة

ثانياً — بواسطة الدواب التي كانت تنقل حسب الاحصاء الدقيق نحو خمسة عشر الف طن وستة الاف راكب

ثالثاً — كان يتم النقل في حوران على الجمال فكان ينقل عليها من حوران الى الشام نحو ثمانية عشر الف طن ومن الشام الى حوران نحو الفي طن (من الملح والانسجة والثمار الخ) وثلاثة الاف راكب من الحجاج ذهاباً واياباً. وكان يُنقل من حوران الى سهل البقاع وما يجاوره نحو اربعة الاف طن فكان جملة المنقول من الركّاب نحو عشرين الفاً ومن البضاعة نحو ستين الف طن

فاذا دقّقنا اليوم في تقرير مجلس ادارة السكة الحديدية نجد انها تنقل سنوياً على الخط الضيّق فقط نحو مائتين وخمسين الف طن واربعمائة الف راكب اي اربعة اضعاف ما كان ينقل من البضاعة وعشرين ضعفاً من الركّاب

واذ نحن نتعمد الكلام في هذه المقالة عن لبنان خاصّة سنأتي على بيان الفوائد التي استمدتها الجهات من مرور الخط الحديدي بها

كانت شركة طريق المركبات العثمانية بين بيروت والشام قد سيّرت قبل انشاء السكة الحديدية المركبات بين بيروت وعاليه بناء على طلب المصطافين من البيروتيين في هذه القرية وكانت تلك المركبات تجري في اوقات معلومة مدة الصيف كله فضلاً عن عشر مركبات من مركبات الكراء كانت تتنقّل بين بيروت وعاليه في تلك المدّة وكان عدد المركبات يتضاعف يومي السبت والاثنين

اما اليوم فيجري يومياً خمسة قطارات ذهاباً واياباً بين بيروت وعاليه وصوفر وكثيراً ما تضيق بركّابها ولا حاجة الى بيان الامور التي عادت على القرى الواقعة على الخط الحديدي بالفوائد الغزيرة من اقبال الغرباء عليها وبذلهم المال اثناء اقامتهم فيها وغير ذلك

فبعد ان كانت تلك القرى حقيرة لا يوجد فيها الّا بعض منازل معدودة اصبحت

اليوم مدناً صغيرة كعاليه وبحمدون وصوفر الخ اذ قد تعدَّدت فيها المنازل المشيدة واتَّسعت حدودها ولا غرو اذا بيع الآن المتر المربَّع فيها من عشرة غروش الى اربعين غرشاً بعد ان كان ثمنهُ من قبل بين الغرش والخمسة غروش

لا ريب في ان لبنان قد وُجد كسويسرا ليكون خاصَّة مَصيفاً وعلى ذلك يتوقف مستقبلهُ فهو اليوم بحكم الطبيعة مَصيف سوريَّة ومصر والولايات الداخلية بعد ان كان سكان سورية وفلسطين ومصر وما بين النهرين والقرمان ينزعون قبل عدة سنوات في ابَّان الحرّ إمَّا الى السفر الى اوروبا وإما الى جبل لبنان

فلبنان يكفي بمركزه الجغرافي المصطافين من اسيا ومصر مَؤونة السفر الطويل بحرًا والنفقات الطائلة التي يستوعبها ولاجل ذلك يؤثرون القدوم اليهِ على السفر الى جهاتٍ اخرى

وعلى اثر الأنزال (اللوكندات) التي أُنشئت فيهِ قد زاد عدد المقبلين عليهِ مع ان الطرقات التي تخترقهُ ليست على ما يرام للخلل في انشائها ولقلة العناية بها

لا مِراء في ان الطبيعة قد خصَّت لبنان بما لم تخصَّ بهِ ناحية في العمور اذ يجد المقيم فيهِ ما يروق عينيهِ من المناظر على اختلاف مراده ومرغوبه

ففي قضاء المتن يجد التَّعبُ الراحة والعليلُ الهواء النقي والماء القراح الصافي والمتنزِّهُ اجمل المناظر وبالجملة ان في هذا الجبل من المنافع ما لا يوجد في سواه

هناك غابات الصنوبر الغضَّة التي تستوقف انظار السائح وتجتذبهُ اليها متى تمهَّدت لهُ طرق النقل الحديثة الكافلة لراحته . ولا سبيل الى عمران تلك الناحية الجميلة وتطرّق الناس اليها بدونها

أما آنَ للبنانيين المشهورين بالعزم والاقدام والذكاء في المهجر الذي يتسابقون اليهِ زرافاتٍ ووحداناً أن يفكِّروا في ان يستفيدوا من موطنهم الفائدة التي يبذلون في سبيلها النفس والنفيس في ارض الغربة

ان اول ما يجب الافتكار فيهِ والاهتمام بشأنهِ في لبنان هو ان يُجمع على مثال سويسرا بين قرى هذا الجبل البديعة المناظر الطيبة الهواء العذبة الماء ومدينة بيروت بسكة حديد اقتصادية

فاذا ما مُدَّت تلك السكة تألَّفت عندئذٍ الشركات لانشاء الأنزال (اللوكندات)

والوكالات التي تأخذ على نفسها امر نقل الركّاب وامتعتهم وبالجملة يجب ان يجد الغريب الذي يطلب الراحة في جبلنا الجميل كل ما يجدهُ في محل آخر من المرافق

لا ريب في ان السوري والمصري يؤثران القدوم الى لبنان والاقامة بين اهلهِ الذين يعيشون عيشتهما ويتكلمون لغتهما على الاصطياف في اوربا حيث لا يجدان الراحة والهواء والعافية التي يجدانها فيهِ

نسأل القارئ امعان الفكرة في الاعتبارات التي قدمناها على اختلاف انواعها ليتبيَّن الفائدة التي تعود على الجبل بانشاء سكة حديدية تصل بيروت بمرتفعاتهِ وروابيهِ

ولمَّا كنَّا على يقين من ان المشروع الذي نُقدم عليهِ هو من المشاريع التي تكسب البلاد نفعاً جزيلًا رأينا ان نضع مقدَّمة لهذا العمل وان نبيّن المواضع التي تمرُّ بها السكة

ولانَّ هذه السكة الحديدية مختصة بالركّاب وبالتجارة المحلية عُنينا بان نسهّل ما امكن الانتفاعَ منها للقرى التي يخترقها الخط والتي تتاخمهُ

يبتدئ الخط بقرب مخفر جسر نهر بيروت لجهة لبنان فيمرّ ببرج حمّود وسن الفيل والصالومي والدكوانه وبقرب مسار روكز وعين ابو نجم والمنصوريه وعين ابو دبس وعين سعاده وبيت مري وبرمّانه والغابة وبعبدات وبقرب نبع عرعار ومجنّس وبقرب مستشفى الراهبات اللعازريات وبجرصاف وبكفيا والمحيدثة ومار الياس شويّا والشوير وظهور الشوير والمروج ونبع بقلّيع الشهير الذي سيكون نهاية الخط وعلوّهُ ١٤٥٠ مترًا تقريباً عن سطح البحر واراضيه صالحة جدًّا لاجل بناية الأنزال (اللوكاندات) على الطرز الجديد لراحة الركاب

فمع سوء حال الطريق التي تصل الآن هذه القرى المختلفة ببعضها يقصدها للاصطياف نحو من اربعمائة عائلة وفضلًا عن ذلك يوجد على طول الخط الذي ذكرناه اكثر من اثنين وعشرين نزلًا ما بين كبير وصغير تؤوي نحوًا من خمسمائة نزيل وهناك ايضاً أديار ومدارس ومعامل حرير

فالقرى التي يخترقها الخط او تجاوره تبلغ خمساً واربعين عدًّا ولا يقلّ عدد سكانها عن خمسة وثلاثين الفاً

من الامور التي لا ريب فيها هو انهُ اذا أُقيمت السكة الحديدية بين تلك القرى

وبيروت مقام اسباب النقل المخلة الموجودة الآن بلغت حركة النقل عشرة اضعاف مبلغها اليوم. وليس قولنا هذا من باب الافتراض والتخمين بل قد استندنا فيهِ الى ما تبيَّن بالاختبار من الانتفاع بالخط الحديدي الذي يصل صوفر ببيروت

اجل ليس لمثلنا ان ينفرد بالقيام بهذا المشروع وذلك لاسباب متعدّدة لا محل لذكرها هنا . واذا انتظرنا اقبال الشركات على القيام بهِ وانفاق الاموال في سبيلهِ بدون مساعدتنا المالية واعلان رغبتنا بشأنهِ طال انتظارنا وذهب الوقت الثمين سدًى

بَيْدَ اننا لو قدَّمنا قسماً من رأس المال لتسنَّى للمساهمين اللبنانيين الدخول بصفة اعضاء في مجلس ادارة الشركة فتزيد ثقة الاهلين وتصان مصالحهم بوجود شركاء لهم في تلك المصالح في المجلس يغارون عليها ويحرصون على نجاح المشروع. وفضلًا عن ذلك ان مساعدتنا المالية على القيام بهذا المشروع تجرّئ المتمول الاوروبي على معاونتنا فيه بمالهِ

وما كنا لندعو اللبناني الى تلك المساعدة لولا علمنا باقتدارهِ على القيام بهذا المشروع لانهُ قد جمع من المهاجرة ما يمكّنهُ من تشمير مالهِ بالامور النافعة لهُ ولبلاده ولكن قلّة الثقة تحملهُ على دفن ما جمعهُ بعرق الجبين بلا فائدة. ولنا برهان على ذلك في ما انفقهُ في ابتياع عقارات واراضٍ لا يزيد معدَّل ريعها على واحد ونصف او اثنين في المئة

ولا يخفى ان الخط الذي يراد انشاؤه لا يُعتبر فقط من المشاريع الوطنية بل من المشاريع التي تمكّن اللبناني الذي يبذل المال في سبيلها من ان يقتبس منها فوائد غزيرة اكيدة لا يجدها في سواها

قلنا في ما سبق لنا من الكلام ان ما بسطناه لم يكن إلّا نظرة اجملناها في المشروع ولكن لا بدَّ من ان يطرأ عليه بعد التعمُّق في درسهِ بعض التعديل ويثبت بعض القضايا التي لم تزل في موضع الريب سواء كان بالنظر الى مدّ الخط ام الى الانتفاع منهُ

من الامور التي يمكننا تأكيدهُ مذ الآن بالاستناد الى ما اختبرناهُ من الاشغال النافعة مدة نصف قرن هو ان الخط الذي يراد مدّه في اجمل روابي لبنان ومرتفعاته لايصادف انشاؤه صعوبة اصلًا لان بوسع لبنان ان يقدّم لنا العمة اللازمين للقيام بمشروعنا سواء كان للتثريب ام للبناء ام لاقتصاب الحجارة ام لاقتلاعها ام للنجارة الخ

فضلاً عن قرب المواد وجودتها كالكلس والخشب والحجارة . . .

ثمَّ ان السكة الحديدية ستكون من النوع الضيّق ومن الراجح انها ستسيَّر بواسطة الكهرباء وهكذا يتسنَّى اذا اقتضت الحال للقرى التي يخترقها الخط ان تُنار بالنور الكهربائي

وكم من أمثال هذا الخط يُنتفع منها او يُعنى ببنائها في اوربا واميركا ولاسيما في سويسرا البلاد التي تكثر فيها الجبال كما تكثر في بلادنا . غير ان جبال سويسرا تختلف عن جبالنا بكثرة العقبات فيها . ومعظم هذه الخطوط هي جزيلة الفائدة اينما كانت . فعليه ليس من ريب في ان المنفعة التي تصيبها البلاد من هذا الخط ستكون جزيلة اكيدة ولذلك نستنهض همة الرجال الذين يقدّرون المشاريع النافعة قدرها والذين يوقفون وقتهم واختبارهم وذكاءهم واموالهم على نصرتها بغية الخير العام وتوسيعاً لنطاق ثروة البلاد للاهتمام بهذا المشروع والاقبال عليه فان الظروف التي صرنا اليها تساعدنا على تحقيق الأمل ولاسيما ان لنا بحضرة صاحب الدولة قوميجيان باشا المتصرف الجديد ضمانة لنجاح مشروعنا

فنوجّه اذن الى هذه المهمّة انظار مواطنينا الذين مكّنتهم الظروف من السفر الى اميركا واوربا وانظار ارباب العقول الثاقبة الذين خبروا المنافع التي تنشأ عن بناء الخطوط الحديدية . ولنتشبّع بعامل الغيرة على المصلحة الوطنية خطة التقدم السريع الذي تخطّت اليه الصناعة في اوربا وليس اشهر واشرف من الحركة التي تحمل ذوي العقول السامية على السير في هذه السبيل وتبث فيهم حرارة الرغبة في استنباط الوسائل التي ترفع الشعب وترقّيه وتوفّر له الرغد والنجاح

فلماذا لا نقتدي باخواننا في الغرب بتخصيص معظم وقتنا واموالنا في المشاريع التي تعود على وطننا بالنفع الجزيل ؟ . ولماذا نقضي على انفسنا بالتأخر في طريق التمدن والرقي والعمران ؟

سياحة

في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تابع)

٦ سفرنا من باتِه الى حصن كيفا ودير المغر

غادرنا باتِه سحر الجمعه ١٦ ايلول قاصدين حصن كيفا ومررنا بقرية (كفرجوزه) وفيها نفر من النصارى الكلدان كان يتردَّد عليهم قسّ باتِه السرياني الكاثوليكي ويوزّع عليهم الاسرار. ومعظم اهلها مسلمون من المحلّيَّة. ثم هبطنا بقعة فسيحة نضرة تتفجّر فيها الامواه وتسقي رياضها الجميلة الخصيبة. ثم تسنَّمنا جبلًا عاليًا نالتنا في توقّاهِ مشقَّة كبيرة حتى انتهينا الى قنّةِ الشاهقة مؤملين الوصول الى حصن كيفا ولكن ساء ظنّنا لأن صاحبنا المكاري كان جاهلًا تلك الطرق. فاسترحنا هنيهة ثم اخذنا في الهبوط بين الجبال فأعيانا السير وملّلناه ومع هذا كلّهِ صبَّرنا النفس على هذا العناء الملّ حتى حصلنا في قعر ذلك الجبل فألفينا فيه مزارع وحدائق تنهمر فيها المياه بشدَّة ثم عكسنا الى الشمال فلمحنا صخورًا ملساء تعلوها قلعة مبنيَّة بحجارة صغيرة تشاكل الآجرّ ثم جرينا في مسالك مستصعبة فعطف بنا الطريق الى اليمين وهبطنا بين قلعتين ملتويتين فيسَّرنا وتيامنّا ثلاثًا حتى افضى بنا السير الى الحصن فشاهدنا من الجهتين صخورًا منقوبة اتخذها اهل البلد لمثواهم وحوانيتهم وعلى تلك الصخور قلعتان شاهقتان متقابلتان قد ذهبت برونقهما وعظمتهما صروف الزمان في احداهما بيوت شتى يقطنها الاهالي وفي الاخرى بيوت قلائل

جلسنا هنيهةً ريثما نستريح ثم قصدنا القلعة فقرأنا على بابها الكتابة التالية باحرف عربيَّة :

« امر بانشاء هذه العمارة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى سليمان غازي بن محمد بن ابي بكر بن عبدالله توران شاه (١ الايوبي خلَّدهُ الله تعالى سنة . . . »

١) توران شاه هو اخو صلاح الدين الايوبي (١١٧٥ – ١١٩٣) م)

وكان رقم السنة المبني فيها باب القلعة ممحوًا أو مشوهًا فلم نقوَ على قراءته . ثم اننا رقينا الى القلعة ورأينا في ناحيتها الشمالية دارًا فخيمة كانت تشغل بلاط الملك فيها رواق يُطلّ على دجلة وداخل الدار سرب يتّصل بالنهر . فسرّحنا ناظرينا في تلك المشاهد الرائعة المرعبة وخطرت على بالنا الحوادث التي جرت فيها على عهد ملوك الفرس والروم والمسلمين والاتراك والاراتقة وغيرهم في ذلك الحصن الحصين وما آل اليه من الدمار والخراب . ورأينا قاعدة كبيرة من آثار الفرس تتخلّل دجلة . قيل ان الروم باشروا انشاءها والفرس انجزوا بناءها ثم انحدرنا من القلعة الى الربض وفيه بضعة خمسين دكّانًا . ويبلغ عدد سكان الحصن نيّفًا وخمسة آلاف معظمهم مسلمون ومنهم نصارى من مذيات وماردين وقرى ديار بكر وللبروتستنت مدرسة فيها

ثم اننا خرجنا خارج البلد فرأينا منارة شاهقة لجهة الشمال فيها كتابة كوفية والى غربيها جامع كبير تصدّعت جدرانهُ وقد صِينَ بابهُ وعليه كتابة عربيّة تتناول اسماء الله الحسنى باسرها واسم السلطان سليمان غازي بن محمّد الخ كالكتابة المرقومة اعلاه . وتاريخ هذه « في ذي الحجّة سنة احدى وثمانمائة وعشرة (كذا) » اعني سنة ١٤٠٨ م وعلى الباب الصغير مرقوم اسم « عليّ بن حسين بن عزّ الدين تغمّدهم رحمته (كذا) »

وفي ناحية البلد الجنوبية منارة أخرى بحجر اصفر قلّتها مهدومة . وكانت الدور فيما سلف خارج البلدة على ضفّة دجلة وفي يومنا ليس فيها بيت واحد وكان لها ثلاثة اسوار يلي احدها الآخر ورسومها باقية حتى يومنا يلحقها من كلتا الجهتين صخور منقورة بمثابة دور

واعلم ان حصن كيفا من اوثق المعاقل وامنعها ركنًا واقدمها عهدًا دوّخها ملوك الفرس تارة وطورًا ملوك الروم كما نوّهنا . وفي افتتاح القرن السابع سار اليها شهربراز او روميزان قائد عسكر كسرى وحصرها سنتين وفتك بالروم الذين فيها سنة ٦٠٤ (١ ثم دخلت حصن كيفا في حوزة المسلمين ثم وليها بنو مروان الكردي

١) تاريخ ابن العبري المدني السريانيّ (ص ٩٣)

(سنة ٩٩٠–١٠٩٥) ولمّا زحف ابو علي ابن اخت باذ الكرديّ اليها وكانت بها امرأة باذ تزوّجها وملك الحصن وسائر الحصون التي كانت لخاله (١ ثم ان ابن دمنة قتل ابا علي بديار بكر فخلفهُ اخوه مهذّب الدولة ثم ابو نصر بن مروان وآخر من ملك بني مروان منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة (+١٠٩٥) وبعد ذلك العهد دخلت حصن كيفا في حوزة ملوك ماردين الأرتقيين. واوّل من دوّخها منهم سقمان بن ارتق جدّ اصحاب الحصن في عهد ابن الاثير (١٠: ١٠٢ و١٤٣ و١٤٨) وتوفي سقمان بالقريتين عند النبك سنة ١١٠٣ فخلفهُ ابنهُ ابراهيم سنة ١١٠٤ – ١١٠٨ (ابن الاثير ١٠: ١٦٢ و١٦٣). وعام ١١٠٨ صار داود بن سقمان بن ارتق ملكاً في حصن كيفا (ابن الاثير ١١: ٣٦) فخلفهُ سنة ١١٤٧ فخر الدين كرا لرسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا واكثر ديار بكر وقام بعدهُ سنة ١١٦٧ ولده محمد نور الدين (ابن الاثير ١١: ١٤٨) فغزا الخابور ونصيبين وسنجار وامتلكها (ابن الاثير ١١: ١٦٢)

ولمّا ظهر صلاح الدين الايوبي سنة ١١٧٥ سار الى حوزم تحت ماردين سنة ١١٨٣ فواجهه نور الدين الارتقيّ صاحب الحصن وذكّره بوعده لهُ لمّا كان عندهُ في الشام. فاستصحبهُ صلاح الدين الى الموصل وسنجار ثم اتى به الى آمد فملّكهُ اياها حسب وعده (٢ وسنة ١١٨٥ توفي نور الدين الارتقيّ صاحب الحصن وخلفه ابنهُ الاكبر قطب الدين سقمان. ولمّا صار صلاح الدين الى ميّافرقين وحضر عندهُ قطب الدين اقرّه على ملك ابيه (ابن الاثير ١١: ٢٣٢) وتوفي سنة ١٢٠٠ وخلفهُ ناصر الدين محمود اخوهُ (ابن الاثير ١٢: ٧٩) الذي ابتنى في سور آمد برجاً لتمكينه سنة ١٢٠٨ كما يُستفاد من الكتابتين العربيّتين اللتين اكتشفهما عام ١٩٠٧ في آمد الجنرال دي بيليه الفرنساوي (٣ وفوقهما صورة نسر ذي رأسين وهو شعار بني ارتق كما يُرى على نقودهم التي جعلنا على قسم منها في ماردين

وتوفي محمود سنة ١٢٢٢ وخلفهُ الملك المسعود (ابن الاثير ١٢: ١٨٩) فاستولى

١) تاريخ ابن الاثير (٩: ٣٩) وتاريخ الدول لابن العبري (ص ٣٠٣)

٢) ابن الاثير (١١: ٢٢٢)

٣) راجع المشرق (١٠: ٧١٤)

على حصن كيفا سنة ١٢٤٩ الملك المعظم ابن الملك الصالح وسكنها الى ان مات والده فانطلق الى الديار المصريّة واستلم ملك ابيه (١. ولمّا ظهر التتر ودوّخوا البلاد ودمّروها اقبل هولاكو سنة ١٢٥٩ الى بلاد الجزيرة واحتوى عليها الّا ماردين فانهُ اقرّ عليها صاحبها الملك الظفر († ١٢٨٥) وكان محمّد صاحب حصن كيفا اذ ذاك من قبل الأيوبيين وسار المظفّر اليه في جيش فظفر به محمّد وبقي في ملكه. وخلف محمّدًا ملوك تولوا الحصن من قبل الايوبيين حتى سليمان غازي ١٤٠٨ الذي ذكرناه آنفاً . ثم دخلت حصن كيفا بعد ذلك بقليل في حوزة السلاطين العثمانيين

وكانت حصن كيفا اسقفيّة خاضعة لمطرانية ميّافرقين وكان لها اسقف نسطوري يقال لهُ مار يشوع مطران حصن كيفا وارزون سنة ١٥٧٤ م كما يستفاد من كتاب شرطونيات يخصّ مكتبة الكلدان بماردين. بل كان سنة ١٤٨٣ مطران للناطرة اسمهُ ايليا كانت ابرشيته تمتدّ من نصيبين الى حصن كيفا على ما جاء في ميامر وَرْدا النسطوري خاصّة مكتبة الكلدان بماردين ايضاً . وسنة ١٦٢٨ كان في حصن كيفا يشوعياب النسطوري مطران سعرد وحصن كيفا كما يتضح من تاريخ الناجيل عربيّة لآحاد السنة واعيادها حسب الطقس النسطوري يخصّ المكتبة عينها

وجاء في اخبار السريان اليعاقبة ان مسعودًا أُقيم بطريركاً لطور عبدين سنة ١٣٩٦ بأمر وزير حصن كيفا وانّ فيلكسين مطران حاح الذي صار بطريرك طور عبدين سنة ١٤٦٦ توفي في حصن كيفا . ولم نعثر على اسماء مطارنة او اساقفة يعاقبة أُنيطت برئاستهم رعاية هذه البلدة الروحيّة . والظاهر ان الناطرة فيها كانوا اكثر واقوى من اليعاقبة حتى القرن السابع عشر

ولم يتيسّر لنا البقاء في الحصن فقصدنا ديرًا قريباً لليعاقبة يقال لهُ دير المُخر ويسمّى دير الصليب الاوّل ايضاً موقعه الى شرقي شمالي الحصن فوق دجلة. وما كدنا نصل الى الدير حتى شاهدنا نفرًا من رجال ونساء على بابهِ يدقّون الخنطة حسب عوائد بلادنا الشرقيّة وذلك ان الخنطة بعد ان تُسلق وتجفّف يومين او ثلاثة

١) تاريخ الدول (ص ٤٥٢)

يضعونها في جرن حجر كبير او على صفاة فينهض اثنان في يد كل منهما دقاقة يتناوبان في الدق نساء او رجالاً ويصيحان باعلى صوتهما فاذا تعبا اتى غيرهما ريثما ينتهي العمل . وفي تلك الحال رأينا شاباً مبتدئاً في الرهبنة فتقدمنا اليه بان يرينا الدير ويتكرم بان نبيت ليلتنا فيه . فدخلنا فاستطلعنا طلع حالنا واستقصى علة قدومنا فصرح بان لديه رسائل تأمره بتحريج الدخول على من كان مثلنا . فكتمناه امرنا متجاهلين وخضنا معه في حوادث سريانية وأفادنا ان قد حظر عليه الراهب صاحب الدير المتغيب اذ ذاك ان يبرز لنا الكتب ولكننا بواسطة شقيقنا يوسف حصلنا على تاريخ كتاب حسابات في الدير هذا تعريبه :

« انتهى كتاب الحسابات سنة ١٨٦١ (١٥٥٠ م) في ٩ تشرين الثاني نسخ لدير مار آما وهو دير الصليب المجاور لقرية عطافية »

وفي الكنيسة ايضاً فتقيت حديث نسخ في عهد البطريرك بطرس († ١٨٩٤) وعندهم نسخة من كتاب (ܬܘܪܐ ܕܡܫܝܚܐ) وهو غراماطيق سرياني للمغربان اسحق ابن جبير السرياني الكاثوليكي (١

وكنيسة الدير صغيرة حقيرة ليس فيها شيء يستحق الذكر وينطوي على عدة غرف يسكنها نفر من اليعاقبة . وفيه راهب واحد فقط وخارج الدير معبد حقير على اسم مار آما . فبتنا ليلتنا فيه راقدين على عرزال فوق سطح الدير

٢ : سفرنا من دير المخر الى حاح (ܚܝܚ)

وعند ابتسام فجر السبت ١٦ ايار غادرنا الدير وركبنا الى قرية دفنه ولعلها جردفنه حيث كان دير للناطرة واهلها مسلمون قاطبة وفي واديها دير مردوم رسومه مطموسة . ثم انحدرنا الى وادٍ تجري فيه المياه الغزيرة الصافية فاسترحنا هنيهة واخذنا في الصعود بين احراج من شجر البلوط وغيره والصخور تحيطها فيها اعشاش صنوف الطير والبلابل ورأينا قطعان بقر وغنم تنتجع الكلأ وعلى ربوة تلك الجبال قلعة شامخة تعرف بقلعة دفنه تطل على الغابات . ولما انتهينا الى قلة ذلك الوادي رأينا قرية تعرف بدير ديل (ܕܝܪ ܕܝܠ) واهلها من المسلمين المحلية

١) راجع المشرق (١١ : ٢٦١)

[illegible] ينابيع الصـ[illegible] والحدائق الغناء وفوقها قلعة صغيرة مبنية بالحجارة . وتعهدنا فيها ديراً مقوضاً هو دير عطافية باسم سمعان الشيخ الخدرنا الى عمته فلم نعثر على كتابة فيه . وفي جوار الدير آثار دور ورسوم ابنية دائرة (١

ثم سرنا من دير ديل الى قرية بنكلبه وبالقرب منها قرية فافش يشوبها قوم من الحلمية ايضاً اراضيها خصبة . وتفقدنا فيها اطلال دير كان يُعرف بدير مار دمط . ورأينا في بنكلبه مصلى حقيراً يعرف بمصلى شمعون الموزي (ܡܨܠܝܐ ܕܫܡܥܘܢ) ويثويها بضع عشر عائلات يعقوبية يقصدهم احياناً راهب من دير المخر المذكور يوزع عليهم الاسرار ويتقاضى منهم العشور او البواكير . ولما رأونا اقبلوا للسلام علينا ومعهم فاكهة لنباركها والحوا علينا في البقاء لديهم تلك الليلة فشكرنا لهم حفاوتهم ومحبتهم واستخبرناهم عن حالهم فصرحوا لنا انهم متلهفون الى وجود كاهن لديهم فتوجعنا على سوء حالتهم الروحية وودعناهم شاكرين

ثم استأنفنا السير في جبال حقة وفلوات وعرة ومررنا بتل يعلوه دير يسمى دير إكفان تعذر علينا البلوغ اليه وذلك الدير مشيد على اسم يوحنا وله تذكار في غرة ايار يُعرف بتذكار « ܕܢܦܩ ܡܪܝܡ ܘܐܬܚܙܝ ܠܝܘܚܢܢ ܡܪܝ ܐܝܠ » مار يوحنا اكفانا فوق زاز (٢ فواصلنا السير حتى وصلنا الى زاز

زاز قرية قديمة يسكنها اليعاقبة وعلى تلها دير شاهق فسيح الارجاء يُنسب لمار دمط وكنيسته على نمط كنائس طور عبدين القديمة لها ثلاثة اسواق . اما بناؤها فستجد فان تيسر لك على ما ذكرنا في التوطئة محق عدة من آثار طور عبدين وهدّ كنائسه وسلبها حليها ومن جملتها هذه الكنيسة واذاق الاهالي آلاماً مبرحة وكان ذلك في افتتاح القرن الخامس عشر . ولما اندرأ راجعاً الى بغداد عُني الاهارن ببنائها بحجارتها الاولى على نسقها القديم وجعلوا الاجر مكسراً في سقفها . ولم نر كاهناً في زاز غير ان معلم المدرسة احتفى بنا واطلعنا على حالة القرية وذكر لنا ما اتصف به اهلها من

---

١) ورد ذكر هذا دير ديل في كتاب يوحنا صاحب الدوالي الذي نسخهُ سنة ١٩٨٠ (١٦٦٩ م) مسرود في دير ديل (ܕܡܢ ܕܕܝܠ ܕܡܪܝܡ ܘܡܪܝܡܐ ܘܡܪܝܡ) دير عطافيه شرقي مدينة حصن كيفا

٢) كلندار الاب بترس (ص ١٨٢)

البغضاء والشحناء والخشونة فقال ان كلمتهم متفرقة وقد انقسموا على حزبين يصارع احدهما الآخر وان الفتك فاش بينهم والرامة مفقودة لديهم وقد تشرَّب نفر منهم المبادئ البروتستانيَّة . وتفقَّدنا في زاز معبدًا للعذراء مريم فجزناه فاذا هو اشبه بكوخ منهُ بمعبد لا تقام فيهِ الصلاة الَّا يوم عيد انتقال العذراء فقط

وشاهدنا في فناء دير مار دمط ضريحًا تاريخهُ سنة ١٨٥٦ (١٥٥٥ م) وفوقهُ كوَّة فيها كتاب حسَّايات لاعياد الصيف هذا تاريخهُ معرَّبًا :

نُسخ في عهد البطريرك نعمة الله الشهير والمفريان عبد النبي سنة ١٨٧٨ (١٥٦٧)

وقرأنا تاريخ كتاب حسَّايات آخر نُسخ سنة ٢١٢٤ (١٨١٣م) في عهد البطريرك متى

وغربي زاز مصلَّى لمار جبرائيل أطلالهُ ظاهرة حتى اليوم . وفي زاز ثمانون عائلة يعقوبية وكان نفر اعتنقوا الايمان الكاثوليكي ثم عادوا الى مذهبهم . وفي هذه الآونة انضمَّ الى كنيستنا كاهنهم القس ايليا في بضع عشر عائلات

واشتهر في زاز مسعود بطريرك طور عبدين سنة ١٤٩٥ الذي أبرم الحرم على من يرسم بعده بطريركًا لطور عبدين فلم ينفذ حرمهُ كما نوَّهنا في كلامنا عن مذيات .

وغربي زاز اطلال بيعة شهيرة باسم مار جبرائيل ليس فيها من الآثار شيء يذكر

ثم شخصنا من زاز الى أولمَ ورأينا رسوم دورها واطلال بلاط مَلَكي شاده فيما قيل يوحنا ملك الارمن في عهد التتر ودمَّرهُ تيمورلنك وكانت في البلاط كنيسة على اسم مار زخيا (وهو القديس نقولاوس) . وسمعنا مرارًا شتى من افواه الجبليين ان الملك يوحنا الارمني شيَّد ورمَّم كنائس كثيرة في جبلهم دمَّرها تيمورلنك لمَّا استعصى عليهِ الجبليُّون ولم يؤدُّوا لهُ الطاعة

وركبنا من أولمَ الى حاح وهي هيخه ومن مسافة بعيدة لمحنا قبَّة كنيستها الفاخرة فوصلنا اليها عشيَّة الاحد عند الزوال

٨ : سفرنا من حاح الى باقيان

بتنا ليلتنا في حاح وصباح الاحد ١٧ ايلول رُمنا ان نتعهَّد الكنيسة واخذنا الانذهال اذ وجدنا كاهنهم غائبًا فاستمرَّ الاهالي دون حضور القداس . تلك

حالهم على ما قالوا اغلب الاحايين . وكان بودّنا لو يتاح لنا ان نقيم الذبيحة الالهية لكونه يوم الاحد فلم يتيسّر لنا فصمّمنا النية على الذهاب الى باقسيان حيث لنا معبد صغير جديد وجماعة حديثة . ومن ثم طفقنا نطوف القرية متعهّدين آثارها الحرية بالاعتبار . واجمل تلك المعاهد واحسنها واقدمها كنيسة والدة الله تضارع كنيسة دير الزعفران في هيئتها وشكلها وهي على شكل صليب مزدانة بالصور والمشاعر البيعيّة سوقها الاوّل معقود بالاجرّ كله ويعلو السوقَ الثاني قبّةٌ شاهقة فخيمة يليها قدس الاقداس وطول الكنيسة عشرون ذراعاً بنيّف ووراء المذبح كوى منقوشة كنقش بيعة دير الزعفران ويزعم اهل باقسيان انّها مبنيّة من عهد الرسل . والجيل الكنيسة مكتوب في عهد البطريرك شكرالله والمفريان شمعون الطور عبديني الذي صار بطريركاً وشكرالله في قيد الحياة سنة ١٦٤٠

وفي شمالي بيعة والدة الله دير مار سابا الشهيد وهو من افخر الاديرة واعظمها لا تزال جدرانهُ ماثلة وكنيسته على طرز كنائس طور عبدين الراقية الى القرن السادس وما بعدهُ . واحد اروقتها معقود بالآجرّ والباقي مهدوم برمّته والى شمالي البيعة سوق طويل يتضمّن ثمانية اروقة من كلتا الناحيتين وباب الكنيسة الى جهة الشمال . وفي السوق الثاني بابان ايضاً منهما يدخل الداخل الى الكنيسة . ويعلو المذبحَ كرّة فوقها صليب حولهُ آثار نقوش . وما عدا الباب الشمالي فللكنيسة بابان آخران غرباً وجنوباً وخارج الكنيسة الى جنوبيها مصلّى الصيف كالعادة وفي الرواق سبعة حجار قبور اقدمها مكتوب هكذا بالسطرنجيليّة : « ܗܢܐ ܩܒܪܐ ܕܡܪܝ ܡܪܝܐ ܕܡܪܝ ܡܪܝܐ » سنة ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) وعلى حجر آخر « ܗܢܐ ܩܒܪܐ ܕܡܪܝ ܒܪ ܩܪܝܐ » ربان برحديشابا سنة ١٥٠٤ (١١٩٣ م)

وتجاه الكنيسة الى الشرق صومعة شاهقة قد هُدّت جهتها الشرقيّة وبابها يشرف على الشرق

امّا مار سابا صاحب هذا الدير الفخيم فاشتهر في اوائل القرن الرابع للمسيح كما يستفاد من سيرة حياته ومن الكلندار الذي نشرهُ الاب بترس اليسوعي . فانهُ جاء فيه في ١٣ كانون الثاني ما تعريبهُ : « مار سابا صاحب بيعة حاج الكبرى واثني عشر الف شهيد معهُ » . وفي ١٦ آب « استشهاد مار سابا شهيد كنيسة حاج الكبرى

وعمره اثنتا عشرة سنة وثمانية اشهر . عُذّب مدّة اربعمائة وتسعين يوماً » . وفي ١٦ نيسان عيد لاثني عشر الفاً وستمائة وخمسة وثلاثين شهيداً تتلمذهم مار سابا

وقد نشر الاب بيجان الفاضل في المجلد الرابع من اخبار القديسين سنة ١٨٩٤ (ص ٢٢٢—٢٤٩) سيرة هذا الشهيد المعظم نقتضب منها ما يلي : ان شابور ملك الفرس ٣١٠ — ٣٨٠ سار في اواسط سني مملكته الى بازبدى وبلاد الروم وغزاها ودوّخها واقطع ابنهُ ادرفرزجرد من نصيبين الى النهر المتن (صَحْصَحل) هو نهر القورية (؟) وابنهُ زميسف من النهر الى دجلة . فنكّل زميسف بنصارى ملكه كأبيه حتى انهُ لم يشفق على نجلهِ الوحيد سابا واسمهُ بالفارسيّة فيركوشنسف فانزل بهِ عذابات فادحة طويلة لتدينه بالنصرانيّة واذ لم يتمكّن والده من اقناعه وحملهِ على السجود لآلهة الفرس كتب الى والده شابور فاوفد شابور رسالة في قتله دون تريّث . فزُجّ سابا في السجن مراراً وتُنكّل بهِ مدّة اربعمائة وتسعين يوماً وكان الله يعضده . واخيراً هجم عليه كوباي قائد عسكر ابيهِ وصقع راسهُ بالسيف خمس دفعات فلم يقوَ عليه فشجّهُ سابا البطل فتقدّم كوباي وطعنهُ في جنبه وقتله والقوا جثمانهُ في الهوّة حيث كانت زُجّت جثث الشهداء الذين سبقوه . وتمّ ذلك في ١٦ آب وكان عمرهُ ١٢ سنة وثمانية شهور . ثم ان تاذق وايتالاها غُنيا بجسده وجعلاه في صندوق ذهب وُضع في دار تاذق حيث كان يصلّي المسيحيّون . وهناك دُفن ايضاً الاسقف اندراوس وانستاس خادم سابا ورفيقه في الاستشهاد . وعلى اسم سابا بُني دير سمي دير النبع . واشتهر من حاج يزيدين بن ادورميز ولهُ عيد في ٢١ ايلول وقد نشر سيرة حياتهِ الاب بيجان (٢ : ٥٦٠) ويونان المطران الذي استشهد في حماة ولهُ عيد في ٢٨ ايلول

وجنوبي شرقي حاج دير يقال لهُ ومنذا واه‌صُحل على اسم موسى الحبشي اطلالهُ ظاهرة وبالقرب منهُ كذلك دير يعرف بالدير الاحمر

وشمالي حاج دير لمار سرجيس وباخُس في رواقهِ الغربي حيث المقبرة اثنا عشر حجراً مكتوبةً بالسطرنجيليّة اقدمها راقية الى حزيران من السنة ١٥٠٠ (بشتف) الموافقة لسنة ١١٨٩ م وعلى حجر آخر تاريخ سنة ١٦٠٠ (١٢٨٩ م) وعلى باب الكنيسة الشمالي صليب تحيطهُ آية الزبور بالسطرنجيليّة : « انظروا اليهِ وترجّوا ووجوهكم لا

تخزى ٥٠ والى الجنوب باب سُدَّ بحجرين مربّعين منقوشين نقشاً لطيفاً . وداخل الكنيسة مصدَّع كلّه

وفي منحدر حاح الى غربيها مصلًّى صغير مسقوف بالحجارة يسمّى مار قشيشا

وتعهّدنا ايضاً في حاح بيعة الشهيدة شموني ولم يبق منها سوى رسم المذبح حيث الفينا هيئة الصليب المقدّس وهي مملوءة تبناً وقشاً للمواشي . قيل انها تحتوي كتابات ولكن التراب والتبن وما شاكلهما قد طمساها فتعذّرت علينا مشاهدتها

وتفقّدنا ديرًا آخر للمجدليّة ولكنيسة الدير ثلاثة اسواق اطلالها باقية وفيها نقوش ظريفة وتحت رواق مدخلها حجرة كبيرة منكسة مكتوبة بالسطرنجيليّة استبهمت علينا قراءتها

وشرقي جنوبي حاح قرية فيها دير خاربشاباً وقد استولى عليه الدمار والبوار

فمن ذلك كلّه يستنتج ما كان لحاح من الاهمّيّة الكبرى والمرتبة العظمى . وقد قام منها رجال افاضل غيورون وعلماء ماهرون . منهم فنحاس الحاحي الشهيد (بيجان سير القديسين ٤ : ٢٠٨ — ٢١٨) خرج من تلنيس بمصر الى جبل الابيض وتتلمذ لمار اوجين في قرية جنبكي . وقتلهُ انيجا في فنك من اعمال جزيرة ابن عمر ودُفن في قرية أزيخ وشُيّد فوقهُ دير للراهبات وبيعة وسمّي دير النساء على اسم فنحاس بهمّة آحا رئيس دير الزرنوق بطور عبدين . ولفنحاس الشهيد عيد في ٢٨ نيسان

ومنهم آباي الحاحي رئيس دير قرتمين ولهُ عيد في ١٨ تشرين الثاني . ومنهم مار قشيش صاحب المصلّى الذي ذكرناه في حاح ولهُ تذكار في ١٥ ايلول . ومنهم يزدين بن ادورميز (مهريار : بيجان ٢ : ٥٦٠) الحاحيّ وكان انتقالهُ في ٢١ ايلول في عهد يزدجرد ملك الفرس وماروثا مطران ميافرقين سنة ٤٠٠ م . ومنهم الاسقف يونان الحاحيّ الذي استُشهد في مدينة حماة في ٢٨ ايلول . ومنهم مار عامي محمد محمّد الحاحي اسقف طور عبدين الذي نال اكليل الشهادة في مدينة طانازين ولهُ تذكار في ٣٠ ايلول

وجلس في حاح جملة من الاساقفة منهم فيلكسين الذي صار بطريرك طور عبدين سنة ١٤٦٦ واشتهر ايضاً من حاح في افتتاح القرن الرابع عشر الرّبّان صليبا صاحب كلندار الاعياد السريّة الذي نشرهُ الاب بترس اليسوعي

وح يسكنها اليعاقبة ويناهز عددهم مائة بيت وقد ارتد نفر منهم الى الايمان الكاثوليكي ثم عادوا الى مذهبهم

ولما اشبعنا النظر من آثار حاج الحرية بالتجلة والاعتبار قصدنا باقسيان وهي شمالي شرقي حاج لتقيم القداس الالهي في معبدنا الحديث فوصلنا اليها ضحوة الاحد

٩ : من باقسيان الى باعربايا

ما كدنا نبرح قرية باقسيان حتى خف لاستقبالنا القس ايليا وجماعتنا الحديثة وهم يبلغون ثلاثين عائلة واحتفوا بنا . فقصدنا البيعة توًا واقمنا الذبيحة الالهية ثم خرجنا الى دار القس ايليا وسررنا جدًا بمشاهدة ابناء طائفتنا وحرضناهم على اللبوث في الايمان الكاثوليكي المقدس . وكان انضمامهم الينا سنة ١٩٠٨ بغيرة القس حبيب قراكله الافرامي

وباقسيان هذه تعرف بقرية قسطان (ܩܣܛܢ) تشمل اليوم ثمانين بيتاً وموقعها في وادٍ منخفض تحيطهُ تلال ورواب فيها الكروم واشجار البلوط وما شاكلها

واشتهر منها المطران جبرائيل رئيس دير العمر († ٦٦٨) وايليا الشهيد في غرة شباط . وقرأنا في فنقيث اليعاقبة التاريخ التالي تعريبهُ :

« انتهى في ايام البطريرك متى وبطريركي طور عبدين آحا واشيا ومطران دير الصليب يوسف سنة ٢١١٦ (١٨٠٥م) نسخهُ القس ملكا ابن القس عبده من قسطان وهي باقسيانه لبيعة مار ايليا بباقسيان »

وبيعة اليعاقبة مشيدة على اسم ايليا الشهيد وعيده في غرة شباط كما نوهنا وليس فيها شيء من الآثار التي تُذكر

وعصر النهار سرنا الى دير الصليب وهو دير كبير قديم اشبه بفندق منهُ بدير يثويه نيف وعشرون عائلة من اليعاقبة رجال ونساء صغار وكبار . ولم نشاهد فيه سوى قس واحد . وهذه العائلات باسرها تشتغل في اراضي الدير وتقتات من ايرادها . والقرية التي تحت الدير دائرة مطوسة باسرها

وطالعنا فنقيث الدير المنسوخ سنة ٢٢١٣ (١٩٠٢ م) فقرأنا فيه انهُ كُتب لدير الصليب ومار آحا ومار حوارا الذي لُفق عليه اسم دير ديل » ([illegible])

وخارج الدير معبد على اسم مار آحا فوق بابهِ حجر تاريخهُ سنة ١٣٢٥ لليونان (١٠١٤م) وفيهِ مصلّى لبرصوما اليعقوبيّ

وصعدنا سطح الكنيسة فأشرفنا منهُ على قريتَيْ باعربايا وكربوران امّا كربوران فمن اخصب قرى طور عبدين حولها سهل متّسع وبطائح غضّة نضيرة فيها مياه غزيرة تتألف من نحو ثلاثمائة وخمسين عائلة معظمهم يعاقبة لهم مطران والباقي سريان كاثوليك وارمن غريغوريون وبروتستنت ومسلمون. ولنا فيها بيعة سعى بانشائها السيّد يعقوب متى احمر دقنه على اسم ابينا مار افرام وجدّدها عام ١٩٠٧ احد الرهبان الافراميين القس حبيب قراكلّه الغيور طولها عشرون ذراعاً في عرض تسع اذرع حافلة بالزينة البيعيّة . وفي كربوران بيعة قديمة لليعاقبة تُنسب لمار قرياقس سوقها الواحد معقود بالاجرّ وليس فيها آثار اخرى تستحقّ الذكر

امّا باعربايا ففيها اليوم كنيستان قديمتا العهد احداهما كنيسة مار استفانس والاخرى كنيسة سابا يوليانا الرهاويّ فيها بضع ثلاثين عائلةً من اليعاقبة وفيها المياه الغزيرة الجارية والرياض الجميلة واهلها عائشون في السعة

وقد ذكرنا في المقدّمة ان طور عبدين كان يُسمّى باعربايا باسم هذه القرية وتسمّى القرى المجاورة لكربوران باسماء عربيّة حتى يومنا . وهي تخوم طور عبدين حيث يفصل بينها وبين قضاء جزيرة ابن عمر نهر التوريّة الذي سُمي النهر المتن لثقل طعمه وسرّ مذاقهِ

وورد في المقدّمة على سيرة سابا الشهيد التي المعنا اليها في كلامنا عن حاح ما تعريبهُ :

« ان باعربايا تمتدُّ من نصيبين الى دجلة وكان الروم تارةً وطوراً الفرس يدوّخونها . ثم خضعت باعربايا ببلاد ما بين النهرين وارزن وبازبدى . استوطنها قوم من بلاد المدائن وما جاورها جاء بهم بوقيانس قائد جيوش يوليانس الجاحد . وبعد هذا جُعلت نصيبين حدوداً فاصلةً للمملكتين الروميّة والفرسيّة فغدت باعربايا في حوزة الفرس فهجرها نفر غير يسير من النصارى للضيم والعذاب الذي نالوه منهم . على ان شابور اعتنى بعمارتها واسكانها واقام لها عاملَين وهما زميف وادوفرزجرد وقمت حصّة هذا من نصيبين الى النهر المتن وحصّة ذاك من نصيبين الى دجلة . وسار شابور الى المدائن عاصمته (١

١) يحان سير القدّيسين (٤: ٢٢٢ — ٢٢٤)

وقد استوفينا في المقدّمة الشرح عن باعربايا واطلاق اسم طور عبدين عليها اليوم وفي ذلك كفاية

ثم اننا عدنا الى باقسيان وقضينا ليلتنا في دار القس ايليا

١٠ً من مشتركه الى دير قرتين او دير السمر

وسحر الاثنين ١٨ ايلول غادرنا باقسيان الى قرية مشتركه وفيها دير مار آدّي الرسول ينعق فيه اليوم غراب الخراب. واطلال كنيسته تحاكي كنائس طور عبدين القديمة . امّا مصلّى الصيف ففيه رواق رُقّت حجارته كلّها بالسطرنجيلية تدلّ على انهُ ثمّ كانت مقبرة رهبان ذلك الدير . وقد كتبنا اغلبها بتعب غير يسير اليك نصّها حرفيًا حسب قدم عهدها

✠ « ܫܢܬ ܬܫܥ ܠܡܠܟܘܬܗ ܕܡܪܝ ܓܒܪܐܝܠ ܩܫܝܫܐ » انتقل من هذا العالم جبرائيل سنة ١٢٢٠ (٩٠٩ م)

✠ « ܩܫܝܫ ܐܝܠܝܐ ܡܛܪܢܝܬܐ ܕܛܘܪ ܡܥܒܕܝܢ » توفي القس ايليا سنة ١٣٠٠ (٩٨٩ م)

✠ « ܩܫܝܫ ܐܝܠܝܐ ܡܛܪܢܝܬܐ ܕܛܘܪ ܡܥܒܕܝܢ » توفي القس ابرهيم سنة ١٣٠٧ (٩٩٦ م)

✠ « ܩܫܝܫ ܐܝܠܝܐ ܡܛܪܢܝܬܐ ܕܛܘܪ ܡܥܒܕܝܢ » سنة ١٣٣ (١٠١٩ م) مات ساويرا

✠ « ܩܫܝܫ ܐܝܠܝܐ ܡܛܪܢܝܬܐ ܕܛܘܪ ܡܥܒܕܝܢ » سنة ١٣٣٠ (١٠١٩ م) مات ابرهيم

✠ « ܩܫܝܫ ܐܝܠܝܐ ܡܛܪܢܝܬܐ ܕܛܘܪ ... » سنة ١٣٥٦ (١٠٤٥ م) توفي ...

✠ « ܩܫܝܫ ܐܝܠܝܐ ܡܛܪܢܝܬܐ ܕܛܘܪ ܡܥܒܕܝܢ . ܕܐܬܐ ܠܗ ܡܢ ܐܠܗܐ ܡܪܝܡܐ ܥܠܝܬܐ ܕܟܠܗ ܟܝܢܐ ܕܟܪܝܣܛܘܣ . ܒܫܢܬ ܬܪܬܥܣܪ ܕܟܠܗ ܫܢܬܐ » سنة ١٣٦٠ (١٠٤٩ م) مات القس شموئيل بشفاعة والدته تعالى والقدّيسين رسله في احضان ابرهيم .. كتب ذلك داود وايرنيس يرجوان الصلاة

✠ « [illegible] » سنة ١٣٨٠ (١٠٦٩ م) انتقل من هذا العالم الكرب الى الحيوة الجديدة جبرائيل القس ورئيس الدير

✠ « [illegible] . . . » سنة ١٤٧٠ (١١٥٩ م) . . .

✠ « [illegible] » غادر هذا العالم وانتقل الى مولاه الربّان يشوع سنة ١٥٤٥ (١٢٣٤ م)

وقرأنا حجرًا على باب البيعة : « [illegible] » برح هذا العالم القس صليبا وانتقل الى ربه . كل من قرأ فليصلِّ (لاجلهُ) حبًّا بربنا

هذا كلُّهُ دليل ساطع على ان ذلك الدير العظيم كان زاهرًا في القرن العاشر الى القرن الثالث عشر . وقد هدّ اركانهُ وقوّضها تيمورلنك في جملة ما اخرب من اديرة الطور وكنائسه . ويسكن قرية هشتركه المسلمون وبضع عشر عائلات يعقوبية ليس عندهم قسّ يدبّر شؤونهم الروحيَّة . وفي ظننا ان اسم هشتركه مستحدث واسم القرية القديمة مجهول

ولمّا تعالى النهار واصلنا السير الى قرية كفرزه ومررنا بصومعة شاهقة في شرقيها منقورة في الصخر . وعند مدخل القرية معبد صغير مربَّع مشيَّد بحجارة ضخمة على اسم العذراء مريم كان متعبّدًا فيه راهب حبيس في ما سلف

ثم تعهدنا كنيسة كفرزه الكبرى وهي على اسم مار عزرائيل السمياطي الشهيد في عهد مكسيانس قيصر الذي استحضرهُ الى رومية وانزل بهِ ضروب العذابات . وقد اورد اسمهُ ابن العبري في تاريخه البيعي في حبريَّة طورانس الانطاكي (٢٩٨ — ٣٠٩) ولعزرائيل صومعة ايضاً فوق دير الزعفران شرقيّ ماردين . ولهُ عيد في ١٢ ايار (١ . وقد ورد ايضاً في كلندار الاب بترس في ٢٩ كانون الثاني ذكر لساويرا

١) راجع كلندارًا مكتوبًا في آخر كتاب نوافير منسوخ سنة ١٥٧٩ م في دير الزعفران خائمة مكتبة دير الشرفة بلبنان . وقد طُبعت ترجمة عزرائيل الشهيد في باريس سنة ١٩٠٢

الكفرزي رئيس دير قرقين وعصره مجهول

واعلم ان كنيسة مار عزرائيل في كفرزه تمتاز عن سائر كنائس طور عبدين بالبيم (المنبر) المبنيّ في صحنها وهو عبارة عن حجر كبير مستدير يسنده اربع سوار يُرقى اليه بتسع درجات من ناحية المشرق

وفي قرية حباب بطور عبدين عند دير مار ملكا القازميّ بيعة تحاكي بيعة كفرزه فيها البيم حتى يومنا . وكان من عادة السريان ابتناء مثل ذلك في كنائسهم لالقاء المواعظ وقراءة الانجيل ولاسيّما في الحفلات البيعيّة والطقوس كطقس الميرون والرسامات وغيرها

وقرأنا في انجيل كنيسة مار عزرائيل التاريخ التالي معرّباً :

« سنة ٢١٦٦ (١٨٥٥ م) بسعاية المطران شمعون الكفرزيّ شنّ علينا الدارة امراء البهتان (قوم من الاسلام المحليّة) بزدين بيرّ وسعود بك وضربوا بلادنا واخربوا بيتنا . وقتلوا اربعة قسّان ورهباناً وجملةً من المسيحيين . وفي تلك السنة قاتلهم الملك قرقي وقتلك بالف وخمسمائة نفر منهم والقى القبض على ملكيهم وساقهما الى العاصمة مكبّلين بالقيود . وبعد هذا عدنا الى بلادنا بفرح وشيدنا كنائسنا وجمنا كتبنا وجدّدناها »

والفينا في ايوان المصلّى الصيفي كتابة اسطرنجيلية هذا نصّها :

ܫܢܬܐ ܕܫܬܐ (؟) ܕܫܠܡ ܡܢ ܥܠ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ܡܪܝ ... شُيّدت بيعة هذا المصلّى سنة ١٢٤٦ (٩٣٥ م) في عهد استفنا المطران آما

وفي منحدر كفرزه معبد مربع منسوب لمار ابراهيم الفينا فيه حجرًا مكتوباً بالسطرنجيلية قرأنا فيه كلمة ܐܒܪܗܡ ابرهم فقط وتعذّرت علينا قراءة الباقي

ثم سرنا الى محلّ يسمونهُ معبد مار جرجس تشويه احدى العائلات اليعقوبيّة دخلنا اليه ضمن ثلاث دور حتى انتهينا اليه فلم نرَ شيئاً سوى ظلمة مدلهمّة . وشاهدنا مذبحًا غيره باسم يوحنا تحيطهُ صورة حيّتين تعلوها هيئة شمس وقمر والى جانب ذلك المعبد رواق فيه حجار مرقومة بالسطرنجيلية قد اثّرت فيها الامطار تأثيراً بليغاً .

وفي بقعة كفرزه رسوم بيعة لمار ايليا لم يبقَ منها سوى جدار واحد . وفي كفرزه من اليعاقبة مائة وخمسون عائلة وكاهنان . ومن المسلمين مائة عائلة

واشتهر من كفرزه ساويرا رئيس دير قرتمين ههامنا ههنامل ومصومنا وهنامحم وله تذكار في ٢١ كانون الثاني

وغادرنا كفرزه الى قرية دبانه (وُحْلُل) وهي في وادٍ عميق واهلها مسلمون باجمعهم وداخلها آثار دور شتى وصخور منقورة . ثم اغذذنا في المسير الى دير العمر او دير قرتمين فبتنا فيه ليلتنا (الختام للآتي)

النصرانية بين قدماء الاتراك والمغول

بحث تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

غنيٌّ عن البيان انَّ الاتراك في عهدنا يدينون بالاسلام الّا بعض قبائلهم البادية في اطراف تركستان وفي جهات تبّت وحدود الصين التي يغلب عليها دين البوذيين على انَّ النصرانيَّة لم تحجب عنهم انوارها في الاجيال السالفة بل اضاءت كثيرين منهم بنبراسها ولنا على ذلك ادلّة عديدة جمعناها من اصدق الموارد الشرقيَّة والغربيَّة كما سترى . وقد جاءت تترى الاكتشافات الحديثة في تركستان مؤيدةً لهذا الواقع التاريخي الذي لم يَعُد يمكن انكاره . ولا نشكّ في انَّ قرّاءنا يسرُّون لاثباتنا هذه الحقيقة

*

تُركستان اي مواطن الاتراك الاصليَّة وتُعرف غالباً بتوران وما وراء النهر بلاد واسعة ومفاوز خلقة تمتدّ بين بحر الخزر المعروف ببحر قزوين غرباً وتخوم الصين شرقاً وتحدّها شمالاً روسيَّة التي تحكم اليوم على قسم منها وجنوباً ممالك الهند وايران فتنيف مساحتها على خمسة ملايين كيلومتر مربع وتضاهي وحدها نصف قارة اوربا غير انَّ سكّانها لا يتجاوزون اليوم خمسة الى ستَّة ملايين فيكون عددهم كعدد مدينة لندن فقط . والمياه في تلك الصحاري قليلة ايضاً لا يجري فيها غير نهرين كبيرين اصلهما في مشارق جبال بامير احدهما نهر جيحون الشهير باوكسس (Oxus) الذي ينصبّ في بحر قزوين والآخر نهر (Jaraxès) سيحون الذي يقطع ناحتي

خوكند وخوجند ويصبّ في بحر ارال في اواسط تلك البلاد. وهناك انهار اخرى صغيرة وبحيرات يجد الاهلون في قربها مراعي لمواشيهم . والغالب عليهم رعية الغنم وتربية الخيل . وكان اكثرهم من اهل البادية يتنقّلون في تلك الصحاري ويسكنون الخربات ينصبون عليها خياماً من اللبد شبه البيوت . ومنهم من تحضّر فسكنوا المدن كبلخ وسمرقند وبخارى وفرغانة وكاشغر وقراقُوم

امّا سكّان تلك الاصقاع فيرتقي اصلهم الى قبائل كانت تسكن في اعالي جبال ألطاي التي يدعوها الترك الطون داغ اي جبال الذهب لكثرة معادنها وهذه الجبال هي الفاصلة بين سيبريا وبلاد المغول والصين. ثمّ نزلوا الى الصحاري كالسيول الجارفة واستولوا عليها وتشعّبوا شعباً فئات وعشائر وفخوذاً وقبائل وامماً لا يكاد يُحصى عددها. وكلّهم يُحسبون من النسل المغولي وان اختلط بهم بعض المنتمين الى النسل القوقازيّ ايضاً . ولغات هذه القبائل مع كثرتها تعود الى اصل واحد وهو التركيّ القديم ومنهُ الحديث. على انّ هذه اللغة لم تدوَّن بأحرف خاصّة بل كُتبت بحروف مستعارة من عدّة لغات وقد وجدوا كتابات تركيّة مكتوبة باليونانيّة واللاتينيّة والسريانيّة والرونيّة (le runnique) ثمّ كُتبت بالحروف العربيّة والحروف الارمنيّة . وقد غلب على بعض القبائل ولا سيّما الاويغور كتابة لغتهم بحرف خصوصيّ نقلوهُ عن الكلدانيّة وعُرف بالحرف الايغوريّ وهو يُكتب عموديًّا من الشمال الى اليمين (راجع الشكل)

وكما تتشابه تلك الطوائف بلغاتها كذلك تتقارب بعناصرها مع تعدُّد اسمائها . فانّ قدماء الكتبة قد اطلقوا عليها اسماء متباينة كالاسقيثيين (Scythes) والهونة (Huns) ثم شاع اسم الترك والتركمان والمغول والتتار

والمجموع عليه بين المحدثين انّ اصل هذه الامم من العنصر اليافثي فهم من حيث الجدّ البعيد اخوة الشعوب الاوربيّة . ولا يخالفهم في قولهم الكتبة الشرقيّون بل يجعلون للترك القدميّة على المغول والتتار وسواهم . فيقولون انّ تُركاً هو اكبر اولاد يافث وانّ من نسلهِ ولد اخوان هما تتر ومغول ثمّ خلّفا الاولاد واولد هؤلاء غيرهم حتى بلغ زعماء قبائلهم ٢٤ قبيلة سكنوا انحاء توران الى تخوم تبّت والصين واشتهروا بإقدامهم وفراستهم يرون في الحروب غاية لذّتهم وكثيراً ما زحفوا على

الاصقاع المجاورة لهم فغزوها واكتسحوا غنائمها. وربّما استولوا على البلاد فجعلوها تحت حوزتهم كما فعلوا غير مرّة بالصين وتبّت. واوّل من ذكر الاتراك كتبة الصين دعوهم اوّل باسم « هونونيس » وهم الهونة ثمّ سمّوهم « توكيو » وهو اسم الترك بالصينيّة وليس فيها حرف راء. وقد عرفهم في القرن الخامس قبل المسيح المؤرخ هيرودوتس باسمهم (Τούρκοι)

ثمّ توالت الدهور وتتابعت الاجيال حتى ضعفت الدولة الرومانيّة فشعرت القبائل المغوليّة بخورها فتقدّمت طوائف منها وهم الهونة فكانوا لنواحي اوربّة كالطوفان العرمرمي فنهبوا وسلبوا واحرقوا ودمّروا حتى ظنّ الناس بقيامة الساعة. وكانوا يدعون ملكهم باسم الخاقان ثمّ اختصروهُ بالخان ثمّ دعوا الخان الاكبر قاآن. ثمّ انكفأوا راجعين الى بلادهم ووضع العرب حدودًا لمعرّتهم حتى أنِسوا من بني العبّاس ضعفاً فعادوا واستولوا على بلاد الاسلام واتّخذوا لهم دولًا مستقلة وكرّ اخلافهم على تلك الدول الاسلاميّة ثانيةً وهجم غيرهم على الممالك الواقعة شرقيّ اوربّة فطحنوها طحناً تحت سنابك خيلهم في عهد جنكزخان ثمّ تيمورلنك. واستأنفوا زحفاتهم في عهد بني عثمان فدرّوا سيطرتهم على اغنى البلاد برافقها وضروب غلّاتها

*

هذا نظر اجمالي قدّمناهُ قبل الخوض في موضوع كلامنا نريد النصرانيّة بين طوائف الاتراك

كان الدين الغالب على طوائف الاتراك في سالف الاجيال الدين المعروف بالشّمنيّة او الشّمنيّة (Schamanisme) وهو مبنيٌّ على اكرام قوّات الطبيعة وعناصرها الاربعة على زعمهم اي النار والهواء والماء والارض. وكانوا يعبدون الارواح ويقدّمون لها التقادم والذبائح وكذلك نفوس الاجداد يكرمونها ويتخذون التماثيل لعبادتها. وقد ذكر المسعوديّ في مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ٢٩٨ وطبعة مصر ١ : ٥٨) هذا الدين الذي شاع ايضاً في الصين فقال عن الترك :

ودينهم دين من سلف وهي ملّة تُدعى الشّمنيّة عباداتها نحوٌ من عبادات قُريش قبل الاسلام يعبدون الاصنام ويتوجّهون نحوها بالصلوات ومنهم من يقصد بصلاته الخالق عزّ وجلّ ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة. والجاهل منهم ومن لا علم لهُ يشرك الاصنام بإلهيّة الخالق

ويعتقدها جميعاً وانّ عبادتهم الى الاصنام تقرّبهم الى الله زلفى وانّ منزلتهم في العبادة تنقص عن عبادة الباري بجلالتهِ وعظمتهِ وسلطانهِ وانّ عبادتهم لهذه الاصنام طاعة لهُ ووسيلة لهم اليهِ

ثم انتشرت بينهم النحلة البوذيّة التي قدم اصحابهـا من الهند فاشاعوها في الصين والبلاد المجاورة ودانت بها بعض القبائل التركيّة

وكذلك ظهرت هنـاك الشيعة المانويّة في القرن الرابع للميلاد فقال قوم من الاتراك بمذهب ماني المعروف بالثانويّة اي بمبدأين او الهين اله خير واله شرّ. وقد وجد السيّاح المحدثون في هذه المدّات الاخيرة آثاراً من كل هـذه الاديان في تركستان فانهم اكتشفوا فيها على كتابات عديدة مكتوبة على الجلود والانسجة وقشور الشجر يبلغ عددها الالوف المؤلفة. وكذلك وقفوا على كتابات منقوشة على الحجارة وعلى القبور بلغات شتّى

فما كان للنصرانيّة وهي معروفة بغيرة ذويها وأمر منشئها الالهي لهم بان يتلمذوا كل الامم ان تسهو عن دعوة طوائف الاتراك الى دينها. وفي شواهد الآباء الاوّلين والكتبة الكنسيين الاقدمين ما يدلّ على ان رسل المسيح او تبعتهم بشّروا بالانجيل في تركستان. فنهم القديس يوستينوس النابلسي شهيد القرن الثاني للمسيح في كتاب ردّهِ على اليهوديّ تريفون (مجموع الآباء لمين Migne P. G., VI. 748) قال : « ليس في المعمور جنسٌ واحد يونانيّ او بربريّ او اي اسم آخر شئتَ ان تدعوه بهِ حتى الساكنين العربات من الاسقيثيين (Ἀμαξόβιοι) واهل البوادي والخيم الذين يرعون المواشي الّا وتُحنى فيهم الرُّكب لاسم يسوع المصلوب وتُرفع بهِ الادعية الى الازليّ وخالق الكلّ »

وفي هذا القول اشارة واضحة الى ساكني تركستان يؤيدها التقليد المتواصل الذي ينسب الى الرسل توما وبرثلماوس وتدّاوس والى تبعتهم من السبعين ادي وماري واجيّ دعوة تلك البلاد الى النصرانيّة وقد دعاهـا بعضهم بلاد ياجوج وماجوج. قـال ايليّا الدمشقي في تاريخهِ : « وكان الداعي والمنصّر والمتلمذ والمدبّر بالسند والهند وما والاها من المشرق الى البحر الاخضر من الحواريين توما السليح احد الاثني عشر ». وكذلك صرّح القديس صفرونيوس بانّ الرسول تومـا بشّر الهرقانيّين والبكتريين والعجم والمراغيين. وقال عمرو بن متّى في كتابهِ المجدل عن

القديس برتلماوس: « نثنايل وهو برثلمي تلمذ مع توما ولبّي من الاثني عشر ومع ادّي وماري واجّي من السبعين.... النبط والاهواز وفارس ثمّ صار الى ارمنية الكبرى وتلمذ اهلها... وصار الى الهند والصين الداخلة ». وقال الياس الدمشقي عن اجّي تلميذ ادّي: « وكان الداعي والمنضر والمتلمذ والمدبّر بارض الجبل وفارس والاهواز الى تخوم السند ويأجوج ومأجوج اجّي تلميذ ادّي » ومثلهُ ماري بن سليمان في اخبار بطاركة كرسيّ المشرق: « واجّي السليح بعد عود ادّي الى الرها مضى الى الجبل والاهواز وتخوم السند وما قرب آجوج وماجوج وسبقهم الى هذه الاقوال كتبة السريان كاليًا النصيبيني وغريغوريوس ابن العبريّ في تاريخهِ المدنيّ السريانيّ وتاريخهِ الكنسيّ وهم يردّدون عن نصرانيّتهم ما ورد في كتبهم الطقسيّة القديمة (٢

وممن صرّحوا بتبشير الايمان فيما وراء النهر الى الصين الكاتب اللاتيني ايوبيوس قبل عهد قسطنطين فقال في كتابهِ الثاني من الدفاع عن النصرانيّة الفصل الثاني عشر (١: « ليس في الارض امّة واحدة مهما كانت متعنّتة في الهمجيّة الّا نالت من فضل الايمان المسيحي فلطّفت طباعها وراضت اخلاقها بالتقى. فكيف يمكننا ان نعدّد ما جرى على يد دعاة النصرانيّة في الهند والصين والفرس وماداي وفي العربيّة وفي مصر وآسيا الصغرى والشام وبين الغلاطيين والفرثيين وقبائل الطرنة التي جحدت اديانها لتنضوي تحت سُنّة المسيح ». وكذلك عدّ اوسابيوس القيصري بين الامم المتنصّرة « الفرس والارمن والكلدان والاسقيثيين والهنود » (في كتابهِ الثالث عن البيان الانجيلي). وفي القرن الرابع للمسيح يشهد على تنصّر امم تركستان القديس يوحنّا فم الذهب في كتابهِ المنون بالردّ على اليهود (ك١ ص٦٩٢ من طبعة غوم Gaume) فذكر بين الامم المتنصّرة « الإسقيثيين والمغاربة والهنود » وفي تفسيرهِ على يوحنّا الميمر الثاني عدّد « الهنود والعجم والحبشة » وفي عهدهِ كتب تاودوريتوس فذكر في ردّهِ على اليونان (Théodoret, *Migne*, P. G. vol.,83 col. 1037) من المتنصّرين « قبائل الاسماعيليين وقبائل البرابرة كاللاز (Lazi) والاسقيثيين والهند والحبشة

١) راجع المكتبة الشرقيّة للسمعاني (Assemani : *De Syris Monophysitis*, I - XX)

٢) اطلب مجموع الآباء لمين (Migne P. L. V, 827-828)

والفرس والصينيين والهرقانيين والبكترانيين (Hyrcanos et Bactrianos) ».
ومنهم قزما السائح الهندي (Cosmas Indicopleustes, *Migne*, vol. 88, col. 170) ذكر بين الذين تحقق نصرانيتهم في سياحته سنة ٥٤٧ للمسيح « اهل سرنديب (سيلان) وجزيرة سقطرى ». ثمّ قال : « انهُ يوجد عددٌ لا يحصى من الكنائس بين البكتريين والهونة (Bactros et Hunnos) والفرس والارمن والماديين والعيلاميين . وهناك اساقفة وارباب اكليروس ومؤمنون ورهبان ».
فترى انّ كل هذه الشواهد من كتبة معاصرين في الغالب لما رووهُ تثبت دعوة المبشرين بالمسيح في البلاد التي يسكنها المغول والاتراك وليس اسم الهونة والبكتريين والهرقانيين والاستيثيين والمراغيين الّا اجيالًا من التتار عرّفهم الكتبة بالبلاد التي كانوا يسكنونها وقتئذٍ وهي الموافقة لتركستان

ويؤيد ذلك ما رواهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول حيث قال بعد روايته لتنصُّر قسطنطين (ص ١٣٥) :

ولم يزل دين النصرانيّة يظهر ويقوى الى ان دخل اكثر الامم المجاورة للروم من الجلالقة والصقالبة وبرجان والروس واللان والارمن والكرج . . . وجمهور اصناف السودان من الحبشة والنوبة وسواهم . وآمن بعد هولاء اصناف من الترك ايضاً

وفي هذا القرن الرابع جعل احد الكتبة المحققين دخول النصرانيّة بين الطوائف التركيّة (١ وجاء في سيرة جاثليق النساطرة مارابا (٥٤٠ — ٥٥٢ م) انّ خان الهونة البيض وهم جيل من الاتراك (Turcs Ephtalites) وكانوا يسكنون في بكتريانة ارسل الى جاثليق الكلدان مارابا المذكور يطلب منهُ بان يُرسل لهُ اسقفاً ينصّر القبائل التي كانت تحت امره ففعل وانشأ كرسيّين اسقفيّين في هراة وسمرقند (٢

وممّن سعى بتوثيق عُرى العلاقات بين النصارى والاتراك احد مشاهير بطاركة الكلدان النساطرة في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع نزيد به طيموثاوس المعروف بالكبير (٧٧٨ — ٨٢٣) ففي احدى رسائله التي تاريخها سنة ٧٩٢ يذكر « انّ امّة

---

١) راجع L. Cahun : *Introd. à l'Hist. de l'Asie, Turcs et Mongols* p. 123

٢) راجع ترجمة مارابا ص ٢٦٤ وكتاب المسيو لابور Labourt : *Le Christianisme et L'Empire Perse* p. 189

الاتراك تنصَّرت على يد اساقفة ارسلهم اليها . وجاء في كتاب الرؤساء لتوما المرجي (ص ٢٥٢ — ٢٦٣ ed. Budge) انَّ شوبحاليشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموتاوس الكبير الى جهات المرقانيين والاتراك فنصَّر كثيرين وشيَّد الكنائس وانَّهُ تقدَّم الى جهات الخطا (Cathay) فردَّ الى الايمان جماهير من المشركين والثانويين واذ عاد راجعاً الى بابل اغتالهُ اعداء النصرانيَّة فقتلوهُ . وما لبث ان تبعهُ في كرازتهِ بين الاتراك أخوان هما يبالاها وكرداغ سقَّفهما طيموتاوس وارسلهما مع ١٥ راهباً من دير بيت آبا سقَّف ايضاً منهم سبعة فذهبوا للكرازة في بلاد الخطا والصين كما روى توما المرغي (ص ٢٦٤ — ٢٧٠) ثم ذكر بعدهم اليَّا اسقف موقان الذي بشَّر في تلك البلاد عينها وشيَّد الكنائس (المرغي ٢٧٨ — ٢٨٢) . وفي تاريخ بطاركة المشرق لماري بن سليمان « انَّ طيموتاوس دعا خاقان ملك الترك الى الامانة وغيرهُ من الملوك ووردت عليهِ كتبهم وتلمذ خلقاً » . ومذ ذاك الحين ترى للنساطرة عدَّة كراسيَّ مطارنة في بلاد الترك وما جاورها عدَّدها عمرو بن متَّى في تاريخهِ المعروف بالمجدل (ص ١٢٦) « كمطران مرو ومطران الصين ومطران الهند ومطران بوذع (كذا . يريد برذعة في اقصى اذربيجان) ومطران طبرستان ومطران الديلم ومطران سمرقند ومطران تركستان ومطران سجستان ومطران خان بالق والقالق ومطران تنكت ومطران كاشغر وتواكث » (قال) « وكل واحد من هؤلاء المطارنة لهُ اساقفة فمنهم من لهُ اثنا عشر اسقفاً ومنهم من لهُ ستة »

فكفى بتعداد هذه الكراسي دليلاً على نفوذ النصرانيَّة في بلاد الترك باطنها وخارجها في اوائل القرون الوسطى ولولا توفُّر المتنصِّرين في تلك الانحاء لما اقاموا هذا العدد الوافر من الكراسيَّ المطرانيَّة والاسقفيَّة التي يدلّ بعضها على اقصى بلاد الاتراك وامهاتها كتنكت وكاشغر فضلاً عن اسم تركستان العامّ .

وفي اوائل القرن التاسع للميلاد ابتدأت حركة الاتراك في الدولة العبَّاسيَّة فتزلَّف قوم منهم الى الخلفاء وتجنَّدوا لخدمتهم ثمَّ لم يزل امرهم يتفاقم في عهد المتوكل والمنتصر والمستعين حتى استولوا على الدولة وصار الحلّ والعقد في يدهم ولم يدعوا للخلفاء سوى السلطة الدينيَّة ومنهم خرج بعض المماليك الذين انشأوا دولاً مستقلَّة

(1)		(2)						(3)		(4)
آ	با	قا	وا	سا	قا	يا	كا	دا	ما	نا
â ou é	bâ	qâ	ouâ	sâ	qâ	yâ	ka	dâ	mâ	nâ

		(5)	(6)							
با	جا	را	شا	تا	لا	شا	ما	قا	تو	كا
bâ	djâ	râ	châ	tâ	lâ	châ	mâ	qâ	to	kê

صورة الحروف المغولية عن كتاب تاريخ تيمورلنك
لابن عربشاه من مخطوطات باريس
(NOTICES ET EXTRAITS DES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE NATIONALE, V, 588)

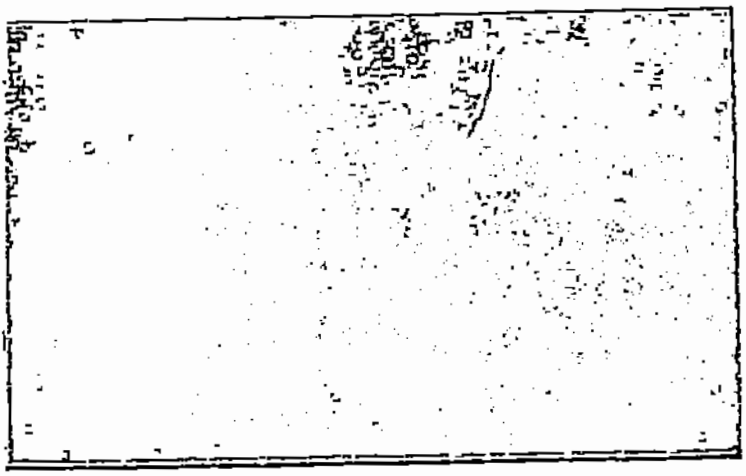

تركيان من قبيلتي كغيز وسرلي في تركستان

كبني طولون في مصر وبني سلجوق على انّ هؤلاء الاتراك اسلموا رغبةً في تنفيذ امورهم وضبط اعنّة التدبير في يدهم

واما الاتراك الذين لم يبرحوا عن بلادهم فانّ الدين النصرانيّ زاد انتشاره بينهم. وكان دعاة النصرانيّة يتواردون الى مواطنهم بل ربّما قطعوها حتى بلغوا حدود الصين. ولنا على ذلك شاهد جليل في كتابة «سي نغا نغو» الشهيرة المكتوبة بالصينيّة والسريانيّة سنة ٧٨١ للمسيح وفيها تاريخ ورود النساطرة الى تلك البلاد منذ سنة ٦٣٥ ونشرهم الدين النصرانيّ في انحائها على عهد دولة تانغ التي استولت على بلاد تركستان وجهات المغول (راجع المشرق ٣ : ٨٤٥ — ٨٥٣) فكان اكرام الصينيين للمرسلين المسيحيين منشّطاً للتراك كي ينتظموا ايضاً في سلك المتنصرين

ومن القبائل التركيّة التي تنصّرت في تلك المدّة قبيلة الايغور او الاويغور (Ouigours) او (Oïgours) فهذه كانت من القبائل البادية تسكن قريباً من جبال قراقرم جنوبيّ سمرقند ومنها كان بوكوخان الذي خرج على الصين وانشأ فيها دولةً تُعرف بالأويغوريّة التي ملكت مئة سنة (٧٤٥—٨٤٧م) ثم غلبها الصينيّون وبقيت لها الامارة في جبال قراقرم وتنصّر اهلها على يد الدُعاة النساطرة وعنهم اخذوا كتابتهم الاويغوريّة المشتقة من الكلدانيّة وعدلوا عن رعية المواشي الى فلاحة الارض فخصبت بلادهم واشتهروا بين الاتراك بعمرانهم وتمدّنهم

ومن قبائل الترك التي اقتدت بآثار الاويغور قبيلة الجنتاي وتدعى بالخطاي لاجل سكناها في الخطا من اقاليم الصين الشماليّة وهذه ايضاً اخذت القلم الاويغوري الذي دُعي بالجنتاي. قال ابن عربشاه في عجائب المقدور في اخبار تيمور (ج ٢ : ١١٤ — ١١٥ Ed. Manger) :

اما الجنتاي فلهم قلم يسمّى اويغور، وهو بالقلم الموغولي مشهور، وبهذا الخط يكتبون توقيعهم ومراسيمهم، ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم، وتواريخهم واشعارهم، وقصصهم واخبارهم وسجلّاتهم واسفارهم (ويروى واسمارهم) وجميع ما يتعلّق بالامور الديوانيّة، والتور جنكيزخانيّة، لا يورّثونهم لأنهُ مفتاح الرزق عندهم »

وفي اوائل القرن الحادي عشر للميلاد تنصّرت قبيلة اخرى تدعى قبيلة الكريت (Kéraïtes) وذلك في عهد جاثليق النساطرة يوانيس (١٠٠١ — ١٠١٢ م)

وكان سبب تنصّرهم ما رواهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسي (٢ : ٢٨٠ éd. Lamy) عن عبد يشوع مطران مرو الذي جرى الامر في زمانهِ. قال: « خرج ملك الكريت الى الصيد في تلك الجبال فضلّ الطريق واصبح على وشك الهلاك اذ ترآى لهُ الشهيد القديس سرجيوس وانقذهُ من الخطر وامرهُ بالتنصّر فلمّا عاد الى مدينتهِ دعا اليهِ تجاراً نصارى كانوا يترّقون بين اهل رعيّتهِ واستخبرهم عن الدين النصرانيّ فأشاروا اليهِ ان يستقدم مطران مرو ليشرح لهُ عقائد الايمان ففعل ثمّ اعتمد هو وشعبهُ في عدد مائتي ألف (١ وارسل الجاثليق كاهناً وشمّاساً ليساعدا عبد يشوع في خدمة المتنصّرين وسمح لهم في مدّة الصوم الكبير بشرب حليب الخيل لقلة المآكل هناك »

وبقيت النصرانيّة في هذه القبيلة زمناً طويلاً وكان ملوكها نصارى ايضاً يسمّى كل منهم بأُونك خان ومعناهُ الملك يوحنّا وقيل انّ الاساقفة النساطرة كانوا يمسحونهم ملوكاً وكهنةً معاً ولذلك عرفهم الاوربيّون باسم الكاهن يوحنّا (le prêtre Jean) وكان اوّلهم اونك خان الاوّل الذي تنصّر مع قومهِ. وخلفهُ اونك خان الثاني الذي غزا كاشغار سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦م) وقام بعده اونك الثالث الذي زاد في ملك اجدادهِ وبلغ حدود مملكتهِ الى نهر دجلة نحو السنة ١١١٩م. والرابع بهذا الاسم هو الذي غلبهُ على ملكهِ سنة ١٢٠٣ احد عمّالهِ المسمّى تموجين وهو المشهور باسم جنكز خان قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٩٤) :

وفيها وهي سنة الف وخمسمائة واربع عشرة ليونان (١٢٠٣م) كان ابتداء دولة المغول وذلك انّ في هذا الزمان كان المستولي على قبائل الترك المشارقة اونك خان وهو المسمّى ملك يوحنا من القبيلة التي يقال لها كريت وهي طائفة تدين بدين النصرانيّة وكان رجل مؤيّد من غير هذه القبيلة يقال لهُ تموجين ملازماً لخدمة اونك خان من سنّ الطفوليّة الى ان بلغ حدّ الرجوليّة وكان ذا بأس في قهر الاعداء فحسدهُ الاقران وسعوا بهِ الى اونك خان وما زالوا يتنابونهُ عندهُ حتى اتهمهُ بتغيّر النيّة وهمّ باعتقالهِ والقبض عليهِ. فانضمّ اليهِ غلامان من خدم اونك خان . . . فكرّ عليهِ تموجين واصحابهُ . . . حتى قتلوهُ وابطالهُ وسبوا ذراريّهُ . . .

والى اونك خان هذا ارسل البابا اسكندر الثالث سنة ١١٧٧ كتاباً رواهُ

١) راجع تاريخ ماري بن سليمان والمكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤ : ٢٨٠ — ٢٨٢ وكتاب دي كينيي في تاريخ المغول (Deguignes : *Hist. gen. des Huns, des Turcs, des Mongols* III, 13)

المؤرخ بارونيوس في تاريخ هذه السنة. وكان اونك استقبل في بلاطهِ حكيماً اوربيًّا يدعى فيلبُّوس وصف لهُ مقام الاحبار الاعظمين ورغَّب اليهِ الانضمام الى الكنيسة الرومانيَّة فكتب اونك الى البابا يطلب منهُ ان يرسل اليهِ مرسلين يهتمُّون بامور شعبهِ ويشيّدون في حاضرة ملكه كنيسة. فلبَّى امام الاحبار دعوتهُ وحضَّهُ على ملازمة الايمان الكاثوليكي

وكان لاونك خان المذكور انسباء يملكون في جهات الصين. ذكر المرسل الفرنسيسي حنا من جبل كورفينو (Jean de Monte Corvino) انَّهُ وصل الى الصين واحتلَّ خان بالق وهي مدينة (پاكين) وكان ملكها من اقارب اونك خان يُدعى جرجس وكان نسطوريًّا فدعاهُ الى الكثلكة فاقتنع بها وارتدَّ الى طاعتها مع ابنهِ وثبت عليها الى وفاتهِ سنة ١٢٩٨ فقام اخوتهُ بعد موتهِ واضطهدوا الكاثوليك (١

ولم تنقطع ذريَّة اونك خان النصرانيَّة بعد قتلهِ بل بقيت قبيلة الكريت على دينها يأمرها امراء من نسل اونك المذكور اوَّلهم داود ابنهُ ثمَّ خلفاؤهُ من بعدهِ الى اوائل القرن الرابع عشر كما روى السائح الايطاليّ الشهير مركو پولو (Marco Paolo) الذي اكَّد انَّ الكريت تُرك نصارى وملكهم على دينهم (٢

واخبر سفير ملك الارمن الى التتر سنة ١٢٤٨ أنه اجتمع بملكهم النصرانيّ المدعو كوجوك (Gujuch)

وكان لاونك خان ابنة اخ نصرانيَّة مثلهُ تُدعى سرقوطانا تزوَّجها جنكزخان وبقيت على دينها تغير عليهِ وتنشط اهلهُ وكان في خدمتها كثيرٌ من ارباب الدين الَّا انهم نساطرة ويعاقبة وارمن. وهذه سرقوطانا هي امّ منكوخان سلطان التتر

ثم عظم امر جنكزخان وفتح الفتوحات العظيمة وكان مائلًا الى النصرانيَّة يكرم اربابها ويستخدم اصحابها ويتقرَّب من اهلها. ولمَّا فتح بلاد الاويغور النصارى طلب منهُ صاحب الدولة المدعو ايدي قوب (وقيل ايدي قوت) الامان لنفسهِ ورعيَّتهِ والدخول في زمرتهِ فاقبل عليهِ جنكزخان واحسن قبولهُ واعادهُ الى بلادهِ

---

١) راجع المكتبة الشرقيَّة للسماني Assemani: *Bibl. Or.*, IV, 500-504

٢) ورد ذلك في تاريخ الرهبانيَّة الفرنسيسية لوادنغ (Wadding.) المجلَّد الثالث

مكرَّماً (١ واخبر ابن العبري في تاريخه (ص ٤٠١) انَّ جنكزخان اراد في اوَّل امره ان يعاهد محمَّداً سلطان غزنة فارسل الى بلاده وفداً فامر السلطان بقتلهم الَّا واحداً منهم هرب وعاد الى جنكزخان فاخبره بامرهم قال ابن العبري :

فعظُم ذلك عند جنكزخان وتأثَّر منهُ الى الغاية وهجر النوم وصار يحدّث نفسهُ ويفتكر فيما يفعلهُ وقيل انهُ صعد الى رأس تلّ عال وكشف رأسهُ وتضرَّع الى الباري عالى طالباً نصرهُ على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلثة ايام بلياليها صائماً . وفي الليلة الثالثة رأى في منامهِ راهباً عليهِ السواد وبيدهِ عكَّازة وهو قائم على بابهِ يقول لهُ : لا تخف افعل ما شئت فانَّك مؤيَّد . فانتبه مذعوراً مسروراً بالفرح وعاد الى منزلهِ وحكى حلمهُ لزوجتهِ وهي ابنة اونك خان فقالت لهُ : هذا زيّ اسقف كان يتردَّد الى ابي ويدعو لهُ وبجيئهُ اليك دليل انتقال السادة اليك . فسأل جنكزخان من في خدمتهِ من نصارى الايغور : هل هنا احد من الاساقفة . فقيل لهُ عن مار دغا فلمَّا طلبهُ ودخل عليهِ بالبيرون الاسود قال : هذا زيّ من رأيت في منامي لكن شخصهُ ليس ذلك . فقال الاسقف : يكون الخان قد رأى بعض قدّيسينا . ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظنّ بهم ويكرمهم

استمرَّ خلفاء جنكزخان على اكرامهم للنصارى ودولتهم هي الدولة المغوليَّة اخت الدولة التركيَّة وكلاهما من عنصر واحد كما مرَّ

تولَّى الامر بعد جنكزخان ابنهُ اوكتاي (١٢٢٧—١٢٤٨) فورث عن ابيهِ حبَّهُ للنصارى . وكان اخوهُ الصغير تولي مقترناً بامرأة نصرانيَّة سرقوتين بيكي ابنة اخي اونك خان . قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٣٤) :

« كان لها من الاولاد اربعة بنين مونككا (وهو منكوخان) وقوبلاي وهولاكو واريغ بوكا فأحسنت تربية الاولاد وضبط الاصحاب وكانت لبيبة مؤمنة تدين بدين النصرانيَّة وتعظّم محلّ المطارنة والرهبان وتلتمس صلواتهم وبركتهم وفي مثلها قال الشاعر (المتنبي) :

فلو كان النساء مثل هذه لفُضّلت النساء على الرجال

ولمَّا توفي ابنُها تولي امرَ اوقتاي بانَّ زوجتهُ المذكورة تتولَّى تدبير عساكرهِ لما كان يعهد فيها من حسن السياسة

وخلف اوقتاي ابنهُ كيوك (١٢٤٦ — ١٢٤٨) قال ابن العبريّ في مختصر تاريخ الدول (ص ٤٥٠) :

---

١) راجع مختصر تاريخ الدول (ص ٣٦٦)

وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان امير كبير اسمهُ قداق وكان ممجِّدًا مؤمنًا بالمسيح وشاركهُ في ذلك امير آخر اسمهُ جينقاي فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسَّنا يقين كيوك خان ووالدتهِ واهل بيتهِ بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحيَّة

وارتفع شأن الطوائف المنسوبة الى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والارمن. والتزم الخاص والعام من المغول وغيرهم ممَّن هم بينهم ان يقولوا في السلام برخمر (ضُمُّوا ضُمُّوا) وهو لفظ سرياني مركَّب معناهُ (باركْ مالكي)

وفي أيَّامهِ ارسل الحبر الاعظم اينوشنسيوس الرابع سفيرًا من الرهبان الفرنسيسيين اسمهُ بلان كربين (Plan Carpin) ليدعوهُ الى الايمان وكان شاع في اوربَّا انهُ يريد التنصُّر فواجههُ السفير لكنَّهُ لم ينل منهُ غير المواعيد الباطلة . ثمَّ عاد الحبر الاعظم وارسل غيرهم من الرهبان الدومنيكيين كأسلين (Fr. Ascelin) وسمعان (Simon de S. Quentin) واسكندر وألبريك فلم يبلغوا من وفودهم على زعماء التتر غايةً لانَّ المغول كانوا يزعمون انهُ يجب على ملوك الغرب مع الحبر الاعظم ان يخضعوا لسلطانهم . وكرَّر رئيس الكنيسة مساعيهُ في ارتداد ملوك المغول فارسل الاخ اندراوس الفرنسيسي (Fr. André de Louciumel) الى كيوك فاحتفى بهِ الآن اي الخاقان واوفد احد قوَّادهِ الى رومية يعلن باسم كيوك اكرامهُ لرئيس الكنيسة

وقام في رئاسة التتر بعد كيوك منكوخان (١٢٤٨ — ١٢٥٧) وهو ابن تولي وقد سبق انَّ امَّهُ كانت نصرانيَّة وجرى هو ايضًا في مجاملة النصارى على مثال كيوك وكان في قرب منزلهِ كنيسة للناطرة ويحيط بشخصهِ رهبان منهم ومن الارمن والسريان

وكان من قوَّاد منكو باتو خان ابن عمهِ توشي يأمر على قسم كبير من جيشهِ ولباتو هذا ابنٌ اسمهُ سرتاش او ستَّاش هو ايضًا من كبار الدولة ورؤساء الجيش فهذا تنصَّر وارسل الى البابا اينوشنسيوس الرابع بصفة سفير كاهنهُ الخاص يوحنَّا يُشعرهُ بالامر . فكتب اليهِ الحبر الاعظم كتابًا يهنئهُ بارتدادهِ ويحضُّهُ على الثبات في دينهِ وعلى العمل بمقتضى سُننهِ وذلك سنة ١٢٥٤ وهذا الكتاب رواهُ بارونيوس في تاريخ هذه السنة والحقهُ بكتاب ثانٍ وجَّههُ البابا الى خان آخر من الاتراك مع احد الرهبان الدومنيكيين يعرض عليهِ الايمان بالمسيح

وكان الصليبيون يجاهدون في ذلك الوقت في فتح الاراضي المقدسة فلما سمعوا بفتوحات المغول ارسلوا اليهم وفوداً ليبرموا معهم المعاهدات ويحالفوهم. ولنا من ذلك رحلة احدهم وهو غليوم دي روبرك (Guillaume de Rubrock) وهو راهب افرنسيسي ارسلهُ القديس لويس التاسع الى المغول اذ كان في بلاد الشام وذلك في تاريخ سنة ١٢٥٣ فوفد هذا على سرتاش ووالده باتو ورحل الى قراقرُم حيث وجد قبيلة تركيَّة نصرانيَّة دعاها هيان ودخل الى منكو خان وقد وصف بالتدقيق كل ما رآهُ في رحلتهِ مع بيان احوال المغول في دينهم ودنياهم وذكر ما وجدهُ بينهم من آثار النصرانيَّة وتأسَّف على كون هذا الدين بين الترك والمغول مشوباً باضاليل النساطرة والبياقية وغيرهم. ووجد عند منكوخان صَنعةً من الفرنج كانوا يعملون لهُ الاثاث والاواني اللطيفة وصف منها اناء كالحوض يملوهُ ملاك اذا نفر في بوقهِ مجَّت عدَّة حيَّات بأشربة مختلفة (انظر الصورة)

وقد سعى ملوك الفرنج مراراً بمحالفة ملوك المغول كما روى ذلك المستشرق الشهير راموزا (Abel Rémusat) في مقالة نشرها في مجموع الكتابات والفنون (١

وتولى امر المغول بعد منكو خان اخواهُ قوبلاي (١٢٥٧—١٢٩٤) وهولاكو (١٢٥٧—١٢٦٥) فملك الاوَّل على الصين والشرق الاقصى اما هولاكو فبسط حكمهُ على جهات الغرب وهو الذي فتح بغداد وقتل آخر خلفائها العبَّاسيين المستعصم بالله ثم فتح حلب وبلاد الشام وبالغ في القتل والسَّلب والدمار. وقد اظهر كلا الملكين حفاوةً بالنصارى فانَّ الرسلين الفرنسيسيين دخلوا في بلاد الصين على عهد قوبلاي وشيَّدوا في خان بالق وهي باكين كنيسة ونصَّروا كثيرين وبقيت رسالتهم هناك مزهرةً ناجحة نحو مئة سنة وكان احد الرسلين اسقفاً

وكذلك زادت النصرانيَّة نفوذاً بمساعي النساطرة كما تشهد عليهِ ترجمة البطريرك يابالاها والراهب ربَّان صوما (٢ فهذان ولدا في الصين وكان اسم يابالاها مرقس

١) اطلب MÉMOIRES DE L'ACAD. DES INSCRIPT. ET BELLES-LETTRES. Relations politiques entre les princes Chrétiens et les Mongols. T VI et VII

٢) هذه الترجمة من ابدع الآثار القديمة نشرها حضرة الاب بولس بيجان اللازري وترجمها الى الافرنسيَّة الاب شابو J.-B. Chabot : *Histoire du Patriarche Mar Jabalaha et du moine Rabban Çauma*

ولد في كوشنك سنة ١٢٤٥ وولد صوما في خان بالق اي باكين فترهبا مدَّة ثمَّ اتفقا في عهد الملك قوبلاي على السفر الى بلاد الغرب لزيارة اورشليم فبعد الاتعاب والمشقَّات العلويلة بلغا الى بلاد الجزيرة ثمَّ توفي بطريرك النساطرة دخا فوقع الاختيار على مرقس الصيني ليخلفهُ فتسمَّى يابالاها. امَّا صوما فواصل سفرهُ ودخل على خان التتر ارغون الوارد ذكرهُ الذي ارسلهُ كسفير الى البابا والى ملوك اوربَّة لمحالفتهم فرحل صوما الى رومية ودخل على البابا غريغوريوس العاشر وحاشية بلاطهِ وشهد امامهم بانتشار النصرانيَّة بين الصينيين والمغول والاتراك وممَّا قالهُ ما تعريبهُ موجَّهاً كلامهُ الى البابا والكرادلة

اعلموا ايها السادة انَّ كثيرين من آبائنا دخلوا في اقطار المغول والترك والصينيين وعلَّموهم الايمان. واليوم كثيرون من المغول يدينون بالنصرانيَّة وبينهم خواتين (ملكات) واولاد ملوك قد اصطبغوا بالمعموديَّة. وفي منازلهم العسكريَّة معابد وكنائس. ويكرمون النصارى اكراماً جزيلاً. وقد ارسلني البطريرك يابالاها وارغون خان اليكم ليبتَّ عهداً معكم ويستولي على مدينة اورشليم. . .

ثمَّ رحل صوما الى فرنسة ودخل على فيليبس الرابع (Philippe le Bel) ثم ذهب الى انكلترة وواجه ملكها ادورد الاوَّل ثمَّ عاد الى رومية سنة ١٢٨٨ فاستقبلهُ البابا نيقولا الرابع خلف غريغوريوس واعادهُ مكرَّماً الى ارغون

وكما كان قوبلاي يعزّ النصارى في مملكة الصين كان اخوهُ هولاكو يبالغ في اكرامهم في جهات الغرب. وكانت امّ قوبلاي وهولاكو تُدعى دوقوز وقد اشتهرت بفضلها وتقاها وحسن تدبيرها فاطرأ عليها كل المؤرخين. قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ١٦١): « ومن الخواتين الكبار دوقوز خاتون المؤمنة المسيحيَّة »

وممَّا تشهد عليهِ التواريخ انَّ هولاكو لم يكن فقط مراعياً للنصارى بل كان نصرانيًّا ايضاً لنا على ذلك دليلان الاوَّل كتاب البابا اسكندر الرابع اليهِ سنة ١٢٦٠ نشرهُ بارونيوس في تاريخ هذه السنة وفيهِ يهنّئ الخير الاعظم هولاكو على ما بشَّره بهِ من رغبتهِ في التنصُّر بواسطة احد سفرائهِ الذي قدم الى رومية ليبدي الخضوع لنائب المسيح باسم سيدهِ. والثاني ما رواهُ هيتون المؤرخ الارمني الشهير في الفصل ٣٢ من تاريخهِ الشرقي حيث صرَّح بمعموديَّة هولاكو ونصرانيَّتهِ

وخلف هولاغو ابنهُ أباقا ايلخان (١٢٦٥ — ١٢٨٢) فصرف أيام ملكهِ في الحروب كاسلافهِ وقد دان بالنصرانيّة كأبيهِ هولاكو. وكانت زوجتهُ مريم ابنة ملك الروم. وفي سنة ١٢٦٧ ارسل اباقا كتاباً الى اقليمنس الرابع يُعلن بخضوعهِ للكرسي الرسولي ويطلب محالفة الفرنج ضدّ ملوك مصر . فاجابهُ البابا برسالة لطيفة دوّنها باروثيوس في تاريخهِ. ولمّا كانت السنة ١٢٧٤ عقد الحبر الاعظم في ليون مجمعاً عمومياً حضرهُ رُسُل ملك الروم وبطاركة الشرق. وكان بين الحضور وفدٌ من ملك المغول اباقا في عدد ١٦ رجلاً قدموا ليتّفقوا مع آباء المجمع على محاربة المصريين. وقد اخبر ابن العبري في تاريخهِ مختصر الدول (ص٥٠٥) انّ اباقا ايلخان توجّه سنة ٦٨١ (١٢٨٢م) الى بغداد ومنها الى همذان (قال) : «وفي يوم عيد النصارى الكبير لتلك السنة دخل الى البيعة في تلك المدينة وعيّد مع النصارى » . وكانت وفاته في تلك السنة

وممّن اشتهروا في أيامهِ امير مغولي يُدعى يشموت كان عريقاً في الدين النصراني واصلهُ من قبيلة الاويغور النصرانيّة فولّاهُ اباقا على الموصل فأحسن التدبير كما روى عنهُ صاحب ترجمة بابالاها (ed. Chabot. 47) . ومن ملوك المغول الذين تقرّبوا من النصارى واكرموا دينهم الملك ارغون (١٢٨٤—١٢٩١ م) فهذا لم يتولّ الملك بعد ابيهِ بل ملك اخوهُ تاغودار الذي أسلم وتسمّى بالسلطان احمد فاخذ يضطهد النصارى فاستصفى اموال البعض وقتل البعض واخرب الكنائس واراد ان يقتل البطريرك بابالاها بل عزم على اغتيال اخيهِ ارغون لميلهِ الى النصارى فهرب منهُ ارغون وتمكّن من تجنيد العساكر واستولى على الامر بعد انتصارهِ على اخيهِ وضاعف حبّهُ نحو المسيحيين وشيّد لهم الكنائس واعدّ لهم كنيسةً نقّالة اهداهُ اياها الحبر الاعظم نقولا الرابع فجعلها بجوار خيمتهِ الملكيّة ودشّنها لهُ البطريرك بابالاها وعدد لا يحصى من الاساقفة والرهبان والكهنة . وكان الملك اذا نقل مضربهُ من مكان الى آخر نقل الكنيسة ايضاً. ولمّا ولد لارغون ابن عمّدهُ احد سفراء البابا وهو خربندا المسمّى بالمعاد تاودوسيوس كما روى المؤرخ الارمني اسطفان اوربليان (١

ومن الآثار المثبتة بحبّ ارغون للنصارى رسالة كتبها للبابا اونوريوس الرابع سنة ١٢٨٥ فنشرها المؤرخ باروثيوس وفيها من عبارات الولاء والحب والتعظيم للحبر

١) سيرة بابالاها (ed. Chabot.) 94. 258

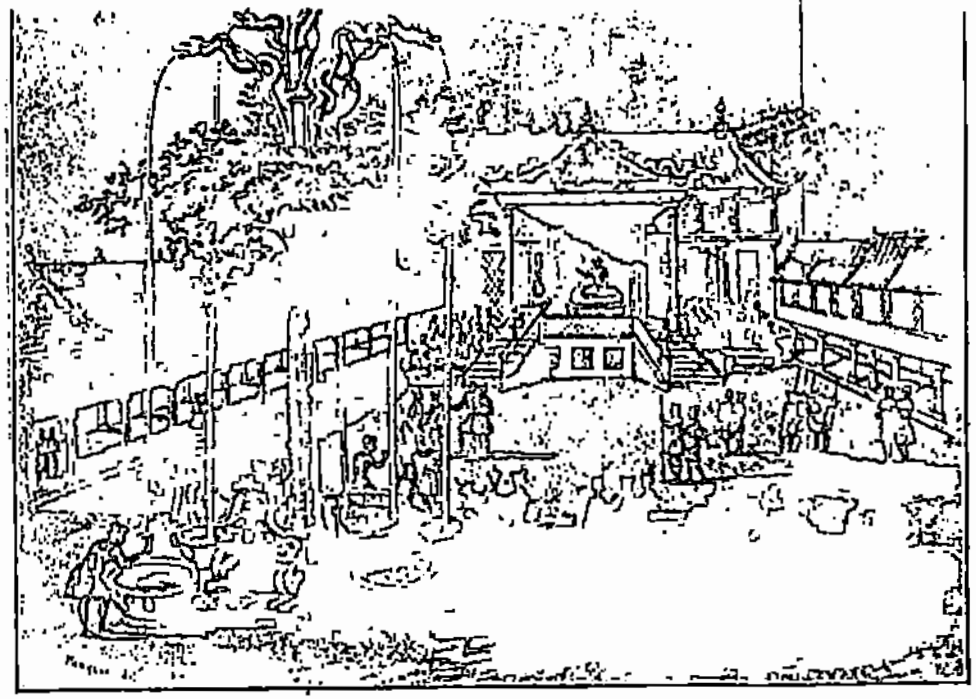

بلاط منكوخان في قراقرم وعن شماله صورة الاناء ذات الاشربة المختلفة
تمجها حيّات نحاسيّة عند نفخ الملاك بالبوق

الاعظم ما يجعلها من اجلّ الآثار . ثمَّ كتب ارغون رسالات اخرى للحبر الاعظم منها الرسالة التي نقلها ربّان صومـا . وفيها يعدّد مآثر حبّهِ للنصارى ويذكر امَّهُ النصرانيَّة توكتان (ويروى نوكدان خاتون)

وقد اجاب الحبر الاعظم نقولا الرابع على هذه الرسائل ولا تزال براءاتهُ في سجلّات الكرسي الرسولي نشرها الاب شابو بينها اربع مكاتيب لارغون خان ومكتوب للبطريرك يابالاها ومكتوب لوالدة ارغون وابنتهِ اغاج مع مكاتيب أُخرى لابنـاء ارغون ولبعض عمّالهِ النصارى وذلك من السنة ١٢٨٨ الى ١٢٩١

وسار ولدا ارغون وهما قازان واولجيتو على مثال والدهما في حب النصارى . ولا سيما اولجيتو وهو الذي قلنا انَّهُ تعمَّد وكان اسمهُ خربندا ولمَّا صار ملكًا دُعي اولجيتو وكانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ في اوَّل كهولتهِ وعمرهُ ٣٦ سنة

ومذ ذاك الحين انقطعت العلاقات بين ملوك الغرب وملوك المغول وضعفت قوَّة المغول في الشرق فتقسَّمت دولتهم الى عدَّة امارات غلب عليها دين الاسلام كما انَّ دولة المُنسغ الوطنيَّة في الصين غلبت المغول في اواسط القرن الرابع عشر وانقطعت النصرانيَّة في الصين الى ان اعادها الاب ركشي اليسوعي (المشرق ١٣ : ٧٠١و١١٣)

ومن الدول التركيَّة التي دانت مدَّةً بالنصرانيَّة في ايام المغول الدولة السلجوقيَّة . كان اصحابُها يدينون اوَّلًا بالسُّنيَّة فلمَّا سكنوا ما وراء النهر دانوا بالنصرانيَّة التي دعاها اليهم النساطرة وكان السلجوقيُّون من اقارب الكيريت والنَّيمان النصارى وفي لسماء بعض ملوكهم الاوَّلين دليل على نصرانيَّتهم كميكائيل وداود ويونس (١

على انَّ الآثار النصرانيَّة الباقية منهم قليلة جدًّا . وهؤلاء السلجوقيُّون انشأوا لهم بعد ذلك دولًا شتَّى فملك بعضهم في العراق وبعضهم في الشام وبعضهم في خوارزم وكرمان وملك غيرهم في الروم وكانت حاضرتهم قونية منهم عزّ الدين كيكاوس فهذا ملك مرَّتين من ١٢١٠ الى ١٢١٩ ثم من ١٢٤٥ الى ١٢٥٧ وكان يحبّ النصارى ويدرس كتبهم المقدَّسة ويجلّ ايمانهم فارسل وفدًا الى البابا غريغوريوس التاسع يطلب منهُ قاصدًا رسوليًّا يشرح لهُ العقائد المسيحيَّة فاجاب البابا اسكندر الرابع خلف

١) اطلب كاهون Cahun : *Introd. à l'Hist. de l'Asie*, p. 41, 179

بريغوريوس الى ملتمس سلطان قونية وكتب لهُ رسالةً جميلة يثني فيها على همّتهِ ويلخص لهُ المعتقدات النصرانيَّة وهذه الرسالة رواها باردونيوس المؤرخ في اخبار سنة ١٢٥٣. ومن الامم التي كانت تحت حكم السلجوقيين في بلاد الروم الجركس وكانوا يدينون بالنصرانيَّة. قال ابو الفداء في تاريخهِ (ج١ص ٩٧ من طبعة الاستانة) في ذكرهِ للامم المتنصِّرة: « ومنها الجركس وهم على بحر نيطش من شرقيهِ وهم في شظف من العيش والغالب عليهم دين النصارى »

وممَّا افادنا علماً عن النصرانيَّة في تركستان ما اكتشفهُ السيَّاح الاوربيُّون في هذه الحقب الاخيرة. فمن ذلك اثار مدن وابنية شيَّدها نصارى الاتراك في تركستان الروسية وبلاد المغول منها مدينة تشتركول موقعها جنوبي بحيرة بلكش بين بسيك وطقماق. وكانت تلك الناحية كلّها عامرة واهلها من نصارى الاتراك من الشيعة النسطورية يرتزقون بالفلاحة فشيَّدوا تلك المدينة وحصَّنوها بقلعة حريزة لا تزال اسوارها ماثلة مرتفعة يرتقي عهدها على الارجح الى القرن التاسع او العاشر. ومن عجيب هندستها انَّها كانت مبنيَّة على شكل صليب واسمها يدلّ على ذلك (١. وقد وجدوا هناك مقبرتين كبيرتين وعدَّة كتابات سريانيَّة ويونانيَّة مع صلبان فوقها. وقد بلغ مجموع الكتابات السريانيَّة وحدها نحو خمسة آلاف يتراوح زمانها بين القرن الثالث عشر الى الخامس عشر من السنة ١٢٤٩ الى ١٤٠٦ واكثرها لا تاريخ لها الَّا ٦٠٠ منها وعلى كلّ حجر اسم الميت مع بعض افادات عن شخصهِ ورتبتهِ حول الصليب المرسوم على الحجر. وبين هذه الاسماء عدَّة اعلام نصرانيَّة وبينها اعلام تركيَّة مع رواية تاريخ الاتراك ما يدلّ على انَّ هؤلاء المتنصِّرين كانوا من قبائل الترك وليسوا باجانب والكتابات بالقلم الاسطرنجيلي نثبت منها امثلةً ننقلها عن مجلَّة الشرق المسيحي (اطلب الصورة) (٢

ثمَّ وجدوا في جهات طرفان خزائن اوراق ودفاتر وكتب شتى مكتوبة على جلد او على قشور اشجار في عدَّة لغات منها صينيَّة ومنها سريانيَّة بينها اثار نصرانيَّة

١) راجع كتاب البعثات العلميَّة الجديدة : NOUVELLES ARCHIVES SCIENT. ET LITTÉRAIRES 1909, Mission dans l'Asie centrale et la Sibérie par *M. J. Chaffanjon*, pp. 55-101.

٢) اخذنا هذه المعلومات عن مجلَّة اصداء الشرق (Echos d'Orient, 1911, pp. 278-286)

كصلوات وطقوس وقطع من الكتب المقدَّسة فأيدت هذه الاكتشافات ما قلناهُ عن انتشار النصرانيَّة في تلك البلاد

وهنا لا بُدَّ من ذكر اثر آخر لطيف يدلّ على انتشار النصرانية بين احدى قبائل الترك في اوائل القرن الرابع عشر نريد بها قبيلة الكومان التي كانت في جهات بحر الخزر والبحر الاسود ثمَّ تقدَّمت في القرن الحادي عشر الى جهات المجر والفلاخ فدخل بينهم المرسلون اللاتين من الفرنسيسكان والدومنيكان وبشَّروهم بالانجيل وعمَّدوا منهم مرَّةً واحدة خمسة عشر الفاً وكان لهم اسقف يُدعى ثاردوريك (١

امَّا الاثر المذكور فهو كتاب قطعهُ الربع يتركَّب من ١٦٤ صفحة تاريخهُ سنة ١٣٠٣ يخصّ مكتبة كنيسة مار مرقس في البندقيَّة(١وهذا الكتاب مكتوب بالقلم الفرنجيّ وهو لفائدة المرسلين اللاتين بين قبائل الكومان التركيَّة يبتدئ بهذه الالفاظ « لمجد الله واكرام الطوباوي يوحنَّا الانجيليّ وهو يحتوي على معجم في ثلاث لغات في لغة الكومان وهي التركيَّة القديمة وفي الفارسيَّة واللاتينيَّة ثمَّ يلي المعجم تعابير شتى باللغة الكومانيَّة واللغة الالمانيَّة وفي القسم الثاني من الكتاب مجمل الصلوات النصرانيَّة وادعيتها وتسابيحها وطقوسها العيديَّة كما هي جارية في الكنيسة اللاتينيَّة وكلّ ذلك في اللغة الكومانيَّة اي التركيَّة القديمة ما يدلُّ صريحاً على انَّ الكتاب كان لخدمة نصارى تلك الجهات. وهذا الكتاب قد طُبع طبعةً متقنة في عصرنا سنة ١٨٨٠ في بوادبست بهمَّة الكُنت جيزا كوون (Géza Kuun) وهو يُعرف بالمصحف الكوماني (Codex Cumanicus) وها نحن نورد هنا منهُ الصلاة الربيَّة بحرفها الاصلي اللاتينيّ ثم نتبعها بالصلاة عينها بالحرف العربي ونقابلها مع الصلاة التي تُتلى اليوم بين النصارى بالتركيَّة:

Atamis kim kœkté sén. Sentléssen adin. Algizle bulsun sening hanlechin. Bulsun sening tilémégin nezikkim kœkté alley ierda. Kundégi œtmackimisni bisga bougun bergil. Dage iazuclarmisme bisgœ bozzatkil. Netsik bisbozzatirbis bisgœ iaman etchenlergœ. Dage iéknik sinamakina bisni kuurmagil, bassa bartse iamandan bisni kuthargil. Amen.

١) راجع مجلَّة الشرق المسيحي ROC ; 1913, pp. 1-36

الصلاة الربيَّة في التركيَّة الحاليَّة

گوگلرده کی بابامز آدك تقديس
اولنسون . ملكوتك گلسين . ارادهك نه
كيم گوگده . بويله ده زمين اوزرنده
اولسون . اقمكمزی بوگونكی كفافز
ايچون ويريزه . ويزم گناهلرمزی بزه
عفو ايت نته كيم بزدخی بزم حقمزده
اسائت ايدنلره باغشلادق . واغوايه بزی
كيردرمه انجق كوتولكدن بزی قورتار
آمين

الصلاة الربيَّة في التركيَّة القديمة

اتامز كيم گوگده سن ستلسن ادك
النزلی بولسون سنك هنلكن . بولسون سنك
تلمكك ترك كيم گوگده على يرده .
گنده گی اقمكمزنی بزگه بوگون برگل .
دخی يازقلر مزی بزگه بوزتكل نتك بزك
بوزتربز بز يمان اچنلرغه دخی بكنيك بنا
بكينا بجل سنا بزنه كوديرچه يماندن بسنه
كوترجل آمين

فترى مما سبق انَّ الاتراك والمغول عرفوا قديماً النصرانيَّة وجنوا اثارها الخلاصيَّة ولولا الحروب وانقلاب الدول في القرن الرابع عشر والخامس عشر للميلاد لما انقطعت النصرانيَّة بينهم . بل لدينا عدَّة آثار تنبئ بتنصُّر كثيرين من المغول والاتراك واستشهاد بعض رجالهم لاجل الايمان بعد تولي بني عثمان على الممالك الاسلاميَّة لكنَّ ذلك يستدعي بحثاً خاصاً نؤجلهُ لفرصة اخرى ان شاء الله

النصرانية وآدابها

بين

عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٧ مفردات نصارى الجاهليَّة الخاصَّة بمساكن الرهبان

قد توفَّرت المفردات العربيَّة التي ورد ذكرها في المعاجم والشعر القديم دلالةً على

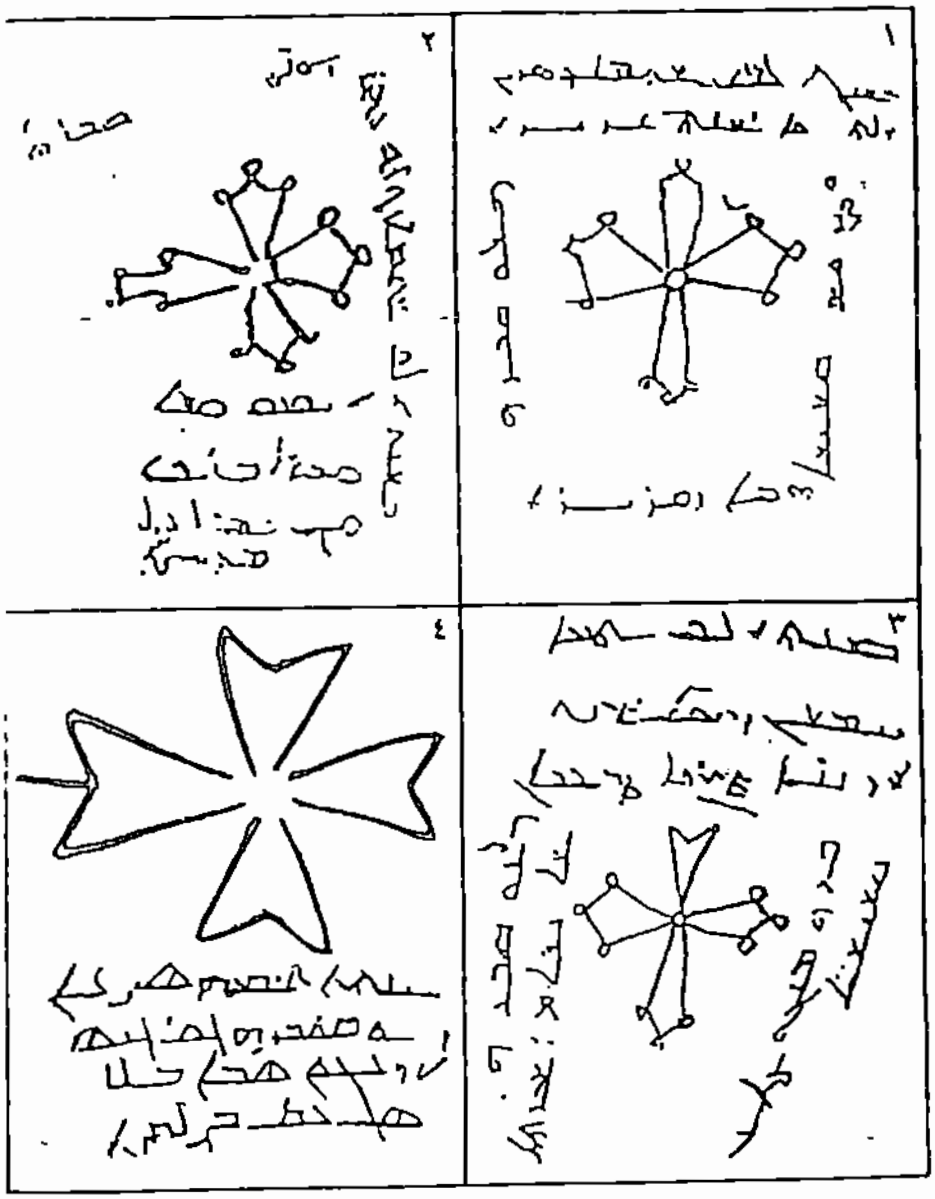

هذه اربع كتابات ضريحيّة وُجدت في تركستان على قبور اتراك متنصّرين وهي في السريانيّة بالحرف الاسطرنجلي . فالاولى تاريخها سنة ١٦٢٣ يونانيّة (١٣١١ م) وهي سنة حزيرا (اي المتقرير) عند الترك كُتبت على قبر شيخ يُدعى بطرس. الثانية تاريخها سنة ١٦١٣ (١٣٠٢م) على قبر كاهن يدعى اسحق . الثالثة تاريخها سنة ١٦٥٠ (١٣٣٩ م) وهي سنة طيشكان (اي الارنب) عند الترك على ضريح « شاديكان قيّم الكنيسة ابن منكوطاش الكاهن ». الرابعة تاريخها سنة ١٥٧٥ (١٢٦٤ م) وهي سنة سيصكان (اي النارة) التركيّة على قبر « جرجس ارغون الشيخ الكامل »

مساكن الرهبان فجمعنا منها ما تيسّر لنا على ترتيب حروف المعجم وفي وفرتها شاهد ناطق على شيوع العيشة الرهبانيّة في انحاء العرب .

فمن ذلك (الأُسطوانة) وهي السارية وفقاً لمعناها الاصلي في اليونانيّة (στῦλος) وقد اتخذها العرب بمعنى العمود الذي كان يتعبّد فوقهُ بعض الرهبان المدعوين لذلك بالعموديين (Stylites) قال ذو الجدن (سيرة الرسول لابن هشام ص ٢٦ éd. Wüstenfeled)

فانَّ الموت لا ينهاهُ ناهٍ ولو شربَ الشفاءَ مع النَّشُوقِ
ولا مترهّب في أُسطوانٍ يناطحُ جُدْرَهُ بيضُ الأنوقِ

قال الشارح : الاسطوان والاسطوانة هاهنا موضع الراهب المرتفع . وقال في التاج : الفرق بين الاسطوانة والعمود انَّ العمود حجر واحد والاسطوانة بناء .

ومنها (الأُكَيْراح) وهي قلّاية الراهب . ومثلها الكِرْح . واصل الكلمة من السريانيّة ܟܝܪܚܐ قال في المخصّص لابن سيده (١٣ : ١٠) : « الأُكَيْراح بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى في بعض اعيادهم وهو معروف » . وقال في معجم البلدان (١ : ٣٤٥) : « الأُكَيْراح بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم » وهي ايضاً موضع بعينهِ وانشد لبكر بن خارجة :

دعِ البساتينَ من آسٍ وتفّاحٍ واقصد الى الشيخ من ذات الأُكَيْراحِ
الى الدساكر فالديرِ المقابلها لدى الأُكَيْراحِ او دير ابن وضّاحِ

ومنها (التامور) ويُروى بالهمز تأمور . قال في التاج (١ : ٢٠) : « التأمور صومعة الراهب وناموسهُ . . . وقال ابن دريد انَّ اصل هذه الكلمة سريانيّة » . ولم نجدها في المعاجم السريانيّة بهذا اللفظ . ولعلّها من لهجة بالطاء فتكون كالطورة في العربيّة شبّهوا بها مسكن الراهب . او كالطّنار اي المحلّ المرتفع والله اعلم . وقيل انَّ اصلها من ܬܒܪ (تَبُر) الحبشيّة فابدلوا الباء من الميم (١ ووردت الكلمة في الشعر الجاهليّ في قول الشاعر عن الراهب :

١) راجع المرصّب للجواليقي ed. Sachau, ٢٧ وكتاب فرنكل Fraenkel : *Aram. Fremdw, in arabischen*, p. 269.

ولَهَمَّ من ناموره يتزَلْ

ومن الفاظهم الشهيرة (الدَّيْر) وهي لفظة سريانيَّة الاصل (ܕܝܪܐ) ومعناها المسكن عموماً لا سيما المحصَّن ثمَّ خصُّوا بها مسكن الرهبان. قال ياقوت في معجم البلدان (٦ : ٦٣٩) : « الدَّيْر بيت يتعبَّد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الاعظم انَّما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال » . وقال في اللسان (٥ : ٢٨٧) عن ابن سيده : « الدَّيْر خان النصارى والذي يسكنهُ ويعمرهُ ديَّار ودَيْرانيّ » . وقال ابن الاعرابيّ : « يقال للرجل اذا رأس اصحابهُ : هو رأسُ الدير . وقد شاع استعمال الكلمة في الشعر القديم قال عديّ بن زيد (معجم البلدان ٢ : ٦٨٠) :

نادمتُ في الدير بني عَلْقَما عاطيتُهم مشمولةً عندما
كأنَّ ريح المسكِ من كأسها اذا مزجناها بماء السما

وقد عدَّد ياقوت والبكري وغيرهما في معاجم البلدان نيِّفاً ومئة دير مما ورد ذكرهُ في الشعر القديم. بل ذُكر لابي الفرج الاصفهانيّ كتاب في الديارات خصَّهُ بذكر الاديرة القديمة بين العرب

ومنها الرُّكْح) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٢) : « من ابيات النصارى. (قال) ولستُ من هذه الكلمة على ثقة ». (قلنا) ولعلَّ الكلمة تصحيف (الكِرْح) الآتية

ومنها (الصَّرْح) وهو في الاصل البناء العالي وقيل ان الصرح في النبطيَّة القصر. ولعلَّ الاصحَّ انها حبشيَّة ʿarḥ ومعناها الحُجرة والقلاية (١

ومنها (الصَّومعة) ومثلها الصومع بناء للراهب محدَّد الطرف. قال في التاج (٧ : ٤١١) : « الصومعة كجوهرة بيت النصارى ومنار الراهب سُمّيت لدقَّة في رأسها ». وقال زين العابدين : « الصومعة المنارة وهي في الاصل مُتعبَّد للراهب. وقد مرَّ ذكرها في الفصول السابقة (راجع الصفحة ١٧٥). واصل الكلمة من الحبشيَّة ṣōmʿā ومعناها الدير والقلاية . وقد وردت بهذا المعنى في القرآن (سورة الحجّ ع ٤١) ونطق بهذا الشعراء القدماء. روى سيبويه لاحدهم :

ارصاك ربُّك بالتُّقى وأُولو التُّقى ارصوا مَعَهْ
فاختَرْ لنفسك مسجداً تخلو به او صومعَهْ

١) اطلب كتاب نولدك (Neue Beitraege z. semit. Sprachwissenchaft)

ومنها (الطِّرْبال) وهو كل بناء عالٍ مرتفع وقال ابو عبيدة هو شبيه بالمنظارة من مناظر العجم كهيئة الصومعة وانشدوا لذُكَيْز (راجع ياقوت ٣ : ٥٢٥ والتاج ٧ : ٤١٦) :

حتى اذا كان دُوَيْن الطِّرْبالْ رجَعْن منهُ بصهيلٍ صَلْصالْ
مطهَّر الصورة مثل التمثال

وقد وردت الكلمة بمعنى البيعة ومعبد النصارى ولعلها اعجمية

ومنها (العُمْر) قال في التاج (٣ : ٣٢٠) : « العُمر المسجد والبيعة والكنيسة سُمّيت باسم المصدر لانهُ يُعْمَر » والصواب انَّ الكلمة سريانيَّة (ܥܡܪܐ) وهي الدير . قال المتلمّس (راجع معجم ما استعجم للبكريّ (ص ٦٦٦) :

ألك الديرُ وبارقٌ ومياضٌ ولك الحورنَقُ
والعُمْر ذو الاحساء والسَّدَّات من صاعٍ ودَيْسَقْ

(قالوا) العُمر في شعر المتلمّس الدير او البيعة والكنيسة

ومنها (القَلّاية) اصلها من السريانيَّة ܩܠܝܬܐ اشتقَّها السريان من اليونانيَّة κελλίον . وقال البكري (في معجمه ص ٣٦٩) : « ان كانت القلّاية مضافةً الى المواضع فانَّما هو العُمْر والعمر عندهم اسم الدير . قال الثرواني :

وان انتا حيَّتْاني تحيَّةً فلا تمدوا رَيْحان قلّاية القسّ »

ومنها ايضاً (القُوس) وهو الدير واصل الكلمة من الفارسيَّة قال صاحب اللسان (٨ : ٦٩) : « القُوس الصومعة او موضع الراهب . وقال ياقوت (٤ : ٢٠٠) : « هو معبد الراهب » وانشد في اللسان :

لا وَصْل اذ صُرِفَتْ هندٌ ولو وقفتْ لاستنفتْني وذا المسحَيْن في القُوس »

وانشد الاصمعي لذي الرمّة :

على أثرٍ متقدِّ الفناء كأنَّهُ عصا قسّ قُوسٍ لينُها واعتدالُها

قال : القسّ القسّيس والقوس صومعتهُ

ومنها (الكِرْح) وهو مقام الراهب من السريانيَّة ܟܪܝܗܐ بمعناه وقد مرَّ مع الأُكَيْراح

ومنها (المَنهة) وهو مسكن التُهَّام او التهاميّ اي الراهب قال ذو الجدن (سيرة الرسول ٢٦–٢٧) :

وغُمدانُ الذي حُدِّثتَ عنهُ بنَوهُ سمكًا في رأس نيقِ
بمَنهمةٍ واسفلُهُ جروبٌ وحُرُّ المَرْحَلِ الأنقِ الرليقِ
بمَرمَرةٍ واعلاهُ رُخامٌ تمامٌ لا يُنيبُ في الشقوقِ
مصابيحُ السلط تلوح فيهِ اذا يُمسي كتَوماضِ البُرُوقِ

قال الشارح : المنهمة موضع الراهب

ومنها (النَّاموس) قال في اللسان (٩ : ١٣٠) : « الناموس بيت الراهب ولعلَّهُ » اراد الناووس من اليونانيَّة ναός وهو الهيكل . وجاء في التاج : « الناوُوس مقبرة النصارى »

٨ مفردات لنصارى الجاهليَّة في اعيادهم ومواسمهم السنويَّة

نذكر هنا الاعياد النصرانيَّة الثابتة والمتنقلة التي شاعت عند عرب النصارى كما عرفها غيرهم

اوَّلها عيد (البُشَّار) يريدون به ما ندعوهُ عيد البشارة واللفظة سريانيَّة الاصل (ܒܫܪܐ) . قال البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٢٩٤) : « البُشَّار دخول جبرائيل عليهِ السلام على مريم مبشِّرًا بالمسيح » . ولم نجد اللفظة في الشعر الجاهلي وانَّما وصف امية بن ابي الصلت البشارة بآيات رويناها سابقًا

ومنها عيد (الميلاد) وقد سمَّاهُ البيروني عيد يلدًا (ص ٢٩٣ من السريانيَّة ܝܠܕܐ اي ميلاد المسيح

ومنها (القَلَنْدَس) ذكرهُ المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٤٠٦) ودعاه البيروني القلنداس (ص ٢٩٢) قال وهو رأس السنة وتمام الاسبوع من ولادة مريم . واللفظة لاتينيَّة (Kalendæ) قال المسعودي :

يكون فيهِ بالشام لاهلهِ عيد يوقدون في ليلتهِ النيران ويظهرون (الافراح) لاسيما بمدينة انطاكية وما يكون في كنيسة القسيان بما من القداس عندهم وكذلك سائر الشام وبيت المقدس ومصر وارض النصرانيَّة كلها وما يظهر اهل دين النصرانيَّة بانطاكية من الفرح والسرور وايقاد النيران ويساعدهم على ذلك كثير من عوامّ الناس وكثير من خواصهم

ومنها (الدِنْح) ذكرهُ ابن سيده في المخصَّص (١٣ : ١٠٣) عن ابن دريد قال :

« الدِنح عيد من اعياد النصارى ولا احسبها عربيَّة وقد تكلمت بها العرب » والكلمة سريانيَّة ܕܢܚܐ ومعناها الظهور اي ظهور السيِّد المسيح لبني اسرائيل يوم معموديَّتهِ . قال البيروني (٢٩٣) :

« وفي السادس من كانون الآخر دِنحا وهو عيد الدنح غمسهُ ويوم المعموديَّة الذي صبغ فيهِ يحيى بن زكريا المسيحَ وغمسهُ في ماء المعموديَّة بنهر الاردن عند بلوغ ثلاثين سنة من عمرهِ واتصل بهِ روح القدس شبه حمامة نزلت من السماء على ما ذُكر في الانجيل »

ويعرف عيد الدنح بالغطاس ايضاً . وعلى هذا اللفظ وصفهُ المقريزيّ في الخطط (١ : ٤٤٩٤) . ويسمَّى ايضاً بيوم العماد

ومنها (السَّباسب) قال في المخصَّص (١٣ : ١٠٢) وفي التاج (٤ : ٢٩٤) : « يوم السباسب عيد للنصارى ويسمونهُ يوم السعانين ويقال شعانين بالشين . والسباسب الاغصان يريدون بها سَعَف النخل الذي قطعهُ اليهود يوم استقبلوا المسيح في دخولهِ اورشليم . وقد دعوا ايضاً هذا العيد بعيد الزيتونة . امَّا السعانين فمشتقَّة من العبرانيَّة הושענא (هوشعنا) التي كان يتهلَّل بها اليهود امام المسيح . وقد وردت لفظة سباسب في الشعر القديم قال النابغة يذكر عيد السعانين بين بني غسَّان :

وفاتُ النخالِ طِيبٌ حُجُزاتُهم يجيئون بالرَّيحان يوم السباسبِ

ومنها (خميس العهد) قال المقريزيّ : (١ : ٤٩٥) ويسمّيهِ اهل مصر من العامَّة خميس العدس ويعملهُ نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة ايَّام ويتهادون فيهِ . وقد عرفهُ العرب ايضاً بخميس الفِصح ورد على هذا اللفظ في ترجمة عدي بن زيد الشاعر الجاهليّ في كتاب الاغاني (٣ : ٣٢) حيث ذكر دخول هند بنت النعمان كنيسة الحيرة قال : « خرجتْ في خميس الفصح وهو بعد السعانين بثلاثة ايَّام تتقرَّب في البيعة »

ومنها (الفِصح) كانوا يقدِّمون عليهِ الصوم الاربعينيّ وقد ذكرهُ العرب . انشد سيبويه لبعضهم (في كتابهِ ٢ : ٢٧) :

صدَّت كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيلَ الفِصح صوَّامُ

ومن كلامهم في ذلك « تنخَّس النصارى » اذا تركوا اكل اللحم . وقال ابن دريد

« تنخّس النصارى اذا تركوا اكل الحيوان . وهو كلام عربيّ صحيح ولا ادري ما اصلهُ (التاج ٤ : ٢٥٥) . ولعلّهُ من « تنخّس الرجل » اذا جاع . ويقول البعض تنهّس بالهاء وهو من تصحيف العامّة . امّا الفِصح فمن السريانيّة ܦܨܚܐ واصلها פסח العبرانيّة وتكرّر ذكر الفصح في الشعر العربيّ الجاهليّ . قال الاعشى يمدح هوذة بن علي النصراني الذي كان اطلق اسرى بني تميم يوم عيد الفصح تقرّباً لله :

فتكتْ عن مئة منهم إسارهُ واصبحوا كأنهم من غُلّهِ خُلعا
هم تقرّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل . قال اوس بن حجر يصف رمحهُ وقد شبّهَ سنانهُ بمصباح يوقدهُ رئيس النصارى يوم الفصح (شعراء النصرانيّة ص٤٩٤) :

عليهِ كمصباح الزبيرِ يشبُّه لفصحٍ ويحشوهُ الذبالَ المفتّلا

قال الشارح : « اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لاسيما اذا الهبهُ في ليلة الفصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان انور واكثر ضوءاً » . وقال عدي بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح (الاغاني ٩ : ٥٣) :

يكروا عليّ بسحرةٍ فصبحتُهم باناءِ ذي كرمٍ كنعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملئ اليدين كأنما قنديلُ فِصحٍ في كنيسة راهبِ

وممّن اشاروا الى افراح النصارى في عيد الفصح عبدالله بن زبير قال (الاغاني ١٣ : ١٦) يهجو حجّار بن ابجر امير بني عجل :

فكيف بعجلٍ ان دنا الفصحُ واغتدت عليك بنو عجلٍ وسرجاكم يغلي
وعندك قسّيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صهباء مثل جنى النحلِ

ويدعون ايضاً الفصح بالقيامة لتذكار قيامة السيّد المسيح من الموت يوم الفصح . ومن الالفاظ العربيّة في ذلك (الباعوث) ودعاها في المخصّص (١٣ : ١٠٢) الباغوت بالغين قال : اعجمي معرّب عيد النصارى . وفي تاج العروس (١ : ٦٠٢) : «الباعوث استسقاء النصارى وهو اسم سرياني . قيل هو بالغين المعجمة والتاء المنقوطة » . وهو بالسريانيّة ܒܥܘܬܐ ومعناها الصلاة والدعاء . وقد خصّوا بها رتبةً تُقام ثاني يوم عيد

الفصح . وقد وردت اللفظة في حديث عُمر لمّا صالح نصارى الشام شرط عليهم « ان لا يُحدثوا كنيسة ولا قلّيّة ولا يخرجوا سعانين ولا باعوثاً »

ومنها (الشُّلاق) قال البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٠٨) : « وبعد الفطر (يريد الفصح) باربعين يوماً عيد الشُّلاق ويتّفق ابداً يوم الخميس وفيه تسلّق المسيح مصعداً الى السماء من طور زيتا وامر التلاميذ بلزوم الغرفة التي كان أفصحَ فيها ببيت المقدس الى ان يبعث لهم الفارقليط وهو روح القدس » واصل الكلمة من السريانيّة ܫܠܩܐ ومعناها الصعود وروى البكري (٣٧٠) لشاعر اسلاميّ :

بحرمة الفصح وشُلّافكم يا عاقد الزنّار في القَصْرِ

ومما ذكروا من اعياد النصارى (المِتْرَمن) وروى ثعلب المِتْرَم . قالوا عيد للنصارى (المخصّص ١٣ : ١٠٢) ولم يزيدوا ايضاحاً . وقد وردت اللفظة في شعر الاعشى :

اذا كان مِتْرَمنٌ ورُحتُ مُخشَّما

قال صاحب التاج (٩ : ٣٦٨) : « المِتْرَمن الجماعة معرَّب مَنْجُمَن او أَنْجُمَن عند الفرس ويُطلق على مجلس الشرب او لمجمع الناس مطلقاً او لعيد من اعياد النصارى » . وقد دخلت اللفظة في السريانيّة بصورة ويراد بها الحلقة

ونضيف الى ما سبق لفظة (الشَّمَّة) قالوا هي قراءة النصارى واليهود في اعيادهم . وذكروا عن الخليفة المتوكل انهُ حرم على النصارى « ان يظهروا في شعانينهم صليباً وان يُشَمّوا في الطريق (١ » . وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت ٢ : ٦٩٧) :

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونهِ وشَمَّلَ قسّيسٌ ولاح فتيلُ

وقال مدرك الشيباني (تزيين الاسواق ص ٣٣٠) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشَمِّلين يعبدون عيسى

(لهُ بقيّة)

١) اطلب المجلّة الاسيوية الالمانيّة ZDMG. XXIX, 639 et XLVI, 44

البرهان الصريح
في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السادس

الوهيّة المسيح في تعليمهِ

انّ ما سبق من وصف حياة السيّد المسيح وقداستهِ واعماله ومعجزاتهِ يُعدُّ كتمهيد لبيان الوهيّتهِ في تعليمهِ . لانَّ تعليم الاستاذ يكون انفذ واثبت في قلب التلميذ اذا ما رآهُ بالعيان في سيرة معلّمهِ . ولذلك افادنا القديس لوقا (اعمال ١ : ١) عن المخلّص انّهُ ابتدأ « فعمل جميع الامور التي علّم بها » . وقد قال هو عزَّ جلالهُ (متى ٥ : ١٦) انَّ « الذي يعمل ويعلّم هو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات » . فيحقّ علينا ان نسمع معلّماً لم يلقّن تلاميذهُ شيئاً الّا وعمل بهِ ولا سيما اذا كان المعلم الهًا

جاء المسيح الى العالم ليرشد العالم اذ « كان هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم » (يوحنا ١ : ٩) . وكفى باسمه دليلًا على ذلك اذ هو « الكلمة » قال يوحنّا (الرؤيا ١٩ : ١٣) : « اسمهُ كلمة الله » وبهذا نطق القرآن فقال (سورة النساء ع ١٦٩) عن المسيح انهُ « رسول الله وكلمتهُ القاها الى مريم وروحٌ منهُ » فصار اسم الكلمة كمميّز للسيّد المسيح . ومنهُ يلوح انَّ تعليمهُ حقٌّ لا ريب فيهِ يجب ان يخضع لهُ كل من يسمعهُ وانَّ من لم يسمع محقوق سيُطالب عن اهمالهِ يوم الدين

وتعليم المسيح كان الانبياء سبقوا ونوّهوا بشرفهِ واشاروا بالرضوخ لهُ قال موسى (تثنية الاشتراع ١٧ : ١٥) : « يقيم لك الربُّ الهك نبيًّا من بينكم من اخوتك مثلي لهُ تسمعون » . ومثلهُ قول اشعيا النبي (٢ : ٢ — ٣) : « ويكون في آخر الايام انَّ جبل بيت الربّ يوطّد في رأس الجبال . . وتجري اليهِ جميع الامم . . . ويقولون هلمّوا نصعد الى جبل الرب الى بيت يعقوب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبلهِ لانَّها من

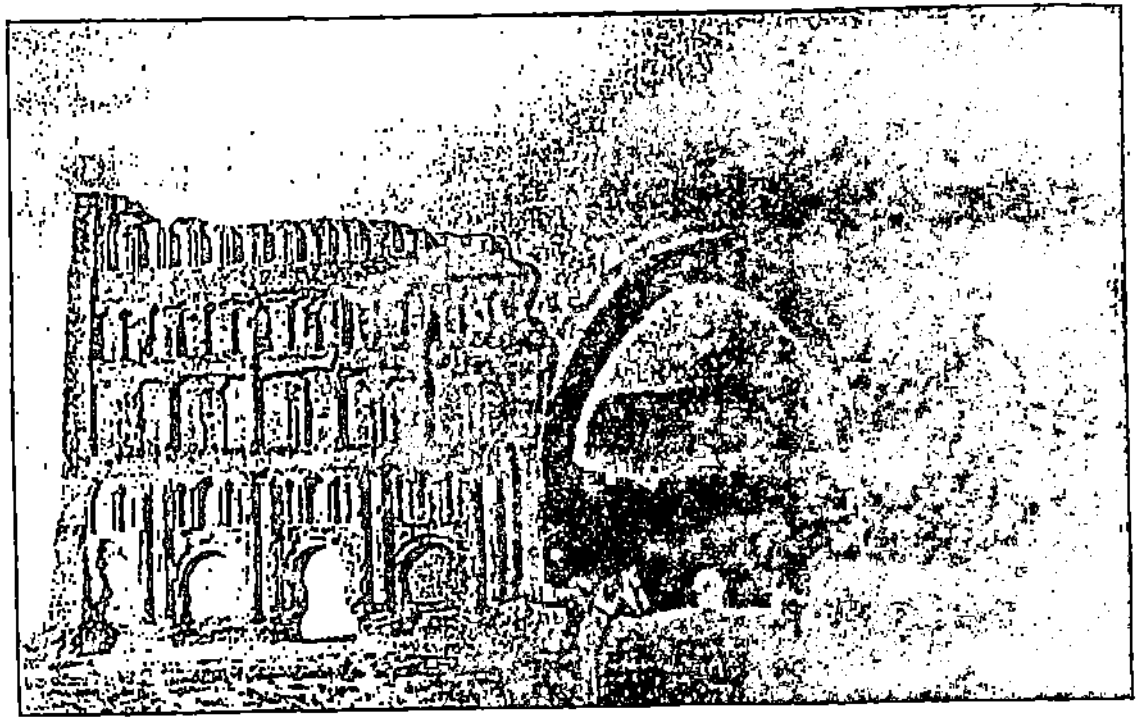

طاق کسری او ایوان کسری

صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الربّ ». وكان هذا الامر راسخاً في قلوب بني اسرائيل تدلُّ عليهِ تقاليدهم واقوال الربّانيين التي سبق لنا ذكر بعضها ومفادها انَّ الله بذاتهِ سيكلّم شعبهُ ويرشدهُ في عهد السيّد المسيح. وهذا التقليد شاع حتى بين اهل السامرة يشهد عليهِ قول السامريَّة ليسوع عند بئر يعقوب (يوحنَّا ٤: ٢٥) : « قد علمتُ انَّ ماشيح الذي هو المسيح آتٍ فمتى جاء ذاك فهو يخبرنا بكل شيء ». وقد اراد الآب الازليّ يوم تجلّي السيد المسيح على جبل الطور ان يذكّر التلاميذ بهذه الوصيَّة لما خرج صوت من السحابة يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررت فلهُ اسمعوا (لوقا ٩: ٣٥)

فاذ ثبت انَّ المسيح جاء ليعلّم وانَّهُ هو كلمة الله الناطقة التي يجب على البشر استماعها فدَعنا ننظر بايّ شيء يمتاز هذا المعلّم عن بقيَّة المعلّمين ثم نفحص عن تعليمهِ لنتبيَّن خواصَّهُ ومضامينهُ ونستنتج من كلا الوجهين انَّ المعلّم هو الله وانَّ تعليمهُ يثبت الوهيَّتهُ

١ امتياز السيّد المسيح عن بقيَّة المعلّمين

لا يجهل احد مقام الاستاذ سواء كان في التهذيب ام في العلم ام في الصناعة حتى انَّهم كانوا يجلّونه بمثابة الوالد الطبيعيّ بل اكثر منهُ . رُوي عن الاسكندر انَّهُ سُئل : ما بالك تعظّم مؤدّبك اكثر من تعظيمك لابيك فقال : انَّ ابي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

اقدّم استاذي على نفس والدي وان نالني من والدي الفضلُ والشرفُ
فذاك مربّي الروح والروح جوهرٌ وهذا مربّي الجسم والجسمُ من صدفْ

وكان بلغ بهم تعظيم الاستاذ الى ان يكفّوا عن كل محاجّة اذا قيل لهم : « قال الاستاذ »

على انَّ الاستاذ مهما كانت رتبتهُ وعلوّ شأنهِ لا ينطق باسمهِ بل هو وسيط بين الطالب وبين السُّنَن التي يلقّنها تلميذهُ فان دعا الى الادب نطق باسم الفضيلة وان دعا الى العلم تكلّم باسم الحقّ الذي لاح لهُ وقصد نصرتهُ وان قضى بالعدل جرى على مقتضى شريعة هو الممثّل لها والمدافع عنها. تتبّع الاساتذة في اي زمن كانوا وفي ايّ فن هذّبوا لا تجد واحداً منهم تكلّم باسمهِ كأنَّهُ هو والعلم واحد هو والفضيلة واحد

هو والشرع واحد ولو حاول استاذٌ منهم ان يفعل ذلك لصار اضحوكةً بين الناس وعدل عنهُ القوم لمسيس في شعوره. وعليهِ اجاب افلاطون لمن احتجَّ بتعليم الاستاذ: « انَّ الاستاذ صديقي والحقّ صديقي. لكنَّ الحقَّ احبُّ اليَّ من الاستاذ » ففرز بين الاستاذ والحقّ الذي ليس الاستاذ الّا ناقلًا عنهُ راوياً لسُنَنِهِ

وما نقولهُ عن اساتذة الفنون الطبيعيَّة ومعلّمي العلوم البشرية يصحُّ ايضاً في اولئك الاساتذة الكرام اعني الذين وكلَّ الله اليهم ارشاد الشعوب الانبياء والرسل فانَّهم لم يتكلّموا باسمهم بل باسم الربّ الذي ارسلهم ولذلك تسمعهم بعد أن أيّدوا بالمعجزات رسالتهم يكرّرون على مسامع الناس الذين أرسلوا اليهم: « قال الله » . « هذه هي كلمةُ الله » . « هذا ما امرني الله ان ابلغهُ سامعكم » . « باسم الله الرحمان الرحيم » . هكذا نطق موسى النبيّ وهذا ما قالهُ اشعيا وارميا وبقيَّة الانبياء اصغرهم واكبرهم

على انَّ هذه القاعدة قد شذَّت مرَّة واحدة في تاريخ العالم . وذلك في عهد اوغسطوس قيصر وخلفهِ طيباريوس اذ قام يوماً رجلٌ لم يدخل قطّ مدرسةً عمرهُ ثلاثون سنة في مدينة من الجليل يعدُّها اليهود من احقر مدنهم وكان اسم الرجل يسوع لم يُعرَف سابقاً لا بعلم ولا بسياسة ولا ببلاغة بل كان خاملًا يرتزق قبل ذلك بمهنة النجارة . فهذا الرجل تصدَّى ايضاً للتعليم ودعا اليهِ التلاميذ من الصيّادين والامّيين فتركوا كلَّ شيءٍ ليتبعوهُ دون تردّد

ومن غريب امر هذا الرجل انَّهُ لم يباشر بالتعليم حتى امتاز من ساعتهِ عن بقيَّة المعلّمين اليهود من فريسيين وكتبة وربّانيين « فبُهت الجميع من تعليمهِ لانهُ كان يعلّم كمن لهُ سلطان لا ككتبتهم والفريسيين » (متى ٧ : ٢٨—٢٩) بل كان الذين يترصّدونهُ من الاعداء ويجسّونهُ ليأخذوهُ في كلمة يعودون منذهلين وصارخين: « انهُ ما نطق انسان قطّ بمثل ما ينطق هذا الرجل » (يوحنا ٧ : ٤٦) . وكانت ثقتهُ بنفسهِ بلغت بهِ الى ان يعارض بين تعليمهِ وتعليم كل من تقدَّمهُ ليزيدهُ فضلًا وكمالًا: « قد قيل للاقدمين . . . اما انا فاقول لكم . . . »

ولم يتميَّز فقط يسوع عن بقيَّة المعلمين بسلطانهِ في التعليم وببلاغتهِ في الكلام . كما انهُ لم يكتفِ بان يكون شاهداً للحق ناقلًا لكلام الله محرّضاً للناس على نهج

طريق الفضيلة بل وعد المؤمنين بهِ الحياة الابديَّة (يو ٦ : ٤٧) وانَّ الذي يسمع كلامهُ « لا يصير الى دينونة لكنَّهُ ينتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) وانَّ « من آمن بهِ وان مات فسيحيا » وانَّ « الذي يأكل جسدهُ ويشرب دمهُ سيقيمهُ في اليوم الاخير » (يو٦ : ٥٥) . فكانت هذه المواعيد تطرق آذان بني اسرائيل لاوَّل مرَّة اذ لم يسمعوا مثلها من افواه انبيائهم ولم يقرأوا في كتاب انَّ رجلًا تعهَّد بشيءٍ منها

وكأنهُ لم يرضَ بالمواعيد لمن آمن بهِ بل جعل نفسهُ الكلَّ في الكلّ فلم يخجل ان يقول عن نفسهِ ما لم يخطر على بال بشرٍ قبلهُ . فقال انهُ « ابن الله » (لوقا ٢٢ : ٧٠ ويو ٧ : ٣٥—٣٧) وانهُ « في الآب كما انَّ الآب فيهِ » (يو ١٠ : ٣٨ و١٧ : ٢١) وانَّ « الذي يراهُ يرى الآب » (يو ١٤ : ٩) وانَّهُ « هو والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) وانَّ « الكلام الذي يفوه بهِ هو كلام الاب بعينهِ » (يو ١٤ : ١١)

ومثل هذا بل اغرب منهُ ما صرَّح بهِ امام تلاميذهِ وامام الجماهير المقبلة اليهِ فقال في وصف ذاتهِ : « انا نور العالم والذي يتبعني لا يمشي في الظلام » (يو ٨ : ١٢) « انا الباب ان دخل بي احد يخلص » (يو ١٠ : ٩) « انا القيامة والحياة » (يو ١١ : ٢٥) « انا الطريق والحق والحياة لا يأتي احد الى الآب الَّا بي »

فأيم الله هذا كلام لا ينطق بهِ الَّا احد ثلاثة او رجلٌ معتوه وذو جنون مُطبق او مجدّف كافر او إله . فلا مناص من احد هذه الثلثة لأنَّ كلاماً مثل الذي ذكرناهُ لا يقول بهِ رجلٌ عاقل ولا نعلم احدًا قال عن السيّد المسيح انَّهُ رجلٌ مجنون حتى اعداؤهُ لم يقولوا بهِ والملحدون الذين لا يقرُّون بلاهوتهِ يعتبرونهُ كحكيم عظيم . وكذلك التجديف لا يستطيع احد ان يثبتهُ على المسيح مع ما رأينا من قداسة حياتهِ وتأييد الله لرسالتهِ بالعجائب . فلا يبقى الَّا القول بانَّ هذا الاستاذ يفوق كل الاساتذة كما تفوق السماء على الارض والثريَّا على الثرى وانَّ المسيح معلم الهيّ وإله حق

ولعلَّ احدًا يزيد رابعاً على ما قلنا فيزعم انَّ الاناجيل محرَّفة الَّا انَّ المقالات المدونة سابقاً في الشرق قد تلافت هذا الاعتراض ووصدت الباب دونهُ فلتُراجَع

٢ تعليم السيّد المسيح وخواصّهُ

لا نجهل انَّ قدماء الانبياء أتوا ببعض ما علَّمهُ السيّد المسيح فاثبتوا توحيد الله وقرَّروا كمالاتهِ تعالى وافادوا وجود الملائكة والارواح الشرّيرة واعلنوا بخلود

النفس وعواقب الانسان ونقلوا لبني اسرائيل اوامره عزَّ وجل لكنَّ كل مساعي الانبياء بقيت محصورة في امَّة واحدة قليلة العدد بينما كان الشرك يعمّ الارض كلها وعبادة الاصنام سائدة على معظم الشعوب . وكم تمرَّد الاسرائيليُّون انفسهم على ربّهم وعصوا وصاياهُ وجنحوا الى التوثن حتى انَّ الله اضطرَّ الى تأديبهم دفعات متوالية ليعودوا الى خدمته

فلمَّا ظهر المسيح نشر تلك الحقائق ليس بين اليهود فقط بل بين الامم كلها التي كانت متسكعة في ظلمات الضلال حتى تقلَّص بعد قليل ظلّ الشرك الممتدّ على اقاصي الارض فلم يمض على النصرانيَّة ثلاثة اجيال حتى اخضعت لتعاليمها ارقى الشعوب تمدُّناً واعرقهم في الهمجيَّة كما تشهد عليه الآثار العديدة الباقية الى يومنا والعاديات التي تتكرر اكتشافها في ايامنا

ثم يجب القول بان تلك حقائق الدين الطبيعي قد ارسخها السيّد المسيح في عقول البشر حتى كادت تمتزج اليوم بدمهم وعليها مبنى كل شرائعهم ومعاملاتهم فبفضله وفضل دينه لم يدع للشكّ مجالاً عن جحود الله وجوهره وكمالاته وعن اصل الانسان وغايته واواخره من نعيم وجحيم . فترى في الانجيل كلّ هذه الحقائق مفصَّلة موضحة بكلام بسيط قريب المنال يسطع في خلاله نور الحقّ ايّ سطوع بحيث يدركها العلماء والجهلاء معاً دون عناء ولا مشقَّة فتجد في صحيفات قليلة ما لا تجده في مجموع كتب الفلاسفة اجمعين بل في جميع اسفار العهد العتيق

ولم يقصر السيّد المسيح وحيهُ على الحقائق الطبيعيَّة التي لم يكد يتجاوزها معظم انبياء بني اسرائيل بل اماط الحجاب عن حقائق أخرى فائقة الطبيعة ممَّا لم تحط به معرفة الانسان قبلاً ولم يوحِ به الى اوليائه الَّا وحياً خفيفاً غير كاف

فمن ذلك سرّ الثالوث الاقدس اي الاله الواحد في الثلثة الاقانيم الذي استشفَّهُ الآباء والانبياء كابراهيم الخليل وموسى الكليم وداود الملك واشعيا النبي كما يظهر من بعض آيات الاسفار المقدَّسة فجاء المسيح وكشف عنه النقاب واوضح به لبشر حقائق عن اللاهوت تسامت فوق مداركهم فتشرَّفت بمعرفتها عقولهم شرفاً لا مثيل له وان لم يدركوا كنهها وجوهرها . قال ارسطو : ان معرفة النزر القليل عن الله تفيد الانسان وتشرّفهُ اكثر من المعارف الطبيعيَّة الواسعة . فشكراً للمسيح ألف

شكر اذ ادخلنا بهذا الوحي في مقدس اللاهوت فعرّفنا ذاك الآب الذي منهُ كل ابوّة على الارض والذي منذ الازل عرف نفسهُ معرفةً جوهريةً كانت نتيجتُها ايلادهُ لابنهِ ضياء مجدهِ وصورة جوهره (عبر ١ : ٤) فاحبَّ الآب ابنهُ واحبَّ الابن اباهُ فحصل من حبّهما الجوهريّ المتبادل اقنوم بثّهُ كلاهما كمبدإٍ واحد وهو الروح الكلي قدسهُ

وبهذا السرّ تُناط اسرار أُخرى كتجسُّد ابن الله في احشاء بتول طاهرة وكسرّ فداء البشر بموتهِ وقيامتهِ وكسرّ حلول روحهِ الاقدس على تلاميذهِ . فكل هذه الاسرار لم نكن لنطّلع عليها لولا السيّد المسيح الذي اوحى بها للعالم ورفع بها الانسان من ذلّ كيانهِ بعد ولادتهِ مدنساً بالخطيئة الجدّية الى اوج العظمة والشرف وشركهُ بلاهوتهِ كما قال القديس بطرس في رسالتهِ الثانية (١ : ٤)

وكما اعلمنا السيّد المسيح بكل هذه الاسرار التي تقصر مقدرة الانسان عن ان تنالها كذلك اوضح لنا بأنهُ اقام جماعةً على الارض جعلها مستودع تعاليمهِ وايّدها بروحهِ ووعدها بالبقاء معها الى منتهى الاجيال وجعل فيها الرئيس والمرؤوس وعصم رأسها اي نائبه على الارض عن الضلال . وهذه الجماعة إنْ هي الّا كنيستهُ

وكذلك جعل في هذه الكنيسة ينابيع حيية تجري الى كل اعضائها وتُنفذ في عروقهم حياةً الهيّة ترشحهم للحياة الابدية اوّلها المعمودية التي تطهرهم من الخطيئة الاصليّة . والتثبيت الذي يؤيدهم بنعمة الروح القدس ويقوّيهم في الجهاد ضدّ اعداء نفوسهم . والقربان الذي يقوت نفوسهم بطعام سماويّ اودعهُ شخصهُ الكريم تحت اعراض الخبز والخمر . والتوبة التي تعيد لهم ثوب البرارة المفقود بالخطيئة . ومسحة المرضى التي تعضدهم في الجهاد الاخير وتؤهلهم لدار النعيم . والكهنوت الذي يربطهم مع الله . والزواج الذي يقدّس حياتهم الاهليّة وينميهم بالبركة والمدد

وكما فتح السيّد المسيح بواسطة الاسرار ينابيع حيّة تجري للحياة الابدية كذلك علّم البشر افضل صلاة يتقرّبون بها الى اللاهوت فضمّنها بوجيز الكلام اشرف المعاني واسمى الادعية ألا وهي الصلاة الربيّة التي لا يتأمّلها الانسان الّا يزيد منها عجباً افتتحها بكلمة « ابانا » اعذب الكلمات وادعاها الى الحبّ والثقة . واردفها بادعية لتقديس اسم الربّ وانتشار ملكهِ ونجاز مشيئتهِ ليطلب الانسان قبل كل

شيء ملكوت الله وبرّهُ ثمّ أتبعها بالتماس الخبز اليومي والصفح عن الذنوب والنجاة من الشرّير ليقضي الانسان على الارض حياةً صالحة مع كفاف العيش فهي حقيقةً صلاة كلّ الشعوب وكلّ الازمنة وكلّ الامكنة لم يستطع ان يؤلفها الّا مكوّن قلوب البشر والعارف بافضل الوسائل لتقريب المخلوق من الخالق (١

فكلّ هذه التعاليم قد ادخلت العالم في طور جديد لم يَدُر في خَلَد انسان. فلا عجب بعد ذلك ان نرى تلاميذ المسيح يتبعون معلمهم ويموتون في سبيله فرحين. وكأني بكل واحد منهم يكرّر قول بطرس لسيّده (يو ٦: ٦٩): «يارب الى من نذهب غيرك انّ كلام الحياة الابدية هو عندك». ولا شكّ انّ بيسوع تمّت نبوّة اشعيا (٥٤: ١٣) حيث قال لاورشليم: «وكلّ بنيكِ يكونون تلامذة الربّ». وهي الآية التي اشار اليها السيّد المسيح لمّا قال (يو ٦: ٤٥): «قد كُتب في الانبياء انهم يكونون باجمعهم متعلمين من الله»

هذا ما كشفهُ ابن الله للبشر من الحقائق الدينيّة سواء كانت في حيّز ادراكهم ام تفوق على مداركهم الطبيعيّة فاستحقّ بكلها الشكر المخلّد لأنّهُ خير المرشدين «فمن تبعهُ لا يمشي في الظلام بل يكون لهُ نور الحياة» (يو ٨: ١٢)

*

لكنّ المسيح لم يوحِ فقط بحقائق تنير العقول وتنقذ المرء من الضلال بل علّم امورًا اخرى عمليّة نهجت للانسان طريق الكمال الذي لم يخطر على بال القدماء. ليس الوثنيين فقط بل بني اسرائيل ايضاً

كانت شريعة موسى شريعة العدل مرجعها الى تأدية المرء لكلّ ذي حقّ حقّهُ فلله العبادة وللقريب المساواة. امّا غاية ما وصلت اليهِ شريعة الحكماء وفلاسفة اليونان فذاك المبدأ الفلسفيّ الشهير: «اعرف نفسك» الذي اردفوهُ بهذا: «لا تصنع بغيرك ما لا تشاء ان يصنعهُ بك». واين اين كلّ ذاك من شريعة المسيح الفُضلى. فانّهُ عزّ اسمهُ بنى شريعتهُ على الكمال اذ وضع لتبعتهِ مثال الكمال التام في ابيهم السماوي قائلًا (متى ٥: ٤٥): «كونوا كاملين كما انّ اباكم السماويّ هو كامل» وأعلمهم بالطريق الى هذا الكمال اي «الطريق الحرجة التي تؤدي الى

١) راجع الكتاب الذي وضعهُ مؤخرًا الاب ي. شلنون «الشروح الروحيّة للصلاة الربيّة»

الحياة » (متى ٧ : ١٤) وما هذه الطريق الّا طريق مقاومة الحواسّ وكبح الشهوات طريق الصليب التي سبق فنهجها امام البشر ودعاهم الى الاقتداء به قائلًا (متى ١٦ : ٢٤ ولوقا ٩ : ٢٣) : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ كل يوم ويتبعني »

بين هذين الحدَّين جعل السيّد المسيح كمال شريعتهِ التي ليس فوقها كمال . فعلَّم البشر اوَّلًا ان يشخصوا الى السماء حيث مصدر كلّ عطيَّة صالحة فيعرفوا الههم لأن في معرفتهِ السعادة الابديَّة (يوحنَّا ١٧ : ٣) واذا عرفوهُ « احبُّوهُ بكل قلبهم وكل نفسهم وكل قدرتهم وكلّ ذهنهم » (لوقا ١٠ : ٢٢) . ولا تكون خدمتهم لهُ كما كانت في العهد العتيق خدمة العبد او الاجير فقط اعني خدمة الخوف من عقابهِ او الامل بثوابهِ بل خدمة الابن المحبّ للاب المحبوب لا يطلب سوى مرضاة ابيهِ وتتمَّة مشيئتهِ . ولذلك لقَّن السيّد المسيح تلاميذهُ اعتبار الله عزَّ وجلّ كأب حنون فيلتجئون اليهِ بكل ثقة في سائر ضيقاتهم وحاجاتهم فلا يُهملهمْ البتَّة لأن عنايتهُ تشمل كلّ البرايا حتى زنابق الحقل وطيور السماء فلا ينسى مخلوقاتهِ الناطقة المصنوعة على صورتهِ (لوقا ١٢ : ٢٠—٣٨) وان كان الناس الاشرار يعرفون ان يمنحوا العطايا الصالحة لأبنائهم فكم بالحري يمنح الآب السماويّ الصالحات لمن يسألهُ (متى ٧ : ١١) وهذا الآب يعلم بحبهِ عبادهِ فاذا خطئوا واتابوا الى الههم اسرع الى الصفح عنهم مهما تمادوا في الاثم كما بيَّن الرب ذلك بمثل الابن الشاطر (لوقا ١٥ : ١١—٣٢)

وبعد أن عزَّز السيّد المسيح في قلوب اتباعهِ حبَّهُ تعالى والاتكال على رأفتهِ اراد ان يرّطد فيهم حبّ الكفران بذاتهم الذي يجرّدهم من ربقة الشهوات الثلاث التي تستعبد البشر في العالم واشار اليها يوحنَّا في رسالتهِ الاولى (٢ : ١٦) فقال : « انَّ كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر الحياة » فعلاجاً لهذه الادواء نطق السيّد المسيح بالتطويبات الثماني التي ترفع بالانسان فوق طبيعتهِ وتجعلهُ في حياتهِ الفانية اشبه بملائكة الله فقال (متى ٥ : ٣—٩) : « طوبى للمساكين بالروح . . . طوبى للودعاء . . . طوبى للحزان . . . طوبى للجياع والعطاش الى البرّ . . . طوبى للرحماء . . . طوبى للانقياء القلوب . . . طوبى لفاعلي السلامة . . . طوبى

للمضطهدين » فكم من الله بهذه الاقوال العجيبة الاغلال التي يتقيَّد بها قلب الانسان من الشهوات الفاسدة والاميال المنحرفة ورقّى بهِ الى ذروة الكمال

واذا تحرَّر الانسان من هذه القيود التي تأسرهُ وتبهظهُ فكم يسهل عليهِ بعد ذلك ان يُحبَّ قريبهُ كنفسهِ . وهذه المحبة للقريب قد أبلغها السيّد المسيح الى درجة لم يتوهمها احد من المشترعين القدماء حتى موسى النبيّ . فانَّ الربَّ على خلاف الاقدمين لا يقصد فقط بالقريب الاهل او الاقارب او المحسنين او ابناء الجنس بل كل البشر حتى الاجانب والغرباء كما اوضح ذلك في مثل السامريّ الصالح الذي اعتنى بامر احد ابناء السبيل بعد ان سقط في ايدي اللصوص فعرَّوهُ واثخنوهُ بالجراح وكان مرَّ بهِ قبلهُ لاويّ وكاهن فجازا دون اكتراث بهِ وكان الاجدر بهما ان يرحماهُ (لو ١٠ : ٣٠—٣٧)

ولم يستثنِ الاعداء من محبَّة القريب بل قضى صريحاً بمحبَّتهم حيث قال (متى ٥ : ٤٢) : « قد سمعتم انهُ قيل أحبب قريبك وأبغض عدوَّك امَّا انا فاقول لكم احبُّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم وصلُّوا لاجل من يُعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانَّهُ يُطلع شمسهُ على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين فانكم ان أحببتم من يُحبُّكم فايُّ أجر لكم أليس العشَّارون يفعلون ذلك وان سلَّمتم على اخوانكم فقط فاي فضل عملتم اليس الوثنيُّون يفعلون ذلك »

وهذه الوصيَّة بمحبَّة الاعداء قد كرَّرها الربُّ مراراً على مسامع تلاميذهِ كي لا ينغلبوا للشرّ بل يغلبوا الشرَّ بالخير كما قال بولس رسولهُ (رومية ١٢ : ٢١) ومن ثمَّ اراد ان يغفر الانسان للمسيء اليهِ « لا الى سبع مرَّات بل الى سبعين مرَّة سبع مرَّات (متى ١٨ : ٢٢) اي دائماً بلا انقطاع . واوصى بان لا تغرب الشمس على احد وهو غضبان على اخيهِ بل يدع قربانهُ ان تذكَّر انَّ اخاهُ واجدٌ عليهِ فيترضَّاه ثمَّ يعود الى تقدمة قربانهِ (متى ٦ : ٢٢) . ومن وصاياهُ الى تلاميذهِ (متى ٥ : ٣٩) : « لا تُقاوموا الشرّير بل من لطمك على خدّك الايمن فحوّل لهُ الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فخلِّ لهُ رداءك ايضاً ومن سخَّرك ميلاً فامشِ معهُ ميلين » . وقد اختصر ابو الريحان البيرونيّ هذا التعليم الالهيّ في كتابهِ المعنون « في تحقيق

ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » (ed. Sachau, p. ٢٨٠) قال :

« انما (اي الدمرانيّة) مبنيّة على الخير وكفّ الشرّ من ترك القتل اصلًا وربي القسمان خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الاخرى والدعاء للعدوّ بالخير والصلوة عليه وهي لعمري سيرة فاضلة »

وما قولنا الآن ببقيّة سُنَن السيّد المسيح الذي لم يذهل عن طبقة واحدة من البشر بل عيّن للكبار والصغار للاقوياء والضعفاء للاغنياء والفقراء حقوقهم وواجباتهم فانّهُ كما امر ان نؤدّي قبل كل شيء ما لله لله امر ايضاً ان نوفي ذوي السلطة حقوقهم فنصغي الى تعاليم رؤساء الذين الجالسين على كرسيّ موسى (متى ٢٣ : ٢) ونعطي ما لقيصر لقيصر (متى ٢٢ : ٢١) لكنهُ ذكّر السادة والملوك بانّ كلّ الناس اخوة وابناء لاب واحد (متى ٢٤ : ٨) فيجب عليهم معاملة مرؤوسيهم بالرفق والمحبة بل اراد انّ الكبير بينهم يعتبر نفسهُ كالاصغر كما كان هو السيّد خادماً لتلاميذهِ (لوقا ٢٢ : ٢٦—٢٧)

اوصى الاغنياء بالصدقات الواسعة ونشطهم بذكر الثواب فقال لهم (لو ٦ : ٣٨) : « أعطوا تُعطَوا . تُعطَون كيلًا صالحًا ملبّدًا مهزوزًا فائضاً في احضانكم لانهُ بالكيل الذي تكيلون يُكال لكم ». ومع ذلك لم يشأ ان يطبّلوا ويزمّروا اذا فعلوا حسنةً بل اراد ان تجهل يسارهم ما اعطت يمينهم (متى ٦ : ١—٤) . وفرض الصدقة حتى على الفقراء بقدح ماء بارد يعطونهُ محبةً بالله (متى ١٠ : ٤٢) كما انهُ اثنى على الارملة التي تصدّقت بفلسين فحكم لها بالسبق على من سواها من المحسنين لأنها القتها في الخزانة من عوزها (مرقس ١٢ : ٤٣—٤٤)

وهذه فريضة الصدقة قد اثبتها بمثال حسّي اي بمثال لعازر الفقير والغني الشرّير اللذين نالا جزاءهما فالاوّل نُقل الى حضن ابرهيم جزاء لصبرهِ ودُفن الثاني في جهنّم لاجل قساوتهِ وبخلهِ (لوقا ١٦ : ١٩—٣١) . واردف ذلك بكلام الديّان في يوم الدين اذ يفتح سماءهُ لذوي الرحمة والمحسنين الى البائسين وينفي الى الظلمات البرّانيّة الاشرار الذين قسّوا قلوبهم على الفقراء والمساكين المثلين لشخص المسيح

وكما امر بالاحسان الى القريب تقدّم ايضاً بصون عرضهِ فلا نديتهُ لئلّا نُدان

لا نقضي على احدٍ فلا يُقضى علينا (لوقا ٦: ٣٧). وشدَّد النكير على من يشكك قريبهُ لاسيما الصغار بينهم فينالهُ عقابٌ عظيم (متى ١٨: ٦—٨)

هذه شرائع السيّد المسيح بخصوص القريب وليست وصاياهُ لكل انسان بخصوص نفسهِ دونها شأناً واعتباراً فانهُ حرَّج في لزوم الصلاة والمثابرة عليها ولاسيما في السرّ مع الفرار من مديح الناس عليها (متى ٦: ٦) اوصى بالصوم المقصود بهِ وجه الله دون نظر البشر (متى ٦: ١٦—١٨) وكم كرَّر ذمّ الحرص والبخل ومحبَّة المال فقال (متى ٦: ١٩): «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يُفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يُفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون فيسرقون لأنهُ حيث كنزك هناك يكون قلبك». وجعل حبّ المال بمثابة الصنم يشركهُ الانسان بالهه فقال (متى ٦: ٢٤): «لا يستطيع احد ان يعبد ربَّين لأنهُ اما ان يُبغض الواحد ويحبّ الآخر او يلازم الواحد ويرذل الآخر. لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال»

وكما ألجم المسيح شهوة المال كذلك كبح شهوة اللذّات الفاسدة فانهُ لم يكتفِ بان يحظّر الزنى على البشر حكم بالزنى على مجرَّد النظر الى المرأة لشهوتها (متى ٥: ٨). كذلك اعاد الزواج الى شرفهِ الاصلي بان انهى عن تعدُّد الزوجات وعن طلاق الزوجة الّا لعلّة زنىً دون الترخيص بزواج آخر ما دامت المرأة حيَّة (متى ٥: ٣١—٣٢ و١ كور ٧)

ويوافق هذه التعاليم وصايا المسيح في حفظ اللسان من الحَلف الباطل والحنث بالأيمان (متى ٥: ٣٣—٣٨) بل من كلّ كلمة باطلة حيث قال (متى ١٢: ٣٦): «اقول لكم انَّ كلَّ كلمة بطّالة يتكلم بها الناس يُعطون عنها جواباً في يوم الدين»

هذه بعض سُنن النصرانيَّة التي اعلن بها السيد المسيح. فليقم الآن حكَم منصف من اي ملة كان وليقل لنا هل وُجد في العالم منذ انشائهِ الى اليوم في اي دهر واي وطن كان حكيمٌ او مشترع او نبيّ سنَّ بمثل سُنن المسيح او علَّم مثل تعاليمهِ بل هل يمكن ان يوجد رجل يأتي بما يقاربها. فهيهات هيهات لانَّ بين كلّ التعاليم البشريَّة وتعاليم يسوع الناصريّ بوناً كبُعد السماء من الارض ولا بُدَّ لمن يعتبرها باخلاص ونزاهة

دون غرض وهوًى ان يقرَّ انَّ هنـاك إصبع الله بل هو الله نفسهُ ليس يوماً طبيعة الانسان وتردَّد مع البشر فاوحى للعالم بفمه القدوس اسرار السماء . فسبحان الله الكلمة الذي تنازل وجرَّد ذاتهُ الالهيَّـة لتعليمنا وطوبى للآذان التي تصغي الى تعاليمهِ وللقلوب التي تجري بمقتضاها فانَّها بلا مراء ستثمر الثمار الجنيَّة لخير الانسان في دنياه الحاضرة ولسعادتهِ في الحياة الآخرة (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

G. Scialhub : Grammatica Italo-araba e Vocabolario comparativo tra l'arabo letterario e il dialetto libico (MANUALI HOEPLI), *Milano* 1913, XIII-396

كتاب ايطالي عربيّ في قواعد الصرف والنحو مع قاموس تشبيهي
بين العربيّ اللغوي واللهجة الليبيَّة

لا يزال محلّ هُبلي في ميلانو ساعياً في نشر الكتب التعليميَّة لدرس اللغات الاجنبيَّة وممَّا اهتمَّ بنشرهِ مؤخَّراً كتاب مفيد للايطاليين المهاجرين الى طرابلس الغرب التي دخلت في حكم بلادهم . والساعي في ذلك احد مواطنينا السوريين يوسف افندي شاهوب فعُني اوَّلاً بشرح قواعد الصرف والنحو العربيين في اللغة الايطالية ثمَّ اورد الخواصَّ المميِّزة للهجة الطرابلسيين مقابلاً بينها وبين العربيَّة الفصحى واردف ذلك بمعجم لأخصّ الالفاظ المستعملة في كلتيهما راوياً لفظها بالحرف العربي والحرف اللاتيني . فلا شكَّ ان الاجانب ولا سيما الايطاليين المتوطنين طرابلس الغرب يقبلون على درس هذا الكتاب ويرجعون اليهِ في معاملاتهم . وهو مع ذلك صغير الحجم انيق الطبع مُتقن التجليد ل . ش

I. MONS. C. MOLA D. O. VESCOVO DI SASIMA — Manuale per le visite alle Chiese per l'acquisto del Giubileo Constantiniano. 1913, p. 16. = II. ARCIP. PAOLO PELLEGRINI — La prima Domenica del Mese dedicata al. S. Cuore di Gesù. *Napoli, M. d'Auria,* 1913, pp. 176

فرائض اليوبيل القسطنطينيّ - اوَّل احد الشهر المخصَّص بعبادة قلب يسوع

وضع اوَّل هذين الكتابين السيِّد الايطالي مولا اسقف ساسما فضمَّنهُ مجموع

المعلومات لربع غفران اليوبيل الذي نادى بهِ الحبر الاعظم في السنة الحالية تذكاراً للمئة السادسة عشرة من تحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير مع الصلوات اللائقة بهذا المقام — أما الثاني فأعمُّ نفعاً يحتوي في ١٧٦ صفحة الفرائض الدينيَّة المفيدة لنشر عبادة قلب يسوع خصوصاً في الاحد الاوَّل من كلّ شهر اذ قد جرت العادة بتكريس ذلك اليوم لاكرام قلب فادي البشر. جمع هذه الفروض التقوية حضرة الخوري بالغريني من عدَّة تآليف متفرّقة بحيث يسهل على المتعبّد مطالعتها في كتاب واحد. والتأليفان كلاهما قد أتقن طبعهما وزُيّنا بالنقوش اللطيفة ل. ش

تاريخ آداب اللغة العربيَّة

تأليف جرجي افندي زيدان منشئ الهلال

الجزء الثالث. طبع في مطبعة الهلال بالنجّالة مصر سنة ١٩١٣ (ص ٢٤٨)

عرف القرَّاء اعتبارنا لهذا التأليف بما قدَّمناهُ من النقد على جزئيهِ الاوَّلين (المشرق ١٤: ٥٨٤ و١٥: ٥٩٧) وكان بودّنا ان نتَّسع في تعريف هذا الجزء الثالث كما فعلنا بالسالفين الَّا انَّ ضيق المكان يقضي علينا بالاختصار فنقول: ان هذا الجزء من تاريخ آداب اللغة العربيَّة يشمل ثلاثة عصور اي اواخر العصر العبَّاسي ثم العصر المغولي ثمَّ العصر العثماني اعني قريباً من سبعة قرون ونصف منذ دخول بني سلجوق بغداد سنة ٤٤٧ هـ الى دخول نابوليون مصر سنة ١٢١٣ (١٠٥٥—١٧٩٨ م).

فما يقال اجمالاً عن هذا التأليف انهُ اوسع واضبط ما جاء في العربيَّة في معناه. وقد تتبَّع جناب المؤلف آثار المستشرق الالماني بروكلمان في تتميم الكتاب ورواية كثير من معلوماتهِ. على انَّ هذه المعلومات ليست في الغالب سوى قائمة ناشفة لتآليف شتى متفرّقة في عدَّة مكاتب لا يعرف القارئ غثّها من سمينها. فاين هذا من تاريخ الاداب الذي يقتضي وصف التآليف وبيان خواصها ولاسيما انَّ اربعة اخماس تلك المصنَّفات المذكورة انما هي كتب دينيَّة من تفاسير للقرآن وفقه وحديث ينقلها الخلف عن السلف ممَّا لم يُجدِ الاداب العربيَّة نفعاً جزيلاً فينخدع القارئ بوفرة التآليف مع قلة جدواها كما انخدعنا نحن غير مرَّة اذ عثرنا على متين بل الوف من المخطوطات فبعد الفحص لم نكد نجد بينها من الكتب المفيدة ما يتجاوز عدد الاصابع. فكان الاولى اذن في تاريخ الآداب العربيَّة ولاسيما اذا كان المقصود منهُ التدريس ان يقتصر المؤلف

على مشاهير الكتّاب وللفيد من التآليف ويلمح الى الباقي تلميحاً خفيفاً — ومن ملحوظاتنا العموميّة انّ المؤلف لم يُصب الهدف في تعيين مميزات كلّ عصر كقوله مثلًا (ص ١٣) عن سبب تقهقر الشعر العربيّ في العصر العبّاسي الرابع: «تغيّرت حال الشعر في هذا العصر عمّا كانت عليه قبلهُ... فاصبح الشاعر لا ينظم رغبةً في الجائزة او تنافساً في التقدّم لدى ولاة الامر وانّما ينظم في الاكثر ارضاء لقريحته». فهذا سببٌ ضعيف لكساد فنّ الشعر ألا يرى جرجي افندي كم نبغ من الشعراء في ايّامنا وهم في الغالب لا ينظمون الّا «ارضاء لقريحتهم». واستضعفنا ايضاً حجّتهُ في قولهِ (ص ١١٥) عن سبب تحويل العلوم: «انصرف اصحاب القرائح من الاشتغال في الفلسفة والفلك والرياضيّات الى الابحاث الدينيّة ولعلّ السبب كثرة ما تولّى الناس من الاحن فالتجأوا الى الدين» كأنّهُ اراد انّ الدين والعلم خصمان الدّان وما هما الّا شقيقان عزيزان

تلك ملحوظات عموميّة نزفّها الى صديقنا صاحب هذا التأليف الجليل امّا الملحوظات الخصوصيّة فكان يُقتضى لها عدّة صفحات نذكر هنا قليلًا منها: (ص ١٠) الصليبيّون ملكوا على جهات الشام وفلسطين مائتي سنة ليس كما قال من ٤٩٢ الى ٥٨٣ — (ص ١٧) رشيد بن غالب ما هو الّا الكُنت رشيد الدحداح الذي افسد اسمهُ المصريّ السارق لطبعة مرسيليا كما بيّنّا سابقاً — (ص ٢٣) اكسونيا المذكورة هناك اسم اكسفورد في اللاتينيّة. وكذلك جولي هو المستشرق الهولندي غوليوس — (ص ٢٧) القصيدة الطنطرانيّة اوّل من نشرها سلوستر دي ساسي في مجموعهِ «الانيس المفيد» — (ص ٢٧) نشرنا ارجوزة ابن الهبّاريّة في الشطرنج في المشرق (١٣: ٧٧) — (ص ٢٩) ديوان الابيورديّ طُبع في مصر على الحجر سنة ١٢٧٨ بمطبعة محمود افندي المطيلي — (ص ٣٢) ديوان ابن حمديس لم يُطبع كاملًا الّا في رومية بهمّة المستشرق سكياپارلي سنة ١٨٩٧ بحرفنا البيروتي — (ص ٣٣) البُرعي اليماني ليس هو من العصر العبّاسي الرابع كما ظنّ بل عاش في القرون الاخيرة ذكرهُ الشرواني في حديقة الافراح — (ص ٣٧) ابو زكريّا التبريزيّ طبعنا لهُ شروحهُ المدقّقة على كتاب ابن السكيت في الالفاظ — امّا شروحهُ على اصلاح المنطق فطُبع منها قسم في القاهرة — (ص ٤١) كتاب الفاظ الاشباه والنظائر هو عين الالفاظ الكتابيّة

للهمذاني الذي نشرناهُ وانما خُدع الطابع باوّل صفحة نسخة الاستانة كما اخبرنا بهِ في بغداد — (ص ٤٤) اوّل ما طُبع شرح المعلقات للزوزنيّ في بيت الدين سنة ١٨٥٣ — (ص ٧٣) تاريخ دمشق لابن عساكر طُبع منهُ ثلثة مجلدات في دمشق في السنين الاخيرة بعناية الشيخ عبد القادر افندي بدران مع ضربهِ صفحاً عن الاسانيد — (ص ٧٩) لم يحسن جرجي افندي وصف المكتبة الصليبيَّة لا من حيث ترتيبها ولا من حيث مضامينها الواسعة —(ص ١١٣) ما رواهُ عن حريق مكتبة غرناطة على يد الكردينال زيغنس لا ينطبق على تاريخ صحيح فانَّ غاية ما قرَّرهُ الى يومنا العلماء الاثبات انَّهُ احرق بضعة مئات من الكتب الدينية امّا الكتب العلميَّة فانَّهُ لم يأمر بحرقها (فايراجع في كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسيّ ما كتبهُ عن اتلاف كتب الاندلس سابقاً ص ٦٦ من طبعتنا) — هذه بعض ملحوظات نكتفي بها مع تكرار شكرنا لمؤلف هذا التاريخ ل . ش

الشروح الوفية للصلوة الربية

تعريب وتأليف الاب يوسف شلفون اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للمرسلين اليسوعيين بيروت ١٩١٣ (ص ٨-٥)

الصلوة الربّية وضعها المُخلّص لهُ المجد ليشدو بها كل المسيحيين مسبّحين الآب الذي في السماوات . طالبين نجدته في ارض منفاهم . تائقين الى الاوطان العلويَّة . فلا عجب اذا ما تعدَّدت فيها اقاويل الآباء القدّيسين ومعلّمي السيرة الروحيَّة . وقد جمعها الاب الفاضل في كتابهِ وافرغها في عبارات بسيطة انيقة تؤدي المعاني الاصلية وان عربيةً فيما يغلب حرَّةً . فيكون لحضرتهِ فضل عظيم اقلّهُ من هذا القبيل . وزد على ذلك انهُ اثابه الله وصل ما جاء بهِ من اقاويل الثقات باعتبارات شخصية وشواهد تاريخية واخبارية يجد فيها المطالع جدوى روحية فضلًا عن اللذة التقوية . وحبذا لو اشار الكاتب المدقق ولو في الحواشي الى المصادر التي اخذ عنها فلعلَّ المطالع يرغب في مراجعتها في الاصل والاطلاع على ما يسبقها ويليها فتُضاعف المنفعة . ولا عجب ايضاً اذا ما توفَّرت علاقات الصلوة الربّية بعقائد الايمان القويم وواجبات المسيحيّ فان السيّد المسيح لاسمهِ السجود قد لخّص فيها تعاليمهُ الانجيليَّة اذ سالهُ التلاميذ قائلين (لوقا ١١ : ١) : « يا رب علّمنا ان نصلّي » ولكن خير الامور اوسطها . فلو

اقتصر الاب الفاضل على « الشروح الوفية للصلوة الربية » وعلاقاتها القريبة دون البعيدة لما سُلِب الكتاب شيئاً من محاسنه . ولا نخال حضرته اغفل عن هذا . غير انهُ آثرَ ولا شك تعميم الفائدة ولو بالاسهاب . والحق يقال انَّ ما هو في زعمنا دخيل في الكتاب يبقى في حدّ ذاته جزيل الفائدة . فثمَّةَ للمتأمل مادَّة واسعة يرتاض بها في مناجاته . وللكاهن لآلئ ثمينة ينظمها في عظاته . وسبحان من تفرَّد في كمال حسنه ومحاسنه

ش . ابيلا

رتبة درب الصليب وزياح الصليب

للاب انطون صالحاني اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للمرسلين اليسوعيين بيروت ١٩١٣ (ص ٥٦)

قال المؤلف في صدر كُتيِّبه « يسوع المصلوب هو سفر مكتوب في الجراحات والدم يسهل على الجميع قراءته ... وتعليمه بليغ يُنير العقل ويستميل الارادة ويقوي الضعف ويُحلي كل مرّ ويسهّل كل صعب . » فحبذا الطرائق التي تهدي المؤمن الى تصفُّح هذا السفر الجليل وان تعدّدت كما هو الواقع في يومنا هذا . فزيادة الخير خيرٌ . سيما اذا كان المرشد الى الخير على اسلوب هذا المصنَّف الذي جمع بين العواطف التقوية العذبة والتعاليم القويمة المتينة وهو مع فصاحة عبارته ورونقها بسيط سهل المأخذ مما يجعلهُ منهلاً فائضاً يستطيع الجميع ان يردوهُ فيستقون عبادةً وحبًّا لفادينا المصلوب . وقد اضاف اليه حضرة المؤلف رتبة زياح الصليب المشهورة وهي كلها تقوى وخشوع . وما يزيد في قيمته ثمنه الزهيد تُباع نسختهُ الواحدة ١٥ سنتيماً ش . ا

كتاب خادم القدَّاس الالهي

جمعهُ وضبطهُ على الاصل اليوناني الاب الكسيوس شتوي ب . م

بمطبعة القديس برلس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٣ (ص ٢٦٤)

ليس هذه اوَّل مرَّة يُطبع كتاب خدمة الليتورجيا الالهيَّة للطقس الرومي الكاثوليكي الملكي الَّا ان في هذه الطبعة الجديدة « ما يعين المرتلين في خدمة القداس الالهي طبقاً للتيبيكونات الصحيحة ويسهّل للشعب اتباع الكاهن والشماس والخورس في الصلوات العلنيَّة » . فضمَّنهُ « ما يقال في القداسات الثلاثة من الطروباريات والقناديق والاندبفونات » . ومن مزاياها ايضاً انَّ حضرة الجامع قابل الترجمة العربيَّة على اصلها

اليوناني فزادها امانةً وتنقيحاً. ومن محاسنها ايضاً انَّ كلَّ ما يقرأهُ خادم القداس او يرتلهُ المرتلون في الخوص قد ضُبط بالشكل الكامل حذرًا من تشويه الالفاظ باللحن. وكذلك قد احسن الجامع باثبات خدمة كل الاعياد في الاصل اليوناني مقابل العربي ما عدا تقاريظ الاساقفة وخدمة عيد الجسد الحديثة. وقد زادت مطبعة القديس بولس في حريصا هذا الكتاب رونقاً بحسن طبعهِ وإحكام تجليدهِ. فشكرًا لكل من سعى بنشر هذا الاثر ل. ش

العراقيات

الجزء الاوَّل . جمعها الادباء رضا وظاهر وزين

طُبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٣١ (ص ٢٠٨)

الشعر العراقي الحديث كاد يكون مجهولاً في انحاء الشام فأحسن محمَّد افندي رضا ورفيقاهُ الافنديَّان ظاهر وزين بنشر هذه الشذور المنبثة بفضل اصحابها والناطقة بآيات بلاغتهم في كل ابواب الشعر من وصف ومديح وفخر ورثاء فيتحقَّق اهل بلادنا انَّ العراق لايزال منبت الادب وانَّ العلويين قد ورثوا عن إمامهم ملكة القريض . ولولا بعض غراميَّات الكتاب لأشرنا على ناشئة وطننا بدرسهِ واقتباس فوائدهِ ل. ش

بتولية مار يوسف

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعيّ

بيروت المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩١٣ (ص ٢٥)

قال احد آباء الكنيسة انَّ السيد المسيح كان هائماً بالطهارة فلذلك ترَّب البتوليَّة من شخصهِ الكريم فاختار امًّا بتولاً واصطفى لأمهِ قريناً بتولاً وعيَّن ليتقدَّم امام وجههِ سابقٌ بتولٌ وسمح لتلميذهِ البتول ان يسند رأسهُ الى قلبهِ في العشاء السرّي. فكفى بذلك القول دليلاً على بتوليَّة يوسف التي دافع عنها حضرة الاب صالحاني احسن دفاع بادلَّة اقنعت كلَّ القرَّاء من جميع الطوائف فيا ليت حضرة الارشمندريت الياس زرّل يقرّ بغلطهِ ولا ينزع عن هامة يوسف الجليل ذاك التاج البهي الذي يزينها والذي جعلهُ اهلاً ليقترن بالزواج مع والدة الله ويصير للمسيح اباً بالذخيرة ل. ش

هدايا أرسلت الى ادارة المشرق

١ منشور داعوي وجّهه غبطة السيد الجليل مار عمانوئيل الثاني بطريرك بابل على الكلدان الى عموم الطائفة الكلدانيّة بمناسبة الاحتفال باليوبيل القسطنطيني. الموصل ١٩١٣

٢ رسالة رعائية الى موارنة ابرشية بيروت بمناسبة اعياد اليوبيل القسطنطيني ١٩١٣. بيروت المطبعة الكاثوليكيّة ١٩١٣

٣ رومة والشرق. مقالة معربة من الافرنسيّة بقلم الاديب انطون عقل نُشرت في مجلة الجنانيّة. مطبعة صبرا بيروت ١٩١٣ (ص ١٥)

٤ ابناء النقر اكثر تأثيراً في ترقية الهيئة الاجتماعية من ابناء الغنى. خطاب القته السيدة سلمى صائغ كتّاب في حفلة جمعية شمس البرّ في بيروت. مطبعة الحسناء بيروت

٥ Catalogue sommaire des Manuscrits du R. P. Paul A. Sbath.— (*Extrait de la Revue de l'Orient Chrétien*). *Paris Librairie A. Picard*, 1912.

شذرات

عاصمة الهند الجديدة — اخبرنا سابقاً ما عوّلت عليه حكومة الهند الانكليزيّة بعد زيارة الملك جورج من نقل مركز اعمالها الاداريّة من كلكوتا الى دهلي. على انّ دهلي مدينة قديمة مركّبة من اربع مدن اسم اقدمها دهلي سبقت العهد الاسلاميّ. ثم بيري بناها غياث الدين حفيد المستنصر الخليفة العبّاسي. ثم تُغلق اباد من بناء السلطان تغلق في اواخر القرن الثالث عشر. والرابعة تدعى جهان پناه اي ملجأ الدنيا اتخذها السلطان محمّد شاه كرسيّاً لملكه في اواسط القرن الرابع عشر. على انّ هذه المدينة مع ما فيها من الابنية القديمة الفخيمة لا تصلح لاعمال عاصمة كبرى عصرية. ومن ثمّ قد اتفقت ارباب الامر على تشييد مدينة جديدة في سهل فسيح موقعهُ جنوبيّ المدينة الحاليّة وقد عيّنت لرسم المدينة لجنةً من المهندسين الاختصاصيين وكلت اليهم النظر في كل ما يؤول الى خير المدينة من حيث تنظيمها وتقسيم احيائها ومراعاة احوالها الصحيّة وتوزيع مياهها وهندسة ابنيتها العموميّة واتساعها في المستقبل. ومما اجمع عليه المهندسون ان تُشيَّد المدينة على طريقة هندسيّة موافقة لتاريخ البلاد وذوق الاهلين اعني وفقاً لاصول الهندسة الهندية والاسلاميّة. والمؤمل انّ المدينة ستُصبح كيتيسة تلك الانحاء وكعبةً في جبهة تلك المستعمرة الانكليزيّة

الدكتور كابانس — في المقالة التي نشرناها في العدد الاخير من المشرق

(ايلول ١٩١٣ ص ٦٧٦ — ٦٩٦) ردًّا على ما كتبهُ في المقتطف الدكتور امين ابو خاطر بخصوص دروينية القديس اغوسطينوس اشتبه علينا اسم الدكتور كابانس. وقد اشتهر بهذا الاسم رجلان وكلاهما طبيب وكاتب. الواحد منهما يدعى بيار جان كابانس (P. J. Cabanis) عاش في اواخر القرن الثامن عشر واختلط بفلاسفة عصره ورجال الثورة الفرنسوية وتوفي سنة ١٨٠٨. والاخر اوغستان كابانس (Aug. Cabanès) وهو كاتب عصري لا يزال حيًّا يُرزق لهُ كسميهِ عدة تآليف في الطب والتاريخ وليست كل آرائهِ راجحة ثابتة بل بالغ وتطرَّف في بعضها حتى زيَّف مزاعمهُ فئة من الكتبة الموثوق بعلمهم. والظاهر ان منقولات الدكتور ابي خاطر عن هذا الاخير ليست عن الاول. فاقتضى التنبيه. وعلى كل حال لا يفقد دفاعنا عن القديس اغوسطينوس شيئاً من صحتهِ والدكتور امين مخطئ سواء نقل عن الاول ام عن الثاني

اكاذيب الكلمة اعادت مجلة الكلمة الاورثدكسيَّة المطبوعة في نيويرك التحامل على الكثلكة زوراً فاشرنا الى كذبها مراراً فلم ترعوِ وقد اثبتت بذلك المثل السائر انَّ العادة طبيعة ثانية. وها نحن نورد امثلةً من افكها ليكون القرَّاء على بصيرة. ففي عددها الاول من سنتها الحاليَّة (ص ٣٢—٣٩) سطَّر منشئها فصلًا مضحكاً اراد على زعمهِ ان يبيِّن فيهِ انَّ شعوب البلقان الاورثدكسيين لم يقصدوا سوى نصرة الصليب في حربهم مع تركيَّة وانَّ الحبر الاعظم عدل عن هؤلاء الصليبيين — والعالم المتمدن يعرف الآن من هم — لينتصر للامة التركيَّة (كذا). ثمَّ اردف ذلك بفصل مثله غرابةً (ص ٣٩—٤١) عنوانهُ « شهادة بارونة اوربية كاثوليكيَّة على اضطهاد الكنيسة البابويَّة للكنيسة الاورثدكسية الشرقيَّة » اراد بالبارونة امرأة المانيَّة يعدُّها كل من يعرفها من مواطنيها وغيرهم فاقدة الشعور وفي يدنا كتابها الذي تشهد كل صفحاتهِ على تلفيقاتها — وكذبت الكلمة ثالثةً في عددها الثاني (ص ١٠٥) حيث روت « بان البابا بيوس العاشر أسقط اسماء خمسة باباوات من السلسلة البابوية » وهو خبر ليس لهُ ادنى نصيب من الصحَّة كما لا يخفى الَّا ان صاحب الكلمة لا يهمُّهُ الصحيح وانما غايتهُ رشق نبالهِ ضدَّ رومية. وعادت الكلمة في عددها الثالث (ص ١٣٤) الى تمثيل روايتها الهزليَّة عن انتصار دول البلقان واستياء الكاثوليك من هذا الظفر فافتتحت كلامها بهذه الالفاظ الحلوة : « انَّ الصحافة الكاثوليكيَّة

تبكي الآن بمرارة تلك الخسارة التي حصلت لمزاعم رومية الطويلة العريضة من جراء نجاح الممالك الاربع «المشاقّة» (كذا) البلقانيّة في حربها ضدّ الدولة التركيّة» زه زه. — ثمّ كرّرت الكلمة كذبها (ص١٧٧) اذ روت خبر مذكّرة للحبر الاعظم بيوس العاشر الى حكومات جرمانيا والنمسا وايطاليا «طالباً منها ادخال مدينة سكوتاري في حدود البانية» وكل ذلك لا صحّة لهُ الّا في مخيّلة منشئ الكلمة — ومن المضحكات المبكيات فصل الكلمة (ص ٢٣٧) المعنون «الجبل المقدّس والصحف الكاثوليكيّة» جعلت لجبل آثوس شأناً عظيماً في اعين الكاثوليك وكلّ خبير يعلم ما هي قداسة ذلك الجبل وسكّانهِ الذين ليس لهم من الرهبانيّة غير ثوبها كما تفيدنا كل يوم روايات السيّاح الى هذا الجبل المقدس !! — وقد اقرّ السيّد هواويني نفسهُ في العدد التالي (ايّار ص٣٠٩ ثمّ في عدد تموز ٣٨٥) بظهور بدعة جديدة بين رهابين جبل اثوس المقدّس! — وفي عدد حزيران (ص٣٢١—٣٣٢) اعلمنا سيادتهُ بتثبيت روسيّا لاحد قدّيسيها البطريرك هرموجانيس الذي لا يُعرف لهُ من فضل غير بغضهِ للكاثوليك البولونيين — وفيهِ ايضاً (ص ٣٧٥) خبر «دسائس جزويتيّة في عاصمة الروسيّة» وكفى لتكذيب الكلمة القول بانّ الجزويت بفضل الاورثدكسية منفيّون من روسية منذ ٩٥ سنة فكيف يدسّون الدسائس في عاصمتها! — وفي عدد تموز (ص ٤٣٠) فصل عنوانهُ «تأليه البابا» يزعم السيد هواويني انّ الكاثوليك يعبدون البابا كإله وفي مقالتهِ شاهد جديد على انصافهِ بل قل على ما يغلي في قلبهِ من مراجل البغض للكرسيّ الرسولي الذي رفع عليه عقبهُ شأن الابن المتمرّد — وفي عدد آب (ص٤٦٩—٤٨٨) نقل السيد هواويني مقالة كاتب المهذّب — وكل طير يأوي الى جنسهِ — حيث ادّعى انّ الحبر الاعظم بمقاومتهِ للاضاليل العصرية انّما اراد الاستبداد وعدل عن الاصلاح الى الجور وقد بيّنّا سابقاً مؤدّى تلك التعاليم وتواطؤ اصحابها على كنيسة المسيح. فترى انّ صاحب الكلمة لا يدع عدداً واحداً من مجلّتهِ دون ان ينفث فيهِ سمّ بغضهِ للكثلكة ولو شغل نفسهُ في اصلاح كنيستهِ لوجد مجالاً واسعاً واغنتهُ اخشاب عينها الغليظة عن نظر القذى في عين الكنيسة الرومانيّة

المهاجرة الى اوستراليا معلوم انّ اوستراليا اكبر جزائر المعمور كافية لسكنى ٥٠ مليوناً من السكّان. على انّ عدد اهلها لم يكد يبلغ سنة ١٩٠٧

خمسة ملايين من النفوس. فسدًّا لهذا الخلل جعل ذووها يسعون في جذب المهاجرين الى جزيرتهم لاسيما الاوربيين فزاد عددهم زيادةً تذكر ففي السنة ١٩٠٨ لم يتجاوز عدد المهاجرين ٧٢,٠٠٠ فبلغ في السنة التالية ٨٣,٠٠٠ ثم ٩٥,٠٠٠ ثم ١٤١,٠٠٠ حتى بلغ في العام الماضي ١٦٦,٠٠٠. وقد افادنا مكاتبونا انَّ السوريين في اوستراليا موفّقون فلعلّ المهاجرة اليها اجدى لهم نفعاً من سواها

اسئلة واجوبة

س سأل من جديدة مرج عيون حضرة الخوري بطرس شديد هل زواج رجل وفتاة اورثذكسيين اذا عُقد مدنياً في اميركا هو ثابت او يجوز فسخهُ اذا اعتنقا المذهب الكاثوليكي

زواج مدنيّ بين اورثذكسيَّين

ج يعدّ الكرسيّ الرسوليّ هذا الزواج ثابتاً عند الشرقيين (غير الموارنة القابلين لحكم المجمع التريدنتيني) ولا يسمح بفسخهِ اذا عاد الاورثذكسيَّان الى الدين الكاثوليكي ما لم يكن هناك موانع أخرى موجبة لابطالهِ

س وسأل ش. خ من جونية هل يجوز للكاهن خوري الرعيّة ان ينقل ايام الاعياد غير البطالة من يوم الى آخر

نقل الاعياد غير المبطلة

ج لا يجوز ذلك الّا باذن اسقف الابرشيّة كنقل عيد الكنيسة المحليّة الواقع في أيام الشغل الى يوم الاحد وما اشبهه واذا لزم تغيير شيء في الطقوس الكنسيّة بسبب هذا النقل لا بُدَّ من مراجعة غبطة السيد البطريرك

س وسأل من هولبوك ماس في الولايات المتحدة جناب ميخائيل افندي عبّاس: ١ً هل الروم الذين يتكلمون باللغة العربيّة سواء كانوا كاثوليكيين او اورثذكسيين اصلهم يونان او سريان. ٢ً هل تُعرف سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين قبل تفرّع الطوائف وانقسامها

اصل الروم الكاثوليك والارثذكسيين — سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين

ج اصل الروم عموماً في بلاد الشام من العُنصر الآرامي كبقيّة الطوائف الشاميّة وان امتزج بهم كما في بقيّة الفينيقيين آثار من دم الشعوب الذين استولوا على سوريّة كالبابليين والفرس واليونان والرومان والعرب الّا ان ذلك لم يمحِ العنصر الاصلي الوطنيّ — اما سلسلة بطاركة انطاكية الملكيين فمعروفة وان كانت بعض حلقات تلك السلسلة مفقودة

ل. ش

المشرق

تذكار مولد لويس ڤويليو

بطل الصحافة الكاثوليكية في فرنسة

للاب لويس شيخو اليسوعي

ان كان الصحافي الكاثوليكي يُسرّ بالكتابة عن الرجال العظام فانَّ سروره اعظم بنشر مآثر فرسان الاقلام الذين قدَّسوا يراعهم بالجهاد الصالح في حلبة الدين والأدب فانَّ مثالهم يستفزُّهُ ويشحذ قريحتهُ اذ يجد فيهم الئمة سبقوهُ فنهجوا لهُ طريقاً شريفة مجيدة لقوا فيها ما يلقاهُ من المسالك الوعرة والعقبات الكؤود. ومن ثمَّ لم نرَ بُدًّا من مشاركة الصحافة الكاثوليكيَّة الاوربيَّة في تذكار من يعدُّونهُ كإمام الصحافيين في القرن المنصرم نعني بهِ لويس ڤويليو

احتفلت اسبانية الكاثوليكيَّة قبل اربع سنوات بذكر مولد كاتبها المقدام وخطيبها اللسان دونوزو كورتيس (١٨٠٩ — ١٨٥٣) فوفوهُ حقَّهُ من المديح وأطرأوا مآثرهُ الكتابيَّة في الصحف وخطبهُ على المنابر وتآليفهُ في الدفاع عن حوزة الدين فلم يشأ الفرنسويُّون ان يتأخروا في ذكر بطلهم الذي شرَّف الصحافة بمقالاتهِ الضافية وكتاباتهِ الجلية في كلّ فنون الأدب وكان صديقاً حميماً لدونوزو كورتيس بريًا في ذات الميدان وهما كفرسي رهان

والحقُّ يقال انَّ لويس ڤويليو يستحقُّ اكثر من سواهُ ان تلهج بمدحهِ الالسنة ويُخلَّد ذكرهُ على صفحات القلوب فانَّ حياتهُ ليست كحياة غيرهِ مشوبةً بالمحاسن والمساوئ وبالمحامد والمشائن بل كانت كسلسلة اعمال صالحة ومساعٍ مشكورة في

خدمة كل مشروع حميد. وهو في كل ذلك لا يطلب نفعاً شخصياً او جزاء بشرياً حتى انهُ رفض ما قدَّموهُ لهُ من الاوسمة والامتيازات الشرفيَّة لتكون خدمتهُ خالصةً لوجه الله. لكنَّ الرب الذي يرفع المتواضعين لم يسمح بخمول عبدهِ. وهذه الحفلات بنسبة المئة الاولى لتذكار مولدهِ دليل جديد على صحَّة الآية الانجيليَّة ان من اتَّضع ارتفع

ولا يجوز لشرقنا السكوت في هذه الفرصة لأن من يقلب تآليف لويس فوليو وشقيقهِ اوجان يجد فيها كلاماً مستفيضاً في وصف احوال الشرقيين الاجتماعيَّة والدينيَّة والادبيَّة فألفت الينا انظارَ مواطنيهِ. وهذا ما حدا بنا الى كتابة الاسطر الآتية حيث نعرّف بوجيز الكلام الرجل ثمَّ الكاتب ثمَّ المسيحي

١ الرجل

في احد ايَّام الربيع من السنة ١٨١١ كانت فتاة جميلة المنظر رقيقة الطباع تشتغل بالخياطة عند شبَّاك بيتها المزدان بالزهور وهي تتشمَّس بعد برد الشتاء وتغنّي بصوتٍ رخيم لتخفّف عبء الشغل اذ مرَّ امام البيت شابٌّ عامل على كتفهِ ادوات صنعتهِ وكان يتجوَّل ليصطنع البراميل. فرأتهُ الفتاة مضنوكاً بالتعب فدعتهُ ليأخذ في بيت اهلها نصيباً من الراحة. فدخل شاكرًا متأثرًا من لطف الفتاة وما قضى ساعةً هناك حتى توسَّم فيها الخير وعلم انهُ سيجد في خطبتهِ للبنت سعادة حياتهِ وما لبثا ان اقترنا بالزواج المسيحي يرضى اهلها وسكنا في تلك القرية المدعوَّة بوران من مقاطعة لوَارهْ في اواسط فرنسة

وهذان الزوجان هما والدا لويس فويليو كانا رقيقَي الحال يعيشان من شغلهما هذا من ادواتهِ وتلك من إبرتها لكنهما كانا غنيَّين بمواهب القلب متأصلين في دينهما (١ رغماً عمَّا فشا في ذلك الوقت من روح الكفر بمساعي زعماء الثورة والجمعيَّات السريَّة. وكانت امَّهُ تذكر بالفخر انَّ عصابة من الاوباش هجموا سنة ١٧٩٣ على كنيسة القرية والصليب المنتصب امامها يريدون نقض اركان بيت الله وتحطيم الصليب فلم يجسر احد من الاهلين على ردّ كيدهم فوثبت والدتها جدَّة لويس كلبوءة وقبضت على فأسٍ محدَّدة ودعت لمناصرتها نساء القرية فكان لزئيرها صدًى

١) بقي ابوهُ مدَّة متباعدًا عن الفروض الدينيَّة ثم تاب

في قلوب رفقائها فأحطن بالكنيسة والصليب إحاطة السوار بالزند فصرخت زعيمتهن الى اولئك الاشرار وعيناها تقدحان بالشرر انها تقتل بنفسها اول من يرفع يده على الصليب. فتحقق اولئك الاشرار انها تفعل فنكصوا على اعقابهم فشلين

كان مولد ڤويليو بين دوي المدافع وصلصلة السلاح في ١١ تشرين الاول سنة ١٨١٣ اذ كان نابليون الكبير ناوياً ان ينهض نهضة الاسد ليسحق اعداءه المتحالفين لمحاربته لكن الله كان قد اهمله منذ رفع يده على نائب السيد المسيح فالقاه في السجن وضيق عليه فما لبث نابليون ان عرف صحة المثل: « أن من يأكل لحم البابا يتخبط »

فنشأ لويس وهو لم يعرف تلك الامور الخطيرة التي جرت سنة مولده الا بعد حلولها بزمان. وقد كانت السنون الاولى من حياته كحياة احداث القرى قضاها في درس مبادئ العلوم في مكتب قريته فاخذ منها كفايته على انه كان يتحسر اذ يذكر ما وجد في تلك المدرسة العلمانية من سوء التربية لقلة المدارس الدينية في ذلك العهد

واذ كان والدا لويس في حاجة الى مساعدته بقيا مدة مرتابين لا يعلمان اي حرفة يعلمانه ليرتزق منها وهما في هذا الفكر اذ أفلس الرجل الذي كان ابوا لويس ائتمناه على مالهما فاضطرا الى مغادرة قرية بوان طلباً للمعاش فوجدا في باريس شغلاً يسد عوزهما. واذ علم احد المحامين ان لويس ابنهما يحب الدرس ضمه الى مكتبه مع عدة شبان كانوا يساعدونه في اعداد اوراق الدعاوي

وكان المحامي المذكور أخاً لشاعر شهير في ذلك الوقت اعني كازمير ديلافيني فكان كتاب اخيه يجتمعون لقراءة قصائده ويسعون في نظم الشعر على مثاله. فاخذت الحمية لويس ڤويليو فشرع يكتب وينظم فيتعجب رفقته الشبان من كتاباته الرائقة

وفي تلك الاثناء حدثت ثورة السنة ١٨٣٠ التي قوضت عرش ملك البوربون شرل العاشر فعاد اهل الثورة الى مقابحهم في حق الدين والمجتمع الانساني لكن العقلاء الذين كانوا يتذكرون سيول الدماء التي اجراها الفوضويون سنة ١٧٩٣ خافوا من تكرار تلك الفواحش فطلبوا الوسائل ليوقفوهم عند حدهم لاسيما بتحرير الجرائد الحافظة. فعرضوا على لويس ڤويليو ان يكتب في ما انشأوه من الجرائد في بعض المدن فرضي وعمره لا يتجاوز اذ ذاك التسع عشرة سنة

فما كاد يغطُّ قلمهُ في الدواة حتى عرف القرّاء انَّهُ ابن بجدتها فاخذ النـاس يتزاحمون على مطالعة كتاباتهِ حيثما ظهرت فكتب في عدَّة صحف والتوفيق يساعدهُ حتى جعلوهُ رئيس انشائها بعد ان كان من محرّريها ثم جـاء الى باريس ونال فيها الشهرة كما احرزها في المدن التي دونها

وكان لويس كأهل ذاك العصر لا يكاد يبالي بامر الدين فيشتغل بالسياسة مدافعاً عن النظـام والسلطة المدنيَّة الَّا انَّهُ لحظ بعد زمن قليل انَّ السياسة بلا دين كبناء بلا اساس ينقضهُ كل من يتعرَّض لهُ . فتبيَّن عجز السياسة لإصلاح العمران بل استنكف من الكتابة في امور اختبر ضعفها بل تحقَّق بطلانها . وكان يرى في نفسهِ اشمئزازاً من الدنيا وخزعبلاتها . وهو لم يجد ما يسندهُ في تيّار اهوائها فهمَّ ان يطلب لقلبهِ راحةً في الاسفار فقصد ان يبحر الى الاستانة ومنها يزور الشرق لكنَّ الله غير في الطريق مسيرهُ فتوجَّه الى رومية وهو لا يريد من سفرهِ اليها سوى ترويح البال فكانت لهُ رومية كطريق دمشق لبولس الرسول فتجلَّى لهُ الله وكشف لهُ كنوز رحمتهِ على يد بعض اصدقائهِ الافاضل الذين كانوا في رفقتهِ واذ كان يوماً يزور معهم احدى كنائس رومية مسَّ الله قلبهُ وبدَّد ظلمات عقلهِ فناب الى خالقهِ وخرج منها رجلاً جديداً يكرّر مع شاول : ماذا تريد يارب ان اصنع ؟ . وكان اذ ذاك في رومية يسوعيٌّ شهير بعلمهِ وتقاهُ الاب روزافن اجتمع بهِ ل . ڤويليو وبعد ان استنار بنارهِ وأرسخ لديهِ قدمهُ في ايمانهِ جاهر بالتوبة واقتبل الاسرار المقدسة . وقد صنَّف في ذلك كتاباً من أمتع الكتب دعاهُ « رومية ولوريتو » فصَّل فيهِ كارغستينوس في كتـاب اعترافاتهِ خبر ارتداده وهو تأليف يسيل رقَّةً لمحاسنهِ وتتدفَّق من مطاويهِ عواطف الشكر للربّ الذي انقذهُ من هوَّة الجهل وهداه الى سواء السبيل

ثمَّ تجوَّل في سويسرة وكتب تفاصيل رحلتهِ اليهـا وعاد الى باريس سنة ١٨٤٢ حيث تيسَّرت لهُ الامور وعرض عليهِ ارباب الامر الدخول بين عمَّـال الحكومة مع الامل الوطيد بالبلوغ الى مناصبها الرفيعة لكنَّهُ بعد ان جرَّب خدمة الدولة مدَّة رأى انَّ حياتهُ اعلى قدراً من ان يصرفها في وظائف مبتذلة تُغنيهِ دون ان يتاجر بالوزنات التي نالها من سيّدهِ

وفيما هو يفكّر في دعوتهِ اذ ارسلهُ وزير الدولة گيزو الى الجزائر ليوقفـهُ على

احوال هذه المستعمرة التي كانت فرنسة تملكتها منذ عهد قريب فلبّى لويس الى طلبته وقضى في الجزائر ستّة اشهر في ضيافة الجنرال بوجو احد اصدقائه سابقاً. فكتب عن احوال تلك البلاد تقارير سرّيّة شكره على تدقيقها وضبطها وزير الدولة واردف ذلك بكتاب جليل عنوانهُ " الفرنسويون في الجزائر "

وفي تلك الاثناء كان يلحظ تديّن الجزائريين ويقابل بين ما هم عليه من التعصّب لدينهم وما يراهُ في المستعمرين من مواطنيه من الاستهتار فيسوءُ الامر. فكان يسعى طاقتهُ ان يظهر للجميع اعتبارهُ لدينه فيحضر كل الحفلات الدينيّة بلا حياء بشري. فاثّر مثلهُ في بعض المسلمين واليهود الذين طلبوا التنصّر. واختارهُ اسقف المدينة ليكون شبيناً لوسوي اعتمد بحضوره وكانت شبينة المتنصّر احدى نساء الامير احمد باي الجزائر سابقاً وهي ايضاً من المتنصّرات

وقد اتاحهُ الله في مدّة اقامته في افريقية نعمةً جديدة كان يطلبها من الله بثقة تزيد بها رجوع اخيه اوجان الى الدين بعد اهماله فرائضه منذ صباه. فارتدّ كاخيه لويس على يد احد الآباء اليسوعيين في باريس الاب ڤيارين الواعظ الشهير. فأفعم الخبر قلب لويس فرحاً فهنّأ شقيقهُ بقوله انّ العلائق الاخويّة الوثيقة التي كانت بينهما قد تضاعفت فلن يفصمها الدهر الى الابد. وكان اوّل ما فكّر فيه عند عودته الى باريس ان يضمّ اخاهُ الى صدره ويمزجا سويّةً عبرات الفرح شاكرَين لله على نعمة زادتهما حبّاً واخاء

ثمّ اخذ الاخوان يتحادثان على ما صار اليه دين اجداد الفرنسويين من التقهقر بسبب الثورة الفرنسويّة وتعاليم زنادقة القرن الثامن عشر فخلع ذاك الجيل ربقة الدين القويم واستسلموا الى الكفر الذي حطّ بفرنسة الى هوّة الدمار. ثم قام اولادهم بعدهم فرضعوا مثلهم افاويق الضلال فبثّوا روح ڤولتير وروسّو بين مواطنيهم بخطبهم وكتبهم وجرائدهم حتى صار الجمهور ينظر شزراً الى الدين وارباب ويبذ تعاليمهُ الخلاصيّة الجديرة وحدها بان تخلّص الوطن من الاضمحلال

وكانت نتيجة هذا الحديث انّ الاخوين عزما على ان يوقفا قلمهما على الدفاع عن حياض الدين وشرف كنيسة المسيح التي ليس خلاص خارجاً عنها. وتناول لويس ڤويليو من ساعته قرطاساً فكتب الى الوزير گيزو يستعفي من مواصلة خدمة

وطنهِ في الدوائر الرسميَّة لينقطع الى الكتابة . ففعل هذا وهو يعلم بأن الكتابة لا تؤتيهِ من الارباح نصف ما يكسبهُ كعامل الدولة

ثمَّ اندفع لويس مطلقاً لقلمهِ عنانهُ فصنَّف تأليفهُ المعروف بأعطار رومية من أمتع مؤلفاتهِ وألطفها واحسنها انشاء وأدلّها على تديُّنهِ وحبّهِ للكنيسة لولا انهُ كان يفضّل التحرير في الجرائد

وكانت حينئذٍ الجرائد الكاثوليكيَّة خاملةً لتحامل اعداء الدين عليها وقلَّة كتبتها المبرّزين ولانقسام كلمة الحزب الكاثوليكيّ الفرنساويّ

ومن افضل هذه الصُّحف جريدة تدعى « الاونيفير » كان انشأها الاب مين (Migne) الشهير سنة ١٨٣٣ للدفاع عن الدين الّا انهُ لكثرة اشغالهِ كان وكلَ امرها الى بعض الكتبة الذي لم يكسبوها سمعةً كبيرة ولذلك بقيت خاملةً لم يتجاوز عدد المشتركين فيها على ١٢٠٠ فكان الكاثوليك يبحثون عن كاتب ضليع يولُونهُ انشاءها فوجَّهوا نظرهم الى الشاب ڤويليو وعرضوا عليهِ الامر فلبَّى دعوتهم بطيب الخاطر كأنهم وقفوا على جلّ رغائبهِ فباشر بالعمل سنة ١٨٤٣ وثبت عليهِ مدَّة اربعين سنةً فاضحى الاونيفير لسان حال الكاثوليك الصادقين الذين يقدّمون دينهم على كل شيء ويضحّون في سبيلهِ النفس والنفيس

فما مرَّ على المنشئ الجديد عدَّة اسابيع حتَّى كان لصوتهِ صدًى في قلوب كلّ مواطنيهِ ليس الكاثوليك فقط بل كلّ محبّي الانشاء الحرّ المتين فأقبل القرَّاء على الجريدة رغبةً في استجلاء عرائس افكار ڤويليو والتمتُّع باثار قريحتهِ حتى بلغ بعد مدَّة عدد المشتركين عشرة اضعاف ما كانت عليهِ قبلهُ

وكانت كتاباتهُ سيَّالة متفننة تُعرب عن كلّ عواطف نفس محرّرها فينفخ في كلّ الصدور حبَّ الفضيلة وذريها والبغض لكل السيّئات والاشرار

واذ رأى ڤويليو كثيرًا من الجرائد اللادينيَّة تصوّب صباح مساء نبالها الى الكنيسة واربابها لم يكتفِ بان يردّ سهامها بل شنَّ عليها الغارة وكشف عن سوءاتها وتتبَّع كتابات منشئيها فبيَّن بالتهكُّم اللطيف جهلهم الفظيع واغلاطهم الجمَّة في كل ابواب العلوم وفي حسن الانشاء حتى أضحك منهم كل قرَّائهِ بل قرَّائهم فلم يسعهم الّا السكوت او التحامل عليهِ بالسباب فزاد انحطاطهم في اعين ذوي الذوق

السليم. فكانت نتيجة كتابات فويليو انَّ الدين علا مناره وكبا زند الكفر وذويه

وكان لويس فويليو اخذ على نفسهِ ما خلا الجهاد ضدَّ الكفرة الدفاع عن الكرسي الرسولي وتعاليمهِ. وكان كثيرون من الكاثوليك في فرنسة لا يزالون متشبثين بآراء سقيمة اخذوها عن المبتدعين كالجنسنيين والغليقانيين المدَّعين بامتيازات باطلة لكنيسة فرنسة فهؤلاء اعتبرهم فويليو كآفة لوطنهِ وتصدَّى لآرائهم الواهنة وكان بينهم بعض ارباب الكهنوت فثارت ثوائرهم وقاموا وقعدوا لمعاكسة الاونيفير حتى ارادوا ان يُحرّموا قراءتهُ على رعاياهم لكنَّ الكرسي الرسولي انتصر للجريدة ولمنشئها فذهبت مساعيهم ادراج الرياح وفاز فويليو فوزًا باهرًا رفعهُ في اعين اصحاب التعاليم السديدة

وكما اوقف فويليو عند حدّهم المادين للكنيسة في الصحافة وفي مصفّ الاكليروس كذلك حاول الدفاع عن الحبر الروماني وحرمة الكرسيّ الرسولي بازاء ارباب السياسة وضابطي زمام الدولة نعم انَّهُ كان يحترم السلطة لعلمهِ بان كل سلطة من الله لكنَّهُ ابى أن يعترف بانَّ للسلطة المدنيَّة حقًّا بمناهضة السلطة الدينيَّة ومن ثمَّ لم يخف بان يصرّح بأفكارهِ بكلّ حرّية لم تأخذهُ في ذلك لومة لائم بل كتب فصولًا استاء منها نابوليون الثالث فضايقوا على الاونيفير بالمراقبة ووجّهوا اليهِ الإخطارات لكنَّهُ كان يقول مع رسل المسيح: لا أقدر أن لا اتكلَّم فالنار ولا العار. واذ رأوا ان تهديدهم لا يعمل في قلبهِ حكموا عليهِ بالحبس مدَّة شهر وبدفع غرامة باهظة. فخرج من حبسهِ مفتخرًا فرحًا بما نالهُ من الهوان لاجل الدين

ثمَّ عاد فويليو الى كتاباتهِ وكلُّها موسومة بسمة البراءة ووفرة المعلومات وخفَّة الروح والتفنُّن دون ان يغيّر في شيء خطَّتهُ ونزاهة اقوالهِ حتى لم يجد نابوليون طريقةً لكسر شوكتهِ الَّا بتوقيف جريدتهِ مع الحظر على كل الجرائد ان تنشر مقالاتهِ. فبقيت الجريدة موقفة عدَّة سنين حتَّى اراد الامبراطور ان يتقرَّب الى الكاثوليك فسمح بنشرها فعاد فويليو الى تحريرها وخدم فرنسة خدماً لا يفي بها الشكر في اواخر عهد نابوليون ومدَّة المجمع الفاتيكاني وفي اثناء حرب فرنسة والمانية ولم يسمح قلمهُ حتى تثاقل على اكتافهِ عبء الايام فبقي كستار الجريدة ينفخ فيها

روحهُ الطيّبة كأنهُ يعيش باقلام رصفائهِ ولاسيّما اخيهِ اوجان وابني اخيهِ بيار وفرنسوا واختهِ اليزا

وقد كان موتهُ موت جنديّ باسل واذ شعر بقرب وفاتهِ كرّر هذه الالفاظ « اني اقدّم لك يا ربّ حياتي كمحرقة لخير الكنيسة » وكان آخر ما كتبهُ في مرضهِ الاخير مقالة عن الكردينال بي صديقهِ ونصير الكنيسة مثلهُ

ولمّا توفي ڤويليو نزع موتهُ سخيمةَ كل معاديهِ فكانت الجرائد باجمعها لساناً واحداً في اطراء نفسهِ الشريفة التي لم تعرف غير الواجب وفي تعظيم خلالهِ الطيّبة وتزاهتهِ في الدفاع عن الدين وثباتهِ على خطّتهِ دون الاخذ بالوجوه . امّا مدحهم لبلاغتهِ وحسن انشائهِ فانّهم اقرّوا بكونهِ نسيج وحدهِ في الكتابة الافرنسيّة . وقد أُقيمت لجنازتهِ حفلةٌ تقاطر اليها الناس من كل طبقات اهل باريس بينهم الاساقفة وعلية القوم ووفود الجمعيّات الخيريّة وممثلو الصحافة والمبعوثون من مجلسي الامّة والاعيان والفقراء وكلّهم يثنون اطيب الثناء على فقيد وقف حياتهُ لمجد الله وخدمة الكنيسة وتنشيط كلّ اعمال الخير

٢ الكاتب

عرفتَ ممّا سبق ما كان عليهِ لويس ڤويليو من البراعة في الكتابة . على انّ هذه الخاصّة لم تأتهِ عفواً وقد رأيت انّهُ ولد من اصل وضيع وتربّى في قرية لم تمتز مدرستُها بشيءٍ يُذكر

ولما انتقل الى باريس أورى زندهُ في مكتب ديلا ڤيني بين رصفائهِ الشبّان . على انّ كتبة ذاك العصر كانوا نهجوا لهم طريقة من الكتابة يغلب عليها الزخرف الزائد والتعبير المقعّر والمعاني المبتكرة الغريبة والالفاظ الدخيلة فيتحرّر اصحابها من قوانين الكتابة التي بأمت بكتبة القرن السابع عشر الى ذرى المجد

فجرى لويس ڤويليو اوّلاً على خطّة معاصريهِ لكنّهُ ما عتم ان رأى ما في هذه الطريقة من السقم والبهرجة الزائفة فعدل عنها واخذ يدرس بنشاط تآليف جهابذة قرن الآداب الافرنسيّة الذهبي كلسين وكورنايل وبوالو وبوسويت وفنيلون فشغف بمطالعتهم وصار يتعقّب آثارهم فتحسّن انشاؤهُ كثيراً بهذا الدرس

ثمَّ تحقَّق انَّ هؤلاء الكتبة انَّما بلغوا مقامهم الرفيع في الكتابة بدرس اللغة اللاتينيَّة امّ اللغة الافرنسيَّة واصل رونقها فكدَّ جبينهُ واسهر عينهُ في حفظ قوانين تلك اللغة حتى اتقنها فأدَّى بهِ الامر الى معرفة دقائق لغتهِ وخواصها حتى صار من افصح كتبتها لهُ البصر النقَّاد في غثها وسمينها

وكان مع تحسينهِ لانشائهِ يجهد نفسهُ في درس العلوم العصريَّة لا سيما تاريخ بلاده وآثارها. وخصَّ زمناً طويلاً بمعرفة تاريخ الكنيسة والعلوم الدينيَّة لئلَّا يحيد في كتاباتهِ عن جادَّة الحقّ. ولذلك تعمَّق في الفلسفة وملحقاتها

وقد برَّز لويس ڤويليو في جميع انواع الكتابة لهُ في كلّها مصنَّفات مستملحة يدرسها اليوم ارباب الاقلام فيأخذهم العجب من محاسنها وصفاء لغتها وانسجام انشائها. ولهُ في الوصف اليد الطولى اذا اراد تعريف شخص او مكان او حادث يكاد يصوّرهُ تصوير العيان فينفذ كلامهُ في شغاف القلب. ومن حسناتهِ اوصافهُ الدقيقة للأخلاق فيميّز في كلّ قوم او بلد او شخص ما يفرزهُ عن غيرهِ فينطبع ذكرهُ في قلب القارئ فلا يعود ينساه

ولو اردنا تعداد كلّ مصنَّفاتهِ الدينيَّة والادبيَّة والتاريخيَّة والاجتماعيَّة لأخذنا العجب من وفرتها وحسن سبكها وتدقيق كاتبها في كل ابحاثها المتباينة

على انَّ لويس ڤويليو مع شهرة تآليفهِ واجماع المنتقدين على محاسنها قد تفرَّد في انشاء الصُّحف فانَّهُ قد جمع في شخصهِ كلّ صفات الصحافيّ الحقيقي من معارف جمَّة وسرعة خاطر وإرهاف قلم وذلاقة لسان وجرأة في الكتابة لا يثنيها غير صوت الضمير. وقد جمعوا عشرين مجلَّداً من نخب مقالاتهِ اقتطفوها من جريدة « الاونيڤير » يعدُّها الأدباء من اجمل الآثار الادبيَّة والاجتماعيَّة في القرن المنصرم

وكان لويس ڤويليو شاعراً مجيداً كما كان ناثراً بليغاً ولهُ القصائد الرنَّانة التي تدلُّ على سلامة ذوقهِ وجودة قريحتهِ وتفنُّنهِ وكان لا يطلب في نظمهِ عذوبة الشعر وزخرف الالفاظ بل بلاغة المعاني وتنفيذ مقاصدهِ في القلوب على صورة النظم الرائق. وقد جُمعت هذه القصائد في مجلَّدين عنون الواحد « بالاقاعي » والآخر « بنات بابل » يقصد في كليهما تأديب كتبة زمانهِ المنافقين

ولهُ مع ذلك الكتابات والرسائل التي تستغرق عدَّة مجلَّدات وفيها لآلئ ثمينة

من الانشاء الطيّب ترى فيها ما كان عليهِ ذاك الكاتب من لطف الطباع ورقّة العواطف وقداسة الحياة. وقد وجّه تلك الرسائل الى كل مشاهير زمانهِ من اهل الدنيا والدين في سائر الامور السياسيَّة والدوليَّة والدينيَّة والادبيَّة . وألطف منها كتاباتهُ الاهليَّة لاصحابهِ واقاربهِ ولاسيما صغار عائلتهِ وعائلة اخيهِ اوجان وهو فيها ابلغ منهُ في كتاباتهِ الى كبار الرجال. ويا ليت الزمان يسمح لنا بتعريب شيءٍ منها لرأى القرّاء علوَّ مقام راقمها وادركوا سعة فضلهِ

٣ المسيحي

كان لويس ڤويليو رجلًا عظيماً وكاتباً شريفاً. لكنَّهُ مسيحي اعظم واشرف. فانَّهُ حقَّق في نفسهِ كلمة الرسول المصطفى في رسالتهِ الى طيموثاوس الثانية: جاهد كجندي المسيح الصادق

نعم كان ڤويليو جنديًا في كلّ حقيقة الاسم. فلهُ قائدهُ ولهُ رايتهُ ولهُ جهادهُ الشرعي الذي كلَّلهُ الله بالظفر التامّ . وانَّما كانت جنديَّتهُ للملك يسوع اتَّخذهُ قائدًا وجرى تحت رايتهِ الجليلة

ومنذ كشف الله عن قلبهِ غياهب الضلال واشرق عليهِ نور دينهِ القويم لم يشأ خدمة غيرهِ وتجرَّد عن كل ما سواهُ وفقاً لقول الرسول (٢طيم ٢ : ٤): «ليس احد يتجنَّد فيرتبك بهموم الحياة وذلك ليُرضي الذي جنَّدهُ». ولم يشغلهُ عن جهادهِ همّ عائلتهِ فانَّهُ كان يعيش فيها بالهناء. وكل افرادها يجاورونهُ في خدمة الله كقرينتهِ الصالحة التي عاشت معهُ سبع سنوات لم يكدّر شيءٌ صفاءها وكبناتهِ الستّ اللواتي عشن للسماء منذ نعومة اظفارهنَّ وقد قُطفت اربع منهنَّ في حداثة السنّ كزهرات يانعات نُقلن الى نعيم الابرار ولهُ في موتهنَّ الكتابات المؤثرة

واذ اعتبر ڤويليو نفسهُ كجنديّ المسيح اراد كالجنود ان يلبس بزَّة قائده. وليست بزَّة المسيح سوى الفضائل الشخصيَّة في الحياة الفرديَّة والحياة الاجتماعيَّة . وهذه الفضائل قد تلألأت بكل مجاليها في حياة ڤويليو

فانَّهُ قبل كل شيء كان يباشر نهارهُ بالدعاء الى الله ويختمها مع ذويهِ بالصلاة وكان لا يدع صغيرة او كبيرة من فرائضهِ الدينيَّة مهما تراكمت عليهِ الاشغال وكان

اذا وجد لهُ متسعاً يسرع الى الكنائس فيقضي فيها الساعات في مناجاة ربّهِ ، وقائد فرقتهِ الجنديّة »

وكان ايمانهُ حيًّا يرى في معتقدهِ سندًا لحياتهِ وقوّةً بين مصائبهِ وحلًّا لكل مشكلاتهِ التي كانت ايهظتهُ قبل ارتداده . وكان هذا الايمان منوّرًا مبنيًّا على درس عميق مستعدًّا على حسب قول بطرس الرسول للاحتجاج لكل من يسألهُ حجج الرجاء الذي فيهِ . وكان لا يخرج من هدوّ طبعهِ ودماثة اخلاقهِ الّا اذا رأى خصماً يشتم دينهُ او يتحامل على معتقداتهِ فكان وقتئذٍ كالأسد الرئبال يحمي اشبالهُ فلا يقوم في وجههِ مناظر وقد نسب اليهِ البعض الخروج عن حدود الوداعة المسيحيّة فيجيبهم : « انَّ وداعة الجندي في ساحة الوغى انَّما هي الضربُ الصادق ونصرة الحقوق الشرعيّة »

وكما كان يحبُّ ايمانهُ كان يحبُّ كلَّ ما يعزّز هذا الايمان ولا سيّما الكنيسة المقدسة ورأسها المنظور الحبر الروماني ونائب المسيح . فكانت انظارهُ متّجهة الى رومية والى تعاليم خلفاء بطرس الرسول لعلمهِ بانَّ هناك الصخرة لا تقوى عليها ابواب الجحيم فيُذعن بكل ثقة الى وصايا رئيس الكنيسة الاعظم ويدافع عن اوامرها ولو قام عليهِ العالم كلّهُ . ومع ما أتاهُ من الاعمال المشكورة في سبيلها كان لا يعدُّ نفسهُ الّا كاحد جنودها الصغار فيكرم ارباب الدين كآباء ويتبع صوت الاساقفة كالخروف صوت راعيهِ ما داموا مرتبطين بمركز الوحدة الرسوليّة

وكان حبُّ فويليو للكنيسة حبَّ الولد الصغير لأمّهِ يجد بقربها فرحاً وراحة . فكان اذا حلَّت بهِ داهية او نالتهُ الاضطهادات من قبل اعدائهِ اسرع الى رومية ليجدّد فيها قواهُ بمواجهتهِ إمام الاحبار بيوس التاسع الذي كان يعدُّهُ كأعزّ البنين فاذا رآهُ ضمَّهُ الى صدرهِ وبارك اعمالهُ وانهض همّتهُ ونشّطهُ في مواصلة جهادهِ الطيّب واذا نالهُ اذًى من اعدائهِ ذكّرهُ كلمة الرب : « طوبى للذين يُضطهَدون لاجل البرّ » فيكفيهِ هذا الكلام الوجيز ليعود الى ميدان العراك بنشاط جديد

وكان فويليو لسبب حبّهِ للكنيسة وقف نفسهُ لخدمة كلّ ذويها واخصّهم الرهبان ولاسيّما الرهبانيّة اليسوعيّة فانَّ مقالاتهِ العديدة التي سطّرها لمناهضة اعداء اليسوعيّين تُعَدُّ من ابلغ ما كتب في جريدة « الاونيفير » وهي تُعرب عن صدق

وداده وعن معرفته التامّة لرهبانيّتنا . ومن اقواله الظريفة انّ احد الصحافيّين اراد التهكّم برهبانيّتنا فخلط في جريدته بين القديسين اغناطيوس النوراني الانطاكي المستشهد بافتراس السباع واغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبنة اليسوعيّة فاجابهُ فويليو : « لقد صدقت فانّ القديسين قد تشابها بموتهما لأنّ كليهما أُلقيا الى الوحوش »

وكما احبَّ الرهبانيّات تفانى في خدمة مصفّ الكهنوت والاكليروس حتى انّهم كانوا يلوذون به في ما يلحقهم من المظالم او يُرمَون بهِ من المطاعن فيردّ كيد اعدائهم بقلمٍ احدّ من السيف

وكان حبُّهُ يشمل كل المحتاجين حتى انّهُ مع فقرهِ كان يُحسن على ذوي البأساء بكرمٍ حاتمي . فكان اصحابهُ يلومونهُ على فعلهِ وينسبونهُ الى قلّة الفطنة وتضحية صوالح بيتهِ فيعدم بالاقتصاد لكنهُ ينسى وعدهُ بعد قليل اذ يتذكّر قول سيّدهِ : لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض . وربّما كان يحضُّ اصدقاءهُ على مشاركتهِ في صدقاتهِ فيأتمرون بمثلهِ بل اتّصل بهِ الحبّ الى أن ساعد غير واحد من الذين ناصبوهُ وعادَوهُ فصفح عنهم كمسيحيّ صادق وامدّ اليهم يد الإحسان من جملتهم واحد اسمهُ جاكر دي ميركور ثلم عرضهُ في الجرائد بطعنهِ فلمّا دار عليهِ الدهر وافتقر اسرع فويليو الى اعانتهِ بمالهِ فردّهُ الى الدين والتوبة ثمّ زهد في الدنيا وصار كاهنًا ورحل الى البلاد الاجنبيّة كمرسل

وكان بودّنا ان نتتبّع بقيّة فضائل هذا الرجل الهمام لولا ضيق المكان فنكتفي بالقول انّهُ حقّق في نفسهِ قول الكتاب : « انهُ كان محبوباً عند الله والناس فأتاه الرب مجدًا كمجد القديسين وجعلهُ عظيماً مرهوباً عند الاعداء » . وسوف يبقى اسمهُ مباركاً لدى اهل الصلاح واحسن ما يُمدح به هذه الابيات التي نظمها لتكتب فوق ضريحهِ وقد عرّبها شعرًا اثنان من نجباء طلبة مدرسة البيان في كليّتنا :

اجعلوا بالقُرب منّي قلمي وضَعُوا الصلوبَ مَن فوق الجنانْ
وادفنوا ذا السِّفر عند قدمي واختموا قبري بكل الإطمئنانْ
فليَ الصلوبُ فخرٌ وعزاء
شيّعوني بصلاةٍ للثرى زيّنوا لحدي براية المسيحْ

ان أقمتم عند رأسي حجرا فاكتبوا: آمنتُ بالدين الصحيحْ
ورأيتُ الله في دار البقاء

لستُ ميتاً بل غريقٌ في الكرى بعد ان انجزتُ سعي بثباتْ
واذا شئتم فقولوا للورى: قد صحا من بعد ذيّاك السُّباتْ
ورأى ما كان يرجو في العلاء

أنني عبد لايسوعَ العلي منحمٌ في دينه كل العداة
وبه علّقت حبل أملي لنا لم استحي منهُ في الحياة
فهو لن يخجل مني في القضاء

سليم الياس البستاني

قلمي ضعوهُ بجانبيْ وعلى الفؤاد ضعوا الصليبْ
وضعوا على قدميَّ ذا م التأليف فهو ابنٌ حبيبْ
ثمَّ اختموا قبري بلا قلق ورقّوا للقريبْ
حتى اذا صلّوا على روحي الى الله المجيبْ
وكّزتمُ في حفرتي هذا الصليب دوا القلوبْ
وحفرتمُ فوق الصفيحة إن يمنَّ بها القريبْ
«آمنتُ ثم رأيتُ في دار البقا امرًا عجيبْ
قولوا: لويسٌ راقدٌ قد تمَّ مسعاه المذيبْ
بل قد أفاق فشاهدت أبصاره الحالمَ الرقيبْ
فلقد حصرتُ مؤمّلي بيسوع نادي المثيبْ
لم يندَ وجهي من شرا نعهِ حياً بينَ الشعوبْ
هل يستحي بي عند وا لدهِ لدى اليوم العصيبْ

سليم ابو رزق

كنيسة انطاكية على عهد الرسل

بحث تاريخي بقلم الخوري بولس سلمان

إن كان المرء يتفاخر باوطانه وما تحلّت بهِ من سهولٍ فسيحة الاطراف. وهضابٍ مخضرّة الاكناف. وما يتدفّق في جوانبها من الجداول والانهار. ويرتفع في مناكبها من الجنّات الملتفّة الاشجار. ويتباهى بما حازتهُ تلك الربوعُ من ابطالٍ أتوا برفيع الاعمال وسنيّ النعال. مما خلّد لهم ذكرًا على تمادي الاجيال. ويمتّ برجال العلم والفضل الذين شادوا البلاد ورفعوها الى ذرى العلوم والمعارف. ويُشرقُ محيّاه ابتساماً لرؤية ذاك العَلَم المتمايل مع النسيم الرفرف فوق الأمة بساطع الوانه. فلقد يحقُّ لنا ان نهتزَّ طرباً لذكر وطننا الروحي ومهد ايماننا الذي أُقيم فيهِ عرشُ بطاركتنا في الدهر الغابر يتسمّون باسمهِ وينتمون اليهِ الى عهدنا الحاضر. الّا وهي كنيسة انطاكية الكبرى

وكم من رجال سطّروا مآثر كنائسهم واطنبوا في مديحها ونشروا تأريخها. فما احرانا بذكر آثار كنيسة انطاكية التي وطئت اعرافَ المجد والفخر وتوقّلت في معارج الحضارة والعمران حيناً طويلًا من الدهر فأنشأتْ قوماً من الابطال لا يحصى لهم عددٌ. وكأنَّ الجيل الاول للمسيح يتمثّل امامنا ويحيي في خاطرنا ذكر اخبارها ومؤمنيها وقديسيها وشهدائها الذين توّجوا ناصيتها بتاج العزّ والشرف. ثم تعاقبت عليها الايام فانحطّت عن منزلتها الاولى لما حدث فيها من افتراق الكلمة وتنازع الآراء في الدين مما دفع بها الى هوّة الخراب والبوار ولم يبقَ من مفاخرها القديمة الّا بعض ذكر. واذا احببنا ان ننشر في مقالتنا تاريخ الخمس والعشرين سنة الاولى من نشأتها واتساع مجالها ما بين اليهود والوثنيين. ونبيّن ما كانت عليهِ مدينةُ انطاكية من حسن موقعها وانحطاط الآداب فيها بين عبدة الاصنام وندوّنَ شيئاً عن حالة اليهود الساكنين فيها وكيف دخل الدين المسيحي فيها وغيّر الاهلين برفيع تعاليمهِ وسامي نواميسهِ وما طرأ عليهِ من المصاعب والاضطهادات الى ان استتبّ لهُ الامر وانفرد المؤمنون عن المجامع اليهودية وأذعنوا لرئيس واحد يدبّر شؤونهم

ولا يخفى على المطالع اللبيب ما يحتاط ذاك الجيل من الظلمات الدامسة مما يخشى العثور فيها لقلة الآثار التاريخيَّة الباقية من ذاك العهد على انَّا دفعاً للوهم والضلال سرنا على مصباح الكتاب الوهّاج واتخذنا دليلاً لنا من مشاهير المؤرخين الذين احاطوا باسرار التاريخ القديم وتبحروا فيما كانت عليهِ القرون الاولى فعُدُّوا من نخبة الكتبة لما هم عليهِ من قرب المورد وغزير المادَّة وطول الباع. فضلاً عن انَّا استعنَّا بما نقله علماء عصرنا عن انطاكية الماضية وآثارها الغابرة مما يضمن لنا الهدى ويكفل لنا رضى اهل العلم ومحبّي التاريخ فنقول:

ان من تصفَّح تاريخ الكنيسة منذ نشأتها واستقصى ما انزلهُ الله في كتابهِ من الآيات العجيبة. وصنَّفهُ غيره من المؤرخين الكنسيين رأى انها لم تطوِ مراحل النمو والتقدُّم الَّا بعد ان توالت عليها الاضطهادات اعواماً مديدة سالت في اثنائها دماء الشهداء المجيدين. دماء ارتفعتْ نفحات عرفها كالاريج الذكي امام عرش العلي. دماء سَمَتْ بالنفوس الى ذرى الكمال واقامت على الارض كنائس عظيمة حتى اجاد ترتليانوس حين قال: «ان دم الشهداء هو زرع المسيحيين». ولا عجب في ذلك فان المخلص قد انبأ ان الاحزان والاضطهادات ستكون من بيّنات الكنيسة وادلَّتها. كما صرَّح عن نفسهِ بانهُ بالصليب يجاب الكل اليهِ. فان دم زعيم الشهداء استفانوس العظيم قد هُدِرَ بُغضاً وحسداً فردَّ الى المسيح رسولَ الامم بولس الرسول. جرى فكان كمطر غزير سقى جناناً بعيدة وأنمى كنيسةً ستصير اكبر الكنائس واغناها واوفرها قداسةً واسماها ألا وهي كنيسة انطاكية

في نشأة كنيسة انطاكية

لمَّا اكفهرَّ جوّ الكنيسة الاورشليميَّة وقام الرؤساء من اليهود يضطهدون الاخوة (١ رفع المؤمنون ابصارهم الى العلاء وعاينوا السماء تغشاها السحب السوداء

١) وكان من عداد اولئك المضطهدين رئيس الكهنة والصدوقيون الذين لم يذعنوا لكلام التبشير وفي مقدمتهم تماين شاول الطرسوسي. ولم يترك الرسل اورشليم وهي على تلك الحال بل لبثوا فيها يشددون المؤمنين ويقوّونهم على احتمال الالام بصبر الى ان مرَّت سنة الثانية والثلاثون سنة الاضطهاد ولذا قال الكتاب تبدد الجميع ما عدا الرسل

وكأنهم رأوا بين تلك الغيوم يداً بيضاء قد بدت تدعوهم الى غير تلك البلاد وكأنَّ صوتاً ارتفع في ذاك الفضاء يقول: «الى انطاكية الى انطاكية» فهرب البعض منهم تبعاً لكلام المسيح صاعدين نحو الشمال (١ فألفوا امامهم بلاد الجليل وقد فتحت لهم ساعد القبول وسحبت فوقهم اكناف حماها الواسع الاطراف. ونزل غيرهم الى فينيقية وخاضوا عباب البحر الى قبرس وأما انتهى غيرهم الى ضفاف العاصي حاملين التعاليم الالهيَّة والانوار الخلاصيَّة قادهم النهر بين الحدائق والجنَّات الى امّ المدن الشرقيَّة الى انطاكية فادت هياكلها امام اولئك المرسلين الحقيرين. فلم يدخلوها كالفاتحين بسيوف لامعة وجنود وافرة. لم ينزلوا بها بطرف الفلاسفة وحكمة ارباب العلوم بأبهة وإجلال. لم يتقدَّمهم الطلبة كأصحاب الترسُّل والانشاء. لم يطأوها بأعلام مزخرفة واناشيد مطربة بل دخلوا اليها كما علَّمهم السيد له المجد بلا عصاةٍ ولا هميان ولا فضةٍ ولا ذهب. قال صاحب الاعمال: «وكان الذين تبدَّدوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانوس قد اجتازوا الى فينيقية وقبرس وانطاكية وهم لا يكلّمون احداً بالكلمة الّا اليهود ولكن قوماً كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء لمّا قدموا انطاكية اخذوا يكلّمون اليونانيين مبشّرين للرب يسوع وكانت يد الرب معهم» (٢

ومما ينجلي من الكتاب المقدَّس ان القديس بطرس لم يكن دليلاً وقائداً لهؤلاء الرسلين الذين اتوا مدينة انطاكية اذ انهُ لبث في اورشليم يسكِّن روع التلاميذ الى ان اصبحوا آمنين من الاضطهادات ثم رحل الى انطاكية وقضى فيها الايام الطوال يثبّت المؤمنين ويشدّدهم ويؤسّسهم على العقائد الراسخة. واقام في اثناء ذلك الشيوخ والعلماء ومنحهم السلطة لاقامة الكنيسة وتكميل الناقص ورفعَ تلك الكنيسة على ارسخ البنيان. وان لم نجد ذلك في الكتاب الكريم فان التقليد الشرقيَّ والغربيَّ يؤيد رأينا ويؤكد ان القديس بطرس لبث في انطاكية حيناً من الدهر يبشّر فيها ممَّا جعلها بعد توالي الايام بطريركيَّة ولم يطلق ذاك الاسم في اوائل الكنيسة الّا على

١) قال صاحب الاعمال (٨: ١): «وحدث اضطهاد شديد على الكنيسة التي باورشليم فتبدد الجميع في بلاد اليهودية والسامرة»

٢) اعمال الرسل (١١: ١٩-٢٢)

الكراسي التي اسسها بطرس الهامة او بعض تلاميذهِ . وكفى دليلًا على ذلك قول القديس ايرونيموس حيث اختصر تعليم الكنائس بقولهِ:

« ان سمعان بطرس هامة الرسل بعد ان كان اسقفاً على كنيسة انطاكية ووعظ الذين آمنوا من اهل الختان الذين هربوا من الاضطهادات الى البنطوس وغلاطية وكبدوكية وآسية وبثينية في السنة الثانية لملك كلاوديوس (٤٢) وبعد ذلك قدم الى رومية ليطرد سيمون الساحر واقام هناك عرشهُ الكهنوتي خمساً وعشرين سنة » (١

وقد يولي الدهش والحيرة ما فعلهُ القديس بطرس حين اختار تلك المدينة لتكون امًّا للكنائس الشرقية وعهدهُ بها انها وثنيَّةٌ محضةٌ لكنَّ افكاره كانت قد ثبتت بعد بما رآه في مدينة يافا من السماط النازل من السماء (اعمال ف ١٠) الذي اعلمهُ ان الدين المسيحي هو لجميع البشر . ذلك مع ما كانت عليهِ اورشليم في ذلك الحين وهي زاهرة عامرة تتقلَّب على مهاد الدعة والسلام آمنةً من طوارق الايام ونوازل الحدثان ويعتبرها اليهود كالمدينة الكبرى مثوى الرب يهوا والدين الاسرائيلي

ولا شكَّ ان ما دعا الرسول على هجر اورشليم الهامُّ الهي اعلمهُ بمستقبل كنيسة انطاكية وما تصير اليهِ من التقدُّم والعمران وما يحلُّ باورشليم من المصائب والنكبات لما اقترفتهُ تلك المدينة من الآثام فهي التي قتلت الانبياء ورجمت المرسلين اليها بل حكمت بالموت على السيِّد المسيح وقاومت الروح القدس ومع ما اجرى فيها الربّ من العجائب والآيات دامت قاسية القلب لم تُقِمْ لقولها ذكرًا ولا جعلت لتعاليمهِ وزناً . وعلاوة على ذلك فقد كانت اورشليم مهجورة على قمم الجبال اليهودية يحيط بها القفر الهامد من كل الانحاء فلا تجد هنالك معين ماء يشفي الغليل ولا شجرة تبهج النظر . هنالك الصخور الكثيرة الآكام المرتفعة مما يجعل المسالك متوعرة للبشرين . فكانت لا تصلح للمواصلات العديدة التي يقتضيها الانجيل . فان الدين المسيحي

(١ هذا نصهُ بالحرف Simon Petrus... princeps Apostolorum, post episcopatum Antiochensis ecclesiæ et prædicationem dispersionis eorum qui de circumcisione crediderant, in Ponto, Galatia, Cappadocia, Asia et Bithynia, secundo Claudii anno (42) ad expugnandum Simonem Magum Romam pergit, ibique viginti quinque annis cathedram sacerdotalem tenuit. (*De Viris Illustribus*, I.)

تناسبهُ مدينة عظيمة تنتشب منها الانوار دون مانع يعترضها الى العالم اجمع. فضلاً عن ان الشعوب الوثنية كانت تبغض اليهود ومدائنهم كما يشهد التاريخ فيما سطرهُ اهل الادب من اليونان والرومان فاربا سمتْ نفسٌ الى الدين المسيحي فصُرفت عن امانيها لما سمتهُ عن اورشليم محطّ رحال الدين الاسرائيلي وعاصمتهِ

وصف انطاكية على عهد الرسل

نعم ان انطاكية كانت اصلح للدين المسيحي من اورشليم لما كانت عليهِ من العظمة والشرف وما حازتهُ من المنزلة الرفيعة اذ غدت الوصلة بين الشرق والغرب. هناك كانت ثروة الامم وغناها. هناك كان يجري نهرها العذب بين خمائلها الضافية الظلال منحدرًا من الشمال الى الغرب متقدمًا بين جبلي طوروس ولبنان وكان البحر قد قربها بغيرها من سائر البلاد الغربية والبرّ قد ساق اليها تجارة المدن الشرقية. فما احلى تلك السفن البيضاء تمرّ كالنسر على صفحات الماء خافقةً اليمّ سائرةً اليها او جاثيةً بالقرب من ميناها حيث كانت تسمع اصوات الملاحين مرنمين ترانيم الافراح والمسرّات بسائر اللغات المعروفة في ذلك العهد كاليونانية والرومانية والفينيقية وغيرها واردين اليها من رومية واثينا او من جزر اليونان او من صور وصيدا او بيباوس (جبيل) وغيرها من المدن الشرقية

ومما اشتهرت بهِ انها كانت محطّ القوافل العراقية والعربية والسورية وكأن المخيلة تطير الى تلك الايام الخوالي لترى الابل قطارات البرّ واردات اليها او مناخة في وسط شوارعها وكأني بالاعراب يبيعون بخور بلادهم واهل العراق يتاجرون ببلح اراضيهم واهل الشام باسلحتهم ومصنوعاتهم الخشبية المزخرفة. فهذه الشعبات والطرقات السائرة الى كل اطراف العالم القديم برًّا وبحرًا حملت العليّ على اختيارها وتفضيلها على مدينة اورشليم

وبقيت ارض انطاكية مجهولة عهدًا طويلاً في قديم الزمان لم يعلُ فيها اثر مع ما هي عليهِ من حسن الموقع وجمال الطبيعة. مرَّ بها ملوك الارض ووطئوا اجبالها وسهولها ولم يلتفتوا الى رفيع محلّها وصافي اديمها. مرَّ بها ملوك نينوى وبابل وماداي وفارس يجرّون وراءهم العساكر العديدة ولم يقيموا لهم فيها حجرًا. مرَّ بها فراعنة

مصر عائدين من غزواتهم او سائرين الى افتتاح البلاد ولم يُلقوا اليها نظرًا. مرَّ بها الاسكندر الكبير سائرًا نحو مصر ليبني لهُ فيها الاسكندرية ولم تترك في خلده ذكرًا . وكأن ذاك الشرف الاثيل خُصَّ باحد نوّابهِ سلوقس الظافر. ومن لطيف ما رواهُ التاريخ ان سلوقس المذكور رام يوماً ان يقيم لنفسه ذكرًا يبقى في حوافظ البشر لما نال من المجد في موقعة إپسوس (Ipsus) يوم تزاحم قوّاد الاسكندر لقسم ممالكهِ سنة ٣٠١ ق م فذبح ذبيحة للمشتري في انتيغونيا (Ἀντιγονία) واذا بنسر ورد من السماء يرفرف وحمل جزءًا منها والقاها على جبل سلپيوس (Silpius) مشيرًا بذلك الى بناء انطاكية. فشادها القائد على اسم والده انطيوكس (١

ولمَّا احتلَّ تلك الارض واقام لهُ فيها قصرًا تزينهُ الاشجار وشُيِّدت من بعده المنازل والقصور اضحت بعد ان تعاقبت عليها الاعوام دار الحكَّام حتى غدت على ايام اغوسطس عاصمة الشرق كما كانت رومية قاعدة المغرب. وما كاد يبني فيها قصره حتى اتسعت ارجاؤها وانبسطت بيوتها على جبل سلپيوس فكانت انطاكية تعاين الشعوب تمرّ تحت اقدامها من تاجر وبائع وحامل سيف وربّ قلم واردين الى سمائها ليسكنوا بين اسوارها تحت ظلال حدائقها او وافدين اليها ليزوروا ابنيتها واحياءها الاربعة وقد وصفها استرابون احسن وصف حيث قال: « في الشمال الغربي بين الجبل والنهر توجد مدينة سلوقس نيكاتور التي بُنيت بادئ بدء. وفي جزيرة الماضي كانت مدينة كالينيكوس وعلى سفح جبل سلپيوس مدينة انطيوكس ابيفانوس. وفي شرقي تلك الاقسام الثلاثة المدينة الرابعة تمتدّ من الوادي ثم ترتفع شيئاً فشيئاً. وكان سور عظيم قد احاط بها من النهر الى قمّة سلپيوس متعالياً نحو قسم الأعلام متسنماً سطح الجبال سائرًا بين انجاد وافواز الى ان يحيط بها من كل الانحاء. واما ما نراه اليوم من بقايا السور فهو ما اقامه يوستنيانوس على اثار السور

---

١) وكانت هذه العادة منتشرة في كل انحاء المعمورة يسمون المدينة او الشارع العظيم على اسم الملك او اسم مشاهير الرجال. وكان الملك سلوقس مولعًا باحياء مجد اسرتهِ فلم يترك احدًا منها الّا وشاد على اسمهِ مدينةً ولذلك قد بنى اللاذقية على اسم والدته. واقامية على اسم زوجتهِ. وسلوقية ميناء انطاكية على اسمهِ. ولما انقضى اجله كان في سوريا ست عشرة مدينة باسم انطاكية وتسع باسم سلوقية وست باسم لاذقية

القديم. فدرجت الايام وهي تتسع وتمتد الى ان اصبحت تنازع رومية في الشهرة والغنى في الجيل الاول للمسيح (١

واذا وقف المسافر في رحب واديها يرمق الى منازلها وقصورها ويسرّح الطرف فيما شاده الانسان على سفوحهـا وما جادت به يد الطبيعة من غنيّ مواهبها بدت له كعروسة الشرق بين مائها ورياضها. هنـاك بين الشوارع الفسيحة والبيوت الجميلة كانت الصخور الجرداء تكسو الطبيعة حلة الجمال. هنـاك البساتين الملتفة الاشجار الكثيرة الادغال على جوانب الجبل تجد المغاور الوسيعة والكهوف العميقة. هناك الأودية الوافرة الاثمار والمياه المتدفقة تتساقط على الصخور كالشلّالات تريح الفؤاد وتبهج الانظار. هناك يعاين المرء ما عُهد به اليونان والرومان من اتساع الافكار في رسم مبانيهم والابداع في رفع مغانيهم فقد جمعوا فيها ما أنّوه في البلاد الشرقية والغربية من الغرائب واللطائف فقد شيّدوا في « ابيفانيا » عددًا وافرًا من الهياكل والمراسح والحمّامات والميادين والملاعب. وبالقرب من هذه الابنية كان الشارع العظيم الذي يقطع انطاكية من الشرق الى الغرب وطوله ستٌّ وثلاثون غلوةً (٢

وحسبُ الناظر ان يلقي بنظره الى المعابد العظيمة التي كانت تعلو الى السماء بكامل هندستها ورفيع اعمدتها ليدرك مفاخرها. فكانت النفوس ترتفع بارتفاعها الى ما دون الارض من الثاوي العلوية كما قال احد الكتبة الوثنيين. وكان المرء اذا احلّ الغمّ في قلبه يميل الى الشوارع حيث الاندية والمقاعد العموميّة فيقضي نهاره بين الترّهات والالعاب يطوي الايام في التهاون والكسل. واذا اصبح مكروب الصدر كاسف البال ثم ينساب الى الميادين علّهُ يفرج عن كربته. فيتمهّد الخيول تجري والفرسان تجول بين صراخ القوم واستحسانهم. واما من أترفتهُ النعمة منهم واطغاه الغنى فتراه يختال أشرًا ويجرُّ ذيل الطرب مرحًا بطرًا الى ان يفد الى ابواب المراسح

---

١) اتخذنا وصفنا هذا عن اشهر المؤرخين نخصّ منهم بالذكر اوتفريد موليّر في كتابه عاديات انطاكية.. (Ottfried Müller: *Antiquitates Antiochenae*) وهذا العالم قد نقل عن نخبة الكتبة الاقدمين لا سيما يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي سطر كتابَي الحروب اليهودية والعاديات اليهودية وفيلوستراتوس وليبانيوس الانطاكي الفيلسوف ويوحنا فم الذهب

٢ اي سبعة الآف متر كما قال ديون الذهبي الفم Dion Chrysotome, *Or.*, XLVII

فيقف وقد اضناه التعب فيسرع الحارس ويحني لهُ مفرقهُ خشوعاً واحتراماً فيدخل وقد ملأ الباب شخصهُ فيستند الى احد المجالس المعدَّة يرمق الى اللاعبين وما يأتون بهِ من سمج الاشارات وما يفوهون بهِ من فاحش المقالات ويشاهد الراقصات بهيئةٍ تُخجِلُ الانسان. وكان يتخلَّل تلك الملاعب الشبقة انغامٌ تحرِّك الشاعر بشجيّ الحانها بحيث تهيج بها المخيلة وتعثر بها النفوس للينها وطلاوتها فكان الفتى يتعلم من والده اقبح الاعمال والفتاة تتلقَّن عن والدتها افظع القبائح . فهذا ما اتاه الدين الوثني وما يأتي بهِ الانسان ان لم يكن منارًا بساطع الايمان. فكانت الايام تمرّ على تلك الحال الى ان يأتي زمن القيظ وَوَقدات الحرّ فتنفتح الحمامات لطالبي النعومة وذوي الرغادة. تلك حالة انطاكية الكبرى على ايام الرسل كما ذكرها المؤرخون المعاصرون

ولمَّا اصبحت عِقدَ المدائن تقاطر اليها جمعٌ لا يأخذهم الاحصاء من كل مرتبة وكل جنس فأضحت محطّ القوافل وسوق الامتعة والبضائع. وممَّا اعان المدينة على الاتساع ما اتى بهِ ملوك سلوقية من السُّنن والاحكام السهلة بحيث ان من لبث فيها شطرًا من الدهر قصيرًا غدا من اهلها وسكَّانها يتشبَّع بحقوقها وامتيازات قاطنيها. وما كادت تلك القوانين تظهر لدى العيان حتى غصَّت بالسكَّان من اطراف العالم واضحى عدد سكانها على عهد الرسل خمس مئة الف قاطن. وارتفع شأنها من بعد فتوحات الرومان لسورية ودعيت قصبة اليهود الشرقيَّة وصارت اقليماً تحت امارة السلطنة الرومانية فاقام الوالي هناك قصرًا يراقب احوالها وشؤونها . وجاء الناس من بعده من اهل السلطان وارباب الدولة وشادوا بيوتاتهم بالقرب من اميرهم في الجزيرة وكأنَّ نسيماً هبَّ نحو رومية يدعو عظماءها الى قاعدة سورية فوفد اهل العزّ والثروة وما لبثوا فيها حيناً قصيرًا حتى سُحروا بلطيف مناظرها فرفعوا مغانيهم في بطن واديها فتلاهم الترف وتبعهم الفساد والخلاعة فغدت شواطئ العاصي ارض المعاصي (١ وغاب عن الاهلين حب الاوطان واضاعوا اخلاقهم وطبائعهم . ولا عجب ان تلك الرذائل انشأت غيرها كالطيش والمنازعات والطمع والكسل فكانوا كالريح في هبوبه لا يقرّ لهم قرار يديرهم الخطباء واللاعبات كما شاؤوا.

١) راجع شعر يوفنال في هجائهِ الثالث : (Juvenal: *Satira*, III, 62-66)

ومما كانوا يأنسون اليه من الملاعب والملذات ما كان يجري في الميادين من الحرب والقتال حيث الخيول تثارها الخيول وحيث المركبات تتبعها المركبات وتتنازع في مجال واسع الارجاء لنيل تيجان الظفر. وبقيت تلك الالعاب الى عهد الذهبي فمُ فكم مرةً سمعناه يردعهم عنها فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا احدثوا له ذكراً

ويا حبذا لو قام فيهم فلاسفة من اهل العلم والفضل يرشدونهم الى مسالك الفضيلة ولكن الفلاسفة كانوا يضارعون الشعب في غيّه وفساده فضلاً عن ان كهنتهم وارباب دينهم كانت لم تطمح نفوسهم الّا الى الثروة والشرف. ومما يدل على سقوط الاهلين وذلهم ما حدث في انطاكية على عهد اوغسطس فقد انتشر هناك طاعون اشتدّت وطأته وكثر فيه القتلى فرفعوا الى الآلهة اصواتهم واقاموا للاله كارون في اعلى سلبيوس صنماً عظيماً يذكرهم بالداء. ولمّا غابت عواقبهُ غابت عن خلدهم اثاره فبقيت ظلاله تمتدّ على البيوت دون ان تترك في النفس ذكراً

وطالما مدح المادحون هيكلها الشهير المسمى هيكل النار (Δάφνη) وهو يبعد عنها نحو ساعتين تمرّ الطريق بين الحدائق الغنّاء بين مياه تدعو المسافر الى التنعّم والرخاء. وكانوا في اعيادهم ومسرّاتهم يغدون اليه يقيمون فيه الحفلات الوثنية ويضربون بآلات العزف كالكنّارة والعود حتى قال ليبانيوس عنهم: «كان الدين عندهم يقضي عليهم بالتدنيس والآثام ونزع ما بقي فيهم من الفضيلة والشرف» (١)

قدوم الرسل الاوّلين الى انطاكية

تلك حالة انطاكية من الدين والادب على عهد الرسل. وكان اسرائيل بين

---

١) ان هيكل النار واقع في الجنوب المائل الى الغرب وقد سُمي اليوم «بيت الماء» لكثرة المياه فيه. وقد يسعى المسافر عبثاً ليجد هناك بعض الآثار القديمة فلا يجد شيئاً يُذكر على انهُ باقي هناك السهول المقفرة والطواحين الكثيرة. والقرية تمتد على سفح الجبل - وقد بنى سلوكس نيكاتور هيكل دفني - وقد جاء في اساطير الاولين انّ دفني الهة هربت من وجه ابولون فتحولت نحو شجرة غار في تلك الانحاء واختبأت فيها فلذلك دعي ذاك المحل ايبدفني Ἐπιδάφνη وكان هناك هيكل للاله ابولون وللالهة ذيانة وللزهرة. وقد تحلّت على عهد السلاطين الرومانيين بما وضعوا فيها من التماثيل ثمّ اصبحت بعد ذلك زاهرة بما أُقيم فيها من الكنائس المسيحية الكبيرة

تلك الفواحش الوثنية كالنهر الصافي يجري بينها دون ان يختلط ماؤه او يكدر صفاؤه متعلقاً باهداب دينه القويم مترفعاً عن سفالات الامم بآداب شريعته مفتخراً بما اتاه من الوحي والالهام. وكان حائزاً على الانعامات عينها التي نالها يهود مصر على عهد البطالسة. ولقد استعان السلوقيون باليهود لما عهدوا بهم من السطوة والثروة في بلادهم. ولذلك قد نادوا لهم بالحرية التامة فاجازوا لهم الجري على سنن آبائهم دون معترض يعترضهم واقامة المجامع وتشييد بيوت الصلاة طبقاً لعوائدهم. ولذلك اختاروا لانفسهم رئيساً من جنسهم قلدوه زمام السلطة الروحية واقاموا له مساعدين جماعة من الشيوخ والعلماء وارباب الفطنة والنفوذ. ولما راى عدد وافر من الوثنيين ما ناله ذاك الشعب من الامتيازات الكبرى والانعامات الفريدة ووقفوا على سامي تعاليمهم ورفيع عقائدهم اخذوا يدينون بدينهم حتى اضطر انطيوكوس ابيفانوس الى رد الاواني المقدسة التي سُلبت من هيكل اورشليم. ولقد زادت انعاماتهم على عهد الرومانيين لوفرة اموالهم وسطوة رايهم بين الشعوب

ولما قدم الرسل الى انطاكية وجدوا هناك نفوساً ظامئة الى التعاليم المسيحية وبعد القليل من الزمن انضم اليهم من كان بين اليهود صادق النية ينتظرون ورود المخلص الموعود به من نشأة الادهار وتبعهم كثير من عبدة الاوثان ونشأت اذ ذاك كنيسة جديدة تمتاز باسرارها ورؤسائها عن المجامع اليهودية ولكن لم يتم ذلك الا بعد ان تعاقبت الايام الطوال جرى في اثنائها مباحثات عديدة انتصر فيها روح المسيح على اراء اليهود فيما يخص الطقوس والختان. ولما اتسعت وكثر مؤمنوها وفد الرسول بطرس اليها وجعلها ام الكنائس الشرقية. ومما هو حري بالذكر انه غدا حبرها وقائدها واقام فيها له نوّاباً من الشيوخ لترتيب الامور الداخلية والخارجية وهؤلاء الكهنة هم الذين وضعوا ايديهم على بولس وبرنابا. وبقي فيها الرسول زماناً غير يسير ثم رحل يبشر في آسية الصغرى

على ان الكنيسة التي تركها القديس بطرس نحو السنة الاربعين كانت كنيسة يهودية بطقوسها وترتيبها واعيادها واصوامها « لان الذين تبددوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانوس قد اجتازوا الى فينيقية وقبرس وانطاكية لم يكلموا

احداً بالكلمة الا اليهود » (١ بيد ان اولئك المبشرين تغيّرت افكارهم واخذوا يبشرون لليونانيين اذ رأوا القديس بطرس يعمّد الوثنيين ويثبّتهم في مدينة يافا. قال صاحب الاعمال. « لكن قوماً منهم كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء لما قدموا انطاكية اخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم » (٢

ولا ريب ان اليونانيين المذكورين في هذه الآية هم الوثنيون وليس الدخلاء. لان الدخلاء كانوا من عهد عتيق قد سمعوا كلام التبشير حتى ان احد الشمامسة المسمى نيقولاوس كان دخيلاً انطاكياً. والقديس لوقا يوضح ذلك بالآيتين السابقتين في الاولى يبيّن ان المبشرين لم يكلموا الا اليهود فقط وفي الثانية يقول انهم اخذوا يكلمون اليونانيين ايضاً. فضلاً عن ان الدخلاء كانوا يُعتبرون من عداد اليهود كما اجمع على ذلك أئمة المفسرين

فانتشرت الاخبار ووردت الانباء مشوّهةً الى كنيسة اورشليم فادت واضطربت وتحدّث الشيوخ ورؤساء الكنيسة قائلين: لقد طأطأنا هامتنا بخشية واحترام لصوت بطرس الهامة ولم ننهُ بكلمة يوم بشّر للامم ولكن من اين اتخذ هؤلاء المبشرون سلطتهم ؟ من ارسلهم ليحرروا الامم قائلين لهم: « لا فرق بين اليهودي والوثني » أما تستحق كنيسة اورشليم الاكرام والاجلال ؟ فدلّت لهم نفوسهم واقرّوا الراي على ان يرسلوا مفتشاً من اهل الدراية والحكمة ليترصّد تعاليم هؤلاء المبشرين في انطاكية ويعيدهم عن غيّهم وضلالهم. فاختاروا برنابا رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس وكان يوناني الاصل من قبرس. وكانت نعمة الرب قد غيّرت تلك النفوس وطمحت بها الى معارج الفضائل وسمت بها الى ذرى التقوى والعبادة فضلاً عن ان الروح القدس كان قد اجرى على ايديهم الآيات الباهرة وسكب عليهم غزير مواهبه. فلمّا قدم اليهم برنابا الرسول وتعهد بانظاره اثمار القداسة والكمال اطرأ سيرهم واثنى عليهم الثناء الطيب وحثّهم على الرسوخ في الايمان. فكان لكلامه اجمل وقع واحسن تأثير في قلوب اليونانيين المرتدين (٣

---

١) (اعمال الرسل ١١ : ١٩)

٢) اعمال (١١ : ٢٠-٢١) ٣) اعمال (١١ : ٢٢-٢٤)

برنابا وبولس الرسول في انطاكية

وبينما كان الوثنيون يتكاثرون ويرتدُّون الى الدين المسيحي تذكَّر برنابا ان الذي اختاره الله ليكون رسول الامم هو في طرسوس يقضي أيامه بالعزلة والانفراد منتظراً صوت الرب ليسير حيثما يدعوه . فسار اليه الى طرسوس واتى ببولس الى انطاكية ليسلّم اليه تلك البلاد وبقيا معاً سنة كاملة . وكان موضع وعظهما في منتصف المدينة في الابيفانيا . قال ذهبي الفم : « بينما كانت الجموع تسعى وراء الملذّات في الهياكل والمراسح كان صوت الرسول بولس يرتفع نحو السماء كرعد قاصف امام جموع لا يكاد يُحصى لهم عدد » . فمن لنا بلسان الذهبي الفم ليصف لنا بلاغة القديس بولس وفصاحتهُ في فنّ الخطابة فكان له كلام عذب سائغ سديد المنهج مُشرق المعاني . فاذا تكلم ملك العيون والاسماع واسرَ القلوب والافهام فيخطب والبلاغة تتدفّق من فمه والادلّة تجري مجرى السيف البتّار وكفاه مدحاً قول بعضهم : « هو الخطيب المصقع لا يجاريه احد في فنون الكلام بما يبديهِ من البيّنات الساطع والحجج القواطع »

ولم يقضِ الرسول في انطاكية تلك السنة الّا ليتهيّأ بالصلاة وتلاوة الكتاب للتبشير والانذار وكان في غضون ذلك يدرس اخلاق الاهلين من يهود ويونانيين ليكون سهمهُ صائباً في مباحثاتهِ معهم . وقدم في ذلك العهد انبياء من اليهودية ليستعطفوا القلوب ويحملوا الصدقات من انطاكية الى كنيسة اورشليم . والنبيّ هنا يدلّ على اناس كان الله يلهمهم الوعظ والارشاد وربّما اوحى اليهم معرفة المستقبل ولقد عُدَّت تلك الهبة من ارقى المواهب واسماها التي وزّعها الروح القدس على المؤمنين واذا قال الرسول بولس الى اهل كورنثس في رسالتهِ الاولى : « اتبعوا المحبة وتنافسوا في الروحيات وبالاحرى في ان تتنبّأوا فان الذي ينطق بلسان لا يكلّم الناس بل الله اذ لا يسمع احدٌ غير انهُ بالروح ينطق باسرار . امّا الذي يتنبأ فيكلم الناس بكلام بنيان وموعظة وتعزية . الناطق بلسان انّما يبني نفسهُ اما الذي يتنبأ فيبني كنيسة الله . أُحبُّ ان تنطقوا جميعكم بالسنة ولكن بالاحرى ان تتنبأوا لانَّ الذي يتنبأ اعظم ممَّن ينطق بالسنة » (ف ١٤ ع ١—٥) . فاستقبلتهم كنيسة انطاكية بما يليق بمقامهم من الاكرام والاجلال .

وفي تلك الاوقات قام احد الانبياء وهو المسمى اغابيوس وانبأ بالروح ان ستكون مجاعة شديدة في جميع المسكونة وبيّن ما سيحلّ بكنيسة اورشليم من النكبات ان لم يُمدّ اليها احد يد الاحسان. وكان المؤمنون في اورشليم قد باعوا املاكهم لإغاثة الفقراء والملهوفين واصبحوا محتاجين الى صدقات ارباب الكرم والفضل « فعزم التلاميذ بحسب ما تيسّر لكل واحد منهم ان يرسلوا خدمة الى الاخوة الساكنين في اليهودية ففعلوا ذلك وبعثوا الى الشيوخ على ايدي برنابا وشاول » (اع ١١ : ٢٩)

ولما انتهى الرسولان الى اورشليم حاملَين ما جادت به كنيسة انطاكية وجداها في حالة الذلّ والهوان لما أنزل بها من الاضطهاد الشديد هيرودس اغريبا. فان هذا الملك توصّل بمكره ودهائه الى أسر قلب الملك كاليغولا فاصاب منهُ ملكاً واسع الاطراف كان يسود عليه هيرودس انتيباس وفيلبوس وغدا مقرّباً عند السلطان كاوديوس فنال مُلكاً يضارع ملك هيرودس الكبير. واستخدم الخديعة لاستجلاب اليهود اليه فاقام عرشه في اورشليم وتطوّع لعوائدهم في كثير من الامور. وكان لا يألو جهداً في رضى الشعب مستحلّاً ما لا يستحلّهُ الدين والعقل قال الكتاب: « والقى الايدي على قوم من الكنيسة ليسيئ اليهم وقتل يعقوب اخا يوحنا بالسيف ولما رأى ان ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس ايضاً. وكانت ايام الفطير (اعمال ف ١٢ : ع ١–٤) ». وكان الزوّار يتوارَدون من اقطار الدنيا لعيد الفصح ورام ان يقف امامهم موقف القبول والرضوان بقتله هامة الرسل على ان سعيهُ قد ذهب ادراج الرياح فان الملاك خلّص الرسول من السجن. ومات الملك اشنع ميتة جزاء تعدّيه على الكنيسة المقدسة (١)

وملك من بعده الولاة الرومانيّون بما عهدوا به من العدل والانصاف وكانت كلمة الرب تنمو وتنتشر. ولما ساد السلام التامّ رجع بولس وبرنابا الى انطاكية وفي نفسها الحسرة والكآبة على الكنيسة الاورشليميّة لما وجدوا فيها من التطرّف الشديد بالرسوم والطقوس الموسوية حتى ان الرؤساء فيها وجماعة الشيوخ كانوا يقولون:

---

١) ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي في كتاب العاديّات اليهوديّة (Antiquitates XIX, 8, 2°) ان الرب ضربهُ لكبريائهِ. قال صاحب الاعمال (ف ١٢ع٢٣): « ضربهُ ملاك الرب لانهُ لم يعطِ مجداً لله فاكلهُ الدود واسلم الروح »

لا خلاص لمن لا يختتن . أما كنيسة انطاكية فكانت تسرح طرفها نحو العالم باسره لتسلك الجميع الى المسيح . ومن اشهر رعاة كنيسة انطاكية سيمون الملقب بالاسود ولوقيوس القيرواني ومناين الذي تربّى مع هيرودس رئيس الربع وشاول (اع١٣: ١)

ولم يكن الرسول العظيم قد نال نصيباً من الرسامات الكنسيّة (١ بين هؤلاء المعلمين والانبياء . بل كان ينتظر بصبر عجيب ذاك اليوم السعيد ولا ريب انهُ حدّث رعاة الكنيسة عن دعوته المقدسة وان العلي اصطفاه ليكون رسول الامم وانبأهم بما كان يمرّ في خلده من العزائم وما يضطرم في فؤاده من الغيرة وما اعدّه لهُ المستقبل من الاتعاب والمشقات لخلاص الامم . على ان رؤساء الكنيسة الانطاكية كانوا يتوقعون قدوم الرسول بطرس ليعرضوا عليهِ فضائل القديس بولس ويضع يده عليهِ ليرفعهُ الى اعلى مقامات الشرف في الكهنوت اي الاسقفية . فطال الزمان الى ان وافت اعياد عظيمة كان يتقدّمها الصوم والصلاة كما ذكر القديس لوقا . وبينما كانوا يقيمون الذبيحة الالهيّة اذا بصوت الروح القدس قد ارتفع قائلاً : « افرزوا لي شاول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما اليهِ فصاموا حينئذٍ وصلّوا استعداداً لذاك الامر الرهيب ووضعوا ايديهم عليهما » (اعمال الرسل ف ١٣ ع ٢—٤) . ولقد حفظت لنا الآثار الرومانية صورة رسامة جرت في الاجيال الاولى للمسيح فاذا زماين في تلك الرسامات الاسقف جالساً على عرش مرتفع والشعب يحيط بخشوع واحترام . فيتقدم الكاهن وفي يده درج سطرت عليهِ صفات المرشّح وفضائلهُ فيقرأها بتؤدة ووقار . واذا انتهى من تلاوتها يميل الاسقف طرفهُ الى المؤمنين ويسألهم قائلاً : هل هو اهلٌ لهذه المرتبة العظيمة . فيهتف جمهور الحاضرين هو اهلٌ لها : Ἄξιος . ويردّد السؤال ثلاث مرات . ثم يترنّمون بالصلوات البديعة ليستنزلوا بها نعم الروح القدس على المرء المصطفى . ويضع الاسقف يده عليهِ ويتلو صلاة الرسامة ثم يلقي عليهِ حلّة الكهنوت والاسقفية بينما يهتف الجميع بصوت جهور Ἄξιος اي انهُ اهل لها . ولا يبعد ان تكون جرت على تلك الصفة رسامة القديس بولس وبرنابا في صورتها الجوهريّة في كنيسة انطاكية . وبعد ان نالا نعم الروح القدس بالرسامة رحلا للتبشير

١) هذا رأي لبعض الكتبة ويرجّح غيرهم رسامة بولس قبل ذلك لمّا جاء الى اورشليم بعد ارتداده (المشرق)

وسار الرسولان يبشران في قبرس وبمفيلية وانطاكية بيسيدية وليكاونية ثم عادا الى انطاكية سورية ليريحا النفس مما عانياه من التعب والشدة في البلاد التي وعظاها. وكانت انطاكية من عهد بعيد ملجأ للشريد ومعقلاً للطريد. وكان اليهود القاطنون فيها آمن اليهود المتشتتين في آسية الصغرى. والسبب في ذلك ان آل اسرائيل اذا نزلوا في بلاد والفوا امامهم امة متوحشة احتقروها وآثروا الانفراد متشامخين متكبرين واذا وجدوا شعباً ممتازاً بعلمه وآدابه خفضوا لهم رؤوسهم خجلاً واحتراماً. على ان مدينة انطاكية كانت من المدن الراقية في المدنية والعمران تزينها المكاتب المتنوعة والمدارس المختلفة. وكان يهود الشتات قد تركوا تلك السنن الفريسية التي كانت تتشبث بها مدارس اورشليم فضلاً عن انهم كانوا اهل تجارة يسعون في تحصيل الرزق وحشد الاموال غير مبالين بما تعلمه المجامع من تطهير الايدي والجسم لمخالطة الامم وربما اضطروا الى الامر لما كان يحول دون تلك السنن من العقبات. وكانت مدرسة الاسكندرية قد نشرت عقائدها المسماة بالرموز واصبح العدد الكبير يعد تلك الشرائع رموزاً لا فائدة وراءها. حتى ان الختان عاد عند البعض منهم كلا شيء.

نزاع كنيسة انطاكية بسبب الرسومات الموسوية

وكان علماء الناموس في اورشليم يخشون على هؤلاء المتشتتين بين الامم فكانوا يرسلون الرسل الى المعمورة كلها ليحضوهم على حفظ النواميس الموسوية ولهذا قال السيد يوماً للفريسيين (متى ٢٣: ١٥): «الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تطوفون البر والبحر لتجلبوا لكم دخيلاً واحداً فاذا حصل صيرتموه ابن جهنم ضعف ما انتم عليه». ولما جاءت الاخبار الى اورشليم بأن الرسول بولس قد ضم اليه بالتبشير عدداً وافراً من الوثنيين والدخلاء وعلمهم بان تلك الرسومات الموسوية لا طائل وراءها بل انما هي أحمال شاقة لا طاقة للانسان على احتمالها ارسلوا بعضاً منهم ليجسوا الاخبار ويتعهدوا بانظارهم ما كان يجري في كنيسة انطاكية. فقدموا من اورشليم كالجواسيس وقد سماهم الرسول «الاخوة الكذبة الداخلين زوراً لينجسوا حريتنا التي نحن عليها في المسيح يسوع». فانسابوا كالذئاب بين المؤمنين واخذوا

يسمعون بصمت وحشمة تعاليم الشيوخ والرسول بولس. ثم دفعتهم غيرتهم الكاذبة فاصبحوا يعترضون على تعليم الرسول في السرّ والجهر قائلين: ان لم تختتنوا على سنّة موسى فلا خلاص لكم. فاستمرت نيران البحث والمجادلات وكان الرسول يتكلم بما طُبع عليه من سديد الحجّة وقوي البرهان. فلم يكترثوا لكلام احد من ارباب العلم في انطاكيـة وحدث لذلك قلق واضطراب بين المؤمنين فلم يجدوا بدًّا من الالتجاء الى هامة الرسل المقيم في اورشليم. قـال الكتاب (اعمال ١٥: ١—٤): «وانحدر الى انطاكية قوم من اليهودية يعلّمون الاخوة قائلين: ان لم تختتنوا على سنّة موسى فلا تستطيعوا ان تخلصوا». واذ جرت لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة معهم غير قليلة رسموا ان يصعد بولس وبرنابا واناس آخرون الى اورشليم الى الرسل والكهنة من اجل هذه المسئلة. فهؤلاء بعد ان شيّعتهم الكنيسة اجتازوا الى فينيقية والسامرة يحدثونهم بتوبة الامم. ولمّا قدموا اورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والكهنة بالبشاشة واللطف. ولبثوا زماناً قصيراً يعدّون الخواطر ويهيّئون الافكار ويظهرون ما صنعهُ الله من الآيات بين الامم الى ان التأم المجمع الاورشليمي في سنة اثنتين وخمسين للمسيح وبعد بحث طويل اقرّوا الراي على ما علّمهُ القديس بولس ان لا حاجة للختان والرسومات الموسوية. وسطّروا كتاباً قالوا في خاتمته: «قد رأى الروح القدس ونحن ألّا نضع ثقلًا فوق هذه الاشياء التي لا بدّ منهـا وهي ان تمتنعوا عمّا ذُبح للاصنام ومن الدم المخنوق والزنى فاذا صنتم انفسكم من هذا احسنتم فيما صنعتم. كونوا معافين». وزاد على ذلك القديس بولس في رسالتهِ الى اهل غلاطية: «ولما عرفوا النعمة الموهوبة لي مدَّ يعقوب وكيفا ويوحنا المعتبرون كأعمدة اليَّ والى برنابا يخـاهم للشركة لنكون نحن للامم وهم للختـان (غلاطية ٢: ٩—١٠) وعلى عهد واحد ان نتذكر الفقراء وذلك قد اجتهدت في انجازه». وسنراهُ يجمع الصدقات من رومية وانطاكية وكورنثس ومن الكنائس التي يبشرها ليرسلها الى اورشليم

ولقد جرى في كنيسة انطاكية حادث نال اهمية كبرى وقطع المنازعات الى دهر طويل وامد بعيد وذلك انَّ بطرس الرسول جاء الى انطاكية وتعزّى بما عاين من نجاح تلك الكنيسة ونموّها واخذ يأكل ويشرب مع الاخوة دون ان يميّز بين الاطعمة وبقي على تلك الحالة الى ان اتى يهود من كنيسة اورشليم واخذوا يعلمون

سرًّا بان لا بد من حفظ الرسومات الناموسية . فتنحّى الرسول بطرس عن الاخوة الذين من الامم وتبعهُ سائر المتنصّرون من اليهود وكاد يصير اضطراب لاجل هذا الانقسام لولا ان الرسول بولس تدارك الخلل وأوقف مجرى الامور بصائب رأيه. قال في رسالتهِ الى اهل غلاطية: « لما رأيت انهم لا يسيرون سيرًا مستقيماً الى حقّ الانجيل قلتُ لكيفا امام الجميع: ان كنت انت مع كونك يهوديًّا قد عشتَ عيش الامم لا كاليهود فلِمَ تلزم الامم ان يسلكوا مسلك اليهود ». فاطمأنت الافكار ورضي بطرس برأيهِ وعادت المياه الى مجاريها وانتهى الخلاف بين الامم واليهود وانقطع النزاع وارتدع المرسلون الاورشليميّون ولم يعودوا يظهرون في انطاكية

حالة كنيسة انطاكية الاولى وهيئتها وطقوسها

ذكرنا شيئاً عن حالة انطاكية ونشأتها وما طرأ عليها من التغيير في خمس وعشرين سنة على ايام الرسل ولم نسطّر ما كان عليهِ المؤمنون من الحياة الداخلية مما يعذُبُ ذكره وايراده. فمن اجلّ النعم التي وزّعها المولى على تلك الكنيسة الانطاكيّة هي نعم الروح القدس. وقد بدت تلك النعم على ذاك الجيل بجليّ بيانها وساطع سنائها فميّزتهُ عن سائر الاجيال. فان المعزي الموعود بهِ اظهر افعالهُ العجيبة وسلطانهُ الرهيب بما كان يجريهِ من الآيات الساطعة والعجائب الباهرة كالنبوءات والنطق بالألسنة وشفاء المرضى مما تحار عندها الافهام ولقد تمّت في ذاك العصر نبوّة المسيح حيث قال: « وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلّمون بالسنة جديدة ويحملون الحيّات وان شربوا شيئاً مميتاً فلا يضرّهم ويضعون ايديهم على المرضى فيتعافون » . (مرقس ١٦: ١٧—١٨)

واذا نظرنا الى هيئة تلك الكنيسة ورؤسائها اخذنا العجب اذ نعاين شيوخاً يسوسونها ويدرّبون المؤمنين فيرقّونهم في معارج التقدم والكمال المسيحي. ولم تنل تلك الكنيسة الانطاكية في اوّل امرها استقلاً واحداً ينفرد بسلطتهِ دون غيره لاسباب كثيرة منها ان نظام الكنيسة وترتيبها انما اتخذوه في بادئ الامر عن المجامع اليهوديّة ولم يفترقوا عن الهيئة الاسرائيليّة الّا بعد حين فضلاً عن ان اليهود كانوا يأنفون من اعطاء السلطة والرئاسة لرجل يوناني وكان اليونان لما هم عليهِ من الانفة

وعزة النفس يأبون ان يذعنوا لرجل اسرائيلي . فحسماً لكل منازعة تنشأ عن الكبر والحسد ضبط القديس بطرس نفسهُ ازمّةَ الكنيسة الانطاكيَّة فكان هو اوّل اساقفتها على ما ذكر اوسابيوس في تاريخهِ وايرونيموس وغيرهما . وبقي على رئاستها الى ان دعاهُ الله الى انشاء الكرسيّ الرومانيّ فعهد الى إفوديوس تدبيرها فكان اوّل اسقف عليها بعدهُ . ثمَّ خلفهُ اغناطيوس النوراني الشهيد . وكان يساعد الاسقف في مهمّتهِ جماعة من الكهنة والشيوخ مشهورين بالحزم والفطنة وحسن السيرة وصحيح التعاليم وهم يذعنون لراعي كنيستهم في كل شيء .

ولقد تصبو النفس الى معرفة طقوس المؤمنين الاولين في صلاتهم وما كانوا يتزوّدون بهِ من التضرعات والترسلات . وكان اليهود اذا وقفوا للصلاة غطوا وجوههم تواضعاً واحتراماً امام العزة الالهية والرب الصباؤت . واما اليونانيون فكانوا في وقت الذبيحة فقط يغطون عيونهم لئلّا يعترضهم شيءٌ مشؤوم وفي وقت الصلاة يكشفون رؤوسهم . ولربما كان النوعان من الصلاة يُستخدَمان في كنيسة انطاكية الّا ما ادخلتهُ الخرافات الوثنية من تغطية العيون وقت الذبيحة . ولم يكن هناك طقس مخصوص بالصلوات الّا ما ورثوه عن المجامع اليهوديَّة ولم يغيّروها الّا مع تمادي الزمن فكانت الحفلات الدينية تستهلّ بترنيم المزامير على انغام معهودة ثم تتلوها قراءة الانبياء العظام . ولا ريب انهم ابدلوا ذلك بتلاوة انجيل القديس لوقا في كنيسة انطاكية ويا حبّذا لو ابقى لنا الزمان تلك التراتيم والحانها . ومما هو حري بالذكر انَّ المؤمنين كانوا ينظمون التسابيح اللطيفة ينشدونها في بيوتهم ثم بعد طول الزمن اخذوا يرتلونها في المجامع وفي الكنائس . ولا مراء انهم كانوا يؤثرون صلاة الرب على غيرها فيوردونها في بدء اعمالهم كلها ونهايتها . ولقد وعى لنا الدهر صلاة بديعة يرتقي عهدها الى اواخر الجيل الاول ربما كانت تُتلى في كنيسة انطاكية وهي : « مبارك انت ايها السيد الهنا الاه ابائنا ابراهيم واسحاق ويعقوب الاله العظيم القادر على كل شيءٍ الرهيب المتعالي الموزّع النعم والمواهب والمرسل لفداء اولاد ابنائنا لتمجيد اسمك واظهار محبّتك . انت المأمول الى الابد انت مقيم الموتى بمراحمك الغنيَّة تعين الساقطين وتشفي المرضى تخلص المسجونين وتحفظ عهودك للذين يرقدون رقدة الابد . من مثلك يا الله من يضاهيك قدوس انت يارب قدوس هو

اسمك والقديسون باجمعهم يمجدونك وهم في السماء يرنمون قدوس قدوس قدوس هو الرب الاه القوات كل الارض مملوءة من مجدك ». ومثلها بعض الدكسولوجيات التي رقّتها المجامع الاولى الى عهد الرسل (راجع رسالة القديس بولس الاولى الى طيموثاوس ١ : ١٧)

ومن اجلّ الصلوات واسماها كسر الخبز اي الذبيحة الالهيّة التي كانوا يقيمونها عند غروب الشمس كل يوم في حجرة مرتفعة مزخرفة بالفرش وادوات الزينة منارة بالانوار الوافرة واسعة الارجاء ممتدّة الانحاء وربّما كانوا يقدّمون على . وكان لتقديم الذبيحة نوعاً من الولائم دعوهـا بالمحبة (Agapai) فكان المؤمنون يأتون بطعامهم ويلتئمون جماعات جماعات ويأكلون معاً . وبعد تلك الوليمة الاخوية كانوا يصعدون الى العلية حيث تقام الذبيحة الالهيّة . ثمّ فُصلت هذه الولائم عن الذبيحة

ولو طرنا بالفكر الى هاتيك الازمنة وتعهّدنا اولئك المؤمنين لرأيناهم قبل الذبيحة يذرفون الدموع المنسجمة ويتصفحون المولى عن مآثمهم . لشاهدناهم رافعين ايديهم نحو السماء وعيونهم شاخصة الى العلاء . ولقد مثّلوهم في الدياميس بالمصلّيات (Orantes) . وكان صوت الكاهن يرتفع من بين الجمع بالوقار والاحترام ويهتف قائلاً والشعب يحني رأسهُ بخشية وتواضع : ان الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها اخذ خبزاً وشكر وكسر وقال : خذوا فكلوا هذا هو جسدي الذي يكسر من اجلكم . وكذلك الكأس من بعد العشاء هذه هي الكأس العهد الجديد بدمي . وفي نهاية الذبيحة الالهيّة يتقدم المؤمنون نحو الكاهن لقبول جسد المسيح مصلّبين يديهم فيضع في يدهم اليمنى خبز الملائكة فيتناولون ثم يشربون كلهم دم المسيح من الكأس المقدسة . وكثيراً ما كانوا يقيمون تلك الحفلات بأُبهة واجلال ايام السبوت والاحاد وايام الاعياد الكبرى كعيد الفصح وعيد العنصرة

فمن يسطر لنا ما كان عليه ابائنا من الفضائل المسيحيّة فانهم كانوا يقتفون اثار معلّمهم الرسول بولس حيث علّمهم ان يكونوا « خدّاماً لله في الصبر الكثير والضرورات والمشقّات والطهارة والعلم والاناة والرفق والمحبة بلا رثاء » حتى كان الوثنيون يعجبون منهم ويقولون : انظروا كيف يحبّون بعضهم . فكيف لا نهتزّ

طرباً لما كان عليهِ اولئك المسيحيون ابطال كنيستنا الانطاكيّة. وكيف لا نقتفي آثارهم اذ الحقّ يقال :

الابن ينشأ على ما كان والده ان النصون عليها ينبتُ الشرُ

فبعد ان رمقنا الى اصل كنيستنا وما طرأ عليها من التغيير والاحداث ورأينا ما كانت عليهِ قبل ميلادها وما صارت اليهِ بعد عمادها لنعد بالفكر الى اورشليم فكأني بها شيخة هرمة فبعد ان تقدّمت في ايامها ولم تستطع الى الولادة سبيلاً هجرت بنيها والقتهم من على ذراعيها فاختار الله للشرق اماً في ريعان شبابها ألا وهي كنيسة انطاكية فغدت كالمحور عليها تدور الكنائس الشرقيّة وكأن القديس بولس والرسل العظام يخرجون منها كأنهر عدن يحملون الخصب والنماء في كل ارض يطأونها. فهناك سُمي المؤمنون لاول مرة مسيحيين (اعمال ١١ : ٢٦) ولربما دعوا كاثوليكيين لأول مرة فيها ايضاً لان القديس اغناطيوس الشهيد الانطاكي هو الذي ذكر ذاك الاسم قبل غيرهِ في كتابهِ الى اهل ازمير

فهنيئاً لكِ يا كنيسة انطاكيـة هنيئاً لكِ يا مدينة المرسلين والمبشرين مدينة الشهداء والآباء القديسين وقد مرَّ عليكِ عشرون جيلاً وانتِ تحملين في احضانكِ الابرار والقديسين وقد قدّمت للعلي في عصرنا الحاضر شهداء الاضطهادات والآن هم بالقرب من الحمل الطاهر يرفعون احزانكِ الى المولى حتى تعود اليكِ مفاخركِ الاولى وتصبحي قرّة العين امام الرب العظيم. وها ان ابناءكِ ينظرون اليكِ بعين الحنوّ والانعطاف. ارتفعي الى دار السماء والى ارض النعيم. هناك الافراح هناك المسرّات

اثر مدفن سوري قديم

للاب سبستيان روترفال اليسوعي

ترى هنا صورة اثر قديم وجد منذ عهد قريب في سوريّة في مكان لم يشأ صاحبهُ بتعريفهِ. واظنهِ بأن للاثر المذكور قدراً عظيماً فيحصل ببيعهِ على مبلغ وافر عُني بتصويرهِ في معلّقة زحلة واخذ منهُ عدّة صور عرضها على محبي الآثار لعلّهم يشترونهُ بثمن بالغ. وقد انتشرت هذه الصور فأتاني كثيرون من الادباء في هذه المدّة الاخيرة ليستعلموا عن قدم الاثر ومعناه وقد سمح لي واحد منهم بان انشر الصورة في المشرق

ولبيّن رأيي فيها فنعلت لئلّا يعود اليّ السائلون فردًا فردًا فاقول:

لا تمثل هذه الصورة سوى قطعة من اثر قديم لدفن احد السوريين الوثنيين ويرقى عهدها الى دولة الرومان. وليس في تعيين مكان اكتشافها فائدة كبيرة سواء وُجدت كما يقال في حدّث البقاع او في سليميّة او في المعاقة لأن نَصب آثار مدفنيّة كهذا كان شائعاً في امكنة عديدة والظاهر من الاثر الذي نحن بصدده انهُ كان قطعة من ناووس كبير تنتشوا على وجهه ثلاثة او اربعة اشخاص لم يبق منهم غير صورة شخصين وقسم من الشخص الثالث. وقد قصد النقّاش ان يمثل بهم رجالًا دُعوا الى مأدبة في دار الآخرة ولذلك تراهم مضّجعين فوق فراش وثير ومتكئين على وسائد ثمينة وفي ايديهم الكؤوس: والشخصان المنقوشان على اليمين ملتحيان واسم كلّ واحد منهما مدوّن بتمام حروفهِ فيُدعى الواحد (KAHMHC) وهو مختصر اقليمنضوس والآخر اسكندر (AAEΞANΔPOC)

وقد صوّروا تحت الفرش كمألوف عادتهم اثاثاً من ادوات البيت منها كُوز ذو عُروتين فوق منضدة لطيفة. ثم اناء آخر ذو عروة مدوّرة فوقهُ مغرفة ثم اسكمنة تمثل قوائم حيوان غريب الشكل وفوقها كاسة وغير ذلك وكلّها ادوات تستعمل في الولائم

فهذا مجمل ما نُقش على هذه القطعة وكلّ ذلك مما ليس تحتهُ كبير امر. امّا النقش فحسن لكنّهُ ليس في غاية الاتقان. ومنهُ يثبت انّ القدماء كالمحدثين كانوا يبالغون في رغد العيش والتأنّق

ومن خواصّ صورة الشخص الثاني انهُ مزدان بقلادة لعلّها حرز او تميمة

وعلى كل حال ساء ظنّ صاحب هذا الاثر اذ حسبهُ من المآثر النفيسة العزيزة الوجود التي يتزاحم عليها ارباب العاديّات وولاة المتاحف الاوربيّة. وكان الاولى بهِ ان يبحث عند بائعهِ عن القطعة المفقودة منهُ فاذا حصل عليها يهدي الاثر كاملًا الى سراية المعاقة فيُعرَض مدّة هناك على الداخلين ثمّ يُنقل الى المتحف السلطاني في الاستانة. اما اذا بقي الاثر على حالهِ من التحطيم فنشير اليهِ بان يجعلهُ في متحف بعلبكَ في « موزهٔ همايون » ويُكتَب تحتهُ اسم هاديهِ فينال بذلك شكر الزوّار والسلام

بيروت في ٢٠ ت ١ سنة ١٩١٣

سياحة
في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تتمة)

١١ً دير العمر او دير قرقين

ان هذا الدير هو تحفة اديار طور عبدين في يومنا وله شهرة كبيرة واعتبار جزيل لتقادُم عهده وبديع هندستهِ وجليل ما انطوى عليهِ من الآثار. غير انه في يومنا قد عدّت على رسومهِ العوادي وتهدَّم كل ما يحيطهُ من الابنية الفخيمة الفاخرة ولم تترك لنا حوادث الزمان منه سوى كنيسته وهي على طرز كنائس طور عبدين القديمة المستبدعة. وتمتاز عنها باتساعها الذي يكاد يضارع طولها. وفي قبّة قدس الاقداس تشاهد حتى يومنا الفسيفساء المفرّقة بالفضّة والذهب على شكل جَفنة عناقيدُها سوداء واوراقها خضراء. وارض قدس الاقداس مرصوفة كذلك بالفسيفساء الملوّنة المشكّلة. والكنيسة على وسعها مُعتمة مظلمة ليس فيها الّا كوّة لناحية الشرق والى جنوبها ثلاث كوى صغيرة اسوةً بسائر الكنائس القديمة وجاء في تاريخ ابن العبريّ البيعيّ في عهد إوغريس بطريرك انطاكية ان دير قرقين او دير العمر شُيّد سنة ٣٩٧ م وقد كان في سالف الزمان هيكلًا للاصنام (Mss. Sachau, ١٧)

وجاء في سيرة جبرائيل القرقميني مطران الدير († ٦٦٨) حسب النسخة العربيّة الخاصّة مكتبة دير الشرفة ما ملخّصه(١: « ان انسطاس ملك الروم († ٥٢٠) اوفد البنّائين والنحّاتين يتقدّمهم ثاردوسي وثاردور فشيّدوا بيعة الدير وطولها ٣٧ ذراعاً وعرضها ٢٥ ذراعاً وعلوّها ٢٥ ذراعاً ايضاً وسمك البناء سبع اذرع واقاموا فيهِ ثلاثة مذابح في قدس الاقداس وجعلوا مائدة المذبح حجرة رخام طولها ستّة اشبار في عرض اربعة ورسموا فوق المذبح صورة اسد وثور ونسر وانسان ووشّحوا الحجر بثوب ملكيّ فاخر واكليل فضيّ ورتّبوا فيها نحو ثلاثمائة صورة تمثّل اعمال السيّد المسيح (٢ »

١) المؤرخ الرهاوي (٥٢: ١١٢) وابن العبري (ص ٧٧) من تاريخه السرياني
٢) عن نسخة سريانيّة وأيناها بعذبات

تلك هنت حال الكنيسة اما اليوم فهي على ما وصفناها. وجدرانها كأنها لعبت بها صروف الزمان. وقدّام قدس الاقداس حيث الخورس تشاهد حجرة ملساء طولها خمسة عشر شبرًا في عرض سبعة اشبار وعلوّها شبران ونصف شبر (١ وعلى هذه الحجرة يتلون صلوات الفرض. ولمحنا فيها كتابة سطرنجيليّة لجهة الشمال فهممنا بقراءتها ونسخها فلم يسمح لنا الوافد فطلبنا من الراهب ان لا يعارضنا في نسخها. والححنا عليه وقلنا: هلمّ قلمًا ننسخها كلانا معًا. ففعل وأضاء شمعةً وطفقنا نقرأ ونكتب والوافد يعربد منزعجًا. فلم نكترث له. واليك نصّ الكتابة حرفيًا:

ܡܕܡܪܝܢ ܕܥܒܕܝܢ ܕܥܠܠ ܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ ܕܥܠܠ
ܡܕܡ ܡܬܩܢܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܕܥܠܠ ܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ ܡܫܠܡ ܡܕܡ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ

عمّل زكريا العينورديّ سنة ١٠٨٠ يونانيّة (٧٦٩م) في بادئه (تسيّ دسكاني كلّها مسلمون) ولمّا اوفد الاسقف اشيعا الثاني عرّاب صبره واهتمّ اشيعا بالبيت وجميع رهبان الدير واتوا (بالحجرة) وصقلوها ووضعوها في مكانها سنة ١٠٨٨ (٧٧٧م) في عهد اسقفنا واسقف بنتاتيه على قدر طائفة قرلّس العينورديّ القدّيس »

وعلى يمين الداخل الى المذبح حجر ضريح مكتوب بالحروف السريانيّة هكذا:

ܗܘܐ ܡܬܩܢ ܒܪܝܟ ܡܪ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ
ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ

« اهتمّ البطريرك (من قلعة المرأة) سنة ١٨٦٧ وجدّد ضريح الاربعين شهيدًا ومار سرجيس ومار باخس ومار اشعيا الحلبيّ وجعلها هنا »

١) قرأنا في سيرة جبرائيل رئيس الدير المذكور انهُ حاول ان يأتي بهذه الحجرة الى الدير فلم يستطع فقسم على رهبان الدير اجمع ليذهبوا ويأتوا بها. فانبعث الموتى من قبورهم ورافقوا الاحياء الى محلّ الحجر واتوا بهِ الى الدير. ثم امرهم جبرائيل فرجعوا الى قبورهم. وهذا كذب او تورية صرف. فان جبرائيل توفي سنة ٦٦٨ والحجر نُقل الى الدير سنة ٧٦٩ اي بعد موته بمائة سنة كما تبيّن من نص كتابة الحجر عينه في المتن

وعلى الشمال حجر آخر هذا نصُّهُ:

ܡܬܩܨ ܒܥܝ ܚܢܢܐ ܒܪܝܫ ܟܫܝܫܐ . ܡܢܬ ܡܬܩܢܐ ܐܝܟ ܕܡܢ ܟܬܒܐ

« قرقوس الصوري الذي استشهد في الصور ونقل هامتهُ الى الدير مار شموئيل »

وعند باب الكنيسة على شمال الداخل اليها حجر مكتوب بالسطرنجيلية يتضمَّن اسماء اساقفة دير العمر مدة ٢٤٠ سنة اليك نصهُ حرفياً:

ܡܢܝܢ ܕܐܣܩܦܐ ܕܗܢܐ ܕܝܪܐ ܕܥܡܪ ܐܠܦ ܡܐܬܝܢ
ܘܐܪܒܥܝܢ ܫܢܐ . ܐܝܢܐ ܫܡܗܘܢ . ܫܡܥܘܢ ܫܡܫܐ . ܐܒܪܗܡ
ܡܪܕܝܢܝܐ . ܫܡܥܘܢ . ܐܝܠܝܐ . ܐܝܠܝܐ . ܐܝܠܝܐ . ܡܪܝ
ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ ܐܬܪ ܡܪܕܝܢܝܐ (ܫܢܐ) . ܐܝܠܝܐ
ܫܡܥܘܢ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ ܐܠܦ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܫܢܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ
ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪ ܡܪܕܝܢܝܐ . ܐܝܠܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ ܡܪܕܝܢܝܐ

« اسماء اساقفة هذا الدير منذ سنة ١١٦٠ (٨٤٩ م) . بانا الحرّاني . حزقيال الحاجي . سموئيل المانسي (١) . حزقيال . يوحنا . ايونيس . اغناطيوس . ساويرا . حبيب المانسيّ . يونان القرقيّ . يوسف السيريني . يوحنا السرزيّ . زكّا تحفّز للخصام لمازر السيرفيّ . وآخرهم الخالي المانسيّ قام سنة ١٤٠٠ (١٠٨٩ م) وكتب هذا التذكار وفي زمانهِ المشؤوم الضيّق خُرب هذا الدير نهباً نهبهُ الفرس وأضحى قاعاً صفصفاً واقترفوا الشرور في طور عبدين اجمع وظلّ الناهبون في الهيكل اربعة وعشرين يوماً (٢

ويستفاد من تنقيث الدير انهُ مشيَّد على اسم مار جبرائيل القسطني (الباقياني) وشمعون القرقيني وشموئيل المشتني (نسبة الى مشته قرية قريبة من آمد)

فيتحصَّل من ذلك كلّهِ ان هذا الدير العظيم كان نخبة اديار طور عبدين واقدمها

---

١) نسبة الى بيت مانسم وتسمَّى هيتم ايضاً وهي مسقط راس شمعون مطران جرجر الذي صار بطريرك الشام سنة (١٦٢١–١٦٦٥)

٢) ذكر ميخائيل الكبير في تاريخهُ (٣:٢٦٨) ان دير قرقين خُرب اوَّلاً سنة ١٠٢٥ م نهبهُ الاتراك . وثانياً سنة ١١٤٦ وقُتل فيهِ اربعة رهبان . وذكر المؤرخ الرهاوي (٧٦:١٢٨) ان ادرهون عامل الفرس في نصيبين غزا دير قرقين وقرى طور عبدين سنة ٥٨٠ تقريباً

عهداً ولهُ بُني في اواخر القرن الرابع كما شهد ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ وان اوّل من تولّى رئاسته سموئيل وخلفهُ قيروس تلميذه (١٠ و١٤ تشرين الثاني و١٥ ايار من كلندار الاب بترس). ثم ترأس شمعون رئيس دير قرتمين الثاني (٤ كانون الثاني من الكلندار المذكور) وولي بعده الرئاسة قيروس بن صفنيا تلميذ سموئيل ولهُ عيد في ٢٠ تشرين الثاني و١٤ كانون الاوّل. وخلفهُ شمعون الثاني رئيس دير قرتمين (١١ كانون الثاني من الكلندار المرقوم). وكانت وفاة مار شمعون القرتميني سنة ٧٤٤ يونانيّة (٤٣٣م) (كلندار الاب بترس في ١٨ كانون الثاني). وورد في ٣١ آب ذكر جبريل القرتميني فقال: قطعوا يده اليمنى واتوا بها الى قرية حساح (وهو شفيع) وباء الطاعون رسمه مطراناً اثناسيوس الجمّال بطريرك اليعاقبة (٥٩٥—٦٣١) وفي ٢٩ نيسان ذكر اصفنيا رئيس دير قرتمين ولا ندري زمانه. وذكر زكريّا الملطيّ الفصيح في تاريخهِ ان يوحنا مطران آمد احد مطارنة اليعاقبة الاوّلين كان من دير قرتمين سنة ٥٠٠ في عهد فولا او بولس بطريرك انطاكية (٥١٩ — ٥٢١) وعُرف ايضاً في بطريركيّة ساويرا الثاني (٦٦٨ — ٦٨٠) حنانيا مطران دير قرتمين (١ واثناسيوس الثالث (٧٢٤ — ٧٤٠) الذي خلف ايليا البطريرك وتمت رسامتهُ في دير قرتمين. واشتهر ايضاً اثناسيوس السنديليّ مطران ميافارقين الذي درس في دير قرتمين وتقلّد البطريركيّة بامر ابي جعفر المنصور الخليفة باسم اثناسيوس الرابع (٧٥٦—٧٥٨). ولمّا خنقهُ الحرّانيّون سار رهبان دير قرتمين واتوا بجثمانه ودفنوه في ديرهم (٢. واسحق الذي صار بطريركاً سنةً واحدة ثم امر بهِ ابو جعفر فخُنق وأُلقي في الفرات واقام بدلهُ اثناسيوس السنديليّ المذكور

ودرس ايضاً في دير قرتمين ثاودسيوس بطريرك اليعاقبة (٨٨٧—٨٩٥) الذي برع في الطبّ وصنّف فيهِ كتاباً باسم « تأليف ثاودسيوس البطريرك » (٣ وتوفيّ في دير قرتمين في ٤ حزيران ٨٩٥

ومنهم شمعون اسقف قرتمين الذي رُسم بطريركاً في تلمدا بانطاكية باسم

١) راجع كتابنا الزهرة الزكية (ص ٣٧)

٢) الزهرة الزكية (ص ٤١). وله عيد في ٢١ ايار وهو مؤسس دير قليما غربي ماردين

٣) الزهرة الزكية (ص ٤٦)

ديونوسيوس الثالث (٩٥٧ — ٩٦١) ودُفن في ضريح ثاودسيوس البطريرك

ومنهم يوحنا مطران قرتمين رسمهُ اثناسيوس الخامس سنة ٩٨٨ وهو الذي جدَّد الكتابة السطرنجيلية في طور عبدين اذ كانت قد بطلت منذ مائة سنة (١ حتى انَّ عمنوئيل ابن اخيهِ كتب سبعين مجلَّداً من الترجمة البسيطة والسبعينية والحرقلية وفناقيث ثلاث طغمات (ܬܠܬܐ ܛܓܡܐ) على الرقّ ووقفها لدير قرتمين (٢

وفي عهد يوحنا الحادي عشر بطريرك اليعاقبة (١٠٤٢—١٠٥٧) جرت فتنة بينهُ وبين المفريان أسفرت عن رقم ثلاثة صكوك مؤدّاها ان لا يُرسم بطريرك الّا بحضور المفريان او اخذ رضاه وجُعل احد الصكوك في دير قرتمين (٣

واشتهر من قرتمين ايضاً يوحنا المفريان القرتميني رسمه باسيل الثاني (١٠٧٤— ١٠٧٥). ومنهم داود مطران قرتمين المعروف في عهد ميخائيل الثاني († ١٢١٥) ومنهم ايضاً اغناطيوس مطران قرتمين الذي رسم يوسف بن وهيب بطريركاً باسم اغناطيوس الخامس (١٢٩٣ — ١٣٣٣) ومنهم اخرخ العينوردي كان مطراناً لقرتمين ثم صار مطراناً لطور عبدين († ١٤١٥). وخلفهُ في المطرانيَّة والبطريركيَّة قوما ابن جنل السيريني († ١٤٥٥)

هذا ولمَّا خرجنا من الكنيسة رمنا ان نتعهَّد ما اشتمل عليهِ الدير من الغرف فتفقَّدنا غرفةً عالية كبيرة في جنوبي الكنيسة مستديرة الشكل تحيطها سبعة اروقة وفي صحنها مصطبة او دكَّة مربَّعة. قيل انها كانت غرفة مائدة الرهبان. واليوم قد انقلبت الى مراح دواب فيها الزبل والتبن واصناف الحيوانات

وقرأنا في قصة جبرائيل مطران قرتمين المذكور سابقاً انهُ كان من عادة رهبان زمانه اذا خرجوا من الكنيسة الى المائدة يرتّلون الاناشيد السريانيَّة المعروفة بالمعانيت (ܡܥܢܝܬܐ) وكان في المائدة اثنا عشر حجراً من الرخام الابيض

ثمَّ طفنا سائر الغرف وانحدرنا الى سرب مظلم في جدرانهِ أجران قبور مكلَّسة

---

١) الزهرة الزكية (ص ٥١)

٢) راجع رغبة الاحداث (٢: ١٥٨)

٣) الزهرة الزكية (ص ٥٢)

تحتوي على اجسام شهداء اصلهم من بلاد الصعيد بمصر هجروا اوطانهم طلباً للنسك وبانوا طور عبدين وانزووا في دير قرقين. ولمّا هجم الفرس على دير العمر قتلوهم عن بكرة ابيهم. ويؤيد ذلك ما ورد في كالندار الاب بترس (ص ١٦٤) في سادس تشرين الاول ما تعريبهُ:

« ذكر العشرة الرهبان القرقيين المسمّين اخوة . واربعمائة وثلاثة وثمانين شهيداً . . (ذُكر) انهُ في احد الايام فتح البطريرك والرهبان القبور التي في بيت الشهداء بالدير فصادفوا ثمانمائة وثلاثة واربعين جمجمةً »

ولا ندري من هو هذا البطريرك وفي اي زمان جرى هذا

وجاء في خاتمة قصّة جبرائيل رئيس الدير ما نصُّهُ: « بصلوات الثلاثمائة المصريين الذين اتوا الى هذا المكان واكملوا جهادهم وبصلاة مار شموئيل ومار شمعون ومار جبرائيل الخ »

وخارج الدير في غربيه عامود مربَّع على شكل منارة كبيرة ذو اربع طبقات قيل انها صومعة لاحد نسّاك الدير . وسائر مشتملات الدير لا تستحقّ الذكر اذ قد أمست مهدودةً مقوَّضةً برمتها

وهذا الدير الجليل الذي كان يثويه يوم غزوه ما ينوف على المائة والخمسين راهباً (١ لا يسكنهُ في يومنا سوى اسقف شيخ وراهبين احدهما ضرير والآخر صغير ونفرٌ من جماعة اليعاقبة اسوةً بسائر الاديرة الطور عبدينيَّة

امّا قرية قرقين فهي قريبة من الدير الى جنوبيه تبعد نحو ساعة ولقد كانت شهيرة وخرج منها عدّة اساقفة وكهنة ورهبان كان اهلها يشتغلون الرقّ او جلد الغزال لكتابة الكتب . وسكّانها في يومنا مسلمون كلهم

١٢ً من دير العمر الى باسبرينا

وصباح الثلاثا ١٩ ايار قصدنا قرية باسبرينا يصحبنا راهب من دير العمر فقطعنا جبالاً خضراء ووديانًا حتى وصلناها قبل الظهر وكنّا نجهل مجيء ذلك الراهب معنا .

١) ذكر نرما المرجي في كتاب الرؤساء (١٨ : ٨٥ من طبع الاب بيجان) جبرائيل رئيس الدير في عهد سهدونا اعني في القرن السابع وقال ان جبرائيل هذا جادل الساوريين المحلوقين (اليعاقبة) الذين يسكنون دير قرقين . فذلك دليل على كثرتهم وعلوهم

على اننا لمّا وصلنا الى القرية لم يدعنا ان نتفقّد بيعة فسرنا معهُ توًّا الى دار اوجين شيخ القرية فاسرَّ اليهِ الراهب ان يامر بايصاد باب الكنيسة تجاهنا واخفاء الكتب عنّا . ولما قمنا الى الكنيسة سمعنا الشيخ ينادي قسّ القرية وغيره باللغة الكردية ويحرّج عليهم فتح الباب . ففهم شقيقي يوسف كلامه ودخلتنا الكآبة من تلك المعاملة الذميمة . وجعلنا نطوف القرية متعهّدين فيها اكواخاً وصوامع واكواخاً ضيّقة تناهز العشرة وتُنسب لايليّا والمجدليّة وشموني وقوما ودانيال واخسنايا وتوما وجبرائيل وديرًا صغيرًا للراهبات يسمّى دير الأخوات (ܒܝܬ ܐܚܘܬܐ) . وديرًا لبرصوما فيهِ صومعة . ولمّا رأينا ان اغلب الذين رافقونا من دار الشيخ سئموا ورجعوا الى شغلهم تحيّنّا الفرصة لنتفقد الكنيسة الكبرى . فولجنا الفناء الكبير يصحبنا شخصان وحاولنا الدخول الى الكنيسة فردّونا بصفقة خاسرة وزعموا انّ المفتاح مفقود . واذ كان شقيقي يلحّ في طلب المفتاح لمحتُ كتابةً سطرنجيليّة فوق باب الكنيسة فرقيت الى افريز قدّام الحجر وكتبتُها وهذا نصّها :

ܗܕܐ ܟܢܝܫܬܐ ܕܡܪܝܡ ܕܐܬܪܬܐ ܕܩܕܝܫ . ܕܥܒܝܕ ܐܝܟ
ܕܡܢ ܕܚܕܬܐ ܥܠ ܡܫܟܢܬܐ ܕܡܪܝ ܡܪܝ ܥܠ ܟܠܗ
ܡܬ (؟) ܕܟܬܒ ܗܢܐ ܥܠ ܦܬܚܐ ܕܟܢܝܫܬܐ ܕܟܠ ܥܠ
ܕܡܬܟܬܒܢ ܒܟܬܒܐ ܕܢܩܪܐ

تجدّدت هذه الكنيسة وحوش القديس واوقف العقد والسجّود (على كتاب الصلاة) الذي في الحوش الربّان شمعون القرشيّ سنة الف وخمسمائة (١ وعشر يونانيّة (١١٩٩ م) كل من يقرأ فليصلّ عليهِ وعلى كلّ من اشترك بالكلام والعمل

وقرأنا في مصلّى الصيف كتابة اخرى على يمننا تعريبها : تجدّد هذا السكن سنة ١٨٦٦ (١٥٥٥ م)

امّا الكنيسة فهي مشيّدة على اسم مار دادا (ܕܘܕ) ومار اسيا واشعيا ومار آحا ومار قلّد (ܩܠܕ) كما يستفاد من تاريخ فتقيث كُتب في باسبرينا

واشتهر في باسبرينا اشعيا القسّ ابن القس دنحا جاجيم المتوفّى سنة ١٤٠٠ ولهُ ميمر سريانيّ يصف فيهِ هجوم الاتراك والاكراد على بلاد الجزيرة نشره الاب

١) تعذّرت علينا قراءة هذا الحرف السطرنجيليّ ونرجح انهُ م

جبرائيل القرداحي الماروني في كتابه الكنز الثمين (ص ١١٣). وكوركيس مطران باسبرينا الذي سار اليه البطريرك نوح البقوفاري واستشاره واستقضاه ثم عاد الى ماردين وسيم بطريركاً عام ١٤٩٤. وكان قرما مطران قرقين من باسبرينا وهو الذي صار بطريركاً لطور عبدين († ١٤٥٥)

وعُرف ايضاً برصوما بن عبد العزيز من قرية باسبرينا الذي كتب سنة ١٨٥٦ (١٥٤٥ م) كتاباً سريانياً في العقود والوراثة وسرّ التوبة وحكايات وفهرس الاعياد والاصوام وشيئاً من كتب الطبّ يعقبها تاليفه في الردّ على النسطورية وعندنا نسخة منه. جاء في اوّله في السريانية ما تعريبهُ :

« بسم الآب والابن والروح القدس. نكتب مجادلة ضدّ النساطرة جمعها وألّفها برصوم دربنوس »

وورد في خاتمة المجادلة ما تعريبهُ :

« كمل الكلام ضدّ النساطرة حسب تصليح برصوم دربنوس من قرية بيت كورشين ابن عزيز المرحوم وانّه راحيل. كتبه سنة ١٨٥٦ (١٥٤٥ م) »

وبعد هذا عدنا من باسبرينا الى قرية ديران وهي صغيرة ليس فيها من الآثار شيء ومنها جئنا الى قرية كفربه وهي فاتت (ܟܦܪܒܗ) القديمة قام منها اساقفة ورهبان مشهورون ذكرنا نفراً منهم في رحلتنا هذه. وفي كفربه كنيسة شاهقة جداً على جبل عالٍ باسم مار اسطفانس يعلوها الاجرّ وهي على طرز الكنائس القديمة ولم نعثر على اثر كتابة فيها. واعزّنا القسّ سموئيل كاهن القرية فودّعناه الى دير العمر ثانيةً. ولمّا أسحرنا عدنا الى مذيات يوم الاربعاء ٢٠ ايار وعرّجنا على مزيزخ ثم انتهينا الى عينورد وفيها كنيسة قديمة باسم حدبشابا لم نُلفِ فيها شيئاً من الآثار والكتابات. واشتهر من عينورد زكريا نحات الحجرة الكبيرة التي بدير العمر واخنوخ ويشوع ويوحنا بن قوفر بطاركة طور عبدين كما ذكرنا في كلامنا عن مذيات ومنهم ديوسقورس شمعون مطران الجزيرة سنة ١٤٨٤

وواصلنا السير حتى يممّنا مذيات فلبثنا يومين ضيوفاً مكرّمين على القس بطرس حمال النائب البطريركي

١٣ً من مذيات الى دير مار ملكا القلزمي

غادرنا مذيات غلس الجمعة ٢٢ ايلول شاكرين للقس بطرس الغيور فضله وأنسه وسرنا صحبة مكاريَين مذياتيين الى دير مار ملكا القلزمي . فبلغنا الى قرية كفر شامع على مسافة ساعة من مذيات في جنوبيها الشرقي وقد اضمحلت آثارها واندرست . وكان فيها دير لمار شربيل ورسومه باقية الى يومنا . وعُرف من هذه القرية « هرقلي الجبس (ܗܪܩܠܐ ܕܓܒܣܐ) في دير كفر شامع » الواقع عيده في ٢٤ كانون الثاني . وكُتب هذه الكنيسة توزَّعت على كنائس الجبل كما سنرى في كلامنا عن الخل . ويشوي كفر شامع في يومنا نفرٌ معدود من المسلمين

وانتهينا من كفر شامع الى قرية الخل وهي مشيدة على أكمة تتوسطها كنيسة مار قرياقس الكبرى . ومن سطح هذه الكنيسة يمتدّ البصر الى قلعة ماردين وبعض الربض . وفيها اسقف يقال له افرام وراهبٌ وكلاهما من السذّج . امّا هيئة الكنيسة فتحاكي سائر كنائس طور عبدين التي استوفينا وصفها وفيها ضريح المفريان عبد الاحد بن كندو (او جندو) الذي رُقّي الى البطريركيّة الياس الثاني سنة ١٨٣٧ . وفيها كتاب سريانيّ ضخم يتضمّن اخبار القدّيسين خالٍ من التاريخ والظاهر انهُ من القرن الرابع عشر . وفيها كذلك ثلاثة فناقيث على رقّ تتضمّن طقوس الاعياد منها طقس عيد ابينا مار افرام الملفان السرياني ومار ثاودورس الشهيد وعيدهُ في السبت الاوّل من الصوم وهذا تاريخ الكتاب معرَّباً :

« انتهى كتاب النيافات السريانيّة سنة ١٥٢١ (١٢١٠م) في غرّة ايلول بدير مار شربيل الشهيد بجانب كفر شامع في عهد البطريرك يوحنا القدّيس (ابن المعدني ١٢٠٨ — ١٢٢٠ م)

وفي الخل معابد واكراح تُنسب الى والدة الله واشعيا واولوغ ومار جرجس وشمعون وهي ضيّقة مظلمة . واهلها يعاقبة باجمعهم يناهزون مائة عائلة

ومشرقي الخل بينها وبين كفرا قرية مار يونس فيها اطلال كنيسة قديمة واهلها مسلمون كلّهم يبلغون ثلاثين عائلة ونيّف

وشخصنا من الخل الى كفرا فوصلناها في الهجيرة فرحّب بنا كاهنها اليعقوبي الأطيف . وكنيستها على نمط الكنائس القديمة الراقية الى القرن السادس او السابع ولها ثلاثة اسواق سوقها الاوّل باقٍ على هيئته القديمة وقد جُعل فيه المذبح الجديد

وسائر اقسامها قد ذهبت بها صروف الزمان وهي مشيّدة على اسم مار يعقوب الحبيس ومار هجلاي (ܗܓܠܝ) ولم نعثر على اسم هجلاي في كتب النسّاك والزهّاد التي طالعناها ولعلّهُ احد تلامذة مار ارجين. وفي الكنيسة فنقيث على رقّ كفنقيث كنيسة الخل الذي وصفناه. وعلى باب الكنيسة الجنوبيّ حجرٌ يعلوهُ تمثال حمامتين ثمّ كاسٌ يتخلّل الحمامتين. وفي حجر آخر رسم حَمَل وافادنا الكاهن ان قد وردتهُ رسائل من ماردين ان يحفر تحت المذبح لعلّهُ يجد آثاراً ايمّية وكان القسّ في جملة من الفعلة يشتغلون بالحفر ولا ندري هل صادفوا شيئاً. واهل كفر يبلغون نيّفاً وعشرين عائلة

وغادرنا كفرا نزيد دير مار ملكا القازميّ ابن اخت ارجين رئيس النسّاك الشرقيّين. وقبل بلوغنا اليه مررنا بقرية «خربة آله» وهي اركح القديمة. فيها كنيسة كبيرة لليعاقبة واهاليها سريان يعاقبة اجمع ينوفون على المائة بيت. ولم نعثر على اطلال او رسوم فيها. ويلوح انّ القرية كانت محاطة بسور رسومهُ تشاهد في غربيها

وعلى مسافة نصف ساعة منها دير مار ملكا وهو مشيّد على اكمة عالية يشرف على احراج غضّة من البلّوط وما ضاهاه. مبنيّ بالحَرْم اعني بصخور مخروقة. والكنيسة صغيرة يُرقى اليها بدرج فيها صورة مار ملكا حديثة موضوعة فوق ضريحهِ. وقرأنا في فنقيث الدير ما نصّهُ:

ܒܫܢܬܐ ܕܫܬܝܢ ܡܢ ܫܢܝܢ ܫܠܡܐ ܥܠ ܫܠܡܐ ܕܡܪܝ ܡܠܟܐ ܩܕܝܫܐ ܕܐܬܐ ܡܢ ܩܪܝܬܐ ܕܐܪܟܚ

الموصلي (١ العربي (وضريحه بدير مار ملكا) ومار شمعون الاركحي (نسبة الى اركح وهي خربة آله اليوم) ابن وهبون من بازبدى . التي فيها اي في اركح صنع ملكا المختار اعجوبة وطرد الشيطان من المرأة »

امّا اليشع القلزميّ فهو شقيق مار ملكا (بيجان ٥ : ٤٦٨ من سير القدّيسين »

بقي خبر ملكا نلخّصهُ عن بيجان (٥ : ٤٢١—٤٦٩) . اصلهُ من القلزم بمصر . وامُّهُ رفقة شقيقة اوجين رئيس النسّاك . وعمّهُ سموئيل عشر سنوات وكان بمعيّته اليشع كاتب سيرته . وتبع كلاهما خطوات اوجين في غرّة نيسان واستمرّا عندهُ اربع سنوات ثم حجّا الى اورشليم وبرّية الصعيد وبعد ثلاث سنوات عادا الى جبل الازل فاستصحبهما اوجين الى نصيبين فرسمهما مار يعقوب بشتاسين ثم قتيسين ثم سار ملكا الى النحل ليشيد ديرًا فلم يرُقْ لهُ المكان فعاد الى اركح (خربة آله) وشيَّد في قلّتها ديرًا بمشورة مار اوجين وتتلمذ لهُ سليمان بن وهبان . ثم حجّ الى اورشليم تكرارًا وعاد بعد سنتين الى ديره فاتاه اوثل الآثوري كما نوّهنا وترهّب في ديره . ومات ملكا في ٢١ نيسان وخلفه سليمان المشار اليه . وكان ولاد ملكا سنة ٥٣٤ (٢٢٣م ؟) وخروجه من دار ابريه سنة ٥٥٦ (٢٤٥) ووفاته سنة (٦٢٦ — ٣١٥) (٢ وعمره ٩٣ سنة

هذا ملخّص سيرة ملكا ومار اوثل . وقرأنا في كتاب حسّايات الدير ما تعريبهُ :

ساوبرا الغريب حرّض جنام بن حبيب البانيّ فكتب الكتاب وتب بالكتابة الربّان

---

١) ورد ذكر اوثل (في المشرق ١٠ : ٦٧١—٦٧٢) وكان من المجدل (مجدلا) وهي بلدة على الخابور جنوبي ماردين وشرقي راس العين وفي قلّتها بيت مربّع مبيّض ويحيط قلّة المجدل رصيف من الحجارة الضخمة . وقد ذكرها الواقدي في فتوحاته مرارًا (راجع ٢ : ١٠٥ و١١٢ طبع مصر) . وجاء ذكر اوثل المجدليّ في كلندار الاب بترس ٣ حزيران و٩ تشرين الاول ويستفاد من قصّة مار ملكا القلزمي (بيجان ٥ : ٤٦١) ان اوثل الآثوري النحلة عربيّ قصد مار ملكا فشفاه ثم ترهّب لديه واستمرّ في قيد الحياة اربع عشرة سنة بعد انتقال مار ملكا . ووضع سليمان الاركحي تلميذ اوثل تذكارًا لملكا واوثل في غرّة ايلول . وورد اسمُ لدير اوثل في الرها . سكنهُ ابرهيم مطران آمد الذي رسمهُ مطرانًا ابن وهبون (المشرق ١٠ : ٩٩٧)

٢) في تاريخ حياته نظر فان مار اوجين توفي ٣٢٩ م فتأمّل

انطون سياسوس سنة ١٩٥٩ (١٦٤٨ م) [وهي سنة ١٦٥٠ م sic] وتجدَّد الكتاب في دير شنَّا (١ المقدَّس

١٤ من دير مار ملكا الى دير مار اوجين

برحنا دير مار ملكا واخذنا نتوغَّل في غياض وارفة الظلّ وجبال زاهية وعند الغروب انتهينا الى جبل عالٍ تسلقناه فأشرفنا منهُ على قلعة ماردين والبرّية الفسيحة . ثم جعلنا ننحدر الى الجنوب هائمين على وجهنا لا ندري اين نتوجَّه لا نحن ولا المذياتيَّان اللذان معنا . فانحدرنا عن الدوابّ واخذنا نتدهدى في مواضع مطموسة المسالك حتى ضرب الليل بارواقهِ واضحت الساعة الثانية بعد الغروب . فغلب علينا الجزع والقنوط فاستغثنا بالقديس اوجين وعلقنا ننادي اربعتنا باعلى صوتنا : ربَّان ربان . معلّلين النفس بدنوّنا من الدير . وبينا نحن في الحيرة والصيحة اذا صوتٌ يدوي في الوادي فعادت الطمانينة الى قلبنا واخذنا نسير في الهوينا ونصيح بالراهب غير مبالين بالحجارة التي نعثر بها . وبعد هنيهة وصل الينا الراهب الغيور وقادنا بين الصخور بمشقَّة جزيلة حتى الدير وشكرنا لفضل القديس اوجين وشفاعته . واثنينا على همة ذلك الراهب الفاضل . فاكلنا ونمنا مستريحين

وعند بزوغ الصباح نهضنا بنشاط واخذنا نسرّح نواظرنا في موقع ذلك الدير الرهيب المرعب ونتأمل في معاهده المباركة وصوامعه الكثيرة فأطربتنا ابنيتهُ واعجبنا مركزه العاصي وتأملنا عيشة الرهبان الذين ثووه وابدوا فيهِ اعمال البرّ والتقى فكأنهُ وكر نسور او عشّ حمام فردَّدنا آية اشعيا نبيّ الله القائل : « ليرنّم سكّان الصخرة وليهتفوا من رؤوس الجبال ليردّدوا المجد لله ويخبروا بحمده في الجزائر (٤٢ : ١١ و ١٢) . والدير مستتر في وادٍ بين جبلين يشرف على البرّية والجبل يكتنفه من نواحيه الثلاث على شكل نصف هلال وفيهِ اكواخ للرهبان يثويه اليوم مطران زاهد واثنا عشر راهباً احدهم ضرير يعرف الصلوات الفرضيَّة كلّها غيباً

وقانون هؤلاء الرهبان يختلف عن رهبان الزعفران فانهم لا يأكلون لحماً ولا

١) شنَّا مدينة ببيت رامان يسميها الفرس فردلاباد . راجع كتاب الفئة (عدد ٤٧ ص ٤٧٠ من طبع بيجان)

بياضاً الّا ان اعمالهم غير منتظمة . كلٌّ يصلّي ويشتغل ويزمّر ويأكل وينام على حدة وانفراد دون ضابط

وممّا استغربناه فيهم انهم لمّا اصبحوا لم يجتمعوا للصلاة سويّة ولم يقرّب احدهم الذبيحة الالهيّة طبقاً لنصوص الآباء النسّاك بل رأيناهم لم يدخلوا الكنيسة فكانوا واقفين في المصلّى الصيفي يصلّون سرّاً ويجثون ويقومون ومنهم من يصلّي في صومعته ولا ينحدر الى الكنيسة ليتلو الصلاة مع الجمهور . فلم نتمالك ان نفاتحهم في ذلك مبيّنين لهم مخالفتهم لقوانين الآباء

وبعد ان صلّينا الصبح جعلنا نطوف معاهد الدير متفقّدين آثاره فولجنا كنيسته الكبرى وهي على كبرها واتساعها معرّاة من كل زينة وقلّما يدخلها الرهبان . وفيها ضريح القدّيس اوجين المعظّم انحدرنا اليه بدرجات معدودة تعلوه حجارة رخام اسود مغبّر . والى جانبه ضريح اختَي اوجين تقلا واسطرنطانيس (١

ولم نعثر فيها على كتابة او كتاب وقس عليه مصلّى الصيف فاننا لم نجد فيه ما يستلفت النظر . والى شرقيّ المصلّى غرفة متّسعة فيها قبور كثيرة دون كتابة والى جنوبيها ثلاثة اروقة عالية معقودة بالآجرّ وعلى الرواق المتوسّط قبّة لطيفة ظريفة يعلوها القرميد الأحمر وتحتها غرفة مربّعة على اسم العذراء مريم اعتنى الرهبان فجدّدوا مذبحها منذ بضع عشر سنوات وفي ظنّنا انها اقدم عهداً من الكنيسة عينها

وفي اطراف الدير مناسك شتى يكتنفها سور آثار ابنيته ظاهرة . وفيه بئر كبيرة واسعة لا تنتهي مياهها . وتحت الدير الى غربيّه مغارة واسعة ألفينا فيها عظام اموات ذكر لنا الرهبان انها عظام رهبان نساطرة قد أُتيت هناك

ولم نحظَ كذلك بمخطوطات في الدير قديمة او حديثة ولعلّ عندهم شيئاً منها لم يرُق لهم ان يعرضوه لنا ولا نظنّ ان في الدير آثاراً قديمة العهد . والسبب في ذلك ظاهر فان من طالع تواريخ الاديرة ولاسيما كتاب العفّة وكتاب توما المرجي وقف على ما كان لذلك الدير الفخم من الاهمّية لدى النساطرة خاصّة فانهُ كان اوّل الاديار واعظمها عندهم . وبعد هذا دخل في حوزة اليعاقبة وتغلّبوا عليه لشديد اعتبارهم وتزيد اجلالهم لمسار اوجين . ومن ثم كان المغلوب والمقهور ينهب ويخرب ويسلب

(١) يحان سير القديسين (٣ : ٤٧٢)

ويهرب . وفي مكتبة الكلدان بالموصل انجيل سرياني لآحاد السنة واعيادها على رق نُسخ سنة ١١٨٦ م في دير مار اوجين في عهد ايليا البطريرك وبابالاها مطران نصيبين (١

وفي مكتبة الكلدان بماردين كتب شتى منسوخة في دير مار اوجين منها كتب كانت تخصّ هذا الدير . من ذلك انجيل منسوخ في عهد الجاثليق بابالاها وعبد يشوع النصيبيني الذي «وهب هذا الانجيل لدير مار اوجين مع اربعة وعشرين كتاباً» . وكانت كل كتب دير مار اوجين حين ذاك اربعة واربعين . ومنها انجيل حسب النسخة البسيطة منسوخ سنة ١٥٦٩ م ذكر في آخره اسماء المتبرّعين على بيعة مار يعقوب بنصيبين وعلى دير مار اوجين . ومنها كتاب ميامر لمار افرام ونرساي وغيرهما نُسخ في دير مار اوجين ١٧ شباط ١٥٠٥ استنسخهُ الربّان عبد الله (١ النصيبيني راهب دير مار اوجين مع كتب أخرى . ومنها كتاب جنّازات (ܟܬܒܐ) نُسخ في دير مار اوجين ٤ حزيران ١٥١٤ م (٣ في عهد البطريرك شمعون وابن اخيهِ ايليا وريث الكرسي . وفي انجيل منسوخ في القوش ١٤ تموز ١٧٤٢ حسب البسيطة في عهد البطريرك ايليا يذكر انهُ كتبهُ القسّ حنّا الذي رُسم على دير مار اوجين بمقاطعة اشتينا

فمن ذلك كلّهِ يتّضح ان النساطرة كانوا مستحوذين على هذا الدير حتى القرن السابع عشر والثامن عشر

واعلم ان دير مار اوجين بعد وفاة مشيّده القدّيس بزمان تضعضعت ابنيتهُ فقام من سعى وهمّ بتجديدها . وقد اورد يشوع دناح في كتاب العفّة (عدد ١٠٧) عن ابرهيم بر معرّايا قال انّ اصلهُ من قرية معرّى واوفده ابرهيم رئيسه الى جبل الازل لجدّد خرابات دير مار اوجين والتأم اليهِ خمسون نفرًا بنيّف . ولمّا توفي ابراهيم (عدد ١٠٣ من كتاب العفّة) سار روزبيهان الى دير مار اوجين ثم تطرّن على نصيبين

١) راجع قائمة كتب بطريركيّة الكلدان التي نشرها بالفرنسيّة السيّد ادّي شير مطران سعرد (عدد ١٣)

٢) هذا عبدالله استنسخ ايضاً كتاب خميس لدير مار اوجين مع كشكول وحوذرا وكزّا (قائمة السيّد ادي شير عدد ٣٠)

٣) راجع قائمة سيادتهِ لمكتبة الكلدان في ماردين (عدد ٩ و ١٠ و ٢٠ و ٢٨)

ووهب قرية هيزجان لدير مـار اوجين . وقال يشوع دناح (عدد ١١٠) ان ربان سفرا أسس ديراً على مرحلتين من دير مار اوجين

وورد في قصة الانبا سلّارا ووالدته اليشبع النصيبيّين ان سلّارا ترهّب في دير مار يوحنا (١ ومار اوجين في جبل الازل وان يوحنـا واوجين اشتركا في الرسالة واجتذاب الوثنيين الى الدين القويم في جبل الازل وان رئاستهما طالت ستاً وثلاثين سنة وخلفهما اندريوس ٨٢ سنة ثم يوحنـا الحيري ٤١ سنة ثم دانيال ٢٠ سنة ثم يوحنا العربي ٣٥ سنة ثم اسطفانس الفارسي ٥٠ سنة ثم يشوع الفلسطيني سنتين ثم ابرهيم القبطيّ ٢٠ سنة ثم ابرهيم الاورشليميّ ٣٠ سنة . ثم ترأس الانبا سلّارا وعمّر ثمانين سنة وتوفي (٢ فـاذا حسبنا ان القديس اوجين توفي في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣ تكون رئاسة خلفائه قد استغرقت نيفاً ومائتين وثمانين سنة ويكون الاب سلّارا قد ترأس سنة ٦٤٣ م

هذا ما عثرنا عليه من اخبار دير مار اوجين . ولو اردنا الاسهاب في هذا الباب لطال بنا المجال وفي ما اوردناه كفاية

وفي جنوبيّ شرقيّ الدير دير في البريّة باسم مار بوب يسكنهُ قوم من اليعاقبة . ولعلّهُ دير مار باباي تلميذ ابرهيم رئيس النسّاك النسطوريّ وكان اصلهُ من بيت عيناثا (طالع توما المرجيّ ٧ : ١٣) وقد سمّاهُ صاحب كتاب العفة : باباي ابن النصيبيّين الذي ابتنى ديراً في جبل الازل وخرب الدير (٣

١٥ من دير مار اوجين الى نصيبين

تأثّرنا لنظر معاهد دير مار اوجين ولما عبثت به يد الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة وفارقنـاه متأسفين ومتحرّقين على حالته وانحدرنا الى البريّة يوم السبت ٢٣ ايلول وكنّا نلتفت اليه ذات المرار مذكرين سرّ مجده السابق متعجبين من مركزه وعطفنا الى جهة المغرب فألفينا على يمننا قرية منقورة بالصخر وهي ملك الدير كان سكانها

١) في شرقي دير مار اوجين دير باسم يوحنا الطائي احد تلاميذه ويسمّى دير المنارة (طالع كتاب العفّة ٦٦ ص ٤٧٠) وفيه دُفن يوحنا الطائي

٢) عن سيرة الاب سلّارا التي لم تُنشر بعد فيا نعهد

٣) كتاب العفّة (طبع الاب بيجان ١٧ : ٤٥٠ و ٧١ : ٤٨٤)

مسيحيين يتولى تدبيرهم الروحي الرهبان الاوجينيون. ولعلها هيزجان التي وقفها رزبهان لدير مار اوجين كما جاء تحت عدد ١٠٣ من كتاب العفة. وسرنا في ذيل جبل الازل الى المغرب وودّعنا القديس ومعهده الجليل متفكهين باخباره واخبار تلاميذه حتى لاحت لنا بساتين نصيبين الغرّاء. فوصلناها عصر النهار. ومن الغد وهو الاحد ٢٤ ايلول اقمنا الذبيحة الالهيّة في معبدنا الجديد وقصدنا كنيسة مار يعقوب النصيبيّ معلم مار افرام وهي بيد السريان اليعاقبة يسكنها احد كهنتهم. وناهيك بها من كنيسة جليلة فاخرة وهي على طرز كنائس القرن الرابع او الخامس واسعة الارجاء تحيطها النقوش المزخرفة من كلّ جانب وفيها سوار تعلوها نقوش بديعة وليس فيها من الزينة الكنسيّة ما يستوجب الذكر. والاواني المقدّسة فيها ليست فاخرة

وتحت المذبح سرداب مربّع اسوةً بالكنائس القديمة فيه ضريح مار يعقوب مطران نصيبين من الرخام الازرق المغبرّ طولهُ زهاء ثلاث اذرع مغطّى بحجر مقبّب يحاكي ضريح مار يوليان بالقريتين. وفي الناحية الجنوبيّة كوّة قدر كفّ مددنا فيها يدنا فاذا هو ناووس فارغ

ثم صعدنا الى الكنيسة وعثرنا على حجار مكسّرة فرقبنا من تلك الحجار حجرة سُطرت فيها هذه الجملة بالسطرنجيليّة : ܗܢܐ ܩܒܪܐ ܕܡܪܝ ܐܒܪܗܡ ܩܠܝܛܐ ܕܡܢ ܩܕܡܝܐ ܕܢܨܝܒܝܢ ܕܗܘܐ ܒܝܢ ܩܕܝܫܐ ܐܝܟ ܡܢ ܥܪܦܐ ؟ اعني «هذا قبر المرحوم المذكور بين القديسين مار ابرهيم اسقف طيطس من عرفو ؟» والى جانبه هذه العبارة : ܨܠܘܬܗ ܕܡܪܝ ܐܡܝܢ « صلاته معنا آمين »

وقرأنا في احد كتب البيعة ما تعريبهُ : « انتهى كتاب القوانين الصيفيّة سنة ١٨٥١ (١٥٤٣ م) و ١٧١ هـ (١٥٦٣) ؟ في دير مار ملكا المختار القلزمي ومار سيسين ومار اليشع »

واعلم ان ما عرض لدير مار اوجين عرض كذلك لهذه الكنيسة العظيمة. على ان كلتا الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة امتلكتاها بالمناوبة زمناً

وفي مكتبة الكلدان بماردين (تحت عدد ١٠) انجيل حسب نصّ البسيطة كُتب في ١٧ اذار ١٥٦٩ م في عهد مار ايليا ورد فيه ان دورمليك امرأة درويش وهبت الكتاب لبيعة مار يعقوب بنصيبين. وقد عمّر البيعة ورمّمها مؤمنو نصيبين

في عهد يشوعيهب مطرانها سنة ١٥٦٢ م ثم ذكر الكاتب اسماء المتبرّعين والمحسنين الى كنيسة مار يعقوب ودير مار اوجين

ويجري داخل نصيبين نهر هرماس يتسرّب اليها من عين الجبل الشماليّ . وكان في القرون الغابرة يقسم البلد شطرين وفي عهدنا يتفرّق في ساحات البلد وشوارعه . وماء النهر معكّر موصوف بسوئه وخباثته . وما اصدق ابن جبير الرحّالة في وصفه نصيبين اذ قال : « ظاهرها شباب وباطنها هرم »

ودور البلدة اغلبها من اللبن الّا بيعة مار يعقوب ودير فيرونيا (وهو الجامع في يومنا) والثكنة العسكرية وبضعة بيوت . امّا دور المدينة السابقة فقد طمست في قاب الارض حتى يومنا ولقد طالما حفر الاهالي وعثروا على شيء كثير من آثار دور ونقود وما اشبهها . ووجدنا في نصيبين عمودين طويلين قيل ان قسماً صالحاً منهما مطموس في الارض وتسميها العامّة القبّان

١٦ من نصيبين الى دارا

وسحر الاثنين ٢٥ ايلول برحنا نصيبين متخوفين من حُشّياتها الموصوفة ومررنا بقرية سرجي واهلها مسلمون قاطبةً . وكانت سرجي تحت حوزة ملوك ماردين الأرتقيين . وذكر ابن الاثير (١٠ : ٢٨٣) في اخبار سنة ٥٢٤هـ (١١٢٩م) ان زنكي كرّ من الموصل الى ماردين وحصر مدينة سرجي فاجتمع حسام الدين صاحب ماردين وداود صاحب حصن كيفا وصاحب آمد وغيرهم في عشرين الفاً وساروا الى سرجي فهزمهم زنكي وملك سرجي

ثم استأنفنا السير الى دارا فوصلناها الظهر . وليس بوسعنا ان نستقصي البحث عن آثار دارا ونصف معاهدها وعتائقها التي شغلت نفراً من المستشرقين . انّما نورد من ذلك يسيراً من كثير ولا سيما ما ينوط بتواريخ السريان التي استشففنا اليها في رحلتنا هذه

دارا في لحف جبل بين نصيبين وماردين قيل ان داريوش بن ارشك او ارشق او هو دارا بن دارا ابتناها في عهد الاسكندر وبعد زمان خربت فجدّدها انسطاس ملك الروم († ٥٢٠) خليفة زينون الملك . وهذا انسطاس استدعى توما مطران دارا وارسله في مال وافر الى دارا ليرمّمها فانجز الامر في ثلاث سنوات وسمّاها مدينة

انسطاس (Anastasiopolis) . وازدهت بالسكّان في قليل من الزمان واقام فيها الملك نصبةً شاهقة بدل نصبة ثاودوسيوس التي كانت هُدمت (١ .

ولمّا ملك يوسطين الثاني (٢ سنة ٥٦٣ ارسل ابن خالته مرقيان في عسكر الى دارا فتصيبين لمقاتلة الفرس فدحرهم الفرس وانسلّ مرقيان الى دارا ولحقته الجنود سنة ٥٦٩ فساق كسرى طلائعهُ الى دارا فقطعوا الجبل الشرقي وانابيب المياه والنهر الذي كان يجري تحت البلد وشاد سورًا من اللبن خارج سور البلد وصبّ عليهِ الخلّ واوقدهُ بالنار فامسى كالفخّار وحصر دارا ستة شهور حتى دخل كسرى البلد ودارت رحى القتال بين الروم والفرس سبعة ايّام فانتنت المدينة من روائح جثث القتلى واستولى عليها الفرس واسروا زعماء الروم وغنموا ثمانية وتسعين الف نفر . وهذا تمّ سنة اثنتين وسبعين لبناء دارا ثانيةً (٣

وفي عهد موريقي سنة ٥٨٣ حصل الصلح بين الروم والفرس فردّ كسرى الى موريقي دارا وراس العين وغيرهما (٤

وبعد ذلك ملكها المسلمون وفي ٧ تشرين الاوّل سنة ٨٣١ دمّرتها كلتا الدولتين الاسلاميّة والفرسيّة (٥ فلم يبقَ فيها الّا نفر يسير وتغلّب عليها المسلمون وقلّ عدد النصارى حتى يومنا

وكانت دارا على ما اوردنا في المقدّمة احدى مطرانيّات الكرسي الانطاكي وتحت سلطتها ثلاث اسقفيّات احداها اسقفيّة طور عبدين . ثم جلس فيها مطارنة يعقوبيّون اخصّهم توما المشار اليهِ . وقد قرأنا في سيرة جبرائيل رئيس دير قرتمين ان سيسانس مطران دارا حضر جنازته سنة ٦١٨ . ورسم قرياقس بطريرك اليعاقبة (+٨١٧) توما مطرانًا لدارا وخلفهُ ساويرا ثم ايونيس او يوحنا الاوّل رسمهُ ديونوسيوس التلمحري (+ ٨٤٥) وكان يوحنا من اهل الكتبة السريانيّين ولهُ تصانيف (٦ وقام

١) تاريخ الزهاوي (٦٣ : ١١٢) وابن العبري (في تاريخهِ السرياني ص ٧٧)

٢) وهو الشهير باسم بيسطبنانوس الاوّل (راجع حاشية ص ١٤٨ من تاريخ الدول)

٣) الزهاوي (٦٦ : ١٢٢) وابن العبري (في تاريخهِ السرياني ص٨٢)

٤) الزهاوي (٨١ : ١٢٢) وابن العبري (٩٣)

٥) الزهاوي (٢١٧ : ٢٤١)

٦) راجع روبنس دوفال Rubens Duval, *Littérature syriaque*, p. 390)

بعدهُ اثناسيوس حكيم رسمهُ يوحنا الخامس (٨٧٤) . وخلفهُ متى تلميذ دير مار يوحنا بدارا رسمهُ اغناطيوس الثاني (†٨٨٣) ثم سابوريا الثاني رسمهُ تاودوسيوس (†٨٩٥) ثم ايونيس الثاني رسمهُ ديونوسيوس الثاني (†٩٠٩) ثم جبرائيل رسمهُ باسيل الاوَّل (†٩٣٥) ثم ميخائيل رسمهُ يوحنا السابع (†١٥٣) ثم ديوسقوروس رسمهُ ديونوسيوس الثالث († ٩٦١) ثم اغناطيوس تلميذ دير قرتمين رسمهُ يوحنا التاسع († ٩٨٦) ثم حزقيال تلميذ الدير المذكور وسمّي مطران دارا والخابور رسمهُ يوحنا التاسع ايضاً . ثم فيلكسين تلميذ الدير المشار اليهِ رسمهُ اثناسيوس الخامس (†١٠٠٣) ثم يوحنا الثاني وسمي كذلك مطران دارا او الخابور رسمهُ يوحنا العاشر (†١٠٣٠) ثم يوحنَّا الثالث تلميذ دير مار آباي بقلّث رسمهُ البطريرك المذكور . وبعد يوحنا هذا لم نعثر على مطرانٍ لدارا الى عهد يوحنا مطران ماردين المشهور († ١١٦٦) (١ . وبعد ذلك بزمنٍ حصلت دارا في سلطة بطاركة اليعاقبة . وفي يومنا لا يوجد فيها احد من السريان وكان في دارا ديران للسريان احدهما دير مار يوحنا المذكور في عهد متى مطرانها سنة ٨٨٣ والثاني دير الابيض الذي اعتزل فيهِ ميخائيل الثاني († ١٨١٥) وهو في تلّ تجاه دارا جنوبيها وقد تحوَّل الى جامع قصدناهُ فلم يُتَحْ لنا الدخول اليهِ وحجارتهُ تدلّ على قدميَّتهِ

امَّا النساطرة فلم يكن لهم مطران في دارا ولعلَّها كانت خاضعة لمطرانيَّة نصيبين المعتبرة عندهم اذ عدّوها الكرسي الثاني . امَّا الاوَّل فكان كرسيّ عيلام كما ذكر عمرو بن متى (٢

وذكر توما المرجي (٢٥ : ٣٩) غريغوريوسَ البسَّاميّ مطران نصيبين قال ان كسرى في السنة الخامسة عشرة لملكهِ دوَّخ دارا وأمر ان يكون غريغور خليفة لمبريشوع الجاثليق ولم يذكر اسم مطران او اسقف للنساطرة في دارا

وذكر صاحب كتاب المنة النسطوري (عدد٣ص ٤٤١) «ان شاري تلميذ اوجين

---

١) استمرَّت دارا كرسيًّا لمطران خاصّ حتى سنة (١٠٤٢ م) فاضافها بجمع مطارنة السريان اليعاقبة الى ابرشيَّة المفريان وضمّ اليها نصيبين وقلّث (الزهرة الزكيَّة ص ٥٣)

٢) راجع المشرق (٢ : ١٠٣)

بلغ الى جبل دارا وابتنى فيه ديراً فخيماً . ووسعهُ سبر يشوع مطران نصيبين وجعلهُ ديراً كبيراً شهيراً »

وقد ورد في « شباط تذكار لشمعون الداري ونظنّ انهُ كان مطراناً يعقوبياً (راجع كلندار الاب بترس ص ١٧٦)

ثم اننا جلنا ساحات دارا وطفنا نواحيها وأُعجبنا بآثارها وعتائقها . فالنهر يفصل البلد شطرين وفي الناحية الشرقيّة يسكن المسلمون وفي الغربيّة نفرٌ من الارمن الكاثاليك لا يتجاوز العشرين عائلة ولهم قسّ ارمني من ماردين ومصلّى صغير حديث . وآثار سور البلد باقية حتى اليوم وفيها اسراب شتى يُنزَل اليها بدرج تحت الارض وهي طويلة ضيّقة تمتدّ من الشرق الى الغرب قيل انها كانت خزينة الملك او السجن . وشاهدنا ايضاً اسراباً فوق البلدة شمالها كان يجري فيها الماء . وفي غربيّ دارا صخور شتى منقورة يُظنّ انها كانت معابد للوثن ثم أُحيلت اكراخاً للرهبان ولحظنا على باب احدى تلك المغاور هيئة جندي باسل والى جانبهِ كتابة يونانيّة اشكل علينا اخذ صورتها بالقلم لتدم عهدها . ولم نحظَ بآثار او كتابات سطرنجيليّة على كثرة تنقيبنا وتنقيرنا عنها . وذكر لنا الاهلون انهم كلما حفروا صادفوا قطعاً من النقود القديمة الراقية الى القرن الخامس والسادس بعد المسيح . وقد حصلنا على قطعة ذهبيّة من المسكوكات البرزنتيّة وُجدت بين نصيبين ودارا عليها صورة والنتنيانوس ملك الروم مع هذا الشعار اللاتيني :

D. N. VALENTINIANVS PFAVG

سيدنا والنتنيانوس القيصر التقيّ السعيد

ومن الجهة الثانية هيئة شابّين يظنّ انهما لاون وزينون ملكا الروم

وبعد ان شبعنا من مناظر دارا وكبنا الى التلّ الذي في جنوبيها وحاولنا الدخول الى الجامع القديم المذكور اعلاه فلم نفز بالمرغوب فاستأنفنا السير الى حزّين ومنها الى ماردين وكان وصولنا اليها عند الغروب . وشكرنا لله نعمتهُ الفائضة على صيانتهِ ايّانا من الاضرار والاخطار في الحلّ والترحال

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تجمع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة (تابع)

٩ مفردات جاهلية لوصف ملابس النصارى

كان نصارى العرب يلبسون الثياب كغيرهم من اهل البادية لا يمتازون بها غالباً عن سواهم . غير انَّ في المعاجم وبعض الشعر الجاهليّ مفرداتٍ وردت في وصفهم النصارى او شرحوها بقولهم انها من ثياب النصارى . نذكر هنا ما عثرنا عليهِ منها في مطالعاتنا

فمنها (الآخنيّ) قال في التاج (٩ : ١١٩) : الآخنيّ الثوب المخطَّط . وقال ابو سعيد : الآخنيّ اكسية سود لينة يلبسها النصارى . قال البعيث :

فكرَّ علينا ثمَّ ظلَّ يجرُّهُ كما جرَّ ثوبَ الآخنيّ المقدّسُ

(يريد بالمقدّس الراهب الذي رحل الى زيارة القدس) . وقال العجّاج (ed. Ahlwardt, p. ٦٧) :

كأنَّهُ متوّجٌ رديٌّ عليهِ كتّانٌ وآخنيٌّ
اذ ينزلُ تُرّجَ حِمْيَريّ

وقال ابو الخراش :

كأنَّ الملاءَ المحضَ خلفَ كُراعهِ اذا ما غطّى الآخنيُّ المخدَّمُ

ومنها (الإضريج) كساء احمر من الخزّ ويقال ايضاً للخزّ الاصفر . وقيل بل هو كساء يُتّخذ من المرعزّى من اجود صوفها . وقد ذكرهُ النابغة في ديوانهِ (العقد الثمين ص ٤) حيث قال يصف اعياد النصارى الغسّانيّين :

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتهم يُحيَّون بالرَّيحان يوم السباسبِ

تُميمُ بيضُ الولائد بينهم وأكسيةُ الإضريج فوق المشاجب

ومنها (الأَرَنْدَج والبَرَنْدَج) قال ابو عبيد في المخصص (١٠٣:١) : « هو بالفارسيّة رَنْدَه. قالوا هو ضرب من الأَدَم اسود». وجاء في اللسان (٣٠٤:١٨) والتاج (٥٠:٢) انّ البَرَنْدج جلد اسود تُعمل منهُ الخِفاف يحتذون بها: وقد خصّها الشمّاخ بالنصارى فقال يصف نعاماً في برّيّة :

ودوّيّةٍ قفرٍ تمشّى نعامُها كمشي النصارى في خفافِ البَرَنْدَجِ

ومنها (الرَّيط) وهي الملاءة المنسوجة قطعةً واحدةً وقد ذكرها الراعي في وصف بطرك النصارى (التاج ٧ : ١١١) فقال يصف ثوراً وحشيًّا :

يعلو الظواهر فردًا لا أليفَ لهُ مَشْيَ البطرَكِ عليهِ رَيْطُ كتّانِ

ومنها (الزُّنّار) قالوا هو ما على وَسَط النصارى . وقال في التهذيب : ما يلبسهُ الذميُّ يشدّهُ على وسطهِ. وقد اشتقّوا منهُ فعلًا فقالوا زَنَّرهُ اذا ألبسهُ الزُّنّار. وقد جاء الزنّار في الشعر الجاهليّ قال عديّ بن زيد وكان معاوية يُعجب بهِ :

يا لرَهْطي اوقدوا نارا انّ الذي شوون قد حارا
ربَّ نارٍ بتُّ ارمقُها تَقْضِمُ الهنديَّ والغارا
ولها طَبْيٌ يؤجّجها عاقدٌ في القَصْرِ زنّارا

ويروى :

عندها خِلٌّ يُؤرّها عاقدٌ في الجيد بقصّارا

القِصار القلادة. ومثلهُ لابن الضحّاك (البكري ص ٣٧٠) :

بحُرمةِ النِصْح وسلّاقكم يا عاقد الزنّار بالقَصْرِ

ومنها (الكتّان) كما رأيت في شعر الراعي والعجّاج

ومنها (المُرق) جمعها أمواق قال ابن سيده : « هو ضرب من الخفاف وقيل خفٌّ غليظ يلبس فوق الخفّ وهو عربيّ صحيح ». وكان العباديّون ينتعلون بالامواق قال النمر بن تولب (التاج ٧ : ٧٣ واللسان ١٢ : ٢٢٧) ويروى لسلامة بن جندل :

ترى النعاج بها تمشّي خلفَهُ مَشْيَ العباديّين بالأمواقِ

وكانت هذه الخفاف تتّخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونهُ السِبْت وينتعل بهِ السادة قال عنترة في معلّقته :

بطلٌ كأنّ ثيابهُ في سَرْحةٍ يُحذى نعالَ السِبْتِ ليس بتوأمِ

ومن لبس زُهّادهم (المِسْح) وهو ثوب الرهبان من شَعَر. قال جرير (التاج ٨: ٦٩) :

لا وَصْلَ اذ صرَمَتْ هند ولو وقفتْ لاستَنْفَتَتْني وذا المِسْحَيْنِ في القُوسِ

هذه بعض الفاظ نقلناها وقد صرّحوا فيها بذكر النصارى. ولا شكّ انّ الفاظاً أُخرى دخلت في العربيّة بواسطة النصارى من الحبش والروم والسريان كما يدلّ عليها اصلها الاعجميّ كالبُرْجد والإكليل والتاج والبُرنس وابي قلمون والقَلَنسوة والجلباب والسندس وغيرها وان لم يخصّها الكتبة بالنصارى وحدهم

١٠ الفاظهم في الكتابة وادواتها

رأيت في فصل سابق انّ الكتابة دخلت بين العرب بفضل النصرانيّة. فلا عجب ان تكون الالفاظ الدالّة على هذه الصناعة قد وردت خصوصاً في آثارهم ولذلك ترى ذكر ادوات الكتابة مقرونةً في اشعارهم بذكر الزبور وكتب الوحي التي كان الرهبان يتناقلونها في جزيرة العرب ويتأنّقون في كتابتها

فاوّل ما ذكروهُ (القَلَم) قال معاوية الجعفري (معجم البكري ص ٥٨٢) يصف منازل دارسة :

فانّ لها منازلَ خاويات على غُلْبٍ وقفتُ بها الركابا
من الاجزاعِ اسفلَ من نُبَيْلٍ كما رجّعتَ بالقَلَمِ الكتابا

ومثلهُ لكعب بن زُهير (البكري ص ٤٤١) :

أتعرف رسماً بين زُهمانَ فالرَّقَمْ الى ذي مراجيلٍ كما خُطَّ بالقَلَمْ

وقال لبيد في معلّقته :

وجلا السُّيولُ عن الطلال كأنّها زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها اقلامُها

وكانوا يكتبون على الجلود وجريد النخل والعظام والواح الرصاص. ومن اشهر الفاظهم (القِرْطاس) وهي فارسيّة كالكاغد ويقال قِرْطَسٌ ايضاً. وقد وردت في الشعر الجاهلي قال المِخَشّ العُقَيلي يصف رسوم دار شبّهها بخطّ الزبور على القرطاس قال (التاج ٤: ٢١٥) :

كأنّ بحيث استودعَ الدارُ اهلَها تَخَطَّ زَبُورٍ من دواة وقِرْطَسِ

ومنها (الأديم) اي الجلد كانوا يصقلونهُ ويرقّقونهُ فيكتبون عليهِ. قال المرقّش :

الدار قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قلمْ

وكانوا يدعون الأَدَم الرقاق (ورَقاً) قبل ان يصطنعوهُ من القطن تشبيهاً بورق الشجر في تصفيحهِ. قال جرير (البكري ص ١٠٦):

لمن الديار بعاقلٍ فالأنعم كالوَحْيِ في ورَق الزَّبور المُعْجَمِ

وهو (الرِقّ) ايضاً جمعُ الرقوق للجلد وللصحيفة البيضاء والكلمة حبشيَّة الاصل كما يُظنّ قال الخالد بن الوليد المخزومي (الاغاني ٣: ١١٢):

هل تعرفُ الدارَ اضحت آيُها عجَبا كالرقّ اجرى عليها حاذقٌ قلَما

وفي القرآن: «رقّ منشور». وقد دعوا الاديم والصحيفة البيضاء والحصير المنسوج خيوطهُ سيورهُ (قضيماً) قال النابغة (التاج ٩: ٦٩) وفي وصف الرسوم:

كأن مجرَّ الراسمات ذيولُها عليهِ قضيمٌ نمَّقتْهُ الصوانعُ

وقد دعوا القرطاس والصُحُف البيض (بالمُهرق) وهي لفظة فارسيَّة مُهْرَه. قال الصغاني: المهرق ثوب حرير ابيض يُنقى الصمغ ويُصقل ثمَّ يكتب فيهِ والكلمة قديمة قال الحارث بن حِلزَة في معلَّقتهِ:

واذكروا حِلفَ ذي المجاز وما قُدِّمَ فيهِ العهودُ والكفلاء
حذَرَ الجَوْر والتعدّي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء

وقال ايضاً (التاج ٧: ٩٦) في الأطلال شبَّهها بكتابة الحبش:

آياتُها كمَهارق الحُبْش

وقال الاعشى يذكر الأدعية المرقومة في المهارق (اللسان ١٢: ٢٤٧):

ربِّي كريمٌ لا يكدّر نعمةً فاذا تُبوشد في المهارق أنشدا

وكذلك كتبوا على (العَسيب) اي جريد النخل قال امرؤ القيس:

لمن طلل ابصرتهُ فشجاني كخطِّ زبور في عسيبٍ يماني

وفي الهذليّات قولهُ:

او زُبَر حِمْيَرَ بينها اجارُها بالحِيْريَّة في عَسيبٍ ذابلِ

وكتبوا ايضاً على الالواح (واللَّوحُ) كلّ صفيحة عريضة من خشب او عظم كالكتف كانوا يكتبون عليها. وقد ورد في القرآن: «في لوح محفوظ»

(والرَّقيم) اللوح من الرصاص. قال اميَّة بن ابي الصلت يذكر اللوح الذي

كان مع اصحاب الكهف حيث رُقِمَ نسبهم واسماؤهم ودينهم (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الا الرَّقيمُ مُجاوِرًا وصيدَمُ والقومُ في الكَهْفِ هُجَّدُ

وسمّوا مجموع الاوراق المكتوبة (كتاباً) قال زهير في معلّقته عمّا يخفى في قلوب البشر فيدينهُ الله في الآخرة:

يؤخَّرْ فيوضع في كتابٍ فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعَجَّلْ فيُنقَمِ

وقال عديّ بن زيد الشاعر النصراني في الانجيل (شعراء النصرانيّة):

ناشدتُنا بكتاب الله حُرْمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتفعُ

ودعوا الكتاب (بالقطّ) جمعهُ القُطوط وهو في الاصل الجلد الذي يُكتَب عليه وقال اميّة يذكر قومهُ بني اياد (التاج ٥: ٢٠٩):

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً والقِطُّ والقَلَمُ

وقيل اراد بالقطّ هنا الانجيل. وقال مثلهُ الاعشى:

ولا المالكُ النعمانُ يومَ لقيتُهُ بغبطتهِ يُعطي القطوط ويأفقُ

اي يمنح الصكوك للجوائز. وكذلك (الصحيفة) فهي الكتاب ايضاً قال لقيط الإيادي (تاريخ ابن الاثير ١: ١٥٧):

سلامٌ في الصحيفة من لقيطٍ الى مَنْ بالجزيرة من إياد

ويروى: "كتابٌ في الصحيفة". وسمّوا الصحيفة (بالمَلْمَلة) قالوا انّها الرسالة المنقولة من بلد الى بلد. قال صخر الغيّ في الهذليّات (ed. Kosegarten, p. 13):

أبلغ كبيرًا غي مظلمةً تبرقُ فيها صحائفُ جُدُدُ
فيها كتابٌ ذُبِّر لمُفترىً يَعرفهُ اليُهمُ ومَنْ حَشَدوا

ومن اسماء الكتاب عندهم (المِصْحَف) وردت في شعر امرئ القيس للدلالة على كتب الرهبان قال:

فنا نبكي من ذكري حبيبٍ وعِرْفانِ ورسمٍ عفت آياتُهُ منذ أزمانِ
أتت حججٌ بعدي عليها فأصبحت كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

ومن اسماء الكتب (المجلّة) قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٩٢): «المجلّة الصحيفة يُكتب فيها شيء من الحكمة» واللفظة آراميّة. قال النابغة يذكر الكتب المقدّسة التي كانت في ايدي بني غسّان:

بجلتهم ذات الالوهية دينهم قوم فما يرجون غير العواقب

ومثلها (السِّفر) للكتاب من التوراة والانجيل وقد مرّت وكذلك سمّوا الكتاب (سِجِلًّا) كما ذكر في المخصّص (١٣ : ٨) وفي التاج (٧ : ٣٧) والكلمة لاتينيّة (sigillum) بمعنى الخاتم والكتاب المختوم. وقد عرفوا (القِمَطْر) وهو ما يُصان فيه الكتاب فانشدوا (التاج ٣ : ٥٠٦) :

ليس بعلم ما بي قِمَطْرُ ما العلمُ الّا ما وعاهُ الصَّدرُ

وكما ذكروا الكتاب كذلك ذكروا (الخطّ) . قال حسّان بن ثابت (سيرة الرسول ص ١٥٤ ed. Wüstenfeld) في رسوم الدار :

عرفتُ ديار زينبَ بالكثيبِ كخطِّ الوحيِ في الورق القشيبِ

وكذلك قالوا في (السَّطْر) انهُ الخط والكتابة . واصل الكلمة من الآراميّة . وروى في تاج العروس لبعضهم (٣ : ٦٧٢) :

اني وأسطارٍ سُطِرْنَ سطرًا لقائلٌ يا نصرُ نصرًا نصرا

وقال الشمّاخ (اللسان ٥ : ٢١٩) :

كما خطَّ عبرانيّةً بيمينهِ بتيماء حبرٌ ثمَّ عرّض أسطُرا

وكانوا يتخذون للكتاب سمةً وديباجة حسنة وهو (العُنْوان) قال ابو دؤاد الايادي (التاج ٩ : ٢٧٢) :

« لمن طالَ كعُنْوانِ الكتاب »

وكانوا يُعنَون بوشي الخطّ وتنسيقهِ . قال علقمة بن عَبَدة (معجم ما استعجم للبكري ص ٥٠٥) :

وذكَّرَنيها بعد ما قد نسيتُها ديارٌ علاها وابلٌ متهتِّقُ
بأكناف شأتٍ كأنَّ رسومَها قضيمُ صَنَاعٍ في اديمٍ منمَّقِ

وقال المرقّش الاكبر وبهِ لُقّب مرقّشًا :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهرِ الاديمِ قلَمْ

وقال حاتم الطائي (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتعرفُ آثار الديار توهُّمًا كخطّك في رقٍّ كتابًا مُنمَّنا

وخصَّ روبة الانجيل بالتوشية فقال (ed. Ahlwardt., p. 149) :

اغبل احبارٍ وحَى مُنَسِّمُهُ ما خطَّ فيهِ بالمدادِ قلَمُهُ

واشاروا الى بعض حروف الكتابة كقول مرّار بن منقذ في وصف رسوم الدار يشبّه بحرف اللام ما مثّلَ منها :

وترى منها رسوماً قد عَلَتْ مثل خطِّ اللام في وَحْيِ الزُّبُرْ

وكان الكتبة يضاعفون العناية في كتابة صورة العنوان . قال الاخنس بن شهاب (المفضّليات ed. Lyall, p. 410) :

لابنِ حطّانَ بن عوفٍ منازلُ كما رَقَّشَ العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

وقال ابو الاسود على خلاف ذلك (الاغاني ١١ : ١١١) :

نظرتُ الى عُنوانهِ فنبذتُهُ كنَبْذِك نعلاً أُخلِقت من نعالِكا

ومما ذكروهُ ايضاً من ادوات الكتابة (الدَّوَاة) قال سلامة بن جندل (ديوانهُ ص ١٥ من طبعتنا) :

ان طَلَلٌ مثل الكتابِ المنمَّقِ خلا عهدُهُ بين الصُّلَيْبِ فعُلْرقِ
اكبَّ عليهِ كاتبٌ بدواتهِ وحادثهُ في العين جدَّةُ مُهرَقِ

وكذلك صرّحوا بذكر (المداد) اي الحبر . قال المتلمّس يذكر الكتاب الذي اعطاهُ عمرو بن هند لعاملهِ في البحرين يسرُّ اليهِ بقتلهِ (ياقوت ٤ : ٢١٨) :

والقيتُهُ بالثني من بطن كافرٍ كذلك أُفني كلَّ قطٍّ مضلّلِ
رضيتُ بما لمّا رأيتُ مدادَها يحول بها التيّارُ في كلِّ جدوَلِ

ومثلهُ (النِّقس) جمعهُ انقاس قال زهير بن عاصم (البكريّ ص ٥٢٤) :

انَّ بلادي لم تكن أملاسا جنَّ خطَّ القلمُ الأنقاسا
من السبيِّ حيث اعطى الناسا فلم يدَعْ لُبساً ولا التباسا

وفي الاصل : الانفاسا بالفاء . وهو تصحيف

١٢ بعض الفاظ اخرى متفرّقة لنصارى العرب

نذكر هنا بعض الفاظ وردت في اثار الجاهليّة بخصوص النصارى واوّلها اسم (النصرانيّ) وجمعُها النصارى . قال العجّاج في مفردها (ديوانهُ ص ٦٩) :

كما يعودُ اليدَ نصرانيُّ ويمنَ لسُورها عِلبيُّ

وقال جابر بن حُنَيّ في جمعها (شعراء النصرانيّة ص ١٩٠):

وقد زعمت جرماء انّ رماحَنا رماحُ نصارى لا تخوضُ الى دم

وقال طُخَيم بن الطخمة الاسدي يمدح قوماً من اهل الحيرة من بني امرئ القيس ابن زيد مناة بن تميم رهط عديّ بن زيد (ياقوت معجم البلدان ٢ : ٩٥٧):

بنو السِّبْط والجدّاء كلّ سَبَنْدَعٍ لهُ في العروق الصالحات عروقُ
واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويَشُوقُ

وقال القطاميّ يذكر نساء النصارى في صومعهنّ (التاج ٨ : ٩٩):

يَلْذَنَ بأعفار الحياض كأنّما نساء النصارى أصبحت وهي كُفَّلُ

ومثلهُ لحسّان (ص ٢١ من طبعة تونس):

فرحت نصارى يثربٍ ويهودُها لمّا توارى في الضريح الملحَدُ

وعبدالله بن الزبير في حجّار بن ابجر العجليّ (الاغانيّ ١٣ : ٤٦):

مايلَ النصارى سُدْتَ عِجلًا ومن يكُنْ كذلك اهلٌ ان يَسود بني عجلِ

وقال في التهذيب: وجاءت أنصار جمع نَصْران (اي النصرانيّ) وانشد:

لمّا رأيتُ نبطًا أنصارا

يريد نصارى من النبط (اللسان ٧ : ٦٨ والتاج ٣ : ٦٩)

وكذلك قالوا في مؤنث نَصْرَان « نَصْرانة » قال ابو الاخزر يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الاعياء فشبههما بالنصرانيّة تطأطئ رأسها بصلاتها :

فكلتاهما خرّتْ وأسجدَ رأسها كما أسجدَتْ نَصْرانةٌ لم تحنّفِ

ويقولوا منهُ فعلًا فقالوا « تنصّر » اي دخل في دين بالنصرانيّة، قال حاتم الطائيّ يذكر ديار لحيان وكانوا نصارى (الاغاني ١٦ : ١٠٤):

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بلحيانَ حتى خفتُ ان أتنصّرا

وقال جعفر بن سراقة احد بني قرّة يهجو جميل بن معمر وقومهُ (الاغاني ٦ : ١٥):

نحنُ منعنا ذا القرى من عدوّنا وعُذرةَ اذ نلقى يهودًا وبحترا
منعناهُ من عليا معدٍّ وانتمُ سفاسيفُ روحٍ بين قرحٍ وخيبرا
فريقانِ رهبانٌ باسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

ومما خصّوهُ بالنصارى (الإرَان) وهو سرير الميت او تابوت من خشب كانوا يحملون عليهِ موتاهم. هكذا رواهُ شارح ديوان طرفة (شعراء النصرانيّة ٣٠٠) حيث قال في معلّقتهِ يصف ناقتهُ :

أمُون كألواحِ الإرَان نسأتُها على لاحبٍ كأنّهُ ظهرُ بُرْجُدِ

قال التبريزي في شرح المعلّقات (ed. Lyall, 33) : الإران تابوت كانوا يحملون فيهِ ساداتهم وكبراءهم دون غيرهم. وقال امرؤ القيس : (ed. de Slane p. ٣٠)

وعَنْس كألواح الإران نَسأتها على لاحبٍ كالبُرْدِ ذي الحِبَراتِ

قال الشارح (id. p. 99) : الإران سرير موتى النصارى

ومنها (الناؤوس) جمعها نواويس. قال في التاج (٤ : ٢٥٦) النواويس مقابر النصارى. والمرجّح ان اصل الكلمة من اليونانيّة (ναός) ومعناها الهيكل والمدفن

ومما ذكروهُ للنصارى (البُوق) وهو النفير الذي يُنفَخ فيهِ. انشد الاصمعي (التاج ٦ : ٣٠١) للعلبكم (كذا) الكنديّ :

« زَمْر النصارى زمَّرت في انبوقِ »

يريد هنا الروم الذين كانوا ينفخون الابواق في حفلاتهم

ومن غريب ما نسبوا الى النصارى اكرام (الوثن) جاء في المفضّليات (ed. Lyall ٥٤٩) وفي اللسان (١٧ : ٣٣٤) :

يطوفُ العفاةُ بأبوابهِ كطَوْف النصارى ببيت الوَثَنْ

(قال) « الوثن الصليب » . وكذلك دعوا الصليب والتماثيل التقويّة عند النصارى (اصناماً) . كما دعاها جرير (بالرُّون) بمعنى الصنم ايضاً. حيث قال (تاج العروس ٩ : ٢٢٩) :

« مَشْي المرابذةِ حجُّوا بيعة الرُّونِ »

وفي هذه الاقوال غلطٌ فاحش لان النصارى لم يعبدوا قطّ الوثن او الصنم او الرُّون. فضلاً عن كون المرابذة هم المجوس وانّما يكرّمون الصليب والصور لما تمثل لهم من شخص السيّد المسيح المصلوب واولياء الله . وشتان بين هذا وعبادة الاصنام

(لهُ بقيّة)

البرهان الصريح
في اثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السابع
ألوهيَّة المسيح في موتهِ

وُلد المسيح مولد إله . عاش عيشة إله . حياتهُ واعمالهُ وتعاليمهِ كلها مطابقة لحياة ولاعمال ولتعاليم الاله . ولكن أنقول ايضاً انَّهُ مات موت الاله ؟ أليس الاحرى بالمسيحي ان يطأطئ رأسهُ خجلاً امام الجلجلة بازاء المصلوب حيث يرى سيّدهُ منازعاً بين لصَّين وهدفاً لكل ضروب العار والهوان ؟ او ليس مجرَّد موتهِ كافياً لجحود الوهيَّتهِ ؟ فاين القوَّة من الضعف ! وما الاتفاق بين الاله الحيّ القويّ والموت الذي هو دليل الانحلال والفناء ! فدَعْنا من تآليهِ مسيحك فانك اذا ذكرتَ موتهُ اقررتَ انهُ ليس بالله اذ الموت واللاهوت على طرفي نقيض ؟

فما نجيب الى هذا القول أما من شأنهِ ان يُفحمنا ويزيّف كلَّ ادلَّتنا ؟

كلَّا ليس ثمَّ من داعٍ الى الخجل فهيهات ان نجد في موت المسيح ما يخجلنا بل نجد على خلاف ذلك ما يزيدنا اعتباراً لشخصهِ وثقةً بلاهوتهِ وليس مجلًى اعظم للقوَّة من ان تبرز في الضعف كما قال الرسول في رسالتهِ الثانية الى اهل قورنتس (١٢ : ٩) : « انَّ القوَّة تُكمَّل في الوَهن » وقد ظهرت تلك القوَّة الالهيَّة بكلّ بهائها في صليب المسيح كما قال الرسول عينهُ (٢ كور ١٣ : ٤) : « انَّ المسيح وان يُكن صُلِب عن ضُعف لكنَّهُ حيّ بقوَّة الله » . ومن ثمَّ لم يخجل ان يبشّر بهِ مفتخراً بذلك الصليب كآية القوة فقال (١ كور ١ : ٢٢ — ٢٥) : « انَّ اليهود يسألون الآيات واليونانيّين يبتغون الحكمة امَّا نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً شكًّا لليهود وجهالةً للامم وللمدعوّين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوَّة الله وحكمة الله لأن مُستَجهَل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس » . فلا خوف اذن علينا اذا

اقروا بصلب السيد المسيح وموته لأنهُ جعل ذلك الموت دليلاً على قوتهِ بل هو برهان ساطع على لاهوتهِ

*

ان من يلقي بطرفهِ الى البشر حتى ملوكهم وسلاطينهم وجدهم اذا بلغت حياتهم حدود الأجل ضلوا وصغروا وتلاشى وجدانهم فانَّ موتهم يشهد على ضعفهم مهما عظم جاههم وامتدَّ سلطانهم وقويت دولتهم. لانَّ شوكة الموت لا تُكسر وانتصارهُ لازم لازبٌ من كل الاحياء. وما الولادة الَّا رسول الموت فالضعف يشمل طرفي حياة الانسان

وهنا ايضاً لا بُدَّ من اثبات شذوذ في ما يعمُّ البشر اجمعين فكما وجدنا بان السيد المسيح قد تفرَّد في مولدهِ بين كل بني آدم كذلك وجب القول بانَّهُ وحدهُ لم يمت كبقيَّة البشر فاضحى موتهُ بيِّنةً جديدة على لاهوتهِ اذ انَّهُ جعل الموت كموطئ لمجدهِ فامكنهُ على خلاف جميع الناس ان يهزأ بالموت ويفتخر بانتصارهِ عليهِ كما قال الرسول اذ يصف المبارزة التي جرت بين المسيح والموت فغُلب الموت : « اين غَلَبتُك أيها الموت واين شوكتك أيها الموت » (١ كور ١٥ : ٥٥)

يتمنَّى البشر لو ختموا حياتهم بميتة صالحة وآخرة مجيدة . فانْ مات الشيخ بعد ان شبع من الحياة محفوفاً باولادهِ راضياً بما قسمهُ الله لهُ من النصيب الصالح مورثاً لذريتهِ اسماً شريفاً وذكراً طيباً غبطهُ الناس على هذه الميتة السعيدة

ومنهم من يتوق الى ما هو اشرف من ذلك ألا وهو موت الجندي البطل في ساحة القتال اذ يلمح راية وطنهِ ولا يرضى بان يد العدوّ تشينها فيهجم عليهِ في حومة الوغى ويبيع حياتهُ غاليةً ليفدي تلك الراية بدمهِ فيسقط مثخناً بالجراح وهو يصرخ بملء فيهِ : فليحيَ الوطن العزيز !

اما الفلاسفة فيرون انَّهُ ليس موت امجد واسعد من ميتة الرَّجل البارّ الحكيم الذي لم يدنس عرضهُ في حياتهِ كلها بشائبةٍ خفيفة بل قضى عمرهُ في خدمة قريبهِ يرشدهم بقولهِ ومثلهِ الى كلّ صلاح فتثور عليهِ ثوائر الظلم ويُحكم عليهِ بضروب العذابات فيتلقَّى الموت بوجه بشوش ويموت بعزَّة نفسهِ دون ان ينتقم على قاتليهِ

مات الآباء كابراهيم واسحاق ويعقوب ميتة الشيوخ الابرار بعد الحياة الصالحة فكانت وفاتهم كغروب الشمس البهيّة في مساء يوم ساطع النور. مات المكابيّون ميتة الابطال في ميدان الحرب منتصرين لوطنهم. مات سقراط ميتة الحكيم المظلوم الذي قبل الموت من مواطنيهِ وهو لا يطلب سوى خيرهم

على انَّ هناك ميتةً تفوق بشرفها كل ما سواها لم تخطر على بال حكماء الوثنيين ألا وهي ميتة الشهيد الذي يتلقَّى بطيب الخاطر اصناف التنكيل واشدّ العذابات ليثبت صحة ما اوحى الله من الحقائق الدينيّة فيضحي الحياة طوعاً في سبيل الايمان. وهذه الميتة التي ترفع بالانسان فوق طبيعتهِ قد تمنَّاها الوف ومئات الوف من النصارى الذي شهد لشهامتهم جالينوس الحكيم الوثنيّ حيث قال (وقد روى كلامهُ ابو الفداء في تاريخهِ ١ : ٦٥—٦٦) :

انَّا نرى الآن القوم الذين يُدعَون نصارى انَّما اخذوا ايمانهم عن الرموز (يريد بالرموز الوحي الالهي) وقد يظهر منهم افعال مثل افعال مَن تفلسفَ بالحقيقة وذاك انَّ عدم جزعهم من الموت امرٌ قد نراهُ كلَّنا. وكذلك ايضاً عفافهم . . .

على انَّ هذه الميتة المجيدة قد بلغت غايتها من العظمة في رأس الشهداء وإمامهم السيّد المسيح الذي فاق كل الشهداء بموت كان اهلًا بالاله. وهذا ما أقرَّ بهِ زعيم الزنادقة نفسهُ اعني بهِ جان جاك روسُّو في كتابهِ المشهور باميل (Emile IV, 105) حيث: قال « ان كان موت سقراط موت فيلسوف فانَّ موت يسوع هو موت إله »

وها نحن نبيّنهُ ان شاء الله في ما يلي ولا حاجة للقول بأنَّنا اذا تكلَّمنا عن موت الاله لا نريد الطبيعة الالهيَّة التي لم يمسَّها تغيير البتَّة في شخص المسيح بل طبيعتهُ البشريَّة القائمة مع الطبيعة الالهيَّة في اقنومهِ الواحد الالهيّ

*

ليس بانسان محض ذاك الذي يسبق ويُعلم سلفاً بموتهِ المجهول وبكل ظروف وفاتهِ من زمان ومكان ونوع دون ان يفوتهُ منها ادنى الامور. وهي حقيقة ثابتة لا تحتاج الى ايضاح لأنَّ الذي يفصّل هذه الشروط كلَّها بسابق علم منهُ يُعلن بانَّ الموت عينهُ تحت حكم قدرتهِ والحكم على الموت من خواصّ الاله

والحال انَّ السيّد المسيح قد اعلن بكل تفاصيل موتهِ لم يدع منها صغيرًا او

كبيرًا الَّا سبق وحدَّدهُ وذلك اوَّلًا على ألسنة الانبياء الذين تقدَّموهُ في الاجيال السالفة وثانيًا بتصريحهِ هو نفسهُ قبل وقوع الامر بزمان

امَّا ما جاء على السنة الانبياء فانَّنا قد جمعناهُ قبلًا في بعض اعداد المشرق (السنة السابعة ١٩٠٤ ص ٢٤٢ — ٢٤٤) فترى هناك انَّ زكريَّا النبيَّ (٩ : ٩) وصف دخولهُ الى اورشليم راكبًا على اتان. وانَّ داود (مزمور ١٠٩ : ٤) وملاخي (١ : ١١) تنبَّأا على وضعهِ لكهنوت العهد الجديد ولسرّ القربان الاقدس. وانَّ داود ايضًا (مز ٤٠ : ١٠) روى تسليم يهوذا الاسخريوطي لسيّدهِ. وزاد زكريَّا (١١ : ١٢) بانَّ ثمن هذه الخيانة كان ثلاثين من الفضَّة ثمن حقل احد الخزَّافين. وتنبَّأ زكريَّا ايضًا (١٣ : ٧) عن تشتُّت شمل رسل المسيح كما يتبدَّد الخراف عند ضرب الراعي. واعلم صاحب المزامير (٣٤ : ١١ و٣٦ : ١٢) بتواطؤ الامم واليهود في الحكم على المسيح وبقيام شهود الزور عليهِ. وصرَّح اشعيا (٥٠ : ٦) بجلدهِ ولطمهِ والبصق عليهِ. واتَّفق داود (٢١ : ١٧) وزكريَّا (١٣ : ٦) في تعريف ثقب يديهِ ورجليهِ بالمسامير وطعن جنبهِ. وبيَّن ايضًا داود (٢١ : ١—٧) وصاحب سفر الحكمة (٢ : ١٨—٢٠) استهزاء الرؤساء بهِ على صليبهِ. وعاد داود وعيَّن (مز ٢١ : ١ و٦٨ : ٢٢) اقتسام الجند لثيابهِ واقتراعهم على لباسهِ وإسقائهم لهُ الخلّ والمرّ في عطشهِ. وذكر دانيال موت المسيح وزمنهُ (٩ : ٢٦). وقد جمع اشعيا هذه الاوصاف في فصلين من سفر نبوَّتهِ (ف ٥٢ و٥٣) هما احقّ بأن يُدعيا تاريخًا منهما نبوَّةً

امَّا السيّد المسيح فقد اخبر تلاميذهُ بكل ما سيجري لهُ مفصَّلًا فقال لهم (متى ٢٠ : ١٨ ومرقس ١٠ : ٣٢ ولوقا ١٨ : ٣١): انهُ «صاعد الى اورشليم وسيتمُّ فيهِ كلُّ ما كُتب بالانبياء فيسلمهُ اليهود الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليهِ بالموت ثمَّ يسلمونهُ الى الامم (اي الرومان) فيهزأون بهِ ويبصقون عليهِ ويجلدونهُ ويصلبونهُ ويقتلونهُ»

فيا تُرى كيف امكن المسيح ان يفعل كلَّ ذلك وهو يرى جماهير الشعب تتبعهُ وتُشيد باسمهِ حتى استقبلهُ اهل اورشليم كاستقبالهم للملوك الظافرين (متى ف ٢١) بل ارادوا «ان يختطفوهُ ليقيموهُ ملكًا» (يوحنَّا ٦ : ١٥) وهم يمجدون الله في كل

ما يصنعهُ من الآيات (متى ٩ : ٨) . أكان يستطيع ان ينتظر منهم تلك الميتة ؟ وكم ارادوا ان يثبوا عليهِ ويقتلوهُ فتارةً امسكوهُ مصممين العزم على ان يطرحوهُ عن قنة الجبل في الناصرة (لوقا ٤ : ٢٩) وحيناً ارادوا ان يقبضوا عليهِ في البرّية وفي الجليل وحاولوا رجمهُ بالحجارة (يو ٨ : ٥١) الّا انهم لم يفعلوا لأنَّ الربَّ كان صرَّح قائلاً بانهُ سيُقتل في اورشليم اذ « لا يمكن أن يهلك نبيٌّ خارج اورشليم » (لوقا ١٣ : ٣٤)

وكم حاول اعداؤهُ ان يقتلوهُ في زمن لم يعيّنهُ هو فضاق ذرعهم « لأنَّ ساعتهُ لم تأتِ بعد » (يوحنا ١٣ : ١) وعلى خلاف ذلك بيَّن في بستان الزيتون انهم يفعلون بهِ ما يشاؤون لأنَّ ساعتهُ التي عيَّنها لموتهِ قد اتت فقال : (لوقا ٢٢ : ٥٣) « هذه ساعتكم وهذا سلطان الظلمة »

وكما فصَّل بعلمهِ النبويّ السابق كلَّ ما سيحدث لهُ كذلك انبأ تلاميذهُ بما سيصيبهم من خيانة احدهم ومن تشتيت شملهم ومن جحود بطرس ثلاثاً عند صياح الديك . وكلَّ هذه التفاصيل يعدّدها السيّد المسيح بكل تأكيد وكلّ سذاجة ودون تبجُّح ولا قلق ولا خوف لا يطلب في سيرهِ الى الموت سوى رضى ابيهِ السماوي كما قال : « ليعلم العالم اني أحبُّ الآب واني كما اوصاني الآب هكذا افعل قوموا ننطلق من هاهنا » (يو ١٤ : ٣٠)

وكما اظهر السيّد المسيح ظهور الشمس في رائعة النهار علمهُ الالهيّ هكذا بيَّن ايضاً حريّتهُ الالهيّة في اختيارهِ لموت العار على خشبة الصليب . انهُ لن المعلوم انَّ الناس ليسوا بمخيَّرين في نوع ميتتهم الّا في بعض ظروف قليلة . واذا أُتيح لهم ذلك فضَّلوا موتاً قليل العذاب على سواه . امَّا السيّد المسيح فعلى عكس الامر فانهُ هو هو الذي كان مفوَّضاً بقبول الموت او رفضهِ وهو هو الذي امكنهُ ان يختار موتاً شريفاً او قليل الهوان والعار على غيرهِ . والحقّ يقال انهُ فعل ما لا يفعلهُ بشر فاجتبى الموت بلا حريّتهِ وفضَّل اقبح ميتة واذلّها على سواها فانهُ اختار ميتة كانوا يحكمون بها على العبيد دون الاحرار فيذوق صاحبها من الاوجاع الواناً فضلاً عن العار اللاحق بهِ امام الجموع المتزاحمة حول صليبهِ

وقد اوضح هذين الامرين في عدَّة آيات من الانجيل . فامَّا حريّتهُ في قبول الموت

فبقولهِ (يو ١٠ : ١٧–١٩) : « اني ابذلُ نفسي لآخذها ايضاً . ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلُها باختياري فلي سلطان ان أبذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً » . ولمَّا أُخبر بان هيرودس يريد قتلهُ فاشاروا عليهِ بالهرب (لو ١٣ : ٣١) اكتفى بان يجيبهم : « اذهبوا قولوا لهذا الثعلب ها انا أُخرج الشياطين وأُجري الشفاء اليوم وغداً وفي اليوم الثالث أُكمَّل » . ولمَّا قدم الشُّرط والجُند ليمسكوهُ في بستان الجماليَّة وقد حانت ساعتهُ اراد أن يظهر لهم آخر مرَّة بأنَّهُ يسير الى الموت من تلقاء ذاتهِ لأنَّهُ اذ سألهم « من تطلبون » فاجابوهُ « يسوع الناصري » استطهم على الارض بمجرَّد جوابهِ لهم : انا هو (يو ١٨ : ٨) . ولما اراد بطرس ان يدافع عن سيّدهِ فضرب خادمَ رئيس الكهنة وقطع اذنهُ زجرهُ الربّ بقولهِ (متى ٢٦ : ٥٢–٥٤) : « اردد سيفك لغمدهِ . . . اتظنّ اني لا استطيع أن أسأل ابي فيقيم لي في الحال اكثر من اثنتي عشرة جوقة من الملائكة . ولكن كيف تتمّ الكتب فانَّ هذا ما ينبغي ان يكون » . وكذلك لمَّا لزم السكوت امام بيلاطوس فقال لهُ الوالي (يو ١٩ : ١٠–١١) : « ألا تكلّمني أما تعلم انَّ لي سلطاناً أن أُطلقك ولي سلطاناً ان أُصلبك . فاجاب يسوع : ما كان لك عليَّ من سلطان لو لم يُعطَ لك من فوق »

ولم يرضَ المسيح فقط بموتهِ بالحرّية التامَّة لكنَّهُ كان يرغب الى ان يضحّي نفسهُ لاجل العالم . فانَّهُ كان يقول لتلاميذهِ (لو ١٢ : ٥٢) عن موتهِ : « انَّ لي صبغةً اصطبغ بها وما اشدَّ تضايُقي حتى تتمّ » . ولمَّا تجلَّى امام تلاميذهِ في جبل الطور وظهر لهم موسى وايليا ما كان كلامهُ معهم (٩ : ١٣) الَّا « عن خروجهِ الذي كان مزمعاً ان يتمّمهُ في اورشليم » اي عن آلامهِ وموتهِ . وعندما حان وقت آلامهِ رجع الى اليهوديَّة مع انَّ تلاميذهُ نبَّهوهُ قائلين (يو ١١ : ٨) : « يا معلم الآن كان اليهود يطلبون رجمك وانت تمضي ايضاً الى هناك » فلم يكترث لقولهم . وحتى يظهر سرورهُ بموتهِ القريب اراد ان يدخل اورشليم على غير عادتهِ دخول الملوك والشعبُ يصرخ : « مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل » . وبعد العشاء السرّي خرج الى بستان الزيتون حيث كان يهوذا عالمًا بان يسوع يصلّي هناك (يو ١٨ : ٢) فلم يختفِ عنهُ بل سار الى الموت بارتياح

امَّا اختيارهُ لموت الصليب وتفضيلهُ لهُ على أيَّة ميتة كانت دونهُ فبيَّنهُ في حديثهِ

مع نيقوديموس حيث قال (يو ٣: ١٤) : « كما رفع موسى الحيَّة في البريَّة هكذا ينبغي ان يُرفَع ابن البَشَر ». وقد قال بعد ذلك لليهود بنوع اصرح (يو ١٢: ٣٢) : « وانا اذا ارتفعتُ عن الارض جذبتُ اليَّ الجميع. وانما قال هذا ليدلَّ على أية ميتة كان مزمعاً ان يموتها »

فانظر يا رعاك الله كيف السيِّد المسيح يعاكس كلَّ افكار البشر باختياره لهذه الميتة ويصنع على خلاف ما يصنعونهُ ليظهر بفعلهِ انَّهُ هو الاله القادر على قهر الشرور كلِّها لا بل يستطيع ان يخرج من الشرِّ خيرًا مهما تفاقم وأيس غيرهُ من غلبتهِ

ولنا على لاهوت المسيح في آلامهِ وموتهِ دليل آخر اعظم من الدليلين السابقين نزيد بهِ الفضائل الالهيَّة التي مارسها حينئذٍ وهي تشهد على سمو قداستهِ

واوَّل ما اراد ان يعرب عنهُ في بدء آلامهِ تسليمهُ التامَّ لارادة ابيهِ وذلك اذ اطلق العنان لكل عواطف الطبيعة البشريَّة ليعلم الناس انَّ طبيعتهُ البشريَّة ليست خيالًا بل تشبه طبيعتنا « وجُرِّب في كل شيءٍ مثلنا ما خلا الخطيئة » (عبر ٤: ١٥). فنازعهُ الخوف والحزن والسأم الى ان حزنت نفسهُ حتى الموت (متى ٢٨: ٣٨) فلاذ بالصلاة الى ابيهِ وكرَّرها ثلاثاً بكل ثقة طالباً ان تجوز عنهُ تلك الكأس المرَّة لكنَّهُ لم يشأ ان تتمَّ مشيئتهُ البشريَّة بل مشيئة ابيهِ السماوي وهي عين مشيئتهِ الالهيَّة. وقام من الصلاة مؤيَّدًا مستعدًّا للموت (مرقس ١٤: ٤٢)

ثمَّ اعتبرْ حلمهُ نحو تلميذه الخائن فدعاهُ باسم الصاحب (متى ٢٦: ٥٠) ولم يردَّ قبلتهُ بل اكتفى بان يقول لهُ بعذوبةٍ (لوقا ٢٢: ١٨) : « أبقُبلةٍ تُسلم ابن البشر ». وانظر رفقهُ برسلهِ الجبناء اذ نسي نفسهُ ليحمون حياتهم بقولهِ للجند والشرط (يو ١٨: ٨) : « ان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون ». وكذلك لم يقرِّع بطرس بذنبهِ لمَّا جحدهُ لجرح قلبهُ بنكرانهِ بل اكتفى ان ينظر اليهِ نظر الحبيب الى من يجازي حبَّهُ بنكران الجميل (لو ٢٣: ٦١)

ولله درُّهُ ما اعظمهُ فضلًا واسماهُ فضيلةً اذ يحتمل بوداعة وتؤدة كل اهانات اعدائهِ وسوء معاملتهم لشخصهِ وافتراءهم عليهِ فانَّهُ يلازم صمتاً ابلغ من كل نطق ولم يحتجَّ على ظالميهِ الَّا مرَّةً واحدة بكل لطف وهدوء حيث قال لمن لطمهُ قدَّام

رئيس الكهنة (يو ١٨ : ٢٣) : « ان كنتُ تكلمتُ بسوءٍ فاشهد عليَّ بالسوء وان بخير فلماذا تضربني ». وهذا السكوت لم يحدْ عنهُ حتى امام هيرودس حيث كان يستطيع ان يخلّص نفسهُ بصنيع آيةٍ عندهُ فأبى لئلا يتقرّب بشيءٍ الى قاتل يوحنا المعمدان والى الزاني بامرأة اخيهِ وفضّل ان يزدري به هو وجنودهُ وان يلبسهُ ثوب المجانين (لو ٢٣ : ٩—١١)

وما قولنا الآن عن صبرهِ الجميل بين كل الاوجاع والعذابات في الجلد في اكليل الشوك في حمل الصليب في تسميرهِ عليهِ في مقاساته لآلامه وموتهِ فتراهُ يحوّل برحمةٍ نظر بنات اورشليم الباكيات عليهِ الى انفسهنَّ والى النكبات المتهددة لوطنهنَّ (لو ٢٣ : ٢٧—٢٩) وتسمعهُ اذا ما شمتَ اعداؤهُ بعذاباتهِ يصرخ الى ابيهِ لا ليطلب الانتقام بل ليستصفح عن اثمهم بقولهِ (لو ٢٣ : ٢٤) : « يا ابتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون ». تراهُ جعل صليبهُ كنبر يعلّم منهُ العالم كل الفضائل - يرفق باللص التائب ويعدهُ بأنهُ يدخلهُ معهُ في الفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) يفكّر في امهِ الكئيبة ويجعلها امًّا لتلميذهِ الحبيب بل لكل ابناء الكنيسة (يو ١٩ : ٢٦—٢٧). يريد ان يتمم آخر ما كُتب عنهُ في النبوّات فصرخ انهُ عطشان ليقدّموا لهُ مرًّا وخلًّا كما اشار اليهِ داود (يو ١٩ : ٢٨). ثمَّ يسلّم روحهُ بين يدي ابيهِ كالابن العزيز بعد ان اعلن بانَّ اباهُ قد ضرب الخطيئة في شخصهِ فتركهُ ليفي عن آثام البشر. وقد اراد انَّ موتهُ لا يتمُّ الَّا وهو صارخ بصوت عظيم على خلاف اللائتين من المصلوبين ليعرف جميع الحضور انَّهُ يموت بارادتهِ كما شاء (متى ٢٧ : ٤٦ ولو ٢٣ : ٤٦)

فنناشد الله كلَّ من لا تعميهِ الاهواء البشريَّة أهذا موت انسان محض او ليس الاحرى ان نقول مع قائد المئة الذي كان عند صليبهِ وعاين موتهُ ممجدين الله مثلهُ (مرقس ١٥ : ٣٩) : « في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله » ونقرع الصدور بالتوبة كالجموع الذين حضروا موتهُ (لو ٢٣ : ٤٨)

وان زدنا على ذلك ما جرى في تلك الساعة من الآيات الباهرة اذ كُسفت الشمس وخيّمت الظلمة فوق كلّ الارض التي تزلزلت والصخور تشقّقت وحجاب الهيكل انشقَّ اثنين من فوق الى اسفل وانفتحت القبور وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وتراءوا لكثيرين. وكلّ هذه الآيات قد ثبتت بشهادة التاريخ وشهود

العيان عليها. فانَّ يوحنا الرسول كان احد المعاينين لها كما روى في انجيله (١٩ : ٣٥) قائلاً: «والذي عاين شهد وشهادتهُ حقٌّ وهو يعلم انَّهُ يقول الحقَّ لتؤمنوا». اما التاريخ فشهادتهُ شهادة رسميَّة كانت مدوَّنة في سجلَّات رومية واليها ردَّ معاصريهِ ترتليانس المعلّم في اواخر القرن الثاني للمسيح في دفاعهِ عن النصرانيَّة حيث قال (Tertullien : *Apolog.*, c. 12): «وفي ساعة موت المسيح انكسفت الشمس في رائعة النهار... وأدَّت للمسيح شهادة باهرة. وفي سجلَّاتكم ذكرٌ لهذا الامر الخطير». وروى ذلك الواقع يوليوس الافريقيّ عن فلاغون الفيلسوف مبيناً حدوثهُ على خلاف قوانين الطبيعة فقال: «روى فلاغون انهُ يوم الإبدار حدث في الشمس كسوف دام من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة على عهد طيباريوس قيصر (١)»

فانَّ صحَّت هذه الآيات. ولا بدَّ من الاقرار بصحَّتها فلا يبقى الَّا القول انَّ موت المسيح من اعظم الادلَّة على لاهوتهِ. كما اعلن بذلك رسول الامم بولس في رسالتهِ الى اهل فيلبّي (٢ : ٨) قائلاً: «انَّ المسيح وضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب فلذلك رفعهُ الله ووهبهُ اسماً يفوق كلَّ اسم لكي تجثو باسم يسوع كلَّ ركبةٍ ممَّا في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ويعترف كلَّ لسان انَّ الربَّ يسوع المسيح هو في مجد الله الآب» (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

HISTOIRE DES ARABES par Cl. Huart, tome II, *Paris, Paul Geuthner*, 1913, in-8, p. 512

الجزء الثاني من تاريخ العرب للمسيو كليمان هوارت

عرفتَ من وصفنا للجزء الاوَّل من هذا التأليف النفيس (المشرق ١٩١٢ ص ٧١١) ما امتاز بهِ عن الكتب السابقة ولا سيما تضلُّع صاحبهِ من الآداب الشرقيَّة عموماً وتاريخ العرب خصوصاً. ولعلَّ هذا الجزء افضل واوسع جدوى من سلفهِ وهو يتناول تاريخ الاسلام من اواخر الدولة الفاطميَّة عند ظهور الدولة الايوبيَّة

(١) راجع تاريخ جرجس السنقلّي (G. Syncelli Chronographia, *Bonnæ*, 1820, p. 610)

وزحفات الصليبيين الى القرون المتأخرة. ففي هذا القسم فصول واسعة عن تاريخ العرب في مصر الى آخر عهد المماليك وعن تاريخهم في الاندلس الى خروجهم منها وعن تاريخ دولهم في مراكش واليمن وعُمان مع تفصيل اخبار الوهابيين في جزيرة العرب ثمَّ تاريخ دول السودان. وهو يقف في فصوله هذه عند ظهور الدولة العثمانيَّة التي لم يتعرَّض لتاريخها. وقد لزم المؤلف في رواياته واحكامه خطَّة الاعتدال مستنداً اليها. ومن محاسن الكتاب جداول لكلّ دولة توقف الدارس على سياق ملوكها الضابطين لأزمّتها. ومنها فهرس واسع في آخر الكتاب ينيف على مئة صفحة لكل الاعلام الوارد فيه ذكرها. وافضل من ذلك باب مستقلّ خصَّهُ في آداب العرب وعلومهم. على انَّ هذا الباب يحتاج الى تنقيح وتحسينات عديدة فلا بدَّ من اعادة النظر فيه. ولو اطَّلع جنابهُ على كتاب طبقات الأُمم لابي القاسم صاعد الاندلسي الذي نشرناهُ لاستفاد منهُ في تاريخ هذه الآداب. ومما وجب عليه التصريح به ما كان للنصارى واليهود من الفضل في النهضة الادبيَّة بين العرب كما بيَّنا ذلك في المشرق (١٤ (١٩١١): ٢٩٩ و٣٨٨): ولا نراهُ وفى بالموضوع في ما كتبهُ هناك عن تاريخ الفلسفة بين العرب في صفحتين (ص ٣٦٥—٣٦٧) وكذلك فصلهُ في الرياضيَّات والطبيعيَّات لا يشفي الغليل. وقد فاتهُ الكلام عن الموسيقى بين العرب. ولو راجع ما كتبهُ احد اساتذة هيدلبرغ المسيو ويدمان (Widenmann) لوجد في كل ذلك مادَّة واسعة. وقد استقصرنا ايضاً فصلهُ الافتتاحي عن علوم العرب قبل الاسلام. وفي كتاباتنا عن عرب الجاهليَّة ما يسدّ بعض الخلل في ذلك وقد وجدناهُ غير مُنصف في حكمه على فرديناند ملك اسبانية (ص ١٩٤) وفي الاجمال رأيناهُ يثق الثقة الزائدة في بعض كتبة العرب دون عرض احكامهم على من سواهم. وقد استحسنَّا ما رواهُ في اواخر الكتاب عن التآليف العربيَّة المترجمة الى اللغات الاوربيَّة منذ القرن الثاني عشر وكفى بهِ دليلاً على اهتمام نصارى القرون الوسطى بالعلوم. ويا ليت العرب نقلوا ايضاً الى لغتهم تآليف الاوربيين في تلك الاحقاب لكانت تمَّت الفائدة وتعاضد الشرق والغرب في تعزيز المعارف والآداب. وقد أعجبنا ايضاً ما ختم بهِ المسيو هوارت كتابهُ وهو خلاصة دروسهِ عن احوال العرب وفيهِ بيان سبب تقهقرهم بعد ازدهارهم

ل. ش

MANUALI HOEPLI : IL CORANO, Testo arabo e versione letterale italiana, da Prof. Aquilio Fracassi, *Milano*, 1913, LXX-359

القرآن وترجمتهُ الايطاليَّة

انَّ فتح ايطالية لطرابلس الغرب قد ضاعف همَّة الفاتحين لدرس اللغة العربيَّة كما رأيت في وصفنا لكتب سابقة طُبعت في الاقطار الايطاليَّة. ولا يخفى انَّ القرآن عند العرب السبق على كل ما سواه فلا ندحة للايطاليين من معرفته ودرسه. فهذا ما حدا باستاذ العربيَّة في مدينة ميلانو السنيور فراكاسي الى نقل المصحف الى الايطاليَّة متحرياً في ترجمته الضبط والتدقيق اكثر منهُ البلاغة والانسجام. وقد عرض ترجمتهُ على أعلام بلاده من المستشرقين فاقتبس نوراً من ملحوظاتهم تمكَّن بها من تحسين العمل على قدر الطاقة وقد احبَّ زيادةً بالفائدة ان يطبع النصَّ العربي مشكَّلاً بازاء الترجمة الايطاليَّة وقدَّم على الكتاب عدَّة فوائد اخصُّها بيان معنى اسماء السُّوَر. وفي آخره فهرس السُّوَر ثمَّ لموادّ الكتاب على سياق حروف المعجم. وقد اعتنى الطبَّاع هوبلي الشهير في اتقان هذه الطبعة فلا ينقصها شيءٌ من المحاسن ل. ش

E. J. W. GIBB, vol. GII, 5 : THE TAJARIB AL-UMAM OR HISTORY OF IBN MISKAWAYH, with a Summary and Index by *L. Caetani* principe di Teano, *London, Luzac and C°*, 1913, 8°

الجزء الثاني من تاريخ تجارب الامم لابن مسكويه

سبق لنا تعريف هذا التاريخ (في المشرق ١٢(١٩٠٩) : ٥٥٠) وفضل صاحبه في العلم والكتابة. وها هوذا القسم الثاني منهُ وهو مرسوم بالتصوير الشمسي عن النسخة الحسنة المصونة في مكتبة ايا صوفيا في الاستانة. وقد استحقَّ البرنس لاون كايتاني المستشرق الايطاليَّ الشهير شكر جميع الأدباء بنشره على حساب جمعيَّة جيب الانكليزيَّة. وقد قدَّم على هذا القسم كما فعل بالسابق مقدِّمات ضمَّنها خلاصة الكتاب تيسيراً لطلب موادّه على الاوروبيين وختمهُ بفهرس عربيّ غاية في التدقيق. وقد بقي من الكتاب قسم ثالث نؤمل صدورهُ قريباً ان شاء الله كما انَّنا نتمنى اكتشاف الذيلين اللذين ذكرهما الحاج خليفة لهذا التاريخ في كتاب كشف الظنون (٢ : ١٩١) لابي شجاع محمَّد وزير المستظهر المتوفَّى سنة ٤٨٨ (١٠٩٥ م) ومحمَّد ابن عبد الملك الهمذاني ل. ش

I Die Lukas-Homilien d. Hl. Cyrill von Alexandrien, ein Beitrag z. Geschichte d. Exegese = II Die Canones d. Simeon von Revardeshir, herausg. u. uebersetzt v. Dr Adolf Rrücker, *Breslau u. Leipzig*, 1911 et 1908

ميامر القديس كيرلس الاسكندري على انجيل لوقا – قوانين شمعون من روردشير

هذان كتابان لاحد كهنة الالمان الكاثوليك في برسلو الدكتور ادولف روكر الذي زار آخرًا كليتنا وهو اليوم تريل القدس الشريف فالاوّل يحتوي درساً واسعاً على ميامر القديس كيرلُس الاسكندريّ على انجيل القديس لوقا كانت قد فُقدت في الاصل اليوناني فوجدوها في بعض مخطوطات المتحف البريطاني في لندن وطبعوها في اوكسفرد. لكنّ حضرة الدكتور روكر وجد لها ملحقاً في احد مخطوطات برلين فلم يكتفِ بنشرهِ وترجمتهِ الى الالمانيّة ولكن انتهز ايضاً الفرصة ليبحث بحثاً علمياً في هذه الميامر من حيث اصلها وترجمتها وخواصها والنصّ الانجيلي الذي بُنيت عليهِ والمقاطيع التي نقلها الكتبة عن الاصل اليوناني فجاء هذا البحث غاية في الافادة لمن يريد معرفة ميامر وطريقة مار كيرلُس في تفسيرهِ لانجيل لوقا – امّا الكتاب الثاني فمضمونهُ القوانين التي وضعها شمعون اسقف ريوردشير في القرن السابع مع اجوبتهِ على اسئلة شتى في الحقّ القانوني وكانت هذه الآثار قد اخذتها ايدي الضياع حتى ظهرت اخيرًا بهمّة اهل عصرنا فأسرع حضرة الدكتور روكر الى نشرها في اصلها السرياني مع ترجمتها الى اللغة الالمانيّة وصدّرها بالمقدّمات المفيدة في تعريف مؤلفها وزمانهِ وكرسي اسقفيّتهِ وملحوظات دقيقة في قوانينهِ وما يستفاد منها لبيان احوال الكنائس الشرقيّة في تلك القرون البعيدة. فنشكر حضرتهُ على ابراز هذين السفرين. ونتمنى ان يتحفنا قريباً بما توفّق لاكتشافهِ في سياحتهِ الحديثة ل. ش

تاريخ صيدا لمؤلفه احمد عارف الزين

طبع في مطبعة العرفان. صيدا ١٣٣١ هـ (ص ١٧٦)

اكرم بالكُتب تاريخاً لو توفّرت لصاحبهِ المصادر الاصليّة فوفّرت لهُ المادّة فيما يتعلق بتاريخ صيدا القديم والمتوسّط. امّا وقد عثر المؤلف على النزر القليل من تلك المصادر فقد جاء كتابهُ موجزًا الى حدّ التقصير فيما خصّ التاريخ القديم لولا بعض مراجعات تُسلّ القارئ. من ذلك نسبة صيدا الى صيدون بكر كنعان التي كرّرها غير مرّة (ص ٢٤ و٣٥ و٣٦) وقد بالغ كل المبالغة بقولهِ (ص ٤٠) « انّ المرجّح

عند الباحثين بأن عدد سكّان صيدا خاصّة كان يتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين نفس » ولعلّهم لم يبلغوا الى عُشر هذا العدد. وكذلك قد شطّ بقوله هناك انّ الحيوان الذي كان يُستخرَج منهُ صبغ الارجوان قد انقرض. فانّهُ لم ينقرض والعلماء يعرفون طريقة استخراجهِ لكنّهم يفضّلون الطرائق الصبغيّة الحديثة لقلّة نفقاتها. وليس هو (ص ٣٠) هيكل « ارونيس » بل ادونيس وهي غلطة طبعيّة ومثلها كثير في الكتاب. وممّا ثبت اليوم ان الفونيقيين لم يخترعوا الكتابة بالحروف وانّما نشروها فقط. امّا القسم الاخير من الكتاب وموضوعهُ تاريخ صيدا المعاصر فيستغرق اكثر من نصف الكتاب وهو تاريخ ودليل معاً تلذّ مطالعتهُ ويستفيد من اغلب ما جاء فيهِ اهل صيدا وزوّارها فنشكر للمؤلف همّتهُ وغيرته الوطنيّة ش. ا

الوساطة بين المتنبّي وخصومهِ

عُني بطبعهِ وتصحيحهِ وشرحهِ احمد عارف الزين صاحب العرفان
طُبع في صيداء بمطبعة العرفان سنة ١٣٣١ (ص ٤١٦)

نبشّر المستشرقين وأدباء بلادنا بطبع هذا السفر الجليل الذي ظنّ طلبة الآثار العربيّة انّ اغوال الدهر غالتهُ وتخرّمتهُ فسُررنا ايّ سرور باكتشاف جناب الاديب احمد عارف الزين لهذا الاثر الفريد الذي استنسخهُ احد افاضل النجفيين عن نسخة قديمة موجودة في مكتبة أدباء الاسرة الالوسيّة في بغداد. ثمّ توفّق احمد افندي الى وجود نسخة ثانية في المكتبة الازهريّة في مصر قابلها عليها فاهتدى بالمقابلة ثم بالمراجعة مع احد الافاضل الى اصلاح عدّة اغلاط وقعت في المخطوطين. امّا الكتاب فمؤلفهُ ابو الحسن عليّ بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني (٢٩٠–٣٦٦هـ=٩٠٣–٩٧٦ م) من مشاهير كتّاب الصدر الاوّل. وغايتهُ من وضعهِ لهُ ان يحكم حكماً عدلاً وسطاً بين المتناقشين في حقّ المتنبّي فبيّن انّ سواء السبيل في ذلك لزوم الجادّة النصف بين المتعصبين لهُ المغالين في اطرائهِ والمتعصبين عليهِ الباخسين من قدرهِ. وقد اثبت ذلك بالادلّة الساطعة والنقد المصيب وكثرة الشواهد والمقابلة مع غيرهِ من الشعراء لتعريف غثّهِ من سمينهِ. وقد زاد جناب الطابع هذا الكتابَ قيمةً بما دوّنهُ في ذيالهِ من الشروح وان قليلة وبما الحقهُ بهِ من الفهارس المفيدة. وهو مطبوع بحرفنا البيروتي طبعاً متقناً وانّما ينقصهُ شيء من الشكل لضبط الابيات دفعاً للُبس.

وقد وقع في الكتاب مع عناية الطابع بعض اغلاط اشار الى قسم منها في آخره ومما لم ينتبه اليه (ص١٥٤) قولهُ « يزيد بن مفرّغ » والصواب « المفرّغ » كما نصَّ عليه في الاغاني (٧ : ٢—٣). وهو (ص ١٦٦ و ٣٢٩) « هرمة بن الخشرم » لا « الحشرم » بالحاء. وهو (ص ٢٢٣) « شمعلة بن فائد » بالفاء (راجع التاج) وهو (ص ٣٢٥) « مزرّد بن ضرار ». وفيها ايضاً في الحاشية « انَّ العَرَادة قد خُفِّفت فيها الراء لضرورة الشعر » والصواب انَّ فرس الكلحبة عَرَادة بتخفيف الراء. امَّا التشديد فلفرس ابي دؤاد (لا دوار بالراء) كما بيَّن في اللسان (في مادَّة عرد). والبيت الاخير في الصفحة ٣٤٧ هو من ابيات اوس بن حَجَر (ديوانهُ ص ١٧ ويُروى : جنيبه). وفي بيت الاخطل (ص ٣٥٣) الصواب « او بلغت » كما ترى في ديوانه (ص ١١٠) الخ. ل ش

كتاب علم الادب

الجزء الثاني في علم الخطابة . تأليف الاب ل. شيخو اليسوعي

طبعة ثانية مصحَّحة مكمَّلة . في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٣ (ص ٢٦٤)

قد كنَّا سابقاً نشرنا لاوَّل مرَّة اصول فنّ الخطابة فراج الكتاب رواجاً لم يكن في الحسبان حتى نفد طبعهُ منذ عدَّة سنين والاشغال لم تسمح لنا باعادة النظر في مضامينهِ لإصلاحها وتحسين ابوابها . حتى استعنَّا بالله مؤخَّراً واجهدنا النفس في هذا العمل لخير المدارس التي كانت تلحُّ علينا تترى بانجازهِ فتمَّ بجوادهِ تعالى كما تراهُ منقَّحاً مع عدة زيادات على الطبعة السابقة . فلنا الأمل انَّ الطلبة يتلقونهُ بالاستحسان ويتَّخذونهُ دستوراً لاتقان فنّ الخطابة الذي اصبح اليوم بعد نشر الدستور من اكبر الوسائل لتوطيد الواجبات والحقوق وللدفاع عن حياض الآداب العموميَّة وحاجات الوطن العزيز (عن المقدَّمة)

كتاب الشيعة وفنون الاسلام

لمؤلفهِ السيد حسن الصدر

طُبع على نفقة شرف الدين وظاهر وزين في مطبعة العرفان — صيدا ١٣٣١ هـ — (ص ١٥)

يتتبع المؤلف في كتابهِ هذا الفنون والعلوم التي نشأت وشاعت في الاسلام ويذكر من نبغ فيها من اصحاب الشيعة مع مؤلفاتهم وبعض اخبارهم مما يؤول

بالفائدة على كل مطالع يهمّهُ تاريخ العلوم في الاسلام فنثني على واضع الكتاب وناشريهِ وفي صدرهِ ترجمة السيّد حسن مؤلفهِ حفظهُ الله ش٠

تقويم البشير لسنة ١٩١٤

تأليف الاب لويس معلوف اليسوعي

بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ١٩١٣ (ص ٢٤٠)

لا يزال تقويم البشير في ازدياد وتحسُّن سنةً على سنة فنرحّب بهذا المطبوع الجديد ونثني على همّة مؤلفهِ الذي ضمّنهُ من المعلومات والفوائد واللطائف في كل فنّ ما جعلهُ دليلًا دينيًّا ومدنيًّا فريدًا لا شبيه لهُ في بلادنا الشرقيّة في وفرة مضامينهِ وحسن ترتيبهِ وجودة طبعهِ فهو حريٌّ بان يُدعى كتقاويم هاشيت بالتقويم الجامع لدائرة المعارف كما ترى من فهرس موادّهِ التي ننشرها في غلاف الشرق ل٠ش

شذرات

تصرانيّة غسّان والاب انستاس ابي حضرة الاب انستاس الكرملي الّا مناقضتنا ففي العدد الاخير من مجلّتهِ لغة العرب (ايلول ص ١٤١ — ١٤٣) عاد الى تصرانيّة غسّان معترضًا على بعض اقوالنا في ذلك واذ كنّا سابقًا قد فنّدنا زعمهُ في هذا الشأن أا عارضنا في مجلّة المقتبس فرددنا عليهِ بمقالتين نشرناهما في السنة العاشرة من الشرق (١٩٠٨ ص ٥١٩ و٥٥٤) لا نرى حاجة الى اضاعة وقتنا في تزييف محاكمته الغريبة (راجع ايضًا المشرق ١٤ : ١٤٨—١٤٩) . وكذا قل عمّا كتبهُ هناك عن تصرانيّة لخم فالتراجع النصوص التي اوردناها عن أوثق الكتبة . ومن عجيب ما يعزوهُ الينا الاب انستاس انّنا قلنا انّ « لخمًا كلّها كانت نصرانيّة » ولم نقل ذلك وانّما اوردنا قول الكتبة المسلمين نفسهم دون زيادة حرفٍ عليهِ فان كان فيهِ التعميم فالذنب عليهم لا علينا . فمن ذلك قول صاحب السيرة الحلبيّة (٣ : ٩٥) : « ومن القبائل المتنصّرة بكر ولخم وجذام » فما للاب انستاس اذًا يحاجّنا زورًا . فاذا قلنا ان الفرنسويين كاثوليكيّون أينقض قولنا وجود بعض البروتستانت بينهم وكذا يقال عن لخم وغسّان والسلام على من اتّبع الهدى

حادث محزن — كتبت « الكلمة » تحت هذا العنوان فصلاً نقلتهُ عن مجلة بنتينوس الاسكندرية ندَّدت فيهِ على غبطة بطريرك الروم الارثذكس السيِّد غريغوريوس تعيينهِ على ارضروم اكسرخوناً لم يحز رضى المسيحيين هناك وردَّهِ المفوَّضين المرسلين الى غبطتهِ « بخشونة » (كذا) ووصفت عملهُ هذا « بالمعاملة الخالية من الروح المسيحيَّة ». فتعجبنا من هذا الكلام ولم نَعُد نتذهل مما تكتبهُ في حقّ الحبر الاعظم وكنيستنا الكاثوليكيَّة وهي تعامل بطريرك كنيستها بهذا اللطف

مكروب الكلب — قد وجد العلماء منذ سنين معدودة الطريقة لمعالجة الكلب كما ترى من القسم المختصّ بذلك في مكتبنا الافرنسيّ الَّا انهم كانوا حتى الآن عجزوا عن افراز مكروبهِ القتَّال وقد افادت المجلات العلميَّة انَّ احد علماء اليابان المسمّى هيدفو نوجتشي توفَّق الى اكتشافهِ وافرازهِ في المعهد العلمي الذي انشأه المثري روكفلر في نيويرك لمثل هذه الاختبارات

قصر السلام — وصفت مجلة المقتطف في عددها الاخير هذا القصر الفخم الذي سعى بتشييدهِ المثري الاميركي روكفلر ولم ينسَ الكاتب في وصفهِ الَّا التمثال الجميل الذي اهدته السيدة كوستا ليوضع في واجهته وهو تمثال السيِّد المسيح اله السلام المصنوع على شبه التمثال القائم في افتتاح القرن الجديد على جبال الأندز

اكتشاف في البرق السلكي — قد امتحنوا في ادارة البرق الباريسية المركزية اكتشافاً جديداً سيكون لهُ شأن عظيم في عالم البرق السلكي الكهربائي. وقد نجح هذا الاكتشاف نجاحاً تامًّا اما المبدأ الذي يقوم عليهِ هذا الاكتشاف فهو الآتي: «على سلكٍ يسير فيهِ مجرى كهربائي مستقيم دائم يمكن ان يسيَّر عدد من المجاري التموجية يقابل عدداً مساوياً لهُ من الآلات البرقية المتنوعة». وقد جرى تحقيق هذا المبدأ ونتائجه في شهر تموز الماضي فان ثمانية عشر عاملاً قد ارسلوا في وقت واحد وعلى سلك واحد ١٨ برقية مختلفة. وكان ممكناً ان يكون عددها اكثر. فبعد ان تحقق نجاح هذا الاكتشاف قررت الادارة المذكورة ان تُعدّ في شهر تشرين القادم معهداً لتدريس اصول هذا الاكتشاف وكيفية العمل بهِ وتعميم ما يقتضيهِ من المعارف. وما تحسن ملاحظته هو ان طريقة « بورد » في ارسال برقيات متعددة في الوقت الواحد كان مبدأها سرعة المجرى الكهربائي. وهذه الطريقة لم تكن تيسّر

للمبرق ان يرسل اكثر من ست برقيات في آن واحد . اما بواسطة هذا الاكتشاف الجديد فيتيسر ارسال ثمان عشرة برقية في آن واحد لا بل اكثر كما ذكرنا . فسبحان خالق الكون ومبدع ما فيه من الغرائب (جريدة البشير)

﴿ ذاكرة النبات ﴾ ما اكتفى صاحبنا جرجي افندي زيدان بان يثبت للنبات حساً لبعض حركات تحصل فيه بتأثير العوامل الخارجيَّة فها هو بشَّرنا في عددهِ الاوَّل من سنتهِ ٢٢ (ص ٩٥) بانَّ العلماء (!!) لم يجدوا فقط ان النبات حسَّاس يشعر بالالم ونحوهِ لكنَّهُ ايضاً ذو قوَّة حافظة او ذاكرة . وبياناً لقولهِ اورد مثل نبات يوضع في ظلام دائم فاذا صار الغروب اطبق اوراقهُ وعند الشروق يفتحها لانَّه تعوَّد ذلك سابقاً « فلم ينسَ ما تعوَّدهُ » فيا لهُ من فيلسوف نطاسيّ « نسي » اصول الفلسفة وخلط بين مواليد الطبيعة التي لم يمزجها غير دروين وذويهِ دون ادنى دليل علميّ . فكيف لم يفقه جناب الكاتب انَّهُ ناقض ذاتهُ بذاتهِ فبعد ان قال انَّ النبات اعتاد ذلك سابقاً يقول انَّهُ « لم ينسهُ » افلا تكفي العادة التي اعتادها النبات سابقاً فما الداعي الى نسبة هذا العمل الى الذاكرة ؟ ومن هم العلماء القائلون بذلك ؟

أسئلة واجوبة

س سأل من القدس حضرة القس بولس سباط : ١ً من هو معرّب كتاب السياسة في الرئاسة لارسطو . ٢ً ومعرّب كتب القديس يوحنَّا الدمشقي في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام . ٣ً ماذا يُعرف من تآليف يوحنَّا ابن بطريق

كتاب السياسة لارسطو — كتب القديس يوحنَّا الدمشقي — تآليف يوحنَّا بن بطريق

ج نجيب على (الاوَّل) ان تعريب كتاب السياسة في الرئاسة منسوب الى يوحنَّا ابن بطريق وهو كتاب موضوع نسبوهُ زوراً الى ارسطو ومنهُ نسخة في مكتبتنا . وعلى (الثاني) انَّ منطق القديس يوحنَّا الدمشقي يُنسب تعريبهُ في نسخة من نسخ مكتبتنا القديمة الى راهب اسمهُ انطوني من سيق القديس سابا . امَّا بقيَّة كتبهِ فالمرجَّح انَّ معرّبها عبدالله بن الفضل الانطاكي (راجع المشرق السنة السابعة (١٩٠٤) ١٠٦٨ — ١٠٧٠) . وعلى الثالث انَّ ما يعرفونهُ من تآليف يوحنَّا بن بطريق منقولات من اليونانيَّة ككتاب الحيوان والآثار العلويَّة والنفس لارسطو وطبيَّات لبقراط ل . ش

المشرق

المدارس الداخلية او الخارجية ايهما افضل

للاب فرنسيس شرمو اليسوعي

نشرت جريدة الراقايل الافرنسيَّة فصلًا لاحد محرّريها ابتخس فيهِ حقّ المدارس الداخليَّة فصوَّرها على غير حقيقتها فردَّت عليهِ جريدة البشير وقد احبَّ بعض قرَّائنا ان نتَّسع في هذا البحث بمقالة نفردها لهذا الشأن في مجلَّتنا. فاجابةً للمتسهم ها نحن نكتب هذا الفصل لا لندافع عن كليَّتنا ومدارسنا الداخليَّة وكلٌّ يعلم انَّ رهبانيَّتنا تُعنى بالمدارس الخارجيَّة عنايتها بالداخليَّة بل دفعاً للشبهات وصوناً للحقوق ومراعاةً لكرامة المدارس الكاثوليكيَّة في الشرق ولاسيما في بلاد الشام ومعظمها مدارس داخليَّة او مقتسمة بين داخليّين وخارجيّين ولها من الشهرة ما يغني عن الوصف والاطراء.

*

كل يعلم انَّ تهذيب الولد في سنّ الطفوليَّة يبتدئ في بيت والديهِ وفي حجر امّهِ خصوصاً. فهذه التربية الاولى تؤثّر في الصغير تأثيرًا عظيماً والولد اذ ذاك لين الطباع صفيّ القلب يتلقَّى بكل سهولة تعاليم الوالدين فتنطبع في ذهنهِ انطباع النقش في الحجر. وهذا ما يبيّن عظم شأن التهذيب الوالدي وما يدعو الوالدين الى ان يقوما بهذا الواجب المقدَّس احسن قيام اذ ان مستقبل ولدهما اكثر ما يكون منوطٌ بالتربية العائليَّة فيصدق قول الشاعر :

الابن ينشا على ما كان والدهُ ان الغصون عليها ينبتُ الثمرُ

على ان هذه التربية الاولى التي تشبه اساس البناء ليست بكافية لتثقيف

الاحداث فلا بدَّ لهم من تربية ثانيـة اي تربية الآداب بتهذيب عقولهم بالعلم وترويض اخلاقهم بالسجايا الحميدة. وذلك امرٌ لا يستطيع الوالدان ان يقوما بهِ في بيتهما وقلَّما يتيسَّر لهما ان يعهدا بهِ الى من يخرّجهم في البيت تحت مراقبتهما فلا بدَّ اذن ان يطلبا من يتولَّى هذا العمل الخطير بدلًا منهما . ولا يسدُّ مسدَّهما مثل المدارس العموميَّة فيسلّما ابنهما وفلذة كبدهما الى عناية اربابها

وهنا يتاح للابوين الاختيار بين احد امرين امَّا ان يجعلا الولد في مصنف الخارجيّين فيتردَّد على المدارس صباحَ مساء ثمَّ يعود الى اهلهِ ليلًا وامَّا ان ينظماهُ في سلك الداخليّين فيبقى منفصلًا عن ذويهِ مدَّة شهور متوالية لا يكاد يراهم الَّا في اوقات قصيرة نادرة

فأيهما افضل ؟ وهل نشير الى الاهل والوالدين ان يرجّحوا التربية الخارجيَّة على الداخليَّة او بالحري هذه على تلك ؟ والكلام هنا على الذين يستطيعون الاختيار لاولادهم ليس على الذين تحكم عليهم الظروف بان يفضّلوا احدى الطريقتين لدواعٍ تضطرُّهم الى ذلك

فتسرَّع كاتبُ جريدة الراقيل دون روية كافية ولا تمييز صائب الى القول بانَّ المدارس الخارجيَّة هي الاصلح والاحقّ باختيار الاهلين . امَّا المدارس الداخليَّة فعدَّها « بالشرّ الضروري » مشيرًا بذلك الى قول احد قدماء الفلاسفة في النساء ثمَّ قال في الحرب وغيرهما حتى جرى مجرى الامثال

بيد انَّ امثالًا كهذه لا يجوز اطلاقها على كل شي ينتج منهُ بعض الاضرار لسوء استعماله . والا لكانت افضل الامور معدودة من الشرور لضرر ما يحصل منها عرضًا

وايمُ الله لا نرى في المدارس الداخليَّة شرًّا ولا شرًّا ضروريًّا . امَّا كونها ليست بشرّ فالامر واضح : اوَّلًا باقبال الاهل على وضع اولادهم في المدارس الداخليَّة فلو أنسوا من هذه المدارس شرًّا لمَا ضحّوا باعزّ ما لديهم في هذا العالم وارصدوهُ للشرّ بطيب القلب فلو فعلوا لكانوا اجلافًا لا يرحمون اولادهم ولا يوقّرون لحالهم . بل يسيئون الى انفسهم اذ ان هؤلاء الاولاد بعد ان يُصبَغوا بصبغة المدارس الداخليَّة الشرّيرة على زعم المعترض سوف يعودون الى بيوتهم وتنعكس تربيتهم السيئة الى اهلهم

وثانياً بما نراهُ في معظم الداخليين من النشاط في عيشتهم الداخليّة يعتبرون رؤساءهم واساتذتهم بمثابة والديهم ويعدّون رفقتهم كأخدان واخوان واذا سألهم اقاربهم عن امورهم اجابوا انّهم راضون من حالتهم مسرورون منها يرون من نظام المدرسة الداخليّة وحسن ترتيبها واهتمام اربابها بآدابهم وترويض اجسامهم والسهر على راحتهم ما يجعلهم في عيش هنيء نفساً وجسماً : فكل هؤلاء لو رأوا في المدرسة الداخليّة ذاك الشرّ المزعوم لتوسّلوا الى اهلهم ليخرجوهم من تلك المدارس. فرضاهم بها دليلٌ كافٍ على أنها ليست شرًّا

هذا ما نعلمهُ بالاختبار اليوميّ بمشاهدة مدارسنا الداخليّة. امّا اذا وُجدت غير مدارس داخليّة يصدق فيها وصف كاتب الراقايل من سوء تربية وفساد اخلاق فذلك لا ينتج من كون المدرسة داخليّةً ولكن من اهمال المعلمين والنظّار الذين يسهون عن مراقبة التلاميذ وحسن انتخابهم ولا يسهرون على آدابهم ويُدغرن السيّئي الاخلاق منهم مع سواهم فيفسد بعضهم بعضاً. فتصبح على هذا المنوال المدارس الداخليّة خطرًا عظيماً على الاولاد. وانّما هذا ليس بذنب المدرسة الداخليّة بل ذنب رؤسائها المقصّرين في ضبط نظامها

وكما لا يسعنا التسليم بكون المدارس الداخليّة شرًّا كذلك لا نسلّم بأنها شرٌّ ضروريّ. فانّ المدارس الخارجيّة والحمد لله متوفّرة في بيروت وجوارها فلا داعيَ يضطر الاهل الى ان يدرجوا اولادهم في سلك الداخليين فتفضيلهم المدارس الداخليّة على الخارجيّة عن حرّيّة تامّة يبيّن جهارًا شطط كاتب جريدة الراقايل

والحقّ يقال انّ ما نسبهُ الى المدارس الداخليّة يطرأ ايضاً على المدارس الخارجيّة سواء كان في نفس المدرسة لما يمكن التلاميذ ان يجدوهُ في بعض رفقتهم من سوء العشرة او خارجاً عنها في ذهابهم اليها او ايابهم منها في ساحات البلد والشوارع والازقّة حيث لا يرقبهم احد فيتعرّضون لعدّة اخطار او في بيت اهلهم عينهِ حيث لا يجدون دائماً امثلة الفضيلة والبرارة

فممّا قدّمنا يثبت انّ للمدارس الداخليّة كما للخارجيّة محاسن ونواقص تتوازن في كلتيهما تقريباً

ولعلّ سائلاً يسأل: وما الافضل ؟ أليست المدارس الخارجيّة اولى لتهذيب

الناشئة من الداخلية ؟ ألا ترى انَّ التلميذ الخارجي يعتاد منذ نعومة اظفاره العيشة الاهليَّة التي تنتظرهُ في نهاية دروسهِ فلا تكاد تختلف عليهِ حياتهُ الاجتماعيَّة فيسير في مضمارها دون مشقَّة عظيمة ولا تغيير يطرأ عليهِ فجأةً كما يحصل للتلميذ الداخلي الذي يكاد لا يعرف العالم وعادات المجتمع البشري لِما أَلِفهُ من العيشة المنفردة ضمن جدران المدرسة مع بعض اترابهِ. فما الجواب على هذا الاعتراض ؟

جوابنا انَّنا لا نجهل فضل المدارس الخارجيَّة والدليل عليهِ انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة المنشأة خصوصاً لتهذيب الناشئة لم ترض مدَّة زمن طويل ان تتولَّى تدبير المدارس الداخليَّة ولم تعدل عن هذه الخطَّة الَّا لمَّا تحقَّقت ان لا مناص لها من فتحها وادارتها لخير الاحداث رغماً عمَّا يوجب ذلك من المشاقّ والتفاني اليومي في تربية الداخليين. ففعلت ذلك اوَّلاً على سبيل الشذوذ في بعض البلاد واذ رأت ما ينجم عن انشائها من النتائج الحسنة وفرت عددها وكانت مع ذلك محافظةً على مدارسها الخارجيَّة عموماً بحيث يمكن اهل الولد ان يصطفوا اي مدرسة شاؤوا حسب اختيارهم. وبقي الامر كذلك الى يومنا مع زيادة عدد مدارسنا الداخليَّة

لكن اقرارنا بفضل المدارس الخارجيَّة لا يمنعنا من اعتبار صوالح المدارس الداخلية. وامَّا أيها افضل فالجواب على ذلك ليس بالامر اليسير. وما يقال اجمالاً انَّ الظروف هي التي تبيِّن ما هو الاوفق لصلاح الاولاد. وهذه الظروف تختلف اي اختلاف حسب الامكنة والازمنة واطوار عمر الولد وطباعهِ واحوال اهلهِ من تساهل مهُ او شدَّة. من فراغ او كثرة اشغال وعلمٍ جزًا. فكل ذلك لا بدَّ من مراعاتهِ لتفضيل احدى المدرستين الداخلية او الخارجية لتثقيف الاولاد وتهذيبهم. فكم رأينا بالاختبار اولاداً عجز الاهل عن ضبطهم وكبح جماحهم في بيتهم اضحوا في المدرسة الداخلية بعد زمن قليل قدوةً لرصفائهم لِمَنْ الطباع محبي النظام يرون في المدرسة الداخلية نعمةً عظيمة لتثقيفهم وترويض اخلاقهم بل لتقوية اجسادهم وتعزيز صحَّتهم. وعهدنا غيرهم الذين على خلاف ذلك بعد يأس معلميهم منهم بين الداخليين وجدوا في المدارس الخارجية وسائل عديدة لتنمية نشاطهم وحسن سلوكهم بقرب والديهم العزيزين الراقبين لحركاتهم وسكناتهم الحريصين على حفظ آدابهم ونجاحهم في الدروس

هذا ما نستطيع ان نقوله بالاجمال. امّا اذا طلب منّا السائل ان نجيبهُ جواباً اقنع ونتبيّن ما في شكاوى جريدة الراقايل من الصحّة في حقّ المدارس الداخلية فنقول انّ مسئلة تهذيب الاولاد في المدارس الخارجيّة او الداخلية يمكن اعتبارها على وجهين وجه نظري ووجه عمليّ

فمن حيث (الوجه النظريّ) نجيب انّ التهذيب في المدارس الخارجيّة افضل والبرهان على ذلك قريب وهو كون التهذيب يعود قبل كل شيء الى همّة الوالدين لأن الله وكّلَ اليهما قبل غيرهما تربية الولد نفساً وجسماً وكلاهما يحاسَب يوم الدين عن صنيعهِ من هذا القبيل فان اختارا غيرهما لهذا المشروع الهامّ فما ذلك الّا لقصورهما عنهُ . ومن ثمّ اذا تيسّر لهما الامر يحسن بهما ان يواصلا عنايتهما بالولد فيشملاهُ بنظرهما في جوارهما ويؤازراهُ بنصائحهما ويؤيداهُ بمثلهما ووداهما فيدفعهُ البرّ بوالديهِ الى مضاعفة مساعيهِ للدرس وتحصيل العلوم

. امّا من حيث (الوجه العمليّ) فالرأي الغالب هو على عكس ذلك فانّ تهذيب الولد ولا سيما الولد المترعرع السنّ المقتبل الشباب لا يتمّ الّا على شروط عديدة يندر حصولها في معظم بيوت الاهلين وعلى الاخصّ في بيوت اهل بلادنا وذلك امّا لتفرّغ الاهل الى اشغالهم وامّا لصعوبة وجود الوسائل الموافقة للدرس بين ضوضاء الاخوة والاخوات والزائرين والزائرات والخدم ولعدم نظام ساعات الشغل والراحة والاكل والنوم في كل يوم فضلاً عن حاجة الولد الى ترويض جسمهِ بالالعاب التي قلّما توافقها الدار الوالديّة

فهذه الاعتبارات وغيرها ايضاً تستدعي الاهل الى تفضيل المدارس الداخلية اللهمّ اذا كانت منظّمة تستوفي كل شروط حسن التربية يهتمّ اصحابها الاهتمام الجدّ بتلامذتهم فيهذّبون عقولهم بالدرس والتدريس ويشدّدون عزائمهم في جهاد الحياة بتثقيف اخلاقهم ويُعنَون بتقوية اجسامهم بالرياضات البدنيّة وكل ذلك على نظام يوافق طبائع الاحداث حتى اذا تمّت تربيتهم يحقّ فيهم تحديد القدماء للرجل الكامل حيث عرّفوهُ بقولهم « نفس سالمة في جسد سالم »

واوّل ما ينالهُ الولد الداخلي بفضل المدرسة الداخلية سهولة انقطاعهِ الى تحصيل المعارف. معلوم انّ الدرس العقلي ليس هو كبقيّة الاشغال العملية والصنائع والحِرَف

التي يقتضيها بعض الحذق والبراعة دون إجهاد الفكر . فانهُ على خلاف ذلك يستدعي استفراغ قوى العقل والاعتزال عن كل شاغل يلهيه ليتفرَّد للابحاث النظرية بتخصيص الذاكرة والارادة والذهن لاحراز غوامضها وفكِّ مشاكلها وهذا مما ينالهُ الدارس خصوصاً في المدارس الداخلية حيث يكون تحت نظر اساتذته ومراقبيه في معاهد خاصة يخيم فوقها السكوت والهدوء التامّ بقرب رفقة يتفرَّغون مثلهُ للحفظ والكتابة فيجري معهم جري خيل الرهان في حلبة السباق مع علمه بما سينالهُ من الجزاء على حسن عمله والعقاب على كسله

وليست هذه العزلة كما يزعم البعض حبساً او ضغطاً على العقول وانما هي خلوة اختيارية تساعد الولد على ابراز قواهُ العقلية فتنبض تلك القوى من سباتها وتتعزز بالفكرة وتنشط بالعمل فتصبح على شبه البئر التي تتوفَّر مياهها على قدر ما يستنبطها الساقي واذا رأى الولد نتيجة عقلهِ وجد في الامر لذَّةً وسُرَّ به كما تفرح الأمّ بولودها بعد وجع المخاض . ومن ثمَّ تنبعث قواه لمواصلة الدرس دون مشقَّة عظيمة . فهي هي الخلوةُ التي اعدَّت كبار الرجال الى ما باشروهُ من المشروعات العظيمة والاعمال الشريفة . وكم عرفنا من تلامذتنا الذين يذكرون بالشكر تلك ساعات الدروس الهادئة التي قضوها مدَّة شبابهم في ذلك الجهاد العقليّ والظفر الادبيّ بين القراطيس والمحابر

امَّا اذا تُرك الولد لحريَّته ولم تُعنَ عناية معلميهِ كما يجري للتلميذ الخارجي فقلَّما يجهد نفسهُ في بلوغ مآربه واذا لزم الشغل مدَّة طرأت عليه دواعي التلهي فتتضعضع افكارهُ وربَّما عدل عن الدرس الى البطالة دون رقيب يردّ عنهُ اسباب الفراغ والطيش

*

على انَّ الداخليين لا يقضون كل وقتهم في الدرس فانَّ لهم ساعات لترويح نفسهم من تعبهم . وهذه الساعات تفيدهم ايضاً لتهذيبهم فانهم لا يصرفونها فقط في الفراغ والراحة بل يجعلونها قسماً كبيراً من تثقيفهم بما يباشرونهُ من الالعاب والرياضات البدنية اكثر من الخارجيين . فمن وراء هذه الالعاب فوائد جمة ليس فقط للعياذ عن المناقشات والاحاديث الخلاعية او الباطلة التي يعتادها الشبان اذا كثر

عددهم واختلفت انسابهم بل ايضاً لتعزيز قواهم البدنيـة ولتلقينهم قوانين الانتظام والتضافر في الدفاع والهجوم تحت نظـارة رئيس وقوّاد وجنود يُقسَمون كالجيوش الى فريقين يسعى كل منهما طاقة جهده في الفوز والانتصار على الآخر فينشّطون ارادتهم ويشدّدون عزيمتهم

فهذه الالعاب كما ترى ليست لمجرّد اللهو ولتقطيع الوقت وهي بعيدة عن تلك الالعاب غير النظاميّة التي يجريها الاولاد والشبّان في الشوارع والازقّة واكثرها لا يليق بشبيبة تتخرّج بالآداب وتمتـاز بحسن التربية اذ يتنازع اصحابها ويتزاحمون ويتلاكمون ويتجندلون على الحضيض. كلّا فان هذه الالعاب لا يُسمَح بها في المدارس الداخلية المنظّمة. وانّما يختار ارباب لتلامذتهم العاباً تروّض ابدانهم وتمثّل لهم شبهَ الفنون الحربية كالتمرينات العسكريّة في ضروب المشي والركض وكحركات الجوارح والبدن من انتصاب وانحناء وبسط الذراعين ورفعهما وحمل بعض الاثقال وكالالعاب العمومية التي تعمّ فئة التلامذة اجمعين دون استثناء كلعبة الحواجز (les barres) ولعبة العَلَم (jeu du drapeau) ولعبة القلاع (le château-fort) وركوب العجـلات (les chars) واصطياد الاخشاب (les échasses) وضروب العاب الكريّ ككُرَة المجنّ (la balle au bouclier) وكرة المعسكر (la balle au camp) وكرة القَدَم (foot-ball) وما اشبه ذلك من الالعاب الجامعة بين التمرين البدني وحذق اللاعبين ولزوم الانتظام بقيادة امير وطاعة مأمور فيتنافس القوم ويبذلون القوى في نصرة فئتهم وكسرة الفئة المعادية فيخرجون من هذه الالعاب والعرق يتصبّب من جباههم وقد اراحوا عقولهم وشـدّدوا ابدانهم واعتادوا سياسة رفقتهم وتدبير بني جنسهم في سباق الحياة

. قيـل ان الجنرال الانكليزي والنغتون (Wellington) الذي ظفر من نابوليون الكبير في موقعة واترلو زار يوماً المدرسية التي تخرّج فيها فلحظ هناك ساحة كان يلعب فيها مع رفقته بكرة الاقدام فصرخ قائلاً : في هـذا اللعب تعلّمت كيف انتصر من الامبراطور نابوليون

وممّا اخبر الاب دولاك (P. du Lac) اليسوعي الشهير في كتـابه الذي عنوانهُ « فرنسة » حيث فصّل اخبار المدارس التي تولّى تدبيرها بصفة رئيس انّ

تلامذة فئة الكبار من مدرسة ڤان (Vannes) كانوا في وقت الزمهرير يسيرون على الاخشاب فوق الجليد من المدرسة الى البستان والمسافة لا تقلّ عن ثمانية كيلومترات فجعل يوماً جزاء لمن يثبت على خشبتيهِ ولا يسقط منهما البتّة فساروا التلامذة جميعاً وبلغوا كلهم الى الغاية لكنّ واحداً فقط منهم ثبت ولم يتزل البتّة عن ساقيه الخشبيّتين فكان ثباتهُ دليلاً على ما سيصير اليهِ يوماً فانهُ انتظم في سلك الجنود الدافعين عن الكرسيّ الرسولي وابلى البلاء الجميل في كَنتِلفيندردو ثمّ في جملة الزوّاوة المتطوّعين في حرب فرنسة وبروسية فاذهل الجميع اصحاباً واجانب بشهامتهِ فلم ينثنِ متقهقرًا حتى أُثخن بالجراح (١

وذكر ايضاً تلميذًا آخر اسمهُ جاك دي بولياي (Jacques de Bouillé) امتاز في المدرسة بحذقهِ في الالعاب حتى انهُ يوماً ركب الاخشاب وجعل احد عشر من رفقتهِ يجدّون في اسقاطهِ عنها فبقي ثلاث ساعات وربع يصارعهم فغلبهم كلّهم ولم ينالوا منهُ . فهذا التلميذ النشيط لمسك في موقعة باتاي (Patay) راية قلب يسوع وتقدّم فرقتهُ التي شهد الالمان لصادق بأسها فقالوا : « لو وُجد عشر فرق كهؤلاء الصناديد لما وطئت رجلنا ارض فرنسة » . وكان جاك اثبت الكلّ جناناً فخاض غمرات القتال بجرأة الاسد ومات رافعاً رايتهُ ولم يدع العدوّ يمسّها

والراوي الذي اخبر بهذه الامور انتقل بعدئذٍ الى انكلترّة لمّا أُقفلت مدارس اليسوعيين في فرنسة فصار رئيساً على مدرسة كنتربري فكان يقول للتلاميذ اذ يعاينون الانكليز في العابهم : « اني قد تحقّقت انّ هذه الالعاب المنظّمة والتمرينات البدنية هي التي تجعل الانكليزيّ مفتول الخلق شديد البنية صبورًا على الآفات . ولهذا نحن اليسوعيين وارباب المدارس الكاثوليكيّة نفرض على تلامذتنا ممارستها لعلمنا بانّها تتمّة التهذيب الصحيح »

وقد علم الفرنسويّون ذلك فارادوا ان يفرضوا على تلامذة مدارس الحكومة هذه الالعاب لكنّهم أيسوا من تمشيتها بينهم فأقرّوا بعجزهم . وقد صرّح بذلك منذ سنة ١٨٨٩ رئيس مكتب ألبي (Lycée d'Albi) في كتابهِ المعنون "L'Education

١) راجع المشرق في السنة ١٩٠٦ (٩ : ٢٨-٣٦) مقالة للاب اميل رينو اليسوعي عنوانها « الالعاب الرياضيّة في المدارس المسيحية » وهناك خطاب للحبر الاعظم في هذا الصدد

Physique» انَّ اولاد مدارسنا لا يعرفون ولا يريدون ان يامبوا وهذا داء قد عمَّ مدارسنا حتى اعيا كلَّ رؤسائها فلا يرون لهُ دواء »

وما قولنا الآن عن ترويض اخلاق الداخليين في صحبة أترابهم المختلفين بالطباع والاذواق والعادات والبلاد فيلزمهم الاحتكاك بهم ومراعاتهم والصبر على نقائصهم فيستعدُّون بذلك للعيشة الاجتماعيَّة التي يرونها في المدرسة باختصار

فترى انَّ المدارس الداخلية اذا تولَّى تدبيرها اصحاب الخبرة لا تولي ضرراً للنشأة المتخرّجة فيها اذا عرفوا الطريقة المثلى لتهذيب عقولهم بالدرس وابدانهم بالالعاب

*

لكنَّ لرؤساء المدارس الداخليَّة الكاثوليكيَّة وسائط اخرى اعظم من هذه تحوّل مدارسهم الى معاهد اهليَّة يأنس اليها التلامذة فوق انسهم ببيوت اهلهم نريد بها مساكنتهم للرهبان والكهنة وعيشتهم بجوارهم ليلاً ونهاراً. فان كان هؤلاء الكهنة رجالَ الله يسيرون على موجب نواميس دعوتهم فلا شكَّ انَّ عَرْف فضائلهم يعطِّر جيرتهم وامثالهم الصالحة تحيك في صدور تلامذتهم حتى تؤثر فيهم ولو دون علمهم فيجعلون يقتفون بآثارهم ويمارسون الفضيلة كاساتذتهم لا سيما اذا كانوا رهباناً مجرَّدين عن كل جاه العالم منقطعين الى خدمة الله وخير النفوس

وزِدْ عليهِ انَّ الولد يعلم بقربهم انَّ له بين رؤسائهِ ومعلّميهِ اصدقاء مخلصين لا يريدون الَّا خيرهُ فيكشف لهم خفايا قلبهِ ليسندوهُ ويرشدوهُ ويبعثوا همَّتهُ. وان سقط في بعض الذنوب يجد بجوارهم آباء روحيين يضمّدون جراحاته ويشفون ادواءهُ وينهضونهُ من سقطاتهِ فيعود الى الجهاد بقلب اثبت وعزم اشدّ

ومن حسنات تربية المدارس الداخلية التي نحن في صددها أنَّ الشاب لا يصبح لعبةً لاهواء قلبهِ ولا فريسةً للشكّ في دينهِ وتلك الطامَّة العظمى التي تهلك كثيرين من الشبان فتلقيهم في تيَّار الكفر. فانَّ الناشئ اذا ترعرع وراقت عقلهُ بعض المشاكل التي يصعب عليهِ حلُّها يجد في معلّميهِ المتضلّعين من العلوم الدينيَّة والدنيويَّة جواباً شافياً على اعتراضاتهِ وان وقفوا على احدٍ بين رفقتهِ اضحى لهُ حجر عثرةٍ بكلامهِ او اعمالهِ استدركوا الامر وطردوا من القطيع النعجة الجرباء. لا محالة هذه بعض ملحوظات اختصرناها على صفحات مجلّة المشرق ينتج عنها انَّ من

رشق مدارس الداخلية عموماً بسهام الملامة رمى الكلام على عواهنه وكان الاحرى به ان يلزم طريق الانصاف بالتمييز والسلام

ربة بني عمّون

بحث تاريخي اثري بقلم حضرة الخوري بولس سلمان (لاحق بسابق ص ٢١٢)

كنّا انتهينا في مقالتنا الاولى عن عمّان الى الآثار القديمة الباقية حتى يومنا من عظمتها السابقة فذكرنا بقايا معاهدها المدنيّة. فبقي علينا ان نشير الى بعض آثارها النصرانيّة والعربيّة مع وصف نقودها القديمة

فمن ذلك ما وجدناهُ بالقرب من نهر عمّان ألا وهي كنيسة كبيرة قائمة الحنايا على الشكل البوزنطي طولها تسع واربعون متراً وعرضها ثمانٍ وثلاثون متراً. وقد كسر الشركس ما وجدوا على جدرانها من الصلبان الحجرية وبالقرب منها فرن كان القدماء يشوون فيه تماثيل آلهتهم الخزفيّة

ومن آثار العرب في عمّان قلعة ابتنوها في مكان الحصن الروماني القديم العهد ومن موادّه. وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٧٢٠) جامعها فقال: « انهُ جامع ظريف في طرف سوقها مُقَنْقَس الصحن شبه مكّة » والمرجح انهُ كنيسة قديمة. وذكر لعمّان ايضاً «قصر جالوت فوق جبل يطلّ عليها وقبر اوريّا النبيّ وعليه مسجد» ثمّ وصفها برخصة الاسعار وكثرة الفواكه وكثرة المياه والارحية وصعوبة الطرق اليها. ونسب الجهل الى اهلها

ومن آثار الاعصر القديمة في شمالي المرسح حجارة كالانصاب (dolmens) وعثرنا على هياكل كانوا يذبحون عليها الذبائح الوثنيّة ولهم هناك المشارف المقدسة حيث كان الكهنة يجتمعون ويقيمون الطقوس الوثنيّة والى الآن ترى الآبار بالقرب من هياكل الاصنام فتسيل اليها دماء الثيران والعجول

وقد وجدنا نقوداً قديمة من عهد الاسكندر الكبير منها يونانيّة للاسكندر وخلفائه ومنها لاتينيّة لملوك الرومان والبعض منها لليهود كنقود هيرودس وغيرها

للنبطيين والعرب. وعثرنا على سكاكين من صوّان وفؤوس حديدية وحراب وسهام وكؤوس ومصابيح خزفيّة وقناني زجاجيّة كُتبت عليها حروف يونانيّة. وجرار كبيرة كان الاقدمون يضعون فيها رفات الميّت بعد احراقه. وقد رأينا موازين حجرية كانوا يستخدمونها في التجارة والمبايعات — وعاينّا عند رجل تماثيل آلهة صغيرة عمّونية لم يرسم عليها حروف ولا تُرى عليها كتابة

ونكتفي بما سطرناه عن آثار الربّة قبل ان تنزل بها ايدي الخراب فتمحي رسمها من التاريخ لأنّا رأينا من افعال الشركس ما يجرح الفؤاد اذ يهدمون الابنية القديمة فيستخرجون حجارتها ويستخدمونها لبيوتهم. ولعلّ الدولة العليّة لم تطّلع على اعمالهم الذميمة لأنّها لو علمت بها لما سهت عن معاقبة من يهدم هذه الآثار القديمة وما وعاهُ لنا الدهر من بقايا الازمنة الغابرة

وبعد ان سطرنا تاريخ الربّة رأينا ان نبحث قليلًا عن النقود المختصّة بتلك المدينة ممّا عثر عليه العلماء في عصرنا الحاضر فيها يتضح جليًّا ما نالت تلك الربوع من رفيع المنزلة وكبير الاهمية في الاعصر الماضية. ولا يغيب عن نظر الناقدين وارباب العلم ما يُلفيه الباحث من المصاعب الوافرة في قراءة تلك الآثار الغابرة. على انهُ لا يخشى العثور اذ استضاء بمصباح اهل العلم الذين احرزوا وزنًا كبيرًا من المعارف في ذاك الفن ونخصُّ بجميل الذكر منهم العالم دي سوسي (de Saulcy) الذي بحث بحثًا مدقّقًا عن نقود فيلاذلفيا وهي ربّة عمّون التي عُرفت بهذا الاسم في عهد السلوقيين. وقد قسم مسكوكات فيلاذلفيا الى قسمين منها ما ضربهُ الاهلون وهم مستقلّون بانفسهم ومنها ما اصطنعهُ الملوك الرومانيون الذين تملّكوا عليها

١ النقود المختصّة بالاهلين فقط

اذا اعمل المرء النظر في بعض نقود عمّان وقلّب فيها الطرف وبحث عن تصاويرها وحروفها وأعطافها ومطاويها تجلّت لهُ تلك الكلمة اليونانيّة (ΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩΝ) اي « للفيلاذلفيين » وعلم اذ ذاك ان قد حُذفت منها كلمة تأويلها نقود الفيلاذلفيين لان صيغة الكلمة اليونانيّة هي صيغة المضاف اليه. واذا تقصّى في التفتيش وامعن في التنقيب ألفى صورة ميرفا إلاهة الحكمة عند اليونانيين

وربة الفنون البديعة وعلى رأسها بيضة حربيَّة ثمَّ يعاين في الوجه الثاني غصن دالية ممتدَّة وعليها عنقود عنب وكثيراً ما وقفوا عليها هذه الاحرف (ZIP) اي ست مئة وسبع عشرة (١ او (ΠΡ) اي سنة ١٨٠ . وقد اشرنا الى عناقيد العنب المرسومة على جدران قلعة عمان فقد نُقشت ايضاً على مسكوكاتهم

وربَّما وُجد على غيرها رأس متوَّج وعلى جانبه حروف محاها الدهر فلا يعرف لها اصل وفي صفحتها الثانية كتبت تلك الكلمة (ΑΑΔΕΛΦΕΩΝ) وقد طُمس اوَّلها (ΦΙ) لما مرَّ عليها من طوارق الايام . ولقد رسموا في وسطها صورة هرمس (EPMHC) عرياناً مائلاً نحو الشمال وعلى كتفه قضيب طويل تتلاعب عليه حيَّتان محتبكتان وراس الواحدة يقابل راس الاخرى والاله هرمس او مركور نجو عطارد الاه الفنون ورب التجارة والخطابة ورسول الآلهة وقائد النفوس الى الجحيم . وفي غيرها نرى هامة امراة تميل الى الشمال وعلى راسها بيضة تشبه القبعة الفريجيَّة وقد كُتب حولها للفيلاذلفيين . وفي جهتها الاخرى نجد خمس سنابل وعليها كُتبت تلك الاحرف اليونانيَّة (ΓΜΡ) اي سنة ١٤٣

ومن اجل ما نشاهد هناك مسكوكة صوَّروا عليها ساريس (Cérès) إلاهة الزراعة وفي يدها اليمنى شماليل من السنابل وعليها تلك الكلمات المختصرة (ΦΙΑΑ·ΚΟΙ-CYP) (Φιλαδέλφεια τῆς Κοιλῆς Συρίας) اي فيلاذلفيا سوريَّة البقاعيَّة وامَّا تاريخ سنتها فهو ٢٢٧ (ZKC) وقد نُقش عليها سلَّة ملأى من السنابل والخشخاش وقد تنطبق تلك الرسومات على معتقدات الوثنيين في سيرهم الخرافيَّة . قال اوفيدوس : « كانت ساريس تحمل دائماً في يدها مصباحاً تفتش على ابنتها بروزرْبينا التي خطفها بلوتون الاه الجحيم ولم تكن تستطيع الرقاد لما الم بها من الاحزان والآلام فارسل اليها جوبتير خشخاشاً ينوّمها فصوّرت قابضة على الخشخاش » . وعلى غيرها من المسكوكات نشاهد الإلهة نفسها وعلى صدرها سنبلتان تحيط بها

---

١) ان الحروف اليونانيَّة كالحروف العربية تدل على اعداد فان Z كالزاي العربيَّة تدل على ٧ — و I كالياء تدل على ١٠ — و P كالراء تدل على ١٠٠ و Π كالفاء تدل على ٨٠ و Λ تدل كاللام على ٣٠ — و Γ تدل على ٣ — و M تدل على ٤٠ وهي كالحروف الابجدية لحساب الجمَّل

حلقة صغيرة ولقد رُسم فيها من الجانب الثاني سلّة من القصب وفيها حيّة بين سنبلتين وقد وصفها العالم سستيني (Sestini) وصفاً دقيقاً

بيد ان العلماء قد اتفقوا انّ عهد فيلاذلفيا المسطّر على النقود هو تاريخ بومبايوس ومبدأهُ السنة الرابعة والستين قبل المسيح. ومن ذلك يُستنتج ان سنة ١١٧ (ZIP) تقابل من عهد بومبايوس سنة ٥٣ بعد المسيح وسنة ١٨٠ (ΠΡ) تقابل سنة ١١٦ ب م وسنة (ΓΜΡ) اي ١٤٣ تقابل سنة ٧٩ وسنة ٢٢٧ (ZKC) تقابل سنة ١٦٣

٢ النقود الملكية

وقد عثر ارباب الاكتشافات على عدد وافر من المسكوكات الملكية المختصّة بمدينة فيلاذلفيا. فاوّلها بحسب التاريخ مسكوكة على اسم الملكة اغريبيني وهي امرأة كلوديوس التي قتلها ابنها نيرون العاتي سنة ٥٩ ووالدتها تدعى اغريبينا الكبيرة ماتت في النفي سنة ٣٣ فقد سُطّر عليها ΑΓΡΙΠΠΙΝΗ ΣΕΒΑΣΤΗ اي الامبراطورة اغريبينا وقد نُقش عليها قرن خصب وقد قرأ عليها العالم ميوني (Mionnet) تلك الكلمة ΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩΝ وقد تفرّقت اراء العلماء في نسبتها فمنهم من نسبها الى فيلاذلفيا ليدية ومنهم من اختصها بفيلاذلفيا عمّان وهو الراي الارجح

على ان طيطوس الملك قد ابقى لهُ ذكرًا على نقود فيلاذلفيا فانّا نعاينهُ على بعض النقود مكلّلًا بالغار تحيط به هذه الكلمات ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ ΤΙΤΟΣ اي السلطان طيطوس و ΦΙΛΑΔΕΛΦΕΩΝ للفيلاذلفيين. وقد اختصها العالمان ڤاليان (Vaillant) وميوني (Mionnet) بمدينة السوفيين

والملك المذكور نقود كثيرة غيرها فمنها ما سُطّر عليها ΤΙΤΟΣ ΚΑΙΣΑΡ اي طيطوس قيصر ومنها ما رُسم مع اخيه دومطيانوس حين اشتركا في الملك سنة ٧٩ ب م وعلى غيرها نقش رأس دومطيانوس مكلّلًا بالغار دون اخيه. ومن الجهة الاخرى تعاين امرأة ورأسها مغطّى وشعرها مجعّد مرتفع وقد نُصب من ورائها سعف نخل

ومما يوقف الابصار حسناً ولا يمحى في النفس شكًّا نقدٌ واضح على اسم الملكة درمطيا فهناك نتعهد بابصارنا تلك الملكة بعيونها المتّقدة وشعرها المجعّد تحيط بها

تلك الكلمات DOMITIA AYΓOYCTA· ΦIA· KOI· CYP· اي السلطانة دومطيا · نقد مدينة فيلاذلفيا البقاعيّة

وكذلك الملك ادريانوس قد ضرب له نقوداً عديدة تختص بفيلاذلفيا فعلى بعضها نقش الناقشون هذه الكلمات AYTOKPATΩP AΔPIANOC CEBACTOC-TYXH ΦIAΔΔEΛΦEΩN· اي السلطان ادريانوس التقي المكرم سعادة الفيلاذلفيين · ولم يعثر ارباب العلم على استنباط معنى للكلمات الاخيرة فظنّ بعضهم ان الملك ادريانوس قد اسعد الفيلاذلفيين بما انشأ بمدينتهم من البنايات الرفيعة

وطالما مثلوا الاله هرقلس مكلّلاً بورق الغار بصورة شاب لم ينبت في وجهه شعر وحول رقبته جلد اسد · وقد رسموا المشتروت على نقد من نقود انطونينوس وهي واقفة وقفة المتأمل وفي يدها قرن الخصب · وكثيراً ما صوّروا رأس ايزيس (Jsis) وراس باخوس وراءه نمر

ولقد اشتهر مرقس اوريليوس بما ابقاه من مسكوكات فيلاذلفيا فرسم على واحدة منها صورة هرقلس وحول رقبته جلد اسد ونقش ايضاً صورته وعلى راسه اكليل من غار تزينه تلك الكتابة :

AYT· KAIC-M· AYP· ANTΩNINOC

ومراراً عديدة نعاين على النقد اربعة اعمدة مرتفعة والملك محمول على مركبة يجرها حصانان او نرى عربة كبيرة تجرها اربعة احصنة — ويخبرنا التاريخ ان مرقس اوريليوس قد اشترك بالسلطان مع لوقيوس ڤيروس (Lucius Verus.) ولذلك قد اقاما لهما نقوداً على اسميهما ورسما عليها كانهما يتصافحان

ومن الملوك ايضاً الذين ابقوا لهم اثراً على النقود وسطروا رسم فيلاذلفيا كوموذس (KOMMOΔOC) وكركلا واليوغابل — فعلى بعضها تشاهد صورة امرأة على راسها اكليل كأنهُ برج مرتفع يميل الى اليمين وكثيراً ما رأينا تلك المرأة متوّجة باكليل من السنابل · ولقد اختصت تلك النقود جميعها بانها تذكر اسم فيلاذلفيا :

ΦIΛΔΔEΛΦEΩN KOI·CYP·

هذا ما عثرنا عليهِ من المسكوكات كما دونها العالم دي سوسي في كتابه المسكوكات المختصّة بفيلاذلفيا

جواهر النظام في معرفة الانغام

توطئة

من جملة المخطوطات التي توفقنا الى الحصول عليها في رحلتنا الى الهند سنة ١٨٩٥ كتاب صغير طولهُ ١٧ سنتمترًا في عرض ١٣ س لا تزيد اوراقهُ على عشر صفائح غلافهُ مقوًى منسجي اللون. يتضمَّن نصفهُ الاوَّل ارجوزةً في الانغام عنوانُها « جواهر النظام في معرفة الانغام » في مئة بيت تاريخ كتابتها سنة ٨٧٧ للهجرة (١٤٧٢ م) وهي مكتوبة بخطّ عاديّ حسن وبحبر اسود في المتن واحمر في العناوين والنقوش . امَّا مؤلف هذه الارجوزة فلا نعرف من اسمهِ واحوالهِ سوى ما ورد عنهما في صدر الكتاب وختام الارجوزة فهو « الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمَّد بن علي بن ابي الحسن علي الخطيب الاربليّ » وقد بحثنا عنهُ وعن ارجوزتهِ كثيرًا في ما لدينا من التآليف فلم نجد لهُ ذكرًا فيها ولا في قوائم مخطوطات اوربَّا ومصر والاستانة. ويظهر من اسم الناظم انَّهُ كان من اربل من جهات العراق . وقد افادنا في خاتمة ارجوزتهِ انَّهُ صنَّفها « باقلَّ من يوم » وذلك في « رنداد » وهي بلدة صغيرة من العجم لا ذكر لها في كتب وصف البلدان . امَّا سنة التأليف فقد صرَّح بها المؤلف وهي سنة ٧٢٩ (١٣٢٩ م)

وكانت الموسيقى في ذاك الوقت قد اصبحت عجميَّةَ الاصول وهي التي يجري عليها ارباب الغناء زماننا مع بعض اختلافات عرضيَّة . ومن اراد الوقوف على اصولها وفروعها وتفاصيلها فليراجعهُ « الرسالة الشهابيَّة في الصناعة الموسيقيَّة » للدكتور ميخائيل مشاقة التي نشرها حضرة الاب لويس ترقال في المشرق وطبعها على حدة مع مدَّة ملحوظات وتفاسير ثمَّ كرَّر طبعها في هذا العام ونقلها الى الافرنسيَّة وطبعها في المجلد السادس من منشورات مكتبنا الشرقيّ (راجع الصفحة ٧١١) مع اشكال متعدّدة وحواشٍ غايتها خصوصًا افادة الاوربيين

(١) جواهر النظام في معرفة الانغام

تأليف الشيخ الامـام الاستاذ شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن المرحوم الشيخ الصالح الورع عليّ ابن ابي الحسن علي الخطيب الإربليّ رحمهُ الله وآلهُ ورحم اموات المسلمين

(1r) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله على إنعامهِ حمدًا يكافي الفضلَ في اقسامهِ
ثمَّ الصلاةُ والسلام التالي على النبيِّ احمدٍ والآلِ
والصَّحْبِ والتابع بالإحسان الى انقضاء عُمْرِ الزمانِ
وبعدُ يا اخي هداكَ اللهُ الى طريقِ رَشَدٍ يرضاهُ
فهاكَ ما نجمعُها مختصرا من رَجَزٍ على المهمّ اقتصرا
فانَّ جُلَّ الوقت مصروفٌ الى ما ألهمَ الله تعالى وعلا
ممَّا يراهُ ذو النُّهى والعقلِ فرضًا يعينهُ (١ وقوفُ النقلِ
ما لا يليقُ باللبيب يَعْرِضُ عنهُ الى شيءٍ سواهُ يُعْرَضُ
لكنَّ حقَّ القصدِ والإخاء على فروضِ اوَّل السخاء
أوجبَ ان ابني بهذا النظمِ ما رُمْتُهُ من ضبطِ هذا العلمِ
اجابةً لِما التمستَ فأتبعْ هداهُ فهو غنيةٌ للمستمعْ

معرفة اصول الانغام

واعلم بانَّ الزَّنْتَ اصلُ الكلِّ عنهُ تفرَّعتْ بحكم العقلِ
وانَّهُ اوَّلُ ما تفرَّعا عنهُ ثلاثةٌ فصارت اربعا
(2r)الزَّنْتُ والعراقُ ثانٍ تابعُ وزروكِندُ (٢ وأصبهانُ الرابعُ

المناسبة بين الاصول والاركان والاخلاط

ونزولهنَّ على الاركانِ (٣ وعدَّةُ الاخلاطِ في الانسانِ
فشبَّهوا الاوَّل في الآثارِ بالمرَّةِ الصفرا وركنِ النارِ
وثانيًا بالدمِ والهواء وثالثًا ببلغمٍ والماء

١) في الاصل: سيه (كذا) ٢) ويروى: زرفكند ٣) هو مختلّ الوزن

واختمْ بالسودا وركنِ الارضِ عن ذي الطباعِ فعلُها بالفرضِ
فأثرُ الرستِ اذاً في النفسِ كطبعهِ حرارةٌ مع يَبَسِ
ومن هنا أثر بعضُها فقطْ فانقبض البعضُ بهِ او انبسطْ

بيان اجر الانغام والاصول الاربعة

ثمَّ لهنَّ اجرٌ فالاوّلُ ذو خمسةٍ معروفةٍ تستعملُ
وهي من اليكا الى ان تختمْ بالنجكا والاصبهانِ قد عُلِمْ
كرداينياً نُهفتُ ثم الباقي كلٌّ لهُ بجرانِ باتفاقِ
ولم يسمّيا وبعضٌ حقّقا للاصبهانِ آخرَين مطلقا

ذكر الاجر الثمانية المفرّعة عن الاصول الاربعة

ثمَّ لكلِّ نغمةٍ فرعانِ ففرّعت عن اربعٍ ثاني
(2) عن اوّلٍ فالزنكلا عُشّاقُ للبوسليك والمأى العراقُ
ثمَّ لثالثٍ بُزُرْكُ رَاهوي عن اربعٍ نوى حسيني قد رُوِي
فصارت الانغامُ اثني عشرا واضطربوا في الوضع والله (1 أدرى

ذكر كيفيّة ترتيب الانغام الاثني عشر

إنْ يوضعِ الاصلُ وفرعاهُ معهْ او الاصول تحت المفرّعهْ
مثنى كذا او الاصول الاربعه وزنكلا وبوسليكُ تبعهْ
بُزُرْكُ مع نوىً وعشاق مأى والرّاهوي او الحسيني قد نأى
بمثلِ ذا تحفّظ فيها النسبُ في حكمِ طبعها واذ تُرتّبُ
على البروج ونجومها فضعْ رابعهنَّ ثانياً ثمَّ التبعْ
ثمَّ ببدءِ كل فرعينِ على ترتيبها الآنَ وبالباقي ولا
حتى يكون قوسها والمستري (2) لنغمة العشّاقِ عند النظرِ

ذكر الاوآزات (2 الستّة

وفرّعوا من كل شدّينِ نغمْ سمّوهُ أوآزاً فبعضٌ قد رسمْ
للرستِ والعراق نيروزٌ ولمْ يُنقَلْ لهُ خلفٌ بذا المأى حكمْ

1) كذا بتسكين آخر الاسم الكريم 2) الاوآزه لفظة فارسيّة بمعنى اللحن

والآخران لهما الشهنازُ للبوسليك والنوى الحجازُ
وخذ لفرع زروكندَ سلمكا للزركشي مأى وزنكلا أتركا
(٣ز) والحسيني وعشاقٍ نُقِلْ كوشتُ والبعضُ مخالفٌ فقُلْ
عنهُ لزروكندَ اصبهاني كوشت والشهنازُ في البيانِ
لماءةٍ وبوسليكٍ جُعلا حجازُ للعشاقِ معهُ زنكلا
وسلتكُ على الحسيني والنوى والذوقُ يدري مَن عن الحقّ التوى

ذكر الشواذّ الثلاثة المفرّعة عن الاوزان الستّة

وفرّعوا عن هذه الاوزانِ ما سُمّيَ الشاذ ثلاث شاذاتْ
عن كلّ اوزانٍ فرعٌ ثالثُ منهنّ عزّال وذاك حادثُ
عن نغمتي شهناز والنيروزِ لِسلتكَ والزركشي العزيزِ
فرعٌ زواليٌ واما العُكبري فعن حجازٍ وكوشت فانظرِ (١

ترتيب الانغام الاثني عشر كما ذكرهُ الاستاذ صفيّ الدين عبد المؤمن

وبعضُ من دقائق النغمِ حوى رتّبها العشاقُ بعدهُ النوى
والبوسليك الرستُ والعراقُ والاصبهانُ ولهُ اللحاقُ
بُزُروكندُ وبُزُرُكُ وزنكلا وراهوي والحسينيُّ تلا
ونجملُ اختتامها الحجازي ونقل المأى الى الاوازي
وبدل الكردانيا بالزركش ولم يُبَنْ كيف عن الاصل انثني

(٣ز) ذكر الانغام الزوائد

وما الى مما عدا المذكورِ فخارجٌ عن عدّها المشهورِ
كستمار رَمَلٍ والنَّبَرِيْ كذا الخوارزميّ والمحيّرِ
وانّ للعقل مجالَ التكثيرْ وانْ يركّبها بكلّ تقديرْ
وكلّما انتهى الى بعض العدَدْ (٢ زاد عليهِ غيرهُ ولا يُحَدْ
لكنّها لم تُسَمَ لا ولا نُقِلْ وما على عدّةِ انغامٍ عُمِلْ
يعزى الى الأعرفِ منها الاشهرِ وان سَمَيت بعضها لم يُنكَرِ

---

١) كذا في الاصل والشطر غير موزون ٢) في الاصل : «الى عدده» وهو مكسور

فانهُ لا حجرَ في التركيبِ والفخر في ذي صنعةٍ وطيبِ
وربَّما يكون فرعٌ سُمعا من نغم الاصل الذ طبعا

وصية الاستاذ المصنّف

فلتكُ ذا عنايةٍ في العملِ بلذّةِ السامعِ بالمجلِ
وحُسنِ الإمتزاجِ في الشدودِ واحذر من التنفيرِ والتبعيدِ
وان رأيت طرباً فاعمد الى زيادة الوجد عليهِ وانقلا
الى أوازه لتُلذَّ ثمَّا الى سوادهِ وكلّا ممَّا
يلذُّ اولًا الى الحدارِ وغير ذا موجبُ الإنحدارِ
(4') وربَّما مات بهِ ذو وَجدِ ان كان الانتقالُ نحو الضدّ

بيان تأثير الانغام في الامزجة من الاخلاق

فانْ عشّاقاً وبرسليكا ثمَّ نوى تفيدنا تليكا
الى شجاعةٍ وبسطِ قوّه وتبعثُ الشخصَ على الفتوّه
يليقُ بالتركِ وبالزنوجِ وساكني الجبالِ والعلوجِ
ثمَّ لنيروزٍ واصبهانِ والرستِ والعراقِ في الانسانِ
بشرٌ ولذّةٌ وبسطٌ وانبذَنْ ما قد بقي منها بقبضٍ وحزَنْ
فكان في النَّغل الى الحسيني من العراقِ نفرةُ الضدَّينِ

بيان الضروب السبعة ووجوب مراعاتها

ثمَّ اتقنِ الضربَ وخفّفهُ وهَلْ يصحُّ دون ضبطك الضربَ عملْ
وجملةُ الادوارِ سبعةٌ وقدْ خُصَّ ثقيلُهُ ثلاثةٌ يُعَدْ
باوّل الثقيل ثمَّ ثانيَهْ ثم خفيفهِ فخذ معانيَهْ
والرَّملُ أثنان فمُطلَق وما قُيِّد بالخفيفِ منهُ فاعلما
وهزَجٌ والفاختيُّ السابعُ وقلَّ ما يَبني عليهِ الصانعُ

وصيّة للمُطرب

(4') وينبغي تلطُّف القوّالِ بعلمهِ امزجةَ الرجالِ
وحالهُ القولُ وان يستجمعا لكلّ موضع لطيفٍ قطعا

من اشرف الاشعار ذا صنائع فاعلمْ في الطفر الطبائع
يوردُ كلًّا في المكان اللائق في نغم مناسبٍ موافق
منتخبًا محاسن النظام يوردُهُ في أنسب الانغام
يختار للنسيب والاشواق واللطف مثل نغمة العراق
وللشجاعة وبسط النفس كنغمة العشاق دون لَبْس
للوجد والرقّة والحزن اي كزروكندَ والحسيني ومآي
فانَّ هذا باللبيب انسبُ وهو لدى كلّ الطباع اعجبُ
وتكمل اللذّة فيه واذا خالفهُ فقد يؤثّر الأذى
او يُنقص اللذّة ثم يقتصدْ لكلّ طبعٍ وفقهُ ويعتمدْ
فعل المداوين فللبوسة بضدّها وطوبةٌ محسوسة
كمكسٍ وباردًا يُسخن كضدّهِ فعل الصحيح الذهن
وربّما وافق في العلاج موافق السامع في المزاج
فلا يلُمهم بتطويلٍ ولا يقطعُ دون قصدهم واولا
(٢) يرقب حال الكبراء ثمَّ مَنْ حرّكهُ الوجدُ مع الشنت الحسنْ
والاصل طيب الصوت والديانة فيه وصدق القول والصيانة
فان اتت مع جودة الاعمال فقد أتى بغاية الكمال

خاتمة الرسالة

صاحبها محمّدٌ نجلُ علي ناظمها ابن الخطيب الاربلي
يقول هذي غنيةٌ ان عقلْ وقد نظمتُها بيومٍ او أقلّ
وذاك في رمضانَ للهجرة (كذا) تسعٌ وعشرون وسبع مئة
وعدّة المجموع في نظامي بيتٌ ومائة مع الختام
وكملتْ ارجوزةُ الانغام والحمد لله على الانعام
ثمَّ على خير الورى سلامي ما سرحتْ سائمةُ الأنعام

تمّت الارجوزة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . وصلّى على سيدنا محمّد خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلّم وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل . وكان الفراغ من

القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا نرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانهم بعد تنصرهم تسمّوا باسماء كان اصلها وثنياً مشيراً الى معبوداتهم كهرقليوس وذيونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكنّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انّ الاعلام نصرانيّة بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الاسم الكريم ومنها ما خُصّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيّة ومنها اخيراً ما دلّ على بعض الصفات الرافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممّن ينتمون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمّى بعضهم في الجاهليّة باسم ابي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص٤٤): « قُتل في الجاهليّة وهو الذي وضع النبيّ صلعم دمهُ يوم فتح مكة ». ومنهم آدم مولى بَلْعنبر ذكرهُ ابو تمّام في الحماسة ولعلّهُ آدم بن شدقم العنبري الذي روى لهُ ياقوت شعراً في معجم البلدان (٣٧٣:٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (ed.Freytag ١٧٥:١): قال ابو العلاء : ابراهيم اسم قديم ليس بعربيّ وقد تكلّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإبراهم على حذف الياء وإبْرَهَم » وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيف النبهانيّ ». وممّن تسمّى بابراهيم ابراهيم بن ايوب بن محروف عمّ الشاعر النصرانيّ عديّ بن زيد (التاج ١ : ١٥١). ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ٤٠١–٤٤١) عُرفوا باسم ابراهيم تسمّوا بهِ في الجاهليّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال

لا يرون من طيور الماء الّا ما لا يكاد يتجاوز عدد الاصابع العشر لكنّ بلاد فلسطين واسعة ولا تخلو من طيور عديدة حتى انّ القانونيّ الانكليزي ترسترام (Tristram) احصى منها في السنة ١٨٨٨ نحو ٣٨٤ نوعاً وصفها في كتاب خاصّ. ومنذ ذاك الحين قد زاد هذا العدد زيادةً تُذكر بسعي ارباب البحث الذين لم يدعوا باباً من الابحاث الكتابيّة الّا طرقوهُ وقد أدّى بهم اجتهادهم لمعرفة طيور فلسطين الى ان بلّغوا عددها الى ٤٠٠ ثمّ الى نحو ٥٠٠ دقّقوا في وصفها جميعاً

وان ظنّ احد أنّ في هذا القول مبالغةً اجبنا انّ جهات فلسطين مع اختلاف مناطقها من اودية وربى وجبال اصلح لسكنى الحيوانات عموماً والطيور خصوصاً التي تجد لاوكارها واقواتها الخصاء شديدة الحرارة في وطأ بحر الميت ونهر الاردنّ وسهولاً كثيرة الخصب كسهول شارون وبطائح مرجعيون وانجاداً مرتفعة كجبال مرآب ومياهاً عذبة كبحيرة جنّاسر ومياهاً مالحة كبحر الشام وقفاراً كاريحا وجهات الحولة وامكنة آهلة كالجليل وبلاد بشارة. فكل هذه الاختلافات في المناطق ودرجات الحرارة والخصب والقفار موافقة لنموّ عدد الطير وتلوّن اجناسها بحيث يجوز القول انّ فلسطين جامعة لثلاثة اجناس من الطيور اعني الطيور الاوربيّة الساكنة البلاد الباردة ثمّ الطيور الهنديّة التي تُرى في جنوبيّ آسية وأخيراً الطيور الافريقيّة القاطنة في الحبشة وان كان عدد الاولى اوفر من سواها

ولكن دعنا نحصر بحثنا في بعض اصناف الطيور الفلسطينيّة نريد بها جوارحها وليس الجوارح كلّها بل النهاريّة دون الليليّة وفي ذكرها من الفائدة ما لا يُخفى فنقول

وصف الكواسر عموماً

انّ كواسر الطير بالاجمال تمتاز بالخواصّ الآتية فانّ لها منسراً اي منقاراً شديد الصلابة ينتهي في طرفهِ بسنّ مروّس معقوف الى اسفل وجانبا المنقار محدّدان لتمزيق فريستها. ويدخل المنقار الاسفل نوعاً في الاعلى. ويغطي اعلى منقار الطائر جُليدةٌ صفراء لامعة فيها ثقبان هما منخراهُ يختلف جدًّا وضعهما وهيئتهما على اختلاف انواع الكواسر. ولهُ عينان على جانبي الرأس يمتدّ بصرهما الى مسافات بعيدة على

خلاف الكواسر الليلية التي لا تستطيع ان تنظر الى غير ما هو امامها. وعينا طير الليل ثابتان جدًا يحرسهما حجاج قوسي الشكل ثانٍ. وتكلّ الكواسر بالاجمال صوت ابحّ وحزين وتمتاز هذه الطيور بمخالبها القاطعة. لها ساقان في غاية الصلابة يعلوان قدمين ذات اربع براثن شديدة العضلات ثلاثة منها الى الامام والرابع الى الوراء. وفي طرف البراثن اظافير كالأسنّة مقوّسة يمدّها الطائر او يقبضها على طوع غريزته وهما من ارهب سلاحه فاذا انقضّ على فريسته علقت بها تلك البراثن كالشصّ ومزّقتها وجروح هذه الاظافير لا تشفى الّا نادرًا. واذا انتهى الطائر من افتراس الفريسة ردّ اظافيره الى شبه الغمد في اخمص رجليه

واجنحة هذه الكواسر كدة الزنّ قائمة وهي في الغالب كثيفة تحجب جسمها بتمامه حتى انّها تبلغ في بعض اصنافها اطرافَ الاقدام وتُسرْوِل ساقيها. وللجوارح احجامٌ متباينة فمنها الكبير ومنها الصغير وبعضها لا يزيد حجمهُ على حجم الشحرور والبعض الآخر يكون على حجم الكركيّ. وقد خُصّت هذه الجوارح بقوّة عجيبة للطيران فاذا طارت حلّقت في الجوّ وبسطت اجنحتها الطويلة لا ترهب الانواء وربّما قبضت فريستها لحملتها في الفضاء معها وقد وجدوها حاملةً في براثنها الارانب والخراف حتى الاطفالَ الصغار وربّما نقلتها الى امكنة بعيدة. والكواسر تفوق على جميع الطيور بارتفاعها الى طبقات الجوّ العليا حتى انها تبلغ الى علوّ تسعة كيلومترات كما اثبت السائح اسكندر دي همبولد (Al. de Humboldt) يومَ رقي اعالي جبل شمبورازو من اطواد جبل الأنْد في جنوبيّ اميركا فبلغ الى علوّ ٦٠٠٠ متر فوق سطح البحر وكان الهواء متخلّلًا حتى انّ الدم جعل يسيل من أذنيه وانفه لقلّة ضغط الهواء. واذ كان هناك رأى كاسرًا قد طار فوق رأسه فاذا هو طائر الكُندر الذي لم يزل يرتفع حتى صار في عينه على شبه العصفور الصغير وذلك بسرعة غريبة تذهل العقل. فيالله كيف يستطيع الطائر ان ينتقل هكذا في ساعته من السهول البحريّة الى طبقات الجوّ العليا من الحرّ اللافح الى البرد القارس ومن الهواء الكثيف الى الهواء البالغ التخلّل دون ان يجد في ذلك أذًى ولا ضررًا مع انّهُ يتجاوز في دقائق قليلة مسافة خمسين درجة من مقياس الحرارة المئوي

ومن خواصّ الكواسر ايضًا انّها شديدة النَّهَم وهي مع ذلك تستطيع ان

تصبر على الاصرام الطويلة . واذا وجدت فريستها اودت بها لا محالة ولذلك تخافها بقية الطيور وتحتجب عنها . ومن رحمة الله انها قليلة المواليد وانثاها لا تنسل الا مرة في السنة وبيضها لا يزيد عن ثلاث بيضات وربما باضت بيضة واحدة . ولها اوكار تحضنها في وجه كل عدو فمنها ما يعشش في رؤوس الاشجار الباسقة او في الجبال الشاهقة . وتختار في فلسطين الصخور المرتفعة او شقوقها التي يصعب البلوغ اليها . وتكون اوكارها واسعة تتركب من قضبان غليظة ثم لينة ثم رفيعة وتغطيها بالادغال وتهندس جدرانها الداخلية فتبسط عليها الصوف والخرق اللينة الوثيرة . وهذه الاوكار يصطنعها الذكر والانثى كلاهما وتدوم مدة الحضانة من ثلاثة اسابيع الى خمسة فاذا حان الوقت فقست الانثى البيضة فخرج الفرخ ورأسه في غاية الضخم بالنسبة الى جسمه وعيناه مغمضتان ويكون اذ ذاك أكولا لا يشبع فيقوته ابواه بلحم صيدهما فيلقم اولا الطعام ملوكا ممغوضا ثم يجعل اللحم امامه ليقطعه . وبعد ذلك يقدم له لحم الصيد الحي عند باب الوكر ليمزقه باظافيره ويأكله . واذا فعل ذلك مدة طرده الابوان من العش بلا شفقة ليسعى اقوته وحده . واشرس ما تكون الكواسر في وقت تربية الصغير فانها لا تدع احدا يقرب من وكناتها وهي تهجم حتى على الانسان اذا اراد مطاردتها

انواع الكواسر الفلسطينية

الكواسر التي ترى في النهار في بلاد فلسطين تقسم الى فصيلتين اعني بهما فصيلة العقبان وفصيلة الصقور

١ فصيلة العقبان

نبتدئ بذكر العقبان وهو جمع عقاب ويريدون به ما يدعوه الفرنج باسم « vautour » ولعل هذا الاسم عند العرب ادل على ما ندعوه بالنسر (aigle) وعلى كل حال نكتفي بالاشارة ونطلقه على معناه الشائع . وجنس العقبان (vulturidés) يعرف بخاصة يمتاز بها وهي تجرد عنقه من الريش وكذلك رأسه كثيرا ما يكون اجرد اصلع او عليهما الزغب الناعم فقط . ومن هذه العقبان اربعة انواع في فلسطين

فالاول وهو اصغرها واكثرها شيوعا هو الرخم ويدعى « دجاجة فرعون »

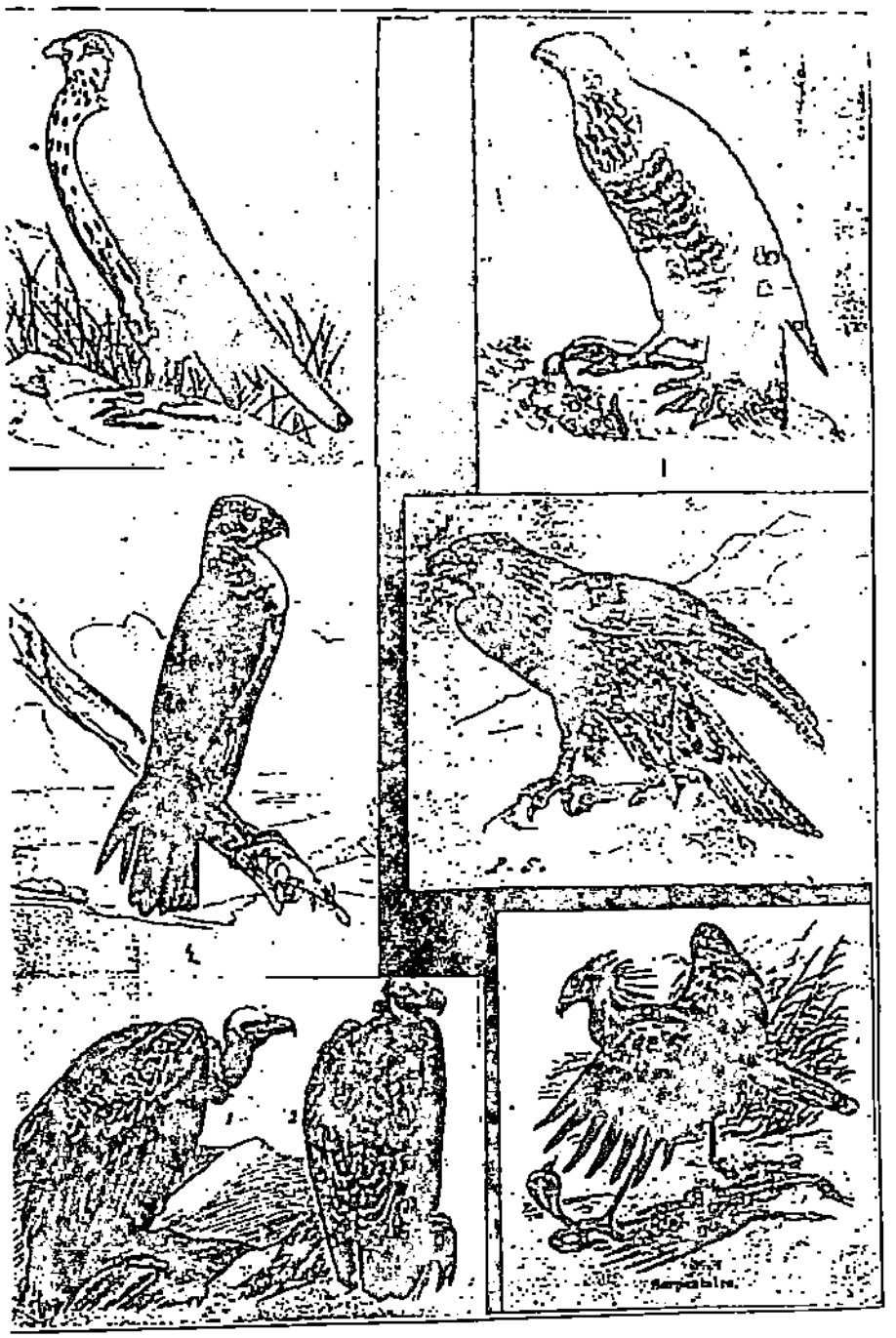

كواسر فلسطين النهارية

١ الباز ٢ الباشق ٣ النسر ٤ الصقر ٥ صيّاد الحيّات ٦ العقاب والرخم

(poule de Pharaon) ويسميه العلماء كُنْدة لون ريشه « percnoptère » وكثيراً ما نراهُ في الجوّ وهو يحوم فوق مجزر (مسلخ) بلديّة القدس في بيت عنيا وهذا النوع يقتات من حُطامات ذاك المسلخ المنتنة فيشكرهُ الناس على افتراسه تلك النتانات وتنظيفه لتلك الامكنة الوبيئة فيسلم البلد من اضرارها . وهذا النوع اذا كبر يكون لبقاً حسن النظر وريشهُ ابيض أما أجنحتهُ فسوداء الى الكمدة . لهُ رأس اصلع وساقان صفراوان من لون الليمون الحامض . وفراخهُ سنجابية اللون سمراء . وقد وصفهُ الدميري في كتاب الحيوان بما نصُّهُ (١ : ٤١٤—٤١٥) :

الرَّخَمة طائر ابقع يشبه النَّسر في الخلقة وكنيتها امّ جعران . . . ويقال لها الأنوق والجمع رَخَم . . . ومن طبع هذا الطائر أنهُ لا يرضى من الجبال الّا بالوحش منها ولا من الاماكن الّا بأسحقها وابعدها من اماكن اعدائهِ ولا من الدواب الّا بصخورها ولذلك تضرب العرب المثل بالامتناع ببيضه فيقولون اعزّ من بيض الانوق . . ويقولون احمق من رخمة وانما خُصَّت من بين الطير بذلك لأنها ألأم الطير واظهرها حمقاً واقذرها طُعماً

وقد وقفنا على بيض الرخمة فهو كبير مستدير سنجابي اللون . ولدينا بيضة أُخرى صغيرة الحجم يكاد ثقلها لا يبلغ ربع ثقل البيض العادي وقد باضتهُ الرخمة عندنا في مأوى مار بولس الالماني في القدس وذلك انَّ احد اهل كفرعقاب اصطادها ليلاً بين صخور قرية « حسمه » فجاءها في كيسهِ حيَّةً مع بيضة وجدها في وكرها . ولئلا تفلت اخرج رأسها واتاني بالكيس . فتركتها على حالها لتراكم الشغل عليَّ مدَّة ثلثة أيام ثمَّ اخرجتها بعد ان اضعفها الصوم وقسوة المعاملة فربطتها باحدى ساقيها ربطاً اذجها لأصبرها . وبعد ساعة اذ قصدنا مباشرة العمل وجدناها قد باضت هذه البيضة الصغيرة الخفيفة الثقل وكفى بذلك دليلاً على قوَّة هذا الطائر الذي باض في تلك الاحوال

النوع الثاني هو العُقاب الابيض الرأس الذي يدعونهُ بلسان العلماء غريفوس (gryphus) ومنهُ في الفرنسويَّة « griffon » ويسميه العرب رخًّا (١ وقد كثرت في هذا الطائر اوهام الناس حتى عدُّوهُ من التهاويل واخرجوهُ مخرج الخرافات . والرخّ حقيقةً ليس بطائر غريب فمنهُ كثير في فلسطين . وكنا نراهُ في الاسابيع الماضية يحوم في القدس فوق جبل الزيتون فكنَّا نميّز رأسهُ الابيض على زرقة السماء . .

١) راجع في اوّل سنة المشرق (١٨٩٨) في الصفحات (٢٠٢—٢٠٥) ما كتبهُ في هذا العدد حضرة الاب انطون صالحاني

وعلى ظننا انهُ كان اشتمَّ رائحة جمل ميت كانوا رموهُ عند ملتقى طريق عناتا بطريق جبل الزيتون. ولدينا منهُ فرد آخر مصبَّر كانوا اصطادوهُ عند عين فاره وطول جناحيه بالغ متريْن و٦٠ سنتمترًا وقد رأيت غيرهُ يقيس ٣ امتار. والرخّ الابيض لا يبيض الّا بيضة او بيضتين في السنة وللبيضة حجم كبير ولونها ابيض وتكون احيانًا منقَّطة بحمرة

والنوع الثالث من العقبان وملكُها في فلسطين بضخمهِ وشدَّتهِ العقابُ المعروف بالناسك او الراهب (vautour moine) دُعي بذلك لريش على عنقهِ يشبه قبعة الرهبان واسكيمهم. وفي متحفنا الاورشليميّ منهُ مثال حسن اتانا بهِ عبدٌ من رعاة الاعراب تصيَّدهُ بين نبيّ موسى ودير مار سابا. وذلك انهُ كان يرعى المواشي في تلك الجهات واذا بغنمة من قطيعهِ ماتت في احد الأيام فرمى بجثتها على صخرة واختفى في قُترةٍ ينتظر حيوانًا ضاريًا او طائرًا كاسرًا يقصدها لافتراسها فيرميه بالرصاص. فما لبث عقاب من نوع الرخّ ان اشتمَّ رائحتها فانقضَّ عليها لكنَّ رصاصة الراعي جندلتهُ من ساعته. ثمَّ لبث قليلًا واذا بطائر آخر من نوع العقبان النسّاك حوَّم فوق الجثَّة لينال منها فصوَّب البدويّ رصاصتهُ عليه فكسر جناحهُ ثم اصطادهُ حيًّا بحبائلهِ وحمل كلا الطيرين الى مقامنا بعد ثلاث ساعات وكان ربط ساقي الحي بساقي الميت وجعلها فوق حمارهِ كالجوالق. فلمَّا وصل الى بابنا وأُخبرت بمجيئه انحدرت حالًا لاستقباله فاضحكني منظر الحمار المضنوك تحت حملهِ وكان اذا توقَّف في طريقه عن السير نقرهُ عقاب الناسك في بطنه فعجَّل في سيرهِ جبرًا

وفي فلسطين عُقاب عزيز الوجود يدعونهُ في لسان العلم باسم مزجيّ معناهُ العقاب النَّسر (grypætos) يريدون بذلك انهُ قريب الشبه بالنَّسر ومن امتيازات هذا النوع انَّ لهُ ريشًا تحت منقاره الاسفل شبه اللحية ولذلك يدعونهُ ايضًا بالعقاب المُلتحي (grypætos barbatus). وقد سمَّاهُ الدكتور جورج بوست في كتابه عن الطيور (ص ٥) بالأنوق لكنَّ وصف الدميري للانوق لا ينطبق عليه فانهُ يقول في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى (ص ٥) « انَّ الانوق الرَّخمة او طائر اسود لهُ شيء كالعُرف او اصلع الرأس اصفر المنقار قيل انَّ في اخلاقها اربع خصال تحضن بيضها وتحمي فرخها وتألف ولدها ولا تمكِّن من نفسها غير زوجها ». وهذا الطائر صغير

القدمين عظيم الجسم سنجابيّ اللون مبقّع بنكت بيض. وحتى الآن لم اجد منهُ طائرًا بتمامهِ. ومنذ ربع القرن كتب القانوني ترسترام انّ ما يُعرف من اشكاله في فلسطين لا يتجاوز عدد الانامل. وقبل اربع سنوات رأى سيّاح المدرسة الكتابيّة في القدس طائرًا منهُ في وادي الزرقاء شمالي شرقي بحيرة لوط لكنهُ كان ميتاً منتناً فقاسوا ريش جناحيهِ فاذا طول الريشة ٧٥ سنتترًا. وقد وقع في يدي ريش عقاب آخر كان طولهُ من ٦٠ الى ٦٣ س. وفي هذا العام وقفتُ على قطعة رأسه مع لحيتهِ المميّزة لهُ وقد كان احد الصيّادين رماهُ بالرصاص عند عين فاره لكنّهُ لم يعثر على جثته الّا بعد ثلاثة ايّام تحت صخر عريض وقد كانت الضواري قد افترست معظمهُ الّا الرأس الذي ابيضّتهُ الشمس المتوقدة

٢ فصيلة الصقور

ليست فصيلة الصقور بين كواسر الطير الفلسطينيّ اقلّ شأنًا من العقبان لا بل تبلغ رُتبها واشكالها ما لا تبلغهُ ضروب العقبان وانواعهُ وممّا تمتاز به هذه الطيور اجمالًا انّ رأسها يغطيه الريش وانّ عيونها غائرة غُؤورًا يختلف على حسب انواعها ولها المخالب الحادّة والمضلات الصلبة المناسبة لاصطياد الحيّات واذا فتكت بفريستها غرزت مخالبها في احشائها وقتلتها قتلًا وحيًا

ولهذه الفصيلة رُتب عديدة يوجد في فلسطين كثير منها واوّلها النسر المعروف بملك الطيور الذي هو رمزٌ عن القوّة والشهامة وتتّخذهُ الدول كشارة اعلامها ونقودها. والنسر اشكال مختلفة اشهرها النسر الملكي ثم القيصري ثم نسر الاقفار والصحاري ثمّ النسر الصيّاح والنسر المنتيل ثمّ النسر المسمّى اوطور (autour) ومنهُ ضربان العادي والاسمر ثمّ النسر فيروكسي (verrauxi) والنسر المخطّط الذنب. ثم النسر الدوّار (circaète). ومنها شكل الحداءات التي لها ثلاثة ضروب في فلسطين الحداءة الملكيّة والحداءة السوداء والحداءة المتلثّمة. ومنها شكل البواشق كالباشق العاديّ والباشق الشرس والباشق الاشقر. ومنها الشواهين الكثيرة الانواع. ومنها البُزاة المتّخذة للصيد وهي ضروب مختلفة جدًّا يتنافسون في تربيتها وتدجينها ولها من المآثر في الصيد ما يطول شرحهُ

فهذه الاشكال وغيرها تألف جبال فلسطين وقفارها ولو اردنا وصف كلٍّ منها لطال بنا الكلام ومن ثمَّ نكتفي بذكر شكلين منها النَّسر الدوَّار (circaète) المعروف بالباحث عن الحيَّات (serpentaire) فهذا قد وجدتهُ كثيرًا في فلسطين حيًّا يخلب النظر بحسنهِ لا سيما بعينيه الكبيرتين اللتين تشبهان درَّتين صفرارين براقتين فلا يشبع الناظر من معاينة محاسنه . ولا شكَّ ان نظره يسحر الحيَّة فتجمد امامهُ اذا انقضَّ عليها . وهو لا يبيض الَّا بيضةً واحدة كروية يُغالي الناس في ثمنها . ولهذا الطائر قدمان وعضلات عليها شبه الحراشف لا يؤثر فيها لسع الحيَّات اذا قبضت عليها ببراثنها

واحسن ما وجدنا من النسور في فلسطين نسرٌ اسود يدعوهُ العلماء فيروكسي (verrauxi) يُرى اليوم مصبرًا في متحفنا . والذي حصل عليه انَّما هو ذاك البدوي الاسود الذي سبق ذكرهُ وقد اصطادهُ في جبل نبي موسى وكلُّهُ اسود فاحم الَّا اسفل ظهره الذي هو ناصع البياض . فلمَّا اتاني به الصيَّاد اخذني العجب من شكله وراجعت ما لديَّ من اوصاف الطير فلم اقف على جنسه . ثمَّ كتبت الى احد العلماء الطبيعيين في اوربة فكان جوابهُ انَّهُ لا يعرف نسرًا من هذا الجنس . فراسلت علماء سيلازية وبراين ولندن الذين اجابوا انَّ هذا النسر ليس بفلسطيني بل هو من طيور بلاد الحبش وكذلك اجابني المصبرّ الالمانيّ الذي تُرسل اليه من جهات المعمور كل اجناس الطيور ليصبرّها انَّ هذا النسر من غربيّ افريقية . لكنَّهم صادقوا اخيرًا على قولي بعد ان ارسلتُ اليهم الطير فعاينوهُ وتحقَّقوا انَّ هذا النَّسر ليس هو حبشيًّا فقط بل يسكن ايضاً في جهات فلسطين . ثمَّ تحقَّقت ان بعض الصيَّادين وجدوا غيره بعد ذلك

هذه نبذة صغيرة قدَّمتها لمحبّي تاريخ طير هذه البلاد ومنها يعلمون كم من العجائب زيَّن بها الخالق هذه الاقطار ولا يسع الواقف عليها الا ان يردّد قول النبيّ اوَّلًا « باركي يا طيور السماء الربَّ وسبّحيه الى الابد »

ختام اليوبيل القسطنطيني وانتصار الصليب

بقلم حضرة الخوري بطرس البستاني مدرّس الخطابة في كليّتنا

عزَّ الصليبُ بقسطنطينَ وانتصرا ... وادركت آلهُ في ظلّهِ الوطرا
لله درُّ مليكٍ أنبتَتْ يدهُ ... في روضة العُرْفِ غصناً لم يزل نضِرا
لئن طوتْ جسمَهُ كفُّ الردى فلَهُ ... ذكرٌ ينمُّ بآفاق العُلى عَطِرا
هي المآثرُ تُحيي ذكر صاحبها ... حتّى يعمَّ شذاهُ البدوَ والحضَرا
مهما تعاقبت الأجيال وانصرمت ... ففضلُهُ خالدٌ في الناس ما اندثرا
ان الكنيسة في تاريخها كتبت ... بالفخر آثاره الغرّاء فازدهرا
أحيتْ بيوبيلهِ ذكراهُ ناشرةً ... بين الملا أثرًا في قلبها حُفِرا
تلك المفاخر كنزٌ لا نفادَ لهُ ... في صدرها من قديم العهد قد ذُخِرا
مفاخرٌ جعلت من فوق هامتهِ ... اكليلَ مجدٍ بكفِّ الفخر قد ظُفِرا
فالناس في مهرجانٍ يعقدون لهُ ... بين الملا حفلاتٍ عرفها انتشرا
والدين قد قرَّ عيناً واعتلى خطرا ... محيّاً كوكباً في أفقهِ سفرا
فطأطئوا يا عداةَ الدين هامكمُ ... واشكوا فظائعكم لا البخت والقدَرا
فكم سفكتم دماء الابرياء ولم ... تُبقوا لهم بينكم عيناً ولا اثرا
وكم نشطتم الى اخناء فضائهم ... فكان ان غالبت ريّاهمُ الزَّهَرا
وكم سعيتم الى إفناء دينهم ... فزال سعيكمُ بعد العنا هدرا
ألَا أندبوا تعباً قاسيتموه بلا ... جدوى وايّامَ عزٍّ قد مضت بطرا
واستقبلوا من تباريح النوائب ما ... يُدمي الفؤاد ويكوي السمع والبصرا
فما جنى هؤلاء الابرياء من الآ ... ثام حتى جعلتم عيشهم كدِرا
أعاتكم ان يُميطوا عن مزاعمكم ... ستراً فيلحظكم اهل الهدى شزَرا
ام ساءكم ان تروا دين المسيح على ... عرش الجلال يباهي الانجم الزُّهُرا
وجحفلُ الكفر من حوليه منهزمٌ ... يبني له تحت اطباق الثرى حُفَرا
ان كنتمُ في ارتيابٍ من ديانتكم ... فغادروها لئلّا تقحموا الخطرا
وان تكونوا على الحقّ المبين فلِمَ ... حاربتمُ ملّةً لا تعرف الضَّررا

انَّ الدياميسَ والأنفاق ناطقةٌ بجوركم ان طويتم انتمُ الخبرا
فكم اقاموا بها تحت الظلام وما رأت عيونهمُ شمساً ولا قمرا
حذارَ ان توسعوا ألبابهم غُصَصاً او تجعلوها لاطراف الفنا جزَرا
فالارضُ في عهد نيرونَ التي غدت مجازرًا حولها بحرُ الدماء جرى
عامت بها جُثث القتلى يمزّقها وحشُ الفلا مُنشباً في صدرها الظُفُرا
والنار تقذف من احشائها حمَماً وقلب نيرونَ قاسٍ يُشبه الحجرا
قد كان يختال فخرًا فوق مركبةٍ مفكّهاً بضحايا جَوْره النظرا
فأدّبته يد العلياء جاعلةً لمعصية الظلم في تأديبه عِبرًا
ألا ارعَوُوا يا دُعاة الكفر وارتدعوا واخشوا عقاباً عنيفاً يورث الحسرا
لا تحسبوا انَّ شعب الله قد لعبتْ به ايادي الفنا او ذكرهُ دُثِرا
فانّما دمهُ المسفوحُ يجعلهُ في كلّ ناحية أنمى الورى ثمرا
كحبّة البرّ بين التُرب قد دُفنت فانبتت سُنبلات خلتها دُرَرا
هو المهيمنُ يرعاهُ بمنّته م اليقظى ويدفع عنهُ الذنبَ والشرا
كم صدَّ عنه صروفَ الدهر طاحنةً فلم يَعُد يختشي من دهره الغيرا
لم يخلُ في كل عصر قطُّ من نُذر او من حُماةٍ تقي اقدامهُ العثرا
صبّت على رأسه ايدي العدى يحناً سوداء لو مسّت الجلمود لانفطرا
فكان أن سخّر المولى انوجته مَلكاً ابيًّا بنار الغيرة استعرا
هو الخنفر قسطنطين مَن ضفرت يداه للدين تاجاً زاده خطرا
بدا له في العلى رسم الصليب على اطرافه كلماتٌ تدهش الفكرا
«سِرْ للوغى واحمِ قومي من عداتهم واجعل لواك صليبي تحمِ منتصرا»
فكان أن حطّم الاصنام متّبعاً ربًّا حكيماً جليل الشان مقتدرا
وهبَّ للحرب صنديدًا يظلّلهُ بندُ الصليب فخاض النقع وانتصرا
وعاد يحمي النصارى منصفاً لهمُ من العدى جاعلًا أيامهم غُرَرا
واختار «مكسنسُ» نهر «التِبر» ملجأه وذاق فيه الردى من بعد ان دُحرا
يا حبّذا الملك قسطنطينُ من ملكٍ اولى النصارى جميلًا عرفهُ نُشرا
بفضله أُطلقوا من سجنهم وغدوا لا يرجسون اذا ما سبّحوا حذَرا

لولا الصليب تذاقوا الصابَ عرفهمُ ... وبات شاهمُ في الارض منتثرا
لا زلتَ يا أيها المصلوب ملجأنا ... من البلايا اذا صرفُ الزمان عرا
لأنت ساورتنا في وقت كربتنا ... وانت معتلنا إن حادثٌ غدرا
فلا تدع ظُلُمات الغي تحجب عن ... اذهاننا نور رشد فيك مزدهرا
فلا سلاح لنا الّا الصليب اذا ... ما سدَّدوا نحونا الخطّيّةَ السُمُرا
فانهُ تِرْسُنا في كل معترك ... حتى نفلَّ به الصمصامةَ الذكرا
وهو الدواء لنا ان نابنا سقمٌ ... والموردُ العذب منهُ السعد قد فُجرا
وانهُ البلسمُ الشافي اذا طعنوا ... قلوبَنا بحراب تخرق الجُدرا
فلا نرى عنه في دار الفنا شُغُلا ... فمن جوانبهِ نبعُ العزا انفجرا
ألا استقوا كأسكم من صدره تجدوا ... هذي الحياةَ نعيماً لا يرى كدرا
وفاخروا بصليب طالما افتخرت ... به الملوك وقد نالت به الظفرا
يا باريَ الخلق رفقاً بالألى التجأوا ... الى حماك ليقضوا في التقى العُمُرا
واجعل بجنّتك العليا مقامهمُ ... ليجتنوا من ذُرى افنانها الثمرا
ان الصليبَ لواءهم حيثما اتجهوا ... وهم يحيّونهُ الآصال والبُكَرا
ما زال في ظلهِ الميمون جحفلهم ... لا يرهبون عدوًّا قلَّ او كثرا
ان العداة تمادوا في غوايتهم ... ولم يبالوا بيبٍ للعدى قهرا
دَعهم يبيتوا بليداء الضلال وفي ... عيونهم ظُلُمات تجلب الحيَرا
هم آثروا الغيَّ واختاروا جحاهلهُ ... من بعد ما ملئت اقطارهم نذرا
يا ويلهم يوم تأتي الارضَ محتكماً ... فيهم وتقذفهم بين الأفلى زُمرا
حتى اذا لعبت نار الجحيم بهم ... ودُّوا لو أنهمُ لم يخلقوا بشرا
يا بؤس للمرء ان اغضى نواظرهُ ... عن الصليب ولم يحمله مصطبرا
فاسعد الناس من كان الصليب له ... شعارَ مجدٍ به يبدو مفتخرا

الكَلَب

بقلم الاب ده فريجيل اليسوعي
مدير مستشفى الكَلَب واحد اساتذة مكتبنا الطبي الافرنسي

(نقلنا هذا الفصل عن جريدة البشير تسميماً لفائدته)

ليس كداء الكلب بعد ظهوره داء عياء قد ضاعت فيه حيل الاطباء ولم لهُ الطب الى دواء . ولهذا لا نرى من فائدة البتة في تعداد الادوية المتنوعة التي اختلفت مع اختلاف الازمنة والامكنة وعاق عليها القوم السذَّج اهميَّة كبرى في معالجة داء الكَلَب خصوصاً وان بعضها كأكل كبد الحيوان لا يرى العقل فيه وجه الصواب والبعض الآخر يستغربهُ كل الاستغراب كمنح المريض من النوم ليلة الاربعين وطرحه في الماء مغمَّض العينين . فقد دلَّ الاختبار على ان هذه وامثالها لا طائل تحتها البتة

على انهُ ان لم يكن ثمَّ دواء يشفي من داء الكلب بعد ظهوره فهناك دواء يقي منهُ اذا ما استعملهُ المعضوض أمن شر الداء وهو تلقيح يولي الجسم مناعة ولا يترك للداء سبيلاً اليه

١ بيان ماهيَّة الكَلَب وانتشاره

ان سألنا سائل عن ماهية الكَلَب قلنا انهُ مرض معدٍ يصيب الانسان والحيوان يحملهُ على الارجح وينشرهُ ذرَّات حُيَيْرات (protozoaires) بالغة آخر حدود الصغر والدقة تعيش في الجهاز العصبي وخصوصاً في مخ الرأس ودودة الظهر كما انها توجد ايضاً في لوزات اللعاب وفي اللعاب نفسه

وأهمُّ ناقل لسمّ الكَلَب هو الكَلْب ومنهُ يتَّصل بالانسان . وقد بين الاختبار ان ٩٣ في المئة من اصابات الكَلَب تتأتى عن الكلب . ويليه القطّ ومعدَّل الاصابات الناشئة به ٦ في المئة

ويصاب بهذا الداء ايضاً وينشره كثير من ذوات الثدي كالذئب وابن آوى والحصان والحمار والبغل والثور والغنم والخنزير والماعز وفي بعض الاحيان الجمل والفأر والجرذان

انَّ داء الكلب لا يحلّ بالانسان ولا الحيوان عن غير سبب خارجي بل ان كل اصاباته تتأتى عن حادث سابق فتتصل العدوى امّا بالعضّ وهذا الاكثر وقوعاً وامّا بالتظفير وامّا ايضاً باللحس اذا وقع على جراح ظاهرة

امّا مدّة الحضانة اي الزمن الذي ينقضي من حين حدوث العدوى الى حين ظهور المرض فتكون تارةً طويلة وتارةً قصيرة لان ظهور المرض يكون عند بلوغ المادّة السامّة الاجهزة العصبية . وعليه تكون الحضانة قصيرة المدة جدًّا اذا كان العض في الرأس واطول اذا كان في الاعضاء العليا من الجسد واطول ايضاً اذا كان في الاعضاء السفلى . ومما يؤثر في طول مدّة الحضانة وقصرها عدد العضّات وكبر الجرح وصغره . ويمكن القول اجمالًا ان اقصر مدة هي ١٥ يوماً واطولها سنتان او ثلاث سنين وفي اكثر الحوادث يكون ظهور المرض بين الثلاثين والستين يوماً من تاريخ العض

٢ تشخيص الداء

والكلَب متى ظهر سواء كان في الانسان او في الحيوان يكون خاصّة على حالتين: حالة الهياج ثم حالة الخبل والخدَر . وفي الشرق يكثر حدوث هذه الحالة الاخيرة في الكلاب . فمتى شاهدنا هذه الحيوانات عند قنوات الشوارع تكاد لا تقوى على الدَّبّ وقد تصلّب وتيبّس . وآخرها فتلك لنا علامة اكيدة انها مصابة بالكلَب . على ان ليس لمعرفة الاصابة بالكلب معرفة ثابتة لا يشوبها ريب سوى وسيلة واحدة وهي ان يؤخذ من نخاع الحيوان المشكوك في امره ويلقّح به ارنب او خنزير هندي فان كان كلباً ظهر الداء عن الارنب من اليوم الخامس عشر الى العشرين من تاريخ التلقيح

٣ اكتشاف علاج الكلَب وخواصّهُ

اما الفضل في اكتشاف العلاج الواقي من داء الكلب فهو عائد للعلامة بستور . وذاك العلاج كما تقدّمنا وقلنا هو للوقاية ويقوم بحقن الشخص المعضوض بمادة تباري مكروب الكلب سرعةً وتسبقهُ الى مراكز الاعصاب فتوليها مناعةً يستحيل معها على الميكروب ان يشو . فهذا هو جوهر العلاج ضد الكلَب

وقد قضى بستور سنوات عديدة وبحث ابحاثاً طويلة حتى توصّل الى مرغوبه فتوفّق اخيراً الى الحصول بواسطة الارنب على مادة سامّة ثابتة تقتلُ جراثيمَ الكلَب بعد وقت معلوم وهذه المادة عينها يستعملونها في معالجة الداء في الانسان

ولهذا في كل مستشفى للكلَب ينبغي الحصول اوّلاً على تلك المادّة ويتمّ ذلك اما بتلقيح عدّة ارانب بالمادة السامّة التي تؤخذ من كلب كَلِب ويواصل التلقيح بها الى ان تموت الارانب بمدة معلومة. واما بتلقيحها بلقاح يؤخذ من مستشفى آخر. ومتى ماتت الارانب بالكلَب يؤخذ نخاع رأسها ونخاع دودة الظهر ويُستخدم في سبيل تلقيح ارانب اخرى وحقن الاشخاص المصابين. وكيفيّة الحقن هي ان تأخذ كمية من نخاع الارنب الذي مات بالكلَب وتحلّلهُ في ماء فيزيولوجي (ماء فيه كمية معلومة من الملح) ثم يُحقن به الشخص يومياً تحت جلد الخاصرة مدة ٢٠ يوماً

ومعالجة الكلَب على طريقة بستور هذه تولي المناعة من المرض كما يحدث في كل تطعيم وتحصل تلك المناعة في اليوم العشرين بعد الفراغ من المعالجة وتدوم الى سنة ونصف تقريباً. ولا خوف البتة من ان المعالجة على الطريقة المعوّل عليها الآن تسبّب المرض ولهذا يمكن لمن لم يكن معضوضاً ان يستعملها كواقٍ له دون خطر. ثم ان حوادث كثيرة قد دلّت على انهُ يستحيل ان تسهّل هذه المعالجة او تعجّل ظهور الداء في من اتّصلت به جراثيمه وليس من حالة من الاحوال كالمرض والخلل تحول دون استعمال علاج الكلَب او متابعته. كما ان لا تأثير لهُ البتة في سائر الامراض التي تحدث في اثنائه. ويمكن الاطفال الذين لا يكونون قد بلغوا السنة الواحدة من عمرهم ان يُحقنوا بلقاح الكلَب على طريقة بستور دون ان يخشى عليهم ضرر

ويؤخذ من احصاءات كل مستشفيات الكلب ان معدّل الوفيات ممّن يتعالجون هو فقط ١ في ٥٢٠ مع انهُ كان قبل اكتشاف بستور من ١٢ الى ٥٨ في المئة. واذا ما ضربنا صفحاً عن الاشخاص المشتبه بامرهم ولم نلتفت الّا الى الذين تحقّقت اصابتهم ثبت لنا ان ١٠٤,٤٣٧ مصاباً قد نجوا من موت اكيد بفضل المعالجة وهذا يكفي لإقناع المعضوضين وحملهم على استعمال المعالجة على طريقة بستور

والمعالجة كما قلنا ونكرر القول قائمة بالمباراة في السرعة او هي عبارة عن سباق

بين ميكروب المرض واللقاح اللذين يتوجهان الى المراكز العصبية بطرق مختلفة. ومن هذا تعرف أهمّ الاسباب التي تحول دون الحصول على الشفاء. وقد ذكرنا منها بعضها كمركز العض وعدد العضّات وتفاوتها في الكبر ونزيد عليها سبباً آخر اهمّ وهو إرجاء المعالجة وتأخيرها الى وقت يكون قد تقدّم فيهِ الميكروب ولا يعود ينجع فيهِ دواء

فمن البديهي ان المرضى الذين يسرعون الى استعمال الحقن في الاسبوع الاول يكون خطر الموت الذي يتهدّدهم اقلّ لانه يندر جدًّا ان تتمّ حضانة الكلَب قبل ٢٥ يوماً. اما الذين لا يُحقنون قبل الاسبوع الثاني فانهم يعرّضون انفسهم لخطر اكبر لان المرض قد يظهر بين الثلاثين والاربعين يوماً كما يحدث اذا كان العض في الرأس. وقد يظهر قبل ذلك اذا كان المعضوض حدث السن. ومن هذا يتبيَّن كم هو عظيم خطأ الذين يتأخرون عن الحقن الى ما بعد ثلاثة اسابيع. واكثر المستشفيات ترفض معالجة مثل هؤلاء لان المعالجة بعد هذه المدة لا تجدي نفعاً

وبما انهُ من المقرر ان نتيجة الشفاء المرغوبة تحصل بنسبة الاسراع الى اتخاذ العلاج فمن الضروريّ توفير مستشفيات الكلب على قدر الامكان ليتسنّى للمعضوضين الشخوص الى احدها بدة وجيزة وقبل ان يفوت الوقت. وقد تنبّهت للامر الحكومات المتمدنة فعدّدت هذه المستشفيات التي لا تقل الآن عن الخمسين وهو عدد كافٍ نظرًا الى سهولة وسرعة المواصلات بواسطة السكك الحديديّة. لكن الحال لا يكون كذلك اذا اقتضى الذهاب بحرًا الى تلك المستشفيات وذلك لطول مدّة السفر فان شخصاً مثلاً عُضّ في شمال سوريّة بناحية عينتاب لا يمكنهُ الشخوص الى مستشفى الاستانة او مستشفى القاهرة الّا بعد مضي زمن غير يسير. ثم ان هذا السفر وما يقتضيهِ من النفقات يتعذّر على كثيرين من ذوي الفقر

٤ مستشفى الكلَب في مكتبنا الطبي

فلهذه الاعتبارات المتقدّم ذكرها ورغبةً في خدمة المرضى من اهالي سوريّة حيث تكثر حوادث الكلَب قرّر المكتب الطبي الافرنسي في بيروت إحداث فرع لمعالجة الداء وقد افتتحنا هذا الفرع من شهر ايار من هذه السنة في بنايات المكتب

الجديدة الكائنة بقرب غابة الصنوبر على طريق قرن الشباك . وسينتقل في ما بعد الى المستشفى الافرنسي المنوي انشاؤه قريباً ان شاء الله

ومن فوائد مستشفى الكلب هذا ان المرضى من بيروت وجوارها تتسنّى لهم المعالجة مع مواصلة اشغالهم والذين يأتون من الداخليّة يباشرون المعالجة بوقت قريب يضمن لهم الشفاء ويتخلّصون من تكبّد مشاقّ السفر ونفقاته التي قد تكون باهظة لكثيرين منهم ولا يعرّضون انفسهم لما في سفر البحر عادةً من التاعب والمصاعب

ومما جاء دليلاً ساطعاً على منافع انشاء هذا المستشفى توارد المرضى اليه حال افتتاحه . ولا شكّ في ان عددهم سيزداد عند ما تعمّ معرفة افتتاحه . ففي خلال الاربعة الاشهر والنصف التي انقضت قد تمّ لنا علاج ٤٠ شخصاً منهم ٥ من حمص و٨ من بيروت و٢ من طرابلس و٨ من عاليه و٢ من دير ميماس (مرجعيون) و٢ من صور و٢ من كفر حزير (الكوره) وواحد من زحلة والباقون من جوار بيروت كبعبدا والحدث الخ

وقد عالج مستشفى القاهرة ١٤٦ سورياً في العام الماضي لم يكونوا ذهبوا اليه لو كان مستشفى بيروت قد انشئ . حينما اصيبوا

٥ً طريقة المعالجة في مكتبنا وشروطها

اما طريقة المعالجة فهي بالغة آخر حدود البساطة . فعلى المريض ان يحضر كلّ يوم عند الساعة العاشرة صباحاً ليلقّح بالمادة الخاصّة ويحسن ان يستحم بالماء السخن يوم حضوره لاول مرة الى المستشفى ثمّ ان يكرّر الاستحمام مرتين او ثلاث مرّات في اثناء المعالجة ويجب على المرضى ان لا يتخلفوا عن الحضور يوميًا وان يتحاشوا التعب المفرط والبرد والمشروبات الكحوليّة . ولا يُطلب منهم ان يغيروا في ما سوى ذلك شيئاً من اشغالهم ومآكلهم المعتادة

ولا يغرب عن الذهن ان اعمال مستشفى الكلب تقتضي نفقات كثيرة لانهُ ما عدا رواتب الموظفين واثمان الآلات واعداد كل اللوازم يوجد نفقات اعمال التعقيم الفنّي التي تطلب عناية عظمى وكذلك الجليد الضروري لحفظ لقاح الارانب المستخدم للمعالجة الذي ينبغي ان يحفظ في درجة باردة معلومة . ثمّ النفقات التي يطلبها السهر

على الارانب والعناية الزائدة بما يتعلق بنوعها وثقلها وغذائها والنظر في الاعراض التي تظهر عليها والامراض التي قد تحدث لها او ينبغي ملافاتها . وزد على كل ما تقدم المسؤولية العظمى التي على مديري المستشفى واشغالهم المتعددة المتنوعة كوجوب حضورهم في ساعات معلومة وقيامهم بالكتابات وبحفظ سجلات المعالجات الخ

كل ذلك يبيّن انهُ ليس بالامر الكبير اذا تقاضى المستشفى المرضى كميّةً من الدراهم تساعده على مواصلة العمل . وان كانت بعض المستشفيات تعالج المرضى مجاناً فلأن رجالاً مثرين من محبي الانسانيّة قد انشأوها لهذه الغاية وخصصوا لها مبالغ وافرة كمستشفى بستور في باريس او لان الحكومات تدفع لها ما يسدّ نفقاتها وهذه المستشفيات لا تحرم من التبرعات الوافرة التي تردها من وقت الى اخر

امّا في المستشفيات الاخرى فالاغنياء المصابون يدفعون عن انفسهم والفقراء تدفع عنهم الحكومة (القائمقامية او المديرية او البلدية) إمّا المبلغ برمّته او بعضه فقط . ولذا نرى في الميزانيات السنوية كميات وافرة معيّنة لهذه الغاية . ولهذا يجدر بأولي الشأن في ولايات سورية ومتصرفية لبنان ان يمهدوا سبل المعالجة للمرضى الفقراء امّا بدفع مبالغ سنوية معلومة لمستشفى الكلب في بيروت واما باعطاء المنتمين اليهم كل نفقات المعالجة او بعضها . وان ادارة المكتب الطبي الافرنسي لا تتأخر من جهتها عن تخفيض الرسم او الاعفاء منهُ كلّما رأت الى ذلك سبيلاً وتأكد لها وجود دواعي كافية

وعلى كل الاحوال انهُ ممّا يوجب الاسف ان كثيرين يتأخرون عن ابتداء المعالجة فتكون لهم الفائدة منها اقلّ ويعرضون نفوسهم لخطر موت عاجل امّا بعدم القيام بالنفقات اللازمة او لعدم تمكنهم من الحصول على المبلغ الزهيد اللازم من اولياء امرهم . على انهُ يجب ان يعلم الجميع ولا ينسوا ان الجراح التي تبان لهم في الظاهر خفيفة قد تحمل اليهم جراثيم المرض وتعرضهم لخطر موت عاجل . وقد نبّه غيرنا الى هذا الامر . ونحن نعلم ان حكومة متصرفية لبنان قامت بالمتوجب عليها في ظروف متعددة وانفقت مبالغ غير زهيدة في سبيل تطبيب المعوزين من رعاياها . وستتناول الفائدة من الآن فصاعداً عدداً اوفر من المصابين لقرب المستشفى الجديد وبالتالي لقلة نفقة المعالجة فيه

وهناك واسطة ينبغي لارباب السلطة ان يتذرعوا بها لتقليل حوادث الكلب وهي ان يُعمَد بعد فترات معيَّنة الى قتل كل الحيوانات المشتبه بامرها وخصوصاً الكلاب فالقانون الافرنسي يوجب قتل كل كلب او قطّ او حيوان اخر عضَّهُ حيوان كلب او سطا عليهِ او كان فقط مشتبهاً بامره وذلك تحت طائلة العقاب. والقانون الانكليزي هو اشدّ من ذلك ولهذا لا يوجد اثر للكلَب في انكلترة. والكلاب منتشرة كثيرًا في مدن وقرى سورية وهي تنشر العدوى فيها دون انقطاع. واذا حدث ان كلباً عضَّ بعض اشخاص لا يكفي قتل ذلك الكلب بل ينبغي قتل كل كلاب الجوار لانها قد تكون اخذت جرثومة المرض. ثم من الثابت ان اماب الكلب يكون سامًّا ويسبب العدوى احيانًا قبل ظهور اعراض الكلَب الخارجيَّة بثمانية وبعشرة ايام ايضاً. وان الكلاب الصغيرة نفسها التي لا تظهر عليها علامات الشر قد تسري منها العدوى عند ما تعضّ وهي تلعب مع اصحابها

ثم ان مناسبة او عدم مناسبة المعالجة ضدّ الكلَب يرجع الحكم فيهما الى مبدئين عمليين:

كل شخص عضَّهُ حيوان مات بعد ذلك باقلّ من عشرة ايام تحتم عليه اتخاذ العلاج

كل شخص عضَّهُ حيوان قُتل بعد ذلك باقلّ من عشرة ايام تحتم عليه ايضاً اتخاذ العلاج

ومن هذا يُستنتج انهُ من الاوفق في بعض الاحيان ان لا يُقتل الحيوان حالًا بل يوضع تحت المراقبة وبطريقة لا يمكنهُ معها احداث الاذى. فان وجد ذلك الحيوان بعد انقضاء نحو ١٢ يوماً بحالة حسنة يمكن حينئذٍ الانقطاع عن المعالجة والّا وجب مواصلتها

ويجب ايضاً اتخاذ العلاج اذا كان الكلب العاضّ مجهولًا او اذا اختفى بعد العض. ثم اذا داس شخصٌ كلباً فعضَّهُ وظلَّ الكلب في مكانه. لان تلك علامة تدلُّ امّا على ان الكلب مصاب بالكلب من نوع التخدّر والخبل كما سبق او على ان ذلك التخدُّر هو آخر مظاهر الكلب الدائج

وهذا كلهُ يدل على وجوب اتخاذ محل مخصوص في المراكز الكبيرة توضع

فيها الحيوانات المشتبه بامرها تُراقَب وتُقتل اذا ظهرت عليها اعراض الكلب وبهذه الواسطة تقلّ كثيرًا الحوادث التي تتطلّب المعالجة وتستوجبها

اخيرًا نقول ان تشريح الحيوان لا يمكن بواسطتهِ الاهتداء الى معرفة ما اذا كان كلِبًا لان وجود الموادّ الغريبة مثلًا في جوفه قد لا يفيد شيئًا . وليس من دليل كافٍ الّا بواسطة تلقيح الارانب بشيء من نخاع رأس الحيوان المشتبه . ولهذا يحسن ارسال نخاع الحيوان العاضّ الى المستشفى كل ما امكن ذلك اذا كان قُتل . وينبغي حينئذٍ وضعهُ او في الغليسرين او في الملح لئلّا ينتن . ولا حاجة الى التنبيه لاخذ الاحتياطات اللازمة في هذا الامر وتكليف احد الاطباء بهِ لان اللعاب والنخاع هما مسمومان ويمكنهما ان يُفشيا العدوى .

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة (تابع)

الفصل الثالث

في الأعلام النصرانيّة

انّ اعلام الاشخاص في الأمم القديمة من اصدق الشواهد على معتقداتها فلذلك اردنا ان نفرد بابًا خاصًّا للاعلام النصرانيّة التي نجد آثارها في جهات العرب قبل الاسلام فانّها تزيدنا علمًا بما كان للدين المسيحي من النفوذ في الجزيرة العربيّة

وممّا ينبغي التنبيه اليهِ بادئ بدء انّ الأعلام التي ذكرها قدماء الكتبة قبل المسيح للعرب والتي ورد ذكرها لهم في آثار الاشوريين ثمّ اليونان ثمّ الرومان لا تفيدنا شيئًا بالاطلاق على توحيدهم . بل كثير منها على خلاف ذلك يُوقفنا على عبادتهم للاوثان

وخصوصاً الشمس والقمر والكواكب كما اثبتنا ذلك في مقدمة القسم الاول من كتابنا هذا . وكذلك يُستدلّ من تلك الاسماء انّ العرب كانوا يعظّمون مواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان فكثرة الاعلام الدالّة على هذه المواليد لا يمكن تعليلها الّا بالقول انّ العرب ألّهوا الطبيعة في مظاهرها من القوّة والجمال والحياة فرأوا فيها تجلّيات معبوداتهم

وممّا يولي العجب انّنا لا نجد بين هذه الاعلام القديمة السابقة لعهد المسيح اسماً واحداً يثبت لنا ما زعمهُ بعض كتبة العرب بعد الاسلام حيث قالوا بلا سند انّ العرب كانوا موحّدين وانّهم اخذوا التوحيد عن ابرهيم الخليل وعن اسماعيل ابنه ثم توارثوهُ بتوالي الاعصار فالاعلام الواردة في الآثار القديمة تنفي هذا الزعم حتى ان اسم اسماعيل ابي العرب عينهِ لم يُرَ لاحد منهم في تلك الكتابات وعلى خلاف ذلك انّنا نجد في تلك الاعلام ما لا يدع شُبهاً في شرك العرب كبقيّة الامم

هذا الى عهد المسيح . وليس الامر كذلك بعد ظهور النصرانيّة فاننا اذا استقرينا الاعلام العربية التي رواها اقدم كتبة العرب عن تاريخهم المتوسّط بين عهد السيّد المسيح الى ظهور الاسلام امكننا ان نبيّن من تعدادها انّ النصرانية كانت نفذت في بلاد العرب وانّ تلك الاسماء انّما دخلت بينهم بانتشار الدين المسيحي

وامّا البعض يرون انّ عدد هذه الاعلام قليلٌ بالنسبة الى ما ذكرناهُ عن شيوع الدين النصراني بين العرب في الجاهلية فجوابنا على ذلك : اوّلاً انّ العرب النصارى تبعوا غالباً في اسمائهم عادات قبائلهم القديمة دون ان يمتازوا باسماء جديدة لم يألفوها في سابق الاجيال

ثانياً انّ منهم من كان لهُ اكثر من اسم واحد كما هي عادة كثيرين من نصارى الشرق في بلادنا فكانوا بالمعموديّة يسمّون اولادهم باسم يدلّ على نصرانيتهم وامّا في المعاملات العاديّة فكانوا يطلقون عليهم اسماً آخر مألوفاً كمالك وصالح وحبيب وسعد

ثالثاً لا بل نعرف من شهادة تاريخهم انّ بعض النصارى في جزيرة العرب تسمّوا باسماء وثنية كانت جرت في الاستعمال وذي معناها الاصلي كعبد المدان ومنهم بنو عبد المدان النصارى في نجران وكعبد القيس الذي ينتسب اليهِ بنو عبد

القيس النصارى الذين ذكرناهم قبلاً. وهكذا يرى ايضاً لنصارى اليونان والرومان والسريان فانهم بعد تنصرهم تسمّوا باسماء كان اصلها وثنيًا مشيرًا الى معبوداتهم كمركوريوس وذيونوسيوس وباخوس ومرطيوس لكنّ تلك الاسماء كانت فقدت بالاستعمال معانيها الوثنية

فاذا ادركت ما سبق فنقول انّ الاعلام نصرانيّة بين العرب على خمسة اشكال فمنها ما استعاروهُ من الاسفار المقدّسة ومنها ما اشاروا فيهِ الى الاسم الكريم ومنها ما خُصّ بالنصارى دون غيرهم ومنها ما كان تعريباً لاسماء نصرانيّة ومنها اخيرًا ما دلّ على بعض الصفات الموافقة لاحوال النصارى

١ الاعلام النصرانية المستعارة من الاسفار المقدّسة

هذه الاعلام مشتركة في بلاد العرب بين النصارى واليهود ونحن نضرب الصفح عن اسماء اليهود لخروج ذلك عن غرضنا فنذكر اسماء سواهم ممّن ينتمون غالباً الى القبائل التي اثبتنا نصرانيّتها وذلك على ترتيب حروف المعجم

(آدم) تسمّى بعضهم في الجاهليّة باسم ابي البشر. منهم « آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٤٤): « قُتل في الجاهليّة وهو الذي وضع النبيّ صلعم دمهُ يوم فتح مكة ». ومنهم آدم مولى بَلْنَبير ذكرهُ ابو تمّام في الحماسة ولعلّهُ آدم بن شدّة العنبري الذي روى لهُ ياقوت شعرًا في معجم البلدان (٣ : ٣٧٣)

(ابراهيم) قال التبريزي في شرح الحماسة (١ : ١٧٥ ed.Freytag): قال ابو العلاء : ابراهيم اسم قديم ليس بعربي وقد تكلّمت بهِ العرب على وجوه فقالوا ابراهيم وهو المشهور وابراهام وقد قُرئ بهِ وإبراهم على حذف الياء وإبرَهم » وذكر هناك اسم شاعر قديم دعاهُ « ابراهيم بن كُنَيف النَّبَاني ». وممّن تسمّى بابراهيم ابراهيم بن أيوب بن محروف عمّ الشاعر النصراني عديّ بن زيد (التاج ١ : ١٥١). ومنهم قوم من الصحابة ذكرهم ابن الاثير في اسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١ : ٤٠١–٤٤) عُرفوا باسم ابراهيم تسمّوا بهِ في الجاهليّة كابراهيم الاشهليّ وابراهيم بن الحارث بن خالد التيميّ القرشيّ المهاجر وكابي رافع ابراهيم القبطيّ قال

لا يرون من طيور الماء الا ما لا يكاد يتجاوز عدد الاصابع العشر لكن بلاد فلسطين واسعة ولا تخلو من طيور عديدة حتى انَّ القسانوني الانكليزي ترسترام (Tristram) احصى منها في السنة ١٨٨٨ نحو ٣٨٤ نوعاً وصفها في كتاب خاصّ. ومنذ ذاك الحين قد زاد هذا العدد زيادةً تُذكر بسعي ارباب البحث الذين لم يدعوا باباً من الابحاث الكتابيَّة الا طرقوهُ وقد أدَّى بهم اجتهادهم لمعرفة طيور فلسطين الى ان بلغوا عددها الى ٤٠٠ ثمَّ الى نحو ٥٠٠ دقَّقوا في وصفها جميعاً

وان ظنَّ احد أنَّ في هذا القول مبالغةً اجبنا انَّ جهات فلسطين مع اختلاف مناطقها من اودية وربى وجبال اصلح لسكنى الحيوانات عموماً والطيور خصوصاً التي تجد لاوكارها واقواتها الخاصة شديدة الحرارة في وطأ بحر الميت ونهر الاردن وسهولاً كثيرة الخصب كسهول شارون وبطائح مرجعيون وانجاداً مرتفعة كجبال موآب ومياهاً عذبة كبحيرة جنَّاسر ومياهاً مالحة كبحر الشام وقفاراً كاريحا وجهات الحرلة وامكنة آهلة كالجليل وبلاد بشارة. فكل هذه الاختلافات في المناطق ودرجات الحرارة والخصب والقفار موافقة لسرّ عدد الطير وتلوُّن اجناسها بحيث يجوز القول انَّ فلسطين جامعة لثلاثة اجناس من الطيور اعني الطيور الاوربيَّة الساكنة البلاد الباردة ثمَّ الطيور الهنديَّة التي تُرى في جنوبي آسية وأخيراً الطيور الافريقيَّة القاطنة في الحبشة وان كان عدد الاولى اوفر من سواها

ولكن دعنا نحصر بحثنا في بعض اصناف الطيور الفلسطينيَّة نزيد بها جوارحها وليس الجوارح كلها بل النهاريَّة دون الليليَّة وفي ذكرها من الفائدة ما لا يُخفى فنقول

وصف الكواسر عموماً

انَّ كواسر الطير بالاجمال تمتاز بالخواصّ الآتية فانَّ لها منقاراً اي منقاراً شديد الصلابة ينتهي في طرفهِ بسنّ مروَّس معقوف الى اسفل وجانبا المنقار محدَّدان لتمزيق فريستها. ويدخل المنقار الاسفل نوعاً في الاعلى. ويغطي اعلى منقار الطائر جُليدةٌ صفراء لامعة فيها ثقبان هما منخراهُ يختلف جدًّا وضعهما وهيئتهما على اختلاف انواع الكواسر. وله عينان على جانبي الرأس يمتدُّ بصرهما الى مسافات بعيدة على

Acta Sanctorum, vol., IV Jun. pp. 231-246) . وسُمّي بهذا الاسم الاسم ايضاً رجلان من الصحابة اسماعيل الزُّبدي ورجل آخر ذكرهما ابن الاثير في أُسد الغابة (ج١ص٧٩—٨٠)

(اشعيا) هو اسم احد الرُهبان العرب في طور سيناء المستشهدين سنة ٤٧٣

(الياس) ورد هذا الاسم لاحد اجداد نبيّ المسلمين وهو الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان راجع كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٠) وقد زعموا انَّ الاسم مشتق من ينس والصواب انّ الاسم عبرانيّ الاصل وبهِ سُمّي النبي الياس الشهير وبهِ سُمّي بعد الاسلام الياس بن حبيب الفهري عامل افريقية (اطلب تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٦٤) . ومن المحتمل انَّ اسم « اياس » الشائع عند العرب هو صورة مخففة لاسم الياس . وبهذا الاسم عُرف احد النصارى وهو اياس بن قبيصة النصراني وقد ذكرنا في شعراء النصرانية (ص٩٣) شيئاً من شعرهِ . وكان احد سادة قومهِ وابنهُ اياس كان عاملاً لكسرى انوشروان على الحيرة . وممَّن عُرف بين عرب النصارى باسم الياس راهبٌ استشهد في طور سينا سنة ٣٨٠ تذكارُهُ في ٢٠ تشرين الثاني . وكذلك الياس بطريرك اورشليم (٤٨٠—٥١٨) القديس كان مولدهُ في جزيرة العرب

(أيوب) هو اسم بعض العرب في الجاهليَّة منهم أيوب بن محروف وهو جدّ الشاعر النصراني عديّ بن زيد . قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢ : ١٨) : «كان أيوب هذا فيما زعم ابن الاعرابيّ اوّل من سُمّي من العرب أيوب » . وذكرهُ في تاج العروس (١ : ١٥١) مع ابنهِ ابرهيم عمّ الشاعر عديّ بن زيد وروى قول ابن الكلبيّ فيهما قال : « ولا اعرف في الجاهليَّة من العرب أيوب وابرهيم غير هذين وانَّما سُمّيا بهذين الاسمين للنصرانيَّة » . وقد ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (١ : ١٦٢) رجلين من الانصار دُعيا بأيوب ولا شكّ انَّ هذا الاسم كان اسمهما في الجاهليَّة وهما « أيوب بن بشير الانصاري وأيوب بن مكرز » . وقد ذكر البحتري في حماستهِ (اطلب طبعتنا ص ٢٦٠و٢٦١) مقاطيع من الشعر لشاعر دعاهُ عُبيد بن أيوب . وكذلك ورد اسم ايوب في شعر النابغة حيث قال (شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٥) :

مستشرينَ قدَ ألفَوا في ديارهمُ دُعاء سُوعٍ ودعيّ وأيُّوبِ

يريد انَّ بني قُعَيْن دعوا الى الحرب هذه الاحياء الثلاثة قال الشارح : « وهم احياء من اليمن من غسَّان وهم نصارى وقيل هم رهبان »

(بَنيامين) هو احد شهداء طور سينا سنة ٤٧٣

(حنَّة) هذا الاسم ورد للذكور والإناث فهو كحنَّان ويوحنَّا . امَّا للاناث فهو كاسم حنَّة امّ صموئيل . ومن الاوَّل حنَّة والد عمرو الصحابيّ الانصاريّ وابو حنَّة البدري ذكرهما في تاج العروس (٩ : ١٨٥) . وامَّا من الثاني فحنَّة بنت هاشم بن عبد مناف القرشيّ عم محمَّد ذكرها اليعقوبيّ في تاريخه (١ : ٢٨١و٢٨٣)

(حوَّاء) ذكر ابن الاثير في أُسد الغابة (٥ : ٤٢٩) اربع نسوة من الانصاريَّات عُرفن باسم حوَّاء فتسمَّين به في عهد الجاهليَّة وهنَّ حوَّاء بنت السكن امّ بجيد الحارثيَّة زوجة قيس بن الخطيم الشاعر الذي قُتل قبل الهجرة . وحوَّاء بنت رافع بن امرئ القيس . وحوَّاء بنت زيد بن السكن وكلّهنَّ من بني عبد الاشهل . والرابعة حوَّاء بنت يزيد بن سنان زوجة قيس بن شمَّاس . وقد اختلفوا في نسبهنَّ وعددهنَّ

(حَيقار) هو من الاسماء الكتابيَّة ورد في سفر طوبيَّا في الترجمة اليونانيَّة (١ : ٢٣) . وفي تاريخ الطبريّ (١ : ٧٤٥) انَّ احد بني معدّ بن عدنان الذين خرجوا مع اليمنيين الى الريف كان يدعى بالحَيقار بن الحيق

(داوُد) هو احد اعلام النصرانيَّة المتواترة في الجاهليَّة . واقدم من عُرف به احد ملوك الضجاعمة الذين سبقوا غسان وتنصَّروا مع بني سليح واسمهُ « داود اللتق » قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٣١٩) « هو الذي يُضاف اليه دير داوُد بالشام وقد ملك زماناً » . وقد روى الكلبي في الجمهرة نسبهُ فقال : « هو داود بن هبولة اخي هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم » . ويروى اسم داوُد على صورة دوَّاد قال الاسود بن يعفر (حماسة البحتريّ ص ٨٣) يصف منازل آل محرّق :

ارضٌ تخيَّرها لطيب نَقيلها كعبُ بن مامةَ وابنُ امِّ دوَّادِ

ومن مشاهير شعراء بني اياد النصارى في الجاهليَّة « ابو دوَّاد الايادي » اطلب شعرهُ في حماسة البحتري (ص ٨٧) . وقد ذُكر هناك (ص ١٤٤) شاعرٌ آخر دُعي

داوُد وهو داوُد بن حَتَل الهمذاني . ومن موالي الانصار داود بن بلال (ذكرهُ في اسد الغابة ٢ : ١٢٩)

(زكريّا) دُعي بهذا الاسم احد بني خزاعة وهو زكريّا بن علقمة الخزاعي ذكرهُ ابن الاثير في أُسد الغابة (٢ : ٢٠٥) وقال انهُ دُعي ايضاً كُرْزًا . وذكر في الاغاني (١٩ : ١٢) زكريّا بن ثباء الثقفي

(سُلَيمان) ذكر اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٩) بين حكّام العرب في الجاهليّة سليمان بن نوفل ممّن حكّموهم لشرفهم وصدقهم ورئاستهم . وذكر البحتري بين قدماء الشعراء (في حماستهِ ص ٢٢٦) سليمان بن المهاجر العدوي . وروى ابو تمّام (ص ٤٣٥) شعرًا لسُليمان بن قتّة . وذكروا بين الانصار عدّة رجال دُعوا باسم سليمان كسُلَيمان الليثي بن اكيمة وسُلَيمان ابن ابي حثمة القرشي وسُلَيمان بن صُرَد الخزاعي وسُليمان بن عمرو بن حديدة الذي قُتل يوم أُحد وسليمان بن مُسهر وسليمان بن هاشم ابن عُتبة القرشي (اطلب أُسد الغابة ٢ : ٣٥٠ — ٣٥٢) . ولعلّ الذين تسمّوا في الجاهليّة بسُلَيم وسلّام وسَلْمان وسالم اشاروا باسمائهم الى سُلَيمان . والدليل عليهِ ما ورد من الشعر في سُلَيمان الحكيم بتغيير صورة اسمهِ فدعاهُ الاسود بن يعفر سلّاماً قال (التاج ٨ : ٣٤٤) :

ودعا بمحكمة امينٌ سكّها من نسج داودَ ابي سلّام

ومثلهُ للحطيئة :

فيهِ الرماحُ وفيهِ كل سابغة جلاء مُحكمة من نسج سلّام

ودعاهُ النابغة سُلَيماً فقال ناسباً اليهِ نسج الدروع (ديوانهُ ص ٩٩)

وكلّ صموتٍ نثلة تُبَّعيّة ونسج سُلَيمٍ كلُّ قضّاء ذائل

(سِنان) من المحتمل ان يكون هذا الاسم كتابيًّا او نصرانيًّا محضاً وقد دُعي بهِ قوم في الجاهليّة منهم سِنان بن عمرو بن قريط سيّد بني كلاب الذي كتب اليهِ رسول المسلمين يدعوهُ الى الاسلام فرقع دلوهُ بالكتاب كما ذكر ابن سعد (ص ١٩ — ٢٠ ed. Wellhausen) ثمّ خاف واسلم . وذكر ابو حاتم سهل السجستاني في كتاب المعمّرين (ص ٥٤ ed. Goldziher) سنان بن هُبَيرة قال « وهو ابو السنّال الاسديّ عاش ١٦٧ سنة » وقالوا انهُ كان في الردّة . وفي أُسد الغابة

لابن الاثير (٢: ٣٥٥) صحابيان كان اسمهما سمعان وهما سمعان بن خالد الكلابي وسمعان بن عمرو بن حجر ولعلّ الاوّل منهما هو الذي ذكرهُ ابن سعد. ولسم سمعان ورد ايضاً على صورة شمعون (راجع ياقوت معجم البلدان ٢: ٦٧٢)

(السَّمَوْءل) وهو سموئيل وصَمُوئيل وشموئيل ايضاً. وقد اثبتنا في ديوان السموءل ما يرجّح كون السموءل بن عادياء نصرانيًا وعليهِ يكون الاسم شاع ايضاً بين النصارى. وقد ذكر ابن هشام في سيرة الرسول حبرًا من اليهود يُدعى سموئيل بن زيد (ص ٣٥٢ و٣٩٨ ed. Wüstenfeld)

(عِمْران) ومثلهُ (عَمْرو) اسمان شائعان بين عرب الجاهليّة ولعلّهم استعاروهما من عَمْرام وعُمري الواردين في التوراة فعَمْرام هو ابو موسى وهارون ومريم (عدد ٣: ١٧) ورُوي في القرآن عِمْران فجعلهُ كابي العذراء مريم (٣: ٣١ و٦٦: ١٢). وعُمْري اسم لاحد ملوك اسرائيل ولبعض ابناء اسرائيل. وممن اشتهر باسم عمرو في الجاهليّة عمرو بن كلثوم التغلبيّ الشاعر النصراني الشهير وعمرو بن قميئة وعمرو بن الاهتم التميمي وغيرهم. واشتهر باسم عِمْران عِمْران ابن مرّة بن الحارث وعمران بن الحصين الصحابي

(مريم) تعدّدت نساء العرب المدعوّات بمريم نذكرهنّ في الباب التابع

(موسى) دُعي بهِ بعض العرب قبل الاسلام كموسى بن الحارث (سيرة الرسول ص٢١١) وابي موسى الاشعريّ (ابن سعد ٧٠) وموسى بن جابر الحنفيّ احد شعراء الحماسة قال في خزانة الادب ولبّ لُباب لسان العرب (١: ١٤٦): «هو احد شعراء بني حنيفة المكثرين يقال لهُ ابن الفريعة وهي امّهُ ويقال كان نصرانيًا». وكان اسم رسول النسطوريين موسى وهو منصّرهم في القرن الرابع كما مرّ في القسم الاوّل. وكذلك احد المستشهدين من نسّاك العرب في جبل سينا سنة ٤٧٣ كان يُدعى موسى

(لوط) ذكر ابن سعد في الوفادات (ص١٩ ed. Wellhausen) في جملة الرواة المعاصرين لنبي المسلمين «لوط بن يحيى الازديّ»

(النُّعمان) اقدم من ذكرهُ التاريخ بهذا الاسم النُّعمان بن بنيامين بن يعقوب (تكوين ٤٦: ٢١) وبهِ عُرف قائد ملك سوريّة الذي ابرأهُ اليشا النبيّ. وقد شاع بعد ذلك بين العرب وامّهم استعاروهُ من الاسفار المقدّسة

(نوح) سُمّي باسم نوح احد نصارى ربيعة وهو نوح بن مُجلّد ورد ذكرهُ في أُسد الغابة (٥ : ٤٥) . وذكر في الاغاني (٢١ : ١٠) رجلًا دعاهُ بابن نوح كان في اوائل الاسلام

(هارون) لم يحضرنا اسم احد من الجاهليَّة دُعي بهارون . ولعلَّ هارون بن النعمان بن الاسلت الاوسي (الاغاني ١٥ : ١٦١) الذي كان في اوائل الاسلام سُمي بهِ قبل الاسلام

(يَعقُوب) كان من شهداء طور سينا سنة ١٧٣ المسمّى يعقوب . وذكر ابن الاثير (اسد الغابة ٥ : ١٢٧) بهذا الاسم من اهل الجاهليَّة الذين أسلموا يَعقوب بن اوس ويَعقوب بن الحُصَين ويعقوب بن زَمَعة ويعقوب القبطي . وذكر في الاغاني (٤ : ٦٤) من جملة المغنين في اوَّل عهد الاسلام يعقوب بن الحبَّار

(يُوسف) عُرف بهذا الاسم احد شهداء المدائن سنة ٣٥٠ (Acta Sanctorum, III Apr., p. 19) . ومن المدعوّين بهِ يوسف بن الحكَم الثقفي وكان في اوَّل ظهور الاسلام . وذكر ابن الاثير (٥ : ١٣٢) يوسف الفهري من جملة الصحابة

(يونس) هو اسم يونان النبيّ . وذكروا بينَ الانصار يونس بن شدَّاد الازديّ ويونس الظفَري الاوسي (اسد الغابة ٥ : ١٣٢) فالاسم سبق الاسلام . والدليل عليهِ ايضًا اسماء رهبان كانوا في جزيرة العرب وعُرفوا باسم يونس (Jonas) . ولعلَّ هذا الاسم اذا شُدّدت النون يراد بهِ اسم يوحنَّا النصراني على لفظ اليونانيَّة (Ἰωάννης) والله اعلم (لهُ بقيَّة)

مدرسة الحقوق الرومانية في بيروت

لحضرة المسيو بول هوفلين احد اساتذة مكتب الحقوق في ليون

هو الخطاب الذي القاهُ في حفلة افتتاح مكتب الحقوق الفرنسويّ الجديد اللاحق بكلّيتنا في ١٦ من الشهر المنصرم بتصدُّر سعادة الاميرال بوى دي لابيرير القائد العام لاسطول البحر المتوسط الفرنسوي وحضور دولة متصرّف لبنان قيربجيان باشا وسعادة قنصل فرنسة العام المسيو كوبه وممثل دولة والي الولاية ومدير مكتب الحقوق السلطاني في بيروت مع اركان وضبّاط الاسطول ونخبة من اصحاب الرجاحة وارباب العلم والادب في مقدّمتهم رؤساء رهبانيتنا ومديرو المدارس في بيروت . فبعد ان رحّب الخطيب بالوافدين أعلن عما تبنيهِ

فرنسة وبلاد الشرق من الآمال الطيّبة على مكتب الحقوق الجديد الذي عُقدت هذه الحفلة لافتتاحهِ فيأتي كالمكتب الطبي الذي سبقهُ بالاثمار الجنيَّة لخير الوطن وخدمة ابناء الشرق. ثم تخطّى الى ذكر مدرسة أخرى شاعت في العالم الروماني وشرّفت مدينة بيروت مدّة ثلثة قرون بتيف اعني مدرسة الحقوق الرومانيَّة فافاض في الكلام واجاد ثمَّ وجد في تلك المدرسة خير ضامن لنجاح المكتب الجديد ودونك تعريب خطابهِ:

ليست هذه المرَّة الاولى حظيت بيروت بمدرسة للحقوق فانَّها في سالف الزمان اضحت مركزاً ممتازاً لتعليم الشرائع ولعلَّ اهل عصرنا قد فاتهم ذكر ذلك العهد العلميّ لمرور خمسة عشر او ستَّة عشر قرناً على تاريخهِ وكانت الدولة الرومانيَّة في ذلك العهد كما تعلمون باسطةً سلطانها على انحاء العالم المتمدّن الممتدّ حوالي البحر المتوسط فتسنّ بشرائعها على امم متباينة كثيرة الاختلاف وتنشر بينها مع « سلامها الرومانيّ » فنّ حقوقها

واذا امعنَّا النظر في دستور الرومان وجدناهم قد احسنوا تأليفهُ فكادوا ان يجعلوهُ في وثاقتهِ شبيهاً بابنيتهم العجيبة وقد ركّبوا اجزاءهُ بمواد صمّاء متراصّة حسنة الالتحام تستطيع الدهر على آفات الزمان. ولم يخالف ذلك العملُ ظنَّهم والدليل عليهِ انَّ الدستور الروماني ثبت مع توالي الدهور ولا يزال ثابتاً. فانَّ اصول الحقّ الروماني جاريةٌ حتى يومنا في شرائع الدول الحاليَّة وهي تُعرف بخواصها كشمولها للاحكام العموميَّة ووضوح صورتها والتوازن الذي يلوح فيها بين لزوم اصحابها للنظريات وفهمهم للضروريَّات العمليَّة بحيث يصحُّ القول انَّ الحقّ الروماني اضحى الركن المتين لكلّ الآداب الشرعيَّة ولتعليم الفقه المدرسيّ

فهذا الدستور قد وجد في سوريَّة منذ القرن الثاني للمسيح مقاماً ممتازاً يوافق نشرهُ في التعليم. ولعلَّ القياصرة الرومانيين المولودين في بلاد الشام واوَّلهم سبتيميوس سافيروس الذي جلس على عرش الامبراطرة سنة ١٩٣ اخذوا في صحبتهم الى رومية قوماً من مواطنيهم ادخلوهم في محاكمهم ونظموهم في اهل شوراهم. واذ كان هؤلاء الرجال ذوي عقول نيّرة اضحوا بعد قليل فقهاء نطاسيّين برزوا بين رصفائهم. ومما يُذكر فيُشكر ان رجلين من اكبر الفقهاء الذين خلّد التاريخ اسمهم بالثناء العاطر كانا من اهل الشام واحدهما يُدعى أُلبيان (Ulpien) وهو اوسع مشاهير كتبة الفقه تأليفاً واوفرهم علماً اصلهُ من مدينة صور التي يدعوها في بعض كتبهِ

« مستعمرة فينيقية البهيَّة ». امَّا الآخر فيُدعى بابينيان (Papinien) وقد فاق على امثاله بعقله الثاقب ونظره البعيد وهو يُعَدّ كتابة فنّ الحقوق وتسيج وحده في ردّ قوانين الفقه الى اصول عموميَّة تربط شواردهُ. وكان الامبراطور سلويرنوس صهر بابينيان تزوَّج اختهُ يوليا دومنا الحمصيَّة والمرجَّح انَّهُ كان مولودًا في حمص مثلها. ومنهُ يتَّضح انَّ سوريَّة انشأت احد الاساتذة المتقدّمين في علم الحقوق ان لم نقل إمامهم جميعاً حتى يومنا. هذا لعمري من شأنهِ ان ينشِّط همَّة طلبة مكتبنا وأملنا ان تسيروا على آثار آبائكم ومن اشبهَ اباهُ ما ظلم لاسيَّما انَّ احوال جوّكم لم تتغيَّر وانَّ دم اجدادكم يسيل في عروقكم فلا غرو ان تأتي التربة الواحدة بالثمر عينهِ فيحيا السلفاء في خلفائهم

ويوسعنا أن نضيف الى الفقيهين السابقين رجالًا شرَّفوا سوريَّة مثلهما بمعارفهم الفقهيَّة. فانَّ المرجَّح مثلًا انَّ كلوديوس تريفونينوس (Cl. Tryphoninus) الشهير بمصنَّفاتهِ في الحقوق كان سوريَّ الاصل وقد تألَّفتهُ الدولة سنة ٢١٣ منصباً شريفاً في بيروت

وليس بالمستبعد انَّ هؤلاء العلماء بشهرة مآثرهم ألفتوا الى وطنهم نظر الدولة فأنشئت فيهِ مراعاةً لجانبهم مدارس الحقوق وان لم يمكنَّا القطع بهذا الامر. ومما لا ريب فيهِ انَّ الحكومة الرومانيَّة اختارت سواحل الشام لالقاء هذه الدروس في اوائل القرن الثالث المسيح. فاشتهرت مذ ذاك الحين مدرستان كان مقام الواحدة منها في مدينة قيصريَّة الواقعة بين يافا وحيفا. وهذه لم تُبقِ لنا من مآثرها الَّا النزر القليل. امَّا الثانية التي نحسن معرفتها فكان مركزها في بيروت المدعوَّة عند الرومان « بمستعمرة يوليا اوغستا السعيدة بيريتوس »

فما فتحت مدرسة بيروت ابوابها للطالبين حتى اصابت بزمن قليل شهرةً مستفيضة ونجاحاً كبيرًا كما تشهد على ذلك كتابةٌ لاتينيَّة تاريخها سنة ٢٣٨. ثمَّ أيد ذلك في اواسط القرن الرابع مؤلف كتاب وَصف المعمور (Expositio totius mundi) الشبيه بدليل بديكر في عهدنا فكتب من بيروت ما تعريبهُ: « بيروت مدينة غاية في البهجة (valde deliciosa) فيها مدارس للحقوق لتعليم كل الدستور الروماني واليها يتوارد الطلبة لأنَّ فيها يتخرَّج المحامون القانونيُّون لمحاكم العالم كلهِ. »

وبلغت هذه المدرسة في اواخر القرن الخامس للميلاد مقاماً رفيعاً فاقت به على مدارس القسطنطينيَّة ورومية . ولمَّا ألغى الملك يستنيان بعض المراكز العلميَّة التي رآها سيئة النظام كمدارس أثينة والاسكندريَّة وقيصريَّة لم يترك سوى مدرسة بيروت لتكون بين مدرستي رومية والقسطنطينيَّة حاضرتي الدولة الرومانيَّة . ومع ما أصيبت به بيروت من النكبات لم ينطفئ نبراس تعليمها حتى بعد الفتح الاسلامي . بل نجد في التاريخ بعض آثار حركتها العلميَّة الباقية من بهائها القديم الى القرن الثامن

ولا غرو انَّ نظام مدرسة الحقوق الرومانيَّة في بيروت كان حرياً بالاعتبار لولا انَّ آفات الدهر لم تُبقِ لنا تفاصيلهُ الدقيقة . وما نعلمهُ من ذلك انَّ العمدة المدرسيَّة في عهد الملك يستنيان كانت تتركَّب من اربعة معلِّمين كانوا يدرِّسون الفقه في اللغة اليونانيَّة وينتدبهم الامبراطور نفسهُ لهذه المهمَّة . وكان للتلامذة اختصاصات جمَّة ويدوم درسهم اربع سنوات فالسَّنة الاولى كانوا يُدعون باسم هَزْلي (dupundii) معناهُ تقريباً « ذوو المتاليكين » تشبيهاً لهم بالمتجنِّدين حديثاً في الجيش الذين كانت اجرتهم اليوميَّة في سنتهم الاولى تساوي المتاليكين في عصرنا . وكانوا في السنة الثانية يدرسون قوانين القضاة والحكَّام فيُطلَق عليهم لذلك اسم القانونيين (edictales) . وكانوا يسمَّون في السنة الثالثة اصحاب بابنيان (Papinianistae) لدرسهم الدستور الذي صنَّفهُ هذا الاستاذ الشهير . امَّا السنة الرابعة فكانوا معافين من حضور الدروس فيدعونهم لذلك باسم يوناني معناهُ الاحرار (Λυτοί)

ولمَّا تولَّى يستنيان الملك اصلح شيئاً من امور الدارسين وغيَّر نوعاً أتعابهم وسعى في ضبط نظام المدرسة . ولا مراء انَّهُ لم يُقدم على هذه الاصلاحات الَّا لدواعٍ اضطرَّتهُ اليها . والحق يقال انَّ بعض النصوص التاريخيَّة التي روت لنا اخبار مدرسة بيروت وصفت ايضاً تلامذتها بالبَطَر والجموح فتضايق المعلِّمون من تحاملهم عليهم وشغبهم في اثناء الدروس كما انَّهم كانوا يتطاولون على الطلبة الجدد فيؤذونهم بسخرياتهم . ولنا على ذلك شاهد عيانيّ لطيف روى لنا ما جرى لهُ يوم دخوله في مدرسة بيروت الفقهيَّة . ألا وهو زكريَّا الاستاذ (Zacharias Scholastikos) الذي كتب بالسريانيَّة ترجمة حياة ساويروس زعيم اليعاقبة واوَّل بطاركتهم الدخلاء وكان رفيقهُ في الدروس فاخبر انَّ ساويروس سبقهُ الى مدرسة بيروت في خريف سنة

٤٨٧ للميلاد فتبعهُ زكريّا السنة التالية اعني في خريف سنة ٤٨٨ فوجد ساويروس في صفّ القانونيّين قال :

ولمّا قدمتُ الى بيروت لادرس الحقوق كنتُ موجساً خوفاً من مداعبات تلامذة الصفّ الثاني المعروفين بالقانونيّين التي اعتادوها مع الطلبة الجدد وهي مهرجات يجلونهم بها اضحوكةً بازاء أتراجم وان لم تبلغ سخريةً ثم الى حدّ الأذى . وكنت اخشى على الاخصّ من ساويروس الذي عُرف بعد ذلك بحسن سلوكهِ أن يستخفّ بي وكنت افكّر قائلاً في نفسي : ساويروس فتىً السنّ فلا بدّ ان يجري على آثار رفقتهِ ويجزأ بي . فلمّا دخلتُ مدرسة لاونتيوس ابن اندوكسيوس الذي كان يعلّم الحقوق ويعتبرهُ الطلبة ايّ اعتبار لعلم فضلهِ رأيتُ بين الدارسين ساويروس جالساً عند اقدام الاستاذ مصغياً الى تعليمهِ فليس فقط لم يجزأ بي بل عاملني بكل لطف وتحفّى بي وسلّم عليّ آنساً بوجه بشوش فشكرتُ الله على هذه النعمة الوافرة

فهذا الكلام يشير الى عادات طلبة مدرسة الحقوق في ذاك العصر ولا غرو ان كثيراً من الدارسين الاحداث لم يحظوا كزكريا برفقة كساويرس أنسوا بهم بل صادفوا شبّاناً خفاف الطباع انتهزوا الفرصة ليذيقوهم الامرّين بضروب الهزل والسخريّة

ولكن دَعْنا من ذكر هذه المداعبات الدالّة على نزق شبّان ذلك العصر لنبيّن ما صار لمدرسة الحقوق البيروتيّة من النفوذ نظريّاً وعمليّاً . ومن المقرّر في عهدنا انّ الحقّ الروماني الذي كان شائعاً في آخر اطوار الدولة الرومانيّة كما اثبتهُ يستنيان في دستورهِ وصار بعد ذلك ركناً للشرائع المستحدثة هو نتيجة امتزاج الحقّ القانوني الايطاليّ القديم المعروف بخشونتهِ وضيق دائرتهِ بالدستور الجاري في الاقاليم الشرقيّة المصبوغ بصبغة يونانيّة وهو اكثر مرونةً واوسع مجالاً . والفضل في اندماج الدستورين انّما هو عائد الى مدرسة الحقوق البيروتيّة التي مهّدت الطريق لذلك برفق مع تمادي الزمان . ويشهد على هذه المساعي المشكورة كتابٌ عجيب يُعزى الى كاتب من هذه البلاد يتضمّن العادات المألوفة قديماً فيها وهو يُعرف بالكتاب السوريّ الروماني وكنت وددت لو يسمح لي الزمان برواية بعض فصولهِ . ولنا على قولنا ادلّة اخرى اخصّها اشارات متعدّدة تُقرأ في معظم تآليف الحقّ البوزنطيّ

وقد اتّسعتُ في هذه الفوائد التاريخيّة حتى كاد يعيل صبركم لكنّ لطفكم يمهّد لي المعذرة . فليت شعري أيستطيع احد اساتذة الحقوق مثلي ان يلقى بازاء عينهِ

صورة بإيجاز دون ان يُترى السلام شيخ فنّ الحقوق ولا سيما انا قائم في هذا المحفل لابشركم بافتتاح مدرسة اتوسم فيها النجاح فتفتخر بكونها سليلة تلك المدرسة السالفة ومحيية ان شاء الله آثارها الطيّبة

*

فمدرستنا هذه الجديدة تنتمي اذن الى رومية حيث كان أجدادها من الرومان ولكنها فضلاً عن ذلك هي ابنة فرنسة ايضاً لأنّ لها دعوةً انتدبتها الدولة الفرنسوية الى انجازها. وان سألتم ما هذه الدعوة التي حدَتْ بفرنسة الى ان تحيي بينكم رمم تلك المدرسة الطامسة الآثار منذ قرون عديدة أجبتكم أنها الدعوة ذاتها التي عُهدت اليها اعني نشر دستورها الذي هو مثال دستور العدل والاخاء في اقطار العالم. وهي لعمري دعوة غاية في الشرف يشهد عليها التاريخ. فانّ فرنسة منذ ثلثة اجيال قد عُرفت كموطن الحقوق. وقد دوّنت موادّ تلك الحقوق في دستورها الذي يفوق على كل دستور سواهُ بنفوذه وانتشاره فترى احكام نويس الرابع عشر في الدعاوي المدنيّة (سنة ١٦٦٧) وفي الدعاوي الجنائيّة (١٦٧٠) وفي المعاملات التجاريّة (١٦٧٣) وفي نظام البحرية (١٦٨٠) قد اثّرت بها معظم الدول. وقد شاع على الاخصّ في انحاء المعمور دستورنا الفرنسويّ الكبير الصادر في مفتتح القرن التاسع عشر. فتقاذفتهُ الدول كأنّ فرنسة لم تضع سُنَنها لبلادها فقط بل لكل امم الارض المتفرّقة

والحقّ يقال انّ الشرع الفرنسويّ قد استوطن معظم الدول فدخل في دساتيرها حيناً بالنقل الصريح وحيناً بالاتصال والنفوذ. ويحسن بنا ان نذكر هنا انّ اقساماً كثيرة من الدستور العثماني وعلى الاخصّ قوانين التجارة وقوانين الدعاوي التجاريّة وقوانين الدعاوي المدنيّة وقوانين الدعاوي الجنائيّة هي منقولة عن شرائعنا الفرنسويّة. واكثر ما اقتفوا به على آثارنا انّما هو القانون المدنيّ. فانتشار دستورنا هو شرفٌ لم ينلهُ شعب غيرنا منذ انتشار الحقوق الرومانيّة. فيحقّ بنا ان نفتخر بهذه الميزة التي أولت فرنسة التقدُّم الادبيّ والاجتماعي منذ القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر. أفلا ترى انّ بروسية مثلاً لو امكنها نشر قانونها الذي ابرزتهُ سنة ١٧٩٤

في اواسط اوربة لكانت افتخرت بذلك ولا حرج . فلمَ لا تفتخر فرنسة بما نالهُ دستورها من الانتشار أفليس هذا دليلًا باهرًا على انَّ الشرع الفرنسويَّ باتساعهِ يصلح لعموم الشعوب فيتجاوز حدود بلادنا ويخرج عن دائرة المصالح الوطنيَّة الخاصَّة فيُفيض منتهُ السابغة على بقيَّة البلاد . وخلاصة القول يجوز ان يُدعى الدستور الفرنسويّ دستور البشريَّة عينها

ومن هذا يتَّضح انَّ فرنسة وطننا قد اصبحت مهذِّبةً للشعوب فهي هي التي تنشر اصولًا عدليَّة ارفع قدرًا واوسع كرمًا ومبادئ حقوقيَّة ادقّ ضبطًا واشدّ قوَّة واغزر ثمرًا . وغاية ما تعهد به الى علماء حقوقها أن يسعوا في ترقية الذمَّة القانونيَّة . وايمُ الله انَّ هذه الدعوة لشريفة جدًّا وخالصة من كلّ طمع شخصي لأن غايتها منزَّهة عن كل المنافع المادّيَّة اذ لا تقصد قصدًا آخر سوى رفع شأن الآداب بأن تجعل كل الصوالح المادّيَّة تحت حكم الحقوق المنظَّمة الثابتة

وان كانت فرنسة تقوم نوعًا بتحقيق هذه الدعوة السامية في كل البلاد فلها اسباب خصوصيَّة تدفعها الى نشرها في جهات الشرق لأنَّ الصداقة تدعو قبل كلّ الى خدمة الصديق . ولا يجهل احد من الحضور امرًا يسرُّنا تكرارهُ والمجاهرة بهِ ألا وهو الوداد الخالص الذي يربط الدولة العليَّة بفرنسة منذ زمن قديم . وقد سبقت فرنسة وسعت في نشر المعارف والعلوم على يد عدد عديد من اولادها الذين وقفوا حياتهم على تهذيب الشبيبة في انحاء الشرق من ضفاف نهر الطونة الى ضفاف النيل والفرات فبواسطتهم نال التمدُّن الفرنسيّ السَّبق على سواهُ وتوفَّر عدد حبّيهِ أفلا ينبغي أن نتمم هذا العمل فنفتح للذين تعلَّموا لغتنا الفرنسيَّة وسائل جديدة ليستفيدوا منها ؟ أفلا يُقضى علينا بان نساعد أصحاب تمدُّننا ونرشدهم الى السيرة الفضلى ؟ او نستطيع أن نترك مدارسنا الاوَّليَّة والثانويَّة دون ان نعزّزها بانشاء مكاتب للدروس العليا ؟

وقد تقدَّمنا في هذا المشروع الجليل رجالٌ افاضل خدموا الوطن خدمًا لا يُحصى قدرُها ألا وهم الآباء اليسوعيُّون مديرو المكتب الطبي وكُنتُ اودّ ان اتسع في ما اعرفهُ وما يعرفهُ الجميع من عظم فضل اصحاب هذا المكتب الجليل الذي سبقنا لولا اني لعالمٌ باني قائمٌ بينكم خطيبًا في دارٍ هي دارهم كانت في الامس مهد مكتبهم

الطبي وهي اليوم مهد مشروعنا الجديد فضلاً عن علمي بأنَّ مساعيهم ستتفق مع مساعينا واني اتكلم هنا باسمهم ايضاً . .

على اني استطيع ان اقول ولا تأخذني في ذلك لومة لائم بأن مكتبنا الحقوقي موطن عزمهُ على السير في الطريق التي نهجها المكتب الطبي ليخدم الوطن كما خدمهُ فمنذ الآن اذن تبتدئ مدرسة للحقوق حتى تجري مع المدرسة الطبيَّة جري خيل الرهان وسيؤازرها مكتب آخر للمهندسين تتمّ به حلقة العلوم والفنون وقد باشروا في هذه المدّة الاخيرة بدروس اعداديَّة لهذه الغاية . وعلى هذا المنوال لا تعود الناشئة الوطنيَّة تحسد شبيبتنا الفرنسويَّة اذ يتخرَّج اهل المشرق في بلادهم ولخدمة وطنهم العزيز فيقومون باعباء المناصب التي تنفتح امامهم فيخرج من هذه المكاتب رجال افاضل منهم اطباء ومنهم ارباب عمل وتجار ومحامون قانونيُّون ومدبّرون ومهندسون وصناعيون فيتبارون جميعاً في رفع شأن بلادهم وتوسيع نطاق ثروته وقوّته ورونقه . فنحن اذن ساعون بان ننشئ هنا مشروع حياة وسلام بينما نرى الكثيرين في زماننا لا يسعون الّا في الخراب والدمار . واذا ما ازدادت بذلك اواصر الصداقة وعوامل الولاء التي تجمع بين فرنسة والدولة العثمانيَّة عموماً وسوريَّة خصوصاً وتوثَّقت عُرى حبنا القديم لاهلها تحقَّقت آمالنا وفُزنا بأقصى المرام

رحلة الى معادي الخبيري

للاديب نعمان افندي ابي ناضر

دفعني حبّ البحث والاستقصاء وخدمة قراء المشرق ان ازور المعادي الخبيري بغية ان اقف على آلة قيل لي انها تستخدم حرارة الشمس لاستخراج الماء من الارض وتدير الدواليب (الماكينات) فقصدتها وصديقاً حتى بلغناها وقد هجّر النهار فوقعت عيناي على شبه قرية صغيرة ولا اسميها قرية تعظيماً لشأنها لما بها من الابنية الفخيمة والحدائق الغنّاء موقعة بين الكلا الاخضر على ضفاف النيل وكلها مبنية على الشكل الهندسي الانكليزي ممّا يدلك على ان اولائك القوم اينما حلّوا اعلوا حضارتهم وصناعتهم وسموا لاحداث ما يعيد اليهم ذكر بلادهم من مثل ابنية

وطرق موتّرة وهنالك اشجار السرو والنارجيل تناطح السحاب باغصانها وتنشر الظلّ الظليل على قارعة الطريق العريض المرصوف بالمكدام فاخذني العجب وصديقي مما رأينا لاننا كنا نظنّ اننا سنسير في ارض رملة قاحلة فهتفنا : اين هذه الارض وتربتها من بلادنا واين زراعتنا من زراعتهم ورقيّنا من رقيّهم . ولا اراني مطيلاً وصف ما وقعت عليه عيناي من مناظر بهيجة من ماء وخضراء ولكنني سأسهب في وصف تلك الآلة المصعدة للماء وصفاً يمكّن القراء من تصويرها في اذهانهم فاقول :

تتركب تلك الآلة من خمسة قلّابات بشكل نصف دائرة موجّهة الى السماء يبلغ طول كل واحدة خمسين متراً في عرض عشرة امتار اذا قسناها من جهة انفراج نصف الدائرة يحمل كلًّا منها ثمانية عشر لولباً متحركة من اسفلها محمولة على قضيب حديد طويل ثابت في الارض . وتلك القلّابات ملبّس داخلها بزجاج مرايا وفي وسط كل قلّابة عند نصف الدائرة اربعون ماسورة حديدية سميكة بعرض خمسين سنتيمتراً مثقوبة من اسفلها المستدير على شكل القسطل ثم تضيق من فوق وتصعد مسحوبة حتى تلتصق ببعضها وثقبها مستطيل وكلها متصلة بعضها ببعض يسترها غطاء زجاجي ليس من زجاج المرايا بل عادي وفي اعلى الماسورة الاخيرة وفي كل من الخمس القلابات صندوق حديدي بطول الماسورة الواحدة مثقوب من اسفله اربعة ثقوب . وكل هذه الصناديق متصل بعضها ببعض بقسطل حديدي متصل من وسطه بواسطة قسطل آخر بالآلة المصعدة للماء فاذا بدت النزالة رُفعت تلك اللوالب بآلة تدار بالبنزين فتنقلب الى جهة الشمس وتنعكس اشعتها الواقعة على المرايا على تلك الماسورات الموجودة بالوسط المملوءة بالماء حتى تصفها كما تقدم فتُسخّن الماء ويمنع الزجاج حرارة الشمس من الخروج كما يستفاد من علم الطبيعيات فيتبخر الماء ويتصاعد البخار من تلك الماسورات الحديدية الى الصندوق بواسطة تلك الثقوب فيحمله القسطل الى الآلة المصعدة للماء فتدور اللوالب بقوة عظيمة وتخرج نحو مائتين وسبعين الف لتر في الدقيقة ثم اذا انحرفت الشمس دلّت على انحرافها اصابع حديدية معلّقة في القلابة الوسطى فيأتون بآلة تدار بالكهرباء لتدير تلك القلابات الى جهة الشمس كيفما انحرفت وتحدّد الانعكاسات حتى لا تقع الّا على الماسورات لئلا تذهب فائدتها وتضيع حرارتها

وهذه احدى عجائب العلم الحديث فجلَّ مُبدع الانسان الذي خلق لهُ ذلك العقل النيِّر فتغلَّب بهِ على الحجار والماء والهواء وهو الآن يستخدم حرارة الشمس لتدوير آلاته كما نفعتهُ بحفظ حياته

على انَّ استخدام اشعَّة الشمس لتدوير الآلات ببخار المياه المسخَّنة بها ليس اختراعاً جديداً وانَّما قامت بالامر شركة خاصَّة فجعلتهُ مشروعاً عملياً قليل النفقات كثير الفائدة اذ يولِّد قوَّة عظيمة دون فحم ولا وَقُود ولا كهرباء وذلك في صحار لاجنادل فيها لاستخدام قوَّة شلَّالاتها . والاميركيُّون سبقوا الى ذلك فانشأوا في كليفورنية عدَّة معامل لتوليد البخار بحرارة الشمس وجعلوا ينقلون القوَّة الناجمة عنها الى مسافات بعيدة ويستخدمونها لحاجاتهم المختلفة وتدوير ادواتهم . وهذه القوَّة تبلغ الوفاً من الحصن البخاريَّة

امَّا الشركة التي عُنيت آخراً في استخدام حرارة الشمس فهي شركة انكليزية رأس مالها ٣٠٠,٠٠٠ جنيه ومقسَّمة الى ٢٩٩,٩٢٥ سهماً عادياً قيمة السهم جنيه واحدة و ١٥٠٠ سهم هي اسهم تأسيس (وهذه من حقوق المؤسسين فقط) ولها مدير ومهندسون ومستشارون وخبراء ووكلاء انكليز بمصر والسودان

وسبب تجارب هذه الآلة بمصر هو انهُ بالجلسة التي عقدها مجلس ادارة هذه الشركة في مدينة منشستر (٥ آذار سنة ١٩١٣) خطب رئيسها قائلاً «انهُ باثناء زيارته مصر في العام الماضي وجد ان سماءها توافق كثيراً للاختراع وتوفر سنوياً مبلغاً عظيماً من المال الذي يُنفق في ثمن الفحم المصروف على الآلات الرافعة للمياه . وقال ان قوة الشمس ليست واحدة في جميع الممالك فالقريب منها لخط الاستواء والواقع في المنطقة الحارَّة يسهل على الشركة استعمال آلاتها فيها »

والذي فهمتهُ انا الآن ان هذه الشركة قد باشرت بالعمل منذ ست سنوات وتقدَّمت تدريجاً واوَّل آلة أُنشئت في صندوق سكاير ثمنهُ ٤ شلينات ثم تقدمت الى ان وصلت لقوَّة ١/٨ حصان ثم الى قوَّة ٣ أحصنة ثم الى قوَّة مئة حصان في مصر وان الخزَّان الذي كان مستعملاً للآلة اولاً كان مصنوعاً من الزنك لكنَّ حرارة الشمس وشدَّتها بمصر اذابتهُ وتعطلت الآلة مدة الى ان اتُّخذت التدابير وعُمل الخزان من حديد حيث يتحمَّل قوة الشمس للدرجة ٢٠٠ وفهمتُ من مدير هذه الشركة هنا

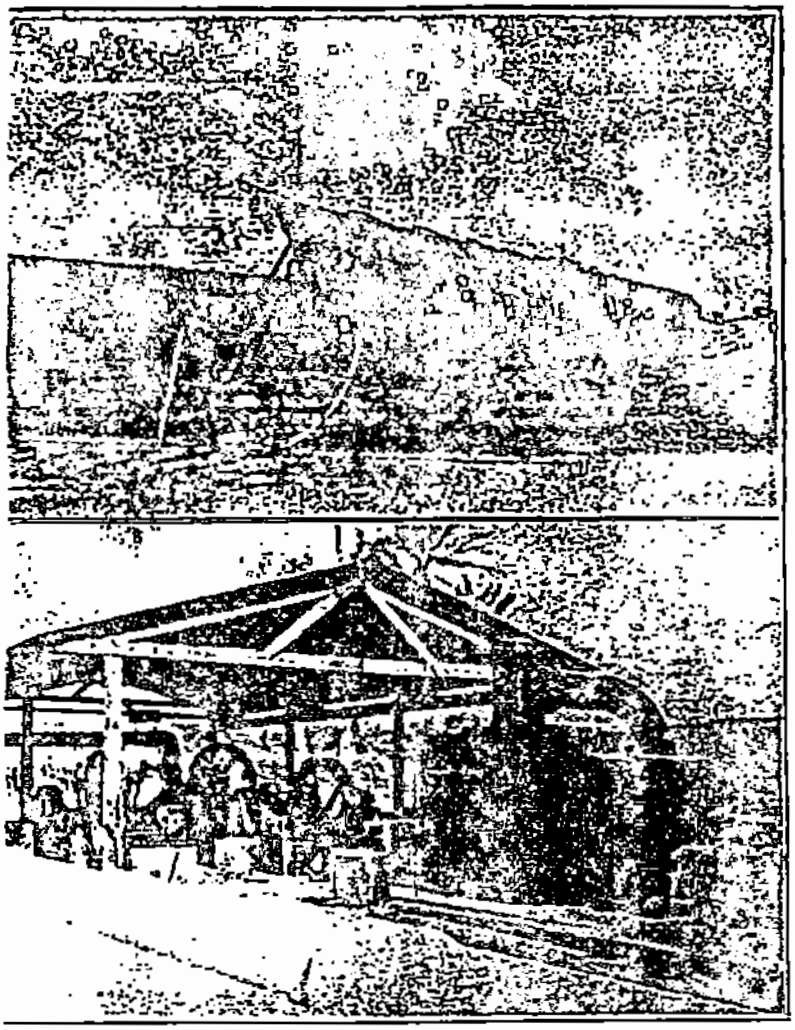

محلّ المادي الخيري لاستخدام حرارة الشمس مع نظر بعض ادواته

ان المصاريف التي تُنفق على هذه الالة اقلّ بكثير من الآلة البخارية التي تتحرك بوقود الفحم وقد وجدوا ان الاقتصاد هو ١٠ شلينات في الطن

ومما قيل لي ايضاً ان هذه الآلة لم تكن منحصرة بريّ الاراضي فقط بل تُستعمل لأغراض أخرى كاستعمال البخار وانهُ بعد مضيّ مدة ستوجّه الشركة عنايتها الخصوصيّة للري فقط وان هذه الآلة استُعملت في الهند وسيلان وبعض ممالك استراليا فأتت بالفائدة المطلوبة ويجوز استعمالها في ايام المطر بواسطة خزانات تُخزن فيها الحرارة وكذلك في ايام الزوابع والعواصف التي تحجب عنها اشعة الشمس فانَّ الحرارة التي تُرصَد في الخزان تكفي لتحريك الآلة ثلاثة ايام ثم بعد ذلك تحركها نصف القوة الاولى

وجعلت الشركة موعد امتحاناتها الاولى في ١١ تموز وكان الاحتفال في معادي الخبيري وهو بلد يبعد عن مصر مسافة ثُلث ساعة بسكة الحديد على الخط الممتدّ من مصر الى حلوان. وقد اختارت الشركة ذاك المكان لوضع الآلة فيهِ لان وكلاءها ساكنون هناك ويوجد ارض فضاء تخص الحكومة واقعة على ضفة النيل نصبت فيها الشركة الآلة التي لم تستعملها حتى الآن سوى للتجارب فقط واذ ليس هناك اراضٍ قريبة من محل هذه الآلة لاجل ريّها فالآلة تُخرج المياه من البحر بقساطل ثم تعيدها اليهِ بقساطل اخرى حيث لا يوجد محلٌ لصب المياه فيهِ كما تقدَّم. والشركة لم تنل حتى الآن امتيازاً خصوصياً من الحكومة المصريّة وفهمتُ انَّها لم تطلب ذلك. والرأي العام يرجح نجاحها وينتظر من عملها نفعاً كبيراً لمصر

الف ليلة وليلتان

للاب شرل ايلا اليسوعي

قد اغفل جامع كتاب الف ليلة وليلة عن فصل بديع. فاكتشفهُ صاحب « المنار » واثبتهُ في العدد الاول من سنتهِ هذه وتوسَّع فيهِ من بعده في العدد التالي الدكتور توفيق صدقي. فجاء روايةً خيالية تدلُّ على سعة المخيّلة في كلا الكاتبين

ومقدرتهما على تأليف الروايات الخيالية. وهاك ملخّص الحكاية: الثابت لدينا نحن معشر النصارى ولدى كل من له ولو بعض الإلمام في التاريخ انّ الذي صلبهُ اليهود هو سيدنا يسوع المسيح. لكنّ هذه طريقة مطروقة يتنزّه « المنار » ذاتهُ عن ان يسلكها. فعنده ان الذي صُلب انما هو يهوذا الاسخريوطيّ الذي خان ربّهُ وباعهُ بثلاثين قطعة فضّة

وان سألتَ على ما بُنيَ هذا الرأي. اجابك الراوي الثاني الدكتور صدقي: «على قول رنان وادورد كارد». وزادك ايضاحاً الراوي الاول السيّد محمد رشيد رضا قائلاً: « ويُروى عن بعض المدققين من علماء اوربّا الاحرار وكذا الذين يُسمّون المسيحيين (؟) العقليين... »

ولا تدفعنّك القحة الى القول: حبّذا المدققون وحبذا الاحرار. قوم ما كفروا ولا مرقوا من الدين الصحيح الّا لأنّ اهواءهم واحكامهم السابقة غلبت عليهم فامتهنتهم واسترقّتهم الى حدّ ان جعلت على بصائرهم غشاوة فأمسوا لا يرون الحوادث وان ثابتةً راسخةً في التاريخ الصحيح كلّما خالفت اراءهم يتشدقون بحرّيّة الفكر وانما هم عبيد فلسفتهم الضالّة. فكيف يركن صاحب المنار الى هؤلاء. وقد عاشوا نحو الفي سنة بعد المسيح ولا يعيرُ سمعاً اولئك « الذين كانوا مُعاينين منذ البدء وخادمين الكلمة » (لوقا ١ : ٢) او اخذوا عنهم. أفاتهُ انّ ثلاثةً من الانجيليّين سفكوا دمهم شهادةً على ما ضمّنوه اسفارهم والرابع يوحنا تلمذ بوليكربوس اسقف ازمير واغناطيوس اسقف انطاكية وغيرهما كثيرين الذين ماتوا ضحيّة شهادتهم على كل ما حوتهُ البشارة الانجيليّة

فان قلت هذا اجابك كاتبا المنار: « سندُنا قول شاهدٍ من الاولين. وهو برنابا الرسول الذي نقلنا روايتنا عمّا اثبتهُ في انجيله »

نعمْ. نعمْ. اتدري ما هو انجيل برنابا؟ راجع اصحاب النقد الدقيق ترَ انهُ احد الاناجيل التي زوّرها الهراطقة وحرمها البابا جيلاسيوس في جملة التآليف المصنوعة سنة ٤٩٤ م. وترَ ايضاً انّ هذا الانجيل مفقود لم يبقَ لهُ أثر ولا يُعرف منهُ شيء. واما الكتاب الموسوم باسم انجيل برنابا الذي سعت في ترجمته مجلّة المنار فهو من الكتب المصنوعة الحديثة التي لا علاقة لها مع انجيل برنابا المذكور. وتاريخ نسخته

الاصلية باللغة الايطالية سنة ١٥٧٥ ألفهُ على ما يظهر راهب ايطالي محروم يُدعى ماريني وقد عرَّبت مجلة المنار هذا الكتاب عن طبعة اوكسفرد الايطالية الانكليزية (١ ونقلت في مقدَّمة طبعتها العربية كلام ناشري طبعة اوكسفرد وهاك نصَّهُ (٢: « يمكننا الجزم بان كتاب برنابا الايطالي انما هو كتاب انشائي . . هو تعليم رجل لهُ إلمام عجيب بالتوراة اللاتينيَّة يقرب من إلمام دانت وانهُ نظير دانت متضلع على نوع خاص من الزبور وهو صنعُ رجل معرفتهُ للاسفار المسيحيَّة تفوق كثيرًا اطلاعه على الكتب الدينيَّة الاسلاميَّة فيرجَّح اذًا انهُ مرتدٌ عن النصرانيَّة ». افليس من غرائب القحة ان يعود المنار بعد هذا ويعتمد على انجيل برنابا كأنهُ مصدر اوَّلي : وكان حضرة مدير المشرق (١١ : ٢٠٤) أنذر المنار ونصحهُ ان يتصفَّح ما جاء في مقدَّمة ترجمة اوكسفرد . ولكن فاتَ الاب الفاضل وقتئذٍ انَّ شعار المنار ان يُنير ولا يُنار . ويعظ ولا يتَّعظ . ولذلك قال في عدده الاول لهذه السنة (ص ٩) انهُ اذا كان يرغب الى « كل مَن يطَّلع عليهِ ويرى فيهِ خطأً ان يبيِّنهُ لهُ بالمشافهة . . » او بالكتابة فانه مع ذلك لا يرضى ان يكون منتقدوه ممَّن « اذا رأوا او سمعوا — ولو كذباً (!) — انَّ اخاهم اخطأ في شيءٍ اشاعوا ذلك بين الناس في القول والكتابة فيدري (وهنا الطامَّة الكبرى) بذلك الخطإ من يلقونهُ دونهُ » . ولا عجب فذو النفي يهرب من النور لئلَّا ينفضح كما نُضح غيره باتهامه اياه ظلماً وعدواناً

علمنا اذن ان حكاية صلب يهوذا هي الثانية بعد الالف لروايات الف ليلة وليلة لفَّقها صاحب المنار وصاحبه الدكتور صدقي . ولكن كان حقّ قرَّائهما ان يسألوهما ولو نزرًا قليلًا من الفنّ في التلفيق . فان اقلّ ما على المزوّر ان يختلق ما هو قريب للعقل . يقرّ الدكتور صدقي ان اليهود كانوا حاقدين على يسوع يكرهونهُ شديدًا . وان بغيتهم كانت صلبهُ وقتلهُ هو دون غيره . ومع ذلك يزعم جنابهُ انهم ضلُّوا عنهُ جميعاً . وصلبوا عوضهُ يهوذا ظنًّا منهم انهُ يسوع لانهُ على ما تحققهُ الدكتور صدقي

(١ The Gospel of Barnabas edited and translated from the italian Ms. in the imperial library at Vienna by Lonsdale and Laura Ragg. *Oxford, at the Clarendon Press*, 1907.

(٢ انجيل برنابا — مطبعة المنار — ص ١٠

في كتب الاقدمين (!) وخصوصاً في خرافات الملحدين المعاصرين كان شبهٌ تامٌ بين يسوع البارّ ويهوذا الخائن (كذا). بالله عليك يا جناب الدكتور. ان كنت حصلت على الصورتين بالآلة الفوتغرافيّة فمنّ علينا بهما ليكون لك اجرٌ عظيم عند الله والناس. وكذلك في رأي الراوي المدقّق انّ النساء اللواتي حكى عنهنّ الانجيل بعد ان خدمنَ يسوع ثلاثة اعوام ايامَ بشارته تبعن يهوذا حاملاً الصليب الى جبل الجلجلة وغرَّهنَّ الشبه التام بينهُ وبين يسوع فخلن انهُ الرب يُقاد الى الصلب. امّا مريم امُّهُ فمن المحال ألّا تميّز ولدها من غيره ولذلك ارتأى الدكتور صدقي حذف ذكرها من انجيل يوحنا واقفةً تحت الصليب. فان جنابهُ يختار من الاناجيل الاربعة ما يحلو لهُ ويطيب ويحذف ما يناقض رأيه. وبديهيٌّ انّ الرسل الاحد عشر لم يسلموا من الغشّ فانهم هم ايضاً ايقنوا ان المصلوب هوَ يسوع فاختلسوا جثة يهوذا رغماً عن الحرّاس الذين اقامتهم السلطة الرومانيّة على قبره واذاعوا الخبر ان يسوع قام من الاموات

والى مَ آل امرُ يسوع؟ رُويدًا رُويدًا ياصاح. فيأتيك الدكتور بما يرى للمسيح في مخيّلته الوقّادة. اسمع كلامهُ (ص ١١٤) لا فُضَّ فوه: «ولما كان الصباح ساقوه (اي يسوع) الى بيلاطوس الذي كان يودّ انقاذه منهم ولكن الظاهر من الاناجيل انهُ لم يفلح فحكم بصلبه فاخذه العسكر الى السجن حتى يستعدُّوا للصلب ففرّ من السجن هارباً امّا بمعجزة او بغير معجزة». نعم انّ رنان زعيم الدكتور لا يؤمن بالمعجزات وهو السبب الوحيد لرفضه الانجيل. ولكن الرجاء من القارئ اللبيب ألّا يؤاخذه كونهُ نسي انهُ ينتمي الى رنان ولا تسئلهُ كيف ركّب هرب يسوع الذي طالما اظهر للرسل وغيرهم رغبته ان يُسلَّم الى اليهود ليكفّر عن خطايا البشر ويبثّهم ما اتّقد بهِ فؤادهُ من الحب لهم. كيف يهرب من قال الانجيل عنهُ انهُ في البستان قام غير راهب يلاقي اعداءه. فهذا وما هوَ نحوهُ لا يعرقل جنابهُ. لهُ عليهِ جوابٌ قاطع شافٍ وهو تكريرهُ لقولهِ: وهذا ايضاً من خرافات الانجيل

لنعد الآن الى خرافات الدكتور. قال الراوي (ص ١١٤): «وربما ذهب (يسوع) الى جبل الزيتون ليختفي وهناك توفّاه الله او رفعه اليهِ بجسمهِ او بروحهِ فقط». بالله عليك ايها القارئ ألّا تنظر الى رُفات رنان ترتعش في ضريحهِ وتربد غضباً على تلميذ لهُ يعتقد بارتفاع جسمٍ الى السماء او اقلّهُ بخلود النفس

حسبنا الآن فكاهةً واما ما جاء في المنار مما به ينقض ذاتهُ لذاتهِ فحذرت عنهُ ولا حرج. فتارةً (عدد ١ : ١٠) يروي عن المدققين ان الذي صُلِب لم يمت بل اغمي عليهِ. وتارةً (عدد ٢ : ١١٩) يجزم بانَّ اثنين من التلاميذ اختلسا من القبر جثة المصلوب . الى غير ذلك من ناقض ومنقوض مما يُضحك الثكلى لولا ما وراءه من النيَّة الثابتة لتذليل النصرانيَّة وان ظلماً وعدواناً

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثامن

الوهيَّة المسيح في قيامتهِ

مات المسيح لكنَّ موته كان بدء مجدهِ فانهُ لم ينزل بعد عن صليبهِ واذا الطبيعة كلها تشهد لعزهِ ولاهوتهِ. فانكساف الشمس وانتشار الظلمات على الارض وخروج اجساد القديسين من قبورهم وقرع الجموع لصدورهم بالإنابة فكلّ ذلك يردّد بلسان حالهِ قول قائد المئة: « حقًّا كان هذا ابن الله »

وما كاد يلفظ نفسهُ الاخير حتى صار جسد المصلوب موضوع الاكرام والوقار لكنَّهُ لم يسمح بأن يمسَّهُ صديق الى أن يطعنهُ احد الجنود بحربتهِ ليتحقَّق كل الناس صحَّة موتهِ ويدلَّ البشر على انَّ ذاك الجنب المفتوح يتضمَّن قلباً مفعماً بالحبّ لجميع الامم تفيض منهُ على بني آدم نعم الخلاص التي رمز اليها بالدم والماء السائلين من جنبهِ

وها هوذا قد باشر باثبات نبوَّتهِ حيث قال (يو ١٢ : ٣٢): « وانا اذا ارتفعتُ عن الارض جذبتُ اليَّ الجميع ». واوَّل من جذبهم اولئك الذين سعوا في تحنيط جسدهِ ودفنهِ وفي مقدَّمتهم رجلان من اعيان اليهود نيقوديموس احد اعضاء مجمع اليهود

ويوسف الرامي وكلاهما كان من تلاميذهِ لكنهما كانا متستّرَين خوفاً من اليهود ففي تلك الساعة والخوف احرى بان يشملهما تراهما نبذا كل رعب فدخل يوسف على بيلاطوس بكل جرأةٍ ونال منهُ جسد المصلوب ثمَّ انزلا الجسد عن الصليب وحنّطاهُ ولفّاهُ باللفائف ووضعاهُ في قبر جديد منحوت في صخرة كان يوسف اعدّهُ لنفسهِ في وسط بستانٍ هناك ودحرجا حجرًا ضخماً على باب القبر

بهذا القبر وبهذا الحجر ينتهي كلّ جاه العالم وعظمة الملوك والسلاطين وربّما اختلف القبر في حسنهِ ورونقهِ ووفرة نقوشهِ فيزيد بذلك الاعلان ببطلان مفاخر الدنيا وبذلة من مات فنات ولم يترك من بعدهِ سوى الذكر الفارغ. وتُكتَب في الغالب على صفاح القبر كتابة مزخرفة توقف ابن السابقة على ذاك الذي كان كذا وكذا في زمانهِ ولم يبق منهُ الّا رمّة نخرة فيسير في طريقهِ مردّدًا

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

صدق لبيد بقولهِ « ما خلا الله » وها هوذا الله سيبعث من هذا القبر حياةً جديدة تفوق على الحياة التي سبح لاعدائهِ ان ينزعوها منهُ لساعات. وسوف يُضحي هذا القبر الذي هو لجميع البشر منتهى عزّهم وسلطانهم مبدأ عزّ المسيح ومفتتح سلطانهِ فتتمّ فيهِ نبوّة اشعيا القائل عن ابن داود منتظر الامم (١١: ١٠): « ويكون قبرهُ مجيدًا »

والحقّ يقال انّ لاهوت المسيح الذي تنبّأنا عاليهُ في كل اطوار حياتهِ لم يظهر في واحدٍ منها ظهورهُ في قيامتهِ لأنّا في تلك الاطوار كنّا نشاهد اعمال اللاهوت ممتزجةً » باعمال الناسوت القوّة مع الضعف العظمة مع الذلّ اما في قيامتهِ فظهر الاله بجبروتهِ وجلالهِ وكل صفاتهِ العلويّة

ولعلّ الخصم يوقفني هنا ويقول: دع عنك هذه السفاسف فكيف تقنعنا بهذه القيامة المزعومة؟ اين شهودك على هذا الامر الغريب؟ هيهات ان نرضى بمجرّد الادّعاء ما لم تثبت الامر ببيّنات اضوأ من النهار

على رسلك يا صاح. دونك الشهود وكلّهم في مصفّ الشهود الممتازين الذين لا سبيل الى ردّ شهادتهم كما سترى

واوّل شاهد على ذلك السيّد المسيح نفسهُ فانهُ مدَّة حياتهِ اعلن غير مرَّة بانهُ سيجعل قيامتهُ كالدليل العظيم على لاهوتهِ وذلك لمَّا اتاهُ الكتبة والفرّيسيون فسألوهُ ان يُريهم آيةً فكان جواب الربّ (متى ١٢: ٣٨): « انَّ الجيل الفاسق يطلب آيةً فلا يعطى آيةً الَّا آية يونان النبيّ لانهُ مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلث ليال كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلثة ايام وثلث ليال ». وقد كرَّر قولهُ مرَّةً ثانيــة (متى ١٦: ٤ ولوقا ١١: ٢٩). ثمَّ صرَّح بالامر في موطن آخر لمَّا طرد الباعة من الهيكل فقال لهُ اليهود (٢: ١٨—٢٠): « أيَّة آيةٍ ترينا حتى تفعل هذا فاجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وانا في ثلاثة ايام اقيمهُ.. وكان يعني هيكل جسده » وكان كلامهُ لتلاميذهِ في ذلك أوضح لا مجازَ فيه ولا استعارة قال الانجيلي متى (١٦: ٢١): « وبدأ يسوع يبيّن لتلاميــذهِ انهُ ينبغي لهُ ان يمضي الى اورشليم ويتألَّم كثيرًا.. ويُقتل ويقوم في اليوم الثالث » ولمَّا تجلَّى على جبل الطور امام ثلثة من تلاميذه اوصاهم بكتم الامر قائلًا (متى ١٧: ٩): « لا تُعلموا احدًا بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الاموات » وقبل آلامه عيَّن لتلاميذهِ الجليــل كموعد اجتماعهِ بهم بعد قيامتهِ فقال لهم (متى ٢٦: ٣٢): « متى قمتُ اسبقكم الى الجليل ». فترى ان يسوع جعل قيامتهُ من بين الاموات كالشاهد العظيم على كونهِ الهًا وبازاء هذه الآية يعدُّ بقيَّة معجزاتهِ كلا شيء.. وهذه القيامة من الموت لا تتمُّ على يد آخر كما فعل اليَّا واليشاع بابن ارملة صرفد وبابن الشونميَّة وكما فعل عو بلعازر وبابن ارملة نائين وبابنة رئيس المجمع كلَّا بل صرَّح بانهُ هو هو الذي يُقيم هيكل جسدهِ بعد نقضهِ ويعيد نفسهُ الى جسدهِ باختيارهِ كما قال (يو ١٠: ١٧—١٨): « اني ابذلُ نفسي لآخذها ايضًا ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختياري فلي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها » فلأنَّه درَّهُ من كلام لا يدع للريب مجالًا فان تمَّ قُضي على الجميع الاعتراف بلاهوتهِ وان لم يتمَّ عرفناهُ انهُ مشعوذ ومسيح دجَّال فلا وسيط بين الطرفين واذ لم يقل بهذا الاخير رجل عاقل بل اعداء المسيح نفسهم — الَّا اليهود وقد بيَّنَّا سبب بغضهم — فلا يبقى الَّا القول بانَّ المسيح حقًّا قام واتمَّ بقيامتهِ نبوَّات الانبياء كما قال ذلك لتلميذَي عمواص (لو ٢٤: ٢٦): « أما كان ينبغي للمسيح ان يتألَّم هذه الآلام ثمَّ يدخل الى مجدهِ »

ولنا شاهد ثانٍ لا يستطاع ردّ شهادته اذ هي شهادة عدوّ مرغوم نريد به جميع اليهود ورؤساء الكهنة فانهم بعد موت المسيح ودفنه قد تذكّروا وعده بقيامته فارادوا ان يحفظوا القبر في وجه تلاميذه فاتوا الى بيلاطوس قائلين (متى ٢٧: ٦٣—٦٦): «أيها السيّد قد تذكّرنا ان ذلك المضلّ قال وهو حي اني بعد ثلثة ايام اقوم فمر ان يُضبَط القبر الى اليوم الثالث لئلّا يأتي تلاميذهُ ويسرقوهُ ويقولوا للشعب انهُ قام من الاموات فتكون الضلالة الاخيرة شرًّا من الاولى. فقال لهم بيلاطوس: انّ عندكم حرّاساً فاذهبوا واضبطوا كما تعلمون فمضوا وضبطوا القبر بختم الحجر واقامة الحرّاس». نعمَ ما فعلتم أيها اليهود فانّكم بفعلكم هذا لم تُبقوا لاحد وجهاً للشكّ بقيامة الربّ. فلا يقولنّ الحرّاس باغرائكم بعد ذلك (متى ٢٧: ١٢): «ان تلاميذهُ اتوا ليلًا وسرقوهُ ونحن نيام» فان كنتم نياماً كيف امكنكم بأن تؤكدوا أنّ تلاميذهُ سرقوهُ افتُقبل شهادة النائم؟ ثمّ ان كنتم نياماً كيف استطاع عدد من التلاميذ أنْ يأتوا وينقضوا ختم الدولة الرومانيّة ويدحرجوا حجرًا كبيرًا ويخرجوا الجسم ولم يحسّ بكل ذلك احد من الحرّاس؟ وان كنتم نياماً كيف لم يجازكم اليهود والوالي بيلاطوس بعقاب اليم على اهمالكم لواجباتكم وهي الليلة الاولى لحراستكم بل يرشونكم على خلاف ذلك بالدراهم على شرط ان تخفوا الحقيقة؟ وان كان التلاميذ سرقوا الجثة كما تزعمون فكيف تسكتون عنهم ولا تحاكمونهم؟ وما اسهل الزام قوم جبناء بالاقرار بالحقّ فاذ لم تفعلوا بيّنتم على رؤوس الملأ ان المسيح حقًّا قام

ودونك شهودًا صادقين ألا وهم الحواريّون ورُسل الرب الذين كانوا بعد توقيف المسيح في بستان الزيتون تفرّقوا كالنعاج الضالّة وتصدّع شملهم وأيسوا عند استماعهم بخبر آلام وموت سيّدهم من خلاص اسرائيل وهم جليليّون ضعفاء الحال يعتبرهم اليهود كسُقّاط مأتهم يرون نفوسهم في اورشليم كقوم غرباء لا سنَد لهم ولا نصير. نعم أنهم كانوا سمعوا سيّدهم يعدهم بقيامته لكنّهم لم يدركوا معنى قوله. وكانوا مع ذلك معروفين بسذاجتهم وصفاء نيّتهم يشهد الكل على حسن سيرتهم فلم يخطر على بال احد انهم أضمروا الخداع والغشّ او انهم تجرّأوا على مثلي الدولة الرومانيّة ليفتحوا قبرًا مختوماً بخاتم الوالي ويحرسهُ الحرّاس. فهؤلاء هم الذين قاموا بعد أيام قليلة وأعلنوا على رؤوس الاشهاد بان سيّدهم المصلوب قد قام ولم يخافوا في شهادتهم

لومة لائم وهم في نفس اورشليم امام جماهير الشعب حيث كان القبر قريباً من كل من يريد تحقيق قولهم . واذ تهدَّدهم رؤساء الشعب والكهنة بالعقاب والقوهم في السجون وضربوهم وحرَّجوهم ليلزموا السكوت لم يفعل فيهم الوعد والوعيد واكتفوا بان قالوا لمضطهديهم بكل شهامة (اعمال ٤ : ١٩) : « احكموا انتم . ما العدل امام الله ان نسمع لكم لم نسمع لله فانَّا لا نقدر أن لا نتكلَّم بما عاينَّا وما سمعنا » و « أن الله احقّ من الناس ان يُطاع » (اع ٥ : ٢٩) فكانوا اذا مثَّلوا بهم يخرجون « فرحين بأنهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع » . وشهادتهم هذه يؤيدونها بالمعجزات الباهرة ويصرّحون بانهم يأتون بتلك الآيات باسم يسوع الناصري « الذي اسلمهُ اليهود الى الموت وهو مبدئ الحياة فاقامهُ الله من بين الاموات » (اع ٣ : ١٣—١٥)

وان قيل انَّ رسل المسيح انخدعوا فأُصيبوا بنوع من الخَبَل لمحبَّتهم المفرطة لسيّدهم او لتصديقهم شهادة نسوة غلبت عليهنَّ المخيّلة فرين لتلاميذ الربّ رؤى لا صحّة لها قامت في وجهك بيّنات لا سبيل الى نقضها لأنَّ رؤى المسيح بعد قيامتهِ لم تنحصر في امكنة قليلة وافراد قليلين وهيئات مشتبَه بها لكنَّها تعدَّدت بحيث لم تدع ريباً لمستريب . وذلك :

اوَّلاً من حيث عدد الرؤى . فانَّ ما ذكرهنا الانجيليُّون وبولس الرسول في رسائلهِ يبلغ عددها الى قرب العشرين ولم يحصوها كلّها كما أكَّد لوقا (اع ١ : ٣)

ثانياً من حيث الأمكنة . تراءى الرب لذويهِ بعد قيامتهِ عند القبر على طريق جبل الجلجلة على طريق عمواس في علّيَّة صهيون والابواب مقفلة عند بحر طبريَّة على جبل في الجليل على طور الزيتون

ثالثاً من حيث الازمنة . تراءى « لهم مدَّة اربعين يوماً » (اعمال ١ : ٣) في ازمنة مختلفة صباحاً ومساء نهاراً وليلاً في أيام متفرّقة ومتتابعة

رابعاً من حيث الاشخاص . تراءى للافراد كمريم المجدليَّة وبطرس (لو ٢٤ : ٣٤) ويعقوب (١ كور ١٥ : ٧) وبولس (١٥ : ٨) . تراءى لبعض الفئات كالنسوة الصالحات (متى ٢٨ : ٩) وتلميذَي عمواص (لو ٢٤ : ١٣—٣٣) والاحد عشر دون توما (يو ٢٠ : ١٩—٢٣) والاحد عشر مع توما بعد جحودهِ (٢٠ : ٢٣—٢٩) وبعض التلاميذ

التصيّدين (يو ٢١ : ١—١٣) واكثر من خمسمائة معاً (١ كور ١٥ : ٥)

خامساً من حيث الهيئات. تراءى لمريم المجدليّة في هيئة حملتها على الظنّ بانهُ بستانيّ. ولتلميذَي عمواس في هيئة مسافر. ولتلاميذهِ في هيئتهِ المعهودة لكنّها المجدة حافظاً في جوارحهِ آثار المسامير وفي جنبهِ اثر الطعنة. وكان في ظهورهِ لهم يكلّمهم ويكلّمونهُ ويلمسونهُ كما فعل توما ويبكّتهم على عدم ايمانهم بقيامتهِ ويأكل معهم ويذكّرهم باقوالهِ ويوصيهم بوصاياهُ « ويعلّمهم ما يختصّ بملكوت الله » (اع ١ : ٣) اي بتدبير كنيستهِ وتوزيع اسرارهِ والدعوة الى دينهِ

فيا لله اي حادث تاريخيّ تأيد بادلّة ساطعة كهذه فان أنكرهُ الجاحد اقتضى عليهِ انكار كل الحوادث التاريخيّة والشكّ في كل ما يرويه اصدق الثقات

ولنا مع هؤلاء الشهود الاعيان شهود آخرون يعمّون كل الازمنة والامكنة نريد بهم الملايين من الذين تبعوا شريعة المسيح ودانوا بدينهِ وكلّهم كانوا نبذوا هذا الدين ظهريًّا لو لم يتحقّقوا صحّة قيامة المسيح كما قال بولس (١ كور ١٥ : ١٤) : « ان كان المسيح لم يقم فكرازتنا اذن باطلة وايمانكم باطلٌ ». وبين هؤلاء الشهود امم برمّتها قد فاقت في كل الازمنة على سواها بترقيها وتمدّنها. بينهم جماهير العلماء الذين شرّفوا جنس الانسان والنوابغ المشار اليهم بالبنان. بينهم الالوف المؤلفة من الزهّاد من فاعليّ الخير من مهذّبي الامم من المتفانين في خدمة كل العاهات البشريّة. منهم الشهداء من كل جنس وكل سنّ وكل بلاد الذين صبغوا بدمائهم الكريمة كل الاصقاع على توالي الدهور فازدروا بالعذابات وكل تنكيل وموت ليقرّروا حقيقة قيامة المسيح. وما اثبتوهُ بدمهم كلّنا مستعدّون ان نختمهُ بدمنا وليس عملنا عن هوًى او جهل اذ ليس دين يثبت صدق تعاليمهِ كدينا. فما احلى الموت في سبيل الحقّ ! وان كان سفك الانسان دمهُ حبًّا لوطنهِ من اجلّ الامور واشرفها فما قولك باهراقهِ في حبّ الربّ الذي سبق واحبّنا الى أن مات لاجلنا لينقذنا من شرور الآخرة والهلاك الابديّ

فليت شعري ان كانت كل هذه الشواهد لا تُقنع الجاحدين أحلناهم الى شواهد أخرى قامت في هذه الاجيال الاخيرة من بطن الارض تصرخ بلسان حالها : « قام المسيح وقيامتهُ لاشكّ فيها ». نريد بذلك العاديّات النصرانيّة التي اكتشفها

الاثريون في كل انحاء العالم القديم ولا سيما في دياميس رومية جاءت مصدقة لقول المسيح للفريسيين لما ارادوا حسداً ان يُسكتوا الشعب الصارخ في الهيكل : هوشعنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب : فاجابهم يسوع (لو ١٩ : ٤٠) : « ان سكت هؤلاء صرخت الحجارة » وهذا قد تمّ بالحرف بوجود تلك العاديَّات الراقية الى اجيال النصرانيَّة الاولى وهي تمثل رسوم قيامة المسيح بتصاوير زاهية ورموز لطيفة فمنها ما يمثل قبر المسيح مع شعاره وبقربه الحرّاس النيام ومنها ما يُرى فيه المسيح عند القبر فاتحاً جنبهُ ليريَهُ الى توما . ومنها ما يدلُّ على نبوَّات القيامة كصورة يونان الخارج من بطن الحوت ودانيال الناجي من مخالب الاسود وانباء كثيرة غيرها . وقد افردنا لذلك مقالةً مطوَّلة في السنة ١٩٠٦ (المشرق ٩ : ٣٣٧–٣٤٦) كفى بها دليلاً على معتقد النصارى الاوَّلين بقيامة المسيح وشاهداً مقنعاً لكلّ من لا يحجب نظرَهُ عن الحقّ المبين

فان كانت كل هذه الشواهد صادقة – ولا سبيل الى نفي صدقها وفكران صحّتها – فلا يبقى الّا ان يقرَّ الجاحد بلاهوت المسيح لأنَّ الامرين متلازمان . ما لم يُقل انَّ الله ألقى البشر في غواية لا مناص لهم منها اذ أيَّد الكذب والخداع بالمعجزات الباهرة وحاشا الله ان يفعل ذلك

أمّا الاعتراضات التي التجأ اليها الملحدون في عصرنا كشتروس (Strauss) الالمانيّ ورينان وتلميذهما المصري الدكتور توفيق صدقي في مجلة المنار فكلُّها تذوب وتتلاشى بازاء هذه البراهين اللامعة كالشمع بازاء النار والهباء بازاء الريح والظلمة بازاء الشمس لأنَّها كلّها مبنيَّة على شُبُهات لا طائل تحتها وسفسطات يحلُّها كل ذي عقل مستقيم لا يكابر الحقّ المنير

وكان يمكننا ان نضيف الى ما سبق بينات اخرى تشهد لاعتقادنا الوهيَّة المسيح منها صعودهُ الى السماء في اليوم الاربعين من بعد قيامته كما رواهُ الانجيليُّون ونقلهُ القرآن عنهُ حيث قال (سورة آل عمران ع ٤٨) : « اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ ومطهرك من الذين كفروا »

وكذلك رجوعهُ في يوم الاخير لدينونة العالم كما انبأ بهِ اليهود أمام قيافا حيث قال (متى ٢٦ : ٦٤) : « اقول لكم انكم ترون ابن البشر جالساً من عن يمين

القدرة وآتياً على سحاب السماء » وكقوله (يو ٥ : ٢٢) : « انَّ الآب لا يدين احداً بل اعطى الحكم كلَّهُ للابن » . وهذه الديونة التي خُصَّ بها السيّد المسيح يقرّ بها علماء الاسلام ايضاً وهي من مميّزات لاهوتهِ

وماذا نقول عن اعمال الكنيسة التي انشأها وكلُّها تثبت الوهيَّة المسيح فلولا المسيح فيها ومعها الى منتهى الدهور لكانت قويتْ عليها ابواب الجحيم كما قويت على كل الأديان السابقة وهي اليوم اسماء بلا اجسام . لكن هذا البحث واسع المجال نرجئه ان شاء الله الى فرصة أُخرى

ولنختمنَّ اليوم مقالاتنا عن الوهيَّة المسيح بقولنا مع احد جهابذة النصرانيَّة : لولا الوهيَّة المسيح وتذلُّلهُ بأخذ طبيعتنا لبقي العالم متكئاً في ظلامهِ وبقيت ضلالات الوثنيين الفظيعة مطبقة على عقول البشر حتى في الامم الارقى تمدُّناً والاوسع عمراناً كاليونان والرومان والبابليين والمصريين فان فواحش اديانهم الباطلة كانت تزداد مع ترقّيهم في الحضارة واذ رأى البشر انَّهم لا يستطيعون ان يترقّوا الى كمالاتهِ تعالى جعلوا لهم آلهةً تضاهيهم في اهوائهم ليعبدوا افكارهم واهواءهم ولذاتهم بهيئة الآلهة الكاذبة

وانَّما تأنَّس ابن الله الكلمة ليبيّن لنا بسرّ تجسُّدهِ كيف يمكن للالوهيَّة ان تلبس ضعفنا وتتَّحد بطبعنا دون ان تنحطَّ او تفقد شيئاً من خواصّها واذ كان الكلمة في طبعهِ الالهي غيرَ قابل التغيُّر في ذاتهِ اتَّحد بطبع آخر اناط بهِ ضعفنا ليشفيهُ

فكأنَّ الله يقول لمخلوقهِ : يا أيها الانسان قد رغبتَ في أنَّ الآلهة تكون مثالك بشرًا فأنت بذلك على ضلال مبين فهـا انا اعرض عليك عبادةً جديدة عبادة إله وانسان معاً لا يعرو جلاله تغيير من حيث هو إله ويقبل من حيث هو انسان كل ارجاعك وعذاباتك ومحنك دون الخطيئة ليعلّمك في شخصهِ الكريم كيف تقدّسها وتنال بها الجزاء السرمديَّ حتى اذا تشبَّهت بالاله لا تعود تأتي اثماً فظيعاً بل تجترح عاملاً صالحاً لأنَّ الاله صار انساناً حتى يصير الانسان إلهاً بالاقتداء . كما قال الرسول (روم ٨ : ٢٩) « انَّ الذين سبق الله فعرفهم سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكرًا بين اخوة كثيرين » فيمجّدهم كما مجّد ابنهُ الذي لهُ العزّ والكرامة والقدرة الى دهر الدهور آمين (تمّت)

مطبوعات شرقية جديدة

L'Edit de Calliste. Etude sur les origines de la Pénitence Chrétienne, par Adh. d'Alès, *Paris, Beauchesne*, 1914, VI-484

بحث لاهوتي اثري في اصول التوبة القانونيَّة في الكنيسة

لمَّا شقَّ المعلِّم ترتليان الشهير عصا الطاعة للكنيسة في اوائل القرن الثالث وانحاز الى بدعة المنتانيين جعل يندِّد بالكنيسة الرومانيَّة لتساهلها مع بعض الخطأة الذين ارتكبوا الكبائر بعد المعموديَّة وتابوا عنها فكان يزعم انَّ رؤساء البيعة لا يجوز لهم ان يحلُّوا هؤلاء الجُناة من آثامهم اللهمَّ الَّا في ساعة الموت. ولمَّا وقفوا على ما كتبهُ في ذلك البابا كلستوس نحو سنة ٢٢٠ مثبتاً حقوق الكنيسة في مغفرة كل الخطايا لمن يتوب التوبة النصوح ثار ثائر ترتليان وراش سهام حنقهِ ليرشق بها الحبر الاعظم مدَّعياً بانَّهُ اتى امرًا غريباً وانَّهُ ادَّعى لنفسهِ بسلطة لم يُتحها. على انَّ مُنتانس وتبعتهُ ضُربوا بالحرم وصارت بدعتهم نسياً منسيًّا. الى أن قام البروتستانت والجنسينيُّون في القرن السادس العشر والسابع عشر وجدَّدوا تحاملهم على الكنيسة الكاثوليكيَّة وعاداتها المألوفة وكان من جملة ما اوردوهُ لتأييد رأيهم اقوال ترتليان المعلِّم. فكان لكلامهم صدًى بعيدة ردَّدها اصحابهم بل أثَّرت في بعض الكاثوليك وكانوا يزعمون انَّ عادة الكنيسة قبل براءة القديس كلستوس كانت ان ترفض الحلَّ على المتنصِّرين اذا ما اقترفوا بعد عمادهم بعض الخطايا الثقيلة كأنَّ الكنيسة جرت مذ ذاك الحين على خطَّة لم تألفها سابقاً. وهذه المزاعم قد جدَّدها في عهدنا بعض الكتبة غير الضليعين بالدروس اللاهوتيَّة. فمَن تصدَّوا لهم حضرة الاب داليس اليسوعي الذي يُعَدُّ اليوم من جهابذة العلماء الكنسيِّين ويُعرف بتآليفهِ العديدة التي اثنى عليها حتى خصوم الكنيسة وكان اوَّلاً بحث في امر سرِّ التوبة وقوانينها منذ عهد الرسل والقرون النصرانيَّة الاولى وجمع كل ما كتبهُ في ذلك الآباء الاوَّلون وما ورد في التقاليد الكنسيَّة وفي الآثار القديمة فروى اقوالها بكل وضوح وحلَّ ما فيها من الشُّبهات والرموز التي اعتادها اولئك الكتبة الاوَّلون فنشرها في المجلَّات الخصوصيَّة ثمَّ عاد فاتَّسع في تلك الابحاث فوضع هذا الكتاب الذي نحن في صدده والذي هو

على رأينا احسن وأوفى ما كُتب في هذا الامر فتراهُ يخوض بكل خبرة في عباب المسائل العديدة التي تنوط بسرّ التوبة وسلوك ارباب الكنيسة في منحهِ. ومما يثبتهُ بكل صراحة انَّ الكنيسة في كل اطوار تاريخها كانت تقرُّ بسلطتها في حلّ كل الخطايا بلا استثناء. وليس في كتاب الراعي لهرماس وكتب اوريجانس ما ينقضهُ. امَّا ترتليان فكلامهُ كلام مبتدع لا يجوز قبولهُ ومثلهُ قول هيبولتيوس في كتاب فيلوسوفومنا المكتشف حديثاً. وكذلك اوضح الاب داليس بنوع جليّ ما يختصّ بالتوبة السرّيَّة والتوبة العلنيَّة في اوَّل الكنيسة وبيَّن تاريخيًّا انهما هيئتان لسرّ واحد فكان الكهنة والاساقفة اذا سمعوا اعتراف احد الخطأة بذنوبهِ شرطوا عليهِ عندما يرونهُ مناسباً الاقرار بها او ببعضها علانيةً امام جمهور المسيحيين وفاء عنها وتعويضاً عن الشكوك التي سبَّبها الخاطئ باقترافها. وقد فنَّد كل ما اتى بهِ على خلاف ذلك المسيو شرل ليا (Ch. Lea) الذي اساء فهم النصوص القديمة بحذف قرائنها. وبالاجمال نقول انَّ كتاب الاب داليس قد صار منذ الآن الدستور الصحيح الذي يحقّ لكلّ العلماء ان يرجعوا اليهِ في ابحاثهم عن تاريخ سرّ التوبة في اوائل الكنيسة . . وليسمح لنا الاب ان نصلح غلطةً طبعيَّة وردت في الصفحة ٣٥٧ من كتابهِ حيث ورد اسم القديس اوغسطينوس بدلًا من اسم امبروسيوس وهو الذي صدَّ الملك ثاودوسيوس عن الدخول في الكنيسة الاب ب . كتنتاكيس

Peter Thomson : Kompendium der Palastinischen Altertumskunde. *Tübingen, J. C. B. Mohr*, 1913. p. 109

خلاصة الاديات الفلسطينيَّة

سبق المشرق (١٤ : ٢٣١) فعرَّف بفضل صاحب هذا الكتاب لأ وصف تأليفهُ المعنون المطبوعات عن فلسطين (Palaestina Literatur) . والتأليف الجديد اجدى من الاوَّل نفعاً فانَّهُ يشتمل على وصف ما اكتشفهُ العلماء الى يومنا من الاديات الفلسطينيَّة منذ ايَّام الكنعانيين الى ايام ملوك الروم البوزنطيين. ولا يخفى ما يقتضيهِ كتاب مثل هذا من المطالعات والعلم الواسع. الَّا انَّ المسيو تومسن كان اولى من غيرهِ بمباشرة هذا العمل لسكناهُ زمناً طويلًا في فلسطين ولمعرفتهِ اللغات المتعدّدة. فذكر كل هذه الاديات باباً باباً ورسم بنفسهِ صورها البديعة وبيَّن خواصها. وقد استند في

وصف العاديات الكنعانيَّة الى كتاب حضرة الاب ڤنسان الدومنيكي (Canaan d'après l'exploration récente) الذي اثنى عليهِ في مقدّمتهِ. امّا الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة والبوزنطيَّة فان المسيو تومسن جمع اوصافها من عدَّة تآليف متفرّقة بروِيَّة وحسن انتقاد ودلَّ ايضاً على تزويرات المزوّرين بل رسم الحجارة الموابيَّة (ص ٨٥) التي اصطنعها اليهوديّ شابيرا (Shapira) . فالشكر اذن كل الشكر لهمَّة المسيو تومسن على وضعهِ هذا الكتاب. ومما فاتهُ في تاريخ السياحات الفلسطينيَّة ذكر السائح الفرنسويّ الشهير المسيو غيرين (Guérin) الذي استشهد بهِ غير مرَّة

الاب ر. موترد

Christlich - Arabisches von Dr Georg Graf in Donaualthoim. *Extract von Theol. Quartalschrift, heft II*, 161-192

مصنَّفات نصرانيَّة عربيَّة قديمة

انَّ حضرة الاب جورج غراف الالمانيّ مُغرَم بدرس الآداب العربيَّة بين قدماء النصارى وكان وضع سابقاً كتاباً في ذلك لم يتمَّهُ حتى الآن وها هو قد ألحق بالقسم المطبوع نبذة مطوَّلة اضافها اليهِ وقد ضمَّنها خلاصة ما وجدهُ في سياحتهِ الاخيرة من المعلومات في مكاتب الشرق وخصوصاً في مكتبتنا الشرقيَّة ثمَّ وصف المطبوعات الجديدة المتفرّقة التي ظهرت بعد طبع كتابهِ في المجلّات والكتب المفردة فنشكر فضل الجامع ولطفهُ في تقديرهِ مجلَّة المشرق وثنائهِ على منشوراتها. ونتمنَّى ان يواصل ابحاثهُ في الآداب النصرانيَّة التي لا يزال حتى الآن كثيرٌ منها مطمورًا في زوايا النسيان

ل. ش

تهذيب الارادة

تأليف الاب لويس دريان

القسم الاول مطبعة النهضة. ل. دريان. بيروت (١١٦ ص)

انَّ مؤلَّفاً كهذا يقضي على حائك بردته مطالعةً واسعة في كتب العصريين من ايمَّة علم النفس الاختباري. وقد قام حضرة المؤلف بالواجب فجاء كتيبهُ ثمرة تلك المطالعة. ومع ذلك لا نُحصيه في عداد تلك الكتب الكثيرة في شرقنا التي على قوله (في المقدمة) « هي اكثر الاحيان منقولات تسابق منقولات » فانهُ قرن

المطالعة بالتروي فتشرّب ما اقتبسهُ منها حتى امتزج بعقله ومخيلته وشعوره وصار ما اخذه عن غيره لهُ شأن كل كاتب متفنّن. ولعل الكثرة من مطالعة المصنّفات الغربيّة الحديثة اثّرت في انشاء المؤلف فقد يبان للقارئ الشرقي معقّدًا . فصيح لفظهُ علميّةٌ بُرْدتهُ وربما احتاجت الى صبغة ابسط واقرب الى الفهم سيما والكلام موجّه الى الاحداث. ولو لجأ حضرتهُ الى علم النفس النظري ايضاً كما استند الى الاختباري لجاء كلامهُ احياناً اقرب الى الصواب او اقلّهُ الى ما تستوجبهُ دقّة البحث فكان شأنهُ ان يقدم على حديثه في الحرية (ص ١٤ وما يليها) حدًّا شافياً لها وأن يميّز الحرّيّة الطبيعيّة من الادبيّة وما يناقض تلك من عدم الامكان المطلق مما يناقض هذه من الصعوبات العظمى التي لا تبلغ حدّ المحال وان لم تقوَ الارادة عليها غالباً في واقع الحال. فلو فعلَ لَمَا عرّضَ القارئ وان بسيطاً الى الريب والالتباس وافهمهُ أنهُ انما يريد الحرّيّة الادبية في قوله (ص١٥): « انما هي جزاء المجتهدين في كسبها فلا يستحقها الّا من طلبها ويده على قبضة السيف . ولا يبعد ان نقضي شطرًا طويلًا من العمر قبل ان ننال منها شأناً يُذكر » وذمّنا !. كذلك يحتاج الى ايضاح وتمييز قوله (ص ٧) « ان سعة الاضطلاع مضرّة او هي بلا فائدة بل ان لا نفع لها يُذكر ما لم تقترن بالاختصاص » . فإن اراد بذلك ما يتوجّب على الطالب من ان يتناول من العلوم لبابها غير مرتضٍ بقشورها لصحّ القول. ولكن لا يُسلّم احد من ارباب التربية انّ الشاب يفيده وهو في المدرسة الاختصاص في فرع مع صرف النظر عمّا سواه. فلا ينفع الاختصاص قبل ان يتمّ الطالب التثقيف العامّ. ومع هذا كله ففي « تهذيب الارادة » للشبيبة نصائح عملية كلها فائدة . نخصّ بالذكر منها كل الفصل الثالث في الزمان والانتفاع به ثم (ص ٧٤) في اللذّة المؤدّة الناشئة عن قمع الاهواء. ويا ليتهُ زاد على فصله في التأمل كلمةً في الصلاة وضرورتها لتنشيط الارادة ولعلّهُ أجل هذا البحث الى القسم الثاني الذي نرجو له ظهورًا عاجلًا ش. ا

كتاب القواعد الجليّة في علم العربية

للاب جبرائيل ادّه اليسوعي . طبع على نسق جديد بعناية الاب خليل ادّه اليسوعي في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت. في ثلاثة اقسام سنة ١٩١١-١٩١٣

بيّن إقبال ارباب المدارس على كتاب القواعد الجليّة انّ مؤلفهُ سدّ بطبعهِ ثلمة

في تدريس العربيّة. وقد تعدّدت طبعاتهُ منذ تصنيفهِ حتى بلغت عشرين طبعة. بيد انَّ اختيار الاساتذة قد دلَّهم على ان هذا الكتاب يمكن تحسينهُ في النسق والتبويب على طريقة اقرب الى اذهان الاحداث. وقام حضرة الاب خليل ادّه بهذا العمل باذن المؤلف وقد جعل الكتاب ثلثة اقسام يتضمَّن كل منها قواعد الصرف والنحو في ثلث طبقات عليا ووسطى وسفلى. ففي الطبقة العليا اي الكتاب الثالث كل القواعد التي في الوسطى والسفلى بحرفها مع قواعد خاصَّة اضافها الى كل باب زيادةً على ما ورد في الطبقتين الوسطى والسفلى. وكذلك الطبقة الوسطى اي الكتاب الثاني تتضمَّن الاصول الصرفيَّة والنحويَّة التي رُويت في الطبقة السفلى اي الكتاب الاوَّل مع الزيادات الموافقة لطلبة السنة الثانية وعلى هذا المنوال يتنقَّل التلميذ بالتدريج من كتاب الى آخر فيبني على الاساس الموضوع سابقاً دون ان يشذَّ عنهُ في التحديدات والطريقة وانَّما يوسّع فقط نطاق معارفهِ بمطالب جديدة تُعرض على فهمهِ. امَّا تبويب الكتاب فينطبق على طبيعة الولد بحيث يبتدئ بدرس المفردات من فعل واسم وحرف ثم يتخلَّى الى درس المركَّب مباشرةً بالمركَّب الذي لا يفيد حكماً ثمَّ المركَّب المفيد حكماً او الجملة ثمَّ فضلات الجملة ثمَّ الاسماء التي تعمل عمل الفعل ثمَّ الاحكام المختصَّة بالضمير والموصول ثمَّ اخيرًا الاحكام المختصَّة بصيغ الفعل. وقد أُبقي للسنة الثالثة ما يختصّ بتركيب الجمل ومعاني الحروف وقواعد استعمالها وغير ذلك من الفوائد. وعلى رأينا انَّ ارباب المدارس اذا اطَّلعوا على هذا الكتاب يفضّلونهُ على سواه لحسن طريقتهِ وقرب فهمهِ وغزارة موادّهِ ل. ش

تاريخ كلدو واثور

تأليف السيد ادي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني الاثوري

المجلَّد الثاني. طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت ١٩١٣ (ص ٢١٢)

لم يكد يمرّ علينا ستة اشهر منذ اعلمنا قرَّاءنا بنجاز القسم الاوَّل من هذا التاريخ النفيس. وهذا المجلَّد الثاني يبتدئ بتاريخ الكلدان منذ دخولهم في النصرانيَّة ويتابع اخبارهم الى ظهور الاسلام وفتحهم لبلاد العراق وفارس فيتناول نحو سبعة اجيال. وقد اطَّلعنا على مضمونهِ فوجدناهُ في الحقيقة كتاباً ممتعاً يكشف عن آثار مدفونة او مكنونة في بطون مكاتب الخاصَّة وسيادتهُ لا يروي خبرًا الَّا يلحقهُ

باسانيده في ذيل الكتاب وكفى بهذه الشواهد دليلاً على ما عاناهُ من التَّعب في جمع موادّهِ . ولا يجتزئ السيّد المؤلف برواية الامور الدينيَّة وحدها بل يمزج بين اخبار الدين والدنيا معاً . وممَّا يُشكر سيادتهُ كثيراً عليهِ نزاهتهُ في نقل الروايات فتراهُ لا يهمُّهُ الّا الوقوف على الحقيقة سواء دلَّت على مفاخر قومهِ او معايبهم على خلاف عادات كثير من الشرقيين الذين لا يختارون من التاريخ سوى ما يوافق اهواءهم ومحاسن قومهم . وقد قرأنا بكل لذَّة انتقادات عديدة لسيادتهِ بانَ فيها آراء من سبقهُ مثبتاً بالبرهان مخالفتهُ لمزاعمهم . فنودّ لو ان كل الطوائف الشرقيَّة تكتب اسفاراً مثل هذا السفر تطلعنا على تفاصيل اخبار اجدادهم يجعلونها عبرى لأخلافهم . وهذا الكتاب مع ضخمهِ لا يباع اكثر من اربع فرنكات ويُطلب من مطبعتنا او من حضرة الخوري يوسف طويل النائب البطريركي على الكلدان ل . ش

كتاب الافخولوجي الكبير

عُني بتعريبهِ وتنسيقهِ وتبويبهِ السيّد رفائيل هواويني اسقف بركان
طُبع في مطبعة جريدة مرآة الغرب في نيويرك (١٩١٣ ص ٨١٠)

الافخولوجي الكبير هو الكتاب الذي يتضمَّن مجموع الصلوات التي يتلوها الاساقفة او الكهنة او الشمامسة في خدمة الاسرار المقدَّسة والفرائض الدينيَّة وكافَّة حاجات المؤمنين من ذوي الطقس اليوناني وقد عُني سابقاً بطبعهِ الكاثوليك والاورثدكس معاً الّا انَّ طبعاتهِ كانت مخلَّة من حيث نقصها ومن حيث ركاكة عبارتها . فاراد سيادة رفائيل هواويني منشئ مجلَّة الكلمة ان يسدّ الخلل فاستحضر نسخاً من الكتاب في اليونانيَّة والسلافيَّة وعرَّبهُ تعريباً جديداً محكماً وقد سبق لنا (ص ١٥٥) وصف القسم الاوَّل منهُ المعروف بالقنداق وهذا القسم الثاني نحو اربعة اضعاف الاوَّل . فسيادة المعرّب استحقَّ شكر بني ملَّتهِ بما اضافهُ الى الطبعات السابقة من الرُّتب والخدم التي لم يعرّبها غيرهُ فجاء الكتاب مجموعاً ضخماً يفي بكل حاجات الكنيسة الاورثدكسيَّة . ولولا بعض ما يمسُّ كرامة الكنيسة الكاثوليكيَّة لأوصينا بهِ الروم الكاثوليك ايضاً . لكنَّنا لا نرضى بان تُنظَم الكنيسة الرومانيَّة في عداد النساطرة واليعاقبة والبروتستانت كما فعل (ص ٦٧٧) فايّ مجمع من المجامع السبعة حرم الكنيسة الرومانيَّة لكي يجعلها في جملة الهراطقة

ومن المعلوم انَّ كنيستهُ لا ترضى بغير هذه المجامع المسكونيَّة السبعة. وممَّا سُررنا بمطالعتهِ في الكتاب « الصلوات على نفوس الراقدين » (ص ٢١٩) وهي احسن دليل على اعتقاد الروم بالمطهر. وكذلك سرَّنا انَّ سيادتهُ لم يوجب اعادة العماد للداخلين في الاورثذكسيَّة ان كانوا قبلًا من المذهب البابوي (ص٦٧٧). وكلٌّ يعلم انَّ بطريركيَّة الفنار قد قرَّرت عليهم تكرير المعموديَّة. وهذا الضرب برهان على اتفاق الكنائس الاورثذكسيَّة (!!). وممَّا اذهلنا قول سيادتهِ (ص ٢) « انَّ صلاة القداس الالهيَّ لا تجوز بتَّةً قبل بدء صباح اليوم ولا بعد منتصف النهار اي بعد الظهر » مع انَّ رؤساء كنيستهِ يقدّسون في منتصف الليل في احد القيامة وكنائس شرقيَّة عديدة تقدّس في مساء سبت النور ». وممَّا ادهشنا ايضاً (ص ١٧١) القانون المفروض على « الاورثذكسيين الجاحدين المرتدّين الى الايمان الاورثذكسيّ القويم » اذا جحدوا الايمان باختيارهم « ان لا ينالوا الاسرار الالهيَّة الَّا في نهاية حياتهم » فليت شعري هل اوجب غبطة بطريرك الاورثذكس هذا القانون على حضرة الإكسرخوس نقولا شحاده واهل كسبا لمَّا تذهبوا بالمذهب البابوي ثمَّ اضطرَّهم غبطتهُ وقنصل روسيَّة الى الرجوع الى مذهبهم ؟ لا نظنّ . فشتَّان بين القوانين المكتوبة الميتة والعادات الجارية الحيَّة !

ل . ش

رسائل البلغاء

عُني بجمعها محمَّد كرد علي صاحب مجلَّة المقتبس

طُبع بمطبعة دار الكتب العربيَّة بمصر سنة ١٣٣١–١٩١٣ (ص ٢٢٠)

أطلعنا قرَّاءنا الكرام على هذه الرسائل عند ظهورها للمرَّة الاولى (المشرق ١٣ : ٨٧١) وبيَّنَّا ما احتوتهُ من الدرر الفريدة لائمَّة البلغاء. ولا عجب من اقبال الادباء عليها حتى اضطُرَّ صاحبها الهمام الى اعادة طبعها. وقد نشرها هذه المرَّة بمصر وضمَّنها ما عدا الآثار السابقة رسائل اخرى نُشر بعضها على حدة ومرَّ لنا وصفها كرسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني وملقى السبيل لابي العلاء المعرّي ممَّا نشرهُ حسن حسني عبد الوهَّاب افندي الترنسي (المشرق ١٥ : ٢٣٤) وبعضها لم يُنشر حتى الآن كالرسالة العذراء في موازين البلاغة وادوات الكتابة لابي اليُسر ابراهيم بن المدبّر ورسالة ابي القارح الى ابي العلاء المعرّي وهي التي اجابهُ عنها ابو العلاء برسالة

الفرق وكتاب العرب وهو الرد على الشعوبيّة لابي محمّد عبد الله الشهير بابن قتيبة وببعض فصول قصيرة استخرجها قوم من علماء زماننا من خزائن كتبهم فنشروها في هذا المجموع الخطير. ويا ليت الكتاب كلهُ طُبع بالحرف الكبير المشكّل كقسمه الاوّل لاستفاد منهُ احداث المدارس كمحبي الآداب القديمة ل.ش

الطريقة القدسيّة

لواضعها الياس بك قدسي قيس قنصلوس دولة البورتغال في دمشق

طُبع في المطبعة الارثذكسية في دمشق ١٩١٠ (ص ٣٢)

هي طريقة سهلة لمسك دفاتر الحسابات التجاريّة بالقيودات المزدوجة (الدوبيا) وضعها جناب الياس بك قدسيّ الدمشقي فشرحها في هذه الرسالة التي دعاها « اجتهاد في الدوبيا » مشيراً بذلك الى ملازمته الطريقة الشائعة في بلادنا المعروفة بالطريقة الايطاليّة ثم الى زيادته عليها ضبطاً وسهولةً ببعض تحويرات ادخلها فيها وقد شرح ذلك بهذه الكراسة شرحاً وافياً قريب المنال ل.ش

تسريح العيون في تاريخ كنيسة القديس يوحنّا مارون

بقلم الخوري فرنسيس الشمالي خادم الكنيسة المذكورة في بغلو

طُبع في المطبعة اللبنانيّة « جسر نهر بيروت » سنة ١٩١٣ (ص ٦٧)

هذ الكرّاس افضل شاهد على ما يستطيع فعلهُ كاهن غيور منزّه عن كل الغايات البشريّة لدى ابناء كنيسته في المهاجرة فنشكر حضرة الخوري فرنسيس الشمالي على تسطيره اخبار كنيسة بغلو التي وُلّي هو خدمتها منذ السنة ١٩٠٨ وما اجرى هناك من اعمال الخير المتعدّدة منذ استلامه شؤون الرعيّة الى هذه السنة الجارية جازاهُ الله على كل مساعيه وسهّل لهُ في المهجر القيام بكل ما يؤول الى خير طائفته ومجده تعالى

كتاب الاتقان في لغة السريان

للسيّد يوسف دريان مطران طرسوس شرفاً والنائب البطريركيّ الماروني وظيفةً

طُبع بالمطبعة العلميّة في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٤٤٦)

توسّمنا الخير في هذا الكتاب لمّا وصفنا طبعتهُ الاولى سنة ١٩٠٥ (في المشرق ٨: ١٠٠٧) فلم يُخلف ظنّنا. ومن العجب ان كتاباً انوياً من الصرف السرياني يُطبع اكثر من طبعة في الشرق حيث كسدت هذه اللغة الشريفة ولم يُعنَ بدرسها الا

القليلون فلا شكَّ ان سيادة المؤلف بحسن طريقته ووضوح لهجته بعث همة كثيرين ونشطهم الى احراز فرائدها. فنهنئ السيد الوقور على ما نال كتابهُ من الرواج. وهذه الطبعة الثانية قد برزت في حلة اقشب من الاولى وفقاً لسنة الترقي. وليس تحسينها مادياً فقط بل معنوياً ايضاً اذ انَّ سيادتهُ لم يحجم عن اعادة النظر في تأليفه تسديداً لهُ وتمحيصاً وترتيباً وتنقيحاً » كما افاد في مقدمة الكتاب فنحن واثقون بزيادة اقبال الدارسين عليه. اعاد الله به لغة آبائنا الى رونقها السابق ل. ش

المُدى الى الدين المصطفى

ألفهُ . . . النجفي (كذا)

طبع في مطبعة العرفان. صيدا (١٣٣٠-١٣٣١ ص ٢٩٢)

لقد كدنا وايم الحق نكذب ذات عيننا اذ قرأنا في اسفل الصفحة الاولى من هذا الكتاب « مطبعة العرفان » ونحن تشرَّفنا بمعرفة صاحبها وكنا نجله عن التحامل على الاديان بطبعه كتاباً كهذا وقد اطنجهُ مؤلفهُ طعناً ان لم نقل سفاهةً على الدين النصراني مما ليس وراءه الَّا تصدُّع الالفة بين العناصر . بل عجبنا من الحكومة المحلية كيف تُغضي على نشر مُصنَّف كهذا والبلاد في حاجة الى سلام ووئام . فلو اقتصر النجفي على ما وسم به كتابهُ ولم يتعرَّض لدين غيره لما كنَّا نُنحي عليه بالملامة . لكنَّ العنوان غشاش خدَّاع يرمي الى ما ليسَ فيه ظاهراً . ونكتفي بهذا دون التعرُّض لتفنيد شبهاته واكاذيبه التي سبق غيرنا وزيَّفها اناره الله ش. ا

شذرات

الصفح عن القاتل — نظم جناب الاستاذ يوسف افندي الفاخوري احد اساتذة كليَّتنا حادثاً روتهُ مؤخراً جريدة البشير عن كاهن صفح عن قاتل ابنه وهو على وشك ان يعاقب عن ذنبه شنقاً

هُنالِكَ في الفيحاء حيثُ تجمَّعُ جماهيرُ لا تحصى لأمرٍ تَوَقَّعُ
وقفنا عند « رأس التلّ » وقفة آسفٍ ولا تسألا فالحالُ تُبكي وتوجعُ
تبيَّنَ ذاكَ اليومُ للطرفِ ظُلمةً وغيمُ الفضا وجهَ النزالةِ يسفعُ
فلا شمسَ في وسطِ السماءِ منيرةٌ ولا نجمَ في تلكَ الدُّجنَّةِ يلمعُ

ولا بِشرَ في أهلِ المدينةِ سائدٌ ولا شُهبَ تبدو في السماء وتطلعُ
تصدُّ عن الأُفقِ النجومُ كئيبةً وتهربُ من ذاك الرقيع وتفزعُ
يُحجِّبُ وجهَ البدرِ ستر كآبةٍ فلا البدرَ مرئيٌّ ولا النجمَ يَسطعُ
نضا البشرَ عن وجهِ المدينةِ آفةٌ وناب عن النورِ التمامُ المجزّعُ
وسادَ سكوتٌ سَبَّبَ الخوفَ طولُهُ فلا سوقَ مفتوحٌ ولا بَيعَ يُمرعُ
ولا الطيرَ في دوحِ الرياضِ مغرّدٌ ولا القولَ مسموعٌ ولا الرأيَ يُجمَعُ
كأنَّ قد عرا تلك المدينةَ نكبةٌ وجلّلها همٌّ منَ الحزنِ مفزعُ
كأنَّ على هامِ الجماهيرِ طائرًا فلا رِكزَ في تلك الدقيقة يُسمَعُ
ولكنْ عيونٌ محدقاتٌ ببافعٍ يسيرُ ببطءٍ وهو آسٍ مُقنَّعُ

*

الا أيها الساري المُروَّعُ قلبُهُ الى اين ما تبغي وما انت تقطعُ
وجوعاً فهذا السيرُ يُفضي سبيلُهُ الى الشنقِ بالإثمِ الذي كنتَ تتبعُ
فيا ليتَ لم تقتل فتيًا محضًا بريئاً قضى لم يجنِ ما كنت تنزعُ
قتلتَ ولم ترحم كهولةَ والدٍ رثاهُ بما قلبَ الجلاميدِ يصدعُ
وفجعتَ أمًّا نغّصَ الحزنُ عيشها وآلها والأمُّ بالنسلِ تفجعُ
وذكّيتَ نيرانَ العداوةِ ضرماً فهاج لها السُّكّانُ والضغنُ يلذعُ
وناح ذوو القربى وبكوا فقيدهم فكلٌّ حزينٌ وهو بالصبرِ يصدعُ
قتلتَ وأحرقتَ البيتَ تعمّدًا لتُخفيَ ما تجني فما انتَ تقنعُ
تبيّنَ للحكامِ أنكَ قاتلٌ فها انت مسجونٌ وها انتَ تُصرعُ
فسِقتَ الى القتلِ الذي انت خائفٌ فلا بُدَّ مما اليوم منهُ تروّعُ

*

تبدّى لهُ الشنقُ الذي راعَ قلبَهُ وكل امرئٍ يخشى المنونَ ويفزعُ
تقدّمَ للموتِ الفتى وهو جازعٌ فأدمى قارباً بأسها يتصدّعُ
واذ كادتِ الأمراسُ تلمسُ عنقَهُ وصاحَ ذوو قرباهُ وهو مروّعُ
مشى كاهنٌ بين الجموعِ بخفّةٍ وشقَّ صفوفاً لا تُمدُّ وتُجمعُ
فهذا ابو المقتولِ قوّسَ صلبَهُ أسًى أصلَ اركانِ الجبالِ يُزعزعُ

تنازعهُ امران حُبُّ انتقامهِ وما قال انجيلُ المسيح بلمنعُ
فأقنعهُ تعليم إنجيل ربّهِ وصاحَ غفرتُ الإثمَ والدّمعُ مُترعُ
صفحتُ عن الجاني كما قال خالقي وما لي بهذا الصفح ذا اليومَ مطمعُ
فضجَّ جميعُ القوم ضجّة مُعجبٍ بما سمعوا ما لم يكُن يُتوقّعُ
فعاد بهاء الأفق يزهو بشمسهِ واسفرَ وجهُ البشرِ لا يتلفّعُ
وقد عظّم الاقوامُ دينَ مسيحنا وذوالعقلِ في الدنيا بذا الدينِ مولعُ
فما تركُ إلا لبعضِ مقاصدٍ ولا نابذٌ إلّا الذي ليس يقنعُ

*

هناك ارى رسمَ المحبّةِ كاهنٌ هوتهُ سجايا كُلُّهنَّ ترفّعُ
محبّتهُ قد وفّر الحِلمُ جودَها لها اليومَ في جوّ الحقيقةِ مطلعُ
وايمانهُ قد بارك اللهُ صدقهُ وليس لهُ عن منهج الحقِ مترعُ
وما المرء إلّا ان يكون لدينهِ ويعبُدَ ربًّا والخليقةَ ينفعُ
فلا شيء للإنسان يُجدي منافعاً سوى صالح باقٍ فدنياهُ تخدعُ

﴿ لكلّ ذي حقّ حقّهُ ﴾ روى صديقنا الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف في الآثار (ج ٣ ص ١٠) هذين البيتين :

فاماً ان تكون اخي بصدقٍ فاعرفُ منكَ غثّي من سمني
والّا فاطّرحني واتّخذني عدوًّا اتّقيك وتتّقيني

ونسبهما الى « محمّد طبيعة البقاعي » امّا من هو محمّد المذكور فلا نعلم وانّما نعلم انّ البيتين من قصيدة شهيرة تُعدّ من مَشوبات العرب رويناها في شعراء النصرانيّة (ص ١٠٥) وهي المشقّب العبديّ — ونظنّ انّ « نيوتن الكاهن المصريّ » الذي ذكرهُ (ص ١٤) هو اسم مصحّف ولعلّهُ اراد « منيثون » (Manéthon)

﴿ طيّار يسوعي ﴾ روت جريدة صدى باريس في عددها الصادر في ٥ تشرين الثاني ان المسيو كستيليون دي سان فكتور (Castillon de St Victor) رئيس جمعيّة الطيّارين في باريس دخل في الرهبانيّة اليسوعيّة

﴿ محمّد طاهر التنير في حكم الانكليز ﴾ يذكر قرّاؤنا الكرام انتقادنا (في المشرق ١٥ : ٤٣٢ و ٥٢٩) على الكتاب السمج الذي نشرهُ محمّد طاهر

التنير ودعاهُ بالعقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة وزيَّنهُ بالتصاوير القبيحة التي زعم انَّهُ نقلها عن كتب العلماء الموثوق بهم . ومن أراد ان يتفكَّه بمعرفة خزعبلات هذا الكاتب العصري فليراجع مقالةً انكليزيَّة لطيفة (The latest Muhammadan Mare's Nest) للدكتور تِسْدال (Rev. Dr. W. St. Clair Tisdall) نشرها في المجلَّة الانكليزيَّة « The Moslem World » في عددها الرابع من السنة الجارية (October, 1913, 407-416) يجد فيها التزويرات العجيبة والتلفيقات الغريبة التي نسبها التنير الى العلماء زورًا . فيا لله ما اقصر حبل الكذب واوهن ملكهُ !

أسئلة واجوبة

س سألنا احد القرَّاء ما رأينا في جواب مجلَّة الرسالة (ص ١٤١) على من سألها عن كلمة دستور الايمان « مساوٍ للآب في الجوهر » تفي بالمعنى المقصود

كلمة دستور الايمان « مساوٍ للآب في الجوهر »

ج احسنت الرسالة بقولها انَّ هذا التعريب لا يفي بالمعنى المقصود وفي الاصل اللاتيني consubstantialis واليوناني ὁμοούσιος المراد بهما انَّ الابن « ذات الاب في الجوهر » وعرض ابدالهُ بما ورد في المجمع اللبناني « واحد مع الاب في الجوهر » وهو تعريب حسن . ويجوز ايضاً تعريبهُ بقولنا « الذي لهُ ذات جوهر الآب » او كما فسَّرهُ مجمع طليطلة القديم « ذو الذات الواحدة مع الآب »

س وسأل من بنالو حضرة الخوري فرنسيس الشمالي ما هو القول الرجَّح في السبب الذي حمل القديس يوسف على ان يفكر بتخلية العذراء مريم سرًّا بعد حبلها من الروح القدس

شرح آية متَّى ١ : ١٩

ج الرأي المرجَّح في ذلك ما قالهُ القديس ايرونيموس في شرح هذه الآية انَّ يوسف كان متأكدًا براءة العذراء الَّا انَّهُ كان يجهل سرَّ حبلها ولم ترضَ البتول بان توقفهُ على الامر لعلمها بانَّ الله سيوحي اليهِ بذلك رأساً . ومن ثمَّ بقي في ريبهِ ريثما تراءى لهُ الملاك وازال شكَّهُ

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة السادسة عشرة من مجلّة المشرق ١٩١٣

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرقيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) عادات الانام في رؤوس الاعوام نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي (١-١١) = انين الثكلى (قصيدة) بقلم القس بطرس سادة الراهب الماروني اللبناني (١١-١٦) = وقائع العام المنصرم نظر للاب لويس رنزفال اليسوعي (١٧-٢٩ ; ٢ : ١١٥=١٢٥) = كتاب العمل بالاصطرلاب لعلي بن عيسى . عُني بنشره الاب ل . شيخو (٢٩-٤٦) = يحيى النحوي . من هو ومتى كان ؟ حل مشكل تاريخي للاب ل . شيخو (٤٧-٥٧) = من بيروت الى المشد (تابع) : رحلة للاب ل . شيخو (٥٧ - ٦٦ ; ٢ : ١٤٢ - ١٥١ ; ٣ : ١٧٨ - ١٨٨ ; ٤ : ٢٥٦-٢٦٧ ; ٥ : ٢٦٤-٢٧١) = النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . القسم الثاني (تابع) : للاب ل . شيخو (٦٦ - ٧٢ ; ٣ : ٢٢٥ - ٢٢١ ; ٤ : ٢٩٢ = ٢٩١ ; ٦ : ٤٢٦ - ٤٢٥ ; ٧ : ٥٠٥ - ٥١٥ ; ٨ : ٥٩١ - ٦٠٠ ; ٩ : ٦٧٥ - ٦٨٧ ; ١٠ : ٧٧٢ - ٧٧٩ ; ١١ : ٨٥٥ - ٨٦٢ ; ١٢ : ٩١٦-٩٢٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٢ - ٧٦) = شذرات : الكنيسة بازاء اعدائها (قصيدة) - اعتراضات محمد طاهر التنير - اثر روماني في بيروت (٧٦ - ٧٩) = اسئلة واجوبة (٨٠) وكذلك في جميع اعداد السنة

العدد ٢ (شباط) البرهان الصريح في اثبات الوهية المسيح . ردّ على مجلة المنار للاب ل . شيخو (٨١-٩٢ ; ٣ : ١٩٧-٢٠٩ ; ٥ : ٢٧٨-٢٨٧ ; ٦ : ٤٥٩-٤٦٤ ; ٧ : ٥٤٥ - ٥٥٢ ; ٨ : ٦١٩ - ٦٢٠ ; ٩ : ٦١٦-٧٠٩ ; ١٠ : ٧٨٠-٧٩١ ; ١١ : ٨٦٤ - ٨٧٢ ; ١٢ : ٩٤١-٩٤٧) = قصة ارشليدوس الحبيس اثر نصراني نشره الاب ل . شيخو (٩٣-١٠٢) = البيّنة القاطعة في صاحب الدلالة اللامعة لحضرة الخوري قسطنطين باشا ق . ب (١٠٣-١١٥) = السفن المستحدثة للحرب البحرية للاب جاك هرنو اليسوعي (١٥٢-١٤٢) = مطبوعات شرقية جديدة (١٥١-١٥٧) = شذرات : من هو المتعصب - قد ماتت - جائزة نوبل (١٥٨-١٦٠)

العدد ٣ (اذار) عجائب الهلايا في النبات والحيوان لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (١٦١-١٦٨ ; ٤ : ٢٥٠-٢٥٦) = تعريف بعض مخطوطات مكتبتي لجناب القانوني جرجس افندي صفا (١٦٨-١٧٨ ; ٤ : ٢٦٧-٢٧٦ ; ٦ : ٤٢٥-٤٤٦ ; ٨ : ٥٧٨-٥٩٠) = النار العجيبة في القبر المقدس نبذة تاريخية للاب ل . شيخو (١٨٨-١٩٧) = شهيد سرّ الاعتراف (قصيدة) لحضرة الخوري الياس حانك (٢٠٩-٢١٢) = رسالة بني عمون بحث تاريخي اثري بقلم حضرة الخوري بولس سلمان (٢١٦ - ٢٢٥ ; ١٢ : ٨١٠-٨١٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٢١ - ٢٢٣) = شذرات : الكلمة الامركانية - فكاهة هلالية - كتاب

الدلالة اللامعة ونسبتهُ الى السيد افتيموس صيفي – ابن المحبة وابن الصحبة – تعدُّد الآلهة – احتجاج باطل (٢٢١–٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) مقالة في صلب السيد المسيح للشيخ ابي نصر يحيى ابن جرير التكريتي (٢٤١–٢٥٠) = الحديقة النباتية في مدرسة الطبّ الفرنساوية الشاب الاديب اسعد افندي ملحمه (٢٧٧–٢٨٩) = خشبة عجيبة (قصيدة) بقلم حضرة الخوري رفائيل البستاني (٢٨٩–٢٩٣) = الصاعقة للاديب فريد افندي نمرا (٢٠٠–٢٠٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٠٦–٢١٤) = شذرات : مريم العذراء ازاء الصليب (قصيدة) — كرامات لقداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر – هيجان جديد في جرمانية ضد الجزويت – سؤال لمجلّة الهلال – عقد الزواج عند بعض الطوائف المسيحية – منشور الى عموم ابناء الوطن – تعدُّد الالهة . جواب على المقتطف (٢١٤–٢٢٠)

العدد ٥ (ايار) بريل اخوية العمّلة البيروتيّة نظر تاريخي اجتماعي للاب ل. شيخو (٢٢١–٢٢٥) = الحجر الشرعي بقلم جناب المحامي القانوني انطون بك شحيبر (٢٢٦–٢٤٤) = رسالة مكسيموس الحكيم عُني بنشرها حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي (٢٤٥–٢٥١) = الساعة حاضرة لجناب الدكتور حبيب افندي الدرعوني (٢٥١–٢٥٩) = قصيدة عامية في انملاء ووقوف الحال من نظم الياس افندي مسابكي الشامي (٢٥٩–٢٦٤) = المجل اللبناني لحضرة الخوري يوسف الخوري (٢٧١–٢٧٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٨٨–٢٩٢) = شذرات : فضيحة الماسونية – السيد افتيموس صيفي مؤلف الدلالة اللامعة – الصحافة الكاثوليكية والمحالفة البلقانية – ارتداد رهبان انكليكان الى الكثلكة – حركة الافكار في الصين – منبع نهر الكنج – زيارات رئيس الولايات المتحدة لكلية كرنيتون – مكتبة كاثوليكية (٢٩٢ – ٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) التذكار المئوي لتحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير . بحث تاريخي نظري للاب فلوريان لافلي اليسوعي (٤٠١–٤١٦) = موشح في القاب الاقدس اثر مفقود للسيد جرمانوس فرحات نشره الاب ل . شيخو (٤١٧–٤٢١) = الظواهر الطبيعية والكهرباء للدكتور يوسف افندي شرابيه (٤٢١–٤٢٥) = رسول الاتحاد بين الكنيستين لحضرة الاب ا . دوغو اليسوعي (٤٤٦–٤٥٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٦٦–٤٧٥) = شذرات : يا بتول (قصيدة للشماس منصور اسطفان) – رؤاة عزيز – محلّل السرقة والسارق – التربية الحرّة – الكليات اليسوعية في اميركة – حمام الراجل – آخر احصاء اليهود في العالم (٤٧٥–٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) عنصر الكربون نظر لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (٤٨١–٤٩٠) = اصل الناطرة الحاليين واحوالهم الدينية والمدنية لحضرة القس بطرس نصري الكلداني (٤٩١–٥٠٤) = كلمة في تاريخ اشمّة وتنجن ومنافذوا للدكتور الياس افندي الحاج (٥١٦–٥٢٢) = تمثال جديد معدني لجوبتير (المشتري) البعلبكي للاب سبستيان رنزفال اليسوعي (٥٢٢–٥٢٥) = الشاهد العيان على احوال البلقان رحلة الى ادرنة للاب لويس رنزفال اليسوعي

(٥٢٦-٥٢٧ ; ٨ : ٦٠١-٦١٠) = اصل الحياة خطاب القاه الاديب منصور افندي السوداء من جمعيّة الشبيبة الكاثوليكيّة (٥٢٧-٥٤٥) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٥٣-٥٥٦) = شذرات : انتقاد الاب انستاس الكرمليّ - موشح قلب يسوع للخوري نيقولا الصائغ - التُّوام - (٥٥٦-٥٦٠)

العدد ٨ (آب) سياحة في طور عبدين لحضرة القس اسحق ارملة (٥٦١-٥٧٨ ; ٩ : ٦٦٢-٦٧٥ ; ١٠ : ٧٣٥-٧٥٤ ; ١١ : ٨٢٥-٨٥٤) = مريم اخت لعازر ومريم المجدليّة والخاطئة الثانية بحث تاريخي للاب جاك مرنو اليسوعي (٦١٠-٦١٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٢١-٦٢٦) = شذرات : نحن والتقليد قال ابن المعتز (قصيدة عامية) - الرسالة الكاثوليكية في مادورة - تجارة الولايات المتّحدة - فائدة في التعاد الرسوليين في سوريّة - المصلحون السوريّون - الدروس العليا في كليّتنا (٦٢٦ - ٦٢٩)

العدد ٩ (ايلول) العاديّات الكتابية في القرون الاولى للمسيحية للاب ل. شيخو (٦٤١-٦٥٦) = صندوقة اسرار من اعمال الاحرار بقلم فؤال لبناني (٦٥٦-٦٦١) = القديس اوغستينوس شفيع المذهب الدروزي ردّ على المتطف للاب ل. شيخو (٦٨٧-٦٩٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٩-٧١٧) = شذرات : انصاف صاحب مجلّة لغة العرب - خنافس الصحافة - نصائح صحيّة للصوم - فنّ الرمي بالاشعّة (شعوذة) - الكشلكة في الصين (٧١٧-٧١٩)

العدد ١٠ (تشرين الاول) رسالتان للسيد جرمانوس فرحات نشرهما الاب شارل ايلا اليسوعي (٧٢١-٧٣٢) = مشروع سكة حديد جبلية داخل قضاء المتن على مشارف لبنان بقلم بشاره افندي السر مهندس (٧٣٣-٧٣٨) = النصرانيّة بين قدماء الاتراك والمغول : بحث تاريخي للاب ل. شيخو (٧٥٤ - ٧٧٣) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٩١-٧٩٧) = شذرات : عاصمة الهند الجديدة - الدكتور كابانس - اكاذيب الكلمة - المهاجرة الى اوستراليا (٧٩٩ - ٧٩٧)

العدد ١١ (تشرين الثاني) تذكار مولد لويس فويليو بطل الصحافة الكاثوليكية في فرنسة للاب لويس شيخو (٨٠١-٨١٣) = كنيسة انطاكية على عهد الرسل للخوري بولس سلمان (٨١٤ - ٨٢٣) = اثر مدفن سوري قديم للاب سبنيان روترفال اليسوعي (٨٢٣-٨٢٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧٣-٨٧٨) = شذرات : نصرانية غسّان والاب انستاس - حادث محزن - مكروب الكلب - قصر السلام - اكتشاف في البرق السلكي - ذاكرة النبات (٨٧٨ - ٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاول) المدارس الداخلية او الخارجية ايها افضل ؟ للاب ف. شرمو اليسوعي (٨٨١-٨٨٩) = جواهر النظام في معرفة الانغام. تأليف الشيخ شمس الدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابي الحسن علي الخطيب الاربلي. نشرها الاب ل. شيخو (٨٩٥-٩٠١) = كواسر فلسطين النهارية لحضرة الاب ارنست شيتس الالماني (٩٠١-٩٠٨) = ختام اليوبيل القسطنطيني وانتصار الصليب (قصيدة) لحضرة الخوري بطرس البستاني (٩٠٩-٩١١) = الكلب بقلم الاب ب. دي ڤريجيل اليسوعي (٩١٢-٩١٩) = مدرسة الحقوق الرومانيّة في بيروت.

خطاب للمسيو بول هوڤلين احد اساتذة مكتب الحقوق في ليون (٩٢٧-٩٢٤) = رحلة الى معادي الخيري للاديب نعمان ابي ناضر (٩٣٤-٩٢٧) = الف ليلة وليلتان للاب شرل ايلا اليسوعي (٩٣٧-٩٤١) = مطبوعات جديدة (٩٤٩-٩٥٧) = شذرات الصنح عن القائل (قصيدة) لجناب الاستاذ يوسف افندي الفاخوري - لكلّ ذي حق حقّهُ - طيّار يسوعي - محمّد طاهر التنّير في حكم الانكليز (٩٥٧-٩٦٠) = فهارس السنة (٩٦١ - ٩٨٦)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابو رزق (الاديب سليم) مريم العذراء ازاء الصليب (تخميس) ٢١٤ على ضريح ڤوبليو (قصيدة) ٨١٢

ابي ناضر (الاديب نعمان) رحلة الى معادي الخيري ٩٣٤

ايلا (الاب شرل اليسوعي) نشرهُ رسالتين للسيّد جرمانوس فرحات ٧٢١ الف ليلة وليلتان ٩٣٧ وصفهُ لبعض مطبوعات ٧٩٤; ٨٧٥;٨٧٧ ٩٥١;٩٥٧

الاربليّ (الشيخ شمس الدين محمّد) رسالته جواهر النظام في معرفة الانغام ٨٩٥

ارملة (القس اسحاق الدربانيّ) سياحة في طور عبدين ٥٦١ موقع طور عبدين: وصفهُ وتاريخهُ وعادات اهلهِ ٥٦١-٥٧٠ من ماردين الى نصور ٥٧١ الى قلّث ٥٧٢ الى مذيات ٦٦٢ الى باتو ٦٦١ الى حصن كيفا ودير المخر ٧٢٩ الى حاح ٧٤٢ الى باقسيان ٧٤٥ الى باعربايا ٧٤٩ الى دير قرقين او دير العمر ٧٥١; ٨٣٥ الى باسبرينا ٨٤٠ الى دير مار ملكا ٨٤٢ الى دير مار اوجين ٨٤٦ الى نصيبين ٨٤٩ الى دارا ٨٥١

اسطفان (الشمّاس منصور) يا بتول (قصيدة) ٤٧٥

ا م.غ (المرسل الكريميّ) الكنيسة بازاء اعدائها (قصيدة) ٧٦

الباشا (الخوري قسطنطين ق.ب) البيّنة القاطعة في صاحب الدلالة اللامعة ١٠٢; ٢٩٤

برتولو (الاب يوسف اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٧٤; ٢٨٨

البستاني (الخوري بطرس) ختام اليوبيل القسطنطيني وانتصار الصليب ٩٠٩

البستاني (الخوري رافائيل) خشبة عجيبة (قصيدة) ٢٨٩

البستاني (الاديب سليم) على ضريح لويس ڤوبليو (تخميس) ٨١٢

بشاره افندي (السر مهندس) مشروع سكّة حديد جبليّة داخل قضاء الكتن ٧٢٣

تورنيفن (الاب فرنسوا اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٧٤;١٥٢;١٥٤;٣٨٩;٤٦٧ جرمانوس فرحات (مطران حلب) موشّح في القلب الاقدس منسوب اليهِ ٤١٧;٥٥٨ = رسالتان للسيّد جرمانوس فرحات في رسوم وعوائد الرهبانيّة اللبنانيّة ورسوم الكمال ٧٢١

جلابرت (الاب لويس اليسوعي) نشرهُ لكتابة

رومانية ٧٩ وصفهُ لبعض المطبوعات ٤٦٨
جوون (الاب بولس اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٧٣
الحاج (الدكتور الياس افندي) كلمة في تاريخ اشمّة رونتجن ومنافعها ٥١٦-٥٢٢
الحانك (الخوري الياس) شهيد سرّ الاعتراف (قصيدة) ٢٠٩
الخوري (الاديب سامي) ردّ على قول المقتطف في تعدّد الالهة ٢٢٩
الخوري (الاب يوسف المارونى) الحجل اللبناني ٣٧١-٣٧٧
الدرعوني (الدكتور حبيب افندي) المناعة ٣٥١-٣٥٩
ده فريجيل (الاب بطرس اليسوعي) الكلب ٦١٢-٦١٩
دوغو (الاب البار اليسوعي) رسول الاتحاد بين الكنيستين ٤٤٦-٤٥٩
رتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) تمثال جديد مدفني لجوبتير (المشتري) البعلبكي ٥٢٢ = اثر مدفن سوري قديم ٨٢٢ = وصفهُ لبعض المطبوعات ٢٠٨
رتزفال (الاب لويس اليسوعي) وقائع العام المنصرم نظر عامّ ١٧ سياسة الدول ١١٥ = الشاهد البيان على احوال البلقان ٥٢٦;٦٠١ وصفهُ لبعض المطبوعات ٢٩٢
ريشار (الاب رينهرت اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٢٨٩;٤٦٧
سارّة (القس بطرس الراهب الباني) أنين الثكلى (قصيدة) ١١
سلمان (الخوري بولس الروم الملكي الكاثوليكي) ربّة بني عمّون ٣١٢;٨١٠= كنيسة انطاكية على عهد الرسل ٨١٤-٨٢٢
السوداء (الاديب منصور افندي) اصل الحياة ٥٢٨;٥٤٠
شحيبر (المحامي القانوني انطون بك) الحجر الشرعي ٢٢٦-٢٤٤
شرابيه (الدكتور يوسف افندي) الظواهر الطبيعية والكهرباء ٤٢١-٤٣٥
شرمو (الاب فرنسوا اليسوعي) المدارس الداخلية او الخارجية ايهما افضل ٨٨١-٨٨٩
شيتس (الاب ارنست اللازري) كواسر فلسطين النهاريّة ٦٠١-٦١٢
شيخو (الاب لويس اليسوعي) عادات الانام في رؤوس الاعوام ١ - ١١ = نشرهُ لكتاب عليّ بن عيسى العمل بالاصطرلاب ٢٩= يحيى النحويّ من هو ومتى كان ؟ (حلّ مشكل تاريخي) ٤٧ - ٥٧ = سياحتهُ من بيروت الى الهند : على طريق بغداد ٥٧ دار السلام ١٤٢ العراق . شطّ العرب . خليج العجم ١٧٨ مسقط . كوراتشي . بباي ٢٥٦ من بباي الى عدن ٢٥٦ عدن . البحر الاحمر . الرجوع الى بيروت ٢٦٤= النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية : القسم الثاني ٦٦ انصارى والكتابة العربيّة ٦٧ الالفاظ النصرانيّة في لغة العرب ٢٢٦ الاسم الكريم واسماؤهُ الحسنى في الجاهلية ٢٢٦ السماء والجحيم وما فيها ٢٩٢ الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ ٤٢٦ الوحي وكتبهُ وائمّتهُ ٥٠٥ رؤساء النصرانيّة ورهبانها ٥٩١;٦٧٥ كنائسها واقداسها ٦٧٧ مساكن رهبانها ٧٧٢ اعيادها ومواسمها السنوية ٧٧٦ ملابس النصارى ٨٥٥ كتابتهم وادواتها ٨٥٧ الفاظ متفرّقة ٨٦١ الاعلام النصرانية في الجاهلية ٩١٦ = البرهان الصريح في اثبات الوهية المسيح (ردّ على مجلّة المنار) ٨١ مقدّمات ٨٢ النبوّات عن مجيء المسيح وتعريف شخصه الكريم ١٩٧ سبب نكران

اليهود ليسوع المسيح ٢٧٨ الوهية المسيح في مولده ٢٨٤ في مبشّره الخفية ٤٥٩ في شهادة القديس يوحنا المعمدان ٥٤٥ في آداب حياته ٦١٩ في معجزاته ٦٩٦ في تعليمه ٧٨٠ في موته ٨٦٤ في قيامته ٩٤١ = نشرهُ لنصّة ارشليدوس الحيس ١٢ = النار المجيبة في القبر المقدس ١٨٨ = نشرهُ لمقالة يحيى بن جرير التكريتي في صلب السيّد المسيح ٢٤١= يوبيل اخويّة العمّلة البيروتيّة ٢٢١ = العاديّات الكنائيّة في القرون الاولى للنصرانية ٦٤١ = القديس ارغستينوس شفيع المذهب الدروزي ٦٨٧ = النصرانيّة بين قدماء الاتراك والمغول ٧٥٤ = تذكار مولد لويس فويلو بطل الصحافة الكاثوليكية ٨٠١=نشرهُ لرسالة جواهر النظام في معرفة الانغام ٨٩٥ = لهُ تعريبات وشذرات واجوبة في كل اعداد السنة

الصائغ (الخوري نيقولا) مؤلف الموشّح في القلب الاقدس ٤١٧:٥٥٨

صفا (القانونيّ جرجس افندي) تعريف بعض مخطوطات مكتبتي ١٦٨; ٢٦٧; ٤٢٥; ٥٧٨

طوران (الاب اسكندر اليسوعي) عجائب المثلايا في النبات والحيوان ١٦١ ; ٢٥٠ = عنصر الكربون ٤٨١ — ٤٩٠

عليّ بن عيسى : كتاب العسل بالاصطرلاب ٣٩

قوّال لبناني : صندوقة اسرار من اعمال الاحرار ٦٥٦

كستاكيس (الاب بطرس) وصف لبعض المطبوعات ١٤٩

لافلي (الاب فلوريان اليسوعيّ) التذكار المئوي لتحرير الكنيسة على يد قسطنطين الكبير ٤٠١-٤١٦

لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٣٠٦;٦٢٢

مسابكي (الاديب الياس افندي الشامي) قصيدة عاميّة في الغلاء ووقوف الحال ٣٥١ = نحن والتقليد قالى ابن الصبر (من نظمه) ٦٣٦

ملحمه (الاديب اسعد افندي) الحديقة الثمانيّة في مدرسة الطب الفرنسويّة ٢٧٧ — ٢٨١

منش (القس جرجس الاروني) نسبة كتاب الدلالة اللامعة الى الاب ميخائيل نو ٢٢٥ ; ٢٩٤= نشرهُ لرسالة مكسيموس الحكيم ٢٤٥ —٢٥١ = افادتهُ في مؤلف الوشّح للقلب الاقدس ٥٥٨

موترد (الاب ريه اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٩٥٠

نصري (القس بطرس الكلداني) اصل الناطرة الحاليين ٤٩١—٥٠٤

نصرا (الاديب فريد) الصاعقة ٢٠٠-٢٠٦

درنو (الاب جاك اليسوعي) السفن المستحدثة للحرب البحريّة ١٣٥—١٤٢ = مريم اخت لازر ومريم المجدلية والخاطئة التائبة ٦١٠

هرفاين (المسيو بول) محاضرتهُ في مدرسة الحقوق الرومانيّة في بيروت ١٢٧ — ١٣٤

يحيى بن جرير التكريتيّ (الشيخ ابو نصر) مقالتهُ في صلب السيّد المسيح ٢٤١

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة السادسة عشرة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ً الكتب العربية والسريانية والتركية والارمنيّة الخ

ابن العبري (ابو الفرج) : كتاب الصمحي (٧٣)
ابن مسكويه : القسم الثاني من تاريخ تجارب الامم (٨٧٤)
ابو حطب (الشماس عمانوئيل) : جداول لمعرفة درجات القرابة بين الطالبين للزواج (٤٧٤)
ابو كرم (المطران سنف نعمة الله) : المجلّدان الثالث والرابع من كتاب الفلسفة النظريّة للكردينال مرسيه (٦٢٥)
احمد دقنه (المطران قنوس افرام) : كتاب الحياة الحقيقيّة في الدعوة الرهبانيّة (٣٩١)
ادّه (الابوان جبرائيل وخليل اليسوعيان) كتاب القواعد الجليّة في علم العربيّة (٩٥٢)
الاصمعي : كتاب الاضداد (٧٠٩)
أيوب (القس توما) : قرّة العين في رواية الى اين (٧١٤)
الباشا (الخوري قسطنطين) : سيرة القديس يوحنا الدمشقي للراهب مخائيل السماني
الانطاكي (٧٥) = كتاب معالم الكتابة ومغانم الاصابة (٥٥٤)
البستاني (الخوري بطرس) : كتاب آداب المراسلة (للتلميذ) (٤٧٣)
البستاني (الخوري بولس) : قدوة الحسان في ابنة رولان (٤٧٣)
بجت (محمّد) : ارغنون (٤٧٤)
البتجالي (اسكندر الخوري) : حقائق وعبر (٧١٥)
ترجمة الاناجيل المقدّسة واعمال الرسل في الارمنيّة الحديثة (للآباء اليسوعيين) (٧٤)
= الترجمة عينها في التركيّة (٢٨٨)
تعليم دين التوحيد المعروف بدين الدروز (٢١٤)
ثابت (القس مبارك اللبناني) : رواية الرجل الواقف (٢١٢)
الجرجاني (القاضي ابو الحسن عليّ بن عبد العزيز) : الوساطة بين المتنبي وخصومه (٨٧٦)
جعفر الحلّي النجفي (السيّد) : كتاب سحر بابل وسجع البلابل (٧١٥)
الجويني (علاء الدين عطا ملك) : تاريخ جهان گشاي (٦٢١)
حبيقة (المنسنيور بطرس) : انفاس الطلّاب في مضمار الكتّاب (٢٢٢)
الحدّاد (الشيخ امين) منتخبات من مآثره (٧١٢)
الحلّاج (ابو المغيث الحسين بن المنصور) : كتاب الطواسين (٢١٠)
دربان (الخوري لويس) : تعريب كتاب « من ابن جنّا » للخوري مورو (٤٧٣) = مجموع خطبه : الاعتقاد تجاه الدين (٦٢٤) = تهذيب الارادة (٩٥١)
دربان (السيّد يوسف مطران طرسوس شرفاً) كتاب الاتقان في لغة السريان (٩٥٦)

دهّان (الخوري نقولا) : فريدريك اوزنام (٧١٦)
الرسالة (مجلّة) (٧١٦)
رضا وظاهر وزين : الجزء الاوّل من المراقيات (٧٩٦)
الروزنامة السليميّة (٣١٣)
زيدان (جرجي) : الجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربيّة (٧٩٣)
الزين (احمد عارف) : تاريخ صيداء (٨٧٥) = الوساطة بين المتنبّي وخصومه (٨٧٦)
السجستاني (ابو حاتم) : كتاب الاضداد (٧١٠)
السمعاني (ابو سعيد عبد الكريم) : كتاب الانساب (٦٣١)
السمعاني (الراهب مخائيل الانطاكي) : سيرة القدّيس يوحنّا الدمشقي (٧٥)
سيّور (الاب بولس البراسيّ) : النادي الكاثوليكي وقرائنهُ (٧١٦)
شتوي (الاب الكسيوس ب . م) : كتاب خادم القداس الالهي (٧٩٥)
شلفون (الاب يوسف اليسوعي) : الشروح الوفية للصلاة الربيّة (٧٩٤)
الشهابي (الخوري فرنسيس) تصريح العيون في تاريخ كنيسة القديس يوحنّا مارون (٩٥٦)
شيخو (الاب لويس اليسوعي) : النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهلية . القسم الاوّل : في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية (٣١١) = كتاب علم الادب : الجزء الثاني في علم الخطابة (٨٧٧)
شير (السيّد ادّي مطران سعرد) : الجزء الاوّل من تاريخ كندو واثور (٣٩١) الجزء الثاني (٩٥٣)
صادر (سليم) : الترجمان الايطاليّ باللفظ العربي (٤٦١)
الصائغ (الخوري نقولا) موشّحهُ في القلب الاقدس (٤١٧:٥١٩)
صالحاني (الاب انطون اليسوعي) اخوة واخوات يسوع (٧١٦) = رتبة درب الصليب (٧٩٥) = بتوليّة مار يوسف (٧٩٦)
الصدر (السيّد حسن) : كتاب الشيعة وفنون الاسلام (٨٧٧)
صديق العائلة (مجلّة) (٣١٣)
طرّازي (الفيكونت فيليب دي) : تاريخ الصحافة العربية (الجزء الاوّل) (٣١١) الجزء الثاني (٧١٣) = نبذة في الصحف العربيّة المصوّرة (٣١٤)
عبد الرحيم بن عليّ بن شيت : كتاب منال الكتابة ومنال الاصابة (٥٥٤)
عبّود (مارون) : الاكليروس في لبنان (١٥٧)
عريضة (السيّد انطون مطران طرابلس) : صحائف واجبات خدمة الرعايا (٣٣١)
العظم (فوزي) وهاشم (سليم) : دروس الاشياء (١٥٦)
العقّاد (سليم) : تاريخ الحرب الباقانيّة (٦٣٤)
عمران (الاب يوسف الدازري) : بمناسبة تذكار المئوي لميلاد فردريك اوزنام (٥٥٦) = كتاب التعليم الصغير المأمور به من قداسة الحبر الاعظم (٦٣٣)
عليّ بن عيسى : كتاب العمل بالاصطرلاب (٣٩)
العمشيتي (الخوري يوسف) : سجين جيساج (١٥٧) = الاجوبة السديدة (٤٧٠)
عويس (الخوري بولس) حياة القديس

يوحنّا دي لاسال (٥٥٥)
الفاخوري (المعلّم يوسف) : الزهرات (٢٢٢)
فرج (الخوري انطون) : النشرات الصادقة (٤٧١)
فرحات (السيّد جرمانوس) موشّح في القلب الاقدس منسوب اليه (٤١٧؛٥١٩)
رسالتان في رسوم وعوائد الرهبانيّة اللبنانيّة ورسوم الكمال (٧٣١)
قدسي (القسّ قسطوس الياس بك) الطريقة القدسيّة (٩٥٦)
كرد علي (محمّد افندي) رسائل البلغاء (٩٥٥)
الكندي (محمّد بن عمر) : كتاب الولاة وكتاب القضاة (٦٣١)
مبارك (القسّ المثني) : تعريب دستور الرؤساء في رئاسة مرؤوسيهم للاب فالوي اليسوعي (٧١٣)
المتعبّد لقلب يسوع (٤٧٠)
مخائيل الدمشقي : تاريخ حوادث الشام (١٥٤)
مسعد (بولس) : دليل لبنان وسوريّة (٤٧٣)
معمار باشي (السيّد اقليمس رئيس اساقفة تكريت) : اللمعة في تكذيب الرّدمة (٥٥٥)
معلوف (الاب لويس اليسوعي) : تاريخ حوادث الشام لمخائيل الدمشقي (١٥٤)
= تقويم البشير لسنة ١٩١٤ ٨٧٨
مناشير وتقارير وخطب (٢١٧؛٧٩٧)
منش (القسّ جرجس الماروني) : رسالة مكسيموس حكيم (٢٤٥)
(النجفي) الهُدى الى دين المصطفى (٩٥٧)
هواويني (السيّد رفائيل اسقف بروكلن الاورثدكسي) : الانثولوجي الكبير القسم الاوّل المسمّى بالقنداق (١٥٥)
القسم الثاني (٩٥٤)

مطبوعات اوربيّة

d'Alès (Adhémar) : L'édit de Calliste (949)
Amar (Emile) : Al-Fakhri, Histoire des Dynasties par Ibn at-Tiqtaqâ (307)
Bon (D' Jeanne) : Thèse sur qqes Guérisons de Lourdes (467)
Caetani (Leone principe di Teano): The Tajârib al-Umam or History of Ibn Miskawayh (874)
Cattan (D' P. Basilio) : Cenni intorno alla Vita di Mgr Neofito Nasri Vescovo di Saidnaia (314)
Cheikho s. j. (Louis) : Catalogue raisonné des Manuscrits Historiques de la Bibl. Orientale de l'Université St Joseph) (710)
Chenesu (P. Paul) et Khayat (Pétraqni) : Ma première année de Français (p. 231)
Collinet (Paul) : Etudes Historiques sur le Droit de Justinien (154)
Cristiani (L.) : Robert Bellarmin (306)
Delehaye s. j. (Hippolyte) : Les Origines du Culte des Martyrs (151)
Donais (Mgr., évêque de Beauvais) : La communion des Enfants (632)
Dreyfus (Hippolyte) : L'Epitre au Fils du Loup par Bahâou'llah (310)
Dugout s. j. (Henry) : Atlas Philologique élémentaire (712)
Ellis (A. G.) and Edwards (Edw.): A descriptive List of the Arabic Manuscripts acquired by the Trustees of the British Museum, since 1894 (309)
Fracassi (Aquilio) : Il Corano, Testo arabo o versione letteraria italiana (874)
Fischel (Marcel Maurice) : Le Thaler de Marie-Thérèse (73)
Graf (D' Georg) Christich - Arabischos (951)
Guest (Rhuvan) : The Governors of Egypt by el-Kindi (631)
Haffner (D' Aug.) and Salhani (P. A.) s. j. : Drei arab. Quellowerke

über die 'Aḍḍâd (709)
Herzog-Hauck: Realencyklopädie. Bd. XXIII, (389)
Hoskins (Franklin E.): From the Nile to Nebo (153) = New Testament. First Font Reference
Huart (Clément): Histoire des Arabes, II (872)
Jalabert (L.) s. j.: Epigraphie chrétienne (641)
Kampffmeyer (D' Georg): Die Welt d. Islams (711)
Kyrca (I-IO): Arabskaja Xrestomatija (307)
La Ligue Maritime, Revue Mensuelle illustrée (392)
Le Livre Noir. L'Anarchie dans la Grande Loge Nationale d'Egypte (553)
Luebeck (D' Konrad): Die christlichen Kirchen d. Orients (466)
Margoliouth (D. S.): The Kitâb al-Ansâb of al Sama'âni (631)
Massignon (Louis): Kitâb al Ṭawâsin par Aboû al Mogîth al Hosein ibn Mansour al Ḥallâj (310) = Notes sur le Dialecte arabe de Bagdâd (314)
Moberg (Axel): Buch der Strahlen — Die grössere Grammatik des Barhebraeus (73)
Mola (Mons. C. Vescovo di Sassima): Manuale per le visite alle Chiese (791)
Nallino (C. A.): L'Arabo parlato in Egitto (469)
Pellegrini (Arcipr. Paolo): La prima Domenica del Mese dedicata al S. Cuore di Gesù (791)
Rémy (M.): Spirites et Illusionistes (388)
Rotté (Adolphe): Au pays des Lys Noirs (468)
Ronzevalle s. j. (Louis): Un Traité de Musique arabe Moderne (711)
Rücker (D' Adolf): Die Lucas-Homilien d. hl. Cyrill von Alexandrien (875) = Die Canones d. Simon von Revardeshir (875)
Qazwîni (Mirza Muhammad): Târikh-i - Jahan Gusha of Juwayni (631)
Sader (S.): Guida da Conversazione: Italiano Arabo (469)
Saglio-Pottier: Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, fasc. 47 (308)
Scialhub (G.): Grammatica Italo-araba e Vocabolario comparativo tra l'arabo letterario e il dialetto libico (791)
Sixtus v. Bourbon v. Parma and D' Al. Musil: In Nordostarabien u. Südmesopotamien (466)
Thomsen (Peter): Kompendium der Palästinischen Altertumskunde (950)
Vaissière s. j. (J. de la): Philosophia Naturalis (152) = Eléments de Psychologie expérimentale (152)
Zettersteen (K. V.): Hern D. W. Myhrman's Ausgabe d. Kitâb Mu'id an Ni'am wa Mubîd an Niqam (633)

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

«آداب حياة السيّد المسيح المثبتة لألوهيّته» ٦١١
آسية في العام ١٩١٢ ١٢٢–١٢٤
ابنا ملك المغول النصراني ٧٦٨
ابن خلدون وتعريفهُ لداء الثوام ٥٥٦–٥٦٠
ابن القفطي (جمال الدين) ١٦٠
ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي (الشيخ) قالتهُ في صلب السيّد المسيح ٢٤١
ابيات قديمة على قبر ميت في بالعلة ٢٢٠
الاتراك والمغول والنصرانيّة بينهم قديمًا ٧٥٤–٧٧٢
اثر روماني في بيروت ٧١
اثر مدفن سوري قديم ٨٢٢
احتجاج باطل لسليم سامي جقي ٢٢١
الاحساء (سنجق) ١٨٧
اخويّة العمّة البيروتيّة وبو بيالها ٢٢١–٢٢٥

ادرنه (مدينة) ٥٣٦ ; ٦٠١
اربل ٥٨
ارسطاطاليس بن نيقوماخوش الجهراني ٨٠
ارشليدوس الحبيس وقصّتهُ ٩٣
الارمن الكاثوليك وجلسهم الملّي ٣٢
الإزل وجبلهُ الرحبانيّ ٥٦٢
اسبانية وسياستها ١٢٤
استخدام حرارة الشمس لتحريك الآلات ٩٣٤–٩٣٧
الاسماء الحسنى في الجاهليّة ٢٢٦–٢٣١
الاصطرلاب : كتاب العمل بالاصطرلاب لعليّ بن عيسى ٣٩– ٤٦ فصل للخوارزمي في الاصطرلاب ٤٦ رسائل اخرى في الاصطرلاب ٥٧٩–٥٨٠
اصل الحياة ٥٢٧–٥٤٥
اصل الناظرة الحاليين واحوالهم الدينيّة والمدنيّة ٤٩١–٥٠٤
الأعلام النصرانيّة في الشعر الجاهليّ ٩١٩
الاعياد والمواسم النصرانيّة في الشعر الجاهلي ٧٧٦–٧٧٩ الاعياد غير المبطّلة ونقاها ٨٠٠
افتيموس صيفي (رئيس اساقفة صيداء) كتابهُ الدلالة اللامعة ١٠٠ ; ٢٢٥–٢٩٤
اكتشاف في البرق السلكي ٨٧٩
البانوس شهيد عين زربة ٤٨٠
الف ليلة وليلتان ٩٣٧–٩٤١
ألمانية واموره في العام المنصرم ١١٩–١٢١
المانية واليسوعيّون ٣١٧
الوهيّة المسيح واثباتها بالبرهان (اطلب المسيح)
الامم واديانها قبل المسيح وتقاليدها في بعثهِ ٨٢
اميركة واحوالها في العام المنصرم ١٣٣–١٣٣
الكليّات اليسوعيّة في اميركة ٤٧٨
انخل قرية طور عبدين وآثارها ٨٤٣
اندراد (الاب انطون اليسوعي) مكتشف منبع نهر الكنج ٣٩٩
انستاس (الاب الكرملي) وتربيف مزاعمهِ ٨٠ ; ٥٥٦ ; ٧١٧ ; ٨٧٨
انطاكية وكنيستها على عهد الرسل ٨١٤–٨٢٣
انكلترة وترقّي الكثلكة فيها ٢٦ سياستها في العام المنصرم ١٢١–١٢٢ سبب تسميتها باسم بريطانية العظمى ٥٦٠
الانكليكان : ارتداد رهبان انكليكان الى الكثلكة ٣١٧
انين الثكلى (قصيدة) ١١
اوربّة وسياستها في العام المنصرم ١١٥
اوستراليا والكثلكة ٢٦ المهاجرة اليها ٧٩٩
اوغستينوس (القديس) شفيع المذهب الدروزي ٦٨٧– ٦٩٦
اوغندا ورسالاتها الكاثوليكيّة ١٣٤
الاوكاليبتوس وانواع اشجاره ٢٧٥
اولجيتو ملك المغول النصراني ٧٦٩
اونك خان الملك التركيّ النصراني ٧٦٢
الاويغور قبيلة الترك النصرانيّة ٧٦١
ايطالية واحوالها في العام الماضي ١٢٥
أيمن بن خريم وقولهُ في خمر التقديس ٣٢٠
ابن المحبة وابن الصحبة ٢٣٧
ايوان (طاق) كسرى ١٧٩
* ب * البابليّون وسنتهم ٢ عاداتهم في رأس العام ٤
باتّه قرية طور عبدين وآثارها ٦٧٣–٦٧٤
البارسي والمجوس العمريّون ٢٦٠
باسجرينا قرية طور عبدين وآثارها ٨٤٠–٨٤٣
باعربايا في طور سينا ٥٦٣ ; ٧٥٠
باقسيان قرية طور عبدين ٧٤٩
بحر الاحمر ٢٦٩
البحرين (جزائر) ١٨٧
بخارست (عاصمة رومانية) ٥٣١

بربرة ورسالتها الكبوشية ٢٦٨
البرتغال وسوء احوالها ١٢٦
البَرَص وعناية المرسلين باصحابهِ ٢٢٧
البرق ٣٠١-٣٠٤ اكتشاف جديد في البرق اللاسلكي ٨٧١
بركة الماء في عيد الغطاس ١٦٠
البرهان الصريح في اثبات الوهية المسيح (اطلب المسيح)
بريطانية العظمى وسبب دعوة انكلترة بهذا الاسم ٥٦٠
بساريون (الكردينال اليوناني) ورسول الاتحاد بين الكنيستين ٤٤٦
البسترية : اصل هذه الكلمة ٩و١١
بسمرك ونتائج سياستهِ ١٨-١٩
البصرة وولايتها ومآثرها ١٨٠-١٨٤ وصف قديم للبصرة ٤٤١
البطريرك الانطاكي الملكي وامتيازاتهُ ٦٤٠
بغداد : الطريق من الموصل اليها ٥٢ وصف بغداد ومآثرها ١٤٢ من بغداد الى البصرة ١٧٨
بلجكة وفوز الكاثوليك في انتخاباتها ١٢٧
البلقان : الحرب البلقانية واسبابها ١٧-٢٠ الكاثوليك في بلاد البلقان ٢٧ نظر في دولها ١٣٠ الشاهد البيان على احوال البلقان ٥٢٦؛٦٠١
بماي (مدينة الهند) ٢٦١ ٢٦٧ من بماي الى عدن ٣٦٤
البنّ وشجرتهُ ٢٨٢
بندر عبّاس ١٨٨
بورغاس (مدينة) وآثارها ٦٠٧-٦٠٩
بوشهر (مدينة العجم) ١٨٦
بيروت ومدرستها الرومانيّة الحقوقية ٩٢٧-٩٣٤
البيّنة القاطعة في صاحب الدلالة اللامعة ١٠٠؛ ٢٢٥ ; ٢٩٤
بيوس العاشر والكنيسة في العام الماضي ٣٠-٣٩ كرامات وعجائب جرت على يدهِ ٢١٦ اكاذيب عجلّة الكلمة في نداءته ٢٣٤ ; ٢٩٦
ت تاريخ ائمّة رونتجن ومنافعها ٥١٤ التذكار المئوي لتحرير الكنيسة على يد قسطنطين ٤٠١
تذكار مولد لويس ڤويليو بطل الصحافة الكاثوليكية ٨٠١
التربية الحرّة ٤٧٨
الترك اصلهم وتاريخهم وآدابهم ٧٥٥ اديانهم ٧٥٦ دخول النصرانية في قبائلهم ٧٥٧-٧٧٢
تركستان ووصفها ٧٥٤ آثارها النصرانية ٧٧٤
تركية وشؤونها السياسية ١٢٨
تعدُّد الآلهة والمتعلف ٢٢٨ ; ٢١٩
تعليم السيّد المسيح ودليلهُ على لاهوتهِ ٧٨٠-٧٩١
تكريت (مدينة) ٦٢-٦٤
التكريتي (الشيخ ابو نصر يحيى بن جرير) مقالتهُ في صلب السيّد المسيح ٢٤١
تلّ كلح او قلعة غرود ٦٠
تمثال جديد معدني لجوبتير (المشتري) البلبكي ٥٢٢
التنّير (محمّد طاهر) ردّ اعتراضاتهِ ٢٨
تعصُّبُ الذميّ ١٥٨ ; ٧١٩ حكم الانكليز في تزويراتهِ ٩٧٩
تهامة والحجاز ٢٦١
التين والفصيلة التينيّة ٢٨٧
ج الجاهليّة وعرب النصارى (اطلب النصرانيّة)
جائزة نوبل ١٥٩
جنكزخان والنصرانيّة ٧٦٢-٧٦٤

الجنون وتأثيرهُ في النسل ٧٢٠
جهنم في الشعر الجاهلي ٢٩٦
جواهر النظام في معرفة الانغام لشمس الدين الاربلي ٨٩٥—٩٠٠
جوبتير (المشتري) البطلكي وتمثالهُ المكتشف حديثاً ٥٢٢
* ح * حساح او هخنه قرية طور عبدين ٧٤٥-٧٤٩
حبناس قرية طور عبذين وآثارها ٦٦٩
الحجر الشرعي ٢٢٦—٢٤٤
الحجل اللبناني ٢٧١—٢٧٨
الحديقة النباتيّة في مدرسة الطب الفرنسويّة ٢٧٧—٢٨٩
الحرب البحريّة وسُفُنها المستحدثة ١٣٥—١٤٣
الحرب اليلفانية (اطلب البلقان)
حصن كيفا تاريخها وآثارها ٧٣١
حقائق التنزيل للسيّد الشريف الرضيّ ٥٦٠
الحلّة (مدينة العراق) ١٨٠
الحكيم (السيّد مكسيموس) ورسالتهُ الى ابناء طائفتهِ المضطهدين ٢٤٥ — ٢٥١
حمام الراجل ٤٧٩
الحواريّون في الشعر الجاهلي ٥١٥
الحياة واصلها ٥٢٧—٥٤٥
الحيوان وعجائب الخلايا فيهِ ١٦١;٢٥٠
* خ * ختام البوبيل القسطنطيني وانتصار الصليب (قصيدة) ٩٠٩
خرساباد وآثارها ٥٨
خشبة عجيبة (قصيدة) ٢٨٩
الخط العربي واقدم امثلتهِ ٦٩—٧١
الخلايا وعجائبها في النبات والحيوان ١٦١;٢٥٠
خنافس الصحافة ٧١٨
الخوارزمي : نبذة لهُ في الاصطرلاب ٤٦
* د * دار السلام ووصفها ١٤٣—١٥٠
دارا وآثارها القديمة ٨٥١—٨٥٥
دانيال بن الخطّاب الكاتب ٥٦٠
داؤد بن بولس الكاتب اليعقوبي ٥٦٠
الدلالة اللامعة : مؤلف هذا الكتاب ١٠٠ ; ٢٢٥ ; ٢٩٤
دنيسرك واحوالها ١٢٨
دهلي عاصمة الهند الجديدة ٧١٣
الدول وسياستها في العام المنصرم ١١٥
دير الصليب ٧٤٢ ; ٧٤٩
دير العمر او دير قرقين وآثارهُ ٨٢٥—٨٥٠
دير مار ادجين في طور عبدين وآثارهُ ٨٤٦—٨٤٩
دير مار ملكا في طور عبدين وآثارهُ ٨٤٤ — ٨٤٦
دير المُخر ٧٤٣
الدين ومقاماتهُ ومناسكهُ في الشعر الجاهلي ٢٢٦
الديونة والحساب في الشعر الجاهلي ٢٩٧-٢٩٩
* ذ * الذخائر المقدّسة في عنق المنازعين ٧٢٠
* ر * ربّاط (الاب انطون اليسوعي) تذكار وفاتهِ ٤٧٦
ربّة بني عمّون : اسمها وتاريخها وآثارها ونقودها ١١٢ ; ٨٩٠
رحلة الى بلاد الحبشة ٩٣٤—٩٣٧
رسالة مكسيموس الحكيم الى ابناء طائفتهِ الحليّة المضطهدين ٢٤٥—٢٥١
الرسالة الكاثوليكية في مادورة ٦٢٧
رسالتان للسيّد جرمانوس فرحات في الرسوم الرهبانيّة والكمال ٧٣١
رسول الاتحاد بين الكنيستين ٤٤٦—٤٥٩
الرسل وكتبة انطاكية على عهدهم ٨١٤—٨٢٢
الرعد والصاعقة ٢٠٤—٢٠٦
الرهبان واوصافهم ومناسكهم في الشعر الجاهلي ٥٩٤;٦٧٥;٧٧٣

رؤساء النصرانية ورهبانها في الشرق الجاهلي ٥٩١—٦٠٠
الروايات الملاعيّة وتحريها ٨٠
روستشوك في بلغارية ٥٢٣
روسيّة ومعاملتها للكاثوليك ٢٢ سياستها ١٢٤
سلالة قياصرتها ٢٢٠
الروم واصلهم وسلسلة بطاركتهم الانطاكيّة ٨٠٠
الرومان : سنتهم ٢ عاداتهم في رأس العام ٨
اثر روماني قديم ٧٦
رومانوف وسلالتهُ المتملكة في روسيّة ٢٢٠
رونتجن كلمة في تاريخ الشتو ومنافعها ٥١٤
* ز * الزابان الاعلى والاسفل ٦١
زاز قرية طور عبدين ٧٤٤
الزواج وعقدهُ عند الطوائف المسيحيّة ٢١٨
زواج مدنيّ بين اورثدكسيّين ٨٠٠
زيّاح القربان بحضور جثّة الميت ٧٢٠
* س * سامرًا (سرّ من رأى) ٦٤—٦٦
سبت النور وناره العجيبة في القدس ١٨٨
سرّ الاعتراف وشهيدهُ (قصيدة) ٢٠٦
السُّفن المستحدثة للحرب البحريّة ١٢٥—١٤٣
ستراط وكتابهُ الموسوم بالتفّاحة ١٧١
ستفلري (جزيرة) ٢٦٥
سكّة حديد جبلية داخل قضاء المتن على مشارف لبنان ٧٢٢
السلجوقيّون والنصرانيّة ٧٦٩
سلمان پاك ١٧٩
السماء والجحيم والفاظهما بين عرب الجاهليّة ٢٩٢
سوبسرة وترقي الكثلكة فيها ٢٧ احوالها ١٢٩
سياحة في طور عبدين ٥٦١;٦٦٢;٧٢٩;٨٢٥
سياحة من بيروت الى الهند ٥٧ ;١٤٢; ١٧٨ ; ٢٥٦ ; ٢٦٤
* ش * الشاي وشجرتهُ ٢٨٢
الشرقيّون في انتخاب البابوات ٦٤٠
شطّ العرب ١٨٣—١٨٦
الشمس : استخدام حرارتها لتدوير الأدوات ٩٢٤—٩٢٧
شهيد سرّ الاعتراف (قصيدة) ٢٠٦
* ص * الصابئة او المندائيّون ١٨٢
الصاعقة والمظاهر المتوطة بها ٢٠٠—٢٠٦
الصحافة الكاثوليكيّة والمحالفة البلقانيّة ٢٩٦
الصفح عن القاتل (قصيدة) ٩٥٧—٩٥٩
صلب السيّد المسيح : مقالة الشيخ ابي نصر ابن جرير التكريتي فيهِ ٢٤١ زعم مجلّة المنار العجيب في صلب المسيح ٩٣٧—٩٤١
الصليب : قصيدتان فيهِ : خشبة عجيبة ٢٨٩ انتصار الصليب ٩٠٩ مريم العذراء ازاء الصليب (مخمّس) ٢١٤
صلّح قرية طور عبدين وآثارها ٦٧١—٦٧٢
صندوقة اسرار من اعمال الاحرار ٦٥٦
الصنوبر وفضائلهُ ٢٨٧
الصور (قرية) ٥٧٢
صوفيا (عاصمة البلغار) ٥٢٢—٥٢٥
الصوم الاربعيني عند الشرقيّين ١٦٠
الصين في العام الماضي ١٣٣ معاملة اهلها للبرص ٢٢٧ حركة الافكار فيها ٢١٧ الكثلكة في الصين ٧١٩
* ط * طور سينا ٢٧٠
طور عبدين : سياحة حديثة في انحائهِ ٥٦١; ٦٦٢;٧٢٩;٨٢٥ وصف طور عبدين وآثارهُ وتاريخهُ وسكّانهُ ٥٦٤—٥٧٠
الطوف (الكلك) على دجلة ٦٠٠٥٨
* ظ * الظواهر الطبيعيّة والكهرباء ٤٢١
* ع * عادات الانام في رؤوس الاعوام ١—١١
العاديات الكتابيّة في القرون الاولى للنصرانية

٦٤١-٦٥٦
عاصمة الهند الجديدة ٧٩٧
عام: عادات الامم في رؤوس الاعوام ١-١١
وقائع العام المنصرم ١١٥:١٧
العبرانيون: سنتهم ٢ عاداتهم في رأس العام ٧
عجائب الملايا في النبات والحيوان ١٦١: ٢٥
العجاج واراجيزه ٤٨٠
العجم واضطراب احوالها ١٣٤ خليج العجم
١٨٥-١٨٨
عدن وصفها وآثارها ورسالتها ٢٦٥-٢٦٧
العرب اخذهم الكتابة عن النصارى ٦٧-٧٣
عرب العراق وقبائلهم ١٨١ العرب النصارى
في الجاهلية (اطلب النصرانية)
عرنّاس قرية طور عبدين واثارها ٦٧٤
العزيزية (مدينة العراق) ١٧٩
علي بن عيسى: كتابه العمل بالاصطرلاب ٢١-
٤٦
عمارة (مدينة العراق) ١٨١
عمّان (اداب ربّة بني عمّون)
عنصر الكربون ٤٨١-٤٩٠
عيد الفلذاس ١٠
* غ * غسان ونصرانيتها ٨٧٨
الغطاس وعادة بركة الماء في عيده ١٦٠
الفلاء ووقوف الحال (قصيدة عامية) ٢٥٩
* ف * فالنز (السيّد) ويوبيلهُ الفضّي في
تزوج ٢٨
فاو (مدينة العراق) ١٨٥
فتاة الشرق (مجلة) ردّ على سنسفتها ٢١٨
فرحات (السيّد جرمانوس) رسالتان لهُ في
رسوم الرهبانية اللبنانية والكمال ٧٢١-٧٢٢
الفرس: سنتهم ٢ نيروزهم ٦ الفرس القدماء او
الپارسي ٢٦٠
فرنسة وسياستها في العام المنصرم ١١٥:٢٨
الفرنسيسيّون (الرهبان) في المغول ٧٦٢-٧٦٨
فنّ الرمي بالاشعة (للنصّاب اوليفي) ٧١٨
ڤوبلو (لويس) الصحافي الكاثوليكي
وتذكار مولده ٨٠١
ڤينّة: المؤتمر القرباني فيها ٢٤-٢٥
ڤيوروثمتش (الاب يوحنّا اليسوعي) منشئ
اخوية العملة البيروتية ٣٢٢-٣٣٩
* ق * القبر المقدّس ونارهُ العجيبة يوم
سبت النور ١٨٨-١٩٧
القبط ونيروزهم ٥-٦
قدامة بن جعفر (ابو الفرج) ٤٨٠
القداس وصلواتهُ ٤٠٠
قدَم الانسان ٤٠٠
القربان في شعر نصارى الجاهلية ٦٨٤-٦٨٧
القرد الشبيه بالانسان ٨٠ قول الدكتور كرل
في تسلسل الانسان عنهُ ١٥٩
القرنة (مدينة العراق) ١٨٢
قسطا بن لوقا البعلبكي وبعض تآليفهِ ٢٦٧-٢٦٨
قسطنجه (مدينة) ٥٣٠
قسطنطين الكبير: التذكار المئوي لتحريره
للكنيسة ٤٠١ اليوبيل القسطنطيني وحفلاتهُ
٣٠
القسطنطينية: وصفها القديم ٤٤٠
قصائد عامية: في الفلاء ووقوف الحال ٢٥٩
نحن والتقليد فالى ابن المعيز ٦٢٦ صندوقة
اسرار من اعمال الاحرار ٦٥٦
قصر السلام في لاهاي ٨٧٩
قصة ارشليدوس الحبيس ٩٢
القصّاد الرسوليّون في سوريّة ٦٢٨
القلب الاقدس (موشح) ٤١٧
قلّث وآثارها ٥٧٣-٥٧٨
قلعة شرقاط ٦١
قلعة نمرود ٦٠

القهوة والبن ٢٨٣
قيّاوات الموصل ٦٠
قيامة المسيح برهان لاهوتي ٩٤١–٩٤٩
القيامة الاخيرة في الشعر الجاهلي ٢٩٨
* ك * كابانس (الدكتور) ٦٨٨;٦٩٧
كتاب التفاحة لسقراط ١٧٦
الكتابة العربية والنصرانية ٦٧–٧٣ الكتابة وادواتها في الشعر الجاهلي النصراني ٨٥٧
الكثلكة ونجاحها في البلاد البروتستانية ٣٦–٣٧ في مادورة ٦٢٧ في الصين ٧١٩
الكراذلة الشرقيّون ٦٤٠
كربلاء وسنجقها ١٨
كربوران قرية طور عبدين ٧٥٠
الكربون وعنصره ٤٨١–٤٩٠
الكرخ (اسكي بغداد) ٦٤
كرّل (الدكتور) وقوله في اصل الانسان ١٥٩
الكريت القبيلة التركية المتنصّرة ٧٦١
كفرا في طور عبدين ٨٤٣
كفربه قرية طور عبدين وآثارها ٨٤٢
كفرزه وكنيستها ٧٥٢
الكلب اكتشاف مكروبه ٨٧٩ علاج هذا الداء في مكتبنا الفرنسوي الطبي ٩١٢
الكلمة (المجلة) الاميركانية واعتراضها على الكنيسة الكاثوليكيّة ورأسها ٣٢; ٢٢٣; ٣١٧;٣٩٦;٤٧٧;٧٦٨
كلمة دستور الايمان « ساوٍ للآب في الجوهر » ٩٦٠
كنائس النصارى واقدامها في الشعر الجاهلي ٦٧٧
الكنيسة واحوالها في العام المنصرم ٣٠
الكنيسة بازاء اعدائها (قصيدة) ٧٦
ترقيها المتواصل ١٥٨ تحريرها على يد قسطنطين ٤٠١ تعاليمها وطقوسها في العاديات ٦٥٣ كنيسة انطاكية على عهد الرسل ٨١٨
كهرباء الارض والسماء ٣٠٠ الكهرباء والظواهر الطبيعيّة ٤٣١
كواسر فلسطين النهاريّة ٩٠١–٩٠٨
كوت الامارة ١٨٠
كوراتشي (مدينة الهند) ووصفها ٢٥٩–٢٦١
الكولا وشجرها ٢٨٤
الكويت ١٨٦
الكينا وشجرها ٢٨٢
كيوك ملك المغول النصراني ٧٦٥
لاگاش ومآثرها ١٨٢
* ل * لبنان حجّلهُ ٢٧١ سكّة حديد جبليّة على مشارفه ٧٣٢
لنجه (مدينة العجم) ١٨٧
لويس فوبليو وتذكار مولده ٨٠١
* م * مادورة ورسالتها الكاثوليكية ٦٢٧ الماسونية ومآثمها وفضيحتها ٢١; ٢٩٣; ٥٥٢ صندوقة اسرار ماسونيّة ٦٥٦
المتنبي: نسخ خطيّة قديمة من ديوانه ٤٢٦
المثقّب العبدي وابياته ٩٥٩
المجر واحوالها في العام المنصرم ١٢٤
المجمع الفلورنتيني وتفاصيل اخباره ٤٥٢–٤٥٧
المجوس (الپارسي) في عصرنا ٢٦٠
محمد طاهر التنير في حكم الانكليز ٩٥٩
المحمّرة (مدينة العراق) ١٨٥
مخطوطات مكتبة جناب القانوني جرجي افندي صفا ١٦٨;٢٦٧; ٤٢٥; ٥٧٨
المدارس الداخلية او المسارحية ايها افضل ٨٨١–٨٨٩
مدرسة الحقوق الرومانية في بيروت ٩٢٧
مدرسة الطب الفرنسويّة وحديقتها النباتيّة ٢٧٧
مدفن سوريّ قديم ٨٢٢

مدينة السلام ووصفها ١٤٢-١٥١
المذبح واغطيتهُ ٤٠٠
المذهب الدروزي والقديس اوغسطينوس ٦٨٧-٦٩٦
مذيات حاضرة طور عبدين وآثارها ٦٦٢-٦٦٩
مرّاكش وحربها ١٢٤
مريم اخت لعازر ومريم المجدلية والخاطئة التائبة : بحث كتابي ٦١٠-٦١٩
المستحلة واشكالها ٢٨٤
المستعصم بالله وذكر خلافته ٤٤٢
مسقط (مدينة عُمان) ٢٥٦-٢٥٨
المسلمون : مفتتح سنتهم ٤
المسيح (الرب يسوع) البرهان الصريح في اثبات الوهيته ٨١ مقدّمات ٨٢ النبوّات عن مجيئه وتعريف شخصه الكريم ١٩٧ سبب نكران اليهود المسيح ٢٧٨ الوهية المسيح في مولده ٢٨٤ في عيشته الخفيّة ٤٥٩ في شهادة القديس يوحنا المعمدان عنهُ ٥٤٥ في آداب حياته ٦١٩ في معجزاته ٦٩٦ في تعليمه ٧٨٠ في موته ٨٦٦ في قيامته ٩٤١ ٩٤١ = مقالة في صلب السيّد المسيح لابي نصر التكريتي ٢٤١
مصر في العام ١٩١٢ ١٢٤
المصريّون وسنتهم ٢ عاداتهم في رأس العام ٥
مصادي الخيري : رحلة اليها ٩٢٤-٩٢٧
معجزات المسيح المثبتة للاهوته ٦٩٦-٧٠٩
معرّب كتاب السياسة لارسطو وفلسفة القديس يوحنا الدمشقي ٨٨٠
المغول والاتراك والنصرانية بينهم قديمًا ٧٥٤-٧٧٢
المقتبس (مجلّة) والتربية الحرّة ٤٧٨
المقتطف (مجلة) زعمها في تعدُّد الآلهة ٢٢٨؛٢١٩ في قدم الانسان ٤٠٠٠
الملائكة في الشعر الجاهلي ٢٩٣-٢٩٥
ملابس النصارى في الشعر الجاهلي ٨٥٥
من بيروت الى الهند (سياحة) ٥٧ ؛ ١٤٢؛ ١٧٨؛٢٥٦؛ ٢٦٤
المنار : ردّ على هذه المجلة ٨١ الخ : ٩٢٧
منازل القمر : رسالة فيها ٥٨١
المناعة وبعض اكتشافات حديثة فيها ٣٥١-٣٥٩
مناولة الشعب في الطقس المارونيّ ٢٤٠ المناولة الفصحيّة ٢٤٠
منبع خمر الكنج ومكتشفهُ اليسوعي ٢٩٩
المنتفك (بنو) ١٨١
منشور سيادة جراسيوس مرّة في مساعدة عيال المقتولين في الحرب البلقانية ٣١٩
المهذّب (جريدة) ردّ على احد كتبها ٦٢٩
الموارنة : مناولة الشعب في طقسهم ٢٤٠
المؤتمر القربانيّ في قيّنّة ٢٤-٢٥
موت المسيح دليل على الوهيته ٨٦١-٨٧٢
موشّح في القلب الاقدس ٤١٧-٥٥٩
مولد السيّد المسيح ولاهوتهُ في ميلاده ٢٨٤-٢٨٦
* ن * النار العجيبة في القبر المقدّس ١٨٨-١٩٧
النبات وعجائب الخلايا فيه ١٦١؛٢٥٠ النبات وذاكرتهُ المزعومة ٨٩٠
النبي عزير ١٨٢
نجد ونواحيها ١٨٧
نحن والتقليد قالى ابن المصير ٦٢٦
النخل واشكالهُ ٢٨٦
نروج ونوز الكثلكة فيها ٢٨ احوالها في العام المنصرم ١٢٨
الناطرة الحاليّون واصلهم واحوالهم الدينية والمدنية ٤٩١-٥٠٤
النصارى : سنتهم ٢ عاداتهم في رأس العام ٩-١١

نصرية وآدابها بين عرب الجاهلية : القسم الثاني في آداب النصرانية ٦٦ النصارى والكتابة العربية ٦٧ الالفاظ النصرانية ٢٢٥ الدالة على الاسماء الحسنى ٢٢٦ على السماء والجحيم وما فيها ٢٩٢ على الدين ومقاماته ومناسكه ٤٢٦ على الوحي وكتبه وائمته ٥٠٥ على رؤساء النصارى ورهبانهم ٥٩١ ; ٦٧٥ على كنائسهم واقداسها ٦٧٧ على مناسك رهبانهم ٧٧٢ على اعيادهم ومواسمهم السنوية ٧٧٦ على ملابسهم ٨٥٥ الفاظ اخرى نصرانية متفرقة ٨٦٠ الاعلام النصرانية في الجاهلية ٩١٩ النصرانية قبل فوز قسطنطين ٤٠٤ النصرانية وعاداتها في القرون الاولى ٦٤١–٦٥٦ النصرانية بين قدماء الأتراك والمغول ٧٥٤–٧٧٢

نصيبين وآثارها ٨٥٠–٨٥٠

النعمة واحوالها السياسية ١٢٢

نو (الاب ميخائيل اليسوعي) وكتاب الدلالة اللامعة ٢٢٥

النوام (داء) ٥٥٩–٥٦٠

النوروز او النيروز عند الامم القديمة ٥–٧

* ٥ * هرمز (مخيفيا ومدينتها) ١٨٨;٢٥٦

هشركه قرية طور عبدين وآثارها ٧٥١

الهلال (مجلة) تزييف بعض اقوالها ٢٢٤;٨٨٠

سؤال مطروح عليها ٢١٧

الهند رحلة الى الهند ٥٧;١٤٢;١٧٨;٢٥٦;٢٦٤

عادات الهنود في بدء العالم ٧ الهنود المسلمون والوثنيون ٢٦٣ الآداب في الهند ٢٦٤–٢٦٦

رسول الهند ٢٦٦

هولاكو ملك المغول النصراني ٧٦٧

هولندة والكاثوليك ٢٧

* و * الوحي وكتبه وائمته في الشعر الجاهلي ٥٠٥

وقائع العام المنصرم ١١٥;١٧

الولايات المتحدة في العام ١٩١٢ ١٢٢ رقي الكثلكة فيها ٢٦ زيارة رئيسها لكلية كريتون اليسوعية ٢٩٩ تجارة الولايات المتحدة ٦٢٨

* ي * يا بتول (قصيدة على مثال الطنطرانية) ٤٧٥

اليابان في السنة ١٩١٢ ١٢٢

يحيى النحوي ، من هو ومتى كان ؟ ٤٧–٥٧

اليسوعيون وعنايتهم بالبرص ٢٢٧ الاب اليسوعي دي اندراد مكتشف منبع نهر الكنج والاب اليسوعي سيكار الكاتب عن منبع نهر النيل ٢٩٩ الكليات اليسوعية في اميركة ٤٧٨– الدروس العليا في كليتهم البيروتية ٦٢٩ الرسالة اليسوعية في مادورة ٦٢٧ في الصين ٧١٩ طيار يسوعي ٨٥٩

اليعاقبة ومجمعهم ٢٢٦

يمين النواب للسلطان قديماً ١٧١

اليهود وسبب نكراهم ليسوع المسيح ٢٧٨ – ٢٨٤ اخر احصاء اليهود في العالم ٤٧٩

يوبيل اخوية العدلة البيروتية ٢٢١–٢٢٥

اليوبيل القسطنطيني وحفلاته ٢٠

يوحنا المعمدان وشهادته لألوهية المسيح ٥٤٥–٥٥٢

يوحنا بن بطريق وتآليفه ٨٨٠

يوسف البتول وشرح آية متى فيه ٩٦٠

اليونان : سفنهم ٢

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٧٠ السطر ١٦ غلط « تُحذُ متوخا » صواب تجذ متوخا = ٧٩ : ١٠ « رؤوسهم » ص « رؤوسهنَّ » = ٨٨ : ٥ « الكمالات. الفضائل » ص « الكمالات والفضائل » = ٨٩ : ٢٢ « انَّ هذا في الزمان » ص « انَّ في هذا الزمان » = ١٤٣ : ١٥ « يوم السبت » ص « يوم الجمعة » — ٢٥ « هبة الله » ص « هبة الدين » = ١٤٤ : ٥ « الكاشاني » ص « القاشاني » = ١٤٧ : ٩ « الكرخ » على ضفة دجلة اليمنى حيث بُنيت اولًا بغداد ثمَّ بُنيت بعدها الرصافة على جانب النهر الأيسر — ١٥ « فيلسلون » ص « فيشلون » — ١٤٨ : ٢١—٢٢ « الترقي الكاثوليكي » ص « الاتفاق الكاثوليكي » = ١٤٩ : ٢٥ « ابي هبَّة . . . مُقَيَّر » ص « ابي حبَّة . . . مقيَّر » = ١٥٠ : ٧ « ونسيبهُ » ص « وابنه » = ١٦٠ : ١٨ « كفيد الفصح » ص « كميد الدنح » = ١٨٦ : ١٨ « البعض » ص « البعض » = ١٩١ : ٢٤ « طعماً » ص « طعماً » = ٢٣١ : ٢٠ و٢٢ « المطران بولص » ص « المطران انطون » = ٢٩٧ : ٧ « واهبطَ ابليساً » ص « واهبطَ اللهُ ابليساً » = ٣٠٧ : ١٩ « tradnit » ص « traduit » = ٣١٩ : ١٨ — ١٩ « انيس الخوري » ص « سامي الخوري » = ٤٦٦ : ٢ « dun » ص « und » = ٤٦١ : ١٨ « Conersazione » ص « Conversazione » = ٥٠٩ : ١٦ « دارس التوراة » ص « دراسُ » = ٥٦٠ : ١١ « ابن الخطَّاب » ص « ابن الطَّاب » = ٥٧٣ : ٥ « قلَّث » ص « قلِث » = ٥٧٩ : ٤ « ارجين » ص « ارجين » = ٥٩٨ : ٩ « وحوران » ص « وصوَّران » = ٦٢٢ : ٣—٤ « كما لوقا » ص « كما روى لوقا » = ٦٨٨ : ١٨ « الدكتور كابانس » راجع العدد ١٠ ص ٧٩٧ س ٢٧ = ٧٠٤ : ١٠ « كالتريبين » ص « كالتريبين » — ١٢ « وزيد على » ص « وزدْ على » — ٨٦٤ : ٢١ « ܘܙܕܘܢ » والصواب « ܘܙܕܘܢ » = ٨٦٨ : ٩ « خيوطهُ سيورهُ » ص « خيوطهُ سيور » = ٨٦٤ : ٦ « وتاليسهُ » ص « وتاليسهُ » = ٨٧٤ : ١٥ « Gaetani » ص « Caetani » = ٨٧٥ : ٢ « Rrücker » ص « Rücker »

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Seizième Année

1913

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1913

TABLES DES SOMMAIRES

XVIe ANNÉE, 1913

JANVIER

Le premier de l'An et les usages qui s'y rapportent (p.1): *P. L Cheikho s. j.*

Les larmes d'une mère (poésie) (p.11) : *P. Pierre Sarrah*

Bilan de l'année 1912 (1er article) (p.17) : *P.L. Ronzevalle s. j.*

L'Astrolabe et la manière de s'en servir : traité de *'Ali Ibn 'Isâ* (XIe siècle) (p. 30). *édité par le P. L. Cheikho s.j.*

Jean Philoponus est-il le même personnage que Yahia an-Nahoui ? (problème historique) (p.47) : *Le même*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite): sur le chemin de Bagdad (p.57) : *Id.*

Christianisme et littérature avant l'Islam (suite) : 2de partie I, L'écriture arabe (p.66) : *Id.*

Bibliographie orientale (73) Varia (76) Questions et réponses (80)

FÉVRIER

La Divinité de Jésus-Christ (réponse au Manâr) (p. 81) : *P. L. Cheikho s. j.*

La légende d'Archelidès *d'après un Manuscrit de notre Université* (p. 92), *éditée par le P. L. Cheikho s. j.*

Mgr Euthyme Saifi et le P. Michel Nau, auteurs de deux ouvrages similaires (p. 100) : *P. C. Bacha b. s.*

Bilan de l'année 1912 (2d article) (p. 115): *P. L. Ronzevalle s. j.*
Les progrès récents de la Marine militaire (p.135) : *P. Jacques Hernault s.j.*
De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite): à Bagdad (p.142) : *P.L. Cheikho s.j.*
Bibliographie orientale (151) Varia (158) Questions et Réponses (160)

MARS

Les merveilles de la Cellule (p.161) : *P. Al. Torrend s. j.*
Les Manuscrits de ma Bibliothèque (p.168) : *Mr Georges Safa*
De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits)(suite): L'Iraq — Chatt ul 'Arab — Le Golfe Persique (p. 178) : *P. L. Cheikho s.j.*
Le Feu sacré au St Sépulcre (p.188): *Le même*
La Divinité de Jésus-Christ (suite) : Les Prophéties (p.197): *Id.*
Le martyr du secret de la Confession (poésie) (207) : *L'abbé E. Hayek*
Rabbath Ammon ou 'Ammân (p.212): *L'abbé P. Salman*
Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite): 2de Partie. II. Le Lexique chrétien : les Noms divins (p.225): *P.L. Cheikho s. j.*
Bibliographie orientale (231) Varia (233) Questions et Réponses (240)

AVRIL

Le mystère de la Croix d'après Yahia Ibn Jarir (XIe siècle (p. 241): *P. L. Cheikho s. j.*
Les merveilles de la cellule (fin) (p. 250) : *P. Al. Torrend s. j.*
De Beyrouth aux Indes à la recherche des Manuscrits (suite): Mascate — Koratchi — Bombay (p. 256) : *P. L. Cheikho s. j.*
Le Jardin Botanique de la Faculté française de Médecine (p. 277) : *Mr Ass'ad Malhamé*
Le Bois sacré de la Croix (poésie) (p. 289): *L'abbé R. Bostani*
Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite): 2de partie. II. Le Lexique chrétien : la vie future (p. 292): *P.L. Cheikho s. j.*
La Foudre : causes, effets, traitement (p. 300) : *Mr F. Nohra*
Bibliographie orientale (306) Varia (314) Questions et réponses (320)

MAI

Les Noces d'or de la Congrégation des Ouvriers à Beyrouth (p. 321): *P. L. Cheikho s. j.*

Le séquestre légal (p. 336) : *Me Ant. Bey Chehaïbar*

Lettre inédite de l'évêque grec-catholique Maxime Hakim à ses diocésains d'Alep (1733) (p. 433): *L'abbé G. Manach*

Les progrès de la Prophylaxie (p. 451) : *Dr Habib Daraouni*

Les calamités du jour (poésie populaire) (p. 359) : *Me Elie Massabki*

De Beyrouth aux Indes à la recherche des Manuscrits (fin) : De Bombay à Aden — La Mer Rouge — Retour (p. 364) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Perdrix libanaise (p. 371) : *L'abbé J. Khoury*

La Divinité de Jésus-Christ (suite) : Israël en face du Messie — la Divinité de J.-C. dans sa Naissance (p. 378) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (388) Varia (393) Questions et Réponses (400)

JUIN

Le XVIe Centenaire de la liberté de l'Église sous Constantin (p. 401) : *P. Florian Laffely s. j.*

Ode inédite sur le Cœur de Jésus par Mgr. Germanos Farhat XVIIIe siècle) (p. 417) : *P. L. Cheikho s. j.*

L'Electricité dans les Phénomènes physiques (p. 421) : *Dr Jos. Charabiyeh*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) 2de partie. II. Le Lexique chrétien : la Religion:(p. 426) *P. L. Cheikho s. j.*

Les Manuscrits de ma Bibliothèque (suite) (p. 435). *Me Georges Safa*

Bessarion apôtre de l'Union (p. 446) : *P. Albert Dugaut s. j.*

La Divinité de Jésus-Christ (suite) : Divinité du Sauveur dans sa vie cachée (p. 459): *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (466) Varia (475) Questions et Réponses (480)

JUILLET

Causerie sur le Carbone (p. 481): *P. Al. Torrend s. j.*

Les origines des Nestoriens actuels (p. 491): *L'abbé P. Nasri*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : 2de partie II. Le Lexique chrétien : les mots chrétiens sur la Révélation et les Livres Saints (p. 505) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Radiothérapie : son histoire et ses succès (p. 516) : *Dr Elie Hadge*

Statuette en bronze de Jupiter Héliopolitain (p. 522) : *P. Séb. Ronzevalle s. j.*

Une excursion récente aux Balkans (p. 526) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

L'origine de la Vie (p. 537) : *Mr Mansour Saouda*

La Divinité de Jésus-Christ (suite) : Témoignage de St Jean-Baptiste à la Divinité de J.-C. (p. 545) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale. (553) Varia : Critiques injustifiées du P. Anastase, Carme de Bagdad (556) Questions et Réponses (560)

AOUT

Une excursion au Tour 'Abdin (p. 561) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Manuscrits de ma Bibliothèque (suite) (p. 578) : *Mr Georges Safa*

Christianisme et littérature avant l'Islam (suite) : 2de partie. II. Le Lexique chrétien : Les mots chrétiens sur la Hiérarchie de l'Eglise (p. 591) : *P. L. Cheikho s. j.*

Un récent voyage aux Balkans (fin) (p. 601) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Marie de Béthanie, Marie Magdeleine et la Pécheresse (p. 610) : *P. Jac. Hernault s. j.*

La Divinité de Jésus-Christ (suite) : La Divinité de J.-C. prouvée par la sainteté de sa vie (p. 619) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (641) Varia (636) Questions et Réponses (640)

SEPTEMBRE

L'Epigraphie chrétienne aux premiers siècles de l'Eglise (p. 641) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les sectes maçonniques en France (poésie populaire) (p. 656) : *Un poète libanais*

Une excursion au Tour 'Abdin (suite) (p. 661) : *L'abbé Isaac Armalé*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : 2de partie. II. Le Lexique chrétien : Les mots sur le Culte chrétien (p. 675): *P. L. Cheïkho s. j.*

Saint Augustin prétendu patron du Darwnisme (p.687): *Le même*

La Divinité de Jésus-Christ (suite) : La Divinité de J.-C. prouvée par ses miracles (p. 696) : *id*

Bibliographie orientale (709) Varia (717) Questions et Réponses (720)

OCTOBRE

Deux traités inédits de l'évêque Germanos Farhat (XVIIIe siècle) (p. 721) : *P. Charles Abela s. j.*

Projet d'un nouveau chemin de fer libanais p. 733): *Mr Béchara Effendi*

Une excursion au Tour 'Abdin (suite) (p. 739) : *L'abbé Isaac Armalé*

Le Christianisme parmi les anciens Turcs et les Mongols (p. 754) *P. L. Cheïkho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : 2de partie. II. Le Lexique chrétien : Les mots désignant les Monastères et les Fêtes chrétiennes (p. 772) *Le même*

La Divinité de Jésus-Christ (suite) : La Divinité de J.-C. prouvée par sa Doctrine (780): *id.*

Bibliographie orientale. (692) Varia (797) Questions et Réponses (800)

NOVEMBRE

Louis Veuillot : à l'occasion du centenaire de sa naissance (p. 801) : *P. L. Cheïkho s. j.*

L'Eglise d'Antioche sous les Apôtres (p. 814): *L'abbé P. Salman*

Fragment de monument funéraire Syrien (p. 833) : *P. Sébast. Ronzevalle*

Une excursion au Tour 'Abdin (fin) (p. 835): *L'abbé Isaac Armalé*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : 2de partie

II. Le Lexique chrétien : Les mots désignant l'habillement, l'écriture, les usages (p. 855) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Divinité de Jésus-Christ (suite) : La Divinité de J.-C. dans sa Passion (p. 864) : *id.*

Bibliographie orientale (872) Varia (878) Questions et Réponses (880)

DÉCEMBRE

L'internat : *P. Fr. Charmot s. j.* (881)

Rabbath Ammon ou 'Ammân (fin) : *L'abbé P. Salmân* (890)

Un traité inédit sur la Musique par Chams-ad-Din al Irbili : *P. L. Cheikho s. j* (895)

Les Rapaces diurnes en Palestine : *P. Ernst Schmitz c. m.* (901)

Le triomphe de la Croix (poésie) : *L'abbé P. Bostani* (909)

La Rage : *P.P. de Vregille s. j.* (912)

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : 2de partie III. Les Noms Propres chrétiens : *P. L. Cheikho s. j.* (919)

L'ancienne Ecole romaine de Droit à Beyrouth et la nouvelle Faculté (Conférence) : *Mr Paul Huvelin* (927)

Une visite à Mé'âdi'l Khabiri: *Mr N. Abi Nader* (934)

Mille et deux Nuits : *P. Ch. Abela s. j.* (936)

La Divinité de Jésus-Christ (fin) : La Divinite de J.-C. dans sa Résurrection : *P. L. Cheikho s. j.* (941)

Bibliographie orientale (949) Varia (957) Questions et Réponses (980) — Tables

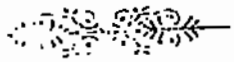

السنة السابعة عشرة العدد ١ كانون الثاني ١٩١٤

المشرق

نظر عامّ في وقائع العام

للاب لويس زنزفال اليسوعي

شيّعنا السنة ١٩١٣ فودّعناها وداعاً ليس من بعده ملتقى ولّت وولّى معها جيش اكدارها وموكب افراحها واسرارها غاصت في بحر الابديّة وتوارى معها ما قسّمتهُ على البشر من أنصبة الخير وأنهم الشرّ. فكم هبطت دُول وقامت أُخرى وكم شقي ناس وسُعِدَ غيرهم بدلاً منهم. مات زيد فخلفهُ عمرو فقدَ هذا ملكهُ فتربّع ذاك في دَسْت سلطانهِ. وكذلك الدنيا في تقلُّب دائم لا يبقى غير الباقي الذي فيهِ قال داود (مز ١٠١: ١٢—١٣ و٢٦ — ٢٨): « أيامي كظلّ مائل وكعشب سريعاً يبس وانت يا ربّ ثابتٌ الى الابد ... في البدء أسستَ الارض والسماوات هي صُنع يديك هي تزول وانت تبقى وكلّها تبلى كالثوب وتطويها كالردا. فتتغيّر وانت انت وسنوك لن تفنى »

*

لم تخرج السنة ١٩١٣ عن هذا الحكم بل زادت على طنبورها نغمةً كما سترى. خُتمت السنة السابقة بهُدنة كان يُسمَع من ورائها دويّ المدافع وصلصلة السلاح لكنّ الامور راقت بعد حين. ففي ٣ كانون الاوّل ١٩١٢ تهادنت تركيّة والدول البلقانيّة الّا اليونان في تشاطلجه وما لبث ان عُقد في لندن في ١٦ منهُ اجتماع دوليّ لتأييد السلم. وكان الجيوش المتحاربة باقيةً مع ذلك تحت السلاح في ساحة القتال

مع ما تقاسيه الجنود من مشقّات البرد القارس. وكذلك بقيت حواضر البلقان كادرنة ويانينا واشقودرة تحت الحصار منقطعةً عن كل مساعدة ليس لها من الذخائر ما يفي بحاجتها غير مؤونتها الخاصّة

فهذه الحالة الحرجة دامت شهرين كاملين والاهلون يتضوّرون جوعاً وينتظرون بفروغ الصبر عقد الصلح الذي كانت الدول ترجّح وقوعهُ قريباً لكنّ الامر حصل على خلاف ذلك. ففي ٣ شباط عاد المتحاربون الى الضراب بعد الأزمة الوزاريّة التي جرت في الاستانة بسقوط كامل باشا وقتل ناظم باشا كبير قوّاد الجيوش العثمانيّة فرجع الاتحاديّون الى ضبط عنان السياسة واستؤنفت الحرب وحلّت ويلاتها ثانيةً على مدن البلقان مدّة شهرين آخرين حتى خمدت نوعاً بفتح البلغار لأدرنة في ٢٦ آذار فكانت تأتينا الجرائد كل يوم طافحةً بتفاصيل مفجعة كانت الالسن تلهج بها صباح مساء دون انقطاع

على انّ هذه العاصفة لم تهدأ زمناً طويلاً حتى هبّ إعصارٌ آخر قلّب الاحوال ظهراً لبطن وذلك انّ اتحاد الدول البلقانيّة لم يكن وثيق العُرى بل كان مبنيًّا على مطامع موقّتة فلمّا نالت مرغوبها من تذليل تركيّة عادت كل دولة الى طلب الفوز على قرينتها فثارت ثوائرها ونشبت حربٌ ضروس بينها كادت تُنسي الاهوال السابقة. فدارت الدوائر على البلغار وكاد اعداؤهم ان يسحقوهم سحقاً بما نالوهُ من الانتصارات الباهرة حتى خرجت رومانية عن حيادها بعد ان ضعفت قوّة بلغارية بالزحفات المتوالية ثم انقلبت على البلغار الجيوش العثمانيّة فاخرجتهم من ادرنة مخذولين وكانوا مدّة الاشهر القليلة التي قضوها فيها اقاموا قوساً للانتصار اعدّوهُ لملكهم فرديننذ ليمرّ تحتهُ في حفلة قريبة لكنّهُ أضحى آيةً لفوز الاتراك وشعاراً لسعادة عز الدين وليّ عهد جلالة السلطان محمّد رشاد (انظر الصورة)

فلعمري انّ من يسرّح طرفهُ في وقائع السنة المنصرمة يكاد يحسبها اضغاث احلام ليست احداثاً حقيقيّة لطروئها علينا فجأةً بانحطاط دول ورفعة دول. وكان تأثيرها فينا عظيماً جدًّا اذ أُتيح لنا ان نُعاين ساحة الوغى (١ فدخلنا ادرنة والبلغار

١) راجع مقالتنا المعنونة: «الشاهد اليان على احوال البلقان» (المشرق ١٦: ٥٣٦)

باسطون عليها سيطرتهم وهم يسعون في محو آثار الاتراك منها كنقودهم وإعلاناتهم ولغتهم فكلّها اصبحت بلغاريّة . فما مرّ عليهم ثلثة اشهر ونصف حتى نكصوا على الاعقاب بازاء الجيش العثماني في تراقية وافرغوا ادرنة من حاميتها فعاد الاتراك ودخلوها دون مناوشة وخرجت من حكمهم تلك المدينة التي صوّبوا على ابنيتها زهاء الف مدفع من بطاريتهم وبطاريّات الصرب وضحّوا اخيراً لفتحها ١٠,٠٠٠ من جنودهم

وان سألت ما سبب هذا الانقلاب اجبناك انّ بلغارية رأت حول عاصمتها صوفيا جيوشَ ثلث دول منها رومانية تتهدّدها لتستولي عليها وتمحق آثارها فاستُطير لبّها خوفاً وهلعاً فللحال فشلت وعدلت مرغومةً عن ادرنة لتصون حاضرة ملكها . نعم انّ البلغار انشدوا الهَ الدولَ وطلبوا منها بالحاح ان تعيد لهم ادرنة كما اتّفق عليهِ مندوبوها في مفاوضة لندن لكن السياسة الحاليّة قد عوّدتنا على ما ليس في الحسبان حتى انّها لم تَعُد تكترث كثيراً للمعاهدات والتقارير والاتّفاقات التي اصبحت اوهن من نسيج العنكبوت وهيهات ان يخرج الاتراك من ادرنة

على انّ تكرار هذه المعاهدات وتعداد المفاوضات لدليلٌ واضح على حاجة الدول الى الراحة والسلام . ففي ٣٠ أيار عُقدت عُهدة اولى بين تركيّة والدول البلقانيّة المتحالفة لكنّها لم تثبت اكثر من اسبوعين ثمّ أُبرمت معاهدة بخارست (بقرش) في ٦ آب بين جميع الدول البلقانيّة الخمس مع تعيين تخوم كل منها ثمّ وُقع في ٢٩ منهُ عهد الصلح بين اليونان والدولة العليّة ثم جرت مقدّمات الصلح بين هذه الدولة والصرب في ١٧ ت ٢ فان شاء الله تأتي هذه المعاهدات بالنتيجة المرغوبة وتؤيّد السلام بين الامم ويا ليتهُ لم يكن سلاماً مسلّحاً اذ لا تزال الدول تنافس بعضها في توفير عددها وتعزيز اساطيلها حتى انّ الولايات المتّحدة عوّمت مؤخّرًا دارعة من صنف الدردنوت يبلغ محمولها ٣١,٠٠٠ طنّ اي ضعف محمول الدارعة ڤولتير تقريباً (١٨,٤٠٠ ط)

احوال الكنيسة سنة ١٩١٣

ليس للكنيسة دوارع ومدافع تكنّ قوّتها الادبيّة تفوز بانتصارات اعظم من اساطيل الدول وذخائرها الحربيّة . من ذلك ظفرها الحديث بعدوّها الالدّ

اعني الشيعة الماسونيَّة فانَّ الانتخابات البلديَّة التي جرت في انحاء ايطالية مؤخرًا اسفرت عن فشل الفرمسون الذين كانوا تحمَّلوا النفقات الطائلة لتجديد سلطتهم فذهبت مساعيهم ادراج الرياح واضطرَّ ناتان زعيم الماسونيَّة الايطاليَّة وحاكم رومية الى الاستقالة بعد ما اظهرهُ من القحة في معاداة الكنيسة ورأسها الجليل

ومنها ايضاً سقوط رومانونس رئيس الوزارة الاسبانيَّة ووريث كانالجاس في معارضة الدين بعد قتلهِ على يد احد اهل الفوضى

ومنها التقارير التي اعلن بها رئيس جمهوريَّة كولومبيا ومعظم المبعوثين في مجلس الأمة لمجاهروا بدفاعهم عن المبادئ الكاثوليكيَّة وبرذل الجمعيَّات الماسونيَّة ومبادئها الفاسدة الشرّيرة

وقد وافقت انتصاراتُ الكنيسة على الشيع الماسونيَّة الاعيادَ اليوبيليَّة التي أُقيمت هذه السنة في كل انحاء المعمور تذكارًا لفوز قسطنطين باعدائهِ وردِّ السلام لكنيسة المسيح بعد الاضطهادات المتوالية التي قاستها مدَّة ثلثمائة سنة في سبيل الدين القويم. ومن المعلوم انَّ سلام الكنيسة اصدق ضمين لسلام العالم لأنَّ الكنيسة امّ السلام وملكتهُ اليها عهدَ ابن الله توطيد ذاك السلام الذي بشَّرت بهِ الملائكة عند مولدهِ. وقد احسن كلَّ الاحسان الذين فكَّروا بان يجعلوا بازاء قصر السلام الذي شيَّدهُ المتري كرنجي في لاهاي تمثال السيد المسيح الذي ليس دونهُ سلام اكيد مهما تشدَّق اعداء الدين فزعموا انَّهم يستطيعون ان يسوسوا الهيئة الاجتماعيَّة بمجرَّد قواهم الطبيعيَّة وسُنَنهم البشريَّة فساء ظنُّهم. فانَّ سلامهم اسمٌ بلا معنى اذ « لا سلام للمنافقين يقول الربّ » (اشعيا ٤٨ : ٢١)

ومن اراد ان يعرف اين معدن السلام كفاهُ ان يُلقي بنظرهِ الى مآثر المرسلين والمرسلات في مدَّة الحرب البلقانيَّة. فانَّهم كانوا حقيقةً رُسل السلام في زمن الحرب كلّها بما قاموا بهِ من اعمال الرحمة والمحبَّة نحو المبؤوسين فتفانوا في خدمة المرضى ومعالجة الجرحى وسدّ عوز المحتاجين دون ميزةٍ بين اجناسهم واديانهم فكانوا ليلًا مع نهار في اديارهم ومستشفياتهم وفي المستشفيات النقَّالة لا يألون جهدًا في تلطيف اوجاع اولئك المنكوبين سواء كانوا مسلمين او يهودًا او لاتينيين او ارمنًا او بلغارًا او يونانيين وذلك في كل المدن التي اذاقت الحرب اهلها الامرَّين كالاستانة

وسان ستيفانو وقاضي كوى وحيدر باشا وازميد ورودستو وده ده تاج وغاليبولي وبنينا واشتودرة وكثير غيرها فكانت المحبة المسيحية تفيض فيض الغيث المدرار على كل هذه المنازل المخيم عليها ملاك الموت فما يدخلها رسل السلام الا عادوا للقارب رجاءها بانسهم واطفهم بعد اليأس والقنوط فكم نشفوا من دموع وكم انهضوا من همم وكم ضمدوا من جراح حتى ان المنازعين كانوا يستقبلون الموت بالفرح اذا وجدوا بقرب فراشهم راهباً او راهبة تنعش قلوبهم

وكان هؤلاء المنكوبين يرددون الثناء على المرسلين فيشكرونهم الشكر الجسيم على لطفهم ويأخذهم العجب والانذهال من تفاني اولئك الاجانب في تمريضهم ومعالجاتهم . وقد اخبرنا في ادرنة الآباء الصعوديون ان الجرحى من الضباط وكأنهم مسلمون طلبوا في ليلة عيد الميلاد ان يحضروا الرتب الدينية في الكنيسة فحضروها بكل خشوع وفي صباح العيد تلطف قنصل فرنسة فنصب على نفقته شجرة الميلاد وعلق على اغصانها ألطافاً وزعتها الراهبات بحضوره على نحو ٣٠٠ من الجرحى ومعظمهم من الجنود الذين اصابهم من كل اطراف الدولة . فكانت هذه الافراح تعزية لهم في شقائهم يشكرون الله الذي قيض لهم اولئك المحسنين . ولما أقفل المستشفى العسكري في ١٣ أيار في ادرنة رأينا بالعيان الجنود الاتراك يودعون الرهبان والراهبات باكين لفرقتهم كأنهم ينفصلون عن اعز الاقرباء . وقد اطلعنا على الرسائل التي كتبها رؤساء العسكر شكراً لرهبان وراهبات ادرنة على خدمهم المتعددة وايثارهم الجميل . وقد نشرت جريدتنا البشير الرسالة التي ارسلها السر ادورد غراي على يد وزير الخارجية الفرنسوية المسيو بيشون مثنياً اطيب الثناء على ما ابداه المرسلون الكاثوليك من الهمة القعساء والتفاني العجيب في خدمة جرحى الحرب البلقانية . وكذلك ارسلت جمعية الصليب الاحمر كتاباً جميلاً طافحاً بالشكر للرهبان والراهبات الكاثوليك على حسن تصرفهم طول مدة الحرب واهدت لهم اربعة اوسمة كما ان ملك بلجيكة قلد الاخت غودول البلجكية رتبة كنشليار في جوقة الشرف

فلا شك بان الحبر الاعظم سر بكل هذه الامتيازات التي نالها اولاده ممجدين الكنيسة بجميل صنعهم

ومن ماجريات العام الماضي التي لها بعض العلاقة مع الدين والكنيسة مواجهة سفير اسبانية الجديد المسيو كالبتون لقداسة الحبر الاعظم واستئناف العلاقات الودّية بين الكرسي الرسولي والدولة الاسبانيّة وذلك في ٥ شباط – وفي ١١ منهُ رُزئ قداسة البابا بوفاة اخته السيّدة روزا سرتو التي توفيت بكل تُقى وحضر حفلة دفنها المؤثرة جمٌّ غفير لولا أنَّ سجين الفاتيكان لم يستطع ان يعودها ويشيّعها الى مدفنها

وفي ٧ آذار اعلن بيوس العاشر باليوبيل القسطنطيني العامّ تذكارًا لقرار السلام الذي منحهُ قسطنطين الكبير للكنيسة في ميلانو بعد انتصاره على مكسنطيس – وفي ٢٢ منهُ توفي الكردينال رسبيغي وكيل قداسته في تدبير كنائس رومية فأقيم بدلًا منهُ الكردينال باسيليو بيبلي في ٧ نيسان. وكان الحبر الاعظم في تلك الاثناء عليلًا منتهك القوى لكنَّهُ في ١٢ منهُ نقه من مرضه وسرَّى الله عن القلوب همها بشفائه

وقد توفَّرت في هذا العام الحفلات الدينيَّة الشائقة والمؤتمرات الكاثوليكيَّة المتعدّدة نخص منها بالذكر المجمع القرباني في جزيرة مالطة الذي عُقد بحضور الكردينال فرّاتا نيابةً عن الحبر الاعظم. فجرت هناك مظاهرات دينيَّة وحفلات تقويَّة ومحاضرات أثَّرت كل التأثير في الجماهير التي حضرتها وقد شاركت الدولة الانكليزيَّة رسميًا رؤساء الدين في هذه الاحتفالات فتضاعف بذلك رونق تلك المواسم البهيجة التي يعدُّها المالطيُّون كصحيفة شريفة في تاريخ جزيرتهم لا يُمحى ذكرها من قلوبهم

ومنها في باريس اجتماع شركات مار منصور دي بول الخيريَّة التي تألَّبت في عاصمة فرنسة تذكارًا للسنة المئة من مولد المحسن العظيم فردريك اوزانام منشئ تلك الجمعيَّات الصالحة. وكان الحبر الاعظم قد اوفد الكردينال فانوتلي لينوب عنهُ في هذه المواسم الجليلة فكان لوفوده احسن وقع حتى انَّ الحكومة نفسها اظهرت ارتياحها لمجيئه وقدَّرت لطف قداسة البابا الذي اعطى بذلك برهانًا جديدًا على حبه لابنة الكنيسة البكر. وقد جرت حفلات غاية في الفخامة ذكرًا لصاحب العيد في كنيسة نوتردام الكاتدرائيَّة وفي كنيسة قلب يسوع في منتمرتر اطرأوا فيها رجل المبرَّات اوزانام واثبتوا اعمالهُ الخيريَّة التي يعمُّ اليوم نفعها كافَّة اقطار المعمور

ومنها الزيارة السنويَّة لمدينة العجائب ومزار البتول الطاهرة في لورد في اواخر

ب حيث ظهر ايمان الوفد من ابرار بتحمس عجيب وكان من جملتهم وفد من الشرقيين ولا سيما المصريين الذين عاينوا عدة معجزات جرت امامهم دون علاج آخر غير ايمانهم الحي وتشفعهم بوالدة الله او الاغتسال بمياه المغارة التي انبعثها البتول. وقد وافقت هذه الزيارة صدور براءة الحبر الاعظم مؤذناً بفحص اعمال وفضائل المكرمة برندات سوبيروس التي اتخذتها البتول وهي فتاة صغيرة السن كآلة لاعلان مجدها في لورد فعاشت بعد ذلك عيشة فاضلة وماتت برائحة القداسة. والامل معقود بقرب اثبات براءتها وكراماتها فيدرج اسمها في سجل المطوبين

هذا ونضرب الصفح عن مؤتمرات كاثوليكية عديدة عقدت في فرنسة وانكلترة والمانية واميركة وكلها يشعر بنهضة الدين وانتعاش روح الايمان في القلوب ويستدعي وصفها الصحائف المطولة كمؤتمر الكاثوليك الالمان في متس ومؤتمر الكاثوليك الانكليز في بليموث وكالمجمع القرباني الخاص في بوغوتا عاصمة كولومبيا وكزيارة جمعية الشبيبة الفرنسوية في ايلول لرومية ولرئيس الكنيسة وكان عددهم عدة مئين عطروا مدة سبعة أيام عاصمة الكثلكة بتقاهم وتحمسهم الديني

الدول الاوربية

كانت عيونها كلها متجهة الى دول البلقان ترقب حركاتها وسكناتها موجسة خوفاً لئلا تطير من جهاتها شرارة ينفجر بسببها بركان العداوة بين الدول الكبرى. وكانت الخوذة البروسيانية في تلك الاثناء مع دولتيها المتحالفتين النمسة وايطالية تتهدد الدول الثلث المتفقة فرنسة وانكلترة وروسيا. على انه والحمد لله عادت سماء السياسة الى صفائها بعد ان تلبدت غير مرة ولاحت من وراء غيومها بروق وسمع عن بعد هزيم رعدها. فلنباشرن اذن بتلخيص الاحوال البلقانية فنقول :

﴿ دول البلقان ﴾ دخلت سنة ١٩١٣ وامور تركية في اوربة على اسوا حال بعد انتصارات الدول البلقانية. ففي ١٧ ك ٢ قدم سفير النمسة الكونت بلافيشيني لكامل باشا رقيماً من قبل الدول الكبرى تشير فيه الى الدولة العثمانية بتسليم ادرنة. وفي ١٨ منه نال اليونان فوزاً على الاسطول العثماني قريباً من الدردنيل. ولما اجتمع في ٢٣ منه مجلس الامة في طوله بغيجه وافق المندوبون على ترك ادرنة لكنهم فوضوا

امر جزائر بحر سفيد الى حكم الدول . وفي غد ذاك النهار فازت مؤامرة الاتحاديين فقتل رهط انور بك ناظم باشا وعزل الصدر كامل باشا فقام مقامهُ محمود شوكت باشا كصدر اعظم ووزير للحربيَّة . وما لبث الاتحاديون ان وقفوا الخروج من ادرنة وردُّوا طلب الدول البلقانيَّة فاستؤنفت الحرب بعد اشعار الدول بعدم نجاح المفاوضات السلميَّة

فعاد البلغار في ٣ شباط الى ضرب ادرنة . وفي ٥ منهُ كان الفوز لهم في بولَير بقرب غاليبولي بعد ملحمة عظيمة وفي ٥ آذار فتح اليونان يانينا فسلَّمها اسعد باشا والي العهد قسطنطين قائدهم . وفي ١٨ منهُ قُتل ملك اليونان جورج برصاصة اطلقها عليهِ في سالونيك رجلٌ من امتهِ منحاز الى الفوضى ومختلّ الشعور فخلفهُ ابنهُ قسطنطين . وفي ٢٣ منهُ قدَّمت النمسة انذاراً لملك الجبل الاسود طلبت فيهِ توقيف الحركات العسكريَّة حول اشقودرة في البانية ريثما يخرج الملكيُّون فاذعن الملك مرغوماً الى طلبها . وفي ٢٦ منهُ هجم البلغار على ادرنة واستولوا على احصن قلاعها ايواز بابا وفتحوا المدينة بعد ان فقدوا من جنودهم ما يقرب على ١٠,٠٠٠ رجل . وفي ٢٩ منهُ شدَّدت الدول على الجبل الاسود طالبةً ألَّا تضع جنودهُ اليد على تخوم البانية المستقلَّة . واذ ابى الملك الرضوخ لهذا الحكم جرت مظاهرات بحريَّة في اوائل نيسان لقطع المواصلات عن سواحلها . ووضعت الدول في اثناء ذلك شروطاً للصلح قبلتها تركيَّة واحتفظ البلقانيُّون قسماً منها

تهادن الاتراك والبلغار في ١٤ نيسان . ثمَّ اتفقت الدول البلقانيَّة في ٢١ منهُ على قبول توسُّط الدول الكبرى . وفي ٢٣ منهُ سلَّم اسعد باشا اشقودرة لجيوش الجبل الاسود ثمَّ اعلن بنفسهِ ملكاً على البانية في ٢٦ منهُ بعد استعفاء الدوق دي منبنسيار اخي الدوق دي اورليان مفضِّلاً على امارة البانية جنسيَّتهُ الفرنسويَّة

ثمَّ توتَّرت العلاقات بين النمسة والجبل الاسود في اواخر نيسان الى ان دخلت الجيوش الدوليَّة اشقودرة في ١٤ أيار فاضطرَّ الجبل الى مبارحتها . وبذلك انتهى حصار سواحلهِ . وفي ١٦ منهُ جرت مناوشات بين البلغار واليونان ثمَّ بينهم والصرب . وفي بلغ الشهر تقرَّرت شروط الصلح بين تركيَّة والدول البلقانية الَّا اليونان

وفي ٤ حزيران افتتح مندوبو الدول مفاوضةً في باريس لتقرير الشؤون الماليَّة

في البلقان. وفي ٨ منهُ عرض التيصر نقولا الثاني توسُّطهُ حبيًّا بين البلغار والصرب. وفي ١١ حزيران قُتل محمود شوكت باشا بمؤامرة الحزب العسكري على ما يقال اخذًا بثار ناظم فخلفهُ في منصبهِ الامير سعيد حليم. وبعد عشرة أيام حكم الديوان العرفيّ على اثني عشر من المتآمرين الذين شُنقوا عند مدخل السرعسكريَّة في غلس يوم ٢٤ حزيران كان من جملتهم كاظم باشا وصالح باشا قرين منير السلطانة من سلالة جلالة السلطان محمد رشاد. وفي آخر تشرين الثاني أوقف الاتراك قوقلي مصطفى احد المتَّهمين بقتل شوكت باشا على مركب روسي فأُلقي في الحبس وفيهِ توفّي على ما قيل. لكنَّ روسيَّة احتجَّت على الدولة العليَّة لهذا الفعل المخالف للعهود فاستاح الصدر الاعظم عذرًا لدى السفير الروسي وعزل عزمي بك رئيسَ الشرط

وفي ١٥ حزيران خلف غيشوف الوزيرَ دانيف كرئيس وزارة بلغاريَّة. وفي سلخ الشهر لاحت اوَّل بوارق الحرب بين الدول البلقانيَّة فجرت مناوشات بين الصرب واليونان وبين البلغار. وما مرَّ على ذلك اسبوع حتى جاهرت الدول البلقانيَّة الثلاث اليونان والصرب وجبل الاسود بالعداء لبلغارية وفي اثرها انقطعت ايضًا العلاقات بينها وبين رومانية في ١١ تموز. وتمَّ الخطب على البلغار في ١٥ منهُ بتقدمة وزارة دانيف استعفاءها وبقطع العلاقات مع الدولة العثمانيَّة. فقُضي على البلغار ان يقوموا في وجه خمس دول انزلت بهم الويلات التي جرَّها عليهم طمعهم المفرط فاستردَّ الاتراك قرق كليسه ثمَّ ادرنة في ٢٢ تموز. وتجاوزت جيوش الدول البلقانية تخوم بلغارية القديمة واصبحت صوفيا عاصمتها في خطر عظيم الى ان استغاث ملك البلغار برومانية وبالدول الكبرى فساوقفت رومانية حركاتها وحظرت على الصرب واليونان ان يتقدَّموا الى الامام فعُقد بعد ايَّام مؤتمر بخارست واتَّفق المؤتمرون على تحديد تخومهم ثم وقَّعوا عهود الصلح في ٦ آب. امَّا ادرنة فبعد مفاوضات متتالية لم يتَّفق فيها مندوبو الدول بقيت آخرًا في حكم الاتراك مع دائرة حولها تبلغ اربعين كيلومترًا ولكن أُعطيت مصطفى باشا للبلغار. وبذلك زال النزاع بين الدولتين ثمَّ بعد مدَّةٍ ابرمتا نوعًا من المعاهدة لصيانة مصالحهما بازاء الدول البلقانيَّة

وبقيت بعد ذلك امور البانية في حالة مزعجة وقامت فيها شبه الفوضى وزاد اسعد باشا تلك الامور خطرًا بطلبهِ السلطة لنفسهِ تحت نظارة تركيَّة. وفي ٢٧ ايلول

خرجت الجيوش الالبانيَّة لمحاربة الصرب ففتحت ديبرا وغيرها من المدن لكنَّ الصرب ردُّوا الالبان خاسرين وتجاوزوا تخوم الالبان في غرَّة ت١ وحاولوا ان يستولوا على قسم منها لولا ان النمسويين انذروهم بالحرب ان لم يُخلوا الاملاك الالبانيَّة وفي اثناء ذلك حصلت بين الالبان واليونان منازعات بشأن تخوم البلادين. واخر ما اتفقت عليهِ الدول في امر البانية انَّها عيَّنت في اواخر ت ٢ لتدبيرها البرنس فيد (Wied) من اسرة امبراطور المانية الفرعيَّة ومن انسباء ملك رومانية كارُل. وكذلك تعيَّنت لجنة دوليَّة لتحديد التخوم بين اليونان والبانية

وما عادت الدول البلقانيَّة الى هدوئها وسلامها بعد الحروب المارّ ذكرها حتى فكَّرت في اصدار قروض جديدة لاصلاح شؤونها. وقد وجَّه اغلبها النظر الى فرنسة لذلك لكنَّ الدولة الفرنسويَّة أجلت دفعها الى ان تُمضي عهود الصلح. وكان الفرنسويُّون قد استاؤوا من كلمةٍ قالها الملك قسطنطين في زيارتهِ الى برلين اذ عزا انتصار الجيوش اليونانيَّة الى ضبَّاط الالمان فلامهُ الناس حتى اليونان على قولهِ المجحف بحقوق الضبَّاط الفرنسويين الذين اهتمُّوا بتنظيم العسكر اليوناني وسعى المسيو ڤنزيلوس بتلافي الامر. ولمَّا زار الملك اليوناني باريس بعد ذلك استقبلهُ الشعب ببعض البرودة الى ان صرَّح بممنونيَّتهِ لفرنسة وحسن معاملاتها فترضَّاها

وممَّا ألفتَ انظار الدول اتفاق تركيَّة مع محلّ ارمسترنغ الانكليزي لابتناء حوض عائم وقاعدة بحريَّة في خليج ازميد على شرط ان يكون العمَّال كلهم من العثمانيين او الانكليز — وكذلك استدعت الدولة الجنرال الالماني ڤون سندرس لتجعلهُ قائدًا للفيلق الاول العثماني لكنَّ دول الاتفاق الثلاثي احتجَّت على ذلك لأنها رأت في الامر ترجيحاً لنفوذ المانية وقد قدَّم سفير روسيَّة مذكَّرة في ذلك للدولة على ان البعثة الالمانية وصلت الى الاستانة في ١٤ ك ١

وكذلك لايزال امر جزائر الارخبيل يستدعي نظر الدول لئلَّا يكون لستبداد ايطالية او اليونان بها عثرةً في سبيل غيرهما. على انَّ كريت قد أُعطيت نهائيًّا لليونان. ولعلَّ تلك الجزائر تنال استقلالًا نوعيًّا تحت مراقبة تركيَّة

وقد عاين اهل البلقان ثمَّ اهل الاستانة في هذه المدَّات الاخيرة ثلثة من الطيَّارين الفرنسويين قطعوا المسافة بين فرنسة اليهم طائرين: اوَّلهم دوكور ثمَّ ڤدرين ثمَّ يونيه

وكانت نيّة الاوّل ان يمرّ بسوريّة ثمّ مصر لولا ما لقيه في طريقهِ من الانواء التي اضطرّتهُ الى تأجيل سفرهِ الهوائي امّا الآخران فلعلّهما يصلان قريباً الى جهاتنا

وممّا استبشر بهِ الارمن آخرًا قبول الدولة العليّة ببعض الاصلاحات المطلوبة لبلادهم كراعاة القاعدة النسبيّة في انتخابات المجالس العموميّة والمجلس النيابي حتى يبلغ عدد مبعوثيهم ١٨ ومثلها مسألة البوليس والجندرمة في الولايات الارمنيّة وتعيين مفتشين عموميين فيها حتى يوضع حدّ لمساوئ الاكراد وقبائلهم الهمجيّة

﴿ الدول الاوربيّة المتحالفة ﴾ كان تجديد التحالف الثلاثي بين المانية والنمسة وايطالية باعثاً لتعزيز هذه الدول لقواها البرّيّة والبحريّة. وقد افادت الانباء البرقيّة مؤخرًا انّ برنامج ميزانيّة المانية للسنة القادمة يبلغ اربعة مليارات و٨٣ مليوناً من الفرنكات اعني بزيادة نحو ٢٢٠ مليوناً على البرنامج السابق للسنة ١٩١٣ كما انّها زادت عدد جنودها ١٦٠,٠٠٠ وكذلك النمسة وايطالية وافقتا المانية في زيادة نفقاتها على الحربيّة والبحريّة . فاضطرّ ذلك الدولَ المعادية ان تجري على منوالها صوناً لكيانها

دخلت السنة والمانية آسفة على فقد احد كبار رجالها المسيو كيدرلين وختر الذي مات بغتة في ٣٠ ك١ في ستوتغارت فخلفهُ في ٥ ك ٢ المسيو دي ياغوف سفير دولتهِ في رومية وتعيّن ككاتب اسرار شورى الامبراطور

وقد احتفلت المانية في السنة المنصرمة بيوبيل جلالة غليوم الثاني لمرور ٢٥ سنة على ملكهِ (١٨٨٨—١٩١٣) فجرت اعياد شائقة في ١٦ حزيران حضرها مع اسرة صاحب العيد عدد عديد من الامراء والاعيان وممثلي الدول الاجنبيّة واهدوا الامبراطور الهدايا الثمينة. وكان الامبراطور قبل ذلك سعى في اصلاح سلالتَي ملوك هانوفر وملوك بروسية فنال غايتهُ في همبورغ في ١٠ نيسان. وفي ٢٤ أيار احتفل بزفاف ابنتهِ الصغرى فكتورين لويزا الى الامير التلفي (Guelfe) ارنست اوغست ابن دوق كمبرلند بحضور ملكي روسيّة وانكلترة وامراء المانية. وفي ١٨ ت١ صار في ليبسيك التذكار المئوي لشبه انتصار الدول المتحالفة على نابوليون الاوّل . وفيهِ جرى تدشين مشهد يعرب برموزهِ عن سوء ذوق بُناتهِ

على انّ هذه الافراح تكدّرت ايضاً ببعض الحوادث المفجعة منها سقوط

المناطيد العسكرية من طرز زبيلين وموت راكبيها تحطماً او حرقاً ثلث مرات — ومنها ثورات الاشتراكيين في بعض انحاء الدولة لكنهم أُصيبوا بضربة أليمة بوفاة زعيمهم ببيل في ١٣ آب وكان يقودهم ويجمع كلمتهم منذ نحو اربعين سنة حتى صار حزبهُ يتهدَّد الدولة — ومنها معارضة مجلس الرأس للحكومة من جراء القوانين المنوي سنُّها ضدَّ الصحافة التي تُطبع في اللغة الافرنسية . ثمَّ هاج الألزاسيُّون في غاية ت ٢ لسوء تصرُّف ارباب العسكر معهم في سافرن وتجمَّعوا لمعارضتهم فهجم بعض الجند على المتظاهرين وجُرح البعض وحُبس البعض وكاد الامر يتفاقم لشتم الكولونل فُرستنر الفرنسويين ورايتهم والمتطوِّعين الاجانب لولا انَّ الامبراطور لام الضبَّاط وابعد فرقة جندهم. وكذلك كنشليار الدولة في مجلس الريشتاغ اخذتهُ لائمة المندوبين لضعف نظر الحكومة في هذه الحوادث . وفي ٤ ك ١ وافق مجلس الأمة على الاقتراع بعدم الثقة بوزير الامبراطوريَّة وفقاً لما اقترحهُ الراديكاليُّون والاشتراكيُّون وحكم في ١٩ منهُ مجلس ستراسبورج العسكري بحبس الكولونل فُرستر

ومما سعى بهِ الالمان الكاثوليك في مجلس الأمة كعادتهم الغاء قانون بسمرك النافي للرهبانيَّة اليسوعيَّة من المملكة فنجحوا في ١٩ شباط اذ صادق معظم المندوبين على استرجاع ذلك القانون الظالم — وكذلك عُقد المؤتمر السنوي للكاثوليك الالمان في متس فكان غاية في الرونق . ومن خواصّ هذا المجمع انهم خصُّوا لاوَّل مرَّة قسماً من جلسات المؤتمر للمتكلمين باللغة الفرنسويَّة فكان لهذا التساهل وقع حسن في قلوب اهل الزاس ولورين

(النمسة) كانت سياستها في السنة المنصرمة خليقة بالانتقاد فانَّها في طول مدَّة الحرب البلقانيَّة كادت تعرِّض الدول الاوربيَّة لحرب عموميَّة حتى انَّها بوقفها بازاء الجبل الاسود والصرب والالبانيين لم تنل رضى مُتحالفيها انفسهم اي الالمان والايطاليين وكانت نتيجة هذه السياسة انَّ الامبراطور غليوم عقد في بخارست سياسة رومانية كما ظهر من شكر الملك كارُل لنسيبهِ الامبراطور غليوم اذ ابرق اليهِ بعد مؤتمر بخارست مقرًّا بلطفهِ . وبذلك فشلت سياسة النمسة التي كانت تنوي بسط سيطرتها على البلقان وهي الآن تطلب بالحاح تحوير قوانين ذلك المؤتمر

(ايطالية) كان همُّها في السنة الماضية تمكين سلطتها في طرابلس الغرب

وكسر شوكة القبائل المحاربة حتى اذا رسخ قدمها تستطيع مباشرة اصلاح تلك البلاد واستثمار ثروتها واحياء مواتها وقد نالت وزارتها فوزاً في انتخابات المندوبين التي جرت في ٢٦ ت ١ على مقتضى القوانين الحديثة . وبها بلغت سياسة جيرلتي معظم نفوذها . لكن مطامعها في جزائر بحر ايجه لم تُصب قبولاً لدى الدول ولا بُدَّ لها ان تخرج منها عاجلاً او آجلاً كما كان الشرط بينها وبين تركيَّة في معاهدة لوزان . وهي ايضاً كانت تنظر شذراً الى حاينتها النمسة لتصون سواحلها الواقعة على البحر الادرياتيك من طوارئ السياسة النمسويَّة التي تتهدَّدها بتوسيع نفوذها من جهة البانية

وقد سعى الماسون الايطاليُّون في السنة المنتهية كألوف عادتهم بان يعلنوا بعاداتهم للكنيسة ولحبرها الجليل وخصوصاً في يوم ٢٠ ايلول حيث ألقى ناثن اليهودي خطبةً كلُّها قذعٌ وسباب في حقّ البابويَّة لكنَّ الرأي العام لم يلبث ان ابدى استياءه من الماسونيَّة ومن اعمالها الذميمة فجاءت الانتخابات الاداريَّة فوزاً للمحافظين وفشلاً لحزب المتطرِّفين والماسون لثبوت خيانة الجمعيَّات السريَّة في تضحيتها الصوالح الوطنيَّة على مذبح شهواتها واغراضها الخاصَّة . وكانت ظهرت خيانة الماسونية قبل ذلك بمدَّة لمَّا اراد رئيسها الاكبر هكتور فرَّاري ان يلزم الجنرال فارا بترقية احد ابناء الارملة في مناصب الجنديَّة . لكنَّ الجنرال فضَّل الاستعفاء على تضحية ذمَّته لاوامر الشيعة التي انخدع هو ودخل فيها مدَّة . فكان لفعله هذا صدًى في قلوب كل الايطاليين الوطنيين فلعنوا الماسونية وارباب . ومذ ذاك الحين اخذت الصحافة تبحث عن مساوئ الماسونيَّة وتكشف عن مقابحها لاسيما في قيادة الجيش والبحريَّة فتسربل الماسون بثوب من العار والخزي ووقف الرأي العام على مساوئهم العديدة

ومما سُرَّ به العالم الكاثوليكي ما جرى في رومية من الاعياد الفخمة لتذكار قسطنطين وقد قاسم الاساقفة الشرقيون اخوتهم الغربيين في تلك الحفلات الدينيَّة المؤثرة . وقد احبَّ الشبان الكاثوليك المشتركون في شركات الالعاب الدوليَّة ان يقيموا في رومية حفلة بتلك النسبة فحاول اعداء الدين ان يصدُّوهم فما افلحوا

وقد رُزئت الكنيسة بوفاة بعض كرادلتها الممتازين منهم الكردينال ڤيڤس

من الرهبنة الكبوشيَّة توفي في ٧ ايلول ثم الكردينال اوريليا توفي في منتصف ك ١ . وتبعهُ بعد أيام الكردينال رمبولا (١٧ ك ١) وزير الدولة البابويَّة سابقاً

﴿ دول الاتفاق الثلاثي ﴾ قلنا عنها انها كانت مدَّة السنة الماضية ترصد حركات خصومها اصحاب التحالف الثلاثيّ لتتَّقي غاراتها

(فرنسة) اهمُّ ما جرى لها في العام المنصرم انتخاب رئيس جديد لجمهوريَّتها بعد انتهاء مدَّة الرئيس فاليار . فوقع اختيار مجلس العموم والاعيان معاً على المسيو ريمند بوانكاره رئيس الوزارة ووزير الخارجيَّة وبانتخابهِ فشل قرنهُ المسيو جول بامس مرشَّح الماسونيَّة . وقد قوبل هذا الانتخاب برضى الوطنيّين والاجانب . وكان استلامهُ لزمام الامر في ١٨ شباط

وممَّا صرف اليهِ الرئيس الجديد همَّهُ تأييد قوَّة الجيش باطالة مدَّة الخدمة العسكريَّة الى ثلث سنوات . فوُضعت السنَّة على بساط البحث ونالت اخيرًا اغلبيَّة الاصوات في المجلسين رغماً عن معاكسة الراديكاليين والاشتراكيين وقد جعلوا ابتداء الخدمة العسكريَّة في السنة العشرين للمواليد . وعارضت الحكومة زعماء الفوضى الذين كانوا ينشرون المبادئ الفاسدة بين الجند ويصوّرون الجنديَّة والدفاع عن الوطن كفعل منافٍ للاخاء والانسانيَّة فارتقت فئة منهم . واذ وجد الوزراء خللًا في تنظيم بعض الطوابير امروا بعزل قوّادها من جملتهم الجنرال فوري الراديكالي

وفي العشر الثالث من حزيران زار الرئيس بوانكاره انكلترَّة وجلالة ملكها جورج فأتت زيارتهُ بنتائج شائقة فتأيد اتحاد الدولتين وتوثَّقت عرى الوداد والحبّ فطفحت الجرائد الانكليزيَّة بالمقالات الولائيَّة والمجاملة للفرنسويّين

وفي شهر ايلول خرج الرئيس بوانكاره ليزور مقاطعات فرنسة الجنوبيَّة فافتتح التمرينات العسكريَّة ثمَّ سافر الى اسبانية في اوائل تشرين الاوَّل فصار لهُ في مدريد استقبال غاية في الأبهة واجتمع بملكها مرارًا ولفظ في المأدبة التي دُعي اليها خطاباً أشعر باتفاق دولي بين فرنسة واسبانية ثمَّ أدب الرئيس للملك الفونس وحاشيتهِ على الدارعة ديدرو في برشلونة

وقد أُصيبت الوزارة الفرنسويَّة في العام السابق بثلاث أزمات لاسباب سياسيَّة شتى وخصوصاً لما بين الاحزاب من الاختلافات والضغائن فشكَّل الوزارة اوَّلًا بريان

لثالث مرة في ٢١ ك ٢ بعد انتخاب الرئيس الجديد فخلفتها بعد شهرين وزارة بُرتو ثمَّ وزارة دورمغ في اوائل كانون الاوَّل فكانت السياسة لتواتر هذه التقلُّبات متضعضعةً تارةً تحسن وتارةً تسيء فمن حسناتها تركية الكولونل دو باته دي كلام احد ضحايا مسألة دريفوس الذي ردَّهُ ميلران وزير الحربيَّة الى منصبهِ لكن غيرهُ من الوزراء لم يرضوا بذلك فاستعفى ميلران وعاد الرئيس فليار فصادق على ايقاف الكولونل عن وظيفتهِ ظلماً . ومن حسناتها انَّ شورى الدولة نزعت كنيسة مار جرجس في ليون من ايدي مغتصبيها المنشقّين فردَّتها الى الكاثوليك . وكذلك لبَّى الرئيس برانكاره دعوة بعض المبرئين الكاثوليك فقرَّر نظام الخدمة الدينيَّة للجنود في زمن الحرب بتعيين كهنةٍ يرافقونهم . ومثلها قرار وزير البحريَّة بان تُنصب شعارات الحداد على السفن الحربيَّة في جمعة الآلام لكنَّ هذا القرار بعد ان كان عموميًّا حُصر في السفن الراسية في المرافئ الاجنبيَّة . ومنها ايضاً اعلان المسيو بُرتو في ١١ آب بان ارباب العيال لهم حقّ مراقبة الكتب المدرسيَّة في مدارس الحكومة لئلَّا تكون منافية لدين اولادهم

ومن سيئاتها دفاعها عن التعليم اللاديني المتستّر تحت اسم التعليم العلماني فزادت في رواتب معلّميها واقفلت عدَّة مدارس كانت بقيت في ايدي الرهبان—ومنها انَّ مجلس مقاطعة السين اعلن بانَّ كنيسة قلب يسوع في مُنتمرتر التي انفق عليها الكاثوليك نحو خمسين مليوناً من الفرنكات هي ملك مدينة باريس

وكان الكاثوليك الفرنسويون في العام المنصرم مشتّرين عن ساعد الجدّ في تعزيز الدين وتنشيط الاعمال الخيرية فقد سبق ذكر المؤتمرات العديدة التي عقدوها ليزيدوا المشروعات الدينيَّة والعلمية والاجتماعيَّة رقياً وتعميماً ولم يضنُّوا لتحقيق نياتهم لا بمالهم ولا ببذل قواهم . فانَّ الجمعيَّات الكاثوليكيَّة كلّها اصبحت في ازدهار عجيب بين كل طبقات اهل فرنسة فصار الامر موضوع اعجاب البروتستانت الانكليز حتى ان اعداء الدين اقرُّوا ايضاً بذلك . وقد دخلت السيدات انفسهنَّ في تلك المشاريع فأصبحن من اعظم اركان هذه النهضة الكاثوليكيَّة

ومما اشعر بهذه الحركة الاعياد الحافلة التي جرت في باريس وفي كل جهات فرنسة اكراماً للطوباوية جان دارك في ٤ ايار—ومنها انتخاب احد المحافظين كرئيس بلديَّة

باريس المسيو شاسين غويون (Chassaigne Goyon)

وكان الاساقفة مبدَّة العام كلهِ يقومون بوظائفهم احسن قيام يرأسون الاجتماعات ويبعثون الهمم ويسدُّون ما يرونهُ من الخلل ولا يخافون من الاحتجاج على ما يرونهُ باخساً لحقوق الدين كما فعل اساقفة بلد بريطانية في منشورهم العمومي الذي كتبوه اثباتاً لحقوق الكاثوليك في مسألة المدارس

وقد اظهر الكاثوليك ايضاً تحمسهم الديني في احتفالهم لتذكار مولد لويس ڤويليو بطل الصحافة الكاثوليكية (راجع المشرق ١٦ : ٨٠١—٨١٢) وكانت سبقتهُ حفلات يوبيل اوزانام ومؤتمر الشبيبة الكاثوليكيَّة في مدينة كانْ

ونضيف الى ما سبق حفلة تذكار السنة الخامسة والعشرين لانشاء مكتب باستور التي جرت في باريس في ١٩ تشرين الثاني بحضور رئيس الجمهوريَّة وعدد عديد من عاية القوم وكبار العلماء

وقد فشلت على خلاف ذلك الاجتماعات التي عقدها الراديكاليون في مدينة بو برئاسة كايو . وكذلك الاعياد الرسميَّة التي أُقيمت في لَنغر في ١٩ ت ١ ذكرًا للمئة الثانية لمولد ديدرو رصيف ڤولتير لم تُصب الحظوى في اعين العقلاء . ومثلها المؤتمر الماسوني السنوي في باريس في ١٥ ايلول دلَّ على تقهقر الشيعة وانقسام اصحابها

امَّا امور فرنسة في الخارج فكانت مرضيةً فانَّ حمايتها على مرَّاكش رسخت بظفر قوَّاد موالين لفرنسة على الهبة الطالب الامر لنفسهِ وبفتحهم طرودنت في ١٦ أيار . وكذلك انتصر الجنرال جيراردو على القبائل المعادية في ٢٨ أيار والكولونل مانجن في ٨ حزيران بعد معركتين دمويَّتين

وقد تمَّ الاتفاق بين فرنسا والمانية في شان الامور الاقتصاديَّة في جهات تركية فأُطلقت يد المانية في ما بين النهرين والعراق لتنشئة سكة بغداد بينما تُركت لفرنسة الحريَّة في توسيع مشاريعها في سوريَّة كفتح مرافئ جديدة في طرابلس وحيفا ويافا ومد خطوط حديدية من رياق الى غزَّة وفي جهات طرابزون ووان وديار بكر

ومن المعلوم انَّ قدوم الاسطول الفرنسوي في سواحلنا في ت ٢ كان لهُ احسن وقع في اعين المتمين لفرنسة او اللائذين بحمايتها وقد ابقى الاميرال بوه دي لاپيرار وعمدة اسطولهِ وضباطه تذكارًا طيباً في قلوب السوريين عموماً ولرباب الدين خصوصاً

وفي مقدمتهم غبطة بطريرك الطائفة المارونية الذي قوبل على دارعة الاميرال بكل تجلة واكرام ثم بارحنا الاسطول الى جهات ازمير فسافر الاميرال الى الاستانة حيث واجه جلالة السلطان فتعطف عليه بالوسام العثماني ثمَّ واصل الاسطول مسيره الى مرسى بيره فاجتمع بالاسطول الانكليزي . وقد زارنا آخرًا الطيَّار قدرين

وقد توفي في هذا العام في ٢٠ آب بين مشاهير فرنسة اميل اوليفيه وزير نابوليون الثالث الذي نشر مذكرات حياته السياسية . وسبقهُ الى الابديَّة في ٣٠ حزيران هنري روشفور الكاتب الراديكالي . وفي ٢٢ منهُ توفيت ابنة رئيس الجمهوريَّة السابق مادام «لوسي فور غوير» الكاتبة الشهيرة ماتت في باريس ميتةً صالحة مملئةً بكل شواعر الدين والتقى

(انكلترَّة) نال الارلنديُّون الفوز في التصويت الثالث في مجلس النوَّاب لاستقلال وطنهم (١٦ ك ٢) الَّا انَّ اهل الآيالات البروتستانيَّة في جهات اولستر لم يرضوا بذلك واخذوا من ثمَّ يعارضون الدولة في حكمها ويثيرون الخواطر . وكذلك مجلس الاعيان لم يوافق النوَّاب على تأييد استقلال ارلندة

هذا وقد ثبت بالاختبار انَّ اتساع الدولة الانكليزيَّة قد اضحى خطرًا عليها كما اقرَّ بذلك السر ادورد غراي وقد شعر مثلهُ بالامر عقلاء الانكليز . ومما يدل على ذلك انَّ بحريَّة انكلترَّة التي كانت تستطيع القيام في وجه اقوى بحريَّتين اصبحت اليوم قاصرةً عن مجاراة سير المانية الحثيث وقصورُها هذا يظهر خصوصاً في قلَّة رجالها . وقد ألجأها الامر الى ان تُعيد الى البحر المتوسط قسماً من اسطولها الذي كانت سابقاً قضت باسترجاعهِ لما رأتهُ من تقدُّم بحريَّة التحالف الثلاثي . وقد انجزت مؤخرًا في غلاسقوف دارعةً من «صنف سوبردردنوت» اسمها بَنْبو محمولها ٢٥,٠٠٠ طنّ وسرعتها ٢١ عقدة في الساعة وهي مسلحة بعشرة مدافع معيارها ١٣,٥ بوصة وقد سبق انَّ الولايات المتَّحدة فاقت عليها في ذلك

ومما بُليت بهِ انكلترَّة في العام الماضي مسألة المطالبات بحق الانتخابات (les Suffragettes) فانهنَّ اذ رأين مجلس النوَّاب قد ردَّ طلبتهنَّ قصدن الانتقام واجترحن عدَّة مآثم وجنايات عموميَّة ولم يستطع ارباب الامر حتى الآن ان يكبحوا جماحهنَّ

وكذلك قد حصلت في جنوبي فريقيـة عدة مشاكل بين الهنود والاوربيين من هولنديين وانكليز فقام الهنود وعددهم هناك لا يقل عن سبعة ملايين وتهددوا الاوربيين لما يلحقهم من جهتهم من الاذى وسوء المعاملة وهضم الحقوق. والرأي العام في الهند يعضدهم فخافت انكلترة من امتداد الثورة الى املاكها الهندية فتلافياً للشر تطلب الدولة حلاً لهذه الأزمة المعقدة

وفي ١٨ ت ٢ خرجت من مانطة ثلاثة اساطيل انكليزية متوجهة الواحدة الى الاسكندرية والاخرى الى بور سعيد والثالثة الى قبرس ثم سارت الثلاثة الى فاليرة قريباً من مرفأ البيره واجتمعت بالاسطول الفرنسوي في ٢٨ منهُ

عقد البرنس ارثور دي كونوت على الدوقة دي فيف والخطيبان حفيدا الملكة فكتوريا

حل في ١٠ ت ١ و١٤ منهُ مصابان أليمان بانكلترة الاول مصاب الباخرة ثولترنو التي احترقت وغرقت في بحر الأتلنتيك على ان التانراف اللاسلكي انبأ السفن القريبة بالداعية فقدمت بزمن قليل عشر منها لانقاذ الركاب. والثاني انفجار الغازات في معادن كديف حيث قُتل ٤١٨ معدناً

وكرر الكاثوليك مؤتمرهم السنوي في بليموث فتم بنظام واتفاق عظيمين وبحث المؤتمرون في كل شؤون الكنيسة الكاثوليكية وتقدمها. وفي ٢١ آب ترأس الكردينال بورن الحفلات الدينية المقامة في مدينة كايه الفرنسوية بنسبة مباشرة دعوى تطويب اثنين من ابنائها قتلهما الملك هنري الثامن بغضاً بالايمان الكاثوليكي وهما ادورد برندهولم وكليمنت فيلبوست

(روسية) جرت اعياد بهيجة في بطرسبورج تذكاراً للمئة الثالثة من جلوس سلالة رومانوف على عرش القياصرة. وقد دُعي البطريرك الانطاكي الاورثدكسي غبطة وطننا السيد غريغوريوس حداد الى التصدر فيها

في ٩ من ت ١ صارت محاكمة اليهودي بيليس المتهم بقتل ولد صغير في كياف لاستتراف دمهِ على ما يُنسب الى بعض اليهود بغضاً بالنصارى. فقام اليهود وقعدوا معارضةً للحكم ولم يهدأوا حتى أُطلق سبيل بيليس دون ان يتضح وجه الحقيقة

وفي ١٩ ت ٢ خطب في برلين المسيو كركفستوف رئيس وزراء روسيَّة وصرَّح بتسوية الاحوال في المسائل الشرقيَّة

(اسبانية) قد اصطلحت امورها في العام الماضي ديناً ودنيا . وقد سبق انَّ الحكومة ارسلت الى الفاتيكان سفيراً جديداً اصلح ما اساء به كاناليجاس . على انَّ رومانونس خلف كاناليجاس في الوزارة واحد زعماء الماسونيَّة كان وطَّن العزم على اقتفاء آثار سلفهِ والجري على مشربهِ في معاداة الكنيسة . غير انَّ الحزب الكاثوليكي احسَّ بالخطر فدعا اصحابهُ في ١٠ ك ٢ المسيو ماورا ليتولَّى قيادتهم وكان المسيو ماورا استعفى سابقاً بسبب مجاملة بعض الكاثوليك للاحرار فرضي بدعوتهم واخذ ينافح خصوم الدين ويدافع عن المبادئ الكاثوليكيَّة بكل نشاط الى ان فاز الفوز التام وسقطت وزارة رومانونس في ٢٥ ت ١ فقامت بدلاً منها وزارة محافظة رئيسها السنيور داتو احد اصدقاء ماورا وحليف سياستهِ . فاستبشرت اسبانية بهذا التغيير وأملت منهُ خيراً لاسيما بعد ما ذاقت من سوء تصرف الاحرار ومكائدهم ضدَّ الدولة وسعي احد اشياعهم الفوضويين بقتل الملك الفونس في ١٣ نيسان

في ١٩ شباط دخلت الجيوش الاسبانية طيطوان فجعلتها مركزاً لاملاكها في مرَّاكش . وفي ٧ آذار تمَّ الاتفاق بين فرنسة واسبانيسة في تعيين حدود نفوذ كلتا الدولتين في شمالي افريقية وفي شروط معاهدتهما التي اثبتها مجلسا النوَّاب والاعيان الفرنسويين في ٣٠ اذار . وفي ٧ أيار زار الملك الفونس باريس فتحفى الفرنسويون بهِ واكرموا وفادتهُ فردَّ لهُ الزيارة المسيو بوانكاره كما مرَّ . وفي ٢٣ ت ٢ زار الملك الفونس الامبراطور فرنسوا جوزف في ڤينة

وفي حزيران وايلول عادت بعض القبائل المرَّاكشيَّة لمقاتلة الاسبانيين قريباً من لاراش وطيطوان لكنَّ الفوز كان للجيوش الاسبانيَّة

وقد رُزئت اسبانيسة في ٩ ت ١ بفقد الكردينال اغير رئيس اساقفة طليطلة المولود سنة ١٨٣٥ . وفي ٢٨ ك ٢ توفي المسيو موريه رئيس الوزارة سابقاً

(البرتغال) اصبحت في حال يُرثى لها بحكم الماسونية حتى ان الراديكاليين انفسهم حاولوا قلب الحكومة في ٢٧ نيسان — وفي ٤ ايلول اقترن ملك البرتغال السابق دون مانويل بالاميرة الكاثوليكيَّة اوغسطين فكتورين دي هوهنتزولرن

(بلجكة) وسخت قدم الكاثوليك في تدبير الامور . وفي ٧ شباط رفض مجلس النوّاب ما اقترحهُ بعضهم لتحوير قوانين الانتخابات العمومية الجارية في بلجكة . وفي ٢٦ نيسان صار افتتاح المعرض الدولي الفاخر الذي انشأتهُ مدينة غانْد . وفي ٢٨ أيار صادق مجلس النواب ثم وافقهُ الاعيان في ١٩ حزيران على مضاعفة عدد الجيش الوطني

(هولندة) في ٢٨ حزيران كان الفوز في الانتخابات العمومية لحزب الاحرار بعد ان كان في قبضة المحافظين من الكاثوليك والبروتستانت . وفي ٢١ ت٢ خطبت الملكة يوم عيد استقلال هولندة خطاباً مشعراً بثقتها في سياسة المبعوثين — ومما حكم به مجلس السلام في لاهاي ان ايطالية يجب عليها دفع ١٤٠,٠٠٠ فرنك لفرنسة كتعويض لتوقيفها المركبين الفرنسويين كرتاج ومانوبا في مدة الحرب الايطالية التركية ولتفتيشها دون داعٍ

(الولايات المتّحدة) أقيم في واشنغتون الرئيس الجديد على الولايات المتّحدة المسيو وودرو ويلسن مع كاتب اسرار الدولة المسيو بريان . وفي ١٠ ت١ صار تدشين خليج باناما فافجر رئيس الولايات المتحدة وهو في قصرهِ الحاجزَ الاخير بضغطهِ على زرّ كهربائي فانفتح الخليج ومرج الاوقيانسان وبعد ثمانية أيام اجتازت الباخرة لويز الخليج كلهُ وعلى ظهرها علية القوم وارباب الدولة — وقد سبق ان الولايات المتحدة انزلت الى البحر دارعة تُعدُّ من اكبر الدوارع الحالية

(المكسيك) قد ضربت الفوضى عليها اطنابها فان مادبرو رئيسها السابق رُمي بالرصاص في ٢٣ شباط . وفي ١١ ت١ الغى الرئيس هوارتا مجلس النواب والقى في السجن المعادين لسياستهِ وضبط السلطة لنفسهِ . الّا ان الحزب الدستوري نادى بالثورة واختار لهُ زعيماً الجنرال كرانزا واستولى على عدة اماكن وقتل اصحاب هوارتا ولشبت الحرب الاهلية بين الاهلين حتى ان الاجانب اصبحوا في خطر وارسلت الولايات المتحدة في اوائل تشرين الثاني اسطولاً حربياً لمحاصرة فيراكروز . والمظنون ان الولايات المتحدة تطمع في بسط حمايتها على المكسيك ومن المقرَّر انَّ هوارتا احدُ المستميتين في حرّية وطنهِ . والله اعلم كيف تكون خاتمة الامور

(هايتي) رأى السيّد نويل لسقف الجزيرة انَّ امورها عادت الى السكينة فاستعفى من الرئاسة وأبحر الى اوربّة في ٩ آذار

(الصين) كان افتتاح مجلس الجمهوريَّة الصينيَّة الجديد في ٨ نيسان. الَّا انَّ الثورة تفاقمت في تلك البلاد لاسيما بين الاقطار الشماليَّة الموالية للملكيَّة والاقطار الجنوبيَّة—وفي ٢٦ آب تمكَّنت الجنود النظاميَّة من فتح نانكين وكفّ ايدي العُصاة فيها—وفي ٦ ت ١ اختار مجلس النوّاب يوانشيكاي رئيساً للجمهوريَّة الصينيَّة. فأبطل الرئيس الجديد انتخاب النوّاب المعارضين لسلطته

بيروت في ٢٥ ك ١

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابرهيم حرفوش الرسل اللبناني

توطئة

لمَّا كانت سنة ١٨٩٩ في التاسع والعشرين من شباط اوفدنا غبطة ابينا السيد السند مار الياس بطرس الحويك السامي الاحترام الى سيادة المرحوم المطران يوسف دياب مطران حلب قصد القاء المواعظ مدة الصوم المقدَّس في كنيسة النبي الياس الكاتدرائيَّة الجديدة فقدمنا عليه في ٥ اذار عن طريق الاسكندرونة وقتما بما نُدبنا اليه ثم وطَّنا النفس على تقليب مجلدات مكتبة طائفتنا المحفوظة في التلّاية الاسقفيَّة واعتزمنا الَّا نريم موضعنا حتى نأتي على آخرها. وما كدنا نبدأ بالعمل حتى فاجأنا ما كفنا عن مواصلته فانصرفنا عائدين الى لبنان في ٩ نيسان آسفين على فوات تلك الفرصة الثمينة وبتنا مذ ذاك الحين نستطرف ملتمساً او مجازاً يمكّننا من العود الى تلك الربوع فننوز بما طالما علَّلنا النفس بنيله :

اخيراً قيَّض الله لنا ان نسير الى حلب ثانيةً في منسلخ سنة ١٩١٢ في ٥ من ك ١ لاحقين بسيادة الحبر الجليل المطران يوسف اسطفان المستشار البطريركي ورئيس مدرسة عين ورقة الموفد معتمداً بطريركاً على ابرشية حلب المترملة بفقد راعيها المثلث الرحمات المطران يوسف دياب وكانت مهمتنا هذه الآونة اشبه بالاولى.

(الصين) كان افتتاح مجلس الجمهوريَّة الصينيَّة الجديد في ٨ نيسان. الَّا انَّ الثورة تفاقمت في تلك البلاد لاسيما بين الاقطار الشماليَّة الموالية للملكيَّة والاقطار الجنوبيَّة—وفي ٢٦ آب تمكَّنت الجنود النظاميَّة من فتح نانكين وكفّ ايدي العُصاة فيها—وفي ٦ ت ١ اختار مجلس النوّاب يوانشيكاي رئيساً للجمهوريَّة الصينيَّة. فأبطل الرئيس الجديد انتخاب النوّاب المعارضين لسلطته

بيروت في ٢٥ ك ١

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابرهيم حرفوش الرسل اللبناني

توطئة

لمَّا كانت سنة ١٨٩٩ في التاسع والعشرين من شباط اوفدنا غبطة ابينا السيد السند مار الياس بطرس الحويك السامي الاحترام الى سيادة المرحوم المطران يوسف دياب مطران حلب قصد القاء المواعظ مدة الصوم المقدَّس في كنيسة النبي الياس الكاتدرائيَّة الجديدة فقدمنا عليه في ٥ اذار عن طريق الاسكندرونة وقتما بما نُدبنا اليه ثم وطَّنا النفس على تقليب مجلدات مكتبة طائفتنا المحفوظة في التلّاية الاسقفيَّة واعتزمنا الَّا نريم موضعنا حتى نأتي على آخرها. وما كدنا نبدأ بالعمل حتى فاجأنا ما كفنا عن مواصلته فانصرفنا عائدين الى لبنان في ٩ نيسان آسفين على فوات تلك الفرصة الثمينة وبتنا مذ ذاك الحين نستطرف ملتمساً او مجازاً يمكّننا من العود الى تلك الربوع فننوز بما طالما علَّلنا النفس بنيله :

اخيراً قيَّض الله لنا ان نسير الى حلب ثانيةً في منسلخ سنة ١٩١٢ في ٥ من ك ١ لاحقين بسيادة الحبر الجليل المطران يوسف اسطفان المستشار البطريركي ورئيس مدرسة عين ورقة الموفد معتمداً بطريركاً على ابرشية حلب المترملة بفقد راعيها المثلث الرحمات المطران يوسف دياب وكانت مهمتنا هذه الآونة اشبه بالاولى.

ادركنا حلب في مساء اليوم السادس منهُ وانصرفنا الى القاء الواعظ وسماع الاعترافات من اليوم التاسع حتى الخامس والعشرين من هذا الشهر. وفي اوائل العام الماضي سنة ١٩١٣ بدا لنا ما استدعى سفر احدنا الاب نعمة الله مبارك الى لبنان وقُضي عليَّ ان اعود معهُ لاشغال استدعت تعجيل سفرنا. فداخلني ما لم املك نفسي معهُ اذ كدتُ أعدم هذه المرّة ايضاً ما تشوّقتُ اليهِ لولا ان سيادة المعتمد البطريركي اوقفني وارانى كتاباً وفد عليهِ من غبطته أيده الله بهِ يصوّب رأي سيادة المعتمد ببقائي مدّة اخرى بخدمته في حلب ارتضاء ضمّ شتات اضابير الكرسي الاسقفي وتنسيقها ووضع فهرست وافر للمكتبة على طريقة تكفل حفظ كيانها وسهولة الاهتداء الى مضامينها لدى التنقيب عمّا يهمّ الاطلاع عليهِ. فسرّني عني وشكرت لغبطته وسيادته داعياً باطالة كريم بقائهما للدين وللعلم واخذت على نفسي القيام بهذه المهمّة بكل قواي

فولجتُ المكتبة وأجلت نظرًا عامًا فيها فوجدت مؤلفاتها مبعثرة لا تنطبق فهرسها على الفهرست الاخير الذي وُضع سنة ١٨٣٠ ناهيك عن الغبار الذي عشعش فيها. فبدأتُ ان استعين بمن يسعفني على ازالتهِ واستغرق هذا العمل المادّي بضعة ايام ثم اخذت في ما هو اهمّ وسطّرت جدولًا ذا سبعة اعمدة ذكرتُ فيها: ١ً نمرة الكتاب ٢ً عنوانهُ ومضمونهُ ٣ً مؤلفه ومترجمه ٤ً صفة خطّهِ ٥ً ناسخه وتاريخ النسخ ٦ً واقفه وتاريخ الوقف ٧ً ثمن الكتاب استناداً على ما هو محرَّر على صفحتهِ الاخيرة. ونُضّدت الكتب طبقاً لما هو مسطَّر في باطنه. وبهذه الطريقة افرزتُ المخطوطات عن المطبوعات وقسمت المكتبة الى قسمين كبيرين: المكتبة الشرقيَّة. والمكتبة الغربيَّة والاعجميَّة. والاولى الى مخطوطات ومطبوعات فبلغ عدد المخطوطات ٧٣٥ مجلدًا وقد اتفق ان كان للمؤلّف الواحد اكثر من نسخة. وبلغت المطبوعات الشرقيَّة ٣٠٠ مجلد تبتدئ من النمرة ٧٣٦ وتنتهي الى العدد ١٠٣٥ ومن هذه النمرة تبدأ المكتبة الاعجمية وهي عبارة عن ٣٣٢ مجلدًا باللغة اللاتينيَّة و٢١٩ باللغة الايطاليَّة و١٦٢ باللغة الافرنسيَّة

وبعد ان نضَّدت المكتبة جماء على هذه الصورة حاولتُ الانكباب على مطالعة المكتبة الخلية انما ابى الغبار الذي لصق بالرئة ان يدع العقل يقوم بمهمّتهِ على

ما يرغب اذ مُنيت بسعالٍ شديد اوقعني في هزال ذكّرني بقول الشاعر :

وبات وسادي ساعدٌ ثلّ لحمهُ عن العظم حتى كادَ تندو اشاجمُه

فجهدتُ ان اواصل المطالعة على ما بي من الوهن لان سيادة المعتمد نادى بالرحيل العاجل الى لبنان

فدوّنت ما دوّنتهُ ناقلًا الحوادث التاريخيّة المسطّرة على الهوامش ومثبتًا ما يناسب اثباتهُ من نصوص المؤلفات اظهارًا لحال واضعيها الى غير ذلك من الإفادات

ولمّا عرضتُ على بعض الاصدقاء ما دوّنتهُ بهذا الشأن وان يكن غير وافٍ بالمراد فاشار عليَّ ان اضمّهُ الى مقالاتي في المشرق فاعتزمتُ مع اعادة النظر في ما سطّرتهُ في حلب وامعنتُ فيه النظر بتروٍّ في زوايا حجرتي وذلك افادةً للمطالعين وتنشيطًا للباحثين فعسى مقالتنا هذه تنبّه الافكار الى ما في تلك المكتبة من النفائس فيسدّ الباحثون مواضع خللنا عاذرين ضعفنا سيما وقد تسهلت الآن اسباب البحث بعد ان دوّنّا جدولًا للمكتبة على ما وصفنا وخأفناه في القلّاية الاسقفيّة بين يدي سيادة حبرٍ جليل مشهود لهُ بالاجتهاد وحب الإفادة والاستفادة متّع الله به الطائفة زمانًا مديدًا واتاح لهُ ان يزيد في رونق هذه المكتبة تأسيًا بمن سلفه من سلفائهِ الكرام

تاريخ انشاء هذه المكتبة

قبل ان نبدأ بسرد ما يهمّ الاطلاع عليهِ من مخطوطات هذه المكتبة نرى من العدل والصواب ان نقدّم الكلام بذكر مؤسسي هذه المكتبة الافاضل

لقد أعجب التاريخ الماروني بالحبر جرمانوس فرحات اسقف الشهباء وذهب لهُ بعلمهِ واجتهادهِ ذكرٌ وصيت بعيد. على انَّ لهُ فيما هنا من المجلّدات العديدة التي استنسخها ووصفها وعرّبها والّفها لسهمًا عظيمًا فهو امام الاجتهاد الذي عني اول الجميع بجمع هذه النفائس فكانت من اثمن ما تركهُ ثم قفا اثره خلفاؤه الكرام نخص بالذكر منهم المثلث الرحمات المطران جبرائيل حوشب

ولحسن الحظّ قد وقع بين ايدينا كأس صغير الحجم صبرَ على غِيَر الايام حُفظ تحت نومرو ٢٤ بين اضابير الكرسي الاسقفي سطره المطران جرمانوس فرحات بخط يده الكريمة صدّره بصورة حرم يُنزّل بسارق المكتبة وضمّنهُ تعداد الكتب التي عثر

عليها في كرسي حلب سنة ١٧٢٥ واردف ذلك بتعداد الكتب التي اقتناها للمكتبة من تبرعات المؤمنين ثم ذكر ما اشتراه للمكتبة من ماله الخاص وعيّن الى جانب كل مجلد ثمنهُ في ذلك العصر وترى على معظم الصفحات الاخيرة او الاولى من مجلدات هذه المكتبة ذكر واقف الكتاب وثمن الكتاب على ما ذكرناه في الجدول الذي قدّمنا تفاصيل طريقة وضعه

وها انا ننقل ما كتبهُ هذا الاسقف بالحرف دون زيادة ولا نقصان وفيه ما يدلّ دلالةً لامعة على اعتبار السيّد فرحات لهذه الكنوز الادبيّة

جرمانوس رحمة الله اسقف حلب

الختم

وجه تحريره وموجب تسطيره

هو ان هذه الكتب المذكورة جميعها وقف مؤبد لكنيسة مار الياس كنيسة الموارنة في مدينة حلب وكل من يغيرها عن هذه الوقفية في اي نوع كان او استبدلها او اذن بذلك او اشار وطابق او لم يمنع عن ذلك وكان قادرًا على منعها او رضي وارضى في تغييرها وتبديلها وتبديدها ان كان كاهنًا فليكن مربوطًا بكلمة الرب العزيز سلطانهُ عن التصرف بكهنوته حتى يردّ كل شي منها الى وقفيتها المذكورة وان كان شماسًا او عاميًا او وكيلًا فليكن محرومًا مسخوطًا مرذولًا من الله ومن حقارتنا وليكن مقطوعًا من جسد الكنيسة الرومانيّة ويكون بيته مثل صادوم وعامورا ويذهب رزقهُ وينهدم بيته وتشحذ اولاده من ابواب الخلائق والويل لهُ ان رضي لنفسه ذلك. ولا يجوز لكل رئيس كهنة يقوم على هذه الرعية ان يبدد هذه الكتب الموقوفة لله ولمار الياس حلب لان لا حقّ لهُ فيها لكونه لم يكن هو الذي اوقفها من ماله ولا تعب في تحصيلها وليس هي من كده وسعيه فاذا بدّدها او غيّرها يكون بمنزلة لصّ سرق مال الله وقدّيسيه وهذا يعدّ من جملة سلب الالهيات ويكون القديس صاحب الوقف خصمه دنيا واخرةً بل يلزمه ذمّةً وشرعًا ان يزيد على هذا الوقف من ماله ويعمل كما عمل غيره ليكون العمار متصلًا في رعية المسيح ووقف الكنيسة.

حُرّر ذلك سنة ١٧٣١

وبلي هذا الحرم الصارم ما يأتي :

اني انا الحقير في رؤساء الكهنة لمّا أقمت اسقفاً على موارنة حلب في آخر تموز سنة ١٧٢٥ رجعتُ الى حلب رعيتي وجدت في مكتبة الكنيسة مار الياس التي هي كرسي رعيتي هذه الكتب المسطرة اسمازها امامك :

التوراة (طبع ٣ اجزاء)
تواريخ البيعة (طبع ج ٦)
المجمع الخلقيدوني مختصر (طبع)
الاباطيل (ج ٣)
تفسير القداس للبطريرك الدويهي (نسختان)
الحاوي الكبير (ج ٢)
الدرّ المنتخب
هدى الخطأة
رسائل بولس عربي بخط قبطي
خدمتان سرياني (طبع وخط) (نسختان)
مختصر رسائل المجمع الخلقيدوني (طبع)
انجيل ورسائل (طبع سرياني وكرشوني)
كتاب مبامر (كرشوني)
كتاب شرطونية (سرياني)
مسودّة برزنباو في علم الذمّة
كتاب مجمع تولينو في الذمة
الفردوس العقلي (نسختان)
مواعظ اثناسيوس الاورشليمي
كتاب الناموس (عربي)
في الصلوة العقلية
مجادلة الكندي
مواعظ كيريلس الاورشليمي (نسختان)
كتاب الدستالية
شحم كبار (نسخ ٤)
شحيمة صغيرة
كتب قداس طبع حديد (نسخ ٦)
اناجيل ورسائل (مفضضة نسخ ١٨)
كتابا قداس (مفضضان)
نبوّات (نسختان)
كتب صلوات سبّة الآلام (نسختان)
معيّدات صيفي (طبع نسخ ٥)
معيدات شتوي (طبع نسخ ٥)
صلوات احد القيامة وسبّة الحواريين وسبّة الميلاد (نسختان)
معيدات القديسين (خط نسختان)
كتب حسّايات (مفسّرة نسخ ٧)
كتب جناز (نسخ ٤)
كتب نوافير متعددة (خط)
نبوات للاعياد مطوّلات
كتاب احتجاج عن تهمات الموارنة لاسطفانوس الدويهي (انتهى)

ومجموع هذه الكتب ٩٣ كتاباً كما ترى فمن مطالعة هذه القائمة المسطّرة بخط المطران جرمانوس فرحات تعرف ما كانت عليه المكتبة سنة تسقيفه على حلب. ثم ان هذا الحبر اورد قائمة الكتب التي زادها على المكتبة وهاك كلامهُ ننقلهُ بالحرف :

« بيان الكتب التي استقناها جرمانوس اسقف حلب لكنيسة مار الياس من مال المسيحيين واسم الذي اوقف الكتاب في اوله :

مصابيح الدلاج
تفسير الرؤيا لابن المسأل
تفسير بشارة متى لفم الذهب (ج ٢)
شرف الدرا (ج ٢)
كليلة ودمنة
كتاب رسامات
مفردات في الطب
الدر المكنون
كتاب الاقتداء (بالمسيح)
رسومات جهم
بستان الدرام
الدرّ المنتخب ليوحنا فم الذهب
قانون ابن سينا
اغسل عربي (طبع)
كتاب وعظ
اخبار قديسين
سيرة فم الذهب ويوحنا الرحوم
كتاب الرموز
في آلام يسوع
شيئة (طبع عربي)
بوق السماء
شحم كبير (نسخان)
شحمات صغار (نسخ ٣)
سنكسار (كرشوني)
ميدات (خط سحتان)
صلوة الفرض مفسرة (نسخ ٤)
كتاب الاكليل
كتاب شرطونية (سحتان)
تكريسات (سحتان)
كتب قدام
كتاب عماد
مختصر مواعظ فم الذهب
فنقيط سبّة الآلام
(انتهى)

هذه هي الكتب التي ساعد بعضُ المحسنين ذاك الحبرَ المجتهد في اقتنائها المكتبة وسنورد وصف أكثرها في محله : ولننتقل الى ذكر ما اقتناه من ماله واوقفهُ على المكتبة مع تعيين اثمان تلك المؤلفات

قال رحمهُ الله :

بيان كمية الكتب التي اقتناها من ماله جرمانوس اسقف حلبُ واوقفها على كنيسة مار الياس كرسي اسقفيته وبيان كمية اثمانها وذلك من افتتاح سنة ١٧٢٥ فصاعداً . . .

كتاب توما اللاهوتي (يريد الخلاصة اللاهوتية كما ستذكر ذلك)	اسدي ٣١٥
ميزان الزمان	« ٠٠٦
تفسير المزامير (ج ٣)	« ١٣٠

الخ . وهرباً من الاطالة بسرد اسماء هذه الكتب التي ستاتي على وصف بعضها نقتصر فنقول :

انهُ ينتج من هذه القائمة التي دوَّنها هنا الحبر بخط يده انهُ أنفق ١٣٩٤٧ اي الف وثلاثمائة واربعة وتسعين اسدياً ونصف الاسدي على المكتبة من ماله والاسدي على ما افادنا البعض هو ريال بندقي من عملة مسكوكات البندقية عليهِ صورة اسد وكان يسمَّى ايضاً الارسلاني يساوي تقريباً الريال المجيدي في ايامنا او ثلاثة ارباعه على الاقل فتأمل ! وكان خلف جرمانوس فرحات الجهبذ المطران جبرائيل حوشب احد آباء المجمع اللبناني وهذا لم يدَّخر وسعاً في المحافظة على خطَّة سلفه وزاد في عداد المؤلفات ما اكتسبهُ ثناء الخلف وسترى ذكر اسمهِ مكرَّراً عند كلامنا على ما همَّ من المؤلفات التي نسخها بخط يده او استنسخها للمكتبة او اشتراها وما احرى بنا ان نقول في حق هذين الحبرين وغيرهما من محبي العلم ما قالهُ ابن سيراخ (٤٤ : ١٤) : اجسامهم دُفنت بالسلام واسماؤهم تحيا مدى الاجيال

في ما همَّ من الكتب الخطيَّة في هذه المكتبة

انَّنا نظمنا المكتبة على هذه الطريقة :

١ الكتاب المقدس وتفاسيره وما لهُ علاقة بهذا الموضوع وذلك من نمره ١ الى ٥٢
٢ المواعظ من نمره ٥٣ الى ١٠٤
٣ اللاهوت من ١٠٥ الى ١٧٩
٤ الفلسفة من ١٨٠ الى ١٩٢
٥ القوانين والمجامع من ١٩٣ الى ٢١٦
٦ الكتب الجدلية من ٢١٧ الى ٢٦٨
٧ الكتب الروحية من ٢٦٩ الى ٤٥٧
٨ المكتبة التاريخية من ٤٥٨ الى ٤٦٥
٩ الكتب اللغوية وما يتبعها من ٤٦٦ الى ٥٢٩
١٠ الكتب العلمية من ٥٣٠ الى ٥٤٤
١١ الكتب الشرعية والطبية من ٥٤٥ الى ٧١٨

فاذ المتَّ بما تقدَّم ذكرهُ فلنأت على ذكر ما يهمُّ الاطلاع عليهِ من هذه المؤلفات باصنافها ولنبدأ في الصنف الاول وهو الكتاب المقدس

الصنف الاول

الكتاب المقدس وما يلحق به

تحت نومرو ١ الكتاب الآتي وعنوانه :

« كتاب الانجيل الشريف الطاهر والمصباح المنير الزاهر ترجمة الشيخ المحقق والامام المدقق فريد دهرهِ ونتيجة عصره ابي المواهب يعقوب ابن ابي الغيث الدبسي

الماروني رفع الله مثواه وجعل الجنة مأواه امين » - وفي مقدمة الانجيل زادنا المترجم افادة بتعريف نسبه واصله بالعبارة الآتية : « اما بعد قال الشيخ الامام العالم العامل الاجل الفاضل . . . ابو الواهب يعقوب بن نعمة بن بطرس بن ابي الغيث الدبسي النحوي اللغوي الماروني مذهباً الطرابلسي اصلاً وجرثومةً الحلبي مولداً وموطناً »

وعلى اخره علّق الدبسي معجماً للالفاظ الغريبة التي استخدمها في هذه الترجمة وهو بغاية الاحكام . ويلي هذا المعجم قوله :

« قال المترجم غفر الله له ولوالديه واحسن اليهما واليه : هذا آخر ما سنح به لنا من حل الفاظه العربية واستعاراته العربية وقد اتيناها عصا النسيان ونادينا عليه بلسان الاعتذار هذا ما ابرزته القرائح الجامدة والفطن الخامدة لكن المرجو من مطالعيه والمتأمل فيه ان يسأل الله تعالى المغفرة لنا عما قدّمت ايدينا من المآثم واقدمت عليه من الجرائم لانه خير مسؤول وافضل مأمول ولله الحمد من قبل ومن بعد امين ثمّ : بلغ مقابلةً وتصحيحاً مع النظر والتحرير بحسب الامكان والاستطاعة والحمد لله دائماً :

نُقل وحُرّر عن نسخة المترجم عينها بمدينة حلب الشهباء في اليوم العاشر من تموز المبارك من سني الف وثمانمائة واربع وتسعين »

امّا الناسخ فقد انبأنا عن اسمه بعباراته الآتية :

« اتمّهُ يده الفانية الفقير اليه سبحانهُ وتعالى زخاريّا ابن الخوري مرقص الكاتب الملكي المذهب وكل من نظر في هذه الاسطر الحقيرة فليدعُ الى كاتبه بالمغفرة ليكون لهُ ذلك من الوعيد الصادق »

ثم افادنا الناسخ عن الرجل الذي استنسخهُ هذا الانجيل بقوله :

« وهو برسم الرجل الاجلّ المقدسي ميخائيل بن بولس المكنّى بابن البطق (١) من طائفة الموارنة منّاه الله به زماناً مديداً امين ولله الحمد »

ثم ان الكتاب المشار اليه انتقل ليد رجل اخر اشار اليه كاتب اخر حرر ما يلي على صفحاته الاخيرة :

« اتمّهُ يد التقدير الى مالك الرجل المحقق والفطن المدقق الشماس الياس بن ميخائل المكنى بابن قراعلي وذلك في تاريخ سنة ١٧٠٦ »

---

١) يريد بالمقدسي من حجّ القدس الشريف وعائلة بطق الكريمة لم تزل حتى الان موجودة في حلب ومنها الشاب الاديب صديقنا اميل افندي بطق الذي ضبط بالعلامات الموسيقية المزامير التي ترتّل في كنائسنا وسعى بطبعها حضرة الاب جرجس عزيز تحت عنوان قسطاس المزامير

واخيراً اشتراه للمكتبة السيد المطران جبرايل حوشب بثمن ١٢٠ اسدي واوقفهُ على المكتبة سنة ١٢٣٤ على ما هو محرر بخط يده على هامشهِ :

ولا تعجب من ان هذا الكتاب بيع بثمن ١٢٠ اسدياً : فخطُّهُ البديع المتقن واطاره الذهبي والنقوش البديعة المرسومة بماء الذهب على صفحاته وندرة وجود النسّاخ المتازين في ذاك الزمان اتصل ثمنه الى تلك القيمة فضلاً عن تجليده المحكم والمتقن . ولمّا رأينا غِيَر الزمان كادت تذهب بجلده اصلحناه وعملنا لهُ ظرفاً او غلافاً عند احد المجلدين لصيانتهِ

ويوجد في المكتبة الشرقيّة لحضرة الآباء اليسوعيين في بيروت نسخة من هذا الانجيل اشار اليها حضرة استاذنا الاب لويس شيخو (في المشرق سنة ١٩٠٤ ج ٧ : ٧٥—٧٦) واورد ما ذكره الدبسي في مقدمته عن الغرض الذي توخاه من هذه الترجمة فراجع ما دوَّنهُ حضرته هناك . ونقف عند هذا الحد مجانبة الاطالة وانما نورد لقرائنا الكرام مثلاً من هذه الترجمة ليحيطوا علماً بما كان عليهِ المترجم رحمهُ الله من المكانة في دقائق اللغة والامانة في النقل

الفصل الخامس من يوحنا (تقسيم الترجمة السريانية)

وفي اليوم الثالث كانت دعوة بقانا مدينة الجليل وامُّ يسوع حضرت هناك والمخلص وتلاميذه دُعوا الى الوليمة وكان الخمر لديهم معوزاً . فقالت للمخلص امهُ : ما للقوم راح . قال لها المخلص : مالي ولكِ ايتها الامرأة لم يبلغ وقتي بعد . فقالت امه للخدّامة : افعلوا ما يأمركم بهِ . وكان هناك ستة اجاجين من حجر قد وُضعن لطهور اليهود ويحوين اثنتين من جرار او ثلاث . قال لهم المخلص : املأوهنَّ ماء . فأترعوهنَّ . قال لهم : اغترفوا الان وكرنوا محضرين رئيس المجلس . فجاءوا بذلك . فلما ذاق رئيس المجلس ذلك الماء الذي صار خمراً ولم يكن يعلم من اي مكان هو والخدم كانوا يعلمون لانهم هم افرغوا الاجاجين ماء فدعا رئيس المجلس الصهر وقال له : ان كلاً من الناس يحضر الإسفنط بادياً واذا ما سكر المدعوون فيأتي بالمسطار وانت كنت بالخمر الانفس الى الان كاليّاً . هذه هي الاية الاولى التي عمل يسوع بقطين الجليل واعلن مجدهُ فآمن بهِ حوارييوهُ (١ (لهُ تتمة)

١) راجع في المشرق (٧ : ٧٦) مثالاً آخر من هذه الترجمة التي قال صاحبها في مقدمتهِ انهُ قفا آثار عبديشوع الصوباوي في ترجمتهِ المسجّعة معرضاً عن أسجاعها ونسخة مكتبتنا الشرقيّة نسخها المرحوم رزق الله حسّون سنة ١٨٤٤ عن هذه النسخة التي وصفها حضرة الاب ابراهيم حرفوش كما نصَّ عليهِ في آخر نسختهِ ومن النسخة الحليّة يتّضح ان معجم الالفاظ المشروحة في آخر الكتاب ليست لرزق حسّون بل هي للدبسي عينهِ ل . ش

الدّين القويم

نظر تمهيدي اجمالي في اركانه

للاب شارل ابيلا اليسوعي

١ الحدث الديني

قال المسيو ريناك في مقدمة كتاب له في تاريخ الاديان (١ ما تعريبهُ : « اي زمان واي مكان اعتبرتَ فيهما الانسان ألفيتهُ حيواناً دَيناً فانَّ ما عُرف عند الوَضعيين بالعاطفة الدينيَّة هو اعرق الصفات المتأصلة في الجوهر البشريّ ولم يبقَ احدٌ في يومنا هذا يذهب مذهب جبرائيل دي مُرتيليه (de Mortillet) وهتلاك (Hovelacque) القائلين بجهل الانسان الديانة في الطور الجيولوجيّ الرابع » اه

هذا ما أعلن به المسيو ريناك مع ما هو عليه من الآراء المتطرّفة في تاريخ الاديان ومن الميل الشديد عن كل ما يؤيد العقائد النصرانيّة . ومثلهُ رأياً المسيو غويو (Guyau) وهو من الوضعيين قال في الفصل الثاني من كتابه المعنون « لادينيَّة المستقبل » (l'Irréligion de l'avenir) ما تعريبهُ :

« من الامور المقرَّرة لدى المعاصرين من اهل النقد بعد ما اثبتهُ رُسكوف (Roskoff) والمسيو ريفيل (Réville) والمسيو جيرار دي ريال (Gérard de Rialle) في مؤلفهم انهُ لا توجد اليوم بقعة في الارض لا يدين سكّانها بديانة او خرافة . . . »

« وايضاً الت على وجود الدين حتى في الاجيال السابقة لتاريخ ادلّةٌ صريحة راهنة في الآثار الحجريَّة العاديَّة . ومنها المعابد والكروميلكات والأنصاب والمقابر والتمائم وزد عليها الحَلَقات القحفيَّة وهي حطامٌ من العظم فُصلت عمداً عن الجمجمة ربّما كانت مثقوبة قصد التدلية . فان عهد التديّن في البشر يرتقي الى زمن الحجر الصقيل . » اه

وعلى هذا الرأي قد اجمع اليوم ايمّة تاريخ الاديان ايًّا كان مذهبهم (٢

---

١) اسمهُ S. REINACH : Cultes, Mythes et Religions, *Paris*, *1905*.

٢) راجع ABBE DE BROGLIE : Problèmes et Conclusions de l'Histoire des Religions, *Paris*, *Pulois*, *Crellé*.- A. BROS : La Religion des peuples non civilisés, *Paris*, *Lelbielleux*.- Mgr. A. LE ROY : La Religion des Primitifs, *Paris*, *Beauchesne*.

فاذا ما تقصينا شعوب الارض في سالف الازمان او في وقتنا الحاضر وتصفحنا تواريخها واطلعنا على تقاليدها ونبأنا عن احوالها واطوارها وجدناها على اختلافها في المزاعم والعقائد والرسوم والعوائد تتفق في امور جوهرية ثلاثة (١ :

(اولاً) ليس من شعب الا ينسب فيه الخلف الى السلف بعض تعاليم اوّلية لا بدّ للجميع ان يعتقدوا ولو بما جاء منها صريحاً لا يختلف عليه لدى الأئمة. واخصّ هذه التعاليم يفصح عن العالم عموماً وعن جنس الانسان خصوصاً او اقلّهُ عن فئةٍ منهُ تجمعت في قبيلة او عشيرة. ويحور الدين جوهرياً اصل الكلّ ومآلهُ الى بيان من خالق الدنيا والبشر وكيف والى ما ينتهي امرُنا بعد الموت

(ثانياً) وثمّة ايضاً رسومٌ وسنن ذهبوا انّ واضعها او المنذر بوضعها انما هو ربٌّ تفرّد في ذاتهِ او تعدّد فاق على الانسان وتسامى كياناً ومنزلةً فقيّد ارادتهُ وعملهُ بها وتوعّدهُ بشديد العقاب إلمْ يسرْ على مقتضاها

(ثالثاً) يشعر الانسان طبعاً بضعفهِ وشقائهِ فيحاول التقرّب الى اللاهوت طلباً لنجدتهِ وتسكيناً لغضبهِ. وهو الغرض من الفرائض والمراسيم الطقسيّة التي لا تخلو منها دينة في المعمور فمنها ما هو ضربة لازب تُقيَّد بهِ حرّيّة الجميع ومنها ما هو مطلق لارادة الكلّ فهم مخيَّرون فيهِ يأتونهُ او يهملونهُ حسبما شاؤوا. ومنها ما هو مُشاع مباح الكلّ ومنها ما خُصّ بافراد دُعوا كهنةً او احباراً او شيوخاً او غير ذلك. والقصد من هذا كلهِ استعطاف العالم العلويّ على الارضيّ واحكام عرى الوصال بينهما وترتيب علاقات الطرفين

٢ حدّ الدين

واعلم انّ اتفاق الشعوب على هذه الاصول الثلاثة تتوقّف عليهِ نتيجتان خطيرتان يجدر بنا الاعراب عنهما : -

(النتيجة الاولى) اذا اردنا تأليف حدّ مجمل للدين بنيناه على الاختبار فقلنا : هو مجموع اعتقادات وشواعر ورسوم وطقوس واضعها وموضوعها معاً سلطانٌ يعدُّه

١) راجع مقالة الاب دي كرانميزون اليسوعي (De Grandmaison) في كتاب تاريخ لاديان لجامعهِ الاب اوبي اليسوعي ص٦و٧ (HUBY : Christus, *Paris, Beauchesne, 1912*)

الانسان سامياً متعالياً ويعدّ ذاتهُ تحت سيطرته مع انهُ يعتقد باستطاعته التقرُّب اليه والمداخلة معهُ. وان شئت قل بايجاز: الدين هو سير البشر بحضرة اللاهوت سواء عاشوا منفردين او ملتئمين في هيأتهم الاجتماعية (١)

ولدى المقابلة تتحقق انهُ لا فرق بين هذا الحدّ والذي اجمع عليهِ علماء الكنيسة اذ قالوا: الدين عبارة عن مجموع حقائق وفرائض تقوم على علاقات موجودة بين الله والانسان (١) . ولا بدع فانما وضعوا تحديدهم هذا استقراء لما حصلوا من الاختبار

٣ الدين طبع في البشر

واما (النتيجة الثانية) فهي ضرورة الدين وقد وضع فيها حضرة الاب لويس معلوف اليسوعي مقالةً في المشرق (١ : ١٦١) نحيل القارئ اليها (٢ وما كنا هنا لنعود الى هذا الموضوع لولا تبادر ما يؤيد ادلّة الكاتب المومأ اليهِ نتيجةً بديهيّةً تستخلص من الحدث الذي تحققناه مع ايمّة تاريخ الاديان ألا وهو شيوع الدين في كل زمان ومكان

والحق يقال ان ما شاع ودام وتعرّق في بني الانسان لا بدّ ان يكون مبنيًّا على الطبيعة متأصلًا فيها. وما اسّستهُ الطبيعة لا يكون عبثًا بل هو ضروريّ جوهريّ والّا كذبت الطبيعة وتضعضعت واسى الخلق تائهين في عالم الوهم لا يدرون الى ما يركنون

تصدق الطبيعة لا تكذب اذ تحدثنا بحنان الامّ على ولدها وحنين الغريب الى وطنهِ. تصدق اذ تدفعنا الى التحفُّظ بالحياة والمدافعة عنها والتذرُّع باسبابها من اكل وشرب ورُقاد وحركة وعمل وراحة: فلِمَ تكون كاذبة تموّه علينا اذ تحدو بنا الى الاعتقاد بالخالق والتعبُّد لهُ

فهي طبيعة الانسان بما ازدانت من العقل ترقى بهِ حثيثاً من المبروّات المنظورة

---

١) راجع الاب دي كراغازون في مقالتهِ المذكورة انفًا ص ٩ – وكتاب الخوري دي بروغلي في الدين والانتقاد ص ٣ – ٥٦ (ABBÉ DE BROGLIE : Religion et Critique, *Paris, V. Lecoffre*, 1906)

٢) راجع المشرق (١ : ١٦١) وكتاب الاب فيلمرس اليسوعي في الدين الموحى G. WILMERS, S. J. : De Religione revelata, *Ratisbonæ, Pustet*, 1907)

الى بارئها غير المنظور (فيرقى اليه العقل ويتحقق كونهُ حيًا عالمًا كاملًا يحق لهُ الاكرام وربًا ساميًا سنَّ ناموسًا يقضي العدلَ وصالحُ النفس ان يُطاع . وجوادًا يمنُّ على مستنجديهِ بالعون وطالبيهِ بالثواب . ودَيَّانًا عادلًا يقتصُّ من العصاة بشديد العذاب . فتتهيج في الانسان عوامل التديُّن من عبادةٍ لهُ تعالى وصلوة اليه ورضوخ لسلطانهِ ورجاء لعطائهِ ورهبة من غضبهِ ومحبَّة لجودتهِ وشغف بحسنهِ وجمالهِ

وهي هي الطبيعة قد خُصَّت بارادةٍ نبراسُها العقل تميل الى الخير وترغب فيهِ ولا ترتاح اليهِ الَّا ساميًا لا حدَّ لكمالهِ مصورًا في ذات الله الذي لم يغرس فينا حبَّ الخير الاعظم الَّا لانهُ هو غايتنا القصوى . فاذا لبثت الارادة على ما فُطرت عليهِ ولم تفسدها الاهواء السافلة قامت تميل بعواطفنا عن الخيرات الدنيئة التي لا تبلُّ لنا ريقًا ولا تسدُّ رمقًا . وتثير في القلب عوامل الشوق الى الخير الاعلى وتتذرع بالاهواء لتنهض بالانسان كلهِ فينافس اللاهوت عقلًا وفؤادًا . وادراكًا وشعورًا . وتأمُّلًا وصبابةً . ورجاء وخوفًا . ومحبة وشوقًا

وقصارى القول ان الدين طبعٌ في الانسان ولو لم يهبط عليه به وحيٌ من السماء لاستخرجهُ من معدن كيانه ولو ناقصًا عليلًا

الدين الصحيح وضعيٌّ موحًى واحد لا يتعدَّد

على انهُ في واقع الحال ليس في المعمور دين حريٌّ بالاعتبار بريءٌ من الخطأ الظاهر الصريح (كالإشراك فيه تعالى او الحلول) الَّا ما هو وضعيٌّ موحًى اقلهُ في زعم ذويهِ . فالموحدون كلهم يجزمون ان من لقنهم عقائدهم او لقنها زعماءهم وسلفاءهم انما هو الله . فاذا ما تحققتَ هذا استنتجتَ امرين :

(اولهما) ان الديانة الصحيحة هي في واقع الامر موحاة وضعيَّة . فقد قدَّمنا أنَّ ميل الانسان الطبيعي الى الدين لا يمكن ان يكون عبثًا ولا بدَّ لهُ من موضوع صحيح . والحال انَّهُ لا وجود لدين طبيعيٍّ صرفٍ يفي بالمقصود . فما بقي الَّا احدى الديانات الوضعيَّة لتشفي غليل الانسان وترويهُ عبادةً وتقى

---

١) راجع رسالة القديس بولس الى اهل رومية (١ : ١٨-٢٣) وسفر الحكمة (ف ١٣)

ولا غرو فانَّ الوحي الصحيح يفي الطبيعة حقَّها من التديّن ويزيد على حاجتها. فانَّ الناطق بهِ هو الله واضع الطبيعة. وهو إله حكيم صادق عرف جبلتنا فما انزل عليها وحياً الَّا موافقاً لها وان فائقاً عليها. ولم يكن ما اوحاه تعالى لينقض ما اقامهُ على اسّ الطبيعة. فذاك مضاف وهذا مضاف اليهِ ونسبة الواحد الى الآخر كنسبة الطعم الى المطعَّم. فكما ان الشجرة البرّيّة اذا ما أطعمتَها غصناً بستانيًّا وقيتها لم تُبطل لها طبعاً كذلك الوحي الالهي يُنير ويرفع الحِكَم الدينيَّة التي دلَّنا اليها نبراس العقل حتى يبلغ بنا شمس الحق الالهيَّة لا يضعضع للدين الحقيقي ركناً ولا ينقض اساساً

(الثاني) انَّهُ لمَّا كان تقدَّست اسماؤهُ الهاً حقًّا لا يَضلّ ولا يُضلّ وكان التناقض اصرح الحجج على الضلال والغرور فمن المحال ان يكون بين الديانات المدَّعية بالوحي الالهي غير واحدة صادقة صحيحة. فانها كلها بجميع ما تضمَّنتهُ وضَمِنتهُ لذويها من العقائد تنتمي الى الله عزَّ وجلَّ مُرشدًا ومعلّماً. هذا من باب. ومن آخر نرى بين تعاليم الديانات اختلافاً وتناقضاً وتضادًّا من واحدة الى اخرى ما هو اشهر من نار على علم. ومن الخُلف الظاهر ان يكون الله هادياً اليها جميعاً فالديانة الصحيحة اذًا هي موحاةٌ مُنزَّلة وضمنيَّة من وضع الله واحدةٌ لا تتعدَّد(١

٥ وجوب الايمان

ولكن اين هي الديانة الصحيحة وكيف الوصول اليها ؟

لعمري انهُ سؤال من الخطور بمكانٍ يهمّ الجميع ولا سيما من ارتاب في صحَّة معتقدهِ او اشتبه انَّ معتقد غيره ربَّما كان اصلح

ولا غرو فانَّ الوَحي الصحيح يستوجب الايمان. والايمان يقتضي التنقيب عن صحَّة الوحي

غنيّ عن البيان بعد ما قدَّمنا في وجوب الدين ان الله لا يُنزل الوحي عبثاً على بني الانسان. بل مرادهُ عزَّ وجلَّ ان يقيّد الارادة والعقل بما صرَّح بهِ من المراسيم والعقائد التي اوحى بها. هذا ما تجزم بهِ الديانات كلّها وبالاحرى الديانة الصحيحة وقد قدَّمنا انها جميعاً تحتم بوجوب التسليم بتعاليمها وهذا ايضاً ما يحكم بهِ فضلًا عن

١) راجع الاخاء المتين (ص ١١٠-١١٧و١٣١-١٣٨و١٦٧-١٧٦)

شريعة الربّ المُنزلة ناموسهُ الطبيعي الذي بثّهُ في افئدة عبادهِ . فان كان جلّ جلالهُ يقضي على الانسان ان يعظّم كمالاتهِ تعالى التي تشير اليها المخلوقات فكم بالاحرى يتطلّب منا ان نكرم صفاتهِ التي تنضّل واوقفنا عليها بذاتهِ متكلّماً واخصّها صدقه وحكمته المعصومة . فاذا تكلّم واوحى كان لسان حال وحيهِ مُرشدًا الى التصديق والاذعان بل منذرًا بوجوب الايمان . يقول عزّ وجلّ : كلّمتكم فصدّقوا . خاطبتكم فآمنوا . والّا فلمَ تفوني ما لعظمتي عليكم من حق التعظيم والاجلال . بل اهنتموني واستحققتم شديد عقابي

أفلا يكون استذلالًا منك واحتقارًا لشخص شهد لهُ الخاصّ والعام بالدربة والصدق وقد عرفتهُ انت مزدانًا باحمد الصفات حاذقًا عالمًا خبيرًا محنّكًا حسن السيرة والسريرة تزكّي اعمالهُ اقوالهُ ان ترفض شهادتهُ او تكفّ اذعانك لها غير مصدّق ولا مكذّب كأنك لا تُعيرها بالًا ؟ فكيف لا يستهين بالحقّ سبحانهُ وتعالى من تردّد في الايمان بقولهِ اذا ما حصحص لهُ ووضح ؟

يُصدّق العليل طبيبهُ اذا وصف داءهُ واشار عليهِ بدواء . يصدّق النزيل صاحب الفندق فيتناول من طعامهِ غيرَ مُرتاب . يصدّق المؤرّخ والقاضي الشاهدَ العياني اذا كانت شهادتهُ مزكّاة . نصدّق كلّ يوم وكل ساعة الكبيرَ والصغير القاصي والداني بل كل حياتنا قوامها على الايمان ببني جنسنا لا نستطيع ان نخطو خطوة لولا ثقتنا بهم . فكيف لا نؤمن بكلام الله وهو الشاهد العياني لكلّ امر لا يَضلّ ولا يُضلّ ؟

ومن ثمّ يتّضح لك ان الايمان ليس على ما يتوهّمهُ البعض ويتحاملون بهِ علينا فعلَ قرّةٍ جاهلة عمياء لا تفقه معنى ما تؤمن بهِ وتطأطئ الرأس خاضعةً بلا داعٍ صوابي . فكل مؤمن يفهم ما يقول اذا تلا قانون الايمان - وإلّا يُدرك ما للاسرار المتضمّنة فيهِ من التعليل والكيفيّة . اقول مثلًا : الله واحدٌ في طبيعتهِ ثلاثة في اقانيمهِ . فأفهم ما معنى هذه الكلمة « الله » مع عدم استيعابي لِكُنه الله كلّهِ . وافهم ايضاً ما المراد بالطبيعة والاقانيم وإلّا اعلَم كيف تقوم الثلاثة في طبيعة واحدة

كذلك لا أُصرّح بايماني عن سبب لا اعقله . فاني اومن بما اومن لأنّ الله الذي لا يغش ولا يُغشّ اوحاه اليّ

فلو فقه هذا حضرة الكاتب اميل زيدان او راجع ولو التعليم المسيحي الصغير الذي في ايدي اصغر طلّاب المدارس المسيحيّة لما كتب في الهلال (تشرين الاول ١٩١٣: ١٩): « الاعتقاد هو التسليم بفكر او رأي او مذهب بجملهِ وعلى علّاتهِ بلا دخل للقوى المُفكِّرة — بل بالرغم عنها ». ولا يدهشنّك تعاميهِ هذا عن الحقيقة فانهُ سبق وقال (في الصفحة نفسها): « قد بحث المُفكِّرون طويلًا عن المعرفة وطرقها ولهم فيها مذاهب وآراء شتى. ولكنهم اهملوا البحث في الاعتقاد واسبابهِ وقوّتهِ فالكتب في هذا الموضوع قليلة جدًّا » وما كان اولى بهِ ان يقول: « الكتب التي عثرتُ عليها انا او رضيتُ بتصفّحها . . . » فلو رام هو واتّسع لنا المجال لذكرنا لهُ في هذا الموضوع مئات من تآليف الآباء والملافنة والعلماء. فليراجع مثلًا المجلّد الاوّل من خطب الاب مونسابره الدومنيكاني (١ او دائرة معارف اللاهوت الكاثوليكي لجامنيا » فكان وما نجنو » عند لفظة Croyance لشارح مادّتها الاب هاران اليسوعي (٢ يرَ هناك من البحث ما يشفي غليلهُ ويسدّ خلّتهُ ويهتدي الى مؤلفات جليلة في موضوع الايمان والاعتقاد هي اكثر من ان تكفي لمطالعتها حياة الانسان. ولعلّهُ هو غالى في « التسليم بفكر ورأي ومذهب » مُرشدهِ الدكتور جوستاف لوبون المعروف بتحامله على الدين وقد قال (ص ١٨ في الحاشية) انّهُ اخذ الجزء الاكبر من مقالتهِ عن كتابه في الآراء والعقائد (Les Opinions et les Croyances). فجاءت معرفتهُ للاعتقاد طبق تحديدهِ لهُ. فهنيئًا لهُ

نعم يمكن الانسان ان يوصد في وجه الله الواحي باب عقلهِ فلا يعيره اذنًا صاغية او اذا اعارهُ يستطيع ان يُمسك عن التصديق والايمان. ومن اجل هذا فللارادة الحرّة ان تحمل اوّلًا العقل على التروّي في الكلام المُنزّل ليدرك معناه وفي السبب الداعي الى الانقياد اليهِ والاعتقاد بهِ. واذا تبيّن واتضح لها ان تأمر العقل بالايمان او ان تميل بهِ عنهُ لكنّ فعل الايمان عينهُ ليس للارادة بل للعقل فهو يقوم

(١ M.L. Monsabre O. P.: Introduction au Dogme Catholique, t. 1er, 2e éd., Paris, 1882, pp. 93-95

(٢ Vacant-Mangenot, Dictionnaire de Théologie Catholique, Tome III, Paris, Lelouzey, col. 2364-2396

بهِ وحدهُ وإنْ عن امره وشاورتهم . فهو وحدهُ يدرك مطرق الوحي والسبب الداعي الى الاعتقاد بهِ . فيقول المؤمن : ربي والهي اني أومن ايماناً ثبتاً بكل ما اوحيتهُ لانك انت الحقّ ولا تقول الّا صدقاً

٦ وجوب التنقيب عن صحة الوحي

ومن ثمَّ يتضح لك ايضاً وجوب التنقيب عن صحة الوحي . قلنا ان الداعي الى الايمان هو كلام الله . ولكن ترى هل في واقع الحال جرى لهُ تعالى حديث مع البشر ؟ هل خاطبهم كاشفاً لهم عمّا كمنتهُ ذاتهُ من الكمالات وما علمهُ من الاسرار وما قضت بهِ ارادتهُ من الاحكام ؟ هذا سؤال لا بدَّ للمرء ان يجيب عليهِ اكيداً قبل ان يتخطّى الى الايمان والّا كان انقيادهُ اليهِ عن عمًى لا عن صواب وصدقَ من رشقهُ بسهام اللوم قائلاً : انهُ انما آمن عن جهل لا عن فطنةٍ صادقة

قلتُ « الفطنة الصادقة » لا المكابرة فانَّ مقتضيات الفطنة من التأكيد في هذا الباب تتراوح درجاتٍ مع تفاوت عقول العباد . فكلٌّ حسبما قسم لهُ الله ذهناً وادراكاً . وما يتطلّبهُ الكهل العالم للحصول على اليقين بامر الوحي لا يتطلّبهُ الأمي او الولد الصغير

ولا تعجبنَّ من هذا فانَّ الفطنة لا تستوجب الّا ما ارادتهُ ومكّنت منهُ عناية الله . فانَّهُ سبحانهُ تعالى برأ عباده ورامهم متفاوتين صغاراً وكباراً علماء وسذّجاً واليهم جميعاً هو ذاتهُ وجّه كلامهُ المنزل . فلا يرضى الله ولا تتطلّب اذاً فضيلة الفطنة ان ينهجوا كلهم سبيلاً واحداً توصّلاً الى معرفة الحقائق الدينية

ولذلك قد تعدّدت الادلّة والبيّنات وتوفّرت الشواهد الصريحة للديانة الصحيحة فكلٌّ يتناول منها ما يناسبهُ

ومما يجعل التنقيب ضرورياً لا مندوحة عنهُ انَّ الله الذي يتطلّب الايمان من الجميع لم يخاطب كلًّا منّا تواً دون واسطة . لكنَّ هناك قوماً من الناس صرّحوا انهم اولياء اصطفاهم الحقّ سبحانهُ وتعالى فلقّنهم تعاليمهُ واتوا منذرين بها عن امره وحاملين الينا وحيهُ . فسبيلنا ان نبحث عن صحّة دعوتهم او ادعائهم فان ثبتت آمنّا بكلام الله المنقول على ألسنتهم والّا اعرضنا عنهم غير حافلين بمقالهم

فليس كلُّ من ادّعى النبوّة والولاية نبيًّا او وليًّا . فنهم والعقل المستقيم شاهدٌ

عليهم من عَلَم ناقضاً ومنقوضاً ناسخاً ومنسوخاً. وعلى هذا اصحاب الديانات الهندية مثلاً التي تذهب مذهب الحلول والتقمُّص. ومنهم والتاريخ شاهدٌ عليهم مَن غلبت عليهم الادواء العصبيَّة فظنُّوا وحياً من عند الله ما تراءى لهم من التخيلات أبان تشوّش قواهم العقليَّة تحت وطأة النوبات. فلم يخلُ جيلٌ الّا قام فيهِ نبيٌّ او نبيَّةٌ على هذه الشاكلة. ومنهم والتاريخ شاهدٌ عليهم ايضاً من لم يأتوا بحجَّةٍ على نبوتهم غير الضغط والقوة الجبريَّة يتوعدون بها موعوظيهم وينتكون بمن لا يدين بدينهم فمن سلموا من ضلالهم قلَّما سلموا من جورهم وعتوهم. ولك على ذلك امثال في تعدّيات المبتدعين الاريوسيّين على الكاثوليك في الجيل الرابع واضطهادات الالبيجيين (Albigeois) في عهد القديس عبد الاحد وغيرها كثير

٧ الصلوة أمُّ الايمان

فلا بدَّ اذاً للعقل ان يتبصَّر في الوحي واطوار حامليهِ الى العباد وكيفيَّة نقلهِ قبل ان يرضخ مسلّماً معتقداً

ولسنا نعني بقولنا هذا ان الانسان بقواه الطبيعيَّة وحدها غنيٌّ عن نعمة الله ومساعدتهِ ليسلك السبيل الى الايمان وتستقيم قدمهُ فيهِ. قال لاكُردار (١ : ٥ الايمان ليس فقط فعل العقل ولكن فعل الارادة ايضاً (وقد مرَّ بك انها هي تأمر العقل بهِ). والارادة هي قوة الحب في الانسان وكما انهُ يتدفَّق من العقل نهران نهر التعقُّل ونهر الايمان كذلك تتفجَّر الارادة ينبوعَين من المياه مياه الحب الطبيعي ومياه الحب الالهي. فذاك يلصق قلبنا بالعالَم المخلوق وهذا يعلو بنا الى غير المخلوق. ذاك يبعدنا عن الايمان وهذا يدفعنا اليهِ» ولا يخفى ما تلاقي الارادة من العقبات في سبيل التملُّص من حبّ العالم والتعلّق بالله فتحتاج من اجل ذلك الى معونة خصوصيَّة من لدن الربّ

كذلك لا يخفى ان الايمان اول وسائط الخلاص. والخلاص هو في بلوغ السعادة الابديَّة وهذه قد جعلها الله فائقةً على الطبيعة تقوم بمعاينتهِ تعالى وجهاً لوجه دون حاجز او فاصل. ولما كان لا بدَّ من التناسب بين الواسطة والغاية اقتضى ان يكون الايمان ايضاً فائقاً على الطبيعة لا يستطيع الانسان اليهِ ولا الى التأهب لهُ بمجرَّد ما

(١ (B. P. Lacordaire, Conférences de Notre-Dame, Paris, 1844. I, 263)

نُطر عليهِ من القوى الغريزيّة بل لا بُدَّ لهُ من عضد علويّ يفوق على طبيعتهِ وينالهُ المرء بالصلوة. قال لاكردار (١ :

« لمّا قتل اخيلسُ هكتور وسحب جثّتهُ سبعاً حول مدينة طرواذة المحاصرة اتاه في المساء عند مدخل خيانهِ شيخ اعزل: فاذا هو بريام (Priam) جاء يسأل ذاك الظافر الفاقد الرحمة جثمان ابنهِ . فلثم يده قائلاً: تحقّق ما المَّ بي من المصاب وقد لثمتُ يد قاتل ولدي. فبكى اخيلس وردّ جثة عدوّه هكتور. تُرى ايُّ قوة حطّمت قلب هذا العاتي. ايُّ سحر نتنهُ ؟ لعمرك هو التوسّل سطا عليهِ وسخّرهُ. فلو لم تلاقِ القوّة في الدنيا حاجزاً يوقفها عند الحدّ او لم يقم في وجهها الّا قوة تحاكيها لآل الامر بالبائسين والتعساء الى الهلاك. ولذا كان لله ان يخوّل البؤس قدرةً تُسقط السيف من اليمين وتطفئ سعير الغضب وتسوّي ما بين القوة والضعف من التفاوت. ألا وهي قدرة التوسّل والاستغاثة . هي سلطانة العالم اكتست ثوب الضعة والاستكانة وطأطأت الرأس رافعةً كفّ الضراعة فبسطت حمايتها على المعمور بقوّة الابتهال. تراها لا تفتأ تغدو وتروح من قلب الضعيف الى قلب المقتدر. وكلّما دنى مصدرُ انينها وسما العرش المتصاعد اليهِ توطّدت سلطتها. فلو استطاعت الحشرة تضرّعاً لأثارت في قلبك من الشفقة اشدّها وما سحقتها برجلك. ولمّا كان الله ليس اسمى منهُ كانت الصلوة اليهِ ايضاً ليس اظفر منها. الصلوة سادتي تُجدّد عرى الوصال بين الله والانسان هي تستمطر علينا صنيعه تعالى هي تغلبهُ غيرَ باخسةٍ بحريته . فهي اذاً امُّ الايمان

« ومن معترض يقول: أوليس من الواجب ان يسبق الايمانُ الصلوة وان كان على قولك لا بدَّ من الصلوة لهُ أفليس ثمة دورٌ. إي سادتي انهُ لدور. واخالني سبقتُ وقلتُ لكم ان العالم بعلمهِ يتقلّب في الادوار. ولكن هاكم كيف يتملص الله من دورنا هذا. تقتضي الصلوةُ ولا مشاحّة ان يسبقها الايمان في اوّل عهدهِ في بدء نشوئهِ. أوَ تدرون ما هو الايمان الناشئ ؟ انما هو الارتياب. الارتياب هو مبدأ الايمان كما الخوف هو مبدأ الحبّ. ولست اعني بقولي هذا السفسطائية المكابرة المعاندة التي يجمع تباعها بين الريب والجزم بوجوبهِ بلا تردّد وانما مرادي ذاك الارتياب الذي ربّما كان دأب الكثيرين من سامعيّ . فهو الارتياب الصادق الذي يحملهم على ان يحدّثوا النفس

١) في المجلّد ذاتهُ (ص ٦٧ وما يليها)

قائلين : لعلي بعد هذا كلهِ انا الذليل الخشيل من صُنع عنايةٍ تدبّرني وتسهر عليَّ ! . . عساني استطيع معرفة هذا لاله وحبهُ ! لعلَّ . . . وعسى . . ! ثقةً سادتي الارتياب الذي هو الايمان في اول نشأتهِ وانكم لتلاقون خرط القتاد درن قلع هذا الايمان الناشئ من افئدتكم لانهُ تعالى قيَّدها بهِ برباط من الماس

" فلجميعنا اذاً ايها السادة تتيسَّر الصلوة لانا جميعاً امَّا مؤمنون واما مرتابون . وكلٌّ منا حشرةٌ بنت يومٍ تائهة في ظل ذرَّة من العشب . يُجهد النفس في احتجاجات فارغة متسائلاً عن مصدرهِ ومآلهِ . أفلا نستطيع الهتاف قائلين : يا ذا الذي يرأني ايًّا كنتَ تعطَّف عليَّ وانتشلني من مخالب الريب والشقا . . فمن يعجز عن صلوة كهذه ؟ وأنَّى العذر لنا إلمَّ نسعَ في بناء الايمان على صخرة الصلوة ؟ » اه

٨ ادلَّة البحث العقليَّة

على انهُ قيل : كن مع الله ترَ الله معك . فانهُ جاءت حكمتهُ وإن منَّ تهتانًا بالعون الفائق على الطبيعة ابى ان نستغني بهِ وحدهُ عن التذرُّع بالوسائط الطبيعيَّة . وان هي في مقامنا هذا الَّا علامات وشارات يتبصَّر العقل فيها منارًا بالنورَين العلوي والغريزيّ معاً فيستطيع ان يميّز صحيح الوحي من فاسدهِ . ولذا سُميت هذه العلامات مميّزات او أقيسة (criteria) (١

وهي على نوعين داخليَّة وخارجيَّة . فالاولى تؤخذ من نفس التعليم المقال عنهُ موحًى فتريننا ما فيهِ من المطابقة للعقل المستقيم او عدمها وما لهُ من التأثير الحسن او الفاسد في حياتنا الادبيَّة . والخارجيَّة هي الآيات من معجزات ونبوءات التي تشهد بعصمة حامل الوحي . واليك الآن في كلٍّ منها كلاماً موجزاً وربما يتيسَّر لنا في غير هذه العجالة ان نفيها جميعاً حقها من البحث المفصَّل

أ العلامات الداخلية

هذه العلامات تُقسم قسمين فمنها سلبيَّة ومنها ايجابية

(فالسلبيَّة) انما تُفصح عن امكان الهية الوحي الذي انت في صدده او مُحالهِ .

١) راجع مؤلَّف الاب فيلمرس المذكور آنفاً (ص ١٠٦–١٦٨)
AD. TANQUERAY : Synopsis Theologiæ Fundamentalis, ed. 13ª, 1910, pp. 132-137

فان كان عارياً منها استنتجتَ فسادهُ واعرضت عنهُ والّا فلم تبلغ بعدُ بالبحث الّا حدَّ الحدس والتخمين. ترى ممكناً كون الله اوحى ما تتروّى فيه ولكن هل وحى في واقع الأمر ؟ هذا ما لا يكشف قناعهُ الّا باقي العلامات

ذلك واخصّ العلامات السابقة ثلاث: (اولها) العصمة من الضلال ان نظرياً وان ادبياً. وهي كون موضوع الوحي خالياً من كل ما يخالف صريحاً الحقائق الثابتة الراهنة لدى العقل والعلم. فمن المحال ان ينزل الحقّ سبحانهُ وتعالى وحياً بشيءٍ يضادّ هذه القضايا ومن ثمَّ كل ديانة تجزم بتعدّد الالهة او بموتة النفس او بعدم حرّية الانسان هي كاذبة ليست من وضع الله

على ان هذا لا ينافي كون الوحي وان صادقاً الهياً يحوي ما يفوق على العقل دون ان يناقضهُ. بل ما العجب اذا ما كان في الله الذي لا تُحصى صفاتهُ ولا حدّ لكمالهِ خواصُّ غامضة واسرارٌ خفيّة لا يدركها العقل بذاتهِ. وسيأتيك الحديث ضافياً في هذا الموضوع في مقالةٍ نفردها لهُ ان شاء الله

(وثانيها) خلوّ موضوع الوحي من التناقض. فمن البديهيّ ان الله لا يستطيع ان يعلّمنا ناقضاً ومنقوضاً او ان ينسخ وينفي اليوم ما صرح بهِ امس. هذا في الحقائق النظريّة التي (لمّا كان عمادها ذوات الاشياء) لا تتغير على الاطلاق. واما العمليّة اي المراسيم والشرائع الوضعيّة فيمكن الله ابدالها او نقضها ايضاً حسبما تقتضي الظروف وعنايتهُ الالهيّة. ما لم تكن آمرةً بما يستوجبهُ الناموس الطبيعي الذي هو مبنيٌّ على ذوات الكائنات. مثال ذلك ان الحق سبحانهُ يحسن ابدال تقديس الاحد من تقديس السبت ويحتمّ بذبيحةٍ اكمل واقدس بدلاً من اخرى ادنى منها. واما ان يأمر مثلاً بالتجديف على اسمهِ القدوس سواء نهى عنهُ من قبل او لا فتعالى ربُّنا القدوس عمّا يمسّ بكمال قدسهِ

(وثالثها) ان يكون حامل الكلام المنزل بريئاً ولو في عرضهِ اياه للبشر من وصمة المكر والخداع. فاذا أبان لك التاريخ ان صاحب ديانةٍ انما كان متكلّماً مخاتلاً يُداجي تبّاعه ويموّه عليهم بان يأتيهم اعمالاً تدهشهم لم يتوصّل اليها الّا حيلةً متذرعاً بوسائط خفيّة فاعرضْ عنهُ لانَّ الله قدوس يبغض الكذب لا ينتصر لهُ شاهداً

قلنا ان هذه العلامات لا تتجاوز بالمتروّي حدّ الحدس والتخمين. هذا ان اعتُبرت في حدّ ذاتها. واما اذا حوَت ديانةٌ ما من العقائد والمراسيم ما لا يقلّ عدده وازدانت في كل منها بهذه العلامات السلبيّة جميعاً نشأت عن هذا علامة جديدة ايجابيّة تقوم بالعقل ان لم يكن الى اوج التأكيد واليقين فاقلّهُ الى درجة الرجحان والاغلبية اذ لا يستطيع الانسان بمجرّد قواه العقليّة الغريزيّة دون عون ربّاني خصوصيّ ان يفقه الحقائق الدينيّة الضروريّة كلها مجموعةً مرتبة غير مشوبةٍ بالغرور والضلال (على ما سيتبيّن لك في كلامنا عن ضرورة الوحي)

واما (العلامات الداخلية الايجابيّة) فهي صفات لنفس محتويات الوحي تقوم شاهدةً لصحّته. من ذلك اذا الفيتَ تعاليمهُ توافق العقل مع انها تعلو بهِ وبالارادة الى المعارف والفضائل اسماها واشرفها. لا تهمل شيئاً من احتياجاتنا الادبية بل تنيلنا كل ما نهوى من الغايات المجيدة العليا

ولك في هذا الباب حجج اسطع ودلائل انطق اذا ما قرنتَ البحث بالمقابلة فان رأيت ديانةً فاقت على غيرها وسمت بما احتوتهُ من مدركات عالية ومطالب سامية وعوامل ادبيّة تحمل الانسان كلهُ ادراكاً وشعوراً وعاطفةً وحبّاً وتحلّق بهِ الى ما يسمو بهِ طبعاً ويشرف منزعاً وهي مع ذلك لا تنقض للعقل الصادق رأياً ثابتاً صريحاً ولا للطبيعة المستقيمة شرعاً اكيداً بل تفي بكل مقتضيات الانسان الادبية من غايةٍ سامية تستفزّ الارادة واسعافٍ علويّ ينشطها. فطبْ نفساً وقرّ عيناً فانك فزت بضالّتك المنشودة (١

٢ً واما (العلامات الخارجية) فقوامها الادلّة الناشئة عن الشواهد والآيات الالهيّة التي يصنعها بعون الله ناقل وحيه ورسولهُ. ومنها ما هو سلبيّ مرجعهُ الى صحّة عقل الوليّ وسلامة طويته مما تتحقّقُ منهُ انّ وَقْع كلام الله عليهِ ممكنٌ حريٌّ بالاعتبار. ومنها ما هو ايجابي بهِ تنجلي حقيقة وجود الوحي وتتيقّن. وهي المعجزات

١) راجع كتاب الخوري دي بروغلي في اركان الايمان المسيحي العقلية (Abbé de Broglie: Les Fondements intellectuels de la Foi Chrétienne, 1905
وفيهِ اتّبع المؤلف الطريقة المذكورة

والنبوات آيات باهرة لا يأتيها الا الله او من اخذ بيدهم . فمن المحال اذن ان ترد شاهدةً على الضلال والكذب

تلك هي علامات الوحي الصحيح اجمالاً . وقد عولنا بحول الله على استطلاعها في ابحاثنا التالية . هدانا الله الى ما فيه معرفته ومحبته سبحانه وتعالى (له تابع)

ميمر

في عيد ختانة الرب

للقديس كيرلس رئيس اساقفة المدينة المقدسة اورشليم

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

انَّ كتابات القديس كيرلس الاورشليمي تُعتبر عموماً كاجلّ الآثار النصرانيَّة واخطرها شأناً . ولاغرو فان هذا الرجل العظيم كان احد الاثار التي بها استضاء العالم النصراني في القرن الرابع بعد انتصار قسطنطين وظفر الكنيسة باعدائها . فكان مع القديس اثناسيوس الاسكندري ركناً متيناً للايمان المستقيم فردَّ مثلهُ غارات آريوس واشياعهِ وأدل مثلهُ ايضاً ان يصبر هدفاً لسهامهم فنفوه بدسائسهم مراراً من كرسيهِ لكنَّ اضطهاداتهم لم تردهُ الَّا نشاطاً في الدفاع عن كنيسة الله ومات اخيراً بين ابناء رعيتهِ بسلام سنة ٣٨٩ بعد ان دبَّر الكرسي الاورشليمي بكل حكمة وورع مدَّة ٣٦ سنة . وكان مولدهُ سنة ٣١٥

وقد خلَّف القديس كيرلس آثاراً جليلة تُعدّ من انفس المآثر الدينيَّة اخصّها ارشاداتهُ التعليميَّة (Catéchèses) التي جمع فيها باوضح بيان وافصح لسان كلّ تعاليم الكنيسة الموروثة من الرسل وهذه الارشادات تشهد الى يومنا بصحَّة الايمان الكاثوليكي ومعتقداتهِ التي كانت في اواسط القرن الرابع كما هي اليوم دون تغيير ولا تزييف

وقد سرَّنا انَّا وجدنا في كتابين من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة اثراً مجهولاً يُنسب الى هذا المعلّم العظيم ألا وهو ميمرٌ اي خطاب قالهُ في عيد ختانة الرب احببنا ان ننشره في بدء هذا العام الجديد الذي يُفتتح بعيد الختانة . والكتابان اللذان دوّن فيهما الميمر المذكور قد وصفناهما سابقاً في المشرق (٨ : ٤٢٤ و ٤٧١) وهما هناك موسومان بالعددين ٥٩ (ص ١٥٨ — ١٦٨)

والنبوات آيات باهرة لا يأتيها الا الله او من اخذ بيدهم . فمن المحال اذن ان ترد شاهدةً على الضلال والكذب

تلك هي علامات الوحي الصحيح اجمالاً . وقد عولنا بحول الله على استطلاعها في ابحاثنا التالية . هدانا الله الى ما فيه معرفته ومحبته سبحانه وتعالى (له تابع)

ميمر

في عيد ختانة الرب

للقديس كيرلس رئيس اساقفة المدينة المقدسة اورشليم

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

انَّ كتابات القديس كيرلس الاورشليمي تُعتبر عموماً كاجلّ الآثار النصرانيَّة واخطرها شأناً . ولاغرو فان هذا الرجل العظيم كان احد الاثار التي بها استضاء العالم النصراني في القرن الرابع بعد انتصار قسطنطين وظفر الكنيسة باعدائها . فكان مع القديس اثناسيوس الاسكندري ركناً متيناً للايمان المستقيم فردَّ مثلهُ غارات آريوس واشياعهِ وأدل مثلهُ ايضاً ان يصبر هدفاً لسهامهم فنفوه بدسائسهم مراراً من كرسيهِ لكنَّ اضطهاداتهم لم تردهُ الَّا نشاطاً في الدفاع عن كنيسة الله ومات اخيراً بين ابناء رعيتهِ بسلام سنة ٣٨٩ بعد ان دبَّر الكرسي الاورشليمي بكل حكمة وورع مدَّة ٣٦ سنة . وكان مولدهُ سنة ٣١٥

وقد خلَّف القديس كيرلس آثاراً جليلة تُعدّ من انفس المآثر الدينيَّة اخصّها ارشاداتهُ التعليميَّة (Catéchèses) التي جمع فيها باوضح بيان وافصح لسان كلّ تعاليم الكنيسة الموروثة من الرسل وهذه الارشادات تشهد الى يومنا بصحَّة الايمان الكاثوليكي ومعتقداتهِ التي كانت في اواسط القرن الرابع كما هي اليوم دون تغيير ولا تزييف

وقد سرَّنا انَّا وجدنا في كتابين من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة اثراً مجهولاً يُنسب الى هذا المعلّم العظيم ألا وهو ميمرٌ اي خطاب قالهُ في عيد ختانة الرب احببنا ان ننشره في بدء هذا العام الجديد الذي يُفتتح بعيد الختانة . والكتابان اللذان دوّن فيهما الميمر المذكور قد وصفناهما سابقاً في المشرق (٨ : ٤٢٤ و ٤٧١) وهما هناك موسومان بالعددين ٥٩ (ص ١٥٨ — ١٦٨)

و٦١ (ص ٤٠٤ – ٤٠٦) فقابلنا بينهما زيادةً لضبط وتصحيح بعض نصوصها. وقد سألنا احد الساطين العلم في اوربة الذي درس درساً خاصاً اعمال القديس كيرلس بان يفيدنا رأيهُ عن هذا الانر ايراه للمعلم المذكور او هو امبره منسوب اليهِ. وحتى الآن لم نتلقَّ جوابهُ في ذلك فاذا اوقفنا على رأيهِ عرضناهُ لقرَّائنا. وهذا المطلب معرَّب عن الاصل اليوناني المفقود تُشتمّ منهُ رائحة التعريب فاتقناه كما وجدناه لم نصلح منهُ الّا ما لا يُعبأ بهِ من اغلاط نحوية والفاظ مصحَّفة. وقد اعتمدنا خصوصاً على النسخة الموسومة بالعدد ٦١ وهي اشرف خطاً واحكم تعريباً واقرب الى الاصل كما يظهر

(404) ميمر في الختان

لابينا القديس كيرلس رئيس اساقفة المدينة المقدَّسة اورشليم قالهُ في ختانة ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

ها نحن نرى الجمع كثيرًا جدًّا والسامع نشيطاً والكنيسة مملوءة الّا انَّ المعلم ليس بغنيّ في المعرفة لكنَّ المعطي للانسان لساناً وفماً يرزقنا ايضاً معاني صالحة لانهُ قال بلسان النبيّ (مز ٨٠ : ١١) : «أوسع فاك فاملأهُ». ولأنكم قدمتم بنشاط الى هذا العيد السيّدي فلنعيّد عيدًا بيّناً بمصابيح زاهرة ولنأخذ في منظر الامور اللائقة بالله التمّة اليوم ونختصّ لذواتنا الامور الحقيقيَّة لامانة ومودَّة الله

وذلك انَّنا عاينا منذ يسير طفلًا موضوعاً في مذود الذي هو عمانوئيل مقمَّطاً ملفوفاً انمًا بشريًّا ومسبَّحاً تسبيحاً إلهيًّا من اجناد ملائكة مقدَّسين وهم الذين بشَّروا الرعاة بولادتهِ. والآن نشاهدهُ مطيعاً سُنن موسى خاضعاً لاوامر الناموس. امَّا لأيَّة علَّة فعل ذلك فقد أعلمنا بها بولس الكثير الحكمة قائلًا (غلاطية ٤ : ٤) : « انَّا لمَّا كنَّا اطفالًا كنَّا مستعبدين تحت حِجر استقصَّات العالم. فلمَّا حان (405) كمال الازمان ارسل الله ابنهُ مولودًا من امرأةٍ صائرًا تحت الناموس ليبتاع الذين تحت الناموس »

وهذا صار من اجل امرين. احدهما ليشتري المسيح بإكمال الناموس الذين هم تحت عقوبة معصية الناموس. والآخر لانهُ بطاعتهِ في كلّ الامور لوصايا الناموس وبخضوعهِ للشريعة شفى عصيان آدم كما قال الرسول ايضاً (رومية ٥ : ١٩) : « كما انَّهُ بمعصية انسان واحد صار الكثيرون خاطئين كذلك بطاعة واحدٍ يصير الكثيرون

صدّيقين » اي الذين آمنوا بالمسيح الإله . ولاجل ذلك دخل هو المُعتَق معنا في الناموس و« اتخذ صورة عبد » (فيلبي ٢ : ٧) « ليتم كلّ عدل » (متى ٣ : ١٥) . ومن اجل هذا السبب ايضاً اكمل الواجبات عن الذين كانوا تحت النير . وقد اراد في بعض الاوقات ان يؤدّي الجزية الى اصحاب الجباية (متى ١٧ : ٢٥—٢٦) مع انهُ كان بطبيعتهِ حرًّا بما انهُ ابن . فاذا ما ابصرتَهُ حافظاً للناموس فلا تشكّ في امرهِ ولا تعدُّ الحرَّ عبداً بل افتكر في عمق التدبير (406)

وهكذا فعل في ختانتهِ فانهُ قبلها في جسدهِ كالعبد ليحرّرنا من نير ناموس الختانة . امَّا انَّ الكتاب يقول انَّ المسيح خُتن فذلك واضح من قول لوقا (٢ : ٢١) وبهِ خُذل الذين يجحدون باقي سياستهِ وحقيقة بشريّتهِ فيقولون انهُ لم يأخذ بالحقيقة جسداً بشرياً وانما كان الهاً وُجد في شكل انسان ولم يكن انساناً ملموساً بل خيالياً . ولذلك جحدوا ختانتهُ . وكما انَّ دمهُ الطاهر مع الماء الذي سال من جنبهِ في وقت الصلب بارك الارض التي انسكبت عليها هكذا دمهُ في ختانتهِ وبشرتهُ بدنوّهما من الارض قدّساها لكنهُ في زمن قيامتهِ قام بكل جسده بغير نقص كاملاً تاماً

قال الانجيلي انهُ لمَّا حضر اليوم الثامن الذي فيهِ جرت العادة أن يُكمل الختان الذي بالجسد حسب رأي الناموس قبل الاسم الذي هو ايسوع الذي تفسيرهُ خلاص الشعب لأنَّ الله الآب لم يُؤثر ان يُدعى ابنهُ الخاص باسمهِ يوم وُلد بالجسد من عذراء لأنَّهُ في ختانهِ خاصَّةً صار خلاص الشعب وليس خلاص شعبٍ واحد بل كل الشعوب اذ خلّص افراد كل امّة وجميع من تحت السماء

ولقائل ان يقول فاذا كان امر الختانة هكذا يكمّل وبهِ قبل الربّ التسمية وتمم فرائض الناموس فلماذا لم يُفرَض علينا ان نختتن؟ فما هو الرمز في هذا؟ واي سرّ يُراد بهِ ؟ واي معنًى مخفيّ يوضح لنا قوّة ذلك (407)

هات الآن نبصر وننقّش ما رواهُ بولس المغبوط حيث قال (غلاطية ٦ : ١٥) : « انَّ الختانة ليس بشيء ولا الغُلفة » . فيتّفق ان يقول بعض المعارضين : ان كان التحفُّظ بالختان ليس بشيء لماذا امر بهِ الهُ الكلّ موسى وحدَّ عقاباً على مخالفتهِ؟ أُجيب لقائل هذا انَّ ما اوجبهُ الله من الفرائض في شريعة موسى وشعبهُ ليس هو بشيء وانما رسمهُ لسرّ الى ان يُعلن بالحقّ المكتوم . وذلك انَّ المسيح لمَّا قام من

الموتى بعد صلبهِ بثلاثة ايّام ظهر لرسلهِ في اليوم الثامن (١ ومنحهم الختان الذي بالروح اذ اوعز إليهم قائلًا (متى ٢٨: ١٨—٢٠ ومرقس ١٦: ١٥—١٦): « انطلقوا الى العالم اجمع وتلمذوا كل الامم وعمّدوهم باسم الاب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدان »

فانظر هنا الى قوّة السرّ ومجدِ المعطي لنا هذه المواهب لأنَّ الذي امر موسى بالختان في القديم هو ذاتهُ اتمّهُ بنفسهِ ليكمّل ما أمر بهِ . والذي اوصى ان يكون الختان في اليوم الثامن هو ايضاً امر بالختان الروحي في اليوم الثامن من قيامتهِ . والذي حدَّ عقاباً على من يخالف شريعة موسى ولم يختتن هو نفسهُ حدَّ ايضاً عقاب الدينونة على من لا يعتمد لانهُ انَّما اختتن ليكمّل الناموس العتيق ويُبطلهُ ثمَّ اعتمد وطرّق (مهّد) لنا السبيل المؤدّية الى الخلاص بكرازة الانجيل وشرع بالناموس الجديد وحقّقهُ كما يؤكّد ذلك يوحنّا الحبيب المتكلّم باللاهوت بقولهِ (يو ١: ١٦—١٧): « انّنا كلّنا من امتلائهِ اخذنا نعمةً بدل نعمةٍ لأنَّ الناموس بموسى أُعطي والنعمة والحقّ بيسوع المسيح صارا ». وكما انَّ يشوع بن نون لمَّا جلس بعد موسى في البرّيّة ختن الشعب بسكاكين صخريّة (يشوع ٥: ٢—٨) كذلك نحن فانّنا اذا عبرنا الاردنَّ يختننا المسيح بقوّة الروح القدس لا ليطهّر البشرة بل ليقطع دنس النفس ولذلك اختتن هو في اليوم الثامن بالجسد لنختتن نحن بالروح بواسطة المعموديّة المقدّسة وتسمّى ايسوع لانّا بهِ تخلّصنا (٢ (408)

فيا لهُ من تدبير عظيم عجيب ويا لعمق غنى وحكمة وسابق معرفة الله فانَّ الابن الذي هو في حضن الاب مساوٍ لهُ في الكرامة ومشارك في الازليّة والرتبة يتقدّم الى الختان كاحد العبيد مطيعاً وخاضعاً للرسوم الظلّيّة لكي بهِ وبذاتهِ يقدّسنا الله الآب ويحلّ عنّا هكذا الوصمة الحاصلة لنا بواسطة المخالفة الجدّيّة وينشلنا من وهدة العصيان الى الاستنارة بالنعمة الجليّة التي هي الامانة الحقيقيّة لأنَّ الله الآب سبق

١) ظهر الربّ لتلاميذهِ غير مرّة بعد قيامتهِ امّا منحهُ الروح القدس للرسل وبعثهُ لهم الى الامم فلا نعلم في أيّة دفعة تمّت فمن المحتمل انّها كانت في اليوم الثامن من قيامتهِ

٢) هنا في النسخة الموسومة بالعدد ٥٩ كلام طويل في دخول المسيح الى الهيكل لم تروه النسخة التي اعتمدناها لخروجهِ عن موضوع الختانة ولانهُ زيادة على الاصل

وبشر بانبياء قديسين ارسلهم في كل زمان بظهور الابن لكي يخلّص الضالّين وينير المظلمين كما قال على لسان احد الانبياء (اشعيا ٥١: ٦—٨): «سيقرب سريعاً عدلي وتنكشف رحمتي فاماً خلاصي فيُدعى كمصباح ورحمة» فعدل المسيح هو الذي به رُحمنا وتزكّينا واغتسلنا من وسخ الورى بايماننا به. وكما انّ المصباح يكون متقدماً امام الذين يسيرون في الليل والظلام هكذا صار المسيح ذاتهُ ضياء ونوراً للذين كانوا في الظلمة العقليّة ووضع لهم لاهوتهُ كنور وحكمة ولذلك كان الانبياء الصالحون يتضرّعون اليه ليجعلهم شركاء هذه النعمة قائلين (مز ٨٤: ٨): «أرنا يارب رحمتك واعطنا خلاصك»

فهذا النور الذي كان الانبياء يشتهون ان يروهُ قد ظهر في اواخر الازمان وصار هدىً للتائهين في الظلمة وحكمةً وخلاصاً للواقعين تحت سلطة المحال والذين كانوا يعبدون الخليقة دون خالقها ويسجدون لرئيس الشرّ التنّين اللعين. لكنّهم دُعوا من الله الآب الى معرفة الابن الذي هو الضياء الحقيقي لأنّ الله قد خلّص ما تحت السماء بواسطة الابن لكونهِ صار مثلنا كما كتب بولس الكثير الحكمة قائلاً (١ طيم ٢: ٥): «انّ الله واحد والمتوسّط بين الله والناس واحد ايسوع المسيح الذي بذل ذاتهُ فداء عنّا والحدر طوعاً من اجل ضعفنا ليغنينا بفقرهِ وضعتهِ». وقال ايضاً في موضع آخر (افسس ٢: ١٣): «انتم الذين كنتم قديماً بعيدين قد صرتم الآن قريبين بدم المسيح». وقال ايضاً من اجلهم (409) الله الآب (عبر ٨: ٩—١١): «اني ازيدهم بالرب إلههم وباسمهِ يتفاخرون قال الربّ» وبهذا يعلّم صاحب الزبور قائلاً كن يناجي مخلّص الكلّ: (مز ٨٨: ١٧): «يا ربّ بضياء وجهك يسلكون وباسمك يبتهجون طول النهار وبعدلك يشتغلون لأنّك انت فخر قوّتهم» وقال ايضاً على لسان اشعيا (زكريا) النبيّ (١٠: ٨—٩): «اني اعلمهم واقبلهم ويتكاثرون والذين في البعد يذكرونني». وتجد النبي ارميا صارخاً ايضاً الى الله وقائلاً (١٦: ١٩—٢٠): «انت يارب قوّتي ومعونتي وملجإي في يوم حزني اليك تأتي الامم من اقطار الارض ويقولون: باطلاً اتّخذ اباؤنا الاصنام التي ليست فيها منفعة» وان كان بقي منهم نفر تائهين وعاصين وذهنهم مملوء من عدم الفهم لكنّ البقيّة قد خلصت بل كثيرون نهضوا». اعني الذين قبلوا الايمان وارتقوا من العبادة الناموسية الى

الروحيَّة وعوضاً عن روح الضلالة الذي كان فيهم اضحوا شركاء الطبيعة الالهيَّة وأهلوا لمقام النبوَّة مترجين ان يقتنوا المدينة العالية اعني ملك السماء بتعطف الاهنا وفادينا يسوع المسيح الذي له ولابيهِ ولروح قدسهِ المجد والتسبيح الآن والى الابد امين

الأعياد الأرمنيَّة

لحضرة الاب بولس عريس الارمني الكاثوليكي

قد افاضت الجرائد في وصف الاعياد التي احتفلت بها الملل الارمنيَّة مؤخرًا وذلك تذكارًا لحادثين جليلين نهجا للأمة الارمنيَّة طريق الحياة العقليَّة ونظماها في عداد الشعوب المتمدنة نريد بهما وضع الكتابة الارمنيَّة في القرن الخامس وطبع اوَّل كتاب ارمني في القرن السادس عشر . فاقبل الارمن المنبثون في كل اقطار المعمور حتى في جهات اميركة واليابان وجزائر اوقيانية فضلًا عن بلاد الارمن واقاموا المواسم الشائقة وألقوا الخطب البليغة المفعمة بشواعر الوطنيَّة واشادوا بمفاخر تاريخهم واطرأوا خصوصاً البطريركين العظيمين مسروب وسهاك (اسحق) اللذين رفعا منار أمتهم

وقد جاءت هذه الافراح في قلوب الارمن كبلسم ضمَّد نوعاً جراحهم وعزَّاهم عمَّا نال اخوتهم في هذه المدَّات الاخيرة من المحن المتواليـة التي اذاقتهم ضروب البلايا من سَلب ونهب وقتل وضرب . فصرَّحوا في وجه العالم بانَّ امَّتهم وان كانت صغيرةً لا ترضى بالموت وهي غنيَّةٌ بالمآثر شديدةٌ بالعزائم بل تريد ان تحيا شريفةً عزيزة

وكان يودّ الارمن ان يجعلوا لهذه الاعياد مسحةً تتناول جميع مفاخرهم الوطنيَّة لكنَّ الاحوال قضت عليهم بان يقصروا انظرهم على لغتهم ومآثرها الدينيَّة والتاريخيَّة فجعلوها كمحور آمالهم ومعتمد حاضرهم ومستقبلهم فخصُّوا هذه المواسم اوَّلًا بتذكار وضع القديس مسروب للقلم الارمني وثانياً بذكر اوَّل اثر طبعيّ نُشر بهذه اللغة

الروحيَّة وعوضاً عن روح الضلالة الذي كان فيهم اضحوا شركاء الطبيعة الالهيَّة وأهلوا لمقام النبوَّة مترجين ان يقتنوا المدينة العالية اعني ملك السماء بتعطف الاهنا وفادينا يسوع المسيح الذي له ولابيهِ ولروح قدسهِ المجد والتسبيح الآن والى الابد امين

الأعياد الأرمنيَّة

لحضرة الاب بولس عريس الارمني الكاثوليكي

قد افاضت الجرائد في وصف الاعياد التي احتفلت بها الملل الارمنيَّة مؤخرًا وذلك تذكارًا لحادثين جليلين نهجا للأمة الارمنيَّة طريق الحياة العقليَّة ونظماها في عداد الشعوب المتمدنة نريد بهما وضع الكتابة الارمنيَّة في القرن الخامس وطبع اوَّل كتاب ارمني في القرن السادس عشر . فاقبل الارمن المنبثون في كل اقطار المعمور حتى في جهات اميركة واليابان وجزائر اوقيانية فضلًا عن بلاد الارمن واقاموا المواسم الشائقة وألقوا الخطب البليغة المفعمة بشواعر الوطنيَّة واشادوا بمفاخر تاريخهم واطرأوا خصوصاً البطريركين العظيمين مسروب وسهاك (اسحق) اللذين رفعا منار أمتهم

وقد جاءت هذه الافراح في قلوب الارمن كبلسم ضمَّد نوعاً جراحهم وعزَّاهم عمَّا نال اخوتهم في هذه المدَّات الاخيرة من المحن المتواليـة التي اذاقتهم ضروب البلايا من سَلب ونهب وقتل وضرب . فصرَّحوا في وجه العالم بانَّ امَّتهم وان كانت صغيرةً لا ترضى بالموت وهي غنيَّةٌ بالمآثر شديدةٌ بالعزائم بل تريد ان تحيا شريفةً عزيزة

وكان يودّ الارمن ان يجعلوا لهذه الاعياد مسحةً تتناول جميع مفاخرهم الوطنيَّة لكنَّ الاحوال قضت عليهم بان يقصروا انظرهم على لغتهم ومآثرها الدينيَّة والتاريخيَّة فجعلوها كمحور آمالهم ومعتمد حاضرهم ومستقبلهم فخصُّوا هذه المواسم اوَّلًا بتذكار وضع القديس مسروب للقلم الارمني وثانياً بذكر اوَّل اثر طبعيّ نُشر بهذه اللغة

١ وضع الكتابة الارمنيَّة

ليس في تاريخ الارمن واقعٌ بلغ تأثيرهُ في أمّتهم كوضع القديس مسروب للقلم الارمني

كان الارمن قبل ذاك العهد جيلًا كبيرًا اصولهُ ضائعةٌ في ظلمات التاريخ كما تدلّ عليه آثارهم الهيروغليفيَّة المنقورة على صخور بلاد ارمينية ولا سيما حصن مدينة « وان » ثم آثارهم في كتابات اهل ماداي . امّا بعد فتوحات الاسكندر فآثروا الحروف اليونانيَّة والحروف السريانيَّة لتدوين آثارهم

ثمَّ ظهرت النصرانيَّة في بلاد الارمن في القرن الرابع بعد المسيح فكان اهل الشمال والغرب منهم يكتبون لغتهم الارمنيَّة بالقلم اليوناني امّا اهل الجنوب فجرى عندهم استعمال القلم السرياني . وكانت الكتابة قليلة الانتشار بينهم لا يعرفها الّا بضعة افراد ممَّن درسوا اليونانيَّة والسريانيَّة . فناهيك بذلك خللًا في رفع شأن الأمة ورقيّها لعدم وجود وسيلة كافية بحفظ آدابها اللسانيَّة ومآثرها الوطنيَّة . والدليل عليهِ انَّ ما بقي من آثار اللغة الارمنيَّة قبل القرن الخامس لا يكاد يُعبأ بهِ

وزِدْ على ذلك انَّ بلاد الارمن كان موقعها بين دولتين عظيمتين فكانت في وسطها كساحة وغًى ودار حرب متواصلة اعني الرومان والفرس ولكلتا الدولتين ما لها من النفوذ والقوَّة والآداب الراقيـة فذلك كان يعرّض ارمينية الى الفناء والاضمحلال سواء كان النصر لقياصرة رومية او لدولة الفرس

ففي تلك الظنون ارسل الله القديس غريغوريوس المنوّر الى الشعب الارمنيّ ليهديهُ الى الايمان المسيحيّ فتنصَّر على يدهِ الملك طريدات وتبعهُ كثيرون الّا انَّ النصرانيَّة لم تعمّ كل انحاء الارمن بل وجدت في كهنة الاصنـام وانصار الوثنيَّة قومًا عارضوا الدين المسيحي طـاقة جهدهم حتى اضطرَّ الملك طريدات ان يستعين بكل قواه لكسر شوكتهم فنازهم وقهرهم كما افاد اقدم مؤرخي الارمن الكاتب اغاثنج

غير انَّ انتصار النصرانيَّة لم ينفِ تمامًا الحزب الوثنيّ فانَّهُ بقي على معاداتهِ لدين المسيح ولاسيما للعنصر الروماني الذي كان اصاب قصب السبق بفوز النصرانيَّة فجمع

الحرب المركز الى الحزب الفارسي وكان الفرس وقتئذٍ من دولة بني ساسان وملوكهم فبعد ان تساهلوا مدةً مع النصارى واطلقوا لهم الحرّية في أيام اضطهادات القياصرة انقلبوا عليهم بعد تنصر قسطنطين واثاروا عليهم اضطهادات شديدة يقشعر البدن لتفاصيل اصنافها . فانعكس صدى هذه الاضطهادات الى بلاد الارمن وحرت حروب كانت فيها الدولة حيناً للحزب النصراني الموالي للرومان وحيناً للحزب الوثني المتنصر للفرس . ودامت تلك الحال نحو خمسين سنةً لم تعرف ارمينية فيها السلام

فلمّا ملك تردوسيوس الكبير رأى في هذه الحروب المتواصلة عبئاً ثقيلاً على الدولة فصالح الفرس على ان يجعل لهم قسماً كبيراً من ارمينية شرقاً وجنوباً ويبقي للرومان جهاتها الشمالية والغربية . فمنذ ذاك الحين كان النصر حليف النصرانيّة في هذه الاقطار الرومانيّة الّا انّ الارمن لدى امتزاجهم بالعنصر اليوناني فقدوا كغيرهم من امم آسية الصغرى استقلالهم ولغتهم وآدابهم الوطنيّة تغلّب اليونانيّة عليهم فاضحت طقوسهم يونانيّة وتهذيبهم يونانيّاً ومعاملاتهم يونانيّة

امّا الجهات الخاضعة للفرس فان الملوك الساسانيين لم يضغطوا عليها في اوّل الامر واكتفوا بطاعة اهلها لحكمهم فاختاروا للارمن ملكاً من سلالة ملوكهم . الّا انّ هذه السياسة السلميّة لم تكن لتدوم زمناً طويلاً فان الارمن بتنصّرهم كانوا يعرضون عن مجوسيّة الفرس وآدابهم فيبدلونها من الآداب النصرانيّة اليونانيّة

وكان رسول الارمن نفسهُ القديس غريغوريوس المنوّر تمكيناً لروح الدين بين المتنصّرين انشأ المدارس العديدة لتخريج الشبيبة الارمنيّة فكان الاحداث وبينهم ابناء كهنة الاصنام القدماء يتعلّمون اللغتين اليونانية والسريانيّة وينشأون على آدابها . وعلى ذلك جرى رهبان الاديار التي شيّدها

ثمّ خلفهُ في البطريركيّة ابناؤهُ فتعقّبوا آثارهُ ولزموا خطّتهُ حتى قام القديس نرسيس الكبير فاستنفد كتانة الجهد في استئصال بقايا الوثنيّة من بلاد الارمن فلم يجد طريقة افضل لبلوغ غايتهِ من توفير المشروعات الخيريّة فانشأ المستشفيات والمآوي للايتام والمرضى والخانات للمسافرين واهتمّ خصوصاً بتشييد الأديار الرهبانيّة والمدارس لتهذيب الناشئة حتى انّ ارمينية اضحت على قول احد قدماء المؤرخين كجماعة رهبانيّة

القديس مسروب واضع الحروف الارمنية

لكنَّ كل هذه الاعمال الخطيرة كادت ان تفنى بموت القديس نرسيس (نحو سنة ٣٧٣ م) لأنَّ تلك المشروعات ما كانت لتثبت الّا بنفقات طائلة ومبالغ من المال وافرة. ثمَّ انَّ زوال الوثنيَّة لم يزل نامياً وكان الشعب وقسمٌ من امرائهِ قد حفظوا كثيراً من خرافاتهم وعاداتهم القديمة الفاسدة فكان الكهنة يقضون الساعات الطوال ليلقنوهم مبادئ الدين فلا يكاد كلامهم يؤثر في عقولهم الغليظة واذا سنحت لهم الفرصة نبذوا النصرانيَّة ظهريًّا وانقلبوا على دُعاتها فتجري من جرّاء ذلك المنازعات والفتن والثورات حتى عُدَّ الداء عُضالًا لا ينجع فيهِ دواء. الّا انَّ الدواء كان قريباً والطبيب الذي قيَّضهُ الله لشفائهِ كان حاضرًا وإنْ هو الّا القديس مسروب الذي عالج ذاك الداء فاستأصل شأفتهُ كما سترى

*

وُلد مسروب في دارون احد املاك الاسرة الشهيرة المعروفة بالماميغونيين وكان الولد ابناً لفلّاح من قرية هاتسيفانس فاحسن ابوه تربيتهُ وجعلهُ في احدى المدارس التي انشأها القديس نرسيس فأحكم فيها درس اللغتين السريانية واليونانيَّة ثم عاد الى وطنهِ في اقليم اراراط واكتتب في الجنديَّة. لكن معارفهُ ألفتت اليهِ نظر الملك خسرو الثالث (٣٩٦ — ٣٩٩) فجعلهُ كاتب اسرارهِ فمهَّدت لهُ هذه الرتبة السبيل الى معرفة احوال البلاد والى الاختلاط بوجوه الدولة واقترب من البطريرك القديس اسحاق الكبير (٣٩٠ — ٤٣٩) . فلمَّا عرفهُ القديس احبَّهُ لعظم فضلهِ وتقاهُ فتوثقت عُرى الوداد بينهما . والمرجَّح ان براءة حياة البطريرك المذكور وامثالهُ الصالحة اثَّرت في مسروب وحملتهُ على الزهد بالعالم

فانتظم بعد حين في سلك رهبان احد الاديار وانعكف على اعمال البرّ وضروب التقشفات. الّا ان غيرتهُ الملتهبة لصالح وطنهِ دعتهُ بعد حين الى التماس الوسائل الكافلة برجوع الارمن الوثنيين الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة فانشأ جماعةً من المرسلين وضمَّ قوى الكهنة المتفرّقين في انحاء الارمن لكي ينتصروا على الشرك باتفاق الاراء وجمع الكلمة

واختار مسروب لنفسهِ ولبعض رفقتهِ الرهبان قسم البلاد الاشدّ احتياجاً الى الدين فذهب الى جبال سيونيك وأرتاخ القفرة الوحشيَّة ليدعو اهلها الى الدين.

وكان هناك قبائل همجيَّة لا ترضى بالدعوة النصرانيَّة الَّا انَّ فئة من الجند سارت بامر الملك في صحبة اولئك الدُّعاة ليكفُّوا عنهم اذى الجبليين وفظاظة طباعهم. وبذلك استطاع مسروب ورهبانهُ ان يباشروا اعمال الرسالة بينهم ولم يدخروا الوسع في اكتساب ثقتهم بالتحبُّب اليهم وخدمة مصالحهم. على انهم كانوا يجدون في تلك القلوب الشرسة والعقول الجامدة ما كاد يؤيسهم من تنصيرهم ففكَّر مسروب في طريقة تنالهُ غايتهُ من زرع الايمان في قلوب اولئك الفُتاة فلم يجد وسيلةً اجدر من تهذيب الاحداث بانشاء المدارس وذلك في اللغة الوطنيَّة

فعاد مسروب الى قفارشاباد حاضرة الدولة واجتمع بالقديس اسحاق البطريرك صديقهِ القديم وهو ارسخُ الارمن قدماً في المعارف ففاوضهُ في الامر طويلاً وطلب منهُ حلًّا لمشكلهِ وكيف يستطاع نشر الدين باللغة الوطنيَّة. وكان الملك في ذلك الوقت على الارمن بهرام شابوح (٣٩٩ — ٤٢٠) وكان رجلاً عاقلاً محبًّا للعلوم فعلم بمقصود مسروب واثنى على همتهِ وافاده ان في مدينة الرها اسقفاً سريانيًّا يدعى دانيال كان يعرف الكتابة الارمنيَّة القديمة فلعلهُ يستطيع ان يأخذها عنهُ ويلقنها احداث الارمن

فارسل مسروب من وقته ساعياً الى دانيال يطلب منهُ حروف تلك الكتابة فلما وصل الجواب ووقف عليها شرع يدرس تلك الحروف حتى اتقنها ثم جعل يدرسها الاحداث فعلَّمها مدَّة سنتين بكل همَّة وثبات. على انَّهُ ما لبث ان وجدها مخلَّة لا تفي بالغرض المقصود ولا تصوِّر الاصوات الارمنيَّة كلها. فاقفل المدرسة وجعل يبحث عن طرائق اولى بالمرغوب. ثم خرج مع بعض تلامذتهِ الاحداث فسافر الى الرها وادخل قسماً منهم في مدرسة تلك المدينة الشهيرة ليتخرَّجوا فيها على الآداب السريانيَّة ثم واصل هو سفره مع بقيَّة تلامذتهِ الى سُنياط حيث كانت مدرسة يونانيَّة عامرة عهد الى اصحابها بتهذيب تلك الفئة الباقية

اما القديس فكان لا يكفُّ عن البحث والتنقيب والتجأ الى الله بالصلاة الحارَّة والسهر ليلهمهُ الرب ما يعينهُ على خلاص الارمن. وبينما كان يوماً غائصاً في هذه الافكار وهو يذرف الدموع السخينة امام الله ليكفيهُ هذه المؤونة اذ حظي كما رُوي بشبه رؤيا عجيبة فظهرت لهُ الحروف الارمنيَّة بكل جلاء وانطبعت في عقلهِ بحيث

A	ա.Ա.ա.Ա.Ա.	Ա
B	Բ.Բ.բ.Բ.Բ.	բ
Γ	Գ.Գ.գ.Գ.Գ.	գ
Δ	Դ.Դ.դ.Դ.Դ.	դ
E	Ե.Ե.ե.Ե.Ե.	ե
Z	Զ.Զ.Զ.Զ.Զ.	զ
H	Է.Է.է.Է.է	է
Θ	Ը.Ը.Ը.Ը.Ը.	ը
I	Ի.Ի.ի	ի
K	Լ.Լ.Լ.Լ.Լ.Լ.	լ
Λ	Ղ.Ղ.ղ.Ղ.Ղ.	ղ
M	Մ.Մ.Մ.Մ.Մ.	մ
N	Ն.Ն.Ն.Ն.	ն
Ξ	Շ.Շ.Շ.Շ	շ
O	Օ.Օ.Ո.Ո.	ո
Π	Պ.Պ.պ.պ	պ
P	Ռ.Ռ.Ռ.Ռ.	ռ
Σ	Ս.Ս.Ս.Ս.	ս
U	Վ.Վ.վ.	վ
T	Տ.Տ.Տ.Տ.	տ
Φ	Փ.Փ.Փ	փ
X	Ք.Ք.ք	ք

١) هذان الحرفان زيدا في القرن الحادي عشر لضبط الاسماء الاعجمية

١ جدول الحروف الارمنيّة المنقولة عن القلم اليوناني

Ֆ.	Ջ.	Լ.	Խ.	Ծ.	Հ.
F	J	L	Kh (خ)	Dz (ظ)	H (ه)

Ձ.	Ճ.	Ղ.	Ղ.	Վ.	Ռ.
Dj (ج)	Hi,i	Tsch (چ)	Dsch	V	R (mou)

٢ الحروف الارمنيّة التي زادها القديس مسروب

لم يبقَ له في صحتها ادنى ريب فشكر الله على هذه المنّة التي رآها اقرب وسيلة لتنصير الامة الارمنيّة

هكذا كان الاكتشاف للقلم الارمني الذي عدّهُ مسروب كنعمة خاصّة من الله وقد بالغ البعض فنسبوهُ الى اعجوبة اكيدة فزعموا ان ملاكاً من السماء تراءى لهُ في ابّان صلاتهِ فاراه الحروف الارمنية على صورتها الشائعة مذ ذاك الحين

وارباب الانتقاد يذهبون اليوم في بيان اصل الحروف الارمنيّة الى مذهبين. فقوم يزعمون انَّ القديس مسروب بنى القلم الارمني على قاعدة القلم الفارسي القديم المعروف بالزَّنديّ ويرتأي غيرهم كونهُ اعتمد القلم اليوناني. ولكل فريق حجج يطول بنا ذكرها على ان الرأي الاخير هو اليوم المرجَّح كما يُستدلُّ عليهِ من الجدول الذي اثبتناه هنا ومما لا ينكر ان القديس مسروب اضاف الى تلك الحروف اربعة عشر حرفاً لا شبه لها في اليونانيّة تراها في الجدول المذكور وبها تمّ نظام الابجديّة الارمنيّة المركَّبة من ٣٦ حرفاً واستقلّت عن بقيّة الاقلام

واضاف مسروب الى هذه الخدمة الجليلة خدمةً ثانية ليست دونها فضلًا بل تفوق عليها وتشهد على ثقوب عقله. فان هذا النابغة وجد للغة الارمنية لهجات متعدّدة كانت تختلف بينها ايَّ اختلاف فعارض بينها ولم يزل يدرس خواصّها حتى انتزع منها ما يعمّها كلها وتنطبق على اصواتها حروفهُ الجديدة فكان النجاح طوع مرغوبهِ واستعان لاتقان صورة تلك الحروف بكاتب يوناني يدعى روفينوس

وكان اوّل ما كُتب بهذا القلم المستحدث الآية الاولى من سفر الامثال: « امثال لمعرفة الحكمة والتأديب للتفطُّن لاقوال الفطنة » وكان ذلك في تاريخ يتراوح بين السنتين ٤٠٤ و ٤٠٦. ومذ ذاك اليوم بقي القلم الارمني على حالهِ كاملًا وافياً بكل حاجات اللغة الارمنيّة والابجديّةُ معدودة في عهدنا من اغنى الابجديّات

وكان خبر وضع الحروف الارمنيّة بلغ مسامع اهل العاصمة فلمّا عاد مسروب الى ڤنارشاباد خرجت المدينة كلّها لاستقبالهِ بموكب مهيب قلّما ينظر الظافرون مثلهُ فان الملك والامراء والاكليروس وبقيّة الشعب اكرموا وفودهُ إكرامهم لاحد اولياء الله فكانوا يدعونهُ موسى الجديد ورسول الرَّبّ وفخر الارمن

وما عتّم مسروب بمساعدة البطريرك اسحق والملك بهرام شابوح ان فتح المدارس

الوطنيَّة في كل جهات ارمينية وكان الاحداث يتزاحمون فيها برغبة عظيمة على اختلاف طبقاتهم من اشراف وسوقة وامراء وفلّاحين وكان مسروب يهذب المعلمين ويراقب المدارس

ولمّا كانت آثار اللغة الارمنيَّة قليلة اخذوا ينقلون اليها الكتب اليونانية والسريانية. فالقديس اسحاق باشر بترجمة الاسفار المقدَّسة فاخرجوها مضبوطة بلسان بليغ وفصاحة عجيبة حتى انَّ المتقدمين دعوها بملكة الترجمات. وعُني مسروب بوضع الكتب الطقسيَّة. ثم سيَّر عدَّة من شبان الارمن الى الاسكندريَّة وبيزنطية واثينة فجلبوا منها انفس كتب اليونان التي نُقلت الى الارمنيَّة فكان الاهلون يتهافتون الى مطالعتها وبها نفذت في قلوب الارمن الآداب النصرانيَّة التي كانت تتدفَّق من العالم اليوناني في تلك الاحقاب وزالت اوهام الوثنيَّة المعشَّشة في قلوبهم. وقد توفَّرت في ذلك القرن الخامس التآليف الارمنيَّة وامتازت بمحاسنها حتى دُعي ذلك العصر بعصر الارمنيَّة الذهبي

وكان ختام هذه النعم كلّها انَّ مسروب قدم على تاودوسيوس الصغير والتمس منهُ رغماً عمَّا تعرَّضهُ من الخلاف بان تُعرف اللغة الارمنيَّة كلغة رسميَّة في كنائس ملّته الخاضعة للروم. فاجاب الملك الى ملتمسهِ وبالغ في تجلّتهِ

على انَّ الفرس رأوا في هذه النهضة الدينية خطراً على مملكتهم فعزموا على مناهضة الدولة الارمنيَّة والنصرانيَّة معاً فجعل ملكهم بهرام ولا سيا وزيرهُ مهر نرساي يسعيان اوَّلاً في ابطال السلطة الملكيَّة فعزلا ملك الارمن وجعلا بدلاً منهُ احد عمّالها (سنة ٤٢٩) وما لبثا ان اضطهدا المؤمنين مباشرةً ببطريركهم اسحاق فنفياهُ من كرسيّهِ ومات كآبةً سنة ٤٣٩ فاثرت اوجاعهُ في قلب صديقهِ الذي ضبط كما قيل ازمَّة البطريركيَّة بعدهُ ستَّة اشهر ومات سنة ٤٤٠

على انَّ مشروع مسروب لم يمت معهُ فانَّ المدارس التي كان اسَّسها خرج منها الوف من الشبَّان المتحمّسين للدين. فلمَّا اراد الفرس ان يحملوهم على جحد ايمانهم فضَّلوا الموت على خيانة الدين فماتوا كرماء شهداء النصرانيَّة

ثمَّ قام بينهم كاهن ارمنيّ اسمهُ لاون او لاونسيوس فلمَّا رأى ما لحق بلادهم ودينهم من المظالم من قبل عمّال الفرس دعا اليهِ اصحاب النخوة فنظَّمهم جنوداً

وجعل قائدهم بطلاً يُدعى ثارطان فهجموا على الفرس وطردوهم من مواطنهم ونقضوا اركان معابدهم المجوسيَّة. فغضب ملك الفرس ووجّه عسكرًا جرّارًا لمحاربتهم فكسروهم في واقعة اڤارَير سنة ٤٥١ وقتلوا من النصارى ما لا يُحصى عددهُ. لكنَّ الدين لم يمت بفضل المدارس المسروبيَّة فكان الآباء يعلّمون اولادهم لغتهم ودينهم معاً. كما يُخبَر عن سيّدة شريفة من سلالة امراء الماميغونيين تُدعى تسوفيك انَّها لقَّنت ابنها ڤاهان القراءة والكتابة فنشأ الولد محبًّا لدينهِ ووطنهِ وخرج نحو سنة ٤٨٨ الى محاربة الفرس واصلاحهم حربًا ضروسًا دامت عدَّة سنوات وانتهت بمنح الفرس الارمن الحرّيَّة التي كانوا يفضّلونها على الكلّ اي الحرّيَّة الدينيَّة مع حفظ لغتهم وآدابهم الوطنيَّة التي ورثوها من القديسين اسحاق ومسروب وهو لعمري الكنز الثمين الذي صانوهُ مدَّة خمسة عشر جيلًا وبهِ يفتخرون في هذا الزمان

٢ تذكار الطباعة الارمنية

هو التذكار الثاني الذي احتفل بهِ الارمن في العام المنصرم. كلّ يعلم ما لفنّ الطباعة من عظم الشأن في تاريخ الاعصار الاخيرة فانها منذ ظهرت في اواسط القرن الخامس عشر قد كادت تقلب احوال الشعوب ظهرًا لبطن بنشر التمدُّن

فما كان للارمن ان يتخلفوا في ميدان هذا السباق. لانهُ ما مرَّ على اكتشاف غوتنبرغ للحروف الطبعيَّة سوى ٥٧ سنة حتى اسرع الارمن الى صبّ حروف لغتهم فطبعوا اوَّل كتاب ارمني سنة ١٥١٢ في مدينة البندقيَّة حيث كانت مستعمرة من مواطنيهم استوطنوها منذ عهد سلالة ملوكهم الروبانيين. وبذلك سبقوا كثيرًا من البلاد الاوربيَّة نفسها كهولندة ونروج وروسيَّة واميركة فضلًا عن الاقطار الشرقيَّة

وهذا الكتاب المذكور هو كتاب كلندار وتقويم السنة عُني بنشرهِ رجل ارمني لم نعرف من امرهِ شيئاً غير اسمهِ المطبوع في واجهة كتابه الثاني على صورة تدلُّ الى انضاعهِ اعني « يعقوب الخاطي ». وقد الحق هذا الكتاب الاوَّل في السنة التالية باربعة كتب اخرى هي كتاب القداس الارمني وكتاب رتب جمعة الآلام الذي رسمنا صورة وجههِ الاوَّل ثم منتخبات ارمنية فيها مجموع اوصاف طبيَّة

وفوائد شتى من التنجيم وما اشبهه . فاستحق يعقوب المذكور ان يُقرن اسمهُ باسماء القديسين نرسيس واسحاق ومسروب في هذه الاعياد الاخيرة . ومن اعتبر تلك الكتب الاولى وجدها جديرة بالثناء لحسن سبك حروفها وحسن طبعها وهي مزدانة بتصاوير لطيفة حُفرت على الخشب

وكل يعلم ان الطباعة الارمنيَّة قد بلغت بعد ذلك مبلغاً رفيعاً بهمَّة الاحبار الرومانيين في رومية العظمى ثم بهمَّة ابناء رجل الفضل والدين مكيتار منشئ الرهبانية المكيتاريَّة في مرعيها فرع البندقيَّة وفرع فينَّة . وقد سبق المشرق سنة ١٩٠٣ (٢ : ٣٦—١١) نعرّف قرَّاءهُ ما لابناء مكيتار في نشر المطبوعات من الايادي المشكورة ونضيف الى ما قيل ان الارمن اعتنوا ايضاً بالصحافة قبل كثيرين فانهم نشروا اوَّل جريدة ارمنيَّة في مدينة مدرس من اعمال الهند سنة ١٦٩٤

*

وكان بودنا بعد الاسطر السابقة ان نصف الاعياد التي جرت بين الارمن بنسبة التذكارين المار ذكرهما لولا ان هذا مما يقتضي صفحات عديدة بل كتاباً واسعاً وانما نذكر منها لمعةً وجيزة فنقول ان البندقيَّة اهتمَّت اكثر من سواها في اقامة هذه المواسم فجرت فيها حفلات جميلة ذات رونق بهيّ ومظاهرات باهرة . ولا غرو لانَّ في البندقيَّة ظهرت الطباعة الارمنيَّة اوَّلاً وفيها نشر الآباء المكيتاريّون نحو ٧٠٠ كتاب اغنوا بها لغتهم الجليلة

ومثلها رونقاً حفلاتُ اتشمياظين مركز جاثليق الارمن الغريغوريين حضرها وفود ١٥٠ شركة ارمنيَّة فطاف الوف من الحضور سهول ارارات ثم ساروا بنظام صعوداً وهبوطاً حتى بلغوا في منعطف وادي نهر كاصاغ كنيسة اوشاغان الصغيرة حيث مدفن القديس مسروب فاكرموا ضريحهُ ولشادوا بمحامده بكلّ بهاء

امَّا الاستانة فكانت اعيادها الارمنيَّة غاية في الأبهة والفخامة يوم السبت ٢٥ ثم ٢٦ ت ١ وكان الارمن زيَّنوا احياءهم بالرايات والاغصان والزهور ونصبوا اقواس الانتصار ولبست الكنائس افخر حليها وأُقيمت خصوصاً في كنيسة كوم قبو رُتب دينيَّة جليلة حضرها على ما يقال ٢٠,٠٠٠ شخص وكان هناك رجال من ممثلي كل الدول فضلاً عن وجوه الارمن وعلية الاكليروس وقد احتفل بالقداس

النائب البطريركي مع مساعدة ستة اساقفة وكانت ترتل الانغام الكنسية جوقة من المغنين يديرهم احد مشاهير الموسيقيين دير غونداس وكان يعضده شاهومادیان افندي من اعضاء مرصد باريس. ثم تتابعت تلك الرتب في كنائس بيرا وقاضي كوي واشقودار فكان الناس يتزاحمون فيها وينعشون في قلوبهم ذكر مفاخر الكنيسة الارمنية

وعُقدت ما عدا هذه الحفلات الدينية اجتماعات أخرى مدنية كالآداب والجلسات الادبية شملت فيها الافراح عموم حضورها وأُطلق فيها العنان لكثير من الخطباء وناصر في عامد اوطانهم الارمنية وعدّدوا مفاخرها القديمة والحديثة ووصفوا نكباتها التي منيت بها. وقد خطب غير الارمن كذلك ومن جملتهم بعض اعضاء الدولة العلية كطلعت بك وجاويد بك واطنبوا في مديح الارمن وممن خطبوا في احد تلك المجتمعات جمال بك حافظ الاستانة ومتصرف بيرا فاتسع بذكر مزايا الارمن واقرّ بما نالهم من الظلم في وقت الاستبداد السابق فاستماح منهم عذراً عمّا دهمهم من قبل الاتراك مع ما ادّوه لدولتهم من الخدم وما اظهروه من الامانة. وختم كلامهُ بقوله انهُ من الواجب اللازب ان يعيش الترك والارمن كاخوة بالوئام والمحبّة. وكذلك طلعت بك خطب باسم الحكومة السنيّة وأبدى الامل بانّ افراح تلك الاعياد سوف تتوطّد لشديد رغبة الدولة في اصلاح احوال الارمن. وقس عليها بقيّة الخطب

وانشد الشعراء في تلك المنتديات القصائد الحماسيّة التي اسكرت سامعيها بمضامينها البليغة. وقد استرسل الخطباء والشعراء خصوصاً في مدح اللغة الارمنية وبيان خواصها وفضلها في جمع كلمة الناطقين بها فانها كانت ولم تزل الرباط الوثيق بينهم في الوطن وخارجاً عنهُ

وفي احد هذه الاجتماعات جاء وفدٌ من الجوهريين الارمن وكشفوا عن صحيفة من الفضّة وضعوها بالحجارة الكريمة وكانت الحجارة تمثّل الحروف الارمنية التي وضعها القديس مسروب فكان لهذا المنظر وقعٌ جميل في قلوب كل الحضور وتلقّوهُ بالتصفيق المتواتر شكراً لصنعة هذه الطرفة الفريدة

على انّ بعض العقلاء اخذوا على الارمن انهم صبغوا تلك الاعياد صبغة جنسية

كانت تنسيهم الدين او تدرجه الى رتبة ثانوية . وظهر ذلك خصوصاً في الاجتماع الاول الذي عُقد المساء السابق للاعياد حيث عرض الحاضرون على كل الارمن سواء كانوا غريغوريين او بروتستانت او كاثوليك ان يتحدوا مدنياً تحت سيطرة البطريركية الغريغورية وشورى الملة دون ان يبدلوا شيئاً من معتقداتهم . فاجاب الارمن البروتستانت الى هذه الدعوة واظهروا بذلك تقديمهم للجنسية الارمنية على الدين . امّا الكاثوليك فما كانوا ليسلّموا بمثل هذا الملتمس وللدين في اعينهم المقام الاول يفضل على الجنسية نفسها فآثروا الاحتفاظ على حريتهم

وكان من نتيجة هذه الاعياد انّ الارمن اقترحوا في روسيّة وتركيّة على اهل ملّتهم اكتتاباً يحضون ريعه على تهذيب الشبيبة الارمنيّة فينتفع ابناء الشعب نفسهم من اكتشاف القديس مسروب للكتابة الارمنيّة وقد بلغ مجموع الاكتتاب في روسيّة وحدها مليون روبل الى اواسط تشرين الاول فقط

وفي الختام نتمنّى نحن الكاثوليك من صميم الفؤاد بان اخوتنا الغريغوريين والبروتستانت يجعلون لدين اجدادنا المقام الاول في اعتبارهم ويعودون الى ايمان مسروب واسحاق ونرسيس الذي هو عين الايمان الذي بشّر به القديس غريغوريوس رسول ملّتنا اعني الايمان الرسولي والكاثوليكي الذي وحده يقدر على ان ينهض بأمتنا من حضيضها ويرقيها الى ذروة التمدّن الاكيد والعمران الوطيد

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

انّ الرأي الشائع بين مفسّري الاسفار الالهيّة من المسيحيين ان الله خلق في بدء التكوين انواع النبات وضروب الحيوانات كما نعرفها اليوم الّا بعض الاعراض التي طرأت عليها باختلاف البلدان والاقاليم والاطعمة وما شاكلها وقد امرها خالقها بان تنمو على وجه الارض وبأمره خوّلها القدرة على ان تنتج امثالها بالتناسل ليبقى كلّ نوع سالماً على الشروط المألوفة

كانت تنسيهم الدين او تدرجه الى رتبة ثانوية . وظهر ذلك خصوصاً في الاجتماع الاول الذي عُقد المساء السابق للاعياد حيث عرض الحاضرون على كل الارمن سواء كانوا غريغوريين او بروتستانت او كاثوليك ان يتحدوا مدنياً تحت سيطرة البطريركية الغريغورية وشورى الملة دون ان يبدلوا شيئاً من معتقداتهم . فاجاب الارمن البروتستانت الى هذه الدعوة واظهروا بذلك تقديمهم للجنسية الارمنية على الدين . امّا الكاثوليك فما كانوا ليسلّموا بمثل هذا الملتمس وللدين في اعينهم المقام الاول يفضل على الجنسية نفسها فآثروا الاحتفاظ على حريتهم

وكان من نتيجة هذه الاعياد انّ الارمن اقترحوا في روسيّة وتركيّة على اهل ملّتهم اكتتاباً يحضون ريعه على تهذيب الشبيبة الارمنيّة فينتفع ابناء الشعب نفسهم من اكتشاف القديس مسروب للكتابة الارمنيّة وقد بلغ مجموع الاكتتاب في روسيّة وحدها مليون روبل الى اواسط تشرين الاول فقط

وفي الختام نتمنّى نحن الكاثوليك من صميم الفؤاد بان اخوتنا الغريغوريين والبروتستانت يجعلون لدين اجدادنا المقام الاول في اعتبارهم ويعودون الى ايمان مسروب واسحاق ونرسيس الذي هو عين الايمان الذي بشّر به القديس غريغوريوس رسول ملّتنا اعني الايمان الرسولي والكاثوليكي الذي وحده يقدر على ان ينهض بأمتنا من حضيضها ويرقيها الى ذروة التمدّن الاكيد والعمران الوطيد

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

انّ الرأي الشائع بين مفسّري الاسفار الالهيّة من المسيحيين ان الله خلق في بدء التكوين انواع النبات وضروب الحيوانات كما نعرفها اليوم الّا بعض الاعراض التي طرأت عليها باختلاف البلدان والاقاليم والاطعمة وما شاكلها وقد امرها خالقها بان تنمو على وجه الارض وبأمره خوّلها القدرة على ان تنتج امثالها بالتناسل ليبقى كلّ نوع سالماً على الشروط المألوفة

ومهما كان من صحّة هذا الرأي ونصيبه من الحقّ ولو رُجح غيره من الآراء التي لم تبتّ الكنيسة في احدها حكماً قاطعاً فانّنا نستطيع ان نقول بكل صواب انّنا اذا اعتبرنا الحيوانات وانواعها المختلفة وجدناها تُفيض الحياة على طرائق شتى تختلف باختلاف كل نوع منها . فكل نوع يتناسل على منوال خاصّ به اعني انهُ لم يتفرّد فقط بصورتهِ الخارجيّة وبأجهزة بدنهِ الباطنة الكنهُ يمتاز ايضاً بطرائق عملهِ واغتذائهِ وغنائهِ وتناسلهِ . بل يجوز القول بان الحيوانات من اعظمها جسماً بين ذوات الفقرات الى اصغرها جرماً من الحشرات ترمي بكل حركاتها وسكناتها الى بقاء نوعها فتُتمّ فعلاً امرَه تعالى اليها في بدء الخليقة : انمي واكثري

نعم ان هذه الحيوانات قد خُلقت كلها لخدمة الانسان فيستعين بها لقضاء حاجاتهِ من مأكول ومشروب وملبوس ولمنافع اخرى عديدة ماديّة او ادبيّة . الّا ان هذه الفوائد ينالها الانسان من الحيوان بفعل عقلهِ وانما الحيوان بوهمهِ وغريزتهِ لا يتوخّى سوى صالحهِ الخاصّ وبقاء نوعهِ . فانّ الحليب مثلاً والعسل والحرير كلها من اعمال الحيوانات تصطنعها لفائدتها ولنفع صغارها فيتّخذها الانسان لنفعهِ . وكذا يقال عن بقيّة الحيوانات التي حوّل الانسان غرائزها الى خدمة حياتهِ فانّ الفيل والجمل والفرس لو عاشت في البراري لاستخدمت قواها لمنفعة نفوسها ومواليدها كما تُرى في بعض القفار الى يومنا الّا ان الانسان بحذقهِ ذلّلها فاستأنست وألفت خدمتهُ ودجنت بعد وحشتها ولو اطلق لها سراحها لعادت الى حالتها من التوحّش كما ترى الخيل في صحاري تركستان سائبةً سارحةً تهتمّ لمعاشها ومعاش افلائها وامهارها

فالاختبار يبيّن لنا اذن ان اميال الحيوان الغريزيّة تؤول الى حفظ ذاتهِ ثمّ بقاء نسلهِ

وان خصصنا بالنظر تناسل الحيوان وكيف يورث حياتهُ بنيهِ وجدناهُ يجري في عمله هذا على طرائق شتى . فمن الحيوانات ما يولد حيًّا كالانسان فيكون جسمهُ واعضاؤهُ تامّة على شكلها المعروف في كبارها فهكذا تولد ذوات الاربع وحشيّةً كانت او اهليّةً داجنة . ومنها ما يولد في بيضة تصونهُ مدّة الى تمام كيانهِ كالطيور التي تكون قشرةُ بيضها صلبةً وكالزّحافات والسمك التي تولد في بيضة رخوة الجُليدة . ومنها ما لا يُدرك كمال بنيتهِ الّا بعد تحوّلات متوالية كما ترى في الدود والحشرات

لا بل تختلف انواع مواليد الانواع عينها من ذوات الاربع مثلاً والطيور لا تولد كلها على طريقة واحدة فان فلو الفرس مثلاً اذا وُلد كان مفتوح العينين قوي البنية بحيث يستطيع من ساعته ان يسير وراء امه . بخلاف اجراء الكلاب وغيرها من الحيوانات فانها تولد ضئيلة ضعيفة مغمضة الاعين لا تستطيع ان تبرح مأويها وأجحارها مدة أيام عديدة فتعنى الأم بامرها

ترى فراخ الدجاجة والحمامة والبطّ وغيرها اذا نُقفت بيضتها خرجت من اعشاشها ووكناتها تطلب رزقها بخلاف طيور عديدة التي تلزم فراخها العشّ زمناً لخلوّها من الجناح ولضعف بنيتها

ترى الفارة تترك صغارها في وكرها فتسير لتطلب معاشها اما الخفاش الذي هو على شبه الفارة ولا يختلف عنها الّا في تركيب قائمتيه الاماميّتين المنبسطتين كالاجنحة فانّه اذا خرج من وكره ليطلب رزقهُ باصطياد حشرات الجوّ اناط صغاره ببدنه وطار معها في الفضاء

وكذلك ترى في اميركة نوعاً من ذوات الاربع كالساريغ (sarigue) تحمل مواليدها بعد ولادتهم في كيس طبيعي فتعطف عليهم ريثما تقوى وتشتدّ

وغيرها من الحيوانات مع دخولها في فصيلة واحدة لشبه تركيبها تختلف ايضاً في نوع الولادة فان العقرب ينسل صغاراً احياء اما العنكبوت المعدود في جملة فصيلته فانهُ يبيض — وكذلك الحيّات فليست كلها على وتيرة واحدة في ولادتها . فان اكثرها ينسل نسلهُ في بيض يُعرَض على حرارة الشمس لتدفئها فتخرج الحيّات الصغار منها . لكن بينها ايضاً اصنافاً اخرى اذا ولدت في البيضة بقيت في رحم امها ريثما تخرج منها حيّةً — ومثلها ايضاً الذباب فانها تسرأ بيضها وتجعلهُ على قرب الطعام الموافق لغذائها صغيرةً . لكنّ نوعاً منها كثير الاذى يُعرف بذباب اللحم الرماديّ لا يولد الّا حياً

هذه اختلافات عديدة تجدها في مواليد طوائف الحيوانات على انها جميعاً سواء كانت باقية على فطرتها الطبيعيّة ام أثّرت فيها تربية الانسان بتحويل غرائزها لتفعهِ تتّفق في امر واحد وهو اهتمامها العظيم بنسلها وبذلها كل مجهودها في حفظهِ . فان ذوات الاثدي ترضع صغارها وتُعنى بهم في حداثة سنّها . والارنبة تقرع من بطنها

تفرهُ لتبسطهُ في مخزَّنها (عشها) عند ولادة اجرانهـا ليكون لها فراشاً وثيراً. والعصفور يكدُّ ويجدّ طلباً لقوت فراخهِ. والحشرة تسبق وتعدّ لدودتها ما يصلح لها من القوة عند خروجها من البيضة

انظر رعاك الله هذه القطّة كيف تنقل صغارها بين اسنانها دون ان تؤذيهم الى مأمن يقيهم من آفة تخافها عليهم. وهذه المُهرة كيف تنصب أذنيها وتثب لتعضّ من يحاول أذى فلوها لاسيما اذا اقتربت منهُ مهرة غيرها . وانما الناس ينسبون فعلها هذا الى غيرتها ألا انَّ غيرة البشر ربَّما كانت ذميمة وهي في الحيوان وهمٌ غريزي يحملها على صيانة مواليدها

وهذه الغيرة في تربية الصغار والعناية بشؤونها تلوح في الطيور اكثر منها في بقيّة الحيوان. فانها تُفرغ جهدها في حفظ بيضها وغذاء فراخها. ألا ترى اوكارها التي تتأنق فيها ايَّ تأنق وتصطنعها على هيئات عجيبة ليجد فراخها الهناء عند مولدهم. انظر الخطّاف كيف اناط عشَّهُ بطرف سقف او قرنة شبّاك . وما ادراك ما هذا العشّ هو طُرفةٌ من العمل الانيق استحضرهُ بمشقّة عظيمة فانهُ عمد اوّلاً الى تُربة ليّنة فعجنها بريقهِ ثمَّ بسطها كاللاط طبقات متتالية على شبه نصف كُرة وذلك كلهُ بهندسةٍ عجيبة دون بيكار ولا مطمار بمجرَّد غريزتهِ الفطريَّة

وهذا العصفور تراهُ يجمع في شعب بعض الاغصان او في احد ثقوب الحيطان عشباً ثمَّ ريشاً ويحبكهما بقطع من الصوف ويهيّئ في داخل هـذه الخفّة تجويفاً مهندماً يفضي اليـه مسلك ضيّق للدخول والخروج. مَن منّا لم يعاين وكر الحسّون المحبوك بالزَّغب ونُتف الصوف ومشاقة الحرير والاعشاب الناعمة وهو على شكل كأس مقعّب

-- وقس عليهِ بقيّة الاوكار الآخذة بمجامع القلوب لحسن صنعها. وكما يهتمّ الحيوان بتهيئة منزل مواليده كذلك تراهُ لا يألو جهده في غذائها والدفاع عنهـا. وقد خصَّهُ خالقهُ بوهم عجيب يرشدهُ الى كل ما فيه حفظ نوعهِ فذلك ما يحدو بهِ الى التناسل ثمَّ الى صلاح مواليده ليجلب لها ما ينفعها ويدفع عنها كل ما يضرّها

وهذا ممَّا نعرفهُ بالاختبار في كلّ الحيوانات البريَّة والاهليَّة التي هي في ظهر انينا ولولا علمنا الاكيد بان هذه البهائم خالية من الفهم والنطق لقلنا انَّ اعمالها ناتجة عن

تعقّل وادراك وانما هي فقط خواصّ عجيبة خصّ بها الباري تلك الحجارات لبقاء انواعها

ولعلّك تسأل وهل يا تُرى في غرائز الحشرات والهوامّ مثل هذه الخواصّ. أوَ لها ما لكبار الحيوان من الحرص على مواليدها ؟ بلا مراء بل عنايتها بها اعجب واذهل كما سترى في حشرةٍ تُدعى الدَّبر الفخّار (pélopée)

وما ادراك ما هذا الدبر ؟ ولعلّك رأيتهُ غير مرّة في غرفة دارك في المدينة او في البستان فأذهلك منظرهُ ولعلّك نفرت منهُ لظنّك انهُ زنبور او دبور يلسع وليس هو بهما وانّما هو في الحقيقة من الهوامّ اللطيفة له جسم اسود واجنحة شفّافة تحملهُ ثلثة ازواج من القوائم الدقيقة الملوّنة بالصفرة والسواد له بدن بيضويّ الشكل اسود يجمع بينهُ وبين شلوهِ علاقة على شكل الخيط صفراء كالذهب . وقد دُعي في لسان العلم باسم بيلوبيوس (πηλοποιός) ومعناهُ الفخّار فدعوناهُ بالدبر الفخّار ويدعونهُ في لبنان باسم النصّوح

وان شئت ان تعلم سبب تسميتهِ بهذا الاسم فانظر الى قرنة من قراني غرفتك او الى باطن خزانتك او في صوان ثيابك او على احد كتبك لعلّك تجد جلّةً من الطين اليابس يبلغ حجمها في بعض الاحيان حجم البيضة او اكبر ووزنها ربّما اناف على مئة غرام . وعلى طاولة شغلي منها زوج في غاية الصلابة وقد رأيت بالعيان الدَّبر عند ما كان يستحضر الواحدة منهما على رأس كتاب من كتب مكتبتي وذلك ليبني لنسلهِ ميتاً غاية في الاتقان والهندام

دَعنا نفحص هذه جُلّة الطين بل هذا الوكر العجيب . فُضّ في فصل الربيع برفق الجانب الذي كان واجهةً للوكر المذكور تجد وراء هذا الحاجز من الطين عدّة خلايا شبيهة بنخاريب قرص الشمع للنحل . فان أمعنت النظر في كل خلية من هذه الخلايا التي سعتها لا يبلغ ستتمترًا في الطول والعرض اخذك العجب العجاب من محتوياتها كما اندهشنا نحن لاوّل مرّة في بيروت لمّا فحصنا تلك الخلايا التي اصطنعتها كما قلنا هامّةٌ في حجم الزنبور . ففي قعر كل خليّة عناكب صغيرة لو اردت ان تحصيها بلغ عددها الى عشرة عناكب بل ١٢ عنكبوتاً

وان سألت وما الغاية من هذه العناكب في خليّة صغيرة كهذه لشرنا اليك ان

تنظر الى العنكبوت المطروح في اسفل الخليَّة فتجد دودة صغيرة وان كانت الخليَّة حديثة تجد بيضة صغيرة ملتصقة بالعنكبوت . ولو اطلت مراقبة تلك الدودة من اواخر الخريف الى ختام الربيع وجدت بدلاً من العناكب دودة قصيرة ضخمة في شرنقة ذات جُلَيْدة سمراء لطيفة تكاد تكون شفَّافة فماذا جرى ؟ اين العناكب ؟ قد ازدردتها الدودة فاغتذت بها وعمَّا قليل ستخرج من حبسها لتطير

فيا لله من اين لهذه الهامَّة الصغرى هذه العناية وهي لا تعيش غالباً الَّا بضعة اسابيع فتراها لا تكاد تهتمّ الَّا بنسلها فتبني لهم هذه الاوكار العجيبة من الطين فقط كما تبني النحل اقراصها من الشمع والزنابير من الورق الصلب ثم تخزن في تلك الاوكار القوت الموافق لدودها حتى اذا حصلت الدودة على حاجتها ماتت الامّ كأنها لم تُخلَق ولم تعش الَّا لوضع نسلها وحفظه من بعدها

ولو تتبَّعتَ عمل هذه الام من اوَّلهِ لآخرهِ لاستولت عليك الحيرة والدهش من كيفية صنعهِ فانها اذا امطرت السماء او سال الماء في ارض صلبة تسرع الى الطين الندي فتنزع منهُ بفيها وقوائمها الطويلة قطعة صغيرة تحملها الى زاوية بيت او قعر خزانة فتركّب هناك خليَّة واحدة عمقها نحو ٣ سنتمترات في عرض خمسة او ستة ملّمترات وهي بيضويَّة الشكل في قعرها فتسوّي ذاك القعر ليكون ملساً ثمَّ تقيم لهُ جدراناً تصقلها بقوائمها وذلك باتقان عجيب دون بيكار ولا خيط بنَّاء . ثم تلصق بهذه الخليَّة الاولى خليَّة ثانية ثم ثالثة الى العشر والعشرين . واذا انتهت من صُنع احدى الخلايا للحال تخرج الى الصيد والقنص فتجمع فيها ما رأيتَ من العنكبوت لقوت صغيرها امَّا هي فتمتصُّ لنفسها عسل الزهور . ثمَّ تضمُّ الى الخلية الاولى خلايا اخرى تلصقها بها وتعبّيها مثلها من ضحايا العناكب وتجعل في كل خلية بيضة وتسيّج الخليَّة ثم تموت اذ لم يَعُد لحياتها داعٍ . فتتقلَّب تلك البيضة في خليَّتها اطواراً مطلومة مدَّة اشهر طويلة وبقربها القوت الموافق لطبيعتها حتى تتمّ اخيراً بنيتها في فصل الصيف وتنمو اجنحتها فتطير من سجنها بعد فتح بابهِ

ولو فحصت قوتها المخزون معها وجدتهُ طرياً فالعناكب اذن ليست بميتة اذ لو كانت ماتت لجفَّت ويبست بعد قليل وانَّما هي مخدَّرة فقط فتأكل الدودة لحمها اللين بهناء . وان سألت كيف صنعت الامّ لتحفظها في هذه الحالة أجبتُك انَّ لهذه

الهامَّة حُمةً تغرسها في العنكبوت وتولج في جسمها مانعاً مخدّراً فلا تستطيع حراكاً وتنقلها حيَّة الى خزانة بيضتها

فيا لله كم جرت لهذه الهامَّة الصغيرة من الامور التي تسحر عقلنا لغرابتها وتكاد تدلُّ على فهم راقٍ كانها جعلت نُصب عينها غايةً تتوسَّل لادراكها باحسن الوسائل وهي تقوم بها دون ان تتعلمها من غيرها. وسيصنع صغارها مثلها دون ان يتعلَّموا منها. فقل لي ناشدتك الله أليس هذا المثل كافياً ليدلَّنا على ذاك الكائن السامي العقل الذي طبع في هذه الحشرة كل هذه الاوهام الغريزيَّة لتقوم بها منذ اوَّل انشاء العالم الى آخره وذلك دون ادنى خلل على طريقة تقضي بالعجب ؟

وما قلناه عن هذه الهامَّة يجوز قوله عن كل الحشرات وعن كلّ صنف من الهوامّ حتى اصغرها جرماً. على ان تلك الهوامّ لا تتقلَّد هامَّتنا هذه لأنَّ لها في ذاتها اوهامها الموافقة لنوعها لا تتجاوزها مطلقاً فهي تنشأ معها دون تلقين ولا تحتاج الى تعليمها لقسلها

دونك مثلاً آخر يوقفك على وهم الحشرات وغريزتها المطبوعة لحفظ جنسها. انظر الى هذه الفراشة التي فتحت شرنقتها المحجوبة في جذر شجرة ثمَّ نشرت اجنحتها الزاهية وطارت في الفضاء. فمن ساعتها تحوم حول الزهور لتمتصّ من اكمامها نقطة من العسل. وكأنها تعلم بانَّ ايَّام حياتها محصيَّةٌ فللحال تعود الى الشجرة التي تربَّت هي فيها او شجرة من صنفها دون ان تخلط شجرة بشجرة كالحور بالزيتون او التوت بالدفلى فتودعها بيضها ليفقص فيها فيعيش في قلب الشجرة سنتين وثلث سنين آكلاً من خشبها. وهذا الخشب مع صلابته تقوى الدودة على ثقبه وتخره بما خصَّها الله من الفكَّين القارضين ولا تزالُ تثقب ذاك السرب الى ان يحين وقت تحوُّلها الى فراشة فتبلغ الى قشرة الشجرة اللينة فلو صارت فراشة في وسط الشجرة لما امكنها ان تخرج منها ولو فتحت القشرة اللينة قبل ان تطير اصطادها الطير فتدبَّر كلّ شيء على حسب حاجاتها الحاضرة والمستقبلة كاحذق الصنَّاع

ومن المعلوم انَّ انواع الفراش عديدة جدًّا تبلغ الالوف ولكلّ صنف من دودها قوتهُ الخاصّ لا يستطيع ان يستبدلهُ بغيره فهذا لا يأكل الَّا ورق الملفوف وذاك ورق التوت وغيرهُ يغتذي بالقلقاس فاذا اعطيتَ دودةً قوت غيرها أبت اكلهُ

وماتت كما يعلم المربون لدود القز وكما يختبره الاولاد الذين يحبون تربية دود الفراش في خزانة او جرار فانهم يدرسون طبع كل دودة ليأتوها بطعامها الخاص بها

وما يعرفه الناس بالدرس يعلم به الحيوان بفطرته الغريزية . كذلك يقسم ارباب الطبيعة النبات الى اجناس وانواع وفصائل وتقسيمهم هذا مبني على مراقبة خواص تركيب النباتات وشبه بعضها ببعض فالحشرات ودود الفراش لم يخف عليها ذلك فانها اذا اعوزها صنف النبات الذي تفضله يمكنها ان تعتدي بالصنف الآخر الذي يقرب منه وينظمه العلماء في فصيلته فان دودة القلقاس مثلاً ان لم تجد قلقاساً او بطاطا اعتذت بالبنادورا وكذلك دودة الملفوف يمكنها ان تقتات بالكرنب والقنبيط واللفت التي هي من نوعه

ومن غريب ما يلاحظه ارباب الطبيعة ان الفراشة لا تاتي بزرها الا حيث يمكنه اذا تفقس ان يجد قوته . يعلم مثلاً اهل سواحل الشام ان لشجرة الدفلى ذات الزهر الوردي غالباً والابيض احياناً دودة ترى على اوراقها في الربيع فهذه الدودة اذا شرنقت ثم صارت فراشة (Sphnyx du Laurier-rose) تخلب النظر بالوانها الجميلة

ولا عجب من كون هذه الفراشة تنمو في السواحل حيث الدفلى كثيرة ايضاً ولكن ليس في بلاد البقاع دفلى الا شجرة واحدة غرسناها في ارض ديرنا الواقع في تعنايل فلما نمت الشجرة رأينا عليها دودة الدفلى فاخذنا الاندهاش من امرها كيف انتقلت الفراشة من سواحل بيروت الى تعنايل فأوت الى هذه الشجرة الوحيدة في كل البقاع يا لله كم في الطبيعة من اسرار يعجز عن ادراكها عقل الانسان !! (له بقية)

كهنة حلب الموارنة في الاعصر الاخيرة

لحضرة القس جرجس منش المارونى الحلبي

بين آثار المكتبة المارونية في حلب الشهباء سلسلة مطردة السياق عدد فيها كتبتها الافاضل اسماء الكهنة الموارنة الذين انقطعوا الى خدمة الدين والوطن وانفقوا الحياة في جليل الاعمال وجميل المساعي فكانوا مصابيح فضل وفضيلة اهتدت الطائفة العزيزة بانوارهم في ظلمات العصور المعروفة بالاخيرة وتركوا بعدهم من محمود المآثر ومأثور المحامد ما يبقى ذكره في الاعقاب ويطيب نشره على تعاقب الاجيال والاحقاب

وماتت كما يعلم المربون لدود القز وكما يختبره الاولاد الذين يحبون تربية دود الفراش في خزانة او جرار فانهم يدرسون طبع كل دودة ليأتوها بطعامها الخاص بها

وما يعرفه الناس بالدرس يعلم به الحيوان بفطرته الغريزية . كذلك يقسم ارباب الطبيعة النبات الى اجناس وانواع وفصائل وتقسيمهم هذا مبني على مراقبة خواص تركيب النباتات وشبه بعضها ببعض فالحشرات ودود الفراش لم يخف عليها ذلك فانها اذا اعوزها صنف النبات الذي تفضله يمكنها ان تعتدي بالصنف الآخر الذي يقرب منه وينظمه العلماء في فصيلته فان دودة القلقاس مثلاً ان لم تجد قلقاساً او بطاطا اعتذت بالبنادورا وكذلك دودة الملفوف يمكنها ان تقتات بالكرنب والقنبيط واللفت التي هي من نوعه

ومن غريب ما يلاحظه ارباب الطبيعة ان الفراشة لا تاتي بزرها الا حيث يمكنه اذا تفقس ان يجد قوته . يعلم مثلاً اهل سواحل الشام ان لشجرة الدفلى ذات الزهر الوردي غالباً والابيض احياناً دودة ترى على اوراقها في الربيع فهذه الدودة اذا شرنقت ثم صارت فراشة (Sphnyx du Laurier-rose) تخلب النظر بالوانها الجميلة

ولا عجب من كون هذه الفراشة تنمو في السواحل حيث الدفلى كثيرة ايضاً ولكن ليس في بلاد البقاع دفلى الا شجرة واحدة غرسناها في ارض ديرنا الواقع في تعنايل فلما نمت الشجرة رأينا عليها دودة الدفلى فاخذنا الاندهاش من امرها كيف انتقلت الفراشة من سواحل بيروت الى تعنايل فأوت الى هذه الشجرة الوحيدة في كل البقاع يا لله كم في الطبيعة من اسرار يعجز عن ادراكها عقل الانسان !! (له بقية)

كهنة حلب الموارنة في الاعصر الاخيرة

لحضرة القس جرجس منش المارونى الحلبي

بين آثار المكتبة المارونية في حلب الشهباء سلسلة مطردة السياق عدد فيها كتبتها الافاضل اسماء الكهنة الموارنة الذين انقطعوا الى خدمة الدين والوطن وانفقوا الحياة في جليل الاعمال وجميل المساعي فكانوا مصابيح فضل وفضيلة اهتدت الطائفة العزيزة بانوارهم في ظلمات العصور المعروفة بالاخيرة وتركوا بعدهم من محمود المآثر ومأثور المحامد ما يبقى ذكره في الاعقاب ويطيب نشره على تعاقب الاجيال والاحقاب

واول من تنبه لها فيما اعلمهُ انا هو واحد عصره العلامة الشهير السيد جرمانوس فرحات فذيّل بعض مخطوطاته الطقسية بسلسلة الكهنة الى عهده الميمون . وطرس بعده على اثر اخطاط القس انطون صقر الذي كان عهد اليه المطران جبرائيل حرشو بكتابة سجلات الطائفة نعلق على احدها سلسلة الكهنة الى زمانه . وكان بعض الكهنة يواصل كلتا السلسلتين الى ان رأى الطيّب الذكر المطران جرمانوس حواء ان يضم سلسلة مطاركة الطائفة وسلسلة اساقفتها (١ وكهنتها في حلب الى سجلّ واحد عُرف بالسجل الاسقفي تمييزاً له عما سواهُ من سجلات المواليد والوفيات الاخرى

وكان السيد جرمانوس فرحات ابتدأ في سلسلته بالخوري موسى العبديني وانتهى بالقس الياس بجاق الراهب الحلبي المتوفى بعد سنة ١٧٢٥ وكان القس انطون صقر فرع من سلسلته بالفيلسوف الخوري بطرس التولوي الذي استأثرت به رحمة الله في سنة ١٧٤٦ فجاء المطران جرمانوس حواء وادمج السلسلتين بسلسلته وآخر من ذكره فيها انا هو القس انطون بن ميخائيل نوح الذي قضى نحبهُ في سنة ١٨٢٦ وتابع بعدهُ كتبة السجلات سلسلتهُ الى هذه الايام فحقّ لهم مزيد الثناء على عنايتهم واجتهادهم بهذا الاثر المشع وهو بعض فضلهم الواسع اتاهم الله بنعيم جنانه

ولا بدّ من التنبيه على ان الخوري موسى العبديني هو اول الكهنة المعروفين لا اوّل الكهنة الموارنة في حلب على الاطلاق كما يذهب اليه بعض المعاصرين وليس هنا محل نقض هذا المذهب الفاشل . وان هذه السلسلة الآتية غير تامة بل فُقد منها حلقات اهتديتُ اليها بعد طول البحث في بعض المخطوطات أرجئ الآن ذكرها الى محل آخر لما يقتضي لها من التحقيق والشروح . وان الكهنة الاولين من هذه السلسلة لبنانيّو الاصل واما الباقون فحلبيّو المولد والدار الّا الخوري بطرس التولوي والقس سركيس الجمري والقس حنا الدويهي . ولا يؤخذ على مدوّنيها الّا القصور في التعريف والاقتصار على سنة الوفاة فقط وكان يمكن التبسط في ذلك بايسر السبل بلا كبير عناء كما لا يخفى . واغلب حافظوا فيها على اسمي القس والخوري جرياً على تقاليد الامة وقوانينها على ما نبّه عليه سيادة العلامة الاباتي عمانوئيل

١) هذه السلسلة نُشرت في سنة ١٩٠٥ المشرق (٨ : ٤٠٥-٤٠٦)

البعبداتي الرئيس العام في تاريخ الرهبانية الانطونية الكريمة (ص ٢٣٠) وبهذا القدر غنى وكفاية

واما السلسلة فهذه هي بحروفها :

١ الخوري موسى العبديني
٢ « مكخوس البشراني
٣ « موسى العبديني (الآخر)
٤ = عطا الله الحصروني
٥ « حوشب العرعوني
٦ « داود الحدشيتي
٧ « يعقوب الحدناني
٨ « شحاده الحصروني
٩ « داود البشراني
١٠ « الياس البشراني
١١ « ابراهيم الحدناني
١٢ « موسى الدمشقي
١٣ « يوسف الباني
١٤ « جرجس الدمشقي
١٥ « سركيس من دير نوهرا
١٦ « سركيس البسلوقيتي
١٧ « رزق الله الباني
١٨ « ايوب البشراني
١٩ « جرجس التولاوي
٢٠ « الياس الحدناني
٢١ « يوحنا البشراني
٢٢ « جبرائيل الحدناني
٢٣ « فرج الله العبديني
٢٤ « يوسف البشراني مات في ٢٩ ك ٢ ١٦٨٠
٢٥ « جبرائيل الاجباني ١٦٨٤
٢٦ « يوسف البشراني
٢٧ « شحاده البشراني ١٦٨٧
٢٨ « يوحنا الحصروني ١٦٨٩
٢٩ « جبرائيل الحدناني ١٦٩٠
٣٠ الخوري يوحنا خات العبديني مات في ١٦٨٩
٣١ « رزق الله البلوزاني ١٧٠٣
٣٢ « يوحنا الباني ١٧١١
٣٣ « يوحنا بن زنده البشراني ١٧١١
٣٤ القس اغناطيوس العبديني
٣٥ « يوسف حلاّنه
٣٦ الخوري عطا الله هرون ١٧١٨
٣٧ « الياس الحصروني
٣٨ القس ابراهيم نصف الليل
٣٩ « الياس عتاق الراهب الحلبي ١٧٢٥
٤٠ الخوري انطون بن حلمون ١٧٣٠
٤١ القس عطا الله زنده ١٧٣٢
٤٢ الخوري زخريا صدّقي ١٧٣٢
٤٣ القس مخلوف ٢٣ اذار ١٧٣٦
٤٤ « ميخائيل الحصروني ٢٣ ت ٢ ١٧٣٧
٤٥ الخوري عبد المسيح الساعاتي ١١ حز ١٧٤١
٤٦ القس عبد المسيح لبيان ٣١ اذار ١٧٤٢
٤٧ « جرجس فرج الله حصروني ١٥ حزيران ١٧٤٣
٤٨ « سركيس بن بطرس الجبري ٣ شباط ١٧٤٥
٤٩ القس الياس بن جبرائيل زنده ١٢ ايار سنة ١٧٤٥
٥٠ الخوري الفيلسوف اللاهوتي بطرس ابن اسحق التولاني البتروني ٦ آب ١٧٤٦
٥١ القس فرج الله ابن الخوري عطاالله ١٤ ايلول ١٧٤٨
٥٢ « حنّا ابن الخوري ميخائيل الدويجي ١٤ ايلول ١٧٤٨

٥٣ القس اسطون بن يوسف صقر مات في ١٦ ايار ١٧٥٢
٥٤ « الخوري عبد الله بن زخريا البشراني ٢٧ ك ٢ ١٧٥٣
٥٥ « قرنسيس ابن القس حنا الباني ٣٠ اذار ١٧٥٣
٥٦ « الياس سعد ١٥ شباط ١٧٦١
٥٧ « ارسانيوس ابن الشدياق ميخائيل ركرد ١ تموز ١٧٦١
٥٨ « يوسف عبديني حزيران ١٧٦٢
٥٩ « روفائيل بن حنا شكري طيب حزيران ١٧٦٢
٦٠ « رزق الله بن ميخائيل عبديني ١٠ تموز ١٧٧٠
٦١ « جبرائيل بن يوسف لورس ٢٧ تموز ١٧٧٠
٦٢ « جرمانوس بن نعمة الله حجار ٢ ك ٢ ١٧٧٨
٦٣ الخوري يوسف بن قرنسيس حصرم ١ ايلول ١٧٨٢
٦٤ القس يوسف بن انطون عاقوري المنتدب لاسقفية حلب فباحلته المنية بالطاعون ٢٣ حزيران ١٧٨٧
٦٥ « عبدالله بن كيرلس حصرم ٤ ايار ١٧٨٩
٦٦ « الياس بن جبرائيل زكره ٤ ك ٢ ١٧٩٠
٦٧ « يوسف بن نعمة حجار الكاروز (الواعظ) ٢٧ ك ٢ ١٧٩٠
٦٨ « لويس بن الياس كنيدو ١٣ تموز ١٧٩٠
٦٩ « لويس ابن القس رزق الله عبديني ١٥ اذار ١٧٩١
٧٠ « جبرائيل بن انطون حواء مات في ٣ حزيران ١٧٩٦
٧١ القس ميخائيل شامي ٥ ايار ١٨٠٠
٧٢ « يوحنا ماذنجانه ١٢ حزيران ١٨٠٠
٧٣ « جبرائيل بطق ٩ ك ١ ١٨٠٤
٧٤ الخوري يوسف الشرابلي ١٤ ك ١ ١٨٠٧
٧٥ القس لويس زبر الراهب الحلبي ت ١ ٣ ١٨
٧٦ الخوري بطرس بن يوسف الدويهي ١٧ ت ١ ١٨١٤
٧٨ القس ارسانيوس بن جرجي دباس ٢١ ت ٢ ١٨١٨
٧٨ « لويس بن يوسف دبي ٣٠ تموز ١٨٢٥
٧٩ « اسطون بن ميخائيل بوحات ٢ ١٨٢٦
٨٠ « عبدالله بن يوسف شيخا المنتخب لاسقفية حلب فابى قبولها اتباعاً وتوفي في ١٥ ايار ١٨٣٣
٨١ « برنردوس بن انطون نجار الراهب الحلبي ١٢ اذار ١٨٣٦
٨٢ « نصر الله بن انطون ايوب ٤ ت ١ ١٨٤١
٨٣ « شكر الله بن ميخائيل حواء ٤ ك ٢ ١٨٤٧
٨٤ « برتلمئوس جوهرجي الراهب الحلبي
٨٥ « جبرائيل ابن الشدياق الياس كلداني ١٧ ت ١ ١٨٥٠
٨٦ « شكر الله بن انطون ايوب ٤ ت ٢ ١٨٥٠
٨٧ « روفائيل بن انطون شكري حكيم ١٩ ايار ١٨٦٤
٨٨ الخوري الياس بن سليمان عطار راجي تموز سنة ١٨٦٨
٨٩ « يوسف بن جبرائيل عبديني ٣ ك ١ ١٨٦٩
٩٠ القس عبدالله بن بولس قرألي

مات في ٣١ آب ١٨٧٤
٩١ القس بطرس بن يوسف ايوب
١٦ ت ١ ١٨٧٩
٩٢ « يوسف ابن الشدياق الياس
كلداني ١٠ شباط ١٨٨١
٩٣ « ميخائيل بن الشدياق الياس
كلداني ٢٨ آب ١٨٨٢
٩٤ « ارغسطين عازار الشاعر المشهور
١٩ شباط ١٨٨٨
٩٥ « جرجس منير من المرشّحين
لاسقفية حلب ١ ك ٢ ١٨٩٥
٩٦ « انطون سموص اللاذقي ١٢ آب ١٨٩٦
٩٧ « شكرالله بن يوسف ايوب
مات في ١٧ ت ١ ١٨٩٦
٩٨ القس فرنسيس بن ميخائيل هرون
٣٠ نيسان ١٨٩٧
٩٩ « اغناطيوس بن جبرائيل سعد
١٩ ايلول ١٩٠١
١٠٠ « بولس ابن انطون عصفور
٢٤ اذار ١٩٠٨
١٠١ الخوري نيقولاوس ميخائيل كيلون
٣٠ ايار ١٩١١
١٠٢ « الياس بن عبد الله مسابكي
٤ نيسان ١٩١٢
١٠٣ القس بولس بن يوسف غالي توفي
باريس ١٩١٢

انتهت وكان يتقيّد بخدمة الابرشيّة حيناً سبعة كهنة واكثر حتى بلغوا في اواسط القرن الماضي ١٥. تغمّدهم الله برحمته ورضوانه. واما الكهنة الاحياء فهم:

١ً القس يوسف دياب وهو جرجس بن يوسف بن جبرائيل دياب ولد في ١٨ آب سنة ١٨٦٤ وسامهُ سيادة العلامة المطران يوسف نجم كاهناً في ١٢ تموز سنة ١٨٩١

٢ً القس جرجس منش وهو رشيد بن فرنسيس بن يوحنا منش ولد في ١٤ كانون الاول سنة ١٨٧٤ وتلقى دروسهُ في مدرسة مار عبدا هرهريا وكهّنهُ غبطة العلّامة المحبوب مار الياس بطرس الحويك اذ كان مطراناً ونائباً بطريركياً في ٣٠ تموز سنة ١٨٩٥

٣ً القس جبرائيل سبع وهو جرجس بن نعمة الله بن انطون سبع ولد في ٢٦ نيسان سنة ١٨٧٨ واخذ دروسهُ في مدرسة عين ورقة ورقاهُ الطيب الذكر المطران يوسف دياب الى درجة الكهنوت في ٨ ايار سنة ١٩٠٢

٤ً القس يوسف مارديني وهو جميل بن جرجي بن نعمة الله مارديني ولد في ٨ ايلول سنة ١٨٨٤ وتلقن دروسهُ في مدرسة ورمية المارونية وسامهُ الكردينال بطرس رسبيني كاهناً في ٤ نيسان سنة ١٩٠٧

وهم المقيدون الآن بخدمة موارنة حلب وبقي فيما عداهم القس بطرس ذكره باوستراليا والابوان يوحنا اسود وبولس قراعلي بمصر والقس اغناطيوس سعد برومية الى كهنة آخرين انتظموا في سلك الرهبانيات المارونية والغربية لا اطيل في تعدادهم سائلاً الله ان ياخذ بيدهم الى ما به مجدهُ تعالى وخير الطائفة والوطن ولا بدّ من ان ابذل الوسع في التوسع في حياة افراد هذه السلسلة في مستقبل الايام ان شاء الله

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث : في الاعلام النصرانية (تابع)

٢ الاعلام المتضمّنة للاسم الكريم او لبعض صفاته

هو الصنف الثاني من الاعلام النصرانيّة وما تختصّ بهِ هذه الاعلام انها تحتوي على الاسم الكريم بلفظهِ او ببعض صفاتهِ الالهيّة

فمن ذلك الاسماء التي تُختم بإيل . ورد في تاج العروس (٧ : ٢١٨) : « قال الاصمعي في معنى جبريل وميكائيل : معنى ايل الربوبيـة فأضيف جَبْر وميكا اليهِ فكأن معناه عَبد إيل ورَجل ايل . وقال الليث : هو بالعبرانيّـة وهو اسم من اسماء الله تعالى » وقد مرَّ في ذكرنا للملائكة ما ورد في الشعر الجاهلي من ذكر جبريل وميكائيل واسرافيل وما اشبهها . واما هل دُعي احدٌ في الجاهليّة بهذه الاسماء فلم يحضرنا من ذلك شيء . الا جبرئيل بن ناشرة المعافري احد رفقة عمرو بن العاص (اطلب معجم البلدان لياقوت ٣ : ٨٩٦)

ولا يبعد انَّ اسم « جَبْر » الشائع في الجاهليّة كان مقتصر عن « جبريل » كجبر بن عتيك وجَبر بن عبدالله القبطي وجَبر الكندي كانوا في اوّل الاسلام وقد سبقت اسلامهم الاسلام (اطلب أُسد الغابة لابن الاثير ١ : ٢٦٥ — ٢٦٧) . ويدخل في هذا الباب اسماء عبرانيّة ورد ذكرها في الفصل السابق في جملة الاعلام المنقولة عن الاسفار المقدّسة كاسرائيل واسمعيل

ومنها (شَراحيل) احد الاسماء الشائعة في الجاهلية كشَراحيل بن مالك بن ذبيان من اشراف العرب وشراحيل بن مرّة الهمداني وشراحيل بن زرعة الحضرمي (تاج العروس ٧ : ٣٨٩) وشراحيل بن عبد قيس البلوي (حماسة البحتري ص ١٩٦)

وبني شراحيل بن الشيطان بن حارث (اشتقاق ابن دريد ص ٢٤٣) وغيرهم . والاسم آرامي معناه « أطلق الاله »

ومنها (شُرَحبيل) شاع ايضاً في الجاهلية كشُرَحبيل بن البَسْط (اشتقاق ابن دريد ص ٢١٨) وشرحبيل ذي رُعَين الحميري (ص ٣٠٧) وشرحبيل بن حَسَنة وشرحبيل بن عبدالله من الصحابة المهاجرين الى الحبشة (سيرة الرسول ص ٢١٣) وشُرَحبيل بن غيلان ص ٩١٥) وغيرهم . ولعلَّ هذا الاسم هو كالاسم الآرامي شربل (ܫܪܒܝܠ) عُرف به احد شهداء النصرانية في مدينة الرها ودُعي به احد جثالقة الكلدان

ومنها (شَمُويل) ولا نعرف نصرانياً دُعي به في الجاهلية وقد ذكر ابن هشام من يهود قريظة الذين اسلموا (ص ٣٥٢) شَمُويل بن زيد وعزّال بن شمويل والاسم عبرانيّ معناه « عظم الله » . وقد سبق ان اسم « السموءل » هو كشموئيل او صموئيل

ومنها (شَمْعَلة) وهو اسم بعض شعراء النصارى اخصُّهم شَمْعَلة بن فائد وشمعلة بن الاخضر الضبيّ (تاج العروس ٧ : ٣٩٩ وحماسة ابي تمّام ٢٨٤ : ٦٤) . وذكر ابن سعد بين الوافدين على محمّد المسمّى شمعلة وفي الاغاني (١٠ : ٩٩) شَمْعلة بن عامر شاعر نصراني حملهُ بعض خلفاء بني اميَّة على الاسلام فلم يُسلم « فغضب فامر به فقُطعت بضعة من فخذهِ وشُويت بالنار واطعمها » . ويقال شَمْعل ايضاً (كامل المبرّد ed. Wright, p. 524) وعلى رأينا انَّ هذا الاسم تعريب إسمعيل ومعناه « سمع الرب »

ومنها (شُهَيل) وقيل شُهَيل ابو بطن من العرب وهو اخو العتيك بن الاسد بن عمران بن عمرو مزيقيا . ولعلَّ معناه « عزّ الرب وجلّ »

ومن هذه الاسماء ما أُضيف الى اسم الله وقد مرَّ الكلام في هذا الاسم الكريم واصله . فمن ذلك (أَحْسَن الله) ورد في كتاب الوفادات لابن سعد (Wellhausen Skizzen, ٦٩) « وأَنَس الله » (ص ٦٦ Ibid. وتاريخ الطبري ج ١ ص ٢٢١٩) « وأَوْس الله » بمعنى عطاء الله (تاج العروس ٤ : ١٠٢ — ١٠٣) و « تَيم الله » بطن من بني بكر بن وائل وبطن من النمر بن القاسط (التاج ٨ : ٢١٦)

و « وهب الله » في الكتابات الحورانية وغيرها (Journ. As., 1882, p. 8-10)

فهذه الاسماء باضافتها الى الاسم الكريم تدلّ على توحيده تعالى الذي دخل كما سبق الى بلاد العرب على يد دعاة النصرانيّة خصوصاً

واشهر منها اسم « عبدالله » الذي كان يعمّ كل انحاء جزيرة العرب. وهذا الاسم ورد على صورتين اما باضمار الاسم الكريم واما بالتصريح به وكلاهما قد تسمّى به نصارى كثيرون في الجاهلية

فاما الصورة الاولى فقد جاء على صورة (عَبْد) كعبد بن حنيف احد بني إخيان من لخم بالي دير الأكيراح (معجم المستعجم ص ٣٧٣) وكطَرَفة بن العبد الشاعر الشهير وعلى صورة (عَبْدة وعَبَدة) كعَبْدة بن الطبيب (الاغاني ١٨ : ١٦٣) وعلقمة بن عَبَدة وكلاهما من فحول الشعراء.

وعلى صورة (عَبْدان) اسم رجل من اهل البحرين (التاج ٢ : ٤١١) وعلى صورة (عُبَيد وعَبيد) كعُبَيد بن الابرص الشاعر الشهير (الاغاني ١٩ : ٨٤) وعُبيد بن عُوَيج القرشي (الاغاني ٦ : ٦٠) وعُبيد بن اوس الظفري وعُبيد بن رفاعة الزرقيّ (أُسد الغابة لابن الاثير ٣ : ٣٤٦ — ٣٤٨). وعلى صورة (عُبَيْدَة) كعُبَيْدة بن عبد المطلب (اشتقاق ابن دريد ص ٥٤). وعلى صورة (عابد) كعابد بن عبدالله بن مخزوم (تاج العروس ٢ : ٤١٤). وقد مرّ ان « العِبَاد قبائل شتى من العرب اجتمعوا بالحيرة على النصرانيّة » (ابن دريد ص ١). وقد وردت ايضاً على صورة (عُبادة) كعُبادة بن عقيل (ابن دريد ص ١٨٢) وصورة (عَبُود) روى في التاج (٢ : ٤١٣) اسم رجل يُدعى عَبُودًا آمن بالانبياء. وعلى صورة (عبّاد) كعبّاد بن عمرو بن كلثوم الشاعر النصراني (الاغاني ٩ : ١٨٣) وكالحارث بن عبّاد سيّد بني بكر في حرب البسوس (شعراء النصرانيّة ص ٢٧٠). وعلى صورة (عُبَادى) قال في التاج (٨ : ٤١٤) انه « اسم نصرانيّ » وعلى صورة (عَبدون) المنسوب اليه دَيْر عَبدون (مستعجم البكريّ ٤٧٤).

اما المضاف الى الاسم الكريم (فعَبْدالله) وهو اسم كثر مَن تسمّى به من اهل الجاهليّة حتى بلغوا المئين كعبدالله بن جدعان سيد قريش وممدوح اميّة بن ابي الصلت (الاغاني ٨ : ٢ — ٦) وعبدالله ابي رسول الاسلام. وكالشاعرَين عبدالله بن رواحة

(الاغاني ٤ : ٧) وعبدالله بن الزبعري (أسد الغابة ٣ : ١٥٦) وعبدالله بن غطفان (التاج ٧ : ٣٩٤) الخ. وقد جاء على صورة التصغير (عُبَيْد الله) كعُبَيْد الله ابن الحرّ الجعفي الفارس الشاعر (ابن دريد ٢٤٣ وحماسة البحتري ص ١٠٣) وعُبَيد الله بن عبد الدان (حماسة البحتري ص ١٣٧). وكذلك اختصروه (بعَبْدَل) كعَبدل بن حارث العِجْلي وعبدل بن حنظلة احد شرفاء العرب (التاج ٢ : ٤١٤)

وقد اضافوا العبد الى الاسماء الحسنى الدالّة على الاله الحقّ فقالوا (عَبْد الواحد) كعَبْد الواحد بن منيع السَّعْدي (حماسة ابي تمّام (ص ٣٠٣ ed. Freytag)

وقالوا (عَبْد الرحمان) كعَبد الرحمان بن رواحة من الصحابة (ابن دُريد ٢٦٨) وعبد الرحمان بن كعب (فيه ٢٧١) وعبد الرحمان بن ربعي (حماسة البحتري ص ٣٣) وغيرهم كثيرين. روى ابن دريد في الاشتقاق عن ابن الكلبي (ص ٣٦) انّ « الرَّحمان صفة منفرده لله تبارك وتعالى اسمه لا يوصف بها غيرُهُ ... وقال ابن الكلبي وقد سمّت العرب في الجاهليّة عبد الرحمان ... ورُوي للشنفري في الرَّحمان :

لقد لطمَتْ تلك الفتاةُ وَجهَها ألا بَعَدَ الرحمنُ ربّي يمينَها »

واقدم الآثار التي ورد فيها اسم الرحمان الكتابة الحميريّة التي رُقمت على سدّ مأرب سنة ٥٤٢ — ٥٤٣ للمسيح بامر أبرهة ملك الحبش ففي اوّلها ما تعريبهُ « بقوّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحه وروحه القدّوس » (راجع الصفحة ٦٣ من الجزء الاوّل) وعليه قد ثبت انّ اسم الرحمان اسم نصراني واليه انتسب الذين دُعوا باسم عبد الرحمان. ومثلهُ (الرحيم) كعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (حماسة ابي تمّام ص ٤٩ و ٥٤)

وقد اضافوا العَبْد الى اسماء حُسنى غيرها كالأعلى من صفاته تعالى فقالوا (عَبد الأعلى) كعبد الاعلى بن صامت العَبْدي (حماسة البحتري ص ٢٠٣). وكذلك اضافوا الى الملك فقالوا (عَبد الملك) كعبد الملك المذكور آنفاً . وعبد الملك بن أُكَيدر صاحب دومة الجندل النصراني السابق ذكرهُ وعبد الملك بن علقمة الثقفي (أُسد الغابة ٣ : ٣٣٢). واضافوا الى المنّان فقالوا (عبد المنّان) منهم عبد المنّان بن عبد المسيح المتلمّس الشاعر النصراني (الاغاني ١١ : ١٨٧) . والى الحميد فقالوا (عَبد الحَميد) منهم عبد الحميد ابن حفص بن المغيرة المخزومي (أُسد الغابة ٣ : ٢٧٦)

فهذه الاسماء كلها تشير الى توحيد اصحابها في الجاهلية وقد سبق القول ان اعتقاد الاله الواحد في الجاهلية دخل خصوصاً بواسطة الدين المسيحي

ويوجد اسماء أخرى لنصارى من العرب يشير ظاهرها الى الوثنية وانما سقطت عن معناها الاول كما حدث عند اليونان والرومان بعد تنصرهم. فمن ذلك (عبد قيس) و (امرؤ القيس) تسمّى بها النصارى كما مرّ وان كان اسم قيس يدلّ على بعض اوثانهم القديمة. وكذلك (المَدَان) من اوثان حمير كما قالوا وكان بنو عبد المدان في اليمن من اشراف نصارى نجران. ومثلهُ (كِلَال) واليه نُسب عبد كِلَال احد ملوك حمير المتنصرين كما سبق. ومثلهُ ايضاً (العزيز) كان من اصنام بعض قبائل العرب. ومنه عُرف عَبد العزيز بن سيف بن ذي يزن الحميري. وذُكر في تاج العروس (٢ : ٤١٢) خمسة من نصارى الحيرة في جملتهم عبد عمرو وعبد ياليل. وقالوا ان ياليل اسم صنم (١

ومثلهُ (يَغوث) تسمّى به عبد يغوث الحارثيّ سيّد بني مذحج (الاغاني ١٢ : ١٥٣)

هذا ما حضر لنا من اسماء اهل الجاهليّة الدالة على دين التوحيد والمحتوية لصفاته تعالى. ولا شكّ انها دخلت بينهم بتأثير النصرانيّة (له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Belmond : Etudes sur la Philosophie de Duns Scot = I. Dieu: Existence et Cognoscibilité, *Paris, G. Beauchesne*, 1913, XVI-362

ابحاث في فلسفة الطوباوي دُنس سكوت

الطوباويّ دُنس سكوت احد كبار اللاهوتيين الذين تفتخر بهم الكنيسة الكاثوليكية وشرّفوا بعلومهم الرهبانيّة الفرنسيسيّة. وكان هذا المعلّم ممتازاً بفضائله كما برّز بمعارفه بين معاصريه ولذلك قد اثبت الكرسي الرسوليّ براءتهُ ونظمهُ في سجلّ اولياء الله. امّا تآليفهُ فعديدة قد كرّروا طبعها حديثاً في نحو عشرين مجلّداً

١) راجع كتاب فلهوزن (Wellhausen: *Reste arabische Heidentums*, 2 ed., p. 4)

فهذه الاسماء كلها تشير الى توحيد اصحابها في الجاهلية وقد سبق القول ان اعتقاد الاله الواحد في الجاهلية دخل خصوصاً بواسطة الدين المسيحي

ويوجد اسماء أخرى لنصارى من العرب يشير ظاهرها الى الوثنية وانما سقطت عن معناها الاول كما حدث عند اليونان والرومان بعد تنصرهم. فمن ذلك (عبد قيس) و (امرؤ القيس) تسمّى بها النصارى كما مرّ وان كان اسم قيس يدلّ على بعض اوثانهم القديمة. وكذلك (المَدَان) من اوثان حمير كما قالوا وكان بنو عبد المدان في اليمن من اشراف نصارى نجران. ومثلهُ (كِلَال) واليه نُسب عبد كِلَال احد ملوك حمير المتنصرين كما سبق. ومثلهُ ايضاً (العزيز) كان من اصنام بعض قبائل العرب. ومنه عُرف عَبد العزيز بن سيف بن ذي يزن الحميري. وذُكر في تاج العروس (٢ : ٤١٢) خمسة من نصارى الحيرة في جملتهم عبد عمرو وعبد ياليل. وقالوا ان ياليل اسم صنم (١

ومثلهُ (يَغوث) تسمّى به عبد يغوث الحارثيّ سيّد بني مذحج (الاغاني ١٢ : ١٥٣)

هذا ما حضر لنا من اسماء اهل الجاهليّة الدالة على دين التوحيد والمحتوية لصفاته تعالى. ولا شكّ انها دخلت بينهم بتأثير النصرانيّة (له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Belmond : Etudes sur la Philosophie de Duns Scot = I. Dieu: Existence et Cognoscibilité, *Paris, G. Beauchesne*, 1913, XVI-362

ابحاث في فلسفة الطوباوي دُنس سكوت

الطوباويّ دُنس سكوت احد كبار اللاهوتيين الذين تفتخر بهم الكنيسة الكاثوليكية وشرّفوا بعلومهم الرهبانيّة الفرنسيسيّة. وكان هذا المعلّم ممتازاً بفضائله كما برّز بمعارفه بين معاصريه ولذلك قد اثبت الكرسي الرسوليّ براءتهُ ونظمهُ في سجلّ اولياء الله. امّا تآليفهُ فعديدة قد كرّروا طبعها حديثاً في نحو عشرين مجلّداً

١) راجع كتاب فلهوزن (Wellhausen: *Reste arabische Heidentums*, 2 ed., p. 4)

ذخماً وبذلك سهّلوا درسها على الباحثين في غواصها . وممّن تفرّغوا لهذا الدرس احد اساتذة الفلسفة في فرنسة حضرة الاب « بلمند » وقد خصّ ببحثه تعاليم « دُنس سكوت » الفلسفيّة التي كان يزعم البعض انها مخالفة لتعاليم شمس المدارس القديس توما الاكويني . فوضع هذا الكتاب ليبيّن فيه على عكس ذلك انّ آراء دُنس سكوت توافق تعاليم القديس توما في كل الحقائق الجوهريّة والمسائل الاصوليّة . ومن جملتها بحثه في « الوجود » أيُطلق هذا الاسم عليه سبحانهُ وتعالى وعلى المخلوقات بالمعنى الحقيقي سواء او يُطلق على الله حقيقةً وعلى الكائنات مجازاً . فانّ دُنس سكوت يرتأي الرأي الاوّل والقديس توما اللاهوتي يذهب الى الرأي الثاني . لكنّ مؤلف هذا الكتاب قد أتى بنصوص كثيرة اثبت فيها انّ الاختلاف بين المعلّمين باللفظ اكثر منهُ بالمعنى وهكذا فعل في بيان قضايا أخرى تفرّد فيها المعلّم دُنس سكوت على زعمهم . فشكر الاب بلمند الذي وفّق هكذا بين مافاتَين عظيمتين . ولكن لا يسعنا هنا الّا تكرار وصيّة الكرسي الرسولي الذي اوصى في المدارس الكاثوليكيّة بتدريس مؤلفات القديس توما وهي تفوق على تآليف دُنس سكوت بوضوحها وقرب منالها وسلاسة عباراتها ولا يُنكر انّ اللاهوتي الفرنسيسي كثير الغموض في اثبات آرائه . وانّما يحسن بالاساتذة درسهُ ليستفيدوا منهُ لا سيما في بعض المسائل التي لا يسلّم الجميع فيها بآراء القديس توما ولم تقطع الكنيسة في ارجحيّتها الاب نيرون

النفع الوفير في تربية دود الحرير

طُبع بالمطبعة اللبنانيّة (جسر ضو بيروت) (١٩١٤ ص ١٦٦)

كلّ يعلم انّ تربية دود القزّ في بلاد الشام ولا سيما في لبنان من الامور الخطيرة التي يتوقّف عليها رزق الوفر من الاهلين ولذلك لا تمرّ علينا سنة الّا تظهر في ذلك تآليف مفيدة توقف المربّين على احوال هذه الصناعة وقد وصف المشرق كثيراً منها بل نشر فصولاً واسعة في ذلك للاختصاصيّين . والكتاب المعنون هنا من موضوعات الاسابيع الاخيرة وهو منقول عن كتاب فرنسوي اثنت على مضامينه المجلّات الاوربيّة للمسيو لوران دي لاريوسه . فاهتمّ بتعريبه الكاتب ق . خ . اده ونشرهُ بالطبع الاديب ارنست افندي الفونس نقّاش واهداهُ لصاحب الغبطة السيّد المفضال مار الياس حويك بطريرك الطائفة المارونيّة . وهو يحتوي في نحو خمسين

فضلاً كل ما يجب على المربّين معرفتهُ لتأتي اتعابهم بثمرتها المرغوبة . فنحض مواطنينا على درسه واقتباس فوائده ل . ش

البرهان الصريح في إثبات الوهية المسيح

بقلم الاب ل . شيخو اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية . للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٤ (ص ١٠٤)

هو مجموع المقالات التي نشرناها في اعداد مجلّة المشرق لسنتها المنصرمة طلب الينا كثيرون ان ننشرها على حدة تقريباً لفوائدهـا ففعلنا ولنا الامل ان يستفيد منها ليس النصارى وحدهم بل غيرهم ايضاً ممّن ارتابوا ببعض مشاكل مجلّة المنار المصريّة وان احبَّ احد الاعتراض على اقوالنا فنحن مستعدُّون لدفع اعتراضاته بما يقنعهُ ان شاء الله ل . ش

الزهرات للاستاذ يوسف افندي الفاخوري

الجزء الثاني . طُبع على نفقة نخبة من تلامذتهِ القدماء

في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١٤ (ص ١٢٨)

هذه مرّة ثانية نفحت الزهرات الفاخوريّة فتعطّر بها المتخرّجون على يد استاذهم المحبوب ولم يشاءوا ان يبقى اريجها في دائرة تلامذتهِ بل احبُّوا ان يستنشق ايضاً رائحتها الطيّبة وصفاؤهم من ابناء المدارس والناشئة الوطنيّة وعليهِ لم يضنُّوا بمالهم لنشر عبيرها بالطبع . فشكرًا للاستاذ ولتلامذتهِ الادباء ل . ش

روايات البشير : ١ً ترهة القرّاء (ص ١٨٤) = ٢ً رواية المركيز جان للثيكونت هنري بورنيه : تعريب الخوري اسطفان فريحه البشلاني (ص ١٦٠) . بيروت المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين ١٩١٣

كثرت الروايات حتى كاد هذا الفنّ يغلب على غيرهـا من المطبوعات التاريخية والعلميّة . على ان معظم هذه الروايات ليس من ورائها فائدة وانّما يقطع قرّاؤهـا وقتهم الثمين في عالم الخيال فيسكرون من الاوهام الباطلة حتى يكادون ان ينسوا احوالهم الحقيقيّة ويثيرون في قلوبهم اهواء فاسدة كانوا عنهـا في غنًى . وليست والحمد لله الروايات التي تنشرها جريدتنا البشير من هـذا القبيل فانها امّا اخبار واقعيّـة تبعث في قلوب القرّاء اشرف العواطف وتدعوهم الى الاقتداء بمن

سبقهم الى الصلاح كروايات نزهة القرّاء المتضمنة عشر حوادث من اجمل ما يُروى من الوقائع الصحيحة واما روايات خياليّة لكنها مبنيّة على حوادث شبيهة بالحق يُقصد بها تمثيل الفضائل المسيحيّة والآداب الاهليّة او الاجتماعيّة كرواية المركيز جان للكاتب الكاثوليكي الشهير الفيكونت هنري دي بورنيه المعرَّبة تعريباً لطيفاً ذا انشاء سيّال منسجم. فنشكر مدير البشير لطبعه هذه الروايات على حدة وتزيينها بالملافات الجميلة فيجعلها من احسن الهدايا للشبّان عموماً ولاحداث الدارس خصوصاً

مطبوخ الارمن الكاثوليك

ترجمة من الارمنيّة حضرة الخوري سركيس ورتبيت چريان
طبع في المطبعة العلميّة في بيروت (ص ٦٤)

هذا المطبوخ وان كان اخصّ بالارمن ولاسيما الساكنين في البندقيّة والاستانة الّا انهُ يفيد الشرقيين ايضاً بمعلوماته العديدة كالتواريخ الثلثة الغربيّ والشرقيّ والهجري وتعريف الاعياد والتذكارات والصيامات والقطاعات لكلّ الطوائف الشرقيّة والاشارة الى احوال الجوّ تقريباً وآونة الزراعة والمواسم المختلفة فنشكر حضرة معرّبه وجناب الساعي بطبعه. ويا ليتهما زادا الاصل الارمني ضبطاً وايضاحاً فمن هو مثلاً (ص ١١) الملك طيطوس الواقع عيدهُ في ٢٠ ك ٢ ؟ وهل الانتصاف الشتوي واقع في ١٨ ك٢ ؟ ومن الاغلاط (ص ١٣) الخلط بين فرنسيس الاسيزي وفرنسيس دي سال ولم يَعُد عيد دخول المسيح للهيكل عند اللاتين عيداً مبطّلاً (ص ١٤) وكذلك خميس الجسد (ص ٣٣). ومن هم الكهنة الذهبيّون (ص١٥) واسحاق برطيف (١٦و١٧) وسرجيوس الرّسول (ص ٥٩) الخ ل.ش

شذرات

محاورة لميلاد السيد المسيح نشرت مجلة المرآة القرّاء في عدد ١٥ ك ١ من السنة المنصرمة (ص ٥٤٤ — ٥٤٦) محاورةً شعريّةً في مريم البتول والمجوس " واكدت انها من آثار المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي. وكنّا نشرنا السنة ١٩٠٢ هذه القصيدة في المشرق (٥: ١٧—١١) وقلنا هناك اننا لم نقف على

سبقهم الى الصلاح كروايات نزهة القرّاء المتضمنة عشر حوادث من اجمل ما يُروى من الوقائع الصحيحة واما روايات خياليّة لكنها مبنيّة على حوادث شبيهة بالحق يُقصد بها تمثيل الفضائل المسيحيّة والآداب الاهليّة او الاجتماعيّة كرواية المركيز جان للكاتب الكاثوليكي الشهير الفيكونت هنري دي بورنيه المعرَّبة تعريباً لطيفاً ذا انشاء سيّال منسجم. فنشكر مدير البشير لطبعه هذه الروايات على حدة وتزيينها بالملافات الجميلة فيجعلها من احسن الهدايا للشبّان عموماً ولاحداث الدارس خصوصاً

مطبوخ الارمن الكاثوليك

ترجمة من الارمنيّة حضرة الخوري سركيس ورتبيت چريان
طبع في المطبعة العلميّة في بيروت (ص ٦٤)

هذا المطبوخ وان كان اخصّ بالارمن ولاسيما الساكنين في البندقيّة والاستانة الّا انهُ يفيد الشرقيين ايضاً بمعلوماته العديدة كالتواريخ الثلثة الغربيّ والشرقيّ والهجري وتعريف الاعياد والتذكارات والصيامات والقطاعات لكلّ الطوائف الشرقيّة والاشارة الى احوال الجوّ تقريباً وآونة الزراعة والمواسم المختلفة فنشكر حضرة معرّبه وجناب الساعي بطبعه. ويا ليتهما زادا الاصل الارمني ضبطاً وايضاحاً فمن هو مثلاً (ص ١١) الملك طيطوس الواقع عيدهُ في ٢٠ ك ٢ ؟ وهل الانتصاف الشتوي واقع في ١٨ ك٢ ؟ ومن الاغلاط (ص ١٣) الخلط بين فرنسيس الاسيزي وفرنسيس دي سال ولم يَعُد عيد دخول المسيح للهيكل عند اللاتين عيداً مبطّلاً (ص ١٤) وكذلك خميس الجسد (ص ٣٣). ومن هم الكهنة الذهبيّون (ص١٥) واسحاق برطيف (١٦و١٧) وسرجيوس الرّسول (ص ٥٩) الخ ل.ش

شذرات

محاورة لميلاد السيد المسيح نشرت مجلة المرآة القرّاء في عدد ١٥ ك ١ من السنة المنصرمة (ص ٥٤٤ — ٥٤٦) محاورةً شعريّةً في مريم البتول والمجوس " واكدت انها من آثار المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي. وكنّا نشرنا السنة ١٩٠٢ هذه القصيدة في المشرق (٥: ١٧—١١) وقلنا هناك اننا لم نقف على

ناظمها وانّنا « اصلحنا فيها بعض ابيات ركيكة او مختلة الوزن » وقد كرّر بعد ذلك طبع هذه المحاورة مرتين في طبعتي كتابنا اطرب الشعر واطيب النثر (ص ٨٥ ثم ج ١ ص ٦١) ثم وقفنا على اسم صاحبها فاشرنا اليه في فهرست هذه الطبعة الثانية (ص ٤١٠). ومن العجب ان الشيخ ابراهيم لمّا نشرناها لاوّل مرّة لم يدّعِ كونها من شعره. ولعلهُ سكت لما وجد فيها من الضعف اذ نظمها في شبابهِ وهو في ديرنا غزير حيث وجدناها في سجلّات الدير دون اسم ناظمها

تطاول مدرسة التهذيب وقفنا في العدد الثاني عشر للسنة الاولى من هذه المجلة التي منشئها القس طانيوس سعد البروتستاني ومحرّرها عميت. وزيريان على فصل هزلي لمحمد العيد (ص ١٩٠ — ١٩١) عنوانهُ « محاكمة الحيوانات » ادّعى فيهِ « انَّ الاوروبيين من القرن الثاني عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر بعد الميلاد كانوا يقيمون الدعاوي الجنائية على الحيوانات والحشرات المضرّة مثل الذباب والجرذان وغيرها ويحاكمونها في المحاكم الكنائسيّة مستندين في ذلك الى ما ورد في التوراة والانجيل . . . وذلك في كلّ البلاد الاوربية (كذا) » الى باقي ما هناك من التشنيع والكذب الصريح في الدين الكاثوليكي فاخذنا العجب كيف لم يندّ وجه كاتب هذا الفصل ومنشئ المجلّة ومحرّرها . افهذه هي « مدرسة التهذيب » في كفرشيما او يرضى اهل كفرشيما ان يُهان دينهم على هذه الصورة ؟ . فالعار كل العار على مجلة بروتستانيّة تنشر مثل هذه الاكاذيب وعلى من يقرأ مثل هذه المجلّات

نظرة في كتب العهد الجديد ظنّ الدكتور محمد توفيق صدقي بنشر هذا الكتاب انّهُ افحم النصارى وقد رأيت جوابنا عليهِ في مسئلة الوهيّة السيد المسيح . وقس عليها بقية المسائل التي نقلها عن بعض الملحدين كريثان وامثالهِ وفنّدها علماء اثبات لا يُردّ قولهم . وقد بيّنت ذلك مجلة الشرق والغرب الصادرة في مصر في عددها العشرين من السنة التاسعة (ص ٤٦٧ — ٤٧٢)

دين غسّان نقلت مجلة القدسية في الجزء الثالث من سنتها الاولى ص ٣ — ٨٨) اقوال مجلة لغة العرب في دين غسّان . واذ قد فندنا هذا الرأي في مقالتين مطوّلتين السنة ١٩٠٨ (في المشرق ١٠ ٥١٩ و ٥٥٤) نحيل الكاتب

الى مراجعتها. ومن غريب ما قال صاحب المنهل هناك (ص ٨٨) ان مؤرخي المسلمين كانوا يبالغون في نسبة النصرانية الى قبائل العرب لرغبتهم في اظهار فضل دينهم على باقي الاديان السماوية. زه! زه! وما قول جنابهُ في تآليف اليونان والسريان الخ

اسئلة واجوبة

س سألنا من عبد تراز المطرفوليتان الانطاكي الخوري يوسف هما عن رايا في اصل بيلاطوس السنلي أكان من بلاد البنطس او لا

اصل بيلاطوس السنلي

ج يجد حضرتهُ جوابنا على كل ما يُعرف عن بيلاطوس في السنة الاولى المشرق ١٨٩٨ (١ : ٣٢٩ — ٣٣١) ل. ش

سألنا حضرة الاب الفاضل ا. ص: ١° ما رأيا في العماد المشكوك فيه هل يتأتى عنهُ مانع اختلاف الدين فيُبطل الزواج؟ ٢° وان ثبت فساد العماد او عدمهُ بعد عقد الزواج هل يعدّ الزواج صحيحاً؟ ٣° هل يلزم مانعُ الخفاء الموازنة؟ ثمَّ ٤° المراطفة. ٥° ما قولنا في اقتران يوسف المازوني بوردة اليهودية المتنصرة على يد البروتستانت اذا بارك زواجها قسيس بروتستاني؟

حوادث زواجيَّة

ج نجيب على (الاوَّل) ان الشك اذا كان سلبيًّا اي دون داعٍ صوابيٍّ لا يُعتدّ بهِ وأمَّا اذا كان ايجابيًّا فقد اجابت المجامع الرومانيَّة اجوبةً عديدة نشرها حضرة الاب فرنس في كتابهِ (Wernz: *Jus Decretalium*, IV, n. 765, nota 38) وكلها مبناها على هذه القاعدة العموميَّة: انَّ العماد اذا وقع ريب في حصولهِ فعلًا او في صحتهِ يجب اعتبارهُ كما لو كان صحيحاً من حيث تأثيره في الزواج المعقود او المنوي عقدهُ. وعليهِ: (١°) لا يبطل مانع اختلاف الدين زواجاً عُقد او سوف يُعقد بين زوجين مشكوك في عماد احدهما او كليهما. وهذا الحكم ثابتٌ مرعيٌّ ليس فقط قضاء بازاء المحاكم الكنسيَّة (in foro externo) ولكن شرعاً وديناً ايضاً في حكم الذمَّة (in foro interno) كما بيَّنهُ كسباري (Gaspari: *De Matrimonio*, ed. 3ª, I, n° 687) بنصوص للمجامع الرومانيَّة يستفاد منها ان الكنيسة لا تحكم بتجديد رضى الزوجين اذا وقع شكٌّ بعد قرانهما في صحة عماد احدهما او كليهما وانما تكتفي باعادة العماد سرًّا وشرطيًّا. كما انها تقضي قبل الزواج باعادة

الى مراجعتها . ومن غريب ما قال صاحب المنهل هناك (ص ٨٨) ان مؤرخي المسلمين كانوا يبالغون في نسبة النصرانية الى قبائل العرب لرغبتهم في اظهار فضل دينهم على باقي الاديان السماوية . زه ! زه ! وما قول جنابهُ في تآليف اليونان والسريان الخ

اسئلة واجوبة

س سألنا من عبد تراز المطرفيلاكس الانطاكي الخوري يوسف هما عن رايا في اصل بيلاطوس السنلي أكان من بلاد البنطس او لا

اصل بيلاطوس السنلي

ج يجد حضرتهُ جوابنا على كل ما يُعرف عن بيلاطوس في السنة الاولى المشرق ١٨٩٨ (١ : ٣٢٩ — ٣٣١) ل . ش

سألنا حضرة الاب الفاضل ا . ص : ١ً ما رأيا في العماد المشكوك فيه هل يتأتى عنهُ مانع اختلاف الدين فيُبطل الزواج ؟ ٢ً وان ثبت فساد العماد او عدمهُ بعد عقد الزواج هل يعدّ الزواج صحيحاً ؟ ٣ً هل يلزم مانعُ الخفاء الموازنة ؟ ثمَّ ٤ً المراطفة . ٥ً ما قولنا في افتراء يوسف المازوني بوردة اليهودية المتنصرة على يد البروتستانت اذا بارك زواجها قسيس بروتستاني ؟

حوادث زواجيَّة

ج نجيب على (الاوَّل) ان الشك اذا كان سلبيًّا اي دون داعٍ صوابيٍّ لا يُعتدّ بهِ وأمَّا اذا كان ايجابيًّا فقد اجابت المجامع الرومانيَّة اجوبةً عديدة نشرها حضرة الاب فرنس في كتابهِ (Wernz: *Jus Decretalium*, IV, n. 765, nota 38) وكلها مبناها على هذه القاعدة العموميَّة : انَّ العماد اذا وقع ريب في حصولهِ فعلًا او في صحتهِ يجب اعتبارهُ كما لو كان صحيحاً من حيث تأثيره في الزواج المعقود او المنوي عقدهُ . وعليهِ : (١) لا يبطل مانع اختلاف الدين زواجاً عُقد او سوف يُعقد بين زوجين مشكوك في عماد احدهما او كليهما . وهذا الحكم ثابتٌ مرعيٌّ ليس فقط قضاء بازاء المحاكم الكنسيَّة (in foro externo) ولكن شرعاً وديناً ايضاً في حكم الذمَّة (in foro interno) كما بيَّنهُ كسباري (Gaspari: *De Matrimonio*, ed. 3ª, I, nº 687) بنصوص للمجامع الرومانيَّة يستفاد منها ان الكنيسة لا تحكم بتجديد رضى الزوجين اذا وقع شكٌّ بعد قرانهما في صحة عماد احدهما او كليهما وانما تكتفي باعادة العماد سرًّا وشرطيًّا . كما انها تقضي قبل الزواج باعادة

العماد شرطيًا ان وُجد داعٍ للريب فيهِ . غير ان اعادة العماد لا يتوقف عليها اذ ذاك صحة الزواج من حيث هو عقد بل من حيث هو سرّ لان العماد هو بابسائر الاسرار واحسن تعليل لصحة عقد الزواج في الحالة الموصوفة هو القول انَّ الكنيسة تُفسح فيهِ عند الارتياب بالعماد . ٢) واذا ثبت فساد عماد احد القرينين او عدمهُ ووقع شكٌ في عماد الآخر اعتُبر هذا الاخير كنصراني ولحقهُ مانع اختلاف الدين وعُدَّ عقد الزواج باطلًا ما لم يُعتمد الاوَّل او تُفسح الكنيسة عن المانع

ونجيب على الثاني انَّ الزواج يُعَدُّ ثابتًا راهنًا اذا اتَّضح بعد عقدهِ فساد عماد الزوجين معًا او عدمهُ لخروجهما عن حكم الكنيسة وعدم تنصُّرهما . امَّا اذا كان عماد احدهما فقط باطلًا او فاسدًا فالارجح ان لم نقل الاكيد انَّ الزواج صحيح كما سبق في جوابنا على الاوَّل الَّا انَّ بعض ارباب الشرع الكنسيّ يرتأون وجوب تصحيحهِ تطمينًا لبال الزوجين ولا يُجيزون قطعًا فسخهُ الَّا بحكم الكرسي الرسوليّ

نجيب على الثالث انَّ مانع الخفاء يلزم الموارنة كما قرَّر المجمع اللبناني الذي اثبتهُ الكرسي الرسولي بصورة مخصوصة (sub forma specifica) على انَّ هذا المانع يُلزمهم وفقًا لنصّ القرار التريدنتيني (Tametsi) لا للحكم (Ne temere) الصادر من المجمع المقدَّس في ٢ آب سنة ١٩٠٧ ما لم يُعقد الزواج بين زوجين احدهما لاتينيّ فحينئذٍ يَلزم العمل بموجب المرسوم (Ne temere) على ما صرَّح المجمع المقدَّس بايضاحين تاريخهما ٣٠ آذار و٢٧ تموز سنة ١٩٠٨

نجيب على (الرابع) لا يمكن ان يلحق مانعُ الخفاء الهرطوقي الَّا في موضعين : ١) اذا ابرم الزيجة مع احد الكاثوليكيين المقيَّدين بقانون المجمع المقدَّس (Ne temere) في بندهِ العاشر . و٢) اذا كان قبل هرطقتهِ كاثوليكيًا على الطقس اللاتيني كما يُستفاد من مقابلة البند المذكور مع تصريح المجمع المقدس في ٣٠ اذار ١٩٠٨

نجيب على (الخامس) لا يُبطل مانع الخفاء زواج يوسف ووردة . لأنَّ وردة كما سبق غير مقيَّدة بمانع الخفاء ثم لانَّ هذا المانع لا يقع على يوسف الَّا جزئيًا على حكم المجمع التريدنتيني (Tametsi) . والقاعدة المرعيَّة في تفسيرهِ لدى الكرسي الرسولي هي ان احدُ الزوجين اذا استثني من مانع الخفاء يُستثنى بحجَّتهِ الآخر ش . ا

المشرق

القس بولس بليط

سيرة قس خدم في الماروني الحالي

من كاهن جليل تجرّدت له الدنيا عن مناحيها ومراميها فأعرض عن اباطيلها وبهارجها عكوفاً على التعبّد والتقوى وانقطاعاً الى خدمة الخالق والخلائق — والحيوة دعوات في سبيل الله تعالى — فكانت حيوته الطويلة سلسلة حسنات وكل خدمه واعماله من محاسن الصفات وكلاهما ما يُبقي له طيب الذكر وحسن الاحدوثة بين رجال حلب الافاضل

ما نزل حفرتهُ وامسى في ضيق التراب سرًّا حتى طُوي نشرهُ وأهمل شأنهُ فسألني صاحب المشرق الفاضل ان أُحيي ذكرهُ من ارماسهِ فارتحتُ الى اجابة سؤاله في عصر !.. أعظموا فيهِ مثل فرّر وسواهُ من اهل التعطيل والفوضوية !.. عسى ان يؤثر التقى والفضيلة كلُّ راغب فيهما عن هذا الكاهن الفاضل فيجري فيهما على منهاجهِ السويّ ميلًا عن العاجلة الفانية الى الآجلة الباقية

وقد ذكرت من آثارهِ واعمالهِ ما رأيتهُ وعرفتهُ بنفسي تنزيهاً لهُ عن معرّة الشبه والظنون في هذه الآونة التي بات اهلها يكابرون في المحسوس الذي يكاد يُلمس بالايدي... وقليلٌ ما ارسلتهُ على علّاتهِ لتعذُّر الوقوف فيهِ على الاسناد والادلة التي يُركَن اليها ويُعتمد عليها في مثل هذه المباحث الغامضة . وقد جعلت الترجمة مبوَّبةً يسهل معها استيعابها على القرّاء الكرام

*

تتسلسل اسرة « بليط » من جدّها الاعلى المسمّى « بارون » وقد غادر فيما يقال

وطنه فرنسا في اواخر القرن الخامس عشر ونزل هو واولاده على قرية « زيتون » التابعة لواء مرعش وهي القرية التي اشتهرت بمناعتها وحصانتها في كوارث الارمن المشؤومة في خلال سنة ١٨٩٦. فانحاز بارون فيها الى النجدة الارمنيّة وتولّى هو واولاده زعامتها ردحاً من الزمن الى ان زايلها احد احفاده وتوطّن حلب الشهباء في آخر القرن السادس عشر فكانت وطن الاسرة الى اليوم. هذه خلاصة ما يجري على الالسن ويتناقله بعض الابناء عن الجدود من التواتر العائلي مستندين فيه الى بعض الاوراق والصكوك الخطوطة وهو لا يخلو من نقد واعتراض فيما يظهر. ولقب الاسرة « بليط » عربي لا شبهة فيه كما لا يخفى

جدّها بارون ولد دانيال ودانيال ولد سركيس وسركيس ولد عطاء الله وجرجي فعطاء الله ولد يواكيم وشكري وجرجي. ويواكيم صار باسمه كاهناً وشكري وجرجي لا يُعرف من امرهما شيء. وجرجي ولد: ١ جبرائيل ٢ وانطون ٣ وميخائيل ٤ وشكرالله وهم جدود الاسرة المعروفون

ولكل هؤلاء الاربعة اولاد واولاد اولاد يطول بنا ذكرهم (١ وأترك التحقيق في اخبارهم لمن اسعده الحظّ ان يقف على اوراق قديمة تبحث في اصل تلك الاسرة الكريمة وبهذا القدر غنى وكفاية. وانّما خرج منهم رجال افاضل شرّفوا الوطن والدين بخدمهم الجليلة لاسيما في القرن المنصرم نخصّ منهم بالذكر السيّد المفضال المثلث الرحمات غريغوريوس بليط الذي مرّ ذكره في المشرق سنة ١٩٠٦ (٩: ٤٦٢) في سلسلة اساقفة الشهباء الارمن والسيّد يوسف بن شكرالله بن جرجي بليط الذي صار كاهناً في حلب ثمّ جلس على كرسيّ طائفته في ماردين (المشرق ٩: ٣٦٥)

امّا المترجم فهو فتح الله بن نيقولاوس بن جبرائيل بن جرجي بن سركيس (٢ ابن دانيال بن بارون الجدّ الاعلى

وقد ابصر النور بحلب في ٢ شباط من سنة ١٨٢٧ فدُعي يوم تنصيره باسم فتح الله. وكان ابوهُ نيقولاوس وامهُ كاترينا كاترون المارونيّة متكافئين متشابهين

١) انّ حضرة مكاتبنا الاديب سرد هنا سلسلة العائلة بحلتاها الى عهدنا الحاضر فرأينا في اثباتها طولاً وخفنا ملالاً للقرّاء. فاكتفينا بالتلميح (المشرق)

٢) وقيل جبرائيل بن جرجي بن جبرائيل بن جرجي بن سركيس

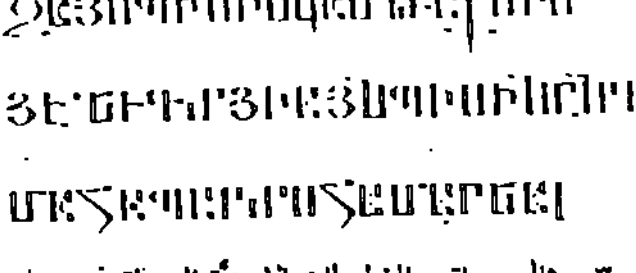

٣ مثال من اقدم المخطوطات الارمنيّة المعروفة في عهدنا

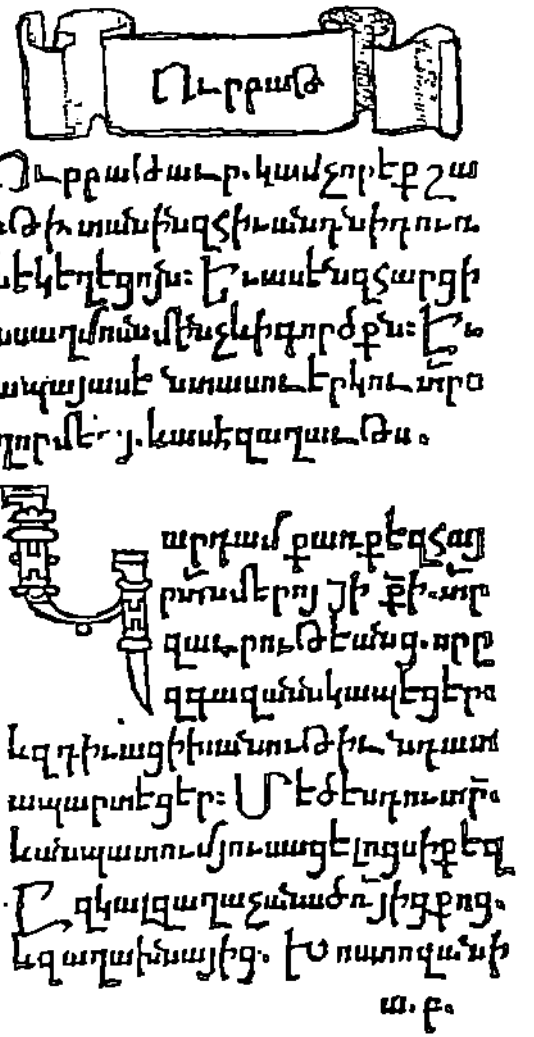

٤ مثال من اقدم المطبوعات الارمنية (رتبة الآلام)

حسباً ومحامد واخلاقاً تترعرع فتح الله في حجرها الوالدي ملحوظاً بجمال الفضيلة محروساً بنقاوة الطبيعة وتدرّج في مطلع سني حياته في مدارج الورع والصلاح

وكانا يصحبانهِ منذ حداثة سنهِ الى الكنيسة حتى يتمرّس على شهود الحفلات الدينية وقضاء واجب العبادة لله والصلاة لوجههِ تعالى شان سائر رجال حلب في ذلك العهد الميمون فنشأ الفتى فتح الله متشبّعاً من لبان التديُّن مرتوياً من منهل التقى الصافي مما حملهُ على انفتهِ من الملاهي وزهدهِ بالدنيويات وارتفاع افكارهِ الى عالم الروحيات

فراق المثلث الرحمة باسيليوس حيرغ مطران حلب على الارمن الكاثوليك ما كان عليهِ المترجم من النهج الحميد فدعاهُ الى الاندماج في العالم الاكليريكي فاجاب الى الدعوة طائعاً منقاداً فجعلهُ اذ ذاك شماساً انجيلياً فانقطع الشماس فتح الله الى خدمة الكنيسة واقامة الشعائر الدينيَّة وشرع منذ حينئذٍ يوهب نفسهُ الكريمة لكي يكون في مقدمة الكهنة الصلحاء الذين يتهالكون في الدفاع عن حوزة الدين القويم

وفي ١١ شباط سنة ١٨٥١ سامهُ هذا الاسقف الجليل كاهناً وسماهُ بولس تيمّناً باسم رسول الامم العظيم . فانفق القس بولس في سبيل الدين والوطن حقبةً طويلة من حياتهِ كان فيها اباً كريماً وعضداً معواناً ملءُ غلائلهِ نشاطٌ وغيرة في خدمة الانفس على ما توجبهُ عليهِ خطّتهُ الكهنوتيَّة السامية فاجمعت الكلمة على اطرائهِ واتحدت القلوب على ولائهِ واجلال مقامهِ والاعجاب بمساعيهِ واعمالهِ الحسان

ومن غرر مآثرهِ انشاؤهُ مدرسةً لطائفتهِ الارمنيَّة كانت على حداثتها وسذاجة دروسها اوّل مدرسة قامت لهذه الطائفة الكريمة اسوةً بسائر الطوائف المسيحيَّة بحلب وعلى اساسها انشأ بعدئذٍ المثلث الرحمة المطران غريغوريوس بليط مدرسة اخرى اصابت بعض الرقي والنجاح وخدمت رعيتهُ خير خدمة فكان لصاحب الترجمة فضل مذكور على ناشئة طائفتهِ وسواها لا يجحدهُ الّا الكنود ولا ينكرهُ الّا الارمد

فلمّا نُعيت هذه الطائفة براعيها باسيليوس عيواظ السابق الذكر في ٢٨ كانون ٢ من سنة ١٨٦٠ اتجهت الابصار الى القس بولس وحامت عليهِ الخواطر فابى قبول الكرامة الاسقفيَّة منكراً على مريديهِ ومحازبيهِ من الكهنة والاعيان ترشيحهُ لهذه الخطّة السامية مدّعياً عجزهُ عن النهوض باعبائها الشاقة وشؤونها الكثيرة المتاعب

وبالتالي اقنعهم بأنهُ يتعذَّر عليهِ ان يمثل الطائفة بلياقة لدى ولاة الامور والحكَّام المدنيين

*

وبعد المداولة اصاب القس ميخائيل بليط اكثريَّة الاصوات فسار بابن عمهِ القس بولس الى دير بزمار بلبنان حيث رقَّاهُ البطريرك غريغوريوس الثامن الى درجة الاسقفيَّة مسمًّى بغريغوريوس في ٢ شباط سنة ١٨٦١ ورقَّى بعدهُ القس بولس الى رتبة ورتبيت (من درجة زَيركوين) وسمح لهُ ان يتقلَّد الصليب والخاتم والتاج ولكنهُ ابى ان يستعمل شيئاً من شاراتها وحقوقها اتضاعاً موثرًا عليها رئيسهُ الساذج

ولما دعي المطران غريغوريوس الى رومية العظمى لحضور حفلات تثبيت شهداء اليابان ويوبيل زعيمي الرسل المثوي في سنة ١٨٦٧ رحل اليها بصحبة الورتبيت حيث تشرَّف معهُ بمقابلة قداسة البابا بيوس التاسع اكثر من مرَّة لقي فيها كل انعطاف ابوي واستمال اليهِ التفات الطيِّبي الذكر البطريرك بولس مسعد والبطريرك انطون حسُّونيان (الذي تقلد الشارة الكردينالية) والسيد اسطفان عازريان (الذي تولى بعد ذلك منصَّة البطريركيَّة الارمنيَّة) الى غير هؤلاء من رجال الدين المشاهير

وقد تعطَّف عليهِ اذ ذاك قداسة البابا بيوس بمقابلة خاصة فوَّض اليهِ فيها منح الغفران الكامل والبركة البابويَّة كل مرة يباشر فيها رياضة روحيَّة فصادف هذا الالتفات والانعام ارتياح الجميع

وفي سنة ١٨٦٩ سار الورتبيت بمعية المطران غريغوريوس كاستاذ في اللاهوت والطقوس الى الاستانة العلية للاشتراك في المجمع الطائفي الذي كان البطريرك المغبوط انطون حسُّونيان المار ذكرهُ ينوي عقدهُ للنظر في حالة طائفتهِ الارمنيَّة وطقوسها وقوانينها وما يتصل بها من شؤونها وبعد انعقاد ثمانين جلسةً منهُ حيث قرَّر آباؤهُ فيها صورة الايمان وتوزيع الاسرار ونظام الكراسي التريبوليتيَّة والاسقفيَّة وفدَّ على البطريرك مرسوم من الكرسي الرسولي يحضُّهُ فيهِ على انجاز اعمال هذا المجمع الطائفي. فرأى البطريرك والآباء التوقف عن متابعة جلساتهِ الى أجل آخر رغبةً في شهود المجمع الواتيكاني العامّ

ومن هناك استأنف المطران ونسيبهُ الورتبيت الرحلة في حاشية البطريرك

حسونيان السابق الذكر الى رومية العظمى حيث انضموا جميعاً الى آباء المجمع الواتيكاني. وروى عن الورتبيت ابنُ اخيهِ انهُ عُيّن عندئذٍ في سلك علماء اللجنة اللاهوتية . وقد تقصّيت هذه الرواية فلم أرَ ما يسندها في اعمال المجمع حتى عثرتُ في كتاب رحلة الورتبيت الى الاستانة ورومية على انهُ قُبل فيهِ بصفة لاهوتيّ سيادة نسيبهِ وكان يشهد الجلسات العلنيّة في المقام الخاصّ باللاهوتيين. وما لا ريب فيهِ انهُ بعد عودهِ الى وطنهِ حلب كان اول من نادى فيها بقضية العصمة البابويّة التي كانت تقررت في ذلك المجمع المسكوني العظيم

ومن هذا كلهِ يستفاد ان المطران غريغوريوس كان اتخذ ابن عمهِ الورتبيت مستشاراً لهُ ومستودعاً لاسرارهِ يصدر عن رأيهِ ويعوّل عليهِ في كثير من المشاكل والملمّات وقد اخلص لهُ الخدمة في كل مدة اسقفيتهِ الطويلة كما اخلص لخلفهِ المطران اواديس تركيان وقد نال الورتبيت من رؤسائهِ وكبار رجال طائفته من الثقة والاعتبار ما هو خليق بمقامهِ جدير بخدمهِ في جنب الدين والطائفة والانسانيّة

*

ومنذ صغر الورتبيت أوقف جهدهُ على الدرس والاستفادة فدرس اللغة الارمنيّة وتلقّى الايطاليّة واللاتينيّة عن الاب فرنسيس امايا الكبوشي ودرس اللغة العربية على نفسهِ فيما شافهني بهِ في بعض محادثاتهِ او على العلامة البطريرك مكسيموس مظلوم فيما رواهُ ابن اخيهِ في ترجمتهِ فأخذ منها كفايتهُ . واما الفلسفة واللاهوت بقسميهِ الادبي والعقائدي فاخذهما عن الخوري يوسف عبديني المشهور واشتهر عمارفهِ الطقسيّة والفلسفيّة والقانونيّة واللاهوتيّة اكثر من سواها

ودرّس في مدرسة الآباء الكبوشيين اثناء درسهِ فيها ودرّس ايضاً مدّةً في المدرسة الطائفيّة التي كان انشأها على ما سبق بيانهُ وخلف استاذهُ العبديني في القاء دروس اللاهوت على طلّابها من رجال الكهنوت. ومن تلامذتهِ فيها المطران اوغسطين صائغ والمطران ميخائيل الخرس والخوري قسطنطين خضري وكان الورتبيت في تعليمهِ متين التحقيق متأنياً في التقرير جامعاً الى صحة النقل وكثرة التمثيل سهولة التعبير وحسن الاسلوب. وفيما خلا ذلك كان يقصدهُ الناس لاستفتائهِ في بعض المشاكل الكتابيّة او اللاهوتيّة او القانونيّة ولهُ فيها القول الفصل الصحيح

وكان ينفق اوقات فراغهِ من مهامهِ الكهنوتيَّة على معاناة المطالعة والتأليف والافادة. واما تآليفهُ ومعرَّباتهُ المطبوعة فهي: ١ً رياضة شهر تشرين الثاني لاسعاف الانفس المطهريَّة عرَّبها عن الايطاليَّة وطبعها بمطبعة حلب المارونيَّة سنة ١٨٥٩. ٢ً مسبحة سبعة افراح مريم العذراء استخرجها عن الايطاليَّة ايضاً وطبعها بمطبعة الآباء الفرنسيسيين في اورشليم سنة ١٨٥١. ٣ً كتاب الدعامة وهو خمس محاورات دينيَّة في وجود الله وخلود النفس ألَّفها وطبعها ببيروت في سنة ١٨٩٥. ٤ً كتاب النبراس الجزء الاوَّل منهُ وهو خمس محاورات دينية في الكنيسة والمطهر والانبثاق وسعادة القدّيسين ألَّفهُ وطبعهُ بالمطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩٠٧. ٥ً نبذة تاريخيَّة في ابرشيَّة حلب الارمنيَّة نشرتها مجلَّة المشرق ببعض تصرُّف في سنتها التاسعة وهي سنة ١٩٠٦

واما مؤلفاتهُ ومعرَّباتهُ المخطوطة فهي: ١ً الجزء الثاني من كتاب النبراس وهو خمس محاورات. ٢ً الجزء الثالث منهُ وهو غير تام التأليف. ٣ً بعض ملاحظات تخصّ الارمن (اي مميزات الارمن) كتبهُ في سنة ١٩٠٨. ٤ً اسئلة واجوبة في مشاكل كتابية ولاهوتيَّة وسواها كتبها في سنة ١٨٦٣. ٥ً مجموعة في اسرار الماسونية عربها عن تأليف احد المرتدّين عن الشيعة. ٦ً كتاب اليوميَّة الروحية عرَّبهُ عن الايطاليَّة قبل كهنوته. ٧ً عظات في شرح الوصايا والصلاة الربية. ٨ً مواعظ على مدار الشهر المريمي. ٩ً ولهُ فيما عدا ذلك مواعظ عديدة متفرقة. ١٠ً مجموعة في اسرار الكنيسة السبعة. ١١ مياومة تاريخيَّة كان يدوّن فيها اخبارهُ واخبار وطنهِ حلب. ١٢ً كتاب رحلتهِ الى الاستانة العليَّة ورومية العظمى لحضور المجمع الطائفي والمجمع الواتيكاني وهو لا يخلو من فوائد اخرى

*

وقد مال الى فنّ الوعظ والخطابة وتمرَّن عليهِ في ابَّان فتوتهِ فرُزق فيهِ حظاً وافراً وزادهُ المران عليهِ خبرةً بفنونهِ وضلاعة من اساليبهِ الكثيرة الشعاب فعاناهُ من اول ترشيحهِ لدرجة الكهنوت وظلَّ بعدهُ نحو نصف قرنٍ منفرداً فيهِ عن الاشباه بين قومهِ الارمن لا يباريهِ مبارٍ فيما كان يلقيهِ من المواعظ والمرشد في كل الاغراض الدينية والادبية والاجتماعية

واخذ على نفسهِ ايضاح التعليم المسيحي وكنتُ في جملة طلبتهِ الذين اخذوهُ عنهُ في سنة ١٨٨٤ فرأيتهُ فيهِ شارحاً ضليعاً ما أُلقي اليهِ شرح قضيَّة من تعاليم السيد المسيح الخلاصيَّة الَّا عرَّفها واحاط باطرافها وجلا غوامضها عنها حتى يتركها على طرف الثمام وحبل الذراع فتتشرَّبها الافهام باسهل اسلوب بلا ابهام ولا ايهام

وكان يعدُّ ناشئة قومهِ الى مناولة القربانة الاولى فكنتُ في عدادها في تضاعيف سنة ١٨٨٥ فوجدتهُ اثابهُ الله يسهب في الموعظة والارشاد ويكثر من الترغيب والترهيب حتى ينكِّب الفتيـة عن مواطن الرذيلة ويقبلوا على موارد الفضيلة اقبال الظماء « اذ لا يتسنَّى بدونها للرجل ان يكون مسيحيًّا كاثوليكيًّا كاملًا » وهو ما لا ازال اذكرهُ من لفظهِ حتى اليوم ونعم القول ورحم الله قائلهُ الكريم

ومن اوَّل امرهِ عُهد اليهِ بادارة اخوية الاحداث واخوية الشبان واخوية المتزوجين واخوية ارتداد الخطأة فكان يتعهَّدها باهتمامهِ ويتوفَّر على نموِّها ونجاحهـا جهدهُ لافظاً في كل منها من المرشد والمواعظ ما يناسب المقام فضلًا عن المواعظ العموميَّة التي كان يلقيها كل احدٍ وعيدٍ في الكنيسة الارمنيَّة الكاتدرائيَّة فتكتظُّ بالناس على اختلاف الطبقات والطوائف والمشارب

وفي كل سنة من سني كهنوتهِ كان يروِّض الرجال اسبوعاً والنساء آخر فيتسابق الناس الى استماع خطبهِ وحفلاتهِ تسابُق الجياع الى القصاع فيجول فيهـا جولات معهودة في العقائد الدينية والحقائق الازلية ويحمل حملات عنيفة على مضارّ المدنية الحديثة ومفاسد الاخلاق والعادات الجارية رغبةً في ان يحيد الناس عنها متوردين الى طريق الخلاص القويم

وقد شهدتهُ مرَّات يُلقي فيها الوعظ فوجدتهُ منخفض الصوت قليل الحركة رابط الجأش وعليهِ مسحةُ التقى والهيبة والوقار يجيل بصرهُ في سامعيهِ فتخترق لحظاتهُ شغاف القلوب ويتدفَّق بعباراتهِ كالسيل المنهمر فلا يعتور لسانهُ لُكنة او حُبسة فتفعل كلماتهُ في النفوس ما لا تفعلهُ الصهباء في الرؤوس. وغاية ما يقال في وعظهِ انهُ كان يُؤثر طريقة الصلاة العقلية على سواها فيكثر فيها من الفلسفة الطبيعية والتشابيه والمثلات والاخبار والشواهد وغالب تنظيرهِ فيهـا يقتبسهُ عن القديسين كارلس

ترجمة ديبوس نيري دافوس ليفوري مما يدل على تشبعه من مبادئ وآراء هؤلاء القديسين العظام ونعم القدوة والمرجع

٥

وهو قصير القامة اسيل اللحية وارد الارنبة اشهل العينين عريض الجبهة ابيض اللون اسود الشعر ديخشة الايام . دمث الخلق وقور المنظر طويل الاناة منخفض الصوت قوي البادرة حسن الفكرة مصيب الرأي رقيق القلب . وكان تقي الطيب تقي النفس كثير الصلاة كثير التأمل غيوراً على الايمان الكاثوليكي وقد اعاد بيعاً كثيرة من الارمن وكان قشناً يكتفي باليسير من الغذاء ويجتزئ باللازم من اللباس متواضعاً يأنف الزهو والبذخ ويعاف ملاذ الدنيا متنزهاً في حديثه وحركاته عفة في الامور التافهة يؤثر العزلة على المعاشرة ويصرف في مكتبه ما فضل من اوقاته عن واجباته الكهنوتية في الدرس والمطالعة والتأليف . واسع الحفوظ كثير النوادر يروي القصة بتواريخها واسماء اصحابها لطيف المحاضرة لا يحدث جليسه الا بحديث التقى والفضيلة وما اشبه هذه الامور الروحية والادبية المعتبرة . وعلى الجملة فقد كان اباً صالحاً ومرشداً ناصحاً وكاهناً جليلاً فاضلاً مشغوفاً بمحبة الله متفانياً في خلاص النفوس واغاثة الفقراء وارشاد الضعفاء صبوراً على عبر الدهر ونوائب الحياة وبوارح الآلام وقد سعى به بعض اعدائه وحسّاده في آخر ايامه فما نالوا منه مأرباً بل عاد اليهم بخائبة متجاوزاً عن سعايتهم واساءتهم

واصيب في نهاية حياته بوقر في اذنيه وضعف في عزيمته . ولكنه فيما عدا ذلك كان وافر اللب صافي الذهن ما فُلّت شباة عقله ولا أُفن رأيه في شيء بل ظل يواصل اعماله وفروضه الكهنوتية حتى ايامه الاخيرة . ولما حضر لديه احد الآباء اليسوعيين يعوده في مرضه الاخير اثنى على الرهبانية ثناء طيباً وشكر لها مساعيها في سبيل الكثلكة عموماً وسورياً خصوصاً وشجعها على احتمال المصائب في وجه الله وكنيسته المقدسة (١) . ووهب مكتبته للطائفة الارمنية وهي غنية بالتآليف والتصانيف الدينية

(١) وقد اخبرنا محبته رحمه الله لرهبانيتنا مراراً فانه كان يدافع عنها ويثني على اصحابها وكان قد اتخذ له مرشداً لضميره احد رهبانها . ولما سرنا الى حلب سنة ١٩٠٨ اهدانا بعض مخطوطات مكتبته التي ما كان أوقفها على طائفته الجليلة . وقد سمعنا مراراً كل من عرفه يثني على

والعلمية والادبية واوصى ان لا يُدفن دفناً حافلاً وان تُطبع كتبهُ الروحيَّة على نفقته الخاصة. وقد اتمَّ واجباته الدينية بخشوع وإخبات غير هيّاب ولا وجل من ملاقاة المنيَّة التي كان ينتظرها بثغر باسم وجبين وضاح. وبقي في ساعاته الاخيرة يرشد القائمين حواليهِ الى العياذ بقوة الله والتمسُّك بحبل الدين والتقوى ويكرر بصوت عالٍ بعض الصلوات والابتهالات الى ان فاضت نفسهُ الكريمة الى خالقها تعالى في ١٢ تشرين الاول من سنة ١٩١٠. وما طار منعاه في الشهباء حتى توافد كثيرون من ذويه وعارفيه يستلمون يديهِ آسفين عليهِ مستعظمين الخطب فيهِ. وفي اليوم التالي تواردت الى مأتمهِ الجماهير الغفيرة من كل صوب ومن كل ملة وبعد قضاء سنَّة ودفنهِ وتعزية آلهِ ساروا بالجثة على الاكف الى الكنيسة الارمنية الكاتدرائيَّة حيث صلَّى عليهِ الاكليروس الارمني وحشدٌ من اكليروس سائر الطوائف الكاثوليكية. وعند نهاية الصلاة ابنهُ سيادة الحبر الجليل المطران اوغسطين صانع تأبيناً بليغاً صادراً عن قلب كليم. ثم واروهُ الثرى بين سيول الترحيم واسباب التعظيم تغمَّدهُ الله بالرحمة والرضوان واسكنهُ فسيح الجنان انهُ سبحانهُ الكريم الرحيم

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

نمره ١٢ الانجيل المقدس بالسريانيَّة والعربية (بحرف سرياني) وهو اقدم الكتب عهداً في هذه المكتبة كبير الحجم مجلد بخشب. وهو مقسَّم على الكلندار او التذكارات. وعلى الصفحة الاخيرة من انجيل يوحنا علَّق الناسخ كتابة سريانيَّة مسهبة مؤدَّاها انهُ "انتهى من كتابة الكتاب سنة ١٥٤٧ للمسيح الموافقة لسنة

تواضعهِ وزهدهِ وحبَّهِ للفقراء وغيرتهِ الرسولية. وقد عُرف ايضاً بتقشُّفهِ وممارستهِ لأعمال الامانة فكان يلبس المسح ويتمنطق بزنَّار من حديد وغير ذلك مما وقف عليهِ اهلهُ دون علمهِ وبالاجمال كان مثال الكمال وقدوة الكهنوت ل. ش

والعلمية والادبية واوصى ان لا يُدفن دفناً حافلاً وان تُطبع كتبهُ الروحيَّة على نفقته الخاصة. وقد اتمَّ واجباته الدينية بخشوع وإخبات غير هيّاب ولا وجل من ملاقاة المنيَّة التي كان ينتظرها بثغر باسم وجبين وضاح. وبقي في ساعاته الاخيرة يرشد القائمين حواليهِ الى العياذ بقوة الله والتمسُّك بحبل الدين والتقوى ويكرر بصوت عالٍ بعض الصلوات والابتهالات الى ان فاضت نفسهُ الكريمة الى خالقها تعالى في ١٢ تشرين الاول من سنة ١٩١٠. وما طار منعاه في الشهباء حتى توافد كثيرون من ذويه وعارفيه يستلمون يديهِ آسفين عليهِ مستعظمين الخطب فيهِ. وفي اليوم التالي تواردت الى مأتمهِ الجماهير الغفيرة من كل صوب ومن كل ملة وبعد قضاء سنَّة ودفنهِ وتعزية آلهِ ساروا بالجثة على الاكف الى الكنيسة الارمنية الكاتدرائيَّة حيث صلَّى عليهِ الاكليروس الارمني وحشدٌ من اكليروس سائر الطوائف الكاثوليكية. وعند نهاية الصلاة ابنهُ سيادة الحبر الجليل المطران اوغسطين صانع تأبيناً بليغاً صادراً عن قلب كليم. ثم واروهُ الثرى بين سيول الترحيم واسباب التعظيم تغمَّدهُ الله بالرحمة والرضوان واسكنهُ فسيح الجنان انهُ سبحانهُ الكريم الرحيم

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

نمره ١٢ الانجيل المقدس بالسريانيَّة والعربية (بحرف سرياني) وهو اقدم الكتب عهداً في هذه المكتبة كبير الحجم مجلد بخشب. وهو مقسَّم على الكلندار او التذكارات. وعلى الصفحة الاخيرة من انجيل يوحنا علَّق الناسخ كتابة سريانيَّة مسهبة مؤدَّاها انهُ "انتهى من كتابة الكتاب سنة ١٥٤٧ للمسيح الموافقة لسنة

تواضعهِ وزهدهِ وحبَّهِ للفقراء وغيرتهِ الرسولية. وقد عُرف ايضاً بتقشُّفهِ وممارستهِ لأعمال الامانة فكان يلبس المسح ويتمنطق بزنَّار من حديد وغير ذلك مما وقف عليهِ اهلهُ دون علمهِ وبالاجمال كان مثال الكمال وقدوة الكهنوت ل. ش

٧٠٤٩ لآدم وللسنة الـ ١٨٦١ (كذا) للاسكندر بشهر اذار يوم السبت في الصوم في قرية حصرون » واسم الناسخ « الايبوديأكون يوحنا ابن الخوري ايوب ابن الارشدياقون يوحنا ابن البرديوط ابرهيم من حصرون » ويعتذر عن الاغلاط بعبارات تواضع على مألوف غيره من النساخ

ويلي هذه الكتابة كتابات متنوعة منها قيود حسنات وتقادم للكنيسة من اواني وملابس وغيرها نذكر بعضها تفكهةً للقارئ اذ لا تخلو من بعض الافادة وتدل على تدين رجال تلك الاعصر الخوالي ومحبتهم لبيت الله . وفيها ما يحقق التقليد الشائع في حلب ان المهاجرين اليها معظمهم من شمالي لبنان : « من القدماء الله يرحمهم اول على زمان الخوري فرج واولاده الله يرحمهم جددوا كاس وصينية فضة وبدلة حمره (كذا) وبعض كتب وحوايج على اسم مار الياس في مدينة حلب وكان المقتني في هل حوايج معلم عساف ابن الخوري فرج الله يرحمه » . ثم يذكر الكاتب كل النذور المقدمة للكنيسة عن يده ويتحفنا اخيرًا باسمه قائلًا : « هل تاريخ كان على زمان الفقير الشدياق عطاالله وهو كان ناظر ومعتني على جميع امر الكنيسة »

وهذا الشدياق عطاالله يظهر انه ارتقى فيما بعد الى درجة القسوسية اذ يذكر تقادم اخرى للكنيسة مدونة على اسفل هذه الصفحة ثم يختم الكلام فيها بقوله : « وكان المعتني في ذلك الفقير خوري عطاالله سنة الف وتسعماية للاسكندر . (كذا الماهم) »

ثم عثرنا بين الكتابات المتنوعة من هذا الباب المدونة على الصفحات الاخيرة من هذا الانجيل على كتابة ارمنية باحرف بديعة كلّفنا حضرة الاب الفاضل الخوري بولس اسيون الارمني الحلبي ان يتكرم علينا بترجمة مؤداها فاذا هي كما ترى :

« اذكروا في المسيح اليعازر مالاز الذي هو من مدينة موش ويوحنا الانجيلي من بلدة بزنك وقد اتينا كلانا الى حلب الى باب والدة الاله القديسة وعرمنا هذا الانجيل الماروني وكل من اطّلع عليه وراآه فليقل ليرحمكما الله وليذكركما في ملكوته امين . عُرِمَ بتاريخ الارمن سنة الف واثنتين (١) »

---

١) هذا التاريخ بالاحرف الارمنية الابجدية وهو يوافق سنة ١٥٥٣ لتاريخنا المألوف فيكون هذا الانجيل (على ما يظهر ملخصاً من الكتابات المدونة عليه) انهُ نُسخ سنة ١٥٤٧ مسيحية في حصرون واشتري لمدينة حلب سنة ١٥٥١ م وهي سنة ١٨٦٢ للاسكندر وعرمهُ الارمنيان

وعلى الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب ما يلي :

« سنة ١٦٢٣ اوقفت سيدة بنت سعد ابن مارون من قرية حدشيت فردة خلخال فضة الى كنيسة مار الياس بخمس قروش وهي صدقة عنها وعن والديها . وقبل تاريخه بنصف سنة انتيحت (١ الفيه بنت حوشب الحدشيتي حرمة عبدالله بن منصور من قرية حصرون واعطت كمخة (٢ حمرا لمار الياس عن روحها وروح امواتها . وايضاً في تلك السنة اوقف زمريا غاي وكيل سيدنا البطريرك في مدينة حلب (٣ بدلتين حرير الواحدة كمخة بيضه (كذا) والاخرى حمره (كذا) الى مار الياس صدقه (كذا) عنه وعن اولاده الله يكثر لنا ولده اطايتنا . وايضاً اخوانه ايجرير على التاج الابيض صدقه عنه »

ثم يلي ذلك حادثة تاريخية ننشرها بحروفها :

« في تاريخ سنة الف ستماي (كذا) وتسعة وعشرين مسيحية حيث انا احقر المطارين اسحاق مطران مدينة طرابلس الشدراوي في قضيان مصالح سيدنا البطرك يوحنا ابن مخلوف الى مدينة حلب وصار لنا واجب وعزازة كبيرة من جماعتنا الموارنة القاطنين في المدينة المذكورة »

ثم يذكر باندهاش حادث وقوع امطار غزيرة جرى في ٢٧ حزيران . وقبالة هذه الصفحة كتابة باحرف عربية (لان كل ما نقلناه سابقاً محرر باحرف سريانية) وها كها :

« فلما كان تاريخ الف وخماية وثمانين مسيحية سادس عشر من تموز المبارك انا الحقير القس باطشتا الاليانى الرماني (٤ حضرت الى مدينة حلب المحمورة واتفقدت رعية طائفة الموارنة واعطيت للكنيسة بدلة حرير مع بطرشيلها وزندها وامرت ان لا احد يستقني بها ولا يبدلها ولا يغيرها الى الانتهاء وكل من خالف ذلك يكون تحت الوصية البطرسية فاما كل من يستدل فيها مطران كان ام قسيس ام خوري يدعي في شان المسيح والحمد لله وحده امين »

اليعازر ويوحنا الانجيلي سنة ١٥٥٣ الموافقة لسنة ١٠٠٢ لتاريخ الارمن ثم عُرِّبَ ثانيةً سنة ١٦٤٦ كما سترى بعد قليل

١) اي رقدت او ماتت وهي لفظة سريانية

٢) الكمخة في عرف الناسجين في حلب النسيج من حرير وغيره

٣) ان عادة نصب وكيل علماني عن السيد البطريرك في حلب قديمة وقد وقع بسببها خلاف شديد بين اساقفة حلب والسيد البطريرك كما سترى في محله ان شاء الله

٤) هو الاب يوحنا باطشتا اليانو اليسوعي الشهير الذي أرسل مرتين بصفة قاصد رسولي الى الموارنة كما سنبين ذلك قريباً ان شاء الله ل . ش

ثم يلي ذلك ما ياتي :

« لما كان سنة الف وستمائة وست واربعين مسيحية انعم هذا الانجيل الطاهر على يد الحقير الخاطي يوحنا حصروني باسم خوري وكان الفراغ من عمله في عشرين يوم من شهر آذار وكان المتمم في عمله الشماس رزق الله ابن اصيله الشرانى الله يجازيه الخير ويرحم والديه » انتهى

ودونك مثالاً من هذه الترجمة يوقفك على خواصها :

الفصل الخمسون (بموجب التقسيم السرياني)

يُقرأ يوم الثلاثا سنة الرابعة من الصوم من لوقا (١٤ : ١—١٠)

« وفي ذلك الزمان بينما كان يأتي دخل الى بيت احد رؤساء الفرّيسيين ليأكل خبزًا في يوم السبت والفريسيون كانوا يرصدونه واذا رجل واحد مستسقٍ قد حضر بين يديه مستشفيًا واجاب السيد المجالس وقال للكتبة والفريسيين : أحلٌ يحلّ الابراء في السبت ولم يجيبوه . فاخذه السيد المجالس وشفاه واطلقهُ وقال لهم : مَن منكم الذي يسقط ابنهُ (١) او ثورهُ في بئر في يوم السبت ولا في الحال ينشلهُ ويُصعده . وضرب مثلاً نحو اولئك المدعوين مماك لانهُ كان ينظرهم يتخيّرون من الاماكن صدور المجالس افتخارًا : متى دُعيتَ من انسان الى دعوة لا تقعد في صدر المجلس لئلّا يكون هناك مدعوًّا اجلّ منك فيأتي الذي دعاك واياه ويقول لك أعطِ الموضع لهذا . فتخجل اذ تقوم وتأخذ مكانًا مستفلًا . ولكن اذا ما دُعيت امضِ فاجلس اخيرًا حتى اذا اتى الذي دعاك يقول لك : ياصديقي وحبي تصدّر الى فوق واجلس . فيصير لك : مدحة امام سائر المجلّس معك » انتهى

ولو الحظ لم يهتدِ الى اسم صاحب هذه الترجمة التي لا تخلو من جزالة الفاظ لاسيما في ذاك العصر الذي لم تكن اللغة العربيّة معروفة في هذه البلاد بلهجتها الفصيحة كما نعرفها اليوم

نمره ١٢ كتاب الابركسيس ورسائل القديس بولس سرياني وكرشوني . ورد على الصفحة الاخيرة من رسائل الرسل ان الناسخ انتهى منهُ سنة ٧٠٦٥ لابينا ادم وسنة ١٨٦٨ للاسكندر وسنة ١٢٧٢ من سني الشهداء وسنة ١٥٥٥ لتاريخنا في آخر يوم من نيسان الساعة الثالثة من يوم الجمعة في ايام الاب البطريرك مار الياس وفي ايام الاب المطران قورياقوس القاطن في دير مار يعقوب اعدن وفي ايام الاب المطران داود القاطن في الكرسي دير قنوبين في ستنا العذراء مريم وفي ايام ابي

(١) في الاصل اليوناني : حمارهُ

وسند ضعفي وصاحب الفضل على حقارتي معلمي المطران البار التقي المطران مالك ...(دعاء)... كمل على يد الحقير الخاطي العاجز ...(عبارات تواضع) من القرية المعمورة على جانب طرابلس كفرحورا — كتب الى جماعتنا الموارنة في حلب »

ثم يكتب عبارات طويلة بالسريانية مؤداها طلب الدعاء الى ان يقول في آخر الصفحة :

« وانا الحقير اسأل كل من ينظر ويقرأ هذه الاحرف ان يصلي عليّ وعلى اهالي الحدابين والوحابين وعلى معلمي المطران مالك التاسعي في عرم الكتاب وعلى اخي القس مركيس وعلى ابن خالي القس ابراهيم وعلى الاخ الشمس جرجس الذي تعب معي في صقال الورق الله يوفيه تعبه في الملكوت وعلى اهالي واحوتي الرهبان القاطنين معا في الوادي المبارك قرحيا »

وفي آخر هذا المخطوط الضخم المجلّد بخشب ما يلي :

« كانت الدنيا للناس فسلما قد ارتحلوا منها وحلّوها لنا : سرت سكنها قليل من بعدهم ثم عليها كما حلّوها لنا . . . اين الذين كتبوا واين الذين خطّوا واين الذين جمعوا الاموال واشتطّوا . عليهم الدهر والايام وانقضوا ما كأنهم قط لا شالوا ولا حطوا »

نمرة ١٣ الانجيل المقدس سرياني وكرشوني في اوله قرديقوس او فهرست تقسيم القراءات على التذكارات يقول ناسخه بعد عبارات الاتضاع المعهودة ان اسمه موسى ويعتذر عن الاغلاط بقوله :

« وان وُجد فيه غلطة او زحفة حدثت من نقصان العقل او نقطة سوداء او حمراء يصلحهم القارئ بمعرفة ونشاط ولا يلومني لان عوارض كثيرة عارضتني بكتبتي من نوائب الدهر ليس اقدر هاهنا بطول الشرح وصار تمامه بقرية عرقا الجون من اعمال طرابلس والنسخة انجيل سيدة حونا بارض بان جبة بشري وابرار كثيرة يستجلوني اصحاب الكتاب . . . ذلك سنة ١٦٧٣ »

ومن امعن النظر في هذا الكتاب قضى العجب من خطّه البديع ومن اعتذار الناسخ . ويظهر ان في عصره كان الموارنة يقطنون عرقا ولنا شاهد على ذلك كتابة اخرى من هذا الباب سنوردها في بابها

نمرة ١٥ كتاب تفسير ستة ايام الخليقة لمار باسيليوس تعريب عبدالله ابن الفضل الانطاكي لا ذكر للناسخ اوقفهُ السعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات للمكتبة سنة ١٧٣٠ (١

---

١) قد وصفنا هذا الكتاب في جملة مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة تحت العددين ٤٠ و ٤١ (المشرق ١٩٠٤ (٧ : ٦٧٨—٦٨٠) فليراجع ل ش

نمره ١٦و١٧و١٨–٢٣ مسودات تفاسير كرنيليوس الحجري للكتاب المقدس التي ترجمها القس يوسف الباني الماروني المشهور ومن هذه الكتب نسخ كثيرة في مكاتب اخرى

نمره ٣٤ تفسير الاناشيد ترجمة احد الكبوشيين في حلب سنة ١٧٦٧ بخط عربي واقفه الخوري يوسف شراباتي الماروني سنة ١٨٠٨ (١

نمره ٣٩ مصابيح الاحكام الجلية في حلّ المشكلات الانجيلية لاديب الشهباء مكرديج الكسيح الارمني الكاثوليكي. والكتاب بخط عربي نسخي بديع صدّره الناسخ بصورة السيد له المجد وابدع في تصويرها بنقوش ماء الذهب تروق لعين الناظر ولم يتحفنا باسمه (٢

ولمكرديج هذا مؤلفات اخرى سنأتي على ذكرها في بابها ونأسف لعدم تمكننا من استجلاء اخبار هذا الاديب المتفنن ولم يتحفنا بشرح وافٍ عن مناحي حياته في مقدّمته على كتابه هذا سوى ما يأتي من عبارات الاتضاع « وبعد فان غبار مجالس الطلّاب وخويدم الخلّان والاحباب الشماس مكرديج الكسيح » ولعلّ احد مواطنيه يتحفنا بافادة اخرى عن حياته وهل مات شماساً او ارتقى الكهنوت الى غير ذلك مما يهمّ المطالعين (٣

ولنأتِ بذكر نبذة من كتابه هذا في بتوليّة القديس يوسف :

« المسئلة الخامسة والعشرون : من اين نعلم ان القديس يوسف بتول - الجواب بتولية القديس يوسف من ثلاثة اسنادات :

الاوّل اسناد نقلي مأخوذ من الانجيل المقدس وهو ان سيدنا يسوع المسيح ادعى القديس يوحنا البتول ان يحفظ عنده امّه مريم العذراء وهذا هو الواجب ان البتول يؤتمن على البتولة . وان كان ذلك هو الواجب فيكون الارجب والاليق بتولية القديس يوسف الذي ساكن العذراء زماناً ليس يسيراً مؤتمناً عليها من الله ويضاف الى ذلك ما يقوله اشعيا النبي (٦٢ : ٥) : ان في تلك الايام يسكن البتول والبتولة معاً . فهذا النص وان كان يظهر مشاعاً فلكن الافضل به ان يختصّ بالقديس يوسف ومريم البتول اللذين عاشا معاً بعفة ملائكية لانّ قول النبي « في تلك الايام » يشير

١) منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة لم نصفها بعد ل . ش

٢) منهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٨١١ حصلنا عليها سنة ١٩٠٥ ل . ش

٣) ذكرنا شيئاً من ذلك في المشرق السنة ١٩٠٦ (٩ : ٢٧٨ و ٦٩٥) ل . ش

الى ايام المسيح الفنا وزمان اشتراع شريعته المقدسة التي تأمر بان تحفظ العفة سليمة غير مجروحة. وهذه النبوة يجب ان تصدق في صدر الشريعة المسيحية ثم تسري في العالم. والذي يؤكد هذا القول هو ان اشعيا النبي كان مقرّرًا عدهُ بروح القدس قصية مريم العذراء. وحبلها الشاعر وكان يشير اليها من بعد قائلًا: هاءذا العذراء تحبل وتلد ابنًا. فان كان لام (اي ال التعريف) العذراء هاهنا عهدية فالمانع ان تكون لام البتول ايضًا عهدية جنسية

الثاني دليل عقلي وهو ان الرجل اذا كان تولًا يهون عليه حفظ العفة وهو ابن اصيانة البكر من ان يكون مجتبرًا معي الريبة. والدليل على ذلك ما قالهُ المعلم رابليل ان الحجر المغني يشتعل سرعة متى قارب ادنى نار كجمرة سراج او سيس حراق. بخلاف الفحم الصلب الذي يمنع اشتعالهُ من سراج وغيره ولا يشتعل الّا بنار وافرة وهواء شديد هكذا حال الانسان الاعزب المستبر سيرة نقية. وكما انَّ الزيبق يأسو الى كل نوع من المعادن كالذهب والفضة والنحاس وغيرها إلّا الرصاص فانهُ لا يقدر ان يؤثر فيه اثرًا قطعيًا هكذا زيبق الهواجس الشيطانيَّة التي تعادُ الطهارة فانها تسلُّ داخلة في النفوس الّا انها لا تقدر على بتول ذي سيرة حميدة

الثالث خبر متواتر بالتقليد الكنائسي لأنَّ علماء الكنيسة البطرسيَّة وقدّيسيها مثل (القديس جيراسيموس وماري اغوسطين وغيرهما اثبتوا نصوصًا مقنعة على بتوليَّة القديس يوسف وان اعترض معترض) ان الانجيل المقدس قد ذكر لسيدنا يسوع المسيح اخوة وهم يعقوب الصغير ويوسف وشمعون ويهوذا فنجيب ان المفسرين ذهبوا في تفسير ذلك ثلاثة مذاهب:

الاول وهو مذهب بعض اراطقة مثل لوتاريوس اللعين وكالوينس الملحد بان هؤلاء الاخوة هم اخوة المسيح حقيقة مولودون من يوسف ومن مريم العذراء وهذا كفر شنيع

الثاني رأي اهل الشرق (١) وهو ان هؤلاء المذكورين هم اخوة المسيح لا من امهِ بل من يوسف فقط وهذا رأي ايضًا فاسد

الثالث وهو الاصح ان المذكورين هم اخوة المسيح لا من امهِ ولا من يوسف بل بالنسبة والتربية لانهم تربّوا معهُ وعاشوا معهُ فمن ثم تسمّوا اخوتهُ. ولايضاح ذلك نقول: ان الكاهن ماتان اولد ثلاث بنات وهنَّ مريم وسوبا وحنَّة. فمريم تزوجت اكلاوبا ومنهُ ولدت مريم اخرى المسماة مريم اكلاوبا في الاصحاح التاسع عشر من انجيل يوحنا ويقال لها ايضًا اخت مريم العذراء اي نسيبتها لان النسيبات يُدعون اخوات وهذه مريم اكلاوبا ولدت يعقوب الصغير ويوسف وشمعون ويهوذا الذين تسموا اخوة المسيح اي انسباؤه وولدت ايضًا بنتين هما مريم وصالومي ويقال لهما ايضًا اخوات المسيح. واما سوبا ابنة ماتان فتزوجت كاهنًا وولدت منهُ اليصابات ولهذا السبب قيل ان اليصابات من بنات هارون فهذه نسبة اجداد البتولة الطوبانية وايضاح ابوي اخوة المسيح المرقومة اسماؤهم اعلاه وحلّ اعتراض القائلين بخلاف ذلك. وكما

---

(١) هذا رأي بعضهم فقط كما بيَّن حضرة الاب انطون صالحاني في مقالتهِ عن اخوة المسيح وبتوليَّة القديس يوسف (المشرق)

يعتقد انهم اخوة المسيح لا من مريم الطاهرة وان لم يكن لنا دليل عقلي على ان مريم لم تلدهم هكذا ايضاً نعتقدهم اخوته لا من يوسف بل انه اوّه فقط وان لم يكن لنا دليل عقلي على ذلك

نمره ٤٥ تفسير رؤيا يوحنا لابن العسّال . وعنوانهُ كما يأتي بالحرف :

كتاب تفسير الابوكاليبسين اعني رؤيا يوحنّا الانجيلي الثاولوغس حبيب سيّدنا يسوع المسيح وقد فسّرهُ ابن العسّال لانهُ يؤرخ انهُ من عصره الذي فسّر فيهِ هذه الرؤيا العظيمة . وهي سنة ستة الاف وسبعمائة واثنتين وسبعين سنة للعالم والف ومايتين واحدى وسبعين للتجسد الالهي . والكتاب بخط عربي بديع جداً لا ذكر لناسخه اوقفه « انطونيوس بن عبدالله صدقي » للمكتبة سنة ١٧٢٦

وهاك مثلاً من تفسير ابن العسّال مقتطفة من الفصل السابع العدد ٩ .

« ومن بعد هؤلاء رأيت جمعاً عظيماً لا استطاعة لاحد ان يعدّه من كل شعب ومن كل امة ومن كل لسان واقفين امام العرش وامام الحمل لابسين حللاً بيضاء واشواراً (كذا) في ايديهم »

« الشرح — هذا الجمع العظيم بحسب ما فسّرهُ بعد ذلك هم اصحاب الشدائد والمضايق كالذين سُجنوا (كذا) او نُحيوا او عوقبوا او عضّوا من البلايا التي ادركتهم او قُتلت اهلوهم او من يعزّ عليهم كل ذلك من اجل الايمان او البرّ او ظلماً او من وقع في ادواء معضلة فصبر عليها كالمازر المضروب بالقروح المثّل بهِ في الانجيل المقدس . ومن بُلي بافقر المدقع وهو صابر محتسب الى غير ذلك من مصائب هذا العالم »

« الشعب عدة قبائل . والقبيلة اصل وضعها للقطعة من عظم الراس والجمع قبائل وبذلك سُميت الجماعة اذا كانوا بني اب واحد . واللسان في الاصل جارحة الكلام وقد كُني بهِ عن الكلام واللغة معروفة وهي اخص من اللسان كما تقول لسان حبشي وان كانت تحتهُ عدة لغات مختلفة تجمعها الحبشية وكذلك الرومية والتركية . وغير هذه من الالسنة »

وما اوردناه كافٍ لبيان نهج هذا المفسّر

نمره ٥١ تفسير بشارة يوحنا الرسول لفم الذهب وقد اخرجهُ من اللغة اليونانيّة الى اللغة العربيّة عبدالله بن الفضل الانطاكي . كذا عنوان الكتاب : وهو بخط عربي غاية في الاتقان اوقفهُ المطران جبرائيل حوشب للمكتبة سنة ١٧٣٥ بثمن ٨ اسدي

ولابن الفضل المذكور مؤلف آخر تحت نومرو ٥٢ وعنوانهُ تفسير الرسايل للعبرانيين ليوحنا فم « الذهب نقلهُ من اللغة اليونانيّة الى العربية الشيخ الاجلّ والشماس السيد ابي الفتح عبدالله بن الفضل بن عبدالله المطران » (كذا بالحرف) (١

---

١) قد مرّ وصف هذين الكتابين في المشرق السنة ١٩٠٦ (٩ : ٩٤٧-٩٤٩) ل . ش

الصنف الثاني

وهو كتب المواعظ

نقتصر على ذكر المهمّ من هذا الصنف مراعين الايجاز بقدر الامكان ومن اراد الزيادة فليطالع فهرست المكتبة على ما وصفناه في مفتتح مقالتنا

نمره ٥٥ الدرّ المنتخب ليوحنا فم الذهب ترجمة اثناسيوس البطرك (١) بخط كشوني ونسخهُ سنة ١٧٠٨ القس عبد المسيح الماروني الشهير الذي خطّت يده الكريمة مؤلفات عديدة للمكتبة فضلًا عمّا وضعهُ من المؤلفات السريانيّة واوقف الكتاب المطران جرمانوس فرحات سنة ١٧٢٩ ولهذا الكتاب نسخ عديدة في المكتبة منها كتاب تحت نومرو ٥٨ بخط عربي نسخه جبرائيل بن مخائيل صادر سنة ١٧٢٤ واوقفتهُ القدسية هيلانة بنت الحاج فرحات . ونهنا نذكر هذا الكتاب اشارةً الى ما كان للنهضة العلمية في حلب ايام المطران فرحات فان النساء تحركت لاستنساخ الكتب وايقافها على المكتبة وهيلانة هذه شقيقة السيد فرحات كتب اخرى اوقفتها للمكتبة من مالها الخاص . فتأمل

نمره ٦١ مواعظ كيرلس الاورشليمي . وعلى اوله ما يلي بالحرف : « نبتدي بكتابة مواعظ ابينا الجليل في القديسين كيرلس بطريرك اورشليم وهي ثمانية عشر موعظة والاولى ليس وجدناها فجعلنا بدو كتابنا من العظة الثانية وهي مرتبة على التوبة ومغفرة الخطايا » (٢ والكتاب باحرف سريانيّة نسخهُ القس حنا زنده الماروني في حلب في ٩ حزيران سنة ١٦٩٨ واوقفهُ المطران فرحات سنة ١٧٢٦

نمره ٦٣ مواعظ القديس اثناسيوس بطرك القدس (٣ والخطبة الاولى

---

١) هذا الكتاب طُبع قديمًا في حلب في مطبعة الروم سنة ١٧٠٧ وتكرَّر طبعهُ في بيروت سنة ١٨٧٢ منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة مرَّ لنا وصفهما ــــــــ ل . ش .

٢) هذا الكتاب يستحقّ وصفًا اوسع لعظم شأن مآثر القديس كيرلّس الاورشليميّ . ولعلّ بعض هذه المواعظ مفقودة في الاصل اليوناني فيزيد بذلك قدرها ل . ش

٣) هو على ما نظنّ اثناسيوس الرابع البطريرك الاورشليميّ الذي جلس على كرسيّ اورشليم من السنة ١٤٥٢ الى نحو ١٤٦٨ . وعظاتهُ هذه قد طُبعت في حلب سنة ١٧١١ كما بيّنّا في تاريخ الطباعة (المشرق ٣ : ٣٥٧) ل . ش

منهُ موضوعها احد الفصح العظيم باحرف سريانيَّة وفي صدر الكتاب ما يلي: « نقلهُ من كتاب عربي عند الروم القس رزق الله تلميذ المطران جبرايل البلوزاني كتبهُ للقس حنا زنده خوري كنيسة مار الياس بحلب » اوقف هذا الكتاب المطران فرحات سنة ١٧٢٦ وللقس رزق الله هذا مجلدات عديدة كتبها بخط يده ترى ذكرها مرارًا في مقالتنا هذه

نمره ٦٤ التبر المكنوز لمنفعة الكاروز (١ قد التقطه من الكتاب المقدس العبد الفقير مكرديح الذي اتينا على ذكره في معرض كلامنا على مؤلفه تحت نومرو ٣٩. وقد نحا واضعُ هذا الكتاب نحوَ واضع مكتبة الواعظين الافرنسيَّة الشهيرة ممَّا دلَّ على غزارة علمهِ واعجاب معاصريهِ بهِ وخصوصاً الخوري نقولا الصائغ وطنيهِ الشاعر الطائر الصيت. والكتاب بخط عربي لا ذكر لناسخه اوقفهُ المطران فرحات سنة ١٧٢٨ ولهذا المؤلَّف نسخة اخرى تحت نومرو ٦٥ خطَّها المطران جبرائيل حوشب ١٧٢٩. وعلى هامشه بعد ان مُحي اسم الواقف الاوَّل العبارة الآتية: « صحَّ انَّ هذا الكتاب موقوفاً (كذا) من المطران ارسانيوس شكري السعيد الذكر سنة ١٧٧٤ كما شرحهُ بعد المقدَّمة والفهرس المتضمن معانيهُ كما تراها اذا راجعت ولذلك لا تتعجب اذا رأيت انمحت هذه الوقفيَّة الثانية التي صدرت بالغلط وليس بالعرض ». وقد طالعنا بعد المقدمة النص فوجدنا ما نبَّه الكاتب اليهِ واستدللنا ان المطران ارسانيوس شكري هو الذي اوقف الكتاب المذكور سنة ١٧٧٤

نمره ٦٩ « مواعظ الخوري مخايل مجمع الايكونوموس في مدينة حلب وهو جزآن الاول يشتمل على ذمّ الخطايا والشرور والثاني على مديح الاعياد السيدية واعياد مريم العذراء والقديسين ». والكتاب بخط عربي يقرب خطَّه من خط المطران حوشب الذي اقتناه واوقفه للمكتبة بثمن عشرين اسديًا ولا ذكر للسنة التي اوقفهُ فيها. وعبارة هذا الكتاب لا تخلو من الطلاوة والواعظ من طائفة الروم الكاثوليك وليس لدينا من الموادّ التي تريدنا علماً بحياتهِ وعلمه وجلّ ما نعرفهُ عنهُ انهُ كان ايكونوموس مدينة حلب

---

١) منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة (المشرق ٩: ٦٦٦) ل. ش

نمره ٧٠ مواعظ خلاص الخطاة . وفي صدر الكتاب « مما انفهُ اغابيوس القريطشي المترهد في دير آتوس » ولا ذكر للمترجم (١ . اما ناسخ الكتاب فهو زخريا ابن مرقس ناسخ انجيل يعقوب الدبسي الذي مرَّ لنا وصفهُ وعبارة الناسخ هي بالحرف ما يلي : « زخريا بالاسم اغنسط ابن الخوري مرقس الكاتب بحروسة حلب موطناً والارثوذكسي مذهباً سنة ١١٠٣ هجرية الموافقة لسنة ١٦٩١—١٦٩٢ مسيحية ».

وعلى اخر الكتاب كتابة نقلها بالحرف بياناً لفضل الخوري بطرس الدولاوي الماروني الشهير الذي سيرد ذكرهُ مكرّرًا في مقالتنا هذه :

« قد كُتب هذا الكتاب شريف نصارة (كذا) الاب الفاضل والبحر الكامل وقدوة العلوم وسلوة كل مهموم الحايب الله ابو ع اوديع الدين الماسك الحافظ وصايا ربّهِ والمستدل لاقاويل سيده العالم العامل بما اوتمن عليهِ الكارز بالمسيح الى الايمان الصحيح الشفيع الموارنة ليهدجم الى السلوك الحقيقي الديانة النصرانية المتاهة لسيده راس الرسل التيج الاجلّ انقس بطرس دفعها الله ببركة صلواتهِ المقبولة عند الله تعالى امين »

وقد اوقف هذا الكتاب للمكتبة المطران جبرائيل حوشب سنة ١٧٣٩ بثمن عشر اسديات

نمره ٧٤ كتاب عنوانهُ « قوت الارواح » وعلى اوله ما يلي بالحرف :

« يحوي بعض مواعظ مرتبين من اقوال الآباء المعلمين على موجب أحدات السنة مترجمين ومنقولين من كتب الفرنساوية الى لغة العربية بمدينة مرسيليا على يد الحقير القسيس نعمه ناقد السرياني لاجل منفعة نصارى طوائف الشرق وذلك سنة ١٦٩٧ »

وعبارة الكتاب ركيكة . اما ناسخ الكتاب فقد اتحفنا باسمهِ وظروف نسخه الكتاب بالعبارة الآتية :

« نسخه ابراهيم خوجه من بلاد بشتق يسير (٢ على غرابات (٣ فرنسا يطلب من احسان القارئين فيهِ ليصلّوا الى الله من اجله حتى تتق اولاً روحهُ من يسر (اسر) الخطية وبعدهُ جسدهُ من يسر الناس »

اشترى هذا الكتاب المطران حوشب واوقفهُ للمكتبة سنة ١٧٣٣ بثمن ٤ اسديات

---

١) في مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسختان صالحتان يقال في احداهما ان الخوري يوسف المصوّر نقلهُ من الروميّة الى العربيّة ل . ش

٢) يريد اسير ٣) الغرابات السُفن الحربيّة

نمره ٧٥ تحت هذا العدد وما يليه مواعظ الخوري بطرس الترلاوي الشهير الذي ورد ذكرهُ تحت نمره ٧٠ وهذه المواعظ هي بخط يده بالكرشوني. وممّا هو مدوّن على اخر بعض هذه المواعظ يظهر انها من سنة ١٧٠١ وسنة ١٧١٠ وسنة ١٧١٨. اوقفها المطران جبرائيل حوشب للمكتبة سنة١٧٤٧ وفيها شاهد على غزارة قلم الترلاوي

نمره ٨٢ تحت هذه النمرة العنوان الآتي « مواعظ السنيري ترجمة الجمري » وهي بخط يد المترجم باحرف عربيّة ومن المعلوم ان الاب بطرس فرماج اليسوعي هو الذي ترجم مواعظ السنيري اما الجمري ترجم ١٣ عظة كان الاب فرماج تركها دون ترجمة وهذا مستند الى ما حرّره المطران جبرائيل حوشب بخط يده فانهُ رحمهُ الله وضع فهرستاً لهذا الكتاب وعلّق عليه ما يلي نقلهُ بالحرف :

« بيان فهرست العظات الـ ١٣ الموجودة في هذا الكتاب التي ترجمها المرحوم القس سركيس بن بطرس الجمري (١) وهذه العظات الـ ١٣ المذكورة هي التي تركها بلا ترجمة المرحوم البادري بطرس فرماج لمّا ترجم عظات المعلم بولس السنيري اليسوعي »

نمره ٩٠ عنوان الكتاب « خطبات ادبيّة تبتدي بتفسير الكتاب الملقّب خطبات ادبية ام ايضاح اربعين خديمة وكشفها للخاطي تأليف تاودوروس جناديوس من رهبان مار فرنسيس اسقف مدينة ويليا (كذا) نقلهُ من اللغة الايطاليّة الى العربية الحقير في الكهنة الخوري ابراهيم بن جاوان من تلاميذ مدرسة الموارنة برومية الكبرى »

وعلى صفحاته الاخيرة ما يلي :

« كمل على يد الذي ترجمه احقر الكهنة الخوري ابراهيم بن جاوان كان في مدينة طرابلس الشام في عشرين من شهر ايلول سنة ١٧٣٠ وكان مبتداه في اول شهر آذار من السنة المذكورة والقاري لا يواخذني بقلّة المعرفة في اخراجه لأني غير معلم ولكن الحاجة احوجت الى ذلك ونيتي بغايدة قريبي الرمتني مع اني كنت عالمًا اني غير كفوًا لذلك (كذا بالحرف) »

---

١) سترى عند كلامنا على الكتاب المعنون « ظهور الايمان » ما يكشف لك جليًا من هو هذا القس سركيس الجمري فانهُ ابن شقيق المطران سركيس الجمري وكتاب ظهور الايمان المومأ اليه هو تحت نومرو ٢١٨. وللجمري كتابات ومؤلفات سنأتي على ذكرها تباعًا وهذا ممّا يشفي غلّة استاذنا الفاضل الاب شيخو الذي اظهر لي اكثر من مرة رغبتهُ في الوقوف على ترجمات تلامذة مدرستنا المارونية في رومية

نمره ٩٢ مواعظ الطران جبرائيل حوشب اوقفها للمكتبة سنة ١٧٣٣ وسنتكلم باسهاب عمّا دوّنهُ لنا هذا الحبر عن حياتهِ عند كلامنا على كتاب الرموز ومفتاح الكنوز وهو بخط يد المؤلف اودع لنا فيهِ ما يجمل بنا نقلهُ في محلهِ

نمره ٩٣ و٩٤ مواعظ الجمري وهي من سنة ١٧٠٨ وسنة ١٧٢١ راجع الحاشية التي علقناها على الكتاب نمره ٨٢. انتهى الكلام عن كتب المواعظ ويليهِ الكلام عن الكتب اللاهوتيّة (لهُ تابع)

رحلة

مُحَمَّد سَعِيدْ بَاشَا إِلى بارِيس

تَوطِئَة

بينما كان السلطان الغازي احمد الثالث جالساً على منصّة بني عثمان (١١١٦ – ١١٤٣ هـ = ١٧٠٣–١٧٣٠ م) نشبت بين الدولة العليّة ودول اوربّة لاسيما روسيّة والنمسة وفرسان مالطة عدّة حروب اضعفت نوعاً تركيًّا فجعل السلطان يطلب لهُ عضدًا في مملكة فرنسا وعزم على ان يجدّد المعاهدات القديمة التي كانت بين الدولتين . وكان اذ ذاك الصدر الاعظم رجلًا ذا عزم واقدام يُدعى ابراهيم باشا فاتفق مع سيّدهِ على ان يجعل لفرنسة ملك قبر السيّد المسيح في القدس الشريف وان يسمح للملك لويس الخامس عشر بان يرمّم المعابد المتداعية فيها. فاسرع السفير الفرنسويّ لدى الباب العالي وهو المركيز دي بوناك (de Bonnac) وسافر الى باريس واخبر الدوق دي اورليان وصيّ ملك فرنسة بالامر فشكر لجلالة السلطان لطفهُ وحرّر ١٥٠ اسيرًا من المسلمين اتى بهم السفير الى الاستانة

فانتهز ابراهيم باشا هذه الفرصة الموافقة لتجديد العهود القديمة بين تركيًّا وفرنسا وطلب مستمدًّا دوليًّا يرسلهُ كسفير الى باريس لهذه الغاية فاختار رجلًا محنّكًا كان مثّل دولتهُ في معاهدة پسّاروفتس (Passarowitz) سنة ١٧١٨ اسمهُ محمّد افندي او محمّد سعيد باشا واشتهر باسم محمّد يكرمي سكز اي الثامن والعشرين لانهُ كان منوطًا باورطة اليكشاويّة الثامنة والعشرين . فاعلن الصدر الاعظم بنيّتهِ في ١٩ آب سنة ١٧١٩ وطلب الى السفير الفرنسويّ بان يحضر للوفد الثاني تركيًّا يتقلّدُ من الاستانة الى مدينة طولون. وكان السلطان عهد اليهِ بان يبرم مع الدولتين الفرنسويّة والاسبانيّة محالفةً دفاعيّة وهجوميّة بينها وبين تركيّة ضدّ

نمره ٩٢ مواعظ الطران جبرائيل حوشب اوقفها للمكتبة سنة ١٧٣٣ وسنتكلم باسهاب عمّا دوّنهُ لنا هذا الحبر عن حياتهِ عند كلامنا على كتاب الرموز ومفتاح الكنوز وهو بخط يد المؤلف اودع لنا فيهِ ما يجمل بنا نقلهُ في محلهِ

نمره ٩٣ و٩٤ مواعظ الجمري وهي من سنة ١٧٠٨ وسنة ١٧٢١ راجع الحاشية التي علقناها على الكتاب نمره ٨٢. انتهى الكلام عن كتب المواعظ ويليهِ الكلام عن الكتب اللاهوتيّة (لهُ تابع)

رحلة

مُحَمَّد سَعِيدْ بَاشَا إِلى بارِيس

تَوطِئَة

بينما كان السلطان الغازي احمد الثالث جالساً على منصّة بني عثمان (١١١٦ – ١١٤٣ هـ = ١٧٠٣–١٧٣٠ م) نشبت بين الدولة العليّة ودول اوربّة لاسيما روسيّة والنمسة وفرسان مالطة عدّة حروب اضعفت نوعاً تركيًّا فجعل السلطان يطلب لهُ عضدًا في مملكة فرنسا وعزم على ان يجدّد المعاهدات القديمة التي كانت بين الدولتين . وكان اذ ذاك الصدر الاعظم رجلًا ذا عزم واقدام يُدعى ابراهيم باشا فاتفق مع سيّدهِ على ان يجعل لفرنسة ملك قبر السيّد المسيح في القدس الشريف وان يسمح للملك لويس الخامس عشر بان يرمّم المعابد المتداعية فيها. فاسرع السفير الفرنسويّ لدى الباب العالي وهو المركيز دي بوناك (de Bonnac) وسافر الى باريس واخبر الدوق دي اورليان وصيّ ملك فرنسة بالامر فشكر لجلالة السلطان لطفهُ وحرّر ١٥٠ اسيرًا من المسلمين اتى بهم السفير الى الاستانة

فانتهز ابراهيم باشا هذه الفرصة الموافقة لتجديد العهود القديمة بين تركيًّا وفرنسا وطلب مستمدًّا دوليًّا يرسلهُ كسفير الى باريس لهذه الغاية فاختار رجلًا محنّكًا كان مثّل دولتهُ في معاهدة پسّاروفتس (Passarowitz) سنة ١٧١٨ اسمهُ محمّد افندي او محمّد سعيد باشا واشتهر باسم محمّد يكرمي سكز اي الثامن والعشرين لانهُ كان منوطًا باورطة اليكشاويّة الثامنة والعشرين . فاعلن الصدر الاعظم بنيّتهِ في ١٩ آب سنة ١٧١٩ وطلب الى السفير الفرنسويّ بان يحضر للوفد الثاني تركيًّا يتقلّدُ من الاستانة الى مدينة طولون. وكان السلطان عهد اليهِ بان يبرم مع الدولتين الفرنسويّة والاسبانيّة محالفةً دفاعيّة وهجوميّة بينها وبين تركيّة ضدّ

النعمة فاعلم المركيز دي بوباك وزير ملك فرنسة الكردينال دوبوا (le cardinal Dubois) بنيّة الدولة العليّة وقبل ان يأتيهُ الجواب خرج الوفد الثاني من الاستانة مبحرًا الى طولون . وكان مع السفير ابنهُ سعيد الذي اشتهر بعد ذلك بسفارة ثانية الى ملك فرنسة في ٤ ذي الحجة ١١٣٢ هـ (٧ تشرين الاوّل ١٧٢٠) . وكان وصولهم الى طولون في زمن فشوّ الطاعون فيها فاستقبلهم عمّال الدولة بكل اكرام لكنّ قوانين الصحّة اقتضت بان يصرفوا اربعين يومًا في الحجر ومن بعد ذلك ساروا راكبين سفينة فاخرة رقّاتهم على تُرعة شهيرة في جنوبي فرنسة تُعرف بترعة اوقنال لنغدوق (le canal du Languedoc) فساروا من سبت (Cette) الى مسلبار (Montpellier) ثمّ فرنتنيان (Frontignan) ثمّ الى تولوز وبوردو (Bordeaux) ومنها الى جهة الشمال الشرقي حيث انتهوا الى بلوا (Blois) ثمّ ساروا برًّا على العرّابات الى اورليان ثم باريس حيث تزاحمت جماهير الشعب لاستقبالهم وتوفّرت اسباب الهناء فدخلوا على جلالة الملك واجتمعوا باعيان الدولة وزاروا منتزهات باريس وحدائقها ومتاحفها وتجوّلوا في معاهدها وقصورها كارلي (Marly) وفرسايل (Versailles) وتفقّدوا مصانعها العجيبة ومرصدها الفلكي . وكان السفير يلقى كلّ رعاية حيثما حلّ وقد امر الملك احد مصوّريه المدعو جوزف باروسل (Joseph Parrocel) فصوّرهُ وحاشيتهُ عند دخولهم الى قصر الملك المعروف بالتويلري (Tuileries) ثم عند خروجهم بعد مواجهة الملك مارّين على جسر نهر السين وكانا الصورتين محفوظة الى يومنا وكذلك ضُرب نوط يمثّل السفير بازاء ملك فرنسة وفي اطار النوط مكتوب باللاتينيّة على الوجه (Splendor nominis Gallici) اي « رونق الاسم الفرنسويّ » وعلى الظهر (Orator Imperatoris Turcarum, MDCCXXI) اي « سفير سلطان الاتراك في سنة ١٧٢١ »

ولمّا أتمّ السفير مهمّتهُ نال من الملك ألطافًا غاية في الحسن والجمال يساوي ثمنها نحو ٦٠,٠٠٠ فرنك من نقودنا وكذلك أتحف الملك سعيد ابنهُ وحاشيتهُ بهدايا ثمينة وسعيد المذكور انتهز تلك الفرصة ونقل من مطبعة باريس حروفها العربيّة الى الاستانة فطُبعت الكتب لاوّل مرّة بالحروف العربيّة (١ ثم رجع الوفد الى طولون مارًّا بمدينة ليون (Lyon) ثمّ نيم (Nîmes) فكانت تُقام لهُ في كل محلّ مواسم واعياد عظيمة . ولمّا عاد السفير الى الاستانة اخبر سيّدهُ بما عاينهُ من عجائب فرنسة ثمّ دوّن اخبار رحلتهِ في التركية . وعاش محمّد افندي يكرمي سكز معزّزًا تحت ظلّ حماية ابرهيم باشا وتقدّم في الوظائف حتى صار قبطان باشا . وبقي في منصبهِ الى سنة ١٧٣٠ حيث شغب الينكشاريّة فقتلوا الصدر الاعظم ابرهيم باشا وخلعوا السلطان احمد الثالث فاقاموا بدلاً منهُ السلطان محمود الاوّل . ثم اضطرّوا محمّد باشا يكرمي سكز الى الخروج من الاستانة وارسلوهُ الى قبرس فتولّاها الى سنة وفاتهِ نحو سنة ١٧٣٥ وكان مولدهُ قريبًا من ادرنه سنة ١٦٤٠

امّا رحلتهُ فقد طُبعت في فرنسة سنة ١٨٤١ جمعيّة مكتب الالسنة الشرقيّة الحيّة (L'Ecole des Langues Orientales Vivantes) ثمّ كرّر طبعها في الاستانة سنة ١٨٧٦

١) راجع مقالتنا عن تاريخ الطباعة (في المشرق ٣ : ١٧٧)

سواني افندي وكانت قبل ذلك نقلت الى الفرنسوية فطبعت في مونبلياد وهذا عنوانها (John Seekes : *Voyage d'un Ministre Ottoman, annoté avec des documents inédits*) على انّ هذه المطبوعات كلّها نادرة لم يمكننا ان نحصل عليها. وكان فقيد رسالتنا المرحوم الاب اغناطيوس رباط وجد في حلب ترجمتها العربيّة في مكتبة طائفة السريان فاستنسخها ناويًا ان ينشرها فحال الموت دون رغبته. وها نحن متولّو نشرها مع تذييلها بالحواشي والملحوظات التي امكننا جمعها. وقد تركنا الترجمة على اصلها مع ركاكة تعريبها وان لم من كان معرّبها. والمرجّح انها عُرّبت عن التركيّة بعد نابليون بزمن قليل. ويظهر من لحنها انّ المعرّب حلبيّ ل. ش

نبتدي بكتابة رحلة سعيد باشا (١ من طرف العثملي الى بلد فرنسا الى عند السلطان بطريق إلْجي (٢ وذلك في سنة ١١٣٢ هجرية ١٧٢٠ مسيحية

وصول السفير الى طولون

سنة الف وماية واثنتين وثلاثين رابع يوم من شهر ذي الحجة نهار الاثنين (٧ ت١ سنة ١٧٢٠) حصلتُ مسافرًا في غليون بكالك(٣ الى نواحي فرنسا وفي عشرين يومًا خلت من شهر محرّم الحرام بلغت الى مينا المدينة طولون صباح الجمعة ورمى الغليون المراسي مقابل تكيّة (٤ الموفا ثم ذلك الوقت قوّس عشرين مدفعًا لاجل السلام على المدينة وهم ايضًا ردّوا علينا السلام بثلاثماية مدفع من ابراج المدينة

فعند ذلك ارسل وكيل البحر قبطانهُ لاجل كشف عافية الركّاب جميعهم ولاجل التهاني بوصولنا الى تلك المدينة لانهم كانوا منتظرينا من يوم الى يوم. فعندها تقدّم القبطان الى قرب الغليون لكي يكلّمنا الّا انهُ ما اراد ان يصعد الى الغليون لسبب بعض طوارئ هم متمسّكون فيها في بلادهم وهي انهُ لمّا يستحوذ على بلادهم بعض امراض وبائية وتضرّ اهلها فجميع الذين يقدمون الى تلك البلاد موافين من اقليم آخر لم يسمحوا لهم ان يعاملوهم ولا يكلّموهم البتة الّا عن بعد.

---

١) كذا في الاصل والصواب محمّد سعيد باشا كما قدّمنا وكان معروفًا اذ ذاك بمحمّد افندي (Méhémet Effendi) ٢) الالجي في التركيّة السفير

٣) الغليون ومنها الفرنسويّة (galion) السفينة التجاريّة. والبكالك المختصّة بخدمة السلطان ٤) التكيّة الملجأ والمنزل الموقوف على الخير

ومثل ذلك حال وصولنا نحن الى تلك الجهة فانهُ بامر الله كان موجودة رائحة طاعون في غرة (كذا) من مدينة مرسيليا وكان مات فيهِ من الناس سبعة الاف نفر(١ ومن هناك توسَّع وامتدَّ هذا المرض الى بروفانسا (Provence) وبلاد طولون (Toulon) ومن خوفهم لئلَّا ينفذ هذا الداء في بلادهم الى داخلها بزيادة كانوا يحرّجون على الغرباء والواردين ويضعونهم في التزويت (٢ اي الاربعينية بكل كمال لانهُ بعض ايام يضعونهم ثلاثين يوماً وغير ايام عشرين يوماً اكثر او اقلّ لكي في هذه الايام يتمموا الاربعينية بكل كمال لاجل الوباء فلاجل ذلك كانوا يسلّمون علينا من داخل عليونهم من البعد

وفي مساء ذلك اليوم عشية اتونا بزاد وفاكهة كثيرة وبكل صنف الشرابات والمربيات المفتخرة. وفي صباح ذلك اليوم الذي هو يوم السبت اتى الى عندنا حضرة المتوكل في مدينة طولون وهو ابن الامير المتوكل على حفظ عمارة البحر وقضاء اشغال الشعب جاء بقارب الى قبال الغليون وبعد ان سلَّم علينا وهنَّأنا بوصولنا بالسلامة استعذر منَّا عن عدم اشتراكهِ معنا. وكان يتوسَّل الينا ان نسامحهُ ولا نؤاخذه بعدم قدومهِ بالامس حال وصولنا وان الذي اعاقهُ ومنعهُ هو الطقس المتغيّر

ثم انهُ اعلمنا انهُ اعدَّ لنا محلًّا غير بعيد عن المدينة لاجل نزولنا فيهِ يدعى بستان السلطان واعلمنا انهُ كان مأموراً بملاقاتنا بغاية القبول وبعد ان رجع الى البرّ ارسل الينا قاربهُ المتذهّب الذي اتى فيهِ. ونحن بعد الظهر دخلنا اليهِ وتوجهنا الى نحو المدينة فوجدنا كل مقدَّمي العسكر في الميناء على شاطئ البحر متفرّقين كل قسم وكل صنف بحالهِ وكانوا جميعهم يهدوننا كرامات وافرة وقدَّموا لنا حصانين فركبت الواحد وركب ابني الآخر وذهبنا برفقتهِ مع خوخداريتنا (٣ الى بستان السلطان وكان جنود البحر جميعهم لابسين سلاحهم يمشون مصطفّين حولنا وكذلك كان

١) كان سبب هذا الوباء مركب قدم من ثغر الشام فيه بضائع ملوَّثة بجراثيم الداء فانتشرت العدوى في جنوبيّ فرنسة

٢) هي تصحيف الكلمة الفرنسويَّة (Lazaret) نسبة الى لعازر الذي اقامهُ السيّد المسيح من الاموات فدلُّوا بها الى الحجر الصحّي (الكرنتينا) التي يدعوها المؤلف بالاربعينيَّة

٣) هذه الكلمة مصحَّفة لم نستدلّ على صحتها لعلَّهُ يريد بها اتباعهُ

خارطة لرحلة محمد سعيد باشا الى فرنسة

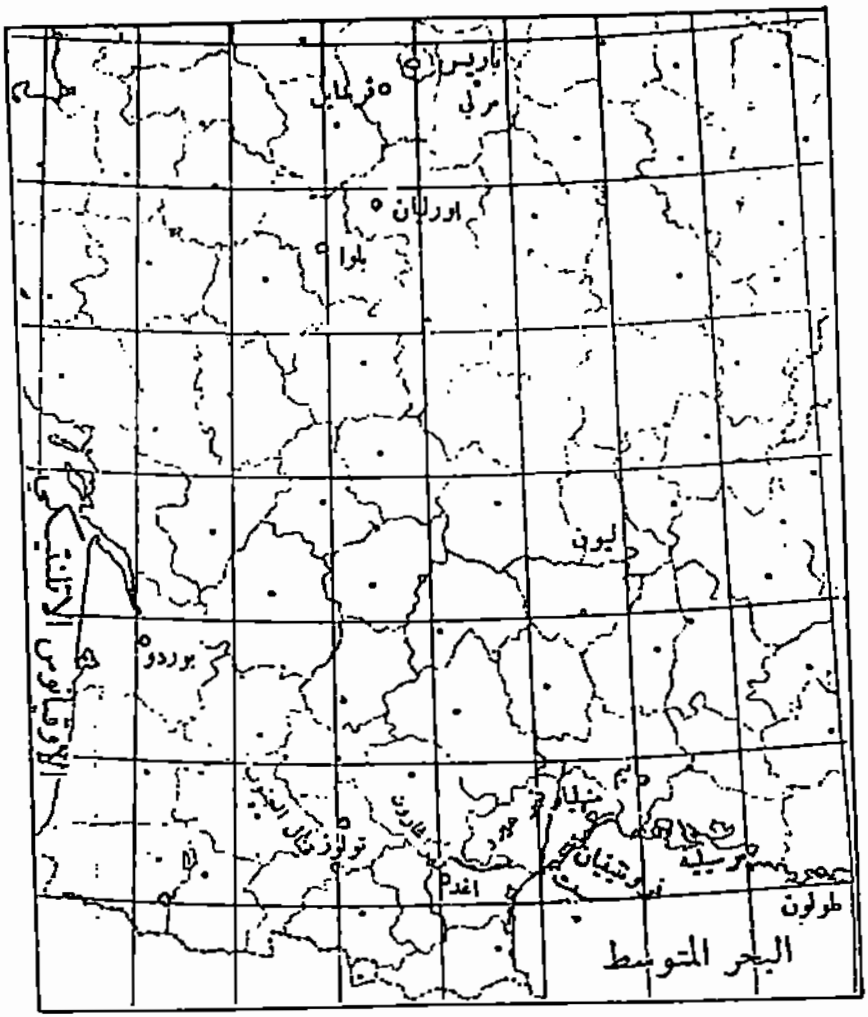

اصحاب نوبة البحر يدقّون ويلعبون في آلاتهم مثل الطبل والنفير والصافور وكل فرقة بحالها وآلتها وعلى هذه الصفة كنا نمرّ بين جموع كثيرة قادمين عن الجانبين

ثم اننا بلغنا الى بستان السلطان وهناك سلّموا علينا بقواس مدافع عدّة وفي حين دخولي الى القصر خرج الى استقبالي والي المدينة الى اسفل السلالم وسلّم عليّ بغاية الوداد عن بُعد لانهُ كان خائفاً من رائحة الطاعون ثم رجع الى مكانهِ

وفي الغد تشاوروا في انهم كيف يسفروني الى باريس وبما ان السفر في البحر كان اسهل من السفر في البرّ هيّأوا لنا سبعة سفن معمّرة شبه الشواطي (١ التي يسمونها بلغتهم ترتانات (٢ . وفي السفينة التي كنت مزمعاً ان اركبها اعدّوا لي بها اوضة خصوصيّة وزيّنوها وصفّدوها صفداً كاملاً يدهش العقول وعيّنوا قبطاناً خبيراً لاجل تدبيرها

من طولون الى بوردو

وفي اليوم العاشر من سفرنا نهار الاثنين من شهر صفر (١ ك١ ١٧٢٠) نزلنا في تلك الشواطي المعيّنة وبقينا تلك الليلة مقابل البر . وفي اليوم الثاني هبّت علينا الريح المناسبة فنشرنا القلاع وسافرنا الى نصف الليلة الثانية فاتينا الى قرب البرج المسمى بلغتهم برج البوك (٣ وهناك رمينا المراسي بسبب الريح التي اختلفت علينا وبقينا في ذلك المكان اربعة ايام . وفي ليلة الاثنين رفعنا المراسي ثم سافرنا فبعون الله تعالى يوم الثلاثاء بعد الظهر بثلاث ساعات بلغنا الى مدينة سيت (Cette) فخرج وكيلها وقدم الى جانب مركبنا وسلّم علينا عن بُعد وهنّانا بالسلامة وعرض علينا سراية اعدّوها لنا داخل المدينة ووعدنا انهُ في تلك الليلة يتوقّع لنا على قوف (٤ لاجل السفر للغد

فلمّا ركبنا وقربنا من المكان رأينا جزيره صغيرة قريبة الى المدينة وهي قبال

---

١) هي لفظة دخيلة اصلها من الايطالية (saettia) فقالوا شاطيّة ج شواطيّ ويقال شطّيّة من شطّ البحر ويقال ايضاً شياطيّ ومعناها السفينة الصغيرة ذات السارين

٢) هي بالفرنسويّة (tartane)

٣) هو بالفرنسويّة (Bouc) اسم قرية صغيرة يصبّ عندها نهر الرون (Rhône)

٤) القوف عند الملّاحين القارب والمركب الصغير

مدينة مونبلليار (Montpellier) بعيدة عنها تسعة اميال ولم يكن بتلك الجزيرة شيء سوى كنيسة قديمة خراب وبما ان ذلك المكان مقسوم عن البر بعيد عن الناس ومهجور حكموا ان ذلك المكان يكون لنا لاجل عمل الاربعينية. فعند ذلك صرتُ متقلقاً بافكاري للغاية كأني في بحر وبما انَّ الرجوع كان عليَّ عسراً جداً جزمتُ على ذاتي الصبر الى ان قضينا الاربعين يوماً هناك. وبعد انتهاء الايام المحدودة اتى بك زاده (١ الذي كان مأموراً برافقتي ليذهب بي الى باريس لانهُ ما كان اتى بعد. فهذا ارسل اعلمني بما كان موسوماً عليه من قبل السلطان بان يقدم يسلم عليَّ ويهنئني بالسلامة وان في الغد نتزل الى السفينة ونتوجه الى مكان يسمونهُ فرونتينيان (Frontignan) حيث اعدُّوا لنا مكاناً لنستريح فيه ونتغذى

واخبرني ايضاً انهُ سيقدم الى ذلك الطرف ويتفاوض معي ولكن كان محققاً عندهُ اني اكراماً للذي ارسلهُ اقبلهُ بكل احترام واحتشام كما ينبغي لقصاد السلاطين المرسلين من طرفهم. فكان جوابي لهُ اني ساعمل لهُ احتراماً وكل اكرام لائق ومناسب

وفي اليوم الثاني الذي هو ستة وعشرون من شهر ربيع الاول (٢٥ك٢ ١٧٢١) نهار السبت غلساً نزلنا في القوف وسافرنا. فلمَّا وصلنا الى المدينة التي هي فرونتينيان حال خروجي من السفينة وجدت عربانة حاضرة مكلفة فركبتها حتى بلغنا الى المكان المعين لنا واذا البك زاده قادم علينا بثوب مذهب مهيب جداً فبعد ان قدمت لهُ الاكرام الواجب حسب المكن جلسنا على الكرسي وابتدأ يكلمني هكذا :

« ان استاذي ومولاي حضرة سلطان فرنسا لمَّا شعر في دخولكم السعيد الى حكمهِ اراد ان يظهر لجنابكم الشريف مقدار السرور الذي حدث لهُ فارسل عبدكم القائم على خدمة جلاله من ثلاثين قناق (٢ الى استقبالكم لكي اهنيكم بوصولكم بالسلامة وان شاء الله هذه الرسالة تكون لازدياد المحبة والوداد السالكة منذ زمان طويل بين المملكتين وانتخابكم من الدولة العلية الى هذه

---

١) اي ابن السيد مركَّبة من كلمتين تركيَّة وفارسيَّة يريد بها احد الاعيان

٢) القناق كلمة تركيَّة يراد بها المسافة التي يقطعها المسافر في اليوم والمرحلة

الوظيفة يزيدنا برهاناً على الامر وانا كذلك مزمع ان اعمل كل جهدي بهذا الخصوص لئلا يخيب املنا هذا »

وفي اثنـاء هذه المخاطبة وضعوا المائدة واحضروا لنا كل نوع من الحلاوات فبعد ان اكلنا من تلك المائدة حضرت قناصر (قناصل) المدينة مع اعيانها واكابرها بالهدايا لكي يهنئونا بقدومنا . فبعد هذا سلمنا عليهم ثم مضوا فنزلنا في القوف وعزمنا على التوجه الى سيت

وفي وصولنا اليهـا رأيت عربانة مرسلة لنا من مونبلليار من حضرة الامير دروكلور (١ فركبناها وصعدنا بها الى القلعة . فسلمت علينا القلعة بارسال كل ما فيها من المدافع الكبار والصغـار والجنود تراهم كلهم بالسلاح الكامل مع قباطين المراكب كانوا متفرقين من كل مكان كنا نعبر به حتى وصلنا الى محلنـا . واما الناس فغير ممكن وصفهم من كثرتهم وخصوصاً النساء .

واما السراية التي عينوها لنا فهي سراية عظيمة مبنية على شكل خان وهي كانت برسم السكن وبناؤها عظيم ومصروف على بنائها عدة مئات الف كيس (٢ واما اعيان تلك المدينة واكابرها فانهم هنأونا بالهدايا والتحف واظهروا لنا سروراً عظيماً ومكثنا هناك جملة ايام . وكان كل يوم عشرة وعشرون وثلاثون من الناس يأتون جملة ليتفرجوا علينا ولم ينقطعوا عن المجيء طول النهار والى خمس ساعات من الليل واكثر . وكانت تأتي البشر من غير اطراف مع نساء اكابر من اشراف المدينة لكي يشوفونا لأن في مملكة فرنسا النساء غالبة على كرامة الرجال فهـذه تعمل ما تشاء وتلك تذهب الى حيث تريد وتفعل ما يشتهي خاطرها وعلى هـذه الطريقة اكبر شيخ في فرنسا يراعي ويعتبر لأدنى حرمة باكثر مـا تستحق والحكم هناك للنساء (٣

وفي الغد لما اشرقت الشمس رجعنا الى القوف وعزمنا على التوجه الى الجانب

---

١) هو الدوق انطون غسطون دي روكلور (Duc de Roquelaure) المولود سنة ١٦٥٦ المتوفى سنة ١٧٣٨ كان اذ ذاك والياً على اعمال لنغدوق (Languedoc)

٢) الكيس في ذلك الزمان كان يساوي نحو خمسمائة ريال

٣) لا يريد بالحكم السلطة ولكن الكرامة والاجلال رعاية لضعفهن ومقامهن في العائلة

المقصود في القنال (canal du Languedoc *ou* canal du Midi) فهذا المسمى بالقنال هو نهر عظيم محصور تجتمع فيه المياه من تلك الاطراف فقبل ان تبل عمل هذا القنال في القديم كان المسافرون والتجار وابناء السبيل يسافرون في البحر وكان سفرهم يجري مشقة عظيمة ومصاريف جسيمة مع طول سفر وكثرة خطر فمن قبل ذلك احدثوا هذا القنال لكي يسهل السفر على التجار وغيرهم وانفقوا في عمله كم الف كيس لاجل قصر المسافة وسهولة النقل. ولكن من هذا القنال يدخل الى السلطان اموال عظيمة بغير مقدار. والآن من البحر الابيض (١ يسافرون الى البحر المحيط بين المدن والقرى من غير ان يضعوا ارجلهم في البر والنفع الذي يدخل منه الى السلطنة قد ظهر انهُ زائد جدًّا عن المأمول ولكن النفقات المصروفة عليه وحدوها زائدة الغاية عمَّا كانوا ظنوا لانهُ كان ضروريًّا جدًّا ان يبنوا بنايات عظيمة فيه من حيث ان مونتروروس (٢ كان عاليًا عند نهر الاغد (٣ مائة وعشرون ذراعًا وبما انهُ كان غير ممكن عبور المراكب وطلوعها الى هذا العلو المرتفع عملوا حواصل (٤ من حجار منحوتة وكل واحد يسع ثلاثة او اربعة أقواف. ومبني الواحد في شرف الآخر على شكل الدرج وكان لكلّ واحد منها بابان للدخول والخروج ومتى دخل القوف الى الحاصل كانوا يسكرون الباب الاسفل والباب الاخر الذي قدام كانت لهُ كوّتان ولكل واحد ملزمة فهذا الباب كان على شكل السد والكوّتان لجريان المياه التي كانت مرتفعة من المكان الذي فيه القوف اكثر من عشر اذرع ولمَّا كانوا يفتحون الملزمتين كانت تنصبُّ المياه في الحاصل وفي اقل من ربع ساعة كان يمتلئ الحاصل والقوف يرتفع على وجه الماء ثم يفتحون الباب الذي قدام فكان يدخل فيه القوف مثل الاول ولهم عادة ان يربطوا الاقواف بحبال ويسحبها بغلان او ثلاثة ابغال في هذا القنال وهكذا على هذا الاسلوب يلزمهم ان يدخلوا الثمانين حاصل الماء ويخرجوا منها حتى انهم يبلغوا اخيرًا الى مونتروروس (٢

---

١) يدعو بالبحر الابيض بحرنا المتوسط ٢) هذا الاسم مصحَّف ونظنّ انهُ اراد منت نوروز (Col de Naurouse) الذي يعلو ١٩٠ مترًا فوق سطح البحر

٣) يريد نهر هيرو (l'Hérault) الذي يجري قريبًا من مدينة اغد (Agde)

٤) الحواصل هي الشُرَع (écluses)

ولما يبلغون الى هناك يبطلون من الصعود ويبتدئون في النزول ويعبرون في اربعة وعشرين حاصلاً مثل الحواصل الاولى حتى ينتهوا الى مدينة تولوز (Toulouse) وبما انهُ يوجد انهر كثيرة في البلاد تلتقي في هذا القنال الذي هو قادر ان تغيب فيه جريان هذه المياه لعظمهِ فقسموا وردُّوا مياه هذه الانهار بواسطة متارس عظيمة كثيرة يميناً وشمالاً لئلا يحدث للقنال ضرر. ومن حيث انهُ يوجد بعض الانهار سالكة في عمق واماكن سفلية عن هذا القنال جعلوا لهم جسورة عدة تجري من فوقها المياه من غير ان تختلط مع تلك الانهار والاقواف التي تقوفهُ (١ وتذهب فيه تعبر من فوق هذه الجسورة مع ان احياناً يكون جارياً من تحتها نهر آخر

وكذلك قد يوجد في طريق هذا القنال جبل عالٍ يتعارضهُ فما وجدوا لهُ دواء آخر سوى ان يثقبوا الجبل كلهُ من وسطهِ هكذا بهمة غير موصوفة صنعوا للمياه قناةً مثقبة من حجارة منقورة طولها قدر مائتي ذراع وبها تسلك الاقواف في باطن الجبل ولكن بهذا العمل التزموا ان يقطعوا السبيل في عدة اماكن يميناً وشمالاً الا انهم سلكوه ايضاً بعمل جسورة عالية جداً مع قناطر واسعة للغاية حتى ان المكارية والدواب والمواشي وعابري السبيل يمشون عليها والسفن تمشي من تحتهم وغير ممكن وصف هذا المكان باللسان بل يظهر كم من النفقات الوافرة التي صرفوها على تجديد هذا القنال

وفي مساء ذلك اليوم اتينا الى مدينة اغدي (٢ وقطعنا هناك في حاصل وفي خروجنا من القوف دخلنا الى المدينة وذهبنا الى المكان الذي هيَّأوهُ لنا. وفي صباح ذلك الليل نزلنا في القوف ايضاً ولم نزل نسافر ونعبر على جسورة وقناطر وكل ليلة ننزل في بعض قصبات وقرى الى ان بلغنا الى مدينة تولوز يوم الاحد رابع يوم خلا من شهر ربيع الآخر. وفي مرورنا في القنال في تلك المدة كان كثير من الناس مشتاقين ان يرونا ومنهم من كان يأتي من بُعد خمس او ست ساعات حتى يزورونا ويرونا ويتأملوا فينا واحياناً كان من زود الخلق والازدحام يسقط البعض

١) اي تقطعهُ وهي لفظة مركَّبة من القوف اي القارب كما يقال لصاحب القوف قوَّاف
٢) هي اغد (Agde) السابق ذكرها

منهم في نيته لان نهر القنال في مروره على مدينة تولوز يصب في نهر آخر هناك يسمى غارون (la Garonne) وفي ذلك الحد ينتهي

ففي وصولنا الى تولوز طلعنا من القوف وركبنا عربانهُ وتوجهنا الى المكان المعدّ لنا. اما مدينة تولوز فهي مدينة عظيمة كبيرة للغاية ولكن بعض اطرافها خراب وبما انها غير مقصودة من تجار وبازركان (١ فلاجل ذلك شعبها قليل الّا انها مدينة ذات سمعة في تلك البلاد ومعتبرة للغاية وكان من تلك القلعة فريقا جنود مع قبطانين من قلعة مص حتى انهم ينقلون الى محلنا بعراضة (٢ وضوضاء عظيمة

وبما انهُ تستعمل في نهر الغارون القوف أخر غير التي في القنال لزمنا ان نقيم في تولوز ثلاثة ايام الى حينما نقلوا حوائجنا كلها من فوق القنال ثم في اليوم الرابع سافرنا الى سالم المينا بعزّ واكرام عظيم وركبنا السفينة في نهر الغارون ومن قناق (٣ الى قناق وصلنا الى بوردو (Bordeaux) في نهار السبت

بوردو وضواحيها

ولما خرجنا من السفينة استقبلنا اهالي القلعة في عراضة عظيمة وبلّغونا الى محلّنا لكن لم أرَ في كل سفري هناك جميعهِ قطّ في كل المدن التي دخلناها مثل مدينة بوردو في بنائها وتكوينها وفي طبع اهلها وسكانها لانها مدينة حسنة للغاية ومبنية في مكان لائق للغاية وشعبها غفير وصاحب ادب ونهر الغارون هكذا يمتدّ بهذا المقدار امام المدينة في اتساعهِ حتى ان مينتها تشبه مينة القسطنطينيّة. وثغر البحر المحيط ليس بعيدًا عنها سوى عشرين ساعة ومنهُ تأتي الفلايين الى هذه المينا وهناك ترمي مرساها بالمدينة مع انها أقواف كبار اكثرهم اربعين مدفعاً

ولما وصلنا الى ذلك المكان كان في المينا نحو خمسماية وستماية قوف غلاوين (٤ مع شواطئ من بحر المحيط وزيادتهِ ونقصانهِ وعلى قدومهِ ورجوعهِ وصار لنا بذلك

١) البازركان كلمة تركيّة معناها المتاجر
٢) يريد بالعراضة المظاهرات والرونق
٣) القناق تركيّة معناها المرحلة
٤) الفلايين والغلاوين جمع غلّيون للمركب السابق ذكره

سرور زائد لاننا كنا سابقاً سمعنا عنهُ ولكن ما كنا رأيناه قطّ لانهُ يزيد وينقص كل اربع وعشرين ساعة مرّتين فامّا نقصانهُ فانهُ يدوم خمس ساعات وزيادتهُ سبع ساعات ففي الزيادة يمدّ على بوردو اي يفيض الى ورائها مسافة اربع وخمس ساعات. فاما مياه نهر الغارون فوقت جزْر البحر تنسكب وتجري بعزم زائد الى نحو البحر المحيط. وانا قد رأيت بعيني الغارون يفيض على علو ذراع واحد ومثلهُ يهبط ذراع آخر والاقواف التي توجد قريبة من شاطئ البحر في اوان الجزر تمكث على اليبس وامّا يفيض المدّ ترتفع على المياه مثل السابق حتى ان الاقواف الذاهبة والواردة تنتظر اوان المدّ والجزر لكي تسافر بقوة هذه الحركة ومن لم يرَ بعينه فلا يصدّق لان هذا شيء بقدرة الله عزّ وجلّ

اما اهالي هذه المدينة فكان اكثرهم لمّا يقدمون الى عندنا يزيدونا رغبة في فرجة القلعة اخيراً تنازلنا الى عزيمتهم (دعوتهم) وذهبنا معهم الى القلعة لكي نتفرّج فرأيناها قلعة جميلة جداً وواجبة الفرجة لانها معمّرة خارج المدينة على شاطئ النهر عمارةً تدهش الناظر والعقل من حسن بنائها وهي متينة جداً وفي بلوغنا اليها سلموا علينا بمدافع بغير عدد

ولما دخلنا الى داخل القلعة اخذونا الى دار حاكمها وهي دار جميلة جداً وهناك بستان على سطح القلعة ومعمّر فيه كشك (١عال يشرف منهُ على كل البلد وعلى المينا والبحر وهو مكلّف جداً فدخلنا معهُ نتمشى في ذلك الكشك. وكان حاكم هذه القلعة خبيراً وغاوياً (مغرماً) بتربية الزهور فرأيت عنده زهوراً لم أرَها قط انواع واشكال وكان من جملة الزهور المفتحة اربعة انواع لا غير لان ذلك الوقت ما كان وقت الزهور حافل الّا انهُ في مرورنا بطرلون كان الناس يهدونا زهوراً ربيعية في كل مكان مثل بنفسج مكبّس وزنبق وغيره

فبعد ان تفرجنا على ذلك القصر اخذونا الى اوضة وكانت مزينة بانواع التصاوير والدهونات شيء يخدع العقل منهم وجوه ملائكة وشخوصة مكلّفة وازهار واشجار شيء يأخذ العقل فبعد ان دخلت الى هذه الاوضة حضر لعندي حضرة قائد

١) والصواب كُوشك بالتركيّة ومعناهُ القصر والدسكرة والمنظرة من الخشب ومنهُ الفرنسويّة (kiosque) والعربيّة جوسق

العسكر موسيو بروبك (١ الذي كان في تلك الدرجة جاء الى استقبالي وسلم علي بكل اكرام ومودة وشربنا معهُ قهوة وشرابات ومربيات من التي كانوا اعدوها لنا

فبعد ذلك توسل اليَّ حضرة القائد بان لا أواخذه ان كان ينقص شيء من اكرامنا فاجبتهُ من طرفي اني شاكر لفضله على جميع الاكرام الذي قدَّمهُ لنا ثم ودعتهُ ورجعت الى المكان المعدّ لنا . لحضرة القائد المذكور كان له اشتياق زائد لان يرانا لانهُ قط ما رأى مسلمين وكان يمنعهُ من نظره الينا علوّ درجته لانهُ ما كان يمكنهُ يجي الينا وكان يريد يعزمني كثيراً الّا ان القلعة كان الدخول اليها ممنوع كثيراً ولا لواحد مثلنا لكن حال وجودي إلجي يلزم انهم يعملون لي اكراماً يليق بالاحلى

من بوردو الى باريس

ومكثنا في بوردو ثلاثة ايام ويوم الثلاثاء صباحاً نزلنا في القرف وعزمنا على التوجه الى نواحي باوه (Blois) وحينما وصلنا هناك ووضعنا رجلنا في البرّ رأينا اثني عشر حصاناً يَدَكات عليها الرخوت المجوهرة (٢ وهي من عند السلطان وجاء واحد من قبل السلطان شكل سرداو عسكر . وكان ايضاً رجل واحد معهم حامل رخت ذهب مرصّع بالجواهر الكريمة يسوى بدرة من المال ومعهم عَرَبانة عظيمة مكلّفة ولكن بما ان هواء تلك البلدة بارد في الغاية وشدة البرد شديدة ما استطعت ان اشاور ذاتي كيف اصنع بل حالاً دخلت الى تلك العربانة وقصدنا المكان المعين لنا

ولكن مع دخولنا هذا كان مهيأً لنا عراضة عظيمة بعز وشان واي شان ثم رفقة ناس ذوي احترام وجنود وعساكر ونوبات وعُدَد واكرام واي اكرام . واما الناس الذين ارسلوهم لكي يرافقونا الى باريس فكانوا مقيمين بهذه المدينة في انتظارنا مع جملة لوازم السفر . والى هذه المدينة كنا مسافرين في الماء ومن هناك تركنا الماء وراءنا

فاستقمنا بهذه المدينة ثلاثة ايام ثم عزمنا على السفر وفي مكثنا هذا كنت

---

١) يريد الدوق دي بروبك (G. Fr.- J. duc de Berwick) هو ابن ملك انكلترة جاك الثاني المولود في لندرة سنة ١٦٧٠ المتوفّى سنة ١٧٣٤ خدم زمناً طويلاً ملوك فرنسة وتقدّم في المناصب حتى تولّى قيادة العساكر الفرنسويّة في جهات مختلفة

٢) اليَدَكات ما جُنب من الخيل . اما الرخوت فجمع رَخت وهي عدّة الخيل وحليها

مداوماً على زيارة القصور والمفترجات والنتزهات فوجدت في الطريق سراية (١ مبنية في مكان شرح وهي كاشفة على كل البلد وفي هذه السراية موجود ستة قُبب ومن جملة حسن بنائها ما كنت اقدر اشبهها سوى بالبلخ الفضية المخرَّمة (٢ وايضاً النقوش التي داخل هذه السراية فاني لم اجد مثلها لانهُ تشبه اوجه الساعة فسألت عن هذه السراية فقيل لي ان هذه السراية قد بناها السلطان فرنسيس الاوَّل بهذا الاسم بين سلاطين فرنسا وهي مختصة باقنوم السلطان وتسمَّى سراية السلطان الَّا انَّ افصح لسان واقوى جنان من البشر لم يقدر يصف حسن هذه السراية ولا منتزهاتها لانها فريدة وغير ممكن وصف ما رأيت داخل هذه السراية من الحركات التي لم يتصورها العقل ومن دواليب الماء ومن السواقي العجيبة والاشجار المقصوصة التي كل واحدة منها تشبه شكلاً فمنها ما هو على شكل خيام ومنها على شكل اوضة وشكل خيل عليهم ركَّاب وما اقدر اصف ما رأيت

ثم اننا من هناك انتقلنا الى اورلهنس (Orléans) وهذه المدينة بعيدة عن باريس عشرين ساعة وبما انها في مكان الامان لم يعتنوا في حفظها ولا في عمارتها ولا حفظ قلعتها. فرأينا هناك جزءاً من عسكر السلطان مشتَّياً في هذه المدينة. فهذا العسكر لمَّا اقبلنا خرج الى استقبالنا مسافة ساعة بعيداً عن البلد والجنود كلهم واقفون بصفوف منظمة الاشكال الى حدّ المدينة وكل اهالي المدينة مع الاعيان ايضاً اجتمعوا لكي يرونا ويسلموا علينا مثل ما كان يحدث في بقية البلدان التي مررنا بها

ولمَّا وصلنا انزلونا في مكان معيَّن لنا وهو سراية مكلفة وكانت هذه السراية مزيَّنة بانواع التصاوير والنقوش وهي اشخاص جميلة مثل شبه الملائكة وشبه نساء جميلات وسائر الطيور والوحوش بأكمل هيئة وهي مصمودة بانواع الفرش الجميل شبه اوض اهل الصحبة (٣ الاعلى. فاستقمنا في اورلهنس يوماً واحداً

وفي الغد سافرنا من هناك وبلغنا الى سراية قريبة من مدينة باريس وقد كانوا قد هيَّأوها لنا وكان وصولنا اليها في تسعة ايام خلت من جمادى الاولى نهار السبت

١) السراي والسراية بالتركيَّة بلاط الملك والقصر

٢) هذا القصر من افخم قصور فرنسه يُعرَف بقصر بلوا (le Château de Blois)

٣) يريد باهل الصحبة الاعيان وحاشية الملك

واستقمنا هناك سبعة واحدة وفي هذه السبعة أيام لم استطع اشرح كثرة الكرامات وازدحام الشعب وخصوصاً اكابر المملكة الذين كانوا يأتون تبديلاً (اي مناوبةً) مستترين (متنكرين) ومنهم من يأتي ظاهراً ولم أرَ مثلما صار بهذه القلعة من ازدحام الشعب وكثرة الخلق ليلاً ونهاراً حتى كنت اظنّ ان بتلك الأيام عرساً او مرسحاً

وعلمت ان عند الدولة الفرنساوية وظيفة ليست عند العثماني تسمّى هذه الوظيفة وظيفة مدخل القصّاد (introducteur des Ambassadeurs) وهي عندنا شبه قبجيلار كهياسي (١ وهذه الرتبة هي انهُ لما يدخل قاصد الى فرنسا ويطلب الدخول عند السلطان فاولاً يذهب مدخل القصاد بنفسه الى عند القاصد ويهنئهُ بالسلامة ويرافقهُ في دخوله ويأخذه الى عند السلطان . تلك هي رتبة مدخل القصاد

فهذا الرجل حالاً اتى الى عندي ثاني يوم بعد وصولي الى السراية وهنأني بالسلامة من طرف السلطان واهداني اعزازاً واكرام السلطان ومكث عندي برهة زمان ومضى . ثم بعد يومين آخرين اتى نكي يعلمني انهُ اليوم القادم وقت الظهر يكون دخولي الى باريس وان هناك هيأوا لنا محلاً واعلمنا انهُ تنبّه على سائر الجنود ان يصنعوا لكم آلاياً (٢ حافلاً وهم مستعدّون للقائكم في الطريق ويسلمون عليكم بعزّ واكرام . ثم اخبرني انهُ بعد ان تعيّن اول سردار (٣ عسكر فرنسا الى مرافقتكم الى طرف السلطان اختلف اخيراً الرأي كون المذكور وظيفتهُ تربية حضرة السلطان وايضاً لاجل كبر عمر المذكور وقلة قوّته وعدم استطاعته على ركوب الخيل فقد تعين مكانهُ القائد الثالث وهو حضرة موسيو ويسترس (٤ وهذا القائد المذكور يوم الاحد ياتي الى عندكم وياخذكم في عربانة من عربانات السلطان وتذهبوا معهُ الى باريس . وقلنا : سمعاً وطاعة

---

١) معناها بالتركيّة كبير الحجّاب . وكان وقتئذٍ مدخل القصّاد السنيور ريمون (Rémond) يساعدهُ السنيور مرلين (Merlin).

٢) الآلاي بالتركيّة الموكب الحافل

٣) السردار قائد العسكر وهي تركية

٤) هذا الاسم مصحّف في الاصل يريد به المرشال ديسترى (le Maréchal d'Estrées) واسمهُ فكتور ماري وُلد سنة ١٦٦٠ وتوفي سنة ١٧٣٧

دخول السفير الى باريس

ثمَّ مضى وثاني يوم اتى الينـا واحد آخر وظيفتهُ ترتيب دخول القصَّاد الى عند الملك فهذا حين اتى الينا سألني عن عدد ارفـاقي وكَّاب الخيل لكي يأتي بخيل من اسطبل الملك فاعطيتهُ عددهم كما طلب ومضى. ثم اتى امير اخور (١ السلطان وكان اسمهُ سنيور كونيارد (٢ فهذا رتَّب وحضَّر كل شيء ثم وصل القائد ويستريس مدخل القصَّاد في عربانة ومعها عربانة السلطان وناعيك من عربانة سلطان فرنسا فنهضتُ حالًا لاستقبالها واكرامها. وأما رأياني اعلماني ان حضرة السلطان الله يحفظهُ ارسل لك عربانته التي حضرتهُ يركبها وان ارباب الدولة ايضاً سيرسلون لكم كل واحد عربانة شكل يدَك (٣ فبعد ان يركبوا جماعتك فاذا فضل منهم شيء يُسحَب شكل يدك

ففي تلك الساعة رأينا مقبلة الينا عربانة واحدة كلها مزينة بالذهب والجواهر الثمينة وهي مزينة بزينة تفوق العقل. فركبت تلك العربانة التي لم اجد مثلها قطّ ولا مثل زينتها ومشيتُ فمشيت العساكر بالآلاي منظوم وخيل السلطان وكانت خيالة الملك تلعب في الميدان وكذلك اتباعي كانوا يلعبون معهم على الخيل. وكان الآلاي منظوماً على هذا الشكل منهم ناس لابسون فريّ بايديهم طبنجات (٤ ومنهم ناس لابسون عبيّ في شكل غريب وهم ماسكون رماح وفي اثرهم الاغاوات

وكان امامي ماشياً قبجيلار كهياسي وابني كان راكباً وراني مع الكتخدا (٥ وبعد هؤلاء كانوا يسحبون ستة رؤوس خيل احصنة مزيَّنة بزينة لائقة وبعد هؤلاء ترجمان السلطان مع السر آخور (٦ وبعدهم انا راكب حصاناً مزيَّناً وعربانة السلطان بجانبي لاني كنت خرجت منها لكي يراني الخلق وكنت لابساً ثوباً مذهَّباً مهيباً

١) الامير آخور هو الموكَّل على الاسطبلات الملوكيَّة (Grand-Ecuyer)

٢) لم نجد شيئاً من اخباره والاسم يمكنهُ ان يكتب Cuynard او Quinard او Cunard او Guignard

٣) يَدَك بالتركيَّة تقال للفرس المجنوب استعملها هنا للعَرَبة الفارغة تُركب عند الحاجة

٤) هي البندقيَّات الصغيرة او الفرود

٥) الكتخدا ويقال كهيا هو عند الترك قيِّم الدار وصاحب التدبير .

٦) السر آخور كالامير آخور . وسر بالتركيَّة الرأس

وعن يميني القائد ويستريس وعن شمالي مُدخل القصّاد وهما راكبان خيلهما وآخر الكل كان رجيمنت (١ آخر من الخيالة ومن ورائهم العربانات بصفّها على مراتبهم لان اسواق مدينة باريس هي واسعة بهذا المقدار حتى ان عرض الزقاق او السوق يسع ست عربانات اذا جرت فيها على السواء

وكان الشعب الذي رأيتهُ يوم دخولي جماً غفيراً وفائضاً جداً حتى ان بعض الاماكن وبعض الحارات بالكاد كنا نقدر فيها على المرور لان اكثر الشعب اتى من جهات عديدة لاجل الفرجة وايضاً بيوت باريس كذلك هي مبنية عالية حتى انّ اكثرها مبني على ثلاث او اربع طبقات ولكن غير ممكن ان اقدر اصف او احصي كثرة الشعب والخلق الذين كانوا واقفين في الطرق والابواب والشبابيك الكاشفة على الطريق حيث كنّا نعبر وفي كل مكان ما كنّا نرى سوى نساء ورجال واطفال. وعلى هذا الترتيب وصلنا الى السراية المتعينة للقصاد وجميع البياوق التي كانت معنا واقفةً صفوفاً صفوفاً والجميع يسلمون علينا ثم بدأوا يعبرون قدام تلك السراية لاجل الفرجة

فعند ذلك القائد ودعنا ورجع الى مكانهِ وبعده بدا الرجال والنسا يأتون الى عندنا في ازدحام عظيم منهم اناس يأتون الى زيارتنا ومنهم يأتون بطريق فرجة خصوصاً لكي يتفرجوا علينا كيف نأكل. وكان ياتي من طرفهم اناس يطلبون منّا ان الست الفلانية تريد تأتي لتبصر كيف تأكلون لان هذا اعظم اشتياقهم وبما ان كانت بينهم نساء امارة واكابر فما كان يمكننا ان نمنعهم. ومن حيث ان الصيام الكبير كان واقعاً عند النصارى وذلك الوقت حاكاً فكان اكثرهم يحوطون بالمائدة ويتفرجون علينا فقط من غير ان يذوقوا شيئاً من المائدة ونحن كنا نصبر على ذلك لان هذه عادة عند الفرنساوية انهم يروحون يحضرون على اناس مثلنا حتى يتفرجوا على اكلهم

وكذلك لهم عادة ان يحضروا على غداء السلطان وعشائهِ. ولهم ايضاً عادة ان السلطان اذا قام من الرقاد ولبس ثيابهُ تصطفُّ اهل الدولة حولهُ وكذلك كانوا يفعلون معنا والتزمنا ان نصبر على هذه العوائد جميعها (لهُ بقيّة)

١) من الفرنسويّة (régiment) بمعنى طابور العسكر

اوهام العقليين في الوحي الالهي

للاب بنرل ايلا اليسوعي

قد قدّمنا لك (١ أنَّ الايمان هو الاعتقاد بمنطوق الوحي الالهي. وليس هذا الاعتقاد عن جهل ولكن لداعٍ يعرفهُ العقل قبل ان يُؤمن وهو كون الله الواحي علياً صادقاً لا يَضلّ ولا يُضلّ

وعلمتَ ايضاً انهُ تعالى لم يُنزل كلامهُ وأساً على كلّ من العباد وانما اصطفى افراداً منهم وخصّهم بوحيه ليحملوهُ الى جميع بني جلدتهم

وقد وعدناك باثبات صحّة لوحي المسيحي بان نكشف لك القناع عن رسالة المسيح ورسلهِ فتتحقّق انهم انما تلوا الكتبة المقدّسة كلامَ الله الحي وترى اننا نحن المسيحيين نؤمن بهِ صواباً وصلاحاً لا جهلاً وغواية

ولكننا لم نقرع باب هذا البحث الّا وتصدّى لنا قوم من المارقين عن الايمان القويم قصدَ ايقافنا عند هذا الحدّ. انتصبوا في وجهنا وإنْ هم على زعمهم الّا منتصرون للعقل محافظون على كرامته. يقولون: علامَ الفحص؟ علامَ التنقيب؟ وانما انتم ساعونَ وراء عنقاء الجوّ. تحاولون ايضاح امرٍ هو محال وتُنقّبون عن حادثٍ لم يقع قطّ بل ليس الى وقوعهِ من سبيل. تتساءلون هل آتى الله اولياءهُ كلاماً ليحدّثوا بهِ وما كان سبحانهُ ليحدّث البشر ابداً وان يرنَّ صوتهُ في جنان عبادهِ ذاك خلفٌ يمجّه العقل السليم ويَذرُه مع سائر الخرافات التي استسلم اليها اهل التعصّب. وهَبهُ امراً مستطاعاً فانَّ الرب منزّه عنهُ لا يضيع الوقت فيما لا طائل تحتهُ. فلِمَ تُرى يتكرّمُ علينا بوحيٍ من عنده وما عسى تعليمهُ يجدينا نفعاً. أما حسبُنا نبراس العقل نتذرّع بنوره فنقرأ في كتاب الطبيعة ونُحرز ما يكفينا ويزيدنا علماً وادباً ودينا؟

وان قلنا لهم انَّ هناك حقائق غامضة تُدعى اسراراً لم تحكِ عنها المبروءات المعهودة لدى الحجى البشريّة بل هي اسمى من ان يُحلّق اليها بصرُ العقل فلا سبيل الى معرفتها الّا بارشادٍ علويّ يُنير البصيرة فيمكّنها من التحديق اليها. اجابونا:

١) المشرق (١٧: ٣٠)

بين دسرارك وجود الذي اوهامكم التي اثارتها العصبية الدينية فهاجت فيكم وماجت وقادكم تيارها الى ان خلتم وحياً من رب الانام كل ما عن لكم وانتم في عالم الاحلام. فارعووا ولا ترضخوا الا للحق ظاهراً صريحاً. تبنون الايمان بالاسرار على كلام الله وتعالى ربكم عن ان يأتيكم علماً بما يفوق العقل ادراكاً

تلك هي دعواهم وغاية مسعاهم فانهم يدعون عقليين (rationalistes) لانهم ظنوا العقل والوحي عدوين فهفوا بتذليل هذا طلباً الى تعزيز ذيّاك

فسبيلنا اذاً اقامة الحجة على امكان الوحي ولياقته وضرورته. ولكن رأينا ان نبسط لك قبيل ذلك فصلاً في اخبار اعداء الوحي وآرائهم وما يربطهم من قرابة المبادئ مع من سبقهم من الضالين وما آلت اليه مزاعمهم من النتائج الفاسدة على الحوادث والنتائج تقوم شاهدة على بطلان المصادر والمقدمات « فمن ثمارهم تعرفونهم » (مت ٧ : ١٦)

وتمهيداً لكل ما سيأتي البحث عنه نقدم لك اولاً شرحاً في ماهية الوحي

١ ماهية الوحي

الوحي لغة الاشارة والكلام سراً والاعراب عما تخفيه عن غير من تخاطبه. وجاء ايضاً بمعنى الاسراع. اما لاهوتاً ودينياً فهو ان يظهر الله للانسان حقيقة ما. ويكون الوحي طبيعياً وفائقاً على الطبيعة

فالاول ما يبقى ضمن دائرة الطبيعة العقلية المخلوقة بنطرقه او بكيفية نطاقه. فليس موضوعه مما يفوق ادراكنا الفطري ولا نحن نتوصل الى معرفته بطرق تغاير ما ألفناه في معرفة باقي الاشياء. فما الوحي الطبيعي سوى ما يحدثنا به تعالى بلسان مخلوقاته فانه عز وجل قد اوجد وجعل نصب اعيننا برايا اذا أعملنا الفكرة فيها انبأتنا بوجود مبدعها ذي الكمال المتفرد في صفاته التي لا نهاية لها. وفي هذا المعنى قال الرسول (رو ١ : ١٩—٢١) : « ان ما يعلم من الالهيات هو واضح فيهم (اي في الامم) اذ قد اوضحه لهم الله. لأن غير منظوراته قد أبصرت منذ خلق العالم اذ أدركت بالمبروءات وكذلك قدرته الازلية وألوهته ». وجاء ايضاً في الزبور (مز ١٨ : ٢—٣) ان « السماوات تنطق بمجد الله والجلد يخبر بعمل يديه. يوم ليوم يفيض قولاً وليل لليل يبدي علماً » كذلك الناموس الطبيعي يفصح عنه

الضمير وفيه قال القديس بولس (رو ٢ : ١٤–١٥) انَّ الامم « وان لم يكن عندهم الناموس (الوضعي الموحى الى موسى) فهم ناموسٌ لانفسهم ويُظهرون عمل الناموس (الطبيعي) المكتوب في قلوبهم وضميرُهم شاهدٌ وافكارُهم تشكو او تحتجّ فيما بينها » على انَّ هذا الضرب من المعرفة لا يُدعى وحياً الّا على سبيل التوسّع في المعنى وليس كلامنا عنهُ فيما يلي. فانَّ العقليين لا ينكرونهُ بل لا يرضى المتطرّفون منهم الّا بهِ. وانما اسهبنا في ايضاح حقيقتهِ تمييزاً لهُ عن الوحي الذي يفوق على الطبيعة

فانَّ هذا الثاني هوَ الوحي بحصر القول وهو الذي يرفضهُ العقليُّون وعليهِ نقتصر في عجالتنا هذه. واليك تحديده : الوحي ما خرَجَ عن نطاق الطبيعة العقليَّة المخلوقة وذلك على أحد الوجهين الآتيين :

١) قد يكون منطوق الوحي من المدرَكات الطبيعيَّة التي لا يتعذَّر على العقل الغريزي اذا اعتُبِرَ في حدّ ذاتهِ ان يعرفها بنفسهِ. ومع هذا يعربُ الله عنهُ لرُسلهِ بطرقٍ خارقة الطبيعة مختلفةٍ عمَّا ألِفهُ البشر في كيفيَّةِ تحصيل معارفهم فيفوق حينئذٍ الوحيُ على الطبيعة من حيث طُرق هبوطهِ فقط لا من حيث موضوعهِ ويُدعى خارق الطبيعة او متعدّياً لها (préternaturel) . ولك مثالٌ عليهِ في وجود الله ووحدانيَّتهِ وعدلهِ ونهيهِ عن القتل والانتحار فانَّ هذه الحقائق وما نحوها لا يعجز العقل عن اكتسابها بذاتهِ ومع ذلك قد القى تعالى علينا وحياً بها لاسباب سيأتيك بيانها

٢) وقد يكون موضوع الوحي سرّاً غامضاً لا يستطيع الانسان مطلقاً الاطلاع عليهِ بذاتهِ مهما أجهد فكرهُ وتوغّل في تعليل الكائنات فلا بدَّ للوصول الى معرفتهِ من علم ربّاني يأتينا بهِ الله على أسلوب يتعدّى ناموس الادراك الطبيعي. فيفوق الوحي اذ ذاك على قوى الطبيعة من حيث موضوعهِ وطرق وروده معاً ويُقال لهُ فائق الطبيعة بحصر المعنى. ولك فيما يخصّ موضوعهُ امثالٌ في الاحكام الالهيَّة المنوطة باختيارهِ وحرّيَّتهِ تعالى. وفي هذا المعنى قال الرسول (رو ١١ : ٣٣–٣٤) : « يا لعمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ ما أبعد احكامهُ عن الادراك وطرقهُ عن الاستقصاء. مَن عرف فكر الربّ ومن كان لهُ مشيراً ». ومن ذلك ايضاً سرّ الثالوث الاقدس وغيرهُ من الحقائق الخفيَّة التي لا يستطيع العقل الوقوف عليها بمعزل عن الوحي

امّا طرق هبوط الوحي على اولياء الله فهي أوفر من ان يتّسع بنا المجال لبسط الكلام فيها مفصّلاً. ولا حاجة الى معرفتها محدودةً معيّنةً للاستدلال على امكان الوحي. فنقتصر الآن على الاشارة الى اخصّ ضروبها. فمنها الكلام الالهي والرؤيا والعلم المُفاض الخ. وقد قسمها القديس توما اللاهوتي اجماليًا الى ثلاثة ضروب او طرائق وهي: الطريقة الحسيّة والخيالية والعقلية المحضة قال (١:

« قد يُؤثّرُ الله في ذهن النبي فتتراءى لهُ احيانًا اشياء خارجية فيتلقّنها بحواسّهِ وعلى هذا رأى وقرأ دانيال الكتابة على الحائط في قصر الملك بلشصّر (سفر دانيال ٥). واحيانًا تتمثل للنبي صور خياليّة منها ما لم يجُزْ مطلقًا بالحواسّ الخارجيّة فيطبعه تعالى مباشرةً في المخيّلة (كما لو طُبعت مثلاً اشكال الالوان في مخيّلة من كان اعمى خلقةً). ومنها ما يُكوّنهُ الله من الخيالات الطبيعيّة التي سبقت الى المخيّلة على طريق الحواس الخارجيّة فيأخذ حالت قدرتهُ بعض هذه الخيالات ويُركّب منها صورة خياليّة تأتي بالمعنى الذي يريد القاءه على ولِيّهِ. ولك على هذا مثل ارميا اذ رأى قدرًا تغلي ووجهها من جهة الشمال (ار ١ : ١٣). واحيانًا ينتهي التأثير الرّباني الخارق الطبيعة نزًا الى ذات الروح في النبي فتُطبَع في ذهنهِ صورٌ عقليّة محضة لم تؤخذ عن الحواسّ الخارجية ولا عن المخيّلة على ما يتضحُ في الذين نالوا العلم المُفاض (science infuse) او الحكمة المفاضة ومنهم سليمان الملك والرسل »

وقد يأتي الوحي الخارق الطبيعة على لسان الآيات والمعجزات وهي مفاعيل ظاهرة يُقصّر المخلوق عن اتيانها فيتوفّق الانسان باستقرائها وتعليلها الى ان يعرف الله علّةً لها أحدثها ليُفهمنا بها ما قصدهُ كما نتوصّلُ باستقراء المفاعيل الطبيعية وتعليلها الى ادراك وجود الباري وكمالاتهِ. فتكون الآيةُ إن استبرأها وتقصّاها قولاً من الله صانعها يفصح بهِ عن افكاره واحكامه من ذلك ان « امطر الربّ على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا . . . وقلب تلك المُدُن وكل البقعة وجميع سكّان المدن ونبت الارض » (تك ١٩ : ٢٤—٢٥) فهي آيةٌ تنطق بعناية ربّك بخلوقاتهِ وببغضه للمنكرات يقتصّ منها شديدًا حتى في هذه الدنيا. وايضًا اذ مات المسيح « فاظلمت الشمس (قبل وقت غروبها) وانشقّ حجاب الهيكل اثنين من فوق الى اسفل . . . وتزلزلت الارض وتشقّقت الصخور وتفتّحت القبور وقام كثيرٌ من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامة الربّ واتوا الى المدينة المقدّسة وتراءوا لكثيرين » (مت ٢٧ : ٥١—٥٤ = مر ١٥ : ٣٨ = لو ٢٣ : ٤٥) فهو الله لا ريب

١) الخلاصة اللاهوتية (ج ٢ من القسم ٢ المطلب ١٧٣ ف ٢)

يكلمنا بلسان الحوادث ويُنذر اليهود منبئاً انهُ مجرهم وهجر قدس أقداسهم فلا يمدُّهم بعدُ شعبهُ الخاص ولا يتقبل عبادتهم في الهيكل الاورشليمي وذلك غضباً عليهم لرفضهم رسالة ابنهِ الوحيد وقتلهم إياه ظلماً وعدواناً. وبمنطوق هذا الوحي آمن قائد المئة والذين كانوا معهُ يحرسون يسوع فانهم " خافوا جداً وقالوا: في الحقيقة كان هذا ابن الله » (مت ٢٧: ٥٤)

٢ ـ انواع العقليين

العقليون فئتان: فمنهم المتوسطون (semi-rationalistes) الذين ينكرون الاسرار ظناً منهم انها تناقض المبادئ الراهنة لدى العقل ومنهم المتطرّفون الذين ينفون الوحي اصلاً لانهُ في زعمهم من المحالات المطلقة. واما الخطأة في الطرفين فهي واحدة ومرجعها الى تشبُّث عدوّ الوحي بفلسفتهِ الشخصيّة لا يرضى بسواها قاعدة الدين فكلُّ ما خرجَ عنها فهو باطل يُحكم بهِ وعليهِ قبل التنقيب عنهُ

ولم يَرد في التاريخ اسم العقليين الّا بعد نشأة البدعة البروتستنتية. على انَّ المسمّى سبق الاسم باحقاب وانك تتحقق هذا سواء اعتبرتَ خطَّتهم او مبادئهم. فمذهب العقليَّة خُطَّةٌ هو تمرُّد العقل على شريعة الايمان ومكابرة الانسان للوحي الالهي. وراس الكبر هو ابليس فلا تعجبنَّ اذا ما رأيتهُ في جنَّة عدن قد تقمَّص على صورة الحيَّة فوسوس لحوّاء وحملها على محاجَّة الربّ في شأن نهيهِ ابوينا الاوَّلين عن اكل ثمر شجرة معرفة الخير والشرّ قال خزاه الله (تك ٣: ٤-٥): « لن تموتا انما الله عالمٌ انكما في يوم تأكلان منهُ تنفتح اعينكما وتصيران كآلهة عارفي الخير والشرّ » وهو تكذيب كلام الله الملقى على آدم وحواء (تك ٢: ١٦-١٧) وتطميعهما بتألّه عقليهما يحصلان عليهِ باحراز معرفةٍ تختلف عن التي اتاهما تعالى اياها وكل هذا من اطوار العقليين

ومن ذلك العهد لم يفتإ الشيطان يحتال على بني الانسان ليورّطهم في الغرور ويدفعهم الى عصيان خالقهم ليس فقط بمخالفة شرائعهِ بل بنفي آياتهِ المنزلة. راجع توراة موسى واسفار الانبياء تجدها ملأى بتقريعاتهِ عزَّ وجلَّ لشعبهِ الخاصّ على قلَّة ايمانهم ومحاجَّتهم لاوليائهِ الاصفياء واذعانهم الى ترّهات الانبياء الكذبة

كذلك الكتبة والفريسيون في زمن المسيح كانوا ينبذون تعاليمهُ ظهرياً كلّما

ناقضت احكامهم السابقة. فاذا صرّح بالسلطة التي تأيّده اياها الآب وأشار الى حقيقة لاهوته وتنبأ على قيامته قرّفوه بالتجديف واتّهموه بالجنون (يو ١٠: ٢٠-٢١=مت ٢٦: ٦٥) واذا افحمهم بحجّة معجزاته تغافلوا عنها وتعاموا (يو ٩: ٨-٣٤) او عزّوها امّا الى قوى الطبيعة (يو ١٢: ٢٩) وامّا الى بعلزبوب (متى ٩: ٣٤) وسيتبيّن لك انّهُ اذا كانت فلسفة العقليين غير فلسفة الفريسيين فانّ الخطّة واحدة في الفئتين لانّ كلّهم يعارضون باحكام سابقة حوادث ثابتة راسخة نتحقّقها بامّ العين. لا يرضون الّا برأيهم وعلمهم قياساً للامور فكلّ ما زاد عليه فهوَ باطلٌ محال

وعلى نفس هذا النزع كان يجري ايضاً الفلاسفة الوثنيّون الذين تحاملوا على الديانة النصرانيّة ايام نشأتها. منهم شلسوس (Celse) الذي فنّد مزاعمه اوريجانوس في كتابه المشهور. ومنهم فرونتو (Fronto) وهو على ما يظهر (١ الذي استعار لهُ مينوشيوس فليكس اسم شيشيليوس فبسط آراءهُ في محاورته الموسومة اوكتافيوس (Octavius) من فصلها الخامس الى الخامس عشر (٢ واوّل ما يتحقّقهُ هناك الطالع هو اعراض الفيلسوف الوثني عن النصرانيّة قبل ان يستطلع ادلّتها بل لمجرّد ما رأى في تعليمها ممّا يضادُّ فلسفتهُ لانهُ يأبى سواها قياساً وحدًّا للديانة. فانّ شيشيليوس ينتمي الى مذهب الارتياب السفسطائي ويعتقد عجز العقل البشري عن تحصيل اليقين في مداركهِ فيُعجب بل يأسف لقحة المسيحيّين كيف يجزمون بامور الهيّة وهم على ما يزعم اغلبَ الاحيان سُذّجٌ اميون لم تُشرق عليهم شمس الفلسفة ولا يفوقون حكمةً الجهّال من العامّة فانّى لهم ان يرذلوا ديانة الشعب او ينكروا وجود آلهتهِ الذين طالما حاول الجهابذة من المفكرين تنكيس اعلامهم وتقويض هياكلهم فعادوا بصفقة خاسر. ثمّ يعمد شيشليوس الى اسرار النصرانية وقبل ان يطلب الحجّة على صحة الوحي بها يجعلها في مصافّ الخرافات والسخافات العاميّة. فيستخفّ بالنصارى واعتقادهم بإله مصلوب لا بل يُنكر عليهم ايمانهم بالهٍ واحد لم تبصره قطّ اعينهم ولا يستطيعون إطلاع غيرهم عليهِ كأنّهُ ليس لدى الحجى

١) راجع البحث النقدي للاب ن. لونوري (le Nourry) من رهبانية القديس مبارك في كتاب «مينوشيوس فليكس» الآتي ذكرهُ في المتن (مجموع الآباء اللاتين لمين ٣: ٢٩٣-٢٩٦)

٢) (فيه ٣: ٢٥١-٢٨٩)

السليمة من وجود حقيقي ثابت سوى ما وقع عليه البصر او جسّتهُ الجوارح ومن ثمّ ترى ما يؤول اليه العناد بن يأبى غير فلسفته الشخصيّة ميزاناً للحقائق

واما اراء العقليين فقد سبقهم اليها في اوائل الكنيسة اعداء الثالوث كآريوس وتلاميذه وفي القرون المتوسطة فلاسفة اليهود والعرب واخصّهم ابن رشد (+ ١١٩٨) فقد كان مع تظاهره بالدين المحمّدي ينبذ ظهريًا كلّ وحي ايًا كان

واليك بعض القضايا التي اخذها عنهُ المبتدعون او ايّدوهـا بمبادئه فحرمها عام ١٢٧٦ م اسطفان تامبير (Tempier) اسقف باريز وهي :

« ليس للفيلسوف ان يعتقد تمام المعرفة لانهُ لا يمكن اثباتها بالحجج العقلية

« على الفيلسوف ان ينكر مطلقاً حدوث العالم في الزمن لانهُ انما يستند الى اسباب طبيعية والى العقل واما المسيحي فيستطيع ان ينكر ازليّة العالم لانهُ انما يستند الى آيات فائقة الطبيعة » (كأنّ الحقيقة تناقض ذاتها بذاتها !)

« توجد خرافات واكاذيب في الشريعة المسيحية كما في سائر الديانات الخ »(١

ولم يُحرَم العقليّون اجدادًا حتى في مصافّ الكاثوليكيين منهم سكوت اريجينا (Scotus Erigena) في القرن الحادي عشر وابيلّردوس في الثاني عشر واموري دي شرتر (Amaury de Chartres) في اوائل الثالث عشر غير انّ اضاليلهم قد انحصرت في افراد وما عشّت الكنيسة ان حرّمتها وصانت بنيها من سمّها . وقد مات كثيرون من هؤلاء المبتدعين في حجر الكنيسة خاضعين لها

وانما تفاقم الامر واستشرى الشرّ بعد ان قام في الجيل السادس عشر لوثيروس زعيم البروتستانت وقد مهّد السبل للعقليين اذ حاول تقويض السلطة الكنسيّة ونادى بحريّة البحث الديني على ما نبيّنهُ لك الآن

٣ مَعدِن مبادئ العقليين في الاصلاح المزعوم

يقول الفرنسيس : قد يتماسّ طرفـا النقيض (les deux extrêmes se touchent) وهو لعمري مثلٌ يصدق في الجماعات واطوار الافراد ولكنّهُ ينطبق خصوصاً على النتائج المنطقية اذا ما نجمت عن مقدّمات فاسدة تجمع بينها كما تجمع

(١ Duplessis D'Argentré : Collectio judiciorum de novis erroribus, Paris, 1724, I, pp. 188.

الشجرة الواحدة اغصاناً مختلفة اصلها واحد . وقد قيل ايضاً : « ان تسلّم بالخلف المحال تستنتج ما تشاء من المقال » (posito absurdo sequitur quodlibet) . ومما يؤيد هذا القول تاريخ الاصلاح البروتستنتي وتأثيراته في الاضاليل التي نشأت عنه من بعده

خلع لوثير طاعة الكنيسة ومزّق شطراً من الاسفار المقدسة وفسّر ما احتفظ به منها طبقاً لآرائه المبتدعة ومع هذا لبث نصرانياً يعتقد بالثالوث والتجسّد والفداء بل بلغ بايمانه حدّ الغلوّ والشطط اذ جعله وحده رُكنَ الخلاص مع بقائه ميتاً لا تمسّه فضيلة البرّ ولا تظاهره الصالحات

ولكن ما كادت يد المنون تمتال لوثير الّا وانشقّ عنه البعض من ذريته وعادوا يقاومون تعاليمه بنفس الحجج التي قاوم بها هو كنيسة الرب . فادّت بهم حاجتهم الى رذل ذيّاك الايمان الذي اراد زعيم المذهب البروتستنتي تعزيزه اذلال الاعمال حتى تلمّس طرفا النقيض في نتائج الاصلاح فاقرّ البروتستنتي الارثذكسي بالوهية المسيح بينما ينكرها البروتستنتي العقلي ولا بدع فانما وُلدت الشقيقين المدوّنين امٌّ واحدة وهي حرّية البحث الديني (le libre examen)

وان سألت ما هي حرّية البحث الديني وما هو مؤدّاها اجبناك مُبينين لك اوّلاً ما ينقضها في الرأي الكاثوليكي

كان المسيحيون قبل لوثير يعتقدون أن للوحي معدنَين الكتاب العزيز والتقليد وأنّ الكنيسة فوّضها مُنشئها يسوع ان تُفسر وتحدّد للمؤمنين معنى كلام الله المثبّت في الاسفار الالهية . قال القديس منصور الليريني من كتبة القرن الخامس (١ :

« لمّا كانت اقوال الكتاب الكريم سامية غامضة تعذّر على الجميع ان يفهموا لها معنى واحداً بل ترى المزاعم في مؤدى منطوقها تضاربت وتناقضت حتى كادت توازي البشر عدداً . فقد اختلف في شرحها نوفاطيانوس عن سابليوس وهذا عن دوناتوس وهذا عن آريوس . . . فلا بدّ اذن لمن اراد ان يأمن العثار في وعورات الطريق ووعوثاتها ان ينحو في تأويل الانبياء والرسل نحو الكنيسة الكاثوليكية »

---

١) اطلب Vincent de Lérins : *Commonitoire*, c.2

وهذا ما كان يصرّح به لوثير عينهُ في اول امره فما بقي من كتاباته الاولى رسالةٌ يقول فيها للحبر الاعظم :

« أحكمْ يا شئت ايها الاب الاقدس فاني راضخٌ لقضائك إنْ لي وإن علي ومُقرٌّ ان صوتك هو صوت المسيح فهو فيك ساكن ومتكلم . واني اصرّح بان الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة هي معلمة العالم اجمع ولها عليه السيادة . وقطّ لم يخطر لي ببال ان اقدح فيها او اطعن بشيء على سلطة الكرسي الرسولي المقدس او رئاسة سيدنا البابا ذي الرأي السديد (١) »

ولكن ما حكمَ الحبر الاعظم على لوثير الاوثرّ في جنانه ما لم يكن قبل " ليخطر له ببال » فانقلب ظهراً لبطن واحتدم غيظاً على نائب المسيح وتحامل عليه حتى دعاه المسيح الدجال ورافعهُ الى المجمع المسكوني . لكنهُ ما لبث ان رفض ايضاً حتى سلطة المجامع المسكونيَّة والتقليد الكاثوليكي لما رأى فيهما من المضادَّة لاضاليله فما ابقى لايمانه وايمان تبَّاعه سوى سندٍ واحد وهو الكتاب المقدَّس كلٌّ يُؤوّله على ما حسن لديه دون ان يحفل بما حدَّدتهُ الكنيسة المقدسة من معاني آياته او بما اجمع على تفسيره الآباء القديسون . قال زعيم الاصلاح الموهوم في كتابه « اسر بابل » :

« احزم واصرّح انهُ ما من حق لبابا ولا لاسقف ولا لاحد من الناس ان يُلزم المسيحي ولا بقطرق مقطع واحد من اللفظ دون رضاه واختياره وكل ما خرج عن الحكم هذا فهو جور واستبداد » (٢)

وقال ايضاً :

« اذا تيقَّن المؤمن معنى ما تفسَّحهُ في الكتاب المقدس غدا حكَماً حتى على الملائكة لأن حكمهُ اذ ذاك لم يعد منهُ بل من الله . » (٣)

ومن معترض يسأل لوثير قائلاً : أنّى للمؤمن جاهلاً كان او عالماً ان يفقه ويتحقق معنى كلّ ما جاء في الاسفار الالهية وهي في اكثر مواضعها عويصة غامضة وقد شهد بهذا الامر القديس بطرس عينهُ اذ قال عن كتابات زميله الرسول بولس (٢ بط ٣ : ١٦) . « انَّ فيها اشياء صعبة الفهم يُحرّفها الذين لا علم عندهم ولا

---

١) ذكرها تانكراي (Tanqueray) في كتابه المذكور سابقاً ص ٢٤٦

٢) ذكره Vigouroux : Les Livres Saints et La Critique rationaliste, t. I, p. 414, note 2

٣) فيه ص ٤١٥

رسوخ كما يفعلون في سائر الكتابات لهلاك نفوسهم.» وان كذبت هذا النص زاعماً انهُ غير قانوني افتكذب ايضاً الاختبار والتاريخ وقد طالما افادك عن وعورة المسالك المؤدية الى استيعاب معاني الكتاب حتى تضاربت فيها آراء المفسرين الجهابذة من كل مذهب وشيعة. أوَ ليس هذا اصرح شاهد على ضرورة الوجود لسلطة يؤيدها ويعضدها الروح القدس فيكون اليها المرجع ولها القول الفصل في التفسير. ثمَّ كيف تميز السفر المنزل من غيره واي شيء يدلك مثلاً ان الله اختار يوحنا وألهمهُ لرقم آيات انجيله وامسك بيده اذ صنفها؟

وبالعكس على مَ تبني زعمك الباطل ان رسالة بطرس الثانية انما هي تأليف بشر محض؟ نحن الكاثوليكيين ننظر اولاً الى كتب العهد الجديد نظراً بشرياً ضاربين صفحاً عن كونها مُلهمة الهيَّة فنعتبرها كتآليف بشريَّة تشهد بصدقها الادلة التاريخية فنتخذ ما تضمنتهُ من اقوال الرب يسوع واعماله حجَّةً على صحة رسالته الالهية ثمَّ على انشائهِ كنيسة معصومة اناط بها الحكم بامور الخلاص اجمالاً وبحقيقة تنزيل الاسفار الكريمة خصوصاً فنتسلَّم من يدها كتابات العهدين العتيق والجديد غير مُرتابين بل متيقنين انها تحوي الوحي الالهي لأنَّا نعلم ان شهادة الكنيسة حقّ وانها سبب كافٍ كافل لنعتقد كلام الله ونقبلهُ. واما انت فمن اين لك ان تدري بتنزيل الكتب وقد رفضتَ سلطة الكنيسة وتقاليد الآباء. أفيكون الخالق خوَّلك حساً خصوصياً تميز بهِ النصوص الالهية من غيرها والكتب القانونية من المزيَّفة كما تميز بعينك الابيض من الاسود وبذوقك الحلو من المرّ؟ ام كنت في قلب موسى وداود وبولس والانبياء والرسل اذ هبط عليهم الالهام العلوي ودفعهم الى تدوين آياتهم؟

فيجيب لوثاروس: يكفي الكتاب ذاتهُ لذاته فهو من نفسه واضحٌ صريح لمن يتصفحهُ مُنتبهاً متروياً فيفقه معناه بلا هادٍ ولا دليل «فانَّ المسيح يُعلمنا داخل قلوبنا ويقوم فيها مقام الكاهن المُرشد.»(١

وهاك بعض ما كتبهُ تفصيلاً في هذا المعنى صاحب الشيعة البروتستنتية:

«يسألونك كيف نتحقَّق كلام الله وكيف نميز الحقّ من الباطل. فدعهم يقولون ما

١) فيهِ ايضاً ص ٤١٥

يشوش [illegible] في قول الله : لا تستطيع ان تبني ايمانك على تعاليم البابوات ولا على تحديدات المجامع لانك لا تجد فيها راحة لضميرك بل عليك ان تحكم وتبت بذاتك والا عرضت بحياتك ونصيبك من السعادة الابدية فان الله مستقر ولا بد في اعماق قلبك يحدثك قائلاً : هذا هو كلامي (١) »

وقال ايضاً :

« ينبغي ان نتأكد حصولك على كلام الله تأكدك لذات وجودك واشد . فما ثمة تأكيد الا قاعدة واحدة وهي قول الله . ولذلك هب ان الناس كلهم مع الملائكة والعالم باجمعه قرروا امراً ما فان كنت لا تستطيع الجزم به من نفسك هلكت لا محالة لأنه لا ينبغي ان تبني حكمك على رأي البابا او غيره ايا كان بل عليك ان تمكن ذاتك من القول : الله يقول كذا ولا يقول كذا . وهذا حق وذاك باطل والا فمن المحال ان يقر لك قرار . . . »(٢)

فما تقدم ترى ان حرية البحث الديني في عرف لوثاروس مرجعها الى قضيتين :
١ان قاعدة الايمان واحدة وهي الاسفار الالهية دون التقليد الكاثوليكي وتعاليم الكنيسة . ٢ليس للسلطة الكنسية ولا لغيرها ايا كانت ان ترشد المؤمن الى الاسفار المنزلة كم هي وما هي وما هو معناها فان هذا كله يتوفق اليه المسيحي بمعرفته الشخصية وبنور الهي يذرعه به الرب

واما النتيجة الناشئة عن هذين المبدأين فبديهية لا تخفى على احد . فاذا كان الكتاب المقدس هو قاعدة الايمان الوحيدة وكان تفسيره منوطاً بنظر الافراد ورأيهم فقد انفتح المجال واسعاً لاقبح الاضاليل واشنعها اذ يتسنى والحالة هذه لكل واحد ان يقرأ الاسفار الشريفة ويفهم منها ما عن له وطاب

ولم يلبث لوثاروس ان اختبر بذاته عواقب مبدإه . فما مضى قليل من الزمن على مجاهرته بحرية البحث الديني الا واتخذها قوم من ذويه حجة لمقاومة تعاليمه والانفصال عنه وانشاء بدعة جديدة وهم اصحاب المعاد الثاني (Anabaptistes) وسموا بهذا الاسم لانهم كانوا يعدون عماد الاطفال فاسداً بحجة انه لم يرد ذكره في الكتاب المقدس وما كانوا يكتفون باعادته بل بلغت بهم القحة الى حد التجديف عليه فكانوا يدعونه غسل الكلاب (balneum caninum) . ومن ترهاتهم انهم

---

١) في الصفحة ٤٢٢ ٢) في الصفحة ٤٣٠

كانوا يدّعون النبوة زاعمين ان كلًّا منهم توراة حيَّة اذ الروح القدس حالٌ فيهِ يخاطبهُ في فؤادهِ ويُلقي عليهِ وحيهُ بل كانوا يفضلون هذا الوحي الموهوم على نصوص الكتاب الكريم. حُكي عن توما مُنزر (Th. Munzer) وهو من مُعيدي العماد المدّعين بالنبوَّة انهُ كان يوماً يخطب في الشعب شارحاً تعاليم شيعتهِ فولج الجمعَ رجلٌ من تبّاع لوثاروس وجعل يقاطعهُ الكلام مستشهداً بالآيات الكتابيَّة فاجابهُ منزر متلاعباً بالجناس اللفظي: الكتاب هو بابل (Bibel Babel). فردَّ عليهِ اللوثيري قائلًا: ازاك تردل ادلَّة الكتاب فمن يكون لك هادياً في مسالكك. قال: الرب الاله يهديني وان أبى ان يفتقدني افتقادهُ لانبيائهِ جحدتُهُ وكفرتُ بهِ.(١)

فلا عجب بعد هذا اذا كان اصحاب العماد الثاني في مقدمة الذين مهَّدوا بعد لوثاروس السبل لمذهب العقليَّة

فمنهم هانس دنك (Hans Denk ، ١٥٢٨) واساس تعليمهِ أنَّ كلام الله الحيَّ في القلوب يعني العقل الغريزيَّ اعلى واشرف منزلةً من كلام الله المدوَّن في الاسفار المنزلة وعقيدهُ ان الكتاب المقدس وان كان اثمن الكنوز الَّا ان اليد التي خطَّتهُ بشرية والفم الذي فاه بهِ بشريّ والاذن التي تسمعهُ بشريَّة فلا ينبغي قبول ما جاء فيهِ ما لم يؤيدهُ الاختبار (٢ وهو مذهب العقليَّة لا يختلف عنهُ بشيء.

ولدنك هذا من معيدي العماد اصحابٌ وتباع كاويس هتزر (Hetzer + ١٥٢٩) وداود جوريس (+ ١٥٥٧) وغيرهما عليهم مسحةٌ من العقليَّة فينكرون الاسرار اجمالًا ولا سيما الوهيَّة المسيح ويرفضون الوحي كلما ناقض اراءهم او يؤولونهُ طبقاً لها. على انهم لم يتوفقوا الى انشاء شيعة مستقلة تدوم وتتمرَّق فيها مبادئهم كما فعل ليليو وفوست سوشين (Lelio et Fauste Socin) اللذان دُعيت باسمهما بدعة السوشينيين وهم العقليّون المتوسّطون وعنهم يأتيك الكلام الآن

(لها بقية)

---

١) في الكتاب عينهِ ص ٤٤٧ ٢) فيهِ ص ٤٤٦–٤٥٠

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث : في الاعلام النصرانية (تابع)

٣ الاعلام النصرانية المحضة

هو الصنف الثالث من الاعلام النصرانيَّة التي شاعت بين عرب الجاهليَّة وهذه الاعلام يستدلّ من مجرَّد منطوقها انها لنصارى ليست لسواهم وها نحن نروي ما لقينا منها على ترتيب حروف المعجم :

(أبجَر) قد دُعي بعض نصارى العرب بهذا الاسم كأبجر بن جابر سيد بني عجل النصارى (الاغاني ١٠ : ٢٧) والعرب يشتقُّونهُ من « بَجرَ » اي عظم بطنُهُ . ولعلَّ الاصحَّ اشتقاقهُ من السريانيَّة ومعناهُ فيها الاعرج وبهِ عُرف ملوك رها الاباجرة

(أفريم) هو اسم نصراني يُشار بهِ الى ملفان السريان القديس افرام الكبير . وقد عُرف بهِ أفريم أسقف الحيرة الذي ذكرتهُ هندُ الكبرى في كتابتها التي اوردناها في الجزء الاول (ص ٩١)

(إيشوع) و (يَشوع) ورد في الاسم الاضافيّ عبد يشوع كما سترى . . وجاء مفردًا ايضاً لبعض اساقفة العراق كايشوع برنون (كتاب المجدل الاري بن سليمان ص ٧٥)

(ايليا) هو اسم الياس الذي مرَّ ذكره ولعلَّهُ على هذه الصورة شاع بين النصارى خصوصاً . وممَّن تسمَّى بهِ ايليا اسقف نجران الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٨) وايليا الكشكراني (المجدل ٣٨)

(بولس) جاء في اعمال شهداء نجران انَّ ذا نوَّاس لمَّا دخل نجران غيلةً وقتل اهلها نبش قبر اسقفها « بولس » المتوفى قبل ذلك بسنتين فأحرق رممهُ

(جرجس) شهيد النصرانيّة المعروف . وبهذا الاسم عُرف جرجس اسقف العرب الكاتب السرياني الشهير . وكان اسقفاً على بني طيّ في اواسط القرن السابع (Duval : *Littérature Syriaque*, p. 377)

(جُرَيج) وقيل (جَريج) عُرف به جُرَيج الراهب (الطبري ١ : ٣٨٣ وسيرة الرسول ٤٠٧) وعبد الملك بن جريج وشَبَث بن قيس بن جريج (تاج العروس ٢ : ١٥) وورد جُرَيج بين اعلام اليمنيين (الاشتقاق لابن دريد ٣٢٩) . والاسم على رأينا شبيه بجرجس او مشتقّ منهُ (اطلب الملحقات بتاريخ الطبري .Add) (DLXXXIII وقد ورد عند العرب على صورة جُرَجه . قال في التاج ٢ : ١٥) : « بنو جُرَجه المكيّون » ولعلّ بعض هذه الاسماء العربيّة مشتقّة عن اسم القديس جرجنيوس رسول عرب اليمن واسقف الحيريين (راجع القسم الاوّل ص ٦١)

(رُومان) عُرف بهذا الاسم عند العرب بنو رُومان بطن من بني طي (ابن دريد في الاشتقاق ٢٢٨) و كان لنبي المسلمين مولى يُدعى رومان الرومي ذكرهُ في التاج (٨ : ٣٢٠) . وذكر معهُ صحابيًا يُدعى رومان بن نعجة من الصحابة . وامّ رومان بنت عويمر الكنانية هي والدة عائشة زوجة نبي الاسلام . وكذلك ذكر ابنُ سعد (ص ١٩) في كتاب الوفود يزيد بن رومان . ولا نشكّ في ان هذا الاسم تعريب رومانوس احد مشاهير القديسين في حدود العرب . وقد جاء على لفظهِ الاعجميّ في تاريخ الطبري (١ : ٢٢٠٢) حيث ذكر حروب المسلمين لنصارى الانبار فقال ان قضاعة كان عليها رئيساً « رومانوس بن وبَرَة » . وكذلك ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٧٩) ذكر « ابن رومانوس الكلبيّ » وقال هناك انهُ « كان اخا النعمان »

— (سَرْجِس) اسم شهيد عظيم استشهد مع القديس بكُس او باخوس على عهد مكسيميانوس المغتصب في اوائل القرن الرابع . وقد عرف العرب النصارى امرهُ وكان على اسمهِ عدّة اديرة (راجع معجم البلدان ٢ : ٦٦٧ ومعجم ما استعجم للبكري ص ٣٧٤) . لا بل تسمّى باسمهِ بعض نصارى العرب . فقد ذكر الطبري (١ : ١٨١٢ راوياً كان في بدء الاسلام دعاه موسى بن سَرْجِس . وكذلك ذكر للزُبَير غلاماً باسم سَرْجِس (١ : ٣١٨٥) . وقد روى عبد المسيح بن اسحاق الكندي في ردّهِ

على الهاشمي (طبعة لندن سنة ١٨٨٠ ص ٧٢) انَّ الذي تردَّد على محمَّد نبيّ الاسلام كان اسمهُ سرجيوس. ولقبهُ بُحيرا معناهُ العالم وهو الذي اشار اليهِ في القرآن في سورة النحل (عدد ١٠٥) حيث قال عن المكيين: «ولقد نَعلم انهم يقولون انَّما يعلّمهُ بشرٌ». ولعلَّ اسم سرجون صورة أُخرى من هذا العلَم. وقد عُرف في دمشق يوم فتح العرب «سرجون بن منصور الروميّ» الذي دعاهُ الطبري (٢: ٢٠٥، ٢٢٨) «كاتب معاوية وصاحب امره»: وهو ابو القديس يوحنا الدمشقي الذي عُرف بابن سرجون او سُمّي بجدّهِ ابن منصور وعنده كان يغزل الاخطل (الاغاني ٧: ١٧٤). وقد ذُكر في الاغاني (١٤: ٩٤ و ١٦: ٢٢) كنديم النعمان بن المنذر المسمى «سرجون بن نوفل»

(سمعان) و (شمعون) قلنا سابقاً (في المشرق ١٦: ٩٢٥) انهُ من المحتمل ان يكون ايضاً هذا الاسم نصرانياً محضاً وذلك امَّا اشارةً الى القديس سمعان بطرس ويقال شمعون الصفا هامة الرسل او الى سمعان العمودي الشهير بين العرب. وممَّن يضاف الى من ذكرنا سابقاً «اوس بن سمعان» الصحابيّ (اسد الغابة ٢: ١٤٦) وابو ريحانة شمعون بن يزيد الازدي (التاج ٥: ٤٠٣ وأُسد الغابة ٣: ٩). وشمعون اسم لاساقفة وحبساء اشتهروا قبل الاسلام في العراق وجهات العرب كشمعون اسقف الانبار في ايام الملك انو شروان (تاريخ ماري بن سليمان ed. Gismondi.) وشمعون اسقف الحيرة (فيهِ ص ٥٦) وشمعون بن صباعي الشهيد اسقف المدائن (ص ١٦)

(شمّاس) قد كثر هذا الاسم في الجاهلية وبهِ عُرف بطن من تميم «بنو شمّاس» ومنهم قيس بن شمّاس ذكرهُ في الحماسة وشمّاس بن عثمان بن الشريد الذي قُتل يوم أُحد (الاشتقاق لابن دريد ص ٦٤) وغيرهم ايضاً. والبعض يشتقّون هذا الاسم من شِماس الفرس اي جموحهِ. ومن المحتمل ان اصل هذا الاسم من السريانية (ܫܡܫܐ) بمعنى خادم الدين. والله اعلم

(عبد المسيح) هو ادلُّ الاسماء العربيَّة على نصرانيَّة الذين تسمَّوا بهِ وعددهم بين العرب ليس بقليل واقدمهم عبد المسيح بن باقية بن جرهم سادس ملوك جرهم على مكة الذي ذكرناه في القسم الاوَّل من كتابنا (ص ١١٦). ومنهم عبد المسيح

ابن عَسَلة الذي روينا شعره في شعراء النصرانيَّة (ص ٢٥٤) نقلًا عن المفضليات. ومنهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسَّاني كان سيد اهل الحيرة واحد المعمّرين. قال ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين (ص ٣٨ : ed. Goldziher) انهُ « ادرك الاسلام فلم يسلم وكان منزلهُ في الحيرة وكان شريفاً في الجاهليَّة ». وذكر له ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٧٧) ديرًا بناهُ عُرف باسمهُ كان بظاهر الحيرة وفيهِ وُجد قبره وكان عليهِ مكتوباً :

حَلَبْتُ الدهر أشْطُرَهُ حياتي ومتُّ من المُنَى فوق المَزيد
فكافحتُ الامور وكافحتني فلم اخضع لمُعْضِلةٍ كَؤُودِ
وكدتُ انالُ في الشرفِ الثريّا ولكن لا سبيلَ الى الخُلودِ

ولعبد المسيح هذا شعر رُوي في كتب الادب سنجمعهُ ان شاء الله. وممَّن دُعوا باسم عبد المسيح الشاعرُ الجاهلي الشهير بالمتلمس واسمهُ عبد المسيح بن جرير (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٣٣٠). ومنهم عبد المسيح بن الديَّان من سادة نجران قال الاعشى يمدحهُ وآلهُ (شعراء النصرانيَّة ٣٨٢) :

وكَعْبَةَ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخَيْ بأبوابها
تزور يزيدًا وعبدَ المسيح وقيساً وهم خيرُ أربابها

وذكر ياقوت (٤ : ٧٥٦) بين سادة نجران عبد المسيح بن دارس بن عديّ بن معقل وقال هناك انَّ كعبة نجران كانت لهُ وهي قبَّة من أدَم وثلثمائة جلد يؤمَّن فيها الخائف ويُرفَد المسترفد وتُقضى حاجة كل طالب (قال) وكانت على نهر بنجران. ومن وفود نجران على نبي المسلمين احد اساقفتهم يُدعى العاقب قال ابن سعد في كتاب الوفود (ص ٧٦) انهُ كان من كندة وان اسمهُ عبد المسيح. ومنهم ايضاً « عبد المسيح بن المؤهب » الذي روى لهُ البحتري شعرًا في حماسته (اطلب الصفحة ١٩٦ من طبعتنا). هذا فضلًا عن اساقفة بهذا الاسم تولَّوا رعية كنائس العراق ورد ذكرهم في تواريخ النصرانيَّة وكان بينهم رجال من اصل عربي

(عبد ياسوع) ذكر صاحب التاج (٢ : ٤١٢) هذا الاسم لاحد عرب الحيرة المعروفين بالعباد. واشهر منهُ (عبديشوع) او (عبد ايشوع) على اللفظ السرياني.

وبه عُرف في جهات العراق قبل الاسلام عدة اساقفة ورهبان كعبد ايشوع الحبيس ذكره ابن ماري في المجدل (ص ٢١) وعبد ايشوع الميشاني صاحب العمر (ص ٢٨) وعبد يشوع القناني رسول العرب (فيه)

(عديّ) هو اسم شاع في الجاهليَّة وتسمى بهِ كثير من نصارى العرب كعدي ابن زيد الشاعر النصراني الشهير (شعراء النصرانيَّة ص ٤٣٩) وعدي بن حنظلة (تاريخ الطبري ٢: ١٠١٦) وعدي بن اوس ابن مارينا (فيه ايضاً ١: ١٠١٨) وعديّ بن حاتم الطائي (١: ١٧٠٦—١٧١٠). وعلى ظننا ان هذا الاسم اعجمي اصلهُ ادّي او عدّي كان احد تلامذة المسيح ومبشراً لايمانهِ بين الكلدان والعرب وقد افاض المؤرخون في ذكرهِ

(عيسى) هو اسم السيد المسيح في القرآن. ومن العجب العجاب اننا لم نجد ذكرًا لهذا الاسم بين اعلام العرب في الجاهليَّة. ولعلّ رسول الاسلام اخذه على هذه الصورة من يهود يثرب الذين رووهُ كذلك بغضاً بالنصارى واشارةً الى عيسو

(فراسية) ورد هذا العلَم في مروج الذهب للمسعودي (ed, Barbier de Meynard,III, 200) فقال هناك انّ المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة كانت امهُ «الفراسيَّة» بنت مالك بن المنذر من آل نصر». وهذا الاسم نصراني بَحت كما نبَّه اليهِ الطابع (ص ٤٥٠) وهو تصحيف «اوفراسية» (Euphrasie) اسم عدَّة شهيدات نصرانيَّات

(فيليبُس) اسم احد رسل السيد المسيح. وهو اسم فيليبُس العربي اوَّل القياصرة المتنصِّرين (راجع القسم الاوَّل ص ٣٢)

(فيميون) هو اسم الراهب السائح الذي دخل نجران ونصَّرها كما روينا في القسم الاوَّل (ص٥٩—٦٠) والاسم اعجميّ لا محالة لعلَّهُ معرَّب من اليونانيَّة Εὔφημος اي البليغ والحسن النطق

(قسّ) اسم معرَّب من السريانيَّة وهو فيها ܩܫܝܫܐ اي الشيخ يدلُّ خصوصاً على الكاهن النصراني وبهِ دُعي خطيب العرب اسقف نجران «قسّ بن ساعدة الايادي» (اطلب شعراء النصرانيَّة ص ٢١١). ومن إياد ايضاً كان المسمَّى الحُسّ

ابن حابس ابو هند بنت الخس الايادية » (التاج ٤ : ١٣٧) الشهيرة بفصاحتها . وعلى ظننا انَّ « الخُسُّ » هنا كالقُسّ

(ماري) هو اسم التلميذ الذي دعا الى الايمان بالمسيح في جهات العراق وانشأ على ما يقال كرسي المدائن . وبهذا الاسم عُرف قبل الاسلام ماري الفارسي اسقف بيت اردشير (اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني ج ٣ ص ١٧١)

(مارية) هو اسم مريم على لفظه اليوناني واختصَّت به نساء النصارى على هذه الصورة مشيرات به الى العذراء الطاهرة . منهنَّ « مارية بنت الحارث » الكنديَّة قرينة المنذر ملك الحيرة ووالدة ابنه الاسود (الاغاني ٢ : ٣٢) . ومنهن مارية بنت الارقم بن ثعلبة من ملوك بني جفنة الغسَّانيين (التاج ١٠ : ٣٤١) وابنها الحارث الاعرج الذي فيه قال حسَّان :

اولادُ جَفْنَةَ حولَ قبر ابيهم قبرَ ابنِ مارية الكريم المفضل

ومنهنَّ مارية بنت ظالم بن وهب اخت هند الهنود امرأة حجر الكندي وامّ عمرو بن الحارث صاحبة القُرْطَيْن اللذين بجسنهما يُضرَب المثل « خذهُ ولو بقُرْطَي مارية » (امثال الميداني ١ : ٢٠٤) . ومنهنَّ « مارية ابنة حنظلة » امّ جابر بن ابجر سيّد بني عجل النصارى (الطبري ١ : ١٠٣٣) . و « مارية بنت الصبَّاح الشيبانيَّة » من بني هند (الاغاني ٦ : ١٧٨—١٧٩) وابنها قيس بن شراحيل الذي فيه قال الحارث بن حلزة يشير الى الصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس :

فلذا سميتَ اصلح الصدبين كصلح ابن مارية الأقصم

ومنهنَّ « مارية أمة هند ابنة النعمان » (الاغاني ٢ : ٣٢) . ومنهنَّ ايضاً « مارية القبطيَّة » ابنة شمعون التي اهداها صاحب مصر المقوقس الى نبيّ المسلمين فولدت لهُ ابنهُ ابراهيم (تهذيب الاسماء للنووي ص ٨٥٣) وذكر ابن عبد البرّ النمريّ القرطبي في كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب (ج ٢ ص ٧٨٣) أمّتين لمحمَّد اسمها « مارية »

(مَرْقَس) هو اسم احد الانجيليين وتلميذ بطرس زعيم الرسل . وبهِ عُرف احد شعراء الحماسة (حماسة ابي تمام ص ٢٩٧ ed. Freytag) وقد ضُبط هناك بفتح القاف مَرْقَس . (قال) واسمهُ عبد الرحمان المعني احد بني معن بن عَتُود

(مَرْيم) هذه صورة اخرى لاسم مريم العذراء وفيهِ اشارة ايضاً الى مريم اخت موسى. وممَّن تسمَّى بمريم بين العرب مريم ابنة عثمان من زوجتهِ نائلة ابنة الفرافصة النصرانيَّة (الطبري ١ : ٣٠٥٦) ولهُ ابنة اخرى بهذا الاسم من امّ عمرو (فيهِ). كذلك ذكروا « مريم ابنة اياس الانصاريَّة » (الاستيعاب ٢ : ٧٨٢). وقد تكنَّى بابي مريم عدَّة من العرب منهم احد بني حنيفة « ابو مريم الذي قتل زيد بن الخطَّاب » (الاشتقاق ٢٠٩) و « ابو مريم البَاري » (تاريخ الطبريّ ١ : ٢٣٨٥) وقد ورد الاسم على صورة مريام كابي مريام الاسقف (الطبري ١ : ٢٥٨٤—٢٥٨٥)

(مَرينة) او (مَرينا) اسم نصراني لاحدى الصاحبات. وكان في الحيرة « قوم من اهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون الى لخم وكانوا اشرافاً » (الاغاني ٢ : ١٢) وقد عدَّهم في محلّ آخر (٨ : ٦٤) من « العباديين »

(ميكَال) هو اسم ميخائيل الملاك الذي مرَّ. وقد ورد في تاج العروس (٩ : ١١٩) اسم جدّ البيت الميكالي بنيسابور فدعاهُ « ميكال بن عبد الواحد » ورقّى نسبهُ الى ملوك الفرس

(هِرْمز) او (هرمزد) احد شهداء النصرانيَّة في العراق. وبهِ تسمَّى بعض نصارى العرب كهرمز اسقف مدينة عمَّان الذي حضر المجمع الخلقيدوني واثبت اعمالهُ بامضائهِ

(هُود) احد الانبياء على ما يقال أُرسل الى العرب. ومن المحتمل انَّهُ اسم نصراني وانَّهُ صُحِّف عن يَهوذا احد رسل السيد المسيح الذي يذكرهُ القدماء كداعي العرب الى النصرانيَّة. ولعلَّ اسم « هَوْذة » صورة اخرى لهذا الاسم عُرف بهِ هَوْذة بن عليّ ذو التاج احد بني حنيفة النصارى الذي ذكرناهُ سابقاً

(الهَيْجُانة) كذا دعاها المسعودي في مروج الذهب (٣ : ١٩٩ و ٤٥١) وسمَّاها الطبري (١ : ٨٨٢) الحَيْجُانة وهي امّ ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس وقال الطبريّ انَّها كانت ابنة عمرو بن ابي ربيعة بن ذُهل. واسمها اعجميّ يوافق اليونانيَّة H'γουμένη ومعناها الرئيسة والسيِّدة

(يحنَّه) اسم نصراني شهير. وقد اشتهر بهِ ملك أيلة « يحنَّه بن رؤبة » الذي كتب اليهِ رسول الاسلام يدعوهُ الى طاعتهِ (راجع كتاب الوفود لابن سعد ٢٧ :

١٧ ed. Wellhausen,) وكتبهُ الطبريّ (١ : ٢٣٧٤) « يوحنَّة بن روبة ».
وورد في التاج (٩ : ١٨٥) اسم « حنَّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة اخرى للاسم ذاته

(يونس) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ . ولا نشكّ في انَّهُ اسم يوحنَّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ ان يحرّك يُونَّس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمّون بهِ من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممَّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و٨٣ و٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين اديار مصر « دير يُحَنِّس » وهو اقرب الى الاصل (لهُ بقيَّة)

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

انَّ ما سبق لنا قولهُ عن إعداد الفراشة لغذاء صغارها عند خروجهم من البيضة ليس هو خاصًّا بها بل هو شائع في كافَّة الهوامّ سواء كانت ذات جناحين كالذباب او ذات اربعة اجنحة غشائيَّة كالنحل او ذات اجنحة غمديَّة . فانَّ لكلّ منها غريزتها النوعيَّة التي تحدو بها الى ان تكفل لنسلها قوتهُ عند مولدهِ . وهذه امثلةٌ تؤيد قولنا نستعيرها من كتاب مرَّ لنا ذكرهُ وسوف نشير اليهِ فيما يأتي Fabre : *Souvenirs Entomologiques*

واوَّل ما يعنُّ لنا منها حشرةٌ تُدعى الصرصر صيَّاد البوبراسة Cerceris) (Bupresticide لأنَّهُ يقاتل هذا الزيز الذي وصفهُ المشرق ونشر صور اشكالهِ (١٦ : ١٦) ويدَّخر لحمهُ لصغارهِ كما رأيت من فعل البيلوبيوس بالعنكبوت

ولصرصرنا هذا اربعة اجنحة كالزنبور وهو صغير الجسم يحفر الارض الى عمق قدَم ليتَّخذ هناك وكرًا لذرِّيَّتهِ ولهذا الوكر سربٌ يفضي الى خمس خلايا تكفي الواحدة لثلث او اربع هوامّ من البوبراست . وقد رأيت ان البيلوبيوس يُحسن البناء امَّا هذا الصرصر فخوَّار ماهر اذ لكلّ حيوان صنعتهُ الفطرية

١٧ ed. Wellhausen,) وكتبهُ الطبريّ (١ : ٢٣٧٤) « يوحنَّة بن روبة ».
وورد في التاج (٩ : ١٨٥) اسم « حنَّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة اخرى للاسم ذاته

(يونس) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ . ولا نشكّ في انَّهُ اسم يوحنَّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ ان يحرّك يُونَّس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمّون بهِ من النصارى وتجد في تاريخ نصارى العراق ممَّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و٨٣ و٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين اديار مصر « دير يُحَنِّس » وهو اقرب الى الاصل (لهُ بقيَّة)

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي (تتمَّة)

انَّ ما سبق لنا قولهُ عن إعداد الفراشة لغذاء صغارها عند خروجهم من البيضة ليس هو خاصًّا بها بل هو شائع في كافَّة الهوامّ سواء كانت ذات جناحين كالذباب او ذات اربعة اجنحة غشائيَّة كالنحل او ذات اجنحة غمديَّة . فانَّ لكلّ منها غريزتها النوعيَّة التي تحدو بها الى ان تكفل لنسلها قوتهُ عند مولدهِ . وهذه امثلةٌ تؤيد قولنا نستعيرها من كتاب مرَّ لنا ذكرهُ وسوف نشير اليهِ فيما يأتي Fabre : *Souvenirs Entomologiques*

واوَّل ما يعنُّ لنا منها حشرةٌ تُدعى الصرصر صيَّاد البوبراسة Cerceris) (Bupresticide لأنَّهُ يقاتل هذا الزيز الذي وصفهُ المشرق ونشر صور اشكالهِ (١٦ : ١٦) ويدَّخر لحمهُ لصغارهِ كما رأيت من فعل البيلوبيوس بالعنكبوت

ولصرصرنا هذا اربعة اجنحة كالزنبور وهو صغير الجسم يحفر الارض الى عمق قدَم ليتَّخذ هناك وكرًا لذرِّيَّتهِ ولهذا الوكر سربٌ يفضي الى خمس خلايا تكفي الواحدة لثلث او اربع هوامّ من البوبراست . وقد رأيت ان البيلوبيوس يُحسن البناء امَّا هذا الصرصر فخوَّار ماهر اذ لكلّ حيوان صنعتهُ الفطرية

وليت شعري ما لهذا الصرصر يُقدم على هذا الفعل المستشنع فيناجز القتال هامّةً سليمة الطباع أفهو محتاج الى لحم زملائهِ ليغتذي بهِ ؟ كلّا فانّهُ يتعيّش بامتصاص عسل الزهور كالبيلوبيوس والفراش . او هل يمكنهُ ان يختبر طباع صغارهِ ونهمهم الى اللحم ؟ كلّا لأنّهُ لا يكاد يضع بيضهُ حتى يموت بعد أيام قليلة امّا صغارهُ فانها تبقى في فيلجتها زمناً طويلاً الى ان تخرج من حبسها في اوان الربيع . فكيف اذن علم بان هؤلاء الصغار عند تفقّس الفيلجة يحتاجون الى اللحم ولحم هامّة البوبراست دون غيرها ؟ او كيف لم يغلط الصرصر في صيدهِ ولم يقتنص غير البوبراست . والبوبراست فصيلة كثيرة الانواع المختلفة بالصورة والهيئة واللون لكنّ الصرصر يميّزها دائماً عن سواها ولا يصطاد غير افرادها من ايّ نوع كانوا . ومنها ما هو اكبر منهُ جرماً واذا اصطادها فعل كالبيلوبيوس فانّهُ يُنفذ في جسمها لعاباً مخدّرًا بحيث لا تموت ولا تستطيع اذىً ريثما تأكلها صغار الصرصر طعاماً هنيئاً مريئاً وهي لو كانت في صحّتها دون تخدير لافترست كلّ اولئك الحشرات باسهل طريقة

وهذه الصراصر المذكورة تختلف ايضاً بانواعها . فمنها ما يسطو على السوس اي الدويبة الصغيرة التي يعدّها ارباب الفلاحة كآفة لاعرانهم وهي في طول بضعة ملمترات رأسها يمتدّ على شكل خرطوم ناعم . وهذه الدويبات ايضاً انواع لا تكاد تُحصى تتباين صورةً ولوناً وحجماً . ولأنّ الطبيعة جعلتها رزقاً لنسل الصراصر المارّ ذكرها هيّأت هذه الصراصر وأصلتها حرباً عواناً وافرزتها من سواها وجمعت منها في يومين عددًا وافرًا من كلّ نوع دون ان تحيد عن فصيلة السوس . فمن اين يا تُرى لهذه الهامّة تلك الغريزة التي توقفها على اشكال غنيمتها بتلك السرعة ولو بحث الانسان المغرم بجمع اصناف الدويبات على هذه الانواع لمّا وجد منها الّا شكلين او ثلثة اشكال فقط في تلك المدّة

*

انظر الآن الى حشرة أخرى طيّارة ذات اربعة اجنحة غشائيّة (hyménoptère) يدعونها اسقولية (Scolie) تشبه في صورتها زنبورًا كبيرًا لولا انّ ارباب علم الهوامّ يجدون بينها وبين الزنبور اختلافاً كبيرًا سواء كان في تركيبها او في اخلاقها منها انّ الزنبور اذا شاء ابتناء وكرهِ بناهُ تحت التراب او في تجاويف الجدران وجعل لهُ

خلايا من الرقوق الصلبة وغذا نسلهُ بطعام يومي وهو يعيش عدة اشهر . اما الاسترلية فانها اذا تحولت من شكل الدودة الى شكل الهامة الطائرة لا تعيش الا اياماً واذا اجتمعت بذكرها عادت الى اعماق الارض ولذلك يصعب على جامعي الهوام الحصول عليها

والانثى بعد سفادها تسرع الى حفر سرب في الارض بقوائمها واذا نفذت في السرب سدت من ورائها بابهُ . وان سألت عما تصنع هناك أهي تُعدّ عشاً لفراخها ؟ اجبناك كلا وانما تحفر الارض كالخلد (Taupe) طلباً للرزق لا لنفسها لانها لا تأكل وتطوي صائمة بل اصغارها اذا وُلدوا . واي رزق عساها ان تجدهُ في اعماق الارض ؟ انَّ هناك دوداً يوافق ذريتها يعيش في وسط المواد الآلية البالية وهو دود دويبة يدعونها بشوان (Cétoine) من الزيزان الفضية الاجنحة ذات الالوان اللطيفة الزرقاء والذهبية التي يحبُّ صيدها الاحداث فيربطونها بخيط ويطيرونها . فدود هذا الزيز هو الطعام الذي تبحث عنهُ دويبة الاسترلية ولا تريد غيرهُ وهي تُرشد اليهِ من طبعها فتصيبهُ لا محالة . واذا ألفت دودةً منهُ نفثت فيها لعابها المخدّر واركزت فوقها بيضةً من بيضها ثمَّ تعمد الى دودة أخرى فتعمل كذلك وهكذا تستغني عن الاوكار لنفسها ولصغارها امَّا البيضة المودعة على الدودة المخدّرة فتفقس في وقتها بقوة حرارة التربة ورطوبتها فيخرج منها دودة صغيرة تجد قوتها مهيأً اعدَّتهُ لها امها قبل موتها بعنايتها بل قل بعناية الخالق سبحانهُ وتعالى

لكنَّ هناك مشكلاً كبيراً . هذه الدودة المولودة حديثاً تحتاج الى قوتها لمدة طويلة وهي عاجزة عن تحصيلهِ بنفسها . تقول انَّ أمامها الدودة المخدَّرة الطريئة اللحم . ولكن ان أكلت بعض اجهزتها الحيوية ماتت فريستها وفسدت ولا تعود تصلح للغذاء فماذا تصنع الدودة تموت جوعاً لا محالة او تتسمَّم بأكل اللحم الفاسد . فانظر رعاك الله كيف تحلّ هذا المشكل العويص فانها بقوة غريزتها تختار من الدودة المخدَّرة اطرافها السمينة التي تمتصها دون ان تُلحق بها الموت واذا انتهت منها عمدت الى الاعضاء الباطنة دون أن تمسّ الأعصاب التي هي اجهزة الحياة فلا تقرضها الا في الاخير وهكذا يبقى لها الغذاء طيباً طرياً الى ان تنمو اجنحتها

فالمسيو فابر مؤلف الكتاب الذي ذكرنا عنوانهُ يستنتج من مثل هذه الهامة اي

الاسقولية ومن امثال اخرى عديدة لغيرها من الهوامّ انّ تلك الحشرات لا تعرف فقط بغريزتها الفطريّة ما يصلح لصغارها عند مولدهم من الطعام الموافق لهم ولكن اولئك الصغار خُصّوا بتلك الميزة الغريبة أن ينظّموا طعامهم تنظيماً مذهلاً يكفيهم لطول مدّة قصورهم عن الطيران دون ان يَفسد او ينتن

فنسأل هنا اصحاب مذهب النشوء من اين لهذه الحشرات هذا العلم العجيب ؟ فان قالوا انّها نالتهُ بالوراثة سألناهم وكيف الانسان وهو على زعمهم وريث كل الحيوانات السفلى التي هو مولود منها بالترقي لم يحصل على هذه المعرفة ؟ ومن منّا يجهل انّ ابن البنّاء والحيّاك والحدّاد والعالم لا يرث بمجرّد ولادتهِ من ابويهِ صناعة البناء والحياكة والحدادة او ايّ علم كان وانّهُ يحتاج لاتقان هذه المعارف الى ممارسة طويلة ؟ فالوراثة اذن لا تفيدنا علماً لحلّ هذا المشكل

وان قيل انّ هذه المواليد الحيوانيّة امكنها ان تتعلّم من غيرها بنظرها الى احد ابناء جنسها او بالعادة كان الجواب سهلاً وهو انّ هذه الحشرات تعيش غالباً منفردةً في جوف الارض لا رفيق لها يفيدها بمثلهِ . امّا العادة فلا تتمّ الّا بالتوالي وبتكرار العمل يوماً بعد آخر وذلك ممّا يخالف حالة تلك الحشرات التي تجدها كلّها في ساعة مولدها حاصلة على تمام المعرفة . فانّ دودة الاسقولية التي سبق ذكرها لو اقتضى لها ان تتفقه احوال غنيمتها بالاختبار والعادة لقتلتها ألف مرّة قبل أن تعلم انّ فيها اقساماً حيويّة لا يجوز مسّها لئلا تموت فيفسد لحمها . ثمّ يجب على هذه الدودة أن تفكّر في امور عديدة وتقابل بينها وتستنتج منها النتائج العمليّة لتصون بها حالها ولا تأتي بنفسها في التهلكة ان باشرت بأكل الاعضاء الاصليّة فيفسد غذاؤها وتتسمّم هي بهِ اذ ليس لها طعام غيرها . وما يقال عن هذه الدودة يقال عن كل المواليد من جنسها فانّها كلّها خُصّت بالعلم ذاتهِ والحذاقة ذاتها دون اختلاف البتّة

وعليهِ يمكننا ان نختم هذه الملحوظات بكلام المسيو فابر فنقول : « انّ الهامّة الاولى من اي صنف كان من الهوامّ لو حاولت ان تغذي صغارها بدودة السيتوان او دودة حشرة اخرى يقتضي حفظها مدّةً طويلة ما كانت لتلد صغارها قبل ان تعرف المعرفة التامّة كيف يُحفظ الطعام دون ان يَفسد . لأنّ تلك الهامّة ما امكنها ان تحرز هذا العلم لا بالعادة ولا بالوراثة كما يزعم اصحاب مذهب النشوء اذ هي

كما افترضنا الهامّة الاولى من جنسها. ولا بُدَّ من القول انَّ الدودة الناشئة (دون علم سابق ولا عادة سابقة) كانت لا محالة سطت على طعامها فأكلت منهُ ما حضر دون تمييز وبذلك افسدت طعامها واتلفت نفسها (١)

وهذه الحشرات الثلث التي اتسعنا في تعريف غرائزها ليست هي الوحيدة التي تهيّئ لفراخها طعامهم بتخدير ضحاياها ليتمتَّع الصغار بأكلها دون عناء ولا ضرر فانَّ مثلها كثير ايضاً من الهوامّ التي لا تصطاد غالباً الّا نوعاً واحداً من الدوّيبات. فان الخنس المعروف بسفاكس (Sphex) الكثير الاشكال يحفر لهُ في الارض وكراً دافناً ويجعلُ فيهِ بعض الخلايا التي يكبس فيها المؤونة. ومؤونتهُ هذه هي مطلقاً من الهوامّ ذوات الاجنحة المتساوية (orthoptères) فمنها ما يصطاد الزيزان وغيرها الجراد او الجنادب (Ephippigère). واغرب من ذلك انَّ بعضها لا يطارد غير اناث الجنادب دون الذكور كأنهُ يعلم انَّ الاناث المسمّنة ببيضها ادسم قوتاً واشهى غذاء

ومن الهوامّ صنفٌ آخر يُدعى أومان (Eumène) يملأ وكرهُ من ديدان صغيرة لا يبلغ طولها سنتمترًا واحدًا. ومثلهُ الصنف المدعوّ أوديناز (Odynère). على خلاف الصنف المعروف بأمّوفيل (Ammophile) فانهُ على شبه الاستولية التي وصفناها سابقاً يكتفي بدودةٍ واحدة كبيرة وهو لا يختار سوى دودة الصرصور (Hanneton) المعروفة بالدودة البيضاء او الرمداء التي يعدُّها الفلّاحون آفةً للبساتين تقرضها اصول البقول. وبذلك يخدم البستانيين خدمةً يستحقُّ عليها شكرهم. ومن الأمّوفيل نوع لا يطارد الّا دود فراش الليل دون فراش النهار

وكذلك الهامّة المعروفة بتاخيت (Tachyte) فانها تتّخذ لصغارها طعاماً الدوّيبة المعروفة بجمل اليهود. وقس عليهِ بقيّة الحشرات

ومن الهوامّ ما يصطنع من الطين شبه الفناجين الصغيرة يطلونها بملاط يمنع رشحها فيملأونها عسلًا ويجعلون فيها بيضة ثمَّ يسدُّون الفنجان. هكذا تفعل الهوام المعروفة بخاليكودوم (Chalicodome) والأنتوفور (Anthophore) وغيرهما.

---

(١) راجع FABRE: *Souvenirs Entomologiques*, 3e *Série*, p. 35

ومنها ما يغذي صغاره بعسل يجنيه كل يوم كما تفعل النحلة الاهليَّة. اما البَمبكس (Bembex) فانَّهُ يصطاد كل يوم ذبابةً فيطعمها صغارهُ دون ان يخدّرها

واعجب من ذلك الهامَّة المطاردة للنحل (Philanthus apivore) فانَّها ترصد جثث النحل الميتة فاذا وجدت منها واحدةً امتصَّت لنفسها ما خزنتهُ النحلة من العسل في حوصلتها ثمَّ نقلت الجثَّة الى صغارها لتأكلهُ . ولا تَقُل انَّ هذه الامَّ تفضّل نفسها على صغارها بأكلها العسل كلَّا فانَّها تعلم انَّ العسل سمٌّ ذعاف لنسلها فتحذر من ان تطعمها منهُ . وان سألت وكيف عرفتَ ذلك ؟ اجابك العلَّامة المسيو فابر انَّهُ اختبر الامر بنفسهِ فانَّهُ جمع صغار الهامَّة المذكورة فقسمها قسمين غذا قسماً بجثث نحل غير مصفَّاة من عسلها وقسماً بنحل مفرَّغة من عسلها فمات القسم الاوَّل بخلاف الثاني الذي نما حتى بلغ اشدَّهُ

وقد قرأنا في بعض اعداد مجلة كُسموس العلمية (Cosmos, 19, X^bre, 1912) انَّ في جزيرتَي موريس وبوربون نوعاً من الزنابير يدعى كلوريون (Chlorion) يغذي صغارهُ بالجعلان المخدَّرة . فيا ليت احداً يجلب الى هذه البلاد تلك الهامَّة لتنظّف بيوتنا من الجعلان الوسخة

ويوجد من الحشرات صنفٌ يعرف بالبَعْريّ (Bousiers) لانَّهُ يطمر البعر في الارض ويجعلهُ مبيتاً لبيضهِ ليتقوَّت منهُ عند مولدهِ

ومن الحشرات ما لا يهيّئ طعاماً للصغار وانَّما تبيض الانثى بيضها في اماكن حيث يسهل على فراخها اذا تفقَّست وجود طعامها

أتعرف يا رعاك الله من اين يأتي الدود الذي نجدهُ في ضروب ثمارنا كالتفَّاح والجوز والخوخ وبقيَّة الفواكه ؟ انَّما وضعتها أُمهاتها امَّا في اكمام الزهور قبل ان تعقد وامَّا على الثمرة بعد عقدها وربَّما عمدت الانثى الى الثمرة الغضَّة فثقبت بوخزها جلدتها وانفذت بيضتها الى باطنها فيُولد الصغير هناك وماندته حاضرة . وتلك الذيدان اذا عاشت خرجت من حبسها على صورة فراش او ذباب او زيزان . على انَّ الامَّ لم تجعل بيضها الَّا في نوع الثمر الموافق لمولودها دون ان تغلط البتَّة فانَّ الانثى التي يأكل صغارها البلُّوط لا تجعل بيضها في شجرة الكستنا او البندق والعكس بالعكس . كذلك دودة اللوبيا لا تجعلها الانثى في بقلة غيرها كالحمّص او العدس

دونك ما كتبهُ احد أصحاب الاعلانات الذي ادَّعى اكتشاف دواء ناجع لقتل دود التفاح والخوخ فانهُ دقَّق في وصف اصل هذا الدود قائلاً :

« انَّ دود الخوخ والتفاح يتحوَّل الى فراشة يبلغ طولها من ستَّة ملمترات الى ثمانية وذلك في اوان ازدهار الشجر فيحطُّ على الشجرة بعد عقدها حديثاً ويجعل في عينها بيضة من بيضهِ ثمَّ يستقري بقيَّة الشهر ويجعل لكل ثمرة بيضةً وقلَّما ترى دودتين في ثمرة واحدة . وهذه البيضة البالغة ١٢ ملمتراً طولاً تتقلَّص ثمانية ايَّام بعد وضعها فتنقلب دودةً ارفع من الخيط وهي تنمو ان تنفذ قليلاً قليلاً في وسط الشجرة حتَّى تبلغ نواتها فتقرض غلافها ثمَّ تحفر لها مربعاً مختلف الاعوجاج من مركز الشجرة الى دائرتها الخارجة فتفتح لها ثقباً صغيراً تستنشق منهُ الهواء وتلقي بزبلها لكنها تسدُّ ذاك المنفذ عن العيان . وهي تبقى في الشجرة الى أن تكتمل ثمَّ تستوي فتسقط من الشجرة وحينئذٍ تخرج الدودة من منزلها ثمَّ تختفي في الارض او في شجرة من الشجر حيث تنسج لها قبلجة صلبة حريريَّة ترقد فيها طول الشتاء ثمَّ تخرج في الربيع من حينها على صورة فراشة همُّها وضعُ بيضها على الشجرة كما قلت انها ما »

فهذا مثال محسوس يشهد لعناية الخالق بالهوامّ ويحفظ صغارها وهو يعمُّ كل اجناس الحشرات فترى دائماً الانثى مهتمَّةً بوضع بيضها حيث تجد مواليدُها قوتها . ولا تفكِّر الامّ فقط في طعام صغارها لكنَّها تستدرك ايضاً أذى الشتاء لتقي صغارها من كآبتهِ فتارةً تجعل البيضة في قشرة صلبة جدًّا وتارةً تجمع بيضها في محلّ واحد وتغطيهِ بمادَّة لزجة تجمد فوقها وتمنع نفوذ الماء اليها . وحيناً تولي بيضها قوَّة حيويَّة غريبة تمكنها من مقاساة البرد القارس مع كونها صغيرة الحجم لا تكاد تبصرها العين

اخبر في العام المنصرم احد المرسلين اليسوعيين في بلاد ألاسكا شمالي كندا (Missions Catholiques, 3 Janv. 1913) انَّ بيض البعوضة هناك يصبر في الشتاء على برد يبلغ ٥٦ و٥٧ درجة تحت الصفر من المقياس المئوي . فاذا عاد فصل الصيف الذي لا يتجاوز في الأسكا شهرين او ثلاثة ويبتدئ الجليد ان يذوب بحرارة الشمس يتفقَّس ايضاً بيض البعوض فتخرج منهُ الالوف المؤلَّفة فتهجم على الانسان والحيوان ولا تدع لهما راحةً . فانَّ الانثى كانت ألقت بيضها في اوَّل الشتاء على الجليد الذائب او على الطين اللزج فاذا قرس البرد اندمج البيض في باطن الجليد وبقي سالماً مدَّة ثمانية الى عشرة اشهر دون ان تتلف جرثومة حياتهِ . فيا لله ما أشد قوَّتهُ الحيويَّة

وليس البيض فقط يُعاني مَعرَّة الشتاء ولكن كثيرًا ما يصبر عليها صغار الحشرات ودودها بعد انفلاق البيض الى ان يتحوَّل في آخر الشتاء الى فراشة . وفي هذه الحالة لا بُدَّ للدودة ان تسعى لنفسها وتصون حالها من الضرر فترى حينًا الدودة تنسج لها فيلجةً تبطّنها بالقطن او بالحرير او بدقائق النبات او تطليها بطلاء لزج كالشمع وذلك امَّا في الخلية التي اعدَّتها لها امُّها او في بعض تجاويف الحيطان او ثقوب الحجارة . وحينًا تتجمَّد الدودة وتعلّق نفسها بخيط حريريّ على احد اغصان الشجر او فوق الصخور فتبقى دون حراك الى آخر الشتاء دون ان يميتها البرد والثلج والجليد الذي يشقّق الصخور دون ان يقوى على قتل تلك الحيوينات النحيفة : فيا العجب من عناية الخالق

وحينًا تكون الهامَّة بلغت نموّها التامّ فيباغتها الشتاء فتقضي ذلك الفصل امَّا في باطن الارض وامَّا في جذر شجرة منتظرة فصل الربيع لوضع بيضها . مثالهُ الزنبور العاديّ الذي تصبر اناثهُ بعد السفاد في الخريف الى ان يعود الربيع فتبتدئ بتهيئة اعشاشها

وهكذا الربّ الاله أعطى للحيوانات حتى اضعفها واخفها الوسائط لحفظ نوعها فجعل لكل ضرب منها فطرةً واهنة ثابتة لا تخونها البتَّة بل تمكّنها ان تتلافى كل حاجاتها الحاضرة والمستقبلة . وصغارها على اختلاف اجناسها تلقى عند مولدها طعامًا مناسبًا امَّا بحليب الامّ وامَّا بما تستحضرهُ لها من القوت . وذلك دون علم سابق ولا ملل . واذا كبر صغارها فعلوا لنسلهم كما فعل لهم اهلهم لأنَّ كل كيانهم موجهٌ الى حفظ نفوسهم وحفظ مواليدهم

وهذا العلم الغريزيّ في الحيوان مهما اجتهد السوفسطائيّون ان يعلّلوهُ بتعليلات غريبة فينسبوهُ تارةً الى النشوء وتارة الى الوراثة او الى الفاظ فارغة مثلها فانَّهم لا يأتون بشرحٍ مقنع وانَّما يستندون الى اسانيد لا دعامة لها واهنة باطلة ما لم يقولوا مثلنا انَّ الحكمة الالهيَّة وحدها قد نظَّمت هذا الكون وجعلت لكل مواليد الطبيعة نواميسها التي تجري عليها دون ان تحيد عنها ذرَّةً وتبلغ هكذا الغاية التي حدَّدها لها الخالق سبحانهُ وتباركَ اسمهُ الى الابد

الخلاصة الفلسفية

للقديس توما الاكويني

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

منذ باشر سيادة المطران الماروني العلّامة بولس عوّاد رئيس اساقفة قبرس حالاً بطبع « الخلاصة اللاهوتيّة للقديس توما الاكويني الاستاذ الملكي » معرّبةً بقلمه ادبهُ الله اضحى اسم ذاك النابغة شائعاً في بلادنا الشرقيّة بعد ان كان ذكرهُ منزوياً في دوائر طلبة اللاهوت ومعظمهم غالباً لا يستطيعون الاستقاء من مناهله الصافية لجهلهم اللغة اللاتينيّة

على انَّ الخلاصة اللاهوتيّة ليست الّا قسماً فقط من تآليف الاكويني الضخمة التي لا ينظر الناظر الى مجموعها الّا يأخذهُ العجب من مضامينها ووفرة ابحاثها التي كادت تشمل كلّ المعارف البشريّة الشائعة في ذلك العهد . وتزيد حيرة المعتبر اذا تذكّر انَّ القديس توما مات في عزّ كهولته قبل ان يبلغ الخمسين من عمره (١٢٢٥— ١٢٧٤) وقضى حياتهُ في التعليم وفي خدمة الكنيسة واحبارها الاجلاء متنقّلاً زمناً طويلاً في مدن فرنسة والمانية وايطالية تتنازعهُ الاشغال الشاغلة وتتجاذبهُ المهامّ الخطيرة . فكيف امكنهُ يا تُرى ان يتفرّغ لكلّ هذه المصنّفات في اغمض العلوم العقليّة وارفعها قدراً واسماها معنًى؟ حقًّا اننا لا نجد جواباً على ذلك غير ما اكّدهُ هو لاحد اصدقائه انهُ كان مثابراً على الصلاة فينير الله عقلهُ بالمعارف السامية ومن اقواله : « اني تعلّمت بالصلاة اكثر ممّا تعلّمت بالدرس » وشهد بعض رفقته عليه قائلاً انهُ كان في درسه كالصلّي ولم يكن يكتب ولا يقرأ ولا يجادل الّا بعد الصلاة . ولا غرو فانَّ نور الله كشف لعقله غوامض تلك العلوم فأوضحها بكتاباته العجيبة التي استحقّت لهُ أن يُدعى شمس المدارس وملاك التعاليم الدينيّة ونسر اللاهوت فصار اماماً تستضيء بنبراسه المدارس الكاثوليكيّة فاحرزت السَّبق على سواها وسارت في الطريق المستقيمة دون خوف من الضلال . ولذلك لم يزل الاحبار الرومانيّون يحرّضون المؤمنين ولا سيما دعاة الدين وارباب الكنيسة على درس تآليفه حتى انَّ

احدهم كان يقول : « انَّ القديس توما لم يحتج الى عجائب ليُدرَج في مدارج القديسين لأنَّهُ صنع من العجائب على قدر ما شرح من المسائل المعضلة » . وقد اعترف بذلك اعداء الكنيسة مرغومين فانَّهم يعدُّون القديس توما كطرقة تدكُّ كل تعاليمهم الباطلة وتنقضها حتى ان لوتاروس كان يقول : « ألغوا تآليف توما وانا ادمّر الكنيسة »

ومن تآليف القديس التي تسترق انظار العلماء عموماً والفلاسفة خصوصاً كتابٌ احرز لهُ شهرة عظيمة في زمانهِ وهو معدود حتى اليوم بين التآليف النفيسة المتقنة نريد بهِ كتابهُ المعنون بالخلاصة الفلسفيَّة (Summa Philosophica) او بالخلاصة ضدَّ الامم (Summa contra Gentiles)

فهذا الكتاب قد صنَّفهُ القديس توما سنة ١٣٦٢ وذلك بايعاز احد رؤساء رهبانيَّتهِ الدومنيكيَّة المتقدمين فيها بالعلم والفضيلة القديس ريمندس بنافور . فهذا الرجل العظيم الذي تولَّى مدَّةً الرئاسة العامَّة في رهبانيَّتهِ خصَّ نفسهُ زمناً طويلاً بالتبشير في الانجيل في وطنهِ اسبانية بين المسلمين واليهود في مملكتي اراغونية وقسطيلة بعد فتحهما على يد جاك الاوَّل (١٢١٣—١٢٧٦) والفونس العاشر المعروف بالحكيم (١٢٥٢—١٢٨٤) فبارك الله مساعيهُ واجتذب الوفاً منهم الى الدين المسيحي فتنصَّروا

لكنَّ القديس وجد بين المسلمين قوماً من العلماء كانت شاعت بينهم آراء فلسفيَّة واهنة اخذوها من بعض اساتذتهم لاسيما ابا الوليد محمَّد الشهير بابن رشد فانَّهُ كان نشر بين اهل ملَّتهِ مذاهب الفلاسفة الاقدمين ساعياً بتطبيقها على الدين الاسلامي فانتشرت بذلك مزاعم باطلة في جوهرهِ تعالى وفي تكوين الخليقة والنفس البشريَّة وبعث الاجساد تصدَّى لتفنيدها بعض المسلمين نفسهم وجرت في ذلك مناظرات بلغ صداها الى عهدنا في كتاب تهافت الفلاسفة لابي حامد الغزَّالي وفي تهافت التهافت لابن رشد وفي غيرهما . وقد بلغ من امر هذه المجادلات انَّ خلفاء المسلمين في الاندلس صادروا المتفلسفين واتلفوا كتبهم خوفاً من فشوّ تعاليمهم بين الشعب

ولمَّا ظهر القديس ريمندس كانت تلك الحركة قد خمدت نوعاً الَّا انَّ النار كانت لم تزل كامنةً تحت الرماد ولذلك طلب من توما الاكويني ان يضع كتاباً مبنيًّا على

الاصول الفلسفيَّة الارسطاطاليَّة دون التطوُّح في اوهامها. فاجاب القديس الى ملتمسه وكتب هذه الخلاصة الفلسفيَّة المصونة ايضاً كما سبق بالخلاصة ضدَّ الامم فضمَّنها لُباب الفلسفة الصحيحة في كل الابحاث التي تهمُّ معرفتها العقل البشري

وقد سبقت الخلاصةُ الفلسفيَّة الخلاصة اللاهوتيَّة وهي بمثابة مقدِّمة واسعة لها قد جرى فيها القديس على طريقة علميَّة قريبة المتناوَل مباينة لطريقته المدرسيَّة الجدليَّة التي نهجها في الخلاصة اللاهوتيَّة فهو يوضح في كل فصل الادلَّة التي تثبتهُ من العقل دون الوحي والتقليد في الغالب بحيث يسهل على القارئ ادراك البراهين وقوَّتها دون ان تشغلهُ شواغل الجدال. ولحضرة الخوري جرجس فرج صفير كلام في تعريف الكتاب نرويهِ له بحرفهِ :

« لا يخيَّل لك ايها القارئ ان القديس توما ينظر الى اضاليل خصوصيَّة كما يشير اليهِ عنوان هذه الخلاصة انما ينظر الى جميع الحقائق نظر عُقابٍ لا تخفى عليهِ خافية ويلاحظها لحظاً يحيط بها ويبيِّنها ويُبطل ما يعترضها بأجوبة قاطعة مسكتة وهذا ما يصنعهُ ايضاً في الخلاصة اللاهوتيَّة ولكن على خلافٍ في المنهج وسببهُ ان مادَّة اللاهوت عقائد مُنزَّلة ولذلك كان اوَّل ما يأتي بهِ في إثباتها شهادة الكتاب او الآباء ولا يأتي بالادلَّة العقليَّة الَّا ادعاماً لما يقرِّرهُ الوحي الالهي واما في الخلاصة الفلسفيَّة فعلى خلاف ذلك فانهُ يُثبت بقوة العقل والبرهان الحقيقة التي يتوخَّاها ثم يأتي بالشهادة متى لزم الامر تعزيزاً لها ولا يحجم اذ ذاك ان يستشهد إمام الفلاسفة ارسطاطاليس ولكن عن رويَّة وفكرٍ ولا يتبعهُ مثل أعمى فما رآه صادقاً فيهِ عوَّل عليهِ والَّا أصلحهُ او تركهُ وهذه احسن طريق انتهجها لان العقل قاصر فيعثر اذا سار وحدهُ من غير هادٍ يهديهِ او كان لا يسير تحت ضياء الايمان الذي يدلُّنا على الطريق ويصوننا من التطوُّح في مهاوي الضلال فالايمان محكٌّ يجعلنا نُميِّز بين ما هو كاذب وصادق وقد تدرَّع بهِ القديس توما تدرُّعاً استدَّ بهِ ساعده استداداً لم يحصل عليهِ سواه فليس من يجاريه في كشفهِ عن اسرار الكائنات في اصلها وذاتها وفي ما بينها من النسب

« وقد اوقفنا القديس توما في فاتحة كلامهِ على الاسباب التي جعلتهُ يتحرَّى هذا المنهج مُبيِّناً لنا انهُ لمن الخاصّ بالرجل الحكيم ان يُفتِّش على الحقيقة التي تُشركهُ في الله وتحدو بهِ الى دار الخلد والسعادة فمن الحقائق ما هو فوق الطبيعة وليس للعقل

ان يتناولها بذاته ومنها ما لا يتجاوز تخوم الطبيعة غير ان العقل في حالته الحاضرة لا يقدر ان يتحققها بدون الشهادة الالهيَّة لان الزمان قصير والعبارة صعبة والاهتمامات متواصلة والتفرُّغ الى طلاب العلم متعذّر والعقل قاصر والاضاليل كثيرة وأنّى السبيل الى الكشف عنها ولو تفرَّغ لها الرجل الحكيم. قال: ان كثيراً ما يتمرقل العقل في مباحثه بجبائل الضلال لان العقل ضعيفٌ في احكامه فاذا تغافل وقع في مهاوي الاوهام فيحدث عن ذلك ان كثيراً من الناس لا يزالون يترددون في حقائق واضحة كلّ الوضوح وكثيراً ما يختلط الكذب بالصدق اختلاطاً يجد اوهاماً وسفسطات تُنزَّل منزلة الحقيقة ولذلك كان ولا بدَّ لتقرير الحقيقة من عرضها على الانسان بطريق الوحي والايمان (ضد الامم ك ١ ف ٤)

« ولا يخيّل اليك انهُ يكسر من قوة العقل او يلاشيه لاننا نراه يُصرّح بان احسن ما يتماطاه الحكيم توجيه العقل الى الهذيذ في الامور الالهيَّة وهذا ما يتوخّاه في ما يكتبه فانهُ لا يدع حقيقةً ما لم يُعززها بقوة العقل والبرهان لانهُ يُصرّح بان العقل والايمان اخوان مصدرهما واحد هو الله ومن المستحيل ان يتنافيا ما لم يتجاوز العقل تخومهُ فيضلّ . وعليه قوله: « اذا كان الاستاذ لا يسعى في ان ينشّ وفرض ذلك في الله ضربٌ من المحال كان العلم الذي يُدخلهُ في عقل تلميذه جزءاً من علمه ولكن المبادئ التي لنا من الطبع قد غرستها فينا يد الله لان الله هو المبدع لطبيعتنا فتلك المبادئ اذن موجودة في الحكمة الالهيَّة وعليه كل ما يجيء منافياً لها يكون منافياً للحكمة الالهيَّة وكان لا يأتي عنها ولذلك كان ولا بدّ من الإنتاج ان قضايا الايمان لا تنافي ما لنا من العلوم الطبيعيَّة ولا بوجه من الوجوه (ضد الامم ف٧ ك ١) .

« فمن بعد ان قرَّر ما شأن الرجل الحكيم في الكشف عن الحقائق وما الغرض الذي يتحرَّاه في كلامه وكيف يتّخذ العقل عماده لان كلامه موجّه الى اولئك الذين لا يجمعون معنا على كتاب او شهادة وكيف يتعاون العقل والايمان في تحصيل العلوم العالية الالهيَّة من غير تصادُم ولا منافاة وما شأن العقل البشري بالنظر الى الحقائق الالهيَّة كانت او طبيعيَّة اخذ في سرد الحقائق وبيانها شابكاً بعضها ببعض على شكل سلسلة كلُّ حلقة منها إثر أُخرى من اوَّل الكتاب الى آخره وليس هنا

على استيفاء ذلك ولكننا نلمح الى الترتيب المنطقي البديع الذي توخاه بما أمكن من الايجاز

« يثبت في الكتاب الاوّل ان لا سبيل الى معرفة الله الّا بالطريق اللمّي اي بطريق الترقي من المعلول الى العلّة ثمّ ينظر بعينهِ الراقية الى الله في ذاتهِ ووحدانيّتهِ وطبيعتهِ وصفاتهِ وافعالهِ . امّا في الكتاب الثاني فينظر اليهِ سبحانهُ من حيث هو خالق بالنظر الى مخلوقاتهِ فتتمثل له خليقتان وهما الروحانية والجسمانيّة فيصف الاولى مبيّناً ما لها من المقام العالي في سلّم الكائنات ثم يتكلّم عن النفس البشريّة وعن روحانيتها واتحادها بالبدن وعن اصلها ومدّة بقائها ولم يدع مُقفلاً الّا فتحهُ . واما في الكتاب الثالث فينظر في الخليقة لا في ذاتها بل من جهة نسبتها الى الله فيكشف ما بين الخير والشرّ من التباين وعمّا تقوم بهِ سعادة الانسان او لا تقوم بهِ وكيف يمكن الانسان ان يعاين الله . ثم ينتقل الى الكلام في عناية الله في الكائنات لا سيما في الانسان فيبطل ما يهرف بهِ المنجمون والجبريّة مبيّناً ما قدر الشرائع والزواج والنذور والاستحقاق والنعمة والقدر والقضاء

« وبعد ان أنجز هذه الكتب الثلاثة مدعماً ما جاء بهِ بقوة العقل والبرهان حلّق نظرهُ وولج في سرادق الوحي الالهي في حدّ نفسهِ وتكلم عن اهمّ اسرار الدين المسيحي وهما سرّ الثالوث الاقدس وسرّ التجسد الالهي مُثبتاً اياهما ومُبطلاً ما جاء بهِ المناصبون نقضاً لهذين السرّين العظيمين ثم تكلّم عن البعث وعن حالة السعداء وعن الديمونة الاخيرة وعمّا يؤول اليهِ العالم بعد ذلك القضاء الرهيب

« هذه مادّة هذا التأليف العجيب وهذا رسمهُ البارع تجد فيهِ جميع المسائل المهمّة متتابعة منسّقة منسكبة في ادقّ واحسن قالب والادلّة التي يتحرّاها يغرفها من اخصّ ينابيع الفلسفة وهو العلم الكليّ والعلم الالهي ولم يجارهِ فيهِ احدٌ فتجد في كلامهِ ابطال كل ما يختلقهُ الكفرة من المذاهب الزائفة قدماء كانوا او حديثين . فما لك الّا ان تفتح الخلاصة الفلسفيّة فتجد من الاساحة الوافية ما تبطل بهِ كل ضلال يتصدّى لك في الوصول الى الحقيقة قديماً كان الضلال او حديثاً لان القديس توما لم يكن ليعرف سير الحقيقة فقط بل سير الضلال ايضاً مهما كان الامر من ينبوعهِ مادياً كان او عقلياً . وهذا القدر كافٍ » انتهى

فما ظهر هذا السفر الجليل حتى اتخذهُ النصارى كدستور رجعوا اليهِ في اثبات الحقائق الفلسفيَّة التي تعلمها الكنيسة الكاثوليكيَّة وفي بيان الاتفاق الكامل الموجود بين العقل والدين المستقيم. وقد قال احد كبار المنتقدين انَّ القديس توما بهذا التأليف قد فاق على نفسهِ واتى بطرفةٍ سوف تصبر على كلّ كوارث الدهر. وقال احد الاحبار الرومانيين انَّ الخلاصة الفلسفيَّة والخلاصة اللاهوتيَّة لمار توما الاكويني كتابان متعاضدان متكاتفان يلزم الواحد الآخر وبهما تتوثق عروة المعارف العقليَّة والدينيَّة معاً

ولذلك قد تهافت عليهِ اهل زمانهِ ولم يزل إقبال الفلاسفة عليهِ مذ ذاك الحين حتى يومنا وقد طُبع طبعات لا تُحصى ونُقل الى كافَّة اللغات الاوربيَّة حتى اليونانيَّة ونقلهُ بعض المتنصرين من اليهود الى العبرانيَّة وكأنهم لسان واحد في اطرائهِ وتعظيم فوائدهِ

ومع شيوع هذا الكتاب في انحاء البلاد كان لا يزال مجهولاً في ظهرانينا حتى شمَّر عن ساعد الجدّ حضرة الخوري جرجس فرج صفير الموماً اليهِ احد المولعين بالدروس الفلسفيَّة بيننا كما تشهد لهُ تآليفهُ العديدة فتحرَّى تعريبهُ مهما كلَّفهُ الامر من الشغل والعناء فواصل العمل سنين متوالية حتى انجزهُ وهو الآن يقصد نشرهُ بالطبع مشفوعاً بالملحوظات والتذييلات التي تزيدهُ فائدةً

وبديهي كما لا يخفى ان كتاباً كهذا يحتاج طبعهُ الى مبالغ وافرة فلا بُدَّ لذوي الاريحيَّة المرتاحين انشر العلوم العالية والتعاليم الراهنة ان يمدُّوا الى صاحبهِ الفاضل يد المساعدة لئلَّا يبقى الكتاب مطوراً في زاوية النسيان وعلى الاقلّ ان يباشروا بالاكتتاب في بعض نسخهِ لينشط الى مباشرة العمل. وهذا التأليف لا يزيد مع كثرة فوائدهِ على الف صفحة فيمكن ان يُطبع في جلد واحد او جلدين ليقتبس من انوارهِ الاساتذة وطلبة الفلسفة معاً

ويحسن بنا ان نختم كلامنا في هذا التأليف بقول الخالد الذكر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في «منشوره الوسيم في تعليم الفلسفة القويم» فانَّهُ يصدق في كتاب الخلاصة الفلسفيَّة بوجهٍ احرى من بقيَّة تآليف الاكويني الفلسفيَّة :

« قد دق حب العلماء المدرسيين امامهم واستاذهم توما الاكويني الذي على ما قال العلامة الكردينال فايطان قد اجمع أعظم إجلال العلماء القديسين الاقدمين فورث على نوع ما علوم جميعهم فجمع توما شتات تعاليمهم كما تجمع الاعضاء المتفرقة الى جسد واحد وضمها ورتبها بنظام عجيب واعنى خزامتها حتى تفرد بلقب حارس الكنيسة وفخرها الخاص فهو حاذق العقل ذكي الفؤاد قوي الذاكرة طاهر السيرة خليل الحق لا خليل له سواه غني بالعلوم الالهية والبشرية. وفيه ما أدرى من شبهه بالشمس لانه سخن الارض بانعة شمس فضائله وملأها بساطع نور علمه. فما من فرع من فروع الفلسفة الا تداوله بحذق وسداد فبسط الكلام بالتوالي على الخلق واقيسة البرهان وفي الباري تعالى والجواهر المجردة والانسان وسائر المخلوقات المحسوسة والاعمال البشرية واصولها ومبادئها ولم يعوزه شيء في كل هذه الابواب لا البحث والتنقير ولا ترتيب الاقسام واتقانها المحكم ولا اتقان الاساليب ولا متانة المبادئ ولا سداد البراهين ولا صراحة الانشاء او ضبط العبارة ولا التدقيق وسهولة المأخذ في حل اعقد المسائل واعضلها . . . »

فناهيك بهذا الوصف الصادق بيانا لعظم شأن تآليف الاكويني الفلسفية وبالاخص تأليفه الذي نبشر قراءنا بتعريبه عاقدين الرجاء بقرب نشره ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE LA RENAISSANCE FRANÇAISE (*Paris*, 3, *rue de Solférino*) : I. Benjamin Fabre : Un Initié des Sociétés Secrètes Supérieures « FRANCISCUS A CAPITE GALEATO », pp. XXII-454 (*Prix*, 7 *fr.* 50) = II. Coppin-Albancelli : LA QUESTION DES BOY - SCOUTS OU ECLAIREURS de France, pp. 51 = III. A. Louvel : APPEL AUX HOMMES, pp. 153+240 = IV. H. Giraldon : LA VIE EST PRÉCIEUSE, pp. 121

مطبوعات جمعية النهضة الفرنسوية في باريس

هذه اربعة تآليف اهدانا اياها السيو دي كاتلينو (Mr Émm. de Cathelineau) احد اعضاء جمعية النهضة الفرنسوية وكلها بديعة في جنسها :

اولها كتاب نفيس نوصي به كل من يريد الاطلاع على حقيقة الشيعة الماسونية واسرارها الخفية. فان فيه كتابات سرية لاحد اركان الماسونية في القسم الثاني من القرن الثامن عشر وفي العشر الاول من التاسع عشر وهو المدعو باسم مستعار « فرنسيس الفارس المغفر الرأس » كان يمضي به رسائله السرية الى رؤساء الشيعة.

« قد دق حب العلماء المدرسيين امامهم واستاذهم توما الاكويني الذي على ما قال العلامة الكردينال فايطان قد اجمع أعظم إجلال العلماء القديسين الاقدمين فورث على نوع ما علوم جميعهم فجمع توما شتات تعاليمهم كما تجمع الاعضاء المتفرقة الى جسد واحد وضمها ورتبها بنظام عجيب واعنى خزامتها حتى تفرد بلقب حارس الكنيسة وفخرها الخاص فهو حاذق العقل ذكي الفؤاد قوي الذاكرة طاهر السيرة خليل الحق لا خليل له سواه غني بالعلوم الالهية والبشرية. وفيه ما أدرى من شبهه بالشمس لانه سخن الارض بانعة شمس فضائله وملأها بساطع نور علمه. فما من فرع من فروع الفلسفة الا تداوله بحذق وسداد فبسط الكلام بالتوالي على الخلق واقيسة البرهان وفي الباري تعالى والجواهر المجردة والانسان وسائر المخلوقات المحسوسة والاعمال البشرية واصولها ومبادئها ولم يعوزه شيء في كل هذه الابواب لا البحث والتنقير ولا ترتيب الاقسام واتقانها المحكم ولا اتقان الاساليب ولا متانة المبادئ ولا سداد البراهين ولا صراحة الانشاء او ضبط العبارة ولا التدقيق وسهولة المأخذ في حل اعقد المسائل واعضلها . . . »

فناهيك بهذا الوصف الصادق بيانا لعظم شأن تآليف الاكويني الفلسفية وبالاخص تأليفه الذي نبشر قراءنا بتعريبه عاقدين الرجاء بقرب نشره ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS DE LA RENAISSANCE FRANÇAISE (*Paris*, 3, *rue de Solférino*) : I. Benjamin Fabre : Un Initié des Sociétés Secrètes Supérieures « FRANCISCUS A CAPITE GALEATO », pp. XXII-454 (*Prix*, 7 *fr.* 50) = II. Coppin-Albancelli : LA QUESTION DES BOY - SCOUTS OU ECLAIREURS de France, pp. 51 = III. A. Louvel : APPEL AUX HOMMES, pp. 153+240 = IV. H. Giraldon : LA VIE EST PRÉCIEUSE, pp. 121

مطبوعات جمعية النهضة الفرنسوية في باريس

هذه اربعة تآليف اهدانا اياها السيو دي كاتلينو (Mr Émm. de Cathelineau) احد اعضاء جمعية النهضة الفرنسوية وكلها بديعة في جنسها :

اولها كتاب نفيس نوصي به كل من يريد الاطلاع على حقيقة الشيعة الماسونية واسرارها الخفية. فان فيه كتابات سرية لاحد اركان الماسونية في القسم الثاني من القرن الثامن عشر وفي العشر الاول من التاسع عشر وهو المدعو باسم مستعار « فرنسيس الفارس المغفر الرأس » كان يمضي به رسائله السرية الى رؤساء الشيعة.

وكان المذكور من احدى أسر فرنسة الشريفة الا انهُ وقع في حبائل الماسونية في شبابهِ وترقّى في درجاتها حتى بلغ أعمق اسرارها التي لا يعرفها تسعة اعشار الماسون فضحّى النفس والنفيس في نصرة مبادئها الوخيمة. وكتاباتهُ هذه تبلغ الالوف وكلّها تشهد على انَّ الماسونيَّة لا تسعى الّا في خراب كل دين وكل سلطان. وهي كانت مصونة في خزانة احفادهِ الذين سلّموها للكاتب الشهير بنيامين فابر فنشر منها اهمَّ ما وجده ورسم كثيرًا منها بالفوتغراف بيانًا لصحّة اقاويلهِ وعلّق عليها التعليقات السديدة الكاشفة عن كل دسائس الماسونيَّة مدَّة الثورة الفرنسويَّة وفي عهد نابوليون الكبير. فننشد الله كل المخدوعين بهذه الشيعة في بلادنا الشرقيَّة ان يدرسوا هذا الكتاب درسًا مدقّقًا باستقامة ودون غرض فلا شكَّ انهم يستنتجون من هذا الدرس ما استنتجهُ المسيو فابر وهو انَّ الماسونيَّة جمعيَّة كل نظامها الاجتماعي مبني على الكذب والخبث والخداع. وهذا كلامهُ بالحرف (ص ٣٢):

Une longue et sérieuse et impartiale étude, faite sur plusieurs milliers de documents originaux, nous a convaincu que toute l'organisation maçonnique est fondée sur la fraude, la tromperie, la fourberie, en un mot sur le mensonge élevé à la hauteur d'une institution.

والكتاب الثاني لاحد مناهضي الماسونية في عهدنا المسيو كوبان البنيلي الذي وضع في ذلك عدَّة تآليف لم يجسر الماسون ان يردُّوا عليها. وهذا الكتاب آخر ما صنَّفهُ في العام الاخير ليبيّن انَّ شركة الفتية المعروفين باسم « بوي سكوت » (Boy-Scouts) المنشأة في انكلترة حديثًا لا تصلح للشبيبة الفرنسويَّة بل غايتها بذر منافاة الدين في عقول الاحداث. امَّا التمرينات البدنيَّة التي يمارسها اولئك الفتية فهي حسنة في ذاتها لكن الكاثوليك في غنىً عنها ولهم الجمعيَّات المتعدّدة التي تقوم بذلك احسن قيام مع مراعاة آداب الناشئة وايمانهم

والكتاب الثالث لاحد افاضل كهنة فرنسة الغيورين على صالح وطنهم يُدعى الاب لوفل فانهُ اذ عرف باختباره اليوميّ ما صارت اليهِ البلاد من الانحطاط بسبب تقهقر الدين ونبذ الآداب وضع هذا الكتاب ووجّههُ الى رجال قومهِ مثبتًا لهم بالبيّنات الساطعة والشواهد اللامعة انَّ خلاص فرنسة متوقّف على رجوعها الى

دينها القويم. وقد تصفّحناهُ فوجدناهُ من امتع الكتب واصدقها لهجةً واثبتها حجّةً

ولا يبعد عن هذا الموضوع الكتابُ الرابع للمسيو جيرلدون المعنون « بعظم قدر الحياة » لكنّهُ اقرب الى فهم العموم واوضح اسلوباً وقد بيّن فيهِ انَّ السعادة التي يدعو اليها اصحاب المذاهب الجديدة من فوضويين واشتراكيين وغيرهم اسمٌ بلا جسم موّهوا بها على البسطاء وانَّ سعادة الحياة في الدين وحدهُ الذي يرشد الانسان الى الصلاح ويستأصل من قلبهِ الاهواء الباطلة ويسندهُ في جهاد الحياة بذكر الثواب المعدّ لهُ في الآخرة جزاء عن صبرهِ وحمل صليبهِ مع ابن الله ل. ش

LIBRAIRIE BLOUD ET GAY (Paris, 7, Place St Sulpice) : I. **Alfred Baudrillard** avec la collaboration de J. **Martin** : HISTOIRE GÉNÉRALE, pp. 727 (*Prix*, 5 *fr.*) = II. **Paul Feyel** : HISTOIRE CONTEMPORAINE (1815-1913), pp. VIII-887 = III. J. **Prevost** et A. **Laurent** : PREMIER LIVRE DE LECTURE, pp. 128

التاريخ العام – التاريخ العصري – اوّل كتاب القراءة

هذه كتب مدرسيَّة اصدرها آخرًا محلّ بارد وغاي : فالاوّل منها تاريخ عام يتناول اهمَّ الحوادث التي جرت في العالم منذ الدول القديمة الى عهدنا وضعهُ كاتب من مشاهير كتبة عصرنا السيّد بودرليار رئيس الكليَّة الكاثوليكيَّة في باريس بمساعدة احد اساتذة التاريخ المسيو مرتين. وقد اعجبتنا طريقة المؤلف في وضع هذا التأليف المدرسيّ على طريقة مستحدثة يلذُّ الاحداثَ نهجُها وذلك بحسن تقسيم الموادّ واختلاف انواع الحروف وتوفير الصور والرسوم والخارطات البالغة عدَّة مئات. وافضل من كلّ ذلك انَّ الموادّ كلها منتخبة بانتقاد وتحقيق ليس فيها ما تعثر بهِ رجل الاحداث من الاحكام الواهنة والتحامل على الدين. فنحرّض ارباب المدارس على وضعهِ في ايدي طلبتهم. ويا ليتهُ يُنقَل الى لغتنا العربية على صورتهِ. — والكتاب الثاني في التاريخ العصري يشبه السابق في طريقتهِ الطبيعيَّة الرائقة وتقاسيمهِ وتصاويرهِ المنيفة على ٤٣٠ صورة بعضها ملوّنة وانَّما هو موضوع خصوصاً لتلامذة المدارس العليا ومدارهُ على حوادث العصر المنصرم مباشرةً بمؤتمر فينّا سنة ١٨١٥ الى السنة الماضية ١٩١٣ صنّفهُ احد الاختصاصيين المسيو بول فايل وفقاً للائحة التعليم الرسميَّة في فرنسة. وهو يصلح لمدارس بلادنا ايضاً لأنَّهُ يتناول كل

الحوادث السياسية التي جرت في القرن الماضي في بلاد الغرب والشرق معاً وهناك فصول خاصة لامور الدين ولتاريخ الفنون والآداب والاختراعات الحديثة وكل ما ينبغي على الدارسين ان يعرفوهُ في نهاية دروسهم. ويزيدهُ نفعاً حياد كاتبه عن كل ما يجعلهُ حجر عثرة في سبيل الطلبة. فتتهيأ لهُ الرواج الواسع — اما الكتاب الثالث فكتاب قراءة على الطرائق المستحدثة لصغار الاولاد وهو يجمع بين دروس الاشياء وتهذيب عقول الاحداث وطبع الآداب السليمة في قلوبهم ل. ش

ADAMITICS: An Essay on first Man's Language, by Anthony de Velics M. D., *Budapest* 1914, pp. 129

لسان الاجداد الاوّلين

هذا بحثٌ كثيراً ما استوقف انظار العلماء في كل جيل وعاد اليه بعض علماء عصرنا لأنهم يجدون لعقدهِ حلاً. وقد سبق المشرق ونشر سنة ١٩٠٥ (٨ : ٢٠٩) مقالة للمستشرق غريفيني في هذا الموضوع اختصر فيها كتابات الدكتور ترمباتي وبيّن ما اصاب من ذلك. وها هوذا كتاب جديد في هذا البحث اللغوي آخر اسمهُ دي ڤالكس جمع فيهِ معلومات متفرّقة من معظم الالسنة المعروفة في زماننا استنتج منها نتائج البعض منها محتملة والبعض صحيحة صادقة كقولهِ مثلاً انَّ درس هذه اللغات يبيّن صريحاً انَّ المنطق خاصٌّ بالانسان وحدهُ دون البهيمة العجماء وكقولهِ انَّ معظم اصوات المفردات الاصليَّة قد وُضع مثلاً لحركات الطبيعة ومبادئ أُخرى تؤيد ما اعلمنا بهِ الكتاب المقدّس من وحدة المنطق البشري في اوّل العالم. هذا ما نقولهُ اجمالاً دون القطع بصحّة كثير من مزاعم المؤلف ل. ش

Prof. Filippo Talvacchia: L'ARABO LETTERARIO. Vol. I. Morfologia. *Gerusalemme, Tipogr. di Terra Santa,* 1914, pp. 164

قواعد العربية. القسم الاوّل: الصرف

هذا تأليف جديد في قوانين اللغة العربية وضعهُ لافادة الايطاليين حضرة الاب فيليب تلفاكيا نائب رئيس المدرسة الاكليريكيَّة اللاتينيَّة في القدس الشريف فانجز القسم الاوّل منهُ المحتوي لاصول الصرف في ثلثة فصول وعدَّة ابواب متتبّعاً تصريف الاسم ثمَّ الفعل وخاتماً بالحروف ثمَّ العدد. وقد احسن على ما لحظنا بجريهِ على آثار

العرب في تدوين جداول التصريف وضبط قواعده. ولكلّ باب ملحق ضمّنهُ المؤلف ملحوظات دقيقة مفيدة ثمّ اردفهُ بتمرينات عملية كما فعل الاب بيلو في كتابهِ الفرنسويّ عن اصول اللغة العربية. ومن فوائده جدول الالفاظ الايطالية التي مرّت في كتابهِ عربيّتها جعلهُ في آخره كشبه معجم صغير يغني مدّةً عن المعاجم الكبيرة فلا شكّ انّ الايطاليين يقبلون على هذا الكتاب لاجتناء اثماره الطيّبة

ل ش

I. Uffizio della B. V. Maria. p. 151 = II. Uffizio Commune dei Morti, p. 105 = III. I Tredeci Venerdi e la Novena in onore di S. Francesco di Paolo, p.116. *Napoli, Tip. Pontificia, M. d'Auria*, 1913.

فرض العذراء – فرض الموتى – رياضات لاكرام القديس فرنسيس البولي

اهدتنا مطبعة دوريا في نابولي هذه الكتب الثلاثة التقويّة وهي تتضمّن فرض العذراء مريم وفرض الموتى على موجب الترتيب الذي سنّهُ آخرًا قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر. ثمّ رياضات لاكرام القديس فرنسيس البوليّ. وكلّها في نهاية الاتقان ما يدلّ على براعة اصحاب هذا المحل الشهير

تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (طبعة ثانية)

الجزء الاول في قسم لبنان الشمالي. طُبع في المطبعة الكاثوليكية (١٩١٤ ص ١٥٩)

هذا الكتاب الفريد مجموع مقالات ظهرت في المشرق في السنين الستّ الاولى منهُ. نشرناهُ سابقاً على حدة فنفذت نسخهُ وسألنا كثيرون اعادة طبعهِ. وكان يودّ المؤلف ان يُعيد النظر فيهِ لكنّ اشغالهُ في مدينة رومية حالت دون رغبتهِ فكرّرنا طبع الكتاب دون تغييرهِ الّا في اشياء طفيفة ل. ش

انفاس الطلّاب في مضمار الكتّاب

انتخبها المنسنيور ب. حبيقة من كتابات مدرسة القديس بطرس (بسكنتا)

الجزء الثالث. طُبع في المطبعة اللبنانيّة. جسر فخر ببيروت لبنان (١٩١٣ ص ٢٨)

هي طاقة ثالثة من حديقة مدرسة القديس بطرس في بسكنتا جمعها رئيسها وبستانيّها الجليل المتولّي جراثمها وغرسها ومراقبة نموّها وجنى زهورها وقطف اثمارها. ولا غرو انهُ احسن في تركيب تلك الطاقة وهو ادرى بها في جنّتهِ بين ضروب النبات

واشكال الازهار ويانع الاثمار . فنرجي احداث المدارس ان يتقفّوا آثار رصفائهم اللبنانيين ويتحفونا مثلهم من وقت الى آخر بمجاني حدائقهم

التقرير الاوّل عن اعمال جمعيّة « الاتّحاد اللبناني » في مصر

طُبع في مطبعة المعارف باوّل شارع الفجّالة بمصر

مرّ اربع سنوات على جمعيّة الاتحاد اللبناني المنشأة في مصر في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٩ بهمّة وطنيّنا النشيط وتلميذ كليّتنا النبيل انطون افندي الجميّل . ومذ ذاك الحين لم تزل هذه الجمعيّة توسّع نطاقها وتعقد جلساتها المنظّمة وتسعى على قدر طاقتها في تلافي احوال لبنان وتضميد جراحاته وجمع كلمة اهله . وهذا التقرير يوقفنا على مساعي تلك الجمعيّة وتعريف تركيب لجانها وبيان غاياتها الحميدة التي ترمي اليها وبيان الوسائل التي تتذرّع بها لتحقيق امانيها . فقد قرأناهُ بكل رغبة وطلبنا الى الله بان يكلّل بالنجاح اعمال الجمعيّة المذكورة ليعود لبنان الى بهائهِ القديم وينال مطالبهُ من الحقوق التي عليها قوام حياتهِ ومستقبلهِ ل . ش

البيان الصراح عن نذر يفتاح

بقلم امين افندي ظاهر خير الله

طُبع بالمطبعة البطريركيّة الارثوذكسيّة في دمشق (سنة ١٩١٣ ص ١٠٤)

نذر يفتاح بإصعاد اوّل الوافدين عليهِ من اهل بيتهِ محرقةً للربّ (سفر القضاة ١١ : ٣٠–٤٠) هو احد المشاكل التي شغلت المفسّرين للكتاب الكريم فمنهم من رأى انّهُ اتمّ نذرهُ بتضحية ابنتهِ ومنهم من غلّب كونهُ كرّس فقط بتوليتها لخدمة الربّ . وهو القول الرجّح الذي اتّبعهُ صاحب هذا الكتاب الشائق صديقنا امين افندي ظاهر خير الله مدير مجلّة النعمة فأيّدهُ بأدلّة مقنعة انتزعها من نصوص الكتاب المقدّس عينهِ . ثمّ استوحى زناد قريحته وكسا كل قصّة يفتاح وابنتهِ ثوباً قشيباً من نظمهِ فاخرجها على صورة بديعة في ستّة فصول ونحو خمسمائة بيت شعر فتفنّن فيها ايّ تفنّن وجعلها كشبه الروايات الجاريّة وضمّنها من المواعظ ما يأتي بهِ الصغار والكبار وذيّلها بالحواشي اللغوية والتاريخية تروق مطالعتها كل ارباب الادب فجازاهُ الله خيراً وننعم بتآليفهِ الوطن زمناً طويلاً ل . ش

تنصُّر كلوفيس – في ظلمات القصر الشمالي

تعريب حضرة الخوريين نقولا ابي هنا ب.م وانطون فرج

روايتان جميلتان تولّى تعريبهما كاتبان فاضلان من الروم الكاثوليك خدمةً للمدارس والمراسح المنزّهة عن كل شبهة في الآداب. والاولى تاريخية تحيي ذكر حادث جليل كان وكن مفاخر الدولة الفرنسويّة في اواخر القرن الخامس الا وهو تنصُّر الملك كلوفيس منشئ الملكية الفرنسويّة. امّا الثانية فادبيّة اخلاقيّة تمثل على طريقة مؤثرة جدًّا سيّدًا اغتالهُ وكيل املاكهِ فقاسى مدّة عشرين سنةً الوان العذاب الى أن أفرج الله كربتهُ واعادهُ الى سابق عزّه بخذل عدوّه. وكلتا الروايتين مسبوكة في قالب متين من النظم والنثر فتفتن في تمثيلهما لذة البصر ولذّة السمع. ما فضلاً عمّا فيهما من العواطف الشريفة والتعاليم الادبيّة الصالحة فنشكر حضرة المعرّبين ونحرّض محبي الروايات التمثيليّة على تشخيص هاتين الروايتين بعد الاسترخاص من واضعيهما

ل. ش

شذرات

تذكار المسيحيين للملك قسطنطين — ارسل لنا من اوستراليا سيادة المسيو يوسف العلم هذه القصيدة الجميلة تذكارًا لليوبيل القسطنطيني في السنة المنصرمة فنثرها لقرائنا شاكرين لفضل ناظمها:

سَعديكَ سَعديكَ «قسطنطينُ» يا بَطَلُ أبقيتَ ذكرًا لهُ الاجيالُ تحتفلُ
سَعديك في الدين اذ حاميتَ جانبهُ سَعديك في الملك اذ عدلتَ فاعتدلوا
حيّاك مولاكَ في عليائك مرتفعاً على الملوك الأُلى في الحكم ما عدلوا
حيّاك بطرسُ من مجلى رئاسته تحيّةً ردّدتها بعدهُ الرُسُلُ
حيّاك بولس مَنْ فُكّت سلاسلهُ من قيد «قيصرَ» فانقادت بها المِلَلُ
واليوم «بيُوسُ» والمعمورُ عيدهُمُ ترفيعُ عزّك مهما اعتزّت الدولُ
«ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا» والجامعُ الدين والدنيا هو البَطَلُ
يا منصفَ الدين والدنيا بحكمتهِ ذا حكمُ ربّك لمّا حكمتهُ سألوا

اكثر من ثلثة ملايين ويليها الولايات المتحدة ١,٨٨٣,٠٠٠ فرنك ثمَّ المانية ٥٥٠,٠٠٠ ف يضاف اليها ٤٠٠,٠٠٠ من مقاطعتي الزاس ولوران ثمَّ الجمهوريَّة القفنية ٣٠٠,٠٠٠ ثمَّ ايطالية ٢٧٠,٠٠٠ ثمَّ اولندة ٢٦٠,٠٠٠ ثمَّ اسبانية ٢٠٠,٠٠٠ الخ

اسئلة واجوبة

س سأل من عين تراز حضرة الخوري يوسف هنا لاي سبب لم تُرْوَ في ترجمته العربية لسفر أيوب (١ : ٢٠) هذه الالفاظ الموجودة في الترجمة السبعينية ὡς τῷ Κυρίῳ ἔδοξεν, ὅτω γέγονεν ومثلها اللاتينية Sicut Domino placuit, ita factum est التي تعريبها : « كما حسن لدى الربّ كذلك جرى »

آية من سفر ايوب

ج الجواب على ذلك انَّ الالفاظ المذكورة ليست في الاصل العبراني الذي عليه كان المعوَّل في ترجمتنا ولذلك لم يرَ المعرّب الّا قولهُ : « الرب اعطى والربُّ اخذ. فليكن اسم الربّ مباركاً » وفي هذه الالفاظ ذات المعنى ضمنيًّا

س وسأل من دمشق حضرة الخوري جرجس ابي سمراء : ١ ماذا نعرف من تاريخ المطران يوحنا العضم وعلى بينهُ وبين بيت العضم المسلمين علاقة . ٢ ما هو سبب تلوُّن بعض النجوم وتشعشعها . ٣ ما معنى دخول الشمس الابراج المعروفة مع كوننا نعرف ان الشمس ثابتة ليس لها سوى دورة رحويَّة على ذاتها

المطران يوحنا العضم – تلوُّن وتشعشع النجوم – دخول الشمس الابراج

ج نجيب على (الاوَّل) انَّنا لا نعرف من امر المطران يوحنا العضم سوى ما ذكرهُ صاحب المقاطعة الكسروانيَّة (ص ٢٦٥) اعني انَّهُ توفي في ١٠ ت٢ سنة ١٨٣٣ ودُفن في زوق مكايل . ولا نظنّ ان بينهُ وبين آل عضم المسلمين علاقة . وعلى (الثاني) انَّ تلوُّن بعض النجوم مسبَّب من تركيب عناصرها المختلفة وتباين الانوار الصادرة من لهيبها . امَّا تشعشعها فلاجل اجتياز نورها في طبقات الجوّ المختلفة الكثافة والرطبة فتؤثر حركتهُ في حدقة عيوننا . ونجيب على (الثالث) انَّ دخول الشمس في الابراج انَّما هو محمول على الظاهر دون الحقيقة لأنَّ الشمس تُرَى للعين كأنَّها تمرُّ في كل واحد من هذه البروج الاثني عشر المعروفة بمنطقة البروج . وانَّما الحركة هي للارض ليست للشمس

ل . ش

اكثر من ثلثة ملايين ويليها الولايات المتحدة ١,٨٨٣,٠٠٠ فرنك ثمَّ المانية ٥٥٠,٠٠٠ ف يضاف اليها ٤٠٠,٠٠٠ من مقاطعتي الزاس ولوران ثمَّ الجمهوريَّة القفنية ٣٠٠,٠٠٠ ثمَّ ايطالية ٢٧٠,٠٠٠ ثمَّ اولندة ٢٦٠,٠٠٠ ثمَّ اسبانية ٢٠٠,٠٠٠ الخ

اسئلة واجوبة

س سأل من عين تراز حضرة الخوري يوسف هنا لاي سبب لم تُرْوَ في ترجمته العربية لسفر أيوب (١ : ٢٠) هذه الالفاظ الموجودة في الترجمة السبعينية ὡς τῷ Κυρίῳ ἔδοξεν, ὅτω γέγονεν ومثلها اللاتينية Sicut Domino placuit, ita factum est التي تعريبها : « كما حسن لدى الربّ كذلك جرى »

آية من سفر ايوب

ج الجواب على ذلك انَّ الالفاظ المذكورة ليست في الاصل العبراني الذي عليه كان المعوَّل في ترجمتنا ولذلك لم يرَ المعرّب الّا قولهُ : « الرب اعطى والربُّ اخذ. فليكن اسم الربّ مباركاً » وفي هذه الالفاظ ذات المعنى ضمنيًّا

س وسأل من دمشق حضرة الخوري جرجس ابي سمراء : ١ ماذا نعرف من تاريخ المطران يوحنا العضم وعلى بينهُ وبين بيت العضم المسلمين علاقة . ٢ ما هو سبب تلوُّن بعض النجوم وتشعشعها . ٣ ما معنى دخول الشمس الابراج المعروفة مع كوننا نعرف ان الشمس ثابتة ليس لها سوى دورة رحويَّة على ذاتها

المطران يوحنا العضم – تلوُّن وتشعشع النجوم – دخول الشمس الابراج

ج نجيب على (الاوَّل) انَّنا لا نعرف من امر المطران يوحنا العضم سوى ما ذكرهُ صاحب المقاطعة الكسروانيَّة (ص ٢٦٥) اعني انَّهُ توفي في ١٠ ت٢ سنة ١٨٣٣ ودُفن في زوق مكايل . ولا نظنّ ان بينهُ وبين آل عضم المسلمين علاقة . وعلى (الثاني) انَّ تلوُّن بعض النجوم مسبَّب من تركيب عناصرها المختلفة وتباين الانوار الصادرة من لهيبها . امَّا تشعشعها فلاجل اجتياز نورها في طبقات الجوّ المختلفة الكثافة والرطبة فتؤثر حركتهُ في حدقة عيوننا . ونجيب على (الثالث) انَّ دخول الشمس في الابراج انَّما هو محمول على الظاهر دون الحقيقة لأنَّ الشمس تُرَى للعين كأنَّها تمرُّ في كل واحد من هذه البروج الاثني عشر المعروفة بمنطقة البروج . وانَّما الحركة هي للارض ليست للشمس

ل . ش

المشرق

حركة العلم في العالم المتحرر

نظر الاب لويس دي رفال اليسوعي

توطئة

تشبه السياسة رقعة من الشطرنج اختلطت فيها قطع اللعب واشتدّ حرص كلٍّ من اللاعبين على نكاية عدوّه فترى اربابها يطلبون الوسائل هذا للخروج من مأزق حرج وذاك لاقتناص خصمه بحبائل الخداع والمكر وآخر للتقدّم الى الامام وضرب المعادين بضربة لازب والله اعلم ما سيكون دور الختام

على انّ بازاء هذا العالم السياسيّ المتلاطم بالامواج عالماً آخر ارقى مقاماً واجدى نفعاً نريد به عالم العلوم الذي اتّسع مجالهُ في عصرنا اي اتّساع فيتبارى فرسانهُ مباراة محمودة وتزيدهم المنافسة غيرةً ونشاطاً

في السنين المنقضية قصد الانسان ان يمدّ سيطرتهُ على اعماق البحر فنفذ في بواطنهِ بوضع الغوّاصات وتجهيزها بالادوات الضامنة لحياة راكبيها في وسط المياه

وبينما كنت ترى الانسان سابحاً كالاسماك في لجج البحر اذ رأيتهُ يطمح بابصاره الى اعالي الجوّ حيث كلّف نفسهُ بسط سلطانهِ على مملكة الهواء ومجاراة الطيور التي تحلّق في ارجائهِ فلم يخب املهُ وها هوذا يطير في انحاء السماء مزدرياً بالنسور وجوارح الطيور بركوبهِ الطيّارات التي هي اثقل من الهواء كما ركب سابقاً المناطيد الاخفّ منهُ والحقّ يقال انّ فنّ الطيران بلغ اليوم مبلغاً لم يكن في الحسبان. وقد حظيت

سواحل الشام حتى يافا والقدس بمشهد بعض الطيّارين الذين قدموا علينا في ختام السنة المنصرمة واوائل عامنا الجديد فرأينا بالعيان قدرين وبونيه يحومان فوق بيروت ويرفرفان باجنحتها الآليّة على رؤوسنا فكان منظرهما يهيج فينا شواعر الانذهال ويثير عواطف الجزع والبهجة معاً لمعاينتنا بعض ابناء جلدتنا تارةً يعلون فوق مشارف لبنان ويناطحون السحاب وتارةً يدخلون في اواسط الغيوم المتكاثفة فينفذون فيها ويخبّون وجه الشمس المحجوبة عنّا . فكنا نطرئ بأسهم ونشيد بذكر شهامتهم . الّا انّنا كنّا فوق ذلك نعظّم المعارف البشريّة التي افادتنا علماً جديداً لم يحظَ بهِ اجدادنا . فانّ ارباب العلم بدرسهم المدقّق لخواصّ الموانع والاجسام وبثباتهم المتواصل في الامتحانات ومراقبتهم لاصناف الطيور وتوازن حركاتها في الطيران امكنهم ان يدوّنوا نواميس هذا الفنّ العجيب الذي كان القدماء ينسوا من ادراكهِ

ذلك وانّ على مقربةٍ من عالمنا هذا المنظور عالماً آخر لا ندركه لدقّة كوائنهِ اعني بهِ عالم الدقائق والجراثيم التي نعيش في وسطها لنفوذها في كل اجهزة جسمنا وقد دعوها بالميكروب اي الحيوّيات الدقيقة التي لا تشعر بها حواسّ الانسان لحجمها المتناهي في الصغر والنعومة . وهنا ايضاً الفضل للعلم الذي اخترع الآلات العجيبة كالنظّارات والمدسيّات والمجاهر وبها تمكّن من معاينة تلك الدقائق فلا يكاد يمرّ علينا اسبوع الّا وتنبئنا المجلّات العلميّة باكتشاف العلماء لبعض تلك الجراثيم المجهولة وخواصّها النافعة او الضارّة . كما انّ العلم ادرك ما وراء هذه الاجسام من عالم الاثير والكائنات غير الملموسة وغير الموزونة كأشعّة رونتجن وبقيّة الاجرام المشعّة التي اوقفتهُ على اسرار التلغراف اللاسلكي والتليفون الاثيري وغير ذلك ممّا جعل كرتنا الارضيّة في اعين اهل الزمان ككتاب مفتوح يقرأونهُ بلا عناء بعد اعتياصهِ على اسلافهم او كلغزٍ طالما أيسوا من حلّهِ صاروا اليوم يدركون كل معانيهِ

وهذه نبذةٌ يجد فيها قرّاؤنا الكرام جانباً من تلك الحركة العلميّة التي تفرّغ لها العلماء في العام المنصرم فأوقفتهم على بعض مكنونات الطبيعة . وتيسيراً للموضوع ها نحن نقسمهُ قسمين نخصّ الاوّل منهما بالسماء مباشرةً بسماء النجوم ثمّ سماء الجوّ والثاني بالارض وملحقاتها والعلوم المنوطة بها

١ً السماء

﴿ العلوم الفلكيَّة ﴾ عاد الفلكيُّون الى قياس حركات النجوم فضبطوها بتدقيق اعظم من قبل . ومن المعلوم انَّ سرعة سير الشمس في الفضاء تبلغ عشرين كيلومترًا في الثانية وانَّ دوران ارضنا حول الشمس يتراوح بين ٣٤و٣٥ كيلومترًا وهي امري سرعة مذهلة تفوق ١٨٠٠ مرَّة سرعة قطار الاكسبرس بين الاسكندريَّة ومصر وبكلام آخر تقطع الارض بثانية واحدة ما يقطعهُ ذاك الاكسبرس بنصف ساعة . ولكن اين حركة الشمس وحركة الارض من سرعة انتقال النجوم في الفضاء . مثالها ذلك الكوكب البهيّ المعروف عند الاوربيّين باركتورس (Arcturus) ويدعوهُ العرب بالسماك الرامح وهو اكبر نجوم كوكبة العوَّاء . فانَّهُ يتحرَّك بسرعة ١١٣ كيلومترًا في الثانية اعني انَّ سرعتهُ ١٢٠٠ مرَّة اخفّ من سرعة الصوت التي تبلغ في الثانية ٣٤٠ مترًا ومن ثمَّ لو انتقل من ارضنا الى الشمس لَما احتاج الَّا الى اربعة ايَّام فقط . والفلكيُّون لم يعرفوا نجمًا آخر اسرع منهُ بين النجوم الجارية في دائرة البصر البشري وان كانوا يؤكدون ذلك عن نجوم غير منظورة

وممَّا اجتهد ارباب الفلك في درسهِ آخرًا النفوذ المتبادل بين الشمس وبقيَّة السيَّارات وبين القمر والارض وما ينتج عن ذلك من الظواهر الفلكيَّة . فقد تحقَّقوا مثلًا انهُ يوجد علاقة بين كَلَف الشمس وما يحدث في فلكنا من الاضطرابات الجوِّيَّة . وكذلك يمكن الاستدلال بوقع وظواهر الشمس (ومثلها القمر والسيَّارات كالمشتري والمرّيخ وزحل) الى ما سيحدث في ارضنا من الامطار الرعديَّة او اليبوسة او الانواء والاعاصير

وهذه الاعاصير التي كانت سابقًا تُدعى بآفة البحارة صارت اليوم بفضل المراقبات الجوِّيَّة معروفةً حتى انَّ العلماء اخذوا ينبئون بمكان تكوُّنها وزمن هبوبها ووجهة حركتها . وهنا لا بدَّ لنا ان نضيف صوت شكرنا الى اصوات الدول باجمعها كفرنسة وانكلترَّة والمانية والولايات المتَّحدة التي بلَغت مرارًا عديدة مرلسيم شكرها لمرصدَي الآباء اليسوعيين في زيكاواي من اعمال الصين وفي مانيلّا من جزائر الفيليبين لتدوينهما كل حركات الاعاصير وتبليغ ملحوظاتها الى رؤساء المراكب وبذلك

نجا من السفن الحربية والتجارية ما لا يُحصى عدداً . على خلاف الذين لم يكترثوا لهذه المعلومات فذهبوا ضحايا تهوّرهم . واليوم لا يجسر غير الحمقى ان يخوضوا بحار الشرق الاقصى دون استشارة اصحاب المرصدين

وكذلك قد أيّد العلماء بامتحانات جديدة رأيهم السابق عن تأثير انفجار البراكين في الزلازل واختلافات احوال الجوّ . ويؤكّدون انّ الكهرباء في كل هذه الظواهر تلعبُ دوراً مهمّاً لم يقدّروهُ سابقاً حقّ قدره

﴿ المراكب الهوائية وفنّ الطيران ﴾ في ٧ ك ١ سنة ١٩١٢ حلّق في الجوّ في مدينة يافي من حواضر ايطاليا منطاد سبّر مُصطنع من المطّاط (الكاوتشوك) دعوهُ بارا وكان قطرهُ متراً و٩٠ سنتمتراً نفخوهُ بالهدروجين فارتفع الى علوّ لم يبلغهُ منطاد قبلهُ اعني ٣٧ كيلومتراً و٧٠٠ متر وكانوا علّقوا عليهِ مقياسين بارومتراً لتدوين ثقل الهواء وترمومتراً لتعريف درجة الحرارة فكان مقياس البارومتر قد ضعف حتى نزل من ٧٦٠ ملمتراً الى ٣ ملمترات وعندئذٍ زاد انتفاخ البالون حتى انفلقَ لقلّة ضغط الهواء واخذ في الانحدار على هدوءٍ بواسطة مظلّة واقية من الحرير كانت متوطئةً بهِ . امّا مقياس الحرارة فكان مختلفاً على حسب اختلاف درجات العلوّ . فكان المقياس على علو ١٢,٣٨٥ متراً مدوّناً ٥٥,٥ — درجة تحت الصفر ثمّ بلغ على علو ١٩,٧٣٠ متراً الى معظم هبوطهِ اعني ٥٦,٩ — ثمّ اخذ يتصاعد فكانت درجة حرارتهِ على علو ٣٧,٧٠٠ متر ٥١,٦ —

امّا الطيران فاحدى عجائب هذه السنين الاخيرة . وقد امكن الشرقيين بفضل بعض الطيّارين الفرنسويين كدوكور وقدرين وبونيه وبورب واوليفيه ان يشاهدوا الطير البشري حائماً في اعالي الجوّ . وهذا الفنّ يترقّى يوماً بعد آخر حتى انّ الحوادث المفجعة السابقة اصبحت نادرةً وادوات الطيران اضحت اثبت تركيباً واسرع حركة والكلُّ جعلوا اليوم يبنون على هذا الفن الآمال الطيّبة . ففي ١١ آذار من العام الماضي نال بيريون (Perreyon) احد رفقاء بليريو قصبة السبق في بلوغهِ اعلى طبقة من الجوّ لم يبلغها غيرهُ فوصل الى علو ٥,٨٥٠ متراً وذلك بمدّة نحو ساعة تقريباً وكان اخذ معهُ كميّة من الاوكسيجين ليستنشقها ورأى انهُ يمكنهُ ان يصعد الى فوق ذلك لولا انّ تخلخل الهواء اضرّ بوقود طيّارته فاضطرّهُ الى النزول . ويظهر من الانباء

التلغرافيّة انّ لوگانيو سبقهُ في ٢٧ ك ١ فبلغ علوّ ٦,١٥٠ متراً. ودونك جدول اخصّ الطيّارين الذين تباروا في درجات العلوّ منذ سنة ١٩٠٨ (١

تاريخ الصعود	اسماء الطيّارين	قياس العلو
١٨ ك ١ ١٩٠٨	رَيْت	١١٥ متراً
١ ك ١ ١٩٠٩	لاتام	٤٥٣ «
٩ ك ١ ١٩١٠	لوگانيو	٣,١٠٠ «
٤ ايلول ١٩١١	گاروس	٣,٩٠٠ «
٥ ايلول ١٩١٢	«	٤,٢٥٠ «
١٧ ايلول ١٩١٢	لوگانيو	٥,٨١٠ «
١١ آذار ١٩١٣	پيريون	٥,٨٥٠ «
٢٧ ك ١ ١٩١٣	لوگانيو	٦,١٥٠ «

وفي ١١ نيسان قطع دوكور المسافة بين باريس وبرلين في يوم واحد بعد ان حطّ مرّتين في طريقهِ. وأتمّ ذلك في مدّة ١٣ ساعة وثلث دقائق. وبقي طائراً ٧ ساعات و٤٠ دقيقة ومن المعلوم انّ قطار الاكسبرس يقطع بنحو ٢٣ ساعة تلك المسافة التي تبلغ ٩٠٠ كيلومتر على الطائر. فيكون دوكور قطع في الساعة ١١٨ كيلومتراً

وفي ١٠ حزيران أتى بونديجون دي مولناي (Brindejonc des Moulinais) بما هو اغرب من ذلك فانّهُ طار من باريس الى ڤرسوڤية في پولونية الروسيّة بيوم واحد قطع في خلالها بسبع ساعات ونصف تلك المسافة البالغة ١٣٧٠ كيلومتراً بمعدّل ١٩٠ كيلومتراً في الساعة ولم يحطّ على الارض الّا مرّة واحدة فارتاح ستّ ساعات ونصف

والنهاية في الغرابة ما عوّل عليهِ گاروس ان يقطع البحر فيطير من فرنسة الى بيزرت في الجزائر دون انقطاع. وقد تجشّم هذا العمل مع ما كان فيهِ من الاخطار لأنّ المحرّك يحتاج الى كميّة وافرة من البنزين فاذا نفدت وقع لا محالة ومن جانب آخر لا يستطيع الطيّار ان يُثقل طيّارتهُ بكميّات زائدة من هذا الغاز الّا انّ الاقدار ساعدتهُ فادرك الغاية ظافراً

---

١) راجع مقالة الاب بجاسون « غاية المناء في فتح مملكة الهواء » في المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٤٨٨-٤٨٩)

وآخر ما جرى من مآثر الطيران سباق دوكور وقدرين وبونيه من باريس الى الاستانة فالقاهرة. وهو السباق الذي شهدنا بعض فصوله . واليوم على ما أخبرنا قد حلّق الطيّار بودب الى الخرطوم وعاد منها قاطعاً مسافة ٤٢٠٠ كيلومتر

ولفرنسة كما ترى السباق في هذه المآثر المتعدّدة. على انّ مثلها قد حرّك غيرها من الدول كما اقتفت آثارها سابقاً في اصطناع الغوّاصات ومما يُروى ان وليم رايت الاميركاني قد اكتشف طريقة بسيطة لضبط حركات الطيّارات وتأمينها من عدم الثبات. فان صحّ ذلك زالت اخطار الطيران . ونحن ننتظر نتائج اختباراته بفروغ الصبر

ومما تُقضي به العجب ما اجراهُ الطيّار بيغو (Pégoud) من الحركات البهلوانيّة في باريس فقلب طيّارته وهو في الهواء وعكسها الى الارض بحيث جعل رأسهُ الى اسفل وكان في تلك الحالة غير هيّاب ولا وجل ضابطاً لادوات طيّارته يتصرّف بحركاتها كيفما شاء. وقد اخذ الاجانب لاسيما الانكليز يقتدون بمثاله. وهذا لعمري تقدّم عظيم في فنّ الطيران وانما يُشترط على الطيّار ان يكون ثابت الجنان رابط الجأش. وقد جعل العلماء يدرسون حركات الطيّارة في انعكاسها وانتصابها ليفيدوا الطيّارين بملحوظاتهم

٢ً الكرة الارضية والعلوم الملحقة بها

﴿ الرحل العلميّة ﴾ علمت جمعيّة لندن الملكيّة الجغرافيّة في تاريخ ١١ شباط ١٩١٣ بنبإ برقيّ أُرسل اليها من زيلندة الجديدة انّ الرحّالة الكبيتان ر. ف. سكوت (R.F.Scott) كان ادرك القطب الجنوبي في ١٨ ك٢ سنة ١٩١٢ لكنّهُ عند رجوعهِ الى مقام مركزهِ الذي كان اتّخذهُ لتقرير اعمالهِ ذهب ضحيّة مروّتهِ فمات هو ورفقتهُ الاربعة في إعصار من الثلج دفنهم احياء. وكان الكبيتان سكوت عند بلوغهِ الى القطب وجد الراية التي نصبها قبلهُ بشهر المسفار النروجي رصيفهُ أمندسن فسكن هناك من ١١ ك١ سنة ١٩١١ الى ١٧ منهُ

وهذه تفاصيل وفاة هؤلاء الابطال الخمسة. لمّا عادوا من القطب الجنوبي: سقط احدهم لفرط ما عاناهُ واحتُقن دماغهُ فمات في ١٧ شباط ١٩١٢ . ثم واصل

الآخرون مسيرهم حتى أجلد الكبيتان اواتس (Oates) وأثلجت يداهُ ورجلاهُ فلم يشأ ان يؤخر رفقتهُ عن مسيرهم ولذلك خرج من خيمتهِ فطمرتهُ الثلوج المتساقطة في ١٦ آذار . امَّا الثلاثة الباقون وهم الكبيتان سكوت والملازم بوَرس (Bowers) والدكتور ولسون فانهم عادوا الى سيرهم نحو المركز حيث كانت مؤونتهم ووقودهم وكادوا يبلغونهُ اذ لم تفصلهم عنهُ الَّا مسافة ١٨ الى ١٩ كيلومترًا غير انَّ نوءًا شديدًا دهمهم هناك في ٢١ آذار عند درجة العرض ٨٠° ودام تسعة أيام متواصلة وكان زادهم ووقودهم لطبخ طعامهم لا يكفيان لاكثر من يوم او يومين فأُصيبوا بنزاع طويل حتى ماتوا

وقد وقف على احوال هؤلاء البائسين الدكتور اتكنسون (Dr Atkinson) الذي أُرسل للتفتيش عنهم فبعد شهرين اكتشف اخيرًا جثثهم في ١٦ تشرين الثاني من السنة ١٩١٢ وبقربهم جريدة سفرهم التي كان يحرّرها يوماً فيوماً رئيس الرحلة .

وقد قُرئت هذه الجريدة في مجلس العلوم في لندن فكان لها اشدّ تأثير على السامعين وكان آخر ما كُتب فيها ما تعريبهُ :

قد خارت قوانا حتى لم نستطع ان نمسك بيدنا القلم لكني انا من جهتي لا اتأسَّف على الرحلة التي باشرنا وهي تبيّن جهارًا ان الانكليز يستطيعون ان يتجشَّموا اخطارًا عظيمة وملمات شديدة وهم متضافرون في العمل ينظرون الى الموت بكل رباط الجأش . نعم لقد لحقت بنا كوارث الدهر وكنَّا نعلم انَّ تلك النكبات تترصدنا لمَّا تحفَّزنا للسفر وعليهِ فلا يحق لنا ان نتذمَّر وما علينا الَّا ان نحني الرؤوس خاضعين لحكم العناية الالهية مع القصد بقيامنا بالواجب الى المنتهى

وقد عيَّنت الدولة الانكليزيَّة معاشًا وفيًّا لارملة القيد ولولدهما . امَّا الضابط ايفنس (Evans) احد رفقاء سكوت المتطرين لهُ في المركز فكان مؤخرًا موضوع كل اكرام وحفاوة في باريس حيث القى محاضرة علميَّة في تفاصيل هذه البعثة

هذا وقد اشرنا في مقالتنا الافتتاحيَّة عن حوادث العام الى ترعة پاما ونهاية عملها بامتزاج الاوقيانوسين . وافادتنا الجرائد الاميركيَّة ان رئيس الولايات المتحدة لمَّا ضغط على الزرّ الكهربائي لازالة الحاجز الاخير بين البحرين انفجر عشرين طنًّا من الديناميت كانت وُضعت في انوم مختلفة تبلغ اعماقها عشرة امتار . فانفتحت هذه

بطريق الحديدة التي تغني عن السفر الطويل الى رأس هورن حول اميركة الجنوبية

﴿ استثمار غنى الارض بالصناعة ﴾ الصناعة احدى مصادر الثروة في كل البلاد الّا انَّ الصناعة في عهدنا تستلزم قوى الادوات . والادوات لا بُدَّ لها من محرّك وهذا المحرّك هو اما الفحم الابيض اي قوّة المياه المتحدّرة والشلّالات او الفحم الاسود اي الحجري وما يقوم مقامهُ كالبترول والنفط

كان اهل كندا شكّلوا لجنةً تقدّر قوّة المياه المتحدّرة بجنادلها ليستخدموها في تدوير معاملهم . فكانت نتيجة تقويمهم انَّ مجموع قوى تلك المياه الممكن استخدامها تبلغ ٢٧ مليوناً ونصف من الاحصنة البخاريَّة فحصّة معاملة كيبك منها ١ مليوناً وهي لا تكاد تنتفع منها باكثر من ٥٠,٠٠٠ وحصّة معاملة اونتاريو ثلاثة ملايين وهي لا تنفق غير ٣٣١,٠٠٠ . فاذا استفادت البلاد من تلك القوّة نالت الصناعة بفضلها ترقّياً بالغاً . فما قولك مثلاً بشلّالات نياغارا التي يقوّم العارفون قوّتها بستّة ملايين من الاحصنة البخاريَّة . وكذلك جزيرة مدغسكار غنيَّة بجنادلها وقد شرعت الحكومة الفرنسويَّة تستثمر تلك القوّة لمصانعها المنشأة فيها فيتوفَّر عليها القناطير المقنطرة من الفحم الحجري

والحقّ يقال انَّ تعدين الفحم الحجري يكلّف الدول مبالغ طائلة ولذلك هي تبحث عن الوسائل لاستبداله من وقود آخر . ولا يخفى ان غاز البترول من هذا القبيل افضل من سواه فانَّهُ يسدّ مسدّ الفحم باقتصاد عظيم لأنَّ تعدينهُ سهل فاذا نبع جمعوهُ في الاحواض فيُغرف منها غرفاً ويوزَّع على طالبيهِ بعد تصفيتهِ . ومعادن البترول غزيرة جدًّا والناس يكتشفون منها كل يوم ينابيع جديدة . من ذلك ما روتهُ جريدة زحلة الفتاة في الصيف عن احد ابناء مدينة زحلة من بيت المسلّم المهاجرين الى الولايات المتّحدة انَّهُ اشترى بثمن بخس املاكاً واسعة من البور فاكتشف فيها كميَّات وافرة من البترول جعل يستثمرها ويبيع منها كل يوم بالوف من الدولارات حتى اصبح اكبر مثرٍ سوري في اميركة . وكذلك وجدوا بقرب سواحل البحر الاحمر ينابيع غزيرةً من الغاز المذكور فجعلت الحكومة المصريَّة تستثمرها . وقد افادتنا الجرائد انَّ انكلترة نالت امتيازًا من الدولة العليَّة لتعدين البترول الموجود في جهات سوريَّة وهي قد عقدت الامل على هذا الغاز لخدمة اسطولها في البحر المتوسّط بدلاً من

الفحم . ومثلها ينابيع النفط والحمر المتبجسة على ضفتي نهر دجلة في بلاد ما بين النهرين والعراق مما سيُعوَّل عليه لتسيير سكة بغداد الحديدية . ويزعمون انَّ شركة لنش (Lynch) باشرت باستثمارها

على انَّ الفحم المعدني لا يزال ملكهُ راسخاً وسوقهُ رائجةً . مثالهُ ما استخرجت منهُ المانية مدَّة الخمسة الاشهر الاولى من العام الماضي . وهاك تفصيلهُ :

اصناف الفحم	كميَّتهُ بالطنّ
من الفحم الحجريّ (houille)	٧٧,٦٤٨,١٢٩
من الفحم المعدني المتخشّب (lignite)	٣٥,٠٤١,٤٥٩
من رواسب الفحم الحجري بالتبخير (coke)	١٣,٣٣٣,٤١٩
من قوالب الفحم الناعم (briquettes)	١٠,٩٦٥,٠٥٥

فيكون محصَّل ما يُستخرج لسنة واحدة يبلغ تقريباً ٣٢٤ مليوناً من «الطنّات» وقد افادت الجداول الرسميَّة ان اعماق بلاد المانية تحتوي نحو ٧٧ مليارًا من طنّات الفحم في طبقات الارض العليا الى عمق ١٥٠٠ متر . ولها في الطبقات التي دونها ٢٠٦ مليارات منها فيكون مجموعها ٢٨٣ مليارًا من الطنّات وهي تكفي لحاجاتها مدَّة ٢٨٠ سنة

وللولايات المتحدة السبق في اصطناع الحديد المذوَّب كما لالمانية التقدُّم في معادن الفحم . ومن المعلوم انَّ هذا الحديد المتَّسى بالتذويب لا تستغني عنهُ في عهدنا ارباب الصنائع . والدليل عليهِ انَّ كميَّات هذا الحديد في البلاد المختلفة كانت لا تزيد سنة ١٩٠١ على ٤١ مليوناً من الطنّات وقد بلغت في ١٩١١ بعد عشر سنوات ٦٥ مليوناً فكانت الزيادة اكثر من اثلث وهذا جدول ما تستحضره منهُ البلاد المختلفة بالنسبة الى المئة فانَّ الولايات المتَّحدة تُصدر منهُ ٤٢ في المئة وبلجيكا المانية ٢٤ في المئة ثمَّ انكلترة ١٦ في المئة ثمَّ فرنسة ٦ في المئة ثمَّ روسيَّة ٥ في المئة ثمَّ النمسة وبلجيكة ٣ في المئة لكلتيهما ثمَّ اسوج ١ في المئة . فترى انَّ تركيَّة لا تدخل في هذا الجدول مع انَّ معادن الحديد ليست نادرة في انحائها لكنَّها مهملة

﴿ البحريَّة الحربيَّة ﴾ التي تنفق اكثر من سواها الفحم المعدنيّ والحديد المذوَّب تترقَّى كلَّ يوم ترقيًا عظيماً حتى يكاد القلم يقصر عن وصفها . فيا لله متى

تكف الدول عن هذا التنافس القتّال الذي يستوجب ان تضحية اموال رعاياها لاصطناع مراكبها الحربيّة بل تلك الجبابرة الحديديّة التي يساوي ثمن بعضها من ٥٠ مليوناً من الفرنكات الى مئة مليون. رأى اهل بيروت في الخريف الاخير اسطول الاميرال بوي دي لاپريار الفرنسويّ المؤلف من ستّة مراكب متشابهة من طرز البريدردنوط (prédreadnoughts) فكان الناظرون يأخذهم الانذهال لدى مشاهدتهم هذه السفن المهولة وهي حديثة البناء لم يكد يمرّ عليها سنتان محمولها ١٨,٤٠٠ طنّ وتسليحها مخيف. على كل منها اربعة مدافع من عيار ٣٠٥ ملّمترات و١٢ مدفعاً من عيار ٢٤٥ ملّمترًا مع عدد وافر من مدافع سريعة الطلقات عيارها ٧٧ و٤٥ ملّمترًا. فكان الزائر اذا رقيها يعدّ نفسهُ في قلعة حريزة ذات قوّة دفاعيّة وهجوميّة معاً لا تماثل

وبعد سفر هذا الاسطول زارنا طرّاد الماني من الدرجة الاولى يسمّى گوبن (Gœben) فكاد ينسي بكبره المراكب السابقة فانّ طولهُ يبلغ ١٨٤ مترًا ومحمولهُ ٢٣,٦٠٠ طنّ وقوّة محرّكاتهِ البخاريّة ٥٢,٠٠٠ حصان بخاري أنفقت عليهِ المانية اكثر من ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ فرنك. غير انّ هذا الطرّاد لم يكن مدرّعاً وتسليحهُ ١٠ مدافع من عيار ٢٧٥ ملّمترًا مع مدافع أخرى اصغر عيارًا. وقد لحظناهُ لمّا اشتدّ عليهِ النوء فرأيناهُ يهتزّ كثيرًا مع كونهِ محصوناً بمقدّمة المرفأ

ثمّ بلغنا ان بريطانية العظمى سبقت المانية فابتنت طرّادين من الدرجة الاولى طولها ١٩٨ مترًا ومحمولها ٢٦,٣٥٠ طنًّا وقوتهما ٧٠,٠٠٠ حصان بخاري دعتهما باسم ليون (Lion) اي الاسد والاميرة الملكيّة (Princesse Royale)

وفي آذار من السنة الماضية جهّز اليابانيّون لهم في مصانع انكلترة طرّادًا يلقي الرُّعب في صدر ناظرهِ دعوهُ « كونغو » طولهُ ٢١٤ مترًا و٥٢ سنتمترًا في عرض ٢٨م محمولهُ ٢٧,٥٠٠ طنّ وقوّتهُ ٧٠,٠٠٠ حصان بخاريّ وقد سلّحوه بثمانية مدافع عيارها ٣٥٥ ملّمترًا وبستّة عشر مدفعاً عيارها ١٥٢ مم مع ١٦ اخرى اصغر منها. وهذا الطرّاد مدرّع مجهّز باربعة رفّاسات لكل جانب رفّاسان وهو يقطع في الساعة ٢٨ عقدة. وقد ارصت الدولة اليابانيّة بثلاث دوارع مثلهِ

ولم تتأخر الدولة العليّة في هذا المجال وقد علم القرّاء انّها ابتاعت المدرّعة

البرازيلية ريو دي جانيرو ودعتها بالسلطان عثمان. ولا نكير بأنَّ هذا الدريدنوط من اروع السفن الحربيَّة يفوق على الدارعتين البرازيليتين شقيقتيه اي «سان باولو» و«ميناس گيرايس» (Minas Geraes) اللتين قد سعت في ابتياعهما الدولة اليونانيَّة وهما اللتان القتا الرُّعب في قلوب اهل ريو جانيرو قبل سنتين وطولها ١٦٥ متراً وحمولها ١٩,٣٠٠ طن وقوَّتهما ٢٨,٦٥٠ حصاناً بخارياً يقطعان ٢١ عقدة في الساعة وتسليحهما باثني عشر مدفعاً من عيار ٣٠٥ مم و٢٢ مدفعاً من عيار ١١٨ مم ثمَّ ٨ مدافع اصغر. وهما مدرَّعتان بدروع متينة يبلغ سمكها في ابراجها ٣٠٥ مم — امَّا الدريدنوط ريو دي جانيرو الصادر من مصانع «ارمسترونغ» فان بُناتهُ قد تردَّدوا في اصطناعهِ ورسمهِ وقد اتَّفقوا اخيراً على ما ترى: جعلوا طولهُ ٢٢٣ متراً الَّا انَّ قسمهُ المشيَّد على خطٍّ عمودي بالغ ١٩٣ م وعرضهُ ٢٧ متراً و١٢س وحمولهُ ٢٧,٥٠٠ طن يقطع في الساعة ٢٢ عقدة بقوَّة محرِّكة تساوي ٣٢,٠٠٠ حصان بخاري. وتسليحهُ جدير بالاعتبار لأنَّ مدافعهُ اربعة واربعون منها ١٤ بعيار ٣٠٥ مم و٢٠ بعيار ١٥٢ مم و١٠ عيارها ٧٦ مم وهو ممنطق بنطاق من الدرع ومؤلَّف من ٣٦٥ معهداً يمكن عزلها عند طغيان المياه. فترى انَّ هذه الدارعة من جبابرة البحار. على انَّ بعض اصحاب الاصلاحات كانوا يودُّون لو انفقت تركيا ثمن هذه الدرَّعة المفردة البالغ من ٦٠ الى ٧٠ مليوناً من الفرنكات في شؤون الزراعة والصناعة لا سيما انَّ قسماً من هذه النفقات قد دُفع من رواتب المتوظفين او باكتتابات عموميَّة

وما لا يُنكر انَّ البحارة الحربيَّة جارية على قدم وساق لا تريد الدول الكبرى ان تتأخر عن رصيفاتها. وقد بلغنا انَّ فرنسة باشرت بتجهيز سفن حربيَّة جديدة من طراز سفينتي غسقوني ونورماندي ذات ابراج مسلَّحة باربعة مدافع من عيار ٣٤٠ مم

﴿ البحارة التجاريَّة ﴾ بعد غرق المركب «تيتانك» (اطلب المشرق ١٥ [١٩١٢]: ١٢٥) انجزت المانية جبَّاراً اعظم منهُ انزلتهُ في البحر بحضور الامبراطور غليوم وحمولهُ ٦٥,٠٠٠ طن (١ بزيادة ٥,٠٠٠ على محمول تيتانك امَّا طولهُ فيبلغ

١) اعني ان حمولهُ ستَّة اضعاف محمول مركبي الماجري لوطس وكرنك اللذين

٩٠٠ قدم اعني ٢٧٤ متراً و٥ س في عرض ٢٩ م و٣٠ س وغاطس ٣٠ م و٥٠ س من قعر السفينة الى سطحها و٥٥ م من القعر الى علو المداخن التي يبلغ معظم قطرها ثمانية امتار ونصف. والآلة تتحرك بدواليب افقيَّة وقوَّة المحرك ٧٠,٠٠٠ حصان بخاري بسرعة ٢٢ عقدة ونصف في الساعة وقد دُعي هذا المركب باسم « امبراطور » وهو اليوم ملك البحار يخوض تيَّارها ذهاباً واياباً ويمكنهُ ان ينقل ٥٢٣٠ راكباً. لكنَّهُ في سفرتهِ الاولى ارتطم قليلاً في ترعة كيال. غير انَّ هذا الجبَّار التي لا يروق في عيون ناظريهِ لضخمهِ المفرط. وعليهِ قد فضَّل الفرنسويون ما هو الطف صورةً وانسب تركيباً فعمَّروا مركباً تجارياً لشركة الترنسلنتيك دعوهُ باسم « فرنسة » ولم يدَّخروا وسعهم في حسن شكلهِ ونظامهِ وتأثيثهِ وترى راكبيهِ لساناً واحداً في اطرائهِ. وحمولة ٢٨,٠٠٠ طنٍّ وطولهُ ٢٢٠ متراً اما قوَّتهُ البخاريَّة فتبلغ ٤٧,٠٠٠ حصاناً بخارياً. وقد انجز الفرنسويون من عهد قريب مركباً آخر اعظم من السابق اسمهُ «باريس»

﴿ الكيميا ﴾ كان الكيميويون يزعمون سابقاً انَّ دقائق الاجساد ثابتة لا تستحيل من عنصر الى آخر. وهو رأي تصدَّى المحدثون لانكارهِ منذ وقفوا على خواصّ الراديوم. فان العلامتين رماي (W. Ramsay) وكامرون (Cameron) اختبرا ذلك في دقائق النحاس فانهما أعملا فيها احد مركبات الراديوم المدعو بالنيتون (niton) واذا بتلك الدقائق كانت تتحوَّل الى بوتاسيوم وسوديوم وليثيوم (١. وكانا قبل ذلك سنة ١٩٠٩ حوَّلا الى كربون عدَّة معادن كالرصاص والثوريوم والزركونيوم والتيتان والسيليسيوم وذلك بقوَّة النيتون المذكور

وممَّا توفَّق الى اكتشافهِ في العام المنصرم الكيميويان رماي وكولان (N. Collin) ما افادا بهِ الجمعيَّة الكيميوية الانكليزيَّة (Chimical Society) وهو انَّ لاشعَّة رنتجن ذات خصائص الراديوم لانَّ الراديوم يبعث اوَّلاً اشعَّة تُعرف باشعَّة α وهي عبارة عن دقائق مكهربة بكهرباء ايجابيَّة ثم اشعة اخرى موسومة

نراها في بيروت وحمول كل منها عشرة آلاف طنٍّ بنيف. والمركب « امبراطور » من مصنوعات معمل ڤولكان في همبورج

١) وكان رماي يستعمل ايضاً لذلك بروموز الراديوم الذي يدخل فيهِ فسمان من عشر غرام الراديوم بنيف قليل

باشعة β وهي دقائق مكهربة بكهرباء سلبيَّة او دقائق كاثوديَّة واخيراً يبعث اشعة رونتجن التي هي تموُّجات اثيريَّة شبيهة باشعَّة الراديوم المعروفة باشعَّة γ . ومن ثمَّ عمدا الى اسطوانة كانت قد استُعملَت لتوليد الاشعَّة المجهولة X زمناً طويلاً فكسراها واحميا قطعها على النار حتى بلغت حرارتها ٣٠٠ درجة فانبعث منها غازات جمعاها وبعد تحليلها بموشور الطيف الشمسي وجدا فيها آثارًا ظاهرة من عنصري الهليوم والنيون مع انَّ الاسطوانة كانت قبلاً خالية من هذين الغازين فوجودهما دليل على انَّ الراديوم اولدهما بفعل الاشعَّة الكاثوديَّة . وهذا الاكتشاف قد جاء مؤيِّدًا لمذهب ارسطو والمدرسيِّين في تركيب الاجسام من مادَّة وصورة فانَّ صورة الاجسام الجامدة موجودة بالقوَّة في المادَّة الاولى واذا وُجد عاملٌ اخرجها الى الفعل كما يفعل الراديوم بقوَّته العجيبة ومثلهُ اشعة رنتجن السرِّيَّة . ومنهُ يتَّضح ايضاً انَّهُ ليس بمستحيل تحويل الحجر الى ذهب او الحديد الى الماس على ما كان يرتئيهِ اصحاب الاكسير في القرون الوسطى . وممَّا نقلتهُ الجرائد انَّ الكيموي بولتون (von Bolton) وجد تباورات من الماس بتحليلهِ الهدروكربور الداخل في تركيب غاز التنوير وذلك بفعل الزئبق . على انَّنا ننتظر اثبات هذا الخبر

ومن الواجب هنا على العاقل ان لا يتجاوز حدود اليقين . وعليهِ نأخذ على منشئي مجلَّة المقتطف اللذين في عدد كانون الثاني من السنة الجارية (ص ٢٩) وفي اعداد سابقة (كعدد ت ١ ١٩١٣ ص ٤١) سعيهما في اثبات نشوء الحي من الجماد او المواد الآليَّة من غير الآليَّة . وما ذكراهُ هناك عن بعض ظواهر الحياة في موادَّ غير حيَّة او غير آليَّة لا يقنع بهِ احد من العلماء الاثبات الذين يردُّون على هذه المزاعم الباطلة بقولهم انَّ تلك الموادَّ الجامدة لم تُعلَّم تعليماً تامًّا فلا عجب ان تنشأ فيها بفعل النور والحرارة وعوامل اخرى جراثيم حيَّة كانت مترويةً في مطاويها . فمع هؤلاء العلماء نتبع النابغة باستور وتزييف اقاويل غيرهِ من تبعة دروين وهيكل وسواهما الى ان يأتوا لنا ببراهين مقنعة يعدُّها العلماء الموثوق بهم حجَّةً لا سبيل الى انكارها . ومن ثمَّ لا يزال المبدأ القديم راهناً ثابتاً « انَّ كل حي مولود من حي » والاكتشافات التي اشرنا اليها آنفاً لا تنفي هذا المبدأ بل تبيِّن فقط انَّ عنصرًا جامدًا يمكنهُ ان يتحوَّل الى عنصر آخر جامد مثلهِ . امَّا توليد الحياة فلا بُدَّ لهُ من عامل اسمى واعظم هو

الله سبحانهُ وتعالى كما اثبت ذلك الاديب منصور افندي السوداء في مقالتهِ المعنونة « اصل الحياة » في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٥٢٧)

﴿ الطبّ ﴾ انَّ امتحانات الاطبَّاء لبعض الادوية المعروفة قبلهم كثيرًا ما توقفهم على علاجات جديدة. فمن ذلك « صبغة اليود » فان الدكتورين الفرنسويين ارنوزان وكرلس (Arnozan et Carles) من كليَّة بوردو عالجا بها المصابين بالحُمَّى التيفوئديَّة وذلك امَّا بحقن المصابين تحت جلدهم بقليل من الغليسرين الممزوجة باليود وامَّا بوصف مشروب يذوَّب فيهِ دسغرام من صبغة اليود. فكانت نتيجة علاجهما ان شفيا ٤ محموماً من ٤٤. على انَّ هذا العلاج لا ينفي بقيَّة العلاجات كالاغتسال بالماء البارد والحقن به. امَّا تعليل فعل اليود فلانَّهُ ينمي في الدم كُرَيَّاتهِ البيضاء (leucocytes) التي من شأنها التهام المكروبات الضارَّة الداخلة في اجهزة المريض. فاليود يقوّي الكريَّات البيضاء ويوفر عددها توفيرًا بالغًا يدعونهُ (hyperleucocytose) بهِ يُصفَّى الدم من الجراثيم الوبائيَّة

وكذلك داء (الجدريّ) فقد عالجهُ الدكتور نيولّ (Newell) بصبغة اليود فنجح نجاحاً باهرًا ظهر اوَّلًا بتحسين حالة المصابين المصبوغين بها وخفَّ وجعهم وهبطت درجة حرارة الحمَّى ولم يبقَ فيهم بعد شفائهم اثر الجدريّ وكذلك قلَّ انتشار الوباء. ولا عجب لانَّ اليود من الموادّ المطهِّرة المزيلة للجراثيم الوبائيَّة

ومن الطرائق العلاجيَّة المستجدَّة علاج المصابين بالاختناق بواسطة الاوكسيجين وكانوا قبلًا يُنشقون المنوَّ بهِ قليلًا من هذا الغاز. الَّا انَّ هذه الطريقة عسرة جدًّا في بعض الاحوال بل غير ممكنة عند ضيق الحنجرة مثلًا او ورم قصبة الرئة او تشنُّج الاعضاء. فالدكتور برافاز (Pravaz) وضع لسدّ هذا الخلل آلةً يُحقن بهِ المصاب تحت الجلد وهي كناية عن انبوبة متَّصلة بقارورة ينبعث منها الغاز تدريجًا الى جسم المصاب فيبلغ بعد قليل الى جهاز التنفُّس ويقوّي حركة القلب فينظّمها ثم تخفّ الحمَّى وتزول زرقة الجلد والاطراف ويدرّ البول فينتعش المريض بعد غيبوبتهِ عن الحواسّ ويعود الى حالهِ

وقد اكتشف الدكتور روجرس (Rogers) من اطبَّاء كلكوتا انَّ الايبكا (ipéka) التي كان يعالج بها داء الزُّحار الاميبيّ (dyssenterie amibienne)

(الدوسنطارية) المنتشر في البلاد الحارّة يزيد مفعولها زيادة عجيبة اذا استُخلص منها صفوتها المعروفة بالايميتين (émétine) فزجها الدكتور المذكور بالكلوردرات (chlorhydrate d'émétine) وحقن المزحورين فوجد ان تلك الجراثيم الاميبيّة تُقتَل قتلًا وحيًا ان كان في المزيج من الايميتين جزء من ١٠,٠٠٠ وتُقتل بعد دقائق قليلة ان كان منها جزء من ١٠٠,٠٠٠ ويعود المريض الى صحّته بسلامة احشائه وكبده من تقرّحهما. فبفضل هذا العلاج يمكننا القول ان دواء الدوسنطارية أصبح اليوم معروفًا وان الشفاء اكيد كشفاء الحميات بالكينا

وقد سبق المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٢٣١) فعرّف اللقاح المكتشف لاتقاء حمّى التيفوس وهذا اللقاح المستنبت بقتل جراثيم ايبرث (bacilles d'Eberth) بالحرارة قد ظهر فضلهُ في العام الماضي في جيش الصرب فجرّبهُ الاطبّاء في ٤٦٠ من المصابين بالحمى التيفونيديّة فلم يمت منهم الّا عشرة. امّا الذين عُولجوا بطريقة الماء البارد القديمة فكانوا ٢٢٠ فمات منهم ثلاثون وبهِ ثبت فضل التداوي باللقاح. ويجب القول ان المطعّمين باللقاح عولجوا ايضاً بالاستحمامات. امّا المرضون الذين لُقّحوا كلّهم فلم يمت منهم احد وانّما اصيب اثنان فقط بأعراض الداء الخفيفة

وكذلك روى المشرق (١٦ [١٩١٣]: ٨٧١) اكتشاف الدكتور الياباني هيديو نوغوشي لميكروب الكلَب في مكتب روكفلر في نيويرك. وهذا الميكروب يشبه ميكروب الحمّى الصفراء فهو غاية في الدقّة نوريّ الجسم على شكل كروي او بيضيّ. والظاهر انهُ ليس بجرثومة نباتيّة بل هو ذرّة من الحيَيوانات السافلة (protozoaire). على انّ معالجة هذا الداء العُضال قد احكمها بستور منذ سنين عديدة وكفى شاهدًا على ذلك ما كتبهُ حضرة الاب دي ڤراجيل في المشرق ١٩١٣ (١٦: ٩١٣) عن مستشفى الكلَب الذي هو متولّ ادارتهُ في مكتبنا الطبيّ مع مساعدة الدكتور حبيب الدوعونيّ. فانهُ بيّن هناك انّ علاج الداء على طريقة بستور ناجع لا محالة اذا رُوعيت اصولهُ. كما ظهر في معالجة هذا المكتب للمصابين بالكلب فقد شفوا كلهم. وكذلك لم يمت واحد منهم في فرنسة سنة ١٩١٢ مع انّ عددهم بلغ في مكتب باستور ٣٤٢ شخصاً. فترى ما حازهُ بستور من الفخر بهذا الاكتشاف وحدهُ فما قولك ببقيّة اكتشافاتهِ الميكروبيّة. ومن ثمّ قد احسن القائل

ن بستور احق من سواه بان يُعَدّ فريد عصره لخدمته للانسانيّة . ولمّا احتفل مكتب بستور في ١٥ ت ٢ من السنة المنتهية بالعرس الفضي للمكتب المذكور تواردت مراسيم التهاني على اصحابه مشيدين بذكر بستور وتلميذه الدكتور رو (Dr Roux) مكتشف ميكروب الدفتريا والمصل الشافي منها . وقد عدّد الدكتور المذكور محامد بستور في بعض تلك الحفلات تصدّرها الرئيس بوانكاره ووصف نتائج اكتشافاته في كل انحاء المعمور . على انّنا نحن نضيف الى تعظيم ذاك العالم العلّامة تعظيمنا للمسيحي المحض الذي لم يخجل بان ينتصب صليب المصلوب في مختبره الكيموي وجعل سيرة حياته موافقة لمعتقده بذاك الاله الذي اعلن بنعمه السابغة على كافّة المعمور المسيو رينه بازن (Mr René Bazin) في معهد الاكاديمية الفرنسويّة مقدّماً له تحيّاته الخاصة مقرونة بتحيّات الملايين من الاحياء والمليارات من الموتى لاسمه المجد الى دهر الدهور

رحلة

محمّد سعيد باشا إلى باريس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مواجهة السفير لملك فرنسة

وبعد يومين من دخولنا اتى الى عندي مُدخل القصّاد وقال لي : ان حضرة السلطان يريد ان يراك يوم الجمعة وانهُ عيّنني لكي آخذك الى عنده لكي يراك وانا وانت ومربّي السلطان (١ فمضى ثلاثتنا سواء مثل دخولنا الاوّل في العراضة الاولى

---

١) يريد بمربّي السلطان وليّ امره وكان اذ ذاك ابن اخي لويس الرابع عشر فيليب الثاني دوق دي اورليان الذي اشتهر بحروبه ودبّر الدولة سبع سنوات في مدّة صغر لويس الخامس عشر . كان مولدهُ سنة ١٦٧٥ وتوفي في ٢ ك ١ سنة ١٧٢٣

ن بستور احق من سواه بان يُعَدّ فريد عصره لخدمته للانسانيّة . ولمّا احتفل مكتب بستور في ١٥ ت ٢ من السنة المنتهية بالعرس الفضي للمكتب المذكور تواردت مراسيم التهاني على اصحابه مشيدين بذكر بستور وتلميذه الدكتور رو (Dr Roux) مكتشف ميكروب الدفتريا والمصل الشافي منها . وقد عدّد الدكتور المذكور محامد بستور في بعض تلك الحفلات تصدّرها الرئيس بوانكاره ووصف نتائج اكتشافاته في كل انحاء المعمور . على انّنا نحن نضيف الى تعظيم ذاك العالم العلّامة تعظيمنا للمسيحي المحض الذي لم يخجل بان ينتصب صليب المصلوب في مختبره الكيموي وجعل سيرة حياته موافقة لمعتقده بذاك الاله الذي اعلن بنعمه السابغة على كافّة المعمور المسيو رينه بازن (Mr René Bazin) في معهد الاكاديمية الفرنسويّة مقدّماً له تحيّاته الخاصة مقرونة بتحيّات الملايين من الاحياء والمليارات من الموتى لاسمه المجد الى دهر الدهور

رحلة

محمّد سعيد باشا إلى باريس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مواجهة السفير لملك فرنسة

وبعد يومين من دخولنا اتى الى عندي مُدخل القصّاد وقال لي : ان حضرة السلطان يريد ان يراك يوم الجمعة وانهُ عيّنني لكي آخذك الى عنده لكي يراك وانا وانت ومربّي السلطان (١ فمضى ثلاثتنا سواء مثل دخولنا الاوّل في العراضة الاولى

---

١) يريد بمربّي السلطان وليّ امره وكان اذ ذاك ابن اخي لويس الرابع عشر فيليب الثاني دوق دي اورليان الذي اشتهر بحروبه ودبّر الدولة سبع سنوات في مدّة صغر لويس الخامس عشر . كان مولدهُ سنة ١٦٧٥ وتوفي في ٢ ك ١ سنة ١٧٢٣

ثم انهُ حقَّق لي انهُ قبل الآن لم يتعين لاجل القصَّاد قائد عسكر سوى ذاك فقط وان هذه المراضة تكون احسن من الاولى باوفر تمام واكثر عزّ من تلك. ثم قال لي ايضاً: « ان الخط الشريف الذي جئتَ به تقدمهُ ويقرأهُ وهو مزمع ان يردّ جوابهُ واذا رأيت حضرة السلطان فانك تراهُ واقفاً فلا تتوهَّم ولا يكن عندك خوف لانهُ عتيد ان يظهر انك كل محبة »

وبعد ان اعلمني بهذا الامر رجع الى مكانه فصبرنا الى يوم الجمعة (٢١ آذار سنة ١٧٢١) واذا بالشيخ ديلنبس (١ وهو رأس قائد العسكر مع مدخل القصاد المذكور قدما الى عندي الى السراية واتباعهما وناس كثيرون اصطفُّوا صفوفاً كما يوم دخولنا في البدو الى باريس ما خلا انهم بغير سلاح وكانوا بملابس فاخرة جدًّا. فكأنوني الى المضي فاحضروا لنا خيلًا الى ابني ولي من خيل الملك بعُدَد مجوهرة ذهبيَّة

فركبنا واصطفَّ الآلاي امامنا وحولنا شيء عظيم جدًّا وابني بما انهُ كان عندي ديوان افنديسي (٢ كان حاملًا الخط الشريف على يديهِ كمثل العادة وراكباً فرساً لائقة وكان لجام الفرس مثقلًا بالذهب والجواهر الثمينة شيء غير موصوف. وبعدهُ مشيتُ انا بعد ابني وكنتُ لابساً عمامة الديوان اعني قلاوية (٣ الوزارة ومبتوشحاً بفرجية بفرو سمور (٤ غالي كثير الثمن وكنت راكباً حصاناً بقاشة (٥ طويلة مثل كسوة خيلنا وكان بجانبي حضرة الشيخ ديلنبس على اليمين ومدخل القصاد عن شمالي

وقد كانوا ارسلوا الى الاماكن التي فيها عساكر مشتَّتة ليأتوا لاجل الآلاي فاتى

---

١) هذا الاسم مصحَّف وهو المعروف بالامير دي لمبسك (prince de Lambesc) كبير قوّاد الجيوش في ذاك الوقت

٢) ديوان افنديسي اي ناظر الديوان والحاجب

٣) كذا في الاصل ونظنّ انهُ اراد القلنسوة اي القلنسوة

٤) الفَرَجيَّة ويقال لها المنفرجة رداء واسع من الجوخ باكمام يُلبس فوق الثياب. والسمُّور حيوان ذو فرو ناعم (martre-zibeline)

٥) القاشة من الفاظ العامَّة معناها قَتَر الدابَّة اي السُّبَر الذي في مؤخَّر السَّرج

من العسكر شيء كثير زلام مع خيالة ألوف من ثلاثين الفاً لابسين ثياباً جديدة مكلفة ومصطفين من باب السراية المعيَّنة لنا الى باب سراية السلطان ونحن بينهم. واخذونا من طريق مدخل السراية اعني طريق البساتين وهو بستان السلطان فدخلنا من الباب الذي منهُ البستان فعند دخولنا الى باب البستان رأينا فرقتين من الخيالة واقفتين هناك يميناً وشمالاً فرقة تُدعى الخيالة الشهباء وفرقة تدعى الخيالة السوداء لان الفرقة الاولى خيلها شُهب والفرقة الثانية خيلها سود وهاتان الفرقتان معتبرتان غاية الاعتبار في مملكة فرنسة بين العسكر لانهما تتركبان من انفار كثيرين من الشرفاء والاعيان وهم في غاية الزينة الجميلة

فلمَّا عبرنا بينهم سلَّموا علينا سلاماً معتبراً ودخلنا الى ان انتهينا الى سلالم باب السراية وهناك نزلنا عن ظهور الخيل . فاخذونا الى مكان لكي نأخذ راحة وهو المكان المختص بتعليم تربية السلطان . فبعد أن مكثنا قليلاً ذهبوا بنا الى مكان آخر أعلى من ذلك المكان . وفي كل خطوة كنَّا نرى اناساً من رجال الدولة المعتبرين جداً يأتون الى استقبالنا . وبهذه الصفة بلغنا الى باب الديوان وشاهدنا هناك خلقاً كثيراً بهذا المقدار حتى ان الذين كانوا سابقينا والمحيطين بنا كان يعسر عليهم جداً ان يدخلوا ويدخلونا بينهم وبالكاد العظيم وصلتُ الى باب الديوان مع اثني عشر رجلاً من اتباعي فقط

فدخلنا الى مكان شبه ديوانخانة يا لهـا من ديوانخانة وكان هناك مصفوف من الكراسي ما اعلم كم مئة مصفوفين بترتيب عجيب متساوٍ الى حدّ عرش السلطان كأنهُ مكان العرش في بلادنا . وكان جالساً على هذه الكراسي جميعها اشرف نساء الدولة الستَّات (السيدات) ومن اهالي السلطان نساء ورجال بثياب فاخرة مرصَّعة بالجواهر الثمينة والملك جالس في صدر ذلك المكان في مكان عالٍ وعليه من الجواهر شيء لا يوصف ولا يكيَّف بقلم ولا بلسان .

فعند دخولنا نهض جميع من كان على الكراسي قائمين والسلطان ايضاً لمَّا دنونا منهُ نهض قائماً فعملتُ لهُ التعظيم اللائق لهُ وتناولتُ الخطَّ الملوكي وبعد ان وضعتُ يدي على صدري مختضعاً لهُ تقدَّمت الى جانب السلطان ورفعت يدي على رأسي بصفة متوسل ثم كلَّمت السلطان بهذه الالفاظ قائلاً : « هوذا الخط الشريف من

صاحب العز العظيم والقدرة پادشاه (١ الاسلام وليّ نعمتي افندم سلطانم صاحب الشوكة احمد خان ابن السلطان محمد خان »

وبما ان السلطان كان صغير السنّ جداً (٢ تقدّم الوزير الاول واخذ المكتوب من يدي ووضعهُ على كرسي صغير كان هناك بجانب عرش الملك ملبّساً بثوب كبير (اي قصب) قطع جواهر . ثم انني تناولت مكتوب الوزير الاعظم صاحب الدولة وقدّمتهُ الى السلطان قائلاً : « هوذا مكتوب صاحب الدولة والسعادة الوزير الاعظم ابرهيم صهر السلطان المحترم » . فاخذ الوزير المذكور ايضاً المكتوب ووضعهُ تحت الخط الشريف

وبعد ان قدمت المكتوبين الى السلطان قلت لهُ : « ان استاذي السلطان ارسلني اليك قاصداً لاجل نموّ المحبة وازديادها ولاجل عقد الصحبة والمودّة القديمة بين الملكين ولكي يظهر اعتبار الدول بالرضا الخصوصيّة التي اكنّ نحونا ولنا نحوكم وكم من المحبة لحضرة سلطان فرنسا العالي الشان عند حضرة سلطاننا المحفوظ فلاجل ازدياد هذه المحبة ونموها ارسلني الى حضرتك قاصداً »

وبما ان السلطان صغير السن كما تقدّمنا فقلنا لانهُ كان ذلك الوقت ابن احدى عشر سنة داخلاً في الاثنتي عشرة سنة . كان جمالهُ وحسنهُ يفوق الوصف وكان ثوبهُ الذي كان لابسهُ من كثرة الالماس والجواهر يمتدّ شعاع نورهِ في كل الديوانخانة اشدّ ساطعة هل قدر حتى ما كان يقدر احد ان يملك منهُ النظر من جميع جوانبه

فلما اكملت كلامي هذا لم يردّ عليّ السلطان جواباً ابداً بل القائد منسور دي بيدروي (٣ مدير السلطان كلمني عنهُ قائلاً : « ان السلطان قبل ورضي من مكتوب پادشاه الاسلام ومن انتخابك انت الى هذه الرسالة . ولو أتى غيرك في هذه الرسالة ما كان حضرة السلطان ينسرّ هلقدر (بهذا القدر) . وحضرة سلطاننا ايضاً يريد

---

١) كلمة فارسيّة الاصل معناها سيّد الملوك ورأس السلاطين

٢) كان عمر لويس الخامس عشر اذ ذاك احدى عشرة سنة

٣) هذا الاسم مصحّف لعلّهُ يريد رئيس اساقفة كمبراي المسمّى دوبوا (G. Dubois) وكان احد كبار الوزراء (+ ١٧٢٣) . امّا مدبّر الدولة فكان كما قلنا الدوق فيليب دي اورليان .

المحبة تدوم وتكثر بين الملكين دائماً ». حينئذٍ شكرت فطانة واعتناءه على ما قدّموا لي من الواجب والاكرام في الطريق وهنا

ثم اني رجعت ووضعت يدي على راسي واستأذنت منهُ بالرجوع وبعد كم خطوة ايضاً وضعتُ يدي على صدري وتودّعت منهُ ونزلنا في السلّم وركبنا الخيل ومثل مجيئنا هكذا كان رجوعنا بين الوف الناس والعساكر الى ان انتهينا الى محلّنا (١

استقبال الدوق دي اورليان للسفير العثماني

وكان ذلك اليوم يوم النوروز نهار جمعة فعند دخولنا الى محلّنا ارسل مدير الملك واحداً من اتباع المدخل وعرض عليَّ ان افندّيهُ يكلّفني لكي في الغد اذهب الى عنده حتى يراني واراه وفي الصباح تأتي العربانة لكي نذهب عنده . وبعد هذا مضى

ففي ثاني يوم ركبت حصاناً من خيلي بعدّة مكلّفة واتباعي ركبوا ايضاً خيلاً بعُدَد وثياب جديدة مكلّفة وسرنا ولم ارد اركب العربانة لان اكثر الشعب كان يريد ان يرانا على ظهور الخيل لكي يروا خيلنا ولبسنا وزيّنا فلاجل هذا السبب لم أرد اركب العربانة . والسبب الثاني لكي نتفرّج على زيّهم وبلادهم . فركبتُ ومضيت صحبة اتباعي الى سراية المدير فنزلنا عن ظهور خيلنا ودخلنا الى السراية فأدخلونا الى جملة اوض لاجل الفرجة فرأينا كل اوضة على شكل من دهونات ونقوشات وفرش مفتخر من فضة وذهب وقطع غاليات الثمن حتى اندهش عقلي من النظر الى هذه الاشياء التي هي نادرة الوجود

اخيراً بلغوا فينا الى ديوانخانة مثل ديوانخانة السلطان والمدير جالس على كرسيّ عالٍ والجمع مصفوف حواليه على الكراسي . فعند نظره الينا حالاً نهض على الأقدام ومشى نحونا قدر اربع خمس خطوات لاستقبالنا ووضع من رأسه الشبقة (٢ مسلماً علينا . وانا ايضاً وضعت يدي على صدري ثم كلّمتهُ هكذا قائلاً : « اسعد الله اوقاتكم » . واخذت مكتوب الوزير الاعظم وقدمتهُ لهُ قائلاً : « هذه رسالة صاحب العناية الصدر المحترم ابرهيم باشا » فبسط يدهُ وتناولها . وبعد خطاب قليل بيننا بالمودّة

---

١) انظر وصف مواجهة السفير للملك لويس في آخر المقالة بقلم احد الكتبة القرنسويين الذين حضروها ٢) الشبقة من التركيّة شابقه القبعة والبرنيطة اصلها cappa (chapeau)

والمحبة اللائقة ثمَّ بعد ضيافة من مربَّيات وحلويات تودَّعت منهُ وركبت ومضيت الى محلنا

وفي اليوم الثاني ركبت ومضيت عند الوزير الكبير وكذلك بعد الضيافة وبعد المفاوضة معهُ ودَّعتهُ ومشيت. وبعد كم يوم رحتُ عند البكراده الذي كان تعيَّن لمرافقتي وبعد خطاب مستطيل معهُ قال لي: ان حضرة السلطان مزمع ان يخرج الى الصيد فان كنت تريد تذهب معهُ لاجل الفرجة والسير فهذا امر متعلق بارادتك. فعجبني قولهُ هذا كثيرًا فقلت لهُ: ان كان حضرة الملك لهُ رضى ولا بأس ان امضي مع حضرة السلطان اصير قوي ممنون بهذا

خروج السفير مع ملك فرنسة الى الصيد واستعراض العسكر

فلما كان الغد ركبت في العربانة لأمضي معهم لان كل رجال الدولة كانت خرجت خارج المدينة في انتظار حضرة السلطان والستَّات الذين هم (اللواتي هنَّ) من اهل السلطان كانوا (كنَّ) ايضاً خارج المدينة هناك. فلمَّا بانت الى عندهم وقفت بينهم فسألموا عليَّ جميعهم وبعد قليل اذا السلطان واصل في العربانة ولما قرب مني رفع شبَّتهُ عن راسهِ لاجل سلامي وعمل لي اعزازًا واكراماً واحتراماً جزيلًا وانا كذلك ردَّيت عليهِ السلام وأديت لهُ الاحترام اللائق من غير ان اخرج من عربانتي

وبعد هذا ركب السلطان على ظهر الحصان وسألني ان كان لي خاطر ان اركب واذهب أشرف على مكان الصيد فحالًا ركبت رفقة المريشال دي ويلارو (١ مديره وسرنا معهُ. امَّا الستَّات والاشراف من النساء فركبنَ هنَّ ايضاً خيلًا بعد ان خرجنَ من عرباتهنَّ وهنَّ لابسات لبس رجال وبدأن يجيلن في الميدان فكان ذلك فرجة واي فرجة

---

١) يريد المريشال فرنسوا دي ڤيلّروا (François de Neufville-duc de Villeroy) احد ابطال فرنسة وعظام رجالها وُلد سنة ١٦٦٤ واكسب فرنسة ببعض انتصاراته فخرًا عظيماً وتقدَّم في كل مناصب الدولة في عهد لويس الرابع عشر وخلفهِ لويس الخامس عشر توفي سنة ١٧٣٠. كان يوم دخول محمد سعيد باشا احد اعضاء شورى الدولة ومدير لويس الخامس عشر

ثم اننا اخيراً وصلنا الى مكان الصيد فكان اصحاب الطيور واقفين ومعهم كل انواع الجوارح من الطيور مثل بواشق وشواهين وصقورة ونسورة وبازات فكانوا وقتاً يطلقون الشاهين على الأرانب ووقتاً يطلقون النسر في الجو واحياناً الفرنوق واليابقجيل (١ والباشق. وبعد الفرجة على هذا الصيد الملوكي رجعنا صحبة السلطان الى البلد وذهبنا الى محلنا وكان ذلك النهار نهاراً ملوكياً

وبعد هذا بدأ الاكابر يأتون الى عندي افواجاً افواجاً حتى يشرفونا ومنهم من يأتي ليسلم علينا. وكذلك مدبر السلطان جاء الى عندي وبعد مفاوضة الكلام سألني: «هل لك خاطر تتفرج على عسكر السلطان لما يترتب للحرب وكيف الجنود تتعلم وتتعود على الحرب والقتال وهذا لاجل ان العساكر الآن موجودة هنا وفي الغد يريد السلطان ان يعرضوا عليه فلاجل هذا يمكن ان يصير مثل هذا المفترج ان كان لك خاطر حتى نفرجك». فعند ذلك اظهرت السرور والرضى بهذا وقلت له: «حقاً اني بغاية الشوق الى النظر الى هذا المفترج» وهكذا تم في اليوم الثاني

ففي الصبح ارسل المدبر ثلاثة انفار من اتباعه فمضينا معهم الى ان جزنا بين اشجار وبساتين حتى بلغنا الى موضع مظلل بخضرة تشبه شكل ولون الزمرد وهناك كانت موجودة البيارق مفتوحة والزلام مصفوفة على خمسة صفوف وستة صفوف كل صف شكل وطول الصفوف بهذا المقدار حتى ان النظر بالكاد يقدر ان يمتد الى آخرهم وجميع اكابر الدولة مع الستات الذين هم (اللواتي هنّ) من اهل الملك جميعهم حاضرون هناك في العربانات مع كثير من نساء الامراء والشرفاء.

فلمّا انتهينا الى هناك اوقفونا في مكان مناسب للفرجة فبعد هنيهة حضر مدبر المملكة برفقة غلامه ومعهُ بعض رؤساء العساكر الفرنسويّة وبعض اكابر الدولة. فحالاً ركبت انا على الحصان واستقبلتهُ. واذ كنت اسلّم عليه في تلك الساعة وصل السلطان مع مدبره فحالاً تقدمت الى استقباله والستات ايضاً استقبلوهُ (استقبلنهُ) فبعدها ركبت النساء حالاً ظهور الخيل وهم (وهنّ) بزي الرجال وشعورهم (وشعورهنّ) مرخاة على الاكتاف يحركها الهواء وينسفها من هنا الى

---

١) لفظة مصحّفة

هناك. فعندها عزمني مدبّر السلطان الى جانبه وكنا نسير سواء والسلطان قدامنا ونحن خلف وذهبنا هكذا ونحن ننظر الى العسكر حتى بلغنا الى اخر الصفوف

ومن ثمّ رجعنا على اثرنا وحين كنّا في نصف الصفوف رأينا ان حضرة الملك ارتفع فوق تلّة هناك قريبة ودعاني الى عنده فصعدت وجلسنا بجانب بعضنا الواحد مقابل الآخر تجاه العسكر. وفي ذلك الوقت كان الاردي (١ جميعهُ فاضياً والسرّ عسكر واقفاً قدر ربع ساعة. فعند ذلك لطم السر عسكر حصانهُ الى الوسط وجاء فوقف ما بيننا وبين العسكر. وكان على يمينه في المكان الذي وقف فيه اربعة طبول قريبة اليه وعن يساره ايضاً اربعة طبول فعند ذلك اخرج من جيبه منديلًا وحركه نحو الجوّ خفالًا دقّت الطبول شكل دقّة غريبة فتغيّر وقوف العسكر جميعهُ. ومثل ذلك كل مرّة يحرّك منديلهُ شكلًا تدق الطبول غير شكل ويحدث في سائر العسكر تغيّر شكل واحد. ومثل ذلك لما تدق الطبول كان العسكر يتحرّك حركة خفيفة سريعة بالغاية حتى كنت انظر اليهم متعجباً لان حركتهم مع كثرتهم كانها حركة شخص واحد. وعلى كل اشارة كانوا يشوفونها من قائدهم كانوا يفعلون فعلًا فوقتاً يرفعون كلّهم تفنكهم (٢ ووقتاً طبنجاتهم ووقتاً سيوفهم ووقتاً يركعون للارض ووقتاً يلتفتون على يمينهم كأنهم رجل واحد ووقتاً على شمالهم ووقتاً يُعبّون تفنكهم ووقتاً يضربونهُ وانا رأيت منهم ما يعجبني. وقد مكثنا هناك قدر ثلاث ساعات ننظر كل هذه الحركات المختلفة. وبعده ذهبنا الى موضع آخر من حيث رأينا العسكر جميعهُ يدخل مع بيارقهِ وارفاقهِ وعسكره ولم يصدم في مكان من وسع الطريق وسهولتهِ. ثم انني ودعت السلطان ورجعت الى محلي

زيارة السفير للمستشفى الملكي

وبعد كم يوم اتى الى عندي الوزير المتوكل على الحرب لكي يزورني فجلسنا نتذاكر معهُ فمن جملة ما قال لي انهُ توجد سراية يقدّم فيها السلطان معاشاً للجنود المجروحين والعاجزين في خدمتهِ فان كان لي خاطر ان امضي اتفرّج فهو يأخذني

---

١) وتُكتب عادةً اوردر او اوردى بالدال معناها المعسكر والميدان

٢) التفنكة بالتركيّة البندقيّة

اليه . فرفعت بيدا وفي الغد ارسل من قبله ناسا اخذوني وهناك اعد لنا وليمة فاخرة عظيمة وكانت هناك جوقة من اصحاب آلات الطرب قدر خمسين آلة من كل شكل وصنف حسب عوائدهم التي قطّ ما كنت رأيتها . وكانت هذه الآلات تدق وتلعب طول ما كنّا جالسين على المائدة

وبعد قيامنا من المائدة بدينا نتفرّج على السراية وكان الوزير المذكور سائرًا قدامي الى ان اخذنا الى بيمارستان مرضى العسكر الذي كان في تلك المدينة معيناً لهم ولجماعة السلطان الذين كانوا لمّا يمرض منهم واحد يضعونهُ في هذا البيمارستان ويهتمّون به

وحال دخولي اليه رأيت قدر خمسمائة او ستمائة فرشة فوق التخوت وكلها فرشات مكلّفات مثل الفرشات التي توجد في بيوت الاكابر ورأيت قدر خمسين او ستين او اكثر من الخدّام كلهم صفوفون صفوفاً . ورأيت بعض المرضى راقدين في فرشاتهم والاطبّاء محتفّة حولهم مع الطباخين والفراريج والدجاج والامراق ورأيت اسبيتالاً برسم الادوية شيء عظيم جدًّا وذلك المكان كان شبه روضة من الرياض ولاجل الاعتناء الذي لا يقدر احد من الاكابر على مثلهِ ولا في بيتهِ فتعجّبت غاية العجب من اعتنائهم

وما عدا ذلك الاسبيتال ادخلونا الى مكان آخر وهو برسم الادوية المكلّفة فرأيت في ذلك المكان من انواع القناني البلّورية التي هي انواع واشكال مختلفة شيء لا يُعدّ ولا يُحصى وهي عبارة من كل اشكال الادوية المركّبة وادخلونا الى ارضة وهي برسم الآلات مثل مناخل وهاونات واجران ومكينات وغير الآت مختصة بالطب والصناعة . ثم اخرجونا الى مكان اخر وذلك المكان مختص بالآت الجراحة وهو شيء يكلّ عن وصفه اللسان من كثرة الآلات . ثم مضينا لنرى المطبخ حيث يُطبخ الطعام للمرضى فرأينا قدر ثلاثة الآف جندي قائمة هناك منهم دائرون ومنهم نائمون على التخوت وهم جميعهم في تلك السراية التي هي متّسعة جدًّا وذات ثلاث طبقات وهي مبنيّة بالحجارة في مكان لائق

وفي جانب تلك السراية بناء كنيسة عالية جدًّا وهي مزيّنة بالذهب الكثير والنقوش والشخوصة الجميلة وقد بُنيت بصناعة عجيبة وتعب زائد وداخلها ارغون

كبير وعظيم جداً كانوا يلعبون فيه لما دخلنا اليها . وبقيّة ما رأيناهُ هناك شيء لا يُكيَّف ولا يُوصف . وبعد ان تفرجنا مضينا من هناك الى محلّنا

السفير العثماني في دعوة المريشال دي فيلّروا وزيارتهُ خزينة الدولة

فبعد ثلاثة ايام ارسل المريشال مدير السلطان عزمني عندهُ للغداء في سرايته فذهبت الى سراية الملك حيث كان فاستقبلني وعمل لي واجباً عظيماً . وبعد ان مكثنا اخذ يسألني هل لك اشتياق ان ترى السلطان . فادخلني الى الديوانخانة فرأيت حضرة السلطان هناك مثل اوّل مرّة . وكان معهُ كم شاب من الاكابر يسير معهم ويلاعب (١) . فلمّا رآنا دخلنا اتى الى نحونا وانا تقدمت اليه فاظهر لي كمال محبة وصداقة وودّاد في سائر خطابهِ . وكان يتأمل كثيراً في ملبوسنا وكسوتنا وكذلك اولئك الشباب الذين معهُ كل واحد بمفرده كان يأتي ويتأمل بثيابنا فسألني في ذلك الوقت المريشال قائلاً : « ماذا تقول يا سيدي في حسن سلطاننا وجماله وشرفه » . اجبتهُ : « ما شاء الله حفظهُ الله » فقال لي : « ان عمرهُ الآن احدى عشرة سنة واربعة اشهر » . وكان يمدح لي شعرهُ الذي هو ليس مستعاراً مثل بقية شعور الافرنج بل هو خلقة من شعر رأسه . وبقولهِ هذا مسك السلطان ولفّتهُ الى ناحيتي لكي يُريني شعر رأسه . حينئذٍ انا مسكتُ شعر رأسهِ بيدي وقلت لهُ : « ما شاء الله خرسك الله وحفظك » . وكانت اعضاؤهُ جميعها مناسبة ومشيهُ كذلك كان متناسباً وجميلاً وخطابهُ عذباً جداً

ثم انَّ المريشال قال للسلطان : « يا سيدي امش امامهم لكي يروا مشيك » . فمشى السلطان حتى الى نصف الديوانخانة . ومن هناك عاود . ثم امره المريشال ان يجري بسرعة لكي يرينا خفّتهُ . ففعل كذلك وهرول الى نصف الديوانخانة وعاود . ثم سألني المريشال هل عجبني سلطانهم فاجبتهُ بعد التمنّي : بارك الله فيه

ثم بدينا ندور ونتأمل في التصاوير العجيبة التي بتلك الديوانخانة وكان السلطان يمشي معنا وهو كان يُرينا تلك التصاوير وكان يعرّفنا اصحابها واساميها ومن الذين صوروا هذه الصور وكان يقول لنا : « هذه صورة فلان وهذه صورة فلانة » .

(١) من القاف الحلبيين اي يتحدّث

وبعد ذلك اخذنا الى مكانه المخصوص بهِ ومنهُ الى مكان آخر ثم الى مكان آخر الى ان انتهينا الى مكان منامة السلطان وارانا فرشته حيث ينام. ومنهُ الى المكان الذي كان يدرس بهِ القراءة تحت يد الخوجه معلمهِ. اخيرًا تودَّعنا منهُ وخرجنا

وحال خروجنا من عنده جلسنا على المائدة مع المريشال وبعد ان تغدَّينا سألني المريشال: «هل لك خاطر ان ترى خزنة جواهر السلطان» اجبتُهُ: «نعم يا سيدي وهذا غاية أربي». فقال لي: «تفضَّل». واخذني بيدي ودخلنا الى اوضة السلطان فرأينا الخزندارية واقفين فعندهما امرهم المريشال ان يكشفوا عن خزنة الجواهر ويخرجوها. فكشفوا واخرجوا ما كان من الجواهر فكنا نفحص عن كل واحدة واحدة بمفردها ورأينا شيئاً يدهش العقول ورأيت هناك ثلاثة اثواب الواحد منها مرصع باللؤلؤ الرطب الكبار والياقوت المختلف الالوان. والثاني كان مرصَّعاً باللؤلؤ الكبار مع قطع من الالماس الكبار الذي كان موجودًا فيه كل لؤلؤة قدر بندقة او اكبر واللؤلؤ ابيض ومستوٍ ومناسب لبعضهِ وكذلك الالماس كان بغاية الحسن والخلقة. والثوب الثالث كان مرصَّعاً كلهُ بالالماس. ولعمري انهُ امر عسر جدًّا ان نخبر عن قيمة مثل هذه الاشياء وثمنها او ثمن كل واحدة من هذه الجواهر التي هي بغاية الجودة والحسن والاعتبار. وكشف لنا حبل لؤلؤ سلكاً قدر ستين حبة وكل واحدة قدر جوزة الطيب مع حسن الجودة والصفاء. وكانت هذه المسبحة يمسكها السلطان بيده لمَّا يجلس على تخت السلطنة في الديوان ويلبس واحدةً من هذه البدلات حتى يوم دخولي لعنده كانت عليهِ واحدة من هذه البدلات

ورأيت هناك علبةً داخلها حجر ليس لهُ نظير فهو بالكبر قدر جوزة الطيب مدوَّر يلمع مثل البرق مع شعاع عظيم منبعث منهُ نور كالبرق وهو في غاية البياض ولا هو مثقوب وحين يضعونهُ على مرآة لم يزل يتحرَّك ولا يهدأ قط وكانوا يسمونهُ الدرّ السلطاني (١)

ورأيت هناك من الالماس الاصفر واحدة كانت في علبة مثلثة الشكل بنفسجيَّة اللون وهي في غاية الكبر والثمن. ورأيت ايضاً من الياقوت الازرق وهو مربع

١) يريد الماسة الشهيرة المعروفة براجان (le régent) التي وصفها الاديب اسكندر افندي طحينة في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٨٧٢)

وطويل قدر الباهم . وايضاً حجر اخر الماس كانوا اشتروه من الانكليز من قريب بستة الاف كيس مربع الوسط وجانبهُ شكل القبَّة وهو في غاية الصفا والحسن ابيض بالغاية وبرّاق ولم يوجد فيه اثر العيب ثقلهُ مائة وثلاثون قيراطاً وكبرهُ قدر الجوزة الرومية (١ وكان حضرة السلطان بيده يعزمني ويناولني هذه القطع بيدي لكي ابصرها . ثم ان المريشال سأل السلطان قائلاً : « يا سيدي هذه الجواهر لمن تخص ؟ » فاجابهُ السلطان : « انها تخصني » . فردَّ المريشال قائلاً لهُ : « لا تخصك بل تخص تاجك ومملكتك » انظر هذا الجواب !

وقوف السفير على رسوم المدن والقلاع الوطنية

ثم اني ودعت السلطان والمريشال وخرجنا فقال لي المريشال : اصبر لا تروح الآن عندنا طرائق ان الفرنساوية لهم عادة ان يرسموا رسم البلدان والاقاليم في اوراق وقد رسمنا هنا كل البلدان والاقاليم رسماً خصوصياً فرأيتها ورأيت كل المدن التي في حدود مملكتهم قد صوَّروها مع البقع والسهول والجبال والبساتين والآكام والانهر والحارات الخارجة والداخلة خارج الاسوار وداخلها ووزنها وصعودها والذي يتأمل يظن انهُ يعاين تلك الحدود المصورة بعينها . وقد اجتهدوا جهداً كثيراً كلياً حتى انهم حرَّروا وجعلوا تلك الاماكن كلها في الرسم في كيفيتها الحقيقية مع الاسواق والبيوت والكنائس والجسورة . والفائدة الناتجة من هذه الرسوم والتصاوير هي هذه انهُ اذا عرف قاصدُ حصار واحدة من هذه البلاد والمدن المتطرفة يبصرون من اي مكان يقدر يجيء عليهم واي مكان يجب حفظهُ والاحتراس عليه . والسلطان مع معاينته هذه الرسوم يعود كانهُ حاضر على تلك الاطراف وقد انفقوا نفقات عدة لا تحصى على تكميل هذه الرسوم وضبطها وقال لي : « ان هذه لا يظهرونها لاي واحد كان الا ان كنت تشتهي ان تراها على خاطرك » . فاجبتهم : « ان هذه غاية قصدي »

ففي ذلك الحين امر المريشال الى السر عسكر المتعين على حفظ المدن المتطرفة في اوقات الحصار ان يُحضرنا الى مكان تلك الرسوم فحالاً ذهب قدامنا ونحن نتبعهُ

١) هذه الماسة موصوفة ايضاً هناك (ص ٨٧٣) وهي المعروفة باسم ماسة سَنْسي

الى ان عبرنا الى ديوانخانة كبيرة طويلة وفيها من تلك الرسوم مائة وخمسة وعشرون رسماً وكل رسم كان موضوعاً على سرير وهكذا كانت تلك الرسوم مضبوطة ومدققة حتى انهُ لا يمكن ان توصف بشفةٍ ولسان لانهُ شيء عجيب وغريب وهو من عجائب الدنيا رسم جميع الآكام والجبال والاودية والانهر التي في جوانب القلاع مع الحارات والحقول والاماكن المظللة بالاشجار فهي مرسومة برسمها حتى الاشجار بورقها وزهرها وثمرها مرسومة بجرير والمياه جارية بجانبها كما هي في اماكنها ومن اي مكان يأتيها الماء والى اي مكان يذهب وان كان الماء يحوط بالقلعة او يجري في وسط القلعة او على طرفها. وايضاً مرسوم فيها الجسورة والقناطر وموقع الخنادق وابواب القلاع ووسع الباب والقلعة ووسع الاسواق وضيقتها حتى والكوات والشبابيك التي في الدور والبيوت ومحصل الكلام ان هذا الرسم مضبوط بهذا المقدار حتى منهُ يقدر الانسان يطلع على معرفة المدن واخبارها كأنهُ شاهدها بعينهِ. ولم أرَ في فرنسا مثل هذه الفرجة العظيمة لانهُ شيء لا يقدر الانسان ان يصفهُ بلسان

وكذلك اظهروا لنا بهذا الرسم جميع القلاع والمدن التي افتتحها السلطان وكل سلاطين فرنسا وقبضوا عليها من ايدي الاعداء. ومصوَّر بتلك الصور من ايّ ناحية قدروا على فتحها ومن ايّ جهة حاصروها وكيف اقاموا متاريسها وبالنتيجة النظر الى هذه الرسوم فقط يسهّل على الناظر معرفة وقوف واحوال كل واحدة من هذه القلاع والمدن المذكورة

وحين كنا بهذه الحالة شاخصين في تلك الرسوم واذا بالسلطان قد حضر الى عندنا وجلس فاخذنا في المخاطبة معهُ. فسألهُ بعض من كان موجوداً: «ياسيدي الملك هل كنت مشتاقاً ان ترى قاصد سلطان الاسلام»؟ فاجابهم: «نعم لاني عالم ان سلطان الاسلام في غاية الشوق اليَّ». وبعد مفاوضة قليلة مكث قليلاً وذهب. وفي ذلك اليوم عينهِ رأيتُ السلطان ثلاث مرات. وكذلك مكثنا نتبصَّر في تلك الرسوم مقدار ثلاث ساعات وبعدهُ ذهب الملك مع الريشال الى الخارج وتودَّعنا منهُ وتوجَّهنا الى محلّي وقد ذهلني ذلك الرسم

(التتمة لعدد قادم)

(وهنا نضيف ما كتبه احد مشاهير ذلك الزمان الدوق سان سيمون (Saint-Simon) في مذكراته عن دخول سفيرنا الى باريس لموافقتها لموضوعنا)

Ambassade de Méhémet Effendi a Paris

(Mars 1721)

Extrait des « Mémoires de Saint-Simon » (t. XI p. 382-385, *éd. Hachette*, 1858)

Paris, vit un spectacle peu accoutumé, le dimanche 28 mars, (1721) qui donna beaucoup de jalousie aux premières puissances de l'Europe. Le Grand Seigneur, qui ne leur envoie jamais d'ambassades, sinon si rarement à Vienne, à quelque grande occasion de traité de paix, en résolut une, sans en être sollicité, pour féliciter le roi sur son avénement à la couronne, et fit aussitôt partir Méhémet-Effendi Tefderdar, c'est-à-dire grand trésorier de l'empire, en qualité d'ambassadeur extraordinaire, avec une grande suite, qui s'embarquèrent sur des vaisseaux du roi, qui se trouvèrent fortuitement dans le port de Constantinople. Il débarqua au port de Cette, en Languedoc, parce que la peste était encore en Provence. Il fit même quarantaine et le détour par Bordeaux pour venir à Paris, défrayé de tout depuis son débarquement, où il fut reçu par un gentilhomme ordinaire du roi et ses interprètes de langues, qui l'accompagnèrent jusqu'à Paris. Il y arriva le 8 mars, au faubourg Saint-Antoine, où il demeura huit jours, complimenté de la part du roi, etc., comme les ambassadeurs extraordinaires des monarques de l'Europe.

Le dimanche 16 mars, le maréchal d'Estrées et Rémond, introducteur des ambassadeurs, l'allèrent prendre à une heure après midi. Dès qu'ils furent arrivés, ils montèrent à cheval avec l'ambassadeur entre eux deux. Deux carrosses du maréchal, force valets de pied, pages, gentilshommes, chevaux de main, la police avec trompettes et timbales, trois escadrons d'Orléans-Dragons, douze chevaux de main des écuries du roi, trente-six Turcs à cheval deux à deux, portant des fusils et des lances, Merlin, aide-introducteur, à cheval, puis les principaux officiers de l'ambassade, quatre trompettes de la chambre du roi, six chevaux de main de l'ambassadeur, harnachés à la turque, et tout cela extrêmement magnifique ; enfin l'interprète du roi, précédant immédiatement l'ambassadeur, dont le cheval était harnaché à la turque. Il marchait de front droit avec le maréchal et l'introducteur, environnés de leur livrée et de valets de pied turcs, L'écuyer de l'ambassadeur marchait à cheval derrière lui portant son sabre, et vingt maîtres du Colonel-général, les côtoyaient à droite et à gauche ; venaient ensuite les grénadiers à cheval, le régiment Colonel-général, puis

les carrosses du roi et les autres qui vont aux entrées, cotoyés par la connétablie. Le régiment d'infanterie du roi, la compagnie de la Bastille, celle des fusiliers, se trouvèrent en haie jusqu'à la place Royale ; l'ambassadeur fut conduit par de longs détours à la rue Saint-Denis, Saint-Honoré, etc., et partout des pelotons, des escouades du guet. Il trouva la compagnie du prévôt de la monnaie en haie dans cette rue, le guet à cheval sur le pont Neuf bordé du régiment des gardes, et force trompettes et timbales autour de la statue d'Henri IV... Arrivés à l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, rue Tournon, ils mirent pied à terre dans la cour. Le maréchal accompagna l'ambassadeur jusque dans sa chambre, qui aussitôt après, lui donnant la main, le conduisit à son carrosse, et le vit sortir de sa cour. Tous les chevaux que montèrent l'ambassadeur et sa suite étaient des écuries du roi, et les chevaux de main de l'ambassadeur aussi, menés par des Turcs à cheval.

Le vendredi 21 du même mois, le prince de Lambesc et Rémond, introducteur des ambassadeurs, allèrent dans le carrosse du roi prendre l'ambassadeur à l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, où il fut toujours logé et défrayé avec toute sa nombreuse suite, tant qu'il fut à Paris, et aussitôt ils se mirent en marche pour aller à l'audience du roi : la compagnie de la police avec ses timbales et ses trompettes à cheval, le carrosse de l'introducteur, celui du prince de Lambesc, entourés de leur livrée, précédés de six chevaux de main, et de huit gentilshommes à cheval, trois escadrons d'Orléans, douze chevaux de main, menés par des palefreniers du roi à cheval, trente-quatre Turcs à cheval, deux à deux, sans armes, puis Merlin, aide-introducteur, et huit des principaux Turcs à cheval, le fils de l'ambassadeur à cheval, seul, portant sur ses mains la lettre du Grand Seigneur dans une étoffe de soie, six chevaux de main, harnachés à la turque, menés par six Turcs à cheval, quatre trompettes du roi à cheval ; l'ambassadeur entre le prince de Lambesc et l'introducteur, tous trois de front à cheval, environnés de valets de pied turcs et de leurs livrées, côtoyés de vingt maîtres du régiment Colonel-général ; ce même régiment, précédé des grenadiers à cheval, suivait ; puis le carrosse du roi et la connétablie. Les mêmes escouades et compagnies ci-devant nommées à l'entrée se trouvèrent postées dans les rues du passage, dans la rue Dauphine, sur le pont Neuf, dans les rues de la Monnaie et Saint-Honoré, à la place de Vendôme, devant le Palais-Royal, à la porte Saint-Honoré, avec leurs trompettes et timbales ; depuis cette porte en dehors jusqu'à l'esplanade, les détachements des gardes du corps, des gens d'armes, des chevau-légers, et les deux compagnies entières des mousquetaires. Arrivés en cet endroit, les troupes de la marche et les carrosses allèrent se ranger sur le quai, sous la terrasse des Tuileries : l'ambassadeur, avec tout ce qui l'accompagnait et toute sa suite à cheval, entra par le pont tournant dans le jardin des Tuileries.

depuis lequel jusqu'au palais des Tuileries, les régiments des gardes françaises et suisses étaient en haie des deux côtés, les tambours rappelant et les drapeaux déployés. L'ambassadeur et tout ce qui l'accompagnait passa ainsi à cheval le long de la grande allée, entre ces deux haies, jusqu'au pied de la terrasse, où il mit pied à terre, et fut conduit dans un appartement en bas, préparé pour l'y faire reposer en attendant l'heure de l'audience.

A midi, l'ambassadeur, accompagné du prince de Lambese et de l'introducteur, sortit de cet appartement avec tout son cortège, précédé de son fils, qui portait la lettre du Grand Seigneur sur ses mains élevées, et suivait l'aide-introducteur. Il trouva, comme les autres ambassadeurs extraordinaires, le grand maître et le maître des cérémonies au bas de l'escalier, bordé jusqu'au haut par les Cent-Suisses ; il en trouva d'autres en haie dans leur salle, leur drapeau déployé, et Courtenvaux à l'entrée pour le recevoir, qui faisait la charge de leur capitaine pour son neveu enfant. Le duc de Noailles, capitaine des gardes en quartier, le reçut à l'entrée de la salle des gardes, en haie et sous les armes. Il traversa le grand appartement jusqu'à la galerie. Elle était tendue des plus belles tapisseries de la couronne ; les dames fort parées remplissaient les gradins magnifiquement ornés, et la galerie, couverte de beaux tapis de pied, étoit fort remplie d'hommes. Au fond, elle était traversée de trois marches, et au bout de quelque espace, de deux autres sur lesquelles était le trône du roi ; à ses côtés étaient, à droite et à gauche, M. le duc d'Orléans et les princes du sang, debout et toujours découverts. Le grand chambellan, le premier gentilhomme de la chambre, le grand maître de la garde-robe et le maréchal de Villeroy, étaient tous quatre derrière le roi ; l'archevêque de Cambrai au bas des deux premières marches ; à droite et plus reculés, les trois autres secrétaires d'Etat sur le même plain-pied.

Dès que l'ambassadeur put être aperçu du roi, il s'inclina très-profondément à l'orientale, sa main droite sur sa poitrine. Alors le roi se leva sans se découvrir, et l'ambassadeur s'avança au pied des trois premières marches, où il fit sa seconde révérence. Il monta ensuite ces trois degrés, ayant à sa droite le prince de Lambese et le duc de Noailles ensemble de front, à gauche l'introducteur et l'interprète, derrière lui son fils, portant la lettre du Grand Seigneur en la manière qu'on a dit ; l'ambassadeur fit là sa troisième révérence, prit des mains de son fils la lettre du Grand Seigneur, qu'il éleva sur sa tête, puis la remit à l'archevêque de Cambrai, comme secrétaire d'Etat des affaires étrangères, lequel la posa sur une table près et à la droite du trône, couverte de brocard d'or. L'ambassadeur fit au roi son compliment de très-bonne grâce, d'un air fort respectueux, mais point timide ni embarrassé. L'interprète l'expliqua. Le roi ne parla point ni M. le duc d'Orléans ; le maréchal de Villeroy fit une courte réponse que l'inter-

prête rendit à l'ambassadeur. Alors il fit sa révérence et se retira à reculons, sans tourner le dos tant qu'il put être vu du roi, fit ses doux autres révérences où il les avait faites en venant, puis s'en alla lentement, regardant fort et d'un air très-assuré tout ce qui s'offrait à sa vue. Le prince de Lambesc le conduisit à l'appartement où il était entré d'abord et y prit congé de lui. L'ambassadeur s'y reposa un peu ; puis l'introducteur à côté de lui, à sa gauche, il traversa la terrasse du palais des Tuileries, monta à cheval avec tout ce qui l'accompagnait, trouva dans la grande allée au pont tournant, à l'esplanade, les mêmes troupes dans les mêmes postes et les mêmes honneurs qu'en venant, le régiment du roi d'infanterie en haie jusqu'à la porte de la Conférence, les troupes qui l'avaient accompagné rangées sur le quai des Tuileries, et les carrosses, qui se remirent en marche dans le même ordre qu'en venant. Il passa sur le pont Royal, le quai des Théatins, devant le collège Mazarin, la rue Dauphine, et trouva partout, jusqu'à la porte de l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, les mêmes troupes et détachements, instruments de guerre qu'il avait trouvés allant à l'audience, pendant laquelle elles s'étaient postées sur les lieux de son retour . . . Peu de jours après l'ambassadeur turc fut au Palais-Royal, à l'audience de M. le duc d'Orléans, mais tout simplement, et reçu comme les ambassadeurs extraordinaires, conduit sans troupes et avec peu de cortége par l'introducteur de M. le duc d'Orléans.

تكوين البيضة في الحيوان

للاب اسكندر طوران اليسوعي

ان انتشار الحياة بالولادة سواء ثمّ في الحيوانات الراقية ام في الحشرات ام في النبات لمن الامور العجيبة التي لم يدرك الانسان حتى الآن سرّ نواميسها الخفيّة . وانما الخالق قد وضع هو نفسهُ تلك النواميس ليصون بها الانواع المتباينة مدى الدهور وقيّد تلك النواميس بشروط ووسائل ملائمة تختلف على اختلاف درجات الاحياء من نبات او حيوان او انسان

وفي هذا البحث نقصر كلامنا على تكوين البيضة في الحيوان طائرًا كان او زاحفًا او سمكًا او هامّةً من صغار الهوامّ . فلكل هذه الكائنات بيضها الخاص فبيض الطيور يكسوهُ ابدًا غلافٌ كلسي صلب . وللزحّافات بيضها لكنّ غلافهُ

prête rendit à l'ambassadeur. Alors il fit sa révérence et se retira à reculons, sans tourner le dos tant qu'il put être vu du roi, fit ses doux autres révérences où il les avait faites en venant, puis s'en alla lentement, regardant fort et d'un air très-assuré tout ce qui s'offrait à sa vue. Le prince de Lambesc le conduisit à l'appartement où il était entré d'abord et y prit congé de lui. L'ambassadeur s'y reposa un peu ; puis l'introducteur à côté de lui, à sa gauche, il traversa la terrasse du palais des Tuileries, monta à cheval avec tout ce qui l'accompagnait, trouva dans la grande allée au pont tournant, à l'esplanade, les mêmes troupes dans les mêmes postes et les mêmes honneurs qu'en venant, le régiment du roi d'infanterie en haie jusqu'à la porte de la Conférence, les troupes qui l'avaient accompagné rangées sur le quai des Tuileries, et les carrosses, qui se remirent en marche dans le même ordre qu'en venant. Il passa sur le pont Royal, le quai des Théatins, devant le collège Mazarin, la rue Dauphine, et trouva partout, jusqu'à la porte de l'hôtel des ambassadeurs extraordinaires, les mêmes troupes et détachements, instruments de guerre qu'il avait trouvés allant à l'audience, pendant laquelle elles s'étaient postées sur les lieux de son retour . . . Peu de jours après l'ambassadeur turc fut au Palais-Royal, à l'audience de M. le duc d'Orléans, mais tout simplement, et reçu comme les ambassadeurs extraordinaires, conduit sans troupes et avec peu de cortége par l'introducteur de M. le duc d'Orléans.

تكوين البيضة في الحيوان

للاب اسكندر طوران اليسوعي

ان انتشار الحياة بالولادة سواء ثمّ في الحيوانات الراقية ام في الحشرات ام في النبات لمن الامور العجيبة التي لم يدرك الانسان حتى الآن سرّ نواميسها الخفيّة . وانما الخالق قد وضع هو نفسهُ تلك النواميس ليصون بها الانواع المتباينة مدى الدهور وقيّد تلك النواميس بشروط ووسائل ملائمة تختلف على اختلاف درجات الاحياء من نبات او حيوان او انسان

وفي هذا البحث نقصر كلامنا على تكوين البيضة في الحيوان طائرًا كان او زاحفًا او سمكًا او هامّةً من صغار الهوامّ . فلكل هذه الكائنات بيضها الخاص فبيض الطيور يكسوهُ ابدًا غلافٌ كلسي صلب . وللزحّافات بيضها لكنّ غلافهُ

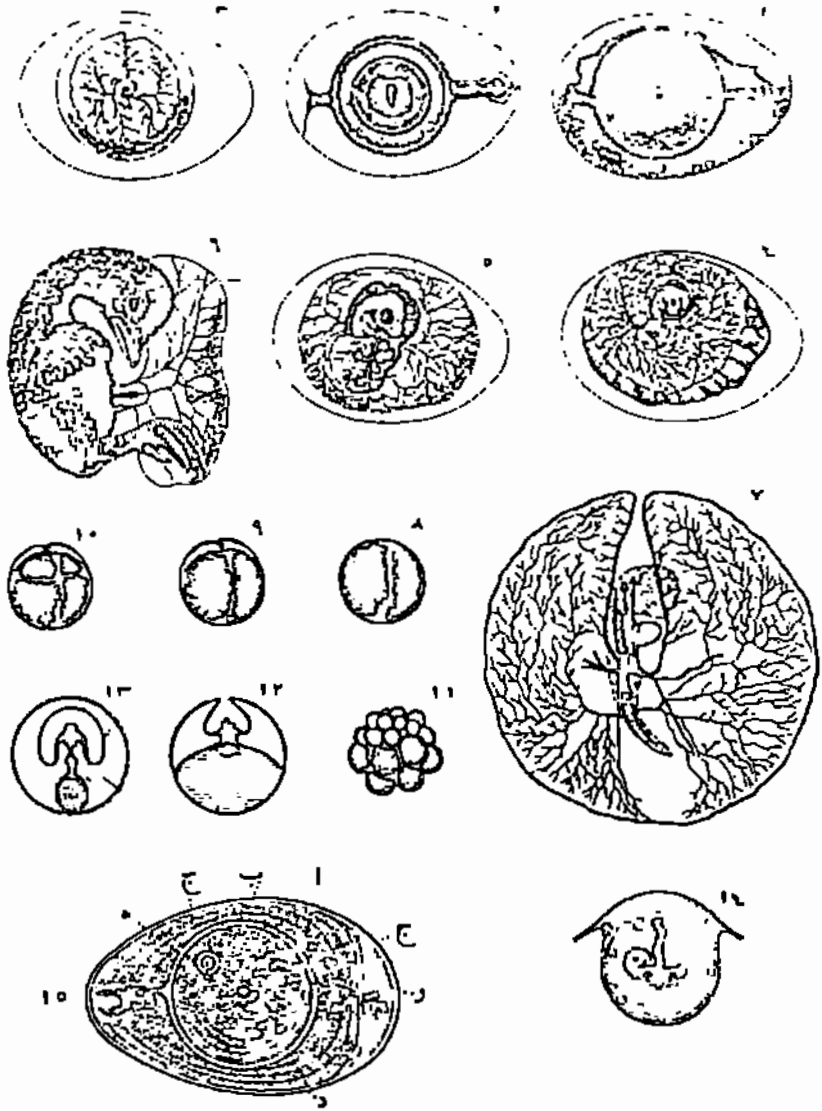

بيضة الدجاجة في جميع احوالها

١ البيضة قبل الحضانة ٢-٥ البيضة في ايام الحضانة الثاني ثم الرابع ثم الخامس ثم السادس ٦ البيضة في اليوم ١٩ من الحضانة ٧ الحركة الدموية في الفرخ اليوم الثالث ٨-١٤ تقاطع البيضة في اطوارها الاولى وصور انصافها ١٥ تركيب البيضة واقسامها : ا القيض اي القشرة الجامدة . ب الفرق او القشرة الباطنة . ج الزلال او الآح . د الصفرة او المح . ه جرثومة الحياة . و غرفة الهواء

جُلَيدة ليّنة . وكذلك السمك يتولّد من البيضة لكنَّ بيضهُ دقيقٌ غالباً وكثير العدد . امّا الحشرات كالعناكب والجراد والفراش والذباب والبعوض وما ينتظم في سلكها من الوف الانواع المنتشرة على سطح المعمور فانّها كذلك تولد من بيضةٍ وانّما بيضتها لا تكاد العين تميّزها لدقّتها

وكلّ منّا يعرف بيض الطيور كبيض الدجاج ودواجن الطير وكذلك نعرف بيض بعض الهوامّ كبزر دود القزّ مثلاً . ولا نجهل بعض اشكال بيض السمك كبيض الحُفَش (esturgeon) المعروف بالبطارخ (caviar) فانَّ انثى هذا السمك تبيض في مرّة واحدة اوفاً مؤلفة من السَّرْ . حتى بلغ احصاؤها احياناً ١,٤٠٠,٠٠٠ بيضة . وكل هذه المخلوقات تتولد من بيضها كما تولد الدجاجة من بيضتها والفراش من بزره وسمك الحُفَش من سَرْنهِ المُلقى في المياه

ومن تأمّل بيوض الطير اخذهُ العجب من اختلافها سواء كان في الشكل ام في اللون ام في الجرم . فمنها ما يكون كروياً كالجُلّل . ومنها ما هو مستطيل كبيض الدجاج . وبعضها محدَّد الطرفين او شبيه بالكمثرى طرفهُ الواحد محدَّد والآخر ضخم . وكذلك الوانها فمنها البيضاء الناصعة ومنها الزرقاء اللون . ولبعضها لون ازرق او سنجوني ولازوردي . وهذه الالوان ربّما تعدَّدت وامتزجت ببعضها امتزاجاً نظامياً . ومنها ما تختلط الوانها دون نظام فترى فيها نُكتاً حمراء وسوداء وخضراء . الّا انَّ هذا الاختلاف العجيب واقع بين بيوض طيور متنوّعة لا طيور الجنس الواحد التي تلزم في بيضها شكلاً واحداً ولوناً واحداً

وما قلناهُ عن اشكال البيض والوانهِ يصدق كذلك في اجرامهِ التي تختلف ايَّ اختلاف فتكون البيضة بالغة الكبر كبيض النعام او صغيرة جداً كبيض الطائر المعروف بالذباب (oiseau-mouche) . وقد وجدوا في جزيرة مدغشكر بيض طائر كالرخ يدعوهُ العلماء ايبَوْرنيس (epyornis) وهو اليوم مفقود ويظهر من بيضهِ انهُ كان في طول ثلاثة او اربعة امتار . وبيضهُ يسع تسعة ليترات (وبعيّتين) من الماء (١ اعني ما يوازي سعة ١٥٠ بيضة من بيض الدجاج . فما قولك ببيض طائر الذباب فلو

---

١) اطلب وصفهُ لحضرة الاب ا. صالحاني في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٢٠٥)

اردت المعارضة بينهما لاقتضى لك ٥٠,٠٠٠ بيضة منهُ لتبلغ مضمون بيضة واحدة من بيض الرخ لأنَّ ذاك الطائر الذي جمعت الطبيعة في ريشهِ الالوان العجيبة من الذهب والحجارة الكريمة والجواهر الفاخرة لا يزيد حجمهُ احياناً على حجم الزنبور الكبير وهو يتَّخذ لهُ عشًّا صغيرًا في كُتلة من القطن على قدر نصف المشمشة فبيضهُ دقيق جدًّا يلزم منهُ ٣٤٠ بيضة لموازاة بيضة الدجاجة. والعناكب في البلاد التي يولد فيها هذا الطائر تتصيَّد بيضهُ كما تتصيَّد في بلادنا الذباب. فانظر يا رعاك الله الفرق بين هذا البيض الدقيق وبيض طير الرخ السابق ذكرهُ

ثمَّ انَّ من البيض ما يكون ادقّ وانعم جدًّا من بيض طائر الذباب كبيض البعوضة مثلًا المعروفة في هذه البلاد بالكَيت . وادقّ منها بيض حشرات لا تُرى بالعين المجرَّدة فالفرق يكون بين هذه الاشكال على غاية الاختلاف كالفرق بين الجمل والنملة

على انَّ هذه الاختلافات في اجناس الطيور والاسماك والهوامّ تتَّفق في كونها ناقلة الحياة الى طبقاتها المتباينة على ما قرَّرهُ لها خالقها سبحانهُ وتعالى. فكل نوع من هذه الاجناس لا يزال جارياً على نظام واحد في وضع بيضهِ فيكون بيضهُ مطلقاً في صورتهِ الخارجيَّة وفي تركيبهِ الداخلي متشابهاً بلا اختلاف وهو ايضاً يُنتج حيًّا مثل الحيّ الذي سبق وانتجهُ فهذه سنَّة الخالق نراها بالعيان ثابتةً لا تحيد عن خطَّتها المألوفة

دَعنا الآن نُعمن النظر في بيضة واحدة من تلك الاشكال ولنتَّخذن كمثالنا بيضة الدجاج لعظمها وسهولة درسها فانَّ في تكوينها وهندامها عجائب لا تخطر على بال العامَّة. فاعتبر بادئ بدء قيض البيضة اي قشرتها اليابسة فهذه من الجماد لا اثر فيها من لحم او عظم وانَّما هي مادَّة متحجرة يُصطنع منها الكلس. وحجر الكلس كما لا يخفى من اصلب الحجارة اذا اراد المرء سحقهُ وتنعيمهُ عمد الى نار الأتون المتَّقدة ليحوّلهُ الى كلس . افليس من العجب انَّ معدة الدجاجة تقوى على هضم هذا الجماد وتحويلهِ الى كلس فانَّها بقوَّة حرارتها الغريزيَّة قد ذوَّبت تلك المادَّة الجاسية فاجازتها الى دمها ومنهُ الى اجهزتها حتى مبيضها حيث جعلتهُ غلافاً لبيضها. فلله من آلة تبلغ غايتها على افضل منوال كأنها كيسويّ نطاسي يحلّل ويركّب بفهم وادراك

وانما الادراك ليس هو للدجاجة التي تقوم بكل هذه الاعمال العجيبة وهي تتبع غريزتها دون أن تدري بما يجري فيها كما أننا لا ندري بتحوُّل المآكل فينا الى دمنا وجسمنا. وكذلك لا يجوز ان تُنسب هذه الاعمال للصدفة ونحن نراها تجري بنظام وثبات في كل دجاج العالم. فلا ندحة من نسبتها الى من يرشد الحيوان الى عمله وطبعَ فيه تلك الغريزة العجيبة التي يلزمها من بدء العالم دون ان يحيد عنها ذرةً

ثمَّ في قشرة البيضة ما هو اعجب من ذلك. اشخص اليها بكل روّيةٍ تجد حتى بعينك المجرَّدة في كافة سطحها ثقوباً ناعمة كأنها ثقوب إبَر دقيقة جداً وهي في طرفها الغليظ اكثر منها في بقيَّة البيضة. تلك مسامّ البيضة لانّ في البيضة كائناً حيا وكل حيّ يحتاج الى الهواء ليستنشقهُ والّا مات لا محالة. وهذا الحيّ في البيضة يتنفَّس من تلك المسامّ التي منها ينفذ الهواء الخارجي الى داخل البيضة. امّا اذا اراد الانسان ان يحفظ البيضة من الفساد زمناً طويلاً فانَّهُ لا ينال ذلك الّا بان يمنع نفوذ الهواء الى باطنها لكنَّهُ بذلك يقتل فيها جرثومتها الحيَّة. أرأيت حكمة الخالق بتجهيز تلك الكوى لترويح البيضة. فمن يستطيع القول بان الدجاجة هي التي فتحتها لحياة فرخها بادراكها الخاصّ؟

ولكن هلمَّ بنا نكسر تلك القشرة لنفحص ما يحتوي باطنها. وانما يجب العمل بكل هدوء ثمَّ لنصبَّ مضمون البيضة على صحن فيصيبهُ تغيير في هيئته لكونهِ نصف سيَّال. ومع هذا التغيير يمكنك ان تلحظ كيف محّ البيضة اي صفرتها متجمّد في آخها اي زلالها. وهذا الآخ على شبه الطبقات الراكبة فوق بعضها وهي تنبسط وتنفتل على طرفي البيضة ضمن البرزق الملتزق (انظر الصورة)

وان سألت عن سبب ذلك ومعلولاته تفهمهُ بمثال ليمونة نجعلها في منديل ثمَّ نفتل طرفي المنديل بوجه منعكس كل طرف بيدٍ فتصبح الليمونة كأنها ضمن كيس مفتول الطرفين فعلى هذه الصورة يكون محّ البيضة في وسط زلالها. فلنفرض الآن انَّ حجم الليمونة يكبر شيئاً فشيئاً ويحتاج الى مسافة اوسع فلا بُدَّ انَّ فتلات المنديل تنحلّ ايضاً دون ان تخرج الليمونة من مكانها

ولعلَّك تقول. واي عجبٍ في ذلك؟

إرعني سمعك فتفهم. انَّ صفرة البيضة معدَّة لأن تكون يوماً جسمَ فرخ

الدجاجة بعد الحضانة وسيدخل الزلال في جسم الفرّوج وتكوين اعضائه بالتدريج فيصير عظماً او لحماً او عضلات فينمو الجسم رويداً رويداً . فالزلال المنفتل حول المحّ كما رأيت في مثل منديل الليمونة يحفظ المحّ بسلامته لئلّا يصدم بالقشرة فتؤذيه . وكذلك الزلال يدفع عنهُ تقلّبات الجوّ من حرارة ورطوبة لئلّا تنفذ بمسام القشرة فتضرّهُ . افترى الآن ما صنعتهُ الطبيعة او بالحري العناية الالهيّة لسلامة الفرخ وكيف فتحت لهُ منافذ ليتنفّس منها دون أذىً بفضل الزلال المستدير حول المحّ عند تحوّلهِ الى فرخ لطيف الجسم

وهذه استحالة صفرة البيض الى طائر صغير هي نفسها من العجائب فكيف يا ترى تمّت ؟ وجّه نظرك الى المحّ المذكور تجد في بعض انحاء سطحهِ نكتةً مستديرة ذات بياض خفيف فتلك جرثومةٌ حيّة . هناك مركز الحياة التي سوف تنبعث من هذه الصفرة عند حضانة الدجاجة فتحيي موادَّ البيضة وتركّب منها جسماً حيًّا . والصفرة التي حولها انّما هي مستودع غذاء ذاك الحيّ يستمدُّ منها حاجتهُ لتركيب كيانهِ . فبفعل الحرارة والهواء يكتسي الجسم بمشبّك من العروق الدقيقة فيجول فيها الدم الذي تدفعهُ تجاويف قلبٍ هو غاية في النعومة . وبجولان الدم تتكوّن انسجة اللحم ثم الاعضاء ثم العظام ولا تلبث اجهزة الهضم ثمَّ اجهزة التنفّس والاعصاب ان تلوح في صورتها ثمَّ يظهر الرأس مع نخاعهِ ووجه الفرّوج مع عينيهِ ومنقارهِ وكل ذلك يتصلّب ويشتدّ الى ان تسع زقزقتهُ في البيضة . وبعد يوم او يومين تراه نقف البيضة فاخرج منها رأسهُ المكسوّ بالزغب الرطب ثمَّ بقيّة جسمهِ ومن ساعتهِ يركضُ وراء امّهِ ويلتقط ما يجدهُ من الحبوب

هذه اشياء عاديّة تجري بجوارنا صباح مساء ولو سمعتها مربّية الدجاج لضحكت من كاتبها . ولكن انشدك الله ألا ترى في اطوار هذا الفرخ الصغير ما يسبي عقول الحكماء ؟ فاين هذا الطائر اللطيف من تلك السوائل المائعة الصفراء والبيضاء التي شاهدناها قبل ايام قليلة . فمن استطاع ان يحوّل هذه الى ذاك ؟

لعلّك تجيبني انّك قرأت في بعض الصُّحف او كتب بعض المدّعين بالعلم انَّ الطبيعة هي التي تتولّى هذه الاعمال وانَّ كل ما يجري في العالم خاضع لنواميسها وانَّ المادّة تستطيع بذاتها ان تترقّى وتنتظم وانَّ الصدفة يوماً اوجدت لها جرثومةً من

الحياة عملت فيها العوامل الطبيعيَّة فنمت وبناموس الترقي تحوَّلت من طور النبات الى الحيوان ثم الى الانسان. فهذا سرّ الطبيعة الدفين قد اكتشفهُ هؤلاء المتفلسفون على زعمهم وازالوا به كل الشبهات

على رسلك ياصاح ودعنا نعود الى بيضتنا . أترى يا رعاك الله انَّ الصدفة اي الطبيعة العمياء تستطيع ان تكوّن بيضةً واحدة من بيض الدجاج ثمَّ تخرج من هذه البيضة ناشئاً حيًّا. ولو صحَّ لها ذلك مرَّةً أتراها تستطيع ان تكرّر العمل كل يوم ليس لطائر واحد لكن لالوف الالوف من الطيور والهوامّ وتخصّ كلًّا منها ببيضها دون اختلاط في الحجم واللون والكم والكيف

وهنا دعني استطرد قليلًا في الكلام لأحصل على ما اطلبهُ من الجواب. لا شكَّ في انك سمعت ببعض اهل العلم ممَّن يصرفون همَّهم الى جمع امثلةٍ من العاديَّات الراقية الى قبائل عاشت في الازمنة السابقة للتاريخ اشتهارها بادواتهم الخشبية كاصداف البحر مثلًا ثقبوها على شكل معاوم وخلَّفوها في بعض المغاور القديمة وكقلائد من خرز او قطع من العظم محدَّدة في احد طرفيها مثقوبة في الطرف الآخر يُستدل منها على انَّ اولئك الهمج اتَّخذوها كسلّات خاطوا بها جلود الحيوان ليتَّخذوا منها ثياباً او يصطنعوا منها خيماً. واذا وجدوا قطعاً من الصوَّان منحوتة على هيئات شتَّى اعلنوا بانَّ تلك القطع استخدمها الاوَّلون لاشغالهم بمثابة سكاكين او مساحي او مناشير او اسلحة. وان اعترضتَ عليهم قائلًا : « هذه اوهام لا طائل تحتها فانَّ مثل هذه الشظايا من الصوَّان يوجد منها على شواطي كل البحار ومنها في رأس بيروت كثير مثلها. امَّا هذه الثقوب وآثار النحت انَّما هي عمل الصدفة » فيجيبك اولئك العلماء : « انك انت المخدوع ياصاح ألا ترى انَّ هذا الصوَّان قد نُحت نحتاً باليد لغاية معلومة وعلى هيئة معيَّنة. وهذا لا يصير بالصدفة بل هو عمل البشر الاوَّلين كما ترى مثلهُ في البلد الفلانيّ وفي المغارة الفلانية على عمق كذا وكذا من الامتار. فهذا دليل باهر على انَّ هذه المنحوتات هي عمل السكان الاوَّلين في الامكنة التي يوجد منها شيء »

فترى انَّ اولئك العلماء يفحمونك بادلَّتهم واكتفوا بهذه الآثار الخفيفة ليؤكدوا بأنها بيّنات على عمل ابناء آدم العقلاء. ومثلهم العامَّة وكل ذوي فهم فانَّ الفلَّاح الذي يرى في حقلهِ بعض الخرفيَّات او حجارةً منحوتة عليها بعض حروف كتابيَّة لا يشكّ

من ذلك عمل اسلافه من البشر وان قال له القائل انَّ ذلك من الصدفة ضحك منهُ. فكيف تقنع بعد ذلك يا صاح بما يقولهُ لك صحافيٌّ قليل التروّي او كاتب زنديق بان عجائب الكون ليست سوى قوى عمياء لا تحتاج الى مكوّن خلقها وجهّزها بآلياتها لتقوم بحاجاتها وحفظ انواعها. اليس من الجنون ان يُنكر وجود خالق يدبّر كل هذه الكائنات ويحفظها ويرشدها الى صيانة صغارها؟ فكيف يقنعك الملحد بان الصدفة اوجدت من بيضةٍ طائرًا مزدانًا بريشهِ ثم داومت على هذا العمل بحيث لم تزل البيضة عينها تأتي بنوع واحد من الطيور وتجهّزهُ دائمًا بهيكل جسمهِ العجيب مع اختلاف اعضائهِ ومشاعره وان تلك الصدفة العمياء كما نجحت في تكوين هذا الطائر اصابت ايضاً في توليد كل اصناف الطير والاسماك والحشرات وجهّزتها بادواتها العجيبة وغرائزها المدهشة في حركاتها وسكناتها واوثاقها في اختلاف اطوارها ونظّمتها نظاماً لو اجتمع عليهِ كل فلاسفة العصور لقصروا عن القيام بهِ؟ اليس كلامٌ كهذا دليلًا على غباوة قائليهِ الذين لا يرون اثر عمل صغير الّا نسبوهُ الى انسان فهيم وهم ينظرون كل عجائب المخلوقات فيزعمون انها مفعول الصدفة!!

فيا لله كيف تستطيع الصدفة ان تركّب جسم الزُّوج وتؤلف دقائقهُ المختلفة؟ او كيف يمكنها ان تحوّل بيضة من بيض الهوامّ الصغيرة الى دودة تعرف عند مولدها اختيار غذائها ثمَّ تتحوّل الى فراشة او الى جرادة او بعوضة مع القوّة لتوليد غيرها شبيهاً بها؟ أيقال انَّ الصدفة تنتج تلك البعوضة المستدقّة التي لا تُرى بالبصر وتودعها جرثومة الحياة التي تحتوي كل الاجهزة اللازمة لنموّها وتناسلها؟

لا لعمري ليس جواب المتشبثين باذيال الصدفة جواباً معقولًا بل هو جواب الجهلة الحمقى الذين لا يُريدون ان يُعملوا نظر العقل في طلب الاسباب فيلقون عن عاتقهم مؤونة البحث. ولا يَقُل لنا الملحدون انّنا لا نستطيع ان نبيّن كيف وُجدت المخلوقات ونشرح كثيرًا من اسرار الطبيعة. او ليسوا هم ايضاً قاصرين عن تعليل امور عديدة تجري تحت نظرهم فليذكروا جواب تلك العجوز التي اراد احد الملحدين ان يربكها بالشبهات الباطلة فقاطعتهُ قائلةً: « او تستطيع انت يا سيّدي ان تبيّن لي كيف النار تصلّب البيض وتذيب السمن او كيف الشمس تجمّد الطين وتذيب الثلج » فأفحمتهُ. وسار الى سبيله

كلّا ثمّ كلّا هيهات أن تأتي الصدفة بعمل منتظم ونحن نرى النظام في المخلوقات على غاية كماله . فهذه البيضة التي تتركّب من الوف والوف من الدقائق الجامدة التي لم تتّفق على العمل ولا يُدرك واحد منها ما يصنع نراها منذ الوف من السنين تأتلف وتنتظم وتتأقلم في ادوار مختلفة وتنتهي الى غايات معلومة دون ان تخلّ قطّ في عملها فكيف يقال انّ الصدفة هي الساعية بذلك ؟

وهذا النظام يشمل ليس فقط الانواع لكن كلّ فردٍ منها ايضاً وربّما بلغ عدد الحمل الواحد الوفاً من المواليد فانّ انثى السمكة المدعوّة بالشالح (hareng) تضع في دفعةٍ واحدة الى ٣٥,٠٠٠ من البيض . وقد مرّ ان سمكة الحُفش تضع ما ينيف على المليون منهُ فبعد أيّام قليلة يبلغ عدد المواليد منها المليارات ولكل فرد ذات الخواصّ لتوليد غيرهِ فأيّة صدفة يمكنها ان تتولّى تدبير ذلك كلّهِ ؟

بل اجعل هذه الصدفة بازاء مولود واحد فكيف يا ترى تركّب خلاياها الحيّة وكيف تودع في رحم الامّ جرثومة الحياة فما قولك بالالوف من المواليد . ثمّ يجب تركيب كل اعضاء هذه المواليد واجهزتها ومشاعرها من سمع ونظر وشمّ ولمس وذوق أفتستطيع الصدفة ان تقوم بكل ذلك . انظر يا رعاك الله الى أيّة درجة من الاوهام والاستحالات يبلغ الدهريّون الذين ينكرون وجود الخالق

وهنا يحسن بنا ان نذكر فكاهةً لاحد ائمة الملحدين ڤولتير الذي سمع يوماً بعض المتفلسفين ينكرون وجود الله فقال لهم متهكّماً : « صدقتم فخذوا اذن لكم كيساً من التراب ثمّ القوهُ في برميل وحرّكوهُ جيّداً وزمناً كافياً فلا بُدّ انكم تجدون ضمنهُ صوراً عجيبة كصور اعظم المصوّرين ونباتاً من اجمل النبات وحيوانات بديعة . . . جرّبوا . . . » فكتموا واجمين

لكن فلنعودن راجعين الى بيضة الدجاجة لأن اعتبار خواصّها اقرب الى الفهم من بيض السمك في الماء . اذا حضنت الدجاجة بيضتها تركّب من محّها اعضاء متعدّدة مختلفة البنية والشكل . فهنا ايدي وارجل وهناك معدة ونخاع وجلد واعصاب واجنحة ثم اصول الريش ثمّ عيون ومنقار قرنيّ وشديد ثمّ اظافير القدمين ولكل من هذه الاعضاء غاية مقرّرة . فان قيل : ما معنى هاتين العينين والفرخ في ظلمة بيضتهِ . كان الجواب انّهُ اذا خرج من البيضة سوف يحتاج الى البصر . وان قيل : لأي سبب

هاتان القدمان وهذه الاجنحة . أجيب : لانه سوف يحتاج الى كل ذلك ليسعى في طلب رزقه . وان قيل : وما معنى هذه الحوصلة وهذه المعدة وهذا المنقار الصلب . فالجواب حاضر وهو انَّ الفرخ سوف يغتذي بالحبوب فيجب ان يلتقطها بمنقاره ثمَّ يهضمها في معدته . وقس عليه بقيَّة الاعضاء . فكأنها تتكوَّن على حسب رسم معلوم لغاية معلومة سوف تتم بعد مدَّة ما . فقل لي حفظك الله أتنسب الى الصدفة هذه الاعمال كلها وتركيب هذا البناء العجيب الذي يفوق بحكمة اجمل القصور . وانت لا تنسب الى الصدفة إذلَّ الاكواخ واحقرها ؟

ولا تقل انَّ هذه الاعضاء قد تكوَّنت في اجداد الطائر لاجل احتياجها اليها فاورثتها من بعدها الى صغاره . فانَّ جواباً كهذا لا يفكُّ المشكل . لأن ما نقوله عن الوالد الجديدة يجوز قوله عن الاجداد الاوَّلين . فكيف امكنهم ان يدبروا لنفوسهم ويسدُّوا عوزهم بانشاء تلك الاعضاء . ثمَّ كيف استطاعوا أن يورثوا نسلهم تلك القبوليَّة لوسائل الحياة وما الشواهد على انهم فطنوا لذلك . فكل هذه الاجوبة كما ترى اوهى من نسيج العنكبوت

وان قلت انَّ هذه القبوليَّة نشأت في الحيوان بتوالي الازمنة زدتَ الامر ارتباكاً ذ جعلت في السلاسل الاوَّليَّة قبولاً لاصناف متباينة . فتجعل مثلاً للمادَّة استعداداً لأن تكون نوعاً من النباتات المتعدِّدة او شكلاً من الحيوانات المختلفة فتُضحي على حدٍّ سواء اما دودة واما حشرةً او زحافاً او من ذوات الاثدي . واذ لا يستطيع الجاحدون ان يثبتوا لنا كيف هذه البيضة المعيَّنة تحوَّلت الى هذا الطائر العارم فكيف يستطيعون ان يثبتوا انَّ مادَّته السابقة كانت معدَّة لقبول كل اصناف النبات وكل اصناف الحيوان

فترى انَّ جحدة اللاهوت مهما طلبوا لهم باباً للنجاة من المشاكل ضاقت امامهم المسالك وباؤوا بجهلهم وفشلهم واقرُّوا مرغومين بوجود الخالق تبارك اسمهُ الى ابد الدهور

محادثات فلسفيّة في آداب الحريّة

من خلفة المرحوم الاب انطون رباط اليسوعيّ

١ في تعريف الحريّة

١ ما الحرية وما ادراك ما الحريّة. درّة شُغف بحبّها الافراد والشعوب. وصبت اليها من كل فجّ قوى العقول والقلوب. بل عروس قد اشرأبت نحوها الاعناق ورنت اليها النواظر. وعلقت بحسن مسحتها واطف سجيتها ثائرة الافئدة وثائرة الخواطر. فلا تكاد ترى جريدةً او مجلة او تقرأ كتاباً او تسمع خطاباً الّا وقد جعل المؤلف اسم الحريّة عنوانهُ وغايتهُ. وبثّ روحها والدفاع عن حقوقها بغيتهُ ومحجّتهُ. فاذا طالعت مقالات معاصرينا ممن ادّعوا العلم — ومن لم يدّعِ العلم — سمعتهم ينادون على الملإ ببوق الحرية وكثيرون منهم ينكرون وجود الله والنفس البشرية فيبتون على غير اركان. ويثبتون بدون برهان. وان نظرت في تواريخ الغابرين وتذكرت ما شاهدتهُ بعينيك او شاهده ابواك رايت ان ما من احد اطلق العنان للاهواء وحلّ قيود الفتن فرغب في القبض على زمام السلطة ايّةً كانت الّا وقد تسربل بجلباب الدفاع عن الحرية وقال انهُ لها عبدٌ صادق السريرة مرادهُ توسيع نطاقها ونشر لوائها

فهذا لوثاروس « حرّر باصلاحهِ العقل البشري من رقّ البابويّة » — كما اطرقتنا بهِ نشرتهُ نشر الله عليها ستر رحمته — « واطلق ملايين من سجن العبوديّة الجهليّة » ولا يجهل اليوم الّا من اتبع سبل الجهل عمداً ان غايتهُ لم تكن الّا القاء نير العفّة عن عاتقهِ والسير وراء عهارته. وهناك اهل الفوضى والخوان الثورات في اواخر الجيل السالف وفي مدار جيلنا قد احتشدوا ناشرين راية العصيان يهيجون المرؤسين على رؤسائهم ويزعزعون كلّ مبدأ ونظام ويطأون تحت الاقدام كلّ حلال وحرام ويهدرون غدراً وظلماً دماء زكيّة وهم ينادون باسم الحرية. بهِ يتلبّسون ويتقزّلون وعلى نفاتهِ لارواح العباد يسفكون. فما احلى الاسم والذّهُ وما اسوأ ما أُطلق عليهِ. وان كانت هذه اثمار الحرية فقبّح الله شجرةً يُجنى منها كهذه الاشواك ووقاناً من غوائلها

وموبقاتها. لكنّ والحمد لله بين الحرية وبين ما اراد بها قوم جهلة بعداً شاسعاً وبوناً واسعاً

فما الحرية وما حقيقتها وما المراد من اسمها ومسماها؟

ذلك سؤال اذا طرحتهُ على من انتمى الى ذراعها من خطيب وكاتب تاججت الالسنة وجفّت الاقلام او بالحري اندفع الخطباء في الكلام يلقون على قس وسحبان ذيل النسيان وجرى المداد على انامل الكتّاب فأترك بجمل رنّانة مبهرجة وتراكيب مزوّقة اعانتهم على اقتنائها كتب المرادفات فخُيّل للسامع والقارئ انهم فازوا بالاعلاق وتسلّطوا على دوائر الافلاك واكتشفوا عالماً جديداً خفي على ابائهم فكانوا اهلاً لان يطبّق صيتهم الآفاق

لكنك اذا عجمتَ عودهم وعصرت صفحاتهم لم تلقَ الّا قصباً بالياً او كنت كالقابض على المياه الجارية

سارت مشرقةً من بين اذرعهم وعاد يضرب اخماساً لأسداس

ولا عجب مما يأتينا به متطفلو الانشاء والعلم فان الحرية كانت ولا تزال محكاً قدح الجهابذة على صلبه زناد قرائحهم ونصباً صوّب العلماء على كبده سهام براهينهم كلٌّ تبعاً لمبادئه واهوائه

على ان البحث في هذا الموضوع بحثٌ دقيقٌ بل من اوعر المباحث لارتباطه بالحقائق الفلسفيّة واللاهوتيّة والاجتماعيّة فاذا جُرتَ عن سواء الطريق يمنةً او يسرة سقطت في الهوّة فكانت النتائج نظرياً وعملياً وخيمة عليك وعلى اهل جلدتك

لذا رأيتُ ايها القارئ اللبيب ان انظر وإياك في الحريّة وحقيقتها واصحابها واعدائها وما أُطلق على اسمها مما دعاه معاصرونا « الحرّيات الحديثة » على اني سأتحامى ما استطعتُ الالفاظ الغريبة والمعاني المستغلقة لكني لا بدّ لي من ذكر بعض المبادئ المنطقيّة حفظاً لصدق البراهين وكمال الجدال فاسألك الامعان في مقالي والاقالة لما يفرط من القياسات التي قد يعسر فهمها لاول نظرة على من لم يعتد المباحثات الفلسفيّة وكل لبيب بالاشارة يفهم. فاذا ما نظرت فيها حصحص لك الحقّ وانكشفت الرغوة عن الصريح فكنتَ لطول أناتك شكوراً وصرتَ بحقيقة الحرية خبيراً

ومعاذ الله ان اركب الخيلاء وادّعي بالعصمة وقد رميتُ بسهم نقدي متين من الكتّاب لكني عوّلتُ على ان اتخذ لي اعلاماً وهُداة جلّ اهل المنطق واللاهوت كارسطاطاليس والملفان الملانكي توما الاكويني والمبرّز على اقرانه سوارس الشهير وامامنا الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رسائله الى العالم المتمدّن فاستنير بنورهم واقتفي آثارهم . اقول والله بصدق النية عليمٌ وعلى حفظ القلم عن كل شطط معين

٢ في الحرّية البشريّة

اذا سرّحنا الطرف فيما احاط بنا من الكائنات رايناها مختلفة في الجنس والنوع متفاوتة في الصفات من جامد لا حياة لهُ ونبات حيّ لاحسّ لهُ وحيوان ذي حياة وحسّ لا نطق لهُ وانسان زانهُ الله بمحاسن الطبيعة جمعاء حتى سمّاه الحكماء العالم الاصغر ووهبه بمزيّة عن غيره نطقاً مدركاً بصيراً مفكراً مميزاً لهُ بهِ السلطان على الجماد والنبات والحيوان والملك القاهر يستخدم تلك المواليد بمنتهى فكره وبراعة تدبيره . ويقودها ذليلة في سبيل معيشته واسباب هنائه

وان سألنا او سُئلنا ايّ من المنظورات حائز على الحرّية يستطيع انشاء الفعل او عدمهُ واختيار هذا او ذاك عفواً ؟ كان ولا شكّ جواب كل ذي عقل سليم ان الانسان وحدهُ هذه صفاتهُ وذلك لانهُ وحدهُ حيوان ناطق . فنعم الجواب

لكن قوماً انكروا هذا المقال وعزَوا الحرّية الى غير الانسان فوجب علينا سماع براهينهم قبل الحكم عليهم

ولا أدري أنسب احدٌ من العقلاء الحرّية الى الجوامد والنباتات حتى ولو رأى زهرة الشمس تدور مقابلة لاشعّتها والنبت الذي يلقّبه العامة « بالمستحية » ينقبض اذا مسّتهُ . فلا نرى اذن الى اثبات ما لم ينكر من فائدة

لكن البعض قالوا بحرّية الحيوان ولبناء مدّعاهم اعطوا الحيوان من كنوز عقلهم وذكائهم . لأنّ تامّ الصفات لا يختلف عن عقل الانسان الّا بالكم والكيف . ومنهم من ذهب الى ان عقل كذا من الحيوان اسمى درجةً وارفع منزلةً من عقل الانسان وبرهانهم على هذا ما نشاهده من نتائج الانسان تجمع في صيغها مؤونة شتاتها

وبراعة النحل في هندسة منازلها وصدق خدمة الكلاب والخيل لاسيادها وبناء الطيور لاوكارها واختلاس الفار والثعلب رزقهما عند غفلة الناظرين الى غيره من الامثال

قالوا: هذه ادلة تشهد على عقل صاحبها. فان كان الحيوان ذا عقل فهو حر للارتباط بين كلا الصفتين كما سنبينه في مدار كلامنا

على ان هذا منقوض من ابواب جمة. وذلك اذا ما تبصرنا في صفات العقل البشري وصفات الحيوانات العجم في اعمالها . فالانسان بنطاقه وقواه النفسانية يسمو على الحيوان بامور نخص بالذكر اربعة منها ألا وهي طلبُ العلم والسير وراء الصلاح وابتداع الفنون العقلية والصنائع الشريفة والتحلي بحلية الدين والعبادة

١ (صفات العقل البشري) اولاً : يصبو الانسان الى معرفة حقائق الامور وكلياتها لا يكتفي بما ترآى له من ظواهرها كجرمها ولونها وصورتها ان لم يصل ما استطاع الى كنه ماهيتها حتى اذا ما أتعب الجسم والفكر وتال مبتغاه وكشف القناع عن بعض الشرائع الطبيعية مثلاً او عن ارتباط المبادئ الادبية والدينية بعضها ببعض سكر من نشوة خمرة عقلية اللذ طعماً واهنأ مشرباً من كل لذة حسية . لا يعرف سورة هذه اللذة السامية الا من ذاقها . قال ابن خلدون: « ان العلوم العقلية كثيرة الفوائد بها يقف الانسان على تحقيق الحق في الكائنات ينتهي فكره ويقتنص المطالب المجهولة ويستخرج المباحث الشريفة » . وبهذه المعرفة يُكتسب العلم الذي حدده اهل المنطق معرفة الحقائق عن اسبابها . وقال عنهُ الحكماء انهُ حياة القلوب ومصباح الابصار

ثانياً : ان الانسان يطلب السعادة لا يرغب عنها في اعماله ولا يشتهي ما يشتهيه الا وصلة اليها ومهما كرع من مناهل اللذة والكرامة الفانية لا يشفى منهُ الغليل تراه مضطرب الفؤاد كما قال القديس اوغسطينوس بين الخيرات الارضية يرنو بحشاشته وجامع لبه الى الخير التام الذي لا نُقص فيه ولا حصر والى السعادة الكاملة التي لا يخالطها همّ ولا غمّ ولا يُخاف فقدانها . فاذا وصل الى غايته القصوى سكن في السلام والصلاح سعيداً

ثالثاً : والانسان مُشغف بحبّ كل مليح وجميل يطرب لطيب القول والانشاد والسماع ويعجب لما حسُن من المناظر الطبيعية فيشوقه بهاؤها ويهيج قلبهُ جمالُ تلألئها

ونظام شأنها واذ ذاك يُعمل الفكرة في ابداع الفنون العقلية واختراع الصنائع الآلة الى تحسين احواله . وقد اشتهر في هذه المبتدعات جيلنا هذا كما لا يجهل جاهل . على ان الانسان لا يزال صابياً يلتذ بالجميل المحصور ويتوق الى الجميل الحسن بالذات الذي لا عيب فيه ولا خلل — كما قال افلاطون في محاورته الملقبة بالمائدة — حتى اذا ما فاز به علق بحبه مدى الابد

رابعاً واخيراً : ان الانسان دين بالطبع يُجهد الفكرة في معرفة علة العلل واصل الموجودات وهو الله تبارك وتعالى فيؤدي لخالقه فرض الاقرار بربوبيته وواجب الطاعة والعبادة شكراً على الانه وطلباً لمرضاته . وتشبهاً بخالقه يتبع حسن الاداب ويزين نفسه ببرود الفضائل وجلباب الكمال

هذه بعض صفات العقل الانساني اللهم ان لم ينقد لانواع الشهوات البهيمية ويلقي عن مفرقه تاج العقل فيصبح شبيهاً بها كما قال صاحب الزبور (٤٨ : ١٢) : « كان الانسان في كرامة فلم يفهم فماثل البهائم وتشبه بها » وقد ذكر قسماً من هذه الصفات الاربع الشيخ يحيى بن عدي في كتيبه عن تهذيب الاخلاق حيث قال : « هذه القوة الناطقة هي التي يتميز بها الانسان عن جميع الحيوان وهي التي يكون فيها الفكر والذكر والتمييز والعلم والتي بها شرف وعظمت همته . بها يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح . وبها يمكنه ان يهذب قوتيه الباقيتين اعني الشهوانية والغضبية ويضبطها ويكفها . وبها يفتكر في عواقب الامور فيبادر الى استدراكها من اوائلها . . . اما فضائل هذه القوة فاكتساب العلوم والآداب وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش وقهر القوتين الاخريين وتهذيبهما وسياسته في معاشه ومكاسبه وفي مروءته وجميله وحثه على فعل الخير والتودد والرقة وسلامة النية والحلم والحياء والنسك والعفة » . الى ان قال : « والانسان اذا لم يستعمل الفكر والتمييز في جميع اعماله كان الغالب عليه اخلاق البهائم وذلك لانه انما يتميز عنها بالفكر والتمييز فاذا لم يستعملها كان مشاركاً لها في عاداتها والشهوات مستولية عليه . . »

١ (صفات الحيوان الاعجم) فاين النمل والنحل والفار والثعالب وغيرها من هذه السجايا ان بينها وبين الانسان لبوناً بعيداً فهو يسمو الى المعالي وهي تدب على الحضيض . هو يخترع ويبدع وهي تتبع خطة واحدة منذ نشأتها لا تحيد عنها لا

مع انه في مخيلتها من الصور الغريزية التي تمكنها من حفظ كونها . هو يفعل وهي تنفعل . هو يستحق على اعماله مدحاً او ذماً وهي لا ينسب اليها عاقل ثواباً او عقاباً . هو يصبو الى الحق والصلاح والفنون والدين وهي لا تنظر الا الى طعام يهيج غريزتها فتلحق به

وقد اجاب الملفان اللانكي في خلاصته اللاهوتية (الجزء الاول من القسم الثاني في الفصل الثاني من المبحث الثالث عشر) على قول الاخصام قال : « ان الحيوان الاعجم انما يؤثر شيئاً على آخر لان شهوته محدودة اليه طبعاً تحرك اليه حالاً دون انتخاب كما ان النار ايضاً تتحرك صعداً لا سفلاً دون انتخاب »

وقد انكر علينا ما قدمناه دروين في كتابه عن اصل الانسان واوضح انتقاده احد اصحابه متياس دوفال (Mathias Duval) مدرس الطبيعيات البشرية (Anthropologie) في كتابه عن مذهب دروين (الصفحة ٦٩) بمثل كلب جد في اثر وعل فبلغ الى مفرق ثلاث طرق استشمّ ريحه واذ وجد انه لم يذهب في الاولى والثانية استنتج باستعمال القياس العقلي ان الوعل سار في الطريق الثالثة فهرول في طلبه . واستنتج المعلم دوفال ان للكلب عقلاً

ولو لم اعرف حق المعرفة ان هؤلاء العلماء يزدرون بالفلاسفة واللاهوتيين فلا يحطون بمقامهم الرفيع الى مطالعة كتب اهل الدين لقلت ان مدرس الطبيعيات قد نقل حرفاً بحرف المشكل الثالث من المبحث الثالث عشر من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني قال الملفان اللانكي : « من الحكمة ان يحسن الانسان انتخاب ما الى الغاية كما قال ارسطو في الخلقيات (الجزء السادس الباب ١٢) والحيوانات تتصف بالحكمة . وهذا ظاهر للحس ايضاً فان بعض الحيوانات كالنحل والعناكب والكلاب يشاهد في افعالها ضروب عجيبة من الحكمة فان الكلب اذا جد الخ . . (المثل السابق) فيظهر اذن ان الحيوانات العجم تتصف بالانتخاب » . وعليه اجاب « المعلم اللانكي » بما فيه كفاية لذوي الابصار قال :

ان الحركة هي فعل المتحرك صادراً عن المحرك كما قال ارسطاطاليس في كتابه عن الطبيعيات (٣:١٦) ومن ثم قوة المحرك تظهر في المتحرك وعلى هذا فكل ما يتحرك من العقل يشاهد فيه ترتيب العقل المحرك وان لم يكن عاقلاً فان السهم

يتوجه توًّا نحو الغرض بتحريك الرامي كما لو كان لهُ عقل يدبره. ومثل ذلك يشاهد في حركات الساعات وسائر ما يستنبطه الانسان بصناعته. ونسبة جميع الطبيعيات الى الصناعة الالهيَّة كنسبة جميع الصناعيات الى الصناعة البشريَّة. ولذلك فما يتحرك بالطبع يُشاهد فيهِ ترتيب كما يشاهد ايضاً في ما يتحرَّك بالصناعة. وانما يُشاهد في افعال الحيوانات العُجم بعض ضروب من الحكمة من حيث تميل طبعاً الى بعض اساليب حسنة الترتيب لكونها مرتَّبة من الصناعة العليا وبهذا المعنى توصف بعض الحيوانات بالفطنة والحكمة لا كأن لها عقلًا وانتخاباً. وهذا ظاهر من حيث انَّ جميع الحيوانات المتحدة بالجنس تفعل ما تفعلهُ على وتيرة واحدة »

ففي هاتين الكلمتين « على وتيرة واحدة » او « نوع واحد » قد سبق إمام اللاهوتيين فدحض سالفاً زعم دروين في التقدم والنجاح الحيواني فاقرأ ان شئت كتب معاصرينا في طبائع الحيوان واعماله وقابل كلامهم بما ذكرهُ ارسطو وبلينيوس الطبيعيّ في تواريخهما يتراءى لك جليًّا ان الاجيال الطوال لم تزد الحيوان الاعجم معرفةً وعلماً بل وانظر في ما حفظتهُ لنا العاديَّات والرقوق المصريَّة التي عُمرت اربعة او خمسة آلاف سنة تجد ان اخلاق « النحل والعناكب والكلاب » هي هي في القرون الاولى كما نعرفها في ايامنا لم تتغير خطوةً عمَّا كانت ولم يبالغ في نموها الارث ولا اكتناز معارف السلف للخلف ولا افادتها شيئاً الظروف المفيدة للانسان وما ذلك الَّا لكونها مقيَّدة بالحسّ والغريزة على نمط واحد تبعاً لاحكامهِ عزَّ وجلَّ والانسان ذو عقل مميز وارادة متعددة ينظر في دواعي الامور وبواعثها وينتخب اختياراً ما كان فيهِ صلاحهُ وفلاحهُ

قلنا ان البعض — وهم اصحاب دروين — فضَّلوا عقل كثير من الحيوان على عقل الانسان واتونا بمثل بعض القبائل البعيدة عن الحضارة كالفويجينيين (Fuégiens) وادَّعوا ان ما لدى هؤلاء من الامور الدينية ليس الَّا احساساً يجزعون من جزائهِ لما لا يفقهونهُ وما هذا الجزع باسمى من جزع الحيوان لمرأى لم يكن في خلده

فهب ان زعمهم صادقٌ لكنَّ لنا مع ذلك في وجه الاخصام جواباً اخذناهُ عن زعيمهم نفسهِ فقد ذكر دروين في كتابهِ عن اصل الحيوان (الطبعة الافرنسيَّة الصفحة ٦٧) ان ثلاثة من هؤلاء الفويجينيين أُتي بهم الى البلاد الانكليزيَّة فلم

يمض عليهم سنون قليلة الا وقد تمكنوا من معرفة اللغة الانكليزية ولم يكونوا احطّ منزلةً عن غيرهم من الملاحين الانكليزيين في عقلهم وادراكهم وتمييزهم (كذا المؤلف). فمتى تمكّن اصحابنا من تدريس اللغة الانكليزية للحيوانات (العاقلة على زعمهم) وجعلوها اهلاً لأن تضاهي الملاحين الانكليزيين عقلاً وادراكاً وتمييزاً حقّ لهم ان يذكروا مذهبهم وعلينا ان نأخذ قولهم بعين الاعتبار

على انّنا اذا سلمنا بالقول ان الحيوان الاعجم ذو عقل كعقل الانسان وجب ان نستنتج بقياس لا مردّ عليه انهُ ذو نفس روحيّة في جوهرها وذاتها يخلقها الله في كل فرد من افراد الحيوان وهي سرمديّة الدوام لا يطرأ عليها الفناء غايتها الحق والصلاح غير المتناهي تبارك اسمهُ كما يؤمن كل ذي عقل ودين من القراء الافاضل في ماهية النفس وصفاتها وغايتها لا ينكرهُ الّا من ضربت على صفحات قلبه اطناب الجهل والكفران واذ لا يسلّمون بالنتيجة فقد اخطأوا المقدّمة فليس الحيوان بعاقل

وهنا يجدر بنا ان نلاحظ امرًا لا طائل تحتهُ في ذاته لكنهُ قد يُغشي على بصيرة قوم وهو ان بعض السذّج يحسبون ان ما يقول الاسد للثعلب والغزال للحمامة في امثال لقمان او ما ذكره بعض الجهلاء عن المحاورات بين سليمان والوحوش امرٌ حقّ واقعي فيشبّون ويشيبون ولا يرشدون فتراهم يمزون اللغات والكلام للحيوان وهو عنها قاصٍ ولم ينسب الكتّاب الكلام لمن لا عقل له الّا تفكهة للاذهان وترويحاً للخواطر يجعلون الامثال والاقوال المختلفة أحبولة لوعظة الناس ووسيلة لتقويض اركان الرذيلة وتعزيز اسباب الفضيلة. قال صاحب كليلة ودمنة:

« يجب على قارئ الامثال ان يلتمس جواهر معانيها ولا يظنّ ان نتيجتها انما هي الإخبار عن حيلة جيستين او محاورة سبع لثور. . . وانما القصد من وضعها على السنة البهائم غير الناطقة هو مسارعة . . الشبّان الى قراءتها فتستمال بما فيها لان هذا هو الغرض بالنوادر من جبّل الحيوانات . . . فتكون الامثال رياضة لعقلهم اذ فيها يجدون ما يحتاج اليه من امر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ويحضّه على حسن طاعته للملوك ويجنّبهُ ما تكون عاقبته خيرًا له »

ومثلهُ قال بعضهم:

فكم حيكم على افواه طير وآداب وامثال تقولهْ
يراها الجاهل المأفونُ هزلاً وحسبكها لعالمها فضيلهْ

ومما يُضحك الثكلى حكاية لطيفة تاريخية نقصّها على قارئنا الاديب نزهة

لباله. وهي ان احد العلماء المحققين في ايامنا ذهب الى ان للحمام عقلاً ذكياً وكلاماً فصيحاً مفهوماً. وبرهاناً لمقاله حبس نفسهُ مدة اسابيع متتابعة على مقربة من بروج الحمام يصيخ سمعاً لقوقها ونغماتها عند خروجها ودخولها ويدونها على قرطاس تبعاً لقواعد الموسيقى وبعد الكدّ والجدّ اتصل الى ثلاث او اربع نغمات من هذا التقويق تأوّلها بقوله انّ الحمام يشير بهِ الى الذهاب لجمع الطعام واظهار لذّتهِ بعد الحصول عليهِ. وقد اهدى العالَم المتمدّن نتائج بحثهِ شفعها بخواطر افكاره في عقل الطير ولغاته. أكرم بهِ من عالم ناقد وفيلسوف نطاسي قريع دهره في تأويل لغة الطيور!!

وقبل ختام مقالي عن الحيوان لا بدَّ لي من ذكر جمعية خيرية شاعت وانتشرت في كثير من البلدان المتمدّنة وانضمَّ اليها قوم كرام افاضل غايتها الدفاع عن حياة الحيوانات — وربما قالوا عن حقوقها (كذا) — وردْع ذوي القساوة والشراسة عن إمساك قواها وتعذيبها بانواع العذاب. على ان غايةً كهذه لا تخلو من فائدتين احداهما حفظ الحيوانات المستألفة لما في ذلك من المنافع الجمّة في سبيل المعيشة والاخرى وهي لدينا شريفة ترغب الى الآباء والمعلمين ان ينظروا اليها باعين الاعتبار وهي ان المرء يبقى على ما نشأ في حداثة سنّهِ فاذا اعتاد الولد منذ صغره على التلذُّذ بتعذيب غيره حيواناً كان او طفلاً نمت في قلبهِ طباع سيئة وتمكنت فيهِ القساوة والفظاظة الوحشيَّة فيجعل لذّتهُ في تعذيب رفقائهِ واخوانهِ ويشبُّ ويشيب وقلبهُ اصلب من الصخر الاصمّ لا يحنّ ولا يرفق

لذا نرى ان انتشار جمعيات كهذه حسن لكنّنا نشترط عليها شرطاً وهو ان تضرب عن ذكر «حقوق الحيوان» لحيث لا قوى عقليَّة ولا ارادة حرّة فهناك لا حقوق ان لم نرد اخراج الالفاظ عن حقيقة معانيها. فالرفق بالحيوان يعود علينا بالثروة ويردعنا عن اتباع المساوئ ليس الّا فهو فرض علينا نحو انفسنا لا نحو البهائم. قال داود النبي في المزمور الثامن: «ما الانسان حتى تذكرهُ وابن البشر حتى تفتقده. نقصتهُ عن الملائكة قليلاً وكللتهُ بالمجد والكرامة سلطتهُ على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميهِ الغنم والبقر كلها وبهائم الصحراء ايضاً وطير السماء وسمك البحر السائر في سبل البحار. ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض»

والنتيجة ان الحيوان الاعجم ليس بعاقل فهو اذن ليس بحرّ (له بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث : في الاعلام النصرانية (تابع)

٤ الاعلام النصرانية الوصفيَّة والمعدول بها والمعرَّبة

هو الضرب الاخير من الاسماء التي تسمَّى بها بعض نصارى العرب في الجاهليَّة فمنها ما هو صفة محضة كصفات شائعة في زماننا مثل نجيب وانيس الَّا انها ادلَّ على احوال النصارى ومعتقداتهم . ومنها ما عُدل بهِ عن منعوت نصراني او نُقل معناهُ الى العربيَّة . ولا نطرق هذا الباب الَّا بكل حذر لئلَّا ينسبنا القارئ الى المبالغة ولعلَّ غيرنا يتسع فيهِ

(امرؤ القيس) لا بدع انَّ بعض نصارى الجاهليَّة دُعوا بهذا الاسم ولعلَّ اقدمهم هو امرؤ القيس المعروف بالبدء الذي ذكر ابن الكلبي وابن خلدون (راجع الجزء الاوَّل ص ٧٧) انَّهُ اوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر في العراق . ومنهم امرؤ القيس الشاعر الكندي الذي اثبتنا نصرانيَّتهُ في مقالة سابقة ردًّا على حضرة الاب انستاس (المشرق (١٩٠٥) ٨ : ٩٩٨–١٠٠٦) . ولعلَّ سائلًا يسأل وما اصل هذا الاسم ؟ قد اجاب الكاتب المتفنِّن جرجي افندي زيدان في «كتاب العرب قبل الاسلام» (ص ١٦٦) انَّ هذا العَلَم احد الاسماء «التي اقتبسها العرب من الامم المجاورة لهم كاليونان والسريان وقد حرَّفوها» (قال) : «فامرؤ القيس مثلًا نظنهُ تحريف ماركوس (مرقس) وربَّما تعمَّدوا تحريفهُ ليكون لهُ صبغة عربيَّة ... ويؤيد ذلك انَّ هذا الاسم (امرؤ القيس) لم يكن معروفًا عند العرب قبل النصرانيَّة او قبل مجاورتهم اليونان» . هذا رأي رصيفنا جرجي افندي ويا ليتهُ صحيح لكنَّهُ لا يقنعنا والمرجح

ما يقوله المستشرقون انَّ الاسم مركَّب من « امرئ » و« قيس » اي رجل قيس او عابد قيس من معبودات العرب القديمة وقد بقي الاسم مع سقوط معناه الوثني . والله اعلم

(بُحير او بَحيرا) على رأينا انَّ هذين الاسمين بمعنى واحد وانهما من السريانيَّة « حمنمُّا » ومعناهُ الرجل الحاذق والعالم والاغلب انهُ لقب . وقد عُرف بهذا الاسم بحيرا الراهب الذي اجتمع بمحمَّد صاحب الشريعة الاسلاميَّة وكان اسمهُ سرجيوس كما قلنا . وذكر في أُسد الغابة لابن الاثير (١ : ١٦٧) رجلاً آخر شاميًّا بهذا الاسم قدم على رسول المسلمين مع سبعة آخرين . وكذلك اسم بُحير كان شائعاً في الجاهليَّة ذكر في تاج العروس (٣ : ٢٩) اربعة من الصحابيين بهذا الاسم اشهرهم بُحير بن ابي ربيعة المسمَّى عبدالله وبُحير الاغاري

(بِشر وبَشير) كلا الاسمين كان شائعاً في الجاهليَّة وكثر في القبائل التي مرَّ بيان نصرانيتها كبشر بن الحارث الصحابي وبشر بن المعلَّى سيِّد بني عبد القيس النصارى المعروف بجارود (الاشتقاق لابن دريد ١٨٦) وبشر بن ابي خازم الاسدي الشاعر . وبشير الكعبي احد بني الحارث بن كعب اصحاب نجران النصارى (أُسد الغابة ١ : ٢٩٣) . وعلى رأينا انَّ في هذا الاسم اشارةً الى اسم البشارة او انَّهُ استعير من الآراميَّة بهذا المعنى فاتَّخذه النصارى في الجاهليَّة كما يدعون اليوم باسم بشارة وبشير

(البَعيث) هو اسم بعض اهل الجاهليَّة النصارى اخصُّهم بعيث بن حُريث الحنفي وبعيث بن رزام التغلبي . واشهر منهما بعيث اليشكري الشاعر واسمهُ خداش بن بشير من بني جاشع واسم امهِ ورده . قالوا انهُ دُعي بعيثاً لقولهِ :

تبعَّثَ بي ما تبعَّث بعدما أمرَّت قوايَ واستمرَّ عزيمي

وعندنا انَّ لهذا الاسم علاقةً مع البَعث اي المبعث من الموت كما دعا نصارى الغرب بهذا المعنى « Anastase » ونذكر انَّ الاب انستاس الكرملي اتحفنا في المشرق بمقالة تحت امضاء « البعيث الخضري » وهو تعريب اسم حضرتهِ الكريم

(تَوبة) هو اسمٌ يُشعر بزهد النصارى تسمَّى بهِ في الجاهليَّة او في اوائل الاسلام تَوبة بن عمران الاسدي (ياقوت ٣ : ١٠٥) وتوبة الشَّاولي واسمهُ عبد الملك (فيه ١ : ٥٧٨) وتَوبة بن الحُمَير الخفاجي الشاعر (الاغاني ١٠ : ٦٧)

(ثابت) شاع هذا الاسم في اواخر عهد الجاهليَّة ولا سيما بين القبائل المتنصرة من تنوخ وعبد قيس وتميم وثعلبة وغيرها. ولعلَّهُ احد الاسماء المنقولة عن الاعلام النصرانيَّة الاجنبيَّة كمثل « Constans » اللاتينيَّة او « Firmus »

(جابر) ممَّا دُعي بهِ بعض النصارى في الجاهليَّة كالشاعر التغلبي جابر بن حُنَي (شعراء النصرانيَّة ص١٨٨) وجابر بن شمعون اسقف الحيرة في أيام النعمان بن المنذر (الاغاني ٢ : ٢٦) لعلَّهُ من الاسماء المستعارة من اوصاف اللاهوت كجَبْر وجبَّار وجبرئيل كما مرَّ

(الحارث) احد الاعلام التي استحبَّها النصارى في الجاهليَّة فتسمَّى بهِ ملوكهم الغسَّانيُّون وكثيرون من اساقفتهم الذين وقَّعوا على اعمال المجامع بهذا الاسم منقولاً الى اللاتينيَّة (Aretas) ومن رؤساء قبائلهم كالحارث بن كعب الذي ذكرنا وصيَّتهُ الى ابنائهِ (ص ١٢٨) او كصاحب نجران المستشهد على عهد ذي نواس (ص ٦٠) واشتهر ايضاً الحارث بن عبَّاد شاعر بني بكر وسيِّدهم (شعراء النصرانيَّة ص ٢٧٠). والحارث بن حلزة البكري (شعراء النصرانية ص٤١٦) وابو الحارث الاسقف احد وفود اليمنيِّين على محمَّد في السنة ٩ للهجرة (الطبري). امَّا اصل هذا الاسم فليس بثابت . وقد زعم الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان في كتابهِ العرب قبل الاسلام (ص١٦٦) انَّهُ معرَّب من اليونانيَّة (قال) « فالحارث يجوز ان يكون ترجمة جيورجيوس اليونانيَّة ومعناها العامل بالارض » . وفي قولهِ نظرٌ لأنَّ هذا الاسم سبق عهد النصرانيَّة وبهِ عُرف ملوك من النبط

(حبيب) هو عند النصارى لقب للرسول يوحنَّا بن زبدى لانَّ السيِّد المسيح خصَّهُ بمحبَّتهِ بين تلاميذهِ (١ . وعلى ظنِّنا انَّ النصارى الذين سُمُّوا بهِ اشاروا الى ذاك الرسول . ومنهم من ذُكروا في جملة الصحابة (راجع أُسد الغابة لابن الاثير ١ : ٣٦٨–٣٧٥) . ومن شهداء النصارى في مدينة الرها على عهد ديوقلطيانوس المسمَّى بحبيب استشهد مع گورياس وشامونا (BHO, p. 84) وعُرف بهِ شهيدان

---

١) وفي شرح المفسِّرين للقرآن يدعونهُ « حبيباً النجَّار » وقالوا ان ما ورد في سورة يس « اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذَّبوهما فعزَّزنا بثالث » يراد بهم حبيب النجَّار (اي يوحنا الحبيب) ويعقوب وسمعان بطرس

آخران في صور وفي العراق في ايام سابور . وبينهم واحد نُسب اليهِ دير حبيب (ياقوت ٢ : ٦٥٣)

(حكيم) من المحتمل انَّ الذين دُعوا في الجاهليَّة باسم حكيم كحكيم بن حزام بن خويلد (اشتقاق ابن دريد ٥٨) وحكيم بن قبيصة بن ضرار الثعلبيّ (حماسة ابي تمّام ص ٧١٢ وحماسة البحتري ص ٦١) وحكيم بن جبَلة العبدي من بني عبد القيس (أُسد الغابة ١ : ٣٩) وغيرهم انَّما أُشير باسمائهم الى سليمان الحكيم

(خالد) هو ايضاً احد الاسماء التي تشعر باعتقاد النصرانيَّة بالآخرة وخلودها فلا عجب ان يكون النصارى دعوا بهِ اولادهم في الجاهليَّة كخالد بن سنان العبسيّ النبيّ الذي كان يدعو قومهُ الى النصرانيَّة (راجع الصفحة ١٣٥) وخالد بن عمرو الشيبانيّ (حماسة البحتري ص ٣٦) وخالد بن حِقّ الشيبانيّ (سيرة الرسول ٤٦). ومن المحتمل ايضاً انَّهم عرَّبوا ذاك من اعلام نصرانيَّة يونانيَّة (ἀΐδιος) او رومانيَّة (Perennis, Perpetuus, f. Perpetua). ومثل خالد تسميتهم بخالدة وخُلدة وخويلد وخليدة وخلّاد (اسد الغابة ١ : ١١٩—١٢٢ و ١٢٧)

(الخِضر) هذا الاسم الذي اختلف فيهِ المسلمون ايَّ اختلاف فقالوا انَّهُ النبيّ الياس او النبيّ اليشاع او النبيّ ادريس او القديس جرجس وجعلوهُ من غلمان موسى في شرحهم على سورة الكهف لم نجد لهُ اثرًا بين اعلام الجاهليَّة . ولو كان قديماً لدُعي بهِ احد النصارى او اليهود قبل الاسلام وقد زعم البعض انهُ تعريب «Horus»

(الخليل) التسمية بهِ لم تسبق الاسلام . ولعلَّهم استعاروهُ من قول القرآن في سورة النساء (٤ : ١٢٤) : «واتَّخذ اللهُ ابرهيمَ خليلًا» فدعوا بهِ مشيرين الى ابراهيم ابي المؤمنين

(سَعْد وسَعيد وأَسعَد) دُعي بهذه الاسماء بعض نصارى العرب في الجاهليَّة كسَعْد بن مالك ابي المرقّش الذي دفع ابنهُ الى احد نصارى الحيرة ليعلِّمهُ الخطّ (الاغاني ٥ : ١٩١) وسعد بن الضباب صاحب امرئ القيس (٨ : ٧١) وسعد الذي نُسب اليهِ دير سَعْد (ياقوت ٢ : ٦٦٩) وأَسعد بن زُرارة (أُسد الغابة ١ : ٧١) فلا يبعد انَّ النصارى اتَّخذوا هذه الاسماء معرَّبةً عن لغات الشعوب المجاورة كاسم الشهيد «Felix» مثلًا . والى هذا الباب يعود اسم سَعْدان وبهِ سُمّي «سَعْدان بن

عبد يسوع » المذكور في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) في حروب قيس وتغلب

(سالم) نجد هذا الاسم لاحد اساقفة بلاد العرب الذي حضر المجمع الخلقيدوني ووقّع على اعماله في اليونانية « Σωλήμος » (راجع الشرق المسيحي Lequien : *Oriens Christianus*, II, 866)

(صالح) هذا الاسم سبق الاسلام . ومؤرخو العرب يزعمون ان نبيًّا بهذا الاسم أُرسل الى قوم ثمود يدعوهم الى الله والى نبذ عبادة الاصنام واجترح الآيات تأييدًا لدعوته فأبى اكثرهم ان يرعووا عن غيّهم فضربهم ضربةً عظيمة واهلكهم الّا الذين آمنوا فتوجّه بهم الى مكة . وليس بالمستبعد انّ النبي المذكور احد دُعاة النصرانيّة الذين سبق لنا ذكرهم . وما يؤكده كتبة العرب (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ٢١ ed. Wüstenfeld,) انّ فيمون الذي دعا اهل نجران الى النصرانية صحبهُ في دعوته وزمهُ رجل اسمهُ صالح من عرب الشام وذكر في أُسد الغابة (٢ : ٩) مولًى لرسول المسلمين يُدعى صالحًا كان اصلهُ من نصارى الحبش . وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق (ص ٥٨) صالح بن عبدالله قال « قُتل بقُدَيد وكان صالحًا دينًا » . فهذا الاسم على ما نرى مستعار من اعتقاد نصراني او هو معرَّب عن اسم اجنبيّ نحو « Justus » او « Innocens » او « Pius »

(صخر) احد اعلام الجاهليّة المستفيضة فهو بثابة كيفا (ܟܺܐܦܳܐ) السريانية و Petrus اللاتينية والصفا العربيّة وهو الاسم الذي سمّى به السيد المسيح هامة رسله اذ جعله كصفاة عليها تُبنى بيعتهُ . وليس لدينا برهان قاطع على انّ العرب ارادوا باسم صخر الاشارة الى القديس بطرس كما زعم جرجي افندي زيدان (في كتاب العرب قبل الاسلام ص ١٦١) حيث قال ان العرب ترجموا الاسماء اليونانية فتسمّوا بها وضرب مثلًا على ذلك اسم الحارث كما مرَّ واسم « صخر » فقال انهُ « ترجمة بطرس »

(مالك) نظنّ انّ هذا الاسم بين نصارى الجاهليّة امّا معرَّب عن اليونانية وامّا مشير الى احد اولياء النصارى . والدليل على الاوّل ما رويناهُ سابقًا (ص ٨١) عن احد امراء العرب الوافدين على القديس سمعان العموديّ سمّاهُ الكاتب (Basilicus) اي مالكًا . والدليل على الثاني اسم رجلين من نسّاك النصارى اشتهرا باسم Malchus في ما بين النهرين والعراق (BHO, pp. 131-132)

(محمَّد) مرَّ في الفصول السابقة (ص ١٢٦ و١٤٨) انَّ اسم محمَّد من اعلام زمن الجاهليَّة . وانَّ النصارى عُرفوا بهِ كمحمَّد بن سفيان بن مجاشع احد اساقفة تميم وكذلك محمد بن حمران من نصارى مذحج ومحمد بن خزاعيّ من ذكوان ومحمد احد بني سليم (Sprenger I, 161) . وهذا الاسم يشبه بمعناه عدَّة اسماء يونانيَّة لرجال اشتهروا في بلاد العرب اخصُّهم اوتيميوس رسول العرب واودوكسيوس احد الشهداء الاوَّلين فمن المحتمل ان يكون عُرِّب عن بعضها

(منصور) نجد هذا الاسم بين اعلام الجاهلية . منهم في بني اياد النصارى منصور بن يقدم بن افصى بن دعميّ بن اياد . ومن بني ربيعة منصور بن جَمْوَنة قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٨٠) : « كان شريفاً بالشام سيّداً » . ومن قضاعة منصور ابن جُمهور من رجال كَلْب . واشتهر في دمشق ابن منصور في عهد بني اميَّة وهو القديس العلَّامة يوحنَّا الدمشقي . وليس بالمستبعد ان يكون هذا الاسم معرَّب من اسم يوناني مثل (Nicon, Nicolas) او لاتيني مثل (Vincent, Victor)

٥ الاعلام النصرانيَّة الجغرافيَّة

نضيف الى اعلام الاشخاص النصرانية الاعلام الجغرافية التي تدلُّ على معرفة العرب لزيارات النصارى واكرامهم لها

(أورشَلِم) عاصمة اليهود قبل المسيح اضحت بعدهُ مدينة مقدَّسة يكرمها النصارى ويتبرَّكون بزيارتها . والعرب لم يدعوها بعد الاسلام بهذا الاسم وانَّما جاءت على هذا اللفظ القديم في شعر الاعشى قال (معجم البلدان ١ : ٤٠٢ واللسان ٥ : ٩٦) :

وطوَّفتُ (١) المالَ آفاقهُ عُمانَ فحِمْصَ فأورشَلِمْ
اتيتُ النجاشيَّ في داره وارضَ النبيطِ وارضَ العَجَمْ

وروَوا : أورشَلِم وأوراشَلَم . وذكروا حديثاً لعطاء (اللسان ٥ : ٩٦) : « أبشري أورَى شَأْم بَراكبِ الحمار » قالوا يريد بيت المقدس . وهذا الحديث منقول عن نبوَّة زكريَّا في السيِّد المسيح ودخولهِ الى اورشليم (متى ٢١ : ٥) : « قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيكِ وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان »

---

١) ويروى : وقد طفتُ

(إيلياء) هو اسم آخر لبيت المقدس لكنهُ روماني الاصل دعاهُ بهِ ادريانوس الملك بعد محاربتهِ لليهود في القرن الثاني للمسيح فخرب بقايا المدينة اليهودية وشيَّد هيكلاً للمشتري ودعى المدينة لذلك «Ælia Capitolina» وروى ياقوت انَّ معنى ايلياء بيت الله والصواب انَّها مشتقَّة من اسم اسرة القيصر ادريانس المدعوَّة ايليا. وانشد في معجم البلدان (١ : ٤٢٤) لبعض الاعراب يصف بعيرهُ وسيرهُ الحثيث في جهات فلسطين:

فلو انَّ طيرًا كُلِّفتْ مثلَ سيرهِ الى واسطٍ من إيليا لكَلَّتِ
سمَى بالمهارى من فلسطينَ بعد ما دنا الفيءُ من شمس النهار فولَّتِ
تا غاب ذاك اليومُ حتى اناخها بعَيْسان قد حلَّت عُراها وكَلَّتِ

وكذلك دعاها الفرزدق بهذا الاسم فقال (ياقوت ١ : ٤٢٤):

وبيتانِ بيت الله نحنُ وُلاتهُ وقصرٌ بأعلى ايلياءَ مُشرَّفُ

(سَدُوم) مدينة ورد ذكرها في سفر التكوين عاقب الله اهلها لمآثمهم . وقد عرف العرب في الجاهليَّة امرها فقال عمرو بن درَّاك العبديّ (في التاج ٨ : ٣٣٥ واللسان ١٥ : ١٧٧):

وانّي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المرونَ على غيمِ
لأعلمُ فجرةً من ابي رغالٍ وأجور في الحكومة من سَدُومِ (١

وقال اميَّة بن ابي الصلت (صحاح الجوهري ٢ : ٢٠٧):

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا (٢ كمَصَّف في سَدُومِهمُ رميمِ

(سِينا) قال ياقوت (٣ : ٢٢٠) : « موضع بالشام يضاف اليهِ الطور فيقال طُور سينا وهو الجبل الذي كلَّم الله تعالى عليهِ موسى بن عمران عم ونُودي فيهِ ». وورد هذا الاسم في القرآن قال في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠): « وشجرة تخرجُ من طور سيناء ». وربَّما دُعي بالطور دون اضافة كقولهِ (في سورة مريم ١٩ : ٥٣): « وناديناهُ (اي موسى) من جانب الطور الأيمن وقرَّبناهُ نجيًّا ». ومثلهُ قولهُ عن

١) يريد بابي رغال احد ملوك الطائف الذي دلَّ الحبشة على الكعبة يوم اتوا ليخربوها. ويروى: لاعظم صفقةً من شيخ مَهْو

٢) وروى ياقوت ٣ : ٥٩): حين أضحوا

رؤيا موسى للعوسجة (سورة القصص ٢٨ : ٢٩) : « آنس من جانب الطور نارًا »

(صِهْيَون) احدى تلال القدس الشريف التي احتلّها الملك داود ويراد بها مجازًا مدينة القدس او احدى كنائسها . وقد ورد الاسم في شعر الاعشى قال يمدح يزيد وعبد المسيح ابني الديّان وقيل يمدح السيّد والعاقب اسقفَي نجران (ياقوت ٣ : ١٣٨) :

ألا سيّدَيْ نجرانَ لا يوصِلَنْكما بنجرانَ فيما ناجما واعتراكما
فان تفعلا خيرًا وترتديا به فانكما اهلٌ لذاك كلاكما
وان تكفيا نجران أمرَ عظيمةٍ فقبلكما ما سادها ابواكما
وان احلبَتْ صهبيّون يومًا عليكما فانّ رحا الحرب الدكوكِ رحاكما

(القُدْس والقُدس ويقال بيت المَقدس) من اسماء مدينة القدس الشريف. قال مروان بن الحكم يتهدّد الفرزدق (الاغاني ٢١ : ١٩٧) :

قُل للفرزدقِ والسَّفاهةُ كاسمها ان كنتَ تارك ما ضمنتَ فأجلِسِ
ودَعِ المدينة انّها مذمومةٌ واقصدْ لمكّةَ او لبيت المقدسِ

روى في التاج (٤ : ٢١٣) لشاعر يخاطب ناقتهُ :

لا نومَ حتى تهبطي ارض القُدُسْ وتشربي من خيرِ ماءٍ بقُدُسْ

وورد في شعر العجّاج (ص ٨٠ ed. Ahlwardt) :

ضراغمٌ تنفي بأخذ خمسِ عن باحة البطحاء كلَّ جرْسِ
حتى تزول هضَبات قُدْسِ

وقد مرّ بك (ص ١٩٨) انّهم كانوا يدعون بالمُقدّس الزائر لبيت المقدس ويتباركون بثوبه كما اشار الى ذلك امرؤ القيس في وصف كلاب تنهش الثور :

فادركْنَهُ يأخذنَ بالساقِ والنسا كما شبرَق الولدانُ ثوب المقدّسِ

(لهُ بقيّة)

الكنيسة والتمدن الروماني

بقلم الاب ا. د. اليسوعي

كلٌّ يعلم ان مدينتنا بيروت منذ نصف سنة قد غنيت بمدرستين جديدتين احيتا مفاخرها القديمة في تعليم الفقه اعني مكتب الفقه العثماني ومكتب الحقوق الفرنسوي فما كادا ان يفتحا ابوابهما للطلبة حتى تواردوا اليهما برغبة دلّت على انهما سدّا خللاً كبيراً في اقطارنا

وما لبث بعض أدباء المسلمين ان انشأوا مجلّة شهريّة دعوها مجلّة العلوم الاجتماعيّة صدر منها الى هذا التاريخ ستّة اعداد توفّرت فيها المباحث لبعض الاختصاصيين بينهم نصارى من ذوي الخبرة في الامور الاجتماعيّة لاسيما الحقوق كالافندية انطون بك شحيبر ونعمان بك حبيش وميخائيل عبد البستاني والشيخ اسكندر العازار قرأنا لهم فصولاً حسنة في الجرائم والحضانة ومذاهب الفقه الاربعة واحكام الزيادات والمصارف لا يسعنا الّا الثناء عليها

وهناك فصول أخرى تحتاج الى مزيد ايضاح وتحوير لبعض ما دخلها من المزاعم المبهمة او غير السديدة كمقالة الاشتراكيّة والاشتراكيين (ص ١٣٧) والمقالة الافتتاحيّة « ماذا يعنى بالعلوم الاجتماعيّة » حيث سند الكاتب علم الاجتماع الى رجلين من الوضعيين والماديين اعني « هربرت سبنسر واوكست قومت » وبذلك اعلمنا من اي منهل عكر قد استقى معارفهُ الاجتماعيّة

على اننا في هذه العجالة لا نتعرّض لتينك المقالتين ونكتفي بانتقاد مقالة أخرى تاريخيّة بقلم « ب. ن » لا نستطيع السكوت عن مضامينها المجحفة بحقوق الكنيسة الكاثوليكيّة. وهذا ان المقالة « الفقه الاسلاميّ والقانون الروماني » افتتحها صاحبها في العدد الثالث (ص ٧١–٧٦) وتابعها في العدد الخامس (١٢٩–١٣٤) واودع تلك الصفحات من الآراء الواهنة بل من الاراجيف الباطلة ما يدلّ على انهُ يخوض في مباحث لم يحسن معرفتها. فانّ بحثاً كهذا لا تستقصيه المجلّدات الضخمة فما قولك بالصفحات القليلة التي لم تكد تمسّ الموضوع وتتناوله من بعض مظاهره العامّة

ومما خلطه هناك خلطاً بيناً ثلاثة مسائل كان يجب التمييز بينها والتدقيق في جواهرها واعراضها واوابدها وشواردها ألا وهي :

اولاً : مقام الكنيسة بازاء القانون الروماني

وثانياً : موقف الكنيسة بازاء الشعوب البرابرة

وثالثاً : نسبة التمدن العربي الاسلامي الى التمدن الغربي النصراني

البحث الاول

مقام الكنيسة بازاء القانون الروماني

اول ما ائتلفت الكنيسة مع السلطة المدنية الرومانية انما كان في عهد قسطنطين الملك بعد انتصاره على عدوه مكسنطيوس كما روي ذلك سابقاً في المشرق (١٦ [١٩١٣]: ٤٠١–٤١٦) وقد بين هناك كاتب المقالة المحقق ان قسطنطين منذ تبوأ اريكة الملك وانقاد الى احكام النصرانية حوّر كثيراً من شرائع الرومان ولطفها بايعاز ارباب الكنيسة . من ذلك الشرائع التي سنها محظراً فيها عن استعباد الرجال الاحرار ومقرراً رد الحرية لمن استعبدوا ظلماً وناهياً عن وسم العبيد في جباههم بالحديد المحمى وملغياً الحكم عليهم بالصلب ومسوّلاً لاصحاب العبيد اطلاق الحرية لعبيدهم خلافاً للشريعة الرومانية الجارية وقتئذٍ ومبطلاً سنة المجالدة بين العبيد بالسيوف والمبارزات في الميدان تفكهاً للشعوب

وقد عدد الكاتب ايضاً هناك (ص ٤١٥) سنناً غيرها وضعها قسطنطين صيانةً لكرامة الزواج وفقاً لتعاليم الانجيل واحكاماً اخرى مشبعة حكمةً ومفعمة بالروح المسيحي . فما ابعد هذا عن قول « ب . ن » (ص ١٢٩) ان القانون الروماني لم يتكيف بالدين المسيحي . وقد ساء استشهاده بقول السيد المسيح في لوقا (٦ : ٣٢–٣٦) حيث امر المسيح بمحبة الاعداء والاحسان اليهم اذ لم يفصل بين سنن الفضل والكمال المدعو اليها المسيحيون وبين السنن الاجتماعية التي تجري عليها الدول النصرانية في سياسة رعاياها المبنية على الحقوق العدلية

ومن خطإ الكاتب ب . ن انه لم يفرق بين أولئك الاساقفة العظام الممتازين ببراعتهم وعلومهم الذين دافعوا عن الحقوق الراهنة ولاسيما اعلاها قدراً اعني حرية

الضمير كاثناسيوس وباسيليوس ويوحنا فم الذهب وبين الاساقفة المنتمين الى الشيعة الاريوسيَّة الذين كانوا يضحُّون بالحقوق الدينيَّة لاغراضهم الشخصيَّة مراعاةً لخاطر امبراطرة مستبدّين قصدوا تذليل الكنيسة واستعبادها لسلطتهم المدنيَّة فيلقبون نفوسهم كالقياصرة الوثنيين بالاحبار العظام (Pontifex Maximus). فما ابعد هؤلاء الاساقفة عن روح النصرانيَّة والاستشهادُ بهم لا يُجدي اعداء النصرانيَّة نفعاً

ولعلَّ الكاتب ب.ن يعترض علينا بقوله ان المفهوم بالقانون الروماني انما هو ذاك المجموع الذي يُدعى بالقوانين الجديدة والرسوم التي اصلحها يوستنيان الملك. وهذه قلَّما نجد فيها تأثيراً لتعاليم الاساقفة ونفوذ النصرانيَّة

الجواب على هذا الاعتراض انَّ « ب.ن » قد خُيِّل له انَّ المراد بنفوذ الدين المسيحي في القانون الروماني ان يُملي الاساقفة على الملوك الاصلاحات الواجبة على مقتضى تعليم الانجيل وهذا ما لم يخطر على بال احد وان ظهر تأثير هذه التعاليم في عدَّة شرائع رومانيَّة. وانَّما المفهوم بذلك سعي الكنيسة بتلطيف تلك الشرائع القاسية الجارية عند الرومان الوثنيين وبنهضة الآداب العموميَّة وازالة ما في القانون من المعاملات الجائرة كما فعل قسطنطين بنفي المجالدات بين المصارعين وابطال الحكم على المجرمين بمبارزة الوحوش وغير ذلك مما اشرنا اليه من تحرير العبيد ومعاملتهم كبشر واخوة بعد ان كانوا يُعتَبرون كأدوات محضة ولا شيء (Pro nullo habetur) وتخويلهم حقوق الابوَّة والدين (١

وهذا البحث من اوسع الابحاث وادقّها ولذلك طلبنا من احد الاساتذة الاختصاصيين بان يكتب لنا في ذلك مقالة ويبيّن ما للكنيسة من الفضل في تأثيرها على الحقوق الرومانيَّة. وان شاء الله ننشرها قريباً

البحث الثاني

في موقف الكنيسة بازاء الشعوب البرابرة

انَّ ما قالهُ ب.ن عن موقف الكنيسة بازاء البرابرة يُشعر بنسبته اليها الفشل والضعف عن تأديب هؤلاء الشعوب وردّ غارتهم عن العالم الروماني

---

١) اطلب: Accarias : *Précis de Droit Romain*, I, 99 seq. et P. F. Girard : *Manuel élémentaire de Droit Romain*, 5, ed., p. 99

لكنهُ قد فات الكاتب المذكور انَّ الكنيسة اوقفت ما امكنها تلك الامم الزاحفة على العالم الروماني. فكيف نسي ما اصطنعهُ بابا رومية القديس لاون الكبير لمَّا اوقف ذلك الجبَّار العاتي اعني اتيلا وكيف تصدَّى لهم اساقفة متمدّدون فخلَّصوا بسطوتهم المدن وسكانها من غارات اولئك البرابرة ثمَّ كيف تمكَّن ارباب الكنيسة من تنصيرهم كما فعل القديس راميجيوس بملك الفرنج كلوفيس

ولا يقولنَّ انَّ اولئك البرابرة لم تحسُن نصرانيَّتهم بل كان دينهم سطحيًّا .

كلَّا فانَّا ننظر بين هؤلاء المتنصِّرين رجالًا لا يُحصى عددهم شرَّفوا الدين والوطن بفضائلهم واعمالهم الخطيرة. ولكن هَبْ انهُ بقي بينهم آثار وثنيَّة وخرافات أفلا يعلم المعترض انَّ التنصُّر على كمال تأثيرهُ لا يتمّ بزمن قليل ربما يدخل الدين المسيحي في القلوب ويؤهلها لممارسة اعمال البرّ والصلاح . او لسنا نرى حتى الآن بين الشعوب المتمدّنة آثارًا من الخرافات رغمًا عن غيرة ارباب الكنيسة. أو نسي « ب.ن » ما يصفهُ لنا المسلمون في كتبهم عن خرافات قومهم ؟

ثمَّ يجب على الكاتب ان يعلم انَّ البدع المضادَّة للكنيسة قامت في وجه رسلها فاجتذبت كثيرًا من أمم اولئك البرابرة اليها لا سيما البدعة الاريوسيَّة التي استولت على بلاد عديدة وطوائف شتى كالقوط والفيسيقوط والفندال في اسبانية وايطالية وشمالي افريقية. فلا عجب ان لم تستطع الكنيسة ان تُنفذ فيها الروح المسيحي الَّا بعد كسر شوكة الاريوسيَّة. امَّا سقوط العالم الروماني فسببهُ تحامل كلّ تلك الامم عليهِ من جهات شتى فأنهكت قواهُ وافرغت خزائنهُ. فلا تثريب على الكنيسة بسقوطهِ

البحث الثالث

التمدُّن الاسلامي والتمدُّن الغربي

ليس اضعف من زعم الكاتب ب.ن (ص ١٣٠) من « انَّ القبائل المتنصِّرة بقيت غارقة في عاداتها الوثنيَّة الاولى ... الى ان اختلط الغرب بالشرق واقتبس الاوَّل من الثاني مدنيَّة العلوم والقوانين في العراق والاندلس اوَّلًا وسوريًا ومصر ثانيًا وآخرًا » لانهُ من المعلوم انَّ العرب لمَّا هجموا على الشرق الروماني وممالك بوزنطية كانوا والتمدُّن على طرفي نقيض فامتزجوا بالشعوب النصرانيَّة حيثما حلُّوا واخذوا من

النصارى كافّة علومهم وفنونهم الجميلة فهذا فنّ البناء والهندسة تعلّموهُ من اليونان فاستعانوا بالروم لبناء جوامعهم كالجامع الاقصى في القدس وجامع بني امية وجامع المدينة وغيرها. وقد روى البلاذري في فتوح البلدان كيف اشرفت المدينة على الغرق في عهد عثمان فاتى بمهندسين من الروم لتصريف المياه

وما يقال عن الابنية هو اصحّ واوضح في العلوم العقليّة كالفلسفة والرياضيّات التي اخذها المسلمون عن نصارى الشام والعراق ومصر والاندلس كما ذكرهُ كتبة المسلمين نفسهم ورواهُ المشرق في ردّهِ على التنير (راجع المقالة المعنونة العلوم العربيّة وحريق مكتبة الاسكندريّة في المشرق ١٤ [١٩١١]: ٢٩٩ و٣٨٨). ولمّا ابتدأ اختلاط الشرق بالغرب كان الغرب حاصلًا على تمدّن عظيم تشهد عليهِ آثارهُ الباقية. فانّ اديرة الرهبان كانت معاهد للعلوم فهم الذين صانوا آثار الآداب الرومانيّة واليونانيّة بتعديد نسخها وهم الذين انشأوا تلك الجمعيّات الدينيّة التي شيّدت الكنائس القوطيّة الفخيمة. ولم يحتج الفلاسفة المدرسيّون الى العرب لنشر العلوم اليونانيّة بل كثيرًا ما ردّوا على مزاعم العرب كابن رشد والغزالي

وقد اخذنا العجب من كاتب مقالة العلوم الاجتماعيّة الذي استشهد بتاريخ سوريّة للمثلّث الرحمات السيّد يوسف الدبس وخلط بين ما جاء هناك عن بعض اعمال يوستنيانس وبين ما رواهُ عن تنظيمهِ للشرائع الرومانيّة فانّ صاحب تاريخ سوريا المفضال لم يقل كلمةً في تخطئة تنظيم يوستنيانوس للشرائع الرومانيّة وانّما ذكر فقط بعض معايب حياتهِ فكيف استجاز «ب. ن» ان ينسب الى صاحب تاريخ سوريّة ما لم يَقُلهُ ؟

امّا ما نقلهُ عن تاريخ موسهيم (ص ١٣١) الذي دعاهُ «رئيس مدرسة كولنجن الكليّة الامريكانيّة» (كذا!!) فانّهُ لا يجديهِ فتيلًا لانّ الكل يعرفون انّ هذا الكاتب من متعصّبي البروتستانت على الكنيسة الكاثوليكيّة والناكرين لاعمالها الاثيرة. فان كان ب. ن لا يعرف غيرهُ عالمًا فالاجدر بهِ ان لا ينزل في ميدان ليس هو من فرسانهِ

هذه عجالة كتبناها على جناح السرعة وان اراد ب. ن اعقبناها بمقالات غيرها تميط النقاب عن كل شبهاتهِ

الطيران في لسان الشعر

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ ما بلغ اليهِ فنّ الطيران من الرقي العجيب في هذه الآونة الاخيرة مع حظوى الشرقيين بمعاينة نخبة من الطيَّارين قطعوا البلاد الواسعة ليشعوهم بالنظر الى طيور بشريَّة جاروا اطيار السماء في ركوب مملكة الهواء بل غلبوها بسرعتهم وارتفاعهم الى عنان السحاب قد انطق بالثناء ألسنة العموم على بسالة هؤلاء الطيَّارين وجرأتهم ورباطة جأشهم

فما كان لشعراء بلادنا ان يسكتوا في مثل هذا المقام وكأنَّ الشعر تدفَّق من قرائحهم فأنطق السنتهم بدُرر الكلام وحلَّوا جيد الآداب بعقدٍ يزري بالجُمان

وقد اطَّلعنا على بعض هذه القصائد التي أجاد ناظموها في وصف ذاك الفنّ الجميل وتفنَّنوا في بيان تلك المراكب الهوائيَّة واطرأوا همَّة راكبيها وثبات جنانهم وتصرُّفهم في ضبط عنان طيَّاراتهم وتوجيهها وفقاً لرغائبهم أنَّى قصدوا وكيفما تقلَّبوا فرأينا ان نقتطف شيئاً من اقوالهم وبها يارح انَّ الشاعر العربي يمكنهُ ان يجاري الشاعر الغربي في لطف شعاره وابتكار معانيهِ وانسجام عباراتهِ وعذوبة نظمهِ

ولعلَّ اوَّل من شحذ غرب قريحتهِ في ذلك إمام شعراء مصر سعادة احمد شوقي بك فنظم قصيدةً عامرة الابيات عنوَنها « بآية العصر في سماء مصر » وافتتحها بتحيَّة لفرنسة ناصرة الآداب ومنشطة الاختراعات العلمية فقال :

يا فرنسا نلتِ اسبابَ السماء وتملَّكتِ مقاليدَ الجوّاء
غُلب النَّسرُ على دولتهِ وتنحَّى لكِ عن عرش الهواء
وأتتكِ الريحُ تمشي آمنةً لكِ يا بَلْقيسُ من اوفى الإماء
رُوِّضتْ بعد جماحٍ وجرَتْ طَوْعَ سلطانَيْن علمٍ وذكاء

ومنها في شهامة الطيَّارين ابناء فرنسة :

بُسَلاء الإنسِ والجنّ فدىً لفريقٍ من بنيكِ البُسلاء
ضاقت الارضُ بهم فاتَّخذوا في السماوات قبورَ الشهداء

فتية يعبرون جبران النهى سُرّاء النجم في اوج العلاء
حوّماً فوق جبال لم تكن للرياح الموج يوماً بوطاء
يركبون الشهب والسحب الى رفعة الذكر وعلياء الثناء

وقد احسن في وصف الطيّارة وادواتها فقال :

مركبٌ لو سافَ الدهرُ به كان احدى معجزات القدماء
نصفُهُ طيرٌ ونصفٌ بشرٌ يا لها احدى اعاجيب القضاء
رائعٌ مرتفعاً او واقعاً أنفسَ الشحان قبل الجباء
مُبرجٌ في كل حين ملجمٌ كاملُ العدّة مرموقُ الرواء
ملأ الجوَّ فعالاً وغدا عجبَ الغربان فيه والحداء
وترى السحبَ به راعدةً من حديد جمعت لا من رواء
حملَ الفولاذُ ريشاً وجرى في عنانين لهُ نارٍ وماء
وجناحٍ غير ذي قادمةٍ كجناح النحل مصقولٍ سواء
وذُنابى كلُّ ريحٍ مسّها مسّهُ صاعقةٌ من كهرباء
يتراءى كوكباً ذا ذنبٍ فاذا جدَّ فسهماً ذا مضاء
واذا جاز الثريا للثرى جرَّ كالطاووس ذيل الخُيلاء
يملأ الآفاقَ صوتاً وصدًى كعزيف الجنّ في الارض العراء
ارسلَتْهُ الارضُ عنها خبراً طنَّ في آذان سكّان السماء

وختم ذلك بابيات حضّ فيها مواطنيه على طلب المفاخر والامور الشريفة فجعل مسك ختامه قولهُ :

واطلبوا المجد على الارض فانْ هي ضاقت فاطلبوهُ في السماء

وقد لقي كلام شوقي بك صدىً في قلب احد مشايخ القدس فنظم في ذات الموضوع تحت عنوان « احدى عجائب العصر » فقال الشيخ عليّ الزعاوي يصف طيران «مارك بونيه» لمّا قدم الى القدس الشريف في سلخ كانون الاول الماضي فقال :

طارَ في الجوّ فاستثار العقولا وانتهى للسماء الّا قليلا
طار حتى تراهُ للشمس كلّيًا او تراهُ لطيفها إكليلا
طار كالنسر اي رويدًا رويدًا ثم رام الفضاء ميلًا فميلا
وصلَ الشام من بلاد فرنسا في ثلاث فهلّلوا تهليلا
مرَّ كالبرق بالفرات فبينا أن تلفّتّ كان أمَّ النيلا
ظنَّ قومٌ ان السماوات غضبى فاستشاطت وهوّلت تهويلا
ثمَّ قالوا هذا سليمانُ قد عا دَ وعادت آياتُ إسرائيلا

ذلك العلمُ لا سليمانَ كم للمسلمِ فيا من معجزاتٍ أولى
ليس في العلم مستحيلٌ ولا صحَّ م لقومٍ ان يحصروا التفضيلا

ثمَّ استطرد الى بيان فضل العلم وما اجداهُ للبشر من الفوائد الجمّة الى ان قال مخاطباً بونيه :

إيه بونيهُ كم علوتَ جبالًا في الفيافي وكم هبطتَ سهولا
وعبارًا صادمتها ام رياحًا وشمالًا غالبتَها أم قبولا
انما انت يافعٌ كيف أصبحتَ كبيرًا وكيف صرتَ جليلا
قمتَ بالجدِّ والجهاد فجالستَ ملوك الزمان قيلًا فقيلا (كذا)
طرتَ في الجوِّ تبتني لفرنسا فوق هام الافلاك منك مقيلا
هكذا هكذا الشعوبُ فان طا لت علاءً فحقُّها ان تطولا

وختم بدعوته للشرق كي يفيق من سنته وينهض من غفلته فاحسن بقوله :

إيه يا شرقُ كم تنام تريد م المجدَ عفوًا وأن تنال السولا
دونك المجد في السماء فان طر تَ حريٌّ ان تُدرك المأمولا
انتَ تلهو بالاختلاف ويلهو غيرك اليوم بالملاء بديلا
كيف تعلو ولا تريد اتحادًا كيف ترقى وانت لاهٍ خمولا
كنْ قوم لهم سبيلٌ الى المجد فاذا صمتَ حتى نقولا
قد عذرناك بالخطوب فهل انتَ مريدٌ الى المعالي وصولا ؟

ولم يتأخر شعراؤنا البيروتيون في هذا السباق المجيد بل استوروا زناد قرائحهم فتلهبت نارًا . وممن فازوا بقصبة السبق في هذه الحلبة حضرة استاذ الخطابة في كليتنا حضرة الخوري بطرس البستاني فكأنَّ طائر فكره قد رافق في مملكة الهواء اولئك الطيارين فوصفهم اصدق وصفٍ فقال :

خاضوا الفضاء وسابقوا العُقبانا وجرَوْا على مَتْن الهوا فرسانا
والجوّ قلّدهم ازمّة امره مذ سخّرتهُ لجيلهم ميدانا
راضوا الرياح جوامحًا حتى غدت وقد امتطوها كالذلول لِيانا
قد درّبهم اذا ما اطلقوا للمركبات السابحات عنانا
فتخالها عند الهبوط صواعقًا واذا تعالت خلتها سيزانا
تحكي الطيورَ بشكلها لكنّها أخفى جناحًا بل اشدُّ جنانا
لو حاول النسرُ الفتيُّ لحاقها لارتدَّ خوّارَ القوى عيّانا
او لستَ تحسبها وقد طاروا بها كالبرق آنًا والسهام أوانا

الى ان قال يصف قدرين في شوطهِ فوق بيروت :

شاهدتُ قدرين الجريءَ محلّقًا في الجوّ يخترق الفضا جذلانا

من فوق مركبةٍ يحرّكها كما يهوى فتخفقُ تحتهُ خفقانا
وسمعتُ يوم تحرّكت لرحيلها من صدرها ما يبعثُ الاشجانا
زفرات مصدورٍ تصدّعهُ النوى فتشبُّ في اضلاعهِ نيرانا
حتى اذا حميت مراجلها جرت كالليث يزأرُ في الفلا غضبانا
قالوا بساطُ الريح وهمٌ كاذبٌ فاذا جم قد شاهدوهُ عيانا

ومنها خطاب الى النسر ملك الفضاء :

احفض جناحك أيها النسرُ الذي ملك الهواء بباسهِ ازمانا
قد كنتَ ترعم انّ ملكك خالدٌ لا يحرز الانسانُ فيهِ مكانا
فاذا بهِ والمركباتُ سوابحٌ في الجوّ تحمل فوقها الركبانا
لا تأخذنّك حيرةٌ مما جرى فالله خوّل آدمَ السلطانا

وختم مهنئاً لفرنسة امّ العلوم والآداب :

هنيئاً لصدرك يا فرنسا انهُ يسقي الصدور من العلوم لبانا
ايّ اكتشافٍ لم تكوني امّهُ او لم تريدي صُنعهُ إتقانا

وكأنّ احد تلامذة حضرتهِ وهو الفتى النجيب سليم البستاني نال من انفاس استاذهِ فاراد ان يحلّق معهُ في سماء الخيال فقال من قصيدةٍ :

يا فاتحاً دُول الفضاء بخيلهِ اسحب على هام النجوم ذيولا
ما بالُ طرفك لا يزالُ مسهّداً أتراك تبغي في السماء حلولا
فلقد ملكتَ من الهواء عنانهُ وبلغتَ شأواً جاوز الأمولا

الى ان اشاد بذكر جهابذة فرنسة فقال :

أكرم بفرسان الفرنسيس الأُلى بانوا مقاماً في العلاء أثيلا
لم يرجعوا عن عزمهم حتى شفوا من منهل الفتح المبين غليلا
لم ينثنوا عن قصدهم حتى غدت لهمُ متونُ السافياتِ سهولا
اموا السماء فاعلنوا اسرارها مذ سيّروا فوق السحابِ خيولا
زحفوا على ابراجها وقد انتضوا اسياف عزمٍ لا تخابُ فلولا
وتجاولوا في جوّها وتسابقوا حتى طووا الآفاق ميلاً ميلا
سيّارةٌ جابوا العوالم فوقها وأتوا سماء بلادنا والنيلا

وقد جاراهم رشيد بك نخله فقال في طيران قدرين :

ايه قدرينُ على عرش الهوا ملكٌ يزهو بإعجاب الانامْ
بل ملاكٌ ذو جناحين كما نُشرا ظلّاً لما شاء ورامْ
بخوافٍ تتلاشى زفرةً ابن منها زفراتُ المستهامْ
ومنا شوقاً لسكّان السما وامتلا قلباً بنازات الغرامْ

مجرى يستودعُ الارضَ الوبى وعلا يستحسرُ النجم المنامْ
وهوى من بعد ان دار على هام صنّين وهاتيك الأكامْ
يتهادى هابطاً ما بيننا بين تصفيقٍ وعُجب واحترامْ

وكأنهُ رأى في إقدام قدرين صورة تقهقُر الشرق فصرخ :

لا تُطل قدرينُ في الشرق المقامْ فبنوهُ ابدَ الدهر نيامْ
انت تسمو طائراً في افقهم وهمُ في ارضهم تحت الرغامْ
اخذ الدهرُ عليهم عهدهُ لا حراكٌ لا نهوضٌ لا قيامْ
يا اميرَ الأفق لا تزرِ بنا فازدراء الحيّ بالميت حرامْ

وقد طرب احد الشعراء المهاجرين الى الولايات المتّحدة ايليا افندي ظاهر ابي ماضي لدى علمه بنيّة قدرين ان يطير الى الشرق فنظم قصيدةً رنّانة وصف فيها الاختراعات العصريّة وفوز الانسان برغائبه من عناصر الكون مع تقلّب اهوائه فقال :

كلُّ ما في الوجود للمرء عبدٌ وهو عبدُ الشهوات والاهواء
كائنٌ كلُّ كائنٍ صار فيه فهو حلوٌ مرٌّ ودانٍ ناء
وهو طوراً يكون نصفَ اله وهو طوراً ادنى من العجماء
عجباً كيف طاعهُ الطيرُ والما ء وما كان غيرَ طينٍ وماء
فهو في الماء سابحٌ وعلى التبـــراء ماشٍ وطائرٌ في الفضاء
تخذَ الجوَّ ملعباً ثمَّ امسى راكضاً في الهواء ركضَ الهواء
لا تراعي يا شهبُ منّا فاراً ما حملنا اليك غير الولاء
قد كرهنا المقامَ في الارض لمّا قيل انَّ السما مقرُّ الماء

ومنها يخاطب قدرين وينوّه بضحايا الطيران :

ايهِ قدرينُ انتَ اغربُ مرئيٍّ لدينا وانت اغربُ راء
طِر الى الشرق ثمَّ انقل الينا عن بني الشرق اطيبَ الانباء
قُل لهم ما صعدتُ في الجوّ عفواً بل على سُلّمٍ من الاشلاء
علّهم ينهضون بعد التواني علّهم يرغبون في العلياء
قصّرت عنك طارئاتُ الليالي ووعى افقَ انفس الشهداء
وسلامٌ عليك ما طار منطا دٌ سلام من شاعر ذي وفاء

على انَّ هذه القصائد نُظمت كلّها في الطيّارين الفرنسويين وما لبث ان خيم فوق بيروت الطيّاران العثمانيان فتحي بك وصادق بك منبئين بمباراة الشرق للغرب فقام الشعراء يثنون على بسالتهما وحذقهما فمن ذلك ما انشدهُ الشيخ مصطفى افندي الغلاييني احتفاء بالقادمَين تحت عنوان « تحيّة بيروت لفتحي وصادق » :

خيّمتا فوق الرؤوس فأشرقت منّا الوجوهُ وازهرت انوارُها
وفتحتَ يا «فتحي» القلوبَ بزورة احيا موات رجائنا تذكارُها
وتزعتَ منها اليأس وهو بليّةٌ شنعاء عمّت قومنا اضرارُها
وزرعتَ آمالًا سنجني وردها ما طار في جوّ العلى طيّارُها
يا «صادق» العزمات هاك تحيّةً عبقتْ فأخجلت الشذا ازهارُها
وجرتْ فباين السيل من جريانها البشرُ يوم قدمتما زوارُها
ان طرقا للمجد في طيّارةٍ فحوى القلوبَ الطلعولتِ غبارُها
او تنزلا في ارض بيروت العلى فقلوبنا لطيورنا اوكارُها

وقال الاديب ميشال افندي برباري تخميساً :

طربَ الشرقُ واستنار الهلالُ عندما لاح في السما الزنبالُ
يا ابن عثمان والفضا جالُ سرتَ فيه بشورةٍ تختالُ
سابحاً في العوالم الجوّيه

قد اتيتَ الربوعَ والشرقُ نائمْ ومن الجهل تعتريه الغمائمْ
يا بني الشرق اين تلك العزائمْ يا بني الشرق خفّةٌ تامطائمْ
واستردّوا ايامنا الاوّليّه

ايه فتحي وحظّنا بك بانعْ ونجومُ السعود منك طوالعْ
هل رأيت الجموع وهي خواشعْ ونظرت العيونَ وهي دوامعْ
عند ملقاك يا فتى تركيّه !

قد نظرناك في الفضاء هماما قهر الريحَ واستذلّ الغماما
ناشرًا فوق هامنا اعلاما تحلّ الشرقَ والجوى والهياما
لجميع الاقوام في سوريه

يا رسولَ السلام طرْ وتعالا واخترقْ كالنسور هذي الجبالا
انّ روح الاوطان فيك تلالا فحنينا ونؤمنا إجلالا
لنجلّي العلوم والوطنيّه

صادقَ العزم قد سبقتَ الطيورا وملأت الجوّ الفسيحَ هديرا
وغمرتَ القلوبَ فيك سرورا انّ ذكراك سوف تحيا دهورا
يا بشير الاخاء والحريّه

فترى من مطاوي هذه المنظومات إعجاب منشديها بالمخترعات العصريّة ولاسيما بفنّ الطيران الذي كاد يرفع الانسان فوق طوره وذلّل امامهُ السُّحب حتى نطاح بهامته عنان السماء فرفعوا شأن العلوم وعظّموا اصحابها الذين فكّوا طلاسم الطبيعة المختومة . ثمّ استرسلوا بمديح اولئك الابطال الذين قرّبوا منّا البعيد وسبروا

عقولنا ببسالتهم ورباطة جأشهم فأثنوا على فرنسة وتركيَّة اللَّتين انشأتا مثل هؤلاء الشجعان

وقد استحسنَّا كل هذه المعاني البليغة وشكرنا شعراءنا الذين خلَّدوا بشعرهم ذكر الطيَّارين ومحاسن فنهم . على أننا كنَّا وددنا لو استطردوا من ذكر الطيران الهيولي الى طيران النفس فوق السُّحب المنظورة وترقيها الى عالم اسمى واشرف من عالمنا سواء أطلقت طائر فكرها الى ما وراء الطبيعة لاحراز العلوم العقليَّة المجرَّدة من الحواس او ارتفعت الى خالق الكون فارتاحت الى مناجاته والحظوة برؤية كمالاته على مثال ما كان يتمنَّاهُ الملك والنبيّ داوود قائلًا (مز ٥٤ : ٧) : « من لي بجناح كالحمامة فأطير واستريح »

فلعمري ان صعود النفس فوق المخلوقات يجدي الانسان من السرور والعظمة ما لا ينيله ركوب المناطيد والطيَّارات فانهُ اذا قرُب من عرش خالقه استعظم الكوائن العلويَّة واستصغر الارض ولذاتها وكل محتوياتها فيهتف مع القديس اغناطيوس دي لويلا : كم تذلُّ لديَّ الارض اذا شخصتُ الى السماء

فالشاعر اذا ترقَّى الى ذاك عالم الارواح وجد لنظمه مجالًا فسيحًا فيصف حينًا ربَّ العلاء الذي قال عنهُ داوود (مز ١٧ : ١٠—١٥) « أنهُ طأطأ السماوات ونزل والضبابُ تحت قدمَيه . وركبَ على كروبٍ وطار وخطف على اجنحة الرياح . جعل الظلمة حجابًا لهُ مظلَّةً حولهُ ظلامَ المياه ودَجنَ السُّحب » وحينًا يرى بقربهِ على متون الغمام الارواح القدسيَّة ساجدةً امامَهُ :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ

ثم يتخيَّل في صفاف تلك الارواح النفس البشريَّة تكسر اغلالها الجسديَّة وتتشابه بملائكة الله اذ تناجي ربَّها وتتردَّد معهُ بالصلاة والعبادة والازدراء بكافَّة الاعراض المحسوسة ريثما يقطع الموت تلك القيود التي تربطها بالارض فتتَّحد بخالقها الى الأبد

هذه خواطر نودّ لو يكسوها شعروننا ثوب نظمهم البديع فيظهروا بالمقابلة ما في طيران النفس من الفضل العظيم على طيران الاجساد

طلبتُ مجدًا على الارض فاذ هي ضاقت طلبتُهُ في السماء

مطبوعات شرقية جديدة

O. Procksch : DIE VOELKER ALTPALAESTINAS (Das Land der Bibel), ٢. I. n° 2, *Hinrichs* pp. 41, 1914

شعوب بلاد فلسطين القديمة

هذا كرّاس ثانٍ لمجموع يتولّى نشرهُ الدكتور هولوخر (D' Hoelocher) في تعريف البلاد التي جرت فيها وقائع الكتب المقدّسة كتبهُ المسيو بروكش لخدمة الجمعيّة الالمانيّة الفلسطينيّة. وقد جمع المؤلف في ضمنهِ مجمل ما اوقفتنا عليهِ الآثار القديمة عن شعوب فلسطين الاوّلين في الطور المعروف بطور الظرّان فيستقري سكّان تلك البلاد شعباً شعباً كالكنعانيين والحثيّين والعموريين والعبرانيين (بمعناهُ الواسع) ثم الاسرائيليين (بحصر المعنى) ويلحق بهم الشعوب المجاورة كالعرابيين والعمّونيين فيروي ما يُعرَف عن كل منهم. ويرتأي المؤلف انّ الساميين في فلسطين هاجروا اليها من الشمال (ص ١١) وانّ الحثيين الذين احتلّوها كانوا من بقايا دولة الرعاة (Hyksos) المنفيّين من مصر (ص ٢٠). فقائدة الكتاب ظاهرة ويا ليت صاحبهُ ألحق بها الفهارس تسهيلاً للوقوف على موادّه

الاب ب. جوون

Prof. Evaristo Carusi : SUI RAPPORTI FRA DIRITTO ROMANO E DIRITTO MUSULMANO. (Atti d. Soc. Ital. per il Progr. d. Scienze. Sienne, Sept. 1913), *Roma, Tipogr. Naz., G. Bertero e c.*

في العلاقات بين القانون الروماني والفقه الاسلامي

هذا الكرّاس كلّهُ فوائد وكان بودّنا لو اتّسع بنا المجال لاستقراء مضامينهِ لينتفع منهُ كل قرّائنا ولاسيما طلبة الحقوق في بيروت. ونشير الى من يعرف اللغة الطليانيّة منهم ان يدرسهُ درساً محكماً فلعلّهم يتّخذونهُ كأنموذج لابحاثهم الحقوقيّة. امّا مدارهُ فعلى الروابط الجامعة بين الفقه الروماني والفقه الاسلامي. فانّ المؤلف يتأثر اعقاب كبار المستشرقين المحدثين كغولدسيهر (Goldziher) وسنوك هرغروني (Snouck Hurgronje) وجوينبول (Juynboll) وساخو (Sachau) وبيكر (Becker) ولمبرت (Lambert) احد اساتذة الفقه في مكتب الدروس الحقوقيّة في ليون الخ ويثبت انّ مصدر الفقه الاسلامي انما هو القانون الروماني خلافاً لما

زعمهُ سواس باشا في كتابهِ (Etude sur la théorie du droit musulman, 2 vol., Paris, 1898-1902) ولزاعم رينان في كتابهِ عن اللغات الساميَّة (ص ٣٨٠ من طبعتهِ الثالثة) اللذين ادَّعيا بان الفقه الاسلامي ابن نفسهِ لم يأخذ عن غيرهِ (وهكذا زعم ايضاً المرحوم المعلّم سعيد الشرتوني في مقالات نشرها في المقتطف)

امَّا ادلَّة مصنّف الكتاب الذي نحن بصدده فرجعهـا الى برهانين لا يمكن نقضهما: الاوَّل برهان لمّي (a priori) اذ لا يقبل العقل انَّ العرب الذين اتوا من صحاري جزيرتهم وهم لا يعرفون شيئاً من العلوم قد استعاروا من الشعوب التي امتزجوا بها كل علومهم كالفلسفة والرياضيَّات والطبيعيَّات الَّا الفقه. وبديهيٌّ انَّ الفقه احد العلوم التي لا تثبت الَّا بعد زمن طويل بالتجربة والمعـاملات فكيف يجوز القول بان المسلمين استوطنوا ما فتحوهُ من البلاد وفي يدهم قوانين فقهيَّة ثابتة جروا عليها لسياسة اهاليها على اختلاف مللهم ونحلهم فهذا مستحيل

والبرهان الثاني برهان انّي (a posteriori) بالمقابلة بين القانون الروماني والفقه الاسلامي فانَّ المشابهات بل المنقولات ظاهرة في كل صفحات الفقه الاسلامي وكل دقائقه لا سيما في الفقه الحنفي حتى في تقاسيم الفقه وفصولهِ وصورة ابحاثهِ. مثالهُ :

	Res fungibiles مثلي	
Non fungibiles قيمي		
Quæ mensura consistunt مكيل	Quæ numero consistunt معدود	Quæ pondere consistunt موزون

وقد عدَّد المسيو كاروزي الأمثلة في كتابهِ فبيَّن مستعارات الفقه الاسلاميّ عن الروماني في باب الوقف والبيع والشفعة والكنز وحقّ الله (droit public) وحقّ آدمي (droit privé) (ص ١٧ و٢٠ و٣١). هذا ولانَّ القانون الرومّاني امَّا عمومي وامَّا خصوصيّ كالبوزنطيّ مثلاً امَّاك تسأل ايّ قانون اتَّبعهُ المسلمون. فيجيب الاستاذ كاروزي انَّ المسلمين اتَّبعوا القانون الروماني السرياني الذي كان مركزهُ في بيروت مدينة الفقه الروماني الشهيرة . فانَّ اليها كان مرجع الابحاث الفقهيَّة في انحاء الشرق ومنها اخذ ايضاً المسلمون فقههم . والمؤلف يؤيد كلامهُ بما سبق اليهِ المسيو كولينه

(Collinet) في سفره الجليل عن قانون يستنيان المنون « Etudes sur le droit de Justinien » والمسيو دي فرنشسي (De Francisci) في كتابه عن مدارس بيروت الفقهية « Vita e Studi a Berito ». ومن هذا يتضح ما كان لبيروت من المفاخر وما ينتظر طلبتنا المحدثين من الشرف اذا ما علموا ان يقتفوا معالم اسلافهم فنتمنى ان يهدونا قريباً تآليف مفيدة كتآليف المسيو كاروزي الاب ل. رتقال

Alfredo de Carvalho : PREHISTORIA SUL-AMERICANA, *Recife*, 1910, pp. 244, 1 *carte et* 20 *gravures*.

العهد السابق للتاريخ في اميركة الجنوبية لألفرد دي كرفالهو

انَّ صاحب هذا الكتاب احد المدققين في درس احوال اميركة الجنوبية وآثارها القديمة. وممَّا كان خصَّهُ بابحاثهِ نقوش وتصاوير قديمة تُرى في جهات شتى من جنوبي اميركة. فبيَّن انَّ تلك الرسوم ليست كما ظنَّ البعض كتابات ذات معانٍ معقولة كالكتابات الهيروغلوفيَّة وانما هي نقوش بسيطة خالية من مدلولات فلا يؤخذ منها انَّ قدماء الاميركيين كانوا يعرفون فنَّ الكتابة وترجمة ما في عقولهم بالخطّ. لكنَّ بعض كتبة البرازيل لم يقتنعوا بادلَّة المسيو دي كرفاليو فحاولوا تفنيدها في الجرائد المحليَّة ولاسيما المسيو بريتو (S.Brito) وارمينيو دي ملُّو (Arminio de Mello) فدفع ردُّهم المسيو كرفاليو الى تصنيف كتاب اوسع عزَّز فيه اقاويلهُ السابقة واستقرى الآثار القديمة وبيَّن برسومها انَّهُ لا يمكن استخراج معانٍ منها وانَّ الكتابة في جنوبي اميركة لم تُعرف لدى الوطنيين قبل دخول الاوربيين بينهم بعد اكتشاف كسترف كولومب. وقد تصفَّحنا هذا الكتاب بلذَّة ورأينا بيناتهِ واضحةً ثابتة مبنيَّة على دلائل عقليَّة واثريَّة ولغويَّة تنفي مزاعم مناظريهِ يؤخذ منها انَّ القبائل الاولى التي سكنت البرازيل منذ قرون عديدة كانت همجيَّة في ادنى درجات الذلّ والتوحُّش اخصُّها قبائل تابوياس (Tapuias) وارواكس (Aruaques) وتوبيس (Tupis) وكرائيباس (Caraibas) التي لم تستنر مطلقاً بضياء التمدُّن الاب ماك كورت

MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE, vol. VI, 1913, pp. XVI-528, VIII Planches, fig. Prix 22 fr.

مجموعة المكتب الشرقي لسنتها السادسة

قد نالت هذه المجموعة في عالم العلم أطيب سمعة لما تحتويهِ من المقالات

التاريخيَّة والاثريَّة واللغويَّة التي وضعها اساتذة مكتبنا الشرقيّ . وهذا الجزء السادس كأسلافهِ في فوائدهِ ونفاسة مضامينهِ . وقد سبق لنا وصف مقالتين طُبعتا منهُ على حدة (راجع المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧١٠—٧١١) وممَّا يستحقُّ الذكر مقالة لغوية للاب بولس جوون في المفردات العربيَّة والعبرانيَّة وانتقاد بعض النصوص الكتابيَّة ثمَّ مقالة للاب دي جرفانيون في كتابات بوزنطية وجدها في انحاء اوزكوب من بلاد قبادوقية ثمَّ ميمر قبطي منسوب الى القديس كيرلس الاسكندري نشرهُ لاوَّل مرَّة ونقلهُ الى الافرنسية الاب ماريوس شان ولاسيما تاريخ خلافة يزيد بن معاوية للاب هنري لامنس وبهِ انجز ما كتبهُ سابقاً عن هذا الخليفة الامويّ فبلغ مجموع كتابهِ ٥٠٠ صفحة . وناهيك بهِ دليلاً على تنقيب مؤلفهِ وكشف النقاب عن ذاك الخليفة الذي تعصَّب عليهِ الكثيرون لعاداتهِ للامويين ولحرِّيَّة ضميرهِ ل . ش

Martin Hartmann : REISEBRIEFE AUS SYRIEN, *Berlin, Dieterich Reimer*, 1913, pp XXX-123

رسالات للاستاذ مرتين هرتمان المتجوّل في سوريَّة

انَّ كتابات الاستاذ مرتين هرتمان تبلغ العشرات وكادت تشمل كلَّ المواضيع الشرقيَّة من لغة وادب وتاريخ ولاسيما التاريخ العصريّ وقلَّما تجد بين المستشرقين من عرف الشرق مثلهُ ولا غرو فانَّهُ قد سكن زمناً طويلاً بيروت ولم يزل منذ تعيّن كناظر مكتب اللغات الشرقيَّة في برلين يتتبَّع كل حركات الشرق والشرقيين . وممَّا انجزهُ مؤخرًا كتابهُ المعنون برسائل التطواف في سوريَّة كتبها مدَّة سياحتهِ الاخيرة التي قام بها في العام المنصرم من آذار الى تشرين فكان يخطّها في كل بلد يحلّهُ فيصفهُ وصفاً واسعاً من حيث آثار تاريخهِ وآداب اهلهِ ومعاهدهِ وتجارتهِ فيجعلهُ كدليل يُستدلُّ بهِ على خواصّ معظم مدن الشام . وكنَّا وددنا ان يكون ثناؤنا لجناب المؤلف خالصاً لا يشوبُهُ الانتقاد على خلل فيهِ لكنَّنا لا نستطيع الَّا ان نؤاخذ جنابهُ على تعصُّبهِ الزائد لبلادهِ وعلى تحاملهِ على الكاثوليك ولا سيما الرهبان الفرنسويين . وايم الله انَّنا نحترم شواعر الوطنية والحنين لاوطانهم ولكن ألا يستطاع حبُّ الوطن دون التنديد بمواطن الغير كما يفعل المسيو هرتمان بفرنسة وذويها . واقبح من ذلك تعصُّبهُ لمذهبهِ البروتستانيّ ورشقهُ الرهبانيات الكاثوليكية

بالقذف والاستهانة وكثيراً ما اعتاد ذلك في كتاباته السابقة دون داعٍ. وكتابهُ هذا الجديد لا يخلو من مثل تلك التقريعات (ص ٣١) حيث اورد كلاماً في حقّ رهبانيّتنا ليس فيهِ كلمة صادقة. ولا يصعب علينا ان نفنّدهُ لكنّنا نفضّل ان نذكر المسيو هرتان باعتذارهِ لدينا غير مرّة عمّا كتبهُ عنّا بقلّة تروٍّ فنتعجّب كيف يعود الى مثل هذه السفاسف التي تزري بشأنه فانّ مواطنيهِ الالمان مثل جناب الادباء ادورد ساخو (Sachau) وكمپفاير (Kampffmeyer) وبيكر (Becker) وبركلمان (Brockelmann) والقنصل السابق شرودر (Dr Schroeder) ومورتس (Moritz) والمرحوم ڤولرس (Vollers) انصف منهُ في حقّنا وكثيراً ما اثنوا على مساعي رهبانيّتنا فما احرى بالمسيو هرتان ان لم يقتدِ بهم على الاقلّ ان يكفّ عن طعنهِ

ل. ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES, VI, 6, DICTIONARY OF LEARNED MEN OF YAKUT, edited by D. S Margoliouth. D. L. vol. VI, 1914, pp. 531

ارشاد الاديب المعروف بمعجم الادباء لياقوت الرومي (الجزء السادس)

في هذا الجزء تتمّة ما وُجد من هذا السفر المتسع الذي جمع فيهِ مؤلفهُ الشهير مئين من تراجم ادباء العرب كما ظهر لقرّائنا من اوصافنا للاجزاء السابقة. وفي هذا الجزء تراجم الاعلام الذين يبتدئ اسمهم باحد الحروف ع غ ف الى قسم كبير من الميم. وهناك تراجم مطوّلة لبعض الائمة واساطين الآداب كترجمة محمّد بن جرير الطبري (٤٢٣—٤٦٨) وترجمة ابي الريحان البيروني (٣٠٨—٣١٤) وترجمة الامام الشافعي (٣٦٧—٣٩٨) وترجمة الجاحظ (٥٦—٨٠) وسيبويه (٨٠—٨٨) والحريري (١٦٧—١٨٤) والقاسم الخوارزميّ (١٥٤—١٦٢) وابي عبيد (١٦٢—١٦٦) ومحمد الابيوردي الشاعر (٣٤١—٣٥٧) وابن دريد (٤٨٣—٤٩٤) وغيرهم. فنشكر لجناب الاستاذ مرجليوث الذي نشر هذا الاثر الفريد ودقّق في تصحيحهِ طاقتهُ فان وقع فيهِ شيءٌ من الاغلاط كان عذرهُ انّ الكتاب فذّ لا تُعرف لهُ نسخة ثانية. ويا ليت احد ادباء الشرق يستخرج من زوايا بعض المكاتب ما بقي مفقودًا منهُ فيستحقّ شكر كلّ ارباب الادب. وقد افادتنا جمعيّة «جيب»

ان للكتاب ملحقاً تودع فيه الفهارس وترجمة ياقوت الرومي وملحوظات عمومية على سائر الاجزاء. جازى الله خيراً كلّ انصار العلوم ل. ش

ترجمة بطريرك انطاكية اسطفانوس بطرس الدويهي

لسيادة المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت المارونى

طُبع في مطبعة النهضة ل. دريان بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٢٥٥)

يكلّ اللسان عن شكر السيد الفضال الذي احيا اخيراً ذكر ذلك الرجل العظيم البطريرك اسطفانوس الدويهي فخر ملّته ومجد شرقنا المسيحي في القرن السابع عشر. لعمري أننا كنّا نأسف أن يبقى مثل هذا النور تحت المكيال ونتمنّى من صميم القلب ان يقوم احد ابناء طائفته فينشر على رؤوس الملا فضله وفضائله. فها قد تمّت رغبتنا فوق ما كنّا مؤملين. فان سيادة المطران بطرس شبلي مع ما يتجاذبهُ من شواغل الفكر في تدبير ابرشيّته الواسعة احبّ ان يسعى بهذا العمل المبرور حتى انجزهُ على غاية الاتقان. فمن يتصفّح الكتاب يأخذهُ العجب مما اودعهُ مؤلفهُ الفضال من المعلومات التي جمع شتاتها بتعب عظيم من الخزانة البطريركيّة والخاص قيس وجهات لبنان وكتب الفرنج ومخطوطات المعاصرين. وليس في الكتاب بهرجة كلام فارغ بل هو كلّهُ مؤيّد بالشواهد الصادقة والادلّة الثابتة بعبارة متينة وقلم سيّال ولا يخاف سيادتهُ من ايضاح الحقيقة كلّها بنزاهة ولو جُرح بها بعض المعاصرين للدويهي كذكره مثلاً مؤامرة بعض الاساقفة عليه (ص ٦٥) وما جرى لهُ من الخلاف من قبل بعض رهبان الفرنج (ص ١٣٣—١٤٢) وكذلك روى المشاجرات التي حصلت بين منشئي الرهبانيّة المارونيّة (١٨٩—١٩٣) الى غير ذلك مما يثبت انّ سيادة الكاتب مؤرخ ثقة في كل ما كتبهُ. فلا يسعنا الّا الثناء الجميل على هذا الاثر النفيس مع عقد الرجاء برواجهِ ليعرف الشرقيّون كلهم احد اركان وطنهم العزيز ل. ش

تاريخ الحرب البلقانيّة المصوّر

بقلم سليم العثّاد. الجزء الثاني يشتمل على خريطتين و١٤ رسماً

طُبع في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١٣ (ص ١٢٦)

لم يدعنا مؤلف هذا التاريخ ان ننتظر طويلاً مواصلة عمله (راجع المشرق ١٦

[١٩١٣] : ٦٣٤) فانهُ بعد أن شرح في الجزء الاوَّل مقدَّمات الحرب ثمَّ وقائع الجيوش البلغاريَّة الاربعة بيَّن في هذا الجزء الثاني وقائع الدول البلقانيَّة الثلث اي الجبل الاسود والصرب واليونان وما وليها من الامور في شطلجه حتى عقد الهدنة في ٣ ك١ (١٩١٣) والمؤلف لا يتحرَّى الَّا الصدق في كلامهِ ليعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ . وممَّا يزين كتابهُ الخرائط الحربيَّة ورسوم جميلة لاركان الحرب فلم يبقَ عليهِ الَّا ان يتجز عملهُ بتتمَّة اخبار هذه الحرب المشؤومة وما جرى للحلفاء من المنازعات التي جرَّت الويلات على البلغار . وهذا الكتاب يطلب في الثغر من ابراهيم افندي خوري قطيط في بناية خليل افندي البدوي على المرفأ ل ش

ديوان الطباطبائي

نشرهُ باذن ولديهِ الشيخ علي الشرقي

طُبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣٢ (ص ٢٨٧)

توفي مصنف هذا الديوان قبل ١٣ سنة . ولما كان احد شعراء العراق المجيدين احبَّ مواطنوهُ بعد استرخاص ولديهِ السيدين حسن ومحمَّد ان يطبعوا مجموع شعرهِ على نفقة شركة منهم فطبع طبعاً حسناً وقف عليهِ الشيخ علي الشرقي وصدَّرهُ بترجمة مؤلفهِ وذيَّلهُ ببعض شروح لغويَّة . اما مواضيع القصائد فاكثرها في الغزليات وبعضها في التهاني والمدح والرثاء . وليس بينها من المواضيع العصريَّة الَّا القليل كوصفهِ لحجَّة الحديد ومركباتها بين الكاظم وبغداد (ص ٧١) ل ش

جواهر الادب من خزائن العرب

الجزء الخامس . جُمع بعناية سليم افندي ابراهيم صادر

طُبع بالمطبعة الخيريَّة في بيروت ١٩١٣ (ص ٤١٦)

سبق لنا وصف هذا المجموع الادبيّ الذي وضعهُ صاحبهُ الاديب على مثال مجاني الادب فجعلهُ ابواباً على مختلف المواضيع . وممَّا تفرَّد بهِ عدَّة فصول نثريَّة وشعريَّة لكتبة محدثين كسليمان افندي البستاني والمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي واديب اسحاق ومعروف افندي الرصافي واكثرهُ مضبوط بالشكل . ولمَّا كان قصدُ جامعهِ ان يكون الكتاب مدارسيًّا لفائدة احداث المكاتب كان الاولى ان تحذف منهُ بعض الموشَّحات الغزليَّة التي لا يحسن بالتلامذة حفظها او درسها ل . ش

نوادر وفكاهات من احاديث الحيوانات

لمؤلفها الياس بك قدسي قنصل دولة البورتغال في دمشق

طبع في دمشق الشام سنة ١٩١٣ (ص ١٢٥)

انَّ في امثال لافونطين من الدقائق اللطيفة والنكت الفكاهيَّة الظريفة المثلة لاحوال الطبيعة واخلاق الحيوان ما يسبي قلوب المتأملين فيها. وقد سعى كثيرون من الشرقيين ان يعرّبوها دون ان يضيعوا شيئاً من رشاقتها ورقّة معانيها الاصليَّة فاصابوا احياناً وشطوا غالباً وقد رأى سعادة قنصل البرتغال في دمشق ان اللغة العامية الجارية في دمشق تنيلهُ هذه الغاية لطبيعتها ودقّة تعابيرها وابتكاراتها فنقل بعض امثال لافونطين على هذا الاسلوب فاجاد. وجنابهُ لم يستعر من الاصل غير طريقتهِ دون النقل الحرفي متصرفاً فيها على ما يوافق الوزن القرّادي المعروف بالمعنى وقد اضاف اليها امثالاً اخرى لم يقتبسها من غيرهِ ونظمها بجودة قريحتهِ. فلا نشك ان محبي اللهجات العامّيَّة يعمدون الى درس هذا الكتاب لمعرفة خواصّ اللغة الدمشقيَّة الدارجة ويا ليت صاحبَ الاديب زاد في ذيلهِ شيئاً من الملحوظات كشفاً لبعض ميزات تلك اللغة. وان شاء الله يفعل في طبعة ثانية ويتقن ايضاً طبع الكتاب لأن هذه الطبعة الاولى سقيمة ل. ش

شذرات

وقاحة الكذبة — رددنا في احد اعداد المشرق (١٣ [١٩١٠]: ١٤٤–١٤٩) على كذب ذاك المتفلسف الذي اخذ فلسفتهُ عن اساتذة «الفريكة» امين الريحاني لما رواهُ في مجلّة الحسناء عن هباسيا اليونانيَّة وموتها فزوّر الخبر ونفث فيهِ سمّهُ الكفري سمّ ڤولتير صديقهِ فنسب قتلها الى احد اكابر ملافنة شرقنا العزيز القديس كيرلّس الاسكندري. فظننا بعد ردّنا المؤيد بكل الشواهد العلميَّة ان لا احد يجسر على افك مثلهِ. وقد وقفنا على احد اعداد مجلّة الفنون في نيويرك وهو السابع من سنتها الأولى واذا هناك قصّة هباسيا المدعوَّة هذه المرَّة «غباتيا» رواها احد اصحاب الريحاني ورفقتهِ في انشاء تلك المجلّة وهو المدعو مخائيل نعيمه تحت عنوان «لمجد المصلوب» والبسها ثوباً جديداً من الشتائم في حقّ الدين ونعت هناك القديس

نوادر وفكاهات من احاديث الحيوانات

لمؤلفها الياس بك قدسي قنصل دولة البورتغال في دمشق

طبع في دمشق الشام سنة ١٩١٣ (ص ١٢٥)

انَّ في امثال لافونطين من الدقائق اللطيفة والنكت الفكاهيَّة الظريفة المثلة لاحوال الطبيعة واخلاق الحيوان ما يسبي قلوب المتأملين فيها. وقد سعى كثيرون من الشرقيين ان يعرّبوها دون ان يضيعوا شيئاً من رشاقتها ورقّة معانيها الاصليَّة فاصابوا احياناً وشطوا غالباً وقد رأى سعادة قنصل البرتغال في دمشق ان اللغة العامية الجارية في دمشق تنيلهُ هذه الغاية لطبيعتها ودقّة تعابيرها وابتكاراتها فنقل بعض امثال لافونطين على هذا الاسلوب فاجاد. وجنابهُ لم يستعر من الاصل غير طريقتهِ دون النقل الحرفي متصرفاً فيها على ما يوافق الوزن القرّادي المعروف بالمعنى وقد اضاف اليها امثالاً اخرى لم يقتبسها من غيرهِ ونظمها بجودة قريحتهِ. فلا نشك ان محبي اللهجات العامّيَّة يعمدون الى درس هذا الكتاب لمعرفة خواصّ اللغة الدمشقيَّة الدارجة ويا ليت صاحبَ الاديب زاد في ذيلهِ شيئاً من الملحوظات كشفاً لبعض ميزات تلك اللغة. وان شاء الله يفعل في طبعة ثانية ويتقن ايضاً طبع الكتاب لأن هذه الطبعة الاولى سقيمة ل. ش

شذرات

وقاحة الكذبة — رددنا في احد اعداد المشرق (١٣ [١٩١٠]: ١٤٤–١٤٩) على كذب ذاك المتفلسف الذي اخذ فلسفتهُ عن اساتذة «الفريكة» امين الريحاني لما رواهُ في مجلّة الحسناء عن هباسيا اليونانيَّة وموتها فزوّر الخبر ونفث فيهِ سمّهُ الكفري سمّ ڤولتير صديقهِ فنسب قتلها الى احد اكابر ملافنة شرقنا العزيز القديس كيرلّس الاسكندري. فظننا بعد ردّنا المؤيد بكل الشواهد العلميَّة ان لا احد يجسر على افك مثلهِ. وقد وقفنا على احد اعداد مجلّة الفنون في نيويرك وهو السابع من سنتها الأولى واذا هناك قصّة هباسيا المدعوَّة هذه المرَّة «غباتيا» رواها احد اصحاب الريحاني ورفقتهِ في انشاء تلك المجلّة وهو المدعو مخائيل نعيمه تحت عنوان «لمجد المصلوب» والبسها ثوباً جديداً من الشتائم في حقّ الدين ونعت هناك القديس

كيرلوس » بالرجل العاقي المتعصب الدعي المتفلسف » وما شاكل ذلك من الالقاب والاوصاف القبيحة التي تدلّ فقط على حقة كاتبها. وهي لا تمسّ شرف ذاك الرجل الذي يُعدّ بين نوابغ عصره. وانّما يسوءنا ان شرقيًّا لم يخجل ان يلقي بتفلته على شمس المعارف واحد اقطاب الدين لكنّ تفاتهُ لم تلطّخ غير شخصه ولم يضرّ الشمسَ نباحَ النابح عليها

صفحة من تاريخ التنير المدعو نصارى تركيًا أتريد ايها القارئ الكريم ان تعلم كيف يكتب تنير افندي تاريخ المسألة اللبنانيّة سنة ١٨٦٠ فاسمع فقرةً منهُ نشرها صاحبهُ في العدد ٥١ من مجلّته المصوّر قال ما حرفهُ:

وزاد في ذلك الوقت نفوذ قنصل فرنسا في بيروت ولبنان ودمشق وبذلك زاد تعدي النصارى وخصوصاً الموارنة على الدروز والمسلمين وكانوا اذا رأوا شيخاً استهزأوا به حتى انهم كانوا في بعض الاحيان يرمون الاقذار عليه (!!!) ولم يمض يوم دون ان يسمع بقتل احد من المسلمين او الدروز والحكومة كانت تعامل النصارى باللين وتتغاضى عن كلّ هذه الحوادث منعاً لإشعال تعصّب النصارى فتداخل فرنسا التي كانت تدبّر هذه الحركات لايجاد فرصة للمداخلة (كذا)... وفي ٩ أيار سنة ١٨٦٠ قتل رهبان دير السيق (كذا) قرب الدير القس رئيس الدير وهو في فراشهِ وادّعوا انّ الدروز قتلتهُ واخذ النصارى يتعدّون على كلّ من صادفوهُ من الدروز وقام نصارى زحلة وعددهم ٣٠٠٠ بالسلاح الكامل ودحروا دروز عين دارة... الخ الخ

فانظر رعاك الله صدق هذا الكاتب الذي جعل الظلام نورًا والنور ظلاماً فكذّب الالوف من المؤرخين الذين سبقوهُ وارث بلادًا يكتب فيها مثل هؤلاء المتعصّبين دون رادع يردعهم لا غرض لهم الّا تشويه وجه الحقائق النيّرة

العالم الكاثوليكي في لورد انّ مزار لورد في فرنسة قد اضحى اليوم احد مراكز الكثلكة المهمّة. وهاك جدولًا يوقفك على الحركة الدينيّة هناك. في العام المنصرم نقل البخار الى لورد ٤٩٤ قطارًا تقلّ الزوّار بينها ٣٤٣ قطارًا للفرنسويين ثمّ ٤٠ ق للبلجيكيين ثم ٢٦ ق للاسبانيين ثم ٢٢ للالمان ما عدا سبعة قطارات لمقاطعتي الزاس ولوران ثمّ ٢٠ ق للايطاليين ثم ١٥ للسويسريين ثمّ ١٠ للنمسويين والبقيّة للانكليز وللبرتغاليين ولاهل لوكسمبرج. وكانت الزيارة الفرنسويّة السنويّة الرسميّة في ايلول غايةً في الفخامة فدخل يومئذ في لورد ٣٤ قطارًا تنقل ١٥,٠٠٠ زائر والفًا من المرضى شفي منهم العدد العديد بشفاعة السيّدة وكان يرأس هذه الحفلات ١٣ اسقفاً فكان لهذه الزيارة تأثير عظيم اشترك بها عموم الفرنسويين

في كل انحاء وطنهم — ومن الزيارات الشائقة زيارة الارلنديين بعدد ٤٠٠٠ زائر تحت قيادة رئيس اساقفة ارلندة وخمسة اساقفة و٣٠٠ كاهن. ومنها ايضاً زيارة الف عامل من عمّال السكك الحديديّة الفرنسويّة (les cheminots). امّا عدد الزوّار فقد تجاوز في العام الماضي مليوناً من المسيحيين قدموا من اربعة اقطار الدنيا كان بينهم اربعة كرادلة و١٢٦ مطراناً او اسقفاً و٧٨ من ذوي الرتب الكنسيّة. وقد بلغ عدد القداديس المقدّمة في كنيسة لورد العجائبيّة ٧٨,٧٠٠ هذا فضلاً عمّا أُقيم منها في بقيّة كنائس البلدة. امّا عدد المرضى الذين نُقلوا الى لورد طلباً للشفاء ودخلوا في مستشفياتها فكان ٩,٩٤٦ اهتمّ بخدمتهم ونقلهم الى حوض المياه العجائبيّة اكثر من ألف ممرّض او ممرّضة في جملتهم نحو ٥٠٠ من وجوه السادة والسيّدات المتطوّعين خدمتهم في سبيل الله. وقد أُرسل من مياه لورد الى جهات العالم ١٦٠,٠٠٠ قنينة مختومة. فترى انّ مريم العذراء تجذب العالم كلّهُ الى مزارها وتُنعش في القلوب روح الدين والتقوى بما تجترحهُ من المعجزات التي يقرّ بصحّتها كل من لا تعميه الاوهام الباطلة ولا يكابر الحقّ الواضح. وممّا يستحقّ الذكر انّ الاطبّاء الذين كانوا في اوّل الامر لا يبالون بما يحدث في لورد من العجائب لا يزالون كل سنة يتقاطرون اليها ليفحصوا ما يجري هناك من الاشفية العجيبة وكلهم يجلسون في جملة الاطبّاء الذين ينظرون رسميًّا المرضى من الزوّار وقد بلغ عددهم في السنة الماضية ٦٧٠ طبيباً منهم ٧١ استاذًا للطب او متولّياً نظارة المستشفيات. وكان هؤلاء الاطبّاء من كل البلاد بينهم ٤٣٠ طبيباً افرنسيًّا و٢٤٠ اجنبيًّا اي ٩٢ بلجيكيًّا و٣٤ ايطاليًّا و٢٢ اسبانيًّا و٢٠ اميركيًّا و١٦ ارلنديًّا و١٤ المانيًّا و١١ انكليزيًّا والباقون من بلاد اخرى كسويسرة وهولندة وسكوتيا والبرازيل وكندا وروسيّة ومصر. فكفى بهذا دليلًا على ما نالتهُ لورد من السمعة في انحاء المعمور. ولعمري انهُ لمن العجب العجاب ان يقوم العلم رسميًّا ويستعرض عجائب الله مقرًّا بصحّتها وصحّة الدين الذي تجري فيه. ولم نسمع بمثل هذا في ايّ دين كان غير الدين الكاثوليكي

اكتشافات تركستان — ذكرنا سابقاً ما وجد السيّاح الاوربيّون في تركستان الصينيّة ولا سيما في طرفان من العاديّات الكتابيّة الراقية الى القرن الثامن للمسيح فما قبلهُ الى الخامس وذلك في لغات مختلفة. وقسم كبير من هذه الآثار لا

يزال العلماء يكدّون في بيان مضامينه . وممّا وجدوه بينها مقاطيع مهمّة من مزامير داود في اللغة البهلويّة كُتبت على عهد بني ساسان – ومنها فصول من اسفار العهد الجديد كالانجيل ورسائل بولس الرسول – واكتشفوا كذلك في اللغة الكلدانيّة مآثر شتى اخصّها رُتب وطقوس وصلوات كانت الكنيسة الكلدانية تقيمها في ايام الاعياد ولا تزال حتى يومنا في كتب فرائضها الدينية – ومنها ترجمة رسالة هرماس التي عنوانها « الراعي » الراقية الى القرن الثاني للمسيح نقلها بعض اتباع ماني – ومنها باللغة التركيّة القديمة المعروفة بالايغوريّة (راجع المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧٧٠) شذرات ادبيّة نصرانيّة وفرائض دينيّة واقاصيص مسيحيّة . وكلّها تؤيد ما قلناهُ عن نفوذ الدين المسيحي في تلك البلاد القاصية

أسئلة واجوبة

س سأل مستفيد لاي سبب يُدعى الفرمسون بابناء الارملة

ابناء الارملة

ج اجبنا على ذلك في الكرّاس الاوّل من كتاب السرّ المصون في شيعة الفرمسون (ص ٩) حيث ذكرنا انتساب ابناء العشيرة الماسونية الى ماني القائل بمبدأ الثنويّة اي إلهي الخير والشرّ ولما كان المذكور منتسباً الى ارملة في المدائن ورثت منهُ بعد وفاتهِ كتب بدعتهِ فنشرتها تسمّى الماسون بابناء الارملة

س وسأل احد كهنة لبنان أيجوز فتح مكاتيب الغير دون اذنهم

فتح المكاتيب

ج لا يجوز فتح مكاتيب الغير الّا في ظروف معلومة كالقانون الرهباني مثلاً الذي يرضى بهِ الداخلون في الرهبانيّة ويجيز للرؤساء فتح مكاتيب مرؤوسيهم . ومثلها قوانين المدارس وما شاكلها . ويجوز الامر اذا خيف من مؤامرة على الدولة او لبعض دواعي خطيرة تمسّ صالح العموم . واذا اتّفق انّ احداً اطّلع على مكاتيب الغير امّا سهواً وامّا تعمّداً فيلزمهُ السرّ الطبيعي بكتم محتوياتها تحت طائلة الخطإ

ل . ش

المشرق

ديوانان جديدان

لعَبيد بن الأَبرَص وعامِر بن الطُفَيل *

نظر للاب انطون صالحاني اليسوعي

اتحفنا حضرة العلّامة العامل سِر تشارلس ليل بكتاب جليل بل بدرّة ثمينة غاصَ عليها حتى استخرجها من بحر المكنونات العربية فجلاها واهداها الى طالبي لآلئ اشعار الجاهليّة

يحتوي هذا الكتاب ديوان عَبيد بن الأَبرَص السَعدِيّ الأَسدِيّ وديوان عامر ابن الطُفَيل العامِريّ

فنشكر لسِر ليل هديّتهُ ولطفه ونثني على جدّهِ وهمّتهِ التي لا تعرف المَلَل. فانهُ على تقدّمهِ في العمر لا يزال يُفيد العربية ورجالها بما ينشره من المؤلفات النفيسة ويحييه من الآثار الدارسة. فهذا كتاب المفضليات وهو مجموع قصائد اختارها المفضَّل الضَبّي للخليفة المهدي مع تفسير واسع لابي بكر محمد بن القاسم الانباري يسعى اليوم في طبعه بمطبعتنا العلّامة ليل موضّحاً معمّياتهِ بما يُتيح عليهِ من انوار علمهِ بحواشٍ وافرة تنقشع معها غيوم الريب. وقد نجز منهُ نحو ٧٠٠ صفحة بقطع كبير. والامل وطيد انهُ يفرغ من طبعهِ بعد مرور سنة. وهذا المؤلَّف من انفع ما طُبع الى الآن لمعرفة اللغة واسرارها

ولم يُلهِ هذا الشغل الشاغل عن طبع ديواني عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل

* The Dīwāns of 'Abīd ibn al-Abraṣ, and 'Amir ibn aṭ-ṭufail, edited and translated by SIR CHARLES LYALL. *Leyden, Brill*, 1913.

كان عبيد بن الابرص رجلًا مُقِلًا لا مال لهُ . الّا انهُ كان حُرًّا شريف النفس ابيًّا كما يتضح مما خاطب بهِ المنذر بن ماء السماء ومما قالهُ في شعره عن البخيل . فانهُ في القصيدة التي مطلعها :

أرِقتُ لضوءِ برقٍ في نَشاصِ تَلألأَ في مُلأَةٍ غِصاصِ

قال :

لعمرك إنني لأُعِفّ نفسي وأَستُرُ بالتكرُّمِ من خَصاصِ
وأُكرِم والدي واصون عِرضي وأَكرَهُ ان أُعَدَّ من الحِراصِ
إذا ما كنتَ لحّاساً بخيلًا سَؤولًا للمُطاعِ وذا عِناصِ(١
بزادِ المرء آبَصُ من عُقابٍ وعند الباب أثقلُ من رَصاصِ
بكى البوّابُ منك وقال هل لي وهل للبابِ مِن ذا مِن خَلاصِ
فيُوشِكُ ان يراك لهُ عَدوًّا عداوةَ من يُلاطِمُ او يُناصِي
اذا ما كان عِرضي عند بطني فأين مِنَ أنْ أُسَبَّ بهِ مَناصِي
فان خفّتْ لجوع البطنِ رجلي فدقَّ اللهُ رجلي بالمُعاصِ

وجاء في اول ديوانهِ ما نصُّهُ :

« وكان من حديث قتلهِ انَّ المنذر بن ماء السماء بنى الغريَّين . فقيل لهُ : ماذا تريد بهما . (وكان بناهما على قبري رجلين من بني اسد كانا ندعيهِ احدهما خالد بن نضلة الفقعسي وكان أُسِر يوم جبلة والآخر عمرو بن مسعود) . فقال : ما انا بملكٍ إن خالف الناس امري . لا يمرّ احد من وفود العرب الّا بينهما . وكان لهُ في السنة يومانِ معروفانِ يوم بُؤس ويوم نعمة . فكان اذا خرج يوم بؤسهِ يذبح فيهِ اوّل من يلقاه كائنًا من كان . واذا خرج في يوم نعمتهِ يعمل اوّل من يلقاه ويجبره ويُحسِن اليهِ . فبينا هو يسير في يوم بؤسهِ اذ اشرف لهُ عبيد . فقال لرجل ممن كان معهُ : مَن هذا الشقي . فقال لهُ : هذا عبيد بن الابرص . فأُتي بهِ . فقال لهُ الرجل : ابيت اللعن اتركهُ فانَّ عنده من حسَن القريض افضل مما تُدركه في قتله مع ما انهُ من رؤساء قومه واهل النجدة والشأن فيهم . فاسمع منهُ وادعُهُ الى مدحك فان سمعتَ ما يعجبك كنت

١) نظن الصواب « سَؤولًا للمتاع وذا مِناص » . والمتاع المال وكل ما يُنتفع بهِ من عروض الدنيا قليلها وكثيرها . والمِناص الوعاء الذي تكون فيهِ النفقة

قد عفت لهُ المَنّةُ فانَّ مدحتهُ الصنيعة. فان لم يعجبك قولهُ كان هيّناً (١ عليك قتله. فاذا نزلنا فادعُ بهِ. قال فنزل فطعم وشرب . وبينهُ وبين الناس حجاب يراهم منهُ ولا يرونهُ. فدعا بعبيد من وراء الستر. فقال لهُ رديفه: ما ترى يا ابا اسد. قال: ارى الحوايا عليها المنايا. قال: فعليك بالخروج لهُ ليقرّبك ذاك من الخلاص. قال: ثكلتك الثواكل انني لا اعطي باليد ولا أحضر البعيدَ والموتُ احبُّ اليَّ. قال: افقلتَ شيئاً. قال: حالَ الجريض دون القريض. قال لهُ المنذر: أنشدني من قولك «اقفر من اهلهِ ملحوبُ». وهذه القصيدة من جيّد شعر عبيد وهي من السبع المجمهرات. قال عبيد:

اقفر من اهله عَبيد فليس يُبدي ولا يُعيدُ

قال: انشدنا ايضاً. فقال:

هي الخمر تكنى بامّ الطلا كما الذيبُ يكنى ابا جعدةِ

فقال: قل فيَّ مديحاً يسير في العرب. قال: امّا والصَّبّارُ في ما عجل فلا. قال: نُطلقك ونحسن اليك. قال: امّا وانا اسيرٌ في يديك فلا. قال: نردّك الى اهلك ونلتزم رفدك. قال: امّا على شرط المدح فلا... قال لهُ المنذر: يا عبيد ايُّ قتلةٍ احبُّ اليك ان اقتلك. قال: ايها الملك رَوّني من الخمر واقصدني وشأنك وشأني. فسقاه الخمر ثم اقطع لهُ الاكحل. فلم يزل الدمُ يسيل حتى نفد الدمُ وسالت الخمر فمات.»

وقال صاحب الاغاني: «عبيد بن الابرص شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية وجعلهُ ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وقرن بهِ طرفة وعلقمة بن عبدة وعديّ بن زيد. وكان شاعر بني اسد غير مدافع». ولا نعلم السنة التي مات فيها عبيد لكن من المؤكّد انهُ مات قبل السنة ٥٥٤ الميلادية لانهُ في تلك السنة توفي المنذر بن ماء السماء قاتل عبيد

امّا عامر بن الطفيل ويكنى ابا عليّ فهو ابن عمّ لبيد الشاعر وكان فارس قيس وكان اعور ذهبت عينهُ يوم فَيْف الريح ولم يُعتِب. وكان لهُ فرس يقال لهُ المزنوق، وفيهِ يقول:

١) أثبتَ في الديوان «هَنيئاً» وهو تصحيف

وزجرتُ المزنوقَ حتى رمى بي وسطَ خيلٍ ملمومةٍ فابذعرّتْ

وقال ايضاً واجاد :

وقد علِمَ المزنوقُ اني أكرُهُ عشيّةَ نَيْفِ الريحِ كرَّ المشهّرِ
اذا ازورَّ من وقعِ الرماحِ زجرتُهُ وقلتُ لهُ أرجعْ مُقبلاً غيرَ مُدبرِ
وانبأتُهُ ان الفرارَ خزايةٌ على المرءِ ما لم يُبلِ عُذرًا فيُعذَرِ
ألستَ ترى ارماحَهم فيَّ شُرَّعاً وانتَ حِصانٌ ماجدُ العِرقِ فاصبرِ

وأبو عامرٍ هو فارسُ قُرْزُلٍ . ولما كبر عمّهُ عامر مُلاعب الأسنّة وأُهتِرَ تنازع عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة الجعفريان في الرئاسة حتى تنافرا الى هَرِم بن قطبة بن سيّار الفزاري واربد بن قيس . ولعلقمة يقول الاعشى :

ان تَسُدِ الحُوصَ فلم تَعدُهم وعامرٌ سادَ بني عامرِ

والحُوص ولد الاحوص . ومن جيّد شعره قولهُ :

فإني وان كنتُ ابنَ فارسِ عامرٍ وفارسَها المَندُوبَ في كلِّ موكبِ
فما سوَّدتني عامرٌ عن قرابةٍ ابى اللهُ أن أسمو بأمٍّ ولا ابِ
ولكنَّني أحمي حِماها واتّقي أذاها وارمي مَن رماها بمنكبِ

ورد في اول ديوانهِ ما نصهُ :

كان ابو عليّ عامر بن الطفيل من اشهر فرسان العرب بأساً وشدّة ونجدة وابعدها اسماً حتى بلغ بهِ ذلك ان قيصر كان اذا قدم عليهِ قادمٌ من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل . فان ذكر نسباً عظُمَ بهِ عنده . حتى قدم عليهِ علقمة ابن عُلاثة فانتسب لهُ . فقال : انت ابن عمّ عامر بن الطفيل . فغضب علقمة وقال : اراني لا أُعرَف الّا بعامر . فكان ذلك مما اوحرَ صدره عليهِ وهيَّجهُ الى ان دعاه الى المنافرة . وكان عمرو بن معدي كرب وهو فارس اليمن يقول : ما أُبالي ايَّ ظعينة لقيت على ماء من امواه معدّ ما لم يلقَني دونها حُرّاها او عبداها . يعني بالحرّين عامر بن الطفيل وعُتَيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي . والعبدانِ عنترة العبسي والسُّلَيك بن السُّلَكة . . . قال ولما مات عامر بعد منصرفه عن النبيّ صلعم نصبت عليهِ بنو عامر انصاباً مِيلاً في مِيل حِمًى على قبره . لا تدخله ماشية ولا تنتشر فيهِ راعية ولا ترعى ولا يسلكه راكب ولا ماشٍ . وكان جبّار بن سلمى بن مالك بن عامر بن جعفر

غائباً . فلما قدم قال : ما هذه الانصاب . قالوا : نصبناها حتى على قبر عامر . قال : ضيّقتم على ابي علي . . . وله وقائع في مذحج وغطفان وخثعم وسائر العرب . وكان عامر مع شجاعته سخياً حليماً »

وكان شاعراً مجيداً . قال الاصمعي « وكان عامر بن الطفيل يُلقَّب مُحبِّراً لحسن شعره » وعاش عامر بضع سنوات بعد الهجرة وعُرض عليه الاسلام فأبى لانهُ كان غير هيّاب ولا وجب الجنان

ومَن طالع قصائد عبيد وعامر تحقّق ان شعر عبيد اكثر تفنّناً بينما شعر عامر يقتصر على الفخر وذلك لانهُ كان فارساً مغواراً وابن حرب كمنترة . فقد قال في قصيدة :

لقد تعلمُ الحربُ أني ابنُها وأني الهمامُ بها المُعلِمُ
وأني أحلُّ على رَهوَةٍ من المجدِ في الشرَفِ الاعظمِ
واني أشخصُ بالدارعين م في ثورة الرهجِ الأقتمِ
واني اكرُّ اذا أحجموا باكرَمَ من عطفةِ الضيغمِ
واضربُ بالسيف يوم الوغى أقدُّ به حلَقَ المُبرَمِ
فهذا عتادي لوَ أن الفتى يعمّرُ في غير ما مَغرَمِ
وقد عَلِمَ الحيُّ من عامرٍ بأنَّ لنا ذِروَةَ الأجسَمِ
وأنّا المصاليت يوم الوغى اذا ما العواويرُ لم تُقدِمِ

وفي هذا النزر كفاية لتعريف قدر الشاعرين

*

وقد عوّل العلّامة ليل في طبع شعر عبيد وعامر على نسخة وحيدة لا تُعرف لها ثانية . وقد بيعت في بيروت سنة ١٩٠٧ لمكتبة المتحف البريطاني بلندن وترسم في قائمة مخطوطاتها العربيّة بالعدد ٦٧٧١ وعدّة اوراقها ١١٩ وتاريخ كتابتها سنة ثلثين واربعمائة هجرية وتشتمل على اربعة دواوين : شعر الطُفَيل بن عامر من الصفحة ١ الى ٢٩ وشعر عامر بن الطُفَيل من ص ٢٩ الى ٦٠,٢ وشعر عبيد بن الابرص من ص ٦٠,٢ الى ٨٦,٢ وشعر الطرِمّاح بن حَكيم من ص ٨٦,٢ الى آخر النسخة

وقبل ان تباع هذه النسخة كانت في يد احد الرهبان الموارنة من الرهبانية الانطونيانية . فتصفحناها وتشوقنا الى اقتنائها وشرائها منهُ لكنهُ أكّد لنا عزمه على طبعها . فلم نلحّ عليهِ ببيعها . ولمّا بلغنا ان مكتبة المتحف البريطاني اقتنتها سُررنا بذلك اي سرور لعلمنا ان ما تقتنيه المكاتب الاوربية يصان من الضياع والتلف وان ما يطبعهُ المستشرقون نجتني منهُ ثمارًا شهية بخلاف ما يُطبع في كثير من البلاد العربية طبعاً سقيماً عقيماً خالياً من الروايات والحواشي والحركات مشحوناً بالتصحيف والتحريف فانهُ يزيد عدد المطبوعات دون فائدة تُذكر بل يضرّ بالمنفعة اذ يردع العلماء الاوربيين عن طبع تلك المؤلفات . فانّنا بفقد بلادنا النسخة التي نتكلم عنها قد ربحناها وها هي ذاعت وضاعت وما ضاعت . فما كاد يعرف جهابذة المستشرقين وجودها حتى تاقوا الى مطالعتها وشُغفوا بدرسها وانصبّوا على تفهم معانيها وهمّوا بنشرها . فعُني العلّامة ليل بطبع ديوان عبيد بن الابرص وعامر ابن الطفيل وذلك على نفقة الجمعية المعروفة بجمعية جيب التي غايتها إحياء وتخليد ذكر جيب بنشر المطبوعات المفيدة وقد خصّصت والدته لهذا العمل ثروة وافرة . ويُعنى العلّامة كرنكو بطبع شعر الطفيل بن عوف والطرماح بن حكيم . والامل وطيد انهُ يتوفق الى انجاز العمل وينجح فيهِ كما نجح العلّامة ليل مع ما اعترضهُ من الصعوبات الناشئة عن عسر قراءة النسخة الخطية . وقد تحقّقنا هذه الصعوبة لدى اطلاعنا على الاربع الصفحات المأخوذة عن النسخة الاصلية بتصوير الشمس والمثبتة في الكتاب المطبوع . فترى اكثر الحروف المعجمة خالية من النقط فضلًا عن ان الاحرف العين والغين والفاء والقاف متشابهة في نوع رسمها من جهة الغلظ والتدوير وخلوها من النقط فلا يمكن تمييزها عن بعضها الّا بمعنى العبارة وكثيرًا ما تكون العبارة غامضة مبهمة فتتعذر القراءة

ويظهر ان النسخة سُطرت في المغرب او اقلّه بيد احد الكتبة المغاربة . يتضح ذلك من رسم حرفي الفاء والقاف . فالاول رُسم مع نقطة تحتية والثاني مع نقطة واحدة فوقية . وهي الطريقة المتبعة عند اهل المغرب . وكذلك حرف الطاء فانّ السطر العمودي فيهِ يميل ميلًا مفرطاً الى اليمين كما يرى في الخطّ المغربي ويكاد لا يُميَّز عن حرف الكاف المرسوم سطحياً . وقد زاد الطين بلّة احدُ السوريين المطلع على

النسخة اذ توخى اصلاح تنقيط حرفي الفاء والقاف فترك النقط القديمة ورسم في بعض الالفاظ نقطاً جديدة على الطريقة المتبعة عندنا في هذين الحرفين

واذا لحظنا الصفحات المرسومة بتصوير الشمس رأينا الالفاظ الّا ما ندر خالية من الضبط بالحركات. لكن يظهر مما اثبتهُ طابع الكتاب في الحواشي نقلاً عن الاصل ان كثيراً من الالفاظ إن في الابيات وان في الشرح مضبوطة بالحركات لكن بعضها غير محكم الوضع او مخالف للقواعد الصرفية والنحوية . ولا تخلو النسخة من السهو والتصحيف والتحريف والغلط. فكل ذلك يجعل قراءتها صعبة جداً خاصةً لما يتضمن الشعر الجاهلي من الالفاظ التي هي غريبة بعد الطور الجاهلي ومن الاعلام المجهولة والتلميحات الى امور ووقائع جرت لا علم لنا باخبارها

ومن ثمَّ فالعلّامة ليّل هو اهل بكل ثناء لانهُ انتصر على هذه الصعوبات. فشمّر عن ساعد الجد ولم تثبط عزمه وعورة الطريق . وكلٌّ يعلم ان الشعر القديم اذا كانت نسختهُ غير جلية ولا متقنة ولا معجمة وكانت النسخة وحيدة كاد يكون نشرها بالطبع من المستحيلات وفي هذه النسخة شرح وافٍ لديوان عامر يشمل كل الابيات. امّا في ديوان عبيد فانهُ وجيز يكتفي بتفسير بعض الابيات ولا يشفي الغليل لان الشارح يقتصر على تفسير الالفاظ في البيت دون ان يؤدي معناه وبعض الاحيان يخطئ المرمى. وهو مع ذلك جزيل الفائدة اذ يساعد على قراءة الالفاظ غير المعجمة وادراك معناها. الّا ان القصائد الثلاث المثبتة بتصوير الشمس هي خالية من الشرح وهذا مما يزيد صعوبة قراءتها وضبطها وتفهُّم معانيها اللهمَّ في بعض الابيات. ولا نعلم مَن روى وشرح شعر عبيد. اما شعر عامر فان النسخة الخطية تنبئنا انهُ رواية ابي بكر محمد بن القاسم الانباري عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب. فالعلّامة ليّل لم يألُ جهداً في اكمال العمل لجمع ما امكنهُ من الروايات المتفرقة في الكتب العربيَّة وخصوصاً كتاب مختارات الشعراء الذي يثبت في ٢١ صفحة اثنتي عشرة قصيدة لعبيد بن الابرص. فهذه الروايات المتعددة ساعدت طابع الديوان على تصحيح القراءة وضبط الالفاظ بالحركات وسهّلت لهُ استخراج المعاني. ولم يكتف حضرته بضبط الابيات ومعظم الشرح بالشكل الكامل بل علّق الحواشي الوافية ونقل معنى الابيات الى اللغة الانكليزيَّة وكتب بهذه اللغة مقالتين

ضافيتين بيّن فيهما الحوادث والظروف التي تقلّب فيها عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل الامر الذي يسهّل على القارئ فهم قصائدهما. واضاف الى كلا الديوانين ما عثر عليه متفرّقاً في الكتب العربية من الاشعار المنسوبة الى هذين الشاعرين ولا وجود لها في ديوانيهما . واردف كل ديوان باربعة فهارس الاول للقوافي والثاني لأعلام الناس والثالث لاعلام الامكنة والرابع للالفاظ اللغوية الواردة في الديوانين . فجاء الكتاب تحفة من التحف بل موردًا عذباً صافياً يرده العلماء نهالًا فيستقون منهُ سجالًا

ولا عجب بعد ما ذكرنا عن حالة النسخة الاصلية وصعوبة قراءتها أن بقي في الكتاب بعض الالفاظ والعبارات المبهمة التي تحتاج الى زيادة التدقيق في كتابتها وحركاتها وتحقيق معانيها

*

وتبياناً لذلك نورد بعض الامثلة من ديوان عَبيد متتبعين الصفحات والاسطر :

١٢,٣ « بالتلاتل » اي بالشدائد. وفي نسخة الاصل « باليالِيل » ولا معنى لها. الّا اننا نفضل القراءة « بالبلابل » ومعناها ايضاً الشدائد. لان تصحيفها باللفظة « باليالِيل » اقرب

١٤,٦ وشرابُهم ذو فضلةٍ وَمُخَنَّبُ . نظنّ الصواب « ومُعَنَّبُ » اي غليظ. جاء في اللسان (٢ : ١٢٢) « اذا كان القطران غليظاً فهو مُعَنَّبٌ » . امّا تفسير الشارح : « ويقال المُخَنَّب من الشِواء الذي لم ينضج ثم أُعيد فتدخّن ففسد » فهذا الشرح يستلزم الرواية « ومُجَنَّبُ » لانهُ نحيَ عن النار. ولا يبعد ان تكون الرواية « وجَنَّب » مع الاقواء معطوفاً على « فضلة »

١٥,٣ « من كل ممسود السراة مُقَلَّصٍ قد شفَّهُ طولُ القيادِ وألغبوا » في نسخة الاصل « وأنعَبُ » . واللفظة « وألغبوا » أثبتت عن مختارات الشعراء. الّا انهُ لا يظهر الى ايّ شيْ يعود ضمير الجمع. فضلًا عن ان معنى الغبوا اي أعيَوا لا يوافق في البيت. فنفضّل القراءة « ومِنعَبُ » قطع فرفع. وكذلك ضبط صاحب مختارات الشعراء في « مقلص » قطع فرفع وروى « ومُقلَّصٌ ». « فرس مِنعَب جواد يعدّ عُنقَهُ » (ل ٢ : ٢٦٢)

١٨,[11] « والصُفْرَة ». في نسخة الاصل « العبره ». نظن الرواية « والنجرة » اي لون الغبرة

٢٠,[1] « اقوت القوم ». في الاصل « اقوت الرجل والقوم ». عندي ان الرواية « اقوى الرجل والقوم »

٢٢,[12] « ونَأْفَ بين ارامل الايتام ». ارتاب العلامة ليل في صحة الرواية « ونأفَ ». وسبب ارتيابه هو انَّ اللفظة نفسها ترد في البيت التالي « حتّى تَلُفَّ ضِرامَها بِضِرامِ ». الّا ان « نأفَ » الثانية وردت بمعنى مختلف متفرّع عن المعنى الاصلي. قال في القاموس: « لَفَّ الكتيبتين خلط بينهما بالحرب » فمعنى لفَّ الاول جمعَ وضَمَّ. ومنهُ يتفرّع المعنى الآخر. ومن ثمَّ « حتى تَلُفَّ ضرامها بضرام » معناه: حتى يَلتَحِمَ القتالُ وتُضرمَ نيرانَ الحرب. هذا كما قال الاخطل [4] ١٦١:

ولَقَدْ تَرُدُّ الخيلَ عن اهوائها وتَلُفُّ حدَّ رِجالِها برِجالِ

٢٨,[17] « حتى تنوشك نوشةً عاداتِهِنَّ اذا انتوينا ». نظن الصواب « عاداتُهُنَّ » بالرفع. اي هي عاداتُ رماحنا ان تنالك

٣١,[12] « لها بعد إشرافِ العبيط نَشِيحُ » لا معنى هنا للّفظة « اشراف » وهي تصحيف « إنزاف » تؤيد هذا القراءة اللفظة « انزاح » التي في المختارات وهي بمعنى الانزاف. — « دَفوعٌ ». والصواب « دُفُوعٌ »

٣٤,[1] ارتاب العلّامة ليل في هذه العبارة في قول الشارح « وقوله بما قد طباك هاهنا في موضع رب » ولعلَّ الشارح اراد ان « بما » مختزلة من « رُبَّما » كما يجري في بعض الالفاظ. راجع الاخطل [2] ١٦٩ « أمسَتْ مَنَاها بارضٍ ... » وقال شارحه « مناها منازلها ». ولا نقول ان الشارح اصاب. الّا انّنا اردنا تفسير عبارته

٣٥,[1] « وكم مِن اخي خصمٍ تركتُ وما بهِ اذا قلتُ في اي الكلامِ نُحُوضُ » اي وما بهِ نُحُوضٌ. الّا انّنا نفضّل القراءة « نَحُوضُ ». والّا بقيت الجملة « في اي الكلام » ناقصة

٣٥,[4] « فولّيتُ ذا مجدٍ وأُعطيتُ مِنحَلًا حُساماً بهِ شَغْبُ الألدِّ نُهُوضُ » نفضّل القراءة « شَغْبَ الالدِّ نَهِيضُ » اي نصدع ونكسر شغبَهُ

٣٥,[1] « ابي لشبل بعد العراك عَضُوضِ » لا حاجة الى الاقراء . ويُمكن تعليل الرفع « عَضُوضُ » اي هو بعد العراك عضوضُ

٥١,[2] « تَرَاعَاهَا » لم نجد في الامهات اللغوية هذا الوزن بمعنى رعى بل رعى وارتعى وترَعّى . ومن ثم أرى ان تُقرأ « تَرعَّاها » . وفي المختارات « تَرعاه » ويلزم ان تُقرأ « تَرَعَّاهُ »

٥٥,[2] « وكلّ ما جاءَك من شيء فقد عداك اي شَغَلَكَ الشغلُ » . « جاءك » في الاصل كتبت « جبيك » ونظن القراءة « جنبك » اي دفعك وابعدك

٦٢,[12] « بان الخليطُ الأُولَى شاقُوك إذ شَحَطُوا » . « شاقوك » كُتبت في النسخة الاصلية « شاوك » وفي رأينا ان القراءة « شَأَوكَ » . « شآني الامر مثل شعاني وشاءني مثل شاعني اذا حزنك » . « شآني الشيء شأياً حزنني وشاقني » (ل ١٩ : ١٤٥)

٦٣,[1] « ايامُ نحنُ . . . » والصواب « ايامَ نحنُ . . . »

٦٣,[2] « فَالعَيْشُ مُغْتَبِطُ » . كتب في النسخة الخطية : « بالعس » = بالعَيْشِ

٦٣,[2] « وَالدَّهرُ مِنهُ على التَجيفِ والفُرُطِ » . وفي النسخة الخطية : « على الحيف والفَرَطِ » . والقراءة الصحيحة : « عَلَيَّ الحيفُ والفُرُطُ » . والقافية في هذه القصيدة مضمومة . « والفُرُط الظلم والاعتداء » (ل ٩ : ٢٤٣)

٦٣,[6] « فَوَرَدَتْ ماءَ جِزْعٍ عن شمائلها » . رُسم في النسخة الخطية : « قد ركب » والقراءة هي « قَدْ تَكَبَّتْ » عوض « فوردت »

٦٣,[6] « قَدْ شَارَفُوا فَرَجَ الأَوْتادِ او وَسَطُوا » . في النسخة الخطية « فرج الاوتاد » . نظن القراءة الصحيحة « فُرَجَ الأَوْتادِ » . ذات الاوتاد اسم مكان (راجع الهمداني صفة جزيرة العرب [1] ١٠٦)

٦٣,[11] « حَادي الأَدْمِ مُقْتَبِطُ » . في النسخة الخطية : « حارى اللحم مسط » . في رأينا ان القراءة الصحيحة هي : « عاري اللَّحمِ مُغْتَبِطُ » يصف الشاعر حادي الابل . او « مُعْتَبِطُ » من « عَبَطَ الحمار التُّرابَ بحوافره اذا اثاره » (اللسان)

٦٤,[7] « إذْ هُمْ سَخِطُوا » في النسخة الخطية : « ان هم سخطوا »

٦٤,[8] « لا تَنَادُ طِينَتُهُمْ » . في النسخة الخطية : « لا ينفاد طيتهم » . مع

كرسي الياء والتاء فقط . الا ان ما بين نقطتي الياء فُرجة اوسع مما يلزم . وكذلك ما بين نقطتي التاء . فالقراءة الصحيحة « لَا تَنَادُ طِيَّتُهُمْ » او : لا تُقْتَادُ طِيَّتُهُمْ . والطِّيَّة الوجهة — « ما لِقَوْلِهِمِ خَلْفٌ ولا مَيْطُ » . في النسخة الخطية ترى ثلاث نقط قبل حرف الطاء . ونظن القراءة الصحيحة « نَشْطُ » اي انهم اذا ابرموا الامرَ لا يُحَلُّ

٦٤,١٠ « وَمُنِقُوا العَقْدِ ان عَقَدُوا » . في النسخة الخطية « وسموا العقد » = « وَثِيقُوا العَقْدِ » وهي القراءة الصحيحة

٦٤,١٢ « وأيدٍ بالندى سَبِطُ » وفي النسخة الخطية : « وايدا الندى سبط » وعندي ان الرواية هي « وايدٍ بالندى بُسُطُ » . « رجل بسيط اليدين مُنبسِطٌ بالمعروف . . . والجمع بُسُط » (اللسان)

٦٥,١١ « إذا ما باص لاحَ بِصَفْحَتَيْهِ وَبَيَّضَ . . . » « وَبَيَّضَ » كتبت في النسخة الاصلية « وبيض » . الا ان الرواية الصحيحة هي « وَبِيصُ » اي بَرِيقُ وهو فاعل لاح

٦٦,٢ « او ملاصُ » . لا نجد في الاصل اثرًا للألف في الكلمة « او » . ونظن القراءة الصحيحة « ذو مِلاصٍ » « يقال جارية ذات شماصٍ وملاصٍ » (اللسان في مادة شمص وملص) . وهكذا نُكتفى ايضاً مؤونة الاقواء

٦٧,١٦ « بَعْدَ ٱنْتِقَالِ » . في الاصل « المال » والصواب : « بَعْدَ المَآلِ »

رحلة

مُحَمَّد سَعِيدْ بَاشَا إِلى بَارِيس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

وفي مدينة باريس قد يوجد ايضاً عندهم مرتَّباً شكلُ ملعوب خصوصي يسمونهُ اوباره (l'Opéra) يلعبون فيهِ بصناعة عجيبة وتجتمع اليهِ الناس كثيرة من اكابر وارباب الدولة ومدبرين المملكة يذهبون اليهِ دفعات شتّى حتى والسلطان ايضاً

كرسي الياء والتاء فقط . الا ان ما بين نقطتي الياء فُرجة اوسع مما يلزم . وكذلك ما بين نقطتي التاء . فالقراءة الصحيحة « لَا تَنَادُ طِيَّتُهُمْ » او : لا تُقْتَادُ طِيَّتُهُمْ . والطِّيَّة الوجهة — « ما لِقَوْلِهِمِ خَلْفٌ ولا مَيْطُ » . في النسخة الخطية ترى ثلاث نقط قبل حرف الطاء . ونظن القراءة الصحيحة « نَشْطُ » اي انهم اذا ابرموا الامرَ لا يُحَلُّ

٦٤,١٠ « وَمُنِقُوا العَقْدِ ان عَقَدُوا » . في النسخة الخطية « وسموا العقد » = « وَثِيقُوا العَقْدِ » وهي القراءة الصحيحة

٦٤,١٢ « وأيدٍ بالندى سَبِطُ » وفي النسخة الخطية : « وايدا الندى سبط » وعندي ان الرواية هي « وايدٍ بالندى بُسُطُ » . « رجل بسيط اليدين مُنبسِطٌ بالمعروف . . . والجمع بُسُط » (اللسان)

٦٥,١١ « إذا ما باص لاحَ بِصَفْحَتَيْهِ وَبَيَّضَ . . . » « وَبَيَّضَ » كتبت في النسخة الاصلية « وبيض » . الا ان الرواية الصحيحة هي « وَبِيصُ » اي بَرِيقُ وهو فاعل لاح

٦٦,٢ « او ملاصُ » . لا نجد في الاصل اثرًا للألف في الكلمة « او » . ونظن القراءة الصحيحة « ذو مِلاصٍ » « يقال جارية ذات شماصٍ وملاصٍ » (اللسان في مادة شمص وملص) . وهكذا نُكتفى ايضاً مؤونة الاقواء

٦٧,١٦ « بَعْدَ ٱنْتِقَالِ » . في الاصل « المال » والصواب : « بَعْدَ المَآلِ »

رحلة

مُحَمَّد سَعِيدْ بَاشَا إِلى بَارِيس

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

وفي مدينة باريس قد يوجد ايضاً عندهم مرتَّباً شكلُ ملعوب خصوصي يسمونهُ اوباره (l'Opéra) يلعبون فيهِ بصناعة عجيبة وتجتمع اليهِ الناس كثيرة من اكابر وارباب الدولة ومدبرين المملكة يذهبون اليهِ دفعات شتّى حتى والسلطان ايضاً

يذهب اليه بعض الاوقات يحضره. وهكذا نحن اردنا ان نمضي ونتفرج على هذا اللعوب فمضينا الى قرب سراية الوصيّ وصي السلطان (le Régent)

وكان هذا المكان مخصوصاً للعب وكانت فيه مجالس شتى وكراسي مختصة بالناس كل واحد على حسب مرتبته عالٍ ووسط وواطئ فأجلسوني في المقام الذي كان السلطان معتاداً ان يجلس فيه وكان مغشّى بالذهب والمخمل الاحمر. واتى الوصي ايضاً ليحضر اللعب وهم (١ لاجل خاطري وجلس في مقامه واخيراً ذلك المكان امتلأ من الخلق من رجال ونساء اكابر. وكان هناك من آلات الموسيقى شيء كثير انواع آلات طرب وكان هذا في اول ساعة من الليل

فعند ذلك سكروا الابواب واظلموا المكان وشعلوا الشموع الكثيرة من شمع دهني وعسلي وكافور بكثرة تفوق الوصف وزيّنوا ذلك المكان في هذا الوقت اكثر من غير الاوقات لاجل حضوري هناك وكان سقفهُ ودرابزوناتهُ وعواميده كلها مذهبة وايضاً النساء الذين اتوا كانوا كلهم (اللواتي اتينَ كنَّ كلهنَّ) بثياب ديبا (٢ مرصّعة بالاحجار الثمينة ونور الشمع الذي كان في ذلك المكان كان يزيد رهجة تلك الاثواب والاحجار للغاية ولم اقدر اصف حسن ذلك المكان مع رهجته وتلك الثياب ورهجتها بكفاية. وكان سترٌ موضوعاً في وجه الجمع كلهِ في موضع اللعب. فبعد ان حضر الناس وجلس كل واحد في مكانهِ رفعوا ذلك الستر فظهر من خلفه سراية عظيمة وفي صحن تلك السرايا كان موجود اصحاب الملاعب رجال ونساء جميعهم بلباس مرصّع وكانت النساء عشرين بالعدد فائقات بالحسن والجمال وبثياب خصوصيّة فزادت شمشمة ذلك المكان حتى كاد يخطف النظر وعادت الاوباره شبه اتون نار مشتعلة. وبدأوا يغنّون جميعهم بالسوية مع دق آلات الطرب المتنوعة حتى كان الانسان بالكاد يقدر يميز بين الاصوات وبين صوت الآلات ثم ابتدأوا يرقصون مدّة من الوقت وبدأوا في الاوباره

اعلم ان مادّة هذه الاوباره ولعبها هو شكل حكاية الّا انّ تلك الحكاية

١) لفظة حليّة بمعنى: كذلك

٢) الديبا صنف من الديبا يراد به انسجة حريريّة مُنقّشة ومنقوشة ويقال ديباه وديباج وكلها من الفارسيّة

يجرونها في الاوباره كانها شيء حقيقي قائم حالًا . وقد جعلوا لهذه الاوباره ثلاثين حكاية كل حكاية بكتاب وكل كتاب له اسم وفي كل جلسة يقلدون حكاية من هذه الحكايات وهو شيء يبهر النظر ويدهش العقل لانَّ الناظر يظن ان الشيء حقيقي

والجلسة التي كنا نحن بها تلك الليلة كان مضمونها هذا وهو ان سلطان عشق ابنة سلطان مثله فطلب ان يتزوجها من ابيها امَّا البنت فكانت عاشقة ابن سلطان غيره وكانوا يقلدون في المرسح جميع ما كان يصدر بين السلطان والبنت فاذا مثلًا كان السلطان يقصد الذهاب الى البستان بستان البنت خالًا تلك السراية الموجودة في الاوبارة تتغير بسرعة ويصير عوضها بستان عامر اشجار ليمون ونارنج وغير اشجار . وعندما يقصد الملك ان يزور كنيسة ليقدم تضرعاً وصلاة ترى في دقيقة واحدة ذلك البستان يتوارى ويعود كانهُ كنيسة كاملة . اخيرًا الملك والبنت التجأا الى امرأة ساحرة وعرَّافة فالسلطان لكيما يجذب هذه البنت الى محبته والبنت لكي تبغض السلطان فيها فحضرت هذه المرأة الساحرة الى الوسط واظهرت من السحر والافعال اشياء وحركات مختلفة شيء يبهر النظر لانها احياناً تظهر نيرانًا شاعلة واحياناً تظهر صور شياطين وحيناً اشكال حيوانات غريبة ووقتاً تظهر قتالًا بين عساكر بشر وشياطين منهم خيَّالة ومنهم زلام . وكنا نشاهد اناساً تنزل وتنحدر من السماء داخل الغيوم والسحاب وغيرهم كانوا يطيرون من الارض الى ناحية الغيوم . فنتيجة الكلام انها اظهرت اشياء عجيبة وامورًا غريبة ورعودًا وبروقاً وامطارًا حتى ان الذي كان يرى هذه الاشياء لا يظنُّها الَّا حقيقيَّةً ولا يصدق السامع بهذه الاشياء ما لم يرَها لانها اشياء غير مصدَّقة بالنقل . فرأيت هذه الاوباره شيئاً عجيباً وكانوا يظهرون حالات العشق كلها على مجراها وانواعها بهذا المقدار من اللياقة والصناعة حتى ان الذي كان يشاهد ترفُّق السلطان نحو هذه البنت واوضاع هذه البنت نحو السلطان كان ينحلّ من البكاء لحسن صناعة هذه الاوباره . وكان الناظر والمعتني بهذه الاوباه رجلًا من كبار مدينة باريس وهو من الاغنياء لان هذه الاوباره تحتاج الى مصاريف عظيمة ولكن جعلوا منها جزءًا كبيرًا الى خزينة السلطان لان الفائدة الناتجة منها عظيمة تفوق مصاريفها بشيء كثير وهذه الاوباره مختصَّة بمدينة باريس

المرقص الملكيّ

فبعد ان تفرّجنا على هذا المرسح الذي استقام حكم ثلاث ساعات عدنا راجعين الى مكاننا وبعد كم يوم اتى الى عندي مُدخل القصّاد وأخبرني : « انهُ مزمع ان يصير مرسح آخر في سراية السلطان واذا ذهبتَ اليهِ فانك تنشرح كثيرًا لانك مزمع ان تجلس مع حضرة السلطان في مكان واحد . وعن يمين السلطان يكون اقرباؤهُ وعن شمالهِ قصّاد الملك وانك ستتقدّم على جميعهم بجلوسك جانب السلطان » . فشكرتُ فضله وفضل السلطان كثيرًا ووعدتهُ انّي احضر لان هذا غاية اربي ان احظى بمباشرة حضرة الملك وانني ارى مثل هذه المفترجات التي لا تصير عندنا

فثاني الايام ارسل المُدخِل واحدًا من اتباعهِ يدعوني فمضيت الى سراية السلطان فبعد ان تغدّينا وتمشّينا هناك عند مدبّر السلطان ادخلونا عند الماء الى ديوانخانة اخرى بجانب تلك الديوانخانة التي للملك وهذه الديوانخانة مختصة للرقص وللجمعيات وهي واسعة ومكلّفة اكثر من الاولى التي رأيناها واحسن من التي رأينا بها المرسح لان حيطانها كلها من المرمر الابيض الرخام ومطليّة بالذهب بصناعة عظيمة عجيبة ومزيّنة بتصاوير ونقوش تفوق العقل وداخلها اربع صفوف كراسي كل صف اعلى من الصف الآخر حتى الى السقف والدرابزين كذلك جميعها من الرخام الابيض المطعّم بالذهب . وفي الاخير درابزينان مقابل بعضها من الرخام الازرق الذي هو بلون البحر وهو منزّل لهُ ذهب . وكل شيء موجود في هذه الديوانخانة كان هكذا جميلًا حتى انهُ يشرح القلب والنظر

وكانت نساء الاكابر جدّةً اتت (اتينَ) الى تلك الخانة بلباس متفرّق بالجواهر وكل واحدة منهن لها مكان معيّن لها تجلس فيهِ . وحين وصولي رأيتهم جازوا بكرسي الى السلطان وجازوا بكرسي آخر ووضعوه عن يسار كرسي السلطان وجلستُ عليهِ عن يسار الملك وكانَ من الخلق في هذا المكان اكثر من الذين كانوا في الاوباره الاولى وكلهم اكابر الدولة ونساء الاكابر . ففي اثناء ذلك قدم السلطان وجلس على كرسيّهِ وعلى يمينهِ جلستْ ابنة عمهِ وجانبها ابنة عمه ايضًا اختها بثياب لا توصف متفرقة بالجواهر واليواقيت وجلستُ انا في جانب الملك الايسر

وكان في وجه الاوباره ستر بديع منقوش يأخذ العقل فحين رفعوه رأيت صحن

سراية وفيه اشخاص وانفار بغاية الجمال وهم على صور الملائكة يرقصون. ورأيت شمساً وقمراً كانهما حقيقيان والشمس طالعة على وجه الشرق وجرم الشمس وشعاعها كان من الذهب المموّه وكان جرم الشمس قدر صينية مصنوعة بصنعة تفوق العقل واشعتها لا تقصر عن اشعة الشمس. وخلف هذه جملة شموع لا تعدّ ولا تحصى تلتهب وكانت اشعة الشمس تأتي من هذه الشموع كانها اشعة خارجة عن الشمس. وكان هناك ارباب الموسيقى فهؤلاء بدأوا يلعبون في آلاتهم والاشخاص القائمون في صحن المرسح بدأوا يرقصون وهم كلهم تقليد اولاد الاكابر والامراء والمشايخ جميعهم اقران بعضهم في القدّ والقامة واللبس والكسوة والصورة والسنّ. وكانوا يرقصون بالنوبة ثمانية ثمانية منهم في زي لبس مخصوص بالرقص وهو مزركش بالتيل (القصب) والحرير انواع مختلفة واثوابهم كلها ديباج وفي رؤوسهم كانوا مشكلين بالريش المصبوغ وكان هذا الذي يزيدهم حسناً وجمالاً وكان يعدّ في حسنهم كثيراً. ومنهم كانوا يزيّ مضحك وكل ثمانية كانوا نوعاً غريباً عن الآخر ومخالفاً. وكانوا قلّدوا في ذلك المرسح رجلاً باع بستاناً وآخر اشترى. وظهر في البستان قتيل واحضروا الرجل البائع امام السلطان فحكم عليه بالقتل وغير اشياء لا يقدر الانسان ان يصفها الا بالنظر

زيارة السفير لقصر سان قلو

فبعد ان تمّ المرسح قدر ثلاث ساعات رجع السلطان الى مكانه وانا كذلك توجّهت الى محلّي. فبعد يومين حضر الى عندي الوصي وعرض عليّ: «ان هنا سراية بعيدة عن البلد مقدار ساعة تسمى سانقلوا (١ حيث كانت الست والدة السلطان ساكنة وان هناك بستاناً شرحاً ومنتزهاً ومكان يجب ان تراه». فقبلت منهُ ووعدتهُ انني امضي

ففي اليوم الثاني توجّهنا صحبة الوصي من المدينة الى هناك ومضينا فكان طريقنا كلهُ اشجاراً مقصوصة ومهندمة اشكالاً واراضيَ كلها مفروشة بانواع الزهور والمروج. فمينُ الطريق لم أرَ لهُ شبيهاً الى ان دخلنا الى ذلك البستان المكنّى بالسراية فرأيته في مكان اطيب امكنة الارض من التوقيع والانشراح. ثم دخلنا

١) سان قلو (Saint-Cloud) بلدة شهيرة بقصر شيّدهُ الملك لويس الرابع عشر وبحدائقها الغنّاء.

وتفرّجنا على سائر الارض من مكان الى غيره وكانت سائر الاماكن ملبسة باثواب مقصبة من خالص القماش ومزينة بانواع التحف والقطع والتفاريق التي يعجز عن وصفها اللسان شيء لا يحصى

فبعده باشروا لنا بالغداء هناك ثم انزلونا بعد الغداء الى بستان السراية وذهبنا الى بركة محاطة بالاشجار الغليظة الشامخة في دائر ذلك الحوض وفي وسط الحوض المذكور فوّارة والماء طالع منها نحو مزراق غليظ الى علوّ الاشجار وفوقها باكثر من قامتين فسألتهم عن قوّة هذه الفوّارة وعن علوّها كم تبلغ من العلو. فقالوا انها تبلغ في العلو الى مائة وخمسين قدماً اي علو خمسين ذراعاً لكن رشّ هذا الفوّارة كان عجيب جدًّا لانَّ في شروق الشمس فوق الحوض كنت ترى قوس قزح كاملًا لا فرق فيهِ وقد اكّدوا لي ان في بلاد فرنسا جميعها لم يوجد فوارة تشبه هذه

ثم رأينا حوضاً آخر كبيرًا جدًّا وفي وسطه فوّارة تعلو قدر قامة انسان غلظ خشبة غليظة ودائر هذه البركة من سائر الحيوانات والطيور من النحاس المطلي بالذهب. فاذا اطلقوا الماء الى ذلك الحوض ترى كل حيوان وطير ينطق مثل لغاتهِ بلا فرق. وحوض آخر من الرخام الابيض في مكان مرتفع قليلًا وكان عليهِ من النقوش شيء لا ينطق فيهِ لسان وكان في وسطه قدر ستة فوّارات وكان فيهِ تنين فاتح فاه يبتلع كل ذلك الماء. وكنا ننظر كل هذه الاشياء بانشراح عظيم لانهُ شيء غير منظور لمثلنا كل وقت

وفي هذا البستان كانت اشجار كثيرة وجميعها على علوّ واحد متّحدة ببعضها كالحائط ومقسّمة على سقاية عدة من الاشجار متساوية في بعضها واغصانها النافذة الى الخارج كانت كلها مقصوصة على السواء بهذا المقدار من الصناعة حتى كان يظن انها بناءة واحدة. والبستان عرضهُ مسافة اربع ساعات وطولهُ قدر ست ساعات ونحن ركبنا عربانة وتنزهنا فيهِ مقدار ثلاث ساعات ورجعنا

زيارة السفير لميدون وورسالية

فبعد ذلك الوقت تشاورت الجماعة ان يمضوا بنا الى سراية اخرى تسمى ورسالية (Versailles) التي لا شبيه لها ولا نظير في العالم باسره (١ وغب المداركة الكلية

١) ڤرسالية مدينة قريبة من باريس كان يسكنها ملوك فرنسة وزانوها بالقصور والمتاجف

وقمنا في الحيرة ثم اعتمد الرأي اننا نذهب. فانتقلنا برفقة اتباعنا الى نحوها. وفي الطريق التي تقود اليها يوجد سراية اخرى عظيمة معظمة لدى السلطان وحولها بساتين حسنة للغاية ويسمون هذا الموضع ميدون (Meudon) (١ وقد كانوا انتخبوا هذا المكان واختاروه لكي نتغدّى به وهكذا اتفق الرأي اننا تغدينا هناك ومكثنا وغنا تلك الليلة هناك بكل فرح وسرور

وفي غد ذلك اليوم باكرًا عزمنا على المضي الى ورسالية وزرنا هذا المكان المكنّى بميدون فان فيهِ سراية يعجز كل انسان عن وصفها وبهائها وهي مبنية في مكان مرتفع شامخ كنا ننظر منها كل مدينة باريس فبعد الغداء والنوم دخلنا الى عربانة حضرة السلطان لكي نروح الى ورسالية وكنا نسير في العربانة وانا اتأمل في ترتيب الاشجار وفي الامكنة المنزهة حقًا ان محاسن تلك الاماكن التي لا يقدر الانسان على وصفها أنستني البستان مع زخرفتهِ وترتيبهِ الفائق الذي كنت رأيتهُ هناك لان هذا المكان يشبه جنّة الارض ولو كان في الدنيا جنّة لقلتُ ان هذه هي الجنة فمكثنا في ميدون الى حدّ وقت العصر وذلك الوقت وجّهنا سيرنا الى ورسالية

وقريب المساء وصلنا الى سراية ورسالية فهذه السراية هي بغاية الجمال وبناؤها عجيب من اعجب شيء في الدنيا وهي تشرح القلب والخاطر وتدفع الهمّ وتزيل الغمّ واني كأخرس اللسان ومتعذر البيان عن وصف اوصافها ولا القليل عنها لانها اعجب شيء يوجد في العالم وكل انسان يصفها بايّ نوع كان فهو كاذب لان شرح وصفها لا يمكن اصلًا

ففي صباح اليوم قدم الى عندي القورتوريه (٢ اي الموكّل على البستان وسألني: « هل لك خاطر ان تتفرج على البستان ». اجبتهُ: « نعم لي خاطر ولهذا اتيت » فحالًا قدموا لي كرسيًا على بكرتين وكانت تسحبهُ اربعة انفار الى مكان متميز عن سراية الملك وفيهِ اشجار كثيرة شرحة تشرح الخاطر رؤيتها وتفرح الناظر وهي

١) قرية قريبة من باريس موقعها بينها وبين فرسالية وهي شهيرة بقصر ابتناهُ لويس الرابع عشر واخربهُ اصحاب الثورة

٢) هذه الكلمة مصحّفة لعلهُ اراد الجَرْدِنيه (Jardinier)

مقسّمة على مرور المياه وكل ممرّ شكل وهو مكان لا يوصف وجميعها متناسبة في الطول والغلظ والعلو والقدّ كانها شجر واحد وفي موضع منها يوجد حوض صغير وداخله فوّارات من طوج (١ كل فوارة منها بصورة حيوان مختلفة والماء يخرج منهم باصواتهم كل حيوان حسب صورته وعددهم تسعة وثلاثون فوّارة وكل واحدة تدل على حكاية وقد وضعوا على قفاهم الواحاً سطّروا فيها تلك الحكايات المقصودة منهم

فمن هناك اتينا الى مكان آخر وهو مزين باثنين وثلاثين عامودًا من الرخام ومن كل عامود يخرج فوارة تسكب مـاء على ثخن اصبع . وايضاً ذهبنا الى حوض آخر كبير جدًا في وسطه مائة وخمس وثلاثون فوّارة والواحدة التي في الوسط ينفذ منها الماء الى علو اربعة وعشرين قدماً وبقيّة الفوّارات كل واحدة اوطأ من رفيقتهـا . وخروج الماء من هذه الفوارات على هذا الحال يشبه شجرة سرو مصنوعة من فضّة لاجل بياضها النقي . وخروج الماء من هذه الفوارات بغلظ باهم غليظ

ومن هنـاك سرنا الى موضع آخر فيهِ حوض سائر حنيّاتهِ من السـاقي الاحمر والاخضر ولهُ دورابزين من السـاقي الاحمر والاخضر وهذا الدورابزين مطوّق باطواق من الذهب الابريز النقي المصنوع بصنائع عجيبة ومن طرفيه كانت تخرج مياه على علو مائة وعشرين قدماً من غير الشادروان (٢ الذي في بستان سان قلو وما رأينا مثل هذا قطّ . وبما ان الماء يصعد فيهِ بعزم عظيم كان هبوطهُ كمثل شجرة حين يهبط وكانت المياه تنفش وترغي كثيرًا على شكل شجرة من فضة

ومن هناك انتقلنا الى مكان واسع كثيرًا وكان فيهِ حوض اكبر من الجميع وكانت تسير فيهِ قوارب على عشرة مقـاذيف وكان مركبًا عليهِ صفّان فوارات ينسكب فيهِ الماء الثخن من باهم . وعندما يقصدون ان يُلعبوا هذه الفوارات كانوا يجعلونها تصعد وتنزل في اطراف الحوض مثل اشجار البستان على كم شجر السرو وغيره بصناعة عجيبة . ويوجد ايضاً في ثلاثة امكنة ثلاث فوارات وفي كل واحدة منها خمسة عشر لولباً كانت تنفذ منها المياه بعزم زائد ليس على خط مستقيم بل شبه النتّاشات تميل وتنحني الماء بصناعة عجيبة الى كل جانب

---

١) الطوج لفظة تركيّة هي الشبّه او البرونز

٢) الشادروان تركيّة اصلها من الفارسيّة ومعناها الحوض والفوّارة

وسرنا ايضاً الى حوض آخر كبير وفي وسطه شادروان كبير قدر قصر صغير وعلى اطرافه اكثر من مائة شخص حيوانات من طرج مصنوعة ومصفوفة بصناعة عجيبة حتى كان في خروج الماء منهم تسمع لهم اصواتاً تلذّ السامع. وكنّا نتفرج على هذه الفوارات بشوق عظيم لانها اعجوبة لطيفة ذات سرور جزيل. وقد يوجد ايضاً احواض في ورسالية مصنوعة بانواع مختلفة ما رأيت في زماني مثلها ولا شاهدت. وهذه المياه التي تنسكب من سائر الفوارات جميعها تجتمع في آخرها عند طرف البستان على شكل نهر عظيم وهو شكل صليب ويمرّ خارجاً من البستان

وفي هذا البستان يوجد ايضاً عمارات كثيرة مكلّفة جداً. وعلى اطراف ورسالية توجد سرايات ومن جملتها سراية اخرى يانوم (١ ففي الغد ذهبنا الى هذه السراية وبما انها مبنية على النهر الذي يخرج من ورساليه لزم اننا نذهب اليها بقارب وهو القارب الذي يركبه السلطان وهذه السراية معمّرة على طبقة واحدة بخلاف عادة بلادهم وبستانها ايضاً شكل عجيب والفسقيّات التي بها بكثرة وهي كذلك عجيبة حتى لم اقدر اصفها

فبعد اننا رأينا هذا جميعهُ رجعنا الى القارب وعبرنا فيهِ الى جانب النهر الايسر وفي منتهاه كذلك سراية اخرى داخلها الاصلانخانه (٢ الوحوش والطيور وبها من سائر الوحوش والطيور وبها ايضاً تماثيل الوحوش والطيور من الاحجار. وقدّام هذه الاماكن يوجد ميدان مدوّر وفي وسطه حوض وفوّارة ويحيط بهما دار بدورها حائط من حجر وفي نصف هذا المكان قصر عالٍ مبنيّ بناء عجيباً وعلى جانبه معمّر ستة ارض صغار وكنا نخرج من الواحدة وندخل الى الاخرى وهي مزينة بسائر النقوش وغاية الصناعة احسن من الصناديق الهنديّة وكلها مفروشة بالطنافس المشغولات بانواع الصرما (٣. ومن هذا القصر يقدر الانسان يشاهد كل الوحوش والطيور الموجودة هناك في اماكنها. ولمّا كنت هناك في ذلك الوقت لم يكن موجوداً من الوحوش الّا القليل بل اني رأيتهم بصورهم جميع الوحوش التي توجد

---

١) اسم مصحّف لعلّهُ يريد قصر لويس الرابع عشر المسمّى تريانون (Trianon)

٢) لفظة تركيّة لم نجدها في المعاجم. ولعلّ صوابها اسلانخانه بدلاً من ارسلانخانه اي مكان الاسود والسباع

٣) الصرما او الصرمة تركيّة معناها الاسلاك المعدنيّة الرفيعة من ذهب او فضّة

عندهم وهي اشكال غريبة. وجميع الطريق التي بين القصر وخانات الوحوش كلها كانت مرصّعة بالاحجار المتنوعة وبين تلك الاحجار عمارا شبه قساطل ماء مخفية دقيقة غير ملحوظة حتى اذا ما فتحوها كان يصدر منهـا فرجة للناظرين حتى ان الحاضرين هناك كانوا يتفرقون من رشّ ذلك الماء ويفتكرون من اين هذا الماء لانهم يغرقون ولم يروا ماء. وكيفما مالوا كان الماء يلحقهم ولما كنّا نحن مارّين من هناك عملوا ذلك مع البعض من اتباعنا ولواحقنا الذين ما اعلموهم بالحال. وايضاً رأينا هناك اشياء اخر مدهشة للعقول بغير عدد

وبعد ذلك في غد ذلك اليوم ذهبنا لكي نشوف بستاناً اخر للسلطان يقال له مارلي (١ فيه سراية معمرة في جانب النهر الشرقي الذي في ورسالية وهو مكان شرح وجميل واقدر اقول ان لا نظير له في الحسن والصنعة واظن انهُ اجمل جميع ما رأيتهُ في السابق. ورأيت في بعض الاماكن اشجاراً لطيفة مصطنعة واغصانها مقببة مصفوفة على الجانبين فوق بعضها بعض وتراها كانها قبو اخضر مرتفع جدًّا وكان كلما يطير في الهواء من الطيور وكلما يدبّ من الوحوش تحت هذا القبو لا يمكن ان ينفذ منهُ مطرح. وابدعوا ايضاً من تلك الاشجار قلالي ومربّعات بابوابها ولوازمها جميعها من اوراق تلك الاشجار بصفة القصّ . وكنت ترى تلك الاشجار كلها بجملة الاشكال والصور فنوناً فنوناً شيء يقصر عن العقل وهذا كلهُ كان مصنوعاً بترتيب وصناعة ودقة عقل هذا حدّهُ حتى ان الناظر كان ينسرّ من النظر الى هذه الاشياء. ولو مهما كان مغموماً فانهُ بنظره الى هذه الاماكن كان ينسى الغمّ والهمّ جميعهُ

وبعد هذا رأينا من قدّام وجه السراية سلّماً من الرخام الابيض عدده ستون درجة مبني للارتقاء وذلك السلم واسع بهذا المقدار حتى ان عشرة انفار تصعد عليه الواحد بجانب الآخر يمكنهم الصعود عليه وعلى كل عشر درجات منهُ فوارتان يصعد منهما الماء على طرفي الدرجة العاشرة. وآخر السلم تراه مملوءًا فوارات يصعد منها الماء وهذا السلم المذكور يؤدي الى بركة كبيرة وترى المياه تجري وتتدفّق منها

١) مارلي (Marly) قرية في ربض باريس شهيرة بأبنيتها الملكيّة وحدائقها وكانت هناك آلة ذات منجنونات واربعة عشر دولابًا تصعد الماء الى علو ١٦٢ مترًا فيجري في قساطل الى قصر ورسالية وهي تُعرَف بآلة مارلي (Machine de Marly)

بصناعة هذا حدّها حتى ان الناظر اليها يرى منهـا صفة سلّم من البلور صاعد من الفوارة وغير ممكن ان اصف الانشراح والسرور الذي يصير للناظر اليه

وقد اصطنعوا ايضاً سلّماً اخر بـ٢٥ درجة في موضع اخر وعلى كل طرف منهُ توجد لوالب مختلفة تنسكب المياه منها بسرعة هذا عظم خروجها حتى انها تنشئ رغوة عظيمة وقد يبان من هذه الرغوة كشبه سلم ثانٍ وفي ذلك منظر جميل وحسن في الغاية

وفي موضع آخر توجد فوارة اخرى غليظة بهذا المقدار كغلظ الانسان مصنوعة من رخام ابيض ملتصق على وجهها ومن فوقها صنم واحد قائم والماء خارج من بين الفوارة والصنم فكانَّ المياه في خروجهـا تصور قبة جامع صغيرة ولم نتمتّع بنظر مثلهُ ابداً. على انهُ في تلك السراية برك ونوافر كثيرة عجيبة غير اني لم أر مثل هذه النوفرة المذكورة البتة

وبما ان البستان هو في موضع عالٍ مرتفع فغير ممكن ان الواحد يصدّق كم من آلات استعملوا وكم من دراهم صرفوا ليأتوا بالماء من المكان المدعو «سين» الذي هو اوطأ من المكان المذكور بـ١٥٠ ذراعاً ولم يمكن ان اصف الحذاقة مع الصناعة التي قد استعملوها ليصعدوا المـاء الى موضع عالٍ بهذا المقدار ولاجل ذلك فانهم قد اقاموا عدّة متاريس لاجل صدم المياه وجريانها وقد عملوا ١٢ دولاباً كبيراً ومتيناً جداً لاجل جذب الماء الى العلو وهذه المياه بجريانهـا تدير هذه الدواليب وكل دولاب من هذه الدواليب لهُ ترومبا (مضخّة) يصعد بها الماء الى فوق. وقد جعلوا خمسة صفوف قنايات حديديّة غلظ الانسان كل واحدة وممتدة الى مكان عالٍ وفي اخرها بركة لاجل اجتماع الماء هناك وذلك لكي يطلع الماء بعزم شديد ويسرع الى الجبل. وكانت وباطات حديد ايضاً بقرب بعضها بعض ممتدة الى اخر الدواليب وهذه الرباطات كانت تتحرّك دائماً الى قدام والى خلف وتلزم الماء بالصعود من كل ترومبا وان تدخل الى القنايات بالاغتصاب وقد كان الماء هكذا يصعد مندرجاً نحو ١٥٠ ذراعاً. وهذا كلهُ كان مصنوعاً بصناعة عجيبة وغريبة حتى ان العقول لا تهتدي اليها وكان الناظر يتلذذ بالنظر اليهـا وايضاً يتلذّذ بالسمع لمثل هذه الحركات وبقية ما نظرناه ما يقدر الناظر يتلوهُ جميعهُ فاقتصرنا على ما كتبنا

ثم بعد ما تفرجنا ذلك اليوم كلهُ عدنا الى محلّنا ولم نزل مدة مكوثنا في باريس على اكرام زائد مع مفترجات وضيافات الى ان عزمنا على الرجوع الى القسطنطينيّة. فعند ذلك استأذنت السلطان فاذن لي بعد الهدايا والخلع وارسلني كما ذهبت لعنده بعزّ واكرام. وهذا ما جرى في رحلتنا الى مدينة باريس ولله الحمد والمنة

كمل وتمّ

ملحق

هنا تنتهي الترجمة العربيّة لرحلة محمد سعيد باشا. والظاهر انّ الاصل التركيّ يروي خبر رجوعهِ الى القسطنطينيّة فانّ في المجلّة الاسيوية الفرنسويّة وصفًا موجزًا لهذه الرحلة (Journal Asiatique, *Paris*, 1842-,72 57) فيُروى هناك انّهُ عاد الى طولون على طريق ليون فاستُقبل بكلّ عز حيثما حلّ وأُقيمت له الاعياد الشائقة خصوصًا في ليون. واذ مرّ في نيم زار مرسحها الروماني الشهير حيث كان يُلقَى شهداء النصارى للسباع والوحوش الضارية في عهد المتنصرين. ثمّ عاد الى سيت وركب وحاشيتهُ مركبين حربيّين على احدهما ٦٤ مدفعًا وعلى الآخر ٥٢ مدفعًا فعاد الى الاستانة مكرّمًا مع ما اتحفهُ بهِ ملك فرنسة وكبار الدولة من الالطاف والخُلع كالمناطق الغالية الثمن المرصّعة بالحجارة الكريمة وكالطقاقيس البديعة العمل والساعات الدقّاقة الجميلة والاسلحة المحكمة الشغل. ونال ابنهُ غير ذلك من التُحف (١. ولمّا انجز السفير خبر رحلتهِ وقدّمها للسلطان احمد الثالث دعا السلطان المهندسين وامرهم بتقليد حدائق باريس وقصورها فصرف في ذلك مالًا كثيرًا الى أن خُلع سنة ١٧٣٠ وقُتل ابراهيم باشا الصدر الاعظم فأُهملت تلك الابنية وأُخرب بعضها اعداء السلطان. امّا ابرام العهود بين الدولة العليّة وفرنسة فانّ الاحوال لم تسمح بتقريرها. وكان من ثمار هذه السفارة انشاء فنّ الطباعة في الاستانة فانّ سعيد افندي ابن السفير محمّد سعيد باشا نقل حروف باريس العربيّة واتّفق مع اسد النصارى الجاحدين لدينهم وهو المسمّى ابراهيم الصمحيّ ففتح كلاهما اوّل مطبعة عربيّة وباشرا بنشر المطبوعات التركيّة والعربيّة سنة ١٧٢٧ فكان مجمل ما نشرتهُ مذ ذاك العهد الى السنة ١٨٣٠ نحو مئة كتاب فقط بين صغير وكبير

---

١) اطلب اخبار سفارة المركيز دي بوناك (de Bonnac) لدى الباب العالي للمرحوم شرل شيفر (Ch. Schefer) المطبوعة في باريس بالافرنسيّة سنة ١٨٩٤

الشعر العربي في شرقيّ الاردن

مقالة ادبية اخلاقية بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

ان من اطلع على الآثار الادبية التي ابقتهـا لنا الامم الماضية رأى ان الشعر أقدمها عهداً وابعدها زمناً في مراقي الاجيال . فكل شعب في طور نشأته وصدر أيامه يطرب لسماع الروايات الخيالية ويرتاح نفساً لحوادث الابطال الشعرية ولذلك توفّر المنظوم في الاعصر الغابرة وكثر صاغتُهُ ومنشدوه . وحسبُ الناظر ان يسرّح الطرف فيما خلّدهُ اهل الهند واليونان والعرب من بديع الشعر ورفيعه . فسكّان الهند اشتهروا برواية الرامايانا (Ramayana) وهي تنبئ عن توقد ذهنهم وتفنّنهم في اساليب البيان والابتكار فشعرها من الطبقة المثلى يروي فيها شاعرُهم حروب «راما» التي اقامها على سيلان خاطف زوجته . ومنهـا المهابهرانا (Mahabahrana) وهي اقدم رواية سُطِّرت في بلاد الهند تخبرنا عن حروب البانقاداس والكوروس

بيد ان الاغريقيين قد نالوا قصب السبق في ميدان الشعر واحرزا الشهرة الواسعة والصيت البعيد في مجال الآداب فلقد رعى لنا الدهر روايتين تُعدّان من رائق الشعر وكامله فذكرهما يغني عن البيان والثناء . ألا وهما رواية الاليـاذة ورواية الاوديسة يتداولهما المتأدبون ويتلوهما الطالعون عامّةً وخاصّةً نزهةً للافكار ومثالاً في الابداع والسناء . والعرب القدماء مع بعدهم عن مجالي المدنيّة وتنحّيهم عن اسباب الحضارة قد تركوا للمتأخرين المذهّبات السبع الشهيرة التي اجمع ارباب النقد من كل قطر ومصر على محاسنها

غير ان العرب الحاليين القاطنين في شرقي الاردن (١ لم يخرجوا عن سنن الامم

١) العرب الذين نبحث اليوم عن شعرهم وشراتهم هم الصخور وشيخهم فوّاز . والعدوان وشيخهم سلطـان العلي الذياب . وعبّاد وشيخهم نمار البخيت . والمجارمة وشيخهم نايف بن شهوان . والفنيات وشيخهم سالم ابو التم . والشوابكة وشيخهم عبدالله المطـايبة . والحايدة وشيخهم ابو ريحة . والحويطات وشيخهم الكبير عودة ابو تاية واميرهم المعروف هو عرار ابن جازي . والمجالي وهم عرب الكرك وحكّامها واكبرهم توفيق المجالي ورفيقان . والشرارات وشيخهم كاسب الحاوي

التي سبقتهم . وان كانوا اقلّ الشعوب تمدُّنًا واحطّهم منزلة وابعدهم عن الترقي والعمران فقد نشأ الشعر في ربوعهم وأحيت البوادي من ارباب النظم عددًا يُذكر وذلك امر طبيعي لان الشعر ينطلق بهِ لسان البدوي وترسلهُ قريحتهُ عفوًا بلا تعب فهو حينما يطوي القفار الشاسعة تؤثر في مخيلتهِ صور الجمادات التي يتعهدها بانظاره . هناك يرى الجبال الشامخة والسهول الفسيحة والوديان المقفرة والاطلال المبعثرة فتحصر في مخيلته التي لن ينطق بها يوماً بالشعر الجيّد ويصف تلك المشاهد التي انطبعت في محفوظه . وسنبيّن في مقالتنا اسباب الشعر عند العرب

ولا مراء ان موضوعاً كهذا يستغرق وقتاً طويلاً لجمع الاشعار من تلك القبائل المنتشرة في القفر ويطلب ممّن يخوض فيهِ ان يكون عارفاً بطباع الاعراب وآدابهم متضلعاً بلغتهم كي يُعبّر عن غامض الشعر ومُبهمهِ بما يطابق المعنى الصحيح وان يكون قضى فيما بينهم اياماً مديدة ناقلاً قصائدهم ومكرّرًا ما سطره لأول مرّة وناقدًا مواقع الزلل والغلط ولا بدّ لهُ ان يكون خالطهم وعاشرهم في جميع حالاتهم في مآدبهم ومسامراتهم وافراحهم واحزانهم . ولمّا نزلنا في ربوع السلط منذ ثلاثة اعوام اخذنا نستأنس الى حديثهم وشعرهم فارتاحت نفسنا الى هذا الموضوع الفريد . وكثيرًا ما كنّا نأتي بالشعراء الينا ونكرم مثواهم وفي اثناء ذلك كانوا يتلون علينا قصائدهم وكنا ندوّن ما جاد وحسن . ولبثنا هكذا نتقلّب بينهم مقيمين بين ظهرانيهم محاضرين جميع طبقاتهم متعقبين اشعارهم وما يتغنون بهِ في سائر احوالهم الى ان جمعنا كثيرًا من شعرهم فاخترنا اجلّهُ وبسطناه في خاتمة المقالة

ولقد اتسعت الاداب العربية في عصرنا الحاضر بهمة ارباب البحث والمطالعة على ان الباحثين لم يقيموا لشعر العرب الحاليين فصلاً في مباحثهم ولا ذكروا لهُ اسماً اللهم الّا ما ندر من الرحّالة الاوربيين الذين وصفوا عوائد العرب واخلاقهم وسطّروا في عرض كلامهم شيئاً عن آداب العرب بما لا يقنع غلّة صادٍ ولا يروي المطالع المدقق واذا اتوا ببعض اشعارهم نقلوها الى لغتهم الاجنبيّة فلم تغنَ العربيّة بها ولم ندرك شيئاً من لغة اولئك الاقوام . غير ان الوقوف على اشعار العرب الحاليين كثير الفوائد للمؤرخين والمتأدبين واللغويين وغيرهم . فالمؤرخ يطلع على حالة امة شريفة العواطف رفيعة النفس لها حروب ووقائع وايام معدودة دافعت فيها عن حريتها

وتأبى ان تذلّ تحت حكم حاكم ولها سنن معهودة تجري عليها . وارباب اللغة يشاهدون تقلّب اللسان العربي بين هؤلاء الاقوام وما طرأ عليه من الاغلاط الصرفية والنحوية وكثيراً ما يتلون في شعرهم تلك الكلمات الفصحى التي كان يستعملها العرب القدماء وذلك لانفرادهم عن الاعاجم وتنائيهم عن الاجانب

وارباب الخيم الحاليون لم يزالوا على عهد جاهليتهم . وان كانوا قضوا اجيالاً عديدة فهم على ما كانوا عليه منذ عشرين عصراً حتى ان شعرهم لقد يقرب نوعاً ما الى الشعر الجاهلي من حيث المعاني والاوزان . وذلك لان تلك الامة لم تختلط بما جاورها من الشعوب بل اعتزلت بفيافيها الشاسعة والتجأت الى براديها الواسعة الاطراف ايام المصاعب . فان محبّي الآثار يجدون في مطالعة اشعار العرب لذّة كبيرة وفائدة عظيمة فانهم ينتقلون ببرهة قصيرة الى عهد امرئ القيس وغيره من فحول الشعراء

ولقد بحثنا في مقالتنا هذه عن الشاعر العربي وصفاته الخارجية والداخلية وما يقام له من الاكرام والاجلال فضلاً عن العطايا الجزيلة والهبات الوافرة . وذكرنا شيئاً عن كثرة الاشعار عند العرب واسباب وفرتها وقابلنا بين اسواق الجاهلية ومحافلهم في دهرنا الحاضر واتينا بعد ذلك باقسام الشعر وتركيبه وما اختصّ به من الميزات لاسيما في مطالع القصيدة وقلبها وخاتمها وبحثنا عن اوزان الشعر الحاضر وسطّرنا اسماء الشعراء المشهورين كسعد العدوان وابي الكباير وعلي القزيمي وغيرهم من الشعراء والشاعرات وختمنا كلامنا باشهر النظم وكشفنا عن غامض معانيه بشرح مسهب . وغايتنا في ذلك خدمة الاداب العربية فنقول :

ما هو الشاعر العربي ؟

ان الشاعر العربي لا يتميز عن غيره بثوبه وردائه بل ربما كان غيره خيراً منه . فان كان شاباً غضّ الإهاب في ربيع عمره تجلو له الحياة بمحاسنها فيلبس الثوب الحريري الطويل الاردان ويتعمّم بالكوفية الحَرِّيَّة والعقال القصبي . والعقال هو عادةً لفافة من صوف مبروم يلفّها العرب حول المنديل . ويشدّ على حقويه مسدّساً ويضع الى جانبه الايسر سيفاً ثميناً . ألا انظر الى عينيه المتكحّلتين وجديليّه المضفورتين المسترسلتين على كتفيه وعارضيه المرتفعين فهذا هو الشاعر الشاب تلهوه

الزينة والملاهي واذا كان متقدماً في العمر تجافى عن تلك الاباطيل فتراه لابساً قميصاً طويلاً وعباءة صوف ولهُ لحيــة قصيرة تدل على فطنته ورزانته . غير ان الشعراء في عهدنا الحاضر لا يملكون من الدنيا شيئاً فيعيشون متطفلين على موائد اهل الكرم مكتسين من ارباب الجود والاحسان . فلقد عهدت شاعراً شرارياً يدعى عليّان عليه ثوب بالٍ وعباءة متقطعة ولهُ منديل أكل عليه الدهر وشرب يمشي حافي الاقدام حتى اصبحت رجلاه صلبتَيْن كالحجر يقتات من صيــد الغزلان . على انهُ يقظ الفؤاد متلهب الذكاء يدرك بالايماء قبل اللفظ واني لا اعرف شاعراً غيره شرارياً وهو يدعى عليًّا فكنتُ لا اسألهُ عن قصيدة بدوية او معنى شعري الّا اجاب : اعرف ما تريد . ويُنشد في الغرض المطلوب القصائد العديدة . ومما يتضح من اشعارهم انهم سريعو التخيُّل صادقو المشاعر يستخدمون التشابيه التي يرونهــا في البيداء كمثل البرق والسحاب والخيول السوابق والسيول الجارفة ولا ينسون شيئاً من الاستعارات التي كان يأتي بها الجاهليُّون في عصرهم

وبعد ان نظرنا الى ظواهر الشاعر علينا ان نصف صفاتهِ الحقيقية كما يعرفها العرب انفسهم . فالعرب يستعملون كلمة الشاعر بمعانٍ كثيرة منهــا الراوي للشعر الحافظ لجديدهِ وقديمهِ المطرب للسامعين في المسامرات ومجالس الشيوخ والامراء . فهؤلاء الشعراء لا يحصى لهم عدد بين اصحاب المضارب . فهناك نجد اناساً كثيرين واسعي الحفظ يستظهرون على صفحات قلوبهم ما يسمعونهُ مرّات او مرّة واحدة وهم أميّون لا يعرفون من القراءة والكتابة حرفاً فيحفظون قصائد كبيرة سمعوها من دهر بعيد لا يخلُّون بكلمة منها بعد الزمن الطويل .

ولكن الشاعر الحقيقي هو المنشئ الجيد المبتكر لاساليب النظم فيقوم الشعر في خدمته ويروض القوافي الصعبة والمعاني الجميلة فيبديه بالكلام الموزون المقفّى . وهؤلاء الشعراء نفر قليل بين الاعراب فلكل عشيرة شاعرها يتبعها في نزلها ورحيلها يمدح الامراء ويُثني على كرمهم وضيافتهم ويصف الغزوات والابطال المشهورين . ولا بدَّ للشاعر الجيد ان يتحلّى بصفات ثلاث : فالأولى ان يكون مبتدعاً لانواع الشعر قديراً على نظم القصائد الوافرة ووصف جميع ما يعرض للبدوي من الاعراض في باديته وبين نياقه وخيله . والثانية ان يكون واضح الصوت جليهُ . والثالثة ان يكون

ضارباً على الرّباب . فمن اصاب تلك الصفات عُدَّ شاعرًا ونال من الاكرام قدرًا وافرًا

يقضي الكمال على الشاعر ان يكون واسع المخيّلة كثير الحفظ نقّادًا لاحوال العشيرة عارفاً باذواق الاعراب وطبائعهم وما يحلُّ في صدرهم محلَّ الرضى والاستحسان وبارعاً في وصف المواقع والحروب فالشاعر هو الذي يحيي الجهاد بحيث يشعر الحضور بتأثير لم يكونوا عهدوه من ذي قبل . فالشاعر العربي اذا وصف فرساً سَبُوقاً وصف اعضاءها كلها وركضها وعلوها وارتفاعها كقول سليمان اليماني :

هَيْهلا يا راكبًا حسن الرفيفْ يقطف النوّار بدري ان غَرْ (١
كأن زوله يوم يقفي بالرديفْ مثل ريح مع سنودْ ومنحدرْ (٢
بشدا هيج يوم طلعْ له قنيصْ طلع القناص بالمقعدْ دغَرْ
راكبًا له عندلْ قبًا تروح برها من زين حسنات الوَبَرْ
ان فهقتها بمصاريع العنانْ تفزّ فزّات الغزال على الجَمَرْ

واذا وصف ناقة اجاد كقول علي القريعي :

هَيْهلا يا راكبين فوق فِيحْ مثلْ سَبْحانِ الجراد مُسَرْعنات
او تشدِنْ رفّ الظلع وجه ريحْ هجاهيج بلحتن المزفيات
او تشدن برق الحياة برمح ريحْ من هماليل الثريا ناشيات

ودونكم وصف سيف الشاعر المذكور وكان قد طلب بندقية من طلال بن رشيد قال :

تاني طلبةْ بندقٍ ترزح رزيحْ هواياها بالضرب بيّنات
تالث طلبة هندية ضرها صحيحْ من سيوف يا طلال مثومنات
رمادٍ ان سطا الدم يطبحْ وروس في المجاج مُدَمّلات

فهذه الصفة ترتاح اليها الاعراب وبها يميّزون الشاعر المجيد من الضعيف القاصر . وكثيرًا ما يصف الشعراء الحروب والغزوات . هناك تماين الفارس على متن الخيول الاصيلة لا يهاب المنايا فتخال انفسنا في وسط الميدان . هناك يجول الابطال في ميدان واسع الاطراف فيعلو الغبار في الفضاء وترتفع الاصوات في السماء وتُسمع قعقعة الاسلحة ودويّ الرصاص وخبب الخيل ثم يُعقبها سكوت الموت في تلك

---

١) حسن الرفيف اي الفرس الحسنة الركض . طعامها من زهر الحقول قبل ان يتفتح
٢) كأنّ قفاها حينما تسرع في ركضها كالريح المتعالي مع الجبال والمنحدر الى الوديان
وقد كشفنا عن غامض معانيها في اخر مقالتنا بشرح مسهب . فعلى المطالع ان يقرأه

البيداء. هناك تهوي الرجال على الارض مضرّجة بالدماء. وقد ادرك الشعراء ما يؤثر في قلب المرء فذكروه وابدعوا. اطلب مثلاً قصيدة ابي الكباير الشاعر الشراري وفيها يمدح عودة امير الحويطات تتحقق رفيع وصفهم واتساع مخيلتهم وقد ذكرناها في آخر كلامنا

ولا بد للشاعر من صوت رخيم واضح لان الشعر عند العرب مُغنّى. فان كان الصوت مرتفعاً سمعهُ الحضور من اطراف البيت. فما هي الاصوات الرخيمة عندهم؟ هي القوية المرتفعة فالاصوات التي يحبُّها اهل المدن لا تنال عندهم استحساناً بل ربما استهجنوها وكرهوها لانهم اعتادوا على اغانيهم والحانها دون غيرها. لا تسل الاعراب عن اصوات المغنين البارعين فلا تؤثر بهم ولا يجدون بها لذّة بل ربما سئموا لسماعها فيعدُّون انغام المرنمين المطربة الحاناً شاذّة مملّة. وكذلك اهل المدن الغنّاء وارباب الترقي والعمران اذا سمعوا غناء الاعراب لا يدركون لهُ معنى ولا يفهمون منهُ حرفاً بل يعدُّونهُ من الالحان الوحشية. ولقد طرقت مسامعنا اغانيهم فوقفنا عندها حيارى لا ندري ما ينطقون بهِ

ويكون الشاعر مجيداً اذا ضرب على الرباب. فالرباب ويسميها العرب الربابة هي نوع من آلات الطرب تضارع العود الصغير يصنعونها من جلد الوبر. فيأخذون خشبات اربع يقرنونها باطرافها الاربعة بالمسامير وطول كل واحدة منها ثلاثون سنتمتراً وعرضها عشر سنتيمترات فيجمعونها بحيث تصبح مربعة ثم يلفّونها بجلد الوبر ويضعون شعر فرس او حصان يُشدُّ عليها من اعلاها الى اسفلها. وللرباب مفاتيح كالعود بها يُشدُّ الشعر او يُرخى على حسب اغراض الشاعر ولا بدَّ للرباب من قوس تُربط اطرافهُ بشعر مشدود. ولا تأتي الرباب بصوت الّا اذا احتك شعر القوس بشعر الرّباب وقبل الضرب على الاوتار يمرُّونها بالنار كي تحمى وكثيراً ما تُفرَكُ ببخور حتى تُسمع صوتاً مطرباً واذا لم تأتِ بصوت شجيّ قالوا: انها جانعة. فالشاعر الماهر يدبّرها كيف يشاء. فتأتي تارة بصوت حزين يفتت الاكباد كآبةً كما لو انشد الشاعر من رثاء نمر العدوان لزوجتهِ «وَضحاء» فتحنّ وتئنّ آنات الاسى فيعطف الفؤاد وتبكي العين لسماعها. وتارة تهبّ بصوت عاصف كصوت الابطال في الحروب فيرقص الحاضرون طرباً واستحساناً. وتجري اخرى كمسيل هادئ في مدح الاقرباء واهل

الكرم وطوراً تتبع الصوت بليّات وعطفات وطوراً يتبعها الصوت ويأخذ من الحانها ومن ذلك نشأت الالحان عند العرب . فمنها اللحن الرثائي والحرجي اي الحماسي والشتري او الشروقي وهو غناء اهل الشرق في غزواتهم وحروبهم . والهجيني وهو غناء الراعي حينما يورد غنمهُ او ابلهُ الى المياه وهو يمثّل سير النياق والعرب الاقدمون يسمونهُ خبباً . والهلالي وهو شعر بني هلال

وكم من مرّة عاد في محفوظنا ذكر الشعراء الذين عاشوا في الاجيال الوسطى عند الفرنسيس وغيرهم المدعوين « Troubadours » فكانوا كشعراء العرب الحاليين يجولون من قصر الى قصر طالبين الاحسان من اهل الفضل مرنمين الترانيم البديعة والاشعار الرقيقة والحماسية راوين الحكايات والروايات الخيالية . والامراء في وقتنا الحاضر يعلقون الرباب في وسط خيمتهم يعدّونها للشعراء في اوقات الافراح كولد بهيج او عرس او تطهير او محفل حافل او اعياد دينيّة او مدنيّة او في عودتهم من غزوة وهم ظافرون كاسبون

اكرام الشعراء وصداراتهم

وكان الشعراء في كل آن ومكان مكرّمين معزوزين تخشى القبائل والعشائر من لسانهم وهجائهم فلقد مثّلوا كلامهم وطعنهم بسمّ الرقطاء او بسيف ذي حدّين ولذلك اقاموا لهم قدراً رفيعاً واكرموهم جهاراً وخفية ولو كانوا في اقصى درجات الفقر والذلّ . واذا نبغ بين الاعراب شاعر وفدت الوفود من العشائر البعيدة والربوع القاصية يهنئونهُ بما أنزل على لسانهِ من بديع المعاني فيعدّون مجالس السرور ويُحيون الليالي الساهرة ويولمون الولائم اكراماً لهُ واجلالاً . ويقول العرب ان لكلّ شاعر جنّاً او شيطاناً يلقّنه الشعر وهو عندهم بمثابة إلاهة الشعر (Muse) عند اليونان . على ان الشاعر يسير من ربع الى ربع يمدح الامراء ويطلب منهم العطايا الجليلة والانعامات الوافرة . وكأني بهِ ينشد قول الشاعر :

لا تقبلنَّ الشعر ثم تغثهُ وتنام والشعراء غيرُ نيامِ
واعلم بأنهمُ إذا لم ينصفوا حكموا لأنفسهم على الحكّامِ
وجناية الجاني عليهم تنقضي وعقابهم باقٍ على الايامِ

غير ان الامراء يجزلون لهم العطاء خوفاً من هجائهم . ومن عاداتهم انهم يهدون لهم فرساً كريمة او سيفاً باتراً او رمحاً قاطعاً او بندقية . او يحملون لهم جوالق الحنطة واكياس الطحين ويقدمون لهم ولعيالهم الكسوة وربما انزلوهم في خيمهم واطعموهم على موائدهم كاهل بيتهم . واذا نزلت المصائب بشاعر ما يقصد الامير ويستعطف قلبهُ فيحسن اليهِ بما تجود بهِ نفسه . واذا حُكِمَ على المجرم بحبس مديد سطَّر من سجنه قصيدة الى الحاكم او الى كبير البلدة كي ينقذه من هذه الورطة . واذا وقع الشاعر اسيراً على اثر حرب بذلوا جهد طاقتهم لاسترضائهِ ومداراتهِ فاخذوا عليهِ العهود الشديدة والأيمان المغلظة ألّا يهجوهم واذا رأوا منهُ خبثاً او مكراً قطعوا لسانهُ او ذبحوه

وفرة الاشعار عند العرب

وشعر العرب الحاليين وافر جدًّا لتوفُّر ملكتهِ عندهم واستحكامها فيهم فاذا جرى لهم حادث ذو شأن اثَّر في محفوظهم وعقولهم ذكرهُ في اشعارهم فخلَّدوا اثاره واحيوا تذكارهُ على تمادي الازمان . ولا يخفى ان الشعر اصلحُ من النثر لوصف الحروب والمواقع فتحفظهُ الحوافظ لسهولة وزنهِ وتردُّد قوافيه ممَّا يعين الذاكرة على استظهاره ونقله في الفؤاد . والحوادث التي تقع ووقع الاعجاب في عقل البدوي كثيرة لمكانه من السذاجة وقصوره عن ردّ الوقائع الى اسبابها . ويوجد غير ذلك من الاسباب فمنها ان العرب قبائل شتى مستقلَّة بعضها عن بعض في الاحكام والاملاك مشتركة الحاجات في المعاش فلذلك كثر فيهم النزاع وحبّ الحروب فنشأ فيهم اناس أثرت فيهم تلك الحالة فاخذوا يصفون ما يتعهدونهُ بعيونهم . والبدوي سريع الغضب غيور على حرّيته وعيشته في البراري والقفار لا تحمل نفسهُ الضيم والجور فكانت تدعوه نفسه الى الانتقام والاخذ بالثأر ورفع العار من بين عشيرته فكان الشاعر يتبعها في الحروب والغزوات لاضرام نيران الحماسة ووصف الظفر والابطال ولهذا توفرت القصائد الحماسيّة فالشعراء كانوا يركبون الهلّعات السابقة يسيرون معهم في ميدان الوغى او يرتفعون على مشارف الجبال ليعاينوا الاعداء ويصفوا الفرسان والظافرين من الفريقين

ولهم عادات حميدة يتميّزون بها عن سائر الامم ألا وهي اكرام الضيف. فعنها قال شاعرهم :

اضاحكُ ضيفي قبل انزالِ رَحلِهِ ويخصبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخصبُ للاضيافِ ان يكثر القرى ولكنما وجهُ الكريمِ خصيبُ

فيذبحون لهُ الذبائح ويقضون هزيعاً من الليل يسامرونهُ ويتحدثون معهُ الاحاديث اللذيذة فيدعون الشاعر بعد العشاء ليطرب الحاضرين ويكون الشاعر حينئذٍ مكرَّماً معززاً يصمت امامه المدعوون ويسمعون كلامه وغناءه. ولا تخلو البيداء من اعياد بهجة واوقات افراح ومسرات ففي الاعراس تذهب النساء والمغنيات وكل ثلاثٍ يتغطّينَ بعباءة واحدة فيسرنَ الى بيت العروس وهنَّ يغنين الاغاني البديعة وعند المساء يجتمع جمهور من الشبان في بيت العريس يرقصون ويغنون ويصفقون بايديهم على الحان معهودة ويتناشدون الاشعار في ذلك وتعرف عند العرب بالسحجة وفي ملاهيهم يدعو الشبان امرأةً للرقص فيما بينهم فتأتي المرأة مغطاة بالعباءة الصوفية وعلى وجهها القناع فتنتضي سيفاً وتقف في وسطهم وترقص على اوزان معلومة وتنشد الاشعار الخفيفة اللطيفة طبقاً للغناء.

ويستخدمون الشعر في غير ذلك من الحالات فاذا دهمتهم داهية عظيمة قام النظم في خدمتهم كما لو قطف المنون شاباً في ريعان عمره او حبيباً عزيزاً او شيخاً كبيراً او اميراً رهيباً ذا سطوة وشجاعة فترى النساء النادبات ينشدن المراثي الرقيقة فتئنّ اوتار القلوب بالحان كئيبة مما يعجز القلم عن وصفه. هناك الأمّ فوق سرير ابنها المائت تناجيه بالبكاء وذرف الدموع وتحدثه بكلام مؤثر فتُبكي العيون وتدمي القلوب على فقيدها وكأنها تسمع ولدها يناجيها بكلامه فتجيبه وتودعه. فقد سمعنا امًّا تندب شاباً لها عمرهُ ثمانية عشر سنة وكانت تحدثه بحديث رقيق وكأنهُ هو ينطق وهو جامد اللسان فيقول لها :

ايا امي علمّي ودّعيني لانك لن تعودي تنظريني
وضمّيني اليكِ بعد موتي ومن شفقٍ بدمعك بلّليني
اردُّ بحضنك المحبوب نوماً فهل فيهِ بحبٍ تضجعيني
على الدنيا ومن فيها سلامٌ وما في الموت يا امي ارحميني

وحينما يحمل الحاملون ابنها او زوجها الى المقابر تسير وراء النعش وهي تندب

وتبكي اذا وقف الحاملون امام الرمس تسقط المرأة على الارض وتضع التراب على رأسها وتشق ثيابها وتنتف شعرها وتودع حبيبها بالكلام المؤلم ولقد رأينا غير واحدة تخدش وجهها وترخي شعرها على كتفيها دلالةً على الحزن والشجن. ولقد سمعت امًّا تحدث الاحجار والنجوم الساهرة وظلام الليالي وكواكب الظلماء وتقول: «وديعتي عندكم احرسوها باطافكم». تناجي القبر وتستحلفهُ بان يحفظ ابنها من عوادي الايام وطوارق الحدثان وتتمنى لو تكون حارسةً مدى العمر على قبر ولدها

ومن ابدع المراثي ما انشدهُ نمر العدوان على امرأتهِ «وضحاء» لا سيما اذا تغنى بهِ الشاعر وضرب على الرباب وقرن صوتهُ الى صوتها. فكان تارة يناجي امراته وتارة يحدث ابنه الطفل «عقاب» ودونكم من قولهِ لابنهِ وهو يلعب مع الاطفال لا يدري من الاحزان شيئاً:

يا عقابْ ياعزي أين حالكْ وحَالي ... ثفَت ليالي مزهرة بدلالكْ
ثفَا سُرُورك مَعْ هاتيكَ الليالي ... عفَتْ الليالي والطربْ والهنا لكْ
كل الشجا والحزنْ والبينْ جاء لي ... جاني ضناي وقال لي افنيتَ حالكْ
محبوب عيني ساكنْ الدو خَالي ... ياعقابْ انتَ تلعبْ مع رفاق اجيالكْ
وانا يا عقاب على النيران الالي ... طير السعادة طار لا لي ولا لكْ
طار السرور عني والهنا لا لي ... والحزن نزل بقلبي واناخَ بالكْ

لعمري ان البدوي يقضي من الايام امرَّها طريح الحزن والكمد لانهُ يميل بطبيعته الى الافكار المحزنة فيشعر بصغره وحقارته وتشيب ناصيتهُ تحت اوزان الاحزان فيرى نفسهُ وحدها لا شريك يشاطرها غمَّها وكآبتها ولا عين ترمق اليها لتفرج عن كربتها ولا ابتسام من ثغر حبيب ولا كلمة من فم صديق فيصرخ صراخاً اليماً بالشعر المؤثر كما صرخ نمر العدوان صراخاً ابكى العشائر كلها واصبح غناء المحزون المكروب النفس

غير ان الراعي ينشد الاشعار في مسارح الاغنام على الجبال والهضاب في السهول الفسيحة والربوع النضرة فتنفيق نفسهُ الى ذكر الاحبَّة الظاعنة والاصدقاء الراحلة. فتراه حاملًا مزمارهُ يغني طوراً وطوراً ينفخ في آلته يطرب نفسهُ واغنامهُ الراتعة في الكلإ. ثم يرتفع صوتهُ مالئاً الفضاء مناجياً جداول الماء او طير السماء وزهور الحقل او عشب الصحراء. امَّا الامّ فترنّم الشعر على سرير ابنها وتغني لهُ كي ينام وتهزّ

مهجة الصغير واذا نام طفلها اخذت المغزل تبرم الصوف على المغزل تغني غناءها. وكذا الاعرابي اذا ركب الهُجن واوردها على الينابيع البعيدة او الآبار القريبة يرتل شعرًا دعاه الهجين فهذا الشعر يجري على سير النياق يشبه دقّ الناقوس في الشعر القديم. ومن كل ذلك يتضح ان الشعر من ضروريات الاعراب يستخدمونه في افراحهم واحزانهم وفي كل حالة من حالات معيشتهم (لهُ بقيّة)

ميمر لمار اسحاق السرياني

في عيد بشارة العذراء

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوطِئَة

ننقل هذا الميمر عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وهو مجموع ميامر قديم للآباء القديسين سبق لنا وصفهُ في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٤٢٥) تحت العدد ٦٠. فمن جملة تلك الميامر ميمر لمار اسحاق السرياني (ص ١٨٦ – ١٩١) في عيد بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء الواقع في ٢٥ آذار فبنسبة وقوع العيد في هذا الشهر احببنا نقلهُ لقرّائنا الكرام. ويؤخذ من هذا المجموع ومن غيرهِ ايضًا انَّ الكنائس الشرقيّة على اختلاف طقوسها كانت تتلو هذه الميامر في ايام الآحاد والاعياد عند اجتماع المؤمنين. ومجموعنا هذا كان مختصًّا بكنائس الروم الملكيين فيهِ ميامر من آباء الكنيسة اليونانيّة كالقديسين يوحنّا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وابيفانيوس وكيرلّس وغيرهم ومن ملافنة الكنيسة السريانيّة كالقديسَيْن افرام واسحاق ومن معلّمي الكنيسة القبطيّة كتاوفيلوس اسقف فسطاط مصر وبولس البوشيّ. وكفى بهذا دليلًا على ائتلاف الكنائس واتّحادها باكرام قدّيسيها

واسحاق السرياني الذي نروي اليوم ميمرهُ يُعرف ايضًا باسحاق الكبير واسحاق الانطاكي ازهر في اواسط القرن الخامس للميلاد ولقدم عهدهِ لا يُعرف من اخبارهِ سوى كونهِ مولودًا في الرها ومتنسّكًا في جهات انطاكية ولهُ من الميامر الشعريّة في اللغة السريانيّة ما نشر قسمًا منهُ المستشرقون في عصرنا كالعلّامة النساوي الخوري بكل (Bickell) والكاهن الفرنسوي شابو (J.B. Chabot) وخصوصًا حضرة مواطننا الاب بولس بيجان اللازوي

مهجة الصغير واذا نام طفلها اخذت المغزل تبرم الصوف على المغزل تغني غناءها. وكذا الاعرابي اذا ركب الهُجن واوردها على الينابيع البعيدة او الآبار القريبة يرتل شعرًا دعاه الهجين فهذا الشعر يجري على سير النياق يشبه دقّ الناقوس في الشعر القديم. ومن كل ذلك يتضح ان الشعر من ضروريات الاعراب يستخدمونه في افراحهم واحزانهم وفي كل حالة من حالات معيشتهم (لهُ بقيّة)

ميمر لمار اسحاق السرياني

في عيد بشارة العذراء

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

تَوطِئَة

ننقل هذا الميمر عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وهو مجموع ميامر قديم للآباء القديسين سبق لنا وصفهُ في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٤٢٥) تحت العدد ٦٠. فمن جملة تلك الميامر ميمر لمار اسحاق السرياني (ص ١٨٦ – ١٩١) في عيد بشارة الملاك جبرائيل لمريم العذراء الواقع في ٢٥ آذار فبنسبة وقوع العيد في هذا الشهر احببنا نقلهُ لقرّائنا الكرام. ويؤخذ من هذا المجموع ومن غيرهِ ايضًا انَّ الكنائس الشرقيّة على اختلاف طقوسها كانت تتلو هذه الميامر في ايام الآحاد والاعياد عند اجتماع المؤمنين. ومجموعنا هذا كان مختصًّا بكنائس الروم الملكيين فيهِ ميامر من آباء الكنيسة اليونانيّة كالقديسين يوحنّا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وابيفانيوس وكيرلّس وغيرهم ومن ملافنة الكنيسة السريانيّة كالقديسَيْن افرام واسحاق ومن معلّمي الكنيسة القبطيّة كتاوفيلوس اسقف فسطاط مصر وبولس البوشيّ. وكفى بهذا دليلًا على ائتلاف الكنائس واتّحادها باكرام قدّيسيها

واسحاق السرياني الذي نروي اليوم ميمرهُ يُعرف ايضًا باسحاق الكبير واسحاق الانطاكي ازهر في اواسط القرن الخامس للميلاد ولقدم عهدهِ لا يُعرف من اخبارهِ سوى كونهِ مولودًا في الرها ومتنسّكًا في جهات انطاكية ولهُ من الميامر الشعريّة في اللغة السريانيّة ما نشر قسمًا منهُ المستشرقون في عصرنا كالعلّامة النساوي الخوري بكل (Bickell) والكاهن الفرنسوي شابو (J.B. Chabot) وخصوصًا حضرة مواطننا الاب بولس بيجان اللازوي

الكلداني (١ . وفي مكتبتنا الشرقية من آثار مار اسحاق نكيّات وميامر شتّى منقولة الى العربية لم تُنشَر بالطبع ولعلّ اصلها السرياني مفقود. وكذلك الميمر الذي حاولنا نشره عن بشارة العذراء لم نجده في جملة خلفه السريانيّة فننشره بيانًا لفضل صاحبه. امّا نسبته فعلى ما هو المرجّح انّهُ لابي الفضل الانطاكي الذي وصفنا سابقًا ترجمة حياته (في المشرق ٩[١٩٠٦]:٨٨٦)

على انهُ يحسن بنا ان ننبّه القرّاء الى امر خطير وهو انّ اسحاق السرياني كان منتميًا مدّةً الى البدعة الاوطاخيّة قائلًا بطبيعة واحدة لكنّهُ عدل بعد ذلك عن رأيهِ مقرًّا بتحديد المجمع الخلقيدوني في طبيعتي السيّد المسيح

ولمار اسحاق سميّان آخران كانا قريبَيْن من عهدهِ يُدعى احدهما اسحاق الآمدي من تلامذة القديس افرام والآخر اسحاق الرهاوي اشتهرا ايضًا ببعض التآليف التي نُسبت غلطًا لاسحاق الانطاكي. وكذلك أزهر في اواسط القرن السابع اسحاق النينوي الاسقف النسطوري ولهُ ايضًا تآليف نكيّة عديدة وربّما اشتبهت هذه التآليف على النسّاخ فنسبوا الى النينويّ ما هو للانطاكي والعكس بالعكس. والواجب ان يُعطى كل ذي حقّ حقّهُ

---

(186) ميمر لاسحاق السريانيّ قالهُ على تبشير والدة الاله الكلّي قدسها مرتريم (٢ البتول . يُقرأ في الخامس والعشرين من اذار . . .

قد حان يا اخوتي الاحبّاء ان نهتف بذلك الفصل الداوودي القائل (مز ١٠٣: ٢٤): «ما اعظم اعمالك يا ربّ كلّها بحكمة قد صنعت» . لانّ الموسم الحاضر هو بدء اعيادنا ورأس مواسمنا الذي هو بدء خلاصنا ونجاتنا وبدء ضيائنا واستنارتنا لانّنا بمعصيتنا الجدّيّة وما قد ظهر من اجترام الذنوب العظيمة واقتران الخطايا الجزيلة كنّا ساكنين في الظلمة وظلال الموت (لو ١: ٧٩) ولم يقدر ولا واحد من الانبياء والمرسلين والاصفياء الابرار والصدّيقين ان ينير لنا نورًا نفتدي بهِ من ذنوبنا ومعاصينا. فصار الباريء جلّ وعزّ هو النادي ايّانا بنور اتيانهِ كقول النبيّ القائل (اشعيا ٩: ٢ ومتى ٤: ١٦) «انّ الشعب الجالس في الظلمة وظلام الموت ابصر نورًا عظيمًا»

وقد بشّرنا بسرور قدومهِ بارسالهِ لجبرائيل الملاك مبشّرًا بمعجز الامر. فاليوم هو عنصر اعيادنا وبدء تخليصنا. اليوم ابنُ الله السابق بانذارهِ يصير الآن ابنَ

---

١) اطلب كتابهُ Homiliæ S. Isaaci Syri Antiocheni. *Lipsiæ*, 1903

٢) اي السيّدة مريم من السريانيّة ܡܪܝܡ ܬܪܝܡܬܐ

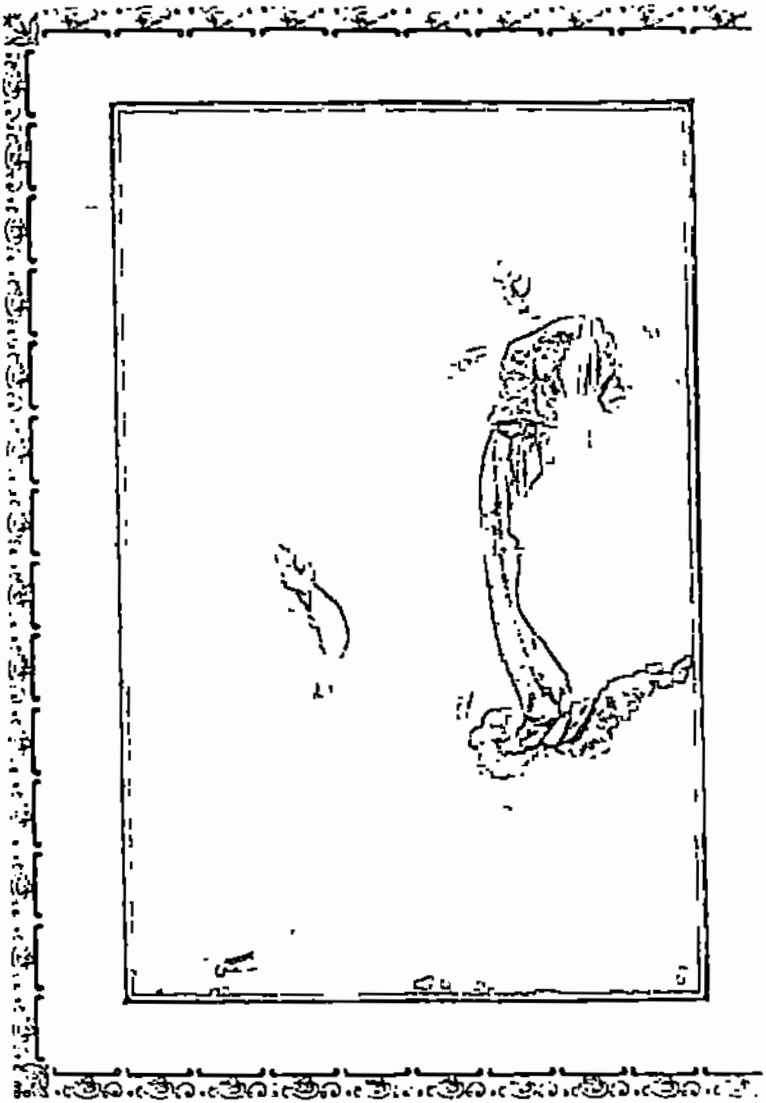

بشارة الملاك جبرائيل الى البتول مريم

البشر. اليوم بدء تجديد طبيعتنا البشريّة. اليوم تبطيل الخطيئة الجدّيّة. اليوم قُدّست طبيعتنا باتّحاد الخالق فيها. اليوم استحقّت السيّدة الشرف والبهاء والجمال والرفعة بالكمال على طغمات الملائكة. اليوم كمل الوقت الذي كانت عنهُ تهتف الانبياء (187). اليوم تمام الاوان الذي كانت اليهِ تتوق عقولنا مع الابرار الاصفياء المختارين. اليوم بنى آدم هيكلاً من نسلهِ لبارئهِ. اليوم يعزّيهِ بمريم العذراء القديسة المباركة الجليلة المجبّلة للطبيعة الآدميّة وملكة السلالة الانسيّة الطاهرة النقيّة التي لم يجد في الاجيال الناشئة اطهر منها جسداً. القديسة التي لم يجد في البرايا العقليّة اقدس منها نفساً فخر القبيلة الاسرائيليّة وشرف العشيرة الداوودية التي هتف اليها جدّها داوود هتافاً نبويّاً بقولهِ (مز ٤٤: ١١): « اسمعي يا ابنة وانظري وانصتي باذنكِ وانسي شعبكِ وبيت ابيكِ فيشتهي الملك لحسنكِ ».

فهذه التي قد اشتهى الملك السماوي جمال طهارتها فارسل اليها خادمهُ جبرائيل ليخاطبها بسلام الفرح باصطفاء الباري اياها قائلاً (لو ١: ٢٨): « افرحي ايّتها المنعَم عليها الربّ معكِ مباركة انتِ في النساء » وكيف لا تكون مباركةً في النساء وهي المتنبّأ عليها من ربّ البرايا وهو معها ويتّخذ لهُ منها هيكلاً يظهر فيهِ من جنسها لانّ جمالها مصوّر في جميع الاشياء المنظورة وغير المنظورة وقد ولدَتْ اليوم في صورة انسيّة منشئ سائر البرايا الروحانيّة والهيولانيّة وانشأت لنفسهِ صورةً بشريّة

فآه للجّة تحنّن هذا الاله وشرف تنازلهِ لانهُ من اجل ايثارهِ لتخليص جبلّتهِ بذل ذاتهُ عنّا واتّخذ صورة عبدهِ فوُجد في الشكل مثل انسان (188). يا لعظم الاحسان الكلّي البهاء والشرف والجلال العظيم الذي لا يستقرّ اثرهُ ولا يُسبَر غورهُ ولا يُدرَك وفور حكمتهِ الازليّة. نحن الذين ابتعدنا عنهُ وعصيناهُ وهو المتفضّل علينا بذاتهِ المهتمّ بنا. يا لوفرة هذا الجود والخيريّة التي لا يُمكن ان تُحصى ابداً لانّنا اجترمنا اعظم الخطايا وهو بفضلهِ فدانا وبتحنّنهِ ومنّتهِ حرّرنا واحتمل بارادتهِ العقاب الواجب علينا من موت الخطيئة « حرّرنا بموتهِ وصلبهِ من صكّ الخطيئة الذي من العبوديّة » (كولسي ٢: ١٤). فالمجد والسبح لغنى ووفرة رحمتهِ

فهتف الملاك بالسلام عليها قائلاً: « السلام لكِ يا مريم الربّ معكِ. فلمّا نظرت اليهِ البتول اضطربت لقولهِ وجعلت تفكّر ما عسى ان يكون هذا السلام. فقال لها

الملاك: لا تخافي يا مريم فقد وجدتِ نعمةً عند الله فهـا انتِ تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمهُ يسوع. هذا يكون عظيماً وابناً للعليّ يدعى ويعطيهِ الربّ كرسيّ داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء. فقالت مريم: كيف يكون لي هذا ولستُ اعرفُ بعلاً. فاجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوّة العليّ تظلّلكِ ولهذا يدعى المولود منكِ قدّوساً وابناً لله. وها هي ذه اليشبع نسيبتكِ قد حبلت واخفت امرها وهذا (189) شهر سادس لها التي كانت تسمّى عاقراً. وكل امر عند الله تعالى غير عسير. فقالت مريم: هاءنذا أمة الربّ فليكن لي ككلمتك فانصرف عنها الملاك »

فبالحقيقة انّ الجليلة في النساء نالت نعمة الله باصطفائهِ اياهـا ليتجسّد منها ويتأنس من قداسة دمائها فلم يكن في الاوّلين من يضاهي طهارتها ولا صار في الآخرين من يشاكل قداستها ولن يصير ذلك قطّ. واذ قالت ذلك للملاك: كيف يكون لي هذا ولستُ اعرفُ رجلاً. اجابها: انّ الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوّة العليّ تظلّلكِ والمولود منكِ يدعى ابن الله. فليخزَ الآن نسطور الغليظ العقل العديم الفهم فانّ القدّوس هو المولود من مريم البتول الدائم قدسها. وابن الله يُدعى بحلول الروح القدس عليها وتظليل العليّ اياها. وقد اوضح الملاك تسمية الثالوث الاقدس بقوله « الروح القدس وقوّة العليّ والقدّوس المولود فيها » ايضاحاً ابان فيهِ وحدة جوهر اللاهوت الاقدس وفرديّة مشيئته في تثليث اقانيمهِ لانهُ ليس قنوم الآب ولا قنوم الروح القدس اللذين تجسّدا بل تجسّد قنوم الابن الازلي بمسرّة الآب وبمؤازرة الروح القدس المعزّي فالسبح لعنصر خيريّتهِ التي لا تُدرك

وها هي ذه اليشبع نسيبتك قد حبلت بابن في كبرها هـذا شهر سادس للتي تُدعى عاقراً لانّ كل امر عند الله غير عسير (190). فاجابتـهُ مريم: هاءنذا امة الرب ليكن لي ككلمتك. فقد افادنا الملاك بما يصعب فهمهُ علينـا بقولهِ: انّ كلّ امرٍ عند الله سبحانهُ غير عسير. واظهرت البتول الفائق قدسهـا شرف تواضعها وحسن تصرّفها ونهاية تورّعها. ففيها تمّ قول الانبياء (اشعيا ٦٦: ٢): « الى من انظر الّا الى الوديع السامع المرتاع من كلامي »

فاذ قد تحنّنتنا ايها الاخوة وعرفنا الاحسان الصائر الينا في هذا اليوم الشريف

بين الأيام والعيد الرئيس على سائر الاعياد فلنمجد المحسن الينا تمجيداً روحانيا ونسبحهُ تسبيحاً دائماً لانعامهِ علينا ونشكرهُ اذن بفعل صالح مقرّبين لهُ ذبائحنا وهي الاعمال الصالحة التي يعدّها كتسبيح غير معاب . وليقدّم كلّ منّا ما يمكنهُ وتنالهُ قوّتهُ فقد قال (خروج ٢٣ : ١٥) : « لا تظهرنَّ قدامي فارغاً » فهو سبحانهُ المعطي عناصر الخيرات الغزيرة والقابل انواع العطيّات الوافرة والمانح صنوف النعم الحميدة المسرور بالنوع المقدَّم

ولنبادر كافّتنا اجمعين الشيوخ والشبان الكهولة والاحداث كلّ قرن وجنس متسابقين الى اكرام سيّدتنا وملكة طبيعتنا مادحين جمال طهارتها موقّرين دوام بتوليّتها مكرّمين سموّ قداستها قائلين : يا فخر البنات ويا زين الأمّهات يا والدةً لا رجل لها ويا بتولاً حاملةً لولدها يا عجباً عجبت منهُ الملائكة والانبياء والمرسلون ومجّدتهُ الملائكة الاقدسون (191) تعطّفي على طلبات عبيدك واروي المستغيثين بكِ واستشفعي لنا ابنكِ والاهكِ ليغفر لنا ذنوبنا ويعين ضعفنا ويخلّصنا من فرعون العقليّ كما خلّص الاسرائيليين من فرعون الحسّيّ ويُجيزنا بحر هذا العالم الكثير الارياح ويُريحنا من عمل الطين وعمل اللَّبِن العقليّ ويستخلص لنا من اعدائنا القساة الذين يستعبدوننا لعمل الخطايا وقضاء مسرّاتهم . فاشفعي بنا يا من لا تُردّ شفاعاتها ولا تُمنع طلباتها القريبة من اللاهوت الازليّ والثالوث العنصري الفائقة العلوّ على المراكب الشاروبيّة العالية السموّ على الصفوف الساروفيّة لننال بذلك مدّة اقامتنا في هذا العالم الزائل المعونة على افتعال الاعمال الصالحة والتخلّص من الاعمال الطالحة ونصل بشفاعتك عند انتقالنا الى الخير الدائم والتنعّم في ملكوت السماوات والسكنى في دار الحياة عائشين العيش الباقي الذي لا زوال لهُ الذي تتوق اليهِ العقول الصافية بنعمة ربّنا يسوع المسيح مخلّصنا ابنكِ وإلهك علّة وجودنا الذي بُشّرنا بتخليصهِ أيّانا وانقاذنا من يد عدوّنا لانهُ يمجّد مع ابيهِ وروح قدسهِ الى آباد الدهور كلها امين والسبحُ لله دائماً (غفر الله تعالى خطايا كل من كتب وقرأ وسمع وقال امين)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

الاحداث النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

ظهر من الفصول السابقة ما استمدّهُ عرب الجاهليّة من النصارى في مفرداتهم اللغويّة واعلامهم الشخصيّة. وفي هذا الفصل الجديد نبيّن ما اخذوهُ عنهم من معارفهم التاريخيّة سواء جرت في العهد القديم من اوّل العالم الى السيّد المسيح او من ميلاد المسيح الى الهجرة. فنقسم الفصل قسمين وفقاً لهذين الطورَيْن

١ أحداث العهد العتيق

امكن العرب ان ينقلوا اخبار العهد العتيق عن اليهود او عن المسيحيين الّا انّنا نروي هنا ما قالهُ الشعراء النصارى او من عاشوا في جهات الجزيرة التي ازهرت فيها النصرانيّة. واليهود كما لا يخفى قلّما يختلطون بامم غريبة عنهم. وزد عليهِ انّ الاسفار الالهيّة والاناجيل المقدّسة كما يظهر من عدّة شواهد تؤيّد ذلك كانت معرّبةً وان كانت تلك الترجمة القديمة هي اليوم مفقودة. وها نحن نتتبّع تلك الاحداث مع ما ينوّه بها من اقوال العرب

١ ﴿ التكوين ﴾ هو اوّل ما تُفتتح بهِ توراة موسى حيث يذكر اوّلًا خلق الله عزّ وجلّ للسماء ثمّ الارض مباشرةً بالجماد ثمّ النبات ثمّ الحيوان. امّا تكوين السماء فقد مرّ ذكرهُ في ما اوردناهُ من الالفاظ الدالّة على الخالق سبحانهُ وتعالى ثمّ السماء وزينتها وعلى الارواح الساكنة فيها (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٢٢٩ و٢٩٢). فبقي

تكوين الارض في سبعة أيام الخليقة. فما جاء من ذلك ما رواهُ المقدسي (كتاب البدء ١: ١٥٠—١٥١) فقال: «وقد ذكرت حكماء العرب ومن كان يدين الله (كذا) منهم بدين الانبياء في اشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق. فمنهُ قول عديّ بن زيد وكان نصرانيًّا يقرأ الكتب:

اسمعْ حديثًا لكي يومًا تجاوبهُ ... عن ظهر غيبٍ اذا ما سائلٌ سألا
أذكر كيف أبدى إلهُ الخلق نعمتهُ ... فينا وعرّفنا آياتهِ الأُوَلا
كانت رباحًا وماءً ذا عُرَانيَةٍ ... وظلمةً لم يدَعْ فَتْقًا ولا خَلَلا
فأمر الظلمةَ السوداء فانكشفتْ ... وعزّل الماء عمّا كان قد شغلا
وبسّط الارض بسطًا ثمّ قدّرها ... تحتَ السماء سواءً مثل ما فعلا (١
وجعل الشمس مصرًا (٢ لا خفاء بهِ ... بين النهار وبين الليل قد فصلا (٣
قضى لستّة أيام خلائقهُ ... وكان آخر شيءٍ صوّر الرجلا»

روى في تاج العروس (٣: ٥٤٣) البيتين الخامس والسادس لاميّة بن ابي الصلت وكذلك ابن سيده في المخصّص (١٣: ١٦١) روى البيت السادس لاميّة الّا انّ شهادة كتاب البدء وكتاب الحيوان للجاحظ (٤: ٦٥) اقدم واصحّ وكلاهما يروي الابيات لعديّ بن زيد

وروى في كتاب البدء (١: ٦٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٨) لزيد بن عمرو بن نوفل في تكوين الارض قولهُ:

واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... لهُ الارضُ تحملُ صخرًا ثقالا
دحاها فلمّا رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبالا
واسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... لهُ المزنُ تحملُ عذبًا زُلالا
اذا هي سيقت (٤ الى بلدةٍ ... اطاعت فصبّت عليها سجالا

---

١) رواهُ في تاج العروس (٣: ٥٤٢) على صورة اخرى:
والارض سوّى بساطًا ثمّ قدّرها ... تحتَ السماء سواءً مثل ما ثَقُلا

٢) روى الجوهري (١: ٢٩٩): وجاعل الشمس. وورد في الاصل: «مصيرًا» وهو غلط كما يظهر في كتاب المخصّص (١٣: ١٦٤) وفي تاج العروس (٣: ٥٤٤): قالوا «والمصر» الحاجز والحدّ بين الشيئين

٣) في الاصل «فضلًا» وهو تصحيف اصلحهُ في المخصّص وفي تاج العروس

٤) وفي كتاب البدء روى: اذا هي سوقت. وهو غلط

ومثلها لامية بن ابي الصلت (شعراء النصرانية ص ٢٢٦) :

وشقّ الارضَ فانبجست عيونًا وأنهارًا من العذب الزلالِ
وباركَ في نواحيها وزكّى بما ما كان من حرثٍ ومالِ

وقال يذكر خلق الله للنيّرين الكبيرين (شعراء النصرانية ٢٢٦ وسيرة الرسول ٤٠) :

انّ آياتِ ربّنا باقياتٌ ما يُماري فيهنّ إلّا الكفورُ
خلقَ الليلَ والنهارَ فكلٌّ سبيلٌ (١ حسابُهُ مقدورُ
ثمّ يجلو النهارَ (٢ ربٌّ كريمٌ بهاءٍ شعاعُها منشورُ

وله ايضاً (شعراء النصرانية ٢٢٨) :

هو اللهُ باري الخلقِ والخلقُ كلُّهم إماءٌ له طوعًا جميعًا وأعبُدُ
تسبّحه الطيرُ الجوانحُ في الجفى واذ هي في جوّ السماء تصعّدُ
ومن خوفِ ربّي سبّح الرعدُ فوقنا وسبّحه الاشجارُ والوحشُ أبّدُ
وسبّحهُ التنانُ والبحرُ زاخرًا وما ضمّ من شيءٍ وما هو مُقلِدُ (٣

وقال امية يصف تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms de Vienne, ff.397 طبعة مصر ٢ : ١١٨) :

هو أبدأ (٤ كلَّ ما يأثرُ النا سُ اماثيلَ باقياتٍ سُفورا
خالق النخلَ مصدراتٍ تراها تقصف اليابساتِ والمخضورا (٥
والتمسيح والسنادل (٦ والايلَ م شتّى والرخمَ واليعفورا
وصوارًا من النواشط بيتًا ونعامًا صواحيًا (٧ وحميرا
واسودًا عواديًا وفيولًا وسباعًا والنملَ (٨ والخنزيرا
وديوكًا تدعو الذراب لصلحٍ وإوزّين اخرجت وصقورا

---

١) ويروى : بخلق . . . فكل مستبرٌ .
٢) ويروى : ثمّ يجلو الظلام
٣) رواهُ في اللسان وفي اساس البلاغة والتاج في مادّة « قلد » . قالوا أقلد البحرُ على الخلق اي أرتج عليهم وغرّقهم وجعلهم في جوفه . ويروى : والبحرُ زاخرٌ
٤) في طبعة مصر (٢ : ١١٨) : « هو ابدى » فيختلّ الوزن
٥) في طبعة مصر : خلق النخل مصدرات . . . والخضورا
٦) السنادل طيور كبار . وفي طبعة مصر : « والتماثيل » وهو غلط
٧) في طبعة مصر : خواضيًا
٨) وفي طبعة مصر : وذيابًا والوحش

ثمَّ ذكروا تكوين جسم الانسان من طين الارض ونفسهُ من نفخة خالقه. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms de Vienne , ff. 213 وطبعة مصر ٣ : ٦٥): « سانشدك لعديّ بن زيد وكان نصرانيًا ديّانًا وترجمانًا وصاحب كتاب ومن دهاة ذلك الدهر قال يذكر شأن آدم ... » :

قضى لستّة ايّام خلائقهُ (١ وكان آخرها أن صوّر الرجلا
دعاهُ آدمَ صوتًا فاستجاب (٢ لهُ بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

وقال امية بن ابي الصلت (حياة الحيوان ٢ : ١١٣):

والارضُ معقلنا وكانت امّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ

وقال ايضاً في الارض وخلقة الانسان (فيه):

منها خُلقنا وكانت أمّنا خُلقت ونحنُ ابناؤها لو أنّنا شُكُرُ
والطوطُ (٣ نزرعهُ فيها فنلبسُهُ والصوفُ نجتزّهُ ما أدفأ الوبَرُ
هي القرارُ فما نبغي لها بدلًا ما ارحمَ الارضَ الّا انّنا كُفُرُ

وقال ايضاً (جمهرة شعراء العرب ص ١٨):

كيف الجحودُ وانّا خُلقَ الفتى من طينٍ صلصالٍ له فخّارُ

٢ ﴿ سكنى آدم في الفردوس وخطيئته ﴾ لعديّ بن زيد وصف حلول آدم في الجنّة وتكوين حوّاء من ضلعه وتجربة الشيطان لهما على صورة الحيّة ثمَّ عقاب الابوين الاوّلين وطردهما من الفردوس فقال عن آدم (طبعة مصر ٤ : ٦٦ = Ms de Vienne, ff. 213),

فُتّحَ اورثهُ (٤ الفردوسَ يعمرُها وزوجةً صنعةً من ضلعهِ جبلا
لم ينهَهُ ربُّهُ من غير واحدةٍ من شجرٍ طيّبٍ ان شمَّ او اكلا
تعمّدا (٥ للّتي من اكلها نُهيا بأمر حوّاء لم تأخذ لهُ الدّغلا
كلاهما خاط اذ بِرٌّ (٦ لبوسهما من ورق التين ثوبًا لم يكن غُزِلا

---

١) وفي طبعة مصر : خليقة . والبيت مختلّ الوزن
٢) في طبعة مصر : استجاب . غلط ٣) الطوط هو القطن
٤) طبعة مصر بالغلط : اورثة
٥) فيها : فعمدا
٦) فيها : اذبرا (كذا)

فكانت الحيَّة الرقشاء اذ خُلقت كما ترى ناقةً في الخَلْق او جملا (١
فلاطها اللهُ اذ أغوت خليقتهُ (٢ طول الليالي لم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرتْ والترب تأكُلهُ حزنًا وان سَهَلا
فأتبا (٣ ابوانا في حياضهما ووجدا (٤ الجوع والاوصابَ والبللا

ولعديّ وصف آخر لتجربة ابليس لحوّاء وعقاب الحيَّة رواهُ العصاميّ في تاريخهِ بسط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص ١٩) قال :

سعى الرجيمُ الى حوّا بوسوسة غوتْ بها وغوى معها ابو البشرِ
خلقانِ من مارجٍ انشا خليقتهُ وآخرَ من ترابِ الارض والمدَرِ
انشاهما ليطيعاهُ فخالفهُ ابليسُ عن امرهِ للعيْنِ والقدَرِ
فأبلس الله ابليسًا واسكنهُ (٥ دارًا من الخُلد بين الروضِ والشجَرِ
فاغتاظَ ابليسُ من بنيهِ ومن حسدٍ فاحتال للحيَّة الرقطاء والطيرِ (٦
فأدخلاهُ بأيمانٍ مؤكَّدةٍ اعماهما بيمينٍ كاذبٍ قدِرِ
هناك سار الى حوّا بوسوسةٍ أردت بغرّاتها معها ابا البشرِ
فأهبطوا من معاصيهم وكلُّهمُ نأيُ اجلّ فقيدُ العين والأثرِ
واهبط الله ابليسًا واوعدهُ نارًا تلهَّبُ بالإسعار والشررِ
وانزل اللهُ للطاووس رخمتهُ من صوتهِ ورمى رجليهِ بالكدَرِ
وأعقب الحيَّة الحسناء حين عصت مسخَ القوائم بعد السمي كالبقرِ
وأعقب الله حوّا بالذي فعلتْ بالطمثِ والطلْقِ والاحزانِ والتبكرِ

---

١) هذا البيت في طبعة مصر مقدَّم على الاثنين السابقين . امَّا قولهُ انَّ الحيَّة كانت كالناقة او الجمل فذلك من زعم العرب الذين ذهبوا الى انها كانت بختيَّة ذات اربعة قوائم فعُوقبت بنقص جناحها وقطع ارجلها والمشي على بطنها وباعراء جلدها حتى يقال « اعرى من حيَّة » وبشق لسانها . (راجع كتاب الحيوان للجاحظ ٤ : ٦٦)

٢) في طبعة مصر : خليقتهُ بالفاء

٣) في طبعة مصر : فأبتيا

٤) فيها : واوجدا

٥) الضمير الى الانسان اي اسكن الانسان

٦) يريد بالطير الطاووس والعرب يزعمون انَّ ابليس استعان بهِ وبالحيَّة ليدخل الفردوس ويخدع الانسان فمسخهُ الله بتغيير صوتهِ ودقَّة رجليهِ

وروى في كتاب البدء (١ : ٦١) وفي اللسان (١٣ : ١٥٧) والتاج (٦ : ٦٥) عن الحيَّة قول امية :

والحيَّة الحَتْفةُ الرَّقْشاء اخرجَها من بيتها أَيْنَاتُ الله والكَلِمُ
اذا دعا باسمهِ الانسانُ او سمعتْ ذات الالوِ يُرَى في سَيها زَرَمُ

ورواها الزمخشري في الاساس : « اخرجها من جُحْرها أَيْنَاتُ الله والقَسَمُ » (قال) « ويُقال حيَّة حَتْفَة اي قاتلة كما يقال امرأة عَدْلَة »

وزوي هنا ابياتاً من ارجوزة نقلها صاحب كتاب البدء (٢ : ٨٥) والمسعودي في مروج الذهب لعليّ بن جهم عن بدء الخليقة كما رواها لهُ النصارى وان تأخر زمانهُ عن الجاهليَّة :

يا سائلي عن ابتداء الخَلْقِ مسألةَ القاصدِ قَصْدَ الحقِّ
أخبرني قومٌ من الثقاتِ أُولو علومٍ وأُولو هيئاتِ
تفرَّعوا في طلَبِ الآثارِ وعرفوا مواردَ الاخبارِ
ودرسوا التوراةَ والانجيلا واحكموا التأويلَ والتنزيلا
انَّ الذي يفعلُ ما يشاء ومَنْ لهُ القدرةُ والبقاء
انشأَ خلقَ آدمٍ انشاء وقَدَّ منهُ زوجَهُ حوَّاء
مبتدياً وذاك يومَ الجُمُعَهْ حتى اذا أَكْمَلَ فيهِ الصَّنْعَهْ
اسكنَهُ وزوجَهُ الجِنانا فكان من امرهما ما كانا
غرَّهما الشيطانُ واغترَّا بهِ كما ابانَ اللهُ في كتابهِ
غرَّهما الشيطان في ما صنعا فأُهبطا منها الى الارض معا
فوقع الشيخُ ابونا آدمُ بجبل الهند ويُدعى واسمُ
لبِسَ ما اعتاضَ من الجنانِ والضعفُ من جبلَّة الانسانِ
فشقيا وورَّثا الشقاء نسلَهما ونكدَ والعناء
ولم يزل مفتقراً (١ من ذنبهِ حتى تلقَّى كلماتٍ ربِّهِ
فأمن السَّخْطَة والعذابا وانهُ توَّابٌ على من تابا

والعرب يضربون المثل بآدم في القِدَم قال الاخطل بن ربيعة (الاغاني ١٢ : ١٦٥) يهجو بني منقر :

يا منقرَ بن عُبَيْدٍ انَّ لُؤْمَكُمُ مذ عهد آدمَ في الديوان مكتوبُ
للضيف حقٌّ على من كان ذا كرمٍ والضيفُ في منقرٍ عُريانُ مسلوبُ

---

١) لعلَّ الصواب : مفتقراً

٣ ﴿ بنو آدم ﴾ وقد عرف شعراء العرب في الجاهلية نسل آدم وقصة ولديه كما ورد في قصيدة ابن جهم حيث قال عن آدم وحوا :

ثمَّ تنسَّلا احبّاً (١ النَّسلا فحبلتْ حوّاءُ منهُ (٢ حملا
واقتنيا الابن فسُمّي قاينا وعاينا من نَشْءِ (٣ ما عاينا
نشَّ هابيلُ ونشَّ قاينُ ولم يكن بينهما تباينُ

ومن الشعر المتضمّن لاخبار بني آدم رثاء يرويهِ العرب على لسان آدم وحوّاء عند قتل قاين (ويقولون قابيل) لاخيهِ هابيل وهو لا محالة مصنوع الّا انّهُ قديم يُروى في اقدم كُتب المسلمين كتاريخ الطبري (١ : ١٤٦) ومروج الذهب للمسعودي (طبعة باريس ١ : ٦٥) وغيرهما كثيرين (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٩٢) وهم ينسبون انشادهُ الى علي بن ابي طالب ما يدلُّ على انَّ الشعر سبق الاسلام . قال آدم :

تغيَّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الارضِ مغبرٌّ قبيحُ
تغيَّر كلُّ ذي طعمٍ ولونٍ وقلَّ بشاشةُ وجهُ صبيحُ (٤
وجاورَنا عدوٌّ ليس يفنى لعينٌ لا يموتُ فنستريحُ
وقابيلٌ أذاق الموت هابيلَ واحزَنا فقد فُقد المليحُ (٥
فما لي لا اجودُ بسكب دمعي وهابيلٌ تضمَّنهُ الضريحُ
ارى طولَ الحياة عليَّ غمّاً وما انا من حياتي مستريحُ

ونسبوا الى حوّاء قولها كجواب على قول آدم :

دع الشكوى فقد هلكا جميعاً بمثلك ليس بالسن الربيحِ (٦
وما يُغني البكاء عن البواكي اذا ما المرء غُيِّب في الضريحِ

---

١) في الاصل « واحبّ » وهو غلط
٢) في الاصل « منهُ حوّاء » بكسر الوزن
٣) هكذا روى المسعودي (١ : ٦٣) وفي كتاب البدء : وولدت ابناً . . . من امره . . .
٤) والبيت يروى عادةً بالاقواء : بشاشةُ الوجهِ الصبيحِ . وروى المسعودي : كل ذي طعمٍ
٥) رواية المسعودي :
وقتَّل قاينُ هابيل ظلماً فوا اسفاً على الوجهِ المليحِ
٦) رواهُ الطبري (١ : ١٤٦) :
ابا هابيلَ قد قُتلا جميعاً وصار الحيُّ كالميت الذبيحِ

نبكِ النفسَ منكَ ودَعْ هواها فلستَ مخلَّدًا بعد الذبيحِ

واضافوا الى هذه الابيات قولًا على لسان ابليس لآدم :

تنحَّ عن البلادِ وساكنيها ففي الجنّات ضاقَ بك النسيحُ
وكنتَ بها وزوجَك في رخاءٍ وقلبكَ من اذى الدنيا مُريحُ
فما زالت مكايدتي ومَكْري الى ان فاتك الثمنُ الربيحُ
فلولا رحمةُ الجبّار اضحى بكفّيك في جنانِ الخلدِ ريحُ

وممّن اشاروا في الجاهليّة الى ولد آدم افنونُ الشاعر التغلبي (المفضّليات ص ٥٢٤ ed. Lyall) قال :

قد كنتُ اسبقُ من جارَوْا على مَهَلٍ من ولد آدمَ ما لم يخلدوا رَسَني

٤ ﴿ نوح والطوفان ﴾ ليس في الكتاب الكريم بعد ذكر التكوين واقعٌ اخطر من الطوفان في عهد نوح. ولا شكَّ انَّ عرب الجاهليّة نقلوا الخبر عن اهل الكتاب ولا سيما النصارى. منهم الاعشى الكبير حيث قال يمدح اياساً ويشبهُهُ بنوح في صنع سفينتهِ (شعراء النصرانيّة ص ٣٨٩) :

جزى الالهُ اياساً خيرَ نسّتهِ كما جزى المرءَ نوحاً بعد ما شابا
في فُلْكهِ اذ تبدّاها يصنعها وقالَ يجمع ألواحاً وابوابا

ومنهم اميّة ابن ابي الصلت روى له الجاحظ في كتاب الحيوان (طبعة مصر ٢ : ١١٨ = Ms de Vienne, 212v) والمقدسي في كتاب البدء (٣ : ٢٤) ابياتاً منها قوله يذكر نجاة نوح واهله وحلولهُ على جبل الجوديّ الذي فوقهُ نزلت سفينتهُ على زعم العرب :

الى أن يفوتَ المرءَ رحمةَ ربّهِ وان كان تحت الارض سبعون (١ وادياً
كرحمةِ نوحٍ يوم حلَّ سفينةً (٢ لشيعتهِ كانوا جميعاً نجائيا
فلمّا استنارَ (٣ اللهُ تنّور ارضهِ ففارَ وكان الماء في الارضِ ساحيا
ترقّع في جَرْيٍ كأنَّ اطيطَهُ صريفُ مُحالٍ يستعيد الدواليا
على ظهرِ جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سراهُ وغيمٍ ألبس الماء داجيا (٤

١) في كتاب البدء (٣ : ٢٤) : سبعين
٢) كذا في كتاب البدء ولعلَّ الصواب : سفينتهُ
٣) كذا فيه ولعلَّ الصواب : استثار او استفار
٤) في طبعة مصر : « راجياً » وهو تصحيف

فصارت بها اياماً كمٍّ سبعةً وستَّ ليالٍ دائبات عواطيا
تشقُّ بهم قوي باحسن إمرةٍ (١ كأنَّ عليها هادياً ونَوَاتيا
وكان لها الجوديُّ نَهْياً وغايةً واصبحَ عنها موجُهُ متراخيا

ومثلها قولهُ (كتاب البدء ٣: ٢٤) :

مُنجٍ ذي الخَيْرِ من سفينة (٢ نوحٍ يومَ بادت لبنانُ من أخراها
فارِ تنُّورُهُ وجاشَ بماءٍ طمَّ يغرق الجبال حتى علاها
قيل للبدء سِرْ فسار وبالليـ ـل على الهول سَيْرُها وسُراها
قيلَ فاهبطْ فقد تنامَتْ بك الفُلْـ ـكُ على رأسِ شاهقٍ مرساها

ولهُ ايضاً (رواهُ صاحب خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب ٤: ٤) :

عرفتُ أن لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ وانَّهُ من امير السوْ ينتقمُ
الأُسْبحُ الخُشْبَ فوق الماء سخَّرها خِلالَ جريتها كأنها عُوَمُ (٣
تجري سفينةُ نوحٍ في جوانبهِ بكلِّ موجٍ مع الارواح تقتحمُ (٤
مشحونةٌ ودخانُ الموج يرفعُها ملأى وقد صرعت من حولها الامم (٥
حتى تسوَّت على الجوديِّ راسيةً بكلِّ ما استُودِعَتْ كأنها أُطُمُ (٦

وروي لهُ ايضاً في كتاب الحيوان للجاحظ (Ms de Vienne, ff 396v) بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح :

تصرخُ الطيرُ والبريَّةُ فيها مع قويِّ السباعِ والافيالِ
مرَّ فيها من كل ما عاش زوجٌ بين ظَهْرَيْ غواربٍ كالجبالِ

---

١) في الاصل : امره
٢) لعل الصواب : من سفينه
٣) وفي الاصل عن شارح ديوان ابيّة ما نصّهُ : « يُقال سَبَّح الرجلُ واسبحَهُ الله . والعُوَم جمع العومة كأنها حيّة تكون بعمان . والعامةَ تشبه الطَّوْف الا انها اصغر منهُ يركب فيه البحر » وروى في لسان (١٥: ٢٣٨) : في اليمّ جريتُها
٤) في الاصل : في جوانبهِ اي جوانب الماء
٥) في الاصل : مشحونة اي مملوءة يقال : اشحنْ سفينتك اي املأها . وفي خزانة الادب قبل هذا البيت بيتٍ آخر أُقحم في القصيدة بالغلط وهو من بحر المنسرح كما نبّهَ عليهِ في الهامش والابيات كلها من البسيط وهو قولهُ :
نُودي قُمْ واركبَنْ باهلك م انَّ الله موقٍ للناس ما زعموا
٦) الأُطُم والجمع آطام

ويحسن بنا ان نروي هنا ما قال القطاميّ الشاعر النصراني في عهد بني امية عن نوح وسفينته (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth ولسان العرب ٦ : ٣٣٤) :

وأُنذِرُكم مصابرَ قومِ نوحٍ وكانت أمّةً فيها انتشارُ
وكان يسبّح الرحمانَ شكراً وفّه المحامِدُ والوقارُ
فلمّا ان اراد اللهُ امراً مضى والمشركون لهم جُؤارُ (١
ونادى صاحبُ التنّور نوحاً وصبَّ عليهمُ منهُ البوارُ (٢
وضجّوا عند جيئتهِ وفرّوا (٣ ولا يُنجي من القدر الحِذارُ
وجاش الماءُ منهمراً اليهم كأنّ غُثاءهُ خرقٌ نشارُ (٤
وعامت وهي قاصدةٌ بإذنٍ ولولا اللهُ جار بها الجَوَارُ (٥
الى الجوديّ حتى صار حِجراً وحان لِنَائِكَ الغُمَرُ انحسارُ (٦
فهذا فيهِ موعظةٌ وحكمٌ ولكني امرؤٌ فيَّ افتخارُ

وذكر امية الجوديّ في محلّ آخر مشيراً الى حلول سفينة نوح عليهِ (كتاب سيبويهِ ١٣٦:١ ed. Derenbourg) والبيت يُروى لورقة بن نوفل في جملة ابيات (شعراء النصرانيّة ص ٦١٧) :

سبحانهُ ثمَّ سبحانًا يعودُ لهُ ومثلنا سبّحَ الجوديُّ والجُسُدُ

ولاميّة يذكر امر الغراب والحمامة اللذين ارسلهما نوح فقرّ الغراب وعادت الحمامة بغصن الزيتون فقال (كتاب الحيوان للجاحظ طبعة مصر ٤ : ٦٥ ثم Ms de Vienne, ff. 212ᵃ ثمّ كتاب البدء ٣ : ٢٥) :

واذ هم لا لُبوسَ لهم تقيهم واذ صمُّ البلام لهم رطابُ (٧

---

١) قالوا الجؤار الماء الكثير

٢) في لسان العرب : نوحٌ . وفي الديوان : الوَبارُ . ونظنّها تصحيفاً

٣) رواية الديوان : جيئتهِ اليهم . وجيئتهُ اي حين جاء الطوفان

٤) في الاصل . « يريد كأنّ زَبَدَهُ ملاءة منتشرة مبسوطة » . وفي اللسان : خِرَق نُشارُ

٥) شرحهُ في الديوان : عامت سبحت الى الجوديّ . والجَوَار الجَوْر اي لولا الله لجار بالسفينة الجَيرة فكانت تجور ولا تهتدي

٦) قال في اللسان : الحِجْر الممنوع الذي لهُ حاجز . وفي الديوان اي منع الجودي السفينة ان تجري . الغُمَر الغمرات الشيء الذي يُغمَر ويغرق . والانحسار الانكشاف

٧) رواه الالوسي في بلوغ الارب (٣ : ١٢١) عن الثعالبي « لهمُ عراةٌ . . . صمُّ الصلاب » . وفي كتاب البدء : « واذ صخر السِّلام » وفي البيت اشارة الى ما كان يزعمهُ

عشيّةَ أرسل الطوفانُ يجري وطاف الماء ليس لهُ جرابُ
على امواج أخضرَ ذي حبيكٍ كأنّ سُعار زاخرهِ الضبابُ
بآيةِ قام ينطقُ كلُّ شيءٍ وخانَ امانةَ الديكِ الغرابُ (١
وأرسلت الحمامةُ بعد سبعٍ تدلُّ (٢ على المهالك لا تغابُ
تَلَمَّسُ هل ترى في الارض عيناً وعاينَهُ جا الماء العُبابُ (٣
فجاءت بعد ما ركضَتْ بقطفٍ عليهِ الثَّأطُ والطينُ الكُبابُ (٤
فلمّا فرّسوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُقد السِّخابُ (٥
اذا ماتت تورّثُهُ بنيها وان تُقتَل فليس لها استلابُ (٦
جزى (٧ الله الاجلُّ المرءَ نوحاً جزاءَ البِرِّ ليس لهُ كذابُ
بما حملَتْ سفينتُهُ وراحت غداةَ اتاهُ الموتُ انقلابُ
وفيها من أُرومتهِ عيالٌ لديهِ لا الظماء ولا السغابُ

وقال ايضاً في حمامة نوح وطوقها (حياة الحيوان للجاحظ ٢ : ١١٩) :

وما كان اصحاب الحمامة جيفة غداة غدت منهم تضمُّ الحوافيا
رسولاً لهم والله يحكم امرَهُ يبين لهم هل يؤنس الثوب باديا
فجاءت بقِطفٍ آيةً مستبينةً فأصبح منها مرضعُ الطين جاريا
على خطمها واستوهبت ثمَّ طوقَها وقالت ألا لا تجعلِ الطوق حاليا
ولا ذهباً اني اخافُ نبالهم يخالونهُ مالي وليس بماليا
وزِدْني على طوقي من الحَلي زينةً تُصيب اذا أتبعتُ طوقي خضابيا

العرب انّ الحجارة كانت قبل الطوفان رطبةً والطيور ناطقة ومن امثالهم « كان ذلك اذ كان كل شيء ينطق » و « كان ذلك والحجارة رطبة » ويدعون ذلك العهد « زمن الفطحل »

١) روى في كتاب البدء : « بانّهُ قام » . وروى الالوسيّ : « وكان امانة الديك » وكلاهما تصحيف

٢) في كتاب البدء : تزلُّ

٣) في كتاب البدء : وعاينهُ . وفي كتاب البدء : « به تيبّس واضطراب » وهي رواية مصحّفة

٤) القِطف ما قُطف من الاغصان . والثَّأطُ الحمأة . والكُبابُ الطين اللازب . وفي كتاب البدء : « عليهِ الشلط والطين الكثاب » وهو تصحيف

٥) في كتاب البدء . فرّشوا الآيات . والملأ المتى ميّزوا وفصّلوا . والسِّخاب القلادة . ويروى : السحاب وهو تصحيف

٦) في كتاب البدء : « تورّثها . . وان تُقتل » . وفي البيتين اشارة الى زعم العرب بان الطوق الذي يحلّي عنق الحمامة انّما هو جزاء امانتها لمّا عادت الى سفينة نوح

٧) في كتاب البدء : فجازى . والبيت مختلّ الوزن

وزدني لطرف البين منك بنمة ووَرّثْ (١ اذا ما متُّ طوقي حماميا
يكونُ لأولادي جمالاً وزينةً ويحسبن زيني زينةً أن برانيا (٢

وروى البحتري في حماسته (راجع طبعتنا ص ١٢٤) لرجل الكنديّ في نوح وسفينته فقال في تصرُّف الأيام :

وأمنَ نوحاً بعد ما بلغتْ بهِ أُفُقَ البلاد سفينةٌ لم تترَقِ

ويضربون المثل في نوح بطول العمر ورووا لزوبة (ديوانهُ صـ١٢٨) :

قلتُ لو عُمِّرتُ سنَّ الحِسْلِ او عُمِّرَ نُوحٍ زمنَ القِطَحْلِ (٣
والصخرُ مِتْلٌ كطين الوَحْلِ صرتُ رهين هَرَمٍ او قَتْلِ

اوهام العقليين في الوحي الالهي

للاب شرل ايلا اليسوعي (تابع)

٤ بدعة السوشنيين

هُمُ العقليون المتوسطون على ما سبق اليك الكلام (ص ١٧٧) ويُطلق عليهم ايضاً اسم الموحّدين (Unitariens) واعداء الثالوث (Antitrinitaires) لانهم يعتقدون انَّ الذات الالهيَّة لا تقوم الّا باقنوم واحد

وكان منشئا هذه البدعة ليليو سوسين (Lelio Socin) ونسيبهُ فوست (Fauste) ايطاليَّين ابصرا النور في مدينة سينّا (Sienne)

امّا الاوّل فبعد ان تاه اربع سنوات في انحاء اوربا ومكث برهةً من دهرهِ

١) في الاصل : وأرّث

٢) وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصّةً يرويها العرب جرت على زعمهم بين الديك والغراب . يقولون انَّ الديك نادم الغراب وشربا الخمر ولم يعطيا الخمّار حقَّهُ فرهنَ الغرابُ الديكَ على حجّةٍ ان يذهب ويأتي بالثمن فلمّا ذهب خاس بالديك وسخر بهِ ولم يرجع فبقي الديك محبوساً

٣ الحِسْل ولد الضب ويروى : عُمْر الحسلِ . والقِطَحْل السيل والطوفان . (راجع الصفحة ٢٨٨)

وزدني لطرف البين منك بنمة ووَرّثْ (١ اذا ما متُّ طوقي حماميا
يكونُ لأولادي جمالاً وزينةً ويحسبن زيني زينةً أن برانيا (٢

وروى البحتري في حماسته (راجع طبعتنا ص ١٢٤) لرجل الكنديّ في نوح وسفينته فقال في تصرُّف الأيام :

وأمنَ نوحاً بعد ما بلغتْ بهِ أُفُقَ البلاد سفينةٌ لم تترَقِ

ويضربون المثل في نوح بطول العمر ورووا لزوبة (ديوانهُ صـ١٢٨) :

قلتُ لو عُمِّرتُ سنَّ الحِسْلِ او عُمِّرَ نُوحٍ زمنَ القِطَحْلِ (٣
والصخرُ مِتْلٌ كطين الوَحْلِ صرتُ رهين هَرَمٍ او قَتْلِ

اوهام العقليين في الوحي الالهي

للاب شرل ايلا اليسوعي (تابع)

٤ بدعة السوشنيين

هُمُ العقليون المتوسطون على ما سبق اليك الكلام (ص ١٧٧) ويُطلق عليهم ايضاً اسم الموحّدين (Unitariens) واعداء الثالوث (Antitrinitaires) لانهم يعتقدون انَّ الذات الالهيَّة لا تقوم الّا باقنوم واحد

وكان منشئا هذه البدعة ليليو سوسين (Lelio Socin) ونسيبهُ فوست (Fauste) ايطاليَّين ابصرا النور في مدينة سينّا (Sienne)

امّا الاوّل فبعد ان تاه اربع سنوات في انحاء اوربا ومكث برهةً من دهرهِ

١) في الاصل : وأرّث

٢) وللشاعر بعد هذا ابيات ذكر فيها قصّةً يرويها العرب جرت على زعمهم بين الديك والغراب . يقولون انَّ الديك نادم الغراب وشربا الخمر ولم يعطيا الخمّار حقَّهُ فرهنَ الغرابُ الديكَ على حجّةٍ ان يذهب ويأتي بالثمن فلمّا ذهب خاس بالديك وسخر بهِ ولم يرجع فبقي الديك محبوساً

٣ الحِسْل ولد الضب ويروى : عُمْر الحسلِ . والقِطَحْل السيل والطوفان . (راجع الصفحة ٢٨٨)

في زوريخ من اعمال سويسرة أمّ نحو سنة ١٥٥٧ بلاد پولونية وكان ملكها سيجيسموند اغسطوس الاوّل مولعاً بالبدع فاقتبلهُ في بلاطهِ ورحّب بهِ. وكان ليليو من قبل لا يجسر على المجاهرة بتعاليمه خوفاً من أُولي الامور ولاسيما زعماء الاصلاح البروتستنتي. فانَّ هؤلاء بعد ان وضعوا حرّية البحث الديني ونادوا بها على رؤوس الملأ لم يعملوا بها بل اضطهدوا الذين ناهضوهم في آرائهم ان صحيحةً وان باطلةً واهنة. من ذلك انَّ الكلڤينيين في جنيڤا حكموا بالاعدام حرقاً على ميشيل سرڤه (Michel Servet) لكفره بألوهية السيد المسيح. وكان وقتئذٍ ليليو سوسين في سويسرة فرهبَ ان يلحقهُ ما المَّ بسرڤه فكتم اضاليلهُ ما استطاع لا يوقف عليها الّا النزر القليل من مُخلصيهِ لا بل أجهر ارثوذكسيَّتهُ البروتستنتيَّة. على انَّهُ ما فاز بنعماء سيجيسموند الملك وحسن التفاتهِ الّا وعاق ينشر بدعتهُ في پولونية. وقد اقامَ فيها شطرًا من الزمن ثم بارحها عائدًا الى وطنهِ ايطالية قصد الاستيلاء على إرث ابيهِ وكان سيجيسموند اصحبهُ بمكاتيب توصية من اجل هذا الغرض ومن ايطالية رجع الى سويسرة حيث توفي عام ١٥٦٢

وكان اذ ذاك فوست سوسين في مدينة ڤاورنسة تُشغلهُ في بلاط دوق توسكانة الكبير الملاهي والمناصب عن التبحّر في معتقدات بدعة نسيبهِ وما قام ينتصر لها الّا سنة ١٥٧٤ فقصد المانية ثمَّ سويسرة حيث عكف على درس اللاهوت حؤولًا ثلاثة خافياً جهده مزاعمهُ الشاردة. وفي اوائل سنة ١٥٧٨ دخل البلاد الترنسلڤانيَّة ولبث فيها عاماً ينشر تعاليم البدعة. وفي السنة التالية جاء الى پولونية فوجد فيها كثيرين من انصار مذهب نسيبهِ المتوفّى الّا انَّهم كانوا متفرّقين شيعاً لا تجمعهم كلمة ولا تحكم بينهم سلطة فتوفّق بذلاقة لسانهِ وخلابتهِ الى رأب صدعهم وضمّهم الى كنيسة واحدة عرفها رسميًّا أُولو الامور هناك ودُعيت بالكنيسة السوسنيَّة

وقد حُفظت تعاليم السوسنيَّة مُثبَتةً في مجموعةٍ بثمانية مجلّدات ضخمة عنوانها « مكتبة الاخوة البولونيين » (١ طُبعت في امستردام سنة ١٦٥٦ وفي المجلّدين

---

١) اسمُها : Bibliotheca Fratrum Polonorum, 8 vol. in f°, *Irenopoli*, 1656

الاوّلين منها تآليف فوست سوسين تتقدّمها ترجمتهُ. امّا ليليو فلم يُنشَر لهُ شيءٌ في المكتبة المذكورة

ومن تآليف الاخوة البولونيين يتّضح انّ اساس المذهب السوسيني هو حرّيّة البحث الديني. فانهم لا يرفضون الكتاب العزيز لا بل يقرّون بكونهِ مُنزَلًا غير انّهم يحتمون باستحالة كل ما فاق ادراك العقل الفطري فاذا عثروا في النصوص الالهيّة على قضيّةٍ خرجت عن دائرة المدركات الطبيعيّة أوّلوها على الطريقة الرمزيّة حتى يأتي معناها طبق مبدإهم. فللّه درُّهم من مؤمنين كافرين وخاضعين متمرّدين لا يخضعون لكلام الله بل يُخضِعونهُ لفلسفتهم الضالّة. وعلى هذا توصّلوا الى جحد الثالوث ولاهوت المسيح وحقيقة تكفيرهِ عن خطايانا اذ حمَل عاهاتنا وقدّم ذاتهُ للآب على الصليب ذبيحةً عنا

ويا ليتهم نبذوا الكتاب المقدس ظهريًا ولم يعمدوا الى تفاسيرهم الرمزيّة التي حدت بهم الى ان عزَوا الى الروح القدس الموحي اقاويلَ لم تكن لتخطر ببال حتى لصبيان المكاتب واليك مثلًا على سخافة تأويلهم :

جاء في مقدّمة الانجيل الرابع : «في البدء كان الكلمة» فيفسّر فوست سوسين(١ هذه الفقرة على ما يلي : « في البدء اي في مستهلّ التاريخ الانجيلي (!!!) » كأنّ كل ما جاء في كتابات الرسول الحبيب صريحًا جليًّا عن الوهية السيّد المسيح ووجوده الازلي امسى نسيًا منسيًّا او كلامًا فارغًا من المعنى . وكذلك قول الانجيلي عينهِ « كُلٌّ به (اي بالكلمة) كُوِّنَ » معناهُ عند فوست سوسين انّ يسوع المسيح صنع كلَّ الاشياء المتعلّقة بتأسيس النصرانيّة (!!!) فحصرَ وقيّدَ المفسّر كفرًا والحادًا ما اطلق صاحب النصّ المقدّس في الفقرة الانجيليّة عينها اذ اردفَ قائلًا : « وبغيره (اي بغير الكلمة) لم يُكوَّن شيءٌ ممّا كُوِّن »

ولم تُعمّر بدعة السوسنيين في البلاد البولونيّة فانّ الملك سيجيسموند الثالث لم يلبث ان نكّس اعلامها فتلاشت واضمحلّت في مملكتهِ تمامًا

امّا في يومنا هذا فلم يبق من تبّاعها الّا العدد القليل وهم متشتّتون في انكلترة

---

١) F. Socin, *Explicatio primi capitis Joannis*

والولايات المتحدة وليس لهم جماعة خليقة بالذكر الّا واحدة وهي في بلاد ترنسلفانية (١

٥ العقليون المتطرفون

كانت اوّل حركتهم في انكلترة وربّما أُطلق عليهم اسم الإلهيين (déistes) لأنّ الاوّلين منهم زعموا انّ الانسان بما يدلّهُ عليهِ العقل الغريزي من معرفة الخالق وعلاقات المخلوقات العاقلة بهِ غنيٌّ عن الوحي ايًّا كان معدنهُ

وممّا لا سبيل الى الريب فيهِ هو تأثير الاصلاح الموهوم في اضاليلهم ولكن على خلاف تأثيرهِ في هرطقة السوسنيين . فقد مرَّ بك ان هؤلاء لم يعالجوا الاسفار الإلهيّة بتفاسيرهم الصبيانيّة الّا عملًا بحرّيّة البحث البروتستنتيّة . امّا الإلهيّون فقد كان من فعل حرّيّة البحث فيهم ان نفروا من الكتب المنزلة وأعرضوا عنها لا يُقدّرون لها قدرًا ولا يعيرونها سمعًا . وذلك انّ حرّيّة البحث احدثت فوضى الآراء في تفسير الآيات الشريفة فتسرّب الشكّ الى الافئدة في حقيقة معنى كلام الله حتى يئس البعض من الوقوف عليهِ واستغنوا عنهُ بنورهم الطبيعي وعن الديانة الوضعيّة الموحاة بالديانة الطبيعيّة الفلسفيّة وهي مذهب الالهيين

والحقّ يُقال انّ الشيع البروتستنتية العظمى لم تعتّم ان تشعّبت فروعًا اكثر من ان تُحصى وكنتَ ترى من فرعٍ الى غيره بل من فئةٍ الى اخرى في الفرع الواحد اختلافاتٍ وآراء متناقضة يبنيها جميعًا اصحابُها على النصوص الكريمة ممّا لا يتمالك امامهُ من الشكّ ذوو الايمان الثابت المتين لولا اعتقادهم انّ الله انّما خوّل سلطان التفسير الكنيسة الحقيقيّة وحدها . فكيف بذوي الايمان الضئيل في موقف كهذا وانت تعلم انّ الاوّلين من جماعة الانكليكان قد تقلّبوا في المذاهب والنِحَل مع تقلّبات الريح السياسية في بلادهم حتى اضحى ايمانهم المسيحي اسمًا بلا مُسمّى مبنيًّا على ارادة المتعصبين لا على كلام الله . وُلِدوا بالعماد في حضن الكنيسة الكاثوليكيّة فانفصلوا عنها خوفًا من تهديدات هنريكوس الثامن ثمّ عادوا اليها في ايام الملكة ماري واخيرًا جنحوا الى الارطقة وثبتوا فيها في عهد اليصابات

١) راجع كتاب فيكورو المذكور آنفًا (ص ٤٩١)

وقد سمت المتعصبة هذه في توحيد المعتقد بين شعبها اذ اجبرتهم تحت العقوبات الطائلة على الاقرار بالقضايا الدينيَّة التسع والثلاثين (39 articles) التي وضعها المجمع الانكليكاني عام ١٥٦٣ غير انَّ الاصلاح الانكليزي لم يكن اوفر حظاً من اللوتيري ولم يُصب من الوحدة اكثر منهُ فما لبثت الكنيسة الانكليكانيَّة ان تشعَّبت وتمزَّقت فنشأت فيها البدع عن البدع وعلت ضوضاء المخاصمات وتعدَّدت الآراء وتضاربت . حاولت حكومة المتبصِّرين وجعل بعضهم يتساءلون : تُرى أليس الدينُ بمعزلٍ عن المنازعات والمشاحنات ؟ . أليست الحقيقة الالهيَّة ثابتةً راسخةً لا تغيِّرها الاضطرابات السياسية ولا الأهواء البشريَّة ؟ فكيف تكون آياتُ الكتاب كلامهُ تعالى ومورداً صافياً للعطاش الى الحقيقة الدينيَّة وقد استقى منهُ المتحاورون الحارَّ والمرَّ والحقَّ والباطل ؟ وان قيل : لم يفقهوا لهُ معنى فما الفائدة اذاً منهُ للعباد او لا يكون وحيُ الله بهِ عبثاً ؟

ولا يندّ عن علم القارئ اللبيب أنَّ حلَّ هذه العقدة سهلٌ لدينا نحن الكاثوليك فقد قلنا (ص ١٢٤—١٢٧) انَّ الكتاب العزيز لا يكفي ذاتهُ لذاته بل لا بدَّ من سلطة معلِّمة معصومة تكشف النقاب عن غوامض معناه . والَّا فلا مناص من الشكّ فيهِ والتكلُّع في غياهب مذهب الالهيين والقول معهم : عبثاً يُستطلعُ الوحي ولا سبيل الى تناول مفهومهِ فهو إذن غير ضروري بل ليس فيهِ من فائدة للبشر

وهو الرأي الذي بسطهُ لاوَّل مرَّة رأسُ الالهيين اللورد هربرت شربوري (Herbert Cherbury + ١٦٤٨) في كتاب لهُ عنوانهُ : « في الحقيقة من حيث تتميَّز عن الوحي والقريب الى الصحَّة والممكن والباطل » (١ وقد دُعي شربوري « لورد ما وراء الطبيعة » (Metaphysick Lord) لأنَّهُ توخَّى ابدال الديانة من الفلسفة ولم يقصد بهذا تقويض الدين لا بل صرَّح بضرورتهِ . كذلك لم يقرَّف الكتاب المقدَّس بالخطإ بل اجلَّهُ واطراهُ انما ضلَّ عن سواء السبيل اذ اراد حصر الدين في قضايا فلسفية خمس وهي : وجود الله ووجوب التعبُّد لهُ وضرورة الفضيلة والتقوى ولزوم التوبة عن المآثم والاعتقاد بثواب الآخرة وعقابها . وقد زاد شربوري

(١ De veritate prout distinguitur a revelatione, a verisimili a possibili et falso.

الطين بلّة حيث زعم ان هذه الحقائق يتوصّلُ البشر دون صعوبة الى معرفتها والعمل بها بمجرّد تفلسفهم مستغنين عن الوحي وعن النصوص المُنزلة

واوّل شاهدٍ على فساد هذا الرأي المخاصمات التي نشبت بين الالهيين الذين جاءوا بعد شربوري والاضاليل الفلسفيّة التي جنحوا اليها فانّهم ذهبوا حتى في القضايا الخمس الموما اليها مذاهبَ شتّى ولم تضمّهم الّا كلمة واحدة وهي الكفر بالوحي. امّا اباطيلهم واراجيفهم فحدّث عنها ولا حرج. فمنهم الدهريّون والخلوليّون ومنهم الماديّون واللاأدريون وليس من خرافةٍ إلّا تجدها مثبتةً في مصنّفاتهم

ذاك توما هوبس (Thomas Hobbes + ١٦٧٩) تطرّق من مذهب الالهيّة الى الكفر اصرحه واشنعه كانَ لاأدريًا وماديًا وحذف من الوسط كل ديانةٍ حتى الطبيعيّة اذ اجهرَ انّها كلّها منوطة برأي الامير وإرادتهِ فان أمرَ بالتجديف على اسم الله أضحى التجديف فضلًا وصلاحاً

وكذا شارل بلونت (Blount) الذي انتحر عام ١٦٩٣ وقد اضاف الى الالحاد القحة والسفاهة وهزأ بالوحي والمعجزات فكان في انكلترة خير سلف لفولتير في فرنسة

وعلى الشاكلة عينها الارلنديّ جوهن تولَند (John Toland ١٧٢١) وقد تقلّب في انجيل ولا تقلّب الحرباء في الالوان فهو يوماً كاثوليكي وآخر بروتستنتي كينونيّ (presbytérien) وتارةً الميٌّ واخرى حاولي الى ان غدا لا يدين بدين البتّة

ولو اردنا الاتيان على ذكرِ كل الذين اشتهروا بالكفر من الالهيين في انكلترة اطال بنا الشرح وملّ القارئ وفيما لخّصناهُ كفايةٌ لاقامة الحجّة على بطلان مزاعمهم ذهبوا انَّ الديانة الطبيعيّة تسدّ مسدّ الوضعيّة الموحاة وقد افادتنا اخبارهم انهم لم يشيدوا مكانها الّا الكفر والضلال. وقد اقام مونتسكيو حَوْلَيْن في انكلترة فكتب عام ١٧٢٩ ما يلي (١): « قد اضمحلّ الدين في انكلترة فليس الّا اربعة او خمسة من المبعوثين يحضرون القداس ويسمعون الوعظ وان فتح احدٌ حديث الديانة هزأ به الجميع »

---

١) ذكرهُ تان: (Taine, *Ancien Régime*, p. 363)

والك في هذا القول وان كان محمولاً على المبالغة دليلٌ صريح على ضرورة الوحي كيما يسهّل على الانسان معرفة واجباته الدينيّة وترسخ قدمهُ في جادّتها

ومن انكلترة جاز مذهب الالهيّة الى فرنسة حَمَلَهُ اليها ڤولتير (+ ١٧٧٨) فانّهُ كان هرب الى انكلترة خوفاً من السجن واقام هناك زمناً يتشرّب مبادئ العقليين حتى امتزجت بهِ امتزاج الماء بالراح. فلمّا ان عاد الى فرنسة وقف حياته كلّها للكفر ومقاومة الدين القويم واذ ضاق ذرعهُ عن البيّنات الراهنة عمد الى النفاق والتلفيق والبذاءة فهزأ بالنصرانيّة وبقي عليها ولم يخجل من تزوير الاسفار المُنزلة حاذفاً منها او زائداً عليها حسبما تقتضيهِ اغراضه السافلة

ومن معاصري ڤولتير وزملائهِ وان بعيداً عن سفاهته جان جاك روسو (+ ١٧٧٨) زعم انّ كل ما يفوق الطبيعة مستحيلٌ لأنّهُ لم يرَهُ قطّ. وهو ممّن لم يقرّ لهم في الرأي قرار فطوراً كان يطرئ الانجيل ويشدو بمديح المسيح وطوراً كان يرفض المعجزات والنبوات والوحي اصلاً

ومن اعوان ڤولتير ديدرو (Diderot + ١٧٨٤) وكان متعصّباً في مذهب المادّيّة والدهريّة متمسّكاً بهما متحمّساً لهما ولا تحسُّ العابد الصادق للدين الحقّ. ودالمبرت (d'Alembert ١٧٥١) وهو من اللاأدريين والمادّيّ هلڤيسيوس (Helvétius + ١٧٧١) الخ

ومن العقليين الذين عاشوا في فرنسة في القرن المنصرم قومٌ دُعوا بالفلاسفة المتحسنين (éclectiques) وقد اشتهر بينهم كوزين (Cousin + ١٨٦٧) وجول سيمون (J. Simon + ١٨٩٦) وجانه (P. Janet + ١٨٩٩) وانّ هؤلاء مع اقرارهم بفضل النصرانيّة على الانسانيّة خصوصاً بما سنّت لها من الشرائع الادبية رفضوا الوحي بتاتاً مدّعين انّ الديانة الطبيعيّة تكفي الانسان معرفةً وعبادة وتقىً واما الاسرار والمعجزات فهي لديهم من المحالات

وفي مقدّمة العقليين الالمانيين وُلف (Wolf + ١٧٥٤) هذا ادّعى الفلسفة وزعم انّها امّا تغني عن الوحي اذا كان منطوقهُ من المدركات الطبيعيّة واما تُناقضهُ اذا تضمّن اسراراً لم يحكِ عنها العقل البشري

وقد كانت البلاد الالمانيّة مهد العقليين الذي دُعوا كتابيين (rationalistes

(bibliques) وهؤلاء لم يكتفوا بالقول انَّ الاسفار الشريفة كتبٌ بشريَّة محضة بل تزخوا ابطال ما جاء فيها من الحوادث الفائقة الطبيعة وطلباً لذلك كانوا تارةً ينفون نسبتها الى مؤلفيها الاقدمين وتارةً يرفضون تاريخيتها او يعالجون بتفاسيرهم الرمزية ما عثروا عليهِ فيها من المعجزات

وقد برز بينهم لسِنغ (Lessing + ١٧٨١) في الكفر عموماً وفي تحامله خصوصاً على السيّد المسيح الذي لم يخجل من اتهامهِ بالمكر والخداع

وتعاقبت في القرن التاسع عشر مذاهب العقليين الكتابيين تكذّب بعضها بعضاً لا تتّفق الّا على انكار ما يفوق الطبيعة والهام الاسفار المقدَّسة

امّا في يومنا هذا فهي الفوضى الفلسفيَّة سائدة على اعداء الوحي فاذا ما استثنيت البعض منهم الذين يعتقدون روحانية النفس ووجود الخالق وضرورة الديانة ولو طبيعيَّةً وجدتَ الباقين متفرّدين كُلًّا بمذهبهِ فمنهم الماديّ النشوئي الذي يكفر بالله الواحد ويُؤلّه مكانهُ الهيولى ومنهم الوضعيّ الذي يجزم بعجز العقل ليس فقط عن ادراك ما فاق الطبيعة بل عن كل معرفة تتجاوز العوارض الظاهرة

هذا ما آلت اليهِ فلسفة اعداء الوحي في ايّامنا فشتّان ما بين الثريا والثرى وشتّان ما بين السلف والخلف الّا انَّ هذا الثمر من تلك الشجرة فمن ثمارهم تعرفونهم وهي اوّل حجّة نقيمها على غواية الكافرين بكلام الله . ارادوا الاستغناء عنهُ بالعقل المجرَّد فتكّموا وعقولهم في اوهن الاضاليل واقبحها . حاولوا تذليل الوحي طلباً الى تعزيز العقل فما فازوا الّا بتذليل فلسفتهم المتعاقلة . خرَّبوا فما شادوا . اعرضوا عن مناهل الحق الصافية فوردوا مستنقعات الكذب والافك فصدق فيهم قولهُ تعالى في شعبهِ المتمرّد : « اندهشي ايتها السماوات من هذا وانتفضي جدًّا يقول الرب . فانَّ شعبي صنع شرَّين تركوني انا ينبوع المياه الحيَّة واحتفروا لهم آباراً آباراً مشقَّقةً لا تُمسِكُ الماء » (ارميا ٢ : ١٢—١٣)

البقيّة لعدد آخر

تجنيس نسل البيضة في الهوامّ

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي (لاحق بسابق)

انَّ كلامنا السابق عن بيض الطيور والاسماك والحشرات يحدو بنا الى البحث عن امر آخر غريب في بابهِ نريد القوَّة التي لبعض الهوامّ ان تختار تجنيس نسلها على حسب مرامها فتكون مواليدُها ذكورًا او اناثًا كما ترغب أُمها التي تنسلها . نعم انَّ ذلك لا يعمُّ كل صنوف الهوامّ لأننا نعلم انَّ كثيرًا منها بل معظمها لا يشذُّ عن القاعدة العموميَّة فتبيض الانثى ما قدَّرهُ لها الله دون اختيارها الّا انَّ علماء الطبيعة ممَّن درسوا طبائع تلك الهوامّ في كل اطوار حياتها تأكَّدوا بعد التجارب المتوالية انَّ بعضاً من انواعها قد خُصَّت بهذه القوَّة أي تجعل مواليد بيضها اما ذكورًا واما اناثًا . وهذه لعمري خاصَّة غريزيَّة تزيد ما قلناهُ عن عجائب اوهام الحيوان

وكأني اسمع هنا بعض ربَّات البيوت يتنهَّدنَ ويتحسَّرن قائلات : آه لو منحني الله منحةً كهذه فألد فتيةً او فتيات على خاطري . كلَّا أيتها السيدات فانَّ العناية الالهيَّة لم تمنحكنَّ ما منحتهُ لبعض اجناس الدويبات السافلة وكفى بذلك دليلًا على بطلان المذهب الدروينى الذي يزعم بانَّ اجناس الحيوان الراقية تنال خواصَّ الانواع التي دونها بل تكتسبها . والامر هنا على خلاف زعمهِ وسنأتي ان شاء الله بادلَّة أخرى تقوّض اركان ذلك الرأي . ولكن هاتِ الآن ببعض امثلة اكيدة تثبت ما قدَّمناهُ في تجنيس نسل البيضة

واوَّل مثل نوردهُ لتأييد هذا الرأي ما سبقنا ورويناهُ في المشرق السنة ١٩١٢ (١٥ : ١٩١—١٩٢ وانظر الصورة ص ٤٠) حيث بيَّنَّا ان يعسوب النحل الاهليَّة اي ملكتها اذا سرأت وباضت جعلت في مخاريب قرصها الشمعي بزر ذكور او اناث على ما تشاهد امامها مخاريب واسعة او ضيِّقة . وليست تلك المخاريب صُنعَ الأُمّ بل صُنع عاملات النحل التي لا تصطنع عادةً الّا قليلًا من المخاريب الواسعة للذكور التي تملأها الملكة من بزر النحل الذكر وتملأ المخاريب الضيِّقة ببزر الاناث العاملات .

واذا ما أكثرت العاملات من النخاريب الواسعة صدفةً على شذوذ (١ كثر ايضاً عدد الذكور وانما تصبح كثرتها آفةً لقفير النحل لأنَّ استحضار العسل واصطناع الشمع كلهُ موقوف على العاملات فهنَّ اللواتي بخلاف الذكور يعمرن القفير ويُخصبنهُ . وفي ذلك دليل واضح على انَّ اليعسوب تطبق النسل على مقتضى ما وضعتهُ لها العاملات من نخاريب واسعة او ضيقة كثيرة كانت او قليلة

وهذا الامر قد تحققهُ المربون للنحل فانهم وضعوا لنحلهم خشارم صناعيَّة يجعلونها في جرَّارات ويسحبونها كما شاؤوا ويفرغونها من العسل بالادوات المختصَّة بذلك دون ان يخربوا القفران . فاذا تفقَّدوا اقراص العسل في الربيع او ردُّوها في وقت الخريف الى أصونتها بعد تفريغها نزعوا منها النخاريب الواسعة المعدَّة للذكور وابقوا الضيقة ليزداد عدد الاناث العاملات

وقد تمكَّنوا ان يرسموا في تلك الخلايا الصناعيَّة رسوم الخلايا الضيقة بواسطة قالب يختمون بهِ قعر الخليَّة فاذا باشرت العاملات بصنع النخاريب جرت على تلك الرسوم فاصطنعت نخاريب ضيقة . وكل ذلك قد بنـاهُ ارباب النحل على علمهم بقوَّة الملكة على تجنيس نسلها من ذكور او اناث كما تجد امامها نخاريب واسعة او ضيقة

وان دقَّقنا النظر في القفران الطبيعيَّة التي تبنيها النحل بغريزتهنَّ دون مشاركة الصناعة البشرية وجدنا انَّ العاملات دون الملكة يهتممنَ ببناية النخاريب فهنَّ وحدهنَّ يصطنعن تلك الثقوب واسعةً او ضيقة كما يشأن فاذا مرَّت الملكة وهي الامّ الوالدة بازاء الثقوب المذكورة وضعت فيها للحال بيضة ذكور او بيضة اناث كما تجد امامها النخروب واسعاً او ضيقاً لا تُخطئ العمل حيثما مرَّت

وان قال القائل انَّ بزر ملكة النحل يمكنهُ ان يكون ذكرًا او انثى حسب ما يكون الثقب الذي جُعلت فيهِ البيضة واسعاً اوضيقاً . ردَّ ذلك ما ثبت بالتجربة وهو انَّ اليعسوب اذا جعلت احياناً صدفةً بيضة ذكر في النخروب الضيق ترى الذكر

---

١) وهذا الشذوذ من غرائب الامور التي لم يتوفَّق ارباب علم الحيوان الى بيان سببها . وهو دليل واضح على جهل النحل وعدم ادراكهِ وينفي مزاعم الادبيين في فهم النحل

ينمو الا انهُ يبقى صغيرًا اذ لم يجد لجسمهِ السعة الكافية ليتمدَّد فيها قانونيًا. وبذلك يظهر دون ريب أن الملكة بإطلاق اختيارها الغريزيّ تنسل ذكرًا او اناثًا

وليست ملكة النحل وحدها قد خُصَّت بهذه الميزة ان تنسل نسلها على اي جنس شاءت . فانَّ الطبيعيين ونخص منهم بالذكر المسيو فابر في كتابه المعنون « Souvenirs Etymologiques, III *Série* » قد لحظوا الامر عينهُ في عدَّة ضروب من الهوام وها نحن نقتبس من كتابهِ ما يؤيد قولنا السابق عن ملكة النحل

ولا بدَّ هنا من تنبيه قرَّائنا الى حذق هذا العالم الفرنسويّ الذي تفرَّغ مدَّة سنين عديدة لدرس طبائع الهوام. ولمَّا نشر تآليفهُ الاولى في اخلاق الحشرات ألفت الى اقوالهِ نظر دروين فتصفَّحها وبقي مرتابًا في مزاعمهِ في النشوء والترقي لا بل كتب الى المسيو فابر يهنئهُ باكتشافاتهِ عن اوهام الحيوان واكَّد لهُ انهُ مستعدٌ لأن ينبذ تعاليمهُ في النشوء او يصلحها اذا ما ثبتت ابحاث المسيو فابر وتقرَّرت بالامتحانات. وبذلك بيَّن دروين شأن العالم الصادقين انهُ لم يقصد من مذهبهِ سوى بيان الحقيقة لكنَّ الموت عاجلهُ فلم يستطع ان يستفيد من دروس الكاتب الفرنسوي وتجاربهِ التالية

ومن المعلوم انَّ المسيو فابر لا يكتفي بان يجمع ضروب الهوام ويغرسها بالدبابيس في عُلبة من الكرتون مفروشة بالقلين مع تعريف جنس الحشرات وانواعها. كلَّا بل لا يجتزئ بدرس صورة الحيوان وجسمهِ ومشاعرهِ الخارجة واجهزتهِ الباطنة لكنَّهُ يعمد الى الهوام الحيَّة ويبحث عن اوكارها وبيوضها ودودها ويتتبَّع كل حركاتها وسكناتها في تعيشها وطلب قوتها لنفسها وتجهيزها الطعام لصغارها وهو يقضي الايام الطوال ليرصدها في حياتها العامة في وسط الحقول وفي كل اطوار تلك الحياة. وربَّما نقلها الى مخدعهِ وهيَّأ لها اعشاشًا واقواتًا كما تجدها هي في الخارج ويُقيت صغارها ويرقبها في اكلها طعامها وفي نشأتها ونموّها ونسجها لقيالجها. وقد اتَّخذ أصونةً كبيرة ذات اسلاك معدنيَّة ناعمة فيجعل فيها الهوام المختلفة التامَّة البنية ويرعاها في احوال حياتها عند تجهيز اوكارها ووضعها لبيوضها وتهيئتها لذراريها القوتَ الموافق لها وصيدها للحشرات حيث تقتلها تارةً قتلًا وحيًا وتارةً تبتجها لتبقى لحومها طريَّة لصغارها. وهو يقدِّم لها ما تحتاجهُ بعض الاجناس من الاطيان او من الابعار وروث

الخيل ولوازمها الأخرى. واذا رصد تلك الهوام دوّن في دفتر يوماً بعد يوم ما لحظهُ من اعمالها العجيبة فرداً فرداً فيكتب بعد ذلك كتاباته الشهيرة التي يضمّنها ادقّ الاوصاف عن طبائع تلك الهوام . فلا غرو ان كان دروين تأثّر من هذه الدروس المحكمة فأعلن بأنهُ مستعدّ لاصلاح ما في تقاريره النشوئية من الآراء الضعيفة المخالفة لما ثبتت صحّتهُ بالتجربة العمليّة

على انّ تلامذة دروين لم يجروا على خطّة استاذهم المجرّدة عن الاغراض والاوهام بل بالغوا في مزاعم دروين وتكروا ما تقرّرت حقيقتهُ بالامتحان لأنهم لم يريدوا ان يقرّوا بالاله الخالق كما اقرّ بهِ دروين بل اتخذوا مذهبهُ كسلاح لينفوا الوحي الالهي ويجحدوا الايمان المسيحي . فناهيك بفعلهم دليلاً على سوء نيّاتهم مع مخالفتهم لمبادئ العلم الصحيح

ولكن فلنعودنّ الى ذكر الهوام التي قلنا عنها انها تستطيع ان تجنّس نسلها ذكوراً او اناثاً على حسب مرامها . فمنها ما يشبه النحل في امتصاصها للعسل من الازهار لتطعمهُ صغارها ولذلك ادخلوها في القبيلة النحليّة (les Apiaires) الّا انها لا تعيش كالنحل مجتمعة في اكوار بل تُعنى كلّ انثى بوليدها بعد التقاحها من الذكر . وكذلك لا تجهز على شبه النحل اقراصاً ومخاريب لتودعها العسل مع بيضة تتحوّل دودة ثمّ هامّة طائرة لكنها تتّخذ لنسلها ثقوباً في الارض او تعشّش في المقاصب اليابسة او مخاريب الصخور . امّا اذا اصطنعت الهامّة وكرها فهي تجعلهُ على شكل بوتقة صغيرة وتدهنهُ لئلّا تنفذ فيهِ الموائع ثم تضع في قعرهِ قليلاً من العسل الممزوج بزنبر الزهور ولقاحها ليكون المركّب كالمعجون وكافياً ثمّ تودع فوقهُ بيضتها وتختم رأس البوتقة بقليل من الطين . ثمّ تشيّد خليّة أخرى بقربها او بمحلّ آخر على اختلاف ضروب الهوام ثمّ تضيف اليهما ثالثة ورابعة الى العشر او الاثنتي عشرة خليّة

وتعمد اناث بعض الحشرات الى اوكار قديمة شيّدتها هوامّ اخرى في السنين السابقة فترمّمها وتصلحها وتدهنها ثمّ تموّنها وتجعل فيها بيضها

والغريب في كل ذلك ما تحقّقهُ المسيو فابر في أصونتهِ بعد مراقبة احوال الهوام من الاجناس المدعوّة « اوسمي وأنثيدي وخاليكودوم وانثوفور » (Osmie, Anthidie, Chalicodome, Anthophore) فلحظ فيها :

(اوّلاً) اذا ما كان الذكر في احد هذه الاجناس اكبر من الانثى لا يوجد في النخاريب الكبيرة غير الذكور وفي الصغيرة غير الاناث. وذلك دليل على انّ الامّ بتشييدها الخلايا كانت تشعر بما ستجعلهُ فيها من احدى البيضتين الذكر او الانثى

(ثانياً) في الاجناس التي تصنع الامّ خلاياها كلها متساوية للذكور والاناث حيثما تكون الذكور اصغر جسماً تجد قوتاً اوفر جدًّا في خلايا بيض الذكور . وهو ايضاً دليل ساطع على انّها كانت تحسّ بما ستودعهُ في تلك الخلايا من البيض

(ثالثاً) امّا الاجناس العديدة التي تكون فيها الاناث اكبر من الذكور فانّ الامّ تضع في خلايا الاناث قوتاً اوفر من خلايا الذكور

(رابعاً) اذا كانت الخلايا في آلة اسطوانيّة مقفلة في احد طرفيها كالقصب مثلاً بحيث تركب الخلايا بعضها على بعض ترى خلايا الاناث كلّهـا في الطبقة السافلة والذكور في الطبقة العليا قريباً من الطرف المفتوح. والسبب في ذلك انّ الذكور تبلغ تمام بنيتها اربعة او خمسة ايام قبل الاناث فلا بُدَّ لها من الخروج من خلاياها فلو وضعت الامّ بزرها تحت خلايا الاناث لأُوصد دونها الباب بتوسّط تلك الخلايا بينها وبين الفضاء. فتهلك لا محالة قبل ان تبلغ الاناث تمام جسمها فتطير وتفتح لها المجاز. فبوضع الامّ خلايا الذكور فوق خلايا الاناث اشعرت بانهـا كانت تميّز بين الذكور والاناث وتختار بينهما على حسب وهمها ليكون المجاز حرًّا فارغاً للذكور قبل الاناث

وهذه امثلة تنفي كل شبهة عن قولنا. يوجد بين انواع هامّة الخليكودوم صنف لا تسعى فيه الامّ بابتناء اوكار جديدة لوضع نسلها وانّما تستفيد من اوكار سبق الى عملها غيرها من الهوام في الاعوام السالفة . فخلايا هذه الاوكار تكون مختلفة جدًّا من حيث سعتها وضيقها امّا لتلف بعضها بفعل الامطار والانواء. وامّا لاسباب اخرى بحيث تكون مثلاً الخلايا الواسعة بنسبة واحدة الى خمس او على عكس ذلك تكون الخلايا الصغيرة بنسبة ستّ خلايا ضيّقة الى خليّة كبيرة واحدة. فالامّ اذا حاولت وضع بيضهـا في تلك الخلايا وضعت ابدًا بيضة ذكر في الخليّة الواسعة وبيضة انثى في الضيّقة دون مراعاتها لكثرة الخلايا او قلّتها. وقد تأكّد المسيو فابر الامر في مئين من اوكار هذه الحشرة وفيه دليل واضح على انّ الامّ تستطيع ان تجنّس نسلهـا بالذكور او الاناث على حسب مرامها

ودونك مثلاً آخر نأخذهُ من صنيع حشرة « الانثيدي » فانَّ هذه الهامَّة اعتادت ان تشيد خلاياها في بيت الحلزون الفارغ ومن المعلوم انَّ مدخل هذا الصنف اوسع من قعرهِ والهامَّة لا تصنع الَّا خليَّتين في كل حلزونة : خليَّةً واسعة في الامام وخليَّة ضيقة في المؤخَّر فاذا باضت الامّ جعلت بيضة الانثى مطلقاً في الخليَّة السُّفلى لانَّ الانثى اصغر في هذا الجنس من الذكر الذي تجعل بيضتهُ في الخليَّة العليا الواسعة

فينتج عن هذه الامثال وغيرها ايضاً لا سبيل الى جحودها انَّ اناثاً متعدِّدة من الحشرات مخيَّرة في وضع بيضها بين الذكور او الاناث كما طُبعت عليها غريزتُها

على انَّنا بتأكيدنا لهذا الامر لسنا نزعم انَّ تلك الحشرات تدرك ما تفعل كلَّا وانَّما ذلك من افعال الوهم العجيب الذي خصَّهُ بها الخالق لحفظ كيانها وتخليد انواعها فتجري عليهِ مدفوعةً من طبيعتها

ومن الهوام ما يمرّن خلايا مواليدهِ بحشرات يصطادها لها بدلاً من العسل كما رأيت في النحل واشباهها . وهي جوارح الهوام . فالبعض منها كالدَّبر الفخَّار (pélopée) الذي وصفناهُ سابقاً (ص ٥٢) يختار لصغارهِ العناكب الصغيرة التي يركمها على بعضها ويجعل فوقها بيضةً ويختم الخليَّة . والبعض الآخر يخزن في خلايا مواليدهِ الصَّراصر الصغيرة . ومنها ما يفضّل الدود المختلفة الحجم . وغيرها تبلغ بهِ جرأتهُ الى ان يسطو على الحشرة المسمَّاة جمل اليهود (inante) فيقهرها ويجرُّها الى وكرهِ

فكلّ هذه الفرائس التي تصطادها الهوامّ على اختلاف اجناسها وتخزنها في اوكارها لمعاش صغارها تجعل معها الهامَّة بيضةً واحدة في كلّ خليَّة . امَّا تلك البيضة فيمكننا سلفاً ان نعرف جنسها أعني بيضة ذكر او بيضة انثى . وان سألت كيف الوقوف على الامر ؟ أجبنا يكفي لتمييز جنسها ان ننظر الخلايا ومؤنتها فان كانت المؤنة كثيرة متوفّرة فالدليل انَّ الخليَّة ستوضع فيها بيضة انثى وان كانت قليلة فتلك للذكر . وفي كلا الحالين دليل على ان الام مخيَّرة بوضع بيض الذكور والاناث كما يسوقها اليهِ وهمها

ولنا في ذلك مثال في جنس الهوامّ المعروف بالأُومان (euméne) وهو من فصيلة الهوام المتبسطة الاجنحة (hyménoptére) لونهُ كلون الزنبور اسود واصفر

وهو فرد مستطيل القامة والقسم الاسفل من بدنه كالدبر الفخار يلتصق بشلوه بواسطة جهاز مستدق واذا اصطنع خلاياه من الطين عجنها بقوائمه ثم ملأها بدود صغير لا تبلغ الدودة ستة اشهر . وتكون الدودات حيناً خمساً وحيناً عشراً فالخلايا ذوات الخمس لا يدع فيها سوى بيض الذكور وذوات العشر كلها للاناث واذا انتهت الام من جمع المؤونة وضعت في قعر الخلية بيضتها وفقاً لجنس مولودها ما يبين جلياً بانها تلقي الذكور او الاناث كما تشاء باختيارها الغريزي

وقد لحظ المسيو فابر هذه القوة الاختيارية في تجنيس النسل في طوائف عديدة من الهوام . وذلك انه كان يعمد الى اوكار تلك الدويبات فيرقب صغارها عند انتهائها من أكل قوتها او بعد استحالتها الى دودة وكان يجعل ارقاماً لكل خلية حتى اذا جاء الربيع وبلغت الدودة كمالها بنبات اجنحتها ميز جنسها من انثى او ذكر . وكان يفتح اثر ذلك الخلية التي خرجت منها الهامة المجنحة فيفحص ما ابقته في الخلية من بقايا الطعام لان الدودة لم تأكل من كل فريسة غير اطرافها اللينة اما غلاف الرأس والقدمان والجلد الصلب فانها تنبذها وتتركها في قعر خليتها . فكان المسيو فابر يحصي هذه البقايا فيعرف بذلك كم من فريسة افترستها فان كانت الفرائس عشراً تحقق ان منها خرجت هامة انثى اما الخلايا ذوات الخمس الفرائس فكانت ابداً للذكور . وعلى هذا المنوال كان يمكنه ان يعرف كمية طعام كل جنس فيجد ان طعام الذكور هو نصف او ايضاً ثلث طعام الاناث . والام بجمعها ذلك الطعام وتقديرها الكمية كانت تهيئ لكل جنس ما يحتاج اليه من القوت لانها تعرف بوهمها انها ستجعل في الخلية ذكراً او اناثاً قبل ان تحتم تلك الخلايا بل قبل ان تبيض بيضها

وهذه الحقيقة لا تظهر في كل اجناس الهوام فان بعضها تلقي بيضتها على فريسة واحدة سواء كانت البيضة ذكراً او انثى فلا يمكن القول والحالة هذه ان الام شاعرة بجنس مولودها قبل وضعه . وانما تلوح في كل جلائها في الاصناف التي سبق وصفها والتي تسبق الام وتهيئ لصغارها كميات مختلفة من القوت للاناث او للذكور اذ انها لو لم تشعر سلفاً بما ستضعه من البيض اما ذكور او اناث لما أمكنها ان تحدد تلك الكميات المتباينة لكل جنس منهما . فيا لله ما اعظم تلك الهبة التي منحها الله هذه الهوام كأنها تعلم سابقاً ما يجري في رحمها وتستطيع ان تجنس نسلها

فيها على حسب مشيئتها . وهي لعمري احدى عجائب وَهَم الحيوان

فخلاصة الكلام ما اختصرهُ المسيو فابر في كتابهِ المنوَّه بهِ (IIIe Série, p. 426 et 433) : « انَّ الهوامَّ التي تختار لمواليدها قبل وضعها ما يوافقها من سعة الخلايا وكمّية الاقوات على حسب اجناسها من ذكور او اناث كالنحل وما اشبهها من الهوام الموصوفة سابقاً انما هي قادرة على تجنيس نسل بيضها على مقتضى ارادتها طبقاً لما تجدهُ امامها من الخلايا فتضع كل جنس في مكانهِ حتى انَّ الخلايا لو كانت كلّها او معظمها واسعةً اودعت فيها بيوض ذكور حتى ينحصر عدد الاناث بل يُنفَى تماماً والعكس بالعكس . فهذا دليل ساطع على انَّ تجنيس النسل موقوف على اختيار الامّ

« وهذه الخاصّة ذاتها قد مُنحتها الهوام المنبسطة الاجنحة التي تُقيت صغارها بما تصطادهُ لها من الحشرات والحيوانات على الاقل الاجناس التي تختلف فيها الاناث عن الذكور بكبر جسمها فيحتاج بعضها الى قوت اوفر او اقلّ . فلولا انَّ الامّ تعلم سابقاً بوهمها بما ستبيض في كل خليَّة من ذكور او اناث لمَا استطاعت ان تهيئ لكل جنس كميَّتهُ من القوت

« ويقال بالاجمال انَّ كلّ هامَّة لها مواليد ذكور واناث متباينة الجسم فينبغي عليها ان تهيئ سلفاً لكل من ذراريها منزلهُ وطعامهُ لا تقوى على ذلك الَّا بان تكون مفوَّضة بتجنيس نسلها لتوفّق دون غلط بين ذلك النسل والاحوال الخارجة المتسلّطة عليها

« وان سألني السائل ان اعلّل ذلك واشرح كيفيَّة الامر كان جوابي سلبيًّا لاني لستُ فيلسوفاً يبحث عن اسباب الاشياء وانَّما انا راوٍ اروي عجائب الطبيعة كما رأيتها بالعيان . لا بل اني ارى في تعليل اولئك الفلاسفة خللًا عظيماً لعدم موافقتهِ لما يجري في عالم الكون بحيث اضحيتُ لا أثق بتلك الآراء الفلسفيَّة . وعلى قَدْر ما اتعمَّق في درس هذه الهوامّ واتَّسع في الامتحانات يزيد ارتيابي في صحَّة تلك المذاهب الخياليَّة فلا ادري الجواب الصحيح على علل الكائنات الوضعيَّة »

فحسبنا هذا القول لنفي المذاهب الدروينيَّة وما شاكلها وهي كلها مبنية على الحدس والتخمين وذلك ما لا يرضى بهِ المسيو فابر فانَّهُ كالعلماء الاثبات يكتفي

بدرس كتاب الطبيعة الذي تلوح فيه الحقائق الراهنة المبنية بحكمة الخالق على خلاف اولئك الخياليين الذين يقدّمون اوهامهم على درس الطبيعة ويُسكتون صوتها لتغليب آرائهم الباطلة

الطهارة النصرانيّة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان ما كتبهُ صاحب المصوّر في حقّ النصرانيّة وما نسبهُ اليها زورًا من الفحشاء قد حدا بنا الى كتابة فصل نبيّن فيهِ ما خُصَّت بهِ الديانة المسيحيَّة من الطهارة حتى اصبحت الطهارة والنصرانيَّة كاسمَين مرادفين يلزم كلٌّ منهما الآخر

ظهر السيّد المسيح والشرك الوثني قد طبّق وجه المعمور فزرع في كل الخانهِ فساد الاخلاق وارجاس القلوب واستسلام الاجساد للفجور حتى كادت العهارة لا تدع في الارض بقعة خالية من فظائع النفس الأمّارة. فهذه تواريخ الرومان واليونان وهي طافحة من اخبار الفحشاء السائدة بين طبقات البشر مباشرةً بالقياصرة انفسهم الذين جعلوا قصورهم مأوى لصنوف القبائح حتى الارجاس المنافية للطبيعة كما يخبر المؤرخون عن طرايان وادريان وكلاهما من افاضل القياصرة. وقس عليهِ بقيَّة اعيان الرومان وسدَنة مياكلهم الى آخر طبقات الشعب وغوغاء القوم دون استثناء حكمائهم وفلاسفتهم الذين وصفهم الرسول بهذا الوصف الصادق ورسمهم بسمة العار بقولهِ (رومية ١: ١١—٢١): «انهم لمّا عرفوا الله لم يمجّدوهُ ولم يشكروهُ كإله... وقد زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركهُ الفساد بشبه صورة انسان ذي فساد وطيور وذوات اربع وزحّافات ولذلك اسلمهم الله في شهوات قلوبهم الى النجاسة لفضيحة اجسادهم في ذواتهم... اسلمهم الى رأي مرذول حتى يعملوا ما لا يليق ممتلئين من كل اثم وشرّ وزنى... لا فهمَ لهم ولا نظام ولا ودّ ولا عهد ولا رحمة». وان شئت البيّنات على قول الرسول حسبك ان تنظر حولنا آثار الفحشاء الوثنيَّة: هذه افقا مركز هيكل مبنيّ لتقديس الخلاعة

بدرس كتاب الطبيعة الذي تلوح فيه الحقائق الراهنة المبنية بحكمة الخالق على خلاف اولئك الخياليين الذين يقدّمون اوهامهم على درس الطبيعة ويُسكتون صوتها لتغليب آرائهم الباطلة

الطهارة النصرانيّة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان ما كتبهُ صاحب المصوّر في حقّ النصرانيّة وما نسبهُ اليها زورًا من الفحشاء قد حدا بنا الى كتابة فصل نبيّن فيهِ ما خُصَّت بهِ الديانة المسيحيَّة من الطهارة حتى اصبحت الطهارة والنصرانيَّة كاسمَين مرادفين يلزم كلٌّ منهما الآخر

ظهر السيّد المسيح والشرك الوثني قد طبّق وجه المعمور فزرع في كل الخانهِ فساد الاخلاق وارجاس القلوب واستسلام الاجساد للفجور حتى كادت العهارة لا تدع في الارض بقعة خالية من فظائع النفس الأمّارة. فهذه تواريخ الرومان واليونان وهي طافحة من اخبار الفحشاء السائدة بين طبقات البشر مباشرةً بالقياصرة انفسهم الذين جعلوا قصورهم مأوى لصنوف القبائح حتى الارجاس المنافية للطبيعة كما يخبر المؤرخون عن طرايان وادريان وكلاهما من افاضل القياصرة. وقس عليهِ بقيَّة اعيان الرومان وسدَنة مياكلهم الى آخر طبقات الشعب وغوغاء القوم دون استثناء حكمائهم وفلاسفتهم الذين وصفهم الرسول بهذا الوصف الصادق ورسمهم بسمة العار بقولهِ (رومية ١: ١١—٢١): «انهم لمّا عرفوا الله لم يمجّدوهُ ولم يشكروهُ كإله... وقد زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركهُ الفساد بشبه صورة انسان ذي فساد وطيور وذوات اربع وزحّافات ولذلك اسلمهم الله في شهوات قلوبهم الى النجاسة لفضيحة اجسادهم في ذواتهم... اسلمهم الى رأي مرذول حتى يعملوا ما لا يليق ممتلئين من كل اثم وشرّ وزنى... لا فهمَ لهم ولا نظام ولا ودّ ولا عهد ولا رحمة». وان شئت البيّنات على قول الرسول حسبك ان تنظر حولنا آثار الفحشاء الوثنيَّة: هذه افقا مركز هيكل مبنيّ لتقديس الخلاعة

والنجاسة تحت كنف عشتاروت والزهرة. هذه جُبَيل مقام ادونيس اله العشق الدَّنِس. هذه بعلبكّ وهيكلها الفخيم الملطَّخ بكل اقذار الوثنيَّة. وكذا قل عن كل سواحل فينيقية بل حيثما رفَّف النسر الروماني ورعى مجاياتِه الاديان الاسيوية الجامعة لكل مآثم الاقدمين

*

وُلد الطُّهرُ يوم مولد عيسى والمروّاتُ والهدى والحياء
وازدهى الكونُ بالوليد وضاءت بسناهُ من الثرى الارجاء
وسرتْ آيةُ المسيح كما يَسْـــري من الفجر في الوجودِ الثراء (شوقي)

تلك آيةُ المسيح التي عُرف بها واختارها ميزةً لشخصهِ الكريم ولاهل دينهِ المستقيم اعني الطهر والنقاوة. فانهُ وُلد جلَّ جلالهُ من والدةٍ عذراء. اختـار لهُ اباً بالذخيرة شبيهاً بالعذراء مريم في طهارتهِ وعفافهِ. اتَّخذ لهُ سابقاً امام وجهـهِ يوحنَّا المعمدان الذي قدَّسهُ في احشاء والدتهِ ومات شهيد الطهارة لدفاعهِ عن حقوق سرّ الزواج الطاهر. اصطفى لهُ من التلاميذ والحواريين قوماً من ذوي الصلاح شهد لنقاوتهم (يو ١٣: ١١) واحبَّ منهم اعظمهم طهراً يوحنَّا الحبيب لانهُ كان بتولاً واليهِ سلَّم امَّهُ الطاهرة على الصليب (يو ١٩: ٢٣). افتتح دعوتهُ لبني اسرائيل بتطويب الطهارة بقولهِ (متى ٥: ٨): «طوبى للانقياء القلوب فانَّهم يعاينون الله». لم يكتفِ بتحريم الزنى بل حرَّم الفكر بهِ وبجرَّد النظر الى المرأة على سبيل الشهوة. هو وحدهُ امكنهُ في وسط كل اعدائهِ ان يفحمهم بقولهِ (يو ٨: ٤٦): «من منكم يثبت عليَّ خطيئةً». وان كان اولئك الاعداء اخذوا عليهِ انهُ يأكل مع الخطأة ويتردَّد معهم كان جوابهُ حاضراً انهُ هو الطبيب الذي اتى ليدعو الخطأة ليشفيهم من اسقامهم الادبيَّة ويردَّ قلوب الابناء الى ابيهم السماويّ بالتوبة النصوح. وقد بلغ بهِ حبُّهُ للطهارة انهُ اراد انَّ جسدهُ الطاهر لا يسكن زمناً قليلاً بعـد موتهِ الَّا في قبر جديد لم يوضع فيهِ احد قبلهُ (يو ١٩: ٤١)

وكما كان مثال الطهارة في كل حياتهِ اراد ان يمتاز تلاميذهُ ببراءة السيرة. وضع لهم اسراراً تنشئ في قلوبهم البرَّ والصفـاوة. وضع لهم سرّ العماد ليستأصل من

نفوسهم الخطيئة الاصلية. أيدهم بالروح القدس في سرّ التثبيت ليجاهدوا الجهاد الحسن ضد قوّات الارواح النجسة وشهوات العالم. منحهم سرّ التوبة حتى اذا خطئوا بفعل الضعف البشري ارعووا بالندامة تائبين الى ربّهم قائلين. اعطاهم خبز الملائكة ومنّ السماء (يو ٦: ٣١—٥٢) برّ المختارين والسلاف التي تنبت العذارى (زكريا ٩: ١٧). اعطاهم الزواج الطاهر ذا العروة الوثقى غير المنفصمة بالطلاق والذي يزين بالعفاف حياة الزوجين ويشرّف العيال المسيحيّة. اقام لهم كهنوتاً طاهراً تتدفّق الطهارة من معينه في اربع خوافق المعمود ويفرض غالباً على ذويه العفّة التامّة. فتح لهم اخيراً باب النعيم بعد ان يمسح الكهنة بالزيت المقدّس اعضاءهم لئلّا تبقى فيها تبعة الخطيئة (يعقوب ٥: ١٤)

وكل هذه الاسرار قد اودعها المسيح كنيسته التي اتخذها كعروسه الروحيّة « فاحبّها وبذل نفسه لاجلها ليقدّسها مطهّراً اياها بغسل الماء وكلمة الحياة ويهديها لنفسه كنيسةً مجيدةً لا كلف فيها ولا غضن ولا شيء مثل ذلك بل تكون مقدّسةً منزّهةً من كل عيب » (افس ٥: ٢٥—٢٧)

هي كنيسة المسيح التي نشرت بعد صعود عروسها الالهي الى السماء راية الطهر والقداسة فما حلّت في بلادٍ او مدينةٍ او قريةٍ الّا جعلت ميزتها البرّ والعفاف. قال الرسول بولس المصطفى لاهل كورنتس (٦: ٩): لا تضلّوا فانّهُ لا الزناة ولا عبّاد الاوثان ولا الفسّاق ولا المتدون ... يرثون ملكوت الله وقد كان بعضكم كهذا. ولكنّكم قد اغتسلتم وتقدّستم وبُرّرتم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح الهنا « الذي بذل نفسه لاجلنا ليفتدينا من كل اثم ويطهّر لنفسه شعباً غيوراً على الاعمال الصالحة » ومثلهُ كان يحرص بقيّة الرسل على المدعوّين للنصرانيّة حتى انّ بطرس الصفا في رسالته الاولى (٢: ٤—١١) لم يأنف ان يوجّه بهذا الكلام الى المؤمنين: « كونوا انتم ايضاً مبنيّين كالحجارة الحيّة بيتاً روحيّاً وكهنوتاً مقدّساً لإصعاد ذبائح روحيّة مقبولة لدى الله بيسوع المسيح ... انتم جيلٌ مختار وكهنوت ملوكي وامّة مقدّسة وشعبٌ مقتنى لتخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب ... فأسالكم ان تبتعدوا عن الشهوات التي تحاربُ النفس »

تلك كانت دعوة الرسل للنصارى الاوّلين. وعلى مثالهم جرى خلفاؤهم فلا ترى

في اعمال الآباء وفي تعاليم اللافنة ومواعظ الخطباء شرقاً وغرباً وجيلاً بعد جيل الى يومنا الّا التحريض المتواتر على لزوم الطهارة والتجرُّد عن الشهوات الباطلة. فلو اردنا ان نجمع ما كُتب في الكنيسة المسيحيَّة منذ القرون الاولى للنصرانيَّة من عهد اقليمنس واغناطيوس واوريجانس وترتليان الى عهدنا عن الطهارة في كل مظاهرها لأَلَّفنا مكتبة واسعة تضاهي اكبر الخزائن الكتبيَّة. ولا غرو فان الفم ينطق كما قال السيِّد المسيح من ملء القلب (متى ١٢: ٣٤)

وليست تلك التعاليم ميتةً منزويةً في بطون الكتب لكنَّها حيَّةٌ ناطقة مؤثرة في القلوب فالكنيسة لا تزال تدعو ابناءها الى الطهارة بكل الوسائل. تدعوهم اليها باسرارها المقدَّسة مصدر القداسة وينبوع البرارة. تدعوهم اليها برُتبها الجليلة التي تحيي في النفوس ذكر البرّ والصلاح. تدعوهم اليها بالتصاوير التقويَّة المزيَّنة بها جدران هياكلها التي تمثل غالباً الطهر والعفاف او جهاد القديسين في سبيل البرّ ليفوزوا بنفوسهم بتضحية كل شهوات العالم. تدعوهم اليها بمراسمها واعيادها المتَّصلة في عامَّة السنة كسلسلةٍ سماويَّة تعتصم بها النفوس. تدعوهم اليها باعمال التوبة كالصوم والانقطاع عن بعض المآكل الدسمة ليعرف المؤمن ان يقمع اهواء قلبه ويؤوب الى الله بانسحاق القلب وتجديد حلَّة برارته بغسلها بدموعه وبدم الحمل الالهي. تدعوهم اليها بمواعظ رُعاتها وبالرياضات التقويَّة والتفرُّغ لتأمُّل حقائق الآخرة وبتخصيص فئة من رجالها لا همَّ لهم الّا صيانة كنز الطهارة في قلوب المؤمنين ورحض النفوس من ادرانها لتكون هياكل مقدَّسة يسكنها الروح القدس بنعمته ويؤهلها لفردوس الابرار

فمن يجسر يا تُرى ان يقول — الّا الكاذب المنافق او الجاهل المطبق — بان هذه الوسائل قليلة او قاصرة فيحتجّ بمثال بعض الجهَّال من النصارى الذين رغماً عن الكنيسة وارباب يطلقون العنان لشهواتهم القبيحة كأنَّ النصرانيَّة هي المسئولة عن اعمال هؤلاء الاشرار وهي اوَّل من يتأسَّف لمآثمهم بل رُبَّما رشقتهم بسهام حرومها واوجبت عليهم عقوباتها الروحيَّة وزواجرها الادبيَّة رافعةً حكمهم الى المسيح الديَّان في يوم الحساب حيث ينالون الجزاء عمَّا اقترفوهُ من الذنوب

على انَّهُ والحمد لله ليس هؤلاء بالعدد الاوفر. فانَّ ابناء كنيسة المسيح قد عرفوا

في كل آونة وازمنة انَّ في الطهارة عزَّهم وشرف دينهم فلصَوْن تلك الجوهرة الثمينة ضحّوا لكل نفس ونفيس

فليت شعري ما الذي حمل الألوف المؤلَّفة من شهداء النصرانيَّة على اقتحام كل عذابات المتعصبين الَّا فرارهم من ارجاس الوثنيَّة واقذارها الدنسة فآثروا الموت كراماً على كل الملاذ المحرَّمة :

يستعذبون منايا هم كأنَّهم لا يأمنون من الدنيا اذا قُتلوا

وكثيرًا ما كان يترصَّد المضطهدون اعفاف النصارى فضلًا عن دينهم . فليقرأ من احبَّ تراجم تلك العذارى الصالحات اللواتي جاهدن جهاد الابطال عن كنز طهارتهنَّ لم يكترثن لا الوعد ولا الوعيد فقضينَ في عزّ شبابهنَّ ونلنَ بموتهنَّ اكليلًا مضاعفاً اكليل الاستشهاد واكليل البتوليَّة . هذه اكوبلينا الجُبيليَّة . هذه كاترينا الاسكندريَّة . هذه سيسيلية الرومانيَّة . هذه اغاثا الصقليَّة . فكلهنَّ وربوات مثلهنَّ تفتخر بهنَّ كل بلاد النصرانيَّة وتتقلَّد آثارهنَّ

وان انتقلت مذ اوائل القرن الرابع للمسيح الى القرون التالية فتوغَّلتَ بوادي جزيرة العرب والعراق وما بين النهرين او قفار اوربَّة لرأيت قوماً لا يفي بهم احصاء من رجال ونساء بينهم الملوك والاشراف والعلماء والفتية والفتيات في زهرة العمر فكل هؤلاء ماذا قصدوا بخروجهم من العالم بزهدهم في حطام الدنيا بنبذهم كل ملاذ الحياة بعيشهم الشظف التقشف سوى حفظ طهارتهم من وباء العالم الشرّير . فازهرت بهم الصحاري والفلوات التي حوَّلوها الى حدائق سماويَّة عطَّرت الشعوب باريج فضائل اصحابها

ومثلها الاديرة التي كان يتقاطر اليها الجماهير من المسيحيين ليعيشوا فيها عيشة الملائكة في اجساد بشريَّة . وهذه الاديرة تُعدّ بالالوف في كل انحاء المسكونة وكثيرًا ما فاح اريج فضل ساكنيها في جهات الشرق وبهمَّتهم سلمت العلوم القديمة كما سلمت الآداب بمثال مناسكهم وقداسة حياتهم

وبين هؤلاء الصالحين نفوسٌ تعشَّقت العفاف والبتولة فبرزت في هذا الميدان الروحيّ . فكلٌّ من يتفوَّه باسماء لويس غونزاغا واستنسلاوس كستكا ويوحنَّا بركمانس وترازية ووردة اميركة يتعطَّر لسانهُ بذكرى طهرهم الملائكي فاقتصَّ الوف

من الشبّان آثارهم وتقلّدوا فضائلهم ومبرّاتهم وماتوا ناشرين ألوية البرارة لم يدنّسوا ثوبهُ بشائبةٍ مهما كانت صغيرة

وليس عصرنا هذا رغماً عمّا انتشر فيهِ من الفساد بمساعي اهل الكفر خالياً من فتآت المسيحيين التابعين للحمل الطاهر وللبتول الطاهرة بالعيشة البارّة المتزّهة عن كل عيب صارخين مع الشاعر :

فالمنايا ولا الدنايا وخيرٌ ركوب الهنا ركوب الجنازه

أدخل ان شئت ان تختبر الامر في دير راهبات السجود او راهبات المحبّة او راهبات العجّز او ايّ دير كان افليس تعدُّ نفسك في عالم اسمى وارفع من عالمنا هذا اعني عالم النقاوة والفضيلة والعيشة الملائكيّة

وكم عرفنا من شبّان وشابّات ترى على محيّاهنّ ملامح النقاوة وصفاوة القلوب يشعر من يتقرّب اليهم بعواطف سامية شريفة تنسيه الارض ودناوتها. اذا سمعوا كلمة مستهجنة او رأوا فعلاً ذميماً نفروا منهُ نفور المرء من الدّ اعدائه وعدُّوا العالم وكنوزهُ كزبل بمثابة كتر طهارتهم

ولا نقول ذلك على سبيل الحدس والتخمين فانّا نحن الكهنة نبلغ الى اعماق القلب البشري ونشاهد مكنوناتهِ وطيّاتهِ. فكم من مرّة شكرنا الربّ على ما وجدنا في نفوس الاخيار من البرّ والطهارة وتحقّقنا انّ لله اصفياء لم يسقطوا قطّ في اشراك شيطان الخلاعة بل كادوا لا يعرفون اخفّ الخطايا والزلّات

وكما عرفنا الطهارة في الافراد بل وجدناها في معظم العيال المسيحيّة فانّ الزواج المقدّس ربط القلوب بروابط امتن من علاقات الاجساد فدخلت الفضيلة في تلك البيوت وجعلت كل اهلها متمتّعين بسعادة الحياة الصالحة ونفت عنها كل دواعي النفور مشاطرين بعضهم السرّاء والضرّاء بالصبر والتؤدة مباركين لله في كل ما تقدّره عنايتهُ الابويّة

فالشكر كل الشكر لكنيسة المسيح التي رفعت بين الشعوب منار الطهارة واظهرت للعالم فضل البرارة فانها وحدها التربة التي تنبت فيها زنبقة العفاف وتجنب الى النفوس السيرة الفضلى وتؤهلهم الى العيشة السماويّة بصحبة الملائكة والابرار والحظوة بنظر الله الذي لا يعاينهُ وجهاً لوجه الّا انقياء القلوب

مطبوعات شرقية جديدة

HISTOIRE DE LA CIVILISATION par Henry Joly. Paris, Bloud et Gay, 1914, VIII-311

تاريخ الحضارة

المسيو هنري جولي احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة ومن الكتبة الممتازين. على انَّهُ لم يصنِّف هذا الكتاب للعلماء بل لناشئة وطنهِ ليوقفهم في صفحات قليلة على مجمل تاريخ الحضارة في العالم منذ الامم الاولى الى عهدنا وقد افتتح كتابهُ بفصل في تعريف الحضارة وموضوعها واساسها وحدودها. ثم تتبَّع الامم من قديمة ووسطى وحديثة في الشرق والغرب وروى بالاجمال ما افادت بهِ الحضارة بانشاء المشاريع العموميَّة في كل فنّ من آداب وتعليم وفنون جميلة ومنشئات خيريَّة وغير ذلك. مبيّناً ما لكل منها من الفوائد او ما صدر عنها من الاضرار. وهو يتَّسع خصوصاً في وصف الحضارة النصرانيَّة ويثبت فضلها على الحضارة الوثنيَّة من وجوه شتى وذلك بفضل الدين المسيحي الذي لم يقصر نظرهُ على الحضارة المادِّيَّة كالامم الوثنيَّة لكنَّهُ سعى طاقة جهدهِ في تحسين احوال الشعوب وترقية الآداب وتأسيس الفضيلة في قلوب البشر. وقد خصَّ بوصفهِ للحضارة الفرنسويَّة وبيَّن ما نالهُ تمدُّن فرنسة من فضل اساقفتها وارباب دينها الكاثوليكي... ولا يسكت عمَّا يجدهُ في بلادهِ من الخلل منذ تغلَّبت عليهِ الثورة الفرنسويَّة وخفَّت سلطة الدين. فترى من هذا ان الكاتب فيلسوفٌ اكثر منهُ تاريخي وذلك ممَّا يزيد كتابهُ نفعاً لكل قرَّائهِ. وهو من الكتب التي تستحقُّ ان تُنقل الى العربيَّة ليستفيد منهُ الشرقيُّون الفوائد الجمَّة التي تهمُّهم كما تهمُّ الغربيين

الاب غ - نيرون

The Pearl-Strings: A HISTORY OF THE RESULIYY DYNASTY OF YEMEN by 'Aliyy'ubnu'l-Hasan el-Khazrejiyy. The Arabic text edited by Shaykh Muhammad 'Asal (E. J. W. Gibb Memorial), *vol. IV*, 1913, *Luzac, London*, XII-442

كتاب العقود اللؤلؤيَّة في تاريخ الدولة الرسوليَّة

هو تاريخ فريد في بابهِ وضعهُ الشيخ عليّ بن الحسن الخزرجي المعروف بالنَّابة

المتوفى سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) وضمّنهُ اخبار بني الرسول احدى الدول اليمنيّة المنتسبة الى بني غسّان. وكان هذا الكتاب اعزّ من بيض الانوق لم تُعرف منهُ الّا نسخة واحدة في خزانة كتب الهند في لندن فاطّلع عليها الدكتور سير جيمز ردهوس (Sir James Redhouse) فكَلِف بها وشرع في نسخها بخطّ يدهِ ثمّ نقلها الى الانكليزيّة وذيّلها بالحواشي المفيدة واضاف اليها الفهارس لكنّ الموت حال دون رغبتهِ في نشر هذا الاثر الجليل فتولّت جمعيّة المرحوم جبّ نشرهُ على ذمّتها فطُبعت اوّلًا الترجمة الانكليزيّة والفهارس في ثلثة مجلّدات بسعي ثلاثة من المستشرقين (E.G. Browne, R. A. Nicholson et A. Rogers) امّا الاصل العربي فعُني بنشرهِ بعد تصحيحهِ وتنقيحهِ الشيخ محمّد بسيوني عسل احد خرّيجي دار العلوم الخديويّة ومدرّس اللغة العربيّة في كليّة كمبردج بانكلترّة فاصدر منهُ آخرًا قسمهُ الاوّل وفيهِ اخبار الدولة المعروفة بالرسوليّة المنسوبة الى محمّد بن هارون الملقّب بالرسول الذي دخل في خدمة الخليفة المستنجد بالله وحارب اليمن كاحد عمّال بني عبّاس ثمّ قام بعدهُ ابناؤهُ فاستقلّوا في الحكم وملكوا على اليمن من السنة ٦٢٦ الى ٨٥٨ هـ (١٢٢٩—١٤٥٤ م). وفي هذا القسم خلاصة ما يُعرف عن اصل تلك الدولة ثم تاريخها الى سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) . فلهذا الكتاب منافع جمّة وهو مطبوع في مطبعة الهلال في مصر طبعاً جيّدًا ولكن دون اقسام أخرى طُبعت سابقًا طبعاً اتقن كتاريخ ابن عمر الكندي ولاة مصر وقضاتها الذي طُبع عندنا. كما انهُ يحتاج الى بعض شروح وملحوظات في ذيل الكتاب سها عنها الطابع

ل . ش

L'EGYPTE MONUMENTALE ET PITTORESQUE par C. Lagier. Vromant Cie. Bruxelles, 1914, pp. 240

مصر المادّيّة الرائعة

الاب كاميل لاجيه سكن سنين طويلة مصر فاستفزّتهُ تواريخها واحوالها القديمة والحديثة وابنيتها الجبّاريّة ومآثرها العديدة فنبذ كل الشواغل التي كان من شأنها ان تلهيهُ عن معرفة وادي النيل وعجائبهِ المختلفة فتفرّغ لدرس الرسوم الهيروغليفيّة وتردّد الى المتاحف الفنيّة وآلف اساطين العلوم المصريّة حتى بزغ في معرفة حضارة المصريين القديمة فكتب في المجلّات والمعاجم عدّة فصول استوقفت

انظار العلماء بدقتها. وها هوذا قد اتحفنا بكتاب اوسع جمع فيه اوصاف مصر وعجائبها ومآثرها القديمة او المكتشفة مؤخرًا مع بيان اخبارها وتواريخها وذلك على طريقة سهلة مبهجة يستلذ منها القرّاء سواء كانوا من العلماء لفوائدها الجمّة وضبط معلوماتها او من اواسط القوم لحسن انشاء كاتبها وتفننه في الكتابة. فيرافقون المؤلف في سياحته بكل رغبة ويتخذونه كدليل خرّيت يحيي في عينهم مصر الفراعنة مباشرةً بمنف واهرامها ومدافنها ومساطبها المجاورة لها كسقّارة ثم الآثار الواقعة بين مصر الى ثيبة كبني الحسن وتلّ العمارنة ومدفن ابيدوس ثم التعميد وهياكله كالاقصر وكرنك ودير البحري ومدينة هبو. وكل هذه الاوصاف مقرونة بتصاوير شتّى متقنة تمثل في اعين القارئ ما يمثله الكاتب بقلمه لمخيلته ومشاعره مع ما ينقله من كتابات قدماء المصريين المدوّنة على تلك الآثار فكأنهم يقومون من قبورهم ليوقفوا اهل عصرنا على احوالهم السالفة. وفي آخر الكتاب فهرس محكم لموادّه. فشكرًا لمصنف هذا التأليف وافادنا الله زمنًا طويلًا بمصنفاته العلميّة

ل. ش

مختصر تاريخ لبنان لطلبة المدارس

تأليف لحد صعب خاطر

طُبع بالمطبعة العلميّة ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٤ (ص ١٨٤)

هذا اوّل كتاب مدرسيّ صدر الى يومنا في تاريخ لبنان. فقد تصفّحناه بكل شوق فتحقّقنا انّ مؤلفه من اصحاب الذكاء والتروّي وكثرة الاطّلاع وحسن الذوق. وقد وجدنا في الكتاب صدى كثير من الابحاث التي افاضت فيها سابقًا مجلّة المشرق فاستفاد المؤلف منها وقد سررنا انّها مهّدت له الطريق لوضع كتابه. وافتتح القسم التاريخي من تأليفه بعدّة ابحاث مفيدة في جغرافيّة لبنان وحدوده واسمه وانهاره وتربته وحيوانه ونباته وصناعته وعادات اهله ولغاتهم القديمة والحديثة واديانهم وطوائفهم. ثمّ انتقل الى تاريخ الجبل في اطواره الثلثة التاريخ القديم الى آخر الدولة اليونانيّة ثمّ التاريخ المتوسّط من الفتح الروماني الى آخر الدول المصريّة التركمانيّة وآخرًا تاريخ الفتح العثماني سنة ١٥١٦ الى عهدنا. والمؤلف قد نظّم كتابهُ على طريقة السؤال والجواب ولم يدع بحثًا مهمًّا الّا خاضهُ واختصرهُ وحكم فيه بانصاف

وحرّيّة. ولا عجب ان يكون وقع في هذا الكتاب بعض شوائب لم تبخس شيئاً من قدره وانّما يحسن بالمؤلف ان يعمل النظر في كتابهِ ليزيدهُ ضبطاً واتقاناً فيصبح ركناً لعلم التاريخ الوطني في مدارسنا. وممّا يجب اصلاحهُ ما قيل (ص ٥٧—٥٨) عن حروب يوستنيانوس الاخرم والمردة فانّهُ لا اساس لهُ في التاريخ الصحيح. وكذلك لم يبق في لبنان امراء مردة بعد القرن السابع وعليهِ لا يجوز نسبة الحروب الاربع اليهم بعد خروج الفرنج من الشام (ص ٧٢). وكذلك وهم جناب المؤلف بقولهِ (٢٧) ان اوّل مطبعة لبنانيّة في قزحيّا تاريخها سنة ١٥٨٥ وانّما تاريخها سنة ١٦١٠ ولا يعرف من هذه المطبعة الّا كتاب واحد وهو كتاب المزامير بالسريانيّة والكرشونيّة. ثمّ عليهِ ان يزيد على اللغات الشائعة في لبنان اللغة الاشوريّة ومنها مراسلات تل العمارنة من كتابات امراء سواحل لبنان الى ملوك مصر. وقد وقع اغلاط اخرى في الاعلام كجيفرتا (ص ٤٨) والصواب جيفرتا. وكالاريوطيون (ص ١٨١) والصواب الايطوريون. والكتاب ينتهي بذكر حكومة لبنان الجديدة بعد سنة ١٨٦٠ الى عهد دولة المتصرّف الجديد اوهانس باشا يليه بعض ملحقات في المجلس اللبناني الكبير والسلك القضائي وتقسيم لبنان الاداري وجنديّتهِ. فنشكر مؤلف هذا الكتاب شكرًا صادقاً ونتمنّى لكتابهِ رواجاً كبيرًا ل. ش

سعادة الشبّان بطهارة الابدان

بقلم يوسف ابي كرم البرّماني

طُبع في المطبعة الانطونيّة ببعبدا (لبنان)

قد قال الاقدمون انّ كمال المرء ان يجمع بين العقل السالم والجسم السالم. ولا يسلم الجسم الّا اذا نبذ الشهوات البدنيّة المحرّمة وحفظ بكل حرص طهارة الفؤاد. ولمّا رأى جناب مؤلف هذا الكتاب تهاوُن بعض اغرار الشبّان على الثمرة المحرّمة فأُصيبوا ببلايا عديدة دنّست امام الله نفوسهم البارّة وعرّضت ابدانهم الى اسقام مهلكة دفعت بهِ حميّتهُ الى تصنيف هذا الكتاب ليعظّم موهبة الطهارة ويقبّح الدعارة ببيان عواقبها السيئة. فنيّةُ الكاتب حسنة شريفة لولا انّهُ مسّ ذاك الموضوع اللطيف مسيس الطبيب لمرض مُعدٍ او الجرّاح لقرحة شنعاء. وكلاهما لا يقوم بعملهِ الّا في معاهد سريّة لئلّا تفشو العدوى وتنبعث رائحة القرح المنتنة. فما كان

احرى بالمؤلف ان يتحاشى في كتابهِ الموجَّه لافادة الشبَّان كثيرًا ممَّا كتبهُ هناك من اخبار الفجور واوصاف الامراض الزهريَّة التي تهيّج اهواء الشبيبة اكثر من ان تخمدها. وعليهِ لا يحسن وضع هذا الكتاب الَّا بكل تحفُّظ في ايدي الناشئة لئلَّا يأتي بعكس المقصود ولا ننكر انَّ في الكتاب صفائح حسنة تنفر الشبَّان من اهواء قلوبهم الَّا ان صفحات غيرها تعلّم كثيرين ما يجهلونهُ لحسن طالعهم وتقاهم وجودة تربيتهم. وقد وُضعت في هذه السنين الاخيرة كتب حسنة كتبها رجال افاضل في هذه المواضع بكل هيبة وتقيَّة فكان الاولى لو ترجمت الى العربيَّة. وممَّا استحسنَّاهُ كتابٌ لسلفانوس استارل نقلهُ في مصر سليم افندي الخوري عنوانهُ « عفَّة الاولاد » يحسن وضعهُ في ايدي الاحداث اذا نشأوا واعماقهم خطر فقد طهارتهم. وقد اثنينا على كتاب آخر في المشرق سنة ١٩١٢ (١٥ : ١٥٦) عنوانهُ « تهذيب العفَّة » (l'Education de la Chasteté) لابرين يسوعيين ل. ش

دموع الاسى

جُمعت بعناية الياس افندي نقولا الظاهر

طُبع في بيروت مطبعة جدعون سنة ١٩١٤ (ص ٢٢)

لم ترقأ الدموع التي افاضها الوطنيُّون تأسفاً على فقيدي الفنّ والوطن الطيَّارين « فتحي وصادق ». فتخليدًا لذكرهما اهتمَّ الاستاذ الياس افندي نقولا الظاهر بجمع ما جادت بهِ اقلام الادباء نظماً ونثرًا عند وقوع ذاك المصاب الاليم. وقد ظهر من هذا المجموع كرَّاسهُ الاوَّل على نفقة توفيق افندي كبوش صاحب مكتبة التوفيق

برنامج جمعيَّة طوبيا البار المارونيَّة

عن سنتيها (منتصف ١٩١١ الى غاية ايلول ١٩١٣)

هذه الجمعيَّة تقوم باحد اعمال الرحمة الجسديَّة التي يجازيها الربّ بفيض بركاتهِ على اصحابها وها هي تُعنى بذاك العمل المبرور منذ ثلاثين سنة بثبات ومزيد نشاط. وقد افادتنا لجنتها العاملة في مقدَّمة البرنامج انها « قامة بتأسيس مكتبة بديعة جعلت موقعها في غرفة كبيرة الى جانب كنيسة القديس مارون قصد ان تخدم بها روَّاد العلم. ثمَّ ذكرت ما تبرَّع بهِ عليها المحسنون من المطبوعات وقد ساءنا انَّا وجدنا في جملتها كتباً لا تليق بمكتبة كاثوليكيَّة كبعض روايات غير مهذَّبة ودواوين مشقيَّة

كمجنون ليلى ومدح النسيب وكتب دينيّة غير كاثوليكيّة كصلوات الثناء للنبهاني. فهذه الكتب وغيرها وان كانت هدايا لا يجوز نظمها في مكتبة عمومية ل.ش

هدايا أرسلت الى ادارة المشرق

١ قرار اللجنة المارونيّة الرئيسيّة لتنسيق حفلات يوبيل غبطة السيّد الجليل مار الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكية وسائر المشرق

٢ مناشير وعائيّة بنسبة الصوم لنيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني في حرّية الضمير . ولغبطة بطريرك الطائفة المارونيّة في التواضع المسيحي . ولغبطة مار غمّانويل يوسف توما بطريرك بابل على الكلدان في واجبات العائلات المسيحيّة

٣ ينبوع السلوان من فوائد القرآن نشرهُ احد المتعبدين للانفس المطهريّة (في مطبعة الاجتهاد في بيروت ص ٣٢)

٤ تقرير جمعيّة المعارف لسنتها الثانية مع قانون هذه الجمعيّة التي غايتها نشر المعارف في الطائفة الدرزيّة

٥ تأبين المرحوم الطيّب الذكر فارس شاهين كرم للخوري يوسف الدمشقي (في المطبعة الكاثوليكيّة . بيروت ص ١٤)

٦ الشجى النشيد في رثاء ابي الرشيد . مجموع مراثي المغفور لهُ الشيخ بوحنّا راشد نجيم جمعهُ جبور افندي حريقة (في المطبعة اللبنانيّة ص ٣٠)

٧) الحكم في البنت المصريّة او عن محكمة بداية قضاء الفنون الجليلة (المطبعة اللبنانيّة ص ٢٠)

شذرات

الفرنج في مدارس عرب الاندلس في مقالة عنوانها آثار الساميين صدرت في شهر آذار المنصرم في مجلة الهلال أتبع جرجي افندي زيدان في ذكر ما للشرقيين من الفضل على اهل الغرب. فباشر بذكر آثار الفينيقيين ثم المصريين ثم انتقل الى آثار الساميين العلميّة بعد الاسلام وافتتح هذا القسم بفصل عنوانهُ « ما تعلّمهُ الافرنج في مدارس العرب » وزعم هناك (ص ٤١١) « انّ طلّاب العلم من الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم كانوا يتزاحمون في مدارس العرب » و « ان الافرنج استفادوا من تلك المدارس فوائد علميّة وادبيّة لا ينكرونها » وخصّ بالذكر « البابا سلفستر الثاني في القرن الحادي عشر للميلاد قبل ان يصير حبرًا وكان اسمهُ جربر » الخ وقد احال الكاتب الى كتابه التمدّن

كمجنون ليلى ومدح النسيب وكتب دينيّة غير كاثوليكيّة كصلوات الثناء للنبهاني. فهذه الكتب وغيرها وان كانت هدايا لا يجوز نظمها في مكتبة عمومية ل.ش

هدايا أرسلت الى ادارة المشرق

١ قرار اللجنة المارونيّة الرئيسيّة لتنسيق حفلات يوبيل غبطة السيّد الجليل مار الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكية وسائر المشرق

٢ مناشير وعائيّة بنسبة الصوم لنيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني في حرّية الضمير . ولغبطة بطريرك الطائفة المارونيّة في التواضع المسيحي . ولغبطة مار غمّانويل يوسف توما بطريرك بابل على الكلدان في واجبات العائلات المسيحيّة

٣ ينبوع السلوان من فوائد القرآن نشرهُ احد المتعبدين للانفس المطهريّة (في مطبعة الاجتهاد في بيروت ص ٣٢)

٤ تقرير جمعيّة المعارف لسنتها الثانية مع قانون هذه الجمعيّة التي غايتها نشر المعارف في الطائفة الدرزيّة

٥ تأبين المرحوم الطيّب الذكر فارس شاهين كرم للخوري يوسف الدمشقي (في المطبعة الكاثوليكيّة . بيروت ص ١٤)

٦ الشجى النشيد في رثاء ابي الرشيد . مجموع مراثي المغفور لهُ الشيخ بوحنّا راشد نجيم جمعهُ جبور افندي حريقة (في المطبعة اللبنانيّة ص ٣٠)

٧) الحكم في البنت المصريّة او عن محكمة بداية قضاء الفنون الجليلة (المطبعة اللبنانيّة ص ٢٠)

شذرات

الفرنج في مدارس عرب الاندلس في مقالة عنوانها آثار الساميين صدرت في شهر آذار المنصرم في مجلة الهلال أتبع جرجي افندي زيدان في ذكر ما للشرقيين من الفضل على اهل الغرب. فباشر بذكر آثار الفينيقيين ثم المصريين ثم انتقل الى آثار الساميين العلميّة بعد الاسلام وافتتح هذا القسم بفصل عنوانهُ « ما تعلّمهُ الافرنج في مدارس العرب » وزعم هناك (ص ٤١١) « انّ طلّاب العلم من الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم كانوا يتزاحمون في مدارس العرب » و « ان الافرنج استفادوا من تلك المدارس فوائد علميّة وادبيّة لا ينكرونها » وخصّ بالذكر « البابا سلفستر الثاني في القرن الحادي عشر للميلاد قبل ان يصير حبرًا وكان اسمهُ جربر » الخ وقد احال الكاتب الى كتابه التمدّن

الاسلامي فراجعناهُ لننظر الى اي سند يستند زعمهُ فلم نجد شيئاً مما كنا نؤملهُ . فما بقي لنا الّا أن نطلب من منشئ الهلال ان يجيبنا في بحثهِ فيعيّن لنا كتب العرب التي اعتمدها لذكر هذا الامر الجلل فانّنا راجعنا كتب تواريخ الاندلس لابن بشكوال وللضبّي وللقاضي صاعد الاندلسي ولابن الأبّار وللمقّري فلم نجد اثرًا لمزعمهِ . امّا قولهُ عن البابا سلفستر الثاني فقد نقلنا سابقاً في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٣١٩) شواهد العلماء تفنيدًا لقول الزاعمين بأنهُ درس في مدارس العرب في اسبانيـة . فان كان لصاحب الهلال حجّة منافية لقولهم فليتكرّم بها علينا والّا لصحّ لنا القول بانهُ يرمي الكلام على عواهنهِ ويكتب دون تروٍّ ليتزلّف الى قرّائهِ المصريّين بتضحية حقوق التاريخ . امّا اذا استند الى كتبـة من الفرنج فلا بُدَّ من تعريف اولئك الكتبة لان كثيرين منهم لا يعوَّل على شهادتهم كسيديليو وامثالهِ الذين يهرفون فيما لا يعرفون وزيّف المحدثون مزاعمهم ولا نقول ذلك لننكر فضل العرب وانّما نريد ان تُثبت الحقائق التاريخيّة بالبراهين لا بالاوهام والتخيُّلات

اشارة الصليب والاشارات الماسونيّة منذ كتب جرجي افندي زيدان تاريخـهُ (بل قل رومانهُ) العمومي للماسونيّة لم يزل يطلب للمشيرة حجاباً ينفي عنها سوء ظنّ الناس بحفلاتها السريّة فلم يجد لذلك غير اعمال المسيحيين الاوّلين في عهد المضطهدين حيث كانوا يجتمعون في الخفيـة لاقامة رتب ديانتهم . وزعم في عددهِ الاخير (مارس ١٩١٤ ص ٤٥٩) « ان النصارى بدأوا يرسمون علامـة الصليب في اوائل القرن الثاني للميلاد » وانهم « جعلوا تلك العلامة سريّة يتعارفون بهـا نحو تعارف الماسون باشاراتهم » الى ان قال : « وكانوا اذا انضمّ اليهم عضو جديد يقسم انهُ لا يكاشف باسرارها غير المستحقين وكانت تلك الاسرار طبقات يتدرّج فيها الطالب مرتبةً بعد اخرى ولا يطّلع على كلّ تعاليم الديانة المسيحية الّا اهل الدرجات العليا وكانت لها علامات واشارات سريّة اشهرها اشارة الصليب » فترى من هذا الوصف انّ جرجي افندي زيدان يعدّ النصرانيّـة الاولى اشبه شيء بالماسونيّـة فلا ندري كيف لا يستنكف جنابه عن كتابة كهذه وهو يعرف انّ بين الماسونيّة والنصرانيّة فرق الثريا والثرى وانّ استخفاء النصارى الاوّلين كان موقّتاً عملًا بالفطنة لا خبثاً وانّ علاماتهم كانت كلّها مقدّسة لا يستحيون منها

ولاسيما اشارة الصليب التي كتب آباء القرن الثاني والثالث في نوعها ومعناها وافادنا ترتليان (De corona militum, III) انَّ لشارة الصليب راقية الى عهد الرسل وانَّ النصارى في عهده كانوا لا يأتون امرًا الَّا رسموا اشارة الصليب في بيوتهم او خارجاً عنها حتى اذا اكلوا او شربوا او استحمُّوا فكفى بذلك دليلًا على انَّ النصارى لم يخفوها وان كانوا احياناً لم يجاهروا بها بلا موجب. وكذا قل عن درجات التعليم لطالبي التنصُّر وعن درجات الكهنوت فانَّها والدرجات الماسونيَّة على طرفي نقيض. فان تلك التعاليم كان رؤساء الكنيسة يسلّمونها تدريجاً على مقتضى حاجة المتنصِّرين وطلبة الكهنوت كما تفعل الكنيسة في عهدنا لا خوفاً من مخاميتها السرّية او السمجة كما يفعل الماسون في عهدنا ليستروا اعمالهم المستقبحة. (راجع ما قلنا في ذلك في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون)

التأليف في فرنسة سنة ١٩١٣ هذه قائمة الكتب الجديدة التي ظهرت في فرنسة في العام الماضي: في علم الاقتصاد والعلوم الاجتماعيَّة ٢١٦٤ كتاباً. في التعليم ٩٢٢ك. في العلوم الدينيَّة ٨٦٢ ك. في العلوم التاريخيَّة ١٢٦٣ ك. في الجغرافية والاسفار ٤٢٨ ك. في العلوم الرياضيَّة والطبيعيَّة ٥٤٩. في الطبّ ٧٣٥. في الفنون والصنائع ٢٩٠. في الآداب ٢,٢٣٦. في اللغات الاجنبيَّة ٢٠٦. مثتى ١٩١٥. فيكون مجموع هذه التآليف ١١,٥٦٠ كتاباً طالب اصحابها حفظ حقوقهم رسميًّا لدى الدولة

اثر تاريخي نشرت بعض الجرائد والمجلّات المحليَّة خطًّا شريفاً كتبهُ السلطان سليمان خان المعروف بالقانونيّ في تاريخ اوائل ربيع الثاني سنة ٩٣٢ هـ الى ملك فرنسة فرنسيس الاوَّل يعدهُ فيهِ بالمساعدة على اعدائهِ. فسرَّنا الوقوف على هذا الاثر الجليل لكنَّنا كنَّا وددنا لو قدَّم عليهِ ناشرهُ المقدّمات الوافية لبيان اصلهِ وفصلهِ وهل هو عربيّ اللهجة كما نشرهُ او هو تركيّ الاصل وفي خزانة اي دولة موجود اصلهُ لنستطيع مراجعتهُ وغير ذلك من الافادات التي لا غنى عنها. وقد وقفنا على ترجمتهِ الفرنسويَّة في مجموع البارون دي تستا (١ فوجدنا اختلافاً بينها وبين النصّ العربيّ

(١ اطلب (Baᵒⁿ de Testa: *Traités de la Porte Ottomane avec la France*, I, 28)

﴿ منا تَقِل فَرِس ﴾ هي الكلمات الثلث التي كتبتها يدٌ سرّيَّة على جدار قصر الملك بلشصّر وهو يستسلم الى الملاذ ويشرب الخمر في آنية هيكل اورشليم فلم يستطع احد ان يقرأها غير دانيال النبي الذي انذرهُ بسقوط عاصمتهِ في ايدي اعدائهِ الماديين (سفر دانيال ف ٥). وهي تُعَدّ من اعظم نبوّات دانيال. فأخذنا العجب من مجلّة « فتاة لبنان » الحديثة كيف نقلت عن غيرها هذا الحدث الجليل ونفت عنهُ كل صحة المعجزات (ص ٤٥–٤٦) فنسبت تلك الكتابة « لاحد المصوّرين الفرس » رسمها على الحائط « في حال ذهول الحضور » حيث « كان الجميع في تلك الليلة ثملين » . وكذلك لم تجد شيئاً عجيباً في فعل دانيال وتفسيرهِ لتلك الكتابة لانهُ على قولها « كان عالماً بقرب مجيء الماديين والفرس » فمن العجب انَّ دانيال كان يعلم بامر يجهلهُ ملك بابل وذووهُ . أفهكذا تبيّن لنا فتاة لبنان روحها الكاثوليكي !. — ومن اقاويلها المردودة في الصفحة التالية (ص ٤٧) قولها « ان العلم ليس لهُ دين » كأنَّ الدين ليس هو رأس كل العلوم وكأن الدين والعلم لا يصدران عن مصدر واحد هو الله سبحانهُ وتعالى

﴿ محاكمة التنين ﴾

وعلاجُ الابدانِ أيسرُ خطباً حين تمثلُ من علاجِ العقولِ

كنّا حسبنا انَّ الحكم الذي اصدرتهُ محكمة بداءة الجزاء في بيروت على التنين يردّهُ عن غيّهِ لكنهُ رآهُ خفيفاً في جانب ذنبهِ الفظيع الذي يستحقّ اضعاف ذلك فظنَّ ان الحكومة السنيَّة موالية لهُ راضية عن عملهِ سرًّا فعاد مثنى وثلاث الى سفاهتهِ بل قل الى حماقتهِ حتى ان حضرة قومندان الرقع ذكي بك افندي ووكيل دولة والينا لم يجد وسطاً لمجازاتهِ بين الحبس او مستشفى المصابين بالجنون فكنّا نودّ لشرف التنين ان تُلقى عنهُ تبعة عملهِ فيختم الاطبّاء على مسيهِ بعقلهِ. وعلى كل حال لم يعد في طاقة المسيحيين ان يصبروا على مثل هذه القحة او هذا الجنون بعد كتاباتهِ الشنيعة المرقومة بقلمٍ غطّهُ في مقذار البواليع فدنّس عرض افضل عبيد الله اعني الراهبات القائمات بتربية كريمات اشراف بيروت من نصارى ومسلمين وبذلك حاول التفريق بين عناصر الدولة في وقت نحن في امسّ حاجة الى جمع الكلمة. فأملنا من ارباب الامر ان يصلحوا الفساد قبل ان يستشري والّا لكان الخطب عظيماً

أسئلة واجوبة

س سأل احد القرّاء في الثغر ما هي الصورة « جوكوند » التي سُرقت من متحف اللوفر فعُرف السارق وردّت الى اصحابها

الصورة جوكند

ج هذه الصورة لاحد كبار المصوّرين ليوناردو دي فنسي الفلورنتي (١٤٥٩ — ١٥١٩) اشتغل في تصويرها نحو اربع سنوات فانتهى منها سنة ١٥٠٠ وهي تمثل قرينة احد اعيان ايطالية السيدة ليزا امرأة فرنشسكو دي جوكوندو فعُرفت الصورة باسم جوكوند (la Joconde) وقيل انها بيعت لملك فرنسة فرنسيس الاوّل باثني عشر الف فرنك. ومع دروس بعض محاسنها لا تزال موضوع اعجاب العارفين بالفن

س وسأل مستفيد هل من شريعة كنائسية تحرّم على الموارنة قراءة الكتب المنافية للايمان وللآداب

الموارنة والكتب المحرّمة

ج ان للموارنة فضلاً عن الشرع الطبيعي الذي ينهى عن قراءة الكتب المنافية للايمان والآداب شريعةً أخرى وضعيّة نصّ عليها اوّلاً مجمع البطريرك سركيس المنعقد سنة ١٥٩٦. فقانونهُ العشرون هذا منطوقهُ :

« لمّا كان تداول كتب الاراطقة والمشاقين بين ايدي المؤمنين السذّج مضرًا شديد الضرر بنفوسهم وجب البحث عن هذه الكتب وحفظها لدى البطريرك في مكان مُقفل ولا يأذن بمطالعتها الّا للعلماء وكبار اللاهوتيين الذين يقتدرون على التمييز بين الصحيح والباطل »

ثمّ عاد المجمع اللبناني وميّز بين الكتب التي تحتوي بدعةً فوضع الحرم على من يتداولها امّا سواها من الكتب الفاسدة فجعل الحكم في معاقبة متداوليها الرؤساء المحلّيين وهذا نصّ كلامه (ص ٢١ من الطبعة الجديدة) :

« والذين يطبعون او ينسخون او يقرأون او يقتنون كتب قوم مبتدعين تحرّمها الكنيسة لاشتمالها على بدعة او مظنّة تعليم كاذب او ما يؤيد جانب بدعة بايّ وجه كان تحلّ بهم عقوبة الحرم المحفوظ للرؤساء المحلّيين. اما الذين يقرأون او يحرزون كتبًا محرّمة لكنها لا تحوي بدعةً ما فينبغي ان يُنزل فيهم من العقوبات ما يحكم به الرؤساء المذكورون »

س سؤال لاحد اساتذة النحو يلقيه على القرّاء

ما اسمٌ اذا نصبتَهُ رفعتَ ما يُنصَبُ به
ولا يَتمُّ نصبهُ إلّا بجرّ سببه

المشرق

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

طالما تاقت النفوس الى معرفة احوال الطوائف الشرقيَّة في الاجيال الغابرة لما وراء ذلك من الفوائد كشفاً للنُقَب عن الحقائق التاريخيَّة ودحضاً للتُهَم التي يختلقها قوم ليس لهم من العلم الّا قشرتهُ . لكنَّ دون بلوغ المنى عقبات شتَّى لما طمستهُ كوارث الدهر من الآثار وما أبادت يد الأيام من المصنَّفات الخطيرة

على انَّ كثيرين من ارباب البحث قد قاموا في هذه الاعوام الاخيرة ينقّرون عن اخبار الشرق النصراني في الكتب القديمة ويقلّبون ما حوَتهُ المكاتب من الرقوق والصكوك عسى ان يقفوا على ما تكنُّ من المعلومات عن بلادنا فيستخرجونهُ من مطاميره

وممَّن كلفوا بجمع تلك الآثار بعض آباء رهبانيَّتنا اليسوعيَّة نخصُّ منهم بالذكر الاب بطرس مرتين صاحب تاريخ لبنان المتوفَّى سنة ١٨٨٠ والاب لويس كسافاريوس ابوجي المتوفَّى سنة ١٨٩٥ فانَّهما كانا سعيا باستنساخ عدَّة مخطوطات وجداها في رومية في خزائن مكاتبها لاسيَّما مكتبة رهبانيَّتنا حيث تُحفظ آثار جليلة من كتابات المرسلين الاقدمين الراقية الى القرن السادس عشر . وكانت نيَّتهما

ان يصدنا تاريخاً المشرق الكاثوليكي ولسالتنا السورية الذيعة لولا ان مرضاً مزمناً حال دون رغبتهما فماتا وبقيت مجموعاتهما مدفونة

على انَّ الله كان دعا الى رهبانيَّتنا شاباً في مقتبل العمر من اسرة كريمة حلبيَّة نزيد به فقيد رسالتنا في العام الماضي الاب انطون رباط. فهذا اذ اطَّلع قبل سيامته كاهناً على تلك الآثار الباقية تعشَّق الدروس التاريخيَّة واخذ يسعى في توفير تلك المادَّة ليقوم بالعمل الذي عجز عنهُ سلفهما وساعدتهُ على تحقيق مرغوبه العناية الالهيَّة ورؤساء رهبانيَّته فانَّ ما وجدهُ فيهم من التنشيط قولاً وفعلاً وطأ امامهُ العقبات فأخذ يكدُّ جبينهُ ويسهر عينهُ رجاء ان يحصل على ما خزنتهُ المكاتب الدوليَّة من تلك الآثار فلم تذهب مساعيه سدًى لانَّهُ اطَّلع في مكاتب باريس وخزائن الدولة الفرنسويَّة في وزاراتها الخارجيَّة والبحريَّة والاستعمارية على اضابير مضبورة فيها السجلَّات والرسائل والتقارير وتفاصيل الرحل للمرسلين والسفراء والقناصل كتبوها للاحبار الرومانيين او لملوكهم وروسائهم وهم لم يقصدوا من كتابتها سوى إطلاعهم عن حقائق الامور التي شهدوها بالعيان. فنقل منها كثيراً ثمَّ باشر بنشرها في لغاتها الاصليَّة في كتابه المنون بالآثار الخطيَّة لتاريخ الكنائس الشرقيَّة الذي وصفناهُ وصفاً واسعاً في المشرق سنة ١٩٠٧ (١٠: ٧٤٥—٧٥١) وبيَّنا عظم شأنه. وقد ظهر من هذا التأليف خمسة اقسام يبلغ مجموعها نيفاً والف صفحة. والامل معقود على متابعة نشر الباقي منها بهمَّة احد آباء كليَّتنا

وكان المرحوم الاب انطون رباط يريد ان يستخلص من هذه الكتابات المتفرِّقة كتباً شتَّى ينشرها بالعربيَّة وكتب في ذلك فصلاً تمهيديًّا تحت عنوان « العلاقات بين الشرق والغرب » في المشرق ١٤ [١٩١١]: ٥٤٨) فاجاتهُ المنون قبل اتمامه. ولدينا من اثار مساعيه عدَّة اوراق متفرِّقة تدلُّ على انَّهُ كان متعشِّقاً لتاريخ بلاده ينقِّب عن كل خفاياه ويروم رفع شؤون وطنه

وكنَّا نحن اخوتهُ في الرهبانيَّة ولا سيما الفقير راقم هذه الاسطر نُنهض همَّتهُ وندفعهُ الى مواصلة ابحاثه لئلَّا تبقى كنوزهُ الادبيَّة مخفيَّة واذ قضى الله بفراقه لم نشأ ان تضيع تلك المآثر الجليلة فجمعناها وأضفنا اليها قسماً كبيراً مما حظينا به بتفتيشنا الشخصي في مكتبتنا الشرقيَّة او في خزائن بعض الخواص

ولما كانت هذه الآثار تستغرق صفحات عديدة بل كتباً برمَّتها قصرنا الآن بحثنا على تاريخ الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر وهو فصل جليل من تاريخ الشرق المسيحي لا يزال معظمهُ مجهولاً

الطائفة المارونية قبل القرن السادس عشر

منذ دخل الصليبيُّون اصقاعنا السوريَّة فاستوطنوا السواحل ومدُّوا سيطرتهم على قسم من البلاد الداخليَّة انضمَّ اليهم الموارنة وتوثَّقت بينهم روابط الوداد المبنيَّة على وحدة الدين. ومنذ ذاك العهد أُلِفَ بنو مارون طريق رومية مركز الوحدة الكاثوليكيَّة وصارت تدور بين الكرسي الرسولي والطائفة المارونيَّة المراسلات المتبادلة والكتابات الرسميَّة التي لا يزال قسمٌ منها في سجلات الدار البطريركيَّة الفخيمة او في خزائن الفاتيكان يرقى اقدمُها عهداً الى اينوكنت (زخيا) الثالث الذي استدعى سنة ١٢١٣ بطريرك الموارنة ارميا العمشيتي (١٢٠٦—١٢٣٠) لحضور المجمع اللاتراني الرابع مع براءته الى البطريرك المذكور يمنحهُ مع شعبهِ فيها عدَّة انعامات (١

وتواردت بعد ذلك كتابات الاحبار الرومانيين الى الموارنة من اينوكنت الرابع (١٢٤٣—١٢٥٤) في السنتين ١٢٤٣ و١٢٤٦ وباثوه من اسكندر الرابع (٢ (١٢٥٤—١٢٦١) سنة ١٢٥٦ ثمَّ انقطعت المكاتبات نحو مئتي سنة لما اصاب الشرق من البلايا بغزوات المغول ثمَّ باستيلاء الدول المصريَّة على الشام. وكذلك الكرسي الرسولي بقي عدَّة سنين مبتلًى بمحن شتَّى لانتقال الباباوات الى فرنسة ولانقسام الممالك المسيحيَّة في طاعتها لحبرَين اعظمين لم يُعرَف أيُّهما الشرعي

ثم استؤنفت المخابرات بين الطائفة المارونيَّة والاحبار الرومانيين بواسطة المرسلين الفرنسيسيِّين حافظي الاراضي المقدسة كفرا جوان وفرا غريغون ثم فرا سورديانوس(٣ وذلك على عهد اوجانيوس الرابع في كتاب تاريخهُ سنة ١٤٣٩ الى البطريرك يوحنَّا

١) اطلب مجموع البولَّات المارونيَّة الذي نشرهُ باللاتينيَّة حضرة الفس طوبيا العنيسي (Bullarium Maronitarum, p. 1-9)

٢) وفي تاريخ الدويهي (ص ١١١) يدعى « اسكندر السادس » وذلك غلط طبعي واضح

٣) راجع في المشرق ( ) مقالتنا عن تاريخ القصادة الرسوليَّة في سوريَّة

الحاجي ذكرهُ الدويهي في تاريخهِ ولم نجد صورتهُ في مجموع البولّات. ثم توالت البراءات الرومانيّة الى بطاركة الموارنة الاجلاء بعد اوجانيوس الرابع من خلفائهِ نيقولا الخامس (١٤٤٧—١٤٥٥) وكالسطس الثالث (١٤٥٥—١٤٥٨) في السنتين ١٤٤٧ و١٤٥٥ الى البطريرك يعقوب الحدثي (١ ثم بولس الثاني (١٤٦٤—١٤٧١) سنة ١٤٦٩ (٢ وسكسطس الرابع (١٤٧١—١٤٨٤) سنة ١٤٧٥ الى البطريرك بطرس بن حسّيلينه وهي آخر البراءات الحبريّة في القرن الخامس عشر. امّا في القرن السادس عشر فتوفّرت تلك المناشير البابويّة فأحصى منها جامع البولّات المارونيّة عشرين براءة من لاون العاشر الى غريغوريوس الثالث عشر الذي اوّل كلامنا عنهُ في مقالاتنا وكلّها الى البطريركين شمعون بن حسّان ابن اخي البطريرك بطرس وخلفهِ (١٤٩٢—١٥٢٤) ثم موسى بن سعادة العكّاري (١٥٢٤—١٥٦٧)

على انّ هذه البراءات التي تدلّ كلّها على سبق الموارنة في خضوعهم لخلفاء هامة الرسل لا تدور غالباً الّا على التماس درع التثبيت من الاحبار الاعظمين وانّما تبيّن رغبة الشعب الماروني الى من يسعى في شؤونهم الروحيّة ويصونهم من البدع المحدقة بهم لئلّا تختنق تلك الوردة العطرة اشواكُ الاضاليل. فيظهر من اجوبة الكرسي الرسولي انعطاف رؤساء الكنيسة نحو اولئك الابناء الاحباب فتارةً يمنحون السادة البطاركة الانعامات الخاصّة وتارةً يؤازرونهم بالقصّاد الرسوليّين للاهتمام بامورهم واصلاح ما لعلّهُ طرأ عليهم من الخلل كما يلوح من براءة لاون العاشر بخصوص الميرون (مجموع البولّات ص ٤٧). وحيناً يحلّون مشاكلهم التي عرضوها عليهم في المعتقدات الدينيّة كما ترى في براءة بولس الثاني الى بطرس بن حسّان حيث يوضح لهُ دستور الايمان الكاثوليكي بخصوص الثالوث الاقدس واقنوم السيّد المسيح وطبيعتيهِ ومشيئتيهِ مؤيّداً كلامهُ بآيات الانجيل ونصوص الآباء الاقدمين (مجموع البولّات ص ٢٢). بيد انّ الاحبار الرومانيين ومثلهم البطاركة المارونيّون كانوا يودّون لو تكون العلاقات بين رومية ولبنان اوثق فينال الموارنة من معين الكنيسة الرومانيّة

١) وهو يُدعى في مجموع البولّات (Bull. Maronit., 17 et 18) باسم بطرس او يعقوب بطرس لانّ اسم بطرس كان يعمّ كل البطاركة

٢) كذا في مجموع البولّات (ص ٣٥) وهو الصواب وفي الدويهي « سنة ١٤٦٤ »

زيادة غمّ ورقي لولا انّ المخاطر العديدة التي تواترت في ذلك الزمان كالحروب المتوالية بين الاتراك ودول الفرنج وتجوّل القرصان في البحر المتوسط كانت تعوقهم عن تحقيق امانيهم حتى انّ الذين كانوا يُرسَلون الى رومية ليطلبوا للبطاركة الجدد درع الرئاسة لم يمكنهم العود الى الشام الّا بعد سنتين واكثر. فكان يحصل بسبب هذه العوائق عدّة أضرار تتفاقم بطول الزمان فيصعب بعد ذلك تلافيها ولاسيّما انّ الموارنة كانوا يجهلون اللغة اللاتينيّة لغة رومية الرسميّة فيحتاجون الى تراجمة وربما وقع بذلك سوء تفاهم. ومن ثمّ كان يرى بطاركة الموارنة حاجة الطائفة الى معلّمين يدرسون اللغات الاوربيّة وقد ارادوا سدّ ذلك الخلل بارسال بعض الاحداث الى رومية ليتعلموا هناك ثمّ يعودون الى وطنهم فيهذّبون ابناء جلدتهم كما صنع البطريرك شمعون الحدثي اذ ارسل سنة ١٥١٥ راهبين الى رومية ليتعلّما اللغة اللاتينية فلم ينجحا وكذلك البطريرك موسى العكّاري طلب من البابا بولس الثالث ستّة من الرهبان الفرنسيسيّين ليعلّموا في لبنان اللغة اللاتينيّة لبعض احداث الموارنة فلم يتمّ مرغوبهُ

الرهبانيّة اليسوعيّة والشرق

الّا انّ الله في تلك الاثناء كان ارسل الى كنيسته عضدًا جديدًا بانشاء الرهبانيّة اليسوعيّة على يد شهم من ابناء الدولة الاسبانيّة اسمهُ اغناطيوس دي لويلا. فهذا الرجل العظيم اذ كشف لهُ الرب بطلان المجد العالمي وقف نفسهُ لخدمة الكنيسة لاسيما ابناء الكنائس الشرقيّة ولمّا جمع اوّل رفقته العشرة ليسيروا معهُ في خلاص النفوس دعاهم الى السفر معهُ الى بلاد الشام والاراضي المقدسة لكنّ حرب البنادقة مع الاتراك حالت دون وغائبهم وبقوا في ايطالية متطوّعين في خدمة اهلها تحت رعاية رؤساء الكنيسة مترقّبين الفرصة لاخراج نيّتهم الى حيّز الوجود

وما لبث الحبر الاعظم بولس الثالث ان انتدبهم الى مساعدة الشرقيّين وردّ الضالّين منهم الى الحظيرة البطرسيّة فأرسل اوّلًا فرنسيس كساڤاريوس الى الهند واليابان والصين فكان اوّل رسول الشرق الاقصى (١٥٤١—١٥٥٢). ثمّ عهد البابا عينهُ رسالة الحبشة الى جمعيّة يسوع سنة ١٥٤٧ فدخلها المرسلون وتتابعوا فيها

مدّة نحو مائتي سنة يبشّرون فيها بالايمان الكاثوليكي ويبذلون في ارتداد اهلها الى وحدة الكنيسة كلّ عزيز حتى مات منهم كثيرون صبرًا واستشهد غيرهم ومن جملتهم احد ابناء وطننا وهو المكرّم الماروني الاب ابراهيم جرجس اليسوعي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية كما سترى. ولا جرم انّ ازدهار الكثلكة في أيامنا بين الحبشة يُحسب كثمرة دماء اولئك الشهداء الابطال

ثمّ قام بعد بولس الثالث خلفهُ يوليوس الثالث فرأى ما كان عليهِ الشرق الادنى من الحاجة الى غيرة المرسلين ومساعدة المسيحيين وعلم انّ اقرب طريقة الى ذلك انشاء المدارس في تلك الجهات فحرّر براءةً تاريخها ٣ تموز سنة ١٥٥٣ اوّلها « Cum præsertim » اعلن بموجبها امرهُ الرهبانيّة اليسوعيّة بان تفتح ثلاث مدارس في الشرق اولاها في اورشليم والثانية في القسطنطينيّة والثالثة في قبرس وذلك كما يقول الحبر الاعظم « لترميم جدران الكنائس الشرقيّة واعادة رونقها القديم (١ » لكنّ موانع كثيرة اعترضت لمقاصد يوليوس الثالث اخصّها ما في اقامة مدرسة في القدس من المخالفة لانعامات سابقة كان الكرسي الرسولي خوّلها رهبان القديس فرنسيس منها ألّا يقيم غيرهم في الاراضي المقدّسة

على انّ الله لم يسمح بوفاة القديس اغناطيوس الّا بعد ان متّع ابصارهُ برؤية احد ابناء الشرق الذي كان الله اعدّهُ لينوب عنهُ في خدمة الطوائف الشرقيّة ولا سيما الموارنة الذين استحقّ بان يُدعى بسوغهم في ذلك القرن نزيد بهِ الاب يوحنّا المعدان اليانو المعروف عند الشرقيين بالاب جوان باطشتا. ولا بُدّ لنا قبل الخوض في موضوعنا من تعريفهِ وتلخيص ترجمتهِ

الاب يوحنا اليانو اول مرسل يسوعي الى الموارنة

وُلد الاب يوحنّا اليانو السنة ١٥٣٠ في الاسكندريّة (٢ من ابوين كريمي النسب من الجنس اليهودي. وكان ابوهُ تاجرًا اسبانيًا استوطن الصقع المصري واقترن بفتاة كانت

١) وهذه البراءة كانت اخذتها يد الضياع فوجدها الاب ه. لامنس في مكتبة الكونت روسّي الشهيرة في فينة عاصمة النمسة فنشرها في مجلة الابحاث (Etudes, 1897, *Janvier*)

٢) اطلب دائرة المعارف اليهوديّة (The Jewish Encyclopedia II, 501)

ابنةً لاحد مشاهير علماء اليهود في عصره يُدعى الياس اللاويّ (Elijah Levita) الذي وُلد في نوشتات (Neustadt) سنة ١٤٦٨ وتوفي في البندقيَّة سنة ١٥٤٧ بعد ان اشتهر بالتعليم والتأليف حتى أُلّف بالمتبحّر (אליה המחבר) والنحويّ (הדקדוק) واللغويّ (המלומד) قال فيه ريشار سيمون (١ : « الياس اللاوي اعظم الكتّاب المتقدمين بين اليهود برّز عليهم جميعاً في علم اللغة ». وقال سكاليجر معاصره (Scaliger, *Epist.62*) « الياس اللاوي وحيد هذا العصر وسيّد العلماء الباحثين ». وقال رينان (٢ : « قد فاق الياس اللاوي على العلماء الملقّبين بالكبخي وأنست شهرته شهرتهم لانهُ بلغ الآداب العبرانيَّة والتلموديَّة اقصى درجات الرقي في زمانه وعنهُ اخذ كثيرون من النصارى علم العبرانيَّة »

وكان الياس اللاوي مع علمه وسعة معارفه كريم الاخلاق منزّهاً عن التعصّب طالباً للعلم الصحيح ومن ثمَّ ألقى عن عاتقه كثيراً من التقاليد الصبيانيَّة الرائجة في كتاب التلمود وبعض اسفار اليهود ولذلك اصبح صديقاً لكثير من المسيحيين ووكل اليه اصحابُ الرتب الكنسيَّة تعليم اللغات الشرقيَّة فدرّسها في پادوة ورومية وفي إسني من اعمال صوابيا وفي البندقيَّة حيث توفي (٣. ولتقرّبه من النصارى عزاهُ قوم من آل نحلته الى المروق من دينه بل ذهب المؤرخ الستد (Alsted) الى انهُ مات نصرانيًا والله اعلم

ودُعي الاب الياتو باسم جدّه الياس ولمّا مات ابوهُ وهو صغير اخذهُ جدّهُ الياس اللاوي وعُني بتربيته وتربية اخيه الكبير متعزّياً بتثقيفهما عن فقده لاولاده. واذ وجد حفيدهُ الياس متوقّد الذهن راغباً في العلوم اقبل على تعليمه املاً ان يكون يوماً شرفاً لعائلته وفخراً لملّته الاسرائيليَّة فتجوّل معهُ في كثير من البلاد كايطالية

---

١) في كتاب نقد العهد العتيق (Richard Simon : *Hist. Critique* du N.T., p.177)

٢) في كتاب تاريخ اللغات السامية (Renan : *Hist. des Langues sémitiques*, 1863, p.174)

٣) راجع دائرة المعارف اليهوديَّة The Jewish Encyclopedia, VII,46-49 ثمَّ تاريخ المؤلفين العبرانيين (Rossi : *Dizion. Stor. degli Autori Ebrei*, I, 108)

والمانية فتعلَّم الشاب عدَّة لغات كالاسبانيَّة والطليانيَّة واللاتينيَّة والالمانيَّة ولاسيما العبرانية التي برع فيها حتى استظهر الكتاب المقدَّس في اصلهِ العبراني. وقد سهَّلت لهُ معرفتهُ للغة اجداده درسَ اللغتين السريانيَّة والعربيَّة حتى تمكَّن كما سترى من قراءة كتب العرب والسريان والاقباط دون صعوبة

ولمَّا كانت سنة ١٥٥٧ عاد الياس اللاوي الى البندقيَّة فاستأذنهُ حفيدهُ في الذهاب الى مصر ليرى اقاربهُ ثمَّ يزور القدس الشريف وبعض البلاد الشرقيَّة فسمح لهُ جدُّهُ بذلك وعاد الشاب الى اهلهِ وسكن بينهم سنتين فدرس اللغة العربيَّة وتكلَّم بها بين مواطنيهِ ثمَّ طاف بلاد فلسطين وعاين هناك زوَّار النصارى للقدس الشريف الذين كانوا يقدمون من سائر اقطار العالم ليعفّروا جباههم في ثرى الاراضي المقدسة بحياة وموت يسوع الناصريّ. فكان الياس يعدُّ فعلهم هذا حمقاً فلا يرى في يسوع الَّا مسيحاً دجَّالاً

وبينما هو يتجوَّل هناك اذ وردت عليهِ رسائل من اهلهِ ومن المجمع الاسرائيلي في مصر تعلمهُ بتنصُّر اخيهِ البكر في البندقيَّة وتحضُّهُ على السير الى تلك المدينة ليردَّهُ الى دين آبائهِ. فامتعض الشاب الياس لهذا الخبر وابحر الى ايطالية على طريق القسطنطينيَّة فاجتمع باحد اعمامهِ وهو الطبيب سَلَمون الاشكنازي (١ ثمَّ ركب السفينة من الاستانة الى البندقيَّة

فلمَّا رأى اخاهُ حاول ان يقنعهُ بكل ما لديهِ من الحجج ببطلان النصرانيَّة لكنَّ العائد اصبح مصيداً بعد قليل لانَّ فيتوريو (وهو اسم الاخ بعد معموديَّتهِ) زيَّف كل حججهِ واثبت لهُ بالادلَّة النيِّرة صحَّة الدين النصراني. واذ كان الياس مستقيم النيَّة يطلب الحقيقة بلا مكابرة عمل فيهِ كلام شقيقهِ واخذ يدرس العقائد النصرانيَّة ويقابلها بنصوص الاسفار المقدسة ونبوَّات الانبياء. وكان وقتئذٍ رئيساً على دير البندقيَّة احد مشاهير الرهبان اليسوعيين وهو يعظ في كنائسها الكبرى فيتقاطر الناس لاستماع كلامهِ اسمهُ الاب اندراوس فروزيوس من تلامذة القديس

١) راجع تاريخ الدولة العثمانيَّة لهامر (Bon de Hammer: *Hist. Ottom.* II. 279) ونظنّ انَّ اصحاب دائرة المعارف اليهوديَّة (The Jewish Encycl., II, 500) نسبوا الاب اليانو الى سَلَمون هذا فدعوهُ (Giovanni Baptista Salomo Romano Eliano)

اغناطيوس وكان عالماً باللغة العبرانيّة فاخذ ڤيتوريو اخاهُ الياس الى الرئيس المذكور الذي رحّب بهِ وطيّب قلبهُ وقد ذكر الياس عن ذاته انّهُ لقي بهِ ملاكاً لا انسلناً لما وجدهُ فيهِ من التُقى والعفاف واللطف فعرض عليهِ كل ما كان يعنّ لهُ من المشاكل الدينيّة فكان الرئيس يحلّها بما لا يدع لهُ مجالاً للاعتراض . وتردّد عليهِ الياس عدّة اسابيع حتى حصحص لهُ نور الحق بكل جلاء وزهق الباطل

على انّ الياس لم يشأ ان يتنصّر لخوفهِ من شرّ اليهود البندقة ومن سخط اهلهِ ومكايد الرهبانيين لكنّ ضميرهُ كان يبكّتهُ على تأجيل معموديّتهِ وعرف اسقف المدينة بحالتهِ فسعى بأن يدخلهُ في دير الآباء اليسوعيين وكتب الاب فروزيوس الى القديس اغناطيوس فسمح بان يُقبل الياس في الدير بصفة ضيف . وبعد شهرين قضاهما بالصلاة والدرس والمناظرة مع الاب فروزيوس طلب بالحاح ان يُصبَغ بماء المعموديّة فحظي برغوبهِ يوم عيد القديس متى الرسول (٢١ ايلول سنة ١٥٥١) بحضور جمع غفير من اشراف البندقيّة يتقدّمهم اخوهُ ڤيتوريو . فأثّرت هذه الحفلة في قلب الياس ايّ تأثير فكان يقول انّ ابواب السماء فُتحت لهُ وانهُ يشعر بشيء من سعادة الارواح السماوية ولاضطرام غيرتهِ كان يريد ان يذهب الى مجمع الاسرائيليين في البندقيّة ويبشّرهم بالمسيح ويدحض اكاذيبهم لولا انّ الاب فروزيوس اشار عليهِ ان يعمل بالتؤدة والفطنة . وقد ابدل الياس اسمهُ يوم معموديّتهِ فتسمّى مذ ذاك باسم يوحنّا المعمدان (جوان باطشتا) واشار الى اصلهِ القديم بلقب اليانو وتوّه ايضاً بتنصرهِ بنسبتهِ نفسهُ الى رومية فدُعي رومانو

وكانت تُقرأ وقتئذٍ على مائدة الرهبان اليسوعيين رسائل المرسلين في الهند واليابان والحبشة فكان يسمعها الشاب المتنصّر فتثير في قلبهِ الرغبة في التبشير باسم المسيح في اصقاع الشرق وذلك ما دعاهُ الى ان يطلب الانضمام الى الرهبانيّة اليسوعيّة بعد قليل . فعاد الاب فروزيوس وكتب الى القديس اغناطيوس ليستطلع رأيهُ في ذلك . وممّا قالهُ في رسالتهِ المحفوظة الى يومنا انّ الشاب المتنصّر مجمّل بصفات فريدة وبارع في العلوم ويعرف ما خلا العبرانيّة اللغات الطليانيّة والاسبانيّة والالمانية والعربية والتركيّة وانّهُ سكن مدّة في القاهرة ورحل الى اورشليم . فاجابهُ القديس بان يقبل الشاب بين الرهبان بعد امتحان دعوتهِ وثباتهِ . ففعل الاب فروزيوس ولمّا

تحقّق انّ دعوتهُ من الله لم يمازجها شيء من الغايات البشريّة ضمّهُ الى رهبانهِ (١

فانضوى جوان باطشتا تحت راية اغنـاطيوس بفرح عظيم وباشر امتحانات الطالبين بكل غيرة ليطبع في قلبه الفضائل الرهبـانيّة تحت نظارة رئيسهِ الاب فروزيوس الذي شهد لهُ بكتاباتهِ انّهُ سيصير يوماً عاملاً نشيطاً في كرم الرب . ومن آثار فضلهِ في تلك المدّة سميهُ في إمارة اليهود الذين عرفهم سابقاً وكان السيد ليومانو اسقف المدينة يتّخذهُ رفيقاً في تبشيرهِ للاسرائيليين فردّ بعضهم ونصّرهم

وفي ١٧ ايلول من السنة ١٥٥٢ استدعى القديس اغناطيوس الى رومية الاب فروزيوس ليجعلهُ رئيساً على المدرسة الالمانية المنشأة حديثاً فسافر واستصحب معهُ يوحنّا اليانو ليدرس في رومية العلوم الفلسفيّة واللاهوتيّة فانكبّ عليها عدّة سنوات وفي نهايتها رُقّي الى درجة الكهنوت نحو السنة ١٥٦٠ وكان مدّة دروسهِ في رومية لم يهمل ابنـاء جلدتهِ الموسويين بل كان يتردّد اليهم ويعود مرضاهم ويحسن الى المحتاجين منهم وقد اسعدهُ الحظّ بردّ قوم منهم الى الايمان المستقيم

وكان اخوهُ ڤيتوريو اليانو دخل ايضاً في سلك الكهنة العلمانيين وصار قانونياً وعهدت اليهِ السلطة الكنسيّة بفحص الكتب التي تُطبع في اللغة العبرانيّة في كريمونا والبندقيّة سنة ١٥٦٧ فرخّص بنشر كتابين عبرانيين يدعى احدهما كتاب الزُّهر والآخر كتاب الطور . وبهمّتهِ جمع ديوان التفتيش الروماني نُسَخ التلمود واحرقها لمضامينها الباطلة في ٧ نيسان سنة ١٥٥٩ فنقم عليهِ اليهود بسبب ذلك

امّا الاب يوحنّا فبعد كهنوتهِ اخذ يستعدّ لخدمـة النفوس وعهد اليهِ رؤساؤهُ تدريس اللغات الشرقيّة في المدرسة الرومانية لكنّ الكرسي الرسولي ما لبث ان استدعـاهُ لخدمة الكنيسة فارسلهُ برفقة الاب كرستوفور رودريغس الى بطريرك الاقباط جبرائيل السابع (١٥٢٦ — ١٥٦٩) الذي كان بلّغ الحبرَ الاعظم بنيّتهِ في الخضوع لسلطـانهِ الشرعي . فسافر الاثنان في ٢ تموز سنة ١٥٦١ ولم يعودا الى رومية الّا بعد سنتين . وقد كابد كلاهمـا من المشاقّ ما يطول شرحهُ وكاد الاب

---

١) انّ بين قوانين الرهبانية اليسوعيّة بنداً يمنع دخول اليهود المتنصّرين بين ابنائها . الّا انّ هذا القانون وضعتهُ الرهبانيّة بعد وفاة القديس اغناطيوس

يوحنّا اليانو يذهب ضحيّة بعض يهود مصر الذين سعوا باغراء امّهِ ان يقتلوهُ بحكم الوالي المسلم فلم ينجُ من ايديهم الّا بعد شقّ النفس بوساطة قنصل البندقيّة وقوم من التجّار الذين دفعوا لخلاصهِ مبالغ طائلة واركبوهُ سفينة سارت بهِ الى قبرس وكادت تغرق فنجا الركّاب بعد نذرٍ نذرهُ الاب اليانو ووَعَد بعض الركّاب ان يتنصّروا على يدهِ اذا وصلوا الى قبرس سالمين فرحمهم الله وانقذهم من الموت واعتمد غير المؤمنين وبعد قليل ابحر الاب اليانو الى ايطالية (١

ومن السنة ١٥٦٣ الى ١٥٧٧ عهد الرؤساء الى الاب اليانو بتدريس اللغتين العبرانيّة والعربيّة في المدرسة الرومانيّة مع خدمة النفوس في عاصمة الكثلكة بالوعظ وتوزيع الاسرار وعُني خصوصاً باليهود المقيمين هناك فانار بعضهم بنور الايمان من جملتهم احد مشاهير مأته الياس كركسي الذي عُرف بعد ذلك باسم ميشال غسلاري (Michel Ghisleri) فعُني الاب اليانو مع الكردينال الكسندرين الذي صار حبرًا اعظم باسم بيوس الخامس بتنصير هذا الرجل بعد فكّ مشكلاتهِ وقد حصل للاب اليانو بسبب ذلك سمعة واسعة وكان اعيان رومية يُسَرُّون بصداقتهِ

وفي تلك الاثناء عزم البابا غريغوريوس الثالث عشر على ان يجدد العلاقات الوديّة بين الكرسي الرسولي والموارنة فاراد ان يوجّه الى لبنان قاصدًا رسوليًّا يوقفهُ على كل احوال الطائفة المارونيّة وحاجتها فلم ير لذلك رجلًا اجدر بهذه المهمّة من الاب يوحنّا اليانو فاختارهُ لهذه السفارة وعزّزهُ بالتعليمات الشافية لهذا الشأن وكذا فعل الكردينال كرافّا حامي الطائفة المارونيّة وعيّن لهُ رئيسَ الرهبانيّة اليسوعية كرفيق رحلتهِ الاب يوحنّا بونو وآزرهما بالارشادات ليحسنا القيام في عملهما بما امكنهما من الحكمة (لهُ تابع)

---

(١) ويثنينا عن رواية اعمال الاب اليانو ورفيقهِ عند الاقباط ما نشرهُ في ذلك المرحوم الاب انطون رباط في تأليفهِ « الآثار الكتابيّة في الكنائس الشرقيّة » وهو يقف على مئة صفحة (ج ١ ص ٢٠٨ – ٢١٤)

الشعر العربي في شرقيّ الاردن

مقالة ادبية اخلاقية بقلم حضرة الخوري بولس سلمان (تابع)

اسواق العرب الماضين

كان للعرب في جاهليّتهم مواسم عامّة تحضرها الوفود من جميع القبائل وهم يسمّونها اسواقاً كانوا يقيمونها في ازمان واماكن معيّنة يقصدها القوم لمصالحهم. واشهرها سوق عكاظ بين نخلة والطائف فكان يتقاطر اليها العرب من كل فجّ وصوب يقيمون فيها نحواً من شهر يبيعون ويشترون ويقضون فيها حاجاتهم ثم يأخذون في القاء الخطب وانشاد القصائد ويتفاخرون بها على مسامع تلك الجماهير المجمهرة وفيهم الامير والمأمور والرفيع والوضيع من جميع القبائل قاصيها ودانيها. وكان هنالك رؤساء من عظماء الشيوخ الامراء يقضون فيما يسمعون من القصائد الجيدة لفحول الشعراء. ومَن اجمعَ الرؤساء على علوّ طبقتهِ نال من الشهرة والثناء ما يخلّد لهُ الذكر على تمادي الأيام فكانوا يسطرون القصائد البليغة على النسيج بماء الذهب ويعلقوها على استار الكعبة

وللعرب في ايامنا الحاضرة اسواق تختلف بعض الاختلاف عن الاسواق الماضية ألا وهي بيوت الامراء. فتَرِدُ الشعراء من جميع اطراف البادية الى مضرب الشيخ ويأخذون رباباً معلقة في وسط الخيمة ثم يضربون عليها وهم ينشدون الشعر . ومن راقت اشعاره حكموا لهُ بالفضل وعلوّ المنزلة فتتناقلها الالسنة وتحفظها الصدور وتنشرها بين تلك القبائل وربما قطعت البر والبحر سائرة من بلاد الى غيرها او من مضرب الى اخر فيتغنّى بها الاعراب دهراً طويلاً وتبقى اثراً جليلاً لا يُمحى تذكارها من حوافظ اهل الوَبَر فيأمر الشيخ للشاعر المجيد بالجوائز السنية والانعامات الجزيلة ولا ريب ان العرب هم اهل بصيرة نقّادة يميزون بين جيد الشعر ورديئهِ. فيصفّقون لمنشدهِ رضًى واستحساناً ويهنئونهُ بلطيف التهاني بما يبدونهُ من عبارات الاكرام والاجلال

وفي عهدنا ما يشبه تلك الاسواق. ومن اشهرها سوق نوري بن شعلان امير

الرولة وسوق الفايز شيخ الصخور وسلطان العلي عظيم العدوان وسوق عودة ابي تايه من الحويطات وسوق كاسب الحاوي من الشرارات وسوق قدّر المجالي من عرب الكرك. فلهؤلاء الامراء مضارب كبيرة مفروشة بالاثاث الثمين ولها الاعمدة الوفيرة يتقاطر اليها الشعراء وينشدون الاشعار بحضرتهم وما جاد منهـا يسطّر في قلوب الحاضرين

اقسام الشعر العربي

لقـد قسم المتأدبون الشعر الى قسمين كبيرين : الشعر القصصي والشعر الغنائي. وذلك لان الناظم امّا ان يقصد بشعره وصف واقعة يتغنّى في سردهـا ويتلاعب بايراد تفاصيلها وظروفها فيبرزها بمظاهر موّنقة متلوّنة الاشكال حيّة الاشخاص وذلك هو الشعر القصصي. وامّا انهُ يتوخّى اظهار ما تكنّهُ الصدور من عواطف الرقّة ويختلج بهِ قلبهُ من المشاعر الشفّافة ويتمثل لخاطرهِ من التصوّرات والخيالات المبتكرة والامثال والحكم السديدة وذلك هو الشعر الغنائي

وقد زادوا قسماً آخر يعرف بالشعر التمثيلي وهو ان يعمد الشاعر الى واقعة فيصوّر اشخاصها الذين جرت على ايديهم وينسب الى كل منهم ما تتحملهُ الظروف وتدلُّ عليهِ القرائن من الاقوال والافعال. فان الاعراب الحاليين قد عرفوا كل تلك الانواع من الاشعار كما سنذكر امثلةً منهـا في خاتمة مقالتنا. ولهم كثير من الشعر القصصي يحملنا الى عهد امرئ القيس وان لم يجرِ على اوزان العروض. وحسبنا ان نذكر اسم ابي الكباير من الشرارات فهو شاعر مفلق بارع في وصف الحروب والوقائع المشهورة. ولو نُقل شعره الى لغة اجنبية لعُدَّ من اكبر الشعراء واوسعهم تصوّرًا وابعدهم تخيّلًا

وقد نظم الشعراء قصائد عديدة في جميع ما يعرض للمرء من المعاني الخاصّة والعامّة فاستعملوا الوصف والفخر والمدح والهجاء وفتحوا ابوابًا للملح والفكاهات وسطّروا الالغاز وابدعوا في الحكم والحماسة وغيرها من انواع الشعر العربي

والعرب وان لم يكن لهم مراسح تُمثّل فيها الروايات على انهم دوّنوا حكايات عديدة بديعة السبك سمّوها ديوانًا فموضوع تلك الروايات حكايات غريبة تأنس لها

الغارب لما فيهـا من وصف الشجاعة والحماسة واليأس والكرم ومدح الابطال المعدودين وقد اظهروا الحبّ بجميع اساليبه . فهم يمثلون تلك الروايات في خيم الامراء او مسامرات الليالي فيتخلل النثر كثيرٌ من الاشعار البديعة ولو رام المؤلف جمعها لكتب مجلداً كبيراً فريداً في بابه

فمن اشهر رواياتهم رواية « الولاشي مهل » من امراء نجد . فبطل الرواية هو امير نجد اصبح فقيراً بعد عزّ وجاه ثم عاد الى غناه الاول وثروته الطائلة لحسنى فعلهـا بحياته . ومنها رواية الضيغم ورواية محسن الخزالي وبركات بن مطلق وديوان الشريف محمد بن مسعود وديوان الليدة وديوان سنان بن ياسر وديوان الاميرة توها . وهي روايات اصلها حقيقي تزينوا المخيّلة بابهى الحلل من الوصف وهي عربيّة محضـة لا يختلط بها شيء اجنبي

والعرب مولعون بالامثال والحكايات يسردونها في حديثهم فطوراً يأتون بها على لسان الانسان وطوراً على لسان الحيوان او الجماد تزهةً للافكار وتفكهةً للخواطر

وللعرب ايام كالعرب الاقدمين وهذه الايام تؤخذ اسماؤها من الربوع التي جرت فيها او من البطل الذي ظهر فيها مظهراً غريباً مدهشاً او من المرأة الراكبة على الهودج لتستنهض همم الفرسان ايام الحروب او من قائد الحملة . فمن ذلك يوم طلال من بني صخر ويوم وضحاء ويوم عبّاد ويوم الشاشات ويوم ابن شعلان ويوم معقر العطفة والعطفة هي ناقة تحمل هودجاً فيه ابنة الشيخ . ولا يوجد عطفة للعرب في ايامنـا الحاضرة الّا لابن شعلان لان عطفته لم تؤخذ في الغزوات وعطفات الامراء كلهم قد اخذت ولقد يطول بنا المقال لو رمنا ذكر الايام كلها

تراكيب الشعر العربي

ومما يمتاز به الشعر العربي الحالي عن الجاهلي هو الاستهلال في القصيدة فان العرب في عهد جاهليتهم كانوا يستهلّون شعرهم بالبكاء على الاطلال والتشبيب والغزل . ولبثت تلك الملكة فيهم الى ما بعد انتقالهم من مضارب البادية الى قصور المدن الغنّاء فالعرب هم رعاة ابل وشاء تضطرهم احوال معيشتهم الى التنقّل من مسرح

الى اخر ابتغاء النجعة في الصيف وطلب الدفء في الشتاء. ولذلك كثر فيهم ذكر المنازل الخاوية والاحبة الظاعنة وهاجت فيهم رؤية الاطلال التوجد والشوق. ثم لما اتسعت دائرة اغراضهم وامتدت البلاد في وجوههم داموا مقيمين على عاداتهم في مطلع نظمهم لا يبتغون غيرها ولا يأنسون الى سواها. وكثيراً ما كانت تتوق نفوسهم الى البادية ولو حلوا الربوع الخضرة والجنان الواسعة والقصور الشاهقة فكأنهم كانوا يقولون بلسان شاعرتهم :

لَبَيْتٌ تخفق الارياحُ فيهِ احبُّ اليَّ من قصر مُنيفِ
ولبس عباءة وتقرّ عيني احبُّ اليَّ من لبس الشفوفِ

على ان الشعراء الحاليين لم يقتفوا آثار اسلافهم ولم يسيروا على خطتهم فتارةً يستهلون بذكر المولى وصفاته وطوراً يستعملون الشد كما سنبينه. فالاسم الكريم هو مطلع اكثر قصائدهم. ولو كان البدوي وحشاً ضارياً فاسم الله على لسانه دائماً ولذلك نراهم يستغفرون الله على جرائمهم في شعرهم فيقولون :

ابدي بذكر الي على الكل بادي رب الملا والي جميع البوادي
يا رب لا تكتب عليَّ تكادِ وعليك تهونُ الامور الصعبات
يا رب يا والي جميع الرعيةْ يا مُدْعِيَ الدنيا سماحْ وفضيَّةْ
يا ربْ لا تكتبْ عليَّ خطيَّةْ وانت غفور للامور الكبيرات

ويقول شاعر غيره :

ابدي بذكر الي على الكلْ منّانْ يا رب يا خلّاق عرشاً بسمايا
تطلبك يا رب يا رافع الشانْ ترفع عبيدك من جميع الدهايا

وقال غيره في مطلع قصيدته :

يا لهي نادِ لي بالمليح وانت خلّاق الجنان الباردات

فالبدوي يذكر اسم الله الرفيع في كل حالاته حتى قبل الغزوات والسرقات وقبل ان يذبح النفوس الكريمة

ومما اختصوا به دون غيرهم عن الشعوب حتى من العرب الاقدمين انتقسهم هو الشد في اول القصيدة. فالشد يقوم بان يصف الشاعر فرساً سابقاً ذلولاً مغواراً او

هَنلعةً من بنات الجن فيزيّنها بانواع الزين ثم يصف بطلًا شجاعاً يمتطي متنها ويسير بها الى مضرب الامير صاحب القصيدة كقول ابي الكباير في مدح عود ابي تايه:

قم يا علي تشرف على كل طابلْ شَدّيْتْ عَوْصًا تقطعْ الدوّ حابلْ
عليها غلام ما جنى بالقمابلْ متمود قطع الفجوج المليّاتْ

ودونكم مطلع قصيدة يُعَدُّ عندهم من جيد الشعر وجميل الوصف بها يمدح سلطان العلي امير العدوان قال:

يا راكبًا من عندنا فوق سوّاحْ يَمّمْ ذَلولك يوم مدّ الركابِ
صنعة شراري كورها قط بلاحْ اركب عليها بالمقب لا تحابِ الخ (١

واما معانيهم الشعرية فهي تحاكي معاني الجاهليين في الوصف للخيل والحروب والكرم والبسالة. وقال شاعر يطلب سيفاً من امير:

وهنادٍ إنْ سطا الدمَ يطيحْ وروس في العجاج مُدَمّلاتْ

ويُخال انّا نسمع عنترة العبسي حينما نتلو بعض اشعارهم. وقد شبهوا طراد الخيل بالريح ورجليها بساقي نعامة كقول علي القزيعي:

هيهلا يا راكبين فوق فيحْ مثل سيان الجراد مسرعاتْ
او تشدن رف القطا مع وجه ريحْ هجاهيج يلحقنَّ المزفياتْ
او تشدنْ برق السما يربح ريح من هماليل الثريا ناشياتْ

وقال سليمان اليماني في وصف فرس:

كأن زولها يوم تقفي بالرديف مثل ريحٍ مع سنود ومنحدرْ
تَشْدَا هَيْجٍ يوم طلع لهُ قنيص طلع القنّاص بالقمد دَغَرْ
إنْ فرّقَها بصاريع المنان تَغْزَرْ فزّات الغزال على الجَمَرْ

ومَن تلا قصائدهم التي سنسطرها يتّضح لهُ ما يأتون بهِ من المعاني الشعرية في سائر احوالهم واغراضهم. ويختمون شعرهم بالانبياء والاولياء. كقول احدهم:

واختم كلامي بالنبي ولد عدنان يا ربي لا تكتب عليَّ خطايا

واما نمر العدوان في مراثيهِ فينهي كلامهُ بالدعاء على من يلومهُ فيقول مثلًا:

من لامني يا عتاب يبلى بارقط ثابْ من جنّة الوهاب ما يستفيدِ

---

١) ستأتي هذه القصيدة مشروحة في آخر المقالة

ولقد ختم قصيدته ببديع الشعر حين قال:

يا رب اسمع تسبيح عبدك بتبجيل بجاه موجات البحر بالتطامن
تجلني اشاهد نور عيني بتهليل تجعل لنا عرشاً في يوم القيامة

وبعض الشعراء لم يختموا قصائدهم

هل الشعر الحالي موزون

ومما يلفت الانظار ان العرب الحاليين اقاموا لاشعارهم اوزاناً فمنها ما يشبه المنقول في كتب العروض عن الشعر القديم ومنها ما يختلف عنها كل الاختلاف. والاوزان المستعملة محمولة على السماع فمن ذلك نشأت الاغلاط في منظوماتهم. فالعرب الذين لم يختلطوا بغيرهم كالشرارات وبني صخر يستعملون كثيراً وزن الرمل اي فاعلاتن فاعلاتن فاعلن كقول احدهم:

هيلا يا راكباً حسن الرفيف يخطف الزوار بدري ان غرّ
او: يا الحي نادِ ليَّ بالمليح وانت خلاق الجبان الباردات

ودونكم مثلاً على المتدارك او قطر الميزاب:

شُدّ حُرّ مِنْ الاحرار إلي كَتْبَهْ اللهْ صار
أنسُفْ عِدّتُهْ سَارْ خُرجْ عُقَيلي بلواحا

واما الرجز حمار الشعر فهو كثير عند العرب الحاليين قال غر العدوان يصف وضحاء وهي محمولة على بعير حين ذاوها ليدفنوها

عِلْمي بشوقي نائماً فوق اشمل مُشْمَرْخَ السافين شَلِيعْ مُشَوْلَعْ (١
عليه الشوق ان نبهتُهُ ما نطق سكران غافي عيا لا بي (٢
ثم قامين الدايات لفّن صاحبي من كِلْمَةِ التنخيخ ثنّى الاربع (٣

---

١) اي موضوع حبي كان نائماً فوق بعير. حينما ماتت وضحاء وضعوها في هودج ونقلها بعير مشمرخ اي مرتفع. الشليع اي الكبير العظيم

٢) ان اردتَ ان تنبه وضحاء من نومها ما نطقت لانها ماتت. كانها سكرى نائمة تأبى القيام من النوم

٣) اي غسلتها الدايات (القابلات) ولفتها بلفائف الاموات. ثم سار البعير الى ان وصل الى القبر وهناك ناخ. ثنّى الاربع اي برك الجمل

يا زرع البُستان هنا دُمتي دونك على مجرى عيوني وازرع (١
ازرع لنا مرًّا ودفلى وحنظلا حتى ادوم أذوقه واشرب واجرع (٢

والعرب الحاليون لهم اوزان غير معهودة في ابواب العروض يجرون عليها ويعرفها شعزازهم. فاذا تلوا امامهم شعرًا على غير وزنه المعروف انكروه علينا واظهروا مواقع الخلل فيه. ولا يستعملون الاوزان الّا بحسب اغراضهم. فلهم شعر يشبه الوزن الطويل يستعملونه في المدح والرثاء فقط. وايام الحروب لهم غناء خفيف فتجري اوزان اشعارهم على خبب الخيل وعلى سير النياق وفيما هم سائرون يستنهضون عزائمهم بشعر حماسي قصير الفاعيل. كقولهم في سيرهم لمعركة حدثت بينهم وبين الشاشان:

اركب يا قرم المردان هوزها براس المحجان (٣
قطعها فرج رودبان الحق ذلولك من هان (٤
قوطر جرد بالعربان اجمع من كل الركبان (٥
بينا وبين الشاشان حضر ابليس وما غبّاه (٦

اغلاط الشعراء

على انا نرى في بعض الاشعار الفاظًا قد شذّت عن منقول العربية الفصحى فأُنزلت في غير منازلها واستُعملت في غير مواضعها وذلك لانهم نقلوا الفاظ لغتهم العامية الى الشعر فوضعوها على لفظها المستعمل. ومن اغلاطهم الصرفية كسر اواخر الافعال المضارعة للقافية كقولهم في الاشعار السابقة:

ازرع لنا مرًّا ودفلى وحنظلا حتى ادوم اذوقه واشرب واجرع

اجرع والاصل اجرعُ وانما كُسرت اواخر الكلمة للقافية وهذا كثير جدًّا في

---

١) دمتي. اي موضوع حبلي في القبر. ازرع بستانك واسقِه على مجرى عيوني
٢) اي حتى يمزج هذه النباتات والاشجار المرّة ويذوقها ويشرب منها. واجرع اصلها أجرعُ
٣) اي اركب الذلول واضربها براس العصا
٤) اقطعها سهولًا واودية. والحق قومك من هنا
٥) اي اذهب وجنّد العرب واجمع الفرسان
٦) صارت الحرب بيننا وبين الشاشان وظهر الشيطان

اشعارهم . ويجرّون المبتدأ في كثير من الاحوال ويضمون نون المضارعة على الافعال الماضية كقولهم :

قالون نزل الشيخ نية عطيان طلال زين مظللات المنايا

قالون اصلها قالوا . ويجرّون او ينصبون الفاعل في كثير من الاحوال وكذلك يجرّون المفعول به فيقولون مثلاً :

صار الصياح وشبّت بالقلب نارا الطرش جاض وشهدت العذارى

اصلها شبّت نارٌ بالقلب . ويضمون السكون في اواخر الكلمة للوزن ويدغمون الاسماء فيقولون ألي بمعنى الذي ويقولون كانّ بمعنى كأن . ويستعملون الكلام المستهجن الوحشي كالجاهليين . واغلاطهم اللغوية والصرفية والنحوية كثيرة كما سبق

وقد خُصّ الشعر الحالي كالشعر الجاهلي بالبداهة والسذاجة والصدق في المدح والرثاء الّا ما ندر فلا يُرى في كلامهم اثر للتكلّف . على ان استعمالهم للكلام المستهجن انما هو دليل على ما هم عليه من البداوة والخشونة فان معظم شعرهم مما يوافق محسوساتهم فافاضوا في وصف البوادي والقفار ولاسيما في وصف معيشتهم واحوالها ومدح الكرم واكرام الضيف . واسهبوا في ذكر ما لديهم من سلاح وخيل وابل وما يتوفّر لديهم من لوازم معيشتهم . بيد ان نمر العدوان كثير المغالاة حينما يصف ما نزل به من انواع المصائب ودونكم مثلاً في ذلك :

حلّت بقلبي ستة الاف ثعبانْ دفّاقة للسمّ دفّق السحابِ (١
تسعين كور مقابلها الف سدّانْ والكل تضرب على السدن ما تعابِ (٢
ميتين كور مقابلها الف دكان والكل وكلهم بصنعة عذابي (٣
لي سلوفي سلّ مسلول ظابانْ سرساف سري عاد صفو السراب (٤

---

١) ان المصائب حلّت بقلبه . ثعبان هي الحية العظيمة . دفق السم اي تفثه . وشبه سم الثعبان بالسحاب الغزير

٢) الكور هو محل النار في دكاكين الحدادين . والسدّان هو السندان حديد عظيم يضرب عليه الحديد الحامي . تعابِ اصلها تعابُ

٣) انظروا الى المغالاة في وصف عذابه وما حلّ به من الاحزان لفقد امرأته

٤) سل السيف اي انتضاه . ظابان هو السيف . اي انهُ اصبح ضعيفاً مهزولاً من الاحزان كالسيف المسلول . سرساف اي امال . سري اي ضميري . اصبحت امالي ورغائبي كالسراب

الشعراء المجيدون في ايامنا الحاضرة

الشاعر المجيد مشحـة الدهر وشرف البادية هو نمر العدوان فن اسباب عظمته وشهرته وتناقل شعره بين العرب براعةُ تصويره لعواطف القلب وشواعر الحزن وهو من مبتكري الشعر الرثائي في شرقي الاردن والشعراء من بعده يقتفون اثاره. فشعره عُود يغنّ في الصحراء بانغام شجية يترنم بها الاعراب في كل ربوعهم. ولقد كان لهُ حظ كبير من الهموم والاحزان وقسط من التعاسة والاشجان على فقد وضحاء امرأته فكانت اسيرة حياته ومنية فؤاده وموضوع سروره وكآبته. ومراثيه تشفّ عمّا كابدهُ من غُضَض الزمان وما تجرّعه من مرارة المحن لفراقها. مع انهُ كان اميًّا لا يعرف القراءة والكتابة وقد مضى على موته ستون سنة وشعرهُ باقٍ لا تخلق جدّته ولا يبلى رونقه لا سيما اذا تغنت الرباب وسار القوس يجيبهـا فلا يوجد اشدّ تأثيرًا منها ولا اعطف من الحانهـا. ولو جمعنا ما تغنّى بهِ لكان كتابًا نفيسًا على انّا اتينا ببعض شعره مثالًا على تفننهِ ورقّة عواطفهِ

ولم يتولع بوضحاء لجمالها البارع بل لصفاتها العجيبة وطاعتها الغريبة ورقّة ذوقها وسلوكها مع الناس باجمعهم واكرامهـا للضيف. يحكى انها اذا رأت الضيف مقبلًا ابتسمت لهُ وقدمت لاستقبالهِ بالبشاشة واللطف. واذا حضرت امام محفل الشيوخ او غيره من المجالس الكبرى رجعت الى الوراء بعد ان قدّمت لهم دلائل الاكرام وما ابدتْ لهم ظهرها وفي ايام المجاعات كان بيتها حافلًا بانواع المآكل لما كانت عليه من الفطنة والاقتصاد والمعرفة بلوازم البيت. فلمّا ماتت خرج نمر يهيم في القفار يذرف الدموع عليها ثم جلس زمنًا طويلًا على قبرها لا يذوق لذّة النوم. وكبر ابنهُ عقاب واصبح فارسًا مشهورًا تشهد لهُ الحروب بالشجاعة والبسالة

والعرب يطربون غاية الطرب لشعر نمر فاذا سمعوا الرباب وصوت الشاعر يردّد تلك المراثي البديعة يهيمون في وادي الخيال ودلائل الحزن بادية على وجوههم فيصمتون وقتًا طويلًا لا يلفظون حرفًا متأثرين كثيرين. ومات نمر وقبره معروف في قرية ياجوز يُزار كاحد الاولياء. وياجوز هذه قرية قريبة من السلط تبعد عنها ثلاث ساعات نحو الشرق وقبر وضحاء في غور نمرين

واصاب شأناً بعيداً ومكاناً رفيعاً بين الشعراء الشاعر الشراري ابو الكباير. فمن رآهُ اليوم يعاوي البوادي طلباً للرزق من اهل الكرام خالهُ فقيراً مسكيناً عليهِ ثوب بالٍ وعباءة رثة لهُ جسم ناحل ووجه شاحب. على ان وراء تلك الثياب البالية نشاهد نفساً كريمة اذا اخذتها هزّة الطرب او سكرة الحماسة انشدت القصائد الرنانة وهو اليوم عند المجالي شيوخ الكرك وفي الحروب والغزوات يركب مراكب البر ويتهمّز بعزائم الفرسان او يصعد الى جبل عالٍ يعهد بانظاره الخيول تجري في ساحة الوغى والسيوف اللوامع والغبار المرتفع فيصف اذ ذاك الوصف الدقيق ولله درّهُ حين يقول في مدح عودة ابي تايه :

صار الصباح وشبّ بالقلب نارا الطرش جاض وشبدن المذارى
ذاب الرجال والقلب حارا النفس للانسان كنوز غبنات
صاحوا وصحنا وتنبّه ذكر عودهْ ووّح كسيل قوي مدوده
اكم قرم من هوانه يقودهْ قبل الضحى يبقى على القبر فوات

وشعره يُعدُّ من الشعر الشروقي لان العرب القاطنين في شرقي السلط وعمان يتغنون بهِ ولهُ قصيدة كبيرة جيدة يمدح بها عودة ابا تايه نذكرها في اخر المقالة

غير ان عليًّا التزيمي من بني حميدة شهير في الوصف لا نعلم عن حياته شيئاً الّا قصيدتهُ التي ادرجناها في محلّها. ومن شعراء النصارى نصر العطا الله كان شاعراً انيقاً متفنناً توفاه الله من عهد بعيد بيد ان شعره يتغنى الناس بهِ وطار ذكره بين العرب انفسهم فكان الشيوخ يقصدونهُ فيجزلون لهُ العطايا ولهُ قصيدة كأنها نبوءة على افتتاح السلط ودخول الدولة العثمانية فيها. ومنهم ايضاً شحادة الحدادين ويوسف المصري في مادبا وعليان الشراري وعلي الشراري وصيّاح الحديد وجوعان العبد من الخريشا وسليمان المكارف من بني عباد والزيودي من بني حسن وجديع من عرب الشنبل ومزيد الخريشا. ذكرنا اسماءهم ولا نعرف شيئاً من حياتهم

وكما ان الشاعرات القديمات خلّدن لهنّ ذكرًا في العصور الغابرة كالخنساء وليلى فقد نبغت شاعرات في دهرنا الحاضر منهن المُزيّني. وحياتها رواية من روايات الزمان قيل انها تزوجت بامير من امراء العرب وكان الامير من صاغة الشعر فقال لها: أتتركين الشعر او أتركهُ انا. فقالت: انا اتركهُ. فتركتهُ زمناً قصيرًا وبنى لها قصرًا

شرقي عمان واسكنها به وحلف انهُ يهجرها اذا سمعها تقول الشعر ولمّا كانت في قصرها عنّ على بالها الشعر فانشدتهُ فسمع بذلك زوجها فهجرها. فتزوجت بامير غيره وكانت تهجو زوجها الاول وكانت شاعرة متغنية ترسل نظمها الى الامراء. وتوفيت من نحو اربعين سنة وشعرها باقٍ يردده الاعراب في مضاربهم

هذا ما اتينا بهِ عن شعر العرب الحاليين ولقد سطرنا اشعارهم كما ينشدونها في خيمهم وكشفنا عن غامض معانيها علّها تسرّ قراء الشرق الكرام (لها بقيّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١ أحداث العهد العتيق (تتمّة)

٥ ﴿ ابناء نوح ﴾ لم نجد في شعر عرب الجاهليّة ذكرًا لابناء نوح الّا في قصيدة لصلاءة بن عمرو الشهير بالافوه الاوديّ (راجع شعراء النصرانيّة ص ٧٠) ذكر فيها ملوك التابعة والثامنة وقد ورد منها ابيات في كتاب وصايا ملوك العرب (ص ٢٠) فقال :

فلو دام البقاء إذَنْ جدودي وأسلافي بنو قحطانَ دامُوا
ودام لهم تتابعهم ملوكًا ولم تَسُتِ الثامنةُ الكرامُ
وعاش المَلْك ذو الأذعار عمرٌو وعمروٌ حولهُ الجيبُ اللهامُ
ملوك ادّتِ الدنيا اليها إتاوتها ودان لها الانامُ
ولمّا يَمْضِها سامٌ وحامٌ ويافثُ حيثما حلّت ولامُ (١

٦ ﴿ ذكر ابرهيم الخليل وابنهِ اسحاق ﴾ ورد اسم ابرهيم في الشعر الجاهلي

١) جاء في كتب العرب انّ لام ابنٌ لنوح كسام وحام ويافث

شرقي عمان واسكنها به وحلف انهُ يهجرها اذا سمعها تقول الشعر ولمّا كانت في قصرها عنّ على بالها الشعر فانشدتهُ فسمع بذلك زوجها فهجرها. فتزوجت بامير غيره وكانت تهجو زوجها الاول وكانت شاعرة متغنية ترسل نظمها الى الامراء. وتوفيت من نحو اربعين سنة وشعرها باقٍ يردده الاعراب في مضاربهم

هذا ما اتينا بهِ عن شعر العرب الحاليين ولقد سطرنا اشعارهم كما ينشدونها في خيمهم وكشفنا عن غامض معانيها علّها تسرّ قراء الشرق الكرام (لها بقيّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١ أحداث العهد العتيق (تتمّة)

٥ ﴿ ابناء نوح ﴾ لم نجد في شعر عرب الجاهليّة ذكرًا لابناء نوح الّا في قصيدة لصلاءة بن عمرو الشهير بالافوه الاوديّ (راجع شعراء النصرانيّة ص ٧٠) ذكر فيها ملوك التابعة والثامنة وقد ورد منها ابيات في كتاب وصايا ملوك العرب (ص ٢٠) فقال :

فلو دام البقاء إذَنْ جدودي وأسلافي بنو قحطانَ دامُوا
ودام لهم تتابعهم ملوكًا ولم تَسُتِ الثامنةُ الكرامُ
وعاش المَلْك ذو الأذعار عمرٌو وعمروٌ حولهُ الجيبُ اللهامُ
ملوك ادّتِ الدنيا اليها إتاوتها ودان لها الانامُ
ولمّا يَمْضِها سامٌ وحامٌ ويافثُ حيثما حلّت ولامُ (١

٦ ﴿ ذكر ابرهيم الخليل وابنهِ اسحاق ﴾ ورد اسم ابرهيم في الشعر الجاهلي

١) جاء في كتب العرب انّ لام ابنٌ لنوح كسام وحام ويافث

ويقال ابراهِم وابراهَم. قال عبد المطّلب (المعرّب للجواليقي ص ٩ واللسان ١٤ : ٣١٤) ينسب ابتناء الكعبة الى ابراهيم :

عُذتُ بما عاذَ به ابراهيمُ مُستَقبِلَ القبلةِ وهو قائمُ اني لك اللهمَّ عانٍ راغمُ

وله : نحنُ آلُ اللهِ في كعبتِهِ لم يزل ذاك على عهد أبراهَمِ

ودعاهُ ورقة بن نوفل باسم الخليل فقال (شعراء النصرانيّة ٦١٨) يخاطب زيد بن عمرو :

فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها تُمَلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهيا
تُلاقي خليلَ اللهِ فيها ولم تكُنْ من الناس جبّارًا الى النار هاويا

وفي شعرهم اشارة الى اسحاق ويدعونهُ الذبيح لما ورد في التوراة من طاعة ابراهيم لمّا امتحنهُ الله وامره بتقدمة ابنهِ. قال الاعشى يشبّه لون الخمر بلون دم الذبيح :

ومُدامةٍ عمّا تُمَنّيقُ بابلٌ كدمِ الذبيحِ سَلَبْتُها جِربّالَها

وقد وصف امية بن الصلت تقدمة ابراهيم كما رُويت في التوراة فقال (تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨ وكتاب البدء ٣ : ٦٥ وقصص الانبياء ٩٣ وخزانة الادب ٢ : ٥٤٣) :

سبّحوا للمليك كلَّ صباحٍ طلعتْ شمسُهُ وكلَّ هلالِ (١
ولابراهيمَ الموفّي بالنذْ رِ (٢ احتسابًا وحامل الأجذالِ (٣
بِكْرِهِ لم يكُن ليصبرَ عنهُ لو رآهُ في مشرِ أقتالِ (٤

---

١) رُوي هذا البيت لابن صرمة الانصاري (خزانة الادب ٢ : ٥٤٢)

٢) كذا روى الطبريّ. وروى صاحب كتاب البدء : الموفي بنذر. وروى في شواهد مغني اللبيب (ص ٣٤١) : « لابراهيم الوافي بالنذر » والبيت مكسور

٣) الأجذال جمع جِذْلٍ وهو القطعة الكبيرة من الحطب. وروى الثعلبي في قصص الانبياء (ص ٨٢) : « حامد الاجزال » وهو غلط . وكذلك روى في كتاب البدء « الاجزال » بالزاي

٤) الأقتال جمع قِتْل وهو القِرْنُ والنظير والمقاتل. وروى الطبري : او يراهُ . ويروى في بعض نسخه : مشرِ أقيالِ

ولهُ مُدْيَةٌ تَخايَلُ في اللحـــمِ حُذَامٌ حنيَّةٌ كالهلالِ (١
أُبَنِّي انّي نذرتُكَ للأَســـوِ شَحيطًا فاصبرْ فدىً لكَ حالي (٢
فأجاب الغلامُ أن قال فيهِ كلُّ شيءٍ لهُ غير انتحالِ (٣
ابتِ انّي جزيتُكَ بالأَســـوِ تقيًّا بهِ على كل حالِ (٤
فاقضِ ما قد نذرتَ لهُ واكفُفْ عن ذَبي أن يَمَسَّهُ سِرْبالي
وأشُدُّ الصَّفْدَ لا أحيدُ عن الســـكّينِ حَيْدَ الأَسيرِ ذي الأَغلالِ (٥
انّني ـــ آلَمُ المحزَّ وانّي لا أَمَسُّ الأَذقانَ ذاتَ السِّبالِ (٦
جعل اللهُ جيدهُ من نحاسٍ اذ رآهُ زَوَلًا من الازوالِ (٧
بينا يَخلعُ السرابيلَ عنهُ فكَّهُ ربُّهُ بكبشٍ جُلالِ (٨
قال خُذْهُ وأرسِلِ ابنكَ انّي للذي قد فعلتَ غيرُ قالِ (٩

١) مدية حُذام وخُذام اي قاطعة. وحنيَّة مستديرة. وتخايل اي تلوح. وروى في قصص الانبياء: « تخايلُ في اللحم غلامًا جبينهُ كالهلال » وهي رواية مصحَّفة. ورواهُ في خزانة الادب:

ولهُ مديةٌ تخيَّلُ في اللـــحم هُذَامٌ جليَّةٌ كالهلالِ

قال جامع ديوان امية محمد بن حبيب: المدية السكين. تخيَّل في اللحم تمضي فيهِ من الخيلاء. وهذام القاطعة السريعة من الهذم وهو القطع والاكل في سرعة. وجليَّة مجلوَّة

٢) الشحيط الذي يَشْحَط اي يضطرب في دمهِ يريد نذرتُ ان اضحيك لهُ. وروى في كتاب البدء: سحيطًا. وفي قصص الانبياء: فذلك حالي. وفي خزانة الادب: فدًا لك حالي. واظنّها كلّها مصحّفة

٣) قال شارح الديوان: غير انتحال اي غير كذب وادّعاء. بل هو حقّ

٤) ورد هذا البيت وما يليهِ في خزانة الادب. قال: « جزيتُكَ باللهِ أطعتُكَ باللهِ »

٥) قولهُ « لا أحيدَ » اي لئلّا احيد. ويروى: « أن احيد » قالوا معناها خشية ان احيد اي اميل عنهُ. ويروى: من السكين والصفد الحبل الذي يُربط بهِ

٦) قال الشارح في خزانة الادب: يقول لم أمسَّ ذقني اي لا اجزع ولا امتنع. وذقن الانسان مجمع لحيتهِ واصلهُ في الجمل يحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض فيعتمد بذقنهِ على الارض. والسبال جمع سَبَلة وهي عند العرب مقدَّم اللحية

٧) الزَّوَل الشجاع والعجب. والجيد العُنُق. ويروى: جعل الله جيدَهُ. والحيد المثل والنظير

٨) روى في قصص الانبياء وشواهد المغني: « بينا يخلع السراويل . . . بكبش جُلال ». والجُلال الجليل والعظيم

٩) روي في شرح شواهد المغني: فخُذْنَ ذا فداء ابنك انّي. وروى الطبري: فخذا ذا. وفي قصص الانبياء: فخذن ذا فدًى لابنك. ويروى: فأرسل ابنك عنهُ إني ما قد فعلتا. وقولهُ « غير قالٍ » اي غير مبغضٍ لهُ اي راضٍ بهِ

والدٌ يتّقي وآخرُ مولو دٌ فطارا منهُ بسَمْعٍ مُمالِ (١
رُبّما تجزعُ النفوس من الأمـــر لهُ فَرْجَةٌ كحَلّ العِقالِ (٢

وقد اختصر ذلك السرءل في ديوانهِ (راجع طبعتنا ص ٣٠) فقال :

فهذا خليلٌ صيّر الناسَ حولهُ رياحينَ جنّات النصونِ الذوابلِ
وهذا ذبيحٌ قد فداهُ بكَبْشه براهُ بدجّاً لا نِتاجَ التيائلِ

٧ ﴿ ذكر لوط وعقاب سَدُوم ﴾ لوط اخو ابراهيم. ذكرهُ العرب ورووا خاجرى لسَدُوم من العقاب في عهده. ورد في المعاجم (الصحاح والتاج واللسان في مادّة سَدَمَ) لشاعر لم يذكروا اسمهُ ولعلّهُ هو الشاعر الآتي ذكرهُ :

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا (٣ كمَصْنَف في سَدُومِ الرَّجمِ

وجاء في التاج واللسان لعمرو بن درّاك العبدي يشير الى مثل العرب : «أجورَ من قاضي سدوم» فقال :

وانّي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المُرونَ على تميمِ
لأعظمُ نجرةً منَ أبي رغالٍ وأجورُ في الحكومةِ من سَدُومِ

وقال امية بن ابي الصلت يذكر قصّة سدوم وجور اهلها وعقابهم (سفر التكوين ف ١٩ ثم معجم البلدان لياقوت ٣ : ٥٩ وكتاب البدء ٣ : ٥٨ وآثار البلاد للقزويني) :

ثمّ لوطٌ اخو (٤ سدومٍ اتاها اذ أتاها برُشْدها وهُداها
راودوهُ عن ضيفهِ ثمّ قالوا قد نهيناك ان تُقيم قراها
عَرَضَ الشيخُ عند ذاك بناتٍ كظباءٍ بأجْرَعٍ ترعاها (٥

---

١) قال الشارح : اي ذهب سمعهُ في الناس. والمُمال المرتفع اي صار لها شرفاً يُذكَران به. ويروى : «بسمع قمالٍ» وهو تصحيف

٢) رُوي هذا البيت لشمراء كثيرين والارجح انّهُ من هذه القصيدة لاميّة. قال في خزانة الادب : «المشهور انهُ لاميّة من قصيدة طويلة عدّتها تسعة وتسعون بيتاً ذكر فيها شيئاً من قصص الانبياء داود وسليمان ونوح وموسى وذكر قصّة ابراهيم واسحق وزعم انه هو الذبيح وهو قول مشهور العلماء». وروي في كتاب البدء : «رُبّما تكرهُ النفوس». وفي الخزانة : «من الشرّ» ٣) وفي معجم البلدان لياقوت (٣ : ٥٩) : حين أضحوا

٤) في كتاب البدء : ثمّ لوطاً اخا.

٥) روى القزويني : «عرض الشيخ» وهو تصحيف. وفي كتاب البدء : فرعاها

غضبَ القوم عند ذاك وقالوا أيها الشيخ خطبةٌ نأباها
أجمعَ القومُ أمرهم وعجوزٌ خيّبَ اللهُ سعيها ولحاها (١
أرسل الله عند ذاك عذاباً جعلَ الأرضَ سفلها أعلاها
ورماها بحاصبٍ ثمَّ طينٍ ذي جروفٍ مُسَوَّمٍ اذ رماها (٢

٨ ﴿ يعقوب وبنو اسرائيل ﴾ يعقوب ابو الاسباط الاثني عشر الذي دُعي اسرائيل ويقول العرب اسرائين. قال بعض القدماء (اللسان ١٧ : ٣٥١) :

قد جَرَتِ الطيرُ أيامنينا قالت وكنتُ رجلاً فطينا هذا لعمرُ اللهِ اسرائينا

رواهُ في القلب والابدال لابن سكيت (ص ٩ ed. Haffner) : « هذا وربّ البيت اسرائينا ». وسمّاهُ امية بن ابي الصلت إسرال (نقد الشعر لقدامة ص ٨٣) :

ما ارى مَنْ يبغي في حياتي غير نفسي الا بني إسرالِ

وروى الجاحظ (في البيان والتبيان ١ : ٩٠) لبعض بني اياد النصارى قولهُ وفيهِ اشارة الى رؤيا يعقوب عند مسيرهِ الى ما بين النهرين اذ رأى سلّماً تصعد عليهِ ملائكة الله وتنحدر (تكوين ٢٨ : ١٢) فقال :

ونحن اياد عبيدُ الالهِ ورهطُ مناجيهِ في السُّلَّم

ونسبوا الاسباط الى يعقوب. قال السموءل (اطلب طبعتنا لديوانهِ ص ١٢) :

وبقايا الاسباطِ اسباطَ يعقو بَ دراسِ التوراة والتابوتِ

وذكر في محلٍّ آخر يوسف ابنهُ وقصّتهُ في مصر (ص ٣١) :

وهذا رئيسٌ نجيٌّ ثمَّ صفرهُ وسمّاهُ اسرائيلَ بكرَ الاوائلِ
ومن نسلهِ السابي ابو الفضلِ يوسفٍ م الذي اشبع الاسباط قمح السنابلِ
وصارَ بمصرٍ بعد فرعون امرهُ بتعبيرِ احلامٍ لحلّ المشاكلِ
ومن بعد احقابٍ نسُوا ما اتى لهم من الخير والنصر العظيم الفواضلِ

٩ ﴿ موسى الكليم ﴾ قد اكثر شعراء الجاهليّة النصارى من ذكر موسى كليم الله ورووا ما جرى لهُ مع فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدهِ من رقّ المصريين. فمن ذلك ما ورد في كتاب البدء (١ : ٧٥) وفي سيرة الرسول (ابن هشام ص ١٤٥ —

١) لحاها اي لعنها. روى القزويني : « عزم القوم امرهم بعجوز . . . وسمّاها ». وفي ياقوت : سمّيها ورجاها

٢) في معجم البلدان : ذي حروفٍ. والمسوَّم المكلَّف والمسخَّر

١٤٦) وفي خزانة الادب (١ : ١١٩ و ٤ : ٢٤٣ في الهامش) لزيد بن عمرو ورُويت ايضاً لأُميَّة :

رضيتُ بكَ اللّهمَّ رباً فلن أرى ... ادينُ الهاً غيرَكَ الله ثانيا (١
وانتَ الذي من فضلٍ منٍّ (٢ ورحمةٍ ... بعثتَ الى موسى رسولاً مناديا
وقلتَ لهُ فاذهب وهارونَ فادعُوا ... الى الله فرعونَ الذي كان طاغيا (٣
وقولا لهُ أأنتَ سوَّيت هذه ... بلا وتدٍ حتى اطمأنَّت (٤ كما هيا
وقولا لهُ أأنت رفعتَ هذه ... بلا عَمَدٍ أرْبِقْ اذاً بك بانيا (٥
وقولا لهُ أأنت سوَّيت وسطها ... منيراً اذا ما جنَّهُ الليلُ ساريا
وقولا لهُ من يُرسلُ الشمس غدوةً ... فيُصبحُ (٦ ما مسَّت من الارض ضاحيا
وقولا لهُ من انبت الحبَّ في الثرى ... فاصبح منهُ البقلُ يهتزُّ رابيا (٧
ويخرجُ منهُ حبهُ (٨ في رؤوسهِ ... وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

وروى المقدسي في كتاب البدء (٣ : ٨٢) لأُميَّة بن ابي الصلت يذكر صَاف فرعون وعقابهُ :

ولفرعونَ اذ تُساقُ لهُ المـ ... ـاءُ فهلَّا فهُ كان شكُورا
قال اني انا المُجيرُ على النا ... سِ ولا ربَّ لي عليَّ مُجيرا
فجاهُ الالهُ من درجاتٍ ... ناياتٍ ولم يكن مقهورا (٩
سُلِبَ الذكرَ في الحياة جزاءً ... واراهُ العذابَ والتغييرا
وتدانى عليهِ البحرُ حتى ... صار موجاً وراءهُ مستطيرا

---

١) وفي خزانة الادب (٤ : ٢٤٣) : راضيا
٢) فيها (١ : ١١٩) : من فضل سيّب
٣) روى في كتاب البدء : فادعو . وهو مكسور الوزن . وروى في الخزانة : « وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا على الر . . . . » وهي رواية مغلوطة
٤) في كتاب البدء : أأنت سكّنتَ هذه بلا عمد حتى استقرّت . وفي بلوغ الارب لشكري افندي الالوسي (٣ : ٢٨٢) : « أأنت الذي سوّيت » ووزنهُ مختلّ
٥) في سيرة الرسول : بك هاديا
٦) في كتاب الخزانة : « من اخرج الشمس بكرةً فاصبح »
٧) صحّفهُ في كتاب البدء بروايتهِ : « من ينبت الحي والثرى فتصبح . . . راسيا »
٨) في الخزانة : « فأصبح منهُ حبُّهُ »
٩) كذا في الاصل . ولعلَّ في البيت تصحيفاً . والمقهور المغلوب

فدعا إله دعوةً لا خُفْيةً بعد طغيانهِ فصار مُشيرا (١

وممّن ذكروا موسى وفرعون السموءل حيث قال (راجع ديوانهُ ص ٣١):

ألسنا بني مصر المُنكّلة التي لنا ضُربت مصرٌ بعشر مناكلِ
ألسنا بني البحر المفرّق والتي لنا غُرق الفرعونُ يوم التحاملِ

ومثلهُ للقطامي في غرق فرعون (ديوانهُ ص ٨٤ ed. Barth):

وشُقّ البحرُ عن اصحاب موسى وغُرّقت الفراعنةُ الكفّارُ

وقال الاعشى مشيرًا الى اكل بني اسرائيل المنّ والسلوى في البرية (سيرة الرسول لابن هشام ٣٦٨ ولسان العرب ١٩: ١١):

لو أطعموا المنّ والسلوى مكانَهُمُ ما ابصرَ الناس طُعْمًا فيهم نجما

وللسموءل يصف ما جرى في البرية لبني اسرائيل (ديوانهُ ص ٣١):

واخرجهُ الباري الى الشعب كي يرى اعاجيبهُ مع جودهِ المتواصلِ
وكيما يفوزوا بالغنيمة اهلها من الذهب الابريز فوق الحمائلِ
ألسنا بني القدس الذي نُصب لهم غمامٌ يقيهم في جميع المراحلِ
من الشمس والامطار كانت صيانةً تجير نواديهم نزول النوازلِ
ألسنا بني السارى مع المنّ والذي لهم فجّرَ الصوّانُ عذبَ المناهلِ
على عدد الاسباط تجري عيونُها فُراتًا زلالًا طعمُهُ غير حائلِ
وقد مكثوا في البرّ عمرًا محدّدًا (٢ يغذّيهمُ العالي (٣ بغير المآكلِ
فلم يبلَ ثوبٌ من لباسٍ عليهم ولم يحوجوا النعل كلَّ المنازلِ
وارسل نورًا (٤ كالعمود امامهم ينير الدُّجى كالصبح غيرَ مزايلِ
ألسنا بني الطور المقدّس والذي تدكدكَ (٥ للجبار يوم الزلازلِ
ومن هيبة الرحمان دُكَّ تذلّلًا (٦ فشرّفهُ الباري على كل طائلِ
وناجى عليهِ عبدَهُ وكليمهُ فقدّسنا للرب يوم التباهُلِ

١٠ ﴿ القضاة الى داود ﴾ كان خلفُ موسى في قيادة شعب اسرائيل يشوعَ بن نون ولم نجد اسمهُ في الشعر الجاهلي. وانما ذكر الشريشي في شرح مقامات الحريري (١: ٨٠) بيتين للرصافي الشاعر يخاطب وجيهاً اسمهُ موسى فيهما اشارة ايقاف يشوع للشمس فقال:

١) نظن انّ الرواية مصحّفة ٢) في الاصل: بجدّدًا ٣) ويروى: الباري
٤) ويروى: وانصب نورًا ٥) ويروى: تدكدك
٦) ويروى: أليس تطأطا بالجلايل تذلّلا

وشيءٌ أتى للدرور وقد بدا من دون قرص الشمس ما يتوقَّعُ
سقطت ولم تملكْ يمينكَ ردَّها فرددتُ يا موسى لو أنَّك يوشعُ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ١٨) ابياتاً لشاعر جاهلي اسمهُ عوف بن سعد الجُرهمي يذكر فيها حرب يشوع للعمالقة وقتلهُ لملكهم مالك ابلة الذي دعاهُ السَّميدع بن هوبر فقال :

ألم ترَ انَّ العملقيَّ بن هوبرٍ بأيلةَ أمسى لحمُهُ قد تمزَّعا
تداعت عليهِ من يهودٍ جحافلٌ ثمانين الفاً حاسرينَ ودُرَّعا
فأمست عدادٌ للمماليك بعدهُ على الارضِ مشيًا مُصفدين وفُزَّعا (١
كأن لم يكونوا بين اجبال مكَّةٍ ولم يرَ راءٍ قبل ذاك سميدعا

ثمَّ ذكروا اوَّل ملك بني اسرائيل المسمَّى شاؤل وهم يدعونهُ طالوت قال السموءل (ديوانهُ ص ١٢) :

وانفلاقُ الامواج طورَيْنِ عن موسى وبعدُ الملكُ الطالوتُ

وذكرهُ صاحب القرآن في صورة البقرة (٢ : ٢٤٨) : « ان الله قد بعث لكم طالوتَ ملكاً »

١٢ ﴿ داوود الملك ﴾ تكرَّر اسمهُ في الشعر الجاهلي . ولم يكد الشعراء يذكرون من امرهِ غير وضعهِ للزَّبور وسردهِ للدروع . الَّا انَّ السموءل اشار الى قتلهِ جُليات وهو يدعوهُ جالوت قال (ديوانهُ ص ١٣) :

ومُصاب الافريس حين عدَى الليـ ـثَ واذ صابَ حينَهُ الجالوتُ

وفي القرآن (٢ : ٢٥٢) : « وقتل داوُد جالوت »

وقد ذكرهُ عبيد بن الابرص (خزانة الادب ١ : ٣٢٣) بياناً لطول عمرهِ :

وطلبتُ ذا القرنَيْن حتى فاتني ركضاً وكدتُ ان ارى داوودا

وقال الاعشى يذكر حوادث الدهر (حماسة البحتري ص ٩٠) :

ومرُّ الليالي كلَّ وقتٍ وساعةٍ يُزعزعنَ ملكاً او يباعدنَ دانيا
وردنَ على داوُدَ حتى أبدنَهُ وكان ينادي العيش اخضر صافيا

وقد اكثروا من ذكر داوود ونسجهِ للدروع ولا نعلم على ايِّ نصٍّ استندوا في اثبات ذلك قال طرفة (شعراء النصرانية ٣٠٩ وديوانهُ ص ٥٨ ed. Seligson) :

(١ وفي طبعة مصر (١ : ٢٢) : « فزَّعا » بالزاي

وهُمُ ما هُمْ اذا ما لَبِسوا نَسْجَ داوُدَ بأسٍ مُحْتَضِرْ

وقال حُصَين بن الحُمام المرّي (حماسة ابي تمّام ص ١٨٩) يصف كتائب كان يقودها عمرو بن هند ملك الحيرة الملقّب بالمحرّق:

عليهنَّ فتيانٌ كرامٌ مُحَرِّقٌ وكان اذا يكسو أجادَ وأكرما
صفائحَ بُصْرى أخلصتْها فيوفُها ومطّرِدًا من نسج داوُدَ مُبْهما (١

وكذلك جاء في الحماسة (ص ٢٨٤) لحُسَيل بن سُجَيع الضبيّ في وصف الدرع:

وبيضاء من نسج ابن داوُدَ نَثْرةٍ تخيَّرُها يوم اللقاء ملابسا

ومثلهُ للبيد (حماسة البحتري ص ٨٤ وديوانهُ طبعة الخالدي ٨٣) في كوارث الزمان:

وتزعّنَ من داوُدَ احسن صُنْعِهِ ولقد يكونُ بقوّةٍ ونعيمِ
صَنَعَ الحديدَ لحفظهِ امرادَهُ لينال طول العيش غير مَرُومِ

ومثلهم قال الاعشى (شعراء النصرانية ٣٨٨):

واعددتُ للحرب اوزارَها رماحًا طوالًا وخيلًا ذُكُورا
ومن نسج داوودَ يُحْذَى بها على أثر العيس عيرًا فعيرا

وكذا السلامة بن جندل (الاصمعيات ص ٥١) في وصف درع:

مداخَلةٍ من نسجِ داوودَ شكّها كحبِّ الجنا من أبلَمٍ متفرّقِ

ولهُ ايضًا (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ١٤):

لبسوا من اللاذيّ كلَّ مفاضةٍ كالنَّعْبِ يوم رياحِ الزَّفَرَانِ
من نَسْجِ داوودَ وآلِ محرّقٍ غالٍ غرائبُهُنَّ في الآفاقِ

امّا زَبُور داوُد فقد مرَّ لنا ما ورد فيهِ من شعر العرب (راجع المشرق ١٦ (١٩١٣): ٥١٠):

﴿ سليمان الحكيم ﴾ اطنب شعراء الجاهليّة في حكمة سليمان وسموّ سلطانهِ وابنيتهِ العجيبة التي ذكرها الكتاب الكريم في سفر الملوك الثالث واخبار الايّام الثاني ويزيد العرب انَّ سليمان كان يقهر الحيوان ويسخّر الجنّ للقيام باعمالهِ الجبّاريّة. فمن

١) وفي المعرّب للجواليقي (ص ٢٥): محكما

ذلك قول النابغة من قصيدة مدح فيها النعمان (ديوانهُ في العقد الثمين ص ٧ وشعراء النصرانيَّة ٦٦٣):

ولا أرى فاعلًا في الناس يشبهُهُ ولا أُحاشي من الاقوام من أحَدِ (١
ألا سليمانَ اذ قال الالهُ لهُ قُمْ في البريَّةِ فاحدُدْها عن الفندِ (٢
وخيِّس الجنَّ اني قد اذنتُ لهم يبنونَ تدمر بالصفَّاح والعمَدِ (٣
فمن أطاعك فانفعْهُ بطاعتهِ (٤ كما اطاعكَ وادلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومن عصاك فعاقِبْهُ معاقبةً تنهى الظَّلوم ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ (٥

وكذلك قد نسب اعشى قيس بناء قصر الابلق الفرد الى سليمان بن داوود حيث قال (معجم البلدان ١: ٩٣ وشعراء النصرانيَّة ص ٣٧٥):

ولا عاديًا لم يمنع الموتَ مالُهُ ووِرْدٌ بتيماء اليهوديُّ ابلقُ
بناهُ سليمانُ بن داوودَ حقبةً لهُ ازجٌ عالٍ وطيٌّ موثَّقُ
يوازي كُبَيْداءَ السماء ودونَهُ بلاطٌ ودارات وكاس وخندقُ

وللاعشى ايضًا في سليمان وسعة ملكهِ وتسخيرهِ الجنَّ (كتاب البدء ٣: ١٠٨):

فلو كان حيًّا خالدًا ومعمَّرًا لكان سليمانُ البريُّ من الدهرِ
براهُ الهي واصطفاهُ عبارةً وملَّكهُ ما بين سرقى الى مصرِ (٦
وسخَّر من جنِّ الملائك شيعةً (٧ قيامًا لديهِ يعملون بلا أجرِ (٨

---

١) ويروى: «وما ارى . . وما احاشي»

٢) ويروى: ولا سليمان اذ قال المليكُ لهُ . ويروى: كُنْ في البريَّة . . عن الفَنَدِ . ويروى: واردُدها عن الفَنَدِ . ويروى: وازجرها عن الفَنَدِ . والفَنَد الخطأ

٣) خيَّسهُ ذلَّلهُ . وتدمر المدينة الشهيرة التي ذكر في سفر الملوك الثالث (٩: ١٨) ان سليمان بانيها . والصفَّاح الحجارة العراض . وروى الثعلبي في قصص الانبياء:

وجيِّش الجيش اني قد أبحتُ لهم بناء تدمر بالاحجار والعمَدِ

٤) ويروى: فاعقبْهُ لطاعتهِ اي جازهِ

٥) الضَّمَد الذلّ والظلم

٦) قولهُ «عبارةً» لعلَّهُ تصحيف «عبادهُ» . امَّا سرقى فلم نجد لها ذكرًا في كتب البلدان وقد زعم المسيو هوارت (Ch. Huart) انها سمرقند وانَّ الاعشى اشتقها من اليونانيَّة «Σαρεφθά»

٧) روى في لسان العرب (١٦: ٢٥١) والتاج (٩: ١٦٥): تسعة

٨) روى في التاج (٩: ١٦٥): «يعملون محاريبا» بتغيير القافية غلطًا

وقال الاعشى (حماسة البحتري ص ٩٠) في تسخير الجنّ لسليمان :

فذاك سليمانُ الذي سخّرت لهُ مع الانس والجنّ الرياحَ المراخيا

ومثلهُ لشاعر حميري (حماسة البحتري ص٨٧) في صروف الدهر :

خطفنَ سليمانَ الذي سُخّرت لهُ شياطينُ جنٍّ من بريٍّ وذي جُرْمِ

وكذا قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص٨٦):

ويُملكَ سليمان بن داوودَ زلزلتْ وريدانَ قد ألحقتْهُ بالصماندِ

وقد مرَّ سابقاً ان اسم سليمان ورد على صور اخرى كسالم وسلّام وسُلَيم (راجع الصفحة ٢٣٢):

﴿ يونان النبي ﴾ لم نجد في الشعر الجاهلي ذكراً لاحد ملوك بني اسرائيل بعد سليمان . وكذلك الانبياء الّا يونان النبي فانّهم يدعونهُ يونس ويشيرون الى قصّتهِ وبعثتهِ الى اهل نينوى فيذكرون ابتلاع الحوت لهُ . قال امية بن ابي الصلت (شعراء النصرانية ص ٢٣١ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦):

وانت بفضلٍ منك نجّيتَ يونساً وقد بات في أضعاف حوت لياليا

رسولاً لم وافهُ يُحكم امرهُ يُبين لهم هل يؤنسُ الترب باديا

وقد ضربوا المثل في حوتهِ فقالوا: « آكل من حوت يونس » و « أنهم من حوت يونس » وكذلك ورد ذكرهُ في القرآن في سورة الصافات حيث قال (ع ١٣٩ — ١٤٨ : « وانَّ يونس لمن المرسَلين اذ ابق الى الفُلك المشحون فساهمَ فكان من المدحضين فالتقمهُ الحوت وهو مليم . فلولا انهُ كان من المسبّحين للَبث في بطنهِ الى يوم يُبعثون فنبذناهُ بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليهِ شجرةً من يقطين وارسلناهُ الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتّعناهم الى حين » . وقد ورد للفرزدق ابيات في نجاة يونان من بطن الحوت فقال في ابن هبيرة حين ثقب سجن خالد بن عبد الله القسري وعبر الفرات (محاضرات الادباء ٢ : ١١٤ والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١ : ١٢٨):

ولمّا رأيتَ الارض قد سُدَّ ظهرُها ولم ترَ الّا بطنَها لك مخرجا

دعوتَ الذي ناداهُ يونسُ بعد ما ثوى في ثلاثٍ مظلماتٍ ففُرّجا

وروى في كتاب البدء (١ : ٧٣) بيتاً لصرمة بن انس المعروف بالراهب فيهِ اشارة الى قصّة يونس . ولعلَّ البيت مصحّف:

ولهُ الراهبُ الحبيسُ نراهُ رهن يونس (١ وكان ناعمَ بالِ

وقد وجدنا في بعض مخطوطات باريس العربيَّة « كتاب تاريخ الحيوان والنبات والجماد » (Ms 687 de Paris, ff. 65) بيتاً لاميَّة يذكر فيهِ اليقطينة التي انبتها الله ليستظلّ تحتها وابيستها الشمس (سفر يونان ٤ : ٣—٧) :

فأنبَتَ يقطينًا عليهِ برحمةٍ من الله لولا اللهُ أبقَى (٢ صاحبا

ونضيف الى ما سبق بيتاً رواهُ الجاحظ لاميَّة (كتاب الحيوان ٧ : ١٧) ذكر فيهِ نبوَّة حزقيال التي رآها حيث ظهر لهُ رجل ثمَّ اسد ثم ثور ونسر وهي الحيوانات الرمزيَّة المشار بها الى الاربعة الانجيليين اعني متَّى الذي بدأ انجيلهُ بذكر ناسوت السيد المسيح ونسبهِ ثمَّ مرقس الذي افتتح انجيلهُ ببشارة يوحنا المعمدان كزئير الاسد في البرية ثم لوقا الذي ذكر في بدء انجيلهِ ضحية زكريَّا في الهيكل واخيرًا يوحنَّا الذي ارتفع كالنسر بوصف مولد ابن الله الكلمة الازلية . وهذا هو البيت :

رجلٌ (٣ وثورٌ تحت رجل يمينهِ والنَّسر للأخرى وليثٌ موصدُ (٤

وكذلك ورد في الشعر الجاهلي اسم حيقار او حيقر المذكور في الترجمة اليونانيَّة من سفر طوبيَّا (١ : ٢٣) ولهُ قصَّة طويلة عند العرب نشرها حضرة الاب انطون صالحاني في ملحقات الف ليلة وليلة . قال عدي بن زيد (حماسة البحتري ص ٨٦) في بلايا الدهر :

عصَفَتْ على الحيقارِ وسطَ جنودهِ وبيَتْن في لذَّاتهِ ربُّ ماردِ

هذا ما وقفنا عليهِ في الشعر الجاهلي من منقولاتهم عن العهد القديم الَّا انَّ في رواياتهم النثريَّة ما كان اوسع وادلّ لولا انَّ معظمها قد فُقد وانما حُفظ منها قسم في تاريخ المؤرخين الاقدمين كتاريخ الطبري او كتبهم الادبية ككتب الجاحظ وكثير منها مدوَّن في القرآن . ومن هذه الروايات ما هو موافق لنصوص الكتب المقدسة منقول عنها بحرفها او بمعناها . ومنها ما تجدهُ في كتب مصنوعة نُسبت زورًا الى

---

١) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب : « رهن يونا » بدلًا من يونان ليستقيم الوزن

٢) كذا في الاصل ونظنّ الصواب : ما بقي صاحبا

٣) رواهُ الدميري في حياة الحيوان : « زحل » وهو تصحيف

٤) وفي عجائب المخلوقات للقزويني (ص ٥٦) وليث ملبدُ

انبياء او رسل او صالحين كبعض كتب الرؤى (Apocalypses) او الوحي المزعوم كوصيَّة آدم وكتاب اخنوخ وصعود اشعيا ومناجاة موسى وكتاب مغارة الكنوز المنسوب الى مار افرام وكتب أخرى عديدة دخلت في بلاد العرب بواسطة النصارى لاسيَّما الرهبان او بواسطة اهل البدع واليهود فشاعت مضامينها الغريَّة ولم يميزوا بين صحيحها وكاذبها وربَّما استند اليها بعض اعداء النصرانية في عهدنا لتخطئة الكتب المنزلة لكنَّ سهامهم طائشة لا تصيب هدفاً (لهُ بقية)

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الصنف الثالث

الكتب اللاهوتيَّة

نمره ١٠٥ المختصر في الالهيات وهو كتاب الخلاصة اللاهوتيَّة المشهور امرهُ بيننا الذي عُني بترجمتهِ الحبر العلامة المطران بولس عوَّاد ولا حاجة لاطالة الشرح في خاصيات هذه الترجمة التي عرَّبها المفريان اسحق بن جبير الموصلي فقد اشبع الكلام بهذا الصدد المشرق في السنة ١٩٠٨ (١١: ٣٧٢) فهرباً من الاطالة نقول ان ناسخ هذه الترجمة الجبيرية هو الشماس بغدسار ابن يعقوب القسطنطيني نسخها في رومة سنة ١٧٠٨ واشتراها المطران جرمانوس فرحات واوقفها للمكتبة سنة ١٧٢٦ بثمن ٥٣ اسديًا عن كل مجلد وعدد المجلدات ثلاثة وكان ذلك باعتناء وكيلَي الوقف يوسف ابن اغوسطين الهندي وفرنسيس بن حنا حصرم

نمره ١٢٧ لاهوت ابن التلاعي وكان كُتب عليهِ غلطاً « لاهوت ابن العبري » استناداً الى ميمر لابن العبري مدوَّن على اخره فلم يعمل القارئ النظر بمحتويات الكتاب فنسبهُ الى ابن العبري جزافاً كما سترى. وسبب الغلط ان الذي عرم الكتاب لم

انبياء او رسل او صالحين كبعض كتب الرؤى (Apocalypses) او الوحي المزعوم كوصيَّة آدم وكتاب اخنوخ وصعود اشعيا ومناجاة موسى وكتاب مغارة الكنوز المنسوب الى مار افرام وكتب أخرى عديدة دخلت في بلاد العرب بواسطة النصارى لاسيَّما الرهبان او بواسطة اهل البدع واليهود فشاعت مضامينها الغريَّة ولم يميزوا بين صحيحها وكاذبها وربَّما استند اليها بعض اعداء النصرانية في عهدنا لتخطئة الكتب المنزلة لكنَّ سهامهم طائشة لا تصيب هدفاً (لهُ بقية)

مكتبة طائفتنا المارونيَّة

في مدينة حلب المحميَّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الصنف الثالث

الكتب اللاهوتيَّة

نمره ١٠٥ المختصر في الالهيات وهو كتاب الخلاصة اللاهوتيَّة المشهور امرهُ بيننا الذي عُني بترجمتهِ الحبر العلامة المطران بولس عوَّاد ولا حاجة لاطالة الشرح في خاصيات هذه الترجمة التي عرَّبها المفريان اسحق بن جبير الموصلي فقد اشبع الكلام بهذا الصدد المشرق في السنة ١٩٠٨ (١١: ٣٧٢) فهرباً من الاطالة نقول ان ناسخ هذه الترجمة الجبيرية هو الشماس بغدسار ابن يعقوب القسطنطيني نسخها في رومة سنة ١٧٠٨ واشتراها المطران جرمانوس فرحات واوقفها للمكتبة سنة ١٧٢٦ بثمن ٥٣ اسديًا عن كل مجلد وعدد المجلدات ثلاثة وكان ذلك باعتناء وكيلَي الوقف يوسف ابن اغوسطين الهندي وفرنسيس بن حنا حصرم

نمره ١٢٧ لاهوت ابن التلاعي وكان كُتب عليهِ غلطاً « لاهوت ابن العبري » استناداً الى ميمر لابن العبري مدوَّن على اخره فلم يعمل القارئ النظر بمحتويات الكتاب فنسبهُ الى ابن العبري جزافاً كما سترى. وسبب الغلط ان الذي عرم الكتاب لم

ينتبه لتنسيق اوراقه كما يجب اذ لم يجد امامهُ اعداداً تدل على نسق الوضع ولذلك عمدنا الى درسهِ طبقاً لما هو منسوق وان يكن التنسيق مغلوطاً : وعليهِ فهاك ما تراه في الصفحة الاولى مدوناً باحرف عربيَّة :

« يا الله في كمال نعمتك ابتدي صفة بسيطة من قول اللفسان العظيم رايموندوس » (ثم بالكرشوني) :

« نعمل هذه الصفة في متصيلاجل ان سائر الصنائع ينهمون بنجر تنسيهـ »

ومراد ابن القلاعي بعبارة « الصفة » التأليف او المقالة . وهذه الاوراق الاولى على ما يظهر مبتورة عند عرم الكتاب وموضوعة في اوله وحقُّها ان تكون في محل آخر من الكتاب . وعلى الصفحة السابعة قُبيل آخرها ما يلي :

« التاولوجيا هي معرفة عالية التي بها نتكلم عن الله وعظمة خاصيته اكثر من كل الاشياء : الفلسفة هي محبة الحكمة تجهر كي تخفي معرفة صادقة مرضية التاولوجيا بنت مطيعة وعجوز كبيرة معلمة مواظبة او هي تقرب طريق جوهري بها عقل الانسان يفي ويصل الى كل علم »

ثم يحدد ابن القلاعي انواع علوم اخرى وينتقل الى القسم الاول من لاهوته بالعبارة الآتية : « اركان دين النصارى » وهو التثليث ثم يتكلم عن ناسوت المخلص ثم يتكلم عن « تقدمات الكنيسة » ويريد بها اسرار البيعة : ثم « العشر الكلمات » ويريد بها شرح الوصايا العشر ثم يتكلم عن مواهب الروح القدس . والكتاب على ما اسلفنا مشوَّش العرم ولذا نتبع محتوياته طبقاً لما هو عليهِ . فعلى الورقة الثانية عشرة او الصفحة الرابعة والعشرين بحرف عربي لا كرشوني « ختوم البابا اوجانيوس الرابع الى البطرك حنا الجاجي » ثم يثبت البراءة الحبرية باحرف سريانيَّة وينسخها الى اخرها حيث يقول ما يأتي ننقله بالحرف : « انقلها (مرادهُ نقلها) جبرايل بن بطرس القلاعي من لحفد والقارئ لها يقول : ترحم » . ثم يلي ذلك ما يأتي بعد البسملة :

« نبتدى بعون الثالوث ننقل ختوم البابية (١ الذين وجدناهم بين شعب مارون : اول ختم البابا زخيا اعني اينوشنسيو الى البطرك ارميا في سنة ١٢١٥ ربانية »

وفي اخر البراءة ما يلي :

---

١) يريد البرآات البابوية

« ثم ذلك في اعلامه وشهده وانقله (ونقلهُ) جبرايل تحت خرف من الحروم الذي فيه على من يغير »

ثم يصوّر ابن القلاعي هيأة ختم البابا اينوشنسيوس الثالث ويروي ما كان محرراً على الدائرة الاولى من الختم المذكور: « اصنع يا رب معي اشارةً بالخير ». ثم يأتينا ابن القلاعي بعد هذه البراءة بما يلي: « نكتب كتاب البابا بولوس (الثاني) الى بطرك يعقوب الحدثي سنة ١٤٦٩ » ويصوّر ابن القلاعي على اول هذه البراءة بعض حروف افرنجية تشير الى هيأة الحروف المكتوبة بها البراءة مما يثبت ان هذا القسم من الكتاب هو بخط يده او ان الناسخ الذي سيأتي اسمهُ على اخر احدى المقالات قد صوّر تلك الحروف عن نسخة ابن القلاعي

فهذا ما طالعناه محرراً على الكتاب من الصفحة الرابعة والعشرين الى الصفحة الخمسين وهناك ما هو مثبت على الصفحة الخمسين وما يليها ننقله بالحرف:

« بسم الاب . . . نبتدي نكتب خمسة وخمسين مقالة من كتاب ناموس الجامع من الاخ استران من الاخوة الصغار عن الامانة الارثوذكسيَّة واركانها الثابتة بالله اوّل فصل عن القوات الثولوجيا (يريد الفضائل الالهية) من النحشات التي تضدها (١ او حول ذلك تفهم ان القوات الثولوجيا هي ثلاثة (٢ اه

وعلى الصفحة الـ ٦٦ ما يلي:

« بسم الاب بعون الاسم المذكور ابتدي اكتب مجادلة صارت في غاب وبريَّة قفراء تحت ظلّ شجرة وعين ماء حسنة بين اربع مسلمين كان لهم زمان طويل يدرسون في الفلسفة وكان واحد افرنجي والاخر روبي والثالث يعقوبي والرابع نسطوري »

ومن هذه المقالة يختلف الخط عن خط المقالات السابقة التي اتينا على ذكرها انفاً. وهذه المجادلة وان تكن ركيكة العبارة من حيث العربيَّة الّا انها متينة البراهين. وعلى الصفحة ١٧٤: « نبتدي مسألة ثولوجيا عن تجسد المسيح ابن الله »

وعلى الصفحة ١٩٢ ما يلي:

---

١) يريد بالنحشات الرذايل. وتضدها اي تضادها. وكل ذلك يدلّ على ضعف ابن القلاعي وجهله وجهل اهل زمانهِ باللغة العربيَّة

٢) يريد الفضايل الالهيَّة الثلاث الايمان والرجا والمحبَّة. وقولهُ « حول ذلك » مترجم بالحرف عن اللاتينيَّة circa

« تاريخ المقالة سنة ١٢٩٦ من التجسّد الالهي في مدينة بابلوس . . انتقل وانكتب الى يد الله وارفار الثالوث الاقدس تاريخ انتقاله من اليوناني الى لسان العربي من حدود فليبفة ثولوجيا سنة ١٦٩٨ عاشر من ايلول تاريخ رباني في حرص اني ليس اميل عن النسخة لا يمين ولا شمال من خوفي لازيغ عن عمق كلامه ما خلا ان كان تاه العقل ورهقت اليد . . . (اعتذار للقاري) ويدعي لاجل حقارتي باسم ملائكي غير مستحق المطران جبرائل الحقير الخاطي ابن بطرس التلاعي من قرية لمند راهب افرغي في الاسم والسمة وضيف فقير من اعمال الحير . والناسخ قسيس اندراوس الماروني في دير قزيبين سنة ١٦٨٧ » اه

وعلى الصفحة ٢٤٩ ܨܘܪܬܐ ܕܐܝܡܢܐ (صورة الايمان) باللغة السريانيّة بخطّ واحد والخطّ الاخر تُرك ابيض فكأن الناسخ كان يدور في خلده ان يترجمه فلم يسمح له الزمان والكتاب هو امانة مار يوحنا مارون سبق لنا عنهُ كلام في مقالتنا على دير مار شليطا مقيس في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ١١٦) . وعلى الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب ما يلي بالسريانيّة :

ܐܘܕ ܐܡܪܬܐ ܕܢܫ ܨܘܡܐ ܘܒܟܝܐ ܘܚܕ ܐܚܝ
ܕܢܝܚܘܡܐ ܠܐ ܐܝ ܠܡܕܡܐ ܡܕܒܪ ܡܬܐ ܘܚܝܬܐ (١

وهذا ما حمل الذي نسّق المكتبة لاول مرة على الانخداع بان نسب الكتاب كله لابن العبري مع ان معظمهُ لابن التلاعي الشهير على ما ظهر لك مما اوردناه بحروفه والله اعلم

نمره ١٤٤ مختصر علم الذمة للقس سركيس الجبري وهو بخط يد المؤلف سنة ١٧٤١ واوقفه للكتبة سنة ١٧٤٥ وهذا من جملة موالفات هذا القس الفاضل الذي اتينا على ذكره (نمره ٨٢) وسيأتي له ذكر اكثر من مرة وهو من تلامذة رومية بدأ بهذا الكتاب واضعه سنة ١٧٤١ كما ترى ولم يتمكن من انجازه وانقطع عنهُ سنة ١٧٤٤ وهذا مسنود الى ما حرّره بخط يده على اخر الكتاب ننقله بالحرف :

« اعلم ايها القارى الحبيب ان مولف هذا الكتاب كان مجتهدًا جدًّا على تكميله ولكن استحوذ عليه وجع العينين ولهذا السبب ما عاد يمكنه ان يكمله والباين ان هذه هي ارادة الله تكون ارادته في كل امر الى ابد الدهور وذلك في اواخر اذار سنة ١٧٤٤ »

١) تعريبهُ : هذا تعليم وضعهُ ابونا مار غريغوريوس (ابن العبري) في زمن صباه على الارواح الكاملة

نمره ١٥٠ ارشاد المعرّف والمعترف للاب بولس سنيري ترجمة الخوري ابرهيم جلوان سنة ١٧١٨ من تلامذة مدرستنا الرومانيّة سنة ١٧١٨ طالع ما ورد عنهُ تحت نمره ٩٠

نمره ١٥٩ التحفة السريّة للمعرّف والمعترف خطّها بيده الكريمة مصنّفها المطران جرمانوس فرحات سنة ١٧٣٠ واوقفها للمكتبة

نمره ١٦٣ علم الضمير النيّر للمطران يوسف الحصروني هذّبهُ التولاوي سنة ١٦٧٩ ونسخهُ مكرديج الكسيح بن عبد الاحد الارمني ١٧٠٥ (طالع ما ورد عنهُ تحت نمره ٣٩ و٦٤) وعلّق التولاوي على هذا المجلد مختصر ترجمة المطران يوسف وكان بودنا نسخ هذه الترجمة انما حال دون رغبتنا ضيق الوقت والمرض . وعلى آخر هذا الكتاب انهُ لاندراوس اسكندر القبرسي اوقفه بعد موته لمدرسة الموارنة برومية . وهذا الكاهن من تلامذة مدرسة روميــة وهو الذي اوقف مدرسة عينطورا (طالع صكّ الوقفيّة المعلّق على ذيل المجمع اللبناني)

نمره ١٧٩ مسودة موادّ لاهوتيّة بخط التولاوي ولهذا المعلم لاهوت تحت نمره ١٠٩ . هذا ما رأينا الاشارة اليهِ من المؤلفات اللاهوتيّة وهي عديدة متنوعة واكثرها ترجمات

الصنف الرابع

المكتبة الفلسفيّة

نمره ١٨٠ فلسفة ارسطو وهي مما ترجمهُ المفريان اسحق بن جبير الامدي مترجم الخلاصة اللاهوتيّة نسخها يعقوب بن بغدسار الارمني واوقفها المطران جرمانوس فرحات للمكتبة بثمن ٦٣ اسديًا وحرّر على الصفحة الاولى من هذا الكتاب انها النسخة المعوّل عليها وهي منقولة عن نسخة رومية

نمره ١٨١ منطق غريغوريوس ابن العبري باللغتين السريانيّة والعربيّة

نمره ١٨٢ مقالات يوحنا الدمشقي وهي مائة مقالة بخط عربي بديع وفي صدر الكتاب صورة يوحنا الدمشقي رسمها الناسخ وابدع . واسمُ الناسخ يوحنا باسم قسيس ابن المرحوم جرجس بن يوحنا الحموي اصلًا الارثوذكسي مذهبًا والقاطن

حلب سنة ٧١٧٣ لآدم (١٦٦٥ م) وذلك في ١٨ ك ٢ اما واقف الكتاب فهو المطران فرحات سنة ١٧٢٧

نمره ١٨٤ منطق التولاوي اوقفه المطران بولس اروتين سنة ١٧٦١

نمره ١٨٦ طبيعيات التولاوي تاريخ وضعها في ٢٠ ايلول سنة ٦٦٩٨ واوقفها المطران حوشب سنة ١٧٣٤ بثمن ١٢ اسديًا

نمره ١٨٨ العلم الالهي للتولاوي

نمره ١٨٩ الكتاب الخامس من العلم الالهي للتولاوي صنّفهُ سنة ١٧٠٧ وتاريخ نسخه سنة ١٨٣٤

الصنف الخامس

وهو القوانين والمجامع

نمره ١٩٣ اخبار الرسل وقوانينهم او الدسقلية بخط عربي نسخه اضعف العباد اصلان الارثوذكسي مذهبًا ولا يذكر تاريخ النسخ وعلى الصفحة الاولى من هذا الكتاب الكتابة الاتية بالكرشوني

ܚܕܝܐ ܡܗܢܝܢܗ ܕܡܪܝ
ܐܒܪܗܡ ܡܫܠܐ

الختم

(جبرائيل مطران حلب الحقير)

« فلما كان تاريخ سنة ١٦٧٧ ربانية في ٨ ايام خلت من شهر اب المبارك اشترى هذا الكتاب الشريف الذي هو كتاب الناموس والدسقلية اولادنا الغزاز شدياق حنا زنده وشماس يوسف بن شماس جرجس المتوكل على الكنيسة بطريق الوكالة من مال للكنيسة وهو وقفًا مؤبدًا (كذا) وحبسًا مخلدًا الى الكنيسة المذكورة اعني كنيسة مار الياس في مدينة حلب المحروسة ملك الملّة المارونيّة الكاثوليكيّة وليس مع احد من الله اجارة بان يغيره عن الوقفية بوجه من الوجوه ولا يرهنهُ او يستهنهُ او يطمع عليهِ ومن خالف ما حررناه فليكن محرومًا من الله ومن حقارتنا ومفروزًا من المسيح » اه

وجبرايل هذا هو المطران جبرايل البلوزاني الذي خلف الدويهي في البطريركيّة ولم يعش سوى سنة وكان يتردّد الى حلب ولم يقطنها

١٩٤ المجمع الافسوسي المسكوني الثالث بخط عربي نسخه جبرائيل بن مخائيل لبّاد الحموي سنة ١٧٢٨ واوقفه المطران فرحات سنة ١٧٢٨

نمره ١٩٥ المجمع الخلقيدوني الرابع بخط عربي نسخه زخريا بن سليمان من طائفة الروم سنة ١٧٢٩

نمره ١٩٦ قوانين الرسل بخط عربي نسخها توما يزي الكاهن سنة ١٦٨٨ للاب يوحنا زند المارونى واوقفها المطران فرحات سنة ١٧٢٦

نمرة ١٩٧ قوانين المجامع السبع بخط عربي

نمره ١٩٨ المجمع الفلورنتيني المسكوني بخط عربي نسخه الخوري بطرس دويهي سنة ١٧٩٥

١٩٩ المجمع التريدنتيني عربي مجهول ناسخه وانما علق عليه المطران جرمانوس فرحات فهرساً بخط يده

نمره ٢٠٠ نسخة اخرى من هذا المجمع اي التريدنتيني وعلى اولها ان الخوري بطرس التولاوي استخرجه من اللغة اللاتينية الى العربية سنة ١٧٢٥

٢٠٣ على ظاهر الكتاب العنوان الآتي بالحرف « مجمع طرسوس » ومن الداخل العنوان الآتي :

« كتاب الحب والسلام للقديس ترسيس الاميروناتي ترجمه عن الارمنية سنة ١٧٤٩ المطران جبرائيل خديد مطران الارمن الكاثوليكيين بحلب قبل ارتقائه الى المطرانية من نسخة ارمنية مطبوعة من الارمن النير كاثوليكيين بالقسطنطينية بتاريخ اعلاه سنة ١١٩٨ (١٧٤٩) تاريخ الارمن »

غير ان ترجمة هذا المجمع لا تشغل هذا المجلد كله بل الى الصفحة ٦٩ ومن هذه الصفحة سطر ناسخ اخر يختلف خطه عن ناسخ ترجمة المجمع ما يلي :

« نسخة مجموع انتشار الايمان المقدس مرسل لقدس السيد البطريرك اغابيوس مطر الكلي الطوبى بخصوص رفع الاذن عن رئيس عام القدس عن ان يثبت الشرفيين المعدين في طقسهم بتاريخ ١٥ ايار سنة ١٨٠٦ »

ويليه صورة المنشور المرسل الى الرئيس العام بالقدس بهذا الصدد بتاريخ ١٤ ك ٢ سنة ١٨٠٦ (١

---

١) كان المجمع المقدس وجه سابقاً سنة ١٧٣٨ كتابة الى السيد مكسيموس حكيم مطران حلب وفيها ذكر الخلاف الجاري بين الآباء الفرنسيسكان ومطارنة الروم الكاثوليك في حلب وهذه الكتابة قد وردت معربة عن الاصل في احد مخطوطات مكتبتنا المارونية الحلبية وهو الكتاب الموسوم بالنمرة ٣٧٥ عنوانه الرموز ومفتاح الكنوز وسيأتي ذكره . ويؤخذ من

ثم ترى على هذا المجلد مسطرًا ما يلي :

« ايضاح مختصر بخصوص الرهبان المرسلين الرسوليين القاطنين في مدينة حلب في دير القدس عن التهم التي تصمهم بها البعض من الكاثوليكيين وهو يحتوي على مقدمة وثلاثة اجزاء »

غير اننا نأسف لترك الناسخ تكملة نسخ الجزء الثاني وتركهُ نقل الجزء الثالث من هذا التبرير وهاك المقدمة بالحرف :

« انهُ معلوم عند كافّة المسيحيين الموجودين في مدينة حلب باننا نحن رهبان مار فرنسيس الملقّبين برهبان القدس والمرسلين الرسوليين قد منعنا تلامذتنا عن الشركة في الالهيات مع كهنة السريان في كنيستهم المعروفة بكنيسة السيدة . ومن منعنا هذا ظنّوا فينا اننا مجسّمون وزارعو الفتن ومشككون شعب الله فهذه آراؤهم وتصميم لنا . ومن هذا الامر حدث للمسيحيين سجس زايد واشتعلت نيران الغضب بهذا المقدار حتى ان البعض منهم زاغوا عن الصواب وعدلوا عن الطريق المستقيم . . .

« فلاجل بيان الحقيقة بكل ايضاح ينبغي لك ايها القاري الحبيب ان تعلم بان قبل وصول المنشورَين الواردين من قبل المجمع المقدس للمطران يوسف قدسي اللذين أوردهما لك جزءًا بعد جزء في رسالتي هذه فالبعض من الكهنة والمرسلين كانوا يعرفون او كانوا ملتزمين ان يعرفوا بان المطران مخايل جروه لم يكن لهُ سلطان التصرّف بعد في الشعب الكاثوليكي السرياني القاطن بمدينة حلب ومع ذلك لم يزل هؤلاء المذكورين باذلين جهدهم في اثبات رأيهم بان المطران مخايل المذكور قد حصل على التصرف الكامل على الكنيسة المذكورة متكلين على المنشور الرسولي لهُ في السنة الماضية ولكن حينما حصل المطران يوسف القدسي على المنشورين اللذين باسمه ورأى الواحد اوضح من الاخر في بيان السلطان الحاضر الذي لهُ على كافّة السريان الكاثوليكيين القاطنين في بلد الشرق كله وبلغ هذا الخبر للذين يحامون ويؤيدون الحق في ان المطران مخايل جروه ليس لهُ سلطان التصرف بعد على طائفة السريان في حلب كما شهد هو ذاته في ورقته المختومة بختمه السفير المرسلة للمطران يوسف المذكور وكما قرأناها نحن رهبان القدس المرسلين مرّات عديدة وعلى هذا النص اقسم خطابي ثلاثة اجزاء : الجزء الاول . في ان الذين يقولون ولم يزل يظنّون بان السيد مخايل جروه لم يتصرف حتى

هذه الرسالة انَّ المجمع المقدّس كان سمح لرئيس الآباء الفرنسيسيين في حلب ان يمنح سرّ التثبيت للّاتينيين والشرقيين معًا وكان الرئيس يعيد تثبيت الذين لم يثبتهم الاسقف الشرقي بل الكاهن بعد العماد فحصل بسبب ذلك بعض النزاع بينهُ وبين مطران الروم الكاثوليك مكسيموس حكيم ففي مجمع انتشار الايمان باصلاح ذات البين مبيّنًا ان الرئيس المذكور لم يتجاوز حدود سلطتهِ المعطاة لهُ من الكرسي الرسولي خلافًا لما زعمهُ مطران حلب مع تحريض المجمع للرئيس بلزوم الفطنة في ممارسة سلطتهِ . ثمَّ رفع تلك السلطة عن الرئيس تمامًا كما ترى في صورة المنشور المرسل سنة ١٨٠٦

الآن بالتصرّف الاسقفي من الكرسي الرسولي على طائفة السريان في حلب ليس انهم لم يغلطوا فقط بل انهم علّموا بكل صواب ايضاً »

فمن مطالعة المقدمة والجزء الاول من هذه الرسالة المؤسس على هذه القضية تعرف غرض الكاتب من وضعه رسالته ومجانبةً للتطويل نحيل من يهمّه الوقوف على هذه الحادثة التاريخيّة في ظروف اسقفية المطران مخايل جروه وارتقائه البطريركيّة الى التأليف الذي نشره حديثاً شيادة الحبر الجليل افرام نقاشه مطران حلب الجزيل الاحترام وعنوانه « عناية الرحمان في هداية السريان ». ويلي هذه الرسالة مسردة ترجمة براءة اكليمنضوس الرابع عشر الصادرة في ٢١ تموز سنة ١٧٧٣ وموضوعها الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة

ثم منشور بنديكتوس الرابع عشر الى المطران سمعان عوّاد الماروني والغاء البطاركيّة المارونيّة اليه بعد الخلاف المشهور امره على اثر انتخاب المطران الياس محاسب وطوبيا الخازن بطريركين على الطائفة وسيجي ذكر هذا الحادث استناداً الى كراس شرح التفاصيل بهذا الصدد . ثم يلي ما تقدم ارشاد من المجمع المقدس بخصوص النساء المشتركات بشركة الرهبانيّة الثالثة والانعامات المعطاة للمشتركات وذلك بتاريخ ١٩ كانون الثاني سنة ١٧٦٣ . ثم ارشاد المجمع المقدس بخصوص حقوق ولاية مطران بابل اللاتيني وتاريخ ذلك سنة ١٧٨٣ . ثم حكم من المجمع المقدس بانتقال اروتين وتيودوروس الارمنيّين الحلبيين الى الطقس اللاتيني على اثر مخاصمات جرت بينهما وبين القس اسطفانوس نائب البطريرك باسيليوس الارمني سنة ١٧٨٤ . ثم منشور المجمع المقدس الى البطاركة والطائفة الشرقيين بداعي تجديد الاعتراف بالايمان بتاريخ ٦ تموز سنة ١٨٠٣ .

ويلي ذلك ردّ البطريرك يوسف التيان الماروني على مقالات المطران جرمانوس آدم مطران حلب على الروم الكاثوليك وامر هذا الردّ مشهور ومنهُ نسخة في مدرسة ريفون وغيرها وتاريخ الرد سنة ١٨٠١ في ١٩ ايار . ثم براءة بيوس السادس المتضمنة رذل وتحريم كتاب الاسقف ابيل النساري سنة ١٧٨٧ وهو ملحق بكتابة البطريرك يوسف التيان . ثم يلي ما تقدم :

« كتابة من المجمع المقدس الى البادري سلفاتوروس رئيس دير رهبان القدس بحلب سنة

١٧٩١ بما يثبت حكم مطران الموارنة المانع المرسلين من سماع اعتراف ابناء رعيته في البيوت (١ ثم تحرير من المجمع المقدس لاغابيوس مطران الروم الكاثوليك بحلب بخصوص المرسلين وحدود سلطتهم نظراً لكهنة الرعايا وبخصوص الاعتراف في البيوت في ١٣ شباط سنة ١٨٠٢ (له بقية)

نظر في حركة دمشق التجارية سنة ١٩١٢

لجناب خليل افندي قتال كتشيار دولة النمسة في دمشق

تُعدّ السنة ١٩١٢ كاحدى السنين المشئومة في تاريخ تجارة دمشق لما طرأ على هذه المدينة من العوامل المؤثرة في حالة الولاية المالية اخصّها الحرب بين تركيّة وايطالية ثمّ حريق السوق الحميديّة ثمّ الهواء الاصفر واخيراً الحرب البلقانيّة

وما كادت السنة تبتدئ حتى شعر الجميع بكساد الاسواق لانقطاع المعاملات التجاريّة مع ايطالية فنقصت بسرعة البضائع التي تأتينا عادةً من هذه الدولة وكثر عندنا رواجها لهوادة اسعارها لاسيّما الانسجة الحريريّة والورق والكرتون وضروب الرخام والمنسوجات وكان الذين عندهم منها شيء ينتظرون صرفها قبل ان يوصوا بغيرها في بلاد سواها

---

١) تحت نومرو ٢٣٩ من كتب المكتبة العنوان الآتي :

« نبذة في ما جرى بين المرسلين ومطران الموارنة . ويليها قوانين مجمع بكركي سنة ١٧٩٠ »

ومحور فحوى هذه النبذة انهُ سنة ١٧٩١ اصدر المطران جبرايل كشيدر الماروني امراً بمنع المرسلين من قبول الاعترافات في البيوت الخصوصيّة تحت طائلة الحرم الّا اذا وُجدت اسباب ضرورية وصوابيّة وارسل نسخة من امره هذا الى الكنشلارية الافرنسيّة مبيّناً مستنداته بهذا الشان فالّف احد المرسلين اللازريين ردّاً على هذه الخطة وقسمه الى خمسة اجزاء حاول فيه الدفاع عن صوابيّة وعمل المرسلين . . على انّ هذا الجدال انتهى بعد مدّة بقطع جهيزة لقول كلّ خطيب اذ ان المجمع المقدّس انصف المطران جبرايل ومنع عادة سماع الاعترافات في البيوت ويظهر انها كانت قديمة وقد جرى بسببها اختلافات كثيرة وسنورد ما جرى بين التولاوي والمطران جرمانوس حوّا القاصد الرسولي بهذا الشان وبهذا القدر كفاية للمطالع

١٧٩١ بما يثبت حكم مطران الموارنة المانع المرسلين من سماع اعتراف ابناء رعيته في البيوت (١ ثم تحرير من المجمع المقدس لاغابيوس مطران الروم الكاثوليك بحلب بخصوص المرسلين وحدود سلطتهم نظراً لكهنة الرعايا وبخصوص الاعتراف في البيوت في ١٣ شباط سنة ١٨٠٢ (له بقية)

نظر في حركة دمشق التجارية سنة ١٩١٢

لجناب خليل افندي قتال كتشيار دولة النمسة في دمشق

تُعدّ السنة ١٩١٢ كاحدى السنين المشئومة في تاريخ تجارة دمشق لما طرأ على هذه المدينة من العوامل المؤثرة في حالة الولاية المالية اخصّها الحرب بين تركيّة وايطالية ثمّ حريق السوق الحميديّة ثمّ الهواء الاصفر واخيراً الحرب البلقانيّة

وما كادت السنة تبتدئ حتى شعر الجميع بكساد الاسواق لانقطاع المعاملات التجاريّة مع ايطالية فنقصت بسرعة البضائع التي تأتينا عادةً من هذه الدولة وكثر عندنا رواجها لهوادة اسعارها لاسيّما الانسجة الحريريّة والورق والكرتون وضروب الرخام والمنسوجات وكان الذين عندهم منها شيء ينتظرون صرفها قبل ان يوصوا بغيرها في بلاد سواها

---

١) تحت نومرو ٢٣٩ من كتب المكتبة العنوان الآتي :

« نبذة في ما جرى بين المرسلين ومطران الموارنة . ويليها قوانين مجمع بكركي سنة ١٧٩٠ »

ومحور فحوى هذه النبذة انهُ سنة ١٧٩١ اصدر المطران جبرايل كشيدر الماروني امراً بمنع المرسلين من قبول الاعترافات في البيوت الخصوصيّة تحت طائلة الحرم الّا اذا وُجدت اسباب ضرورية وصوابيّة وارسل نسخة من امره هذا الى الكنشلارية الافرنسيّة مبيّناً مستنداته بهذا الشان فالّف احد المرسلين اللازريين ردّاً على هذه الخطة وقسمه الى خمسة اجزاء حاول فيه الدفاع عن صوابيّة وعمل المرسلين . . على انّ هذا الجدال انتهى بعد مدّة بقطع جهيزة لقول كلّ خطيب اذ ان المجمع المقدّس انصف المطران جبرايل ومنع عادة سماع الاعترافات في البيوت ويظهر انها كانت قديمة وقد جرى بسببها اختلافات كثيرة وسنورد ما جرى بين التولاوي والمطران جرمانوس حوّا القاصد الرسولي بهذا الشان وبهذا القدر كفاية للمطالع

ومما اثر في الازمة المالية وزادها حرجاً هبوط الثقة المالية فانَّ معظم المصارف المحلية والصيارفة اخذوا يستردُّون رؤوس مالهم تدريجاً من المعاملة. ومثلهم صنع اهل بيروت فانهم خافوا على مالهم فسحبوهُ من معامليهم في دمشق

وفي تلك الاثناء وقع حريق السوق الحميدية في اواخر شهر نيسان من السنة ١٩١٢ فتلفت به عدة مستودعات تجارية لمحلات معتبرة او لاصحاب مخازن صغيرة وقد قُدّرت الخسارة بين بضائع وابنية بنحو مليون من الليرات الفرنسوية. فاضطرَّ ساكنو تلك السوق وباعتها الى ان يتفرقوا في كلّ انحاء المدينة وبذلك حلّت ضربة لازبة بالتجارة الدمشقية

على انَّ اهل الفيحاء كانوا مؤملين بتحسُّن الاحوال في موسم نقل المحصولات الى الخارج رجاء ان تعود بذلك الحركة التجارية الى سالف احوالها فيستأنف العاملون الاجانب مواصلة اشغالهم مع دمشق لولا انَّ عدوى الهواء الاصفر التي فشت في اواخر شهر آب تعرَّضت لتلك الحركة وعرقلت المعاملات بما وضعتهُ الحكومة من القوانين الاحتياطية في نقل البضائع. ومع هذا انتعشت الآمال نوعاً واستبشر الناس برواج الاسواق التجارية في نهاية شهر ايلول واخذت المحلات الدمشقية توصي المعامل الاوربية بمطلوباتها سدًّا لما فُقد من البضائع بالحريق واستعدادًا لفصل الشتاء القادم

وبينا التجار ينظرون الى تلك النهضة بعين الرجاء اذ انتشبت الحرب البلقانية فخيَّبت تلك الآمال الناشئة بفواجعها وبها تضاعفت الضربة على تجارة دمشق بجمود حركة الواردات والصادرات معاً. وهي البلية التي لا تزال حتى الآن تنوء تحت اثقالها مناكب الدمشقيين وجاءت ثالثة الاثافي بعدم ثقة ارباب التجارة الذين لم يعودوا يقبلون بتسليم بضائعهم الّا نقدًا فسكن بذلك دولاب المعاملات بتاتاً

١ الواردات

(الحرير) ارسلت لنا شنغاي ٤٣٠ بالة من الحرير الاصفر وزن البالة ستُّون كيلو وثمن الكيلو من ٢٠ الى ٢٢ فرنكاً مسلماً في بيروت فيكون الموزون ٢٥,٨٠٠ كيلو. وقد صرَّفوا ايضاً عشرة طرودات من حرير بورسة الباقي من العام السابق وزن البالة ١٢٥ كيلو فيكون المجموع ١٢٥٠ كيلو بثمن ٣٥ فرنكاً كل كيلو

وهنا لا بُدَّ من التنبيه الى ما حصل من كساد سوق الحرير التي نقصت عن سنة ١٩١١ نقصاً لا يقلّ عن ٣,٠٠٠ كيلو وذلك بتأثير الحرب التركيّة الايطاليّة في المتاجرين مع حصول الازمة الماليّة في مصر

(الكحول) اتانا من اودسا ٢٤٠,٠٠٠ كيلو من هذا الصنف بثمن ٥٦ فرنكاً المئة كيلو مسلّماً في بيروت بمقابل ٢٢٠,٠٠٠ كيلو في العام السابق بثمن يتراوح بين ٣٥ و٣٦ فرنكاً المئة كيلو . ولمّا أقفلت طريق الدردنيل ورد علينا من تريسته ١٠,٠٠٠ كيلو أخرى من الكحول بثمن ٥٨ فرنكاً المئة كيلو . فيكون الفرق زيادة ٣٠,٠٠٠ كيلو على السنة المنصرمة رغماً عن ارتفاع اسعار هذه الكحول وانما السبب كان المصاب الذي حلّ بالكروم تلك السنة

(الالواح) انّ اسعار الخشب اجمالاً ترتفع يوماً بعد آخر لكن اهل دمشق قد اعتادوا تلك التقلّبات الطارئة في بلدهم على هذا الصنف . وقد بلغت واردات هذه الالواح من غالتس واودسا ٣٠٠ قطار محمول كل قطار عشرة طنّات بثمن ١٠,٠٠٠ قرش شامي (١ وذلك مقابل ٢٥٠ قطاراً بقيمة ٨,٠٠٠ قرش شامي في العام ١٩١١ ويضاف الى ذلك مئة قطار من الاخشاب كريشي او مورينا ولاطات محمول القطار عشر طنّات بقيمة ١٠,٠٠٠ قرش شامي كل قطار مسلّماً بالشام عوضاً عن ٨,٠٠٠ قرش في العام السابق

(الاكياس الفارغة) اتانا من كلكوتا ١١٠٠ بالة مختلفة من هذه الاكياس بسعر يتراوح بين ٣٠٠ و ٣٢٠ فرنكاً كل بالة بدلاً من ١٠٥٠ بالة بسعر ٢٣٠ الى ٢٥٠ ف وارسلت النمسة منها ١٢٥ بالة مختلفة يبلغ سعر البالة الى ٤٠ فرنك بدلاً من ٥٠ الى ٦٠ فرنكاً في السنة المنقضية امّا هذا الفرق العظيم في الاسعار بين السنتين فمن جودة البضاعة النمسويّة وانما ذلك لا يضرّ برواج البضاعة الهنديّة التي تزيد دائماً

(غاز البترول) اصدرت منهُ : اولاً روسيّا الى بلدنا ٧٠,٠٠٠ صندوق بدلاً من ٤٥,٠٠٠ . وثانياً بخارست (بقرش) ٤٠,٠٠٠ صندوق بدلاً من ٢٠,٠٠٠ . وثالثاً

١) القرش الشامي (ق ش) يساوي قرشاً ونصاً والدمشقيّون يحسبون الليرة العثمانيّة ١٣٠ قرشاً و٣٠ بارة والبشلك ثلاثة قروش و٣ غماسات

فيومه ١٠,٠٠٠ ص بدلاً من ٢٠,٠٠٠ فكان مجموع الصناديق الواردة ١٢٠,٠٠٠ص عوضاً عن ٨٥,٠٠٠ . اما اسعار البترول فقد اختلفت اي اختلاف فان صندوق بترول روسيًا ذا التنكتين كان يباع بسعر ٤٣ قرشاً شامياً فارتفع الثمن الى حدّ ٦٥ قرشاً يدخل فيه رسم البلديّة سبعة قروش امـا صندوق بترول بخارست وفيومه فبيع اوّلاً بسعر ٤١ قش ثم ارتفع الى ٦٣ اعني بنقص قرشين على الصندوق الروسي

(الشاي) اوردت منهُ الصين الى بلدنا ١٠٠ صندوق بوزن ٤٠ كيلو الصندوق وثمن الكيلو تسعة قش . واوردت كلكوتاً منهُ ٢٠٠ صندوق بوزن ٥٢ كيلو الصندوق وثمن ١٣ قرشاً الكيلو . واوردت جاوة في الهند ١٢٠ صندوقاً من صنف « فلوري بيكو » وزن الصندوق من ٤٠ الى ٤٢ كيلو بثمن اربعة الى ستّة فرنكات الكيلو

(غزل قطن محلول) قبلت دمشق منهُ من انكلترّة ١٢,٠٠٠ ربطة من النمرة ١٦—٢٤ بثمن عشرة فرنكات الربطة بدلاً من ١٠,٠٠٠ بسعر ١٢ ف ونصف في العام ١٩١١

(غزل قطن مبيّض) ورد ايضاً من انكلترّة من هذا الصنف ٨,٠٠٠ ربطة بسعر ١١ ف ونصف الى ١٤ ف الربطة على حسب الاجناس بدلاً من ١٢,٠٠٠ ربطة بسعر ١٤ الى ١٥ ف في السنة السابقة

(غزل قطن ملوّن) كذلك ورد من انكلترّة من هذا الصنف من النمرة ٢٠ ٥,٠٠٠ ربطة بسعر ١٤ الى ١٥ ف الربطة بدلاً من ٣,٠٠٠ بسعر ١٥ الى ١٦ ف في العام السابق

(قطن مغزول محلول) اوردت منهُ انكلترّة الى دمشق ٢٠,٠٠٠ ربطة من النمر ٢٠—٢٢ و ٣٠—٣٢ بسعر ١١ ف ونصف الى ١٢ ف الربطة . وهذا الصنف كان جاء من ايطالية في العام السابق

(قطن مغزول مصقول ابيض محلول وملوّن) اتانا من انكلترّة ٢٥,٠٠٠ ربطة من النمر ٢٢—٢٠ و ٦٢—٦٠ بسعر ٨ فرنكات الى ١٤ ف بدلاً من ٣٥,٠٠٠ ربطة بسعر ١٠ الى ١٢ ف في السنة ١٩١١

(غزل بريم محلول وملوّن) ادّت لنا منهُ انكلترّة ٢,٥٠٠ ربطة من النمر ٣٢

—٣٠ و ٨٢—٨٠ بسعر ٢٣ الى ٣٠ ف الربطة بدلاً من ٣,٠٠٠ ربطة بسعر ٣٠ الى ٣٥ ف سنة ١٩١١

(غزل ستوك (تصفية) جوبي من انواع شتى) ارسلت منهُ انكلترَّة ٢٥,٠٠٠ ربطة بثمن ١٠,٠٠٠ ليرة سترلنيَّة

(قطن غزل مصقول) جاءنا من المانية منهُ ١٥,٠٠٠ ربطة من النمر ١١—١٢ و ٤٠—٤٢ من ضروب مختلفة يتراوح ثمن الربطة بين ٧ الى ١٠ ف بدلاً من ٢٠,٠٠٠ بسعر ٨ ف الى ١١ في العام السابق

(غزل احمر رماني صبغة سويسرة) كانت وارداتهُ من ٢٥,٠٠٠ الى ٣٠,٠٠٠ ربطة من النمرة ١٢ الى ٢٠ بسعر ١٤ ف الى ١٦ الربطة

(غزل هندي محلول) ارسلت لنا بلاد الهند ٣٠,٠٠٠ ربطة من نمر هذا الصنف ٤ — ١٦ بسعر ٧ ف ونصف الى ١٠ ف الربطة بدلاً من ٣٥,٠٠٠ ربطة في العام السابق

(غزل صوف) اوردت الينا انكلترَّة ٩,٠٠٠ ربطة من نمرة ٣٢—٣٠ و ٤٢—٤٠ بسعر ٢٨ الى ٣٥ الربطة

(غزل صوف من تصفية جوبي) الوارد منهُ ٥,٠٠٠ ربطة من النمر ٢٢—٢٠ و ٥٢—٥٠ بسعر ١٥—٢٥ ف الربطة

(حديد) ارسلت لنا بلجكا والمانية ١٨٠ طنًا من الحديد بسعر ٢٢٢ ف ٣٠ س الطن مقابل ٢٠٠ طن بسعر ٢٠٦ ف و ٧٠ س في العام ١٩١١

(صفائح حديد) اوردت منها بلجكا وانكلترَّة وفرنسة ٣٠٠ طن بسعر ٢٢٢ ف و ٣٠ س الطن مجموعها ٦٦,٦١٠ فرنكاً بدلاً من ٢٥٠ ط بسعر ٢١٤ ف و ٥٠ س في العام السابق

(زوايا حديد) ورد منها من بلجكا والمانية وانكلترَّة ٥٠ طنًا بسعر ٢٥٣ ف و ٥٠ س مجموعها ١٢,٦٧٥ ف مقابل ٦ طنَّات بسعر ٢٣٤ ف الطن في العام السابق

(صفائح حديد بسمك ١٠ ملمترات الى ٤ على ١٠) اوردت الينا منها بلجكا والمانية وانكلترَّة ٦٠ طنًا بسعر ٣١٢ ف الطن فيكون المجموع ١٨,٧٢٠ ف مقابل ٥٥ ط بسعر ٢٧٣ في العام الماضي

(صفائح مبيَّضة متساوية ممرَّجة ومدوَّرة) اوردت منها انكلترة ٧٠ طنًّا بسعر ٥٤٦ ف الطن والمجموع ٣٨,٢٢٠ ف مقابل ٣٧ ط في العام الماضي

(حديد اسوجي) ارسلت منهُ انكلترَّة واسوج ٣٠ طنًّا بسعر ٣٧٠ ف و٥٠ س كلّ طنّ فالمجموع ١١,١١٥ فرنكاً بينها قسمٌ بقي من العام السابق لكنَّ اسعارها كانت ٣٥١ ف الطن

(الفولاذ الطري او الخاو) اوردت منهُ بلجكا والمانية ٤٠ طنًّا بسعر ٢٢٦ ف و٢٠ س والمجموع ٩,٠٤٨ ف بدلًا من ٢٢٢ ف و٣٠ س في العام الماضي

(فولاذ قاس) اتانا من انكلترَّة من هذا الصنف اربعة طنَّات بسعر ٥٢٦ ف و٥٠ س الطنّ مجموعها ٢١٠٦ فرنكات بدلًا من طنَّين في العام السابق

(فولاذ امير تورم) جاءنا من النمسة ١ طنَّات منهُ بسعر ٥٢٦ ف و٥٠ س مجموعها ٢١٠٦ ف بدلًا من ٥٠٧ ف الطن في العام السابق

(مسامير باريس) اوردت منها بلجكا والمانية ١٠ طنًّا بسعر ٦٠ ف الطنّ

(مسامير انعال الخيل) اوردت منها انكلترَّة وفرنسة واسوج ١٠ طنَّات بسعر ٥٨٥ ف مجموعها ٥٨٥٠ ف وذلك كالعام الماضي

(مسامير ملوَّنة) اتتنا من بلجكا ٤ طنَّات منها بسعر ٤٢٨ ف الطن مجموعها ١٧١٢ ف بدلًا من ٣ ط بسعر ٤٢٩ ف الطن

(قساطل حديد مبيَّضة) ورد علينا منها من انكلترَّة والمانية ٢٠ طنًّا بسعر ٤٢١ ف و٢٠ س الطن مجموعها ٨٤٢٤ ف مقابل ١٦ طنًّا في العام الماضي

(قساطل حديد مدهونة) اتانا منها من انكلترَّة والمانية كالعام السابق ١٤ طنًّا بسعر ٣٤٣ ف و٢٠ س الطن مجموعها ٤٨٠٢ ف و٨٠ س

(قساطل سكب) اصدرت منهُ الينا فرنسة ١٠ طنَّات بسعر ٢٢٢ ف و٣٠ س الطن مجموعها ٢٢٢٣ ف مقابل ٢١٤ ف و٥٠ س الطن في العام السابق

(النحاس الاحمر) ارسلت انكلترَّة وفرنسة منهُ ٤٠ طنًّا بسعر ٢٣٤٠ ف الطنّ مجموع سعرها ٩٣,٦٠٠ ف مقابل ٣٥ ط بسعر ٢٠٠٨ ف و٥٠ س في سنة ١٩١١

(النحاس الاصفر) ارسلت بلجكا وفرنسة منهُ الينا ٥٠ طنًّا بسعر ٢٢٢٣

ف الطن مجموعها ١١١,١٥٠ ف مقابل ١٨٧٢ فرنكاً سعر الطن في العام ١٩١١

(خردق صيد) ارسلت لنا فرنسة منهُ ١٢ طنًّا بسعر ٧٠٢ ف كل طن مجموعها ٨٤٢٤ ف مقابل ١٥ طنًّا بسعر ٥٠٧ ف العام السابق

(قضبان رصاص) ارسلت لنا فرنسة منهُ ٦ طنّات بسعر ٥٠٧ ف الطن مجموعها ٣٠٤٢ ف مقابل ٤ ط بسعر ٤٧٥ ف و٨٠ س في العام السابق

(ترتيا) ورد علينا منها من بلجكا وفرنسة ٨ طنّات بسعر ٩٣٦ ف مجموعها ٧٤٨٨ ف بدلًا من ١٠ طنّات في العام السابق

(بأرد شابيك) ارسلت بلجكا منهُ الف صندوق بسعر ١٦ ف الصندوق مجموعها ١٦,٠٠٠ فرنك بدلًا من ٣٠٠ ص بسعر ١٢ الصندوق سنة ١٩١١

(كلس فرنجي) اخذنا من فرنسة ٨٠ طنًّا منهُ بسعر ٦٥ فرنكاً الطن فيكون المجموع ٥٢٠٠ ف مقابل ١٠٠ ط في العام السابق

(فحم حجري) اخذنا من انكلترة والمانية ٤٠٠ طن منهُ بسعر ٨٠ ف الطن و٣٢,٠٠٠ المجموع مقابل ٦٠ ف الطن في العام السابق

(صفائح مجرّفة) جاءنا منها من بلجكا وانكلترة ١٥ طنًّا بسعر ٤٣ ف و٨٠س الطن كالعام السابق

(تنك) قد ارتفع سعر هذا الصنف بزيادة شلينين في كل صندوق على العام السابق . ولذلك كانت وارداتهُ في العام ١٩١٢ من انكلترة لا تزيد عن ١٠٠٠ صندوق وزنها ٥٠ كيلو بسعر ١٤ الى ١٦ شلينًا كل صندوق مسلّماً في بيروت مقابل ١٣٠٠ صندوق بسعر ١٤ شلينًا في العام السابق

(البهار) اخذنا من سنغابور ١٥٠ كيساً بوزن ٦٠ كيلو الكيس وسعر ١١٠ فرنكات المئة كيلو . ثمَّ لمَّا تأخرت ايطالية عن ارسال هذا الصنف ارتفعت الاسعار الى ١٦٤ ف المئة كيلو مقابل ٢٠٠ كيس بسعر ١٢٣ ف المئة كيلو سنة ١٩١١ . ثمَّ ورد علينا من سيلان وزنزيبال والهند ٣٠٠ كيس بوزن ٦٠ كيلو بسعر ٧٥ ف المئة كيلو مقابل ٦٠٠ كيس بسعر ١٠٠ ف المئة كيلو في السنة ١٩١١

(الكبريت) ورد الينا من اسوج ٤٠٠ صندوق في كل منها عشر ربطات بسعر ٢٧ شلينًا كل صندوق مسلّمة في بيروت مقابل ٥٠٠ صندوق بسعر ٥٥ ف

في العام ١٩١١ . وورد الينا من النمسة ٢٠٠ صندوق في كل صندوق ٢٥ ربطة بسعر ٤٧ ف ونصف مسلماً في بيروت. ولما كانت الحرب تصدّ ايطالية عن ترويج بضاعتها سنة ١٩١١ انتهزت شوتنهوفن فرصة مقاطعة التجارة الايطاليّة فارسلت ٣٠٠ صندوق من ثقاب الكبريت في كل علبة منهُ ٢٠٠ كبريتة. وفي كل صندوق ٢٥ گروس (اي ١٢ دزينة) بسعر ٣٨٠ الى ٣٩٠ قرشاً شامياً الصندوق ثمَّ زوَّروا هذا الكبريت وارسلوا ٢٤٠ صندوقاً من الجنس المزوَّر الى الشام وكان في كل صندوق ٢٥ گروس فبيع بسعر ٣٧٠ ق ش

(جلد أحذية) ارسلت لنا فرنسة منهُ ٢٠٠ بالة والنمسة ٥٠ بالة بوزن ٥٠ الى ٧٠ كيلو للصنفين وبسعر ٤ فرنكات ونصف الى ٥ ف ونصف تسليم بيروت

(جلود احذية ملوَّنة مصقولة) كاد يساوي ما ورد منها في هذا العام من المانية وبلجكا واردات العام ١٩١١. امَّا النمسة فلم تكد تبيع منها شيئاً لعلو اسعارها ولعدم مرونتها بالنسبة الى جلود المانية وبلجكا

(جلود مدبوغة) اخذنا من المانية الف دزينة من الجلود المعروفة باسم « بوكس كالف » (Box Calf) الملوَّنة المصقولة بسعر فرنك و١٠ سنتيمات الى فرنك و٢٠ س القدم المربَّع على اختيار الزبون. واخذنا من النمسة ٤٥٠ دزينة بسعر فرنك الى فرنك و٦٠ س القدم المربَّع ومن بلجكة ٩٠٠ دز. بسعر البضاعة النمسوية

(كرتون للكندرجيَّة) اتانا منهُ من النمسة ١٢٠,٠٠٠ كيلو بسعر ٢٠ الى ٢٣ ف المئة كيلو تسليم بيروت مقابل ٨٠,٠٠٠ كيلو في العام الماضي

(بيرا) اخذنا: ١ً من المانية ٨٠٠ صندوق بسعر ٢٥ الى ٣٠ ف الصندوق المحتوي ٤٨ قنينة ٢٠ً من النمسة ٢٥٠ ص في قناني صغيرة بسعر ٢٠ الى ٢٢ ف الصندوق. ٣ً من فرنسة ١٥٠ ص بسعر ٢٣ ف الصندوق. ٤ً من بومنتي في الاستانة ١٠٠ ص بسعر ١٥٠ قرشاً شامياً الصندوق

(ورق كتابة) ورد منهُ من النمسة ٦٠,٠٠٠ كيلو بسعر ٤٨ الى ٥٤ ف المئة كيلو تسليم بيروت

(ورق بوسطة) اتانا منهُ من النمسة بقيمة ٣,٠٠٠ الى ٤,٠٠٠ ف ومن فرنسة بقيمة ١٠,٠٠٠ ف

(ورق عبّادي) تسوّقنا من صنفهِ المركّب من البلّولوز من السنة ٤٠,٠٠٠ كيلو بسعر ٤٠ الى ٤٣ ف المئة كيلو ومن صنفهِ الهشّ ٢٠,٠٠٠ كيلو بسعر ٢٢ ف المئة كيلو ومن صنفهِ المتين ١٥,٠٠٠ كيلو بسعر ٢٤ ف المئة كيلو تسليم بيروت

(القصدير) اخذنا من انكلترة ٥٠ برميلاً منهُ في كل برميل ١٠٠ كيلو بسعر ٣٧٥٠ الى ٥٦٢٥ ف الطن تسليم بيروت اعني خمسة طنّات اقلّ من العام السابق

(ترابة افرنجيّة) اخذنا من مرسيلية ٢,٠٠ برميل من جنس روكفور والبرميل ١٠٠ كيلو بسعر ٣ ف و٢٠ س البرميل تسليم بيروت . واخذنا منها ايضاً ٧٠٠ برميل من جنس بورتلند الابيض لصنيع البلاط و٥٠٠ برميل من جنسهِ الرمادي بسعر ٣ ف و٥٠ س في مرفأ مرسيلية . واخذنا من بلجيكه ٣٠٠ برميل من ترابة بورتلند بسعر ٣ ف و٥٠ س تسليم بيروت

(السكّر) كان بقي في العام السابق ٥,٠٠٠ كيس من السكّر المشفّف ولذلك لم نتسوّق من السنة سوى ١٥,٠٠٠ كيس بمعدّل سعر ٣٣١ قرشاً شامياً الكيس الذي وزنهُ ٨٤ كيلو . وتسوّقنا من روسيّة ٦,٠٠٠ كيس فقط وزن كل كيس ١٠٠ كيلو وكان الباقي منهُ في العام السابق ٣,٠٠٠ كيس بسعر ٢٩٢ قش المئة كيلو

(البنّ) اخذنا من اليمن ٧٠ طرداً من البن بوزن ١٢٥ كيلو الطرد وسعر ١٣ قرشاً شامياً الكيلو واخذنا من البرازيل ٣,٥٠٠ كيس بوزن ٦٠ كيلو الكيس ومعدّل سعر الكيلو ١٠ قش ونصف مقابل ٤,٠٠٠ كيس بسعر ١١ الى ١٢ قش ونصف في السنة ١٩١١

(الرزّ) اخذنا من رنغو ٢٥٠ كيساً منهُ بسعر ٢١٤ الى ٢٤٣ قرشاً المئة كيلو مقابل الف كيس بسعر ١٧٦ قش . واخذنا من مصر ٣,٠٠٠ كيس من صنفهِ العالي المدعوّ بالخصوص بسعر ٢٨٢ قش الكيس بوزن مئة كيلو في اوّل السنة ثم ارتفع في آخرها الى ٣٢١ قش ومن صنفهِ الثاني المدعو بعين البنت ٣,٠٠٠ كيس بوزن ١٠٠ كيلو الكيس وسعر ٢٤٣ الى ٢٦٣ قش

(التمر) كان جنى التمر في البصرة في غاية الاقبال فورد من اصنافهِ الى بيروت ١٠,٠٠٠ صندوق بوزن ٢٥ كيلو الصندوق وبيع هناك ٨,٠٠٠ صندوق واخذنا نحن في الشام ٢,٠٠٠ صندوق فبيع الكيلو بسعر قرش ونصف ثم هبط الى قرش و٥ بارات

(الحنّاء) اخذنا : ١ً من مصر ١٠٠ طرد حنّاء بوزن ٥٠ كيلو الطرد بسعر قرش و٥ بارات الى قرشين و٢٥ بارة الكيلو على حسب الاجناس. ٢ً من اليمن ٢٠٠ طرد بوزن ٧٥ كيلو وسعر ٣ قش الى ٤ ونصف على حسب الاجناس. ٣ً من بغداد ٢٠ طرداً من الصنف الاسود وزن الطرد ١٠٠ كيلو بسعر ٣ قش ونصف الى ٤ ونصف

(الطرابيش) أُرسل منها من النمسة بقيمة ١٠٠,٠٠ فرنك مقابل ١٢٠,٠٠٠ في العام السابق وذلك بسبب الحريق الذي وقع في السنة ١٩١٢ والامر المعطى للعسكر باستبدال الطرابيش بالقاباق

(البسة حاضرة) لم يختلف مبيع هذا الصنف في العام ١٩١٢ عن العام السابق فبلغت اسعاره في كلا العامين ٣٠٠,٠٠٠

(الجوخ) كان مجموع ما اخذنا منهُ ٨٠,٠٠٠ ليرة فرنسويَّة وذلك من النمسة (٣٥,٠٠٠ ليرة) ومن انكلترَّة (٢٥,٠٠٠ ل) ومن المانية ١٥,٠٠٠ ل) ومن فرنسة وبلجكة وهولندة (٥,٠٠٠ ل) وكان ما بيع منهُ في العام الماضي لا يزيد على ٥٢,٠٠٠ ليرة

(الطنافس) كان مجمل ما بيع من اجناسها الواردة من العجم وبغداد وازمير بسعر ١٢,٠٠٠ ليرة فرنساويَّة مقابل ٥,٠٠٠ ل

(واردات اجزاءخانات) تقطع دمشق من هذه الواردات ما يساوي ٢٠,٠٠٠ ليرة فرنسويَّة تقريباً نأخذ نصفها من المانية والنصف الآخر من فرنسة وايطالية وانكلترَّة والنمسة

(ادوات جراحيَّة) ورودها قليل الى دمشق لا يتجاوز ثمنها في السنة الف فرنك

(شمع فورنيه) قد قلّ استعمال هذا الصنف منذ تجهيز دمشق بالكهرباء فلم نأخذ من مرسيلية وهولندة منهُ سوى ما يساوي ٢,٥٠٠ فرنك

(المرايا) هذا الصنف يجلبهُ تجّار بيروت وانّما يأخذ منهُ محلّ عُمري بقيمة ٣,٠٠٠ الى ٤,٠٠٠ فرنك في السنة

(بأوريَّات) هذا الصنف يأتينا من النمسة وحدها وكانت مقطوعيَّتهُ كبيرة

قبل حريق السوق الحميديَّة فيباع منهُ بالوف من الليرات وقد وقف رواجهُ فلم يجلَب منهُ بعد ذلك سوى ما يساوي ٥,٠٠٠ ليرة عثمانية

(كراسي فرنجيَّة ملتوية الخشب) ورودها ايضاً من النمسة فاتى الى دمشق من هذا الصنف في العام ١٩١٢ ما يساوي ١٥,٠٠٠ الى ١٨,٠٠٠ كرون قيمة ١٥٠ دزينة تسليم الشام

جدول واردات ايطالية الى دمشق

خام . قطن مغزول . حرائر . فلانلَات مطبوعة عمل اوكسفرد وفيتشي . قماش للمفروشات . صدرات فلانلَات . معكروني . لوازم صيدليَّات . ادوات كيماويَّة . مقددات . مشروبات . رخام

٢ الصادرات

(قردين) كان جنى المشمش سيئاً في هذا العام فكان مجموع ما صُنع من القمردين ٨,٠٠٠ قنطار بوزن ٢٥٦ كيلو القنطار مقابل ٢١,٠٠٠ قنطار في العام السابق وكان سعر القنطار ٦٥٠ قرشاً شامياً فبيع بسعر ٨٥٠ قرش وكان صدور هذا الصنف كالوف العادة الى مصر والاسكندرية ويافا وقسطنه وغالتس وازمير وحمص وحماة وحلب

(المشمش اليابس) كذلك كان جناهُ سيئاً لم يتجاوز ١٥٠٠ قنطار بوزن ٢٥٦ كيلو سعر القنطار من ١,٢٠٠ قرش الى ١,٥٠٠ مقابل ٦,٠٠٠ قنطار بسعر ٥٠٠ الى ٩٠٠ ق القنطار في العام السابق . وقد صدر معظمهُ الى مصر والاسكندرية والاستانة

(نوى المشمش) قلَّ هذا الصنف بضربة المشمش فلم يُبَع منهُ سوى ١٥٦٠ قنطاراً بوزن ٢٥٦ كيلو القنطار بسعر ٩٠٠ قرش شامي مقابل ٣,٩٠٠ قنطار في العام السابق وكلهُ أُرسل الى أوروبَّة

(الجوز) كانت غلَّتهُ حسنة بلغت الى ٦,٠٠٠ قنطار بوزن ٢٥٦ كيلو وسعر القنطار ٥٠٠ قرش الى ٦٥٠ وأُرسلت الى مصر والاسكندرية ومكة والمدينة مقابل ٥,٠٠٠ قنطار في العام ١٩١١

(الزبيب) جنسهُ الفاخر المدعو دوربلي لم يفلح فقُطف منهُ ١٥٠٠ قنطار بوزن ٢٥٦ كيلو وبسعر ٦٠٠ الى ٧٠٠ قرش فأُرسل الى مصر والاسكندرية ومكة

والاستانة مقابل ٣,٠٠٠ قنطار في السنة ١٩١١. وكان الجنس الثاني الاحمر اسوأ من الجنس الاوّل اذ لم يزد جناهُ على ٥,٠٠٠ قنطار بسعر ٣٠٠ الى ٤٠٠ قش القنطار فأنفق في المدينة وفي حوران وعلى طريق سكّة الحجاز

(الشمش الطرى) بلغ مجناهُ ٣,٠٠٠ قنطار بسعر ٢٠٠ الى ٣٠٠ ق ش القنطار مقابل ٥,٠٠٠ قنطار في العام السابق فصُرفت ثلاثة ارباعه في دمشق والربع الاخير في بيروت ولبنان والحجاز

(العنب) تلف قسم منهُ بالصقيع فكان الباقي ٦,٠٠٠ قنطار بسعر ٢٠٠ الى ٣٠٠ قش القنطار مقابل ٢٠,٠٠٠ قنطار في العام السابق

(الانسون) كانت غلّتهُ قليلة الاقبال فبلغت ١,٥٠٠ قنطار بسعر ٩٠٠ الى ١,٠٠٠ قش القنطار الّا انهُ كان بقي منهُ كمّية وافرة من العام السابق فتهاودت اسعارهُ الى ٨٠٠ قش والنصف منهُ يُنفق في الشام امّا النصف الثاني فيرسل الى لبنان وحلب وبيروت وحمص وحماة

(الصوف) كانت سنتهُ حسنة فبلغت كمّيّاتهُ ٢,٨٠٠ قنطار بسعر ١,٥٠٠ الى ١,٧٥٠ قش القنطار فقُصر منهُ ٨٥ قسماً بالمئة فأُرسل ثلاثة ارباعه الى اميركة والربع الاخير الى مرسيلية

(مصارين) أنفذت دمشق الى النمسة ٣٠٠,٠٠٠ مصران مملّح من غنم واجداء بيع المئة منها في اول السنة بسعر ٥٨ كورون تسليم تريسته ثمّ نزلت اسعارها في آخر السنة الى ٥٣ و٥٤ كورون

(جلود غنم) اصدرت دمشق الى النمسة والمانية ١٥,٠٠٠ جلد غنم بسعر فرنكين ونصف الى ٣ ف الجلد مقابل ٥٠,٠٠٠ في العام السابق

(زيت الزيتون) غلّتهُ لا تكاد تُحسب في هذه السنة في دمشق اذ لم يصطنع منهُ اكثر من ٣,٠٠٠ قنطار بسعر ١,٦٠٠ قش القنطار فأنفق منها في معامل الصابون ٢,٠٠٠ قنطار وأُكل الباقي. ولما نقص الزيت عنّا ورد لنا منهُ الف قنطار من عكّا ونابلوس وازمير صرفناها في صنع الصابون والاطعمة وذلك بسعر ١,٤٥٠ الى ١,٦٥٠ قش القنطار

(الحنطة) كانت غلّتها سيّئة في هذا العام. فورد الينا من حوران ٥٠,٠٠٠ طن

بسعر منها ٣٦ الى ٤٠ قش الجفت بوزن ٣٣ كيلو . ومن المعلوم انَّ دمشق تطحن كل يوم ٦,٠٠٠ جفت من الحنطة منها ٤,٠٠٠ لقلعيَّة اهلها و ٢,٠٠٠ للخارج اعني بيروت ولبنان والمدينة وحمص وحماة وحلب . وتصدر حوران ما عدا ذلك قوًّا بالسكة الحديديَّة على طريق بيروت وحيفا ١٠٠ طن من الحنطة لبيروت ولبنان وحيفا وحلب

(الحمص) لولا ما بقي منهُ من العام السابق لمَا كفيت المأة السنويَّة لحاجة الاهلين اذ لم يزد محصولهُ على ٢,٠٠٠ طن بسعر ٣٥ الى ٤٠ قش الجفت بوزن ٣٣ كيلو وكلُّهُ أصدر الى مرسيلية واميركة

(الشعير) كانت غلَّتهُ في دمشق وجوارها ٣٠,٠٠٠ طن وتقلَّب سعر الجفت بوزن ٢٧ كيلو بين ٢٠ و ٢٥ قش . فأنفق ثلاثة ارباع كميَّتهِ في المدينة والربع الآخر أرسل الى الاسكندريَّة

(الذُّرة) كان محصول الذرة الصفراء في هذا العام ١٥,٠٠٠ طن طحنوها لتُمزَج بحنطة جيدور لانَّ دقيق الحنطة الجيدوريَّة ازرق اللون فاذا خُلط بالذرة الصفراء ابيضَّ لونهُ وقد بيع الجفت منهُ بوزن ٢٧ كيلو بسعر ٢٠ الى ٢٥ قش

(العدس) ورد الينا من حوران ٥,٠٠٠ طن من صنفهِ الاحمر بسعر ٣٥ الى ٤٠ قش الجفت بوزن ٣٥ كيلو فراج قسم منهُ في الشام وأُصدر الباقي الى بيروت ونابلس وغيرهما . وورد من عجلون ٢,٠٠٠ طن من صنفهِ الابيض بسعر ٥٠ الى ٧٠ قش الجفت اصدروها الى بيروت لعدم رواج هذا الصنف عندنا

(عرق السوس) بلغ محصَّل عروقهِ ٦,٥٠٠ قنطار بسعر ٢٣٠ قش القنطار فدُقَّ نصفهُ ونُقِّع وأُصدر الى مصر بسعر ٢٥٠ الى ٣٠٠ قش القنطار بوزن ٢٥٦ كيلو . امَّا المعروق منهُ فانَّها قد أُرسلت الى الاسكندرونة لشركة فُرْبس التي اصدرتها الى اميركة

(القنَّب) كان محصولهُ ٥,٠٠٠ قنطار بوزن ٢٥٦ كيلو القنطار فكان الزيادة الف قنطار على العام السابق . فأصدروا منهُ ٤٠٠ قنطار الى حلب وبيروت وحمص وطرابلس ودخل الباقي في استحضار الحبال والقلوس والامراس فبعد ان نالت دمشق حاجتها من هذه الاصناف اصدروا الباقي الى بغداد وحمص وحلب وطرابلس الشام والمدينة بسعر الف الى ١,٣٠٠ قش قنطار القلوس وسعر ١,٣٥٠ الى ١,٤٥٠ الحبال

الغليظة وسعر ١,٦٥٠ الى ٢,٥٠٠ الجبال الرفيعة وسعر ١,٦٠٠ الى ٢,٥٠٠ الامراس على حسب اشكالها وغلظها

(النشأ) محصولهُ في الشام ٩٦٠,٠٠٠ كيلو بسعر ٢٣٩ ق ش المئة كيلو انفقوا منها قسماً في دمشق وأصدروا الباقي الى جهات الدولة

(خشاب محفورة) هذا الصنف قد اضحى في كساد لسفر كثيرين من العملة الى اميركة وقلّة الطلبيّة. وغاية ما اشتغلوا منهُ يساوي ١٢٠,٠٠٠ فرنك أُنفق منها في الشام ما يساوي ١٠,٠٠٠ ف واصدروا الباقي الى المانية وفرنسة وانكلترّة

(الخشاب مطعّمة بالصدف) اكثر ما يُنفق منها يبقى في الشام ومجمل ما يُصطنع من اشكالهِ يساوي ١٦٠,٠٠٠ الى ٢٠٠,٠٠٠ فرنك

(فسيفساء) ان معامل دمشق تصنع من الفسيفساء في السنة ما تبلغ قيمتهُ الى ١٠٠,٠٠٠ فرنك يُنفق القسم منها في الشام ويصدر الباقي الى مصر وسوريّة واوربّة

(نحاس محفور مطعّم فضّة) يبلغ محصول هذا الصنف في معامل دمشق مبلغ ٢٥,٠٠٠ الى ٣٠,٠٠٠ ليرة عثمانيّة ويصدرونهُ الى الجزائر ومراكش والاسكندريّة ودنيمرك وسوريّة. والمبلغ المذكور يُصرَف على ثلثة اقسام قسم في اصطناع النحاس المطعّم بالفضّة وقسم في النحاس المحفور وقسم في النحاس البسيط

(الطواحين) في دمشق ٩٠ طاحوناً ١٢ منها تدور بالبخار و٧٨ بالماء ويختلف عدد ارحيتها من الواحدة الى الخمس

محادثات فلسفيّة في آداب الحريّة

من خلفة المرحوم الاب انطون رباط اليسوعيّ (تابع)

٣ في معنى الحريّة البشرية

انكرنا في ما سلف على الحيوانات العُجم العقلَ والحريّة وقلنا مع كل ذي عقل سليم ان الانسان حرّ. ذلك قول لا يخالفنا فيهِ اثنان اذا اخذناه في عموم لفظهِ دون حصر معناه. لكنّا كما عاهدنا قارئنا الاديب لسنا نرغب في ظواهر الكلمات لكن في كنه ما تضمّنتهُ من المعاني واحاطت بهِ من الغايات

الغليظة وسعر ١,٦٥٠ الى ٢,٥٠٠ الجبال الرفيعة وسعر ١,٦٠٠ الى ٢,٥٠٠ الامراس على حسب اشكالها وغلظها

(النشأ) محصولهُ في الشام ٩٦٠,٠٠٠ كيلو بسعر ٢٣٩ ق ش المئة كيلو انفقوا منها قسماً في دمشق وأصدروا الباقي الى جهات الدولة

(خشاب محفورة) هذا الصنف قد اضحى في كساد لسفر كثيرين من العملة الى اميركة وقلّة الطلبيّة. وغاية ما اشتغلوا منهُ يساوي ١٢٠,٠٠٠ فرنك أُنفق منها في الشام ما يساوي ١٠,٠٠٠ ف واصدروا الباقي الى المانية وفرنسة وانكلترّة

(الخشاب مطعّمة بالصدف) اكثر ما يُنفق منها يبقى في الشام ومجمل ما يُصطنع من اشكالهِ يساوي ١٦٠,٠٠٠ الى ٢٠٠,٠٠٠ فرنك

(فسيفساء) ان معامل دمشق تصنع من الفسيفساء في السنة ما تبلغ قيمتهُ الى ١٠٠,٠٠٠ فرنك يُنفق القسم منها في الشام ويصدر الباقي الى مصر وسوريّة واوربّة

(نحاس محفور مطعّم فضّة) يبلغ محصول هذا الصنف في معامل دمشق مبلغ ٢٥,٠٠٠ الى ٣٠,٠٠٠ ليرة عثمانيّة ويصدرونهُ الى الجزائر ومراكش والاسكندريّة ودنيمرك وسوريّة. والمبلغ المذكور يُصرَف على ثلثة اقسام قسم في اصطناع النحاس المطعّم بالفضّة وقسم في النحاس المحفور وقسم في النحاس البسيط

(الطواحين) في دمشق ٩٠ طاحوناً ١٢ منها تدور بالبخار و٧٨ بالماء ويختلف عدد ارحيتها من الواحدة الى الخمس

محادثات فلسفيّة في آداب الحريّة

من خلفة المرحوم الاب انطون رباط اليسوعيّ (تابع)

٣ في معنى الحريّة البشرية

انكرنا في ما سلف على الحيوانات العُجم العقلَ والحريّة وقلنا مع كل ذي عقل سليم ان الانسان حرّ. ذلك قول لا يخالفنا فيهِ اثنان اذا اخذناه في عموم لفظهِ دون حصر معناه. لكنّا كما عاهدنا قارئنا الاديب لسنا نرغب في ظواهر الكلمات لكن في كنه ما تضمّنتهُ من المعاني واحاطت بهِ من الغايات

فما مرادك ايها الخطيب اللسن وانت يا من برزت على الاقران في نسج بُرد المقالات حيث قلت وكررت على المسامع « ان الانسان حرّ » ؟ أتريد انهُ قدير على كل امر رامهُ وصبا اليهِ ؟ كلّا والدليل على عجزك انك وان مأتَ بمجامع لبك الى الغنى وتاقت نفسك الى معالي الرتب لا تستطيع ان تحصل على ثروة روتشيلد او تقبض على زمام العالم كما صنع الاسكندر

أتريد ان الحرية هي الحق الانساني المستبدّ على كل سلطة وشريعة الذي لا يطالب بعمله ولا يخضع الّا لمرادهِ وهواه ؟ فقد فاتك ان الانسان خليقة وماهية الخليقة ان تكون خاضعة لخالقها وان جعلهُ الله مقامهُ بنجاز ما سنَّهُ لها من الشرائع الفطرية والوضعيَّة وهو وحدَهُ عزَّ وجل منزَّه عن قيد العلل لا قيد لهُ

أتريد ان الانسان حرّ ليعمل كل ما قدر على عمله فهو قادر على الشرّ والضرّ والجور والسلب وارتكاب المنكرات والسير وراء ترّهات الضلال ؟ فقد تعدّيت الصواب لانَّ الانسان عاقل وما العاقل الّا من نظر وادرك واتّبع سبل الهدى فاهتدى وطلب ما يوصله الى الخير والسعادة فعاش اديباً ومات كريماً

أتريد ان الانسان ليس برقيق يُتاجر بهِ البائع كما يتاجر بالشاء والسلع ؟ فقد احسنتَ لكن فاتك مبدأ هذا الحق الانساني لانَّ انتفاء العبوديَّة التامَّة عن الانسان هو من نتائج الحرية وحقوقها لا الحريَّةُ بالذات كما ان الضحك والتبسّم من صفات الناطق حسبما يقول الفلاسفة ليس حقيقة نطقهِ . فقد يكون وكان ايَّام انتشار النصرانيَّة الوفٌ وربوات ممَّن سطا عليهم قوم ظالمون وثقّلوا على عاتقهم نير العبودية وهم بالحقيقة احرار عرفوا الحقّ فحرَّرهم وبقي اسيادهم عبيداً للاهواء والغرور

أتريد ان الانسان حرٌّ في اتباع الهدى او الضلال حرٌّ ان يسير على سبيل الآداب او يرمي بنفسه في الموبقات حرٌّ ان يفكر ويقول ويفعل الخير والشر على حد سواء كما قال اهل جيلنا في الحرّيات الحديثة ؟ . فقد جمعت بين الحق والباطل وسنعود الى بعض هذه الاقوال فنفرز غثَّها من سمينها

أتريد مع زعيم مدعيّ الاصلاح ان المسيحي ليس منوطاً بانسانٍ ولا يخضع لانسان ؟ فقد فككتَ قيود المعاصي وهيَّجت الشعوب على السلاطين وهددت ركن كل رئاسة طبيعية ودينيَّة او مدنيَّة وألغيت كلام الرب المنزل : « ايها البنون أطيعوا والديكم

في الرب . . ايها العبيد اطيعوا سادتكم الجسديين . . بسلامة قلوبكم كطاعتكم للمسيح . . عالمين ان مهما عمل كل واحد من الخير فسينالهُ من الرب عبداً كان او حرًّا » (رسالة بولس الى اهل افسس ف ٦) ونسيتَ قولهُ تعالى (متى ١٨ : ١٧) : « وان لم يسمع (اي اخوك) من البيعة فليكن عندك كوثني »

فان لم يكن هذا مرادك فماذا تعني بالحرية ؟ وكيف يكون الانسان حرًّا ؟ لنا سبيلان يمكنهما ان يؤديا بنا في بحثنا الى حقيقة معرفة الحرية وتحديدها : احدهما ان ننقل قول الآية فيها وننظر صدقه . والثاني ان نسير من المعروف الى المجهول تبعاً للمبادئ التقدمية المعوَّل عليها في العلوم فننظر في كلام ذوي الرشد والذوق السليم من الناس لانهُ قد قيل : « انَّ الجمهور قلَّما يخطئ باجمعهِ فيما يقول » فننعم النظر في مصادر هذه الاقوال واسبابها ونعرضها على الحكماء . وقد اثرنا هذه الطريقة الثانية لقربها . ومن ثمَّ اسألك الاجازة باقامة محاورة بسيطة اللفظ والمعنى يفهمها العالم والساذج ثم اعود عليها فاستخلص بعض نتائج

اذا انتقد فضولي اعمالك وسألك ان تقتدي بهِ وتتقلدهُ في كل اعمالهِ ان جلس جلستَ وان قام قمتَ وان مشى مشيتَ انكرتَ عليهِ تعرُّضهُ الى ما لا يعنيهِ وقلت : دعني وشأني فانا حرٌّ اسير تبعاً لما يتراءى لي فعلهُ

وان بالغ في الفضولية واراد منك برهان مدَّعاك هذا غضبتَ ان كنت سريع الغضب وان كنت حليماً هزأتَ بسؤالهِ وأجبتهُ انك تشعر من نفسك انك حرٌّ فيما تفعلهُ فتقول لهُ : « أتريد يا صاح ان اقف لها اني اجلس اظهاراً لك اني حرٌّ في اختيار عملي . أتحبُّ أن اقدم الرجل اليمنى في مسيري فاقدم اليسرى او ألزم مكاني واقفاً وغماً عنك »

لكنَّ ذلك الفضولي يردف كلامهُ بقولهِ : « وها انا ابيّن لك انك لست حرًّا . قُل لي ان استطعتَ انَّ مجموع تفاحتين وتفاحتين يساوي خمس تفاحات لا اربع » . فان شئت او ابيت ينبغي عليك ان تقول « اربع » لا خمس والسبب لانك حرٌّ في امور دون غيرها انت حرٌّ في عملك الصادر عن ارادتك ولست حرًّا في وضع الحقائق الخارجة عنك

ثمَّ يقول الفضولي ويراك ضعيفاً نحيفاً قد نقهتَ من مرض عُضال انهك قواك :

« كيف تزعم أنك تقف او تسير تبعاً لاختيارك وفي الاسبوع الماضي كنت لا تبدي حراكاً ؟ » . فتجيب لاني كنت طريح الفراش منهوك القوى امّا الان فقد ثابت اليّ قواي فاني افعل ما شاء

— اذن لستَ بحرٍ في كل احوالك فما لك تتبجح بحريتك . وها انا ازيدك علماً ببطلان مدّعاك بالحريّة فاني اقبض عليك مرغوماً وألقيك على هذه الآنية البلّوريّة فتحطّمها وتضطر الى نقد ثمنها الى صاحبها او تُحبَس ان ابيت التعويض

— كيف افعل وانت المجرم الاثيم ! وانت المستحق بأن تُلقى في الحبس وتُجبر على التعويض عن الاذى ولا إخال انّ قاضياً عدلاً يحكم عليّ

— ولِمَ ؟

— لاني اكون صنعتُ ما صنعتُ قسراً بالرغم عني لا اختياراً وتعمّداً .

— احسنت وبجوابك اظهرت انّ حريّتك ليست مطلقة . ولكن هَبْ اني لم اجبرك بالقوّة على تحطيم الآنية وانما آخذك بالمماحكة وازيّن لك الغرور فأقنعك بان تحطّم بيدك تلك الآنية البلّوريّة من تلقاء نفسك فهل يا ترى تستحق الجزاء بالحبس وتغريم المال ام لا ؟ تجيبني ولا حرج : انك قد خدعتني ولكني انا مسئول عن فعلي فان حُبستُ وكُلفت بدفع المال فذلك عدلٌ لاني فعلتُ ما فعلتُ بملء مشيئتي وقد كان في طاقتي ان انبذ سوء مشورتك

وان افترضنا انّ الفضوليّ المذكور يعرف باساليب التنويم المغناطيسي الذي شاع استعماله بين قوم من معاصرينا فهو يدعوك ان تُلقي اليه بزمام ارادتك ساعةً واحدة ليصنع بواسطتك ما يشاء . وانت نائم لا تدرك حقيقة عملك . فان لبّيتَ دعوتهُ واجبت سؤلهُ ونظرت في العواقب الناتجة عن ذلك ثمّ امرك في نومك ان تسير الى مخزن البلّوريّات فتحطّمها فتفعل وانت جاهل لما تصنع فمن المذنب ومَن المسئول عن فعلهِ امام الله والناس ؟

لعلك تقول : هو هذا النصّاب الخبيث فانهُ سبب كل الشرّ

— وانت . اتكون بريءَ الساحة ؟

— لا اجسر القول ببراءة ساحتي

— بل قل انكما في الاثم سواء وان اختلفتما في نوع العمل فهو بامره وانت بتمكينه من ارادتك ليسوقها الى الشر

فمن هذه الشروح والاخذ والردّ بينك وبين الفضولي يلوح لك اهمُّ ما يبحث اهل العلم بشأنه في جدالهم عن الحريّة. فانَّ ابحاثهم مبنيَّة على الادراك الفطري والحكمة الغريزيَّة التي طبعها الله عزَّ وجل في صدورنا فاذا تكلَّموا في الحريَّة وبيَّنوا صفاتها وحدَّدوا اطرافها أسندوا اقوالهم الى المعلومات والمبادئ التي طبعها الخالق في قلوبنا وسكبوها في قالب القياس المنطقي ودعموها بالشواهد والدلائل والآيات فكان كلامهم سيفاً قاطعاً في اعناق الجاحدين

٤ في تحديد الحرية الطبيعيَّة واثباتها علمياً

الحرية هي عبارة عن استطاعة انشاء الفعل او عدم انشائه بحيث يقدر الانسان ان يريد وان لا يريد وان يفعل وان لا يفعل وان يريد هذا او ذاك اختياراً لا اضطراراً من حيث هو مبدأ فعله وربُّهُ والمسئول عنهُ فيحقُّ لهُ ان يُجازى عليه ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً . فانَّ سُلطتهُ على اختياره للامر سلطةٌ تامَّة كاملة قادرة على المتناقضات كالدَّرس وعدمه وعلى المتضادَّات كالحبّ والبغض وعلى المتنوّعات كالجلوس والنوم وهلمَّ جرّاً. سلطةٌ متغلّبةٌ على كل اغتصاب خارجي اذ لا تسطو على مقدس حرية الانسان قوَّةٌ مخلوقة أيَّة كانت ولو تمكنت السهام في جسمه والعمد والسياط في لحمه وعظمه. سلطةٌ منزَّهةٌ عن كل اضطرار باطني سابق لعلمه والَّا لكان مقسوراً على هذا او ذاك وكانت حريته اسماً بلا مسمًّى

على انَّا اذا ما تبصَّرنا في الافعال التي يفعلها الانسان رأيناها تُقسَم الى قسمين. فبعض الافعال يصنعها عن غير قصد وروِيَّة بل وعن غير فكر ايضاً كمن يحرك رجلهُ او يدهُ ويعبث بلحيته وهو ساهٍ او كالافعال التي يفعلها في الحلم في سِنة النوم او في حالتي السكر التامّ والجنون او في حال فقده الادراك والتمييز فقدًا تامًّا او كاملًا او ناقصاً وذلك بايِّ وجه كان. فهذه وان كانت صادرة من الانسان فليست بالحقيقة افعالًا انسانيَّة في حصر المعنى لانهُ انما يقال افعالٌ انسانيَّةٌ حقيقةٌ لتلك الافعال الصادرة من الانسان من حيث كونهِ انساناً متميّزاً عن المخلوقات غير الناطقة او

بعبارة اخرى للافعال الصادرة عن الارادة المتعمدة مع الانتباه الى صلاح الفعل او شره بحيث يجري فيها الانسان بعد روية العقل وانتخاب الارادة فيكون هو بالحقيقة مبدأها وربها (١

وعلى هذه الافعال الانسانية الاختيارية مدار كلامنا امّا تلك اي افعال الانسان الصادرة عن غير تعمّد وروية فليست بافعال الحرية في ذاتها اللهم ان لم تكن اختيارية في علتها كما قال الحكماء. مثال ذلك ان من ارتكب الفحشاء والخصام في حالة فقدان التمييز بالسكر التامّ مثلاً فان علم قبل سكره انهُ سيقترف ذلك حال السكر عُدَّ عملُه ارادياً ضمناً للمبدأ المعوَّل عليه « ان علّةَ العلّة هي علّةُ المعلول »

على ان وجود الحرّية فينا لأمر بديهي نشعر به من تلقاء انفسنا اذا ما تبصرنا في اعمالنا ونظرنا في الاحوال السابقة لإقدامنا عليها وذلك ان العقل ينظر في الامر وظروفه ونتائجه ونفعه وضرّه فيتفكّر فيه ويقيم في مجلس سرّه مذاكرةً حكميّة يطول فيها البحث او يقصر تبعاً لعظم الخَطب او خفّته ولدرجة المنتخب من العقل والتمييز حتى اذا رأى ما رأى حكم بالإقدام او الإحجام ومن ثمَّ خرج من القوة الى الفعل بارادته

قال بوسويه (Bossuet) في الفصل الاول من كتابه عن الحرية: « ان مشورتنا قبل العمل لَشاهدٌ بيّن على حرية اختيارنا فانّا لا نفكّر ولا نستشير انفسنا في الاعمال الضرورية كالموت مثلاً فانّنا نسير اليه سير الطبيعة لا نُعمل العقلَ والارادة في وجوده او نكرانه ولا في طلب السعادة عموماً لاننا نرغب فيها طبعاً وخلقةً . امّا الامور الاخرى التي في حيز قدرتنا كالسُّبل المؤدية الى الموت والسعادة فهي في اختيارنا وتحت قبضة يدنا نريدها او نأباها عمداً لا قهراً » على ان هذا الإشعار اليقين لَامرٌ عامّ بين الناس اجمعين ولا ينكر وجوده بدويٌّ ولا مدني تؤيدهُ اقوال الامم والشعوب كافة في جميع اللغات وتثبته اعمال البشر حتى بين القبائل السائرة في القفار والجموع التي سماها المتمدنون الاقوامَ المتوحشة الهمجيّة

وقد اجاد جول سيمون في الفصل الاول من كتابه عن الواجبات حيث قال:

---

١) اطلب الملفان الملائكي في خلاصته الجزء الاول من القسم الثاني . المبحث الاول والمبحث الثالث عشر الخ

« ان الانام جميعاً منذ ابتداء العالم يوقنون في حريتهم وهذا اليقين طبيعيٌ فطري لا يستطيع عاقل ان ينكره باطناً وان انكره بعضهم بالشفة واللسان. واني لا احتاج لمعرفة حريتي الى ان انقر في كتب الفلاسفة والحكماء فحسبي ان افعل عملاً لأعرف اني حرٌ حق المعرفة. فالمتمدّن والمتوحش والفتى والشيخ والعالم والجاهل في هذا سواء يشعرون بحريتهم حيثما كانوا ومهما صنعوا. امّا من توصّل بالحجج السفسطية الى انكار الحرية فتراه يقول ويشعر ويعمل كانهُ حرّ لا يشك في قلبه بالحرية لكنهُ يجتهد في استنباط التمويهات للشك فيها. فهيهات ان يأتيني بناكر للحرية بدون كبر وعجرفة عامية او تخز ضمير ؟ ولا بُدَّ من القول امّا بان الانسان ذو حرية واختيار وامّا بانهُ مجبول على اتباع الغرور قهراً في جميع احساساته واقواله واعماله »

وقد لمّح صاحبنا في المحاورة السالفة الى امرين هما في الحقيقة نتيجة الحرية عنها ينجمان وبدونها يصبحان اسمًا لا معنى لهُ. نريد بذلك المسئوليّة عن اعمالنا والاستحقاق. فان نظرنا في افعالنا البشرية الصادرة عن معرفة وارادة رأينا ان انتخابنا للامر يُنسَب الينا شئنا او أبينا تزنُهُ في ضميرنا بميزان عدلٍ وضعهُ الله في انفسنا لنرى نقصهُ او رجحانهُ ولذلك ترى العامة تقول عند التحذير من الإقدام على خطرٍ : « انك ستندم على مقصدك » وما ذاك الا لكون الانسان ربَّ افعاله والمسئول عنها فان خفيت على الناس فلا تخفى على الضمير او بالحري على واضع الضمير عزَّ وجل الذي يعلم ما في الانفس من السرائر ولا يخفى عنهُ ما تكنهُ الافئدة من الضمائر. قال زهير بن ابي سلمى في معلقته :

فلا تكتمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَمِ الله يعلمِ
يؤخَّرْ فيوضع في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّل فينقمِ

والامر الاخر هو ان الانسان يستحق بحريّته المدح او الذم. قال كوكب المنطق واللاهوت في شرقنا القديس يوحنا الملفان الدمشقي (في الجزء الثاني الباب ٢٤ من كتابه عن الايمان المستقيم) : « الافعال الارادية يترتب عليها المدح او الذم » والامر ظاهر جلي لا يحتاج الى بيّنة. قل لي رعاك الله لِمَ تُثني على خادمك اذا احسن العمل في خدمتك وتؤنّبهُ اذا اساء ؟ لِمَ تحثُّ ابنك على القيام بفروضه المدرسيّة والانصباب على اقتباس العلوم فاذا سار تبع تحريضك الابوي احسنت اليهِ الجزاء والّا تأسفتَ

ولمتهُ وغضبتَ عليهِ ؟ . بل لِمَ اقامت السلاطين شعار المدح والثناء من اوسمة وألقاب شرفيَّة وغيرها لمن اتى باعمال تؤول على ابناء جلدته بالخير والفلاح او ابلى بلاءً حسناً في الدفاع عن حرية البلاد في وجه اعدائها ؟ اليس ذلك لان هذا الشهم الكريم اقدم بحريته واختيارًا على خطب نجمت عنهُ فوائد ونوافع فاصبح اهلًا للمدح والثناء ؟ او هل تُرَان صدور الآلات الحديدية بالنياشين لحسن حركاتها في سيرها ؟ وانَّما يزان مخترعها وما ذلك الا لانهُ بارادته واختياره اعمل الفكر واتعب الجسم للوصول الى وضع آلة وجد الناس فيها خير الهيئة الاجتماعيَّة

على ان هذا المدح والذم لا ينحصر في العلامات الخارجيَّة ففي الصدر حكمٌ عدل يمدحنا ويذمُّنا سرًّا على ما اتيناه من العمل فالصالح يسعد بحكم ضميره ولو اخطأ الجميع في حكمهم عليهِ والمسيء يأسف على ما اقترفه من الاثم وان لم تجازهِ القضاة عليهِ فلا ينجو من مهماز ضميره ولو سرى في البحار او اختفى في بطون الصخور ومجاهل القفار

ولو لم يكن الانسان حرًّا في عمله لمَا اذنب القاتل اذا قتل ولا الزاني اذا زنى ولا السارق اذا سرق ومن ثمَّ لم يحقّ لذوي الامر ان يوجبوا القصاص على من استحقَّه وقد قلَّد الله الهيئة المدنيَّة سلطانًا على حفظ اعضائها من الجور فمن تعدَّى على افرادها عمدًا فاتى ذنبًا ادبيًّا وجب عليها تأديبه لتحفظ الموازنة الادبية كما يقول الفلاسفة وتردع الغير عن السير على منهاجهِ ليس الَّا . ولكن حيث لا حرية فهناك ليس تعمُّد ولا ذنب ومن ثمَّ لا عقاب عادل . فاذا سقط حجر لاسباب طبيعيَّة على مارٍّ في وديان لبنان فقتله لا يقال ان الحجر اقترف ذنبًا استحقَّ عليهِ القتل . واذا سقط رجل صدفةً من حائط فقتل طفلًا في الطريق فلا يقال انهُ مجرم جرمًا ادبيًّا جزاؤه الموت وليس ذلك الَّا لانهُ لم يصنع ما صنع عن اختيار حرّ وتعمُّد وان كان هناك غفلة عن تهامل عمله فقد يجازى على غفلتهِ لا على قتله . هذا ما يحكم بهِ كل قاضٍ عرف الشرائع الطبيعيَّة والوضعيَّة لا يحيد عنها . ولِمَ ؟ لان العمل الضروري لا ذنب فيهِ

ومن ثمَّ فاذا حُرم الانسان الحرية بطلت الاحكام واصبح ما يسمَّى ذنبًا كليًّا لا معنى لهُ وشابهَ الحيوانات العجم التي تأتي باعمالها غريزيًّا تبعًا لما مكن الله من الصور في دماغها فاذا ثارت في مخيلتها اتَّبعتها . بل شابه النباتات والجوامد التي تتحرك

اضطرارياً نحو غايتها ولا يعزو اليها عاقل مدحاً او ذماً . وما خلا ما تقدّم فما الفائدة من الوصايا والشرائع ولمَ يكرر الله على مسامعنا في كتبه المنزلة الحث على اتباع الفضيلة واجتناب الرذيلة ويعدنا ويتوعدنا فاقرأ مثلاً في الفصل الـ٢٦ من سفر الاحبار قول الرب لشعبه : « ان جريتم على رسومي وحفظتم وصاياي وعملتم بها انزلت غيوثكم في اوانها الخ . . وان لم تسمعوا لي ولم تعملوا بجميع هذه الوصايا ونبذتم رسومي وعافت انفسكم احكامي . . . فانا اصنع بكم هذا أسلط عليكم رعباً وسلاً وحتى تفني العينين الخ » وفي سفر يشوع بن سيراخ الفصل الـ١٥ : « الله صنع الانسان في البدء وتركهُ في يد اختياره واضاف الى ذلك وصاياه واوامره فان شئتَ حفظت الوصايا ووفيتَ مرضاتهُ . . الحياة والموت امام الانسان فما اعجبَ يُعطى لهُ » . وقول الرب في انجيله الطاهر (متى ١٩ : ١٧) : « ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » ألم يذكر الله في هذا بنوع صريح قدرة الانسان على عمله وحريتهُ في انتخابه

وما الفائدة من خُطَب الواعظين وتحريضهم على اتباع سبل الفضيلة من نصارى ومسلمين وغيرهم . فاقرأ مثلاً في نهج البلاغة ما جاء على لسان علي بن ابي طالب نجتزئ من قوله بفقرة واحدة : « ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد . ان الله سبحانهُ امر عبادهُ تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلّف يسيراً ولم يكلف عسيراً واعطى على القليل كثيراً ولم يُعصَ مغارباً ولم يُطَع مكرهاً » الى غير من ابدع المقال واثبته لما قدمناه من المبادي اذن ان كان الانسان ليس بحرّ في اختياره مجبوراً على هذا او ذاك لا قدرة لهُ على اختيار هو مبدأه يُعزى اليه فالاوامر والمناهي والمدح والذم والفضيلة والرذيلة والدين والكفر اسماء لا مسمّى لها وخزعبلات لا طائل تحتها . وحيث لا ينكر عاقلٌ حقيقتها فالانسان اذن حرّ في عمله

وأسأل القارئ اللبيب الّا يعجب من ذكري وتكراري اثباتاً للحرية الحجج والشواهد الكثيرة والدلائل الساطعة وللايات المنزلة فان حرية الانسان عقيدة ان انكرتها ثللتَ عرش الدين والآداب والسلطة المدنية والاجتماع العيلي وحكم الاشعار والعقل الطبيعي . لذلك قد حاول بعض المتفلسفين في انكارها لينشروا اضاليلهم الموبقة عساهم يدكّون دعائم الانسان كما سنبيّنه فيما سيأتي ان شاء الله (لهُ بقيّة)

التوليد المُفرد في الحشرات

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

تتناسل الوالد الطبيعية كما لا يخفى باجتماع اثنين ذكر فأنثى . تلك القاعدة العمومية ومن الامور الغريبة التي لحظها الطبيعيّون انَّ بعض اجناس الحيوانات من الطبقات السفلى ومن الحشرات تشذُّ عن هذه القاعدة فهي تتناسل دون سفاد فدُعيت هذه الخاصَّة العجيبة بالتوليد المفرد او التوليد البتولي (parthénogénèse) وهذا الامر كثير في الحيوانات الصلبة الغلاف (les crustacés) وقد تحقَّقوا وقوعهُ عرضيًّا في بعض افراد الحيوانات البحريَّة كالحشرات النجوميَّة الشكل (les rayonnés) منها توتيا البرّ (oursins) ونجم البحر (étoiles de mer) بل يزعم البعض انَّهم وجدوهُ في الضفادع احيانًا وكل ذلك على طريق الشذوذ

وليس ذلك جاريًا في الحشرات البحريَّة فقط بل تبيَّنوهُ ايضًا قبل سنين عديدة في بعض اصناف الفراشات ولاسيَّما الصنف الابريسمي (bombicides) كدود التزّ واستثبتوهُ مؤخرًا في القصيلة العثَّة (tinéides) كالعث الذي يصيب التفَّاح (phthorimea operculella) على ان ذلك ليس بحادث مطَّرد بل عرضيّ

امَّا الحشرات المنبسطة الاجنحة المتساويتها (hyménoptères) فانَّ التوليد الفرديّ في بعض اجناسها قاعدة مطَّردة ومثلها الهوامّ المتصَّة النبات (pucerons) فهذه الهوام تلد صغارها دون ذكر. ومنها ما هي اناث تضع البيوض المنتجة لذوات جنسها كالنَّحل ومنها ما يُنسل صغارًا بلا رحم ولا بيضة كالهوام المتصَّة النبات. وقد سبق لنا في مقالتنا عن النحل في المشرق ١٥[١٩١٢]: ٣٥ و ١٩٠) انَّ هذا الجنس يعيش مجتمعًا في الخلايا وانَّ اكثر افرادها غالبًا انَّما هي العاملات وليست العاملات الَّا اناثًا غير كاملات البنية تلف مبيضُها بخرج خليَّتها التي وُضعت فيها كدودة . واثبتنا ذلك بما يجري في خليَّة لا يَعسوب لها فانَّ العاملات يعمدنَ الى خليَّة دودة لم يمرّ على نتاجها ثلثة ايَّام فيوسعن الخليَّة لتنمو دودتها نموًّا قانونيًّا فيتَّخذنها يعسوبًا اي ملكة . وقد يحدث لهنَّ انهنَّ لا يجدنَ بزرةً او دودةً حديثة النشأة تصلح لهذه الغاية فما

العمل وليس بينهنَّ ذكر لتوليد الاناث ؟ أفتلف كوارة النحل ؟ كلّا وانما تتولّى بعض العاملات وَضْع البيض دون ذكر. غير انَّ بيضهنَّ بيض ذكور فقط وهذا الامر العجيب لا ريب فيه قد ثبت بالامتحان المتوالي. وليس هو مختصّ بالنحل العسلي فقط فانَّ المسيو فابر (Mr Fabre) إمام علم الحشرات الذي يُعَدّ كلامهُ حجّةً في هذا الباب قد تحقّق الامر عينهُ في ثلثة اصناف أخر من الفصيلة المدعوّة هالكتُس (Halictus) المنسوبة ايضاً الى جنس النَّحل (apiaires) تدعى بالصنف الاستوائي (H. cylindricus) والصنف المبتسر (H. precox) والصنف المخطَّط (H. zebra) فهذه الاصناف تُقيت صغارها بنوع من العسل. وقد جمع المسيو فابر بزر اعشاشها المختلفة فجعلها في صوان ريثما نقفت وبانت كمال بنيتها. فلحظ فيها ما ننقلهُ عنهُ قال:

اوّلاً انَّ ذكور هذه الاصناف الثلثة المتازة عن الاناث بطول قرونها وتعدُّد ابدانها واختلاف الوانها تموت كلها قبل الشتاء كما يجري لمعظم الحشرات البريّة واذا صبر بعضها على برد الشتاء فتلك اناث

ثانياً انَّ تلك الاناث نحو شهر حزيران يوسّعن اسرابهنَّ ويتخذن لهنَّ خلايا يجعلن في كل منها بيضة تنشأ بعد قليل فتتحوّل الى دودة ثم الى جيز ثم تتمُّ بنيتها. وكل هذه الحشرات اناثٌ يبرزنَ من البيض الذي التحهُ الذكر مدَّة الخريف

رابعاً وما يُقضى منهُ العجب انَّ هذه الاناث بعد موت كل الذكور السابقين وعدم وجود ذكور جُدد من النشأة الحديثة يباشرن في شهر آب بصنيع خلايا يودعن فيها بيضاً وبعد ايّام قليلة تنشأ منها حشرات تامّة البنية. وبين هذه الحشرات ذكور واناث مع عدم وجود الذكور في النسل السابق المُلقَح

وتبيَّن المسيو فابر حقيقة الامر بالامتحان فانَّهُ لمّا جمع مواليد شهر تموز من انثى التحها الذكر في الخريف وجد فيها ٢٥٠ انثى دون ذكر واحد. ثم جمع من وكر آخر من مواليد شهر آب اي من نسل الاناث غير الملقحة ٨٠ ذكرًا و ٥٨ انثى. فكانت نتيجة امتحانهِ انَّ هذه الانواع الثلثة اذا أُلقح الذكرُ اناثها لا تنسل غير الاناث واذا وضعت الاناث نسلًا دون لقاح الذكور كانت مواليدها اناثاً وذكورا

ولعلَّهُ يوجد اصناف أُخرى من الحشرات غير الثلثة التي ذكرناها سوف يطلعنا عليها

العلماء الاثبات. لكنَّ هذه الدروس تستلزم زمناً طويلاً وصبرًا جميلاً ومبالغ من المال ولذلك قليلون هم الذين يتفرغون لها وينفقون عليها من مالهم ...

وان ارتاب احد في صحة امتحانات العلامة الفرنسويّ فابر وصوابيَّة النتائج التي استنتجها لاثبات توليد بعض اناث الحشرات دون لقاح الذكور امكننا ان نؤيد قولهُ بمثل هامَّة أخرى اشتهرت بأذاها فأصبحت آفةً لكروم اوربَّة وصارت تتهدَّد كرومنا بعد ظهورها في سوريَّة الجنوبيَّة حتى بلغت بلاد بشارة ومرجعيون نريد بها الفيلوكسيرة التي اخسرت فرنسة بنشوء عدواها نحو عشرة مليارات فرنك من اوَّل ظهورها سنة ١٨٦٧ الى السنة ١٨٨٨ حتى اضطرَّ الكرَّامون ان يقلعوا معظم أنصاب كرومهم ليستبدلوها بأنصاب اجنبيَّة (١

فكيف يا تُرى تنمو هذه الدويبة المؤذية وكيف تسطو على الكروم البعيدة من جراثيمها ؟ تنمو الفيلوكسيرة بواسطة جراثيم تلتصق بغروس الجفنة المنتقلة من بلد الى آخر ولا عجب في ذلك. وانَّما تنمو ايضاً بالتوليد المفرد الذي نحن بصدده وذلك بواسطة هوامّه الطائرة

فهذه الهوامّ المجنَّحة اذا حمي النهار طارت حول انصاب الكرم قريباً من منشإها. وهي تستطيع ان تنتقل الى اماكن بعيدة لاسيما اذا ساعدتها الريح فربَّما قطعت عدَّة اميال حتى تبلغ الى حيث تجد كرماً سالماً من آفتها فتتعرَّض لهُ. ويكفي لانتشار عدواها فردٌ واحد

وهذا الفرد مؤنَّث الجنس ومع انوثتهِ لا يحتاج الى ذكر في وضع صغارهِ وتنمية جنسهِ. فاذا علق في جفنةٍ وضع عليها من بيضتين الى ٨ بيضات فقط منها ذكور وهي الصغار الحجم ومنها اناث وهي الكبار ولكنَّ هذه المواليد كلَّها خالية من الجناح. والاناث غير المجنَّحة تلقحها الذكور فاذا وضعت لم تضع الَّا بيضة واحدة تُدعى بيضة الشتاء لأنَّها تبقى طول الشتاء في احد ثقوب قشرة الغرس فتنشأ وقت الربيع

---

١) راجع كتاب المسيو ڤيالا في آفات الجنة (Viala : *Les maladies de la* Vigne,p. 500) راجع ايضاً مقالين سبقا في المشرق (١ [١٨٩٨]: ٢٠٥ و٢٤٣) للاديب سليم افندي اصفر في داء الفيلوكسيرة)

وليست الآفة عظيمة الى هذا الحدّ لانَّ هذه البيضة الشتويَّة لا تضع غير ثلثة او اربعة ازواج من الهوامّ . وهنا يتفاقم الامر ويستفحل الفساد فانَّ كل زوج من هذه الازواج ينتج من ٤٠ الى ٥٠ بيضة وكل هذا البيض ينقف بسرعةٍ ويبلغ الى كمال بنيتهِ فيضع بأيام قليلة في فصل الصيف من ٥٠٠ الى ٦٠٠ بيضة وذلك بنوبات متوالية . ومواليد هذين الدورين خالية كلّها من الجناح وكلّها اناث تستطيع التوليد بلا ذكور . وعلى هذه الطريقة تنتشر هامَّة الفيلوكسيرة على ورق الكرم فتخزهُ بوخزات تظهر عليهِ بشبه البثور وكذلك تسطو على اصول الكرم فتعلّل فيها شبه العُقَد الصغيرة . وهذه الهوامّ المتشبثة بالاصول تضع بنوبتها بيضاً يمتصُّ مائيَّة تلك الاصول . وبعض هذا البيض يتحوّل الى جيز يبقى في الارض مدَّةً ثمَّ يبرز الى الفضاء على صورة هامَّة مجنَّحة على شبه التي مرَّ ذكرها والتي تحملها الريح الى الكروم البعيدة فتعود الى اطوار حياتها كما مرَّ

فممَّا سبق تعرف كيف تصيب الفيلوكسيرة الكروم السالمة مع بيان اطوار حياة هذه الهامَّة المشئومة . فانَّ في مواليدها الاربعة المتوالية نسلًا واحدًا مجنَّحاً وهو نسل الهوام الملتصقة باصول الكرمة . وهو النسل المجنَّح هو وحدهُ يسرى بيضاً مجنَّساً اي ذكورًا واناثًا . امَّا بقيَّة الاناث فهنَّ بلا اجنحة وعددهنَّ قليل جدًّا يتراوح بين ٢ و ٨ . وكذلك المواليد الثلثة الاخرى فانَّها كلّها بلا اجنحة وافرادها لا تحتاج الى تلقيح الذكور لوضع بيضها المتناسل

فترى انَّ ملحوظات العلماء عن الفيلوكسيرة تؤيد امتحانات المسيو فابر في الثلثة الاصناف من النحل السابق ذكرها بخصوص التوليد الفرديّ لانَّ بين مواليد الفيلوكسيرة ما يتوالد باجتماع الذكر والانثى ومنها ما يولدهُ الاناث دون الذكور . وكأنَّ هذا الصنف من التوليد وسطاً بين ما يجري عادةً في حشراتٍ من فصيلة الحلقيَّات (annelés) حيث الذكر والانثى يتناوبان في توليد النسل وبين ما ثبت وقوعهُ في صنف آخر من الهوام الدقيقة الممتصَّة للنبات (pucerons)

وتجه نظرك الى اطراف اغصان الورد في الربيع تجد على طلوعها الرخصة اللينة عددًا لا يُحصى من الهوام الخضراء الملتصقة بتلك الخراعب . فان سألتَ : ماذا تصنع هناك ؟ ومن اين اتت هذه الجيوش المجيَّشة ؟ اجبناكَ انَّ هذه الهوام تغرز

خراطيمها قشرة الشجرة وتمتص بافواهها مائيتها فتغتذي منها ثم تتوالد فتنمو نموًا متواصلًا. وليس تناسلها كتناسل بقية الهوام وان كانت ايضاً تتوالد بوضع البيض كسواها الّا انّ لها طرقاً أخرى غاية في السرعة لتنمية جنسها بأن تلد ذراريها حيّةً واذا حاولت التوليد وضعت ذكورها واناثها صغارًا دون اختلاف ولا سفاد

وهذه المواليد الجديدة تبلغ تمام نموّها بعد خمسة عشر يوماً فتقوم هي ايضاً بتوليد سواها وهكذا هؤلاء الصغار يولدون غيرهم فيدوم التناسل الفرديّ طول مدّة الصيف. فاحسبْ ان استطعت عدد هذه المواليد لفرد منها فقط على معدّل خمسين هامّة لكل فرد ثم ٥٠×٥٠ للنسل الثاني ثم ٥٠×٢٥٠٠ للثالث وهلم جرًّا فلا تلبث ان تبلغ الى الوف الالوف بل المليارات والوف المليارات وذلك لفرد واحد فما قولك بالبقيّة ولولا لطفُ الله الذي سلّط على هذا الجنس هوامّ أخرى تقلل عددهُ لأضحى آفةً لا تُطاق. وما يهمّنا هنا اعتبارهُ انّ توليدها لصغارها توليد فرديّ كهامّة الفيلوكسيرة دون اشتراك الاناث والذكور في العمل

وقد خصّص المسيو فابر درسهُ ببعض هذه الهوام الدقيقة فاعتبرَ منها الهوامّ الملتصقة لبراعم شجرة البطم واتّسع في القسم الثامن من كتابهِ عن الحشرات (Souvenirs entomologiques, 8e Série) في وصف هذه الهامّة

والبطم كما هو معلوم كثير في اقطارنا السوريّة ولاسيّما في معاطف جبل لبنان القحلة المشرفة على البحر وهذا الصنف يمكن تطعيمهُ بطعم الفستق فيأتي بثمر طيب على شرط ان تُطعَّم الشجرة الواحدة او الشجر القريب منها بطعوم الذكور وطعوم الاناث. لكنّ لهذه الشجرة آفةً وهي الهامّة التي كلامنا عنها كما انّ لغيرها من الشجر هوام أخرى خاصّة بها

أفتُريد ان تعلم شيئاً من صنيعها فانظر الى اطراف اغصان البطم تجد هناك شبه القرون التي تنمو وتبقى ملتصقة بالشجرة حتى بعد سقوط اوراقها شتاء

فهذه القرون من عمل الهامّة المذكورة. فان فردًا منها وقت الربيع حلّ كضيف ثقيل على طرف الاغصان الغضّة وغرز مصّتهُ في احد اوراقهِ فوخزها في اماكن شتى وبذلك حبس المائيّة عن جريها وتجعّدت الورقة وغلظت بعض انسجتها على غير نظام

فتكوّنت بذلك شبهُ غُدّةٍ نباتيّة مسدودة . وكل ذلك من فعل هامّة البطم . وربّما كانت تلك القرون اشبه باكياس او ظروف صغيرة مدوّرة ومعلّقة بالورق

فان فتحتَ في الصيف احد هذه الاكياس وجدت فيها كتلةً من التراب الحي . والدليل على حياة ذلك التراب او الغبار انك اذا اخذت منهُ باصبعيك قبضةً فنشرتها على سطح صقيل وعاينتَها بالمجهر وجدت فيها الوفًا من الهوامّ الدقيقة . وما هذه الّا نسل الهامّة المفردة التي استوطنت تلك الورقة وجعلتْها لنفسها محبساً حيث واصلت امتصاصها الورقة ثم اخذت تنسل لها نسلًا فنما صغارها وفعلوا فعلها من الامتصاص والتوليد . وكانت مائيّة الشجرة تتوفّر في الورقة بامتصاص هذا النسل حتى كبرت الغدّة بذلك وبلغ طولها في آخر الصيف ١٠ سنتمترات الى ١٢ س واصبحت جدرانها غليظة لحيمة وفي وسطها قبيلة كبيرة من الهوامّ راتعة في هناء العيش لا شغل لها الّا الامتصاص والتوليد

قال المسيو فابر: « يا تُرى ماذا نقول عن هذه الهوامّ أهي ذكور ونحن نعلم انّ الذكور لا تلد ؟ أندعوها اناثاً وامّهاتٍ والاناث لا يلدن دون لقاح الذكور ؟ فالأولى القول بانها خناث متوسطة بين الاناث والذكور او يقال انها فسائل حيّة تنفصل عن احياء مثلها كما تتكوّن على اصول الثوم براعم ينبت منها غيرها

« ومن غريب ما تراهُ العين بالمجهر انّ هذه الهوامّ الدقيقة تنتفخ ظهورها فيظهر عليها شبه الحدبة تكاد تضاعف جرمها . واذا عاينتها بعد ذلك بيومٍ واحد لا تجد اثرًا لحدبتها . وانّما كانت تلك الحدبة صغارها التي تنفصل عنها وتنفرد بحياتها »

وهذه هوامّ البطم في آخر الصيف تضع كبقيّة الهوامّ المتصّة للنبات صغارًا من الذكور والاناث الّا انّها قد تفرّدت بامر غريب لم يُرَ مثلهُ في غيرها وذلك انّ الانثى بعد تلقيحها تتحوّل الى بيضة فترى رأسها الصغير يبس ويتوارى ثم جلدها ايضاً يجفّ ويصبح كقشرة البيضة وفي هذه الحالة تنزوي في بعض ثقوب الشجرة بين لينها الملتصق باغصانها فتبقى هناك صابرةً على اذى الشتاء ومعرّته الى ان يعود الربيع فيدفئ الطبيعة وحينئذٍ تنتفّ البيضة وتولّد حشرةً تتولّى انشاء مستعمرةٍ اخرى في بطن بعض اوراق الشجرة كما سبق

فترى الفرق بين هذه الهامّة وبقيّة الهوامّ التي من جنسها فانّ تلك الاصناف

في آخر الصيف تولد هوامّ ذكورًا واناثًا تصبر بيوضها على شدّة البرد امّا هامّة البطم فانّ الانثى عينها هي التي تتحوّل الى بيضة وتنسل النسل الاوّل في الربيع . . فيا لله كم من العجائب اودعها الله في هذه المخلوقات التي لا تكاد العين تفرزها فانّ لها طبائع واخلاقًا واوهامًا ميّزها الخالق بها عن بعضها لحفظ عناصرها . ولا عجب انّ من يمعن النظر في خواصّها يجد من مكنونات الطبيعة ما يزيده شكرًا لبارئها الذي هو اعجب في صغائر المخلوقات منهُ في كبائرها

مطبوعات شرقية جديدة

L'ABBÉ J. TFINKDJI : L'Église Chaldéenne Catholique autrefois et aujourd'hui (*Extrait de l'Annuaire Pontifical catholique* de 1914), Paris, pp. X-82

الكنيسة الكلدانيّة الكاثوليكية قديمًا وحديثًا

هو نظرٌ اجمالي عن احوال الطائفة الكلدانيّة منذ اوّل التبشير الرسوليّ في انحاء اشور وبابل وجهات العراق الى يومنا . وقد خصّ حضرة الكاتب نظرهُ بالكنيسة الكاثوليكيّة ونفوذها بين الكلدان لاسيّما بعد ارتداد يوحنّا سولاقا وارتقائهِ الى السدّة البطريركيّة في رومية على يد البابا يوليوس الثالث (١٥٥٣ م) . وقد نشر المشرق في سنواتهِ الثانية والثالثة والتاسعة مقالات ضافية عن الطائفة الكلدانيّة وتاريخ بطاركتها وابرشيّاتها لحضرة القس قرياقوس مخزوق وادي شير وبطرس نصري استفاد منها صاحب التأليف الجديد وعزّزها بمعلومات جديدة وجداول مفيدة وزيّن كتابهُ بخارطة ورسوم شتّى ونحو مئة صورة شمسيّة وختمهُ بفهارس مدققة فاستحقّ شكر محبّي الآثار الكنسيّة عمومًا وطوائفنا الشرقيّة خصوصًا ل . ش

Capitaine de Ripert d'Alauzier : SUR LES PAS DES ALLIÉS ANDRINOPLE, THRACE, MACÉDOINE. In-8°, VIII-330 pp., avec 8 croquis, 1 carte, 10 photogr. *Paris, Berger-Levrault*, 1914, *Prix*, 5 *frs.*

على آثار المتحالفين في ادرنة وروملي ومقدونية

قد تصفحنا بملء الشوق هذا الكتاب الذي مدارهُ على الحوادث البلقانيّة التي لا

في آخر الصيف تولد هوامّ ذكورًا واناثًا تصبر بيوضها على شدّة البرد امّا هامّة البطم فانّ الانثى عينها هي التي تتحوّل الى بيضة وتنسل النسل الاوّل في الربيع . . فيا لله كم من العجائب اودعها الله في هذه المخلوقات التي لا تكاد العين تفرزها فانّ لها طبائع واخلاقًا واوهامًا ميّزها الخالق بها عن بعضها لحفظ عناصرها . ولا عجب انّ من يمعن النظر في خواصّها يجد من مكنونات الطبيعة ما يزيده شكرًا لبارئها الذي هو اعجب في صغائر المخلوقات منهُ في كبائرها

مطبوعات شرقية جديدة

L'ABBÉ J. TFINKDJI : L'Église Chaldéenne Catholique autrefois et aujourd'hui (*Extrait de l'Annuaire Pontifical catholique* de 1914), Paris, pp. X-82

الكنيسة الكلدانيّة الكاثوليكية قديمًا وحديثًا

هو نظرٌ اجمالي عن احوال الطائفة الكلدانيّة منذ اوّل التبشير الرسوليّ في انحاء اشور وبابل وجهات العراق الى يومنا . وقد خصّ حضرة الكاتب نظرهُ بالكنيسة الكاثوليكيّة ونفوذها بين الكلدان لاسيّما بعد ارتداد يوحنّا سولاقا وارتقائهِ الى السدّة البطريركيّة في رومية على يد البابا يوليوس الثالث (١٥٥٣ م) . وقد نشر المشرق في سنواتهِ الثانية والثالثة والتاسعة مقالات ضافية عن الطائفة الكلدانيّة وتاريخ بطاركتها وابرشيّاتها لحضرة القس قرياقوس مخزوق وادي شير وبطرس نصري استفاد منها صاحب التأليف الجديد وعزّزها بمعلومات جديدة وجداول مفيدة وزيّن كتابهُ بخارطة ورسوم شتّى ونحو مئة صورة شمسيّة وختمهُ بفهارس مدققة فاستحقّ شكر محبّي الآثار الكنسيّة عمومًا وطوائفنا الشرقيّة خصوصًا ل . ش

Capitaine de Ripert d'Alauzier : SUR LES PAS DES ALLIÉS ANDRINOPLE, THRACE, MACÉDOINE. In-8°, VIII-330 pp., avec 8 croquis, 1 carte, 10 photogr. *Paris, Berger-Levrault*, 1914, *Prix*, 5 *frs.*

على آثار المتحالفين في ادرنة وروملي ومقدونية

قد تصفحنا بملء الشوق هذا الكتاب الذي مدارهُ على الحوادث البلقانيّة التي لا

يزال صداها يتردَّد في مسامعنا. وممَّا يزيد هذا التأليف شأناً انَّ كاتبهُ ضابط رافق المحاربين ليعاين حركاتهم ويدرس نظامهم في مواقع القتال ثمَّ اجتمع بكثير من ارباب الحرب من قادة وضبَّاط حضروا الوقائع الكبيرة وسمعهم يفصلون ماجرياتها فروى المؤلف كل ذلك واضاف اليهِ رسم ساحات الحرب وتصاوير شتَّى يستفيد منها الاختصاصيُّون. امَّا نحن الذين دخلنا في العام الماضي ادرنة لمَّا كانت في حوزة البلغار وسمعنا من الاهلين اخبار المعارك التي جرت هناك فقد اثرت فينا مطالعة هذا الكتاب تأثيراً عميقاً ولا نشك انَّهُ يقع موقع الاستحسان لدى كل من يقف على مضامينهِ وفوائدهِ المدقَّقة فضلاً عن بلاغة كاتبهِ البارع الاب ل. رنوڤال

Dr Valentin Schwoebel: Die Landesnatur Palaestinas (Das Land der Bibel). I n° 1. Henrichs, pp. 56

ارض فلسطين

هذا الكتاب وُضع افادة الدارسين لاحوال فلسطين كالتأليف الذي سبق ذكرهُ (ص ٢٣٠) ومبناهُ على وصف ارض فلسطين وهيئتها الطبيعيَّة من جبال واغوار وسهول وانهار مع بيان تركيبها الجيولوجيّ وطبقات عناصرها وصلاحيَّتها للزراعة وغير ذلك ممَّا تفيد معرفتهُ اهل البحث لادراك ما تذكرهُ الاسفار المقدسة. وقد استند صاحبهُ في اوصافهِ الى احدث المطبوعات التي نشرها العلماء في ذلك فاختصرها اختصاراً حسناً غاية في الوضوح والدقَّة ل. ش

Quatre Textes inédits relatifs à la Biographie d'Al Hosayn-ibn Mansour al Hallaj publiés avec Tables. Analyses et Index par Louis Massignon. *Paris, P. Geuthner,* 1914, II-86 + 37

اربعة نصوص منوطة بترجمة الحسين بن منصور الحلَّاج

قد تعمَّق صديقنا المستشرق الفرنسوي لويس مسينيون اخبار الحلَّاج فاحبَّ ان يحلَّ لغز حياتهِ المستغلق. فبعد أن نشر في العام الماضي احد كتب ذاك المتصوِّف المعنون بالطواسين (راجع المشرق ١٦ : ٣١٠) عاد فنقَّب عنهُ في خزائن الكتب فوجد في خلفة فقيد العلوم الشرقيَّة الاستاذ الشهير دي غوي (de Goeje) اربع قطع تحوي معلومات مهمَّة عن الحلَّاج: الاولى لابن الزنجي عنوانها ذكر مقتل الحلَّاج. والثانية للسُّلمي من تاريخهِ تراجم الصوفيَّة نقلاً عن تاريخ بغداد لابن الخطيب. والثالثة لابن

باكريه من كتاب بداية حال الحلّاج ونهايتها . والرابعة من كتاب اخبار الحلّاج لمؤلف مجهول من اواخر القرن الرابع للهجرة . ولم يكتف المسيو ماسينيون بنشر هذه النصوص بل قدّم عليها المقدمات وعلّق عليها الحواشي والملحوظات التاريخيّة واللغويّة ووضع لها الفهارس المفيدة فجاء سفرًا ممتعًا يكشف القناع عن بعض احوال ذلك الانسان الغريب الذي عدّهُ بعض اهل زمانهِ من الزنادقة وارتأى غيرهُ انّهُ من الصوفيّة المتوحّدين في اعماق اللاهوت فلم يبالِ بانواع العذاب ومات فرحاً في سبيل مذهبهِ والله اعلم بخفايا القلوب ل . ش

مختصر التعليم المسيحي

طبعة جديدة منقّحة تزيد عليها مصوّرة

علّقت مجلّة الرسالة على هذا الكتاب فصلًا انتقاديًا لحضرة الخوري بطرس فرج صفير الذي ابدى في مضامينهِ ملحوظات لا تخلو من حسن نظر . والحق يقال انّنا منذ امد مديد كنّا رأينا ما في هذا الكتيّب من الخلل غير انّنا لقدم عهدهِ وشيوعهِ في اقطارنا كنّا نتردّد في اصلاح ما نراهُ او ناقصاً او قليل السداد . وليست طبعة قزحيّا اوّل طبعاتهِ كما ظنّ حضرة المنتقد . فانّ مطبعة رهبان مار يوحنّا الصابغ في الشوير نشرتهُ قبل مطبعة قزحيّا بزمن طويل اعني سنة ١٧٥٦ . امّا مؤلفهُ فمجهول لكنّهُ شرقيّ او مرسل عاش بين الشرقيين اقتطفهُ من تعليم بلرمينوس وتعليم المجمع التريدنتيني . واذ فتح لنا حضرتهُ هذا الباب واعان بتقدم بعض نقص هذا التعليم اسرع حضرة الاب انطون صالحاني فأعمل فيهِ النظر واصلح ونقّح وزاد على الاصل ٣٥ سؤالًا مما يحتاج اليهِ طلبة المدارس الابتدائيّة مع ابقائهِ على حجمهِ وعدد صفحاتهِ وثمنهِ ولعلّهُ يردفهُ بشرح موجز لافادة المعلمين ل . ش

مختارات الزهور

مجموعة شعر عُنيت باختيارها ونشرها مجلّة الزهور في مصر

طُبعت في مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٤ (ص ٢٠٠)

هي مجموعة قصائد ظهر معظمها في مجلّة الزهور التي انشأها رضيع افاويق كليّتنا واستاذها سابقاً انطون افندي الجميل . والقصائد لاشهر شعراء العصر في القطرين المصريّ والسوريّ تدلُّ كلّها على ما بلغتهُ النهضة الشعرية من الرقي في عهدنا بعد

الخمول الطويل . فترى المعاني البليغة مسبوكة باللفظ الفصيح بلا تصنُّع ولا تقعير تسيل حيناً كالمياه المترقرقة في وسط الرياض المنمنمة بالزهور وحيناً تتدفق كالانهار المتبجّسة في مضيق الاودية وتارةً تعجُّ كالبحور الزاخرة . وكفى لمديحها اثبات اسماء بعض ناظميها كأحمد شوقي بك وخليل مطران واسماعيل صبري باشا وولي الدين بك يكن والفيّاضين الياس والدكتور نقولا والملّاطين تامر وشبلي بك وحافظ بك ابراهيم والامير شكيب ارسلان وتكلهم الدواوين الناطقة بفضلهم وجودة قريحتهم . هذا ولسنا نريد بمديحنا ان نصادق على كل ما في هذا المجموع من الاقوال وانّما نغضُّ النظر عمّا هناك من الآراء غير السديدة اذ نذكر قول من قال عن الشعراء انّ الكذب لا يُستحسن الّا منسوجاً ببُرْدتهم موشّى بطراز شعرهم . وهذا المجموع يُطلب في مصر من ادارة مجلّة الزهور ومن مكتبة المعارف وفي بيروت من المكتبة العموميّة لصاحبها سليم افندي صادر ل ش

كتاب وصايا ملوك العرب في الجاهليّة

تأليف الامام يحيي بن الوشاء

طُبع بمطبعة الشابندر في بغداد سنة ١٣٣٢ (ص ٤٠)

هذه باكورة « كتب نفيسة » وعدت بنشرها « شركة طبع الكتب العربيّة في بغداد » ومن حقّ البواكير ان تكون تحفاً في بابها ليستبشر ناظرها بما سيأتي بعدها من المحاسن . على اننا لم نجد ما كنا نؤمل من تلك الطرف فانّ مدار الكتاب على وصايا لبعض قدماء العرب في الجاهليّة كهود وقحطان وابنهِ يعرب ثمّ يشجب ثم عبد شمس ثم سبا وحمير وكهلان الخ اوصى بها كلٌّ منهم ابناءهُ الوصايا الصالحة وختمها بابيات حكميّة موزونة الشعر وُضعت بعد الهجرة بعدّة قرون . فالكتاب مصنوع لا محالة ويا ليت المتولّين نشرهُ افادونا شيئاً عن مؤلفهِ يحيي بن الوشّاء وعن تاريخ حياتهِ ومآثرهِ لكنهم سكتوا عن ذلك كأنّ المؤلف اشهر من نار على علم . وكذلك اضربوا عن تعريف النسخة التي اخذوا عنها وتاريخ كتابتها ومكان وجودها . وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة الّا انها ليست بالقديمة ولم يُذكر فيها اسم المؤلف يحيي بن الوشاء الذي لم نقف لهُ على ذكر في كتب تراجم الادباء . فترى كم هي مخلّة طبعة هذا الكتاب ل . ش

ردود العقل المستقيم

وهو الجزء الثاني من الحقائق الدينيَّة ازاء الاضاليل العصريَّة

تأليف القائد مانيه الافرنسيّ وتعريب القس مبارك ثابت الديراني اللبنانيّ (نشر في البشير تباعاً)

بيروت المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين سنة ١٩١٤ (ص ١٩٢) ثمنه بشلك

يعلم القرَّاء كم شاعت في أيامنا الاعتراضات التي اخترعها اعداء الدين لمناقضة المعتقدات المسيحيَّة وممَّن نال قصبة السبق بين الكاثوليك في ردّ عليها القائد مانيه الافرنسيّ فانهُ جمع ما وجدهُ متفرّقاً في كتب الزنادقة من المشاكل والسفسطات التي يخدعون بها السذَّج واجاب عليها جواباً مختصراً قريب المنال يسهُل على العامَّة ادراكهُ ويمكنهم ان ينتفعوا بهِ من حاول مناهضة دينهم. فنثني على جريدة البشير التي سعت بنشر هذا الكتاب المفيد وعلى همَّة معرّبهِ الذي اخرجهُ الى لغتنا لتقرب فوائدهُ من اهل بلادنا. والكتاب متقن الطبع بغلاف جميل موشَّى زهيد القيمة من افضل ما يجازى بهِ طلبة المدارس كمطبوعات البشير السابقة ل. ش

كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد

تأليف الشيخ ابراهيم اليازجي اللبناني. الجزء الاوَّل طبعة ثانية

بمطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩١٣ (ص ٢٩٢)

كلّ يعرف تضلُّع فقيد الآداب العربيَّة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ من اللغة حتى عُدَّ فيها حجَّةً يُرجَع اليه في مشاكلها. وكانت مطبعتنا وكلت اليهِ تأليف معجم عربيّ اشتغل فيهِ بضع سنين على حسابها ثمَّ تنازعتهُ شواغل أخرى فلم يتمّهُ. ولما نشرنا كتاب الالفاظ الكتابيَّة لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني شحذ هذا التأليف قريحتهُ فعارضهُ بعد زمن بكتابهِ نجعة الرائد الذي طُبع طبعةً اولى غير كاملة في بيروت ثم طُبع كاملاً في مصر فأحسنت مطبعة القديس بولس في حريصا بتجديد طبعهِ بحرفنا الاسطنبولي الجميل مع ضبطهِ بالتشكيل النصفيّ. فلا شكَّ انَّ الادباء يُقبلون على هذا الكتاب الممتع ليقتبسوا فوائدهُ الجمَّة ذاكرين بالخير مؤلفهُ. ورجاؤنا أن يُردَف هذا الجزء قريباً بقسمهِ الاخير ل. ش

شذرات

عذراء اورشليم — اهدانا « عصام » من شعراء الشر هذه الابيات المستطابة وقد رفعها الى مقام ربة الدار في شهرها المبارك

أبي المدادَ ورصّعي قرطاسي ... فيما أجودُ به من الانفاسِ
فلأنتِ عذراءُ القريض وليس ما ... يروى عن العذراء في برناسِ (١
هاتيك بنتُ الوهمِ وأدها الهوى ... ولأنتِ بنتُ مقدسِ الاقداسِ
تلك الدعارةُ . والطهارةُ أنتِ . بل ... أنتِ البنفسجُ في اخضرار الآسِ
بل أنت ما قد ذاع من فضل ومن ... بِرٍّ ومن طُهرٍ ومن إيناسِ
ما جُدتِ الّا بالإله مؤنّساً ... أعظمْ به مجداً كطارفِ راسِ
عذراء أورشليمَ يا ذات البها ... كم أنت ساحقةٌ من الأرجاسِ
أعجوبةُ الأرضين تُنقَل للسما ... برهان تنزيهٍ عن الأدناسِ
أسُّ الفضيلة أنتِ قبلك لم يَقُمْ ... بيتُ التقى والطهر فوق اساسِ
من قبلك الانسان كان بظلمةٍ ... حتى طلعتِ عليهِ كالنبراسِ
فرأى وعاشَ وكان دونك ميتاً ... فنشلتِهِ من وهدةِ الأرماسِ
أحنوا الرؤوس امام بكرٍ فضلها ... ما قيسَ يوم النشر في مقياسِ
أمُّ المسيحيين أمُّ الهمم ! ... انت الحبيبةُ دون كل الناسِ
فاذوب في ذات الكمال متيّماً ... بهواكِ لا في « قدّها الميّاسِ »
وقفاً عليكِ يراعتي ونظيمها ... امّا الفؤادُ فدائمُ الوسواسِ
يشكو اليك تتيّماً بهواكِ لا ... يُلفي سواكِ لدائهِ من آسِ
عطفاً عليهِ فانهُ لمضعضعٌ ... عارٍ دعاكِ وانت اكرم كاسِ
طعم المديح الذّ من رشف الطلا ... فلذاك تصفو بالبتولة كاسي
أنتِ السعادةُ قد ادرتِ بكأسها ... وانا الذي قد كان أوّلَ حاسِ

---

١) هو جبل الشعراء في اساطير اليونان . والعذراء المذكورة هنا عروسُ شعرهم الدنسة وهي الزهرة إلهة الدعارة

فرفعتُ بند الشعر امدح مريماً وركضتُ في مضماره افراسي
عذراء حامية الفضيلة سَعْد من كانت لهُ العذرا من الحرّاس
يا ارزة الجبل المقدّس طودُنا لبنانُ ليس لمن يحبُّ بناس
يا ورد اريحا اتيتِ خوارقاً سارت مسير طوارق الاجراس
وغرستِ روضاً للفضائل يانعاً فتمتّعي ما شئتِ بالاغراس
ان كانَ كل الخلق عقدًا مفردًا فلأنتِ جوهرةٌ بهِ من ماس
ساقول فيك الشعر حتى اسمع الاحجـــارَ قالت : « طيّبُ الانفاس »

هل للحيوانات لغة هذا عنوان فصل لصاحب الهلال في عدده الاخير (نيسان ١٩١٤ ص ٥٤٠) نقل فيهِ كلاماً لاحد السيّاح الاميركيين المسمّى «جارز» كاد يُقنع قرّاءهُ بهِ انَّ للحيوان لغةً ونحن نتعجّب من رجل عاقل مثل جرجي افندي زيدان يروي كهذه السفاسف التي غاية ما يُستفاد منها انَّ للحيوان نباهةً فاذا سمع بعض الاصوات او رأى بعض الحركات انتبه الى ما يُقصَد منهُ. وهذا عامٌّ في معظم الحيوانات في درجات مختلفة . وكذلك اذا تأثَّر الحيوان من شيء يلذُّهُ او يوجعهُ اصدر اصواتاً موافقة لتلك الاحساسات. ولكن اين هذا من اللغة التي هي عبارة عن ادراك المعقولات او عن ابداء العواطف بالنطق. فهذا لا يخفى عن العامّة فكيف يجهلهُ او يتجاهلهُ صاحب الهلال؟

امرأة اوربيّة ترحل الى جزيرة العرب وقد زعم صاحب المجلّة ذاتها (في العدد المذكور ص ٥٥٤) انَّ سيّدة روسيّة تدعى الكونتس موليتور عزمت على التجوُّل في جزيرة العرب وقال هناك « انَّنا لم نسمع بامرأة فعلت ذلك». ومن الامور الشهيرة انَّ امرأة انكليزيّة سبقت الى ذلك وهي السيّدة حنّة باونت (Lady Anna Blunt) التي رحلت مع زوجها ولفرد باونت الى جزيرة العرب في كانون الاوّل سنة ١٨٧٨ الى اواخر شباط ١٨٧٩ فقطعت جزيرة العرب ورحلت الى حوران وزارت كاف وبلاد الجوف حتى بلغت النفود وتجوّلت في جبل شمّر وجهات نجد ونزلت عند الامير ابن الرشيد في حائل وصعدت الى بلاد النجف وكربلاء حتى انتهت الى بغداد. وقد كتبت تفاصيل رحلتها بالانكليزيّة ثمَّ نُقلت الى الافرنسيّة سنة ١٨٨٢

* اثر لابن يونس المصري * دونك صفحة من كتاب وصفناه في المشرق (٩ [١٩٠٦]: ١٨-٢١) وصفاً مدققاً . وهي الصفحة ١٠٧ من الاصل المخطوط . وضعها ابن يونس المصري المتوفى سنة ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) احد مشاهير علماء الطبيعة والعلوم الفلكيّة في زمانهِ

عمل تريًّا يوقد فيها اثنا عشر قنديلًا فكلّما مضت ساعة من الليل طفئ منها قنديل

من عمل ابن يونس المصري

تتّخذ اثني عشر قنديلًا من التي تُعمل في الثريّات وهي التي يسمّيها المصريون البزّاقات ويوضع في انبوب كلّ واحد منها فتيلة من القطن وزنها حبّة ونصف ملفوفة على سمارة على الرسم ويوضع فيهِ من الماء ما يحتاج اليهِ ثمّ من الزيت الصافي العذب مقدار الوزن الذي يقتضيهِ الوقت من السنة على ما تضمّنهُ الجدول . ومعلوم انهُ ينبغي ان يوضع في القنديل الاوّل الوزن المذكور فقط وفي الثاني الذي يُطفأ في آخر الساعة الثانية ضعف ذلك وفي الثالث ثلثة اضعافهِ وهكذا الى آخرها حتى يكون في القنديل الثاني عشر في الاستوائين ثلثين درهماً وفي اطول الليل ستّة وثلثون درهماً وفي اقصر الليل اربعة وعشرون درهماً . وهذا جدول الاوزان

	السرج
الحمل	درهمين ونصف درهمين وثلث
الثور	درهمين وثلث درهمين وسدس
الجوزاء	درهمين وسدس درهمين
السرطان	درهمين درهمين وسدس
الاسد	درهمين وسدس درهمين وثلث
السنبلة	درهمين وثلث درهمين ونصف
الميزان	درهمين ونصف درهمين وثلثين
العقرب	درهمين وثلثين ثلاثة الا سدس
القوس	ثلاثة الا سدس ثلثة دراهم
الجدي	ثلثة دراهم ثلثة الا سدس
الدلو	ثلثة الا سدس ثلثة الا ثلث
الحوت	ثلثة الا ثلث درهمين ونصف

الكلدان الكاثوليك في الهند نقلت مجلّة اصداء الشرق (في عددها الاوّل من السنة ١٩١٤) عن الدليل الكاثوليكي الهندي احصاء الكلدان الكاثوليك في الهند في ايالة ملبار لسنة ١٩١١ فاذا عددهم يبلغ ٤٤٣,١٩٢ نفساً

يضاف اليهم نحو ٢٢,٠٠٠ للسنتين الاخيرتين اعني ٤٣٥,٠٠٠ وهم ينقسمون الى اربع ابرشيَّات على كل ابرشيَّة اسقف نائب رسولي من مأتهم تحت حكمهم ٤٢٦ كاهناً بعضهم رهبان كرمليُّون كلدان ولهم ٣٥٠ كنيسة و٩٠ معبدًا واكثر من ٩٠٠ مدرسة بينها مدرستان للدروس العليا وسبع مدارس للدروس الثانويَّة و١٧ مدرسة داخليَّة وخمسة ميتام . ويبلغ عدد طلبة مدارسهم ٥٠,٠٠٠ وفي مدارسهم الاكليريكيَّة ٢٣٤ طالباً . وهناك قليلون من النساطرة تبعوا السيِّد ايليا مأوس سنة ١٨٧٤ عددهم اليوم ١٥,٠٠٠ أمَّا السريان اليعاقبة فكانوا سنة ١٩١١ نحو ٣٠٠,٠٠٠ منهم المحافظون ٢٢٥,١٩٠ ومنهم ذوو الاصلاح المتقربون الى البروتستانت وعددهم ٧٥,٨٤٨ وهم الذين زارهم البطريرك عبد المسيح منذ سنتين وسام لهم ثلثة اساقفة ثمَّ جاهر بالكثلكة بعد رجوعهِ الى الشام فعسى مثلهُ يؤثر فيهم فيرتدُّوا مثلهُ الى حجر الكنيسة الرومانيَّة .

كنيسة قديمة في سالونيك — بين جوامع سالونيك جامع يدعى بإسكي جمعة كان استولى عليهِ الخراب فقام بعض المهندسين باصلاحهِ فوجدوا انهُ كنيسة قديمة من طرز الباسليقات راقية الى القسم الثاني من القرن الخامس وهي طبقتان تشبهُ في هندستها كنائس شمالي سوريَّة . وفيها نقوش بديعة وضروب من الفسيفساء الزاهية الالوان الرائعة التصاوير وان خرب معظمها . وقد عزمت الدولة اليونانيَّة ان تجعل ذلك البناء متحفاً للعاديَّات البوزنطيَّة

مجلَّة العلوم الاجتماعيَّة — ارعدت وابرقت مجلَّة العلوم الاجتماعيَّة ونسبتنا الى التعصُّب بسبب الفصل الذي كتبهُ حضرة الاب ه . د في المشرق ردًّا على مزاعمها وادَّعت انَّنا « تحكَّمنا بها من غير حجَّة ولا برهان » وانَّنا اسأنا باستقباحنا لاسناد كلامها عن الاشتراكيين الى « اوقست قومت وهربرت سبنسر » فاجابنا صاحبها بكل لطف (ص ٢١٩) انهُ يجعلهما « اكليريكيين يسوعيين » (كذا) . وتتبَّع ب . افندي ن . مقالة كاتب المشرق فاجاب هناك بما يستدعي تفنيدهُ عدَّة فصول لافراز غثهِ من سمينهِ وباطلهِ من يقينهِ وذلك دون تعصُّب البتَّة مستندين الى حكم قدماء المؤرخين وكبار الاختصاصيين الذين لا تُرَد شهادتهم واذ رأى جنابهُ انَّنا تسارعنا في الجواب عليهِ قبل تتمَّة كلامهِ لانهُ كما قال « نصف الكلام

لا جواب لهُ » فها نحن ننتظر بفروغ الصبر بقيَّة مقالاتهِ فنعود الى انتقادها انتقاداً علمياً ان شاء الله . وكل آتٍ قريب .

اسئلة واجوبة

س سأل احد اساتذة مدرسة الحكمة العامرة هل العمالقة المنسوبين الى عماليق بن اليفاز ابن عيسو هم العمالقة الذين انشأوا في مصر دولة الرعاة المالكين على عهد يوسف . فان كانوا نسلاً واحداً فابن المدَّة الكافية لينسوا ويصيروا شعباً كبيراً ويوسف أكبر سناً من عماليق ؟

العمالقة

ج المقرَّر اليوم بين معظم العلماء انَّ العمالقة المذكورين في سفر التكوين (٣٦: ١٢ و١٣) غير العمالقة المذكورين في اسفار اخرى من الكتاب المقدَّس وفي كتب المؤرخين وان ذهب قوم الى التوحيد بين الشعبين كيوسيفوس اليهودي مستندين الى بعض الشبه بينهما لاسيَّما الاسم . والرأي الغالب اليوم انَّ العمالقة بني عيسو يدعون ايضاً بالادوميين وكانوا من العنصر السامي وقد سبقهم قوم غيرهم باسمهم كانوا من العنصر الحامي ومن بني كنعان واليهم يشير سفر التكوين (١٤: ٧) في حروب ابراهيم . ولهذا الرأي سندٌ في سفر العدد (٢٤: ٢٠) حيث يقول انَّ « اول الشعوب عماليق » ومثلهُ في سفر الملوك الاوَّل (٢٧: ٧) الذي يجعلهم من قدماء سكَّان الارض . ويؤيدهُ قول العرب بان عمليق كان ابناً لحام واباً لعاد (راجع تاريخ ابن خلدون) . ومما يزيد هذا الرأي ترجيحاً انَّ الله في الكتاب المقدَّس يحذِّر بني اسرائيل عن محاربة العمالقة بني عيسو اخوتهم وينهاهم عن فتح بلادهم (تثنية الاشتراع ٢: ٤—٥) بخلاف العمالقة الكنعانيين الذين امرهم الله بمحاربتهم ومحو ذكرهم (سفر الخروج ١٧: ٧—١٦) وكذلك اختلف الشعبان في السكن فانَّ العمالقة الكنعانيين سكنوا بلاد الشام كاخوتهم بخلاف الادوميين الذين احتلُّوا شرقيَّ فلسطين في جوار العرب ل.ش

المشرق

التذكار الخمسيني لوفاة السيد

اغناطيوس انطون سمحيري

بطريرك السريان الانطاكي (١٨٦٤-١٩١٤)

بقلم القس اسحق ارملة السرياني استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين

في غرّة القرن التاسع عشر لاح في افق البيعة السريانيّة كوكب ساطع بزغت اشعّتهُ الوهّاجة في وسط غيوم داجية وسُحب حالكة فأضاء سريان المشرق بنوره الثاقب وجلا عن بصائرهم غشاوة البدع وقشع عن ابصارهم غياهب اليعقوبية ونشر على افئدتهم انوار الديانة الكاثوليكيّة ومهّد لهم السبيل للسير في طريق الهدى والتملّص من مزالق الضلال والردى. ألا وهو السيّد « انطون سمحيري الموصلي بطريرك السريان الانطاكيّ » الذي قضى ستًّا وعشرين سنة مُتمسكاً بظلام المذهب اليعقوبيّ يعادي من يعاديهِ ويحامي عن مباديهِ حتى مسّت قلبهُ النعمةُ الالهيّة وادركتهُ العناية الربّانيّة فانقلب من ذئب الى خروف وديع اذ تبلّج لهُ الايمان الصحيح واتّضح لهُ الحق الصريح. ولمّا اختمرت عزيمتهُ على الانسلاخ عن ظلمات اليعقوبيّة والمجاهرة بحقائق الديانة الكاثوليكيّة ترادفت عليهِ الخطوب والنوائب وانهكتهُ الكروب والمصائب وهاجت عليهِ زوابع الاضطهاد وتوطّن السجون وألِفَ الشدائد فاصطبر عليها بقلب جريء وما عتمَ ان استفاض نورهُ وراع الابصار وانبجست اشعّة فضائلهِ في الامصار وتناقلت الالسن ذكر ما حازهُ من النبلة

والانتصار . وقد رأينا ان ننشر على صفحات المشرق الاغرّ سيرة حياتهِ اقرارًا بعوارفهِ ومبرّاته وتخليدًا لذكرهِ وحسناتهِ

ولمّا كان القرّاء في عصرنا يرومون الوقوف على اصدق الآثار وأصحّها رأينا ان ننقل سيرة هذا الحبر المغبوط عن نبذة رقمها بخطّ يدهِ بحروف كرشونيّة في باريس سنة ١٨٥٥ اجابةً الى طلب الفرنسويين . وقد نُقلت تلك النبذة الى لغاتٍ شتّى وذاعت في بلاد اوربة . وانّا نشكر لسيادة المطران يوحنّا معمار باشي حميم الشكر على صيانتهِ هذا الاثر العزيز واتحافه ايانا بهِ وقد اشرنا الى ما نقلناهُ منهُ بهلالين مزدوجين « »

١ً ترهّب السيّد سمحيري وكهنوتهُ

ولد هذا الحبر الجليل في الموصل في ٣ تشرين الاوّل سنة ١٨٠١ من أبوَين يعقوبيَّين . ولمّا بلغ الثامنة عشرة ودّ ان ينخرط في السلك الرهباني والزهد في الحطام الدنيويّ وقصد دير مار بهنام الشهيد مع رفيقٍ لهُ اسمهُ عيسى محفوظ فرقّاه اسقف الموصل عزّو نقّار الى الدرجة الدياقونيّة وما كاد يمرّ عليهِ العام في ذلك الدير حتى هجم العربان عليهِ ونهبوا مؤونتهُ لسبب القحط الذي حدث في تلك النواحي . فاضطرّ انطون ان يهجر الدير ويشخص الى دير الزعفران المجاور لماردين صحبة رفيقهِ عيسى لينجزا فيهِ درسهما وكان يقيم فيهِ حينئذٍ رئيسهما سابقاً جرجس سيّار الحلبيّ الذي اختارهُ اليعاقبة بطريركاً في ١٦ اذار سنة ١٨١٩ . فلمّا حصلا بين يديهِ توسم فيهما النجابة وقرأ على محيّاهما آيات التُّقى والفضل ورقّاهما من فوره الى الدرجة الكهنوتيّة في ١٥ آب سنة ١٨٢٢ بعد ان شنّع عليهما الايمان الكاثوليكيّ المقدّس وتعهّدا لهُ بالبوث في اليعقوبيّة والمناضلة عنها والمعاداة لكل من يخالفها . ثم اناط بهما البطريرك وكالة دير الزعفران وأطلعهما على اسرارهِ . فاخذا يسعيان بنجاحهِ عدّة سنين حتى رابهما امرُ البطريرك فآثرا معتقد الكنيسة الكاثوليكيّة كما سترى

وذكر السيّد سمحيري ان ما اضطرّهُ لنبذ المذهب اليعقوبيّ ظهريًّا هو مسئلة الميرون الذي يزعم اليعاقبة المتأخرون ولاسيّما السذّج بانهُ يفيض ويفور من تلقاء ذاتهِ وقد اورد رحمهُ الله خلاصة تلك القصّة المضحكة المبكية اكثر من مرّة لجملة من

الاساقفة والاقليروس والشعب قال: «كان البطرك جرجس سيار اصطفاني كاتباً لسرّه وخصّني بمسحة زيت الميرون وكشف لي سرّ فيضانه الغامض. وذلك انهُ لمّا كان يطوف بزجاجة الزيت في مصلّى الدير مع اقليروسه دفعتين حسب الطقس كنتُ انزوي وراء المذبح فاتشاغل بغلي البلسم في اناء نحاس. وعند التطواف الثالث كنتُ احمل ذلك الاناء واغطيه ببدلتي حتى اصل الى البطريرك فادخل القبّة واسكب البلسم في الزجاجة فيغطس البلسم ويطفو الزيت فيتدفّق في الاناء وتخرج رائحتهُ وكنتُ اخرج بعد ذلك من القبة وأنادي امام الشعب قائلاً: قد حلّت نعمة روح القدس هالويه: وكانوا يكشفون غطاء القبّة ويكتلون التطواف الثالث ويضعون الزجاجة امام جمهور الشعب فيتدفّق منها الزيت على الطبق. وكان البطريرك يبلّ بالميرون طرف منديل ويهديهِ الى الضبّاط والجنود والى من حضر معهم. وكان احد القسوس يدهن بهِ جبين الشعب اجمع والى جانبهِ صينيّة ياقي فيها الدراهم كلٌّ على قدر طاقتهِ»

ثم ان البطريرك اوفد الراهبين انطون وعيسى الى الموصل سنة ١٨٢٣ ليجمعا لهُ الزكوة طبقاً للعادة الجارية عند اليعاقبة حتى يومنا. فسارا لقضاء امره واتفق انهما ولجا يوماً كنيسة السريان الكاثوليك المعروفة بالطاهرة في الموصل وشاهدا الاسقف بشارة اخطل راعيهم (+ ١٨٢٨) يقيم القدّاس سرّاً فتملّاه ماليًا وانذهلا من خشوعهِ وورعهِ وتمجّبا من شديد اجلالهِ للسرّ الرهيب الاقدس فأضمرا ان يعرضا عن اليعقوبيّة وينضمّا الى الكنيسة الكاثوليكيّة. بيد انهُ لم يَبُح احدهما للآخر بذلك الفكر الّا بعد ان انجزا بغيتهما هذه الصالحة. ولمّا اقاما زمناً في الموصل وجمعا ما جمعا من الزكوة كرّا راجعين الى ماردين فاستقبلهما البطريرك بسرور واثنى على نشاطهما وخدمتهما واخذ ما جمعا من المال وسار الى ديار بكر

٢ً مطرانيّة السيّد سمحيري

وعام ١٨٢٦ اوفد البطريرك فانتدبهما الى ديار بكر ورقاهما الى الدرجة الاسقفيّة وسمّى السيد سمحيري يوليوس انطون وخوّله ادارة شؤون الكرسيّ البطريركي ودعا رفيقهُ غريغوريوس عيسى وقلّدهُ الرئاسة على كرسيّ اورشليم وامرهما بالنزول الى ماردين واستنهض همّتهما ليعتنيا بالجماعة ويحرصا عليها فارتسما امره وانقلبا

راجعين. وكان البطريرك اليعقوبي اذ ذاك صارفاً نظرهُ الى معاداة سريان ماردين المتكثلكين فوافقهُ الاسقفان في فكرهِ ونويا التنكيل بهم . بيد ان شدّة التهديدات وحركة الاضطهادات لم تكن لتزيد المرتدّين الّا الثبات في ايمانهم والتنافس في حفظ شرائعهِ ونواميسهِ المقدسة. وكان السيد يوياقيم طازباز مطران الارمن (+١٨٣٦) يعزّيهم في كربتهم ويسرّي عنهم غمومهم ويقبلهم في كنيسته بترحاب وهشاشة ويوصي فيهم احد وجوه ملّتهِ الخواجا الياس شادي († ١٨٣٢) ليحامي عن حقوقهم بجاههِ ونفوذهِ لدى الحكّام

امّا بطريرك اليعاقبة فلم يكن يفتر قط من معاداتهم وردعهم عن التردد الى كنيسة الارمن بغية ان يفتّ في عضدهم ويضعضعهم فيعودوا الى اليعقوبيّة. ولكنهُ لم يَحلَ منهم بطائل. على انهم لمّا دبّ الفشل فيهم وملأوا السجون والحفائر الباهظة كتبوا الى غبطة البطريرك بطرس جروه (+ ١٨٥١) والى الاسقف بشاره والسيد بطرس كبري (Mgr. Pierre Coupperie) القاصد الرسولي في بغداد يطلبون كاهناً لخدمتهم الروحيّة والمناضلة عن حقوقهم. فوافاهم القس ميخائيل بن عبيد الموصلي ونزل في دير المرسلين الكبوشيين سنة ١٨٢٥ واستمدّ القاصد الرسولي كتاباً من والي بغداد الى داود آغا حاكم ماردين فيهِ يشدّد عليهِ التوصية بالقس الموما اليهِ وبجماعاتهِ وسجّل ذلك الصكّ في المحكمة وفي ديوان الحاكم فانتعش قلب المؤمنين بهذه الوصاة ونالوا الراحة والفرج زمناً

على ان السيد انطون سحيري كان كبطريركهِ مسترسلاً في مناصبة السريان الكاثوليك مجهداً النفس في محقهم تشفياً. واليك ما كتبهُ بخط يدهِ تاييداً لذلك قال: « وكان السيد سحيري (١ متمسكاً بالديانة اليعقوبيّة تمسكاً شديداً ومحامياً عنها بكل جهدهِ ومقاوماً الديانة الكاثوليكيّة بكل عزمهِ . حتى انهُ كان يسعى في حبسهم احياناً . ثمّ رُقّي بعد مدّة الى النيابة البطريركيّة وتسلّم كل ما يختص بها فالتزم ان يرتب كل شيء. ومن الجملة اخذ ينظم المكتبة البطريركيّة فوجد فيها اربع كراسات

---

١) من هنا ننقل القصّة بالحرف الواحد ولم نغيّر فيها الّا الفاظاً زهيدة وهي مكتوبة بضمير الغائب لا بضمير المتكلم كما ترى

تشتمل كل منها على صورة اعتقاد بعض بطاركة طائفته . والاربعة معاً يقرُّون بالديانة الكاثوليكية ويثبتونها بشهادات من الكتاب المقدَّس ومن الاباء القديسين معلمي الكنيسة الشرقيَّة كمار افرام السرياني ومار يعقوب ومار باسيليوس وقرلُّوس وغيرهم . وهولاء البطاركة الاربعة هم : البطريرك جرجس الثالث (+ ١٧٨١) والبطريرك متيُّوس الماردیني (+ ١٨١٧) والبطريرك بهنام الموصلي († ١٨١٧) الذي دموه من راس الجبل الى اسفل في شمشم ومات . والبطريرك جرجس سيَّار الرابع الذي كان وقتئذٍ ضابطاً الكرسي († ١٨٣٦)

« فلمَّا تأمل السيِّد انطون هذه التقارير واعتبرها جيِّدًا تغيَّر من حال الى حال وابغض الاراء اليعقوبيَّة واضطرم قلبهُ بمحبَّة الديانة الكاثوليكيَّة وحفظ تلك التقارير عندهُ . وبعد زمان وجيز اغتنم الفرصة وتوجه الى ديار بكر ودخل على البطرك واختلى به وعرض عليهِ التقارير المذكورة بقولهِ لهُ : « نحن نقارم الكاثوليكيين ونجادلهم ونقول لهم انهم ضالُّون وانَّنا ابنـاء الايمان المستقيم . والحال ان تقريرك وتقارير سلفائك تعلن حقيقة الديانة الكاثوليكية بشهادات ثابتة من الكتاب المقدس ومن آبائنا القديسين معلمي كنيستنا . فاذًا نحن الضالُّون والكاثوليكيون مستقيمو الايمان . فلماذا لا نترك الضلال ونعتنق الايمان الحقيقي » . فاجاب البطريرك : « حقًّا الديانة الكاثوليكيَّة حقيقيَّة وانا وقَّعتُ هذا التقرير منذ ثلاث عشرة سنة بختمي الاسقفي في دمشق الشام ثم بختمي البطريركيّ يوم كنت في دير مـار قرياقس بالبشيرية . ولكنيّ ما اقدر الآن ان اشهرها لئلَّا يصيبني ما اصاب اولئك الذين اشهروها او ارادوا ان يشهروها . فمنهم من نُفي ومنهم من طُرد ومنهم من أُلقي من الجبل الى اسفل (١ وما شاكل ذلك لان الاساقفـة عنيدون والشعب احمق وغليظ الرقبة فيقتضي ان نصبر حتى يصير لنا فرصة امينة . والَّا فاننا نموت مثلما مات آباؤنا واجدادنا والرب يعاملنا حسب نيَّتنا ان لم نقدر ان نشهرها لان محبَّ الخطر يبيد فيهِ » . فاجابهُ المطران انطون : هذا رجاء باطل يا سيِّدي . فجعل البطريرك يرغبهُ في المفريانيَّة

---

١) يشير الى البطاركة اندراوس اخيجان وخلفائه ولاسيما الى البطريرك بهنام الذي قُتل في شمشم بدهاء اليعاقبة (راجع تاريخ السيد افرام نقاشه ص ٤٢٤)

فرفضها (١ وخرج من عنده دون ان يبيّن لهُ نيتهُ وعزمهُ وعاد الى ماردين

« ولمّا وصل الى ماردين اخذ يحرّض الناس سرًّا ويقنعهم بصحّة الديانة الكاثوليكيّة فاقنع مطرانًا اسمهُ غريغوريوس عيسى محفوظ كان مرسومًا على اورشليم وموجودًا في ماردين لقضاء مصالحهِ واربعة خوارنة وهم القس ايليا نحيت والقس عبد النور والقس يعقوب ابن القس ايليا زاعور والقس عبد المسيح اخو داهودو واثني عشر شمّاسًا منهم اثنان دياقونيان وزهاء مائة وخمسين عائلة من الشعب. وحينئذٍ اشهر اعتناقهُ للديانة الكاثوليكيّة ومضى واخذ الحلّ من الارتقة من مطران يرياقيم طازباز الارمني تلميذ پروپغندا . واقتفى اثره السيّد غريغوريوس عيسى ايضًا. وابتدأ يحلّ من الارتقة الخوارنة والشمامسة والشعب. وكان ذلك في سابع عشر نيسان سنة ١٨٢٧ وحرّر هو والسيّد غريغوريوس عيسى صورة اعتقادهما الكاثوليكي وارسلاها الى الكرسي الرسولي الى السعيد الذكر البابا لاون الثاني عشر

« ولمّا بلغ الخبر مسمعي البطريرك اغتاظ غيظًا شديدًا جدًّا وكتب الى السيّد انطون سمحيري هكذا: « قد بلغني انك اعتنقت الايمان الكاثوليكي وتبعك المطران غريغوريوس عيسى واربعة خوارنة ومعهم شمامسة وجمهور من الشعب فغمّني ذلك جدًّا اوّلًا لاجل اختلاف الزمان وثانيًا لانك عملت هذا العمل في كرسي بطريركيّتي فان سكتُّ عنكم يظنّ الاساقفة وكلّ الشعب ان هذا العمل صار بارادتي حيث انك وكيلي وتابعي ولا يهون عليّ ان اتخطاك حيث اني احبُّك. فارغب منك ان تطيع شورتي وترجع عمّا صنعت والّا فالتزم ان اقاصّك قصاصًا صارمًا وارجعك غصبًا »

« فاجابهُ السيّد سمحيري هكذا: « اني بعدما عرفت وتحققت بكل تأكيد حقيقة الديانة الكاثوليكيّة لا يمكنني الّا اعتناقها من حيث ان لي نفسًا واحدة فقط بان هلكتُ هلكتُ معها الى الابد. وانا ملتزم ان اطيع الله اكثر من الناس حسب تعليم بطرس هامة الرسل. فان ارادت غبطتك ان تقبل توسلي فاعتنق انت ايضًا

١) من ذلك يتّضح جليًّا ان السيّد سمحيري لم يُرسَم مفريانًا كما توهّم توما لامي (Mgr Lamy) في سلسلة المقارنة التي اضافها الى تاريخ ابن العبري الكنسي (ج ٣ سنة ١٨٧٧)

الديانة الكاثوليكيَّة التي تشهد انت ذاتك لحقيقتها. ولا تخفْ من الذين يقتلون الجسد (متى ١٠: ٢٨) وان رفضتَ توسّلي فعلى خاطرك. أمّا انا فقد اخترتُ لي حظًّا صالحًا لا يقدر احد ان ينزعهُ مني الى الابد. والذي تريد ان تصنعهُ فاصنعهُ عاجلًا »

« فلما بلغهُ هذا الجواب عدل الى الوعيد والتهديد علّهُ يردّ السيد سحيري الى مذهبهِ فما استفاد شيئاً من عملهِ. ولمّا خاب املُهُ من حكم ماردين(١ قام من ديار بكر وتوجه الى القسطنطينيَّة. وكانت الدولة العثمانيَّة وقتئذٍ انفذت عدَّة اوامر بنفي الكاثوليكيين من مملكتها لسبب الحرب التي جرت بينها وبين اليونان اذ اتفق معهم المسكوب والدولتان الفرنسويَّة والانكليزيَّة وضربوا عمارة الدولة على بحر اثينا في مرفأ نفارين في ٢٠ تشرين الاوَّل سنة ١٨٢٧ واحرقوها. فوصل البطرك الى القسطنطينيَّة وعرض شكواه على الباب العالي بقوله : من حيث انهُ امين الدولة وان قد ظهر في طائفتهِ استفان تبعا مذهب الفرنج اعداء الدولة العثمانيَّة وجعلا يحرّضان الرعيَّة على اتباع الفرنج فلذلك التزمَ ان يأتي بشخصهِ ويعرض الامر على الباب العالي ليصدر الامر الشريف برجوعهما او نفيهما او حبسهما حتى يرجعا ويقدّما لهُ الطاعة

« وعلى هذا المنوال اخذ فرماناً من الباب العالي ورجع الى ديار بكر وارسل الفرمان مع الربّان متي الى والي بغداد لوقوع ماردين تحت حكمه. ومن هناك ارسل الوالي مباشرًا خصوصيًّا الى ماردين وحضر اليها البطرك ايضاً واظهر الاوامر وقدّمها الى علي بك المقدم حاكم ماردين. وللحال ارسل الباشا قوّاسين واخذوا السيد سحيري والسيد عيسى الى السراية وقرأوا الاوامر على مسمعهما وامرهما الباشا ان يرجعا الى طاعة البطريرك. فاجاب السيد سحيري انا نطيع البطريرك بكل ما

---

١) ذكر ابن حسنه الارمني الكاثوليكي في تاريخهِ ان البطرك جرجس السيّار اوفد رسالة الى عبدالله آغا حاكم ماردين مع هدية ثمينة ومال كثير والتمس منهُ ومن علي بك الالاي ان يقبضا على السيد سحيري والمطران عيسى ويزجّاهما في السجن ففعل الحاكم. فنهض الكاثوليك وجمعوا مالًا بهِ اعتقوهما واخرجوهما من السجن بعد ان قضيا فيهِ خمسة عشر يومًا (راجع تاريخ السيّد افرام نقاش ص ٥٠٠)

بأمرنا من الخدم الدنيوية ونكننا لا نطيعه في الاعتقاد بديانته ابداً لان اعتقاده ضد الانجيل وتعليم الحواريين. وبالنتيجة جرت حين ذلك مجادلات كثيرة لا حاجة الى ذكرها خوفاً من الاسهاب (١ اخيراً قال البطريرك: اذا كنتُ انا كافراً او مؤمناً فهذا شيء لا يخص الحكم. ولكن بما اني اتيت بأمر من الدولة العليَّة فليلزمها إمَّا ان يتبعا ديانتي او يُلقيا في السجن الى ان يطيعاني. وان بقيا مصرَّين فيبقيان مسجونين الى ان يموتا. والباشا قال هكذا. فاجاب السيد سحيري: ان السجن الزمني افضل من اتباع الضلال الذي عاقبتُهُ الهلاك الابدي. وحالاً ارسلهما الحاج احمد افندي المفتي الى علي بك مصفَّدين بالاغلال في عنقهما ورجليهما على مرأى من الجميع الى قلعة البلد حيث كان يُسجن القتلة وقطاع الطريق. فحبسوهما في مكان رديء جداً وكان ذلك في نيسان سنة ١٨٢٨. واتفق في ذلك الوقت وجود ضربة طاعون مهلك في ماردين وكان يموت كل يوم اناس كثيرون. وكان في القلعة ثلاثمائة نفر من العسكر يحرسونها فوقعت فيهم الضربة وماتوا وما بقي منهم سوى خمسة وثلاثين نفراً لا غير. ولم يُصِب المطرانين ادنى عارض مع ان المكان كان رديئاً جداً وكانت روائح المصابين وروائح جثث الموتى تتفاقم لانهم ما كانوا يحفرون في الارض ليدفنوهم الا قليلاً. ولقلَّة التراب الذي كان يُرمى فوق الجثث كانت تخرج روائح منتنة منها. وكان القمل من جهة اخرى يرعى في جسم المطرانين كعش النمل لكثرة الوخم. (وهنا يصف السيد سحيري حالتهما بما نشمئزُّ من ذكره)

« فمن ذلك يفهم كل احد وفور الوخم وكثرة الوسخ الشنيع والحال التعيس الذي حصل فيه المطران مدَّة ثمانية اشهر كاملة الى ان صار الصلح بين الدول الغربيَّة والدولة العثمانيَّة. فحينئذٍ سعى في اطلاقهما السيد بطرس كبري الفرنساوي القاصد الرسولي في بغداد مع وكيل قنصل دولة فرنسا عن يد والي بغداد. والوالي المذكور ارسل فاطلقهما من الحبس بغرامة ثمانية آلاف فرنك تقريباً مع انهُ لم يكن عندهما ثمانية فرنكات. فخرجا من الحبس وصارا يلتمسان احسان الكاثوليكيين من اي طقس كانوا وبالجهد الكلي جمعا من الكاثوليكيين الذين في ماردين مقدار الفَيْ فرنك حيث

١) ترى المجادلة في تاريخ السيد افرام نقاشه ص ٥٠٣

القديس سهاك (اسحاق) بطريرك الطائفة الارمنية

ان اهالي هذه المدينة هم فقراء جداً وكان ظلم الحكم متصلاً بهم يومياً. امّا باقي المبلغ فتديّناهُ بالقانض من نصارى واسلام (١

« ثم ان السيد سمحيري ترك السيد عيسى في ماردين ليعتني بالشعب في وسط هذه الاضطهادات وسافر من ماردين في ٩ تشرين الاول سنة ١٨٢٩ وتوجّه الى سوريا ليجمع الحسنات من الكاثوليك لوفاء الغرامة. وكلما كان يجمع شيئاً كان يرسلهُ الى اصحاب الدين. لكنهُ قبل ان يفي دينهُ بتمامهِ دفع البطريرك اليعقوبي مبلغاً الى الباشا بماردين فقبض على السيد عيسى وعلى الخوارنة الثلاثة اذ كان الخوري الرابع قد توفي في تلك السنة وامسكهم بقوة الرشوة وحبسهم عندهُ في دير الزعفران دير كرسيّ البطريركي . وصار هو واساقفتهُ يعذبونهم بالضرب المؤلم ويهينونهم اهانات مختلفة. وجعلوا منام المطران عيسى في اسطبل الخيل والخوارنة في اسطبل البقر. وكانوا كل يوم يحاولون اقناعهم لكي يرجعوا الى معتقد اليعاقبة ويحرموا الايمان الكاثوليكي . ولكنهم لم يلتفتوا الى اقوالهم بل كانوا يحتملون العذابات والاهانات بكل فرح. امّا بعض الاساقفة فكانوا يريدون ان يقتلوهم. ولكن البطرك ما كان يرضى بذلك لخوفهِ من الباشا اذ كان قد شارطهُ لمّا سلّمهم اليهِ بانهُ لا يقتلهم (٢

« فبلغ هذا الخبر الى السيد سمحيري وهو في حلب فمضى من وقتهِ الى القنصل الفرنساوي والتمس منهُ ان يبعث كتاب توصية الى سعادة المسيو غليمينو الجي

---

١) ذكر ابن حسنه الارمني في تاريخه انهُ لمّا تكتلك السيّد سمحيري والسيّد عيسى وجملة من الكهنة والشعب كانوا يقيمون الحفلات البيعيّة تارةً في كنيسة القديسة شموني التي ضبطاها من اليعاقبة وطوراً في كنيسة الارمن وآونة في كنيسة الكلدان وكان وقتئذٍ للارمن مطرانان وهما المطران برياقيم والمطران ابرهيم وللسريان مطرانان وهما السيّد سمحيري والسيّد عيسى وللكلدان مطران – غير ان السيّد سمحيري بعد سجنه في القلعة ضبط منهُ اليعاقبة بيعة القديسة شموني فكان المطرانان يقيمان القداس خفيةً في بيت سمار باشي فوشي جا المغريان الياس عنكز الى الماكم فنهاهما فجعلا يقدّسان في بيعة الارمن . وفي تلك الاثناء وردهما من البابا لاون الثاني عشر جواب رسالتهما وفيهِ نعتهما بالاخوين الامينين وارسل لكل منهما تاجاً وصليباً وصندوقاً يتضمّن كتباً دينيّة. ووافاهما كذلك كتاب من بطريرك السريان الكاثوليك بطرس جروه فيهِ يدعو لهما بالتوفيق ويسلّيهما (تاريخ ابن حسنه ص ٣٨)

٢) لبث المطران عيسى والخوارنة في سجن دير الزعفران حتى ١١ نيسان سنة ١٨٣١ ففكّهم كاثوليك ماردين باربعة آلاف غرش دفعوها الى محمّد اوصو بموجب صك شرعيّ

دولة فرنسا المقيم في القسطنطينيَّة لكي يأخذ بمساعدته فرماناً بتحرير الكاثوليك من سلطة اليعاقبة ويطلق السيد عيسى والخوارنة المسجونين عند البطرك اليعقوبي. فاجابهُ القنصل الى مطلوبهِ واعطاهُ كتاب توصية حملهُ وتوجَّه بهِ الى دير الشرفة حيث كان البطريرك بطرس جروه ومن هناك توجَّه حالاً الى القسطنطينيَّة وبواسطة الاجي الفرنساوي حصل على مرغوبهِ بعد وصولهِ الى القسطنطينيَّة بثلاثة اشهر سنة ١٨٣١ . وبعد ان اخذ الفرمان في اربع نسخ مصدَّقة ومسجَّلة في الباب العالي ارسلهُ الى حلب الى السيد بطرس جروه البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك والبطريرك المذكور ارسلهُ بواسطة احد الكاثوليك الى عثمان بن ابرهيم باشا الآمدي حاكم ماردين وهكذا نجا السيد عيسى والخوارنة الثلاثة من حبس البطرك اليعقوبي واذداد جمهور المتكثلكين

« ثم ان السيّد سمحيري لما قضى مصالحهُ في القسطنطينيَّة عوَّل على الرجوع الى حلب ومنها الى ماردين فسافر بحرًا على مركب عثماني صغير. فلمَّا قطع المركب جزيرة رودس تعرَّضت لهُ مراكب مصريَّة فأمسكوه وأخذوه الى الاسكندرية عنفاً لانهُ كانت حينئذٍ حرب بين السلطان محمود وبين محمد علي باشا والي مصر . فلما وصل المركب الى الميناء ارسل السيّد سمحيري جواز سفرهِ الذي كان اخذه من الجي الدولة الفرنساويَّة الى القنصل الفرنساوي في الاسكندريَّة الموسيو ميمو . فارسل المسيو ميمو ترجمانهُ فاخذ السيّد سمحيري من المركب الى دير المرسلين الفرنسكان وقادهُ راكباً فرساً وبقي بضعة أيام الى ان استراح. ثم توجَّه الى مصر فاستقباه القبط الكاثوليك واحتبوه كأنهُ ملاك نازل اليهم من السماء . وكان قد توفي اسقفهم الكاثوليكي واصبحوا من دون اسقف يرعاهم . ولما انتخبوا لهم اسقفاً لم يكن عندهم اساقفة كاثوليك ليرسموه ولم يكونوا يستطيعون ان يرسلوه الى محلٍّ آخر ليرتسم لسبب الحرب التي كانت منتشبة بين محمد علي باشا والسلطان محمود . وكانوا يخافون على الشعب خوفاً عظيماً من مكايد الاراطقة وهم يحاولون ان يغتنموا فرصة عدم وجود اسقف كاثوليكي يرعاهم لكي يفتكوا بهم. فحالاً عرضوا الامر على الكرسيّ الرسولي المقدَّس واستأذنوه ليرسم السيد سمحيري الاسقف الذي انتخبوه فارسل البابا غريغوريوس السادس عشر الحبر الاعظم

براءة رسوليـة الى السيد سمحيري وفوّضهُ بسيامة الاسقف فكرّس لهم حالاً اسقفاً كان اسمهُ « تادروس جاد الكريم » وحصـل بسيامتهِ فرح عظيم لجميع الكاثوليك واقام السيد سمحيري في القطر المصريّ الى ان صار الصلح بين محمّد علي باشا والسلطان محمود . وجمع لهُ مؤمنو مصر زهـاء خمسة عشر الف غرش فارسلها الى ماردين لقاء الدَّين

« وبعد ذلك عاد السيد سمحيري الى حلب فوصلها في حزيران سنة ١٨٣٣ . ثم توجّه الى ماردين في ٢٥ تشرين الاوّل مؤيّداً بفرامين من الباب العالي . ولدى وصوله اخذ كنيستين من كنائس اليعاقبة وهما كنيسة الاربعين وكنيسة الشهيدة شموني . وارتدّ كثيرون من اليعاقبة الى الايمان . امّا البطرك اليعقوبي فلم يكن في ماردين بل كان يدور في الابرشيّات يجمع حقوقه الرتبة عليهم . فلمّا بلغهُ خبر حضور السيد سمحيري الى ماردين وضبطهِ الكنيستين جمع اساقفة الابرشيّات القريبة من ماردين واحضرهم اليهـا وقدّموا مبلغاً جسيماً من الدراهم للحاكم فضبطوا الكنيستين من السيد سمحيري وما اكتفوا بذلك بل قدّموا مبلغاً آخر للحاكم لكي يسلّمهم السيد المذكور حيّاً او يقتله . فالباشا (١ لم يستطع ان يفعل ذلك لانّ السيد سمحيري كان اتى بأوامر من البـاب العالي . ولكنّهُ وعدهم بقتله خفيةً لا ظاهرًا . وعيّن اناساً خصوصيين لكي ينتهزوا الفرصـة ويقتلوه ليلاً . غير انّ اصدقاء السيد سمحيري وكانوا من حشم الباشا ذاتهِ بأنوهُ الامر فاضطرّ ان يغيّر مكانهُ الخصوصيّ وكان يستحضر كلّ ليلة اناساً باسلحة حتى يحرسوه الى الصباح الى ان وجد وسائط بها جذب الباشا الى مصالحتهِ معهُ بواسطة الدراهم . فلمّا شعر البطرك اليعقوبي بذلك خاف وترك ماردين وهرب الى الجبل واراد الباشا ان يعطي الكنائس مرّة اخرى للسيد سمحيري فما ارتضى ان يستلمها وذلك اوّلاً لاجل

---

١) قرأنا في كتاب ابن حسنه معاصر السيّد سمحيري ان علي باشا الوزير قدم الى ماردين سنة ١٨٣١ وسار الى بغداد واوفد من قبله حاكماً لماردين اسمهُ زينان آغا يصحبه احمد اغا التفنكجي باشي . وسنة ١٨٣٢ خلفه عثمان بك ثم الحاج محمد اغا . وفي هذه السنة اعلن اهالي قرية الكوليّة او القصور كثلكتهم فاوفد اليهم المطران عيسى قسّين لخدمتهم الروحيّة

الخطر وثانياً لئلّا يتلف المال بالباطل (١ حيث ان الحكم كان مثل سوق الحراج فكلٌّ من زاد الحاجة غرشاً اخذها. وبناء عليه اشترى السيد سمحيري بيتاً يشتمل على اربع غرف فخصّص الواحدة للخدم الاهليّة والثانية للاسكول (للمدرسة) وكان خادمهُ ينام فيها ليلاً والثالثة لنومهِ والرابعة للمواجهة والمائدة ولسائر الاشياء. واستمرّ في ماردين يعلّم ويكرز وينذر بالايمان الى سنة ١٨٣٦

«وفيها مات جرجس الرابع البطرك اليعقوبي في شهر حزيران وقام عوضهُ البطرك الياس عنكز الذي كان رئيس اساقفة الموصل. وهذا كان رجلاً شريراً رديء الاصل يبغض الكاثوليك بغضاً متفاقماً حتى انهُ كان يقول: ضعوا الكاثوليك في جوفي واضربوهم بسيف ودعوهم يموتون وانا معهم. فهذا تقلّد زمام البطاريركيّة سنة ١٨٣٧ وجدّد الاضطهاد على الكاثوليك واستجاب اوامر من الباب العالي لضبط مقابرهم في ماردين ومضى الى الموصل واضطهد السيد عيسى وضبط حصص كنائس الكاثوليك وتملك على مقابرهم ايضاً. فالتزم السيد عيسى رغماً عن كبر سنّه ان يسافر الى القسطنطينيّة مسافة خمسين يوماً وهو لم ينقه من الامراض التي اصابتهُ حينما كان محبوساً عند الارانقة. ولكنهُ بعناية الربّ وصل سالماً واخذ اوامر من الباب العالي بواسطة الجي دولة فرنسا ايضاً ورجع الى الموصل واسترجع حصص كنائسه ومقابر رعيّته. فرجع البطرك اليعقوبي من الموصل بالخزي الى ماردين وجدّد الاضطهاد على السيد سمحيري وصارا يتعاركان فتارةً الغلبة لهُ وتارةً عليهِ. وكلّما كان السيد سمحيري يتضايق كان يهرب الى ديار بكر ويقوّي الكاثوليكيين فيها ويجذب اناساً

---

١) ذكر السيّد افرام نثأت في تاريخه (ص ٥٢٠ – ٥٢٢) ان السيّد سمحيري لمّا سئم الاقامة خفيةً لاذ بعلي بك امير القلعة وسار اليهِ صحبة ادسي بن سعيد وترامى على قدميهِ فلاطفه وقال لهُ: ان البطرك سعى لديَّ بقتلك وعلمَ انك لذتَ بي فانا أعدك بقتله ان شئت. فقال لهُ السيد سمحيري: كلّا يا سيّدي بل اروم ان نحضر كلانا عندك فاقدّم لهُ الغليون والقهوة واقبّل يده احتراماً. فانذهل علي بك وذكر لهُ الدسائس التي كان البطرك يدبّرها للفتك بهِ. فتوسّل اليهِ السيد سمحيري ان يعفو عنهُ ولا يؤذيهُ. فاحبَّهُ علي بك وفي الغد استصحبهُ الى الحاكم والى حاجي بك وسائر الاغوات فاستحسنوا المطران وطمّنوه واعلموه بان قد وردت اليهم توصية في شأنه وفي شأن شعبه من لدن علي باشا والي بغداد فسكن روعه وشكر الله وودعهم

من اليعاقبة الى الايمان المقدس . وكان البطرك اليعقوبي يلحقهُ ويجدّد عليهِ الاضطهاد الى ان يضايقه فيهرب تكراراً من وجههِ وهلمَّ جرًّا

غير ان البطرك دفع ثالث مرَّة رشوة وافرة لبكندي باشا حاكم ماردين فامسك السيد سمحيري واخاً لهُ اسمهُ عيسى كان قد حضر اليهِ عند رجوعه من زيارة اورشليم . واتفق ان القوَّاسة الذين اتوا ليقبضوا عليهما ضربوا اخاه ضرباً مبرّحاً على رأسه وبقيَّة جسمهِ وساقوهما الى حبس شنيع مظلم جدًّا حيث يُحبَس القتلة واللصوص . وجعلوا السلاسل الحديدية في عنقهما والقيود في رجليهما وبعد نصف الليل نزلت نزلةٌ دمويَّة على اخيهِ وعند الصباح ثقل عليهِ المرض جدًّا . وبالجهد الجهيد حصَّلوا اذناً من الباشا لكي ينقلوا المريض الى بيتهِ فاخذه الحمَّالون على ظهرهم وعند وصولهِ الى البيت منحوهُ الاسرار الكنسيَّة وبعد ساعة ونصف انتقل الى رحمة بارئهِ

« ولما سمع السيد سمحيري بوفاة اخيهِ المحزنة تضايق صدرهُ واغتمَّ غمًّا شديدًا على فقد شقيقهِ المظلوم البريء من كل ذنب . والتزم ان ينكّ ذاتهُ بغرامة تناهز الفي قرنك (١ وخرج من الحبس وسافر الى ديار بكر (٢ وبقي هناك يشجع الكاثوليك ولمَّا عُزل باشا ماردين رجع اليها ليضرم جذوة الايمان المقدس في قلوب رعيَّته

« امَّا البطرك اليعقوبي فلم يكفّ عن الحركات والوشايات بحق السيد سمحيري حتى انهُ حرَّك عليهِ شعب الاسلام عموماً بقولهِ لهم : « ان السمحيري يفسد الشعب ويجذبهُ الى مذهب الافرنج وقد فتح بيتهُ للصلاة وجعلهُ نظيرَ كنيسة . وهذا هو ضدّ

---

١) لمَّا توفي شقيق السيِّد سمحيري خاف المؤمنون ان يصيبه ما اصاب شقيقه فبادروا الى الاسواق والبيوت وجمعوا نقوداً وامتعة بلغت قيمتها نيفاً وسبعة آلاف غرش فدَّوا بها راعيهم . ورُوي عن جبرائيل نوري انهُ خلع كسوته للحال وهو في الطريق وكانت ثمينة فباعوها وضمُّوا قيمتها الى المبلغ وادَّوا الغرامة

٢) وهناك استقبله السيد يوسف اودو مطران الكلدان بترحاب ورفع دعواه الى والي ديار بكر محمَّد رشيد باشا وشرح ما اصابه من بكندي . فتعطَّف الوالي على السيِّد سمحيري واشأز من قساوة بكندي وأمر كاتبه فرقم بيورلديًّا سنة ١٨٣٥ تعدَّدهُ فيهِ وامره ان يرجّع المال الى السيِّد سمحيري وان لا يأخذ منهُ العشر من الكروم والبساتين والاوقاف المختصَّة بهِ فردَّ بكندي الدراهم . وعاد السيِّد سمحيري الى ماردين شاكرًا (راجع تاريخ المطران افرام نقاش ص ٥٣٩ — ٥٤١)

الشريعة الاسلاميَّة وخلاف امر النبي محمد الذي يقول لا يُحدث بديارنا كنيسة ولا دير ولا معابد للنصارى . . .

« ومن ثم هاج المسلمون وقصدوا قتل السيد سمحيري . فخرج السيد المذكور من بيته سرًّا ومضى الى كنيسة الكلدان الكاثوليك واختفى هناك تحت المذبح ففتّش عليهِ الاسلام ولم يروه حتى صار الليل . ولمَّا اشتدَّ الظلام خرج من تحت المذبح وسجد للقربان المقدَّس شاكرًا فضلهُ وانعامهُ لانهُ حفظهُ تحت اكنافه ولم يسلّمه لاعدائه

« ثم ارسل السيد سمحيري فاحضر ثياب احد العلمانيين الفقراء وكانت ثياباً رثَّة فتزيَّا بها ومضى الى بيت احد ابناء رعيتهِ القريب من سور المدينة (١ وبقي تلك الليلة هناك . وفي الغد سعى نفر من الكاثوليكيين فوجدوا ثلاثة اشخاص اقوياء وامناء وشارطوهم بكميَّة من الدراهم لكي يمضوا مع السيد المذكور ليلًا الى ديار بكر . وخرجوا من المدينة بعد الغروب واختفوا في مكان عرَّفوا بهِ السيد سمحيري ولمَّا صار الليل صعد الى السور واخذ معهُ بعض الاصحاب فاوثقوهُ بحبل ودلَّوهُ من السور الى خارج المدينة ولمَّا وصل الى الارض فكَّ الحبل فعاد الاشخاص الى بيوتهم . اما المطران فقصد المكان الذي اتَّفق عليهِ مع الشبَّان الثلاثة فلمَّا انتهى اليهم حملوا اسلحتهم وساروا معهُ تلك الليلة كلها الى ان قطعوا حدود ماردين ووصلوا الى حدود ديار بكر صباحاً فحصلوا على الامان

« وعند المساء وصل الى ديار بكر سالمًا ولما دخل الى احد بيوت رعيَّته (٢ لم يعرفوه لسبب ثيابه الرثَّة التي كان لابسها ولما تكلَّم معهم عرفوه وصاروا يشكرون الله بفرح عظيم لا يوصف . واقام في ديار بكر نحو اربعة اشهر الى ان تغيَّرت الظروف فعاد الى ماردين وفتح بيتهُ الذي كان قد اغلقه المسلمون وابتدأ يصلي فيهِ كالسابق ويقوّي الكاثوليكيين ويشجعهم لكي يحتملوا التجارب والاضطهادات مثلما احتملها الرسل القديسون والمسيحيون المجاهدون في اوائل الكنيسة وكمَّلوا جهادهم بالرب وحصلوا على المجازاة السعيدة من يسوع راس الكنيسة المنتصرة

---

١) هو بيت روبي وموقعه في محلَّة الكوليَّة شرقيّ البلد

٢) هو بيت الخواجه توما ابن الشماس ججّو الموصلي (نقاشه ص ٥٤٨)

« ولكن الاضطهاد لم ينته والعدو لم يفتر من دسائسه المتنوّعة . لانهُ كان يخترع في كل مدّة وجيزة مكايد جديدة ويلقي السيد سمحيري في اخطار موبقة وكلما كان يقع في يده كان يفك ذاته وينقذ حياته بالدراهم . وحينما كانت تسنح لهُ الفرصة كان يهرب منهزماً وحينما كانت تهدأ الاضطرابات قليلًا كان يرجع الى رعيته ويشدّدهم بالايمان ويشجعهم على احتمال الاضطهادات التي عاقبتُها سعادة غير زائلة . وما انتهت تلك المحن الّا بانتهاء حياة البطرك اليعقوبي الذي جاء بكل تعاسة في سابع نيسان سنة ١٨٤٧ ومن تلك السنة خمدت وبطلت الاضطهادات واصطلح حكم الدولة قليلًا . وحينئذٍ مضى السيد سمحيري الى ديار بكر واشترى بيتاً (١ وعمّر فيه محلًّا للخدم الالهيّة ومكاناً للاسكول (المدرسة) ومنزلًا لسكنى الكهنة . واقام هناك ثلاثة كهنة لخدمة الشعب الكاثوليكي . واستقرّ الحال وحصل الاطمئنان وغدا الايمان ينمو يوماً فيوماً بارتداد اليعاقبة

« والآن ما عاد يحتاج الّا الى الاهتمام في استعمال الوسائط التي اذا صُنعت وكملت بعناية الربّ يؤمّل بلا شك ارتداد جميع اليعاقبة واستئصال ارتقتهم الوخيمة فتحصل الرعيّة واحدة لراعٍ واحد وهو خليفة بطرس ونائب يسوع المسيح على الارض وابو المسيحيين كافة . والوسائط هي هذه . اوّلًا . . . »

الى هنا انتهى ما رقمهُ بخطّ يده رحمهُ الله ولم يذكر تلك الوسائط التي بها يُؤمل نجاح الكثلكة وانتشارها ولعلّهُ كتبها في رقعة اخرى لم نعثر عليها

وبعد ان اقام السيد سمحيري اربعة اشهر في ديار بكر رجع الى ماردين وطفق يسوس الرعيّة بالغيرة والحكمة وينهج لها سبل التقى والفضيلة ويلقّنها العلوم الدينيّة الراهنة فنمت الطائفة وازدادت حتى بلغت مائتين وعشر عائلات وقد عثرنا على اسمائهم في دفتر مرقوم سنة ١٨٤٧ ضمن اوراقه رحمهُ الله . ولمّا استتبّ السلام في ماردين رأى ان يشخص الى الموصل سنة ١٨٤٩ ومنها سار الى بغداد وحصل على التوصية من واليها الى حاكم ماردين ليعضدهُ في ابرشيّته ويطلق لهُ الحريّة في سياستها وتدبيرها ويكفيهُ شرّ خصومه الذين كانوا يشُون عليهِ العيون ليفتكوا بهِ ويصدعوا

---

١) بفضل السيّد تريوش (Mgr. Trioche) القاصد الرسوليّ ونائب قنصل فرنسا في بغداد طبقًا لما كان وعده كما سبق في المتن

شمل رعيّته التي دارت عليها كؤوس البؤس والشقاء ونالت لاجله الضيم والبلاء. وبعد ذلك قفل السيد سمحيري راجعاً الى الموصل وعاد منها الى ماردين. وبعد وفاة الياس عكز بطريرك اليعاقبة خلفه يعقوب القلعتمراوي سنة ١٨٤٧ وكان هذا البطريرك يجامل الكاثوليك ويعزيهم بل اعلن بالطاعة للحبر الروماني ووقّع بختمه صورة ايمان البطريرك جرجس الثالث. واوفد اليه بيوس التاسع الحبر الاعظم رسالة حثّه واستدعاه الى المجمع الفاتيكاني وكان معوّلاً على الذهاب غير ان اليعاقبة ثبّطوه عن انجاز بغيته

ثم ان العناية الالهيّة باركت اتعاب السيد سمحيري وفكّت عرى خوفه وسرّت عنهُ غمومهُ. فقرّت عينهُ بانضمام طائفة من اليعاقبة الى الايمان الكاثوليكي في مذيات والكوليّة وغيرها فارتدّ منهم كثيرون بمساعدة الآباء اليسوعيين نخص منهم بالذكر المطران زيتون جلمه († ١٨٨١) بطريرك طور عبدين على اليعاقبة. وبالنتيجة ان الكثلكة في ما بين النهرين استقامت امورها وازدادت نجاحاً بمساعي المطران سمحيري ونشاطه

٣ً بطريركيّة السيّد انطون سمحيري

ولمّا انتقل السيد اغناطيوس بطرس جروه الى الاخدار السماويّة في ١٦ تشرين الاوّل سنة ١٨٥١ ونُعي خبره الى الكرسي الرسولي اوعز الى السيد سمحيري ان يتولى النيابة الرسوليّة بموجب صك مؤرخ في ٢٨ اذار سنة ١٨٥٢ وفي هذا الصك عينهِ اعلن انهُ نقل الكرسيّ البطريركي الى ماردين

وكتب ايضاً الى السيد مبارك بلانشه (Mgr.Planchet J.S.) القاصد الرسولي والى المطران عيسى في ان يشخصا الى دير الشرفة بلبنان للانتخاب البطريركي. بيد ان المطران عيسى لشيخوختهِ تعذّر عليهِ الحضور فأوعز الى القاصد الرسولي انهُ ينتخب السيد سمحيري لجدارته وغيرته. فسافر الاساقفة الى المجمع والتأموا في دير الشرفة في ٣٠ تشرين الثاني وهم السيد يعقوب حليـاني مطران دمشق الشام والسيد متى نقّار مطران النبك وحمص وحماة والسيد يوسف حانك مطران بيروت والخورفسقفوس جرجس شلحت نيـابةً عن كرسيّ حلب يتقدّمهم القاصد الرسولي والسيد سمحيري

النائب الرسولي وانتخبوا بالصوت الحيّ السيد انطون سمحيري بطريركاً انطاكياً فرضي بتلك الدرجة السامية استشعاراً للطاعة واستتماماً للخدمة والجهاد وسأل ان تُقام حفلة تنصيبه في ثامن كانون الاوّل تيمّناً بعيد الحبل بمريم العذراء بلا دنس واعلاناً بانهُ يضع الطائفة السريانيّة برمّتها تحت حمايتها. وبناء عليه تُوّج بطريركاً انطاكياً في ٨ كانون الاوّل سنة ١٨٥٣ على يد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران الشام (١ وحضر الحفلة غبطة السيد يوسف بطرس الخازن بطريرك الموارنة

وقبل ان يتفرّق آباء المجمع حرّضهم القاصد الرسولي ان يسنّوا قوانين لنظام الطائفة فرتّبوا شيئاً منها غير ان الكرسي الرسولي لم يؤيدها (٢ وبعد ان قضى السيد سمحيري زهاء ستة اشهر في دير الشرفة انطلق الى عاصمة الكثلكة ليتّشح بدرع التثبيت واستصحب القس يوحنا معمار باشي تلميذ الآباء اليسوعيين في غزير بعد ان رسمه كاهناً في ٢٣ نيسان سنة ١٨٥٤ وخصّهُ بكتابة اسراره

ولمّا ان بلغ البطريرك الى رومية وزار الكردينال فرنسوني رئيس المجمع المقدس سار بهِ بعزّ وترحاب الى القصر البابوي فتحفّى بهِ الحبر الاعظم مار بيوس التاسع وفي ٢ تموز اقام حفلة تأييده ورشّحه الاب الاقدس بالپاليوم (٣. وتناول الطعام على

١) راجع الزهرة الزكيّة في البطريركيّة السريانيّة ص ١٠٣ و١٠٤

٢) من جملة القوانين التي احدثها الاباء في ذلك المجمع: الغاء رتبة القدّاس الاولى والثانية وابطال استعمال المبخرة في القدّاس. وقراءة بداءة انجيل يوحنا في نهاية القداس واستعمال البدلة اللاتينيّة بدل البدلة السريانيّة والبرشانة اللاتينيّة بدل السريانية الى غير ذلك من القوانين. ولمّا ان كُتبت بالعربيّة وقع عليها الاساقفة والخوري جرجس شاحت ايضاً بختومهم. ثم نُقلت الى اللاتينيّة ببعض التحوير وأرسلت الى رئيس المجمع المقدّس. ولمّا عاد البطريرك انطون سمحيري الى رومية سنة ١٨٥٦ وزار قداسة الحبر الاعظم والكردينال برنابو قال لهُ الكردينال: أتقبل بكلّ ما رسم الاساقفة في مجمع الشرفة سنة ١٨٥٤؟ قال البطريرك: اقبل بما كُتب فيه باللغة العربيّة لا باللغة اللاتينيّة. وبالتالي اعلن البطريرك ان التمسّك بالطقس السرياني في كليّاته وجزئيّاته أولى وانفع. فألغيت تلك القوانين ولم يُعبأ بها. وهذا كلّهُ رواهُ لنا السيد يوحنا معمار باشي الجليل ترجمان غبطته اذ ذاك. ومن ثم فلا صحّة لما رواه البعض من ان غبطة البطريرك انطون سمحيري رام ان يُحدث في الطقس السرياني شيئاً من الطقس اللاتيني. وقد بلغنا منذ سنين ان تلك القوانين نُشرت كلّها في باريس. ويوجد منها نسخ في ماردين وديار بكر وحلب وغيرها

٣) وقد نُشرت تفاصيل هذه الحفلة في مجموعة اعمال مجمع انتشار الايمان (R. de Martinis: *Juris Pontificii de Prop. Fide*, VI', p. 229)

ماندته وأيد ما كان قرّره في مجمع الكرادلة سنة ١٨٥٢ اعني ان تكون ماردين مقرًّا للكرسي الانطاكي واتحفهُ بكأس وصينيَّة من الذهب الخالص

وما عتم ان ظعن البطريرك الى بلاد اوربة وتوغّل في فرنسة وبلجيكة وهولندة فانثالت عليهِ الصلات وتوالت عليهِ الحسنات من أيمة الدين الكاثوليكي وصنّفوا لهُ القصائد المحبّرة والتقاريظ البديعة بلغات شتى اودعوها شواعر محبّتهم واجلالهم للسيد البطريرك وقد طالعنا تلك التقاريظ وأعجبنا بها وهي مصونة باكرام بين اوراق السيد يوحنا معمار باشي. واقتبس البطريرك حظوة لدى نابليون الثالث ملك فرنسة واحتفى بهِ احتفاء وسيماً وشمله بالتحف الفاخرة منها صليبٌ نفيس محفوظ في الكنيسة الكاتدرائيَّة بماردين الى يمينه راية مكتوب تحتها اسم انطاكية وباريس والى يساره راية اخرى مكتوب تحتها اسم سوريا وفرنسة وفي اسفلهِ هذه العبارة : « الى السيد سمحيري — نابليون . اوجيني » كلّ ذلك باللغة الفرنسية . وحصل البطريرك المغبوط على شيء كثير من الخلع الفاخرة والهدايا الثمينة والامتعة البيعيَّة والاثاث الكنسيَّة والاواني الفضيَّة والذهبية والحلل الحبرية والكهنوتيَّة اغلبها توافق الطقس اللاتيني . ثم ان وزير الخارجيَّة في فرنسة أسنى لهُ قلنسوة فاخرة اتّشح بها في رحلته وفي عودته الى الشرق ووقت الحفلات والمواسم

وجرت على يدهِ امور عجيبة لدى تجواله في تلك الاصقاع نقلها لنا السيد يوحنا معمار باشي . منها انهُ تعهد في ٦ حزيران سنة ١٨٥٥ ديرًا للراهبات في ابرشيَّة روان وكانت احداهنَّ طريحة الفراش منذ ثمانية اشهر فعادها البطريرك وصلّى عليها وبعد هنيهة نهضت من سريرها وسارعت اليهِ وقبلت يديهِ شاكرةً . ومنها انهُ لمّا زار دير راهبات المحبَّة في دونكرك في ١٥ ايلول سنة ١٨٥٥ ألفى عندهنَّ راهبة رجلها مكسورة فصلّى عليها بخشوع فقامت الراهبة مستوية وشكرت لهُ واستأنفت خدمتها . ومنها انهُ لمّا كان في ليدن من حواضر هولندة وكان ابن حاكمها طريح الفراش مصاباً بداء السلّ صلّى عليهِ البطريرك واثقاً بان الله عزّ شأنهُ ينيلهُ البرء التامّ . وبعد يومين نهض الشاب من فراشه وبادر الى السيد البطريرك شاكرًا وكان ذلك في ٢٣ كانون الاول سنة ١٨٥٥

ومنها انهُ لما واجه اوجيني الملكة قرينة نابليون الثالث امبراطور الفرنسيس

سألتهُ ان يصلي الى الله في شأنها ليرزقها ولداً فاستحضر البطريرك ماء وصلى عليه وباركه بالصليب وقال لها: اشربي هذا الماء فتزول عقرتكِ باذن الله وسيكون لكِ ولد. فكان كما قال وولدت اوجيني ولداً بعد تسعة اشهر (١٨٥٦) سمتهُ اوجان لويس وهو الذي قُتل في جنوبي افريقية سنة ١٨٧٩ . ولم يحضر البطريرك حفلة العماد كما توهَّم البعض

ويضيف الى ذلك حادثاً جرى للسيد انطون سمحيري لما كان مطراناً اذ كان اليعاقبة يبنون لهُ الغوائل وينصبون لهُ المكايد وذلك انهم دفعوا للحاج خليل داود الشكري ثمانمائة غرش ليذهب تحت الليل ويفتك بالسيد سمحيري فدلَّوهُ من السطح فدخل من نافذة الغرفة التي كان يرقد فيها المطران وانتضى خنجرهُ ليطعنهُ فاذا بيمينهِ قد يبست فانذهل الحاج خليل وبيساره ايقظ المطران مذعوراً وقال لهُ: ان اعداءك ارسلوني للايقاع بك وها ان يميني قد يبست كما ترى. فنهض المطران وصلى فعادت يمينه وخرج من عندهُ متعجباً. وهذهِ الحادثة رواها لنا بعض اهل ماردين الذين اطَّلعوا عليها

ثم ان البطريرك رجع تكراراً الى باريس فقلده نابليون الملك وسام جوقة الشرف وشيعهُ باكرام فعاد الى رومية وزار قداسة الحبر الاعظم والكردينال برنابو ثم قفل الى دير الشرفة واستكتب موجوداتهِ كلها ونظم شؤونهُ وغادرهُ الى الشام فالتبك بخمص فحماة فحلب ولاقى اعزازاً وشرفاً وسيما في حلهِ وترحالهِ

ولما تطاير خبر شخوصهِ الى ماردين ضجَّ اهاليها لاستقبالهِ فدخلها بموكب عظيم لابساً التلنسوة التي اتحفهُ بها وزير الخارجيَّة في فرنسا كما قدمنا وتعزَّى الكاثوليك وانفرجت عنهم كروبهم السابقة. وفي ٨ نيسان سنة ١٨٥٧ وافاه الفرمان الشاهاني من لدن الباب العالي تأييداً لبطريركيَّتهِ. ولمَّا اطمأنَّ البطريرك في ابرشيتهِ طفق يجدُّ في رفع شؤونها والذبّ عنها بكل غيرة ونشاط واخذ في بناء كنيستها الكاتدرائيَّة على اسم الجبل بالعذراء بلا دنس وكان اغلب شبان السريان الكاثوليك يشتغلون فيها مجاناً. ثم ابتنى داراً بطريركيَّة وغرفاً للقسّان والخوارنة ومدرسة للاقليروس والفتيان ولبتاع دوراً وقفها للكنيسة واشترى بستاناً في باسبانس في عهد مطرانيَّتهِ. وسنة ١٨٦٣ اشترى ارضاً فسيحة في غربي المدينة وفيها شيَّد بعد وفاتهِ ديرٌ للرهبان

الافرامين وقد نشرنا تاريخهُ على صفحات المشرق سنة ١٩٠٩ [١٢ : ٧٦٥]

وفي سادس تشرين الاوَّل سنة ١٨٥٨ سار البطريرك الى الموصل ودخلها بحفاوة واكرام واجتمع بابنائهِ وفرَّض اليهم ان ينتخبوا قسًّا جديرًا ليرسمهُ مطرانًا عليهم وعرض ذلك على جماعة قرقوش ليشتركوا في الانتخاب فوقع اختيارهم على القس بهنام بني فرقَّاه البطريرك الى رتبة خورفسقس وسمح لهُ ان يلبس التاج والصليب ويبارك بهِ الشعب. ثم انَّهُ اجزل للمتواصلة ثمانين الف غرش لتشييد كنيستين كبيرتين احداها على اسم العذراء الطاهرة والاخرى على اسم توما رسول الهند. وفي خامس ايار سنة ١٨٥٩ قفل راجعاً الى ماردين بأيمن طائر. واستحضر القس روفائيل برخي من بغداد ورسمهُ خوريًا وأجدى عليهِ بمبلغ امرهُ ان يشتري بهِ ارضاً كافيةً في بغداد لبناء كنيسة. فاخذ المبلغ وعاد الى رسالتهِ شاكرًا

وعام ١٨٦٠ في ١٤ آب كرَّس البطريرك كنيسة ماردين بحفلة شائقة وكانت غاصَّة بالجماهير والفرح يشمل افئدتهم. ولم يتمالك «ايليًا كدا» وجيه الطائفة ان يهتف ويقول: «اطلق يارب عبدك بسلام فانَّ عينيَّ ابصرتا خلاصك». فبكى وابكى جميع الحضور. ورُوي عن الشمَّاس حنَّا دوقاق انهُ كان يبكي ويقول: «كنَّا نتحسَّر ونتمنَّى ان نحصل على قسٍّ ولو اعور. امَّا الان فنشكر الله على مواهبهِ»

وفي شباط سنة ١٨٦٢ استقدم اليهِ الخوري بهنام بني ورقَّاه الى كرسي مطرانيَّة الموصل في ٩ آذار وسمَّاه قرلس بهنام وهو بكر المطارنة الذين رسمهم وجاد عليهِ بمبلغ وافر لانجاز بناء كنيستي الموصل الفخيمتين. وبعد هذا اوفد البطريرك المغبوط الى وجهاء حلب ليصطفوا لهم مطرانًا فاتفقوا في ٢ كانون الثاني سنة ١٨٦١ على انتخاب الخوري جرجس شلحت وارسلوا الى البطريرك رقعة الانتخاب موقعة بامضاء المطران يوسف حانك وثمانية كهنة ومائة وثمانين من وجهاء الطائفة واعيانها. وفي ١٨ ايار سنة ١٨٦٢ استدعاه البطريرك الى ماردين واستودع اليهِ عصا رعاية الابرشيَّة الحلبيَّة وسمَّاهُ ديونوسيوس جرجس فقضى اسبوعاً في ماردين وقفل راجعاً الى ابرشيَّتهِ

ثم ارسل البطريرك فاستحضر الخوري روفائيل برخي من بغداد والخوري فيلبس عركوس من دياربكر وقلد الاوَّل رعاية الابرشيَّة البغداديَّة وسمَّاه اثناسيوس

وسقف الثاني على ديار بكر وسماه يوليوس فيلبس وجرت حفلة رسامتهما في ٢٨ ايلول سنة ١٨٦٢ وعاد كل منهما واستلم زمام ابرشيته

ولما كانت النعمة الالهية قد قضت لهذا البطريرك المغبوط بالعز والنجاح بعد اليأس والكفاح جزاء لصلاحه ومكافأة لمشقاته ألهمت بعض اساقفة اليعاقبة ان يهتدوا الى الايمان الكاثوليكي المقدس في عهده مع جم غفير منهم السيد اوسطاثيوس افرام تكمجي مطران خربوط وتوابعها فانهُ جاهر بالكثلكة سنة ١٨٦٣ وحافظ عليها حتى منتهى حياته وولاه البطريرك رعاية بوجاق وخربوط وحصن منصور ومنهم السيد ايوانيس ايليا ابن القس نعمه عمه الذي خصهُ البطريرك بامور التلاية باردين . ومنهم نفرٌ صالح انتموا الى الكثلكة في زيدل بمساعي السيد يعقوب حلياني . ومنهم قسم آخر في الجزيرة وآزخ وطور عبدين . وفي ١١ تشرين الثاني سنة ١٨٦٣ نصب القس يوسف بن عبد المسيح متاح الماردیني مطراناً على جزيرة ابن عُمر ودعاه فليبانس بطرس . وكان غبطتهُ يرفد الابرشيات ويعضدها بالمال لابتناء الكنائس وبالكهنة لانشاء المدارس وعلى هذا الاسلوب أفلحت الطائفة ونجحت وارتاشت حالها واصطلحت وثابت اليها بهجتها وعاد اليها مجدها السابق . ومن ثم فسلسلة حياته الضنكة المسبوكة في قالب الحسرات والزفرات صيغ منها اخيراً سلسلة ذهبية طوقت بها الطائفة السريانية جيدها العاطل وغدت تتباهى بها على توالي الايام وتفاخر بها سائر الأنام

وقد قدر الكرسي الرسولي اعماله الرسولية واثنى مراراً على همته . وفي مجموعة براءات مجمع انتشار الايمان المقدس ثلث رسالات للطيب الذكر البابا بيوس التاسع كتبها الى السيد انطون سحيري في السنوات ١٨٥٤ و١٨٥٨ و١٨٦٢ يشكر فيها همتهُ ويثني على غيرته في رد اليعاقبة الى الايمان وصبره الجميل على الاضطهادات ويعزيه في محنه بذكر الجزاء العظيم الذي ينتظرهُ لدى الرب لحسن جهاده

٤ وفاة البطريرك انطون سحيري

وما كاد البطريرك المغبوط يتمتع بثمرة اتعابه ويستريح من اوصابه حتى أصيب بداء الفالج في ديار بكر فحمل الى ماردين وتجرع غصص الاوجاع بوجه

طلق وثغر بسّام شاكرًا للرب الذي ابتلاه عربونًا لمحبته اياه. ولبث على تلك الحال حتى ١٥ حزيران فاعترف وتناول الاسرار ومُسح بزيت المرضى وفي ١٦ حزيران سنة ١٨٦٤ لفظ روحهُ بيد خالقها وهو يقول « يا عذراء » فاجتمع الاساقفة والكهنة ولهيف الشعب الى الكنيسة الكاتدرائيّة وأقاموا لهُ مأتمًا حافلًا وتوجّد لهُ جمهور الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة في جميع البلدان. ولما طافوا بجثمانهِ في كنيستهِ ارتفعت الاصوات وانتحب عليهِ الكبير والصغير من نصارى ومسلمين وأُودع في الضريح المهيّأ لهُ تحت مذبح القديس مار افرام: وفي غد وفاتهِ حضر من ديار بكر القس لويس صابونجي وابنهُ تابينًا بليغًا استنزل العبرات واقيمت لهُ الجنّازات الحافلة في كنيستي الارمن والكلدان وأبّنهُ تكرارًا السيد اغناطيوس دشتو مطران الكلدان وعدد اوصافهُ وشدائده وافاض في ذكر مبرّاتهِ ومحاسنهِ. وكان رحمهُ الله إمامًا جليلًا ومقدامًا باسلًا عالي الشان غزير الكارم حاو الشمائل واسع النظر يتفكر في عواقب الامور ويُعمل الرويّة في تقلباتها. وخصّهُ الله بصوت رخيم يفتن الاسماع ويطرب الالباب وذكر ابن حسنه معاصره (١ في تاريخ سنة ١٨٢٨ (ص ٣١) قال « انهُ مساء يوم الجمعة العظيمة لما كان مطرانا الارمن يرياقيم وابراهيم ومطارنة السريان انطون وعيسى ومخائيل يوحانا (مطران الموصل) يطوفون مع القسان والشعب بالنعش في كنيسة سورب كيورك (مار جرجس) ابتدأ المطران انطون التعديد الذي عددت مريم العذراء على ابنها يسوع وهو: « تحت الصليب تبكي العذراء بنحيب الخ » وطال التعديد مقدار ساعة فبكى الرجال والنساء معًا لان صوتهُ كان شجيًا جدًا »

واتصف السيد سمحيري المغبوط بمحبتهِ المضطرمة العذراء مريم فانهُ شاد على اسمها المبارك كنائس شتّى في الموصل وماردين وبغداد. وكان في اواخر عمرهِ يجتمع كل ليلة بالكهنة ويتلو معهم السبحة الورديّة قبل الرقاد. ورُقم على ضريحهِ نظم من تأليف السيد ثيوفيلوس انطون قندلفت † ١٨٩٨ اليك نصّه:

---

١) لابن حسنه تواريخ في حوادث ماردين وضواحيها منذ عام ١٢٠٥هـ — ١٧٩٠ م الى سنة ١٨٣٥ وهي قيّمة دينيّة ومدنيّة

ذا لحدُ حبر قد سما بكماله وقضى نضيلًا واهتدى بسيحهِ
بطريك انطون بن سحيري الذي حاز الثناء بفوزه وفتوحهِ
يبكيك ناظمه ابنك الفاني بدمعٍ قد حكى طوفانَ نوحٍ بنوحهِ
يا خير حبر قلت تاريخًا بهِ يا مؤمنون تبرَّكوا بضريحهِ

على ان الطائفة السريانيَّة ولاسيَّما الماردينيَّة لم تكن تتناسى اعمالهُ الرسوليَّة وتغضّ عن مبرَّاتهِ الوافرة ومشاريعهِ الخيريَّة. بل رامت ان تقيم الحفلات الشائقة تذكارًا لوفاتهِ مذ خمسين سنة وتخليدًا لذكرهِ الطيِّب الذي لا تزال رياه فائحة في جميع الاقطاع. ولا جرم ان سجونهُ واشجانهُ غدت كشجرةٍ باسقة اينعت ثمارًا شهيَّة لذَّذت القلوب وانعشت النفوس. وكشفت عن الامة السريانيَّة برقع الكدر والبؤس. وباتت تتوقع من المراحم الالهيَّة ان تُرجع الخراف الضالَّة المتسكعة في اليعقوبيَّة الى الحظيرة البطرسيَّة. اللهمَّ حقق الآمال وارفع شأن بيعتك المقدَّسة واجعل الرعيَّة واحدةً خاضعة لرئيس واحد بحولك اللهمَّ آمين

الغاية تقدّس الواسطة

انتقاد هذا المبدأ المنسوب الى اليسوعيين

للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب الينا احد قرَّائنا من زحلة: كثيرًا ما قرأت في الجرائد المادية لليسوعيين ذكر هذه الكلمة « الغاية تقدس الواسطة » فلم ادرك قصدهم بها. فارجوكم ان تبيّنوا لنا في صفحات مجلّتكم الغرّاء ما معنى هذه الفقرة وهل هي حقيقةٌ من تعاليم اليسوعيين »

(الشرق) هي كلمةٌ دارت على السنة اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة يزمّرون بها ويطبّلون فاذا نطقوا بها ظنُّوا انهم أخذوا ابناء القديس اغناطيوس وارجفوا فرائصهم لما تتضمَّنهُ من المخازي وتكتمهُ من المشاين الكافية لتسويد الوجوه وفضح الاعراض. وقد اخذ منذ بضع سنوات غوغاء كتبة الشرق يرددونهُ كالببغاء استنادًا الى اسافل كتبة الغرب. فوجدناهُ في بعض جرائد مصر والشام واميركة وكررتهُ آخرًا جريدة بولس افندي الكفوري وعجّة الكلمة وها نحن تلبيةً لدعوة

ذا لحدُ حبر قد سما بكماله وقضى نضيلًا واهتدى بسيحهِ
بطريك انطون بن سحيري الذي حاز الثناء بفوزه وفتوحهِ
يبكيك ناظمه ابنك الفاني بدمعٍ قد حكى طوفانَ نوحٍ بنوحهِ
يا خير حبر قلت تاريخًا بهِ يا مؤمنون تبرَّكوا بضريحهِ

على ان الطائفة السريانيَّة ولاسيَّما الماردينيَّة لم تكن تتناسى اعمالهُ الرسوليَّة وتغضّ عن مبرَّاتهِ الوافرة ومشاريعهِ الخيريَّة. بل رامت ان تقيم الحفلات الشائقة تذكارًا لوفاتهِ مذ خمسين سنة وتخليدًا لذكرهِ الطيِّب الذي لا تزال رياه فائحة في جميع الاقطاع. ولا جرم ان سجونهُ واشجانهُ غدت كشجرةٍ باسقة اينعت ثمارًا شهيَّة لذَّذت القلوب وانعشت النفوس. وكشفت عن الامة السريانيَّة برقع الكدر والبؤس. وباتت تتوقع من المراحم الالهيَّة ان تُرجع الخراف الضالَّة المتسكعة في اليعقوبيَّة الى الحظيرة البطرسيَّة. اللهمَّ حقق الآمال وارفع شأن بيعتك المقدَّسة واجعل الرعيَّة واحدةً خاضعة لرئيس واحد بحولك اللهمَّ آمين

الغاية تقدّس الواسطة

انتقاد هذا المبدأ المنسوب الى اليسوعيين

للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب الينا احد قرَّائنا من زحلة: كثيرًا ما قرأت في الجرائد المادية لليسوعيين ذكر هذه الكلمة « الغاية تقدس الواسطة » فلم ادرك قصدهم بها. فارجوكم ان تبيّنوا لنا في صفحات مجلّتكم الغرّاء ما معنى هذه الفقرة وهل هي حقيقةٌ من تعاليم اليسوعيين »

(الشرق) هي كلمةٌ دارت على السنة اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة يزمّرون بها ويطبّلون فاذا نطقوا بها ظنُّوا انهم أخذوا ابناء القديس اغناطيوس وارجفوا فرائصهم لما تتضمَّنهُ من المخازي وتكتمهُ من المشاين الكافية لتسويد الوجوه وفضح الاعراض. وقد اخذ منذ بضع سنوات غوغاء كتبة الشرق يرددونهُ كالببغاء استنادًا الى اسافل كتبة الغرب. فوجدناهُ في بعض جرائد مصر والشام واميركة وكررتهُ آخرًا جريدة بولس افندي الكفوري وعجّة الكلمة وها نحن تلبيةً لدعوة

مراسلنا نخصُّ بعض صفحات المجلة اوّلاً لكشف القناع عن معنى الكلمة المزبورة وثانياً لبيان نسبتها زوراً الى الرهبان اليسوعيين

١ معنى الكلمة « الغاية تقدس الواسطة »

لو فتحت ايَّ كتابٍ شئتَ من كتب اللاهوت الجاري تعليمها عند الكاثوليك لوجدتَ في مقدماتها فصلاً واسعاً في « ادبيَّة الاعمال البشريَّة » يبحث فيهِ مؤلفوها عن مصادر ادبيَّة تلك الاعمال وينابيعها ويوردون في ذلك المبادئَ التي يقاس عليها صلاح العمل او شرُّهُ كالموضوع الصالح او الشرير الذي يأتيهِ الانسان وكالظروف التي تسبق العمل او ترافقهُ او تلحق بهِ وكالغاية التي ينويها العامل في عملهِ وهلمَّ جرًّا

فمن البديهي ان هذه كلّها تؤثر في الاعمال البشريَّة فتجعلها صالحةً او طالحة فاذا تمَّت شروطها عُدَّت صالحةً تستحقُّ الثواب لدى الديَّان وفاحص القلوب وان نقص شيءٌ منها تدنَّست إمَّا تماماً وإمَّا نوعاً على قدر ما يدخلها من النقص

هذه صدقةٌ يُحسن بها المرء الى فقير فانَّ الموضوع حسن والعمل من هذا القبيل جدير بالثناء ولكن اذا افترضنا انَّ المتصدّق يصنع تلك الصدقة مرغوماً لأنَّ الفقير تهدَّدَهُ بالقتل ان لم يحسن اليهِ فعل عن كراهيةٍ فيكون مظلوماً وانَّما يفوتهُ ثواب الصدقة. وهب انهُ تصدَّق من مالهِ بل حريَّتهِ ولكنَّهُ فعل ذلك ليس لوجه الله بل ليمدحهُ الناس على فعلهِ او ليستعبد الفقير فهذه الغاية السيئة قبَّحت صنيعهُ وافقدتهُ اجرهُ

وقد يمكن ان تكون الغاية حسنةً لا يشوبها سوء نيَّة وانَّما الوسائط التي يتَّخذها الانسان لبلوغ تلك الغاية تكون غير صالحة فما القول عن العمل ايكون صالحاً او شريراً ؟ هاهوذا مثلاً رجل رقيق القلب يريد الاحسان الى فقير ولكن اذ ليس لديهِ مال يُحسن بهِ يختلسهُ من احد جيرانهِ ليعطيهُ الفقير أفيكون اتى بفعل حميد لحسن نيَّتهِ ؟ او بكلام آخر: أتكون غايتهُ الصالحة برَّرت الواسطة التي اتَّخذها ليسدَّ عوز الفقير وهل قدَّست تلك الغاية سرقتهُ لمال جارهِ ؟

لا غرو انَّ كلَّ صاحب عقل يلوم ذاك المُحسن ويؤثمهُ لاختلاسهِ مال قريبهِ اذ لا يجوز التوسُّل بالوسائل المستقبحة لينتج منها خيرٌ

وهذا الجواب الذي هو جواب كلّ ذي عقل سليم هو بالاحرى جواب كل رجل مستقيم ذي ذمّة وصاحب ضمير . ومَن سبرهُ بمعيار المبادئ الادبيّة وجدهُ موافقاً لها مطابقاً لتعاليمها لا يشذُّ عنها البتّة ولا يحيد ذرّةً . وعليهِ جرت كتب اللاهوت الادبيّ تثبت صحّتهُ عقلاً ونقلاً . فانَّ نصوص الكتب المقدَّسة واقوال الآباء والمجامع كلها صوت واحد تقبّح اتخاذ الوسائط الشرّيرة لادراك الغايات الصالحة اعني انها تزيّف المبدأ السابق ذكرهُ « الغاية تقدّس الواسطة » وتثبت تجليًا على خلاف ذلك انَّ الغاية مهما كانت صالحة او مقدَّسة لا تبرّر الواسطة ان كانت الواسطة غير صالحة . فمن اراد نوال غاية حسنة لا بُدَّ لهُ ان يتوسَّل لادراكها بالوسائل الحسنة والّا تشوَّهت تلك الغاية بقبح الوسيلة واصبح الفعل مذموماً كما تُذمّ الغاية الفاسدة مهما حسنت الوسائط المبلّغة اليها . فانَّ العمل لا يكون صالحاً الّا بتمام صلاحهِ من كل الوجوه وفقاً للمبدأ اللاهوتي : انَّ الخير يقوم بكل اسباب الصلاح والشرّ يحصل باي نقص كان bonum ex integra causa, malum ex quo-cumque defectu

٢ اليسوعيون ونسبة المبدأ السابق اليهم

من العَجَب العُجاب انَّ هذا المبدأ الذي يردُّهُ العقل الصائب ويمجُّهُ الذوق السليم ولا يرضى به احد من البشر تراهُ منسوباً في كل كتابات الملحدين واعداء الكنيسة الى الرهبانيّة اليسوعيّة كأنهُ امر مقرَّر ثابت ثبوت الحقائق الاوليّة التي لا تحتاج الى برهان فيردّدونهُ في رواياتهم وخطبهم حتى جعلوهُ مرادفاً لاسم الجزويت

فيا تُرى كيف شاع هذا الامر دون ان يكون لهُ سندٌ في واقع الحال ؟ ان كان الدخان يدلُّ على وجود النار أفيمكن تبرير اليسوعيين عمَّا يرويهِ عنهم الرأي العامّ ؟ فماذا نجيب من يعرّفنا بهذا المبدأ ؟

جوابنا على ذلك سهل قريب فنقول : امَّا ان يُنسَب هذا المبدأ الى اليسوعيين كمبدأ علميّ قرَّروهُ في كتبهم وامَّا ان يُعزَى اليهم كمبدأ عمليّ يجرون عليهِ في سيرتهم ومعاملاتهم . وكلاهما باطل

١ لم يقل يسوعيٌّ قطّ بهذا المبدإ الفاسد

نلاحظُ (اوّلاً) انَّ اعداء النصارى في اوّل الكنيسة كان يعيّرون المؤمنين بمثل

هذه التهمة حتى ان القديس بولس فنَّدها برسالتهِ الى اهل رومية بقولهِ (٣ : ٨) : « لماذا لا نعمل الشرّ لكي يصدر الخير كما يُفتَرى علينا فيزعم قومٌ أنّنا قلنا ذلك » . فهذا الافتراء عينهُ بصورة اخرى قد حملهُ اعداء الكنيسة على الرهبان اليسوعيين !! رأوهم قاموا في وجههم للمدافعة عن تعاليم الكنيسة ؟

(ثانياً) ومن العجيب المستغرب انّ الكرسيّ الرسولي اثبت رسوم وقوانين الرهبانيَّة اليسوعيَّة بعد ان فحصها رجال افاضل فحصاً مدقَّقاً فكيف يا تُرى سها عن كلمةٍ كهذه لو وُجدت حقيقةً في جملة تعاليم اليسوعيين !

(ثالثاً) وهذه كتب اليسوعيين تُعَدّ بالألوف المؤلَّفة وهي في كلّ مكاتب العالم المتمدّن فهل يستطيع اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة ان يدلّونا على كتاب واحد لرجل منهم صرّح بمثل هذا المبدأ او لمّح اليهِ تلميحاً . فان فعلوا نشرنا اكتشافهم شاكرين ونحن نؤكّد لهم انّ مساعيهم تذهب ادراج الرياح

(رابعاً) فان قيل انّ هذا مدوَّن في تعاليمهم السرّيَّة أفحمناهم بقولنا انّ مكاتب اليسوعيين كلها واوراقهم السرّيَّة وقعت جميعاً في ايدي الحكومات المختلفة يوم اغتصب عليهم الملوك بمساعي الجمعيَّات الماسونيَّة فنفرهم من بلادهم واضطرُّوا الحبر الاعظم اقليمس الرابع عشر الى الغائهم فهل وجد احد في اضابير كتاباتهم ما يُشتَمُّ منهُ رائحة تعليم فاسد كهذا ؟ لا وايمُ الله

(خامساً) ولاسيما انّهُ اشتهر في رهبانيَّة يسوع في كلّ زمن رجال عظام تناصر الخاصَّة والعامَّة في الثناء على علمهم وبرّهم وفضائلهم السامية بينهم القديسون الذين أدرجت الكنيسة اسماءهم في سجلّ اولياء الله والشهداء الذين ماتوا في سبيل الايمان بين الامم الهمجيَّة والكتبة الاتقياء والوعّاظ الذين يدعون الى الصلاح وكأنهم يفضّلون المنيَّة على الدنيَّة . فكيف لم يقم بين هؤلاء رجلٌ واحد صاحب ضمير يشهد على رؤوس الملإ بخبث تلك الرهبانيَّة التي رضيت بالمبدإ القائل بانّ الغاية تبرّر الواسطة ؟

(سادساً) لا بل لو فتحتَ ايّ كتاب شئت من تصانيف الآباء اليسوعيين في اللاهوت الادبيّ وعددهم يُربي على بضع مئات لاكثرهم الشهرة الواسعة وتآليفهم طُبعت الطبعات المتواترة لتحقَّقت انهم لا يشذُّون عن كل المعلمين الكاثوليك في

تعليمهم المستقيم عن غاية الاعمال البشريَّة التي مهما كانت صالحةً تفسدها الوسائط المستقبحة. كفانا هنا ان ننقل بعض اسطر من لاهوت الاب غوري اليسوعي الذي عرَّبهُ السيد الجليل يوحنَّا حبيب منشئ جمعيَّة المرسلين اللبنانيين وطبعهُ في المطبعة العموميَّة في بيروت سنة ١٨٧٩ وتعليمهُ كتعليم اليسوعيين في كل اقطار العالم. قال الاب غوري (ج ١ ص ٤٣):

(عدد ٣٩) ١ً انَّ اصطناء الواسطة السيِّئة سيِّئ ولا يصحّ ان يقال انَّ اصطناء الواسطة الصالحة صالح فانَّ من أعرض عن شرب المسكرات بُخلاً منهُ لا يستحقُّ مدحاً ومن سرق مالاً حتى يتصدَّق بهِ يرتكب اثمًا

٢ً من يصطفي واسطةً جيدة لغاية جيدة يصنع بفعلهِ حسنتين حيث نواهما كما انَّ من يصطفي واسطةً سيِّئة لغاية سيِّئة نحو ان يسرق مالاً حتى يسكر بهِ يرتكب سيِّئتين

٣ً من يستعمل واسطة شرِّيرة لغاية صالحة فلا يستفيد سوى شرّ الواسطة نحو ان يكذب لينجّي القريب من مكروه. وبالعكس فانَّ من استعمل واسطة صالحة لغاية شرِّيرة لا يستفيد الَّا شرّ الغاية

فترى انَّ هذا التعليم وذاك المبدأ الفاسد المنسوب زورًا الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة على طرفي نقيض

(سابعاً) وكان الرهبان اليسوعيُّون في المانية بعد أن رماهم بعض الكتبة البروتستانت بتهمة هذا القول ومنهم غاريك (Guericke) وهرتمان (Hartmann) ومارتنسن (Martensen) وتسيغلر (Ziegler) وغاس (Gass) ولوتهارد (Luthardt) تصدَّوا لهم وجعلوا جائزةً قدرُها بضعة الوف من الفرنكات لمن يستطيع اثبات تلك التهمة بالدليل ونشروا ذلك في الجرائد العمومية فظهرت بذلك خيبة المتَّهمين واقرَّ زعماء البروتستانت كالعلَّم ريتشل (Rietschel) والمبشِّر ريشرد ڤيتبرخت (R. Weitbrecht) والدكتور پولسن (Paulsen) بأنَّهم رغماً عن كل بحثهم في المكاتب لم يجدوا اثرًا لذاك التعليم (١. وكذلك اليسوعيُّون الانكليز وضعوا مبلغاً من المال تعهَّدوا دفعهُ لمن اثبت صحَّة ذلك المدَّعى كما روت الامر جريدة البشير قبل اشهر وحتى الآن لم يلبِّ احد دعوتهم

١) راجع كتاب دوهر المدون بالخرافات المنسوبة الى اليسوعيين (B. Duhr s. j.: *Jesuiten-Fabeln*, 5e Aufl., pp. 510-512)

ونحن نؤكد لكتبة بلادنا الذين يردّدون ذاك المبدأ كأنهُ من تعاليمنا انَّ الجائزة تنتظرهم حتى الآن ان امكنهم ان يبيّنوا صحّة قولهم

٢ ليس اثر في سلوك اليسوعيين بموجب هذا المبدأ

ولكن هب ان اليسوعيين لم يعلّموا تعليماً منبئاً بتبرير الواسطة لاجل غاية محمودة أفلا يمكن القول بأنهم جروا في اعمالهم بحسب هذا المبدأ فاتّخذوا الوسائط المستقبحة لبلوغ غاية محمودة

نجيب (اوّلاً) مع اهل الشرع انهُ لا يصحّ نسبة الشرّ الى احد الّا بالدليل (nemo malus nisi probetur:) فليبيّن خصومنا انَّ اليسوعيين اتّخذوا الوسائل السيّئة لبلوغ مقاصدهم الصالحة وانَّ هذا دأبهم وعادتهم المألوفة . لعمري لو ثبت ذلك لكانوا من أكبر الأئمة يحقّ لافاضل الناس ان يبتعدوا عنهم ابتعادهم عن سفلة القوم واوباشهم

(ثانياً) وترى على خلاف ذلك في كل البلاد اماثل القوم يتّخذون اليسوعيين كافتهم ومرشدي ذممهم ومهذّبي اولادهم ومُهَج اكبادهم فاين ذلك من اعتبارهم أياهم كمرائين يتوسّلون بكل الوسائل مهما كانت ذميمة لتحقيق نيّاتهم

(ثالثاً) واذا كانت الغايات القريبة هي نفسها وسائط للغايات البعيدة فمن يضمن لنا ان اليسوعيين لم يقصدوا بتلك الغايات سوءاً على حجّة انّها وسائط للغاية القصوى وعليهِ يصبح اليسوعيّون شرّ الورى عموماً

(رابعاً) وكيف يقوم هذا مع ما يُرى من الآثار الطيّبة لرهبانية يسوع في كل العالم كما يشهد عليها القاصي والداني مباشرةً بالاخبار الرومانيين الذين منحوا الرهبان اليسوعيين نيّفاً ومائتي براءة يشيدون باعمالهم ويخصّونهم بانعامات جزيلة . بل ترى اعداءهم ولو مرغومين اثنوا على مساعيهم المشكورة ولو جمعنا شواهدهم لألّفنا منها مقالة واسعة بينهم ڤولتير وجان جاك روسو وديدرو

(خامساً) ولو صحّ انَّ اليسوعيين يتصرّفون بموجب هذا المبدأ فكان الاحرى بهم ان يلتجئوا اليهِ لينجوا نفوسهم من عدّة محن دهمتهم ظلماً فاحتملوها قياماً بالواجب . من ذلك انهم فضّلوا ان يُنفَوا من فرنسة في عهد لويس الخامس عشر لأنهم لم يمنحوا الحلّ لسرّيّة الملك المادام دي بمبادور (Mme de Pombadour)

فنقمت عليهم وسعت بطردهم . وكذلك اصابتهم في البرتغال اشدّ النكبات لأنهم لم يريدوا ان يوافقوا المركيز دي بمبال على مناهضة اعدائه السياسيين فقُتل بعضهم ونُفي بعضهم وزُجّ كثيرون منهم في السجون المظلمة مدّة سنين طويلة دون ذنب آخر غير امتناعهم عن اتخاذ الوسائط السيئة لنجاة حياتهم وحياة اخوتهم

(وسادساً) وكم يحقّ لليسوعيين بوجه اصحّ ان يثيروا تلك الشكوى على اعدائهم واعداء الكنيسة الكاثوليكية وهم الذين لا يبالون بالوسائط التي يتّخذونها للفوز بمآربهم وربّما جمعوا بين شرّين اي الغايات السيئة والوسائط الذميمة وهذا ما اعتادتهُ خصوصاً الجمعيات السرّية التي تضحّي في سبيل غاياتها الفاسدة كل نفس ونفيس فتنسب اعمالها المستقبحة الى خصومها وفقاً لتعليم زعيمها ڤولتير : « اكذبوا اكذبوا فلا بُدّ ان يبقى اثرٌ من كذبكم »

وان سألتَ : ومتى شاعت تلك التهمة الفظيعة في حقّ اليسوعيين . اجبنا انّ الذي اعلن بها صريحاً هو احد الجنسينيين اي پسكال الكاتب الشهير في كتابهِ المعروف بالرسائل الاقليميّة (les Provinciales) الذي هو مجموع نصوص مموّهة واكاذيب ملفّقة نقلها عن تُهم اهل شيعتهِ لبخس حقوق الرهبانيّة اليسوعيّة الدّ اعداء تلك الشيعة الفاسدة . ولعلّهُ بنى هذا القول على احد اقوال القديس اغناطيوس دي لويولا في رسوم رهبانيّتهِ فغيّر صورتها وجعلها سلاحاً ضدّ الرهبانيّة المذكورة . فان هذا القديس كثيراً ما يردّد في قوانينهِ وكتاب رياضاتهِ الروحيّة انّهُ « يجب اتخاذ الوسائط الكافلة بادراك الغاية » او بكلام آخر « تطبيق الوسائط مع الغاية » (media ad finem) يريد بذلك انّ الانسان اذا قصد امراً ما وجعلهُ كفايتهِ لا بُدّ ان يختار لتلك الغاية الوسائط الموافقة لادراكها . وهو مبدأ صحيح في كل الاعمال البشريّة على شرط ان تكون الغاية صالحة لأنّ الفلاسفة كلهم يقولون انّ من اراد الغاية يجب عليهِ التوسّل بالوسائط التي تقود اليها وقد جرى قولهم مجرى المثل عند الفرنج (qui veut la fin veut les moyens) فزوّر پسكال وذووهُ هذا الكلام وادّعوا انّ اليسوعيين يقولون انّ الغاية تُنال باي واسطة كانت حسنة او سيئة واخرجوا هذا بالصورة التي فنّدناها . « انّ الغاية تقدّس الوسائط » او « تبرّر الوسائط » وشتّان بين المعنيين .

لكنَّ حبل الكذب ضعيف واليوم قد حصحص الحق لكل من لا تعمي ابصارهم الاهواء. انارهم الله بحقيقته ودفع عنهم شُبهات الترُّهات

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ أحداث العهد الجديد

كما عرف العرب في الجاهلية الاخبار المدوَّنة في اسفار العهد العتيق كذلك عرفوا احداث العهد الجديد واشاروا اليها نظماً ونثراً

ومعلوم انَّ مدار اخبار هذا العهد على ما رواهُ الانجيليُّون الاربعة عن السيد المسيح وسيرة حياتهِ وتعليمهِ وموتهِ وقيامتهِ يُضاف اليها امور ورد ذكرها في التقليد الراقي الى قرون النصرانيَّة الاولى ودُوِّنت في تآليف عديدة بعضها صحيحة صادقة كمصنَّفات الآباء والكتبة القدماء وبعضها امتزج فيها الغثُّ بالسمين واختلط الباطل بالحقّ كبعض اناجيل الزور التي سبق لنا وصفها في المشرق سنة ١٩٠٨ (١١ : ١٦٤—٢٠٥) وانتشر قسمٌ منها في بلاد العرب بين اهل الجاهليَّة

فممَّا عرفوهُ انَّ عيسى اي يسوع الناصري هو المسيح. قال السموءل (راجع طبعتنا لديوانهِ ص ٣٢):

وفي آخر الأيام جاء مسيحُنا فأهدى بني الدُنيا سلامَ التكامُلِ

والعرب لم يُطلقوا هذا الاسم على غيرهِ بل صرَّحوا انهُ هو اسمهُ الخاص بهِ. وكذلك نسبوهُ الى امهِ مريم كما مرَّ لعمرو بن عبد الحق:

وما سبَّح الرهبانُ في كلِّ هيكلٍ ابيل الابيلين المسيح ابن مريما

يؤيدهُ قول القرآن في سورة آل عمران (ع ٤٠) «اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشِّركِ بكلمةٍ منهُ اسمهُ المسيح عيسى ابنُ مريم»

وقد عرفوا من التقليد انَّ مريم العذراء مباركة بين النساء تفوق شرفاً على نساء

العالمين فطهّرها الله مُنذ حُبل بها بالبطن وذلك بنعمة خاصة منهُ تعالى حتّى انّ الثعلبي روى في كتاب قصص الانبياء المسمّى بالعرائس (ص ٣٣٧ من طبعة مصر) حديثاً رفعهُ باسنادهِ الى ابي هريرة عن نبي المسلمين وهو قولهُ: « ما من مولود الّا والشيطان يَمسّهُ حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان الّا مريم وابنها » ولعلّ القرآن اشار الى هذه النعمة الجليلة حيث يقول (سورة آل عمران (ع ٣٧): « يا مريم انّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين »

وذكر الثعلبي ايضاً (ص ٣٣٥—٣٣٨) وروى قبلهُ المقدسيّ ابن طاهر في كتاب البدء والتاريخ (ج٣: ١١٨—١٢٠ ed.Huart) خبر مولد مريم العجيب من حنّة العاقر بعد نذر والدتها ثمّ اعتزالها في هيكل اورشليم لخدمة الكهنة ثمّ كفالة زكريّا لها في الهيكل الى حين اقترانها بالقديس يوسف وكل ذلك منقول عن التقليد المسيحي القديم وهو مرويّ في سورة آل عمران (ع ٣١—٣٣):

« اذ قالت امرأة عمران: ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت: ربِّ اني وضعتُها أُنثى والله اعلم بما وضعتْ وليس الذكرُ كالانثى واني سمّيتُها مريم واني اعيذُها بك وذرّيّتها من الشيطان الرجيم فتقبّلها ربُّها بقَبُول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكرياء كلّما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم: انّى لكِ هذا. قالت: من عند الله ان الله يرزُق من يشاء بغير حساب »

ولم يَفُتهم ذكر يوحنّا المعمدان السابق أمام وجه المسيح فرووا ما ورد مسطَّرًا في انجيلي لوقا ومرقس عنهُ اعني ميلادهُ العجيب على كبر سنّ والديهِ وبيّنوا مقامهُ بين الانبياء وتقدُّمهُ امام وجه المسيح وموتهُ على يد هيرودوس انتيباس اذ نهاهُ عن الزواج بامرأة اخيهِ كما ورد في تاريخ الطبري (ج ١ ص ٧١١—٧٢٠) وفي كتاب البدء والتاريخ (٣: ١١٦—١١٨)

وممّا رووهُ بتفصيلهِ بشارة الملاك للعذراء مريم بالمسيح وحَبلها من الروح القدس وإنْ دخل في روايتهم منقولات ضعيفة عن كتب غير قانونيّة كما رأيت في القصيدة التي اثبتناها سابقاً (ص ١٨٧—١٨٨) عن اميّة بن ابي الصلت التي اوّلها:

وفي دينكم من ربِّ مريم آيةٌ منبّئةٌ بالعبد عيسى بن مريما

ومثلها ما رووهُ من المعجزات عن يسوع الطفل كتكلّمهِ في المهد وكآياتهِ في هربهِ الى مصر من وجه هيرودوس وفي حياتهِ في الناصرة كانحناء اغصان النخل امام

امه لتجني من ثمرها وكنبات البلسان في المطرية لما سقت ارضها بماء غسله وكإلحام يسوع لاستاذه في الناصرة بما كان يعرضهُ عليه من المشاكل وكنفخه في طير يصطنعهُ من طين فيحيا ويطير واخبار كثيرة مثلها رُويت في الاناجيل الموضوعة التي شاعت في جزيرة العرب اخصّها انجيل الطفولية فتناقلها اهل الجاهلية ورُوي بعضها في القرآن في السُوَر الموسومة بآل عمران والنساء والمائدة ومريم

وذكروا من حياة المسيح العلنية جُمَلهُ لرسله وانصاره الحواريين فنوّهوا بهم في شعرهم (راجع الصفحة ١٨٩—١٩٠ وكرَّر ذكرهم في القرآن. وذكروا ايضاً الآيات التي اجترحها ورُويت في الاناجيل كتطهير البرص وفتح عيون العميان وردّ النطق للبُكم والسمع للصُمّ واحياء الموتى حتى ضُرب المثل بطبّ عيسى وشفاء عيسى قال الثعلبي في كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (طبعة مصر ص ٤٧):

طبّ عيسى — يُضرَب به المثل لانهُ كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله. ومن امثال العرب: فلان يتطبّب على عيسى بن مريم قال المتنبّي:

فآجَرَكَ الالهُ على عليلٍ بعثتَ الى المسيح به طبيبا

وكثيراً ما ذكروا الانجيل الذي بشّر به السيّد المسيح فاشاروا الى ما فيه من الهدى والنور والموعظة للمتّقين» (سورة المائدة عين ٥٠) قال عديّ بن زيد (كتاب الحيوان للجاحظ ٤: ٦٦):

وأُوتيا المُلكَ والانجيل تقرأهُ تشفي بحكمته اسلامنا عَلَلا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجمّعنا فوق البريّة اربابًا كما فعلا

ومثلهُ قول النابغة في بني غسّان وقد دعا الانجيل بالمجلّة:

جِلّتُهم ذاتُ الالهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وأدركوا اسرار حياة المسيح في ختامها كدخوله اورشليم يوم الشعانين (راجع الصفحة ٢١٥) وكعشائه السرّي في خميس العهد ورسمه لسرّ القربان الاقدس وآلامه وصليبه وموته وان اختلطت في اقوالهم شُبُهات نقلوها عن الكتب المزوّرة التي وضعتها الكنيسة منذ ظهورها. وقد سبق لنا (ص ٢٠٩ — ٢١٠) ايراد اقوالهم في القربان. وتسميتهم لهُ بالمَيْر. وقلنا هناك انّهُ ليس بمستبعد انّ القرآن في سورة المائدة (١١٢—١١٦) بذكره للمائدة التي انزلها السيّد المسيح على الحواريين انما

السيد البطريرك اغناطيوس انطون سمعيري
في هيئة رتبة مع درع الرئاسة

اشار الى المائدة السمويّة اي القربان الاقدس (راجع تاريخ الطبريّ ج ١ ص ٧٣٥) وكذلك عرفوا في عهد الجاهليّة انّ النصارى يعبدون المصلوب (راجع الصفحة ٢٠٣ — ٢٠٤) كقول حجّار بن الجر في بني عجل النصارى :

يعبّدني عجلٌ وما خلتُ انّني خلافٌ لعجلٍ والصليبُ لها بَعْلُ

وكقول الأقيشر :

« في فتيةٍ جعلوا الصليبَ إلههم »

وممّا ألمعوا اليهِ ذكر قيامة المسيح يوم الفصح وابتهاج النصارى فيهِ بعد الصوم الاربعيني (راجع الصفحة ٢١٦) كما قال الاعشى في هوذة بن علي أحد ملوك اسارى تميم :

فتلكَ عن شيءٍ منهم إسارُهمُ واصبحوا كلُّهم من غُلِّهِ خُلُصا
هم تقرّب يوم الفصحِ ضاحيةً يرجو الالهَ بما أسدى وما صنعا

وآخر ما رووا من اعمال المسيح صعودهُ الى السماء وهو عيد الشُّلّاق (راجع ص ٢١٧) وقد دعا القرآن ذلك برفع عيسى (سورة آل عمران ع ٢٨) حيث قال : « قال الله يا عيسى انّي متوفّيك ورافعُك اليَّ »

ويضيفون الى ذلك انّ السيّد المسيح هو الذي يدين البشر في آخر العالم بعد انتصاره على المسيح الدجّال كقول القائل « اذ المسيحُ يقتلُ المسيحا » (لسان العرب ٣ : ٤٣٠) وكما قال امية بن ابي الصلت (راجع الصفحة ١٧٨) :

ايّام يلقى نصارام مسيحهمُ والكاتبين لهُ ودًّا وقربانا

وهذا بلا شكّ اخذوهُ من قول السيد المسيح في انجيل يوحنّا (٥ : ٢٢) : « انّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلّهُ للابن ليكرم الابنَ جميعُ الناس » او من قولهِ في انجيل متى (١٦ : ٢٧) : « إن ابن البشر مزمع ان يأتي في مجد ابيهِ مع ملائكتهِ ليجازي كل احد بحسب اعمالهِ »

وكما وقف العرب في الجاهلية على كثير من اخبار السيد المسيح المدوّنة في اسفار العهد الجديد اطّلعوا ايضاً على بعض الاحداث التي جرت للنصارى في الفترة التي كانت بين السيّد المسيح وظهور الاسلام . من ذلك بعثة رسل المسيح الى اقطار العالم ليدعوا الأمم الى دينهِ كما روى ذلك اقدم كتبة العرب كالطبري في تاريخهِ (ج ١ ص

٧٣٧–٧٣٩) والطاهر المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (ج٣ ص ١٢٧). ويقول مفسّرو القرآن انّ ما ورد في سورة يس عن مُرسَلَيْن أُرسلا الى قرية ليدعوا إهلها الى نفي عبادة الاصنام والايمان بالله انّما يشير الى حوارِيَّيْن وهما شمعون الصفا هامة الرسل وبولس الرسول قدما الى انطاكية ليردّا اهلها فقبل دعوتهم رجلٌ يدعونهُ حبيباً النجّار قُتل شهيدًا عن ايمانه وعاقب الله قاتليهِ (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٧٨٩–٧٩٣)

وممّا رووهُ من اخبار النصارى نقلًا عن كتبهم قصّة شهداء أفسس السبعة الذين اراد الملك دقيوس في اواسط القرن الثالث للمسيح ان يضطرّهم على عبادة الاصنام فهربوا من وجه الحكّام واختفوا في مغارةٍ حيث قيل انّ الله ضرب على آذانهم فناموا ولم يستيقظوا الّا بعد سنين طويلة مرّت عليهم كليلةٍ فبعثهم الله ليكونوا آيةً لقيامة الموتى. فهذه القصّة التي شاعت في عدّة بلاد وروتها مجاميع اخبار القديسين تحت اسم « السبعة النوّام » (les Sept Dormants) بلغت عرب الجاهليّة فدعوهم اصحاب الكهف اشارةً الى الكهف الذي رقدوا فيهِ. وقد ذكرهم اميّة بن ابي الصلت في ابيات لم يُعرَف منها غير بيت استشهد بهِ البيضاوي في تفسير القرآن (طبعة ليدن ص ٥٥٥):

وليس بها الّا الرقيمُ مجاورًا ومَيْدَعُهُ والقومُ في الكهف هُجَّدُ

وكذلك وردت اخبارهم في القرآن في سورة الكهف. وقد اتّسع كتبة العرب في تفاصيلها كما نقلناها في كتابنا مجاني الادب (٢ : ٢٣٦) ملخّصة عن الدميري وتجدها ايضاً مفصّلة في تاريخ الطبري (ج ١ : ٧٧٥ — ٧٨٢)

وقد عرف العرب في الجاهليّة شهيدًا آخر للنصرانيّة وهو القديس جرجس المستشهد في عهد ديوقلسيانوس في اوائل القرن الرابع للمسيح نحو السنة ٣٠٢ وهم يدعونهُ بالخضر جعلوهُ من الانبياء. وزعم الطبري (ج ٧ ص ٧٩٥) « انّهُ ادرك بقايا من حواريّي عيسى ابن مريم » وُرووا في استشهادهِ العجائب الغرائب (١. وقد وجدوا بين الكنائس المشيّدة لاكرامهِ كنيسةً ترقى الى القرن الرابع للمسيح في

١) راجع في المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٥ – ٣٩٥) مقالةً جمعنا فيها ما يُعرَف من آثار هذا الشهيد ثمّ اضفنا اليها اثرًا آخر اثبتناهُ في المجلّة عينها (١٠ [١٩٠٧] : ٤١٤ – ٤٢٠) اطلب ايضاً تاريخ الطبري (١ ص ٧٩٥ – ٨١٢)

جهات العرب وهي اقدم الكنائس على اسم ذاك الشهيد العظيم بُنيت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (١:

وقد سبق لنا (اطلب الجزء الاوّل ص ١٠٣ — ١٠٤) انّ عرب الجاهليّة عرفوا ايضاً القديسَين الشهيدَين سرجيوس وباخوس وانّ اقدم أثر كُتب بالعربيّة انّما كان لتذكارهما. وقد رسمنا هناك صورة ذاك الأثر الراقي الى سنة ٥١٢ للمسيح وروينا ما اثبتهُ احد مشاهير السريان عن تعبُّد العرب في الجاهلية للقديس سرجيوس كما انّنا ذكرنا اقوال الشعراء في خروجهم الى الحرب تحت راية ذاك الشهيد (ص ٩٩—١٠٠)

واشتهر بينهم شهداء نجران الذين ماتوا في سبيل دينهم في وسط العرب فعرفوهم باصحاب الاخدود لانّ ذا نوّاس الطاغية الحميري اليهودي القاهم في اخاديد اضرم فيها النار فاستشهدوا لكرامة دين المسيح واليهم اشار القرآن في سورة البروج حيث قال (ع ١ — ٩):

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قُتل اصحاب الاخدود النار ذات الوَقُود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الّا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي لهُ ملك السماوات والارض والله على كل شيء شهيد

امّا ذو نوّاس فحاربهُ الحبش وغلبوهُ وانتزعوا بلاد اليمن من يدهِ وفيهِ يقول عمرو بن معدي كرب (كتاب العرائس الثعلبي ص ٣٨٦ وكتاب البدء والتاريخ ٣: ١٨٣):

أتوعدُني كأنّك ذو رُعينٍ ... بأنعم عيشةٍ او ذو نوّاسِ
وقدماً كان قبلك في نعيمٍ (٢ ... وملكٍ ثابتٍ في الناسِ راسي
فقدتم عهدهُ (٣ من عهد عادٍ ... عظيمٍ ناهرٍ الجبروت قاسي
فأمسى اهلهُ بادُوا وامسى ... يُنقّل (٤ في أناسٍ من أناسِ

ومما درى بهِ ايضاً عرب الجاهليّة من امور النصارى نظام كنيستهم من رئيس

---

١) راجع مجموع الكتابات اليونانيّة (CIG n° 8639) وكتابات وادنتن (Wadington, n°s 1981, 2038, 2092, etc)

٢) روى في كتاب البدء والتاريخ (٣: ١٨٣): وكان كان قبلك من نعيم

٣) وفيهِ: قدمٌ عهدهُ ٤) وفيهِ: يحوّلُ

ومرؤوس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والرهبان مع ما لهم من الطقوس الدينيَّة والاسرار المقدَّسة والعادات التقويَّة وقد اثبتنا ذلك في الفصول السابقة بياناً لانتشار النصرانية في جزيرة العرب فليُراجع (لهُ بقيَّة)

الوحي الالهي

نظر في امكانهِ وضرورته

للاب شرل ايلا اليسوعي

لا حاجة هنا الى تفنيد كل ما آلت اليهِ فلسفة اعداء الوحي من الترّهات والاراجيف . فلا نخال القارئ اللبيب يتطلَّب منَّا في موقفنا هذا ان نبسط الادلَّة الناطقة بروحانيَّة النفس وخلودها ووجود الهٍ قائم بذاتهِ خالق للعالَم متميِّز منهُ ومتسامٍ عليهِ بصفاتٍ لا حدَّ لكمالها الى غير ذلك من الحقائق الاساسية التي كأنَّ الطبيعة ذاتها رسَّختها في العقول . وانَّما اتينا (ص ٢٨٩ — ٢٩٦) على ذكر ما شذَّ عنها في حكمة المتعاقلين ليُعرَف الاصل من الفرع والطريقة ممَّا تؤدّي اليهِ

فحسبنا اذاً اقامة الحجَّة عليهم فيما يتحاملون بهِ على نفس الوحي الالهي وقد مرَّ بك (ص ١١٧ — ١١٨) انَّ مرجع ضلالهم فيهِ الى قضيَّتين . فامَّا انهم يعدُّونهُ ضرباً من المحال فيستنتجون عدم وجوده قبل التنقيب عنهُ واستطلاع البراهين الدالَّة على صحَّته . وامَّا انهم يتنزَّهون عنهُ الحقَّ سبحانهُ وتعالى بحجَّة انَّهُ لا يليق بجلالهِ وعظمته اذ ليس منهُ على قولهم فائدة للبشر والله حكيم وزين لا يُضيع الوقت فيما لا طائل تحته

وكان بامكاننا ان نضرب صفحاً عن ادعاءاتهم الواهنة هذه ونجيبهم مباشرةً : ليس من دليل على امكان شيءٍ اصرح من وجوده وليس من شاهدٍ انطق بفائدة امرٍ من ان يكون صانعهُ الرب الحكيم . والحال يا ارباب الحكمة المتعاقلة انَّ الوحي حادثٌ واقعيٌّ وما مُحدِثهُ الَّا الله تعالى . وكفانا على هذا شاهداً ايمان ملايين من البشر وفي مقدَّمتهم آيةٌ في العلوم من جميع اصنافها في كل اين وآن مَن

ومرؤوس كالبطاركة والمطارنة والكهنة والرهبان مع ما لهم من الطقوس الدينيَّة والاسرار المقدَّسة والعادات التقويَّة وقد اثبتنا ذلك في الفصول السابقة بياناً لانتشار النصرانية في جزيرة العرب فليُراجع (لهُ بقيَّة)

الوحي الالهي

نظر في امكانهِ وضرورته

للاب شرل ايلا اليسوعي

لا حاجة هنا الى تفنيد كل ما آلت اليهِ فلسفة اعداء الوحي من الترّهات والاراجيف . فلا نخال القارئ اللبيب يتطلَّب منَّا في موقفنا هذا ان نبسط الادلَّة الناطقة بروحانيَّة النفس وخلودها ووجود الهٍ قائم بذاتهِ خالق للعالَم متميِّز منهُ ومتسامٍ عليهِ بصفاتٍ لا حدَّ لكمالها الى غير ذلك من الحقائق الاساسية التي كأنَّ الطبيعة ذاتها رسَّختها في العقول . وانَّما اتينا (ص ٢٨٩ — ٢٩٦) على ذكر ما شذَّ عنها في حكمة المتعاقلين ليُعرَف الاصل من الفرع والطريقة ممَّا تؤدّي اليهِ

فحسبنا اذاً اقامة الحجَّة عليهم فيما يتحاملون بهِ على نفس الوحي الالهي وقد مرَّ بك (ص ١١٧ — ١١٨) انَّ مرجع ضلالهم فيهِ الى قضيَّتين . فامَّا انهم يعدُّونهُ ضرباً من المحال فيستنتجون عدم وجوده قبل التنقيب عنهُ واستطلاع البراهين الدالَّة على صحَّته . وامَّا انهم يتنزَّهون عنهُ الحقَّ سبحانهُ وتعالى بحجَّة انَّهُ لا يليق بجلالهِ وعظمته اذ ليس منهُ على قولهم فائدة للبشر والله حكيم وزين لا يُضيع الوقت فيما لا طائل تحته

وكان بامكاننا ان نضرب صفحاً عن ادعاءاتهم الواهنة هذه ونجيبهم مباشرةً : ليس من دليل على امكان شيءٍ اصرح من وجوده وليس من شاهدٍ انطق بفائدة امرٍ من ان يكون صانعهُ الرب الحكيم . والحال يا ارباب الحكمة المتعاقلة انَّ الوحي حادثٌ واقعيٌّ وما مُحدِثهُ الَّا الله تعالى . وكفانا على هذا شاهداً ايمان ملايين من البشر وفي مقدَّمتهم آيةٌ في العلوم من جميع اصنافها في كل اين وآن مَن

نطق الخافقان بفضلهم وسداد رأيهم. فانَّ الايمان لم يتزو في قلب فردٍ او قلوب افراد بل العالم كلُّهُ من اقصاه الى اقصاه ضجَّ بهتاف المؤمنين: هم ديوانٌ من بني الانسان آمنوا وصاحوا: لا بدَّ من الايمان. هُمُ الملافنة وارباب اللاهوت والرُسل والقديسون اعني كل الذين نبغوا علماً وقولاً وفضيلة وعملاً آمنوا وصاحوا: لا بدَّ من الايمان. هُمُ الاساقفة والكهنة ملتئمين في المجامع استفزَّتهم غيرة مجد الربّ فجاهروا بايمانهم وخاطبوا الشرق والغرب هاتفين: لا بدَّ من الايمان. هي الكنيسة جمعاء كنيسة الدياميس كما وكنيسة القرن العشرين خضعت لرأسٍ منظور واحد فتجنَّدت تحت قيادته وصادمت جيوش الجبابرة والمتعصبين فقهرتهم وانتصرت عليهم اذ صاح جنودها: لا بدَّ من الايمان. هي النصرانيَّة برمَّتها ردَّدت في انحاء المعمور صدى صراخها اذ قالت: آمين آمين آمنَّا بكلامك اللهمَّ. ذلك وارجُل بنيها غائصة في الدماء ورقابهم يتهدَّدها المتعصبون بالاسياف مشهرةً. لعمركم ايها المتعاقلون انَّ الامور هذه مدوَّنةٌ في التواريخ الصادقة لا ينكرُها المغفَّل عنه مهما تغافل. فاين تعليلها لديكم وماذا عساكم تعيّنون لها سبباً. يقول العالَمُ: قُضي على كل ذي نُطقٍ بالايمان وهو دليل إلَّا يُؤثَّر في الاذهان تأكيد الوحي فعلى الاقل اغلبيَّتهُ ورجحانهُ ممَّا يجعل التنقيب عنهُ واجباً ولا يسوغُ لاحدٍ الإعراض عن استطلاع مطالعهِ بحجَّة انهُ ضربٌ من المحال (١. فانَّا يشبه المتعاقلون تأكيد امكان الوحي اولئك الفريسيين الذين كانوا عرفوا الرجل الاعمى خلقةً (٢ اذ رأوهُ غير مرَّةٍ يستعطي قبل ان فتح يسوع عينيهِ فلمَّا رأوهُ قد ابصر وشهد القاصي والداني انَّ الربَّ هو الذي صنع تلك المعجزة اذ طلى بالطين عيني الضرير ابَوا ان يُعيروا الجمهور سمعاً قائلين: «كيف يقدر رجلٌ خاطئ ان يعمل آية كهذه». وكذا المتعاقلون منذ نشأتهم يعارضون صوت التاريخ وشهادة الشعوب برمَّهم استحالة الوحي فيحكمون عليهِ قبل ان يفتّشوا حجَّتهُ

على انَّا آثرنا ان نلحق الكاذب حتى باب بيته فنبيّن في محادثاتنا هذه امكان

(١ اطلب (MONSABRÉ: Introduction au Dogme catholique, T. I, 3e *Conférence*, pp. 77-78.)

(٢ اطلب يو (٩: ١-٤١)

الوحي ثمَّ فائدته . ولكن لا بدَّ قبل ذلك ان نقدّم قولًا موجزًا في مقتضيات الوحي وشروط كيانهِ خصوصاً من جهة ما هو مرسل الى الكثيرين على ألسنة قليلين . اذ عبثاً نحاول بيان إمكان الامر إلمَّ نستطلع اولًا الشروط اللازمة لوقوعه ووجوده . ثمَّ قد سبق اليك الكلام انَّ من الوحي ما كان موضوعهُ سرًّا غامضاً اسمى من ان يتوصَّل الانسان بمجرَّد قواه الفطريَّة الى معرفته او الى تعليلهِ وتكييفهِ . وهذا من اخصّ الاسباب التي حدَتْ بالمقلّين الى رفض الوحي بتاتاً . فسبيلنا اذًا ان نخصّص قسماً من ابحاثنا هذه للاسرار الالهيَّة ووجودها وامكان الوحي بها . اخيرًا لمَّا كانت ضرورة الشيء من أصرح الادلَّة على فائدتهِ جدُر بنا ان نختم هذا الفصل بجزء نبيّن فيهِ شدَّة افتقار البشر الى الوحي الالهي اذ بدونهِ تعسُر عليهم حتى معرفة الديانة الطبيعيَّة او اقلَّهُ لا يُحرزون حقيقتها كاملةً ولا يحتفظون بها سالمةً من شوائب الريب والغرور

فيتناول اذًا هذا الفصل من ابحاثنا اجزاء خمسة : ١ً في مقتضيات الوحي . ٢ً في امكانه اجمالًا ٣ً في الوحي بالاسرار خصوصاً ٤ً في فوائد الوحي ٥ً في ضرورته

١ في مقتضيات الوحي

ذهب بعض المدَّعين بالتقرُّب اليهِ تعالى ومفاوضتهِ مباشرةً (Pseudomystiques) ومنهم اصحاب المعاد الثاني (Anabaptistes) وقد سبق ذكرهم (ص ١٢٧) والكواكرس (Quaquers) ان الوحي ولا يكون الَّا مباشرةً لا يُلقيهِ الله على عبادهِ الَّا رأساً هابطاً على كلٍّ منهم بلا واسطة تقوم بينهُ وبينهم او اذا وكل الى وسيطٍ ما ان ينقل كلامهُ الى البشر فاقلُّ ما يترتَّب عليهِ تعالى في زعمهم ان يُردِف هذا الوحيَ العام بوحيٍ آخر خاص يُنزلهُ تراً على كل انسان كيما يتمكَّن بهِ ان يتحقَّق الوحي الذي نقلهُ اليهِ اولياء الله . فانَّ قلبَ العابد في مذهب هؤلاء الانبياء الكذبة بمثابة سفرٍ حيّ يرقم فيهِ المعبود آياتهِ فتكون كمحكٍّ ومسبارٍ للآيات التي نزلت على الانبياء الاحرار فاثبتوها في الكتب المقدَّسة . امَّا كلام الله غيرُ المكتوب المنقول بالتقليد من الرسل الينا فلا حديثَ عنهُ لاصحاب هذا الضلال اذ انهم لا

يعتقدونهُ فلا يعدُّون لهُ حساباً جرياً على مذهب الشيعة البروتستنتيَّة التي هم شعبة منها

وغنيٌّ عن البيان انَّ الواقع هو خلاف وهمهم . وليست ديانة حرَّيهٌ بالاعتبار الَّا وأجهرَ حلفاؤها انَّ الله انَّما يصطفي نفرًا قليلًا من الناس فيلقي عليهم وحيه بالدين ويُرسلهم الى بني جلدتهم مبشِّرين بهِ . نعم انَّ الوحي مباشرةً ممكنٌ كما يمكن بالواسطة فالله على كل شيءٍ قدير يستطيع ان يخاطب كلًّا منَّا تراً لا يحتاج الى وسيط يبلِّغ عبادَه كلامهُ . لكنَّهُ عزَّت قدرتهُ لم يحكم على نفسه بحذف كذا وسيط وليس حذفهُ من مقتضيات الوحي . بل أن يُلقِّن الوحي الالهي قرلـهُ نفرًا قليلًا ويأمرهم ان يُنذروا بهِ الباقين عاضدًا اياهم بآيات من عنده تدلُّ على حقيقة رسالتهم ذلك اولى بهِ تعالى اذ يعود علينا بنفع اوفر وعليهِ بمجد اعظم

فانَّهُ وان كان ربُّك حرًّا في صنيعهِ منزَّهًا عن كل قيدٍ في اعمالهِ يُكسي مخلوقاتهِ من الكمال ما شاء وعلى قدر ما شاء ولا يترتَّب عليهِ ان يأتي بالمبرزات اكملها واسماها فمع ذلك لا يسوغ لك ان تخالهُ جلَّت حكمتهُ جعل ما فوق الطبيعة احطَّ منزلةً من الطبيعة عينها وليس بمعقولٍ ان يكون ربُّك جعل ترتيب المدارك الفطريَّة أحكم وانظم من ترتيب المدارك الفائقة الطبيعة التي يمنُّ بها على البشر بوحيه ولا سيما انت عالم (راجع ص ٣٤) انَّ العالم الطبيعي وما فوقهُ متَّحدان ملتحمان التحام الاساس بالبناء فلا بدَّ ما بينهما من المناسبة والموافقة

والحال انك ترى في الكون المنظور المعقول نظامًا بديعًا يُكسيهِ حسنًا ويُكسبهُ بهاء مما يملو بك اذا اعملتَ فيهِ الفكرة الى ادراك شيءٍ من جمالهِ ناسج بُردتهِ فتُفتَن بهِ وتهبَ مسبِّحًا لهُ هاتفًا بصفاتهِ . ولا يغرُب عنك انَّ من اقوى عوامل هذا النظام تلك الروابط الوثيقة التي بها جمع مُبدعُ الكائنات شتاتها فوحَّد بينها حتى جعلها كأنها كائنٌ فردٌ ولسانٌ واحدٌ يُفصح عن كمالات الباري سبحانهُ وتعالى فانَّ المبرزات كافَّةً مترابطةٌ بهِ ولكن ليس به وحده . كلُّها مفتقرةٌ الى الله ولكن ايضًا بعضها الى بعض . كلُّها تنال من المراحم الربانيَّة وجودًا ونموًّا ومقدرةً وفعلًا ولكن ليس بدون واسطةٍ تقومُ بينها وبين الجوَّاد الالهي . هو العلَّة الاولى الفريدة غير انَّ مصنوعاتهِ ايضًا كلُّها علل ثانية مُحدِثةٌ مُحدَثةٌ نائلةٌ مُنيلةٌ تتسلسل ابتداءً من

العلّة الثانية الاوّليّة حتى الاخيرة . ألا انظرْ يا رعاك الله الى المجتمع الانساني مثلاً وتأمل . ألا ترى كيف تسيل في عروقه الحياةُ منحدرةً من عضوٍ الى آخر . اجل هو الخالق نفث نسمة الحياة الاولى لكنّهُ كأنهُ قسم للجدّ الاوّل ولكلّ الوالدين من بعده شطرًا من قدرتهِ الخالقة اذ خوّلهم جميعاً قوّة لإحداث الحياة بالتناسل فيما بينهم . وكذا الرزقُ والعلم والجاه وغير ذلك ينال اكثرهُ الخلف من السلف حتى أضحى الناس أسرةً واحدةً يتعاقب اعضاؤها مدى الاجيال تربطهم بعضاً ببعض صلاتُ الرحم والخير المتبادل ويربطهم بالله خالقهم رأسٌ نالَ منهُ الحياة فجاد بها عليهم جميعاً . فلِمَ يا تُرى يخلُّ هذا النظام او ينقص فيما فوق الطبيعة ؟ لِمَ هناك وليس هنا الصلات الوطيدة بين الخلائق ؟ لِمَ لا تكونُ على الاقل المضاهاة بين العالَمَيْن الاسمى والاسفل فيحوي ذاك ما حواه هذا ؟ لِمَ لا يوجد هنا كما وهناك آباء أولاهم الله شيئاً من قدرتهِ المُنعشة فتحدّثنا أبوّتهم بابوّتهِ تعالى اذ يُحيونَ الارواح بما منَّ عليهم من علمهِ الالهي ؟ لِمَ لا تتجلّى في الكون الاعلى كما في الادنى قدرتهُ تعالى وكرمهُ وحكمته ؟ بدتِ القدرة والكرم في المنظورات اذ برأ القدير مع آثار قدرتهِ مقتدرين كثيرين واضاف الكريمُ الى عطاياه مُعطين عديدين . شهدَت المحسوسات بالحكمة الالهية اذ لَمْ تُقِم فيها قوةً واحدةً عبثاً بل استخدمت كلًّا منها لغايةٍ خصَّتهُ بها . شملَ الربُّ بني الانسان بعنايتهِ الابويّة اذ جعل بينهم مراتب ودرجات فكان الغنيّ والفقير والمعلّم والتلميذ والرئيس والمرؤوس والمتسلّط والمتسلّط عليهِ فخضع هذا لله في شخص ذاك فضوعفَ اجرُ طاعتهِ اذ وَهِبَ سلطة الاصيل حتى في الوكيل البعيد . فلامَ يُنبئني العالم حتى الابكم بمحاسن مُبدعهِ ويظلّ لسانُ حال الوحي اعيَ يُفصح قولًا فقط لا فعلًا عن اوصاف الله الناطق بهِ ؟ أيكونُ ربّي اذ رفعني الى ما فوق طبيعتي فباح لي بسرائره نفدت كنوزُ رحمتهِ فأولجني عالمًا يقول لي هو انّهُ اسمى من الذي وُلِدتُ فيهِ الّا انّهُ كاد يُمسي اوهن منهُ واعجز نطقاً بمناقب العليّ

والحاصل على ما قال القديس توما الاكويني : « انَّ ما كان من الله انما يجري على ترتيب ونظام فلا بدَّ اذًا من الترتيب في كيفية اظهار الامور المنوطة بالايمان ويكون

ذلك بان يأخذهـا البعض عنهُ عزَّ وجلَّ وغيرهم عنهم وكذا من الاوَّلين الى الآخرين » (١

على انَّ نتيجتنا هذه لا تنافي كون الله تعالى يُعين العباد بذاته على حسن اقتبال الوحي من اوليـائه . قال بولس الرسول في هذا المعنى : « مَن ذا أبلوس ومَن ذا بولس . انَّهما خادمان آمنتم على ايديهما وانما الكليهما قدر ما اعطاه الربّ . انا غرستُ (فيكم كلامَ الله) وابلوس سقى لكنَّ الله هو الذي انمى . فليس الغارس شيءٌ ولا الساقي بل المنمي وهو الله » (١ كور ٣ : ٤—٧) . فهو تبارك مراحمهُ يُفيض انواره على عقل المؤمن ويُهطل على قلبهِ مياه النعمة العذبة ويأخذ بيده هادياً اياه الى الايمان بكلامه المنقول على ألسنة اوليـائه بل « ما من احدٍ يستطيع ان يُذعن للبشارة الانجيلية كما يجب للحصول على الخلاص بلا اثارةٍ والهام من الروح القدس الذي يُجدي الجميع عذوبةً بالاذعان والايمان » (٢ على انَّ هذا العضد العاري لا يتضمَّن وحياً جديداً وانَّما الغرض منهُ تنشيط الذهن ليستدلَّ على صحَّة رسـالة النبي ويفهمَ منطوق الوحي الذي أُلقيَ كما وتشديد الارادة ايضاً لتنهض بالعقل الى الانقياد الوحي والايمان بمضمونه . فالنعمة داخلَ القلب تُرشد الى تصديق الكلام المُنزل على رسل الله لا تُضيف عن ضرورةٍ الى وحيه اليهم وحياً آخر . وفي هذا المعنى جاء في الاسفار الكريمة انَّ الله هو وحدهُ مُرشد العقول وهادي القلوب لا شريك لهُ في مهمَّة قيادتها الى الحقّ والصلاح (٣

واذ علمتَ ما ليس من مقتضيات الوحي بقي علينا ان نبسط لك مقتضيـاته الايجابية التي لا بدَّ منها لوقوعهِ ووجوده بل بها يقوم كيانه وحقيقته . فنقول : اذا ما قصد الله اعلان امر للبشر بواسطة وليٍّ لهُ وجبَ ان يؤثر في ذهنه اليقين باشيـاء ثلاثة : ١ً الامر المراد اعلانهُ وهو الحقيقة الموحاة . ٢ً كون الله ذاتهِ موحياً بهـا الى وليّه . ٣ً قصده تعالى ان يبلّغها وليُّهُ عبادهُ . وبهذه الشروط يتمّ كيانُ الرسالة ولا

١) الخلاصة ضدّ الامم ك ٣ ف ١٥٤

٢) المجمع الواتيكاني الجلسة الثالثة الفصل الثالث في الايمان – وكذا ايضاً المجمع الاورزيكاني الثالث في قانونه السابع

٣) اطلب ١ يو ٢ : ٢٧ ومت ٢٣ : ٨

يبقى الّا ان يُذرِّعَ الرسولُ بالآيات الالهيّة التي يشهدُ بها العليّ القدير للبشر انّ الرسول حقاً موفَدٌ اليهم منهُ ليُسمعهم كلامهُ فينقادون لهُ طوعاً . قلنا :

١ً لا بدَّ للرسول من ان يتأكّد الحقيقة الموحاة . وذلك لأنَّ الغاية من الرسالة ان يؤمن الناس بما يُنذرُهم بهِ الرسول باسم الله وعن امره ايماناً خليقاً بالوحي الالهي المبني عليهِ فلا يشوبه ضلال ولا يقاقله ريب . ولكن انّى للرسول ان يُحقّق هذه الغاية ما لم يكن الحقيقة الموكول اليهِ تعليمها ثابتة راهنة في حدّ ذاتها ولديهِ لا يجوز لهُ ان يجعل الباطل في معرض الحق والشكّ في معرض اليقين فيظلم خلقَ الله بان يتطلّب منهم اعتقاداً متيناً بما لم يتأكّده هو او كان في واقع الحال كذباً وبهتاناً

٢ً لا بدَّ للرسول من معرفة مصدر الوحي فيدري عن صوابهِ ويتحقّق ان ماتّنهُ الامور التي يُبشّرُ بها انما هو الله عزّ وجلّ (١) . والّا امسى الايمانُ ضرباً من المحال او اقلّهُ كانت دعوةُ العبادِ اليهِ انّما يُثقلُ عاتقَ الوليّ . فقد سبق القول (ص ٣٥) انّ الايمان الحقيقي لا يكونُ عن جهلٍ وعمًى بل عن علّةٍ صوابيّة يفقهها المؤمن قبل ان يقيّد عقلهُ بالتصديق ويخطو الى الاقرار وما هذه العلّةُ الّا كلامُ الله . وان كان تحقّق صحّة وقوعهِ من اوّل ما يترتّبُ على المدعوّين الى الايمان فكم بالاحرى على الذين يدعوهم اليهِ من قبل الله . وان كان تسليمي بقولٍ ليس من الله كأنّهُ منهُ جهلاً وغوايةً لا فضيلةً وصلاحاً افليس على من يندبني اليهِ بل يلزمني بهِ انّما فاضحاً . صرّح القديس بولس كما وغيره من الرسل والانبياء بوجوب التمسّك بتعليمه بل بانت بهِ شدّة الانذار في هذا الموضوع الى حدّ ان قال لاهل غلاطية (غلا ١ : ٨) : « ان بشّركم ملاكٌ بخلاف ما بشّرناكم فليكن مبتلًا » . الّا انّهُ اذا خطّت يراعته هذه العبارة كان عالماً متيقّناً انّهُ انما بشّر الغلاطيين بما لُقّنهُ من الاله يسوع المسيح ولذلك عطف وقال : « انّ الانجيل الذي بُشّر بهِ على يدي ليس بحسب الانسان لاني لم اتسلّمهُ او اتعلّمهُ من انسان بل بوحي يسوع المسيح » (غلا ١ : ١١—١٢)

٣ً لا غنًى للرسول عن الوقوف على حقيقة الغاية التي من اجلها خصّهُ الله بوحيهِ من عنده فلا يحقّ لهُ نشر تعليمه ما لم يُشفع تعالى الوحيَ بايعازٍ منهُ اليهِ ان بلّغ

---

(١) وقد يكون مُبلّغ الوحي الى الولي ملاكاً موفَداً اليه من الله

البشر مقالي وُرُهم بالانقياد اليهِ والتصديق بهِ . وان لم يكن ذلك او لم يتثبّته مُلَقّن الوحي تعدّى وجار على العباد بكرازته مهما كان مضمونها راهناً ثابتاً والوحي بها امرًا واقعاً . كيف لا وقد سطا على العقول من غير سلطةٍ يحكمُ فيها ولم يولهِ الله حُكماً فهو وليٌّ لا رسولٌ . قريبٌ اليهِ تعالى لا وسيطٌ بينهُ وبين البشر فليس حقيقاً بان يخاطبهم باسم ربّهم متقلّداً سلطانهُ عليهم (١

تلك هي شروط الوحي موجّهاً الى العموم على السنة الاولياء وبها قوامُ الرسالة . امّا العلامات التي بها يُميَّز صحيح الوحي من فاسده والتي تضمنُ للبشر حقيقة هبوطهِ على الرسول وايفادهِ اليهم من قبل الله ليندبهم الى الايمان بهِ فقد سبق لنا ذكرها (ص ٤٠—٤٣)

٢ امكان الوحي اجمالاً

نُرجئ القول في موضوع الوحي الى القسم التالي فنعتبر الآن الوحي في حدّ ذاتهِ ولا ننظر الى كون بعض مضمونهِ اسرارًا غامضة خرجت عن دائرة المدركات العقليّة الطبيعيّة

واذ قدّمنا لك الحديث في شروط الوحي والاصول التي يقومُ بها فسبيلنا الآن ان نقيم الحجّة على امكانها فان ثبت هذا ثبت ايضاً انّ الوحيَ امرٌ ممكنٌ ليس من التناقض بشيء فهو إذًا مستطاعٌ لدى ضابط الكلّ وظهرَ للعيان انّ مزاعم العقليين فيهِ واهنة واهيّة . فنقول :

يستطيع الله القدير ان يؤثّر بذاتهِ في ذهن الانسان فيُؤتيهِ علماً بما يُريد ولا حاجة الى الاسهاب للدلالة على هذه الحقيقة

تكشف لي الطبيعة الخرساء كل يوم وكل ساعة اسرارها الخفيّة . تُرى اليس الله هو الذي فتح لها الطريق المؤدية الى عقلي . اليس هو الذي حوّلها قدرةً ان تؤثر في حواسّي وبها في عقلي . فكيف يضلّ هو السبيل الذي نهجهُ وكيف يكون هو خالياً من القوّة التي خلقها حتى في الجمادات ايكون منّ عليها بما ليس عنده فتستطيع هي تعليمي ولا يتمكّن هو من تثقيف عقلي بذاتهِ

---

١) اطلب الخلاصة اللاهوتية للقديس توما (ج ٢ من القسم ٢ المطلب ١٧ ف ٥) وكتاب سوارس (Suarez) في الايمان (المحادثة ٨ ج ٤)

كذلك الشاهد يزكي قولهُ ويُحدث فيَّ علماً بالغيب ويقيناً بهِ . وقد قضيتُ اعواماً على مقاعد المدارس اقتبسُ الفوائد من افواه اساتذتي . افيقصر خالق الشاهد والمعلِّم عمَّا يقدران هما عليهِ ام يكونان من غير خالقهِ ام اكون انا على ما اجمع عليهِ الفلاسفة حيواناً قابل التعليم (animal docibile) ولكن من البشر لا من بارئهم كأنَّ هذا يجهلُ اساليبهم وطرقهم فيتعذَّر عليهِ السير عليها او اختراع غيرها بالوف كيما يبلغ ذهني ويوقفه على ما يريد

اخيراً قضى العقليُّون على الله ان يكون احقر واعجز من مشترعي العالم وسلاطينه فانَّ هؤلاء يسنّون السنن ولا شيء يحجزهم عن تبليغها رعاياهم ونشرها في ظهرانيهم امَّا الله فعليهِ في زعم اعداء الوحي ان يكتفي بما نتصفَّحهُ في كتاب الطبيعة من ارادته وليس لهُ ان يقيّد ارادتنا باحكام وضعيَّة فان رأى مثلاً ان يأمرنا باكرامه على وجهٍ مخصوص وتأدية العبادة لهُ على نمطٍ يفضّلهُ هو على غيره تعذَّر عليهِ ذلك لانهُ لا يرى سبيلاً الى اعلامنا مشيئته (١

فيا لله ما اقصر حكمة هؤلاء المقلِّين العاقلين الذين قصَّروا باع ضابط الكلّ فجاءوه اضعف من براياه اذ قاسوا قدرتهُ بفلسفتهم الراهنة

امَّا كون الوحي صادراً عن الله وهابطاً منهُ الى وليّهِ فذا امرٌ لا يخرج عن نطاق سائر الحقائق المعقولة فكما استطاع الله الوحي بغيره كذلك يستطيع بهِ . وزد على ذلك انَّهُ جاءت قدرتهُ يظهر للتروي في اعماله الفائقة الطبيعة كما يظهر في الطبيعيَّة منها بل بالاحرى فانَّ المتأمل المتبصِّر يرقى من العالم المنظور الى معرفة مُبدعه ومن الناموس المدوَّن في الضمير الى المشترع الالهي الذي وسمهُ فيهِ فكيف لا يُعرَف الاله من اثرهِ في ذهن وليّه . يعلّل الانسان المفاعيل فيستنتج علَّتها وماهيَّتها وكذا النبيّ يستطيع ان يعلّل النور العلويّ الذي افاضهُ ربُّه عليهِ

وامَّا غاية الله بالوحي وقصدهُ ان يعلنهُ على لسان رسوله الى البشر فذا ايضاً من الحقائق المعقولة يمكن الله ان يؤتي وليّه علماً بهِ . هذا فضلاً عن انَّ ربوبيَّة العلي السامية تقتضي ان يقوى تعالى على اقامة نوَّاباً عنهُ وقضاةً يحكمون في عبادهِ عن

---

١) اطلب موقبره في المجلَّد ذاتهِ (ص ٨١–٨٤)

امره كما يفعل ملوك الارض ولكن كيف يتمّ ذلك لهُ عزَّ وجلَّ إلّم يكن لديهِ وسيلةٌ لتقليد سلطتهِ اولياءهُ المصطفين

وقد اومأنا فيما سبق (ص ١٢٠) الى كيفية تأثير الله في ذهن النبي . وهَبْنا لا نعلم شيئاً من تلك الكيفية فليس جهلنا هذا دليلاً على عدم وجود هذا التأثير واستحالته . افنحسب خلفاً محالاً نباتَ الزرع ونموّه لانّا لا ندري كيف تموت الحبّة في الارض ثمَّ تحيا وتحيي ما انشقّت عنهُ

انت لا تعرف اباك ولم تدرِ من انت ولا كيف اتوصلْ
اين منك الروحُ في جوهرها هل تراها ام ترى كيف تجولْ
انت أكلُ الخبز لا تعرفهُ كيف يجري فيك ام كيف يزولْ

أفتكون انت وما فيكَ من الامور المحالة لانك لا تدري كيف كُوِّنت ولا كيف تنمو ؟ (لها بقيّة)

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

زيارة الاب يوحنا اليانو الاولى الى الموارنة

فاستعدّ الاب اليانو لتلك المهمّة بما استطاع من النشاط . وكانت سفارتهُ السابقة الى بطريرك الاقباط قد حنّكتهُ واوقفتهُ على احوال النصارى الشرقيّين . وكان بعد رجوعهِ من تلك الرحلة لم يزل يكاتب معارفهُ في الشرق ويتردّد على من يسكن رومية او يزورها من اهل الشرق فيعدّونهُ كاحد مواطنيهم ويلتجئون اليهِ في حاجاتهم

وكان ايضاً قد زاد تضلّعهُ باللغة العربيّة اذ كان رؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة العامّون كالاب جاك لَيْنس خلف القديس اغناطيوس (١٥٥٦—١٥٦٦) ثمَّ القديس

امره كما يفعل ملوك الارض ولكن كيف يتمّ ذلك لهُ عزَّ وجلَّ إلّم يكن لديهِ وسيلةٌ لتقليد سلطتهِ اولياءهُ المصطفين

وقد اومأنا فيما سبق (ص ١٢٠) الى كيفية تأثير الله في ذهن النبي . وهَبْنا لا نعلم شيئاً من تلك الكيفية فليس جهلنا هذا دليلاً على عدم وجود هذا التأثير واستحالته . افنحسب خلفاً محالاً نباتَ الزرع ونموّه لانّا لا ندري كيف تموت الحبّة في الارض ثمَّ تحيا وتحيي ما انشقّت عنهُ

انت لا تعرف اباك ولم تدرِ من انت ولا كيف اتوصلْ
اين منك الروحُ في جوهرها هل تراها ام ترى كيف تجولْ
انت أكلُ الخبز لا تعرفهُ كيف يجري فيك ام كيف يزولْ

أفتكون انت وما فيكَ من الامور المحالة لانك لا تدري كيف كُوِّنت ولا كيف تنمو ؟ (لها بقيّة)

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

زيارة الاب يوحنا اليانو الاولى الى الموارنة

فاستعدّ الاب اليانو لتلك المهمّة بما استطاع من النشاط . وكانت سفارتهُ السابقة الى بطريرك الاقباط قد حنّكتهُ واوقفتهُ على احوال النصارى الشرقيّين . وكان بعد رجوعهِ من تلك الرحلة لم يزل يكاتب معارفهُ في الشرق ويتردّد على من يسكن رومية او يزورها من اهل الشرق فيعدّونهُ كاحد مواطنيهم ويلتجئون اليهِ في حاجاتهم

وكان ايضاً قد زاد تضلّعهُ باللغة العربيّة اذ كان رؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة العامّون كالاب جاك لَيْنس خلف القديس اغناطيوس (١٥٥٦—١٥٦٦) ثمَّ القديس

فرنسيس دي بورجيا (١٥٦٦–١٥٧٢) ثم إقرّرد مركوريان (١٥٧٣ — ١٥٨٠) انتدبوهُ الى تدريس العبرانيّة والعربيّة في المدرسة الرومانيّة اليسوعيّة التي كان انشأها القديس اغناطيوس دي لويلا سنة ١٥٥١ فاصبحت بعد عشر سنوات سيّدة مدارس رومية يناهز عدد تلامذتها الألف عدًّا كانوا يقصدونها من جميع ممالك اوربّة وكان يعلّم فيها وقتئذٍ اماثل الرجال كبلّرمينوس الذائع الشهرة وملدونات العلّامة المفسّر للكتب المقدّسة والكردينال طوليت اللاهوتي وبرنيان البيانيّ وكلافيوس الفلكي فبقي الاب اليانو بينهم معلّماً للّغات الشرقيّة يكاد يجاريهم شهرةً وعلماً من السنة ١٥٦٥ الى ١٥٧٧

ومن آثاره في تلك الحقبة بعض تآليف عرّبها او نشرها لافادة نصارى الشرق يعدّونها اليوم من اعزّ المآثر الطّبعيّة اذ لم يسبقها في تاريخ الطباعة العربيّة سوى كتابين كتاب « صلاة السواعي » المطبوع في فانو من اعمال ايطالية سنة ١٥١٤ بامر البابا لاون العاشر وكتاب الاصول العربيّة في اللغة اللاتينيّة لغليوم بوستل في باريس سنة ١٥٣٨. فلمّا أُنشئت المدرسة الرومانيّة وترتّب فيها درس اللغة العربيّة سعى اليسوعيّون في انشاء مطبعة صغيرة لنشر بعض نصوص عربيّة استخرجها او عُني بطبعها الاب يوحنّا اليانو. اوّلها « اعتقاد الامانة الارثذكسيّة » كما تعلّمها كنيسة رومية طُبع بامر قداسة البابا بيوس الخامس سنة ١٥٦٦ (١ والكتاب على قطع الثمن في ٣٣ صفحة وفي كل صفحة ١٨ سطرًا. والثاني كتاب لهداية المبتدئين طُبع بلا تاريخ في المطبعة الرومانيّة بالحرف ذاته هذا عنوانهُ « هذا مصاحبت (هذه مصاحبة) روحانيّة بين العالمين واسم الواحد منهما شيخ سينان (سنان) واسم الآخر احمد العالم التي كانت في رجوعهما من الكعبة » . نافعةً لكل مسلم ومسلمة وهو كتاب منهُ في المكاتب الاوربيّة عدّة نسخ مخطوطة تاريخ تأليفه سنة ٩٤٠هـ (١٥٣٣ م) والمرجّح انّ الاب اليانو كان وجد هذا الكتاب في رحلته الى مصر فجاء

١) والعنوان هناك بالعربيّة واللاتينيّة. وهذا النصّ اللاتيني كما ورد في المكتبة العربية لشنورر: Fidei Orthodoxæ brevis et explicata confessio quam Sacrosancta et Romana Ecclesia docet . . . *Romæ, jussu Sanctissimi D. N. Pii V in Collegio Societatis Jesu, anno* MDLXVI (Schnurrer: *Bibl. Arbica*. p. 236)

صورة دير قنوبين

مقام بطاركة انطاكية الموارنة قديماً

به الى رومية ونشره . وعرَّب ايضاً قوانين المجمع التريدنتيني بعد تعريبها . كما انهُ نقل الى اللاتينيَّة الثانين قانوناً عربيًّا الملحقة بقوانين المجمع النيقوي وكان استنسخها في مصر اذ رأى الاقباط يستندون اليها ويعدُّونها كقوانين شرعيَّة ثابتة . فكان الاب اليانو اوَّل من عرَّفها علماء اوروبَّة فجرت بسببها ابحاث واسعة لتأييد صحَّتها او نفيها وكان استعان بنقل هذه القوانين باسقف الشام الماروني جرجس البسليقوتي الذي كان قدم رومية سنة ١٥٧٧ مع الخوري اقليميس الاهدني ليطلبا من الكرسي الرسولي درع الرئاسة للبطريرك ميخائيل الرزي

فكانت هذه الاشغال قد اهَّلت الاب يوحنَّا للاختلاط بالشرقيين وللوقوف على حقيقة امورهم . فلمَّا بلغهُ امر الكرسيّ الرسولي بان يتفقَّد شؤون الموارنة في لبنان قبل ذلك بكل خضوع واستصحب التعليمات التي اعطاها الكردينالُ كرافَّا حامي الموارنة لهُ ولرفيقه الاب توما راجيو (T. Reggio) (١ باسم الحبر الاعظم ليُحسنا التصرُّف في مهمَّتهما وقد فصَّل الكردينال تلك التعليمات في ٢٣ بنداً تقدَّم الى القاصدَين بان يجريا عليها ويتحقَّقاها بالعيان ويفيدا عنها الكرسيّ الرسولي لتكون رومية على العلم التام بخصوص معتقدات الموارنة وطقوسهم في تقدمة الاسرار وتوزيعها وآدابهم وكتبهم الدينيَّة لئلَّا يكون اندسَّ اليها شيءٌ من الاضاليل جهلًا او بمكر بعض المبتدعين (٢ . وهذه التعليمات تاريخها ٣ آذار سنة ١٥٧٨ وهي في اللغة الايطاليَّة نشرها المرحوم الاب انطون رباط عن نسخة مصونة في سجلَّات الرهبانية اليسوعية

وكان سفر الابوين يوحنَّا اليانو وتوما راجيو من رومية في اواخر آذار من السنة ١٥٧٨ مع اخ مساعد يُدعى ماريو اماتو (Mario Amato) وكانوا في رفقة الاسقف

١) لا يوحنَّا برونو كما مرَّ في العدد السابق (ص ١٢٢) غلطاً . وقد ورد اسمهُ مصحَّفاً في تاريخ الطائفة المارونيَّة (ص ٤٤٣) حيث دُعي توما رادبوس

٢) قال العلَّامة الدويهي (ص٤٤٣ من تاريخ الطائفة المارونيَّة) عن القاصدين الرسولين : « وامرهما (البابا) بفحص ديانة الموارنة والبحث عن صدق طاعتهم وكتبهم ومشاهدة رتبهم وعوائدهم وكهنوتهم وعبادتهم وكان الاعتماد على الفتى جوان باطيشتا لانهُ كان رجلًا ذا مكارم وفضل وحكمة خبيرًا بالعلوم الالهيَّة والطبيعيَّة ماهرًا في اللغة الروميَّة واليونانيَّة عارفًا بالعربيَّة والكرشونيَّة »

جرجس والخوري اقليميس المذكورين اللذين اشترطوا عليهما بعض الشروط لقبول درع الرئاسة وانما نالا من فضل رومية هدايا ثمينة للسيّد البطريرك مع رسالة من قداسة البابا لغبطته. وركبوا البحر في البندقيّة على مركب شراعي للبنادقة في تاريخ ١٦ نيسان وكان سفرهم ميموناً فقطعوا البحر الادرياتيك ووصلوا في غرّة شهر ايار الى جزيرة كورفو حيث استقامت السفينة عشرين يوماً فاقلعت منها في ٢٢ أيار الى زانتي احدى جزائر اليونان ومنها سارت الى قبرس

وكانت قبرس لم تزل مثخنة بجراح الفتح التركي فانّ السلطان سليم الثاني كان عهد الى مصطفى باشا بحصارها وضربها فظفر بها واخذها من اهل البندقيّة ورغماً عن وعده بالامان قتل من اهلها في الماغوصة نحو خمسين الفاً بينهم نحو ١٨,٠٠٠ ماروني على ما روى الدويهي في تاريخه (ص ١٧٣) ونحو ٣٠,٠٠٠ على رواية البطريرك بولس مسعد في الدرّ المنظوم (ص ١٦٥)

فبعد ساعات قليلة ارست السفينة عند قبرس ثم توجّهت الى طرابلس في اواسط حزيران ١٥٧٨. وكانت طرابلس اذ ذاك الثغر البحري المهمّ في سواحل الشام عندهُ كانت ترسو السفن الاوربيّة القادمة من البندقيّة ومن مرسيلية وكان يقيم فيها قنصلان من دولتي فرنسة والبنادقة فتحفّى كلاهما بالمرسلين اذ وقفا على رسائل خاصّة توصي بهم فاستراح الاب اليانو ورفيقاهُ مدّةً هناك

وفي تلك الاثناء كان السيّد جرجس البليقوني والخوري اقليميس الاهدني صعدا الى قنوبين حيث كان المقام البطريركي واخبرا عمدة الطائفة بما لقياهُ من الحفاوة لدى الكرسي الرسولي وسلّما السيد البطريرك الهدايا الثمينة التي تكرّم بها قداستهُ والكردينال كرافّا على الطائفة فوقع ذلك في قلوب الجميع احسن وقع فاستعدّوا لاستقبال الوفد البابويّ بما امكنهم من العزّ والاكرام

*

ويحسن بنا ان نذكر بالايجاز شيئاً عن حالة القطر السوري عند وصول الآباء اليسوعيين اليه اوّل مرّة. كانت سوريّة في بدء القرن السادس عشر داخلة في ضمن الدولة المصريّة فيحكم عليها الحكّام باسم مماليك مصر. لكن السلطان سليماً الاوّل ملك الاتراك بعد انتصاره من اسماعيل شاه ملك العجم زحف على بلاد الشام فاستولى

عليها إثر كسره للجيوش المصرية في مرج دابق شمالي حلب سنة ١٥١٦. ثمّ اخذ السلطان بتنظيم سورية فجعلها اقساماً او ولايات كان يعيّن عمّالها ليسوسوا اهلها. وتبع خلفاؤهُ خطّتهُ الى عهدنا. على انّ بُعد ولايات سورية من الحاضرة كان يثير في قلوب الولاة روح الاستبداد فكانوا يتصرّفون بالرعاة تصرّف السيّد بالعبد وربّما حارب بعضهم بعضاً فجعلوا بلاد الشام دار حرب وقتال

وقد شعر لبنان بهذه الفوضى وقاسى اهلهُ شدائد لا يزالون يذكرونها بالأسف والكآبة. لكنّ الجبل لم يخضع رأساً لولاة الباب العالي وانّما كان يحكم عليهِ امراء مسلمون او دروز فيخفّفون نوعاً على عاتق اهلهِ نير السلطة المطلقة. فكان الحكم في جنوبيّهِ للدروز من بيت معن اذ نصب السلطان سليم على جنوبي لبنان الامير فخر الدين الذي كان انجدهُ في حربهِ لدولة المماليك المصريين فحكم من السنة ١٥١٦ الى ١٥٤٤ حكماً عادلاً فاحبّهُ اللبنانيّون وجرى على خطّتهِ ابنهُ الامير قرقماز (١٥٤٤—١٥٨٤) وحفيدهُ فخر الدين الثاني المعروف بالكبير (١٥٨٤—١٦٣٥). وفي عهد هذين الاخيرين قدم اليسوعيّون الاوّلون الى لبنان كقصّاد الحبر الاعظم. وكان تحت سيطرة بني معن امراء غيرهم كبني تنوخ الذين حكموا زمناً طويلاً معاملة الشوف وجهات وادي التيم وكان نجمهم قد كاد يأفل وكبني شهاب الذين خلفوا بني معن فضبطوا بعدهم ازمّة الامر

امّا شمالي لبنان من حدود نهر الكلب الى جهات حمص وحماة فكان الحكم فيهِ لبني عسّاف من عنصر التركمان بسطوا عليهِ سيطرتهم الى السنة ١٥٩٠ التي فيها قُتل اميرهم الاكبر محمّد عسّاف بكيدة يوسف باشا سيفا الذي عضدتهُ الدولة فصار التدبير اليهِ والى ذرّيتهِ من بني سيفا الاكراد واستولوا على المقاطعات التي كانت لبني عسّاف من نهر الكلب الى عرقا وجعلوا مركز ولايتهم في غزير

وكان معظم الطائفة المارونيّة في ذاك القسم الشمالي من لبنان يقطنون سواحلهُ من جونية الى شمالي طرابلس ومنعطفاتهِ الشرقيّة واواسطهُ الى مشارفهِ لاسيما مقاطعات الزاوية والجبّة والضنّيّة ونواحي عكّار ويجمل عددهم كتبةُ ذاك الجيل اقلّ من مائة الف وكان لهم مقدّمون من دينهم يحكمون عليهم باسم الدولة ويجبون الجبايات المفروضة عليهم كرعاياها

وممن اخذوا يصيبون بعض الشهرة في ذلك العهد مشايخ بيت حُبَيش وبيت الخازن يُعزى اصل الاوّلين الى حُبيش بن موسى وسيأتي ذكر ابنهِ ابي منصور يوسف في اخبار القدّاد اليسوعيين. ويُنسب الآخرون الى الشدياق سركيس الخازن الذي توفي سنة ١٥٧٠ قبل مجيء اليسوعيين بثماني سنوات ولعلّهُ اوّل من سكن كسروان من النصارى انتقل الى تلك المقاطعة واثقاً بالعدل الذي كان نشرهُ الامير منصور العسّافي

امّا بطريرك الطائفة المارونيّة الانطاكي فكان مركزهُ في دير سيّدة قنّوبين شرقيّ طرابلس في وادٍ عميق بين جبال عالية صعبة المرتقى يُعرف بوادي قاديشا. والدير في اعماقهِ بين الصخور والاغوار كان قسمٌ منهُ منقورًا في الصخر الاصمّ يرقون عهدهُ الى اوائل القرن الخامس للمسيح اذ تنسّك هناك قوم من الحبساء (١ وكنيستهُ على اسم السيّدة قديمة العهد وهي على شبه مغارة كلّها منقورة في الصخر. وهناك قبور بعض بطاركة الطائفة. وكان اوّل من سكن هذا الدير البطريرك يوحنّا الجاجي انتقل اليهِ من دير ميفوق فاحتلّهُ الى وفاتهِ (+١٤٤٥) وسكنهُ البطاركة من بعدهِ نيفاً ومائتي سنة

امّا البطريرك الذي كان جالساً وقتئذٍ على الكرسيّ الماروني الانطاكي فكان اسمهُ ميخائيل الرزّي وكان قبل ارتقائهِ حبيساً فلمّا مات البطريرك موسى العكّاري (١٥٢٤ — ١٥٦٧) عُهدت اليهِ رئاسة طائفته واليهِ اوفد الكرسي الرسولي الابوَين يوحنّا اليانو وتوما راجيو

فبعد ان قضى المرسلان اياماً قليلة في طرابلس واستطاعا احوال البلاد لدى القنصلَين تأهّبا لمواجهة السيّد البطريرك فصعدا الى قنّوبين. وقد اخبر الاب اليانو في رسائلهِ الى الكردينال كراڤا والى رؤسائهِ انّ البطريرك ميخائيل لمّا بلغهُ خبر مجيء المرسلين خرج مع اكليروس طائفتهِ وجمهور الشعب الى ملاقاتهما فرحّب بهما وقدّم لهُ الابوان آيات الاكرام والتجلّة فشمل الفرح قلوب كل الحضور فكان ذلك اليوم كعيد بهيج توثّقت فيهِ روابط الحبّ بين الكنيسة الرومانيّة وبين بني مارون

١) راجع ما كتبهُ حضرة الاب هـ. لامنس عن هذا الدير واصلهِ في كتاب تسريح الابصار (ج ١ ص ١١١)

ولما جمعهم النادي البطريركي جعل البطريرك ميخائيل يشكر الحبر الاعظم على انعطافهِ الابوي نحو الموارنة ويثني على قداستهِ وعلى الكردينال كرافا مطرنا ما وهباهُ من الالطاف والهدايا الثمينة التي اتى بها المطران جرجس

ثمَّ تقدَّم الاب اليانو ووضع بين يدي السيد البطريرك البراءة التي وجَّهها اليهِ قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر فاخذها وجعلها على رأسهِ إجلالاً والحَّ على الاب ان يعربها لهُ ليفهم مضمونها وأبدى اسفهُ على عدم وجود تراجمة يمكنهم ان يوقفوهُ على محتويات البراءات المرسلة اليهِ . فاجاب الاب بوحنا من وقته الى طلبة السيد البطريرك وفسَّر لهُ البراءات الرسوليَّة التي اتى بها المطران جرجس ورفيقهُ الخوري اقليميس وهي التي اثبتها القس طوبيا العنيسي في مجموعة البولَّات المارونيَّة (Bullarium Maronitarum. p. 70-72) وتاريخها ١٧ آذار من السنة ١٥٧٧ اعني قبل تعيين الابوين اليسوعيين لسفارتهما ببضعة اشهر

وفي هذه البراءة يشكر الحبر الاعظم غبطة البطريرك على ما افادهُ عن ايمان الموارنة وتشبثهم بالكرسي الرسولي في كتابهِ المرسل على يد المطران جرجس والخوري اقليميس ويؤكد لهُ انهُ يجعل الطائفة المارونيَّة في حمى الكنيسة الرومانية والقديسين الرسولين بطرس وبولس ثمَّ يحرِّض السيد البطريرك على القيام بالاوامر التي ارسلها الاحبار الرومانيُّون اينوكنت الثالث واوجانيوس الرابع ولاون العاشر الى اسلافهِ ولاسيما بخصوص صلاة التقديس المثلَّث (Trisagion) وتكريس الميرون ورتبة سرّ التثبيت ومناولة الاطفال قبل بلوغهم وشدهم والزواج بين الاقارب . فبخصوص التقديس المثلَّث يحتم الحبر الاعظم ان يُحذف من آخر هذه الصلاة ذكر الصَّلب كما كان يفعل بطرس القصَّار لئلَّا يُظَنَّ انَّ الصَّلب وقع على الجوهر الالهي المثلَّث الاقانيم . وبخصوص تكريس الميرون يريد الحبر الاعظم كما امر خلفاؤهُ سابقاً ان يُصطنع الميرون من الزيت والبلسم فقط ولا يخلطوها بمواد اخرى كما جرت العادة (١) وكذلك سرّ التثبيت يحتم الحبر الاعظم بان يمنحهُ الاساقفة وحدهم

١) قد علَّق المرحوم رشيد الشرتوني حاشيةً على كتاب سلسلة بطاركة الطائفة المارونيَّة للدويهي الذي نشرهُ في اعداد السنة الاولى من المشرق ثم طبعهُ على حدة (ص ١٤) يؤخذ منها سبب تأخر الموارنة عن الاذعان لامر الباباوات بهذا الصدد

ويُفرَز عن ميرون سرّ العماد . امّا الزواج فيعيّن البابا درجات القرابة التي لا يجوز فيها الاقتران بين الزوجين

ثمّ قدّم الاب يوحنّا اليانو لغبطة البطريرك رسالتين اخريين الواحدة من يد قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر تاريخها ١٩ شباط ١٥٧٨ والاخرى من الكردينال كرافّا. ففي الاولى (١ يذكر الحبر الاعظم رسالته السابق ذكرها ويثبتها ثمّ يُعلم السيّد البطريرك بانّهُ يوفد الابوين يوحنّا اليانو وتوما راجيو ليبلّغا غبطتهُ نيّات الحبر الروماني ويوصيهِ بهما ويثني على فضلهما. امّا رسالة الكردينال (٢ فكانت تتضمّن عبارات الولاء والوداد لغبطتهِ ويبيّن لهُ سبب تأخّر ارسال درع الرئاسة على يد رئيس الاراضي المقدسة بسبب ما جرى من الحروب ثم يحضّ غبطتهُ على ان يرسل الى الحبر الاعظم كتاباً جديداً يوقعهُ الاساقفة ووجوه الطائفة وينفذهُ اليهِ هو الكردينال فيعرضهُ على قداستهِ فيصير تثبيت البطريرك قانونيًّا. وممّا قالهُ الكردينال كرافّا في تلك الرسالة انّ البابا يرغب بان يرسل البطريرك الى رومية ستّة اولاد من الموارنة ليتعلّموا هناك ثم يعودوا الى وطنهم وكذلك يشكر غبطتهُ على اهدائهِ للحبر الاعظم اخشاب الارز اللبناني التي سُرَّ بها سروراً عظيماً

وفي هذا الكتاب نفسهِ يشير الكردينال الى بعض رهبان واساقفة الطائفة الذين كان السيّد البطريرك تشكّى الى الكرسي الرسولي من سوء تصرّفهم وتسفيههم غير القانوني فيقول لغبطتهِ بانّهُ يجب ضربهم بالحرم ان لم يرعووا ويتوبوا (٣

فسُرَّ البطريرك من الوقوف على مضامين تلك الرسالات ولاسيما البراءة البابويّة فصرخ عند سماعها: « ليحيَ الحبر الاعظم الذي يخال لي اني اراهُ واسمع صوتهُ من خلال هذه البراءة » ثمّ صرّح برغبتهِ في الاذعان الى كافّة اوامر الكرسيّ الرسولي

---

١) تجد هذه الرسالة في مجموع البولّات المارونيّة (Anaissi, BM, 73-74) وقد تصحّف هناك اسم الاب راجيو فدعاهُ (Thomam Beguim)

٢) وهي موجودة بين سجلّات الرهبانية اليسوعيّة في رومية

٣) تجد تفاصيل اخبار هؤلاء العُصاة في تاريخ الطائفة للدويهي (ص ١٧٥)

وأبدى للابوين كلّ شارات الاكرام ورحّب خصوصاً بالاب اليانو لمعرفته باللغة العربية تماماً ولقراءته الكتابة الكرشونيّة وفهمه للسريانيّة (١

وما لبث القاصدان ان تفرّغا لما كان عهد اليهما الاب الاقدس اعني البحث المدقّق عن احوال الموارنة وايمانهم وكتبهم وطقوسهم وتصرّفهم في توزيع الاسرار فقضيا في تلك المهمّة اثني عشر يوماً . لكنهما رأيا بعد قليل انّ ذلك الفحص يحتاج الى معلومات لا يمكن الحصول عليها الّا بعد بضعة اسابيع فاضطرّا الى ان ينتظراها ريثما تتهيّأ ليواصل المرسلان عملهما

فاحبّ الاب اليانو ورفيقاه الاب راجيو والاخ اماتو ان يقدّسوا تلك الفسحة بزيارة الاراضي المقدّسة ليستمطروا نعمة تعالى على مشروعهم وبعد اتفاقهم مع غبطة البطريرك اجروا في اواخر تمّوز من طرابلس الى يافا . فكان وصولهم الى القدس الشريف في الليلة المسفرة عن صباح اليوم العاشر من آب ١٥٧٨ فزاروا تلك الاماكن التي قدّسها ابن الله بحياته وموته بكل خشوع وتُقى وكان الاب يوحنّا احسنَ دليل لرفيقيه بعد مجيئه السابق الى اورشليم اذ كان يهوديّ النحلة

صرف الزوّار شهراً في تلك الرحلة القدسيّة ساعين طاقتهم في التبرّك بآثار السيد المسيح على الارض . ثمّ اتفقوا راجعين الى لبنان فرجع الاب يوحنّا باماشتا بحرًا من يافا الى طرابلس امّا رفيقاه فعادا الى طرابلس برًّا بعد ان زارا نواحي الجليل واجتازا في دمشق . وكان في تاريخ مرورهما يسكن الفيحاء كاهن ماروني اسمه الخوري سابا ابن الشمّاس يوسف المعروف بابن حليب من قرية العاقورة كما اثبت ذلك حضرة المرسل اللبناني الخوري ابراهيم حرفوش في وصف بعض مخطوطات مار شليطا في المشرق سنة ١٩٠٣ (٦ : ١١٩)

امّا الاب يوحنّا اليانو فانّه كان وجد له شماساً عارفاً باللغات العربيّة والسريانيّة والايطالية فأنس به لورعه وتقاه لكنّه لم يذكر اسمه في رسائله . وعلى رأي المرحوم الاب انطون رباط انّه الحلبيّ المولد الماروني الطائفة المكرّم ابراهيم جرجس الذي انتظم بعد ذلك بقليل في سلك الرهبانيّة اليسوعيّة ومات شهيد الايمان

---

١) راجع تاريخ الرهبانيّة اليسوعيّة للمؤرّخ المدقّق الاب سكّيني : F. Sacchini
Hist. Societatis Jesu, pars 4 ª, l. VIII

في مصرَّع سنة ١٥٩٥ لكنَّنا لم نجد سنداً لهذا الزعم والمرجَّح عندنا انَّ الاب اليانو عرف الشاب ابرهيم جرجس سنة رحلتهِ الى حلب في سفارتهِ الثانية (١٥٨١). اما الشماس المذكور هنا فقد استصحبهُ الاب اليانو ليستعين بهِ في اشغالهِ وحلّ مشكلاتهِ المادّية واتقان اللغات الوطنيَّة وجعلهُ كاتباً لاسرارهِ ومدوناً لملحوظاتهِ ووسيطاً لهُ في اشغالهِ مع الاهلين

فعند بلوغهما الى طرابلس اخذ الاب يبحثُ يستعلم عن احوال المدينة هل يمكن انشاء مدرسةٍ فيها لتهذيب الشبيبة المارونيَّة كما كان فكَّر في ذلك قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر. لكنَّهُ تأكَّد بعد قليل انَّ هذا المشروع لا يُستطاع اخراجهُ الى حيّز العمل لسوء احوال النصارى وقتئذٍ في مدن الساحل حيث كان اعداؤهم يسومونهم الخسف ولا يرعون لهم جانباً. فتحقَّق انَّ افضل مكان لتثقيف الاحداث من الموارنة وتعليمهم العلوم الاكليريكيَّة انَّما هو عاصمة العالم الكاثوليكي اي رومية

ثمَّ رأى الاب اليانو الوقت مناسباً لمواصلة عملهِ لدى السيّد البطريرك لكنَّهُ وجد الاوفق أنْ يبقى الاب توما راجيو في طرابلس فيهتمَّ هناك بأمور تجار الفرنج الروحيَّة ويدرس اخلاق الموارنة وخدمتهم وابقى معهُ الاخ اماتو. امَّا هو فعاد الى قنّوبين وبعد ايام قليلة تبعهُ رفيقهُ الشمّاس الذي سبق ذكرهُ

ثم اسرع القاصد الرسولي الى مباشرة العمل وابتدأ بفحص المخطوطات الطقسيَّة التي يتداولها الموارنة كالاناجيل وتفاسيرها والتراتيل وغيرها من الكتب الدينيَّة. فكان يطالع الكتب فرداً فرداً واذا وجد اشياء مخلَّة بخصوص المعتقدات او الرسوم والعادات المألوفة في الكنيسة نصَّ عليها وافرزها عن سواها ثمَّ كان يعرضها على السيّد البطريرك والاساقفة الذين عندهُ فيبيّن لهم وجوه الخلل ثمَّ يتّفقون امَّا على اصلاح ما يمكن اصلاحهُ بابدال بعض صفحات من تلك المخطوطات وامَّا بحرقها ان كانت كثيرة الاغلاط وهكذا حرقوا جانباً من الكتب بحضرة الاكليروس والشعب وانَّما صار ذلك برضى الجميع وهم لا يرغبون سوى موافقة رومية في ايمانهم

ولا نجهل انَّ بعض المستشرقين آخذوا الاب اليانو في حرق هذه التآليف مع فوائدها لدرس الآثار القديمة في الكنائس السريانية الَّا ان الرسل الرسولي كان

يؤثر الطاعة لمرؤوسه الحبر الاعظم الذي كان تقدّم اليه بذلك مع علمه بانّ تلك المصنّفات لو بقيت لأضحت عثرة في سبيل المؤمنين ثم تتوفر بالنسخ .

وقد ظنّ البعض انّ القاصد الرسولي قد اتلف بعض تلك المخطوطات دون ان يفهم معناها . وهي تهمة باطلة لأنّ الاب المذكور كان يعرف العربيّة حقّ المعرفة ويلمّ بالسريانيّة كما يظهر من تآليفه ومن رسائله التي سنوردها وهي شبيهة بكتابات نصارى ذاك العهد ليست دونها بشيء . وقد صرّح الدويهي نفسه بذلك في تاريخه كما مرّ . وفي رسائل الاب اليانو الى الحبر الاعظم يذكر بعض تلك النصوص التي رآها مخالفة للمعتقد القويم مع ذكر الكتب وصفحاتها

على انّ الاب اليانو لا يحمل هذه الاغلاط على سوء نيّة بل على جهل النسّاخ او على دسائس بعض المبتدعين الذين كانوا اختلطوا بالموارنة فزرعوا الزؤان بالحنطة على مثال الرجل العدوّ الذي يذكره الانجيل . وقد لحظ الطيب الذكر السيّد الدويهي هذه الدسائس حيث قال (ص ٤١٥) :

وكان بثّ البدعة بجبل لبنان امرًا في غاية السهولة . اوّلًا لأنّ اللغة واحدة ورتب اسرار البيعة عندنا وعند اليعاقبة ليست بمختلفة الّا يسيرًا . ثانيًا لأنّ الناحية طيّبة الهواء والعيش متّسع فيها لاهل الدنيا ومتسول (ص ٤١٦) . للمستفرغين لخدمة الله والمتنسكين في الاودية والجبال وثالثًا لأنّ المتولي حكمها كان يكرم المتنسكين بطيعة واحدة ويأذن لهم في السكنى حيث شاؤوا . فلمّا انكشف ذلك وتبيّن عند العلماء ورؤساء الكهنة كثر السجن والانشقاق في البلاد وصار البعض يحتجّون لرأي الطيعة الواحدة وآخرون ينصرون رأي الطيعتين . . .

فكفى بهذا دليلًا على وقوع التصحيف في بعض الكتب كما قال الاب يوحنّا اليانو وعلى اهتمام هذا الرجل الغيور بقلع ذاك الزوان قبل ان يخنق الزرع الجيّد

ولمّا أنهى الاب اليسوعي عمله في الدار البطريركيّة رأى من الواجب ان يطوف لبنان ويتفقّد كنائسه واديرته ليستطيع ان يُطلع الحبر الروماني على كافّة شؤون الطائفة المارونيّة لتجعل رومية نظرها عليها وتُعنى بمهامّها . قال الدويهي يصف اعمال القاصد الرسولي في انحاء الجبل بما حرفه وهو احسن جواب على من اتّهم الاب اليانو بغايات باطلة كان يبعد عنها مناط الثريّا (ص ٤٤٢) :

وعقيب انفاذ تلك الكتب استأذن جوان باطيشتا غبطة البطريرك في ان يطوف بلاد الموارنة ويفحص كتبهم وعوائدهم فسرّ بذلك البطرك ميخائيل وبعث معه رسالة بخط يده الى

الاساقفة ورؤساء الاديرة وسائر الشعب لكي يقابلوه بما يليق من الاكرام ويقدموا لهُ كل ما يطلبه من الكتب وامر اخاه الاسقف سركيس والقس جرجس بن يونان من ابليح ان يسيرا في صحبته واستمرَّ نحو سنة يطوف الاديرة والكنائس ويطّلع على الرتب والكتب وكان معه لهُ ثلاثة دفاتر يقيّد في الاول ما يراه من الاغلاط ويرقم في الثاني ما ينبغي اشارة البابا فيه وفي الثالث يكتب ما يلتزم الكهنة والعوام تحفُّظهُ . . . وكان البطرك ميخائيل يخاطبه بجوان باطيشتا محبة شديدة لاجل غيرته وطول اناته

فاستغرقت تلك الزيارة الرسوليَّة اشهرًا لم يدع فيها الاب اليانيصغيرة او كبيرة من احوال الطائفة المارونيَّة ألَّا عرفها ثمَّ عاد الى قنُّوبين وشكر السيّد البطريرك على ما ابداهُ من العناية تسهيلًا لقيام بوظيفته . ثمَّ عرض على غبطته وعلى رؤساء الطائفة ان يوقعوا بامضائهم قبولهم باوامر البابا بخصوص الامور التي ذكرها قداستهُ في براءته ففعلوا . وهذا تقريرهم نقلًا عن نسخة مصونة في سجلّات رهبانيَّتنا :

تذكرة في ما أرسل لنا قصّاد سيّدنا البابا الذين حضروا عند حقارتنا في شهر حزيران سنة ١٥٧٨ للتجسد الالهي ونحن نكون حافظين ذلك بغير تهاون بمعونة الله :

اوَّلًا ان يعمّدوا عند ثمانية ايام من ميلادهم وبالضرورة قبل ثمانية ايام ولا يؤخّروا العماد الى بعد الاربعين كحسب عادتهم القديمة

ثانيًا تثبيت الايمان بالميرون بعد ثمانية ام عشر سنين برشمة البطرك ام الاسقف لا غير في جبهته فقط ولا يكون رشمه في اللّبات مثل عادتهم القديمة في المعمودية على يد قس

ثالثًا تكريس الميرون المقدس يكون على يد البطرك ام الاسقف ويكون ذلك في يوم الخميس الكبير وتركيبه من زيت زيتون نقي وبلسم لا غير ويجددوه في كل سنة وايش ما فضل من الدنيق يُحرق

رابعًا لا يعطوا الاطفال القربان عند العماد كعادتهم القديمة لكن يعطوا القربان اذا كمل سنّهم ويعترفون لمعلم (اي معلّم الذمَّة وهو الكاهن) قبل اخذه

خامسًا عند التقديسات تقال : قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا ولا يزيدون عليها شيئًا ولا يقولون : يا من صُلب ولا قام ولا صعد ولا غيره

سادسًا الاكليروس اعني البطرك او المطران والاسقف والخوري والقس والشماس والشدياق يلزمهم السبع صلوات كل يوم

سابعًا ومن وجد امرأته في زنا لا يطلّقها ويأخذ غيرها ولا المرأة تأخذ غيره كعادتهم القديمة بل يفترقون الواحد عن الآخر في مجامعة الفراش وان ندمت المرأة وتابت يقدرون

يرجعون كما الاول . وفي غير ذلك نكون مستمدين حريصين على تكميل الاوامر والله تعالى يعيننا ويساعدنا على تكميل ما رسم الاب اقدس البابا غريغوريوس الثالث عشر والآتين بعده خاتماً بعد خاف كاولاد الطاعة الطائعين لآبائهم وهذا خط بيدي انا الحقير مع المجتمعين معي

انا الحقير البطريرك بطرس في دير قنوبين بطرك الموارنة انا اصدق واثبت جميع ما امر السيد البابا بمثل ما ذكرنا اعلاه

انا الحقير مطران سركيس انا الحقير اسقف جرجس انا الحقير خوري يوحنا

انا الحقير خوري موسى

وكان الزائر الرسولي في اوقات الفراغ يشتغل بتعريب صورة رتبة الميرون وقوانين المجمع التريدنتيني والتعليم الصغير الذي صنّفهُ الطوبوي بطرس كانيزيوس اليسوعي وكتاب المرشد المسيحي للاب لِدِسْما وكتاب الاعتراف والمناولة للاب لويس الغرناطي وصلوات اخرى جزيلة الفائدة

ثمَّ جعل يفكر في جلب الاساقفة والرهبان العُصاة الى الخضوع للسيد البطريرك فلم يرَ طريقاً لذلك اقرب من عقد مجمع ملّي تُعرض فيهِ كل المشاكل لتنظيم احوال الطائفة نظرياً وعملياً فأقنع بذلك البطريرك ميخائيل وابتدأ يُعدّ الموادّ التي يُقتضى التباحث فيها في ذاك المجمع

وكان مع ذلك لا يزال الاب اليانو يكاتب الكردينال كرافّا ورئيسهُ العام الاب مركوريان ويعلمهما بنتيجة اعمال السفارة . ومن جملة ما ارسلهُ مكاتيب من غبطة البطريرك الى الحبر الاعظم والى الكردينال كرافّا ارسلها في نصّها العربي مع ترجمتها فسرَّ قداسة البابا بتلك المعلومات وارسل يثني على همّة قاصده

وبينما كان الابوان اليانو وواجيو يفرغان المجهود في تحقيق نيّات رئيس الكنيسة اذ فشا الطاعون في سواحل الشام فما لبث ان انتشر انتشاراً عظيماً فبقي المرسلان في ريب عمّا يجب عليهما فعلهُ أيعودان الى رومية فيبلّغان شفاهياً الحبر الاعظم ما جرى لهما ام يواصلان عملهما رغماً عن الوباء . وكان السيّد البطريرك يحضّهما على الرجوع لاوربّة لئلّا تصيبهما العدوى فتضيع فائدة رسالتهما . لكنهما لم يريدا ان يسرعا قبل ورود اوامر من رومية في ذلك . وهذا ما جرى فان رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب مركوريان ارسل اليهما الامر ليعودا الى رومية (لهُ بقيّة)

فوائد الحشرات

نظر للاب اسكندر طوران اليسوعي

يروي الكتاب الكريم في سفر التكوين انَّ الله كان اذا انتهى من خلق بعض الكائنات يستحسنها فيراها خيرًا . فيا تُرى هل منْ خير في تكوين هذه الالوف المؤلَّفة من اصناف الحشرات التي هي منتشرة على وجه الارض ؟ فايّ خير مثلًا في هذه الهوامّ غير الحصاة التي يلقاها السائح وسط غابات افريقية الوسطى او في العدد العديد من الافاعي التي تأوي الى مجاهل الهند ؟ او يقال انَّ طائلًا ما تحت البراغيث والبعوض وضروب الذباب وما شاكلها من دبيب الارض والهواء والماء التي تسطو على المزروعات وتمتصُّ لباب الاثمار وتقرض جذور النبات كالسوس والديدان والجراد والفيار كثيرا وكلُّها شهيرة بمساوئها وفسادها ؟

فماذا نقول انسأم بشرور الحشرات مباشرةً فنلوم الخالق على صُنعها ؟ كلَّا ثمَّ كلَّا . لكنَّ جوابنا يستدعي صرف نظرنا الى طبقات اعلى من هذه الارض الدنيا ميدان جهاد المخلوقات وساحة الوغى بينها جمعاء .

خلق الله الانسان قابلًا للكمال طالبًا للرقي بما اعطاهُ من القوى العقليَّة على خلاف البهائم التي لا تتجاوز غريزتها الطبيعيَّة لحفظ نوعها وصلاحها او تألف اذا كانت داجنةً ما يلقّنها الانسان لمنفعته الشخصيَّة . وبديهي ان الحاجة هي تضطرّ الانسان العاقل الى طلب الوسائط وتؤدي بهِ الى الاكتشافات النافعة فجهادهُ في سبيل الحياة يفضي بهِ الى الانتصار من العوائق ويكسبهُ ثواب تعبهِ وكما انَّ الارادة تقوى بالعزم وتشتدّ بالجهاد اليومي ضدّ صوارف الحياة كذلك العقل يرتاض ويتّسع عند بحثهِ عن الوسائل الكافلة بادراك الغاية وتذليل المصاعب التي تحول دونها

فلو افترضنا انَّ غلّات الفلّاح في مأمن من الفيران والسوس وحشرات اخرى تعيش من قرض الحبوب وانَّ الكرّام لا خوف لهُ من الهوامّ التي تألف الجفنة وتفسد ثمرها وانَّ المسافر او النائم مطمئنّ البال من ضرر كل حيوان لاستسلم الانسان الى الدَّعة وضعفت عزيمتهُ لعدم الارتياض وفترت همّتهُ التي تزداد قوةً

بتوطئة الامور وتمهيد المسالك الوعرة كما ينتقض حبل صبره ويتلاشى جلده لعدم وجود ما ينشط عقله ويقهر ارادته

ثمَّ ان الحشرات في ذاتها لا تنوي الضرر بل تطلب صلاحها فاذا تعرَّضت للنبات او للغلَّات او لجسم الانسان والحيوان لا تريد بذلك الاذى وانَّما تريد حفظ كيانها ونوعها بما يصلح لها من القوت. كما انَّ الحيَّات والضواري لا تثور على الانسان الَّا لكونها تجد منهُ عدوًّا لها او لصغارها . فينبغي على الانسان ان يأخذ حذره من الهوامّ السامَّة والحيوانات الضارية ويطلب الوسائط الفعَّالة ليصون نفسهُ وماله من تلك الهوامّ التي تعيث في غلَّاته او تناوئ جسمهُ لتمتصّ دماءهُ

ومن المعلوم انَّ الحيوانات على اختلاف اجناسها حتى الحشرات والافاعي والسباع تجد في حياتها ما هو ضنين لسعادتها على خلاف الانسان الذي لا يشبع قلبهُ من خيرات هذا العالم مهما توفَّرت لديهِ الملذَّات . افليس هذا دليلًا ساطعًا على انَّهُ ليس من نسل القرود على زعم الدروينيين وانَّ لهُ ما خلا جسدهُ نفسًا حيَّة روحانية خالدة. فاذا ساورتنا الهوام وامرَّت عيشنا الحشرات ذكَّرتنا بهذه القضية لنفطن الى سعادتنا الحقيقية

ولعلَّ هذا الجواب الاوَّل لا يُقنع كل احد فيدركهُ فقط الرجل الروحاني. ولكن دونك جوابًا آخر يُدركهُ كل رجل عاقل يعتقد وجود الله

انَّ من يسرح ابصارهُ في مخلوقات الكون لا يتمالك من الانذهال لما يراهُ فيها من العجائب التي تفتن العقول في المواليد النباتيَّة من حيث صورها واشكالها وزهورها واثمارها . وليست المواليد الحيوانيَّة دونها جمالًا وغرابة . فان كان جسد الانسان يقضي الاطبَّاء العجبَ من حسنهِ وتركيبهِ . فلنا ايضًا في ضروب الحيوانات ما يحملنا على تسبيح خالقها . ولعلَّ الهوامّ والحشرات الصغيرة تظهر حكمة خالقها وقدرتهُ اكثر من الحيوانات الكبيرة بما يُرى فيها مع دقَّتها من النظام العجيب ومن اختلاف الاشكال وتباين الاخلاق والغرائز حتى اذا رآها مجموعة في متاحف الحيوانات او في خزانة ارباب الطبيعة لم يتمالك عن العجب وتسبيح الخالق فيهتف مع الشاعر :

فما عجبًا كيف يُعدي الالـهَ ام كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفي كلِّ تحريكةٍ وفي كل تسكينةٍ شاهدُ

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ تدلُّ على انهُ الواحدُ

*

ثم انَّ لهذه الهوامّ التي لا يقوى على عدّها احصاء فائدةً أخرى عمومية تنظمها في دائرة الكون الطبيعي وتجعلها حلقةً من حلقاتهِ. وذلك انَّ عالمنا الهيولي في تقلُّب دائم لا تهدأ حركتهُ فتتحوَّل العناصر الجامدة والمعادن الى النبات ويتحوَّل النبات الى الحيوان ثم يعود الحيوان بعد موتهِ فيغذي النبات ويموت النبات فيعود الى التراب. ففي هذه الحركة المتواصلة الحشرات والهوامّ الدقيقة منفعةٌ لا تُنكَر فانها كل يوم تخصب الطبقة الزراعيَّة من التربة وتجديها من القوَّة الغذائيَّة ما لا يقوم بهِ السماد المعدني الذي يطرحهُ اربابُ الفلاحة في زماننا فانَّ منفعة السماد الكيموي تتوقَّف خصوصاً على امتزاجهِ بالتربة الزراعيَّة المعروفة بالثرى (humus) المتكوِّنة من بقايا الحيوانات ونفاية النباتات. فترى كيف يتمُّ هذا الدور العجيب مباشرةً بالتربة التي تستعين بالعناصر الجوِّيَّة فتحيي الزرع وتنمي النبات والنباتُ يغتذي منهُ الحيوان ذو الفقرات والهوامّ الصغيرة معاً ثمَّ يقوم الانسان ملك الكون فينال حاجتهُ من النبات والحيوان وفي آخر الامر تعود تلك المادَّة الى عنصرها المعدني بواسطة الهوامّ وخشاش الارض غالباً وهكذا تُقفل تلك الدائرة العجيبة التي لا تهدأ حركتها ابداً

فالحياة كما ترى تنال قوامها من الجماد ويمكنها ايضاً ان تغتذي من الحي. فانَّ الهامَّة الصغيرة تمتصُّ الثمار وترعى الغلات والمزروعات وهكذا تنمو وتتوفَّر. الَّا انَّ الطير يحتاج ايضاً الى غذائهِ فيلتهم تلك الحشرات المنبثَّة في الهواء والديدان الدابَّة على الارض. لكنَّ للطير ايضاً عدوَّهُ فالبغاث منهُ تفترسهُ الزحَّافات ثمَّ تأتي الجوارح فتقطع الزحَّافات ارباً فتأكلها. ولا تأمن الجوارح والسباع من اعداء تنال منها فيرميها الانسان برصاصهِ فتصبح طعاماً لدوابّ الارض وهمجها وخشاشها حتى ذرَّات النمل. فترى انَّ العالم كمائدة تتركَّب من فرائس ومفترسين يتناوب المفترسون في طلب غذائهم حتى اذا وجدوهُ اصبحوا طعاماً لغيرهم. واثمَّا النبات اوَّل ما يُضحَّى في هذا المجزر لكنَّها هي ايضاً آخر من ينتفع من بقايا المائدة وفتاتها

وهذه المنفعة العموميَّة ليست الخدمة الوحيدة التي تؤديها الهوامّ والحشرات

لكنَّ لها منافع أخرى خاصَّة لا يُنكَر فضلها ينصُّ عليها ارباب الطبيعة

*

بيَّنا لك في مقالات سابقة فضل النَّحل وما ينالهُ الانسان من عسلها وشمعها وبديهيٌّ ان النحل هوامٌ صغيرةٌ عديدة الاجناس تُرى في كل اقطار المعمور ينمي الناس حُماها رغبةً في محاصيلها

او ليس الحرير من مصنوعات الهوامّ ؟ على اننا لا نعرف في بلادنا الَّا صنفاً واحداً من دود القز الذي اصلهُ من الشرق الاقصى وانَّما يوجد اصناف أخرى من الدود تصطنع خيوط الحرير منها صنف في جزيرة مدَغشكار يُتَّخذ لمابها الحريري المتين لنسج الثياب

ثمَّ انظر القرمز الذي يُتَّخذ للصبغ والتصوير فانَّهُ يُستخرَج من جثث عدَّة هوامّ من فصيلة دوديَّة يدعونها دودة القرمز ولا سيما من ضربٍ منها يعيش على الصَّبِّير واصلهُ من بلاد المكسيك فتقارهُ منها الى البلاد الحارَّة

وكذلك الذَّرانيح (cantharides) فانَّها دويبة حمراء منقَّطة بسواد طيَّارةٌ وهي سامَّة لكنَّ الاطباء يتخذونها كنفاطات ويدعونها ذُباب ميلانو (mouche de Milan)

والفلاحة عينها أليست تنال حصَّتها من فضل الهوامّ . فان وجد الفلَّاحون في بعضها أذًى فكم في غيرها من خير ولو حكم ارباب الفلاحة حكماً منصفاً لرأوا ان خير بعض الحشرات يزيد على ضيرِ سواها . منها الهوامّ المتساوية الاجنحة (hyménoptères) من الفصيلة النحليَّة (les apiens) لشبهها من النحل البيتي فانَّها من أجدى الهوامّ نفعاً لانَّها اذا جنت الزهور من النباتات والاشجار القحتها واهلتها لوضع بزورها وثمارها

وكل يعلم انَّ في الزهرة قسمين المدقّ (pistil) والطَّلع (étamine) يتَّفقان في تلقيح المبيض ووضع الثمر . وفي الطَّلع غبرةٌ دقيقة يدعونها لقاح الزهور (pollen) فهذا اللقاح لا غنى عنهُ لاستثمار الزهور فاذا نفذ الى مبيض المدقّ اثمرهُ

فمن يا تُرى يكون الوسيط لنقل هذا اللقاح من زهرة الى اخرى ومن الطَّلع الى المدقّ ؟ ذاك الوسيط غالباً هي الهوام من فصيلة النحل فانَّها اذا جنت الزهر من

الاشجار المثمرة والبقول وغيرها لصنيع العسل تصيب من مادّة لقاحها شيئاً كثيراً فينفذ جسمها في الطَّلع ويتمرَّغ في تلك المادّة الملقِّحة ثمَّ تنتقل لعملها من شجرة الى اخرى ومن نبات الى آخر فاذا مسَّت مدقّ الزهور في تلك الشجر او ذاك النبات نال حاجتهُ من اللقاح واصبح مثمراً بفضل النحلة. وهو امر لم يَخفَ على ناصبي الاشجار المثمرة ولذلك يسعون باستحضار خلايا للنحل في حدائقهم. وما هو شائع عن النَّحل البيتي يتمّ ايضاً بواسطة هوامّ اخرى من جنس النحل تحقَّق العلماء افادتها لتلقيح البقول والحبوب كالحنطة والشعير. وممَّا تبيَّنهُ اهل ازمير بالاختبار انَّ تينهم الشهير الفاخر انَّما يجود بفضل هامَّة خصوصيَّة تلقّحهُ هناك

ثمَّ بين الهوام جنس عديد الاصناف يلحقونهُ بالحشرات المتطفِّلة يُدعى الخنومون (ichneumons) معظمُ سعيهِ في اتلاف ذراريّ الحشرات الضارَّة. ومنها يتَّضح انَّ الحشرات التي تقرض الحبوب فتفسدها لها ايضاً اعداؤها المتسلِّطة عليها كأنَّ الله جعل الدواء بقرب الداء. وقلَّما تجد ارضاً يعيث السوس في غلَّاتها الَّا تجد نوعاً من الاخنومون يسعى في قتالها. وللسنابل عدوَّان صغيران يفسد الواحد ساقها ويتعرَّض الآخر لحبوبها. وكذلك نوعان من الاخنومون يناجزانها القتال فالواحد يتفقَّد السنبلة زهرةً فزهرةً فاذا وجد العدوَّ سلَّط عليهِ بيضةً من بيضهِ فتلتهمهُ دودتهُ والآخر يرصد مجرى الساق فاذا شعر بوجود السوس انفذ بيضةً الى داخلهِ فلا يدع عدوًّا يفلت منهُ اذا وجدهُ. وما نقولهُ عن الحنطة يُقاس عليها نباتات أُخرى كثيرة تُصبح كساحة وغىً بين الحشرات الضارَّة والنافعة

كذلك بين الهوام نوع من الذباب ذو جناحين فقط يُرى منتشراً في كل اقطار المعمور بعدد لا يعرفهُ الَّا الله. وهذا الذباب يحوم حول كل النبات بل يدوّم حول كل الاجسام ولا سيما نفاية النبات والميت من الحيوان؟ فان قلت وما الفائدة من كل هذه الحشرات او يمكن ان يقال انَّ لها نفعاً ما. أجل انها تُفيد فائدتين الفائدة الاولى كونها طعاماً لعدَّة طيور كالخطَّاف مثلاً الذي يصطاد منها الالوف في طيرانهِ وكالبلبل الذي يقيت بها صغارهُ وضروب أُخرى من الطير تجد فيها قوتاً حاضراً اعدَّهُ الخالق لسدّ جوعها. امَّا الفائدة الثانية فأعظم واخطر وهي ملاشاتها لبقايا الحياة الفاسدة التي تحلَّلت بالموت وانبعثت منها الروائح الكريهة والجراثيم المنتنة. ولولاها لأصبحت

شفيعة الرهبانية اليسوعية

للرهبانية اليسوعية ١٣ قديساً قد ادرجت الكنيسة اسماءهم في سجل اولياء الله. بينهم ثلثة شهداء في اليابان ولها ٩٠ طوباوياً منهم ٨٦ شهيداً ولها ٨١ مكرماً منهم ٦١ شهيداً اثبتت الكنيسة سمو فضائلهم

الارض منجم كلّ الاوبئة . فخلقت العناية الالهية هذا الذباب لتنقية الهواء من عُدواها . وهي تتناسل بسرعة غريبة وتنمو نموًّا لا يقوم باحصائهِ حساب حتى ان الطبيعي لينه (Linné) امكنهُ ان يقول بكل صحّة انّ ثلاثاً من الذباب تكفي للاشاة جثّة فرس بزمن اسرع من زمن افتراس الاسد لها . لانّ تلك الذباب الثلاث تتناسل فتتسلّط صغارُها على جثّة الحيوان ولا تلبث تلك الصغار ان تتناسل هي ايضاً وبعد ايام قليلة اذا مررت في مكان الجثّة رأيتَها مجرَّدة من كل لحمها واعضائها لم يفضل منها الّا هيكلها وشعرها وكل الباقي قد افناهُ الذباب

فترى من ثمَّ ما للذباب من العمل المفيد . واذًا نحن لا نعرف منها الّا جنسها المؤذي مع كونها اصنافاً عديدة وصلاحها يغلب على اذاها . لاسيما اذا اعتبرنا انّ الذباب لا يولّد الفسادَ لكنّهُ يتلافاهُ ويزيلهُ فاذا حصل في مكان فساد او نتن ترى الذباب من ساعتهِ يسرع اليهِ ويضع على الجسم الفاسد مئين من بيضهِ فينفقف البيض بعد قليل بل تكون المواليد حيّةً في بعض الاجناس فهذه الذراري تجلس على تلك المائدة التي تعدُّها لنفسها فاخرةً فتغتذي منها وبعد قليل لا يبقى لتلك المادّة الفاسدة من اثر ويعود الجوّ الى صفائهِ بعد فسادهِ بروائح ذلك الجسم الوبئ

وليست الذبابة وحدها تشتغل بتطهير الجوّ من جراثيمهِ الفاسدة وانّما يوجد ايضاً حشرات أُخرى لتنظيف ارضنا من اقذارها ولا سيما بعض ضروب الخنافس المعروفة بالجُعلان (bousiers) التي يتقذّر منها الناس كما يتقذّرون من منظّفي المراحيض وحافري القبور ولو أنصفوا لعرفوا فضل من يقوم بهذه الاعمال المستكرهة التي لا يُستغنى عنها . وكذلك للجعلان خدَم مشكورة مع ما يلحق بها من الوخامة

والجعلان طوائف تتقاسم تنظيف الاوساخ كما يتقاسمهُ في المدن الناس الموكولة اليهم نظافة البلد فمنها لنزح الكُنُف ومنها للكناسة ومنها لدفن الموتى كلّ على حسب مهنتهِ . وقد درس المسيو فابر (Fabre : *Souvenirs Entomologiques*, Ve *Série*) اخلاق هذه الانواع كلها درساً طويلاً مدقّقاً ويقضي منها العجب لما تؤدّيهِ من الخدم . وهو يباشر بوصف اصحاب الكناسة ونزح الحشوش فيصف عملها بما نذكر هنا خلاصتهُ قال : لا يكاد يسقط على الارض روث حيوان او بَعر غنم او عَذرة بشر وما شاكلها الّا ترى حالًا عددًا عديدًا من الجعلان الكبيرة

والصغيرة تتهافت عليها فضلاً عمّا يحوم فوقها من الذباب لعلمها بما في تلك المقاذير من الطعام وقد استدلّت عليها بحاسّة الشمّ . ولو عاينتها ربع ساعة فقط بعد براز الحيوان لرأيت منها ما يذهل نظرك بكثرة عددها وضروب اشكالها واختلاف الوانها وتبايُن حجومها . اوّلها الخنفسة السوداء التي كان المصريون يعبدونها منذ خمسة آلاف سنة واكثروا من رسومها في مدافنهم القديمة . ثم ابو جعران (copris) المسودّ اللون ايضاً المخطّط الاجنحة العلاقيّة وفي وسط جبينهِ قرنٌ طويل وهو ايضاً من معبودات المصريين المعظَّمة كالخنافس . ومنها الخنفسة الحفّارة التي يُرى اسفل جسمها لامعاً صقيلاً كالشَّبه وهناك اصناف اخرى عديدة تمتاز بخواصّها فهذه مغبرّة وتلك سمراء وبعضها مفضّضة الاجنحة . ومنها ما هو مقرَّن بقرن واحد او بقرنين يكونان في اعلى قائمتيها . فكل هذه العُصَب تُقبل على العمل فتحفر لها اسراباً تخزن فيها المؤونة لصغارها وتُسرى بَيْضها عليها لتجد ساعةَ نَفْقها طعاماً مهيّأً . ومنها ما لا يخزن قوتاً وانّما يُقيّم الزبل ويفتّتهُ وبذلك تزول روائحهُ الكريهة . امّا الخنفسة إلهة المصريين فانّها تأخذ قِطَعاً من السرقين فتُدَمّكها وتكتبها ثمّ تدفنها وتدحرجها الى مكان بعيد حيث تطمرها

ومنها ضروبٌ شأنها طمرُ الغائط البشري فتعمد الى المَذرة وتدفنها تحت التراب فاذا مررتَ بعد ساعات قليلة لا تجد غير آثار الارض المحفورة حديثاً فهناك خزانة طعام تلك الجعلان التي ستَرت عن العيان ما يشمئزّ منهُ النظر او تستكرهُ رائحتهُ

ومن جملة الجعلان التي تُعنى بالنظافة العمومية صنفٌ همّتهُ الجثث الميتة فيدعى لذلك بدافن الموتى (nécrophores) فهؤلاء لا يتقوّتون بالموادّ القذرة وانما يكتفون بدفن ما يجدونهُ من الاجسام الميتة ثم يجلون عليها بيضهم . وهم يقصرون نقوبهم على خشاش الحيوان كالحشرات والدود وبغاث الطير والزحّافات وسوامّ ابرص فاذا استدلّوا بحاسّة شمّهم العجيب على وجود شيءٍ منها تسارعوا اليها لينالوا منها رزق اولادهم . واذا بلغوا مكان الميت راقبوا الارض حولهُ ثم جعلوا يحفرونها تحتهُ وعلى جانبهِ بحيث يتحدّر الميت بثقلهِ الى عمق يبلغ نحو ٢٠ سنتمترًا ثم يغطّونهُ بجرْف التراب المحفور . فبعد قليل تنحلّ الجثة وتفسد في الارض وبذلك تصبح

اكلاً طيباً لمواليد تلك الجملان التي تتنعم بتلك المآكل الى ان تبلغ تمام نشأتها فتخرج حشرات كاملة لامعة ذات الوان زاهية ناصعة ليس عليها اثر من المواد الكريهة التي كانت تتقلب في وسطها وتقتات فيها

فلا يجسر اذن احد ان يلوم الخالق على صنعهِ الحشرات . فما للمرء حقٌّ بان يطالب الله على تكوينهِ الهوامَّ الضارَّة كما لا يطالبهُ على صنعهِ ذاك العدد العديد من الحشرات النافعة . فانَّ الله صنع كل شيءٍ بحكمة وما نرى فيهِ نحن ضرراً يرى فيهِ غيرنا نفعاً ومن القى بنظرهِ على المخلوقات جمعاء وجد في سياقها وعددها واختلاف غرائزها نظاماً عجيباً يسبي العقول بحسن ترتيبهِ . فان كان بينها بعض الكائنات يتأذى منها الانسان فذلك امر عرضي وتلك المخلوقات لا تقصد ضررنا وانما تقصد صلاح نفسها وسعادتها اذ ليس لها على الارض غاية سوى الحصول على هنائها الزمني ولا رجاء لها في حياة أخرى . فعلى الانسان العاقل ان يتروّى في خصائص الحيوان ويستفيد من غرائزهِ واخلاقهِ لمصالحهِ . فان عجز احياناً عن ذلك ورأى في الحشرات أذىً لنفسهِ فعليهِ ان يفتكر في غاية كيانهِ على الارض التي ليست هي السعادة الزمنية الزائلة كالبهائم وانما هي سعادة ابدية ينبغي عليهِ ان يرشح نفسهُ لها بالجهاد وممارسة الفضيلة لاسيما الصبر على اوجاع هذهِ الحياة

البيّنات الكتابية

في انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً

نظر لاهوتي للاب شرل ايلا اليسوعي

جرت حديثاً في حمص بين كاهنين احدهما روم ملكيّ كاثوليكي حضرة الاب اغناطيوس عبّود من اساتذة مدرسة الآباء اليسوعيين والآخر روم ارثوذكسي حضرة الخوري عيسى اسد مدرّس الدينيات في المدارس الارثوذكسيّة بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فحمي وطيس الجدال بين المناظرَين وتبَدَّى رأيهما فطُبعت في ذلك كراريس ولوائح نُشرت بين الجمهور ادَّعى فيها الارثوذكس الظفر بمناظرهما مع انَّ حضرتهُ وضع جائزةً جديدة من يأتيهِ بجواب على هذا

اكلاً طيباً لمواليد تلك الجملان التي تتنعم بتلك المآكل الى ان تبلغ تمام نشأتها فتخرج حشرات كاملة لامعة ذات الوان زاهية ناصعة ليس عليها اثر من المواد الكريهة التي كانت تتقلب في وسطها وتقتات فيها

فلا يجسر اذن احد ان يلوم الخالق على صنعهِ الحشرات . فما للمرء حقٌّ بان يطالب الله على تكوينهِ الهوامَّ الضارَّة كما لا يطالبهُ على صنعهِ ذاك العدد العديد من الحشرات النافعة . فانَّ الله صنع كل شيءٍ بحكمة وما نرى فيهِ نحن ضرراً يرى فيهِ غيرنا نفعاً ومن القى بنظرهِ على المخلوقات جمعاء وجد في سياقها وعددها واختلاف غرائزها نظاماً عجيباً يسبي العقول بحسن ترتيبهِ . فان كان بينها بعض الكائنات يتأذى منها الانسان فذلك امر عرضي وتلك المخلوقات لا تقصد ضررنا وانما تقصد صلاح نفسها وسعادتها اذ ليس لها على الارض غاية سوى الحصول على هنائها الزمني ولا رجاء لها في حياة أخرى . فعلى الانسان العاقل ان يتروّى في خصائص الحيوان ويستفيد من غرائزهِ واخلاقهِ لمصالحهِ . فان عجز احياناً عن ذلك ورأى في الحشرات أذىً لنفسهِ فعليهِ ان يفتكر في غاية كيانهِ على الارض التي ليست هي السعادة الزمنية الزائلة كالبهائم وانما هي سعادة ابدية ينبغي عليهِ ان يرشح نفسهُ لها بالجهاد وممارسة الفضيلة لاسيما الصبر على اوجاع هذهِ الحياة

البيّنات الكتابية

في انبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً

نظر لاهوتي للاب شرل ايلا اليسوعي

جرت حديثاً في حمص بين كاهنين احدهما روم ملكيّ كاثوليكي حضرة الاب اغناطيوس عبّود من اساتذة مدرسة الآباء اليسوعيين والآخر روم ارثوذكسي حضرة الخوري عيسى اسد مدرّس الدينيات في المدارس الارثوذكسيّة بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فحمي وطيس الجدال بين المناظرَين وتبَدَّى رأيهما فطُبعت في ذلك كراريس ولوائح نُشرت بين الجمهور ادَّعى فيها الارثوذكس الظفر بمناظرهما مع انَّ حضرتهُ وضع جائزةً جديدة من يأتيهِ بجواب على هذا

البرهان البسيط المبني على قول الرب في انجيل يوحنا (١٦: ١٤): « هو (اي الروح القدس) يمجّدني لأنّه يأخذ ممّا لي ويخبركم ». وهذا هو البرهان :

(الكبرى) انّ ما اخذهُ الروح القدس امّا ان يكون الطبيعة الالهية او شيئاً خلافها

(الصغرى) والحال انّ الروح القدس لم يقدر ان يأخذ غير الطبيعة الالهيّة

(النتيجة) اذاً الروح القدس اخذ من الابن طبيعتهُ وبكلام آخر هو منبثق منهُ

فلا يزال حتّى الآن ينتظر صاحب القياس الجواب القاطع على هذا البرهان ونظنّهُ برهاناً شافياً لا يمكن دحضهُ. وجذه النسبة اردنا ان نذكر هنا الآيات الكتابيّة التي يؤخذ منها ماخصّ ثلاث بيّنات واضحة على انبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقهِ من الآب وهي نبذة موجزة ترقّيها الى قرّائنا لوقوع اعياد الروح القدس في هذه الايّام وتذكّرهم بمقالة مطوّلة نُشرت في المشرق في السنة ١٩٠٦ (٩: ٥٢٢ – ٥٣٠) تحتوي بجمل تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة في الروح القدس وعيد العنصرة

﴿ البينة الاولى ﴾ : جاء في اعمال الرسل (١٦: ٦–٧): « وبعد ان طافا (اي بولس وتيموتاوس) فريجية وغلاطية منعهما الروح القدس ان يبشّرا بالكلمة في آسية. ولمّا اتيا الى ميسية حاولا ان يسيرا الى بيثينية فلم يأذن لهما روح يسوع ». وقال القديس بولس في رسالتهِ الى اهل رومية (٨: ٩–١١) : « امّا انتم فلستم في الجسد بل في الروح ان كان روح الله حالّاً فيكم ولكن ان كان احدٌ ليس فيهِ روح المسيح فهو ليس منهُ . وان كان المسيح فيكم فالجسد ميتٌ من اجل الخطيئة امّا الروح فحيٌّ من اجل البرّ . وان كان روح الذي اقام يسوع من بين الاموات حالّاً فيكم فالذي اقام المسيح من بين الاموات يُحيي ايضاً اجسادكم المائتة من اجل روحهِ الحالّ فيكم ». وقال ايضاً في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٤: ٦): « بما انكم ابناء ارسل الله روح ابنهِ الى قلوبكم داعياً ابّاً ايها الآب ». وكذلك في رسالتهِ الى اهل فيلبي (١: ١٩) : « اعلَمُ انّ هذا يؤول الى خلاصي بصلاتكم وباعانة روح يسوع المسيح »

فمن هذه النصوص تفهم ان الروح القدس يُدعى في الكتاب الشريف روح الابن وروح المسيح كما يُدعى روح الآب وروح مقيم يسوع من الاموات على حدٍّ سواء. وقد يُسمّى روح الاقنومين في الآية الواحدة. وليس لهذه التسمية وجهٌ صوابيٌّ غير انبثاق الروح من الابن كما ومن الآب فكما انّهُ لا يُدعى روح الآب (١ الّا

---

١) اطلب مت ١٠: ٢٠

لأنّهُ صادرٌ عنهُ كذلك سُمّي روحَ الابن لأنّهُ منبثقٌ منهُ. والحقّ يقال انّهُ لا بدّ من نسبةٍ تقوم بين الروح والاقنوم الذي هو روحهُ والّا كانت التسمية في الكتاب العزيز مجانيّةً بلا اساس يدعمها. والحال انّهُ ليس في الثالوث نسبة تُنيط اقنوماً باحد الآخرَين سوى نسبة الاصدار والصدور اذ بها وحدها يتميّز الثلاثة بعضهم عن البعض. وممّا يؤيد برهاننا هذا وجه الشبه في تسمية الروح القدس فما وُسِمَ بهذا الاسم الّا تشبيهاً لاصداره بالتنفُّس والتنهُّد فقد دُعي روحَ الاب لانّهُ يصدرُ عنهُ كما يصدرُ النفَس عن التنفّس وعلى هذا الوجه ايضاً يصدرُ عن الابن. وقد رمزَ سيّدنا يسوع المسيح الى هذا انبثاق الروح القدس منهُ عشيّة قيامتهِ اذ جاء في وسط الرسل « ونفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس. » (يو ٢٠: ٢٢).

قال القديس اوغسطينوس (١: « سمعتَ الربَّ ذاته يقول: لستم انتم المتكلّمين لكنّ روح ابيكم هو المتكلّمُ فيكم. وسمعتَ ايضاً كلام الرسول: أرسل الله روحَ ابنهِ الى قلوبكم. فهل ثمّت روحانِ واحدٌ للآب وآخر للابن؟ حاشا ... فكما انّ الآب واحدٌ والرب اي الابن واحد (١ كور ٨: ٦) كذلك الروح القدس واحد فهو اذن لكليهما ... فلِمَ لا نؤمن ان الروح القدس منبثقٌ ايضاً من الابن لانّهُ هو روح الابن ايضاً. ولو لم ينبثق منهُ لمّا كان اذ ظهرَ للرسل بعد قيامتهِ نفخَ فيهم قائلاً: خذوا الروح القدس اذ ليس لهذه النفخة من معنى لو لم يكن الروح القدس منبثقاً منهُ ايضاً »

ولم ينفرد اغوسطينوس في هذا التفسير للنصوص الكتابيّة المذكورة فقد اجمع على تفسيره أئمة الكنيستين الغربية والشرقيّة منهم ثرما اللاهوتي (٢ وفُلجنسيوس (٣ ولاون الكبير (٤ وكيرلّس الاسكندري (٥ وغريغوريوس النيصصي (٦ واثناسيوس

---

١) اطلب تفسيرهُ ليوحنّا In Joan. tract. 99, n. 6, 7. (*Migne*, P. L. vol. 35, col. 1888)

٢) الخلاصة ضد الامم ك ٤ ف ٢٤

٣) كتابه في الايمان الى بطرس ف ١١ ع ٥٣ — (مين ٦٥: ٦٩٦)

٤) كتابهُ في العظة ٧٥ ف ٣. (مين ٥٤: ٤٠١)

٥) شرحه انجيل يوحنا (١٥: ٢٦و٢٧). (مين ٧٤: ٤١٨ وما يلي)

٦) العظة ٣ في الصلاة الربيّة. (مين ٤٤: ١١٤٧)

ومما عُلِّق هذا على النصوص الكتابيّة التي ذكرها اغوسطينوس الشرح الآتي (١: « ليس الروح مولودًا منهُ (اي من الابن) وحاشا ان نقول للروح مخلوقاً. على اننا فهمنا من الكتب المقدّسة انّهُ نفخهُ ابنُ الله وان ينبوع الروح هو ابن الله. »

وعبثاً يعترض على هذه البيّنة الاولى البعض من اخواننا المنفصلين قائلين : « ينبثق الاقنوم الثالث من الآب. والحال انَّ للآب وللابن جوهرًا واحدًا. ولهذا السبب وحدهُ جاز للكتب المقدسة ان تُسمّي الاقنوم الثالث روحَ الابن كما وروح الآب. فلا يحقّ اذًا لكم ان تستنتجوا من هذه التسمية انبثاقَ الروح من الابن ». فلو صحَّ هذا التعليل لجاز لنا ان نقيس عليهِ البرهان الآتي: « يولد الاقنوم الثاني من الآب. والحال ان لهذا وللروح القدس جوهرًا واحدًا . ولهذا يجوز لنا ان ندعو الكلمة ابن الروح كما وابن الآب». وغنيٌّ عن البيان انَّ هذا الاستنتاج الاخير فاسدٌ فهو ايضاً كذلك في تعليل المعترضين

فلسنا نرى موضعاً واحدًا في الاسفار المنزلة يُدعى فيهِ الكلمة ابن الروح وبالعكس قد رأينا مواضع كثيرة سُمّيَ فيها الاقنوم الثالث روح الابن. فكما ان الكلمة دُعي ابن الاقنوم الاول لانّهُ مولودٌ منهُ كذلك لا وجه لتسمية الاقنوم الثالث روح الابن سوى كونهِ منبثقاً منهُ

(البيّنة الثانية) قال الربّ (يو ١٥: ٢٦): « ومتى جاء المعزّي الذي أُرسلهُ اليكم من عند الآب روح الحقّ الذي من الاب ينبثق فهو يشهد لي ». وايضاً (يو ١٦: ٧): « ان في انطلاقي خيرًا لكم لاني ان لم انطلق لم يأتكم المعزّي ولكن ان مضيتُ ارسلتهُ اليكم ». فهاتان الآيتان تدلّان على انَّ الروح القدس لا ينبثق من الآب فقط كما توهّم فوطيوس(١ بانياً زعمهُ على تتمّة الآية الاولى(يو ١٥: ٢٦) ولكن ينبثق من الابن ايضاً. فانك تتبيَّن من كلا الآيتين انَّ الإبن مرسِلٌ والروح مرسَلٌ. وعليهِ نقول :لا بدَّ للمرسِل من مزيّةٍ ما على المرسَل والّا كانت الارساليّة اسماً بلا مسمًّى وصفةً بلا اساس في الحقيقة. فماذا عسى تكون مزيّة

١) في الثالوث والروح القدس ع ١٩ –(مين ٢٦: ١٢١٣– ١٢١٤) – اطلب ايضاً رسالته الاولى الى سيرابيون ع ٢٠ و ٢١ و٢٦ – (مين ٢٦: ٥٧٥ و٥٧٩ و٥٨٦)

٢) مع انّهُ ليس في التتمة المذكورة اداة حصر تدل على انَّ الانبثاق من الاب وحده

المسيح على الروح القدس. لعمرك ليست هي مزيّة الرئيس على المرؤوس ولا مزية الاكبر على الاصغر تعالى الاقنوم الثالث عن ان يكون إحطّ شأناً من الثاني فما بقي اذاً الّا ان تكون مزيّة الباثق على المنبثق

وبعبارة اخرى انّ الارسال يقتضي امرَين: ان يتميّز المُرسَل عن المُرسِل ثمّ ان يبثّ هذا مشيئتهُ لذاك. امّا المشيئة فهي في الثالوث واحدةٌ لا تتعدّد بل هي هي الجوهر الالهي عينهُ لا تختلف عنهُ وهو وحيدٌ فردٌ على ما تعلم. وعليهِ لا يتأتّى التمييز بين المُرسِل والمُرسَل عن تمييز المشيئة فيهما فما بقي الّا انهُ يتأتّى عن كون المرسَل صادرًا عن المُرسِل فاذا اخذ منهُ الجوهر اخذ ايضاً المشيئة فيتبانهما اذاً

(البينة الثالثة) قال الخاص لاسمه السجود (يو ١٦: ١٣—١٥): «متى جاء ذاك روح الحقّ فهو يُرشدكم الى جميع الحقّ لانهُ لا يتكلّم من عنده بل يتكلّم بكلّ ما يسمع ويُخبركم بما يأتي. هو يمجدني لانهُ يأخذ ممّا لي ويُخبركم. جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلت لكم انهُ يأخذ ممّا لي ويخبركم».

وعليهِ فان الروح القدس يأخذ ممّا الابن ويخبرُ الرسل. واذا امعنتَ النظر في سياق الكلام تبيّن لك معنى الفقرة الحقيقيّ. وهو انّ الروح القدس يبوحُ الى الرسل بذاك العلم الالهي الذي اخذه ولا يزالُ يأخذهُ منذ الازل عن الابن فهو ايضاً علمٌ الهيٌ مستقرّ في الروح كما وفي الابن. والحال انّ العلم الالهي المستقرّ في الروح هو هو جوهره الالهي لا يختلف عنهُ بشيءٍ ومن ثمّ يكون الروح القدس آخذاً جوهرهُ عن الابن فهو اذن منبثقٌ منهُ

وزد على ذلك انّ السيد المسيح ذاتهُ في الكلام المرويّ لهُ انفاً فسّر الفقرة التي نحن في صددها. قال: «جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلتُ لكم انهُ يأخذ ممّا لي ويخبركم» فكأنهُ بالحقيقة قال: لا تتعجّبوا من قولي انّ الروح يأخذ ممّا لي ويخبركم فقد علمتم مما قدّمتُ لكم (يو ١٥: ٢٦) انّ الروح القدس ينبثق من الآب فيأخذ مما لهُ جوهرًا وقداسةً وعلماً الخ. والآن اقول لكم انّ جميع ما للآب فهو لي ولذلك فلي كما وللآب بثقُ الروح واصدارهُ وممّا لي ايضاً كما وممّا للآب يأخذ الروح ويُخبركم. ولا تنافي هذه مشاركة الاقنومين الاوّلين في بثق الثالث كونهما متميزين الواحد عن الآخر فانهما متميّزان يختلف الاوّل عن الثاني لا من

حيث انهما يُصدران معاً الروح القدس بل في المعتقد الكاثوليكي انهما من هذه الحيثيَّة الاخيرة متَّفقان لا يتميزان وهما معاً مصدرٌ واحدٌ للروح القدس لا مصدران خلافاً لما اتَّهمنا بهِ فوطيوس واتباعهُ وانما يتميز الآب من الابن لان ذاك والد وهذا مولود

مطبوعات شرقية جديدة

ACTA ET DECRETA CONCILII NATIONALIS ARMENORUM ROMÆ HABITI, ANNO 1911. *Romæ, typis polyglottis Vaticanis*, 1914. pp. 47+693

اعمال قوانين المجمع الملّي الارمني في رومية سنة ١٩١١

ليس بين المجامع الكاثوليكيَّة الارمنيَّة مجمع يجاري المجمع الذي عُقد حديثاً في رومية بهمّة السيّد البطريرك بولس ترزيان تحت نظارة الحبر الروماني اللهمَّ الّا المجمع الملتئم في حاضرة بلاد قيليقية (سنة ١٣٤٤—١٣٤٥) غير انَّ ذاك المجمع كان منحصراً في ايضاح ايمان الارمن وتذكيتهم عن اضاليل نُسبت اليهم فطلب منهم الحبر الاعظم بندكتوس الثاني عشر الجواب عنها. امَّا المجمع الذي عُقد في ام المدائن سنة ١٩١١ فانهُ كان يتناول عموم احوال الارمن الدينيَّة والملّيَّة كالمعتقدات ونظام الكنيسة وتدبيرها ثمَّ الاسرار والعبادات والطقوس ثمَّ خواص الاكليروس والعيشة الرهبانيَّة والمشروعات الخيريَّة ونظارة الاوقاف والمحاكمات الكنسيَّة والتهذيبات الى غير ذلك مما يشمل احوال الطائفة جمعاء. فجاء هذا المجمع شبيهاً بالمجامع التي عقدها سابقاً الموارنة في لبنان (اللويزة) والسريان في الشرفة والاقباط في مصر فطُبعت بعد مصادقة الحبر الاعظم عليها. وقد نُشرت كذلك اعمال هذا المجمع الجديد الذي اضحى دستوراً للطائفة الارمنيَّة يُرجع اليهِ في كل مشاكلها. وفي آخر الكتاب ملحقات مفيدة تحتوي عدَّة براءات للاحبار الرومانيين وارشادات مفصَّلة منقولة من المجامع المسكونيَّة لاسيما المجمع الفارونتي والمجمع الفاتيكاني وتقارير مجمع انتشار الايمان. فنتمنَّى ان يكون هذا الكتاب في ايدي كل ارباب الكنيسة الارمنيَّة وكهنتها وعلمائها بل نحضُّ على اقتنائهِ كل محبّي النظام الكنسي بين اهل الشرق

الاب فرنسيس تورنيز

حيث انهما يُصدران معاً الروح القدس بل في المعتقد الكاثوليكي انهما من هذه الحيثيَّة الاخيرة متَّفقان لا يتميزان وهما معاً مصدرٌ واحدٌ للروح القدس لا مصدران خلافاً لما اتَّهمنا بهِ فوطيوس واتباعهُ وانما يتميز الآب من الابن لان ذاك والد وهذا مولود

مطبوعات شرقية جديدة

ACTA ET DECRETA CONCILII NATIONALIS ARMENORUM ROMÆ HABITI, ANNO 1911. *Romæ, typis polyglottis Vaticanis*, 1914. pp. 47+693

اعمال قوانين المجمع الملّي الارمني في رومية سنة ١٩١١

ليس بين المجامع الكاثوليكيَّة الارمنيَّة مجمع يجاري المجمع الذي عُقد حديثاً في رومية بهمّة السيّد البطريرك بولس ترزيان تحت نظارة الحبر الروماني اللهمَّ الّا المجمع الملتئم في حاضرة بلاد قيليقية (سنة ١٣٤٤—١٣٤٥) غير انَّ ذاك المجمع كان منحصراً في ايضاح ايمان الارمن وتذكيتهم عن اضاليل نُسبت اليهم فطلب منهم الحبر الاعظم بندكتوس الثاني عشر الجواب عنها. امَّا المجمع الذي عُقد في ام المدائن سنة ١٩١١ فانهُ كان يتناول عموم احوال الارمن الدينيَّة والملّيَّة كالمعتقدات ونظام الكنيسة وتدبيرها ثمَّ الاسرار والعبادات والطقوس ثمَّ خواص الاكليروس والعيشة الرهبانيَّة والمشروعات الخيريَّة ونظارة الاوقاف والمحاكمات الكنسيَّة والتهذيبات الى غير ذلك مما يشمل احوال الطائفة جمعاء. فجاء هذا المجمع شبيهاً بالمجامع التي عقدها سابقاً الموارنة في لبنان (اللويزة) والسريان في الشرفة والاقباط في مصر فطُبعت بعد مصادقة الحبر الاعظم عليها. وقد نُشرت كذلك اعمال هذا المجمع الجديد الذي اضحى دستوراً للطائفة الارمنيَّة يُرجع اليهِ في كل مشاكلها. وفي آخر الكتاب ملحقات مفيدة تحتوي عدَّة براءات للاحبار الرومانيين وارشادات مفصَّلة منقولة من المجامع المسكونيَّة لاسيما المجمع الفارونتي والمجمع الفاتيكاني وتقارير مجمع انتشار الايمان. فنتمنَّى ان يكون هذا الكتاب في ايدي كل ارباب الكنيسة الارمنيَّة وكهنتها وعلمائها بل نحضُّ على اقتنائهِ كل محبّي النظام الكنسي بين اهل الشرق

الاب فرنسيس تورنيز

C. Streit, S. V. D: STATISTICA S. ROMANÆ ECCLESIÆ tum Occidentis tum Orientis juxta statum præsentem, *B. Herder, Friburgi*, 1914, pp. 121, *Planches* 37

سالنامة نظام الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة في كلّ العصور

سبق الاب ستريت فنشر قبل ستّ سنوات سالنامة الرسالات الكاثوليكيَّة التي وقعت لدى الجمهور احسن موقع لحسن ترتيبها وضبط مضامينها. وكان في نيَّته ان يكرر طبع هذا الكتاب بعد تحسينه. لكن بعض الاختصاصيين ومنهم المنتظمون في سلك المجامع الرومانيَّة اشاروا اليه بان يصرف قواه في انشاء سالنامة واسعة تتضمَّن نظام الكنيسة الكاثوليكيَّة جمعاء سواء كان في الغرب او في الشرق. فلم يرَ بدًّا من تلبية هذه الرغائب وقد بارك الله عمله لأنَّ هذا التأليف تعمُّ فائدته كل العالم الكاثوليكي. فمن تصفَّحه وقف من ساعته على مفاخر الكنيسة الرومانيَّة التي وحدها يحقُّ لها اسم الكنيسة الجامعة لامتدادها من اقاصي الارض الى اقاصيها. وفي هذه السالنامة الجداول المتعددة والخرائط المدققة التي تحتوي كل المعلومات عن البلاد المختلفة في خمس قارَّات العالم مع بيان حدود الابرشيَّات ومقامات الاساقفة ورؤساء الرهبانيَّات مع تعريف المجامع الرومانيَّة والدواوين الكنسيَّة والقصادات الرسوليَّة. ومن مضامينها ايضاً نظر مختصر عن تاريخ الدعوة النجيرانيَّة في كل بلاد حتى البلاد الاجنبيَّة الواقعة في اوقيانية واشياء أخرى لا يسعنا تعداد فصولها. فنشكر حضرة الاب ستريت الذي لم يدَّخر وسعهُ في وضع هذا الاثر الجليل الذي لا غنًى عنهُ لكل من يريد ان يحظى ببعض الالمام عن الكنيسة البطرسيَّة الرومانيَّة ف. ت

R. P. Estrate c. s. c: VIE DE SŒUR MARIE DE JÉSUS CRUCIFIÉ (1846-1878) religieuse Carmélite converse, *Paris, Libr. V. Lecoffre (J. Gabalda, éditeur)*. 90, *rue Bonaparte*. 1913, XVIII-407

ترجمة حياة الراهبة الكرمليَّة المنتمية الى يسوع المصلوب

من طالع هذا الكتاب لا يسعهُ الَّا الهتاف عند كل صفحة من صفحاته: انَّ الله عجيب في قدّيسيه. والقديسة التي مدار الكلام عليها في هذا التأليف زهرة من زهرات رهبانيَّة الكرمل نشأت اوَّلاً ونمت في بلادنا في قرية ابلين قريباً من الناصرة وكان اسمها مريم بواردي فجعل الله نظرهُ عليها ثمَّ اقتادها في وسط الاخطار وضروب الشدائد وهي يتيمة خاملة حتى بأنها فرنسة وادخلها بين الراهبات

الكرمليات في بو من اعمال فرنسة. فخصّها الرب بنعم سابغة قلّما يمنحها اعظم اوليائه فطبع في جوارحها آثار آلامه وعلى رأسها صورة اكليله الشوكي وطعن قلبها بسهم الهي كما فعل بالقديسة ترازيا منشئة رهبانيّة الكرمل . فناصبها ابليس خزاه الله واجتهد مدّة اربعين يوماً مع كل فتنة الجهنّميّة بان يغلب صبرها بضروب المحن فارتدّ خائباً والفتاة لا تزال تبدّد شملهُ وتقهره باتّكالها على الله وطاعتها وتواضعها ثمّ رحلت سنة ١٨٧٠ الى الهند لانشاء دير لرهبانيّتها في منغالور ثم عادت الى فرنسة وأرسلت آخرًا الى بيت لحم عند انشاء دير رهبانيّتها هناك كما سبقت وانبأت بكل ذلك بوحي من الله فتمّت كلّ نبوآتها دون ان تخلّ بحرف رغماً عن كل الصعوبات المعترضة دون تحقيقها. وقد انهت حياتها في ٤ آب سنة ١٨٧٨ في بيت لحم فجرى لها عند وفاتها من الاكرام ما لا يُرى شبهه الّا في انتقال اولياء الله العظام . وقد شهد لفضائلها ولمعجزاتها العديدة كلّ اخواتها الراهبات ومرشد ضميرها وكاتب سيرتها الاب استرات من كهنة جمعيّة قلب يسوع من بيتارام ورجال افاضل كالسيّد منصور براكو السعيد الذكر بطريرك القدس الشريف على اللاتين وغيرهم . فنشكر راهبات الكرمل اللواتي لم يَدَعن هذا النور تحت المكيال فنشرنَ هذه السيرة الصالحة التي تزهد قرّاءها بحطام الدنيا وتسوق بهم الى طلب الآخرة . وغاية ما نتمنّى ان تُعرّب هذه السيرة فيقف اهل بلادنا على سيرة تلك الفتاة التي شرّفت وطنهم بقداستها السامية وانالت طائفة الروم الكاثوليك (وهي احدى بناتها) مجدًا موثلًا وأملنا وطيد في نظمها يوماً بين عداد اولياء الله الاب لويس رنزفال

Albert Monniot : Le Crime rituel chez les Juifs. Paris, P. Téqui, 82, rue Bonaparte, 1914, X-376

الضحيّة الطقسيّة عند اليهود

كلّ يعلم ما حدث في روسيّة سنة ١٩١١ من الثورة ضدّ اليهود اذ اكتشف اهل كياف جثّة ولد يُدعى اندراوس يوتشنسكي وجدوها في مغارة قريباً من المدينة وهي مثخنة بالجراح لكنّ الدم كان مفرغاً منها . فكان الرأي العام ان ذلك واقعٌ جديد من الضحايا الطقسيّة المنسوبة الى اليهود وجرى ما جرى من الدعاوي الجنائيّة التي صرف بنو اسرائيل في توقيفها نحو ١٥,٠٠٠,٠٠٠ من الفرنكات.

على انَّ توقيف الدعوى لم يمنع ارباب البحث من التفتيش عن حقيقة تلك الشكاية فظهرت في ذلك عدَّة كتابات منها لنفي الامر ومنها لاثباتهِ. فمن جملة التآليف المثبتة للجريمة الكتاب الذي نحن بصدده جمع فيهِ احد مشاهير الكتبة المسيو مونيو من الشواهد ما يصعب انكارهُ. وعلى كل حال يسهل على الموسويين تفنيد تلك الادلَّة ان كانوا ابرياء ممَّا نُسب اليهم فعليهم باقامة الدعوى على صاحب هذا الكتاب لينفوا عنهم شرعيًّا هذه التهمة ويجازى الكاتب على كذبهِ ان كان ثبتت افكُ وتهمة باطلة كما يزعمون . وقد عادت مجلة التمدُّن الكاثوليكي (Civilta Cattolica) لسان الكرسي الرسوليّ آخرًا الى اثبات الجناية فنشرت في ذلك مقالتين نحيل القرَّاء الى مطالعتهما ل. ش

خطاب للقديس باسيليوس الكبير في السيرة الرهبانية

نشرهُ لاوَّل مرَّة الخوري لاونديوس كازي ق ب (ص ١٤)

هذا الاثر وجدهُ حضرة الخوري لاونديوس معرَّبًا في احد مخطوطات مكتبة دير الشير وهو من احسن ما قيل في فضل السيرة الرهبانيَّة. الَّا انهُ ليس هو للقديس باسيليوس كما رُوي في الاصل . وانَّما هذا الخطاب للقديس بطرس داميانوس كردينال الكنيسة الرومانيَّة المتوفى سنة ١٠٧٢. وقد ذكر مين في اعمال القديس باسيليوس انَّ الخطاب في السيرة الرهبانيَّة نُسب اليهِ غلطًا . واصلهُ في اللاتينيَّة وهو الباب التاسع عشر من احد مصنَّفات القديس بطرس داميانوس المسمى « الرب معكم » (Dominus Vobiscum تجدهُ في مجموعة الآباء اللاتين لمين (Migne, P.L, vol. 145, pp. 246-252) ل. ش

قاموس القضاء العثماني

لمؤلفه سليمان مصروبع المحامي. الجزء الرابع

طُبع في صيداء سنة ١٣٣٢ ه (١٩١٤ م) في مطبعة العرفان (ص ٢٦١ – ٤٨٠)

سرَّنا ورود الجزء الرابع من هذا القاموس القضائي الذي كاد يمرّ على انقطاعهِ منَّا نحو سنتين حتى خفنا من عدول مؤلفهِ الاديب عن مواصلتهِ وهذا الجزء يتضمَّن موادَّ مختلفة من باب الحاء كالتحكيم والحلف والحوالات . ونخصُّ ما يحتوي عليهِ

باب المحاكمات وكلّ ملحقاته كالحاكم والمحكوم عليهِ وضروب الحكم والمحاكم وعلم جزاء. وفيهِ خلاصة كتب موسّعة يضيع فيها الخاصّة فضلًا عن العامّة فقرّب جناب المؤلف فوائدها على كل طالبها وفّقهُ الله على تتمّة هذا القاموس الجزيل الفوائد ل.ش

مقالة في القراءة السريانيّة والعربيّة

طُبعت في بيروت في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٤ (ص ٤٧)

رأى سيادة المطران انطون عريضة رئيس اساقفة طرابلس على الموارنة خللًا في تعليم القراءة السريانيّة والعربيّة في المدارس الابتدائية فوضع هذا الكتاب الجزيل الفائدة واودعهُ معلومات جمّة عن موادّ القراءة كالحروف واصنافها وضوابطها وعن كتابة تلك الموادّ والتهجئة بها وحسن قراءتها وختمهُ بفصل افردهُ للقراءة العربيّة. فنحضّ المعلمين ان يدرسوا مضامين هذه المقالة ويعلّموها اولادهم فانها تغنيهم عن غيرها من التآليف الواسعة ل ش

حلمٌ فيقظة

رواية افرنسيّة عرّبها بعض تلامذة مدرسة الحكمة العامرة

طُبعت في المطبعة اللبنانية جسر ضهر بيروت (لبنان ص ١٢٨)

هذه الرواية التمثيليّة لكاتب افرنسي اسمهُ اومارني (O'Maony) ضمّنها العواطف الشريفة كالشهامة والمروءة والدفاع عن المظلومين والصفح عن الآثم فنشكر نجباء تلامذة صفّ الخطابة في مدرسة الحكمة الذين اهتمّوا بتعريبها تحت نظارة حضرة استاذهم الفاضل الخوري نعمة الله باخوس فاخرجوها بقالب فصيح وسهّلوا تمثيلها في المدارس اللبنانيّة وغيرها جازاهم الله خيرًا ل.ش

شذرات

هديّة البطريرك الانطاكي الى قيصر روسيّة — كتبت مجلّة الكلمة في عددها الصادر في شباط ١٩١٤ (ص ٦٦ — ٨٣) فصلًا مفيدًا للاديب اسكندر افندي قسطنطين يارد من كيف (كياف) عنوانهُ « هدايا بطاركة الشرق في

باب المحاكمات وكلّ ملحقاته كالحاكم والمحكوم عليهِ وضروب الحكم والمحاكم وعلم جزاء. وفيهِ خلاصة كتب موسّعة يضيع فيها الخاصّة فضلًا عن العامّة فقرّب جناب المؤلف فوائدها على كل طالبها وفّقهُ الله على تتمّة هذا القاموس الجزيل الفوائد ل.ش

مقالة في القراءة السريانيّة والعربيّة

طُبعت في بيروت في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٤ (ص ٤٧)

رأى سيادة المطران انطون عريضة رئيس اساقفة طرابلس على الموارنة خللًا في تعليم القراءة السريانيّة والعربيّة في المدارس الابتدائية فوضع هذا الكتاب الجزيل الفائدة واودعهُ معلومات جمّة عن موادّ القراءة كالحروف واصنافها وضوابطها وعن كتابة تلك الموادّ والتهجئة بها وحسن قراءتها وختمهُ بفصل افردهُ للقراءة العربيّة. فنحضّ المعلمين ان يدرسوا مضامين هذه المقالة ويعلّموها اولادهم فانها تغنيهم عن غيرها من التآليف الواسعة ل ش

حلمٌ فيقظة

رواية افرنسيّة عرّبها بعض تلامذة مدرسة الحكمة العامرة

طُبعت في المطبعة اللبنانية جسر ضهر بيروت (لبنان ص ١٢٨)

هذه الرواية التمثيليّة لكاتب افرنسي اسمهُ اومارني (O'Maony) ضمّنها العواطف الشريفة كالشهامة والمروءة والدفاع عن المظلومين والصفح عن الآثم فنشكر نجباء تلامذة صفّ الخطابة في مدرسة الحكمة الذين اهتمّوا بتعريبها تحت نظارة حضرة استاذهم الفاضل الخوري نعمة الله باخوس فاخرجوها بقالب فصيح وسهّلوا تمثيلها في المدارس اللبنانيّة وغيرها جازاهم الله خيرًا ل.ش

شذرات

هديّة البطريرك الانطاكي الى قيصر روسيّة — كتبت مجلّة الكلمة في عددها الصادر في شباط ١٩١٤ (ص ٦٦ — ٨٣) فصلًا مفيدًا للاديب اسكندر افندي قسطنطين يارد من كيف (كياف) عنوانهُ « هدايا بطاركة الشرق في

رحلاتهم الى روسيّة لملوكها » ذكر فيها هدايا البطريرك مكاريوس الحلبي في القرن السابع عشر الى القيصر الكسيوس ميخائيلوفيتش وهي غالباً عبارة عن ذخائر ثمينة تقوية ثمّ الحقها بما اهداهُ غبطة البطريرك الحالي السيّد غريغوريوس حدّاد الى جلالة القيصر نقولا الثاني من التُحف الجليلة في نسبة العيد المئوي الثالث لتملُّك أسرة رومانوف واخصّ ما في هذه التُحف مخطوطات عربيّة قديمة عدّها صاحب المقالة ٣٢ مصحفاً نذكر هنا افخرها ليُعرف ما كان في يد غبطته من الآثار الجليلة : ١ً العهد القديم في قسمين خُطّ سنة ٦٧٤٤ — ٦٧٤٥ للخليقة (١٢٣٦ — ١٢٣٧ م) . ٢ً العهد الجديد مع قسم من العهد القديم يُرقى الى قبل نقل المركز البطريركيّ من انطاكية الى دمشق . ٣ً اربع نسخ من الاناجيل المقدّسة منها نسخة يونانيّة على رقّ غزال موقوفة على كاتدرائيّة القديسين سرجيوس وباخوس ولاونديوس في البصرى (لا البصرة) سنة ٦٨٦٤ (١٣٥٦م) عليها ملاحظات في تاريخ سنة ١٤١٨ من يد البطريرك الانطاكي يواكيم . وفي مكتبتنا الشرقيّة كرّاس من هذا الكتاب نُزع منهُ فاشتريناهُ عند بعض الكتبيين في حمص مع صورة على رقّ تمثل القديس لوقا . والنسخ الاخرى عربيّة على ورق تاريخ الاولى سنة ٦٧٤٤ (١٢٣٦ م) . وكُتبت الثانية بخطّ الارشدياقون بولس الحلبيّ سنة ١٦٥٥ م وهو بولس بن الزعيم ابن البطريرك مكاريوس المتزوّج قبل كهنوتهِ . والمظنون ان النسخة حسب المدلول ترتقي الى القرن التاسع لكنّها خاو من التاريخ . ٤ً نسختان من اعمال الرسل ورسائلهم تاريخ الواحدة سنة ٨٣٧ م وُقفت على كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس في صدد . والاخرى سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م) . ٥ً نسختان من الزامير باليونانيّة والعربيّة من القرن الحادي عشر الواحدة منهما على رق غزال . ٦ً تفسير المزامير تأليف عبدالله ابي الفرج البغدادي النسطوريّ المعروف بابن الطيّب . ٧ً مجاميع مقالات دفاعيّة منها رسالة القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم في الايمان المسيحيّ ورسالة القديس كيرلّس الاسكندري الى يوحنّا بطريرك انطاكية والى نسطوريوس ورسالة البطريرك جنّاديوس الى السلطان محمّد الثاني فاتح القسطنطينيّة في الايمان المسيحي وبعض مقالات دفاعيّة وعقائدية لبولس اسقف صيداء (وهي التي عُنينا بطبعها) . ٨ً بعض تآليف لعبدالله بن الفضل الانطاكي كبستان الايمان وبهجة

المؤمن وبحث عقائدي وضعهُ سنة ١٠٦٢ م. ٢ تاريخ البطاركة الانطاكية وقطع تاريخية للسيد مكاريوس الحلبي ١٠ نسختان من رحلة البطريرك مكاريوس الى روسية تاريخ الواحدة منها سنة ٧٢٠٨ للخليقة (١٧٠٠م). هذه اخص المخطوطات التي قدَّمها غبطة البطريرك الى القيصر وقد ختم الكاتب مقالتهُ متأسفاً على فقد هذه الآثار من الشام ولعلَّ المستشرقين يستفيدون منها في اوربة اكثر من اهل بلادنا. ولا شكَّ انها تكون في مأمن اعظم من الضياع

جواب الهلال على سؤالنا سألنا (ص ٣١٦) منشئ الهلال ان يفيدنا على اي كتاب استند في قولهِ انَّ « طلاب العلم من الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم كانوا يتزاحمون في مدارس العرب في الاندلس » وانَّهم « استفادوا من تلك المدارس فوائد علمية وادبية لا ينكرونها » مع كوننا لم نجد اثرًا لزعم كهذا في كل تواريخ العرب. فكان جواب كاتبنا المتفنن (ص ٦٢٢ من عدد أيار الاخير) :

« انَّ العرب قلَّما ذكروا شيئاً من هذا القبيل. وانَّما عوَّلنا في ذلك على كتبة الافرنج — والفضل ما شهدت بهِ الاعداء. فانَّ موضوعات العلوم الافرنجيَّة (الانسيكلوبيديا) حافلة بذكر ما اقتبسهُ الافرنج من الفوائد العلميَّة والطبيَّة والكيماويَّة وغيرها عن العرب على انَّ بعضهم الَّف كتباً خاصَّة في بيان ما اخذهُ الافرنج من مدارس العرب او كتب العرب وهاك امثلة من الكتب التي رجعنا اليها في تحقيق هذه المسألة في اللغات الفرنساويَّة والانكليزية والالمانية

1 La Civilisation des Arabes par le Dr Gustave Le Bon. *Paris, 1884*,

2 History of the Moorish Empire in Europa, 3 vol by. S. P. Scott, *London, 1904*

3 Die Übersetzungen arab. Works in das Lateinische et. von F. Wüstenfeldt, *Goettingen 1871*

غير القرائن الكثيرة التي اشرنا اليها وفي هذا كفاية

(المشرق) نشكر صاحب الهلال على هذه الافادات. ومنها يلوح (اوَّلاً) ما قلناهُ سابقاً ان تواريخ العرب سكتت عما نسبهُ اليها جنابهُ من تزاحم الفرنج في مدارس المسلمين في الاندلس. وما كان احرى بهم ذكر الامر لو كان فيهِ ذرَّة من الصحَّة ويلوح (ثانياً) انهُ عوَّل في كلامهِ على الفرنج الذين مع كونهم اعداء (!!) شهدوا

بذلك. وهو كلام باطل فانَّ علماء الفرنج وخصوصاً في عهدنا لا يعادون العرب مطلقاً فاذا وجدوا شيئاً من آثار العرب فرحوا بهِ واسرعوا الى نشرهِ وتراهم لا يألون جهداً في ذلك فيتجشَّمون الاسفار ويفرغون كنانة الجهد في استنباط العلوم العربيَّة واستخراج مدافنها. فكيف امكن زيدان افندي ان يدعوهم باسم اعداء.

(ثالثاً) امَّا الذين ذكرهم صاحب الهلال فأمكننا ان نضيف اليهم كثيرين غيرهم ومكتبتنا الشرقية حافلة بتآليفهم فتراهم يثنون على العرب ويبيّنون ما كان لهم من الفضل في نشر العلوم ولم نضنَّ نحن ايضاً بالهمَّة للبحث عن آثارهم ونشرها. لكنَّ جناب الكاتب قد عدل عن سؤالنا لذكر ما لم نطلبهُ منهُ وهو ان يذكر لنا نصاً صريحاً لاحد المستشرقين الموثوق بهم يدعم قولهُ بانَّ « الافرنج الاسبان والايطاليان والانكليز والفرنساويين وغيرهم كانوا يتزاحمون في مدارس العرب » ونحن نؤكد لهُ انَّ قولهُ محض اختلاق لم يَقُل بهِ حتى اولئك الفرنج الذين لا يُعَدّ قولهم كحجَّة مثل سادياير (Sédillot) ولوبون (G. Le Bon) ودي كاستري (H. de Castries) الذين ردَّ عليهم غيرهم وافحموهم بأدلَّة ساطعة. امَّا قولهُ بانَّ بعضاً من الفرنج كانوا يعرفون العربية ونقلوا الى لغاتهم تآليفها فهذا لا يدلّ على انهم درسوا تلك اللغة في مدارس العرب لانَّهُ من المقرَّر انَّ النصارى كانوا فتحوا لهم في اسبانية مدارس يعلّمون فيها العلوم واللغات كمدرسة قرطبة الراقية الى القرن التاسع انشأها يوحنَّا مطران اشبيلية الذي عرفهُ العرب باسم سعيد المطران وكان هو يتقن اللغة العربية وينقل اليها الاسفار المقدسة وممن اشتهروا بانشاء المدارس لدرس اللغات الشرقية رئيس الرهبانيَّة الدومنيكيَّة « ريموند مرتين » احد عظام رجال ذلك العصر انشأ مدرستين الواحدة في تونس والاخرى في مرسية وفيهما درس النصارى ولاسيما ابناء رهبانيَّتهِ العبرانيَّة والعربيَّة. واقدم المترجمين للكتب العربيَّة كقسطنطين الافريقي في القرن التاسع وأديلرد الغوطي او الباثي في القرن الثاني عشر تعلَّموا العربيَّة في اسفارهم الى جهات الشرق ليس في اسبانية. ومنهم اسطفان الانطاكي الذي كان يعرف العربيَّة منذ حداثة سنّه وقس عليهم بقيَّة المترجمين الذين ذكرهم وستينغلد في كتابهِ عن التآليف المترجمة من العربيَّة الى اللاتينيَّة فلا تكاد تجد بينهم واحداً قيل عنهُ انهُ درس في مدارس العرب وبهِ يصحّ قولنا عن منشئ الهلال انهُ القى الكلام

على عواهنه بقوله انَّ الفرنج كانوا يتزاحمون في مدارس المسلمين . ولو اراد ان يقف على حركة العلوم بين نصارى الاندلس في ايام العرب فليراجع كتاب المستشرق الاسباني الشهير صديقنا سيمونت الذي ألف سفرًا جليلًا في تاريخ النصارى المستعربين في اسبانية D. F.-J. Simonet : *Historia de los Mozarabes de España* فشتَّان بين تاريخهِ الذي يذيف على الف صفحة وبعض صفحات كتبها لويس اغلاطها اكثر من عدد اسطرها . فنشير الى صديقنا جرجي زيدان بألَّا ينخدع باقوال بعض المتهوِّسين الذين لا يُركَن الى مزاعمهم

❊ السفر الجميل في ابناء الخليل ❊ هو عنوان نبذة بقلم احمد افندي الترجمان اثبتتها مجلة الهلال في عددها الثامن (ايار ١٩١٤) الَّا انها عاتتها بكرَّاس مستقلّ على طرف اطراف العدد المذكور عقب الاذاعات والاعلانات « الروائح العطريَّة والنظَّارات » فسهُل على الهلال ان يتحف « بالسفر الجميل » بعض قرَّائه دون غيرهم . فانا نحن لم نأنس بهِ ولم نرَ لهُ اثرًا في النسخة التي بُودِلت بها مجلَّتنا وكنَّا عدمنا دُرَرَهُ تماماً لو لم يُطلعنا عليهِ احد الافاضل في العدد الواصل اليهِ . فهل حُذِف ذكر « ابناء الخليل » من نسختنا سهوًا ام عمدًا . وان كان الثاني فما قصدُ الهلال بحجبهِ عنَّا هذا الشعاع من ضيائه الوهَّاج ؟ ايكون صاحبه بعد طبع تلك الصفحات المشحونة طعناً بالمعتقد النصراني تذكَّر عادهُ فخجل وابى ان يعرض بضاعة احمد افندي الترجمان على كل قرَّائه . ام يكون خاف ان يعثر احد الجزويت على حصيده هذا فيذرّيه بذرى النقد ؟ وعلى كل حالٍ فليسكن الهلال جأشهُ وليخفض روعهُ فانَّا لا نتعرَّض لتفنيد مثل هذه السفاسف كفى صاحبها حجَّةً على تغافلهِ وتعصُّبهِ الاعمى اعتقادهُ انَّهُ اتى عملًا خطيرًا ودوَّن « سفرًا جميلًا » اذ سوَّد ثماني صفحاتٍ فظنَّ انها تتحمَّل تأويل كلّ ما جاء في الانبياء والاسفار التاريخية المنزلة عن ابناء الخليل من اسماعيل حتى المسيح . فلا عجب من كون « السفر الجميل » خاليًا من البراهين والادلَّة حتى اوهنها ما خلا واحدًا لا نجد بُدًّا من ذكرهِ للقارئ اللبيب فانَّهُ نادرةٌ في باب المنطق . وها هو : قرأ احمد افندي الترجمان في تقريظ المقتطف (مارس ١٩١٢) لرسالة المرحوم الاب انطون رباط اليسوعي في الانجيل الشريف « انَّ الادلَّة التاريخيَّة التي اوردها يرتقي بعضها الى اواسط القرن الثاني

وكانت الاناجيل كما هي عليهِ منذ القرن الثالث . » هذه مقدّمة القياس الكبرى وتعقبها الصغرى منقولةً بالحرف على ما ترى : « والحواريّون ماتوا قبل اواسط القرن الثاني اي قبل سنة ١٥٠ » امّا النتيجة فبديهيّةٌ في المنطق الاعرج الذي استنبطهُ احمد افندي فاضحى بهِ نابغةً . قال سلّم الله لسانهُ : « فعلى ذلك الاناجيل ليست من تصنيف الحواريين أتباع المسيح وانما هي روايات فيها . . وفيها » . زه . زه . وما قولك يا احمد افندي لو حذوتُ حذوكَ في المنطق وجعلت بازاء قياسك هذا القياس الآتي وهو على شاكلته لا يختلف عنهُ بشيء :

الكبرى : لديك كتابُ القرآن ترتقي بعض نسخهِ او مقاطيعهِ الى القرن الثاني الهجرة
الصغرى : والحال ان نبيّ الاسلام الذي يُنسب اليهِ هذا الكتاب مات قبل القرن الثاني
النتيجة : فعلى ذلك ليس القرآن من تصنيف نبيّ الاسلام وانما هو رواياتٌ فيها . . وفيها

قل لنا يا احمد افندي الترجمان أترضى بهذا القياس ؟ ولكن أنعم بالًا ولا تخف على كتابك فانَّ هذا البرهان لا يأتيهِ بأذى . اذ ليس لهُ عند المنطقيين محلٌّ الّا في مستودع السفسطيّات . وكذا قل عن برهانك في الاناجيل المقدّسة (الاب ش . ابيلا)

الكلمة وبتوليّة القديس يوسف نشرت مجلة الكلمة (في عددها الثالث من السنة العاشرة ص ١٣٥) فصلًا « لاحد ابناء كنيسة الروم الارثوذكسيّة في القطر المصريّ » زعم فيها انَّ رأي كنيستهِ القول بزواج القديس يوسف قبل اقترانهِ بالعذراء مريم وظنَّ انَّ المعلّم ظاهر افندي خير الله عطايا بتقريرهِ بتوليّة القديس يوسف الدائمة شذَّ عن الارثوذكس . فأخذنا العجب من هذا القول مع انَّ غبطة بطريرك الروم اطرأ هذا الكتاب واثنى على صاحبهِ اطيب الثناء . فتُرى مَن نصدّق أبطريرك الطائفة العارف بتعاليم كنيستهِ أمْ احد ابناء هذه الكنيسة الذي لم يصرّح باسمهِ . امّا الذين يريدون الاطلاع على الرأي الصحيح فنحيلهم الى ردود حضرة الاب انطون صالحاني مؤخرًا على مزاعم الارشمندريت الياس زلزل فانّها تُزيل كلّ الشكوك في هذا الصدد

كل اناء ينضح بما فيهِ وقفنا على كرّاسة « لمسيحيّ حرّ عرف الحقّ والحقّ يعرفهُ » (كذا) شحنها طعنًا في « الجزويت » وبجورًا في الماسونية فعرفنا الكتاب من عنوانه وان كان صاحبهُ استحيا من التصريح باسمهِ وبحل

طبع كرامته شأن الماسون الاحرار الذين لا يخافون شيئاً اكثر من ان يُفضَحوا بانتمائهم الى الشيعة وتنفيذ اكاذيبهم فنؤجل جوابنا على هذا « المسيحيّ الحرّ » ريثما يتكرَّم علينا باسمهِ ويبرز من قترتهِ والّا كان سكوتهُ دليلًا على سفاهتهِ وتستُّرهُ برهاناً على كذبهِ. ومعظم سفاسف هذه الكرّاسة قد نُقل عن « جريدة المهذّب » الزحلويّة

عاد الى عكرهِ من هو لا ذاك الغرُّ النزق طاهر (القذر) التبير فانهُ بعد ان مسخ وجه الحقيقة في المدوّر (المزوّر) وحرَّك عليهِ غيظ عموم اهل بيروت القى شبكتهُ في ارض النيل في حوض « المنار » المظلم . فرثينا تلك المجلّة التي كان يُعدُّ صاحبها الشيخ محمد رشيد رضا من العقلاء فاضاف كاتباً كالتنير طعن دينهُ قبل ان يصيب النصرانيّة بأذًى فتأفّف من الكاتب ومن المجلّة كلّ مسلم يعتبر قول كتابهِ في طُهر ميلاد السيّد المسيح « كلمة الله وروحه التي القاها الى مريم الوجيه في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين »

اسئلة واجوبة

س سأل احد السادة من ما بين النهرين ماذا يُعرَف من امر الدولتين التركمانيَّتين المدعوَّتين « قره قويونلي وآق قويونلي »

الدولتان التركمانيَّتان قره قويونلي وآق قويونلي

ج هاتان الدولتان ظهرتا في جهات فارس وحاولتا الاستيلاء على اذربيجان ونواحي ديار بكر وكانتا في خصام دائم بينهما فظفرت اوّلًا دولة قره قويونلي ومعنى اسمها « الغنم الاسود » على حسب صورة أعلامها وتولّت الامر في جنوبي بحيرة وان على جهات الارمن واذربيجان وكان اسم ملكها الاوّل قره محمد ملك من السنة ٧٨٠ هـ الى ٧٩٠ (١٣٧٨ — ١٣٨٨) وحالف سلطان فارس حسين جلاير ثم خلفهُ قره يوسف الذي وسّع سلطتهُ وبقي مُلك هذه الدولة الى السنة ٨٧٤ (١٤٦٩ م). امّا دولة آق قويونلي اي « الغنم الابيض » بلون اعلامها فانّها كانت اقرب الى جهات ديار بكر وضبطت الملك من السنة ٧٨٠ الى ٩٠٨ (١٣٧٨ — ١٥٠٢) فابادها شاه اسمعيل الصفوي

ل.ش

المشرق

المئة الاولى

الانبعاث الرهبانيّة اليسوعيّة

نظر تاريخي للاب لويس رتزفال اليسوعي

في ٧ آب من السنة ١٨١٤ بعث الحبر الاعظم بيوس السابع الرهبانية اليسوعية من قبرها بعد انحجابها في فلك الكنيسة ٤١ عاماً بقوّة البراءة التي اصدرها البابا اقليمس الرابع عشر مضطرًّا الى ذلك بمؤامرة كل اعداء الدين وانصار الثورة

واعمري انّ من يعتبر حالة هذه الفئة المنتمية الى يسوع وسقوطها بعد الضربات المتتالية التي تكرّرت عليها من قبل الدول البوربونيّة المحرّكة بتواطؤ وزرائها الاشرار المدفوعين بدسائس البدعة الجنسيّة وفلاسفة ذلك العصر الكذبة واعضاء الماسونيّة يأخذهُ الاندهاش لفوز الباطل على الحق وأجال في فكرهِ تلك البلايا والمحن التي ادركت ايّوب البارّ مع صلاحهِ وبرارة حياتهِ حتى انّ يد الرب عينهِ تثاقلت عليهِ فلحق بالدقعاء وافترش لهُ المزابل

كانت رهبانيّة يسوع قبل رزيّتها في مقام رفيع من الرقي والازدهار حرّك في قلوب اعدائها عوامل الحسد والبغض فتناصر الجحيم وحزب الشيطان على الارض لاستئصال شأفة تلك الجمعيّة التي تصدّت منذ مئتي سنة بنيّف لرد غاراتهما وكبح جماحهما فسمح الله ان ينتصرا عليها لزمن قصير ليكون قيامها من قبرها فوزًا جديدًا لابنائها

كان عدد اليسوعيين في العالم قبل الغاء فئتهم ٢٢,٧٨٧ راهباً نصفهم كهنة

والنصف الآخر دارسون يستعدّون للكهنوت او مختصّون بالاعمال اليدويّة وخدمة اخوانهم . وكان هؤلاء الالوف المؤلّفة من الرهبان منقسمين الى ٣٩ اقليماً ينشرون الدين في ٢٢٣ قطرًا من الاقطار الاجنبيّة ويخدمون للمؤمنين في ٢٤٩ ديرًا منظّماً و ٦٦٩ كليّة او مدرسة و ٣٣٥ مركزًا و ١٧٦ مدرسةً اكليريكيّة و ٦١ ديرًا ابتدائيًّا . فكانت كل هذه المعاهد تقوم باعمال دينيّة شتّى وتؤدّي للعالم المسيحي خدماً لا تُحصى لا يقصد اصحابُها بتأديتها غير وجه الله ورفع منار الدين . فعرف العدوّ انهُ بضربهِ تلك الرهبانيّة يضرب الكنيسة في قلبها

وكان الاحبار الرومانيّون لا يزالون يكررون آيات الثناء على غيرة اليسوعيين وفضائلهم حتى الذين لم يصادقوا على خطّتهم في بعض الامور كالبابا بندكتوس الرابع عشر (+١٧٥٨) الذي حكم عليهم لتساهلهم في بعض عادات اهل الصين والهند (سنة ١٧٤٢) لكنّهُ امتدح سلوكهم الصالح واصدر سنة ١٧٤٨ براءة اوّلها « Gloriosæ Dominæ » صرّح فيها بفضل ابناء القديس اغناطيوس وأعلن بأنّهم لم يحيدوا البتّة عن آثار اجدادهم المجيدة

ولمّا قام بعد قليل المركيز دي بمبال وزير ملك البرتغال (سنة ١٧٥٩) والدوق دي شوازول وزير ملك فرنسة (سنة ١٧٦٢) مع تبعتهما وحملوا على رهبانيّة يسوع الحملات المريعة فنفوا ابناءها واستصفوا اموالها ودمّروا معاهدها ورسالاتها بين الامم البربريّة وألّبوا على البابا اقليمس الثالث عشر ليُلغيها الى أبد الدهر تصدّى لهم ذاك الحبر الباسل ودافع عن المظلومين بشهامة ونشر (سنة ١٧٦٥) براءتهُ الخطيرة التي بدؤها « Apostolicum » فأطرأ على سلالة القديس اغناطيوس وبيّن فضلها واثبت رسومها وقوانينها . ولمّا تبوّأ البابا اقليمس الرابع عشر كرسي الخلافة الرسوليّة استأنف اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة الغارة عليها فلم يزالوا يواصلون كرّاتهم حتى خاف الحبر الاعظم سوء العاقبة فاجاب الى سؤلهم سنة ١٧٧٣ في براءةٍ افتتحها بالالفاظ « Dominus ac Redemptor » لكنّ هذا البابا نفسهُ أعلن غير مرّة انهُ لا يفعل الّا مرغوماً . فمن ذلك ما قالهُ لسفير ملك اسبانية لدى الكرسيّ الرسولي المدعو فلوريدا بلانكا الذي كان يُغريهِ باليسوعيين ويضايقهُ ليصدر منشور الغائهم لئلّا تهلك كل الرهبانيّات ببقائهم : « اواه اني اشعر منذ زمن مديد بنيّاتكم انكم

تقصدون بالنار الرهبانيَّة اليسوعيَّة ملاشاة كل الجمعيات الرهبانيَّة لا بل تريدون دمار الكنيسة الكاثوليكية باجمعها. ولعلَّ الملوك يُبرِّؤون منذ الآن الانفصال عن الكنيسة وتأييد البدع » (١

فكفى بهذه الكلمة تبريرًا لليسوعيين اذ قالها ذاك البابا عينهُ الذي ألفى رهبانيَّتهم حبًّا بالسلام

لكنَّ ذاك السلام الموعود من أعداء الكنيسة ما كان الَّا مقدِّمةَ حربٍ جهنَّميَّة نشبت في كل انحاء اوربَّة ضدَّ الدين عموماً والكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصاً كما سبق رئيس اساقفة باريس كرستوف دي بومنت (Christophe de Beaumont) وبيَّنهُ في رسالتهِ الى البابا اقليمس المذكور بعد نشرهِ البراءة الملغية للرهبانيَّة اليسوعيَّة فقال :

« ايها الاب الاقدس انَّ السلام الذي يعدنا بهِ اعداء الدين بالنار جميعًا يسوع ليس هو ذاك السلام الذي اتى بهِ السيد المسيح وانما هو سلامٌ كاذب سلامُ الخبث والمكر والخلاعة وبقيَّة الاهواء الباطلة التي اشار اليها النبي (ارميا ٦ : ١٤) لمَّا وصف سلام الاشرار الصارخين : « سلامٌ سلام وليس سلام » فهذا السلام الذي رذلهُ السيد المسيح هو السلام الذي عارضتهُ جميعًا يسوع وثنانت في مناصبتهِ حتى الموت ولذلك قام عليها كل الاشرار وهذا لعمري المعُ برهان على انَّ تلك الرهبانيَّة كانت أشدَّ فريق العدى وأبسل اعضاد الدين واحتن اركان الكنيسة ودعائمها. فبسقوطها ستنال الكنيسةَ محنٌ مرَّة »

---

١) وقد رأينا في ايامنا اعداء الدين يكرِّرون هذا الفصل عينهُ في فرنسة في حقِّ الرهبان اليسوعيين. وكذلك اقرَّ مؤرخو البروتستانت في عهد اقليمس الرابع عشر ان وزراء ملوك البوربون بضربهم الرهبانية اليسوعية لم يقصدوا سوى تنكيس معالم الدين. قال المؤرخ شيل (Schœll : *Histoire des Etats européens*, t. 44, p. 71) : « كان الجنسنيُّون وذوو الحزب المتفلسف تآمروا على تدمير سلطة الاحبار الرومانيين لكنَّهم وجدوا انَّ هذا لا يتمُّ لهم الَّا بكسر شوكة المدافعين عنها اي فرقة الرهبان اليسوعيين. فذلك ما دعاهم الى ان يُصلوا على تلك الرهبانيَّة حربًا عوانًا فهيَّجوا عليهم كل العالم وألَّفوا بعضهم في كل التلوب حتى اذا تمكنوا من الناتهم يستطيعون ان يزحفوا على الدين الكاثوليكي وعلى السلطة الملكيَّة » . واوضح منهُ قول المؤرخ البروتستاني رنك (Leop. Ranke : *Hist. de la Papauté*, t. IV, p. 436) : « نشأ في كل دول اوربَّة حزبان : حزب واحد كان يرمي الى محاربة البابوية وتدمير الكنيسة والملوكيَّة وحزب آخر كان يسعى في محافظة النظام القديم وتأييد سلطة الكنيسة العامَّة. فكان اليسوعيون هم الذين يؤلفون خصوصاً هذا الحزب الاخير ولذلك اعتبرهم اهل الثورة والمشاغب كأنصار الكثلكة فجمعوا عليهم كل قوَّتهم لتدميرهم »

وما لبث ان تحقَّق كلام ذاك الاسقف المعدود بين نوابغ عصره . فبعد سنتين مات اقليمس الرابع عشر وآخرُ رئيس عامّ على الرهبانيَّة اليسوعيَّة (سنة ١٧٧٥) فجلس على عرش الخلافة البطرسيَّة بيوس السادس (١٧٧٥—١٨٠٠) فشهد بالعيان تلك الاهوال المفجعة والهرج والمرج والفتن التي استورى زنادها الزنادقةُ وحلَّ عقالها انصارُ الكفر فعلم ارباب الدين ما فقدوهُ بالغاء تلك الفئة المعدودة في مقدَّمة جنود الكنيسة . فاخذ الكرادلة والاساقفة وكل رؤساء الدين وبقيَّة المؤمنين يتأسَّفون على ملاشاة جمعيَّة يسوع وبلغ صوت أسفهم الى مسامع بيوس السادس الذي جعل يفكر في طريقة اعادة الرهبنة الغاة الى حالتها السابقة فجمع لذلك كرادلة البيعة المقدَّسة وطلب رأيهم في سقوط الرهبانيَّة اليسوعيَّة فسمع غير واحد منهم يستحثُّهُ على ردّهم الى مقامهم الاوَّل وكان من جملتهم الكردينال ليونرد انطونلي (L. Antonelli) الذي صار بعد ذلك رفيقاً للبابا بيوس السابع في سجنه في فرنسة فقال للحبر الاعظم :

« انَّ ما قامهُ سلفُك قد جرى بضغط الملوك على رئيس الكنيسة ومن ثمَّ لا قوَّة لبراءاته التي نشرها مرغوماً دون حريَّة كافية . واني اعدُّ الرهبانية اليسوعيَّة غيرَ ملغاة فيكفي لقداستك ان تُعلن بالامر ولا اشكُّ انها ستقبل . وايمُ الله انَّ جماعةً رهبانيَّة بقصد اعتادها كأنهم غايةً واحدة ويتوسَّلون لادراك تلك الغاية بوسائل صالحة قمَّالة كما اعتادتها رهبانيَّة يسوع لأفضلُ جماعة في عصرنا الشرّير ولو عُدمت لأقتضى انشاؤها . ومن المعلوم انَّ ابناء اغناطيوس في القرن السادس عشر خدموا الدين في وجه البدع البروتستانيَّة خدماً لا تزال الكنيسة تشكرهم عليها فكم بالاحرى نحتاج اليها اليوم حيث استشرى الفساد وتفاقم الشرّ في كلّ البلاد . فالكرسي الرسولي هو الآن في امسّ حاجة الى تلك الرهبانية لتقوم في وجه الملحدين وحائر اعداء الدين (١) »

وما كان هذا القول الَّا صدىً لفكر بيوس السادس الذي كان يقول : « انَّ الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة انَّما كان سرًّا من الظلم والطغيان وانَّ رغبتهُ الشديدة ان يعيدها الى الحياة (٢) » بل كان صدىً لفكر كلّ من لم تعمهِ الاغراض وسياسة ملوك بوربون . قال البروتستانتي رَنْك المؤرخ (Hist. de la Papauté, IV, 500) : « انَّ

---

١) راجع تاريخ الرهبانيَّة اليسوعيَّة للمؤرخ الملاقي كراتينوجولي : (Crétineau- Joly *Hist. de la Cie de Jésus*, V, p. 386)

٢) اطلب المجلة الاسبانيَّة Razon y Fé, *Juin* 1914, p. 246

الناء الرهبانيّة اليسوعيّة قوّض اركان العالم الكاثوليكي كلّهِ اذ دهمتهُ تلك الضربة اللازبة من كثب دون ان يستعدّ لملافاتها لأنّ اليسوعيّين يهتمّون بتهذيب الشبيبة في كلّ البلاد فبهلاكهم اصبحت الناشئة عرضاً لكل المفاسد وتزعزعت دعائم المجتمع الانساني »

ولمّا أرسل الكردينال باكّا (Pacca) سنة ١٧٨٦ كقاصد رسوليّ الى المانية كتب ما تعريبهُ : «منذ الناء اليسوعيين فقدَ الالمانُ اكرامهم القديم لرؤسائهم الروحيين وللكرسيّ الرسوليّ لانّ اليسوعيين كانوا يهذّبون الاحداث في مدارسهم العديدة فيضعون بذلك حدوداً للكفر ولكن منذ سقوط رهبانيّتهم انفجر السدّ وطغى طوفان الكفر وانتشرت الجمعيّات السريّة والمطبوعات الفاسدة فأصيبت الكنيسة بنكبة عظيمة » وهذا ما دفع الكردينال باكّا الى ان يلحّ على البابا بيوس السابع لينهض الرهبانية اليسوعيّة من كبوتها

وما جاهر بهِ ارباب الدين لحظهُ كلّ مشاهير ذلك العصر فمن ذلك ما كتبهُ البرنس دي لينى (P^ce de Ligne) سنة ١٨٠٨ الى السيّدة دي شوازي (Mme de Choisy) : « اني لست نبيّاً لا في وطني ولا في غيره ومع هذا لا ازال اردّد منذ تشتّت شمل الرهبانيّة اليسوعية انّ الشرور العظيمة التي نراها في ايّامنا من نبذ الطاعة للرؤساء ومن روح الخلاعة والفساد ما كانت لتسود فيتهدّد سيلها الجحاف كلّ ممالك اوربّة لو بقيت الرهبانيّة اليسوعيّة »

ومع رغبة بيوس السادس في احياء طغمة اليسوعيين لم تسمح لهُ الظروف بتحقيق نيّته للشواغل التي شغلتهُ مدّة خلافتهِ باستفحال الشرور وتفاقم الفتن فرأى في زمن قليل كلّ عروش الملوك تتساقط بالتوالي (١) والوفاً من الابرياء ذهبوا ضحايا الثورة

---

(١) ومن اغرب التهم التي كان اعداء الدين يقرّفون بها اليسوعيين قولهم بانهم حاولوا قتل الملوك فمن ثمّ نسبوا اليهم مكيدة رجل يُدعى داميان (Damiens) سعى بقتل الملك لويس الخامس عشر في ٥ ك ٢ سنة ١٧٥٧ بحجّة انّ هذا الشقي كان قبل سنين طويلة دخل خادماً عند اليسوعيين لمدّة قصيرة. لكنّ هذه التهمة قد نفاها عنهم ڤولتير نفسهُ حتى انهُ كتب لصديقه داميلاڤيل (Damilaville) في ٣ آذار سنة ١٧٦٣ : لا يخفاك اني لم اشفق قطّ على اليسوعيين

على انَّ براءة الغاء الرهبانية اليسوعيَّة لم يُعلَن بها في مملكة روسيَّة بامر الملكة كاترينا الثانية وفي مملكة بروسية بامر فريدريك الثاني الكبير وكلاهما ليس بكاثوليكيّ . واذ كان الاعلان الشرعيّ بالبراءة من شروط الالغاء في كل مكان حصل من ذلك انَّ الرهبنة اليسوعيَّة لم تَمُتْ كلها وبقي فيها رمَق من الحياة لم تنطفئ شرارتُها . ومن العجب العجاب كيف كاترينا الثانية وابنها بولس الاوَّل بعدها ثمَّ فريدريك الثاني صديق ڤولتير احتفوا باليسوعيين واكرموا مثواهم فحفظوهم على

ولكن لو نسبتُ اليهم جريمة دامياس لقامت عليَّ اوربَّة كلها مع دامياس نفسهِ في قبر ساحتهم » — امَّا وزير البرتغال المركيز دي بمبال فانَّهُ اذ لم يجد شكوى على اليسوعيين واعيان بلادهِ الكاثوليك الذين لم يوافقوه على سياستهِ الخرقاء اللادينيَّة عمدَ الى احد الأئمة بان يُطلق عبارًا ناريًّا على الملك يوسف الثاني فجرحهُ في ٣ ايلول سنة ١٧٥٨ فانتهز تلك الفرصة ليلقي القبض على اعدائهِ فثَّل بكثيرين منهم واذاق بعضهم امرَّ العذابات ونفى كثيرين وحكم بالسجن المخلَّد على غيرهم واحرق بالنار سنة ١٧٦١ أمام الشعب الاب غبريل ملاغريدا احد مشاهير عصرهِ الذي كان نفى اربعين سنة بين برابرة اميركة مهتمًّا بتنصيرهم وتهذيبهم . على انَّ هذه المعاملات المسجيَّة لم تمنع اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة نفسهم من تذكيتها وتأثيم بمبال منفذيهم . منهم اثنان من اصحاب ڤولتير لاكوندامين (La Condamine) وموبرتوي (Maupertuis) وكلاهما شهد على براءة اليسوعيين البرتغاليين وقبَّح اعمال بمبال مضطهدهم . وكذلك ڤولتير في تاريخ لويس الخامس عشر (ك ٢٢ ص ٣٥١) نعتَ معاملة بمبال للاب ملاغريدا « بضرب من الهذيان وغلاة في الفظاعة » « L'excès du ridicule et de l'absurdité fut joint à l'excès d'horreur »

واقظع من هذا ما صنعهُ الوزيران دي أرندا وشوازول ليوغرا صدر شرل الثالث ملك اسبانية على اليسوعيين قال السياسيّ والمؤرخ شبل في كتابهِ المذكور (ك ٣٩ ص ١٦١) : لم يكتفِ الدوق دي شوازول بان طرد اليسوعيين من فرنسة لكنَّهُ اضطهدهم ايضًا في اسبانية فاتَّخذ لذلك وسائل متعدِّدة حتَّى بلغ اخيرًا غايتهُ بتهمة شنيعة فانَّهُ زوَّر رسالة باسم رئيسهم العام الاب ركَشي يدَّعي فيها بانَّهُ وقف على اوراق سريَّة تثبت كون الملك شرل ابن زنًى فدسَّت الرسالة بين اوراق رئيس اليسوعيين في مدريد في الليلة التي أقحم دي ارندا شرطتهُ على ديرهم لتفتيشه فلمَّا وقف الملك على هذه الرسالة المزوَّرة طرد اليسوعيين كلَّهم من مملكتهِ » . وما اخبر بهِ شبل نقلهُ غيرهُ من مؤرخي البروتستانت كرنك وادام (Adam) وكوكس (Coxe) وسسمندي (Sismondi) وغيرهم . ومن المحقَّق انَّ الملك شرل منذ ذاك الحين حوَّل محبَّتهُ القديمة لليسوعيين الى بغض عميق دون ان يبوح بسرّ تلك الرسالة ليتبيَّن صحَّتها او كذبها

خلاف الممالك الكاثوليكيّة حتى يوم قيامتهم بامر البابا بيوس السابع فطُردوا من المملكتين. ومما كتبهُ الملك فريدريك منذ سنة ١٧٧٠ لصديقهِ ڤولتير: «ان راهب الڤاتيكان المزيّف (اشارة الى البابا اقليمس الرابع عشر) يسمح لي بان احفظ في مملكتي اليسوعيين المحبوبين لديَّ والمضطهَدين في كلّ المعمور. واني سوف احرص في بلادي على هذه البزرة الثمينة لأتكرَّم بها يوماً على من يريد استنبات نباتها العزيز».

وبعد الغاء الرهبانيّة كتب فردريك الى عاملهِ في رومية الخوري كولميني: «قُل علانيةً لكل من يريد ان يسمع اني لم اجد مطلقاً كهنةً كاليسوعيين جامعين لكلّ الصفات الحسنة» وكتب ڤولتير في ١٨ ت ١ ١٧٧٧: «اذكر استاذك اليسوعي ومربّيك الاب تورنمين (P. Tournemine) وسائر تلك الرهبنة التي زوّدت فرنسة بمشاهير الرجال واماثل الناس». وفي رسالة اخرى الى صديقهِ الملحد دالمبرت (d'Alembert) قال: «لا تلبثون عمّا قليل فتعاينون في فرنسة الشرور العديدة الناتجة لكم من طرد اليسوعيين ولا سيما من قبل تهذيب الاحداث». وما تنبّأ بهِ فردريك الثاني عاينهُ الكاتب شاتوبريند الشهير فقال: (Chateaubriand: *Génie du Christianisme*, IV, 300) انّ الآداب والعلوم في اوربّة أُصيبت بالغاء اليسوعيين بضربة لازبة لا يمكن تلافيها. ولا يزال تهذيب الناشئة مخلًّا بفقدهم».

وكما أثنى فريدريك على اليسوعيين وحماهم تحت كنفهِ في بروسية كذلك كاترينا الثانية دافعت عنهم وصرّحت بكتاباتها «ان اليسوعيين يؤدّون لرعاياها خدماً لا تُقدَّر بتربية الاحداث وانها بحفظها لتلك الرهبنة تخدم الكنيسة الكاثوليكيّة التي ليس في العالم اصدق محامين لها من اليسوعيين». ولم تكتفِ الملكة بذلك بل نالت من البابا بيوس السادس الرخصة لليسوعيين بان يقبلوا مبتدئين ويختاروا لهم رؤساء عوامّ يدبّرونهم في ممالكها على مقتضى قوانينهم

*

وفي اثناء ذلك قام بعض الكهنة في سويسرة والنمسة وبلجيكة وفرنسة وانشأوا جمعيّتين اسم الواحدة «آباء الايمان» والاخرى «آباء قلب يسوع» انتسبوا باليسوعيين القدماء وجروا على حسب رسومهم وسعوا بأن ينضمّوا الى اليسوعيين الباقين في روسيّة. منهم الاب ڤارين (P. Varin) الشهير منشئ راهبات قلب

يسوع مع الطوباوية صوفيا بارات (B^te Sophie Barat) والمفضال الاب دي كلوريفيار (de Clorivière) الذي كان اوّل رئيس الرهبانية اليسوعيّة في فرنسة بعد انتعاشها

وفي غضون ذلك عاد الملوك الى فكرتهم بعد السكرة فاخذوا ينظرون الى الرهبانيّة اليسوعيّة بعين الحكمة والعدل منهم فرديناند الرابع ملك نابولي وابن شرل الثالث ملك اسبانية فهذا كان طرد اليسوعيين من ممالكه باغراء وزيره المتفلسف تانوتشي (Tanucci) لكنهُ عرف غلطهُ بعد موت الوزير (سنة ١٧٨٣) وشعر بما يحلّ بالممالك النابذة لاهل الدين والناكرة لوجود الاله فطلب بالحاح من البابا بيوس السابع ان يسمح لليسوعيين باستئناف اعمالهم المبرورة في بلاده تحت طاعة اليسوعيين الباقين في روسيّة ورئيسهم الاب غروبر (P. Gruber) فلقي طلبهُ حظوى في اعين الحبر الاعظم. فما علم اليسوعيون الباقون هناك بالرخصة الممنوحة حتى توارد ١٧٠ من الرهبان القدماء وطلبوا الانضواء الى جمعيتهم المحبوبة وعيّن الابُ غروبر رئيساً عليهم المكرَّم الجليل الفضل والقداسة الاب يوسف بنياتلي. وكان بعض هؤلاء الطالبين لنير الرهبانيّة اللين قد صاروا اساقفة فاستدعوا من الحبر الاعظم ان يسمح لهم بالتنازل عن كراسيهم ليعودوا الى حجر آمهم لكنَّ البابا بيوس السابع لم يأذن الّا لواحد منهم وهو السيّد اثوغدرو اسقف ڤيرونا. فحدّث ولا حرج بالفرح الذي شمل اهل نابولي لمّا رأوا اليسوعيين عادوا الى مدينتهم. ودونك ما كتبتهُ وقتئذٍ فيهم جريدة معروفة بأفكارها الحرّة اي جرنال الديبا (Journal des Débats) في عددها الصادر في ت ١ سنة ١٨٠٤ :

« هؤلاء اليسوعيون الجُدَد كاخوتهم السابقين لا يخالفونهم البتّة لا في اسمهم ولا في ثوبهم ولا في قانونهم صانعهم انهُ كبقايا اسرائيل ليستودعهم النار المقدّسة فيكونون حافظي تقاليد رهبانيتهم وروحها المحض ليورثوها من بعدهم لنيرهم من ابناء اغناطيوس ومن ثمَّ تبقى السلسلة متواصلةً الى منشئهم دون انقطاع . . . ولا يقولنَّ احد انَّ الكرسيّ الرسولي بمخالفته براءة اقليمنس الرابع عشر شذَّ عن خطّته ونقض نفسهُ بنفسهِ. كلّا فانَّ تلك البراءة قضت بها ضرورةٌ مشؤومة ضرورةُ الخوف والتهديد فأوجبت على اقليمنس ان يلغي فرقةً من العمّالة النشيطين يبلغ عددهم عشرين الفاً وهذه اليوم ضرورةٌ اخرى هي ثمرة الاختبار بعد ما حصل من الرزايا والآفات بنكبة الرهبانية اليسوعية توجب على بيوس السابع ان يتلافى تلك الشرور. وانّنا لا نشكّ انَّ الملوك والامراء عمّا قليل سيدركون صالحهم وخير رعاياهم بوضع حدود

لروح الكفر وفساد الآداب فيتحقّق جميع ذوي العقول الصائبة صحّة ما قالهُ باكون (Bacon) الكبير انّهُ ليس في العالم افضل من مدارس اليسوعيين لتهذيب الناشئة »

فكان الرأي العام فضلًا عن رغبة البابا بيوس السابع ومحبّي الكنيسة انّهُ لا بُدَّ من احياء الرهبانيّة اليسوعيّة في العالم كلّهِ . الّا انّ انواء جديدة ثارت على الكنيسة الرومانيّة لأنّ نابوليون الاوّل لعبتْ في رأسهِ سَوْرة العظمة والكبرياء فظنّ انّهُ يستطيع مناصبة الحبر الاعظم فلمّا كانت سنة ١٨٠٩ زحفت جيوشه على رومية فضربهُ البابا بيوس السابع بالحرم . فجرى بعد ذلك ما يعرفهُ الجميع اذ اوقف الحبرَ الروماني وقادهُ اسيرًا الى ساڤونة ثمّ الى فُنتانبلو مع ما تبع ذلك من قيام الدول الاوربيّة عليهِ وقَهْرهم لشوكتهِ واضطرارهم لهُ في نيسان سنة ١٨١٤ بان يُمضي صكّ تقاعُدهِ عن الملك . فرجع رئيس الكنيسة الى عاصمتهِ ظافرًا مكرَّمًا فامكنهُ ان يفكّر في تضميد جراحات الكنيسة . وكان اوّل ما اراد اجراءهُ نشر رسم الرهبانيّة اليسوعيّة فانّهُ في مدّة اعتقالهِ في فُنتانبلو كان تروّى في هذا الامر واعتبرهُ كحاجة ماسّة لخير الكنيسة (١ فعقد عليهِ عزمهُ الثابت قال الكردينال پاكّا (٢ في كتاب مذكّراتهِ (Mémoires du Cardinal Pacca) : « كان دخول البابا في رومية مظفّرًا في ٢٤ أيار فما مرّ على ذلك شهر واحد حتى واجهتُ الحبر الاعظم

١) نشير هنا كثيرًا مما نقولهُ عن مجلّة التمدّن الكاثوليكي (Civiltà Cattolica, 2 Mai 1914)

٢) ومما يدلّ على انّ الله وحدهُ دبّر بعنايتهِ الصمدانيّة رجوع اليسوعيين ما نعرفهُ من سوابق البابا بيوس السابع فانّهُ كان في اوّل امره راهبًا بندكتيًّا اسمهُ برنباي كياراماني فلم يعرف من امر اليسوعيين سوى ما كان سمعهُ في حداثتهِ من معلّميهِ المبغضين لابناء القديس إغناطيوس فكانوا يلقّنونهُ التعاليم المماكسة لتعاليمهم فنشأ على النفور منهم . امّا الكردينال پاكا الذي نراهُ هنا مدافعًا عن اليسوعيين وطالبًا إحياءهم فكان في شبابهِ من ابغض الناس لهم وقد اخبر عن نفسهِ أنّ اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة كانوا نفخوا في صدرهِ مداداتهم وأقرأوهُ الكتب المفعمة سبًّا وشتمًا في حقهم واقنعوهُ بان ينقل الى الايطاليّة كتاب الاقليميّات (les Provinciales) لپسكال وكتاب أرنلد (Arnauld) في آداب اليسوعيين العليّة . ثم اردف الكردينال بقولهِ : « من يا تُرى كان يمكنهُ ان يقنعني انّ اوّل ما يباشرهُ الراهب البندكتي كياراماني بعد نجاتهِ من اعداء الكنيسة ان يحيي الرهبانيّة اليسوعيّة من قبرها واني أنا (الكردينال پاكّا) ما كون بين يديهِ ساعيًا في هذا العمل فاشهد قيام اليسوعيين كما شهدتُ موتهم بعد ما انقلبت افكاري في صددهم وعرفت الامور كما هي في حقيقتها »

وذكَّرتُهُ بامر الرهبانيَّة اليسوعيَّة فأجابني على فور: « نعم هذا جُلُّ رغبتي واني أُريد ان يتمَّ الامر في عيد منشئها القديس اغناطيوس القادم في ٣١ تموز » . فكانت المدَّة الباقية اعني شهرًا بنيِّف قصيرةً جدًّا لتُطرَح المسألة على بساط البحث ويُناقش فيها الكرادلة وتُنشأ البراءة المعيدة للرهبانيَّة حقوقها مع تجهيز الاديرة للرهبان وإعداد لوازم معاشهم . فراجع الكردينال كُنزلفي (C^al Consalvi) الحبرَ الاعظم وطلب اطالة هذه المدَّة القصيرة وكذلك فعلتُ انا لدى قداسته . لكنَّهُ اصرَّ على نيَّته بقوله ان « لا بدَّ من نجاز هذا الامر في الوقت المعيَّن »

ثمَّ استقدم الكرادلة المعروفين بالسُّود وهم الذين كانوا دافعوا معهُ على حقوق الكنيسة وشاطروهُ اوجاع نكبته فتباحث معهم بأمر تلك المهمَّة ووكل الى واحد منهم بتأليف صورةٍ أولى للبراءة المنويَّة فقام الكردينال ليتّا (C^al Litta) بهذا العمل وصنَّف براءةً عن لسان الحبر الاعظم « ذكر فيها الظروف المشئومة التي حملت البابا اقليميس الرابع عشر على اصدار براءته في تعطيل الرهبانيَّة اليسوعيَّة مرغوماً بتهديد الملوك ومخدوعاً بمواعيدهم في سلام الكنيسة . ثم افاض الكلام في تذكية جماعة يسوع من كل التُّهم الموجَّهة اليها زورًا وتثبيتها في انعاماتها السابقة »

فهذه الصورة الاولى مع صحَّة منطوقها وُجدت غير مناسبة لكرامة الكرسي الرسولي فعرض الكردينال دي بياترو (di Pietro) صورةً اخرى بسيطة للبراءة المنويَّة لكنهُ كان يريد أن تُجرَّد الرهبانيَّة عن بعض الميزات الممنوحة لها من الكرسي الرسولي بعد اثباتها الاوَّل للبابا بولس الثالث سنة ١٥٤٠ . فلم يرضَ قداسة بيوس السابع بهذا الرأي حتى عهد الى الكردينال باكا بوضع براءة أُخرى اشار اليهِ بصورتها ففعل وبعد تحويرها صادَقَ عليها معظم الكرادلة في ٣ آب فعيَّن الحبر الاعظم لإعلانها اليوم ٧ من ذاك الشهر الواقع فيهِ ختام الثمانية ايَّام لعيد القديس اغناطيوس»

وكان بودّنا ان نعرّب هنا تلك البراءة البابويَّة الجميلة التي اوَّلها «Sollicitudo omnium Ecclesiarum» لولا ضيق المجال وقد افتتحها راعي رُعاة كنيسة الله بذكر الاسباب العديدة التي حدَتْ بالكرسي الرسولي الى بعثة الرهبانيَّة . اوَّلها وغائب العالم الكاثوليكي باتفاق الاصوات في رجوع طغمة يسوع مع ما نتج عن إلغائها من الآفات والمضارّ للدين عموماً وللكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصاً الى ان قال : « ومن

ثمَّ اننا نرانا مذنبين امام الله بجرم ثقيل لو تغاضينا في وسط هذه الاحتياجات الشديدة والاخطار التي تتهدَّد العالم المسيحي واهملنا النَّجدات التي تُمدُّنا بها العناية الصمدانيَّة ورفضنا استخدام أولئك البحريين المحنكين بالجذافة الذين يبذلون نفوسهم لمساعدة سفينة بطرس اذ تلاطمها الامواج المُزبدة ويساورها تيَّار البحار ليغرقها . . . » ثمَّ يختم باثبات رسومها الرهبانيَّة وقوانينها القديمة ويجعلها تحت حماية الكرسي الرسولي ويؤيد سلطة رئيسها العام الاب تدَّاوس بروزوزفسكي (T. Brozozowski) المنتخب على اقاليم روسيَّة وبلاد صقليَّة ويجعله رئيساً على الرهبانيَّة كلها في كل انحاء المعمور

فلمَّا كان اليوم الموعود اي في ٧ آب جرت في امّ المدائن حفلةٌ شائقة دقَّت بشائرها في كل اطراف العاصمة ونفت من قلوب اهلها ما خالطهم سابقاً من الحزن والكآبة يوم الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة . ففي ضحى النهار خرج البابا من بلاط الكويرينال الى كنيسة « يسوع » العظمى الخاصَّة للرهبانيَّة وهي اذ ذاك مزدانة بابهى حلاها من الانوار والرايات والنقوش . فلمَّا بلغ باب الكنيسة استقبلهُ جميع الكرادلة الذين كانوا في رومية مع عدد لا يُحصى من الاساقفة واعيان المدينة في مقدَّمتهم ٨٦ شيخاً من الرهبانيَّة اليسوعيَّة الذين عفى عنهم الموت فسمح لهم ان ينظروا أمَّهم المحبوبة ممجَّدةً بعد بلاياها فينضمُّوا اليها شاكرين الله على هذه المنحة الجليلة ان يتقيَّدوا ثانيةً بقيودها المرغوبة . وكان بينهم ١٥ شيخاً يربي سنُّهم على الثمانين سنة وبعضهم اتافوا على التسعين منهم واحد بلغ ١٢٦ من عمره وهو الاب البردي منتالتو (Alb. de Montalto) المولود سنة ١٦٨٩ والمترهب في ١٢ ايلول ١٧٠٦ كان الروح القدس الهمهُ كسمان الشيخ انهُ لا يذوق الموت قبل رجوع رهبانيَّة يسوع الى حياتها

ثمَّ باشر الحبر الاعظم بالقداس على المذبح المشيَّد فوق قبر القديس اغناطيوس احد مذابح رومية الفريدة بجمالها فرآهُ الجمهور في وقت الذبيحة في حالة من التأثير العظيم عملت في قلوب كلّ الحاضرين . وفي نهاية القداس خرج نائب السيِّد المسيح وخليفة هامة الرسل بكل رونق وأبهة الى معبد اخوية الأشراف الكبيرة حيث اجتمع اماثل الناس لسماع البراءة البابويَّة . وكانت في جملة الحضور احدى اميرات بوربون

ماري لويزة ابنة اخي شرل الثالث ملك اسبانية اتت هناك مع اولادها الثلاثة كأنها تريد ان تكفّر علانيةً عن اثم ملوك بوربون في حقّ الرهبانيّة اليسوعيّة (١

ولمّا جلس البابا على عرشه الملوكي اخذ البراءة وناولها السيّد كرستالدي فقرأها بصوت جهور كان يقاطعهُ نحيب اولئك الشيوخ اليسوعيين الكرام. وبعد نجازها تقدّم الاب بانيزوني (Panizzoni) اليسوعي المختار لرئاسة دير رومية الكبير وهو احد المعترين الذي كان دخل الرهبانيّة منذ ٧٠ سنة فانطرح عند اقدام الحبر الاعظم وشكرهُ شكرًا حميًا على النعمة الممنوحة لرهبانيّة يسوع فسلّمهُ البابا البراءة الرسوليّة. ثم هرول بقيّة الآباء وقبّلوا اقدام قداسته واكثرهم من العجّز المستندين الى العصاة او الى كتف بعض الاصدقاء. فكان ابو المؤمنين يخاطب كلًّا منهم بارقّ الكلام وألطفه

وهكذا انبعثت الرهبانيّة اليسوعيّة من القبر الذي كان اعداؤها زعموا انّهُ ابديّ. ومما يستحقّ الذكر انّ العالم الكاثوليكي باجمعه (الّا بعض الملحدين) تقبّل بفرح عظيم خبر رجوع ابناء القديس اغناطيوس حتى ملوك البوربون في اسبانية وايطالية الذين اقرّوا بغلطهم بينهم الملك فرديناند السابع ملك اسبانية وابن اخي شرل الثالث. امّا ملوك البوربون في فرنسة الذين كانوا تشرّبوا تعاليم ڤولتير وشيعته فانّهم سكتوا لم يفوهوا بحلو ولا مرّ وكان هذا كافيًا. ومنذ اوّل سنة لصدور براءة بيوس السابع تمكّن الاب دي كلوريڤيار مع رفقته المدعوّين سابقًا بآباء الايمان ان ينظّم اقليمًا فرنسويًا لرهبانية يسوع

وكان من الواجب هنا أن نروي ما جرى في انحاء العالم بعد قيام الرهبنة من الاعمال التي استأنفتها وكيف اسرع البطاركة والكرادلة والاساقفة والامراء والشعوب يكاتبون رؤساء الرهبانيّة المستجدة ويطلبون منهم بالحاح ان يأتوا الى مدنهم ويفتحوا اديرة ومدارس لجمعيّتهم. وكذلك في الرسالات الاجنبيّة طلب كثيرون رجوع

---

١) وقد زارت كليّتنا في بيروت قبل اربع سنوات اميرةٌ اخرى من سلالة بوربون النابليّة يشهد الجميع لتقواها العظيم. فهذه الاميرة اذ اطّلعت على ما كتبهُ المؤرخ كرتينو جولي عن ظلم اجدادها الملوك للرهبانية اليسوعيّة قضت عدّة ايام تنوح وتبكي لتلك المعاملات الفظيعة التي ألحقوها برُهبان كانوا تفانوا في خدمتهم

اليسوعيين ليستأنفوا اعمالهم الدينيّة والخيريّة السابقة . على انّ رؤساء الرهبانيّة الجديدة لم يستطيعوا ان يجيبوا الى ملتمس الكثيرين . لنا شاهد على ذلك في رسالة سوريّة التي كان بطاركة الشرق واساقفته التمسوها من رئيس الرهبانيّة الاكبر في رومية فلم يستطع الرئيس المذكور ان يلبّي دعوتهم الّا سنة ١٨٣٢

وما لا يُنكر انّ ما قرّرهُ الحبر الروماني على الارض قد ايّدهُ السماء بمنّته ورحمته الواسعة . وها هي ذه تلك الرهبانيّة التي لا يزال كل حزب الاشرار قائماً في وجهها ليعرقل مساعيها ويثلّ شباتها تجري بنعمة الله في سبيلها مطمئنةً لا تفعل فيها سهام معاديها واكاذيبهم ومطاعنهم المتوالية بل تنمو يوماً بعد يوم فضلاً وعدداً . واليوم قد بلغ عدد رهبانها زهاء ١٧,٠٠٠ تراهم كما في عهد الرهبانيّة القديمة عرضةً لمناوأة اعداء الكنيسة لكنّهم مكرَمون من كل النفوس الصالحة وذوي الاستقامة والعدل الذين يشرّفونهم بمحبّتهم وثقتهم . وما يفوق على كل ذلك فيعمهم تعزيةً ولاء الكرسي الرسولي واعتبارهُ لشركتهم كطليعة جيش الكنيسة ليس لهم شوقاً آخر الّا خدمة الاحبار العظام لدى اوّل اشارة منهم ولنا على ذلك شاهدان جديدان اذ عهد البابا بيوس العاشر المالك سعيداً الى رهبانيّة يسوع بان تفتح في عاصمة اليابان كليّة جامعة وفي رومية مكتباً للدروس الكتابيّة مع مدرسة لاحقة به في القدس الشريف فتسارعت الى انجاز مرغوبه

قائمة عمومية للرهبانية اليسوعية

الرهبانيّة اليسوعيّة طائفة كان يبلغ عدد افرادها في غرّة العام الماضي سنة ١٩١٣ ١٦,٧١٥ راهباً . وكلّهم خاضعون لرئيس واحد عامّ يساعدهُ في تدبير الجمعيّة خمسة اشخاص يمثلون خمس ايالات (Assistances) او اعمال الرهبانية المنبثّة في العالم فضلاً عن كاتب عامّ لاسرار الرهبانيّة ووكيل عامّ للماديات مع عدد من النظّار والكتبة

امّا الايالات الخمس فتنقسم الى ٢٧ اقليماً . لايالة ايطالية خمسة اقاليم عدد رهبانها ٤٣١١ ولفرنسة اربعة اقاليم عدد رهبانها ٣٠٨١ ولاسبانية خمسة اقاليم عدد رهبانها ١٦١٣ ولايالة جرمانية ستّة اقاليم عدد رهبانها ٣٨٩٧ ولانكلترة مع اميركة سبعة

اقاليم عدد رهبانها ٣٨١٣ . وهؤلاء الرهبان منهم كهنة (٨١٧٨) ومنهم دارسون يُرَشَّحون للكهنوت (٤٤٠٠) ومنهم للاعمال اليدويَّة والمساعدة (٤١٣٧)

ثمَّ انَّ هذه الايالات والاقاليم يلحق بها اربعون رسالة يبلغ عدد المشتغلين فيها ٣٦١٩ راهباً منها بعض رسالات في اوربَّة كالبانية واسوج ونروج وجزائر اليونان (عددهم ١٤١ مرسلاً) . ومنهـا في افريقية كمصر والجزائر والكنغو وزنبيز ومستعمرات الكاب ومدغسكار وجزيرتي موريس وراونيون (عدد المرسلين اليها ٣٧١) . ومنها في آسية في سوريَّة وارمينية وانحاء عديدة من الهند واعمـال الصين واليابان (عدد المرسلين اليها ١٢٠٤) . ومنها في اميركة الشماليَّة كقبائل كندا وبلاد ألاسكا والجبال الصخريَّة وكولورادو ومكسيك الجديدة وهوندوراس وجزائر انتيل والجمائيك (عدد المرسلين اليها ٤١٧) . ومنهـا في اميركة الجنوبيَّة كجهات البرازيل وكولومبيا وغويانة الانكليزيَّة وخطّ الاستواء وبيرو والشيلي والجمهوريَّة الفضيَّة (عدد المرسلين اليها ١١٤٢) . ومنها اخيراً اوقيانية كجزائر فيلبين وجزائر فلورس وجاوة وكليب وانحاء اوستراليَّة الشرقيَّة والجنوبيَّة (عدد المرسلين اليها ٤١٧)

امَّا نموّ الرهبنة فقد تمَّ على الصورة الآتيـة . كان اليسوعيُّون سنة ١٨١٤ بعد صدور براءة البابا بيوس السابع ٦٠٠ فبلغ عددهم سنة ١٨٣٤ ٢٦٨٤ مع ما كانت عليه اوربَّة وقتئذٍ من الاضطرابات والهرج والمرج بعد سقوط نابوليون وبسبب النهضة الماسونيَّة في بلاد شتَّى . ثم ازداد عددهم حتى بلغ سنة ١٨٥٠ ٤٦٠٠ رغماً عمَّا نالهم من الاضطهادات بفعل الثورة في فرنسة والنمسة وايطالية وبمناهضة الكتبة الاشرار كاوجان سو (Eugène Sue) الذي وضع كتابهُ اليهوديّ التائه سنة ١٨٤٥ اقطع دابرهم . ثم اخذ مذ ذاك ينمو عددهم بنظام فبلغوا سنة ١٨٦٠ ٧١٤٤ وسنة ١٨٧٠ ٨٨٤١ وسنة ١٨٨٠ ١٠,٤٩٤ وسنة ١٨٩٠ ١٢,٧٦٨ وسنة ١٩٠٠ ١٥,٠٧٣ وسنة ١٩١٠ ١٦,٢٩٣ . وقد قلنا انَّ عددهم كان في غرَّة سنة ١٩١٣ ١٦,٧١٥ ولا شكَّ انهم اليوم بلغوا ١٧,٠٠٠ ام كادوا فلا يزال اذن نموُّهم متواصلاً فصدق فيهم قول الكتاب في أيُّوب بعد ضربته كما صدق فيهم في وقوعها : « وبارك الربّ آخرة أيُّوب اكثر من أولاهُ » اذ لو بقي معدَّل نموِّهم على ما هو الآن

سوف يبلغون بعد ٣٠ سنة او اقلّ عدد الرهبانية القديمة عند ملاشاتها مع انّهُ كان مرَّ عليها ٢٢٠ سنة

وان سئل السائل: « وهل يا تُرى يوافق فضلُ الرهبانيَّة عددَها النامي » تركنا الجواب لمن يرونا في ظهرانيهم نعيش ونشتغل بينهم فانَّ المنصفين فيهم يقدّرون رهبانيَّتنا قدرها. ومما لا يُنكر ان الطغمة اليسوعيَّة وثيقة النظام فهي اليوم كما كانت في عهد منشئها ولذلك لم تحتج قط الى اصلاح[1] وكذلك يلوح من ثقة الشعوب والاكليروس الكاثوليكي وبالاخصّ خلفاء هامة الرسل بأن ابناء القديس اغناطيوس المحدثين لم يحيدوا عن خطَّة اجدادهم

هذا وفي ختام مقالتنا نستميح عذرًا من قرَّائنا لكتابتنا هذا الفصل الثاني عن رهبانيتنا على غير مألوف عادة هذه المجلَّة التي لا تحبّ ذكر اليسوعيين الَّا اذا اضطرَّت الى تفنيد اكاذيب اعدائهم وردّ السهام عن رهبانيتهم ومن أحبَّ أمَّهُ ما ظلم. لكنَّ مناسبة اليوبيل المئوي لم تسمح لنا هذه المرَّة بالسكوت عمَّا نال هذه الطغمة من المحن وعن خروجها ظافرةً بعد غارات اعدائها عليها ولا سيَّما انَّ بعض الملحدين في بلاد الشرق اخذوا ينقلون التُّهَم التي يشيعُها امثالُهم في حقّنا في الغرب فيذكّروننا ببراءة البابا اقليمس الرابع عشر كأنها هي وحدها الصادقة بازاء مئتي براءة أُخرى اصدرها الكرسي الرسولي في استحسان اعمالنا

ونسأل الله ان تدخل رهبانيَّة يسوع في المئة الثانية بعد قيامها بنشاط جديد فيسكب الربّ على كل ابنائها انزر بركاته ويكلأهم بيمينهِ القديرة ويصونهم من كل ضلال وفتور في حمى كنيسة الله ليحقّقوا اماني نوَّاب المسيح ويقوموا بلا ملال بالواجبات المترتبة عليهم لمجد الله الاعظم وخير النفوس

---

١) قال احد البروتستانت المنتمين الى الانكليكان من حزب بوزاي (Pusey) في تاريخ القديسين الانكليز (Puseystes: *Life of the English Saints*, VI, 120): « مما لا ينكرهُ احد انَّ الرهبانيَّات بعد ظهورها وحرارتها الاولى تقاعست وفترت حتى احتاجت الى مصلحين يصلحونها. لكنَّنا نستثني دائمًا على موجب الحق رهبانيَّة القديس اغناطيوس الجليلة الشهيرة التي بعد كنيسة الله المنظورة يمكننا ان نُعد كأعظم معجزة في العالم » نقلنا هذه الشهادة تاركين تبعة القول على صاحبها البروتستاني

منتخبات من شعراء العصر في شرقيّ الاردن

لحضرة الخوري بولس سلمان

هذه امثلةٌ من قصائد الشعراء الذين سبق لنا وصفهم في مقالتنا عن الشعر العصريّ في شرقيّ الاردن. نقلناها عنهم او عن رواتهم وذيّلناها ببعض الحواشي لشرح الناظهم الغريبة واصطلاحاتهم اللغويّة

قصيدة لابي الكبابر في مدح عودة ابي تايه من عرب الحويطات

لمّا دارت الحرب بين عرب الحويطات وعرب الصخور سنة ١٩٠٩ وقف شراريٌّ يدعى ابا الكبابر على راس جبل مرتفع وتمهّد بانظاره المتحاربين ووصف المعركة والابطال المشهورين. وقد نال الغلبة عرب الحويطات مع شيخهم ابي تايه. وقُتل من الصخور اكثر من ٧٠٠ محارب

أبدي بذكر ألّي على الكلْ بادي ربّ الملا والي جميع البوادي
يا ربْ لا تجعل عليّ نكادِ وعليك تهوين الامور الصعباتْ (١
يا رب يا والي جميع الرعيّةْ يا مُدعي الدنيا سماحْ وفضيّةْ (٢
يا رب لا تكتب عليّ خطيّةْ يا غافر الذنوب وكلّ الكبيراتْ
قُم يا عليّ نُشرف على كلّ طايلْ شدّيت عَوصا تقطع الدوّ حايلْ
فوقها غلام ما جنى بالفعايلْ متعودٍ قَطع الفجوج الخليّاتْ (٣

---

١) اعني استهلّ كلامي بالله الذي هو الاول في كل شيء رب البشر وسيّد كل الدنيا ولا سيما القفار التي هي مسكن الاعراب. النكاد هو الحزن

٢) يا رب يا سيد كل الرعية يا من بكلمة واحدة انشأتَ العالم ارضًا سهلةً وفضاء

٣) ان العرب في حروبهم يرسلون مراقبين على منازل الاعداء يسمّونهم طليعة فانّ عليًا المذكور هنا هو كبير الطليعة. يقول الشاعر: قوموا نُشرف على راس جبل مرتفع لنرى مواقع الاعداء. ثم يدع الشاعر ذكر الطليعة ويصف بطل الطليعة وهو عليّ وكأني به يكلّمه في شعره. العَوصا هي الفرس. الحايل هي التي لا تلد من الخيل وتكون قوية. قطع الدوّ اي قطع البراري. يقول: يا بطل الحويطات يا علي انك وضعتَ على هذه الفرس القوية التي تقطع البرية سرجَها وشددتهُ شدًّا متينًا. وكان على تلك الفرس عليّ وهو غلام ما اخطأ ابدًا في ساحة الحرب وهو معتاد على قطع الارض المخيفة التي لا ساكن فيها

فوقها تجاوزْ بالعجَل يا شفاتي عمّك لحوق الركايبْ تُوَاتي
من دونهم حيذُور واصحَ تَبَاتي والخرْ هل الصفحة صفوفٍ مَحيلاتْ (١
واجلس عليها صفرةَ الصبح مِن هانْ تَهُبْ كما خَنّاق . بجنحانْ
قبل المسا تُرْسَل تقرَبْ من مَعانْ على الجفر تَلقى بيُوتٍ مَبنيّاتْ (٢
تلقى بيوتٍ بنَوالي نَزِيلَةْ تَلفي حميلَ دِلالِهم عن نَفيلةْ
ألبنْ بالخيوانْ تَسمَع صَهيلَهْ عزّام لوجوه المسايِرْ زاناتْ (٣
تلقى شيبٍ عندهم مُستَعِدْ الحرّ ألي بالملازمْ يَسُدْ
عنهُ تجوض الخيل يوم يَهُدْ عن حرب ابو تايه ألي له الفعل عاداتْ (٤
عساك طيّبْ يا حامي الركايبْ يا الله يفكك من عسير المصايبْ
يا الله يُحيي شيبتك وكلْ شايبْ وشيبْ كلْ كريم راعي طَوْلاتْ (٥

١) سِرْ عاجلاً يا بطل الحرب فوق تلك الفرس لانك تصلح لركب الخيل واياك ان تبيت في محلّ قبل ان تصل الى مواقع الحرب واذا وصلت فادخل بين الحويطات اهل الصفحة وكُنْ من صفوفهم الكثيرة

تباتي اصلها تبيتْ من بات يبيتْ على ان الشاعر كسر اواخرها للقافية . ولا بدّ ان تنبّه القراء الكرام ان العرب لا يراعون قواعد الاعراب . فان اواخر الكلمات عندهم هي اما ساكنة واما مكسورة

٢) اركب على فرسك عند طلوع الفجر وسافرْ من هنا فهي تطير بك كما يطير الطير بجناحيه وقبل الليل تقترب من معان فهناك في ارض الجفر تجد بيوتاً مبنية — كان الحويطات نازلين في الجفر وهي بلاد قريبة من العراق وبيوتهم الشعرية ممتدة في السهول

٣) واذا وصلتَ تجد بيوتاً مبنية على رأس الجبال وارباباً غير خائفين على انفسهم من اعدائهم . تجد اناساً من اهل الكرم قد رموا ما بقي في اباريق القهوة . نفيلة هي محل النار عند العرب ويقول رموا القهوة العتيقة ليقدموا لضيوفهم قهوة جديدة

هناك في تلك المخيم تسمع صوت البنّ وهو يُدَقّ في الهاون . ويدقون القهوة بالمهباج واذا سمع المسافرون صوت المهباج يتراكضون جماعات جماعات الى خيمة عزّام اي يدعو المسافرين الى شرب القهوة

٤) تجد شيخاً مستعدّاً لملاقاة الضيوف . وهو فارس ايام الحروب واذا نزل في ميدان الوغى تنهزم عنهُ الخيل خوفاً ورعدةً . وهذا البطل هو ابو تايه امير الحويطات

٥) واذا وصلتَ سلّم على شيخ الحويطات وقل : هل انت مسرور يا حامي الخيل . طَوْلات هي الامور العالية الشريفة اي صاحب المعالي

من بعد فنجان من البنّ والكَيْف ثوروا عليهم يا لميال الشاغيف
تلقم اخو عليا الفهد مكرم الضيف يفرح إنْ يجنّ الركايب مغيرات (١
الصايح المذعور بالفهد ينادي ينتخي بكم يا مرويين الهادي
فزّعوا النشامى عبّات الأعادي بيماني من دقّة الروم غضبات (٢
لجج الطلب من فوق سرد السلايل سقّم الحريب ويذعروا كل عايل
اميون من قرنها على المتن مايل جلّابة لقصر الارواح العزيزات (٣
صار الصياح وشبّت بالقلب نارا الطرش جاض وشهدن العذارى
ذاب الرجال والقلب حارا النفس للانسان كنوز ثمينات (٤
صاحوا وصحنا وتنبّه كل من صاح كانوا عزرائيل قضّاب الارواح
صبح من اول لجة الخيل كن طاح الموت حلّ وما بقي به معافاة (٥

---

١) الكَيْف هو الانبساط والسرور. من بعد فنجان القهوة اهجموا على الاعداء ايها الابطال. الميال هم الابناء. وفي الحرب تجدون امير الحويطات فهو يفرح للخيل الثائرة في الحرب. تلقم من ألقى يلقي اصابا تلقمون

٢) العرب كثيرًا ما يسمون انفسهم باخي فلانة وهذا ما يسمى عندهم بالانتحاء. انتحى اي سمى اخته حتى يتشجع فيقولون: انا اخو عليا او انا اخو شيخا الى اخره

وكان المذعور من المحاربين يدعو عودة البطل المعروف. ويدعو اسم الحويطات الذين يروون السيف من دم الاعداء. حينئذ هجم الابطال على بنات الاعادي وفي يدهم سيوف لامعة — ان العذارى البتولات يخرجن مع المتحاربين يرنمن ترانيم الحروب فيطرب المحاربون لأنغامهن ويهجمون على الاعداء دون خوف

٣) لجج بمعنى لحق لان العرب ينطقون القاف بالجيم فيقولون جمة اي بقمة. سرد السلايل هي الخيل الضامرة. سقم الحريب اي الخيل الضامرة للحرب اي لما هجم الاعداء على البنات هجم المتحاربون ليدافعوا عنهن. وتقول العرب فعل هذا ليس قلانة اي اكراما لها. وبنات العرب يرخين شعرهن المجدول على صدرهن ولا على ظهرهن. جلّابة اي تجلب الابطال لأن يفدوا نفسهم عنها

٤) صارت القلوب كالنار وأخذ الطرش هو قطيع الغنم والنياق

٥) صاح عرب الصخور وصاح عرب الحويطات وتشجّع كل من صاح وكأنّ عزرائيل قد حضر في تلك الساعة. قضّاب بمعنى قبّض. صبح هو احد عرب الحويطات نزل في الحرب من اول حركة الخيل وقتل وما عفي عنه

صاحوا وصحنا وتنبّه ذكر عَوْدَهْ روّح كسيل قوي مَدُودَهْ
اكمْ قرمْ من هوانُه يقُودَهْ قبل الضحى يبقى على القبر فوّاتْ (١
عودة هو وعُطَيْش النكلْ قصّابْ حيًّا الاثنين ألي مثل ابوزيد وذيابْ
يَرْووا ذُباب السيف قطّاع الرقابْ الدمْ يَدعج والركايب مُبيخاتْ (٢
عَنْ عيد عيّد بهذاك النهارَهْ السربة الحرشاء اسقاهُمْ مَرارَهْ
يطلبْ بثارْ صُبَيْح من الشرّارَهْ الموتْ حاضر . والمنايا قريباتْ (٣
لا يا شرارة لا تَهرجوا علَينا ولا تقولوا انكم حين وقفتم أقفَينا
سدّادْنا بصاعِ العزيزي خَذينا الصاعْ جايرْ والجلايبْ رخيّاتْ (٤
عُبطانْ عَنْ هرج الحضور ألي عَدُونْ يَلوي يركْن الخيل والسيف مسلولْ
صابرْ عليكم فوق الركْب مثل الطاعون يخافْ من هَرجْ القفا بالنْضوات (٥
سالِمْ نهار الريب مثل الزناتي شرّه على المُلَبّس هُوَايتُه تُواتي
يَرْدُها لعيونْ تَرفْ البناتِ لَنْ أقفنْ بسردِ المهارْ الاصيلاتْ (٦

---

١) ولما صاح عرب الحويطات مرّ في نفوسهم ذكر بطلهم عودة ثم نزل عودة المذكور في الحرب كسيل عرمرم كان اذا ضرب بطلًا بسيفه يقاد ذاك البطل الى القبر ولا يصبح لهُ صباح

٢) عطيش هو فارس من الحويطات – النصّاب هو اللحّام – ابو زيد وذياب هما فارسان في قصص بني هلال . ذُباب السيف هو حدّه . دعج الدم: اذا أُهرق – الركايب هي النياق

٣) عيد هو بطل من الحويطات . اي لا تغبر عن عيد الفارس الشجاع فقد عيّد بذاك النهار . السربة الحرشا هم الصخور وهو لقب لهم . صُبَيح هو فارس من الحويطات قُتل في تلك المعركة . الشرارة هم عرب يُدعون ايضًا الشرارات حاربوا مع الصخور

٤) هرج على فلان حكى عليه وذمّه – لا تقولوا اننا هربنا حينما وقفتم انتم للحرب – سداد هو ما يدفعه المديون لدائنه . الصاع العزيزي هو اكبر من الصاع الجاري بنصف والصاع الجاري رطلان والصاع العزيزي ثلاثة ارطال . الصاع الجابر هو القابض . الجلايب اي سلب الحرب . رخيات اي وافرة

٥) عُبطان فارس من الحويطات اي بحسب كلام الحضور الذين اخبروا كان عبطان يضرب بطن الخيل برجليه وسيفه مسلول وكان يضرب رقاب الاعداء فيتساقطون كما تموت الناس من الطاعون لانهُ كان يخاف من ذمّ الناس ايام المجالس والمحافل

٦) سالم فارس من الحويطات . نهار الريب اي يوم الضيق . الزناتي هو فارس في روايات بني هلال . المُلَبّس هو اللابس الدرع – تواتي اي تصيب المقتل . وكان يضرب اكرامًا للبنات الاعرابيات الجميلات . يقول العرب : فعلتُ كذا لعين فلانة اي اكرامًا لها . حتى اذا عادت هذه البنات تتنيّن مدحًا لهُ واجلالًا من الاغاني المطربة فيذكرن الخيل الاصيلة التي اخذها في الحرب

وشفتي لو حضر سالم بالساعة ... على الاعادي ألي ما تشوف الشفاعة
حيًا الغلام ألي يجيب القلاعة ... من دَنْدف البارود والرَّكب زاتات (١
يا سالم يا بن ذياب رَبعك حرارة ... صحّابة المظهور بكل غارة
حيًا للعُلام ألي ما بهم الخسارة ... لكنّهم دُرُوز ما يعرفوا الذلّات (٢
غزّوا الزّعل بيضا على راس طايل ... ألي حاكم يوم قطّع الاصايل
جمّف بكم مثل جمّف الحلايل ... الموت حاضر والمنايا قريبات (٣
لو طبّوا الجازي جزّوا لهم عني ... وقلوبنا يعقب القنا ترهجني
السربة الكرما لفت تغني ... من فوق طلقات القوايم حويطات (٤
جازي جذب خيل كثير حذاها ... السربة الحرشا قليل وجاها
كم ساج بالسيف قصّر خطاها ... يروي رطيب الزان والخيل عجيلات (٥
الارشف ثناهم عن وضح مفاتير ... يسقم الحريب ومنوة للخطاطير
يروي عليهم كما يروي الزمهرير ... إن زغرطن زرق الوشام المليحات (٦

١) وكنتُ اتمنى حضور سالم في تلك الساعة الرهيبة وهجومه على الاعادي الذين لا يستحقون العفو والصفح. واذا به قد هجم عليهم واتى بالقلاعة خاطفًا ما بين الرصاص والجماعات العديدة. القلاعة هي الفرس التي تؤخذ بعد ان يقتل صاحبها

٢) اي جماعتك احرار يدافعون عن الخائف في الحروب حيّاهم الله اولئك الابطال الذين هم كالدروز لا يحتملون المذلة

٣) غزّ الزعل اي رفع الراية وهي علامة الغلبة عند العرب . بيضا اي من نسيج ابيض . على راس طال اي على قمة جبل مرتفع . قطّع الاصايل اي ذبح الخيل الاصيلة . جمّف اي ذبح . الحلايل هي الغنم

٤) الجازي هم فرقة من الحويطات . لما نزل الجازي في المعركة – جزاهم الله خيرًا – تلجت صدورنا من الفرح بعد الضيق والحزن . نزلوا الى الحرب وهم يغنّون ممتطين خيلًا سريعة الركض

٥) ونال الجازي خيلًا كثيرة بعد الحرب ولما الصخور فلم ينالوا الّا القليل . وعرب الحويطات قد قطعوا قوايم الخيل بالسيوف الباترة ورووا رطيب الزان من دم الخيل . الزان هي الرماح

٦) الارشف هو فارس من الحويطات . فهذا الفارس ردّ الاعداء عن اخذ النياق البيضاء . وهذا البطل هو في الحرب فارس شجاع مقدام وفي الضيافة كريم يتمناه المسافرون لانهُ يكرم مثواهم ويقدم لهم الاكرام الواجب لهم . الزمهرير هو الريح الشديدة . اي كان

الهُشْن جانا بجموع كثيرة مثل العساكر يوم دَرْهم وَزِيرَهْ
عُقب الضُحى يُطلِق عليهم المنيرة يُدوّر بديار الاجانيب غارات (١
بعزّي لمن صاحوا عليهم العبيد عيال يروون من القلب الجريد
جُخَيْدم أَلي للملابيس يصيد صيّاح زيزوم الخيول الكثيرات (٢

قصيدة مدحية لسالم المرعي من الجازات

هذه القصيدة مدح لبني صخر وشيوخهم قالها سالم المرعي حين التقى الصخور والسردية فتحاربا وظفر الصخور وقُتِل شيب الكنج شيخ السردية. والسردية فرقة من الصخور يسكنون في حوران على اسم اعداء لبني صخر

أبدي بذكر ألي على الناس حنّان خلّاق حيًا وميتًا والعفايا (٣
يسر يا قلم بكاغد الجبر عجلان بالصدج لا تكتب على مُشتهايا (٤
حرّ شهر من مُشاريج حوران يدورون الغزوات ذيب الشلايا (٥
ذيب عدا ودُّوا على مثل ما كان القرم اخو ذيبة عقيد السرايا (٦

يهجم على الاعداء بشدّة عظيمة حينما كانت البنات تغني تشجيعاً للمحاربين . زغرط (ويقول أهل سورية زلغط) اي ترغت المرأة ترنيماً معروفاً وهو يستعمل اوقات الافراح والمسرات كالاعراس وغيرها

١) الهُشْن فرقة من الحويطات . دَرْهم اي سار ومشى . اطلقت المنيرة اي أُطلق الخيل في الحرب . اي بعد ان حاربوا منا ذهبوا ينتشون على النهب في ديار الاجانب

٢) وافتخر بالعبيد الذين صاحوا على الصخور فهؤلاء العبيد كانوا يروون جريدهم من دماء القلوب . جخيدم هو عبد من عبيد امراء الحويطات — الملابيس هم الذين يلبسون الزرد ايام الحروب . وصيّاح هو ايضاً من عبيد الحويطات . زيزوم اي بطل

٣) حنّان حنون . العفايا هي الاشياء الماضية والناس الذين ماتوا واصبحت عظامهم بالية

٤) صدج اي صدق . فان بعض العرب يلفظون القاف جيماً . فيقول صدج عوض صدق . ومشاريج عوض مشاريق

٥) الحرّ هو الصقر عنى بـه متنبأً . ان السردية ظهروا من مشاريق حوران واتوا نحو الجنوب ليغزوا بني صخر . ذيب الشلايا . كالذئاب للغنم

٦) هجم كالذئب يريد ان يملك الاراضي التي اخذتها منهُ الصخور وطردتهُ منها الى حوران . عقيد هو القائد للغزو

زلّ القلم وأزهى لهم كلّ شيطانْ حالت على هيل البيوت التقايا (١
سبحان دوّار الفلوك سُبحانْ سبحانْ من سبّب لهم بالمنايا (٢
التُوه من مشى به خسرانْ نصبتم وُلدَ المُدح راعي العنايا (٣
قالون نزل الشيخ نيّة عظيمانْ طلال زين مظلّلات الحنايا (٤
طلالْ جاه من السلاطين نيشانْ الله أعطاه ولا يمنّ العطايا (٥
طلّ الرحيب وقال مُتعب بمكانْ واخوات ذيبة مُعطلين الهوايا (٦
صار الصياح ولابط الخيل فرسانْ وقاموا على شمشر النواعي شقايا (٧
الكلّ منهم قلبهُ من الحزن ملآنْ ثار الزبيق من كفوف الصبايا (٨
متعب وقع بملعب الخيل ميدانْ ذبّاح للخطار حيل غذايا (٩
راعي النويقة راح والقلب دَميانْ من كف قرم ما يهابْ الخطايا (١٠
الي وشّع الخيل هايل وذوقانْ مثقالْ شوق مُجليات الثنايا (١١
يا طير يالي بالسما إنْ كُنتْ جيعانْ ذُعار يرمي لك جزيل الثّوايا (١٢

---

١) طغام الشيطان. وهجموا على بني صخر اهل البيوت التقية

٢) سبحان الذي دوّار الافلاك. فقد قرّب منيّتهم

٣) من مشى بالتوه خسران. انتم الصخور ارباب العزائم اصحاب المعالي. يتكلم الشاعر مع السردية الذين طغوا وهجموا على بني صخر

٤) لما تشاور قوّاد السردية قالوا نزل شيخ بني صخر في ارض عظيمان

٥) طلال هو شيخ بني صخر مات. وكان شيخ له خيمة كبيرة. يقصده العرب من كل الجهات. يقول الشاعر: اعداه السلاطين وسامًا. الله لا يبخل بعطيته

٦) لما سمع الصخور من متعب انهُ بقبيل لنزوم ارسلوا رقيبًا فأشرف الرقيب فوجد متعبًا الكنج. خبّرًا. فاستعدّ بنو صخر للحرب

٧) صار الصياح وهو صوت المتحاربين. وتحرّكت الخيل. وهجم بنو صخر على متعب وفرسانه فهرب متعب وجماعته لا يدرون اين يتوجّهون

٨) اطلق الرصاص بنو صخر على السردية

٩) وقع متعب بميدان الحرب. وكان متعبٌ كريمًا يذبح الذبائح العديدة للمسافرين

١٠) سقط متعب صاحب النويقة. رماه بطل من الصخور

١١) هايل وذوقان هما من الصخور ودّا الخيل مع مثقال. مجليات الثنايا هي النساء الجميلة

١٢) وكان ذعار بطل من ابطال الصخور يرمي سهامهُ فيسقط الرجال على ارض ويترك اجسادهم للطيور الجائعة

يا هَجر هجّر اللابيس بالزانْ يشداك نجم وانحدرْ من سمايا (١
يا سالم ابو جَبهة كما الحرّ ظليانْ قلايعهْ باليد مـا هي حذايا (٢
قُفطان خيّال المناعيرْ قفطانْ بساعةٍ بها السّبايا عَرايا (٣
لو حضر نوّاف بسيف ظابانْ اخواله العدوان شيوخ قضـايا (٤
لو حضر فايز وفوّازْ فرسانْ غياهِب مثل السيوف المضـايا (٥
فوّاز شيخ تتّليهْ فرسانْ بني صخر هيلّ البيوت التّقـايا (٦
معذّبين بلادهم بجرّد الزانْ حمّاية للخانف وسّاع الثنايا (٧
واختم كلامي بالنبي ولدْ عدنانْ يا ربي لا تكتب عليّ خطايا (٨

رثاء نمر العدوان لامرأته وضحاء

ان نمر الشاعر بعد ان قضى عيد الاضحى في القدس رجع الى بلاده في نمرين وفيما هو سائر في الطريق احسّ بحزن شديد وشعر بموت امرأته وضحاء فأخذ يبكي وهو ينشد المرثية الآتية ولم يكن احد اعلمهُ بموتها وانما القلب نبّهه الى موتها

البارحة يا عُقـاب يوم القمر غابْ بليلة العيد السعيد الجديدِ
عيدٍ سعيدٍ بضُحى العيد لي طابْ حاضر وناظر بمايد وديدي (٩

---

١) هَجّر هو بطل ايضاً كان يضرب لابسي الدروع بالرماح كأنهُ نجم انحدر من السماء.

٢) سالم هو بطل من بني صخر. القلايع هي الحبل التي يأخذها المحارب من عدوه بعد ان يُقتل صاحبها

٣) قفطان من الصخور خيّال مشهور . مناعير هي الافراس الدربة. قفطان اي برقت قليل. جعل المتحاربين عُراة

٤) نوّاف من شيوخ الصخور . سيف ظابان اي باتر. ان العدوان هم اخوال نوّاف وهم قضاة عند العرب

٥) فايز وفوّاز من شيوخ بني صخر. اي إسود

٦) فواز شيخ تسير وراءهُ فرسان عديدون وهم بنو صخر اهل البيوت التقية

٧) يدافعون عن بلادهم بالرماح ويحمون الخائف . وسّاع الثنايا اي يبتسمون للضيوف

٨) يختم كلامه بنبي الاسلام المنتمي الى عدنان ويطلب الصفح عن خطاياه

٩) عقاب ابنهُ. يقول بالامس يا ولدي يا عقاب حين غاب القمر بعد ان قضينا اول العيد بالافراح تحوّل آخر العيد الى حزن وكأني حضرتُ وسمعت الباكين يندبون وضحاء

من عيدنا هذا ظفرْ قلبنا وشابْ ... سار اتعس الاعياد يا عقاب عيدِ (١)
امر جرى لي بالمقادير واسبابْ ... غصبٍ عليَّ يا عقاب ويش بيدّي (٢)
محبوبي أنا سقاني شهدًا صفا ذابْ ... ارياحٍ من فحفاح سُوقِ البريدِ (٣)
محبوبنا عبد وسيّد وحبّابْ ... ذو ناب هو عبدي وذو ناب هو سيدي (٤)
ياعقاب انا جيت المحبة وكاني كنت غيّابْ ... نبّهتُ الخدَم يا عقاب ويّا العبيدِ (٥)
سايلتهم عن صاحبي وَين هو غابْ ... قال استمع يا نِنر ما هو بعيدِ (٦)
زايرْ هلّه يا نمر بسايحٍ ذيابْ ... سريعٍ يلقي والمحبة تزيدِ (٧)
ياعقاب إن كان غيظ ماجرى غيظ وعتابْ ... حافظ اساني من خطأ وحافظ يدي (٨)
يا عقاب اركب فوق ساجوج مزابْ ... نظارٍ سبّتري سوسحاني فريدِ (٩)
اسرع من الدولاب لن ساب او ثابْ ... اكشف خبر محبوب عيني واويدِ (١٠)
يا عقاب ان كان هرج العبد كذّابْ ... برجلي يا عقاب صكّ الحديدِ (١١)

---

١) اكتئاب قلبنا وشاب من الحزن وغدا العيد من اتعس الاعياد. وكسر اواخر كلمة « عيد » للقافية واصلها عيدا ٢) انّ القدر هو الذي سطّر لنا بالموت فانت. ماتت رغمًا عني وماذا استطيع ان افعل يا ولدي عقاب

٣) يقول ان وضحاء سقته كأسًا من الشراب الصافي الذائب الذي هو احلى من الشهد وذلك الشراب هو بارد كالثلج كأنه محمول مع الارياح

٤) ان المرأة هي تارة عبدة لزوجها وتارة هي سيّدة عليه ودائمًا قلبها يحبّ اكثر من قلب الرجل. ذو ناب يعني تارة

٥) يا عقاب انا اتيتُ المحبة وكاني كنتُ غائبًا عن اهلها فسألت الخدام: ماذا جرى ايها العبيد. كاني يعني كأني . ويّا اي ماذا

٦) سألتهم عن وضحاء اين غابتْ قالوا: ما هي في محلّ بعيد. ان الشاعر يستعمل الصاحب عوض الصاحبة ٧) ذهبتْ لتزور اهلها بمحل يسمّى سايح ذياب فانها ستأتي عاجلًا وتزيد المحبة بينك وبينها

٨) ان كانت فارقتني وضحاء لسخط او لعتاب فما اسخطتُها ولا عاتبتُها لاني حافظ لساني من خطإ يسخطها ويدي من ضربها

٩) اركبْ فوق فرس سابق كريمة النسب أسرع من البرق فريدة بين الخيل

١٠) اسرع من الدولاب اذا دار . استخبر عن وضحاء وعن الذي اريده

١١) ان كلام العبد الذي سألتهُ هو كذب فاني لا استطيع المكث في هذه البلاد ولو وضعوا في رجلي الحديد

مكّنوا اكتافي واسجنوني ورا الباب ... لسوح انا وأنعى بلادَ الصيدِ (١
كل ما غنّيت امراح او جنت مرقاب ... لجوح جوح الذيب وعضّ بيدي (٢
أنهف ونوح واقطر الدمع سكّاب ... على صويحبي ألي راح ما هو عن يدي (٣
يا قلبي تقول سفّوت حديد شبّاب ... يا مهجتي لو انهُ حجر كان صار شيدِ (٤
من لامني يا عتاب يُبلى بارقط ثاب ... من جنّة الوهّاب ما يستفيدِ (٥

قصيدة زهدية بها الشاعر يوبخ نفسه على ما جرى منها من المعاصي ويدفعها الى التوبة والندامة

ان الشاعر بنى هذه القصيدة كان قاطع طريق على انهُ لما رأى ما اتاه من المعاصي الكثيرة وعلم بقرب وفاته تاب عن خطاياه وانشد هذه الابيات الزهدية

غنّى الندومُ الذي يبكي على ذنبهِ ... يقولُ يا نفسُ الرضى مع الله اسألكْ
حيدي عن الزلّات لا تمتني بينْ ... وهذه مني يا نفسي نصيحة لكْ
يا نفسي لا تهوي المعاصي تندمي ... دروبَ المعاصي يا نفسِ مهالكْ
لا تشتهي اللذّات والدروب الماطلة ... في جنة الخلد يكون جلالكْ
صومي وصلّي واعبدي الله وارجعي ... خلّي ما مضى عنك زائد ضلالكْ
سايسة لما على الناس خيلْ مغيرة ... اكم دانشا بيسا ما شيْ مالكْ (١٦
فرعون ونمرود يا ما زعت لهم ... يا ما دوروا بتخوتها والممالكْ
ذهبت عساكرهم وفنيت امرالهم ... راحوا هم وبادت كل الممالكْ

---

١) ولو ربطوني باكتافي وسجنوني في الدار لاجول في الدنيا حزينًا الى ان اصل بلاد الصيد

٢) وكل ما اتيت ربوعًا او ارتقيت الى رأس جبل اصرخ صراخ الذيب واعضّ يدي حزنًا وكآبةً

٣) ابكي وانوح واقطر دموعًا كالسحاب على صاحبي الذي غاب عني من غير ارادتي

٤) بقلبي نارٌ تشتعل ولو كان قلبي حجرًا لصار شيدًا والشيد هو الكلس. والسفّوت السفّود

٥) من لامني على بكائي فليبتّل بجيّة تلسعه ولا يدخل جنّة المولى الوهّاب

١٦ سايسة هي كلمة دارجة بمعنى المنية والموت اي ان الموت يأتي على الناس كالخيل الغائرة فيبنا يكون الانسان غنيًا اذا به يصبح فقيرًا

اسكندر حكم بالارض اخذها الطويل ... يقنْ ليوم البعث يبقى مالكْ (١
سليمان بن داود حكم الانس والجن كأنها ... طير الملا والوحش اتى اليه ضاحكْ (٢
حاكى الذّبي جابوا النبا ... قال اخبروني ما في الدنيا بعد المالكْ (٣
قالوا ذبيَ الله اصلك من الثرى ... تحت الثرى تعود واللحد دابكْ (٤
تأمل بنطقها وراح يقول لها ... شقية عجبْ لِمَ يقلْ أدبكْ
كيف حالك والعذر عند خالقكْ ... لا نحن ولا انتِ عند يومه تعالكْ (٥
لكن حذاركِ من قنّاص الموت يصيدكْ ... اذا ما رمشتِ يا شقية حبالكْ (٦
يوطيك على جمر الالم تعدمي الحياه ... بظلمة الجحيم كيف تكون حالكْ
عودي الى الله الغفور وارجعي ... في نعيم الدار والامن بحالكْ (٧

ابيات حكمية

كتب شاب الى ابيه بعض الابيات يستصفحهُ عن ذنب لم يكن اقترفهُ وانما كانت نميمة وسعاية القاها قوم من الحسّاد بينه وبين ابيه. قال:

يا والدي يا والدي كيف أجازيكْ ... يا والـدي والروح ترخصْ فدايكْ (٨
يا والدي يا والدي كيف أجازيكْ ... يا ليت جنـاين الخلد مأواكْ (٩

١) اسكندر الكبير اخذ الدنيا وافتتحها لزمان طويل ظانًا انهُ يبقى مالكًا الدنيا الى يوم القيامة

٢) يقول العرب عن سليمان الحكيم انهُ حكم على الانس والجن والحيوانات الناطقة

٣) الذّبي هي النمل . اي حدّث النمل فاخبره النمل الخبر الصحيح . سألهم ماذا يوجد في الدنيا بعد المالك

٤) اي كان جواب النمل انَّ بعد المالك يوجد القبر

٥) ماذا تتذمّين من العذر للخالق الرهيب . عالكْ اي جاوب

٦) رمش اختبأ . حبالًا مشى على بطنه . اي سار قنّاص الموت في الخفية حتى يصيد النفس الهاربة منهُ

٧) في نعيم الدار يكون مأواك

٨) يقول يا والدي ماذا اقدم لك جزاء اتعابك علي . ولو قدمتُ نفسي فداء عنك لا أفي بشيء ممّا لك عليَّ

٩) يا والدي اتمنّى ان تكون جنات النعيم مسكناك

عندك حكوا لي وعندي وشوا بيك انتم بغضتونا وحنا كرهناك (١
يا والدي يا ما حملتني بين أياديك أنتم حملتونا وحنا حملناك (٢

فاجاب الاب ابنه بكلام النصيحة قائلا :

إحفظ وصاتي لا يا بالك أوصيك لأنباك عن غمة الشرك لأنباك (٣
مرّ صيك أنا يا بوي عن عشرة الديك مَن رافقه يُماعي مماعاة الديك (٤
لا تأخذ التي تقصرك عن معاليك لو أنها مثل الشمس أو القمر ذاك (٥
تصبح مثل المجري تنبح حواليك إن طلبتها بالشور جارت على خاك (٦
الوسوسة والفتنة لا تجي بيك إيّاك لمع النافل إيّاك اياك (٧
صديقك اللي من زمان مصافيك أنها جرت بك حال لا تقول لولاك (٨
وعدوك اللي من زمان معاديك لو زلّت رجلك عن الطور دربّاك (٩
أقتل وليدك ان كان ودّك يشفيك لو ترعل امه لا تخليه يلاك (١٠

١) لقد ألقى الحساد النميمة بيني وبينك فانت ابغضتني وانا ابغضتك . وحنّا هي كلمة يستعملها العرب بمعنى نحن اي نحن كرهناك

٢) يا والدي مرّات عديدة حملتني على ذراعيك وانا تحمّلتُ غضبك بصبر جميل

٣) يقول الاب : يا بنيّ بالك احفظ في قلبك وصيتي الاخيرة اني اخالك عن الغش والمكر

٤) يا بوي اي يا ابي . الديك الانسان الساقط الاخلاق . اي مَن رافق الانذال اصبح مثلهم في كلامه وسيرته

٥) لا تتزوج بالمرأة التي تبعدك عن الامور الرفيعة ولو كانت مثل القمر او الشمس . لان المرأة بكمالها لا بجمالها

٦) المَجري هي الكلبة . اي ان المرأة الجاهلة تطلب اشياء كثيرة لا فائدة منها وان سمعتَ مشورتها جعلتك تجوز وتظلم اخاك

٧) امنع الظنون الرديئة عن قلبك وابعد عنك النميمة — وشبّه صاحب النميمة بالحية السامّة

٨) اذا جار الزمان عليك لا تقل لصديقك الصدوق : لولاك ما جرى هذا الامر . لان طول الزمان بيّن لك صداقته الحقيقية . الي بمعنى الذي . — لنّها اي لو إنّها جرت

٩) ان عدوك الذي طالت عداوته يرميك من راس جبل الى هاوية عظيمة اذا سنحت لهُ الفرصة

١٠) اضرب ابنك ان كنت تريد المسرّة لنفسك وان حزنتْ امّه لا تدعهُ يتسلّط عليك

لو من هانْ لبغداد كمالك ابن اخيكْ لو تطلب خمسة دواوين ما اعطاكْ (١
الضيف لا تعطيهْ مقرن علابيكْ خلّيه صديقك او حبيبك ان جاكْ (٢
ترى لو انّه قام من عندك حكى بيكْ قدّم لضيفك ما تيسّر بيمناكْ (٣
لَنّهْ لناك الموت ياخذ غواليك هذا ما هو بحالْ غيظك اورضاكْ (٤
سهم المنيّة يصيبك لو تخبّات يوميكْ وسهم الخطا لو تبيّنت ما جاكْ (٥
اعطِ الرجال حقوقها قبل تأتيكْ لا تدّعِ بالبطل والحق يَنْلالكْ (٦

ابيات على القريعي لطلال بن رشيد يطلب فيها ناقة وبندقية وسيفاً فالحقاً

يا الهي نادِ لي بالمليحْ وانت خلّاق الجنانِ الباردات (٧
ربي حياةُ الشقاوي هي ريحْ وانت خلاق الامور العاليات (٨
هيهلا يا راكبين فوق فيحْ مثل سيّان الجراد مسرعات (٩

---

١) هان بمعنى هنا – يريد انهُ لو كان ابن اخيك يملك بلاداً واسعة من هنا الى بغداد لا تطلب منهُ شيئاً لانهُ لا يعطيك منها ما تطلب. الديوان هو محلّ الضيف

٢) اجعل الضيف صديقاً لك حينما يأتيك ولا تبس لهُ وجهاً بل اتمم علاقاته واكرامه

٣) قدّم لضيفك على قدر طاقتك من المآكل والاطعمة لانهُ حينما يخرج من عندك يمدح كرمك او يذم بخلك

٤) لَنّه اي لو انهُ. لو اتى الموت عليك يأخذ كل ما هو عزيز غالي ولا التفت الى رضاك او غيظك

٥) يشبّه المنون بجبّار حامل سهماً يرمي من اتت منيته ولو اختبأ عنهُ. ويترك من لم تدنُ آخرتهُ لو ظهر

٦) ادفع ما للناس عليك قبل ان تطالبك به ولا تنكر الحق وانت عارف به

٧) يا الهي وفّقني بما هو جيد ونافع – جنان ج جنّة

٨) الهي ان حياة الانسان التعيس على الارض هي تمضي كما يمضي الريح وانتَ باقٍ تخلق الامور العالية

٩) هنا يشد الشاعر على ناقة كي يسير الى طلال بن رشيد ويطلب منهُ ثلاثة اشياء. هَيْهلا كلمة يستعملها العرب في نظمهم قبل الشدّ ومعناها اهلاً وسهلاً. والبعض يقولون معناها انتم يا راكبين. فيح هي الناقة السريعة – سيان الجراد هي جماعة الجراد الكثير. مسرعات اي طائرات يشبه الناقة بالجراد السريع

او تشدن زف القطا مع وجه ريح هجاهيج يلحقن المزفيات (١
او تشدن برق السما يرمح ويميح من هماليل الثريا ناشيات (٢
انا بثفي ناطر هي سيد فيح بين لها والجثوم مربعات (٣
ثاني طابة بندق ترزح رزيح هواياها بالضريب بيتات (٤
ثالث طابة هندية ضربها صحيح من سيوف يا طلال مثرمشات (٥
ورهادٍ إن سطا الدم يطيح وروس في العجاج مدملات (٦

لغز على التلغراف

يا راكب الي ما تداني الصفير هيلع من نقرة المجن سرساح (٧
امه نعامه وقالوا ابوه بعير جا مغلطانية على خف وجناح (٨
حبال كوره مثل سلك الحرير وسفايفه تقل القرابين طفاح (٩

---

١) او تشبه جماعة القطا (وهو طير) طائرة مع الريح . هجاهيج اي نياق سريعة تلحق النياق المطرودة

٢) فهذه النياق تشبه برق السما يلمع لمعاً في سيرها وسرعة ركضها . وهي تعيش في الاراضي المرتوية من المطر الثريا وهو اول المطر

٣) اريد ناقة حرة تكون سيدة النياق اي أعلاها جنساً واحسنها اصلاً . تأكل الربيع من المحل الموجود بين لها والجثوم وهما مكانان

٤) واريد بندقية لها صوت مرتفع . تظهر عياراتها النارية في الانسان المضروب اذ تفقده الحياة حالاً وسريعاً

٥) واريد سيفاً قاطعاً من السيوف الثمينة

٦) وهذا السيف اذا نزل في الرأس سالت منه الدماء وسقطت الرؤوس على التراب فوق بعضها

٧) يا راكباً فوق ناقة حرة . والحرة هي التي تمشي عشرة أيام ولا تتعب . وهذه الناقة تخاف من الصفير . هيلع ناقة سريعة . نقرة المجن اي من خبر النياق . سرساح اي سريعة كالسيل

٨) هذه الناقة امها نعامة وابوها بعير . مغلطانية اي على سبيل الغلط . خف البعير هو اسفل قدمه . وجناح النعامة . شبه الشاعر عمدان التلغراف برجلي البعير . ووضع للتلغراف جناحاً

٩) كوره هو رحل البعير . اي ان حبال رحله مثل الحرير وعنى بذلك عن سلك التلغراف . السفايف هي شراشيب الرحل . تقل اي تمل . قرابين جمع قراب . طفاح اي ممتدة

لَكَ ضربتَه بالكعب لهُ فرير تمشي عشرة أيام جابها بصباحْ (١
لَنَّهْ ورد يشرب ثمانين بير ما بير الّا به ثمانين صيَّاحْ (٢
مدَّ من الطايف وامشي البصير السوق والبصرى طواها بروَاحْ (٣
قلاع رودس هدَّها بالهرير وقصور حينا بالبحر تطفح طفاحْ (٤

من اللغز لعرابي صبه الشراراة

يا تُرْكْ يا بنْ حميد ماذا البعير ما تجلبونه ان كان تبغون الارباحْ (٥
لعاد لا لهُ خفْ ولا جنح يطير وانت اذكرْ الله راكبه كيف ما طاحْ (٦
انا لقيت الكذب مع كل امير يا خَلِيل كذب مرويه غلط الرماحْ (٧

---

١) اذا ضرب مأمور التلغراف على الآلة يسمع لها صوت فرير . وحينئذ المدى الطويل يطويه بقليل من الزمان

٢) لنَّهُ اي لو انَّهُ . يقال ان اسلاك التلغراف توضع اطرافها بالماء فلهذا قال الشاعر انَّهُ يشرب ثمانين بير . صيَّاح هو الرجل الذي ينشل الماء من البير

٣) الطايف والبصير اسماء بلاد — والسوق والبصرى اسماء بلاد

٤) بامره هدَّ قلاع رودس وبامره بنيت مدينة حينا بقصورها

٥ ، قال الشراري القي اللغز ترك بن حميد : يا ترك يا ابن حميد ما هذا البعير الذى تذكره ان كنتم تريدون المكاسب لِمَ لا تجلبونهُ الى المدن وتبيعونهُ

٦) ان كان ليس لهُ خفٌ بعير ولا جنح نعامة كيف راكبه لا يسقط على الارض . اذكر الله اي خَفْ من الله وهي جملة اعتراضية

٧) وجدت الكذب مع كل امير وترك بن حميد هو امير فهو كذاب ولكن كذب الامراء حلو حينا يكون صاحبه من الابطال الذين يروون الرماح بدم الاعادي . ولم يقل الشطر الثاني الّا حينما رأى ان تركًا قد غضب وظهر ذلك على وجهه

الوحي الالهي

نظر في امكانه وضرورته

للاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

٣ في الاسرار وامكان الوحي بها

السرّ لغةً ما يُكتَمُ في النفس من الحديث (تاج العروس) وتقابله في اليونانيّة لفظة μυστήριον وفي اللاتينيّة (mysterium) ومعناها في الاصل الامر المُبهم او الخفيّ او المجهول

وقد وردت هذه اللفظة في اسفار العهدين (١ بمعنى الشيء المكتوم عموماً وخصوصاً بمعنى الحقائق الخلاصية المطويّة في علم الله قبل ان يبوح بها الينا على السنة انبيائه ولاسيّما ابنه الوحيد سيدنا يسوع المسيح

وفي عرف اللاهوتيين قد يأتي السرّ دالاً على كلّ من الطقوس السبعة التي انشأها السيد المسيح لإحداث النعمة التي تُشير اليها وهي المعمودية والميرون الخ . . . الّا انّهُ غالباً ما يُعنى بالسرّ في اصطلاحهم الحقيقة التي تفوق ادراك العقل المجرّد

وقد يفوق الشيء ادراك العقل إمّا من حيث دخيلة ماهيّته واما من حيث وجوده واما من كلا الوجهين فيكون السرّ على ثلاثة انواع :

١ السرّ الطبيعي — وهو ما نتوفّق الى معرفة وجوده دون استيعاب مكنونات حقيقته من جميع اوجهها فلا سبيل لنا الى استقصاء تعاليلها ولا الى الإلمام باسباب التوفيق بين اصولها مع اننا بما فُطرنا عليه من الفهم نعرفها ملتئمةً متّحدةً في واقع الحال لأنّ وجودها لا يخفى علينا . ومن امثال ذلك المتعدّدة القضيّة التالية : « الحريّة غير المتناهية هي في الحقيقة عين الوجوب الغير المتناهي » . حكمتُ هذا الحكم وتثبّتُهُ اذ تأمّلتُ الحريّة والوجوب فالفيتُهما من الصفات الكاملة فلم أجد بدًّا من ان انسبهما الى الله بحر الكمال الذي لا حدّ له وبما انّ ذاته الصمدانيّة غاية في

---

١) دان (٢ : ٢٨) – مر (٤ : ١١) – رو (١٦ : ٢٥) – ١ كور (١٣ : ٢ و ١٥ : ٥١) الخ

الوحدة والبساطة ولا يدخلها تركيب البتّة وجب القولُ ان الصفات فيهِ تعالى لا يتميَّز في الحقيقة بعضها عن بعض. فالحريَّةُ فيهِ اذن هي عين الوجوب. أجزم بهذا ولا يخامرني ادنى ريب فيهِ مع اني مقرٌّ بعدم استطاعتي ان اكتشف وجه التوفيق بين الصفتَين بل قد يخطر ببالي ما يحدّثني بتنافرهما لولا علمي السابق بوجودهما ملتحمتين بل غير متميزتين في الذات الالهية . فانَّ الحرّيَّة تُشير الى فعل يمكن حدوثُه او عدمُه على حدٍّ سواء والوجوب بالعكس هو حالة ما لا بدَّ من وجوده. نعم انَّ هذا التناقض ليس الّا في الظاهر وقد حاولَ الفلاسفة حلَّ عقدتهِ على طرائق مختلفة منها ما قال بعضهم: انَّ اعمال الله هي واجبة ازليَّة اذا اعتُبرت مستقرَّةً فيهِ وممكنةٌ حادثةٌ في الزمن اذا اعتُبرتَ صادرةً عنهُ منتهيةً الى مفاعيلها الخارجيَّة . لكنَّ هذا الجواب وانْ مرجَّحاً لا يشفي الغليل ولا ينبجس منهُ تمام النور ومهما اجهدَ الحكيم فكره فلا يرى الوجه الصريح الاكيد للتوفيق بين الحريَّة والوجوب في الله الّا من الباب الخارجيّ الذي طرقناه بعد ايمَّة الفلاسفة وهو استنتاج اتّفاق هاتين الصفتين من وجوب وجودهما في العليّ الكامل. واما الباب الداخليّ الذي يحجب عنَّا الرابطة الجوهريَّة الواصلة بين الصفتين المذكورتين فلا سبيل لنا اليهِ. ذلك لأنَّ عقلنا البشري مخلوقٌ ضئيل محدود فلا يقوى على استيعاب الكمال الذي لا حدَّ لهُ من جميع اوجهه فتظلُّ منهُ حيثيَّاتٌ كثيرة لا تبلغها معرفتنا فقد غربت عنَّا في الصفتين اللتين نحن في صددهما تلك الحيثية التي تنشأ عنها رابطة الوجوب بالحريَّة فندري بها اذ دلَّنا عليها الوجود الّا اننا لا نبصرها بذاتها

على انَّ معرفة السرّ الطبيعي لا تستوجبُ الوحي فانَّا وان كنا نجهل تمام دخيلتهِ الّا اننا نستطيع بقوانا الغريزية الوقوف على وجوده على ما مرَّ بك

٢ السرّ اللاهوتي من الطبقة الثانية — وهو الامر الذي يقدر العقل الغريزي حتى قبل الوحي بهِ ان يقف على امكانه ويوفّق بين اصوله الّا انهُ لا يدري بهِ موجودًا واقعيًا ما لم يهبط عليه بهِ علمٌ من الله. مثاله الافعال الاختياريَّة المستقبلة سواء كانت الهيَّة او بشريَّة. فلا يعسُرُ علينا ان نتحقَّق مثلًا امكان قتل زيد عمرًا بعد اربع سنوات. ولكن هل يقع ذلك حقيقةً ؟ هذا ما لا علم بهِ الّا لله ولمن منَّ عليهِ بالنبوة. والى هذا النوع من الاسرار مرجع منشئاتهِ تعالى الوضعيَّة كتأسيسهِ الكنيسة المقدَّسة

وايلانه اياها العصمة الى غير ذلك من الامور التي لمّا كانت منوطةً باختياره عزّ وجل تعذّر على الطبيعة المبروءة تبليغنا اياها وان احاطتنا علماً بامكانها. فلا بدّ ان يبثّ منشئها الالهي مشيئتهُ في شأنها

٣ السرّ اللاهوتي من الطبقة الاولى — وهو ما جمع بين خواصّ النوعين السابق ذكرهما. فيفوق ادراكَ العقل الطبيعي وجودُهُ وداخليـاتُ ماهيتهِ معاً فلا هو يعرفه واقعاً بمعزلٍ عن الوحي ولا بعدَ الوحي لهُ طاقةٌ على استيعاب مؤدّاه باجمعهِ. فمع اننا لا نرى بين اصول السرّ من هذا الضرب تنافرًا ولا تضادًّا أكيدًا الّا اننا لا نرى ايضاً الاسباب الداخليّة التي توفّق وتجمع بينها فلا نُوقن إمكانه الّا على سبيل الاستنتاج اعني مشهودًا عليهِ بنفس وجوده الذي اوحاه الله

وعلى هذه الشاكلة سرّ الثالوث الاقدس لهُ السجود. ويُعبّر عنهُ بالقضية التالية: « في الله اقانيم ثلاثة وهي تقوم بطبيعة واحدة. » فانّك تفهم في هذا التعبير معنى لفظتَي « اقنوم وطبيعة » ومهما جحف الملحدون يشهدُ ضميرك انّ البونَ شاسعٌ بين هذهِ القضيّة وهذيان الهاذر بقولهِ مثلًا « نَعلَمْ بَعلَمْ » بيد انّ كمالاتِ الله سامية اوفى واعلى من ان يحيط الذهن المخلوق بجميع جهاتها فمع ادراكك في سرّ الثالوث معنى المسنَد اليهِ (الاقانيم الثلاثة) والمسنَد (قائمة بطبيعة واحدة) لا يتجلّيان لك من كل اوجههما فلا تتحقّق اسناد الثاني الى الاوّل ولا تجزم بهِ عن سبب داخليّ ولكن لداعٍ خارجيّ فقط هو كلام الحقّ سبحانهُ وتعالى ولذلك تظلّ حتى بعد الوحي واذعانك لهُ بالايمان عاجزًا عن استطلاع وجهٍ داخليّ للتوفيق بين المُسند والمُسنَد اليهِ وانما يدلّك على امكان الثالوث وجوده المشهود عليهِ من العليم الصادق

ومن معترضٍ يوقفنا عند هذا الحدّ قائلًا: انتَ مقرٌّ بعجزك عن اقامة الدليل العقلي على امكان الاسرار من النوع الثالث فعلامَ تحاول بيان امكان الوحي بها. فنجيب:

اولًا الممكن على ضربين فهو امّا ايجابي او سلبيّ. والاوّل ما تثبّتنا بقوانا الغريزيّة امكانَه وعدمَ تناقض اصوله. والثاني ما كان العقل المجرّد بازائهِ في موقف الريب والتردّد فلا هو متحقّقٌ امكانَه ولا هو متحقّقٌ عدمَه وهو قبل إلمامنا بالوحي موقفُنا جميعاً سيّان كنّا مؤمنين او مُلحدين بازاء الاسرار اللاهوتيّة من الطبقة الاولى وعليهِ فان كنتُ انا لا استطيع بمعزل عن الوحي الدلالةَ على امكانها الايجابيّ فليس

بوسعكَ انتَ ايضاً ان تتبيَّن فيها خلفاً ايجابياً لأنَّ لكلينا نصيباً واحداً في معرفتها وكلانا لا نستوعبُ اصولها. انا ذو عقل مخلوق محدود وانتَ كذلك ومهما كنتَ اوفر مني ذكاء واثقب ذهناً فالله يفوقك واياي بما لا حدَّ لهُ وما يغربُ عني من دخيلة السرّ لا يحصحص لك. فكلانا اذاً سيَّان وليس لاحدٍ منا قبل الوحي ان يبتَّ بوجود السرّ او عدمه ولا بامكانهِ او استحالته

ثانياً . فحسبك اذاً للاسرار اللاهوتيَّة ذات الطبقة الاولى بالامكان السلبي . وهو ما يتوخَّى اللاهوتيون اثباتهُ لكلّ سرّ بفرده. فانهم كلَّما عثروا في مباحثاتهم على حقيقةٍ من نوعهِ يباشرون اثبات ورودها في كلام الله المكتوب او المنقول على لسان التقليد. ثمَّ يعمدون الى حجج المعارضين بل غالباً ما يضيفون اليها غيرها مما استنبطوه هم بذاتهم فيبيّنون عدم صلاحيَّتها لاظهار التناقض الصريح في الحقيقة السرّيَّة التي اثبتوها موحاةً من الله

ثالثاً . ويضيقُ بنا المجال لو اردنا استقصاء آثارهم في ابحاثهم هذه عن كلّ سرّ بفردهِ فانها تكاد تستغرقُ كلَّ علم اللاهوت فلندعها اذاً لهم مقتصرين على السرّ اجمالاً شأن الدفاعي (apologiste) ضاربين صفحاً عن قدر مجاوزتهِ حدود المدركات الطبيعيَّة وعمَّا هو فيهِ محجوبٌ عن العقل المجرَّد سواء كان وجوده او ماهيَّته او كلاهما معاً. فيكون حد بحثنا في هذا المقام ايضاح القضية المجملة التالية : « انَّ في الله كمالاتٍ تفوق ادراك العقل المجرَّد ». ولنا بقدرها كفاية لأنها اذا ما صحَّت صحَّ ايضاً ما افحم بهِ اللقان اللاتيني متعاقلي عصره وعصرنا اذ قال (١ : « قد غالى في الحماقة من ظنَّ كذباً ما نطقَ بهِ الوحي الالهي بحجَّة انَّ العقل لا يستطيع استقصاءه »

ولدينا على قضيَّتنا المذكورة المبني عليها هذا الاستنتاج بيّنات عقليَّة نقتصر منها على اثنتين :

(البيّنة الاولى) مهما اجهد الانسان فكره واستغرق الاشياء وتقصَّاها تظلّ معارفهُ ضمن دائرة تحدّها قوَّتهُ الفطريَّة وهو السبب في تراوح العلم درجات ليس فقط من الاطفال الى الكهول ولا من الاميين الى العلماء ولكن حتى ما بين الذين

١) الخلاصة ضدّ الامم ك ١ ف ٣

صرفوا عمرهم في درس المسألة الواحدة فقد يُصيب هذا من الحقيقة ما لا يصيب ذاك مع انَّ تكليهما طبيعةً عقليَّةً لا تختلف جوهرًا في الاوَّل عنها في الآخر وانما الفرق بينهما يتناول الكميَّة والقدر ليس الَّا . فكيف ان كان البونُ جوهريًّا وقابلنا فهم البشر بفهم الملاك مثلًا . اليسَ انَّ هذا يحلّق في عالم الروحيات ويخوضُ فيما لا نقوى نحن حتى الى الدنوّ اليهِ . وكيف لو حاولنا ان نسبر عمق علم الله وان نقابل بسموّه وسعتهِ ونورهِ حقارةَ علمنا وضيقهُ وظلامهُ . هو العليّ الكامل جامع المحاسن كافةً في ذاتهِ فلا يُحصى فيهِ عديدها ولا يقدَّر قدرها فهو اذن في ذهنه جامع المعلومات كلّها لا يفوته منها شيءٌ بل علمهُ هو عين جوهرهِ يفوقُ علمنا بما لا نهاية لهُ وكما انَّ الروح المحض ادرى منَّا بما فيهِ بقدر ما هو اكملُ منَّا فطرةً وجبلةً كذلك الربُّ اعلم بمكنونات ذاتهِ من خلائقه بقدر من يُفضِلُ عليهم طبيعةً وكيانًا اعني بما لاحدَّ لهُ . فلا عدد اذًا يُحصى ولا حدَّ يُعين للمُدركات الالهيَّة المطويَّة في جنانه تعالى محجوبةً عن بصائرنا البروزة ظاهرةً لهُ وحدهُ عزَّ وجلَّ وقد ضلَّ من انكر وجود الاسرار

(البينة الثانية) ولا عجب من هذا فانَّ الطبيعة الحسيَّة عينها استبطنت من الحقائق الغامضة بالوف اعيت حتى الجهابذة من العلماء . فإن كانت الارضيَّات مخفيَّة اكثرها علينا فكيف بالسماويات ولا سيما انت عالمٌ اذًا لا تصعد الى الخالق الَّا راقين اليهِ على درجات مخلوقاته

قال هنري بوانكاره (H. Poincarré) في خطاب القاه في المحفل الفرنسويّ (acad. fre) : « مهما بعدت وامتدَّت فتوحات العلم فلا يزال نطاقهُ محدودًا والسرّ يحيط بهِ من كلّ انحاء تخومه » . وانَّ في تقدّم العلوم في عصر النور هذا ما يؤيّد القول المذكور فقد بلغَ الانسانُ في ايَّامنا من الاكتشافات النظريَّة والعمليَّة حدًّا كاد لا يكون وراءهُ مطمع لولا انَّ العقل البشريّ من طبعهِ نقَّاف لا تثبط عزيمتهُ ولا يقنع بما احرز مهما وفر واناف . بل كلَّما زادت مقتنياته العلمية يطمح بصره الى غيرها وكلَّما تحقَّقت لهُ امنيَّة يرى الطبيعة حتى اسفلها تمسك عنهُ معلوماتٍ هي اوفر من التي حصَّلها او سوف يحصّلها . هذا ما يقرّ بهِ العلماء الثقات كلُّهم فانَّ في اعماق المادَّة الواقعة تحت اعينهم حركاتٍ خفيَّة وتقلبات سريَّة يا بعدَ ما تبدو لهم الرغوة عن صريحها . حلّلوا الاجسام حتى ابسط اجزائها لكن تُرى هل علموا وهل

يعلمون يوماً ما هي مثلاً حقيقة الجاذبيّة التي تجذب الاوكسجين والهيدروجين الواحد الى الآخر فتبلغ الوالفة بالغازين الى حدّ ان ينزعا كلٌّ طبيعتهُ فيتدثّرا طبيعةً جديدة هي المائية. هل علموا وهل يعلمون يوماً بما تقوم الاجسام واي قوّةٍ تصل بين ذرّاتِ الواحد منها. اصطنعوا النظّارات الحادّة فثقبت بها اعينهم كبدَ السماء فقاسوها وقدّروها ولكن هل ثقبت بصيرةُ عقلهم وهل تثقب يوماً كنهَ الكواكب والسيّارات فيفقهوا علامَ تتجاذب ولا تتلاصق! ثمَّ كيف تتضمّن بزرةٌ واحدةٌ كائناتٍ من الاحياء وما هو موقف الجوهر تحت الاعراض وكيف يتّحد في المركّب الانساني ضدّان جسدٌ وروح فهما جوهرٌ واحدٌ واقنوم واحدٌ. كيف هذا وما ذاك؟... لعمري لم نرتفع بعد عن الماديّات الّا ولكلّ خطوةٍ خطوناها على الارض ولكلّ درجةٍ رقيناها في ابراج السماء المنظورة أنشدَ لسانُ حال عيانا:

ثمَّ سرٌّ غامضٌ من دونهِ ضُربَت بالسيف اعناق الفحول

أفتنكر التحليلات الكيماوية والتحوّلات الهيولية الجواهر والاعراض واكتشافات الفلكيّين ووحدة الهيكل البشري والعالم المادّي اجمع لانّا لم نستقصِ كنهَهُ؟

امّا في عالم الروحيات التي يلمّ بها العقل الصرف فامثال هذه المشاكل وغيرها اشدّ منها صعوبةً اوفر من ان تُحصى. فقد حدّثناك فيما سلف عن ثبوت الوجوب والحرية في الله. وان شئتَ زيادةً فسَل المتعاقلين الروحيين الالهيين عن حقيقة الخلق. هم يعتقدون كما ونحن. نشر الكاثوليك وجودَ الهِ روحٍ قائمٍ بذاتهِ متميّز من مبروءاتهِ فيسلّمون اذًا انهُ تعالى اخرجَ كلَّ شيءٍ سواه من العدم ومن ثمَّ لا يترددون في القول: إلهٌ روحٌ محضٌ وهو خالقُ الهيولى. ولكن تُرى هل اطّلعوا على كيفية ذلك هل اوضحوا لنا كيف حال بتحوّل الخالق العدمُ وجودًا وكيف اثّر الروح المحض في العالم كيانًا ماديًّا. تلك وعمرُ الحق عقدة لم يظفروا بفكّها ومع ذلك لبثوا معتقدين حقيقتَي الخلق وروحانية الباري مع عدم استيعابهم لهما لانَّ العقل السليم دلّهم على وجودهما. بل أنحوا باللائمة على الماديين الحلوليين الذين حاولوا فضَّ المشكلة بحذفها والابدال منها تناقضاً صريحاً اذ قالوا والعياذ بالله من كفرهم: انما المادّة ازليّة وانما هي الله. ولكن باي حقّ ينكرُ مذهبَهم هذا المتعاقلون الروحيون؟ باي حكمة ينفرون

من ضلال الحلولية ويقعون هم في مثله ؟ اليس في قضية الخلق كما وفي اسرارنا الموحاة ما يفوق ادراكهم ؟ فما الذي بغّض اليهم هذه وحبّب تلك

أفيُجيبون : « ان السرّ الطبيعيّ وان معضلًا يقوم بالحجّة والبرهان . اما السرّ اللاهوتي فلا دليل عليه » . ومتى كنا نحن النصارى نؤمن عن عمى دون ان نعي سبب ايماننا ؟ أوَ ما حسبنا شاهدًا على اسرارنا كلام الحق جلّ وعلا ؟ (١

ثم يلحون علينا قائلين : « ليس في الاسرار الفلسفية من التناقض الصريح ما نعثر عليه في اسراركم اللاهوتية . تلك مثلًا عقيدتكم في الثالوث جمعتم بها طرفي النقيض لأنّ الله ان كان واحدًا فليس ثلاثة وان كان ثلاثةً فليس واحدًا وانتم تقولون عنه واحدًا ثلاثةً » . اعرفْ انّ في هذا الاعتراض من الافتراء على الوحي الالهيّ ما لا يخفى على ذي عقل سليم ؛ فمتى سمعونا نقول انّ الطبيعةَ الواحدة طبائعُ ثلاثةٌ او الاقانيمَ الثلاثة اقنومٌ واحد ؟ لا لا يا صاح الطبيعة في الله واحدةٌ ومن ثلّثها أشرك وكفر ولسنا نحن من اتباعه . والاقانيم الالهيّة ثلاثةٌ ومَنْ وحّدها شذّ عن الايمان القويم ولسنا نحن من رأيه . ومَنْ وحّد الطبيعة وثلّثها معاً او ثلّث الاقانيم ووحّدها معاً فهو هو الكافر بل هو وحدهُ لا نحن النصارى الذي يضمّ طرفي النقيض . ايماننا هو والحمد لله الاقرار بطبيعةٍ الهيّة واحدة تقومُ بها اقانيم ثلاثة . ألا أمعن النظر في هذه القضية وتشرّب معنى الفاظها فان كنتَ ولا عجب تعيا عن تعليلها وتكييفها فاقلُّ ما تفهمه انّ معنى الاقنوم هو غير معنى الطبيعة . فمن اين لك ان تبيّن في توحيد هذه وتثليث ذاك تناقضاً صريحاً ؟

اما وقد تثبتنا وجود الاسرار فلا حاجة الى الاسهاب في بيان امكان الوحي بها بل نحنُ هنا في غنىً عن برهانٍ جديد يُضاف الى الادلّة التي قدّمناها (ص ٤٤٣–٤٤٥) في امكان الوحي اجمالًا

والحقّ يقال انّ السرّ وان كان لاهوتيًا من الطبقة الاولى يسهل على الله اعلامنا اياه لا اقلّ ممّا يسهل عليه إنذارنا بباقي الحقائق . فمن جهةٍ يُحيط به علمُ العليم كما وبكل شيء . ومن أخرى ليس خروجهُ عن نطاقِ مدركاتنا الطبيعيّة ممّا يضيق له ذرع القدير عن الوحي به الينا . ولا حاجة له تعالى من اجل هذا الغرض ان يُرينا ذاتهُ

١) راجع ص ٣٤–٣٧

وجهاً لوجهٍ كما يعاينها الابرار والملائكة في السماء. فالعقل البشريّ المجرَّد وان كان لا يستوعبُ في القضية السرّيّة المسنَد والمسنَد اليهِ باجمعهما الّا انّهُ على ما مرَّ بك يفهم معنى كليهما فلا يتعذَّر عليهِ اذًا الجمع بينهما بالاسناد. نعم انّهُ يجزم بموافقتهما بناء على كلام الله لا على سببٍ داخليّ وقف عليهِ بذاتهِ او حصّلهُ هو ببحثهِ . غير انّ هذا ليس من مقتضيات الفهم ولا التصديق والتأكيد . ذاك التلميذ مثلًا يفهم معنى القضية الهندسيَّة لمجرَّد شرح الاستاذ لمنطوقها وقبل ان يلمّ ببرهانها امّا معرفة التلميذ اسبابها وروابطها الداخلية فتلي فهمهُ لمنطوق القضية وانما يقف عليها عندما يؤيّد المعلّم الحقيقة الهندسيَّة بدليلها . وامّا التصديق والتأكيد فيؤثرهما في ذهنك الشاهدُ الزكّي دون ان تطّلع بذاتك على الحادث الذي يرويه لك واي شاهدٍ اصدق من الله سواء سردهِ حادثًا جرى او بسطهِ حقيقةً نظرية

٤ فوائد الوحي

علمتَ ممّا سبق (ص ١١٨ — ١١٩) ان منطوق الوحي الالهي نوعان فهو امّا حقيقةٌ سرّيَّة غامضة وامّا حقيقةٌ طبيعيَّة لا تخرج عن دائرة مدركات العقل الغريزي

امّا الوحي بالحقائق التي من هذا الضرب الاخير فلا نطيل الحديث في منافعهِ لاننا سنفي بالمراد ونزيد اذا ما بيّنّا في الجزء التالي ضرورته فضلًا عن فوائده فنكتفي هنا بالاشارة الى بعضها

فاعلم اوّلًا انّ الوحي بما لا يفوق ادراك العقل يؤول على الله بمجدٍ عظيم فهو اذًا خليقٌ بهِ تعالى لا يحطّ من عظمته . وذلك لانّهُ بصرف النظر عن مضمونهِ وفي حدّ ذاتهِ فعلٌ الهيٌّ يظهر كمالاتهِ تعالى لا أقلّ عن باقي مخلوقاتهِ بل بالاحرى يحدو بنا الى تمجيد الناطق بهِ وتسبيحهِ

ثمَّ انّ الوحي هذا مفيدٌ للانسان ذاتهِ . قل لي يا صاح ماذا لو تركك ابواك وشأنك بعد سنّ الرضاعة والطفوليَّة ووكلا الى الطبيعة وحدها تخريجك وتثقيفك ؟ اجل انّك لم تكن في تلك الحالة مُتَّ جوعاً وبردًا لانّك كنتَ درستَ ما انت محاطٌ بهِ من المخلوقات واستخلصتَ منها حاجتك. لكن شتّان بين حالتك تلك وحالتك الآن. فاين هناك ما افادتك بهِ هنا تربيةُ والديك وخبرتهما قدخاتَ الحياة مدرَّباً محنَّكاً ؟ اينَ هناك ما حصّلتهُ هنا بتعليم معلّميك من الآداب واللغات والمعارف

فلمّا اردتَ السير في جادّة الدروس الشخصيّة الفيتها ممهدةً ووجدتَ في سابق علمك نبراساً يهديك في تنقيباتك الصراط المستقيم . فلو لم تُذرَّع من غيرك تربيةً او لم تُلقَّن من مخرّجيك علماً لكنتَ في الثانين من عمرك اجهل واقلّ حنكةً من ابن العشر . وكذا قل عن المعارف الدينيّة الطبيعيّة لو لم يلقّنها الله عبادَه بالوحي لما كانوا بلغوا الحدّ الذي بلغوه منها . فسبحان الذي افاضَ علينا ضياء بكلامه المُنزَل فنعمنا بهِ ديناً نيّرًا وعبادةً حارّة

اخيرًا انتَ تعلم انّ اُسَّ الدين حتى الطبيعيّ هو الاقرارُ قولًا وفعلًا بربوبيّة الله فمن مقتضياته الاولى اذًا الطاعة والخضوع ومن منافع الوحي اتساع نطاق تلك الطاعة اذ الوحي يستوجب الايمان فيحدو بالانسان الى الانقياد لربّه ليس فقط ارادةً ولكن عقلًا ايضاً

امّا معرفة الاسرار الموحاة فما اشبه من ينكر فائدتها بفقير طلب منك فضّةً فلمّا اعطيتَهُ معها ذهبًا القى بهِ في البحر ظنًّا منهُ انهُ يغنى عنهُ فهو بالفضّةِ وحدها . وسرٌّ موسّع . فالفضّة هي القوّة العقليّة التي خوّلنا الله اياها بها نعدّن المخلوقات فنستخرج منها ما ادّخرت لنا من الاشارات الى الكمال الالهي . وامّا الذهبُ فهو علمٌ تفرّد بهِ الله اذ ليسَ للخلق سبيل الى الوصول اليهِ بقواهم افيرفضونهُ ام لا يمتدّون بهِ اذا منَّ بهِ تعالى عليهم . لعمرُك مهما حوى السرّ الموحى ظلامًا فلا يخلو نورًا فتزدادُ اذًا بهِ ولا شكَّ معارفنا ومن لا يرى انّ بزيادة المعارف للذهن كمالًا وجذوى . ومهما عينا عن استيعاب السرّ فاننا لا ندرك وجوده الّا وقد حلّقنا في سماء الروحيّات حتى مقدس اللاهوت فيتجلّى منهُ لاعيننا « ما لم تره عينٌ ولا سمعت بهِ اذنٌ ولا خطر على قلب بشر » . ومن لا يرى انّ العقل يسمو فينتفع اذًا كلّما سمت معرفتُه

فما الرأيُ اذن بقول العقليين انّ السرّ لا يجدينا الالمامُ بهِ فائدةً بل يحطّ من كرامتنا . اسمع جان جاك روسّو احد زعمائهم يقول (في كتابه الذي عنوانهُ اميل) : « ليس معبودي الهَ الظلام وما أولاني فهمًا كيما يعنيني الانتفاع بهِ فمن اشار عليَّ باخضاع عقلي اهان مُبدعَهُ » . ولِمَ ؟ لِمَ اُسامُ عارًا اذا طأطأتُ الرأس عند قدمَي ربّي والهي فآمنت بمقالهِ مهما خفيت عليَّ روابطه . قال الاب مونسابره يجيب

المذكور روسو : « سبرتُ نفسي وسبرتُ انفساً قربتها اليَّ المودّة فتعوّدت ان تكشف لي عن ضمائرها سألتُ الاحقابَ وتمثّلتُ من العقول التي سطعت في فلك الحكمة اثقبها فكان اعتقادي انَّ رضى الانسان بما لا يحيط بهِ ادراكه لا يُلحق بهِ ذلًّا ولا يثبّط لهُ همّةً بل الاسرار سُنّةٌ تضمن للمرء امناً ولعقلهِ رقيًا » (١

والحقّ يقال انَّ الانسان ان كان من طبعه ميّالًا الى العلم فهو من طبعه ايضاً ميّال الى الكبر فاذا نال من المعارف حظوةً ربّما آل بهِ الكبر الى لن ينسى ابا الانوار الهُهُ فينسب الى ذاته الفضلَ كلَّ الفضل في احراز ما احرز هذا مع انَّ العالم المنظور عينهُ يتقلّب في ليل من الاسرار لا يبدي للمتبصر نورًا الّا تخالهُ ظلامٌ فكيف لو كان كلّهُ نيّرًا لا يطري عنّا حقيقةً ولا يحجب شعاعاً . أما كنّا نُفتن بذكائنا فننسى عن المعبود الفرد ونتوهّم اننا نحن صانعو العالم لاننا أحطنا باجمعه علماً . ولذا اتانا الله بالدواء وانزلَ فاضاف الاسرار الموحاة الى الطبيعيّة حتى اذا ما تجلّى لنا بمخلوقاته ووحيه مكتسياً نورهُ ظلاماً هدانا نورهُ الى الالمام بكمالاته وأرغمنا ظلامهُ على الاقرار بعظمتهِ وحقارتنا فنخرّ عند عرشهِ هاتفين : لكَ السجودُ يا ليلًا نيّرًا ويا نورًا مظلماً . والخلاصةُ انَّ ما اودعهُ الله اسرارهُ الموحاة من الصعوبات والمشاكل لمرّ اضنُ ضامن لتواضعنا وخضوعنا لهُ تعالى

على ان هذا الخضوع لا يحطّ من كرامتنا بل ينيلنا مجدًا اثيلًا . اجل طأطأنا الرؤوس خاضعين لكن لمن هو اعظم منّا بما لا نهاية لهُ . زحفنا على الركاب فسجدنا لكنَّ معبودنا هو الربُّ الاله وهو كأنهُ عدلٌ وجودةٌ لا يُضيع لطاعة عبيده اجرًا ولا لايمانهم ثواباً . يكافئهم في الحياة الاخرى اذا ما ضاءت لهم انوار مجده فيانوه وجهاً لوجه ويكافئهم ايضاً حتى في هذه الفانية حيثُ يمنحهم من الحقّ ما فيهِ لذّتهم وسعادتهم فانَّ عتمة الاسرار يحاذيها النور من كل جانب وفي خلال معضلاتها اودع الوحي الالهيّ حقائق راهنة يا سعدَ من آمن بها ويا سعد سعدهُ اذا ما جعلها ليلًا نهارًا . وضوع تأملاته فانَّ ما احرزه منها يُضرم في قلبهِ الشوق الى التمتّع بنيرها فيهبُّ سائرًا على جادّة الوحي مستنيرًا بهِ في كل خطواتهِ تعينهُ حقيقة على ايجاد اخرى

(١ MONSABRÉ : Introduction au Dogme catholique, T. I, 4e Conférence, p. 111.

ولا تتوهمنَّ انَّ الباحثين العلماء وارباب اللاهوت وحدهم يتمتعون بهذه الافراح فانَّ في الاسرار سنَّةً تضمن الرقيَّ حتى لأوضع المؤمنين واصغرهم . وما احسن ما قال ونسابره في هذا المعنى (١ : « قد شبَّه الله ذاتهُ (تثنية الاشتراع ٣٢ : ١١) بملك الطير الذي يُثير فراخهُ ويستفزّها للطيران . هي تسمعُ صراخهُ يدعوها الى قمم الصخور فتنحني من عشها وتتساقط في الفضاء باسطةً اجنحتها ثم تصعدُ الى ابيها فتطير واياه نحو الشمس التي تسقي بنورهـا احداقها الوقّادة فتستطيع ان تجحظ من العلاء الى رحبات الفضاء . وكذا نحن المؤمنين فانَّ ما فاهَ به كلمةُ الله يرنُّ كصوتِ النسر فوق الهوّة التي اختبأت فيها فراخهُ فاذا ما قمنا وراء النسر الالهي وجاوبنا وحيهُ السامي بهتاف الايمان صعدنا صعودًا يزدادُ ظمأنا الى الضياء كلّما ناء عنا سراجُ الطبيعة الضئيل . واننا حتى ما بين دجنِ الامور التي يفوق ادراكنا نشعر بقرب الشمس الابدية ، التي نعاينها يومَ ينقضي زمن الايمان وتحين لنا الرؤيا بلا حجاب في دار الخلود (لهُ تابع)

الحياة الحيوانية على وجه الكرة الارضية

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

انهُ لعمري مشهدٌ يسبي الابصار أن نعاين على وجه أرضنا مظاهر الحياة الحيوانية في شؤونها المختلفة وعاليها المتباينة

قال صاحب المزامير (٨ : ٩) : « ما اعجب اسمك يا ربّ في كلّ الارض » فهي آية تصدق في كل اعماله تعالى في ارضنا . عجيبٌ اسمهُ في هذه الافلاك الدائرة في السماء وفي هذه الكواكب التي تزين القبّة الزرقاء وكأنها جاريةٌ بنظام ثابت لا تحيد ذرّةً عن سيرها . عجيبٌ هو في تداول الفصول السنويّة واختلاف الاقاليم

---

١) في المجلد ذاته ص ١١٧ و١١٨

ولا تتوهمنَّ انَّ الباحثين العلماء وارباب اللاهوت وحدهم يتمتعون بهذه الافراح فانَّ في الاسرار سنَّةً تضمن الرقيَّ حتى لأوضع المؤمنين واصغرهم . وما احسن ما قال ونسابره في هذا المعنى (١ : « قد شبَّه الله ذاتهُ (تثنية الاشتراع ٣٢ : ١١) بملك الطير الذي يُثير فراخهُ ويستفزّها للطيران . هي تسمعُ صراخهُ يدعوها الى قمم الصخور فتنحني من عشها وتتساقط في الفضاء باسطةً اجنحتها ثم تصعدُ الى ابيها فتطير واياه نحو الشمس التي تسقي بنورهـا احداقها الوقّادة فتستطيع ان تجحظ من العلاء الى رحبات الفضاء . وكذا نحن المؤمنين فانَّ ما فاهَ به كلمةُ الله يرنُّ كصوتِ النسر فوق الهوّة التي اختبأت فيها فراخهُ فاذا ما قمنا وراء النسر الالهي وجاوبنا وحيهُ السامي بهتاف الايمان صعدنا صعودًا يزدادُ ظمأنا الى الضياء كلّما ناء عنا سراجُ الطبيعة الضئيل . واننا حتى ما بين دجنِ الامور التي يفوق ادراكنا نشعر بقرب الشمس الابدية ، التي نعاينها يومَ ينقضي زمن الايمان وتحين لنا الرؤيا بلا حجاب في دار الخلود (لهُ تابع)

الحياة الحيوانية على وجه الكرة الارضية

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

انهُ لعمري مشهدٌ يسبي الابصار أن نعاين على وجه أرضنا مظاهر الحياة الحيوانية في شؤونها المختلفة وعاليها المتباينة

قال صاحب المزامير (٨ : ٩) : « ما اعجب اسمك يا ربّ في كلّ الارض » فهي آية تصدق في كل اعماله تعالى في ارضنا . عجيبٌ اسمهُ في هذه الافلاك الدائرة في السماء وفي هذه الكواكب التي تزين القبّة الزرقاء وكأنها جاريةٌ بنظام ثابت لا تحيد ذرّةً عن سيرها . عجيبٌ هو في تداول الفصول السنويّة واختلاف الاقاليم

---

١) في المجلد ذاته ص ١١٧ و١١٨

التي تجدي كلّ منطقة الحرارة اللازمة لسكانها . عجيبٌ هو في المواليد النباتيَّة التي تبسط على وجه الارض حليَّها البهيَّة فتكسو اوديتها وسهولها وقممها بضروب الاشجار والبقول ودقائق النباتات المنمَّقة بالزهور الموسقة بالاثمار . لكنَّهُ تعالى عجيبٌ هو ايضاً في المواليد الحيوانيَّة المنبثَّة في انحاء المعمور فمنها الكبيرة الضخمة ومنها الصغيرة الدقيقة فكلُّها تنشأ وتعيش وتتوالد بنظام كامل لا يفوتها شيءٌ ممَّا يوافق كيانها وانواعها من صلاح مكان او مناسبة زمان او طعام . وكلُّها تقوم بما عهده اليها خالقها من الادوار في عالم الكون

ففي هذه الاسطر التي نرقمها اليوم قد خصصنا نظرنا بهذه المواليد الحيوانيَّة لاسيما الهوامّ والحشرات التي يغلب عددها على سواها والتي يزدري بها الناس لجهلهم خواصَّها ولو دقَّقوا النظر في محاسن اطوارها لوجدوها شبيهة باطوار العالم الطبيعي والمواليد النباتيَّة

واوَّل ما يستوقف النظر مبدأ حياتها الذي تنالهُ من حيٍّ آخر سبقها . فهما أجهد الماديُّون نفوسهم وكرَّروا الاختبارات لينتزعوا من الجماد شرارةً من الحياة او ليثبتوا التوليد الذاتي ذهبت مساعيهم ادراج الرياح فلم يستطيعوا البتَّة ان يبيِّنوا نشوءَ حيوان واحد دون زرع سابق سواء زعموا انَّ هذه الحيويَّات تنشأ من العفونيَّات النباتيَّة او انَّها تتولَّد من موادَّ حيوانيَّة متحلِّلة بالفساد . وما افادت نتيجة اختباراتهم الَّا انَّها دفعت علماء اثباتاً مؤمنين الى ان يتعمَّقوا في درس مبادئ الحياة فيثبتوا بالادلَّة القاطعة انهُ ليس حياة الَّا من الحيّ وانَّ الحيَّ يتوالد من آخر من نوعهِ . فهذه قاعدة مطَّردة لا تشذُّ عنها تلك الحشرات الدقيقة والنباتات الناعمة كالنقاعيَّات والعفونيَّات والجراثيم الميكروبيَّة والموادّ المختمرة الخ فانَّ كلَّ نوع ينشأ تماماً عن نوع آخر شبيه بهِ كما استدلُّوا اليهِ بتلك الاختبارات التي استعملوها لاصطناع الخمر والجعة (البيرا) والجبن وغير ذلك . وكما تحقَّقوهُ بالعلوم الميكروبيَّة ومعالجة امراضها . فانَّ ذلك كلَّهُ يستند الى المبدأ المومأ اليهِ وينقض اركان التوليد الذاتي الذي يريد الملحدون تأييدهُ لينفوا وجود الخالق فانَّهم شاؤوا ام ابوا يلزمهم الاقرار باكتشافات باستور وضعف المزاعم الدروينيَّة (وسنعود ان شاء الله الى نقد المقالات التي نشرها المقتطف مؤخَّراً في هذا الصدد)

قلنا انَّ الحيَّ يتولد من الحي لا محالة وزدنا عليهِ ان كلَّ نوع يتولَّد من نوع آخر يشبههُ فمن البديهي انَّ الفرس تولد فرساً مثلهـا والنحلة تخلف نحلة وانَّ الميكروب ينشئ ميكروباً مثلـهُ فميكروب الطاعون لا يولّد ميكروب الكلَب والعكس بالعكس كما انَّ السنديان لا يخلف غير السنديان . ومنذ عهد دروين الى يومنا عجز كلّ انصارهِ عن وجود شذوذٍ لهذه القاعدة سواء كان في جملة الاحيـاء ام في عداد التوالد المستحجرة فلم يجدوا اثرًا لاحد افرادٍ من الاحيـاء انتقل من نوع سابق الى نوع لاحق ثبت في الكون . فظهر بذلك فشل مذهب الماديين الذين يؤكدون بالنظر رأياً يخالفهُ التاريخ والاختبار العلمي اليومي

من المعلوم انَّ في جبل اوغسطوس قيصر بلغ العالم الروماني اوج عظمتهِ وفيهِ ظهرت نوابغ الرجال وطرائف الآداب . فكان من جملة ادباء ذاك العصر ڤرجيليوس إمام الشعراء الذي صنَّف التصانيف البديعة من جملتها قصائدهُ الزراعية ولهُ هناك وصفٌ للنحل قال في اثنائهِ : « اذا اردت تجديد كواثر نحلك خذ لك ثورًا اسود في جبينهِ غرَّة بيضاء فاذبحهُ وألقِ بجثتهِ في عزلة . . . فلا يلبث بعد أيام ان يخرج منهُ خشرم من النحل . . . » وهذا الرأي الغريب يعرضهُ ڤرجيليوس على قرَّائهِ بابيات من الشعر اللطيف الذي يحبُّ الدارسون استظهارهُ . ولكن هيهـات ان يوافق حسن شعرهِ حقيقة الزعم فانَّهُ نقل دون تروٍّ ما سمعهُ من بعض الفلَّاحين المجاورين لرومية فروى عنهم هذا الخبر جزافًا . واليوم في القرن العشرين يعلم اجهل الفلَّاحين كيف تتوالد النحل وتنشأ الخلايا الجديدة

على انَّ كثيرين حتى من اهل زماننـا المدَّعين بالمعارف لا يزالون يتخيَّلون بانَّ حشرات كثيرة تتولَّد من المزابل والموادّ المتعفنة والمياه الآجنة . وانَّا يحكمون على حسب النظر البديهي اذ يرون حول جثة منتنة وكذلك فوق الآجام والمستنقعات الوفًا من الذباب والهوامّ . أفيا تُرى هذا تولُّد ذاتيّ . كلَّا مهما توهَّمهُ الجاهل فانَّ هذه الحشرات نشأت من بيضة من نوعها . امَّا النقاعيَّات والموادّ المتحللة الفاسدة فلو عُقِّمت وحُفظت في عزلةٍ عن الهواء بحيث لا يختلط بها زرع جديد بقيت على حالها دون ان ينشأ عنها حيٌّ مطلقًا لا من الحشرات ولا من العفونيَّات

وما نقولهُ عن هذه النقاعيَّات والاجسام الفاسدة نراهُ اليوم عملًا في تلك العُلَب

التي تأتينا من اوربّة واميركا كاللحوم والاسماك والحلويات التي تودع في تلك العلب بعد تعقيمها بالحرارة الى درجة تقتل فيها كلّ الجراثيم الحيّة ثمّ تُصان في خلوة من الهواء الناقل للجراثيم الحيّة بحيث لا تستطيع الحشرات ان تمسّها وتدسّ فيها بيضها. ومن ثمّ تُصبح تلك الاطعمة سليمةً غير قابلة للفساد مطلقاً

*

ولهذه الحياة الحيوانيّة صور شتى يمكن الانسان ان يطّلع على بعض فوائدها بان يزور المتاحف التي لنشأتها عواصم البلاد فجمعت فيها اجناس الحيوانات لدرس طبائعها او يدخل في المعاهد الجامعة للحيوانات المصبّرة والجاميع الحشرات. فانّهُ يرى هناك ما يخلب عقلهُ مع انّ هذه المتاحف لا تستطيع ان تحتوي الّا عددًا قليلًا من تلك الحيوانات ولو امكنهم الحصول على كلّ الحيوانات المعروفة لما كفيت لعرضها المدن فضلًا عن المعاهد فانّ ما يعرفونهُ اليوم من انواع ذوات الفقرات (les vertébrés) وحدها يبلغ ٤٧,٠٠٠ نوع بينها ٨,٠٠٠ من الزحّافات و١٢,٠٠٠ من الاسماك و٢٠,٠٠٠ من الطيور و٧,٠٠٠ من ذوات الاثداء (les mammifères) المتباينة الكبر فبينها ما يبلغ ٣٠ مترًا كالحوت (la baleine) او يبلغ ضخماً عظيماً كالفيل الافريقي الذي وصفهُ المرسل الكاثوليكي اوغوارد (Mgr Augouard) فما استطاع قتله الّا بعد رميهِ بستّ عشرة رصاصة معظمها في رأسهِ وقد قاس دائرة قائمتهِ فاذا هي تبلغ مترًا واحدًا ووجد وزن جسمهِ نحو ألفي كيلو. وبينها ما هو صغير جدًّا كالفيران

واذا اعتبرنا اصنافاً اخرى من الحيوانات كالهلاميّات (les mollusques) التي لكثير منها أصداف غريبة كالحلزون والمحار فانّ ارباب الطبيعة يعرفون منها ٢٠,٠٠٠ نوع مختلف. وقس عليها اصناف نجوم البحر (Les rayonnés) المتعدّدة الاشكال وذوات الغضاريف (les crustacés) كالسّرطان وحاكة الانسجة (les arachnides) كالعنكبوت

وما قولنا بالحشرات والهوامّ الصغيرة الطائرة المجهّزة غالباً بثلاثة ازواج من الاجنحة او بزوجين او زوج واحد فانّ احد ارباب الطبيعة من الاختصاصيين عدّ ما

يُعرَف منها فبلغ احصاؤهُ عشرة ملايين من الضروب المختلفة (١ . ولا يذهلنا هذا العدد العظيم مع ما نعرف من بعض فصائل الحيوانات فانَّ جنس السوس (les charançons) مثلاً كالسوس الذي يقرض الحبَّ لا تقلّ اصنافهُ المعروفة في عهدنا عن ٦٠٠ نوع

ومن الطبيعيين الذين خصُّوا نفوسهم لدرس دقائق الحشرات التي تمصُّ ورق الاشجار (les eriophydes) فأطلعهم المُجهر على ٢٢٧ نوعاً منها في اوربَّة وحدها . ولا شكَّ انَّ بقيَّة اقطار العالم تحتوي انواعاً أُخرى مثلها واكثر منها فتختلف مع اختلاف نباتات كلّ قارة من الارض فيكون مجموع انواع هذه الفصيلة وحدها مشيفاً على الالفين . وكم هناك من الفصائل غيرها

ولعمري لا يخلو مكان من الحشرات فتراها حيثما توجَّهت . هي فوق الارض وفي بطنها على الشجر وعلى كل اوراق النبات في الاخشاب وبين المروج في اراضي الحرث واراضي البور في الحفائر والمستنقعات . اذا قربتَ من الزهور سمعت طنينها واذا نظرت الى طريق رأيتها زاحفةً في جوانبهِ وان لحظتَ غصناً من الشجر وجدتها تتقوَّت منهُ فالحشرات تطير في الهواء وتسبح في الماء وتسير على الرمال وتختفي بين الحجارة وتغوص في الحمأة . حيناً تركب متن الحيوانات الكبيرة او الطيور متطفلةً وحيناً تقرض لباب الخشب تحت قشرتهِ تارة تثقب نفاية الاخشاب على شكل لولبيّ وتارة تتطلَّف المواد الآليَّة الباقية من النبات والحيوان . فالحياة تغمر وجه الارض وهي في حركة دائمة وتجديد متوالٍ

انَّ العموم لا يعرف من امر الحشرات الَّا ما رآهُ منها بالعيان ويكاد لا يعرف غير أذاها كالدودة في الاثمار والجعلان في البقول والذباب على الطعام والزنبور اللاسع فيبقى عند هذا الحدّ ولا يبحث عن اسرار حياة تلك الحشرات وما من العلاقة بين تلك الاحياء كالعلاقة بين الدودة والفراشة ولعلَّهُ اذا رأى حشرة طائرة ظنَّ أنها خرجت من رحم امها مجنَّحة كأجراء الكلاب من الكلبة او كالطائر من بيضتهِ

كلَّا انَّ للحشرات اطواراً عديدة تقطعها قبل ان تبلغ كمال بنيتها ولاهل

---

١) راجع مجلَّة الابحاث (Etudes, t LXXV, p. 648)

سورياً في دود القزّ الذي يربّونهُ مثال قريب يوقفهم على تلك الاطوار فكلّ منهم يعرف بزرتهُ ويعلم انّ هـذه البزرة في وقت معلوم تتحوّل بقوّة الحرارة الى دودة ثمّ تنسج فيلجتها فتعرهـا بصفة سُرُف (chrysalide) ثمّ تفتح سجنها فتخرج منهُ على شبه فراشة تبزر بزرها السابق ذكرهُ . وما نعلمهُ من احوال دود الابريسم يجري لكل اجناس الفراشات التي تمرّ في هذه الاطوار الاربعة من بزرة الى دودة الى سُرُف في فيلجة الى فراشة طائرة . لكنّها تختلف في مدّة هذه الاطوار فمنها مـا يقطعها مرّة واحدة في السنة ومنها ما يقطعها مرّتين بل ثلاث مرّات كلّ عام . فتبقى البزرة او الفيلجة في جمودها ريثما تحييهـا الحرارة والرطوبة واحوال جوّية لا تزال مجهولةً فتنتعش البزرة او تنفتح الفيلجة لتطير الفراشة

وفي كلّ هذه الحركات الطبيعيّة اسرارٌ مكنونة لم يكتشفهـا العلماء فيجهلون سبب الفرق الموجود بين الاشكال التي تتحوّل الى فراشة في الربيع والاشكال المتحوّلة في الصيف مع انّها كلّها في احوال متشابهة من الظروف المكانيّة والتقلّبات الجوّية . وكذلك لا يدرون سبب خروج دودة القزّ من فيلجتها بعد ايّام قليلة على خلاف جنس آخر من دود القزّ الاسود الذي يقرض اوراق الاشجار فانّهُ اذا نسج فيلجتهُ بات فيها من شهر حزيران الى الربيع

ومن اسرار هذه الحشرات طعامُها الخاصّ بكلّ من انواعها فانّها تتقوّت امّا من نباتات معلومة قليلة العدد فـلا تتحوّل الى دودة آكلة الّا في وقت ظهور تلك النباتات وامّا من حشرات غيرها تجدها ايضاً مهيّأة في وقت حاجتها الى تلك الحشرات عند تحوُّل البزرة الى دودة

وانظر يا رعاك الله اختلاف هيئة هذه الحشرة الغريب . فانك اذا رأيتها اوّلاً على شبه دودة قبيحة المنظر ذات قوائم قصيرة على طول جسمها مزدوجة ثمانية ازواج خالية من كلّ جناح او قرون استقبحتَ صورتها مشمئزّاً . ولكن توقّف مدّة ايّام عندها والحظ ما يطرأ عليها من التغييرات ترَ منها العجب . فخذ مثلاً الدودة التي ترعى القنّبيط (الملفوف) وهي دودة مزرقّة فان رقبتَ حركاتها تراها تأكل اوراق القنّبيط بنَهَم مدّة ١٥ يوماً ثمّ تصوم وتعلّق رأسهـا سافلاً الى حجر من الجدار او الى عرد من النبات حتى اذا آن الوقت تشقّق جلد هيئتها الدوديّة وتجرّدت عنهُ كثوب بالٍ

تلقيه لعدم حاجتها اليه فتظهر تلك الدودة في هيئة غريبة تراها ملتصقة بدعامتها من حجر او عود منوطة بها بثلاثة خيوط من الحرير ولا تميز لها الا رأساً ولا ذنباً وانما ترى احد طرفيها محدَّدًا والآخر اعرض مع زوايا ناتئة وهي بلا حراك كأنها ميتة . ثمَّ بعد ايام يتشقَّق هذا الثوب الجديد فتنسلخ منهُ وتظهر في شكل هامَّة ذات ستّ قوائم طويلة وقرنَيْن ثمَّ خرطوم مستطيل لولبيّ مع عينين مركَّبتين من تقاطيع صغيرة وجناحين متكسرين وان عاينت ذينك الجناحين رأيتهما بعد قليل يمتدَّان وينتشران منتصبين بقوَّة فيتلوَّنان بالوان بيضاء صدفيَّة في وسطها نُكَت سود . وهذا كلّهُ يتمّ باقلّ من ربع ساعة . فليت شعري اين هذه الفراشة البيضاء الحلوة المنظر واسمها في لغة العلم (picride du chou) من تلك الدودة الشنيعة الصورة التي رأيناها تلتهم القنّبيط

وهناك فراشات عديدة اجمل من هذه الفراشات البيضاء تأخذ بمجامع الابصار لما تزدان به اجنحتها من الالوان الزاهيَّة البهية . فمنها صفراء ومنها خضراء ومنها زرقاء ومنها رمداء وعلى جناحيها نقوش بديعة وتطاريز من ذهب ولازورد وارجوان وزمرُّد . فكم من مرَّة اذ كنا نفتح عُلَبنا التي جمعنا فيها اشكال الفراشات فينظرها الناس منظَّمةً يصرخون لدى رؤيتها : سبحان الخالق ما اجمل هذه المخلوقات

اي نعم سبحان الخالق الذي يحوِّل دودة كانت تغوص في الوحل والسرقين الى جواهر حيَّة تتلألأ كالدرّ واليواقيت فتطير في الهواء بعض ايام فتقرّ عين الانسان بنظر محاسنها وهو يراها تتنقَّل من زهرة الى زهرة لتجني منها جناها ثمَّ تفنى بعد ايام لكنَّها تخلف قبل موتها بزرًا حيًّا لكنهُ هامد سوف يكرر كامنه الميتة تلك الفصول عينها من الحياة الدوديَّة الى الطيران لا يخلُّ عنها ذرَّة

فليقم الآن المطارن والزنادقة وليكابروا الحقَّ بقولهم انَّ هذه العجائب انما هي مفعول الصدفة ! . اف منكم يا ملحدون أولا تستحيون ان تنسبوا الى الصدفة وجود هذه الخلايا الحيَّة المودعة ضمن بزرة دقيقة تصونها في قشرة مستدقَّة لتخرج منها بعد زمهرير الشتاء دودة من صنف معلوم ؟ . او تنسبون الى الصدفة حرص هذه الدودة على الاكل مدَّة اسبوعين او ثلاثة اسابيع لتنقطع بغتةً عن الاكل وتتحوَّل الى شرنقة ؟ او تقولون انَّ من الصدفة ما يحدث في الفياجة مدَّة سُبات الدودة فتتألف

دون عمل منها كل اعضائها على نظام عجيب فتطول قوائمها وتتحدَّد زوايا اطرافها ويتكوَّن فيها ذاك الخرطوم اللولبيّ الدقيق الذي تنفذهُ في اكمام الزهور لتمتصَّ منها نقطة من عسلها فتتقوَّت بهِ ؟ . وهذه العيون المتعدّدة التقاطيع وتلك الاجنحة المتلوّنة على اشكال النسيفاء التي تجعل تلك الفراشة اللطيفة كصاغة ثمينة أفيعدُّ الملحدون كل ذلك من عمل الصدفة ؟ . هذا فضلًا عن نسبة اعضائها واتقان تركيبها ونظام كل قسم منها وليس ذاك في فراشة واحدة بل في كل فراشات الدنيا بأسرها . فيا لله ما افظع الكفر وما اقبح جنون الكافرين !

واعلم انَّ بين ضروب الفراشات انواعًا عديدة غاية في الدقَّة والنعومة حتى انَّ جامعيها لا يمكنهم ان يغرسوا فيها ادقَّ الدبابيس وارفعها فاختاروا لتركيزها في أصونتهم شرائط رفيعة جدًّا من البلاتين يلصقونها على قطع راتينجيَّة . وبين هذه الفراشات الدقيقة ما خُصَّ بأبهى الحلل من الالوان البديعة

نعم انَّ في العالم الفلكيّ ما تحيَّر لهُ العقول وتذهل لهُ الالباب اذا سمعنا العلماء يخبرونا بما كشفوا عليهِ في الافلاك كالتأليف المستحدث الذي وضعهُ عالم اميركيّ اثبت فيهِ انَّ ارباب الهيئة وقفوا حتى اليوم بواسطة ادواتهم الفوتغرافيَّة على ٥٨,٠٠٠,٠٠٠ من النجوم ومن المعلوم انَّ كل نجم كشمسنا المنيرة لهُ سيَّارات مثلها لا تستطيع نظَّاراتنا الوقوف عليها . فلا شكَّ ان مكوّن كلّ هذهِ العوالم اعظم جدًّا سبحانهُ وتعالى اذ يدبّر تلك الافلاك تدبيرًا ينطق بقدرتهِ وحكمتهِ . ولكن اليس هو عظيمًا مجيدًا في هذه الفراشة التي لا يكاد يبصرها النظر مع ما فيها من العجائب في اطوار حياتها وفي تناسق اجسامها وإحكام كل عضو من اعضائها وزخارف الوانها . ولعلَّ كثيرًا منها لم يعرفهُ العلماء بعد فيجهلون بدائع الخالق في تكوينهِ

لا نجهل انَّ مبدع الاكوان قد وضع لعالم الماديات نواميس تجري عليها فاحرز مكتشفوها لهم فخرًا كنواميس الجاذبيَّة العامَّة مثلًا التي تُثبت جلال واضعها . ولكن أيمكننا ان نسهو عن جلالهِ وعظمتهِ اذ نراهُ قد وضع لهذه العوالم نواميس تجري ايضًا عليها دون خلل فانَّها منذ سمعت في بدء العالم من فمهِ تعالى امره بان تتكاثر وتنمو على حسب انواعها امتثلت امر خالقها ولم تزل يتوالد كلّ صنفٍ منها على مقتضى نوعهِ

في ظروف المكان وفصول الزمان وبواسطة الطرائق الغذائيَّة التي عيَّنها لها خالقها ومع اختلاف اطوار حياتها التي سبق وصفها

ولكن لنا ايضاً ما عدا الفراشات التي يُعرَف منها في عهدنا ٦٠,٠٠٠ نوع هوامُّ اخرى مجنَّحة يدعوهـا العامَّة باسم الذبَّان وهي عديدة الاصناف فمنها ذات اربعة اجنحة جلديَّة (hyménoptères) او نصف غلافيَّة (hémiptères) ومنها ذات جناحين فقط (diptères) . ولكلّ جنس اصناف لا تُحصى كأنها خرجت من البيضة الى الحالة الدوديَّة قبل تمام بنيتها وطيرانها

انظر يا رعاك الله الى غدران من الماء الآجن فهناك ضروب من الدود تراهـا تتصاعد الى وجه المستنقع وترفع فوقهُ شبه ذنبٍ مستطيل دقيق . فهذه دعاميصُ او عُرَم (larves) مجهَّزة بهذه الاذناب لتستنشق الهواء ولذلك تراها اذا صعدت على وجه الغدير ترفع بتلك الاذناب لتتنسَّم الهواء . وهكذا تفعل دعاميص البَعُوض التي تُلقي الأُمُّ بيضَها في الماء

امَّا الذباب الذي يحطّ على اطعمتنا ولا سيما ما فسد منها فانَّهُ يقضي اوَّل اطوار حياتهِ في السَّماد والزبل فاذا اشتدَّ تحوَّل الى هوامّ طائرة مختلفة الانواع جميلة الصورة ذات ألوان زهيَّة . وكثير منهـا بعد ان نشأ من السرقين يتقلَّب بين الزهور والنباتات العطرة

على انَّ ما ندعوهُ نحن بالنتانات والموادّ الوخمة ليس هو كذلك في اعين الخالق بل في اعين العلماء أنفسهم فانَّهم جميعهم لا يرون في هذه الموادّ سوى مركَّبات كيماويَّة من عناصر صافية نقيَّة تتركَّب وتتحلَّل على حسب النواميس الطبيعيَّة التي وضعها لها مكوِّنها وهو تعالى قد استحسن كلّ ما صنعهُ يوم اخرجها من العدم فليس لدى الله وسخ وقبح سوى الوسخ الادبيّ اي الخطيئـة التي تنزع عن النفس بهاءها الجميل . ولا عجب اذ نرى هذه العناصر المعدنيَّة تتحوَّل من صورة الى أُخرى فتروق لعيننا بعد نفورنا عنها

ومن الحشرات اصناف أُخرى تُدعى بالغمديَّة الجناح (coléoptères) لانَّ فوق اجنحتها غمداً صلباً يغطي جسمها كلَّهُ فيصونهُ . فمن ذلك الخنافس والجعلان والسوس والجيزان التي يعرفها الكل ممَّا لا يفي بعددها احصاء وهي على اشكال

والوان شتى فمنها ما يكون على لون واحد كلون الحديد او لون الذهب او الاحمر القاني او الاصفر الفاقع او الاسود اللامع كالابنوس . ومنها ما هو كثير الالوان فتجد على بعضها نقوشاً غريبة منسقة تخلب بحسنها البصر . ومن العجب تركيب افواهها وخراطيمها لالتقاط طعامها وكذلك صورة رأسها وجباهها وقوائمها . فللسوس مثلاً خرطوم يمتد كمثقب مسنن ولغيرها ممصات تمتص بها قوتها . لبعضها قوائم شبه الكلاليب الحديدية وللبعض الآخر قوائم خفيفة او هي عديدة القوائم . لهذه قرون طويلة اطول من جسمها ولتلك قرن واحد في وسط رأسها تتهدد به معارضيها وربما جهزت بقرنين على كتفيها او على جانبي جبهتها

وهذه الحشرات الغمدية الجناح تختلف صورتها في اطوار حياتها كالفراشات فهي اذا نشأت كانت دوداً رخواً ينمو في بطن الارض او في المواد المتحللة وفي حبوب الغلال والاثمار نمواً متبايناً على حسب الاجناس واذا بلغ هذا الدود تمام بنيته استحال الى هامة طائرة وهو لا يعود ينمو في بقية ايام او اسابيع او شهور حياته وفقاً لما قدره الله من طول الحياة لاصنافه

وقد يوجد حشرات أخرى تتشابه صورتها في اطوار حياتها يدعونها متساوية او متناسقة الاجنحة (orthoptères) كالجراد والصراصر والمالوش . فصغارها تشبه كبارها الا الاجنحة التي تنبت لها بلغ جلدها دفعتين او ثلث دفعات فتظهر تامة الاهبة مثل كبار نوعها

وكل هذه الحشرات على اختلاف ضروبها اكثر ما يكون اقبالها على الاكل في طور حياتها الدودية فانها كثيرة النهم لا تكاد تشبع اكلاً وما تسلط منها على الغلات والكروم والاشجار المثمرة يكون معظم آفتها في وقت نموها الدودي لأنها حينئذ تسعى في زيادة قواها لمعاشها الحالي ثم لاطوار حياتها التالية

فسبحان الذي جهز كل هذه الحيوانات بما تحتاج اليه لبقاء نوعها وخدمة البشر لأن الانسان هو ملك الحيوان وله سخر الله كل ضروب البهائم كبيرة وصغيرة لتعينه على ادراك غايته القصوى من خدمة إلهه في حياته ومن التمتع برؤياه في الآخرة فيترتب عليه اذا وجد واحداً منها الشكر لخالقها والاقرار بفضله العميم

محادثات فلسفيَّة في آداب الحريَّة

من خلفة المرحوم الاب انطون رَبَّاط اليسوعيّ (تابع)

٥ في الارتباط بين العقل والحريَّة

ان الانتخاب هو فعل الارادة لا العقل. قال ارسطو في كتابهِ عن الخلقيات (الجزء ٧ الباب ٣) ان الانتخاب هو « اشتهاء ما لدينا » وعلى هذا المبدأ أسس القديس توما بحثهُ وأتمَّ قياسهُ بقولهِ: « وانَّما الاشتهاء هو فعل الارادة فكذا الانتخاب ايضاً » (الخلاصة اللاهوتيَّة الجزء ٩ من القسم ٢ المبحث ١٣ الفصل الاوَّل)

ويظهر الامر جليًّا اذا ما تبصَّرنا في غاية العقل فهو قوَّة يدرك بها الانسان الحقائق متى بدت بيِّنةً لأعينهِ فاذا رآها مال طبعاً اليها واضطرَّهُ وضوح حقيقتها عالمًا كان او جاهلًا وليس العقل بمسؤول على افعاله ولا مندوحة لهُ انْ ينكر « جواز الجائزات واستحالة المستحيلات — كما قال القزويني — كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في المكانين » طبيعيًّا. ولا أن يقول ان ١ + ١ لا يساويان ٢ او يجهل ان الخطَّ المستقيم هو اقرب طريق بين موضعين معلومين. فمن وعى الكلام وفهم مضمونهُ لا محيص لهُ من الاقرار بصحَّتهِ وان جهل العلوم الرياضية. وقس عليهِ امثلةً اخرى كثيرة كقولك ان نفي الشيء لا يساوي ايجابهُ لكن يقابلهُ مقابلة الاضداد فنَعَمْ ليست لا وليست لا نَعَمْ. واني لاعجب كيف ان الالماني هيجل (Hegel) ادَّعى في فلسفة جديدة ومنطق بديع ابتدعهما ان نَعَمْ ولا واحدٌ تمام الوحدة وحاول تأييد زعمهِ بطويل الشرح ومُغمِض اللفظ والمعنى كما هو دأبهُ. فحسبنا في وجهه جواب الماوردي حيث قال: « واما ما كان مبتدئاً في النفوس فكالعلم بان الشيء لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قِدَم وان من المحال اجتماع الضدَّين وان الواحد اقلُّ من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز ان يُنفَى عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقلهِ »

ثمَّ اعلم ان الامر لا يُراد الَّا بعد عرفانهِ ذلك مبدأ أجمع الحكماء والسذَّج

على حقيقته » لامتناع ان يكون الشيء موضوعاً للارادة قبل أن يكون قد عُرف بقوة الذهن » كما قال علماء النفس . فالارادة متوسطة بين العقل والفعل الخارج . يعرض العقلُ على الارادة موضوعها فان راق الامر لديها أصدرت الفعل وأمرت القوى الباطنية بانجازه والّا رفضتهُ . ولا بدَّ لكمال الفعل الاختياري من معرفة المراد والانتباه لصفاته أحلال هو او حرام . فاذا انتفت هذه المعرفة وهذا الانتباه لزم انتفاء كون الفعل انسانياً وان كان صادراً عن الانسان ومن ثمَّ انتفت المخالفة والخطأ او الطاعة والصلاح الادبي

على ان هذا المبدأ من اهمّ المبادئ في الادبيات اذ عليه تُقاس الاحكام العادلة واليه يرجع كل من أقيم حاكماً على اعمال الناس فكل من عدم العقل حجزتهُ الشرائع الدنيَّة لئلّا يتمكن من الاساءة وهو غير مسئول عن عمله فهو والعجماوات في اعماله سواء . ومن أذنب لاضطراب ثورة الغضب مثلا بحركة اولى لا يجازى كمن اتى الاثم عمداً بعدروية وكمال تميز وانتخاب . ومن فقد التمييز عمداً بسكر مثلاً او نوم مغناطيسي او غيره ثم ارتكب الاثم فقد أذنب في فقدانه التمييز اما ما اقترفهُ وهو في حالة جهله إنما يفعل فقد يُعزَى اليه الجرم او لا كما اشرنا اليه سابقاً تبعاً لمعرفته لعواقب فعله فان علم وصنع كان اثمهُ ارادياً ضمناً لانهُ سبب العلّة وكلُّ عارف بالعاول فقابلٌ لهُ مسئول عنهُ والّا فلا

ومما تقدَّم حق لك ان تحكم ايها القارئ اللبيب على ذلك العاقي السابق ذكرهُ فتبرئ ساحة رفيقه الضعيف يوم قيَّدهُ وألقى به على الآنية فكسرها وتوجب على خلاف ذلك الذنب على الواضع للعلّة وهو عارف بالعواقب فاراد من ثمَّ العاول

بقي علينا في هذا الفصل ان نقوم بما وعدنا فنبيّن بوجيز العبارة نقلاً عن القديس توما معنى الاستنتاج التالي : « الانسان عاقل . اذاً حرّ »

كما ان معرفة الحق هي موضوع العقل وغايتهُ كذلك السعادة هي موضوع الارادة وغايتها اليها يصبو الانسان بكل جوارحه وان اخطأ بعضهم في حقيقته . فالبخيل يطلب السعادة في حشد الاموال ومحبُّ الرفعة في الترقي الى معالي الرتب والمتنعم في اللذات الحسيَّة وكلّهم يطلبون بفعلهم السعادة وهم بذلك ليسوا باحرار ان يرغبوا عنها لكنَّهم اخطأوا في وضعهم السعادة غير موضعها . قال القديس توما (في

المبحث ١٩١ الفصل التاسع من الجزء ١): « لما كانت حقيقة الخير هي حقيقة المشتهى وكان الشرّ مقابلاً للخير فلا يمكن ان يُشتهى شرٌّ من حيث هو شرّ لا بالشهوة الطبيعيّة ولا بالشهوة الحيوانية ولا بالشهوة العقليّة التي هي الارادة الّا انهُ قد يُشتهى شرٌّ ما بالعرض من حيث يلزم عنهُ خير ما وهذا ظاهر في كل شهوة لان الفاعل الطبيعي لا يقصد العدم او الدثور بل الصورة التي يقارنها عدم صورة اخرى فانّ الاسد القاتل الايل يقصد الطعام الذي يقارنه قتل الحيوان وهكذا الزاني يقصد اللذّة التي يقارنها قباحة الاثم. والشرّ المقارن لخير ما هو عدمُ خير اخر فاذاً ليس يُشتهى الشرّ اصلاً ولا بالعرض الّا اذا كان الخير المقارن لهُ الشرّ يؤثَر بالشهوة على الخير المنعدم بالشر »

قال الفيلسوف السامي القديس اوغسطينوس في كتابهِ المسمّى مدينة الله (الجزء ١٩ الفصل الاوّل): « ان غاية خيرنا هو ما يُحبّ لنفسهِ ويُحبّ ما سواه لاجله ». وقال في مباحثه عن الثالوث (١٣ : ٤): « ان جميع الناس مشتركون في اشتهاء الغاية القصوى التي هي السعادة »

وقد شرح القديس توما هذا المقال بكلام واضح حيث قال (الخلاصة اللاهوتية الجزء الاول من القسم الثاني. المبحث الاول الفصل السادس): « ان من الضرورة ان يشتهي الانسان ما يشتهيهِ لاجل الغاية القصوى وهذا ظاهر من وجهين: (اوّلاً) لان الانسان يشتهي كل ما يشتهيهِ باعتبار كونهِ خيراً واذا كان ذلك لا يُشتهى على انهُ الخير الكامل الذي هو الغاية القصوى فمن الضرورة ان يُشتهى باعتبار توجههِ الى الخير الكامل لان بداية الشيء تتوجّه دائماً نحو نهايتهِ كما يتضح من مفاعيل الطبيعة ومفاعيل الصناعة ايضاً وهكذا كل بداية كمال تتوجه نحو الكمال التام الحاصل بالغاية القصوى. (وثانياً) لان شأن الغاية القصوى في تحريك الشهوة كشأن المحرّك الاول في سائر الحركات. ومعلوم ان العلل الثانية لا تحرّك الّا باعتبار تحرُّكها من المحرّك الاول فالمشتهيات الثانية اذن لا تحرّك الشهوة الّا باعتبار المشتهى الاول الذي هو الغاية القصوى »

ولربَّ قائل يقول ان الانسان يريد الغاية القصوى وهي السعادة في كل ما يريدهُ ونحن نرى البخيل يطلب السعادة في حشر الاموال ومحبّ الرفعة في معالي

الرتب والمتنعم في اللذّات الحسية. فعليه يجيب الملفان اللانكي في الفصل السابع: « يجوز ان يراد بالغاية القصوى امران احدهما حقيقة الغاية القصوى والثاني محلّ هذه الحقيقة. فباعتبار الاوّل يشترك الجميع في اشتهاء الغاية القصوى لانّ الجميع يشتهون كلهم القائم به حقيقة الغاية القصوى. واما باعتبار الثاني فليس يشترك الجميع في الغاية القصوى لانّ بعضاً يجعلون الخير الكامل في الغنى وبعضهم في اللذّة وغيرهم في ما سوى ذلك. كما ان الحلاوة يلتذّ بها كل ذوق لكن الألذّ عند البعض هو حلاوة الخمر وعند آخرين حلاوة العسل او نحو ذلك. غير ان الحلو الالذّ مطلقاً ما كان الالذّ عند ذي الذوق الافضل. وكذا الخير فان الاتمّ منهُ ما يشتهيه ذو الميل السليم على انهُ الغاية القصوى ». الى ان قال في الفصل السادس من المبحث الثالث عشر:

« قال ارسطو في الالهيات (الجزء ١١ البحث ١١ ٣): « انّ الانتخاب هو فعل القوة النطقيّة وهي تتعلق بالمتقابلات » ومن ثمّ فليس انتخاب الانسان اضطرارياً لان ما يمكن عدم وجوده ليس واجباً وجودهُ وكون الانتخاب او عدمهُ ممكناً يظهر وجههُ من قدرتي الانسان فهو يقدر ان يريد وان لا يريد وان يفعل وان لا يفعل كما يقدر ان يريد هذا او ذاك. وتحقيق ذلك من قدرة العقل فان كل ما يقدر العقل ان يتصوّر فيه خيراً امكن للارادة ان تميل اليه والعقل يقدر ان يتصور الخير لا في الارادة او الفعل فقط بل في عدم الارادة وعدم الفعل ايضاً. ثمّ انهُ يجوز في كل خير جزئي اعتبار وجود خير ما وعدم خير ما وهذا يتضمّن حقيقة الشر وبهذا الاعتبار يجوز انتخابه او اجتنابه وليس يستحيل على العقل ان يتصوّر شراً او عدم خير الّا في الخير الكامل الذي هو السعادة واذ كان الانسان يريد السعادة اضطراراً ليس في قدرته ان يريد ان لا يكون سعيداً ويكون شقياً. واذا كان الانتخاب لا يتعلق بالغاية القصوى بل بما يؤدّي اليها لم يكن يتعلق بالخير الكامل الذي هو السعادة بل بغيره من الخيرات الجزئيّة فلم يكن الانسان منتخباً [هذه الخيرات الجزئيّة] اضطراراً بل اختياراً »

٦ في سلطة الارادة الحرّة وحدودها

قلنا ان الانسان ربُّ اعماله ومبدأها الاختياري عنها يُسأَلُ سرّاً وعلناً واثبتنا هذه العقيدة الدينية والحقيقة الطبيعية والادبية معاً بشواهد نيّرة أيدت القارئ

الاريب في شعوره ومعتقده بالحريّة الانسانيّة وبدّدت عن بصيرته دياجي اهل السفسطة ان كان اصغى قطّ لاحاديثهم وقرأ مقالاتهم وسنعود على هذه الاقاويل فنفنّدها ان شاء الله. لكنّا بقي علينا الان ان نبحث في صفات السلطة الاختياريّة هل تسطو عليها مثلاً قوّة تتمكن من قسرها بالرغم عنها وما حدود هذه القوة الارادية وعملها في اخضاع غيرها من القوى النفسانية او الجسدية واخيراً ما العلاقات الوديّة او التعادي والحروب بينها وبين الشوق الحسي. تلك مشاكل تهمّنا معرفتها سأبذل الجهد في حلّها في فصول موجزة

القسر هو القهر والإكراه على العمل فمعنى المشكل الاول هو هل تُقسَر الارادة الحرّة اي هل تقهرها ارادة اخرى وتكرهها بالرغم عن اختيارها على إصدار فعل او منعه. ذلك سؤال ذو نتائج جمّة على انّا قبل الجواب عليه لا بدّ لنا من النظر في انواع الفعل الاختياري فان للارادة فعلَين احدهما يصدر عنها مباشرةً ويتمّ في سرّ القوّة الارادية نفسها كفعل الحبّ الباطني مثلاً الذي ينجم عن الارادة المتعمدة بقدر معرفتها العقلية للموضوع. والثاني تنجزه بامر الارادة قوى الانسان العقليّة او البدنيّة لا المتزجة كفعل التفكّر الصادر بامر الارادة عن قوة العقل الباطنيّة وكالمشي والتكلّم الصادرين بامر الارادة عن القوة المحرّكة وهي قوة خارجيّة وكالخيال الحسّي على انواعه وهو من سياء المركّب الانساني: ومثال ذلك اني أقصد ان ابغض الشيطان الرجيم قلبيًّا دون أن اتلفظ ببنت شفة ذلك فعل صادر عن الارادة بلا واسطة ومن غير تخلّل علّة اخرى في ذات مباشرته خلا الارادة

ومثال الآخر اني اريد ان اعلن بمكارم الله وادعو الناس الى طاعته ولهذا ارغب في اكتساب الفكر عساني انفع ابناء جلدتي فأكبّ على درس العلوم الادبيّة فدرسي هذا وتفكّري فعل عقلي صدر عن القوة العقليّة بامر الارادة. ولا اكتفي بهذا وذاك لكني اهجر الاوطان العزيزة فاقطع البحار واسير الى بلاد بعيدة للعلم وغبةً في اكتناز المعارف والاداب فهذه المساعي كلها افعال صادرة عن القوة المحرّكة بامر الارادة

واذا عرفت هذا الفرق بين الافعال الاصدارية والافعال المأمورة من الارادة قلنا: اوّلاً ان الافعال الخارجيّة المأمور بها من الارادة يمكن قسرها وقد تُقسَر

وتُكره بقوة خارجيّة لانها آلات جسمانيّات فمن قيّد طالب السفر الى البلاد مثلاً والقى بهِ في مطمورة تعذّر عليهِ انجاز ارادته الباطنة فقُهر بالرغم عنهُ لان قدرة الارادة الحرّة على اعضاء الجسم الظاهرة قدرةٌ طبيعيّة يتوقف انجاز اوامرها لا على قوة النفس فقط بل على استعداد الآلة الجسمانيّة ايضاً كتوقُّف الابصار على القوة البصريّة وعلى حالة العين التي تساعد عليهِ او تعوق عنهُ وكذا فعل القوى الظاهرة كالسير والمشي متوقف على استعداد البدن وهذا امر بيّن لا حاجة للاطالة في شرحه

ولمّا كان هذه القسر غير اختياري كان العمل غير اختياري حيث ان ما من احد يؤثم في ما أُكره عليهِ. هذا ما حدث للعازار الشيخ الجليل حيث قصد المتعصب اكراهه على أكل اللحم المحرّم فاختار ان يموت مجيداً على ان يحيا ذميماً وانقاد الى العذاب طائعاً كما ذكر سفر المكابيين الثاني الفصل السادس وهذا ما كاد يحدث مع رفيق جبّارنا كما قلناه في محاورتنا فلمّا أُكره وجرّ بالرغم عنهُ ما كان المسئول عن عمله

اما افعال العقل واحكامه على المواضيع فليس فيها قسر للارادة لكن بالاحرى هي سبب للارادة الاختياريّة كما قدمنا اللهمّ اذا استثنينا الخير الكامل والخير المجرّد. قال القديس توما (المبحث العاشر الفصل ٢ في الجزء الاول من القسم الثاني): «ان الارادة تتحرك على نحوين: احدهما باعتبار مزاولة الفعل والثاني باعتبار تخصصه من جهة موضوعه. فباعتبار الاول لا تتحرّك الارادة من موضوع بالضرورة لجواز ان لا يفتكر مفتكر في موضوع فلا يريده بالفعل. ولمّا باعتبار الثاني فتتحرّك بالضرورة من بعض الموضوعات دون بعض اذ لا بدّ في تحرّك القوّة من موضوعها من اعتبار ما بهِ يحرك الموضوعُ الارادةَ فان المرئيّ يحرّك البصر باعتبار اللون المرئي بالفعل فمتى عُرض اللون على البصر حرّكه بالضرورة ما لم يتحوّل عنهُ وهذا يرجع الى مزاولة الفعل واما متى عرض على البصر شيءٌ ليس متلوناً بالفعل من جميع الوجوه ولكنهُ متلون بالفعل من وجه وغير متلون بالفعل من وجه آخر لم يبصره البصر بالضرورة لجواز ان يتعلّق بهِ من حيث لا يكون متلوناً بالفعل فلا يبصره. وكما ان المتلون بالفعل هو موضوع البصر كذلك الخير هو موضوع الارادة فمتى عرض على الارادة موضوع هو خير كلّي ومن كل وجه توجّهت اليهِ بالضرورة اذا زاولت فعل الارادة لامتناع ارادتها ما يقابله وامّا متى عُرض عليها موضوع ليس خيراً من كل وجه

فلا تتوجه اليه بالضرورة ولما كان الخلو عن خير ما متضمناً حقيقة عدم الخير كان ذلك الخير الذي هو كامل ومستجمع كل خير هو وحده الخير الذي يتعذر على الارادة ان لا تريده وهو السعادة وامّا سائر الخيرات الجزئيّة فمن حيث تخلو عن خير ما يجوز اعتبار انها ليست خيرات وبهذا الاعتبار يجوز ان ترفضها الارادة او تقبلها»

وان سألت هل تتمكّن الارادة من انجاز الافعال التي تأمر بها الارادةُ العقلَ ؟ قلنا ان التفكر وان كان باطنيًا لكنهُ متوقف عادةً في سيره واستخلاصه للمعاني على قوى النفس المشتركة وعلى استعداد البدن ايضاً فمن تمكنت فيه رعدة الحمّى او تقلّب على فراشه ينوء تحت الاوجاع المضنية منعته التأثيرات الالية عن إعمال الفكر في المباحث الدقيقة التي تستلزم القوة العقلية بكمالها وما هذا الّا للارتباط المتين الكائن بين النفس والجسد اذ يؤثر الواحد بالاخر تأثيرًا بليغاً فان أُصيب الجسد بداء توقفت النفس عن افعالها الباطنيّة كليًا او جزئيًا وان أُصيبت النفس بالم او حزن او اضطراب تحمّل الجسد شيئاً من مصابها فنحف ونحل

واذا نظرنا في سلطة الارادة على العقل رأينا انها باطلة من طرف وقديرة من طرف اخر فانها باطلة في المبادئ الاولى كما قلنا . ولكن ما خلا هذه المبادئ الاولى هناك حقائق جمّة لا يتّصل الانسان الى معرفتها الّا باعمال الفكرة فاذا فعل بانّ له الحقّ جليًا لكنهُ قد يكون لهُ في معرفة هذه الحقائق شرع او فرض يضادُّ ما تتوق اليه اهواؤهُ وشهواتهُ وهو قليل الهمّة راغب في اتباع مشتهاه وان كان له فيه هلاكه فيتجاهل بوجوب الشريعة بل ويسدل عليها ستراً المّا يتمكن من اطفاء نورها فيجعل دأبه النظر الى اعاليل باطلة يتمسّك بها وهو في اضطراب في بادئ امره ويطلق العنان لنزعاته حتى اذا ما انحدر في دركات اللذّات البهيمية وانحطّ الى قعر لجتها جعل ينكر ما هو خير الكل من لم تُنشِ سحبُ الاهواء بصيرتهُ « وقال للشر خيرًا وللخير شرًّا وجعل الظلمة نورًا والنور ظلمة (اشعيا ٥ ع ٢٠) » حتى يكاد يوقن انهُ لم يأتِ إثمًا بل هو مُصيب في انكاره مبادئ الدين والاداب . هذا ما نراه والعين منا دامعة والقلب آسف في كثير من شبّان عصرنا وكأني بصاحب الزبور ارادهم بقوله (١٣ : ١) : « قال الجاهل في قلبه ليس اله » ثم بيّن سبب مدعاهم : « فسدوا ورجسوا باعمالهم فليس من يصنع الصلاح » فان شئت ان تعجم عودهم

رأيت « ان تحت العظام داء دوياً » فباستعمال الداء لهم الشفاء ليس الا

امّا افعال الارادة الإصدارية فهي منزهة عن كل قسر وقهر البتة. قال القديس اوغسطينوس في مدينة الله (الكتاب الخامس الباب العاشر): « ان الحادث بالارادة لا يحدث بالضرورة وكل ما يحدث قسراً فانهُ يحدث بالضرورة فاذاً ما يحدث بالارادة يمتنع حدوثه قسراً فاذاً يمتنع قسر الارادة على الفعل »

وزاد القديس توما (المبحث السادس الفصل الرابع): « ان فعل الارادة انما هو ميل صادر عن مبدإ داخلي مدرك كما ان الشهوة الطبيعية ميل صادر عن مبدإ داخلي دون ادراك والشيء القسري او الاكراهي يصدر عن مبدإ خارجي فاذاً كون فعل الارادة قسرياً او كرهياً لمّا ينافي حقيقتهُ كما ينافي حقيقة ميل الحجر الطبيعي او حركته الطبيعية الذهاب صُعُداً فان الحجر يمكن ارساله صُعُداً بالقسر لكن يستحيل صدور هذه الحركة القسرية عن ميله الطبيعي (١ وكذا ايضاً يجوز جذب الانسان قسراً الا ان صدور ذلك عن ميله الطبيعي ينافي حقيقة القسر »

قال القديس انسلموس في الشيئة الحرّة (عدد ٦): « ما من احد يريد الامر كرهاً عن ارادته اذ ما من احد يقدر ان يريد وهو لا يريد »

وهل تقسر الارادة قوةٌ غير منظورة؟ نجيب ان الله قدير على كل شيء يصنع ما يشاء. اذا اراد شيئاً قال: كن فيكون. لكن عنايتهُ الالهية ليس من شأنها ان تفسد طبيعة الكائنات بل ان تحفظها على انهُ عزَّ وجلَّ وان كان المحرّك الاول لكل المخلوقات كما يقول المنطقيون فهو يحرّك كل شيء بحسب طبيعته فالعلل الضرورية تتحرّك بعنايته الى اصدار معلولات ضرورية والعلل الحرّة تتحرك بها الى اصدار معلولات حرّة فالانسان خلقهُ الله حرّاً يختار عمله بلا معارض فلا يحسن بهِ عزَّ وجلَّ ان يهدم بيسراه ما بنتهُ يمناه. وسنبحث في ما سيأتي في كيفية الارتباط الكائن بين الارادة الالهيّة وبين الحريّة

وان كان الله وهو الرب القدير الرحيم لم يشأ ان يقسر حريّتنا ولو في سبيل الخير والصلاح فانهُ ولا شك لم يعطِ الشيطان الرجيم قدرة فيها تمكّنهُ من قهر حريتنا

---

١) هذا تبعاً لمبادئ الاقدمين في الثقل والاجتذاب

واسرنا وهلاكنا لانَّ هذا مما يضادُّ رحمته وحكمته تعالى. وزد على ذلك ان روحنا لا يطول اليها الشيطان الّا بالقوى الحسية وليس في قوانا الحسية قسرٌ لارادتنا

اجل انك ان مكّنتَ الشيطان من بدنك وقواك سرتَ قيد ما يبتغيه وكانت اللجّة غايتك لكنَّك اذا فعلتَ ذلك تفعلهُ عن ارادة واختيار

ارادتُك هي دولتك ومملكتك انت فيها السيد المطاع لا يمنعك عن انجاز ما ترآى لك جورُ ظالمٍ ولا قسرُ قاهرٍ فانتَ بارادتك الحرَّة تقدم على الخير فتنال الثواب او تسير وراء الشرّ فتكون مستحقًّا للعقاب. هذا هو مقدسك لا تسطو عليه قوة مخلوقة أيةً كانت بل ولا القدرة الالهيَّة نفسها ولا تنتهك فيه حماك قدرة دينيَّة ولا سلطة مدنيَّة ولا عذاب ولا موت. بهذه الحرية تمنطق ملايين من شهداء النصرانيَّة على كرور الاجيال في انحاء الارض جمعاء. فلم يردعهم عن صدق ايمانهم وعد ولا وعيد ولم يَعدل بهم عن صدق الشهادة حيف الظالمين فضُربوا وجُلدوا وعُذّبوا ومُثّل بهم وأُحرقوا وهم على صدق اليقين وحسن الشهادة ثابتون لا يكفرون بمعبودهم

لكن مالنا وهذه الاخبار القديمة العهد وقد يستشهد كل يوم مئون والوف من النصارى دفاعاً عن دينهم في الصين وجزائر الارخبيل وغيرها من البلاد. دونك اواسط افريقية غير بعيد عن الاماكن التي عادت منذ سنين قليلة تحت قبضة أولي الامر في البلاد المصرية ترى فيها قوماً من هؤلاء الزنج الذين سخر ولا يزال بالنير الرقيق يسخرون بحريتهم وارواحهم فهؤلاء عرفوا في عهدنا حقيقة الدين النصراني فحرَّرهم ونزعوا عن عبادة الانصاب والاوثان واعتنقوا الدين القيّم القويم واذ عاث قوم كفرة في ارضهم وتملكوا عليها وارادوا قهرهم على الكفران والعودة الى الاوثان آثر جميعهم الموت على الحياة كبارًا وصغارًا شيوخاً واطفالاً عجائز وفتيات وماتوا موتاً شريفاً احرارًا وان سمّاهم الظالمون حيوانات انسانيَّة وُجدت للرق والعبودية. ان هذا لعمرُ الحق برهان ثابت يتلألأ من خلاله نور الحرية وعظمة الطبيعة الانسانيَّة (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

في الامثال العربية المنقولة عن الاسفار المقدسة

يعرف القرّاء ما كان للامثال الدارجة من الشهرة والاعتبار بين عرب الجاهليّة فانهم اودعوها اخبارهم وضمّنوها حكمهم وكانوا يُحلّون بها صدور محافلهم ويُدرجونها في خطبهم وينظمونها في اسلاك قصائدهم وينقلونها في انحاء جزيرتهم حتى ضُرب المثل في سيرها فقالوا: أسيَر من مثل. وانما فضّلوها لاربع فوائد وجدوها فيها كما قال احدهم: اجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية. وهذه الخواص تنطبق كلها مع غرائز العرب واطباعهم اذ عُرفوا بالرزانة والتروّي في الكلام وايراد الحكم البليغة باللفظ الوجيز. وقد اشار صاحب سفر الملوك الثالث الى حكمة العرب هذه عند كلامه عن حكمة سُليمان وقد سماهم هناك باهل الشرق فقال (٤: ٣٠) : « فنالت حكمة سليمان حكمة جميع اهل الشرق » ثمّ ذكر بعض العرب المشهورين بذلك

ولمّا ظهر الاسلام واخذ اللغويّون يجولون في احياء العرب ليجمعوا شعرهم ومآثرهم الادبيّة جعلوا لامثالهم شأناً عظيماً. وكان اوّل من اخذ بجمعها عبيد بن شريّة وصحار العبدي كانا في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان ولكليهما كتاب في الامثال واشتهر بعدهما المفضّل الضبّي في اوائل الدولة العبّاسيّة وقد طُبعت امثاله في الاستانة ثمّ تبعهُ ابو عبيد القاسم بن سلام ولهُ كتاب الامثال السائرة ثمّ الاصمعي وابو زيد وابو عبيدة النحوي ثمّ هشام الكلبي صاحب كتاب امثال حِمير ثم ابن الاعرابي ولهُ تفسير الامثال وابن قتيبة مؤلف حكم الامثال ثم العسكري مؤلف

جمهرة الامثال حتى قام الميداني شهاب الدين احمد النيسابوري (+ ٥٣٩—١١٤٥ م) فوضع كتابهُ مجمع الامثال وضمّنهُ نيفاً وستّة الاف مثل جمعها من اكثر من خمسين كتاباً ورتّبها على حروف المعجم (ونحن نشير في كلامنا الى طبعة بولاق سنة ١٢٨٤)

وقد راجعنا ما تيسّر لنا من هذه المجاميع لأنّا نقف على اصول تلك الامثال فوجدنا عدداً منها نُقل بلفظهِ او بمعناهُ عن اسفار العهدين القديم والحديث ما يدلّ على انّ قائليها عرفوا كتب النصارى المنزلة وخالطوا النصارى ولعلّ قوماً منهم كانوا نصارى فلم يصعب عليهم ان يضربوا الامثال نقلاً عن كتب كانوا يسمعونها في مجتمعاتهم الدينيّة

وها نحن نورد هنا هذه الامثال اثباتاً لقولنا ونشير الى الآيات الكتابيّة المأخوذة عنها. ولم ننقل غير الامثال الراقية الى عهد الجاهليّة او اوائل الاسلام ما يدلّ على هذا النفوذ النصراني بين العرب ونقسم هذا الفصل اربعة اقسام

١ انّ بين الامثال العربيّة قسماً كبيراً ورد على صورة أفعل التفضيل ذكرهُ الميداني في آخر كل باب من حروف المعجم. وهذه الامثال مبنيّة على ما خُصّت بهِ المواليد الطبيعيّة من الصفات اللازمة لها كنور الشمس وحلاوة العسل وشجاعة الاسد. فهذه الامثال التي نُقلت عن العرب ليست خاصّة بهم وقد سبقهم الى استعمالها اصحاب الاسفار المنزلة في العهدين القديم والحديث سواء قيل انّ العرب استعاروها من تلك الاسفار او انّهم اوردوها بمجرّد نظرهم الى الطبيعة

فمنها امثال مبنيّة على الطبيعة الجامدة كالفلك وظواهر الجوّ والمعادن نذكر هنا ما عثرنا عليهِ من ذلك. يقول العرب: احسن من الشمس والقمر (الميداني ١: ٢٠١) وابهى من القمرين (م ١: ١٠١) واشهر من البدر (م ١: ٣٤٣) واثقب من النجوم وارفع من السماء (م ١: ٢٧٨) وأبيّن من فلق الصبح (م ١: ١٠٣) وأنور من وضح النهار (م ٢: ٢٦٢) فهذه الامثال قد سبق اليها كلّها الكتاب الكريم مثال ذلك قول سفر الحكمة (٧: ٢٩) عن الحكمة: «انّها ابهى من الشمس واسمى من كل مركز للنجوم واذا قيست بالنور تقدّمت عليهِ» وكقول ابن سيراخ (١٧: ٣٠): «ايّ شيء اضوأ من الشمس» وكقول سفر الاناشيد (٦: ٩): «مَن هذه المُشرقة كالصُّبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس»

ويقول العرب آكلُ من النار (م ١ : ٧٤) وقال اشعيا النبيّ قبلهم (٣٠ : ٢٧) : « هوذا اسم الربُ يأتي من بعيد ... وشفتاهُ مملوءتان سخطاً ولسانهُ كنار آكلة » . وضربوا المثل في سرعة البرق (م ١ : ٣١٥) وقال الربُّ قبلًا في الانجيل عن سقوط ابليس من السماء (لوقا ١٠ : ١٨) : « اني رأيتُ الشيطان ساقطاً من السماء كالبرق »

ومن امثالهم في الحسن : « احسن من الدُّمية » (م ١ : ٢٠٠) وكان داوُد قال في مزاميره (١٤٣ : ١٢) : « انَّ بَناتنا كاعمدة الزوايا مزيَّنات كدُمية هيكل »

وقد ضربوا المثل بصلابة الصخر فقالوا : « أقسى من صخرة ومن حجر » (م ١ : ٦٢) وايبس من صخر (م ٢ : ٣٢٢) وارسب من حجارة (١ : ٢٧٨) ومثلهُ في اشعيا (٥٠ : ٧) عن ثبات المسيح بازاء اعدائهِ : « السيد الرب ينصرني لذلك لم اخجل بل جعلتُ وجهي كالصوَّان » وقال موسى في تثنية الاشتراع (٨ : ١٣) لبني اسرائيل عن الرب : « انهُ اخرج لك الماء من صخرة الصوَّان » وقد اشار السيد المسيح الى ثبات بيعتهِ لمَّا دعا رسولهُ بطرس الهامة بالصخرة وأكَّد لهُ انهُ « يبني بيعتهُ على تلك الصخرة فلا تقوى عليها ابواب الجحيم » (متَّى ١٦ : ١٨) . ويشبههُ مثل العرب في ثقل الرصاص فقالوا : اثقل من الرصاص (م ١ : ١٣٨) وارسى من الرصاص (م ١ : ٢٧٨) وقد شبَّه موسى قبلهم غرق المصريين في البحر بالرصاص (خروج ١٥ : ٥ و ١٠) : « غطَّتهم اللُّجج فهبطوا في الاعماق كالحجارة ... وغرقوا كالرصاص في غمر المياه » وكذلك قولهم : « اثقل من طَوْد » (م ١ : ١٣٨) وقد شبَّه الملك داود في الزبور (١٢٤ : ١) المتَّكلين على الرب « بجبل صهيون الغير المتزعزع الثابت الى الابد »

وممَّا ضربوا فيهِ الامثال من الجمادات مُرونق السهم ومضاء السيف وحدَّةُ الموسى وعدل الميزان وسحابة الصيف وحلاوة العسل وشهوة الخمر وحقارة الارض فقالوا : « أمرَق من السَّهم » (م ٢ : ٢٣٣) وامضى من السيف (م ٢ : ٢٣٦) وأحدُّ من مُوسى (م ١ : ٢١٢) واعدل من ميزان وأخلف من سحابة صيف وأحلى من العسل (م ١ : ٢٠١) واشهى من الخمر (م ١ : ٣٤٢) واحقر من التراب (م ١ : ٢٠٢) . وكلّ ذلك قد شبَّهت بهِ الكتب المقدَّسة فقال اشعيا (٤٩ : ٢) « جعل (الربّ) فمي كسيف ماض ... وجعلني سهماً مختاراً وفي جعبتهِ سترني » وقال بولس الرسول

في رسالته الى العبرانيين (٤ : ١٢) : « انَّ كلمة الله هو حيٌّ عامل أمضى من كلّ سيفٍ ذي حدَّين » وقال داود النبيّ (مز ٤٤ : ٦) : « نبالك مسنونة . . هي في قلوب اعدائك » وقال ايضاً (مز ٥١ : ٤) في الرجل الظالم : « لسانك يخترع الظلم عاملاً بالغش كالموسى المسنونة » وقال موسى في عدل الميزان (احبار ١٩ : ٣٥–٣٦) : « لا تجوروا في الوزن والكيل بل موازين عادلة وعيارات عادلة تكون لكم » وقد شبَّه القديس يهوذا في رسالته (١ : ١٢) المنافقين بالسحابة الخالية فقال : « هؤلاء سُحب بلا ماء تحملها الرياح » . امَّا حلاوة العسل فتكرَّر ذكرها في الكتاب المقدَّس قال ابن سيراخ عن لسان الحكمة (٢٤ : ٢٧) : « انَّ روحي احلى من العسل وميراثي ألذّ من شهد العسل » وقال صاحب المزامير (١٨ : ١١) : « خشية الربّ اشهى من الذهب والابريز الكثير واحلى من العسل وقطر الشهاد » . وقال في سفر نشيد الاناشيد في شهوة الخمر (١ : ٣) : « نفرح ذاكرين حبّك الذي هو اطيب من الخمر » . وقال في المزامير (١١٢ : ٧) في حقارة التراب : « انَّ الربّ ينهض المسكين عن التراب ويقيم البائس من المزبلة ليجلسه مع عظماء شعبه »

وكما سبقت الكتب المقدَّسة العربَ في امثالهم المنقولة عن الجماد كذلك تقدَّمتهم في استعارة الامثال عن الحيوان وميزاته . فمن ذلك ضربهم المثل بشجاعة الاسد فقالوا : « اجرأ من قسورة ومن ذي لبد » (م ١ : ١٦٤) واشجع من أسامة واشدّ من أسد (م ١ : ٣٤٣) . وقال قبلهم بقرون عديدة صاحب سفر القضاة (١٤ : ١٨) : « اي شيء احلى من العسل واي شيء اشدّ من الأسد » . وقال في سفر الامثال (٢٨ : ١) : « الصدّيقون كشبل يطمئنون » . وقال يعقوب في نبوءته على يهوذا (تك ٤٩ : ٩) : « يهوذا شبل اسد . . . جثم وربض كأسد وكلبوءة فمن ذا يقيمه »

وضربوا المثل في ظلم الذئب وعداوته وفي خبث الثعلب فقالوا : « أظلم من ذئب » (م ١ : ٣١٢) وأعدى من ذئب (م ١ : ٤٣٠) وأسلط من سلقمة وهي الذئبة (م ١ : ٣١١) وأروغ من ثعالة . قال طرفة : « كأنهم اروغ من ثعلب » (م ١ : ٢٧٩) . وتقدَّمهم الكتاب الكريم فقال يعقوب (تك ٤٩ : ٢٧) : « بنيامين ذئب يفترس » وقال السيّد المسيح لتلاميذه (لو ١٠ : ٣) : « ها انا مرسلكم مثل خراف بين ذئاب » وقال ايضاً (متى ٧ : ١٥) : « احذروا من الانبياء الكذبة الذين

يأتونكم بلباس الحملان وهم في الباطن ذئاب خاطفة » وقد شبّه لذكره المجد هيرودوس بالثعلب لخبثه (لو ١٣ : ٣٢) . وقالوا على خلاف ذلك : « اذلّ من النَّعَد » اي الغنم . وقال اشعيا يصف وداعة المسيح بازاء اعدائه (٥٣ : ٧) : « كشاة يسيق الى الذبح وكحمل صامت امام الذين يجزّونهُ »

وقد ضرب العرب الامثال في الفرس وسرعته وشدّته وكرم طباعه فقالوا : « أجود من الجواد البُرّ » (م ١ : ١٦٧) وأسرع من فريق الخيل (م ١ : ٣٠٧) وأشأى من فرس واشدّ من فرس (م ١ : ٣٤١) . وقد وصف الكتاب الكريم الفرس بكل هذه الصفات في آيات شتى ولا سيما في وصف سفر أيوب (٣٩ : ١٩ — ٢٥) : « أأنت الذي يؤتي الفرس قوّة ويقلّد عنقهُ رعدًا . . . »

وكذلك ضربوا الامثال في الكلب وفي السوس وفي النملة فقالوا : « آلف من كلب (م ١ : ٧٥) وأطوع من كلب (م ١ : ٣٨٧) وأحرص من كلب على جيفة (م ١ : ٢٠١) وقالوا : « آكل من السوس (م ١ : ٧٤) ووصفوا النملة بالحرص فقالوا : أجمع من النملة (م ١ : ١٦٦) وأكسب من نملة وذرّة (م ٢ : ٩٨) واحرص من نملة (م ١ : ٢٠٢) . وفي الكتب المنزلة اوصاف مثلها جاء في سفر طوبيا (٦ و ١١) وصف ألفة الكلب . وقال اشعيا يصف رقباء اسرائيل وطمعهم (٥٦ : ١١) : « كلاب نهمة النفوس لا تعرف الشبع » . وقال في سفر الامثال (٢٥ : ٢٠) عن السوس والعث : « كالعث في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل » . وقال الرب لتلاميذه (متى ٦ : ١٩) : « لا تكنزوا لكم كنوزًا على الارض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون فيسرقون » واما النملة وحرصها على جمع الطعام فقد المع اليها سفر الامثال بقوله للكسلان (٦ : ٦) : « اذهب الى النملة ايها الكسلان انظر طرقها وكن حكيمًا »

ومن امثالهم في الطيور ما قالوهُ في منعة العقاب وسرعة طيرانه وحدّة بصره وفي عمر النسر وفي ألفة الحمام ونهم الجراد : « اعزّ من عقاب الجوّ » (م ١ : ٤٣٧) وأبصر من عقاب مَلاع (م ١ : ١٠٠) وأعمر من نسر (م ١ : ٤٣٤) وآلف من حمام (م ١ : ٧٥) واجرد من الجراد (م ١ : ١٦٧) . وكذلك ورد في الكتب المنزلة عن منعة النسر قول ايوب (٣٩ : ٢٧) : « أبأمرك يحلّق النسر ويجعل وكره

في الملاء مسكنهُ الصخر وفيهِ مبيتهُ وعلى انف الصخر معقلهُ من هناك يبحث عن قوتهِ وعيناهُ تنظران من بعيد » وقال داود في رثائهِ لشاول ويوناتان (٢ ملوك ١ : ٢٣) : « أسرَع من النسور واشدّ من الاسود » . وقال السيّد المسيح ممثّلاً بوداعة الحمام (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا ودعاء كالحمام » . ثمّ في تثنية الاشتراع (٢٨ : ٣٩) يتهدّد الرب شعبهُ « بالجراد القارض »

وقد قالوا في الحيَّة والافعى : « اظلم من حيَّة واظلم من أفعى » (م ١ : ٣٩١) واعدى من الحيَّة (م ١ : ٤٢٩) . ومثل هذا في سفر ايوب يصف المنافق (٢٠ : ١٦) : « يرضع سُمَّ الأصلال فتقتلهُ لسان الأفعى » وفي الكتب المقدَّسة آيات كثيرة تشير الى خبث الحيَّة وسمّها القاتل . وفي الانجيل الكريم (متى ١٠ : ١٦) : « كونوا حكماء كالحيَّات » قال ذلك لأنَّ الحيَّة تحرص على رأسها لئلّا تصاب بأذى فتصونهُ دون جسمها . ولعلَّ العرب ارادوا ايضاً ذلك بقولهم « أعدى من الحيَّة » يريدون العَدْو اي السرعة لتسرّعها الى جحرها لتنجو من العدو . هكذا شرحها الدميري في حياة الحيوان (١ : ٣٢٠) بخلاف الميداني الذي اشتقّها من العداوة والظلم . وقد روى ابن قتيبة هذا المثل في عيون الاخبار (ed. Brockelmann, p. 439) على صورة اخرى فقال : « احلم من الحيَّة » ثمّ روى (ص ٤٦٠) كلام الانجيل هكذا : « انَّ المسيح (عم) قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيَّات وبُلهاً كالحمام »

*

٢ ومن امثال العرب الدالَّة على اختلاطهم باهل الكتاب وعلى الاخصّ بالنصارى ما رووهُ منسوباً الى الانبياء او الى مشاهير رجال العهد القديم والجديد وقد جاء اشياء كثيرة من ذلك في كتاب الامثال للميداني (م) وقد صنَّف ابو منصور الثعالبي كتاباً جليلاً في هذا المعنى دعاهُ « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة حسنة وقد طُبع في مصر طبعاً سقيماً سنة ١٣٢٦ نشير اليهِ بحرفي « مض » ونتّبع زمن التاريخ مباشرةً بآدم

(آدم) عرفوهُ بابي البشر وضربوا بهِ المثل بالشهرة (مض ٢٩) وبالقِدَم (اطلب الصفحة ٢٨٣) = (أنوش) هو ابن شيث ويدعى اخنوخ ينسب اليهِ العرب الآثار القديمة والخطّ فقالوا : « انَّما خَدَشَ الخدوشَ أُنوشُ » م ١ : ١٥) » =

(نوح) ذكروا سفينة نوح وغراب نوح وعُمر نوح (مض ٢٩—٣١ اطلب ص ٢٨٥) = (ابراهيم الخليل) ذكروا (مض ٣١ — ٣٤) « مقام ابراهيم » فضربوا به المثل لكل مكان شريف. وثار ابراهيم زعموا انهُ نجا منها باذن الله. وصُحُف ابراهيم لحكم قالوا ان الله انزلها عليه. وضيف ابراهيم وتحنة ابراهيم اشارة الى الله تعالى الذي تراءى لابراهيم على صورة ثلثة رجال (سفر التكوين ف ١٨) فاضافهم وقدَّم لهم خبزاً ولحماً. (اطلب القرآن سورة الحجر ٤٩): « ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً . . . » = (اسماعيل) نسبوهُ الى الصدق فقالوا: « صدق اسماعيل » (مض ٣٣ — ٣٤ وسورة مريم) = (يعقوب) قالوا « احزان يعقوب » مشيرين الى حزنهِ على يوسف لما اخبرهُ بنوهُ بموتهِ (مض ٤٤) = (يوسف الصدّيق) ضربوا المثل (مض ٣٤ — ٣٨) برؤيا يوسف اشارةً الى الرؤيا الصادقة. وبذنب يوسف لتُهمة كاذبة. وبقميص يوسف المخرَّج بالدم. وبحُسن يوسف. وسني يوسف السبع المخصبة ثمَّ السبع المجدبة. (راجع سفر التكوين ف ٣٧ وما يليهِ ثمَّ في القرآن سورة يوسف) = (موسى) مما يذكرون لهُ (مض ٣٨) عصاة موسى التي فلق بها بحر القلزم. وثار موسى التي تجلَّى لهُ فيها الله. ويد موسى التي لاحت عليها آثار البرص. وصُحُف موسى المنزلة عليهِ ومناجاتهُ لله (راجع سفر الخروج وبعض سور القرآن كالبقرة والاعراف) = (فرعون) نسبوا اليهِ الصلف والنخوة فقالوا: « نخوة فرعون » (مض ٦٣) = (قارون) هو قورح احد الذين خُسفت بهم الارض لمعارضتهم موسى. وقد زعموا انهُ كان مثرياً فقالوا « كنوز قارون » (مض ٦٤ والقرآن سورة القصص ٧٦) = (بنو اسرائيل) ضربوا بهم المثل في التيه فقالوا (م ١ : ١٣١): « أتيه من قوم موسى عم » = (أيوب) ضربوا بهِ المثل في الصبر « صبر ايوب » (مض ٤١) = (داود) ذكر العرب في امثالهم مزامير داود ونغمته في تلاوتها وزعموا انهُ برع في نسج الدروع (مض ٤٣—٤٤ واطلب فصولنا السابقة ص ٣٤٩) = (سليمان) ضربوا بهِ المثل في عزَّة الملك واتساعهِ فقالوا: « مُلك سليمان » ونسبوا الى خاتمهِ المعجزات فقالوا: « خاتم سُليمان » كما قالوا: « جنّ سليمان وسَير سليمان » لزعمهم بانَّ الله سخَّر لخدمته الجنّ والشياطين وانهُ كان يعلم منطق الطير والحشرات (راجع سورة النمل في القرآن) ويسير على بساط الريح (سورة سبأ في القرآن.

اطلب مض ٤٤—٤٦ وفصولنا السابقة ص ٣٥٠) = (الخُضر) قيل انهُ الياس النبي فقالوا: « فلان خليقةُ الخضر » اي جوّاب في الآفاق (مض ٤٢)= (يونس) هو النبي يونان ضربوا المثل في الحوت الذي ابتلعهُ فقالوا: « أنهم من حوت يونس » (مض ٤٣) = (عُزَيْر) هو عَزْرا صاحب السفرَيْن الواردَين باسمهِ في الكتاب المقدس. ضربوا بحماره المثل فقالوا: « حمار عُزَيْر » لأنَّ الله على زعمهم أمدَّهُ بهِ في نكبتهِ (مض ٤٦)= (هامان) وزير الملك احشورش نسبوا اليهِ صَرحاً فقالوا « صَرح هامان » زعموا انهُ بناه لفرعون (راجع القرآن سورة القصص ومض ٦٣)= (عيسى) اي السيّد المسيح ضربوا المثل في نطقهِ باليد (مض ٤٠) ثمَّ في طبّهِ فقالوا: « طبّ عيسى » لكثرة معجزاتهِ في احياء الموتى وشفاء المرضى (مض ٤٧) وفي حمارهِ الذي ركبهُ يوم دخولهِ اورشليم في احد الثمانين (مض ٤٦) ونسبوهُ الى الله فقالوا « روح الله » و « كلمة الله » (مض ١٥) =(مريم العذراء) ضربوا المثل بعفّتها فقالوا « عفّة مريم » (مض ٤٤ وسورة آل عمران) وقالوا « تُحفة مريم » كما قالوا تحفة ابراهيم يريدون بها الرُّطب اي التمر (مض ٣٣) وكذلك قالوا « نخلة مريم » لأنهم زعموا انها كانت تنحني أمامها لتأكل من ثمرها (مض ٢٤٤) = (يحيى) وهو يوحنّا المعمدان فقالوا « دم يحيى ابن زكريّا » (مض ٤٧) لقتلهِ ظلماً على يد هيرودوس = (الحواريّون) وهم رسل السيّد المسيح ضربوا المثل في صفاء قلوبهم (قصص الانبياء للثعلبي ص ٣٤٣) = ومن امثالهم النصرانيّة (كعبة نجران) وهي كنيسة كان يحجّ اليها اهل اليمن لحسنها (مض ٤١٢) و (قسّ نجران) وهو قسّ بن ساعدة المضروب بهِ المثل في الخطابة (مض ١٨٥) و (أبدال اللُّكام) و (أبدال لبنان) وهم قوم من النسّاك الصالحين زهدوا في الدنيا وعبدوا الله في جبل اللُّكام وجبل لبنان (مض ١٨٦ — ١٨٧) و (قوم اصحاب الكهف) وهم شهداء النصرانيّة في افسس قيل انهم أووا الى مغارة لينجوا من المغتصبين فباتوا فيها ثلثين سنين عديدة (مض ٦٥ وسورة الكهف في القران) و (كنيسة الرها) قالوا انها من عجائب الدنيا (مض ٤١٦) و(دير بِرقل) كانوا يعالجون فيهِ المجانين (مض ٤١٩) (لهُ بقيّة)

المقتطف والتوليد الذاتيّ

نبذة انتقادية للاب لويس شيخو اليسوعي

رأيتَ في مقالة حضرة الاب طوران عن المواليد الحيوانيَّة في ارضنا انَّ كل مساعي دروين وانصاره في اثبات التوليد الذاتي لم تجدهم نفعاً فرجعوا بخفَّي حنين. ويريدون بهذا التوليد انَّ الحيوان يتولَّد من ذاته منتقلاً من طور الجماد الى طور الاحياء دون زوع سابق . وكنَّا قبلاً ادرجنا مقالات أخرى لا تدع في الامر شبهةً . منها مقالة الاب هرنو في النابغة لويس باستور واكتشافاته (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٥١—٥٧) ومقالة الاديب منصور افندي سرداء في اصل الحياة (المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٥٣٨—٥٤٥) وكذلك نشرنا (ص ٣٠٠) ما اقرَّ بهِ دروين عن ضعف مذهبهِ للاستاذ الفرنسوي المسيو فابر بعد اكتشافاتهِ الغريبة عن تناسل الحيوانات

على انَّ انصار دروين لم يكتفوا بأن يؤكدوا دون برهان تحوُّل الجماد الى الحيّ في اطوار الارض الاولى لكنَّهم زعموا ايضاً ان هذا التحوُّل مستطاع في عهدنا بالعوامل الكيماويَّة . وكنَّا ظننَّا بعد الاختبارات المتعدِّدة التي الحَّم بها العلامة باستور انصار التوليد الذاتي انَّهم يذعنون الى الحق الظاهر لكنَّهم أبوا الَّا الانكار وغايتهم من ذلك كما هو واضح جحود وجود الخالق واستغناء العالم عنهُ في اطوار المخلوقات (١

وممَّن تشبَّثوا بهذا التعليم مجلَّة المقتطف التي نشرت في هذا العام عدَّة مقالات لتأييد زعمها منها مقالتان الدكتور نقولا حدَّاد ثمَّ عادت في عددها الاخير (حزيران ١٩١٤) ونقلت اختبارات الدكتور الانكليزيّ باستيان (M. Bastian) الذي ادَّعى انهُ توصَّل الى اكتشاف التوليد الذاتي بواسطة محلول طرطرات الامونياك (tartrate d'ammoniaque) فيقول انَّهُ جعل ذاك المحلول في زجاجات عقَّمها بعد احمائها الى درجات من الحرارة تُربي على المئة وسدَّها سدًّا محكماً وانَّهُ فتحها بعد ثمانية او تسعة

---

١) ولا حاجة الى تنبيه القرَّاء على ثبوت حقيقة وجود الخالق حتَّى ولو صحَّ المذهب الدرويني . لأنَّ التولُّد الذاتي اذا حدث انَّما يحدث بقوَّة الخالق علَّة كل المخلوقات

اشهر فوجد فيها جراثيم حيَّة وعفونيَّات ذات خلايا تنمو وتتناسل وقد صوَّرت مجلَّة المقتطف بعض هذه الجراثيم والخلايا الحيَّة التي وجدها الدكتور باستيان

فما قولنا أيجب على العلم ان يقرَّ بغلطهِ او يكون الدكتور باستيان هو المخطئ في امتحاناتهِ. وها قد قام احد تلامذة باستور وفنَّد مزاعم باستيان ألا وهو احد علماء باريس المسيو غستون برنيه (M. Gaston Bonnier) الذي قوَّض ذاك البناء الواهي الذي شيَّده المسيو باستيان بمقالة نشرها في المجلَّة الاسبوعيَّة الباريسيَّة (REVUE HEBDOMADAIRE, 28 Mars 1914) وها نحن نختصر نتائج تفنيده ونحيل المقتطف واصحابهُ الى تلك الردود

(اوَّلاً) كان المسيو باستيان قبل وفاة باستور قام لمناقضتهِ وادَّعى انهُ امكنهُ توليد أحياء من موادَّ سائلة آليَّة فلمَّا قدم في باريس على باستور اثبت لهُ ذاك النابغة انَّهُ لم يُحسن تجاربهُ وانَّ السوائل الآليَّة التي اعتمدها لاختباراتهِ تحتوي على جراثيم حيَّة يظهر نشوؤها بعد زمان فعاد المسيو باستيان خائباً الى لندن

(ثانياً) وليست امتحانات المسيو باستيان هذه المرَّة افضل من المرَّة السابقة وان غيَّر موادَّ امتحاناتهِ وعمد الى موادَّ معدنيَّة ليبني عليها براهينهُ فانَّ في ما كتبهُ لوصف طرائق اكتشافاتهِ يثبت ضعف رأيهِ لأنَّ في كلامهِ تشوُّشاً ظاهراً

(ثالثاً) انَّ العلماء الذين استشهد بهم لاثبات زعمهِ وقال انَّهُ فتح زجاجاتهِ المعقَّمة امامهم فوجدوا مثلهُ فيها جراثيم حيَّة لم يحضروا تعقيمهُ للموادِّ المودعة في الزجاجات فلا بُدَّ ان تكون جراثيم حيَّة دخلت معها بنوع ما قبل التعقيم او بعدهُ

(رابعاً) ولا يفيد المسيو باستيان قولهُ انَّ تلك الجراثيم تولَّدت بعد اشهر عديدة من محاول طرطرات الامونياك ما يدلُّ على انَّ تولُّدها يحتاج الى طول زمان لأنَّهُ قد بيَّنت الاختبارات المتوالية الثابتة ان بعض الجراثيم تبقى في جمودها زمناً طويلاً قبل ان تنشأ وتنمو

(خامساً) انَّ الصور التي اخذ المسيو باستيان رسومها بعد فتح الزجاجات فنشرها لتأييد زعمهِ تدلُّ على مزجهِ مع طرطرات الامونياك ثلاثةً في المئة من سكَّر الفلوقوز وهذه المادَّة ليست معدنيَّة محضة ومن ثمَّ لا قوَّة لبراهينهِ

(سادساً) ثمَّ انَّ اصحاب دروين ونصاره وانبيه يزعمون انَّ اول ما تبدو الحياة تبدو غاية في البساطة على شبه خليَّة منفردة (monère) والحال الصور التي نشرها المسيو باستيان تدلُّ على انَّ الاحياء الظاهرة في زجاجاته هي كاملة البنية كثيرة القوى متعدِّدة فيها مظاهر الحياة كجراثيم اخرى مثلها وتركيبها مع دقَّتها ليس باقلَّ اشتباكاً من الحيوانات الكبيرة

(سابعاً) واغرب من ذلك انَّ تلك الفطريَّات التي زعم انَّها تولَّدت ذاتيًّا فرسم صورها هي كلّها من انواع آليَّة معروفة توجد في الطبيعة او تظهر في المختبرات الكيموية وهي تتوالد بنوع قانوني . فاذا ظهرت تلك المولَّدات عند فتح الزجاجات التي زعم المسيو باستيان حسن تعقيمها فذلك دليل واضح على نفوذها في زجاجاته من الخارج فتدخل على الاقلّ من مسام الزجاجات بعد تعقيمها

(ثامناً) واذ شعر المسيو باستيان بانَّ مزاعمهُ لا يرضى بها العلماء الاثبات تراهُ في كتاباته يدافع ببراهين نظريَّة عن التوليد الذاتي كأنَّ امرًا مثل هذا تقوى على اثباته المذاهب الفلسفيَّة قبل بيان صحَّته فعلًا في عالم الكون والاختبارات الراهنة

(تاسعاً) ومن مزاعمهِ في كتاباته انَّ تكوين هذه الاحياء المزعومة شبيه بتكوُّن التبلورات في الطبيعة وكفى بذلك دليلًا على انهُ لا يُحسن التمييز العظيم الموجود بين الاجسام الآليَّة وغير الآليَّة والفرقُ بينهما كبعد السماء عن الارض ولعلهُ يجهل ما كتبهُ في تركيب الميكروبات وخواصها العجيبة الدكتوران غليرمند وبينو (MM. Guilliermond et Pénau)

فهذه الملحوظات وغيرها ايضاً لا يسمح لنا المجال بذكرها تُبيِّن انَّ المقتطف واصحابهُ قبضوا على الماء وضربوا على حديد بارد وانَّ اختبارات باستور باقية في منعتها . ومن ثمَّ ترى غالط الذين ينخدعون بمقالات المقتطف في الرأي الدروينيّ المنافي لاقوال اثبت العلماء ويظنُّون انهم يترقَّون باتباعهم تعليمهُ كما قالت مجلَّة المستقبل آخرًا :

وقرَّاء المقتطف الآن ارقى من كثيرين ممَّن تخرَّجوا من مدارسنا العليا . فانَّك تجد كثيرين من خريجي مدرسة الحقوق الخديويَّة لا يزالون يعتقدون بأن ابانا آدم وامنا حواء ولا تجد واحدًا من قراء المقتطف لا يعرف او لا يقدر على اثبات تسلسلنا من الحيوان

زه زه ! فان كانت مجلَّة المقتطف لم تفدنا شيئاً آخر كان ضررُها اعظم من نفعها وعدمُها خيرًا من وجودها

مطبوعات شرقية جديدة

Palace and Mosque at Ukhaidir, A Study in early mohammadan Architecture, by GERTRUDE LOWTHIAN BELL. *Oxford, at the Clarendon press,* 1914. *Gr. in-4 avec 2 cartes, 5 plans,* 88 *planches* et 35 *figures*

قصر الأخيضر ومسجده

انَّ بين النساء سيّدات يجدر بهنَّ ان يُعرَضنَ كقدوة لرجال بما خصَّهن الله به من النشاط والحزم والثبات منهنَّ سيّدات انكليزيات كأغنس سميث لويس (Lewis) التي نشرت آثار دير سينا وحنَّة بلنت (Anna Blunt) الراحلة الى جزيرة العرب (المشرق ص ٣١٧) وقد اشتهرت مثلها في هذه السنين الاخيرة الآنسة « جرترودة أوشيان بال » حتى فاقت عليها بعدد وطول اسفارها وبوفرة كتاباتها . وكأنها أنست البراري والبلاد المقفرة بعد عمرانها فتردَّد اليها وتفحص آثارها وترسم صورها وتدرس خواصّها وهندستها ونفوذ تمدُّن الامم المختلفة فيها . وكانت حضرتها قد اشتركت مع العلّامة سر وليم رمساي (Sir W. M. Ramsay) في درس كنائس الاناضول البوزنطيَّة فنشرا معاً سنة ١٩٠٩ كتاب « الف كنيسة وكنيسة » (The thousand a. one churches) ثمَّ نشرت كتاب « كنائس واديرة طور عبدين » في ما بين النهرين . ثم كتاب « آمد » (Amida) الجليل المحتويات . وها هي اليوم اتحفتنا بكتاب خصَّتهُ باحد قصور الخلفاء العبّاسيين قصر الأخيضر الواقع على ضفَّة الفرات في جنوبيّ غربيّ كربلاء قريباً من قصر المناذرة المعروف بالخوَرنق في الحيرة . وهذا التأليف لا ينقصهُ شيءٌ من رونق العلم فلم تدع شيئاً مما يحسنهُ في اعين الاختصاصيين من خرائط ورسوم وتصاوير يبلغ مجموعها ١٣٠ عدًا . وليست هذه المرَّة الاولى ذكرت الآنسة قصر الأخيضر بل كتبت عنهُ في مجلّة الدروس اليونانيَّة سنة ١٩٠٩ ثمَّ في كتابها « Amurath to Amurath » الّا انّها قد افرغت في هذا التأليف الجديد جعبتها وهي قد كتبتهُ قبل علمها بما نشرهُ المسيو لويس مستنيون في هذا الصدد سنة ١٩٠٩ ثمَّ البعثة الالمانيَّة الى ما بين النهرين سنة ١٩١٢ ومن ثمَّ تستميح من قرَّائها عذرًا لنشرها كتابها بعدهما . وبينما كان تأليفها تحت الطبع عادت الآنسة

الى الشرق ورحلت من دمشق الى انحاء حوران لدرس آثارها وواصلت رحلتها الى قلب جزيرة العرب الى الجنوب فزارت النفود ونجد حتى بلغت حائل واجتمعت بمشايخها وحرمهم ثمَّ انتقلت الى العراق وعادت الينا في العشر الاوَّل من شهر أيار فرأيناها في بيروت بلغ الصحَّة والنشاط وفي نيَّتها أن تنشر قريباً ما أطلعت عليه من آثار حوران لا سيما المبنيَّة بعد الاسلام الاب ل. رنزفال

I Louis Peeters s. j : Spiritualité Ignatienne et Piété liturgique. *Tournai, Casterman.* 1914, pp. 31 = II P. Marie-Joseph du Sacré-Cœur c. p. : Faut-il délaisser les méthodes de Méditation pour retourner à l'ancienne oraison « de Liberté » liturgique, *Coriande-Issesse* (*Belgique*), pp. 19 = III Pierre Suau s. j : La Compagnie de Jésus et la Liturgie (*Messager du Sacré-Cœur, Mai* 1914, pp. 300-311

التأملات الروحيَّة والصلوات العقليَّة

كلٌّ يعلم ان الصلاة في الكنيسة على صورتين منها عَلَنيَّة تتمّ برونق عظيم بالالحان والطقوس الاحتفاليَّة وتلاوة الصلوات القانونيَّة والابية الظاهرة التي من شأنها ان ترفع القلوب الى الله وهي الطريقة الشائعة في بعض الرهبانيات كالبندكتيين وغيرهم. ومنها عقليَّة تتمّ بتأمل الحقائق الدينية واسرار حياة السيد المسيح. وهي الصلاة التي كان السيد المسيح مثالها في حياته ثم مارستها جميع النفوس الصالحة على منواله. ووضع لها القدّيسون قوانين منتظمة ليستفيد منها المصلّون والمتأملون دون شرود العقل وشتات الفكر. واخصُّ هذه القوانين تضمَّنتها رياضات القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي قال عنها القديس فرنسيس دي سال انها ردَّت من النفوس اكثر مما تتضمَّن من الحروف. وقد اخذنا العجب ان احد الكتبة المحدثين المدعو دون فستوجيار (Don Festugière) لم يكتفِ بان يطرئ الصلاة العَلَنيَّة والفرائض الطقسيَّة الاحتفالية بل زعم انَّ الصلاة العقليَّة على طريقة القديس اغناطيوس ضرَّت وما نفعت لتقيدها العقول بقيود حرجة. فكان لهذا الملام اسوأ وقع لدى كل من يعرف قدر رياضات القديس اغناطيوس ومنافعها الجمَّة لتقديس النفوس وممَّن تصدَّوا لتلك المزاعم الباطلة حضرة الآباء لويس بيترس اليسوعي ثمَّ ماري جوزف الكرملي وسوار اليسوعي وكأنهم فنَّدوا تلك الحجج الواهنة التي استند اليها دون فستوجيار وبيَّنوا عقلاً ونقلاً انَّ الصلاة العقليَّة لا تنافي

الصلاة الطقسيَّة بل هما شقيقتان تؤازر الواحدة الأُخرى دون ان تعيقها . ولو شئنا المقابلة بينهما ظهر فضل الصلاة العقليَّة من بعض الوجوه . وعلى كل حال لا يجوز الازدراء بالصلاة العقليَّة مطلقاً وعلى الخصوص الرياضات الروحيَّة التي اشاعها القديس اغناطيوس واطرأها الاحبار الرومانيُّون منذ ظهورها الى عهد البابا بيوس العاشر الآلك سعيداً وكلُّهم لسان واحد في منافعها الجمَّة لخلاص النفوس ل . ش

DER DIWĀN DES KAIS IBN AL ḤAṬIM. Herausg., übersetzt, erklärt u. mit einer Einleitung versehen, von Thad. Kowalski, *Leipzig, Otto Harrassowitz*. 1914. XXXVI-97+٤٥

ديوان قيس ابن الخطيم

قيس ابن الخطيم شاعر مدني من بني الاوس قُتل قبل الهجرة بسنين قليلة وهو معدود بين الشعراء المجيدين الذين استند اهل اللغة الى اقوالهم . وقد بقي من ديوانه نسختان الواحدة مصونة في المكتبة الخديويَّة في مصر والاخرى في الاستانة وكان الاستاذ النمساوي رودلف غاير اخذ صورتهما وفكَّر في نشر الديوان لكنَّهُ تراكمت عليه الاشغال فعهد بالامر الى احد تلامذته الدكتور تدأوس كوڤلسكي وسألهُ ما جمعهُ من الروايات والملحوظات فقام المذكور احسن قيام بالعمل وها هوذا قد اتحفنا بنسخة منهُ فطالعناهُ بتروٍّ فوجدناهُ جديراً بكل ثناء . وقد قسم الكتاب ثلاثة اقسام ضمَّن القسم الاوَّل قصائد ابن الخطيم في ٢٥ قصيدة مضبوطة بالشكل الكامل وقد روى في ذيل الكتاب الاختلافات بين النسختين واردف تلك القصائد بستَّ عشرة قطعة من الشعر المنحول الى قيس . والقسم الثاني مقدِّمة طويلة بالالمانيَّة جمع فيها صاحبها كلَّ ما يُعرف من امر قيس بن الخطيم وترجمة حياته وشعره في ٣٦ صفحة . امَّا القسم الثالث فيحتوي ترجمة ديوان قيس الى الالمانيَّة . وكلّ قصيدة ملحقة بملحوظات دقيقة وروايات كتب الادباء المنشورة بالطبع في الشرق والغرب . فلا يسعنا الَّا الشكر لناشر هذا الديوان وتحريض كل ادباء الشرق على مطالعته ل . ش

البرهان الصريح في إثبات الوهية المسيح

بقلم الاب ل . شيخو اليسوعي . طبعة ثانية مصحَّحة

طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٤ (ص 8 — ١٠٢)

هذه طبعة ثانية من هذا الكتاب الذي باركهُ غبطة السيد مار الياس الحويك

بطريرك الطائفة المارونية الجليل . وقد صُحّحت هذه الطبعة وزيد عليها بعض صفحات قليلة فنوصي بها كل من يهمّهُ الاطلاع على حقيقة ايماننا في السيد المسيح وما لدينا من البراهين اللامعة الموجبة اعتقادنا ل . ر

Dix anciens Traités de Philologie Arabe, 2e *édition*, 1914, p. 176

البلغة في شذور اللغة

وهي عشر مقالات لغويّة لائمة كتبة العرب

نشرها الدكتور اوغست هفنر والاب ل . شيخو اليسوعي

في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٤ ص ١٨٠

هذه ايضاً طبعة ثانية لمجموع لغويّ عظم رواجهُ بين محبّي الآثار العربيّة فاضطُررنا الى اعادة طبعهِ . وكفى تنويهاً بمحاسنهِ ذكر اسماء الائمة مؤلّفيهِ وهم الاصمعي وابو زيد وابي عبيد وابن قتيبة وغيرهم والمجموع مضبوط بالشكل الكامل وكل مقالة منهُ مصدَّرة بمقدّمة وملحقة بالفهارس على طريقة حروف المعجم فلا نشكّ ان اقبال الادباء على طبعتهِ الاولى يضمن رواج هذه الطبعة الثانية ل . ش

دروس الجغرافيا . القسم الثاني

تأليف فوزي افندي العظم

طُبع بنفقة وعناية المطبعة الاهليّة بمطبعة جمال ببيروت ١٩١٤ ص ١٢٨

هو القسم الثاني لكتاب سبق لنا الكلام فيهِ (المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٩٥٥) وضعهُ صاحبهُ الاديب على طريقة موافقة لمكاتب الاحداث وقسمهُ دروساً الحقها بتمارين وزيّن الكتاب ببعض التصاوير تقريباً لفهم محتوياته . وكان اصاب المرمى لو امكنهُ ان يجوّزهُ بخوارط تُساعد الطلبة على معرفة وضع البلاد وسعة الممالك وهيئاتها وان شاء الله يفعل في طبعة اخرى ل . ش

المثال الصحيح لكاهن المسيح

في حياة الطوباوي يوحنّا ماري فياناي خوري ارس

بقلم الاب يوسف عوان المرسل اللازاري (مطبعة النهضة ١٩١٤ ص ٢٦٢)

انّ ما نالهُ من الشهرة في اواسط القرن الماضي الخوري يوحنّا فياناي بقداسة حياتهِ وكثرة معجزاتهِ جعلهُ قدوةً لكلّ الكهنة وخصوصاً لخدمة الرعايا . وقد

شاعت اعماله الاثيرة في كل اقطار العالم الكاثوليكي لكنّ بلادنا كانت في حاجة الى ترجمة حياته في لغتنا العربيّة فها هوذا حضرة الاب يوسف عاوان قد سدّ هذه الثلمة فأتحفنا بكتاب ممتع طيّب المعاني رشيق الالفاظ نتمنّى ان تتداوله ايدي الجمهور عموماً والكهنة خصوصاً فنجني فيه من الاعمال الصالحة والتعاليم التقويّة ما يرشدهم الى ذروة الكمال المسيحي والكهنوتي ل . ش

تأبين الطيب الذكر والاثر المطران يوسف نجم النائب البطريركي

بقلم الخوري يوسف العشيقي

بالمطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت (١٩١٤ ص ١٤)

رُزئت الطائفة المارونيّة في هذا العام بأحد احبارها الاجلاء السيّد الفضائل المطران يوسف نجم النائب البطريركي فعظم المصاب بفقده وترطّبت الالسنة بذكر فضائله ومآثره المشكورة وهذا التأبين من اجود ما قيل في الفقيد العظيم اذ بيّن فيه مؤلفه المحقق ما كان عليه سيادته من سموّ الفضل في كلّ اطوار حياته منذ حداثة سنّه الى عهد نيابته البطريركيّة ممثلاً في شخصه الكريم فضائل الكهنوت والاسقفيّة بكل مجاليها حتى خصّ به آية الكتاب (ايوب ١ : ١—٢) : وكان هذا الرجل سليماً مستقيماً يتقي الله ويجانب الشرّ واعظم ابناء المشرق جميعاً » ل . ش

قاموس القضاء العثماني

الجزء الرابع لمؤلفه سليمان مصوبع المحامي

طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٩١٤ (ص ٢٦١ — ٤٨٠)

هذا الجزء يتناول بقيّة مواد حرف الحاء ومن اهمّ ما ورد فيه قوانين المحاكم وكلّ ما ينوط بها في هيئاتها المختلفة من صلح وتجارة وحقوق وجنايات مع قوانين المحاكم والمحكوم عليه وصور الحكم . فنكرّر شكرنا للمؤلف ونحضّ ارباب الحقوق على الانتفاع بمضامينه ل . ش

LE CAZA DU METTEN (Notice et Carte)

لائحة قضاء المتن

احسنت شركة مصايف لبنان بوضعها هذه اللائحة الصغيرة لافادة المصطافين الذين يحبّون ان يقضوا فصل الصيف في لبنان فتفيدهم عن خواصّ قضاء المتن

وميزاته الموافقة للاصطياف. وهناك خارطة كبيرة بالوان جميلة اتقنت مطبعتنا طبعها ويا ليت بقيّة انحاء لبنان تُنشر لها لوائح وخارطات كقضاء المتن ل. ش

شذرات

— الجناح المحطوم — اشفع جناب مراسلنا « عصام » قصيدتهُ السابقة بهذه القصيدة الفاخرة من « اوراقه المطويّة » فوصف سقوط الابوين الاوّلين ورجاءهما بالمسيح الفادي

« عقابكما موتٌ اذا ما أكلتما . . . » وما أكلا حتى همى غضبُ السما
وزلّا الى ارض الشقا وتعاتبا يصيح بها حوّا! وتشزر آدما
تكشّف سرُّ الموت واطّلعا على حقيقته فاستعظما وتألّما . . .
لقد هبط النسرانِ من شاهقٍ سما ولا بدعَ ان الجانحَيْنِ تحطّما
أغرسُ جنان الخلدِ يسقيهِ ماؤها ويستنشق الأهواء عطرًا منمّما
كصفصافةٍ في جانب الغور فذّةٍ تناهت جمالًا فاستزادت تعظّما
وفاتنةُ الازهار ينعشها الندى ويلبسها ثوبَ الخلود منمنما
يعلّانِ عيشًا في الخلود مؤلّلًا ويبتغيانِ الموتَ شأنًا محرّما
ايا ابوينا الاوّلين لأنتما تنازلتما عن جنّة الخلد أنتما
أشاقكما عيش الفناء معذّبًا فأبغضتما عيش البقاء مكرّما
أملّتكما دار الفناء رحيبةً فأحببتما دار الشقاء تتيّما

*

ايا . وقفًا في جنّة الخُلدِ راعني تمثّلهُ واستطار العينَ عندما
أربُّ البرايا من علٍ متنازلٌ يخاطبُ عبدًا يستحقُّ جهنما
يسائلهُ ما الأمر والعبد مُطرقٌ ألا يسأل العفوَ الجميل فيُرحما
. . . تذكّرْ قضاة الارض تهفو اليهم كبودُ الضحايا أيّما ومُيتّما
وتسألهم عطفًا وعدلًا بحقّ من دعاهم لانصاف البريء تكرّما
وأجلسهم فوق الكراسي وثيرةً ومتّعهم بالرغد عيشًا منعّما
فصمّوا سماعًا عن نداهم وانكروا عليهم شكاياهم وداسوا التظلّما
ولم يُألفَ فيهم راحمٌ مشفقٌ على المساكين يلقاهم ولو متبنّيا

وميزاته الموافقة للاصطياف. وهناك خارطة كبيرة بالوان جميلة اتقنت مطبعتنا طبعها ويا ليت بقيّة انحاء لبنان تُنشر لها لوائح وخارطات كقضاء المتن ل. ش

شذرات

— الجناح المحطوم — اشفع جناب مراسلنا « عصام » قصيدتهُ السابقة بهذه القصيدة الفاخرة من « اوراقه المطويّة » فوصف سقوط الابوين الاوّلين ورجاءهما بالمسيح الفادي

« عقابكما موتٌ اذا ما أكلتما . . . » وما أكلا حتى همى غضبُ السما
وزلّا الى ارض الشقا وتعاتبا يصيح بها حوّا! وتشزر آدما
تكشّف سرُّ الموت واطّلعا على حقيقته فاستعظما وتألّما . . .
لقد هبط النسرانِ من شاهقٍ سما ولا بدعَ ان الجانحَيْنِ تحطّما
أغرسُ جنان الخلدِ يسقيهِ ماؤها ويستنشق الأهواء عطرًا منمّما
كصفصافةٍ في جانب الغور فذّةٍ تناهت جمالًا فاستزادت تعظّما
وفاتنةُ الازهار ينعشها الندى ويلبسها ثوبَ الخلود منمنما
يعلّانِ عيشًا في الخلود مؤلّلًا ويبتغيانِ الموتَ شأنًا محرّما
ايا ابوينا الاوّلين لأنتما تنازلتما عن جنّة الخلد أنتما
أشاقكما عيش الفناء معذّبًا فأبغضتما عيش البقاء مكرّما
أملّتكما دار الفناء رحيبةً فأحببتما دار الشقاء تتيّما

*

ايا . وقفًا في جنّة الخُلدِ راعني تمثّلهُ واستطار العينَ عندما
أربُّ البرايا من علٍ متنازلٌ يخاطبُ عبدًا يستحقُّ جهنما
يسائلهُ ما الأمر والعبد مُطرقٌ ألا يسأل العفوَ الجميل فيُرحما
. . . تذكّرْ قضاة الارض تهفو اليهم كبودُ الضحايا أيّما ومُيتّما
وتسألهم عطفًا وعدلًا بحقّ من دعاهم لانصاف البريء تكرّما
وأجلسهم فوق الكراسي وثيرةً ومتّعهم بالرغد عيشًا منعّما
فصمّوا سماعًا عن نداهم وانكروا عليهم شكاياهم وداسوا التظلّما
ولم يُألفَ فيهم راحمٌ مشفقٌ على المساكين يلقاهم ولو متبنّيا

أما ذكروا للرب عدلاً بعبده وتابوا إليه خشية السخط قبلها...
ايا مُنزلاً ذاك العقابَ بآدمٍ تعهَّدْ بنيه كلهم باتَ آدما

*

تمثلتُ في الفردوس آدم خاشعاً وحواء في ذعرٍ وربي معظّما
أطلَّ ونادى أينَ آدمُ فاختفى وحاولَ عذرًا منقذًا فتلعثما
— أخالف مخلوقي الوصية انهُ كنودٌ واني سوف اقتصُّ منهما
أآدمُ مُتْ موتاً وحوا — رقيقةٌ لاوجاعها — حكمٌ يعمُّ بنيكما..
فباتا على ما يدرك الفكرُ بعضهُ ويعجز عن ايضاحهِ مَن تكلما
وما هي إلّا لحظةٌ ثم أجفلا وقد خطر الموتُ الزؤام مجسّما
عدوٌّ هو السيف المجرَّد نقمةً رهيب كقاضي الظلم يقسو عليهما
خيالٌ مخيفٌ قدَّ من زور مظلمٍ جُثامٌ ثقيلٌ حلَّ ليلاً فأبرما
— «ترى مايكون الموت» قالاه عندما تراءى ولم ينفعهما القولُ عندما...
ومذ أدركا منهُ طلائع بؤسهِ افاقا وما أغنت لعلَّ وليتما
وكم أنَّ كلٌّ منهما متحسّرًا يخاطبُ ابليس العدوَّ المذمَّما
بليتُنا ابليسُ بالموت مرّةً ألا لا تكن بالله اقسى وأظلما
خلقنا خليلَي ربنا فخدعتنا وابدلتنا بالخلد موتاً محتما
وقد كان عصيانٌ وكانت عداوةٌ واصبحت بالأعقاب طرًّا محكما
واسكنتنا بعد الجنان اريضةً ديارَ الشقا سجناً من البؤس مظلما
أدنيا الفنا يا سجنُ ابليس هازئٌ ونحنُ نقاسي من بلاياه علقما
وحرًّا وبردًا واضطرابًا ولوعةً ايا ربِّ لِمْ أوجدت في البدء ارقما
فقد لبست ثوب الخداع فغرَّتْ بحواء واقتادت فؤادي مرغما
تخادعها عفوًا ولا شأن لي ولا... وتصطادني حوا ولم أكُ مغرما
فلا كان تفاحٌ شهيٌّ محببٌ حلا منظرًا لكنَّهُ مرَّ مطعما
ولا كان مخلوقٌ يخادع كاذبًا ليُخلِدَ جوًا في الحشى متضرّما
ارادت لحواء الحياة وانما أراها اتالتها الجوى والتألما
وضعفًا ووقًا للذي بات رأسها فواهًا لمن خلّى الاله وأجرما

خطئتُ وما من راحم آسفٍ معي خطئت ولا غفرانَ فالذنب قد طمى
خطئت ولا يمحو عذابي سوى الذي قضى بعقابي عادلًا متعظما
خطئت وللابناء بعدي تذمُّرٌ يلومونني لا يعرفون الترحما
خطئت وكم قاسيت ذلًا اشدَّ ما يقاسونهُ والطردَ ذقتُ امرَّ ما . . .
اذرّيتي نلنا جميعاً عقابنا كفى تحقروني عاتبين ولؤما
فابليس يكفيهِ اسمه وعذابهُ وانتم رثوا — لا تخسروا — الخلد مغنما
ويرحمني الرب العظيم بعداله ورحمتهِ لم يعرف الحقد مثلما . .
الا طوّبوا تلك الخطيئة إنكم بها قد رأيتم «ربكم متجسما»

— ركب الهواء — قصيدة للاديب عبد الله كنانعي ضمّنها رثاء الطيارين العثمانيين الذين رُزئت بهم الدولة العليّة في انحاء الشام وبابا ثم استطرد الى الثناء على من جاء بعدهم وعاد ظفرًا بادراك الغاية

تخذوا الفضاء مراكباً وسُواما وبنوا على متن النجوم مقاما
دفعتهمُ الآمال فانقادوا لها متقلّدين من النهى صمصاما
اكرم «بفتحي» غازياً جيش الفضا والنصرُ ينشر فوقهُ اعلاما
لمّا بدا في جوّ بيروت هفتْ منّا لمرآهُ القلوبُ هياما
لمّا رأيناهُ يطارد في الهوا نسرَ الفضاء ولا يطيش سهاما
طمح الفؤادُ مآملًا يخلنا بها من شعبنا مَن يرفع الاقواما
لكن أبى الدهرُ الخؤونُ يحقّها فسقاهُ من ماء المنيّة جاما
فخبا الرجاء به وغابَ جلالهُ وبدا «بنوري» للعيون تمّاما
قد طار في سفح الفضاء محلّقاً فسبى القلوب محبّةً ووئاما
تخذ الشجاعة خدنهُ وأليفهُ وربيبهُ «حقي» بها قد هاما
سبحا على طيّارةٍ بفضائنا سمَوا بها الاجبال والآكاما
فكبا «بنوري» ما رجوناوضمّهُ لفؤاده بحرٌ بغى الضرغاما
عظُم المصابُ وليس بدعٌ انهم ماتوا على حُبّ العلاء عظاما
لهفي عليهم والحمامُ سواجعٌ وعلى سناء شبابهم لو داما
لهفي عليهم والنجوم سوافرٌ يروين من دمع الغمام أواما

وكنوا لدهر خائن وصروفه فتى رأينا الزمان ذماما
لا تجزعنَّ بني المواطن اننا قومٌ نُذلُّ بعزمنا القداما
كنا على بأس يُضاهي ركنهُ رضوى لهُ كان السوى خُدَّاما
والآن لا نحتاج غير ارادةٍ فالجدُّ اجدرُ أن يُنيل مراما
ان مات في سُبل المواطن واحدٌ منا تلاهُ اربعون هماما
فتآلفوا فالرقيُّ يخدنُ تعاضدٍ وحذارِ أن تتشعبوا أقساما
فإلامَ تهونَ التذلُّل والونى وإلامَ تهونَ القُعود غراما
حتَّام بعضُ منافعٍ شخصيَّةٍ شُغفت قلوبكمُ بها حتَّاما
هذا « كمالُ » اليوم جاء معزياً من بات يجترعُ النواحَ مُداما
بسمت لهُ اذبانَ مصرٌ وكم رأيـــنا دمعها قد سال قبل سجاما
والشامُ قد طربت وسابقُ دمعها اضحى بأسلاك الهناء نظاما
وبلابل النطرين ناجت انها سحرًا فهزَّت قبل مصر الشاما
وسرى « لشوقي » في البلاد قصيدة فتنت عقولًا شاقها مَنْ تاما
عشقتْ بهِ من مصر اكرم شاعر فاهاهُ « حافظ » في القريض مقاما
لا زال مصرٌ للشآم مواخياً والشعرُ ينشر في البلاد سلاما
ويضمُّ افئدة الشعوب بألفه فيها تفوز وتُحرز الاقداما

كتابات يونانيَّة في الكردستان العجمي جاء في العام الماضي الى لندن الدكتور العجمي سعيد خان فقدَّم لاساتذة كليَّة كمبردج كتابتين يونانيتين وُجدتا في اقرومان في الكردستان العجمي تاريخ الواحدة سنة ٢٢ للمسيح والاخرى سنة ٨٨ وكلتاهما مكتوبة على رقّ مضمونهما صكوك مبايعات بين وطنيّين من العجم . وهناك اسماء الباعة والمشترين والشهود وكأنها اعلام عجميَّة فاستدلُّوا بذلك الى انتشار اللغة اليونانيَّة في ذاك العهد حتى في تلك الجهات القاصية

متحف اثري في طرابلس الغرب ما كادت قدم الايطاليين ترسخ في طرابلس الغرب حتى اخذوا يهتمُّون في جمع آثارها فأنشأوا في حاضرة طرابلس متحفاً نظَّموا فيهِ ما اكتشفوهُ من الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة والعربيَّة . وهذا المتحف الموقَّت جُعل الان في دار الجندرمة التركيَّة ريثما تُشيَّد لهُ ابنيةٌ خاصَّة

وناظر المتحف هو الاستاذ اوريجما (Auriggemma) عهدت اليه الوزارة الايطالية العناية بتلك المآثر

✻ نفقات الدولة الفرنسوية على متاحفها سنة ١٩١٢ ✻ افادت جريدة باريس الرسمية في تاريخ ٢٦ ايلول انَّ الدولة الفرنسوية انفقت في العام ١٩١٢ في اقتناء الآثار القديمة ١,٦٣٩,٧٨١ فرنكاً

أسئلة واجوبة

س سألنا احد كهنة الكلدان أيُعرف في لبنان قبر احد اساقفة الكلدان الذي كان عائداً من رومية فتوفي عند عودته سنة ١٥٨٣ واسم المطران المذكور ايليا هرمز حبيب اسمر

قبر المطران ايليا هرمز حبيب اسمر

ج سألنا بعض اصحابنا اللبنانيين عن ذلك فلم يمكنهم ان يفيدونا من الامر شيئاً ولعلَّ احد قرائنا قد اطلع على ذلك فنتقبَّل افادته بالشكر

س وسأل مستفيد هل للغة الحميرية جموع مكسَّرة وحركات اعرابيَّة كاللغة العربيَّة

اللغة الحميرية وجموعها المكسَّرة وحركاتها الاعرابيَّة

ج لها عدَّة جموع مكسَّرة وحركات اعرابيَّة تدلُّ كما في العربيَّة على حالات الرفع والنصب والجرّ (اطلب Dr F. Hommel : *Süd-Arabische Chrestomathie*)

س سأل الأديب ن. ح. من انطلياس ما رأينا في التنوم الصناعي وهل يجوز استعماله في الطب ولغايات أخرى مثل تقرير بعض الجُناة واكتشاف بعض الاسرار

التنوم الصناعي والادب

ج قد سبق حضرة الاب لويس رنزفال وكتب في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١١٣١—١١٣٨) مقالة مطوَّلة في تعريف التنوم الصناعي وجواز استعماله في بعض الاحوال لعلاج المرضى بشروط عدَّدها هناك وعلى خلاف ذلك بيَّن ما ينجم عن استعماله من الاخطار للنفس والجسم معاً ان لم تُراعَ فيه الشروط اللازمة . ومن ثمَّ لا نصوِّب استعماله في المحاكم ولم نسمع انَّ القضاة في الدول المنظَّمة اتخذوا التنويم حتى الآن كواسطة لتقرير الجُناة لعلمهم باضراره . ومن المحتمل انَّ المنوَّم يقرّ بجناية لم يرتكبها وذلك بقوَّة الاستهواء

ل. ش

✻ اصلاح غلط ✻ وقع في لحف الصفحة ٤٩٢ تشويش في الاعداد والصواب ان عدد رهبان ايالة ايطالية ١٦١٣ وايالة اسبانية ٣٨٩٧ وايالة جرمانية ٤٣١١

المشرق

مئة سنة

في خدمة الدين والهيئة الاجتماعية

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

روى حضرة الاب لويس رنوزال في مقالة سابقة بايّ طريقة عجيبة اقام الله الرهبانيَّة اليسوعيَّة بعد هبوطها وبعثها بعد ان تباشر اعداء الدين بموتها ودفنها الى ابد الدهر كأنَّ ابن الله اراد ان يشرك بمجد قيامته الجمعيَّة المنتمية اليهِ والمشرَّفة باسمهِ كما شركها بهوان موته

وكأني بالقارئ يسألُ هنا وما هي الخدم التي ادَّتها جمعيَّة يسوع بعد قيامتها لعالم الدين وللمجتمع البشريّ ؟ أيا تُرى هل حقَّقت آمال الكنيسة فيها ؟ أوما عدلت عن محجَّة اسلافها الكرام وخالفت سُنَن اجدادها العظام ؟

انَّ الجواب على هذا السؤال يستدعي تاريخاً موسَّعاً للرهبانيَّة اليسوعيَّة في مدَّة القرن الاخير الذي قطعت شوطهُ بعد استئناف حياتها . وهذا التاريخ قد باشر بهِ رجال موثوق بعلمهم ونزاهتهم وهم يقدمون عليهِ اوَّلاً تاريخ الرهبانيَّة في كلّ بلدٍ ودولة بمفردها حتى اذا انجزوا تلك الاقسام يمكنهم جمعها في تاريخ واحد عموميّ وذلك ممَّا لا يتمّ الَّا بمجلَّدات عديدة ضخمة

وغاية ما يسوغ لنا ان نعرضهُ هنا على قرَّائنا خلاصة تلك الاعمال بوجه الاجمال او بالحري تَعداد البعض منها ليقفوا بها على مساعي جمعيَّة يسوع في سبيل الدين والهيئة الاجتماعيَّة كما فعلنا سابقاً بمناسبة مواسم ويوبيلات رهبانيَّات غير رهبنتنا . وتسهيلاً لذلك نقسم مقالتنا الى اربعة اقسام نبيّن فيها بالتوالي خدم الرهبانيَّة للكرسي

الرسولي ثم للدين الكاثوليكي عموماً ثم للهيئة الاجتماعيَّة واخيراً للمعارف والعلوم

ويحسن بنا قبل الشروع بالعمل تنبيه القرّاء على اننا لسنا نروم بهذه العجالة أن نطلب لرهبانيَّتنا فخراً بشرياً او ان نفضلها على سواها في شيء فماذ الله ان نفتخر الّا بالربّ او ان نبخس في شيء فضل سائر الرهبانيَّات التي تؤدي الكنيسة خدماً لا تُحصى وليست الرهبانيَّة اليسوعيَّة الّا فرعاً من دوحتها بل اصغرها فهي تلك حبة الخردل التي نمت بيدِ تعالى وصارت شجرةً كبيرة وانَّما المجد لذاك الذي يُنهض المسكين من الحضيض ويقيم الذليل من الدقعاء ليجلسهما مع امراء شعبه. فان كانت سلالة القديس اغناطيوس أتت ببعض الثمار الصالحة في بيرة المئة السنة الاخيرة فانَّ ذلك لا يعود الى من غرس او الى من سقى سواء دُعي ابولُّو او كيفا بل يعود الى الله وحدهُ سبحانهُ وتعالى الذي أعطى الشجرة النموّ والإثمار. ليكن اسمهُ مباركاً الى آخر الدهور

١ الرهبانيَّة اليسوعيَّة والكرسي الرسولي

أنشئت الرهبانيَّة اليسوعيَّة قبل كل شيء لخدمة رؤساء الكنيسة العظام وأحبارها الاجلّاء. هذا ما أعلن بهِ اغناطيوس دي لويولا مشيّد اركانها سرّاً وعلناً شفاهيةً وكتابةً في رسوم رهبانيَّتهِ. حسبك دليلاً على ذلك نذرٌ حافظٌ يتقيَّد بهِ اخصُّ ابنائهِ وهو نذر الطاعة للحبر الروماني بحيث يستطيع رأساً ودون توسّط ان يُرسل الراهب اليسوعي الى ايّ بلد كان من بلاد الله لشؤون الكنيسة دون زاد ولا مؤونة مستطيلاً كالفقراء في طريقهِ

وليس هذا النذر وعداً دون مفعول او حبراً على ورق فانَّ خلفاء هامة الرسل انتدبوا غير مرَّة ابناء الجمعيَّة اليسوعية لقضاء بعض الاعمال الشاقَّة التي لا يقوم بها الّا ذوو العزم الشديد والهمَّة القعساء. فمن ذلك سفارة سريَّة كان وكلَ بها الحبر الاعظم بيوس السابع الى الاب قارين فقضاها في المانية ونجّى بذلك الكنيسة من خطر عظيم. ومنها مساعدات روحيَّة تولَّاها اليسوعيُّون في روسيَّة لدى الروثانيين الكاثوليك الذين كانت الدولة الروسيَّة غصبتهم على اتباع دينها وحجزت عنهم كل الكهنة الكاثوليك. لكنَّ اليسوعيين اجابوا الى رغبة قداسة البابا بيوس التاسع

فعرّضوا نفوسهم الى الموت او الى السجن المؤبد فدخلوا روسيّة متنكّرين وثبّتوا اولئك المنكوبين في دينهم. ونعرف منهم اثنين مات الواحد من الاذى الذي اصابهُ مدّة تجوّلهِ في روسيّة وأُلقي الثاني في السجن فبقي فيهِ عدّة سنين حتى نال امبراطور النمسة من القيصر تخلية سبيله

وقد ظهرت ثقة الكرسي الرسولي بالرهبانيّة اليسوعية في احوال متعدّدة منها انَّ الاحبار الرومانيين رغماً عن امتناع رهبانها لنذر ينذرونهُ برفض كل الامتيازات والمناصب الشرفيّة في الكنيسة نظروا بقوّة سلطانهم سبعة من رهبانيّة يسوع في مصاف الكرادلة لينقطعوا تماماً الى خدمة الكرسي الرسولي. ذلك فضلاً عن كثيرين آخرين دعاهم الاحبار الرومانيون ليساعدوا المجامع المقدسة في مهمتها ويحلّوا ما يرد عليها من المشاكل من انحاء العالم الكاثوليكي

ولمّا رأى نوّاب السيد المسيح ما صارت اليهِ الدروس من التقهقر بعد الثورة الفرنسوية والفتن في رومية وجّهوا الحاظهم الى الرهبانيّة اليسوعية وبعثوا الكلّية الغريغوريّة التي هي اليوم من ازهر الكليّات الدينيّة في العالم عدد تلامذتها ١٥٠٠ طالب. وقد عهدوا مدّةً رئاسة المدرسة الاوربانيّة لانتشار الايمان الى همّتهم. وكذلك اعرب الحبر الاعظم الحالي عن هذه الثقة عينها بدرايتهم اذ سلّمهم ادارة وتدريس العلوم الكتابيّة قبل خمس سنوات كما انهُ استدعى احد اليسوعيين لمراقبة المرصد الفاتيكاني وجعل سلفهُ راهباً منهم لتنظيم المكتبة الفاتيكانيّة الشهيرة

وكان لليسوعيين حصة صالحة في اعمال المجمع الفاتيكاني بصفة لاهوتيي المجمع ومهيّئي موادّ ابحاثهِ. كما انهم جمعوا كل البينات التاريخيّة والطقسيّة والتقليديّة المثبتة الجبل الطاهر جبل المذراء خاراً من الخطية الجدّية ما حدا بالحبر الروماني ان يعلن سنة ١٨٥٤ هذه الحقيقة وينظمها في سلك العقائد التي لا يجوز نكرانها. وقد طُبعت تآليفهم في عدّة مجلدات ضخمة تبكم كل من يحاول ردّ هذا المعتقد الجليل

٢ الرهبانيّة اليسوعيّة والدين الكاثوليكي

لم تقصر الرهبانيّة اليسوعيّة همّتها على مساعدة الكرسيّ الرسولي وحدهُ بل تشمل تلك الهمّة الكنيسة جمعاء والدين الكاثوليكي عموماً

وبديهيٌ انَّ حياة الكنيسة تقوم بالروحيَّات وبممارسة الفضائل المسيحيَّة وذلك ممَّا يحتاج الى مرشدين ومعلِّمين ينهجون للعلوم المسالك القويمة وينكبون بطالبيها عن موارد الضلال. وهذه مهنة التبشير والانذار من اوَّل واجبات اليسوعي يقدِّمها على سواها فانَّهُ حيثما حلَّ يُسرع الى نشر تعاليم الخلاص بالمواعظ والارشادات والانذارات والمحاضرات فكأنَّهُ يخصُّ بنفسهِ الكلمة الرسوليَّة : « الويل لي ان لم ابشِّر فانَّ الضرورة تضطرني الى هذا العمل » . ولا حاجة الى القول انَّ اليسوعيين الوعَّاظ في هذا القرن الخامس عشر لم يدَعوا بلدًا الَّا اسمعوا فيهِ كلام الله مباشرةً باصغر المعابد واحقرها الى منابر الكنائس الكاتدرائيَّة ككنيسة مار بطرس في رومية وكنيسة نوتردام في باريس وذلك في كلِّ لغات العالم المعروفة . ولو جُمعت تآليف المواعظ التي ألقوها سواء نُشرت بالطبع او لم تُنشر لبلغت الوفًا مؤلَّفة منها لرجالٍ ادركوا حدود البلاغة البشريَّة كالاب ماك كرتي (Mac Carty) والاب دي رافنيان (de Ravi-gnan) والاب فاليكس (Félix) والاب زكي (Zucchi) والاب ڤون (Vaughon) ومئين غيرهم . واكثر منهم الذين وقفوا نفوسهم الى ارشاد الصغار وتلقين الاحداث المبادئ الدينيَّة لترسخ في عقولهم منذ نعومة اظفارهم بموجب احد قوانينهم

وكثيرًا ما تكون تلك المواعظ سلسلةً متواصلة على صورة رسالة او رياضة تدوم اسبوعًا او اسابيع ريثما يأخذ السامعون كفايتهم من تعاليم الخلاص . ولا يخفى انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة اصابت دائمًا في ذلك قصبة السبق لجريها على طريقة رياضات القديس اغناطيوس منشئها التي تضمن لمتبعيها تغيير القلوب وردَّها الى الله خالقها بالتوبة النصوح . وهذه الرياضات قد انتشرت في كلِّ الانحاء حتى ألفها معظم الشعب المسيحي وهي كل يوم تبهج الكنيسة جمعاء بما تثمره من ثمار الخلاص . وقد اشتهر كثيرون من اليسوعيين في القائها على الجماهير كالاب مكسيم دي بوسي (M. de Bussy) في فرنسة والاب رهو (Rho) في المانية . وربَّما كان عدد السامعين يبلغ الوفًا وربوات تضيق بهم اكبر الكنائس فكانوا يتخذون سهولًا واسعة لارشادهم . قيل انَّ الوسائين في بولونية كانوا يعظون امام خمسين الفًا بنفس وانَّ اكثر من ثلثمائة كاهن كانوا يسمعون اعترافات الحضور فلا يكفون للعمل

ومن هذه الرياضات ما يخصّص لصلاح الاكليروس وتقديس الكهنة يجتمع فيها الى نحو مائتي كاهن فيجدّدون روحهم الكهنوتيّة تحت ادارة احد الآباء اليسوعيين . ومنها ما يدعونهُ بالرياضات المُقفَلة (retraites fermées) غايتها الانقطاع في العزلة الى الامور السماويّة تماماً بمناجاة الله وتأمّل الحقائق السرمديّة مدّة اسبوع او اكثر ينال المتروّضون بها نعماً خلاصيّة لا تقدَّر

ولا خفاء بانَّ الحياة الروحيّة تنمو في الكنيسة بالمواظبة على الاسرار وباخصوص سرَّي التوبة والقربان . ولذلك ترى كهنة الرهبانيّة اليسوعيّة يصرفون قسماً كبيراً من حياتهم في تعميم هذين السرَّين الكريمين لا يأخذهم في ذلك سأم ولا يثني عزمهم مشقّة ولا تعب قياماً بقوانينهم فيبحثون على مثال الراعي عن النعاج الضالّة ليردّوها الى الحظيرة ويُحيوها بالمناجع الخلاصيّة . وقد كانت حرارة المؤمنين قد فترت بفعل الثورة والاضاليل العصريّة بعد الغاء جمعيّة يسوع فلمّا أُعيدت لها الحياة بادر رهبانها الى انعاش روح التقوى في المؤمنين بالمثابرة على الاسرار . ولو اردنا مقايسة ما تصنعهُ الرهبانيّة في انحاء المعمور على ما نراهُ هنا في رسالتنا السوريّة وما عاينّاهُ في غيرها وجب القول بانَّ عشرين مليوناً من الكاثوليك على الاقلّ ينالون سنويّاً نعمة الاسرار بواسطة اليسوعيين

ولطافة يسوع وسائل أُخرى لانماء روح الدين والتقوى في الكنيسة تزيد بها العبادة نحو قلب يسوع الاقدس ونحو مريم العذراء فانَّ الرهبانيّة اليسوعيّة قد اخذت على نفسها نشر اكرام القلب الالهي ودعوة البشر الى محبتهِ لانَّ من هذا القلب تصدر كنوزُ نعمٍ سابغة تغمر المتعبدين لهُ وتعضدهم في كل حاجاتهم الروحيّة والزمنيّة . وبناء عليهِ يستفرغ اليسوعيّون قصارى جهدهم في بيان فضل هذه العبادة وفوائدها الجمّة سواء كان بالمواعظ او بتأليف الكتب او بالمشاريع التقوية . فاليهم يُنسَب الفكر في تشييد هيكل قلب يسوع على ربوة منتمرتر في باريس فان الاب هنري راميار (H. Ramière) كان في مقدّمة الساعين بذلك بعد حرب فرنسة سنة ١٨٧٠ . وكذلك الزيارات العموميّة الى كنيسة باري لومنيال (Paray - le - Monial) حيث ظهر القلب الاقدس للطوباوية مرغريت ماري الاكوك . فكانت الجماهير المجمهرة من كل جهات اوربة واميركة تقصد ذاك المزار بكل رونق وابهة والى

اليوم بقايا من تلك الحركة العجيبة التي كان محرّكها الاعظم الاب دروفون (Dre-von) اليسوعي. امّا النشرات التقوية لنشر هذه العبادة فهي تكاد لا تحصى. ومن اخصّها «رائد قلب يسوع» (le Messager du Sacré-Cœur) الذي ظهر اوّلاً في فرنسة بهمّة الاب رامبار منذ خمس وخمسين سنة (١٨٦١) ثمّ جاراهُ اخوتهُ في بقيّة انحاء العالم وهم ينشرونهُ اليوم مشاهرةً في ٣٠ لغة و ٤٥ طبعة مختلفة يُعَدّ قرّاؤهُ بالملايين. ويقارن الرائد المذكور شركة رسالة الصلاة (Apos-tolat de la Prière) المنتشرة اليوم في سائر العالم الكاثوليكي

وما نقولهُ عن العبادة للقلب الاقدس يصحّ عن اكرام العذراء الطاهرة فانّ الرهبانيّة اليسوعية لا تفصل الامّ عن الابن وساعيها في نشر التعبد للبتول المجيدة معروفة فهذه لاسيما الاخويات المريميّة التي لا يخلو منها مكان فان منشئها احد اليسوعيين والسعاة بتوفيرها ابناء القديس اغناطيوس وقد حذا حذوهم الكثيرون من الكهنة العالميّين والرهبان فأقاموا اخويّات على مثالها. وقد مرّ ذكر مساعيهم المشكورة في تثبيت عقيدة الحبل بمريم العذراء الطاهر من كل دنس — ومن اعمالهم في هذا القرن الاخير نشر عبادة الشهر المريمي وقد افردت مجلّتنا (المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٣٨٥) مقالةً خاصّة لتاريخ هذه العبادة التي تمارسها اليوم كل النفوس التقويّة. ومن مشروعاتهم في اكرام العذراء اقامةُ اعظم تمثال في العالم لذكرها وهو تمثال سيّدة فرنسا (N.-D. de France) في مدينة بوي (le Puy) طولهُ سبعة عشر متراً وهو مسبوك بالمدافع التي اخذها الفرنسويّون في القريم من المسكوب. والساعي بذلك الاب رامبار اليسوعي

وكذلك التعبّد للقديس يوسف قد زاد في هذا القرن السابق زيادةً عظيمة بساعي كثيرين من الرهبان اليسوعيين. ومنها نشروهُ شركة الميتة الصالحة تحت حمايته وهي شركة قديمة انشأها سابقاً احد اعضاء جمعيّتهم فجدّدوها بعد رجوعهم. ومنها شركة العائلة المقدّسة للاب فرنكو التي اثمرت ثماراً طيّبة بين العيال المسيحيّة

ومن الوسائط التي يتّخذها اليسوعيّون لتوثيق عُرى الدين والجهاد ضدّ الكفر وضعُ المؤلّفات الدينيّة. لدينا لوائح التأليفات السنويّة التي يصنّفها اليسوعيّون في كل اقطار العالم فاذا هي تبلغ بين كبيرة وصغيرة نحو الخمسة آلاف عدًا. فنصف هذه

التآليف في العلوم الدينيَّة على اختلاف اشكالها حتى لا تجد باباً واحداً من ابواب الدين وبحثاً واحداً من ابحاثهِ الَّا ولبعض اليسوعيين فيهِ مصنَّفات جديدة فانظر يا رعاك الله الى ايّ عدد يبلغ مجموعها في مدَّة مئة سنة في الدينيَّات ومتعلَّقاتها. وقد امتاز بينهم قوم في كلّ علم منها يشار اليهم بالبنان ويُعدُّون فيهِ حجَّة. هذا اللاهوت النظري اشتهر فيهِ پرُّونه (Perrone) وپليماري (Palmieri) والكردينال فرنزلين (Franzelin) والكردينال مازلَّا (Mazzella) والكردينال بيليو (Billiot) وكلوتغن (Kleutgen) وهُرتر (Hurter) وغيرهم كثيرون تزين مصنَّفاتهم مكاتب الخاصَّة — وهذا اللاهوت الادبيّ يفتخر بمؤلَّفات غوري (Gury) وبالريني (Ballerini) وجانيكو (Génicot) وفرَّارس (Ferreres) ونولدين (Noelding) وبوكشروني (Bucceroni) ولهمكهول (Lehmkuhl) التي يتداولها كلّ من يريد ان يُحكم فنّ الفتاوى الدينيَّة — وهذا الكتاب المقدَّس الذي برَّز في شرحه الاب پتريزي (Patrizzi) والآباء الالمانيُّون هُملاور (de Humm-lauer) وكنابنباور (Knabenbauer) وكورنلي (Cornely) والاب كورلوي (Corluy) والاب بروكر (J. Brucker) والاب ف. پرا (F.Prat) — وهذا التاريخ الكنسي برع فيهِ الاب غريزار النساري (Grisar) والاب پرا (J.M. Prat) الفرنساوي والاب فيتا (Fita) الاسباني — وهذه الجامع احرز لهُ في نشرها اسماً طيباً الاب غراندراث (Grandrath) وآبا دير ماري دي لاخ (Lacenses) — وهذه آثار الآباء قد احيا كثيراً منها الكردينال ماي (A. Mai) والاب دالس (d'Alès) — وهذا الحقّ القانوني فيهِ للآباء ڤلادا (Villada) وڤرمرش (Vermeersch) واوجتي (Ojetti) والرئيس العام الحالي على الرهبانيَّة اليسوعيَّة الاب ڤرنس (Fr.-X. Wernz) تآليف جليلة — وهذه تراجم القديسين لا يُعرَف في العالم كلّهِ جماعة تُعنى بنقدها ونشرها كجماعة البولنديين وهم يسوعيُّون بلجيكيُّون يُرجع اليهم في كلّ ما ينوط باعمال اولياء الله من اوَّل النصرانيَّة الى عهدنا. وقس عليها بقيَّة العلوم الدينيَّة كتفنيد اضاليل الهراطقة والزنادقة وكالدفاع عن الدين بازاء السفسطات والمزاعم العصريَّة وكايضاح المسائل الدينيَّة العموميَّة والخصوصيَّة

ومن خدم اليسوعيين للدين الكاثوليكي مساعدتهم على انشاء جمعيَّات رهبانية

افادت الدين كثيراً لاسيما بين النساء كراهبات السجود وراهبات قلب يسوع وراهبات الناصرة وراهبات الرياضات وراهبات بنات مريم. ومما لا ينكر انَّ الجمعيات الرهبانية المستحدثة تجري في الغالب على قوانين القديس اغناطيوس مع بعض اختلافات عرضية. وكثير منها قد اتخذ رؤساؤهم يسوعيين لارشاد رهبانهم وتهذيب طالبيهم

فيلوح مما سبق انَّ الدين وجد في جمعية يسوع عضداً قوياً مكَّنهُ من ردّ غارات اعدائهِ ومن الفوز بمعاكسيه . .

٣ الرهبانية اليسوعية والهيئة الاجتماعية

لكنَّ خدمة الرهبانية اليسوعية للدين لا تشغلها عن خدمة الهيئة الاجتماعية بل لا تخدم الدين الّا لمنفعة المجتمع البشري وخيرهِ الاعظم لانهُ من المقرر ان الدين هو اقوى اركان المجتمع الانساني وحيث يعدم الدين يعود الناس الى الهمجية

واول ما يفيد الهيئة الاجتماعية تهذيب الناشئة فانَّ ولد اليوم سيصبح رجل الغد ومستقبل الاحداث متوقف خصوصاً على حسن تربيتهم. وغنيٌّ عن البرهان انَّ الرهبانية اليسوعية منذ ظهورها في اواسط القرن السادس عشر عُرفت بتفانيها في تثقيف الناشئة حتى ضُرب المثل بحسن تربيتها. وقد رأيت في مقالة العدد السابق ما قالهُ مشاهير الرجال في سرعة الشبيبة بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعية. فقضي اذن على ابناء القديس اغناطيوس ان يسرعوا في رتق هذا الخرق المشؤوم ومن ثمَّ أنفذ اليسوعيون وسعهم في فتح المدارس وتنظيمها بموجب سننهم الموروثة من اجدادهم. فما لبث احداث كلّ الدول ان تقاطروا الى مدارسهم ليستقوا من منهلها مع المعارف البشريَّة اقاويل التقى والتهذيب الديني. فحيثما كانت تُطلق الحريَّة الكافية لرهبانيَّتنا بان تدير المدارس وتثقف الاحداث كان النجاح اليف مساعيها وتلامذتها في مقدَّمة تلامذة مدارس غيرها كما هو الجاري اليوم في اسبانية والنمسة والمجر وبلجيكة وهولندة وانكلترة والولايات المتحدة مهما تشدَّق البعض بقولهم ان مدارس الرهبان دون سواهم في العلم . والدليل على فضلهم انَّ اعداء الكنيسة لا يضبطون زمام السياسة في دولة الّا تحاملوا على تلك المدارس وافرغوا كنانة جهدهم في الناثها خوفاً من ظهور وقيها على مدارسهم اللادينيَّة كما فعلوا في ايطالية

والمانية وسويسرة وفرنسة والبرتغال حيث غلبت الماسونيَّة وأتى التعليم اللاديني باثاره الوبيئة باستفحال احزاب الاشتراكيين وقيامة اهل الفوضى وازدياد الجرائم في الشبيبة الى حدّ تقشعرّ منهُ الابدان هاماً

وتتناول تلك المدارس كلّ طبقات الشعب من الفقراء والأُميين الى ابناء الامراء والاعيان فيثقفهم اليسوعيُّون على موجب اصلهم ويرشّحونهم لمناصب بلادهم وقد زرنا البعض منها او بلغتنا سمعتُها الطيّبة كبومنت (Beaumont) وستونيهرست (Stonyhurst) في انكلترّة وكلكسبورغ (Kalksbourg) في النمسة وفلدكرش (Feldkirch) فيها تهذيب الالمان وكالوتشا (Kalocsa) في المجر وكمدرسة القديسة جنفياف (la rue des Postes) في باريس ومدرسة الاشراف في مدريد ومدرسة الاعيان في رومية (Collegio Massimo) ومدرسة خيروف (Khirow) في غاليسية

وزد عليها مدارس اخرى حافلة لتهذيب الاكليروس كمدرسة اناني (Anagni) التي سلّمها البابا لاون الثالث عشر للرهبانية اليسوعيَّة ومدارس جنوبي ايطالية التي دعاهم البابا الحالي الى تهذيبها والمدرسة الاميركانيَّة الجنوبيَّة في رومية (Collegio Pio Americano) وغيرها في بلاد شتى

وكم لليسوعيين ما خلا المدارس من مشاريع خطيرة يخدمون بها كلّ جيل من الانية الاجتماعيَّة اخذُها مما يدعونهُ اليوم بالدوائر (cercles) او الشركات (syndicats) يجمعون فيها ضروباً من اصحاب المهن كالاحداث او الشبان او آباء العيال او الفتة او طلبة المدارس او دارسي الفنون الجميلة فيسمون في صوالحهم المادّيَّة والادبيَّة ويسهلون لهم اشغالهم لكسب معاشهم او يهتمّون بترويح بضائعهم او يربّون اولادهم ويعدّونهم لقبول الاسرار او يقيمون لهم حفلات لترويح اذهانهم وتهذيب عقولهم كالدائرة التي انشأها الاب تكسيه (Texier) في مرسيلية ونوادي الاب ميلريو (Millérior) في باريس وشركات الاب آبل (Abel) في ڤينَّة ونادي طلبة الطبّ للاب بريزار (Brésard) في ليون ومجتمعات العمّلة في ارلندة ومنشستر وانحاء بلجيكة . وقد اتت هذه المشروعات الهيئة الاجتماعيَّة بفوائد لا يفي بها احصاء يقوّم بها كلّ من يسعى بخير الشعب

وهناك امور أخرى شاقة قام بها اليسوعيون ويقومون كل يوم اعني زيارة المحبوسين وتزويدهم بالتعازي الدينية واسعافهم في حاجاتهم الزمنية. وقد طلبوا غير مرة ان يخدموا الذين حُكم عليهم بالزمان والاشغال الشاقة المخلدة فوعظوهم وردُّوهم الى التوبة بعد حياة مملوءة من الآثام كما فعلوا خصوصاً في طولون (bagnes de Toulon) بل طلبوا ان يرافقوا المنفيين منهم الى كايان (Cayenne) فعاشوا بينهم وكسبوهم الى الله وقد وكلت الحكومة الفرنسوية الى اليسوعيين في الجزائر تربية اولاد الفوضويين وابناء المجرمين ففعلوا وجعلوا اولئك الذئاب بعد ترويض اخلاقهم الشرسة وإشرابهم روح الاستقامة خرافاً وعملة صالحين نفعوا وطنهم بانواع شتى وكان الاب امبرواز مونو (A. Monnot) احد رؤساء رسالتنا السورية ومنشئ كليتنا البيروتية ممن خرَّجوا اولئك الاولاد في الآداب والدين — ومنها خدمتهم للعساكر سواء كان في وقت السلم او في الحرب. ففي حروب الفرنسويين في الجزائر وفي القريم وفي الحرب السبعينية كان عدد وافر من اليسوعيين يرافقون الجيوش ويشاطرونهم الاهوال ليساعدوهم في اخطار القتال ويزوّدوهم بالاسرار الدينية. وهناك ساعة مدرستنا الكلية من آثار شكر الحكومة لليسوعيين بعد حرب القريم اعدتهم اياها لما أبدوهُ من الغيرة في اسعاف الجنود — واليوم في خدمة العسكرية الانكليزية نحو ثلاثين من اليسوعيين الانكليز والارلنديين

ومما افاد به اليسوعيون الامة البشرية تلك المؤتمرات الكاثوليكية التي شاعت اليوم في بلاد متعددة كالمانية والنمسة وانكلترة وفرنسة حيث يجتمع سنوياً زعماء الكاثوليك ليتفقوا على الوسائل الواجب اتخاذها لترقية امور الدين وتعزيز المشروعات الكاثوليكية الخيرية والوطنية فان اليسوعيين ممن آزروا تلك المؤتمرات وعضدوها على قدر طاقتهم وقاسموا اعضاءها اشغالهم حتى اصبحت اليوم احدى قوات الكثلكة المشهود لها بالنفوذ العظيم فأقرَّ البروتستانت انفسهم بفاعليها العجيبة

ولا بأس ان نذكر هنا ما لجمعية يسوع من التآليف الآئلة الى خير المجتمع الانساني. فانهم كتبوا في كل الابحاث التي يتداولها الاختصاصيون في زماننا لتحسين احوال الهيئة الاجتماعية وحل المشاكل العديدة التي نجمت من تغيير امور الشعوب في عهدنا ليُعطى كل ذي حق حقَّهُ دون ان يُظلم الضعفاء ودون ان تُبخس حقوق

السادة اربابهم . ولهم نشرات ومجلات تبحث في هذه المسائل في لغات مختلفة فضلاً عن عدة كتب مختصة بتلك الابحاث الاجتماعية

٤ الرهبانية اليسوعية والعلوم

يفتخر عصرنا بنشر المعارف وانتشار العلوم حتى كادت تسكره نشوة اختراعاته الخيالية التي ما كانت تخطر على بال الاجيال السابقة . وخدمة العلوم من احدى خاصيات الرهبانية اليسوعية منذ اول نشأتها لا ينكرها عليها حتى اعداؤها . ولما استؤنفت حياتها بقوة براءة البابا بيوس السابع وجهت فكرها الى نشر العلوم البشرية بأسرها لكي تثبت للعالم بأن الدين والعلم اخوان شقيقان لأب واحد هو ابو الانوار واضع اركان الدين كما هو منشئ العلوم دون استثناء

وتحقيقاً لهذه الغاية لم تكتفِ الرهبانية اليسوعية بفتح المدارس الثانوية بل عمدت الى معاهد علمية ارقى منها بانشاء الكليات الجامعة حيث تدرس العلوم العليا كالهيئة والرياضيات والطبيعيات والكيميا والطب والحقوق وطبقات الارض . وهذه الكليات تبلغ اليوم فوق الثلثين (راجع مقالة الاب ل . رنزفال في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٤٠١) يعلم فيها رهبان يعتبرون كاساطين العلم في عيدنا يجلسون في جملة ارباب المعارف في مؤتمراتهم العلمية ويجارونهم في كل ابحاثهم . ومحتوم على الرؤساء ان يختاروا في اقاليمهم المرؤوسين الذين يرونهم اجدر بالنجاح في تلك العلوم ليخصوهم بها

ومن جملة المعاهد العلمية التي يسعى اليسوعيون برقيها المراصد الفلكية التي شيدوها في اقطار عديدة يربي عددها اليوم على الثلثين في اوروبة واميركة وافريقية وآسية منها لرصد حركات الافلاك عموماً ومنها للانواء والمظاهر الجوية ومنها لمراقبة الحركات المغناطيسية والكهرباء والزلازل وبعضها تعنى برسم الخارطة السماوية وغيرها تأخذ رسوم الشمس في تقلباتها واجيج نيرانها كما يفعل مرصد ستونيهرست الذي خصصنا به مقالة (في المشرق ٩ : [١٩٠٦] : ٨٩٩) . ومديرو هذه المراصد كلهم رجال مختصون بالعلوم لهم اختراعات نالوا امتيازها في المجامع العلمية ذكرنا بعضها في مجلدات المشرق السابقة . وقد اضحت اسماء الاباء ڤيكو (Vico) وسكي

(Secchi) ودي شفرنس (de Chevrens) وهاغن (Hagen) وبري (Perry) وبدغريفس (Sidgreaves) ولافونت (Lafont) وألفه (J. Algué) وغيرهم كثار على علم

ولهذه المراصد نشرات خطيرة ينشئها اصحاب كل مرصد ويبادلون بها منشورات المراصد الدولية. وقد بلغ خطر بعضها الى ان اخذت الحكومات على نفسها بان تدفع نفقات طبعها كما تفعل حكومة الولايات المتحدة في مانيليا وفي جورجتون

على انَّ الرهبانية اليسوعية تفضل على سائر المعارف الانسانية الفلسفة والعلوم النظرية فان عدد فلاسفتها ذوي التآليف المعتبرة يُحصَون بالعشرات حتى المئات كالاباء طونجيورجي (Tongiorgi) وليبراتوري (Liberatore) وسكافيني (Scaffini) وكرنلدي (Cornoldi) في ايطاليا وكاترين (Catherein) وفريك (Frik) وبودر (Boedder) وبيش (Pesch) في المانية وكالاب دي سان (de San) وفاندر آا (Van der Aa) في اسبانية وبلجكة — ولا ينسى اليسوعيون الرياضيات والطبيعيات برَّز منهم فيها كثيرون كالاباء جوبر (P. Joubert) وبابين (Pépin) وفاطون (Faton) وميشال جوليان (M. Jullien)

ومما يشهد على اعتناء اليسوعيين بالعلوم التآليف العلمية التي ينشرونها سنوياً في العمور فانها تناهز الالف في كل عام يصنفها رجالهم الاختصاصيون في كل مطالب العلوم. وبعض هذه التآليف قد كافأتها الجمعيات العلمية وجازت واضعيها بامتيازات شرفية ومبالغ مالية ذات شأن

هذا فضلاً عن نحو ثلاثين مجلة في عدة لغات تشمل مقالاتها كل دائرة المعارف البشرية ومنها ما اناف عمرها على خمسين سنة كمجلة التمدن الكاثوليكي (Civiltà Cattolica) ومجلة الابحاث (Etudes) ومجلة الاصوات (Stimmen) الخ

ولليسوعيين في بلجكة واسبانية وهولندة واميركة نوادٍ لدرس العلوم الميكانكيَّة والرسوم والهندسة والفنون الجميلة (Instituts techniques) يقصدها الاحداث من انحاء الاقطار ليحرزوا شهاداتها

ومن خدم اليسوعيين للعلوم اهتمامهم بالآثار القديمة واستخراجها من بطن

الارض. اخصّها مآثر دياميس رومية فانَّ الاب مركي (Marchi) نال في ذلك شهرةً عظيمة وهو استاذ الكنت دي روسّي (de Rossi) اكبر الاثريين في القرن المنصرم. وكذلك الابوان غاروتشي (Garucci) مؤلف الكتاب الخطير « تاريخ الفنون النصرانيَّة» (Storia dell'Arte Cristiana) في ستَّة مجلدات ممتعة مع تصاوير بديعة. وبوناڤنيا (Bonavegnia) الذي يشتغل حالاً في تلك المآثر

واشتهر في فرنسة ثلاثة يسوعيين يُعدُّون ائمَّةً في فنّ الآثار وهم الاب مرتين (Martin) والاب كاييه (Cahier) والاب دي لاكروا (de la Croix) فاشتغل الاوّلان بوصف الابنية الدينيَّة القديمة ونقوش الكنائس وزجاجاتها المصوّرة. اما الاخير فاثار من بطن الارض مدناً كاملةً كان اخفى عليها الدهر فاصاب من الفخر ما حدا بالجمعيَّات العلميَّة ان تنظمهُ في سلكها وتجازي اكتشافاته بالجوائز الشرفيَّة وقد اقامت لهُ بعد وفاته آخرًا تمثالاً مشيرةً الى فضله. ومثلهم الاب پاليو (P. Pailloux) مهندس مدرستنا الكليَّة فانهُ نشر كتاباً كبيرًا عن هيكل اورشليم هو تحفةٌ في بابهِ

ومن هذا القبيل مجاميع متحفية نفيسة عُني بتأليفها بعض اليسوعيين كمتاحف للنقود القديمة والآثار في مدرسة كالكسبورغ ومدرسة مدريد ومدرسة بروكسل وبعض مدارس اميركة. وكمتاحف التاريخ الطبيعي كالحجارة والمعادن في فلدكرش ومدرسة سان لويس والنباتات والحشرات كمتحف الاب طوران (P. Torrend) في البرتغال وكمتحف الفراشات للاب دي جوانيس (de Joannis) في باريس ومتحف الطيور في مدرسة شيكاغو وكلها ممدودة بين اكمل المجاميع واحسنها نظاماً

هذا فضلاً عن المكاتب المنظَّمة التي يهتمُّ اليسوعيُّون بانشائها وتنظيمها حيثما حلّوا فانَّ حذقهم في هذا الباب معروف وليست في عهدنا مكاتب عدَّة مدن وبلديَّات في اوربَّة سوى مكاتب اليسوعيين ضبطوها عند تنظيمهم كما ترى في مكتبة ليون القديمة التي لا تزال صورة الاب منستريه (Ménestrier) ناظرها القديم منصوبة في صدرها. ومن المكاتب الجديدة التي انشأوها في العصر الماضي مكتبة البولنديين في بروكسل يقصدها الزوَّار من كلّ جهات العالم اذ لا تماثلها اخرى في ما ينوط بالقديسين واولياء الله. ومكتبة المدرسة الرومانيَّة التي ضبطتها الحكومة الايطاليَّة وجعلتها مكتبةً عموميَّة ومكاتب الاديرة الانكليزيَّة الغنيَّة بموادها. وكانت في فرنسة

عدّة مكاتب حافلة تضمضع اليوم شملها بضبط الحكومة المدارس اليسوعيين كمكتبة مدرسة القديسة جنفياف في باريس كان يرأسها احد مشاهير العلماء الاب كولمبيه (P. Colombier) ومكتبة مجلة الابحاث في باريس ايضاً ومكتبة ليون الشهيرة بآثارها التاريخيّة . ولحذق اليسوعيين بنظارة المكاتب وكلّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر الى الاب اهرلي (Ehrle) نظارة مكتبة الفاتيكان وولى الملك ليوبلد الاب ڤان دن غان (van den Gheyn) على حراسة الكتبة الملكيّة في بروكسل

ومما يدلّ على ثقة ارباب الدول بالرهبان اليسوعيين في العلوم انّهم انتدبوهم مراراً لتمثيل دولهم في المؤتمرات والبعثات العلميّة . كما فعلت الدولة الانكليزيّة مرّتين اذ عيّنت الاب پرّي (Perry) لرصد انخساف الزُهرة والاب كورتي (Cortie) لرصد كسوف الشمس . وكذلك رأت بلجيكة بعض اليسوعيين حضور المؤتمرات باسمها واستدعى شيخ الفاتيكان الابوين اهارى المذكور ودي كارا الايطالي (de Cara) الى مثل هذه الوظائف الشرفيّة

هذا نظر اجمالي عن اعمال اليسوعيين في مدّة القرن المنصرم ومنه يتّضح انّ رهبانيّتهم لم تخب آمال الذين احيوها بعد موتها . ولا بدّ ان ننبّه القرّاء على امرين : الاوّل انّنا لم نعرف كثيراً من اعمال اليسوعيين في الاقاليم البعيدة كاميركة وغاليسية وهولندة فلم نلتمح اليها الّا تلميحاً خفيفاً . والثاني انّ اليسوعيين كانوا أتوا بما هو اعظم واوسع من ذلك لو اصابوا الحرّيّة الكافية في العمل فكم غُلّت ايديهم بناهضة اعداء الكنيسة وكم اثاروا عليهم من الاضطهادات واستصفوا اموالهم فطردوا من روسيّة اوّلاً ثمّ نُفوا مرّةً من اسبانية وثلاث مرار من البرتغال ومرّتين من فرنسة ومرّة من ايطالية ومن المانية ومن سويسرة وكلّ ذلك بلا محاكمة ولا ذنب اقترفوه غير كونهم اعضاد الدين واعداء الثورة والماسونيّة

وكذلك قد اضربنا عن ذكر اعمال اليسوعيين في الرسالات الاجنبيّة لانّنا نريد ان نفرد لهذا الموضوع مقالة خاصّة ان شاء الله

فعسى ابناء القديس اغناطيوس ان يجروا في القرن الثاني بعد قيامة جمعيّتهم في الخطّة التي سلكوها حتى اليوم بل يزيدوا همّةً في خدمة الكنيسة والمجتمع البشري لمجد الله الاعظم وخلاص النفوس

القاضي البَدْوِيّ في شرقيّ الاردن

لحضرة الخوري بولس سلمان

بحثنا في مقالتنا الاخيرة عن الشعر البدوي الحالي وآنسنا من ارتياح القراء اليها وكمال رضاهم عنها ما استنهض همتنا على مضاعفة الجهد في مرضاتهم واستئناف العمل في تسطير تلك النثرات الغريبة في بابها التي قلما دوّن فيها حملة الاقلام بحثاً وافياً وقولاً شافياً. وقد احببنا اليوم ان نحدث مطالعي الشرق الكرام عن القاضي البدوي او الحاكم الاعرابي في شرقي الاردن

ولم ترضَ بنقل ما طالما سمعناهُ عن الحكام وذكاء قلوبهم حتى رحلنا بنفسنا الى مضارب الاعراب ونزلنا تحت خيامهم وحضرنا مجالسهم وتعهّدنا قاضيهم ورأينا مجرى الدعوى وفحصنا عن عوائدهم وطبائعهم. وكان الحاكم في اثناء ذلك يُلقي علينا قانون البادية ونظام القفر ويقرّب الينا إدراك القوانين البدوية والشرائع القليلة السماعيّة بأمثال عديدة ونوادر فريدة. وقبل ان نطوي البيداء للبحث عن اخلاقهم كنّا نخال انهم اقوام مستقلّون بانفسهم لا يذعنون لسلطان ولا يخضعون لنظام شأنَ الامم المتوحشة البعيدة عن مراقي النجاح والعمران. فما توغّلنا في قبائلهم وحللنا في ربوعهم حيناً من الدهر قصيراً حتى عاينّا هنالك شيخاً مهيباً رزيناً تنقاد اليه العشائر باجمعها وتطأطئ لهُ نواحيها اكراماً واجلالاً ألا وهو القاضي العظيم السائد على القبائل بنفوذ كلامهِ وصائب آرائهِ المتقلد عنان الحكم في كبير الامور وصغيرها تُرفَع اليهِ الدعاوي من اطراف عشيرتهِ فيحسم الشقاق ويظهر الحق من الباطل. ولو بادت تلك السلطة الحيّة من بيوت الشعر لاصبح القفر دار حرب متواصلة تتصادم فيهِ القوى المتنوّعة فيأكل القويُّ الضعيفَ وتفنى الافراد بين ذلك التيّار الهائل. ولا يخفى على المطالع اللبيب ان البدوي سيّئ الاخلاق فجُّ الطباع صعب المراس متكبّر النفس لا يهدأ لهُ هادئ ولا يقرُّ لهُ قرار حتى يأخذ ثأرهُ. واذا جرت بينهم مجادلة ونطق احدهم بكلام غليظ جافٍ عمد المشتوم الى اسلحتهِ واشهرها ولولا صوتُ الحاكم وخوفهم من عقابهِ لجرت الدماء وبادت النفوس على حدّ السيوف

ومما يجب التنبيه اليه ان أنظمة البوادي تقليدية غير مسطرة يتناقلها الخلف عن السلف ولا يغيرون منها مادة فهي وديعة ثمينة ورثوها عن ابائهم فيكرمونها اكراماً عظيماً ولا يميلون عنها يمنة او يسرة. على ان عوائد الاعراب اخذت تتبدل كل يوم شيئاً فشيئاً لدخول الدولة العلية بينهم. وقد آثرنا ان نبين الأحكام البدوية قبل ان تمحى من حوافظ الشيوخ وتصبح نسياً منسياً

ولا ريب ان بحثاً في القضاء العربي تلذ مطالعته لاسباب وافرة غير التي اوردناها فان محبي الكتاب الكريم يجدون بين الاعراب وشعب الله الاسرائيلي مشابهة غريبة تعينهم على ادراك ما اشكل عليهم من الآيات المقدسة ومن وصف حالة الاعراب في دهرنا الحاضر تمثل ما كان عليه العبرانيون في الصحراء مدة اربعين سنة حينما كانوا كالقبائل الظاعنة ينتقلون في برية سيناء من ربوع الى ربوع طلباً لمراعيهم

*

وقد اتينا في مقالتنا هذه على ذكر معنى كلمة القاضي عند العرب وصفاته وما تحتاج اليه الدعوى من الشهود والكفلاء. ودونا اسماء القضاة المشهورين وسطرنا شيئاً من قضائهم الماضي والحاضر فنقول:

١ ما هو القاضي البدوي

ان قضاة العرب يمتازون عن القضاة الذين اقامهم العلي ليخلصوا بني اسرائيل من اعدائهم ولو كان الكتاب المقدس يسميهم [illegible] او [illegible] اي حكاماً فهم قواد حرب اختارهم الرب لأيام محدودة وغاية معروفة وهي انقاذ الاسرائيليين من ايدي الامم المجاورة لهم. ولم ترفع اليهم دعوى للقضاء فيها غير ان دبورة النبية وحدها خصت بالقضاء دون غيرها. فانا نتلو في سفر القضاة (٤: ٥—٦): « وكانت دبورة تجلس تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت ايل في جبل افرائيم وكان بنو اسرائيل يصعدون اليها لتقضي لهم ». واما قضاة العرب فانهم يقودون الغزوات ويحملون الحملات على الاعادي الا ان ذلك في سبيل العرض فهم حكام نصبوا للحق في البوادي

القاضي كما حدده القانون الروماني هو شخص عمومي تقيمهُ السلطة الشرعية لاظهار الحق: « Judex est persona publica ab auctoritate legitima ad jus dicendum constituta » وفي الشرع هو الذات الذي نُصب وعيّن من قبل السلطان لفصل وحسم الدعوى والمخاصمة الواقعة بين الناس وفقاً لاحكامها الشرعية المحمدية (انظر مجلة الاحكام مادة ١٧٨٤ فصل في القاضي وصفاته) . فلا نعني في بحثنا هذا عن القاضي الديني لان العرب لا يلتجئون اليه الّا في الامور الدينية واما قاضي العرب فهو امير من امرائهم يُعرَف بتوقد ذهنه وسرعة خاطره وجودة نقده وسداد حكمه تُسلّطهُ القبيلة او العشيرة على افرادها لاظهار الحق من الباطل طبقاً للتقليدات البدوية والعوائد القديمة النقلية

على ان الاعراب لا يرضون بقاضٍ واحد كبير يترأس عليهم بل يركاون القضاء في الامور الصغيرة الى وجوه العشيرة وكهولها فيأتون اليهم ويعرضون دعواهم فيحكمون بينهم بحسب عوائدهم الجارية . فهؤلاء هم رجال الامن والسلام فلا ينالون كالقضاة الحقيقيين راتباً لقضائهم وانما يعملون ذلك كما يقولون لوجه الله الكريم . والمتخاصمون يلبثون احراراً في الخضوع لحكمهم او رفضه ورفع الدعوى الى القاضي الاكبر

ودونكم النادرة الاتية تبيّن محلّ كبار العشيرة في مضارب الاعراب : في الخامس عشر من شهر شباط الماضي ذهب قوم من المسيحيين ليدفنوا الشيخ عوّاد وهو كبير من كبار الكرك فأوروهُ التراب وعادوا راجعين الى بيوتهم وما كادوا يبتعدون عن المقابر حتى سُمع صوت عظيم واذا بالذين رافقوا الجثة الى المدفن يتشاجرون ويتلاطمون وحدث اذ ذاك صراخ أليم (١ وقد جُرح في تلك المعركة رجلان من أسرتين مختلفتين وانتشر البغض بينهما الى ان عمّ البلاء وكاد الدم يسيل ويُفني الاهلين والاقرباء فسعى الوجوه في مصالحتهم ورجعت الامور الى مجاريها

١) توجد في بلاد السلط عادةٌ حسنة وهي ان جيران الميت المدفون يدعون اقارب المدفون لتناول الطعام عندهم وتدعى وليمة المتأيس . غير ان كثيرين يتشاجرون لان كل واحد منهم يريد اخذهم الى بيته اوّلاً . وهذا ما حدث في الحكاية المذكورة

فالقضاة بهذا المعنى هم الكهنة وشيوخ الاسلام وكبراء الأسر وعظماء العشيرة وامراء المدينة المعروفون ووجوه الاعراب وقد عهدتُ الشيخ عودة بن عيسى وهو شيخ قرية ماعين قد اصلح بين عرب العوازم في امور كثيرة واطاعوه فيما امر . وكذلك الشيخ يعقوب الشويحات في قرية مادبا وأسرة الجوابرة في السلط . وهؤلاء هم القضاة الصغار لو صحّ ان ندعوهم بهذا الاسم . والدولة العلية اخذت من عهد قريب ترسل بعضاً من حكامها كالمتصرّف او القائم مقام ليصلح بين العشائر كما فعلت في شهر ايار الماضي اذ ارسلت متصرف الكرك فهيم بك لتصالح عرب بني صخر وتضع السلام بين شيوخهم

ولو رمنا المقابلة بين الاعراب الحاليين والاسرائيليين لوجدنا وجهاً للمشابهة قاماً نتلو في سفر الخروج (١٨ : ١٣—٢٧) ما نصّهُ وهو ينطبق حق المطابقة على حالة الاعراب في ايامنا الحاضرة :

« ولمّا كان الغد جلس موسى ليقضي للشعب فوقف الشعب امامهُ من الغداة الى العشيّ فلمّا رأى حمو موسى جميع ما يصنع للشعب قال : ما هذا الذي انت تصنعهُ للشعب ما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقفون امامك من الغداة الى العشيّ . فقال موسى لحميه : ان الشعب يأتوني ليلتمسوا امر الله اذا كانت لهم دعوى يأتوني فاقضي بين الرجل وصاحبه واعرّفهم فرائض الله وشرائعهُ . فقال لموسى حموه : ليس ما تصنعهُ بحسن فانك تكلُّ انت وهذا الشعب لان هذا الامر فوق طاقتك لا تستطيع ان تتولّاه وحدك . والان اسمع مني فأشير عليك فيكون الله معك كن انت من قبل الله ترفع دعاويهم اليهِ وانت فانظر من جميع الشعب اناساً اقوياء اتقياء الله مستقيمين يكرهون الطمع وولِّ منهم عليهم رؤساء مئات بين الف ومئة وخمسين وعشرة فيكون انهم يقضون للشعب في كل وقت ويرفعون اليك كلّ امر عظيم وكلّ امر صغير يحكمون فيهِ هم وخفّف عن نفسك وهم يحملون معك . فسمع موسى من حميه وصنع كما قال لهُ فكانوا يقضون للشعب في كل وقت وكل دعوى صعبة يرفعونها الى موسى وكل دعوى يسيرة يحكمون هم فيها »

فقد يوجد في كل عشيرة شيخ كبير تُرفع اليهِ الدعاوي الكبرى وشيوخ احطّ منهُ قدراً ومنزلة فهم وجوه العرب يحكمون في الدعاوي اليسيرة . فان عرب بني حسن القاطنين في شمالي نهر الزرقاء وجنوبهِ لهم قاضٍ كبير يسمى عوّاد بن قلاب وهو قاضي البلقاء ولهم قضاة عديدون يحكمون في الامور الصغيرة فهؤلاء الحكّام هم

حسين العلي الابراهيم من الخوالدة وحمدان الزبودي ودغمي السمير ومحمد العيطان الحرحشي وكايد اخو رشيدة من الرشيدات. فيقولون في كلامهم الجاري: «الشيخ فلان قاضي الحق على القبيلة الفلانية». ويقولون: «فلان قعد للحق عند القاضي الفلاني» اي رفع دعواه الى القاضي

غير ان القاضي الكبير يرث الحكم بعد وفاة ابيه ولا يتسلط على الاعراب الا اذا نال رضى الجميع بسديد رأيه ومعرفته للحقوق البدوية. وللقاضي سلطة واسعة تفوق سلطة الحكام في الممالك المتمدنة والربوع العامرة فاذا تكلم انقطع الحديث وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون وهو يكون عادةً شيخ العشيرة فتجتمع فيه وظيفتان مختلفتان فهو شيخ الاعراب وقاضيها. فان فرّاز الفايز هو شيخ بني صخر وقاضيها وكذلك سالم الفنيات ورذيفان المجالي وابن حديد وعواد بن قلاب. وربما افترقت الوظيفتان فنال احدهم الوظيفة دون الاخرى فان شيخ العوازم هو ابو ستة ابو وندي وقاضيهم هو عبد المهدي. ومن غريب ما يحدث ان الامير الكبير يقف امام القاضي كما يقف الخصم الصغير ويرفعان دعواهما اليه وربما حكم القاضي على الامير المجرم. فان عبد المهدي قد حكم على ابي ستة امير عرب العوازم

ومن عوائد العرب ان الولد يتولى القضاء بطريقة الارث لانهم متولعون بحفظ النسب الكريم والاصل الاثيل فاذا وجدوا فيه الكفاءة الضرورية نصبوه حاكماً عليهم وتلدوه السلطة الواسعة. فلو سألنا عوّاد بن قلاب عن اصله اجاب ان اباه كان كريم المحتد اثيل النبت فارساً شجاعاً تهابهُ البيدا. كايا ونال ابنهُ منصب القضاء بعد وفاة ابيه لتوقد ذهنه وذكاء فؤاده. سادوا عرب العمر قضاة الدهر الغابر في جنوبي الكرك: اين عزكم القديم ومجدكم الماضي فيقولون قول الشاعر العربي:

هي الامور كما شاهدتها دُوَلٌ مَن سرَّهُ زمن ساءتهُ ازمانُ
وهذه الدار لا تبقي على احدٍ ولا يدوم على حال لها شانُ

غاب الزيادي الذي كان آيةً في الذكاء والفطنة. غاب كطائر لم يترك من بعده اثرًا وكثيرًا ما نجد قضاةً نالوا القضاء بكدهم وسعيهم ومجالستهم للقضاة المشهورين فاصبحوا بعد الزمن القليل كالحكام تتوارد اليهم الاعراب من كل اطراف البادية. وكنت احدث يوماً بعض شيوخ العرب عن هذه الامور فقال: «البعض يدرّجون

من مهدهم الى المناصب العالية دون تعب والبعض ينهضون بسامي عزائمهم الى ارقى المراتب

٢ صفات القاضي الاعرابي

لا بدَّ له ان يكون متأهب الفؤاد مستقيماً في قضائه عارفاً بتقليدات البداة صبوراً على هفوات الخصوم مهيباً في النطق والكلام والحكم

فقد طالما مدح الشعراء ذكاء العرب وروى الرواة عنهم اموراً مستغربة يكاد العقل ينبذها وكنا حين نتلوها مسطَّرةً او نسمعها منقولة نظنها ضرباً من المغالاة او نكاد نتصورها من المخترعات لولا صدق المسطرين ووفرة الرواة الى ان رأينا قضاة العرب الحاليين وايقنا ان العرب من اسمى الشعوب فهماً وادراكاً. ولو قدَّر لهم المولى ان يتلقنوا العلوم في المكاتب الرفيعة والمدارس العالية لبلغوا درجة سامية من المعارف والفنون وغدوا من افاضل العلماء. ومن دعاوي ذكائهم تنحيهم عن رفاهية التمدُّن الفاسد وانفرادهم بالبادية وصافي سمائها وشمسها. فالقاضي عندهم سريع الفهم والادراك ولقد سمعتُ قاضي العوازم عبد المهدي يرد الادلة الساطعة لاقناع احد المتخاصمين وحمله على المصالحة مما دلَّ على صفاء عقله وتوقُّد ذهنه فكان يقول لاحدهم: «تبني كلامك على رمل زاحف وسيل جارف». وكنت احدث نفسي حين اسمعهُ اني لم ار ارجح منهُ فؤاداً ولا اسرع تناولاً فقد يباري فهمهُ سمعهُ ويفهم من التلميح قبل التصريح

ودونكم قضاة ابن نسير عجزت عنهُ علماء الشام وقضاتها وفقهاؤها:

يُروى ان رجلاً من اغنياء دمشق طلَّق امرأتهُ في سورة الغضب وكانت قد ابتاعت بريال حريراً دون ان تستأذنهُ في ذلك فاقسم انها طالقة ان لم تردَّ الريال عينهُ فصعب الامر في عينيها لانَّ التاجر البائع يملك في خزانته عدداً وافراً من هذه النقود. ولمَّا افاق الرجل من سكرة الحنق والغيظ وراجع عقلهُ وحلمهُ ندم اشدَّ الندامة على فعلهِ هذا فقضى حيناً طويلاً يبكي ويتلهف على امرأتهِ. اخيراً طلب لحلِّ هذا المشكل فتوى من علماء الشام فما استطاع احد ان يحلَّ عقدهُ ويرد عليهِ جواباً سديداً بل كانوا يردِّدون عليهِ هذه الكلمات المؤلمة: «هو الشرع لا يُنقض انها طالقة انها طالقة»

فسمع ابن سمير وهو في الشام بما جرى فقال للمفتي: « جعلت فداك يا سيدي هل الرجل مُغرم بامرأته قال: كيف لا وقد اصبح ضامر الجسم شاحب الوجه أليف الحزن والكمد فلا تصفو له حياة بدونها ولا يحلو له عيش بعد فراقها. فلما سمع ذلك امر باحضاره ولما مثل بين يديه واذا هو مكروب النفس مضطرب البال وما كاد يكلمه حتى اظهرت الدموع سره واخذ يحدث القاضي البدوي عن الطافها وما تركت في فؤاده من الغم والشجن فقال القاضي ابن سمير للمفتي: أحضروا صندوق التاجر كله فلا ريب ان الريال يكون بين الدراهم . فاستهاوا الامر ورجعت المرأة الى بعلها فاندهل قضاة الشام من نجابته وحسن حله لذلك المشكل الذي لم يجدوا له مخرجاً .

وللقضاة حوادث غريبة تفصح بجلي البيان عن توقد ذهنهم سنذكرها في محلها

وكم من مرة حُرم الابن القضاء بعد وفاة ابيه لبلادة عقله وسوء ادراكه على ان ذلك يندر جداً بين الاعراب لما يصيب صاحبه من الذل والهوان ولهذا لا يفتر الاب عن نصيحة ابنه وارشاده الى ما يؤول لصالحه فتراه دائماً يذكره بالابطال الشجعان والفرسان المشهورين. وكثيراً ما يورد له قول الشاعر العربي :

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

روى لي سالم ابو الغانم الشيخ القاضي المشهور بين عرب الغنيات ان اباه كان يصف له سعي النحل لجمع الزهور واصطناع العسل ويمثل له روايات عديدة عن ذكاء النمل وكيف يدخر لايام الشتاء مؤونته. ويصور له امثالاً عن الحيوانات والنباتات كي يدفعه للسعي وراء الحكمة والفطنة فاصبح ولده بعد نصائح ابيه المؤثرة اميراً من امراء البيداء وقاضياً مشهوراً يُرجع اليه في الرأي والمشورة

وقد ذكر لي الشيخ عبد المهدي ان للقضاة مدرسة ابتدائية يتلقنون فيها مبادئ القضاء والحكم فهو مضرب الاعراب ولاسيما مجلس ابيهم وقاضيهم فالمرشح لهذه المرتبة الرفيعة يقضي أيامه في خيمة القاضي الكبير ويراه وهو في الثامنة من عمره يلعب مع الاولاد العاب العرب (١ واذا جلس الوجوه والعظماء في خيمة القاضي ترك تلك الملاهي واتكأ بالقرب من الامير صامتاً بخشوع واحترام يسمع القضاء بانتباه

١) العاب العرب هي الدرو والقذيب والعاتم والطة وغيرها وسنذكرها في غير مقالة

من بدء الدعوى الى آخرها وعيناه الصغيرتان تنتقلان من واحد الى آخر فطوراً يرمق الى الشيخ ومهابته، وطوراً يلتفت ويعاين حركات المتخاصمين فهذا عوّاد بن قلاب قاضي البلقاء كما كان في صباه وربيع أيامه متولعاً بالالعاب الصبيانية فلا يدع كاباً الّا ويصاحبهُ ولا العوبةً من ألاعيب الفتيان الّا ويمرّن نفسه عليها على انهُ كان يتركها ويتجنب كل هذه الاباطيل عند مرافعة الدعوى فقد اتقن النظام البدوي وغدا ماهراً في ضروب القضاء.

واذا تهيأ الحاكم للقضاء لا بد لهُ ان يبدو بمظاهر العدل والاستقامة في جميع مناهجهِ. ومن عادات القضاة انهم لا يقبلون هديّة من احد المتخاصمين قبل رفع الدعوى ولا يتناولون الطعام في الولائم لئلّا يميل قلبهم الى الباطل وعندهم مثل يقول: «أطعم المرء تقوده بخشومه» (تقدهُ بخيشومهِ) اي تجرّه الى حيثما تشاء. اتى بدوي يدعى سلامة الى الشيخ فواز قاضي بني صخر وقال: تلطف ايها الامير واقبل مني هذه الفرس الكريمة. فقال القاضي بصوت مرتفع ووجه غضوب: حسبُك لقد ادركتُ ما تريد. ثم بعد ايام رُفعت الى القاضي دعوى في حادثة دم وكان مقدم الفرس من المجرمين فحكم القاضي عليهِ وعلى اعوانهِ ومن جملة ما اورد من الادلة لاقناع الجمهور الحاضر قولهُ: «ايها الرجال الكرام لو كان سلامة صاحب الحق لما احتاج الى استخدام الوسائط السافلة فالحق نور ساطع لا تخفيه الهدايا ولا جزيل الشرايا» وعنى بذلك عن المال والطعام اللذين لا يجديان صاحبهما نفعاً في القضاء. ولقد صدق ابن قلاب حين قال: «أحكمُ على اخي ولو كان من لحمي ودمي». ولهم عادة حميدة تذكر بالثناء عليهم وهي ان قاضي العشيرة اذا رُفعت اليهِ دعوى باحد اقاربه الادنين او بمن تقرنهُ بهِ روابط المودّة والاخاء لا يحكم فيها بل يسطرها الى قاضٍ غيرهِ من القضاة المجاورين ارباب العدل والانصاف لئلا تقع الظنون عليهِ. وكان يحدثني بذلك عبد المهدي فقال: «لو اضطررتُ الى الحكم على اخي او ولدي أحكم والحزن في فؤادي ولكني لا اتأخر عن ذلك لاننا معاشر الحكام نؤاب عن العشيرة وكيف نخالي الوجوه وعينُ الله ساهرة لا تغفل عنا تراقبنا وتتعقب حركاتنا وسكناتنا»

ومما يبعدهم عن سبل الرشوة ما لهم من الراتب المحدود لكل دعوى يحكمون

فيها. وهذا الراتب يسمى عندهم رزقة كما سنبينهُ في محلهِ. ولسنا نعمُّ القول بان القضاة جميعهم يأنفون الرشوة والهدايا ولا يطأطئون هامتهم للذلّ والهوان فمنهم من سار على مثال غيرهِ من الحكّام الذين يجاورونهم وفقاً لما قال الشاعر:

واذا الامور تعسَّرتْ فعجزتَ عن ادراكها
فامدُدْ يديك وأعطهم دينارك مفتاحها

فاذا نالوا نصيباً من الهبات والهدايا حرَّفوا القانون عن معانيهِ القديمة واتوا بشرح مُبهم طبقاً لاهوائهم ورغائبهم فلا تراقبهم عين المراقبين ولا تعارضهم يد المعارضين لأن الجهل سائد بين الاعراب

وكنا فيما سبق بيَّنا انَّ القانون تقليدي فلا بد للقاضي اذن ان يعرف عوائد العرب وطبائعهم وقضاء الشيوخ من قبلهِ. وعليهِ ان يطابق الحوادث الجارية والدعاوي المرفوعة طبقاً للاحكام التي رسمتها لهُ القضاة. ولقد حضرتُ في مجلس عبد المهدي قضاء يدلُّ على تمسُّك العرب بما ورثوه عن ابائهم من العوائد الحميدة والقبيحة ودونكم مجراه: كان كبار العرب جالسين في المضرب فتقدَّم المدَّعي وجلس في وسط الجماعة وقال: «يا سيدي القاضي ان فلانًا وفلانًا وفلانًا قد اعطوا ارضاً واسعة لسالم الحلّاقين (وهو بدوي) والارض لا تخصُّهم بل هي ملك العشيرة كلها ولا يقدر احد ان يتصرَّف بما لا يخصُّهُ بل بما تملك يداه دون غيرهِ وان شاء الله بحكمك العادل تعيد الارض الى اصحابها». ثم جلس في محلّهِ بين الجماعة فقام المدَّعى عليهِ وهو سالم الحلّاقين وجلس في وسط الجماعة وقال: «يا سيدي القاضي يا عبد المهدي ويش تقول (اي ما رأيك) في انسان وهب هبة من نفس طيبة راضية وطلب بعد ذلك استرجاعها والمرء الكريم لا يسترجع ما وهب واني لأعدُّهم من كبار قومهم اذا اعطوا شيئاً تعطي العشيرة ما وهبوا». وكان عبد المهدي الى يميني فانحنى اليَّ وقال: كيف رأيك في هذه المسألة. فقلت: على ما اظن ان الذين وهبوا الارض قد وهبوا ما يخصُّهم فقط لان المثل يقول: يجود الخيّرون بمالهم وهؤلاء جادوا بمال غيرهم فقال: هذا رأي صائب لو كنا في بلاد الناس اي في البلاد الراقية المتمدنة ولكن حسب عوائد العرب ان وجوه القوم اذا جادوا بما يخصّ العشيرة كلها فان العشيرة لا تردّهم خائبين بل انها تسلّطهم على كل ما تملك. فان الذين وهبوا هذه الارض لسالم الحلاقين هم من كبار

العشيرة فقد وهبوها اذن باسم العشيرة كلها ولا يسعنا ان نغيّر عوائد القضاة الذين قبلنا ثم التفت الى الحاضرين وقال: « انا من عندي ومن عند القضاة الذين قبلي ومن عند الرجال الذين مثلكم ان الوجوه الذين وهبوا قطعة الارض قد وهبوها باسم العشيرة كلها وهي الآن ملكهُ يتصرف بها كيفما يشاء ». وتمَّ القضاء على هذا المنوال. ومن هذا يُستدَلّ ان القضاء في البادية نقلي سماعي

وكثيراً ما يحدث بعد الحكم اعتراضات ومجادلات غير ان القاضي يلبث بين تلك الاضطرابات ساكن الجأش هادئ البال وربما ادَّت بهم حدَّة الغيظ الى شطط الكلام ولكن لا ينتهي جدالهم الى الشتم والاهانة لانهم يكرمون بيت القاضي ويعدُّونهُ مقدَّساً. وقد يطول الجدال بينهم والقاضي يتحمَّل جهلهم بصبر عجيب فلا تخرج من فمهِ كلمة تشمئزّ منها الاذان وتنفر منها القلوب

ويا حبذا ما سمعناه من لطف كلامهم وحسن منطقهم في المجالس فقد يخال انهم من سحرة الالباب ولقد تبدو فصاحتهم ويظهر واسع معانيهم بعد ان يكون كل من الخصمين عرض دعواه وأيدها بالبراهين والادلَّة فينتصب القاضي ويسرد دعواهما فيصحح كلامهما ويزيد فيهِ ما يقوي الحجة ويحذف ما لا فائدة منهُ فيكون كلامهُ حينئذٍ اسطع من النور وامتن من الصخر. فهذا ما يسمَّى في كلامهم « تعديل الحجة » من عدَّل الحكم اي اقامهُ. هناك تظهر مخيلتهُ فيأتي بالتشابيه البديعة ويضرب الامثال ويورد الحكايات على السنة الحيوانات او الجمادات مما يطرب لهُ الحاضرون. قال احد الاعراب عن قاضٍ اعرابي وهو ابن قلاب: « له كلام احلى من الشهد المصفى »

٣ كيف يصير القضاء عند العرب

وكم من مرة تقع الخصومات بين العرب على ما يملكونهُ من الحيوانات والاراضي فيهيج هائجهم وينبض نابضهم فتستفزّهم نزوة الغضب فينتفضون ويرتجفون من الغيظ والحنق فينتضون السيوف ويطلقون الرصاص وتُهراق الدماء الكريمة لما طبعوا عليهِ من حدَّة الاخلاق وحفظ الحقد والضغينة. والسرقة عندهم من الفضائل الرفيعة والكذب جارٍ بينهم مجرى العادة فيضربون به المثل قائلين: « الكذب ملح الرجال وعيب على من يصدق ». وكثيراً ما تسرق من مضاربهم فرس كريمة فيقتفون اثرها

الى ان يجدوها فيرفعون دعواهم الى القاضي لمعاقبة الجاني او يتخاصمون زماناً طويلاً على قطعة ارض وترتفع اصواتهم وشتائمهم ولا يجدون حلاً لمشكلاتهم الّا حكم القاضي

ولهم طريقتان لحسم الخلاف القائم بينهم فاما انهم يلتجئون الى القسَم واما انهم يطلبون قضاء الحاكم البدوي. فالقسم او الحلف لمن ارهب الامور واقدسها فلا يقدمون عليهِ الّا مضطرين فان الاعرابي لسذاجة عقلهِ وتسلُّط الجهل عليهِ تملك قلبهُ الخيالات المخيفة والتصوُّرات المرعبة ولذلك يتجنبون الحلف ولو كانوا بهِ صادقين. ولقد رأيت من الاعراب عدداً وافراً يهابون اتخاذ المولى الكريم او احد اوليائهِ وانبيائهِ شاهداً على صحة ما يقولون وهم يُعدُّون من قطّاع الطرق وسالبي المسافرين. وقد وقعت في البادية عند عرب الزايدة حادثةُ دم فطلب اقارب المائت حقَّهم من الدية اي ثمن الدم فابى القاتل ان يمدَّ يد المساعدة لأسرة المقتول وانكر انهُ ذبحهُ. فطلبوا القسَم على مزار النبي شُعَيب (١) قائلين: اذا اقسمتَ هناك برئتْ ذمتك من دم الرجل والّا فما نترك لك مقرّاً ولا مسكناً ولا غناً الّا نهبناه. فقال: هلمُّوا معي الى مزار النبي شعيب. وهذا المقام واقع في وادي شرين على بعد ثلاث ساعات من نهر الاردن من جهة الشرق فركب خلق كثير وفرسان عديدون ليعاينوا معاقبة النبي للمجرم ولمّا افضوا الى بركة النبي شعيب واذا بالجاني قد اخذتهُ رهبة المزار فاضطكَّت رجلاه وسكنت حركاتهُ واخذ العرق البارد يسيل من اعضائهِ كلها ولم ينزل الى البركة ليتم القسم المطلوب فدلّت هيئتهُ وما صار اليهِ من الرجل على جرمهِ واثمهِ فقال العرب الحاضرون بعضهم لبعض: اما رأيتم قدرة النبي شعيب وسلطتهُ البيّنة وجثوا هناك وتلوا عن ظاهر قلوبهم صلاةً وجيزة ثم عادوا الى بيوتهم والرهبة ممثلة على وجوههم. على ان البدو ان قد اخذوا من عهد قريب تمثلاً بمن يجاورهم من الفلّاحين يشهدون الشهادة الزورية فيطلبون الرشوة القليلة ويبيعون دينهم بدنياهم وقد تعهّدنا بأنظارنا على ابواب المحاكم في المدن الكبرى او في بعض الاقضية اناساً ساقهم الطمع وحبُّ المال الى الشهادة الكاذبة فيشهدون بما لم يروا ولم يسمعوا

والقسَم عند العرب انواع مختلفة منهُ ما يسمونهُ القسم الجاري والصغير ومنهُ

(١) يزعم العرب ان شعيباً هو يثرو حمو موسى النبي وهم يكرمونهُ كنبي ايضاً

القسم الكبير ففي القسم الصغير يقوم الشيخ ويقف في وسط الخيمة ويقول: « اقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلتَ الامر الفلاني. فيقول: والله وصلاة محمد لم افعل ما تقول ». ولهم نوع آخر من الحلف يسمى حلف اليد. كنا يوماً في بيت من بيوت الشاط فذبحوا الذبيحة ووضعوها في صحن كبير يدعى مسفاً في منتصف البيت فقام وجوه العشيرة ونالوا نصيبهم من الطعام وبعد ان اتموا الوليمة جلسوا يتجاذبون اطراف الحديث. وفيما هم يتكلمون بصوت مرتفع اذ ساد السكوت وانتصب رجل وضع يده على رأس رجل اعرابي وقال: « اناشدك بالله يا تحوش وتنوش (١ بحلابات الحليب (٢ ونسافات العسيب (٣ وبالنساء. وما تجيب داخل عليك على المال والعيال من الحلّ والاستحلال (٤ اليوم بين عينيك وباكر بين متنيك (٥ بنبيّة عليّ وبيّنة عليك (٦ ان اطاعتها تسرك وان خبّتها تضرك أما صار كذا وكذا؟ فيجيب: « إي بالله ورسوله صار كذا وكذا. او: لا بالله ما صار ذلك ».

ويقولون ايضاً في اقسامهم: « انا حاضر بحضارك وبوقد نارك أما صار كذا وكذا ». ومن حلفهم ما يسمّى حلف العشبة: « بحق هذه العشبة الاوية والكاذب ما له ذرّية » (٧. ولهم قسم يدعى ببيت الشعر اي الخيمة: « وحق البيت وبيت الله وطعمة وزاده عند الله اما جرى كذا (٨ ».

ولهم قسم عظيم يسمى قسم النسلة والشملة ودونكم وصفه: حينما يكون العرب

---

١) اي اناشدك الله بما نالك في هذه الدنيا فاذا صدقتَ في جوابك يبقى لك مالك واذا كذبت يمالك جميعه

٢) حلابات الحليب هي السماج والنياق والمعزى وغيرها من الحيوانات

٣) نسافات العسيب هي الخيل الكريمة. العسيب هو ذنب الفرس

٤) اي اني ارجوك بحق أسرتك واولادك ان لا تتكلم بالمش والمديبة

٥) انك تراني اليوم وغدا ستحاني على النمش واقف امام الديّان العادل وانت تقف ايضاً وتظهر امام الله اذا اخفيت الحق سيرى الناس ذلك في يوم الحشر والنشر

٦) اي الشيء المكتوم والشيء الجلي

٧) ان العرب تأخذ عشبة من اعشاب الارض ويقسمون القسم المذكور

٨) يحلفون ببيت الله وبيت الشعر الذي يعتبر عند العرب مكرّماً ومقدّساً. ويقولون ان كل ما يقدّم للضيوف هو مسطّر عند الله

وكبارهم منتشين في شقّ الرجال (وهو محل الرجال في الخيمة) وطال الجدال بين فريقين على ارض او فرس وغيرهما يقوم امير البيت ويخرج بمجلسه خارج الخيمة ثم ينتضي سيفاً باتراً ويخطّ به دائرة كبيرة ويضع في وسط الدائرة حبّة حنطة وفلة. والحنطة تدلّ عند العرب على اكرم ما خلق الله تعالى والفلة تمثل الحكمة والفطنة والادراك. ويمدّون السيف في منتصف الدائرة فيدخل المتهم في وسطها ويضع يده على نصاب السيف ويقسم قائلاً: « والله العظيم والسيف الكريم ما فعلتُ الشر ولا سرقتُ ولا قتلت الخ ». وقبل ان يدخل في وسط الدائرة ينزعون عنهُ كل اسلحته وكثيراً ما يرجف رعدةً وهيبةً وربما رجع عن الحلف واقرّ بما فعل. وحضرنا قسم الشلة والفلة في مضارب الاعراب فنهم من يضع عمامة بيضاء في مكان الحنطة تدلُّ على حكمة سليمان بن داود كما يقولون. واذا دخل المتهم في الدائرة يتغير لون وجهه وترتخي مفاصلهُ وتميد يداه ورجلاه وتشخص عيناه من الرعب والذعر

ومن عوائدهم ما يماثل عوائد اهل الاجيال الوسطى. ويدعى عندهم بَلْعاً وهو من بَلَعَ الشيءَ اي نزل الشيءُ في حلقومه الى جوفه

وهو من انواع الامتحانات المحلة عند الفرنج « ordalies » وذلك ان المجرم يبتلع الحديد المحتدم فان كان بريئاً لا ينالهُ شيءٌ من الالم والوجع وان كان مجرماً تعذب بالعذابات التي لا تطاق ولا تحتمل. ومنهم من يشرب السمّ القاتل ومنهم من ينزل في المياه المتلاة على النيران ليظهر نقاوتهُ ويزكي نفسه

والحلف بالمقامات يُعدّ عندهم من الاقسام العظمى وربما اقسم البدوي بالله مراراً عديدة وابى ان يقسم بالاولياء والمزارات المكرّسة. ومن مزارات شرقي الاردن مزار النبي شعيب وهوشع والشيخ عبدالله والشيخ خُنَيْزير ومزار ابي عبيدة وام العيون وسنذكر موقعها واصلها في مقالة اخرى نبحث بها عن ديانة العرب ومزاراتهم وخرافاتهم وطالما سمعنا من الاعراب ان الذين اقسموا قسماً كاذباً اصابهم ضربات هائلة تقشعرُّ لذكرها الابدان فنهم من جمدت دماؤه ومنهم من خسر مالهُ وأولاده ومنهم من لم يبقَ لهُ اثر بعد الاثم ومنهم من خرج يستهزئ بالاولياء والمقامات فلم ينَلْ شيئاً ولم تنزل به النكبات

غير ان العرب يدّعون القسم لرهبته ويلتجئون غالب الاحيان الى القاضي البدوي

فما اجمل بيت الشعر حينما يُزيَّن بانواع الاثاث ويفرش بابدع الفرش ويُعلق على اسواره السلاح اللامع كالسيوف والبنادق. فما يكاد يجلس الوجوه حتى يُسمَع صوت المهباج (١ يدقّ القهوة ولله قول ابي الكبابر:

البنّ بالميوان نسمع صهيله عزّام لوجوه المسابير زافات

والعرب مولعون بشرب القهوة المُرّة ومن عوائدهم الطواف على الحضور بالقهوة دفعات متوالية وهم لا يسكبون في الفنجان الّا ما يكفي ثلاث جُرَع. وبعد شربهم للقهوة يقوم احد المتخاصمين ويجلس في وسط الخيمة بين الحاضرين ويلتفت الى القاضي ويقول وهو عندهم بمثابة استدعاء. ويفتتحون به الدعوى: «ويش بك يا قاضينا يا الّي بحقك ترضينا جنتك هدي ومشيا قدي وافلح على من صلّى على النبي (والكل يقولون الصلاة والسلام عليه) حظّي وحظّك يدخلان على اربعة واربعين نبي من القوط والنوط والحق الردي وانا داخل على المال والعيال من شيْ مبيّن عليك وعليّ غبي وانا حاطها بعيونك السود وربعك القعود وبالامرأة وما تجيب وحلّابات الحليب ونسّافات العسيب». وقد تركنا كلامهم على نطقه ولم نُرد ان نبدل منهُ حرفاً ليقف القراء الكرام على الفاظهم ولغتهم المستعملة في البادية. وهذا كلامهم في مقام التعظيم والتفخيم يأتون به مسجّعاً ويذكر المدّعي ما جرى لهُ بصوت جهور بحيث يسمعهُ الحضور من كل اطراف الخيمة ويورد البراهين في ذلك الى ان ينتهي ويعود الى مقامه الاول. فيقوم المدّعى عليهِ ويجلس في وسط المجلس ويكرر القول نفسهُ: «ويش بك يا قاضينا الخ» ويفصح عن ادلّته ولا احد يعارضه في شيْ. والقاضي بين كل ذلك صامت لا يبدي كلمة وفي آخر كل ذلك يقول: «افاهوا واصلحوا خير لكم» اي اصلحوا ذات البين خير لكم. واذا ابوا الّا اظهار الحق يقول لهم: قدموا الزقة (لهُ تابع)

(١ المهباج هو نوع من الهاون الخشبي من شجر البطم الاسود ويزينونهُ بالمسابير الفضية او الذهبية والمهباج كلما كان كبيراً دلّ على كرم الشيخ

اثر عربي بخصوص الرهبانيّة اليسوعيّة

توطئة

اشار حضرة الاب لويس ونزفال في مقالته المنونة « المئة الاولى لانبعاث الرهبانية اليسوعية » الى البراءة البابويّة التي اوّلها (Apostolicum) اصدرها قداسة الحبر الاعظم اقليمس (او اكليمنضوس) الثالث عشر سنة ١٧٦٥ وجدّد فيها تثبيت الرهبانية اليسوعية ومدح قوانينها واعمالها المبرورة وفنّد اكاذيب اعدائها. وما كنّا نعلم انّ هذا الاثر قد طُبع في ذاك الوقت في مطبعة مديسيس بمرّبا. وقد وقفنا قبل اربع سنوات على نسخة من تلك البراءة في مكتبة دير الشير لحضرة آباء الرهبانية البابليّة الحلبيّة فتلطّف احدهم ونسخ لنا صورة تلك البراءة فاحببنا نشرها بحرفها دون اصلاح تعبيرها شاكرين لحضرة الناسخ وذلك بمناسبة المئة الاولى لانبعاث رهبانية يسوع وفيها احسن ردود على التهم التي اشاعها في ذاك الوقت اعداء الكنيسة في حقها وذلك ثماني سنوات فقط قبل الغائها. على انهم لم يزالوا يفترون سمّهم فيها ليجدوا بسقوطها مجالاً لمحاربة الدين ففازوا بمرغوبهم لكنّ الله نصر الحق اخيراً وازهق الباطل ل. ش

صورة منشور الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر الذي به يجدّد حديثاً تثبيت كتاب قوانين الرهبنة اليسوعية

اكليمنضوس الاسقف عبد عبيد الله لذكر الامر مخلداً

ان الوظيفة الرسولية الممنوحة من ربنا يسوع المسيح القديس بطرس الرسول وخليفته الحبر الروماني ليرعى شعب الله ليس من الممكن ان تكون محدودة ام ممنوعة بعرض ما من عوارض الاماكن والازمنة او بنظر ما الى الامور العالميّة او بسبب آخر من الاسباب. فلذلك يضطرّ الحبر الروماني ان يجتهد اجتهاداً كلياً ويعتني في جميع اللوازم الحادثة في بيعة الله من غير ان يترك شيئاً او يتغافل عن شيء مما يخص وظيفته. فهو من وظيفته على الخصوص ان يحامي عن الرهبنات القانونية المثبتة من الكرسي الرسولي وان يشجع ويقوي تلك الانفس الباسلة التقية التي نذرت في تلك الرهبنات النذور الاحتفالية والمجتهدة بغاية الاجتهاد في تأييد الايمان

الكاثوليكي وانتشاره (١ وهو ايضاً من وظيفته ان يثبت ويقوي الضعفاء السقيمين وان يعزي الحزانى المظلومين وخاصة ان يصدّ عن الكنيسة المستودعة لامانته وحراسته جميع الشكوك النامية يوماً فيوماً لهلاك الانفس

ان كتاب قوانين الرهبنة اليسوعية (٢ الذي هو تأليف رجل يُحصى من الكنيسة الجامعة ما بين القديسين المفحوص عنهُ جيداً والمثبت مرّات عديدة من سلفائنا الصالح ذكرهم اعني بهم بولس الثالث وجوليوس الثالث وبولس الرابع وغريغوريوس الثالث عشر وغريغوريوس الرابع عشر وبولس الخامس فهؤلاء الاحبار عينهم وغيرهم من سلفائنا الذين هم بالعدد تسعة عشر قد شرفوا كتاب القوانين (٢ وحامروا عنهُ بنوع خصوصي والاساقفة قد مدحوهُ كانهُ مثمر جداً ومفيد في الغاية لانهُ ذو حث جزيل لعمل خدمة الله ومجده ولخلاص الانفس. ثم الملوك الاكثر قدرة والاوفر تقوى مع اعظم الامراء المسيحيين قد وضعوا هذا الكتاب (٣ تحت كنف حمايتهم الملوكية. ثمَّ انهُ من ممارسة قوانين هذا الكتاب تسعة انفار حصلوا على القداسة فتحروت اسمائهم في مدرج القديسين. ومن هؤلاء ثلثةٌ نالوا اكليل الظفر بالاستشهاد المجيد. وقد مدح هذا الكتاب المذكور (٣ كثيرون ايضاً مشتهرون بالقداسة ومتمتعون بالمجد الابدي في السماء كما هو معلوم عندنا. امَّا الكنيسة الجامعة فمن مدة مئتي سنة وبَّتهُ وصانتهُ في حضنها مسلمةً لتابعيه جزء الخدمة المقدسة الاخص للفائدة العظيمة للانفس وثبتتهُ اخيراً في المجمع التريدنتيني المقدس ودعتهُ الكتاب التقي (٤

فهذا الكتاب (٢ نفسهُ قد وجد في هذا الزمان اناس الذين اما بتناسيرهم السيئة واما في مذاكراتهم او في كتبهم المطبوعة لم يخشوا من ان يدعوهُ كتاباً ملحداً منافقاً مفترين عليهِ ويشبهوهُ بالاهانة والاستهزاء. وقد اتصلوا الى هذا الحد حتى انهم اخذوا يبثون بكل حيلة من حيل رأيهم المسموم وينشرونهُ من بلد الى بلد في كل

---

١) وفي الاصل زيادة: « ولحراسة حقل الربّ »

٢) الاصل اللاتيني يتناول الرهبانيَّة اليسوعيَّة كلها ليس فقط كتاب قوانينها « Institutum Societatis Jesu » فوهَّم المعرّب وترجم « قوانين الرهبنة » بالغلط فجاءت الترجمة غلطاً

٣) والصواب: « هذه الرهبنة »

٤) الصواب: « ودعاها المجمع رهبانيَّة تقويَّة »

الاماكن ولم يبرحوا حتى الان ايضاً يسقون هذا السم بخداع للعقول الغير حريصة لتشربوه اياهم وهكذا يجتذبونهم الى رايهم الفسود. فيالهُ من عار على الكنيسة ما اشنعهُ وهو كانها انخدعت بهذا القدار حتى انها بمجمع احتفالي دعت تقياً ومرضياً لله تعالى ما هو ملحد ومنافق. ونقدر على ان نقول ايضاً ان خداعها هذا هو اشنع ايضاً حيث انها حملت هذا العار والامر القبيح في حضنها مدة مئتي سنة واكثر لهلاك الانفس

فلانَّ العدل يضطرُّنا ذمَّةً ان نحكم على كل احد بالانصاف ونحفظ حقوقهُ بقوة. وعنايتنا الرسولية نحو الكنيسة لا تسمح ان نؤخر الدواء لهذا الداء العظيم الذي بمقدار ما نتغافل عن علاجهِ بمقدار ذلك يزداد يوماً فيوماً ويتقوى بالاكثر. فلذلك لكي ننتقم للكنيسة عروسة المسيح المستودعة لنا من الله ونرفع عن الكرسي الرسولي هذا العار الغير المحتمل ولكي نبكم سلطاننا الرسولي هذه الاصوات الظالمة المنافقة المسموعة في كل موضع ضد كل عدل وناموس لخداع وهلاك الانفس ولكي نثبت بهذا السلطان غيرة رهبنة الاكليريكيين القانونيين اليسوعيين اوفر تثبيتاً كما يقتضي العدل والصواب ونعزيهم بنوع ما في هذا الزمان المظلومين فيه بغاية الظلم ولكي نتمم اخيراً رغبة اخوتنا الاساقفة الجزيلي الاحترام الذين كتبوا لنا من سائر البلدان الكاثوليكيين ملتمسين منا ما اضدة هذه الرهبنة عينها التماساً شديداً محققاً كل واحد منهم انهُ في ابرشيتهِ يجتني من الرهبنة المذكورة اعظم الفوائد وارفرها

فلاجل هذا كلهِ نحن من تلقاء ذاتنا وعلمنا الاكيد وبسلطاننا الرسولي مقتفين آثار سلفائنا الاحبار الرومانيين جميعهم في هذا المنشور الخالد المديم التغير نقول ونعلن نظير ما قالهُ اولئك واعلنوهُ ان كتاب(١ قوانين الرهبنة اليسوعية هو مملوء جداً من روح التقوى والقداسة وذلك نظراً الى الغاية المقصودة منها على الخصوص التي هي حماية الايمان الكاثوليكي وانتشارهُ ونظراً الى الوسائط المستعملة منها لبلوغ الغاية المذكورة كما اختبرنا ذلك الى الآن. والحال اننا رأينا الى يومنا هذا يتأيد من هذه الرهبنة جنودٌ كثيرون متسامين عدداً ومجاهدين عن الايمان الارثوذكسي وواعظين بكلام الله

---

١) كما سبق لفظة Institutum ليس معناها هنا كتاب القوانين ولكن الجماعة الرهبانية الجارية على رسومه

الذين بشجاعة غير متزعزعة قد خاطروا بانفسهم مخاطرات لا يُحصى عددها برًّا وبحرًا لينيروا الامم والبرابرة بمصباح الايمان الانجيلي . ورأينا ايضاً ان جميع الذين يتبعون قوانين هذه الرهبنة الحميدة يجتهدون اجتهاداً كلياً . فالبعض في تربية الاحداث بالديانة المسيحية والعلوم المختلفة والبعض في ارشاد الانفس بالرياضات المقدسة والبعض في خدمة الاسرار الكنائسية لاسيما الاعتراف والافخارستيا في حث المؤمنين على تناول هذين السرَّين بتكاثر والبعض في ان يقيتوا اهل القرى بخبز كلمة الله ولذلك نحن نثبت ايضاً كتاب (١ قوانين الرهبنة اليسوعية القائمة بالعناية الالهية لاجل تتميم هذه الاشياء العظيمة المعتبرة جداً وبسلطاننا الرسولي نثبت المناشير التي بها سلفاؤنا ثبتوها . فنعلن ان النذور التي بها الاكليريكيون القانونيون من اهل هذه الرهبنة يخصصون ذواتهم لله حسب قوانينهم هي مرضية لهُ تعالى ومقبولة منهُ

ونثبت ايضاً ونمدح جداً كتاب رياضات القديس اغناطيوس تلك الرياضات التي يتروَّض بها تحت ارشاد الرهبنة اليسوعية المؤمنون حينما يختلون عن العالم مدة ايام قليلة ليتأملوا تأملاً بليغاً في خلاص النفس فقط . فنعترف مقرّين انها هي مفيدة جداً لاصلاح السيرة ولحث المسيحيين الى التقوى وحفظها

ونثبت ايضاً الاخويات المؤسسة في اديرتهم ليس تلك المختصَّة باهل المدارس فقط بل للجميع سواء كانت لاهل المدارس وحدهم ام للعلمانيين وحدهم ام للعلمانيين واهل المدارس معاً او كانت تلك الاخويات المقدسة باسم العذراء المجيدة الكلية القداسة او بغير اسمها ونمدح افعالها الصالحة التي تمارسها بثوها بنشاط محثين ذواتهم جداً الى تلك العبادة الفريدة نحو والدة الله الدائمة بتوليتها والكلية الطوبى التي يتمسك بها الاخوة وينحونها في تلك الاخوية . ولذلك نثبت بسلطاننا الرسولي المناشير التي بها سلفاؤنا الصالح ذكرهم غريغوريوس الثالث عشر وسيستوس الخامس وغريغوريوس الخامس عشر وبنادكتوس الرابع عشر ثبتوا هذه الاخويات وجميع المناشير الاخر المبرزة من الاحبار الرومانيين سلفائنا لتثبيت ومدح جميع الوظائف التي تمارسها الرهبنة المذكورة . فنريد ان كل واحد من هذه المناشير يُحسَب كانهُ محرَّر في منشورنا

---

١) راجع ما قلناه سابقاً عن وَهْم المعرّب

هذا عنهِ . ونزيد ايضاً ان المناشير المذكورة تكون مثبتة بالسلطان الممنوح لنا من الله وبكل قوة تثبيتنا الرسولي وان كان يحتاج فنوصي ونأمر بانها تُحسَب معززة منّا كأننا حرَّرناها جديداً . فلا يتجاسر اذاً احد على ان يثلم او يخالف امر منشور تثبيتنا هذا والّا فليعلم انهُ سيحلّ عليهِ غضب الله القادر على كل شيء ورجز رسوليهِ الطوباويين بطرس وبولس

حُرر في رومية عند كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى في ٧ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ للتجسد الالهي وهي السنة السابعة من حبريتنا

طُبع بمطبعة اللاك روتيلي بايطاليا مديسيس

المشاعر في الحيوانات

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد منح الله الانسان خمس حواسٍ كوسط بينهُ وبين عالم الكون . فانها لعمري هبة عظيمة اجاد بها الخالق على مخلوقهِ كفى بياناً لذلك اعتبار الأجهزة التي بواسطتها ينجز افعال تلك الحواسّ كالعين والاذن واللسان فانَّ كلَّ من يمعن فيها النظر لا يتمالك عن الاقرار بفضل خالقها ونبذ رأي الماديين الذين لا يستطيعون ان يعللوا تلك العجائب الّا بنسبتها الى قوّة عمياء يدعونها الطبيعة او الصدفة

وربَّ سائلٍ يسأل أتوجد هذه المشاعر الخمسة في الحيوانات كما توجد في الانسان ؟ او تكون في كلّ ضروب الحيوان ذوات الاربع والزحّافات والطيور والحشرات ؟ الجواب على هذا السؤال قريب لكلّ من خالط الحيوانات مخالطةً ما . فانَّ اختبارنا الشخصي يثبت لنا وجود الحواسّ في البهائم كما في الانسان فانَّ الفرس مثلاً يرى ويسمع ويشمّ الروائح ويلتذّ بؤانسة صاحبهِ اذا ملّتهُ بيدهِ ويتألم بضربة مهمازهِ اذا ركّل بهِ صدرهُ كما انهُ يستطعم في مخلاتهِ القوت الذي يفضلهُ على سواهُ . فلا ينقصهُ اذن شيء من حواسّ الانسان الخمس بتمامها

وما يصدق في الفرس يصحّ في ايّ حيوان كان حتى اصغر الهوامّ . هذه حشرة

هذا عنهِ . ونزيد ايضاً ان المناشير المذكورة تكون مثبتة بالسلطان الممنوح لنا من الله وبكل قوة تثبيتنا الرسولي وان كان يحتاج فنوصي ونأمر بانها تُحسَب معززة منّا كأننا حرَّرناها جديداً . فلا يتجاسر اذاً احد على ان يثلم او يخالف امر منشور تثبيتنا هذا والّا فليعلم انهُ سيحلّ عليهِ غضب الله القادر على كل شيء ورجز رسوليهِ الطوباويين بطرس وبولس

حُرر في رومية عند كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى في ٧ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ للتجسد الالهي وهي السنة السابعة من حبريتنا

طُبع بمطبعة اللاك روتيلي بايطاليا مديسيس

المشاعر في الحيوانات

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد منح الله الانسان خمس حواسٍ كوسط بينهُ وبين عالم الكون . فانها لعمري هبة عظيمة اجاد بها الخالق على مخلوقهِ كفى بياناً لذلك اعتبار الأجهزة التي بواسطتها ينجز افعال تلك الحواسّ كالعين والاذن واللسان فانَّ كلَّ من يمعن فيها النظر لا يتمالك عن الاقرار بفضل خالقها ونبذ رأي الماديين الذين لا يستطيعون ان يعللوا تلك العجائب الّا بنسبتها الى قوّة عمياء يدعونها الطبيعة او الصدفة

وربَّ سائلٍ يسأل أتوجد هذه المشاعر الخمسة في الحيوانات كما توجد في الانسان ؟ او تكون في كلّ ضروب الحيوان ذوات الاربع والزحّافات والطيور والحشرات ؟ الجواب على هذا السؤال قريب لكلّ من خالط الحيوانات مخالطةً ما . فانَّ اختبارنا الشخصي يثبت لنا وجود الحواسّ في البهائم كما في الانسان فانَّ الفرس مثلاً يرى ويسمع ويشمّ الروائح ويلتذّ بؤانسة صاحبهِ اذا ملّتهُ بيدهِ ويتألم بضربة مهمازهِ اذا ركّل بهِ صدرهُ كما انهُ يستطعم في مخلاتهِ القوت الذي يفضلهُ على سواهُ . فلا ينقصهُ اذن شيء من حواسّ الانسان الخمس بتمامها

وما يصدق في الفرس يصحّ في ايّ حيوان كان حتى اصغر الهوامّ . هذه حشرة

وتستر تحت الحجارة فاذا أزلتَ عنها ستْرها وعرضتها للنور حاولتْ ان تغرز في الارض او تختفي تحت الاوراق . فاذا انفذت في بدنها دبوساً تلمأت واضطربت وكلّ ذلك دليل على الحسّ والشعور . وهذه ذبابة يقتات صغارُها من السماد فاذا أُلقي كمّية جديدة منهُ تطايرت من ساعتها اليهِ حتى من امكنة بعيدة . فتلك بيّنة على حاسّة شمّها وان وجدت الذبابة في ذاك السماد ما تلذُّها رائحتهُ على خلاف مشاعرنا — وهذه النحلة تجني من الزهور ما يوافقها لعملها وتمتصّ بينها ما تجد فيهِ حلاوة لاستحضار عسلها . فلا شكَّ انَّ لها ذوقاً تستطعم بهِ قوتها . ويزعم المربون للنحل انَّ الحشرم المنفصل عن الخليّة يحطّ في مكان معلوم اذا اسمعوهُ اصواتاً مزعجة توهمهُ بصوت الرعد او الصاعقة وهذا الزعم يثبت انَّ للحشرات حاسّة السمع

ومن ثمَّ يجوز لنا القول اجمالاً بانَّ للحيوانات حواسَّ كما للانسان وان لم نستطع ان نثبت الامر لكل صنفٍ منها ونميّز اجهزة تلك الحواسّ في الحشرات ودقائق الحيوان

وكأني بالقارئ يوقفني هنا ليُلقي عليَّ سؤالين : الاوّل أليس لبعض الحيوان كذوات الفقرات مثلاً حواسّ افضل وادقّ من حواسّ الانسان ؟ والثاني اليس لبعض الحيوان مشاعر غريزيّة خُصَّ بها دون الانسان تفيدهُ لبلوغ غايتهِ وتغنيهِ نوعاً عن الفوائد التي يحصل عليها الانسان بقوى عقلهِ ؟ فان تحقَّق الامران اعني وجود مشاعر في الحيوان افضل واكمل من الانسان ثمَّ وجود حواسّ لم يُعطَها الانسان سقط مذهب النشوء والتحوُّل اذ يزعم الدروينيّون انَّ طبقات الحيوان العليا ورثت من الطبقات السفلى خواصّها فبلغت كمالها بتحسُّن الاجناس وترقّي سلسلة الاحياء

أ (الجواب على السؤال الاوّل) لا بُدَّ من القول بانَّ الحواسّ في بعض الحيوانات تفوق حواسّ البشر بكمالها ودقّتها — لنا على ذلك ادلّة لا تُحصى . انظر الكلب مثلاً فانَّهُ بحاسّة شمّهِ يكتشف ما لا يكتشفهُ الانسان فاذا سار معهُ للصيد استروح الفريسة عن بُعد واذا نُصب للحراسة افرز رائحة صاحبهِ من رائحة الغريب وان اتخذهُ صاحبهُ لجمع الكمأة نبشها واثارها من قاب الارض . فلا احد ينكر انَّ مشعر الشمّ في الكلب ادقّ وافضل منهُ في الانسان ولو كان الانسان يبلغ في ذلك مبلغ الكلب لاستغنى عنهُ في الحراسة والصيد

وهذه حاسة الشم الفائقة تجدها في كثير من الحيوانات في الثعالب مثلاً وبنات آوى والضباع فانَّ هذه الحيوانات تشمُّ من بُعد رائحة الانسان فتهرب منهُ واذا اراد الانسان ان ينصب لها اشراكاً ليصيدها او يسمّمها يجب عليهِ أن لا يمسّ بيدهِ تلك الطعوم المسمومة والاشراك المنصوبة لانَّ الحيوانات اذا شمَّت رائحة يد الانسان نفرت منها

وكذلك جوارح الطيور كالنسور والعقبان فانَّها تشمُّ رائحة الجثث الميتة من مسافات بعيدة فتجتمع وتحوم فوقها

وما قلناهُ عن حاسة الشم يصحُّ ايضاً في حاسة البصر . فانَّ الاختبار اليومي يثبت فضل بصر الحيوان على بصر الانسان . ويدلُّ على ذلك عدَّة امثال عند العرب كقولهم « ابصر من عُقاب » و « ابصر من فرس في بهماء » ويضرب الفرنج المثل في بصر الفهد (lynx) فيقولون : « لفلان عيون كعيون الفهد » لزعمهم قديماً بانَّ الفهد يرى من وراء الحيطان

امَّا العقبان والنسور فانك تراها في اعالي الجوّ ترصد السهول والاودية حتى اذا عاينت في اعماقها او بين دغلها حيواناً يؤكل كأرنب او فرّوج ممَّا لا يراهُ الانسان الَّا عن كثب انقضَّت عليهِ كالبرق فخطفتهُ لا محالة

وكثير من الطيور التي يبتغي الانسان صيدها تنجو منهُ بدقَّة بصرها فتفرُّ منهُ ولو تستَّر وراء سياج او في فترة كالوز البرّيّ والبط والحجل

وخلاصة الكلام لا بدَّ من الاقرار بانَّ حيوانات كثيرة تفضل الانسان بكمال حواسّها . وان امكن الانسان باختراع ادوات شتَّى كالنظّارات والمجاهر ان يسدّ ذلك الخلل الَّا انهُ لم ينل ذلك من الطبيعة كالحيوانات وهذا ما اردنا بيانهُ

٢ (الجواب على السؤال الثاني) اعني أحظيت الحيوانات ببعض الحواس التي لم ينلها الانسان ؟ نعم ودونك البراهين على قولنا :

من المعلوم انَّ الانسان لا يهتدي الى المكان الَّا بالاختبار المتوالي . امَّا الحيوان فقد خُصَّ بتمييز الامكنة . هذا الحمام الزاجل تراهُ يرحل الى بلاد بعيدة ويعود الى وكرهِ لا يشذُّ عنهُ مطلقاً . هذه النحلة تخرج من خليَّتها لتجني الزهور وربَّما ابتعدت عنها الى مسافة خمسة كيلومترات وهي لا تتيهُ عنها . ومثلها طيور وهوامّ عديدة مهما نزحت عن

عشوشها تعود اليها ولا تغلط البتة في معرفة منافذها الصغيرة . كذلك السمانى والسارى والقطاة وكلها تعشش في وسط القمح في سهول تغطيها الفلات النامية حيث لا يوجد دليل تستدلُّ بهِ على مكان عشها . وكذا الزنبور وهوام عديدة تعشش في بطن الارض بين الدغل والاشواك المشتبكة ببعضها او في براري واسعة لا شيء يميز اقسامها . ومع كلّ ذلك لا تجد طائرًا واحدًا او زنبورًا او هامة تضلّ عن اوكارها بل تنقل اليها راجعةً بكل ضبط وتدقيق . فليت شعري اليست هذه هبة نالها الحيوان من الطبيعة دون الانسان يمكننا ان ندعوها بشعر الامكنة (sens topographique)

انظر يا رعاك الله كيف الانسان اذا خرج قليلًا عن المسالك المطروقة لا يعود يستدل على طريقهِ فيحتاج الى استشارة معارفهِ الجغرافيَّة بان ينظر الى الافق والى اربعة خوافق السماء ومشرق الشمس ومغربها او الى بعض النجوم ليلًا وكل ذلك مرجعهُ الى العقل حتى انهُ لو حُجب عنهُ السماء بالغيوم والتقى في غابة واسعة تاه لا محالة

امَّا الطيور التي لا علم لها بالفلك ولا تعلم غير طريق الهواء حيث لا شيء ينبه ذاكرتها فانها لا تغفل البتَّة عن مآويها مهما اختلفت عليها احوال الجوّ . فكيف يا ترى تعرف طريق عشوشها ؟ اليس هنا سرّ عجيب ؟

أُنقل الحمام الزاجل من بيروت حيث بُني برجهُ الى بغداد او الى اي جهة شئت من الشمال والجنوب من الغرب او الشرق وضعهُ في قفص او في سلّ وانقلهُ نهارًا او ليلًا ثمَّ اطلق سراحهُ فتراهُ يحلّق في الجوّ فيحوم قليلًا ليستروح طريقهُ الجويَّة ولا يلبث ان يتوجَّه توًّا الى حيث برجهُ فيبلغهُ بالخطّ المستقيم ويحط فيهِ بلا شذوذ

وكذلك يقال عن حيوانات أُخرى داجنة كالكلب والهرّ وغيرهما قيل انها تُنقل بعيدًا عن مساكنها التي أَلِفتها في كيس او صندوق ثم تُترك الى سبيلها فتنقل راجعةً الى بيوتها من تلقاء ذاتها سائرة في طريق لم تعهدها قط

وقد اخبر المسيو فابر العلَّامة الذي ذكرنا مرارًا دروسهُ عن الحشرات انهُ نقل يومًا مبيتهُ الى مسافة نحو ١٢ كيلومترًا وكان عندهُ قطٌّ هرم جعلهُ في صندوق مع اثاث البيت فلما أُخرج من صندوقهِ في المكان الجديد أفلت منهم ورجع الى منزلهِ القديم في طرق لم يسلكها سابقًا

وكذلك روى المسيو فابر عينهُ انَّ نوعًا من الحشرات الشبيهة بالنحل يدعونها

خاليكودم (chalicodomes) جُعلت في عُلَب ونُقلت الى مسافات بعيدة عن اعشاشها فما أُطلقت لها الحرّية الّا وانفتلت راجعةً الى تلك الاعشاش

فكيف يا تُرى يمكننا ان نعلّل هذه الاعمال ؟ أننسبها الى المشاعر الخمسة التي في الانسان كالبصر والشمّ والسمع ؟ كلّا لانّ هذه تعليلات لا تفي بالمرام ثمّ لا يجوز نسبة تلك الاعمال الى الذاكرة لأنّ الذاكرة تستند الى شهادة الحواسّ وفي ما رويناهُ لم تتوسّط الحواسّ لانّ الحيوانات التي ذكرناها كانت مودعة في صناديق مظلمة . فلا بُدّ اذن لشرح هذه الاسرار الطبيعية من تعليلها بسرّ آخر فنقول انّ للحيوان شعوراً خاصاً يُعدّمُهُ المركَبُ البشري حتى أن دروين لدى استثباته هذه الامور كان يبقى مرتبكاً في تعليلها فيقول لعلّ الحيوان قد خُصّ بشعور مغناطيسيّ يرشدهُ في عمله . روى المسيو فابر رأي دروين وزاد عليهِ قولهُ : « انّ البحريّ اذا تاه في غمر البحار يسترشد بابرته المغناطيسيّة التي تتحرّك بقوّة المغناطيس الارضيّ . فان صحّ قول دروين كان الحيوان ابرةً مغناطيسيّة حيّة وخصّتهُ الطبيعة الغريزيّة بما اكتشفهُ الانسان بقوّة عقله »

ثمّ اردف المسيو فابر : « وعلى كلّ حال يجب علينا الاقرار بان الحيوان أُعطي شعوراً خاصاً غريباً لا نستطيع ان نتحقّق كنههُ فهذا هو الشعر الذي يرشد الحمام الزاجل والخطّاف والقطّ وهامّة الخاليكودوم وغيرها ايضاً في سيرها وسط بلاد مجهولة منها . أهذه الحاسّة مغناطيسيّة او لا لستُ ادري ولا يمكنني القطع بهِ . ولاي سبب لم يُعطَ الانسان حاسّة كهذه ! فان كانت طبقات الحيوان باجمعها دون استثناء الانسان صادرةً من قالب واحد اي الخليّة الاصليّة كما يزعمون وان ثبت قولهم بان تلك الخليّة بتحوّلاتها المختلفة مدى الدهور لم تزل في تحسّن دائم بصيانة افضل العناصر ونفي أدونها فكيف يا تُرى قد خُصّت حيوانات ذليلة بشعر جليل كالذي وصفناهُ ولم نجد لذلك الشعر من اثر في الانسان وهو على زعمهم نتيجة تلك التحوّلات ومبلغ ذروتها . فبئس ما فعل اسلافنا الاوّلون اذ اهملوا هذه الخلقة الشريفة التي هي افضل من قفرة في اسفل ظهرنا او من بعض شعرات على شفاهنا . فان كانت الوراثة ضائعة افليس الاحرى ان يقال انّهُ لا يوجد قرابة بين الحيوان غير الناطق والانسان الناطق ! » نعم القول الذي افحم بهِ المسيو فابر انصار دروين

نعم انَّ ذاك الشعر لعجيب في الحيوان ويكاد الانسان يحسدهُ عليهِ بل لا يجد طريقةً مقنعة لتعليلهِ. وقد ردَّ المسيو فابر على الذين نسبوا الامر الى ذاكرة الطائر او الحيوان بقولهِ: « لو فعل الطائر فعلهُ هذا من تلقاء ذاتهِ ومثلهُ الحيوانات السابق ذكرها لقلنا انهُ رجع أدراجهُ وتذكَّر الطريق التي جرى فيها ولكن كيف يقال انَّ الحمام الزاجل المودع في سلّ منطاً والمنقول الى بلاد بعيدة يذكر طريقاً لم يرَها مطلقاً ؟ واين توسلهُ بذاكرتهِ اذا حلّق في الجوّ وتبيَّن جهة بُرجهِ ثمَّ اندفع اليها لا يلوي يمنةً او يسرةً فيقطع في الهواء مسافات لم يعهدها قبلاً ؟. فالتعليل بالذاكرة لا يفيد هنا شيئاً . وقُل كذلك عن الحشرات المنبسطة الاجنحة المودعة في عُلَب والمنقولة الى امكنة نازحة. فيجب القول اذن بان هذه الحيوانات قد طُبعت على شعور خاصّ بالامكنة لا نستطيع ان نثبت كيفيَّتهُ

وقد اراد المسيو فابر ان يعدّد الامتحانات لعلَّهُ يقف على جواب مقنع في هذا الصدد. فرصد حشرةً تُدعى بمبكس (bembex) تنسل نسلها في بطن الارض فهذه الحشرة تُطعم صغارها ذباباً فتضطرّ الى الخروج من وكرها مرارًا في النهار لتصطاد قوت صغارها وهي كلّما خرجت تستر باب وكرها بشيءٍ من التراب او الرمل تردُّهما على مدخلهِ بقوائمها بحيث لم يبقَ اثرٌ من الخارج لمنفذ وكرها. ومع ذلك تراها اذا رجعت من صيدها لا تُخطئ باب الوكر ذرَّةً بل تحطّ عليهِ بكل دقَّة وتزيل ما وضعتهُ من التراب او الرمل فتدخل الى صغارها

وقد سعى المسيو فابر بان يخدع تلك الحشرة فتارةً كان يجعل فوق منفذ الوكر بلاطاً كبيرًا وتارة كان يذرّ على ذاك المنفذ وجوارهِ طبقة من زبل الخيل. وحينًا كان يفرش فوقهُ اعشاباً يابسةً بعد ان يغمسها في روائح عطريَّة شديدة او في الاثير. ومرَّة اخرى رصَّفَ فوق ذاك الوكر ومنفذهِ حصًى مختلف الحجم والالوان على شبه الفسيفساء. لعلَّهُ بكل ذلك يحيّر تلك الحشرة ويُذهلها عن وكرها. ولكن خابت آمالهُ فكان المسيو فابر يلحظ انَّ الحشرة المذكورة عند رجوعها من الصيد لا تحيد البتَّة عن وكرها وتزيل بقوائمها السداد الذي سدَّتهُ بهِ . وفي هذهِ الامتحانات دليل قاطع على انَّ الحيوان لا يستدلّ بغير غريزتهِ دون الذاكرة اذ لو كان يستعين بالذاكرة لوجد هنا ما يضلّلهُ بتلك المواد المركومة حول وكرهِ وبتلك الروائح التي وُضعت بعد

خروجه منه. فالنتيجة انّ في الحشرة المذكورة حاسّة تجهلها تغلب على النظر وعلى الشمّ اعني مشعر المكان حيث وضعت عشّها

ومثل هذا غرابةً ما يُحكى عن احد علماء الطبيعة الايطاليين في القرن الثامن عشر يُدعى سپالانزاني (Spallanzani) اشتهر بمعارفه في العلوم الجيولوجيّة والطبيعيّات والتاريخ الطبيعي وبالاختبارات التي صنعها في الحيوانات ليطّلع على غرائزها وطباعها. ومن امتحاناته انّهُ كان مدّ في معهد واسع حبالًا مشتبكة بعضها وعلّق في بعض جهاتها واطرافها اشراكاً ثمّ اخذ خفافيش فسمل عيونها وأطلقها في ذاك المعهد فوجد انّها كانت تطير من طرف الى آخر دون ان تصدم البتّة لا في الحبال ولا في الاشراك. فمن يا تُرى ارشد هذه الطيور العمياء الى الحياد عن الحبال وعن الاشراك؟ وما هذه الغريزة العجيبة فيها! (لهُ بقيّة)

مكتبة طائفتنا المارونيّة

في مدينة حلب المحميّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الصنف الخامس

في القوانين والمجامع

نمره ٢١١ زيارة الاسقف الصالح بخط كشرني وضعهُ البطارك سمعان عواد الحصروني. ومن هذا المؤلف عدّة نسخ عثرتُ عليها في اماكن مختلفة ولهذه النسخة مزيّة على غيرها منسوخة تحت نظر المؤلف وقسمٌ منها بخط يده مسنود الى العبارة الآتية: « نسخهُ الشدياق يوسف ابن مخايل عواد الحصروني وساعدهُ عمهُ المطران سمعان سنة ١٧٣٨ وإستقام ستة ايام على كتابته »

نمره ٢١٢ قوانين قديمة للتائبين: هذا الكتاب سرياني يعقوبي كما يظهر ممّا دوّن على اخر صفحة من قوانين ديونيسيوس بن صليبا انهُ نُسخ سنة ١٩٥٨ يونانية

خروجه منه. فالنتيجة انّ في الحشرة المذكورة حاسّة تجهلها تغلب على النظر وعلى الشمّ اعني مشعر المكان حيث وضعت عشّها

ومثل هذا غرابةً ما يُحكى عن احد علماء الطبيعة الايطاليين في القرن الثامن عشر يُدعى سپالانزاني (Spallanzani) اشتهر بمعارفه في العلوم الجيولوجيّة والطبيعيّات والتاريخ الطبيعي وبالاختبارات التي صنعها في الحيوانات ليطّلع على غرائزها وطباعها. ومن امتحاناته انّهُ كان مدّ في معهد واسع حبالًا مشتبكة بعضها وعلّق في بعض جهاتها واطرافها اشراكاً ثمّ اخذ خفافيش فسمل عيونها وأطلقها في ذاك المعهد فوجد انّها كانت تطير من طرف الى آخر دون ان تصدم البتّة لا في الحبال ولا في الاشراك. فمن يا تُرى ارشد هذه الطيور العمياء الى الحياد عن الحبال وعن الاشراك؟ وما هذه الغريزة العجيبة فيها! (لهُ بقيّة)

مكتبة طائفتنا المارونيّة

في مدينة حلب المحميّة

لحضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الصنف الخامس

في القوانين والمجامع

نمره ٢١١ زيارة الاسقف الصالح بخط كشرني وضعهُ البطارك سمعان عواد الحصروني. ومن هذا المؤلف عدّة نسخ عثرتُ عليها في اماكن مختلفة ولهذه النسخة مزيّة على غيرها منسوخة تحت نظر المؤلف وقسمٌ منها بخط يده مسنود الى العبارة الآتية: « نسخهُ الشدياق يوسف ابن مخايل عواد الحصروني وساعدهُ عمهُ المطران سمعان سنة ١٧٣٨ وإستقام ستة ايام على كتابته »

نمره ٢١٢ قوانين قديمة للتائبين: هذا الكتاب سرياني يعقوبي كما يظهر ممّا دوّن على اخر صفحة من قوانين ديونيسيوس بن صليبا انهُ نُسخ سنة ١٩٥٨ يونانية

وهي تقابل سنة ١٦٤٧ مسيحية كما سترى. واليك مثالاً من هذا الكتاب يشرح فيه طريقة الاعتراف عند اليعاقبة نعربهُ عن اصلهِ السرياني :

انَّا بُون ربنا نكتب رتبة عمومية في جانب كلٍّ من الذين بحسا أمر ينشئون الاعتراف الذي هو مسبك برارتنا:

اذا ما اتى انسان ليعترف ويكشف عن خطاياهُ وزلّاتهِ من فجور او زنى او قتل او سرقة او طمع او ظلم او كذب او بغض الى غير ذلك من انواع الخطيئة الذميمة فكان على الاسقف او القسيس او الوسيط (١) الموثق على الاعتراف ان ينتبه انتباهاً عظيماً جداً : اولاً وبالخصوص الى ان لا يظهر ابداً شيئاً مما يسمع بل فليكن ذا حنان الهي على الخاطئ بحيث لا يصغر بعينيهِ ذاك الانسان. وثانياً الى ان لا يحتقر ويرفض ذاك الذي اتى مقرّاً بخطيئتهِ فلا يقرّعهُ ويُنبّههُ ولو مهما كانت خطيئته فظيعة وخبيثة بل فليرفق به بعد الاعتراف كما كان يرفق به قبلهُ

وينتبه ايضاً الى انهُ لا يُجايهِ لمحبوبيته او هيبة لمقام او انتظاراً لمنفعة من منافع الهدايا والهبات الذميمة. انهُ لطبيبٌ روحي يجب عليهِ ان يصف الأدوية في طبعهِ على قياس المرض وعلى قياس ما يكون الخاطئ كفوءاً لحمله

واما طريقة الاعتراف فهذا نصُّها: وهو ان الآخذ بالاعتراف يجلس اما في باب الكنيسة واما امام باب المذبح. وحينما يكشف عن رأسهِ ويعارق في الارض ويجعل يديه مكتوفتين على صدره يعترف كأنهُ امام الله اعترافاً صادقاً بغير خجل وهو لا ينظر الى من يعترف لهُ ولا هذا ينظر اليهِ اذ ان الاعتراف يقرّب لله الذي ينظر ويعرف كل شيء. وعندئذٍ يخاطب الكاهنُ التائبَ قائلاً لهُ بملء اللين والتذلل :

« انظر ايها الحبيب وأيقن انك ان كنت تعترف بكليّة قلبك وتعزم الّا تقترف شيئاً مما اعترفت بهِ الآن والّا ترجع الى اي خطيئة كانت فها ان الله يقول لي الآن : « مغفورة لك خطاياك » وكل ما اوضحتهُ بارادتك من خطاياك واعترفت بها لك اقترفتهُ يُخفى في اليوم العظيم المخيف ولا تدان بسببهِ ولو بكلمة في موقف الدين العادل »

وبعد ذلك يبتدئ الكاهن ويسبّح فيقرأون كل الرتبة التالية كلها وفي نحو ذلك يكون التائب ساجداً ويداه مكتوفتان على صدرهِ الى ان تنتهي « التنبانات » (المحاطات) « والسدرات » (الصفوف) « والقولات » (اصوات الالحان والترآت) « والباعوثات » (الطلبات) الخ » اه الترجمة

ويلي ما تقدّم بالعربية :

« ثم يضع الكاهن يده على رأس التائب ويصلي عليهِ ثم يضع القانون وبعد ما يكمل القانون

---

١) ولعلّهُ اراد بالوسيط الترجمان لانهم يستخدمون الترجمان في الاعتراف في الهند لانَّ كهنة اليعاقبة هناك لا يعرفون لغة اهل البلاد على ما رواه لي الثقات

يقول هذه الصلوة على رأسه (الصلوة بالعربية باحرف سريانيَّة) : « المسيح الاله عارف الخفيات وفاحص القلوب الذي وهب واعطى الك عقلًا ومعرفة حتى تعلم وتعترف بخطاياك وسألت منهُ الشفاء من اجل جهالاتك وذنوبك بيد حقارتنا هو يحلُّ يمينهُ على ضرباتك وجروحاتك ويخلصك وينجيك من ملام هفواتك : اه

ألا يرى الطالع من كل ما اوردناه ان شريعة الاعتراف هي شريعة الهيَّة لا بشريَّة تسلَّمتها الكنيسة من المخلص والرسل وحافظت عليها الطوائف المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة في اجيال مختلفة . وكافي بواضح التنبيهات بالسريانيَّة قد طالع كتاب المعرَّف للقديس ليكوري فلم يبتعد عن قوانين ونظامات الكنيسة الكاثوليكيَّة . وبعد الصلوة الموردة آنفًا جاءت العبارة الآتية معرَّبة عن السريانيَّة : « انتهى صلوا على بهنام الدنس والذليل الذي خطَّ هذه الاسطر وصلوا على والديه »

وقبيل الصفحات الاخيرة من قوانين التائبين لابن صليبا عاق الناسخ العبارة الآتية بالعربيَّة : « انكتب هذا الكتاب الشريف اي قوانين مار ديونيسيوس المعروف بابن الصليبي . . . وكان ذلك سنة ١٩٥٨ يونانيَّة سنة ١٦٤٦ مسيحيَّة في دير مار بهنام المعروف بمحبسة مار بطرس شمالي دير الكرسي المعظم المعروف بدير الزعفران »

ثم يلي هذه الكتابة العربيَّة العبارةُ الآتية بالسريانيَّة نلنا من فحواها ان الكاهن يشرف التائب بالاسرار (اي يعطيه القربان) ولمَّا يتقرَّب يضع الكاهن يمينهُ على رأس التائب وينفخ بوجهه ثلاث مرات قائلًا (١ :

ܐܠܗܝܢ ܡܫܚܐ ܡܢ ܟܠܗ ܚܛܗ ܘܐܡܪ : ܐܡܝܢ . ܐܢܬܬܝܗ ܕܐܒܐ ܘܒܪܗ : ܐܡܝܢ . ܐܢܬܬܝܗ ܕܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܘܚܝܐ ܕܥܠܡܐ ܕܐܬܐ : ܐܡܝܢ

وممَّا يجب الانتباه اليه ان العبارة الاولى التي يتلوها الكاهن على رأس التائب وهي « المسيح الاله عارف الخفيَّات » التي اثبتناها نقلًا عن هذا الكتاب ليس فيها في اصلها السرياني صورة قضائيَّة على ما يظهر . فندع لارباب البحث النظر في هذا الموضوع وهذا كاف

نمرة ٢١٣ حادثة انتخاب البطريرك سمعان عوَّاد . كراس صغير بخط كرشوني نسخة

---

١) تعريبها : أُطلقتَ الخطيَّة من نفسك باسم الاب امين . تطهرت وتقدست باسم الابن امين . تؤهل لمشاركة الاسرار المقدسة باسم الروح القدس للحياة الابدية امين

الخوري انطونيوس شهوان الغوسطاني سنة ١٧٤٨ وجمع فيه البرآات البابويّة التي اصدرها الكرسي الرسولي بهذا الشأن وصدّر هذا الكراس بما يفصح عن ظروف الحادثة بعبارات موجزة جليّة قال :

بسم الاب . . . . انهُ لمّا انتقل البطريرك يوسف الخازن الانطاكي على الملّة المارونة في اليوم الثالث عشر من شهر ايار سنة ١٧٤٢ في دير ريفون اجتمع رؤساء الطائفة واعيانها ودفنوه في قرية غوسطا (١ وفي اليوم الثاني من دفنهِ اتفق ستة مطارين وانتخبوا حضرة السيد الاكرم المطران الياس عماسب وساموه بطركاً في دير القديس مار انطونيوس عين ورقة الذي موقعهُ بجانب القرية المذكورة وكان حضرة السيد الاكرم المطران طوبيا الخازن عمّ البطريرك يوسف المتوفى غائباً في مدينة طرابلس. فلما سمع المطران الياس بطركاً من غير انتظار حضوره اغتاظ جداً ورسم مطرانين في دير لوبزه بمطابقة المطران اغناطيوس وحضوره وانتخبوه بطركاً وساموه بعد سيامة المطران الياس بعشرة ايام وانقسمت الطائفة والمشايخ فرقتين مع ذا ومع ذلك وكتب الفريقان مكاتيب وارسلا قصاداً الى الحبر الاعظم بابا رومية يستمدّان منهُ درع الرئاسة والتثبيت. فتأمّل الحبر الاعظم والمجمع المقدس حال الفريقين وفحص انتخاب كل منهما وحكم بتلاشيهما واقام حضرة السيد الكلي الاحترام المطران سمعان مراد الحصروني بطركاً واصدر برآات شريفة في ذلك وهذه صورتها كما نُقلت الى اللغة العربية من العلم الماهر في اللغتين اللاتينية والعربية القس اسطفانوس ورد تلميذ المدرسة الرومانية وقوبلت من علماء ثقات ماهرين وقُبلت من رؤساء الطائفة اجمعين »

ثم تتلوهُ هذه البرآات بخطّ الخوري انطونيوس ولمّا كانت نُشرت بالطبع في مؤلفات متعددة لذلك ضربنا عن اثباتها هنا. وفي اخر الكراس المرما اليه : « انا الخوري انطونيوس نسخت هذه البرآات الرسوليّة من نُسخة مضبوطة حرفاً حرفاً وانتهيت منها في ٣١ تموز سنة ١٧٤٨ »

نمره ٢١٥ الحاوي الكبير بحرف سرياني وهو مجلّدان وضعهُ انطيوخوس الراهب من سيق (يرتانيّة اي دير) القديس سابا ونسخة القس حنا زنده الماروني سنة ١٦٩٢ واوقفه السيد فرحات للمكتبة سنة ١٧٢٦

امّا ما تضمّنه هذا المؤلف والغاية من وضعه فهاك ما ورد في مقدمة الكتاب بهذا الصدد. والمقدمة على الراجح هي من قلم الناسخ القس حنا وهاك بعضها :

نبتدي بعونهِ تعالى بكتابة مصحف الحاوي الكبير المشتمل على وصايا الرب وقوانين الآباء القديسين واوامر الرسل السليحين وهو ثلاثة وستون مقالة

---

١) والى الآن صورة هذا البطريرك فوق ضريحهِ في كنيسة مار الياس في غوسطا

فاتحة الكتاب:

المجد لله الذي خلق الخلائق بكلمته ودبّر البريّة بحكمته وكوّن الامم بلطف قدرته . . امّا بعد فانّ كتب الله المقدّسة تزيل عن القلوب الشبهات وتصدق ما فيها يزيد في الحسنات ويمحو السيّئات لاسيما الكتب المدوّنة من الآباء المتألّهين الالباب المرشدين بتعاليمهم الى الحق والصواب . . .

الى ان يقول:

ولما زالت علومهم مشرقة واقوالهم محقّقة الى حيث عدلنا وحدنا عن الاوامر الالهية ونبذنا الشرائع الربانيّة وقلّ اكتراثنا في الكتب الدينية وطرحنا الوصايا والقوانين الرسولية فسمح الله جلّ ثناؤه ان تستولي علينا الامم والقبائل الغريبة وتملك بلادنا وتستحوذ على كنائسنا وطرقوا الديار المقدسة الاورشليميّة العجم والترك وبعدهم الامة الاسماعيليّة . . . وكان في ذلك الحين راهب فيلسوف محب للعلوم اسمه انطيوخوس من سبق القديس مار سابا في سنين تملّك قسطنطين الملقب بالدوكيس (١

فلمّا رأى هذه الامور صادرة وما انتهت احوال المؤمنين اليه فخشي لئلّا مع تمادي الايام يُفقد شيء من المجموعات المذكورة فوجد سبباً لائقاً موافقاً فجمع من الكتب الالهية كتاباً سمّاه الحاوي لانهُ يحتوي على اشياء كثيرة اخرجها من الكتب الشرعية المقدسة من موضع الى موضع صعب غير متيسر سيما وقد تكاثرت كثيراً ورأى تفاسيرها مشتتة متفرقة هنا وهنا مبلبلة وكلها قد طُمرت في عمق ماء من كثرة الكتب ووجد ان اهل هذا الزمان اسرُّ حاجة الى هذه الاخبار وتفاسير هذه الكتب لكي تنيرهم وتوضح لهم لبّ الكتب الالهية المخفي عنهم "

وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة من هذا المؤلف النفيس ولكن على ما اذكر الان لم اعثر منهُ الّا على المجلد الاول فقط (٢ وهذا الكتاب تهمّ مطالعته من يرغب الوقوف على اطوار الشرع الكنائسي في الشرق

الصنف السادس

المكتبة الجدلية

نمره ٢١٧ مجادلة البادريّة مع المطران سيرون الارمني تأليف الاب بطرس ديلار

---

١) ان قسطنطين هذا هو الحادي عشر بهذا الاسم ملك من سنة ١٠٦٢ الى سنة ١٠٥٤ ومن هذا التاريخ يعرف عصر وضع هذا الكتاب

٢) قد وصفنا هذه النسخة في مقالتنا عن المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقيّة تحت العدد ٨١ (المشرق ٨|١٩٠٥: ٧١١-٧١٣) فليراجع (ل . ش)

المرسل الرسولي اوقفه المطران جرمانوس حوالي سنة ١٨٠٩ بثمن سبعة غروش

نمره ٢١٨ كتاب ظهور الايمان للقس سركيس الجري الماروني. وعلى الصفحة الاولى من هذا الكتاب بخط المطران جبرايل حرشب ان مؤلف الكتاب « القس سركيس المومى اليه اوقفه للمكتبة سنة ١٧٤٥ » : اما موضوع الكتاب ونسب مؤلفه فظاهر مما هو مدوّن على صفحاته الاولى نقتطف ما يلي ليقف المطالع على الغرض من هذا التأليف :

« ديباجة هذا الكتاب المسمّى ظهور الايمان المؤلّفة القسيس ابن الشدياق بطرس ابن اخو (كذا) المطران سركيس الجري وابن اخت المطران الياس الحدناني وابن بنت الخوري جبرايل الذي استقام رئيساً على الكهنة في حلب نحو من ثلاثين سنة وابن عم البطريرك يوحنا محفوف وينضمّن بعض قضايا وتواريخ لتعرف المسيحيين (كذا) ان من عند المسيح الى الان والى منتهى العالم لم يزالوا الاحبار الرومانيون متمسكين ومبشرين في الايمان المستقيم الكاثوليكي العالم اجمع بواسطة قدّامهم واساقفتهم ومرسليهم وسجلاتهم وكتبهم ورسائلهم غرباً وشرقاً الكونهم خلفاء سفينة مار بطرس التي لم تتمزّق شبكتها الخ »

وقد سبق لنا كلام على القس سركيس تحت نومرو ٨٢

نمره ٢٢٠ ايضاح الاباء القديسين ضد إلحاد المشاقين للمطران جرمانوس ادم الروم الكاثوليك وهذا المؤلف نسختان اخريان تحت نومرو ٢٢١

نمره ٢٢٢ الصبح المبين في ضلال لوثير وكلوين للاب بطرس فرماج اليسوعي الشهير . ولما كانت مؤلفات هذا الاب عديدة من هذا النوع في المكتبة فنسردها تباعاً وهاكها

نمره ٢٣٠ الدمع المسجوم في انشقاق الروم .

نمره ٢٣٢ خلاف الطوائف الشرقية على اوّله باللاتينية Controversiæ cum Schismaticis et Hæreticis Orientalibus. Die 25 Junii 1699, Domus Alepenis Soc. Jesu.

نمره ٢٤٤ مراسلات جدلية للاب فرماج اعربها الشماس عبدالله زاخر الشهير ونسخها سنة ١٧٣٧ شكرالله ابن ميخايل زنده ومسودة هذا التأليف تحت نومرو ٢٤٣ وهذا التأليف هو ضد الياس فخر من الروم المشاقين . وعليها بخط الاب فرماج : « هذه هي مسودة كتابي ضد الياس فخر اعربهُ الشماس عبدالله زاخر »

نمره ٢٥٤ رسالة جدلية ضد الياس فخر في تقديس الاسرار ومن الغريب انه يوجد في المكتبة معظم مؤلفات الاب فرماج ومسوداتها اكثرها بخط يده فكانه كان يعرضها على المطران جرمانوس ليعربها له وهذا مشهور لدى الباحثين (١

ولنرجع الان الى سرد بعض كتب جدلية يهمّ المطالع الوقوف عليها

نمره ٢٢٦ الاجوبة الجدلية للقس انطون صباغ الرومي الكاثوليكي ولهذه الاجوبة نسخ عديدة في مكاتب اديار لبنان

نمره ٢٣٨ دعاوي السيد جرمانوس حوا الماروني بخط يده ما عدا الصفحات الاخيرة منها . ومنها نسخة اخرى عنوانها سؤالات المطران جرمانوس حوا وضمناها تحت هذه النمرة ذاتها اي ٢٣٨ ودونك ملخص هذه الدعوى:

وقع خلاف بين السيد جرمانوس حوا والبطريرك يوسف التيان وبقي هذا الخلاف متمكناً ايام بطركية يوحنا الحلو خلف التيان بعد تنزله عن البطركية على ما هو مشهور: امّا مواد هذا الخلاف فكثيرة لا مجال لسردها الان واخصّها امر تعيين البطريركين المذكورين الخواجه حنا كنيدر وكيلاً للسيد البطريرك بعد موت شقيقه المطران جبرايل كنيدر (٢ فتعاظم الخلاف والجدال حتى ذهب المطران جرمانوس بذاته الى رومية وعرّج في طريقه على الاستانة على بيت اخيه هناك وطرح على الاكليروس الكاثوليكي في تلك المدينة بعض سؤالات قانونية بداعي هذا الخلاف ثمّ لمّ رومية العظمى وعاد منها في ٢٥ نيسان سنة ١٨١٧ . اما كيف انتهت هذه الدعوى فبالمصالحة والسلام وهذا مسنود الى كتابة السيد جرمانوس حوا الى القاصد الرسولي السيد كوندالمي والى السيد البطريرك يوحنا الحلو وهاكها بالحرف:

صورة مكتوبي للسيد البطريرك يوحنا

ايها السيد الجزيل النبطة والمكلي الاحترام

« غب قبلة اناملكم المكرمة وتقدمة كلّ ما يجب ويليق لمقامكم السامي والسؤال عن خاطركم وصحّة سلامتكم المرغوبة: هو انهُ من الاوامر الرسوليّة الواصلة لسيادتكم تفهمون كيف انتهت دعاوينا فلا يلزم لاعادة الشرح ونحن حبّاً للسلامة ولاجل خير نفوس رعيتنا قد

---

١) او يقال بالاحرى انّ الموارنة بعد الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة حصلوا عليها ل . ش

٢) راجع حاشيتنا في الصفحة ٩١ من سنة المشرق الحاليّة

منحنا وتركنا لكل من اساء لشخصنا وقدّم لديوانكم ما هو زور ضدّنا باي نوع كان وهكذا نؤمل من شيمكم بانكم تتركوا كل ما مضى وتصفّوا الخاطر وتصفحوا عمّا تبين لكم انهُ صدر منّا ضد غبطتكم لا سمح الله بل اننا لم نزل الى الان مستعدين كما كنا سابقاً بكل احترام وخضوع لطاعة كافة الاوامر البطريركيّة القانونيّة ثم اننا ننتظر جواب سيادتكم المحترمة بحلب ان سمح لنا البلري كوننا متوجهين بعونه تعالى لابرشيتنا فرافقونا بدعاكم الصالح في هذا السفر ثم نكرر كل ما يجب ويليق مع تقبيل اناملكم. ثانياً وثالثاً سُطر بمدينة رومية الطمى في خمس وعشرين نيسان سنة ١٨١٢

الحقير جرمانوس جوا
(مكان الختم) برحمة الله ونعمة الكرسي الرسولي
مطران حلب

وفي آخر هذا الكتاب على ما اشرنا كتابة بخط يختلف عن خط المطران جرمانوس ولعلّها لاحد الكهنة من كشّة اسراره وهاك بعضها: « حاشية تعلن ما تمّ بعد وصول قدس المنسيور حوا الكلي الشرف والاحترام الى القسطنطينية ثم سفره منها ووصولهُ لمحروسة حلب ». وملخّصها انهُ غادر ليفورنا الى القسطنطينية في ٢٦ تموز سنة ١٨١٧ وغادر القسطنطينية الى حلب برًّا في ايلول وادرك حلب في ١٢ تشرين الاول: وأما كانت هذه الكتابة مملّة وفيها تفاصيل استقبال الحبر العائد لرعيته وهربهِ من احتشاد الناس الخ لذلك اضربنا عن اثباتها هنا فعلى من يهمّهُ الاطلاع على اسرار هذه الدعوى وسيرها وعودة هذا الاسقف لابرشيتهِ ان يطالعها بامعان وبهذا غنىً عن الاسهاب

نمره ٢٣٩ نبذة ما بين المرسلين ومطران الموارنة. ويليها صورة مجمع بكركي المعقود سنة ١٧٩٠. وقد سبق لنا كلام في موضوع هذه النبذة في عدد شهر ايار من المشرق في هذه السنة وذلك بخصوص سماع الاعترافات في البيوت فراجع ما سطرناه هناك

نمره ٢٤٠ كتاب البرهان لصفرونيوس وهو مما ترجمهُ عبدالله ابن الفضل الانطاكي

نمره ٢٤٢ برهان هندسي (كذا) في سلطان الكنيسة الرومانية تأليف الاب كلاديوس اليسوعي سنة ١٧٠٩ نُسخ سنة ١٧٣٤ ولا ذكر للناسخ امّا الواقف فقد كتب بشأنهِ ما يلي بالحرف:

« اوقفهُ الخواجا شرمن تاجر من تجّار الانكليز المستأمنين في هذه المحروسة وابنًا لكنيسة

انكلترة واكراماً لقول السيد المسيح القائل بلسان القديس بولس الرسول : فلتعملن الخير مع الكل خصوصاً من اهل الايمان . ثم في رئاسة الاب المكرم . . . المطران جبرائيل حوشب سنة ١٧٣٤ »

نمره ٢٤٥ تحت هذه النمرة كتاب يحتوي على مواضيع مختلفة : اولها « كتاب امانة مار يوحنا مارون بحرف كرشوني وينتهي هذا الكتاب عند العبارة الآتية من قول داؤود : « وانت كما انت وسنوك لم تفنا (كذا) فكل المصائب احتمل المسيح بالجسد » . وما بقي من الكتاب ناقص . ثم يلي ما تقدم مواضيع اخرى في هذا المجلد منها نافور اكليمندس بابا رومية وعلى آخره اسم الكاتب مخايل فقط وسترى من هو مخايل هذا . ثم نافور باسيليوس . ثم نافور غريغوريوس النازلوغوس وفي آخره بالسريانية : « انهُ انتهى في عشرين نيسان سنة ١٦٣٦ بالشام على يد مخايل تائلا باسم خوري من بقاع كفرا من جبل لبنان » ثم يقول الناسخ المذكور : « ان هذه النوافير الثلاثة ليست موجودة بالكتاب المطبوع برومية وانهُ نسخها للخوري وزقه ابن المرحوم الخوري يوسف الباني لتكون لكنيسة حلب » ويعتذر عن شناعة الخط وبالحقيقة انهُ خطٌ شنيع جداً : ثم ينتهي هذا المجلد برتبة تبريك الشمع ونوافير اخرى موجودة في كتاب قداسنا المطبوع وهي معروفة :

نمره ٢٥٩ اسامي المبتدعين او ديوان البدع للمثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات اوقفه مؤلفه للمكتبة سنة ١٧٣١ بثمن ٧ اسدي

نمره ٢٦٤ كريريسة برهان الكنيسة الرومانية بجهول مؤلفها ولكن عليها صورة تثبيتها من المطران ارسانيوس شكري مطران حلب ومن المطران مخايل الخازن النائب البطريركي سنة ١٧٨٣

نمره ٢٦٧ مراسلة بين الاب بطرس فرمساج والشماس عبدالله زاخر بداعي دير راهبات روم كاثوليك في حلب سنة ١٧٤٠ اوقفها الخوري نعمة الله ابن زخريا الشراباتي سنة ١٧٤٦

وعلى الصفحة الاخيرة من المراسلة ترى امضا الاب فرماج على هذه الصورة

الداعي لحياتك

بطرس مرسل يسوعي مرشدك ومعلمك

هذا ومعظم الكتب الجدلية مدارهُ على الحقائق الاعتقادية المختلف عليها بين الشرقيين ومن مطالعة اصناف هذه المؤلفات يظهر لك ما قدَّمه المرسلون الافرنج من الخدم للدين في الشرق وغيرتهم على تثبيت اولاد الايمان في ايمانهم وردّ سهام الاراطقة

نمرة ٢٧ و٢٨ تحت هذين الرقمين كتابان احدهما قديم بخط عربي قد شوهته غير الايام والاخر كشوني وهما بمعنى واحد وموضوعهما جدال بين الراهب السمعاني (١ وثلاثة لفقار من المسلمين وعدولهم بحضرة الامير الكنّي بالشتر وما جرى بينهم من الخطاب ورد الجواب. وصدرُ الكلام في هذا الكتاب هو ما نثبته هنا بالحرف:

« في امارة الملك الظاهر غازي ابن يوسف بن ايوب الصلاحي على امة الاسلام بمدينة حلب الشامية وصاحب مدينة انطاكية في قلبك لاودن ابن استفانوس على قبيلة الارمن في سنة التاريخ العاشر الموافقة لسنة ستة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين لابينا آدم عليه السلام (١٢١٧م) قال: ان رئيس دير القديس سمعان الدجاني البحري حضر بين يدي الامير والسلطان صاحب مدينة حلب واعمالها حيث كان ينزل بجملة جيشه في الفضا الذي بين عمر وحارم وكان حضور الرئيس لدى الامير لاجل اصلاح ديره وترميم احواله »

ولهذا المؤلف نسخة في مكتبة دير الشرفة العامر وخمس نسخ في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت ولا تخلو مطالعته من افادة (له تابع)

الوحي الالهي

نظر في امكانه وضرورته

للاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

جاء في المجمع المسكوني الواتيكاني (٢ ما تعريبهُ:

« وهي امنا الكنيسة المقدسة تعتقد وتعلم انَّ الله اصلُ الكائنات كلها وغايتها جميعاً يستطيع العقلُ البشري بنوره الطبيعي ان يعرفهُ بتأكيد من الاشياء المبروءة لأنَّ غيرَ منظوراته قد أبصرت منذ خلق العالم اذ أدركت بالمبروءات (رو ١: ٢٠). الّا انهُ قد حسُنت لدى

---

١) المراد بالراهب السمعاني هنا نسبته الى دير مار سمعان كما سترى لا نسبته لماثاة

٢) في الجلسة الثالثة الرأس الثاني في الوحي

هذا ومعظم الكتب الجدلية مدارهُ على الحقائق الاعتقادية المختلف عليها بين الشرقيين ومن مطالعة اصناف هذه المؤلفات يظهر لك ما قدَّمه المرسلون الافرنج من الخدم للدين في الشرق وغيرتهم على تثبيت اولاد الايمان في ايمانهم وردّ سهام الاراطقة

نمرة ٢٧ و٢٨ تحت هذين الرقمين كتابان احدهما قديم بخط عربي قد شوهته غير الايام والاخر كشوني وهما بمعنى واحد وموضوعهما جدال بين الراهب السمعاني (١ وثلاثة لفقار من المسلمين وعدولهم بحضرة الامير الكنّي بالشتر وما جرى بينهم من الخطاب ورد الجواب. وصدرُ الكلام في هذا الكتاب هو ما نثبته هنا بالحرف:

« في امارة الملك الظاهر غازي ابن يوسف بن ايوب الصلاحي على امة الاسلام بمدينة حلب الشامية وصاحب مدينة انطاكية في قلبك لاودن ابن استفانوس على قبيلة الارمن في سنة التاريخ العاشر الموافقة لسنة ستة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين لابينا آدم عليه السلام (١٢١٧م) قال: ان رئيس دير القديس سمعان الدجاني البحري حضر بين يدي الامير والسلطان صاحب مدينة حلب واعمالها حيث كان ينزل بجملة جيشه في الفضا الذي بين عمر وحارم وكان حضور الرئيس لدى الامير لاجل اصلاح ديره وترميم احواله »

ولهذا المؤلف نسخة في مكتبة دير الشرفة العامر وخمس نسخ في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت ولا تخلو مطالعته من افادة (له تابع)

الوحي الالهي

نظر في امكانه وضرورته

للاب شرل ابيلا اليسوعي (تابع)

جاء في المجمع المسكوني الواتيكاني (٢ ما تعريبهُ:

« وهي امنا الكنيسة المقدسة تعتقد وتعلم انَّ الله اصلُ الكائنات كلها وغايتها جميعاً يستطيع العقلُ البشري بنوره الطبيعي ان يعرفهُ بتأكيد من الاشياء المبروءة لأنَّ غيرَ منظوراته قد أبصرت منذ خلق العالم اذ أدركت بالمبروءات (رو ١: ٢٠). الّا انهُ قد حسُنت لدى

---

١) المراد بالراهب السمعاني هنا نسبته الى دير مار سمعان كما سترى لا نسبته لماثاة

٢) في الجلسة الثالثة الرأس الثاني في الوحي

حكمته وجودته طريقة غير هذه وهي فائقة الطبيعة بما أوحى ذاته واحكام ارادته الازلية الى الجنس البشري على ما قال الرسول : انّ الله الذي كلّم الآباء قديماً في الانبياء كلاماً متفرّق الاجزاء مختلف الانواع كلّمنا اخيراً في هذه الايام في الابن (عب ١ : ١-٢)

« والى الوحي الالهي هذا يُعزى ولا بدّ الفضل في كون ما جاء من الامور الالهيّة بيّناً في حدّ ذاته للعقل الانساني اضحى ايضاً في حالة الجنس البشري الحاضرة مستطاعةً للجميع معرفتهُ بسهولة وتأكيد ثابت دون ان يشوبها ضلال . ولكن ليس هذا هو السبب في وجوب القول الوحي ضرورياً ضرورةً مطلقةً وانما هو كذلك لأنّ الله لجودته غير المتناهية وجّه الانسان الى غاية فائقة الطبيعة وهي نصيب يكون له من الخيرات الالهيّة التي تفوق كلياً أدراك الذهن البشري لأنّ ما لم ترهُ عينٌ ولا سمعت به اذنٌ ولا خطر على قلب بشرٍ ما اعدّهُ اللهُ للذين يحبّونهُ (١ كور ٢ : ٩) »

ولم يعزب عن بالنا انّنا بازاء المتعاقلين في موقف يقتضي منا ادلة عقليّة محضة وعليه لم نورد النصّ الواتيكاني قصدَ ان نستخلص منهُ حجّةً عليهم وانما جلّ بغيتنا ان نوقف القارئ على معنى ضرورة الوحي التي تجزم بها الكنيسة المقدّسة والتي توخّينا اثباتها هنا بالبرهان العقلي . وتمهيداً لهذا الغرض رأينا ان نتقدّم قولاً مجملاً موجزاً في حقيقة الضرورة وضروبها

الضرورة اسمٌ للاضطرار وهو الاحتياج الى ما يُقال لهُ ضروريٌّ . فالضروري اذاً هو ما لا غنىً عنهُ للشيء كيما يكون او يفعل

وللضرورة اضرُب ثلاثة فهي اصليّة (métaphysique) وطبيعيّة (physique) وادبيّة (morale) . وليس في الاولى لنا شأن هنا فنضرب عنها صفحاً

امّا الثانية ويُقال لها ايضاً مطلقةٌ فهي كون الامر الضروري لا تتمّ بدونهِ الموازنة التي لا بدّ منها بين الفاعل وفعلهِ وذلك امّا لخلل في قواه واما لشرطٍ لم يُستوفَ . فالعصفور مثلاً لا يطير بلا جناح والعين لا ترى بلا نور

وامّا الضرورة الادبيّة فانّما تُعتبَر في الوسائط التي يتذرّع بها البشر طلباً الى غاياتهم . فالواسطة اللازمة لزوماً ادبياً هي التي لا يستحيل دونها بلوغ الانسان غايتهُ اللّهمّ ان اعتُبِرت قواهُ مجرّدةً في حدّ ذاتها الّا انّ ظروف الحال التي وُجد فيها الانسان تجعلُ هذه الواسطة ضروريّةً بحيث انّهُ بدونها يُعاني في تحصيل الغاية مشقّةً عظيمة وتعسّراً شديداً وصعوبةً هذا حدّها حتى ان الناس في واقع الامر لا

يتجشمون تلك المشقات ولا يقاومون تلك الصعوبات المقاومة الكافية بل تنحط دون تذليلها قواهم . وللصعوبات هذه درجات تتراوح معها الضرورة الادبية فتبلغ هذه اشدها ويُقال للواسطة لازمة بحصر المعنى اذا انحطت دون تذليل الصعوبة قوى البشر كلهم وعلى هذا النوع مثلاً ضرورة اليكار لرسم دائرة مُتقنة محكمة . ويُقال للواسطة ضرورية على سبيل التوسع في المعنى اذا امكن البعض القليل من الناس ان يستغنوا عنها من ذلك قول الاخلاقيين مثلاً : من الوسائل اللازمة لصيانة النفس من الخطية تجنب اسبابها القريبة . يحتجون بهذا مع علمهم انَّ الانسان حرٌ لا يضطرهُ شيء الى الاثم وهم عالمون ايضاً انهُ وان عرَّض بنفسه الى اسبابه القريبة قد لا يجترحه فعلاً غير انَّ سلامته من خطره عندئذٍ ليست الَّا من الامور الشاذَّة النادرة التي لا يبني عليها قاعدةً الحكيم الفطن

ومن ثمَّ يسهل علينا ايضاح معنى الضرورة التي نريد اثباتها للوحي الالهي فنقول :

اوَّلاً ان اعتبرنا الدين على ما هو في الواقع (راجع الصفحة ٣٣—٣٤) وضعياً فائق الطبيعة اعني ان كان حاوياً احكاماً الهيَّة مشروطة باختيار الله الحرّ لا يتصفَّحها الضمير في كتاب الطبيعة المخلوقة وبالاحرى ان كانت غاية الانسان فائقة مقتضيات فطرته وطاقتها فحينئذٍ لا شكَّ انَّ الوحي لا مندوحة عنهُ وانهُ لازمٌ لزوماً طبيعياً مطلقاً . وهو المراد من قول المجمع الواتيكاني انهُ تعالى اختار « طريقةً فائقة الطبيعة بها اوحى الينا ذاتهُ واحكام مشيئته الازلية » . وايضاً انَّ ضرورة الوحي مطلقةٌ « من حيث انهُ تعالى خصَّ الانسان بغاية تفوق الطبيعة » ولا حاجة الى الاسهاب لاثبات هذه الحقيقة . فمن أين لي ان اعمل باحكام الله الوضعيَّة ما لم يعلني اياها عزَّ وجلَّ وكيف يعلنها بلا وحي وهي مطوية في سرّ علمه غير مسطَّرة في سفر مخلوقاته . وايضاً قد خصَّنا البارئ تعالى بالنطق والاختيار ولم يفعل عبثاً فتقتضي اذاً حكمتهُ ألَّا نتبع غايتنا القصوى جاهلين اياها مما يحطُّ بنا الى منزلة الجمادات والبهائم التي لا تعي الغاية التي من اجلها وُجدت فتنقادُ اليها عن عمى لمجرد ميل فطرها عليه الربُّ فتتبعهُ لا تختارهُ ولا تدري مآلهُ . امَّا الحيوان الناطق فشأنهُ ان يتوخَّى بارادته واختياره الغاية التي من اجلها خُلق فلا غنى لهُ ولو عن بعض الالمام بها ولكن كيف يتسنَّى لهُ هذا ما لم يوحِ اليه تعالى بتلك الغاية وهي في افتراضنا سامية تفوق

مقتضيات فطرتنا وقواها فلا حديث للطبيعة عنها الينا

(ثانياً) على اننا في بحثنا الحاضر نضرب صفحاً عما يفوق ادراكنا الغريزي ونحصر القول في الدين الطبيعي القائم على العلاقات الطبيعية (راجع ص ٣١—٣٣) التي تربط البشر بخالقهم. فانّ الوحي الالهي حتى في هذا الاعتبار ضروريٌّ. الّا انّ ضرورتهُ ليست مطلقة طبيعية ولكن ادبيّة محمولة بالاقل على سبيل التوسع في المعنى تطبيقاً لما اوردناه انفاً للمجمع الواتيكاني حيث جاء انّ الالهيات التي لا تفوق ادراكنا الغريزي انما اضحت بفضل الوحي سهلة معرفتها للجميع بلا ريب وعن غير ضلال وعليه اردف المجمع بقوله انّ ضرورة الوحي من هذه الحيثيّة ليست مطلقة

ولا مشاحّة ايضاً انّ الانسان بمجرّد العقل الغريزي يتمكّن من معرفة الله على ما هو بيّنٌ واضحٌ من آيات الكتاب العزيز (١ ومن المجمع الواتيكاني نفسهِ في مستهلّ حديثهِ عن الوحي(٢ . ولكن تُرى هل معرفة الخالق هذه التي نتوفّق اليها بمعزلٍ عن الوحي كافيةٌ للحصول على غايتنا الطبيعيــة القصوى لو لم يخلقنا تعالى لما هو فوقها ؟ هذا ما لا نتعرّض لنفيهِ ولا لايجابه هنا فقد لا ينكره البعض (٣ ولكن مهما كان من الامر فلا شكّ انّ في الالهيّات والادبيّات والدينيّات غير حقيقةٍ طبيعيّة تليق بنا معرفتها بل عارٌ وشينٌ على البشر جهلها ولو قيل بعدم وجوب الالمام بها كيما يفوزوا بغايتهم القصوى. ومن سائل ما هي وكم هي الحقائق من هذا الضرب فنجيبه : اذا تعذّر علينا ان نضع لها حدًّا يفصلها عن تلك التي لا سبيل للانسان بلا معرفتها الى غايتهِ الطبيعيّة القصوى فلا اقلّ من ان نعدّ جاهلاً غبياً مَنْ لا يعي الامور الآتي ذكرها سواء كانت من النوع الاوّل او الآخر:

الله موجودٌ وهو الهٌ متفرّدٌ في كمالهِ الذي لا حدّ لهُ ولا قياس. يعتني بخلقهِ ويسهر عليهم بعنايته. وللانسان نفس خالدة لا تموت بموتهِ. ثمّ انّ البَرَن شاسعٌ بين الخير والشرّ وبين العدل والظلم وبين الحياة الدنيا والآخرة. وعلى هذه المبادئ

---

١) اطلب سفر الحكمة ١٣ — والرسالة الى الرومانيين ١ : ١٨ — ٢٢

٢) اطلب Granderath : *Constitutiones Dogmaticae Sacrosancti Concilii Vaticani*. Friburgi, 42 sqq.

٣) اطلب Wilmers : *De Religione revelata*, n. 95

النظرية يبني العقل النتائج العملية الادبية التي تتقيد بها الارادة. منها فروض العبادة للرب والصلاة اليه وتعظيم سلطته فيمن قلدوها ومنها تفدية الخير العام بالخاص وما على الابناء من واجب الاكرام والمحبة نحو والديهم بان يطيعوهم ويتفانوا في سبيل عضدهم ايام المرض والفاقة والشيخوخة وما على الوالدين نحو بنيهم بأن يقوموا باودهم وتربيتهم وتهذيب اخلاقهم . كذلك للقريب وان غريباً حقوق حرام ان تهضم نصيبه لا يمزق ظلماً وماله لا يبتلع جوراً وحياته لا يقرعه اياها الا الله والسلطة الشرعية اذا ما ارتكب اثماً فظيعاً يستوجب كذا عقاباً . اخيراً على المرء ان يحتفظ بذاته جسداً ونفساً وشرفاً . فحياته حتى الجسدية ليست له بل لربه الذي حدد لكل من عباده أجلاً وعليه فالانتحار اثم شنيع يتعدى به مجترحه حقوق ربه مالك حياته . وبين القوى البشرية مراتب أقامتها الطبيعة وعلى العقل ان يرشد الارادة الى مراعاتها فالناطق في اسمى منزلة من الحيوان وعلى ذاك ان يكبح جماح هذا فليس لي ان أنيل جسدي كل ما تشتهيه اميالهُ بل الشهم من اذا ثارت عليه الاهواء السافلة قاومها مجاهداً جهاد الابطال ومنتصراً للعقل على الجسد فالمنايا ولا الدنايا . والفطن من يستدرك الشر فيبتعد عن اسبابه والا فيتعرضه مجازاً لخطره يتهور في هوة الخزي والعار (١

وان احب القارئ ان يضيف الى هذه الحقائق غيرها مما لا بد للانسان معرفته فلا بأس . اما نحن فحسبنا البيان بالبرهان ان دون الوقوف على ما ذكرناه من المعلومات الطبيعية مصاعب ومشقات قلما يتصدى الناس لمقاومتها . فاما أن يظل معظمهم متكبين في غياهب الجهل والحماقة واما أن يهديهم الله الى الحق بوحيه او بدون آخر

قلنا : بوحيه او بدون آخر . لأننا لم نكن لنقيد قدرة ضابط الكل او نحصرها ضمن دائرة لا يستطيع تعالى ان يتعداها . فقد كان بوسعه عز وجل ان يبرأ الانسان اسمى عقلاً وانشط ارادة فيتمكن البشر كلهم من معرفة الحقائق اللازمة لهم دون ان يتعدوا طورهم الطبيعي . كذلك قدير هو الرب ان يترك قوانا العقلية على ما هي الآن فينجدنا بغير الوحي بان يذلل المصاعب التي تحول دون سعينا في سبيل احراز

---

١) اطلب خطب منسابره Monsabré : *Introduction au Dogme catholique*, T. 1, 6e Conférence, pp 172 - 173.

المعارف الدينيَّة اللازمة او ان يسهر علينا بعنايةٍ اعظم من التي ألفناها في حالتنا الحاضرة الّا انَّهُ تبارك حكمتُهُ ورحمتهُ لم يفعل لأسبابٍ ليس للعبدِ ان يناقش معبودَهُ الحسابَ عنها فالربُّ حرٌّ يصنع ما يشاء. وليس نظرنا هنا الى الممكنات ولكن الى الموجودات فلا نعتبر انساناً مجرَّداً وهميًّا لم يوجد قطّ وألَّم يستحل وجودهُ في حدّ ذاته وانما موقفنا بازاء الجنس البشريّ على ما هو فعلًا تتراوحُ درجاتِ قوى افراده العقليَّة والاختياريَّة الّا انَّها لا تتجاوز الطورَ الذي يحدُّه لنا الاختبار وليست بمعزلٍ عن الحواجز التي على ما نتحقَّقهُ كلَّ ساعةٍ بامّ العين تمنع معظم بني جلدتنا عن التعمُّق في الدرس والتوغل في البحث

وقصارى القول عديدةٌ شديدة هي في حالة الانسان الحاضرة الصعوبات التي تعرقل سيرهُ في سبيل احراز الحقائق الدينيَّة حتى الطبيعيَّة كافيةً وافيةً . وتلك صعوباتٌ قلَّما ينتصر عليها البشر بما ذُرِّعوا من القوى الفطرية فلا يظفرون اجمعهم بالحقيقة سالمةً من آفة الريب والغرور ما لَمْ يمنّ عليهم ربُّهم امَّا بتعليم من عندهِ واما بعونٍ آخر خارق العادة

تلك هي القضية التي نريد اثباتها هنا ولنا عليها برهانان احدُهما مبنيٌّ على الاختبار النفسيّ والآخر على التاريخ

البرهان الاوَّل – عن الاختبار النفسيّ

هو البرهان الذي جاء القديس توما اللاهوتي في خلاصته ضدّ الامم (ك١ ف٤) وعنهُ ننقلهُ هنا لا نزيد عليه الّا بعض ايضاحات. قال:

لو تُرك العقلُ البشريّ وشأنهُ يستقصي الحقائق الالهيَّة الطبيعيَّة لحصل عن ذلك محذوراتٌ ثلاثة :

(اوَّلها) انَّ معرفة الله تكون (في الحالة الموصوفة) مقتصرةً على نفر قليل لأنَّ ايجاد الحقيقة هو ثمرة البحث العنيف وعن اجتناء هذه الثمرة يمانعُ الكثيرون لاسبابٍ ثلاثة :

١ً من الناس مَن يُصدّون عن ذلك لخللٍ متوطنٍ بمزاجهم وعن هذا يتأتى كونُ كثيرين غيرَ اهلٍ للعلم خلقةً فما من جهدٍ يبلغ بهم ذروة المعرفة البشريَّة التي تقوم بمعرفة الله »

فلا يخفى على الخبير المتبصِّر ما للجسم وبنيته والاحوال التي تطرأ عليه من التأثير في قوى النفس. فمن فتىً لبيبٍ ذكيٍّ متوقد الذهن سريع الخاطر راغب في العلوم لا ينال منها نهمتهُ لمرضٍ يكدّه فيُقعده عن الانصباب عليها او اذا صرف عنايته

اليها غير حافل بتوعك صحته وتحول جسمه فربما عاجله الموت فاوقف سيره وقطعه غصناً ربيعياً قبل ان ينضج ثمر عقله . ومن كهل قوي صلب البدن له بنية صخرية يحاكي بها اشد العرين لا طاقة له على التنقيب العلمي لان المادة فيه تغلبت على الروح وكادت تخنق الذهن . فلامثال هذا أن يلقنوا بالتعليم ما لا تدحة فهم عن معرفته ولكن ليس لهم ان يحلقوا في ابراج الالهيات كيما يمثروا عليها بذاتهم

وما قولك في الموانع الناشئة عن السن والجنس . ذاك الولد ان اصطاد العلم بذاته قبل مقتبل العمر كان نادرة في زمانه ومع هذا فالولد بشر كالكهل له رب عليه ان يعرفه ويعبده . وتلك المرأة هي اسمى عاطفة منها ادراكاً . لها رقة القلب والحنان كما للرجل بعد البصيرة في التفكر وسمو الطالب في الفحص والتنقيب خصها الخالق ولا شك بنصيب وافر من الفهم الا ان الفهم ليس الابتكار فالرجل يبتكر الحقائق والمرأة تهدى اليها . هذا فيما يغلب وما شذ عن الحكم العام يدعمه لا يدحضه . على ان النساء ايضاً هن عباد لا يستغنين عن معرفة المعبود وعليهن واجباتهن

وهب القوى العقلية في كل الناس كاملة لا يؤثر فيها شيء من عاهات الجسد ولا من السن والجنس أفيتسنى للجميع ان ينقطعوا الى التأمل في الالهيات كيما يقفوا على كنهها . أوليس الانسان روحاً وجسماً معاً . فاذا لو عدل الخباز عن فرنه والفلاح عن محراثه ومذراه والتاجر عن سلعته ورب العائلة عما يقيت ذويه وكل عن اسباب معيشته وصرفوا همتهم الى التنقيب والتدقيق أفيتم اذ ذاك للبشر هناء أو عيش ؟ هذا هو السبب الثاني الذي ذكره القديس توما قال :

٢) ومنهم من تمنعهم (عن البحث الشخصي) الحاجة العائلية لانه ينبغي ان يكون بين الناس من يكبون على ادارة الزمنيات فلا يقدرون ان يصرفوا من الزمان قدراً يتوفقون به الى التوغل حتى الدرجة العليا من الاستقصاء البشري اعني معرفة الله

٣) ومنهم من يقعدهم الكسل اذ ان معرفة ما العقل ان يتقصاه عن الله تقتضي الوقوف السابق على امور كثيرة فان النظر الفلسفي انما يكاد كله يرمي الى معرفة الله ولذا فان علم ما وراء الطبيعة الذي مداره على الالهيات هو آخر ما يتعلم من اجزاء الفلسفة

وعليه فلا يمكن البلوغ الى استقصاء الحقيقة المذكورة الا بالتعب العنيف وهذا التعب قلما يتحراه الناس حباً بالعلم رغماً عما غرس الله في العقول من الميل الفطري اليه

(المحذور الثاني) : ان اولائك الذين يتصلون الى معرفة او ايجاد الحقيقة المذكورة

انما ينالونها بالكد بعد زمن طويل وذلك اما بسبب ما طرأت هذه الحقيقة من التواضع التي لا يتأهل لها الادراك بطريق التعقل الا بعد التمرن المديد. واما لما تقتضيه من سابق المعرفة لامور كثيرة على ما قدمنا. واما لأن النفس في زمن الشباب تتنازعها الاهواء بحركاتها فليست قابلة لمعرفة حقيقة سامية وانما تصبر فطنة حكيمة بالتأني والراحة على ما قال (ارسطو) في كتاب الطبيعيات السابع. وعليه فلو كان العقل هو الطريق الوحيد الذي يؤدي الى معرفة الله لَلَبِث الجنس البشري متسكعاً في دياجير الجهالة لأن معرفة الله التي بها للبشر غاية الكمال والصلاح لم تكن اذ ذاك حصلت الا للقليلين ولم تكن حصلت لهم الا بعد الزمن الطويل

« المحذور الثالث » هو تواتر اختلاج البطل وتوالبهتان بالمباحث البشرية ذلك اضعف عقلنا واختلاط الاوهام وعليه فيظل كثيرون متردّدين حتى في الامور الثابتة على البراهين الصحيحة الراهنة لأنهم يرون الذين يدعون حكماء متفرقين كل يذهب مذهبه »

وهو بعض السبب في كون ما لا يتمكن البشر من الالمام به بذاتهم لا يتوفقون اليه بتعليم ينجدهم به جهابذتهم على ما تبينه لك في البرهان الثاني

« هذا فضلاً عما قد يشوب حقائق كثيرة من البطل الذي لا يثبت بدليل راهن بل يحتم به عن سبب أرجحي أو سلطاني ربما أنزل منزلة البرهان الصحيح

ومن ثم فلا بدّ من الايمان سبيلاً للبشر كيما يبدو لهم التأكيد ثابتاً والحقيقة خالصة فهي سلامتنا اذا توخاها الله بلطفه اذ امرنا ان نؤمن حتى بما للعقل قدرة على استقصائه كيما يتيسر للجميع ان يعرفوا الامور الالهية معرفة سالمة من الريب والضلال

ولهذا السبب قد قيل: « لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك الامم ببطل بصائرهم الذين أظلم فهمهم وتغربوا عن حياة الله لاجل الجهل الذي فيهم وعمى قلوبهم (افسس ٥ : ١٧ : ١٨) »

*

البرهان الثاني – عن التاريخ

الى هذا البرهان اشار القديس توما في النص الكتابي الذي ختم به الفصل المورد له انفاً. والحق يقال ان من تصفح التواريخ القديمة وتتبع بعين الروية والانصاف اثار الامم التي انجبت عنها انوار الوحي الالهي يتحقق امرين: (اولهما) ان تلك الامم تهورت في الاضاليل الدينية اقبحها واخبثها. (والثاني) ان هذا الصدع لم يتمكن من رأبه فلاسفتهم مهما علت حكمتهم واتسعت وعليه كان لا بدّ من الوحي الالهي لانتشال البشر من هاوية الغرور والغواية. واليك بعض التفصيل:

(اولاً: ذكر اضاليل الوثنيين) راجع الفصل الاول من رسالة القديس بولس الى اهل رومية فانك وان ضربت صفحاً عن كونها سفراً منزلاً واعتبرتها كشهادة تاريخية محضة ترى عجباً من البطل والقباحة في آراء الامم ومذاهبهم ومسالك سيرهم

وقد كان الرومان والاغريق من الذين نبغوا في العلوم والفنون ومع ذلك لم يسلموا هم ايضاً من التيه والجهل في الامور الدينية بل تمادوا في غيّهم وتعمّقوا في سكرتهم. من ذلك:

١ً انهم سمّجوا حقيقة اللاهوت وقبّحوها ففي ذيّاك العالم المتمدّن نبت الإشراك وفيه عاث الزنادقة المتنورون الذين ذهبوا انّ للخلق مبدأين احدهما روحيّ صالح والآخر ماديّ طالح وفي العالم نفسه انتشرت الوثنية واتسع نطاقها حتى كادت تشمل المسكونة قاطبةً حيث سجد الانسان الناطق العاقل للجمادات والبهائم وألّه الكواكب والنجوم والنبات والشجر ونحتَ له معبوداتٍ من الخشب والحجر والفضة والذهب وسائر المعادن. قال الشاعر هوراس بلسان احد الانصاب ممازحاً: « قد كنتُ فيما سلف جذلَ تينةٍ وساقَ خشبٍ لا يجدي نفعاً فخارَ النجّات في امري ولم يدرِ أيجعلني دكّةً ام صنماً لبريابُ (الاله Priapus) ثمّ تخيّرني الهاً فاله اذاً انا » . (١ وليس بمنكر انّ من المشركين من اقرّوا بربوبية إلهٍ واحد فجعلوه فوق سائر الآلهة متسامياً عليهم غير انّهم اخضعوهُ للقدَر لا يستطيع ان يحيد منهُ بشيء على ما يتضح لك من اقوال فلاسفتهم وشعرائهم منها قول سينيكا في الربّ الاعظم (٢ : « انهُ دائماً ابداً خاضعٌ. انما فاهَ بالاوامر مرّةً واحدة » وقد اشار بهذا انّ الله مقيّدٌ بالاقدار لا يمكنهُ ان يغيّر فيها شيئاً. تعالى ربُّنا عن ان يوضع حدٌّ لمشيئته فهو القدير يقدر ما يشاء. كذلك زفس (Jupiter) في الالياذة يحكم باندحار الاغريق عن عمى ولمجردِ ما رجحت كفّة قسطاس الاقدار التي كان خصمها بهم . قال هوميروس يصف هذا القضاء (٣ :

وعند انصاف الشمس في كبد السما لقسطاسه التجريّ قام محرّرا

وألقى بهِ قدحين للموت والشقا لكلٍّ مِنَ القومين سهماً محقّقا
فسهمُ بني الاغريقِ مال الى الثرى وسهمُ بني الطرواد للجوّ حلّقا
فارعدَ من الطوادِ ايذا هديدُهُ وما بينَ ذرّاعِ الاغاريقِ ابرقا

---

١) اطلب ديوانهُ (Horacius, *L. I, Sat.* 8)
٢) راجع كتابهُ (De Provident. ٤)
٣) الياذة هوميروس ترجمة س . البستاني ص ٥٢٠ و٥٢١

فهذَّمُ من شدَّةِ الهول رِعْدَةٌ وأجدرُهم بالبطشِ وَلَّى وأدبرَا

وزدْ على ذلك ما كان يُنسب الى الآلهة من العيوب والرذائل كأنها لجأت الى نادهم حصناً منيعاً ترتع فيه وتتنعَّم ولا رادع ولا لائم بل كما أننا نحن المسيحيين اخترنا لنا من اولياء الله شفيعاً لكل فضيلةٍ نزيدُ احرازها كذلك المشركون اقاموا من الآلهة عصاميًّا لكل رذيلةٍ ولم يخجلوا ان ينصبوا الهياكل لبعل السكر والاغتصاب والدعارة والمسافحة والفظاظة والظلم والاختلاس والكذب الخ. ولذلك كان الشاعر اوفيديوس يحذّر على العذارى دخول معابد زفس لئلا يؤول بهنَّ مثلُ هذا الاله الى ما لا تُحمد فيهنَّ معرفتهُ فضلًا عن فعلهِ ولا يسعنا هنا تعريب بيت الشاعر المذكور بحرفهِ (١ ولدى النابغتين هوميروس وفيرجيل من امثال ما ذكرنا كثير لا يجمل بنا سَرْدُهُ هنا (٢

٢ قد طالما انقلبت العبادة لديهم قساوة قلبٍ وفساد اخلاقٍ فانهم كانوا بعض الاحيان يحاولون تسكين غضب آلهتهم بذبائح بشرية ولا حاجة الى وصف بعض اعيادهم التي كانوا يحتفلون بها اكراماً لمعبوديهم وبئس الاكرام وقوامهُ خلع العذار وهتك ستر الحياء. هذا في العبادة الخارجية امَّا الباطنية فقلَّما فطنوا لما تستوجبهُ من التديُّن الحقّ الذي لم يألفوهُ ولم يعهدوهُ فلا تعجبنَّ من استفهام كوتّا (Cotta) الانكاري لدى شيشرون (٣ وقال ارسطو (٤ : « من الخلف ان يقول احدٌ انهُ يحبّ زفس »

٣ ولا بدع اذا كان الوثنيون بكذا اعتقادٍ ودين لا يقدّرون ذاتهم ولا بني جلدتهم بحقّ قدرهم. اجل قد كانوا يراعون بعض المراعاة حقوق القريب بينهم بيد انهم لم يحتسبوا قريباً لهم الّا من جمعتهُ واياهم صلاتُ الوطن الواحد امَّا سائر

---

١) اطلب كتاب شيشرون في طبيعة الآلهة (٢ : ٢٤ وما يليهِ) والقديس اغوسطينوس في مدينة الله (٦ : ٦) وارنوبيوس (Arnobius) في مؤلفهِ ضدّ الامم (٤ : ١٨ وما بعده)

٢) اطلب المعجم الثاني في ذيل تعريب الالياذة ص ١١٦٥ — ١١٦٨

٣) De Natura Deorum, III, c. 36

٤) في الادبيّات الكبرى ٢ : ١١

البشر فلم يكن لهم حقوق في اعينهم وهم في حسابهم اعداء وعبيد يُتهنون ويقاسون عذاباً ويسامون خسفاً وذلاً. وممّا يرفع قدر الانسان في اعتباره خلود نفسه الحيَّة على انَّ الاعتقاد بهذه الحقيقة بالرغم عمّا في طبيعتنا من الميل الشديد اليه لم يكن لدى الفلاسفة الشركين ثابتاً متيناً سالماً من شائبة الريب. فقد خالج الشكُّ فيه جهابذة فلاسفتهم منهم شيشرون (١ وتشيتوس (Tacito) (٢ وافلاطون (٣ ومنهم من نفى خلود النفس بتاتاً كالطبيعي بلينيوس (Pline) الاصغر (٤

٤ واما ما بنوا على هذه المبادئ النظرية من النتائج العمليَّة الادبيَّة ممّا يحجهُ العقل السليم فحدّث عنهُ ولا حرج. يقشعرّ البدن عند تلاوة ما اثبتهُ القديس بولس في رسالتهِ الى رومية من عوائد الامم (٥ على انَّ ما رواهُ الرسول المذكور حتى في اعتبار العقل المجرَّد لم يبالغ بهِ قطّ فتلك لعمرُك حقائق تاريخيَّة راهنة يدعمُها نفس المؤرخين الوثنيين بشهاداتهم ويؤيدها حكماء الامم بتعاليمهم. ذاك افلاطون جعلَ في مملكته كلَّ شيء حتى العِرضَ مشاعاً بل بالغ بهِ الضلال الى حدّ أن اجاز عَرْض الاطفال الذين يولدون بعاهة وقد حرَّم السكرَ الّا في اعياد ذيونيس (Bacchus) اله الخمرة (٦

*

(ثانياً) ولا مشاحّة انَّ الحكماء مهما نبغوا غير قادرين على نجدة الشعب وانقاذه من غيّهِ اجل قد كانت ولم تزل الشهرة الطائرة للفلاسفة الاقدمين عموماً واليونانيين منهم خصوصاً بل قد خلّفوا من المآثر ما يُذكر حتى اليوم فيُشكر ومع هذا لم يُرشدوا الشعب الى الحقّ والعدل والصلاح فانهم لم يستطيعوا ذلك ولم يبتغوه

١) اما كونهم عجزوا عن هذا المطلب فممّا يدلُّ عليهِ انهم لو حاولوا تعليم الشعب الحقَّ لماذا ان يُجيبهم بالمثل السائر: ايها الطبيب اشفِ نفسك. والحقّ يقال انَّهُ ليس من

١) في كتابهِ Tuscul., l. II, c. 11
٢) في تاريخهِ Agricolæ Vita, n. 46
٣) في دفاعهِ عن سقراط Apol. Socr. n. 32
٤) في تاريخهِ الطبيعي Nat. Hist. l. VIII c. 55
٥) رو ١: ٢٦ وما يليه
٦) اطلب شيشرون (De Natura Deorum, l. I, c 28) والمؤرخ اللاتيني سالوست (Bell. Catilin., c. 12 - 13)

حكيم نبغ فيهم الا وخلط الغث بالسمين واركن الى الآراء الفاسدة. فكلهم اعتقدوا ازلية المادة وما من واحد بينهم صرّح تصريحاً بحقيقة الخلق. وقد بسطنا فيما سبق مزاعمهم الباطلة في النظر والادب وزد على هذا ارتياحهم جميعاً في ماهية اللاهوت على ما اقرّ به احد المعجبين بهم شيشرون قال (١ : « اغلب الحكماء قالوا بوجود الآلهة وقد شكّ فيه بروتاغوراس (Protagoras) ونفاه بتاتاً دياغوراس (Diagoras) وتاودوروس . واما الذين حكموا بوجود الآلهة فقد بلغوا من الاختلاف والتنازع فيما بينهم ما يؤول به تعداد مذاهبهم الى الاسقام . فكيف يعلّم غيرهم اولئك الذين اما جهلوا الحقيقة واما ارتابوا بها واما لم يحرزوها خالصة من الغرور (٢

ثمّ من اين لاولئك الحكماء الكفاءة لاقناع الشعب بما يخالونهُ حقاً وأيّ سبيل لهم الى عقولهم ؟ أفيقصدونها عن طريق البرهان ؟ اسمرك انّه لطريق وعر المسالك لا يؤدي بهم الى اقناع السذّج وهؤلاء على ما تعلم هم اكثر انقياداً لما يُثير فيهم الاهواء منهم لما يُنير البصائر واكثرهم عاجزٌ عن ان يفقه الحجج قوّةً او ان يتّبع لها سياقاً . أمْ يسطو الفلاسفة على الأمّيين بما ربما الهم سامي علمهم من السلطة فحيث لا تنفذ قوّة البرهان يأمرون بالايمان الاعمى ؟ وأنّى لهم تلك السلطة وهم دائماً ابداً متشتّتون شذر مذر لا يتّفقون على رأي ينفي الواحدُ منهم ما جزم به الآخر ؟ والشعب وإلمّ يتوقّف الى فهم براهينهم لا يصعب عليه الالمام بنازعاتهم فتأخذه الحيرة لا يدري الى ايّ من احزابهم ينتمي فيختار الحياد لا ينتحل مذهباً دون غيره . وهب الحكماء هؤلاء اجمعوا على تعليم واحد ولو في بعض الامور فلا يتسنّى لهم ارشاد الشعب الى سواء السبيل ذلك لانّ الاعمال خصوصاً في موضوع الادب والدين انطقُ من الاقوال فاذا كانت الاعمال تكذّب الاقوال اضحت هذه لا قوّة لها ولا نفوذ . ومعلومٌ انّ سيرة الفلاسفة لم تكن طبق تعليمهم (٣

٢) ولم يكن الفلاسفة عاجزين فقط عن تعليم الشعب لكنّهم ايضاً لم يريدوهُ

---

١) De Natura Deorum, l. I, c. 1

٢) اطلب القديس اغوسطينوس في كتابه مدينة الله (١٨ : ٤١)

٣) اطلب شيشرون : Tuscul., l. II, c. 4

ولم يتوخوه قطُّ غايةً وقد شهد بهذا احدهم شيشرون اذ قال (١: « تكتفي الفلسفة بما قلَّ من المرتئين فهي تهربُ من الجمهور عمداً والجمهور يتريَّب منها ويبغضها ». ولذلك كان اربابها يقنعون بعددٍ زهيدٍ من الاتباع والتلاميذ ويجاهرون على رؤوس الملإ بوجوب جهل الشعب لامور كثيرة واما العقائد الدينية فلا يجوز في رأيهم ان يلحقها ادنى تغيير مهما كانت باطلة كاذبة ومن تعرَّض لابدالها او لاصلاح خللها تُعُوِّر في اعينهم جاهل احمق

ومن اجل هذا لم يُقدموا على رذل خرافات الشعب علناً وان هزأوا بها باطناً بل غالباً ما تظاهروا باعتقادها فقدَّموا الذبائح للآلهة الكذبة وتعبدوا لهم بما مجَّتهُ حكمتهم ولم يسلم الذين برَّزوا فيهم من جناتهم هذه . ترى منهم سقراط اذ قربت ساعة موته يسأل اصدقاءهُ ان يذبحوا عنهُ لاسكولاب . وافلاطون يبت بوجوب الاحتفاظ بدين الوطن وان باطلاً (٢ وشيشرون على الرأي ذاته (٣

وليس الذين اعتزلوا الوحي من فلاسفة عصرنا اوفى حظاً من سلفائهم الوثنيين ولا اقدر منهم على انارة الشعب وارشاده وقد هبطوا مثلهم في اقبح الاضاليل على ما لحظناه سابقاً (٤

والحاصل انَّ الجنس البشري قاصرٌ عن ان يحرز ذاته بذاته الحقائق الدينيَّة والادبيَّة التي لا بدَّ لهُ من معرفتها كيما يمجِّد خالقه ويسير بما يليق به ويعدل عمَّا يحطُّ من شأنه ولذلك فقد ضلَّ المتعاقلون اذ زعموا أنَّ الوحي لا فائدة منهُ وقد بانت لك ضرورتهُ فضلاً عن منفعته

ومما يؤيِّد نتيجتنا هذه شهادة الديانات المختلفة المنتشرة في العالم فانَّ اغلبها ان لم نقل كلها تستند الى الوحي الصحيح او الفاسد . وان كانت البوذيَّة في اصلها وعلى ما اسسها مُنشئها الاول لا تنتمي الى الله واحياً فلا شكَّ انَّ اتباع بوذا الهوه واحتسبوهُ وسيطاً بين الربِّ الاعظم والبشر

---

١) Tuscul., l. II, c. 1

٢) في مملكته (ك ٤)

٣) De Divin., l. II, c. 24

٤) ص ٢٦٢ – ٢٦٦

فهو الضلال اذن يضيف صوتهُ الى صوتِ الحقّ وينادي بضرورة الوحي وكأنّي بالانسانيّة جمعاء شاخصة الى السماء رافعة اكفّها الى الله تسألهُ الوحي او تحمده عليهِ فالذين لم تشرق عليهم شمسهُ يصرخون بلسان ضلالهم وفسادِ عيشهم : « أقطري ايتها السماوات من فوق ولتُمطر الغيوم الصدّيق (١ » ليُضيءَ الجالسين في الظلمة وظلال الموت ويُرشد اقدامنا الى سبيل السلامة (٢ » واما الذين افاض الله عليهم انوار كلمتهِ المتجسد فنشيدُهم نشيدُ الشكر والثناء عليهِ تعالى وعلى ابنه الوحيد الذي ارسله اليهم مرشدًا هادياً بذكرهِ يشدون هاتفين: « هو شمنا لابن داود مباركٌ الآتي باسم الربّ (٣ » وعنهُ حديث الآباء منهم للبنين اذ يقولون لهم: « اما النعمة والحقّ فبيسوع المسيح حصلا. اللهُ لم يَرَهُ احدٌ قطّ . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو أخبر (٤ »

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

في الامثال العربيّة المنقولة عن الاسفار المقدسة (تتمة)

٣ وبين امثال العرب في الجاهليّة واوّل الاسلام ما هو منقول بحرفهِ او بمعناه من الكتب المقدسة . فدونك ما اخذوهُ عن اسفار العهد القديم

بين الامثال التي رواها الميداني في مجموعهِ (طبعة بولاق ٢ : ٢٢٩) قولهم : « المرأة من المرء وكلّ ادماء من آدم » . واردف : « ويقال انّ هذا اوّل مثل جرى

---

١) اش ٤٥ : ٨ ٢) لو ١ : ٧٩

٣) مت ١١ : ٩ ٤) يو ١ : ١٧ — ١٨

فهو الضلال اذن يضيف صوتهُ الى صوتِ الحقّ وينادي بضرورة الوحي وكأنّي بالانسانيّة جمعاء شاخصة الى السماء رافعة اكفّها الى الله تسألهُ الوحي او تحمده عليهِ فالذين لم تشرق عليهم شمسهُ يصرخون بلسان ضلالهم وفسادِ عيشهم : « أقطري ايتها السماوات من فوق ولتُمطر الغيوم الصدّيق (١ » ليُضيءَ الجالسين في الظلمة وظلال الموت ويُرشد اقدامنا الى سبيل السلامة (٢ » واما الذين افاض الله عليهم انوار كلمتهِ المتجسد فنشيدُهم نشيدُ الشكر والثناء عليهِ تعالى وعلى ابنه الوحيد الذي ارسله اليهم مرشدًا هادياً بذكرهِ يشدون هاتفين: « هو شمنا لابن داود مباركٌ الآتي باسم الربّ (٣ » وعنهُ حديث الآباء منهم للبنين اذ يقولون لهم: « اما النعمة والحقّ فبيسوع المسيح حصلا. اللهُ لم يَرَهُ احدٌ قطّ . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو أخبر (٤ »

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الخامس

في الامثال العربيّة المنقولة عن الاسفار المقدسة (تتمة)

٣ وبين امثال العرب في الجاهليّة واوّل الاسلام ما هو منقول بحرفهِ او بمعناه من الكتب المقدسة . فدونك ما اخذوهُ عن اسفار العهد القديم

بين الامثال التي رواها الميداني في مجموعهِ (طبعة بولاق ٢ : ٢٢٩) قولهم : « المرأة من المرء وكلّ ادماء من آدم » . واردف : « ويقال انّ هذا اوّل مثل جرى

---

١) اش ٤٥ : ٨ ٢) لو ١ : ٧٩

٣) مت ١١ : ٩ ٤) يو ١ : ١٧ — ١٨

للعرب » . وهو منقول عن سفر التكوين (٢ : ٢٣) حيث روى موسى كيف خلق الله حوّاء من ضلع آدم فقال : « هذه تسمّى امرأةً لأنّها من امرئٍ أُخذتْ »

ومنها مثلهم (م ١ : ١٣) : « ان لم يكن وفاق ففراق » ينظر الى قول ابراهيم الى لوط في السفر المذكور بعد نزاع حصل بين رعاتهما (١٣ : ٨ — ٩) : « لا تكن خصومة بيني وبينك انّما نحن رجلان اخوان . . اعتزل عني امّا في الشمال فأتيامن عنك وامّا الى اليمين فأتياسر »

ومنها قولهم (م ١ : ٢١٣) : « خيرٌ قليل وفضحتُ نفسي » لا يبعد عن قول يوناثان لمّا اراد ابوهُ شاوُل ان يقتله لقليل من عسل ذاقهُ وقت الحرب (١ ملوك ١٤ : ٤٣) : « ذُقتُ ذوقاً برأس العصا قليلَ عسلٍ وهاءنذا اموت »

ومن امثالهم لمن يسهو عن الحديث (م ١ : ٤٠) : اليك يُساقُ الحديث » فكأنهُ ترجمة قول ناثان النبي لداود (٢ مل ١٢ : ٧) بعد ان عرض عليه مثل الغني المضحّي لشاة الفقير : « انت هو الرجل »

ومنها ايضاً (م ٢ : ٨٤) : « كلّ امرئٍ فيهِ ما يُرمى بهِ » هو كآية سفر الملوك الثالث (٨ : ٤٦) : « ليس انسانٌ لا يخطئ » وكذلك ورد في سفر الجامعة (٧ : ٢١) : « ليس من صدّيق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ » . ويشبههُ قول السيّد المسيح في الانجيل (مرقس ١٠ : ١٨) : « لا صالح الّا الله وحدهُ »

وممّا رُوي بين امثال عليّ (١ (ص ٨) : « جُدْ بما تجدْ » فهو مثل قول طوبيّا (٤ : ٨) يوصي ابنهُ : « تصدّق من مالك . ان كان لك كثير فابذل كثيراً وان كان لك قليل فابذُلْ عن نفس طيّبة »

ومن امثال العرب في الميداني (٢ : ٢١٥) : « المنيّة ولا الدنيّة » نظمهُ الحريري فقال :

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب المنى ركوبُ الجنازة

وقد سبق العازر الشيخ فقال في سفر المكابيين الثاني (٦ : ٢٣—٢٧) : « اسبقُ

---

١) نشير الى مجموع امثاله الذي طُبع في اوكسفرد سنة ١٧٩٦ : Corn. van Waenen
Sententiæ Ali ebn Abi Taleb

الى الجحيم ... ولا اجلب على شيخوختي الرجس والفضيحة »

وقالوا (م ١ : ٩٢) : « البطنة تأفن القطنة » ومثلهُ قول علي : « البطنة تذهب بالفطنة » وقد قال النبيّ هوشع قبلًا (٤ : ١١) : « الزنى والخمر والسلاف تستهوي القلب »

وروى الميداني (١ : ٥) للعرب : « ان كنتَ ريحًا فقد لاقيت اعصارًا ».

ومثلهُ لهوشع ايضاً (٨ : ٧) : « انهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة »

ولهُ (م ٢ : ٢٠٣) عن لسان احد الاعراب لكلبه : « مالك لا تنبح يا كلب الدوم قد كُنتَ نبّاحاً » وجاء في نبوّة اشعيا (٥٦ : ١٠) الى رقباء بني اسرائيل : « انّ رقباءه كلهم كلاب بُكم لا يستطيعون النباح »

ومن امثالهم في من لا يميز الخير من الشرّ (م ٢ : ١٨٦) : « ما يعرف قبيلًا من دبير » او : « ما يعرف الحوّ من اللوّ » وجاء قبلهُ عن لسانه عزّ وجلّ في سفر يونان (٤ : ١١) : « افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم »

ومما ورد بين امثال علي (ص ٨٦) : « طعنُ اللسان امضى من جرح السنان » سبق اليه النبي داود في مزاميره (٥٦ : ٥) عن المنافقين : « أسنانهم اسنّة وسهام والسنتهم سيوف حادّة »

ومنها ايضاً قولهُ (ص ١٦) : « زينة الباطن خير من زينة الظاهر » فكأنهُ نظر الى قول صاحب المزامير في وصفهِ للملكة السرّية (مز ٤٤ : ١٤) : « بنت الملك جميع مجدها في الداخل »

وللعرب عدّة امثال في الاخاء والصداقة فيقولون (م ١ : ٦٣) : « انّ اخاك من آساك » ويقولون (م ١ : ٤٢٢) : « عند الامتحان يكرم المرء او يهان » ويقولون ايضاً : « عند النازلة تعرف اخاك » ومثلهُ قول علي (ص ٢) : « اخوك من واساك في الشدّة » وقول اكثم بن صيفي (العقد الفريد لابن عبد ربه ١ : ٣٢٨) : « اخوك من صدقك » وقولهُ : « خير اهلك من كفاك » وقول الشاعر :

فما اكثر الاصحاب حين تعدّهم ولكنّهم في النائبات قليلُ

فهذه كلها كالآية الواردة في سفر امثال سليمان (١٧ : ١٧) : « الخليل عند

الضيق يُضحي اخاً » وكقوله (١٨ : ٢٢) : « رُبَّ صديقٍ اقرب علاقةً من الاخ » وقوله (٢٧ : ١٠) : « جارٌ قريبٌ خيرٌ من اخ بعيد » وقول ابن سيراخ (١٢ : ٨) : « لا يُعرف الصديق في السرّاء ولا يُخفى العدوّ في الضرّاء »

ومن امثال العرب عن المشابهة بين الاقران والاخلّاء قولهم (م ٢ : ١٩١) : « المرء بخليله » اي متيسٌ بخليله قال الميداني : « يروى عن النبيّ صلعم » ومثلهُ المليّ (ص ٨) : « جليس المرء مثلهُ » وانهُ (ص ١٠) : « خليل المرء دليلُ عقلهِ » . وانهُ (٣٠) : « قرين المرء دليل دينهِ » ولطرفة الشاعر في معلّقته :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارَن يقتدي

وكلّ ذلك في معنى قول سليمان (امثال ١٣ : ٢٠) : « مساير الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهلاء يصير شرّيرًا »

وممّا قالوا في حفظ اللسان (م ٢ : ٢١١) : « من أكثر أهجرَ » وقالوا (م ١ : ١٤) : « انَّ البلاء موكّل بالمنطق » وقالوا (م ٢ : ١٨١) : « مقتل الرجل بين فكّيه » وقول عليّ : « بلاء الانسان من اللسان » وقولهُ : (ص ٢٠) : « صلاح الانسان في حفظ اللسان » وقد قال قبلهم سليمان في امثالهِ (١٠ : ١٩) : « كثرة الكلام لا تخلو من زلّة ومَنْ ضبط شفتَيه فهو عاقل » وقال (١٣ : ٣) : « مَن ضبط فاهُ صان نفسَهُ ومن فتق شفتيهِ لحظهُ الدمار » وقال (١٨ : ٧) : « فم الجاهل دمارهُ وشفتاهُ شركٌ لنفسهِ » . وقال (٢١ : ٣٢) : « من يحفظ فاهُ ولسانهُ يحفظ من المضايق نفسَهُ » وللقديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٢) : « ان كان احد لا يزلّ في الكلام فهو رجل كامل » فكأنَّ الشاعر عقد هذه الامثال فقال :

احفظ لسانك أيها الانسانُ لا يلدغنَّك انهُ ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانهِ كانت تهابُ لقاءهُ الشجعانُ

ومن امثال عليّ (ص ١٨) : « سموّ المرء التواضع » فهو على شبه قول سليمان امثال (١٥ : ٣٣) « قبل المجد التواضع »

ومن امثال العرب : « كل طير يأوي الى جنسهِ وقد سبق ابن سيراخ (١٣ : ١٩) فقال : « كل انسان يحب قريبهُ وكل حيوان يحب نظيرهُ »

وروي بين امثال علي وغيره من العرب قولهم : « رأس الحكمة مخافة الله »

واوّل من قال ذلك بلفظه داود في مزاميره (١١٠:١٠) وابن سيراخ (١:١٦).
وروى سليمان في امثاله (١:٧) : « مخافة الرب رأسُ العلم »

ومن امثالهم (م ١:٩) : « انَّ الحديد بالحديد يُفلَح » او (م ٢:١٥٢) : « لا يفلُّ الحديدَ الّا الحديد » نظمهُ الشاعر فقال :

قومُنا بعضُهم يفلُّ بعضاً لا يفلُّ الحديدَ الّا الحديدُ

وكان سليمان قد قال (امثال ٢٧:١٧) : « الحديد يصقل الحديد »

ويقول العرب (م ١:١٢٧) : « تضرَّع الى الطبيب قبل ان تمرض » كانهم اخذوهُ من قول ابن سيراخ (٣٨:١) : « اعطِ الطبيب كرامتهُ لاجل فوائده (اي وقت المرض) »

ومن امثال العرب (م ٢:٢٢) : « في التجارب علمٌ مستأنف » وكان ابن سيراخ قال (٣٤:١٠) : « الذي لم يختبر يعلم قليلاً »

وكذلك قالوا في النظر الى العواقب (م ٢:٢٢) : « في العواقب شافٍ او مُريح » ومثلهُ قولهم (م ٢:١٢٨) : ليس للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب » سبق ايضاً اليهِ ابن سيراخ قائلاً (٧:٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر عواقبك فلن تخطأ الى الابد »

ومن امثال العرب (م ٢:٢٠٤) في الاستشارة : « ما هلك امرؤ عن مشورة » قالهُ ابن سيراخ (٣٢:٢٤) : « لا تعمل شيئاً من غير مشورة فلا تندمَ على عملك »

ويقول العرب في امثالهم (م ٢:٢١١) : « من حفر مغواة وقع فيها » ومثلهُ لحسّان بن ثابت (حماسة البحتري ص ٧١) :

وكم حافرٍ حفرةً لامرئٍ سيصرعهُ البغيُ فيها احتفرْ

وكان داود قال في مزاميره (٧:١٦) يصف الشرير : « كرى بئراً وحفرها فسقط في الهوّة التي صنع » ولسليمان ابنهِ (امثال ٢٦:٢٧) : « من يحفر هوّة يسقط فيها » راجع ايضاً سفر الجامعة (١٠:٨) وابن سيراخ (٢٧:٢٩)

ولا يبعد ان يكون قول العرب في الخيبة (م ٢:٨٠) : « كالقابض على الماء » منقولاً عن امثال سليمان (٢٧:١٦) : « انما يضبط على الريح ويقبض بيمينهِ على زيت »

٤ وكما اخذ العرب كثيراً من امثالهم عن اسفار العهد القديم كذلك رووا عدّة امثال عن اسفار العهد الجديد ولاسيما الانجيل الطاهر

فمن ذلك مثل لعلي (ص ٢) : « أحسن الى المسيء تسُد » فهو صدى ضعيف لقول الرب في متى (٥ : ٤٤) : « أحسنوا الى من يبغضكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات »

ومثلهُ المثل الذي رواهُ ابن قتيبة في عيون الاخبار : « اجلُم تسُد » فانهُ كقول الانجيل (متى ٥ : ٤) : « طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض »

وروى الميداني في امثالهِ (م ١ : ٢٩٧) : « استحِ يُستحَ لك » وكذلك روى ابن عبد ربه (١ : ٣٢٨) بين امثال اكثم بن صيفي : « أحسِن يُحسَن اليك » وكلاهما كقول الرب في لوقا (٦ : ٣٨) : « أعطوا تُعطَوا » . ومثلهُ قول اكثم ايضاً : « إرحم تُرحَم » وقولهُ : « من بَرَّ يوماً بُرَّ بهِ » نُقل عن تطويبات الرب (متى ٥ : ٧) : « طوبى للرحماء فانهم يُرحَمون » وكان سليمان قال في امثالهِ (١١ : ١٧) : « ذو الرحمة يحسن الى نفسهِ »

ومن اقوال الرب الشهيرة (متى ٧ : ٧—٨) : « اسألوا تُعطَوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتَح لكم لأنَّ كل من يسأل يُعطَى ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح لهُ » اخذهُ العرب فقالوا في امثالهم (م ١ : ٣٠٢) : « سائلُ الله لا يخيب » وقالوا (م ١ : ٣٨٣) : « اطلب تظفَرْ » وقالوا (م ٢ : ٢٢٦) : « من طلب شيئاً وجدهُ » وقالوا (م ٢ : ٤٧) : « اقصدي تصيدي » وكذلك نظم صالح بن عبد القدوس هذا المثل فقال (حماسة البحتري ص ١٣٤) :

سَلْ يُعطَ ومن يستفتح الباب يُفتَحْ بطيء او سريع

ومن اقوال المسيح ايضاً (متى ٧ : ١—٢ ولوقا ٦ : ٣٧) : « لا تدينوا لئلّا تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون وبالكيل الذي بهِ تكيلون يكال لكم » . وقد اخذهُ العرب بلفظهِ كما رواهُ الميداني (٢ : ٨٥) ورواهُ ابن عبد ربه (١ : ٣٢٨) للاكثم بن صيفي . وروى في التاج (٩ : ٢٠٧) لحويد بن نوفل الكلابي يخاطب الحرث بن شمر :

يا حارِ أيقن انَّ مُلكك زائلٌ واعلم بأنَّ كما تَدينُ تُدانُ

ومثل الكيل رواهُ الميداني (١ : ١٤٨) على هذه الصورة : « جزيتُهُ كيلَ الصاعِ بالصاع »

وقال الرب (متى ٧ : ٣ ولو ٦ : ٤١) لمن يعيّر غيرهُ داء يكون في نفسهِ اعظم : « ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك » نقلهُ العرب فقالوا (م ٢ : ٨٥) : « كيف تبصر القذى الذي في عين اخيك وتدع الجذع المعترض في عينك »

وقال الرب ايضاً (متى ٧ : ١٦ ولو ٦ : ٤٤) : « هل يُجتنى من الشوك عنب او من العوسج تين » اخذهُ العرب فقالوا (م ٢ : ١٥٢) « لا تجنِ من الشوك عنباً » رُوي لاكثم بن صيفي . وقالوا (م ١ : ٤٣٦) في العجز : « أعجزُ من جاني العنب من الشوك » وقال الشاعر (م ٢ : ١٥٢) :

اذا وترتَ امرءاً فاحذَرْ عداوتَهُ ... مَن يزرعِ الشوك لا يَحصُدْ به العنبا

ومن اقوالهِ تعالى (متى ١٩ : ٢٤ ومر ١٠ : ٢٥) : « انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت الله » . فاخذه العرب وضربوهُ مثلاً للضيق فقالوا (م ١ : ٣٧٤) : « اضيق من خَرْت الابرة وسمّ الخِيَاط » وضربوه مثلاً ايضاً لصعوبة الشيء فقالوا (م ٢ : ١٤٤) : « لا افعل كذا حتى يلج الجمل في سمّ الخِيَاط » ومثلهُ في القرآن في سورة الاعراف (٧ : ٣٨) : « لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخِيَاط »

وقال في الانجيل (لو ٦ : ٣٩) : « هل يستطيع اعمى ان يقود اعمى أليس كلاهما يسقطان في حفرة » فرووهُ بين امثال علي (ص ١٠٠) على هذه الصورة : « كيف يهدي غيرهُ من يُضلّ نفسهُ »

وكذلك رووا لعلي (٦٦) : « خيرُ الصَّدَقة اخفاؤها » وكان الربُّ اعلن في انجيلهِ (متى ٦ : ٣–٤) : « اذا عملت صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفيةٍ وابوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك »

ومن امثال الميداني (١ : ٢٧٥) : « رُبَّ زارعٍ لنفسهِ حاصد سواهُ » قالهُ الرب في انجيلهِ (يوحنا ٤ : ٣٧) : « ان واحداً يزرع وآخر يحصد »

وللرب في الانجيل اقوال كثيرة في الصبر كقولهِ تعالى (لو ٢١ : ١٩) : « بصبركم

تقتنون انفسكم » وقوله (متى ١٠ : ٢٢) : « الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص » . وقال يعقوب في رسالته (١ : ٤) « العمل الكامل للصبر » . والى ذلك تنظر اقوال العرب (م ١ : ١٣٥) : « ثمرة الصبر نجح الظفر » وقولهم وهم يروونه لاكثم بن صيفي (العقد الفريد ١ : ٣٢٩) : « عواقب الصبر محمودة » وقول عليّ (ص ٨) : « بشّر نفسك بالظفر بعد الصبر » وقوله (ص ٢٠) صبرك يورث الظفر »

وكذلك التواضع فقد وردت فيه آيات عديدة في الانجيل كقوله (لوقا ١٤ : ١١ و١٨ : ١٤) : « كلّ من رفع نفسه اتّضع » . وقال القديس بطرس في رسالته الاولى (٥ : ٦) : « اتّضعوا تحت يد الله القادرة ليرفعكم » . فروى العرب لعليّ قوله (ص ٥٨) وهو كاقوالهم : « تواضع لربّك يرفعك » . وقوله : « التواضع يرفع والتكبّر يضع » وقوله (ص ١٠٦) : « من توقّر وُقّر ومن تكبّر حُقّر » ويشبهه قول سويد ابن ابي كاهل (المفضّليات ص ٣٩٩) :

كتب الرحمانُ والمجدُ لهُ سمةَ الاخلاق فينا والضَّلَعْ
وبناء للمعالي انّما يرفعُ اللهُ ومن شاء وضعْ

وعلى شبه هذا قول العرب (حماسة ابي تمّام ١٢٢) : « سيّد القوم خادمهم » وهو عين ما قاله الربّ لتلاميذه (لوقا ٢٢ : ٢٦) : « ليكن الاكبر فيكم كالاصغر والذي يتقدّم كالذي يخدم . . . وانا في وسطكم كالذي يخدم »

وكذلك يُروى للعرب (م ٢ : ١٨٨) : « ما جُعل العبدُ كربّه » وهو عين قول الربّ (متى ١٠ : ٢٤) : « ليس عبدٌ افضلَ من سيّده » كما انّ مثلهم (م ٢ : ١٣٥) : « ليس عبدٌ باخٍ لك » هو مثل قوله (يوحنّا ١٥ : ١٥) : « لا أسمّيكم عبيداً بعد لأنّ العبد لا يعلم ما يصنع سيّده ولكني سمّيتكم احبّائي »

وقال الربّ لبطرس لمّا سلّ سيفهُ فقطع اذن عبد رئيس الكهنة (متى ٢٦ : ٥٢) : « اردُدْ سيفك الى غمده لأنّ كلّ من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك » رُوي لعليّ في نهج البلاغة على صورة : « من سلّ سيف البغي قُتل به »

ومن الامثال التي استشهد بها المخلّص في الناصرة (لو ٤ : ٢٣) : « أيها الطبيب اشفِ نفسك » وهو كمثل العرب (م ٢ : ٢٠٧) : « يا طبيبُ طبَّ لنفسك »

ورووا بين امثال عليّ بن ابي طالب قوله (ص ١٠٦) : « من أكرم نفسهُ

اهانتهُ » وقولهُ (ص ١٠٨) : « من اطاع نفسهُ قتلها » وهو من اقوال الرب (يوحنا ١٢ : ٢٥) : « من احبَّ نفسهُ فانهُ يهلكها ومن ابغض نفسهُ في هذا العالم فانهُ يحفظها للحياة الابديَّة »

ومن امثال العرب (م ٢ : ٣٢١) : « اليسير يجني الكثير » يروى لاكثم بن صيفي. وقريب منهُ قولهم (م ١ : ٣٢١) : « الشرُّ يبدؤهُ صغارهُ » . وقد قال الرب في معناه (لوقا ١٦ : ١٠) : « الامين في القليل يكون امينًا في الكثير والظالم في القليل يكون ظالمًا في الكثير » والى هذا المعنى يعود قول ابن سيراخ (١٩ : ١) : « الذي يحتقر اليسير يسقط شيئًا فشيئًا »

وقال الرب في عدم الاهتمام بالغد (متى ٦ : ٣٤) : « فلا تهتموا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ يكفي كلَّ يوم شرُّهُ » اخذهُ العرب فقالوا (م ١ : ٦١) : « انَّ غدًا لناظرهِ قريب وهو يروى لامرئ القيس الذي قال ايضًا (م ٢ : ٣١٣) : « اليوم خمر وغدًا امر » وكذلك يقول العرب في امثالهم (م ٢ : ١٢٩) : « لكل غدٍ طعام »

وقال الرب ايضًا في شرّ الاقارب (متى ١٠ : ٣٦) : « اعداء الانسان اهل بيتهِ (راجع نبوءة ميخا ٧ : ٦) . وهو شبه مثل العرب المروي لاكثم بن صيفي : « الاقارب عقارب »

وقال العرب في الشهرة (م ١ : ٣٤٣) : « اشهر من علَم » و « اشهر من نارٍ على علَم » وعلى ظننا انهُ مأخوذ من قول الرب (متى ٥ : ١٤–١٥) : « لا يمكن ان تخفى مدينة مبنيَّة على جبل ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال ولكن على المنارة لينير على كل من في البيت »

وكذلك في قول العرب (م ١ : ٣٣) : « ان اوردتَ المحاجزة فقبل المناجزة » وفي قولهم (م ٢ : ٢٣٧) : « من سنم الحرب اقتوى للسِّلم » تنويهٌ الى قول الرب في لوقا (١٤ : ٣١–٣٣) : « ايُّ ملك يخرج ليحارب ملكًا آخر ولا يجلس اوَّلًا ويشاور نفسهُ هل يستطيع ان يلاقي بعشرة آلاف من يأتي اليهِ بعشرين الفًا والَّا فيرسل سفارةً وهو بعيد ويلتمس ما هو من امر الصلح »

ومن امثالهم في التقريع (م ١ : ٢٣) : « انهُ لَصِلٌ أصلال » وقد سبق يوحنا

المعمدان (لوقا ٣ : ٧) فتفرَّع بهِ بني اسرائيل فدعاهم « باولاد الافاعي »

وقد روى العرب بعض الامثال التي ضربها السيد المسيح دون الاشارة الى اصلها. فمن ذلك مثل ربِّ البيت الذي شارط العمّلة على دينار واعطاهم أُجرتهم على اختلاف ساعات شغلهم (متى ف ٢٠) فدونك هذا المثل كما رواهُ البخاري في صحيحهِ في كتاب الاجارة ونسبهُ الى محمد (طبعة ليدن ٢ : ٥٠) :

« حدَّثنا اسمعيل بن ابي اويس ... عن عمر بن الخطَّاب انَّ رسول الله صلعم قال : انَّما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمَّالاً فقال : من يعمل لي الى نصف نهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط ثمَّ عملت النصارى على قيراط قيراط ثم انتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغارب الشمس على قيراطَيْن قيراطَيْن . فغضبت اليهود والنصارى وقالوا : نحن أكثر عملاً واقلّ عطاء . قال : هل ظلمتُكم من حقكم شيئاً . قالوا : لا . قال : فذلك فضلي أُوتيهِ من اشاء »

وكذلك ابو الحسن عليّ بن هذيل (ص ٨٨ — ٨٩) روى مثل السيّد المسيح للزارع الذي وقع زرعهُ في الطريق وبين الاشواك وعلى الصخور وفي الارض الجيِّدة (لوقا ف ٨) ونسبهُ الى بعض الحكماء قال :

وقد ضرب بعضُ الحكماء مثل الحكمة والحكيم الذي يُلقيها الى القلوب قال : انَّ الباذر خرج يبذرهِ الطيِّب ليبذرهُ فنثرهُ فوقع بعضهُ في ارضٍ محجرة بل في جنَبات الطريق فلم يلبث ان اختطفهُ الطير فذهب بهِ . ووقع بعضهُ في ارضٍ محجرة الَّا انَّ عليها ندىً وطيناً فرسخ البذر في ذلك الندى والطين ونبت شيئاً حتى اذا وصلت عروقهُ الى الحجر لم يجد مساغاً ينفذ فيهِ فتلف وفسد ويبس ووقع بعضهُ في ارضٍ رخوة الَّا انَّ فيها شوكاً نابتاً فنبت حتى اذا كان عند الإثمار خنقهُ الشوك فلم يأتِ بثمرهِ . ووقع بعضهُ في ارض طيِّبة نقيَّة ليست على ظهر طريق ولا على حجر ولا فيها شوك فنما وطاب وزكا ونبت واثمر فجاءت الحبَّة بأضعاف مضاعفة . ثمَّ فسَّرهُ فقال : فالباذر هو الحكيم الزارع الحكمة في القلوب وبذرهُ الطيِّب هو حكمتهُ وموعظتهُ الحسنة التي يلقيها الى القلوب وهي في تلقاء ذلك منقسمة الى الاقسام الاربعة المذكورة فمنها القاسي الذي اذا سمع الحكمة لم يعقد عليها لقساوتهِ فلم تلبث فيهِ . ومنها قلبٌ ظاهرهُ رقَّة وباطنهُ قساوة فهو في اوَّل سماع الحكمة يرقّ لها ويلذُّ بسماعها ويحنّ الى ذلك بتلك الرقَّة الظاهرة على قلبه ولا يعقد عليها بعزم لقساوتهِ . ومنها قلب يسمع الحكمة ويحبُّها ويحبُّ العمل بها الَّا انهُ قلبٌ قد اشحن بلُصوق الشهوات بهِ حتى صارت لهُ طباعاً فاذا عزم على العمل بما سمع اعترضت لهُ تلك الشهوات فمنعتهُ من اقامة وظائفها وافسدت عليهِ ما سمع فاختلط عليهِ امرهُ ولم يتمَّ لهُ مرادهُ . ومنها القلبُ النقي الصافي العالم بفضل الحكمة المؤثر لها الذي لا همَّة لهُ في غيرها ولا شغل لهُ الَّا بها ولم تعلق بهِ شهوة تناقضها ولا داء يقطع عنها فهذا

القلب الذي تنمي فيهِ الحكمة ايمانًا وفهمًا وحفظًا وعلمًا وقولًا وعملًا وتبلغ بهِ افضل المراتب واعلى المراتب »

... فهذه كلها من الاناجيل يضاف اليها بعض امثال من بقيَّة اسفار العهد الجديد كقولهم (م ١ : ١٢٠) : « اترُكْ الشرَّ يتركك » وقولهم (م ٢ : ١١٩) : « ليس اخو الشرّ من توقّاه » فمثلهُ قول القديس يعقوب في رسالتهِ (٤ : ٧) : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » وكان ابن سيراخ قال قبلًا (٧ : ١) : « لا تعمل الشرَّ فلا يلحقك الشرّ »

ويقول العرب (م ٢ : ١٩٣) : « كما تزرع تحصد » فهو كما قال بولس في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٦ : ٨) : « الانسان انما يحصد ما زرع » وفي امثال سليمان (٢٢ : ٨) : « مَنْ زرع الظلم حصد السوء »

وجاء في امثال علي (ص ٨) : « جلّ من لا يموت » وقال الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس : « لله وحدهُ الخلود ... لهُ الكرامة والعزَّة المؤبدة »

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيّبة لآمال الزارع فقالوا (م ٢ : ٢٠٢) : « ما هو الّا سحابة ناصحة » وقالوا (م ١ : ٢٦٧) : « ارى خالًا ولا ارى مطرًا » وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقولهِ (١ : ١٢) : « هؤلاء سحبٌ بلا ماء تحملها الرياح »

ولعلّ مثلهم (م ٢ : ١٩٧) . « ما انت بخلّ ولا خمر » لهُ علاقة بقول صاحب الرؤيا (٣ : ١٦) . « انك لستَ باردًا ولا حارًّا ... فقد اوشكتُ ان اتقيأك من فمي »

(لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LE PALAIS DE DARIUS Ier A SUSE, ٧e s. av. J.- C.- Simple notice par M. L. Pillet, *In*-8°, 106 *pp.*, 32 *fig.*, *Paris, Geuthner*, 1914. *Prix* : 5 *fr.*

قصر داريوس الاوّل في شوشن

في عددنا السابق تكلّمنا عن كتاب الآنسة بال (Miss Bell) في وصف قصر الاخيضر وها هوذا كتاب من نوعهِ ليس هو دونهُ في خطر موادّهِ وان لم يبلغ

القلب الذي تنمي فيهِ الحكمة ايمانًا وفهمًا وحفظًا وعلمًا وقولًا وعملًا وتبلغ بهِ افضل المراتب واعلى المراتب »

... فهذه كلها من الاناجيل يضاف اليها بعض امثال من بقيَّة اسفار العهد الجديد كقولهم (م ١ : ١٢٠) : « اترُكْ الشرَّ يتركك » وقولهم (م ٢ : ١١٩) : « ليس اخو الشرّ من توقّاه » فمثلهُ قول القديس يعقوب في رسالتهِ (٤ : ٧) : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » وكان ابن سيراخ قال قبلًا (٧ : ١) : « لا تعمل الشرَّ فلا يلحقك الشرّ »

ويقول العرب (م ٢ : ١٩٣) : « كما تزرع تحصد » فهو كما قال بولس في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٦ : ٨) : « الانسان انما يحصد ما زرع » وفي امثال سليمان (٢٢ : ٨) : « مَنْ زرع الظلم حصد السوء »

وجاء في امثال علي (ص ٨) : « جلّ من لا يموت » وقال الرسول بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس : « لله وحدهُ الخلود ... لهُ الكرامة والعزَّة المؤبدة »

ويضرب العرب المثل بالسحابة الفارغة من المطر المخيّبة لآمال الزارع فقالوا (م ٢ : ٢٠٢) : « ما هو الّا سحابة ناصحة » وقالوا (م ١ : ٢٦٧) : « ارى خالًا ولا ارى مطرًا » وكان الرسول يهوذا سبق ووصف المنافقين بقولهِ (١ : ١٢) : « هؤلاء سحبٌ بلا ماء تحملها الرياح »

ولعلّ مثلهم (م ٢ : ١٩٧) . « ما انت بخلّ ولا خمر » لهُ علاقة بقول صاحب الرؤيا (٣ : ١٦) . « انك لستَ باردًا ولا حارًّا ... فقد اوشكتُ ان اتقيأك من فمي »

(لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

LE PALAIS DE DARIUS Ier A SUSE, ٧e s. av. J.- C.- Simple notice par M. L. Pillet, *In*-8°, 106 *pp.*, 32 *fig.*, *Paris, Geuthner*, 1914. *Prix* : 5 *fr.*

قصر داريوس الاوّل في شوشن

في عددنا السابق تكلّمنا عن كتاب الآنسة بال (Miss Bell) في وصف قصر الاخيضر وها هوذا كتاب من نوعهِ ليس هو دونهُ في خطر موادّهِ وان لم يبلغ

شأوهُ في نفاسة طبعهِ وعظم شأنهِ فداره على قصر داريوس الاوّل في مدينة سوس او شوشن. واوّل من وقف على آثارهِ صدفةً فاثارهُ من بطن الارض الاثري الشهير المسيو دي مورغان في حفرياتهِ سنة ١٩٠٨. ومذ ذاك الحين لم يزل اصحاب البعثة يواصلون شغلهم لكشف دفائنهِ حتى اظهروا كلّ اقسامهِ. والكتاب الذي نحن بصددهِ لاحد المهندسين الذين اشتغلوا بتلك الحفريات فاراد ان ينشر خلاصة تاريخهِ مع بيان خواصهِ ووصف هندستهِ. وقد زيّن هذا التأليف بعدّة رسوم وتصاوير متقنة جميلة تأخذ بالابصار. ومما يزيد هذا الكتاب قدرًا علاقتهُ مع الاسفار المقدسة فانهُ هو القصر الذي سكنهُ احشورش وفيهِ حدثت الامور التي سطّرها سفر استير اعني سقوط هامان ونجاة بني اسرائيل من الهلاك على يد استير الملكة ومردخاي وليّها. ولا شك انّ هذا الكتاب كمقدّمة لتأليف اوسع واجلّ لنا الامل ان سيتحفنا بهِ قريباً المسيو دي مورغان وعمدتهُ ل. ر

EL SINAI : Viatge per l'Arabia Petrea cercant les petjades d'Israel, pel B. Ubach O. S. B. del Monastir de Montserrat. *Barcelona, Vilanova I Geltrú*, 1913, *XII*-367

سياحة حديثة في طور سينا

روى المشرق (١ [١٩٠٦]. ١٠٦٣ و ١١٢٩) تفاصيل رحلة احد آباء رهبانيتنا الى طور سينا سنة ١٩٠٦ وهو الاب ل. استانسكي الذي صنّف بعد قليل كتاباً واسعاً في اوصاف ذاك الطور الجليل. وها قد اتحفنا حضرة الاب اوباخ البندكتي نزيل كليتنا بصنف آخر في معناهُ روى فيهِ مع اخبار رحلتهِ سنة ١٩١٠ الى شبه جزيرة سينا خلاصة ما يُعرَف من تاريخها القديم والحديث في اللغة الاسبانية. وقد استفاد حضرة الكاتب من كتابات الذين تقدّموهُ لبيان الآثار التي استخرجوها من اعماق الارض مع وصف دير القديسة كاترينا وابنيتهِ القديمة والحديثة وتعريف سكانهِ الرهبان ومخطوطات مكتبتهم. وتتبّع آثار بني اسرائيل لمّا تاهوا في تلك الانحاء فوصف مراحلهم كما انهُ اثبت ما وقف عليهِ من تاريخ سينا الطبيعي ونباتهِ وحيوانهِ. والكتاب مزيّن برسوم وخرائط وتصاوير بديعة تجعلهُ من امتع الكتب واجملها. فنثني على همة المؤلف ونتمنى لتأليفهِ رواجاً ل. ش

R. A. Stewart Macalister : The Language of the Nawar or Zutt, the Nomad Smiths of Palestine [Gypsy Lore Society, Monographs, n° 3], *London*, *B.Onaritch*, *XII*-216

لغة النور او الزط

انَّ المشروعات الخطيرة التي يقوم بهـا جناب الاثريّ الشهير مكاليستر في انحاء فلسطين لم تشغلهُ عن الاهتمام بابحاث أُخرى قوميَّة . فمن ذلك ابحاث واسعة خصَّهـا بدرس قبائل من الشوارد لا يزال سرّهم مكنوناً نريد بهم اولئك الشذّاذ الذين يدعوهم اهل الشام بالنَّوَر واهل رومـانية باسم تسيغان (tziganes) ويسمّيهم الالمان تسيناز (tzigeuner) والترك چنكانه واليونان مصريين او قبط (γύφτος) والانكليز جپسي (gypsy) والاسبانيُّون جيتانو (gitano) والطليان تسنغارو (zingaro) والفرنسويُّون بوهيميين (bohémiens) . وهم قوم ذوو طباع غريبة سحنتهم الى الاوربيين اقرب منها الى الساميّين . امَّا لغتهم فخليط من لغات شتى كالتركيَّة والفارسيَّة والعربيَّة والفارسيَّة وغيرها . وقد انتهز المسيو مكالستر فرصة وجوده في فلسطين للتعمُّق في درس اخلاقهم وكان يراهم في القدس الشريف خـارجاً من باب دمشق فتردَّد عليهم واخذ عنهم فوائد لغويَّة متعدّدة اوقفتهُ على لغتهم . وقد دوَّن كل ما سمعهُ منهم في هذا الكتاب الجديد فوضعهُ على طريقة اصوليَّة مع بيـان قوانين تلك اللغة وذكر مقاطيع مختلفة كامثال وقصص نقلها عنهم وختمها بمعجم لغوي يحتوي كثيراً من مفرداتهم فلا شك انَّ العلماء يتلقَّون هذا الاثر الجليل بكلّ الارتياح والشكر على همَّة صاحبه ويستفيدون منهُ لحلّ رموز تلك اللغة الغريبة المستعارة من بلاد شتى حتى الهند وارمنية . راجع في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٦٥ الخ) عدَّة مقالات في النور وسائر احوالهم ل . ر

José Sanchis y Sivera Canónico de la Catedral de Valencia : El Santo Caliz de la Cena (Santo Grial) venerado en Valencia, *Valencia*, 1914, p. 146

كأس القربان في العشاء السرّي

كان حضرة الاب انستاس الكرملي نشر في المشرق (١١ [١٩٠٨) : ٢٥٤) نبذة عن صلبوت بيروت الذي روي عنهُ انَّ يهودياً طعنهُ في القرن السادس للمسيح فسال دمهُ فذكر انَّ الصلبوت المذكور يُكرم اليوم في كنيسة بلنسية الكاتدرائيَّة

بعد وصوله اليها بطريقة عجيبة . واردف الكاتب هذا الخبر برواية اخرى اعجب منها عن الكأس التي قرَّب فيها السيد المسيح دمهُ الثمين ليلة آلامهِ . فروينا الخبر كما نقلهُ . وقبل ثلاثة اشهر مرَّ بنا في بيروت احد كهنة بلنسية فاهدانا كتاباً صنَّفهُ حديثاً في تاريخ تلك الذخيرة الثمينة حيث جمع كل ما روى عنها الكتبة الاقدمون وهو الكتاب المُتون آنفاً يؤخذ منهُ انَّ الكأس المذكورة معروفة في بلنسية منذ السنة ١٣٩٩ . ومن ثمَّ لا يمكننا ان نجزم بصحَّة الاثر وترقيتهِ الى عهد المسيح الَّا انهُ يستحق الاكرام ومن الممكن انهُ من الآثار البيعيَّة الراقية الى القرون الاولى ل . ش

A. L. M. Nicolas : Le Béyan Persan. T. II. p. 174 ; T. III, p. 162 ; T. IV. p. 185, *Paris, P. Geuthner,* 1913-1914

تكملة كتاب البيان للسيد علي محمد الباب

ذكرنا قبل سنتين (المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٢٣٣) اهتمام المسيو نيقولا قنصل فرنسة في تبريز سابقاً بنقل كتب اصحاب البدع الاسلاميَّة الجديدة في العجم ولا سيما كتاب البابيين المعروف بالبيان لصاحب الدعوة البابية السيد علي محمد المدعو بالباب . فهذا الكتاب قد ضمَّنهُ مؤلفهُ بجمل تعاليمهِ في الخالق عزَّ وجلَّ وفي رسالتهِ التي يجعلها فوق الدعوة النصرانيَّة والدعوة المحمَّدية والتي مآلها تأليه المخلوقات بعد اشتراكهم بالباب الوسيط بين الخالق والمخلوق . ومن يتصفح هذه التآليف يأخذه العجب من سخافة عقول البشر الذين يعمهون في طغيانهم ويجعلون الظلام نوراً والنور ظلاماً . فشكراً لله الذي انقذنا من الضلال بحلول كلمتهِ على الارض وكشفهِ حقائق الخلاص « بالنور المنير كل انسان آتٍ الى العالم » (يو ١ : ٩) ل . ش

Deutsch-persisches Konversationswoerterbuch, nebst einem Abriss der Former - und Satzlehre, aus dem Nachlass der Dr. Med. J. E. Polak, bearb. u. herausgeg. von Dr. phil. F. Saettler, *A. Hartleben's Verlag, Wien u. Leipzig.* 2 M.

اصول اللغة الفارسيَّة مع محادثات شتى ومعجم لاخصّ المفردات

قد اخذ محلّ « هرتلابن » على نفسهِ نشر كتب سهلة الطريقة لتعليم معظم اللغات الشائعة في زماننا . وهذا كتاب من ذاك الصنف خُصَّ بتعليم اللغة الفارسيَّة وهو اوَّل كتاب من جنسهِ ظهر في اللغة الالمانيَّة وضعهُ الدكتور بولاك كبير اطبَّاء

نصر الدين الشاه السابق واحد اساتذة مدرسة طهران الطبيَّة . وقد نظَّمهُ الدكتور ستار وصدَّرهُ بفصول افتتاحيَّة في صرف اللغة فلا شكَّ انهُ يفيد كثيرًا دارسي الفارسيَّة ولاسيما التجار المتعاملين مع بلاد العجم . وقد سُررنا بكون الطبَّاع لم يمثل كما يفعل اهل المانية بعض الحروف الفارسيَّة بحروف متعدّدة كالجيم بالحروف dsch والچيم بالحروف tsch فاصطلح عليها بحروف مفردة الاب ل. رنوڤال

SEVERUS IBN AL MUQAFFA' ALEXANDRISCHE PATRIARCHEN GESCHICHTE von S.Marcus bis Michael I 61-767nach der ältesten1266 geschriebenen Hamburger Handschrift, im arab. Urtext herausg. v. Chr. Fr. Seybold. *Hamburg*, *L. Graefe*, 1912, IX-208

تاريخ بطاركة الاسكندريَّة لابن المقفَّع

وصفنا سابقاً في المشرق (٧ [١٩٠٤]: ٧٣٢ و١٣ [١٩١٠]: ٥٥١) جزئين من سير الآباء بطاركة الكرسي الاسكندري الاقباط لساويرس بن المقفَّع استقف الاشمونين نشرهما الاستاذ المستشرق سَيْبُلد في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . وقد وقف من هذا التاريخ على اقدم نسخةٍ خطيَّة تُعرف وهي نسخة مكتبة همبورغ الراقية الى ١٢٦٦ للمسيح تحتوي تراجم ٤٦ من البطاركة من القديس مرقس الى البطرك خائيل وهو ميخائيل الاوَّل المتوفَّى سنة ٧٦٧ م وهي منقولة عن الاصل القبطي فاحبَّ الاستاذ المذكور نشرها تتمَّة لفوائد الطبعة السابقة . وقد طبعها طبعاً متقناً بحرفنا الاسطنبولي على علَّاتها واغلاطها الاصليَّة في مجموعة منشورات مكتبة همبورغ فاستحقَّ شكر محبّي التاريخ الكنسيّ الشرقيّ ل. ش

درب الصليب: مبحث تاريخي قانوني

تأليف الخوري شكرالله شدياق

طُبع بمطبعة المحروسة في القاهرة سنة ١٩١٦ (ص ١٢٤)

قد شاعت رياضة درب الصليب بين كاثوليك الشرق فاحسن حضرة الخوري شكرالله شدياق بوضع هذا الكتاب لبيان تاريخ تلك العبادة وشروطها لربح غفاريها الثمينة مستنداً في ذلك الى معلومات المجمع المقدَّس وبراءات الاحبار الرومانيين ثم ألحق تلك الايضاحات بصلوات درب الصليب نقلاً عن كتاب «عقد اللآل في جواهر الابتهال» وزيَّن كل مرحلة بصورة جميلة وختم الكتاب بعظة له في آلام

السيد المسيح. فترى ما في هذا الكتاب من الفوائد الروحية. على انهُ قد وقع غلط في الصفحة ٧٣ حيث نُسب الى البابا اكليمندس الرابع عشر ما لا يوافق زمانهُ. وعلى رأينا انَّ الاشعار المثبتة بعد كل مرحلة لا تليق كثيرًا بسذاجة هذه العبادة. واقلُّ لياقةً منها تصدير الكتاب برسم شقيق المؤلف ا. ص

الردّ الصريح على تشنيع سليم جقي القبيح

بقلم القس جرجس صقّال السرياني الكاثوليكي

طبع بمطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٤ (ص ٩٦)

طُبع بعض السفهاء على شقشقة اللسان بل ضروب الهذيان فيظنّون انَّ قحتهم وخبوثهم يقومان مقام الادلة والحجج الراهنة. وما نشرهُ آخرًا سليم سامي جقي احد تبعة اليعاقبة في مطبعة دير الزعفران من هذا القبيل يسوّد وجه كاتبهِ اكثر من ان يلحق بالكثلكة عارًا. وكفى بالدين الكاثوليكي شرفًا ان اركان اليعقوبية يلتجئون اليهِ اليوم ويعترفون بمعتقداتهِ وان رجع بعضهم الى تقيُّئهم. وعلى كل حال لا يبقى بعد ردّ حضرة القس جرجس صقّال على جقي الّا ان يقرّ هذا باغلاطهِ ان كان في قلبهِ ذرّة من عزة النفس او ان يلزم الصمت صابرًا على ما جناهُ على نفسهِ من السذل بسوء تصرفهِ ل. ش

القانون الموقت لحكّام الصلح

طبع بمطبعة الاتحاد طريق النهر « بيروت » ١٣٣٢ (ص ٤٠)

تأسست منذ زمن قليل محكمة سيّارة مخصوصة لكل قضاء بعنوان حاكم الصلح. فاقتضى الامر وضع قانون موقت لهذه المحكمة عرّبتهُ نظارة العدليّة وبلغتهُ المحاكم للعمل بموجبهِ. ثم صدرت بعد ذلك ذيول وتعديلات لهذا القانون فرأى جناب احمد افندي اللبابيدي باشكاتب محكمة تجارة بيروت من الواجب اعادة النظر في القانون المذكور فوقف على طبعهِ وعُني بتصحيحهِ ثم اضاف اليهِ الذيول والتعديلات المذكورة بعد اهتمامهِ بتعريبها. فجاء القانون وافيًا بالغرض لا غنى عنهُ لحكام الصلح وللملتجئين الى محكمتهم. والكتاب طُبع بنفقة مصباح افندي اللبابيدي صاحب المكتبة العثمانيّة ل. ش

شذرات

التعليم اللاديني في الولايات المتحدة لما ارادت بعض الدول الاوروبيَّة نشر التعليم المجرَّد عن كل دين كان احد البراهين التي استندت اليها انَّ اميركة الشماليَّة جارية على هذه الطريقة وانَّ اهلها يشكرون التعليم اللاديني ويرون فضلهُ. وها قد قام اليوم عقلاء اميركة يتبجحون هذا التعليم ويطلبون من الحكومة إعادة التهذيب الديني في كل مدارسها العموميَّة واسعاف المدارس الحرَّة الجارية على هذا التعليم. ومن جملتهم الرئيس السابق المسيو تافت الذي اعلن سنة ١٩١٢ بان التهذيب الديني احسن ضمين لسعادة الناشئة. ومثلهُ المستر ستانلي هول (M. Stanley Hall) رئيس كليَّة كلارك (Clark University) قال في خطاب: « اني من البروتستانت ولكن قد ثبت لدي بانَّ التهذيب الادبي لا يقوم في المدارس دون العنصر الديني. وقال خادم البروتستانت فرنك دي ڤيت طالماج (Frank de Witt Talmage): « انَّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها قد اصابت في تهذيب الناشئة لجمعها بين العلم والدين ». ومما نبَّه الافكار الى هذا الاقرار لواقع الجرائم المتعددة التي يقترفها المهذَّبون في المدارس اللاديئيَّة فانَّ سنة ١٩٠٢ كان عدد المجرمين الذين تخرَّجوا في المدارس اللاديئيَّة بالغاً ٣٥٠ اما الذين تهذبوا في المدارس الدينية فما تجاوز ٥. وفي السنة ١٩٠٤ كان عدد الاولين ٤٠٦ والاخرين ٨ ثم في السنة ١٩٠٥ كان ٣٩٩ قبال ٩ وفي سنة ١٩٠٦ ٣٤٨ قبال ٨ وفي سنة ١٩٠٧ ٣٦٧ قبال ٩ وفي سنة ١٩٠٨ ٥٤٢ قبال ٨. وقد لحظوا مثل هذه النسبة في بقيَّة الدول الاميركية فتأمل ما سينال بلادنا من الرقي بشيوع المدارس اللاديئيَّة

ثلاثة يسوعيون مكرمون كآلهة في الصين نشرت مجلة موزيون البلجيكية نبذة غريبة لاحد الاباء اليسوعيين (Le Muséon, 1904, N°1, 61-64) الاب ڤان هاي (L. van Hée) العالم بامور الرسالات الصينيَّة ما ملخَّصهُ: من اعجب ما وجدوهُ في هياكل الوثنيين في الصين ثلاثة تماثيل يعبدها الصينيون وهي تمثل ثلاثة من المرسلين اليسوعيين الذين بشروا بالايمان المسيحي في الصين في القرن

السادس عشر والسابع عشر اولهم الاب ماتيو ريتشي الذي فتح الصين للمرسلين الكاثوليك ونشرنا في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٧٢١ و ٩١٥) ترجمتهُ العجيبة مع صورتهِ. ومما علمهُ هذا الاب الصينيين في باكين صناعة الساعات الدقّاقة فأخذ المتنصرون يزاولون هذه الصناعة ثمَّ تعلمها منهم الوثنيون واذ عرفوا انَّ الذي أتى بها هو الاب ماتيو ريتشي اتخذوهُ كشفيعهم ولا ترى مخزناً للساعاتيين الّا وفي صدرهِ تمثالٌ صغير لهذا اليسوعيّ يوقّدون امامهُ شمعاً احمر لاكرامهِ واللون الاحمر عندهم دليل التوفيق والفرح

والثاني هو الاب فرديننذ ڤربيست (Ferdinand Verbiest) المرسل اليسوعي المولود في بلجيكا سنة ١٦٢٣ والمتوفى سنة ١٦٨٨ فهذا دخل الصين سنة ١٦٤١ وجعلهُ الامبراطور «كان هي» مديرًا اوّل لمرصدهِ الفلكي ورئيساً على النادي العلمي الذي اقامهُ الامبراطور لدرس الرياضيات فاشتهر اسمهُ في كل الانحاء حتى انَّ الوثنيين انفسهم كانوا يعظّمونهُ. وقد وجد احد المرسلين المحدثين وهو الاب لويس غليار المتوفى سنة ١٩٠٠ تمثالهُ في احد معابد الصين في مقاطعة كيان سو في اعالي جبل لانغ شان اي جبل الذئب عند ضفة النهر الازرق اليمنى على مسافة ١٢ كيلو متراً جنوبي حاضرة نان تنغ وعلى هذا الجبل هياكل وثنيَّة عديدة يحجُّ اليها الوف من الوثنيين ليكرموها بسجودهم وتقادمهم. فتمثال الاب ڤربيست هناك بينها وهو يمتاز عنها بزيّهِ الفرنجي وسحنتهِ الاوروبيَّة

اما الثالث فهو الاب اليسوعي الفرنسوي فابر (Fabre) او لوفاڤر (Le Favre) فهذا وُلد في مدينة اڤينيون ثم أُرسل الى الصين سنة ١٦٣٠ وتوفّي هناك برائحة القداسة يوم عيد الصعود من السنة ١٦٥٩. وقد اشتغل بكل نشاط في تنصير الصينيين ومنحهُ الله اصطناع العجائب فردَّ كثيرين من اهل الصين الى الايمان. ومن معجزاتهِ انهُ احتاج يوماً الى ان يمرَّ في جبال مقفرة تدعى طالنغ تأوي اليها السباع والنمورة فحاول الناس ان يقنعوهُ بتغيير فكره. فلم يرضَ قائلاً: «انَّ هذا السفر هو لخدمة الله فالله سبحانهُ وتعالى يدفع عنّي كل ضرر. فسافر وقطع تلك الجبال سالماً دون ان تقترب منهُ تلك الضواري. واعجبُ من ذلك ما يرويه اهل تلك النواحي انَّ النمورة منذ ذاك الحين لم تعد تؤذي احداً من المسافرين. فهذه

المعجزة وغيرها كثير ايضاً دفعت الوثنيين الى اعتبار الاب فابر كاله نزل من السماء. فاقاموا لهُ على قمّة جبل طالنغ هيكلاً وجعلوا في صدرهِ تمثال الاب فابر في زيّ كهنة النصارى بحلّتهِ الكهنوتية وقلنسوتهِ الرسمية حيث شاهده السيد الايطالي ريزُولاتي (Mgr Rizzolati) سنة ١٨٣٦ اذ توغّل الى تلك الجبال. والصينيون يدعونهُ فنغ (Fang) ويكرمونهُ كحارس تلك الجبال. وقبرهُ معروف الى اليوم يكرمهُ الصينيون في قرية تدعى سياوتساتسي فناهيك بهذا دليلاً ساطعاً على تفرد المرسلين اليسوعيين في الصين حتى انَّ الوثنيين انفسهم اقرُّوا بفضلهم وان اخطأوا في طريقة اكرامهم

تحافة الهلال عادت مجلة الهلال الى ذكر ترع المريخ ووجود السكان في تلك السيَّارة بل افادت قرَّاءها ان رقيَّهم الهندسي والزراعي بلغ حدًّا لا يعرفهُ سكان الارض وانهم الان ساعون بتجفيف انجارهم (راجع عدد يونيو ١٩١٤ ص ٧١٥) فاستنتجنا من ذلك ان مدير الهلال صار يخابر رأساً اهل المريخ بالتلغراف اللاسلكي اذ يعلم من احوالهم ما لم يعلمهُ بعد اكبر الفلكيين في اعظم مراصد العمور (راجع ما مرَّ لنا عن المريخ واهلهِ في المشرق ٤ [١٩٠١] : ١٧٣ و١٢ [١٩٠٩] : ٧٩٤ و ١٤ [١٩١١] : ٩٧٨) (١

التبغ (الدخان) في العالم حسبت احدى المجلات مجموع ما يُنفق سنويًّا في العالم من التبغ فوجدت انَّ محصولهُ ينيف على ثمن ٧٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك تُصدر منهُ الولايات المتحدة ما يساوي ٢٠٥,٠٠٠,٠٠٠ ولها التقدُّم على سواها في تجارتهِ ثمَّ تُصدر بعدها جزيرة كوبا بما يساوي ١٥٧,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ الهند الشرقيَّة ١١٥,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ انكلترة ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ البرازيل ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ هولندة ١٨,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ مصر ١٤,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ الجزائر ٧,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ اليابان ٥,٠٠٠,٠٠٠ ف . امَّا البلاد التي تتقدَّم سواها في شربهِ فالمانية التي تقتني سنويًّا ما يساوي ١٥٧,٠٠٠,٠٠٠ ف ثمَّ الولايات المتَّحدة ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠ ثمَّ بريطانية العظمى ١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ . فانظر يا رعاك الله كم من

١) بينما كانت هذه الصفحات ماثلة للطبع انبأتنا جرائد الثغر بوفاة جرجي افندي زيدان فجأة فاسفنا لهذا الخير الذي يُعَدّ صاباً للآداب العربيَّة

المال يفنى سدى ويستحيل الى دخان دون فائدة البتة ولو وُزع من هذا المال مئة فرنك سنوياً للفقراء لسدَّ عَوَز ٧,٥٠٠,٠٠٠ فقير

اسئلة واجوبة

س سأل حضرة ف . ف من افاضل كهنة الثغر : ١ً ما حكمكم في المدعين بأن النصارى حرَّفوا الانجيل . ٢ً وما قولكم في الذين لم تبلغهم دعوة النصرانية ايمكنهم الخلاص دونما

تحريف الانجيل – خلاص الذين لم تبلغهم الدعوة النصرانية

ج نجيب على (الاوَّل) ان تهمة من ينسب الى النصارى تحريف الانجيل باطلة قد فنَّدها المرحوم الاب انطون رباط تفنيداً علمياً في كتابهِ الانجيل الشريف فليراجع . ونجيب على (الثاني) انهُ من الايمان ان الله يريد خلاص كل البشر (رسالة القديس بولس الى تيموثاوس الاولى ٢ : ٤) وانَّ الله يعطي كل انسان من البالغين الرشد نعماً كافية يستمدُّ بها الخلاص الابدي ان كان امينًا في قبولها جارياً على موجب معرفة ضميرهِ والسُّنَّة الطبيعيَّة المكتوبة في قلبهِ

س وسال ر . ش احد قدماء طلبة كليتنا الادبية كم في اقمار السيارات

اقمار السيارات

ج لا يُعرف اقمار السيارتين عطارد والزهرة . وان كانت ارضنا تبتهج بقمرها الوحيد فان للمريخ قمرين وللسيَّارة اورانوس اربعة اقمار وللمشتري ثمانية . ولرُحل التقدم على جميع السيَّارات اذ تدور حولهُ عشرة اقمار

س وسألنا مستفيد من رهبان الموارنة عن الهلال اهو شعار المسلمين جميعاً او الترك فقط وما اصلهُ

الهلال

ج الهلال شعار الدولة التركية بعد فتح محمد الثاني الغازي لمدينة القسطنطينية ومن المعلوم ان مدينة بوزنطيوم اليونانية التي قامت مدينة قسطنطين مكانها كانت تكرم ارطاميش او ديانا وهي إلهة قمرية فكانوا يمثلونها وعلى رأسها الهلال اشارةً الى نسبتها فاضحى الهلال شعار مدينة القسطنطينية واتخذهُ الاتراك كشعارهم الخاص لمَّا استولوا عليها

ل . ش

تعطّف سامٍ

كنّا رفعنا نسخة من كتابنا البرهان الصريح في اثبات الوهيّة المسيح الى مقام السيّد الجليل مار الياس بطرس الحويّك بطريرك الطائفة المارونيّة كدليل احترام واكرام بنوي وما كنّا نظنّ ان هذه التقدمة الزهيدة تستوقف انظار غبطته. فما اشدّ ما كان تأثرنا اذ تلطّف السيّد السند فارسل الينا مع احد افاضل كهنة الكرسي البطريركي الرقيم الآتي الذي ضمّنهُ ارقّ عبارات انعطافهِ الابويّ وآيات تنشيطهِ لحقارتنا ولجميع ابناء رهبانيّتنا . فليتقبّل غبطتهُ عواطف شكرنا الحميم مع ادعيتنا الحارّة الى العزّة الالهيّة بأن تديم لنا مآثر لطفهِ ومحبّتهِ وتجزل جزاءهُ في الدارين

ل . ش

حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي المحترم

بعد اهداء البركة الرسولية لحضرتكم ووافر الاشواق الى مشاهدتكم على كل خير وتوفيق . قد طالعنا بمزيد الارتياح مقالتكم النفيسة المعنونة « البرهان الصريح في اثبات الوهية المسيح » فاذا هي مصداق عنوانها بما تضمنت من البينات الجلية والشواهد التاريخية

المفحمة كلَّ مكابر يتجرأ على انكار الوهية السيد المسيح الثابتة بالنبوآت التي تحققت فيهِ وبالخوارق والمعجزات التي اجترحها وبتعليمهِ الالهي وسيرتهِ التي هي غاية في القداسة

فلله درُّك ايها الاب العالم العامل الذي جاهدت في سبيل الله جهاد الابطال ولم تزل تجاهد في هذه الامصار الشرقية التي كثر فيها عدد المتخرصين على الدين الحقّ وهم ليسوا على شيء من معرفة حقائقهِ الراهنة ومبادئهِ الراسخة . وعليهِ لا نرى بدًّا من ان نوجّه اليك عبارات التهنئة والتنشيط مثنين اجمل الثناء على حميتك الدينية وغيرتك الرسولية ومواصلتك غير هيَّاب ولا وجل محاربة اعداء ايماننا القويم بكلمة الله التي تنقض كل علو يتشامخ ضد معرفة الحق . ذلك اسوة باخوانك الاعزاء ابناء تلك الجمعية الشريفة المفاخرة بانتمائها الى يسوع الذي اتخذت اسمهُ وشعارهُ وناضلت عن دينهِ المقدس في كل اين وآن بالقول والعمل واحتمال ضروب الجور والاضطهاد في سبيله فنالت مجدًا عظيماً وفخرًا دائماً حتى صحَّ ان يقال عنها بكل جدارة سند الكنيسة المقدسة

هذا ونحن نسأل الله سبحانه ان يفيض عليك وعلى هذه الجمعية العزيزة بركاته الالهية ويؤازرك بامداداتهِ العلوية لتقوى على مواصلة السعي وراء تمجيده تعالى وتقديس النفوس وعربوناً لذلك نهدي اليك تكرارًا بركتنا الرسولية من صميم الفؤاد

١٢ شباط سنة ١٩١٤

الحقير

الياس بطرس

البطريرك الانطاكي

ملحق

بمجلة المشرق العدد الثاني من السنة ١٩١٤

صورة قبول المراطقة والمنفصلين في الكنيسة

سألنا احد المرسلين الافاضل ما هي الرتبة الواجب حفظها عند ارتداد المراطقة والمنفصلين الى الكنيسة المقدسة وقبولهم في حجرها. نجيب على السؤال حاصرين الكلام في النصّين علناً الى احدى الشيع المنفصلة او المرطوقية اذا بلغوا رشدهم واتموا السابعة من عمرهم . ان المجمع المقدس اصدر في تاريخ ٢٠ ايلول سنة ١٨٥٩ حكماً في شأنهم يؤخذ منهُ ما يلي (١ : اذا ثبت عدم عماد المرتدّ او انَّ عمادهُ فاسد وجب العماد وكفى بهِ امَّا اذا كان عماد المرتدّ ثابتاً او مشكوكاً فيهِ فيجب قبولهُ في الكنيسة على الصورة الآتية :

١ً يتلو المرتدّ صورة الاقرار بالايمان وان كان بالغاً يضيف اليهِ جحود اضاليلهِ . ويجري ذلك رسمياً (juridice) اعني بحضرة الاسقف او كاهن مفوَّض منهُ وبحضور شاهدين على الاقلّ . ويُعتبر بالغاً الفتى الذي اتمَّ الرابعة عشرة من عمرهِ والفتاة المتممة الثانية عشرة

٢ً يمنح الاسقف او الكاهن المفوَّض منهُ للمرتدّ الحلّة من التأديبات الكنسيَّة التي ربَّما تكون لحقت بهِ . وتصحّ هذه الحلّة حتى في القضاء الخارجي (pro foro externo)

---

١) راجع مجموع احكام المجمع المقدس (Collectanea S. C. de Propaganda Fide, I, n° 1178)

٣ اذا كان داعٍ صوابيّ للشك في عماد المرتدّ يُعاد عماده شرطيًّا

٤ ثمّ اذا اقتضى الامر يُسمَع اعترافهُ ويُحَلّ من خطاياهُ . واذا سبق عماده شرطيًّا يُمنَح ايضاً الحلّة شرطيًّا . ولا مانع من استماع اعتراف المرتدّ قبل ان يتلو صورة الايمان لكنّ الحلّة السرّية لا يجوز أن تُعطى الّا بعد العماد اذا اقتضى وبعد الحلّ من التأديبات في الترتيب المذكور

ولا ريب انّ هذه الاحكام تتناول المرتدّين من الشرقيين ايضاً كما يتّضح من عدّة نصوص للكرسي الرسولي (Collectanea,I, n° 2395, II, n°s 1341, 1496, 1566, 1633,1634)

واما اولاد المرتدّين فان كانوا معمّدين ولم يتّبعوا علناً شيعة هرطوقيّة او منفصلة بعد بلوغهم سنّ التمييز وتمام السابعة من عمرهم فانهم يُعتَبرون ابناء الكنيسة ولا حاجة الى رتبة خاصّة لقبولهم فيها

وقد وضع المجمع المقدّس سنة ١٨٩٠ صورةً مختصرة للاقرار بالايمان خصّها بالمرتدّين من الشرقيين وضمّنها جحود الهرطقة والشقاق . وقد طُبعت في مطبعتنا ترجمتها العربيّة بمصادقة نيافة القاصد الرسولي كما نوردها ش . ا

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

انا (فلان او فلانة)

أومن ايماناً ثابتاً واعترف بكل ما يتضمّن إجمالًا وافرادًا قانون الايمان الذي تستعملهُ الكنيسة الرومانيّة المقدسة اي :

اومن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض كل ما يُرى وما لا يرى . وبربٍ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . اله من اله نور من نور . اله حق من اله حق . مولود غير مخلوق . الواحد مع الآب في الجوهر . الذي بهِ كان كل شيء . الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصُلب من اجلنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم ومات وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب وايضاً سيأتي بمجدٍ عظيم ليدين الاحياء والاموات

الذي لا فناء لملكه وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن. الذي مع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالانبياء . وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . واعترف بمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا وارتجي قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي. امين

أومن بان سيدنا يسوع المسيح هو اله وانسان. اله تامّ وانسان تام. وان اللاهوت والناسوت باتحادهما في شخص ابن الله الواحد اتحادًا يفوق الوصف والادراك أقاما لنا واحدًا هو يسوع المسيح. ومن ثمَّ فالعذراء الكلية الطوبى التي حُبل بها بلا دنس الخطيَّة هي والدة الله حقًّا. وان في المسيح طبيعتين بغير اختلاط ومشيئتين طبيعيَّتين وفعلين طبيعيَّين

أومن بوجود سبعة اسرار حقيقية في الشريعة الجديدة رسمها سيدنا يسوع المسيح لاجل خلاص الجنس البشري وإن لم تكن جميعها ضرورية لكل انسان. وهي المعموديّة والتثبيت والافخارستيا والتوبة والمسحة الاخيرة ودرجة الكهنوت والزيجة. وانَّ كلًّا منها يمنح النعمة وانَّ ثلاثة منها وهي المعموديَّة والتثبيت ودرجة الكهنوت لا يمكن تكرارها

أومن ان جسد المسيح يتقدس حقيقةً في الخبز القمحي فطيرًا كان او خميرًا. وان المسيح يُقبَل كلهُ بتمامهِ في التناول ولو قُبل تحت احد الشكلين فقط

أومن ان رباط الزيجة لا يُحلّ ولو امكن افتراق الزوجين مضجعاً وسكنى لزنىً او ارطقة او لاسباب اخرى غير انهُ لا يحل لهما والحالة هذه عقد زواج آخر

أومن ان التائبين حقيقةً اذا ماتوا بحال محبَّة الله قبل ان يوفوا عن خطاياهم الفعلية والاهمالية بتقديمهم اثمارًا لائقة بالتوبة تُطهِّر نفوسهم بعد الموت في عذابات المطهر . ولكي يُفرَّج عنها من تلك العذابات تفيدها اسعافات المؤمنين الاحياء اي ذبائح القداديس والصلوات والصدقات والاعمال الاخرى التقوية التي اعتاد المؤمنون ان يقدّموها عن غيرهم من المؤمنين حسب رسوم الكنيسة. وان نفوس الذين بعد قبولهم العماد لم يتدنسوا بأدنى خطية البتة والنفوس التي بعد تدنيسها بالخطيَّة تطهَّرت إما حال وجودها في اجسادها او بعد الممات تُقبَل حالًا في السماء وتعاين جليًّا الله عينهُ المثلث والواحد كما هو بذاتهِ معاينةً يختلف كمالها بحسب اختلاف الاستحقاقات . أمَّا الذين يموتون وعليهم خطيئة فعليَّة

ميتة او الخطية الاصلية فقط فتهبط نفوسهم حالًا الى الجحيم لكي تُعاقب لكن بعقوبات مختلفة

أومن ان للكرسي الرسولي المقدس وللحبر الروماني الرئاسة على المسكونة كلها وان الحبر الروماني ذاتهُ هو خليفة الطوباوي بطرس رئيس الرسل والنائب الحقيقي للمسيح ورأس البيعة كلها وابو المسيحيين قاطبةً ومعلمهم وانهُ تسلَّم في شخص مار بطرس من سيدنا يسوع المسيح السلطة التامَّة ليرعى الكنيسة كلها ويدبّرها ويسوسها

واقبل ايضاً بثبات مُعترفاً بسائر ما سلَّمتهُ وحدَّدتهُ واعلنتهُ القوانين المقدسة والمجامع المسكونيَّة لاسيما المجمع الفلورنتيني والتريدنتيني والواتيكاني وخاصةً في ما يتعلق برئاسة الحبر الاعظم الروماني وعصمة تعليمهِ وارفض واحرم كل ما تحرمهُ الكنيسة من الضادات والانشقاقات والاوطقات . وهذا الايمان الصادق الذي لا خلاص لاحدٍ خارجاً عنهُ اعترف بهِ طوعاً وبهِ اتمسك حقًّا واريد بمعونة الله ان احفظهُ واقرّ بهِ الى آخر نسمة من حياتي

هكذا انا (فلان او فلانة)

يضع يمينهُ على كتاب الاناجيل

أعد وأُقسم . هكذا فليعنّي الله واناجيلهُ هذه المقدَّسة

السنة الثامنة عشرة العدد ١ كانون الثاني ١٩٢٠

المشرق

البركة الرسولية

كنّا التمسنا عند استئناف العدد المفقود من المشرق لسنته السابعة عشرة من انعطاف الكرسيّ الرسوليّ بركة خاصّة نفتتح بها السنة الجديدة بعد انحجاب المجلّة مدّة خمسة اعوام عن قرّائها. فلم يخب أملنا. ففي تاريخ ١١ ك ١ قد بشّرنا غبطة السيد الجليل عمّانوئيل يوسف توما بطريرك الكلدان الكاثوليك بنبإ برقيّ بان قداسة الحبر الاعظم يمنح بطيب القلب بركتهُ لرسالتنا في سوريّة ولمدرستنا الاكليريكيّة ولمجلة المشرق وجريدة البشير فنشكر الشكر العميم إمام الاحبار على هذه النعمة مستمدين اليها عملنا لنقوم بجانبهِ القيام الحسن لمجدهِ تعالى وخدمةً للدين والوطن

تحيّة المشرق لقرّائهِ

خمسة اعوام مضت والمشرق محجوب عن قرّائهِ خافت الصوت مغلّل الايدي لا يستطيع سبيلًا الى نشر افكارهِ وبثّ انوارهِ. فانها لعمري محنةٌ شديدة ضاق بها ذرعنا فتحمّلنا المكروه مع من عجموا مثلنا عُود شدائد هذه الأيام التاعسة فصبروا عليها الصبر الجميل لعلمهم انّ الله مع الصابرين وانّ الصبر مفتاح الفرج فتحقّق املنا

واوّل ما يتبادر الى الخاطر عند استئناف العمل ان نوجّه الحاظنا الى السماء ساجدين لعزة ذاك الاله رب الكلّ وضابط العالمين الذي يميت ويحيي يضرب ويشفي

وهو في كلّ احكامهِ عادلٌ رحيم. قد اطلق قليلًا العنان لابي الظلمات وسمح لهُ بان يُطبّق الارض بتهاويلهِ فيعرف الانسان قساوة نير اركون الجحيم على من ينقادون الى نزغاته ويستسلمون الى غواياته لعلّ الخاطئ منهم يرعوي بذلك عن ضلالهِ منيباً الى خالقهِ مستعذباً نيرهُ اللين وحملهُ الخفيف متأكدًا ان لا سلام للاشرار

وان القينا البصر الى الارض بعد انقشاع تلك الظلمات وجدنا نفسنا بين عالمَين عتيقٍ مضى نحيّيه تحيّة الوداع وجديدٍ بدا نرحب بهِ ترحيب المستبشرين

نحيّي في العالم المنقضي اولئك الذين عرفناهم فألِفناهم. فارقونا وكثيرٌ ما هم بعد ان ذاقوا مرارات هذه الدنيا الغرور. منهم ضحايا حرب طاحنة عركتهم عركتهم عرك الرحى بثفالها، ومنهم شهداء ايمانهم او صرعى حبّ اوطانهم. ظنّ الطاغية انّهُ يرد بموتهم على الارواح وهيهات ان يغلب سيفُ الأجلاف شهامة النفوس. ومنهم من أودت بهم الاوبئة والمجاعات وضروب الهموم وكلّهم رحلوا الى حياة اخرى نؤملها لهم سعيدةً بعد الشقاء وخالدةً بعد الفناء اذ لا يضيع عند الله اجر المحسنين. ونهدي ايضاً تحيّتنا الى بعض الافراد الكرام من الدّور المنصرم وان كانوا لا يتجاوزون عدد الانامل ممّن نفروا عن فظاظة اخوتهم الاتراك بل تصدّوا لهم في ظلمهم وجفائهم فاعربوا عمّا تكنّهُ صدورهم من العواطف الشريفة حيث رفقوا بالمنكوبين ودافعوا عن المظلومين جازاهم الله كلّ خير

*

وان عطفنا بالنظر الى العالم الجديد الذي قام بعد الحرب فاستبشرنا بطلائعهِ وجدنا انقلاباً عظيماً نحيّيه بالرحب والسعة ونبني عليهِ اطيب الآمال

نحيّي تلك الدول المتحالفة التي نزلت في حومة القتال للذود عن حياض المدنيّة وحرمة الشعوب الضعيفة وكسر نير العبوديّة

وفي مقدّمتها تلك الدولة الشريفة التي طالما افاضت علينا سجال نعمها. نحيي فرنسة ملجأ البائسين ومعتصم اللاهفين منذ مئين من السنين. هي التي جعلت تحت حماها بقايا النصرانية في الشرق فنالت لهم في عهد بني عثمان تلك الامتيازات التي خفّفت بلاياهم فحسدهم عليها الاتراك فهمّوا بالغائها قبيل الحرب. وقد كان لالغائها انعكاس صدى اليم في قلوب رعايا الدولة

نهدي شكرنا الحميم لفرنسة التي في زمن الحرب لم تسهُ عن امرنا فامدّتنا سرًّا بالمساعدات المتواترة والمبالغ الطائلة فنجّت من الموت ألوفاً من المتضوّرين جوعاً . نحيّيها تحية قلبية لحسن معروفها اذ هيّئت ثلاثاً وهي في معمعان الوغى ان تسيّر الى اقطارنا قسماً من جيوشها لتسرع الى خلاصنا كما تأكدنا ذلك من اركان الحرب . وانما الظروف حالت دون رغائبها الصالحة

نهدي السلام لفرنسة مؤمّل الطريد وملاذ اللهيف التي ما كادت اقدامها تستقرّ في ربوعنا حتى تسارعت الى ضمد جراحاتنا وتلافي اكدارنا فبارت الريح كرماً وجودًا ووزعت على المحتاجين من كلّ ملة ودين المساعدات المادّية الوافرة فكفكفت الدموع واعادت الرجاء الى الصدور

نحيّي فرنسة ام المعارف ومعين العلوم التي اضافت الى الخبز المادّي قوت الارواح وغذاء العقول فمدّت يد المساعدة الى المدارس فبذلت في نهضة الآداب القناطير المقنطرة من مالها وقد صرفت عليها حتى الآن نحو المليونين من الفرنكات

نحني رؤوسنا امام علَم فرنسة الظافر ذي الالوان المثلّثة المشيرة الى ثلاثة كمالاتها الدولية : الابيض الرامز الى طهارة نيّاتها وصفاء قلبها واستقامة خطّتها . والاحمر المصوّر لدمائها التي سفكتها بطيب الخاطر في سبيل كل دعوة شريفة . والازرق المنبئ باستعدادها لحفظ الامان وصون حقوق المنكوبين وتنشيط كل عمل يؤول الى خير الانسانية

فليحيَ ذاك العلم المجيد وليخفق فوق معاهدنا ويظلل بطيّاته رؤوسنا ريثما نبلغ به الى اوج الحضارة وذروة الكمال البشري فنخدم الوطن العزيز الذي حاولت انهاضهُ من حضيض الرقّ الى مقام الامم الحرّة الراقية

وتحت هذه الراية المحبوبة نستأنف نحن أيضاً عملنا ونجدّد همّتنا لمواصلة ما اخذنا على عاتقنا مدّة ١٧ سنة بنشر مجلة المشرق لمجده تعالى الاعظم وخدمةً للمواطنين الكرام مثابرين على تعزيز اصول الدين والعلم وعليهما يقوم خير المجتمع الانساني وبهما تتمّ سعادة الدارين

ل . ش

بين عصرين

للشاب الاديب يوسف غصوب

عصورٌ تقضَّتْ وعصرٌ بدا فتلك المَغيبُ وذا المشرقُ
وعادت الى النور سُبلُ الهُدى وكان الظلامُ بها يحدقُ
حروبٌ تُشيبُ الفتى الامردا وذو البطش من هولها يفرقُ
تُديرُ على الناس كأسَ الرَّدى فيشربها البِضُّ والاحمقُ
تغشّى الحمامُ بها سيّدًا وغير المدافع لا ينطقُ
عويلُ اليتامى لهنَّ صدًى وقلبُ النساء لها يخفقُ
وقد خدّدوا الحزنَ والفدفدا فيتلو بها الخندقَ الخندقُ
فكم من عروشٍ هوت واعتدى عليها عدوٌّ لها ازرقُ
وذو التاج اصبح لا يُفتدى وقد ذُلّلَ التاجُ والمفرقُ
وكم من (سَديرٍ) رمَتْهُ العدى وكم خرَّ فوقَ الثرى (ابلقُ)
وكم من دموعٍ كقطرِ الندى على وجنةٍ بالاسى تُحرقُ
ومرّتْ وفي الافق فجرٌ بدا بهاءُ الرجاء بهِ يبرقُ
فيا طيرُ قم في الضحى مُنشدا فانت بحُرّ الفضا مطلقُ
وبشِّر بعصر جديدٍ غدا رجاءُ البلاد بهِ يعلقُ
فيا وطني كن منار الهدى وكُنْ مُشرقًا انتَ يا (مَشرقُ)

اعظم طامّة في الحرب العامة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

اعتادت مجلة المشرق في سني حياتها قبل الحرب ان تلخّص لقرّائها مجمل الحوادث التي تجري كلَّ عام. وكأني بهم يطالبونها بالعود الى خطّتها بعد الحرب العامّة التي ذاقوا مُضَضها ولمسوا آفاتها فرغبوا ان تُروَى لهم احداث تلك الملاحم التي شابت لها رؤوس الصغار وناءت باهوالها عواتق الكبار

لعمري انّ رغبتهم هذه في محلّها وهي واجب لازب علينا لا سيّما بعد ان حجبت عنّا تركية والمانية الانباء الصادقة وموّهت علينا الاخبار بالوَلس والدَلس وضروب التزوير حتى كنّا نيأس من النجاة

ولكن يا تُرى كيف تسطير وقائع هذه الطامّة العظمى التي لا تحيط بوصفها المجلّدات الضخمة بل امكننا لو جُمع ما كُتب عن شؤونها الى اليوم تأليف مكتبة واسعة. هذا فضلًا عمّا تبرزهُ اقلام الادباء كلّ يوم من تفاصيلها المدهشة

ومن ثمّ ليس بوسعنا ان نجيب الى دعوة قرّائنا الّا بحصر الموضوع في حدود معلومة وذلك بذكر اهمّ الامور التي وقعت في مدّة هذه الحرب فنجعلها كأنصاب يستدلّون بها على خطوات الدُول المتّفقة المؤدّية بهم الى الانتصار النهائي. فجعلنا هذه المقالة كصورة جامعة يراها الطيّار من علُ اذ يحوّم على المنازل فيشمل بنظره ما تحت اقدامهِ. فكذلك يلمّ القرّاء بأجزيات الحرب اجمالًا كما ستُصفّى وتودع في بطون التواريخ المدرسيّة

ولتقريب الموضوع الى ذهن القرّاء نقسمهُ الى قسمين نذكر في اوّلها خلاصة اعمال الدول المركزيّة نفرد لهُ مقالة هذا العدد. ونؤجّل للقسم الثاني مقالةً اخرى نروي فيها اخبار الاتفاقيّين وانتصارهم النهائي

القسم الاوّل: الدُول المركزيّة

١ المانيا

لا ريب انّ المانية كانت قطب هذه الحرب وركنها الاعظم فيجب تقديم الكلام عنها. واوّل ما يلزم قولهُ في ذلك انّ امبراطور المانية غليوم الثاني كان فاتح وتاج هذه الحرب وابنَ بَجدتها مهما حاول بعد ذلك ليتنصّل من تبعتها والمسئوليّة عن سبقهِ اليها

عرف غليوم انّ الفرنسويين بعد الحرب السبعينيّة لم يكونوا ليرضوا بانسلاخ ولايتي اللورين والالزاس عن وطنهم وانّهم عند سنوح الفرصة سيطالبون بحقوقهم حتّى في ميدان الوغى. لكنّ فرنسة في السنة ١٩١٤ كانت بعيدة عن تلك المطالبات

مشغولةً بسياستها الداخلية المضطربة. فظنَّ غليوم انهُ اذا ناجزها القتال قبل نهضتها سحق تلك الدولة سحقاً فتصبح المانية في مأمن من كلّ عدوّ وتصير اليهِ السيطرة في اوربَّة والحكم الفاصل بين الامم

وكان غليوم يستعدُّ لهذه الحرب منذ السنين الطوال استعداداً من شأنهِ ان يُظفرهُ بامنيَّتهِ. فكان سعي طاقة جهدهِ مدَّة ملكهِ ان يرقّي بلادهُ الى اوج الحضارة في الصناعة والتجارة والفنون المختلفة والوسائط الاقتصاديَّة نافخاً في صدور رعاياهُ آمالًا ومطامع تبعث فيهم رغبة التسوُّد على العالم اجمع. فكان شعارهم الذي يردّدونهُ ليلًا مع نهار: المانية سيّدة الكل (Deutschland über alles)

ثم لم يدع القيصر غليوم وسيلةً للانتصار الّا تذرَّع بها من عَدَد وعُدَد كالاسلحة والذخائر الحربية المتوفرة وادوات التدمير في البرّ والبحر وفي اعماق الارض وفضاء الجوّ مع وفرة المراكز الحربية والخطوط العسكرية من سكك حديدية وطرق عرّبات لتعبية الجيوش العرمرمية بوقت قليل فضلًا عن درس خوارط البلاد المنوي اقتحامها. وكان تدريب الجنود الالمانية منذ سنين عديدة جارياً على نظام واحد وفقاً لأرقى الفنون الحربيّة بحيث تصبح كل الافراد طوع بنان قوّادهم الكبار يطيعونهم الطاعة العمياء لا يحيدون عنها ذرّةً فيطحنون كل ما يقوم في وجههم

ثمَّ اهتمَّ الامبراطور الالماني بان يبثَّ روّاداً من ثقات اصحابهِ وطلائع من اهل دولتهِ في بلاد العدوّ لا سيما فرنسة ليجسّوها ويطلعوهُ على كلّ شؤونها. وقد بيَّن المسيو لاون دوده (١ في كتابهِ المعنون «ما قبل الحرب» الذي طبعهُ سنة ١٩١٠ انَّ الالمان كانوا أنشأوا في فرنسة وبالخصوص في النقط العسكريَّة مشروعات لا تُحصى منها فنّيَّة ومنها صناعيّة ومنها تجاريَّة مزجتهم بالفرنسويين مزج الماء بالراح فاحاطتهم علماً بكل المنشآت الفرنسويَّة بل زاحموهم فيها ايَّ مزاحمة. وكانوا يسرعون الى كشف اسرار الفرنسويين للعاهل الالماني وقد امتصّوا بمشروعاتهم ماليَّة فرنسة وعرّضوها لاكبر الاخطار عند انتشاب الحرب وانسحابهم منها

وممَّا اتخذهُ القيصر غليوم من الذرائع لعقد النصر في اعلامهِ استنادهُ في معظم دول اوربَّة الى ملوك وملكات وكبار امراء واميرات من قرابتهِ كانوا جالسين

١) هذا اسمهُ Mr Léon Daudet: L'Avent-Guerre, *Paris*, 1910.

على عروشها منهم ملك رومانية كارل وملك بلغارية فرديننذ وملكة اليونان صوفيا وامبراطورة روسيّة الكسندرا وملكة سربيا دراغا وقرينة ولي عهد الجبل الاسود الدوقة جنّا . فكانت تلك الرشائح الاهلية وسيلة تسهّل لغليوم تنفيذ مآربه السياسية عند اصحاب تلك الدول فلم يدّعها تفوتهُ ومن ثمَّ ارسل اليهم غير مرّة سفراءهُ ومعتمديهِ منهم علانيةً ومنهم سرًا ليستطلع طلبهم ويتشوَّف اخبارهم ويعرض عليهم المساعدة على نوال ما يتمنَّون من السلطة والاملاك على شرط ان يحالفوا المانيـة او يتهدَّدوا بالحياد في حربٍ لا محيد عنها اذا طرأت

وقد نشر في لندن مدَّة الحرب احد اعيان الالمان لم يصرّح باسمهِ كتاباً بالانكليزيّة فصَّل فيهِ مخابرات القيصر غليوم مع الدول ممَّا وقف عليهِ لتقرُّبهِ من الامبراطور ولاستخدامه كاحد المتوسطين في تلك المخابرات منذ عشرين سنة . وقد نقل الكتاب الى الفرنسويّة المسيو هنري بونه فطبعهُ سنة ١٩١٦ واثبت صدق كاتبهِ (١ فتفاصيل هذا التأليف تدلُّ على طمع اشمئ وسياسيـة خرقاء ضحَّى غليوم في سبيلها كلَّ ضمير ووجدان لم يكترث في جانب الحق لا لوعد ولا أيمان ولا معاهدة أيّة كانت لتوثيق سلطانه على اوربّة وادراك غايتـهِ عملًا بذلك المبدأ الفاسد « الغاية تقدّس الواسطة » الذي نُسب زورًا لليسوعيين فزيَّفناه (المشرق ١٧ : ٤٢٣)

وقد ثبت مؤخرًا ان الامبراطور غليوم خدع القيصر نيقولا وجرَّهُ الى معاهدة سرّيّة خفيةً عن حليفتهِ فرنسة وذلك في ٢٣ تمّوز ١٩٠٥ . وكذلك حمل بتركية على معاداة فرنسة وانكلترة بمواعيد عرقوبية كدّ مصر اليها ووضع الجزائر ومراكش وطرابلس الغرب تحت حكمها . وربما حرَّك القيصرُ غضبَ الفرنسويين في عدَّة مواقع وخصوصاً في اغادير والجزيرة وكازابلنكا حيث تداخل في امور لا تعنيهِ تجبُّرًا وادَّعى بحقوق باطلة ورجاؤهُ ان تُعلن فرنسة اليه الحرب فيسحقها . لكنها صبرت على الاهانة واجتهد رؤساؤها في استرضاء القيصر وتخويلهِ انعامات خاصّة واعطائهِ قسماً كبيرًا من مستعمراتهم في كونغو

١) دونك اسم الكتاب Les dessous de la Politique en Orient par un Allemand, *traduit de l'anglais avec Préface par* Henry Bonnet, *Paris*, 1916

وكما سبق ملك المانية الى إعداد الحرب كان ايضاً السابق الى مباشرتها وذلك اذ ساق النمسة حليفتهُ الى إعلانها لسربية اخذاً بثأر وليّ العهد فرنسوا فرديننذ لمَّا اطلق عليهِ وعلى قرينتهِ النار في سراجيفو غرافلو برنزيب احد الطلبة السربيّين من الاشتراكيين في ٢٨ حزيران ١٩١٤. وكانت النمسة اشترطت على سربية شروطاً قاسية رضيت بها الّا مطلبَيْن احالتهما الى مجلس التحكيم فحبَّذت الدول عمل السرب واتَّفقت على اقناع النمسة بالرضى عنها. وكاد الخلاف ينتهي سلماً لولا المانية التي كانت توعز الى حليفتها سرًّا باعلان الحرب كما ثبت من عدَّة دلائل وهي تتظاهر بتفضيل السلام. فكان ما كان وتمَّ الخطب

دخل فرنسوا جوزف ودولتهُ في حرب جرَّت الى اقتحام حومتها تباعاً تسعة اعشار اوربَّة فانَّ اعلان النمسة بالنفير العامّ لمحاربة سربية في ٢٨ تمُّوز ١٩١٤ علَّل استدعاء روسية الى مثلهِ للدفاع عن نفسها وعن جارتها في ٣١ منهُ فكان فعلُ روسيّة داعياً الى اعلان المانية الحرب لروسيّة في غرَّة آب ثمَّ اعلنتهُ لفرنسة بناء على واقع لا صحة لهُ وهو ضربُ بعض الطيَّارين الفرنسويين بالقنابل مدينة تورنبرغ المفتوحة في ٣ آب. وفي اليوم عينهِ تجاوزت الجيوش الالمانية حدود البلجيك لتُباغت فرنسة في شمالها وتفتح لها مُسرعةً طريق باريس. واذ تصدَّى لها البلجكيّون وذكَّروها بمعاهدة سابقة امضاها الامبراطور غليوم نفسهُ لم يكترث الالمان لتلك العهود بل لم يخجل كنشلر الالمان دي بتمان هولوغ ان ينعت تلك المعاهدة الموقعة رسمياً بامضاء القيصر « بقطعة ورق لا طائل تحتها » فقامت بلجكة لمناهضة الالمان وتبعتها بريطانية العظمى حاميةً عن الحقيقة. وهكذا في اقلّ من اسبوع باشرت الحرب ستّ دول اوربيّة اربع بينها من الدول العظمى

ساقت المانية الى هذه الحرب عدَّة ملايين من جنودها المدرَّبة على فنون الوغى فوجَّهت قسماً منها الى بولونية الروسية وقسماً حفظتهُ لردّ غارات روسية على تخومها الشرقيَّة. لكن القسم الاكبر البالغ ازيد من مليون الَّفت منهُ تسعة جيوش في ٤٤ فيلقاً دفعت بها لمحاربة فرنسة

وكان الفرنسويُّون حصَّنوا ثغورهم الشرقيـة دون الشمالية لظنِّهم ان الالمان لا ينتهكون حمى بلجكة ولكسمبورج المتحايدتين فساء ظنُّهم فاندفعت اليها تلك

الجيوش كالسيل الجحاف لا تاوي عناناً ولا ترعى أيمانا فدخلوا البلادين رغماً عن احتجاجها. وقد تشرّف البلجكيّون بالدفاع عن وطنهم وكفاهم فخراً أنهم بتضحيتهم كلّ نفس ونفيس اوقفوا نحو اسبوعين كلّ قوّات الالمان فامكن الفرنسويين بذلك الوقت ان يحشدوا الى الشمال قسماً من جيوشهم مع ما انضمّ اليها من الجنود الانكليزيّة فزحفوا الى محاربة الالمان: الفرنسويّون في شرلروا والانكليز في مونس عند طرفي بلجكة الى حدود لوكسمبورج

اصطدم الفريقان في تلك الهيجاء يطلب كلاهما النصر او موتاً شريفاً وقد ظهر من نخوة الفرنسويين ما لم يكن في حساب اعدائهم مدّة ثلثة ايّام ليلاً مع نهار غير انّ قوّات الالمان كانت اوفر عدداً واقوى اسلحة واتمّ نظاماً فانتهت تلك الواقعة في ٢٣ آب بانتصار الالمان وتقهقر الفرنسويين والانكليز. لكن الجنرال جوفر كان عارفاً من اين تؤكل الكتف فامر الجنود المنكسرة في شرلروا بالرجوع الى خطّ دفاعي ثانٍ كان اعدّهُ عند نهر المارن فتمّت اوامرهُ في اواخر آب واوائل ايلول فاصبحت هناك كالبناء المرصوص. ولمّا حضر الالمان بخيلهم ورجلهم تحت قيادة الجنرالين فون كلوك وفون بولوف في ٣ ايلول مؤملين انتصاراً سهلاً وفتح طريق باريس الواقعة على مرحلة واحدة وجدوا من المقاومة ما ملأ قلوبهم دهشاً وحنقاً وتمكّن الفرنسويون بحسن نظرهم وتدبير الجنرال فوش وهمّة الجنرالية دوبايل وكستلنو ومونوري وغروستي ليس فقط من كسر شوكة الالمان ولكن ايضاً بردّهم مقهورين مكسورين الى ما وراء نهر المارن. فكان هذا النصر الباهر فاتحة الانتصارات التالية للدول الاتفاقية وسهماً جارحاً في قلوب الالمان الذين كانوا سبقوا فبشروا بدخولهم الى باريس بعد مضيّ نصف الشهر واستعدّ القيصر لدخولها ظافراً برونق لا مثيل لهُ فخاب املهُ وثبت عند الدول انّ المانية قابلة الفشل ليست كما زعم اصحابها حليفة كلّ نصر ورقي كما ان جنودهم اضطرّوا الى الخروج من مدينتي رِمس واميان بعد ان خربوا قسماً من ابنيتها واطلقوا مدافعهم على كنيسة رِمس الكاتدرائية التي تُعدّ من أعظم واجلّ الآثار الهندسيّة القوطية الراقية الى القرون الوسطى المنبئة باصول الامّة الفرنسويّة فنفر العالم المتمدّن من هذا العالم الهمجي

ثمّ حاول الالمان تغيير خطّتهم فحملوا جيوشهم الى جهات البحر ليحتلّوا مدينة

كالهُ مفتاح البحر والمركز الحربي فاستولوا في طريقهم في ١٣ ت ١ على مدينة ليل ثم في ١٤ على انفرس ثم بروج ثمَّ اوستند واستعدُّوا لفتح مدينة ايبر على نهر ايزر فلا يبقى في وجهم عائق للسير الى كاله . وكان الامبراطور الالماني جمع هناك ١٥ ألاية من المشاة وأربعة من الخيل وبشَّر بدخوله القريب الى ايبر في غرّة ت ٢ . فحدثت عند نهرَي اينْ وايزر قريباً من كُسود معارك مهولة تتابعت مدة شهر كامل اسفرت في ١٥ ت ٢ بفوز الاتفاقيين تماماً على الالمان الذين ارتدُّوا خاسرين بعد ان فقدوا في مستنقعات نهر ايزر نيفاً ومئة الف من جنودهم . وفي تلك الاثناء فقد الالمان مستعمراتهم باستيلاء الانكليز والفرنسويين عليها واحدة بعد الاخرى

فتحقَّق الالمان انَّ ما حلموا بهِ من سحق فرنسة كان من اضغاث الاحلام ومن ثمَّ التجأوا الى الخنادق ليحفظوا ما احتلُّوهُ من اراضي فرنسة وبلجكة وحشدوا معظم عساكرهم الى جهات الشرق لمحاربة الروس حتَّى اذا انتصروا عليهم يكرُّون راجعين الى فرنسة . وهذا هو الطور الثاني من الحرب العامَّة فاضطرَّ الفرنسويون ان يحتفروا كاعدائهم الخنادق ويتحصَّنوا مثلهم وانَّما حصلت من وقت الى آخر مناوشات متعدّدة لم تكن قاضيةً لكثرة التحصينات الواقفة في وجه الفريقين . وهناك استعان الالمان بالمدافع الضخمة وبالرمَّانات ذات الموادّ المتفجرة او الغازات السامَّة المنتنة فعاملهم الفرنسويون بالمثل وطالت هذه الحرب الخندقية ثلاثة اعوام كان امل الالمان ان يُعالَ صبر الفرنسويين فيهيجوا بثورة على وطنهم فما افلحوا

وأخصُّ ما جرى للالمان في النصف الاوَّل من سنة ١٩١٥ حملاتهم على ولايتي ارتوا وشمبانية زحفوا اليهما بفيالق متعدّدة وتقدَّموا قليلًا في بعض الاماكن لكنَّهم لم يستطيعوا فتح سواسون كما شاؤوا وفقدوا حصن بوسيجور بعد ان قُتل منهم عشرة آلاف جنديّ . وحصلت ايضاً في فصل الشتاء معارك محلّية في الأرغون ولورين والزاس اظهر فيها الالمان والفرنسويون مع الانكليز كل ما تكنُّهُ الصدور من البأس والشجاعة فكانت الحرب سجالًا الَّا انَّ الفرنسويين قهروا اخيرًا اعداءهم بحميَّتهم وحبّهم لوطنهم اذ كانوا يمشون للقتال وهم يتغنَّون فرحين كانهم يسيرون الى عرس او عيد ويحاربون كالاسود الواحد بازاء ثلثة او اكثر من العدوّ . ثم تكرَّرت في الصيف محاربة الالمان لتلك الجهات ففشلوا فيها كما في الشتاء

وممّا اضعف الالمان في فرنسة وبلجكة اضطرارهم الى مقاومة الجيوش المسكوبية في بروسية الشمالية ومساعدة حلفائهم النمسويين في غاليسية فارسلوا اليها جيوشاً عديدة ليوقفوا سير العدوّ

ثمّ دخلت السنة ١٩١٦ ومعظم القوّات الالمانيّة تحت قيادة هندنبورغ مشتبكة في محاربة الروس الذين تقدّموا ظافرين في جهات النمسة وبروسية الشمالية . فحاول وليّ عهد المانية وأحد قوّاد جيوشها الكبار ان يخلّد اسمهُ بفتح مدينة ڤردون فهجم عليها بكل بطاريّاته وقوّاته . وبعد ان تجاوز بحملة ظافرة التحصينات الاوّلية دخلت جنودهُ في حصن دُو أومُنت المعدود كحجر الزاوية لتلك المدينة التي هي كترس باريس ومجنّها

فتنفّت الالمان بفناء الظفر وكاد العالم ييأس من خلاص ڤردون لكنّ القائد الاعظم جوفر ارسل الجنرال كستلنو وخوّلهُ كلّ سلطان للدفاع عن المدينة . فدعا كستلنو الجنرال پيتين وسلّمهُ قيادة الجيش فسدّ هذا كل خلل واوقف الالمان فكرّروا حملاتهم دون جدوى حتى بلغت هذه الحملات في يوم واحد ١٧ عدًا وبات العالم في دهش من سطوة الفرنسويين الذين كذّبوا ما حلم بهِ وليّ عهد المانية من الظفر فقاوموهُ طول سنة ١٩١٦ وفي النصف الاوّل من السنة ١٩١٧ فألجأوهُ الى مبارحتها في شهر تموز ليردّ غارات الفرنسويين والانكليز في مقاطعة سُوم حيث انكسر الالمان كسرةً عظيمة وأُسر منهم فوق المئة الف وقُتل ضعفا ذلك . وقد سطّرت وقائع ڤردون للفرنسويين في بطون التواريخ مجدًا مخلّدًا حتى انّ الاميركيين كتبوا وقتئذٍ : « انّنا كنّا نحبُّ الفرنسويين قبل مواقع ڤردون امّا بعدها فقد ملأوا صدورنا عجباً من بسالتهم » وسار المثل بين الفرنسويين «ان من لم يشهد معارك ڤردون الجهنّمية لم يعاين شيئاً من الاهوال»

وقد تعزّى الالمانيّون نوعاً من فشلهم في الغرب بما نالوهُ من الظفر في جهة الشرق فانهم بعد الانتصارات الاولى التي افتخرت بها الجيوش الروسيّة في بروسية الشرقيّة وغاليسية في سنة ١٩١٤ ثم ١٩١٥ الى اواسط آب أسرعوا الى مناصرة حلفائهم النمسويين فردّوا غارات الروس وكسروا او اسروا أربعة فيالق منهم في آخر آب واوائل ايلول لكنّ الجنرال ويتنكسيف تمكّن من تعزيز الجيوش الروسيّة فاخرج

الالمان من بولونية الروسية وبقيت غاليسية في حوزة الروس بل فتح الفرانسوق نقولا مدينة لمبرغ في ٤ ايلول وسار الى محاصرة برزمسل

لكنَّ الالمان بعد خمود غارات جيوشهم في الغرب وجَّهوا الى الشرق قسماً كبيراً منها ففتحوا مدينة ولك ثم مدينة بلسك ولم يكتفوا حتى ضايقهم الفرنسويون في شمپانية فسحبوا ثانيةً جنودهم من الشرق الى الجهات الغربية فتقوَّى الروسيون بغيبتهم على النمسويين بحسن تدبير الجنرال بروسيلوف وأسر منهم مئات الوف. لكنهُ احتاج بعد ذلك الى ذخائر حربية واخذت الثورة تتهدَّد البلاد وتقسَّمت الكلمة بين القيصر وحاشيتهِ وظهرت معاداة الاحرار للدولة. وصار قسمٌ كبير من الجنود الروسيَّة باغراء الالمان يطلبون الصلح فقُضي على القيصر نيقولا بان يتنازل عن عرشهِ في ١٦ آذار ١٩١٧. فانتهز الالمان فرصة الفوضى في روسيَّة لفتح ريغا ثم لمحاربة كرنسكي ممثل السلطة المنظمة واستندوا الى البلشفيكس او المكسيالست الذين خانوا وطنهم وقتلوا القيصر نيقولا واسرتهُ ورموا دولتهم العظيمة في هوَّة الشقاء ومعظم الآفات التي لم تنجُ منها حتَّى الآن

وفي السنة ١٩١٨ أعدَّ الالمانيون زحفات جديدة ظنُّوها القاضية على فرنسة فوجَّهوا اولًا اسطولًا من طيَّاراتهم حلَّق فوق باريس فرموا عليها ١٤ طنًّا من المواد المنفجرة فقتلت او جرحت ٢٥٥ شخصاً. ثم حشد الجنرالان لودندرف وهندنبورغ ١٨ فيلقاً من الجند فسارا بهم هاجمين على الفرنسويين والانكليز كصرح من حديد واضطرُّوهم الى القهقرى في نواحي پيكردية وفلندرة وفتحوا عدَّة مدن وكادوا يخرقون صدر الجيوش المتآلفة لولا الجنرال فوش الذي خلَّص الانكليز ملبياً دعوة الجنرال دوغلاس هايغ وهو يصرخ الى ذويهِ: اثبتوا قليلًا فها قد اتاكم الفرنسويون. فكان وصولهم فوز الاتفاقيين في « مون كتل » ثم عاد الالمانيون بقوَّات جديدة وبغتوا الاتفاقيين على غير انتظار ففتحوا سواسون وشاتو تيساري في اواخر ايار واوائل حزيران ١٩١٨ والحديد والنار في حوزتهم واضحت باريس معرَّضة لقنابل مدافعهم واستعدُّوا لقطع نهر المارن فكان هذا النهر عثرةً ثانيةً في طريقهم وفاتحة كسرتهم الاخيرة فهناك اشتهر فخامة الجنرال غورو الكوميسار الاعظم الذي رأيناهُ بقدومهِ في ظهرانينا وسُررنا بمشاهدتهِ مكلَّلًا بتاج الظفر وهناك ايضاً حاز

الجنرال فوش بانتصار لا مثيل في صفحات التواريخ القديمة وذلك في ١٨ تموز ١٩١٨ واستحق ان يُنصب الى رتبة مارشال . وكان هذا الانتصار مدعاة لانتصارات قانونية متتابعة الى اوائل تشرين الثاني . وفي النمسة منهُ خرج غليوم هارباً من بلاده الى هولندة وفي ١١ منهُ انتهت الحرب باعلان الالمانيين رسمياً لكسرتهم وسقوط المانية العظمى

ولم نتتبع هنا مشروعات المانية ومساعي جيوشها المرعرمية لمساعدة بلغارية بعد ان اقحمتها في ميدان الوغى وكيف عضدت تركيَة في كلّ ساحاتها الحربيّة برًا وبحرًا في البحر الاسود اوّلًا بواسطة بارجتيها غيبن وبرسلو ثمَّ في الدردنيل وفي حملة سويس وفي جهات العراق لا سيما كوت العمارة واخيرًا في جهات الاردن وفلسطين . فانها كانت الآلة المحركة لكلّ هذه الوقائع ونفخت في الاتراك روحاً جديدة افازتهم ببعض الانتصارات على انها انتهت كلها بفوز الدول الاتفاقيَة ما عدا الدردنيل حيث ردُّوا الاتفاقيين بالخيبة

وممَّا تمنَّتهُ المانية محاربة الاساطيل البريطانيَة لتدمرها فجرت معركة اولى بحريَة في جزائر فنلندة في ٨ ك ١ ١٩١٤ بين الدولتين كانت انكلترة هي الفائزة فيها . ثمَّ فازت في موقعة ثانية في جوتلند في ١ حزيران ١٩١٦ . وكانت الموقعة الثالثة في هليغولند اعظم شأناً في ١٩ آب ١٩١٧ . أُصيبت الدولتان بخسائر عظيمة ونسبت كلّ دولة الانتصار لذويها

وممَّا جعلت المانية عليهِ املها العظيم غوّاصاتها التي الحقت بسفن اعدائها خسائر عديدة لا سيما بتدمير السفن التجارية . وقد أُصيبت انكلترة من هذا القبيل بضربات اشدّ واقسى من سواها فمن ذلك تدمير البارجة همبشير التي كان ركبها اللورد كتشنر فغرق معها . وكذلك السفينة الكبرى لوسيتانيا التي تلفت معها ارواح كثيرين من علية الاميركيين وكانت من اسباب دخول اميركة في الحرب في جانب الاتفاقيين

٢ النمسة

كانت النمسة في الظاهر اوّل مُضرمة للحرب الاوربيَّة باعلانها الحرب لسربية كما سبق الّا انَّ الامبراطور فرنسوا جوزف بقي مدَّة يتردَّد في مباشرتها حتى

ساقتهُ اليها مطامع المانية. فدخلت الجيوش النمسويَّة في سربيَّة واستولت على بلغراد مرَّة اولى وثانية وكان السربيّون يدافعون عن وطنهم دفاع الابطال ومع قلة عددهم انتصروا عليهم غير مرَّة واستردُّوا عاصمتهم الى ان ارسلت المانية مددًا لحليفتها فتغلَّبوا عليها

وغاية ما يقال في النمسة مدَّة هذه الحرب انَّها كانت كالسيَّارة في فلك المانيـة تدور حولها وتجري باشارتها. وقد نالها من الآفات والشدائد ما لم ينل المانية نفسها اذ دخلت الجيوش المسكوبيَّة في تخومها في غاليسية والمجر وتمكَّنت على بعض حواضرها ومدنها المحصَّنة كلمبرغ وستانسلاف وبرزمِسل الى ان ارسلت المانية الى نجدتها قسماً من جنودها فكبحت سَورة الروس

وكذلك حاربتها ايطالية سنة ١٩١٥ فاصابت بعض الفوز في مواقع ايزُنسو ومقاطعة ترنت. وطالت هناك الحرب حتى امدَّت المانية حليفتها بجنودها فاندفعت كلتاهما لمحاربة الايطاليين فتجاوز جيوشهما التخوم الايطاليـة واحتلَّت قسماً من الاصقاع البندقيَّة الى ان أُخرجت منها بمساعدة الاتفاقيين وفوزهم الاخير

وكان الذي ضرب الجيوش النمسويَّة الضربة القاضية الجنرال الفرنسويّ فرنشه دِسپيره فانَّهُ انقضَّ في تشرين الأوَّل سنة ١٩١٨ مع عسكرهِ وعسكر العرب على النمسويين انقضاض العُقاب على فريستهِ فمزَّق جيوش الاعداء شذر مذر في وقائع متعدِّدة لم يتم بعدها لهم قائم

ومن الحوادث الحربيَّة بالذكر وفاة الامبراطور فرنسوا جوزف بعد ٦٨ سنة من الملك على النمسة والمجر توفي في اواسط تشرين الثاني ١٩١٦ فلم يكن لموتهِ تأثير كبير فقلبت جلبة الحروب وصدى المدافع على زفرات الباكين على ذلك الشيخ التاعس الجدّ المنكود الحظ. وكان هذا الامبراطور رجلًا تقيًّا محبًّا للخير ساعياً ما وراء مصالح بلادهِ الَّا انهُ وُجد في ايام صعبة فقامت في وجههِ مشاكل لا تحصى مدَّة ملكهِ الطويل ضاق بها ذَرْعاً فنالهُ منها ضربات أليمة هدَّت قواهُ

وقد خلفهُ في ملكه نسيبهُ كرلوس الاوَّل فلم يألُ جهداً في صون بلاده من شرّ هذه الحرب لكنَّ عاتقهُ ناءَ تحت هذا العبء الثقيل فذهبت في تيَّارها دولة الهبسبورغ بانتصار الاتفاقيين على الدول المركزيَّة واضطُرَّ الامبرطور الجديد

الى تقدمة استعفائهِ فتقسّمت دولة النمسة اقساماً عادت الى عناصرها المتباينة كبولونية والمجر والصقالبة كما كان المنتظر منذ زمن طويل. وقد أعلن الباقي منها استقلالهُ والّف جمهوريّة خاصّة

٣ تركية

من أطلع مدّة الحرب على الجرائد المحليّة المحرّرة باقلام الاتراك واصحابهم او المرتشين بالهم ظنّ انّ الدولة العثمانية عادت الى عصرها الذهبيّ في أيام السلطان الغازي محمّد الثاني وسليمان القانونيّ ولم يعلم انّ نهضتها الاخيرة انّما كانت نهضة « الرجل المريض » وبعثة الشيخ المحتضر الذي ينتعش قليلًا قبل ان يجود بنفسهِ فيظنّ من يراهُ انّ الحياة عادت الى جسمهِ فينخدع بالظواهر

والحقّ يقال انّ ما ظهر في تركيّة في زمن الحرب من الجأش انّما كان بقيّة حياة كامنة ابرزتها قبل وفاتها بل قلّ ان المانية بعثت في ذلك الجسم البالي نسمة من الحياة فكانت لا تزال تنفخهُ فيها باركان حربها وضبّاطها وذخائرها الحربيّة مع رجائها ان تبعث العالم الاسلامي الى الجهاد فأصمّ الاسلام آذانهُ عنها

والى هذه المساعدة الالمانية تُنسب خصوصاً المآثر التي تفاخر بها الاتراك في الدردنيل والقفقاز وسويس والعراق وفلسطين فلمّا أُصيبت المانية بجرحها القاتل عند نهر المارن في تموز ١٩١٨ تزعزع صرح الدول المتحالفة فكان لهبوطها دويٌّ عظيم وسقطت تركيّة في وقت واحد في كلّ ساحات الحرب في اوربّة وآسية. واسرع الى الفرار أولئك المجرمون الكبار انور وجمال وطلعت وعزمي وكان اكبرهم اثماً انور باشا محور السياسة التركية الخرقاء الذي قلب بدسائسهِ دولتهُ وكان مع جمعيّة الاتحاد والترقّي ألعوبةً في ايدي الالمان وقد ذهبوا معهم ادراج الرياح. امّا دولة بني عثمان فانها بعد وفاة سلطانها محمّد الخامس رشاد العاجز في آب سنة ١٩١٨ صارت الى السلطان محمّد السادس الذي لم يبقَ لهُ من الملك الّا اسمهُ ومن السلطة الّا ظلّها

٤ بلغارية

هي الدولة المركزيّة الرابعة التي دارت في فلك المانية كان دخولها في الحرب في ١٣ ت ١ سنة ١٩١٥ فكان الامر داعياً لمدافعة الفرنسويين والايطاليين عن

حلفائهم سربية ورومانية واليونان في جهات البلقان فحصلت هناك مواقع عديدة في سالونيك ومقدونية . وكان لفرنسة في كل هذه الوقائع البلاء الحسن فعززت بجيوشها سربية بعد كسرتها في سنة ١٩١٥ ثم انشقت عنها في السنتين ١٩١٦ و١٩١٧ لما قام البلغار باعمال حربية مهمة في البلقان . ثم تجاوزوا حدود اليونان ورومانية بمساعدة الالمان والنساويين تحت قيادة رئيس أركان حربهم الجنرال ساڤوف مصحوباً بالجنرالين الالمانيين فون ستوبن وفون شولتس

وقد طالت الحرب والبلغار يبلون فيها احسن بلاء لكنهم عرفوا في اثنائها مطامع الالمان ومواعيدهم السرية تارةً لهم وتارةً عليهم فنفروا منهم . على انَّ البلغار لم يزالوا ينظمون الفيالق ويجندون المراكز الى اواسط السنة ١٩١٨ فعزم الجنرال الفرنسوي غيليوما ثمَّ فرنشه دسپيره على قطع دابرهم مهما تكلَّف الفرنسويون من الضحايا فزحفوا اليهم زحفة الأسد الرئبال مع قلَّة عددهم بالنسبة الى الاعداء وبهجمات متوالية واصلوها مدَّة ١١ يوماً (١٥ ايلول الى ٢٦ منهُ) احلُّوا بهم بأسهم وقطعوا نظامهم واضطرُّوهم الى طلب الهدنة في ٢٦ ايلول فكانت كسرتهم فاتحة الغلبات التالية حتَّى طلبت تركية بعدها الهدنة في ٣١ ت١ ثمَّ النمسة في ٣ ت وآخرها المانية في ١١ منهُ وعاد العالم الى سلامهِ (لهُ بقيَّة)

الوهم في الحيوانات والحشرات

وحبهما الغريزي لنسلهما

نظر للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد اطنب الشعراء ومصنفو الروايات في ذكر ما تكنُّهُ قلوب الأمهات لاولادها بل الحيوانات لصغارها . فكم تصفَّحنا من القصائد الشائقة والمقالات الرائقة في حنان الدجاجة على فراخها والطير على اولادها . تأمَّل مثلاً زوجاً من الحسُّون وراقب حرصهما على جمع ما يعثران عليهِ في الطرقات او بين الدغل والاشواك من نُسال الصوف ونُتاف الريش ونُثار القطن ليوثِّراها مهداً لنسلهما عند مولدهِ بعد ان

قضينا اياماً يتناوبان ليلاً مع نهار في حضانة بيضهما. فاذا خرج الصغار الى النور تفانيا في تلقيمها الطعام مراراً كل يوم الى ان تقوى على الطيران محلقةً في الهواء.

فهذا امري مما يؤثر في عواطف البشر ويسوّل للشعراء مادّة واسعة لشحذ قريحتهم. ولكن شتّان بين الشعر وحقيقة التاريخ وربما كانا على طرفي نقيض لأن التاريخ يسجّل الوقائع اما الشعر فيزخرفها وكثيراً ما تخترعها مخيّلة الشاعر وكما ينسب الشعر النطق الى الحيوان — وليست امّة خالية من رواة الامثال — فكذلك يعزو اليها الاهواء البشريّة من حبّ وبغض من فهم وتعقّل من فطنة واحتراس الى غير ذلك من صفات اختصّ بها العاقل

وكثير بين الناس من يحذو حذو الشعراء فيؤوّلون اعمال الحيوان تأويلهم لاعمال البشر لا سيما في عصرنا هذا الذي فيه تفاقم شرّ الماديين فهضموا حقوق الانسان ورفعوا البهيمة العجماء الى درجته فقابلوا بينهما ونسبوا جهلاً او عمداً الى الحيوان خواصّ الانسان. ومن ذلك انهم نسبوا الى انثى الحيوان حبّ الامّ لبنيها واملّ هذا في بعضهم نتيجة ما تعلّموهُ في ايام الصبا من الامثال على السنة الحيوان

وكأني بالقارئ يقاطعني فيقول او تنكر على الحيوان الاعجم حبّه لبنيه — أجيب على هذا السؤال بديهاً : ليس في الحيوان الخالي من النطق حبّ صحيح. اللهمّ ان ادركنا معنى الحبّ وكنهه . فان الحبّ ليس مجرّد ميل غريزيّ في قلب المحبّ نحو المحبوب بل هو ميل الارادة نحوهُ لصلاحه . وفعل الارادة مبنيّ على المعرفة وادراك ما يوجد من العلائق بين المحبّ والمحبوب . والحيوان خلوٌ من هذه المعرفة لا يدرك مطلقاً معنى الابوّة والامومة كما سبقنا فاوضحنا ذلك في مقالتنا السابقة (المشرق ١٧[١٩١٤]: ٧٤١—٧٥٠) عن البيضة حيث بيّنّا انّ الطائر لا يعرف ما هي بيضتهُ وما سيحصل منها. وهذا يعمّ كل حيوان على الاطلاق فانّ الحيوان لا يعرف صغيرهُ معرفةً جوهرية صحيحة ومن ثمّ ليس حبّهُ ايضاً حبّاً صحيحاً

منحت العناية الربّانية الحيوان ميلاً غريزيّاً هو الوهم فعلّقت تلك الغريزةَ نحو غاية ارادها الخالق وهي حفظ الحيوان لجنسه . فكما الوهم كذلك الغاية كلاهما من الله الذي يدفع الحيوان الى ابراز اعمال مؤدية الى تلك الغاية . وهيهات ان ينتج

من هذه الاعمال انَّ الحيوان ذو عقل وانهُ مزدان بحبّ صحيح كما يعلمهُ الناس . والخلط بين الامرين شطط فظيع

ودونك بعض الاحداث التي اختبر العلماء وقوعها من الحيوان فهي اصدق نبأً من تخيُّلات الشعراء وارباب الروايات المختلقة ولنبدأ ببعض الحيوانات الكبيرة :

يعلم الفلّاحون في سوريّة انَّ البقرة التي مات عجلها لا تدرُّ بحليبها ما لم يخدعوها ببعض الظواهر (اذ يجهلون الطرائق الشائعة في اوربة لاستدرار حليب البقرة الثكلى) فهم يعمدون الى جلد العجل الميت فيحشونهُ تبناً واذا ارادوا ان يحلبوا البقرة قرّبوا ذلك الشبح الى البقرة اترأمهُ كما كانت تفعل بعجلها حيًّا فتدرّ بلبنها . وهكذا يعمل العرب بنوقهم يقدّمون اليها البوّ وهو جلدُ حوارها المحشو تُماماً فتعطف عليهِ وتدرُّ

وان قال قائل انَّ البقرة تشمُّ رائحة عجلها فتعرفهُ . اجبنا انَّ هذه ليست معرفة كما شرحنا ذلك في مقالتنا عن الوهم بل عمل وهميّ لا يتجاوز الحسّ فانَّ البقرة كانت في حياة عجلها تلحسهُ بلسانها وهي الآن تكرّر ذلك الفعل بناء على ما طُبع في مخيّلتها سابقاً فتعود الى إدرارها . ويثبت قولنا انَّ الفلاحين يتانون اربهم من البقرة ولو قرّبوا اليها جلد عجل غريب وربّما اكتفوا ببوّ واحد لإدرار عدّة بقرات . وقد عرفنا راعياً لم يملك غير بوّ واحد كان يستدرُّ بهِ أيَّ بقرةٍ كانت . ومن الرعاة من يستغني عن جلد العجل بان ينطح برأسهِ اخلاف البقرة او الناقة كما يفعل العجل أو الحوار عند امتصاصها لبن الامّ . فكل هذا دليل واضح على أنَّ المحبّة المزعومة في البقرة او الناقة لا تخرج عن دائرة الحسّ والشعور وليست في شيء شبيهة بالحب البشري

كلّنا يعرف الارنب الداجن وصغاره ما ألطف الخرنق في اوّل نشأتهِ يشبهُ كتلةً حيّةً من الوبَر الناعم . ولكن اياك أن تمسّهُ بيدك فانَّ الارنبة اذا لحظت ذلك هجرت كل صغارها مع ما أظهرتهُ من التعطف لنسلها قبل وضعها لهم اذ تنسل كل زغب بطنها لتعدّهُ فراشاً وثيراً لمواليدها . فكيف يا ترى تنسى تلك الامّ هذه العواطف الرقيقة لسبب طفيف كهذا انْ يمسّ غريب احداً من صغارها او يفسد شيئاً من مهد خرانقها فتدعهم وشأنهم . أهذا هو مبلغ حبها !

ومما يرويهِ مربُّو الارانب ان الذكر منها يقتل صغارهُ ان لم يُفرَز للانثى مكان منفرد وتُحصَّن الخرانق من اذاهُ . فاين هذا من الحبّ الوالدي !

ولنا في السنّور شاهد آخر على جهل الحيوان لنسلهِ وعدم حبّه لهُ . خذ صغار سنانير مختلفة وضعها جميعاً امام احدى الأمهات تجدها مرضعةً لها كلّها دون تمييز بين نسلها ونسل غيرها . فثبوت جهلها دليل على خلوّ قلبها من الحبّ الصحيح

ثمَّ ما قولنا بالدجاجة وبديك الحبش وكلاهما يحضن بيضاً غريباً او يربّي صغاراً حضنها غيرهما . وبطير الكبجيل (fauvette) الذي يرخم على بيض الطاطوي ثم تُرضع انثاهُ اولئك الدجلاء غابيةً عن اولادها (المشرق ١٧ : ٧٤٨ — ٧٤٩) . فكل هذا يبيّن ان الحيوان جاهل بعيد عن الادراك

وقد علم الاولاد الباحثون عن اعشاش الطير انَّ الابوين يهجران عشهما اذا مسّ احد بيضهما ولا يكترثان لحفظ ذلك المأوى اللطيف الذي كأنهما اتعاباً ومشاقّ عديدة ويغيبان عن ذلك البيض الذي فيهِ نسلهما وعليهِ معوَّل سرورهما . أفيحسُن بعد هذا بالشعراء ان يتأسفوا على اوجاع ذاك الطائر لمسيس الاولاد عشهما او بيضهما . ان الشعر في ذلك مجرّد تصوُّرات خيالية يدحضها الاختبار اليوميّ وينفيها الواقع الدالّ على غباوة الحيوان وخلوّهِ من الفهم والادراك

نعم انَّ الحيوانات في كل ظواهرها التي نستنتج منها حبّها لصغارها لا تجري في ذلك سوى على غريزة جبلَها الخالق في كيانها وبموجبها يسير كل صنف منها دون ان يحيد عنها البتة لحفظ جنسهِ . وهذا هو الوهم العجيب الذي خوَّلهُ الله الحيوان ليقوم بكل حاجات مواليدهِ مدفوعاً اليها جبرًا دون ان يعقل منها شيئاً

انَّ الحبّ الابويّ الصحيح لا يقوم دون ادراك العلاقات ثم الواجبات بين الوالدين والمواليد فانَّ الابوين يعلمان بان الولد نتيجة حبّهما المتبادل وانهُ لحم من لحمهما . ولا تنكر انَّ في الانسان ايضاً وهماً غريزيًّا يحدو بالوالدين الى اسعاف اولادهم في حاجاتهم الّا انَّ هذا الوهم يصحبهُ مطلقاً العقل البشري الذي لا يخلو منهُ ادنى الناس فهماً حتى الهمج منهم . فيرشدهم فهمهم هذا الى حاجات وليدهم والى عجزه عن خدمة نفسهِ والى عوائد خدمتهم لهُ

يروي السيّاح انَّ بعض الناس في الصين ومجاهل افريقية يهملون بعض بنيهم بل

تبلغ بهم فظاظة اخلاقهم الى قتلهم . لكنَّ هنا ايضاً فرقاً عظيماً بين اولئك البرابرة والحيوان فان هؤلاء البشر المدعي الشفقة لا يقدمون على عملهم الّا بعد الفكرة اذ يحكمون بان هذا المولود سيئ البنية موتهُ خير من حياتهِ او انهم قاصرون عن اعاشتهِ وغير ذلك من الاسباب الباطلة التي يبنون عليها فعلهم القبيح . فتراهم يفرقون بين الفتى والفتاة وبين صحيح الجسم والمهزول . وهذا كلُّهُ شاهد على عقلهم لا ترى منهُ شيئاً في الحيوان

وكما يحبُّ الوالدان اولادهم فكذلك يعرف البشر اخوتهم واخواتهم وانسباءهم وكلّ ذلك مؤسس على علاقات طبيعيَّة لا تفوت ذوي العقل . فهل يا ترى يوجد منها بعض الآثار في الحيوان ؟

لا تنكر انَّ الحيوان يأنس بذوي جنسهِ والمثل يقول «انَّ كل طير يأوي الى شكلهِ» فالحيوان اذا جاور حيواناً آخر وتربّى معهُ وقع بينهما بعض الألفة والتقرُّب لا سيَّما الداجن من الحيوان كما ترى الخيل والبغال والكلاب فانها تحفظ في مخيلتها صورة ارفاقها في إصطبلها واكنانها وهي معرفة حسيَّة فقط تشعر منها الحيوانات ببعض الالتذاذ . واين هذا من ألفة الاخوة ومودَّة الاقرباء فيبعدان بُعد الثريا عن الثرى

ليس بين الحيوان ألفة كألفة النحل في اكوارها . فيها يُضرب المثل في الاتفاق والتآلف ولا مراء في انَّ النحل تعرف رفقاءها في العمل ولا تدع غريباً يدخل كوارتها . لها ملكة (يدعوها العرب يعسوباً ويعدُّونها ذكراً) هي الواضعة لكل افراد النحل وهي لا تبالي بصغير مواليدها فان بين العاملات من يُعنى بامر الصغار فينبذن منها ما لا يرينهُ صالحاً للعمل بعد قتلها كما انهنَّ يطرحن ايضاً خارج الخليَّة الذكور بعد تشوُّلها . أفهذه ألفة صحيحة ؟ فناشدتك الله دعنا من اطراء حبّ الحيوان لنسلهِ او لذوي جنسهِ فهذا قول بلا سند

وقد روى السيو فابر الذي دُعي في زمننا بهوميروس الحشرات لتدقيقهِ في درسها بعض الاختبارات التي تولّاها لمعرفة هذا الحبّ المزعوم في الهوامّ لصغارها فدونك شيئاً منها :

انَّ بين اجناس العنكبوت نوعاً شائعاً في كل البلاد يصطنع من نجاجهِ نسيجاً كالحرير على شبه الكيس يجعل فيهِ بيضهُ البالغ مئاتٍ عدّاً . وهذه الخريطة كرويَّة

الشكل كحصة صغيرة تمدّها انثى العنكبوت ككتزها فلا تفارقها البتة . وبعض هذه المناكب الساكنة في ثقب عموديّ من الارض تخرج كل يوم عند شروق الشمس الى باب مسكنها وتعرض لحرارة الشمس ذلك الكيس الصغير بين مخاليبها وتتبع الشمس في حركاتها طول النهار لينضج البيض بحرارة اشعتها . ويوجد نوع من المناكب اللواتي يربطن تلك الخريطة في بطنهن بخيط من لحمتهن ويمتهن من يجعلن الكيس على ظهرهن . فكل هذه عجائب من الحنان التي يتغنّى بها الشعراء

ولكن هات الآن كبّة صغيرة من القطن او من الفلّين على شبه الكيس السابق وصفهُ ثمَّ انزع عن العنكبوت بيضها الحيّ بتبنة وضع كُتلتك بدلًا منها تر العنكبوت قابضاً عليها وفارًّا بها الى غوره ثم يصعد بها كل يوم ليعرضها على الشمس كأنها بيضهُ . والانثى الحاملة لكيسها على ظهرها تحمل كيسك كذلك . وان كان دأبها حملهُ على بطنها حملت ما قدمتَ لها على الصورة عينها دون ان تميّز بين الخريطة الجامعة لنسلها وما زوّرتهُ على شكلها

ومثلها العقرب التي يدرجها ارباب علوم الحشرات في سلك المناكب فيجعلونها فصيلةً منها لما خُصّت بهِ العقرب من اربعة ازواج القوائم ولانَّ مواليدها تركب على ظهرها مثل مواليد العنكبوت وتبقى عليها ممتطيةً عدّة اشهر دون ان تذوق قوتاً . وانما يختلفان بما سوى ذلك . فان نسل العنكبوت يبقى في كيسهِ على ظهر الام الى ان يخرج من حبسهِ بعد اشهر بقوّة حرارة الشمس . امّا العقرب فانها تجد مولودها بعد ميلادهِ تامَّ البنية في مشيمتهِ فتعمد الانثى الى ذلك الغشاء وتفتحهُ بواسطة كلّابتي مخاليبها فيخرج صغارها ويصعدون على ظهر امهم واذا قويت قوائمهم ذهبوا في سبيلهم والويل لمن يتأخر منهم على صهوة امهِ فانها تطرحهُ على الارض وتبتلعهُ . فزهِ زهِ من هذا الحب العجيب أن تأكل الام لصغارها

قد سبق لنا (المشرق ١٧ : ١٩٨) وصف حشرة تدعى بنبكس (Bembex) ذات اربعة اجنحة متناسقة فهذه الدويبة تحفر لها كغيرها من الحشرات سرباً في الارض ذا خلايا تودع في كل خلية احد صغارها فتسعى لاعاشتهم بصيد الذباب كما يطعم الطائر فراخهُ في عشهِ . بيد انَّ لهذه الحشرة اعداء بين الهوامّ يتطفّلن على مائدة صغارها . فمن ذلك دويبة تدعى تشينار (Tachinaire) خبيثة النجار اعتادت ان تترصد حشرة

بنبكس حتى اذا رجعت من صيدها وحاولت الدخول الى سربها القت على ما تحملهُ من الطعام بعض بيضها على قدر ما تستطيع بيضتين او ثلاثاً او اكثر. فهذا البيض الغريب يلتصق بالطعام المعدّ لصغار البمبكس ولا يلبث ان يفتص ويلتهم حصّتهُ من مأكول اصحاب البيت كما يفعل المتطفلون. والغريب في هذا انَّ الانثى الصيَّادة التي كان يمكنها بكل سهولة ان تطرد اولئك الدخلاء او تفنيهم تكلّف نفسها تعباً شاقاً مدَّة اسبوعين لتقيت بنيها وضيوفها الثقلاء العائشين على كيسها. فكيف يمكننا ان ننسب حباً صحيحاً لتلك الحشرة التي لا تعرف ان تحتاط لصغارها ولا تميز الغريب من ابن البيت

قلنا في ما مرّ ان البمبكس ذاتها اذا خرجت من سربها لتصيد قوت بنيها تسدّ ذاك المنفذ بقليل من التراب لئلّا يطّلع عدوّ على عشّها حيث اودعت بيضها فيقتحم على صغارها عند غيابها للصيد. فهلمَّ بنا نزيل ذاك التراب عن الباب ونفتح ذلك السرب حتّى نبلغ الى دودة الحشرة بحيث لا يبقى شيء مستترًا فالباب مفتوح والسرب مكشوف والدودة ظاهرة العيان. وها هي الامّ قد رجعت من صيدها فلعلّك تظنّ انّها تسير للحال الى صغيرها لتلقمهُ طعامهُ. كلّا ثمَّ كلّا بل تراها تبحث عن باب السرب وتنتقل يميناً وشمالاً الى الخلف والى الامام لتجد بابها الذي سدّتهُ هي بالتراب وتبقى ساعةً في الحيرة فلا تميز لا باب العش ولا سربها ولا صغيرها وكل ذلك مكشوف امامها. ولعلّ صغيرها يتضوّر جوعاً وهي لا تعرفهُ ولا تحسّ احشاءها الوالديّة بالخطر الذي يتهدّدهُ وانّما كل همها ان تجد الباب الذي سدّتهُ لأنَّ وجود الباب في مخيلتها كاوّل حلقة لسلسلة حاسّيات اخرى متواصلة بها وهي الباب ثمَّ السرب ثمَّ خليّة دودتها فاذا ذهبت الحلقة الاولى من تلك السلسلة انفرطت بقيّة الحلقات ايضاً. لم تجد الباب الذي سدّتهُ فلا تدخل في باب غيره ويذهب سدى كل ما جمعتهُ لصغيرها اذ تهجر العشّ والطعام والنسل ويموت ذاك النسل لانها لا تعرف الوصول اليهِ الّا من الباب المسدود منها. فمن يستطيع بعد هذا ان ينسب لانثى الحيوان ذرَّة من الحبّ نحو صغارها

وليست حشرة البمبكس وحدها الجارية على هذا النمط وانّما هذا كثير في الحيوان وقد اجرى المسيو فابر عدَّة امتحانات كهذه في دويبات مختلفة الاجناس

فكانت نتيجة ابحاثه كلها مؤيدة لحار الحيوان من شواعر الحبّ نحو نسله لا يجري الّا على مقتضى وهمه الذي لا يحيد عنهُ ذرّةً حتّى في ساعة الضرورة وحرج المقام وتفاقم الامور كهلاك الذراري وخراب العش وذلك رغماً عن قرب الوسائط وسهولتها. فلا شكّ انّ المسيو فابر مصيب حيث استنتج بعد ذلك ان بين الوهم في الحيوان والعقل في الانسان اقصى البون لانهُ لو كان في قلب الحشرة المذكورة اثر من الحبّ لطارت الى صغيرها لا تبالي بالباب والسرب كما تفعل ايّ ام كانت من البشر (١

هذا اذا اعتبرنا اناث الحيوان فما قولك الان بذكوره ؟ غنيٌّ عن البيان ان ذكور ذوي الاربع لا يعيرون بالًا مواليدهم فهي لهم غريبة وربّما اضحوا لها اعداء. ومثلها الطيور الاهليّة الداجنة التي لا يبالي ذكورها بافراخهم الّا الحمام الذي يسعى الذكر مع انثاهُ في اعداد العشّ لصغارها ويهتمّ كلاهما بطعامهم. وذكور الطيور البريّة تفضل بذلك كالحمام على الداجنة فهي ايضاً تمهد لنسلها مأواهم مع انثاها وتطلب لهم قوتهم لكنّها جميعاً الاناث والذكور على سواء اذا كبر صغارها لا تعود تختصهم بعنايتها ولا تعرفها كأنهم اضحوا غرباء في عينها.

ان اعتبرنا الحشرات لا نجد الّا اجناساً قليلة منها يُعنى ذكورها بحاجات صغارها. وفي معظم صنوفها لا يهتمّ بالصغار غير الاناث. وربّما تسلّطت الاناث على ازواجها بعد السفاد فالحقت بها الاذى. مثال ذلك الصرصور الذي يتلهّى به الاولاد في الحقول. فمنهُ ضروب تأوي الى جدران بيوتنا وتسمعنا صريرها في السهرات فكلٌّ يظن انها دمثة الاخلاق لينة العريكة ولكن لا تنخدع بظواهرها فانّ انثاها فظّة الطباع متوحّشة تأكل ذكورها

ومثلها في الفظاظة الفراشة المعروفة باسم منتيس (Mantis ou Prie- Dieu) فان ذكرها لا ينجو من مخالب انثاهُ المسنّة التي في طرف قوائمها وتكون خاتمة العرس مأدبة تأكل فيها الانثى لحم زوجها وكذلك انثى العناكب تأكل صغارها عند بلوغهم

وبين العناكب اجناس يناجز بعضها بعضاً القتال فالغالب يفترس المغلوب. واذا صادفت انثى العنكبوت انثى غيرها وكلتاهما تحمل صغارها فتجري للحال بينهما

(١ اطلب كتاب المسيو فابر المعنون Souvenirs entomologiques, 1re série, p. 272

حرب عوان ولا تقل انَّ هذه غيرة واقعة بين امَّين كما يجري بين الناس كلَّا فان العنكبوت الغالبة بعد قتلها لرصيفتها لا تلبث ان تحمل على ظهرها نسل تلك الرصيفة عاطفةً عليها . فليس اذن ثمَّت غيرةٌ بل نهم وشره فظيع .

والنتيجة انهُ لا يوجد مطلقاً في الحيوان الاعجم صغيراً كان او كبيراً اثر للحب سواء كان حبَّ الوالدَين لاولادهما او حبَّ اخ لاخيه او زوج لزوجها . وغاية ما نرى وهمٌ محض يسوق الحيوان على حسب جنسهِ الى اتخاذ الوسائط الكافلة لحفظ نوعهِ ونسلهِ ليس الَّا . ولسنا لننكر انَّ في تلك الاعمال الغريزيَّة سلسلةً تؤدي بها الى غاية مقرَّرة الَّا انَّ الحيوان يجهل تلك الغاية كما يلوح لكلِّ من يُعمل نظره في تلك الاعمال . امَّا واضع الغاية فهو ذلك العقل الاسمى الالهيّ الذي خصَّ الحيوان بتلك الاعمال وارشدهُ دون علمهِ الى غاية ثابتة . ومهما تشدَّق الماديُّون والزنادقة واخترعوا من المذاهب ليبينوا سبب هذه الاعمال وغايتها يضيق ذرعهم عن تعليلها بعلَّة مقبولة ما لم يقرّوا بوجود مسبِّب كلِّ الاسباب والمدبِّر لكل الكائنات كلًّا حسب طبقاتها في سلَّم الكون ووفقاً لغايتها الاخيرة وهو الله سبحانهُ وتعالى

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

ظهرت هذه المقالة أوَّلًا في جريدة البشير الغرَّاء فأعدنا فيها النظر وزدنا عليها بعض الفوائد وانجزنا ما بقي منها

لا تزال احوال بلاد العرب مضطربة تأتينا اخبارها ملتبسةً متناقضة فيحير العقل في ادراك شؤونها مع كثرة تقاسيم تلك الانحاء وتعدُّد امرائها الغالبين عليها او الطالبين فيها الحكم لنفوسهم استناداً الى حقوق راهنة او احتجاجاً بالاصلاح الديني . فرغب الينا بعض المستفيدين ان نكشف لهم القناع عن تلك الاحوال المبهمة فنروي لهم خلاصة اخبار هذه الاقطار ونعرّفهم بمراكزها السياسية واخصّ امرائها من سلاطين وسادة وشيوخ ممن تكوَّنت على صفحات الجرائد اسماؤهم واعمالهم في الزمن الحاضر كابن السعود والوهابيين وابن رشيد والامام يحيى

والادريسي والسلطان حسين . فلبينا دعوتهم بوضع هذه النبذة الاجمالية ليقف القراء على امور تلك الجهات القاصية إن جغرافياً وان تاريخياً

يطلق الاتراك واهل فارس على بلاد العرب اسم عَرَبستان ويدعوها اصحابها جزيرة العرب ويختصرون اسمها بالجزيرة . وليست هي بالواقع جزيرة بل شبه جزيرة تحيط بها البحار غرباً وشرقاً وجنوباً فيحدُّها غرباً بحر القلزم او البحر الاحمر وهو الخليج العربي على طول ٢,٢٠٠ كيلومتر من سويس الى مضيق باب المندوب وشرقاً خليج العجم وبحر عمان وجنوباً محيط الهند . وهي متصلة شمالاً بالشام وما بين النهرين وغرباً بافريقية لا يفصلها عنها غير ترعة سويس . وصورة الجزيرة تكاد تكون مربعة تبلغ مساحتها ١,١٠٠,٠٠٠ ميل مربع اي ما يزيد على ربع مساحة اوربة . وذلك تقريباً لعدم اتفاق الكتبة على تحديد تخومها الغربية والغربية الشمالية

تعريف بلاد العرب واقسامها

تقسم الجزيرة اليوم الى ستة اقسام وهي الحجاز ثمَّ اليمن على سيف البحر الاحمر ثمَّ حضرَمَوت عند خليج عدن ثمَّ عُمان بجوار خليج عمان ثمَّ الأحساء على شاطئ خليج فارس ثمَّ نجد في وسط الجزيرة . وقد زاد بعض الكتبة على هذه الاقسام بلاداً اخرى كالبحرين وكُوَيت على خليج العجم وكالشِحر ومَهرة بين حضرَمَوت وعمان وكاليمامة بين الحجاز ونجد وكتَمَّر والنُّفود او الدَّهناء شمالي نجد . وانما الحقها غيرهم بالاقسام الستة السابقة . ولم يكن من هذه الاقسام قبل الحرب الدولة العثمانية سوى الحجاز واليمن اما بقية الاقسام فكانت سيادتها عليها اسميَّة فقط بل لم يصفُ لها الحكم حتى على اليمن والحجاز وطالما نازعتها السيادة فيهما قبائلُ العرب فصرفت في كبح جماحها الاموال الطائلة وضجّت الوفاً مؤلفة من جنودها في بلاد كانوا يدعونها مقابر الاتراك

وصف اجمالي لاقسام الجزيرة الستة

١ الحجاز هو سلسلة جبلية قائمة بين اسافل البلاد المتاخمة للخليج العربي المعروفة بتهامة الحجاز وبين الجهات العليا المدعوة بنجد . تمتدّ من أَيلة على خليج العقبة الى تخوم اليمن . اخصّ مدنها الحاضرتان المدعوتان بالحرمين

الشريفين اعني مكة والمدينة . فمكة موقعها في بطحاء او وادٍ بين جبال وهي قبلة الاسلام يحجون في كل عام الى كعبتها . وعدد سكانها من ٢٥ الى ٣٠ الفاً . امّا المدينة فهي يثرب القديمة هاجر اليها نبيّ المسلمين وفيها كانت وفاتهُ وهناك قبره وقبر خلفائهِ الاولين وهم ابو بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان . عدد نفوسها ٢٠،٠٠٠ . ومن مدن الحجاز الطائف على مسافة يوم من مكة جنوبها في جبال غزوان يقصدها اهل مكة للاصطياف لطيب هوائها وكثرة اشجارها وثمارها ووفرة مياهها وليس بعيداً عنهُ «قرن المنازل» حيث يتجرّد الحجّاج عن ثيابهم فيكتسون بالإحرام . وبقرب قرن المنازل سوق عُكاظ الشهير . ثم جُدّة (ويُقال جِدّة) وهي ثغر الحجاز وفُرضة مكة على ساحل البحر الاحمر . فيها من النفوس نحو ٣٠،٠٠٠ . وعلى ذاك الساحل بلدتان يَنبُع ولَيث ترسو عندهما السفن وهما كفرضتَي المدينة

٢ اليمن موقع هذه الولاية جنوبي غربي جزيرة العرب . وهي قسمان قسم ساحلي على سيف الخليج العربي يُدعى بتهامة اليمن يتركب من أقحاف وكثبان رمليّة قاحلة . وقسم جبلي ذو تقاطيع وانجاد مختلفة يدعى نجد اليمن فيه مشارف نجران شمالاً ومشارف مأرب شرقاً ومشارف صنعاء في وسط اليمن ومشارف تَعِزّ جنوباً ويبلغ بعض هذه الجبال علواً نحو ثلاثة آلاف متر بينها الاودية العميقة الجيدة التربة الجارية فيها المياه . ويلحق باليمن شمالاً عَسير التي فصلها الاتراك عن اليمن وجعلوها سنة ١٨٧١ سنجقاً منفرداً . وهي جنوبي نجد فيها قبائل كثيرة . ولا ذكر لعسير في كتب العرب والامم حديث

واليمن في جهاتهِ العليا بلاد مخصبة كثيرة الخير وافرة الاشجار طيبة الثمار مركزها صنعاء من اقدم مدن جزيرة العرب وهي طيبة الهواء كثيرة المزارع والمياه ينيف عدد سكانها على ٤٠،٠٠٠ نسمة

وفي جنوبها مدينة مأرب البائدة التي اشتهرت بسدّها الخازن لمياه جبالها التي افاض العرب في ذكر انفجارها وتدميرها عدة بلاد وهي الواقعة المعروفة بسيل العرم . وعن جنوبها مدينة ظفار العاديّة التي كانت عاصمة اليمن في القرون الغابرة على عهد بني حِمْيَر . وغربيّ صنعاء مدينة زبيد وهي مدينة عامرة رائجة الاسواق اشتهرت

بولاتها ومدرستها الفقهية لها فرضة على ساحل البحر تدعى بمَلاقِقة . وعلى ذلك الساحل مُخا الشهيرة ببنّها الذي يطلبهُ التجار من كل الاقطار . ومن مدن اليمن الشهيرة تَعِزّ التي اتخذتها الدولة المعروفة بالرَّسولية كحاضرتها وفيها كان قديماً مقام ملوك اليمن . ثم نَجران من اشهر مدن اليمن ذكر القرآن شهداءها النصارى . ومن الفُرَض اليمنيَّة على ساحل البحر الاحمر مدينة الحُدَيْدة الواسعة التجارة . ومنها مدينة عدَن على ساحل بحر الهند وهي معقل الانكليز وحصنهم الحصين القائم في وجه كل عدوٍّ يناوئ املاكهم في الهند ومنها يراقبون الخليج العربي وترعة سويس . ولعدن مرسى واسع امين للسفن التي تربط فيه ذهاباً واياباً من بلاد الغرب الى الشرق الاقصى

٣ حضرَمَوْت وهي البلاد الواقعة بين اليمن وعُمان وبين الدَّهناء والبحر على طول يتراوح بين ١٣٠٠ الى ١٤٠٠ كيلو متر وفي جهتها الغربية جبال عالية كاليمن . وفي وسط حضرموت وادٍ رحب بعيد الغور كثير التشعُّبات يمتدّ من الغرب الى الشرق يدعونهُ وادي القَصر فيه يسكن اهل تلك البلاد المعروفون بفظاظة الطباع وشراسة الاخلاق . وفي هذا الوادي نهر زاخر المياه يسيل الى البحر يدعى نهر سيحوت على ضفافهِ مدينتا حضرموت الكبيرتان شَبام وتَريم . وفرضة حضرموت المكلّا على محيط الهند ولها ايضاً على خليج عُمان مرفأ قَصير ويُرُوم . وشمال حضرَمَوْت الرمال الشهيرة بصحراء الاَحقاف . ومن حسن صفات اهلها نشاطهم وحرصهم على الشغل وكثيراً ما يهاجرون الى مصر وانحاء الهند فيزاولون الصنائع ويتعاطون الاعمال المختلفة

وفي شمالي شرقي حضرَمَوْت على مقربة من بحر عمان بلاد مَهْرة والشِحْر وفيها شجر اللُّبان . واهلها يشبهون اهل حضرموت في هيئتهم وطباعهم ولغتهم المعروفة بالحَكِيلي واكثر طعامهم من صيد السمك والرُّطَب والاليان . وفرضتهم مَرْبَط فيها مرفأ حسن للسفن كانت سابقاً فرضة ظَفار قاعدة اليمن القديمة

٤ عُمان هي اقصى بلاد العرب شرقاً . تمتدّ من فرضة مَرْبط الى بلاد البحرين موقعها على خليج يُنسب اليها . وهذا الخليج يصلح لرسوّ السفن وهو كثير السمك وقد اشتهر اهلها بالملاحة وخوض البحار . وبلاد عمان جبلية ذات

حجارة بركانيّة . وكانت قاعدة ذاك القطر سابقاً مدينة قَلْهات ومركزها اليوم مَسْقط التي فيها يقيم سلطان البلاد وهي مدينة واسعة التجارة في وسط صخور عمودية سوداء بركانية . ويشتد فيها الحرّ في فصل القيظ حتى لا يكاد يُحتمل فيلتجئ اهلها الى الجبل المجاور المعروف بالجبل الاخضر البالغ ارتفاعهُ ٣٠٠٠ متر فيروحون النفس هناك وخصوصاً في بلدتين تدعوان بالرُّستاق ونَزْوَة . ومن هذا الجبل تسيل مياه غزيرة تسقي بقاعاً هناك تتخصبها خصباً عجيباً . وفي عمان واحات عديدة تُزرع فيها البذور والبقول والاشجار المثمرة ولا سيما النخل وينمو فيها قصب السكر . وفي شمالي مَسْقط مدينة صُحار احدى حواضر عمان على سيف البحر ثمَّ مدينة دَبا عند رأس مُزَنْدم . والصنائع رائجة في صُحار وشُرْجة فيهما مناسج للصوف والقطن ومعامل للحرير والطنافس ويحسنون شغل الاسلحة . واهل عمان حسان الوجوه ذوو ذكاء وإقدام يزاولون الفلاحة والتجارة ويرتزقون بالصيد

٥ الأحساء موقعها ما بين عمان والعراق على شواطئ خليج العجم تبلغ مساحتها ٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع . اشتهرت سابقاً عاصمتها هَجَر . وقد قسمها الاتراك الى ثلاثة أقضية وهي الحساء او الحفوف ثمَّ قطَر ثمَّ القطيف . والأحساء غنية بالنخيل وعلى سواحلها عند قطَر والقطيف وفي جزائر البحرين التي بازائها مغاوصُ اللؤلؤ الشهيرة . وفرضة الاحساء العُقَير . واهلها مدنيّون على الملاحة وربما دُعيت سواحل الاحساء بالخُطّ واليها تُنسب الرماح الخطّيّة . ويلاحق بالأحساء بلد الكُوَيت او القُرَيْن موقعهُ جنوباً من مدخل جُون هناك . وهو بلد عامر واسع المتجر تربط عنده السفن وتقصده قبائل شمَّر . ويحكم في الكويت شيخ مستقل في تدبيره . والى جنوب الاحساء وجنوبها الغربي بلاد اليمامة تدعى باسم قاعدتها وهي مدينة حسنة ذات مياه ونخيل وبقربها وادٍ يُقال لهُ الخُرْج فيه عدَّة قرى كثيرة الغلات . وفي غربي الكويت مدينة قاطمة على طريق الراحلين من البصرة الى اليمامة

٦ نجد هو القسم الداخلي من جزيرة العرب يتوسَّط بين الاقسام الخمسة الموصوفة آنفاً . والنجد في اللغة ما ارتفع من الارض دُعي بذلك لارتفاعهِ فوق بلاد العرب وهو يتركَّب من سهول عالية تحدُّها صحاري رمليَّة متسعة كصحراء الدَّهناء أو النفود من اطراف الحجاز الى اطراف خليج فارس .

وفي تلك السهول العليا ربى وآكام وتلال يبلغ علوُ بعضها نحو ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر

وارضُ نجد تُعَدُّ من اطيب بلاد العرب لصفاء جوّها وجودة هوائها . على ان قسماً كبيراً منها صحارى قاحلة وسباسب جرداء لقلّة ما تُجاد به من الامطار

وتُقسم نجد الى ثلاثة اقسام وهي الجبل او جبل شَمَّر والقَصيم والعارض . فبلاد الجبل قصبتها حائل مدينة ابن رشيد يكتنفها شرقاً وغرباً جبلا طي . الشهيران أجا وسلمى حيث يُرى قبر حاتم الطائي الذي يضرب العرب بكرمه المثل . وبين الجبلين طريق الحاج الذاهب من الكوفة الى مكة . وحائل تشتمل على نحو ثلاثة آلاف بيت ودورها مبنية بالطين الممزوج بالرمل والكلس وهي وثيقة البنيان مُحصَّنة بسور عالٍ . وبلاد الجبل كثيرة البساتين يسقونها من آبار يحفرونها وهي تُثمر انواع الفواكه الطيبة . ويزرعون من الحبوب الحنطة والشعير والذُرة والدُخن . ومن قرى بلاد الجبل العامرة سَبعان وفَيد والكبيفة

وموقع بلاد القَصيم شرقيّ بلاد الجبل تتّصل بها قصبتها مدينة بُرَيدة تشتمل على زهاء ١٥٠٠ دار مبنية كحائل بالطين . ويكتنفها سُور علوُهُ ثلاثة امتار يحميه عدّة بروج للدفاع عن المدينة . وحول المدينة رمال يسكنها الثُفود متسعة النطاق يتخللها وديان ذات مزارع حسنة . وجنوبي بُرَيدة بميلة منها الى الشرق مدينة عُنَيزة تبعد عنها مسافة سبع ساعات يفصل بينهما وادٍ يدعى بوادي حَنيفة . ودور عُنَيزة ينيف عددها على الفي دار وهي مبنية كدور حائل وبُريدة لكنها ذات طبقات عديدة فمنها ما يبلغ اربع او خمس طبقات ولها كبريدة سُور علوُهُ اربعة امتار . ويُلحقون بالقَصيم ثلاثة بلدان موقعها عن جنوبها الشرقي وهي بلاد الوَشم قصبتها شقراء وبلاد السَدير قصبتها المجمعة وبلاد المُحَمل قصبتها ثادق . ولكل من هذه البلاد عدة قرى تابعة لها

اما بلاد العارض فموقعها جنوبي شرقي بلاد القصيم وراء بلاد الوشم وكانت قصبتها سابقاً الدِرْعيَّة . فلما خربها ابرهيم باشا عندما حارب الوهابيين صارت مدينة رياض مركز امارة الوهابيّين ينشرون منها لواء حكمهم على كافة نواحي نجد حاضرتها وباديتها . وبين الوشم والعارض غربي رياض جبل يُدعى طُوَيق يمتد من

الشمال الى الجنوب ومن بلاد العارض في جنوبه بلدة الخرج القديمة فيها عيون جارية اشتهرت فيها عشيرة بني عائد وقد كادت اليوم تفنى . ومن بلاد العارض وادي الفرع وهو عامر يكثر فيه الخيل ومعظم اهله من بني تميم . ومنها ايضاً وادي الدواسر بعض اهله بادية وبعضهم حاضرة

وفي نجد اودية اخرى واسعة الفناء كوادي حنيفة ووادي القصيم المدعو وادي الرمة . وفيه عقبات صعبة المسالك . والدهناء هي الصحارى الرملية الحاجزة دونه

وفي نجد عشائر من العرب كثيرة العدد عظيمة الشأن اخصها عشيرة مطير وعشيرة العجمان وآل مرة وعتيبة بفرقتيها دومة وبرقاء ثم عشائر قحطان وسبيع والسهول وكلها تنقسم الى قبائل متعددة يعد اهلها من اصحاب الشجاعة والقوة والاقدام والحنكة في فنون القتال والغزوات

٧ طورسينا ومن بلاد العرب جبل طورسينا الشهير في الاسفار المقدسة في تاريخ بني اسرائيل وهو مثلث عظيم واقع بين خليجين خليج سويس وخليج عقبة الداخل في باطن جزيرة العرب . وهو شبه جزيرة يسكنهُ نحو عشرة الاف نفس . ويدعى رأس المثلث الداخل هناك في البحر الاحمر رأس محمد . وكثيراً ما يقصد الزوار ولاسيما السياح الاوربيون طورسينا رغبةً في مشاهد آثاره التاريخية حيث تجلّى الله لموسى واديرته القديمة

الدين في جزيرة العرب

هو الاسلام كما لا يخفى لكن اذا استثنيتَ بعض بلاد الحضر وجدتهُ سطحياً لا يعرف منهُ العرب وخصوصاً اهل الوبر الّا النزر القليل وليس عندهم مدارس يتلقن فيها صغارهم اصول الدين وقلّما يذهب اليهم فقهاء ومعلمون يرشدونهم الى ممارسة فرائضه . والعارفون بالدين ينتمون غالباً الى اهل السنّة وقسم منهم متشيعون . ولقلّة معرفة اهل جزيرة العرب بمبادئ الدين قد كثرت بينهم البدع وتعدّد الخوارج وذلك منذ ظهور الاسلام كما هو معلوم من امر مُسَيلمة الكذّاب والاسود العَنسي وسَجاح النبية . وربما قام الدُعاة فدعوا الناس الى نفوسهم واثاروا الفتن بحجّة الدين وتاريخ

المهديين شاهد على قولنا لا تزال فتنهم منذ نحو قرن ونصف تقلق الجزيرة حتى ايامنا كما سترى

وقد قرأنا آخراً في عدد وردنا من مجلة المنار الاسلامية نبذةً تؤيد قولنا في دين الاعراب قال (ص ٢٢٧):

«يعلم الملايين من البشر بعضهم بالمشاهدة والاختبار وبعضهم بالآيات الثابتة بالتواتر أن الاعراب (البدو) في الحجاز وغير الحجاز قد عادوا الى شرّ مما كانوا عليه في الجاهلية من الغزو والسلب والنهب والقتل حتى للحجّاج المُحرمين في أرض الحرم والاشهر الحرم وانهم يستحلّون ذلك ويسمونه كسباً ، وان لهم شرائع وأحكاماً عرفية مخالفة الشرع لا يرضون الحكم بدونها . وان اكثرهم لا يصلّون ولا يصومون ومن يحجّ منهم لا يلتزم أحكام الشرع في الحجّ ولا يعرفها ولا يمنعهُ الإحرام بالحج عن القتل والسلب والنهب ان قدر عليه . ولا شك في أن من كان كذلك فهو ليس بمسلم ولا ذي دين . هذا ما هو مشهور عنهم»

الدول الاجنبية والوطنية في جزيرة العرب

ان موقع جزيرة العرب في منطقة بعيدة عن مسالك الامم الفاتحة جعلها في مأمن من فتك الفاتحين وظلمهم . وقد حصّنتها الطبيعة بالحجار الكبيرة ثم طوّقتها بالجبال الشاهقة والرمال القاحلة التي من شأنها ان تكبح مطامع ذوي الجشع المفرط الذين يطمحون اليها بالنظر ليستعبدوها . ولمّا ساعدتهم الاقدار على قهرها لم تلبث مساعيهم ان تذهب ادراج الرياح

ولا حاجة ان نذكر هنا الدول القديمة من بابليين ومصريين ويونان ورومان الذين أيسوا بعد الامتحان من مدّ سيطرتهم على تلك الانحاء فانّ لنا عبرة في من كانوا اقرب الى العرب وكادت تجمع بينهم وشيجةُ رحم . كبني اميّة وبني عبّاس ودول الايوبيين والفاطميين . فانهم لم ينالوا من اهل الجزيرة غير الفوز المؤقّت الذي لا يُعبأ به وكان جلُّ مبتغاهم ان تكون الحجاز في حوزتهم لوقوع الحرمين فيها اي مكة والمدينة وجاء ان تثبت لهم بملكها حقوق الخلافة دون سواهم فيخطب باسمهم شريف مكة في الصلاة الجامعة . اما بقية بلاد العرب فلم تزل محافظة على

استقلالها يحكم فيها امراؤها وملوكها كما يشاءون ونعلم من اخبارهم النزر القليل

وقد جرى لبني عثمان ما جرى للدول السابقة يوم مدُّوا الاعناق الى جزيرة العرب ليدخلوها في حيز ممالكهم . وكان اول من فكر منهم في ذلك السلطان الغازي سليم خان الاول فانه بعد فتحه لبلاد الشام ومصر وقتله لآخر الملوك الجراكسة طومان باي أسرَ في القاهرة الخليفة المتوكل على الله من ذريَّة خلفاء بني العباس اذ كان اجداده بعد فتح المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) قدموا هاربين الى مصر وتناسلوا فيها وكان آخرهم المتوكل هذا . فاستلم منهُ السلطان سليم علائم الخلافة المعروفة بالآثار النبوية وهي اللواء والسيف والبُردة مع مفاتيح الحرمين ثم اخذه معهُ الى القسطنطينية

وفي اثناء ذلك قدم عليهِ شريف مكة ووالياها المدعو بركات الحسني ومعهُ ولده الشريف ابو نمي محمَّد فدخلا على السلطان واخبراه انهُ خُطب له بالحرمين فشكر لهما وامر بان يُعطى لمكة والمدينة في كل سنة قسم من خراج مصر وبذلك امكن الدولة العثمانية ان تضع الحجاز تحت حوزتها وان كانت سلطتها اسميَّة فيها اكثر منها فعليَّة

وحاول سلاطين بني عثمان التملك على اليمن ايضاً فنالوا منهُ سواحلهُ دون جهاته الداخلية وذلك في ايام السلطان سليمان خان الاول المعروف بالقانوني فانه امر واليهُ على مصر الخصيَّ سليمان باشا بتعمير اسطول يرسله الى الهند لمحاربة الدولة البرتغالية . فقام سليمان باوامر سيّده وسار الاسطول الى عدن ففتحها عنوة ثم امخر الى الهند واذ لم يقوَ على دحض البرتغاليين قفل راجعاً الى اليمن فاستولى على سواحلها سنة ١٥٣٨ . لكن البرتغاليين احتلُّوا عدن بعد سنتين فبقيت تحت حكمهم الى ان انتزعها من يدهم بيري باشا ثم عينت الدولة حسن باشا كوالٍ على اليمن فجعل بلادها ضمن الممالك العثمانية سنة ١٥٩٩ وبقيت في حوزة الاتراك الى السنة ١٦٣٠ وانما كان حكمهم عليها في الغالب صورة لا حقيقة وحيث اختبروا ما يقتضيه حفظها في ملكهم من العناء والتكاليف الباهظة آثروا تخليتها وسحبوا منها جيوشهم فصار فيها الحكم الى أسرة احد شرفاء مكة تُعرف بأسرة ابي بركات فأُطلق عليهم اسم ائمة اليمن وملكوها الى ايام الوهابيين في اوائل القرن التاسع عشر كما سترى

ولم تملك الدولة العثمانية في جزيرة العرب غير ما ذكرنا مع كون السلاطين ينعتون نفوسهم في مناشيرهم بسلطان «مكة والمدينة واليمن وجميع ديار العرب» وهو مُدَّعى باطل لا سند لهُ

وكانت بقية بلاد العرب في تلك العصور تحت إمرة عدَّة سلاطين وامراء وشيوخ يحكم كل منهم على قسم من الجزيرة وربما وقعت بينهم ضغائن ومشاجرات وحروب لا تنتهي الا بعد سفك الدماء وتضحية الارواح والاموال دون جدوى

الحركة الوهابية

اصل الوهابيين بين البلاد العربية التي كان طبَّق عليها الجهل واصبح اهلها في حالة اشبه بحالة الهمج اواسطُ الجزيرة المدعوَّة بنجد وذلك لانقطاع قبائلها عن سائر الامصار المتمصِّرة والاقطار المتمدنة. وكان الدين بينهم في انحطاط حتى اضحى اسماً فارغاً لا يعرفون منهُ جلا ولا قلا . وبقوا على ذلك رَدْحاً من الزمان حتى قام بينهم رجل ذو شكيمة ومراس حاول ان ينفخ في مواطنيه روحاً جديدة اقتبسها من اصول الدين الاسلامي مجرَّداً كما زعم عمَّا نسبوهُ اليهِ من النوافل والبدع

واسم المذكور محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان من اعيان قبيلة بني تميم . ولد في نجد في قرية العُيَيْنة سنة ١١١٦ هـ (١٧٠٤م) . واليهِ تعزى الشيعة الوهابية نسبةً الى والده عبد الوهَّاب . ولمَّا نشأ محمد ولم يجد في وطنهِ مدارس يتفقه فيها ويروي غليلهُ عند علمائها رحل الى العجم والعراق ودرس على علماء اصفهان والبصرة وبغداد ثم جاء الى مكة فاخذ عن علمائها اولاً مذهب ابي حنيفة ثم جنح الى المذهب الحنبلي فأدى به الى ان يبتدع مذهباً خصوصياً اراد ان ينشره في وطنهِ فعاد الى نجد السنة ١٧٥٩ واخذ يدعو قومهُ الى آرائهِ الدينية

خلاصة مذهبهم ينحصر مذهب الوهابيين في الاقرار بوحدانية الله واتباع سنتهِ من طهارة وصلاة وزكاة وصوم كبقية المسلمين. وهو يختلف عنهم في ما سوى ذلك فينفي كل دعاء الى غيره تعالى ويضرب الصفح عن ذكر نبيّ الاسلام في الشهادتين ويحظر على الناس اكرامهُ واكرام الاولياء فيعدُّ الاستشفاعَ بهم شركاً وينهى عن زيارة قبورهم وعن تشييد القبب والمشاهد فوقها وعن تزيين الجوامع والمساجد .

وكان يصدّ تبعتهُ عن لبس الثياب الحريرية والتحلّي بالجواهر والحُلى الثمينة ويمنع عن شرب القهوة والتبغ فضلاً عن المسكرات . وكان يتشدّد على كل من يتسامح بشيء منهـا فيعدّهم من المبتدعين لاسيما الاتراك فكان الوهابيون يعتبرونهم كالخوارج في الدين

محمد بن عبد الوهاب وبنو السعود

لمّا باشر محمد بن عبد الوهاب بنشر دعوته في العُيَينة وجوارها لم يجد ما أملهُ لمذهبه من الرواج اللّهمَّ الّا افراداً من ذويه وما كان اهل البادية عموماً ليصغوا الى تعاليمهِ المنافية لحريّتهم ويمارسوا سنناً لم يألفوها كاقـامة الصلوات الخمس والصوم والزكاة فلم يُعيروه اذناً صاغية . وقد زادهم استنكافاً من الداعي اليها منعهُ اياهم من شرب التبغ والقهوة . امّا اعداؤه شريف مكة وشيوخ الحجـاز وعمّال الدولة التركية فانهم نسبوه الى الكفر لنبذهِ كثيراً من العادات الجارية في الاسلام التي أجمع على استحسانها ائمّة اهل السنّة لا سيما اكرام الانبياء والاستغاثة بالاولياء وفي مقدّمتهم نبي المسلمين فتصدّوا لهُ وعارضوه بما امكنهم

فلما رأى ابن عبد الوهّاب ما قام في وجههِ من العوائق لبارغ غايتهِ في ما نواه من اصلاح الاسلام عرف انهُ لن يفوز بالمرام الّا بامتشاق الحسام ومراعاة اخلاق العربان القريبة من الحالة الهمجيّة بالحضّ على شنّ الغـارات وتهييج المطامع في اغتنام الغنائم واستلاب الاموال . فبحث عن عصبة قويّة قادرة على استعمال السيف في مقابلة الاضداد يحكم عليها رجل ذو بأس يستند اليه في نشر معتقده ويمهّـد لهُ السبيل في نوال مرغوبهِ

كانت بلاد نجد في اواسط القرن الثامن عشر في حالة قريبة من الفوضى اذ كان يحكم على اعمالها عدّة شيوخ وامراء يقضون زمانهم في عراك وقتال طمعاً في السيادة وتدبير الامور في القبائل . فاجتمع اولاً محمّد بن عبد الوهـاب بصاحب وطنهِ العُيَينة عثمان بن مَعْمَر فدعاه الى معتقدهِ فلم يُصغِ الى قولهِ . فارتاد لهُ اذ ذاك سيداً غيره يعضده في مشروعه فوجد ضالّتهُ في امير الدرعيّة محمد بن سعود

بنو السعود أسرة قديمة كريمة المحتد شريفة النسب يزعم اصحابها ان اصلهم يرقى

الى عَدْنان ابي العرب . وممن اشتهر من اجدادهم الشيخ مانع الذي وضع اساس الدرعية عاصمة نجد في اواسط القرن الخامس عشر . ومن ذريته الشيخ سعود بن محمد بن مقرن الذي اليه ينتسب آل سعود . توفي سنة ١٧٢٤ بعد ان رفع مقام امارة الدرعيَّة واعلى منارها (لهُ بقيَّة)

كتاب الكتَّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي

المقدمة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة الثمينة كتاب نفيس متقن التجليد مكتوب بخطٍّ بديع على ورق صقيل ضارب الى الصفرة محلىً على هوامشهِ بنقوش ملوَّنة وأُطر ذهبيَّة مصنوعة . وليس المخطوط قديم العهد قد نسخهُ بيدهِ احد ادباء الشهباء المرحوم رزق الله حسُّون سنة ١٨٧٥ اذ كان في لندن في قرية ووندزُر (Windsor)

امَّا الكتاب فأثر خطير لاحد مشاهير اللغويين وهو ابن دُرُسْتُوَيه الذي ازهر في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع بعد الهجرة اي التاسع والعاشر للمسيح . وهو كتاب فريد في جنسهِ لم يصرِّح الناسخ عن النسخة الاصليَّة التي نقلها عنها وقد عنونهُ في نسختنا « بكتاب الكُتَّاب التمَّ تصنيف الشيخ الامام ابي محمَّد عبدالله ابن جعفر بن درستويه النحوي رحمهُ الله »

وقد تحقَّقنا ان هذا الكتاب منسوخ عن النسخة الوحيدة المعروفة الى يومنا في خزانة الكتب الشرقيَّة المصونة في اكسفرد وقد وصفها وصفاً واسعاً المستشرق اسكندر نيكول (Alex. Nicoll) في القسم الثاني من مخطوطات اكسفرد العربيَّة . تحت العدد ٣٥٤ — (Catalogi Codicum Manuscriptorum Bibliothecæ Bodleianæ, II, n°, CCCLIV p. 347-349) وعنوانهُ هناك في صدرهِ « كتاب الكُتَّاب » وفي آخرهِ دعاهُ بكتاب الالفاظ للكتَّاب (١ وقد اضاف رزق الله

١) قال الحاج خليفة في كشف الظنون : «قيل في اسم كتاب الكتَّاب انَّ الثاني مخفَّف (اي كتابُ الكِتَّاب) بمعنى كتاب الكتابة وفي رواية مشدَّدٌ بمعنى كتاب المكتِّب وهو الانسب بحسب المعنى . كذا في ترجمة الموضوعات» . هذا ما قالهُ الحاج خليفة ولعلَّ الكتَّاب هنا جمع كاتب اي كتاب الكتبة ودليلهم

حسُون الى هذا العنوان لفظة «المتمّ» ولعلّهُ اشتقّها من مقدّمة المؤلف حيث يقول انهُ كان صنّف سابقاً هـذا الكتاب موجزاً ثمّ عاد فكمّلهُ في هذه النسخة الجديدة . ولعلّهُ ايضاً وجد في كتاب الفهرست لابن النديم كتاباً لهُ يُدعى بالمتمّم (ص٦٣) فارتأى وليس رأيهُ بعيداً انهُ هو كتاب الكتّاب وقد ورد الاسم في كشف الظنون (٥ : ١٣٩) كما رواهُ رزق الله «كتاب الكتّاب المتمّ»

ونسخة اوكسفر التي تفقّدناها سنة ١٨٩١ قديمة تاريخها شهر شوّال من سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) وهي غاية في الاتقان مضبوط اكثرها بالشكل وهي في اثني عشر باباً ومئة وثلاثة عشر فصلاً اثبتها المؤلف في اوّل كتابهِ بعد المقدّمة

مؤلف الكتاب

امّا مؤلف هذا الكتاب البديع فقد ورد ذكرهُ في عدّة تآليف اخصّها كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٦٣) وكتاب نزهة الالبّاء في طبقات الادباء لابي البركات عبد الرحمان الانباريّ (ص ٣٥٦–٣٥٨) وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان (ص ٣٥٣) وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة السيوطي (ص ٢٧٩ – ٢٨٠)

هو ابو محمّد عبد الله بن جعفر بن محمدّ درستويه بن المرزبان الفارسيّ الفسويّ النحويّ . ودرستويه اسم فارسيّ معناهُ الكامل ضبطوهُ بضمّ الأوّلين والتاء وسكون السين والواو والهاء وفتح الياء (دُرُسْتُوَيْه) وضبطه البعض بفتح الاوّلين والتاء (دَرَسْتَوَيْه) . والفسوي منسوب الى مدينة فسا بفارس على اربع مراحل من شيراز . كان مولدهُ على ما هو أخبر سنة ٢٥٨ (٨٧١ م) وتوفي ببغداد في تسع بقين من صفر وقيل لستّ بقين منهُ سنة ٣٤٦ (٩٥٧ م) وقالوا في وصفهِ انهُ كان عالماً فاضلاً واحد النحاة المشهورين والأدباء المذكورين اخذ فنّ الادب عن ابن قتيبة وعن ابي العبّاس المبرّد وعن ثعلب واخذ عنهُ عُبَيد الله المرزبانيّ والدار قطنيّ وكان ابوهُ جعفر من كبار المحدّثين وأقام ابن دُرُسْتُويه في بغداد الى حين وفاتهِ . قال ابن النديم : «وكان مفنّناً في علوم كثيرة من علوم البصريّين ويتعصّب لهم عصبيّةً شديدة ولهُ ردّ على المفضّل بن سلَمة ونَقْضٌ كتاب العين . ثمّ ذكر لهُ عدّة تآليف اوّلها كتاب المتمّم (ولعلّهُ هو كتابنا كما سبق) ثمّ كتاب الارشاد في

النحو وكتاب شرح الفصيح وكتاب ادب الكاتب وكتاب المذكر والمؤنث والمقصور والممدود وكتاب الهجاء وهو من احسنها وكتاب غريب الحديث ومعاني الشعر والحيّ والميت وكتاب خبر قسّ بن ساعدة وكتاب اخبار النحويين وكتاب الردّ على من نقل كتاب العين عن الخليل وغيرها ايضاً . وكفى باسمائها دلالة على سعة علمه . ولم يبق من هذه المصنفات كلها سوى الكتاب الذي قصدنا نشره . وهو في الاصل ٨٧ صحيفة وفي نسختنا ١١٣ نشير اليها بالعدد الفرنجي

كتاب الكتّاب

تصنيف ابي محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُستُويه ابن المرزبان الفارسي

بسم الله الرحمان الرحيم

(1r) هذا كتاب كنّا ألّفناهُ في خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله(١ تأليفاً مختصراً تنقص ابوابهُ وتقصر فصولهُ عمّا أحدثهُ لنا الرأي من ايضاح خفيّه ، وإيماض جليّه ، والانتقال عن واهي قول الى قويّه ، وبثثناهُ بالعراق وغيره ثم تعقّبناهُ بما وصفنا ، وغيّرنا منهُ بعض ما ألّفنا ، فمَن جمعهما وتأمّل الاختلاف منهما فليعلم سبب تصنيفهما والغرض في تأليفهما ليعذر على الخلاف فيهما ويأمن انتحال مدّعيهما . وهو كتاب الكتّاب الجاري بين الخاصّة والعامّة في كتب علومهم وآدابهم ومراسلاتهم الذي لا يستغني متأدّب عن معرفته (2r) ولا يليق بذي مروءة جهلهُ وفيه اختلاف بين العلماء فمنهم المقتفي خطّ المصحف والمكتفي بما نشأ عليه إن مصيباً وان مخطئاً وقد ألّف كلُّ امرئ منهم في ذلك كتاباً على رأيه فاخترنا من مذاهبهم جيّدَ ما وافق النظر واوجبهُ قياس النحو وبيّنّا فيه مواقع الزلل من غير ان نتعرّض الى عالمٍ زلّتهُ او ننعي عليه عثرتهُ . وسمّيناهُ «كتاب الكتّاب» اذ كان قصدنا فيه لما يُكتب من تهجٍ وقراءة دون غيره ولأنّ الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب ايضاً وانّ الخطّ يكون تصويراً ونقشاً ولم ننسبهُ الى الكتابة لانها صناعة الكاتب وهي تجمع

١) تقلّد المعتصم الخلافة من السنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) الى ٢٢٧هـ (٨٤٢م)

اسباباً غير الكتابة . ووجدنا كتاب الله جلّ ذكرهُ لا يقاس هجاؤهُ ولا يخالف خطّهُ ولكنّه يُتلقّى بالقبول على ما أُودع المصحف . ورأينا العَروض انّما هو احصاء ما لُفظ بهِ من ساكن ومتحرّك ليس يلحقهُ غلط ولا فيهِ اختلاف بيّن فلم نعرّض لذكرهما في كتابنا هذا

اعلم ان الكتّاب ربّما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها ويحذفون منها ما هو فيها ويثبتون فيها ما ليس منها ويُبدلون الحرف ويَصلون الكلمة بأُخرى لا تتّصل بها ويفصلون بين امثالها ويخترلون عامّة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها ولا يَنقُطون ولا يشكُلون الّا ما التبس (٢٧) ويحاولون بكلّ ذلك ضرباً من القياس يُذكر في موضعهِ ان شاء الله

ويشتمل على جميع وجوه ذلك سليمهِ وسقيمهِ اثنا عشر باباً ينقسم كلّ باب منها فصولاً بيّنةً فضلاً عن ما أُلحق بها وليس منها

وقد شرحنا كلّ بابٍ منهُ على انفراده ونشرنا كل فصل على حياله واصحبنا ذلك من البيان ما تيسّر ومن الايجاز ما امكن وبدأنا بذكر ترجمة كلّ باب وفصل منهُ ليقف مَن نظر في اوّلهِ على الغرض من آخرهِ ويعلم من اراد فيهِ شيئاً اين يجدهُ وفي ايّهِ يلتمسهُ فيقرب عليهِ المأخذ ويتسهّل لهُ المطلب والله الموفّق الصواب

وهذه ترجمة الابواب على مراتبها وذكر فصولها في منازلها

الباب الاول وهو باب الهمز : خمسة عشر فصلاً

منها : ١ شروط الهمزة ومعرفة لفظها وكتابها . ٢ الهمزة المبتدأة الواقعة اوّلاً . ٣ المبتدأة بعد همزة من كلمة اخرى . ٤ المبتدأة المقطوعة الواقعة بعد (ءَ) همزة الاستفهام . ٥ المبتدأة الموصولة الواقعة بعد همزة الاستفهام . ٦ وقوع الهمزة وسطاً . ٧ المتوسّطة المفتوحة بعد متحرّك . ٨ المتحرّكة بغير الفتحة بعد حرف متحرّك . ٩ المتوسّطة المتحرّكة بايّ حركة كانت بعد حرف ساكن . ١٠ المتوسّطة الساكنة بعد حرف متحرّك . ١١ وقوع الهمزة طرفاً . ١٢ المطرّفة المتحرّك ما قبلها غير المتّصلة بما بعدها . ١٣ المطرّفة المتحرّك ما قبلها المتّصلة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع او تأنيث . ١٤ المطرّفة الساكن ما قبلها غير المتّصلة بما بعدها . ١٥ المطرّفة الساكن ما قبلها المتّصلة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع او تأنيث

الباب الثاني وهو باب المدّ: ستّة فصول

منها: ١ شروط الممدود وتمييزهُ من المقصور . ٢ المتطرّفة مَدَّتهُ غير المتّصلة بما بعدها. ٣ المتّصلة مَدَّتهُ بعلامات الضمير . ٤ المتّصلة مَدَّتهُ بعلامة التثنية . ٥ المتّصلة مَدَّتهُ بعلامة الجمع. ٦ المتّصلة مَدَّتهُ بعلامة التأنيث

الباب الثالث وهو باب القَصْر (٣): سبعة فصول

منها: ١ شروط المقصور واصنافهُ وتمييز ذلك . ٢ ذوات الالف المنقلبة من الواو . ٣ ذوات الالف الجارية مجرى المنقلبة من الواو وليست منها. ٤ ذوات الالف المنقلبة من الياء. ٥ ذوات الالف الجارية مجرى المنقلبة من الياء وليست منها . ٦ المشتركة من ذوات الواو والياء وما ليس منهما. ٧ المخالف اخواتهِ في الياء من ذلك قياساً او شذوذاً

الباب الرابع وهو الفَصْل والوَصْل: احد عشر فصلاً

منها: ١ شروط الوصل والفصل والأصل الذي يبنيان عليهِ . ٢ ما يوصل من الكلم الذي على حرف واحد بما بعدهُ لانهُ لا ينفرد . ٣ ما يوصل منها بما خاصّةً وما يفصل منها . ٤ ما يوصل من الحروف بما وما يُفصل منها. ٥ ما يُوصل من المبهمة بما وما يُفصَل منها. ٦ ما يوصل من المتمكّن بما وما يُفصل منها. ٧ ما يوصل من الافعال بما وما يُفصل منها . ٨ ما يوصل بمنْ خاصّةً وما يفصل منها. ٩ ما يوصل بلا خاصّةً وما يُفصَل منها. ١٠ ما يوصل بحرف التنبيه وهو ها وما يُفصَل منهُ . ١١ ما شذَّ من الموصول عن نظائرهِ

(٤) الباب الخامس وهو باب الحَذْف: عشرة فصول

منها: ١ شروط الحذف واصولهُ وعِلَلُهُ . ٢ حذف المدغم من الخطّ اتّباعاً للفظ. ٣ حذف غير المدغم لاجتماع الاشباه او الشبيهين في كلمة . ٤ حذف غير المدغم لاجتماع الشبهين خاصّةً في كلمة . ٥ حذف غير المدغم لاجتماع ثلثة اشباه في كلمة. ٦ حذف ما شبّه باجتماع الاشباه وبحروف اللين في كلمة. ٧ حذف ما شبّ بالاشباه من كلمتين. ٨ الحذف على الشذوذ تشبيهاً باجتماع الاشباه في كلمة. ٩ الحذف للتخفيف قياساً لاجتماع المثلين في كلمة. ١٠ الحذف للتخفيف على الشذوذ لغير اجتماع الاشباه ولا للتشبيه باجتماع الأشباه

الباب السادس وهو باب الزيادة: اربعة فصول

منها: ١ شروط الزيادة وعللها. ٢ زيادة الالف . ٣ زيادة الهاء . ٤ زيادة الواو

الباب السابع وهو باب البَدَل: خمسة فصول

منها: ١ شروط البَدَل وعِلَلُهُ. ٢ بدل الهاء. ٣ بدل الالف. ٤ بدل الواو. ٥ بدل الياء

الباب الثامن وهو باب النَّقْط: ستّة فصول

منها: ١ شروط النَّقط وعِلَلُهُ. ٢ ضروب النَّقط. ٣ ما لا يُنقَط موصولاً ولا مفصولاً. ٤ ما يلزمهُ النَّقط متّصلاً ومنفصلاً. ٥ ما استُغْنِيَ عن نَقطهِ مؤلّفاً وغير مؤلّف وان نُقط احياناً. ٦ ما يُستغنَى عن نقطهِ في حال انفرادهِ ويلزمهُ النقط عند اتّصالهِ

الباب التاسع وهو باب الشَّكل: ثلاثة فصول

منها: ١ شروط الشكل وعِلَلُهُ. ٢ ماهو صُوَرٌ للحركات والسكون. ٣ ما (ّ) هو زيادة يؤتى بها للفرق

الباب العاشر وهو باب القوافي والفواصل: خمسة فصول

منها: ١ شروط كتاب القوافي والفواصل. ٢ المقيَّد وهو الموقوف. ٣ المطلق المنصوب. ٤ المطلق غير المنصوب. ٥ ما يُردّ من القوافي والفواصل الى القياس وغيرهِ

الباب الحادي عشر وهو باب رسوم خطوط الكُتُب: خمسة عشر فصلاً

منها: ١ جملة عدد الحروف وهيآتها واختلاف صورها وألفاظها ومعرفة رسومها. ٢ جدول رسوم صور الحروف متّصلةً ومنفصلةً. ٣ شرح رسوم هذا الجدول مفصّلاً. ٤ معرفة تقليب القلم في مجالهِ. ٥ جدول الخط الذي يسمّى الحنيف. ٦ جدول الخط الذي يُدعى الاماك ٧ شرح ما أُجمل في هذين الجدولين من الطّات وغيرها. ٨ ما يحسن (ّ) من ذلك ويَقْبُح من ردّ البياء او تعريفها وما يَقْبُح ٩ ما يجوز فيهِ التقرير او الادغام وما يقبُح ذلك فيهِ. ١٠ ما يحسُن من الكسر والتعليق والاصاق وما يقبح. ١١ ما يحسن من إمالة الاشباه وتسويتها وما يقبُح. ١٢ شكل الكاف وتعريفها وما يحسن من ذلك ويقبُح. ١٣ معرفة مقادير التعريق. ١٤ وجوب الفرق وتركهُ عند اجتماع الامثال. ١٥ حسن التقدير وتسوية السطور واختلاف الخطوط

الباب الثاني عشر وهو ما أُلحق بالهجاء وليس منهُ: ستّة وعشرون فصلاً

منها: ١ الغَرَض في ما ضُمّن فصول هذا الباب. ٢ ما يُفتتَح بهِ الكُتُب. ٣ ما يصدَّر بهِ الكُتُب. ٤ ما يُردَف بهِ الكتب. ٥ معنى التاريخ ومبتدأهُ وكيف استعمالهُ. ٦ معرفة التاريخ بغرّة الشهر. ٧ معرفة التاريخ بما يلي الغرّة. ٨ معرفة التاريخ بالنصف وما بعدهُ.

٩ معرفة التاريخ بسَلْخ الشهر . ١٠ اضافة عدد الايّام والليالي في التاريخ . ١١ تذكير العدد وتأنيثهِ في التاريخ وغيرهِ . ١٢ اعراب العدد في التاريخ وغيرهِ . ١٣ تعريف (ة) العدد في التاريخ وغيرهِ . ١٤ معرفة الإفراد والجمع في فعل التاريخ . ١٥ التاريخ بمجهول الأيّام والليالي . ١٦ أبعاض مجهول العدد في التاريخ وغيرهِ . ١٧ تفسير اسماء الايّام واضافة اليوم والليلة اليها . ١٨ التثنية والجمع في اسماء الايّام . ١٩ تفسير اسماء الشهور . ٢٠ التثنية والجمع في اثناء الشهور . ٢١ ما أُلحق بهذا الكتاب ايضاً من المذكّر والمؤنّث . ٢٢ ذكر القلم وتربيتهِ وشقّهِ وقطّهِ . ٢٣ ذكر الدواة والمداد والإلاقة . ٢٤ إتراب الكتاب وطيّهِ وتسجيتهُ وختمهُ . ٢٥ ذكر عنوان الكتاب وتفسيرهُ . ٢٦ ذكر التوقيع ومعناهُ واعرابهُ . زيادة

(تمّ فهرس ابواب الكتاب وفصولهُ) (لهُ بقية)

مؤتمر سورية في مرسيلية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انّ موقع مرسيلية على البحر المتوسّط قد جعلها منذ سالف الاعصار مرفأً معتبرًا يباري فيه الفرنسويون الامم المجاورة كالايطاليين واليونان والسوريين في نقابة البحر المتوسط . وقد زاد ثغر مرسيلية شأناً في عهد الصليبيين لتواتر المعاملات بين فرنسة وسواحل الشام

ولم تخمد هذه الحركة التجاريّة بعد الحروب الصليبية تماماً لكنّها خفّت بغزوات القرصان من اهل الجزائر وجهات الاتراك الى أن أبرمت بين الملك فرنسيس الاوّل وسليمان القانوني سنة ١٥٣٥ تلك المعاهدات الشهيرة التي خوّلت التجار الفرنسويين امتيازات خاصّة في معاملاتهم مع الدولة العثمانية وقد تجدّدت بعد ذلك ثمّ توسّعت سنة ١٥٦٩ و١٥٨١

فنالت مرسيلية من هذه المعاهدات نصيباً حسناً من رقي تجارتها ثمّ اخذ كبار المتمولين فيها ينشئون الشركات التجاريّة من ذاك العهد ويعمرون السفن لتلك الغاية . وقد امتازت بين تلك الشركات واحدة منها تُعرف بغرفة مرسيلية التجاريّة باشرت بمعاملاتها في اوائل القرن السابع عشر ثمّ تقلبت عليها الاحوال فراجت احياناً شؤونها وكسدت احياناً أُخرى الى ان ثبّت دعائمها الملكُ لويس الرابع عشر بهمّة وزيره

الشهير كُلبرت (Colbert) سنة ١٦٨٥ وسهَّل لارباب دولته المعاملات التجارية مع ثغور الدولة العثمانية ولا سيما مع بلاد الشام

ولغرفة مرسيلية تاريخ جليل يدلُّ على ما ادَّتهُ البحريَّة الفرنسويَّة من الخدم العديدة لاوطانها كما انها افادت الدولة العثمانية بنقل السلع الاوربيَّة اليها . ومن خدمها المشكورة انها فتحت لنصارى الشام عصراً جديداً اخذوا يخرجون فيهِ من خمولهم وخفَّ عن عاتقهم نوعاً نير الاتراك بحماية ملوك فرنسة ومساعدة المرسلين اللاتين

وهذه الغرفة قد ثبتت على اعمالها في هذه المدَّة الطويلة بحسن ادارة عمدة خاصَّة من تجَّار مرسيلية يعهدون اليها امور الشركة تحت نظارة احدهم ممَّن يختارونهُ بموجب قوانين مقرَّرة . ورئيسها الحالي هو المسيو ادريان ارتو (Ad. Artaud)

فلمَّا انفتحت سورية بانتصار الدول المتحالفة وعلَت جلَبة بعض المتشدِّقين الذين طلبوا وضع سوريَّة تحت وصاية بريطانية العظمى او الولايات المتَّحدة او ملك الحجاز نهض ذوو العقول الراجحة والعارفون بحقائق التاريخ واثبتوا انَّ في هذا العمل هضماً لحقوق فرنسة الراهنة التي استحقَّتها بمعاملاتها وبالامتيازات التي نالتها منذ سالف الاحقاب فاحتجُّوا على الماكرين واوقفوهم عند حدودهم

وممَّن سعوا في ذلك السعيَ الحسن ارباب غرفة مرسيلية التجاريَّة فانَّ رئيسها المشار اليه مع حاشيتهِ ولاسيما كاتب اسرارهِ المسيو هنري برنيه (H. Brenier) نوَّهوا بانشاء مؤتمر يُعقد في حاضرتهم مرسيلية دعوا اليهِ كل من تهمّه المسائل الشرقيَّة وعلاقات فرنسة مع انحاء الشام

فكان لهذا النبأ صدًى بعيدة في قلوب الوف من الفرنسويين هبُّوا لاخراجه الى حيِّز العمل بهمَّة قعساء . فما مرَّ عليهم شهر واحد حتى تألَّبوا من كل صوب وأوب . فكان من جملتهم رجال من مجلسَي نواب الدولة وشيوخها ومن نخبة العلماء والمستشرقين والاثريين والاطباء ومن علية التجَّار وارباب الصنائع المتاجرين مع سوريَّة ومن رؤساء الرهبانيات المبشرة في الشرق الادنى ومن الكتبة والصحافيين . فتمَّ انتظام سلكهم في وقت قريب ادهش الجميع . وقد احبَّت الجالية السوريَّة في باريس ان تشارك الفرنسويين في هذا العمل فأجابوا بالرضى الى طلبها

كان موعد المؤتمر في العشر الاوَّل من كانون الثاني من السنة المنصرمة ١٩١٩

فعُقدت جلساتهُ في مدَّة ثلاثة ايام من ٣ الى ٥ من الشهر وكانت عُهدت رئاسة المؤتمر الى احد نوَّاب مجلس العموم المسيو فرنكلين بوليون (Franklin-Bouillon) رئيس لجنة الامور الخارجيَّة معهُ النائب المسيو دي مُنزي (de Monzie). امَّا نادي الاجتماعات فكان في ذات غرفة التجارة. وهو معهد واسع مزيَّن بالنقوش الملوَّنة البديعة والتصاوير الممثلة اعمال الشركة في انحاء الشرق

وكان عاقدو المؤتمر قد قسموا المواد التي تدور حولها الابحاث الى اربعة اقسام القسم التعليميّ والتهذيبيّ ثم القسم الاقتصاديّ ثم الاثريّ والتاريخيّ واخيرًا القسم الطبيّ والصحيّ وقد تحاشوا المسائل السياسيَّة دفعاً لكل سوء تفاهم ومشاحنة ونِعْم ما فعلوا فتمّ هذا المؤتمر بوئام ووفاق عجيب لم يُسمع فيهِ صوت مخالف

ومع قلَّة الوقت الممنوح للمدعوّين الى المؤتمر قد وردت على عهدة مرسيلية المقالات المتعدّدة البالغة نحو المئة لتُتلى في جلسات المؤتمر المختلفة. وهذه المقالات قد طُبعت بعد ختام المؤتمر وهي بين يدينا في اربعة مجلَّدات واسعة

كان افتتاح المؤتمر بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٣ كانون الثاني حيث دخل اعضاء المؤتمر في عدد ١٥٠ مع عدد مثلهم ممَّن ارسلوا اشتراكهم باعمالهِ غائبين لمأموريَّاتهم او اشغالهم. فبعد الترحيب بالقادمين قام رئيس الغرفة مسيو ارتو وشرح اسباب عقد المؤتمر في مرسيلية اذ هي باب فرنسة الى الشرق ومنها خرجت منذ القرن الثاني عشر معظم البعثات السياسيَّة او التجاريَّة الى سوريَّة ثمَّ دعا المسيو فرنكلين بوليون الى رئاسة المؤتمر. فلمَّا تصدَّر انتصب خطيباً مصقعاً ذكر غاية المؤتمر وهي ان يبيّن اعضاؤهُ بالشواهد العلميَّة انَّ فرنسة مدَّة قرون متواليـة كانت سوريَّة عضدًا وعوناً في جميع ظواهر حياتها ولا عجب ان لاحت بذلك لكلّ ذي عينين صحَّة مدَّعيات الفرنسويين في عهدة سوريَّة وان تحاشوا كلّ بحث سياسي في المؤتمر

وبعد هذه المقدّمات انقسم اصحاب المؤتمر اربعة اقسام انفرد كلّ منها على حدة في حجرة خاصَّة وهذه لمحة مختصرة في بعض اعمالها

١ (القسم الاثري والتاريخيّ) ترأس جلساتهِ الاثريّ الشهير صاحب التآليف البديعة المسيو ارنست بابلون (Babelon) احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة فخطب خطاباً بليغاً ذكر فيهِ بالاجمال المشروعات الفرنسويَّة سواء كانت في فرنسة ام في سوريَّة

التي تشهد بلسان حالها عن مقام الدولة الفرنسويّة بازاء سوريّة التي استحقّت ان تدعى من جرّاء ذلك «بفرنسة الشرق» لما تشرّبتهُ من روح فرنسة واكتسبتهُ من مدنيّتها

وممّا تُلي في هذا القسم من المقالات الرائقة الحريّة بالذكر مقالة المسيو لويس برهيه (L. Bréhier) احد اساتذة كليّة كلرمون في مبادئ العلاقات بين فرنسة وسوريّة وحماية الملك شرلماني جمع فيها الادلّة التاريخيّة المثبتة نفوذ هذا الملك العظيم لدى هارون الرشيد ونوالهُ حماية الامكنة المقدّسة مع حماية النصارى المقيمين في انحائها

ومنهما ان المسيو اوجان دوبرا (E. Duprat) بحث في المواصلات بين اهل بروفنسة وسوريّة من القرن الخامس الى عهد الصليبيين يلوح منهُ انَّ اهل جنوبي فرنسة من قديم العهد عرفوا طريق سوريّه وبادروا الى المعاملات معها . وقد اتمَّ هذا البحث الكاهن ارنو دَنْيال (Arnaud d'Agnel) مثبتاً متابعة اهل بروفنسة تلك المعاملات من زمن الصليبيين حتّى القرن الثامن عشر

وخطب المستشرق كليمان هوارت (Cl. Huart) عن حدود سوريّة الطبيعيّة متبعاً آراء الكتبة الاقدمين في ذلك ومنتقدًا لها . وبيَّن المسيو دي مرتون (E.de Mar-tonne) من اساتذة كلية باريس وَحدة سوريّة الجغرافيّة . ودار خطاب المسيو غودفروا ديمبين (Gaudefroy-Demombynes) من اساتذة المكتب العلمي في باريس على العلوم الفرنسويّة في سوريّة

والثلثة من اليسوعيين في هذا النادي ثلث خُطب لحضرة الاب كارد شانتور (C. Chanteur) رئيس رسالتي سوريّة وارمنية . وللاب لويس جلبرت (L. Jalabert) مدير مجلة الدروس في باريس . والاب غ . زموفن معلّم الطبيعيّات في كليّتنا . فخطب الاوّل عن الدروس الشرقيّة في كليّة القديس يوسف . ودار بحث الثاني عن علم الآثار فيها . امّا الثالث فخصَّ كلامهُ بالطبقات الارضيّة وجيولوجيّة لبنان

وممّا افادهُ حضرة الآباء الدومنيكان الفرنسويين في القدس الشريف سعيهم في الابحاث الاثريّة في جهات فلسطين وانحاء الاردن ما اكسبهم شهرةً واسعة بين العلماء

وكذلك بيَّن البعض ما ادّتهُ الجمعيّة الجغرافيّة الفرنسويّة من الخدم المشكورة لتعريف سوريّة واحوالها الجغرافيّة

وخطب وطنيّنا الدكتور الفرد خوري عن « استشهاد لبنان » وما قاساهُ اهلهُ من الشدائد وقت الحرب لحبهم لفرنسة . وفي آخر هذا القسم التاريخيّ خارطة بديعة تبيّن لناظرها مآثر فرنسة في سورية

٢ (التعليم والتهذيب) انّ سهم فرنسة في سورية من هذا القبيل هو الفائز العلي لا يجاريهِ غيرهُ . وقد تعددت في المؤتمر المقالات المثبتة لسعة نطاق الاعمال التهذيبيّة والمدارس التي انشأها الفرنسويون في سورية والبلاد المجاورة من كليات ومدارس طب وحقوق وهندسة ودروس عليا ووسطى وابتدائية تشمل كلّ طبقات الاهلين . ومنها مدارس اكليريكية في بيروت والقدس والموصل والاستانة . ومنها معاهد علميّة كمطبعتنا الكاثوليكيّة ومطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل و كالمرصد الفلكيّ في كسارا . ومنها معاهد خيرية للايتام والصنعة ودور معلمين في كلّ انحاء سورية وفلسطين وما بين النهرين والاناضول . ومنها المطبوعات والتآليف العديدة التي قام بها المرسلون وغيرهم وفضل نشرها عائد الى المرسلين الفرنسويين . وفي آخر الجزء المختص بالقسم التهذيبي جدول المدارس والمشروعات التهذيبيّة التي انشأتها فرنسة في سوريّة وحدها وهو يستغرق ثلثين صفحة طُبع على ترتيب حروف المعجم . وكفى بهِ دليلًا لامعاً على فضل فرنسة وتفانيها في خير سورية وكان رئيس المؤتمرين في هذا القسم المسيو پول هوڤلين (P. Huvelin) احد اساتذة الحقوق في كليّة ليون

٣ (القسم الاقتصادي) قامت فرنسة بمشروعات اقتصاديّة عديدة في سوريّة رغماً عمّا لقيتهُ في طريقها من المعاكسات والمزاحمات الدوليّة . واخصُّ ما يُذكر من ذلك المعاملات التجاريّة التي تعاطاها اهل فرنسة وسوريّة منذ عدّة قرون . وقد ربحت سوريّة من هذه المعاملات ما اغنى كثيرين من اهلها ومما اعلن بهِ المسيو مورغ دالغ (Mourgue d'Algue) من كبار التجار في مرسيلية انّ المدفوع السنوي لسوريّة بدلًا عن محصولات الفالج والحرير يبلغ نحو ٢٦،٥٠٠،٠٠٠ فرنك هذا فضلًا عن بقيّة الصادرات من سوريّة كالاصواف والاقطان والجلود والاثمار . وفي المعلومات الرسميّة التي وجّهتها غرفة مرسيلية لوزارة التجارة سنة ١٩١٢ انّ صادرات سوريّة من الاسكندرونة وبيروت ويافا الى فرنسة بلغت ١٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك

اما الداخل من فرنسة الى سوريّة فكان قبل الحرب دون الداخل اليها من

التسمة ومن انكلترَّة . ومع ذلك قد كاد الداخل يوازن الصادر . وعلى رأي المسيو هنري غيرو (H. Guirod) المترئس على هذا القسم الاقتصادي انَّ مستقبل سوريَّة بعد الحرب سيكون بهيًا جدًّا وهو يظنّ انَّ بلاد الشام يمكنها ان تُصدر الى فرنسة في السنة ما يساوي ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك من كلّ محصولاتها المختلفة كالصوف والقطن والجلود والحبوب والبقول والزيوت والاثمار الطريَّة او اليابسة والخمور والتبغ والعطريَّات والبيض او مجّه الخ

اما الاشغال العموميَّة التي قامت بها فرنسة في سوريَّة فهي ايضاً قد اجدت البلادين منافع لا تحصى كطرق العجلات والسكك الحديديَّة والترمواي والمرافئ الساحليَّة مع رُصفها ومعامل الكهرباء والغاز والحرير وشركات اخرى كانوا يدعونها عثمانيَّة مجاملةً لتركيَّة وهي في الحقيقة فرنسويَّة كالبنك العثماني وغيره . فكلُّها تزيد اثباتاً لقول القائل انَّ سوريَّة هي فرنسة الشرق

٤ (القسم الطبيّ والصحيّ) كان متولي رئاسته استاذ مكتبنا الطبيّ الفرنسوي الدكتور دي برون فيتّضح من مجرَّد تعيينه لهذا المقام ما كان لذاك القسم من عظيم الشأن . وقد امتاز فيه اساتذة مكتبنا فخطب الرئيس عن لوائح الطاعون في بيروت ومميّزاته ومعالجاته . وخطب الدكتور نكر عن احوال الجوّ في سورية وعلاقاتها مع الصحَّة ثم اختصر تاريخ مكتبنا الطبيّ الفرنسويّ . وخطب الدكتور كوتار عن عمليَّاته الجراحيَّة التي اجراها في بيروت مدَّة ستَّة اعوام . والدكتور دي بيرلونغ عن صحَّة العيون وعللها الشائعة في سوريَّة . والدكتور هاش عن بعض قروح سيَّها الحقن بالكينا . والدكتور الفرد خوري عن الهيجتين العموميَّة في فصول السنة

وقد خطب طبيبان من غير اطباء مكتب بيروت احدهما الدكتور اودو (Oddo) من معلمي مدرسة الطب في مرسيليسة ذكر ما لفرنسة في سوريَّة من المشروعات الصحيَّة كالمستشفيات والمستوصفات والمساعدات المختلفة للمرضى ما يثبت ايضاً الارجحيَّة لفرنسة من هذا الوجه واثنى خصوصاً على همَّة راهبات المحبَّة وراهبات مار يوسف وراهبات قلبي يسوع ومريم معلناً برجائه لدى اصحاب المؤتمر بان يسعوا بتوسيع هذه الاعمال وتعميمها

والآخر هو الدكتور مورا (L. Murat) وصف باسمه وباسم اخيه ما يحتاجهُ

المسافرون بحرًا من فرنسة الى سوريَّة لمراعاة صحَّتهم ذاكرًا ما لحظهُ مع اخيهِ من ذلك في سفر الزوَّار السنوي الى الاراضي المقدَّسة

ولا بُدَّ هنا قبل الختام ان نخصَّ بالذكر عملًا مهمًّا قام بهِ الدكتور بول ماسون (Paul Masson) الاستاذ في كليَّة إكس وهو قائمة التآليف الفرنسويَّة او المطبوعة بهمَّة الفرنسويين عن سوريَّة . وقد طُبع هذا الجدول في كتاب ضخم يبلغ ٥٢٧ صفحة جمع فيهِ المؤلف ٤٥٤٤ كتابًا دوَّن اسماءها واسماء مؤلفيها ومكان طبعها وعدد صفحاتها . وختمها بفهرسين ذكر في الاوَّل المؤلفين على ترتيب حروف المعجم وفي الثاني روى التآليف على حسب مواضيعها من جيولوجية وآثار وعاديَّات وجغرافية واسفار وتاريخ وآثار قديمة ولغويَّات وعلوم وصنائع واديان وتحت كل باب تقاسيم مختلفة غاية في الافادة هي كخلاصة العلوم السوريَّة

فلا يسعنا الَّا الثناء الجميل على كلّ من قاموا بانشاء هذا المؤتمر واشتركوا في ترويج اعمالهِ فانَّهُ مفتتح عصر جديد نرجو منهُ نهضة كبيرة لقطرنا السوري بعد خمولهِ لسوء سياسة الدولة البائدة فنسير الى اوج الحضارة راقين الى حيث ما تطمح اليهِ ابصار الشعوب الحرَّة

البلشفيون: اصلهم ومبادئهم واعمالهم

نظر اجتماعي للاب لويس شيخو

هم قوم لم نسمع باسمهم قبل هذه الآونة الاخيرة وقد تكرَّرت الانباء البرقيَّة واقوال الصحف في اعمالهم السيِّئة في روسيَّة والاقطار المجاورة لها . بل شرَع الصوت العام ينذرنا باخطار عصاباتهم في الاصقاع القريبة منَّا . فاقترح علينا بعض الاصحاب وضع مقالة وجيزة نفيدهم فيها عن هذه الجماعة وعن اصلهم ومبادئهم واعمالهم فنقول :

١ اصل الشيعة البلشفيَّة

اسم البلشفيين مشتقّ من كلمة مسكوبيَّة معناها اصحاب الثورة وقد عرَّبها بعضهم بالاكثريَّة تلميحًا الى مبادئهم كما سترى . وكان ظهور هذه الشيعة في هيئتها

الحاضرة بعد سقوط القيصر نيقولا الثاني الـذي تنزّل عن عرشهِ في آذار من السنة ١٩١٧

فتألفت بعد ذلك لجنة لتدبير امور الدولة يسمونها سوفيات مركّبة من المعتدلين بين حزب الشمال الذين جاهروا بالدفاع عن وطنهم مع الدول الاتفاقيـة واعلنوا مواصلة الحرب وكان يرأسهم البرنس لوُوف (Luof) ورُدزيَنكو (Rodzianko) لكنّهُ بعد قليل رافت الى بطرسبرج (ويقال اليوم بطروغراد) لجَن اخرى من انحاء روسيّة انضمّت الى لجنة بطروغراد فكان تعدُّدها سبباً لشتات كلمتها وتقسمها الى حزب الوسط وحزب الشمال وحزب المتطرّفين وكان لِكِرنسكي (Kerensky) في حزب الوسط القول الراجح

وكانت المانية في تلك الاثناء قد شعرت بسوء مصيرها بازاء الدول الاتفاقية فارسل الامبراطور غليوم واصحابهُ رجالًا الى روسية ليسعوا بنوال الصلح فرشوا بالاصفر الرنان بعضَ زعماء الشعب ليبثوا في العموم ولاسيما في الجيوش افكار الصلح والكفّ عن الحرب. فتألّف حزبٌ من الاشتراكيين دُعي بالمكسيمالِست كان اوّلًا ضعيفاً ثم قوي شيئاً فشيئاً بواسطة اصحاب الثورة والذين نالهم شيء من اذى الحرب فلم يجسر كِرنسكي ان يقوم في وجههم وبينهم ذوو إقدام وسطوة وقحة كلينين (Lénine) وتروتسكي (Trotsky) وزينوفياف (Zinovief) وكمنيف (Kamenef) وقد تشكّل منهم ممثّ شورى دُعيت بشورى الخمسة

وزادت الامور سوءاً بعد ان ضاعف الالمان جيوشهم ومشوا مع النمسويين الى ريغا ففتحوها واعلنت فنلندة استقلالها ومثلها اوكرانية. على ان الجنرال كورنيلوف امكنهُ حيناً ان يوقف الالمان ويردّ غاراتهم بل استرجع قسماً من البلاد التي احتلّوها. لكنّ هذه النهضة خمدت نارها بعد قليل فشغب الجند ونبذوا الطاعة لقوّادهم فعاد الالمان الى محاربتهم وفرّقوهم ايدي سبا

واتسع الخرق بعد ذلك وتفاقم الشرّ واجتمع المتطرّفون لمحاربة المعتدلين فجرت معركة شديدة انتصر فيها المكسيماليّون على كِرنسكي في ٦ و٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ففرّ هارباً من وجه زعماء الثورة لينين وتروتسكي وزينوفياف فثبتت معهم الفوضى وعُرفوا مذ ذاك الحين بالبلشفيين

وانتشر روح الثورة بعد قليل في روسيَّة الشمالية كما عمَّ روسيَّة الجنوبيَّة وحُكم على القيصر نيقولا الثاني مع آلهِ بالاعدام فضربت رائحة الدماء في رؤوس البلشفيين وقد قلبوا اليوم بلادهم ظهراً لبطن كما سترى

٣ مبادئ البلشفيين

البلشفيَّة ثمرة الاشتراكيَّة صدرت منها صدور الشجرة من بزرها والزهرة من كنها وانما كانت سطوة الدولة واشتداد اربابها على اهل الثورة كاسرَين لشوكتها. فبسقوط سُلالة رومانوف المالكة منذ القرن السادس عشر سقطت ايضاً الترع الضابطة لتلك القرى الثوريَّة اللاطية

والحقّ يقال انَّ من عرف تاريخ روسيَّة وتبطَّن احوالها وجد فيها من جرائم الفتن ما لم يَشعْ في غيرها من الدول . وانما ظهرت تلك الفتن بمظاهر دينيَّة غريبة انضوى الى زعمائها الوف مؤلفة من الشعب وربَّما احتاج قياصرة روسيَّة لكبح شرَّتها واطفاء جمرتها الى بَعثات عسكريَّة ومعارك دمويَّة ذهب بسببها ربوات من البشر . ومن اطَّلع على مذاهب تلك الشيع وتعاليمها اخذهُ العجب من جهل الشعب الروسيّ وانقياد الأمّيين منهُ الى كلّ خرافات المبتدعين وترَّهات المشعوذين

ولمَّا حدثت في فرنسة الثورة الكبرى في اواخر القرن الثامن عشر واخذت المبادئ الاشتراكيَّة تفشو بين الشعوب اللاتينيَّة استفرغت الامبراطورة كاترينا الثانية ثمَّ القياصرة خلفاؤها كنانة الجهد رجاء ان يُرتَج باب روسيَّة في وجه تلك التعاليم الفاسدة فنجحوا نوعاً الى اواسط القرن التاسع عشر حيث ظهرت في روسيَّة شيع استمدَّت مبادئها من الاشتراكيين والفوضويين واجترحت من الآثام والقبائح وقتل القياصرة والوزراء ما طنَّت لهُ الآذان في كلّ انحاء المعمور

ولم تخمد هذه الفتن تماماً فانَّها بعد تقلم اظفارها وانقطاع دابرها عادت مراراً الى عِترها فكانت كالنار تحت الرماد وهذا ما عاَّل هياج البلشفيَّة وانتشار آرائهم في انحاء روسيَّة والبلاد المتاخمة لها انتشار النار في القصب او كانفجار البركان بلهيبه وحممه

وان سأل السائل ما هي الاشتراكيَّة وما هي مبادئها وكيف تُناط بها البلشفيَّة أجبنا :

ان الاشتراكيَّة مذهب مبنيّ على آراء سوفسطائيَّة يزعم بها اصحابها ان البشر

كلهم متساوون بالحقوق لا يصحّ ان يكون بينهم كبير او صغير غنيّ او فقير رئيس او مرؤوس ومن ثمَّ يجب ان يُعطَوا جميعاً نصيبهم من الهناء والراحة فيزول بذلك الفرق العظيم الموجود بين طبقات البشر اذ لا يحقّ للبعض منهم ان يستفيدوا من اشغال واتعاب غيرهم ممَّن هم دونهم ثروةً

ولأنَّ المُلك الموروث او المقتنى هو اصل هذا الاختلاف الموجود بين الناس في العالم فينبغي تجريد المتموّلين وذوي الثروة والاملاك مما تملكهُ يدهم فتُوزَّع بالمساواة على جميع الناس ليتمتّعوا بها . اذ كلّ ميزة بين البشر هي كاهتضام لحقوق الجمهور . قال ڤولتير : « انَّ الفرق الموجود بين رجل يولد غنيًّا وآخر يولد فقيرًا هو عظيم حتَّى يكاد الناظر اليهما يحسبهما من جنسين مختلفَين . فلا بُدَّ من المساواة بينهما بحَسْم مُوجِب ذلك الاختلاف اعني الملك والثروة»

فهذا المبدأ الفاسد يدكُّ المجتمع الانسانيّ دكًّا لأنَّ اساسهُ المُلك فان كان الانسان لا يستطيع ان يقتني لنفسهِ ملكاً بل العموم فكيف ينشط للعمل او كيف يقوم بأود حياتهِ ومعاش اهلهِ ومستقبل اولادهِ فنَفْيُ المُلك هو اذن الغاء العائلة واذا أُلغيت العائلة سقط معها المجتمع الانساني المتألف منها . وهب انَّ الاملاك تُقسم بين المجتمع كما يطلبون فانَّ هذه المساواة لا تلبث ان تتلاشى بالمعاملات اليوميّة واختلاف الاشغال والحاجات

ثمَّ ان المساواة الموهومة تنفيها الطبيعة نفسها لأنَّ الطبيعة جعلت اختلافاً عظيماً بين الناس فخوَّلت بعضهم صفات شخصيَّة لم تخوّلها غيرهم من صحّة وفهم وحذاقة وصلة ارحام وانساب فكيف تقوم المساواة بين كلّ هؤلاء . ومن المعلوم انَّ الهيئة الاجتماعيَّة جسمٌ ادبيّ يشبه الاجسام المادّيَّة والجسد البشريّ كما اثبتهُ الاناء المصطفى بولس الرسول في رسائلهِ فبيَّن انَّ في ذاك كما في هذا الاعضاء المختلفة التي لا غنى عن ائتلافها فكما انَّ في البدن الاعضاء الشريفة كالرأس والقلب والاعضاء العاملة او الحقيرة كالايدي والارجل فكذلك في المجتمع الانساني الرفيعُ والوضيع والكبيرُ والحقير لا يستغني احدهما عن الآخر

فالاشتراكيون اعداء الطبيعة اعداء البشريَّة لا يستطيب مبدأهم في الغاء المُلك سوى الصعاليك والعَمَلة واسافل الناس ممَّن يريدون التمتُّع من فضل الغير دون عناء

والذين لا يقنعون بما رزقهم الله ويطمعون بنوال حقوقهم كما يزعمون اما بالطرائق الشرعيَّة ان امكنهم واما بالاعتصابات او باستعمال القوَّة الجابرة

وقد تفرَّق الاشتراكيون فِرَقاً شتَّى تختلف في الحكم والكيف فكانت مطالباتهم في ايام الثورة الفرنسويَّة خلع اعيان البلاد واسقاط الشرفاء وتنصيب الجمهوريَّة فلمَّا فاز اواسط الشعب بهذه المناصب قام غيرهم وغالوا بمطالبهم وجاهروا بالمساواة التامَّة بين كل درجات الوطنيين كالمسمَّى بابوف (Babeuf) الذي احتجَّ على ارباب الثورة وشكا من تصرُّفهم اذ لم يراعوا اصول المساواة مذ نالوا من الثورة منفعتهم الخاصَّة. فحُكم عليه وعلى رفقته بالاعدام سنة ١٧٩٦

على انَّ اصول الاشتراكيَّة لم تَمُتْ بل كانت في مطاوي القرن التاسع عشر مدعاةً الى فتن عديدة بمساعي الماسونيَّة والجمعيَّات السرِّيَّة في جهات اوربَّة فكان من زعمائها بعد جان جاك روسو في فرنسة كابه (Cabet) ولويس بلان (L.Blanc) وفوريه (Fourier) وسان سيمون (Saint-Simon) وبرودهون (Proudhon) وهو القائل : ان المُلك سرقةٌ . وفي المانية فون ثونن (von Thünen) وفاغنر (Wagner) وكارل مركس (Karl Marx) وبرنشتين (Bernstein) وفي انكلترَّة أوون (Owen) وسيدني وب (Sidney Webb)

وقد اختلفوا في تنفيذ تلك المبادئ فمنهم من كان يريد تحقيقها بالطرائق الشرعيَّة كالتصويت والانتخابات في المجالس النيابيَّة كجوريس (Jaures) . ومنهم من كان يطلب ان الحكومة تضع يدها على الاملاك والثروة العموميَّة والشخصيَّة فتقسمها على كل افراد الشعب . ومنهم من كان يجعل ذلك التقسيم في حكم الجمعيَّات الخاصَّة القائمة من الأمَّة

ولم يكتفِ بعضهم بتقسيم الاملاك بل طلبوا ايضاً توزيع الاعمال على الاشخاص في ايدي الحكومة ولم يستثنوا من ذلك النساء والاطفال فالنساء يكنَّ لاي زوج كان والاطفال يربَّون في الميتاتم حتى اذا كبروا تتصرَّف بهم الدولة او الجماعة كما تشاء

فهذه المبادئ السيئة ما عَلِمتْ بها كاترينا الثانية اوَّلاً ثمَّ القياصرة خلفاؤها من بعدها حتَّى سعوا كلَّ السعي بمنع انتشارها في دولتهم . ومع كثرة الاحتياطات في

روسيّة وشدّة المراقبة على المطبوعات كانت المبادئ الاشتراكيّة تغلي غلياناً في مراجل صدور الشعب وكان الكتبة كلّما سنحت لهم الفرصة خفيةً او علناً يدسّون في تآليفهم لاسيّما الروايات الخياليّة والجرائد المبادئ عينها نخصّ منهم بالذكر كاوتسكي (Kautsky) ولاون تولستوي (L. Tolstoï) . وزاد حنق الشعب على المتمولين والاشراف لما قسم بينهم اسكندر الثاني الاملاك الشائعة وكانت قبلها خاصة الدولة تضمّنها من تشاء فاصبح الفلاحون كالعبيد تحت حكم المتملّكين . فلمّا انتشرت بينهم مبادئ الاشتراكيين هبّوا اليها بمـلء السرور وظهرت مفاعيلها السيئة تارةً بالثورة وتارة بالاعتصابات وحيناً بقتل القياصرة والوزراء وطوراً باطلاق النوادّ المنفجرة كما جرى في عهد النيهيلست وغيرهم

وممّا زاد في روسيّة مبادئ الاشتراكيين تفاقماً انّها لم تجد في ارباب الدين كما في غيرها من الدول المقاومة الادبيّة اللازمة ومن المعلوم انّ الاكليروس المسكوبيّ الّا بعض الافراد منه غاية في الجهل والانحطاط ليس له اعتبار في اعين الناس ولا نفوذ لاصلاح الآداب

فما البلشفيّة سوى نتيجة تلك المبـادئ السيّئة المزروعة في قلوب العموم والتي نضجت ثمرتها المرّة كالعلقم

٣ اعمال البلشفيين

انّ الاخبار الواردة من روسيّة او المنقولة عن ألسنة رجال ذوي ثقة أرسلوا اليها للاستطلاع عن امورها تنبئ كلّها بأسوإ الاحوال

وكان اوّل ما اهتمّ به البلشفيّون سعيهم بإبطال الحرب قبل نهاية وقائعها وظهور نتيجتها الاخيرة فخانوا المعاهدات مع فرنسة وانكلترة وطلبوا الصلح من الالمـان . فاجتمع لينين وتروتسكي واصحابهما مع العدوّ في برست ليتوفسك (Brest-Litovsk) وعقدوا صلحاً منفرداً في ١٥ كانون الاوّل فضحّوا وطنهم روسيّة مع رومانية حليفتها فسلّموها الى الالمان

ثمّ استدعوا من ساحات الحرب الجيوش الروسيّة فانفرط سلكها دون نظـام وانضمّت الجنود الى اهل الثورة اذ أطلقت لها حرّيتها وكفّوا عن توزيع رواتبها ومعاشها . فتألّفت الجمعيات الثوريّة في كل الانحـاء تمشي تحت راية البعض منهم

الى المدن والقرى للنهب والسلب فيدخلون الى قصور الاشراف ودور الاغنياء والى اديرة الرهبان والمعاهد العمومية فيأخذون منها ما شاؤوا ثمَّ يحرقون او يخربون ما لا يستطاع ملكهُ وان تصدَّى لهم احد قتلوه شرَّ قتلة او اذاقوهُ من العذاب ما هو شرٌّ من الموت وربَّما انتهكوا اعراض النساء وهدموا الكنائس واستسلموا الى كل المآثم والفظائع

وكان المظنون انَّ هذه الاعمال المستقبحة ستبطل عمَّا قليل بمحاربة الجيوش المنظَّمة المرسلة من انكلترَّة او المجموعة في روسيَّة تحت قيادة الاميرال كولتشاك (Koltchak) والجنرال دنيكين (Denikine) لكنَّ هذه الجيوش وجدت امامها عساكر لينين وقد اخذهم العجب من عددها وعُددها وحسن تدبيرها فانها استولت على قسم كبير من بلاد القريم وحاصرت سباستوبول ودخلت بسَّارابيسة وحاربت بولونية وضربت لمبرج واوقفت في الشمال جيوش الانكليز في أركنجل حتى ضايقتها

فهذه الاعمال وغيرها ايضاً ممَّا نسمع بهِ كلَّ يوم يزيد حال روسيَّة حرَجاً ويُقصي العالم من الصلح التامّ . قال لويد جرج في بعض خطبهِ الاخيرة : « طالما لا نحصل على السلام في روسيَّة فلا يجوز القول بان العالم حظي بالصلح »

هذا كلام غاية في الصواب لأنَّ العلاقات بين روسيَّة والدول المنتصرة وثيقة ولها جميعاً مصالح سياسيَّة واقتصاديَّة لا يُحصَّل عليها الَّا بهدوّ الاحوال وبطلان الثورة

فمن ذلك ان روسيَّة بغلَّاتها الواسعة تشبع ملايين من البشر في البلاد الاجنبيَّة فضلًا عن اهلها . واليوم بسبب الثورة أُهملت الحقول ونُهبت الغلَّات وضربت المجاعة اطنابها في انحاء البلاد حتَّى صارت الجماهير من الناس معرَّضة للموت وذلك في المدن كما في القرى . وصار اغلب اهل بطروغراد لا يجدون ما كلًا سوى مرَّة في النهار للغلاء الفاحش المنتشر فيها وقلَّة الوسائط الغذائيَّة . حتَّى اصبح الكيلو من الخبز المبيع قبل الحرب بنصف قرش يباع اليوم بفرنكين وعشرين سنتيماً

واقبح من ذلك انَّ رؤساء البلشفيين ضبطوا المصارف وخصُّوا مالها بمصالحهم ودخلوا المعاهد العمومية والمعامل الصناعيَّة ودور الاشراف فاستصفوا اموالها وضبطوا مؤونتها فصارت المعاملات كلُّها بالورق المالي الذي نقصت قيمتهُ ثلاثة ارباع

وما هو غاية في الغرابة وسوء المعاملات ان اصحاب الثورة اذ وجدوا ما على

روسية من الديون الباهظة التي كانت تبلغ قبل الحرب ٦٤ مليارًا من الروبل فبلغت بعده ١٢٠ مليارًا قد اعلنوا بإلغاء تلك الديون لزعمهم انها كانت على عواتق الدولة الساقطة لا يلزمهم دفعها وهذا امرٌ تتضل غريب . ولفرنسة وحدها على روسية من الدين سبعة مليارات ونصف من الروبل الذهبي

فترى في اي هاوية وقعت روسية بمبادئ البلشفية وقد رفع عقلاء الروس اصواتهم طالبين من الدول ان ينقذوهم من تلك الاهوال . وقد ارسل البعض من رؤساء دينهم هناك رسالة الى الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر ينشدونهُ الله بان يقبّح اعمال البلشفيين لأنهم يرعوون عن غيّهم(١ . هداهم الله الى سواء السبيل ووقانا من شرور الاشتراكية فيعود العالم قريباً الى سلامهِ امين

ترقي علم الاجسام المشعّة

لاحد الآباء اليسوعيين

منذ اكتشاف العلّامة رنتجن الاشعّة المجهولة (rayon X) سنة ١٨٧٥ في اساطين كروكس المفرغة من الهواء اقبل الطبيعيّون على درس تلك الاشعّة الغريبة . وما لبث الدكتور بكرل (Becquerel) الفرنسويّ ان اكتشف انبعاث اشعّة مثلها من الاورانيوم (uranium) في سلفات الاورانيل والبوطاسيوم . وتبعهما موسيو كوري (Mr Curie) وزوجتهُ فدرسا خواصّ الاورانيوم الذي وقف عليهِ المسيو بكرل فأثبتا انَّ هذه الاشعة تزيد قوّةً في بعض المركّبات ولا سيما في ضرب من التربة المعروفة بالبشبلند (pechblende) الموجودة في النمسة . فاخذا يجدّان في افراز عنصر الاورانيوم من تلك التربة واذا بهما وقفا على عنصرين آخرين مشعّين دعوهما بالراديوم (radium) والبولونيوم (polonium) . واضاف اليهما بعد قليل الطبيعيُّ

١) ومما يحسن ذكرهُ انَّ البلشفيين في غرّة شباط ١٩١٨ ألغوا التاريخ الشرقي وباشروا باستعمال التاريخ الغربي المعروف بالغريغوري فجعلوا اليوم الاوّل من شباط الرابع عشر منهُ . فان شاء الله يعمّ هذا التاريخ كلّ الكنائس الاورثذكسية من روم وارمن وسواهم ايضاً

الفرنسوي دوبيارن (Debierne) عنصرًا آخر سمّاهُ اكتينيوم (actinium) ثمّ اكتشفوا اجساماً مشعّة أخرى وهي الهيليوم (hélium) والتوريوم (thorium) والايونيوم (ionium)

ولكل هذه الاجسام خواصّ عجيبة لا يزال العلماء منكبّين على درسها فيجدون كل يوم من امورها ما يذهل العقول . فممّا تبيّنهُ المسيو پرّان (M. J. Perrin) ان الاشعّة التي تستقطب سلبيًّا في اساطين كروكس (rayons cathodiques) لها سرعة فائقة فانّها في الثانية تقطع ٣٠،٠٠٠ كيلومتر بنيّف مع ان جرمها اصغر من جرم الهيدروجين بنحو ١٧٠٠ ضعف ودقائق الهيدروجين كانت في السابق معدودة كاصغر اجرام العناصر الهيولية . امّا الاشعّة المستقطبة ايجابيًّا (rayons anodiques) في اساطين كروكس فسرعتها دون الاشعّة السلبيّة كثيرًا فانها لا تقطع في الثانية سوى ٣٠٠ كيلومتر وجرمها كجرم الدقائق الهيولية . وقد علّلوا خفّة اشعّة وتتجن وقوّة نفوذها بتركيبها الخاصّ من تموّجات كهربائيّة ومغناطيسيّة تجعلها انفذ من اشعّة الطيف الشمسيّ الواقعة ما وراء البنفسجيّ (rayons ultra-violets)

وممّا استفادوا من درس الراديوم انّ الاشعّة على ثلاثة مظاهر افرزوها بالعلامات اليونانيّة α، β، γ لكلٍّ منها خواصّ مختلفة على اختلاف استقطابها . واشدّها فعلًا القسم الموسوم بعلامة γ فان هذه الاشعّة يمكنها ان تنفذ في صفيحة من الرصاص سمكها ستّة ملمترات وملفوفة بصفحتين من الالومينيوم سمكها ازيد من ملمتر

وافاد المسيو كوري وزوجتهُ انّ هذه الاجسام المشعّة ما عدا خواصّها الذاتيّة تبعث مائعاً غازيًّا يلتصق بالاجسام المحيطة به فيوليها قوّة مشعّة ثانويّة (radio-activité induite) . وقد جمعا رواسب من ذلك المائع فوجداها قوّة مشعّة اعظم من عنصره المتولد منهُ بنحو ١٠٠،٠٠٠ ضعف . وقد حلّلا هذه الانبعاثات فوجدا لعنصر الراديوم ستّة اجسام ولعنصري التوريوم والاكتينيوم جسمين

وممّا تحقّقهُ ايضاً العلماء انّ بين هذه الاجسام المشعّة كلّها ارتباطاً عظيماً على حسب ما يدخلها شيء من الدقائق الهيولية الخاصّة المختلفة الثقل . فانهم يظنون ان الهيليوم هو انبعاث الراديوم وان البولونيوم احد مظاهر الراديوم وكذلك يرتأون ان البولونيوم لا يختلف عن الراديوم والايونيوم الّا في بعض هيئاته

ومن غريب هذه الاجسام انَّ درجة حرارتها ارقى من الحرارة الجوّيّة فقد قاسوا حرارة املاح الراديوم فوجدوا ان غراماً منهـا يبعث في الساعة ١١٨ مقياساً صغيراً (petites calories) من الحرارة وان غراماً من الراديوم الصرف يبعث في الساعة ٣,٠٠٠,٠٠٠ من مقياس الحرارة الكبير (grandes calories) اعني ما يساوي خمسة قناطير من الفحم

على ان استخراج كميّات قليلة من هذه العناصر المشعّة يقتضي تحليلات كيمويّة طويلة كانوا أوّلاً يستخرجونها من التُربة المذكورة سابقاً اي البشبلند . ثم وجدوا مركّبات اخرى تحتوي منهُ بعض الاجزاء كبعض الفلزّات المدعوّة في البرتغـال بالاوتونيت (autonites) وغيرها في اميركا في جهات كولورادو يسمُّونها كرنوتيت (carnotites) فاستخلصوا منها عدة غرامات من الراديوم تباع بمبـالغ فاحشة حتّى انَّ الغرام الواحد يساوي من عشرة الاف الى عشرين الف فرنك . وفي اواسط السنة ١٩١٤ عالجت شركة فرنسويّة في سان دنيس (Saint-Denis) ثلاثـة الاف طنّ من فلزّات برومور الراديوم استخرجوا منها نحـو ١٠ غرامات من الراديوم يساوي ثمنهـا ٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اعني ٤٠٠,٠٠٠ فرنك الغرام الواحد

وفي مؤتمر بروكسل سنة ١٩١٠ رأى العلماء انَّهُ لا بُدَّ من وضع معيار دوليّ لهذا العصر لكي تجري الدول على موجبهِ فجعلوا لذلك المعيار اسم «كوري» اشارةً الى فضل المسيو كوري وقرينتهِ في درس هذه الاجسام المشعّة . ووحدة ذلك المعيار هي كمّية ما ينبعث من غرام واحد من الاشعّة . ويرجعون خصوصاً الى القسم الالف من الغرام (millicurie)

وقد تعدَّدت اليوم فوائد الراديوم فيستعملهُ الاطباء لمعالجة السرطان والقروح والبثور الجلديّة واتخذهُ ارباب الصناعة لعدّة فوائد في استحضار الانسجة وغيرها

وممّا افادت اكتشافات الاجسام المشعّة انَّ الدقائق الكيمويّة التي كانوا يزعمون سابقاً انها غير منقسمة قد ثبت انّها مجموع قوًى كهربائيّة مرتبطة ببعضها فتُفرز تلك القوى انبعاثات متواصلة لا تكاد تنفد . فان غراماً واحداً من الراديوم يبعث في الثانية ٣٤ ألف مليار من تلك الانبعاثات ويمكنهُ ان يواصل هذا العمل مدّة ٢٨٨٠ سنة . فيا لله كم من العجائب في الخليقة تشيد بعظمة الخالق !

اعتراف اليهوديّ

تعريب بتصرُّف لرسالة الاب لويس لِنوار اليسوعي

بقلم حضرة الخوري مارون غصن مدرّس البيان في كليّة القديس يوسف

لمَّا زار حضرة الجنرال غورو كليّة القديس يوسف في ٢٨ ت٢ استقبلهُ تلامذتها في ساحة الدار فتلا احدهم تقريظاً ذكر في اثنائهِ احد معلّمي الكليّة الاب لويس لِنوار الذي خدم في الحرب العمومية الاخيرة بين جيوش الجنرال ببسالة وتفانٍ عجيبين فاستحقَّ في ساحات قتال الارغون ان يعلّق الجنرال على صدره وسام جوقة الشرف. وبعد قليل سقط الاب المذكور في ميدان الوغى ضحيّة محبته لوطنهِ وقياماً بخدمة نفوس الجنود. فأثّر هذا التذكار في قلب حضرة الجنرال فأجاب بهذه الالفاظ السجديّة: «ما كنتُ لأنتظر ان تلمحوا الى ذكرٍ من تذكارات الحرب حفظتهُ في قلبي محفوفاً باشدّ عواطف الحبّ والاسف. نعم اني لمَّا استلمتُ قيادة جيش المستعمرات سنة ١٩١٥ وجدتُ فيهِ المرحوم استاذكم الاب لنوار وقد اقام معي وبالقرب مني زهاء خمسة اشهر وعرفتُهُ حقَّ المعرفة فانا اشهد لكم اني لم اجد جندياً ابسل ولا افرنسياً افضل من الاب لنوار»

وكان تأثُّر الجنرال عند تلفُّظهِ بهذه الكلمات شديداً فبكى كثيرون عند استماعهِ وصفّق الجميع تصفيقاً حاداً لفاتلهِ الكريم

وللاب لنوار رسائل عديدة كان يكتبها لاخوتهِ الرهبان في ساعات الفراغ وهو في الخنادق. ومن جملتها الرسالة الآتية التي روى فيها خبراً مفكّهاً وهو اعتراف جنديّ يهودي لاحد رفقتهِ قبل وفاتهِ في ساحات الحرب. فآثرتُ تلخيصهُ لقرّاء المشرق. قال الاب المذكور:

هذه رواية لطيفة لم يكن لي فيها دَوْر ولا شهدتُ تمثيلها لكنّي سمعت تفاصيلها من الضابط جان — وهو رجل ثقة من اخاص اصدقائي واشدّهم حماسة. ومع كونهِ ضابطاً تحسبهُ لسحنتهِ ولين بَشرتهِ فتاةً خفرة لكنَّهُ بعزمهِ ولطفهِ كان نال إكرام جنودهِ ووقارهم وهو يدعوهم بابنائهِ حتى الملتحين منهم يعدل فيهم وينصف المظلوم من الظالم

وكان من جملة اولادهِ جنديٌّ يدعى يوب او أيوب شابٌّ من اليهود المستقومين تبدو على وجههِ آثار الذل والضراعة. ومن رآهُ ملتحفاً بكسائهِ الطويل الوسخ الازرق اللون الضارب الى الخضرة ظنَّهُ احد اوباش «البوش» فما كان يظهر في حلقة الجند الّا علَت جلبتهم وكثرت قهقهتهم وتناوبتهُ سهام السنتهم ينبزونهُ بالالقاب المضحكة وذلك ليس خبثاً بل تفكُّهاً فيتذلَّل المسكين امامهم حتى يسترحم ذوي الرحمة

وكان الضابط جان في مقدّمة المدافعين عنهُ . واذ كان أيوب رثّ الحالة فقيرًا فقيرًا من احد اسباط اسرائيل المدقعة لم يفكّر فيهِ احد من اهلهِ او عشيرتهِ ليرسل اليه بشيء من الألطاف لكنّ جان عريف الجند كان يأخذ على نفسهِ الاصطناع اليهِ وكان كلّما وصلتهُ هديّة من امّهِ شطرَها فاعطى اكبر حصّةٍ حبيبهُ أيوب . فعمل ذلك في قلب أيوب وصار اتبع لجان من ظلّهِ منهُ لا يفارقهُ البتّة حتى كان جان يتضايق احيانًا من ملازمتهِ لهُ الّا ان حمايتهُ هذه لأيوب وتقسيمهُ معهُ حلويات امهِ احرزت لهُ فخرًا واعتبارًا حتّى صار يحبّهُ رغمًا عن سوء احوالهِ

قال الاب لنوار : وكان جان يأتيني حينًا بعد حين ويقصّ عليّ متبسّمًا نوادر صديقهِ أيوب فقلت لهُ يومًا : ما لك لا ترشدهُ وتسعى في هدايتهِ الى الدين ؟ فاستغرب جان ضاحكًا حتّى استلقى فقال : وكيف اسعى في هدايتهِ وهو لا يؤمن بإله ولا بشيطان . بل ليس هو يهوديًا باكثر منهُ مسيحيًا او تركيًا . فتراهُ اذا ما وقع بيننا حديث في الدين يضحك ويقهقه كالأبله . فثبت عندي يا ابتِ انهُ لا يستطيع ان يعتقد شيئًا اذ لا نفس لهُ

— ويحك كيف تزعم ذلك عن احد ابناء جنسك ؟

— لا تلُمني يا ابتِ لكنّي اكرّر قولي انّ ايوب حيوان في صورة انسان لا نفس لهُ

*

مرّت عليّ ايّام بعد هذا الحديث واذا بجان اتاني في احدى الليالي الاخيرة وقد بلغ منهُ التأثّر اقصاهُ فقلت لهُ : ما الامر ؟

فقال : كنتُ الليلة اعسُ ومعي ايوب وثلاثة من رجالي واذا بعسس العدوّ قد قرب الينا فرمينا منهم اثنين او ثلاثة . ففرّوا هاربين لكنّ واحدًا منهم اطلق بندقيّتهُ علينا فأصاب ايوب في بطنهِ فوقع صريعًا واخذ يزفر ويئنّ فكاد يعرّضنا لضربات العدوّ . فزجرتهُ ليسكت فازداد انينًا فأشرتُ الى اثنين من رجالي أن : توارَيا . والى الثالث وهو مارسال ان : ائتني فساعدني انتقل أيوب الى خندقنا

ونحن سائرون واذا بالعدوّ احسّ بنا فأطلق رشّاشه علينا فما نجونا الّا بتزولنا في حفرة خدّدتها قنابل البوش فلطينا فيها ثلاثتنا

واذا بأيوب يجذبني بثوبي ليقربني منهُ فقال : بحياتك أعلمني ما رأيك في جرحي أيعرضني لخطر الموت ؟

قلت : ربما نعم وربما لا

قال وكم تظنّ انهُ بقي لي من الحياة ؟

قلت مازحاً لاسكن روعهُ مع جهلي بما سيحلّ بهِ : ان لم يُصبك زُكام في الدماغ ستعيش ثلاثين سنة

فضمّني حينئذٍ الى صدره بشدّة وقال : بالله عليك دع المزح فاني اراني ماتتاً لكني لا اريد ان اموت هكذا . فهيأ واسمع اعترافي

فقلت لهُ : انت الآن تمزح ولاتَ حين مزاح . ألا تعلم اني لا احبُّ الاستخفاف بالدين . فاربأ بنفسك

قال : لا لا يا جان استُ بمازح . قد فكّرتُ كثيراً فثبت عندي انك لم تغمرني بفضلك واحسانك حتّى الآن الّا لصحّة دينك فعلى هذا الدين أريد ان اموت فهيأ هيأ واسمع اعترافي

فرماني كلامهُ في دهش وحيرة . . . فلو رددتُ طلبهُ زدتُهُ وجعاً وان سمعتُ اعترافهُ بخطاياه . . . لكنّي لستُ انا بكاهن . . . فوددتُ لو عرض عليَّ احد ان اقوم فاهجم على البوش وانتزع من ايديهم الرشّاش الذي كانوا يطلقونهُ علينا لفعلتُ لاتخلّص من لجاج اليهودي

وانا اكذلك واذا بفكر خطر على بالي فقلتُ لأيوب : ألا تعلم انّ الاعتراف لا ينفع دون المعموديّة

فاجاب للحال : إذن عمّدني

فقلتُ في نفسي : هذا اقدر عليه . اليس كذلك يا ابتي ؟ . . . فاخذتُ حفنة يدي من الماء الذي في حفرتنا والله اعلم اكان نظيفاً ام لا ونحن في ظلام دامس . ولكن لا بأس فان هذا الماء لعماد أيوب وشتّان بين النظافة وأيوب . . فعمّدتُهُ وانا لا اجهل صورة العماد لأني اتقنتُ قديماً التعليم المسيحي . أفما اصبتُ بفعلي هذا يا أبانا المرشد ؟

لكنّ أيوب المسكين لم يكتفِ بالعماد فرجع يلحّ عليَّ لاستماع اعترافهِ حتى

أيومني . ثمَّ قلتُ : لا بأس ان أتظاهر باستماع اعترافهِ لئلَّا اكدّرهُ ثمَّ أطلع حضرتك على الامر . فقلتُ للمارسال وهو لا يستطيع ان يتحرَّك خوفاً من الرَّشاش : سدَّ أذنيك . ثمَّ اشرتُ الى أيوب بان يباشر الى اعترافهِ : فاندفع يطلعني على عُجَرهِ وبُجَرهِ واباح لي بكل مكنونات صدرهِ وكانت السلسلة طويلة ولا عجب اذ كانت تلك الخطايا تُبهظهُ وتُقلق ضميرهُ فاراح قلبهُ باقراره عنها

فلمَّا انتهى لم ادرِ ما اقول لهُ وانَّما تلوتُ على رأسه الصلاة الربيَّة ثمَّ قلتُ لهُ أن : ثِقْ بالله فانهُ ارحم الراحمين

فحدِّث يا ابتِ عن فرح أيوب بعد اعترافهِ ولا حرج فانهُ قبَّل عارضيَّ واظنُّهُ كان باكياً . امَّا انا فاقرُّ لك اني ما كدتُ اضبط نفسي عن البكاء

فتمهَّلنا قليلاً لنغالط الرَّشاش حتَّى امكنني انا ومارسال من الجثو والزحف ان نبلغ خندقنا ونحن نسحب وراءنا أيوب فلمَّا وصلنا نظرنا اليهِ واذا بهِ جثَّة هامدة . . فكم حزنتُ عليهِ وانا لا ازال كئيباً كأني فقدتُ اخي !

ولكن دَعْني ابتِ اسألك قبل كلَّ شيء تلك الخطايا التي سمعتها ما اصنع بها ؟ قلتُ : اياك ان تكشف سرَّها لبشر ايًّا كان . . .

مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر الى الشرق

للاب يوسف منجان اليسوعيّ معلّم اللاهوت في كليَّة القديس يوسف

ليس من يجهل مآثر الاحبار الرومانيين الى الشرق . تلك خطَّة ألفوها منذ اوائل النصرانيَّة كما تشهد عليها اصدق التواريخ . ولا غرو فانهم بذلك يقومون بامر سيّدهم الذي اودعهم رعاية الخراف الناطقة في الشرق كما في الغرب دون استثناء

على انَّ هذه المآثر تلوح في البعض منهم اكثر من سواهم وقد اثبت الشرق شيئاً منها في عهد الحبرين الاعظمين السابقين لاون الثالث عشر وبيوس العاشر . ولم يحدْ عن هذه الخطَّة إمام الاحبار الحاليّ فانَّهُ من اخصّ الاصدقاء للشرقيين عموماً ومن اعطف الآباء نحو رؤساء وابناء الكنائس الشرقيَّة خصوصاً

وكان اهل الشرق الذين زاروا رومية العظمى لمّا كان المنسنيور لاكيازا في معيّة الكردينال رمبولا وزير الحضرة البابويّة يثنون على انسه بهم واصطناعه اليهم . فلمّا تبوّأ كرسيّ الخلافة الرسوليّة استبشر بارتقائه من عرفه من الشرقيين وأمّلوا من اختياره خيرًا

والحقّ يقال ان بندكتوس الخامس عشر منذ نيف وخمس سنوات اظهر من الالطاف وآيات الحبّ نحو الشرقيين فوق ما أماره من انعطافه الابويّ . وبيانًا لذلك ها نحن نسرد هنا بعض ما وقفنا عليه من مآثره الجليلة ليتحقّق الشرقيّون ان رومية لا تزال لهم مورد الآلاء والنعم السابغة كما هي موطن الايمان الثابت ومركز الوحدة الدينيّة ونذكر تلك الصنائع على حسب زمانها سنةً فسنة

١ كان اوّل ما تولّى صنيعهُ البابا بندكتوس في الاسابيع الاولى بعد انتخابه لتدبير الكنيسة انهُ سعى بتلطيف الاحكام الشديدة التي اصدرتها الدولة العثمانيّة في حقّ المرسلين الى الشرق اذ حُبس البعض ونُفي البعض الآخر فأمكن الحبر الاعظم بواسطة نائبه في الاستانة ان ينال من جلالة السلطان محمّد الخامس رشاد ان يعاملوا باللطف ويسمح لهم بالرجوع الى اوطانهم وان يرفق بالباقين من وطنيين او متحالفين . ونال النعمة نفسها لبعض العلمانيين وخصوصًا لاساتذة مكتبنا الطبّي

وليست هذه الكرامة الوحيدة التي حظي بها الحبر الاعظم من تركيّة بواسطة قاصده الرسولي السيّد انجلو دُلشي لاسعاف الشرقيين فانّهُ ايضًا توسّط لدى الباب العالي سنة ١٩١٥ في ٢٤ و ٣١ ك ١ ثمّ سنة ١٩١٧ في ٤ ايّار لتبليغ هباته الى الاسرى والجرحى من الدول المتحاربة الذين كانوا معتقلين في الاستانة وفي مالطة فزارهم القاصد المذكور باسم الحبر الاعظم وسرّهم بما وزّع عليهم من الألطاف

وبواسطة الحبر الاعظم خلّى رؤساء الاتراك سبيل بعض الاسرى فأُعيدوا الى اوطانهم سالمين وذلك في اثناء سنة ١٩١٦ . وفيها ايضًا رُوعي جانب قداسته بشأن قبور جنود الاتفاقيين الذين قُتلوا في الدردنيل فحُفظت مدافنهم بما تستحقّهُ من العناية والاكرام تلبيةً لدعوة الكرسيّ الرسوليّ

٢ ومن مآثر ابي المؤمنين شفقتهُ على الارمن لمّا بلغهُ سنة ١٩١٥ ما اصاب هؤلاء المنكوبين الحظّ من القتل والنهب والسلب والنفي فدعا الاتراك الى الانصاف والرحمة فنوّهُ بالمواعيد المرقوبيّة واذ لم يجد بينهم اذنًا صاغية استعطف في سبيلهم

الامبراطور غليوم الثاني وحلفاءهُ فأصغوا عنهُ الآذان مدَّعين انهم لا يريدون التداخل في امور الاتراك الداخليَّة . فلم يثبط ذلك عزمَ قداستهِ وسعى جهدهُ في جمع المساعدات وضروب الحسنات لتلطيف نكباتهم الى ان استمدَّ أخيراً بالحاحهِ ان يوضع حدٌّ لتلك المجازر الهائلة في عدَّة انحاء . ثمَّ انشأ ميتماً لأيتام الارمن في الاستانة

٣ وقد بذل قداسة الحبر الاعظم عنايتهُ الخصوصيَّة نحو سكَّان سوريَّة ولبنان فكتب غير مرَّة لوزراء تركيَّة ولحكَّام البلاد ينشدهم الله بان يخففوا مصائب الحرب عن عواتق شعوبهم . وكان يحضُّ نوَّابهُ الرسوليين وقصَّادهُ في اتخاذ كلّ الوسائل الممكنة لمساعدة ذوي الحاجات المتضوّرين جوعاً المنهوكين من الامراض . وكان يرسل عن يدهم المبالغ الطائلة ليوزّعها على المبؤوسين . ولمَّا بلغ قداسة الحبر الاعظم انَّهُ قد حُكم على بعض الاساقفة والاعيان بالاعدام كتب بيدهِ الى السلطان فانقذهم من الموت . ثم حرَّض قداستهُ ارباب الخير في آخر الحرب بفتح الاكتتابات لجمع الحسنات لاهل لبنان وكان اسمهُ في رأس المكتتبين بمبلغ ٢٠،٠٠٠ فرنك

٤ ومن نِعَم الكرسيّ الرسوليّ في كلّ هذه السنين نحو الشرقيين دون تمييز بين الملل والاديان التفاتهُ الخاصّ نحو الشعوب البلقانيَّة من اهل سربية وروسانية واليونان وجبل الاسود اذ رأى سكَّان تلك الجهات معرَّضين للهلاك مُرغَمين على هجر منازلهم والفرار الى الجبال حيث يهلكون بردًا وجوعاً . فبذل قداستهُ اقصى الجدّ في تليين اوجاعهم ونال من النمسة ان تسمح بان تُنقل اليهم اسباب المعاش دون مصادرتها وان تُعطى لهم الاسعافات الماليَّة

ونضيف الى ذلك توسُّطهُ لدى امبراطور النمسا لكي يبدل القضاء بالاعدام على الصحافي الروسيّ ديتريوس دي ينتشنكي المحكوم عليه لاجل خيانة عظيمة واثم الجاسوسيَّة فعفا عنهُ الامبراطور وعن سبعة آخرين مثلهُ سنة ١٩١٦

٥ على انَّ هذه الالطاف ماديَّة كلّها اذا كان قداسة البابا ليذهل عمَّا هو افضل منها فكان همّهُ العظيم خلاص النفوس فارسل الى جهات الاناضول وما بين النهرين كهنة لينوبوا عن المرسلين في خدمة المسيحيّين

ولمّا منحت روسيّة في اوائل الحرب حرّية الاديان لرعاياها بادر البابا بندكتوس وارسل الى الكاثوليك كهنةً يُعنَون بامرهم . وهكذا فعل بسربيّة بعد ان عقد وزراؤها معاهدة مع الكرسيّ الرسوليّ

٦ ومن اعمال الحبر الاعظم الدالّة على حنوّه واهتمامه بالارواح التي امكنهُ تنفيذها رحمةً بالاسرى وتأييداً لشواعرهم الدينية ما نالهُ من كل الدول المتحاربة الغربيّة والشرقيّة ان يُعفى الاسرى يوم الاحد من الاشغال البدنيّة ومن جملتها روسيّة التي لبّت طلبتهُ في ٢٥ ك ١ ١٩١٥ وكانت تركيّة سبقتها في ١٨ ايلول فاعلمت قداسة البابا انها ستعافي الاسرى عندها من الاشغال يوم الاحد عوضاً عن يوم الجمعة الذي كان يستريح فيهِ هؤلاء التعساء وما ذلك الّا لتلبّي رغبة الحبر الاعظم في تعيين يوم الاحد البطالة واقيام الاسرى بفروضهم الدينيّة

٧ وقد عمَّ الحبر الاعظم بفضلهِ كلّ الشرقيين اذ صرّح لهم باحد مناشيرهِ ان الغفرانات الممنوحة الى اليوم وتمنح فيما بعد للمؤمنين يتساوى فيها الشرقيّون والغربيّون معاً يمكنهم جميعاً ان يرجوها لخلاص نفوسهم ونفوس المتنيّحين بالرب اذا وفوا بالشروط المتعلّقة بها وكان ذلك في المرسوم المؤرخ في ٧ تموز ١٩١٧

وكان حنان قلبهِ على الشرقيين المنفصلين قد دفعهُ قبل ذلك في ١٥ نيسان ١٩١٦ الى نشر الصلاة الآتية التي اناط بها غفران ٣٠٠ يوم لمن يتلوها مرّة وغفراناً كاملاً في الشهر لتاليها كلّ يوم. وهاك تعريبها :

ايّها الرب الذي جمعتَ الامم المختلفة في الايمان باسمك . انّنا ندعوك لاجل الملل المسيحيّة في الشرق . فبينما نحن نذكر المقام الرفيع الذي نالوهُ في كنيستك توسّل اليك ان تلهمهم الرغبة في العَوْد الى ذلك المقام ليؤلّفوا معنا رعيّة واحدة تحت رئاسة راعٍ واحد . امنحهم ان يدركوا سواء مثلنا تعاليم معلّميهم القديسين الذين هم ايضاً آبائنا في الايمان . صُنهم من كلّ ضلال من شأنهِ ان يبعدهم عنّا . فليقرّب روح الوئام والمحبة الذي هو دليل وجودك بين المؤمنين ذلك اليوم الذي فيهِ تتّحد صلواتنا مع صلواتهم لكي يعرف ويمجّد كلّ شعب ولسان سيّدنا يسوع المسيح ابنك الوحيد . امين

٨ وحبّ الاب الاقدس نحو الشرقيين قد حملهُ كالاحبار السابقين وبالاخص لاون الثالث عشر على تكرار الوصاية والتشديد في حفظ طقوسهم مصونةً من كلّ تبديل وتصرُّف تحت طائلة العقوبات الكنسيّة . وقد كتب في ٢٧ آذار سنة ١٩١٦

الى جالية الروتان في اميركة الجنوبيّة يحرّضهم على صيانة طقسهم اليوناني الروتاني ويدقق لهم القوانين ليعلمهم كيف يتصرّفون مع ذوي الطقس اللاتيني في غربتهم

٩ وقد اتى إمام الاحبار بما هو فوق ذلك شأناً في رقيمه الصادر في غرّة أيار سنه ١٩١٧ حيث اعلن بانشاء مجمع خصوصيّ للعناية بامور الكنائس الشرقيّة . وقد وضع ذلك المجمع رأساً تحت نظارة الحبر الروماني يترأس جلساته بنفسه لتبقى حقوق الشرقيين وتقاليدهم سليمة مصونة وتعزّز شؤونها في المستقبل . فعلى هذا المجمع تُعرض كلّ الابحاث الخاصّة بامور الكنائس الشرقيّة وآدابها ومشاكلها المختلفة سواء كانت بين ابناء كنائس الشرق ام بينهم وبين تَبَعة الكنيسة الغربيّة

١٠ وقد لاح عطف ابي المؤمنين على الشرقيين باجلى بيان لمّا اصدر في ١٠ تشرين الاوّل ١٩١٧ حكمة السامي في انشاء معهد بابويّ دعا اليه اللاتينيين والشرقيين حتى المنفصلين منهم عن الكنيسة الرومانيّة ليتلقّوا فيه علوم الشرق المسيحي نظريّة كانت او ادبيّة وقد خصّ لذلك مكتبة واسعة واقام للمعهد اساتذة من الاختصاصيين الغربيين والشرقيين ليلقوا دروسهم على الوافدين اليهم من كهنة عالميين او رهبان ولاسيّما من المرسلين الى الشرق ليكونوا على بصيرة من احوال الشرقيين وتعاليمهم وتآليف كتبتهم فيزول بذلك كلّ سوء فهم بين الكنيستين وتتقرّب القلوب الى الوحدة . وقد جعل بندكتوس الخامس عشر هذا المعهد تحت كنفه واستبقى رئاسته لنفسه وللاحبار خلفائه . وقد اطّلعنا على لائحة دروس هذا المعهد فرأيناها وافية بالمرام لم يبرح من ذهن واضعها شيء ممّا يرغبه علماء الكنيستين من دروس لاهوتيّة وتاريخ الكنائس الشرقيّة وتعليم الآباء الشرقيين وتعريف الطقوس الشرقيّة وحق الشرقيين القانوني والمدنيّ والآداب الشرقيّة وآثار الشرق القديمة الدينيّة ولاسيّما البوزنطيّة وجغرافية الشرق المسيحيّ مع تلقين لغات الكنائس الشرقيّة اي اليونانيّة والروسيّة والسريانيّة والكلدانيّة والعربيّة والقبطيّة والارمنيّة والحبشيّة والكُرجيّة

١١ ونختم هذا النظر الاجمالي في اعمال الحبر الاعظم بعد الحرب بذكر مساعيه المستطابة في نجاة الاماكن المقدّسة في فلسطين من كلّ أذى وقلّة اعتبار بتسليم تلك الآثار الجليلة الى من لا حقّ لهم فيها . وقد احتجّ قداسته على ما بلغه

من صنع بعض اناس غرباء من الشيع البروتستانيَّة « الذين يتهزون بما لديهم من غزير المساعدة والوسائل فرصة ما احدثتهُ الحرب في فلسطين من عظيم الشقاء والخراب لكي يشُوا هنالك تعاليمهم » ولذلك خصص البابا مبلغاً معلوماً تُردّ للكاثوليك الرسالات المقدَّسة والمعابد والمدارس واستنهض همَّة اساقفة العالم الكاثوليكيّ على الاهتمام بهذا الامر الخطير

فمن هذه الخلاصة يتضح ما للاب الاقدس بندكتوس الخامس عشر من الايادي البيض في سبيل الشرقيين ويلوح انهُ كان حقيقةً كما قال السيّد اشعيا پاپادوبولس في خطاب وجّههُ لقداسة الحبر الاعظم في ١٩ آذار ١٩١٩ :

« ابا عامًّا لكلّ المسيحيين الشرقيين والغربيين والراعي الاسمى لرعيَّة المسيح والقائد والمساعد وحجر الزاوية لصرح الكنيسة العجيب ... به ظهرت جديدًا لدى اعين الاخوة المنفصلين قوَّة البابويَّة الادبيـة المؤسسة على الابوَّة الالهية فوق كلّ قوَّة أُخرى سواها »

فعسى ارباب الكنائس الشرقيَّة يُرْعون سمعهم لهذا الصوت الابويّ فيهزُّون قلب راعي الكنيسة بضمّ قواهم الى قوى اخوتهم « ليكونوا كما قال الربّ مكمَّلين بالوحدة »

الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب اليانو الثانية الى الموارنة ١٥٨٠—١٥٨٢

ما وقف الاب جوان باطشتا اليانو على نيَّة الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بخصوص سفارة ثانية الى لبنان حتَّى اخذ يستعدّ لها استعدادًا تامًّا ليجتني منها الكرسيّ الرسولي الثمار الطيّبة التي يشتهيها لمجد الله ولخير الكنيسة . وعيَّن لهُ الرئيس العام الاب اقرْدُ مركوريان كرفيق لهذه الرحلة الاب يوحنَّا برونو (G. Battista Bruno)

الذي يدعوه الدويهي في تاريخه (ص ١٢٧) «جوان بروناء». وكان هذا الرجل ورعاً واسع الفضل ضليعاً بالعلوم اللاهوتية

فسُرَّ به السفير البابوي ورأى معه انَّ امسَّ حاجة ينبغي التفرُّغ لها قبل سفرهما الاهتمام بطبع بعض التآليف في العربية ينشرانها في لبنان لصيانة اهله من اضاليل الامم المجاورة لهم وتعزيزاً للايمان الكاثوليكي في قلوبهم

غير انَّ طبع الكتب كان يقتضي تجهيز مطبعة وحفر حروف جديدة عربية وسريانية. فاتَّفق الاب اليانو مع طبّاع روماني اسمه غريغوريوس لوتكا (Gr. Lutcha) ثم استدعيا رجلاً حاذقاً يُحسن حفر الأمهات يدعى غرانييار (Granier) فتفرَّغ لهذا العمل وبعد اسابيع قليلة أحضر الطارب فصُبَّت حروف كافية لطبع عدَّة كتب والمرجح ان تلك المطبعة لم تجهز في المدرسة الرومانية بل بقيت في عهد الطبّاع لوتكا. واخبارها مفقودة اليوم

واول ما نشره الاب اليانو طبع التعليم المسيحي الشهير الذي صنَّفه القديس بطرس كانيزيوس اليسوعي فعرَّبه واضاف اليه ملحقاً دحض فيه اخصَّ الاضاليل الفاشية في الشرق ثم طبعه بالحرف الكرشوني في نيسان من السنة ١٥٨٠ ونُسخ هذا الكتاب نادرة جداً لا يُعرف منه سوى نسخة مصونة في مكتبة فريبورغ من اعمال سويسرة. ففي الصفحة الاولى صورة الصلوب على الجلجلة مع هذا العنوان بحرفه:

«التعليم المسيحي على جاري عادة كنيسة رومية الذي يلزم علمها وحفظها لكل المؤمنين بالمسيح وهي على صفة السؤال والجواب في لسان العربي (sic) المختومة بمدينة رومية بامر السيد فافا غريغوريوس الثالث عشر في يوم السابع من شهر نيسان سنة ١٥٨٠ مسيحية»

وعلى الهامش باللاتينية بخط احد السيّاح المسمّى سبستيان فارون كان اهداه الاب اليانو هذه النسخة في سورية سنة ١٥٨١:

Catechismus Arabicus Chaldaico charactere per R. P. Joannem Baptistam Societatis Jesu Apostolicum in Phoenicia conscriptus, et mihi Sebastiano Werron ab Authore in Syria dono datus. 1581

وفي الصفحة الثانية صورة السيّد المسيح يقلّد بطرس رئاسة كنيسته وتحت الصورة آية متى (ف ١٦) : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي ..

ومما طبعهُ ايضاً بعد تعريبهِ كتابُ المكرَّم لويس الغرناطيّ في سرّي التوبة والقربان وكذلك عرَّب وطبع قوانين المجمع التريدنتيني وجدَّدَ طبع اعتقاد الامانة الارثذكسيّة الذي كان عرَّبهِ سابقاً سنة ١٥٦٦ كما روينا

وذكر الاب سكّينيّ في تاريخ الرهبانيّة اليسوعية انَّ الاب اليانو طبع كتباً اخرى معرَّبة بقلمهِ منها التعليم الروماني الذي كان ألَّفهُ الاب اليسوعيّ فرنسيس توريانو (Fr. Turiano) ثم كتاباً في تفنيد اضاليل اليعاقبة والنساطرة (ولعلّهما الكتابان السابق ذكرهما) ثمَّ كتاب الاقتداء بالمسيح وصلوات القدّاس اللاتيني . وكلّ هذه التآليف اصبحت اليوم اعزّ من بيضة الديك . وكنّا أمّلنا ان نجد منها نسخةً في دير سيدة قنّوبين في رحلتنا اليهِ في اوائل تشرين الاوّل من السنة ١٩١٤ . فلم يتحقّق املنا

وكان الاب يوحنّا برونو يساعد الاب اليانو في نشر تلك المطبوعات ويهتمّ بتنظيم الموادّ التي ينبغي البحث عنها في المجمع المنويّ عقدهُ في لبنان

اما الكردينال كرافّا محامي الطائفة المارونيّة فاخذ يسعى في امر درع الرئاسة لدى الحبر الاعظم ليرسلهُ للسيّد البطريرك ميخائيل الرزّي اذ لم ينلهُ بعدُ مع كونهِ بطريركاً منذ ١٣ سنة . وكان يحول دون منحهِ اياهُ ما رواهُ الدويهيّ في تاريخهِ (ص ١٧١ و ٤٣٩ — ٤٤١) عن شكايات قدَّمها بعض اهل قبرس الى الكرسيّ الرسوليّ يتهمونهُ بها عن صحّة ايمانهِ . فاحبَّ الحبر الروماني ان يتّضح الامر جليًّا . وزاد ارتياب الكرادلة لمَّا عرفا ما تضمَّنهُ الانجيل المخطوط بيد البطريرك من النصوص غير السديدة فأبى بعض امراء الكنيسة الاجابة الى طلبته لكنَّ الاب اليانو اكّد لهم حسن نيّة البطريرك وشهد عن تقاهُ ورضاهُ التامّ بتعاليم الكنيسة الرومانيّة مع استعداد جميع رؤساء الطائفة واساقفتها لقبول اوامر الكرسيّ الرسوليّ . فازالت هذه الشهادة الحيّة كلّ ريب من عقل البابا والكرادلة الفاحصين واسرع الحبر الاعظم في تقليد البطريرك الدرع المقدّس المرموز بهِ الى سلطانهِ على كنيستهِ وسلّمهُ الى الاب اليانو ليبلغهُ الى غبطة البطريرك بعد تجديدهِ امامهُ تأدية الطاعة للحبر الروماني

وكذلك اهتمَّ الكردينال كرافا بتهيئة ٣٠٠ كاس مع عدد وافر من الحلل البيعيّة للاساقفة والكهنة ومن قوالب البرشان اودعها جميعاً عدّة صناديق لتوزَّع في لبنان على الاكليروس الماروني

فكل هذه الاشغال لم يمكن الابوين ان ينجزاهـا الّا في اواسط الربيع من السنة ١٥٨٠ فصمّما حينئذٍ العزم على السفر في العشر الثاني من شهر ايّار. واراد الاب الاقدس ان يؤازرهمـا بتعليمات واسعة لتتمّ تلك السفارة على احسن منوال فتتوثّق نهائيًا عرى الاتحاد بين بني مارون ومركز الوحدة الكاثوليكيّة

وقـد حرَّر تلك التعليمات الكردينالان انطون كرافا ودي سان سفرينو (C^al. San Severino) باسم الحبر الاعظم وهذه التعليمات مصونة حتّى اليوم في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة قـد نشر منها المرحوم الاب انطون رباط ما سطّره الكردينال كرافا فاثبتهُ بنصّهِ الطلياني في المجلّد الاوّل من كتابه المعنون بالآثار الخطيّة عن تاريخ الكنائس الشرقيّة (ص ١٤٨ — ١٥١) وهي تتألّف من ١٩ بندًا يوصي فيها الكردينال الابوين اليسوعيين بان يتفقّدا شؤون الطائفة في ايمانهـا وطقوسها وآثارها الكنائسيّة وعاداتها في جميع انحـاء لبنان ويدوّنا كلّ ملحوظاتهما بالتدقيق وان يقلّدا الدرع المقدّس غبطة البطريرك بعـد استثباتهما لصحّة ايمانهِ وطاعتهِ للكرسيّ الرسولي وان يجتهدا في ان يصلحا بينهُ وبين الاساقفة الخارجين عن طاعته بعد تأديتهم الخضوع لرئيس كنيستهم . وتاريخ هذه الوصيّة في ٧ ايّار ١٥٨٠

امّا وصاة الكردينال سان سفرينو فتاريخ كتابتها في ١٠ ايّار ضمّنها مرغوبات الحبر الاعظم بخصوص هـذه السفارة فيقول للابوين ان البابا بارسالهما الى الشرق لا يقصر نظرهُ على الموارنة فقط بل يريد ان يسعيا بردّ كل الطوائف الشرقيّة الى حجر الكنيسة ومن ثمَّ ينبغي عليهما ان يجتمعا برؤساء تلك الطوائف من ارمن وروم ويعاقبة وكلدان واقباط ليعرضا عليهم الاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة بنبذ التعاليم الباطلة التي زرعها في قلوبهم عدوّ الله — ثمَّ يحرّضهما على انتخاب بعض الاولاد الاذكيـاء يرسلانهم الى روميـة ليتهذّبوا فيها ثمَّ يعودوا الى مواطنهم فينشروا بين ذويهم المعتقدات الصالحة . ومن وصايا الكردينال ان يبحث الابوان عن الآثار الكنسيّة

والمناشير البابويّة التي أرسلت الى الشرقيين فيأخذا صورتها لا سيّما مناشير البابا اوجانيوس الرابع المرسلة بعد المجمعين الفلورنتيني واللاتراني

وقد اضاف رئيس الرهبانيّة اليسوعية العام الاب مركوريان الى هذه التعليمات وصايا أخر نشرها ايضاً الاب انطون رباط في مجموعته (١ : ١٤٥ — ١٤٧) مملوءة حكمة يذكّر فيها المرسلين بعظم المهنة التي عُهدت اليهما وكيف يجب عليهما ان يتصرّفا في سلوكهما الخاص بكل برّ وقداسة وفي معاملاتهما مع الرؤساء الشرقيين بالمحبة والفطنة والاناة وبينهما بالاتفاق التام الى غير ذلك من التنبيهات الابوية المثمرة بحسن نظر ذلك الرئيس الهمام

*

كان موعد سفر الاب اليانو ورفيقه الاب برونو في اواسط أيار ١٥٨٠ يوم عيد الرب فركبا السفينة من البندقية واخذا من ذاك الحين يخدمان الغريب فكانا يهتمّان بالمرضى ويرشدان رفقتهما في السفر ويقضيان بقيّة الوقت في الفرائض التقويّة . وكان الاب اليانو يعرّب المناشير البابويّة المرسلة الى السيّد البطريرك والى طائفته اما الاب برونو فكان يعدّ كلّ شيء للمجمع المقصود

وقد كان هذا السفر سعيداً نجا فيه المركب من قرصان الجزائر الذين شاهدوهم عن بُعد وكانت الريح موافقة حتى انهم بعد ١٥ يوماً فقط بلغوا قبرس (٢٩ أيار ١٥٨٠) وذلك من الامور النادرة في تلك الازمنة مع السفن الشراعية

نزل الابوان الى الجزيرة فاستقبلهما السنيور لويس قنصل البندقية هناك على ما يظهر وساعدهما على قدر طاقته في كل حاجاتهما . وكان فكرهما ان يقلعا بعد قليل ليذهبا الى طرابلس لكنّ ربّان السفينة أبى السفر قبل ان يبطل الطاعون الفاشي في سورية . فاضطرّ المرسلان الى ان يبقيا في الجزيرة فقضيا ذلك الوقت في زيارة اسقف الموارنة وأقناعه بأن يأتي الى لبنان ليحضر المجمع مع بقيّة الاساقفة . وكذلك زارا نصارى الجزيرة وعزّياهم لما يلقونهُ من ظلم الاتراك الذين تملّكوا على جزيرتهم منذ عشر سنوات . وخصّا بعنايتهم الموارنة وكان عددهم على ما حرّرا في رسائلهما نحو ١٥٠٠ نفس

وبعد ثلاثة اسابيع وردت الاخبار عن بطلان الوباء فسافر المركب بعد ٢٥ يوماً وربط باثنائها في قبرس وبلغ الى طرابلس في ٢٩ حزيران ١٥٨٠ (له بقيّة)

رسالة قلب يسوع

يسرّنا ان نبشر اهل الصلاح وارباب العيال والمدارس المسيحيّة بصدور هذه المجلّة التقويّة التي غايتها ان تبعث في النفوس روح الدين وترفع القلوب عن دنايا هذه الحياة الى محبّة خالقها بنشر عبادة ذلك القلب الذي احبَّ العالم الى الغاية (يوحنّا ١٣ : ١) فبذل نفسهُ دونهم وفتح لهم كنوزهُ بطعن حربة الجندي جنبهُ على الصليب . وهذه الرسالة هي الخامسة والاربعون من جنسها تصدر في انحاء المعمور حتى في الصين والهند وجزائر افريقية بنيّف وعشرين لغةً . فأملنا ان يصير لهُ رواج كبير في اقطارنا ايضاً . ومن اراد الاطّلاع على احوال الرسالة وشروط الاشتراك بها فليخابر حضرة مدير مطبعتنا الكاثوليكيّة او مدير الرسالة . ويمكن الاشتراك بها في كلّ ادبرة الآباء اليسوعيين وراهبات قلب يسوع ومريم ل . ش

تذكار المئة الاولى

لانبعاث الرهبانيّة اليسوعيّة (١٨١٤ — ١٩١٤)

بقلم الابوين لويس وترقال ولويس شيخو اليسوعيين

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩١٩ (ص ٥٣)

هذا مجموع اربع مقالات صدرت في المشرق سنة ١٩١٤ بنسبة العيد المئوي الذي احتفلت بهِ الرهبانيّة اليسوعيّة في اربعة اقطار العالم ذكرًا لرجوعها الى الحياة بقوة منشور الحبر الاعظم بيوس السابع سنة ١٨١٤ بعد ان بقيت اربعين سنة مدفونة كالسيّد المسيح سيّدها في قبرها حيث طمرها فيهِ اعداؤها الفرمسون وجحدة الدين والفلاسفة المزعومون كفولتير وديدرو وبمبال وشوازول ومن كان على شاكلتهم ليصفو لهم الجوّ بتوتها لحاربة كنيسة الله فخابت آمالهم ورجعت الرهبانيّة الى مقامها وعزّها وهذه المجموعة تثبت خلاصة اعمالها في خدمة الدين والهيئة الاجتماعيّة مع وصف

رسالاتها الاجنبيَّة في القرن السابق . وفي آخرها اثرٌ عربيّ بخصوصها اوقفنا عليهِ بعض افاضل رهبان دير الشير وهو تعريب رسالة البابا اكليمنضوس الثالث عشر الذي قبل الفانها بثماني سنوات اثنى على كل اعمالها وزكّى اعضاءها من التهم الباطلة في حقّها وجدّد تثبيت رسومها وقوانينها

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

الجزء الاوَّل من القسم الثاني في الاداب النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

طبع في مطبعة اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٩ (ص ١٥٠)

بعد ذكرنا في القسم الاوَّل من هذا الكتاب تاريخ النصرانية في كل انحاء جزيرة العرب وبين قبائل عديدة في عهد الجاهليّة خصصنا هـذا القسم بآداب النصرانيَّة في ذلك العهد فبيَّنا في خمسة فصول اوَّلاً انتشار الكتابة العربيّة بين العرب على يد النصارى. ثمَّ انتقلنا ثانياً الى المفردات اللغويَّة التي تدلّ على نفوذ النصرانيَّة في لغـة العرب استناداً الى شعراء الجاهليَّـة . وهذه المفردات تشمل اثني عشر باباً . وفي الفصل الثالث ذكرنا اعلام النصرانيّة الشائعة بين عرب الجاهليّة ممَّا يدلُّ على شيوع هذا الدين ما بينهم ثمَّ اوردنا في الفصـل الرابع اقوال قدماء الشعراء المحتوية على احداث العهدين العتيق والجديد . وختمنا هذا الجزء بفصل خامس يحتوي امثـال العرب المنقولة عن الاسفار المقدسة من العهدين العتيق والحديث . وقد بقي جزء ثانٍ لهذا القسم من الكتاب ننشره ان شاء الله تباعاً في المشرق فيتمّ بهِ ما قصدناهُ من اثبات نصرانيَّة كثيرين من شعراء الجاهليَّة وعلى الله التَّكل ل. ش

القصارى في نكبات النصارى

بقلم شاهد عيان سنة ١٩١٩ (ص ٥٠٦)

من احبَّ ان يطَّلع على ما ينتجهُ القلب البشري من الارجاس والفظـائع الوحشيَّة اذا ما استسلم لاهوائهِ واطلق العنان لشهواتهِ عليـهِ بمطالعة هذا الكتاب الذي صوَّر فيهِ شاهد عيان ما جرى من القبائح على يد الاتراك والاكراد والشركس في ما بين النهرين في ديار بكر وماردين ورأس العـين وطور عابدين وجزيرة بني

عمر وسمرت وكلّ القرى التي بينها في ايّام الحرب الاخيرة . فأيم الله كلّ ما قرأنا من الفواحش التي ارتكبها اشقياء هذا العالم في عهد الظلم متفرّقةً نجدها هنا مجموعة في وقت واحد على يد ابالسة متقمّصين بجسم بشريّ . فياليت هـذا الكتاب يُنقل الى كلّ اللغات ليقف ارباب الاحكام على مساوئ دولةٍ ختمت على كيانها بالخزي والعار ويتحقّقوا ما على المانية ناصرة تركية من المسئولية في سماحها بهـذه المخازي التي يندى لها الجبين خجلاً ويجدوا تلك النفوس البارّة التي ذاقت كؤوس الموت الواناً بشهامة تذكّر عهد النصرانيّة الاوّل ل . ش

البرهان الصريح في الدين الصحيح

للخوري يوسف داغر التنّوري (طُبع في المطبعة اللبنانيّة جسر تمر بيروت سنة ١٩١٤ ص٤٣٤)

كان هذا الكتاب قد نجز قبل الحرب بزمن قليل فلم يستطع مؤلفهُ الفاضل ان ينشرهُ لما حصل وتنتنز من الهرج والمرج . وهو من امتع الكتب الدينيّة التي طُبعت الى يومنا بالعربيّة مع كثرة ما نُشر من جنسهِ في اللغات الاوربيّة . مدارهُ على الدفـاع عن امور الدين الكاثوليكيّ في اخصّ معتقداتهِ مباشرةً بوجود الله ثمّ وحدانيّتهِ وكمالاتهِ يليها فصول في الانسان وخواصّ نفسهِ ثمّ في وحيهِ تعـالى واسرارهِ من تثليث الاقانيم وتجسّد الله الكلمة ولاهوت المسيح وطبيعتيهِ ثم في صحّة دينه وكنيستهِ الحقيقيّة وعلامتها بازاء بقيّة المذاهب وفي اخرهِ ابواب متفرّقة عن بعض الاشاعات الباطلة التي يتناقلها اعداء الكنيسة مع تفنيدهـا كمحكمة التفتيش ودعوى غليلاي ومذبحة القديس برتلماوس والحروب الصليبيّة وكلّ ذلك ببراهين جليّة قريبة الى الفهم يصلح الالتجاء اليها لتفنيد مزاعم بعض المتفيهقين الذين يردّدون كالببغاء تلك الاعتراضات دون ان يفرزوا غثّها من سمينها . فنتمنّى انتشار هذا الكتاب مع زيادة في تحسين بعض ابوابهِ في طبعة ثانية

كتاب الياس جرجس طراد: آلهُ سيرتهُ مآثرهُ

جمع جرجي نقولا باز (مطبعة جدعون بيروت سنة ١٩١٤ (ص ٣٠٠)

نجز هذا الكتاب قبل اعلان الحرب بايّام فلم يمكنّا وصفهُ لقرّائنا . الياس

جرجس طراد احد ادباء بيروت المغدودين من اسرة فاضلة اشتهر منهـا كثيرون بخدمة العلم والوطن وليس صاحب الترجمة دونهم شهرةً كما يلوح من مآثره العديدة نثرًا ونظماً في كل ابواب الكتابة ممَّا عُني صاحب مجلّة الحسناء الاديب بجمعهِ وترتيبهِ فجاء كتاباً واسعاً يستطيب القرّاء مطالعتهُ لكثرة فوائدهِ . ويظهر من بعض رسائل صاحب الترجمة (ص ١٢٨) انهُ كان ماسونيًا وخطيباً في محفل لبنـان . ولعلّهُ احد الذين انخدعوا بمظاهر الماسونيَّة وتمويهاتها (كما بيَّنا في كتابنا السرّ المكنون في شيعة الفرمسون) سامحهُ الله . وممَّا يدلّ على حسن طويَّتـهِ وتقديرهِ للرجال حقَّ قدرهم مع اختلاف طوائفهم كتابان لبطة البطريرك الماروني سنة ١٩٠٥ عند قدومهِ من رحلتهِ الى اوربَّة (ص ١٢٢) ولبطة بطريرك السريان سنة ١٩١٢ في عيدهِ الفضي (ص١٢٣) . مع خطب وقصائد ومقاطيع وتواريخ جامعة بين فصيح اللفظ وبليغ المعاني ل . ش

الساق على الساق ما هو الفارياق

طبعة مستحدثة في مصر

بئس ما صنع الذي اخرج هذا الكتاب من زبلهِ وفيهِ ما فيهِ من روح الزندقة والفجور . ولا يشفع بصاحبهِ احمد (فارس) الشدياق ما اودعهُ من المفردات اللغويَّة والمرادفات . ولولا ما اخبرنا الثقة عن رجوعهِ الى ايمانهِ الكاثوليكي قبـل وفاتهِ لقبَّحنا سيرتهُ وتقلُّبهُ من المارونيَّة الى البروتستانيَّة الى الاسلام لغايات بشريَّة ذكرها اصحابهُ فضلًا عن اعدائهِ (راجع كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ٢ : ٧٩ — ٨١)

لبنان

مباحث علميَّة واجتماعيَّة عُني بنشرها لجنة من الادباء

المطبعة الادبيَّة . بيروت سنة ١٣٣٤ (ص ٥٧٥)

هذه احدى المآثر النادرة التي صدرت في ايَّام الحرب بمساعي اسماعيل حقّي بك قبل انتقالهِ من متصرفيَّة جبل لبنـان الى ولاية بيروت في سنة الحرب الاخيرة . والفضل في اخراج العمل الى حيز الوجود يعود خصوصاً الى صـاحب الهمَّة والذكاء

حسين كاظم بك والي سالونيك سابقاً . فهذا الرجل الفريد اخذ على نفسهِ ان ينتخب رجالاً ذوي علم ومقدرة امكنهُ بواسطتهم ان ينشر امتع كتاب وُضع حتى الآن عن لبنان في جغرافية الجبل (١ــ ٢٩) وجيولوجيتهِ (٧٠) ونباتهِ (٧٦) وحيوانهِ (٧٩) ومناخهِ (٩٥) وآثارهِ القديمة (١٠٤) واخلاق اهلهِ وعاداتهم (١٣١) وعناصرهم واديانهم (١٨١) ثم لمحة في تاريخ لبنان (٢٢٤) وزراعتهِ (٣٠٥) وصناعتهِ (٣٥٨) واحواله التجاريَّة والاقتصاديَّة (٣٧٥) وعلوم اهلهِ وآدابهم (٤٥٨) وكل دوائرهِ الاداريَّة من معارف ونافعة ومالية وقضاء وصحَّة (٤٨٨) وفي آخرها قائمة اخصّ المؤلفات التي استند اليها محرّرو مقالات لبنان مع فهارس واسعة لموادّ الكتابة وتصاويرهِ ورسومه وفي آخرها خارطة متصرَّفية جبل لبنان بطول ٢٤ سنتمترًا وعرض ٤٠ وبمقياس ١/٢٠٠٠٠٠ فنثني على كلّ من آزر آباء رهبانيتنا على انجاز هذا التأليف الجليل جازاهم الله خيرًا ل . ش

شذرات

خلاص الوطن على يد بطريركين انطاكيين ورد في ترجمة القديس يوحنّا فم الذهب انَّ الامبراطور ثاودوسيوس غضب على اهل انطاكية فحكم على مدينتهم بالخراب لكن بطريركهم الشيخ الجليل القديس فلابيانوس اسرع فتدارك الامر وابحر الى القسطنطينية في ابّان الزمهرير رغماً عن هياج البحر فتمكّن بحسن تصرُّفه وبلاغتهِ من تخميد غضب الملك ونجاة حاضرة الشرق

فهذه الرواية قد تكرَّر دورُها في هذه الاشهر الاخيرة لمّا حاول بطريرك آخر على انطاكية الشيخ الجليل غبطة البطريرك مار الياس الحويك ان يردّ لوطنهِ حرّيتهُ الملوية ويتمّمهُ بالاستقلال فسافر مثل سلفهِ بحرًا دون ان يبالي بالاخطار واتعاب الاسفار وهيجان الابحار ولم يدّخر وسعهُ ويألُ جهدهُ حتّى ظفر بمرامهِ وعاد الى الوطن يبشرهُ بالفوز الاكيد والنصر القريب لا زال اسمهُ مخلَّدًا في قلوب اللبنانيين الى الابد

الأنصاب في فلسطين — في غربيّ بلاد فلسطين انصاب عديدة من الحجارة العاديّة الضخمة بعضها منتصبة وبعضها معترضة على احجار غيرها . وممَّن درسها في المدّات الاخيرة العلّامة مادر (P. D. Mader) في المجلة الفلسطينية الالمانيّة (ZDPV, 1914, p. 20-44) فاثبت صورها وبيَّن انَّ عددها اوفر ممَّا كان يُظَنّ امَّا اصلها فقد رقَّاهُ الى عهد الكنعانيين في طور الظرّان قبل طور الحديد كالابنية التي استخرجوها بالحفريات الاخيرة في تلك الجهات . وعلى رأي المسيو مادر انَّها ليست مذابح دينية كما زعم العلماء سابقاً وانَّما هي صفائح مدفنيَّة اقيمت تذكارًا للموتى

اثبات العاديات لصحة الكتاب المقدَّس — هـذا عنوان مقالة واسعة لاحد كبار العلماء المسيو برتون (G. Barton : J. Bib. Lit., 1913. pp. 241-260) الذي نقض مزاعم بعض الملحدين المدَّعين ان العاديَّات المكتشفة آخرًا تنافي صحة الكتب المنزلة فأثبت انَّها على خلاف ذلك من اجلى الادلَّة على صدق الاسفار المقدَّسة وانَّ الذين اتخذوها كسهام لرشق الدين أعربوا عن سوء فهمهم لكلام الله

أثر دينيّ مصريّ في لبنان — ممَّا نشرهُ حضرة الاب سبستيان رتوفال في مجموعة المكتب الشرقي (Mél. Fac. Or., V, 2, p. 63-71) نظرٌ في اثر ديني وُجد في لبنان في قرية « فيّ » فنُقل الى متحف الاستانة . وهذا الاثر عبارة عن كفاف مربَّع ناتئ في صخر يمثل ثورَين قائمين بازاء شجرة . وفوق صورتها يُرى شخص لابس رداء سوريًا بنطاق وهو ساجد لإلهة على زي الإلهة هاتور المصريَّة المعروفة بشكل زينة رأسها وتُرى جالسةً على عرش مرتفع يحملهُ عن جانبيهِ شلوُ انسان ينتهي برأس كرأس ابي الهول . وهذا الاثر راقٍ الى عهد الدولة الفارسية وينبئ بما كان من النفوذ للدين المصري في سوريَّة . وامثاله المعروفة قليلة جدًّا

الآثار المصنوعة في سوريَّة — كتب سابقاً حضرة الاب لويس جلابرت (في المشرق ٩ (١٩٠٧) : ٩٧ : ١١٧) مقالتين مستجادتين شرح فيهما ما بلغ اليهِ طمع بعض المزوّرين في الشام خصوصاً فاصطنعوا آثارًا نقلوها عن عاديَّات اخرى

صحيحة مع بعض تغيير في صورتها خدعوا بها الاجانب . وقد عاد غيرهم في هذه المدّات الاخيرة الى هذه الاعمال الذميمة فوضع احد علماء فرنسة الاثريين المسيو هيرون دي ڤيلفوس (A. Héron de Villefosse) فصلًا لطيفاً استوقف فيه انظار رصفائه العلماء الى هذه المصنوعات وذكر كثيرًا منها تمّ وجده في ايدي المزوّرين فاشار الى تزويرها وغشّ مصطنعيها ودلّ على العاديّات الاصلية التي تقلّدوها في مجلّة شركة الاثريين الفرنسويين (B. Soc. Ant. Fr., 1913, pp. 330-333)

مساعي جديدة في حلّ سرّ الكتابات الحثّيّة يعلم الناس كم هي عديدة الكتابات الحثّية المكتشفة في بلادنا لاسيما في جهات حمص وحماة وشماليّ سوريّة الى نواحي الفرات حيث كانت عاصمتهم قرقيش وفي انحاء قيليقية الى برّ الاناضول. فهناك كانت دولة عظيمة اشتهرت بتاريخها وآثارها في القرون السابقة للقرن السابع قبل المسيح الى القرن العشرين قبلهُ . على ان العلماء لسوء الطالع لم يقدروا حتى الان ان يفكّوا ألغاز تلك الكتابات اذ لم يقفوا على كتابة منها في لغة غيرها يستدلّون بها عليها . وقد امتحن كثيرون من العلماء كجانسن وساس (Sayce) طرقاً شتّى لكشف مبهماتها وانهم اصابوا في تعريف بعض اشكالها . وممّن حاولوا تفسير تلك الكتابات سنة ١٩١٣ العلّامة تومبسن (R. C. Tompson) في مجلة الآثار (Archæologia, 1913, 1-144) فكتب هناك مقالةً ضافية اثبت فيها اكتشافهُ لبعض علامات دالّة على اعلام مكانيّة اخصّها علَم مدينة قرقيش فلحظ ان هجاءها الاوّل تعود صورتهُ في الفاظ متعددة سواء كان في اوّل الكلمة او في آخرها ولم يزل يجري على طريق المقابلة لتلك الاحرف التصويريّة حتى امكنهُ ان يصنع جدولًا ضمّنهُ ١٢٧ علامة مع الدلالة على معانيها وقد استنتج من ابحاثهِ انّ اللغة الحثية هي لغة هندو جرمانيّة كالارمنية والفارسية واللغات الاوربية القديمة

ثم أفاد بعد ذلك العلّامة ساس انّ متحف العاديّات في برلين حصل في السنة ١٩١٤ (Exp. Times, XXV, 1914, p. 520) على بعض الواح مكتوبة بالقلم المسماريّ وُجدت في بوغاز كوى وبينها قطع تتضمّن مجموع الفاظ في ثلث لغات اي السومريّة والاشوريّة والحثّية . وهناك مفتاح للحثّيين يصوّر لهم لفظ المفردات السومريّة والاشوريّة بهِ يستطيع العلماء ان يقفوا على قراءة القلم الحثّيّ . وقد اخذ المسيو ساس

يستعين بهذا الدليل لكشف مبهمات ذاك اللسان الذي كادوا ييأسون من ادراك اسراره . وممَّا قرَّره بناء على ذلك انَّ اللغة الحثية ليست لغةً هندو جرمانيَّة كما زعم تومسون وغيره وانَّما هي من اللغات القوقازيَّة . فالاهلي وطيد بأننا ندرك عمَّا قليل معاني تلك الكتابات العديدة المتضمنة قسماً كبيراً من تاريخ بلادنا في عهد الدولتين المصريَّة والبابلية

المرصد الفاتيكاني يعلم قرَّاؤنا كم يطنطن اعداء الكنيسة بامر غليلاي وحرمهِ من المجمع المقدس كأنَّ الكنيسة هي معادية للعلوم تحاول طمس معالمها . وقد فنَّدنا تلك المزاعم بمقالة مطوَّلة نشرناها في الشرق ٩ ((١٩٠٦) : ١٧٨) . وقد وقفنا اليوم على خطبة للكردينال ماتي اوضح بها ما كان للاحبار الرومانيين من علوّ الهمَّة في رفع منار العلوم الفلكية فتتبَّع اعمالهم بوجه الاختصار بعد ان درس تاريخ حدائق الواتيكان بعناية البابا القديس لاون الرابع في اواسط القرن التاسع وتحصينها بالاسوار المتينة لردّ غارات الاعداء فاصبحت تلك الحدائق نادياً اجتمع فيهِ غير مرَّة نوابغ النصرانيَّة وعلماؤها لا سيما في عهد لاون العاشر من الاسرة المادشية الشهيرة بترقية العلوم الادبيَّة والطبيعية . ومن جملة ما رواهُ الكردينال ماتي انَّ الاحبار الاعظمين سبقوا سواهم في تنشيط علماء الفلك فضلاً عن كونهم لم يعارضوهم في ابحاثهم . ومن المعلوم انَّ كوبرنيك كان كاهناً لاتينيًّا قام في اواخر القرن الخامس عشر واوائل السادس مفنِّداً لمذهب بطولوماي القائل بثبوت الارض وحركة الشمس والافلاك حولها فلم يجد كوبرنيك في اثباتهِ لمركزيَّة الشمس ودوران الارض حولها من يعارضهُ في قولهِ بل نشَّطهُ الباباوات على مواصلة ابحاثهِ الفلكية

ثم لنا مثَل آخر على تلك الهمَّة البابويَّة في استقبال البابا اقليمس السابع للعالم الالماني ودمنستاد (Widmanstadt) الذي القى بازاء الحبر الاعظم ومجموع الكرادلة والاساقفة والعلماء خطاباً بليغاً أيَّد فيهِ مذهب كوبرنيك معاصرهِ . فأُعجب الحبر الاعظم وسائر الحضور ببراهينهِ النيِّرة وما كاد ينتهي من خطابهِ حتى انتصب الاب الاقدس فاثنى عليه احسن ثناء وجازاهُ باهدائهِ كتاباً يونانيًّا مخطوطاً فريد وحدهِ وهو كتاب اسكندر الافروديسي الذي يزيّن اليوم مكتبة مونيخ ومنحهُ رتبة حاجب البلاط البابوي . وكان خطاب ودمنستاد سنة ١٥٣٣ اعني مئة

سنة قبل دعوى غليلاي . وكفى بذلك برهاناً على انَّ دعوى غليلاي لم تكن دائرة على مسئلة علمية بل على مسئلة لاهوتية كان عنها في غنًى وسبَّبت لهُ ذاك الحكم الصارم الذي لم يتجاوز حبساً موقَّتاً عومل فيه بكل رفق

ثم قام في الخلافة الرسولية غريغوريوس الثالث عشر في النصف الثاني من القرن السادس عشر وقد اشتهر باعمالهِ العظيمة وكان مولعاً بالعلوم فسعى بتجهيز مرصد فلكي في جنائن الواتيكان وقد سبق بذلك معظم الدول الاوربية ومن المعلوم انَّهُ هو الذي اصلح الكلندار المنسوب اليه بواسطة عدَّة علماء مبرِّزين اخصُّهم الاب اليسوعي كلافيوس

ومن الباباوات الذين عُنوا بالمرصد الفلكي وزادوا في تحسينهِ اقليمس الحادي عشر فتقدَّم سنة ١٧٠٣ الى احد الرومانيين المدعو كياني بان يصطنع للمرصد المذكور ادوات خاصَّة لتدوين حركات الزلازل فكان ايضاً سابقاً بذلك بقية الدول الاوربية . أما في القرن التاسع عشر فانَّ مساعي الباباوات غريغوريوس السادس عشر ثمَّ بيوس التاسع ثمَّ لاون الثالث عشر ثمَّ بيوس العاشر في ترقية المرصد الفاتيكاني اشهر من ان تحتاج الى وصف وقد مرَّ لنا في المشرق ذكر شيءٍ منها لاسيما في عهد لاون الثالث عشر وبيوس العاشر . وقد اشتهر في تدبير هذا المرصد رجال عظام كالاب الجلو سكي الفلكي اليسوعي الذائع الصيت وغيرهِ . والقائم اليوم في اشغالهِ فلكي آخر الماني الجنس وهو الاب هاغن اليسوعي الذي استدعاهُ بيوس العاشر من مرصد اليسوعيين في جرجتون لإدارة هذا المرصد الروماني . وللاب هاغن من الشهرة ما يغنينا عن تعريفهِ ولهُ في الفلكيات والعلوم الجويَّة عدَّة اختراعات ذكرنا منها شيئاً في السنين السالفة في المشرق . والمرصد الحالي قد عُني بتوسيع نطاقهِ وزيادة ابنيتهِ وتجهيزه بالكهرباء والادوات الكاملة بيوس العاشر قبل تسع سنوات

انتشار السلّ بنفض اوعية المسلولين كان بعض الاطباء الالمانيين زعموا بان اوعية المسلولين اذا نشفت ومرَّ عليها بعض الزمن لا تعدي بالسلّ . وقد بيَّن المسيو شوسه (Chaussé) الفرنسوي في جمعية علماء باريس فساد هذا الزعم فاخذ عدَّة من المحارم الملوَّثة ببصاق المسلولين بعد عدَّة ايام بل عدَّة اسابيع فنفضها امام قوم من العلماء في قفص كان جمع فيهِ نحو عشرين فرداً من الخنازير

الهندية فما لبثت كلها ان ماتت بالسل . ومن هذا يظهر كم يلزم من الاحتياطات لمنع نشر هذا الداء العياء حيثما يوجد احد المنوهين بغدواه

الطيّارون في الحرب قد لعب الطيارون في الحرب الاخيرة دورًا مهمًا بطياراتهم التي اتخذوها تارةً لكشف حركات العدو وتارةً لمناقضة حركات المناطيد الهوائية وحينًا لرمي القذائف من علٍ على الاعداء ومستودعات ذخائرهم . ومن العجب اننا لم نسمع في هذه المدّة الا نادرًا عن سقوطهم كما كان سابقًا والسبب في ذلك انّ هذه الطيارات اضحت مجهزة بادوات تؤمنها من السقوط اخترعوها في السنين الاخيرة وكان جُعل لذلك سباق قدرهُ ٤٠٠،٠٠٠ فرنك لمن يكتشف احسن آلة لتأمين الطيّارات من السقوط ففي شهري ايار وحزيران عُرضت على لجنة من الاختصاصيين عدّة آلات اختبروها بالتجربة وجازوا مخترعيها بجوائز مختلفة فكان الجزاء الاكبر ٥٠،٠٠٠ فرنك لآلة لولبية اخترعها الانكليزي سپري (Sperry Gyroscope) غايتها ضبط الموازنة بين اطراف الطيارة . واصابت الشركة الفرنسوية بول شميت الجزاء الثاني ٣٠،٠٠٠ فرنك لاختراع اصحابها طيّارة تلتوي اجنحتها على حسب حركات الهواء ووفقًا لارادة محرّكها الذي يدير سكانها بسرعة او بخفة كما يشاء . ونال ستةٌ غيرهما جوائز اخرى وناهيك بهذا السباق دليلًا على التحسينات التي بلغت اليها الطيّارات تأمينًا لحياة العباد في اعالي الجوّ

الكتابات العربية الاثريّة في مصر بلغ ما جمع منها المسيو ڤيات (M. Wiet) في مصر ٣٩٧ كتابة منها في القاهرة ٢٠٨ ثمّ ١١٦ في مصر العليا و٧٣ في مصر السفلى المعروفة بالوجه البحري او الدلتا . ومن هذه الكتابات ٣١٤ مدارها على تاريخ ابنية شُيدت في جهات مصر و٧٢ مدارها على شؤون تاريخية . و١١ تتضمن قرارات للخلفاء . امّا زمن هذه الكتابات فيتراوح بين تاريخ بني امية وبني عثمان فمنها ١٣ سابقة لعهد الفاطميين و١٥ للفاطميين و٦ للايوبيين و١٨٠ للامراء المماليك و٧٨٤ كتبت في عهد الدولة العثمانية

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد عن تاريخ الميلاد المسيحي الشائع اليوم بين كل النصارى متى ابتدأ استعمالهُ وهل هو ثابت مقرَّر بين العلماء

تاريخ الميلاد المسيحي اصلهُ وثباتهُ

ج هذا التاريخ وضعهُ في القرن السادس كاهن روماني يدعى ديونيسيوس الصغير المتوفَّى سنة ٥٤٠ ليبطل بهِ التواريخ الخاصَّة التي كان يرجع اليها كل شعب فيبتونها خصوصاً على سلالات ملوكهم . وغايتهُ ان تتفق الامم المختلفة على تاريخ واحد يسهل استعمالهُ فجعل اوَّلهُ سنة ميلاد الرب . فاخذ هـذا التاريخ ينتشر شيئاً فشيئاً حتى عمَّ كل الطوائف المسيحية . على أنَّ هذا التاريخ ليس خالياً من النقص فانَّ صاحبهُ قد أَخَّر ميلاد السيد المسيح نيفاً واربع سنوات فجعلهُ في السنة ٧٥٤ لرومية وهو في الحقيقة قد جرى سنة ٧٤٩ لأنهُ من المعلوم انَّ هيرودس توفي سنة ٧٥٠ لرومية . امَّا غلط ديونيسيوس فهو ناتجٌ عن كلمة قالها القديس لوقا في انجيلهِ تقريباً فاخذها بمعناها الحصري وهي قولهُ (٣ : ٢٣) : انَّ السيد المسيح لمَّا تعمَّد في السنة الخامسة عشرة لطيباريوس كان عمرهُ « نحو ثلاثين سنةً » فيقول الانجيلي « نحو ثلاثين سنة » اراد انهُ لم يشأ تدقيق حساب عمر المخلِّص فاوردهُ تقريباً . ومن ثمَّ يكون وقع عمادهُ في الثالثة والثلثين من عمرهِ وموتهُ في السنة السادسة او السابعة والثلاثين

س وسأل من البرازيل احد القرَّاء قال : ورد في سفر التكوين (١ : ٣) انَّ الله خلق النور في اليوم الثالث وذلك قبل الشمس المخلوقة اليوم الرابع . فاذا هو هذا النور ؟

النور والشمس

ج يظنُّ السائل انَّ كل النور هو من الشمس وهذا غلط فان للنور مصادر اخرى يبحث فيها العلماء في عهدنا ويتسمون في بيان خواصها كالكهرباء والاجسام المشعَّة فان هذه الانوار سبقت تكوين الشمس والكواكب . امَّا طبيعة هذه العناصر فقد اختلفوا فيها فمنهم من يجعلها ذرَّات هيولية تصدر من عناصرها ومنهم من يظنُّ انها تموُّجات تنبعث من الاجسام الى غير ذلك من الآراء التي لا يسعنا ذكرها لـ مش

المشرق

مناعي آل الوطن في اثناء الحرب

نظر عمومي للاب لويس شيخو اليسوعي

كان ملاك الموت محوّماً فوق عالمنا مدّة هذه الحرب العموميّة فيضرب بسيفهِ البتّار اعمار البشر ويحصدهم بتجله كلّ يوم بالالوف . فنهم قتلى الحرب ومنهم صرعى المجاعات وغيرهم ضحايا الاوبئة وبعضهم شهداء الدين والعلم والادب

وكان لشرقنا العزيز حصّة وافية في تلك المناعي تتوارد علينا تترى وكم منها بقي عنّا مكتوماً في بطون النسيان لانقطاع الاخبار ومعظمُ الصحائف قد أبطلت طوعاً او كرهاً

وكان في ودّنا ان نذكر كلّ ابناء الوطن على صفحات مجلّتنا لئلا يُفقد ذكرهم بين مواطنيهم ولكن كيف يمكن وصف مآثرهم والاقلام عاجزة عن تعداد اسمائهم . ومن ثمّ قد اكتفينا بذكر بعض اكابر الوطن من افاضل الاكليروس العلماني والرهباني ومن اماثل العلماء والادباء مثّن وقفنا على شيء من آثارهم بالايجاز دون الاسهاب

*

١ الاكليروس العلماني

مصف الاحبار

الحبر الاعظم بيوس العاشر يحقّ علينا ان نفتتح كلامنا بنعي ذلك الحبر الجليل ورئيس الكنيسة الجامعة بيوس العاشر السعيد الذكر الذي كانت هذه الحرب سبباً لوفاتهِ فانّهُ اذ رأى شعوباً عديدة من ابناء كنيستهِ انتشبت بينهم

افظع كلّ الحروب واعظمها اهوالًا فصارت دماؤهم تجري كالسيول انفطر قلبهُ الابوي بعد ان سعى جهدهُ في ايقاف تلك الزعازع الجائحة دون الفوز بالمرام فلفظ روحهُ البارّة بين يدي خالقها في ٢١ آب ١٩١٤. وفي الليلة ذاتها كانت وفاة رئيس رهبانيّتنا العام الاب فرنسيس ڤرنس في رومية مزوّدًا ببركة الحبر الاعظم فاقترنا بالموت كما اقترنا في الجهاد الصالح وخدمة الكنيسة

البطريرك كيرلُس جحا رُزئت طائفة الروم الملكيين الكاثوليك بوفاة امام احبارها السيّد البطريرك كيرلُس جحا وكان غبطتهُ في القطر المصري لمّا أُعلنت الحرب العموميّة مفكرًا بالرجوع الى الشام. فبقي هناك يُشاطر ابناءهُ المنكوبين احزانهم دون ان يستطيع ان يلطّف تلك الاوجاع ماديًا او ادبيًا. بل نقمت عليه الدولة العثمانيّة لحضوره حفلة المبايعة للسلطان حسين كامل خلف الخديوي عبّاس فحكمت بخلعهِ وامرت السادة الاساقفة باقامة نائب مدنيّ عنهُ دون أن تتعرّض لشؤونهم الروحيّة. ففعلوا وتعين المطران باسيليوس حجّار رئيس اساقفة صيدا كقائمقام زمنيّ. وكان السيدّ البطريرك في تلك الاثناء قد برح الحياة منتقلًا الى دار البقاء في ٩ ك٢ ١٩١٦. وكان مولدهُ في حلب في ٢٦ ت ٢ ١٨٤٠ وعليها سُقف في ٣ ايّار ١٨٨٥ الى أن رُقّي الى السدّة البطريركيّة في ٢٩ حزيران ١٩٠٢. واعمالهُ في خير طائفتهِ الكريمة معروفة لدى الخاصّ والعام مسطّرة على صفات القلوب لا يبرح ذكرها مخلّدًا (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٦٢٥ و١١ [١٩٠٨]: ٥٤٤)

المطران باسيليوس حجّار توفّي في دمشق في ١٧ شباط ١٩١٦ في شيخوخة صالحة كان لبنانيّ الاصل مولدهُ في جزّين في ٦ ك٢ سنة ١٨٣٩ وبعد ان تولّى رئاسة اساقفة بصرى وحوران في ٢٤ ت ١ سنة ١٨٧٠ نُقل الى اسقفية صيداء ودير القمر وتوابعها في ١٦ حزيران ١٨٨٧ فخدم طائفتهُ بجدّ ونشاط وهو الذي شيّد كنيسة صيداء الكاتدرائيّة وعزّز مقام سيّدة المنطرة وقد كتب في وصفها كتابًا. وقد عرّب كتابين للانباء بارمينوس وهما وصيّة السيد المسيح الاخيرة من على الصليب وسلّم السعادتين وعُني بطبعهما. وكان رحمهُ الله ذا نفوذ عند أرباب الدولة العثمانية وعليهِ وقع اختيارها لما حتمت بتعيين قائمقام زمني للطائفة. على أنّهُ لم يحظَ بهذا الامتياز زمنًا طويلًا فمات بعد شهرين وقد صار لهُ في دمشق مأتم حافل

المطران اثناسيوس صوايا — كانت احوال ابرشيته حكمت عليه بالنفيه عنها الى الاصقاع الاوروبيّة والاميركيّة. الّا انّ الاشغال والهموم كانت انهكت قواهُ فبقي مدّة مريضاً في مرسيلية الى ان دُعي الى ملاقاة ربّه في ٩ نيسان ١٩١٩. وقد سبق المشرق وذكر خلاصة سيرته مع رسمه الكريم في سنة انتخابه لكرسيّ رئاسة اساقفة بيروت في ٥ شباط ١٩٠٥ (المشرق ٨: ١٩٣)

المطران يوسف اسطفان — كان هذا الحبر المنضال من أسرة آل اسطفان الشهيرة باحد بطاركتها وبعض اساقفتها منهم المثلّث الرحمات المطران جرجس خير الله اسطفان مؤسس مدرسة عين ورقة الاكليركيّة. ففي هذه المدرسة دخل السيّد يوسف وفيها تلقّن العلوم الدينيّة واللّغوية وعليها ترأس سنة ١٨٨٤. واقام في تدبيرها الى آخر حياته وهو الذي جدّد ابنيتها على طرز جديد. وقد رقّاهُ البطريرك يوحنّا الحاج الى رئاسة اساقفة قورش شرفاً في ٢٤ ايلول ١٨٩٦ وجعلهُ مستشاراً بطريركيّاً. كانت وفاتهُ في ٤ تمّوز ١٩١٥ ولهُ من العمر سبعون سنة

المطران بطرس شبلي — فُجعت الطائفة المارونية بوفاته منفيًا في آطنه في ٢٠ آذار ١٩١٧ وهو في كمال سنّه لا يتجاوز عمرهُ ٤٧ سنة وعليه معوّل آمال طائفته لما ازدان به من الفضيلة والعلم. ولد كرّم الله ضريحهُ في دفون (لبنان) في ١٩ ك١ ١٨٧٠ وباشر دروسهُ في بيروت في بعض المدارس من جملتها مدرستنا الكليّة ثم دخل مدرسة سان سوابيس الاكليركيّة فامتاز بين نخبة تلامذتها. ثمّ خلف الطيّب الذكر السيد يوسف الدبس في ٩ شباط ١٩٠٨ فرعى شعبهُ بكل غيرة وتفانٍ. وكان في اوّل الحرب يتجوّل في فرنسة حيث حضر المجمع القرباني في لورد وتتويج الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في رومية. واهتمّ سيادتهُ في السنتين الاوليين من الحرب بتلطيف اوجاع رعيّته على قدر امكانه. وقد اثابتهُ فرنسة بوسام جوقة الشرف وكان حُبُّهُ لهذه الدولة من اسباب نفيه وموته. وقبل كل ذلك بصبر جميل بل ببهجة الضمير الصالح الذي يرى في كلّ شيء عناية الله وينقاد لمشيئته الالهيّة. والسيّد بطرس شبلي عدّة آثار طُبع منها بعضها لاسيّما ترجمة البطريرك اسطفانوس الدويهي التي احيا بها ذكر ذلك الحبر الجليل فخر طائفته بعلمه وعمله ثمّ ردّ ساويرس على افتيثيوس. والباقي لا يزال مخطوطاً لنا الامل بان يُنشر قريباً

المطران يوسف صقر هذه ايضاً زهرة نضرة ذوت قبل اوانها وغصن رطيب قُصف ليناً بتأثير طوارق الحرب. وُلد هذا السيّد في زحلة سنة ١٨٧٢ ودرس العلوم في كليّة القديس يوسف مدّة ١٢ سنة وبعد ان خدم الكرسي البطريركي بصفة كاتب أسراره رُقّي الى درجة رئيس اساقفة على حماة شرفاً في ١١ شباط ١٩١١ وقد استحق بفضله وحكمته ولين عريكته حب رؤسائه ومعاصريه ولسنا ننسى انهُ حرّر في مجلّتنا المشرق فصولاً مستحسنة عن اخلاق اللبنانيين وعاداتهم. توفي بالتيفوس بعد حضوره حفلة الجناز عن نفس السيّد بطرس شبلي في ٢٠ نيسان ١٩١٧

المطران بولس بصبوص كان من تلامذة مدرستنا الاكليريكيّة في غزير. مولدهُ في جربتا (لبنان) في آذار من السنة ١٨٤٦ عرفناهُ في باريس سنة ١٨٩٣ اذ كان يخدم مواطنيه في كنيسة الاوكسبرج وقد نال ثقة كبار الدولة الفرنسويّة وخصوصاً المسيو كليمنصو جارهِ في السكن. سيم رئيساً على اساقفة صور وصيداء في ١٨ شباط ١٩٠٠ ولما فصلت أبرشية صور عن صيداء سنة ١٩٠٦ بقي هو متولّياً على أبرشيّة صيداء ومركزهُ في بيت الدين. وقد اجمع الناس على الثناء على حنانه وكرمه مدّة الحرب حيث امر حاشيتهُ بان لا يُردّ فقير دون حسنة على غير اختلاف بين الطوائف والاديان وقد عرف لهُ الدروز فضلهُ عند وفاتهِ. أصيب السيد بصبوص بداء عضال الزمهُ الفراش سنين طويلة وهو لا يكفّ عن تدبير أبرشيته بكل حرص واهتمام. توفي في ايلول من السنة ١٩١٨ (اطلب المشرق ٨ [١٩٠٥]: ١٥٣)

المطران بولس مسعد هو الخامس من ضحايا هذه الحرب وان كانت وفاتهُ بعد الهدنة بقليل في ٢ نيسان ١٩١٦ في جونية. كان مولدهُ في ٦ ك ٢ ١٨٥٩ في حصرون وهو من انسباء الثلّث الرحمات البطريرك بولس مسعد درس في عين ورقة وسيم رئيساً على اساقفة حماة شرفاً في ١٤ ك ١ سنة ١٨٧٩ ثمّ اقامهُ البطريرك يوحنّا الحاج مطراناً على دمشق في ٢ حزيران ١٨٩٢ وكان مقامهُ في عشقوت في بلاط اسقفي انفق على بنائه المبالغ الطائلة. كان السيد مسعد معروفاً بحسن رأيهِ ولطف طباعه (اطلب المشرق ٧ [١٩٠٤]: ٧٥٥) مثلَ في الحرب لدى المجلس العرفي وزكّى نفسهُ عن التهم الباطلة

المطران ادّي شير ابرهينا هو احد علماء الطائفة الكلدانيّة.

ولد في شقلاوا من اعمال الموصل في ٣ آذار من السنة ١٨٦٧ ودرس عند الاباء الدومنيكان في مدرستهم الاكليريكية في الموصل . وقد أُقيم رئيساً على اساقفة سعرت في ٣٠ ت٢ ١٩٠٢ . قُتل في اواسط آب من السنة ١٩١٥ في مذبحة سعرت قتلهُ علي نقيب الاشراف مع قاضي سعرت بعد أن عرضا عليه الاسلام فأبى وجثا مصلياً ومات بين العذابات بشهامة عظيمة . وتفاصيل استشهاده في كتاب النصارى في نكبة النصارى (ص ٣٨٦) ولهذا الشهيد عدَّة تآليف جليلة منها تاريخ كلدو واثور الذي طُبع منهُ جزءان في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . ولهُ في مجلة المشرق عدَّة مقالات حسنة . وقد نشر وصف مخطوطات المكاتب الكلدانيَّة في الموصل وسعرت وماردين وديار بكر ونشر في مجموعة الاباء الشرقيين تاريخاً قديماً لبعض قدماء النساطرة هذا فضلاً عن بعض تآليف كلدانية عني بنشرها في الموصل

المطران يعقوب اوراهام — قُتل في مذبحة الجزيرة في وقت مذبحة سعرت اعني في آب ١٩١٥ أُطلق عليه الرصاص وهو يرسم على جبهته اشارة الصليب الكريم . وُلد في تلكيف من اعمال الموصل في ٣ ك ٢ سنة ١٨٤٨ سقَّفهُ البطريرك يوسف اودو على الهند بدون رضى الكرسيّ الرسولي في ١٠ شباط ١٨٧٥ لكنَّهُ اوعوى متنياً بعد ذلك فجُعل اسقفاً على جزيرة بني عُمر سنة ١٨٨٠

المطران توما اودو — مات ايضاً ضحية ظلم الاتراك والأعجام في النكبات الاخيرة في آب ١٩١٨ . وقد نشرت اخبار وفاته في مجلَّة الرسالات الكاثوليكية (آب ١٩١٩) . ولد هذا السيد في القوش (قرب الموصل) في ١١ ت ١ سنة ١٨٥٥ . وجُعل رئيس اساقفة اورمية في العجم في ٤ أيار سنة ١٨٩٢ وكان ضليعاً باللغة الكلدانيَّة لهُ فيها معجم مطوَّل في جزءين ضخمين في القديمة منها والحديثة طُبع في الموصل . ولهُ مطبوعات اخرى كلدانيَّة عدَّدناها في تاريخ مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٤٢٨–٤٢٩)

المطران فلابيانوس ميخائيل ملكي — حضرنا حديثاً سيامتهُ في بيروت في ١٩ ك ٢ سنة ١٩١٣ على طائفة السريان الكاثوليك في الجزيرة مع السيد الجليل تاوفيلس جبرائيل تبُّوني للنيابة البطريركيَّة في ماردين . برَّح بهِ الاتراك في مذبحة الجزيرة في ٢٢ آب ١٩١٥ فاحتمل الضرب والاهانات والموت كالحمل

الوديع مع لفيف كهنته (اطلب القصارى في نكبات النصارى ص ٣٨٤ — ٣٨٥) كان مولدهُ في قلعة مرا قرب ماردين سنة ١٨٦٢ وهو احد المرتدّين من اليعقوبية الى الكثلكة المتحمسين في الايمان — وفي هذه الحرب توفي مطران سرياني آخر ارتدَّ ايضاً من البدعة اليعقوبية السيد ﴿يوليوس ابرهيم﴾ في السنة ١٩١٢ وثبت على ايمانهِ حتى موتهِ في ٣ حزيران ١٩١٥ في دمشق.

﴿ المطران اوسطاثيوس موسى سركيس ﴾ أصيبت بوفاتهِ الطائفة السريانيَّة آخر سنة الحرب في ٢٠ آب ١٩١٨ بعد ان خدمها سنين طويلة خصوصاً كرئيس مدرسة الشرفة ثمَّ كنائب بطريركي على القدس ثم ابرشيَّة حمص وحماة والمنبك. وكان تسقيفهُ على رستن في ٢٤ ت ٢ سنة ١٩١٢. ولد في دمشق في اوائل سنة ١٨٤٨ ودرس في مدرستنا الاكليريكية في غزير وعلَّم العربيَّة في كليَّتنا. ومن مآثره تعريبهُ لكتاب التاريخ المقدَّس للاب شوستر طُبع في مطبعتنا سنة ١٩١٠

﴿ مارونا بطرس طوبال ﴾ مات في أيام الحرب وهو طاعن في السنّ. وُلد في آمد (ديار بكر) في ٤ ك ٢ ١٨٢٦ ودرس في الشرفة. وفي ٢٢ آب ١٨٨٨ سُقف على ميَّافارقين وجُعل نائباً بطريركياً على ديار بكر فدبَّر شؤون ابرشيَّتهِ بنشاط نحو ثلاثين سنة. توفي في اواخر ايلول ١٩١٥. وفقد السريان أيضاً السيدين ﴿ اقليميس يوحنا معمار باشي ﴾ و ﴿ بولس دانيال ﴾ الاول رئيس اساقفة دمشق ثمَّ تكريت شرفاً واحد تلامذة مدرستنا في غزير. توفي في ماردين في ٢١ أيار ١٩١٥ وعمره ٨٥ سنة. والثاني رئيس اساقفة دارا شرفاً توفي في اواخر ١٩١٦

﴿ المطران اغناطيوس مالويان ﴾ هو احد مطارنة الارمن الذي انتخبهُ الحبر الاعظم بيوس العاشر مع ثمانية آخرين بعد المجمع الطائفي المعقود في رومية العظمى في تشرين من السنة ١٩١١ فرُسموا في ٢٢ ت ١. وقد تعيَّن المطران اغناطيوس مالويان لكرسي ماردين فشرَّفهُ باعماله الرسولية اوَّلاً ثمَّ بسفك دمهِ شهيداً مع ابناء طائفته في ١٠ حزيران ١٩١٥ ولعلَّنا نعود الى ذكر ترجمته مفصَّلةً ليرى القرَّاء انَّ روح شهداء النصرانيَّة لم تمت. كان مولد المطران مالويان في ماردين في ١٥ نيسان ١٨٦٦. وفيها ولد ايضاً شهيد آخر وهو السيد ﴿ اندراوس چليان مطران ديار بكر ﴾ في ١٣ ك ١ ١٨٤٨ ثمَّ سُقف على ديار بكر في ٦ شباط ١٨٩٩. قُتل

مرجوماً بالحجارة كاوّل شهداء الكنيسة القديس اسطفانوس في اواخر نيسان ١٩١٥ ولا ريب انهُ قُتل أساقفة من الارمن غير المذكورين الّا ان اخبارهم لم تزل بعد مجهولة ونظنّ ان من جملتهم احد تلامذة مدرستنا الاكليريكيّة في غزير السيد كابيد كتشوريان. وكذلك قُتل عدّة اساقفة من الغريغوريين منهم اسقف ديار بكر الذي صُبَّ عليه البترول ثمَّ حُرق. ومن اساقفة اليعاقبة والنساطرة في طور عبدين وكردستان

مصف الكهنة

لا يسعنا ان نذكر الّا بعضهم لانقطاع اخبارهم عنّا في مدّة الحرب

المونسنيور يوسف العلم كان احد كهنة الطائفة المارونيّة المتقدّمين. دخل مدّة في جماعة المرسلين الكريميين ثم أُقيم رئيساً على مدرسة الحكمة ونائباً اسقفيًّا. ولهُ مآثر كتابية عديدة منها منقولة من اللاتينيّة او الافرنسيّة او الايطاليّة ومنها من تأليفه ككتاب تفسير الرسائل وقداسة الكاهن للمنسنيور غوم ومناجاة يسوع لقلب الكاهن للاب برتلماوس مونتي ورسالة في ترجمة القديس مارون وتأمّلات الورديّة وتعريب اعترافات مار اوغسطين. ولهُ عدّة مقالات وخطب وقصائد نشرها في المشرق ثمَّ جمعها في كتاب دعاهُ نفثات القلم على يد العلم. والمرحوم احد تلامذة عين ورقة توفّي في داريّا في تشرين الثاني سنة ١٩١٧

المنسنيور بولس الدبس هو ايضاً تلقّى العلوم في عين ورقة ثمَّ خدم زمناً طويلاً مدرسة الحكمة وابرشية بيروت لا سيما في عهد شقيقه الطيب الذكر السيد يوسف الدبس. طُبع لهُ تعريب مرشد المستفحصين للكاهن لويس توني وعرّب البرهانات القاطعة للسيد لاڤال. توفّي في ت ٢ ١٩١٨. وكان المرحوم مشهوراً بتقاه

الخوري لويس الخوري من افاضل كهنة الموارنة واشدّهم غيرة واوسعهم برًّا. هو من اسرة المشايخ بيت الخوري في لبنان. درس في مدرستنا الكهنوتيّة في غزير ونبغ في درسه وقد خدم رعيّة طائفته في رأس بيروت نحو ثلثين سنة بكل نزاهة وتفانٍ وهو الذي سعى هناك ببناء كنيسة مار الياس الجميلة. كانت وفاتهُ في ٦ اذار ١٩١٧. وفي ١٢ أيّار منها توفّي الخوري طوبيا الرامي

الخوري لويس دريان هو ابن عم سيادة المطران يوسف دريان

النائب البطريركي في مصر ولد في بيروت في ١٨ آب ١٨٧٩ ودرس في كلية لوقان حيث نال شهادة الالفة بالفلسفة بعد وضعه كتابة في فلسفة القديس توما. ولما عاد الى الوطن تجرّد في بيروت للوعظ والكتابة وله فيها آثار حسنة نشر معظمها بالطبع لا سيما في المطبعة التي أنشأها باسم النهضة في المدينة نخصّ منها بالذكر مواعظه الانتقاد تجاه العقل والدين وتعريبه لكتاب تهذيب الارادة لجول ليتر. وكتاب الخوري مورو « من أين جئنا ». ومجلة الرسالة ومجلة المحاسن الروائية مع مقالات أخرى تدلُّ على ثقافة عقله وغزارة علمه. كانت وفاته بداء التيفوس في وطن عائلته عشقوت في ١٨ شباط ١٩١٧. فمات مأسوفاً عليه في كمال شبابه

الخوري يوسف الحاتك بيروت مات شهيد محبّته لفرنسة في ٢٢ اذار ١٩١٥ حيث أعدم شنقاً في دمشق. كان خادم رعية سنّ الفيل في جوار نهر بيروت من لبنان وكان معروفاً بغيرته وتقواه. ضبطت المراقبة التركية رسالة وجّهها اليه المسيو ديشانل رئيس مجلس النواب الفرنساوي جواباً على كتاب اعلم فيه الدولة الفرنساوية عن حالة لبنان السيئة بعد مباشرة الحرب وطلب مساعدة فرنسة لفكّ اغلاله

وقد قضى كثيرون ايضاً من الكهنة والرهبان الموارنة غير المذكورين في بيروت ولبنان يطول ذكرهم منهم بعض تلامذة كليتنا كالخوري فضل الله فاضل من بيروت توفي بالتيفوس سنة ١٩١٧. والخوري دانيال جباره في بيت شباب. والخوري مبارك ابي فرحات من المتين خدم مدة بكل نشاط كنيسة مار جرجس في بيروت وعلّم في مدرسة الحكمة توفي في ١٨ ايلول ١٩١٧. والقس اغناطيوس لبوس من بيت الدين صاحب المجاني الشهيّة من الحدائق الفلسفية توفي في ٩ ك٢ ١٩١٨. في دير مشموشة (جزّين)

وفي اوائل الحرب خسرت الرهبانيتان الكاثوليكيتان المخلّصية والحلبية رئيسيها العامّين قدس الارشيمندريت بولس نبعه بداء التيفوس في السنة ١٩١٦ وقدس الايكونوموس يوحنا خوّام وقد اشتهر كلاهما بروح البراءة وفتحا اديرتهما للمنكوبين فانقذا المئين من الجائعين من مخالب المنية

القس اغوسطين مسرّة كان سليل رهبانية الحنّاوية الشويرية ذا تُقى ونزاهة وشهامة في الدفاع عن الدين خدم قديماً بكل نشاط ادارة جريدتنا البشير. كانت وفاته بالوباء في ٢٩ تموز ١٩١٨

الخوري ميخائل شخود وبهذا الوباء عينه توفي في حلب النائب الاسقفي الرومي الكاثوليكي ميخائل شخود وكان في الشهداء مثالاً للغيرة والغيرة في خدمة بني طائفته

القس يوسف ايوب وفيه ايضاً في اواخر سنة ١٩١٥ ودع الحياة احد ملافنة مدرستنا الاكليريكية في بيروت القس يوسف ايوب السرياني. لم يخدم بني وطنه الا سنين قليلة لكنهُ ابقى بينهم ذكراً صالحاً بامثاله وارشاداته وغيرته. كانت وفاتهُ مُصاباً بالعدوى في خدمة المرضى في تشرين الثاني ١٩١٥

القس متى ملاّش احد افاضل كهنة السريان قُتل في ١٥ حزيران ١٩١٥ مع ٨٤ مسيحياً ارمنياً او سريانياً من اهل ماردين كان القس متى يسندهم ويشجعهم في عذابهم ويقويهم على حفظ ايمانهم فماتوا شهداء.

القس يعقوب فرجو هذا الكاهن الارمني الباسل استشهد لاجل ايمانهِ مرتين في مذابح الارمن الاولى في اواخر سنة ١٨٩٥ اذ كان خادماً لرعية تلّ ارمن فقتل ابناؤهُ الروحيون ولم ينجُ هو من الموت الا بعناية خاصة من الله ثم في السنة ١٩١٥ في ٣٠ حزيران قُتل بعد اللكم والضرب والشتم. وقد عرض عليهِ دين الاسلام المسمّى شاكر ابن حاج قاسم قبل قتلهِ فاجابهُ ساخراً: ويحك ما هذا الكلام الذي أسرع في قتلي وأخفق برفقتي فامزج دمي بدمهم فحظي بغايتي (اطلب القصاري ص ٢٣٨—٢٤٠). وكان المذكور تلميذ مدرستنا الاكليريكية في غزير وقد عرفناهُ واختبرنا فضائلهُ السامية ومساعيهُ المديدة في خلاص القريب ومحبتهُ الشديدة لرهبانيتنا. ومعهُ استشهد ١٤ كاهناً ارمنياً

دون خليل مرتا نضيف الى هؤلاء الكهنة اسم كاهن بارع من اللاتين دون خليل مرتا من ابرشية البطريركية الاورشليمية وُلد في فلسطين وتعلّم في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثمّ انقطع الى التدريس في مدرسة القدس الكهنوتية وقد اخذ عنهُ الآداب العربية كثيرون من طلبتها ومن مآثره كتابهُ الخلاصة الجلية في قواعد اللغة العربية في جزئين. وكتاب في تعريف موقع دار بيلاطوس البنطي وله في المشرق عدة مقالات لغوية وتاريخية اجاد فيها. وقد ابقى آثاراً عديدة مخطوطة نتمنى ان لا تذهب ضائعة. توفي سنة ١٩١٧

٢ موتى الحرب من المرسلين

كان المرسلون في تركية اوّل من دهمتهم نكبات الحرب فضربتهم الدولة ضربات اليمة لزعم الاتراك انهم من الاجانب المعادين لها وانّ املاكهم تخصُّ فرنسة مع كونها أوقاف الكرسيّ الرسوليّ لهُ وحدهُ حقّ التصرُّف بها. فوضعت تركية اليد على تلك الاملاك وتصرَّفت بمقتنيات المرسلين تصرُّف السيد بمالهِ واخرجت من اديرتهم جبرًا حتى المنتسبين منهم الى الدولة العثمانيّة. فلا غرو انّ هذه الاعمال السيئة اودت بحياة الكثيرين منهم. وها نحن نذكر بعض الذين خدموا الاهلين في هذه الاوطان شكرًا لفضلهم

الاب فرنسيس ماريًا فرًا هو سليل الرهبانيّة الفرنسيسيّة وحلبيُّ الاصل. اشتهر بخدمة الرعايا والآداب وقد عيّنهُ الكرسيّ الرسوليّ من جملة الزوّار للرهبانيّات المارونيّة مع الاب غلّان الدومنيكيّ. وقد نشر في المطبعة الفرنسيسيّة في القدس الشريف عدّة تآليف منها الروضة الروحيّة للعيال المسيحيّة ورياضة لاكرام القديس انطونيوس البادوي وتعريب الاقتداء بالمسيح. توفي في حريصا بعد مرض طويل تحمّل اوجاعهُ بكل صبر وتسليم لارادتهِ تعالى في ٢٣ ايار ١٩١٧. وفي تلك السنة توفي في بيروت الاب دومنيك فرسون البلجكيّ رئيس دير رهبانيّتهِ الفرنسيسية في الثغر في ١٧ ك١ ١٩١٧ وكان قدوةً لاخوته بممارسة كل الفضائل الرهبانية

الاب ليونرد الكبوشيّ هو من اهل لبنان من بعبدات أُرسل الى ماردين فتولّى فيها الاعمال الرسوليّة منذ بضع سنين وكان هناك رئيساً على ديرهم. فلمّا انتهك الاتراك حماهُ ساقوا الرئيس الى السجن واتّهموهُ تهماً باطلة مضحكة واذاقوهُ الموت الوانًا بجانب اظفارهِ وتعليقهِ منكوساً وضربهِ بالسياط وهم يهزأون بهِ قائلين: «ادعُ فرنسة لتستعجل في انقاذك من يدنا» وهو صامت يحتمل كلّ ذلك بوداعة الحمل. ثمّ ساقوهُ الى منقع الدم فمات شهيدًا (القصارى ١٦٩—١٧٠) — وقد فقد الآباء الكبوشيّون احد رهبانهم في بيروت الاب اوسابيو في ١٤ حزيران ١٩١٦ كان رئيساً على ديرهم في غزير مدّة سنين عديدة فلمّا ضبط الاتراك هذا الدير انتقل الى بيروت ومات فيها شيخاً

وقد فقدت رسالتنا في سورية ومصر والاناضول عدداً عديداً من مرسليها نذكر اولاً الوطنيين منهم :

الاب جبرائيل اده من أسرة فاضلة شهيرة مات كالجندي الباسل وهو يشتغل في كرم ازبّ وذلك في اوّل اسبوع الحرب في ٨ آب سنة ١٩١٤ وعمرهُ ٦٦ سنة قضى قسمها الكبير في الرهبانيّة اليسوعية التي انضوى اليها سنة ١٨٦٦ فقام بما عُهد اليهِ من المهمّات بكل اجتهاد لا سيما كرئيس في كليّتنا البيروتية وفي مدرسة العائلة المقدسة في القاهرة وفي آخر عمرهِ في دير حلب. وكان لهُ طول الباع في التعليم والوعظ والارشاد وتدبير الامور. ومن مآثرهِ كتاب القواعد الجليّة في علم العربية في جزءين وعدة روايات تمثيلية

الاب منصور البستاني مات شهيد محبّتهِ في خدمة الموبوءين في حلب في ١٤ ك٢ سنة ١٩١٦. كان مولدهُ في دير القمر في ١٢ آب ١٨٦٣ ودخل الرهبانيّة اليسوعيّة في ٢ ت١ سنة ١٨٧٩. كان مرسلاً غيوراً ذا عارضة وبلاغة يتفانى في خلاص النفوس. أدى لراطنيهِ خدماً روحيّة عديدة في غزير وبكفيا وزحلة وحلب. أقيمت لهُ جنازة حافلة في كاتدرائية الموارنة في الشهباء

الاب يوسف حوّاء اصل عائلته من حلب ومولدهُ في مرسيلية في ٢٠ شباط ١٨٥١ تقلب قبل دخولهِ في الرهبانيّة في عدّة وظائف في لندرة. ثم ترهّب في الرهبانيّة اليسوعية في ١٤ ك١ سنة ١٨٨٢ في انكلترّة وكان احد عملة رسالتنا السوريّة الشيطين له في كلّ انحائها مآثر مشكورة كمدير اخويات ومرشد رياضات وناظر مدارس. وقد كتب الرسائل المطوّلة في وصف ما قام بهِ من الاعمال الرسولية. وكان يعرف عدّة لغات ولا سيما الانكليزية وقد ألّف فيها كتابهُ الفرائد الدريّة في العربيّة والانكليزيّة. مات في عين ابل في ١٦ ك١ ١٩١٦ وكان عارفاً باصول الطبّ عالج كثيرين في الاوبئة الفاشية

الاب بطرس اغاجانيان كان ارمنيا درس مدّةً في مدرستنا الاكليريكية في بيروت وترهّب في الرهبانيّة اليسوعية في ١٣ شباط ١٩٠٤ وما كاد يتمّ دروسهُ بعد رسامتهِ كاهناً حتى عاد الى وطنهِ فانتشبت الحرب وقبض عليهِ الاتراك فنفوهُ الى جهات دير الزور واحلّوا بهِ نقمتهم ثمّ قتلوهُ مع غيرهِ من الارمن

قريباً من الفرات في احد شهور سنة ١٩١٦ وفيها قتلوا قبلهُ احد اخوتنا المساعدين الرهبان الارمن المسمَّى ﴿ يوحنَّا باليان ﴾ في آطنه

﴿ الاب استانسلاوس شيخو ﴾ ودَّع الحياة وقد رأى لوائح الهدنة والسلام في يوم تذكار الموتى في ٢ ت ٢ سنة ١٩١٨ بعد رجوعه من منفاه في الجبل بخمسة عشر يوماً. والفقيد احد عملة رسالتنا السوريَّة ذوي الهمّة والصلاح. وُلد في ماردين في ١١ ك ٢ سنة ١٨٣٦ ودرس في مدرستنا في غزير ثمَّ انضمَّ الى الرهبانية اليسوعية فخدم النفوس نيفاً وستّين سنة بغيرة لم تعرف الملل في الرسالات العديدة في كلّ انحاء سوريَّة وفلسطين ومصر وبإنشاء الاعمال التقويَّة والخيريَّة كزنيس ومرؤوس في اديرتنا المختلفة. ومع ما اصيب به من داء المفاصل في اواخر عمره لم ينكفّ عن العمل حتى بضع ساعات قبل وفاته

نضيف الى هؤلاء المذكورين بعض اخوتنا الشرقيين الذين خدموا الله واخوتهم بالبراءة والاتضاع وعرف فضلهم كثيرون: الاخ جبرائيل فرَّايه توفّي في حلب في ٢٠ حزيران ١٩١٦. وفيها ايضاً توفي الاخ انطون كنعان في ٢٥ ايلول ١٩١٨ بعد عودته عليلاً من انقرة حيث نفتهُ الحكومة ظلماً. عاش زمناً طويلاً في بيروت وزحلة وحمص كان مولدهُ سنة ١٨٥٦ والاخ الياس شدياق المتوفى في عريمة قريباً من عرمون في ١٨ آب ١٩١٨. والاخ يوسف عزاري الارديني المتوفى بعد ترهبهِ بقليل في انكلترَّة في ١٣ ايلول ١٩١٧

وقد فقدت رسالتنا السوريَّة مرسلين آخرين من الفرنسويين وغيرهم استحقوا شكر مواطنينا بخدمهم النصوحة لهذه البلاد نذكر البعض منهم

﴿ الاب ادوار سلزاني ﴾ توفّي في غزير في غرَّة شباط سنة ١٩١٦ منفيًّا عن ديرنا. خدم الرسالة السوريَّة سنين عديدة. كان مولدهُ في ١٩ ك ٢ سنة ١٨٣٩. ومن آثاره التقويَّة تعريبهُ لكتاب الطوبوي غرينيون دي مونفور المعنون بالعبادة الحقيقية نحو مريم العذراء. ولكتاب القديس الفونس دي ليغوري الطريق المستقيم في حبّ يسوع القويم. ولهُ تساعية لاكرام العذراء المعروفة بسيدة التعزية

﴿ الاب ارسانيوس برل ﴾ كانت وفاتهُ في ٩ شباط ١٩١٦ في غزير. مولدهُ في فرنسة في ٢٥ ك ١ ١٨٣٥. خصَّ نفسهُ برسالة سوريَّة منذ ٦٠

سنة . فخدمها بعدّة مهمّات لا سيما كمدير الدروس في كليّتنا وكرئيس في عدّة اديرة وخاصّةً في دمشق وهو الذي انشأ رسالة حوران فاذاقه بسببها من قبل الحكومة وبعض الذوات مشاقّ عديدة الى ان اضطرّوهُ الى اقتنالها

الاب ريبي نورمان وفي السنة بيتها في ٢٥ ت ٢ سنة ١٩١٦ توفّي في الاسكندريّة الاب ريبي نورمان احد افاضل رسالتنا السوريّة . كان مولدهُ في فرنسة في ٢٨ ت ٢ سنة ١٨٣٢ . اتى الى سوريا بعد حوادث الستين بقليل فكان ركناً لمشروعاتها بعد ان اتقن اللغة العربيّة . ومن أفضاله نحو الوطن انشاؤهُ مع مساعدة الدولة الفرنسويّة لمكتبة الطبّ سنة ١٨٨٢ . ولهُ ايضاً الفضل في انشاء رسالتنا في ارمينية سعى في اميركة الجنوبيّة لجمع الحسنات الكافية لفتح اديرتنا فيها . وقد ترأس ست سنين على رسالتنا السوريّة

الاب فردريك بوفيه مولدهُ في فرنسة في ٢٥ ك ٢ ١٨٧١ . قُتل في الحرب الاخيرة وهو ناظم في سحنه بخدمه الجرحى بشهامة غريبة في ١٨ ايلول ١٩٠٦ . علّم الآداب والبيان في كليّتنا وكتب الكتابات المستملحة في الفلسفة واللاهوت والتاريخ . ومن آثاره الطبيعة تاريخ البديع السوريّة منذ عهد الميلاد الى يومنا (طُبع على الحجر) . ولهُ تاريخ سوريّة في عهد بني طولون

الاب دونا ڤرنيه توفّي في بيروت في مستشفى الراهبات الالمانيات في ٤ ايار ١٩١٧ وعمرهُ ثلاثون سنة . جاء الى بلاد الشام في سنة ١٨٦٠ وتقلّب في اديرة رسالتنا منكبّاً على الاعمال التقويّة وله عدّة تآليف منها عراماطيق مطوّل للغة العربية في الفرنسويّة في مجلّدين . وقد عرّب كتاب الاقتداء بالمسيح . وطبع له كتاب سيرة الطوبويّة جان دوك . وله مخطوطات أخرى لم تُنشر بالطبع

الاب هيوليت مرسيليه دار زمناً طويلاً المكتب الطبّي الفرنسوي في بيروت فيذكرهُ بالخير من تخرّجوا فيه على يديه . توفّي في ١٧ ايلول من السنة ١٩١٧ في القاهرة وعمرهُ ٧٦ سنة

الاب شارل فلوري وفي ٢٠ ايار ١٩١٧ توفّي في لَنْزو من اعمال ايطالية الاب شرل فلوري معلّم اللاهوت الادبي في كليّتنا بعد ان تولّى مدّة ادارة دروسها لهُ آثار حسنة في علم اللاهوت . كان مولدهُ في فرنسة في ٨ ك ٢ سنة ١٨٦٢

﴿ الاب لويس رتوفال ﴾ كانت وفاتهُ في رومية في ٢ نيسان ١٩١٨. وُلد في ادرنة في ٢٦ آب ١٨٧١ ودرس في كليتنا. وكان ضليعاً بعدَّة لغات يتكلَّم بسبع منها بكل طلاقة لسان. علَّم زمناً طويلاً في كليَّتنا وفي مكتبنا الشرقيّ حتى دُعي الى رومية في ايَّام الحرب فعلَّم في المكتب البابوي الذي انشأهُ الحبر الاعظم بيوس العاشر وقد اسف على وفاته هناك جميع من عرفهُ وحضر جنازتهُ نخبة من الذوات من كرادلة واساقفة وعلماء. لهُ عدَّة مآثر في مجلة المشرق وفي مجلة الاسيويَّة الباريسية وفي مجموعة مكتبنا الشرقيّ التي عُهدت اليهِ ادارتها. وكان متفنناً بالعلوم عارفاً باصول الموسيقى الغربية والشرقية

وقد فقدت رسالتنا غير هؤلاء ممَّن سكنوا مدَّة بيننا فذكرهم معارفهم بالخير منهم الاباء ﴿ ثرنسهر ﴾ من باقارية. علَّم سنين طويلة في مدرسة غزير وكلية بيروت اللاتينيَّة واليونانيَّة والالمانيَّة. توفي في غزير في ١٠ ت ٢ ١٩١٨. والاب ﴿ يوحنا باز ﴾ مات في المستشفى الالماني في بيروت في ٢٨ ك ٢ ١٩١٨. والاب ﴿ لويس كورديه ﴾ كان مدبراً لكليتنا توفي في مرسيليـة في ٤ حزيران ١٩١٨. والابوان ﴿ لوسيان غاران ويوسف غاي ﴾ توفي الاول في ت ١ ١٩١٥ والثاني في ١ ايلول منها. والاب ﴿ الكسيس برنفي ﴾ الذي كان رئيساً على دير حمص في اول الحرب فنُفي الى اورفة ثم تُوفي في فرنسة بمدينة دول في ١١ كانون اول سنة ١٩١٧ و ﴿ رافائيل دنيتو ﴾ الايطالي الجنس كان من افاضل المرسلين وأشدهم تُقى وغيرة توفي في بيروت في ٣ تموز ١٩١٩. والاب ﴿ الكسيس دي ڤلتُوف ﴾ درَّس الرياضيَّات في مدرسة غزير. ولد في مرسيلية في ٨ أيَّار ١٨٣٦ وتوفي في الاسكندرية في ٤ ك ٢ سنة ١٩١٧. والابوان ﴿ شرل ڤادو والفونس فولپان ﴾ علَّما الخطابة في كليتنا. توفي الاوَّل في غزير في تشرين الاوَّل ١٩١٤ والثاني في فرنسة في ٢٨ ك ٢ سنة ١٩١٦. والاب ﴿ بطرس مازُويه ﴾ سكن مدَّة في بيروت يخدم النفوس ثم صار وكيلاً للرسالة في باريس. اشتهر بقداسة حياتهِ. توفي في ٢٢ ك ٢ سنة ١٩١٨. والاب ﴿ فرنسوا جوليان ﴾ درَّس الآثار القديمة في مكتبنا الشرقي توفي في ١٨ ك ٢ ١٩١٩. والاب ﴿ البرّ اندره ﴾ كان رئيساً على مدرستنا في القاهرة ثم صار رئيساً عاماً على رسالة ارمينيـة. توفي في فرنسة في ٣ آب سنة ١٩١٩. والاب

﴿ جول فيقر ﴾ توفي في الاسكندرية في ١٤ شباط ١٩١٩. لهُ آثار حسنة في عاديات مصر وفي تاريخ الاسكندرية خصوصاً. والاب ﴿ يوسف بَرْتولو ﴾ درس في بيروت وخدم رسالة ارمينية ولهُ في اللغة الارمنية بعض التآليف توفي سنة ١٩١٦

وقد سقط في الحرب عدة آباء وشماسة خدموا كليتنا البيروتية كاساتذة او كناظرين على التلاميذ كالاب ﴿ فرنسيس رُوارون ﴾ قُتل في ٢٢ ايلول ١٩١٥ والاب ﴿ فرنك دي كونتانيه ﴾ قُتل في الدردنيل في ٩ حزيران ١٩١٥ وهو يخدم الجرحى. والاب ﴿ جول همبرت ﴾ كان من اوّل قتلى الحرب في ١٢ ت ١ سنة ١٩١٤. والاب ﴿ يوسف كَنكوا ﴾ درَس في مكتبنا الشرقي وسقط في ساحة الوغى في ٢٩ آذار ١٩١٦ وسقط مثلهُ الابوان ﴿ بطرس فرْأن ﴾ في ٢٢ حزيران ١٩١٦ و ﴿ بطرس غم ﴾ في ٥ ت ٢ ١٩١٦. وقد مرَّ في عدد سابق ذكر الاب لويس لنوار قُتل سنة ١٩١٧. والابوان الارلنديان ﴿ ميشال برغين واوغست هرتفان ﴾ قُتل الاول في خدمة الجيش الانكليزي في بلجكة في ١١ ت ١ ١٩١٧ وكان مرسلاً نشيطاً في دمشق وحوران بعد تعليمهِ في الكلية. وقُتل الثاني في حملة الانكليز على بغداد. كان درس في كليتنا الآداب الشرقية ونال فيها شهادة الملفنة. ومات ايضاً في هذه الحرب من اثار جراحهِ الاخ الشمّاس ﴿ فرنسوا كوتل ﴾ مدير مطبعتنا الكاثوليكية في ٦ أيار ١٩١٥. وكلّ هؤلاء اشتهروا ببسالتهم ونالوا الاوسمة الشرفية من قوّادهم الذين اثنوا عليهم علانيةً

ونضيف الى هؤلاء اربعة من اخوتنا الشماسة ماتوا في ابّان الحرب بعد خدمتهم لرسالتنا وهم الاخ ﴿ سلستان فيوري ﴾ الايطالي تُوفي في غزير في ت ١ سنة ١٩١٥. والاخ ﴿ تيودور زوبفل ﴾ المهندس لكنيسة السيدة في عكّار ولبعض ابنية المدرسة الطبية توفي في ليون في ٨ حزيران ١٩١٧. والاخوان ﴿ اتيان فوره ﴾ و ﴿ بطرس شميت ﴾ توفي الاوّل في غزير في شهر أيار ١٩١٥ والثاني في بكفيا في ٣١ تموز ١٩١٥

ونرجئ لعدد اخر ذكر بعض الادباء وافاضل العلمانيين من اهل الوطن العزيز رحم الله الجميع (لهُ بقيّة)

الحقوق البدويّة في شرقي الاردنّ

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان الروم الملكي الكاثوليكيّ

توطئة *

قبل ان نبحث عن النظام البدوي نقول : فُطر الاعرابي على حبّ العزّ والفخار فتصبو نفسهُ الى المكارم وشريف الاعمال. ولا يُخلد الى الذلّ والصغار مهما تجلّت له وجوه المصاعب والأقدار. وهو لا يطمح الى المعالي الّا لينال صيتاً بعيداً وشهرة واسعة بين اقرانهِ وفي عشيرتهِ. وقد قضينا بين ظهرانيهم حيناً طويلاً تعهّدنا بجلي البيان كيف يغار البدوي على شرفه ويؤثر المنون على العار والهوان. فهو الفخر يدفعهُ الى سامي الفضائل الطبيعية وهي عزّة النفس تنهض بهِ الى الانتقام او طلب الحق امام القاضي البدوي. وكم من مرّة ثارَ ثائرهُ لادنى امرٍ حطّ بقدره وخفض من حاله. سَلُوا ابطال البيداء عن الحرب وغواناها فهي المثالب والقوارص التي اوقدت نيرانها واسعرت وطيسها. وبسببها تنازل رجالها وتصادم فرسانها وجُرّدت السيوف وسالت النفوس على حدّ الظُبات وفقاً لما قال الشاعر :

ارى تحت الرماد وميضَ نارٍ فيُوشك ان يكون لهُ ضِرامُ
فانَّ النار بالعُودَيْن تُذكى وانَّ الحرب اوَّلها الكلامُ

وكم من شيخ يملك ثروة طائلة نزعت نفسهُ الى الشرف فأفنى مالهُ لاكرام الضيوف واصبح بعد طول الدهر فقيراً لا يُصيب الّا غُنَيْمات قليلة لا تكاد تكفيهِ مؤونة لحياتهِ. واذا دنت وفاتهُ جمع اولادهُ واورثهم هذه الكلمات الاخيرة : يا بَنيَّ الاعزّاء أفدوا نفوسكم واموالكم لضيوفكم تكسبوا الاكرام والاجلال. ثمّ يموت متبسّماً مسروراً ويا حبّذا ما يُذكر عنهم من العفو والصفح فيكون الواحد منهم تهيأ لقتل خصمهِ اذ تتجلى له عواطف الرحمة والشرف فيصفح عن عدوه وهو يقول :

وأحلمُ عن خلّي واعلمُ أنّهُ متى أجزهِ حلماً على الجهل يَندمِ

ولذلك حدّثني يوماً عبد المهدي قاضي العوازم قال : « نحن الاعراب نسعى دائماً

* اننا بنشر هذه الحقوق البدويّة لا نقصد غير وصف عادات البادية دون الحكم بصوابها او فسادها (المشرق)

في سائر احوالنا وراء الشرف نحيا ونموت لاجل المجد والعز . ولا نطلب حق الشتيمة والوجه والطيب والقصير والبيت والدم الا لنسترد ما فقدناه من الشرف لان اكثر حقوقنا تنشأ عن الشرف المفقود »

*

ولذلك نستطيع ان نحدد الحقوق البدوية بالكلام الآتي : « هي قوانين نقلية محفوظة في البادية مرسومة لتأديب المجرمين وتهذيب الاعراب يعرفها ارباب القضاء ويجرون عليها وبها يعوضون لصاحب الحق او لاهله ما فقدوه من الشرف او المال او الحياة » فهذا التحديد ينطلق على سائر الحقوق البدوية . ولقد يستخدم الاعراب كلمة حق بمعنى عقوبة ونحن سنستعملها بهذا المعنى في بعض الاحيان جرياً على كلام العرب

ومما هو حري بالاعتبار ان نظام الاعراب يناسبهم خير المناسبة وينطبق على طبائعهم حق المطابقة . وهم لا يميلون الى غيره الا مضطرين شأن الامم الصاغرة . وكثيراً ما سمعنا من افواههم : « ان قانون القفر خير من قانون الدول المتمدنة » . وسألناهم عن السبب في ذلك فأجابوا بصائب الكلام قائلين : ان القانون البدوي يدركه الصغير والكبير دون إتعاب فكر تتناقله القبيلة او العشيرة من دهر بعيد فاصبح راسخاً في اذهانهم لا يغيب عن خلدهم ومحفوظهم . وليس فيه من التميزات الصعبة والمشكلات المعضلة ما يقلق ارباب المحاكم المتمدنة بل هو بسيط لانحصاره في شؤون الأعراب وامورهم القليلة . ولذلك يحيط به كل امرئ من ارباب العقول الضعيفة وغيرهم الى ما فوق . فان الراعي الحقير والحارس المسكين والتاجر والفارس والغني والامير يدركون الدعوى ومجراها وما تحتاج اليه من الكلام في افتتاح الدعوى والاحتجاج لنيل الحق . ومن صفاته الحميدة ايضاً انه سريع المعاملة والتنفيذ لا تبطئ اجراءاته ولا يطول عليه الزمان ولا تؤجل دعاويه الى امد مديد بل تتم بجلسة او بجلستين كما يقولون »

ولا يعترضن معترض قائلاً : هذا الحكم السريع من ابواب النقائص لانه يدل على طيش وعدم تروٍ في الدعاوي الكبرى التي تقتضي وقتاً طويلاً وبحثاً وافياً ونقداً دقيقاً . اجل ان الدعاوي الكبرى ذات الاهمية العظمى ينظرون فيها حيناً غير قصير

ويَسْبرون غورها ويقلبونها من كل ابوابها فيمعنون في الفحص ويتعمّقون في البحث عنها ثم يحكمون فيها بعد مشاورة اهل الفطنة والدراية غير ان الامور الطفيفة يحكمون فيها بوقت قصير لما جُبلوا عليه من سرعة الخاطر وتوقد الذهن وخبرتهم بمثل هذه الاحوال الجارية في مضاربهم . فضلاً عن ان قانون العرب يريح صاحب الحق من دفع الاموال الباهظة التي تزداد كل يوم في المحاكم وتُفقر العباد وتصدّهم عن طلب الحق . سألت يوماً بدوياً : من تحب بين القضاة أقاضي العرب ام حاكم الدولة . قال : قاضي البدو أخيَرْ (١ من قاضي الدولة . ثم نظر يميناً وشمالاً وخشي من عين خفية تراقبهُ او اذن سرّية تسمعهُ فقال : « وارباب الدولة زَيْنْ » (٢ فضحكنا طويلاً على كلامه هذا . وذكر لنا ان له في المحكمة دعوى طال عهدها ولم تتمّ معاملاتها الا بالاموال الوافرة التي تسمى مصارفات وقال : ان القاضي البدوي يرأف بالفقراء ولا يأخذ رزقهُ من الضعفاء .

ولقد تختلف القوانين الاعرابية اختلافاً عرضياً من عشيرة الى عشيرة او من قبيلة الى قبيلة وذلك يتأتى من امر طبيعي . فلقد ظهر لارباب التفتيش عن عادات الامم البدوية ان القانون يكثر اختلافاً كلّما اقتربت العشيرة من المدن العامرة الآهلة بالسكان التي يسود فيها القانون النظامي المسطّر . وكلّما توحّد قانونهم كان السبب في ذلك ابتعادهم عن المواطن التابعة لنظام مدوّن . فان القانون الجاري عليه عرب بني صخر والشرارات هو واحد لتنائيهم عن المدن ونزولهم في البراري والقفار . على ان عرب المجالي القاطنين بالقرب من مدينة الكرك والعدوان والبلقاويين الساكنين بالقرب من السلط زادوا على قانونهم بعض الزيادات اخذاً عن النظام الدولي . فلا ريب ان المخالطة والمداخلة المتواصلة بين الحكام تفتح اذهانهم الى امور عديدة لم يكونوا ليعهدوها من ذي قبل . فلذلك اتسعت قوانين البادية كدخول موادّ مختلفة تختصّ بالايجار والبيع والشراء وغيرها مما لم يكن العرب ليعهدوها من قبل . فضلاً عن ان القضاة المتوقدي الادراك قد أدخلوا بعض السنن العرضية المناسبة للاعراب . على

١) أخيَرْ كلمة يستخدمها العرب في مقام التفضيل بمعنى خير مثلاً : فلان اخيَر من فلان اي خير منه ٢) زين هي كلمة يقولونها في مقام الاستحسان بمعنى حسناً وبمعنى مليح ومحبوب ولطيف

ان القانون فيما يختص بجوهره هو وحيد في كل المضارب . ونحن حينما نتكلم عن العرب لا نعني بهم الّا الراتعين في شرقي الاردن الذين ذكرنا اسماء شيوخهم في مقالتنا عن الشعر العربي. وسترسم خارطة عمومية عن العرب ونبين مواقعهم واسماء اراضيهم في محاضرتنا عن القبائل العربية في شرقي الاردن

ومَن انعم النظر في الأنظمة البدوية وجدها تامّة في بابها تصلح لكل ما يطرأ على الاعرابي من الحالات في باديته وفي سائر اطوار حياته. هناك يجد المطالع عقوبات خاصّة للجرائم الكبرى والهفوات الصغرى. فلا مراء ان قانوناً كهذا لم يُنظَم دفعةً واحدة بل تعاقبت عليه الازمان وتوالت عليه الأيّام وقام في اثناء ذلك نفر من القضاة البارعين والرجال المبرّزين ألّفوا عنهُ الشوائب واصلحوا القوانين الماضية . وكانوا هكذا الحين بعد الحين يُلغون او يزيدون ما يرونهُ مناسباً ومطابقاً لاذواقهم ووبوعهم الى ان استتبّت له المزيّة الحسنى ووقف على حدوده الحاضرة . ومن باب المشكلات ان الاعراب الحاليين يجهلون اصلهم وواضع شرائعهم الحالية . فلا يعرفون الّا بعض الوقائع والمعارك فحفظوا اسماء ابطالها وخلطوا كثيراً من تفاصيلها بما اضافوه اليها من الزخرفة والامور الوهمية التي لم تنشأ الّا في مخيّلتهم . واذا سألناهم عن اصل نظامهم وعن واضعيه المشهورين اجابونا بهذه الكلمات الجامدة: «لا ندري ولا نعلم الله يعلم»

١ الانتقام في البادية والصفح

لمّا اشتبكت الحرب بين عرب الشرارات وعرب الحُوَيطات في ربيع سنة ١٨٨٤ وقصرت الاعنّة واشتجرت الاسنّة وتداعت الاصوات وتجاوبت الاصداء نال الظفر امير الحويطات عرار بن جازي. ولمّا انتصف النهار واتّقدت هواجرهُ واستعرت معامعهُ وكادت النفوس تهلك من شدّة العطش امر كلّ قائد فرسانهُ بالنزول عن الخيل. فانحدروا وجلسوا على مهاد الراحة وبينما الرجال صامتون من شدّة النصَب اذا برجل حُوَيطي ابتعد عن معسكره كي يسرق ناقةً من اعدائهُ فتقدّم نحو بطل شراري وقال: أعطني هذه الذلول والّا طُعنتَ أنت والشعلاء. فقال لهُ الشراري: يا اخا العرب دَعْني من شرّك وجنّب من حتفك. قال الحويطي: عليَّ الطلاق من شاربي ومن

مالي وعيالي لاسفكنّ دمك ايها اللعين ابيتَ او رضيت . وما كاد ينطق بهذه الكلمات المهينة حتى رماه الشراري برصاصة في صدره افنت حياتهُ

وكان الحُوَيطي ولد صغير يبلغ من العمر سبع سنوات . وكانت أمهُ كلما ترعرع وتقدّم في مدارج الحياة تقول له : يا بُني مهجة كبدي دم ابيك يصرخ ويطلب الثأر . فيقول لها : والله ان جمعتني أرضٌ بهِ لاهدرنّ دم الشراري . متُّ او حييتُ

ومضت خمس وعشرون سنة وهو يسعى وراء القاتل ولم يجده . وفيما هو يوماً في بيت سطام بن فايز من بني صخر واذا بشيخ جالس على فراش ناعم شيخ مهيب قد كاد يطوي مراحل العمر ويقف على شفير القبر فسأل عنه وعرف انه قاتل ابيهِ فانتضى سيفهُ وضربهُ ضربةً شقّت رأسهُ شطرين وهرب

فمن هذه الحادثة يظهر جليًا ان الانتقام يُعدّ عند العرب من النواميس الشريفة يقيمون لهُ منزلة رفيعة ويقرّبونهُ من الفرائض الضرورية المقدسة التي لا يسعهم التجنب عنها ولو طال عهدها . فان الضغينة تبقى مستورة في صدورهم كالنار تحت الرماد فيأتي الريح ويكشف الرماد وتظهر الاحقاد بالانتقام

ولو ادرنا النظر الى البلاد المتمدنة والدول المنظّمة رأيناها تقوم بردّ الحق بواسطة حكّامها وتستخدم لذلك الوسائط الفعّالة كالجنود والسجون والتخويفات والتهديدات الى غير ذلك فتحكم على الجاني وتقضي عليه القضاء العادل . على ان الاعراب كثيرًا ما يرفضون حكم قاضيهم ليروا ظلامهم بدم الاعادي ويثأروا بالقتيل وينالوا طائلتهم بيدهم . وكم من رجل جمع اولاده على سرير الموت واوصاهم أن يأخذوا الثأر من احد أعدائه

وذكروا لنا حكاية اعرابي وضع يده في يد ولدهِ وضمّهُ الى صدرهِ ونظر اليهِ نظرة الحزن والحنو وقال له : يابني اموت وفي قلبي الحسرة والكآبة على ما مضى لاني لم اقدر ان آخذ ثأري بيدي من فلان قاتل جدّك وابي . ثم سلّمهُ البندقية والسيف والمسدّس وعانقهُ وقبّلهُ قبلة الوداع وهو يقول : تذكّر ما اوصيتك بهِ . ومات على تلك الحالة

وكثيرًا ما رفع المُدنف يده على رأس اولاده واستحلفهم بالحبّ الوالدي ان لا يدعوا الدم يصرخ الى السماء صراخًا اليمًا . ولقد يوجد اعتقاد في البادية يجرّ من انواع

الخرافات الجارية . فانهم يعتقدون ان دم المقتول يصرخ دائماً في الليالي الدامسة ويطلب من اقاربه او اولاده او من عشيرته ان ينتقموا له من عدوه وقاتله . ولقد ذكروا لنا احاديث عديدة عن هذا الصراخ . ولهذا فان الاعراب بعد موت القتيل ودفنه يضعون على قبره جثوة كبيرة من الحجارة يسمونها رجوماً فيقولون : ان دم القتيل يصرخ في الظلماء الى ان يُهدر دم عدوه . ولذلك يعتبرون من الواجب عليهم ان يأخذوا الثأر . وقبل الانتقام يذبحون ذبائح على تلك الرجوم مترحمين المدفون بان يُميطَ عنهم الاذى ويدفع عنهم الاضرار والنكبات

ولربَّ قائل يقول : الى متى تدوم عواطف الانتقام في نفوس الاعراب ؟ فنجيب ان الطوائل والوترات تدوم مدى العمر ولا تُمحى من صدورهم الا حينما ينتقمون ويروون غليلهم . واما الذين يدفعهم غيرهم على اخذ الثأر فهم أولاد القاتل او المهان واقرباؤه لا بل عشيرته كلها كما قال بدوي شرازي : كل عشيرة تشاطر افرادها الفرح والترح . غير ان بعضاً من الابطال وارباب المآثر الشهيرة في الحروب يركنون الى بسالتهم وشجاعتهم ولا يرضون بان تذهب عشيرتهم طلقاً فيرفعون راية بيضاء على رمح يدعونها راية الثأر ويطوفون حول المحلة وهم يهتفون : هذه راية فلان شيخنا وبطلنا (وبهذا الكلام يشيرون الى قائدهم) فنحن فقط نقوم بواجب الانتقام. فتسكت الحركات ويهدأ الروع في المضارب لان هؤلاء قد تعاهدوا على الانتقام

وتراهم ينتظرون بصبر عجيب الفرصة الموافقة لنيل امانيهم . ويقدمون على هذا الامر الشنيع بنفس هادئة وسرور عظيم . واذا اتتهم رغبتهم لا احد يعارض من عشيرتهم لان الغضبَ يحلّ على هؤلاء الرجال الذين القوا على عاتقهم نتائج اعمالهم فهم دون غيرهم يُطالَبون بما جنت يدهم من المآثم والجرائم . وهم ايضاً يدافعون عن انفسهم . واما الذين تصيبهم سهام الانتقام فهم اولاد القاتل واقرباؤه الى الدرجة الخامسة كما سنبيّنه في محله

فاذا هُدر الدم في البادية يضطربُ الاعراب كلهم وتستعر النفوس غضباً ورجزاً حتى تأخذ الثأر وفقاً لهذا المبدأ الجاري مجرى السنّة : العين بالعين والسنّ بالسنّ والدم بالدم . واذا انتقم واخذ حقهُ من عدوه فلا احد يطالبه بشيء بل يقرظونهُ لانهُ قام بواجب مقدّس

يحكى ان بلقاوياً قتل عدواً له من عرب العجارمة كان يترصده منذ زمان طويل لانه قتل اخاه واتى ذاك البلقاوي عجرمياً فصافحه وعانقه وقال له : هنيئاً لك لانك قتلت عدوك بخديعة لم يسبقك اليها احد. فمن هذه الحكاية يظهر ان صاحب الانتقام لا يطالب اذا اخذ حقه من عدوه

بيد ان ارباب الحق الذين يعجزون عن الاخذ بالثأر لقلتهم او لضعفهم او لبسالة عدوهم يلتجئون الى امير كبير من عشيرة اخرى يعرف بجرأة صدره ورباطة جأشه وثبات جنانه فهو ينتقم لهم من عدوهم ويطلب القاتل ويلزمه بالقيام بحق الدم

ومن تأمل في عادة الانتقام حكم انها بربرية لا يقدم عليها الا الامم المتوحشة. اجل ان ذلك لمن الصحة على جانب كبير غير انه لولا وجود هذه السنة في البادية لغدت القفار الاعرابية دار حرب وساحة قتال لان المجرمين لا يهابون قتل النفوس البريئة اذ لا رادع يردعهم ولا سيف يمنعهم فان السنة الدم بالدم تصد الاشرار عن جرائم كبرى. ولذلك يندر القتل في البادية. وخوفاً من العقاب لا يهدر البدوي دم المسافرين بل يسلبهم ثيابهم واموالهم. ثم ان العرب يرحلون على ظهور نياقهم طلباً للرزق من الغزوات البعيدة على انهم يتجنبون القتل لئلا تنزل بهم الضربات الهائلة التي تأمر بها شريعة الانتقام. وهذه الشريعة تجعل البيداء في أمن وسلام يسافر فيها المرء غير خائف من صولة الاعداء بنفسه وان سلبوه ماله

على ان عواطف الشفقة والحلم تغلب فيهم مرات عديدة على حب الانتقام وتحمل الاعراب على الصفح. ولقد يذكر التاريخ القديم حكايات وفيرة تشير الى شهامة نفسهم وكرم اخلاقهم. ولدينا حوادث كثيرة في ايامنا الحاضرة تدل على عفوهم لاعدائهم. ودونكم النادرة الاتية: النار تغشى في مضارب بني صخر والكلاب تنبح فتدعوا المسافرين الى خيمة الشيخ فواز. واذا بشاب لطيف قد نزل عن فرسه وحيا الضيوف قائلاً : السلام عليكم. فقالوا: وعليكم السلام. قال : حيا الله الرجال. قالوا: حيا الله الرجل. قال: العوافي يا غانمين. قالوا: حيا الله الغانم. ثم جلس بالقرب من الشيخ وبات عند العرب اياماً طوالاً لا يسألونه فيها جهة القصد الى ان حان وقت طغاه فيه الشيطان فاستقطبه في زلة كبرى. رأى ابنة الشيخ فسحر بجمالها ولما اندل هجم على خيمتها فقتل العبد الحافظ لها وخطفها وسافر. فذاع الخبر باقل من لمح البصر

فلحقهُ اخوانها الثلاثة وكان كلّما تقدَّم اليهِ احد يضربهُ برمحهِ فيرميهِ مجندلًا على الارض اخيرًا لحقهُ العرب وفرسانهم. فانهزم الى ان لقي خربوشًا (١ وكان على بابها شاب في مقتبل العمر فصاح بهِ وقال: يا ابا رشيدة انا في وجهك وفي مرقد عيالك. قال: لقيتَ خيرًا ومرعى واماناً. ولمَّا اقبلت العشيرة تطلب الابنة وحقّ الدمَ أرجعها الشاب وقال: هو البيت يحمي الطريد والشريد. هو الوجه يدفع صدمات العدوّ. فرجع القوم صامتين. وسأل الخاطف الابنة عن صاحب البيت فقالت: سوَّد الله وجهك هذا ابن عمي وخطيبي قد طلبني من اخواني فوعدوه الى ما طلب. وقد مهَّد الصبات كي يتزوَّجني اذ قاتلَ اولاد عمهِ. فامتقع لونه وتغيَّرت هيئتهُ واصبح وجهه كوجه الاموات. على ان صاحب الخربوش اكرم مثواه في تلك الليلة. وأعدَّ له خيمة العرس وزوَّجه بها. ثم صالحَ العربَ مع الشاب وسالمهم وعاهدهم بان لا يُنزلوا بهِ ضررًا. فهذا مما يدلّ على علو النفس وشهامتها فهذه العواطف النبيلة لا تكاد توجد بين اصحاب التمدّن لان صاحب البيت قد صفح عن قاتل اولاد عمهِ وعن خاطف خطيبته وصالحهُ مع العرب ولم يدفعه الى كل ذلك الّا سموّ النفس وحبّ الذكر

وكم من مرَّة سمعنا في مضارب الاعراب حكايات كثيرة تدلّ على حلمهم وعفوهم فمنهم من اكرم قاتل ابيهِ وحارق بيادرهِ وخاطف ابنتهِ. ومنهم من كان مستلًا سيفاً في سُورة الغضب اذ ردَّه الى غمدهِ كي يُصيب صيتاً بعيدًا بين الاعراب لاسيما في عشيرته. وكثيرًا ما ينبض نابضهم ويهيج هائجهم وتتصادم الجماعات فيقوم بهم شيخ نال من الدهر رزانة وحكمة فيحاجزهم ويوادعهم ويصلح ذات البين. وربما كان مهانًا او مشتومًا فيقول مثلًا: أصلحْ تجدْ. اي من اصلح وجد الشرف او وجد المعروف. ونجد في خيم العرب اناسًا ثابتي العقل راجحي الحلم وقورين في آرائهم هادئين في حديثهم فهؤلاء هم الحكماء في البيداء نصبهم المولى لوضع السلام

٢ حق الشتائم

قبل ان نذكر عقوبات اهل القوارع والشتائم اي كل ما يصدر من اللسان فيجرح فؤاد القريب او شرفه او يهين اهلهُ او اقاربهُ وعشيرتهُ علينا ان نورد بعضًا من لواذع

١) الخربوش هي الخيمة الصغيرة لها عامود واحد

اهل الخيم تفكهة القراء. ومنها يستدل ان شتائم اهل المدن تختلف اختلافاً عظيماً عن قوارص اهل البادية لان النطق وتصوير الافكار في الاذهان يختلفان باختلاف المواطن والعشرة والذوق والطباع وما يؤثر كل يوم من المناظر او يطرق على آذانهم من الكلام. وليصفح المطالع اللبيب عن تجاسرنا في ايراد ذلك لاننا لم نسطر الا اللطيف المستحسن

يقول الرجال لبعضهم في مقام التسلية والمازحة : قبح الله وجهك يا فلان. او : الله لا يعطيك العافية. او : الله لا يعوضك خيراً. ويقولون : يهدم بيتك ما احلاك. ويخرب دارك ما اكذبك. او : الله لا يبتر الك سبيل. يا لله لا يفكك من تعاسير دنياك

وفي اول الغضب يقول بنو صخر : أرعْ أي أنظرْ. ويقولون : يَرْ (اي ما هذا) إخسْ من رجل (اي يا لك من رجل خسيس). وفي احتدام الغضب يقولون : الله لا يرحم مراقيد والده (اي كتفه التي يرقد عليها). واذا كذب احدهم يقول كبير الحاضرين : «الكاذب يلتعن والديه ويُقصَف عمره. فلان ملعون الوالدين». وهذه الكلمة تكاد ترد في كل عبارة من عباراتهم

ومن شتائمهم ما يقرب مما اعتاد عليه اهل سوريا ومصر كشتائم الاب على ان العرب يتجنبون لعنة الدين لما فيها من الاهانة الكبرى للمولى عز وجل. غير ان الاموات لا ينجون من شتائمهم بل تهطل عليهم المسبات المديدة. ونعجب كل العجب كيف ان الاعراب يحترمون الاجداث والمقابر ويحافظون على رفات الموتى من الاهانة ومع ذلك لا يدور لسانهم في فمهم الا لينطق بالشتائم على الاموات فيقولون : فلان يرحم على فلان (اي يشتم على امواته) ويقولون : الله يحرق قلاع بيتك (وهي الاوتاد والأطناب). ولا يتركون عضواً من اعضاء الانسان الا ويُنزلون عليه نار الغضب الالهي. وسألت احد الاعراب يوماً وقلت : لماذا لا تتركون الاموات يرقدون رقدة سعيدة بل تقاقونهم بمسباتكم. فقال : الشتائم لا تغير شيئاً من حالة الاموات ولكن قد اعتادت ألسنتنا على ذلك وهي كالدخان تتصعد في الهواء

والصخور حينما يسبون يقولون : إيس. ويدهم على قضاب السيف لينتضوه ويضربوا به. ويقول عرب الصقر : يَلْ (بمعنى ويل) ومنهم من يقول : يستر على

نظرك . وكان الاقدمون يقولون بالمعنى نفسه : بيّض الله عينك وسوّد المولى وجهك . ومنهم من يقول : قبحاً لهذه اللحية . او : قبّح الله هذا الشارب . او يَقطعْ رباطكْ وجبَاطكْ (اي الخيمة والمرعى) . ويقولون : يطفي نارك ويهدم اطنابك . والنار هي دلالة الكرم فكأنهم يقولون : يمنع المولى عنك الضيوف فتصبح ذليلاً مهانا . ويقولون هَرِع . اي انت ايضاً في مقام التحقير . ومن كلامهم : عسى مراحك اخضر . وهذه دعوة كبيرة لانهم بها يطلبون موت المواشي كي تبقى المراعي خضراء

ويقال ان الشرارات هم اقوى العرب على ايراد المسبّات بصورة غريبة . ومن ذلك ان رجلاً لقي شرارية فقال : هل تقدرين ان تبيّني لي ما هي اعظم الدعوات عندكم . فقالت : الله يكفيك شرّ الدعوات . فكرّر عليها الطلب فقالت : دونك « الله يقطعك من كل ما يميل ظلّهُ » . هذه اكبر دعوة عندنا . والحق يقال لا شيْ في الدنيا الّا وله ظلّ اي يحرمك المولى من كل ما في الدنيا . وللنساء شتائم خاصّة تضرب صفحاً عنها لقبحها

ولقد يعسر على البدوي احتمال ادنى شتيمة او دعوة صُوّب بها . وذلك يُستدلّ مما ذكرناه عن حبهم للمجد والشرف وفقاً لما قال شاعرهم :

لا يسلمُ الشرف الرفيع من الاذى حتى يُراق على جوانبهِ الدمُ

فانهم يعدّون الشتيمة اشدّ تأثيراً من حدّ السيف . ولقد يستعملون في تشابيههم واستعاراتهم قولهم : لا يزال كلامه بقلبي كحدّ السيف او كسهم حادّ . والمسبّات تثير الحروب في البادية وتحمل اهل المشتوم او المشتوم نفسه على الانتقام . يروى ان شاعراً من بني حسن تطاول في الكلام فهجا ذيبة ابنة الشيخ عودة ابي تايه امير الحويطات . فلما ورد الشاعر الى مضارب الامير قال له عودة : قبحا لهذه اللحية يا قذّاف المحصنات وشاتم الآنسات يلسع لسانك كلسع الحيات . فأثر هذا الكلام في قلب الشاعر تأثيراً شديداً . وخرج الشيخ من خيمته وقال : والله لئن اكتحلتْ عيني به او جمعتني به ارض لأهدرتُ دمه الى ان يحول بيني وبينهُ ما لا استطيع دفعهُ . فهرب الشاعر كئيباً ولم يأكل طعاما عنده فوجده اعرابي وقال له : يا ابا قِذلة يا شاعر بني حسن على ما انت مجمع الآن . فقال : على ان اتخذ الليل مركبا فان السير فيه اخفّ عليّ وطأة . قال : هذا هو الصواب والرأي ان يكون معك رجل تستأنس به في الطريق . فتقطّب وجههُ

وقال: السيف في عاتقي فالي حاجة الى مؤنس غيره. ولمّا ابتعد في البرّية امر الشيخ عودة احد عبيده فلحقهُ في الخلاء وقتله على هجانه

وقد حكى لي عبد المهدي قاضي الموازم ان ارباب الشتائم يعذّبون باقسى العذابات. فان رجلًا من العدوان رفع يده على ابيه وقال: اخس يا شايب. فسمع بذلك علي الذياب شيخ العدوان فامر بقطع لسانه. ويحكى ان رجلًا من العشيرة نفسها بصق بوجه عدوّه فامر عليّ بان تحلق لحيته الى نصفها فقط. ومن شتم عند عرب الشرارات والصخور يدفع للمشتوم فرساً او سيفاً او بعيراً او ثلاثين ريالًا. والشاتم عند العدوان يُضرب بالسياط حتى يسيل الدم من اعضائه. وكثيراً ما يضعون دبساً على وجهه ويربطونه باوتاد فيأكله الذبّان. او يربطونهُ ويوجهون عيونه الى الشمس حتى يموت ويُهذّب الاشرار ويرجعون عن غباوتهم. والسلطان عليّ الذياب شيخ العدوان لا يرحم الشاتم. وقد رآه كثيرون يضرب الثالبين والشتّامين بقضيب او بجلدة مؤلمة

ويروى ان بدوياً اهان والده اذ رفع عليه هجانه (وهي عصاً صغيرة) فالزمهُ القاضي بان يحرث ارض ابيه مدة سنتين. وقد روى عبد المهدي الحكاية الآتية قال: قدم شيخ هرم الى قاضي البلقاء ابن قلّاب وقال: ويش بك يا عواد بن قلاب يا فكّاك النشب بوادٍ لي ربّيتهُ حتى نشأ وكبر واليوم قد جرّني بجديلتي الى خارج الخيمة وشتمني. فقال لهُ القاضي: اذهب يا شايب ما صنعه ابنك بك سيصنعه به اولاده في المستقبل. وحكم على الولد بان يبني خيمة لابيه ويدفع له خمسين نعجة ليكرم بها الضيوف. وقد تمّ كلام ابن قلاب فان اولاد الابن قد جرّوا اباهم الى خارج الخيمة ولما انتهوا به الى الموضع الذي اوقع اباهُ فيه قال لهم: كفاكم ايها الاولاد الاشرار الى هنا فقط جررتُ ابي. وتذكر بحكم ابن قلاب (١ (لهُ بقيّة)

---

١) هذه القصّة يروي العرب شبيهاً بها في ابي أخزم الطائي ومنها مثلهم: «يُقشّبُهُ أعرفها من اخزم» (المشرق)

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الامير محمد بن سعود واتحاده الى الوهابيين

صار الامر بعد سعود الى ابنه محمد وكان هذا رجلاً ذا عزم وإقدام حريصاً على السيادة راغباً في توسيع نطاق إمرته. فسار سيراً حسناً في قومه وابطل المظالم وألغى المكوس وألّف قلوب عشيرته ثم اخذ يسعى بمدّ سيطرته على قبائل نجد فأخضع منها قبائل العُتوب والعُزّة ووقف بالمرصاد لغيرها رجاء ان يستولي على كل جزيرة العرب

ففي تلك الاثناء قدم عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فعرض عليه دينهُ واطمعهُ بملك جزيرة العرب اذا انتمى الى مذهبه. ومن قوله لهُ: «ايها الشيخ ان هذا هو الله ورسولهُ الذي لا شكَّ فيه فأبشر بالنصر ان انت عضدتني في دعوة الناس الى التوحيد فتكون لك السلطة التامّة على بلاد نجد وغيرها ويستتبّ لك الحكم على سائر العرب واقوم انا بالدعوة الى الدين اذ لا تثبت الدول الّا بالسلطان والدين معاً». ثمَّ اشترط عليه شرطين: الاول ان يقوم مع انصاره بفريضة الجهاد في سبيل الله ولا يرحل عنهم ولا يستبدل منهم غيرهم. والثاني ان يأخذ الشيخ لنفسه وقت الثار خراجاً من أهل الدَّرعية. وأيقظ هذا الكلام من ابن سعود حبّ الملك وأمل الرئاسة فما لبث ان طاوع ابن عبد الوهاب وقبل بما اشترط قائلاً: «اما الأولى فامدُدْ يدك». فمدَّها وقبضها ابن سعود فقال: «الدمُ بالدم والهدمُ بالهدم». اما الثانية فلعلَّ الله تعالى يفتح لك الفتوحات فيعوّضك من الغنائم ما هو خير لك». ثم بايع صاحب الدعوة على الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى اقامة شعائر الاسلام فقرنهُ ابن سعود باحدى بناتهِ وصارا يداً واحدة في السعي وراء تحقيق امانيهما

واستقرَّ منذ ذاك الحين ابن عبد الوهاب في الدرعيّة وتسمّى محمد بن سعود

بالامير وتبعهُ اهل الدرعية. ثم شاع الخبر بنصرة الامير للشيخ فاتى الدرعيَّة من كان ينتسب اليها من رؤساء واعيان منهم اهل العُيَيْنَة ورؤساء المامرة وغيرهم. ثم جعل ابن عبد الوهاب يسعى للامام ابن سعود ويدعو اهل البلاد المجاورة وسائر القبائل والعشائر الى التوحيد والدين الاسلامي مصلحاً. فتألَّبت عليهِ بذلك الجماهير من العرب واخذت دائرته تتسع وجماعته تكثر يوماً فيوماً. وكان ذلك سنة ١٧٤٢ في عهد السلطان محمود الاول (١)

وكان من نتائج الدعوة الوهابية ان مصلح الحالة الدينية نفخ في اهل نجد روحاً اسلامية لم يعهدوها من قبلهِ لولا انَّ اصلاحهُ بلغ بهِ الى الغلو والافراط فاضحى تعصُّباً ذميماً. فكان الامام يعاقب اشدَّ المعاقبة كل من لم يؤدِّ الصلوات الخمس في اوقاتها او يلبس حريرًا او يتحلى بذهب او يشرب التبغ او يضرب آلة طرب او يرفع صوتهُ بغناء او يقضي الليل في السامرة بعد صلاة العشائين او يحلف بغير اسم الله. وكان اتخذ لهُ شورى متألفة من ٢٤ صاحباً يتجولون في احياء البلد ويوقفونهُ على ادنى مخالفة لهذه الفرائض فيوجب على المذنبين الحدّ ويضربهم بالسياط ويغرّمهم الغرائم الطائلة. ومما اقنعهم بهِ ان كل من لا يجري على هذه التعاليم من المسلمين هم مشركون تُعَدّ بلادهم كدار حرب تجوز محاربتهم وقتلهم وسَلب اموالهم ما لم يرعووا ويدينوا بدين ابن وهاب

اما محمد بن سعود فانهُ اخذ يجنّد الجند ويمرّنهم على القتال ومباغتة العدو ثم درَّبهم على مقاساة الجوع والعطش والعري وقطع البوادي القاحلة على الهجين يركبهُ الجنديان مترادفَيْن. وكان يرسلهم لمحاربة القبائل المخالفة فينقضُّون عليها انقضاض القشاعم فان أَبى اهلها من النجاة عرضوا عليهم الدين الوهابي فان أَبوا أعملوا السيف في الرجال وسبوا الذراري وبقروا الحوامل وان رضوا عشَّروا اموالهم واخذوا العشر ايضاً من رجالهم كجند ينظمونهم في جيوشهم. فقويت بذلك شوكة ابن السعود واشتدَّ ساعده حتى اصبح اكبر امراء نجد. وكان ابنهُ عبد العزيز رئيساً على جيوشه فأيَّد بفتوحاته الدعوة الوهابية

(١) كان جلوسهُ على عرش بني عثمان سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ومات سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م)

الوهابيون بعد محمد بن سعود

ثم توفي محمد بن سعود في ربيع سنة ١٧٦٥ فخلفهُ في امارته عبد العزيز وكان يشبه اباه بشجاعته وحسن سياسته وحرصه على نشر التعاليم الوهابية بالجهاد ولهُ الفتوحات العديدة منها مدينة رياض عاصمة السيد دهام بن دوّاس من اعيان شيوخ الجزيرة. دخلها بعد معارك طويلة سنة ٧٧٢ . ومن مآثره وقوفه في وجه اعدائه من حلفاء العرب والاتراك. فانهم ساروا بجيوش جرّارة لمحاربة الوهابيين وكادوا ينالون منهم لولا دهاؤهم وثباتهم وسرعتهم في جمع شتاتهم بعد انكسارهم. ثم كرّوا على بلاد الأحساء وشتتوا شمل سعدون صاحبها واستولوا على عاصمتها الدلم سنة ١٧٨٣

فزادهم هذا الفوز بأساً ودخلوا اطراف الحجاز ونهبوا قوافل الحجّاج وتهدّدوا حواضر البلاد. وكان محمد بن عبد الوهاب لا يزال في قيد الحياة يبعث في القلوب التحمّس الديني. وكان من اقوى أنصاره سعود بن عبد العزيز فعيّنهُ ابوهُ سنة ١٧٨٧ كخلف لهُ بعد وفاته فبايعهُ على ذلك رؤساء البلاد الوهابية. وكانت وفاة محمد ابن عبد الوهّاب في ٢٠ حزيران ١٧٩٢ طاعناً في السنّ معمراً خمساً وتسعين سنة. وقام بعدهُ في امامة الوهابيين وقضائهم الامام حسين ابنهُ وتقفّى آثار والده

عز الوهابيين وذروة مجدهم

في هذا الزمان بلغ الوهابيّون اوج عزّهم . فانّهم بعد ان بسطوا على نجد ظلّ دينهم طمحوا ببصرهم الى ما وراء حدوده من الجزيرة العربية فكانوا كلّ يوم يزيدون سطوة ويوسعون دائرة ملكهم ثم أخذوا يرسلون الوفود والدُعاة الى قبائل الشام والحجاز واليمن ليعرضوا عليهم مذهبهم متدّدين بالاتراك والشرفاء والفقهاء وناسبين اليهم تشويه الدين الاسلامي

فاثارت هذه الاعمال احقاد المسلمين ولا سيما شريف مكة السيد غالب فلم يرَ بدّاً من استنهاض همم القبائل الجنوبية والاستنجاد بقوى الدولة فدعاهم الى الجهاد فاحتشدت عدة قبائل موالية للدولة كالخنير وبني شمّر والمُنتفق. وتحفّز والي بغداد

سليمان باشا لمحاربة الوهابيين فاخذ يجنّد الجنود ويمدّ الذخائر غير ان هذه العُدَد لم يتمّ استحضارها الّا بعد زمن طويل في السنة ١٧٩٧ فسارت الجنود العثمانية والعرب المحالفون وفي صحبتهم الذخائر الحربية من مدافع واسلحة لكن هذه الحملة بعد بلوغها الى بلاد الوهابيين لم تَفُزْ بالظفر المأمول لتفرّق كلمة الحلفاء وما أصابهم في الصحاري القاحلة من العطش والضنك الشديد بينما كان العدوّ واقفاً لهم بالمرصاد يناوشهم القتال ويحول بينهم والمياه العذبة او يطمّ الآبار او يفسد مياهها بالمواد السامّة او القذرة حتى اضطرّ علي بك كاخيه سليمان باشا والسرعسكر الى ان يصالح الوهابيين فتفرّق العرب دون طائل. بعد ان قتل احدُ الوهابيين قائدهم الشوبيني

دخول الوهابيين كربلاء

كان خذلان العرب المتحالفين لمحاربة الوهابيين داعياً جديداً لتحمّس احزابهم فما لبثوا ان جمعوا غزاتهم سنة ١٨٠١ وحملوا كالاسود الضارية على كربلاء مقدس اهل الشيعة في عدد ١٥،٠٠٠ فدخلوها بغتةً وقتلوا رجالها واولادها ككفّار وبقروا نساءها الحوامل ثم انتهكوا حمى مشهد الامام حسين فنهبوا ما فيه من الكنوز والجواهر الثمينة التي كان انصار الشيعة خزنوها هناك منذ مئين من السنين اكراماً لولتهم ثم هدموا المشهد وعادوا الى بلادهم بالغنائم البالغة حمل مئتي جمل

حملة الوهابيين على الحجاز

كان لعمل الوهابيين في مشهد الامام حسين اسوأ وقع في قلب عموم المسلمين وخصوصاً في اهل العجم فقاموا وقعدوا يريدون محاربة الوهابيين وقتلهم عن بكرة ابيهم. فتأهب للجهاد ملك ايران فتح الله شاه ووالي بغداد سليمان باشا واعدّ الاتراك حملة عظيمة ليوقعوا بالوهابيين في ديارهم ويلحقوا بالدقماء مدينتهم الدرعية. على ان ذاك التحمّس خمدت جمرتهُ بعد قليل ولم يأتِ بنتيجة تُذكر لان المتحالفين اضاعوا وقتاً طويلاً بإعداد حملتهم حتى ضجر الكثيرون. ثم لم يحسنوا تنظيم حركاتهم وتوحيد كلمتهم فتضعضعت قواهم. واذ وقعت في تلك الاثناء الحرب المسكوبية مع

الدولة وأخلد الاكراد الى الفتن في جهات الموصل تركوا الوهابيين وشأنهم وصرفوا افكارهم الى سواهم

فلما رأى الوهابيون ان الجوَّ صفا لهم ولم يبقَ في طريقهم معارض ارخوا العنان لمطامعهم ولم يعودوا يقفون عند حدّ ففكروا في فتح اليمن والحرمين فارسل عبد العزيز حليفهُ المسمَّى ابا نقطة شيخ بني عسير ليستولي على انحاء اليمن فسار اليها وتحت امرهِ رجال من عرب القبائل الجبلية ذوو بأس وقوَّة فاحتلَّ معهم كل سواحل اليمن الى مُخا. امَّا ابنهُ سعود فوجَّهه الى الحجاز

وكان حينئذٍ على مكة الشريف غالب فسعى بان يوقظ الاتراك من سِنتهم ليساعدوهُ في كسر شوكة الوهابيين لكن صراخهُ لم يلقَ صدى عندهم فاتَّكل على نفسهِ واستعدَّ للدفاع عن المدينة. فجاءت سَرِيَّة من الوهابيين عليها عثمان المضايفي شيخ بني عدوان لفتح مدينة الطائف على مرحلة من مكة وهي مدينة طيبة الهواء حسنة الموقع كثيرة الثمار يصطاف فيها المكيون من اهل الثروة فحاصرها ودخلها بعد مقاومة عنيفة حملت الوهابيين على قتل سائر سكانها ونهب اموالها وتدمير ابنيتها. ثم سار الى سواحل البحر ففتح مدينة قنفذة ونكص على اعقابهِ فضمَّ قواهُ الى جيش سعود لمحاربة مكة سنة ١٨٠٢

فتح مكة وقتل عبد العزيز

اقشعرَّت ابدان المكيين هلعاً لِما بلغهم من معاملة الوهابيين لاهل الطائف وعوَّلوا على طلب الامان منهم. امَّا الشريف غالب فآثر محاربتهم وخرج لقتالهم فاوقفهم مدَّة عن المسير لكنهم ضاعفوا قواهم وقطعوا الماء الشروب عن اهل مكة فلم يبقَ لهم غير الماء الأُجاج من الآبار ثم غلبت عليهم المجاعة حتى تزاحموا على اكل الكلاب والهررة وكادوا يثبون على الشريف لولا انهُ استدرك الامر وخرج من البلد هارباً الى جدَّة. فصارت مكة تحت رحمة الوهابيين واذ كان عبد الله باشا امير حجَّاج الشام قد قدم الى زيارة المناسك الدينية قُضي عليهِ بطلب الرخصة من الوهابيين فسمح الامير سعود لجموعه باتمام فرائض الحجّ لكنَّهُ اشترط عليهم ان يقفلوا عائدين الى بلادهم بعد ثلاثة ايَّام

فلما برحوا مكة دخلها الوهابيُّون في تموز ١٨٠٣ وتملَّكوها واقام الامير سعود حاكماً على اهلها عبدَ المعين ابنا الشريف غالب ثمَّ قضى بالاعدام على بعض اعيان المدينة ونزع عن المساجد حليَّها وهدم كل القبب والمشاهد وجرَّد الكعبة من المحمل الذي يكسوها وقلَّد القضاء احد علماء الوهابيين يدعى ابن نعمة فسلك بينهم نهج السلوك حتى ضُرب المثل بعدله

ثم سار سعود الى جدَّة لمحاربة الشريف غالب لكنها عصت عليهِ فلم يقدر على فتحها لمناعتها. وكذلك المدينة ارسل اليها فرقاً من جندهِ لم ينالوا منها فاضطرُّوا الى الرجوع عنها بعد ان فشا بينهم داء الطاعون

وفي تلك الغضون هجم على عبد العزيز في الدَّرعية رجل من الاعاجم وقيل رفاضيّ من العماديَّة كان الوهابيُّون قتلوا اولادهُ يوم غزوهم لكربلاء. فتظاهر بالمذهب الوهابي سنةً في الدرعية حتى أمكنتهُ الفرصة من أخذ ثأرهِ فضرب الاميرَ بمدية وقت صلاة العصر في ٣ ت٢ سنة ١٨٠٣ فقتله فالتفَّ الجمع على القاتل واحرقوه بالنار وكان عبد العزيز بلغ الثانية والثمانين من عمرهِ. وكان الوهابيُّون يثنون على عدلهِ ونزاهتهِ وحسن تدبيرهِ لامورهم وتُقاه في اقامة سنن الدين على مقتضى التعاليم الوهابية

فدعت هذه الاحوال الامير سعود وجماعته الى ان يتخلَّفوا عن الحجاز ويعودوا الى نجد. فانتهز المكيون هذه الفرصة واجتمعوا على حامية الوهابيين وكان عددهم نحو المائتين فقتلوهم واعادوا من جدَّة الشريف غالباً فتنازل لهُ اخوهُ عن امارتهِ

امارة سعود بن عبد العزيز

قبض الامير سعود على زمام التدبير بعد ابيهِ وآلى على نفسهِ ان يبسط حكم الوهابيين على كل جزيرة العرب. فحشد جيشاً عرمرماً وسار الى البحرين وديار الجواسم فدخلها ظافراً وتهدَّد العراق. فعهدت الدولة العثمانية الى ولاة بغداد ودمشق وجدَّة قطع دابر الوهابيين فانتدبوا لذلك رؤساء الاكراد وشيوخ قبائل العرب وانضمَّ اليهم سلطان مَسقَط مع قوَّاتهِ البريَّة والبحريَّة. ولكن هذه البعثة انتهت كالحملة السابقة بالفشل والخذلان لشتات شمل الحلفاء بعد تفرُّق كلمتهم وعجزهم عن التدبير وسوء تصرُّفهم. فاندفع الوهابيون في اثرهم كالسيل الجحاف وتوغَّلوا في ولاية البصرة فاشبعوا اهلها قتلاً وسلباً

الامير سعود وملكه على الحجاز

ثمَّ بثَّ الوهابيُّون قواهم في سواحل خليج العجم غربيَّهُ فملكوا مع البحرين الاحساء ومسقط وعُمان واضطرُّوا قبائل العرب المستوطنة فيها الى الرضوخ لشريعتهم شاؤوا أم أبوا

وفي السنة ١٨٠٥ اعلن سعود بانهُ حان الوقت لبسط يده نهائيا على أمّهات الحجاز فسار بجموعهِ واحتلَّ مكة دون مقاومة لان الشريف غالباً اخذ يتظاهر بالمذهب الوهابي ويؤلف قلوب الوهابيين بما يرسله من حين الى آخر من الهدايا والالطاف الى اميرهم . فدخل سعود المدينة وعامل اهلهـا بالرفق هذه المرَّة وعافاهم عن الضرائب المألوفة ثم أدَّى مع قومهِ فرائض الحجّ لكنهُ تشدد في منع كل ما يحرّمهُ الوهابيون وابطل كل التقاليد التي استُحدثت بعد نبي الاسلام وخلفائهِ الراشدين واثبت الشريف غالباً في منصبه

ثم خرج من مكة الى المدينة فدخلها بعد مناوشات قليلة مع البعض من سكانها . ولعلمهِ بموالاة اهلها الاتراك ونفورهم عن مذهبهِ لم يرعَ لهم جانباً فنفى منها عمَّال الدولة وطرد حجَّاجهم وسلَّم تدبير البلد الى شيخ بني حرب المدعو الشيخ مذين وقرَّر على الاهلين دفع المكوس والضرائب . ثم جرَّد قبر نبي الاسلام من كل زينتهِ وحاول هدم قبَّتهِ وعرض للبيع ما كان فيهِ من الجواهر الكريمـة وذوَّب آنيتهُ الذهبية فصكَّها نقوداً وفرَّقها على اصحابهِ ومنع من اكرام الانبياء ومن شرب التبغ . قيل انهُ بلغهُ ان امرأة من المدينة شربت النارجيلة فأمر أن يطاف بها في احياء البلد راكبةً على حمار وفي يدها النارجيلة وعنقهـا مطوَّق بناربيجها . وكان لا يسمح للحجاج اذا زاروا المدينة الَّا بالصلاة في جامع النبي دون اكرام قبره . وكان اذا وجد بينهم اتراكاً خفَّف لحاهم اسوةً بلحية نبي المسلمين

ملك الوهابيين على اليمن

وكما خضع الحجاز لحكم الوهابيين كذلك اليمن لم يرَ اهلهُ بدًّا من متابعتهم على مذهبهم . فانَّ ابا نقطة الوهابي شيخ العبيد بعد احتـلاله سواحل اليمن تحفَّز للولوج

في داخل البلاد. وكان على اليمن شريف يدعى حمودًا فهذا تصدَّى لابي نقطة وجاهر بكراهته للمذهب الوهابي وتحصَّن في حاضرته. غير ان الوهابيين صدقوا في الحملة عليه وهزموه واحتلوا بلاده وفتحوا مدينتَي لُحَيَّة وحديدة من اغنى مدن اليمن فنهبوهما الى ان جاءهم الشريف حمود خاضعاً ذليلًا منتسباً الى التعاليم الوهابية سنة ١٨٠٥

وبخضوع اليمن كاد الوهابيّون يبسطون سيطرتهم على كافة انحاء الجزيرة اذ امتدَّ ملكهم من شمالي وغربي نجد الى خليج العجم ومن بادية الشام الى البحر الاحمر. وصار الحج تحت رحمتهم لا يأذنون للحجّاج بدخول الحرمَين الّا بعد دفع المبالغ الوافرة وتحت شروط حرجة يشرطونها عليهم لا سيما على أصحاب السنَّة بغضاً بالاتراك

وهكذا استمرَّت جزيرة العرب عشر سنوات تحت نير الوهابيين يُشيّعون فيها مذهبهم ويحاربون كل من عارضهم. وفي السنة ١٨٠٧ طمعوا في نهب مشهد علي في نجف كما فعلوا في مشهد حسين في كربلاء. واوشكوا ان يفوزوا بالمرام لولا خطبةٌ جاهر بها قائدهم ليلًا قبل هجومهم على المشهد فسمع صوتهُ بعض الحرس واسرع الى الاهلين ينذرهم بما يتهدَّدهم فتراكضوا مدجَّجين بالسلاح وخلَّصوا المشهد والبلد من ايديهم

لكنهم في العام المقبل اعتاض الوهابيون عن هذه الخيبة اذ تقدموا الى جهات الرقَّة وفتحوا مدينة عانة على الفرات ونهبوها نهباً قبيحاً. ومنهم من سار الى حوران واستباحوا فوق عشرين من قراها. ثمَّ توجَّهوا الى دمشق وارادوا احتلالها لولا ان يوسف باشا واليها ارضاهم بمال ادَّاهُ لهم فاكتفوا بوضع يدهم على ارباض المدينة وعلى غلاَّت الغوطة المتوفرة

واتَّفق الوهابيون مع الجواسم فعمَّروا عدَّة سفن في خليج العجم ركبها قرصانُهم لتوقيف المراكب المبحرة وفتح مدن السواحل. لكن الانكليز ارسلوا اسطولًا لمحاربتهم وشتَّتوا شملهم. وكذلك قبائل المنتفق المحالفة للدولة العثمانية ردُّوا غاراتهم عن العراق بعد ان اجتمعوا لفتح البصرة وسلبوا كل غلَّات نخيلها

خروج المصريين على الوهابيين

ضاق ذرع بني عثمان في محاربة الوهابيين ورأى السلطان محمود خان الثاني ان

ولاة العراق والشام والحجاز قاصرون عن قمع شوكتهم فالتجأ الى محمد علي باشا عامل الدولة اذ ذاك على مصر . فاجاب الى طلب السلطان واستبشر خيرًا لما سينالهُ بفتح الحرمَين من الفخر ومن توطيد ملكه على مصر . لكنهُ لم يشأ ان يبتعد عن القطر المصري خوفًا من المماليك العُصاة وهو في وشك استئصال شأفتهم بالمكيدة . فولّى ابنهُ طوسون على سَريَّة اعدَّها لمحاربة الوهابيين . فسار طوسون باشا وعمرهُ اذ ذاك لا يزيد على ١٦ سنة وتحت امرهِ ٦٠٠٠ جندي من البياده وألفان من السواري مع عدد من الطوبجية . فلقيهم الوهابيون قبل وصولهم الى المدينة عند مضيق حُدَيدة فكسروهم وأخذوا منهم سبعة مدافع

فرجع طوسون باشا الى ينبُع وانتظر ما وُعد به من المدد . وفي تلك الاثناء جاءه احد كبار الوهابيين المدعو ابن شديد كان سعود عزلهُ عن رتبتهِ فنقم على قومهِ وانتقل الى خدمة المصريين . فرحب بهِ طوسون باشا وجعلهُ على قسم من عسكره فسعى ابن شديد لدى بعض القبائل الوهابيّة فردَّها الى خدمة الدولة

ثم اتى المدد المطلوب من مصر وحصل طوسون على عسكر جرار تولى تدبيرهُ فسار الى المدينة دون ان يلقى في طريقهِ معارضاً ولم يكفّ عن محاصرتها الى ان فتحها بعد شهرين في اواخر سنة ١٨١٢ . ثم زحف المصريون تحت امر مصطفى بك حمي محمد علي باشا الى مكة فلم يقوَ عبد الله ابن الامير سعود قائد الجيش الوهابي على محاربتهم فولّى هارباً وتمَّ فتح مكة

ثم مشى مصطفى بك بخيلهِ الى طائف وعليها من قبل الوهابيين عثمان المضايفي فانهزم من وجهه وما لبث ان اسرهُ وانفذ بهِ الى الاستانة فقُتل هناك

انتصار الوهابيين . وفاة الامير سعود

نشط المصريون بعد انتصاراتهم فهمّوا ان يتوغلوا في البلاد الوهابية فقصد مصطفى بك فتح مدينة الطرّابة وكان الوهابيون احكموا تحصينها وعيّنوا حاكماً عليها فيصلًا ابن الامير سعود . فخرجوا من المدينة وحاربوا المصريين وكانت في مقدّمتهم امرأة تدعى غالبة زوجة شيخ قبيلة صبيح تهزج وتهوّس القوم فأبلوا البلاء الحسن وكسروا المصريين وضبطوا كل اثقالهم واسلحتهم

وكذلك فشل طوسون باشا في حصار مدينة الطرّابة لصعوبة ورود المؤونة والذخائر اليه فقضى عليه الامر بالرجوع القهقرى بعد ان حرق الاثقال والخيم وذاق الامرّين في طريقه. وكان الوهابيون على خلاف ذلك عزّزوا قواهم وعادوا الى الحجاز وفتح الامير سعود مدينة الخناكية وعزم على استرجاع المدينة المنوّرة. وسارت سريّة أخرى الى سواحل بحر القلزم واستردّت مدينة قنفذة بعد ظفرها بجيش زعيم اوغاو قائد المصريين ثم قصدت الطائف لمحاصرة طوسون باشا

فلما بلغت هذه الاخبار مسامع محمد علي باشا استفزّته الحميّة فخرج بنفسه الى الحجاز وابحر الى جدّة في اواخر آب سنة ١٨٠٣ ولم يألُ جهداً في إعداد كل ما يلزم ليضرب الوهابيين ضربة قاضية. فاخذ ينشط جنود الدولة ويتحفهم بالتحف الحسنة ويؤلف قلوبهم بالوظائف. وكان قدومه أوقع الرعب في أعدائه فانفصل فيصل عن الطائف واسترجع المصريون قنفذة

وقد ساعدتهم الاقدار بموت الامير سعود بغتةً بداء الزحار في ٢٨ نيسان ١٨١٤ وهذا الامير هو الذي بلّغ الوهابيين الى ذروة مجدهم وكان عالماً بمذهبهم فصيح اللسان ذا هيبة ووقار وادب وحسن عشرة وكان محبوباً من رعيّته لعدله ونزاهته وإقدامه في الحرب.

الامير عبد الله — فوز المصريين

قام بامر الوهابيين بعد سعود ابنهُ البكر عبد الله وعكف على مجاراة ابيه والاقتداء بآثاره الّا ان الاحوال لم توافقهُ ولا سيما ان اخوتهُ اخذوا ينازعونهُ الامارة فتفرّقت كلمتهم وانقسمت القبائل بينهم وارتدّ بعضها عنهم فلحقت بالمصريين

وأول شيء باشر به محمد علي باشا انهُ ضمّ قواه الى قوى ابنه طوسون ثم اجمعا رأيهما على محاربة الوهابيين في قلب دولتهم في نجد. فسار طوسون باشا بخيله ورجله ومدافعه الى بلاد القصيم فبلغها دون معارض وحاصر شنانة احدى حواضر الوهابيين ففتحها عنوةً بعد يومين فقط. فكان لهذا النبأ وقع سيّئ في المدن المجاورة وخاف اهل الرسّ سقوط مدينتهم فارسلوا وفداً الى طوسون طالبين الامان

ولم تزل أقدام المصريين تزيد ثباتاً ورسوخاً في جهات نجد حتى احسّ الامير

عبدالله بحرج مقامه فطلب عقد الصلح مع الدولة العثمانية مُقرًا لدى محمد علي باشا بحكمها عليه . وكان بين شروط المعاهدة ان تخرج الجيوش المصرية من نجد وان يذهب الامير عبدالله الى الاستانة ليقدّم خضوعهُ للسلطان فرضي بذلك

نكث الوهابيين لوعدهم — بعث ابرهيم باشا ونصره

لمّا اخلى المصريون جزيرة العرب اخلف الامير عبدالله وعدهُ بالرحلة الى عاصمة الدولة العثمانيّة . واذ ألحّ عليه محمد علي باشا ليقوم بمواعيده وتهدّده باستئناف الحرب اصرّ عبدالله على الاباء وشرع يحصّن الدرعيّة حاضرتهُ ليردّ عنها غارات المصريين . فكان نكث الامير لعهده داعياً لعودة المصريين الى جزيرة العرب

فجنّد محمد علي باشا الجنود وسلّم تدبير حملة جديدة الى ابنه وليّ عهده ابرهيم باشا الشهير في قطرنا السوري . فما كان منه الّا ان ابحر الى ينبع في اواخر ايلول سنة ١٨١٦ ثم صار الى المدينة فدخلها وواصل المسير الى الحناكية فالتقى بجيش الوهابيين فكسرهُ بعد المعارك الدامية ثمّ جدّ بسيره حتى بلغ نجدًا وحاصر مدينة الرسّ واخذ اهلها بالمخنّق مدّة ثلثة اشهر حتى اعياهم الامر فطلبوا الامان . فجاوزها الى مدينتي الخبزاء وعنيزة فضربهما بالمدفع وفتحهما ثم استولى على بُريدة في آذار ١٨١٨ ووصل اخيرًا الى الدرعية مركز الوهابيين وكعبتهم . فقاتلوهُ اشدّ القتال وصبروا على حملاته المتوالية الى ٩ ايلول ١٨١٨ حيث أيس الامير عبدالله من نجاة المدينة فطلب الهدنة ثم سلّم نفسهُ في ايدي ابراهيم باشا الذي احسن اليهِ وأرسلهُ مخفورًا الى مصر فوجّهه محمد علي باشا الى الاستانة فأمر السلطان محمود بقطع رأسه في ك ١ سنة ١٨١٨

واحتل المصريّون الدرعية فهدموا بامر محمّد علي اسوارها وحصونها واحرقوا بيوتها . فهاجر اهلها الى رياض الّا قسماً منهم تولّى تدبيرهم اسماعيل باشا الذي أُقيم حاكماً على الدرعية وسائر مدن نجد وتحت حكمه فئات من الجنود لحراستها

(لهُ بقيّة)

ديوان عمرو بن قميئة [١]

نظر انتقادي للاب انطون صالحاني اليسوعي

أهدى الينا المستشرق العالم السر شارل جيمس ليال ديوان الشاعر الجاهلي عمرو ابن قميئة [٢]

فلدى تصفحنا الكتاب ابتهجت نواظرنا باتقان طبعه بحروف جلية غير مرصوصة وبمداد اسود متناسب في كل الصفحات على ورق ابيض صقيل نقي مع سعة بين السطور وفي الهامش . فيرتع النظر صفوف السطور بانبساط ويتتبعها بانشراح ويفهم معانيها بسهولة . فقلنا : هكذا فليكن طبع المؤلفات . والفضل في ذلك عائد الى مطبعة كلية كمبريدج العامرة فنهدي اليها عاطر الثناء ويا حبذا لو كانت تستخدم حروفاً ذات رسم اجمل كالحرف الاسطنبولي لكانت نالت الكمال . الا ان في قراءة حرف مطبعة كمبريدج راحة للعيون اوفر

وما اعظم ما كان سرورنا عندما استقرينا تلك القصائد الشائقة . فاخذنا العجب من نشاط وجد المستشرق الهمام العلامة ليال . فانه لا يألو جهداً في نشر الكتب ودواوين الشعراء قديماً وحديثاً رغماً عن طعنه في السن . فقد طبع قديماً سنة ١٨٩٤ في كلكوتا المعلقات مع شرحها التبريزي . ونشر سنة ١٩١٣ ديواني عبيد بن الأبرص وعامر بن الطفيل وصدرهما بتوطئتين في اللغة الانكليزية ونقل الى هذه اللغة القصائد الواردة فيهما وعلق عليهما الحواشي المفيدة وألحقهما بعدة فهارس للأعلام والمفردات والقوافي . وقد سبق لنا تقريظ هذين الديوانين في المشرق (١٧ : ٢٤١ — ٢٥١)

١) وهذا عنوان الديوان المطبوع حديثاً :

The Poems of 'Amr Son of Qami'ah edited and translated by SIR CHARLES LYALL, D. Litt., Fellow of the British Academy. *Cambridge. At the University Press*, 1919, pp. 76.

٢) ورد في الشرح الوجيز لديوان ابن قميئة شرح لابي عمرو الشيباني يفسر بعض عبارات المتن في القصيدتين ١٢ و١٣ ولعل هذا دليل على ان ابا عمرو كان شرح هذا الديوان

ويُعنى أيضاً السر ليال منذ بضع سنوات بنشر «فضليات الانباري» وهي قصائد ممتازة أُنشدت في الجاهلية وفي اوائل الاسلام اختارها المفضَّل الضَّبي ونشرها ابو القاسم الانباري. يُطبع هذا الكتاب النفيس في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وقد نجز منه ٧٩٢ صفحة بقطع كبير. والامل وطيد ان يتمّ طبعهُ عن قريب فيبلغ نحو ٩٠٠ صفحة. وبما ان الحرب العمومية سبَّبت فترة في طبع الكتاب فلئلَّا يفقد السر ليال ذرَّة من الوقت الثمين اتمَّ مدَّة الحرب بنقل المفضَّليات الى اللغة الانكليزية وطبع هذا الجزء في مطبعة اكسفرد الشهيرة مصدّرًا اياه بمقدّمة انكليزية ضافية الذيول ضمَّنها ملاحظات جزيلة الفائدة. علمنا ذلك ممَّا اشار اليه في حواشي ديوان عمرو بن قيئة

نشر السر ليال هذا الديوان في السنة المنصرمة ونقلهُ الى اللغة الانكليزية وعلَّق عليهِ الحواشي المحتوية على مختلف الروايات والتصحيحات وايضاح المعاني الى غير ذلك من الملاحظات والفوائد. وألحقهُ بعدَّة فهارس منها فهرس اوَّل لاسامي اعلام الناس والقبائل. وفهرس ثانٍ لاعلام الاماكن. وفهرس ثالث للمفردات الواردة في شعر ابن قيئة. هذا فضلًا عن فهرس يتضمَّن اسامي المؤلفات التي استعان بها او اشار اليها في حواشي الديوان. وقد صدَّر الكتاب بتوطئةٍ باللغة الانكليزيَّة بحث فيها عن امور شتى تتعلَّق بصاحب الديوان منها مُلخَّص حياة هذا الشاعر (راجع الاغاني ١٦: ١٦٣ — ١٦٦

هو فيما ذكر ابو عمرو الشيباني عمرو بن قيئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل ويقال انَّهُ أوَّل من قال الشعر من نزار. وكان سعد بن مالك رئيس قومهِ قيس بن ثعلبة في حرب البسوس التي دارت رحاها بين بكر وتغلب مدَّة اربعين سنة. ولا يبعد ان يكون عمرو بن قيئة لسبب طول عمرهِ شاهد آخر وقائعها. ولعلَّهُ يشير اليها في قصيدته الثانية دون ان يصرّح باسم التغلبيين اعداء البكريين. وستورد بعض ابيات من هذه القصيدة. وكثيرًا ما يذكر ابن قيئة في شعره قومه بني سعد كما سترى. وكان ابن قيئة شاعرًا متقدّمًا وقد نظمه الاصمعي في كتابه «فحولة الشعراء» في عداد فحول الشعراء. والاصمعي اعلم الناس بالشعر والشعراء. وقال صاحب الاغاني: ان ابن قيئة

« كان شاعراً فحلاً » . وكان شاباً جميلاً حسن الوجه مديد القامة حسن الشعرة . ومات ابوه وخاله صغيراً فكفله عمّه مرثد بن سعد . وكانت سبّابتا قدميه ملتصقتين ووسطياهما ملتصقتين . وكان حيّه محبّاً له معجباً به رقيقاً عليه . وكانت عند عمّه مرثد امرأة ذات جمال فهويت عمراً وشُغفت به ولم تُظهر له ذلك . فغاب مرثد لبعض امره وقيل . مضى يضرب بالقداح فبعثت امرأته الى عمرو تدعوه على لسان عمه . فلمّا اتاها اذكر شأنها فوقف ساعة . ثم راودته عن نفسه فقال : لقد جئت بأمر عظيم وما كان مثلي يُدعى لمثل هذا . والله لو لم امتنع من ذلك وفاء لعمّي لامتنعتُ منه خوفَ الدناءة والذكر القبيح الشائع عني في العرب . قالت : والله لتفعلنّ او لأسوأنّك . قال : أالى المساءة تدعينني . ثم قام فخرج من عندها . وخافت ان يُخبر عمّه بما جرى فأمرت بجفنة فكُفئت على اثر عمرو . فلمّا رجع عمّه وجدها متغضبةً فقال لها : ما لكِ . قالت : ان رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني نفسي منذ خرجتَ . قال : من هو . قالت : امّا انا فلا أسمّيه ولكن قم فاقتفِ أثره تحت الجفنة . فلمّا رأى الأثر عرفه . فاخذ سيفه ذا الفقار وأتى ليضربهُ به فهرب فأتى الحيرة فكان عند اللخميّين . ولم يكن يقوَ على بني مرثد لكثرتهم . وهمّ بهجاء مرثد ثم اعرض عن ذلك لشهامة نفسه وكرمه ودماثة أخلاقه ومدح عمّه واعتذر اليه . فكان هذا سبب رضى عمّه عنه وعودته الى قومه . تُذكّرنا هذه القصة بقصة يوسف بن يعقوب مع امرأة مولاه فوطيفار المصري التي ورد حديثها في الفصل التاسع والثلاثين من سفر التكوين . وتُبيّن لنا كيد النساء الخبيثات وكيف ينتقلن من حبّ شرّير الى بغض شرّ منه

- ومما قالهُ عمرو بن قميئة يذكر براءتهُ ويمدح عمّهُ ويثبت صحة الخبر الذي اوردناه قولهُ (القصيدة ٢ : ٤ — ١١) :

لَعمرُك ما نفسٌ بجدِّ رَشيدةٍ تؤامرني سِرّاً لأصرمَ مرثدا
وإن ظهرتْ منهُ قَوارصُ جمّةٌ وأفرغَ في لومي مِراراً وأصعَدا
على غير ذنبٍ أن أكونَ جنيتهُ سوى قول باغٍ كادني فتجهّدا
لَعمري لنعمَ المرءُ تدمو بحبلهِ اذا ما المُنادي في المقامة ندّدا
عظيمُ رمادِ القِدرِ لا متعبّسٌ ولا مُؤيسٌ منها اذا هو أوقدا

وان صرّحت كحلٌ وهبّت عريّةٌ (١ من الريح لم تترك لذى المال مرقدا
صبرت على وطء الموالي وحطمهم إذا ضنّ ذو القربى عليهم وأخمدا
ولم يحم فرج الجيرة الا محافظٌ كريمُ المحيّا ماجدٌ غيرُ أحردا

ويشكو ابن قميئة مرارًا من معاداة قومه له وإساءتهم اليه . والجرح اذا سببته سهامُ ذوي القربى كان امضّ . قال (٧ : ٩—١١) :

أولئك قومي آل سعد بن مالكٍ فالوا على ضغنٍ عليّ والنافِ (٢
اكثروا خطوبًا قد بدت صفحاتها وأفندةٌ ليست عليّ بارآفِ
وكلُّ أناسٍ أقربُ اليومَ منهمُ اليّ وان كانوا عُمانَ أولي النافِ (٣

وقال ايضاً (٨ : ٤) :

على أنّ قومي أسلموني وعُرّيتي وقومُ الفتى اظفارهُ ودعائمُهْ

وشكا مما اصابهُ من نكبات الدهر وصروف الايام فقال (٦ : ٧—١٣) :

يابنةَ الخير انّما نحنُ رمنٌ لصروفِ الايّامِ بعدَ الليالي
جلّحَ الدهرُ وانتحى لي وقدماً كان يُنحي القُوى على أمثالي
أفصدتني سهامُهُ اذ رمتني وتولّت عنهُ سُلَيمى نبالي
لا عجيبٌ فيما رأيتِ ولكن عجبٌ من تفرُّط الآجالِ
تدرك السبسحَ المولّعَ في اللُّجّة م والعُصمَ في رؤوسِ الجبالِ
وتصدّى لِتَصرعَ البطل الأروعَ م بين اللهاء والسِربالِ (٤

على انّهُ مع ما لاقاه عمرو بن قميئة من عمه وقومه من الاجحاف بحقوقه والمعاداة له كان يودّهم ويفتخر بهم مُعدًّا فخرهم فخرًا له وعزّهم عزّهُ . وهذا كان دأب شاعر كل قبيلة فلا ينفكّ عن مديحها والاطناب بها بالبسالة والسطوة والكرم . لان الشاعر عند العرب هو المحامي عن القبيلة والمناضل عنها بشعره اكثر من الفرسان بسيوفهم وحرابهم وسهامهم كما قال الاخطل :

حتى استكانوا وهم منّي على مضضٍ والقولُ ينفُذ ما لا تنفُذ الإبَرُ

١) كحل هي السنة الشديدة الجدبة . والعريّة الباردة ويقال ريح عريّة اذا كانت السماء تقية من السحاب وهو اشدّ ما يكون من البرد (حاشية الديوان)
٢) ألنف عليه اذا اكثر عليه من الكلام القبيح (شرح الديوان)
٣) نافُ عُمان موضع « النافُ ينبوتٌ عظام كالشجر يكون بعُمان الواحدة نافة وهو اسم موضع بعمان سمّي به لكثرته » (ياقوت ٣ : ٧٦٨)
٤) طَمانِ لموضعين

فالقصيدة هي سيف الشاعر ورمحه يفري ويطعن بهما عن كثب وعن بعد. قال عمرو (٢ : ١٦ : ٢٥):

وملمومة لا يخرق الطرفُ عرضَها لها كوكبٌ فخمٌ شديدٌ وُضوحُها
تسيرُ وتُرجي السمَّ تحتَ غورها كريهٌ الى من فاجأتهُ صبوحُها
على مُنذحرات وهنَّ عوابسٌ ضبائرُ موتٍ لا يُراحُ مُريحُها
نبذنا إليهم دعوةً بالَ مالكٌ لها إربةٌ إن لم تجدْ من يُريحُها
فسُرنا عليهم سَورةً ثمانيةً وأسيافُنا يجري عليهم نُضوحُها
وأرماحُنا يَنهزُّهم نهزَ جُمَّةٍ (١ يعود عليهم وردُنا فتسيحُها
فدارت رَحانا ساعةً ورَحاهمُ ودرَّت طِباقاً بعد بَكءٍ لَقُوحُها
فما أتلفت ابدجمُ من نُفوسنا وإن كرُمت فانّنا لا نَنُوحُها
فقُلنا هي النُّهبى وحَلَّ حَرامُها وكانت حِمىً ما قبلَنا فنُبيحُها
فأبنا وآبوا كلُّنا بغضيضةٍ مُهَمَّلةٍ أجراحُنا وجُروحُها

قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٢٢٢) في وصفه هذه القصيدة انها «من جيّد شعره» وانّ ابن قميئة «ممّن انصف في شعره وصدق»

ومدح أيضاً قومه وافتخر بهم بأبيات عامرة في القصيدة الخامسة من ديوانه. وله ايضاً في المديح والافتخار (١١ : ٢٠—٢٦):

فتى يَبتني المجدَ مِثلُ الحُسام م أخلصَهُ الفَينُ يوماً صِقالا
يَقودُ الكُماةَ لِيَلقى الكماةَ يُنازلهم إنْ ارادوا النزالا
تُشبّهُ فُرسانهم في اللقاء اذا ما رَحا الموتِ دارت حِبالا
ويمشي رجالاً الى الدارعين كأعناق خُورٍ تُرجّي فِصالا
وتكسُو القَواطعَ هامَ الرجالِ وتَحمي الفوارسُ منّا الرِّجالا
ويأبى لِيَ الضيمَ ما قد مضى وعندَ الخِصامِ فنَطْوُ جِدالا
بقولٍ يَذِلُّ لهُ الرافضونَ ونَفضُلُهم إن ارادوا فِضالا

ولهُ ابيات حسنة يصف بها الصائد في يديه قوسُهُ وهو مستتر في فُترته يترصّد ورود حُمر الوحش المياه ليرميها. الّا انه يخطئها فيعضّ على انامله أسفاً

١) نهز جُمّة اي انتزاع ما فيها. يقول كلّما وردناها عُدنا اليها (شرح الديوان)

(١٣ : ٢٣ — ٣٢). وهذه الابيات تذكرنا بابيات يصف بها الاخطل صيد حمار الوحش (ديوان الاخطل ١٥). وما احسن وصف ابن قميئة للسحاب المطر تلعب به ريح الجنوب (١٠ : ٩—١١):

فسقى محاسنها وحلّتها قردُ الرّباب لصوته زَجَلُ
أبدى محاسنهُ لناظره ذات المشاه مُهلّبٌ خضلُ (١)
مُتحلّبٌ تقوي الجنوبُ به فتكادُ تعدلهُ ويَنحفِلُ

ووصف امرؤ القيس بن عمرة البطل فاجاد (١٠ : ١٤، ١٥):

كم طعنةٍ لك غير طائشةٍ ما إن يكونُ لجُرحها خلَلُ
فعلمتَها وضربتَ ثانيةً أُخرى وتَنزِلُ إن همُ نزلوا

وما اجمل كلامه في الزهد في الصفحة ٦٣ والبيتان وردا ايضاً في حماسة البحتري:

وما عَيش الفتى في الناس الّا كما اشعلتَ في ريحٍ شهابا
فيَسطع تارةً حسَناً سَناهُ ذكيَّ اللّونِ ثم يصير هابا

ويُقال ان امرؤ القيس انهى عمر بن قميئة في آخر عمره فأخرجهُ معه الى قيصر لمّا توجّه اليه فمات معهُ في طريقه وسمّته العرب عمرًا الضائع لموته في غُربة وفي غير أرب ولا مطلب. قال صاحب الاغاني « نزل امرؤ القيس بن حُجر ببكر بن وائل وضرب قبّتهُ وجلس اليه وجوه بكر بن وائل فقال لهم: هل فيكم أحد يقول الشعر؟ فقالوا: ما فينا شاعر الّا شيخ قد خلا من عمره وكبر. قال: فأتوني به فأتوه بعمرو بن قميئة وهو شيخ فانشدهُ فأعجب به فخرج به معهُ الى قيصر. ويروى في ديوانه « فانطلق معه فهلك ولهذا سُمّي عمرًا الضائع » (راجع الاغاني ١٦ : ١٦٥، ١٦٦ وابن قتيبة الشعر والشعراء ٢٢٢) وقد بيّن عمرو كبر سنّه بقوله:

كبرتُ وفارقني الاقربونَ وأيقنتِ النفسُ ألّا خُلودا

ويظهر من شعر ابن قميئة انّهُ عمّر تسعين سنةً فقال لمّا بلغها (٣ : ٩، ١٤، ١٥):

كأنّي وقد جاوزتُ تسعين حجّةً خلعتُ بها يومًا عِذارَ لِجامي
وأفنى وما أفني من الدهر ليلةً وما يُفني ما أفنيتُ سبكُ نِظامِ

---

١) مهلّب كأنّ لهُ هُلبًا من هدبه والهدب الذي يتدلّى ويدفو مثل هُدب القطيفة (شرح الديوان)

وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعدَ ذاكَ وعامِ

وقال ايضاً في هذا المعنى (٩ : ٤) :

جَزَعًا منكَ يا بنَ سعدٍ وقد أخلقَ م منك المشيبُ ثوبَ الشَّبابِ

اقول انهُ يصعب القبول بانَّ شيخاً بلغ التسعين من عمرهِ يقدُم على السفر برًّا من بلاد العرب الى القسطنطينية في غير أرب ولا مطلب ولا معرفة سابقة بامرئ القيس مع ما كان يعترضهُ في طريقهِ من الصعوبات والمخاطر في اجتياز الدرب درب قيليقية . ولهذا نرى ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء يذكر انه خدم اولاً حُجرًا ابا امرئ القيس ثم رافق ابنهُ في سفرهِ . ويقول انَّ اياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحبي لمَّا رأى الدربَ دونهُ وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينك انما نحاول ملكًا او نموت فنعذرا

الَّا ان وجوده عند حُجر ليس بثابت عند «السر ليال» . على انهُ اذا قبلنا بسفر ابن قميئة مع امرئ القيس يلزم القول بانَّهُ لم يكن بلغ من العمر ما ادَّعاهُ او ما ذُكر عنه . لانه من المقرَّر ان العرب قديماً وحديثاً كانوا لا يعلمون اعمارهم بالتدقيق . فاذا حلَّ بهم الشيب وإن غير طاعنين بالسنّ تسعهم ينسبون لذواتهم ولمن شاب منهم عمرًا فوق ما هو بالحقيقة

وقد بيَّن العلامة ليال في مقدَّمتهِ ان الشاعر المشهور مرقش الاكبر كان عمَّه او أحد اجدادهِ وان مرقش الاصغر وطَرَفة بن عبدة وشبر بن عمرو بن مرثد كانوا من ذوي قرابتهِ وميمون الاعشى ايضاً . ولذا ترى في اشعارهم بعض التشابه واستعمال بعض العبارات وطرق التعبير . وهذا يتضح من المقابلة . قال ابن قميئة (١ : ١ ، ٢) :

خليليَّ لا تستعجلا ان تروَّدا وان تجمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لبثُ يومًا بسابقِ مَغنمٍ ولا سُرعتي يومًا بسابقةِ الرَّدا

وكان قال مرقش الاكبر (المفضليات ٤٥٨) بالمعنى ذاته :

يا صاحبيَّ تلوَّما لا تعجلا إنَّ الرحيلَ رَهينُ أن لا تعذُلا
فلعلَّ بطأكما يُفرِّط سيئًا أو يَسبقُ الاسراع سَبيًا مُقبلا

فترى ان المعنى هو ذاتهُ وان اختلف اللفظ . وقال ابن قميئة (٢ : ١١) : « بودّك

ما قومي على ان تركتهم » وهذا اخذه من قول مرقش (المفضليات ٤٧٦) : بودّك ما قومي على ان هجرتهم (١ وقال ابن قميئة (٤ : ٤) :

لا تغبطِ المرءَ ان يُقال لهُ أسى فلانٌ لعمرو حكمًا

اخذه من قول مرقش المفضليات ٩٣ : ٤) :

يأتي الشبابُ الاقورن ولا تغبط اخاك ان يُقال حكمْ

قال ابن قميئة (٦ : ٢) :

هل ترى عيرها تجيز سراعًا كالعدوليّ راغبًا من أوالِ

اخذه طرفة فقال في البيت الرابع من معلّقته :

عدوليّةٍ او من سفينِ ابن يامنٍ يجورُ بها الملّاحُ طورًا ويهتدي

الى غير ذلك من التشابه والتقارب في المعنى وفي الالفاظ

وفي رأيي أنه ولو لم تكن قرابة بين ابن قميئة ومَن ذكرنا من ذوي قرباه لما امتنع الخلف منهم ان ينتحل ايضًا بعض ابيات او عبارات من شعر السلف . لان هذه كانت العادة عند جميع شعراء العرب في الجاهلية والاسلام . وقد بيّن الآمدي في كتاب الموازنة سرقات ابي تمام والبحتري . ان آداب العرب كانت تنحصر في انشاد القصائد فكان القوم يحفظونها غيبًا كثيرًا او قليلًا . ومن ثم كان لا بدّ عند انشادهم ابيات احد الشعراء ان تخطر على ذاكرتهم ابيات لشاعر آخر راقت في عيونهم . فيدمجونها باللفظ والمعنى او بالمعنى فقط في القصيدة التي ينشدونها . خاصةً اذا وُجد اتفاق بين القصيدتين في البحر والقافية . هذا فضلًا عن ان الرواة وحافظي الاشعار كانوا على مرّ الزمان يتصرّفون بالقصائد كيف شاؤوا واستحسنوا لانهم كانوا يعتبرون القصيدة كملكٍ للقبيلة او لقبائل العرب . وهذا هو احد اسباب اختلاف الروايات الشائع في الشعر العربي

ثم ان الشاعر كان كالمعلم في قومه والمربّي لهم والناصح عنهم والخطيب المسموع

١) جاء في شرح المفضليات للانباري في تفسير اللفظة « بودّك » في بيت مرقش « قال بودّكِ اي بشهوتك . . . قال وبودّك يحلفها بإلاهها الذي يحلفون به » فاختار العلّامة ليال هذا المعنى الاخير ونقله الى الانكليزية فقال By thy God Wudd . وعندنا ان الاصحّ تفسير اللفظة « بودّكِ » اي اقسم بمحبتك كما نقول بحقك وبحياتك ولعمرك

الكلمة يمدح القوة والبسالة في ايام العرب المشهورة فيستفزّ الهمم ويشدّد العزائم . ويثني على الكرم في الشتاء والسنة المجدبة فيرفع شأن الضيافة ويحبّبها . ويحرّض على الاباء وأخذ الثار ورفض الدية في انيرات فيُطاع . فيتقبل اشعاره الغادي والرائح والمالك والسوقة والشريف والحقير والكبير والصغير ويترنمون بها في الحضر والسفر فلا عجب اذا كانوا يزيدون فيها ويبدّلون في الالفاظ وترتيب الابيات . وهذا هو السبب او احد الاسباب لعدم ارتباط المعنى غالبا بين الابيات في القصيدة ذاتها

ولنا دليل في التقائض على الزيادات في القصائد . فاذا طالعت قصيدتين من النقائض لجرير والاخطل مثلاً ولا يخفى انهما من قبيلتين متعاديتين فلا يمكنك ان تعرف ايّ النقيضتين أنشدت اولاً أنقيضة جرير ام نقيضة الاخطل لما تجد في كلّ واحدة منهما من التلميح الى الاخرى . وهذا يؤيد قولنا ان شعراء العرب انتحلوا اشعار بعضهم وانهُ طرأ على القصائد تبديل وزيادات ادخلها الرواة وحافظو الاشعار ومُنشدوها . وقد يكون الشاعر ذاته صنع ذلك بعد سماعه قصيدة خصمه او شاعر آخر استحسن شعره . مثال ذلك : قال جرير في نقيضته يهجو الاخطل وبني تغلب :

والطاعنون على العياء ان ظعنوا والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ
والآكلون خبيثَ الزادِ وحدَهمُ والنازلونَ اذا وارامهمُ الخَمَرُ

قال ابو تمام شارح نقائض جرير والاخطل « المصراع الاول للاخطل » قلتُ بل اخذ جرير بيتاً كاملاً للاخطل وضمّنهُ بيتين من نقيضته . وبيت الاخطل الذي يهجو به جريرًا وبني كُليب هو :

الآكلون خبيثَ الزادِ وحدهمُ والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

ويمكننا ان نأتي بامثلة كثيرة تأييدًا لقولنا . فنكتفي بدليل ورد في شعر ابن قميئة . فمن المقابلة بين قصيدته الاولى وقد سبق لنا ذكرُ مطلعها « خليليّ لا تستعجلا » والقصيدة التي نسبها الى الحُصين بن الحُمام او عُبيدة عن ابي عمرو الشيباني (الاغاني ١٢ : ١٢٦) ومطلعها هو ذاته ومن وجود ابيات فيهما لا تختلف البتة او لا تختلف الّا اختلافاً طفيفاً استنتج السرّ ليال ان الحصين بن الحمام (وهو احدث عهدًا من عمرو بن قميئة بنحو مائة سنة) انتحل ابيات ابن قميئة . هذا ان صحّ انّ القصيدة المنسوبة الى الحصين هي حقيقةً لهُ

وقد ذكر العلّامة ليال في مقدّمته ان النسخة التي اخذ عنها ديوان بن قميئة هي نسخة خطيّة مصونة في مكتبة جامع السلطان الفاتح في الاستانة ومرسومة بالعدد ٥٣٠٣ وهذه النسخة تحتوي عدّة آثار مسطّرة بخطّ جليّ واضح صحيح العبارة والشكل . فالاثر الاوّل من هذه المجموعة هو كتاب التنبيه والتعريف في صفة الخريف . كُتب في مدينة حلب الشهباء في شهر رجب من السنة ٦٠٣ الموافقة للسنة المسيحية ١٢٠٧ . والاثر الثاني هو ديوان عمرو بن قميئة في ٢٣ صفحة . ولا يبعد ان كتابة سائر آثار هذه المجموعة كانت في وقتٍ واحد

وقد ذكر السرّ ليال ان بعض قصائد عمرو وبعض قطع من شعره تُروى ايضاً لهُ في مؤلفات اخرى مثل نسخة المفضليات المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني ونسخة كتاب الاختيارين الموجودة في خزانة كتب إنديا اوفيس بلندن . وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وكتاب الحماسة للتبريزي . امّا القصائد الخامسة والسابعة والثامنة فلا يظهر انها رُويت في غير الديوان . وقد اثبت السرّ ليال في الملحق بعض قطع شعر نُسبت لابن قميئة اقتطفها خاصّة من حماسة البحتري وكتاب الحيوان للجاحظ يبلغ مجموع عددها ١٩ بيتاً

كانت وفاة عمرو بن قميئة بين السنة ٥٣٠ والسنة ٥٤٠ بعد المسيح على تقدير ان ابن قميئة رافق امرءَ القيس في سفره وان سفره كان بين هاتين السنتين حسبما ارتأى العلّامة نولدكه

واذا حكمنا بما وصل الينا من شعر ابن قميئة قُلنا انهُ من الشعراء المُقلّين . اما اذا نظرنا الى ما قالهُ عنهُ الاصمعي انهُ شاعر فحل والشاعر الفحل عنده من نظم كثيرًا من القصائد الحِسان قلنا انهُ من المكثرين . وهو من ذوي الذوق السليم . فترى شعره خالياً من الحشو والتكلّف وفي عفافٍ من الفحش ليس بالموجز المخلّ ولا الطويل المملّ . ومما يحسن الاشارة اليه انهُ قلّما يرد في كلامه من الالفاظ الغريبة الوحشية وهي متوفّرة في قصائد غيره من شعراء الجاهلية . قال صاحب الاغاني (١٠ : ١٥٦) : «قال رؤبة كان الطرمّاح والكُميت يصيران اليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به فأراهُ بعدُ في اشعارهما»

فنمحض خالص شكرنا العلّامة السرّ ليال الذي لا يزال ينتقي درر الاشعار

المكونة في اصدافها يتحف بها فريق العلماء. ويستخرج عقود القصائد من خزائنها يقلّد بها اعناق الادباء. جازاه الله عن اتعابه ونفع به المعارف والعلوم الشرقية

كتاب الكتاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الاوّل

هذا باب الهمز وفصوله

١ شروط الهمزة ومعرفة لفظها

اعلم انّ الهمزة حرفٌ لا صورةَ لهُ في الخطّ وانّما يُكتب على صورة حروف (6ᵃ) اللين لأنّ في النطق بالهمزة مشقّة فهي تُلَيَّن في اللّفظ فيُنحى بها نحوُ حروف اللين وتُبدَل وتُحذف كما يُفعَل بحروف اللّين فصارت كأنّها منها وكُتبت بصورها اذ لم تكن لها صورة. وهذا الباب شبيه بباب البدَل غير انّ الهمزة جنس على حياله مطّردٌ على قياسهِ فافردنا لهُ باباً لذلك

والهمزة تكون في اوّل الكلمة وفي وسَطها وفي آخرها ولكلّ من ذلك حالٌ سيوقَف عليها ان شاء الله. وقياس الهمزة ان يكون كتابُها على قياس تخفيفها في اللفظ الّا ان يَعرض لها مانعٌ من ذلك او يكون تخفيفها في اللفظ عارضاً فيها غير لازم لها وسترى في اللفظ ذلك ان شاء الله

٢ الهمزة المبتدأة الواقعة أوّلاً

والهمزة الواقعة اوّلاً لا تكون الّا متحرّكة مخفّفة(١ لا يلحقها في اللفظ حَذف ولا

١) في الاصل محقّقة ونظنّه تصحيفاً

بدَل ولا تَليين الّا عرَضاً فالواجب اثباتُها في الكتاب على صورة الالف بايّ حركةٍ تحرّكت وفي أيّ كلمةٍ وقعت (٢) اصليةً كانت او مُبدَلة او زائدة او حرف وصل او قَطع وذلك مثل أمَل ابل أحد اُقعُدْ اِجلِسْ (١ أعطني اِسْمُك اِساءة اِخوَة

وانّما كانت صورة الالف بهذه الهمزات أولى لانّ الالف والهمزة يشتركان في المخرج ويتضارعان في الجرْس ولم تكن قبلهنّ همزة توجب تغييرها مع انّ الالف اخفُّ حروف اللين لفظاً وقد يُستخفُّ في الكتاب ما يُستخفُّ في الكلام. وسترى ذلك في مواضعه ان شاء الله

٣ المبتدأة الواقعة بعد همزةٍ من كلمة أُخرى

وان وقعت احدى هذه الكلمات بعد همزٍ من كلمة أُخرى لم يجب تغيير عن صورة الالف ولم يجُز ان يُنحى بها في الخط نحو تخفيفها في اللفظ لانّ الهمزة التي لَحقتها عارضةٌ تفارقها ولا يلزمها ذلك التخفيف فاصلها أولى بها اذا كانت منفصلةً عمّا قبلها في اللفظ والمعنى ولانّ الكلمة انّما يوضع هجاؤها على حِيالها موقوفاً عليها ولا تُحمَل على ما قبلها ولا ما بعدها وذلك مثل : قرأ إذا زُلزلت (٢ وبدأ أولئك. فافهم ذلك ان شاء الله (٢)

٤ المبتدأة المقطوعة بعد همزة الاستفهام

فان وقعت بعد همزة لا تنفصل كحرف الاستفهام وكانت همزة قَطع ثبتت في الكتاب على حالتها ولم يجُز حذفُها ولا حملُها على تخفيف اللفظ لئلّا تكون كألف الوصل وان لا يلتبس الاستفهام بالخبر وليُفرَق بين صورة الهمزتين اذا خُفّفتا في كلمة « كالأَئِمّة » « وانا أَؤُمّكَ » وبين(٣ مخفّفتين في كلمتين وذلك مثل قوله عزّ وجلّ» : « أَأَنتُم أَشَدُّ خَلقاً (٤ » و « أَإذا مُتنا(٥ » و « أَأكرمُكَ ام تُكرمُني ». وهي في الفعل المضارع اثبت لأنّها حروفُ المضارعة فتغييرُها يزيل معناها. ومع هذا انّ العرب قد زادوا في لفظ هاتين الهمزتين مَدّة استثقلوهما مجموعتين حرصاً على اثباتهما مع الفرق بين الاستفهام والخبر فمنهُ قول ذي الرُّمّة :

١) في الاصل : إجلُس وهو غلط ٢) اي قرأ سورة الزلزلة
٣) في الاصل : بينهما ٤) سورة النازعات ٢٧ ٥) سورة المؤمنين ٤

فيا ظَبْيَةَ الوعساء بين جُلاجلٍ وبين النَّقا آأَنتِ أمْ أُمُّ سالمِ

وهذه الالف المزيدة بينهما في اللفظ لا تثبت معهما في الكتاب لاجتماع الاشباه (8ᵃ)

٥ المبتدأة الموصولة الواقعة بعد همزة الاستفهام

فان كانت الف الوصل أُسقِطَت من الكتاب كما تُسقَط من اللفظ لمجيء حرف الاستفهام وضُعِّف الف الوصل لا يلتبس الاستفهام بالخبر ههنا لانفتاح همزة الاستفهام وأنّ الف الوصل لا تكون مفتوحةً الّا في بعض المواضع ولانّ اجتماع المثلين مستثقَل فمن ذلك قول الله جلّ وعزّ (١ : « أَتَّخذناهم سِخْرِيًّا أَم زاغت عنهم الابصارُ » وقوله : أَطَّلَعَ (٢ . وقولك : أَبْنُكَ هذا أم اخوك . وقولك : أَسْمُكَ أحسن ام كُنْيَتُك . ومن ذلك قول ذي الرُّمّة :

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ عن أَشْياعِهم خَبَرًا ام راجَعَ القلبَ من أَطرابِهِ طَرَبُ

ويجري الف لام التعريف هذا المجرى وان كانت مفتوحةً لانها الف وصل ومعها لام وصورتها واحدة وهي أكثر استعمالًا من سائر ألِفات الوصل وانّما فُتحت لكثرة استعمالها واصلُها الكسر وذلك مثل قول الله جلّ ذكرُهُ (٣ : « آللهُ أَذِنَ لكم » وقوله (٤ : « آلآن وقد (8ᵃ) عصيتَ قبلُ » . وقد فُتحت الف الوصل في القَسَم ايضاً لكثرته في الكلام وذلك كقولهم : « أَيمُ اللهِ » بالفتح والكسر . و « أَيْمُنُ اللهِ » بالفتح لا غير . ويدلُّكَ على انّ الف أَيمن الفُ وصل قولُ الشاعر :

فقال فريقُ القوم لمّا نشدتُهمْ نَعَمْ وفريقٌ لَيْمُنُ اللهِ ما ندري

كأنّهُ قال لَعَمْرُ اللهِ كذلك يقولون : « لَيمُ اللهِ » فانّما دخلت الف الوصل على أَيم كما دخلتْ على أسم وأَبن وغيرهما من الاسماء المنقوصةِ الاواخر وأُجري أَيْمُنُ مجرى أَيمُ . ويجب حذف هذه الالف مع همزة الاستفهام في الكتاب على ما فسّرنا . وهذه سبيل ما اطّرد من هذا الباب . وقد شذّت منهُ كلمات تُذكَر في مواضعها ان شاء الله

٦ وقوع الهمزة وسطاً

وامّا الهمزة المتوسّطة فتكون متحرّكة بجميع الحركات ومتحرّكاً ما قبلها .

١) سورة ص ٦٢ ٢) سورة مريم ٨١ ٣) سورة يونس ٦٠ ٤) فيها ٩١

وساكنة وساكناً ما قبلها ويلزمها في كلّ ذلك في اللفظ التخفيف والبدل والوجهُ حملُها في الكتاب على تخفيف اللفظ الّا ان يمنع عن ذلك مانع

٧ المتوسّطة المفتوحة بعد متحرّك

فاذا انفتحت المتوسّطة وتحرّك ما قبلها كُتبت على صورة الحرف الذي منهُ حركة ما قبلها اتباعاً لتخفيف اللفظ وذلك مثل «التُؤَدة والفِئَة والسَأم. والله يُؤَيد بنصره من يشاء. وهو يؤَملك. وانت تؤَمّل للشدائد» (٨)

٨ المتوسّطة المتحرّكة بغير الفتحة بعد حرف متحرّك

واذا تحرّكت بغير الفتحة وتحرّك ما قبلها كُتبت على صورة الحرف الذي منهُ حركتها نفسُها للعلّة التي قدّمنا من اتّباع تخفيف اللفظ وذلك مثل الذُئل والتُؤُد وسَئِمَ ولَؤُمَ

٩ المتوسّطة المتحرّكة بايّ حركةٍ كانت بعد ساكن

واذا تحرّكت المتوسّطة وما قبلها ساكن فعند الكتّاب في كتابها وجهان: احدهما إثباتها على حركتها نفسها وذلك لانّ من العرب من يُبدل من هذه الهمزة في اللفظ حرف لين خالصاً وينقُل حركتها الى الساكن قبلها تخفيفاً كقولهم في يَسأَلُ «يَسَالُ» مثل يخافُ وفي يَزئِرُ «يَزيَرُ» مثل يَميلُ وفي يَلؤَمُ «يَلُومُ» مثل يَقُوم. وليس ذلك عندنا بالاختيار ولا وجه القياس وانّما هو لُغةٌ من يُبدِل منها الفاً أيضاً اذا تحرّك ما قبلها فيقول (٩) في سَئِمَ «سَامَ» مثل خافَ وفي زَأَرَ «زارَ» مثل مالَ وفي لَؤُمَ «لَامَ» مثل قامَ ومن ذلك قول حسّان بن ثابت:

سالَتْ هُذَيلٌ رسولَ الله فاحِشَةً ضلّتْ هذيلٌ بما سالَتْ ولم تُصِبِ

وقول الفرزدق:

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عشيّةً فارْعَيْ فِزارةَ لا هَناكِ المَرْتَعُ

وانّما نتّبع الفصاحةَ والقياسَ ومختارُ الاجود فمَنْ أثبتها لزمَهُ اثباتُها في الفعل الماضي ايضاً على إبدالها في هذه اللغة فيصير حكمُ ما سَكنَ ما قبلَهُ وما تحرّك ما

قبلَهُ حكماً واحداً فيُكتب سَئِمَ «سَأَمَ» ولَؤُمَ «لَأَمَ» باثبات الالف وليس ذلك بالصواب ولا المستعمَل. والوجه الآخر حذفُها من الكتاب لانَّ سائر العرب الفصحاء يحذفونها من اللفظ ايضاً اذ خفَّفوها وينقلون حركتها الى ما قبلها كقولهم «يَرَى» وانَّما هو في الأصل يَرْءَى (١ ألا ترى انَّ ماضيهُ رَأَى. كقولهم «مَلَكٌ» وانَّما هو في الأصل مَلأَكٌ ألا ترى انَّ جمعهُ مَلائِكُ وقد ردَّهُ علقمة الى الاصل فقال:

فلستُ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأكٍ تنزَّل من جوِّ السماء يُصَوِّبُ

(٥ ١٠) فكان أتباع تخفيف اللفظ فيها عند كاتبها أقيسَ وأجود فيكتب يسئَل ويلئُم وقد أَسْئَرَ يُسْئِرُ اسْئَاراً من السُّؤْر وفاعلهُ مُسْئِرٌ وقد استلئَمَ فهو يَستلئِمُ من اللَّأْمة وهي السلاح فاعلهُ مُسْتَلْئِمٌ ومفعولهُ مُسْتَلْئَمٌ وهو الشَّئْل والهَئْنَج والافئس والارءس جمع رأس وهو أَلْئَم منهُ وأَشْئَم من اللُّؤْم والشُّؤْم(١ ونحو ذلك في كلِّهِ حذف الهمزة والاقتصار منها على الشَّكل وهو الاختيار عندنا الَّا ان يكون الساكن الذي قبل الهمزة الفاً في مثل سائِل ومُسائِل وهو يُسائِل فتثبت في الكتاب كما يثبت في اللفظ ولا يُحذف التخفيف. وقد اثبت هذه الهمزة قومٌ الفاً بعد الكسرة والفتحة والضمَّة تشبيهاً لها بالهمزة المبتدأة وهو مذهب بعض اجلَّة هذا الشأن. وقد أساء القياس مَن فعل ذلك وخالف الصواب لانَّ هذه لا تشبه الهمزة المبتدأة اذ كان الحذف والبدل في حذف اللفظ لها لازمَين لسكون ما قبلها وانها وما قبلها من كلمة واحدة. والمبتدأة لا يلزمها ذلك اذ كانت وما يدخل عليها من كلمتين ولو كان سكون ما قبلها يجعلها كالمبتدأة لكان سكون ما قبل المتطرفة (٥ ١٠) ايضاً يجعلها كذلك ولَلَزِمَهُ ان يُثبت تلك ايضاً الفاً على كل حال مع الحركات كلِّها في مثل الجُزْء والدِّفْء والخِبْء. وهذا لا يقوله احد من النحويين

١) هكذا يكتب ابن درستويه الهمزة بعد الساكن والجاري اليوم عند اللغويين ان تكتب الهمزة المتحرِّكة في الوسط بعد الساكن بصورة الحرف المجانس لحركتها نحو يَرْأَى (اصل يرى) ويسأل ويَلْؤُم وأسأر والشَّمأل والأفؤس والأرؤس وألأم وأشأم الخ

١٠. المتوسّطة الساكنة بعد حرف متحرّك

واذا سكنت المتوسّطة وهي متحرّك ما قبلها فيجب اثباتها على صورة الحرف الذي منهُ حركة ما قبلها اتباعاً لتخفيف اللفظ لأنها اذا خُفّفت أُبدِل منها ذلك الحرف خالصاً وذلك مثلُ « كأْس ورِئْم وسُؤْر ويأْمل ويُؤْمِن » ومثل « ائْتَزَرَ ائْتَمَرَ ائْتَمَنَ زيدٌ عمرًا أُؤْتُمِنَ فلان ». فاذا لم تُسمِّ فاعلهُ على لُغة من لم يُبدل من الهمز ولم يُدْغِم لانَّ الف الوصل وحروف المضارعة لحقت هذه الافعال وقد سكنت اوائلها فصارت متوسطة ساكنة

١١ وقوع الهمز طَرَفاً

وامّا الهمزة المتطرّفة فحكمُها حكم الساكن لأنها في موضع الوقف (٢١١) من الكلمة ولا يلزمها حركة ما وُقف عليها وان أُدرجت اختلف عليهـا حركة الاعراب ايضاً ولَحِقَهَا الجَزْم. والهجاء موضوعٌ على الوقف وهـذه الهمزة يكون ما قبلها متحركاً وساكناً

١٢ المتطرّفة المتحرّكُ ما قبلَها غيرُ المتّصلة بما بعدها

فاذا تحرّك ما قبلَها كُتبت على صورة الحرف الذي منهُ حركة ما قبلها لأنها اذا خُفّفت في اللفظ موقوفاً عليها نُحي بها ذلك النحو وذلك قولك : « التهيُؤ والتواطُؤ والأكمُؤ وهو يتّكِئُ ويستهزِئُ والخطأُ والنبأُ وهو يَقرَأُ ويتوضأُ وقد مَرُؤَ ورَدُؤَ ». ومثل المجزوم كقولك « لم يقرأْ ولم يتّكِئْ ولم يَرْزَأْ ». والامر : « إقرأْ يا هذا واتّكِئْ وأمرُؤْ ». ومنـهُ : هذا امرُؤُ القيس ورأيتُ امرأَ القيس ومررتُ بامرئِ القيس »

١٣ المتطرّفة المتحرّك ما قبلها المتّصلة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع أو تأنيث

فان اتّصلت بعلامة ضمير او تثنية او جمع تأنيث أُجريَت في الكتاب مجرى

(11[3]) نظائرها المتوسطة في حملها على تخفيف اللفظ لانّ الوقف عليها قد زال منها بما لحقها وتوسطت فوجب اثباتها مفتوحةً على حركة ما قبلها. وذلك نحو « كرهتُ خطأكَ وتواطؤهما ورأيتُ مُقرئكَ وهما مُقرئانِ والمُبرئانِ والمُستهزئانِ وهما يَقرءانِ ويُقرءانِ » في التثنية ذُكر الفاعل او لم يُذكر بالف واحدة لاجتماع الاشباه. « وهنّ مُخطئاتٌ ومُستهزئاتٌ ومَقرؤاتٌ ورأيتُ المُقرئينَ والمُستهزئينَ والمُخطئينَ » بيائين لا يُحذف ههنا احد المثلين لئلّا يلتبس بالجمع « وهمُ القرّأةُ وهي اللؤلؤةُ والتهيئةُ » واثباتها غيرَ مفتوحة على حركتها نفسها مثل « هذا اكمؤكَ وهذا خطؤهُ ونبؤهُ (١ وعجبٌ من اكمئكَ وخطئكَ ومن تواطئهما ومررتُ بمقرئكَ نفسهِ وهم المُقرءون والمستهزءون » للجماعة بواو واحدة لاجتماع الاشباه « ومررتُ بالمُقرءين ورأيتُ المُستهزءينَ بياء واحدة لاجتماع المثلين وللفرق بينهُ وبين التثنية « وهؤلاء مُقرؤوكَ » بواوين لئلّا يشبه الواحد « ومررتُ بمُقرئيكَ كلهم ورأيتُ مُقرئيكَ كلّهم » بيائين لئلّا يلتبس بالواحد ويُفصل بينهم وبين الاثنين بالشكل وكلّ ما التبس لم يجُز حذفهُ وان اجتمعت فيهِ الاشباه. فهذا قياسُ هذا الضرب(12[3])

١٤ المتطرّفة الساكن ما قبلها المتصلة بما بعدها

واذا وقعت بعد ساكن حُذفت من الكتاب على كل حال لسقوطها من اللفظ في التخفيف اذا وُقف عليها لالتقاء الساكنين في الوقف وذلك مثل « المَرء والجُزء والدِفء والخِبء والشَيء والنَوء . وهو يَجيء ويَسوء ومَقروء ومَشنوء والهَنيء والمَريء والسُوء». لأن ما وقع بعد حرف اللين ان حُذف في اللفظ أُبدل منهُ الحرف الذي قبلهُ ثمّ أُدغم فيهِ والمُدغَم لا يُكتَب الّا حرفاً واحداً وكذلك لو حُذف تخفيفاً

١٥ المتطرّفة الساكنُ ما قبلها المتصلة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع او تأنيث

ان لحقها علامة ضمير او جمع او تثنيــة او تأنيث فكذلك هي لا تثبت في الكتاب لأنها وان اتّصلت بما بعدها فليس تخفيفها في اللفظ الّا كتخفيفها قبل ذلك

١) والجاري في يومنا بين النحويين خطأهُ ونبأهُ كأنّ الهمزة متطرّفة

ولم يعرض لها ما يعرض للمتوسّطة في الفعل الجاري عليه ما تصرّف (١٢) منهُ . على انّ حذف تلك ايضاً صوابٌ كما بيّنّا ولا يجوز اجراء هذه مجرى ما وقع بعد الالف لانهُ لا يجوز حذف ذلك من اللفظ للتخفيف ولا ادغامهُ اذ كانت الالف لا تتحرّك فيلقى عليها حركتها وتحذف ولا يُدغم فيها شيءٌ . فاتّباع القياس في هذه أولى اذ لم يمنع منهُ مانع مثل « هذا جُزاكَ ورأيتُ جُزاكَ وهو شَيْئُهُ وتَوْءُهُ وهما جُزْءانِ وهو دَفْسانُ وهي التَّرْءَة والكَمْشَة والهَيْئَة والشَّرْءَة وهَيِئُون مَرِيئُون ومُشْنِئُون وسُؤُوا يا هؤلاء وجِيئُوا » فهذا قياس جميع ابواب الهمز وان كان قد شذَّ منهُ شيءٌ فقد دللنا عنهُ بما بيّناهُ او ذكرناهُ فيما بعد فامّا ساء وشاء ونحوهما من المهموز فيأتي في باب الممدود مستقصًى ان شاء الله (لهُ بقيّة)

اعظم طامّة في الحرب العامة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

القسم الثاني: الدُّول الاتفاقيّة

تبيَّن للقرّاء من مقالتنا السابقة ما حشدتهُ المانية من القوى والجيوش الطاحنة . ما اعدّتهُ من العُدَد والادوات القاتلة الساحقة . ما اخترعتهُ من ضروب الخراب وفنون الدَّمار . ما نفختهُ في قلوب ابنائها من الثقة بالنصر القريب والفوز النهائي حتى اضحى اعتقاد الالمان للظفر بمثابة آية منزلة لا يجوز الشكّ فيها فساقت الدولة الالمانيــة الى مناقع الدم اهل ثلث دولٍ اشربتهم روحها

فدَعْنا الآن نوجّه النظر الى خصومها من ارباب دول الاتفاق لنتقفّى آثارها ونطّلع على مسيرها في هذه الحرب الى حين انتصارها من ذاك الجبّار العاتي

١ فرنسة

بها نفتتح كلامنا وهي بيت القصيد . قامت في هذا البراز العظيم قِرناً لالمانيــة اهلًا بها . كان الالمــان يصوّرون فرنسة كعودٍ نخرٍ تكفيهِ صدمةٌ واحدة ليتناثر

كالهباء امام جنودها . واذا هي قُطب الدول الاتفاقية قامت في وجه اعدائها ببسالة لا مثيل لها في كل ميادين الوغى . اضحت فرنسة محور الدفاع عن عالم التمدُّن في ثلاثة اقطار الدنيا تتصدَّى لمعارضيها حيثما ناوَلوها في آسية وافريقية كما في ساحات اوروبة . صبرت نيفاً واربع سنوات على اهوال الحرب ريثما تكلَّلت هامتُها بالانتصار التامّ

كانت الحرب في العشر الثالث من تمُّوز ١٩١٤ على قاب قوسين من فرنسة ومعظم اهلها لا يحسبون لها حساباً ورئيس جمهوريتها يتجوَّل بعيداً عنها . واذا بالعدوّ يتهدَّد تخومها من حيث لا تنتظره لزعمها انهُ ذو شرف يحترم الحدود المبرمة مع الدول الكبرى بخصوص بلجيكة بألَّا ينتهك حماها . فنكث بوعده بكل قحة وفظاظة

فنهضت فرنسة نهضة الرجل الواحد ولم تشأ نفوس اهلها الابيَّة الاغضاء على الضَّيم بل نسيت احزابها ما بينهم من النزاع واسرعوا الى الدفاع عن تخومهم الشماليَّة ولولا انَّ البلجيكيين اوقفوا الالمان اياماً بعدَّ طرق بلادهم في وجههم لكان الخطبُ جلَلاً . فامكن الفرنسيس ان يحصنوا ثغورهم بكل سرعة ويتأهَّبوا للقتال . وقد مرَّ ذكر ما جرى بينهم وبين العدوّ من المعارك التي فاز بها الالمان اوَّلاً لشدَّة زحفتهم ثمَّ رُدُّوا بالخيبة ناكصين عند نهر المارن في ١٠ ايلول بانتصار الفرنسويين عليهم انتصاراً باهراً ثمَّ تكرَّر نصرهم مع البلجيكيين عند نهر ايزر ثمَّ عند مدينة ايبر في تشرين الاوَّل والثاني

فخمدت لظى الحرب حيناً في فرنسة لكنَّ العدوَّ كان احتلَّ قسماً كبيراً من ايالاتها الشمالية وأفقدها معاملها الصناعية التي فيها تُستحضر الذخائر الحربية . على انَّ الفرنسويَّ متوقد الذهن كثير الحيل لا تثني عزمهُ العقبات الكؤود . فجمع اربابُ الامر اصحاب المعامل الباقية وغيرهم من الصنَّاع واقترحوا عليهم انشاء مصانع جديدة فاجابوا بطيب القلب وباسابيع قليلة انجزوا العمل واخذوا يمدُّون الجيوش الفرنسويَّة بكل ما يحتاجون اليهِ من ذخائر الحرب بعُدَدها المختلفة اللازمة للدفاع والهجوم والطَّيران وكشف حركات العدوّ . واذ كان عدد كبير من الصنَّاع في سلك الجنديَّة جعلت النساء يقُمنَ مقامهم في كل اشغالهم حتى ان الذخائر الحربيَّة بلغت في السنة ١٩١٦ ثلاثين ضعفاً عمَّا كانت عليهِ في ١٩١٤

ولم يقتصر الفرنسويُّون على تموين جيوشهم بهذه الذخائر بل شرعوا بنقلها الى

حلفائهم بكل سخاء. فأرسلوا منها الكميات الوافرة الى روسية وايطالية وسربية ورومانية وانشأوا في تلك البلاد المعامل فعلموهم استحضار تلك الذخائر مع ما نقلوا اليهم من الفحم الحجري والفولاذ والالومينيوم والمواد الكيموية وباقي الحاجات. وقد حسبوا ما أرسلت فرنسة الى روسية من ادوات الحرب فكان يبلغ حجمهُ كل شهر ٣٠,٠٠٠ متر مكعب وثقلهُ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام

ومما امتاز بهِ الفرنسويون في هذه الحرب حسن تنظيمهم للجيوش وتدبير قيالهم على طرائق فنية عجيبة كان قوّاد الحرب يتقنونها اي اتقان. فعلموها بين ضباطهم والضباط بين جنودهم فتلقّنوها وجروا بموجبها فكانت من اعظم الوسائط لانتصارهم على الالمان. وكان كبار الرؤساء قد وضعوا كتاباً جمعوا فيه كل التعليمات اللازمة لكافة الجنود بالاختصار والوضوح التام لا يقلّ عن ٥٠ صفحة وأعجب هذا التدريب بقية الحلفاء حتى ان كثيرين منهم طلبوا ضباطاً فرنسويين لتمرين عساكرهم او لاعادة تنظيمهم بعد كسرتهم وهكذا تمّ الامر مع البلجكيين والسرب والرومان واليونان والايطاليين حتى الانكليز والاميركيين فانهم كلهم استمدّوا من معارف الفرنسويين بآداب الحرب. وكان في جيوش البولونيين وجيوش العرب في ما وراء الاردن ضباط من الفرنسويين يساعدونهم وينظمون حركاتهم

وقد ظهر نشاط الفرنسويين في فضاء الجوّ كما ظهر في ساحات القتال وكانت طياراتهم في أول الحرب مجهزة بمحركات قوّتها ١٣٠ حصاناً بخارياً فقط تقطع في الساعة ١٠٠ كيلومتر وهي خالية من المتراليوز فبعد قليل حسّنوها كثيراً فجهّزوها بمدفع رشاشات ومتراليوز وجعلوا فيها المحركات ذات قوة ٣٠٠ حصان فمكّنوها من قطع ٢٠٠ كيلومتر في الساعة. وكان المتطوّعون الطالبون الطيران قد زاد عددهم من واحد الى ثلثين ضعفاً حتى رُدّت مطاليب كثيرين. وهذه الطيارات قد ادّت خدماً لا تُحصى وفاقت على ادوات الطيران الالمانية بنظامها وسرعة حركاتها وكشفها عن كل اسرار العدوّ وضربها الضربات المؤلمة. وقد اخترع لها العلماء أدوات خاصة بقي سرّها مجهولاً عند الالمان. وقد اشتهر بآثره الجوية غوينيمر (Guynemer) الذي صار المثل يُضرب بحذاقته وبطشهِ بالعدوّ حتى انهم اخذوا يُلحقون اسمهُ باسم الابطال كنيّار وجان درك وتورانّ

وممّا أقرّ به كلّ شهود هذه الحروب الهائلة حتّى الاعداء منهم انّ الجنود الفرنساويّة أبسل الجنود واربطها جأشاً في ساحات الوغى . وقد سمعنا احد كبار ضبّاط الالمان في بيروت مجيباً لمن اطرأ شجاعة الجنود الالمانيّة : « انّ السّبق في الشهامة والبسالة في الحرب الفرنسوي ثمّ بعده الالمانيّ » والحقّ يقال انّ الجنود الفرنسويّة أبلت احسن بلاء في كلّ أحوال هذه الحرب فاختبروا جميع ضروب الشدائد من جوع وعطش وبرد قارس تحت ظلّ السماء او في الخنادق المملوءة ماء ووحلاً وباقتحام اعداء اوفر عدداً واتمّ اهبةً مع صبر على جراحات أليمة وعلى أسفار ليليّة دون راحة وكلّ ذلك بنشاط غريب وبساطة عجيبة حتى في ساعة النزاع والموت . وليس هذا الّا رجاء بالنصر وقياماً بالواجب نحو وطنهم سواء اثابهم رؤساؤهم بالاوسمة الحربيّة ام لا . وقد استوى في هذه الحماسة صغيرهم وكبيرهم وضعيفهم وشريفهم حتى من تربّى بينهم على الدلال ورغد العيش فانهم كانوا يحاربون كالابطال او كما يقول اعداؤهم « كالابالسة » . وكان يزعم الالمان انّ الفرنسوي بعد بطشه يفشل سريعاً ويقنط لحدّة طباعه وقلّة جلده فساء فيه ظنّهم فصبر معظمهم على كل ويلات الحرب ٥٢ شهراً دون ان يتضعضع ركنهم او تصرعهم الشدائد

وقد فضّلوا على الالمان في رفقهم نحو الجرحى من اعدائهم وربّما عاملوا المنكوبين منهم والأسرى بالحنان والرحمة . وكذلك لم يسيئوا مثلهم العمل نحو المتحايدين عن الحرب في البلاد التي يحتلّونها بل كانوا بالاجمال يعاملونهم بكل تؤدة وعدل . ولم يخربوا من الابنية العموميّة شيئاً كما فعل الالمان بالكنائس والقصور والمعاهد العموميّة والمصانع الّا ما كان محضاً في وجهم يكمن فيه العدوّ

وافضلُ ما يقال للثناء على الفرنسويين جدول الصرعى والجرحى منهم في مدّة الحرب . بلغ عدد الجيوش الفرنسويّة الداخلة في الحرب من أوائل آب ١٩١٤ الى ١١ ت ٢ ١٩١٨ ٨،٤١٠،٠٠٠ رجل بينهم ١٩٥،٩٠٠ ضابط و ٧،٧٠٠،٠٠٠ فرنسوي الجنس والباقون من المستعمرات الفرنسويّة والمتطوّعين الاجانب فبلغ عدد القتلى ١،٣٥٥،٠٠٠ يُضاف اليهم من مات من جراحه بعد الهدنة الى تاريخ ١ حزيران ١٩١٩ ٣٠،٤٠٠ فيكون مجموع الموتى ١،٣٨٥،٤٠٠ منهم ٣٤،٥٠٠ ضابط . والفرنسويّون منهم ١،٢٥٢،٦٠٠ والمستعمرون او المتطوّعون الاجانب ٢٥،٦٠٠

فيكون معدَّل الموتى من الجيوش الفرنسويَّة اجمعها ١٦،٢ بالمئة وبالنسبة الى اهل فرنسة كلها واحد من ٢٨ . امّا الجرحى الذين دخلوا المستشفيات من الفرنسويين فبلغ عددهم ١،١٩٣،٩٨١ لكنَّ كثيرين جُرحوا مرارًا . وقد بلغ أسرى الفرنسويين ٤٨٥،١٠٠ فهذه الاعداد تنطق بجرأة أبناء فرنسة وثباتهم في الحرب

وقد عادلت المانية فرنسة في عدد قتلاها وجرحاها دخل الحرب نحو ١٠،٠٠٠،٠٠٠ من الالمان قُتل او فُقد منهم ٢،٠٤٩،٠٠٠ فمعدَّل الموتى الى نسبة سكانها البالغين ٦٧،٠٠٠،٠٠٠ واحدٌ من ٣٥ بعدما النسة فقدت نحو مليون من صرعى الحرب بمعدل ١ في ٥٠ من سكانها البالغ عددهم ٤٩،٠٠٠،٠٠٠ فناهيك بهذه الاحصاءات لتعرف ما دهم العالم من بوائق هذه الحرب الجهنَّمية وغوائلها وقد وقعت على فرنسة خصوصاً اثقالها الباهظة . ولولا عناية الله الخاصة وحسن تدبير قوّادها وأركان حربها مع تكاتف عموم اهلها وحميَّة جنودها لسقطت فرنسة من مقامها وفقدت بسقوطها حرّية العالم المتمدّن

ولو اردنا تعداد المآثر الجليلة والاعمال السنيَّة التي اتى بها ابطال فرنسة لاتسع بنا المجال ومنذ بداية الحرب اخذ الكتبة البلغاء يخصُّون بمقالاتهم البعض من جلّة اولئك الكماة فردًا فردًا فرووا لهم من المفاخر ما كاد يُنسي مآثر القدماء كالمرشالية جوفر وفوش وبيتان وكالجنرالية كستلنو وغاليانى وفايول وفيغان ودوبايل ومونوري ولتريزاك وفرنشه دسبري وغورو ومودوي ومونجان وغيليوما وسرّاي وغيرهم كثيرين ممَّن لم يُعرَف لهم قبلًا اسم شائع . فكلّ هؤلاء اظهروا بين معامع الحرب ما للفرنسويين من طيّب العنصر وشريف المغرس فقاموا بازاء قادة محنَّكين جبابرة الوغى اجمعَ الالمان على مقدرتهم وقطعوا بنصرهم النهائي لا محالة بعد استعدادهم لهُ منذ سنين طويلة كالجنرالية دي مولتك وفون كلوك وهندنبورغ وفون بلوف وفون بيهم واردندروف وفلكنهيم وفون درغلس وفون سندرس وفلكنبورغ . وولي العهد وغيرهم ممَّن زمَّر العالمُ الجرماني بذكرهم وطبَّل فكان انتصار الفرنسويين منهم ابهر واسمى

ولم توجد قطّ فرنسة في مأزق اشدّ واخطر من مقامها الحربيّ في آذار من السنة ١٩١٨ الى اوائل تمّوز منها فانّ هبوط روسيَّة وكسرة رومانية وفتح سربيّة

وقبل ايطالية كانت قوّت آمال المانية في الانتصار القريب اذ كانت تستطيع ان تسحب نحو مليونين من جنودها من جهات الشرق لتضمّهم الى قوّاتها في الغرب. فهلّل الالمان فرحاً واستعدّوا لتلك الحملات التي لم يدوّن التاريخ مثلها في مدى الدهور فشنّوا في وقت واحد الغارات الشعواء على كل ساحات الوغى في ايار وحزيران اوّلاً ثمّ استأنفوها بعد ايام من الراحة في اواسط تموز فقطعوا نهر المارن وصوّبوا مدافعهم البعيدة المرمى على باريس حتى انّ كثيرين توهّموا انّ الامر قد قُضي بفتح عاصمة فرنسة واستعدّ الامبراطور غليوم لدخولها بأُبهة الظفر

فهناك ظهرت حذاقة الجنرال فوش وبُعد نظره مع قوّاده وخصوصاً الجنرال غورو الذي حظينا بتقليده رئاسة قطرنا السوري. فانّ الجنرال غورو أخذ على نفسه وجيشه الصبر على معظم قوّات العدو وترك الالمان يتقدمون الى ما أخلوهُ من معسكرهم وهم يتباشرون بالنصر ويلتهون بهِ فما كان من فوش الّا انهُ دفع جيشَي مانجن وديغوت على جوانب عسكر فون بيهم في غاس اليوم ١٨ من تموز وهو سائر الى ضبط إيرني لا يحسب للفرنسويين حساباً. فانقلب دفاع الفرنسويين الى هجوم وبغتوا الالمان بغتات افقدتهم رشدهم فتقهقروا الى شمال نهر المارن ثم الى شمال نهر الاين وفقدوا ٢٠،٠٠٠ اسير. فكان ذلك اليوم الميمون فاتحة انتصارات فوش وجيوشهِ فدخلوا سواسون وشاتو تياري. ثم وصلت اليهم الجيوش الاميركيّة في ٣ آب فاكتسحوا كل مواقع العدو الى نهرَي واز وموز حتى انّ المسيو كليمنصو بادر الى تقليد الجنرال فوش رتبة مارشال في ٦ آب

وغنيّ عن البيان ما نالهُ من ذلك الحين من الفوز جيوش الاتفاقيين من فرنسيس وانكليز واميركيين اذ تناصروا بالهجوم المتتابع لم يدعوا فيه للعدو يوماً ليتلافى امرهُ وينظّم قواهُ فلحقوهم الى خطّهم الرئيسي المعروف بخط هندنبرغ وهم يزعمون انهُ لا تعمل فيهِ قوّة بشريّة فلم يصدق ظنّهم وفي اوائل ايلول انكسرت هناك شوكتهم وكتب الاتفاقيون في بطون تواريخهم صفحةً من المجد لا شبيه لها في سالف الاعصار. ولم يقفوا عند ذلك الحدّ بل تابعوا هجومهم مدّة شهرين يتأثرون الالمان ويحتلّون ما يغادرونهُ من البلاد الى ان فقد الالمان آخر سهم في جعبتهم فأخلوا كل ما احتلّوهُ من اراضي فرنسة وبلجكة حتى حدود نهر الرين وفرّ القيصر هارباً

الى هولندة مع ولي عهده وفي ١١ ت ٢ امضى سفراء الالمان كل شروط الصلح اولها هبوط المانية الكبرى. وبهِ انتهت تلك المأساة

٢ روسيا

كانت في مقدمة الدول التي دخلت هذه الحرب مكرهةً اليها للدفاع عن سربية لما بين الدولتين من الولاء والعلاقات العنصرية. فلمّا جاهرت النمسة بالعداء نحوها واعلنت لمحاربتها بالنفير العام ساقت روسية جيوشها العرمرمية التي انافت في بعض الاوان على ثمانية ملايين واعمري انَّ عدداً كهذا من الجنود لكافٍ لفتح العمور فضلًا عن بعض البلدان

على انَّ هذه القوى العجيبة قام دون فعليا عقبات جمة اصبح بسببها قسمٌ كبير منها عقيماً. فمن ذلك نقصان الذخائر الحربية التي صار اليها الروسيّون بعد قليل في امسّ حاجة الى ان امكن فرنسة ان تسدّ الخلل بما ارسلته اليها من ذلك وبالمصانع التي انشأتها في بلادها

ومنها صعوبة المواصلات بين انحاء دولتها واقطارها المختلفة لقلة السكك الحديدية لا سيما انَّ اطراف الدولة غاية في البعد عن ساحات الحرب وكان الشتاء اصبح على الباب . وقد زادت حالة روسيَّة حرجاً بقلة مواصلاتها مع حلفائها لمَّا سُدَّت في وجهها منافذها واُقفل امامها الدردنيل والبوسفور وموانئ البحر البلطيكي مع تعطيل ميناء اركنجل في اَبان الشتاء . حتَّى اسرعت روسيَّة لتلافي هذه الاخطار بفتح موانئ جديدة حيث اتتها سفن الاتفاقيين فبادلتهم المعاملات

ومنها اختلاف العناصر والاجناس في دولة روسية فانَّها تتألف من امم عديدة لا تتفق لا في اللغة ولا في الدين ولا في الاخلاق مع ما تعدّد فيها من البدع الغريبة والشيع المتناقضة . فكل هذه الاسباب وغيرها كان من شأنها ان تضعف روسية وتؤدي بها الى الفوضى والدمار

على انَّ الروسيّين في السنتين الاوليين للحرب جازوا الدول الاتفاقية في حماستهم ومقاومتهم للدول المركزيّة . فانَّ جيوشهم منذ اوائل الحرب زحفت الى

النمسة في غاليسية والى المانية في بروسية الشرقية . ثمّ بعد دخول تركية في الحرب الى شمالي العجم وارمينية والقفقاز فكان لها في كل هذه المواقف مآثر مشكورة

ومن حسن سياستها اذ ذاك انها اعلنت باستقلال بولونية ومنحها لرعاياها حرّية الاديان . وما لبثت ان دخلت لمبرغ حاضرة غاليسية وتهدّدت كراكوفيا عاصمتها وفتحت بعض مدنها المحصّنة كستانسلاو وبرزمسل

وكان فوز الجنود الروسية في غاليسية وبروسية موجباً لسحب قسم من الجيوش الالمانيّة من فرنسة وبلجكة وتوجيهها الى جهات الشرق فخفّ بذلك نوعاً الضغط عن فرنسة وسوّل لجنودها الانتصار في المارن ثمّ عند نهر ايزر ومدينة ايپر

ثم حاول الروس في اوائل سنة ١٩١٥ قطع جبال الكرپات لفتح سهول المجر وعاصمتهم بودابست فلم يفلحوا لكنهم شغلوا بهجومهم فيالق عديدة من الالمان فتقوّى الفرنسويون والانكليز في اثناء ذلك بالساحة الغربية

ومن خِدَم الروس لحلفيهم انّهم تصدّوا للاتراك وحملوا على جهات القفقاز . فجرت بينهم وبين الجيوش العثمانية معارك دمويّة دارت فيها رحى الحرب على الاتراك في ثلث وقعات في ساري كميش واريفان (٣ و ٤ ك٢ سنة ١٩١٥) ثمّ في كراورغان (في ١٧ منهُ) . وتوالت هذه الانتصارات في شهر آذار ففتح الروس مدينة ارتفين وانحاء باطوم . وتقدّموا في ارمينية التركية وفتحوا في ايار مدينة وان . وألحقوا بالاتراك خسائر لا تُحصى من قتلى واسرى . ولم يُبقوا من بعض الفيالق العثمانيّة الّا افرادًا قليلين

وفي السنة ١٩١٦ عاد الروس بعد حبوطهم الى محاربة غاليسية وفتحوا تشرنوفتش وقطعوا نهر الدنوب واستولوا على برزمسل فكان النصر حليفهم الى اواخر تلك السنة . وكذلك تقدّموا في ارمينية وفتحوا في ١٥ شباط مدينة ارزروم وفي ٢٦ تموز مدينة ارزنجان . وكان الارشدوق نقولا قد تولّى قيادة الجيوش

ثمّ اخذت الاضطرابات والفتن السياسية في الشهور الاولى من السنة ١٩١٧ تُقلق الصوم في بتروغراد . وكان كثير من اعيان الدولة ناقمين على القيصر وحكومته فاخذوا يهيّجون الناس على نقولا الثاني واسرته . فاحسّ الالمان بهذه القلاقل وارسلوا

بعض مناصريهم فنفخوا في الشعب نار الثورة وروح العصيان وتوصلوا الى الجيوش فحملوا الجنود على المشاغب. وكان بين عمّال الدولة قوم من الخوّنة المنتمين الى الالمان كانوا يتهاملون بتموين العساكر وارسال الذخائر من جملتهم الوزير شتورمر. فكلّ هذه الاسباب اورثت زناد الفتن واحيت معالم الهيجان حتى تلبست تلك البلاد ظهرًا لبطن فاضطرّ القيصر الى تقدمة استعفائه في ١٥ آذار ١٩١٧. ثمّ اوقفهُ بعد ايام ارباب الثورة هو وقرينتهُ التي كانت موالية الالمان ومسبّبة لزوجها كثيرًا من الأحكام المخالفة لرضى اهل الدولة وبعد حين حكموا عليهما بالإعدام

واجتمع زعماء هذا الانقلاب فأعلنوا بهبوط سلالة رومانوف والدستور الجمهوري وبالعفو العام عن المجرمين والغاء عقاب الموت وتحرير اليهود وحرّية شعوب الكرج والليتوانيين واللتونيين واستقلال فنلندة. لكنّ هؤلاء الزعماء لم يشاءوا انسحاب روسيّة عن ساحات الحرب بل صمّموا النيّة على مواصلة العمل مع الدول الاتفاقية واختاروا رئيساً للجمهوريّة الروسيّة كرنسكي الذي خطب في مجلس الشعب خطاباً حماسيًّا جاهر فيه على محاربة المانية وحلفائها حتى نيل النصر النهائي. ثمّ سعى كرنسكي غاية جهده في جمع شتات الدولة وضمّ ألفتها وألّف لذلك اللجنات ونظّم الدوائر السياسيّة لكنّ الحزب الاشتراكيّ نهض في معارضتهِ وكان في مقدّمتهم لينين وتروتسكي وبعض المنتمين في السرّ لالمانية فجعلوا شعارهم الصلح على كلّ حال رغماً عمّا يلحق الأمّة بهِ من العار وخلافاً لوعد الدولة الروسيّة أن لا تعقد صلحاً منفردًا. فقاوم هؤلاء المتطرّفين قومٌ من العقلاء منهم كورنيلوف سر عسكر الدولة الذي وقف على اوراق سرّية دلّت على خيانة لينين وانصارهِ فلما اراد توقيفهُ فرّ من وجههِ. وتابع كورنيلوف مع جيوشهِ محاربة الالمان وانتصر عليهم غير مرّة

لكن الثورة اتسعت بمساعي لينين وانصارهِ فانتهزت الجيوش الالمانية تلك النزهة وفتحت مدينة ريغا حاضرة فنلندة. وتغلب على كورنيلوف اعداؤهُ فاوقفوهُ. وحاول كرنسكي ان ينشئ وزارة محافظة فلم يحصل على نتيجة وعاد لينين وتروتسكي الى تحكّمهما في الامور واضطرّا كرنسكي الى أن يهرب وتقدّما الى كبير قوّاد الجيش بان يعقد الصلح مع الالمان فأبى بكل بسالة فعزلهُ لينين عن منصبه ودسّ اليهِ قوماً من مشايعيهِ فقتلوهُ. وفي ١٥ ك١ ١٩١٧ عقد لينين الهدنة مع دوق

باقارية ليوباد والجنرال هوفمان في برست ليتوفسك ودفع رومانية حليفة الروس الى الموافقة لاحكامه والتوقيع على شروط هدنته

ثمَّ اراد لينين وذووه تقرير الصلح النهائي مع الدول المركزية الاربع اعني المانية والنمسة وبلغارية وتركية على القواعد الآتية: ١ً ان لا تمتلك الدول على خلاف املاكها. ٢ً ان لا تطالب بالتعويضات والغرامات. ٣ً ان تُخيَّر كلّ أمّة بتدبير شؤونها. ٤ً ان يستقلّ كل شعب تاماً بامور الاقتصادية

فاجابت الدول المركزية انها لا تنوي تملُّكاً جبرياً وانما يحقُّ للدولة المتملكة ان تقضي بمصير العناصر الوطنية. وانها على كل حال لا تخرج عنها الّا عند انعقاد الصلح النهائي. وبناء عليه رفض الالمان ان يفرغوا معاملة كورلنده وبلاد ليتوانية ومدينة ريغا مع الجزائر

ومذ ذاك الحين صارت روسيّة في اسوإ حال ووقعت في ايدي البولشفيين كما اشرنا اليه في عددنا السابق. والله يعلم كيف تنتهي هذه الثورة التي تلتهم روسيّة كلها وتتهدَّد البلاد المجاورة لها بل البعيدة منها. وللالمانية فيها يد محرّكة تدفعها اليها تشفياً من الدول الاتفاقيّة بعد ذهاب ريحها ورغبةً في مدّ سيطرتها على روسيّة. وقانا الله من كلّ شر ووفقنا الى ما فيه خير البلاد وسلام العباد (لهُ بقيّة)

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي*

بقلم عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار)

صباح الخميس في ٨ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ م (١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨هـ) فُجعت الآداب العربيّة بعالم من علماء دمشق عُرف بمعارفه الوسيعة وهو المرحوم الشيخ

* يسرّنا ان ننشر هذه الترجمة وكان الفقيد احد اصدقائنا المخلصين وقد اشتغل غير مرّة في مكتبتنا الشرقيّة ونقل شيئاً من مخطوطاتها. وكان يقدّر اشغال رهبانها قدرهم ويثني عليهم جهاراً عند قومه وقد لقينا منهُ تنشيطاً في نشر مطبوعاتنا واستحساناً لطرائقنا العلميّة رحمهُ الله (المشرق)

طاهر الجزائري والى القراء ترجمة ملخصة من كتابنا (مغاوص الدرر في اعيان القرن التاسع عشر) :

مقدمة

كثيرون هم العلماء الذين عرفناهم ولكن الذين مثل هذا الفقيد قليلون لأنهُ صرف حياتهُ غريباً متفرغاً للبحث في المؤلفات ومراجعة المكتبات والحض على ترتيبها ووضع برامج لها وجعلها عمومية يستفيد منها الطالبون دائباً في طبع المفيد منها ونشره . فلهذا كان من العلماء المحققين الذين يوثق باقوالهم ويُعتمد على آرائهم . وقد اشتهر ذكرًا بين المستشرقين وفاوضوهُ بشأن المخطوطات ومظانها فكأنهُ مع معارفهِ الكثيرة ومؤلفاته العديدة اختصَّ بفنّ المؤلفات ومعرفة المفيد منها وتمييز نفائسها ونوادرها فكان آيةً في هذا الفنّ الذي اعتنى بهِ الافرنج وسمّوهُ علم وصف الكتب (Bibliographie) . واليك الآن لمحة من سيرتهِ

أسرة المترجم

جاء دمشق سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) الشيخ صالح ابن السيّد احمد ابن السيد موهوب ابن السيد ابي القاسم ابن السيد موسى الوغليسي من سلائل الأدارسة الحسنيين الذين اشتهروا في المغرب وتكاثروا هناك مهاجرًا من بلادهِ الجزائر قبل مجيء الامير الشهير عبد القادر الحسني اليها . وكان الشيخ صالح من كبار علماء المالكية فصار مفتي الجزائريين في دمشق واشتهر بصفاته وعلومهِ الى أن توفي فيها سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) عن نحو ستين سنة وترك اولادًا اصغرهم المترجم وابن شقيقه سليم بك الجزائري الذي قتلهُ الاتراك في اثناء الحرب العامّة

مولدهُ ونشأتهُ

وُلد الشيخ طاهر ابن الشيخ صالح الجزائري في دمشق ليلة الاربعاء في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) ومال من صغرهِ الى اقتناء الكتب وحبّ المطالعة فخرَّجهُ والدهُ في المكاتب الابتدائية ثم في مكتب الرشدية في دمشق فنال شهادتهُ المؤذنة بنبوغهِ

وتلقَّى بعض العلوم الأُخر على والده وعلى الشيخ عبد الغني الميداني شارح القدوري

المشهور بعلومه وصلاحه ودرس على نفسه دائباً مغتنماً الفُرَص فحصّل التركية والفارسية تحصيلهُ العربية وحذق اللغة الليبية لغة قبائل الجزائر

وما كاد يبلغ الثامنة عشرة حتى توفي والدهُ وكان قد أتقن علومهُ ووسّع مداركهُ فظهر نبوغهُ واشتهر بالتبسُّط في المعارف وتقرَّب منهُ الادباء وجالسهُ العلماء. فكان مدار حديثهِ على ترقية آداب العربية بانشاء المدارس المفيدة وتأسيس المكتبات ووضع التآليف فشرع يبثُّ هذا الروح في رجال وطنه والقادمين الى دمشق من العلماء والادباء والذين يقابلهم في رِحلاته

ولما جاء مدحت باشا والياً على سورية وكان بهاء بك تلميذ ضياء باشا الشهير مكتوبي الولاية والشيخ علاء الدين ابن السيد محمد امين عابدين صاحب الحاشية الفقهية الشهيرة مديراً للمعارف اتفقت كلمتهم واجمع رأيهم على السعي بترقية العربية ففاوضوا مدحت باشا فآنسوا منه ميلاً فشرعوا في تأسيس جمعية باسم الجمعية الخيرية في ٥ شباط سنة ١٨٩٤ م انتظم في اعضائها نخبة العلماء والوجهاء في الفيحاء. وسعى المترجم اوّلاً بتكثير المدارس والتحسين لأسلوب التعليم فأسّس نحو تسع مدارس الذكور ومدرستين للاناث. وبدأ في وضع الكتب المدرسية فألّف في مبادئ العربية قراءة واصولاً وعقائد ثم ألّف في المساحة والحساب والطبيعيات والعلوم الاخر كتباً طُبع معظمها وعُرفت فائدتها

ولم يلبث المترجم ان عُيّن مفتشاً للمعارف في ولاية سورية على اتساعها فسعى باجتهاد في تعميم المعارف واعلاء منار المدارس وأنشأ مطبعة للجمعية الخيرية لطبع المؤلفات المدرسية وغيرها

ثم سعى بتأسيس مكتبة الملك الظاهر في قبّة البناء الظاهري في محلّة باب البريد قرب الجامع الاموي فجمع فيها آلافاً من نوادر المخطوطات كانت مبعثرة في الجوامع وفي بيوت الخاصة ووقف لها بعضاً من مكتبتهِ الكبيرة. وكان يبتاع لها ما تقع عليهِ يدُه من النفائس وسعى بطبع برنامج مختصر لها. فاشتهرت وقصدها المستشرقون والعلماء مطالعين ومستنسخين. ثم حوّل همّتهُ الى فلسطين فحضَّ فيها آل الخالدي على جمع كتبهم فأسّس لهم المكتبة الخالدية في القدس ووضع لها برنامجاً صغيراً طبع ايضاً

وساح في الشرق وبلاد العرب والاستانة واوربّة ومصر فاقتنى كثيراً من المخطوطات والمطبوعات النادرة واستنسخ ما استنسخ ووقف على ما وقف فنزّلت مادّتهُ وعاد الى دمشق مفتشاً لمكاتبها ومؤلفاً الى ان نبّت به ديار الشام فغادرها الى مصر نحو سنة ١٩١٠ م ونقل اليها معظم مكتبته فابتاعها منه الاحمدان تيمور باشا وزكي باشا وبعضها ضُمّ الى المكتبة السلطانية الكبرى . وهناك سعى بتعزيز العربيّة ومكاتبها فحثّ على انشاء المجلة السلفية ومطبعتها فاختصت بالبحث عن المخطوطات . وعاد الى سورية في اول الحرب العامة فاجتمعتُ به في بيروت ثم عاد الى مصر من فوره وبقي هناك يطالع ويؤلف ويحضّ على نشر الكتب المفيدة الى اواخر ايلول سنة ١٩١٩ فعاد الى دمشق مريضاً بالربو الصدري ولم يلبث في اواسط تشرين الاول ان عُيّن مديراً للمكتبة الظاهرية ثم عضواً في المجمع العلمي حيث اجتمعتُ به مدةً الى ان انحلّ عقد المجمع في اواخر تشرين الثاني فبقي مديراً للمكتبة الى ان استأثرت به رحمة بارئهِ

منزلتهُ العلميّة ومؤلفاته واخلاقهُ

كان لهذا الفقيد منزلة علمية كبيرة وشهرة في عالم الادب واسعة والتحقيق في البحث واعتماد على العمل لا القول وقد كتبَتْ عنه بعض المجلات الغربية والشرقية وترجَمَهُ بعض العلماء في القطرين وفاوضوهُ

فنثر هو مقالات ورسائل وفوائد في كثير من المجلات والصحف وعُني بوضع كثير من المؤلفات المدرسية والادبية والعلمية طُبع بعضها وبقي الاخر مخطوطاً

فمنّا طبع منها (توجيه النظر الى اصول الاثر) وهو في اصول الحديث طبع بمصر سنة ١٩١٩ م في ٤٢٠ صفحة . و (مدّ الراحة الى اخذ المساحة) بمطبعة سورية سنة ١٨٨٤ م في ٢٠٨ ص . و (الفوائد الجسام في معرفة خواصّ الاجسام) طبع فيها سنة ١٨٨٢ في ١٢٥ ص . و (مدخل الطلّاب الى فنّ الحساب) طبع فيها ثالثة ١٨٨٥ في ٤٨ ص . و (منية الاذكياء في قصص الانبياء) عرّبهُ عن التركية وطبعهُ بمطبعة الجمعية الخيرية في دمشق سنة ١٨٨١ م في ٢٣٩ ص . وآخر مؤلفاته المطبوعة (التقريب لاصول التعريب) طبع سنة ١٩١٩ بمصر في ١٣٦ ص (١

١) ولهُ ايضاً في مكتبتنا الشرقية كتاب ارشاد الالبّاء الى طريق تعلم الف باء طُبع في

ومما وقف على طبعه او نشره من الكتب والرسائل وشرح بعضها (ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد) و(ديوان خطب ابن نباتة) و (امثيّة الالمعي ومنية المدّعي) و (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) و (الادب والمروّة) و (الادب الصغير) وغيرها

ومن أهم مؤلفاته التي لا تزال مخطوطة (التذكرة الطاهرية) وهي في اكثر من عشرين مجلداً تبحث في نوادر المخطوطات ومحلّ وجودها ومزاياها وامثلة منها فيها يستعين المؤلفون والطابعون . ومنها (التفسير الكبير) و (المعجم العربي) و (السيرة النبوية) و (جلاء الطبع في معرفة مقاصد الشرع) وكلها مفيدة

واقد اقتنى مكتبةً جمعت بضعة آلاف مجلد كان معظمها مخطوطاً وفيها أمهات ونوادر نقل اكثرها الى مصر وباعها فيها وباع الباقي في دمشق

ومن صفاته كثرة التقشّف الى درجة يُنتقَد عليه فيها ولكنهُ لم يكن ليبالي بالانتقاد واشتهر بالغيرة على العربية والمعارف غيرةً نادرة . وبكثرة التحقيق والبحث عن كل شيء ليمحّصهُ ويظهر صدقهُ من كذبهِ وغثّهُ من سمينهِ . وكان ضيّق الصدر مع الناس كثير الجلَد في خلوته بكتبه وبقيَ الى آخر حياته لا يترك الكتاب لحظةً . فرأيتهُ وهو زميلي في المجمع العلمي بدمشق يراجع كل مؤلف جديد ويحرص على كل مخطوط حتى انهُ اخبرتهُ مرةً انني وقفتُ على مجموعة قديمة لرسائل ابن ابي الدنيا فاستمهلتُ بائعها ريثما اشاور اعضاء المجمع لأبتاعها للمكتبة الظاهرية ثم عدت اليه فوجدتهُ قد باعها بعد بضع ساعات فقال المترجم لي : يجب ان تُغرَم على هذا الاهمال . واشتهر بانهُ طيّب القلب جيد الحديث واسع الرواية قوي الحافظة شديد الانتباه وكان يدخّن اللفيفة حتى آخر حياته مع ما مُني بهِ من النُوَب الصدريّة وضيق التنفُّس . وكثيراً ما رأيتهُ يقطع اللفيفة شطرين ليدخّن شطراً منها وبعد هنيهة يدخن الثاني . وكان سريع الحركة والفكر قوي البنية عصبي المزاج معتدل القامة الى الطول حنطي اللون وخطّهُ الشيب ظاهراً في لحيتهِ المسترسلة بشوش الوجه يميل الى الجدّ والعمل وحفظ الوقت . رحمهُ الله وعزّى آلهُ والادب على فقدهِ

بيروت سنة ١٣٢١ هـ في ١٤٤ صفحة . ولهُ كذلك جداول وصحائف جداريّة في الخطوط القديمة والحديثة مع فوائد تتعلّق بها مما لم يبحث فيهِ حتّى الآن احد من الشرقيين وهي مطبوعة على الحجر بكل دقّة وجلاء (المشرق)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السادس

في ما ورد في الاسفار المقدسة من حكم العرب والحديث

كنّا انتهينا في فصلنا السابق الى ذكر الامثال التي اخذها العرب في الجاهليّة او اوائل الاسلام عن الاسفار المقدسة من العهدين القديم والحديث . ويلحق بهذا الباب بابُ حكم العرب مع الحديث المرويّ عن نبيّ الاسلام افردنا لذلك هذا الفصل بحيث يظهر من المقابلة ما كان للنصرانية من النفوذ بين العرب في اواخر ايّام الجاهليّة وظهور الاسلام

١ الحكم

جاء في ديوان سلامة بن جندل (ص ١٩):

عجلتم علينا حجّتين عليكمُ ... وما بنا الرحمنُ يَعقِدُ ويُطلِقِ
هو الكاسرُ العظمِ الامين وما بنا ... من الأمر يجمَعُ بينَهُ ويفرّقِ

ومثلهُ لمُرَيّد بن ابي كاهل (شعراء النصرانيّة ٤٣٤):

انّما يرفعُ اللهُ ومن شاء وَضَعْ

فهو من قول الله عزّ وجلّ (١ ملوك ٢ : ٦–٧ : « الربُّ يميت ويحيي يُحدر الى الجحيم ويُصعدُ الربُّ يُفقِر ويغني يَحُطّ ويرفع »

وقال عبد القيس بن خُفاف (المفضّليات ٧٥٠):

اللهَ فاتّقِ وأوفِ بنذورِ واذا حلفتَ عارياً فتحلّلِ

قال في سفر الجامعة (١٢:١٣) : « اتّقِ الله واحفظ وصاياه » وقال في المزامير (٤٩:١٤) : « أوفِ العليَّ نذورك ». وفي سفر الخروج (٢٠:٧) : « لا تحلف باسم الرب الهك باطلاً فانَّ الربَّ لا يزكّي من يحلف باسمه باطلاً »

وورد في شعر المرقّش الاكبر (شعراء النصرانيّة ص ٢٨٦) :

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احد بدائمْ
قد خُطَّ ذاك في الزَّبو رِ الأوّليّات القدائمْ

يشير الى المزمور المئة والواحد حيث يقول داود للربّ : « انَّ الارض والسماوات تزول وانت تبقى وكلّها تبلى كالثوب . وانت انت وسنوك لن تفنى » . ومثل هذا قول امية بن ابي الصلت (شعراء النصرانيّة ٢٢٨) :

وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميتُ ويحيي دائباً ليس يهمُدُ

وممّا اقتبسهُ لبيد من سفر الجامعة قولهُ :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

ومن مقتبسات لبيد من الاسفار المقدّسة (دانيال ٤ : ٣٢ وخروج ٣٣ : ع ١) قولهُ :

انَّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثي وعَجَلْ
احمدُ اللهَ ولا بدَّ لهُ بيديهِ الخيرُ ما شاء فعَلْ
من هداهُ سُبُلَ الخير اهتدى ناعمَ البالِ ومن شاء أضلْ

وقال أفنون (شعراء النصرانيّة ١٩٣) :

لعمرك ما يدري امرؤٌ كيف يتّقي اذا هو لم يجعل لهُ اللهَ واقيا

وقال الآخر :

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فاوّلُ ما يجني عليهِ اجتهادُهُ

وقال عليّ في المعنى (ص ٤) : « توكّلْ على الله يَكفِك » . وهذا كثير في الاسفار المقدّسة . قال في المزامير (٥٤ : ٢٣) : « ألقِ على الربّ همّك وهو يَعُولك » . وقال (١٢٦ : ١) : « وان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون » . وقال بطرس في رسالتهِ الاولى (٥ : ٧) : « ألقوا عليه همّكم فهو يعتني بكم »

وفي ديوان حاتم الطائي قوله (شعراء النصرانيّة ص ١٢١):

كُلُوا الآنَ من رزقِ الإله وأبشِرُوا فانّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

هو كقول المخلص في انجيل متّى (٦ : ٣٤): « لا تهتمّوا بشأن الغد فالغد يهتمّ بشأنه »

وقد اقتبس أميّة بن ابي الصلت من تسبحة الثلثة فتية (دانيال في تسابيحه فقال (شعراء النصرانيّة ٢٢٧):

تسبّحهُ الطيرُ الجوارحُ في الفلا واذ هي في جوّ السماء تُصعّدُ
ومن خوف ربّي سبّح الرعدُ فوقنا وسبّحهُ الاحجارُ والوحشُ أبّدُ
وسبّحهُ الثيرانُ والبحرُ زاخرًا وما طمّ من شيء وما هو مُتلِدُ

واستمدّ من سفر حزقيال (ف ١٠) وصف الملئكة فقال:

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجّدُ
ومنهمُ مُلِفٌّ في الجَنَاحَينِ رأسَهُ يكادُ لذكرى ربّهِ يتفصّدُ

واقتبس الآخر قول اشعيا (٤٠ : ١٨) « بمن تشبّهون الله واي شيء تعادلون به » فقال:

وليس كمثل الله شيء ولا لهُ شبيهٌ تعالى ربّنا أن يُحدّدا

وشبّه داود في المزامير (٣٢ : ١٤) واشعيا في سفر نبوّته (٤٠ : ٢٤) زعماء الارض بعصافة يتلاعب بها الريح فأخذ هذا التشبيه الحريث بن عنّاب (الاغاني ١٤ : ١٠٢) فقال:

كأنها ريشةٌ في أرضِ بلقعةٍ من حيثُ ما وجّهتها الريحُ تنصرفُ

وجاء في الاغاني (٢ : ٥٠) ان كعب الاحبار سمع رجلًا ينشد بيت الحطيئة:

مَن يفعلِ الخير لم يعدم جوازيَهُ لا يذهبِ العرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال: والذي نفسي بين يديه انّ هذا البيت لمكتوب في التوراة. قال العمري: والذي صحّ عندنا في التوراة: لا يذهب العرف بين الله والعباد. والشطر الاول ورد في رسالة القديس بولس الى اهل افسس (٦ : ٨): « مهما عمل كلّ واحد من الخير فسينالهُ من الربّ »

واقتبس الحطيئة ايضاً من الكتاب المقدس قولهُ :

ولستُ أرى السعادة جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخراً وعند الله للأتقى مَزيدُ

فهو في المزامير (مز ١١١ : ١) . وقال ايضاً بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموتاوس (٤ : ٧–٨) : « روّض نفسك على التقوى فانَّ التقوى تنفع في كلّ شيء »

وقد ذكر الربّ في انجيل لوقا (ع ٤ : ٢٢) المثل : « أيها الطبيب اشفِ نفسك » وحذَّر عن المرائي الذي يرى القذى في عين أخيهِ ويغفل عن الخشبة التي في عينهِ (متّى ٧ : ٢–٤) فاخذهُ ابن معاوية الجعفريّ فقال :

ولا تقرُبنَّ الصنع الذي تلومُ اخاكَ على مثلهِ

وقال الآخر (الاغاني (٢٠ : ٥٧)

وعاملٍ بالفجورِ يأمرُ بالبرّ م كهادٍ يخوضُ في الظُّلَمِ
او طبيبٍ قد شفَّهُ سَقَمٌ وهو م يداوي من ذلك السقمِ
يا واعظَ النَّاسِ غيرَ متَّعظٍ نفسكَ طبِّرْ او لا فلا تَلُمِ

ومثلهُ لعليّ : من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ

وقد اقتبس يحيى بن زياد قول سليمان في امثالهِ (١٠ : ١٢) « البغض يثير النزاع والحبّ يستر جميع المعاصي » فقال :

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما انَّ عين السُّخطِ تبدي المساويا

يقول العرب (الميداني ١ : ٢٩٥) : رُبما كان السكوت جواباً . ومثلهُ قول الشاعر :

اذا نطقَ السفيهُ فلا تُجبهُ فخيرٌ من اجابتهِ السكوتُ

وهذا قد ورد في امثال سليمان الحكيم (٢٦ : ٤) : لا تجاوب الجاهل بحسب سَفَهِهِ لئلّا تكون انت نظيرهُ » . وقال (٢٩ : ٩) : « الحكيم الذي يخاصم سفيهاً لا يجد راحةً »

ومن حكمهم : الصدقُ مَنجاة والكذبُ مهواة . ومثلهُ في سفر ابن سيراخ (٢٠ : ٢٦) : « الكذبُ عارٌ قبيح في الانسان » . وقال (٢٠ : ٢٨) : « شأن الانسان الكذوب الهوان وخزيُهُ معهُ على الدوام »

من اقوال العرب الشائعة: « العاقل لسانهُ في قلبهِ » وروي بين حكم عليّ بن ابي طالب (ص ٩٨) : قلب الاحمق في فيهِ ولسان العاقل في قلبهِ . قالهُ ابن سيراخ (٢١ : ٢٩) : « قلوب الحمقى في افواههم وافواهُ الحكماء في قلوبهم ». وقال في امثال سليمان (١٦ : ٢٣) : « قلبُ الحكيم يفقّهُ فمهُ ويزيد شفتيهِ فائدةً »

وروي ايضاً لعليّ (ص ٣٢) : « لين الكلام قيد القلوب » . ورد مثلهُ في ابن سيراخ (٦ : ٥) « الفم العذب يكثر الاصدقاء واللسان اللطيف يكثر المؤانسات »

وبين حكم علي أيضاً (ص ٧٢) : ذكر الآخرة دواء . وقال ابن سيراخ (٧ : ٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر اواخرك فلن تخطأ ابداً »

ومن حكم العرب (الميداني ٢ : ٦٧) : كلام كالعسل وفعلٌ كالأسل . كأنهُ تعريب آية الزبور (٦١ : ٥) : « يباركون بافواههم وفي باطنهم يلعنون » . ولابن سيراخ (١٢ : ١٥) : « العدوّ يظهر حلاوة من شفتيهِ وفي قلبهِ يأتمرُ ان يُسقطك في حفرة »

وممّا رواهُ الميداني للعرب (٢ : ١٧٩) : ما على الارض شيءٌ احق بطول سجن من لسان . قال القديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٨) : « لا يستطيع احد من الناس ان يقمع الانسان فهو شرٌّ لا يُضبط »

يقول العرب : ان شئتَ ان تُطاع فسَلْ ما يُستطاع . ومثلهُ في امثال الميداني (٢ : ١٩٩) : المرء توّاق الى ما لم ينلْ . وقد سبق ابن سيراخ فقال (٣ : ٢٢) : « لا تطلب ما يُعييكَ نيلُهُ ولا تبحث عمّا يتجاوز قدرتك »

وورد بين الحكم المنسوبة الى عليّ (ص ٦) : ثبات الملك بالعدل . وفي امثال سليمان (١٤ : ٣٤) « العدل يُعلي الأمّة » :

وروي لهُ (ص ١٠٨) : من اطاع نفسهُ قتلها ومن عصى نفسهُ وصلها . وهو منقول عن كلام الرب (متى ١٦ : ٢٥) : « من اراد ان يخلّص نفسهُ يُهلكها ومن اهلك نفسهُ من اجلي يخلّصها »

وروي ايضاً بين حكم عليّ قولهُ (ص ٧٠) : درهم الفقير اذكى عند الله من دينار الغنيّ . وهو كمثل قول الربّ عن فلس الارملة (مرقس ١٢ : ٤٣) : « انّ هذه الارملة الفقيرة القت اكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة »

ومنها (ص ٣٢) : كلام الله دواء القلوب . وقد سبق اليه في المزامير حيث قال (غز ١٨ : ٨) : شريعة الرب كاملة تردّ النفوس . امر الرب مستقيم يفرّح القلب

ومنها ايضاً (ص ١٤) : ذليل الخلق عزيز عند الله . ورد في رسائل بولس (١ كو ١ : ٢٥) : مستجهل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس

(له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

GOURAUD : Sa vie — Son œuvre par [Pierre] Gastinel, *Paris, Picart*, 1918. *pp.* 62.

ترجمة الجنرال غورو

اهدتنا المجلّة الفينيقية لصاحبها الاديب شرل قرم نسخة من ترجمة دولة القائد العام الجنرال غورو كتبها احد العارفين به حقّ المعرفة . فقرأناها بايّ لذّة وزاد بمطالعتها اعتبارنا لذلك البطل الذي مثّل في شخصه الشهامة والمروءة وحسن السلوك في كل اطوار عمره . فانهُ حقيقة احد الافراد الذين لا ترى لهم شائبةً في حياتهم . فنحضّ كلّ من يريد ان يعرف نعمة فرنسة الى سوريّة بتعيينها هذا الجنرال لرعاية بلادنا ان يمعن النظر في هذه الترجمة ل . ش

L'Industrie de la Soie en Syrie par Gaston Ducousso attaché au Consulat Général de France à Beyrouth, *Beyrouth, Imprimerie Catholique*, 1913. *pp.* 239.

صناعة الحرير في سورية

هذا كتابٌ اهداهُ الينا صاحبهُ الاديب المسيو دو كوسّو اللاحق بقنصلية فرنسة في بيروت قبل الحرب فلم يسمح لنا الوقت بتعريفهِ . مدارهُ على صناعةٍ عليها معوّل حياة الوف من اهل سوريّة ولبنان اعني صناعة القز والحرير . جمع فيهِ المؤلف كلّ ما يختصّ بهذا الفنّ لم يدع صغيراً او كبيراً من احوالهِ الّا بحث فيهِ . كتاريخ هذه

الصناعة في انحاء الشام منذ اوّل دخولها في عهد ملوك الروم وبيـان ترقّيها بتوالي الاعصار ثم المتاجرة بها مع اوربّة ولا سيما دولة فرنسة. ثمّ انتقل الى وصف كلّ موادّها ومتعلّقاتها كغرس التوت وتحصيل البزر وتربية القزّ وتشغيل المعامل ووصف ادواتها القديمة والحديثة وبيان الطرق الى تحسينها ثمّ ذكر المصنوعات الحريرية. وهناك برامج وجداول غاية في الضبط توقف القرّاء على كل محصولاتها وارباحها مع عدّة تصاوير تمثّل للعيان بعض الادوات المستحدثة والفبالج ومعامل الحرير ممّا يجمع بين اللذة والمنفعة. هذا الكتاب لا يستغني عنهُ الذين يتعـاطون في بلادنا صناعة القز فانّهُ كلّهُ فوائد

ل. ش

P. B. Cattan : I° La Donna araba prima e dopo Maomotto = 2° La Chiesa Copta nel Secolo XVII, *Roma*, 1916-1919.

المرأة العربيّة في الجاهليّة والاسلام – الكنيسة القبطيّة في القرن السابع عشر

هاتان مقالتـان حسنتان نشرهما في مجلة بسّاريون حضرة وطنينـا الخوري باسيليوس قطّان مدرّس العربيّة في رومية. ففي المقـالة الاولى تتبّع احوال المرأة العربيّة قبل الاسلام وبيّن ما كان لها من المقام ووصف ما ذكرهُ عنها قدماء الكتبة في سيرتها الخاصّة والعمومية ومن حيث الدين والآداب ثمّ قابل بينها وبين المرأة في الاسلام وشرح سبب انحطاطها وما يؤمّل لنهضتها. وخصّص المقالة الثانية للبحث عن احوال الكنيسة القبطية في القرن السابع عشر مستندًا الى ما ورد عنهـا في ثلاث رسائل مخطوطة وقف عليها في سجلّات المكتبة اللنشية كتبها احد بطاركة الاقبـاط وبعض كهنتهم ومدارها عـلى انضمام ملّتهم الى الكنيسة الرومانية. فنشرها حضرة الاب قطان ونقلها الى الايطاليّة واضاف اليها عدّة ملحوظات لفهم مضامينها. وقد مرّ في الشرق كتابات بهذا المعنى. فنشكر حضرة الاب على اخراجه هذه الآثار من زوايا النسيان

ل. ش

Albert Valensin : Lucien Chabord, 2e *ed. Paris, Gabalda*, 1918, *pp.* VII-82.

ترجمة شهيد وطني لوسيان شابور

لوسيان شابور شابٌ في مقتبل العمر كان دخل في الرهبانيّة اليسوعيـة حديثًا

كمتدئ اذ دعاهُ وطنهُ الى الحرب مع عدة رهبان مثلهُ فما كان منهُ الّا أن لبّى دعوة الوطن بكل شهامة وابلى فيها احسن بلاء حتّى نال الامتيازات الحربية وترقّى الى رتبة ليوتنان. الّا انّهُ وجد في الحرب وسيلةً جديدة لتقديس نفسهِ وخلاص جنودهِ الذين اكتسبهم للفضيلة والتديّن فكان بينهم رسولًا حيًّا يجلّهُ الكل ويعتبرونهُ. ولمّا قُتل في ساحة الحرب أسف عليهِ ارفاقهُ كأعز الاصدقاء. وقد نشر حضرة المؤلف الذي علّم مدّةً في كليّتنا رسائل المترجَم قد أشعر بها عن عواطفهِ السامية وتعلّقهِ بدعوتهِ فجاء الكتاب من اجود ما يطّلع عليهِ الشُّبان ليقرنوا مثلهُ بين حبّ الدين والوطن ل. ش

P. Henri Lammens: La Syrie et sa Mission historique. *Le Caire*, 1915 — L'évolution historique de la Nationalité Syrienne, (*La Revue Phénicienne*).

محاضرتان عن سورية ومقامها وعناصرها

لا يجهل احد من قرّائنا الدروس التي نشرها حضرة الاب لامنس في المشرق عن لبنان وسوريّة ومع بُعدهِ عنّا منذ نحو ١٥ سنة لم ينسَ هذه البلاد التي تعشّقها. ومن الدليل على ذلك هاتان المحاضرتان اللتان تلاهما في نوادي الادباء في مصر بيّن فيهما ما خُصّت بهِ سوريّة من المقام الممتاز بوقعها وسط آسية المتقدّمة كحلقة ذهبية جامعة بين ثلث قارات العالم القديم ثمّ تتبّع تاريخ الشعب السوري في اطوارهِ المتوالية وثباتهِ على عنصرهِ الاصليّ رغماً عن كلّ التقلبات التي حدثت فيهِ بتملّك الدول المختلفة عليه. وقد بيّن حضرتهُ هذه الامور بما عُهد عليهِ من البلاغة

لبنان في الحرب

بقلم الخوري انطون يمين (الجزء الاوّل بيروت ١٩١٩ ص ١٨٦)

اخذت الاقلام الحرّة توقفنا على حقائق الامور التي جرت في هذه الاقطار مدّة الحرب العمومية اذ كانت تضغط علينا يد الاتراك فيوسعونا آلاماً. وكتاب حضرة الخوري انطون يمين بفصولهِ الشائقة وحسن تنسيقهِ ووصفهِ المدقّق لاهمّ حوادث تلك الايّام المشؤومة يستحقّ اعتبارًا خصوصيًّا فنحضّ اهل الوطن على اقتنائه ليدركوا ايّ نعمة اسبغ بها الله على بلادنا اذ كسر نير الدولة العثمانية عن عاتقنا

لبنان الكبير

محاضرة للكاتب الاجتماعي عبدالله بك رزق‌الله خبر (بيروت ١٩١٩ ص ٢١)

قد كثر القال والقيل في هذه الاونة الاخيرة عن لبنان واتساع حدوده واستقلاله التامّ او استقلاله النوعي. فتعدّدت الآراء وتضاربت الاقوال وانّنا نرى ان صاحب هذه المحاضرة قد اصاب المرمى اذ قرّر اولًا انّ لبنان لا غنى لهُ عن سواحله وسهوله البقاعيّة. وعن دولة تساعدهُ في شؤونهِ الاقتصاديّة والاداريّة وانّ هذه الدولة هي فرنسة التي طالما فدت لبنان بمالها ودمها واظهرت لها من الحب والتفاني ما لم يُذكر لدولة غيرها. فنهنّئ جناب الخطيب ونتمنّى ان يحظى كلامهُ بالغاية المرغوبة لدى الخاصّ والعامّ اذ فيه صالح البلاد وخير العباد ل. ش

العقد النضير

هذه احدى القلائد التي حلّى بها الشعراء جيد غبطة بطريرك لبنان الكبير السيّد مساري الياس بطرس الحويك بعد عودهِ ظافرًا بمطاليب اللبنانيين وهي من النظم المنتقى الذي امتاز به حضرة البرديوط بطرس حبيقه رئيس مدرسة القديس بطرس في بسكنتا (لبنان)

فلم تكُ تصلح الّا لهُ ولم يكُ يصلح الّا لها

الشكوى: مناجاة الارواح — محاورة حكيم

من نظم الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي (مصر ١٩١٥–١٩١٨ ص٥٦ و٤٠)

هذان مجموعان من القصائد والمقاطيع التي دبّجها يراع شاعر الشهباء حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت في مصر مدّة اقامتهِ هناك في اوان الحرب العامّة. افتتح المجموع الاول بثناء عاطر على جلالة السلطان حسين الاوّل كمال ثمّ على الشاعرين الناثرين ميخائيل افندي صقّال ويوسف بك شلحت وعقّبهُ بمناجاة ارواح مشاهير الشهباء المسيحيين الذين اطنبنا غير مرّة في محامدهم في المشرق فعانقت روحهُ ارواحهم فاستحقّ ان يُلحق بسلسلتهم الذهبيّة. امّا محاورة الحكيم فنظمَ سلكها قبل رجوعهِ الى الوطن وصدّرها بعقد لواء الثناء على جلالة السلطان فؤاد

الاوّل وعلى جمعيّة الامم على اثر صدور منشور قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر الداعي فيها الامم الى الصلح. ثمّ اردفها بثلاث محاورات وجّهها الى رئيس الديوان السلطاني محمود شكري باشا ووصل بها نحو ١٠ قطعة من قلمه السيّال انشدها في علية المصريين من اهل الدين والدنيا . لا زال ناظمها سنداً للآداب وفخراً للشهباء.

شذرات

نسخة من تاريخ البطريرك اسطفانوس الدويهي عثرنا على نسخة من تاريخ المسلمين للبطريرك الماروني العلامة اسطفانوس الدويهي كتبت في اوائل القرن التاسع عشر بالكرشوني. والتاريخ المذكور جامع بين التاريخين الديني والمدني فامّا الديني فنشره بالطبع المرحوم رشيد الشرتوني امّا المدني فلا يزال مخطوطاً وانّما طُبع منهُ قسم على الحجر. وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة مخطوطة في تاريخ سنة ١٨٩٥ مسيحيّة

وفي النسخة الكرشونيّة التي وقفنا عليها نبذة للدويهي لم نجدها في غير هذا الكتاب نثبتها هنا بحرفها لئلّا تُفقد ضياعاً وموضوعها بعض اديرة لبنان

[illegible]

فلمّا كان تاريخ سنة ١٦٩٠ في التشارين كان تجديد مجلس دير مار سركيس في اهدن راس النهر وذلك انّ العمار القديمة كانت على قناطر في النحتي والعلي وبعد ما ترعزعت رمّمها ابن عمّنا المطران بولس المرحوم مرّتين. وبعد منه سكن في الدير ابن اخينا الخوري ميخائيل ورمّ قناطره في زمانه . ثمّ بعد مدّة من الزمان التناطر رفضت الحائط الغربي وانشقّ السقف ثبت مدّة لا احد يسكنهُ ولا يجرفهُ ولا يعدله حتّى دثر اثاثه فاوضعنا يدنا عليه وعزّلنا التناطر كلّها واقمنا حائط متين في الوسط وعمّرنا قبوين في السوق الجوّاني قدّام كلّ كنيسة قبو . وفوق منهُ قلالي والسوق البرّاني على خشب واقمنا الحائط الغربيّ من الارض وطالع

وكانوا المعلمين اربعة من رشيا والمتكلم عليهم ولدنا القسّ جرجس البنّاء المارونيّ اصلهُ من قرية اميون في الكورا ودوّرنا طاحون وكل دائرها خير ما كانت اوّلاً

ثمّ اننا رفعنا ابن عمّنا القسّ جبرائيل الى درجة المطرنيّة وصرفناهُ فيه وكذلك في سنة ١٦٩١ عند ما ترهّب ابو ميخائيل انطونيوس بن اصنون مسكنا بيده وعمّرنا لهُ دير مرت مورا فكان كلهُ خراب ما خلا الكنيسة وعمّرنا السوق الشمالي والمزانة التي بين الكنيسة والدير اقيمة فوق منهم عليّتين اسأل الحقّ سبحانهُ وتعالى يرزقنا شفاعة هؤلاء القديسين ودعاء الكهنة والرهبان الذين يخدمونهم . ثمّ حدث ان هبط حائط سيّدة حوقا البرّاني الذي هو داخل الدارة وبادرنا في مجيبة المعلمين وفي اصلاحها وكان ذلك في ايّام اخينا المطران يوسف سليمان المترؤس على الدير المذكور كانت سنين صعبة بسبب عزلة بيت حمادي من الحكم وتغيير الدول سبحان من يغيّر ولا يتغيّر ثمّ في سنة ١٦٩٥ اندعوا اولاد عميره على بساتين دير راس النهر في قرية زغرتا وكنّا نحن غائبين فدفعنا لهم ثلاثين غرش وابطلنا دعوتهم قدام اولاد الضيعة وكتبوا لنا حجّة ان ما لهم حقّ ولا مستحقّ في دير راس النهر ولا بشيء من رزق ساحل جبيل تحريرًا في سنة ١٦٩٧ ولله مجدًا دائمًا

سرعة تموّجات التلغراف اللاسلكيّ قد جهّز ارباب برج ايفل في باريس ادوات غاية في الدقّة والتأثير ليقيسوا بها سرعة التموّجات المنتشرة في الجوّ من ذلك البرج الى محطّات أخرى من مستعمراتهم في افريقيّة ذهاباً واياباً فتحقّقوا انّ سرعة تلك التموّجات كسرعة انتشار النور عينه الذي يقطع في الثانية ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر بنيّف فينتج من ذلك ان التموّجات اللاسلكية يمكنها في الثانية ان تدور كالنور سبع مرّات حول دائرة كرتنا الارضيّة التي يبلغ قياس دائرتها ٤٠،٠٠٠ كيلومتر فقط . فترى بايّ سرعة تنتشر الاخبار بالتلغراف اللاسلكيّ من اقاصي العالم الى اقاصيه باخفّ من طرفة العين

حلّابة صناعيّة لم يدع الاوربيّون ضرباً من فروع الصناعة الّا يطلبون لهُ ترقّياً فمن ذلك وضعهم لآلات صناعية يحلبون بها البقر . ومنها وضعهُ آخرًا في بلاد اسوج احد ارباب الفلاحة المدعو الفيفن (Alfeven) آلةً ذات اربع مصّاصات صناعية توضع على اخلاف البقرة فتحلبها حلباً محكماً غاية في النظافة . والآلة تتحرّك باداة كهربائية وبهذه الطريقة يمكن حلب بقرات عديدة في وقت واحد . والآلة كلها مع المحرّك الكهربائي ووعاء الحلب لا يزيد وزنها على عشرة كيلوغرامات و١٤٠ غراماً

أسئلة وأجوبة

س. سأل مستفيد ما اصل الالفاظ الآتية : صباهي (spahi) وسراي وزواف وطربوش

اصل صباهي. سراي. زواف. طربوش

ج صباهي لفظة فارسيَّة والصواب كتابتها بالسين سپاهي اصلها سپاه ومعناها العسكر والفرسان . والنسبة اليها سپاهي. وهي في الاصل فرقة من فرسان اهل الجزائر في خدمة الفرنسويين — واصل سراي من التركية « سرا » معناها القصر — والزواف كلمة عربية وهي علَم لاحدى قبائل الجزائر اصلها زواوة ورد ذكرها في تواريخ المغرب لابن خلدون وغيره — امَّا الطربوش فاصلها سربوش كلمة فارسية مركَّبة من سر اي رأس وپوشيدن اي غطّى بمعنى غطاء الرأس

س. وسُئلنا أصحيح ما ورد في الهلال (ص. ٢ من السنة ١٩٢٦) ١ً انَّ سبب نسبة المحافل الماسونية باسماء شرقية كسوريا وفلسطين والاردن هو الاعتقاد الشائع بأن سليمان الحكيم هو مؤسس الماسونية. ثم ٢ً انَّ الحبر الاعظم يحلق شعر رأسه ووجهه وحاجبيه

نسبة المحافل الماسونية باسماء شرقية — علاقة الحبر الاعظم لشعره — رسالة انتيلوس

ج نسبت الماسونيَّة الى سليمان الحكيم احدى الخرافات التي اوردها صاحب الهلال في كتابه تاريخ الماسونيَّة وقد فنَّدنا هذا الرأي مع غيره من مزاعم الماسونيَّة في كتابنا السر المصون في شيعة الفرمسون (ص ٧) — امَّا كون الحبر الاعظم يحلق رأسهُ وحاجبيه فلا صحَّة لهُ وانَّما يحلق شعر وجهه فقط وهي عادة جرت عند اكليروس الغرب منذ نحو ٢٠٠ سنة ولا علاقة لها بالدين . امَّا الرأس فلا يُحلَق منهُ سوى الاكليل دلالةً الى اختصاص الاكليروس عموماً بخدمة الله

وامَّا ما رواهُ الهلال في جوابهِ عن وصف هيئة السيِّد المسيح فنقول عن رسالة مزوَّرة لا اصل لها فنتعجَّب كيف الهلال يذكرها كاثر تاريخي وقد فنَّدناها سابقاً في المشرق (٩ [١٩٠٦]: ٤٣٩—٤٤٣) ل.ش

السنة الثامنة عشرة العدد ٣ آذار ١٩٢٠

المشرق

الرتبة الكردينالية والكرادلة الشرقيون

درس تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في اوائل شباط من السنتين ١٩١٩ و١٩٢٠ حظينا بمشهد قلّما نظرت مثلهُ اصقاعنا السوريّة في الاحقاب السابقة بل في القرون الغابرة حيث حلَّ في ربوعنا رجلان من ارباب الدين لهم في بيعة المسيح ارفع رتبة بعد الحبر الاعظم في تدبير شؤون الكنيسة الرومانيّة والشعب المسيحي المنبثّ في كلّ اقطار العالم نريد بهما نيافة الكردينالين فرنسوا بورن رئيس اساقفة وستمنستر الانكليزيّ والسيد لويس ارنست دوبوا رئيس اساقفة روان الفرنسوي . مرَّ علينا الاوّل مسرعاً بصفة غير رسميّة قبل عودتهِ الى حاضرة بلادهِ فما كدنا نستبشر بقدومهِ حتى اسفنا على فراقهِ . امّا الثاني فقد قدم علينا رسمياً بصفة رسول السلام من قبل الكرسيّ الرسولي ودولتهِ الفرنسويّة مصحوبا باسقفين جليلين اسقف مان واسقف غاب . وكانت بيروت موعودة بتشريف نيافتهِ منذ عدّة اشهر والقلوب تائقة الى مشاهدتهِ عاشقة لشخصهِ الكريم قبل وروده لما بلغها من اوصافهِ الفريدة فلمّا رأتهُ فاق الخبر على الخبر . فما وطئت اقدامهُ ساحل بيروت في صباح يوم الاحد الواقع في غرّة شباط حتى اهتزَّ البلد طرباً لقدومهِ وخفّت الجماهير المجمهرة الى استقبالهِ بما امكن من مجالي العزّ والاكرام . وقد لاح وقتئذٍ بين ابناء الوطن من الائتلاف والوفاق ما أثلجت بهِ الصدور وقرّت العيون وقد نشرت الجرائد والصحف فصولا واسعة في وصف ذلك الاستقبال الفخيم فاغنتنا عن التكرار

وكأني بالقرّاء الكرام يقترحون علينا مقالاً نبيّن فيهِ خواصّ الرتبة الكردينالية

ويسألوننا أنال احد من الشرقيين هذا المنصب السامي. فاجابةً الى هذا الملتمس افردنا هذه النبذة فنودعها خلاصة ما يُعرف عن اصل تلك المرتبة ومعناها ومميّزاتها مع ذكر من نالها من ابناء الشرق

١ اسم الكردينال

الكردينال لفظة محرّفة من كلمة لاتينيّة (cardinalis) هي نسبة لموصوف (cardo) يراد به محوَر الباب والحديدة التي يدور عليها فيكون المعنى المحوَري او ذا المحور او المتوسط بالمحوَر . ثمّ انتقلوا بالمجاز الى معنى الاصليّ والاساسي فقالوا الفضائل الكردينالية (vertus cardinales) يريدون بها الفضائل الاصليّة الاربع اي القوّة والعدل والفطنة والقناعة كما نعتوا الاعداد الاصليّة بالكردينالية (nombres cardinaux) ومثلها جهات العالم الاربع (points cardinaux) فلمّا ارادوا الدلالة على بعض الرتب الاصليّة في الكنيسة دعوها ايضاً بهذا الاسم

٢ اصل هذه الرتبة واختصاصها بالكنيسة الرومانية

ورد اسم الكردينال لاوّل مرّة في الربع الاوّل من القرن الرابع للميلاد في عهد قسطنطين والبابا القديس سلوستر حيث يدعى بعض شمامسة كنيسة رومية باسم الكرادلة . ولنا في امضاء يوحنّا احد شمامسة الكنيسة الرومانيّة شاهد آخر على ذلك فيذا كان على عهد البابا القديس دماسوس (٣٢٦—٣٨٤ م) وقد وقّع على تقرير باسم الحبر الاعظم بهذا الامضاء « انا يوحنّا الشمّاس كردينال الكنيسة الرومانيّة »

على انّ هذا الاسم لم يكن مختصاً في القرون الاولى بالكنيسة الرومانيّة فكان شائعاً في الكنائس المختلفة يطلقونهُ على الشمامسة الانجيليين والكهنة المتعاقبين بخدمة احد المراكز الدينيّة والكنائس الكاتدرائيّة بصفة ثابتة فيدعى صاحبها كردينالاً او ذا الوكالة (titulatus)

ومن الآثار المنبئة بذلك احد قوانين مجمع قيصريّة قبادوقية ذكرهُ البابا القديس زكريّا (٧٤١ — ٧٥٢) في رسالته الى بابين القصير ملك فرنسة سنة ٧٤٨ وهذا تعريبهُ : « يجب على كهنة القرى الخضوع للاساقفة وللكهنة الكردينالية »

فلادراك معنى ذلك ينبغي ان تعرف نظام كنائس المدن قديما لاسيما المدن الكبرى . فانَّ الاسقف كان يحاطاً بعدد من الكهنة والشمامسة يعضدونه في رئاسته الرعائية فيعهد الى كلٍّ واحدٍ منهم خدمة قسم من المدينة وهم غالبا يعيشون في دارهِ الاسقفيَّة ويستشيرهم في امور الكنائس الراجع حكمها الى تدبيره في الولاية . وقد بقي مثل هذا النظام في كنائس الشرق الى ازمنتنا

٣ النظام الكردينالي في الكنيسة الرومانية

انَّ الكنيسة الرومانيَّة لقدم عهدها واتصالها بالرسل الكرام قد سبقت كل الكنائس الى النظام الذي ذكرناهُ آنفا . فقد جاء في اقدم كتاب دُوِّنت فيهِ اعمال الاحبار الرومانيين منذ قرون النصرانيَّة الاولى وهو الكتاب المعروف بالخبري (Liber Pontificalis) الذي سعى بطبعهِ المنسنيور دوشان (Mgr. Duschesne) في الجزء الاوَّل (ص ١٢٢) انَّ القديس كليتوس الخليفة الثاني لبطرس الرسول رسم ٢٥ كاهناً بامرهِ وقبل استشهادهِ ليقوموا في خدمة إمام الاحبار . وجاء هناك (ص ١٢٦) انَّ القديس البابا اثاريستوس وهو الرابع بعد هامة الرُّسل (٩٩ — ١٠٠ م) وكان من بلادنا السوريَّة قسَّم مدينة رومية الى عدَّة رعايا جعل على كلِّ رعيَّة منها كاهناً وشمَّاساً لتدبيرها . ويقال فيهِ (ص ١٤٨) انَّهُ اقتفى ببطرس الرسول الذي اقام سبعة شمامسة في رومية لخدمة رئيس الكنيسة . وامرهم بان يحدقوا بالاسقف اذا خطب واعظاً . ثم عهد اليهم البابا القديس فابيانوس (٢٣٦ — ٢٥٠) ادارة شؤون المؤمنين ومساعدة الفقراء في سبعة احياء رومية وكلَّما ورد ذكر هؤلاء الكهنة والشمامسة أُطلق على مهنتهم اسم الوكالة (titulus) وصاحبها يدعى ذا الوكالة (titulatus) او ذا المحوريَّة (incardinatus) . ومن الآثار الثبتة لاسماء الكهنة المذكورين توقيعهم على المجمع الروماني الذي عُقد في غرَّة آذار سنة ٤٩٩ فهم ٢٥ عدا وقد ورد مع اسمائهم اسم الأحياء التي عهدت الى نظارتهم وكانوا متوطنين بكنيسة مار يوحنَّا اللاتراني التي هي بين كنائس رومية العديدة مركز وكرسي الحبر الاعظم ولذلك تدعى بامّ كنائس العمور ورأسها

٤ درجات الكردينالية الثلاث

ثبت في الفصل السابق انَّ كنيسة رومية كانت حاصلة على الرتبة الكردينالية يتولَّاها بعض الشمامسة والكهنة المحدقين بشخص الحبر الروماني فيلوح من ذلك انَّ تلك الرتبة كانت ذات درجتين . اي كرادلة شمامسة وكرادلة كهنة . ثمَّ اتسعت دائرة اعمال الكنيسة الرومانيَّة وزاد نفوذها جيلًا بعد جيل . فاضطرَّت زيادة الاشغال ليس فقط الى زيادة عدد الكرادلة الشمامسة الذي بلغ اربعة عشر وعدد الكرادلة الكهنة البالغ اليوم الى خمسين بل اوجبت ايضاً الى اضافة بعض الكراسي الاسقفيَّة القريبة من رومية او في ارباضها . (évêques suburbicaires) . واوَّل اثر ورد فيه ذكر الكرادلة الاساقفة كان في عهد البابا اسطفانوس الثالث سنة ٧٦٧ . وهذه اسماء الكراسي التي خُصَّت بالرتبة الكردينالية : أوستية وبورتو والبانو وفرسكاتي وبالسترينة وسابينه . فان هذه المدن يجلس على كراسيها اساقفة كرادلة . وبهم يبلغ عدد الكرادلة سبعين على عدد السبعين تلميذاً الذين ذكرهم القديس لوقا في انجيله (ف ١٠) وذكرًا السبعين شيخاً الذين دعاهم موسى الكليم لمساعدته في القضاء على بني اسرائيل (سفر الخروج ف ١٨)

على انَّ هذه الدرجات لم تدلَّ فقط على مجرَّد الخدمة او مجرَّد الشرف بل كانت في الكنيسة الرومانيَّة منذ اعصار الكنيسة الاولى تشير الى رئاسة ورتبة سياسيَّة فانَّ الاكليروس الروماني كان كحاشية الحبر الاعظم يمثل بهيئته السلطة الكنسيَّة وكان اذا توفيَّ البابا هو الذي يتولَّى تدبير الكنيسة الى ان يقام خلفٌ للمتوفَّى . لنا على ذلك عدَّة شواهد قديمة منها رسالة للاكليروس الروماني وجَّهها كهنته وشمامسته يوم فراغ كرسي رومية الى القديس قبريانوس رئيس اساقفة قرطاجنَّة يحلُّون فيها بعض المشاكل الحاصلة بسقوط قوم من الجاحدين للايمان في ايَّام اضطهاد دقيوس سنة ٢٥١ ثم أرسلت تلك الرسالة الى كل كنائس العالم ليقوموا بموجبها

واعلم انَّ الدرجات الكردينالية الثلاث لا تدلُّ على انَّ الكردينال الشمَّاس ليس بكاهن او ان الكردينال الكاهن ليس باسقف وانَّما هي تدلُّ فقط على انَّ المقامات الدينيَّة في رومية في القرون الاولى كانت في عهدة احد الشمامسة او احد

الكهنة . فان الكردينال غالباً اسقف سواء كان من رتبة شماس او من رتبة كاهن فان نيافة الكردينال بورن مع كونه رئيس اساقفة وستمنستر هو فقط كردينال كاهن ومثلهُ نيافة الكردينال دوبوا . ويجوز ان يُمنح المنصب الكردينالي لمن لم يتسم بغير الدرجات الاكليريكيَّة المعروفة بالصغرى فلا يكون الا من درجة الشمامسة

٥ الرتبة الكردينالية منذ القرون الوسطى

بلغ الاحبار الرومانيُّون اوج الرفعة والعز في القرون الوسطى بعد ان اقطعهم پاپين القصير ثم شرلمان الاقطاعات الواسعة وملَّكوهم عليها . فأضحت اذ ذاك رتبة الكرادلة اعظم فخراً وارفع شأناً . فكان الحبر الروماني يستخدمهم في كلّ مهامّ الكنيسة فيرسلهم سفراء الى الملوك ويجعلهم نوَّابا عنهُ في المجامع المنعقدة خارجاً عن رومية ويفوّض الاساقفة منهم ان يقيموا الحفلات الدينيَّة في كنيسة مار يوحنا اللاتراني الملكيَّة كلّ واحد بنوبتهِ . واخصّ ما اسند الى الكرادلة انتخاب الحبر الروماني عند فراغ الكرسي الرسولي بوفاة صاحبهِ او باستعفائهِ متنزّلاً عنهُ برضاهُ كما فعل القديس سلستينوس الخامس . وهذه النعمة خوَّلهم اياها البابا نيقولاوس الثاني سنة ١٠٥٩ بعد ان كان يتمّ ذلك الانتخاب بواسطة الاكليروس والشعب الروماني وانَّما استثنى منهم الكرادلة الذين لم يقبلوا درجة الشمامسة الانجيليين . ومنذ القرون الوسطى صار اسم الكردينال مختصاً بالكنيسة الرومانيَّة دون سواها . وقد شرَّف منهم كثيرون عالم الدين والدنيا كالقديسين بطرس دميان وبوناونتورا والثابتين بادونيوس وبلرمينوس اليسوعي

٦ تنصيب الكرادلة

تنصيب الكرادلة محفوظ للحبر الروماني وحدهُ لا يقيمهم سواهُ . فهو يقلّدهم ذلك المنصب اين ومتى وكيفما شاء كما يرى الامر مناسبا . لكنهُ عادةً يأخذ في ذلك رأي المجلس الكردينالي . ويجري في انتخاب المرشَّحين لذلك المقام بموجب قوانين سنَّها الاحبار السابقون لانتخاب رؤساء الكنائس واركانها فلا يدعو الى هذه الرتبة الَّا من امتاز بالفضل والفضيلة او اشتهر بعلمهِ وخدمهِ الكنيسة . ومن ذلك

ما نهى به البابا سكستوس الخامس عن منح الرتبة الكردينالية لمن لم يبلغ السن القانوني اي ٢٢ للكرادلة الشمامسة و٢٥ للكرادلة الكهنة و٣٠ للكرادلة الاساقفة

واذا عيّن البابا احداً للرتبة الكردينالية يعلن به رسمياً في احدى جلسات حاشيته العمومية (Consistoire) ومذ ذاك ينظم في سلك الكرادلة وينال كل امتيازاتهم ولو كان بعيداً. واذا حضر جعل على رأسه القلنسوة المقرنة الحمراء مع القبعة الحمراء وجعل في اصبعه خاتماً من الياقوت وخصه باحدى كنائس رومية. فان الكردينال بورن جُعلت وكالته على كنيسة القديسة بودنسيانة الشهيدة والكردينال دوبوا على كنيسة مريم الملقبة بأكويرو. ومن العادات الجارية عند حضور الكردينال الجديد ان الحبر الاعظم يفتح شفتيه ويطبقهما اشارة الى ما يُنتظر منه من حسن المشورة ومن الفطنة في الكلام وحفظ اسرار المجلس البابوي

وربما اختار البابا لمنصب الكردينالية احد المرشحين دون ان يصرح باسمه جهاراً وانما يشير اليه فقط ريثما يعلن به. وهذا المختار يقال له كردينال سري (in petto) وهو لا يُنظم في قلادة الكرادلة حتى يعرف به البابا علانية. واذا مات الحبر الاعظم قبل التصريح باسمه عُدَّ انتخابهُ مُلغى

ومما يجدر بالذكر انَّ البابوات مع حريتهم التامة في ترشيح الكرادلة قد منحوا سابقاً للملوك الكاثوليك ان يرشحوا بعض اهل دولهم الى الكردينالية فيخولهم رئيس الكنيسة هذه الرتبة اكراماً لهم ليكونوا قريباً من الكرسي الرسولي ويتوكلوا بامور دولتهم لديه. والدول المذكورة اربع فرنسة والنمسة واسبانية والبورتغال. فيدعونهم لذلك بكرادلة الدول (Cardinaux de Curie) وقد لعب هؤلاء الكرادلة دوراً مهماً في انتخاب البابوات. اما اليوم فقد بطل نفوذهم السابق. فيختار الاحبار الرومانيون للرتبة الكردينالية من شاؤوا من جميع الدول دون مداخلة الامراء والملوك

٧ امتيازات الكرادلة وشارتهم

ان منزلة الكرادلة في الكنيسة في معية الحبر الاعظم ومشاطرتهم الاهتمام بشؤون الدين في كافة المعمور قد جعلتهم في مقام رفيع فوق كل المراتب الكنسية

فيتقدّمون على سائر درجاتها من كونة واساقفة وبطاركة وذلك حتى في المجامع المسكونيّة ولو كانوا شمامسة فقط كما اشار اليه البابا اوجانيوس الثالث (١١٤٥–١١٥٣ م) ثمّ اثبتهُ لاون العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١) . وخصّهم اينوشنسيوس الرابع (١٢٤٣ – ١٢٥٤) بالقبعة الحمراء منحها للمرشّحين من الاكليروس العالمي ثمّ عمّ بها ايضاً المرشّحين من الاكليروس القانونيّ البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ –١٥٨٥) واضاف اليها البابا بولس الثاني (١٤٦٤ – ١٤٧١) البردة الحمراء اشارةً الى ما يُطلب منهم من تضحية النفس والنفيس في حبّ الله وخدمة الكنيسة . وامر اوربانوس الثامن سنة ١٦٣٠ بان يُنعتوا بالنيافة والسيّد الكلّي النيافة

ومن امتيازات الكرادلة ان يُعتبروا في بلاط الملوك كأمراء الدولة لهم من الاكرام ما لهؤلاء . ثم لكل كردينال شعار خاصّ (آرمة) يمتاز بهِ وهو يرمز الى بعض احوالهِ . ومن امتيازات الكرادلة ايضاً انّ الدعاوي عليهم لا ترفع الّا للكرسي الرسولي فلهُ وحدهُ الحكم عليهم في الجنايات وغيرها . ومنها ايضاً انّ المتعدّي عليهم يقع في الحرم الذي لا يستطيع حلّهُ غيرُ الحبر الاعظم . واذا مات احدهم جاز للأقدم بينهم منذ انتخابهِ ان يطلب كرسيّ المتوفّى ولو كان من درجة الشمامسة او الكهنة فيُمنَحهُ الّا الكردينال رئيس اساقفة مدينة اوستية الذي له السَّبق على الجميع فانّ كرسيَّهُ لا يرشّح اليهِ سوى اقدم الكرادلة الاساقفة لأنّ صاحب هذا الكرسي يُعدّ كأس الكرادلة . واذا وقع الانتخاب لرئاسة الكنيسة على من لم يرتسم بعد اسقفاً عاد الشرف بسيامتهِ الى كردينال اوستية وحدهُ

وفي مقدّمة هذه الامتيازات كما سبق اختيارهم للاحبار الرومانيين وذلك على حسب قوانين وشروط يجب عليهم مراعاتها . وقد افردنا لهذا فصلاً واسعاً في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٦٧٨ و ٧٢٧) عليك بهِ . . . . . .

فمن كلّ ذلك ترى ما للرتبة الكردينالية من الرفعة والشرف . ومن اعظم فوائدها انّها من اكبر اسباب الوحدة والوفاق بين الامم المختلفة والبلاد النازحة وبين مركز الايمان فاصحابها يمثلون الحبر الروماني حيثما يكونون وينوبون عنهُ في اوطانهم ولدى حكوماتهم وبذلك تزيد الروابط وثاقاً بين الرعايا والراعي الاكبر

٨ الكرادلة الشرقيون

سمعنا غير مرّة بعض الوطنيين يقولون : ما بال الحبر الاعظم لا يجعل نصيباً في ادارة الكنيسة الجامعة لاهل الشرق فيختار منهم كرادلة . فقد سها هؤلاء وفاتهم انَّ عدد الكاثوليك الشرقيين بالنسبة الى كاثوليك العالم لا يكادون يُعدُّون الّا كالواحد بالنسبة الى الستمائة ومع ذلك اذا برَّز البعض منهم بفضلهم واعمالهم فلا مانع من ترقيتهم الى تلك الرتبة بل الى رئاسة الكنيسة جمعاء. ولنا في التاريخ ما يؤيد هذا القول

فانَّ الشرق تشرَّف بتقليد رئاسة الكنيسة الى خمسة وعشرين من ابنائهِ اوَّلهم القديس بطرس هامة الرسل وآخرهم استفانوس الرابع المتوفى سنة ٧٧٢ اصلهم سوريون او يونان وردت تراجمهم في اعداد مجلّة الكنيسة الكاثوليكيَّة لسنتها الثانية (١٨٨٩) . ولولا انفصال الطوائف الشرقيَّة عن الكنيسة الرومانيَّة لكان هذا العدد اعظم

امَّا الكرادلة الشرقيُّون فان اعتبرنا خدمتهم لكنيسة رومية في جملة الاكليروس الروماني في القرون الاولى وجدنا عدداً عديداً منهم والدليل عليهِ من أُقيم منهم لإمامة الاحبار اذ ليس بالمعقول ان يُختار احد لتدبير الكنيسة الّا ان يكون في دائرتها قريباً منها اللهمَّ الّا نادراً

امَّا بعد تنظيم الرتبة الكردينالية بموجب قوانين الكرسيّ الرسولي في القرن الحادي عشر وصاعداً فانَّنا نجد ثلاثة من الشرقيين او بالحري من الطوائف الشرقيَّة نالوا تلك المرتبة وهم الكردينال بسّاريون اليوناني وايسيدورس الروسي وحسُّون الارمني ودونك لمحةً من سيرتهم

﴿ الكردينال بسّاريون ﴾ ولد في طرابزون سنة ١٤٠٣ وانكبَّ منذ حداثة سنّهِ على الدروس الدينيَّة والادبيَّة في جزائر اليونان ثم في القسطنطينيَّة فاخذ العلوم من مشاهير زمانهِ حتَّى برع فيها ثم زهد في العالم وترهَّب لكنَّ صفاتهِ الحسنة وبلاغة لسانهِ وبراعتهُ في تدبير الامور ألفتت اليهِ نظر ملك الروم يوحنَّا باليولوغ فعهد اليهِ بمهامّ مختلفة قام بها احسن قيام فتعيَّن اوَّلاً رئيساً على ديرهِ ثمَّ نيطت بهِ

رئاسة اسقفية نيقية سنة ١٤٣٦ . ولمّا عُقد المجمع الفلورنتيني (١٤٣٨—١٤٣٩) كان بسّاريون في مقدّمة المدافعين عن الاتحاد بين الكنيستين الغربيّة والشرقيّة لم يألُ في ذلك جهدهُ حتّى نهاية المجمع . فاحبّ الحبر الاعظم اوجانيوس الرابع ان يثيبهُ عن حسن جهادهِ فرقّاهُ الى رتبة كردينال كاهن مع وكالة كنيسة الرسل وذلك في ١٨ ك ١ ١٤٣٩ . واقامهُ بطريركاً على القسطنطينيّة . فخصّ منذ ذاك الحين نفسهُ لكل ما يؤول الى خير الكنيسة ووطنهِ العزيز فجدّ وكدّ ليخلص القسطنطينية من الخطر العثماني قبل الفتح وبعدهُ . ثمّ خدم الكرسي الرسولي بسفارات عديدة الى الملوك على عهد ثلثة احبار رومانيين . وكان لبسّاريون مقام رفيع بين الكرادلة فلما مات بايامهِ بعض الباباوات نال مرّتين عدّة اصوات رُشّح بها لرئاسة الكنيسة جمعاء.

وكان من اكبر السُّعاة في النهضة الادبيّة ورقي العلوم في ايطالية في اواسط القرن الخامس عشر وقد ابقى من الآثار اللاهوتيّة والفلسفيّة والادبيّة ما يخلّد ذكرهُ في التاريخ . وكان علماء زمانهِ يتزاحمون على بابهِ ليستقوا من مواردهِ . وقد خلّف مكتبةً واسعة كانت تحتوي اعزّ المخطوطات وابدعها في اليونانيّة واللاتينيّة فاورثها مدينة البندقيّة قيل انهُ كان انفق عليها نحو ٣٠,٠٠٠ ليرة . توفّي بسّاريون في رافنّة في ١٨ ت ٢ ١٤٧٢ ضحيّة غيرتهِ في خدمة الكرسيّ الرسولي ثمّ نُقلت جثّتهُ الى رومية ودُفنت بحفلة كبيرة في كنيسة الرُّسل التي كان رمّمها وزيّنها

﴿ الكردينال ايزيدورس ﴾ كان مولدهُ في اواخر القرن الرابع عشر في سالونيك على الاصحّ ودرس في مدارس القسطنطينيّة . وهو يُشبه اتمّ الشبه معاصرهُ الكردينال بسّاريون في سيرتهِ وفضلهِ وعلمهِ . لبس الاسكيم الرهباني في دير القديس دمتريوس وترأس عليهِ . وفي السنة ١٤٣٧ عُهدت اليهِ رئاسة اسقفيّة كياف وسائر روسيّة فادارها بكل حكمة وافرغ الجهد في انضمام الكنيستين الشرقيّة والغربيّة في المجمع الفلورنتيني الذي كان مع بسّاريون اصدق واعظم اركانهِ بين الروم فرقّاهُ الحبر الاعظم اوجانيوس الرابع الى الرتبة الكردينالية مع بسّاريون . ثمّ رجع الى روسيّة واعلن في موسكو باتحاد الكنيستين لكنّ قيصر روسيّة ڤاسيلي الثاني المعروف بالضرير امر بحبسهِ في بعض الاديرة وبقي هناك الى سنة ١٤٤٣ حيث

امكنهُ ان ينجو بنفسهِ ويعود الى القسطنطينية فاستكنف هناك كلّ قواهُ في نجاة عاصمة الروم من ايدي بني عثمان . ولمَّا استولى عليها محمّد الثاني سنة ١٤٥٣ اقلع الى ايطالية وعاش منقطعاً الى الصلاة والدرس والاعمال الدينيّة وقد قلّدهُ بيوس الثاني عدّة امتيازات شرفيّة واقامهُ رئيس اساقفة على قبرس . وتوفي في رومية في ٢٧ نيسان سنة ١٤٦٣ . ومن آثاره رسالتان جميلتان في فتح القسطنطينيّة ونجاتهِ من ايدي الاتراك

﴿ الكردينال انطون حسّون ﴾ ولد في حلب ودرس في مدرسة انتشار الايمان في رومية ثم أرسل الى الاستانة لخدمة الارمن الكاثوليك فاختارهُ رئيس اساقفة الارمن السيّد بولس ماروش كنائب اسقفي ورسمهُ مطراناً شرفياً على عين زربة سنة ١٨٤٢ ثمَّ خلفهُ بعد وفاتهِ في ٣ آب سنة ١٨٤٦ وكان الارمن الكاثوليك في الاستانة تحت رعايتهِ بخلاف بقيّة الطائفة التي كانت خاضعة لبطريرك قيليقية المقيم وقتئذٍ في بزمّار (لبنان) . فلمّا توفّي في هذا الدير البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن سنة ١٨٦٦ وقع اختيار الاساقفة على السيّد انطون حسّون فمنحهُ الكرسيّ الرسولي درع التثبيت ونقل الحبر الاعظم بيوس التاسع الكرسيّ البطريركي من بزمّار الى الاستانة لتعمّ هناك سلطتهُ على جميع الارمن الكاثوليك فرضي الاساقفة بذلك سنة ١٨٦٧ لولا ان بعض اصحاب الفتن ابوا لهُ الخضوع والتجأوا الى الدولة التركيّة فأيّدتهم في عصيانهم وسلّمتهم كنائس واديرة الطائفة في ممالكها فكان لذلك اسوأ وقع وحصل بهِ شقاق اضطرَّ الحبر الاعظم ان يضرب بالحرم زعيم العصاة جان كوبليان وانصارهُ . ودام الشقاق نحو ١٢ سنة التجأ في اثنائها السيّد البطريرك الى رومية فسكنها الى ان خمدت تلك الثورة بمساعي الدولة الفرنسويّة وعاد البطريرك حسّون الى كرسيّهِ ورجع معظم المتمرّدين الى الطاعة . ولمَّا كانت السنة ١٨٨٠ اراد الحبر الاعظم لاون الثالث عشر ان يمنح الارمن الكاثوليك عربوناً عن انعطافهِ وحبّهِ لهم فاستدعى السيّد انطون حسّون الى رومية ورقّاهُ الى رتبة الكردينال فتنزّل عن البطريركيّة التي خلفهُ فيها السيد اسطفان عزاريان . وبقي الكردينال حسّون في رومية مهتمّاً بتدبير امور الدين مع جمعيّة الكرادلة الى وفاتهِ سنة ١٨٨٤

فقد تشرّف الشرق بهؤلاء الثلثة الكرادلة الذين يُعدّون كثلاثة انوار في فلك الكنيسة الرومانيّة

وممّا يحقّ للشرق ان يفتخر به في هذه المدّة الاخيرة ارتقاء بطريرك القدس اللاتيني السيّد كامساي الى المنصب الكردينالي فهذه نعمة منحهُ اياها الحبر الاعظم المالك سعيدًا اراد بها اكرام الشرق وتعظيم الكرسي الاورشليمي فضلًا عن مكافأة السيّد الموما اليه الذي استحقّ ذلك بفضيلته وفضله على ابناء ابرشيته لاسيّما في ايّام الحرب العموميّة فنرفع الى نيافته تهانئنا مع تهانئ الوطن العزيز

كتاب الكتّاب لابن دستور

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثاني

وهذا باب الممدود والمقصور

١ شروط الممدود وتمييزهُ من المقصور

اعلم انّ الممدودَ كلّ كلمة آخرها همزةٌ بعد الف . وقد تكون هذه الهمزة اصليّةً وتكون مبدلةً من حرف لين وتكون زائدةً وهنّ في الكتاب سواء اذا اتّصلنَ ممّا بعدهنّ وهنّ مختلفات اذا اتّصلنَ واعلم (١) انّ الممدود والمقصور كليهما مترادفان في اللفظ بحروف العلّة وانّما يُميّز احدهما من الآخر بنظائرهما من الصحيح فما كان من المقصور مصدرًا كالهَوَى والعَمَى اعتبر بنظيره من المصادر الصحيحة وبأفعاله كالسَّهَر والعَرَج لأنّ بناء افعالها واحدٌ تقول هَوِيَ يَهْوَى هَوًى وعَمِيَ يَعْمَى عَمًى كما تقول سَهِرَ يَسْهَرُ سَهَرًا وعرِجَ يَعْرَجُ عَرَجًا . فان لم يكن قبل آخر الصحيح ألفٌ كان

نظيرهُ من مصدر المثلّ مقصورًا. وما كان من الممدود مصدرًا كالدُّعاء والعُرَاء اعتُبر بنظيرهِ من المصادر الصحيحة كالصُّراخ والنُّباح. فان وُجد قبل آخر مصدر الصحيح ألفٌ كان نظيرهُ من مصدر المثلّ ممدودًا. وما كان كالإشتراء والإستداء اعتُبر بمثل الإشتراك والإستطاف لانهما على بنائهما. وما كان صفةً كالمُعطَى والمُشترَى اعتُبر بنظيرهِ من الصفات الصحيحة كالمُدخَل والمُعتَبر. وما كان كالعزاء اعتُبر بمثل القتال. وما كان كالإطاء اعتُبر بمثل المتلاف. وما كان واحدًا مثل قفًى ورحًى اعتُبر بجمعهِ كأقفاء وأرحاء وبنظيرهِ من الصحيح مثل حجرٍ وأحجارٍ وسببٍ وأسبابٍ. وما كان مثل قضاء وعطاء ورداء (٢١) وغطاء اعتُبر بجمعهِ كأقضيةٍ وأعطيةٍ وأغطيةٍ وأرديةٍ وبنظيرهِ من الصحيح كمثالٍ وأمثلةٍ وحمارٍ وأحمرةٍ وشرابٍ وأشربةٍ وطعامٍ وأطعمةٍ. فان كان جمعًا كأهواء وأرحاء اعتُبر بواحدهِ مثل رحًى وهوًى وما يُشبهُهُ من الصحيح. وما كان مثل حمراء وسكرى صفةً للمؤنث استُدِلَّ عليهِ بمذكّرٍ كأحمرَ وسكرانَ. وما كان كالعُرَا والإلحى جمع عُروةٍ ولِحيةٍ اعتُبر بنظيرهِ من الصحيح مثل غرفةٍ وغُرَفٍ وقِربةٍ وقِرَبٍ. وربّما شذّ الشيء من الممدود والمقصور عن القياس واستُعمل على شذوذهِ فيؤخذ بالسماع من اهل اللغة. وليس عَلَم المقصور والممدود من جنس هذا الكتاب فنستقصيه ولكنّهُ يتعلّق بالإيجاء كما يتعلّقُ بهِ ولكل بابٍ منهُ ابوابٌ كثيرة من العربيّة لا يجوز ادخالها معهُ في التأليف وانّما يُطلب معرفة ذلك من معدنهِ

٢ المتطرّفة مدّتهُ غيرُ المتّصلة بما بعدها

والمتطرّفة شبيهة بالهمزة المتطرّفة بعد حرفٍ ساكنٍ صحيح لأنّ (١٤) الالف لا تكون الّا ساكنة وحقّ هذه ألّا تثبتَ في الكتاب ما دامت كلمتها منفصلةً كقولك: هذا عطاءٌ ومررتُ برجاءٍ وهو الرِّباءُ والزِّناءُ والثّراءُ في لغة مَن مدّهنّ وهي الخُرَاءُ وهؤلاءِ وهاءِ يا رجلُ اي هاكَ وهاءِ يا امرأةُ اي هاكِ وهو يَشاءُ وما اشبه ذلك من المعجم كالباءِ والتاءِ والحاءِ والخاءِ. وانّما وجب حذفها اتّباعًا للفظ لأنّها لا تثبت فيهِ عند الوقف. والهجاء موضوعٌ على الوقف كما قلنا الّا ان تكون منصوبةً منوّنة فيلحقها ألف الوقف بدلًا من التنوين فتحذف اللاحقةُ وتُردّ الهمزة

لأنّ اثبات الاصل أولى من اثبات الزائد فيكتب حينئذ بالفين لئلّا تكثر الاشباه كقولك : رأيتُ عطآءً وسمعتُ نِدآءً وكتبتُ بآءً وتآءً (١)

٣ المتّصلة مدّتهُ بعلامات الضمير

فان لحقتها علامة إضمار كُتبت في حال الرفع والجرّ على حركتها مثل : هذا عطآؤنا ومررتُ برجآئك . ومثله : هاؤلآئك وهو يشآؤه (١٤٢) لأنّ الوقوف عليها قد زال عنها لما لحقها ولم تثبت في حال النصب كراهية اجتماع الالفين وذلك مثل : اخذتُ عطآءك وعلمتُ رجآءك

٤ المتّصلة مدّتهُ بعلامة التثنية

واذا لحقتها التثنية كُتب ما انقلبت همزتهُ منها واوًا في اللفظ على لفظهِ واوًا كقولك : هاتان حمراوان ورأيت سوداوَين ولم يكتب ما لم تتغيّر همزتهُ في اللفظ عن لفظها سيئاً مثل : هذان عطآآن وردآآن وهما ظآآن وظآآن واخذتُ عطآءَين ولبستُ ردآءَين وكتبتُ بآءَين وتآءَين . والالف الثانية في المرفوع كالياء في المنصوب وهما للتثنية والهمزة محذوفة كراهة اجتماع الألفات

٥ المتّصلة مدّتهُ بعلامة الجمع

وان لحقتها علامة الجمع حُذفت في الرفع كراهة اجتماع الواوين فكُتبت (١٤٣) هؤلآء . عطآؤن وسقآؤن . ولأنّه لا يلتبس بشيء لا تُحذف في النصب ولا الجرّ لئلّا تُشبه التثنية وذلك كقولك : رأيتُ سقآئين ومررتُ بالرقآئين

٦ المتّصلة مدّتهُ بعلامة التأنيث

واذا لحقتها علامة التأنيث حُذفت لأنّ ما قبل هآء التأنيث مفتوح لو كُتبت لوجب اثباتها ألفاً لفتحتها فكُره اجتماع الالفين وذلك مثل السقآءة والبرآءة وهكذا قياس كلّ ممدود فلم نذكر الّا ما شذّ عن القياس

(١) والمصطلح عليهِ اليوم عند النحاة ان تكتب هذه الهمزة دون ألف . وربّما استغنوا عن المدّة فيكتبون رجآء رجاء رجاء

الباب الثالث

وهذا باب القصر وفصوله

١ شروط المقصور واصنافهُ وتمييز ذلك

المقصور كلُّ كلمةٍ آخرها ألفٌ لا غير وهي ثلثة اصناف : صِنف منقلب من الواو وصِنف منقلب من الياء. وصِنف ليس من واحد منهما غير انهُ يجري مجرى احدهما . ومعرفة ذوات الواو من ذوات الياء تكون من وجوهٍ منها ان تمتحن الفعلَ الثُّلاثي من الكلمة المقصورة ان كان (13v) لها فعل فانَّ الواو والياء يظهران في مستقبَل الفعل كقولك : يَغزو ويرمي وفي ماضيهِ اذا حصل فاعلهُ ضمير المتكلّم والمخاطب كقولك : غزَوْتُ ورمَيْتُ . ومنها ان يثنّى الاسم المقصور ان كان واحدًا فتظهر الواو والياء كقولك : رَحيانِ وقَفَوانِ او يُجمع بالالف والتاء كقولك في حَصًى : حَصَيات وفي قطًا : قَطَوات . او يُرَدّ الى واحدهِ ان كان جمعاً كقولك في القُرَى والحُلَى والرُّشا والعُرا : قَرْيَةٌ وحِلْيَةٌ ورِشْوَةٌ وعُرْوَةٌ . فامّا ما لا يُجمَع ولا يثنّى ولا يصرَف له فعل ولم تنقلب ألفهُ من واوٍ ولا ياءٍ فيُمتحَن بما فيهِ من تفخيم او إمالة في لسان العرب وعلماء اللغة وبمثل ذلك ممّا ليس هذا موضعهُ

٢ ذواتُ الألف المُنقَلِبة من الواو

وكلّ كلمة على ثلثة احرف ثانيها ألف منقلبة من واو يجب كتابتها بالالف على لفظها دون معناها استثقالًا للواو اسماً كانت او فعلًا نحو : دَعا وغزا وشاءَ ووَقاءَ من قولهم : شَأَوتُ ووَأَوتُ . والرِّضا والرِّبا والقَطا والرُّشا والخُطا . فان كان شيء من ذلك بمنزلة « عَلى » الخافضة (16r) لم يكتَب الّا ياء من اجل انها تصير في اللفظ مع المضمرات ياءً كقولك : عَلَيكَ وعَلَيَّ وعَلَيهِ . فاذا اتصلت بما الاستفهام كُتبت على لفظها الفاً وبيان ذلك يأتي في غير هذا الموضع ان شاء الله

٣ ذوات الألف الجارية مجرى المنقلبة من الواو وليست منها

وكلّ كلمة على ثلثة احرف او حرفين آخرها ألفٌ لم تنقلب من واو او ياء ولم تكن فيها إمالة في اللفظ ولم تجرِ ألفها مع المضمرات ياء وجب اثباتها على لفظها بالالف وإجراؤها مجرى ما انقلبت ألفه من واو لانهما يكتبان على اللفظ وذلك في الاسماء المضمرة والمبهمة وحروف المعاني كانا واذا وهلا (للفرس) وما وها ونحوها

٤ ذوات الألف المنقلبة من الياء

وكلّ كلمة على ثلثة احرف ثالثها ألفٌ منقلبة من ياء تُكتب (16ᵛ) بالياء على معناها دون لفظها ليُفصل بينها وبين المنقلبة من الواو اسما كانت او فعلا مثل: مَغْنًى وسَعَى ونَسَى وبَكَى والحَصَى والرَّحَى والحُلَى والقُرَى والزِّنَى والثَّوى والبِطَى اذا كنّ مقصورات. فان وُصل شيءٌ من هذا بعلامة ضمير كُتب على لفظه لتوسّطه وزوال الموقف عنه وذلك مثل حُلاها وبَكاكَ ورحاهُ وحصاهُ وقد قضانا ورأَهم ونحو ذلك

٥ ذوات الألف الجارية مجري المنقلبة من الياء وليست منها

وكلّ كلمة على ثلثة أحرف او حرفين آخرها الفٌ لم تنقلب من واو ولا ياء ولكن اللفظ بها أمالة (١ او تصير ألفها مع المضمرات ياء في اللفظ وجب اثباتها على الياء وان لم تُقلب منها للفرق بينها وبين ما خالفها وانّما يكون ذلك في الاسماء المضمرة والمبهمة ونحوها من الظروف وحروف المعاني مثل: لدَى وإلى تقول: لدَيك وإليك. ومَتى وبَلى لانّهما تُمالان. وهؤلى في لغة مَن قصرها كقول الاعشى:

هؤلى ثمّ هؤلائك آتيتَ نوالا محذوّة بمثال

(17ᵛ) وهمْ الأُولى فعلوا كذا وكذا. وليست هذه الأُولى التي في هؤلى لانّ تلك لا يدخلها الالف واللام. واما ما كان من حروف المعجم ممالا اذا تهجّي فقُصر مثل: با تا ثا الى آخرها فانّها تُكتب بالالف لانّها في الاصل ممدودة فقصرها

١) كذا في الاصل وظنّ الصواب: إمالةٌ

الوقفُ في اللفظ وانّما ألفُها وَسطُها وآخرُها قد سقط . وانّما أُميلَت لأنّها من بنات الياء فجازت إمالتُها في الوقف والوَصل وكذلك يُكتَب يَا في النِّدَاء بألف وان كانت قد تُمال لاجتماع الياءَين. وامّا ذَا فتكتب بألف وهي تُمال لأنّ ألفها وَسطُها وآخرُها محذوف ولئلّا يلتبس بذي المؤنث . وكذلك تَا للمؤنث لأنّ ألفها وَسطُها ولئلّا تُشبه تَي في اللغة الأُخرى. وكذلك ان دخلت الباء والكاف عليهما فقلتَ : بذَا وبتَا وكذَا وكتَا

٦ المتحرّكة من ذوات الواو والياء وما ليس منها

وكلّ كلمةٍ كانت ألفُها رابعةً فصاعدًا مُنقَلبة من واو او ياء او لم تكن من واحدة منهما مُمالةً كانت او غير مُمالة وجب كتابُها (17) بالياء لأنّهُ اذا لحقتْهُ تاء الضمير التي في فَعَلتُ وفَعَلتَ او تثنيةٌ يصير في لفظ يَاء وذلك مثل أعطَى وارتضَى واستغنَى اذا سُمّي الفاعل ومثل مُوسَى وعيسَى وسكرَى واحدَى وأُخرَى ومَرعزَى وباقلَى (في مَن شدّد) والدّهنَى والهيجَى (في لُغة مَن قصر) وأقمَى وأعمَى وأحوَى والتمنَى والبعزَى والمأتَى ويَحيَى (اسم رجل) والمصطفَى والمرتضَى وقرقرَى وحبنطَى (في مَن لم يهمز) وقبعثرَى وحتَى وأنّى لكَ هذا

٧ المخالف أخواتهِ في الياء من ذلك

فان كان ما قبل هذه الألفات ياء كُتبت على اللفظ الفًا لئلّا يجتمع اليآآن وذلك مثل الدُّنيا والسُّتيا والرَّيا والثُّريا وهو يَحيا ويَعيا فامّا يحيى اسم رجل بعينهِ فانّهُ يُكتَب وحدهُ بالياء مخالفًا لنظائره لأنّهُ عَلَم مشهور يكثر استعمالهُ فلا يلتبس فيجري على اللفظ دون المعنى تخفيفًا وفرقًا بينهُ وبين الفعل ولا يقاس عليهِ لأنّهُ شاذّ عن القياس (18) والصواب ما قدّمنا في جميع ما يُكتَب بالياء اذا اتّصل بعلامة ضمير ولم يتغيّر معها لفظهُ كُتب الفًا على اللفظ لأنّ الوقوف عليهِ قد زال لتوسّطهِ وذلك مثل أغزاهم ورعاهم ورماها وهذه رَحاكم وهو سواهما وهي احداهنّ وهو مُوسانا وعيسانا ويَحيانا . فامّا كلّا فانّهُ خُولف بها الباب وكُتبت بالالف لأنّهُ لا إمالةَ فيها ولأنّها حرف لفظهُ كلفظ ما كان من كلمتين كهَلّا وبَلّا وفيها معنى لا

وهي مع ذلك تُشبه كِلَى التي تُؤكَّد بها التثنية في الخطّ احياناً فكُتبت على اللفظ للفرق وخُولف بها عن نظائرها وكذلك الّا التي يُستثنى بها . واما حاشا فالالف غير لازمة لها كلزوم كلّا ألا تراها تُحذَف مع اللام في اللفظ كقوله جلّ وعزّ (١ : « حاشَ لله » ولها ايضاً نظير في الفعل وهي على اربعة احرف فقياسها ان تُكتَب بالياء الّا انها كُتبت بالالف لئلّا يلتبسا وهي عند قوم فعلٌ فمن زعم ذلك وجب عليه ان يكتبها بالياء لا محالة وتركُ الإمالة فيها جيّدٌ وحذفُ الفها وجرُّ الاسماء بها ادلّةٌ على انها حرفٌ . فامّا كِلَا الرجلَين وكِلتا المرأتَين فتجعلان في الخطّ مع الاسماء الظاهرة على لفظها مع المضمرة وان كانتا مُثنّيتين فتُكتَبان في حال الرفع بالألف وفي حال (١٨٣) النصب والجرّ بالياء لانهما يصيران في اللفظ مع المضمر كذلك لانهُ خُصّ بهما التثنية وشُبّه آخرُهما بآخرها لما أُضيفتا الى التثنية وتضمّنتا معناها وذلك كقولك : جاءني كِلَا الرجلَين وكِلتا المرأتَين بالالف ورأيتُ كِلَى الرجلين وكِلتَى المرأتَين ومررتُ بهما كذلك بالياء . (٢ وأُجريت كِلتا على كِلا في الخطّ لاشتراكهما في التغيّر وغيره مع المضمر والمظهر ولولا ذلك لكان القياس إثبات كِلَتَى بالياء على كلّ حال

واعلم انّ كلّ مقصورٍ كثرت حروفُهُ او قلّت من ذوات الواو والياء ومما ليس منهما فعلًا كان او اسماً او حرفاً يجوز كتابهُ الفاً على لفظهِ لانهُ الاصل ولكنّ القياس والاختيار ما بيّنّا وقد اتينا على هذا الباب كلّهِ وان كان قد شذّ عنّا شيء ففي ما ذكرنا دليل عليه (له بقيّة)

---

١) سورة يوسف ٢١

٢) يريد مررتُ بكِلَى الرجلَين وبكلتَى المرأتَين . والشائع بين النحاة أن تُكتَبا : بكِلَا وبكِلتا . بالالف

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مشاري بن سعود — تركي بن عبد الله بن سعود

صبر اهل نجد في اوّل الامر على احتلال المصريين في ربوعهم لولا انهم بعد قليل اساءوا التصرف فيهم ولاسيما بعد مجيء خالد باشا الذي عيّنهُ محمّد علي كخلف لاسماعيل باشا . وقام اميرًا على نجد بعد نفي الامير عبدالله اخوه مشاري ابن سعود وكان قليل الدراية في التدبير فلم يستطع ان ينظم ما اختلّ من الامور بعد اخيهِ ولم تطل مدّتهُ فمات لسنتين من امارتهِ سنة ١٨٢٠

فدعا النجديون بعده الى امرتهم ابن اخيهِ تركي بن عبدالله بن سعود فجمع شتات الوهابيين واخذ يناوش المصريين القتال الى ان تمكّن منهم وفلّ كتائبهم واستردّ نجدًا من ايديهم . واذ رأى ما حلّ بالدرعية من الدمار نقل كرسيّ ملكهِ الى رياض فحصّنها واحاط بها سورًا وبنى جامعًا كبيرًا وشيّد لنفسهِ قصرًا متّسع الارجاء واستعدّ لحرب المصريين بعد ان أوقع بمن تأخر منهم في انحاء ملكهِ وطردهم الى القصيم حيث اقاموا مع خالد باشا ينتظرون نجدة

فاسرع محمّد علي وارسل قوّات جديدة تحت قيادة حسين باشا ليقتصّ من اهل نجد فولّى الوهابيون هاربين الى جهات اليمامة والخريق فاراد حسين ان يتعقبهم فاضلّهُ الدليل وكان من العربان فمات المصريون عطشًا في تلك الصحاري القاحلة وكان عددهم نحو ٥٠٠٠ فوضع عزيز مصر محمد علي لحكم الاقدار وكفّ عن محاربة الوهابيين

فلما اطمأنّ تركي بالًا عكف على تمكين سلطتهِ وسار في رعيتهِ سيرةً مشكورة وكان درس شيئًا من الطب فعالج المرضى من اصحابهِ فشفاهم وغنى بذلك صيتهُ . وانّما استفزّ الطمع رجلًا من اقاربهِ يدعى مشاري بن عبد الرحمن وقيل مشاري ابن خالد فوثب عليهِ وقت صلاة الغروب فقتلهُ سنة ١٨٣٤

فيصل بن تركي

حملة المصريين الثالثة على نجد

لم يجنِ مشاري ثمرة جنايته ليتهنأ بها زمناً طويلاً . فان فيصل بن تركي كان غائباً من رياض يحارب جهات الاحساء فما بلغهُ الخبر بقتلهِ اباهُ حتى كرَّ راجعاً الى رياض فدخلها غفوة وحاصر مشاري في قصره عشرين يوماً الى ان وجد منهُ غرَّة فدخل القصر ليلاً وقتل مشاري لاربعين يوماً من ملكهِ . فتولى الامير فيصل تدبير الوهابيين خمس سنين (١٨٣٤—١٨٣٨) وكان عبدالله بن رشيد ساعده على محاربة مشاري فاثابهُ فيصل على عونهِ وجعلهُ اميراً على جبل شمَّر واليهِ ينتمي بنو رشيد كما سترى

امَّا فيصل بن تركي فانهُ احسن السلوك في رعيتهِ وحاول اصلاح امورها وكمال استقلالها . واذ طالبتهُ الدولة المصرية بدفع الاموال التي كانت تقاضتها سابقاً أبى ان يؤديها . وفي اثناء ذلك قام عليهِ ابن عمهِ خالد بن سعود طالباً الامارة لنفسهِ فجرت بينهما عدَّة وقائع كان الفوز فيها حليفاً للامير فيصل ثم التجأ خالد الى المصريين فانتصر له محمد علي باشا وارسل عسكراً لتمليكهِ على رياض . ففرَّ الامير فيصل الى الاحساء ثم تنكَّر وحجَّ الى مكَّة وساح في بلاد الشام وقرَّر بدمشق مذهبه الوهابي بصحبة الحنبليين ثم عاد الى نجد يتربَّص الفرصة لاستئناف امرتهِ . وكان خورشيد باشا جعل في مكانهِ خالداً وما لبث ان عزلهُ واعاد بلاد نجد تحت حكم المصريين ثانيةً بيد انهُ قُضي عليهِ بعد سنتين ان يرجع الى القاهرة بجنودهِ فجعل خالداً كوالٍ على رياض ورأى فيصل لحرج امورهِ ان يسلِّم نفسهُ لخورشيد باشا مطيعاً وقيل ان جنوده خانوه فقبض عليهِ المصريون فأرسل الى مصر أسيراً

الفوضى في نجد

رجوع فيصل

استبدَّ خالد بالامر بعد غياب خورشيد باشا وسلك في رعية الوهابيين بعنف وجفاء فنفرت منهُ القلوب ثمَّ تألبت عليهِ الاحزاب فطردوهُ بعد خلعهِ مع من بقي من المصريين لحراستهِ وسلموا سكَّان التدبير الى ابن عمهِ عبدالله بن ثنيان

كان عبدالله من رجال العزم وسعة النظر ذا بأس وفروسية . جرى في السياسة على منوال سلفائه من قهر المعادين وتأمين الثغور ثم عُني بتحصين رياض وتحسينها بالمباني الفخيمة لكنه كان شكس الخُلق لا يرعى ذمّة لرعيته فاستاء الناس من سلوكه

وفي غضون ذلك امكن الامير فيصل الفرار من حبسه فنجا بنفسه الى نجد وانضمّ اليه اشياعه فسار الى رياض ودخلها وتنازل له عنها عبدالله بن ثنيان الذي مات بعد زمن قليل حتف انفه وقيل مسموماً (١٨٤٣ م)

واستمرّ هذه الدفعة حكم الامير فيصل على الوهابيين قريباً من ٢٣ سنة (١٨٤٣ — ١٨٦٥) فدانت له قبائل نجد واستقامت له الامور وجعل قائداً على جيوشه ابنهُ عبدالله فاخضع له بلاد الاحساء وقطيف وعمان فرتع في بحبوحة الامن الى سنة وفاته

تفرق آل السعود بعد الامير فيصل

لمّا مات الامير فيصل تبعهُ في الحكم ابنهُ عبدالله المذكور وكانت ايامه في اول ولايته صافية الاديم . وبقي مدة على ذلك حتى استنكف منهُ اخوتهُ واقاربه لمعاداته لهم فتحزّبوا عليه وخلعوهُ بعد معارك جرت بينهم سنة ١٨٧١ واسندوا امرهم الى اخيه سعود فحكم على نجد شرقيه وغربيه باديته وحاضرته ثلاث سنوات ثم توفي سنة ١٨٧٤ وعاد عبدالله الى ولايته لكنّ خصومهُ من اخوته واهله نازعوه الامارة ثانيةً ولم يستقر له امر الّا بعد ان اقتسموا بينهم انحاء دولتهم فصار كل امير يحكم على بعض العشائر فضعفت بذلك قوّتهم وانتكث حبلهم

خلاصة اخبار آل السعود بعد تفرق كلمتهم

لما انشقّت عصا آل السعود كان اول من نال ربحاً من اضطراب امورهم محمد ابن رشيد امير حائل فانهُ مكّن سلطتهُ على جبل شمّر ثم تدخّل بين امراء رياض لاصلاح شؤونهم ففتح له ذلك باباً لبسط حمايته عليهم فساءهم ان يكونوا كعمّال لمن نال السيادة بفضلهم . ثم سعوا بطلب الاستقلال فضربهم ابن رشيد ضربة أليمة فقتل البعض واسر البعض الآخر في عاصمته الحائل . وبقي عبدالله في رياض مُغضياً على الذلّ . امّا اخوه عبد الرحمان ففرّ ناجياً بنفسه

واستغتنم الاتراك تلك الاحوال ليعيدوا حكمهم على بعض انحاء الجزيرة فحاربوا الأحساء وعمان ودخلوا نجداً ونهبوا مدينة الحفوف وقتلوا رجالها وانتهكوا حرمة نسائها وصبيانها وجعلوا يدهم على سواحل خليج العجم من قطر الى الكويت

فلما رأى الامير عبدالله ما آلت اليه احوال الوهابيين اتفق مع اخيه عبدالرحمان على جمع كلمتهما لحفظ رياض وما جاورها من النواحي فضبط عبدالله ازمة الامر وجعل اخاه عبدالرحمان كثنيانه في الحكم وجاهرا بعاداة ابن رشيد . لكنهما لم يقويا عليه فخضع له عبدالله مطيعاً واعتزل السياسة فعاش في حال خاملاً في الرحب والسعة . ولحق عبدالرحمان اخوه بالاتراك فنزل الاحساء وسكن مدة في بغداد ورحل الى الاستانة الى ان احلته الدولة في الكويت مع راتب شهري قدره ٤٠ ليرة (سنة ١٨٧٩)

آل سعود في الحقبة الاخيرة — عبد العزيز باشا السعود

بقي الوهابيون كالجمر تحت الرماد ينتظرون من يتولى امرهم ليشبوا نارهم الكابية ضراماً . فلما كانت السنة ١٨٩٥ قام امير من سلالة سعود وهو عبد العزيز باشا السعود ابن اخي عبدالله الذي كان في ولاء صاحب الكويت فبعثه ليخفض من نخوة ابن رشيد وكانت الحرب قد وقعت بين ابن رشيد وصاحب الكويت الشيخ مبارك بن صباح فاغتنم عبدالعزيز هذه الفرصة وسار الى رياض حاضرة آل سعود فدخلها بمساعدة مبارك بن صباح . ومذ ذاك الحين بقي متولياً على الوهابيين دون منازع لولا ان ابن رشيد احب ان يعجم عوده ويخضعه لامره . لكن عبد العزيز خيب آماله وانتشبت الحرب بينهما زمناً طويلاً الى زمن حمود بن رشيد وانتهت بانتصار حمود لكنهما اصطلحا سنة ١٩٠٧ ولم يزالا يتمالين الى هذه السنين الاخيرة بعد ان عقدا معاهدة وعينا حدوداً لدولتيهما

وهذه ثلاث عشرة سنة مرت على عبدالعزيز بن سعود جدد فيها رونق بلاد نجد بل اخذ يسعى بتوسيع نطاق امارته فاحتل جهات الاحساء والقطيف ودارين . واذ علمت الدولة العثمانية انها لا تستطيع مقاومته وقد ضايقها الاعداء في البلقان وفي

اليمن والعسير مع ما اختبرته من شهامته وغاراته الشعواء. فضلت قبل الحرب الاخيرة ان تعتبره كاحد اصحابها بازاء صاحب الكويت مبارك بن الصباح ودسائس الاجانب فمنحته رتبة باشا. فرفع ابن سعود في اواخر السنة ١٩١٣ الراية العثمانية على بلاده وضم اليها ايضاً املاكا غيرها مما بلغت اليه مقدرته وتعاهد مع شريف مكة وعدة امراء . ويبلغ اليوم عدد حملة الاسلحة في دياره نحو ٧٠،٠٠٠

وفي زمن الحرب العمومية الاخيرة كان الامير عبدالعزيز مقيماً في نجد يترصد احوال المتحاربين . فلما رأى الانكليز فاتحين في العراق يفرغون كنانة الجهد لعقد محالفة بين جهات العرب ليبعثوها على الاتراك اجاب الامير سعود الى دعوتهم وحضر عند الشيخ مبارك في الكويت مع غيره من وجوه العرب نيزور القائد الاكبر على الحملة الانكليزية في العراق وهو السير برسي لاك (Sir Percy Lake) ليعرب عن خاطر وداده نحو الدول الائتلافية (سنة ١٩١٧) . فرحب به السر عسكر ثم اركبه يخته الاميري وقاده الى البصرة حيث دعاه الى استعراض الجيوش البريطانية

على ان عبدالعزيز بن سعود مع رضاه بتأليف قوى العرب على الاتراك بكسر نيرهم الثقيل لم يرض البتة بان تمد سلطة غريبة يدها الى دولته واذ احس بان سلطان الحجاز جلالة الملك حسين نوى ان يبسط حكمه على نجد تصدى اليه وقام الى محاربته . وقد جرى في العام الماضي ١٩١٩ بين الحجاز ونجد حروب بلغ صداها الى مسامعنا وحتى الآن لم نقف على تفاصيلها وانما نعلم ان كفة ابن السعود كانت راجحة وانه على جانب رفيع من العزم والدهاء لا يرضى بان يهضم احد شيئاً من حقوقه . ولا يزال الخلاف عظيماً بين مندوبيه وملك الحجاز على مقربة من الطائف

وفي الانباء التلغرافية الواردة في ت ٢ ١٩١٩ ان الامير عبد العزيز بن السعود ارسل وفداً الى لندرة يتركب من ابنه فيصل وابنائه احمد بن عبدالله بن الثنايات (كذا) وعبدالله القصيبي (؟) فاستقبلتهم الدولة الانكليزية بالاكرام وكفى به دليلاً على نفوذ الوهابيين ورفعة شأنهم . وبه نختم كلامنا عن الوهابيين ونتخطى الى ذكر بني رشيد

بنو رشيد امراء حائل

حائل قبل بني الرشيد

حائل حاضرة جبل شمّر من ولايات نجد الشمالية . موقعها في وادٍ شمالي سلمى احد جبلي طيّ . وهي كما يظهر مدينة مستحدثة لم يرد ذكرها في معاجم البلدان وانما عُرفت منذ اوائل القرن التاسع عشر

وكان اول من دخلها من سيّاح الفرنج ولَين (Wallin) احد اساتذة بلاد فنلندة سنة ١٨٤٨ زارها متنكرًا تحت زي درويش وفي السنة ١٨٦٣ اجتاز فيها الرحّالة غوارماني الايطالي الاصل الشرقي المولد ارسلتهُ سرًّا الحكومة الفرنسوية لابتياع خيل عربية من نجد

وكان سبقهُ قبل ذلك بعدة اشهر سائح يسوعي الاب ميشال كوهن الذي اشتهر بعد حين باسم وليم غريفرد بلغراف سافر بإيعاز الامبراطور نابوليون الثالث الى نجد بصفة طبيب وبصحبته شابٌّ اديب سمّاهُ بركات وقد عرفناه بعد ذلك بطريركًا على طائفة الروم الكاثوليك باسم بطرس الرابع الجريجيري . بلغا الى الحائل عاصمة بني الرشيد على عهد الامير تلال ثم انتقلا الى رياض مركز الوهابيين اذ كان يحكم عليهم الامير فيصل . فتعاطيا فيها الطبابة مدّة ثم برحاها لمّا تهددهما عبدالله بن فيصل بالموت ففرّا من وجهه الى الخفوف فعمان فالبحرين وعادا الى الشام على طريق العراق سنة ١٨٦٣ وقد نشر بلغراف اخبار رحلته في مجلّدين

ومن مشاهير سيّاح الفرنج السيدة الانكليزية انّا بلونت (Lady Anna Blunt) التي دوّنت اخبار سياحتها الى نجد في السنة ١٨٧٨—١٨٧٩ في ايام امير حائل وجبل شمّر السيد محمد بن عبدالله

ويستفاد من رحلة هؤلاء السيّاح ان الحائل مدينة ذات سعة حافلة باسباب المعاش كثيرة الغلّات والاثمار يتوارد اليها العربان من كل صوب ليبتاعوا منها لوازم الحياة وهي مُحدقة بسور عالٍ منيع محصّن بالابراج . والبلد قسمان قسمٌ عتيق ضيّق الاسواق تتلوّى فيه الطرقات بين اكواخ وبيوت حقيرة وسخة وقسم جديد

عُني ببنائه بنو الرشيد فيه الجوامع المحكمة الصنع والدور الفخيمة والاسواق المنظمة والساحات الرحبة وهناك قصر الامير الواسع الارجاء الشاهق البنيان . اما عدد اهل الحائل فيقدَّرون بخمسة عشر الف نفس وللامير حاشية خاصة لحراسته واشغاله يبلغ عددها الالف

لما استولى الوهابيون على جبل شمّر في اوائل القرن التاسع عشر استفادوا من غنى الحائل ووفرة ارزاقها الى ان حمل المصريون على نجد فاستقلَّ اهلها بالامر وفوَّضوا بتقاليد حكمهم الى اسرة شريفة شهيرة عندهم ببني علي فتولَّت تدبيرهم ردحاً من الدهر ثم جنح اصحابها الى العسف وساروا فيهم بالظلم واحيوا معالم الجور فثقل نيرهم على الاهلين وحاولوا خامهم (له تابع)

الحقوق البدوية في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري يونس سلمان الروم الملكي الكاثوليكي (تابع)

٣ من البيت

ان العرب لهم منازل عديدة يسكنون فيها فمنها ما هو حجري ومنها ما هو شعري فالبيوت الحجرية البدوية وان كانت مشيدة بالحجارة فهي دون نظام وترتيب مقسمة الى مواضع عديدة . فيها يجلسون ويتسامرون فيها يأكلون وينامون فيها يربطون دوابهم ويحفظون ماشيتهم فيها يخزنون مؤونتهم . ولا يتصوَّرنَّ الطالع انَّ البيت الحجري هو مجموع حجر كثيرة كبيوت المدن الزاهرة بل هو حُجرة كبيرة تُستخدم لكل ما ذكرناه . وسنصف البيت الحجري في بحث آخر . والبيت الشعري هو الخيمة بل مسكن العرب الظاعنين في القفار . فالبيت الحقير بما فيه من قليل الاثاث له اكرام عظيم . أجل انَّ لهذا النسيج المرتفع على اعمدة سوداء القائم في ارض برداء منزلةً كبرى وشأناً رفيعاً . لأن من اهان البيت فقد اهان اصحابهُ النازلين فيه

لا بل اهان العشيرة كلها . ولذلك قد جعلوا له حقوقاً يعرفها القضاة ويجرون عليها . فانَّ الاكرام والاعتبار لا يؤدّيان للبيت لما فيه من وفرة الاقسام وغناهـا او لحسن النسيج وزخرف اثاثه بل لاصحابه . لان الخيمة يصنعهـا العرب من وَبَر الإبل او شعر الماعز فلا اعتبار لها بحدّ ذاتها . فانَّ اكرام البيت يعود الى الاعراب الذين يسكنون فيه كما قال لي احد الاعراب : « اننا نحن الاعراب نمتاز عن ارباب المدن لاننا ندافع عن كل من اهان بيوتنا حالـة كون اهل الحضر لا يهتمّون بهذه الوطنية الشريفة . لان الخيم هي وطننا في البادية ومحلّ آبائنا ورثناهـا عنهم فنحامي عنها لانها وديعة ثمينة . ومن يتعدّى على البيت وارباب ينال جزاء تعديه من الاهـانة والعذاب » . ودونكم وصف ذلك

بينما العرب جالسون في شتّى الرجال يتلذّذون بشرب القهوة المرّة اذا بضيف قد ورد عليهم . فانه يمرّ من وراء الخيم كي لا يلقي بنظره الى الحريم او محلّ النساء في الخيمة فينزل عن مطيّته ويربطها باحد الاوتاد او الاطناب ثم يدخل الى المجلس وفي يده محجانهُ وعلى كتفه بندقيّته . فيحيّي الحاضرين وينتظر قليلاً من الزمان حتى يُعَدَّ له محلّ المجلوس فيه فيسرعون ويأتون بفراش ناعم ويمدّونه ثم يقولون له : هلمّ الى هنا « تعال وكوّع » . (والتكويع هو انه يضع كوعهُ على المسند ويتّكئ) فينحرون الجزور اكراماً للضيف ويصلحون منه طعاماً للحاضرين . فيصبح البيت مكرّماً مكرّماً . ويضطرّ الضيف الى ان يحترم المنزل وكلّ من فيه . ويلتزم كلّ من في المحلّة او خارجاً عنها ان يكرم البيت والضيف . فلا ريب ان تلك العادة شريفة حتى اذا خرج الضيف من عندهم يمدحهم ويثني على آدابهم . والعرب كما بيناه يحافظون على شرفهم ويخشون من الطاعنين بهم والعاذلين لهم

بيد ان الإهانة هي التي تكسر شرف البيت . لانه كثيراً مـا يحدث ان بدويّين من الحضور بعد حديث مديد ومجادلة طويلة يتّصلان الى المسبّات والشتائم او رَفع الاسلحة في البيت . فهذا الامر يُعَدّ « كسر شرف » لصاحب البيت فالبيت يطلب حقّهُ . وربّما يصير ان عدوّاً للضيف يقدم فيضربهُ او يهينهُ . فتلك الاهانة تعود على صاحب البيت وعلى الضيف فالبيت يطلب حقّهُ . ولقـد يجري احياناً ان رجلاً سفيهاً يهين ربّ البيت بكلام سافل فالمهين يلتزم بردّ الشرف المفقود والقيام

بحق البيت . لان الاعراب يزعمون ان من ازدرى بالبيت واحتقره فقد صنع ذلك ليس فقط نحو الاحياء بل نحو الامرات والاجداد . وهم يقيمون اكراماً واجلالاً عظيمين لاجدادهم الذين نهجوا لهم سبيل البادية وعلموهم السكنى فيها

وإهانة البيت لا ترفع الا بطريقتين : فالاولى امام القاضي البدوي او احد الوجوه والشيوخ . فاذا رفعت الدعوى الى احد الوجوه فتفك عقدها بالحب والسلام واذا اتصلت الى القاضي يطلب رزقة ثلاثين ريالا فيدفعها المجرم رغماً عنه ثم يحاكم امام المجلس كما وصفناه سابقاً . فينتصب المدعي وهو صاحب البيت في وسط الجماعة ويقول : « ويش بك يا قاضي العرب ياحامي النسب بفلان اللي (الذي) كسر شرفي بقوله كذا وكذا واهانني في عشيرتي وبحضور جماعتي واهان ضيفي فودي منك ان يبيض الوجه » . وبياض الوجه عند العرب الحاليين يقوم باعادة الشرف المفقود . والبيضاء هي الراية الكبيرة يصنعونها من نسيج ابيض ويرفعونها على الرمح اكراما لصانع الخير . ولقد يرفعونها في الحروب حينما يهجم الاقوياء على الضعفاء فيرفع الضعفاء الراية البيضاء ويسلمون انفسهم لاعدائهم وذلك دلالة على المسالمة والمهادنة . وفي الغزوات الهيبة حينما لا يقدر الاذلاء على مقاومة الابطال يرفعون الراية البيضاء . وحينما يصنع احد الاعراب صنيعاً يذكر فيشكر كالذي يخلص قريبه من الموت يرفعون له راية بيضاء ويطوفون بها حول الخيم وهم يقولون : « راية فلان بيض الله وجهه »

غير ان الضيف الطلق اللسان يحتج عن نفسه فيقول : « يا قاضينا يا قاضي العرب اذكر الله . المحل الذي نزلت فيه هو بيت رفيع وصاحب البيت الشيخ فلان اكرم ضيوفه خير اكرام ونال الاهانة والشتائم من فلان » . ثم يمدح صاحب البيت على كرمه وجوده ويعدد مناقبه الحميدة ويسترحمه بأن لا يترك البيت في درجات الذل والهوان . فتارة يستشهد على صحة كلامه بآية من آيات القرآن واخرى يورد مثلا دارجاً وحيناً يأتي بحكاية او نادرة تؤثر في عقول الحاضرين . ثم ترد الشهود وتشهد على صانب مدعاه . فينتصب القاضي ويقول : « انا من عندي ومن عند القضاة الذين قبلي فلان كسر شرف البيت واهان صاحبه وضيفه » فيأمره بدفع عشرين ناقة وخمسين نعجة . فيقول المجرم : « انا مستعد لامر القاضي . امرك ياقاضينا فوق الراس » .

ويلزمه بان يدفع للضيف ثلاثين ريالاً فعلى المجرم ان يقول دائماً : « نعم انا مستعد » وبعد ذلك يقوم احد الشيوخ ويقول لرب البيت : « حقك على العين والراس ولكن من شأن الشيخ فلان دَعْ له خمس نياق » فيقول : « من شأن خاطرك وخاطر السامعين تركت ما تريد » . ثم ينتصب شيخ آخر ويقول : « ياشيخ فلان اترك له من شأن الجماعة ومن شان والدّيك كذا وكذا » فيقول : « قد تركتُ ما طلبت » وهكذا يصبح المطلوب سهلاً وخفيفاً

على ان البدوي لا يدع مثل هذه الدعاوي تتصل بالمحاكم بل يصلح ذات البين بالقليل وذلك بان المجرم يقوم نحو المهان ويقبل لحيته ويقول : « بالله عليك وبدرّة والدّيك تنسى ما جرى مني والله ما هي نيّة سيئة مني بل سَكْرة الفكر وطغيان العقل هذا ما جرى مني » . فيقبّله من لحيته أو من شاربيه ويصفح عنه . ومنهم من يدفع كل ما يطلبون ولا يخفض منه درهما . واليكم الحادثة الآتية : كان سالم العازمي في خيمة عودة ابي نايه اذ هجم عليه حامد الشراري واطلق رصاصة عليه فلم تصبه بأذى حينئذ امتطى الشيخ عودة مطيّته الى مضرب كاسب الحاوي شيخ الشرارات وقال : « بيّض وجهي ياكاسب الحاوي » . قال : « خير ان شاء الله » قال : « ما في الا الخير . هجم حامد الشراري على ضيفي سالم العازمي واطلق عليه الرصاص » . قال : « قد اصلحت الامر يا شيخ عودة خذ لك ولضيفك اربعين ناقة وفرساً رسيناً وامض في سبيلك » . فانطلق امير الحويطات مسروراً واستوفى حقّه . ولو ابى الصلح لكان عودة ابو نايه اشهر عليه حرباً عواناً

٤ — حق الوجه

الوجه عند العرب وفي هذا المقام هو الكفيل الموكل بالجرائم يتفق عليه فريقان من فعل خير او اتقاء شرّ فان البدو ان اذا ارادوا ان يصنعوا امراً عظيماً لا يقدرون عليه او يخشون منه عاقبة وخيمة او غديمة عمدوا الى رجل شريف طاعن في السن فيقولون له : « يا فلان كن وجهاً عليّ في الامر الفلاني » . والوجه لا يخون صاحبه ابداً ولو فقد ماله وحياته . وكم من مرّة رأينا الوجوه يسعون في طلب الحق للموكلين عليهم . والوجه لا يقوم باعباء ثقيلة الّا ليحفظ شرفه وينال صيتاً ومجداً بين اقرانه

ومما يدلّ على ان الوجه والكفيل هما كلمتان تدلّان على معنى واحد هو استعمالها بالمعنى الواحد . اذا باع امرؤ ارضاً أو فرساً او غيرهما من الاشياء يقول البائع للشاري: « ترى بعتُكَ بوجه فلان ان طلبتُها أدفع كذا عقاباً على ذنبي » . وكذلك الشاري يقول : « ترى اشتريتُ بوجه فلان ان ارجعتُها أدفع كذا عقاباً على ذنبي » . واذا تشاجر اثنان ثم تصالحا يقول الواحد لصاحبه : « ترى بوجه فلان تصالحنا ومن اضرّ قريبهُ لا يلوم الّا نفسه » . ومن اودع وديعة وخاف عليها من السرقة او من الاتلاف يقول للمؤتمن عليها : « ترى فلانٌ وجهٌ عليك » ومن تعدّى على صاحبه يجد أمامهُ اعداء كثيرين بسبب الوجه . لأنّ العشيرة كلها تقوم مع الوجه يداً واحدة فالوجه يكون حاضراً او غائباً كما بيّناه في مقالتنا السابقة . ومما يجب ذكره ان كل شيء يصير في البادية مشافهةً لا كتابةً ومع ذلك فانهم يحفظون العهود والمواثيق

ولا بدّ للوجه من بعض الصفات الحميدة كالكرم والشجاعة والوفاء والإقدام فهذه الصفات الاربعة تجعلهُ محبوباً رهيباً غيوراً على الحقّ والانصاف ماضياً في عزمهِ وافعالهِ . والوجه يكون اماً من العشيرة نفسها او أجنبياً . فعلى اي صفة كان فهو مضطرّ بعواطف الشرف ان يقوم بواجبهِ . ومن كان اجنبياً تأخذه الحماسة والغيرة وتدفعهُ الى اعلى مراتب التفاني والحبّ لانه بذلك يبدي بسالتهُ ويذيع بافعالهِ ومآثرهِ بين عشيرتهِ

وكثيراً ما يكون الوجه عاجزاً وغير قادرٍ على النهوض بهمّتهِ فكيف يدافع عن المستجيرين به ؟ . فالامر ليس بصعب لان هذا الوجه الضعيف هو نفسهُ يتخذ له ولصاحبه وجهاً هو أقدر على تمهيد العقبات واوسع سلطةً واشدّ بأساً على الصعبات فهذا الوجه الجديد يمدّ لهما يد المساعدة ويأخذهما تحت حمايتهِ

. . .

ومهما توفّرت المضايق في وجه الكفيل فلا يخلد الى اليأس والاحزان بل يتجشّم الاخطار ويقتحم الاسفار والمشقّات فيبذل كل نفس ونفيس لديه كي يصيب ما يتمنّاهُ من الرغائب والنتائج الحسنة فهكذا الكبير موكّل بالصغير فلا يدع احداً يهضم حقوقه او يفقدهُ مطلوبهُ . فمن هذا الباب نرى ان البادية اكثر شفقةً وحنوّاً من المدن . فالقوي يحترم الضعيف لانه يجد امامهُ مراقباً يراقب افعالهُ كلّها ومدافعاً

بطلاً واقفاً له بالمرصاد . فاذا تعدّى القوي على الضعيف وكان للضعيف وجه مشهور يلتجئ اليه ويقول له : « يا شيخ فلان قد صار الامر الفلاني بوجهك وخصمي فلان تعدّى عليّ وكسر وجهك فبيّض وجهك ووجهي » . فيجمع الوجه مجلساً مؤلفاً من القاضي البدوي والامراء المعروفين ويرسل رسلاً ليأتوا بالمعتدي . فيقصّ الوجه قصّتهُ الى الحاضرين والمجرم في اثناء ذلك راكع والعقال في رقبته دلالةً على التذلّل والانسحاق ثم يحكم القاضي على الجاني بدفع ما عليه ويعاقبهُ بدفع عشرة خرفان للوجه او لصاحبه

ولقد يجدر بنا ان نذكر قوّة الوجه في الحروب الطاحنة . حينما يرى فريق المتحاربين انه قد كسر واندحر وخشي على نفسه من السيف يرمي بنفسه بين ايدي اعدائه ويقول للعقيد اي للقائد : « ياشيخ فلان نحن في وجهك » : فيقول لهم : « أبشروا بالعزّ والسلام » . فيكرمهم ويقدّم لهم ما يحتاجون اليه من الطعام ثم بعد اتمام الحرب او انتهاء الغزوة يرسلهم الى منازلهم قائلا : « احلقوا لي بالله وبرسوله انكم لا تبوقون ولا تخونون بل تعودون الى اوطانكم وتنشرون كرمنا او افضالنا » . فيعدونهُ بذلك ويرجعون الى ربوعهم مسرورين ولسانهم يثني على مخلّصهم من طائلة الموت

استودع صخريٌّ فرساً كحيلاء عند عجرميّ حتى يرجع فيأخذها . وصار ذلك بوجه فوّاز شيخ بني صخر فغاب الصخري ايّاماً طوالاً ثمّ عاد يطلبها وكان العجرمي في اثناء ذلك قد باع الفرس فقال الصخري : « يا اخا العرب ردّ لي الفرس » . فقال : « هي هدية قدّمتها لي والآن تطلبها فاين شرفك واين كرمك » . فانصاع الصخري راجعاً واخبر الشيخ فوّاز بما جرى وقال : « انت الوجه في هذا الامر » . فركب فوّاز مطيّته وسار في معيته عشرة من الفرسان فطلب حق الوجه سبعين ريالاً وعشرين نعجة واستلم الفرس من مشتريها ورجع (١

(١) قد ذكرنا في مقالتنا السابقة حكاية حسين الصبح وقدومهُ الى ابن قلاب طالباً حق الوجه من النصراني الذي ذبح ابنته . راجعها في محلّها (المشرق ١٢ : ٦٦٦)

٥ حق الدخيل

اذا تصفحنا معجم اللغة وجدنا ان الدخيل هو الضيف او المسافر الداخل تحت خيمة احد الاعراب لطلب الضيافة اياماً معلومة . على ان الدخيل عند العرب الحاليين هو الرجل المستجير الخائف من امر صعب سيدهمهُ او دهمهُ فيعمد الى شيخ كبير ويقول له : « انا دخيلك فاحمني وارحمني » فالضعيف يستغيث بالقوي ويطلب حماهُ فيقول له : « ستكون في اعز جوار وامنع ذمار » . فان المولى جلَّ جلالهُ وضع هذه القوة الفاعلة في البادية لصدّ هجمات الاعداء وحقن الدماء . فالدخيل يرتمي في خيمة الشيخ ويسترحمهُ بان ينجدهُ ويجيرهُ . وفي الليل يرتمي المستجير على فراش الاولاد ويهتف بصوت متقطع حزين : « انا بجضارك وموقد نارك . انا داخل عليك من السيف والخيف ومن فلان صاحب الحق الردي » . فيجيبه رب البيت : « أبشر بالعز والهناء والطيب » . ثم يبسط له سبب اعتصامه به فيقول له : « عش في ديارنا فرحباً بك » . ثم ينزع كوفيتهُ من على راسه ويضعها على راس الدخيل ويقول : « الله ورسول الله لا احد ينزع من راسك شعرةً » . اي انه يحارب من حاربهُ وينازع من نازعهُ . لعمري لقد راينا مشهداً يفتت الاكباد حزناً رأينا مظلوماً راكعاً امام شيخ يذرف الدموع الغزيرة ويذكره بما فُطر عليه من الافضال وكرم الاخلاق ويستحلفهُ بآبائه واجداده واولاده الاطفال بان ينظر اليه بعين الحنو والشفقة . فرقَّ قلب الشيخ وقال له : « لقد عطفتَ احشائي عليك وفهمتُ امرك كن عندي على مهاد الراحة والصفاء الى ان يمنّ المولى عليك بالهناء التام » . فبهذا الكلام الرقيق قبل هذا المسكينَ دخيلاً عنده

حكى لي عودة بن عيسى عن جده فقال : ذبح جدّي اعرابياً وجلا عن بلاده ثلاثين سنة الى ان حنّت نفسهُ الى وطنه فامتطى ناقتهُ واتى في منتصف الليل الى مضارب الاعراب وكان عدوهُ نائماً بين اولاده فارتمى القاتل على فراشه وقال : انا دخيلك . فقال : من انت . قال : دخيل عندك . قال : سلمتَ وعشت »

وحينما يقبل الشيخ الدخيلَ في منزله يرسل رسلاً الى عدوّ الدخيل وطالبه ويقول له : « ترى فلان دخيل في بيتي احذر ان تصيبه بأذى » . فيجيبه الرجل اطلب

خصمي الى القضاء . فيقول له : « أعطه عَطْوَة » . والعطوة هي هدنة من الزمان يمتنع فيها العدوّ عن الشرّ الى ما بعد المحاكمة . فهذه الهدنة لا يطول تأجيلها الى زمان بعيد فالصخور يمنحون العطوة لاسبوعين وبنو حسن لستين يوماً . ويختلف الزمان بحسب المشاتر . فالدخيل حينئذٍ يثلج صدراً ويرتاح فكراً . لان حالته تؤثّر على حالة الاعراب كلّهم فالجميع هم خدَم له ما دام دخيلاً عندهم . غير ان صاحب الدخلة يبعث وفوداً الى العدو ثلاث دفعات متوالية ويستحلفهُ بان يرعوي عن غيّه وينثني للحقّ امام القاضي فتارةً يستخدم الوعد والوعيد واخرى التوبيخ والتهديد فان أبى الّا الانتقام وأخذ الثأر بيده يجمع الامير فرسانه الشجعان ويقودهم الى منزل العدو فيسلبون ما يجدونهُ هناك من المواشي والغنم والخيل والبقر ويقودونها الى ارض قاحلة لا مرعى فيها . فيضطرُّ العدو اذ ذاك الى طلب المهادنة والمصالحة . واذا اصرَّ على عناده تموت اغنامهُ ويصبح فقيراً ولا يقدر ان يطلبها من صاحب الدخلة لانهُ أبى الّا الانتقام . واذا سرقت ولم يتصالحا فلا يطالب بشيء . على ان الغبي حينما يرى نفسه في هذه الحالة لا يتأخر عن طلب الحق امام القاضي فيتصالحان ويعود الدخيل الى منزله (لها بقية)

التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

وقفنا على نسخة خطّيّة من كتاب التنبيه للبكري (١) ردّ فيه على اغلاط القالي في كتابهِ الامالي . فاحببنا ان نصفها لقرّاء المشرق وان نستفيد من بعض ما ورد فيها لتؤيد ما قلناهُ في مقالتنا السابقة التي قرّظنا بها ديوان عمرو بن قميئة وأشرنا الى ما طرأ على الشعر العربيّ من الاختلافات

(١) كانت هذه النسخة مُلك جناب الاديب جرجس بك صفا وقد انتقلت بالبيع الى سعادة العالم الاديب احمد باشا تيمور . واليه انتقلت ايضاً نسخة نوادر ابي زيد الفريدة التي كان استعارها المرحوم الشيخ سعيد الخوري الشرتوني من جرجس بك ونشرها بالطبع في مطبعتنا وهي نسخة جليلة مضبوطة بالشكل الكامل

لا يُعرف من كتاب التنبيه للبكري الّا هذه النسخة الفريدة وهي قديمة العهد كُتبت سنة ٦٦٢ هـ = ١٢٦٣ م كما يظهر مما سُطِّر في آخرها : « آخر كتاب التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه . فرغ من تعليقه يوم الاثنين لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وست مئة احسنَ الله تقضّيها بالقاهرة المحروسة »

في هذه النسخة ١٣٨ صفحة من ورق قديم ومتين ابيض ضارب الى الاصفرار . طول الصفحة ١٧ سنتيمترًا . وطول ما رُسم في كل صفحة من الاسطر ١٤ سنتيمترًا بعرض ٩ سنتيمترات وفي كل صفحة خمسة عشر سطرًا . وفي الهامش بعض الحواشي وكلها بقلم كاتب النسخة الّا ما ندر . والخطّ هو النسخي المعهود وهو واضح مُتقَن وقد ضُبطت اكثر الالفاظ بالحركات . وحُقِّقت بعض الحروف المهملة كالحاء والراء والسين والصاد والعين فرُسمت حاء صغيرة تحت حرف الحاء وعين صغيرة تحت حرف العين لكن بنوع غير واضح يكاد يكون خطًّا عموديًّا صغيرًا ملتويًا قليلًا . ورُسمت علامة الاهمال وهي هلال صغير فوق الراء والسين والصاد . وكثيرًا ما تُرسم ايضًا علامة الاهمال هذه فوق حرف العين مع رسم عين صغيرة تحته . ويرسم السكون بصورة دال صغيرة . واكثر ما تُرسم الكسرة بخط صغير عمودي مستقيم . وقد طالعنا هذه النسخة فلم نعثر فيها على خطإ لا في الالفاظ ولا في الحركات الّا الزهيد الذي لا يُذكر . والحقّ يُقال اننا قلّما شاهدنا نسخة أُتقنت كتابتها وضُبطت ألفاظها وحُقِّقت حروفها وتنزهت عن الخطإ وسلمت من فتكات الزمان مثل هذه النسخة فيضاهي اتقانَ كتابتها علمَ مؤلفها . فكما ان البكري كان عالمًا « متقنًا لما قيّده ضابطًا لما كتبهُ » كذلك يظهر من كتابة النسخة ان الذي سطّرها كان على جانب من العلم متضلّعًا من قواعد اللغة

ولا بدّ من ان نعرّف القرّاء بادىء بدء بأبي علي القالي وكتابه الامالي لندرك اهميّة هذه النسخة ونعلم قدر البكري مؤلفها

القالي هو ابو عليّ اسمعيل بن القاسم القالي اللغوي . كان مولده سنة ٢٨٨ هـ = ٩٠٠ مسيحية بمنازجرد من ديار بكر . قيل لهُ القالي لانهُ سافر الى بغداد مع اهل قالي قلا من اعمال ديار بكر فبقي عليهِ الاسم . كان احفظ اهل زمانهِ للُّغة والشعر ونحو البصريّين ولهُ التآليف الملاح . منها كتاب الامالي . وكتاب البارع في اللغة

بناه على حروف المعجم وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة . وكتاب المقصور والممدود . وكتاب في الابل ونتاجها . وكتاب في حلى الانسان والخيل وبياتها . وكتاب فعلتُ وأفعلتُ . وكتاب مقاتل الفرسان . وكتاب شرح فيه القصائد المعلّقات . وغير ذلك

وطاف البلاد فأقام بالموصل لسماع الحديث وسافر الى بغداد ودخلها في سنة ٣٠٥ هـ = ٩١٧ م واقام بها الى سنة ٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م وكتب بها الحديث . ثم خرج من بغداد قاصداً الاندلس ودخل قرطبة سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤٢ م واستوطنها وأملى كتابهُ الامالي بها . واكثر كتبه بها وضعها . وفيها توفي سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٧ مسيحية (راجع كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان طبعة اوربة ١ : ١٠٩ وطبعة مصر ١ : ٩٢)

وعند دخوله الاندلس مدحهُ الشاعر المشهور يوسف بن هرون الكندي المعروف بالرماديّ بقصيدةٍ قال فيها (ابن خلكان طبعة مصر ٢ : ٥٤٣) :

رَوضٌ تَعاهدَهُ السَّحابُ كأنهُ ... متعاهدٌ من عهد اسمعيلِ
قِسْهُ الى الأعرابِ تعلمْ انهُ ... أولى من الاعرابِ بالتفضيلِ
حازت قبائلُهم لُغاتٍ فُرِّقتْ ... فيهم وحازَ لغاتِ كلِّ قبيلِ
فالشرقُ خالٍ بعدهُ فكأنما ... نزلَ الغرابُ بربعهِ المأهولِ
وكأنهُ شمسٌ بدتْ في غربنا ... وتغيبت عن شرقهم بأفولِ

ان كتاب الامالي المذكور هو تأليفٌ جزيل الفائدة لمن يريد التعمق في علم اللغة وتزيين عقلهِ بالآداب العربيّة والاخبار المنتخبة والاشعار المختارة والامثال المستجادة . قال ابو عليّ في مقدمتهِ لهذا الكتاب : « لمّا رايت العلمَ انفس بضاعة ايقنت انَّ طلبهُ افضلُ تجارة فاغتربتُ للرواية ولزمتُ العلماء للدراية ثم أعملتُ نفسي في جمعهِ وشغلتُ ذهني بحفظهِ حتى حويتُ خطيرهُ واحرزتُ رفيعهُ ورويت جليلهُ وعرفت دقيقهُ وعقلت شاردهُ ورويت نادرهُ وعلمتُ غامضهُ ووعيت واضحهُ . . . . فاملأت هذا الكتاب من حفظي في الاخمسة بقُرطبة وفي الجامع بالزهراء المباركة واودعتهُ فنوناً من الاخبار وضروباً من الاشعار وانواعاً من الامثال وغرائب من اللغات . على اني لم اذكر باباً من اللغة الّا اشبعتهُ ولا ضرباً من الشعر الّا اخترتهُ ولا فنّاً من الخبر الّا

انتخلتهُ ولا نوعاً من المعاني والمثل الّا استجدتُهُ . . . . . وفي هذا القدر من وصف الكتاب كفاية لنعلم كم يجمل بالمتأدبين مطالعتُهُ

وقد طُبع هذا المؤلَّف الجليل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ بمطبعة بولاق الاميرية بحرف يفوق حسناً ما طُبع سابقاً في هذه المطبعة الشهيرة . وكتاب الامالي جزءان ويليه ذيل الامالي والنوادر للقالي ومجموع صفحات هذه الاجزاء الثلاثة ٨٥٠ صفحة ما عدا فهارس ابواب الكتاب . الّا ان هذه الفهارس لكونها عمومية ليس منها فائدة كبيرة في مثل هذا الكتاب الذي ينتقل فيه المؤلف من باب الى باب ومن خبر الى قطعة شعر فنادرة فمثل الخ . وكان من الواجب ان يختم بفهارس لاسامي الاعلام ولقوافي الابيات وللالفاظ المفسَّرة الخ لتتمّ الفائدة فيجتني من الكتاب اطيب الثمار واشهاها

فبعد ان علمنا علوّ منزلة ابي عليّ القالي في علم اللغة والآداب العربيّة وشهرة كتابه الامالي ندرك بسهولة عظم قدر البكري واهميّة كتابه التنبيه الذي به فنّد اوهام القالي في اماليه

البكري هو ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الوزير من مُرسية . كان مولدهُ سنة ٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م وهو من اعيان اهل الاندلس واكابرهم . سكن قرطبة . وكان من اهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعاني الاشعار والغريب والانساب والاخبار متقناً لما قيّده ضابطاً لما كتبهُ . فاضلاً في معرفة الادوية المفردة وقواها ومنافعها واسمائها ونعوتها وما يتعلّق بها . جميل الكتب مهتماً بما كان يمسكها في سبايا الشرب وغيرها اكراماً لها وصيانةً . وله من المصنَّفات كتاب اعيان النبات والشجريات الاندلسيّة . وكتاب المسالك والممالك (١ وكتاب معجم ما استعجم (٢ وكتاب فصل المقال في شرح كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلّام

١) راجع الحاج خليفة (كشف الظنون ٥ : ٥١٠) . طُبع في الجزائر سنة ١٨٥٧ جزء من هذا المؤلَّف وعنوان هذا الجزء «كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب» . وقد نُقل الى الافرنسيّة وطُبع تباعاً في المجلّة الاسيويّة الباريزيّة في سنتيها ١٨٥٨ و ١٨٥٩

٢) راجع الحاج خليفة (كشف الظنون ٥ : ٥٢٦) . طُبع هذا المؤلَّف على الحجر في غتنغن من اعمال المانية سنة ١٨٧٧ بحرف دقيق . وصف البكري في هذا الكتاب ٥ المنازل والديار والقرى والامصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار منسوبة محدَّدة

اللغوي المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ بتفسير غريبه ومعانيه وذكر الامثال الواقعة فيه(١ وكتاب « شفاء عليل العربيّة » (راجع كشف الظنون للحاج خليفه ٤ : ٥٣) . وكتاب التنبيه الذي نتكلم عنه . وكتاب شرح نوادر ابي عليّ . وقد أُشير الى هذا المؤلّف في كتاب التنبيه . لاننا في الصفحة ١٠ نقرأ ما نصّه « وهذا ممّا اهمله ابو عليّ ولم يفسّر معناه وكثيراً ما يشغله تفسير ظاهر اللغة عن تفسير غامض المعاني وقد افردتُ لشرح معاني نوادره كتابا غير هذا . وفي الهامش حاشية هذا حرفها « للمؤلّف كتاب غير هذا في شرح نوادر ابي عليّ » . وفي خزانة الادب (١ : ٣٠٦) ورد ذكر هذا التأليف هكذا « شرح امالي القالي لابي عبيد البكري »

كانت وفاة البكري بقرطبة سنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م (راجع ابن بشكوال ١ : ٢٨٢ وابن ابي أصيبعة عيون الانباء في طبقات الاطبّاء ٢ : ٥٢)

لا ريب في ان القرّاء يُسرّون بالاطلاع على مقدّمة البكري لكتابه التنبيه لما حوته من جميل العبارة وجليل المعنى ولما فيها من الادب في الردّ على القالي وهذه هي بنصّها الشائق :

« قال ابو عُبَيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمّد البكريّ رحمه الله . . . هذا كتابٌ نبّهتُ فيه على اوهام ابي عليّ رحمه الله في اماليه تنبيهَ المنصف لا المتعسّف ولا المعاند محتجّاً على جميع ذلك بالشاهد والدليل فاني رايتُ مَن تولّى مثل هذا من الردّ على العلماء والاصلاح لأغلاطهم والتنبيه على اوهامهم لم يعدل في كثير ما ردّه عليهم ولا أنصف في جُلّ ممّا نسبه اليهم وابو عليّ رحمه الله من الحفظ وسعة العلم والنُبل ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحلّ الذي لا يُجهَل وبحيث يقصر عنهُ من الثناء الاحفل ولكن البشر غير معصومين من الزلل ولا مبرّئين من

وبوّبه على حروف المعجم مقيّدة » هكذا ورد في المقدّمة . ويحتوي الكتاب المطبوع على ٨٥٩ صفحة . وله فهرس في ٦٥ صفحة بثلاثة عواميد في كل صفحة

١) راجع فهرست المخطوطات العربية في خزانة كتب الاسكوريال (مجلّد ١ عدد ٥٢٦) وخزانة الادب (٣ : ١١) حيث وردقوله « كل كتاب جمع حكمةً وامثالاً فهو عند العرب مجلّة ومن هذا سمّى ابو عبيد كتابهُ الذي جمع فيه امثال العرب المجلّة » . والحاج خليفة (كشف الظنون ١ : ٤٢٥) حيث نقرأ « الامثال السائرة لابي عبيد عبد القاسم . . . وشرحها ابو عبيدة (والصواب ابو عبيد) . . البكري الاندلسي . . وسمّاهُ فصل المقال »

الوَهم والخَطَل والمالِحُ مَن عُدَّت هَفواتُه وأُحصِيَت سقطاتُه كنا المرءَ نُبلًا ان تُعَدَّ معايبُهُ . فلمّا اوريتُ من هذه الفوائد كابيَها وأبديتُ خافيَها اعطيتُ بها القوسَ باريَها واهديتُها الى المعتمد على الله (١ . . . الخ »

بعد أن عرّفنا القرّاء بالقالي وكتابه الامالي وبالبكري وبكتابه التنبيه ليُسمح لنا ان نورد جملة من هذا التأليف تبيّن ما طرأ على الشعر العربي من التخليط والتبديل . ويُعلم من ثمّ اسلوب البكري في ردّه . قال في الصفحتين ٣٤ و ٣٦ :

« وانشد ابو عليّ (٢ رحمه الله غير منسوب في خبر ذكره عن الاصمعي رحمه الله :

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظرًا الى قَرقَرى يومًا وأعلامها الغُبرِ
كأنّ فؤادي كلّما مرّ راكبٌ جَناحُ غُرابٍ رامَ نهضًا الى وَكرِ
اذا أرتعتْ نحوَ اليمامةِ رُفقةٌ دعاكَ الهوى واهتاجَ قلبُكَ للذِكرِ
فيا راكبَ الوجناء أبتَ مُذلَّلًا ولا زالتَ من ريبِ الحوادثِ في سترِ
اذا ما انتهتَ العِرضَ فأهتِف بحوزِهِ سُقيتَ على شحطِ النَّوى سَبلَ القطرِ
فانّك من وادٍ اليَّ مُرحَّب وان كُنتَ لا تردادُ الّا على عُذرِ

خلط ابو عليّ رحمه الله في هذا الشعر وهو من شعرين مختلفين لرجلين فثلاثة الابيات منه ليحيى بن طالب على ما انا ذاكرهُ وثلاثةُ الابيات منه لقيس بن معاذ . وكان يحيى بن طالب الحنفيّ سخيًّا يقري الاضياف فركبهُ الدين الفادح فجلا عن اليمامة الى بغداد يسأل السلطان قضاء دينه

فارادَ رجلٌ من اهل اليمامة الشخوصَ من بغداد الى اليمامة فشيّعهُ يحيى . فلمّا جلس الرجل في الزورق ذرفت عينا يحيى وأنشأ يقول (٣:

١ أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظرًا الى قَرقَرَى يومًا وأعلامها الخُضرِ

هكذا صحّةُ انشاده « واعلامها الخضر » لا « الغُبرِ » كما أنشدهُ ابو عليّ رحمه الله وكيف يحنّ الى اوطانٍ يصفها بالجَدْب والاغبرار

١) هو المعتمد على الله ابو القاسم محمّد بن عبّاد صاحب اشبيلية في الاندلس تولّى الامر بعد ابيه المعتضد بالله سنة ٤٦١ ه = ١٠٦٩ م .

٢) راجع كتاب الامالي (١ : ١١٧)

٣) راجع الامالي (١ : ١٢٢ و ١٢٣)

٢ اذا ارتحلتْ نحو اليمامةِ رُفقةٌ دعاكَ الهوى واهتاج قلبُكَ للذكرِ
٣ كأنَّ فؤادي كلّما مرَّ راكبٌ جناحُ غرابٍ رامَ نهضاً الى وكرِ
٤ فيا حَزَنًا ماذا أُجِنُّ من الهوى ومن مضمَرِ الشوقِ الدَّخيلِ الى حَجْرِ (١
٥ تعزَّيتُ (٢ عنها كارهًا فتركتُها وكانَ فِراقيها أمرَّ من الصبرِ
٦ اقولُ لموسى والدموعُ كأنّها جداولُ ماءٍ في مسارِبها تجري
٧ ألا هل لشيخٍ وابنِ ستّينَ حجّةً بكى طربًا نحوَ اليمامةِ من عُذْرِ

وقد ذكر ابو علي رحمه الله خبر يحيى هذا وانشد له هذا الشعر ولكنه نسي ولولا نسيانه لاعتذر وهكذا صحّة اتصال ابيات شعرٍ لا كما وصلها ابو علي رحمه الله . واما ابيات قيس بن معاذٍ فانها :

ايا راكبَ الوجناء أنتَ مسافرٌ ولا زلتَ من ريبِ الحوادثِ في سترِ
اذا ما اتيتَ العرضَ فاهتفْ بجوهِ سُقيتَ على شحطِ النوى سبلَ القطرِ
فانّك من وادٍ اليَّ مُحبَّبٍ وان كنتَ لا تزدارُ الّا على عُفْرِ
٨ لعلّ الذي يقضي الامورَ بعلمهِ سيصرفني يومًا اليه على قَدْرِ
٩ فتَرقأ عينٌ ما تَئِنُّ من البكا ويسكنُ قلبٌ ما يُتَهْتَهُ بالزَّجرِ »

انتهى كلام البكري

وقد نسب سهوًا ابو علي هذين البيتين الاخيرين ليحيى بن طالب واضافهما الى شعره وهما لابن معاذ . وبدّل بعض الالفاظ فروى سيصرفني يومًا اليها « يريد اليمامة . والرواية الصحيحة في شعر ابن معاذٍ « سيصرفني يومًا اليه » يريد العرض . وروى ايضا ابو علي « من وادٍ اليَّ مُرحَّبٍ » و « فتفتر عين » و « ويصحو قلبٌ » عوض « من وادٍ اليَّ مُحبَّبٍ » و « فترقأ عينٌ » و « ويسكن قلبٌ »

وما عدا ذلك فان ابا علي القالي في الصفحتين ١٢٢ و ١٢٣ من الامالي اعاد بعض الابيات التي كان اوردها في الصفحة ١١٧ واضاف اليها ابياتًا اخرى وغيّر الترتيب ونسب القطعة كلها ليحيى بن طالب كما يلي : ١ و٢ و٦ و٧ و٣ ثم بيت لم يروه البكري ثم ٤ و٥ و٨ و٩ فالبيت الذي لم يروه البكري هو :

يُزَهِّدُني في كلِّ خيرٍ صَنعتُهُ الى الناسِ ما جرَّبتُ من قلّةِ الشكرِ

١) « حَجْر هي مدينة اليمامة وامُّ قراها » (ياقوت ٢ : ٣٠٩)
٢) في الامالي (١ : ١٢٣) « تعزَّبتُ » بمعنى تغرَّبتُ

ومعنى هذا البيت لا يناسب مطلقاً معنى الابيات التي قالها يحيى بن طالب . ولا ندري أهو لابن معاذ أم لغيره

فترى مما سبق ان ابا عليّ القالي خلط وبدّل وقدّم وأخر . وابو عليّ كما قال عنه البكري هو « من الحفظ وسعة العلم والنبل ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحلّ الذي لا يُجهل » . فما قولك في من هم من الرُّواة دونه علماً ولا يشقُّون له غباراً في ميدان معرفة اللغة والشعر

قلنا في مقالتنا السابقة التي بها قرّظنا ديوان عمرو بن قميئة (المشرق عدد ٢ من السنة ١٩٢٠) ان اكثر علم العرب في الجاهلية كان الشعر فهو كنزهم يحرصون عليه ومجدهم يفتخرون به . وبما ان الشعر العربي حين بادئ بدء في ذاكرة الناس لا في القرطاس طرأت عليه حوادث جمّة من زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وتخليط وتبديل . فلا تكاد تصل الينا قصيدة كما نطق بها الشاعر

هذا فضلاً عمّا اصاب النسخ فيما بعد من التضعضع وتشتت اوراقها بصروف الزمان والايام كما يتضح ذلك لكل ذي عينين من النظر الى نسخة شعر الاخطل اليسنيّة . فتارةً تنفصل اجزاء القصيدة الواحدة الى قطع متباينة كأنها قيلت في اوقات وظروف مختلفة كما ترى في ديوان الاخطل نسخة بطرسبرج ٥٦ و ٢٧٨ فانهما قطعتان من قصيدة واحدة انفصلتا عرضاً وهما في النسخة اليسنية متّحدتان مكمّلتان الواحدة للاخرى . وطوراً ترى قطعتي شعر مختلفتين ضُمّتا في قصيدة واحدة في المعنى ولاتفاق البحر والقافية

وزد على ذلك ان طريقة نسخ الكتب بدون تمييز الحروف المعجمة وبدون ضبط الالفاظ بالحركات كان سبباً آخر لما دخل في الشعر العربي من اختلاف الروايات والاغلاط

مثال ذلك اسم الزُّبير بن علي بن منجوز . ففي معجم ياقوت (٣ : ٩٢٨) ورد « ماجور » . وفي الجزء الخامس منه في باب الروايات والتصحيحات ورد « الماخور » وفي كتاب انساب الاشراف للبلاذري ١١٠ ورد هذا الاسم « الماحون » وذلك في عنوان الفصل . وفي سياق الخبر وفي الشعر . قال : « امرّ الزبير بن علي من آل الماحون » وايضاً : « وقال رجلٌ من اصحاب عتب يُكنى ابا هريرة : قل لابن ماحون وللاشرار .

كيف ترونَ يا كلابَ النارِ . شدَّ ابي هُريرةَ المرّارِ » . امّا في تاريخ الطبري (٢ : ٥١٧ و ٥٨٤ — ٥٨٦) والكامل لابن الاثير (٤ : ٨٣ و ٨٤) فنقرأ : الماحوز » فترى انَّ الاسم يرد مختلف الرسم في التآليف . ولا يبعد ان يرد في كتب غير التي ذكرناها باحدى هذه الهيئات : ماجوز او ماخوز او ماجون او ماخون

ثم ان تحقيق الحروف المهملة بعلامات الاهمال بدون عناية ولا تدقيق في الكتابة كثيراً ما نتجت عنه قراءات لا تحصى وخطأ لا يستقصى فتحوّل الحاء الى جيم والراء الى زاي والصاد الى ضاد والعين الى غين وهلمَّ جرّاً . فيكتب مثلاً الناسخ « الفرس الجرور » ويحقق الراء الاولى من الجرور بعلامة الاهمال وهي هلال صغير لكنه لا يحسن رسمه لسرعته في الكتابة فيرسمه كنقطة فتتصحف الكلمة وتصير الجزور كما في نسخة ديوان الاخطل اليمنية ٣٨ فتختلف الرواية والمعنى فالجرور البطيء والجزور ما يُذبح

وكثيراً ما كانوا يخطئون في سرد الابيات فلا يوردونها بالترتيب الذي راعاه الشاعر والسبب في ذلك هو ان معنى البيت في الشعر العربي لا يرتبط عادةً بمعنى البيت السابق او اللاحق بل يبتدئ وينتهي مع البيت فيكون البيت مستقلاً بذاته فلا شيء ينبّه من ينشد الشعر على حفظ ترتيب الابيات سوى ذاكرته وهذه قد تسهو فتقدّم ابياتاً وتؤخر اخرى وقد ينتج عن ذلك خلل ليس باليسير وغموض في المعنى . مثال ذلك ما ورد في القصيدة التي مدح بها الاخطل بشر بن مروان (ديوان الاخطل ٦٨ — ٧٣) وصف الاخطل ناقته التي ركبها الى بشر فشبّهها في سرعة عدوها بالثور يتتجع الكلأ وبالهقلة وهي الانثى من النعام يباريها في السير الهيق وهو الذكر من النعام فقال :

كأنّما أسحمُ الرُّقبتينِ مُتتجعٌ تتلوهُ رجلانِ في كبيهما صَعَعُ
او هقلةٌ من نعامِ الجوِّ عارضها قَرْدُ العِفاءِ وفي يافوخهِ صَقَعُ
هَيقٌ خفيفٌ يباريها اذا نهضت وهوَ لها بعدَ جِدٍّ منها نَبَعُ
تَماوَرا الشدَّ لمَّا اشتدَّ وقعهما وكان بينهما من غائطٍ وَشَعُ
نعّابةٌ بعد جُهدِ الأينِ يفزعُها صوتٌ لآخرَ تالٍ بعدَها يقعُ
خمساً وعشرين ثم استذرعت زغباً كأنّهنَّ بأعلى لَمْلَمٍ رِجَعُ

فالبيت « نعّابة . . . » ليس في محلّه لانه يعود الى الناقة فالنعب من سير

الابل وهو ان يحرك البعير رأسه اذا اسرع فهو من سير النجائب . والصوت صوت الحادي يحثها على الجري فادرج المنشد والنسخ بعده هذا البيت خطأً ضمن الابيات التي يصف بها الاخطل النعام والنعامة يختلفان الى بيضهما يحضنانه خمساً وعشرين ليلة . والمعنى يقتضي ان يقدم هذا البيت فيثبت مع الابيات المختصة بوصف الناقة

ومعلوم انّ اللغة العربية غنيّة بالالفاظ المترادفة القريبة المعنى . فكان من ينشد الشعر اذا لم يتذكر لفظةً يلتجئ الى غيرها ترادفها او تصلح البحر او القافية وان اخلّ ذلك بالمعنى كثيراً او قليلاً . وهذا من اسباب الروايات المختلفة في الشعر العربي . وقد بيّنا ذلك في الابيات التي رواها البكري عن القالي حيث روى الغُبْر بدل الخُضر ومرجب عوض مرحب

ولا اسهل من ان نأتي بامثلة عديدة وردها البكري في كتابه التنبيه . الا انّ نكتفي بما سبق

الثلج في بيروت وسواحل لبنان

نظر للاب فريد شيخو اليسوعي

قمنا صباح الاربعاء في ١١ شباط وإذ بالمدينة مكتسية بحلة ناصعة بيضاء تأخذ بالعين فكان الثلج بسط على سطوحها وشوارعها وكافّة احيائها ثوباً يقتاً لم تعهده ابصار اهل بيروت الا بعيداً على قمم جبلها وما اجمل ما كان منظر الاشجار باغصانها البيضاء على مثل القضبان من أجين . وبقي الثلج يتناثر طول النهار كاللآلئ الثمينة فتراكم الثلج اكداساً حتى بلغ عشرين سانتمتراً بنيف اعني قريباً من ثلث الذراع ولم تنفرد بيروت بهذه الهبة التي عمّت كلّ السواحل . فظننا انّ عصاة ساحرٍ رفعت بنا الى ذرى لبنان او ان لبنان نزل من مشرفه ليشركنا ببعض امتيازاته

وبينما كان البرد يقرس قرس اليبا نوى كثيرون في بيوتهم وتعطّلت عدة اشغال في المدينة حتى صعب الجولان في انحائها ونزلت بعض بنات آوى الى المدينة

ودخل منها واحد في مكتبنا الطبيّ فتساءل كثيرون ماذا يا ترى حلّ في طبقات الجوّ ؟ . قالت البشير في عددها الصادر في غد ذلك اليوم : « هل طربت بيروت واستبشرت بقرب انضمامها الى لبنان فحاولت ان تضاهيهُ في الاحوال الجوّية كما سماثلهُ في الشؤون الادارية والسياسية فتزيّنت بزينة صنيه ولبست ثوب بياضه الناصع وكأنها تنادي وتقول انها تريد ان تكون من لبنان وكلبنان وانها تأبى الانفصال عنهُ مهما كلّفها الامر حتى ولو تكبدت لاجله من صبارة القرّ فوق ما تتكبدهُ من حرارة القيظ والحرّ » فأحسن به تفاؤلا نتمنّى تحقيقهُ في القريب العاجل

*

وبنسبة هذا الواقع العجيب سألنا كثيرون أورد شيء مثل ذلك في الايام السابقة والسنين السالفة

احببنا قبل البحث في صفائح التاريخ ان نلقي نحن ايضا هذا السؤال على شيوخ الوطن ممن طعنوا في السنّ وعجموا الدهر حلوهُ ومرّهُ فكان جوابهم بلا اختلاف كما عرفناهُ نحن بالاختبار منذ ازيد من نصف القرن انهم لم يروا بل لم يسمعوا انّ الثلج جلّل سواحل لبنان ببردتهِ البيضاء اللهم الّا بنتف قليلة كانت تذوب عند مسيسها للحضيض

فقُضي علينا ان نوجّه رائد البحث الى كتب التاريخ وهي اصدق شاهد على حوادث الازمنة الغابرة . على ان تواريخ سورية القديمة عموما ولبنان خصوصا اعزّ من بيضة الديك فليس لدينا منها غير ما جمعهُ الطيب الذكر البطريرك اسطفانوس الدويهي في تاريخهِ الذي طُبع منهُ قسمهُ الديني وتاريخ الامير حيدر الشهابيّ المعروف بالغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان الذي طُبع في مصر ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة منقولة عن النسخة الاصلية مع اختلاف كثير عن النسخة المطبوعة ثمّ تواريخ اخرى قليلة منها عمومية كتاريخ ابن الاثير وتاريخ ابي الفداء وتاريخ ابن العبري ومنها خصوصية كتاريخ ابن سباط وصالح بن يحيى . فهذه التواريخ قلما تدوّن الحوادث الجوّية ما خلا الزلازل وكسوف الشمس وظهور المذنبات والسيول . واذا ذكرت الثلوج فذلك استطرادا . اما ما يتناقلهُ البعض بالتقليد عن الشيوخ فلا يُعرف تاريخهُ بالتدقيق وربّما خلطوا بين الثلج والبرد او الصقيع كما حدث في ربيع ١٦٨١

حيث وقع بَرَد كثير بلغ كما اخبر الدويهي وغيره وزن البَرَدة اوقية وثلثاً فهلك بسببه كثير من البهائم وأضرَّ بالاشجار . وكذلك في السنة ١٨٠١ نزل بَرَد كبير وطال نزوله نحو الساعة فغطّى قرى المتن والفتوح وبلغ السواحل فأتلف الزروع وعرّى الاشجار من ورقها الّا انَّ هذه الضربة حدثت ليل ٢٧ ايار وكفى بذلك دليلًا على انهُ لم يكن ثمَّ ثلجٌ لأن الثلج لا يسقط عادةً الّا في الكوانين

وقد وجدنا في التاريخ ما هو ادلّ واصرح . قال الامير حيدر الشهابي في الغرر الحسان في تاريخ سنة ١٠٧١ ﻫ الموافقة للسنة ١٦٦١ م :

« عندما دخل الشتاء حدث بَرَد عظيم وشتاء زائد وتراكمت الامطار والثلوج التي لم يُسمع بمثلها وزاد الثلج في السواحل حتى تكسّرت منهُ الاشجار والزيتون ووصل الى البحر ودام ذلك مدّةً فاشتدَّ الجوع وزاد الغلاء الى ان بلغ ثمن غرارة القمح الاثني عشر غرشاً . ثمَّ بلغ ثمانين غرشاً وانقطع وجود الملح الى ان بيع القنطار بمصريّة (كذا) . ومات اناس كثيرون من الجوع واكلت الناس لحوم الحيوانات الآنفة »

وقال في تاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٦٨٣ (ص ٤٧٣ من نسختنا) :

« في شهر كانون الثاني حدث برق ورعد واعقبهُ شتاء عظيم وسيول عظيمة حتى حفرت خنادق في الارض ووقع ثلوج زائدة . وكان الحاج في ارض حوران مات منهُ كثير من البرد »

وقال ايضاً يذكر حوادث السنة ١٧٧٨ :

« وفي هذه السنة في ١١ كانون الاوّل وقع ثلج عظيم حتّى بلغ حدود البحر بنيف عن شبر وفي دير القمر عن ذراع ونصف »

ومما ورد في نسخة مكتبة الشرقيّة (ج ٢ ص ٣٣٧) ولم يدوَّن في النسخة المطبوعة ما حرفهُ يذكر تاريخ السنة ١٢٠٣ ﻫ (١٧٩٨ م) :

« في هذه السنة صار ثلج قويّ حتّى صار في ساحل البحر نصف ذراع وكان الحرير سعر الرطل ٢٣ غرشاً وكيلة الحنطة سعر ٣٢ »

*

هذا ما حصلنا عليهِ من آثار التاريخ وفيهِ دلالة على انَّ سقوط الثلج في السواحل مع ندرتهِ ليس بالامر الغريب . ولعل سائلًا يسأل : وهل في سقوطهِ خيرٌ او شرٌّ . الجواب عليهِ انَّ مجرَّد هبوط الثلج لا يدلّ على بلايا خاصّة بل هو الى الخير اقرب على ما جاء في مثل بعض جهات لبنان « اذا ثلجت فرجت » . والحقّ يقال انَّ في

تراكم الثلج عدّة فوائد فانّ الثلج بسقوطه ينظّف طبقات الجوّ من الجراثيم المضرّة ويقتل الهوامّ والحشرات كالبعوض والذباب والمالوش والخنافس

ومن فوائده انّهُ اذا غطّى الارض يصون الحبوب المزروعة ويمنع عنها البرد الجوّيّ فلا تتلف . ومنها انهُ على خلاف السيول لا يجرف التربة الجيّدة من اعالي الجبال بل يحبسها بنفوذ مياهه في اعماقها حتّى تروى بمياهه عند ذوبانها (اشعيا ف٥٥)

وكم في الثلج من العجائب في تكوينه في طبقات الفضاء اذ تتصاعد الابخرة من الارض والبحر الى اعالي الجوّ فاذا بلغت علوًا معلومًا فصادفت درجة واطئة جدًا من الحرارة تبلورت تبلورًا ناعمًا كالابر الدقيقة فتتصل ببعضها على اشكال عجيبة هندسيّة اذا فحصها الانسان بالمجهر رآها على صور شتّى وابدع ما يمكن المصوّر تصويرهُ من نجوم مسدّسة الزوايا مختلفة الاغصان في غاية الضبط كأنها رُسمت بالمسطرة والبيكار فسبحان الخالق الذي عدّد العجائب في الكائنات ليوقفنا على لمحة من قدرتهِ غير المتناهية فبكل صواب يدعو الكتاب الثلج الى تسبحة الله

وكم يجد المتلهّون بالثلج سببًا لترويح البال واللعب فيتضاربون بكراتهِ او يسيرون على جليدهِ . وقد رأينا احد آباء كليّتنا الذي اسرع فكدّس الثلج واصطنع منهُ تمثالين جليلين غاية في الدقّة والاتقان كأنهما نحتا في الرخام فأتى كثيرون لمشاهدتهما

وما قولنا على ما ينفعنا بهِ الثلج اذ يخزن لنا مياههُ الباردة الصافية في كهوف الجبل فتسيل الينا طول السنة ولاسيّما في فصول الصيف واشتداد الحرّ ولولاهُ لنضبت العيون وانقطع عن الحيوان اعظم موادّ حياتهِ . وربّما نقل منهُ الى المدن الساحليّة كميّات وافرة يتهنّأ ببرودتها الشاربون

وفي الثلج للادباء موضوع ينبّه مخيّلتهم ويشحذ قريحتهم . ولعلّ اقدم ما ورد في ذلك ما جاء في الكتب المقدسة قال ايوب (٣٧ : ٦) انهُ تعالى يأمر الثلج فيمتثل لامرهِ ويسقط على الارض . وقال النبي والملك داود (مزمور ١٤٧ : ١٦) عنهُ عزَّ وجلَّ انهُ « يعطي الثلج كالجزّة وينثر الصقيع كالرماد » . وروى ايوب عن لسانهِ جلَّ اسمهُ يفتخر بما يخزنهُ للبشر من الثلج فقال : « هل اخترقتَ الى خزائن الثلج ام عاينتَ خزائن البَرَد التي ادّخرتها الى اوان الضرّ . . . هل للمطر من ابٍ ام مَن وَلَدَ نُقَط الندى . من بطن مَن خرج الجَمَد ومن وَلَدَ صقيع السماء » . وجاء

في سفر يشوع بن سيراخ في وصف الثلج ما يستحسنهُ الادباء ويعدُّونهُ من الكلام الشعريّ (٤٣: ١٩—٢٢) قال: « يذري (الرب) الثلج كما يتطاير ذوات الاجنحة وانحدارهُ كنزول الجراد تُعجب العين من حسن بياضهِ ويندهل القلب من مطره ويسكب الصقيع كالملح على الارض ... » . وكم تغنَّى الكتاب بشدَّة بياض الثلج فذكر الانجيل انَّ ثياب المسيح يوم تجليهِ اصبحت بيضاء كالثلج . ومثلهُ الملاك الذي كان عند قبرهِ كان ثوبهُ ابيض كالثلج (متى ١٧ : ٢ و ٢٨ : ٣) . وقال اشعياء النبي في ما يمنحهُ الله من الغفران للتائبين (١ : ١٨) : « انهُ ولو كانت خطاياكم كالقرمز تبيضُّ كالثلج » . ومثلهُ في المزمور الخمسين : « تنضحني بالزوفى فأطهر وتغسلني فأبيضُّ اكثر من الثلج » . وقال سليمان في امثاله يذكر أذى برد الثلج وفطنة المرأة القويَّة لتلافي اضرارهِ (امثال ٣١ : ٢١) : « لا تخشى على بيتها من الثلج لأنَّ اهل بيتها جميعهم لابسون الحلل » .

وفي شعر ادباء العرب ما يحسن بنا ذكرهُ قال الوزير ابن عبَّاد :

أقبل الثلجُ في غلائل نورٍ يتهادى بلؤلؤٍ منثورِ
فكأنَّ السماء صاهرتْ الار ضَ وذاك النثارُ من كافورِ

وقال السريّ الرفَّاء :

انظروا من عارضي ترك الدجا بياض مزنيهِ عرابًا ابتعا
نثرتْ يدُ الارياح لؤلؤ ثلجهِ فبدا بأجياد الحصون مرصَّعا
وكأنَّهُ عبثتْ نوءم برقهِ سحابهِ فرمت بهِ فتقطَّعا

وقال بعضهم :

كأنَّ دقيقَ الثلج عند وقوعهِ على الارض قطرٌ او دقيقٌ يُغربَلُ

ولآخر :

وكرسفٍ يُدفُّ في الهواء
منتثرٍ لم يَعدُ في استواء مثل فتيَّ القصة البيضاء

وقال كشاجم وهو احسن ما قيل في وصف الثلج :

أالثلجُ يسقطُ ام لجينٌ يُسبكُ ام ذا حصى الكافور ظلَّ يُفرَكُ
راحت بهِ الارض الفضاء كأنَّما من كلِّ ناحيةٍ بثغرٍ تضحكُ

اوفى على خضر الغصون واصبحت كالدرّ في قُضُب الغصون تُسلكُ
مترنّم الاشجارُ منهُ ملاءةً عمّا قليلٍ بالرياح تحنكُ
كانت كعود الهند غرّيا فانكفت في لون ابيض وهو اسودُ احالكُ
والجوّ من أرج الهواء كأنهُ ثوب يُعنبرُ تارةً ويُمسكُ
فاليوم يؤذن لملاحة انهُ سيُملّ فيهِ ذمُّ الزمان ويُسفكُ

قلنا وافضلُ من سفك دم الدنان انقطاع الانسان الى امور بيته والصلاة الى ربّه في مثل ذلك الوقت

هذا ونسأل الله ان يكون هذا الثلج رائد سلام وخصب بمنّه تعالى

ضلال الوهم في الحيوانات والحشرات

لاسكندر نوران اليسوعي

ان في اعمال الحيوانات والحشرات صغيرها وكبيرها ما يحملُ على العجب ويقف امامهُ الانسان حائرًا مندهلًا فان بعضها كالنحل والنمل تُبدي براعة غريبة ومعرفة عجيبة في مزاولة الاشغال واتقانها فهي تجتمع جماعات جماعات يسعى كل فرد منها لصالح الجماعة ويعمل لخيرها ولو نظرنا الى ذوات الأثدية لرأينا فيها من الانعطاف والحبّ لصغارها ما يذهل العاقل ويستوقف البصير وكم من امور عجيبة في الطير التي تبني اعشاشها وتحضن بيضها وتغذي فراخها واذا شعرت اسرابها بقدوم البرد تغادر مساكنها الى حيث تجد الشتاء اخفّ وطأةً وألطف بردًا ومثلها الحشرات التي تعتني بالدودة التي تخرج من بزرتها وتعدّ لها قوتها . فاذا رأى الانسان كلّ ذلك تبادر الى ذهنهِ قولهُ : اليس عند هذه المخلوقات شعاعٌ من نور العقل الحقيقي ؟

ولكن لا يسوغ للعاقل ان ينخدع بالمشاهدات فيحكم عنها قبل ان يدرسها درسًا مسهبًا ويرى ما هنالك من الحقيقة والصواب . وقد تقدّم لنا بحث في غير هذا المكان عن بعض مميّزات الغريزة اثبتنا فيه ان اعمال الحيوانات والحشرات انما ترمي الى حفظ البقاء ودوام النوع فتقدّر اعمالها على قدر حاجتها ولا تستعمل من الوسائط

كما يلوح الأما انطبق على غاية مطاربة فلو تتبعنا اعمالها عن كثب باخلاص وصدق نية لتبيّن لنا حينئذٍ مبلغها من الفهم والادراك — ان كان ثمّ فهمٌ او ادراك — وعليه فاننا سننظر في اعمال بعض هذه الكائنات ونضرب لذلك امثالاً من الحشرات المألوفة وغير المألوفة ونتتبع في مقالنا هذا بعض الاختبارات العديدة التي اجراها العلّامة «فابر» في ابحاثه عن طبائع الحيوانات وعوائدها

يقول الماديون : ان كل جماعة تدلُّ على اتحاد إرادات الأفراد في سبيل النفع العامّ وان النحل والنمل لتعيش كذلك فهي اذن جماعات حقيقية تسعى كل افرادها لخير مشترك فهناك اذن قوة مدركة تدير امورها وترشدها الى صلاحها . فللّه درُّهم لهذا القياسَ المنطقي الذي لو عرضناه على محكّ العقل لسقط من تلقاء نفسه ولم يثبت فقد وهمَ الماديون في قياسهم وخبطوا فيه خبط عشواء متشبثين بأوهى من خيط العنكبوت

نعم اننا لا ننكر ان النحل تعيش جماعات وانها تنتج الشمع وتجمع العسل وتربي نسلها وتقسم اشغالها وان لها يعسوباً نسميه ملكة وان عندها العاملات وغير العاملات وخلاف ذلك من الامور العجيبة ولكن أتصنع ذلك بقوة التميز او تجري عليه بمقتضى إرادتها ومعرفتها لخيرها وهل هنالك عقل يسوس تلك المملكة الصغيرة ويدبّر شؤونها ؟ اليس يعسوب النحل هو القائم بتدبير الرعية ؟ كلّا ثم كلّا فان ملكة النحل ما وجدت الّا لتضع البيض فما هيَ الّا آلة عمياء ولو اضطرّت الى عمل غير هذا العمل لظهرت من الحمق والجهل بمكان حتى انها لا تقوى على تناول الطعام بنفسها فيقوم بتغذيتها بعض العاملات

ولعلّ متفلسفاً يقول : ان هذا من ميزات الملوك فانهم يكثرون من الخدم والحشم في بلاطهم . أجل لكنّ الملك لو زُجّ في حبس ونحّيتَ حاشيته عنهُ فتضوّرَ ولديهِ من الطعام ما يردُّ به هجمات الجوع ومضض الموت لما تأخر عن تناول قوته بيديهِ حضر الخدم او لم يحضروا امّا ملكة النحل فانها تموت جوعاً والقوت متوفر لديها لان من غريزتها ان لا تقتات بنفسها بل ان تُطعم وليس عندها من العقل ما يقوم مقام الغريزة فتتناول الطعام وتحيا فهيَ هكذا خُلقت وهكذا تظلّ ابداً ومن ثمّ نرى ان المعتنين بالنحل اذا ارادوا ان يحسّنوا انواع نحلهم وطلبوا اجناساً أخرى من غير بلادهم وضعوا

ملكات النحل في اقفاص صغيرة مشبكة ووضعوا فيها معها شيئاً من العسل يكون لها زاداً لطريقها ولكنهم لا يغفلون ابداً عن ان يجعلوا في صحبتها بعض النحلات العاملات لتقوم بتغذيتها والا ماتت الملكات جوعاً والقوت متراكم لديها ليس لها الا ان تتكلف تناوله وهي لا تفعل . فكيف يفسر الماديون ذلك او كيف يعللون هذا الخلل في ملكة النحل

هذا ثم ان اثوالا عديدة من النحل تنفصل عن القفير لتبني لها قفيراً جديداً لكن كثيراً منها تتلف لقلتها وضعفها ولو ان عندها مسحة من الفهم والادراك لاستدركت الامر واجتمعت مع اثوال اخرى او بقيت في القفير الاول فنجت من الهلاك المؤكد

او ما يقول الماديون فيما نراه من تقاعد النحل عن الدفاع عن نفوسها ومقاومة دودة فراشة تدعى سوسة النحل (teigne des Abeilles) فانها تدس بيضها في مخاريب الخلية حتى اذا نقفت افسدت القفير واهلكت القسم الاوفر من سكانه . فلو كان عند النحل شيء من ادراك الاتحاد كما يزعم الزاعمون لاجتمعت على تلك الدويدات واهلكتها عند خروجها من بيضتها

ومن العجب ان تتغافل النحل عن هؤلاء الاعداء وتعرض نفسها للموت في هجومها على عدو ربما كان عدواً وهمياً فتلسعه بخمتها وتموت وهي لا تتعرض لتلك الدودة الصغيرة قبل ان تنسج خيوطها على أقراص الشمع وتعيث في القفير فساداً . فلو كان النحل ذرة من العقل كما يقولون أما كانت تتحد وتتعاون لتطرد من امام مدخل القفير الحرذون الذي يزدرد منها المئات في دخولها الى القفير وخروجها منه . لا ليس عند النحل عقل وليس عندها ألفة حقيقية وان هنالك الا غريزة تختلف في بعض احوالها عن غريزة بقية الحيوانات ولكنها لا تزيد على الوهم . كذلك قل عن بقية الحشرات والحيوانات فان في غرائزها زيغاً وضلالاً كما تحققنا ذلك في جماعة النحل

فلنعتبرنَّ الان طائفة النمل وهي تعيش ايضاً مجتمعة فيزعم بعضهم ان لها عقلاً تنقاد له وتعمل به وما هنالك الا غريزة عجيبة تساعدها على انشاء قريتها وسبي غيرها من النمل واستخدامها في امورها والاعتناء في جمع اقواتها وحفظها ولكنها لا تزيد على النحل فهماً وادراكاً . انظر هذا النمل الذي شمّ رائحة السكر وراء الحدود في

الارض فاذا وجد خيطاً او قشة فوقهُ تبلغهُ الى السكر جرى عليها . امَّا اذا نزعنا تلك القشة او ذلك الخيط عجزت النملة من تلقاء نفسها عن وجود حيلة لارجاع القشة او ما يقوم مقامها لتسير فوق ذلك الجسر الصناعي فتبلغ الى السكر الذي تشمّ رائحتهِ عن كثب . أما كان يمكنها وهي التي تجمع القش في بيوتها ان تملأ ذلك الاخدود الصغير ثمَّ تمرّ عليه آمنة . أما تقوى وهي التي تنقب الارض وتعمل الأنفاق وتشكل بيتها على صور متعددة ان تحفر نفقاً تمرُّ بهِ تحت الارض فتصل الى ذلك السكّر ؟ لا اعمري ان النمل لا تستطيع تحريك ثلاث ذرّات من الرمل لعملٍ يدلّ على العقل والادراك وغريزتها اليوم كما كانت يومَ خلقها الله دون ادنى ترقٍّ

بينما كنّا نكتب هذا الفصل في السنة ١٩١٤ اذ عثرنا على مقالة نشرتها مجلة كوسموس في تاريخ ١٥ ايار سنة ١٩١٣ ذكرت فيها نتيجة ابحاث المسيو كورنتز احد مشاهير الباحثين عن طبائع النمل يؤخذ منها انَّ ما يتناقلهُ الناس حتّى الكثير من الكتبة عن معاونة النمل بعضها لبعض حيث تجتمع اثنتان او اكثر منها للقيام بعملٍ ما فهذه تجرّ الثقل وتلك تدفعهُ ريثما يتمّ العمل بالتعاضد كما يفعل العمّلة في الناس ذلك كلُّهُ لا اصل لهُ ولا سند وانَّما هو مجرَّد وَهم الناظر الذي ينسب الى النمل ما يراهُ في البشر . وقد عدَّد المسيو كورنتز امتحاناتهِ ليتحقَّق هذا القول فكانت نتيجة ابحاثهِ معاكسة لهذه الروايات الوهميَّة اذ وجد النمل ليس فقط لا تتكاتف افرادُهُ وتتساعد بل على عكس ذلك يخالف بعضها بعضاً في الغالب فليس بينها ألفة او عمل اجتماعي كما زعموا واذا وُجد شيء من ذلك فمن باب الصدفة والعمل الانفرادي الشخصي ليس الّا

فكيف يزعمون بعد هذا ان اجتماعات النحل والنمل تدلُّ على الفهم والادراك وتثبت الاتحاد في الاعمال والاجتهاد في اتقانها والسعي وراء غاية معلومة ؟

ثم ان لكل جماعة سلطةً تأتمر بامرها وان لكل فردٍ في الجماعة حقوقاً وواجبات يمكنه — ان كان حرّاً — ان يعمل بها او يخالفها . فهل نرى شيئاً من ذلك عند النحل والنمل وهما اكثر الحشرات اجتماعاً لا لعمري فان اليعسوب الذي نسمّيه ملكةً للنحل ليس له اقلّ سلطة على قنيره ولكنه يستعمل غريزته ويشتغل مع الجماعة كما خطَّت له عين العلي منذ الازل فهو يضع البيض كانه آلة لتوفير النسل ليس الّا

ثم ان الغالب على فكر الناس انَّ تربية الصغار تختصّ بالوالدين لاننا نشاهد ذلك في الناس وفي كثير من الحيوانات ولكنه على خلاف الامر في غيرها من الحيوانات الدقيقة كما ترى في النحل والنمل فان هذه المهنة الخطيرة تختصّ عند جماعة النحل بفئةٍ لوحدها وهذا من تخصيص الطبيعة العمياء التي لا تفقه عملاً ولكنّ يداً الهيَّة تدبّرها من ورائها وتهديها سبيلها ولا تكلفها مشقَّة التفكّر . فكما ان الطير تتبع غريزتها في حضانة بيضها وتربية صغارها وبناء اعشاشها كذلك النحل والنمل تتبع غريزتها بتغذية دودها او ذرّها وهيهات ان تجري في عملها على مقتضى شريعةٍ اجتماعيَّةٍ يمكنها اتباعها او التنكّب عنها . نعم ان اعمال النحل والنمل في دائرة غريزتها باهرةٌ تبعث على الانذهال والتعجب . ولكن خارجاً عنها تجد الغباوة والضلال

ولو رافقنا المسيو فابر في بعض امتحاناته تأكدنا زيغان الغريزة وجهلها المطبق على رغم ترقيها في بعض الحيوانات

وقد اجرى المسيو فابر عدَّة اختبارات في غيرها من الحشرات نجد في ذكرها ما يوقفنا على بلاهة الحيوان حتَّى في اكمل مظاهر غريزته

هاءنذا بحشرتَيْن قد برعتا في نسج الفيالج اعني بهما دودة القزّ ودودة فراشةٍ زهيَّة الالوان يدعونها بطاؤوس الليل . فلنعتبر اولاً هذه الفراشة التي تفوق على سواها من الفراش بالكبر اذ تبلغ سعة جناحيها الى ١٥ سنتيمترًا . وهي معروفة في اقطارنا تراها في الربيع تطير بين شجر اللوز والدردار والتفاح والخوخ الخ لاغذاء دودتها بورق هذه الاشجار . واذا قدم الصيف نسجت فيلجتها على مقربة منها فتخرج الدودة من الفيلجة في وقت الربيع . والدودة هذه غايةٌ في الحسن فضلاً عن كبرها ترى على جسمها ذي الخضرة الفاتحة دوائرَ منتظمة ثلاثة تكللها اهداب سوداء في وسطها نقط زرقاء كاللازورد كأنها اللآلئ المرصّعة

فدودة هذه الفراشة تحيك لها فيلجة كبيرة من الحرير قاتمة اللون اسفلها اكبر من رأسها تختلف عن فيلجة دود الحرير في هيئتها . فانَّ فيلجة القز مسدودة الطرفين لا تستطيع دودتها الخروج من حبسها ما لم تثقبها . على خلاف دودة طاوس الليل فانها اذا شرفت تدع لها منفذاً لتخرج من مكمنها على صورة فراشة كأنها عالمة باحتياجها الى ذلك المعبر عند خروجها وانها ليس لها علمٌ دودة القزّ في ثقب الفيلجة

والثقب المذكور تجعلهُ في الطرف الأدَقّ . ولئلّا يدهمها عدوٌّ فينفذ اليها من ذلك الثقب تحتاط لنفسها بنوع عجيب فانّها كلّما بلغت الى الثقب من جميع جوانبهِ تنفث من لعابها خيطاً الى خارج الفيلجة دون ان تلصقهُ وتكرّر ذلك الى آخر عملها فترى الخيوط الخارجة شبيهة في جمودها ورخاوتها باسلاك الفخّ الذي يُعَدّ للفأر حتّى ينفذ الفار الى الباطن دون ان يستطيع الخروج وانّما هذه الخيوط هي بالعكس جامدة في الخارج لا تستطيع حشرة أُخرى ان تنفذ فيها لكنها رخوة من داخل بحيث يمكن الدودة ان تفتحها اذا ضغطت عليها . وهذا لعمري من ابدع اعمال غريزة الحيوان

وان قال القائل انّ ثمّت اثرًا من الفهم والعقل أنكرنا ذلك واثبتنا قولنا بالامتحان لنبيّن انّ تلك الفراشة لا تدري ما تصنع ولا تعقل السبب الموجب لنثر ثقبها . فها نحن نقصّ الخيوط التي تحجب ذلك الثقب ونوسّع الثقب قليلًا . أفلا ترى انّ الدودة لو كان فيها ذرّة من الفهم لأسرعت الى تلافي ذلك المصاب واستدراك الخلل لتسدّ الثلمة وتصلح ما فسد منها بتخصيص ما بقي عندها من النسيج وتوصد الباب امام كلّ معادٍ . الّا انّها لا تكترث للخراب وتواصل عملها ذهاباً واياباً دون ان تحيد البتّة عن خطّتها كأنّ فيلجتها صحيحة . فمن لا يرى بهذا العمل جهلًا وحمقًا ولديها من الحرير ما يكفي لاصلاح الفساد

هيّا بنا الآن نوجّه النظر الى دودة الحرير . فهذه تنسج فيلجتها مُحصّنة دون ثقب فيها تُعدّهُ لخروجها . فكيف تخرج اذن من قبرها ؟ . قد خوّلتها الطبيعة سلاحاً يمكّنها من تلك الغاية وانّما ذلك ايضاً وهمٌ خاصّ وغريزة لا دخل فيها للعقل . والسلاح المذكور هو عينها فبقرنيّة هذه العين تحكّ نسيج فيلجتها بعد ان تبلّهُ بأمابها ولا تنقطع عن الحكّ اياماً على مقتضى غريزتها الى ان تفتح لها بعد شقّ النفس منفذًا تخرج منهُ الى فضاء الجوّ . ولكن دعنا نوفّر عليها ذلك التعب الشاقّ فنفتح لها منفذًا صناعيًّا او ثقباً تحت المكان الذي تحكّهُ الدودة لتخرج منهُ . فلا ريب انك تقول انّ الدودة تكفّ عن العمل وتخرج من المنفذ الذي فُتح لها . كلّا ثمّ كلّا بل تبقى في حكّها المألوف وهي تكدّ وتكدح ولا تلتفت الى خلافهِ الى ان تخرج من الباب الذي هي تفتحهُ . فانظر رعاك الله ما هو مبلغ ادراكها !

دونك امتحاناً آخر يوقفك على جهل دودة القزّ بكل ما يخالف غريزتها الفطريّة .

لُفَّ فيلجتها بورقة رقيقة دون ان تمسّ الورقة محكّ الفيلجة فيبقى بينهما فضاء نحو ٣ سنتيمترات حتى اذا حان وقت ثقبها للفيلجة وخروجها منها تجد امامها هذا الحاجز الجديد وهو ارقّ سمكاً من فيلجتها واسهل فتحاً . فيا تُرى ألا تحاول فتحهُ لتخرج وذلك عليها امرٌ قريب المنال لاسيّما اذا بللتَ الورق الملفوف . ولكن هيهات ان تفطن لذلك وهي تموت دون مباشرته لأنَّ غريزتها لا تتجاوز حكّها للفيلجة ليس ألّا هذا ما لم يُلصَق الورق بالفيلجة فتخرقه صدفةً دون تعمّد

وان شاء اهل لبنان يمكنهم ان يجروا الامتحان الآتي حيثما يوجد في الجبل احراج من الصنوبر فان من يمعن النظر في اغصان الصنوبر ربّما رأى في اطرافها كُتلةً بيضاء تجتمع حول إبرها وهي على شبه كيس من حرير ذي طبقات عديدة يركب بعضها البعض . فان فتحت تلك الاكياس وجدت فيها عدداً عديداً من الدود الأزغب المعروف بدود الصنوبر المُتتالي (Chenilles processionnaires) لانها اذا خرجت من عشها لا تخرج الا متتابعةً الواحدة تلو الاخرى وهي كبقية الدود تنقلب في آخر امرها الى فراشة واما عشها فهو منزل اشتراكي بدأت ببنائه منذ خروجها من البزرة ثمَّ توسعهُ وتفسح جوانبهُ كلّما كبرت وعظمت فهي فيه في امان لاتخاف الهواء العاصف ولا المطر الغزير بل تتقي به ثلج الشتاء وبردهُ القارس ولا تخرج من مقرّها ألّا في الايام الدافئة حيث يكون الهواء ساكناً والشمس ساطعةً واذا خرجت مجتمعةً يترأس الموكبَ دودةٌ تتبعها الدودات الاخرى . وقد علّمتها الغريزة امراً نادراً في بقيّة الحشرات وهو ان تخطّ عند ذهابها من العشّ خطاً تأمن معهُ ضلال طريقها عند رجوعها الى مقرّها فكل دودة تترك على اثرها خيطاً رفيعاً من الحرير لا يلبث ان يجتمع اليه خيوط رفيقاتها السائرة وراءها فاذا همّت بالرجوع سلكت الطريق التي رسمتها فتأمن الضلال . فلعلّك تعزو ذلك الى عقل او فهم يرشد الدودة الى هذا العمل احتياطاً للمستقبل . ولكن لا تتسرع بالحكم بل اجرِ عليها مع العلامة زير امتحاناً صغيراً لتكشف جلية امرها وتستطلع مكنون سرّها :

أحضرَ المذكور الى بيته عدداً من هذه الاعشاش وغرس حولها في الرمل اغصاناً من الصنوبر لتفتات منها عند خروجها في ايام الصحو وكان يغيّرها من وقت الى آخر

حتى يظل قوتها طرياً مريناً . فخرجتْ يوماً كالمألوف عادتها وسارت متجهة الى قحف من فخار كان هناك قد غُرس فيهِ نبات في محضنة فطلع الموكب على القلّة واستدار حولها وكانت دائرتها تقارب المتر والنصف متر فلما اتمّت الدودة دورتها وكادت ان تصل الى المكان الذي صعدت منه الى القلّة قطع المسيو فابر تلك الخيوط المتّصلة بالارض فظلّت تدور حول القلّة سبعة ايام لم تفكر في ان تتخلّص من تلك الورطة التي وقعت فيها وكانت اذا جاء الليل تتجمّع بعضها على بعض وتتراكم كما تفعل في اعشاشها لكنها اذا طلع النهار وبزغت الشمس تعود الى ما كانت عليه من الدوران حتى هلكت . فهل في ذلك ما يدلّ على العقل والادراك او ليس هو برهاناً جليًّا على ضلال وَهْم الحيوان . ولا بدع لأن الله لم يمنحها غير هذه الطريقة الوحيدة لنوال غايتها فاذا حادت عنها عجزت عن سواها حتّى تموت دون ان تستطيع مخالفتها

قد سبق لنا وصف حشرة عجيبة الشكل عجيبة العمل تحسن الصيد والبناء وهي المسمّاة بيلوباي (Pélopée) فذكرنا كيف تودع بيضها في خلايا عشّها وتعطف على نسلها حتى قبل ولادتهِ فتهيّئ له مأكلًا يجدهُ عند خروجهِ من بيضتهِ . وما الزاد الّا عناكب تصيدها الامّ فتخزنها في كلّ خليّة حيث وضعت بيضة من بيضها ولا تزال تكدس هذه العناكب فوقها حتّى تمتلئ الخليّة فتطيّنها . فمن شاهد عملها حسبها تجري بموجب الادراك والفهم . وليس الامر كذلك . فانّها حقيقةً لا تدري ما هو بيضها ولا ما هو العش . والدليل على ذلك ما اثبتهُ المسيو فابر بالامتحان فانّهُ بعد وضع الحشرة بيضتها انتهز فرصة غيابها لصيد العنكبوت فاختلس البيضة . فلمّا عادت الحشرة بصيدها لم تحسّ بفقدان بيضتها بل واصلت عملها وعبّت الطعام كأنّ البيضة في الخليّة . فاخذ المسيو فابر ينزع من الخليّة العناكب المصطادة وهي تداوم على اصطيادها وايداعها في خليّة فارغة من بيضها دون ان تودعها بيضة اخرى . ثمّ لم يزل المسيو فابر مدّة يومين ينزع من الخليّة كلّ صيد جديد تأتي بهِ الحشرة والحشرة لم تفطن الى ذلك بل ظلّت عند انتهاء زمن العمل تلك الخليّة الفارغة وسدّتها كما كانت تفعل بالخلايا الاخرى . فيا لله من هذا الجهل والحمق وهو ادلّ دليل على خلوّ الحيوان من كل مسحة فهم وادراك . والعجب العجاب انّ هذه الحشرة لا يفوتها شيء من معرفة العش ومكانه وهيئتهِ ولونهِ

فتبسط عليه اللاط وتصقله ولا تنسى شيئاً سوى الجوهر والاصل اعني بيضتها والزاد المصمود لها وكلاهما قد سُلب ولا تميز انها تكدُّ وتتبع سدًى دون جدوى . فاي ضلال اعظم من هذا . بل يبلغ حمقها الى ما فوق ذلك فان المسيو فابر عمد الى عشها ونزعهُ بتمامه ولم يبقَ منهُ على الحائط غير حافته ودائرته الدالة على مكانه وظهر الحائط بلونهِ وجمته . فما كان من امر الحشرة الامّ الّا انها عادت الى حيث كان العش ومدّت الطين الذي اتت بهِ كأنها تسدّ عشها المنزوع . وقد كرَّر المسيو فابر هذه الاختبارات مرارًا والعجب يأخذ منهُ كل مأخذ لما يعاين من حماقة الحشرة المذكورة

وما تحقَّقهُ في هذه الحشرة اختبره في كثير غيرها . منها الحشرة المسمَّاة سفكس (Sphex) التي تحاول مع صغرها صيد هامَّة كبيرة تُدعى افيبيجار (Ephippigère) وهي نوع من هتج الهوامّ من الفصيلة المتناسقة الاجنحة كجنس الجراد وانَّما بطنها اضخم وبطن انثاها يشبه سيفاً طويلًا وهو مبيضها تغرس بهِ بيضها في الارض . فكيف يا ترى تستطيع هامة السفكس ان تقوى على هذه الجرادة فتنفث فيها سمَّها وتجرّها الى وكرها بقرنيها . ذلك امر عجيب نحن في غنى عن ايضاحهِ وما لا شكَّ فيهِ انها تفوز ببغيتها وتجعل فردًا من صيدها في كل خلية تودعها بيضةً من نسلها ثمَّ تسدُّ الخليَّة . وسياق هذه الاعمال تكرّرهُ ابدًا ولا تحيد عنهُ شعرةً

هلمَّ بنا الآن نرصد حشرة السفكس وهي تجرُّ فريستها الى وكرها بقرنيها ولنقرض بقصّ نصف القرنين فنلاحظ انَّ السفكس تعمد الى ما بقي منهما فتعود الى السحب . فلنقصّ الآن القرنين من اصلهما . واذا بالصيَّادة في حيرة وانذهال لا تدري كيف تجرّها الى وكرها . ولكن لديها واسطة سهلة وهي ان تسحبها بقوائمها الّا انَّها لا تفعل وما السبب ؟ الامر واضح انَّ حشرتنا هذه لم يُطبَع في غريزتها غير هذه الطريقة اعني جرّ فريستها بقرونها واذا فُقدت القرون اهملت صيدها وعمدت الى غيره حتى اذا ظفرت بهِ تعود الى سحبهِ كما مرَّ ثمَّ تودعهُ في عشها مع بيضة من بيضها

وها هي الآن تستعدُّ لسدّ عشها . فدعنا ننزع من ذلك الوكر بيضتها مع فريستها فبعد قليل ترى حشرة السفكس مقبلةً الى عشها مع اللاط اللازم لسدّه . فلا احد يشكّ انَّها اذا رأت العشَّ فارغاً تتوقف عن سدّه . كلَّا ثمَّ كلَّا بل بعد فحصها لهُ كأنها

وجدتهُ تامّ الاهبة تباشر بسدّه دون ان تلحظ شيئاً من فراغهِ . فيا للجهل المُطبق ! ويا للبَله ! فاين ذاك الحذق في الصيد وتلك البراعة في ابتناء العشّ ؟ واين . . واين . . فما كان ذلك الّا وهماً لا يخرج عن حدود الفطرة الغريزية

ونجد وهماً كهذا في الدجاجة الداجنة . فانها اذا عمدت الى مكان تبيض فيهِ بيضتها الاولى لا تعود تقصد غيرهُ بعدها لانَّ وهمها يسوقها اليهِ فتحضن فيهِ كلّ بيضها . خذ الآن كرات من الجص او الصيني وابدلها من بيضها تجدها عائدة الى حضانتها اذ لا تعرف ان تميّز بينها وبين بيضها بل ولو اخذتَ بيضها جميعهُ وتركتَ قنّها فارغاً ثبتت فيهِ تحضن حيث لم يبقَ شيءٌ من البيض فتشبه ببلبلها الحشرات السابق ذكرها التي تسدّ اوكارها وهي خالية من البيض والغذاء.

فلنختبرنَّ الآن حشرة اخرى ليست بعيدة كالحشرات السابق ذكرها ألا وهي الخليقودوم (Chalicodome) التي هي من فصيلة النحل تقوت مثلها صغارها من عسل الزهور ولقاحها الّا ان اخلاقها تخالف اخلاق النحل فانَّ خلاياها ليست شمعاً كالنحل بل من الطين اللزج وهي غليظة من الخارج صقيلة بالداخل في رأسها منفذ تمجُّ فيهِ عسلاً كثيفاً غليظاً ثمَّ تلقي بيضة فوق ذلك العسل وتفعل ذلك في عدة تخاريب وتسدّ كل تخروب بالطين عند امتلائهِ ثم تعمد ثانية الى الطين فتطلّي مجموع التخاريب الملاصقة في عدد خمسة او ستة بتراب ناعم تجبلهُ بلعابها وتبسطهُ على الخلية بسمك سنتيمتر واحد فيجمد الطين ويصلب بحيث لا تنفذ فيهِ السكين وبذلك تتقي صغارها هجمات العدوّ وآفات الامطار والثلج . وربما بنت اوكارها على الحصى في اماكن مكشوفة للحرّ والبرد فلا تفعل فيها انواء الجوّ لمتانتها وحسن صنعها . أفيوجد اعجب من هذه الغريزة او ليس ترى في فعلها اثراً من التعقّل والفهم ؟

ومما يزيدنا عجباً من امرها ما تحقّقهُ المسيو فابر بالاختبار كما رويناه في المشرق (١٧ : ٥٩٧) وذلك انهُ كان يجعل هذه النحلة في علبة وهي عادة لا تبتعد عن عشّها اكثر من مئة الى مئتي متر فينقلها الى مسافة ثلثة او اربعة كيلومترات في الاحراج وعلى عكس وجهة الهواء بحيث لا تجد لمرورها من اثر ثمَّ يطلق سبيلها فكانت للحال تعود الى اعشاشها وكان يتحقق هويتها بنقط حمراء يصبغ بها ظهرها . وقد كرّر هذا الاختبار تلبية لدعوة دروين عينهِ الذي اندهل من هذا الامر المخالف لآرائهِ

على انّ المسيو فابر الذي كشف هذه الخواص العجيبة في هذه الهامّة اثبت ايضاً ضلال وهمها وذلك بعدّة امتحانات

وجد خليّة بنتها حشرة الخليقودوم على حدّى متفرّقة ونقلها عند غيبتها الى مسافة لا تتجاوز المتر الواحد فلمّا رجعت الامّ اخذت تفتّش على العشّ في مكانه الاول فلم تجدهُ فدارت حوله الى ان وقفت عليهِ حيث نقل لكنّها ظنّته عشّاً غير عشّها فتركتهُ وذهبت ضالّة عنهُ !!

وفي النحل البيتي مثل ذلك فانك ان حوّلت مدخل قفيرها عند غياب بعضها وابعدتهُ عن مكانهِ الاصلي نحو عشرة سنتيمترات الى ١٥ س ترى النحل عند رجوعها متحيّرةً ترمي بنفسها على الباب الاوّل واذ لا تجد منفذاً تطير الى متريْن او ثلاثة امتار لتستهدي ثانيةً ثمّ تعود الى الباب القديم وتكرّر ذلك مراراً دون ان تلقى الباب المتحوّل عن مكانهِ قليلاً وهي مع ذلك تبعد عن القفير الى خمسة وستّة كيلومترات لتجني عسلها دون ان تضلّ سبيلها فيا للعجب ؟

وقد استبان المسيو فابر ضلال وهمِ حشرة الخليقودوم بطريقة اخرى . وجد منها عشّين على مسافة قريبة من بعضها فبدل موضعهما فجعل الواحد مكان الآخر في غيبة امّهما . فرجعت كلّ واحدة منهما الى مكان عشّها الاول واخذت تهتمّ بالخليّة كأنها خليّتها دون ان تفرق بين عشّها وعشّ قرينتها وجعلت تهتمّ بهِ وتصلحهُ وتسدّهُ بلاطها وتتابع شغلها لا بمقتضى حالة العشّ الجديد بل طبقاً العشّ القديم كما انها تمدّ بيضة جارتها كبيضتها والخليّة خليّتها . هذا اذا كانت سبقت فباضت اما اذا لم تبض ووجدت في هذا العشّ تلك البيضة الغريبة فانها كانت تنزعها وتلقيها خارجاً كأنها بعض الاقذار

فكلّ ذلك اصدق برهان على انّ الأمين تعملان كآلة صمّاء فمن يستطيع ان ينسب اثراً من العقل لهذه الحشرات ؟

وان شئت دليلاً آخر على خلل غريزتها اهدمْ جانباً من حافة خليّتها وقت بنائهِ تَرَها تعود فتصلحهُ لأنّ ذلك داخل في سياق وهمها . ولكن اذا انتظرت ريثما تنتهي من بناء الخليّة وتموينها بالعسل ثمّ ثقبتَ الخليّة من اسفلها فيسيل العسل المخزون وتصبح الخليّة فارغة فنحلة الخليقودوم لا تكترث لذلك بل تبيض فيها ثمّ

تسدّها وتطيّنها كأن الزاد متوفر لنسلها فحمتها كحمق السنكس التي سدّت مكمنها مع فراغهِ من البيضة والغذاء

وخذ ايضاً البرهان الآتي الدالّ على ضلال وهمها . اغرز في عسلها وهي تخزنه قشّة تبدو الى ظاهر النخروب فلا تلبث ان تنزعهُ . ولكن ان شككت تلك القشّة بعد نجازها من جمع عسلها وقبل سدّها للخلية فلا تعيرها بالاً وان تكن القشة تعذر دودتها بعد نموّها وتعيقها هي عند تطيين الخليّة . وما ذلك الا لكون زمن النظافة قد مضى فلا سبيل الى العود اليهِ

وكذلك لو ثقبتَ ثقباً على جانب الخليّة بعد سدّها بالملاط فوق العسل بحيث تستطيع الدخولَ اليهِ والعيثَ فيهِ الحشرات المضرّة والهوامّ السارقة وجراثيم الغبار أترى انّ تلك الامّ التي جدّت وكدّت في ابتناء هذا العشّ لصيانة دودتها وهي الآن تملّط سطحها تتغافل عن سدّ ذلك الثقب ؟ نعم لا تكترث له لأن زمن بناء الجدران قد مضى وانّما تصلح فقط ما أفسدتهُ من ملاطها السطحيّ وهي تشتغل فيهِ لان ذلك داخل في سلسلة اعمالها . ومن هذا القبيل نرى فضلاً النحلة التي تصلح ما أفسد من تغيرها عند اشتيار العسل

فكل هذه الاختبارات وكثير غيرها قد اجراها العلامة فابر في الحيوانات الداجنة والطيور والحشرات وراقبها اياماً طويلة في اعشاشها وفي بيتهِ حيث عني بتربيتها وإعداد كل ما يعود الى شروط عيشها ونموّها وتوليدها ونال على كتاباتهِ فيها جوائز الاكادمية الفرنسوية والجمعيات العلميّة فبيّن فيها بدلائل لا يمكن نقضها الاستنتاجات الآتية التي سبق لنا الاشارة اليها :

اولاً انّ الحشرات الصيّادة عارفة بما يلائم صغارها من الصيد ولا تضلّ في تجهيزهِ ابداً . وكذلك دود الحشرات التي تقتات بالعشب فانّ أمهاتها تجعل بيضها قريباً من النبات الموافق لغذائها فتجدهُ عند خروجها من البيضة معدّاً لطعامها

ثانياً تعرف الحشرات الصيّادة إصلاح صيدها ليكون طعاماً جيداً لدودتها وهي تحسن إصابة فريستها في مقتلها اي في مركز أعصابها بحيث يمكنها نفث سمّها وتخدير تلك الاعصاب دون ان تميتها

ثالثاً تحكم وضع بيضتها على الفريسة بحيث تستطيع الدودة عند خروجها من البيضة ان تباشر أكل اعضاء تلك الفريسة الثانوية وتنتهي بالاعضاء الحيويّة ليبقى لحم فريستها طرياً

رابعاً ان الحشرات المختلفة سواء حفرت اعشاشها في الارض ام بنتها او نسجتها فيالج تعرف تمام المعرفة فن البناء الخاص بجنسها وتبني منازلها غاية في الاتقان وتصلح ما فسد منها في وقت بنائها وكل ذلك دون تعليم سابق لكنّها بعد نجاز العمل لا تستطيع البتّة العود الى سياق اعمالها السابقة لتستدرك خللهُ مهما طرأ على العمل من الفساد

خامساً هذه الحشرات كلّها العسّالة كما الطيارة لا تدري مطلقاً سبب جمعها للطعام ولا ما هي البيضة ولا الغاية من بنائها للاوكار والخلايا ولا تدرك قطعياً سبب سدّها لتلك الاسراب والاوكار اذ انها تسدّها حتّى عند فراغها من بيضها ومن طعامها

سادساً فُطرت الحشرات والحيوانات عموماً بقوّة وهمها على مباشرة اعمال خاصّة كالطير لبناء عشهِ وحضانة فراخهِ وإعاشتها وكالنحلة البرّيّة لتجهيز وكرها بالطين ووضعها بيضتها فيهِ وسدّ الوكر وقس عليهِ بقيّة الحيوانات والحشرات . ولا شكّ في انّ وراء ذلك عقلاً سامياً يدبّر هذه المخلوقات بعنايتهِ ويقدّر لها اعمالها ويسوقها الى غاية هو يدركها تمام الادراك وانما هي تجهلها كلّ الجهل .

وكثيراً ما ينخدع المرء بتلك المظاهر فينسب الى الحيوان غايةً في عملهِ وانّما الانسان يقيس اعمال ذلك الحيوان على الاعمال التي هو يصنعها لغاية مقرّرة بقوّة عقلهِ . امّا الحيوان فخالٍ من العقل وهو مدفوع الى العمل بحسب تأثيراتهِ الحسيّة او تخيلاتهِ فذلك الوهم او الغريزة نالها من فضل خالقهِ . كما انّ الانسان استمدّ من جودهِ تعالى عقلهُ . والله هو المنعم على كليهما سبحانهُ عزّ وجلّ

الانجيل والسلم العامّ

بقلم حضرة الخوري بطرس فرج صفير احد اساتذة كلية القديس يوسف

تعدّدت المقالات على صفحات الجرائد وتكاثرت الخطب من على المنابر وتجاذب الخاصُّ والعامّ اطرافَ الحديث عن الحرب واسبابها وعن الصلح وشروطهِ وجالوا جولةً طويلةً في ميدان السِّلم العامّ وفي الوسائل التي يتدبّرها مندوبو الدول ودهاقنة السياسة في باريس عاصمة العلم والتمدُّن ليضمنوا للعالم امناً ثابتاً فيظلّ السلامُ مخيّماً على جميع الامم لا تطوى بنودهُ مدى الاحقاب. وما الدافع لاقامة المؤتمرات وعقد الجلسات واحتكاك الأدمغة واجتماع مفكري العالم في عرَصات قصر فرسايل الشهير سوى صراخ الاشقياء وأنين المبؤوسين الذي تصطكُّ له اذان الملوك وتدمع له عيون الرؤساء وتتحرّك عاطفة الشفقة في قلوب الوزراء صراخ صادر من اعماق الصدور الكئيبة: ألا أنصفونا من الحروب واقضوا على ايامها السود وأطلعوا بدور أمن وراحة تبدّد من ربوعنا ظلمات مصائبها وغياهب بلاياها. فحسبنا ما لحقنا من آفاتها وكفانا ما تجرّعنا من مرارتها

وكأني بعُمدة المندوبين الى تقرير الصلح قد أعاروا سمعهم الى هذه الشكاوي وعملت في قلوبهم زفرات المنكوبين فاخذوا يكدّون جبينهم ويسهرون عيونهم ويواصلون الجلسات ويتابعون المناقشات فيقول لسان حالهم: ثقوا وأبشروا ستنالوا امانيكم وتحظوا قريباً ان شاء الله برغائبكم

هذه آمال طيّبة يتفاءل بها ذوو الثقة والرجاء الصالح لكنّ غيرهم من ارباب السياسة وذوي العقول الراجحة يرتابون في تحقيق تلك الاماني ولا يرون لها سنداً متيناً فيعتبرون الحرب آفة اشدّ من ان تقوى عليها مقدرة الساسة الجالسين على مقاعد مؤتمر الصلح لأن ما يحرّرونهُ من التقارير المفصّلة والبنود الصريحة المصدّرة بامضاآت الملوك وتوقيعات الوزراء ربّما تحرقها نار القذائف ويمزّقها الحسام وقد يفعل السيف ما لا يفعل القلم وكم تغلّبت القوّة على الحقّ فلا يجد الحقّ طريقة لدفع الباطل الّا قنابل المدافع فهيهات ان يُستطاع حسمُ علل الحروب وإطفاء جمرتها

وان سألتَ على مَ يبني هؤلاء حكمهم السَّيئ في البشرية وارتيابهم في تمكين السلام في العالم أجابوك : « كيفَ تستأصل شأفة الحروب من العالم قبل استئصال اسبابها مع ما يدفع الى إضرامها ؟ وليس هذا بالقريب المنال. وان سألت : وما تكون هذه الاسباب ؟ — هي الشهوات والجهل

الشهوات لا يخفى ان مسببات الحروب كثيرة منها استحلال المرء مال غيره وانقياد النفس الى وساوس الطمع وشغلها بخسرة الخيلاء والتكبّر ونزوعها الى الجور الى غير ذلك من الاهواء التي لا تزال في افكار البشر لاسيما مَنْ علا مقامهم . قال فيلون في شرحه الوصايا : « ان حروب اليونان والبرابرة الموبقة سواء كانت اهليّة او اجنبية كان صدورها من ينبوع واحد اما عن شهوة الغنى او عن شهوة المجد او عن طلب اللذّات » . وهل يسهل اطفاء هذه الشهوات في قلوب البشر والمرء رغيب العين طمّاح لا يرى شيئاً الّا تمنّاه ولا تنتهي نفسه عن شيء طمعاً وشرهاً ولا ينالُ نصيباً من السلطان الّا ويسمو بنفسه تيهاً واستكباراً . واكثر ما يكون ذلك ملكٌ صافاه الدهر واتاه من الخبرة في امور السياسة ما استوسق له الامر معها واستقرّ له الملك وحالفَ سائر الدول فبات في مأمن من انتصارها لاعدائه اذا ما اشتعلت بينها وبينه نيران الحروب . وكثيراً ما يخرجُ مثلُ هذا الملك عن رشده فيبغي ويتجبّر وربما سوّلت له النفس الامّارة ان يعبث بدولة اضعف منه ويغير عليها طامحاً ببصره فاتحاً فاه ليبتلع حقوقها فتهبُّ تلك الدولةُ وتتألب حول ملكها وتتشبث بكل ما لديها من اسباب الدفاع دفعاً للمظلمة عنها . فتتأجج عندئذ نيران حرب اسعرتها الاهواء البشرية ولا تتناول المدارك آنَ انطفائها ومَن يبيدُ ظلم الانسان ومطامعه

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلّة لا يظلمُ

فامثال هذه الاهواء قد اضرمت المانية وحلفاؤها جذوة الحرب الاخيرة

الجريل وهب ان صيرنا المحال ممكناً ولانت اعطافُ الاهواء البشرية مُسلّمةً أعنّتها لايادي رجال مؤتمر السلام وانقادت مطواعةً الى تقريراتهم بقي مسببٌ آخر لاثارة الحروب عبثاً يحاولون ازالتهُ لأنّ العقول غالباً تقف عنده كليلةً ومجهودات

النفوس قصيرةً ألا وهو الجهل الذي لا تزال ظلماتهُ مخيمةً على عقل الانسان مهما تناول من العلوم وأدرك من المعارف . فيؤدّي به الجهل الى مواطن الخطإ والضلال ومنهُ الى الاختلاف والتنافر والحروب ولا غرو فانَّ من الثابت ان عقل الانسان قاصر طبعاً عن ان يحيط علماً لكثير من الحقائق

والتاريخ اكبر شاهد على ان عدداً وافراً من الحروب لم يكُ للمظالم والمطامع يدٌ في اضرامها بل قد أشعلها إشكالٌ وغموض فيما يتعلّق بحقوق الدول المتحاربة قصرت العقولُ عن حلّ عراها المعقّدة وقد امسى كل فريق يوقن انَّ الحقَّ بجانبهِ والبُطلَ في جانب الفريق الآخر واذ لا سبيل الى الوفاق فيحكمانِ بينهما الحسام

ومن الحروب التي اشعل الجهلُ نارها ما جرى بعد موت ملك الانكليز ادوار الشهير بالمعترف اذ قام هرلد الدنمركي يطالب بحق الخلافة على عرشه وقام مثلهُ في فرنسا غليوم الفاتح يدّعي بالأحقيّة . فتفرقت في حلّ المشكل آراء اهل العلم والخبرة ولم يفكّ عراه الّا الحسام ختمها غليوم بدخوله عنوةً عاصمة الانكليز فتربّع فيها على عرش الملك مؤيّداً مظفّراً

ومن هذا القبيل حرب لويس الرابع عشر واسبانيا فقد كان سببها اختلاف بين الدولتين فيما يخصّ السيادة على بلاد فلندرة فتأججت عندها نيران الحربِ وعقدت لفرنسة ألوية النصر بفضل القائدَين كوندهُ وترين وهما البطلان اللذان تجسّمت فيهما البسالةُ الفرنسية . وما مثلُ الدولِ العظام لدن استحكام الشقاقِ بينها فيما يخصّ حقوق كل منها سوى مثلِ خصمين يتنازعان على ملك وراثةٍ او غير ذلك . فبعد البحث والتنقيب وابراز البينات الواضحة والادلّة المقنعة الى تأييد شاهدي العقل والنقل يظلُّ كلٌّ من الخصمين على يقين من حقّ نفسهِ وبطلان دعوى خصمه فلا يلبث ان تعقبَ هذا الاختلافَ العنيف مرافعةٌ لدى الحاكم الى ما يتبع ذلك من الخسارات ويجرُّ من البغض والعداوات . وذلك مُتأتٍ عن جهل الحقيقة

فاذا كان من الامور العويصة ان يُزحزحَ احدُ افرادِ الناس عن يقينهِ من حق نفسهِ فليس باقرب منهُ منالاً اقناع دولة عظيمة القدر عزيزة السلطان بانَّ الصواب بجانب خصمها والباطل نصيبها فلا يزال من ثمَّ كلٌّ منهما متشبثاً بما لها من الحقوق فتتأهب لتنالَ بالسيف ما لم تنلهُ بالادلّة والبراهين . وعليه فطالما لا يتيسّر لاصحاب

المؤتمرات ان يلاشوا الجهل والضلال من عقول الناس كذلك لا أمل ان ينزعوا السلاح من الايدي ويثبتوا ملك السلام

ولقد اتت الحوادث مؤيدةً لما تقدّم لأنهُ منذ قام الانسان على الارض لم تضع الحرب قطُّ اوزارها . فاذا قلّبتَ صفحات التاريخ حديثةً او قديمةً تجدها مصبوغةً بدم المتحاربين . نضرب صفحاً عن تاريخ الاعصر القديمة وحروب الاسكندر وقيصر التي وحدها أودت بحياة الملايين من البشر . ومثلهما المغول وجنكزخان وتيمورلنك الذي بنى في العراق برجاً شاهقاً جدرانهُ رؤوس البشر . وكم اشتعل من الحروب التي تشيب لمجرَّد ذكرها وذكر اهوالها ناصية الطفل الوليد في صدور الاسلام واتّقدت نيرانها مدةً طويلة في الفرس والعجم وسوريّة والاناضول ثم امتدّت ألسنتها الى مصر والجزائر والاندلس حيث حكّموا السيف في رقاب العباد . وكم ابادت من النفوس والنفائس حرب المائة سنةً بين فرنسة وانكلترّة حتّى اخمدت جذوة نارها القديسة البطل جان دارك

وما قولنا بالحروب القريبة العهد من زماننا كحروب نابوليون الاوّل التي دوّخت كلَّ اوربا وأسالت على حدّ السيوف نفوس الشبان رخيصةً الى ان قيلَ إن الأمهات من حرّ أنفاسهن كنَّ يقفنَ على ممرّ نابوليون يتهدّدنهُ بالايادي ويكدنَ يفترسنهُ بالصدور المتألمة المملوءة حقداً وضغينة . وما انتهت ويلاتها حتى أشعلت حرب الجزائر وبطلها الشهير عبد القادر الجزائري الى غير ذلك من الحروب التي تتابعت في العالمين القديم والحديث دون انقطاع في القرن التاسع عشر لاسيّما الحرب السبعينيّة بين المانية وفرنسة . وما دخل القرن العشرون حتى شهدنا منذ اوائله اهوال الحروب فدوّت المدافع في الشرق الأقصى ولمع السيف في طرابلس الغرب وحمي وطيس الحرب في البلقان وناهيك بهذه الحرب العمومية التي ما برحنا نشعر بعقابيلها وقد شوّهت محاسن الانسانية وقوّضت صروح المدنيّة . كأن الحرب قد آلت على نفسها ان تروي الارض بالدماء . وكأن عالمنا هذا هيكلٌ يضحى على مذبحه بالنفوس البشرية في كل اين وآن . ومن العجب انَّ المرء يكره الحروب وهو لا يزال يذكي نيرانها ومثلهُ على حدّ ما قال ابو العتاهية :

لا تأمن الدنيا على غدرها كم غدرتْ قبلُ بأمثالكا
أجمعتِ الناس على ذمّها وما ارى منهم لها تاركا

*

ولسائل يسأل: ناشدتك الله أليس لجسامٌ يستطيع ان يكبح جماح الشهوات ويوقف المطامع البشرية ويكشف جهل العقول فينشر ألوية السلام على المعمور ؟ قلنا: لو اراد الانسان ووطّد عزمهُ على ذلك لمَا فاتهُ الامر . وإنَّ هذا الأبقوة الانجيل

ولا بدع ان كان الانجيل المقدس ينبوع السلام اذ ان السيد المسيح ربُّ كل سلام لا بل هو السلام بعينهِ حسب معتقد الشعوب القديمة كلها فيهِ قبل مجيئهِ : اذ جاء في اساطير الاولين من هنود ومصريين ويونان وفرس ورومان ان تلك الشعوب اجمعت على انتظار رجل عظيم او ملك خطير يصلح ما فسد في البشر وينهض المرء من سقطتهِ ويشرق على المسكونة شمس صلح وامان لن تميل الى المغيب

وذلك الشعور الخفي الجائل في صدور الاجيال الوثنية القديمة كان بمثابة عهد توارثهُ الخلف عن السلف . على اننا نجده اشدَّ وضوحاً في نبوات العهد القديم . منها ما جاء في اشعيا (٩ : ٦) : « انه ولد لنا ولدٌ أُعطي لنا ابنٌ فصارت الرئاسة على كتفهِ ودُعي اسمهُ عجيباً مشيراً إلهاً جبّاراً أبا الابد رئيس السلام » . وقد وصف هذا النبي حالة الشعوب اذا ما اتخذت تعاليم المسيح دستوراً تأتمر به حيث قال (٢ : ٤) : « ويقضي (المسيح) للشعوب الكثيرين فيضربون سيوفهم سككاً واسنتهم مناجل فلا ترفع أُمةٌ على أُمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب من بعد » . الى ما هنالك من نبوات متتابعة مثلت المسيح كملك السلام

وبصفتهِ هذه عرفته الكنيسة . وبانجيل السلام بشَّر الرسل في أقطار المسكونة . قال القديس بولس (افس ٢ : ١٤ — ١٧) : « المسيح هو سلامنا . . . جاء وبشَّركم بالسلام انتم البعيدين وبشر بالسلام القريبين » وقد دعا الانجيل باسم انجيل السلام فقال (افس ٦ : ١٥) : « البسوا درع البرّ وأنعلوا اقدامكم باستعداد انجيل السلام » ومثل هذه الآيات كثير . وكفى على ذلك شاهداً ما انشدهُ الملائك مبشرين بميلاد المسيح العجيب (لوقا ٢ : ١٤) : « المجد لله في العلى والسلام للناس الذين بهم المسرَّة » هذه اول انشودة ترنَّمت بها البشرية في مفتتح عهد السلام وهي هي شعار العهد الجديد ولم تكُ حياة المسيح وتعاليمهُ الَّا تأييداً لهُ وعملاً بمنطوقهِ

امَّا تعاليم المسيح فتلوح من كلّ صفحات الانجيل المقدَّس . فانَّ من يمعن النظر

بمعانيه يعلم العالم اليقين انَّ الانجيل منبع الأمن والسلام اللهمَّ اذا طالعها غير مراودٍ في اعماله غير مسدلٍ على عينيه غشاوة الأهواء والاغراض . ولا غرو فان ما القاهُ السيد المسيح من مواعظ ونشر من تعاليم وسنَّ من شرائع نجده منحصراً في مبدأين يكاد الانجيل كلُّه يكون لها شرحاً وبياناً وتأييداً : اولها المحبَّة بما تثمر من إخاء ومُسالمة وتَأتّي الاساءة بالحلم والتغاضي عن الذنوب ومحبة الاعداء . وثانيها مبدأ قهر النفس وكبح شهواتها . فاما المحبة فقد ابلغها المسيح الى درجةٍ لم تخطر على بال احد من المشترعين القدماء حتى موسى النبي . فانه عزَّ وجلَّ لم يستثنِ الاعداء انفسهم من محبة القريب بل قضى صريحاً بمحبتهم حيث قال : « قد سمعتم انه قيل احبب قريبك وابغض عدوك اما انا فاقول لكم احبُّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم وصلُّوا لاجل من يُعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه يطلع شمسه على الاشرار والصالحين . . فانكم ان احببتم من يحبكم فاي اجر لكم ؟ أليس العشارون يفعلون هكذا وان سلَّمتم على اخوانكم فايَّ فضل عملتم اليس الوثنيون يفعلون ذلك » (متى ٥ : ٤٢)

وعليه لن يفوتَ ذوي البصائر النقَّادة ان مسببات الحروب والفتن في كل آن واين على تعدُّد اشكالها تنحصرُ في مخالفةٍ لهذين المبدأين إمَّا تعدٍ على حقوق الناس صادرٍ عن البغض والازدراء والضغينة واما ركوب النفس هواها طمعاً كان او كبراً او طلباً للملذَّات الى ما شاكل من الشهوات التي اخذ الانجيل على نفسه اطفاء نيرانها المتَّقدة . واذا ما اردنا ان نذكر ما ورد في الانجيل عمَّا نحن في صدده لطال بنا الكلام فنجتزئ باليسير فيه ما يسترقُ الاسماع ويقنع الألباب . فانهُ تعالى حتم بالغفران للمسيء « لا الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات (متى ١٨ : ٢٢) » اي دائماً بلا انقطاع وأوصى بأن لا تغرب الشمسُ على أحد وهو غضبان على اخيه بل يَدعَ قربانهُ إنْ تذكَّر أنَّ اخاه واجدٌ عليه فيترضّاه ثم يعود الى تقدمة قربانه (متى ٦ : ٢٢) . ومن وصاياه الى تلاميذه قوله (متى ٥ : ٣٩) : « لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الايمن فحوِّلْ له الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فخلِّ له رداءك ايضاً ومن سخَّرك ميلاً فامشِ معهُ ميلين »

وقد اختصر ابو الريحان البيروني احد ائمة الاسلام هذا التعليم في كتابه المنون

« في تحقيق ما للهند من مَقُولة مقبولة في العقل او مرذولة » (ص ٢٨٠) حيث قال: « انّها (اي النصرانيّة) مبنيّة على الخير وكفّ الشرّ من ترك القتل اصلًا ورمي القمصان خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الأخرى والدّعاء للعدو بالخير والصلاة عليه وهي لعمري سيرة فاضلة » (١

واما تعليم السيد المسيح في قهر النفس وكبح الشهوات على تعدُّد اسمائها فستفاد ممّا ذكر من الآيات ومن التطويبات الثماني التي لم يخرج مثلها من فم انسان فقد قال ونعم القول: « طوبى للمساكين بالروح . طوبى للحزانى . طوبى للجياع والعطاش الى البرّ . طوبى للرحماء . طوبى للنقيّة قلوبهم . طوبى لفاعلي السلام . طوبى للمضطهدين من اجل البرّ » الى غير ذلك من الآيات والمبادىء التي تُميت اهواء من يتبعها وتكسر النفس عن شهواتها والتي يأمن معها الشعوب والملوك العثرات في ورطة الحروب اذا ما تلقّوها بسرّة وارتياح فأدخلوها في عوائدهم وشرائعهم

واي مثل اصحّ واصدق من مثل المسيح اذ بكّت اثنين من تلامذته الذين طلبا منهُ ان يعاقب اهل مدينة لم يقبلوه فيها . وقد اقبل على مار بطرس بالملام ومنعه عن إعمال السيف في رقاب مَن وثبوا عليه ليقتادوهُ الى الموت . ولم يكتفِ بالكلام بل اعطانا في شخصهِ احسن مثال لمّا غفر لاعدائهِ من على الصليب وصلّى من اجلهم الى ابيهِ ؟ الى غير ذلك من الاعمال التي بها ايّد تعاليمهُ السلمية

ولم تفت هذه الحقيقة بصيرة من هو بلا امتراء احد امراء الشعر العصري احمد شوقي بك اذ قال في قصيدته الاندلس الجديدة :

عيسى سيبلك رحمةٌ ومحبة في العالمين ونصحةٌ وسلامُ
ما كنتَ سفّاك الدماء ولا امرءًا هان الضعافُ عليه والايتامُ

فيا طالبي الامن والسلام والصلح العام نعمَ ما تطلبون لكن لا يذهلن عن البابكم قول الشاعر :

اذا ما اتيتَ الامر من غير بابهِ ضللتَ وان تقصد الى الباب تهتدِ

وانما باب السلام الانجيل :

(١) عن كتاب اثبات الوهية المسيح للأب ل . شيخو (وجه ١٨٢)

فمن تهذّبت نفسه على تعاليم الانجيل وجعل اقواله صراطاً يسير عليه غدت نفسهُ اسمى من ان تطأها يد المطامع السافلة واضحت ارادتهُ ارسخ من ان تتداعى مبانيها عند هبوب انواء الشهوات فتتحول عن حبّ الاستئثار والاستعباد الى التطبُّع باكرم طباع الإخاء والمسالمة الحقّة . واذا تخلّق بهذه الاخلاق الرئيس والمرؤوس والرفيع والوضيع والكهل والوليد عمّ الوئام . اجل ان الانجيل هو الطبيب المؤاتي لأدواء البشرية اذ يستأصل من اعماق القلوب جراثيم الطمع والظلم والاغتيال ويقتلع اصول التنافس والمنازعات . فاذا ما خفقت راية الانجيل قلّ خفقت راية السلام

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٢ الحديث والتوراة

رأيت كم روى العرب في عهد الجاهليّة واوّل بزوغ الاسلام من الحكم التي استفادوها من الاسفار المقدّسة . ولنا على ذلك شاهد آخر في الاحاديث النبويّة التي رواها اقدم المحدّثين عن نبيّ الاسلام ننقل بعض ما وقفنا عليه منها فيظهر القرّاء الكرام كم كانت شائعة في ذلك الوقت التعاليم النصرانيّة . وفيه برهان جليّ على كون التوراة واسفار العهدين القديم والجديد كانت منذ زمن الجاهليّة واوّل الاسلام معربة وان لم نعرف ماذا جرى لتلك التعريبات القديمة راجع (في المشرق ٤ : ٩٩ — ١٠٨) مقالتنا المعنونة « نسخ عربيّة قديمة في الشرق من الانجيل الطاهر » . امّا ما نرويه هنا من الحديث فقد وجدناهُ في مجاميع المحدّثين الاثبات كصحيح الامام البخاري

(+ ٢٥٦ ه = ٨٦٩ م) وصحيح مسلم بن الحجّاج (+ ٢٠١ ه = ٨٧١ م) وفي مجاميع ابي عبد الرحمان النسائي (+ ٣٠٣ ه = ٩١٥) ومحمّد بن ماجه القزويني (+ ٢٧٣ ه = ٨٨٧ م) وابن عيسى الترمذيّ (+ ٢٧٩ ه = ٨٩٢ م) وقد وفّر علينا السيوطي في كتاب كنوز الحقائق وفي الجامع الصغير (جس) وشرحه للمناوي (من) ذكر كلّ محدّث بفرده واشار اليهم بحروف اصطلح عليها بعد كلّ حديث (خ) البخاري (م) مسلم (ت) الترمذي (ن) النسائي (ه) ابن ماجه ثم اننا سنذكر كلّ حديث كما رواهُ اصحاب الحديث ونرسم بازائهِ ما وافقهُ من آيات الكتب الكريمة مباشرةً بالعهد العتيق ثم الكتب التاريخيّة ثمّ الحكميّة ثمّ النبوّات ومن بعدها العهد الجديد اي الانجيل والرسائل

سفر التكوين (تك)	الحديث
خلق الله الانسان على صورتهِ . على صورة الله خلقهُ (تك ١ : ٢٧)	خلق الله آدم على صورتهِ (جس ٤ ٢ من نسختنا المطبّعة) = لا تقبّحوا الوجه فانّ الله خالقهُ على صورة الرحمان (من ١٩٢)
انّ الله جبل الانسان ترابًا من الارض (تك ٢ : ٧)	خلق الله آدم من تراب (جس ٧٢)
غرس الربّ الاله جنّةً في عدن (تك ٢ : ٨)	انّ الله بنى جنّات عدن بيدهِ (جس ٢٣ من ٢١)
رُوي في الفصل ١٨ من سفر التكوين ذكر اضافة ابرهيم للربّ المتجلّي لهُ على صورة ثلاث رجال	كان اول من اضاف الضيف ابرهيم (جس ١١٢)
رأى الله انّ جميع ما صنعهُ هو حسن جدًّا (تك ١ : ٣١)	كل خلق الله حسن (جس ١١٢)
ولدَ نوح ساماً وحاماً ويافث (تك ٥ : ٣٢)	وُلد نوح ثلاثة سام وحام ويافث (جس ١٧٨)

سفر الخروج (خر)	الحديث
أكرمْ اباك وامّك لكي يطول عمرك في الارض (خر ٢٠ : ١٠) = وفي تثنية الاشتراع (٥ : ١٦) : أكرمْ اباك وامّك لكي	ان الله تعالى يزيد في عمر الرجل ببرّ والديهِ (جس ١٠٠) = مَنْ برّ والديهِ طوبى

تطول ايّامك = وفي سفر الامثال ٢٣ : ٢٢) : اسمع لأبيك الذي ولدكَ	لمْ زاد الله في عمره (جس ١٥٠) = أطع أباك (جس ١٨)
مَن ضرب اباهُ او امّه فليُقتَلْ قتلا (خر ٢١ : ١٥)	مَنْ ضرب والدَيْه فاقتلوهُ (جس ١٥٤)

سفر الاحبار (اح)

	الحديث
لا تُبِتْ أُجرَةَ الاجير عندك الى الغد (ا ح ١٩ : ١٣) . ومثلهُ في طوبيا (٤ : ١٥) : أُجرةُ أجيرك لا تَبِتْ عندك ابدا. كلّ من خدمك بشيء فأوفِهِ اجرتَهُ	أعطوا الأجير أُجرتهُ قبل ان يجفَّ عَرَقُهُ جس ٦١ من ١٩) = أوفُوا الاجير أَجرَهُ (من ٥٠)
إنْ غَشيَ رجلٌ بهيمةً فليُقتَل قتلا . والبهيمة ايضاً فاقتلوها (ا ح ٢٠ : ١٥)	من أتى بهيمةً فاقتلوهُ واقتلوها معهُ (جس ١٤٦)

سفر تثنية الاشتراع (تث)

	الحديث
انّ الربّ هو الاله ليس إله سواهُ (تث ٤ : ٣٥ و ٣٩) = ومثلهُ في الملوك الثالث (٨ : ٦١) الخ	لا اله الّا الله هي الموجبة (جس ١٨٠) = السيّد هو الله (من ٨٧)
ملعون من يُضِلّ اعمى عن الطريق (تث ٢٧ : ١٨)	لعن الله من أكمهَ للاعمى عن السَّبيل (من ١٣٠)
ملعون المستخفّ بابيهِ وامّهِ (تث ٢٧ : ١٦)	ملعون مَنْ سبَّ اباهُ . ملعون من سبَّ امّهُ (من ٤٠٤)

سفر يشوع (يش)

	الحديث
قال يشوع : يا شمس قِفي . . . فوقفت الشمس الى أن انتقم الشعب من اعدائهم (يش ١٠ : ١٢ ــ ١٣)	ما حُبست الشمسُ على البشر قطّ الّا على يشوع بن نون (من ٢٨٩)

سفر الملوك الاوّل (مل)

	الحديث
انّ الانسان انّما ينظر الى العينين واما الربّ فانّهُ ينظر الى القلب (١ مل ١٦ : ٧)	انّ الله لا ينظر الى صوركم واموالكم انّما ينظر الى قلوبكم واعمالكم (جس ٦٧)

سفر اخبار الايّام (اخ)	الحديث
انت وحدك تعرف قلوب بني البشر (٢ اخ ٦ : ٣٠)	علم الباطن سرّ من اسراره عزّ وجلّ وحكم من احكامه (من ٢٧٦)
انك تزكّي البارّ وتُعطيه بحسب برّه (٢ اخ ٦ : ٢٣)	انّ الله لا يضيع أجرَ المحسنين (خ ٣ : ١٩٠)
سفر طوبيّا (طب)	الحديث
الصّدقة تنجّي من كل خطيئة (طب ٤ : ١١ الصدقة تمحو الخطايا (طب ١٢ : ٩)	الزكاة طهور من الذُنوب (جس ٨٣)
الذين يعملون المَعْصية والاثمَ هم اعداء لانفسهم (طب ١٢ : ١٠)	انّما المجترون المقيم على معصية الله (مز ٤٤)
سفر أيّوب	الحديث
الذين يحرثون الاثم ويزرعون المشقّة هم يحصدونها (ايّوب ٤ : ٨) . ومثلهُ في سفر الامثال (٢٢ : ٨): من زرع الظلم يحصُد السوء . وفي ارميا (١٢ : ١٣) : زرعوا حنطةً فحصدوا شوكًا	قال داود يا زارع السيئات انت تحصد شوكها وحسكها (جس ١٠٧) (قد نُسب هذا لداود وليس في مزامير داود آية كهذه)
المنافق لا يقوم امام الله (ايّوب ١٣ : ١٦)	ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً (في البخاري ومسلم)
سفر المزامير (مز)	الحديث
جانب الشرّ واصنع الخير (مز ٣٣ : ١٥ و ٣٦ : ٢٧)	إيتِ المعروف واجتنب المُنكر (الجامع الصغير)
علّمني يا ربّ طريقك (مز ٨٥ : ١١) = أدلُلني يا ربّ على طريق رسومك ... أسلِكني في سبيل وصاياك (مز ١١٨ : ٣٣ – ٣٥) = اسلكهم في سبيل مُستقيم (مز ١٠٦ : ٧)	ربّ اغفر وارحم وأهدني للسبيل القويم (من ٨) ومثلهُ في سورة الفاتحة : أهدنا الى الصراط المستقيم

تلذّذ بالربّ فيُعطيك سُؤل قلبك (مز ٣٦ : ٤)	اذكر الله فانّهُ عونٌ لك على ما تطلب (جس ٤٨ من ١٤)
ان كنت للآثام راصدًا يا ربّ فمَنْ يَقِفْ (مز ١٣٩ : ٣)	مَنْ نُوقِش المحاسبة هلك (جس ١٦١)
انّ الف سنة في عينيك كيوم امس الغابر (مز ٨٩ : ٤) . وفي رسالة بطرس الثانية (٣ : ٨) : انّ يومًا واحدًا عند الربّ كألف سنة	انّ يومًا عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون (سورة الحجّ ٢٢ : ٤٦)
انّ يومًا في ديارك خيرٌ لي من الف (مز ٨٣ : ١١)	رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الف يوم فيما سواه (جس ٢٢٧)
رأس الحكمة مخافة الرب (مز ١١٠ : ١٠) = وكذا في الامثال (٩ : ١٠) وفي ابن سيراخ ١ : ١٦)	خشيةُ الله رأس كلّ حكمة (جس ٢٠٢) = رأس الحكمة مخافةُ الله (المسعودي ٤ : ١٦٨) = رأس الحكمة معرفة الله (جس ٧٩)
الصدّيقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد (مز ٣٦ : ٢٩)	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثها عبادي الصالحون (سورة الانبياء ١٠٥)
يا ربّ من يحلّ في مسكنك . السالك بلا عيب وفاعل البرّ والمتكلّم بالحقّ في قلبه والذي لا يغتاب بلسانه (مز ١٤ : ١ – ٣)	قد افلح مَن أخلص قلبهُ الايمان وجعل قلبَهُ سليمًا ولسانهُ صادقًا ونفسهُ مطمئنّة (جس ٢١١)
الربّ رؤوف كثير الرحمة لا على حسب خطايانا عاملنا ولا حسب آثامنا كافأنا (مز ١٠٣ : ٩ – ١٠)	عفو الله أكبر من ذنوبكم (جس ٢٧٧)
ايّام سنينا سبعون سنة ومع القوّة فثمانون سنة ورَغَدُها انّما هو ضرر (مز ٨٩ : ١٠)	اعمار أمّتي بين الستين والسبعين (خ) قال الشعبيّ : مكتوب في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علّة (العقد الفريد ١ : ٢٢١) ومثلهُ قول التيميّ (البيان للجاحظ ٢ : ١٠٨) :

وانّ امرءًا قد سار سبعين حجّةً ... الى منهلٍ من ورده لقريبُ
اذا كانت السبعون سنّك لم يكن ... لدائك الّا ان تموت طبيبُ

سفر الامثال (مث)	الحديث
من يرحم الفقير يقرض الرب (مث ١٩ : ١٧)	انّ الصدقة تقع في يد الله (جس ٣٧)

مُساير الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهّال يصير شرّيراً (مث ١٣ : ٢٠)	المرء على دين خليله فلينظر المرء من يُخالّ (نز ١٦٤) = اياك وقرين السوء فانّك به تُعرَف (جس ١٥٢)
الذي يسودُ على روحه أفضل ممّن يأخذ المدن (مث ١٦ : ٣٢)	ليس الشديد بالصُّرَعة انّما الشديد مَنْ يملك نفسَهُ (خ ، ن) = افضلُ الجهاد ان يجاهد الرجل نفسَهُ وهواهُ (جس ٦٥)
الموت والحياة في حكم اللسان (مث ١٨ : ٢١)	البلاء موكّل بالمنطق (جس ١٦٨)
الانسان المُطيع يتكلّم كلام المنتصر (مث ٢١ : ٢٨)	من اطاع الله فاز (من ١٤٨)
الاخ المتّع من مدينة محصّنة (مث ١٨ : ١٩)	انّ المرء كثير باخيه (جس ١١٠)
ككلب عائد على قيئه هكذا الجهل المكرّر سفهَهُ (مث ٢٦ : ١١) ومثلهُ في رسالة بطرس الثانية (٢ : ٢٢)	العائد في صدقته كالكلب يعود الى قيئه (البخاري ٢ : ١٢٢)
من يجد المرأة الفاضلة . انّ قيمتها فوق اللآلئ (مث ٣١ : ١٠) = من وجد زوجة صالحة وجد خيراً (مث ١٨ : ٢٢)	زوجة صالحة خيرٌ ما كثر الناس (جس ٢١٣)

سفر الجامعة (جا)

	الحديث
انّ البشر لا يعلمون احبّاً يستوجبون أم بغضاً (جا ٩ : ١)	عجبتُ لطالب دنيا . . وهو لا يدري أيُرضي عنهُ او يُسخِطُ (جس ٢٧٥)
انّ الله سيُحضِر كلّ عمل ليدين على كلّ خفيّ خيراً كان او شرّاً (جا ١٢ : ١٤) ومثلهُ في رسالة بولس الرسول الى اهل افسس (٦ : ٨)	من يعمل مثقالَ ذرّة خيراً يرَهُ ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يرَهُ (خ ٣ : ١٩٩)
لكلّ امر أوان ولكلّ غرض تحت السماء وقت (جا ٣ : ١)	لكلّ شيء ميقاتٌ (من ١٥٨) . ومثلهُ للشاعر :

وللامور مواقيتٌ مقدّرة وكلّ امر لهُ حدٌّ وميزانُ

وقال ايضاً :

فاذا الشيء اتى في وقته زاد في العين جمالاً لجمالِ

(له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

منشور الله رعاياه

لنيافة القاصد الرسولي السيد فرديانو جنيني ولسيادة المطران اغناطيوس مبارك

قد نشرت جريدة البشير تعريب منشور نيافة القاصد الرسولي في بعض اعدادها وروت خلاصة منشور السيد اغناطيوس مبارك مطران بيروت المارونيّ وفي كليهما ما يرفع بالنظر في بدء هذا الصوم المبارك عن دنايا الارض الى اعالي طبقات الروح ليعزز المؤمنون في قلوبهم تعاليم الكنيسة الخلاصيّة ويعاوا بأفكارهم الى الخيرات الثابتة التي وحدها تستطيع ان تمنح السلام للافراد والعيال كما للدول والممالك . فنحضّ كلّ قرّائنا على مطالعة المنشورين وإحراز معانيهما الدرّيّة

Le Transsaharien et le premier Transafricain par V. Schewisch — **Note annexe,** *Tunis,* 1916, *pp.* 180 + 47 *avec Schémas et Cartes.*

السكّة الحديديّة القاطعة للصحراء الفرنسويّة والسكّة الاولى القاطعة لقارة افريقية

انّ الحرب الاخيرة كانت اقتصاديّة اكثر منها دوليّة فانّ المانية لم تبعثها الّا لتوسيع معاملاتها وترويج تجارتها . واذ دارت اليوم عليها رحى الحرب تفكّر الدول الاتّفاقيّة بتمكين نفوذها الاقتصادي . وليس لذلك طريقة أولى من انشاء السكك الحديديّة . وهذا ما تسعى به فرنسة خصوصاً في مستعمراتها الافريقيّة . وقد عرض عليها بعض المهندسين رسوماً ليقضي ارباب الامر بتنفيذها منهم صاحب هذا الكتاب الذي نحن بصدده فهو يبيّن انّ افضل خطّ تُمدّ فيه السكك الحديديّة حاضراً واقصرها مسافةً واكثرها ارباحاً وانفعها للدول المتحالفة كلها اعني فرنسة وانكلترّة وبلجكة هو الخطّ الجامع بين شمالي افريقية وجنوبها قاطعاً بلاد الصحراء كما وصفهُ المهندس سولاو (Souleyre) ومن خواصّه انهُ يضمّ كلّ المستعمرات الفرنسويّة الى بعضها ويجعلها تحت حكم الدولة لا يفصلها عنها سوى

البحر المتوسط بين مرسيلية والجزائر . فلا بدَّ ان يعير الاختصاصيون بالاً هذا المشروع الذي تظهر فوائده لاوَّل وهلة ل. ش

Dr Theobald Fischer: Mittelmeerbilder gesammelt zur Kunde der Mittelmeerländer. 2te Aufl. besorgt von Dr A. Rühl, *Leipzig, Teubner*, 1913, in-8. pp. 472.

مجموعة ابحاث في البحر المتوسط والبلاد المجاورة لهُ

هذه المجموعة تحتوي مقالات متعددة وضعها احد كبار الباحثين عن البلاد الواقعة في جوار البحر المتوسط ألا وهو الدكتور الالماني تاوبلد فيشر الذي خصَّ حياتهُ في درس تلك الاقطار وله في تعريف ظواهرها الجوّية مقالات اجماليَّة لم يسبق اليها وذلك في مجلة بترمان (Mittheilungen Petermann's, 1879) . امَّا محتويات المجموعة هذه فهي دروس مختلفة نشرها في عدَّة مجلات بين السنتين ١٨٧٢ و١٩٠٥ وكان جمعها لاوَّل مرَّة سنة ١٩٠٥ فاقتضى رواجها إعادة طبعها بعد موتهِ فقام بذلك الدكتور رُوهل وقسم تلك الدروس على خمسة اقسام: القسم الاوَّل منها عموميّ يتناول كتابات شتَّى يليهِ اربعة اقسام ضمَّنها ابحاث المؤلف عن فلسطين ثمَّ عن ايطالية ثمَّ عن اسبانية واخيراً عن شمالي افريقية اعني تونس والجزائر ومراكش . وهذه الابحاث تدلّ على سعة علم صاحبها ودقَّة نظرهِ وقد استحسنَّا منها كتاباتهِ عن فلسطين في السنة ١٩٠٤ . وقد اجاد في مقالتهِ عن النخل وزراعة اشجارها وما لغرسها من المقام في انحاء الشرق ماديًا وادبيًا . وكذلك اعجبتنا مقالتهُ في استنباط الركايا والآبار في بلاد الصحراء القاحلة . على انَّ هذه الدروس مع كثرة فوائدها الجغرافيَّة سوف يصيبها بعد الحرب ما يقتضي بتحوير عدَّة امور لم تعُدْ تنطبق مع آراء الكاتب الاب ج. لتك

1° Moris R. Cohen: Du Sionisme: Libéralisme ou Régime de la Tribu, *Paris s. d. pp.* 19 = **2° Cheikh Youssef El-Khazen:** L'Etat Juif en Palestine, *Paris s. d. pp.* 24 = **3° Négib Moussalli:** Le Sionisme et la Palestine, *Genève*, 1919, *pp.* 54.

ثلاثة كراريس في الصهيونيَّة لموريس كوهن والشيخ يوسف الخازن ونجيب موصلي

بين المشاكل العديدة التي فتحت بابها كلمةُ الرئيس ولسون بخصوص استقلال

الجنسيّات قد خصّ كثيرون من اصدقاء اليهود مسألة الصهيونيّة بنظرهم الشفوق واخذوا يطبّلون فيها ويزمّرون جارين على آثار ثاودور هرتسل الاسرائيلي اوّل من اشاع فكرهُ في تخصيص فلسطين بسكنى اليهود و بسط ايديهم عليها . ومن العجب العجاب انّ بعض الدول كاميركة وانكلترة انحازت الى هذا الرأي وجعلت تسعى في اخراجهِ الى عالم الوجود ولعلّ تلك الدول لم تفعل الّا لتحلّ المسألة الصهيونيّة في بلادها وقد احسّت بوطأتها منذ نحو خمسين سنة فرأت أنّ تمليك اليهود لفلسطين احسن حلّ لعقدة ذلك المشكل وانّما خُدعت بسراب فان حقوق المسلمين والنصارى على فلسطين قد ثبتت منذ مئين من السنين لا تستطيع الدول ان تزيلها بضربة قلم . وكم هناك من المسائل المتعدّدة التي يستحيل فضّها على الساسة المحنكين فضلًا عن المتشدّقين الذين ينظرون الى الامور سطحيًا كوريس كوهن صاحب الكرّاسة الاولى التي عنوانها آنفًا . وقد تبيّن الامر بنظرهما الصيب الشيخ يوسف الخازن والاديب نجيب موصلي وكشفا عن تلك المعمّيات فعنون الاول كتابهُ بالدولة اليهوديّة في فلسطين والثاني بالصهيونيّة وفلسطين وتتبّعا اقوال من جنح الى تمليك اليهود على فلسطين فبينا بادلة لا تنقض ما في تلك الاقوال من الشبهات والسفسطة بل ما تحتها من الدسائس والاخطار التي يجب تلافيها على من يطلب سلامًا ثابتًا . ولعلّ صالح اليهود نفسهم ينافي إجراء ذلك المشروع فضلًا عن الرأي العامّ ل . ش

مطبوعات شكري افندي الخوري اللبناني

محرّر جريدة ابي الهول

١ً في سبيل الوطن (١٩١٥ ص٢٤) . ٢ً قنبلة صغيرة (١٩١٣ ص٥٢) . ٣ً في سبيل الحقيقة (١٩١٣ ص ٢٤) . ٤ً سيف ذو حدّين (١٩١٧ ص ٣٥) . ٥ً جبلنا سيّد الجبال (١٩١٢ ص ١٢) . ٦ً سجلّ لا يمحى (١٩١٩ ص ٢٩) . وكلها مطبوعة في مطبعة ابي الهول في سان باولو البرازيل

كانت الحرب الاخيرة المشؤومة قطعت عنّا اخبار صديقنا وتلميذنا القديم محرّر جريدة ابي الهول وحرمتنا مطالعة تآليفهِ الجامعة بين الهزل والجدبين الفكاهة والافادة . فأحبّ ان يعوّض عن ذلك النقص فاتحفنا بهذه التآليف الستّة المتسلسلة مع سنوات

الحرب . فالاولى منها خصّها بوصف رحلتهِ الى الارجنتين والاروغواي فافادنا عن احوال اهل الوطن المهاجرين وما نالوا هناك من الترقي المادي والادبي = وفي تأليفه الثاني « قنبلة صغيرة » وافق الاسمُ المسمّى فقد وجدنا تلك القنبلة الصغيرة قد اصابت بانفجارها كاتباً خان الوطن بما حرّره في جريدة العثماني المطبوعة في سان باولو . والكاتب المذكور قد عرف قرّاء المشرق تطرُّفهُ بردودنا سابقاً على مزاعمهِ الباطلة وهو قيس لبكي . على انّنا نفضّل السكوت عنهُ اليوم وقد توفي في العام الماضي رحمهُ الله . لكننا نشكر الشكر على ما كتبهُ في حقّنا بمدافعتهِ عن رهبان رسالتنا ومشروعاتها الوطنيّة = ويجوز ان يُدعى تأليفهُ الثالث « في سبيل الحقيقة » قنبلةً كبيرة افعم بها محرّرَ جريدة البريد الذي حاول الدفاع عن تركيا واصحابها بينما كانت تنزف دماء مواطنيه في لبنان وسورية = هذا ولم يحكم كاتبنا شكري افندي رمي القنابل فقط لكنّهُ ايضاً يُحسن المجالدة بالسيف فانهُ « بسيفهِ ذي الحدّين » طعن طعنة اليمةً خائناً آخر للوطن صاحب جريدة اميركة الذي نسي كلّ فضل دولة فرنسة مع بلادهِ ليدعو اليها دولة أُخرى لا ناقةً لها فيها ولا جمل = ثمَّ ألحق هذا التأليف بكرّاسة لطيفة « جبلنا سيّد الجبال » تغنّى فيها بمحامد لبنان ودافع عن استقلالهِ تحت حماية دولة فرنسة = واثبتها بمقالة اخيرة مسهبة أبكم فيها افواه الماكسين ألا وهي المعنونة « بسجلّ لا يُمحى » التي روى فيها اقوال معظم جرائد اميركة التي اتّفق كتبتها معهُ في طلب حماية فرنسة . وناهيك بهِ دليلًا على حسن نظر شكري افندي وخلوص نواياه في سبيل وطنهِ لبنان جارياً منذ نشوء جريدة ابي الهول على خطّة واحدة لم يثنه عنها تهدُّد الاتراك وسفاسف المتشدّقين . وقد اضاف الى حسناتهِ هذهِ سعيهُ مع بعض الوطنيين باقامة تمثال لغبطة السيّد البطريرك مار الياس حويك لما اداه من الخدم المشكورة لهذا الجيل العزيز ل.ش

الحرب العموميّة او رحى الحرب

من نظم الاديب يوسف الخوري البشعلاني (بيروت المطبعة اللبنانيّة)

قصيدة مخمّسة رفعها ناظمها الى غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة أودعها خلاصة ما جرى في خمس سنوات الحرب فجاءت تاريخاً حسناً لتلك الوقائع التي هدّت ركن

المدنيَّة في قسم كبير من العالم وعركت لبنان عرك الاديم بثغاله . فنشكر الشاعر على نظمهِ الذي يحسن بالناشئة درسهُ واستظهارهُ

البخيل : رواية مضحكة ملحَّنة ذات خمسة فصول.

تأليف المرحوم مارون نقاش (سان باولو ١٩١٦ ص ١٠٨)

قلنا في كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر (١ : ١٠١) ان المرحوم مارون نقَّاش اوَّل من سعى في سوريَّة بوضع الروايات وتمثيلها فراجت سوقها وقد طُبعت بعد وفاتهِ بهمَّة اخيهِ المحامي الشهير نقولا النقَّاش سنة ١٨٦٩ . ومن أفكه تلك الروايات رواية البخيل المعرَّبة بتصرُّف عن موليار الروائي الشهير فاحبَّ الاديبان نجيب نسيم طراد وشكري الخوري تجديد طبعها . فأتقنا العمل بحسن الطبع واضافة الملحوظات عليها وتلحين نغماتها ل . ش

شذرات

المعمرون في كاليفرنية من نتائج احصاء الاهلين الاخير في كاليفرنية انَّ المعمرين فيها اكثر عددًا من سواها فانهم وجدوا ٣٠٠ من اهلها قد بلغوا السنة المئة من عمرهم فتكون نسبتهم الى عدد سكان كاليفرنية البالغ ثلاثة ملايين نفسًا نسبة الواحد الى ١٠,٠٠٠ . وقد توفي واحد من اهل كاليفرنية من عهد قريب بلغ عمرهُ ١٠٨ سنوات . ومات آخر بين هنود تلك البلاد كان عمرهُ ١٥٠ سنة . وقد ينسبون ذلك الى جودة هواء كاليفرنية واعتدال جوّها وخصب تربتها

انقاد الفحم بفعل الظواهر الجوّية قد جرت عدَّة حوادث حريق في هذه السنين الاخيرة في مستودعات الفحم فاتَّقدت من تلقاء نفسها وانت باضرار جمَّة فبحث العالم الالماني هنرِكسن (M. Hinrichsen) عن اسباب الامر

فبيّن ان الفحم اذا بقي مدّةً في مستودعهِ يتأكسد شيئاً فشيئاً وترتفع درجة حرارتهِ حتّى يصيبهُ نوع من الاختمار فيتّقد في بعض الاحيان من تلقاء ذاتهِ . ويزيد خطر الحريق اذا تضمّن الفحم شيئاً من البيريت (pyrites) السريع التأكسد او اذا كان الفحم ناعماً او اختمر بفعل الرطوبة الجوّيّة او تسلّط عليهِ عنصر الاوزون في ايّام الانواء . واستدراك هذا الخطر بأن يكوّم الفحم في الهواء اكواماً متوسّطة ويُصان من المطر بتغطيتهِ وان ينفذ الهواء الى اواسطهِ

الخُثّ ويقال الكتّ هو نبات المياه ولا سيّما البحار (algues) ينمو في اعماقها ثمّ تجرفهُ الامواج الى السواحل . وقد تحقّقوا في ايّام الحرب الاخيرة اذ نقص علف الخيل انّ هذا النبات من افضل ما يُعطى لها طعاماً . والخيل اذا اعتادت اكلها سمنت وقويت على العمل . وممّا يجدي الحث بعض خواصهِ الغذائيّة السليمة ما يحتويهِ من عنصر اليود الذي يُشيد اليوم الاطبّاء بفاعليهِ الطبيّة التي سبق لنا ذكرها

معالجة قِصَر النظر قد اخذ قصر النظر يمتدُّ في جهاتنا لضعف الامزجة وانقطاع الشبّان الى القراءة . ومعالجة هذه العلّة باتخاذ النظّارات (العوينات) الّا انّ بعض الاطبّاء وجدوا دواء انجع لهذا الداء الذي ربّما تفاقم حتى لا تكفي النظّارات لشفائهِ . وذلك انهم درسوا سبب قصر النظر فوجدوهُ في امتداد كرة العين على خطّ قطرها الى الامام فلا تعود المرئيّات ترتسم على شبكة العين بل بازائها فتضحي الصور كدرة غير واضحة والنظّارات المقعّرة على الوجهين تصلح هذا النقص دون ان تشفيهُ ومع التقدّم في السن يتعرّض الانسان الى العمى التامّ بانفصال الجليدة الصلبة (sclérotique) عن شبكيّة العين . امّا الشفاء فبأن يُقصر امتداد كرة العين بتسطيح تلك الكرة . واوّل من انتبه الى ذلك الطبيب النساوي هرسمان فاتّخذ صفائح من الرصاص كان يجعلها في الليل على عيني العليل . بيد انّ هذا العلاج لم يأتِ بالنتيجة المأمولة لكنّهُ نهج الطريق لطبيب آخر اميركي جاء الى باريس واعلن لاهلها بانهُ يستطيع شفاء قصر البصر وكان اخترع لذلك مدقّات صغيرة كان يطرق بها كرة العين فيقصر بذلك قطرها وتقترب شبحيّتها من القرنيّة فنال بعلاجهِ هذا نجاحاً كبيراً حتّى انهُ شفى كثيرين من علّتهم او خفّف على الاقلّ

تلك العلّة فاصبحوا يقرأون دون نظّارات حتّى الشيوخ منهم . وقام مؤخراً طبيب فرنساوي يُدعى روجهُ دَنْسان (Roger d'Ansan) فاخترع آلة حسنة تتركب على الرأس والاذنين ثمّ تنتهي بجمامين يُضغط بهما الجفنان المطبوقان على العينين ضغطاً تدريجيًا وذلك مدّة بضع ثوانٍ ثم يخفّف الضغط قليلًا ويُعاد اليه مراراً . ولا يزيد طول العلاج على عشر دقائق ثمّ يكرَّر مدة وفقاً لمقتضى حال العليل من تقدُّم في السنّ وبلوغ الداء واضراره . وقد ثبت اليوم نجاح هذا الاختراع واثنت عليه اكادمية العلوم الفرنساوية وتحقّقت صحتهُ بالتجربة على عدّة اشخاص حتى انّ البعض منهم امكنهم ان يقرأوا على مسافة متر و ٣٠ سنتيمترًا حروفاً لم يستطيعوا تمييزها قبلًا عن بعد بضعة سنتيمترات

امتحان جديد لدوران الارض من نواميس علم الطبيعة المبيّنة لحركة الارض ودورانها من الغرب الى الشرق ان يُلقى ثقل من علوّ معلوم فاذا بلغ الارض لم يسقط سقوطاً مستقيماً بل سقوطاً منحنياً الى الشرق . وقد اثبت ذلك مؤخرًا في مناجم ولاية ميشيغان حيث تبلغ ثلاث آبار يُستخرج منها النحاس عمقاً لا يُعرف لغيرها في المعمور منها منجم في كالومت (Calumet) عمقهُ ١٦٤٠ متراً فعمدوا الى جُلّتين من رصاص ربطوها بخيط في وسط البئر وابعدوا الواحدة عن الاخرى نحو نصف متر وجعلوا تحتهما على عمق ١٢٨٠ متراً وعاء كبيرًا مملوءاً من الصلصال ليتلقّى الجلّتين عند سقوطها فيُعرف بذلك قدر حيادهما ثمّ احرقوا الخيطين فسقطت الجلّتان وحادت كلتاهما تماماً عن وعاء الصلصال الى الشرق فضاعت الواحدة ووجدت الاخرى في بعض ثنايا البئر شرقاً على عمق ٢٤٥ متراً فكان حيادها عن الخط المستقيم متراً واحداً وعشرين سنتمترًا ولولا مقاومة الهواء في سقوطها لقطعت هذه المسافة باشدّ سرعة وزاد عمقها . فكفى به دليلًا على سرعة دوران الكرة الارضيّة في الفضاء خلافاً لمزاعم القدماء القائلين بثبوت الارض ودوران الشمس حولها

دياميس نصرانيّة جديدة ليست دياميس رومية وحدها خُصّت بدافن النصارى في القرون الاولى والظاهر ان المسيحيين الاولين في انحاء ايطالية اقتفوا آثار اخوتهم في عاصمة الدولة الرومانيّة فحفروا لهم دياميس مختلفة كانوا يقبرون فيها موتاهم وربّما اجتمعوا فيها ليقيموا اسرار دينهم لاسيّما ايّام الاضطهادات

وقد عرف الاثريون دياميس نصرانيَّة في سيراقوسة من اعمال صقلية وفي نابولي وفي مالطة ومما اكتشف منذ عهد قريب دياميس مدينة فِلتري اكتُشفت سنة ١٩١٣ وفي العام التالي اكتشفوا قرب رومية في مدينة ڤاي (Véies) دياميس اخرى ذات اسراب عديدة وتصاوير شتى وكتابات جاءت مبيِّنة لرقيّ النصرانية في عهد القياصرة قبل قسطنطين فبيَّنت هذه الاكتشافات اتساع نطاق النصرانيَّة في ايام القياصرة. وجرى ايضاً الشرقيّون على هذه العادة فان مدينة الاسكندريَّة كانت محتوية على مدفن من هذا الصنف يُعرَف اليوم موقعهُ

آثار نصرانيَّة في طرابلس الغرب منذ احتلَّت ايطالية اصقاع طرابلس الغرب اخذ علماؤها يبحثون عن الاثريَّات التي تشتمل عليها تلك البلاد. وبين هذه الآثار قسمٌ كبير من العاديَّات النصرانيَّة المثبتة لرقيّ تبعة الدين المسيحي في تلك الجهات وقد اخذوا يجمعون تلك البقايا من كتابات وتماثيل وحليّ شتَّى اودعوها في متاحف أُنشئت لهذه الغاية. ومما اكتُشف في المدَّة الاخيرة مقبرتان نصرانيَّتان من القرن الرابع الى السادس وجدوا آثارهما الجليلة في عين زارا وفي الخيلة ليس بعيداً عن مدينة طرابلس. وعلى القبور كتابات فيها اسماء الموتى وبعض آيات الكتب المقدَّسة باليونانية مع تاريخ وفاة المقبورين

نقل الأبنية من امكنتها من جملة عجائب عصرنا نقل المباني الكبيرة من مكانها الى مكان آخر. على انَّ التاريخ يروي عن المهندس البولوني ارسطو دي فيوراڤنتي (Ar. di Fioravanti) انهُ عالج ثلثة ابراج عالية في بلده بولونية وفي مدينتي چنتو والبندقيَّة فنقلها من مكانها وقوَّم اعوجاجها سنة ١٣٥٥ في مدَّة خمسة اشهر. وبقي الامر كسرّ مكتوم الى أن قام الانكليز سنة ١٨٤٤ فنقلوا منارة سندرلند من مكانها الى مسافة ١٨ متراً صوناً لها من عوامل الخراب. وبعد مدَّة قليلة عمدوا الى احدى محطات سكَّتهم الحديدية الغربيَّة (Great Western Railway) فرفعوا اساسها على علو ٤٥ سنتمتراً. وما لبث الاميركيّون على مألوف عادتهم ان جاروا بقيَّة البلاد باعمالهم الجبَّاريَّة فاخذوا ينقلون المباني الضخمة الواسعة في محلَّات شتَّى فمن ذلك انهم في السنة ١٨٨١ نقلوا في مدينة بوسطن نزل يلهام (Pelham Hotel) الى مسافة ٤ امتار وربع والنزل المذكور طولهُ ٢٩ متراً

في عرض ٢١ م وعلوّ ٣٠ متراً وثقله ٥٠٠٠ طن وتمّ ذلك في ظرف ١٣ ساعة فقط لكنّهُ كلّف اصحابهُ ١٥٠،٠٠٠ فرنك . وفي السنة ١٨٨٨ نقلوا نزلاً آخر كان على شاطئ البحر قريباً من نيويرك كان البحر يعمل في اساسه فيتهدّدهُ بالخراب . فنقلوه الى مسافة ١٥٠ متراً وسحبوهُ بست آلات من محرّكات السكك الحديدية . وكان طول هذا النزل ١٥٠ متراً في عرض ١٥ متراً . ومنذ ذاك الحين اصبح نقل المنازل في اميركة شيئاً مألوفاً حتى امكنهم نقل بعض المباني على المياه فقطعوا بها من ضفّة نهر الى ضفّتهِ الاخرى او اجازوها فوق البحيرات

نقل الاطعمة المجمّدة سبق لنا في المشرق (٧ : ٧١٥) ترقّي هذه الصناعة التي فتحت للبشر طرائق مستحدثة للارتزاق . وقد وقفنا اليوم على بعض افادات جديدة تبيّن انتشار هذه التجارة في انحاء المعمور . وللولايات المتّحدة في هذا الفنّ التقدّم والسبق فانّ ولاتها اذ رأوا حاجة حواضرهم الحافلة بالسكان كنيويرك وشيكاغو الى اطعمة وافرة من لحوم واسماك وبقول وثمار لا توجد موفّرة الّا على مسافات بعيدة فلا يُستطاع نقلها قبل فسادها طلبوا وسيلة لسدّ هذا الخلل بتجهيز قطارات خاصّة تُجمّد صناعياً وتودع فيها ضروب الاطعمة المبرّدة فتنقل من اقاصي البلاد الى اقاصيها فأتت امتحاناتهم بالنتائج المرغوبة وتوفّرت منذ عشر سنوات هذه القطارات حتّى بلغ عددها ١١٠،٠٠٠ قطار فراجت اسواق المطاعم في كلّ انحاء اميركة الشمالية وزاد نشاط الفلّاحين وباعة المأكل اي نشاط بتبادل مرافق الحياة بين اطراف البلاد . وقد اثّر مثل اميركة في الاوربيّين حتّى اخذ نطاق حركة نقل الاطعمة المجمّدة يتّسع يوماً بعد يوم . الّا انّ اوربّة لا تزال بعيدة عن همّة الاميركيين فانّ مجمل القطارات الناقلة للاطعمة المبرّدة في سائر اوربّة لا يتجاوز ٣،٤٠٠ قطار وكانت فرنسة متأخّرة في تلك الحركة حتّى تألفت منذ سبع سنوات شركة خاصة درست درساً نعمّا الادوات الاميركيّة وزادتها تحسيناً وهي تُدعى شركة البرد الفرنسويّة (Association française du froid) صارت تنقل ضروب الاقوات السريعة الفساد بعد تبريدها الى كلّ انحاء فرنسة وقد بلغ عدد قطاراتها ٢٠٠ بينما يستطيع كلّ قطار ان ينقل الوفاً من كيلوغرامات اللحم او السمك وغيرهما

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد كم هي مساحة سورية وما هي اصدق احصاءات سكانها في مدنها وعناصرها

مساحة سورية – واصدق احصاءات سكانها

ج معلوم ان الجغرافيين لا يتفقون في اثبات حدود سورية شمالاً . وان اعتبرنا الولايات التركية الثلث بيروت والشام وحلب واضفنا اليها متصرفيتي القدس ولبنان تكون مساحتها بالتقريب نحو ٣٤٠,٠٠٠ كيلومتر مربع . وكذلك عدد الاهلين في هذه الولايات والمتصرفيتين لا يُعرف بالضبط وانما يبلغ قريباً من ثلاثة ملايين ونصف من النفوس . واخص مدنها دمشق عدد اهلها نحو ٣٠٠,٠٠٠ نفس ثمَّ حلب نحو ٢٠٠,٠٠٠ ثمَّ بيروت نحو ١٥٠,٠٠٠ ثمَّ القدس الشريف نحو ١٢٠,٠٠٠ ثمَّ حماة نحو ٩٠,٠٠٠ ثمَّ حمص نحو ٨٠,٠٠٠ ثمَّ نابلس ٧٠,٠٠٠ . امَّا بحسب العناصر فالاكثرية للمسلمين السنيين هم نحو مليونين يضاف اليهم نحو ٨٠,٠٠٠ من المتاولة . ثمَّ النصارى فعددهم نحو مليون اكثرهم الكاثوليك منهم الموارنة نحو ٣٥٠,٠٠٠ ثمَّ الروم الكاثوليك الملكيون نحو ١٦٠,٠٠٠ ثمَّ السريان الكاثوليك نحو ٢٢,٠٠٠ ثمَّ اللاتين نحو ٢٠,٠٠٠ ثمَّ ارمن كاثوليك نحو ١٠,٠٠٠ ثمَّ كلدان نحو ١٥٠٠ . وبعد الكاثوليك الروم الاورثدكس نحو ٢٥٠,٠٠٠ والسريان اليعاقبة ٨٠,٠٠٠ ثمَّ البروتستان نحو ٢٠,٠٠٠ ومن غير النصارى اولاً اليهود نحو ٢٠٠,٠٠٠ ثم النصيريون وعددهم نحو ٧٠,٠٠٠ ثمَّ الدروز فعددهم نحو ١٣٠,٠٠٠ في لبنان وحوران ثمَّ الاسماعيليون ٢٥,٠٠٠ ثمَّ اليزيديون نحو ١٠,٠٠٠ . والباقون اجانب

س سأل احد قسوس البلدة ما هي الامتيازات المسموح بها لاصحاب الرتب الشرفية الممنوحة من الحبر الاعظم كالحاجب البابوي وكاتب الديوان البابوي واشباههما

ج انَّ لمتيازات هذه الرتب منصوص عليها في الرقيم الرسميّ المرسل من رومية فلا يجوز لصاحبها ان يخصّ نفسهُ بسواها وعليهِ ان يُطلع عليها رؤساءهُ ل . ش

السنة الثامنة عشرة العدد ٤ نيسان ١٩٢٠

المشرق

انتصار الصليب

ذكر جمعة الآلام للاب لويس شيخو اليسوعي

في غرّة هذا الشهر وبهِ ختام جمعة الآلام تجدّد الكنيسة اكرامها لراية خلاص العالم صليب الربّ المحيي لذاك العلَم الظافر بقوّات الجحيم الذي جعلهُ السيّد المسيح آية انتصارهِ قائلًا (يو ١٢: ٣٢): «وانا اذا ارتفعت عن الارض اجذب اليَّ الجميع» فنال بصليبهِ ما لم ينلهُ سلاطين العالم وحكماؤهم بالغنى والجاه وقوّات الجنود وبلاغة اللسان فيُرى اليوم صليب العار منصوباً في اشرف الاماكن واجلّها. امامهُ تجثو الملوك ساجدةً وبهِ تفتخر ارقى الامم فضلًا وحكمة على مثال الرسول المصطفى حيث قال (غلاطية ٦: ١٤): امّا انا فحاشا لي ان افتخر الّا بصليب ربّنا يسوع المسيح». فتمّت بالصليب كلمة الربّ على لسان نبيّهِ القائل (اشعيا ٢٩: ١٤): «انهُ يصنع عجباً عجاباً تضمحلّ بهِ حكمة الحكماء ويفنى عقل العقلاء».

وها نحن نبيّن بالاسطر التالية ان الصليب سواء كان مرموزًا اليهِ في العهد القديم ام ظهر في عارهِ وهوانهِ على الجلجلة او بقي ذكرهُ وآثارهُ بعد المسيح انّما كان في كلّ هذه الاطوار آية الفوز والانتصار والشرف والافتخار

✣

ليس لبشر ان يسبق ويعرف بلا شكّ ظروف موتهِ وخاتمة حياتهِ . وانّما عرف ذلك السيّد المسيح ابن الله وحدهُ وصرّح بهِ مرارًا امام تلاميذهِ . بل تقدّم واشار اليهِ بالرموز قبل مولدهِ بعدّة اجيال امّا ببعض الحوادث المنبئة بهِ وامّا بما اوصى على لسان انبيائهِ الناطقين بروحهِ القدوس

واوّل شيء عدّهُ آباء الكنيسة رمزًا الى صليب الربّ سفينة نوح التي نجّى خشبها ذلك الصدّيق وآلهُ من الطوفان العرمرمي . قالوا انّما كان ذاك الخشب صورة خشبة الصليب التي انقذ بها السيّد المسيح الجنس البشري المعرّض بطوفان آخر اشد هولًا وافظع عاقبةً لهلاكٍ ابدي . تلك هي آلة الخشب الحقيرة التي خلّصت بها الحكمة الالهيّة الجبلة الآدميّة من تبعة الخطيئة كما ورد في سفر الحكمة (١٠ : ٤)

ومن الرموز التي أجمع الاباء الى كونها رمزًا الى الصليب عصاةُ موسى التي بها اجترح تلك المعجزات الباهرة فابطل سحر المصريين وفلق مياه بحر القلزم وبها ضرب الصخرة فانفجرت منها المياه وجعلها اخيرًا في تابوت العهد تذكارًا دائمًا لرحمة الله مع شعبهِ

وقد رأى الآباء والمعلمون رمزًا الى الصليب في خشب آخر امر الربُّ موسى نبيّهُ ان يتّخذهُ من شجرة ليصلح بهِ مرارة المياه التي وجدها بنو اسرائيل بعد قطعهم لبحر القلزم في برّيّة شور فاستنكفوا من شربها . فلمّا القى موسى الكليم ذلك الخشب في الماء اصبح عذبًا شروبًا (الخروج ١٥ : ٢٣—٢٥) . قال المفسّرون انّ هذا العود كان صورة عود الصليب الذي بهِ ازال الله مرارة الخطيئة . وكما (كما قال الرسول كولسي ٢ : ١٤) الصكّ الذي كان علينا لهلاكنا فسمّرهُ في الصليب »

وادلُّ وأظهرُ من ذلك صورة موسى عينهِ اذ تضرّع الى الله مصلّيًا في وقت محاربة يشوع مع بني اسرائيل للعمالقة . قال الكتاب (خروج ١٧ : ٨ — ١٣) :

جاء العمالقة فحاربوا اسرائيل في رفيديم . فقال موسى ليشوع : اختر لنا رجالًا واخرج لمحاربة العمالقة وانا أقف على رأس التلّ وعصا الله في يدي . ففعل يشوع كما قال لهُ موسى في محاربة العمالقة وموسى وهارون وحور صعدوا الى رأس التلّ . فكان اذا رفع موسى يدهُ يغلب

بنو اسرائيل واذا حطّها تناب الهالكة . ولما كانت يدا موسى اخذا حجرًا وحملاهُ تحتهُ فجلس عليهِ واسند هارون وحور يديهِ احدهما من هنا والآخر من هناك فكانت يداهُ ثابتتين الى مغرب الشمس فهزم يشوع عماليق وقومهُ بحدّ السيف

فكأنَّ الله اراد بهيئة يدَي موسى على شكل صليب ان يرمز الى صليب ابن الله الذي فاز لمَّا مدَّ عليهِ يديهِ بأركون النار وغلب عدوّ الجنس البشري . وهكذا تأمر الكنيسة كلّ يوم كهنتها في الذبيحة الطاهرة ان يتضرَّعوا الى الله ببسط ايديهم على مثال الصليب المقدَّس لينالوا باستحقاقهِ نعم الخلاص لكافّة المؤمنين

وفي سفر العدد (٢١ : ٦ — ١٠) رمز بديع الى الصليب ونعمتهِ وقوّتهِ على اعداء النفوس ألا وهي تلك السارية التي امر الله موسى عبدهُ ان يتّخذها ويرفع على رأسها تمثال حيَّة من نحاس كان كلّ من ينظر اليها من بني اسرائيل اذا لدغتهُ الحيّات النارّية التي ارسلها الله لعقابهم ينجو من سمّها الزؤاف . وقد اغتانا السيّد المسيح اله الحقّ عن تأويل هذا الرمز اذ أكّد لليهود انَّهُ أُشير بهِ اليهِ عند ارتفاعهِ على الصليب فقال لنيقوديمس (يوحنّا ٣ : ١٣ — ١٤) : « وكما رفع موسى الحيَّة في البرّيَّة هكذا ينبغي ان يُرفع ابن البشر لكي لا يهلك كلّ من يؤمن بهِ بل تكون لهُ الحياة الابديَّة »

ومن النبوّات الصريحة الملمعة الى الصليب والنجاة بهِ من كلّ سوء ما ورد في نبوَّة حزقيال (٩ : ١ — ١٠) :

قال الرب : « قد اقترب ذوو انتقاد المدينة وكلّ واحد اداةُ تدميرهِ بيدهِ . واذا بستَّة رجال . . . وكلّ واحدٍ اداةُ حطمهِ بيدهِ وفي وسطهم رجلٌ لابس كتّانًا وعلى حقوهِ دواة الكاتب . . . فقال لهُ الرب : اجتزْ في وسط اورشليم وارسم « تواء » على جباه الرجال الذي ينوحون ويندبون على كلّ الارجاس التي صنعت في وسطها . وقال لاولئك . . . اقتلوا الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء حتى الفناء ولكن كلّ من عليهِ « التواء » لا تدنوا منهُ . . . .

التواء المذكور هنا هو التاو آخر حروف اللغة العبرانيَّة وكان يرسم في ذلك الحين على شبه صليب هكذا ✝ فجعلهُ الربّ علامةً لخلاص بعض بني اسرائيل كما ترى . فاتّفق معلّمو الكنيسة على انَّهُ كان رمزًا الى صليب السيّد المسيح

فترى انَّ هذه الرموز تؤول كلّها الى غاية واحدة فتدلّ على ان الانتصار من آفات الدنيا والآخرة انَّما يُنال بصليب ابن الله وناهيك بذلك اشارةً الى جلالهِ وعظمتهِ

*

ها قد « تجلّى لطف خلاصنا ومحبّتهُ للناس » (تيطس ٣ : ٤) اذ « تراءى على الارض وتردّد بين البشر » (باروك ٣ : ٣٧) فيا ترى أينطبق المرموز اليهِ على الرمز ؟ وهل يكون الصليب آلة النجاة والنصر وهو في عهد المسيح معدود كآلة منتهى الذلّ واقصى الهوان ؟

قد عرف السيّد المسيح عار الصليب وخزيهُ وهذا ما حملهُ على اختيارهِ ليظهر بهِ قوّة الاله كما قال رسول الامم (١ كور ١ : ٢٣) : « نحن نكرز بالمسيح مصلوباً شكّاً لليهود وجهالةً للامم اما للمدعوّين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوّة الله وحكمة الله » . وقد جعل ابن الله صليبهُ تجاه ابصارهِ منذ اوّل حياتهِ « وعملهُ امامهُ » (اشعيا ٦٢ : ١١) لا يغضُّ عنهُ طرفة عين حتّى يوم تجلّيهِ على جبل الطور فانّ كلامهُ مع موسى وايليّا انّما كان « عن خروجه الذي كان مزمعاً ان يتمّمهُ في اورشليم » (لوقا ٩ : ٣١) عند ما يسير الى الجلجلة حاملاً صليبهُ

وما كاد يجمع تلاميذهُ ويباشر في تهذيبهم حتّى اخذ ان يكشف لهم سرّ صليبهِ فسبق وأعلمهم بما سيحلّ بهِ وكيف انّ مشايخ اليهود ورؤساء الكهنة والكتبة يقبضون عليهِ ويفرغون فيهِ غضبهم ويسلمونهُ الى الامم فيموت صلباً . فكان كلامهُ كلغز لم يدركهُ رسلهُ بل « اخذهُ بطرس نحوهُ وبدأ يزجرهُ قائلاً : حاشا لك ياربّ . لا يكون لك هذا فالتفت يسوع وقال لهُ : اذهب خلفي يا شيطان فقد صرتَ لي شكّاً لانك لا تفطن لما لله لكن لِما للناس » (متى ١٦ : ٢١–٢٣) . فهذه كلمة زاجرة لم يخرج مثلها من فم المخلّص وهي تشير الى ما رمى اليهِ من تمجيد الصليب بموتهِ عليهِ . وقرّر ذلك بما اضاف قائلاً لتلاميذهِ : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ ويتبعني »

وكانت نفس الربّ تائقةً الى تلك الساعة ينتظرها بفروغ الصبر كما اعلن بذلك لرسلهِ الحواريين حيث قال (لوقا ١٢ : ٥٠) : « لي صبغة اصطبغ بها وما اشدّ تضايُقي حتّى تتمّ » . ولمّا خرج يهوذا الاسخريوطي ذاهباً الى اليهود ليسلمهُ الى ايديهم صرخ يسوع متهلّلاً (يوحنا ١٣ : ٣١) : « الآن تمجّد ابن البشر وتمجّد الله فيهِ . . . والله يمجّدهُ في ذاتهِ وسريعاً يمجّده » . فهذا وايم الله صوت الانتصار !

ولما حانت ساعة آلامهِ المعيَّنة من ابيهِ السماوي لم ينكص عنها بل ذهب الى حيث كان عالماً ان يأتي اليهِ اعداؤهُ في طلبهِ قائلاً لتلاميذهِ بملء الثقة (يو ١٤ : ٣٠) : « ليعلم العالم أني احبُّ الآب واني كما اوصاني هكذا افعل قوموا ننطلق من هنا » . ولا بأس في كونهِ شعر في طبيعتهِ البشريَّة بالخوف والحزن والسأم واعلن بذلك لئلا يزعم البشر انَّ جسدهُ خيال وانَّهُ ليس انساناً حقاً كما هو إله حقّ وانَّما قهر تلك المحسوسات وقدَّم على صليبهِ تلك الضحيَّة التي تنسَّمها الآب برائحة الرضى

وقد ظهر في معظم اوجاعهِ واشدّ آلامهِ كالمنتصر الظافر فانهُ ليس فقط ابى ان يُناح عليهِ (لوقا ٢٣ : ٢٧ — ٣٢) بل شرك بفردوسهِ ونعيمهِ احد اللصَّين المصلوبين معهُ فظهر كالملك يقتسم بغنائمهِ بين تبعتهِ . وكان على صليبهِ يفكر في تتميم كلّ النبوَّات المقولة عنهُ (يو ١٩ : ٢٨ — ٢٩) ولمَّا تحقَّق انها نُجزت بكمالها في شخصهِ ترنَّم بشعار الانتصار فهتف : « ها قد تمَّ »

وما كاد يسلم الروح حتَّى تردَّد صدى انتصارهِ في السماء والارض والجحيم فحدثت تلك الآيات الباهرة التي انخلعت لها قلوب اعدائهِ . فأظلمت الشمس ولبست الطبيعة حدادها على خالقها وتزلزلت الارض وانشقَّ حجاب الهيكل اشارةً الى الغاء الناموس القديم وتفتَّحت القبور وقام منها بعض الموتى فتراءوا لكثيرين في المدينة المقدَّسة وعاد جمهور الحاضرين الى بيوتهم وهم يقرعون صدورهم قائلين مع قائد المئة : في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله

فليقم كلّ منصف ويقل لنا أليست الكنيسة وابناؤها بكل صواب يكرمون الصليب الذي لاح على الجلجلة في جمالي قوَّتهِ . حتَّى ولو سجدوا لهُ لا يأثمون بل يتبعون اوامر الله على لسان داود القائل (مز ٩٨ : ٥) : « ارفعوا الربَّ الهنا واسجدوا لموطئ قدميهِ » . فكان الصليب ذلك الموطئ المقدَّس يلبس قدمي الربّ الملقى عليهِ

وكأنهُ تعالى اثبت في قلوب رسلهِ ذلك الاكرام اذ ظهر لهم بعد قيامتهِ بالمجد والبهاء لكنَّهُ لم يشأ ان تتلاشى من جسمهِ الالهي آثار الصليب بل ابقى فيهِ اثقاب يديهِ ورجليهِ وجنبهِ ليحقِّق بها لتلاميذهِ صحَّة موتهِ وقيامتهِ كما اقرَّ توما بعد كفرهِ بربوبيتهِ ولاهوتهِ حيث وضع اصبعهُ في موضع المسامير وفي جنبهِ

*

وماذا نقول الآن عن انتصارات الصليب بعد ان قدسهُ المسيح بموتهِ . بقيت خشبتهُ المباركة محجوبةً عن العيان الى ايام قسطنطين اما قوتهُ فظهرت ظهور الشمس في رائعة النهار

وكان اوّل ظهور تلك القوة العجيبة في رسالة الابرار . هذا بولس لا يطلب الا ان يُصلب مع المسيح ليحيا لله (غلاطية ٢ : ١٩) . وهذا بطرس لا يرى نفسهُ اهلاً لأن يموت كخلصه على الصليب منتصباً بل منكوساً . وهذا اندراوس اذ حُكم عليهِ بالموت على الصليب صرخ متهلّلاً عند نظره : « السلام السلام ايها الصليب الكريم الذي تقدَّس باعضاء يسوع الهي فقد صرتَ بهِ منظراً شائقاً بعد ان كنت مكروهاً . فطالما كنتُ اشتاق اليك فاقبلني بين ذراعيك وقدمني لربي ليكون خلاصي بواسطتك »

وما قولنا بالمسيحيين الاوّلين الذين اتخذوا علامتهُ كسلاحهم فيرسمونهُ على جباههم وليس ذلك خفيةً (كما زعم صاحب الهلال اذ قابل بلا حياء في كتابهِ تاريخ الماسونيَّة العام وفي مجلتهِ بين علامة الصليب وعلامات التعارف الماسونيَّة) بل جهاراً كما روى ترتليانوس العالم في دفاعهِ عن المسيحيين حيث قال (Apol XVI, t. I. col. 365-6) : « اننا نرسم على جبيننا اشارة الصليب لأننا عَبَدة الصليب (religiosi crucis) » . فآباءُ رسموا في دياميس رومية على صور شتَّى (راجع المشرق ١١ [١٩٠٧] : ٢٩١—٣٠٢) تفننوا فيها اي تفنن وبهِ تزينوا لجماعهم في حلي نسائهم واولادهم كما ترى في عاديَّات متاحف اوربَّة . وعليهِ اتكارا اذ صاروا الى الموت لا يهابون العذاب فمات منهم الوف الالوف بحماس وبهجة شيد لها الفلاسفة الوثنيون كبلينيوس الطبيعي وجالينوس الحكيم . فكان للصليب في كلّ هذه الظروف النصر والرفعة

وانما زاد مجداً وبهاء بتأثير قسطنطين اذ ظهر لهُ وجنوده في الهواء وتحتهُ هذه الكتابة : بهذا انتصر (in hoc signo vinces) . فتقرَّر انتصار الصليب امام العالم باجمعهِ (اطلب المشرق ١٣ [١٩١٣] : ٤٠٨—٤٠٩) واتخذهُ قسطنطين كعلم يتقدم جنودهُ وحفر شعارهُ على خوذتهِ الملكية

فحدّث مذ ذاك عن انتصارات الصليب المتعدّدة ولا حرج ولاسيّما بعد اكتشاف القديسة هيلانة ام قسطنطين خشبة الصليب في اورشليم وتهافت المؤمنين للحصول على بعض دقائقه . وظهرت قوّة الصليب في تلك القرون حيث قهر الشعوبَ البرابرة وقادها الى حضن الكنيسة . وقد عرف العرب بركته فذكرهُ شعراء الجاهليّة في قصائدهم كما روينا ذلك في كتابنا النصرانيّة وآدابها في عهد الجاهليّة (ج ٢ : ٢٠٣)

ولمّا فُقد الصليب بغارات الفرس على فلسطين لم يألُ النصارى جهدهم حتّى انقذوهُ من يد سانبيه وتشرّف هرقل الملك بحمله على منكبيه بعد خلعه حلّة الملوكيّة فاعادهُ الى مكانه في كنيسة القبر المقدّس معزّزاً مكرّماً

وكلّ يعرف ما احرزهُ الصليب من الفخر في القرون الوسطى اذ بعث عالمَ الغرب على عالم الشرق فحمل الجيوش الجرّارة الى فلسطين لانقاذ الاماكن المقدّسة وعلى كلّ افرادها من الملك الى العبد شارةَ الصليب ففعلوا ببركته ما فعلوا

واثمّا انتصارات الصليب الادبيّة تفوق على انتصاراته الماديّة . وقد عرفت لهُ الكنيسة هذه الميزة فانّها تلتمس نعم الله في كلّ ادعيتها بشفاعة الصليب واستحقاقات المصلوب . ولا يباشر كهنتها عملاً الّا ورافقوه باشارة الصليب . هو قبلة كل المؤمنين وملجأ كل البائسين وامل كل الطالبين . بنعمته فاتحة حياة المسيحيّ اذ يقدّس الصليب ماء العماد ويجعلهُ طهوراً مزكّياً . وببركته خاتمة منفاهُ على الارض . وبظلّه يرقد في قبره . وهو طول حياته تعزيتهُ وسلوانهُ

يحملهُ الرسول الى بلاد الوثنيين فيقهر اصنامهم ويذلّل عنفوانهم . يحمله الراهب ازاء عينه فيستأنس به في عزلته . تأخذه الراهبة الضعيفة فتستأسد وتقتحم الاوبئة وتصير امّاً للمرضى اليتامى والعجز فيحار لها كلّ عمل شاقّ . يحمله الكاتب نصب عقله فيبدّد اوهام الضالّين ويفند سفسطة المتفلسفين . ولمّا سئل القديس بوناونتورا من اين استقى معارفهُ الواسعة وعلومهُ اشار الى صليب كان امامهُ فقال : هذا كتابي

ومن مآثر الصليب في ايّامنا الاخيرة تلك الجمعيّات المنشأة لاسعاف جرحى الحروب المعروفة بالصليب الاحمر . وكلّ يعلم عميم فضلها وسعة مبرّاتها وقد كان الصليب هو أيدُها وسندها

امّا عجائب الصليب الظافر فلا يُحصيها عدّ . فانّ معظم ما صنعهُ القديسون من

المعجزات والكرامات انما كان بواسطة اشارة الصليب وقد وُضعت لذلك تآليف خاصة . وكفى بنا ان نذكر صلبوت بيروت الذي ورد ذكره في المجمع المسكوني السابع وخصّت الكنيسة له عيداً في سنكسارها في اليوم التاسع في شهر تشرين الثاني واشار اليه صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص١٧) وذلك ان يهودياً طعن صورة مصلوب وجدها في بيت بعض النصارى فجرت منه الدماء الفائضة فجحد اليهودي وقومه ضلالهم وتنصّروا

ومن الآيات الحديثة المنبئة بظفر الصليب ما ترويه المجلات والصحف الاسبانية وغيرها عن معجزة غريبة هذه سنة ونصف منذ اول ظهورها . ودونك خلاصة الخبر : في معاملة البنك شمالي اسبانية بلدة تدعى لمياس . ففي كنيستها صليب كبير عليه تمثال المصلوب مجسماً غاية في الاتقان وهو معلّق على جدران الكنيسة . فالمصلوب المذكور منذ سنة ١٩١٨ جعل يتراءى للمؤمنين على صور شتى تدلّ على كل عواطف الحزن والكآبة فتارة يُرى كأنه مصاب بألم اليم وتارة يلوح على صورة المذعور من بليّة عظيمة وتُرى احياناً عليه نقط من الدم واحياناً اخرى تدمع عيناه فيطبقهما كالمتأمل ويرفع بهما الى السماء كالمترحم . وقد شاهد كثيرون شفتيه تتحركان كأنه يصلي في ارجاعه فأطلق عليه اسم صليب النزاع

فهذه المظاهر وغيرها شوهدت منذ سنة ونصف بانتظام وذلك يومياً بلا انقطاع والزوّار يتقاطرون الى الكنيسة يبلغ عددهم كل يوم بضع المئات وكان من جملتهم ملك اسبانية الفونس وآله وكبار دولته وقد اتى لمعاينة هذه العجائب العلماء والاطبّاء وارباب الدين وفحصوها فحصاً مدقّقاً ومنهم من صعد بالسلّم الى المصلوب ومسّ اعضاءه فوجدها طرية كاعضاء الحي . وهناك سجل يجوز لكل من اراد ان يدوّن فيه ملحوظاته وآراءه مع اختلاف ما يشاهد الواحد دون الآخر تتناصر باثبات العجائب المذكورة . وقد صوّر المصوّرون هيئات المصلوب المختلفة ولدينا منها صورتان تدلّان على هذه العواطف المؤثرة ولولا ما أُصيبت به مطبعتنا من خراب ادوات التصوير لكنّا اثبتناهما هنا

وما حدا بنا الى ذكر هذا الواقع العجيب انه قد اضحى داعياً لارتداد كثيرين من الكفرة الى الايمان والخطأة الى التوبة وذلك اولاً في اهل بلدة لمياس التي صار

اهلها جميعهم متحمسين في الدين ملازمين الاسرار كل يوم بعد فتورهم و إهمالهم فانتصر الصليب على قلوبهم . ثمَّ في بقيَّة النواحي بين الزوَّار المتقاطرين لنظر هذه الآية النادرة

على انَّ هذه الغلبات التي حازها الصليب ويفوز بها كل يوم ليست سوى مقدمة لذاك الانتصار العام الذي سينالهُ ابن الله في اليوم الاخير حين يأتي على سحابة ليدين البشر كما ورد في الاناجيل الطاهرة . وأيده نبيُّ الاسلام في حديثه اذ قال (جامع السيوطي ص ٣٧٢) : « ليهبطنَّ عيسى من مريم حكماً و إماماً مقسطاً » . ولكن الربَّ سيظهر حينئذٍ وأمامهُ علامتهُ كما قال القديس متى (٢٤ : ٣٠) : « وحينئذٍ تظهر علامة ابن البشر في السماء وتنوح جميع قبائل الارض ويرون ابن البشر آتياً على سحاب السماء بقوة وجلال عظيمين » وما هذه العلامة غير الصليب المبارك الذي باستحقاقاتهِ ينال الابرار سعادتهم وبحكمهِ يُقضى على الاشرار بالهلاك الابديّ . فعلى المؤمنين ان يطبعوا الصليب في قلوبهم ويحملوهُ مع ابن الله بصبرهم على كوارث هذه الحياة . وما ألطف ما قالهُ صاحب الاقتداء بالمسيح وبهِ نختم هذه المجالة (ك٢ ف ١٢) :

« لماذا تخاف من حمل الصليب الذي بهِ يُذهَب الى الملكوت . في الصليب الخلاص . في الصليب الحياة . في الصليب النجاة من الأعداء . في الصليب فيضان اللذَّة العلويَّة . في الصليب قوَّة العقل . في الصليب فرح الروح . في الصليب ذروة الفضيلة . في الصليب كمال القداسة . فلا خلاص النفس ولا رجاء للحياة الابديَّة الَّا في الصليب . فاحمل صليبك اذاً واتبع يسوع فتدخل الحياة المؤبدة . . . وان شاركتهُ في العذاب تشاركهُ كذلك في المجد »

مناحة جبرائيل القلاعي

على رفيقه الاب يوحنا الفريق

سمى بنشرها حضرة القس جرجس منشر المارونى الحلبي

تمهيد

لقد نشأ القلاعي في قرية خفد وانصرف بكليته الى الدرس والاستفادة من صغره الى ان اختطب له والده فتاة من ذوات قرباه فاعتراه شلل في عينيه كرهته خطيبته فيه وأعرضت عنه بسببه (الدويهي ص٤١٢). فشاق القلاعي ما أتاه اذ ذاك فرا غريغون البلجكي المشهور من غرر المحامد والاعمال وحمله على تحذيه في طريقته واقتفاء اثره في فضائله ومزاياه فحذّثه بامره فسُرَّ به فرا غريغون وسيّره صحبة استاذه يوحنا الآنف الذكر الى القدس الشريف سنة ١٤٧١ (١ حيث انخرط معه في سلك الرهبانية الفرنسيسية وابرز كلاهما النذور الرهبانية الثلاثة ورافقه ايضاً الى البندقية فرومية العظمى (المشرق ١:١٤٦) حيث عكفا كلاهما على تلقي اللغة اللاتينية واقتباس الفنون والمعارف الرياضية واللاهوتيـة فتجاريا وتباريا على مقاعد المدرسة فكانا كأسنان المشط في التحصيل والاجتهاد او الحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها في آدابهما وعلومهما والظاهر ان يوحنا سبق جبرائيل في اشياء كما فاق جبرائيلُ عليه في اشياء. فأعجب بهما البابا سكسطس الرابع وأعلام الغرب لما ابدياه من النجابة والذكاء النظري. وبعد ان ارتويا من الآداب والفنون وارتقيا الى درجة الكهنوت رجعا ادراجهما الى لبنان المبارك سنة ١٤٩٣ (الدويهي ص ١٤٣) فقضت العناية الالهية باحكامها الازلية الغامضة ان يغادر فرا جوان وهو الاب يوحنا لبنان فسار يريد القدس صحبة الرهبان الفرنسيسيين على مركب شراعي فغرق في البحر وذهب شهيد طاعته وغيرته ونجا باقي رفاقه الرهبان باعجوبة وتخلف عنه جبرائيل القلاعي ولبث في وطنه اللبناني يناضل عن الامانة ويجادل انصار اليعقوبية فلما نُعي

١) او سنة ١٤٧٠ على ما رواه الدويهي ايضاً في ص ٤١٢

اليه رفيقهُ واستاذهُ الاب جوان المشار اليه قامت قيامتهُ عليه وعقد له هذه المناحة او المرثاة معدّدا في خلالها معارفهُ وفضائله واعماله الجليلة . والغريب من العلامة الدويهي انهُ يسميه « القس يوحنا الماروني » على ما عُرف بهِ في الغرب ويضرب بعدهُ عن نسبهِ ووطنه وقد كان كلاهما على حبل ذراعه يتهيأ له الاستدلال عليهما بالتقاليد المتواتر وان يجتزئ من خبره بذكر طلبه المعارف (ص ٤١٢) ونبأ غرقه الصارع (ص ١٤٣) وذلك كله يدعو الى اسف البصير وحيث كان من الواجب ان يخصصهُ بالذكر كالقلاعي ويقرر له فقرة خاصة به لكونه هو والقلاعي كانا اول من رحل من الموارنة الى الغرب في طلب العلوم في اواخر القرون المعروفة بالوسطى كما لا يخفى

ولمّا كانت هذه المناحة او المرثاة لا تخلو من فائدة فقد نقلتها عن نسختها الوحيدة المصونة في مكتبة الطائفة بحلب (١) ونشرتها اجابةً لطلب الاصدقاء بحروفها كما انتهت الي لاسباب اخصها بر ابن القلاعي برفيقهِ واستاذهِ وصدق ولائه له وبيان ما كان عليهِ ذلك الرفيق من الخلال والمعارف التي اعلت مقامهُ وابقت له طيب الاحدوثة بل ايقاف القرّاء الالباء بوجهٍ اخص على حالة اللغة وحالة الشعر او الزجل بلبنان في اواخر القرن الخامس عشر واللغة العربية قد كانت اذ ذاك بالغة اقصى درجات الخمول والانحطاط فيلفظها اللبنانيون على اللهجة السريانية ويردون الفاظها على صياغتها وابنيتها الآرامية ويسكنون اول اللفظ ولا ينفرون من توالي الساكنات مثل زحلته وغنائمته وما اشبه مما تقف على مثله في عرض المناحة فلا أُطيل في استقصائهِ والاشارة اليه . واما الشعر او الزجل فقد كانوا يرسلونهُ على السجية والقريحة لا يتقيدون فيهِ بوزن او قافية على ما يجري عليه القوالون لهذا العهد فيرددونهُ ويتناشدونهُ في كل سانحة . ومن المعروف ان ابن القلاعي قد كان مولعا به مشهورا بنظمه على ما يظهر من أزجاله العديدة التي تداولتها الالسن وتناقلها الكتّاب والنساخ دهرًا طويلا والمناحة او المرثاة المنشورة وان كانت من الزجل واللفظ العامي

(١) تحت عدد ٧١٢ كتاب برامير داود في ٢٠٦ صفحات وفي ذيله وفيات بعض البطاركة والاساقفة والكهنة والشماسة (ص ٢٠٨-٢١١) فالمناحة المنشورة يختلف خطها عن خط سائر الكتاب (ص ٢١٢-٢١٥) وقد اصلحت بعض اغلاطها واشرتُ الى باقيها

فهي لا تخلو من المعاني الشعرية والعواطف الرقيقة للمتأمل وهذه هي بحروفها مع تعاليق عليها تشرح الفاظها المغلقة وتقرّب فهم معانيها من المطالع على قدر ما سمح بهِ الوقت واعان عليهِ الوسع

المناحة او المرثاة

اصبح الغريب مجاظرْ (١ كالطير من غير جناحْ من اجل ما قد يباشرْ (٢
عن اختباط (٣ الرياحْ اخي العزيز قد تخاطرْ (٤ والماء من فوقه طفاحْ (٥
ويلي يا قطع قلبي لما تشقت (٦ هذا الخبارْ (٧

باب الفراج (٨ يا حبيبي بالحق درب الخلاصْ تركتني في التجاريبِ
وانت ذقت المغاصْ (٩ ما كونا تنينا (١٠ اخوة زي (١١ الطيور بالقفاصْ (١٢
لماذا تخيب نصيبي من سكنة لجج البحارْ

غرق الحبيب بين المواجْ (١٣ تقيل (١٤ زي الرصاصْ أكشفه (١٥ عاو الابراجْ
(ولكن) عزنا (في) انتقاصْ كاهن ولم اقتبل (١٦ تاجْ موعود بالاختصاصْ
من عزكسي الرسولي اذا رجع من السفارْ (١٧

دار البحور والجزايرْ (١٨ قاسي هموم وغمومْ دارس (١٩ الكتب وسكن المغايرْ (٢٠

---

١) سريانية بمعنى مجاز او سائق ٢) اي يُعانيهِ او يصاب بهِ
٣) عامية اي الاضطراب والهيجان وهي هنا بمعنى عصف الرياح وعجيجها وفي ذلك اشارة الى ما كان يتحملهُ المسافر من المصاعب والاخطار لذلك العهد
٤) على الصيغة السريانية ساقته اليها الثانية وفصيحها خاطر بنفسهِ اي القى بها الى التهلكة
٥) عامية بمعنى فائض او متراكم ٦) نشقهُ وقف عليهِ او انتهى اليهِ
٧) الخبار الخبَر ٨) الفرَج
٩) المغص ١٠) كذا في الاصل والصواب ما كنا كلانا او اثنانا
١١) بمعنى مثل ١٢) الاقفاص ١٣) الامواج
١٤) ثقيل ١٥) يريد ازاءهُ علو الابراج ولكن عزنا صائر الى النقصان
١٦) عامية لان لم لا تدخل على الماضي ١٧) الاسفار
١٨) الجزائر ١٩) درس ٢٠) المغاور مفردها مغارة

اكتنز فهم وعلومْ طائع لكل مباشرْ (١ في عبادة وصلا وصُومْ (٢
مقتبل كليل (٣ الشهادة على قدر ضعف البشارْ (٤

هبَّ (٥ الرياح يا حبيبي بالصاري نفّاض (٦ القاوعْ فهبط (٧ فؤادك وقلبك
من النزول والطلوعْ نسيت الامانة بربك ؟ وعدمت نبع الدموعْ
ساعة تهيا (٨ طريقك في غمق (٩ لجاج البحارْ

وفارس يسوع مالك شككت في عظمته بطرس جرا لهُ (١٠ مثالك
يدُهُ اليمين نشلته لاكن (١١ ما جا (١٢ على بالك تطلب يمين رحمته
من اجل ذلك جرا لك ما قد جرا باقتدارْ

زور (١٣ الجاج (١٤ يارفيقي وخلّي (١٥ متبا لك رفيقْ واطلب من اجلي حقيقي
حتى اجي (١٦ في الطريقْ اذا زرت قبر المخلص مثلك انا اموت غريقْ
واسكن معك بطن الحوت حتى تقوم البشارْ (١٧

يا حوت ابلعت (١٨ يونانْ رابع يوم (١٩ اخرجته صحيحْ وصار نبي (٢٠ صادق
عن قبر يسوع المسيحْ اجعل اخي مثل يونان في وسط بطنك يستريح
واخرجهُ منه زي يونانْ يكرز (٢١ بما قد اختبار (٢٢

طوباك يا كاهن الله لانك اقتبلت الكليل (٢٣ من اجل الطاعة استحقيت

---

١) يريد به المتقدم ٢) صلوة او صلاة . صَوْم بالفتح
٣) اكليل ٤) البشر ٥) هبّت
٦) عرك القلوع ونافضها اي مرعدها ٧) عامية بمعنى خافَ وفزع
٨) تهيأ ٩) عامية وهي عمق ١٠) جرى له
١١) لكن الاستدراكية ١٢) جاء ١٣) زُرْ
١٤) اللجاج ١٥) في الاصل (خلا منتها) وهو خطاء نسخي وخلّي عامية بمعنى أبقِ ١٦) اجيء ١٧) تقوم البشر او تقوم الساعة
١٨) ابتلعت ١٩) هذا منهُ سرو والصواب ثالث يوم
٢٠) نبيًّا صادقًا ٢١) يكرز سريانية بمعنى يبشر
٢٢) اختبر كأنه كان يتصرف بالالفاظ حسب مشيئته وضرورته
٢٣) الاكليل وقد مرّ

تسلك طريق الجليلْ (١ طوبا (٢ لامك غنية (٣ الذي (٤ رأيتك يا فضيلْ
قربان تقدمت مقبولْ صالح وحسن الثارْ

يا جايزين (٥ الى بلادي وقد سمعتم الجارْ (٦ اذا وصلتم بلادي
من بعد طول السفار (٧ قولون(٨ الى شعب مارون قد خاب بنا افتخار (٩
مات المجادل حنّا بعمق البحور انقبارْ(١٠

كاتب وقاري وعالم في اللغة (١١ ترجمانْ سرياني عربي يوناني (١٢
وكان فصيح السانْ (١٣ الافرنج منهُ اتعجبوا(١٤ وقالوا هذا برهان
جا من بلاد بعيدة سرعة العلوم اختبار (١٥

لا عذر كان لطريقك (١٦ ولا عازتاً (١٧ يا حبيبْ حتى تركت رفيقك
وصرت عنه غريبْ اليوم تنشق(١٨ غريقك واشعلت به اللهيب
كيف هي حياتي بغيرك كالعشب في غير مطارْ(١٩

اين عدت الاقي مثالك في درجات الاتضاعْ واعادلة في دلالك (٢٠
بالعلوم والارتفاعْ انا كنت اعيش في ظلالك ارى القلب مني انقطاعْ (٢١
من عاد يداوي لي فؤادي غير من له الاقتدارْ

نور العلوم يا حنّا قد ضاعت في صيط(٢٢ الميدانْ(٢٣ والكهنوت عزّ ارتفاعه
قد اوصلك للامانْ الرهبنة والعبادة اقتنيتهم(٢٤ لك كفانْ(٢٥
رافقت بطرس وبولس وخلصت من كل عارْ

---

١) موضعان في اليهودية الجليل الاعلى والجليل الاسفل ٢) طوبى سريانية بمعنى السعادة
٣) لعلهُ اسمها ٤) اتى ٥) جائزين ٦) الاخبار
٧) الاسفار ٨) قولوا ٩) افتخر ١٠) قُبر
١١) اللغات ١٢) يريد به اللاتيني ١٣) اللسان
١٤) تعجبوا ١٥) اختبر وهي بمعنى تخبّر الامر اي علمهُ بكنهه وحقيقته
١٦) يريد به سفرك ١٧) عازة وهي عامية نصيحوا الدوز اي الحاجة
١٨) تراءى اليه وقد مرّ ١٩) الامطار
٢٠) يريد به خبرتك وضلاعتك ٢١) انقطع ٢٢) صيت
٢٣) خطاء نسخي صوابه البلدان ٢٤) اقتنيتها ٢٥) اكفان

ساير (١ يزور القيامة في مركب المسلمين اثنى عشر رهبان (٢ رفاقه
على عدد المرسلين وهو كان عليهم مباشر (٣ ترجمان وامين
ليس احدهم تفارق (٤ . وقد جاز تلك الخطار (٥
مع عريس مُرت مريم (٦ بتول محب البتول من صغره قد تعلم
في هيكل ام الحلول (٧ في صلواتها قد تنعم والى ابنها صار رسول
في كتب كرسي الرسولي اسمهُ جوًا (٨ انعطار (٩
صار في كتب الكنيسة تذكار الى كل شعبنا قالون (١٠ رهبان موارنة
قد جون (١١ الى عندنا والبابا قد تناشق (١٢ خبرنا وقد كتب اسمنا
وارسونا (١٣ كهانة (١٤ وعزنا عندهم الجهار (١٥
قالون (١٦ بين المدارس نجادل مع فراجوان (١٧ ومع رفيقه زاوس (١٨
والحق معنا يبان ننفي جميع الكنائس مثل القمح من الزوان
ونقطع (١٩ بذار التعايس الهرطقة والتتار (٢٠
رادون (٢١ يقولون عنا في سر مخفي عظيم انَّا هراطقة قد كنا
من الزمان القديم جاوب الراهب حنَّا عاد كل عالم بكيم
العقل منهُ تحيار (٢٢ اغاب (٢٣ الصواب والبصار (٢٤
شكروا الله في عطاهُ هذا العطاء هو جزيل وكان سكان بلاده

---

١) سائر اي ماش او مسافر ٢) إثنا عشر راهبًا لان تميز العدد مفرد
٣) يريد بهِ انه كان متخذًا وظيفة ترجمان وامين ٤) فارق الحياة او غرق
٥) الاخطار ٦) من السريانية اي السيدة مريم
٧) الحلول يريد بهِ التجسُّد
٨) جوّ اي ضمن او طي ٩) كُتب او سطّر ١٠) قالوا
١١) جاءوا ١٢) تنعم وقد مرَّ مرارًا ١٣) رسمونا
١٤) كهنة ١٥) الجهر وهي عامية بمعنى ذاع واشتهر
١٦) قالوا ١٧) بالايطالية اي الاخ يوحنا وهو الكاهن الغريق
١٨) اي نفحصهُ ونتلي عليه ١٩) وروى الدوجي نقاع
٢٠) اظنهُ يريد بالتتار الدولة العثمانية وهي تترية كما لا يخفى ٢١) ارادوا
٢٢) تحيَّر ٢٣) وغاب ٢٤) البصر وهذه الابيات رواها الدوجي في ص ٤٠٩

معتاد (١ عيشاً دليل (٢ وكل من قد تغرّبْ بالحق صيطه (٣ فضيل
لان الاله هو رفيقه في الليل وفي النهارْ
تمّ القصيد يا رفيقي مكتوب بفيض الدموعْ وانا بشكّا (٤ غميقي (٥
مصطنظر (٦ منك الرجوع لا علم معنا حقيقي ولا سلا (٧ بغير قشوع (٨
حتى انظرك بالحقيقي قدام الاله البشّارْ (٩

الحقوق البَدَويّة في شرقي الاردنّ

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان الروم الملكي الكاثوليكيّ (تابع)

٦ عن الدم

ان البيداء قد وضعت حدًا لمطامع العظماء والظالمين بما سلّطت عليهم من القُضاة العادلين . ولا ريب أنّ شراسة الأعراب وسوء طباعهم وما فُطروا عليهِ من الكبرياء يحملهم على إشهار السلاح وإهراق الدماء فلذلك قال احد فقهائهم : العرب هم كالشرارة المشتعلة تُفني بدقيقة ما حولها . وقد جعل الحكام عقاباً شديداً للمجرمين لِما تجنيهِ يدهم من إهراق الدماء . فالسنّة عند العرب هي ان الدم يطلب الدم كما بيّنّاه سابقاً في باب الانتقام . وربّما لم يقدر المرء على اخذ ثأرهِ فيطلب الدية بحسب الشريعة المحمّدية والدِّيَة تسمّى عند العرب حدّة وعقلة وسُمّيت عقلة لانها تعقل الدماء عن ان تُسفك والدية هي ٣٣,٣٣٣ غرشاً . ومن قلع عيناً او قطع يدًا او كسر رجلًا يدفع نصف الدية ومن اوقع ضررًا بالعضوَين معاً يدفع الدية كاملة . وبجرح

١) معتادًا (او معتادَ عيشي) ٢) ذليل ٣) صيتهُ
٤) بشكّ ٥) عميق وقد مرّ ٦) مستنظر
٧) سلوى ٨) مصدر قشعهُ عامية بمعنى رآهُ وابصرهُ
٩) اي السارّ المبهج

ليس له شيء معلوم فانهم يستدعون الطبيب المعروف في القطر فيأتي ويرى جسامة الجرح وخطرهُ ومحلهُ في الجسم ويحكم بدفع دية معلومة ورأينا اناساً يقيسون الجرح ويسبرون غورهُ كي يحكموا في الدية . ولما كانت المرأة عضواً ضعيفاً وكانت إهانتها او اتلافها يُعدُّ جرماً كبيراً قد وضعوا قانوناً صارماً لقاتل المرأة او العذراء . فان المجرم يدفع اربع مرّات اكثر من قتل الرجل . على انَّ العرب لا يدفعون ديةً من الذهب او الفضة ولكن المواشي والاغنام فيقدّرون ثمن المواشي ويدفعونها لصاحب الحقّ

فاذا ذبح اعرابي عدوّه يسعى حالاً في طلب امير كبير يحتمي في ظلّهِ ويعتصم بعقلهِ هو وماشيتهُ خوفاً من ان يُقتَل وفقاً لسنة الانتقام العاجل لأن اهل القتيل لهم حقّ مدة ثلاثة ايام ان يأخذوا ثأرهم ويذبحوا القاتل واهلهُ ويهدموا بيتهُ ويعقروا غنمهُ . فلذلك يستجير القاتل باحد الشيوخ لئلّا يُصبح فريسة الانتقام . فالامير يلتزم بان يبذل جهد طاقته لتخليص المجرم من طائلة الموت ولو كان القاتل من اعداء العشيرة او عدوهُ او قاتل ابنهِ او احد اقربائه لان الشهامة الأعرابيّة تحتم عليهِ بان يحامي عن الضعيف المستجير . ومن غريب الامور ان القاتل في هربه يلتجيء الى رجل ضعيف إمّا جهلاً منهُ بذلك او خوفاً من لاحقيهِ فيكون كمن استجار من الرمضاء بالنار . فماذا يصنع المجير وكيف يدافع عن المستجير . ففي هذه الحالة الحرجة يقوم المجير الضعيف ويلتجيء هو نفسه الى امير كبير يُعرَف بعظاء عزمه ورفيع اعمالهِ وكرم اخلاقه وبسالتهِ وعدد رعيّته فيقولون : « فيّض فلان الدخلة على فلان » : فالمجير الجديد يرسل وفوداً الى اهل القتيل ويقول : « أعطونا عَطوة الى حين المصالحة » فتصير الهُدنة الى زمان محدود . واذا لقي اهلُ القتيل المجرمَ فلا يُنزلون بهِ ضرراً . وبعد انتهاء زمن الهدنة يقدر اهل القتيل ان يقتلوا المجرم وكثيراً ما تؤجَّل العَطوة الى أمد بعيد او الى شهر او شهرين او سنة

واذا وصل المستجير امام الخيمة وقال لصاحبها : « انا دخيلك » فقد صار دخيلاً وان لم ينطق لهُ بجواب . وان تمسّك باطناب الخيمة او وقف امام الخيمة فقط فقد عُدَّ دخيلاً . واذا مسك عمود الخيمة المدعوّ واسطاً او جلس على فراش صاحب البيت وقال : « انا دخيلك » وكان قاتلاً احد افراد عشيرتهِ فلا يضرُّهُ بأذى وان قتلهُ احدٌ

خارج الخيمة فالقاتل يضطرُّ الى دفع دية الدم وحق الدخلة . لان المقتول يُعَدُّ دخيلًا . ولو سقط القتيل على مدًى بعيد من الخيمة فلا يُعتبر دخيلًا واذا سقط في موقع قريب فانَّهُ يُدعى دخيلًا . وهناك تميزات صعبة يعرفها القضاة . ان الشيخ يأخذ هراوةً ويضربها من باب الخيمة الى مسقط القتيل ثم يقيسون المدى من جهة القتيل ومن جهة مسقط الهراوة فان وجدوا المسافة بين الخيمة ومسقط الهراوة اكثر طولًا من المسافة القائمة بين مسقط الهراوة والقتيل فلا يُعدّ القتيل دخيلًا وان وجدوها اقلّ طولًا فهو دخيل . وهناك كلام طويل لا حاجة الى ذكره

غير ان القاتل ينهزم حالاً من وجه اهل القتيل وينجو هكذا من الانتقام فيقولون في حديثهم : « فلان جلا الى ارض كذا ونزل في عرب كذا » اي رحل الى طلب الحماية . وحينما ينزل القاتل عن فرسه ويجلس على فراش المجير يقول له : « انا دخيلك بعيالك وجلالك من الحظّ المنكود والسيف المجرود والظالم الحقود والكاذب ما لهُ مولود » . فيقول له : « يا هَلَا أبشرْ بالعزّ وطيب المنزل » فلا يهتمّ القاتل بشيء بل يعيش بالصفاء وهناء العيش . فالسعي كلُّهُ يعود على المجير لأنَّهُ يرسل بعثات متتالية الى اهل القتيل كي يقبلوا المصالحة ويأخذوا دية الدم . على انهم يرفضون الصلح ويطلبون الدم بالدم . لانهم يتذكرون بالدم المهدور الصارخ الى السماء الطالب الانتقام فيعود الوفد الاول خائباً . فلا ييأسنَّ المجير من ذلك الجواب المؤلم لان هذه هي العادة عندهم . وكثيراً ما يختار اهل القتيل رجلًا مشهوداً له بالبسالة والإقدام ليأخذ الثأر فيأخذون قطعة من قميص القتيل ويغمسونها بالدم ويضعونها على راس رمح . فيحملها هذا الرجل المختار ويطوف بين الخيم ويقول : « انا خصم القاتل فلان والله وبيت الله الكريم لاطوينَّ البرّ والبحر لأجد القاتل واسفكنَّ دمهُ . لان الدم بالدم » . وبعد ايام يعيد الكرّة فيرسل اليهم وفداً اكبر كي يصلحوا ذات البين ويأخذوا الدية فيرجع الوفد مكسور النفس حزيناً وبعد المرّة الثالثة ان ابى اهل القتيل المصالحة فتلك دلالة على انهم لا يريدون الّا الانتقام . فيجب على القاتل حينئذ ان يهرب في ظلمات الليل الى بلاد بعيدة ويعتصم بقبيلة شهيرة . وفي غالب الاحيان يصير الصلح بعد المرة الثالثة . لان العرب حينما يشاهدون كبراء البيداء متذللين امامهم تلين ناصيتهم وتتحرك افئدتهم وترتفع فيهم العواطف النبيلة .

فيضربون موضعاً للصلح ويبنون خيمة كبيرة كي يجتمع فيها اهل القتيل والقاتل . ولقد حضرنا حفلة المصالحة في السلط وهي مثال لما يجري في البيداء كلها ودونكم وصفها

خرج قوم من المسيحيين الفقراء لصيد الخنازير في غور الاردن في اواخر سنة ١٩١٣ . فهناك بالقرب من المياه الجارية مستنقعاتٌ تسكنها الخنازير ويتكاثر فيها بسرعة عجيبة . فلما انتهى هؤلاء الصيّادون الى غابة كثيفة ابتعد واحد منهم يشرب جثا على ركبتيه وحنا راسهُ ليشرب واذا برصاصة اصابتهُ في راسه فسقط مجندلاً وذلك ان صيّاداً منهم رأى خيالاً فظنهُ خنزيراً فاطلق عليه الرصاص فارتعد الصيّادون وحلّت فيهم الرعدة فربطوا القاتل بالقيود وقادوه الى السلط . واتوا بالقتيل الى بيته . فيا لها من ساعة تقشعرّ منها الابدان وترتعد منها الفرائص . فاخذت النساء تصيح وتندب وتشقّ ثيابها وتنتف شعرها . أجل انها لمصيبة كبرى وكارثة عظمى لان اولاد القتيل الفقراء يصبحون ايتاماً ولا احد ينظر اليهم بعين الشفقة والرحمة

وبعد زمان قليل سعى الكهنة مع بعض الوجوه كي يُصلحوا الجرم بدفع الدية . فكان يوم المسالمة أحداً فوفد كهنة السلط على اختلاف طوائفهم وقدم عدد كبير من جلّة القوم كي يحضروا المصالحة . وكان في صدر البيت اهل القتيل واقاربه . وكان حينئذٍ ثلاثة رجال يمثّلون اهل القتيل . فبعد ان هدأت الحركات وسكنت الاصوات قام رجل ينوب عن القاتل ووقف امام اهل القتيل . على ان القاتل نفسهُ يتقدم في بعض الاحيان الى اهل القتيل . وكيف نصف هيئة المجرم في تلك الساعة ! يتقدّم متذلّلاً متخشّعاً فيفرد عقالهُ عن راسه ويضعهُ في رقبته يتقدّم مكشوف الراس حافي القدمين ليس عليه الّا ثوبٌ طويل يغطي جسمهُ ثم يجثو امام الكبير من اهل القتيل ولا ينطق ببنت شفة . فيمسك واحد من اهل القتيل عقالهُ الموضوع في رقبته ويشدّهُ بعنف كأنهُ يريد ان يخنقهُ ويهزّ راسهُ ثم يقول لهُ ثلاث مرات : « مات فلان اين هو ؟ انت قتلته . اعندك هو ؟ » . فيجيب بصوت مرتفع : « عندي » . والسكوت سائد والعيون شاخصة والاعناق مشرئبّة . ثمّ يقولون له : « اتدفع ما نطلبهُ منك ثمن الدم ؟ » فيجيب : « نعم اطلبوا ما تشاؤون » . فيطلب الاهلون مطاليب باهظة لا يقدر على حملها : « تُقدّم لنا ابنتين من بناتك ام من بنات عشيرتك » فيقول : نعم . ويطلبون غنماً وجمالاً وبقراً وارضاً وسيفاً وبندقية

بما يعادل ٣٣,٣٣٣ غرشاً . وكلما كان الطلب عسراً يكون الجواب سريعاً ليوضح للجميع انهُ مستعدٌ ليقدم نفسهُ فداء عن القتيل . وحينما ينتهون من سرد المطاليب القاسية ينهض الحاضرون ويقول اكبرهم : « يا فلان طلبتَ حقك ولك ان تطلب اكثر من ذلك . ولكن ألا تترك شيئاً من شان الله » فيقول : قد تركت ما طلبت لاجل الله . ويقول آخر : ولاجل الشيخ فلان ألا تترك شيئاً ولاجل فلان . ومن شان خاطر فلان . . . هكذا كل شيخ يخفض من المطاوب الى ان يصير المطاوب معقولاً وقليلاً . وفي حفلة الدم التي حضرناها طلب اهل المانت الدية الاسلامية وكانوا يخففون المبلغ حتى صار ثمانين ليرة فرنساوية . ويقدمون علاوة عن الدية عشرةً من المعي وخرفاناً وسكراً وارزاً وغيره مما تجود به نفسهم . وبعد ذلك يصلح اهل البيت وليمة للحاضرين يسمونها « ذبيحة الدم »

ولا ريب ان القارىء اللبيب يستغرب عادة العرب في طلب بنات دية عن نفس القتيل . أجل وقد ورد مثل ذلك في شريعة حمورابي حيث كانوا يطلبون نفوساً بشرية بدلاً عن نفس القتيل والعرب الحاليون يتركون الدية كلها ولا يتركون البنات المطاوبة لان الدم بالدم يفتدى

فبعد ان يقف رأيهم على شيء يقوم اقرباء القتيل وينهضون القاتل او وكيلهُ ويقبلون لحيته ويضعون الكوفية العقال على راسه ويجلسونهُ بالقرب منهم . ولا بدَّ لكل من الفريقين ان يقدم كفيلاً على صدق مصالحته وهذان الكفيلان يحملان الفريقين على حفظ المواعيد ودفع المطاليب . ويعقدون لاهل القتيل راية بيضاء ويقولون : « بيّض الله وجه فلان »

ولقد يوجد بعض الاختلاف بين العشائر في تأدية العقلة فعرب الحويطات والمجالي يطلبون من بعضهم الف غرش وسلاح القاتل وبعض النعاج وفرساً . وعرب الحمايدة يدفعون خمسين نعجة لصاحب الحق . وعرب بني صخر يقدمون الى سكان مادبا مئتين وخمسين ريالاً . والعدوان يطلبون اربعين بعيراً وبندقيَّة وسيفاً . واذا قُتلت احدى النساء فالقاتل او عشيرتهُ يدفع دية مضاعفة واذا كانت المرأة حبلى يقدمون دية شخصين . ولقد يخفَّف جرم القاتل اذا قتل قريبهُ عن غير تعمُّد كما ذكرنا في الحادثة السابقة

واذا سار اعرابي ووجد قتيلًا على الطريق عليه ان يرجع ويخبر اقرب الشيوخ بما رأى: « يا شيخ فلان وجدتُ فلاناً قتيلًا في ارض كذا ». فيمضي الشيخ الى حيث القتيل ويأتي به الى اهله ويسعى بمعرفة غريمه ويسأل اهل بيته عن اعدائه . فلا شيء يُخفى في البادية لان القاتل يترك اثرًا بعده . وكثيرًا ما يطلبون قفاة الاثر ليعرفوا القاتل فهؤلاء يعرفون جنس القاتل ان كان رجلا او امرأة ان كان شابًا او كهلًا . ومنهم من يعرف المرأة ان كانت عذراء او متزوجة كما ذكر لنا ذلك بعض الثقات . واذا عُرف القاتل يقول الشيخ لاهل القتيل: « اطلبوا دم القتيل من فلان » . وربما اخذ القاتل نفسه علمًا وطاف به حول الخيم قائلًا: « أخبروا العرب اني انا قاتل فلان من اراد اخذ الثار فليصوّب سهامه نحوي ». فعشيرة القاتل ترتاح فكرًا ولا تخشى من أضرار تلحق بها لان القاتل افرز نفسه عن عشيرته فهو مسؤول وحده عن جريمته

وشيخ العشيرة يستطيع ان يحرم بعض المجرمين من حقوق العشيرة بحيث انهُ اذا قُتلوا فلا يُطالَب القاتل بدمهم . فان اصحاب المنكرات وارباب الفواحش الذين لا يرعوون عن غباوتهم يتهدّدهم الشيخ ويوبّخهم على قبح سيرتهم مرّات عديدة فان لم يرتدعوا يطردهم من عشيرته وذلك يكون بحضرة وجوه القوم فانهُ يفرش عباءته ويتبرأ منهم وهذا الطرد القاسي يسمى « انفراش العباءة » او « نشر النفس ». فبهذا الكلام يعلن لجميع العشيرة وللاعراب كلهم ان المجرم قد قُطع من حقوقه المدنية وانهُ يُعدّ كوحش الصحراء فمن قتله لا يطالب بدية . غير ان عددًا من هؤلاء الاشرار يرتدّون عن فواحشهم فيأتون في ايام فرح كعيد بيج او يوم تطهير او عرس ويقبّلون يد الشيخ ويسترحمون الحاضرين بان يصفحوا عن سيرتهم الماضية . ويقيمون على انفسهم شروطًا قاسية فيُردّون الى حقوقهم الاولى . وكذلك المتيّل وشارد الثلاثة(١ وشاهد الزور لا يقام لهم اعتبار فاذا قُتلوا فليس لهم دية . والعرب الاقدمون يزعمون ان ليس لدم العبيد دية فيقولون: دم العبيد مطلول كقول الشاعر:

دماؤهم ليس لها طالبٌ ... مطلولة مثل دم العبيد

وكذلك العرب الحاليون يقتفون اثار من سبقهم في رايهم هذا

(١) اذا ترافق ثلاثة انفار في طريق وخرج عليهم لصوص او أعداء وهرب احدهم وترك رفاقهُ فهذا الهارب يدعى هارب الثلاثة او شارد الثلاثة . وهو مكروه مرذول

وقلنا في ما سبق من الكلام ان الذين تصيبهم سهام الانتقام هم اهل القاتل او اقرباؤه الى الدرجة الخامسة . اي ان ابا القاتل وجدّه واولادهُ واولاد اولاده يُقتلون اذا وُجدوا في سَوْرة الغضب وكذلك اولاد العم واما الاباعد من الأسرة كابن الخالة فلا يؤذى بضرر بل يقدم « بعير النوم » ويبقى في خيمة غير خاش صولة الاعداء.

٧ من الطنيب

الطنيب عند العرب كلمة مشتقة من الطنب وهو حبل الخيمة لان الخائف اذا انهزم امام عدوه ولقي في طريقه بيتاً مرفوعاً يمسك باطناب البيت فيصبح دخيلا ويضطرُ ربُّ البيت بان يدافع عنهُ فهذا هو المعنى القديم المستعمل في معجم اللغة . غير ان الطنيب في ايامنا الحاضرة هو الجار كما جاء في شعر السموأل :

وما ضرّنا أنّا قليل وجارنا عزيز وجارُ الاكثرين ذليلُ
لنا جبلٌ يحتلّه مَن نجيره منيعٌ يرذُّ الطرفَ وهو كليلُ

ومن امثال العرب : من تعلّق بأطناب بيتي فهو آمن من ذمّتي . ومن قولهم ايضاً : اطلب الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق . والطنيب هو بمعنى الجار

ويعتبَر المرء طنيباً اذا علّق بعض آلات صناعته على طُنُب من أطناب الخيمة لانه يصبح جاراً ومستجيراً . وهذه العادة كانت جارية في عهد الجاهليين فكان الرعاة يعلّقون جرابهم والشعراء ربابهم وعودهم والحارثون سكّة حراثتهم . والفوارس كانوا يغرزون رمحهم او سيفهم بجانب الخيمة يشيرون بذلك على انّهم اصبحوا جيران اهل البيت . ومنهم من يكتفي بالكلام فقط فيقول : « يا شيخ فلان يا ابا فلانة انا طنيبك » . فيقول له : « يا هلا بك » . فمن الاعراب من يترك عشيرتهُ وبيت ابيه فيحمل خيمتهُ ويرفعها الى جانب شيخ عظيم . ويكون ذلك اذا خشي المرء عدواً لا يقدر على مقاومته او وجد ضدّهُ عدداً وافراً من الاعداء لا يستطيع الى منازلتهم سبيلاً او قدم طلباً للرزق والشغل عنده في حراثة ارضه . وهذا ما كان يجري في الاجيال الوسطى على عهد الأمارات (féodalité) وذلك ينشأ من اجتماع بعض الناس الذين يلتفّون حول امير ذي سطوة واقتدار فيصبحون من رعاياهُ يستخدمهم لغاياته

ومصالحه الشخصية . فهم يخدمونهُ وهو يدافع عنهم ويقدّم مالاً وارضاً وربما زوّجهم ببنات عشيرتهِ . فما من احد يضطرّ الى مجاورة الاعراب الّا يكون ضيفاً او فقيراً او بائساً . ويقول العارفون بعادات العرب ان الضيف يسمّى ضيفاً مدة ثلاثة ايام وان طال مكثهُ عُدَّ طنيباً . وكم من مرّة رأينا عدداً وافراً من الفقراء نزلوا بالقرب من امير كبير فسُمّوا باسمه وتطبّعوا بطبائعهِ وقد نسوا اصلهم ونسبهم بعد طول الزمان

ومن يقبل المدافعة عن غيره يجب ان يكون غنيًا ذا ثروة طائلة كريم الاصل جوادًا . فان استطاع المرء ان يدافع عن طنيبهِ يقول لهُ : « مرحباً بك وبقدومك أبشر بالعزّ والهناء » . ثم يوصي اقاربهُ بان يكرموا الطنيب ويقدموا لهُ دلائل اللطف والوداد وان كان عاجزًا عن حمايتهِ يقول لهُ : « إختر غيري اخير مني » . وكثيرون من الأُسر الفقيرة تستجير بالعشائر الكبيرة فانَّ عددًا كبيرًا من عرب الشرارات قد استجاروا ببني صخر . والقبائل الكبرى المعروفة بكرمها تقبل عددًا وافرًا من المستجيرين حولها . يحكى ان امرأة غريبة من جبل نابلس نزلت طنيبة عند قفطان الحامد . وفي وقت الحصاد اخذ الحصّادون يحصدون القمح وهمّت تلتقط وراءهم على انها تعدّت حقوق اللَّقط فصارت تسرق من البيادر . فرآها احد الحصّادين وضربها بكتلة تراب على ظهرها فجرحها فاخبرت قفطان بذلك وقالت : « انا طنيبتك خذ حقي من ضاربي » . فاستاء جدًا وامر الحصّاد ان يقدّم لها ثلاثة احمال حنطة من حصّتهِ وقال لهُ : كيف تضرب طنيبتي وتهينها يا عديم الشرف . قال : هي سارقة . قال : أخبرني عنها وانا اردعها . ثم لما ذهب الحصّاد شتم المرأة ووبّخها وقال : من استجار بشيخ يا ابنة اللئام عليهِ ان يظهر بمظهر الاحترام . لو تعهدتكِ دفعة ثانية تسرقين او سمعتُ عنك ما لا يُسرّ القلب فأطردكِ من امام وجهي ومن عشيرتي

وفي ايامنا الحاضرة نجد بعض الأُسر المسيحية في شرقي الاردن تعزُو نفسها الى غير عشيرة وتسمّى باسمها فنصارى الكرك يُسمّون باسم المجالي واسرة النبور في السلط ينتمون الى العرامنة وهذه الاخيرة هي عشيرة اسلامية مشهورة برجالها وشريف مناقبها

٨ من القصير

القصير هو الذي يبني خيمتهُ في منتصف الخيم المختصة باحدى العشائر القوية وكثيراً ما يستعمل العرب كلمة القصير بمعنى الطنيب . فالقصير يترك عشيرته ليسكن عند غير عشيرة لاسباب وافرة منها انهُ يريد ان يتزوج او يُورث الارض او ليهرب من مكروه لحقهُ او سيلحقهُ في عشيرتهِ او ليجد مرعى لغنمهِ . على ان القصير في نزولهِ بين العرب يلتزم بفرض عزيز شريف لا يلتزم بهِ الطنيب . وبهذا الواجب يتميَّز عن الطنيب . اذا حدثت غزوة وسرق الغازون ونهبوا ما يختص بتلك العشيرة النازل في حماها فانهُ مضطرٌ بان يسعى ليرجع ما سُرق . على انهُ لا يدافع الَّا عن صاحب الخيمة التي على يمينهِ وشمالهِ . فيرسل رسلًا الى عشيرتهِ او يذهب هو بنفسهِ الى الغازين ويرجوهم ان يردّوا ما سلبوا . ويقول : « انا قصير فلان وفلان من شان مَن خلق الدنيا ووضع الجارَ فيها . من شان مَن امر بحفظ الجار والمحاماة عنهُ ردّوا ما سُلِبَ لهُ من الغنم والابل » . فيردّون المسلوب دون تأخير ويخشون من الملامة والحروب اذا أبوا ان يردّوا ما طُلب

وربَّما خاف على نفسهِ من مكروه ينزل بهِ اذا سار الى عشيرتهِ فيرسل وفودًا باسمهِ . ذلك يكون اذا هرب القصير من عشيرتهِ لقتل او لسرقة او لغير ذلك . فهما أخذ يُردّ للقصير اكراماً لهُ واحتراماً . ويسعى ايضاً عند غير عشيرتهِ ويكرمونهُ لانهُ قصير اي عاجز وقاصر . وان أبوا ان يردّوا ما سلبوا تُضرم نيران الحرب لان القصير يستنهض عزائمها على إخاء العار . والعشيرة مهما كانت معادية لهُ تلتزم بالنزول في ساحات الوغى كي تعيد الشرف المفقود . والعرب يكرمون قصيرهم اكراماً جزيلًا ولا يخونونهُ ابدًا . ومن غريب ما يجري ان بعضاً من التجار يأتون وينزلون في خيم العرب او عند الشيخ فيبيعون بضاعتهم من ملبوس ومأكول فيلتزم الشيخ بان يجمع لهم الديون من المديونين . واذا تصعّب المديون وامتنع عن الدفع يضطر الشيخ الى الدفع « كي يبيّض وجههُ امام القصير » واذا سُرق شيء من القصير عن جهل او عن تعمّد يُردّ لهُ حالًا . فهذا هو القصير وواجباتهُ وحقوقهُ

٩ عن العرض

العرض هو شرف المرأة وجمالها وتاج يكلل هامتها بالحسن والرواق وبدونه تصبح مرذولة تعيسة . فالبادية هي بلاد قد تنزهت عن المنكرات وأضحت اشرف من المدن الغناء التي يظهر فيها المنكر ظهورا جليا . فالنساء في القفر على وجه العموم كما اكد لي بعض الثقات هن عفيفات يتجنبن الطرق السافلة وابواب المحرمات . وقد اكد لي عبد الهدي وشيوخ السلط ان النساء البدوية تسير وحدها في البادية اياماً كثيرة ولا احد يعارضها او يتعدى عليها . على ان اكبر الجرائم التي تحدث في البيداء هي الخطف . وكم من شيخ بكى على ابنته التي كانت سعادته في هذه الدنيا غابت عن انظاره في ليلة دامسة فبات يطوي الايام والاوقات بالحزن والبكاء . ويقولون : « فلانة خطفت فلاناً » ولا يقولون فلان خطف فلانة . واليكم وصف ذلك اذا رام المجرم ان يتزوج بابنة على غير ارادة ابيها يتفق معها ويتواعدان الى زمان ومكان محدودين واذا ستر الليل الارض يأتي الى الابنة ويركبها وراء فرسه ويهرب بها الى بلاد بعيدة فهذا ما يسمى خطفا . وربما وجدها واردة على عين ماء او في حقل فخطفها . وهذا الخطف كثير جداً فلا يمر شهر الا ونسمع خبراً كهذا بين الاعراب وذلك يتأتى من اهل الابنة الذين يريدون ان يبيعوا بناتهم حين زواجهن . فان الابنة عند العرب وفي شرقي الاردن تكون لمن يقدم اكثر مالا وحلالا ولذلك يصير الزواج عن غير حب ووداد

ولا بد المجرمين في هذه الامور عقاب شديد فاذا خطفت ابنة من قبيلة قريبة يقوم اهلها واقاربها يستنهضون عزائمهم كي يرجعوا الشرف المفقود والابنة الهاربة ولهم الحق بأن يصنعوا ما يشاؤون لانهم مدة ايام ثلاثة يسوغ لهم ان يقتلوا الخاطف ويهلكوا غنمه ويهدموا خيمته ويذبحوا فرسه ولا يبقون لانفسهم شيئا اي انهم يبيدونها ابداً كما امر الرب موسى ان يفعل بنو اسرائيل ببعض مدن الوثنيين واذا ابقوا لانفسهم شيئاً يرذلون ويهانون

على ان اهل المخطوفة يحل بهم الخجل والعار فيرحلون وينزلون وحدهم فانهم يؤثرون الغربة والعزلة على وطنهم الاصلي كما حدث لاهل مادبا فانهم رحلوا من

الكرك لأن المجالي خطفوا ابنةً لهم فنزلوا بجريمة مادبا . ومن يقدم على الفواحش بنفسٍ راضية يردعهُ الشيخ مع وجوه العشيرة مراتٍ عديدة فان أبى يحكمون عليه بالمنفى فدمهُ مطلولٌ لا يُطالَب بهِ ابداً فلا ريب ان هذه العادة الشريفة تحمل العرب على تجنب المنكر خوفاً من العقوبات

ومما يخفف الجرائم في البادية خوفهم من العار والهوان لان البادية لها آذان تسمع وعيون تنظر فلا يخفى فيها خافٍ ولا سرٌّ مكتوم فلا شيء إلّا وسيظهر عاجلاً او آجلاً . قال احدهم : ان اهل البادية كالمشرفين على رأس الجبل يراقبون الحركات والاشارات الخفيّة . ومن وُجد في جرمٍ فظيع تقطع اشجارهُ وتحرق بيادره وكثيراً ما احرقوا خيمة الجاني ونثروا رمادها في الهواء

ولقد اتخذ العرب وسائط فعّالة لمنع الفواحش فاذا احسَّ أبٌ بجرم ابنتهِ يقطع رأسها ويعلّقهُ على رمحٍ ويطوف بهِ في كل القبيلة قائلاً : « هكذا يعاقب المجرم » ومنهم من يَشدها حيةً فيغطيها بالتراب الى ما فوق رأسها ومنهم من يغمرها بالتراب الى رأسها فقط فتأتيها الوحوش وتذيقها من العذابات أمرّها ومنهم من يسقيها السُّمَّ الزعاف ومنهم من يضع على جسمها دبساً او عسلاً ويتركها فريسة الذباب تموت اشنع الميتات ومنهم من يأخذها الى الفلاة فيضربها ضرباً أليماً ثم يربطها بأوتادٍ في الارض الى ان تفترسها الحيوانات الضارية . وقد سمعنا ان رجلاً ألقى ابنتهُ في بئرٍ عميقة ومنهم من ربطها الى شجرةٍ جرداء وكان وجهها الى نور الشمس فاحترقت وماتت من وَقدات الأنوار واكثر الناس يقتلونها بلا شفقة بسيف حادٍّ او برصاصة في رأسها . وذكروا لنا أن أباً في فصل الشتاء القارس ترك ابنتهُ خارج المحلّة على صخرةٍ صمّاء وكانت الامطار تهطل والرعود تقصف والثلوج تسقط فماتت وقد جمدت دماؤها ويبست اعضاؤها

٩ من الملح

لم يخطر ببال انسان ان للملح حقاً واليكم وصف هذا الحق : اذا حلَّ ضيفٌ في خيمة احد الرجال يهتمّ رب البيت بتهيئة الطعام وإيلام مأدبة مناسبة فينال المسافر نصيبهُ ثم يسافر فاذا لقيهُ في الطريق سارق فسلبهُ ماله فانهُ يعود الى ضائفهِ ويقول

له : « ترى يا شيخ فلان اني ما لحقك واكلت من طعامك ولم يختلط طعامك الى الآن بطعام غيرك أفالمع لي الحق من سارقي » . فيقول الضائف : « نعم قد أكل من ملحي فهو اهل بالحماية » . فيمتطي فرسه ويصحب معه بعض الابطال ثم يقتفون آثار السارق ويرسلهم فرقاً فرقاً الى ان يقف على حقيقة الحال فيسكون السارق ويأمرونه برد اضعاف ما سرق ويقول له : « اقعد للحق واردد ما سرقت لآكل ملحي » فاذا ابى بعد ثالث مرة ان يعيد الشيء المسروق يأتي الشيخ الى المضرب وينهب ما وجد في خيمة السارق من غنم وشاء وقمح ومال واذا وجد راعي السارق يعدو الشيخ فيأخذ ما يشاء من مواشيه . واذا لقي نساءه صادرات من المورد حاملات قربهن على ظهورهن يشق القرب ولا يبالي ويداوم هذه الاعمال الى ان يرجع السارق ما سرق

ومن غريب امورهم انه يستحلون السرقات الكبرى كالغزو ويخشون من السرقات الطفيفة فالسارق الكبير يمدح بالاشعار البديعة والسارق الصغير يعاقب شديداً فان عرار بن جازي قد اتى بالسارق وربطه بشجرة وضربه بالسياط حتى سالت دماؤه . وقد اجاد من قال وهو عليان الشاعر : السرقة تحل للاغنياء وتحرم على الفقراء . ومن ظريف ما حدث منذ زمان بعيد ان قاضي السلط دعي يوما الى مأدبة عند قفطان بن حامد فهرع الشيخ قفطان وأتى بنعجة من غنم غيره وأصلحها له عشاء ولما تم إصلاحها قال له : « قم يا قاضينا وكل » فقال القاضي : لا تأكل من مال الحرام . فجرد قفطان سيفه وقال : « ان لم تأكل يدرج رأسك درج الحصاة في السيول انت تبتلع الرشوة الكبيرة وتخاف من هذه الطفيفة أنا غداً ارد من غنمي كالذي اخذت وانت لا ترد ما اخذت »

١٠ من الوصي

إن الأسرة الممتدة الاغصان لا تحتاج الى وصي اذ تقوم بحاجاتها بنفسها فالاب لا يهتم بمستقبل أولاده لأن الاهلين يدافعون عن حقوق الأيتام وروابط الدم . وصلة الرحم هي وثيقة بهذا المقدار حتى ان الاب يموت في فرح وسرور ولا يهتم باولاده لعلمه بانهم في ذمة اهله واقاربه وعشيرته غير ان الاعراب كثيراً ما يستنجدون اممهم ويختارون رجلاً مشهوراً بسطوته ونفوذ كلامه ويوكلونه باولادهم

وتكون ساعة رهيبة محزنة حينما يمتدُّ الاب الفقير على سرير الموت ويدير بانظاره الى اليمين والشمال ولا يرى عيناً تبكي لبكائه او قلباً يحنُّ ويشفق على ابنائه على انهُ يحيي في فكره ذكر بعض الاحباء قد عهد فيهم المروءة والكرم فيصرخ قائلاً : « فلان هو وكيلكم يا أبنائي » . فبتلك الكلمة يضع اولاده تحت سلطة الشيخ ويقول للحاضرين : « ترى اني موصي بحياتي طوق حمام من رقبتي لرقبته من اليوم الى آخر يوم أطلعت خطيئتي وخطيئتها برقبته » . فان كان الوصي غائباً وحينما يسمع بتلك الوكالة يقول : « نعم صرتُ اباهم وامهم في كل ما يطرأ عليهم » . وان كان حاضراً يقول : « على عيني ورأسي » . فاذا اصاب الأولاد من الطوارق والاحزان فعلى الولي ان يمدَّ لهم يد المساعدة . وكثيراً ما يكلون الوصي من غير عشيرة او من غير مذهب . فقد عاينّا بعض الاعراب يوكلون اولادهم بأسرة نصرانية

وعند العرب طريقة سهلة يجرون عليها في مثل هذه الحالات فان الفقير اليتيم يحمل هديَّة ثم يذهب الى خيمة الولي ويقول له : « عليك وعلى عيالك حقّ الوصاة انا وانت بجناح الله » . فيقبل الشيخ الهدية ويصبح وليَّه فيدافع عن حقوقه في كل أمر يحدث له

وليُراجع ايضاً ما سطرناهُ في مقالتنا السابقة حيث اثبتنا ما ينزل بالمنيل والشارد من الذلّ والهوان (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٦٦٣) وما يعطى القاضي من الوزقة (١٧ : ٦٦١) . ولقائد الغزوات او عقيدها حقوق سنذكرها ان شاء الله في فصل الحرب عند العرب

هذا ما عثرنا عليه في رحلاتنا الى مضارب العرب أوردناهُ تتمة لمقالتنا الاخيرة وتفكهة للخواطر والاذهان

تمت

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ الحديث والتوراة

سفر الحكمة (حك)	الحديث
الربّ يفحص اعمالكم فأرباب القوّة بالقوّة يُفحَصون وانّ للاشدّاء امتحاناً شديداً (حك ٦ : ٤-٧)	اشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا اشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة (جس ٥٥)
نفوس الصدّيقين بيد الله لا يمسّها عذاب وفي ظنّ الجهّال انهم ماتوا . . امّا هم ففي السلام (حك ٣ : ١-٢)	انّ الله لا يضيع أجر المحسنين (خ ٣ : ١٩٠) ومثله في سورة آل عمران (٣ : ١٢٢) : لا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء . . . ولا هم يحزنون
محّص الله الصدّيقين كالذهب في البُودقة . . . فهم في وقت افتقادهم يتلألأون (حك ٣ : ٦-٧)	مثل المؤمن حين يصيبه البلاء كمثل الحديدة تُدخَل النار فيذهب خبثُها ويبقى طيبُها (جس ١٢٥)

نشيد الاناشيد	الحديث
انيّ نائمة وقلبي مستيقظ (نش ٥ : ٢)	تنام عيناي ولا ينام قلبي (جس ١٧٥) = اننا معشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا (جس ١٢٣ خ ٢ : ٤٤)

سفر يشوع بن سيراخ (سخ)	الحديث
يا بُنيّ اتّخذ التأديب منذ شبابك . . . تروّ في اوامر الربّ فهو ينيلك ما تتمنّاه (سخ ٦ : ١٨ و٢٢)	انّ الله يحبُّ الشابّ الذي يفني شبابَهُ في طاعة الله (جس ٩٨ ٦)

الماء يطفىء النار المُلتهبة والصدقة تكفّر الخطايا (سخ٣: ٣٣) = وفي لوقا (١١: ٤١): تصدّقوا ممّا في ايديكم فيظهر لكم كل شيء	الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (جس ١٢) = تصدّقوا فانّ الصدقة فكاكُكم من النار (جس ٢٢)
في جميع اعمالك اذكُرْ أواخرك فلن تخطأ الى الابد (سخ ٧: ٤٠)	أكثِرْ ذكر الموت بلّك عمّا سواه (جس ٢١٢) = أكثروا ذكر الموت فانهُ يمحص الذنوب ويزهّد في الدنيا (جس ٧١)
اوصاهم (اي البشر) كلّ واحدٍ في حقّ القريب (سخ ١٧: ١٢)	كلّكم راعٍ وكلّ راعٍ مسئول عن رعيّته (من ١١٥ م ٦: ٨ خ ١١٥)
كلّ رجسٍ مُبغَض عند الرب (سخ ١٥: ١٢)	انّ الله يُبغض الفاحش البذيّ (من ٢٤)
الهدايا والرُّشى تُعمي أعين الحكماء وكلجام في الفم تُحجزُ توبيخاتهم (سخ ٢٠: ٢١)	الهديّة تورّث عين الحكيم = الهدايا للامراء غلول = الهدية تذهب بالسمع والقلب والبصر (جس ١٧٦)
الإفراط من شرب الخمر خصومة ونزاع ومرارة للنفس (سخ ٣١: ٣٨) وفي رسالة القديس بولس الى افسس (٥: ١٤): لا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة	اجتنبوا الخمر فانّها مفتاح كلّ شرّ (جس ١٤) = الخمر جماعُ الاثم (جس ٧٥)
عجّل الزمان واذكر الأجل (سخ ٣٦: ١٠)	اغتنموا العمل وبادروا الأجل (جس ٢٠)
الغُمّة تأتي بالشيخوخة قبل الاوان (سخ ٢٦: ٢) = كالعثّ في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل (سخ ٢٥: ٢٠)	الهمّ نصفُ الهَرَم (جس ١٧٦). وقال المتنبي في هذا المعنى: والهمُّ يخترم الجسيمَ نحافةً ويُشيبُ ناصيةَ الصبيّ فيهرمُ

سفر اشعيا (شع)

	الحديث
إنطلقْ وقُلْ لهؤلاء الشعب اسمعوا سماعاً ولا تفهموا وانظروا نظراً ولا تعرفوا (شع ٦: ٦)	يدعو الله المنافق فلا يسمع ينظر ولا يُبصر (من ٢٢٠) = وفي سورة الاعراف (٧: ١٩٧): وان تدعوهم الى الهُدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يُبصرون
ان هذا الشعب يكرمني بشفتيه واما قلبهُ فبعيد عني (شع ٥٢: ١٢ مت ١٥: ٨)	ويل لمن يذكر الله بلسانه ويعصي الله في عمله (جس ١٧٨)

سفر ارميا (ار)	**الحديث**
ملعون الرجل الذي يتوكل على البشر فانهُ ينصرف عن الربّ (ار١٧ : ٥)	مَنْ سعى الى الناس فهو لغير رُشْده (حس ١٥٥) . ومثلهُ لعليّ بن ابي طالب (ص٢٢) : ضلّ سَعْي من رجا غير الله
سفر حزقيال (حز)	**الحديث**
المنافق اذا تاب عن جميع خطاياه . . . فانهُ يحيا حياةً ولا يموت (حز١٨ : ٢١) وفي سفر الحكمة (١١ : ٢٤) : انك تتغاضى عن خطايا الناس لكي يتوبوا	التائب من الذنب كمن لا ذنب لهُ (حس ١٧٧) وفي الايجاز والاعجاز (ص٦) : من كلام النبي : التوبة تهدم الحَوْبة
سفر دانيال (دا)	**الحديث**
يضيء العقلاء كضياء الجَلَد والذين هدوا الى البرّ كثيرين كالكواكب الى دهر الداهرين (دا١٢ : ٣)	انّ مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها (حس ١٣٧)
وفي دانيال تسبحة الثلاثة الفتية في اتون النار يدعون الملائك الى تسبحة خالقها	ورد في الحديث وفي السور الصف(١٦١ : ١)والجمعة (١٦٢ : ٢)والتغابن(٦٤ : ١) والملك (٦٧ : ١)مثلها معنًى ولفظًا
سفر زكريّا النبيّ (زك)	**الحديث**
ابتهجي جدًا يا بنت صهيون واهتفي يا ابنت اورشليم هوذا ملكك يأتيك عادلاً وديعًا راكبًا على اتان (زك ١١ : ٩)	قال في لسان العرب (٥ : ٩٦) : في حديث عدّاء : أبشري أورّى تُلْم براكب الحمار (قال يريد بيت الله المقدّس)
الانجيل الشريف	**الحديث**
الانجيل الشريف (متّى : مت . لوقا : لو . مرقس : مر . يوحنّا : يو) الربُّ معكِ . مباركةٌ انتِ بين النساء لو ١ : ٢٨)	كل بني آدم يمسّهُ الشيطان يوم ولدتهُ امّهُ الا مريم وابنها (حس ٣١٩) = ما من بني آدم مولود الّا يمسّهُ الشيطان غير مريم وابنها (حس ٢٩٨)

امتلأت اليصابات من روح القدس وارتكض الجنين في بطنها (لو ١ : ٤١)	خلق الله يحيى بن زكريا في بطن امه مؤمناً (جس ٢٠٥)
كان قد أوحي اليه (الى سمعان الشيخ) انهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ (لو ٢ : ٢٦)	ان روح القدس نفثَ في رُوعي انّ نفساً لن تموت حتّى تستكمل أجلها . . (جس ١١٨)
ليس امرٌ غير ممكن لدى الله (لو ١ : ٣٧) = كلّ شيء عند الله مستطاع (مر ١٠ : ٢٧)	اذا اراد الله خلق شيء لم يمنعهُ شيء (جس ٢٠٥)
كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي كامل (مت ٥ : ٤٨)	انّ الله تعالى مُحسن فأحسن (جس ٩٥)
الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات (٥ : ١٩)	كلّ علم وبالٌ على صاحبهِ الّا ما عُمِل بهِ (جس ١١٤) = تعلّموا من العلم ما شئتم فوالله لا تُؤجروا بجمع العلم حتّى تعملوا بهِ (جس ١٧٣)
الويل لكم أيّها الاغنياء (لو ٦ : ٢٤) = طوبى للمساكين بالروح فانّ لهم ملكوت السماوات (مت ٥ : ٣)	ويلٌ الأغنياء من الفقراء (جس ٤٥٥) = نعم الشيء الفقر (جس ١٦٦) = قمتُ على باب الجنّة فاذا عامّة من دخلها المساكين (جس ٢١٤) = الفقر شَيْن عند الناس زين عند الله يوم القيامة (جس ٣٠٣)
انتم نور العالم . . لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة . . فليضيء نوركم قدّام الناس (مت ٥ : ١٤ – ١٥)	اتبعوا العلماء فانهم سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة (جس ١٠)
انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يُملّح (مت ٥ : ١٣)	مثل اصحابي كالملح لا يُصلح الطعام الّا به (جس ٤٠٣ الايجاز والاعجاز للثعالبي ص ٦) = قُريش صلاح الناس ولا يُصلح الناس الّا هم كما انّ الطعام لا يُصلح الّا بالملح (جس ٢١٢) . ومثلهُ للشاعر: بالملح تُصلح ما تخشى تغيّرهُ فكيف بالملح ان حلّت بهِ الغِيَرُ
كونوا وُدعاء كالحمام (مت ١٠ : ١٦)	كونوا بُلْهاً كالحمام (احياء علوم الدين للغزّالي) = دخلتُ الجنّة فاذا أكثر اهلها البُلْه (جس ٢١٧)
لا تدينوا لئلاّ تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي بهِ تكيلون	مكتوب في الانجيل كما تدين تُدان وبالكيل الذي تكيل تُكتال (جس ٤٠٤) =

يُكال لكم (مت ٧ : ١-٢)

طوبى للرُّحماء فانهم يُرحمون (مت ٥ : ٧) = كونوا رُحماء كما انَّ اباكم هو رحيم (لو ٦ : ٣٦)

اغفروا يُغفر لكم (لو ٦ : ٣٧) = هكذا ابي السماوي يصنع بكم ان لم تغفروا من قلوبكم كلّ واحدٍ لاخيهِ (مت ١٨ : ٣٥)

قال يسوع : يا ابت اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون (لو ٢٣ : ٣٤)

لا يسقط عصفور على الارض بدون ايكم ... فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة (مت ١٠ : ٢٩-٣١)

كلُّ ما تُريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوهُ انتم بهم (مت ٧ : ١٢ ؛ لو ٦ : ٣١) : ومثلهُ في طوبيا (٤ : ١٦) : كلُّ ما تكرهُ ان يفعلهُ غيرك بك فاياك ان تفعلهُ انت بغيرك

انَّ ابن البشر لم يأتِ ليهلك نفوس الناس بل ليخلّصها (لو ٩ : ٥٦)

ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك يا مراني أخرج اوّلاً الخشبة من عينك (مت ٧ : ٣ لو ٦ : ٤٢) = أيها الطبيب اشف نفسك (لو ٤ : ٢٣)

انتم جميعاً أخوة (مت ٢٣ : ٨) . وفي رسالة بولس الى اهل غلاطية (٣ : ٢٨) : ليس عبد ولا حرٌّ لأنكم جميعكم واحد في المسيح

أحبُّوا أعداءكم وأحسنوا الى من

البرُّ لا يَبْلَى والذنبُ لا يُنسَى والديَّان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان (جس ١٦٦)

من يَرحَم الناس يرحمهُ الله . ومن لا يرحم الناس لا يرحمهُ الله (جس ١٦٢) = كونوا رحماء فانَّ الله رحيم يحبُّ كلَّ رحيم (من ١١٥)

اسمحوا يُسمح لكم (جس ٥٥) = من لا يغفر لا يُغفَر لهُ ... من لا يرحم مَنْ في الارض لا يرحمهُ مَن في السماء (جس ٤٣٦)

اللهمَّ اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (من ٢٥) = ارحم يا ربِّ امتي لأنهم لا يعلمون ما يصنعون (رواية احياء علوم الدين للغزالي)

الله ارحم بعبادهِ من هذا العصفور بفرخهِ (جس ٢٤)

أحبب للناس ما تحبُّهُ لنفسك (جس ١٦ الاغاني ١٩ : ٥٥) = لا يؤمن احدكم حتى يحبَّ لاخيهِ ما يحبُّهُ لنفسهِ (من ١٨٦) . ونظمهُ الشاعر فقال :

واصنع الى الناس كمثل الذي
تختارُ ان يصنعهُ الناس بكْ
انما يُبعثُ رحمةً ولم أُبعَثْ عذاباً (جس ١٢٥)

اذا اردت ان تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك (جس ٣٦) = روى في الاغاني لسكينة بنت الحسين بن علي (١٤ : ١٧٠) : اني والله واياك كالذي يرى الشمرة في عين صاحبهِ ولا يرى الخشبة في عينهِ = يُبصر احدكم القذى في عين اخيهِ وينسى الجذع في عينهِ (جس ٤٦٧)

المسلم اخو المسلم (جس ٤٤٠) = العبيد اخوانكم فأطعموهم مما تأكلون (خ ٣ : ١١٣)

صِلْ مَنْ قطعك وأحسن الى مَنْ اساء

يُبغضكم (مت٥ : ٤٤ ؛ ولو٦ : ٢٧) = ان احببتم من يُحبكم فايُّ أجرٍ لكم أليس العشّارون يفعلون ذلك (مت ٥ : ٤٦) .

البك (حس٢٥٦) = الفضل في ان تصل مَن قطعك وتعفو عمّن ظلمك = أفضلُ الفضل ان تصل مَن قطعك وتُعطي من حرمك وتصفح عمّن ظلمك (جس٦٦و٢٠٢)

أعداء الانسان اهلُ بيتهِ (مت١٠ : ٣٦) ومثلهُ في نبوّة ميخا (٧ : ٦)

اعدى عدوّك زوجتك وما ملكتْ يمينك (حس ٦٠)

كم مرّةً يخطأ اليَّ اخي فأغفرَ لهُ أإلى سبع مرّات . قال لهُ يسوع . . . بل الى سبعين مرّة سبع مرّات (مت١٨ : ٢١-٢٢)

أُغفُ عن الخادم كلّ يوم سبعين مرّةً (من ١٩) = اني لأتوب الى الله في اليوم سبعين مرّةً (من ٤٧)

ملكوت السماوات يُغصب والغاصبون يختطفونهُ (مت ١١ : ١٢)

حُفّت الجنّة بالمكاره (الثعالبي المحاضرة والتذييل ص١٠ من نسختنا وفي الايجاز والاعجاز لهُ ص٦-٧ ؛ من ٦٩) = انّ ابواب الجنّة تحت ظلال السيوف (خ ٣ : ١٩١ جس ١١٣)

من يُنكرني امام الناس يُنكر امام ملائكة الله (لو ١٢ : ٩) وفي متّى (١٠ : ٣٣) . . . انكرهُ انا قدام ابي الذي في السماوات

اذا سُئل احدكم أمؤمن هو فلا يشك (جس ٢٧)

لو كان لكم ايمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هاهنا الى هناك فينتقل (مت ١٧ : ١٩)

لا يدخل النار من كان في قلبهِ حبّة خردل من الايمان (رواه الغزّالي في احياء علوم الدين) = يدخل اهل الجنّة الجنّة واهل النار النار ثمّ يقول الله : أخرجوا من كان في قلبهِ حبّة خردل من الايمان فيخرجون (خ ١ : ١٠)

قال الرسل للربّ : زِدْنا ايمانًا (لو١٧ : ٥)

قل : ربّ زِدْني علمًا (سورة طه ١١٣)

من أحبَّ ابًا او امًا اكثر مني فلن يستحقّني . . . ومن اهلك نفسهُ من اجلي يجدُها (مت ١٠ : ٣٧-٣٩)

لا يؤمن احدكم حتّى أكون احبَّ اليهِ من ولدهِ ووالدهِ والناس اجمعين (خ ١ : ٩) = لا يؤمن احدكم حتّى أكون احبّ اليهِ من نفسهِ (من١٨٦ . وفي إحياء علوم الدين للغزّالي)

طوبى لعيونكم لأنّها تنظر ولآذانكم لأنّها تسمع . . . انّ كثيرين من الانبياء والصدّيقين اشتهوا ان يروا ما انتم راؤون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم سامعون ولم يسمعوا (مت ١٣ : ١٦-١٧)

انّ اناسًا من امّتي يأتون بعدي يودُّ احدهم لو اشترى رؤيتي باهلهِ ومالهِ (حس ١١٥)

قال يسوع : لأنّك رأيتني يا توما آمنت فطوبى للذين لم يروني وآمنوا (يو ٢٠ : ٢٩)

طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرَني (جس ٢٧١) وفيه : طوبى ثمّ طوبى ثمّ طوبى لمن آمن بي ولم يرَني = رحم الله

	اخواني الذين آمنوا بي ولم يَرَوْني (من ٨٨) = طوبى لمن رآني او رأى مَن رآني (من ٩٥)
من سمع منكم فقد سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني ومن احتقرني فقد احتقر الذي ارسلني (لو ١٠ : ١٦) = مَن قبلكم فقد قبلني ومَنْ قبلني فقد قبل الذي ارسلني (مت ١٠ : ٤٠) = الحقّ اقول لكم انّ الذي يقبل مَن أرسلهُ يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني (يو ١٣ : ٢٠)	تسمون ويُسمَع منكم (جس ١٧١) = اكرموا العلماء . . فمن اكرمهم فقد اكرم الله ورسولهُ (جس ٧٣) = من احبَّ الانصار احبَّهُ الله ومن أبغض الانصار ابغضهُ الله (جس ٤٠٨) = من أحبني فقد احبَّ الله ومن اطاعني فقد أطاع الله (من ١٤٦) = من احبَّ العرب فقد احبني حقًّا (من ١٤٧) = من احبَّ عليًّا فقد احبني ومن ابغضهُ فقد ابغضني (جس ٤٠٨) = من آذى عليًّا فقد آذاني (من ٢٠٤) = من احبَّ الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني (جس ٤٠٨)
انّ الكتبة والفرّيسيين جالسون على كرسيّ موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوهُ واعملوا بهِ واما بمثل اعمالهم فلا تعملوا (مت ٢٣ : ٢-٣)	انظروا قُريشًا فخذوا من قولهم وذَرُوا فعلهم (جس ١٤٣)
أَوْفُوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (مت ٢٢ : ٢٠)	أدُّوا للأمراء حقَّهم واسألوا الله حقَّكم (رواية احياء علوم الدين للغزالي)
حينئذٍ يُضيء الصدّيقون مثل الشمس في ملكوت ابيهم (مت ١٣ : ٤٣)	انّ اهل عليين يُشرف احدهم على اهل الجنّة فيُضيء وجههُ لاهل الجنّة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا (جس ١١٦)
احذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحُملان وهم في الباطن ذئاب خطفة . . (مت ٧ : ١٥)	انّ بين يدي الساعة كذّابين فاحذروهم (صحيح مسلم ٦ : ٤) – ومثلهُ للشاعر : واذا الذئابُ استنعجتْ لك مرّةً فحذارِ منها ان تعودَ ذئابا فالذئبُ اخبثُ ما يكون اذا بدا متلبّسًا بين النعاج إهابا
صلّوا في كلّ حين (لو ٢١ : ٣٦) = الحقّ اقول لكم انّ كلّ ما تسألون الآب باسمي يعطيكموهُ (يو ١٦ : ٢٣)	الصلاة خير موضوع فمن استطاع ان يستكثر فليستكثر (جس ٢٦٥) = الصلاة مفتاح كلّ خير (من ١٩٣) = ما اذن الله لعبد في الدعاء حتى أذن لهُ في الاجابة (جس ٢٨٥)

اذا صلّيت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلّ الى ابيك في الخفية (مت ٦ : ٦)	صلّوا ايها الناس في بيوتكم فافضل صلاة صلاة المرء في بيته الّا المكتوبة (جس ٦٦)
اسألوا فتُعطَوا اطلبوا فتجدوا اقرعوا فيفتح لكم (مت ٧ : ٧)	مَن طلب شيئًا وجدَّ وجدَ . مَن قرع الباب ولجَّ ولَجَ (من ١٣٠) = سَلْ تُعطَ (جس ٨٥)
انظروا الى طيور السماء فانّها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء وابوكم السماوي يقوتها (مت ٦ : ٢٦)	لو انّكم تتوكّلون على الله حقّ توكّله لرزقكم كما تُرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا (جس ٢٦٨)
وانتم فصلّوا هكذا ابانا الذي في السماوات ليتقدّس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض (متى ٦ : ٩–١٠)	اذا تألّم احد او تألّم اخوه فليقل : ربّنا انت في السماء ليتقدّس اسمك ليكن ملكوتك في السماء والارض (حديث ابي داود ١ : ١٠١)
حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون هناك فيما بينهم (مت ١٨ : ٢٠)	عليكم بالجماعة فانّ الله لن يجمع امّتي الّا على هدًى (جس ١٢) = يدُ الله مع الجماعة (التعالبي الاعجاز والايجاز ٦–٧)
اذا صنعتَ صدقةً لا تعلم شمالك ما تصنع يمينك لتكون صدقتك في خفية وابوكم الذي يرى في الخفية هو يجازيك (مت ٦ : ٤–٥) = ارملة فقيرة ألقت فلسَيْن . . انّ هذه قد القت اكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة (مر ١٢ : ٤٢–٤٤)	في صحيح البخاري (١ : ٧١) يمدُّ الله يوم الدين مَن عمل الصدقة سرًّا بحيث لا تعلم يده الشمال ما فعلتْه يمينه = افضل الصدقة سرٌّ الى فقير وجُهد من مقلّ (جس٦٥) = صدقة السرّ تطفئ غضب الله (الاعجاز والايجاز للثعالبي ٦–٧) = من كنوز البرّ كتمان الصدقة (جس ١٧٠)
كلّ من ترك بيتًا او اخوةً . . . لاجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابديّة (مت ١٩ : ٢٩)	انّ الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنةً يُعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة (جس ٦٦)
من سقى احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط . . . فالحقّ اقول لكم انّه لا يضيع اجره (مت ١٠ : ٤٢)	من سقى عطشانًا فأرواه فُتح له باب الجنّة (من ١٠٤)
كلّ من رفع نفسه اتّضع ومن وضع نفسه ارتفع (لو ١٤ : ١١) = حطّ المتندرين عن الكراسي ورفع المتواضعين (لو ١ : ٥٢)	من تكبّر وضعه الله (من ١٥١) = من تواضع لله رفعه ومن تجبّر قمعه (جس ٤١٤) = التواضع لا يزيد العبد (ويروى العالم) الّا رفعةً فتواضعوا يرفعكم (جس ١٧٧)
اذا دُعيت فامضِ واتّكئ في آخر موضع (لو ١٤ : ٧)	انّ من التواضع الرضى بالدون من شرف المجالس (جس ٤٣)
من اراد ان يكون فيكم عظيمًا يكون	سيّد القوم خادمهم (جس ٢٤٤ من ٨٦)

لكم خادماً ومن اراد ان يصير فيكم الاوّل يكون عبدًا للجميع (مر ١٠ : ٤٣-٤٤)

انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت السماوات (مت ١٩ : ٢٤)

في اصحابي اثنا عشر منافقًا منهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الابرة (جس ٣٠١) = وفي سورة الاعراف ٤٨ : لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل من سمّ الخياط

ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فان تدخلوا ملكوت السماوات (مت ١٨ : ٣)

لا تدخلون الجنّة الّا مُرْد (من ٧٨)

لا تُعطوا القدس للكلاب ولا تُلقوا جواهركم قُدّام الخنازير (مت ٧ : ٦)

لا تطرحوا الدرّ في افواه الكلاب (جس ٤٦١) = لا تطرحوا الدرّ تحت ارجل الخنازير (من ١٩٣ وفي التمثيل للثعالبيّ)

من احبّ نفسهُ فهو يهلكها ومن ابغض نفسهُ في هذا العالم فانهُ يحفظها للحياة الابديّة (يو ١٢ : ٢٥)

من أحبّ دنياهُ اضرّ بآخرته ومن احبّ آخرتهُ اضرّ بدنياهُ فآثروا ما بقي على ما يفنى (جس ٤٠٨)

من يتزوّد في الدنيا ينفعهُ في الآخرة (جس ٤٢٦)

اكتروا لكم كنوزًا في السماء (مت ٦ : ٢٠)

من يتزوّد في الدنيا ينفعهُ في الآخرة (جس ٤٢٦)

انما يتكلّم الفم من فضل ما في القلب (مت ١٢ : ٣٤)

من احبّ شيئًا اكثر من ذكره (جس ٤٠٨ من ١٤٦)

ذُكر في لوقا (١٥ : ٤-١٠) فرح واجد الخروف الضالّ والدرهم المفقود ثم قال الربّ : هكذا يكون في السماء فرح بخاطىء يتوب اكثر مما يكون بتسعة وتسعين صدّيقًا لا يحتاجون الى توبة

الله افرحُ بتوبة عبده من المقيم الوالد ومن الضالّ الواجد ومن الظمآن الوارد (جس ٣٥٧)

الويل لكم ايها الضاحكون الآن انكم ستنوحون وتبكون (لو ٦ : ٢٥)

مَنْ أدب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي (جس ٤١٠)

بصبركم تقتنون انفسكم (لو ٢١ : ١٩) = الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص (مت ١٠ : ٢٢)

النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وانّ من العسر يسرًا (جس ٤٤٤) = الصبر مفتاح الفرج (من ٩٢)

الرجل الصالح يأتي بالخير الصالح والرجل السوء يأتي بالخير السوء (جس ٢٢٢)

الرجل الصالح يُخرج الصالحات والرجل الشرّير من كنز الشرّير يُخرج الشرور (مت ١٢ : ٣٥)

قال لهم : انّ موسى لاجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تُطلّقوا نساءكم (مت ١٩ : ٨)

ما أحلّ الله شيئًا ابغض اليه من الطلاق (جس ٢٨٤ من ١٣٩)

انّ كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه (مت ٥ : ٢٦)	زنا العينين النظر (جس ٢٣٤) = ما من مسلم ينظر الى امرأة اوّل دفعة ثمّ يغضّ بصره الّا احدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه (جس ٢٩٩)
الويل لكم ايّها الكتبة والفرّيسيّون المرائون فانكم تشيّدون قبور الانبياء وتزيّنون مدافن الصدّيقين . . . تشهدون على انفسكم انكم قتلة الانبياء (مت ٢٣ : ٢٩)	لعن الله اليهود . . . اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد (خ ٣ : ٨٣) = قاتل الله اليهود اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد (جس ٣٠٤)
الويل لكم ايّها الكتبة والفرّيسيّون انكم تشبهون القبور المجصّصة التي ترى للناس من خارجها حسنة وهي من داخلها مملوءة عظام اموات وكلّ نجاسة (مت ٢٣ : ٢٧)	مثل الفاجر كمثل القبر المشرّف المجصّص يعجب من رآه وحوفه ممتلىء نتنا (جس ٤٠١)
اكبّ يسوع يخطّ باصبعه على الارض . . . . فلمّا سمعوا طفقوا يخرجون واحدًا واحدًا (يو ٨ : ٦–٩)	قد كان نبيّ يخطّ فمن وافق خطّه ذلك الخطّ علم (من ١٠٨)
انّ في انطلاقي خيرًا لكم (يو ١٦ : ٧)	حياتي خير لكم ومماتي خير لكم (من ٦٩) = حياتي خير لكم . . . فاذا انا متّ كانت وفاتي خيرًا لكم (جس ١٩٧)
اقول لكم انّ الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابرهيم (مت ٣ : ٨)	لو انّ الماء الذي يكوّن منه الولد اهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدًا (جس ٣٦٧ من ١٦٢)
ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (مت ١٩ : ١٧)	من اشتاق الى الجنّة سابق الى الخيرات (جس ١٤٨)
كثيرون من الاوّلين يكونون آخرين ومن الآخرين يكونون اوّلين (مت ١٩ : ٣٠)	في صحيح البخاري عن ابي هريرة : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة
الفصل العشرون في متى (٢–١٦) يذكر الفعلة الذين احدوا جميعهم دينارًا مع اختلاف ساعات شغلهم	روى ذلك البخاري في صحيحه (١ : ١٢٩ و ٣ : ٤٦–٤٧) . . . اوتي اهل التوراة فعملوا حتى نصف النهار فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمّ اوتي اهل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمّ اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين الخ
واخرج يسوع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل (مت ٢١ : ١٢)	نهى عن الشري والبيع في المسجد (جس ٤٤٥)

امّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الّا الآب (مر ١٣ : ٣٢)	أوتيتُ مفاتيح كلّ شيء الّا الخمس انّ الله عنده علم الساعة.. (جس١٤٤) = يسألك الناس عن الساعة قُل انّما علمها عند الله وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبًا (سورة الاحزاب ٣٣ : ٦٣)
انّها ستأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيّئات الى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٨)	انّ الساعة آتية لا ريب فيها وانّ الله يبعث من في القبور . . . الملكُ يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنّات النعيم والذين كفروا . . . فأولئك لهم عذاب مهين (سورة الحجّ ٢٢ و ٥٥)
انّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلّهُ للابن (يو ٥ : ٢٢) = وحينئذ يشاهدون ابن البشر آتيًا على سحابة بقوّة وجلال عظيمين الخ (لو ٢١ : ٢٧) = انّا جميعًا سنقف امام منبر المسيح (رو ١٤ : ١٠)	ليهبطنّ عيسى بن مريم حَكَمًا وإمامًا مُقسطًا (جس ٣٨٢) = كيف انتم اذا نزل ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم (جس ٣٢٦) = ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق (؟ جس ٤٦٨)
ستقوم أمّة على امة ومملكة على مملكة وتكون زلازل شديدة . . . وأوبئة وجاعات وتكون من السماء مخاوف وعلامات عظيمة الخ (لو ٢١ — ١٠ — ١١)	في صحيح البخاري (٣ : ٢١) : لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج . . .

اعمال الرسل (عم)

اجاب الرسل وبطرس وقالوا انّ الله أحقّ من الناس بأن يُطاع (عم ٥ : ٢٩)	الحديث طاعة الامام حقّ ما لم يأمر بمعصية الله (جس ٢٦٨) = مَن امركم من الولاة بمعصية الله فلا تطيعوهُ (جس ٤١٦) = لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (من ١٨٤)

رسائل القديس بولس

اعلموا وافهموا انّهُ ليس للزاني او النجس او البخيل الذي انّما هو عابد وثن ميراثٌ في ملكوت السماوات (افسس ٥ : ٥) = اما تعلمون انّ الأثمة لا يرثون ملكوت الله (١ كور ٦ : ٩)	الحديث انّ الجنّة لا تحلّ لعاصٍ (من ٣٦) = لا يدخل الجنّة لا خبٌّ ولا خائن ولا منّان (جس ٤٦٦)
انّهُ بالقلب يؤمن الانسان للبرّ ويعترف للخلاص (رو ١٠ : ١٠)	الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالاركان (جس ١٦٣) = الايمان معرفة

	بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان (من ٥٥)
كل انسان كاذب (رو ٣ : ٤) وكذلك في المزامير (١١٥ : ١١) . وفي الجامعة (٧ : ٢١) : ليس من صدّيق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ	كلّ ابن آدم خطّاء (جس ١١٤)
روّض نفسك على التقوى . . . ان التقوى تنفع في كلّ شيء ولها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة (١ تيم ٤ : ٧-٨)	عليك بتقوى الله فانها جماع كلّ خير (جس ٢٨٠ من ٩٨) = اوصيك بتقوى الله فانّهُ رأس كلّ شيء (جس ١٤٥)
لتخضع كلّ نفس للسلاطين العالية . . فمن يُقاوم السلطان يعاند ترتيب الله (رو ١٣ : ٢)	السلطان ظل الله في الارض فمن أكرمهُ اكرمهُ الله ومن اهانهُ اهانهُ الله (جس ٢٤٧)
ما لم ترهُ عين ولا سمعت به أذن ولا حضر على قلب بشر ما اعدّهُ الله للذين يحبونهُ (١ كور ٢ : ٩)	انّ في الجنّة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (جس ٢٠) = قال الله تعالى اعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الخ (جس ٣٠٥)
ان بشّرناكم نحن او ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم به فليكن مبلا (غلا ١ : ٨)	لو نزل موسى فاتّبعتموهُ وتركتموني لضللتم (جس ٣٧١)
ذكر (في ١ كور ١١ : ٢٣-٣٠) اكرام الربّ للخبز اذ كرّسهُ وجعلهُ قربانًا	أكرموا الخبز فانّ الله أكرمهُ فمن أكرم الخبز اكرمهُ الله=أكرموا الخبز فانّ الله انزلهُ من بركات السماء واخرجهُ من بركات الارض (جس ٧٢)
هو (الله) يرحم من يشاء ويقسي من يشاء (رو ٩ : ١٨)	يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء (سورة المدثر ٣٤)
الذي يأكل فللربّ يأكل لانهُ يشكر الله والذي لا يأكل فللربّ لا يأكل ويشكر الله (رو ١٤ : ٦)	الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر = الطاعم الشاكر لهُ مثل اجر الصائم الصابر (جس ٢٧١)
إعرضْ عن الكلام العاليّ الملبس بالبدع . . . الذي انتحلهُ قوم فزاغوا عن الايمان (١ تيم ٦ : ٢٠-٢١) = رجُل البدعة أعرضْ عنهُ (تيطس ٣ : ١٠)	إيّاكم ومحدثات الامور فانّ كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلال (ارشاد الطالبين ص٨)
لا بدّ ان يظهر انسان الخطيئة ابن الهلاك . . ويُري من نفسهِ انهُ هو الله . . . فيهلكهُ الربّ يسوع بنفس فمهِ (تس ٢ : ٣-٨)	لم يسلّط على الدجّال الّا عيسى بن مريم (جس ٢٦٥) = ليقتلنّ ابنُ مريم الدجّالَ بباب لدّ (جس ٢٨١)

رسائل يعقوب الرسول (يع)	الحديث
الايمان ان كان بغير اعمال فهو ميت في ذاته (يع ٢ : ١٥ و ١٦)	الايمان قول وعمل (جس ٥٦) = الايمان والعمل اخوان . . . لا يقبل الله احدهما الا مع صاحبه (جس ١٦٢)
اللسان نار وعالم من الاثم . . . هو شر لا يضبط ملوء سما ثبيتاً (يع ٣ : ٦ – ٨) = ان كان احد لا يزل في الكلام فهو رجل كامل (يع ٣ : ٢)	اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما = اكثر خطايا ابن آدم في لسانه (جس ٧) = احب الاعمال الى الله حفظ اللسان (جس ١٥ من ٦)
ان محبة العالم عداوة لله فمن آثر ان يكون حبيباً للعالم فقد صار عدوا لله (يع ٤ : ٤) – حب المال اصل كل شر ١ تيم ٦ : ١٠)	حب الدنيا رأس كل خطيئة (جس ٩٢ : من ٦٨)
صلاة الايمان تخلص المريض والرب ينهضه (يع ٥ : ١٥)	ثم فصل ان في الصلاة شفاء (جس ١١٠)

رسائل بطرس الرسول (بط)	الحديث
في ايام نوح بني التابوت الذي خلص فيه نفر قليل (بط ٣ : ٢٠)	ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك (جس ١٢٧ و ٤٠٢)
اكرموا الملك . . اخضعوا لسادتكم (١ بط ٢ : ١٧–١٨)	بجلوا المشايخ (من ٥٦)

رسائل يوحنا الرسول (يو)	الحديث
نحن ابناء الله . . . نعلم انه اذا ظهر . . سنعاينه كما هو (١ يو ٣ : ٢)	انكم ستعرضون ربكم يوم القيامة عيانا (من ٤٥)
لا نكن محبتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق (١ يو ٣ : ٨) = وفي الخيلو (١٧ : ٢٢) : من احبني يحفظ كلمتي	من احب الله حفظ وصيته – قال الشاعر : اذا ندبوا القول قالوا فأحسنوا ولكن تحسن القول خالفه العمل
من يعمل الخطيئة فهو من ابليس . . . ولهذا ظهر ابن الله لينقض اعمال ابليس (١ يو ٣ : ٨)	كل بني آدم يطعنه الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب (جس ٢١٩)

كتاب رؤيا يوحنّا الرسول	الحديث
اني كلّ من أحبُّهُ اوبّخهُ واؤدبهُ (رؤيا ٣ : ١٩) ومثلهُ في الرسالة الى العبرانيين (١٢ : ٦) وفي سفر الامثال (٣ : ١٢) انّ الذي يحبُّهُ الربّ يؤدبهُ	اذا احبّ الله عبدًا ابتلاهُ (جس ٢٣) اذا اراد الله بقوم خيرًا ابتلاهم (من ٨) = انّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وانّ الله اذا احبّ قومًا ابتلاهم (جس ١١٩) :
طوبى للاموات الذين يموتون في الربّ . . . لأن اعمالهم تابعة لهم (رؤيا ١٤ : ١٣)	انّ ممّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته من بعد موته علمًا نشرهُ وولدًا صالحًا تركهُ . . وحياتهُ تلحقهُ من بعد موته (جس ٢١٥)
(السماء) لا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس (رؤيا ٢١ : ٢٦)	تنظّفوا فانهُ لا يدخل الجنّة الّا نظيف (جس ١٠٣ و ١٦٢)
انا الاوّل والآخر كنتُ ميتًا وها انا حيّ . . . ولي مفاتيح الموت والجحيم (رؤيا ١ : ١٨) = انا الألف والياء البداءة والنهاية (١ : ٨)	انّما بُعثتُ فاتحًا وخاتمًا (جس ١٣٤) = أُعطيتُ فواتح الكلام وجوامعهُ وخواتمهُ (جس ٦١) = كنتُ اوّل الناس في الخَلْق وآخرهم في البعث (من ١١٥) : انّي أُعطيتُ مفاتيح خزائن الارض (بخاري ٢ : ٨٦)

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعيّ للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

بنو الرشيد

اول امر بني الرشيد — الامير عبد الله بن رشيد

كان بين عرب الحائل بيت شريف يعرف برشيد ينتمي الى عشيرة عبدة من قبائل جبل شمّر . وقد نما منهم فرع كريم يدعى عبدالله كان اوّلًا في حاشية الامراء الوهابيين من آل سعود فارسلوهُ كاحد عمّالهم الى الحائل وكان عبدالله ابيّ النفس ذا ثروة واسعة ونفوذ فلمّا رأى ما لحق بوطنهِ من الظلم عزم على تحريرهِ من ربقة بني عليّ بمساعدة اخيهِ عُبيد

فدعا الناس الى نفسه ولمّا احتشدوا حوله أعلن الحرب على بني علي وغلبهم ونفاهم من مدينة الحائل فالتجأوا الى مدينة كفر وكان اهلها استمروا على طاعتهم فنهضوا بهم الى محاربة عبدالله بن رشيد الذي خانته الاقدار وجُرح في المعركة فاعتنى بامره بعض اصحاب الفضل حتى شفي ولحق بامير رياض تركي بن عبدالله بن سعود سنة ١٨٣٠ فسرّ به الامير لما كان يعرفه من شهامة نفسه فجعله قائدًا لجيوشه مع ابنه الامير فيصل وليّ عهده وارسلهما لفتح بلاد الاحساء وانقاذها من يد المصريين

فلمّا ابتعدا قام على الامير تركي ابن عمه مشاري فقتله كما سبق في اخبار الوهابيين وجلس مكانه على كرسي الامارة . فلمّا بلغ الخبر الى الامير فيصل وهو يحاصر مدينة حفوف اشار اليه عبد الله بن رشيد بان يرجع الى رياض بكل سرعة قبل ان يستفحل الشرّ ويتسع الخرق . فرجعا بجنودهما واصلين السير بالسُّرى ودخلا رياض قبل ان يتمكن مشاري من تحصينها فالتجأ الى قصرها وهو اشبه بحصن حصين فلم يزل عبدالله يحتال عليه حتى دخل ليلًا الى مقصورته وقطع رأسه بعد نزاع شديد وسلّم القصر لسيده الامير فيصل فدانت له الرعية

امارة عبد الله بن رشيد على الحائل

عرف الامير فيصل لعبد الله بن رشيد حسنَ خدمته فقلّده امارة الحائل وجبل شمّر فسار بالجند وتتبع بني علي هو واخوه عبيد فقطعا دابرهم واباحا دمارهم وضبط عبدالله دقّة التدبير وجاهر بالمذهب الوهابي ليرضي اميرهم فيصلًا وكان وعد بان يؤدي له الجزية فقام بوعده

لكنه تخوّف لملكه من دسائس انصار بني علي فجعل يسعى بمصادرتهم واستصفاء اموالهم ونفيهم وقتل اعيانهم فتواترت عليه المؤامرات وكثرت المكايد فخطر على باله ان يصون نفسه من شر اعدائه ببناء قصر عظيم يجمع بين الفخامة والمناعة فجدّ بتشييده وما كاد ينجزه إذ مات فجأةً سنة ١٨٤٣ . وكان خلّف ثلثة اولاد تلالا ومُتعبًا ومحمدًا وكان تلال اكبرهم وهو وليّ عهده لا يتجاوز عمره عشرين سنةً فخلف اباه امّا عبيد اخو عبدالله وعم تلال فانه عُمِّر طويلًا فمات سنة ١٨٧١ وكان شرس الاخلاق فلقب بالذئب وسيأتي ذكر ابنه حمود

امارة تلال بن عبد الله بن رشيد

لما تولى الامر تلال بن عبدالله كان نجمُ الوهابيين مائلًا الى الافول فحاول الاستقلال تدريجاً . واول ما طمح اليهِ بالنظر التملُّك على اقليم الجوف المجاور لجبل شمر فجهز لاخيهِ متعب جيشاً ففتحهُ وضمَّهُ الى املاك بني رشيد

وكذلك وجه عنهُ عبيداً مع سريَّة الى بلاد القصيم فانتزعها من حكم الوهابيين . وسار تلال بنفسهِ الى تيماء ففتحها ثمَّ سعى بتأمين الطرق من غزوات العربان وسهل بذلك المتاجرات مع الحائل

فكل هذه المآثر نبَّهت الامير فيصلًا الى نوايا بني رشيد ففهم انهُ اضرَّ نفسهُ بنفسهِ لما اطلق يد عبدالله بن رشيد على جبل شمر ولكن لات حين ندم . فلزم الاميرَ الوهابي غضَّ النظر وصبر على احكام الدهر . وكان تلال اذا سمع شكوى ابن سعود يبرىء نفسهُ عندهُ من كلّ سوء نيَّة ويكرّر لهُ عبارات الخضوع ويؤلف قلبهُ بالالطاف والهدايا . وجرى على هذا المنوال مع الحكومة العثمانيَّة فكان يداري عمَّالها ويذكر في صلاة الجمعة سلطانها حذراً من تهييج غضب تلك الدولة وبلادهُ متاخمة لاملاكها فاتقى بذلك شرَّها

وقد دامت ولاية تلال على جبل شمر ٢٤ سنة (١٨٤٣—١٨٦٧) وفي عهده كانت رحلة الاب ميشال كرهن بلغراف الى نجد وقد اتَّسع في ذكر اوصافهِ لكنَّ هذا الامير في آخر عمرهِ مُني بشعورهِ بجنّ ومات منتحراً (١٨٦٧ م) وقد خلَّف عدَّة اولاد كان بندر اكبرهم سنًّا لا يتجاوز عمرهُ ١٧ سنة

متعب بن عبد الله

هو اخو تلال اتَّفق اهل جبل شمر على اختيارهِ كامير عليهم لعلمهم بحكمتهِ وعدلهِ وجودة اخلاقهِ فسار في سياستهم سيراً مشكوراً واتمَّ ما بقي من تحصين الحائل وتوسيع نطاق معاملاتها مع البلاد المجاورة . لكن الموت عاجلهُ فقطع فجأة حبل حياتهِ لثلاثة اعوام من امارتهِ (١٨٦٧—١٨٧٠)

بندر بن تلال — محمد بن عبد الله

لما مات متعب كان اخوهُ محمّد غائباً في رياض عند ابن سعود فتعاهد الجميع على تولية بندر بن تلال وقد بلغ اذ ذاك عمرهُ عشرين سنة وهو متصف بأوصاف والده من مروءة وشهامة ومحبّة خالصة لاهل وطنه . فلمّا عاد محمّد الى الحائل وعلم بما جرى أنقد غضباً واظهر البغض لابن اخيه واضمر له الشر هو ومحمدُ ابن عمه عبيد حتى سكنت الفرصة من ابراز دفين حقده فوثب على الامير بندر وقتله ثمّ انفتل راجعاً الى القصر حيث كانت اخوة بندر الصغار فقطع رؤوسهم ورماهم في ساحة الدار وارسل يستدعي ابناء اخوته واعمامه وغدر بهم واهدر دماءهم . ولم يفلت من هذه المذابح سوى بدر ونائف اخوي بندر وكانا غائبين من الحائل وكلاهما غضّ الشباب . ولمّا كبر بدر وعوّل على الانتقام من عمه طلباً بدم اخيه سبقهُ محمّد وامر بقتله ثمّ استدعى اخاهُ نائفاً واقامهُ في قصره يراقب حركاته وسكناته

تربّع محمّد على سدّة الامارة لا يخشى مماكساً لكنّ دم اقاربه المسفوك سود الدنيا في وجهه فلم يتهنأ بمنصبه الذي ناله بالاثم . وكانهُ اراد ان يكفّر عن ذنوبه باستقامة سلوكه مع اهل وطنه وحسن معاملته لهم فاهتمّ بتنظيم الجيش وتحصين الثغور وبسط الامان في كلّ الانحاء ونهى القبائل عن الغزوات وتشدّد على السارقين حتّى انهُ كان يأمر بقطع يد بل رأس من يسرق رغيفاً من الخبز

وفي ايامه وقعت رحلة السيدة الانكليزيّة انّا بلونت (Anna Blunt) التي اتّسمت في وصف حسناته وبيان نظام دولته ورونق حياته وكرمه

وكان الامير محمّد واقفاً بالمرصد للشيوخ المتاخمين لنجد لئلا يلحقوا بلاده بأذًى وكان اذا رآهم يتجاوزون حدودهم يغير عليهم ويفتك في عضدهم كما فعل سنة ١٨٨٠ اذ شنّ الغارة على محمّد بن دوخي بن سمير وكان ساعياً في بسط حكمه على قبائل شرقيّ نجد فسار الى محاربته وكسره ثمّ تقدّم الى حوران وتهدّد نواحي دمشق حتّى خاف اهلها من دخوله الى عاصمتهم . ولما رأى ما صار اليه آل سعود من الشقاق استنسب الفرصة لتوسيع ملكه بضبط بلادهم . وكان

الامير عبدالله بن فيصل استنجد به لمحاربة اولاد اخيه محمّد وعبدالعزيز وسعدون اولاد سعود فزحف عليهم ابن الرشيد واخرجهم من رياض وحبسهم في حائل

وقد طالت امارة محمّد بن عبدالله وكانت وفاتهُ في سنة ١٣١٥ ﻫ (١٨٩٧ م) وهو يتجهّز لمحاربة مبارك بن الصباح صاحب الكويت ليفتح لهُ هناك منفذًا الى البحر بانشاء مرفإ على خليج العجم

امارة عبد العزيز بن متعب

قام الامير عبد العزيز بن متعب بن عبدالله الرشيد خلفاً لمحمّد بن عبدالله على امارة حائل وجبل شمّر ونجد . واوّل ما صرف اليه فكرهُ متابعة سياسة سلفهِ ومحاربة الشيخ مبارك صاحب الكويت فثارت الحرب بينهما وطالت بضع سنوات وكان الفائز فيها ابن الرشيد

لكن الشيخ مبـاركاً اغرى بابن الرشيد عبد العزيز بن السعود وكان عندهُ في الكويت فسار من الكويت الى نجد ودعا الوهابيين الموالين لاهلهِ فدخل معهم الى الرياض سنة ١٩٠١ ونشر عليها العلم الوهابي الابيض والاحمر وحارب عبدَ العزيز ابن الرشيد وكان صاحب الكويت يرسل اليهِ المدد نكايةً بابن الرشيد وكذلك الانكليز كانوا يعضدونهُ لمماكسة الاتراك والسياسة الالمانيَّة في العراق . فانتصر ابن السعود من ابن الرشيد لكن الدولة العثمانيَّة قامت لمساعدة ابن الرشيد ومنعت ابن السعود عن ان ينتفع من انتصارهِ

وفي السنة ١٩٠٧ مات عبد العزيز بن متعب قتلهُ احد الوهابيين من أنصار ابن سعود

حمود ابن رشيد

خلف ابن عمهِ في ايَّار من السنة ١٩٠٧ وسار الى محاربة عبد العزيز بن السعود وبصحبتهِ فرقٌ من جند الاتراك فاحرز النصر وقهر ابن السعود

ثم اضطرَّ الاتراك الى سحب عساكرهم من نجد فخافوا على حمود بن رشيد من حملة اعدائهِ عليهِ بايعاز الانكليز فسعى فيضي باشا باصلاح ذات البين ووصل بالهبات ابن السعود وابن الرشيد فتصالحا . فصرف ابن رشيد اذ ذاك همَّهُ الى ردّ عادية قبائل

العرب المتاخمين لنجد والعراق وقمع كلبهم فزادت مهابته في النفوس وشاع صيته في انحاء جزيرة العرب

الامير سعود باشا ابن الرشيد

مات حمود سنة ١٩١١ فخلفه سعود باشا ابن الرشيد كما ذكره الاديب سليمان افندي الدخيل صاحب جريدة الرياض . فقلدته الدولة العثمانية رتبة باشا فبقي موالياً للاتراك فحشد في السنة ١٩١٢ جيشاً يزيد على ٢٠,٠٠٠ جندي خصه بخدمة الدولة . وفي تلك السنة اوفد عبدالله بن حاسم الى بغداد كمعتمده عند واليها ثم ارسل وفداً الى الاستانة يطلب ان يقبل في مجلس الامة مبعوثان عن نجد وان تطلق له الحرية لتأديب العصاة من قبائل العرب وللمطالبة بحقوق ابناء سعدون باشا رئيس عشائر المنتفق وكان عجمي بن سعدون التجأ الى ابن رشيد فاجاره

وتحفز سعود باشا الى محاربة قبائل العرب وسار بفرسانه الى احيائهم فضرب اولاً الرولة ورجع غانماً الى الرياض ثم اغار على بني عنيزة وسلب مواشيهم . وحارب المنتفق والضفير فكان الظفر معقوداً في لوائه واعاد عجمي بن سعدون امرته على مواطنه

ولما انتشبت الحرب العمومية ودخلت الجيوش الانكليزية شمالي العراق اضرت بابن الرشيد موالاته للدولة العثمانية وسقطت هيبته بين العرب كما ذكر ذلك وزير انكلترا بلفور في خطبة ألقاها في مجلس العموم في اوائل سنة ١٩١٧ ولم نسمع شيئاً عنه بعد نهاية الحرب (له صلة)

اعظم طامة في الحرب العامة

نظر اجمالي في الحرب الاوربية الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : الدول الاتفاقية (تابع)

٣ بريطانية العظمى

هي الدولة الباسلة التي بعد فرنسة حملت اكثر من سواها وطأة الحرب العامة وصبرت على شدائدها بمروءة وثبات عظيمين رجاء ان تحرّر الامم من ربقة التحكم الجرماني

في اواسط تموز من السنة ١٩١٤ ما كانت انكلترة لتظنّ انّ الحرب على الباب . ومع استعدادها لها بحرًا لم تأخذ لها أهبتها برًا . ولعلمها بما ستنزله حربٌ عموميّة من الويلات على العالم اخذت تسعى غاية جهدها في ايقاف انتشابها لمّا شامت لوائحها المقلقة كما تدلُّ عليه البرقيّات التي نشرتها في كتابها الابيض المشتمل على مجموع المخابرات الرسميّة بين الدولة الانكليزيّة وبقيّة الدول

وكان القيصر الالماني يرجّح بقاء انكلترة على الحياد لما بينهُ وبين ملكها من القرابة ولحرص الانكليز على تجارتهم التي توسع الحرب رقيها وتضمن لهم الارباح الطائلة بجمود حركة تجارة الدول المتحاربة . ولعلّ انكلترة كانت تنأت عن خوض غمراتها لولا انتهاك الالمان لحمى بلجكا لمّا تجاوزوا حدودها في ٢ آب ١٩١٤ دون مراعاة لعهود سابقة ارتبطت بها المانية كغيرها من الدول الكبرى بتوقيعها عليها . واذ ذكر سفير بريطانية الكنشليار بتمان هولوغ بتكث المانية لمعاهداتها بهذا العمل ولجّ عليها تحت طائلة الحرب بان تسحب جنودها من تخوم بلجكا كان جواب الكنشليار : « أيا ترى تعلن بريطانية الحرب علينا لاجل رقعة من الورق » . فاوغرت هذه الكلمة صدور الانكليز حنقاً على الالمان الذين ينقضون العهود الدوليّة المقدّسة وينزلونها منزلة سفاسف الامور فحملهم اباء النفس الى اعلان الحرب على دولة لم ترعَ الحقوق

ولم تكترث للمواثيق وبلجكا باقتحامها تعرض سواحلها الشرقيّة للاخطار . وكان ذلك في ٤ آب فاستبشرت فرنسة وروسيّة بالظفر لانضمام بريطانية العظمى الى جانبها

على انّ انكلترّة مع استنكاف اهلها من الحرب وبذل جهدهم في كبح جماحها علمت ايضاً انّ لها في القصاص حياةً وانّ الحرب هذه اذا حسنت عقباها سوف تكسر شوكة الالمان وتضعضع اركانهم وتزيل من طريقها عدوًّا كادت تيأس من مزاحمته في تجارتها وصناعتها . ومن ثمّ آلت على نفسها ان لا ترتدّ ناكصةً او تعود بالفوز التامّ . وهذا ما حدا بها الى معاهدة فرنسة والدول المحالفة بان لا تنفرد واحدة منها بمصالحة المانية حتّى تضع الحرب اوزارها

وفي غد اعلان بريطانية للحرب اخذت تنقل الجنود والذخائر الى فرنسة ولم يتمّ ذلك الّا بعدَّة عشرة ايّام . وكان عدد الجيش المنقول لا يزيد على ٨٠,٠٠٠ تحت قيادة الجنرال فرنش فسخر القيصر الالماني من تلك القوات الزهيدة ونعت الجيش الانكليزي « بجيش ذليل حقير يستهان به »

والحقّ يقال انّ انكلترّة خاضت معامع الحرب وليس لديها ما يقوم بحاجيات جنودها مع قلّتهم ومع وفرة معامل صناعتها . كانت معامل اسلحتها قليلة حتّى مرّت عليها الاشهر بل قريب من السنتين قبل أن تتمكّن من تعبية كلّ جيوشها من المستعمرات البعيدة وتجهيز المحاربين بما يلزمهم من السلاح حتّى اناف عددهم سنة ١٩١٦ على اربعة ملايين من الرجال . وقد كان في ذلك فضلٌ كبير لوزير حربيتها اللورد كتشنر الذي كان احدى ضحايا هذه الحرب العامّة

انضمّت الجيوش الانكليزيّة الى الفرنسويين والبلجكيين وهم يسعون في ردّ غارات الالمان لمّا زحفوا بمليون ونيّف من الجنود على ثغور بلجكا ومقاطعات فرنسة الشماليّة . لكنّ هذا السدّ لم يقوَ على ذلك السيل الجحاف فنال الالمان بوفرة عَدَدهم وعُدَدهم الفوز من الاتفاقيين في شرلروا وموبوج واضطرّوهم الى الرجوع القهقرى . وكذلك الانكليز خافوا من ان يأخذهم الالمان بخناقهم في مونس فكرّوا راجعين الى الوراء في العشر الاخير من آب ١٩١٤

لكنّ الاحوال ما لبثت ان تطوّرت طورًا آخر بهمّة اركان الحرب الفرنسويين .

وقاسم الانكليز اخوتهم الفرنسويين في انتصارهم الباهر في ٦ ايلول تحت قيادة الجنرال فرنشه دسپاري عند نهر الاورك (Ourcq) ثم قطعوا نهر المارن في ٩ منهُ تحت امرة الجنرال مونوري فتعقَّبوا جيش الجنرالين الالمانيين فرن كلوك وفون بولوف فبدَّدوا شملهم واحرزوا لهم فخرًا انساهم خزورهم السابق . وكذلك اخذ الانكليز نصيبهم من المجد في معارك الايزر ومواقع ايپر ولاسيَّما في فلندرة حيث قامت الحرب على ساق فأبلى الانكليز بلاء حسنًا

وكان ارباب الامر في اثناء ذلك يفرغون كنانة النشاط في سدّ ما ظهر لهم من الخلل العظيم من جهة الذخائر الحربيَّة واستحضار الجنود من الاملاك الانكليزيَّة الواسعة وجمع المتطوّعين فأقاموا منهم جيشًا جرّارًا عُرف بجيش كتشنر لسعيهِ بتنظيمهِ ووكلوا الى المرشال دوغلاس هَيغ القيادة العامَّة على كلّ جيوشها . ولم تكتفِ انكلترَّة بذلك بل خطت خطوةً كبيرة رغمًا عن تقاليدها القديمة اذ فرضت التجنيد الاجباري على كلّ رعاياها فكانت نتيجة عملها يقين حلفائها بالظفر النهائي

على ان اعتماد الدول المحالفة لانكلترَّة ومعوَّلها الاعظم انَّما كان على قوَّات بريطانية البحريَّة والكلّ يقرُّون بانَّ لها السيادة في البحر . ومع انَّ هذه الحرب كانت برّيَّة اكثر منها بحريَّة وان المنتظر ان تكون الضربة القاضية فيها على العدوّ في البرّ لا في البحر كما صرَّح بهِ المرشال جوفر الَّا ان البحر ايضًا اضحى في وقتهِ ساحةً للمعارك وحمي فيهِ غير مرَّة وطيس الحرب . فما كانت انكلترَّة لتخيّب آمال حلفائها فيها

وما كادت تُعلن بالحرب على الدول المركزيَّة حتَّى بثَّت اساطيلها في البحار لضبط كلّ السفن التجاريَّة الالمانيَّة الراسية في سواحل العالمين ثمَّ تتبَّعت مع السفن الحربيَّة الفرنسويَّة بوارج الالمان وطرَّاداتهم وكشَّافاتهم البعيدة عن المانية المتجوّلة في الاوقيانوس الاتلنتيكي والاوقيانوس الهادي وبحار الصين والهند . فناجزتها القتال ودمَّرتها غير مبالية بما اصيب من سفنها من الاضرار بقنابل العدوّ ومدافعهِ الضخمة والالغام البحريَّة . فلم يمرّ عليها بضعة اشهر حتَّى نظَّفت تلك البحار من السفن الحربيَّة المعادية . ولم يبقَ للالمان سوى اسطولهم المنزوي في بحر البلتيك

ومن الخدم التي ادَّتها بريطانية لحلفائها مع تنظيف البحار من سفن الاعداء

انّها سوّلت للاتفاقيين فتح المستعمرات الالمانيّة فوضعوا يدهم على املاك المانية كلّها خارجاً عن اوربّة اعني في افريقية الجنوبيّة الشرقيّة واميركة واوقيانية والصين. ففقدت المانية في عشرين شهراً ما كانت اجهدت نفسها في الحصول عليه بكل الوسائل منذ نحو ثلثين سنة بعد تصريح بسمرك انّ المانية لا صالح لها في الاستعمار. وكانت مساحة هذه المستعمرات بالغة نحو اربعة ملايين من الكيلومترات المربّعة

وفي ٤ ت ٢ ١٩١٤ اعلنت بريطانية مع حليفاتها الحرب على تركيّة لما خالفت به الدولة العثمانية قوانين الحياد وأتت من الاعمال المعادية اذ حمت في البوسفور البارجتين غيبن وبرسلو وألغت الامتيازات الاجنبيّة وضربت بعض المراكب الفرنسويّة والروسيّة واطلقت المدافع على مدن القريم في البحر الاسود. فاسرعت بريطانية وارسلت بعثةً الى البصرة واستولت عليها في ٢١ ت ٢ وقطعت سريّةٌ هنديّة نهر دجلة فاحتلّت كُتة. وفي خريف تلك السنة جرت اوّل معركة بحريّة دارت بين الانكليز والالمان انتصر فيها الانكليز على اعدائهم في جنوبي اميركا قريباً من بلاد شيلي وفي ارخبيل فلكلند حيث طاردت السفن الانكليزيّة طرّادات الالمان المحميّة ومدرّعاتهم وبوارجهم فدمّرتها. وأحبّ الالمان تشفياً ان يضربوا انكلترة في قلبها فوجّهوا اسطولاً هوائياً الى لندن ليطلقوا عليها قذائفهم في ٥ كانون الثاني ١٩١٥ فقتلوا بعض اهلها دون عظيم فائدة

وفي اوائل تلك السنة ١٩١٥ اتّفق الانكليز مع الفرنسويين على فتح مضيق الدردنيل وهم لا يجهلون ما يحول دون ذلك من العقبات لكنّهم ظنّوا انّ قوّة بوارجهم وشهامة جنودهم كافية لتقوى على كلّ الموانع حتى اذا جازوا ذلك المأزق سهل عليهم فتح الاستانة ونهجوا طريقاً للسفن المسكوبيّة لتخرج من البحر الاسود فتغني بغلّات روسيّة بلادَ الحلفاء.

وكان تدبير هذه الحملة قد عُهد به الى الانكليز. الا انّ اصحاب الامر بينهم خُدعوا في حسابهم ولم يعدّوا لهذه البعثة ما تقتضيه من القوى والعُدَد الحربيّة فضلاً عن كونهم جهلوا كثيراً من الاستحكامات الحديثة التي حصّن بها الاتراك والالمان ذلك المضيق الحرج وخصّوا بالدفاع عنه نحو مائتي ألف من اقوى جنودهم المحنّكة على كلّ آداب الحرب

فبدأ المتحالفون بانزال الجنود الى البرّ : الانكليز في سدّ البحر من جزيرة غاليبولي والفرنسويون في قوم قلعه في برّ آسية في ٢٤ نيسان ١٩١٥ ثمّ هاجموا الاتراك بينما كانت السُفن تطلق على استحكاماتهم المدافع وحاولت بعض البوارج النفوذ في المضيق وتكرّرت هذه الاعمال طول تلك السنة فاظهر الانكليز ولاسيّما جنود استرالية والفرنسويون ما جُبلوا عليهِ من الباس ورباطة الجأش والاستهانة بكل الاخطار وربّما تقدّموا الى الامام وكبّدوا العدوّ الخسائر الفادحة حتّى بلغ عدد جرحى الاتراك في اواسط ايّار ٣٠,٠٠٠ جريح لكنّ نجاحهم كان بطيئاً . ولم يثبط عزيمة الاتراك الذين دافعوا عن المضيق دفاع الكماة واوقعوا باعدائهم واتلفوا لهم عدّة مراكب حربيّة من جملتها الدارعتان الانكليزيّتان ماجستك وتريومف اللتان اغرقتهما غوّاصات المانيّة . ثمّ احتاج الانكليز الى جيوشهم في ساحات أُخرى فرأوا انّ محاربة الدردنيل لا تتمّ بسهولة فسحبوا جنودهم من هناك وقد بيّن قائدهم يان هملتون انّ الجيش البريطاني استحقّ كلّ ثناء في تلك الحملة لولا حرَج المقام ومناعة الموقع . ومثلهُ فعل الفرنسويّون الذين ابلوا احسن بلاء تحت قيادة الجنرالين داماد ثم غورو وهناك أُصيب هذا البطل الاخير بقنبلة لا تزال آثارها المجيدة فيهِ فحفظهُ الله خير بلادنا . وكانت نهاية هذه الحملة المشئومة في اوائل سنة ١٩١٦ بعد نحو تسعة اشهر

وتضاعف ألم الانكليز بما مُني بهِ جيشهم في العراق . فانّهم كانوا عوّلوا على فتح بغداد في اوائل سنة ١٩١٦ ودخلوا كرت الامارة جنوبيّ بغداد تحت قيادة الجنرال طَوْنسهند . لكنّ الاتراك مع ضبّاط الالمان تمكّنوا من محاصرتهم وقطع المؤنة عنهم حتّى اضطرّوا بعد ١٤٣ يوماً الى التسليم في ٢٨ نيسان ١٩١٦ — وفي تلك الاثناء حصلت عدّة فتن في ارلندة لم تستطع انكلترة ان تقمعها الّا بالقوّة مع الوعد بانها تمنح ارلندة الاستقلال النوعي

على انّ بريطانية أبت الّا ان تأخذ ثارها بعد حين من المانية عدوّها الازرق . فان اساطيلها كانت واقفةً بالمرصاد للاساطيل الالمانيّة المحصورة في البحر الشمالي . ففي ٣١ آب جرت المعركة الكبرى المعروفة بمعركة جوتلند من اعمال دنيمرك في سواحلها الغربيّة . اذ التقى الاميرال بيتي بالمدرّعات الالمانيّة الكبرى فسار الى محاربتها دون انتظار الاسطول الاعظم فاغرق بعض الطرّادات الالمانيّة لكنّهُ فقد

ايضاً بعض دوارعه . وكانت البوارج الالمانيّة خرجت لمساعدة اسطول مدرّعاتها فاغرقت ثلاث بوارج انكليزيّة . واصبح الاسطول الانكليزي في خطر لولا انّ الاميرال جليكو سار بكل سرعة لعضده فانتشب القتال مدّة بين الاسطولين الى أن ولّى العدوّ هارباً تحت حجاب ضباب كثيف كان ابتدّ على تلك الجهات . وقد دامت هذه المعركة عشرين ساعةً فُقد فيها بالتدمير والغرق والتعطيل ٣٦ سفينة بين بوارج دردنوط وطرّادات ومدمرات كان معظمها للالمان لكنّ الاسطول الانكليزي لحقهُ ايضاً خسارات تذكر حتّى ان الالمان نسبوا الظفر لاسطولهم فقد البوارج الكبيرة كوين ماري واندفكتبل وانفنسبل مع اربع دوارع وبعض المدمّرات وكان بين الغرقى اميران البحر هود واربثنوت

وبعد ذلك بخمسة ايّام فُجعت انكلترّة بموت وزير حربيّتها اللورد كتشنر وكان ركب الدارعة همبشير قاصداً روسيّة لتنظيم شؤونها فاصابت الدارعة لغماً فغاصت ببضع دقائق وغرق كلّ من فيها (٦ حزيران ١٩١٦)

*

وفي اواخر هذه السنة عينها جرت حملة الاتراك والالمان على ترعة سويس ومصر . وكلٌّ يذكر ما كان جمال باشا وقومهُ يتفاءلون من تلك الحملة كأنهم لا يشكّون بعقباها فكانوا يدعون اصحابهم الى حضور افراح الانتصار القريب في مصر . وكان الاتراك مع حلفائهم الالمان والنمسويين حاولوا منذ السنة ١٩١٥ الاستيلاء على ترعة سويس فلم يفلحوا فعادوا اليها في الصيف السنة ١٩١٦ بجيش عدده ١٨,٠٠٠ جندي لكنّ الانكليز ردّوهم خائبين في رمّانة على مسافة ٥٠ كيلومترًا من الترعة قريباً من البحر المتوسّط واسروا منهم ٣,٩٠٠ اسير في ٤ آب ١٩١٦ ثم دخلوا العريش في ١٢ ك ١ بعد ان طردوا منها الاتراك . ثمّ اخذوا يتقدّمون الى الامام الى جهات بئرسبع فغلبوا الجنود العثمانيّة مرّة اولى بين رفح وبئر سبع في ٦ آذار ١٩١٧ ثمّ تعقّبوهم مع مساعدة الطيّارات الهوائيّة والمهاربين ونكّلوهم نكاية عظيمة في ٢٦ و٢٧ آذار واسروا منهم ٩,٠٠٠ نفر بينهم فريق الالاي الثالث والخمسين مع كلّ اركان حربه . وكان انتصارهم هذا فاتحة دخولهم الى فلسطين . وتمّ لهم ذلك تحت قيادة السر ارشبلد مرّاي (A. Muray)

في خريف تلك السنة عاد الانكليز بقوى جديدة وناجزوا الاتراك القتال مرارًا تحت قيادة الجنرال أللنبي فاستولوا في ٣١ تشرين الاول على بئرسبع وضبطوا استحكاماتها وخنادقها ثمَّ تقدَّموا في تشرين الثاني الى مدينة الخليل حبرون فدخلوها في ٧ منهُ ثمَّ استولوا في ١٦ على رملة والسكة الحديدية التي كان الاتراك قلعوا قسمًا من اسلاكها لينقلوها الى سكتهم بين القدس وبئرسبع . وفي ١٧ تشرين الثاني تمَّ دخولهم في يافا واستعدُّوا لفتح القدس الشريف فاستداروا حولها وتمكَّنوا من ضبط التحصينات المعدَّة على الأكمات المشرفة عليها وكادوا يقطعون كلَّ طريق على الاتراك لولا انَّهم اسرعوا وخرجوا من المدينة فدخلها الانكليز ظافرين دون ان يلقوا عليها قنبلة واحدة وذلك في ظهيرة اليوم الحادي عشر من كانون الاوَّل سنة ١٩١٧ فاستبشر العالَم النصرانيّ بهذا الفوز البهيج ورجوع القدس الشريف الى ايدي النصارى بعد ٧٣٠ سنة . وعمَّ الفرح اهل المدينة دون اختلاف الاديان لنجاتهم من نير الاتراك

ولم ينسَ الانكليز فشلَ جنودهم في كوت الامارة في اواخر نيسان . ومن ثمَّ استعدُّوا لاستئناف العمل واصلاح الخلل . فندبوا لذلك احد كبار قوَّادهم السير برسي مود وعهدوا اليهِ فتح بغداد فأسرع وجمع قواهُ واعدَّ بوفرة كلَّ لوازم الحملة من ذخائر حربيَّة ومؤونة للعسكر وعلف للدوابّ . وفي العشر الاوَّل من كانون الثاني سنة ١٩١٧ زحف بخيلهِ ورجلهِ الى محاربة الاتراك في شطّ العرب فدحرهم وفتح عنوةً كوت الحيّ في ١١ ك ٢ ثمَّ تقدَّم الى جهة الغرب فكانت الفرق الانكليزيَّة تناوش الجيوش التركيَّة القتالى فتضطرُّهم الى الهزيمة امامهم بينما كانت الطيَّارات الجويَّة تُلقي عليهم وعلى سفنهم القذائف المهلكة حتَّى بلغوا كوت الامارة ففتحوها عنوةً في ٢٤ شباط واخذوا للاتراك ٧,٠٠٠ اسير و٣٦ مدفعاً وثلاث مدفعيَّات . ثم جازوا عزيزيَّة في ٢٧ منهُ وساروا الى بغداد بسرعة عجيبة رغماً عن توقُّد حرارة الجوّ فتعرَّض لهم الاتراك وسعوا بسدّ الطريق في وجههم مرارًا فذهب سعيهم ادراج الرياح ودخلت الجيوش البريطانيَّة مدينة الخلفاء في صباح ١١ آذار ١٩١٧ وبدخولهم خيَّبوا كلَّ آمال القيصر الالماني المبنيَّة على سكَّة حديد بغداد التي نوى منها مدَّ سيطرتهِ على الشرق وفتّ عضد انكلترَة في بحر العجم والهند

ولم يجتزئ الانكليز بفتح حاضرة بغداد بل تقدَّمت جيوشهم الى الغرب وضبطت

السكّة الحديديّة الممتدّة بين دار السلام وسامرّا حتّى بلغت تكريت واحتلّتها مدّةً ثم برحتها . ولمّا أُعلن بالهدنة عادت فمدّت سيطرتها عليها وعلى الموصل وجوارها

وممّا يُنسب الى مساعي انكلترّة انّها اثارت عرب الحجاز على الاتراك وحلفائهم . فانّها منذ اوائل السنة ١٩١٦ جعلت تسوّل للامير حسين شريف مكّة شقّ عصا الاتراك واطمعتهُ بالاستقلال والتملّك على الحجاز مع بسط حمايتهِ على ارباب جزيرة العرب . فراق الامر في عينهِ وانحاز الى الدول الاتّفاقيّة واعلن بنفسهِ ملكاً على الحجاز وبعث قومهُ لمحاربة الاتراك فساروا الى ينبع وجدّة والطائف فالحقوها بملكهِ . وكان ابنهُ الامير فيصل عاضداً للاتّفاقيين في مطاردة اعدائهم ومعهم دخل دمشق في اوائل تشرين الاوّل سنة ١٩١٨ بعد دحر المتحالفين

*

وفي السنة ١٩١٧ احسّ الالمان بحرَج موقفهم وتأكّدوا انّهُ لا نجاة لهم من ايدي خصومهم ما لم يضطرّوا دول الاتّفاق الى قبول شروط السلم التي عرضوها عليهم دون جدوى فرأوا انّ اقرب واسطة لذلك انّما هي حربُ الغوّاصات التي كانت الحقت اضراراً لا تُحصى بالاتّفاقيين عموماً وبالانكليز خصوصاً الذين وحدهم فقدوا من السفن ما يساوي تفريغهُ ٣,٠٠٠,٠٠٠ طن من اوّل آب ١٩١٤ الى غاية كانون الاوّل ١٩١٦ . فعوّلوا على تعميم أهوالها وضرب كلّ السُفن ايّة كانت حتّى للدول المتحايدة والمتّسمة بالصليب الاحمر لا تبقي ولا تذر فهيّجت بذلك عليها رأي العالَم اجمعهِ وكان جفاؤهم من أدعى الاسباب لدخول اميركة في الحرب . على انّ الانكليز اصيبوا بخسائر فادحة فبلغ عدد سفنهم المتلفة نيّفاً وستمائة . ولم تخمد تلك الحرب المهولة الّا في اواخر السنة ١٩١٧ بما جهّزهُ الاتّفاقيون من السُفن المعاكسة للغوّاصات ولاسيّما بالشباك الفولاذيّة الممدودة في طريقها المعرقلة لحركاتها والدافعة بها الى رحمة اعدائها . ثم اتتهم اميركة بسفنها فقامت مقام ما اتلفهُ لهم الالمان وشدّدوا جميعهم الحصار على المانية بحرًا وبرًّا وقرّبوا اوان الانتصار النهائي على الدول المركزيّة

وكانت انكلترّة في تلك الاثناء تُعنى في توفير عدد معامل اسلحتها حتّى بلغ المئة في اواخر الحرب بعد ان كان لا يبلغ العشرة في اوائلها وزاد عدد عملتها من بضعة آلاف الى بضعة ملايين خصّت قسماً منهم لاعداد الاسلحة وقسماً لعمل الذخيرة .

اما اسلحتها من مدافع وقنابل وقذائف متفجرة فحدث عنها ولا حرج فانها جعلتها من اشدّ ادوات الخراب والتدمير حتّى اذا بلغت الى مرماها انفجرت كالبركان واتلفت كلّ ما حولها بشظاياها . وكانت انكلترّة هي السابقة في اتخاذ تلك الدبّابات المصفّحة الهائلة المعروفة بالتنك او عجلات الهجوم التي لم يقوَ عليها مانع في سيرها فتقطع الاسلاك الشائكة والحواجز والمتارس ولا تعمل فيها القنابل فتدمر كلّ ما تلقاه مع تجهيزها بالمتراليوز والرشّاشات المتلفة

فخرجت انكلترّة من هذه الحرب بتاج من الفخر زاد اعتبارها في اعين العالم وعزّاها عن خسائرها المادية الطائلة . وقد أسفت خصوصاً على من فقدته من رجالها الكبار من سياسيين كاللورد روبرتس حاكم الهند سابقاً (١٨٣٢—١٩١٤) واللورد كتشنر السابق ذكره واللورد كرومر معتمد الدولة البريطانيّة في مصر (١٨٤١—١٩١٧) ولكليهم من المآثر ما يخلّد لهم الذكر في عالم السياسة . ومن علماء كالسر ادورد تيلر (١٨٣٢—١٩١٧) معلّم آثار الانسان (انثروبولوجيا) في كليّة اوكسفرد والدكتور باستيان (١٨٣٧—١٩١٥) من علماء الطب والتشريح والطبيعيّات على أنّه اساء الى سمعته بمدافعته عن التولّد الذاتي فروينا كيف زيّف تلامذة باستور آراءه واختباراته الباطلة . والاستاذ ملدولا من مشاهير الكيميويين († ١٩١٥) . واشهر منه في الكيمياء الطبيعيّة العالمان المبرّزان السر وليم رمزي (١٨٥٢—١٩١٦) له المباحث المهمّة في العناصر المشعّة وتحوّل بعضها الى بعض . ثمّ السر هنري روسكو (١٨٣٣—١٩١٦) من اساتذة كليّة منشستر . وقد تعزّت انكلترّة عن هذه الخسائر بما افادتها هذه الحرب من الارباح العظيمة بتملكها على بلاد واسعة ومستعمرات غنيّة ورقي في الصنائع ورسوخ قدم في سيادة البحار والمعاملات التجاريّة والاقتصاديّة جعلها الله وسيلة لنجاة العالم من بلاياه الحاضرة وآلة فاعلة في نشر السلام بين الامم

(له تابع)

اثر قديم للبطريرك اغناطيوس جروه

سعى بنشره الاب لويس شيخو

في احد مجاميع المكتبة العمومية في باريس الموسوم بعدد ٦١٠٠ عدة رسائل خطية عربية كتبها البطاركة الشرقيون وارباب الدين وبعض العلماء يستفاد منها بعض المعلومات لاحوال الشرق . وقد نشر منها المشرق سابقاً (٦ [١٩٠٣] : ٥٠١) رسالة البطريرك مكاريوس الحلبي للملك لويس الرابع عشر . وهاءنذا بأثر آخر نقلتهُ من ذلك المجموع وهي رسالة عددها المرقوم عليها ٣١ كتبها البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك اغناطيوس ميخائيل جروه بعد هربهِ من بغداد الى لبنان كما اثبتهُ المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٩١٢-٩٢٦) وقد وجهها الى طائفتهِ في مدينة البصرة . ودونك هذه الرسالة بحرفها الواحد وفيها عدة فوائد تاريخية للملة السريانية

ܡܕܡܐ ܕܐܠܗܐ ܡܪܝܐ ܕܟܠܗ ܥܠܡܐ ܘܥܠ ܟܠ ܡܕܝܢܬܐ

ܡܕܡܐ ܕܐܠܗܐ ܕܐܝܠܝܐ ܘܕܐܝܬܝܐ ܕܠܥܠܡ ܕܥܠܡܐ

بسم الاله الازلي الواجب الوجود الدائم الى الابد

اغناطيوس ميخائيل بطريرك انطاكية على السريان الحقير (الختم)

النعمة الالهية والبركة الرسولية الحالة على الزمرة الاطهار في الغرفة الصهيونية ذات الوقار مانحة لهم جزيل الشرف وغزير الانعام هي تحل وتستقر على حضرة كامل اولادنا الاعزاء المكرمين السريان الكاثوليكيين الموجودين في مدينة البصرة نساء ورجال . بارك الربّ عليهم وعلى اعيالهم واولادهم بنين وبنات وعلى سائر تصرفاتهم باتمّ بركاتهِ العلية ويدفع عن محبتهم شرّ كلّ محنة وبلية بشفاعة مريم العذرى النقية وجميع الملائكة والقديسين امين

ثمّ بعد إثناء البركة وتخصيص الادعية والسؤال عن خاطركم اعلم محبتكم انني منذ كنت مطراناً على كرسي حلب وبين التهرين حضر لي كتاب من نيافة المجمع المقدس يحركني بهِ لأرسل كاهناً من قبلي لاجل سياستكم وتدبيركم الروحي فاما انا التزمت بتأخير هذا العمل من حيث انني بعد زمان قليل دُعيت الى كرسي

البطركية وذهبت الى ماردين وارتسمتُ بطركاً هناك بغير استحقاق على هذا الكرسي الانطاكي السرياني وحدث الاضطهاد الشديد علينا من الاراطقة كما لم يخفاكم حتى التزمنا بالنفي والحضور الى مدينة بغداد التي قريبة منكم . وكلّ تلك المدّة التي جلسناها في هذه المدينة كنّا ننتظر منكم كتاباً ينبينا عن سلامتكم واظهار محبتكم وطاعتكم الابنيّة وافتقاد ابوكم الروحي فلم يأتينا ذلك حتى ولا عرفتم بذواتكم حضورنا بغداد كانكم لستم من قطيع اغنامنا ولا من تلك الرعيّة السريانيّة المسلّمة لنا من الله وكنيسته المقدّسة . واما نحن كنّا غايصين في بحر التجارب والاضطهادات المتنوعة هناك التي اخيراً ألزمتنا بالهروب من بغداد ليلاً وحضرنا في طريق الجول (البريّة) المقفر وحولنا اثنين ثلاثة من العرب الى جبل كسروان بكل عناء وتعب مفرط الذي ربّنا الى الان (ما) قد بلغكم

ثمّ بعد وصولي الى هذا الجبل المذكور حيث انا الآن قاطن حضر اعندنا من رومية في هذا الزمان المبارك القس عطاءالله المكرم الحلبي من طايفتنا تلميذ مدرسة انتشار الايمان المقدّس حامل انا معه بولّات التثبيت الرسوليّة بالختم الرصاصي الموضحات ملو السلطان البطريركي على الكرسي الانطاكي مع الباليون (الدرع) المقدّس الممنوح لنا بغير استحقاق ومن انعام الكنيسة المقدّسة وفضل رأسها الحبر الاعظم قدس قداسة سيدنا البابا ماري بيوس السادس المالك سعيداً الذي قد تدرّعنا به يوم الخامس والعشرون من نيسان المبارك بهذه السنة . وهذا الشرف يا اولادنا كان لهُ عدّة سنين مقطوع عن طايفتنا السريانيّة الخارجة عن الكنيسة البطرسيّة ولكن في هذا الزمان نظر الينا ابو المراحم بعين شفقته واقام حقارتنا في هذا المقام العالي وذلك جميعهُ من حنوّه وجوده . فنحن لعلمنا انّهُ عند استماعكم هذا الخبر تفرحوا جداً جداً فقصدنا إعلامكم بذلك لكي تشكروا معنا فضل مراحم ربنا وتنظروا حنوّهُ وافتقادهُ الصالح لاولاده واهتمامه بهم . ونحن الآن بما انّنا صرنا مديونين للاهتمام برعايانا المباركة وخدمتهم الروحيّة فقد أقمنا من قبلنا على اولادنا الساكنين بغداد وعليكم مدبّراً ووكيلاً في هاتين المدينتين بغداد والبصرة حضرة الاب الكلي الاحترام منسنيور يوسف يوشين النائب العام للسيّد مطران بغداد الكلي الشرف ومصرّفيهُ منّا التصريف التامّ فيكم وفي جميع اولاد جماعتنا السريان الساكنين بغداد والبصرة

والذين يوردوا اليها من اي بلد ومكان . فالمأمول من محبتكم انكم تعتبروهُ كشخصنا وتقدّموا لهُ الطاعة الواجبة وتخضعوا الى مراسيمه وتقبلوا نصايحهُ وارشادهُ كبنين وديعين طائعين لتعاليمه المقدّسة وان دائماً تكونوا ساعين معهُ على خلاصكم وخلاص القريب وفي ارتداد اخوتكم القطيع الضالّ لكي انتم وجنابهُ تنالوا الاجر الكامل من الربّ الكافي

وبما ان يا اولادنا ليس عاد لنا معاش ولا مكان نلتجي فيهِ من ايدي الامم واتطهاد المعاندين من طائفتنا فالتجينا الآن الى هذا الجبل كسروان العامر وقصدنا احسان المؤمنين وقد اتخذنا لنا مكان صغير بالكورة (١ ودعيناه باسم سيّدة النجاة حسب ما اوعدنا قبلًا حيث انّ هذه السيّدة هي التي نجّتنا من سائر الاهوال التي حدثت علينا وقد اوصلتنا الى هذا لنجمع ارفاقنا ونجلس بالاطمئنان وندبّر رعايانا التي اقامنا الروح القدس لرعايتها ونقدر نهدأ قليلًا من الاتطهادات التي كابدناها من اعداء الايمان المقدّس والاتعاب والسهر الذي حملناهُ فوق طاقتنا ما عدا خوف القتل الذي وقعنا بهِ كم مرّة بين ايدي الاعداء والربّ ما سمح فلنشكر مراحمهُ وفضلهُ

ثمّ اننا الآن من صميم قلبنا نطلب لكم جميع البركات من الربّ الرحوم ان تكون عليكم وعلى منازلكم العامرة وعلى كباركم وصغاركم وانفسكم واجسادكم وجميع ما يتقلّب بين يمينكم وشمالكم وليحرسكم الربّ الاله من كل عدوّ ومن كل ظالم ومن كلّ مكروه وينميكم ويكثركم ويخلصكم من كلّ شرّ روحي وجسدي بشفاعة مريم البتول بعد تجديد البركة الرسوليّة على جميعكم ثانياً وثالثاً

أعطي بالكرسي الانطاكي للسريان بدير سيّدة النجاة في شرفة درعون من معاملة كسروان

في ٣ حزيران سنة ١٧٨٥

---

١) يريد هنا بالكورة الناحية عموماً لا معاملة الكورة

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب يوحنا اليانو الثانية الى الموارنة ١٥٨٠ــ١٥٨٢

من طرابلس الى قنّوبين

تهافت عمّال الديوان في طرابلس وهم أخلاط من الترك واليهود وغيرهم على امتعة الابوين اليانو وبرونو ليفتشوها فوقع نظرهم على ما أتيا بهِ من الآنية الكنسيّة والصور والكتب الدينيّة فخافا ان يصيبهما بسببها اذًى وانزعاج لولا الوجيه الماروني يوسف حبيش فانهُ بمجاملتهِ لرجلين من رؤساء العمّال طويلَي القامة شديدَي الساعد احدهما نصراني من الروم والآخر يهوديّ انقذ المرسلين من كلّ عنف وهوان

ويوسف هذا هو الشيخ ابو منصور يوسف بن حبيش الذي اثنى عليهِ البطريرك الدويهيّ في تاريخهِ (ص١٧٣) حيث قال انهُ «كان صاحب الكلمة والحظوة عند الامير منصور عسّاف المتولّي وقتئذٍ على شمالي لبنان وكسروان وعند ولدهِ الامير محمّد». وكان الاب اليانو عرف فضلهُ سابقاً في رحلتهِ الاولى فاستفاد من حسن خدمهِ ونجا هذه المرّة ايضاً من طمع العمّال بأداء شيء من الدراهم ولم يفقد من تلك الامتعة سوى كاسٍ من نحاس مذهّب اخذهُ احد الاتراك. فشكر للشيخ يوسف معروفهُ وقدّم لهُ رسالة الكردينال كرافّا مع الهدايا المرسلة لهُ من ذاك الصديق للموارنة في رومية. فسُرَّ الشيخ بها ووعد المرسلين خيرًا وأكّد لهما انّهُ سيفرغ الجهد في حمايتهما حيثما حلّا. وكذلك عاملا الديوان احبَّ الابوان ان يظهرا لهما ممنونيّتهما فاهدى الاب اليانو النصرانيّ كتاباً مزيّناً بتصاوير بديعة مضمونهُ سيرة المسيح. واليهوديّ اهداهُ نسخةً من التوراة العبرانيّة. ثمّ ودّع الشيخ يوسف الذي كانت وفاتهُ بعد ثلث سنين في ١٩ ايلول ١٥٨٣ فخلفهُ في منصبهِ اخوهُ الشيخ ابو يونس سليمان حبيش (الدويهيّ ص ١٧٣)

ومن خدم الشيخ يوسف لطائفته انهُ في السنة ١٥٧٠ لمَّا استولى اهل بيروت من المسلمين على كنيسة الموارنة وجعلوها قيصريَّة اتفق مع مشايخ بيت الدهان وطائفة الروم الملكيين على ان يشركوا الموارنة في كنيسة السيدة التي للملكيَّة في داخل المدينة على شرط ان يشترك الملكيُّون في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج المدينة وهي التي تعرف اليوم بمقام الخضر قريباً من نهر بيروت ضبطها علي باشا وجعلها جامعاً سنة ١٦٦١ . وهو ايضاً الذي استخلص سنة ١٥٧٢ بواسطة الامير منصور بن عسَّاف دير قنُّوبين من الضرائب التي وزِّعت عليهِ وكانت بالغةً مائتي سلطاني . والسلطاني ثلثا القرش والقرش يومئذ كالريال اليوم (تاريخ الموارنة ١٧٣)

وكان السفير الرسوليّ عند وصولهِ الى طرابلس ارسل ساعياً الى قنُّوبين ليعلم غبطة البطريرك ميخائيل بقدومهِ . فسُرَّ بذلك ايّ سرور وكان اذ ذاك طريح الفراش فودَّ لو يستطيع ان يخفّ لاستقبال مثل الحبر الاعظم لكنَّهُ اوفد الى طرابلس لينوب عنهُ المطران جرجس البسلوقيتي مع احد الرهبان وصحبهما ببعض الالطاف والزاد للطريق . فلمَّا بلغا المدينة رحَّبا بالمرسلَين وقدَّما لهما باسم السيّد البطريرك التهانئ بوصولهما سالمين وشكرا قداسة البابا والكردينال كرافًا على التفاتهما الى الطائفة المارونيَّة

وقد وصف الاب اليانو في رسالاته (Litteræ annuæ, 1581, p. 202) مسيرهُ البهيج من طرابلس الى قنُّوبين وتقاطر اهل الجبل لاستقبال الوفد الرسولي فمنهم من كان يتغنَّى بالاهازيج ومنهم من يدقّ الطبول والدفوف وينفخ الزمارات . وكان اهل كل قريَة يتزاحمون على السطوح عند مرورهم والنساء يتهللنَ باصوات الفرح (الزلاغيط) ويصرخن : انتم نورنا ونجاتنا فليحفظ الله الكرسيّ البطرسيّ (الله يخلّي لنا البابا) ونائبهُ

قال الدويهيّ في تاريخ سنة ١٥٨٠ (ص ١٧٧) : فلمَّا وصل جوان باطيشتا وجوان برونا الى الجبل ودنوا من الكرسيّ كان البطريرك ميخائيل طريح الفراش فامر أخاهُ الاسقف سركيس ان يجمع الاكليروس ليخرجوا الى لقائهما بالمباخر وقراءة المزامير احتراماً لمن ارسلهما »

وكان وصول الايرين الى قنُّوبين يوم الثلثاء ٩ تموز . فاحسن السيّد البطريرك

استقبالها وقبّلها باذراف الدموع فرحاً . وشمل هذا السرور اخاهُ المطران سركيس الرزّي واساقفة الكرسيّ وجميع سكان الدير . وبلغ فرحهم كلّ مبلغ اذ علموا بما اتى بهِ المرسلان من المناشير البابويّة ومن الهدايا الثمينة فكان قلبهم مفعماً شكرًا ولسانهم مطلقاً في الثناء على قداسة الحبر الروماني ونيافة الكردينال كرافًا . فكان لهذا الاستقبال الوقع الطيّب في قلب المرسلين الرسوليين فتأكّد الاب اليانو انّ هذه السفارة الثانية سوف تأتي بالثمار الطيّبة وتنزع من الزرع الجيّد منا اختلط بهِ من الزوان فتتأصل الامانة الكاثوليكيّة في تلك التربة الصالحة . ثمّ قضيا ذلك النهار يتحدّثان عن رومية واهلها وآثارها ولاسيّما عن محبّة البابا غريغوريوس والكردينال كرافًا لطائفتهم المارونيّة وعن الولدين المرسلين الى امّ المدائن ليتخرّجا فيها في الآداب الكنسيّة

ثمّ جعلا يوم الخميس ٢١ تشرين موعدًا لاجتماع الاكليروس واعيان الطائفة ليبلّغاهم رسميًا كتابات الحبر الاعظم والكردينال المحامي وعرض الهدايا التي تكرّما بها على غبطة البطريرك وحاشيتهِ الكريمة

ففي اليوم المذكور تمّ ذاك الاجتماع في غرفة السيّد البطريرك . فدخل المرسلان فوجدا غبطتهُ وعلى يمينهِ المطران سركيس اخاهُ مع نخبة من ارباب الدين ووجوه الملّة حولهُ فأخذ الاب يوحنّا اليانو يفضل امامهم سبب بعثتهِ اليهم والغاية الروحيّة التي توخّاها الكرسيّ الرسولي من تلك السفارة ثمّ اورد لهم خلاصة ما تتضمّنهُ البراءة الرسوليّة الى غبطة البطريرك مع بقيّة الرسائل الموجّهة اليهِ والى شعبهِ . فلمّا انتهى اخذ البطريرك براءة البابا وقبّلها ووضعها على رأسهِ شاكرًا الاب الاقدس حنوّهُ وتعطّفهُ على اولادهِ

ثم أبرز السفير البابوي ألطاف الحبر الاعظم وكان في مقدمتها الدرعُ المقدّس الذي أعدّ للسيّد البطريرك تثبيتاً لسلطتهِ الروحيّة ثمّ كتيّة من البلسم لاستحضار الميرون المقدّس مع الآنية اللازمة لحفظهِ وحفظ الزيت المبارك . ثمّ عدد وافر من الكؤوس ووجوه الهياكل وقوالب البخّاشات والصور الغالية الثمن وغير ذلك من الامتعة التقويّة من جملتها الف مسبحة وردّية كان الابوان اشتريا حبوبها وموادّها في البندقيّة بخمسين ريالًا واشتغلا مع الاخ المساعد في نظمها بالاسلاك في ساعات الفراغ

ولشدّ ما سُرّ البطريرك والسادة الاساقفة بالكتب المطبوعة التي اتى بها المرسلان وكان البابا افرغ جهدهُ في استحضار الحروف لطبعها . وكان بين تلك المطبوعات تعليم مسيحيّ ينسبهُ البعض الى الاب جوان برونو والبعض الى الاب اليسانو او الى الطوبويّ بطرس كنيزيوس الّا ان تعريبهُ للاب اليانو فطلب كلّ الحضور منهُ نسخاً فوزّعهُ عليهم وعلى كلّ من شاء من نصارى لبنان . فكان إقبالهم عليهِ داعياً افرح المرسلين اذ استنتجا منهُ خلوص رغبتهم في درس حقائق الدين القويم

وكان المرسلان اتيا بعدد عديد من الحلل الكهنوتيّة والبدلات لكنهما رأيا انها مع وفرتها لا تكفي لجميع الكنائس . وكانت هذه الحلل مبطّنة ذات لونين على وجهيها ففتقها الابوان والشمّاس اليسوعي المساعد المسمّى برنردينو وافردوا كلّ لونٍ وحدهُ فضوعف بذلك عددها وامكن توزيعها على معظم كنائس لبنان . وكذلك لم يفِ عدد الكؤوس بحاجة الكنائس فاستدان الاب اليانو خمسين ليرة من تاجر في طرابلس اسمهُ ريغولو ووفّر عددها ثمّ بلّغ الكردينال كرافا خبر دينهِ راجياً ان يوفى عنهُ كما قرّر ذلك في رسالتهِ اليهِ المؤرخة في ١٩ تموز ١٥٨٠

وما كاد الابوان يأخذان نصيباً من الراحة بعد اتعاب سفرهما حتّى فكّرا في القيام بأمورِيّتهما فاستدعيا الاكليروس والشعب واخذا يسعيان بارشادهم . فباشر الاب اليانو بتلاوة التعليم المسيحيّ السابق ذكرهُ مع شرح ما فيهِ من العقائد الدينيّة . وكان يتّسع في بيان القضايا التي وجدها في كتب الموارنة مبهمةً او غير موافقة التعليم الكاثوليكيّ فكان الجميع يقبلون على استماعهِ بشوق ويرتاحون الى تعاليمهِ برغبة

وممّا عرضهُ على مسامع غبطة البطريرك والسادة الاساقفة صورة قوانين المجمع المنوي عقدهُ قريباً وكان حرّر تلك الصورة في مدّة سفرهِ من البندقيّة الى قبرس مع الاب برونو وقسّمهُ فصولاً كما يلي : في الثالوث الاقدس . في انبثاق الروح القدس . في طبيعتي السيّد المسيح ومشيئتهِ وفعلهِ . في صلاة التقديس المثلّث (Trisagion) . في المطهر . في عدد الاسرار وصورتها ورتبها واستعمالها الخ . في الاصلاح . فوجد السامعون هذه القوانين مملوءةً حكمةً وصواباً وانّما اعترضوا عليها ببعض الاعتراضات التي اجاب عليها المرسلان بحيث اقنعا المعترضين وقد افادا الحبر الاعظم عن كلّ ما جرى من ذلك فأثنى البابا على عملهما وحرّضهما على مواصلة مهمّتهما بكل نشاط وفطنة

ثمّ ثبتا على تلك الارشادات الى عيد انتقال السيّدة الى السماء. فكانا يفسّران كتباً اخرى اتيا بها لافادة الجمهور . وكانا يقضيان بقيّة الوقت في الاشغال اليدويّة . وذلك انهما كانا تعلّما في ايطالية صناعة تجليد الكتب بمساعدة الاخ برنردينو رفيقهما فجلّد ثلاثتهم كثيراً من الكتب التي وزّعت على الكهنة وجمهور الشعب

المجمع الملّي في ١٦ آب ١٥٨٠

استعدّ الموارنة كمألوف عادتهم في ذلك الوقت لعيد السيّدة بالصوم والقطاعة مدّة خمسة عشر يوماً وبالصلوات والفرائض التقويّة والرتب الكنسيّة التي حضرها المرسلان مثنيين على عبادة الشعب نحو البتول الطاهرة . ثمّ ارسل السيّد البطريرك واستقدم الاساقفة والكهنة وسبعة من اعيان الطائفة ليحضروا حفلات العيد في الكرسي البطريركيّ دون ان يذكر شيئاً من امر المجمع لئلّا يحدث بذلك بعض سوء تفاهم

فلمّا كان يبرامون العيد اخذ المدعوون وكثير من اهل القرى يبادرون مسرعين الى دير سيّدة قنّوبين ليقيموا ذلك العيد بأعظم ما يمكن من الرونق والأبّهة وخصوصاً بسبب حضور نوّاب الحبر الاعظم الروماني حتّى بلغ عددهم في غلس العيد ٢٢٠٠ نسمة فضاقت بهم ارجاء الدير مع رحبها ومع ما كان عليه الكرسي من الفقر في تلك الايّام رحّب البطريرك بجميع الوافدين واحسن ضيافتهم . وكان الوفود عند قدومهم يلثمون انامل غبطته ثمّ يقدمون واجبات الاكرام للابوين ويفيضون في مديح قداسة البابا الذي ارسلهما اليهم

ولمّا حانت الساعة في ضحى النهار لبس السيّد البطريرك حلى التقديس وسار بكل احتفال الى كنيسة الدير واذ هي مزدانة بأفخر زينتها تتلألأ الانوار على هيكلها . وكان بجانبيه المرسلان الرسوليّان وحوله السادة الاساقفة وجمهور الكهنة والشعب . وكان امر غبطة البطريرك بان تُعدّ للقاصدين سدّتان يجلسان عليهما على جانب الهيكل واراد هو مع الاساقفة ان يجلسوا على درجات الهيكل فلم يرض الابوان بهذا الاكرام الزائد حتّى أحضر للسيّد البطريرك عرشهُ ولجميع اساقفته مقاعد اهلة برتبهم . فباشر غبطتهُ بقدّاس احتفالي غاية في الأبّهة والرونق كما تقتضيه الاحوال

ولمَّا انتهت الذبيحة الالهيَّة تقدَّم الاب اليانو امام المذبح وتلا الصلوات الى الروح القدس التماساً لفيض نعمهِ . ثمَّ جلس كلٌّ في مرتبتهِ فلفظ الاب المذكور خطاباً انيقاً في العربيَّة افتتح بهِ المجمع المقصود فبيَّن بوجيز الكلام وأوضحهِ ما هي غاية سفارتها وما يُنتظر من الثمار الطيِّبة بانعقاد ذلك المجمع . ولأن المجامع يفتتحها عادةً ارباب الكنيسة بتلاوة صورة الايمان اشار على الحضور بان يتلوها بعدهُ عبارةً عبارةً كما وضعتها الكنيسة الرومانيَّة امَّ كنائس المعمور المبنيَّة على الصخرة البطرسيَّة فيباركون ما تباركهُ ويلعنون ما تلعنهُ . فما سمع الجمهور هذا الكلام حتَّى هتفوا بصوت واحد : لا نعتقد الَّا ما تعتقدهُ الكنيسة الرومانيَّة فايمانها ايماننا ولاجل هذا الايمان نحن مستعدُّون لقبول الموت والعذاب (١

فوزَّع الخطيب حينئذٍ نسخاً مجلَّدةً من صورة الايمان المذكورة ثمَّ جثا راكعاً امام المذبح وتلا بصوت جهور ذلك الدستور والحضور يكررون بعدهُ عباراتهِ . ولمَّا انجز تلاوتهُ اخذ الانجيل الطاهر وتتبَّع الصفوف مباشرةً بالسيِّد البطريرك ثمَّ الاساقفة ثمَّ الكهنة ثمَّ الشعب طالباً منهم جميعاً ان يقسموا عليهِ بوضع اليد انَّهم يقرُّون بتلك العقائد ولا يخالفونها البتَّة . فأقبل الجميع على ذلك القسم بفرح جزيل مع تكرار اصوات الرضى والتهليل

وفي اثر ذلك اردف الخطيب قائلاً : انَّ بطاركة الطائفة المارونيَّة منذ عهد البطريرك ارميا العمشيتي في زمن البابا زخيا (اينوشنسيوس)الثالث الذي كان يرأس الكنيسة سنة ١٢١٥ قد جرَوا على العادة عند انتخابهم لرئاسة الكرسي الانطاكي على الموارنة ان يرسلوا وفداً الى الحبر الروماني ليثبتهم في سلطتهم . فبموجب هذا التقليد القديم قد طلب غبطة البطريرك الحالي هذه النعمة من الحبر الاعظم الذي لم يتريَّث عن ان يمنحها اياهُ تلبيةً لدعوة الكردينال كرافا الذي قاوم بعض المعترضين على ذلك . ومن ثمَّ قد سلَّمني قداستهُ البراءة المؤذنة بتثبيته ومع البراءة رقيمٌ لسيادة المطران سركيس شقيقهِ يقيمهُ بهِ نائباً عنهُ ليسلمهُ باسمهِ الدرع المقدَّس بعد ان يُعلن بايمانهِ وفقاً للصورة المرسلة من قداستهِ . ثمَّ شرح الاب اليانو معنى ذلك الدرع

(١) كذا روى الاب اليانو في رسائلهِ التي نقل خلاصتها الاب سكيني مؤرخ الرهبانيَّة اليسوعيَّة الشهير (Sacchini, I, 100-105)

واثبت عظم شأنه وفسّر البراءة الرسوليّة المؤذنة بتقليده وبيّن المطران سركيس كيف يخوّله لغبطة البطريرك فتمّ الامر كما كان مفصّلاً في الرقيم الوارد باسمه فتلا صورة الايمان والخضوع للكرسيّ الرسولي وأقسم بان لا يحيد عنهُ فوضع حينئذٍ السيّد سركيس ذلك الوسام على عنق البطريرك

فعلت اذ ذاك اصوات الفرح لمّا رأت الجموع رئيس الطائفة الاجلّ مزدانًا بشعار اعتصامه المتين بمركز الخلافة البطرسيّة فاخذوا يهتفون : « المجد لله كبير يا ليسون . العزّ والفخر للبابا غريغوريوس كبير يا ليسون . الشكر الكردينال كرافا محامي طائفتنا كبير يا ليسون . الثناء والحمد للاب جوان باطشتا ولرفيقه . وليدم الله على رأسنا غبطة سيّدنا البطريرك ويعزّز به طائفتنا المارونيّة الابنة المطيعة للكنيسة الرومانيّة » . وكانت الاجراس في اثناء ذلك تُقرع فيتردّد صداها في تلك الاودية العميقة وهي تستفزّ الحميّة الدينيّة في كلّ القلوب . فكانت الدموع تبطل من عيون كثيرين من الكهنة والشيوخ سرورًا بينما كان المرسلان يقدّمان لله الشكر العميم لمباركته على اعمالهما مؤملين خيرًا من المجمع المفتتح بتلك الهشاشة والاريحيّة مستمدّين من مراحمه ان يكون ختامهُ صالحًا كافتتاحه وهما يعلمان حقّ العلم انّ ابا الظلمات يترصّد لعمل الله ليميتهُ ويعرقله

ثمّ تخلّى السيّد البطريرك والسادة الاساقفة مع نائبي الحبر الاعظم لدرس قضايا المجمع والبحث فيها فعقدوا لذلك عدّة جلسات مدّة ثلثة ايّام فأيدوا باتّفاق الاصوات ما عرضهُ المرسلان بخصوص عقائد الايمان في الثالوث الاقدس وانبثاق الروح القدس وطبيعتي السيّد المسيح ومشيئتيه وفي صلاة التقديس المثلّث والصلاة على الموتى وفي اسرار الكنيسة السبعة إجمالاً وإفرادًا وفي الاصلاح مشتملاً على كلّ رُتب الكهنوت وتصرّف اربابه مع رأس الكنيسة الجامعة ورؤسائهم ورعاياهم وما يجب عليهم قبولهُ من الاسرار الالهيّة ونفي كتب الهراطقة . وكان الاب اليسانو يعرض كلّ ذلك فصلاً فصلاً ويدوّنهُ بالعربيّة فيمضي عليهِ آباء المجمع كلّ واحد باسمهِ مع ختمهِ وسُجّلت اعمال هذا المجمع لتحفظ في الكرسيّ البطريركيّ . ونقلها الاب اليسانو الى اللاتينيّة فبقيت محفوظةً في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة حتّى نشرها المرحوم الاب انطون رباط في مجموعهِ المعنون (Documents inédits

pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, I, 152-169)
وهي غاية في الفائدة لمعرفة تاريخ الطائفة المارونيَّة وردّ الشبهات التي اتّهم بها البعض الاب جوان باطشتا . وترى في آخرها اسماء المثبتين لاعمال المجمع اوّلها اسم السيّد البطريرك ميخائيل الرزي يليه اسم القاصدين الرسوليين ثمّ الاساقفة سركيس من كفرحورا ويعقوب العاقوري وجرجس البلوقيتي ويوحنا الاهدني واقليمنس الاهدني ويوسف مطران قبرس ويوحنا الحصروني وكلّ منهم يضيف الى اسمه قولهُ : « قد رضيتُ وختمتُ » وهذه الاعمال في عشرة ابواب ولكل باب عدّة فصول وكلّها باللاتينية واما الاصل العربي فلا يعلم ماذا حلّ بهِ . والعجب انّ مؤرخ الطائفة المارونيَّة البطريرك اسطفان الدويهي لا يشير اليهِ مطلقاً وكأنّهُ يجهلهُ وغاية ما ذكر هناك قولهُ عن تقليد الدرع للبطريرك (ص ١٧٧ و ٤٤٤) : « وفي عيد انتقال السيّدة وهو عيد كنيسة الكرسي امر (اي البطريرك) بحضور جميع الكهنة واعيان الشعب ولبس الدرع واقام القدّاس واقسم بالطاعة بموجب الصورة التي رتّبها الآباء في مجمع ترنتو »

وفي اثناء المجمع حضر الى قنوبين احد اساقفة اليعاقبة وبصحبتهِ رجلٌ من علماء طائفتهِ . فاكرم المجتمعون مثواهما ودعوهما الى حضور جلسات المجمع ورخّصوا لهما ان يعرضا ما شاءا من المشاكل الدينيَّة على آباء المجمع وقد سُرَّ القاصدان بمجيئهما وأحبّا ان يُعلنا اعتقادهما في طبيعتي المسيح ليتخذ المرسلان من قولهما فرصةً لايضاح العقائد الكاثوليكيَّة . ولمّا صرّح الاب اليانو بأن الكنيسة الرومانيَّة تعتقد في السيّد المسيح طبيعتين ومشيئتين وفعلين انكر الاسقف اليعقوبي قائلاً : بل طبيعة واحدة — قال الاب اليانو : « اي طبيعة البشريَّة او الالهيَّة ؟ » — قال رفيق الاسقف : الطبيعة الالهيَّة بلا شكّ — قال الاب اليانو : « وكيف امكن الطبيعة الالهيَّة ان تولد وتتألّم وتموت ؟ » — قال الاسقف : لا بل هي الطبيعة البشريَّة . — قال الاب : « فكان اذن السيّد المسيح خلواً من الطبيعة الالهيَّة فليس هو اذن إلهاً . وذلك ما تخالفهُ اعمالهُ واقوالهُ اذ ينسب الى نفسهِ اللاهوت وهو يتكلّم كإله ويجترح المعجزات كإله وكسيّد الخليقة » واندفع الاب اليانو في شرح هذه الحقيقة شرحاً وافياً مثبتاً بآيات الانجيل واقوال الآباء طبيعتي السيّد المسيح ومشيئتيهِ وفعليهِ في اقنومهِ الواحد حتّى ابكم الاسقف ورفيقهُ المعترضين فلم يعودا ينبسا ببنت شفة .

فسرَّ الموارنة بانتصار الحقيقة ولم يتوقّفوا عن التوقيع على كون المسيح ذا طبيعتين ومشيئتين وفعلَين ولم يبقَ لهم ريبٌ في ذلك

وفي مدّة المجمع عينهِ في اوقات الفراغ قصد المرسلان ان يوزّعا ما أتيا بهِ من الموادّ التقويّة كالصور والمسابح والايقونات والكتب مع حسنات أخرى تكرّم بها الحبر الاعظم على فقراء الطائفة . وكذلك دعوا الكهنة ليقتنوا عليهم الحلل المقدّسة وآنية التقديس واتّخذا في ذلك مشورة السيّد البطريرك وشقيقهِ المطران سركيس ووزّعا تلك الحلل ومثلها الكؤوس على الكنائس الفقيرة . امّا قوالب البرشان فلقلّة عددها لم تُعطَ الّا لبعض الكنائس الكبرى على شرط ان تهيّئ القربان للكنائس المجاورة . بيد انّ الاساقفة ارتأوا ان حقوقهم قد بُخست بهذا التوزيع وهم احقّ من الكهنة بتلك الهدايا . فوعدهم الاب ايليسانو بانهُ يطلب لهم من رومية ما هو اغلى منها ثمناً وارفع شأناً فكتب في هذا الصدد الى الكردينال كرافّا في ١٩ تمّوز ١٥٨٠ وخصّ بالذكر المطران سركيس وطلب لهُ بدلةً فاخرة وممّا كتبهُ انّ هذه الهدايا ألّفت قلوب اللبنانيين فقابلوها بملء الشكر ومزيد الفرح . وكتب ايضاً في المعنى للحبر الاعظم ووصف لهُ خلاصة ما جرى لهما تلك المدّة

وكان في تلك الاثناء بعض الشمامة ومحبّي الفتن اشاعوا بين الموارنة البعيدين عن الجبل كدمشق وبعلبك وقبرس انّ الحبر الاعظم ارسل القاصدين ليبدلا طقوسهم ويكلّف الطائفة ضرائب ماليّة . فبلغت الى الكرسيّ البطريركي رسائل بهذا الصدد وقف عليها الايوان . فلئلّا تسري تلك الاراجيف اجتمعا باساقفة المدن المذكورة قبل رجوعهم الى ابرشياتهم واوصياهم بتفنيد تلك الاشاعات الباطلة وخلوص محبّة الحبر الروماني لكنائسهم . وهكذا فعل السيّد البطريرك فكان عند وداعهِ للاساقفة ووجوه الشعب يحضّهم على الاعتصام بالايمان الكاثوليكيّ الروماني وعلى الدفاع عنهُ الى الموت . واوصاهم بان يقبلوا بكل اكرام القاصدَين عند ما يزورانهم وبمثلهما احد اساقفة الكرسيّ ان لم يستطع هو ان يرافقهما وان يخضعوا لاوامرهما بخصوص فحص الكتب المخطوطة فينقادوا لحكمهما فيها ويصلحوها او يحرقوها كما يقضيان

ومن اثار المجمع الذي مرَّ لنا ذكرهُ انّ القاصدين امكنهما اصلاح ذات البين الواقع بين السيّد البطريرك ميخائيل وبعض اساقفة الطائفة وهم ثلثة يعقوب

الحاقلاني والحبيس يونان واخوهُ القس يوسف ابنا عاوان من سمرجبيل كان الطران داود وكيل دير قزحيا سقفهم بدون مشورة البطريرك فربطهم البطريرك ولم يرضَ بحلّهم من الرباط في رحلة الاب اليانو الاولى . ففي هذه الغارة الثانية استنفد الاب اليانو وسعهُ في حسم الشرّ فدعا اليهِ اولئك الاساقفة وخاطبهم مرارًا حتّى اقنعهم بان يذهبوا ويتطرحوا عند اقدام غبطة البطريرك ويستمدّوا منهُ الصفح عن ذنبهم ويقبلوا ما يفرضهُ عليهم من التأديبات ففعلوا وكان القاصدان استرحما لاجلهم السيّد البطريرك وساعدهما في ذلك الشيخ يوسف حبيش فرحمهم وصالحهم لكنهُ منعهم من التصرُّف بحقوق الاسقفيّة . وهكذا تمَّ هذا الشقاق الذي طالت مدّتهُ نحو ثلث سنين كما فصّل ذلك الاب اليانو برسائلهِ الى الحبر الاعظم على خلاف ما ذكر الدويهيّ (ص ١٧٥) من انَّ ذلك انتهى بعد ثلاثة اشهر بشفاعة المقدَّم مُقلد والشدياق خاطر والله اعلم . (لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

SUMMARIUM THEOLOGIÆ MORALIS ad recentem Codicem Juris Canonici accommodatum auctore **Ant. M. Arregui** s. j. *Bilbao, ed.* 4a, 1919, pp. 653, in-16.

خلاصة اللاهوت الادبيّ للاب ارّيغي اليسوعيّ

نحضُّ كلّ الكهنة الشرقيين الذين يعرفون اللغة اللاتينيّة ان يقتنوا هذا الكتاب الصغير الحجم الكثير الفوائد الذي بلغ في سنتين طبعتهُ الرابعة فانَّهُ بحسن تقسيمهِ ووضوح شروحهِ وسعة موادّهِ وجمال طبعهِ وتجليدهِ مع تطبيقهِ على الحقّ القانوني الجديد يغنيهم عن مكتبة كبيرة

P. Jean Chiniara : LE MARTYR ET L'EXILÉ. *Bar-le-Duc*, 1919, pp. 104.

الشهيد والمنفيّ

ليس خفيّ الّا سيظهر . فمنذ انقشعت تلك السحابة المظلمة التي كانت تضغط

على هذه البلاد اخذت الحقيقة تبدو للعيان بعد زهوق الباطل . والكتاب المعنون « بالشهيد والمنفي » مما يساعد على اثبات اليقين وتزييف الكذب . قد ضمّنهُ كاتبهُ ما جرى لاحد اساقفة بلادنا الاجلّاء، سيادة يوسف الدوماني مطران طرابلس على الروم الملكيين في توقيفه ومحاكمته ونفيه ظلماً مع ما قاساهُ مدة اربع سنين بجور جمال باشا وعمّال الترك . وذلك لزعمهم زوراً انهُ اخفى في داره الاسقفية شناساً فرنسوياً يُدعى اناتول ميزره حكم عليه بالاعدام فمات بشهامة بعد اعلانه ببراءته وصفحه عن الحاكمين بقتله . ويزيد هذا الكتاب اعتباراً انهُ بقلم شاهد عياني قاسم سيادة مطرانه اوجاعهُ في محاكمته ونفيه فنجوا بحسن عناية الله ل . ش

P. Paul Mattern s. j: Directoire pour les écoles primaires chrétiennes en Syrie, *Beyrouth, Imprimerie Catholique,* 1919, pp. 48.

دليل المدارس الابتدائية المسيحية في سورية

هذا الكرّاس الصغير اوّل تأليف من جنسهِ وُضع لارشاد معلّمي المدارس الابتدائية في سورية وهو غاية في الافادة لما جمعهُ فيهِ مؤلفهُ الفاضل من المعلومات اللازمة لتنظيم المدارس الابتدائيّة وضبطها في هذه البلاد وقد قسمهُ الى ثلثة اقسام فبحث في القسم الاوّل عن تجهيز هذه المدارس وصفات معلّميها والوسائط الضامنة لنجاح طلبتها . وذلك في خمسة فصول ممتعة شاملة . وخصّ القسم الثاني بتربية الاولاد الادبيّة والدينيّة والبدنيّة في ثلثة فصول . امّا القسم الثالث فانّ مباحثهُ تتناول التعليم وطبقاته وتقاسيمهُ ومرادهُ المختلفة مع تعريف الكتب المدرسية المفيدة له مباشرةً بمبادئهِ الى اعلى درجاتهِ . وهذا القسم يُقسم الى خمسة فصول . وقد اضاف الى هذه الاقسام بابا خصوصيًا لمساعدة الاولاد بعد خروجهم من المدرسة ليحافظوا على سلوكهم وحسن آدابهم . وفي آخرهِ جداول شتّى لنظام ساعات النهار في المدارس واوقات التدريس لكل لغة او مادة . فترى ان صاحب هذا التأليف لم يهمل شيئاً من كل ما يتعلق بهذا الامر المهمّ فلا غنى عنهُ لارباب المدارس

ل . ش

MICHEL T. FÉGHALI: 1° Le parler de Kfar 'Abida (Liban-Syrie): Essai linguistique sur la Phonétique et la Morphologie d'un parler arabe moderne. *Paris, Imp. Nationale*, 1919, in-8, XV-307 = 2° Etude sur les Emprunts Syriaques dans les parlers arabes du Liban, *Paris, H. Champion*, 1918, in-8, pp. 95.

١° دروس لغويّة تعريف خواصّ اللهجة العاميّة في كفرعبيدا (لبنان)
٢° الالفاظ العاميّة المستعارة في لبنان من اللغة السريانيّة للخوري ميشال فغالي

طالما تمنينا ان ينقطع بعض اهل الشام ولبنان الى درس اللغات العاميّة الشائعة فيهما لما في البحث عنها من الفوائد الجمّة سواء كان للتاريخ او للآداب اللسانية . فنشكر الله على انّ صوتنا وجد صدًى في اذني بعض بني الوطن حضرة الخوري ميشال فغالي احد اساتذة كليّة بوردو الفرنسويّة . فانّه لمّا قرأ ما كتبناه في سنة المشرق الخامسة عشرة (ص ٤٣٧) في هذا الشأن دعت به النخوة الى مباشرة هذا العمل وخصّ بدرسه وطنه في الجهات الشماليّة من لبنان ولاسيّما كفرعبيدا مولده في مديريّة البترون السُّفلى . والحقّ يقال انّنا هذه المرّة الاولى نجد كتاباً مستوفياً لكل شروط الانتقاد والتدقيق ظهر بقلم احد الوطنيين فلا عجب ان اتّفق المستشرقون في الثناء على هذا التأليف الذي تتبّع فيه المؤلف كلّ وجوه اللهجة العاميّة في خواصّها اللفظيّة وفي كافّة صور تصريفها الاسميّة والفعليّة . نعم انّ المؤلف حصر درسهُ في لغة بعض قرى لبنان الّا انّ ملحوظاته كثيراً ما تصدق على كلّ اللهجات الشائعة في انحاء الجبل بل في كلّ جهات الشام . فبتأليفه هذا قد مهّد الطريق لمن يحاول درس اللهجات الخاصّة بل نهجها لمن يريد ان يبحث بحثاً عموميًّا عن كلّ هذه اللهجات — وقد اضاف حضرته الى هذا التأليف الجليل تأليفاً ثانياً مثلهُ افادةً وتدقيقاً وهو درس ما استعارته اللهجات اللبنانيّة من اللغة السريانيّة التي شاعت اجيالاً مديدة في الجبل قبل ان تتغلب عليها اللغة العربيّة . وقد صدّره بمقدّمة مفيدة عن تاريخ اللغة السريانيّة في لبنان وعن بقاياها بين اهل الجبل . وممّا امكنهُ ان يذكرهُ في جملة الكتب المفيدة لهذه الدروس العاميّة في الشام ولبنان : ما كتبهُ الطيب الذكر المطران اقليميس داود عن لهجة دمشق والاب لاون بوريار عن لهجة حلب والاستاذ ماتسون (Em. Mattsson) عن لهجة بيروت والمستشرق

لويس مسينيون عن لهجة بغداد . فكلّ هذه التآليف التي استحقت لصاحبها امتيازات اللغة في الآداب كحجارة لبناء عظيم لنا الامل ان يشيده يوما حضرة الخوري ميشال فغالي او احد أشباهه علماً وغيرة ل . ش

MARSEILLE ET PROVENCE — L'UNIVERSITÉ D'AIX-MARSEILLE AUX ÉTUDIANTS ALLIÉS — BULLETIN DU COMITÉ DE RELATIONS INTERNATIONALES, INTELLECTUELLES ET ÉCONOMIQUES. — NOTICE SUR MARSEILLE par **M. J. Léotard.**

دليل مرسيلية وكليتها ومعاملها

اتحفتنا غرفة مرسيلية التجارية التي سعت في العام الماضي بعقد مؤتمر سورية (اطلب المشرق ١٩٢٠ ص ٤٤) بهذا الدليل البديع وفيه من المعلومات ما يستفيد منهُ المسافرون من بلادنا الى فرنسة عند حلولهم ربوع تلك المدينة شقيقة سورية فيستدلّون على طُرقها ومحاسنها وسائر ما يحبُّ الغرباء معرفتهُ عند بلوغهم الى بلد جديد . وقد أحقت هذا الدليل بكرّاس آخر في تعريف كلّية مرسيلية وفروعها في مدينة إكس لفائدة طلبة العلوم . والتأليفان مشحونان بالصور الفوتغرافية البديعة . وجاءنا معهما نسخة من نشرة جديدة باشرت بها لجنة ساعية بالعلائق الدولية والادبية والاقتصادية بين مرسيلية وغيرها من البلاد . وفي آخر ساعة وصل منها نبذة تاريخية عن مرسيلية للسيو جاك ليونار فنشكر آل الغرفة التجارية على لطفهم

WHY GERMANY CAPITULATED on November 11-1918, *Paris*, 1919, pp. 68., in-8.

لاي علة طلبت المانية الصلح في ١١ ت ٢ ١٩١٨

قد بيّنا في كلامنا عن المانية في عرض مقالتنا المعنونة باعظم طامة في الحرب العامة ما ألجأ الالمان الى ان يلتمسوا الصلح من الاتفاقيين بعد ان كرّروا الف مرّة بان النصر سيكون حليف دولتهم . وها هوذا كرّاس جمعت فيه معلومات الجنرال الانكليزي فرنش وفيها البرهان الواضح على صحّة ما قلنا بان بسالة دول الاتفاق ونخوة جنودها من فرنسويين وانكليز واميركان هي التي خيّبت آمالهم وازالت ما عشّش في رؤوسهم من المنجهيّة والثقة العمياء بنفوسهم ل . ش

نبذة تاريخيّة في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان

للمطران يوسف دريان رئيس اساقفة طرسوس شرفا
والنائب البطريركي في القطر المصري

طبعة ثالثة منقحة في بيروت بالمطبعة العلمية سنة ١٩١٩ (ص ٥٢٦)

كلٌّ يعلم ما في تاريخ لبنان من المشاكل العديدة التي اجتهد في حلها قوم من أدباء بني الوطن العزيز . ولا شكّ انّ سيادة المطران يوسف دريان قد نال في ذلك السهم المعلى فكتب مرّة اولى وثانية وثالثة يدافع عن استقلال لبنان منذ قديم الدهر وعن اصل الطائفة المارونيّة فاستحقّ شكر مواطنيه . وقد ازال كثيرًا من المشاكل المذكورة بحسن نظره وتعمّقه في الابحاث التاريخيّة وردّه على شبهات المرحوم ندره بك مطران في كتابه الفرنسويّ المعنون بسورية الغد . فسررنا بهذه الايضاحات وتمنّينا لو تبعث همّته غيرَه من الباحثين لمواصلة هذه الدروس الشائقة . وقد وجدنا حتى في ايضاحات سيادة الكاتب ما يستدعي زيادةً في التنقير والتنقيب لتتجلّى الحقيقة في كلّ بيانها . فمن ذلك تحديد لبنان وتعريف تخومه في الدهور السالفة وايّام الدول المختلفة فربّ شاهد اتى به سيادتهُ لا يصدق منطوقهُ على لبنان الحالي بل على جبال انطاكية او جبال النصيريّة وغير ذلك ممّا بيّنهُ حضرة الاب ه . لامنس في كتابه تسريح الابصار (٢ : ٣ — ١٠) . ومن ثمّ ما رُوي عن قوّاد لبنان في بركوك (ك ١ : ١٣ و ٢ : ٨) يراد بها جبال انطاكية لا لبناننا الحالي . وكذلك « جندية لبنان » او بالحري « مخافر لبنان » (duces præsidiorum Libani) لا تدلّ على وجود جنود لبنانيين بل تدلّ فقط على ان تلك المناطقات كانت محصنة تخفرها جنود الروم دُعوا بذلك لاقامتهم في تلك الانحاء كما ندعو الآن بعض فرق الفرنسويين باسم الفرق السوريّة لحلولهم في ربوعنا — وممّا يجب تدقيق البحث فيه اسم الكسروانيين المذكور في ابن سباط وفي صالح بن يحيى فانّهُ لا يدلّ على النصارى والموارنة لأنّ الموارنة في ذلك العهد كانوا يسكنون ما وراء نهر ابراهيم فلم يتجاوزوا هذا النهر قبل اواخر القرن الخامس عشر — وممّا نشكّ ايضًا في صحّته نسبة الرسالة المسندة

الى القديس لويس ملك فرنسة (ص ٩٣) كما شكّ فيها العلّامة ريستلهوبر والمستشرق السيد دي غربناتيس ولا اثر لها في مجموعة رسائل هذا الملك ولا في ترجمة حياته المعاصرين كالسر دي جوانفيل وغيره . ومن المحتمل انّ هذا الملك كاتب الموارنة لكنّ الكتاب المذكور مصنوع بلا ريب كفى بذلك دليلاً عليه تاريخه الهجري وحداثة ظهوره ولم يشر اليه الدويهي في تاريخه . هذا وآراء اخرى نرجو من سيادته ان يراجع النظر فيها لاثبات حقيقتها وكلّنا يفضل ظهور الحقّ على ايّ اعتبار كان

كنّا دوّنّا هذه الاسطر اذ بلغنا في آخر دقيقة خبر وفاة صاحب هذا السفر الجليل فكان لهذا النبأ انعكاس صدّى في قلوبنا لعلمنا بعظم هذا المصاب على غبطة السيّد البطريرك وكافّة ارباب الدين وأبناء الطائفة وعلى الآداب الدينيّة والعلميّة التي تفقد به رجلاً ضليعاً في كل فروع المعارف لاسيّما في التاريخ وقد اختبرنا غير مرّة حصافة رأيه ونزاهته في البحث وصواب نقده اجزل الله ثوابه ل . ش

المقالة الوفيّة في العبادة الحقيقيّة لمريم العذراء

للطوباوي لويس ماري غرينيون دي مونفورت

طبعة ثالثة سنة ١٩١٩ في بيروت في المطبعة العلميّة (ص ٢٨٨)

هذا ايضاً ممّا اتحفنا به المثلث الرحمات سيادة المطران يوسف دريان . كان طبعه مرّتين في مصر فاقبل عليه المؤمنون فجدّد حديثاً طبعه . والكتاب من أتقى واجلّ ما كتب في العبادة نحو البتول العذراء مريم بقلم احد كبار المتعبدين لها الطوباوي غرينيون دي مونفورت الذي عطّر فرنسة بعرف قداسته في القرن السابع عشر . فعشق سيادته هذا الكتاب وعرّبه وبوّبه على عدد أيام الشهر المريمي ليتلى في ايّاه واضاف اليه نوافذ تقويّة وصلوات وتراتيل تعميماً للفائدة . ومن توارُد الخواطر انّ احد آباء رسالتنا المرحوم الاب ادوار سلزاني كان يهتمّ بتعريب هذا الكتاب عينه ومثّله للطبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة (راجع المشرق ١١ : [١٩٠٨] : ٧٩٧) في وقت طبعه في مصر تحت عنوان « العبادة الحقيقيّة لمريم البتول الامّ الالهيّة » جازى الله المعرّبين خيراً بشفاعة تلك التي عُنيا بنشر اكرامها

شذرات

الفحم المعدني في المانية معلوم ان الفحم في عهدنا اصبح من اعظم اسباب الثروة الدولية . وكان اولاً التقدم في ذلك لانكلترة الا ان المانية اخذت تزاحمها في السنين السابقة للحرب حتى كادت تبلغ مبلغها . فانّ الفحم الحجري على مختلف هيئاته من فحم مستحجر (houille) وفحم خشبي (lignite) بلغت الكميّات المستخرجة منهُ في العام ١٩١٣ نحو ٢٧٨,٩٨٦,٠٠٠ طنّ بزيادة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ على السنة السابقة . امّا انكلترة فكانت الكميّات المستخرجة من مناجمها ٢٨٦,٠٠٠,٠٠٠ طن فترى ان الفرق بين الدولتين كان قليلاً . وكذلك جنس الفحم المعروف بالكوك (coke) الذي هو حصيلة الفحم المستحجر بالاستقطار فانهُ بلغ بجملة ٣٢,١٦٨,٠٠٠ طنّ وكان في العام السابق ٢٩,١٤١,٠٠٠ طنّ وقد اصدرت المانية من فحمها الحجريّ الى الخارج لاسيّما الى فرنسة ٣٤,٥٧٣,٠٠٠ طنّ امّا الفحم المستقطر فاصدرت منهُ ٦,٤١١,٤١٧ طنًا ووردها من الخارج خاصّةً من انكلترة ١٠,٥٠٠,٠٠٠ طنّ من الفحم الحجريّ يضاف اليها ٥٩٢,٦٦١ طنًا من الفحم المستقطر . امّا اوفر بلاد المانية بالمناجم الفحميّة فبروسية وبالاخص جهات درتمند وبرسلو فانّ بروسية وحدها كانت قبل الحرب تؤمن المانية بتسعة اعشار فحمها

حركات الحيوان والنبات والجماد كانت مجلة المقتطف انقطعت عنّا في ايّام الحرب فلم يمكنّا ان نستفيد من مقالاتها الحسنة ولا ان نسبر بمعيار العقل احكامها المشبوهة . وممّا وقع عليهِ نظرنا مقالتها التي اثبتتها في عددها الاخير في شباط ١٩٢٠ (ص١٠٣) تحت عنوان « حركات النبات » حاولت ان تزيّف بها مبدأ كلّ الفلاسفة الأثبات الذين فصلوا بين المواليد الثلاثة فخصّوا الحيوان بالحسّ والحركة مع ميزة النطق والعقل للانسان وخصّوا النبات بالحركة والنموّ دون الحسّ وانكروا على الجماد الحسّ والحركة . امّا المقتطف فانها ارتأت خلاف ما قالهُ كلّ العلماء وزعمت انّ عالمًا هنديًا يدعى جغادس بوز اثبت وحدة الحياة في الجماد والنبات

والحيوان حتى الانسان وانما اختلافها فقط في الدرجة . فذكرت مجلة المقتطف امتحانات الهندي ووافقت على ما دعته « ببراهينه السديدة » . وقد اطلعنا على هذه الامتحانات فلم نجد سوى ما كان يعرفهُ العلماء سابقاً بان في الجماد جاذبيةً وقوات مختلفة تتأثر بالعوامل الخارجة من برد وحرّ وضغط وثقل . وشتان بين هذه الظواهر والحركة التي هي مبدأ باطني في ذات المواليد الحيَّة . وكذلك للنبات الاغتذاء والنموّ والتوليد والتمدد والتقلص والحركة والانفعال بالنور والظلمة وبالعناصر الكيموية وكل ذلك يمكن قياسهُ بالادوات ولكن اين هذا من الحسّ الباطن الذي في الحيوان . فيا لله كيف لا يميّز كتبة المقتطف وهم من الدكاترة بالفلسفة ما يقضي بهِ العقل السليم حتى في الاميين فضلا عن جهابذة العلم

*** المقتطف والارواح الشريرة *** وفي هذا العدد عينهِ من المقتطف (ص ١٤٥—١٥٢) مقالة في ظواهر الاسبرتسم لمحمّد فريد وجدي خاض فيها في موضوع يقتضي علماً واسعاً في الفلسفة واللاهوت وهو كما يظهر قليل البضاعة فيهما . ولا يسعنا انتقاد كلّ مزاعمهِ التي تستدعي ابحاثاً طويلة وقد ردّ على مثلها كتبة جريدتنا البشير غير مرّة . وانما نكرر عليهِ ما نفاهُ من نسبة بعض خوارق الاسبرتسم الى الارواح الشريرة . قلنا بعضها لانَّ كثيراً منها يمكن تعليلها بعلل طبيعية او مكر النصّابين . امّا قول الكاتب (ص١٤٦) انَّ ما يرويهِ رجال الدين الكاثوليكي في وجود الارواح الشريرة واعمالها في الاسبرتسم « لا يقوى على النقد حتى النقد المؤسس على تعليمهم » فنكر قطعياً ودونك صحتهُ قال : « ان الشياطين في تعريفهم هي ارواح شريرة جُبلت على اغراء الناس على الفساد وترويطهم في الهلكات . والارواح التي تظهر للمجربين على الضد من ذلك تأمر الناس بالمعروف وتنزعهم عن المنكر . . وتعمل جهدها في هدم المذهب المادّي الخ » . فانّا نسلّم بالمقدمة وتحديدهِ لهوية الشياطين لكن ننكر النتيجة . فانَّ هذه الارواح وان ذكرت بعض الحقائق التي يمكن البلوغ اليها بمجرد العقل او امرت في بعض الاحيان بالمعروف الّا ان سعيها بالتضليل اعمّ واثبت فكم انكرت من الحقائق الدينيّة المقرّرة بتعليم الانجيل الطاهر والكتب المنزلة فان صرّحت مثلاً بخلود النفس انكرت الجحيم وخلود عذاب الاشرار فبتقريرها لبعض الحقائق انما تبلغ غايتها

الشريرة على منوال اقرب واصح . ألا يعلم جنابهُ انَّ المخرق والكاذب لا يصدقهما احد ما لم يوهما الكلام بشيءٍ من الحقيقة او شبهها . قال بولس الرسول في احدى رسائله (٢ كور ١١ : ١٤) : « ان الشيطان نفسهُ يغيّر هيئتهُ الى هيئة ملاك نور » . وعلى هذه الصورة اراد ان يغشّ لو امكنهُ ابن الله لما جرَّبهُ بعد صيامه اربعين يوماً . فسقطت اذن حجّة الافندي على تعليم الكاثوليك

اثر قديم لاندراوس اسكندر الماروني بين المخطوطات العربيَّة المصونة في المكتبة الواتيكانية نسخة خطية من ميزان الزمان موسومة بالعدد ٤٢٦ تأليف الاب نيرمبرج اليسوعي معرَّبة بقلم احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية القس يوسف بن جرجس الحلبي . والنسخة بخطّ القس اندراوس اسكندر الماروني الشهير المتخرّج ايضاً في مدرسة الموارنة في رومية وتاريخ كتابتها في السنة ١٧١٩ . وفي آخرها بالحرف الكرشوني قطعة تاريخيَّة تفيدنا شيئاً عن كاتبها وعن الطاعون الذي حصل في اواسط تلك السنة في حلب وبقية بلاد الشام . فاستحسن حضرة الاب بولس بيترس من الجمعيَّة البولنديَّة نقل هذه النبذة لنشرها في صفحات المشرق . فلبّى دعوتهُ شاكرين لفضلهِ . وقد سبق المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٨٣ — ٥٨٤) فذكر رحلة القس اندراوس اسكندر الى ما بين النهرين ليجمع هناك مخطوطات شرقيَّة للمكتبة الواتيكانيَّة . ورد ذلك في قصة احوال القس خدر الكلداني . وهو يروي مساعدتهُ للقس اندراوس في نوال مطلوبه . وذكر ايضاً خادمهُ الشماس ميخائيل الماروني . ومنهُ يتّضح ان التاريخ المروي هناك وهو كانون الاوَّل ١٧١٩ غلط وصوابهُ كانون الثاني فاقتضى تصحيحهُ . وفي الطاعون الموصوف انفاً توفي مرسلان يسوعيان في خدمة المطعونين الاخ جان مرت (J. Mar-the) الذي كان جوهرياً في باريس ثمَّ ترهَّب في الرهبنة اليسوعيَّة وجاء مرسلاً الى حلب سنة ١٧١١ وكان خبيراً بتمريض الاعلاء فمات في خدمة المطعونين في ايار حزيران ١٧١٩ . وبعدهُ بايام قليلة توفي ايضاً شهيد محبّته للمطعونين الاب بطرس ارنودي مؤلف شرح المزامير المطبوع في المطبعة المخلّصية في بيروت في ثلثة مجلدات سنة ١٨٦٨ . وفي هذا الوباء مات قبلهما الاب عمانويل المرسل الكرمليتاني الحافي شهيد المحبّة مثلهما . ودونك ما سطَّرهُ القس اندراوس اسكندر بحرفه الواحد (p. 209) :

كملت سيرة ابينا الجليل القديس مار يوحنا الرحوم القبرسي بطرك اسكندرية (كذا) على يد احقر عبيد الله القس اندراوس سكندر ابن ابو يوسف سمعان القبرسي المارونى في اليوم العاشر من شهر تموز المبارك سنة ١٧١٩ مسيحية في مدينة حلب الشهبة. وكان قدومي انا الحقير الى هذه المدينة والنواحي الشرقية لاجل قضيان بعض مصالح الكنيسة الرومانية المقدسة امّ جميع الكنائس بامر قدس سيدنا البابا الحبر الروماني رأس كافة المؤمنين اقليمنوس الحادي عشر دام الله رياسته. وبعد وصولي من مصر الى حلب توجهت الى بيت نهرين اي ديار بكر وماردين والموصل اي نينوا وأرفا اي الرها وعدتُ الى حلب في عيد الشعانين في سنة ١٧١٩ المذكورة وأراني في بيتي العامر (210) الاخ المكرّم صاحب الفضل المقدسي ابو الياس فرنسيس ابن حوّا حفظ الله اياه واهل بيته واولاده المباركين الشماس الياس وانطانيوس وتوما وسيار (وسائر) اخواتهم وجمعنا معهم في دار النعيم المخلّد بدعاء ستّنا وامّنا الحنونة مريم البتول الكليّة الطهارة وبصلاة جميع القديسين امين

وبسبب الطاعون الشديد الصابر في حلب وفي برّ الشام فخبّأني في بيتي العامر المقدسي فرنسيس المذكور. وفي هذه المدّة نسختُ كتاب ميزان الزمان وسيرة هذا القديس المعظم(١) لمنفعة القارين والسامعين حتّى يذكروني في صلواتهم. وكان المقدسي فرنسيس واولادهُ المذكورين يساعدوني في القراية لتسهيل نسخها بوجه السرعة جازاهم الله وكتب اسمايهم في سفر الحياة الابديّة امين (214). وكان ابتدا الطاعون في اوان الشتي من شهر شباط وما انتهى الى حرارة الصيف واشتدّ جدًا المقدار حتّى ان اغلب الناس ولّت هاربة الى غير بلدان. وغيرهم تسكّروا في بيوتهم. ونحن استمرّينا مسكّرين من العيد الكبير الى عيد مار الياس المعظّم الحادث في اليوم العشرين من تموز وكنت انا الحقير كليوم اقدم تقدمة القدّاس الطاهر في هذا الدار العامر وتضرّعي وطلب شفاعة امّنا الحنونة مريم سيدة الورديّة ونستنيث بالقديسين مار روكس ومار فرنسيس الهندي (٢ وبقوّة يسوع ووالدته الطاهرة خرجنا كلّنا سالمين ومات في هذه اناس شتّى سمعتُ انّ من المسلمين هلكوا نحو مائة وخمسين الف نفر ومن النصارى كلهم اي من طائفة المارونية المباركة الارثودوكسية ومن الروم والارمن والسريان ماتوا نحو تسعة آلاف ومن طائفتنا وحدها ماتوا نحو اربعمائة نفر رحمهم الله ورحم جميع الموتى المؤمنين امين. بينهم تنيّح بالرب الشماس مخايل ابن أيوب ابن حرّا الذي كنت اخذتهُ معي رفيقًا وترجمانًا في نواحي ديار بكر والموصل وبعد رجوعنا بثلثة اشهر انوسم في الثاني عشر من حزيران وفي التاسع عشر منهُ بعد ما تناول جميع اسرار البيعة المقدسة بعبادة فائقة مات موتة القديسين وكان يومئذٍ في خدمة كنيسة مار الياس العامرة. الرب يبيّح نفسهُ في الراحة الابديّة آمين

---

١) هذه النسخة في مكتبة الواتيكان تحت العدد ٤٣٦

٢) يريد القديس فرنسيس كسفاريوس اليسوعي رسول الهند واليابان الذي نجّى من الطاعون بعض بلاد الهند

أسئلة وأجوبة

س سأل الاستاذ ي م من القاهرة أيجوز في الصوم عند الروم الكاثوليك الاحتفال علناً بالزواج؟ حالة عقد الزواج في الصيام

ج انَّ عقد الزواج على وجه الاطلاق غير مسموح به في الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة معاً في الازمنة المحرمة التي اخصّها الصوم الكبير . ولا يمتاز الروم الكاثوليك بذلك عن سواهم كما ورد في قوانين مجامعهم والتعليم المسيحي الجاري عندهم ومناشير بطاركتهم . وكلّها تحظر عن منح الاكليل علناً بنوع فخيم وابهة في ايام الصوم الكبير التي تُحسب من جمعة البياض الى احد توما ومن بدء صوم الميلاد الى ما بعد عيد الغطاس الّا اذا اقتضت الضرورة فبرخصة الاسقف يجوز عقد الزواج سرّاً لا علناً

ل . ش

س دفع إليَّ بعض الاصحاب ورقةً طويت على السؤال لأحد الأدباء من اخواننا المسلمين في الديار المصرية يطلب فيه من المسيحيّين جواباً عليه شافياً واليك سؤاله بنصّه

أعبّادَ المسيح لنا سؤالٌ ... نريد جوابَهُ ممّن وعاهُ
إذا مات الالهُ بفعلِ عبدٍ ... يهوديٍّ فما هذا الإلهُ ؟
وهل بقيَ الوجود بلا إلهٍ ... سميعٍ يستجيب لمن دعاهُ ؟
ومَن رزق البريّة وهو ميتٌ ؟ ... ومن حفظ الوجود ومن حواهُ ؟
وهل هوَ عاد لمّا شاء حيّاً ... إلهاً أم تولّاه سواهُ ؟
وهل رضيَ المسيحُ الصلب عمداً ... وسكنى القبر أم أرضى أباهُ ؟
وإلّا عنوةً فالعبدُ أقوى ... من المعبود ويفعل ما يراهُ (كذا بنصّهِ)
فمن يفهم لنا قلنا جواباً ... يعاوب أو يثبّتُ ما افتراهُ

ج فحضرة السائل توهّم — كما أظنّ — أنه أتى بمعجزة في سؤاله يقف المسيحيون دون حلّه ويفحمهم به إفحاماً . وهذا جوابي أسوقهُ الى حضرته كاشفاً عن الحقيقة قناعاً صادعاً باليقين لا مهاترةً ولا قذاعاً

ألا قولوا لسائلنا رُويداً ... اليك جوابنا « ممّن وعاهُ »
تسائلنا الحقيقةَ عن إلهٍ ... على عود الصليب لقيَ رداهُ
وتحسب التناقض في اعتقادٍ ... أتى فيه الحقيقةَ مَن أتاهُ
لأنك قد وهمتَ به غروراً ... فخلتَ بأنّهُ مات الإلهُ ! !

ألا حاشا النصارى ان يقولوا هذا الكفر أو يشتوا غواه
فما كانوا بجهلهم سكارى ولا عن خطة المعقول تاهوا
فقد رضي المسيح الموت طوعاً وتلك الكأس كانت مشتهاه
ولم يك قط مقهوراً ولكن بذلك سرّ واسترضى أباه
وخلص آل آدم من عقاب جناه آدمُ فيما جناه
ولم تمت الألوهة فيه قطعاً بل الناسوت لكن عن رضاه
فقام بها الوجود على أساس مكين لا يزعزع جانباه
ولم يزل المسيح هنا إلهاً «سميعاً يستجيب لمن دعاه»
وقد رزق البرية فاستقامت وقد عضدت جوانبها يداه
وبعد ثلاثة قد عاد حياً وداس الموت فانحطت قواه
وأشرق نوره يمحو الدياجي وحاز النصر مرفوعاً لواه
ولم يتول منتهُ نصير ففي لاهوته ما قد كفاه

...

ألا إنَّ المسيح إلهُ حقٍ به صَدَعَ اليقينُ فلا اشتباهُ
نقرُّ بحبهِ سرّاً وجهراً وفي سعد الزمان وفي شقاهُ
وليس لنا حياة في صليب تعزُّ له المناكبُ والجباهُ
ندوس المجد بالأقدام دوماً ونبذُ كلَّ فخرٍ ما عداهُ
وإنَّ عبادة المصلوب عنا فخارٌ نحن لا نرضى سواهُ
أغرَّك انه قد مات ظلماً فخاتَ بأن ذلك من عياهُ
أما صمتت عداهُ حين جاءت لتسكتهُ بكلمتهِ: أنا هو؟
ألم يعبل بهم في القدس سوطاً لدين بسطوا التجارة في حماهُ
فما رفعوا عليهِ يد اعتداءٍ كأنهمُ خرافٌ أو شياهُ
فأي السرّ في هذا وماذا أخافهمُ ظباهُ ام قناهُ
وكيف ثنى النزيفة من ضناها وأنشر من توسّد في ثراهُ
وقوّم كل أعرجَ قد أتاهُ وخلّص كلَّ اعمى من عماهُ
أليس بقوّة منهُ استطارت تلبي حين دعوتها نداهُ
أما سماه روح الله حقاً كتابكم وأكثر من ثناهُ؟
وفي الإنجيل صرّح دون لبس وقال بأنهُ الإبنُ الإلهُ
وجاء ببينات ليس تحصى فهل طالعت ما عنهُ رواهُ؟
فإن كذّبتهُ كذّبتَ قولاً كتابكمُ بلا ريب جلاهُ
وإن قلت النصارى حرّفوهُ فشوّه بعد رونقهِ جاهُ
سألتك ما الدليل؟ فمن تجنّى عليهِ أن يثبت ما افتراهُ

الخوري نقولا ابو هنا

المشرق

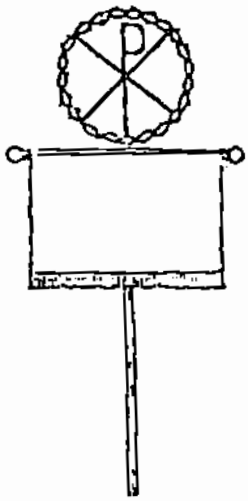

رأيــة قــسطنطين

قد كنتُ ميتاً وها انا حيّ (رؤيا ١:١٨)

لأحد الكهنة الافاضل

اللواء

هذا اللِوا علَمُ المليكِ الباري نعمَ الشعارُ غدا هدَى الأبرارِ
انَّ الصليبَ بعارهِ وجلالهِ لغزٌ عجيبٌ غامضُ الاسرارِ
عود الفدا قد صار رمزاً للعلا من بعدِ ان قد كانَ رَمزَ العارِ
موت الاله عليه خيرُ ضحيَّةٍ ترضى السماء بها عن الأوزارِ
غرسٌ كريمُ الاصلِ جذعٌ ماجدٌ قد ضرَّجتهُ دمـا العلي الجبَّارِ

أسعد به غرساً زها بفروعهِ غرسَ الهنا المُتهدِّلِ الأثمارِ
اياهُ ربُّ العالمين قد اصطفى وعليهِ سُتِرَ للفدا ابنُ الباري
يا ايها الغرسُ الجليلُ مفاخراً تُزهتَ عن ندٍّ مدى الأعصارِ
فلأنت يا غرساً بهياً قُبلةٌ في ارضنا بل منبعُ الانوارِ
ولأنت ما لا يدنيهِ مقاربٌ في الكونِ خصباً دائمَ التكرارِ
يا سامقاً بالمجدِ من احشا الثرى نحوَ الذُرى الأبديّةِ الادهارِ
ما في الخمائلِ مثلُ عودكَ مثمراً يا دوحةَ الابرارِ والأطهارِ
قد فاح منك شذا القداسة عنبراً وغدا جناكَ فضائلَ الاخيارِ
حييت يا أبهى صليبٍ في الورى يا غرسَ مجدٍ أوحداً بفخارِ
يا اثمنَ العيدانِ غيرَ مُنافسٍ بعلاكَ حارت علية الافكارِ
طلعَ الصليبُ مظفَّراً فترنَّموا بثنا المليكِ الظافرِ القهّارِ
تمَّ الخلاصُ وتلكَ آثار الضحيّةِ م والفدا أكرِمْ بتي الآثارِ
موسومة بدماكَ يا فادي الورى يا ابن الاله وسيّدَ الاحبارِ
سوطٌ واكليلٌ وحربةُ طاعنٍ قاسٍ وقصبةُ ذلّةٍ وشنارِ
أكرِمْ بها شاراتِ عزٍّ شابها بدمٍ وماءٍ من فؤادهِ جاري

الدفين

تُمْ ظافراً حطّمْ قيودَ عداكا يا ابنَ الالهِ وعزِّ آلِ رجاكا
وَذَرِ الضريحَ ممجّداً وظلامَهُ حيث الملاكُ مراقبٌ يرعاكا
تمْ فالحقيقةُ تقتضيه لانه وعدٌ ولستَ بمُخلفٍ حاشاكا
وعدُ الفداءِ لآدمٍ وعدُ الرجا لبنيكَ . وعدٌ للسما . فكفاكا
تمْ واخزِ مَنْ جحدوكَ واخذلْ عُجبَ مَنْ قد عذّبوكَ وفاخروا برداكا
يا ربُّ إنّ المجدليةَ في بكا وشجاً فعزِّ فؤادَها برؤاكا
جفّفْ سيولَ دموعِها اذ سُهّدتْ ترعى النجومَ هذيذُها ذكراكا
حتى إذا انبلجَ الصباحُ مبشّراً تبدو فينقي غمَّها مرآكا
يا ربُّ تمْ : ما الرمسُ وهو مذلّةٌ مَثوى إلهٍ فالسما مَثواكا

قمْ : ليس أبناء الثرى بهوانهم أكفاء مجدك في سماء بهاكا
يا ساطعَ الأنوار . في قُبب العلا مثواك . منهُ تهتدي بضياكا

الحي

عقبَ المهانةِ عزّةٌ وفخارُ لما أذلَّ ضريحهُ الجبّارُ
فيسوعُ قد قهر الردى ولقد بدا رغم اللئام ونبرهُ الأنوارُ
شامت بهاءُ المجدليةِ فانثنت قدميهِ تلثمُ والفؤاد نيارُ
ومضت تبشّرُ بالقيامةِ قومها وتشيدُ : قد عقب الشقاء يسارُ
فاشتدَّ ذهلُ الرسل ثم تساءلوا ريباً : أحقٌّ ذاك ام أخبارُ
حتى بدا بعدَ القيامةِ بينهم حيّاً فزال الريبُ والاكدارُ
أسمعتمُ صوتَ المعلّم منعشاً ومشدّداً ؟ فيهِ يُقالُ عِثارُ
صوتٌ إلهيٌّ فيا رسلَ الهدى اصغوا : فإنّ به النفوسَ تُمارُ
من قبلِ أن يرقى إلهاً ظافراً نحو السما مولاكمُ القهارُ

الظافر

في قبّةِ الملك حين الفجرُ يبتسمُ للارض . حين جنودُ الليل تنهزمُ
اذ يُشرقُ الكوكبُ الوهّاجُ ساطعةً منه قباب السما كالشُّهبِ تضطرمُ
رأدَ الضحى من نهارٍ كلّهُ غررٌ في زرقةِ الجوّ حيثُ النورُ والنسمُ
علا المسيحُ بمجدٍ باذخٍ وبها في الرَّقعِ منتصراً جلبابُهُ العظمُ
سما صعوداً فواراه السحابُ وقد أنهى النداء فساخت بالرجا القدمُ
قد جاري حيّاً بجوفِ الارضِ مدفنهُ فصار دوماً اليهِ تحتمي الأممُ
كذاكَ نُبعثُ أحيا بالمسيحِ وقد كنا رميماً تغشي رمسنا الظلمُ
يا سعدَ نفسٍ تراه بعد أن تبعت آثارَهُ وهداها الحبُّ والهممُ
تلقى بهِ ببرودِ المجد متشحاً له جنودُ السما ذاتِ البها حُشُمُ
مُباركاً بانعطافٍ من فدائهمُ من شرِّ الهلاك بحبِّ فيضهُ النِّعمُ
لله فعلُ ندًى يولي الرجا قنطاً من آيهِ يترقّى العُربُ العجمُ

عزّ انتصارك ابنَ الله يصحبه حسنُ الرجا وجمالُ الفوزِ والعظمُ
أذكى بنا للتُّقى نارًا مقدسةً ينفي بها الشكَّ والجُبنَ الذي يَصمُ
فللمسيح فخارٌ لا شبيهَ له نال انتصارًا به نحيا ونعتصمُ
نصرًا جليلًا به يبدو لمعتقد انَّ الردى لن يلي وثباتهِ العدمُ
لن يقتلَ الموتُ في الانسانِ خالدَهُ مبدا الحيوة الذي لم يُوهِ السقَمُ
روحا سماوية تسمو منزهةً بنطقها فهي لا جسمٌ ولا وَهَمُ
أما بها عرفَ الانسانُ هُديتهُ في الخير والشر وهيَ النورُ والعلمُ
له بها كوكبٌ هادٍ تلألأَ من جبينهِ حيثُ نورُ الفكرِ مرتسمُ
يا ايها العقل حرزَ النفس يا قبَسًا من روح يسوعَ يا نورًا بهِ الحِكَمُ
كن في حمى الحكمة الغرّاء معتصمًا فانها الفوز اذ تحيا بها الرِّمَمُ

الجمهورية الفرنسوية الثالثة ورؤساؤها

بقلم الكاتب الاديب الشيخ سليم الدحداح

كان اليوم الثامن عشر من شباط بداءة مدّة رئاسة المسيو بول ديشانل على الجمهورية الفرنسوية وقد أقفلت دوائر الحكومة في المنطقة الغربية تحيّةً للمختار وترحيباً به تبعاً لما يجري في سائر الانحاء التي يظلّلها العلم الفرنسوي المحبوب . وقد رأيت بهذه المناسبة اتحاف القراء الكرام بمقالة عن حكومة الجمهورية الفرنسوية الحاليّة والرؤساء الذين تعاقبوا على منصّة الرئاسة

كلٌّ يعلم ان حكومة فرنسة كانت في السابق من النوع الملكي اي خاضعة لملك وذلك منذ بداءة تقسيم الدولة الرومانية في النصف الاول من الجيل الخامس حتى اواخر الجيل الثامن عشر . وأما الجأت الازمة المالية الملك لويس السادس عشر الى جمع وكلاء طبقات اهالي فرنسا الثلاث في مدينة ڤرسايل في ٥ ايار ١٧٨٩ للمداولة معهم فيما يجب اجراؤه لتحسين مالية الدولة اغتنم هؤلاء الوكلاء فرصة ضعف رأي الملك وتردده المستديم وقلق افكار الرأي العام فتجاوزوا المأمورية التي انتُدبوا اليها

وتطرّقوا من امر الى غيره حتى توصلوا اخيراً الى المناداة في ٢١ ايلول ١٧٩٢ بالغاء الهيئة الملكيّة واقامة الجمهوريّة الفرنسويّة فخلعوا لويس السادس عشر وسجنوه في قلعة التامبل مع اسرته ولم يخرجوهم منها الّا للموت. وحكاية ذلك طويلة معروفة لا لزوم لسرد حوادثها

ودامت الحكومة الجمهورية الاولى منذ ٢١ ايلول ١٧٩٢ الى ١٨ ايار ١٨٠٤ وتغيّرت اشكالها ثلاث مرّات فقامت اوّلاً حكومة اتّفاق الأمة (Convention Nationale) وهي التي تولّت قتل الملك ومحاربة اوربة وقمع الحركات الملكية في الداخل ولم يكن فيها رئيس للجمهورية بل كان على رئاسة الدولة لجنة اسمها لجنة « الخلاص العمومي » . ووليها في التدبير حكومة مجلس الادارة (le Directoire) وكانت رئاستها مؤلفة من خمسة اشخاص . قلبها الجنرال بونبارت في ١٨ برومير اي ٩ تشرين الثاني ١٧٩٩ فجعلت رئاسة الدولة لثلاثة اشخاص يلقّب كل منهم بلقب قنصل وفي الحقيقة كانت كل السلطة في يد القنصل الاول وهو الجنرال المشار اليه الذي لم يزل نجمه طالعاً حتى نودي به امبراطوراً على فرنسة في ١٨ ايار ١٨٠٤ وظلّت ادارة الضرب تطبعاً للرأي العام تذكر على قطع النقود حتى نهاية ١٨٠٤ في احد الوجهين اسم : الجمهورية الفرنسوية — وفي الآخر اسم نابوليون امبراطور — فيكون عهد الجمهورية الاولى ١٣ سنة غير كاملة

ولمّا خلع الباريسيون الملك لويس فيليب في اواخر شباط ١٨٤٨ نادوا بالجمهورية الفرنسوية الثانية فظلّت موجودة حتى ٢ كانون الاول ١٨٥٢ : تولّى الامر فيها اولاً لجنة موقتة دُعيت باسم اللجنة الاجرائية قوامها خمسة اشخاص كان في عدادهم الشاعر لامرتين الشهير. ثم لما ظهرت فتنة حزيران ١٨٤٨ أُعطيت السلطة المطلقة بصورة خارقة العادة الى الجنرال كافنياك واخيراً انتخب البرنس لويس بونبارت رئيساً للجمهورية فلبث في الرئاسة مدةً حتى تمكّن في حادث ٢ كانون الاول ١٨٥١ من الغاء المجلس الملّي المعاكس له بعد ان سجن ونفى مَنْ خاصمهُ من اعضائه وبعد ذلك بسنة نودي به امبراطوراً باسم نابوليون الثالث

فلمّا ضبط لأزمّة التدبير ابطل حكم الجمهوريّة الثانية كما الغى نابوليون الاوّل الجمهوريّة الاولى بعد ان تولّى كلاهما الرئاسة فيها. على انّ الجمهوريّة الاولى والثانية

قد قامتا على انقاض الدولة الملوكية اما الجمهورية الثالثة فانها قلبت عرش نابوليون الثالث على اثر انكساراته في الحرب السبعينية وتسليمه سيفه لملك بروسية في ٢ ايلول ١٨٧٠ في سيدان

الجمهورية الثالثة

لما بلغ الشعب الباريسي خبر تسليم الامبراطور وجيش مكماهون في سيدان ثار على الحكومة الامبراطورية بخلع صاحبها ونادى بالجمهورية ودعيت الحكومة «حكومة الدفاع الوطني» برئاسة الجنرال تروشو (Trochu) مؤجلين استشارة الامة في تعيين هيئة وقوانين الحكومة الى ما بعد انعقاد الصلح . ولما سلمت مدينة باريس في اواخر كانون الثاني سنة ١٨٧١ وشرعت البلاد بالاستعداد لانتخاب هيئة قانونية تقوم بتمثيل فرنسة وعقد الصلح مع العدو المنتصر انتخب المجلس الملي الموجود في بوردو الوزير والخطيب الشهير ادولف تيارس رئيساً للحكومة باسم «رئيس السلطة الاجرائية» بدون تعيين مدة لحكمه وهذا هو الذي اعتاد التاريخ ان يعتبره الرئيس الاول للجمهورية الفرنسوية الثالثة اي الثانية

١ ﴿ المسيو تيارس ﴾ : كان هذا قد اشتهر بتوليه رئاسة الوزارة مراراً في عهد الملك لويس فيليب وعُرف بخطته العدائية لانكلترة وقت اتفاق اوربة باغراء هذه الدولة على محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ واخراجه من سورية . وكان معروفاً في عالم التاريخ والآداب بالجرائد التي تولى تحريرها والخطب التي القاها وارتجلها في ندوة النواب والتواريخ التي الفها واهمها تاريخ الثورة الفرنسوية وتاريخ حكومة القنصلية والامبراطورية . وكان في مدة الجمهورية الثانية عضواً في المجلس الملي وعاكس فيه لويس بونبارت ولهذا كان في عداد ضحايا حادث ٢ كانون الاول سنة ١٨٥١ فنفاه نابوليون الثالث هو والجنرال لاموريسيار المنتصر على الامير عبد القادر والشاعر فيكتور هوغو والخطيب بيريه والمسيو اميل ديشانل والد الرئيس الجديد وغيرهم . وقع عليه الانتخاب وهو بن الرابعة والسبعين وقد كان طاف عواصم اوربة مبيناً رأي الدول ضد المانية ومبيناً لكل منها الخطر عليها من انتصار هذه الدولة . فلم يفلح في حملها على اغاثة فرنسة

تولى الاحكام مدة سنتين وثلاثة اشهر بكل همّة ونشاط ونجح في إعادة الثقة بدولة فرنسة فتوفق الى تعجيل دفع اقساط الغرامة ونال تقصير مدة الاحتلال الالماني وانما اضطرّ اخيراً للاستقالة لان المجلس الملّي كان مرجحاً للشكل الملكي وكان ضجرَ من استبداد تيارس الذي اصبح يظن نفسه بان فرنسة لا يمكنها الاستغناء عنه

٢ ﴿ مكماهون ﴾ : لمّا استقال تيارس اجتمع المجلس الملّي وانتخب المارشال دي مكماهون رئيساً للحكومة لمدّة سبع سنوات : ولد مكماهون من اسرة نبيلة كاثوليكية من ارلندة أتى احد افرادها الى فرنسة بحمية الملك المخلوع جيمس الثاني سنة ١٦٩٠ . وكان المركيز والد المارشال من كبار رجال الدولة في عهد شارل العاشر فاستقال هو وولده البكر من خدمة الدولة يوم خلع هذا الملك سنة ١٨٣٠

وامّا المارشال فكان ضابطاً صغيراً فامره ابوه بالبقاء في خدمة الجيش فاشتهر في الجزائر ثم في سبستبول حيث استولى على ملاكوف الحصينة وفي معارك حرب ايطالية حيث انتصر في ماجنتا واخيراً في حرب المانية وقد ابلى فيها بلاء حسناً لكنهُ لم يتوفّق فيها وتولّى اخيراً قيادة جيش الحكومة فحاصر ثوّار الفوضى في باريس وفتحها بمدة وجيزة واعاد الامن الى نصابهِ . وكانت اميالهُ وعواطفهُ نحو الحكومة الفرديّة فكان احزاب فرع البوربون مؤملين بهِ بسبب اصلهِ ووالدهِ واحزاب فرع اورليان كانوا يعدّونهُ من ذويهم لخدمتهِ في عهد لويس فيليب ومثلهم اشياع نابوليون كانوا يؤكدون انه لا يريد سواهم . وفي بداءة عهده اصطلح آل اورليان مع الكونت دي شامبور رئيس الفرع الاول واتى هذا الاخير الى ڤرسايل مقرّ المارشال ظنّاً منهُ ان المارشال يجري انقلاباً في الحكومة وينادي بهِ ملكاً لكن المارشال لم يقابلهُ ولم يتفق مع أنصارهِ واشياعه لانه ابى ان يترك العَلَم الابيض شعار الملوك اجداده وهكذا سقطت الآمال الملكية وكان ذلك باعثاً لحمل المارشال على تعجيل إعمال المجلس في تقرير هيئة الحكومة وسنّ قوانينها التي أُعلنت في سنة ١٨٧٥ فاسفرت عن تعيين الهيئة الجمهورية حكومةً لفرنسة وانتخاب رئيس للجمهورية لمدة سبع سنوات مع امكان تجديده وتشكيل مجلسين ندوة الشيوخ وندوة النوّاب فالنوّاب يجدّد انتخابهم كلّ اربع سنوات امّا الشيوخ فكان نصفهم اوّلاً يتعيّنون

لطول الحياة والنصف الآخر لتسع سنوات . وهكذا يكون المارشال دي مكماهون الرئيس الاول الحقيقي للجمهورية

وفي عهده حدثت محاكمة المارشال بازين الذي حُكم عليه بالاعدام لتسليمه جيش متس فابدل مكماهون الحكم بحبس عشرين سنة وتمّ معرض باريس العمومي سنة ١٨٧٨ . وقد كانت الحكومة بسبب حوادث ثورة الفوضويين سنة ١٨٧٠ عيّنت مدينة ڤرسايل عاصمةً للدولة ومركزاً لرئيس الجمهورية ومجالسها . — وقد جاء في القانون الاساسي انه عند اختلاف الوزارة مع ندوة النواب فلرئيس الجمهورية الخيار بين استبدال الوزارة بخلافها بعد إقالتها او بحلّ ندوة النوّاب بعد استشارة مجلس الشيوخ وقد فضّل المارشال دي مكماهون هذا المذهب الاخير في ١٦ ايار سنة ١٨٧٦ فحلّ ندوة النوّاب لاتفاق ٣٦٣ عضواً ضد سياسة الوزارة التي كانت من رأيه . فقام رأي الجمهوريين العام برئاسة غمبتّا ورموا المارشال بتهمة كونه يحاول قلب الجمهورية وخطب غمبتّا خطاباً جاءت فيه عبارته الشهيرة : «متى اظهر الشعب ميلهُ فعلى المارشال حينئذٍ الامتثال او الاعتزال» فنجح الجمهوريون المعاكسون في الانتخابات واضطرّ المارشال الى الخضوع لارادة الأمة . واخيراً استقال في خلال كانون الثاني سنة ١٨٧٩ .

٣ ﴿ جول غريفي ﴾ لمّا استقال مكماهون اجتمع المجلسان حسب نصّ القانون في مدينة ڤرسايل برئاسة رئيس مجلس الشيوخ واقترعوا فنال الاكثرية جول غريفي رئيس ندوة النوّاب وكان في عهد الجمهورية الثانية من المعاكسين لتعيين رئيس للجمهورية . ومما جرى في زمن رئاسته صدور العفو عن ثوّار الكومون المنفيين الى كايان في اميركة . وأعيد مركز الحكومة والمجالس الى باريس . وتعيّن نهار ١٤ تموز عيداً وطنياً لفرنسة وللحكومة الجمهورية وبُدئ بمعاكسة الاكليروس في التعليم وأُعلن التعليم الابتدائي الاجباري . وصدر في سنة ١٨٨٦ الامر بنفي كلّ مدّعٍ بملك فرنسة مع ولي عهده وحرم اعضاء الأُسر التي كانت مالكة من الانخراط في الجيش بعد ان طُرد منهُ من كان فيه منهم . — وقد اتمّ هذا الرئيس مدة السبع السنوات التي كان انتُخب لها وتجدّد انتخابه لسبع سنوات ثانية ولكن حدث ان الجرائد كشفت اعمال صهره ويلسون الذي كان ساكناً في قصر الرئاسة ويتاجر

بالاوسة فهاج الرأي العام لذلك وان لم يوجد في القانون ما يؤيّده وقامت قيامة اعضاء الندوتين واستقالت الوزارة فاضطرّ جول غريفي للاستعفاء في كانون الاول سنة ١٨٨٧ بعد ان بقي رئيساً للجمهورية ثمان سنوات و ١١ شهراً

٤ ﴿ سادي كرنو ﴾ هو حفيد لازار كرنو وزير الحربية واحد رؤساء حكومة الجمهورية الاولى . كان ابوه وزيراً . وتعيّن هو وزيراً للنافعة . في عهده صار المعرض الباريسي العام سنة ١٨٨٩ . وقررت فرنسة اجراء السياسة الاستعمارية التي كانت باشرت بها في عهد غريفي في تونس والتونكين وغربي افريقية . وقبل انتهاء مدّته بستة اشهر قتله الفوضوي الايطالي سانتو في معرض ليون في ٢٤ حزيران ١٨٩٤ . اشتهرت مدّتهُ بحوادث الجنرال بولانجه وبأوّل تقرّب فرنسة من روسية

٥ ﴿ جان كزيمير بيريه ﴾ اجتمع المجلسان في ڤرسايل وانتخبا في ٢٥ حزيران ١٨٩٤ رئيس ندوة النوّاب جان كزيمير بيريه رئيساً للجمهورية . — كان اسم عائلته الاول بيريه وكان جدّه المدعو كزيمير بيريه متولّيا رئاسة الوزارة في عهد لويس فيليب واشتهر فيها بثروته الطائلة وخطبه وجرأته الادبيّة وإقدامه وحزمه ومات في اجراء وظيفته وخلفهُ ابنه في خدمة الحكومة عهداً طويلاً فكافأه المسيو تيارس بان كلّف المجلس الملّي باضافة اسم الوزير كزيمير المشار اليه الى اسم بيريه فتألّف منهما اسماً عائليًا جديداً تخليداً لاعمال هذا الوزير (Casimir - Périer) . وكان المنتخب لرئاسة الجمهوريّة خلفاً صالحاً لوالده ولجدّه بعائلهما ثروةً واقداماً وعزماً وغيرةً وطنيةً . وكان الجميع يؤمّلون خيراً من عهده وما شدّ ما كان انذهال الجمهور ودهشتهم اذ طالعوا في الجريدة الرسمية في اواخر كانون الثاني ١٨٩٥ خبر استقالته فاستغربوا الامر وتقوّلوا فيه الاقوال العديدة والحقيقة انه اعتزل حرصاً على كرامة امبراطور المانية فقدّم استعفاءه كترضية له بسبب حادثة جرت اثناء تحقيق مسألة خيانة دريفوس وكان الامبراطور يعتبر تلك الحادثة التي اجراها البوليس السري الفرنسوي اهانةً له ولدولته

٦ ﴿ فليكس فور ﴾ جرى انتخابه في اواخر كانون الثاني ١٨٩٥ ولبث في الرئاسة الى ١٧ شباط ١٨٩٩ حيث توفي فجأةً : كان سابقا احد اعضاء ندوة النواب وصار وزيراً البحريّة . وفي عهده في اثناء سفره الى بطرسبرج صار إعلان التحالف

الرسمي بين فرنسة وروسية . وهو اول رئيس جمهورية خرج بصورة رسمية من اراضي الجمهورية وعامل الملوك شخصةً بالمساواة معهم

٧ ﴿ اميل لوبه ﴾ : كان رئيساً للوزارة قبل تنصيبه . فانتُخب في ١٨ شباط ١٨٩٩ رئيساً لوطنه واتمَّ مدّته تماماً . في عهده أُبطلت معاهدة نابوليون الاول مع الكنيسة . زار لوندرة ومدريد وبطرسبرج فابتدأ التقرُّب الودّي مع انكلترة وايطالية . وفي عهده انتهت كل المشاكل الاستعمارية مع انكلترة وابتدأت مسألة مراكش . وهو اول رئيس حكومة كاثوليكية زار رومية بعد خروجها من سلطة البابا الزمنية

٨ ﴿ ارمان فاليار ﴾ : كان رئيساً على ندوة الشيوخ وتولّى رئاسة اجتماع ڤرسايل الذي انتخبه رئيساً للجمهورية في ١٨ كانون الثاني ١٩٠٦ (يجري الانتخاب لرئاسة الجمهورية بموجب القانون قبل نهاية مدة السلف بشهر واحد) وكان سنة ١٨٩١ وزيراً للعدلية لمّا وقعت حادثة الزوّار الافرنسيين في رومية واستحصل حينئذ الحكم على رئيس اساقفة إكس . — وقد قضى مدّته الرئاسية تماماً وقد زار مثل سلفه مدريد ولوندرة وبطرسبرج . وفي عهده صارت حادثة اغادير الشهيرة في مراكش وظهرت سوء نيّة الدولة الالمانيّة ووقعت حروب البلقان الاولى والثانية

٩ ﴿ ريموند بوانكاره ﴾ : هو من بارلدُوك اي من قسم اللورين الذي كان بقي لفرنسة تولّى قبلاً رئاسة الوزارة وعُرف بفصاحته ونزاهته واقتداره . استلم الاحكام في ١٨ شباط ١٩١٣ وقضى مدة رئاسته سبع سنوات تماماً . في ايامه ابتدأت الحرب الكونية العظمى التي استعادت فيها فرنسة مجدها العسكري وشرفها وولاياتها المفقودة في فرنسة وفي افريقية ومزّقت في ٢٨ حزيران ١٩١٩ في معاهدة ڤرسايل التي امضتها المانية معاهدةَ فرنكفورت المشئومة التي كانت رضيت بها سنة ١٨٧١

١٠ ﴿ پول ديشانل الحالي ﴾ : في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٠ انتخب المجلسان رئيس ندوة النوّاب المسيو پول ديشانل رئيساً على الجمهورية الفرنسويّة . فاستلم الاحكام في ١٨ شباط ١٩٢٠ الاخير . ولد عام ١٨٥٦ في بروكسل حيث كان ابوه ملتجئاً بعد انقلاب ١٨٥١ . وقد ترأس مرتين ندوة النواب حيث عُرف خطيباً مصقعاً وكانت تجددت رئاسته على النواب للمرة الثالثة قبل انتخابه لرئاسة

الجمهورية ببضعة اسابيع — واول عمل رسمي اجراه انه ذهب في اول اذار الى مدينة بوردو وبمعيته المارشال بتان (Pétain) قائد جيوش فرنسة العام وبعض الوزراء ونواب الالزاس واللورين كلهم فأجروا الاحتفال برجوع ما كان سُلخ من الالزاس واللورين ذكرا لحفلة الاحتجاج التي كان اجراها في بوردو نواب الالزاس في اول اذار ١٨٧١

وليسمح القراء ان نختم هذه المقالة بهذا الجدول مبينين فيه سنة ولادة وانتخاب ووفاة كل رئيس مع بيان المدة التي قضاها في منصبه

الاسم	الولادة	الانتخاب	الوفاة	مدة الرئاسة سنة	مدة الرئاسة شهر
ادولف تيارس	١٧٩٧	١٧ شباط ١٨٧١	١٨٧٧	٢	٣
المارشال دي مكماهون	١٨٠٨	٢٤ ايار ١٨٧٣	١٨٩٣	٥	٨
جول غريفي	١٨٠٨	كانون ثاني ١٨٧٩	١٨٩٤	٨	١١
سادي كرنو	١٨٣٧	كانون اول ١٨٨٧	١٨٩٤	٦	٦
جان كزيمير بيريه	١٨٤٧	٢٥ حزيران ١٨٩٤	١٩٠٧	٠	٧
فليكس فور	١٨٤١	٢٩ كانون ثاني ١٨٩٥	١٨٩٩	٤	١
ايل لوبه	١٨٣٨	١٨ شباط ١٨٩٩	—	٧	٠٠
ارمان فاليار	١٨٤١	١٨ كانون ثاني ١٩٠٦	—	٧	٠٠
ريمون بوانكاره	١٨٦٠	١٨ كانون ثاني ١٩١٣	—	٧	٠٠
بول ديشانل	١٨٥٦	١٨ كانون ثاني ١٩٢٠			

فيكون الان في فرنسا اربعة رؤساء للجمهورية في قيد الحياة . ومن هذا الجدول يظهر ان اطولهم مدة كان جول غريفي واقصرهم مدة كان جان كزيمير بيريه وان اكبرهم سنا عند الانتخاب كان ادولف تيارس واصغرهم سنا كان جان كزيمير بيريه ايضاً

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

اليمن وائمتها

نظر في احوال اليمن قبل الاتراك

دعنا الان ننتقل من اواسط جزيرة العرب الى جنوبها ونسرّح رائد البصر في احوال اليمن فانَّ هناك ايضاً معمّيات يودّ القراء الوقوف على حقيقتها وكثيراً ما كرّرت الصحف اسم إمامها يحيى

هذا القطر الكبير قد لعب في كلّ اطوار تاريخهِ دوراً ذا شأن وذلك لعدّة خواصّ امتاز بها كحسن موقعهِ وسعة ارجائهِ وطيب هوائهِ وعمران بلدانهِ وكثرة خيراتهِ وغوّ عدد اهلهِ البالغين ستّة ملايين من النفوس مع اختلاف مناطقهِ من جبال شاهقة واودية عميقة وسواحل وثغور بحريّة فاستحقّت اصقاع اليمن ان يدعوها القدماء باسم العربيّة السعيدة . وكان العرب يقسمونها الى نيّف وعشرين ايالة يدعونها بالمخاليف كالمتصرّفيّات في ايّام الاتراك وكانت السير معدودة من اليمن قبل ان تفصلها عنها الدولة العثمانية فجعلها سنجقاً منفرداً

وقد عُرف اهل اليمن منذ سالف الازمان بالإباء وحبّ الاستقلال والنفور من كلّ سلطة اجنبيّة كما يشهد عليهِ تاريخهم في الجاهليّة على عهد ملوك حِمْيَر ثم توالت عليهم الدول بعد الاسلام وكثر بينهم الخوارج

وكان الحكم فيهم اوّلاً للخلفاء لشدّة وطأتهم الى ان اخذ حبلُ الخلافة بالانتقاض فاستقلّ اليعفريون وتولّى عليهم الزياديّون نسبةً الى محمّد بن زياد من السنة ٨١٩ الى ١٠١٨م وابن زياد هو الذي عمّر مدينة زَبيد وسكنها (سنة ٨٢٠) ثم خلف الزياديين النجاحيّون (١٠٢١ — ١١٥٨م) المنتسبون الى المؤيّد نجاح الحبشيّ الاصل .

ثمّ صار امرهم الى المهديين المنتمين الى علي ابن المهدي (١١٥٠ – ١١٧٣م) ثمّ الى الايوبيين من نسل صلاح الدين الايوبي (١١٧٣–١٢٢٨م) ثم الى السلالة المعروفة بالرسوليين (١٢٢٩ – ١٤٥٤م) ثم الى بني طاهر الى السنة ١٥١٧ وهي السنة التي دخل فيها السلطان سليم بلاد العرب . وكلّ هذه الدول جعلت كرسيّها في زَبيد

وكان غيرهم يتولّون على جهات اخرى من تلك البلاد فاتّخذوا مدينة صنعاء كحاضرة ملكهم منهم اليعفوريون نسبةً الى يعفور بن عبد الرحمان اوّل ملوكهم (٨٦١ – ٩٥٦م) والصليحيّون المنتسبون الى علي بن محمّد الصليحي (١٠٣٧–١١٠١م) والحمدانيّون التابعون لحاتم بن غشيم الحمدانيّ (١٠٩٨ – ١١٧٣م) . وملكَ قسمٌ آخر على عدن واصقاعها وهم الزريعيّون المنتمون الى كرم الزريعيّ (١٠٨٣ – ١١٧٣م) . وملك غيرهم في صَعدة وهم الائمّة الرسّيّون تبعة قاسم بن محمّد الرسّي احد الخوارج في ايّام الخليفة المأمون العبّاسيّ من سلالة زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب المعروف بابن زين العابدين الذي صُلب بامر الخليفة هشام سنة ٧٣٩م ومن جرّاء ذلك يُدعون بالزيديين

وينتسب الى هؤلاء الزيديين ائمّة صنعاء المتولّين الى اليوم . والزيديّون من اهل الشيعة لا يعترفون بخلافة ابي بكر وعمر وعثمان بل بخلافة علي وسلالته . ومنهم عدّة فِرَق كالبتريّة والسليمانية والجارودية واليعقوبية يناقض بعضهم بعضاً ومنهم من يرى رأي المعتزلة . وائمّة صنعاء يتلقّبون بامراء المؤمنين ويضربون النقود باسمهم ولهم رايةٌ حمراء عليها صورة ذي الفقار سيف علي بن ابي طالب

ولمّا ظهرت الدولة العثمانيّة في القرن السادس عشر واستولت مدّةً على اليمن لم يتهنّأ بنو عثمان بملكهم واضطرّوا غير مرة الى ان يبارحوا البلاد لعصيان اهلها على ولاتهم منتصرين لائمّة صنعاء الذين كانوا لا يزالون يطالبون بحقوق الامامة حتّى ظفروا بها زمناً طويلاً (١٥٩١– ١٨٣٠م) . واوّلهم الامام قاسم بن منصور من سلالة الرسّيين السابق ذكرهم . ثم انتقلت الامامة الى زعماء آخرين منهم الامام يحيى الآتي ذكرهُ

على انّ سلطة ائمّة صنعاء ربّما ضعفت فقام عليهم شرفاء من اهل وطنهم انتزعوا منهم قسماً من بلادهم فملكوا عليها مدة كسلطان لحج وشرفاء ابي عريش وشيوخ

عسير وربما نازع سكانُ جنوب اليمن اهلَ شماله فقامت بينهم الحروب وتفاقم الفساد

اليمن والوهابيون (١٨٠٥ - ١٨١٣)

قد سبق لنا القول ان الوهابيين في اوائل القرن التاسع عشر تجاوزوا حدود نجد في ايام اميرهم سعود وعبد العزيز وتهدّدوا الحجاز واليمن ولم يلبثوا ان استولوا على قسم كبير من اليمن دون صنعاء وذلك سنة ١٨٠٥ تحت امرة شيخ عسير ابي الحكل المعروف بابي نقطة لمور عينه . وكان ابو نقطة انحاز الى الوهابيين فأطلقوا يدهُ على اليمن فغزا جهاتها الجنوبيّة وفتح مدينتي لحيّة وحديدة

وانّما تصدّى له احد شرفاء اليمن المدعو ابا مسمار حنودًا كان ابو نقطة فتك به لكنّ حنودًا تظاهر بالخضوع لامير الوهابيين ومن ثمّ اخذ يعادي شيخ العسير ابا نقطة ولم يزل يعاكسهُ حتّى تمكّن من اغتيالهِ فقتلهُ بيدهِ سنة ١٨٠٩ وبسط حكمهُ على اليمن فحظي اليمن ببعض الراحة

المصريون في اليمن (١٨١٣ — ١٨٤٠)

لمّا تحفّز محمّد علي باشا ثمّ ولداهُ طوسون وابرهيم لمحاربة الوهابيين باغراء سلاطين عثمان وجّه المصريُّون فكرتهم الى اليمن فضلًا عن الحجاز . وفي السنة ١٨١٣ بعث محمد علي الى اليمن احد ضبّاطهِ المسمّى آغا يوسف . فاجتمع هذا بالشريف حنود وبالامام منصور صاحب صنعاء واقنعهما بمقاتلة الوهابيين مع الجيوش المصريّة

فساروا معاً وحملوا على خلف ابي نقطة الشيخ تهامي وانتزعوا من يدهِ مدينة قنفذة الساحليّة ففتحوها لكنّ الشيخ تهامي عاد اليها بجموعهِ فاسترجعها منهم . فلمّا بلغ الخبر الى محمّد علي زحف الى المدينة بقوّات جديدة فغلب الوهابيين مع ما اباوا بهِ من البلاء الحسن للمدافعة عن البلدة ووقع الشيخ تهامي في يد المصريين فارسلوهُ مخفورًا الى الاستانة فقتل فيها سنة ١٨١٥

وبقي النفوذ المصريّ عدّة سنين سائدًا على اليمن حتّى قام سنة ١٨٣٢ احد المماليك من رعايا محمّد علي فعصى على سيّدهِ وهيّج عليهِ قبائل عرب اليمن . وقد عُرف هذا الخارجي بلقب تركي ثم دُعي لجهله اللغة التركيّة باسم « تركجه بلمز »

فالمذكور استولى على مخا وحديدة فاضطرَّ محمَّد عليّ الى ان يوجّه من مصر جيشاً لمحاربته ففتح المصريون بمساعدة شيخ العسير عليّ مجتن مدينة مخا ونهبوها . امّا زعيم الفتنة ففرَّ هارباً من ايديهم والتجأ الى سفينة انكليزيّة وسافر الى العراق حيث مات خامل الذكر

ثمَّ اجتهد المصريون ليوطّدوا ملكهم في اليمن لكنّهم وجدوا في اهلها من فظاظة الاخلاق والدسائس والفتن ما احرج صدورهم والجأهم الى ان يُجلوا عساكرهم اولاً من عسير ثم من تهامة وباقي اليمن سنة ١٨٤٠ وحصل على اثر جلائهم اضطرابات في انحاء اليمن وانتهز الانكليز تلك الفرصة ليبتاعوا من سلطان لحج مدينة عدن وهي مقلاد بحر الهند سنة ١٨٣٩

وفي تلك الاثناء حاول امام صنعاء السيّد محمَّد يحيى ان يستولي على تهامة ويردّها الى سلطانه فحمل عليها واحتلّ معظم مدنها كالحديدة وزبيد ومخا ونازعهُ شريف مكّة في ملك مخا ففتحها والحقها بالحجاز

وقام ايضاً شيخ ابي عريش المسمّى بالشريف حسين طامعاً في توسيع نطاق ولايته فاتفق مع شيخ عسير وسار كلاهما بقبائلهما الى تهامة وانتشلوها من ايدي امام صنعاء

الدولة العثمانية في اليمن

ثم قويت شوكة الشريف حسين في انحاء اليمن وعجز امام صنعاء عن قمع سلطته بعد ان ناجزهُ القتال مدَّة فسيّرت حينئذ الدولة العثمانيَّة لمحاربته فيلقاً من جنودها في عام ١٨٤٩ يقودهُ توفيق باشا فلم يزل يتعقَّب آثار الشريف حتَّى اضطرَّهُ الى طلب الامان والاذعان الى اوامر السلطان فخلع عليه وجعل له راتباً بقي في حيز المواعيد العرقوبيَّة . واذ اراد ان يطالب بحقوقه شاع بغتة خبر وفاته والله اعلم بسببها (١٨٥١)

فتقلَّدت حينئذٍ الدولة امارة ابي عريش الشيخ حيدر ابن اخي الشريف حسين وادخلت بلاد تهامة في جملة ممالكها وعيَّنت لتدبيرها احد عمالها من الباشوات فجعل مركزهُ في الحديدة

ثمَّ رأى توفيق باشا ما صار اليهِ ائمَّة صنعاء من الضعف فظنَّ الوقت مناسباً ليلحق بلادهم بأملاك الدولة فاستدعى الامام محمَّد يحيي الى الحديدة وطلب منهُ ان يعترف بسيادة السلاطين على اليمن وان يرضى باقامة ٨٠٠ جندي تركيّ كحامية في صنعاء وان يُدعى في الصلاة باسم السلطان عبدالمجيد وان تقسم مداخيل صنعاء بين الخزينة السلطانيَّة وولاية صنعاء . فخاف الامام ولم ير بُدًّا من الاجابة الى اوامر توفيق باشا فوقَّع على تلك المعاهدة

لكنَّ اهل صنعاء لم يرضخوا لهذه الاحكام وما كادوا يقفون على مضامين المعاهدة ورأوا إمامهم في صحبة توفيق باشا والجند العثمانيّ ولاسيَّما اذ سمعوا الخطيب يدعو في الصلاة للسلطان عبدالمجيد بدلًا من ائمتهم الزيديين حتَّى شغبوا وثاروا وقتلوا الجنود وخلعوا الامام محمَّد يحيي ونصبوا بدلًا منهُ الامام منصورًا . ولم ينجُ من ايديهم توفيق باشا الَّا بعد ان أُصيب بعدَّة جراح وفدى نفسهُ بعشرين الف ريال

وبقيت صنعاء في حالة الفوضى بعد ان قاموا على الامام منصور ودعوا مكانهُ غالباً بن محمَّد يحيي لكنَّ امورهم لم تستقم فكثرت بينهم الاحزاب وزاد الاضطراب وتعدَّدت الجنايات حتَّى ملَّ الجميع تلك الاحوال السيئة وتيسَّر للدولة العثمانيَّة فتح صنعاء سنة ١٨٧٢ على يد احمد مختار باشا فقامت بتدبيرها كما شاءت وخلعت الامام غالباً واقرَّتهُ في صنعاء مع راتب معلوم الى سنة وفاتهِ . وكان رؤوف باشا سبق واستولى على العسير فصارت اليمن كلها تحت حوزة بني عثمان

ثورة محمد الدين ابي الامام يحيي

اعاد الاتراك النظام في صنعاء اليمن فأخلد اهلها الى الطاعة والسكينة لكن عمَّال الدولة ما فتئوا ان هيَّجوا عليهم خواطر السكَّان بظلمهم وسوء تصرُّفهم الى ان طفحت الكأس وبلغ السيل الزبى وذلك للضرائب الفادحة التي بهظوا بها اعناق اليمنيين ولاسيَّما في سنتين توالى فيهما الجدب فلم يستطع الاهلون الى أدائها سبيلًا .

وكان في جملة الذين اصابهم عسف الاتراك رجلٌ من ذرِّيَّة ائمتهم يُدعى السيِّد محمَّد بن حميد الدين كان اوَّلًا مسجَّلًا في الديوان ثم صار قاضياً ولمَّا رأى ما لحق بمواطنيهِ من الجنف والظلم خرج من صنعاء وسكن في الجبال في مقرٍّ يدعى غفلة

القدر لا ماء فيه بحيث لم يستطع الاتراك ان يحاربوهُ فدعا اليمنيين الى الاستقلال فلبّوا دعوتهُ بطيب الخاطر واقرّوا بسيادته فنشر معهم راية العصيان على الدولة (١٨٩١) واخذ يشنّ الغارات على مواقع الاتراك ويقوّي كلّ يوم سلطتهُ والدولة ترسل شراذم الجند عليهِ دون جدوى وبقي على ذلك نحو عشر سنوات فمات سنة ١٩٠١ دون ان يدخل صنعاء

الامام يحيى

قام في منصبهِ بعدهُ ابنهُ الامام يحيى وعمرهُ لا يتجاوز ٢٧ سنة فاقتدى بابيهِ وان كان دونهُ ذكاء لكنّهُ توفّق بعزمهِ الى الانتصار من الترك وطردهم من حاضرة اجدادهِ سنة ١٩٠٥ بعد ان حصرهم فيها زمناً طويلاً فأفنت المجاعة منهم قسماً كبيراً ثمّ فتك بالطوابير المرسلة لنجدتهم تحت قيادة رضا باشا وغالب باشا وفيضي باشا واغتنى بذخائرهم واسلحتهم وتعقّب آثار من فرّ منهم الى السواحل حتى كاد يستأصل شأفتهم وكان احد فيالق الاتراك احتلّ جبل شحارى فسار اليهم محمود ابن يحيى حميد الدين ففتك بهم واخرجهم من تلك الجهات وقتل اليمنيّون احمد عبيد الحارثي الذي كان انضمّ الى الترك فساعدهم على الامام يحيى . هذا فضلاً عن الامراض القاتلة التي انتشرت بين الاتراك فأودت بحياة الالوف منهم حتّى دُعيت اليمن بمقبرة الاتراك

فلما رأى السلطان عبد الحميد ان قوى جيوشهِ خارت دون ضبط اليمن فكّر في وسائل أخرى يصون بها عرضهُ ويبقي اليمن في جملة ممالكهِ فاوفد رسلاً والطافاً الى الامام يحيى ليؤلف قلبهُ بالمجاملة . ثمّ استدعى الى الاستانة بعض شيوخ اليمن ليطيّب قلوبهم ويسكن خواطر مواطنيهم بوعدهِ لهم خيراً وبلّغ الامام يحيى انهُ يجعلهُ والياً على اليمن مدّة عشر سنين باسم الحكومة العثمانيّة ويعيّن له فئات من الجند ليساعدوهُ في تنفيذ اوامرهِ

فكانت كلّ هذه الوسائل لا تقنع الامام وذويهِ وهم لا يرضون الّا باستقلال بلادهم . وأُعلن في تلك الاثناء بالدستور العثماني فحاولت جمعيّة الاتحاد والترقي ان ترضي الامام يحيى بالانحياز الى الدولة وعظّمت في عينيهِ الدستور ونعمهُ . واذ لم

ينخدع الامام باقوالهم اقاموا لهُ خصماً يدعى المهديّ الذبياني جرت بينهُ وبين يحيى بعض المناوشات ثمَّ اصطلحا على مقاومة الاتراك

فأرسلت من الاستانة قوّات جديدة الى اليمن وحصلت عدَّة معارك من السنة ١٩٠٩ الى ١٩١١ أُصيب فيها اليمنيُّون ببعض الخسائر . ثمَّ دُعي الامام يحيى مع قومهِ الى الجهاد في الحرب البلقانيَّة فرضي بهِ وتعهَّد بارسال ١٠٠,٠٠٠ جندي للدفاع عن حوزة الاسلام على شرط ان تعترف الدولة باستقلالهِ فوعدوهُ خيرًا وتقرَّب الى الدولة لكنَّ الحرب البلقانيَّة انتهت قبل ان ينجز بوعدهِ

ثمَّ أُعلنت الحرب العموميَّة الاخيرة فسحبت الدولة العثمانيَّة جيوشها من اليمن لحاجتها اليهم وبقي الامام يحيى آمنًا في بلادهِ . فسعت لديهِ الدول الاتفاقيَّة وطلبت منهُ الحياد وبغَّضت اليهِ تركيَّة واحلافها وراعت لهُ خاطرًا في حكمهِ على بلادهِ مستقلًّا لكنَّ الامام اصرَّ على ثباتهِ في ولاء تركيَّة . وذلك في السنة ١٩١٧ وقد استولى على قنفذة من ثغور الخليج العربيّ . ولم يبلغنا بعد الهُدنة خبر عن شؤون تلك الجهات (لهُ صلة)

زجليَّة في وصف الغلاء والجوع والضيق

منذ مائة وثلاثين سنة

نشرها بحواشٍ ومقدمة الكاتب المتفنن عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الآثار)

بعد مرور ثلاث سنوات على الحرب الضَّروس ومشاهدة ما تشيب له رؤوس الاطفال من اهوالها وقع لي توافق غريب . بينما كنتُ ابحث بين مخطوطاتي مستقرئاً الحوادث السالفة وما قيل فيها عثرتُ بينها على سفينة وهي دفتر مستطيل قليل العرض فاذا فيه زجلية كأنها نُظمت لهذهِ الايام منذ ذلك العهد البعيد واليك الآن وصف هذه السفينة :

هي دفتر بطول نحو عشرين سنتيمترًا وعرض عشرة سنتيمترات يقع في ٧٨

صفحة على ورق صفيق وبخط كنسي جميل كُتب في العشر الأول من القرن التاسع عشر للميلاد وفيه المواضيع الآتية :

١ً زجلية في وصف حوادث جبل الدروز (الشوف) سنة ١٢٠٥ ﻫ (١٧٩٠م) تقع في ١٨ صفحة لناظمها ابي ابرهيم درويش بن مرعي القاري المنتسب الى قرية قاره في جبل القلمون وفيها تفاصيل غريبة لحروب تلك الايام ولاسيما الثورة الوطنية في الشوف والمتن

٢ً زجلية في وصف الغلاء والجوع والضيق الذي حصل سنة ١٢٠٦ ﻫ (١٧٩١ م) بعد مرور ثلاث سنوات على اضطراب لبنان وضواحيه ولم نعرف اسم ناظمها ولكن يظهر من امره انه لبناني مسيحي من قضاء الشوف من جوار دير القمر او منها

٣ً اشعار وتعظيمات واناشيد مختلفة بينها ما هو من قلم الشماس زخريا والشماس ابرهيم الطبيب الحاكي والشماس مخايل بروساوية والخوري مخايل البجع الحلبي والشماس نعمه الخوري توما والخوري نقولا الصائغ ويوسف اليهودي وغيرهم مع تخاميس ومدائح لشعراء مجهولين

وعلى الجملة ان هذه المجموعة كثيرة الفوائد رشيقة النظم مختلفة المواضيع بين دينية ومدنيَّة وازجال واشعار واناشيد

حوادث الزجليَّة المنشورة الآن

هي وصف لما حدث في مطلع القرن الثالث عشر للهجرة وختام الثامن عشر للميلاد ايام نشوب الخلاف بين الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان وابن شقيقه الامير بشير الكبير وإلقاء الجزّار الفتن بينهما على حدّ قول الامير بشير لعمّه لما انتدبهُ سفيرًا له لدى الجزّار في عكّاء وهو : « اخشى ان اذهب ابنك واعود ابن الجزّار » فكان كما قال . وكان من اشدّ الفتن اذ ذاك ما حصل بين الامير قاسم حيدر الخرموشي وابن عمه الامير جهجاه مصطفى في حكم بعلبك واستفحال الخلاف بينهما ومحاربتهما وقتل الامير قاسم ثم اشتداد الخصام بين امراء لبنان مما قامت له البلاد وقعدت وانتشرت الفتن في ضواحيه ولاسيما في الشوف والمتن وسيادة الفوضى

والسعايات مما خرَّب بعض المدن وقضى بجلاء النصارى منها فكانت فتنة بيروت بين فارس الدهان والي عسكر يونس نقولا الجبيلي حتى أقفلت ابواب المدينة وهرب النصارى منها وبقيت عقاراتهم ثمن الالف بمائة غرش. وانتقام الامير بشير من خصومه بتشديد الطلب للضرائب والوزائع منهم وجمع المال بواسطة مدبّريه فارس نصيف الجزيني وجدعون الترك الدّيري وتقديمهما للجزار. وما كان من شرارات الثورة الفرنسية في الشرق وتفشي الطاعون الجارف في القطر المصري وفتنة المماليك وقتل كثير من الامراء والمدبّرين شنقاً وإرهاقاً وفصلاً (قطع رأس) واحراق المنازل وقطع الاشجار حتى اشتدَّ الغلاء وكثرت المصادرات وقلَّ الأمن وزادت قيم النقود الى مثل ذلك من النكبات والكوارث التي ذكرها المؤرخون. لكنَّ ناظم هذه الزجليَّة المنشورة اليوم قد صوَّرها لنا باسلوبه العامي الرشيق وحسن استقرائه الحوادث وذكر تأثيرها في النفوس احسن تصوير لم نجد مثله في ما قرأناه عنها. ولا تأثرنا لتلك الاخبار على كثرة ناقليها تأثرنا من هذه البلاغة الوصفية

وهذه هي الزجليَّة كما وردت بالحرف

هذه الابيات قالها احد الأدباء واصفاً بها احوال هذه السنة وما حدث بها من الضيق والغلاء والجوع الصارم الشديد :

أبدا اقول في بيوت جدادْ واشهرها في كل البلادْ
رقوا لحالي يا أجوادْ قلبي تعنَّى ودمعي زادْ

قبل الآن كان لي قيمهْ وكل مقدار حجّه عزيه
ويدي سمحه وكريه واصحابي نحوي تنقادْ

والآن انبدلت حالتنا وزالت عنا نعمتنا
وايضاً قلَّت قيمتنا وصارت في قيمة شحّادْ

سنة مايتين . الف وسته (١ اخدتْ مدّ الحنطه بسته (٢

---

(١) يريد سنة ١٢٠٦ هـ الموافقة ١٧٩١ م (٢) ستّ مصاري

وكان بزمان جدّي وستّي باعوا بزلطه (١ سبع مدادْ
ما يكفي ما صار فينا بهذه السنتين هنينا (٢
يا ربي الطف فينا نحن عبيدك يا جوّادْ

كنت مصتد (٣ لي كم غرشْ وكانوا كومي مثل الحرشْ
ومكفي بيتي مونه وفرشْ وكسوه مليحه ثياب جدادْ

مرّ علينا ثلاث سنينْ وثلاثتهم ملعونين
بلص (٤ وحرب وجوع مكين وهذه هي ضربات شدادْ

اسمع ما صار من سنتين بلصوني بالف ومايتين
وغالبها قد كانت دَين يا ليت جدعون آغا (٥ بادْ

ماذا اخبركم عنه يا ما قاسينا منه
كل الناس بتلعنه حتى الرهبان والعبّادْ

وعام الماضي (٦ كان حروبْ ومن الدوله قلبي (٧ متعوبْ
فارس ناصيف (٨ المغضوبْ يبليه ربي بالانكادْ

وهذه الايام قد حطّتْ على هاتيك وقد وطّتْ (٩
وطول الجوع لقد غطّتْ على نايات (١٠ ذاك الميعادْ

---

١) الزلطه عند العامة ثلاثون مصرية ٢) منا جوعاً ٣) موفر :
٤) المصادرة بالمال ٥) هو جدعون آغا التركي مدير الامير بشير الشهابي
٦) يريد سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) التي كثرت فيها وفي ما قبلها الفتن بين الامير يوسف والامير بشير والامراء الحرافشة وامراء وادي التيم فقتل كثير وصودر الاخرون واشتدّ الغلاء وكثر الطاعون في مصر وكانت الحروب في فرنسة شرحها انه وقد وصفها احد الرجالين كما مر في المقدمة مطولا ٧) في الاصل (قبلي)
٨) يريد فارس ناصيف الجزيني الذي كان من مدري الامير بشير الشهابي ايضاً
٩) تقول العامة (حطّ ووطّى عليه) اي نزل به او زاد عليه ونحو ذلك
١٠) من اساليبهم « اجا الطبل غطّى عالناي » بمعنى زاد في الطين بلّة او في الشبور نفخة

راح زمان وجاني زمانْ ضيّق سكّرت الدكّانْ
وبعده روّحت (١ الفدانْ وبعت السكّه للحدّادْ

ايام سودا مثل القيرْ والمونه خلصتْ بكيرْ (٢
ولولا القرّه والجرجيرْ (٣ كنا صرنا بارض روّادْ (٤

حالتنا صارت غيره من الموت على وجهي غيره
وكانت كسره بلا جبره تفهموا قولي يا اسيادْ

عيسى سيف (٥ مفهوم الجوعْ في فكري صاير مطبوعْ
وقلبي من جوره مقطوعْ وحاصل في كل الانكارْ

كان عندي حالوش (٦ وفاسْ وطنجرتين ودست نحاسْ
قبعت الكل من الافلاسْ حتى الترشه واللبّادْ (٧

آهاً من ديق (٨ الأوقاتْ من عوزي بعت الفرشاتْ
عيله كبيره خمس بناتْ وأمراتي مع خمس أولادْ

مع أمراتي زاد الخيرْ السنه ولدت زال الخيرْ
صاروا ستّه يا أهل الخيرْ ونحني بزود عددهم زادْ

اين التنزيهات والكيفْ (٩ قد لاشاهم عيسى سيفْ
ما تسمع الّا يا حيفْ (١٠ من شان الله داد مدادْ (١١

---

١) عند العامة بمعنى باع ٢) القير الزفت. وخاصت بمعنى نفدت وبكير اي (باكراً)
٣) من النباتات التي تكون على شاطئ المياه او في مجاريها وهي تكثر في لبنان
٤) تغني الامراء اللبنانيون اذ حزنوا ازواد قصاصاً لهم فضرب المثل عند اللبنانيين بما تبعد او التحقير ٥) تكني العامة عن الافلاس والجوع والضيق باسم (عيسى سيف)
٦) الحالوش منجل الحصاد ٧) هو ساط صوفي مثبت ٨) اي ضيق (بالابدال)
٩) الكيف عند العامة بمعنى الانبساط والسرور وكيف الرجل اذا سر وخاصة اذا شرب وطرب ١٠) يا حيف كلمة توجع عند العامة
١١) داد مداد انقلبا مختزلة من قولهم: (بالمدد المدد) عند الاستغاثة

وبطّلنا كل الاشغالْ وحصلنا على هذه الحالْ
ورطل الخبز يباع بريال (١ اسمه خبز ولونه سوادْ

وبطلت القرضه والدّينْ ما عادوا يعطوا قرشينْ
ومن يوجد عنده مدّينْ خناهم في هذا الميعادْ

وتعطّل شغل النجّارْ وباع القدّوم والمنشارْ
والحايك ثم البيطارْ باعوا الآلة والإعدادْ (٢

والصايغ ثم العطّارْ والبايع ثم الجزّارْ
والصبّاغين والتجّارْ والقرداحي (٣ والحدّادْ

والمقادين والطبّاعْ والشرّابين والبيّاعْ
والغاية كل الصنّاعْ حصلوا في سوق الاكسادْ

وبطلت كل الكيفيّاتْ ومعها جميع التنزيهاتْ
لا فيه عرس ولا عزيماتْ (٤ فكل شي من هذا ما عادْ

وارتفعت كل الاسعارْ جوع وضيق مثله ما صار
كثيرين ماتوا يا ستّارْ (٥ لمّا عدموا اكل الزادْ

اخدت لولادي رطل طحينْ فول وكرسنه ورزّينْ
بمصريات خمسة وستينْ وعجناه فشّى (٦ ما زادْ

وخبزناه بلا تنّورْ وحطّينا للباب ناطورْ (٧
ما كفّانا نصف فطورْ وكان غايبنا ابني عمادْ (٨

١) الريال في عرفهم غرش ونصف ٢) اي العُدّة والادوات
٣) القرداحي هو الحدّاد الذي يشتغل بالمبرد وبالاسلحة وامل القيْن تؤدي معناها . ويقال القردحجي على النسبة التركية ايضاً ٤) جمع عزيمة بمعنى دعوة الطعام
٥) كلمة « يا ستّار » للترحّم بمعنى يا الله يا ساتر
٦) فشّى العجين رغوه اذا انتبر وانتفخ ٧) حارس وحافظ وحاجب
٨) غايبنا اي غائب منا وخصّ ابنه هذا بالذكر لانه الاكبر فهو يأكل اكثر من اخوته

شموا ريحتنا الجيران ... الا ان شافوا الدخان
اتونا قالوا اعطونا احسن ... او عيرونا بغير رداد (١

قلت لهم نحنا مساكين ... الآن اولادي عريانين
قلعوا ثيابهم الوسخين ... عمال نغلي بالقدر رماد (٢

اخدت خمس نصف وقيه ... بحظي وبختي (٣ بشاهيه (٤
عشر دراهم بمصريه ... خمسين حبه بالتعداد

ولم يبقى للرز وجود ... والبرغل ايضا مفقود
ورطل الفول بخمس عدود (٥ ... اخضر عن امه يا جواد

والعدس نصف وقيه ... شامي (٦ انباع بمصريه
وملح اخدنا تنيه (٧ ... بعشر مصاري بالف جهاد

وجنس الحلو فصار مطلوب ... فلا يوجد غير الخرنوب
الرطل بزلطه يا حبوب ... اكلت وقيه صار لي سداد (٨

وتسكرت صيدا وبيروت (٩ ... وما عاد يخرج منهم قوت
وتيقنا اننا نموت ... جوعاً من قلة الزاد

من القلة نحن هفينا ... وتربطت ايادينا (١٠
ولما ان ضاقت فينا ... قلنا نروح لغير بلاد

سألنا عن حالات الشام ... قالوا ما فيه جنس طعام

---

١) اي مون ان نعيد اليكم الاعرة
٢) في هذا اشارة الى التحصل من وجود ما يطبخ عنده وبعد عدم وجود الصابون للغسل
٣) هو قسم عندهم بمعنى بحق نصيبي وقسمي
٤) الشاهيه قيمتها ثلاث بارات وست اوقية
٥) المد خمس بارات وجمعها عدود ٦) كان الوزن الشامي غير الوزن الحلبي واللبناني
٧) مكيال هو ثمن اي نصف ربع المد ٨) مرض يسمى ريح السدد
٩) اي بيروت حرفها للوزن ١٠) تربطت الايدي اي انقطعت عن العمل والسعي

الأكل حشيش بغير إدام (١ وكم فيها ماتوا سيادْ

قلنا نروح لبلاد حوران قالوا هذا كلام جنانْ (٢
التبن يبيعوه بالميزانْ ونحن على ذلك شهادْ (٣

قلت وعكا يا اخيارْ ماذا عنها من الاخبارْ
قالوا بلطة الجزارْ (٤ وكل ساعه رايات (٥ جدادْ

قلنا بعابك يا اصحابْ قال لها سنتين خراب
لا غلات ولا اكساب (٦ وجهجاه غير ممكن ينكادْ (٧

قلنا حمص وقراها كيف قال قاطعهم عيسى سيف
بزمان الخير لم يقروا ضيف ولن يوجد فيها اجوادْ (٨

قلنا نقطع لارض حماه وناكل من هناك كماه (٩
قالوا رايك ما قبلناه تموت الجوع بغير ميعاد

وطرابلس لا تطريها (١٠ فعيسى سيف هافيها
من يومين كنّا فيها فلن يوجد غير الكبادْ (١١

قلنا وبلاد البترونْ قولك فيها كيف يكون
قالوا لا شك انك مجنون ما فيها غير معزي وسوادْ (١٢

قلت فهم وبلاد جبيلْ قالوا بتلاقين الكيل
والناس حالتهم بالويلْ وذاك بلاد وهذا بلادْ

١) الادام اللحم والزيت والسمن ونحوه ٢) جنون ٣) شهود
٤) يريد ان الفأس الشهاة باقة هي دائما مخصوصة لقطع الرأس
٥) جمع رأي اي آراء ٦) اي ارباح
٧) اي ان الامير وجهجاه الحرفوش لا يغلبان ٨) لا تملك الا فحامل الناصر في الحصين
٩) الكم لانه يكثر في تلك الجهات ١٠) اي لا نقصدها ولا نحضرها بالك
١١) لكثرة حدائق الليمون والبرتقال فيها
١٢) تكثر الماعز في بلاد البترون لكثرة اشجارها وغاباتها والسواد هو الحسد

قلت علينا باستنبول قال لا شك انك مهبول (١
ما صاير لك اكلة فول فاين الزواده والزاد
اوفق لك سكنى بلادك ويتبقوا لك اولادك
وفيهم بتنال مرادك ويفرجها رب الاعباد

رأيت ان هذا راي نصيح كلام محبه وقول صحيح
منقضيها (٢ وحيش ومليح من البور حتى يصير حصاد (٣
وعير الملح ما عدنا نموز ونصف وقية زيت بكوز
وبلاهم (٤ ايضا بيجوز على اكل الخضره (٥ نعتاد

ولما حاق فينا الافلاس عملت لولادي خمس اكياس
وطلبنا صدقات الناس وصرت ابرم (٦ مثل الشحاد

رحنا قصدنا دار المير (٧ وكان رجانا فيه كبير
باجهد عطونا رغيف شعير وقالوا روحوا بغير طراد (٨

قد توجهنا للدير (٩ انا وامراتي لا غير
قلنا الرهبان عمالين خير عطوني طلبه وقالوا بعاد (١٠

وقصدنا بيت الاصحاب بوجهي قاموا غلقوا الباب
فصرت ابكي ودمعي تسكاب على ذلك . ما انا معتاد

ولم يوجد من يعطينا ولا من يشفق فينا

١) اي محتل الشعور ويقولون اهبل وهبله ايضاً ولمانا تحريف (جاول)
٢) منقضيها اي نصرفها بحالتي الرخاء والشدة
٣) اي من قبل الفلاحة للزراعة الى ان يصير حصاد المزروعات
٤) بدونهم ٥) البقول والحشيش ونحوها ٦) ادور
٧) الامير بشير الشهابي الكبير ٨) بدون طرد
٩) يعني دير القمر التي كان فيها رهبان دير الثلة او لدير بجاور كمشيق ونحوه
١٠) انضمه الرغيف المستدير السميك . وبعاد بمعنى ابعد

حتى من الجوع هفينا وكل يوم الضيقه تزداد

اشتد الجوع وزاد الضيق وما عدنا نعرف لصديق
كم ليله نمنا على الريق (١ وما عرفنا بالليل رقاد

تحقيق لي عشر ايام لم يدخل في فمي طعام
أما هذا يا ربي صيام قربنا نحو الاعياد

ومن عشرين يوما وينيف على حظي ما كسرت رغيف
من الجوع صار جسمي نحيف وضعفنا أرواح وأجساد

وضاقتنا هذه التله وفي بيتي ما فيه غله
فصرنا نشتاق للمله تكون مخبوزه خبز جماد (٢

آه على اكلة لبنيه وعشرين كبه محشيه
واتعشى عشره هنيه قبل ان انزل بالالحاد (٣

هذا بطلب من ربي يرزقني اكلة كبه
من البرغل ما فيه حبه فشهوات قلبي عني بعاد

صرنا ندور في البريه من بكره لعند عشيه
ناكل عشب وفدريه وجل وخبيزه ورشاد (٤

من صدق اننا منعيش وغدانا وعشانا حشيش
بيض حليب وجبن قريش موجود لكن في بغداد

تشوف الناس مثل القطعان في البريه والوديان

١) على الريق اي بدون طعام
٢) المله معروفة وخبز جماد اي مجفف بالشمس دون نار
٣) اي بالقبور
٤) الفدرية هي المعروفة عند بعض العامة باسم بلنصوص وهي بوتية معروفة معروفا لسان الثور ويسمونها كذلك في لبنان ايضاً . والرشاد بقلة معروفة

كل واحد عامل شقبان (١ نسا ورجال بنات وولادْ

وصاروا من ديقة الاوقاتْ ياكلوا من لحم الحشراتْ
ولحم الزلف والحيّاتْ والقنفد من غير اقيادْ (٢

وكثيرين من ديقتهم والجوع انبدلت خلقتهم
تراهم رقت نغمتهم مما قاسوا من الاجهادْ

بعلمك كانوا أولادي ملاحْ وخلقتهم مثل التفّاحْ
قد صاروا شبه الوحواحْ (٣ اذا رشيت عليه رماد

وقد ماتت بنتي مرجانْ وتاني يوم ابني رضوانْ
قبرناهم من غير أكفانْ ولحقتهم أمراتي (زاد . .)

وتبقى اربع صبيانْ عماد وايوب مع سرحانْ
وخمس بنات وسليمانْ جمله تسعه بالتعدادْ

هذا الضيق مثله ما صارْ بمصر ولا كلّ الاقطارْ
ولا بزمن ايليّا البارْ ولا جا في عهد الاجدادْ

فلم ضاقت اخلاقي كتبت اقوالي باوراقي
وشيرين للبيدر باقي لا بد يفرجها الجوّادْ

هذه السنة ارخناها ومصايبنا شرحناها
وفي الدفتر سطرناها ليقروها أولاد الأولاد

تمت

---

١) الشقبان تنو العباءة ونحوها الى الاعلى ليوضع فيها شيء وهي من عادات نساء العرب اليوم وهو محرّف التبكان وهي الحبال المشتبكة كالجوالق يضع فيها الحشيش ويحمل

٢) الزلف عندهم بمعنى السلاحف ونسمي ايضا الجاموسة عند العامة . ومن غير اقياد اي بدون مانع

٣) الوحوح عند بعض العامة بمعنى الشيء الصغير كالحجر والنبات

كتاب الكتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الرابع

هذا باب الوَصل والفَصل وفصولهما

١ شروط الوَصل والفَصل والأَصلُ الذي يُبنَيانِ عليه

اعلم انَّ كلَّ حرفٍ من حروف المُعجَم يُوصَل بما بعدهُ من الكلمة التي هو فيها ويُفصَل منها الّا ستّةَ احرف من المعجم لا تتّصل بما بعدها الستّة (١٩ ٢) وان كانت في كلمةٍ واحدة : الأَلِفُ والدّالُ والذّالُ والرّاءُ والزّايُ والواو . والكلام مؤلَّف من جميع الحروف وحقُّ كل كلمةٍ تقع مفصولةً في الكتاب ممّا قبلها وما بعدها ليدلَّ كلٌّ على ما وُضع لهُ مفردًا الّا أن يقعَ قبل الكلمة او بعدها كلمةٌ على حرفٍ واحد فيجب وصلُها بها لأنَّ العرب لا تنطقُ بحرف واحد مفردًا فيُبتدأ بهِ وتَقفَ عليهِ وكذلك يجب ان لا يُفرد مثل ذلك في الكتاب اتباعاً للفظ الّا ان يكون حرفاً من الحروف الستّة التي لا تتّصل بما بعدها

٢ ما يُوصَل من الكِلَم الذي على حرفٍ واحد بما بعدَهُ لأَنهُ لا يَنفرد

فمنهُ يوصل بما قُلنا لامُ الإضافة وبآذها وكافها في قولك : لِزَيدٍ وبِزَيدٍ وكَزَيد . وقد أُفردت اللّام في بعض المصاحف في قوله (١ : ٥ فمالِ الّذينَ كفروا » فلو كان صواباً لجازَ للقارئ أن يَقف على اللام ويبتدئ بما بعدها . ولا يقرأ بهذا الّا جاهلٌ بالقراءة . ومنهُ لامُ القَسم وتآذهُ في قولك : لَزَيدٌ أفضلُ من عمرو . وتَاللهِ تَفتَأُ (١٩ ٢) تذكرُ يوسفَ . والواو مثلها في المعنى وان لم تتّصل في الكتاب .

١) سورة المعارج ٣٦

وكذلك همزة الاستفهام . ومن ذلك فاء العطف كقولك : دخلتُ الكوفةَ فالبصرةَ . والواو في اللفظ وفي المعنى مثلها الا في الخطّ ومن ذلك السينُ في قولك : سيفعل . ومنهُ لامُ التعريف لأنها على حرفٍ واحد وانما لحقها الفُ الوصل لسكونها وذلك كقولك : الرَّجلُ والمرأةُ . وقد غلط الراجزُ فأفردها في اللفظ لمّا رأى الفَ الوصل معها فظنّ انها على حرفين وشبّهها بقدْ ونحوها فقال :

دَعْ ذا وعَجِّلْ ذا وألحِقْ ذا بِذِلْ شحمٍ فانّا قد جعلناهُ بخَلْ

ولا يُعتَلُّ على الغلط وكذلك سبيلُ ما كان اصلهُ اكثرَ من حرفٍ فحُذف حتّى لم يبقَ منهُ الّا حرفٌ كميم القَسَم في قولهم : « مِاللهِ » تُكتَبُ موصولةً لأنها مثلُ الباء في « بِاللهِ » . وكان اصلُها « مِنْ » فحُذفت النون في اللفظ كما حُذفت في مِنْ الخافضة في قولهم « مِالقَوْمِ » يريدونَ « مِنَ القَوْمِ » وحكمُ كتابهما واحد في القياس ولا يجوز افرادُ الميم في الخطّ لأنها على حرفٍ فلا ينفرد في اللفظ ولا أن توصَلَ بلامٍ فتُكتَبَ « مِلقَوْمِ » ولا ان تُحذَف الفُ الوصل ويوصَلَ الميمُ بلام التعريف فيُكتَبَ « مِلْ قَوْمِ » ونظير هذا (20') قولهم : « بنو فلانٍ عَلْتاء » يريدون « عَلى الماء » وقياسُها واحدٌ . قال الشاعر :

غداةَ طَفَتْ عَلْـتاءُ بَكْرُ بنُ وائلٍ وعاجت صدورُ الخيلِ نحوَ تميمِ

ومما يتّصل به ما بعدهُ كلُّ فعلٍ وقع قبلَ علامة الإضمار كقولك : فَعَلْتُ وفَعَلْتَ وما تفرّعَ منهما والاسماء المضافة الى مثل ذلك كغلامِكَ وغُلامي وغلامهِ وما تفرّع منها . والافعال والحروف الناصبة مثلُ ذلك كقولك : ضربتُكَ وضربتُهُ . وانّكَ وإنّهُ وما تفرّع من ذلك فزاد على حرفٍ واحد . وما وقع قبل النون الخفيفة او الثقيلة كقولك : « لأضربَنّ ولا تضربَنّ زيداً » او قبل علامة تثنية او جمع او تأنيث وما اشبه ذلك . فان كان شيءٌ من الحروف التي ذكرنا على حرفين واكثر من ذلك غير علامات الإضمار وجب ان يُفصَل في الكتاب لأنّهُ ينفردُ في الكلام الّا ما عرض لهُ من ذلك امرٌ يوجب وصلَهُ . فما ينفصل من حروف الاضافة قولك : من زيدٍ وفي عمرٍو . وفي حروف القسم من : واللهِ وايمُ اللهِ . ومن حروف العطف : لقيتُ زيداً ثمّ عمراً . وبدل السين في سيفعل « سوف يفعل » . فهذا اصلُ جميع ما

يوصل او يُفصل ثمّ يُنحى نحوَهُ بكلّ ما كثر استعمالُهُ فوصلهُ (20ª) الكُتّاب فهما اشبهه او قاربهُ أُجيزَ ومهما خالفهُ او باعدهُ أُجيل . فمن أكثر ما يوصلون « لا وما وهَا » ولهنّ مواضع يجوز ذلك فيها لضربٍ من القياس وربّما شبّهوا بذلك ما ليس مثلهُ فوصلوهُ وسنبيّن ذلك كلّهُ ما جازَ منهُ وما لم يَجُزْ ان شاء الله

٣ ما يُوصَل منها بما خاصّةً وما يُفصَلُ منها

امّا «ما» فقد تقع في الكلام ملغاةً عند عامّة النحويين لو حُذفت لما تغيّر معنى الكلام بحذفها وانّما يُؤتى بها توكيدًا كقولهِ عزّ وجلّ (١ : « فَبِمَا رحمةٍ من الله » فلو قيل « فبرحمةٍ » تمّ المعنى وان ذهب التوكيد . وكقولهم : « آتيكَ يومًا ما » لتأب عن ذلك . وكقول مُهلهِل :

لَوْ بِأَبانَيْنِ جاءَ يخطبها زُمِّلَ ما أَنفُ خاطبٍ بِدَمِ

فلو لم يأتِ بما لكان المعنى تامًّا ولكنّهُ اكّد بذلك وبالغ واستوفى بما وزْنَ الشعر . فاذا كانت بهذا المعنى او كانت بغيرِ صلةٍ ووقعت بعد الاسماء المبهمة وغيرها او بعد حروف (21ª) المعاني شُبّهت بالحروف التي لا تنفرد اذ كان المنطق بها لا يفيدُ معنًى ولانّهُ كثر استعمالها مع هذه الاشياء حتّى صارت كأنّها منها فوُصلت بها ولا يجوز وصلها بما خالف ما وصفنا

٤ ما يُوصَل من الحروف بما وما يُفصَل منها

فمن حروف المعاني التي تُوصَل بما « إنّ وأنّ ولَيْتَ ولَعَلّ وكأنّ ولكنّ » اذا وقعت بعدهنّ على ما فسّرنا كقول الله عزّ وجلّ (٢ : انّما انتَ مُنذِرٌ » . وكقولهِ (٣ : كأنّما أُغشِيَتْ وجوهُهم قِطَعًا من الليل مُظلِمًا » . وكقول الشاعر :

قالت ألا لَيْتَما هذا الحمامُ لنا إلى حَمامَتِنا ونِصفُهُ فَقَدِ

١) سورة آل عمران ١٥٣
٢) سورة الرعد ٨ ٣) سورة يونس ٢٨

وكقول الآخر :

تجلّدْ وعالجْ ذاتَ نفسكَ وانظرَنْ أبا جُعَلٍ لَمّا انتَ حالمُ

وكقولك : « لكنّما انا اخوك » . يُكتب كلُّ هذا موصولاً فان وقعت بعد هذه الحروف بمعنى الذي لم يَجُزْ وصلُها وذلك مثل قوله (١ عزّ وجلّ (21') : انّ ما توعَدونَ لآتٍ » . ومثلُهُ قولك : « لَيتَ ما عندَ زيد عندنا . وكأنّ ما يَكفيك لا يُرضيك . ولعلّ ما تريد لا يكون » كلّ هذا يُفصل لأنّها ههنا اسمٌ تامّ له صِلة فلو أُلغيَت لم يَجُز ذلك لأنّها لا تشبه الحروف . وتوصل ايضاً رُبَّ مع هذه الحروف نحو قول الشاعر :

ربّما اوفيتُ في عَلَمٍ ترفعنّ ذيلي شمالاتُ

واذا لَحِقَتْ رُبَّ التّاء فهي كذلك ايضاً مثل « رُبَّتَما » موصولَين على كلّ حال لأنّ ما بعدها تكون بمعنى الذي . وكذلك هي بعد كَيْ لأنّها مؤكِّدة لو حُذفتْ لم تُخِلّ بالمعنى . وذلك قولك : « زُرْني كَيْما أزورَك » ولا يجوز ان توصل بقي عندنا كقولك : « رغبتُ في ما عند الله » لأنّها بمعنى الذي ههنا ولكنّها توصَلُ بها اذا كان ما بعدها استفهاماً وحُذفت ألفُها من اللفظ لأنّها حينئذٍ على حرف واحد فلا تنفرد وليس فيها معنى الذي . وذلك قولك : « فِيمَ انتَ » فان وَصلتَ الميم بهاء الوقف فكتبتَ « في مَهْ » لم يَجُزْ وصلها لأنها قد تنفرد مع الهاء . وان جاءت ما المؤكِّدة التي لا صلة لها بعد « في » جاز وصلها بها فأمّا من وَصلها بها على كلّ حال فانّما شبّهها بِمِنْ وعَنْ لانهما حرفا جرّ مثلها وهي (22') على حرفين وذلك رديء والقياس ما قُلنا لأنّهُ يقع في « مِنْ وعَنْ » إدغامٌ مع « ما » وليس ذلك في « في » وكذلك « حتّى مَهْ والى مَهْ وعَلى مَهْ » في الاستفهام اذا لم توصل ما بالهاء وُصلت بما قبلها فكُتبت « حتّامَ والامَ وعَلامَ » والدليل على وصل هذا ردُّ اليآء ألفاً كما هي في اللفظ واما « امْ ولِمْ وعَمْ وإنْ وأنْ » (الخفيفتان) ومِنْ « فقد يقع ما بعدهنّ ملغاةً وغير ملغاةٍ الّا انّها تُوصل على كلّ حال من أجل انّ الادغام يلحقها فيصلها في اللفظ ايضاً وهنّ حروف فكان كتابُ حرفٍ اخفّ من كتاب حرفين كما كان النطق بحرفٍ

---

٢) سورة الأنعام ١٣٤

مدغم اخفّ من النطق بحرفين مضاعفين وذلك مثل قول عبد يغوث :

فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبلّغنْ ندامايَ من نجرانَ ألّا تلاقيا

ومنهُ قول الله عزّ وجلّ (١ : « ممّا خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخلوا نارًا » . و « عمّا قليلٍ » (٢ . و « لمّا يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم » (٣ . وقول ابي ذؤيب :

أمّا لجنبيكَ لا يُلائمُ مضجعاً إلّا أقضَّ عليك ذاك المضجعُ
فأجبتُها أمّا لجسمي أنّهُ أودى بنيَّ من البلادِ فودّعوا

فامّا في البيت الاوّل هي « امْ » و « ما » وفي البيت الثاني « أنْ » و « ما » ففي ما (22ᵛ) بيّنًا من الحروف الموصولة بما دليل على ما لم نذكره

٥ باب ما يُوصَل بها من المبهمة وما يُفصَل منها

ومن الاسماء المبهمة الظروف التي توصَل بما وهي « أين وكيف ومتى » اذا لم تكن بمعنى الذي وجاءت مؤكّدة كقوله جلّ ذكرهُ (٤ : « أينما تكونوا يُدرِككُمُ الموتُ » . وقولك : « كيفما تصنعْ اصنعْ » . و « متى ما تأتني آتِكَ » فقصّة « متى » في الوصل قصّة « حتّى وعلى والى » تُردّ ألفُها وهو القياس . وذلك مثل قول الهُذَليّ :

متاماً أتتْ غيرَ زهوِ الملو كِ أجعلْكَ رَمْطاً على حُيَّضِ

الرمط في هذا البيت جلدٌ تلبسُهُ الحائض . فان كانت بمعنى الذي وزال معنى الجزاء فُصِلَتْ كقولك : « أينَ ما وعدتَنا » تريد الوقت الذي وعدتَنا « وكيفَ ما قِبَلَكَ » تُريد الذي قِبَلَكَ . واذْ ما واذا ما في المعنى لا في الخطّ مثلها لأنّ الذال لا تتّصل بما بعدها . وامّا حيث فيجب أنْ تُوصَل بما على كلّ حال لانّ « ما » لا تكاد تقع بعدها مستغنيةً (23ᵛ) عنها . ويدلُّك على ذلك انّ قولك « حيثما شئت » بمنزلة قولك « حيث شئت » . ومنها من هذا الباب وانّما هي « ما ما » فالأولى اسم مُبهَم بمنزلة أين ومتى . والثانية بمنزلة ما التي بعد أين ومتى وأُبدِلت الهاء من الالف

١) سورة نوح ٢٥
٢) سورة المؤمنين ٤٢
٣) سورة آل عمران ١٣٦
٤) سورة النساء ٨٠

استثقالاً لتكرير الحرفين وصارت الكلمتان كالكلمة الواحدة . ولا تقع مهمّا في غير المجازاة فلا تكون الّا موصولة . وفي ما ذكرنا من المبهمة دليل على ما لعلّه شذّ منها

٦ ما يوصل من المتمكّن بما وما يُفصل منها

ومن الاسماء المتمكّنة التي توصل بما « كلّ » . وذلك انّه اسم للاحاطة يؤكّد به . فلمّا وقع في جميع الاشياء وكان تابعاً ضارع الظروف المبهمة وكثر مع ذلك استعماله فشبه بالأدوات من الحروف فاذا اعمل فيه ما بعده وجُوزي به وكان ظرفا او ضارع الظروف وُصل كقولك : « كلّما جئتني اكرمتُكَ وكلّما سألتني اعطيتُكَ » . وكذلك ان كانت ما لغوا نحو : « انت آكلُ من كلّما رجلٍ . وهي اجملُ من كلّما امرأة » واذا اعمل فيه ما قبله وابتُدِئَ به ولم تكن فيه مجازاةٌ ولا مضارعة للظروف (23v) ولا كانت ما لغوًا فصل كقولك : « كلُّ ما سألتني مبذولٌ لك . وكلُّ ما جئتني مرّتان . وكلُّ ما لكَ ألفانِ . ورضيتُ بكلّ ما صنعتَ . وقبلتُ كلَّ ما قلتَ . ولك كلُّ ما عندي » . واما « مع » فانّه وان كان ظرفا لازماً له النصب فليس بمبهم لا صلة له ولا وقعت فيه مجازاةٌ وليست ما بعده كالملغاة بل هي موصولة كالذي ومعَ مضافٌ اليها فلا يجب وصله بما ومن وصله لاضافته على التشبيه بكلّ لزمه وصلُ كلٍّ اذا كان لغير مجازاة ولا مضارعاً للظروف . واما « ايٌّ » فاشدّ مضارعة للمبهمة من كلّ لانه يستفهم به ويُجازى به فيكون بغير صلة فوصله بما اوجب اذ لم يكن ما بمعنى الذي كقول الله جلّ وعزّ (١ : « ايّما الأجلين قضيتُ » . ولا توصل اذا كانت بمنزلة الّذي كقولك : « ايُّ ما عندك اجودُ » . وكذلك « بينما » التي للمفاجأة كقول الشاعر :

بينما يَنعتنني ابصرنني دونَ قيدِ الميلِ يَمذو بي الأغرّ

وقال الآخر :

بينما نحنُ مُرتمُونَ بفلجٍ قالت الذّلعُ الرّواءُ آنِ آبِ

١) سورة القصص ٢٨

توصلُ لأنَّ المفاجأة مضارعةٌ للمجازاة ولأنَّ « ما » التي مع بَيْنَ التي (24ᵃ) للمفاجأة تضارعُ اتي في قول الشاعر :

فبينا هُ يَشْرى رَحْلَهُ قالَ قائلٌ لِمَنْ جملٌ رِخْوُ الملاطِ نجيبُ

والالف لا تنفرد . فان كانت لغير المفاجأة لم يَجُزْ وصلُها كقولك : « بَيْنَ ما اقولُ وبينَ ما تقول بَوْنٌ » . واما « ما » التي مع « ابن » في قول الشاعر :

لُقيمُ بنُ لُقمانَ من أُخْتِهِ فكانَ ابنَ أُخْتِ لهُ وابْنَما

وفي قول الآخر :

« فكنتُ لهُ أما وكان لِيَ ابْنَما »

فانَّها ميم مَزيدةٌ على « ابن » فلمَّا نُصِبَ الاسمُ لحِقَها الفُ التنوين فأشبهت « ما » . وهذا يُذكَر في موضعهِ ان شاء الله . فهذا قياس ما وصلتَ بِمَا من المتمكنة وفيهِ دليل على ما لم نذكرهُ فافهم ذلك

٧ ما يُوصَل من الافعال بِمَا وما يُفصَل منها

ومِمَّا يُوصَل من الافعال بما « نِعْمَ » و« بِئْسَ » لمَّا كانا عبارةً عن كلِّ مدحٍ وذمٍّ وعُبِّرا عن امثلة الافعال فأُجريا مجرى الأدوات ضارَعا الحروف ولم يقع (24ᵇ) ما بعدهما ايضا بمنزلة الذي وكانت نِعْمَ تُدغَم في ما في اللفظ كقول الله جلَّ وعزَّ (١) : « نعمَّا يَعِظُكم به » وقالت العرب : « غَلَّهُ غَلَّا نِعِمَّا » فوجب وصلها في الكتاب وان لم تُدغَم لإدغامها احيانا مع ما ذكرناهُ . وأُجريتْ « بِئْسَ » مجراها لأنَّها مثلها في كلِّ شيء ما خلا الإدغام وذلك « نِعْمَ ما فعلتَ » غير مُدغَم . و« بِئْسَ ما فعلتَ » ولا يجوز ان يوصَل ما اشبههما من الافعال بما كقولك : « حَسُنَ ما جئتَ بهِ . وعَظُمَ ما أتيتَ بهِ » . ولا مثلُ « طالَ ما » و« قلَّ ما » وان سكنتَ اواسطها وكثُر في الكلام لأنَّهما لم يُغيَّرا عن أبنيتهما ولم يقعا عبارةً عن كلِّ شيء وليس فيهما ما في « نِعْمَ وبِئْسَ »

(١) سورة النساء ٦١

٨ ما يوصَلُ بِمَنْ خاصّةً وما يُفصَل منها

واعلم انهُ لا يجوز ان يوصَل بِمَنْ شيء مما وُصل بِما لأنَّ « مَنْ » لا تكون حرفاً من حروف المعاني ولا تُلغى ولا تكون اسماً لغير ما يعقل ولم تكثر في الكلام كثرةَ ما فلا يُكتَب بمثلُ « إنَّ مَنْ ولَيْتَ مَنْ ولَعلَّ مَنْ وكأنَّ مَنْ وكَيْف مَنْ وأيْنَ مَنْ ورُبَّ مَنْ وكلَّ مَنْ ومَعَ مَنْ وأيُّ مَنْ » (25') الّا مفصولاً لِما ذكرنا الّا ان يكون قبلها شيء من الحروف التي على حرفَيْن وآخرها مما يُدغَم في ما بعدهُ مثلُ « مِمَّنْ وعَمَّنْ » وانّما ذلك للادغام. ولا يوصَل بها « كَمْ » وان أدغمت في اللفظ لأنّها اسمٌ ولأنّها لم تكن توصل ايضاً بِما في قولك : « كَمْ ما عِندَكَ » لذلك ولئلّا يُشبِهَ كافَ الجرّ اذا وُصلت بما. ولا تُوصل بها من نفسها اذا قيل « مَنْ مَنْ في الدار » فمَنْ وَصَلَ بمَنْ « في » و « مَعَ » لزمَهُ ان يَصل بها « رُبَّ وكُلَّا وايًّا ». ومن زعم انّهُ يصل بمَنْ في الاستفهام شيئاً من ذلك كقولك : « فِيمَنْ ترغب » على قياسِ « فِيمَ انتَ » فقد اخطأ لأنَّ النون لا تُحذَف في مَنْ للاستفهام كما تُحذف الفُ « ما » وليس يُشبِهُ هذا ذاك ويلزمهُ ان يفعل ذلك في « إلى وعَلى » ونحوهما في الاستفهام مع مَنْ ولا يكتُبُ هذا احدٌ والصوابُ ما بيّنّا

٩ ما يوصَلُ بِلَا خاصّةً وما يُفصَل منها

واما « لَا » فتدخل على جميع الاسماء والافعال فتكون عاملةً فيها وغيرَ عاملةٍ ويكثر استعمالُها لذلك وهي حرفُ معنًى ايضاً ولفظُها كلفظِ « ما » (25") فهي توصل بأشياء وتُفصَل من اشياء كما فُعِل ذلك بِما . غير انّها لا تكاد توصَل الّا بالحروف خاصّةً . فمن ذلك ان تقع بين « أنْ » الناصبة للفعل وبين الفعل كقولك : « أريدُ ألّا تفعَلَ . وأسألكَ ألّا تعودَ » فهذه توصل بأنْ للادغام الذي يلحقُها في لفظها اذا وَلِيَتْها ولِمَا قدّمنا ولأنّها قد وقعت بين صلةٍ وموصولٍ ولأنّها لا تثبت في الخطّ لأنّها قد صارت لاماً وأُدغمت في اللام التي بعدها فهما يُكتَبانِ لاماً واحدةً . فان وقعت بعد أنْ المخفّفة من الثقيلة فُصِلَتْ مما قبلها عاملةً كانت او غيرَ عاملةٍ كقولك : « قد علمتُ أنْ لا تفعَلُ . وقد ظننتُ أنْ لا خيرَ عندكَ » لأنَّ المعنى

« انك لا تفعلُ وأنّهُ لا خير عندك » فالضمير في المعنى متّصل بأنْ حاجزٌ بينهما حتّى كأنّهُ لا إدْغامَ معها ومنهُ قول الشاعر :

فَيَا راكِبًا إمّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدَامايَ من نَجْرانَ أنْ لا تَلاقِيَا

يجوز ان تكون مخفّفةً من الثقيلة وان تكون التي بمعنى أي وكلتاهما لا توصل . وكذلك هي توصل اذا جاءت بعد « كَيْ » لأنّهُ يُضمَر بينهما أنْ او تنوب كَيْ عنها في اللفظ فكأنْ لا انّما وُصلت بأنْ وذلك قولك : « جئتُكَ كَيْلَا تفعلَ » فاما « لئلّا ولِكَيْلَا » فهما « كَكَيْ » وان دخلت عليهما لام الخفض . ولا يجوز وصل « لا » بحتّى وان نابت عن أنْ او كانت تُضمَر معها لطُول حتّى وانّها انّما (26') تدخل على الاسماء في الاصل ولو وُصلت بها لكُتبت بالالف فاجتمع شبهان . وتوصل لا بانْ الجازمة اذا وقعت بينها وبين الفعل المجزوم لأنّ الجازم والمجزوم بمنزلة المضاف والمضاف اليهِ لا يُفصَلان وقد وقعت بينهما ولحقها الادغام فصارت مع ما قبلها كالكلمة الواحدة وذلك مثل قول الله جلّ وعزّ (١ : « إلّا تفعلوهُ تكن فتنةٌ في الارض »

وتوصل لَا بهَلْ لأنّ « هَلْ » بمنزلة ألف الاستفهام وان كان على حرفين وقد لحقها في اللفظ الادغام ولأنّ معنى الاستفهام بهَلْ مع « لَا » يؤولُ الى التوبيخ فكأنّهما صارا كلمةً واحدة تجيء للتوبيخ وذلك قولهم : « هَلّا وانتَ شحيحٌ » . وقوم من العرب يصيّرون الهاء همزةً فيقولون « ألّا فعلتَ » في هذا الموضع ولا يقولون ألْ في هَلْ وحدها اذا لم يكن معها لا . وهذا يدلّ على أنّهم جعلوها كلمةً واحدة ولكنّهُ لا يثبت في الخطّ الّا لامٌ واحدة كراهيةَ الجمع بين الشبهَيْن . ولا يجوز ان توصل لَا ببَلْ وانّما أدغمتا في اللفظ لأنهما يجتمعان ولا يزول معناهما ولا يحدثُ فيهما معنى آخر ولأنّ الكلام لا يُستأنف ببَلْ وانّما تكون جواباً او بعد كلام فيقلّ استعمالها وذلك مثلُ : « بَلْ لا يُكرِمون اليتيمَ »

واعلم انهُ لا يجوز ان يوصل بلَمْ شيء ممّا وُصل بلا (26') وان أدغما في اللفظ لأنّها لا تدخل الّا على الافعال المضارعة خاصّةً فلا يكثر استعمالها . ولأنّ الميم

١) سورة الانفال ٧٦

لا تُشبه الالف اذ لم تكن من حروف اللين التي تلحقها العلة والحذف وغير ذلك . ومع ذلك انَّ « لَمْ » وما يلحقهـا لا يكونان كلمةً واحدة لمعنى يحدثُ باجتماعها وذلك مثل « انْ لمْ تفعلْ لمْ افعلْ » . وعلمتُ انْ لمْ يذهَبْ » وكذلك سبيل « لنْ » كقول الله جلَّ وعزَّ (١) : انهُ ظنَّ انْ لنْ يحورَ » . و « قد ظننتُ انْ يذهَبَ » . وعلى هذا قياس ما لم نذكرهُ من امر لا

١٠ ما يوصل بحرف التَّنبيه وهو ها وما يفصل منهُ

ومما يوصل بها التي للتنبيه في المواضع التي تحذف فيها الفها في الكتاب لتوصل كما تحذف من الكلام في قولهم « هَلُمَّ » لأنها اذا حذفت الفها صارت على حرف واحد . والحرف الواحد لا ينفرد فتوصل . وذلك مثل : هذا وهذانِ وهؤلاء . وهكذا . وذلك انَّ التنبيه لزمَ المبهَم وكثرَ استعمالهُ معهُ حتى صار كالكلمة فخُفِّف في الكتاب كما خُفِّف في هَلُمَّ في الخطّ واللفظ . فامّا هاؤلائك وهاذاكَ » فلم تُحذف منها الالف في الكتاب . وتفسيرهُ يأتي (27r) في موضعهِ ان شاء الله

١١ ما شذَّ من الموصول عن نظائرهِ

ومما شذَّ عن نظائرهِ فوُصل وحقُّهُ غير ذلك فجاز لعارض عرَضَ فيه « وَيْ » اذا وقعت قبل كأنَّ الثقيلة كقولهِ (٢ « وَيكأنَّهُ لا يفلحُ الكافرون » او قبل كأنَّ الخفيفة كقول الشاعر :

وَيكأنْ مَن يكنْ لهُ نَشَبٌ يُحبِبْ م ومَنْ يفتقر يعشْ عيشَ ضُرّ

وذلك لأنها قد كانت توصل بكاف المخاطبة في قولهم « وَيْكَ » لأن الكاف لا تنفرد فأُجريَتْ مع كاف الجرّ مجراها مع غيرها . وأبعدُ من « وَيكأنَّ » وصلُهم « وَيلُمِّه » يريدون « وَيْ لأمه » لمّا حذفت الهمزة من الكلام تخفيفاً وصلوهُ في الكتاب ومثلهُ قول امرئ القيس :

وَيلُمِّها من هَوَاءِ الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذي في الارض مطلوبُ

(١ سورة الانشقاق ١٤ (٢ سورة القصص ٨٢

ومن ذلك وصلهم ما أضيف من اسماء الزمان الى « اذْ » بها كقولهم « يومئذٍ وليلتئذٍ وساعتئذٍ وزمانئذٍ وحينئذٍ » وذلك ان « إذْ » ليست (27) مما يُضاف اليه فهي وما قبلها « يجعلان شيئاً واحداً بمنزلة خمسة عشرَ ويُبنى الاوّل منها على الفتح فتصير همزةُ «إذْ» التي حقّها التحقيق بمنزلة المتوسّطة فتكتب على حركتها ياء. فلمّا كانت تجعل في اللفظ بَيْنَ بَيْنَ وفي الخطّ ياء وصلوها. وقد وصل الكتّاب ما هو ابعد من هذا في كتبهم وذلك « ثلثمائةٍ وستمائةٍ » لمّا كانا عددا مضافا وكثر استعمالهما ولم يكونا ممّن يُعرَف او يُعطَف كخمس وسبع وصلوهما. وفعلوا مثل ذلك في حبذا لانهما كالكلمة الواحدة وهي نظيرة نعمّا وبئسما فاجروا «ذا» ههنا مجرى ما . ثم مما وُصل على الشذوذ في مع « بما » تشبيها بما يجب وصله وقد كنا بيّنا امرهما. فهذا جميع ما يوصل او يفصل . وقياس ما لم نذكره هذا القياس ايضا (انه صلة)

الحشرات الجرّاحة

نظر اخلاقي في طبيعة الحيوان للاب اسكندر طوران اليسوعي

وقف القارئ على ما خُص به الحيوان من الوهم والغريزة العجيبة في اصلاح حاله وتجهيز عشه واصطياده لطعامه وغذاء ذريته وحفظ نسله على مقتضى ما طبعه الخالق في كيانه دون علم سابق في الحيوان يؤدّي به الى غايته بل يجري عليه منذ ولادته ويتصرّف بعمله هذا على موجب اطوار حياته اذ يختلف وهم الحشرة وهي دودة عن وهمها في نشوئها وبلوغها وتوليدها كما يختلف ايضاً في جنسي الحيوان لأن غريزة الانثى تخالف غريزة الذكر فان هذا عادةً يعيش متغافلاً لا يكترث لأمور عشاره وربّما اعتدى متغافلاً على مادتهم او قضى ايامه في امتصاص الزهور وهو لا يدري عملاً كما ترى الزنبور بين النحل العاملات بخلاف الانثى التي تهتمّ بإعداد العش لنسلها وتزيينه بالطعام المناسب لهم منذ اوّل حياتهم او القيام بخدمتهم مدّة قصورهم

وقد اطرأنا قوّة هذه الغريزة وذكرنا شيئاً من عجيب اعمالها لكننا لم نستوف عنها الكلام ولم نكشف غير وجهٍ من خواصها . وها نحن نبيّن لك صورة أخرى من تلك الخواصّ لتتأكد مبلغ علم الهوامّ الفطاريّ الذي بكماله ينفي عنها كلّ علم مكتسب ويثبت عمل الخالق فيها

واننا سنفرد هذه النبذة لمعاينة ما تفعلهُ الحشرات لتموين خلايا نسلها بقوتٍ يبقى زمناً طويلاً مخزوناً بلا فساد ريثما تستنفدهُ صغارها

وهنا مشكل كبير فانَّ الحشرة الصيّادة لا يمكنها ان تجعل في وكر صغارها صيداً حيًّا لئلّا يُفسد بيضها او يفترس نسلها عند ولادتهِ . وكذلك لا تستطيع ان تجعل في ذلك الوكر صيداً قتيلاً او ميتاً لأنهُ لن يلبثَ ان ييبس لحمهُ الطريّ وينتن فلا سبيل الى الاغتذاء بهِ بل يصبح سمًّا لآكلهِ . وليس كلامنا هنا على الحشرات التي تقيت صغارها يوماً بيوم كحشرة البمبكس (Bembex) اذ لا بأس أن تأكل صغارها ما اصتهُ فقتلتهُ من الصيد قبل فسادهِ . وانَّما نتكلم عن تلك الحشرات التي تخزن صيدها لمستقبل نسلها حين يفقس البيضة بعد موت الامّ بزمن طويل فيأكل ذلك الطعام المخزون لقوام حياتهِ . فكيف يبقى هذا الطعام دون فساد طول تلك المدّة وفيهِ العناكب والجراد والصراصر وضروب الدود وكلها معرَّضة للفساد بزمن قليل ؟

هلمَّ نعتبر عملها فتقضي بهِ العجب

انَّ ارباب الجراحة اذا عمدوا الى اجراء عملية شاقّة في عضو من اعضاء جسم الانسان حاولوا تبنيجهُ لئلا يحسّ المريض بألم العملية وذلك إمّا بتخدير العضو وإمّا بتنويم المريض والقائهِ في سُبات موقّت لا يخاف من بعض الخطر على حياتهِ . وربّما أُصيب البعض بمرض التخدير الذي يعرّض صاحبهُ الى موتٍ عاجل . وعلى كلٍّ لم نسمع حتّى اليوم بجرّاح يستطيع ان يخدّر او ينوّم شخصاً مدّة عدّة اسابيع مع بقائهِ حيًّا صحيحاً

على انَّ ما لم يبلغ اليهِ بعد العلمُ الحاليُ نجدهُ في عدّة حشرات التي تفقهه دون ارتياب وتمارسهُ منذ اوّل وجود جنسها على سطح الارض . وهذه الحشرات تستحضر مادّة مخدّرة تُشلُّ بها اعضاء فرائسها وهي تعرف كيف تحقنُ ما تصيدهُ من الهوامّ

كلّ صيدٍ على حسب طبيعته وذلك في عين النقطة التي تجتمع فيها الاعصاب المحرّكة للجسم وهي تُحسن مناسبة ذلك الحقن للغاية المقصودة بحيث يفقد المحقون كلّ حركة ظاهرة وكلّ حسّ دون ان يصيبه الموت ويبقى على تلك الصورة عدّة ايّام بل عدّة اسابيع واحشاؤهُ قائمة بوظيفتها فتفرز الموادّ المهضومة بل يستطيع الحيوان المنج ان يمتص ما يُقرَّب اليه من الوانع على طرف قشّة صغيرة فلا شكّ انهُ يبقى حيًّا مع فقدان الحركة والحسّ

فيا للعجب كيف هذه الحشرات المعروفة عند علماء الطبيعة بهذه الاسماء بيلوباي (Pélopée) وسكولي (Scolie) وسرسيرس (Cerceris) وسفكس (Sphex) واومان (Eumène) وغيرها يمكنها ان تقوم بمثل هذه الاعمال الجراحيّة دون ان تتعلّمها وهي تعرف ذلك منذ تحوّلها عن حالتها الدوديّة الى الطيران وتعلم به دون ان ترى احدًا مارسه قبلها . هذه الحشرات يوم بلوغها تطير في الفضاء فتجتمع بذكر من جنسها أبله جاهل واذا هي من العلم في مكان تعرف بكل تدقيق بناء عشها وتحتاط لنسلها بان تصيد لهُ ما يلائمهُ من الحشرات وتصطادها دون قتلها بتخدير جسمها ثمّ تخزنها لوقت حاجة صغارها اليها . هذا ما نراهُ كلّ يوم من العجائب في هذه الهوام

دعنا نعاين بعض اختبارات العلّامة الطبيعي فابر التي اثبت بها قدرة تلك الحشرات في فنّ الجراحة :

هذه حشرة السرسيرس الغُدديّة (C. Tuberculata) من فصيلة الهوام النشائيّة الاجنحة الشبيهة بالزنبور . وهي تصطاد حشرات غمديّة الاجنحة من نوع سوس القمح . فلنبحث اوّلًا عن عشها ثم نراقبها حين تجمع ذخيرتها فنحتال عليها لنطّلع على طريقة تخدير فريستها . ها هي ذا قد عادت من الصيد فتحطّ قريبًا من وكرها ثم تسعى بجرّ فريستها المخدَّرة لتودعها في مطاميرها . فلننزع من ايديها تلك الفريسة ونجعل بدلًا منها دويبةً مثلها غير مخدَّرة فترى للحال السرسيرس مضطربة قائمة تخدّ الارض بمخالبها فتلتفت يمينًا وشمالًا فلا تلبث ان تجد الدويبة التي بدلناها منها فتثب عليها وتضمها بين قوائمها . لكنّها وجدت تلك الفريسة حيّةً تقوى على المدافعة عن نفسها فهناك ابتدأت مبارزة موثرة ومأساة مفجعة انتهت بطرفة عين . فالسرسيرس

قامت في وجه فريستها وامسكت خرطومها بفكيها والزمتها الحضيض وهي تبرعص تحتها لتنجو من فتكها لكن السرسيس قلبتها على ظهرها وضغطت عليها بقدمتيها بحيث تفرج عن بطنها ثم انكبت عليها وقربت بطنها من بطن الصريعة ووخزتها بحمتها المسمومة دفعتين او ثلاث دفعات في اعلى صدرها في مفرق قوائمها العليا والسفلى . فللحال أصيبت الدويبة بشلل تام وبقيت دون حراك كأنها صعقت فجمدت تماما . وفي اثر ذلك قلبتها الغازية على ظهرها وركبت عليها قوائمها كالكلابة ونقلت بها الى فضاء الجو

قال المسيو فابر وكررت هذا الامتحان ثلاث مرات فما كانت السرسيس تحيد عن عملها ذرة . وقد فحصت الدويبات المصطادة بعد تخديرها او بعد ان نزعتها من عش صغارها فكانت اجدها سليمة الاعضاء طرية الجسم صحيحة الامعاء ناصعة الالوان ليس عليها اثر الموت وقد حفظت بعضها في علبة او ورق مدة شهر بنيف فلم تفسد ولم يؤثر فيها الحر فوجدتها بعد هذه المدة الطويلة سليمة صحيحة يمكن تشريحها كما تشرح الحشرات الحية بحيث ثبت عندي انها حية لا ينقصها سوى الحركة . فأخذني العجب كل مأخذ لدى نظري عملا قامت به حشرة السرسيس يشبه بل يفوق عمل الاطباء الذين يخدرون الاعضاء بالكلوروفورم والاثير كأن تلك الهامة واقفة على اسرار فن الجراحة فهي تعرف كل المعرفة تركيب الجهاز العصبي في الحيوان

قلنا ان السرسيس بتخديرها لاعضاء فريستها دون قتلها تشبه بل تفوق على الاطباء وذلك عين الحق . قل لي بحياتك الله لو قدمت الى الدكاترة الاختصاصيين بعض هذه الحشرات التي تصطادها السرسيس وطلبت منهم ان يخدروا اعضاءها دون قتلها فماذا ترى يكون جوابهم ؟ لا شك انهم يقولون ان الامر يحتاج الى درس خاص لجهاز تلك الحشرات والوقوف على اعصابها المحركة لجسمها ثم يجب استحضار بعض المركبات الكيموية المخدرة ثم محاولة الحقن بها وهم مع هذا لا يقطعون بنجاحهم في تخديرهم او بثبات ذلك التخدير زمنا طويلا

هذا ما يقوله اساطين الجراحة وشيوخ فن الطب . واين هذا العلم من عمل السرسيس فانها دون علم سابق ولا اختبارات اعدادية ولا ادنى ارتياب تجري

اعمالاً جراحيّة لا يقوى عليها اكبر العلماء فتميز في فرائسها المراكز المحركة التي يجب تخديرها فلا تخطئها البتّة . واذا حقنت فريستها قدّرت كميّة البنج المناسبة لتخدير اعضائها دون سلبها الحياة . فهذا كلّه يدلّ على علم كامل مطبوع في كيان تلك الحشرة حصلت عليه في مولدها كما حصل عليه كلّ افراد جنسها نالته من نعمة الخالق لحفظ نسلها . فهذا هو الوهم او قل الغريزة التي سبق لنا الكلام عنها وافرزناها عن العقل

وليست هذه الحشرة وحدها حاصلة على هذا العلم العجيب بل اثبتنا ذلك لحشرة السفكس في صيدها للافيبجار الضخمة (المشرق ص٢١٣) . ومن السفكس نوع آخر اصغر الجناحين يصطاد الصرصور والذي هو اكبر منه حجما بأضعاف . فاذا صاده حطّ به قريبا من وكره بعد تخديره كما فعل السرسيس ثم يجعل احد قرنيه بفيه فيسحبه الى باب الوكر . ثم ينزل الى الوكر ليعد مكانا للفريسة المقتنصة

قال المسيو فابر : فانتهزتُ فرصة غيبته القصيرة فاخذتُ الصرصور المبنج وجعلتُ بدلاً منه صرصورًا حيًّا سالماً ثم انتظرتُ رجوع السفكس فما لبث ان خرج واذ رأى فريسته قد ابتعدت قليلا هجم اليها ليقبضها . فوجّهتُ بل . بصري الى ما سيحدث لئلا يفوتني شيء من ذلك المشهد الفاجع . فرأيتُ الصرصور هلعاً يهرب قفزًا الّا انّ السفكس رهقهُ ثم ادركهُ ووثب عليه ثمّ صرعهُ وجندلهُ على ظهره وركبهُ ثمّ لقط بفمه احدى قرنات بطن الصرصور فقرّب بطنهُ الى بطنه ومن ساعته وخز بخمته السامة اولاً عنق الصرصور ثم مفصل جانبَي صدره واخيرًا جهة بطنه . فتمّ العمل بلمحة العين واصبح الصرصور كأنّه قطعة جماد فبهذه الضربات الثلاث ادرك القاتل ثلاث مراكز من الاعصاب يبعد بعضها عن بعض فلم يخل بواحدة منها كابرع الجرّاحين واحذق ارباب الطبيعة . فاين اين علومهم ناكتسب من علمه الغريزي الذي سبقهم اليه منذ الوف من السنين !

والعجب كلّ العجب انّ كلّ حشرة من الحشرات الصيادة تجري عمليتها على حسب طبيعة فريستها فان السرسيس المحاربة لسوسة القمح ولنوع البوبرست لا تجد فيها الا مركزا واحدا من الاعصاب فتكتفي بوخز ذلك المركز الوحيد وخزتين اما السفكس فانه يجد في الصرصور ثلاثة مراكز عصبية فلا يفوته واحد منها الّا يضربها بسهمه

فلنعتبر فريسةً ثالثة من نوع الدود التي يختلف تركيبها عن تركيب الحشرات الطائرة كالصرصور وسوسة القمح اذ هي تتركّب من عدّة حلقات متواصلة متشابهة لكلّ حلقةٍ منها مركز اعصاب فتبلغ تلك المراكز اثني عشر مركزًا. فهل يا ترى يدري بذلك صيّادها وهل يغرز حمّتهُ في كلّ مركز منها . وليس كلامنا عن تلك الدودة الصغيرة التي ليس منها خطر على نسل الحشرة الصائدة فانّها يكفيها وخزة واحدة لتخديرها ودفع ضررها وانّما نتكلم عن كبار الدود التي منها خطر على صغار الهامّة الصيّادة ألا وهي الحشرة المسمّاة بأمُوفيل (Ammophile)

اخبر المسيو فابر انهُ صادف يوماً هذه الحشرة تحفر بقوائمها الارض حول نبات فعرف انها تبحث لها عن دودةٍ تصطادها فوقف يراقبها ليشبع نظرهُ بصيدها لفريستها . وفي الواقع بعد هنيهةٍ كشفت عن دودة كبيرة اسرعت الأمُوفيل فامسكتها من رقبتها بشدّة بحيث لم تستطع الدودة ان تتملّص من قبضتها . واذ تمكّنت منها وامتطت ظهرها اخذت تقرّب منها حمّتها الواقعة في بطنها فجعلت تغرزها بكل هدوء ونظام كما يفعل الجرّاح بمبضعهِ في كلّ خرزة من خرزات جسمها دون ان تغفل عن واحدة منها مباشرةً باعلاها الى اسفلها حتّى جمدت كلّ اعضائها ونقلتها الى وكرها

ولعلّ القارئ يسأل كيف تستطيع هذه الحشرات الصيّادة وكثيرة ما هي ان تهاجم هوام ذات مخالب شائكة واسلحة طبيعيّة نافذة كالنتيس (Mantis) المسلحة بجوارح قويّة والعناكب المجهّزة في افواهها بكلاليب سامّة تذيق الموت اعداءها وغيرها ايضاً ممّا لم تبخل عليها الطبيعة بعدد تصونها نفسها من سهام معاديها؟ هذا عين الحقّ الّا انّ للحشرات الصيّادة ايضاً وسائل لردّ غارات تلك الهوام فتحمي ذاتها من ضرباتها ثمّ تناجزها القتال حتّى تنفث فيها سمّها المخدّر لاعضائها دون قتلها لتبقيها صغارها مع تقدير الزمان اللازم لبقائها حيّةً

فهذه مثلاً حشرة تصطاد النحل تدعى فيلنت (Philanthe apivore) لكنها تقدّم لنسلها ذلك الطعام كلّ يوم بيومهِ فلا تخدّر صيدها تخديرًا قويًا وانّما تكتفي برشق سهمها تحت حنكها مرّة واحدة . ومثلها البنبكس التي تُطعم ذرّيتها طعاماً يوميًا بما تصطاد من القمع والذباب . امّا الصيّادة المدعوّة كاليكرغ

(Calicurgue) التي تُطارد المناكب الكبار السامّة فلئلّا تُغير عليها بكلاليبها الجارحة تمجُّ اوّلاً في فمها نقطاً من بَنجها واذا نجت من فتكها تعمد الى بقيّة مراكزها العصبيّة فتخدّرها

ومن هذه الصيّادات النوع المعروف بالسكولي(Scolies)الذي يتصيّد حشرات غمديّة الاجنحة كالجعلان يدعونها سيتوان(Cétoines) فهي تبحث عنها في الارض واذا نفثت فيها سمّها تقيس بين فعله والغاية المقصودة منها وذلك انّها تهيّئ لواليدها طعاماً لا يغتذون به الّا بعد الشتاء فلا بُدَّ ان يبقى مريئاً طيّباً . وقد اخرج المسيو فابر من تحت التراب بعض هذه المواليد المصطادة التي كانت الامّ ألصقتها ببيضها قبل تفقّسه فنزع ذلك البيض وحفظ السيتوان المخدّر فبقي عنده تسعة اشهر دون ان يَفسد الّا انّهُ كان معدوم الحركة

فترى كيف انّ وَهم هذه الحشرات وعلمها يختلفان على حسب غاية كلّ واحدةٍ منها وحاجات صغارها . فانّها مع خلوّها من العقل والادراك لا يفوتها شيء من الاعمال الآلة الى تغذية ذراريها وحفظ جنسها الى ما شاء الله

ولا يسعنا ان نختم هذا الفصل بكلام الطف وابلغ ممّا كتبهُ المسيو فابر في آخر وصفهِ الجميل لهذه الحشرات الصيّادة حيث قال : هذا ما لحظتُهُ بتأنٍّ وهدوء كما يقتضيهِ البحث العلميّ المدقّق . انّ حشرات الصيد الغشائيّة الاجنحة تجري عمليّاتها الجرّاحيّة بضبط ودقّة يحسدها عليها العلماء وهي تعرف ما يجهلهُ الانسان غالباً تعرف الجهاز العصبيّ الذي تتركّب منهُ فريستها وتعدّد ضرباتها على عدد ما فيها من مراكز الاعصاب . قد قلتُ «انّها تعلم وانّها تعرف» وكان الصواب ان اقول «انّها تباشر اعمالها كمن يعلم ويعرف» لأنّ تلك الاعمال فطريّة تمارسها تلك الحُيَيوانات مدفوعةً اليها بالوهم . ومن اين لها يا ترى تلك الغريزة أمن الوراثة الجدّيّة ام من الانتخاب الطبيعي او من تنازع البقاء كما يزعم الدروينيّون واصحاب مذهب النشوء والارتقاء ؟ . لا لعمري فانّ اقوالهم لا سندَ لها . امّا انا فانّ نتيجة دروسي ومراقباتي الطويلة المتعدّدة قد اثبتت لي بلا ريب انّ اعمال تلك المخلوقات الخالية من العقل انّما هي صورة ناطقة بحكمة ذاك الاله الذي يدبّر العالم ويرشد بسُنَن وَحيهِ الحيوانات غير الناطقة الى الغاية التي قصدها منها . واذ كُنت اردّد في عقلي هذه الحقيقة التي

كان برقها يخطف ابصاري ترقرقت في عيني دموع تأثيري العميق لتلك الحكمة غير المتناهية رب الكون ومدبر المخلوقات سبحانه وتعالى » (١)

النوابغ او كبار الرجال

بحث فلسفي اجتماعي لحضرة القس اوغسطين برمرجي البغدادي

تعريفهم وحقيقة وجودهم

ليس بالعسير على من ألِفَ مزاولة علم التأريخ أن يقف على حقيقة بادية لعيني كل ذي بصيرة ألا وهي تحققهُ انه في كل عصر وزمان وبين كل شعب وامّة وفي عهد كلّ مملكة ودولة قد ظهر فريق من الانام فاقوا عامّة معاصريهم بما أبدَوهُ من الذكاء العجيب والقريحة الوقّادة والارادة المحكمة وذلك من فضل ما اتوه من الآلاء السنية والمنح البهيّة فبزغوا في سماء عصرهم شموساً ساطعة واقماراً نيّرة مما خلّد اسماءهم في صحف التأريخ ورفع لهم أعلام الفخر والذكر الطيب على ممر الازمان والأدهر . وهؤلاء هم الذين سعوا في توسيع نطاق الاجتماع وبسط الحضارة وتأسيس المدن الفسيحة الارجاء وتأليف الممالك العظيمة وتقريب الابعاد وتيسير المواصلات وترقية الجمعية في معارج النجاح والفلاح والكمال

وفي رأسهم اولئك الذين انصرفوا في حياتهم الى اشرف ما في الانسان اي الى النفس فأقبلوا عليها مهتمين وكان إسعادُها دينهم وتهذيبُها دَيدنهم . ومنهم خدّام الدين الآخذون على عاتقهم امر الارشاد وتحريض الورى على التقوى وعمل الخير ومسالمة العباد . وفيهم الفلاسفة والجهابذة الدائبون في البحث والتنقيب والاستدلال والتدوين غايةً منهم اخراج البشر من دياجير الجهل الى نور العرفان . وبينهم زمرة

---

(١) اطلب كتابهُ

Fabre : Souvenirs Entomologiques : *1re Série , p. 230 et passim*

الاطباء الساعون في صيانة البدن من الاسقام الطارئة عليه بكشفهم اسباب الادواء وملافاتهم اياها بالعلاجات الشافية . وفي طبقتهم المشترعون العظام اصحاب القوانين والدساتير الشهيرة . وفي عديدهم الحكام والقضاة والفقهاء الباسطون العدل والمحافظون على الحقوق . وفي جملتهم الملوك والسلاطين الكرام والقواد والامراء الشجعان والمحامون عن البلدان والاوطان والساسة المحنكون والمخترعون الحاذقون والمكتشفون الماهرون وكل الذين اشتهروا بالاقبال على الامور العالية المناط بها خير الجمهور

تلك هي الحقيقة المتجلية لعين المؤرخ الحذق ليتتبع سياق الحوادث الجارية في كل عصر من الاعصر وعندها يقف مبلغ علمه . اما المفكر المدقق المتوخي ادراك الامور بعللها والعالم بان لا مسبَّب دون مسبِّب فتراه لا يلبث عند منتهى علم التأريخ بل يسعى الى ما وراءه باذلا جهده في سبر هذه الحقيقة بقياس الاصول الفلسفية ويغوص في اعماق دركاتها مستنيرًا بنبراس القواعد الاجتماعية قصد العثور على ضالته المنشودة باطلاعه على سر تفوق كبار الرجال ونبوغهم وتمكنه من كشف المعمّى عن سبب نفوذهم واستيلائهم على اهل زمانهم

آراء الفلاسفة في ماهيتهم وتفوذهم في الالفة البشرية

نبوغ كبار الرجال كما تقدم هو حقيقة تاريخية لا يختلف فيها اثنان . اما تعليله فلقد كان ولا يزال شغلًا شاغلًا للفلاسفة والمفكرين . فطالما تساءلوا فيما اذا كان النابغة هو وحده ومن ذات ما ازدان به من سمو الذكاء ومضاء العزم قادرًا على الاستيلاء على اهل زمانه مما يمكنه من قلب الاحوال من طور الى طور والاخذ باعنة الامور وقيادة الالفة الاجتماعية حسب رايه الخاص ومشيئته المطلقة . ففي حل هذه المسألة قد تضاربت آراء الفلاسفة شأنها في غالب المسائل . فهناك فريق اثبت اطلاقًا وثمّ فريق انكر بتاتًا

فالموجبون هم اولئك الذين يذهبون الى ان النوابغ هم هم ولا غيرهم العلة الوحيدة لكل ما قد حازه الجنس البشري من الكمالات على اختلاف اصنافها وان تاريخ البشرية عامّهُ وخاصّهُ قديمهُ وحديثهُ إنْ هو بالحقيقة الّا تاريخ كبار الرجال

لانهم كانوا وهم اليوم ارباب العالم وقادة الورى واساتذة البشر لا بل زد على ذلك وقل ان كل ما بذلهُ القوم من النفس والنفيس والغالي والرخيص في سبيل ما قد حصلوا عليه من المحسنات فالنوابغ وحدهم كانوا مبتكريه وجالبيه وماتحيه . وقصارى الكلام ان كل ما قد يبدو لاعيننا في العالم من نافع وشهي ولذيذ ما هو سوى نتاج قرائح كبار القوم ونوابغهم وتحقيق ما دار في خلدهم من الافكار المثلى والنيّات الفضلى

اما المنكرون فهم المبالغون في الحطّ من قدر ارباب القرائح القائلون بان لا حظ للرجل الكبير بذات نفسه من كل ما يعزى اليه من الكمال وحسن مزايا وخصال وانهُ ليس في شيء ممّا قد تسمو به الالفة من تقدُّم وتمدُّن وعمران وانما الفضل كلّهُ للمجتمع الذي يؤثر فيه تأثيره البالغ . على ان النابغة يولد وينشأ ويتدرج بين ظهراني مجتمع من المجتمعات محصور ومحدود فيه للوراثة والتربية والعوائد والاخلاق العوامل الكبرى ممّا لا بدَّ ان يفعل في تكوّن قريحة ذاك الرجل ونموّها وتدرجها . فتراه قبل ان يتمكن من العمل والتصرف في مجتمعه قد سبق المجتمع عينه فطبع فيه اثرًا بليغاً . فاضحى معلول التطور قبل ان يكون علّتهُ . وان هو سعى في العمل بين قومهِ فلا ذريعة له لاجرآء ذلك سوى عمدهِ الى الوسائل التي تضعها بين يديه الألفة عينها . وعليه فلا يكاد أثر النوابغ يكون شيئاً يُذكر وان كان هناك شيء ذو شان فهو محصور في قدرتهم لفضل ما فيهم من الذكآء على سبق غيرهم في الوقوف على ميل الافكار وتطوُّر الاحوال ونزعات الاقوام مما يمكنهم من اعلان اسباب مجاري الامور ويساعدهم على اتباعها . ففضلهم الوحيد ان كان ثمَّ فضل لا يزيد على فضل الروابي التي لارتفاعها تتلقى انوار الشمس البازغة قبل ان تستنير بها الوديان

الحكم الصواب في ذات عمل النوابغ وقدر تفوقهم في الالفة

غير خاف على اللبيب ما في هذين الرأيين من التطرّف الفاحش وكيف انهما على طرفي نقيض امّا الحقيقة التي من شأنها الاعتدال فقائمة في وسطهما لا تحيد عنه

قدر ذرّة وها نحن نتّبع الكلام رغبةً الوقوف عليها فنبحث اولًا عن طريقة اعمال النوابغ بذاتهم ثم عن كيفية تأثير تلك الاعمال في المجتمع الانساني

انَّ اعمال النوابغ اعمال بشريّة صرفًا وطريقة مزاولتها لا تتعدّى الطرائق البشرية بدليل المبدأ القائل : تجري الصنائع مجرى الطبائع . على ان ارباب القرائح مهما فاقوا في المزايا وتفرّدوا في الخصال فلا يخرجون عن حيّز البشرية والّا لتغيّر كيانهم . فلا يزالون اذًا بشرًا في طبعهم ومن ثمَّ في مزاولة اعمالهم

وكلٌّ يعلم ان في مقدّمة افعال الانسان افعاله العقليّة اذ الانسان انسانٌ بنفسه العاقلة حسب قول الشاعر :

لولا العقول لكان ادنى ضيغمٍ ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

وتُعرف النفس بافعالها والافعالُ النفسانيّة على ثلاثة أضرُب وهي : الشعور والتعقُّل والارادة . ولا بدَّ لكل من هذه الافعال قوّة تصدر عنها

مقرَّر ان النفس جوهر تامّ مستقلّ بذاته روحانيّ مجرّد عن المادّة والتركيب ومبدأ عاقل فعّال عامل بالذات حرّ بذاته متصرف في اعماله الادبيّة . بيد ان هذه النفس متّحدة بالجسم اتحادا جوهريًا ممّا يجعلها مفتقرة اليه في ابراز بعض افعالها اعني في ادراكها الجزئيات

(فالشعور) لا يتمّ الّا بواسطة الحواسّ التي بها يحصل فعلها الاول . والحواس على ضربين : حواس خارجية وعددها خمس : السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس وحواس باطنة وهي خمس ايضا : الحسّ المشترك والخيال والقوة الوهمية والمتخيّلة والحافظة

وادراك النفس للمحسوسات يكمل بالحواس الباطنة امّا الحواس الخارجة فهي آلة للباطنة . والشعور يفترض ثلاثة امور وهي الاول : وجود سبب مؤثر في الخارج وهو الجسم الذي يقع على احد الحواس الظاهرة فيطبع فيها صورته . الثاني : وجود آلة او حاسّة خارجة في الجسم تنقل ذاك التأثير او تلك الصورة الى الداخل على طريق الاعصاب المختصة بكل واحدة منها . الثالث : وجود قوة باطنة تدرك ذاك التأثير او تلك الصورة اي تشعر بها . ومن ثمّ فلا يتمّ فعل الشعور الّا بانتقال صورة

المحسوس مفرداً معيناً بصفاته . وهذه الصورة لا تحوي شيئاً من الجسم البتّة . وقد سُميت حسية لان النفس لا تستخدم في ادراكها سوى الحواس

امّا (التعقّل) وهو فعل النفس الثاني فبه تنتقل النفس من المحسوسات الجزئيّة الى المعقولات الكليّة فتعرف الشيء لا بصورته الفرديّة الجزئية الظاهرة كما هو الشأن في الشعور بل بماهيّته وخواصه الذاتية التي يقوم بها . ويحدث ذلك بعد ان تكون الصورة الحسية قد عبرت على طريق الاعصاب من الخارج الى الدماغ مركز الحس المشترك . وهناك تطالعها النفس وبقوتها الوهمية تدرك معانيها الجزئية وبمخيّلتها تتصرّف بها بالتركيب والتفصيل وتقيس بعضها على بعض قياساً حسياً لا دخل فيه بعد للعقل لما هو معلوم من انّ موضوعهُ الكليّات . على انه مقرّر انّ المعرفة لا تنجز الّا بوجود المعروف في نفس العارف . فما الحيلة والنفس روحانية غرضُها الكليات والمثل الخيالية جسمانية هيولية جزئية ؟ الحيلة هيّنة على النفس لما فيها من تلك القوة المفكّرة التي تتصرف بالمثل المفردة الحسيّة فتجعلها مطلقةً كليّة بحيث يصير المحسوس الجزئي معقولاً كليّاً . وهذه القوة المتصرفة يقال لها العقل الفاعل او القوة المجرّدة ويسمّى فعلها تجريداً . وهي تختلف غاية الاختلاف عن القوة الشاعرة كما ان فعلها فعل التجريد يتميّز غاية التميّز عن الإدراك الحسّي كتميّز الصور الفكرية عن الصور الحسّية

اما موضوع معرفة العقل البشري بنوع عام فهو الموجود المطلق وموضوعها الخاص طالما النفس تبقى متحدة بالجسد هو الذوات غير المادية الكائنة في الموجودات المحسوسة المادّية . وهذه الكائنات لا تخلو وهي في حال التركيب من ان تكون امّا جواهرَ او اعراضاً . ولا بدّ من ان تكون متّصفة بكم وكيف وزمان ومكان وفعل وانفعال ونسبة اضافية وهي كلها صفات عامّة لها دخل في تكوين الكائنات يدركها الانسان لاوّل وهلة بالبديهة كما انه بهذه القوة عينها يدرك الضروريات . وفي جملتها الاوّليات والمشاهدات والحسيات والوجدانيات والفطريّات والمجرّبات . وهذه المبادئ الكلية مع الموجود المطلق الراجعة اليه هي ركن معارف الانسان الاولية وعليها مدار عقله وهي العامل الاول في كل افعاله . وعند وقوفه عليها لا مندوحة له للعدول والإعراض عنها شاء ام ابى وذلك لما بينها وبين العقل من المطابقة التامّة

بيد اننا نجد من ذاتنا ان العقل لا يقف عند هذا الحد من الكمال بل ان فيه خاصّةً غير تلك وهي انه لا يكتفي بادراك صور المعقولات او الافكار ادراكاً بسيطاً فقط . بل يبلغ منه ان يتصرف بها مقابلاً بعضها ببعض ومثبتاً بقوة حكمه تارةً تنافُرها وطوراً تنافرها . ثم ينتقل بالاستدلال من البديهيّات الجليّة الى النظريّات الخفيّة . وبالقياس من نظريات معروفة الى نظريات مجهولة . وبهذه الطريقة يتوصل الى كشف الحجاب عن مخدَّرات الحقائق النظرية وتوسيع نطاق المعارف والعلوم الاكتسابية

(الارادة) ومن الامور التي لا يشوبها ريب ان لكلّ موجود غايةً يتّجه اليها وهي مقصد قواه وافعاله فللانسان اذاً وهو من اشرف الموجودات غايةٌ يتوخّى بلوغها ولا يتجه اليها بمحرّك خارجي يدفعهُ الى عمله بل بقوة داخلية تحركهُ الى افعاله يقال لها الارادة . على اننا قد اسلفنا القول ان الانسان يدرك الكليات بعقله والجزئيات بحواسه . ولذا لزم ان يكون فيه ارادة عقلية تدفعه الى السعي وراء الخير الكلي وارادة حسية تحملهُ على استحصال الخير الجزئي . ومن هنا ينجم ان الانسان يحب ما يراه خيراً ملائماً له ويكره ما يجده شرّاً مضرّاً به . بيد ان هذا الحب وهذا الكره ينشآن فيه عن اختيار ورضى وحرّيّة مطلقة فيجد من نفسه انه ربُّ افكاره واشواقه وافعاله .

وفعل الارادة هذا يفترض أمرين : اولهما ان يدرك العقل الخير اولاً . ثانيهما ان تقصده الارادة وترغب فيه اذ لا يراد الشيء الّا بعد عرفانه . وبذلك تستدلّ على ان الارادة قوة عمياء لا تدرك شيئاً من ذاتها ما لم تر العقل مدركهُ فهو دليلها الى الخير الذي تسعى وراءه فاذا ظهر لها الخير الكامل اندفعت اليه كل الاندفاع لوجودها فيه ما يملأ كل اشواقها ويشفي ويبرّد غليل هيامها فلا يبقى لها رغبة البتة في خير آخر بعد حصولها عليه . واذا ظهر لها الخير الجزئي فلا تميل اليه ميلها الى ذاك الاول لخلوّه من ملء ما تشتهيه . وان وجدتْ فيه بعض الارتياح فلا تقصد بذلك اتخاذها اياه غايتها القصوى بل تجعله سبيلاً لخير غيره وذريعةً لنيل ما فوقهُ وتبقى حرّةً في شأنه مخيّرة الانعطاف نحو غيره ولذا ترى الانسان لا يتمالك نفسه من السعي وراء السعادة التي هي الخير الاعظم المطلق لا تردُّد له في قبولها ولا اختيار له في

العدول عنها . واما اذا وجد خيراً جزئياً او حسنة من الحسنات تردّد في قبولها لا بل رفضها اذا رأى ان غيرها افضلُ منها

وجملة القول ان الارادة تميل ميلاً كلياً دون تردد كلّما رأت الخير الاعظم او السعادة . واما الخيرات الجزئية فميلها اليها يزداد بازدياد معرفة العقل لتلك الخيرات واشتداد الملاءمة بينها هي الارادة وبين الخيرات المذكورة

مزية النوابغ في اعمالهم البشرية

هذا هو منهاج العمل عند البشر عموماً وعند اهل الذكاء خصوصاً مع ما بين الفريقين من عظيم التفاوت في درجاته . على ان تلك القوى وتلك الافعال حسيّة كانت او عقلية او ارادية قد تبلغ في النوابغ مبلغاً من الكمال تقصر كل القصور عن التوصل اليه في من سواهم . فمن حيث الشعور ترى الداهية مزداناً بكل ما يقتضي له من حاسات ظاهرة او باطنة ولا سيّما ما يتعلّق بالسمع والبصر خارجاً وبالحافظة والمخيلة داخلاً مما يفترض فيه بدناً حائزاً كل الصفات المقوّمة لكيانه من بنية قوية واعضاء متناسقة وعضلات متينة ودم غزير زاخر يتدفّق من قلب ملؤهُ الحياة واعصاب شديدة منتبهة ودماغ واسع مما يجعل هذا الجسم لائقاً لخدمة القوى العليا وقادراً على الثبات تحت وقر اعمال النفس العقليّة . امّا نفس النابغة فحدّث عن سموها ورقيها ولا حرجَ فانها كاملة الخواص مزدانة بقوى عجيبة من عقلية شأنها التجريد والاستدلال والقياس . وارادية يقوم فعلها في توخي الغاية والبحث عن دواعي العمل والذرائع المقتضى اتخاذها للفوز بالمطارب . وهذا مما يفيدك عن الملاءمة التامّة الواجب وجودها بين نفس النابغة وجسمه . اذ ما الفائدة من وجود آلة بديعة القوام وهي الجسم الكامل الصفات بين يدي فاعل عاجز جاهل اعني به النفس الجامدة الخاملة ؟ واي خير يُرجى من وجود فاعل حاذق ماهر وهو النفس الراقية في يده آلة ساقطة معيبة اعني الجسم النحيف الهزيل العليل . ولذا لله درُّ فيلسوف النصرانية القديس توما الاكويني من قائل : « من شأن الابدان البديعة الكيان ان تنضمّ اليها نفوس سامية الذكاء والعرفان »

وسموّ هذه القوة العقلية في نفس النابغة انّما يتوقف على ان صاحبها يدرك

الامور بعضاً فكرٍ آيةٍ في بابه ويتمّ ذاك الفعل بخفّة يُقضى لها العجبُ العجاب . فانه يرى حالاً وبلحظة عين ما في المقدّمات القياسية من النتائج الجمّة التي لا تستخرجها العامّة الّا بعد العناء الجسيم والزمن الطويل . وكأني بفعل تعقّله هذا لا يُعدّ بعد من قبيل التجريد والاستدلال والقياس بل ضرباً من النظر المحض او البديهة وكأني بجميع الحقائق النظرية البعيدة الغور العسرة الاستقصاء ليست الّا بمثابة مبادئ اوّلية يحيط بها عقل النابغة علماً وذلك بمجرد القاء النظر عليها

والسرّ في هذا النمط العجيب من الادراك قائم في هذا الامر وهو ان الانسان من ذات طبعه قد وُجد في سلّم الكائنات وسطاً بين البهائم العجماء والارواح المنفصلة المحضة . بيد ان الناس وان كانوا مشتركين في النوع فلا تستوي فيهم المدارك . فادنى مراتب البشر متصلٌ بالبهائم وهم اوطأ درجة في تجريد الافكار عن الخواص الحسية . والذين اوسطهم مرتبة فالمجرّدة فيهم اقوى وافعل بيد انها شديدة البطء في العمل . واما ذوو الذكاء الوافر وهم اهل المرتبة العليا فالمجرّدة تسمو فيهم سموا عجيباً وتنفذ نفوذاً بليغاً مما لا تحسب بعد معه في شيء من القوة المتعقلة بل ضرباً من البديهة . فترفع بذلك اصحابها من طبقات البشر وتقرّبهم الى طغمات الارواح الملائكية

وشأن ارادة النابغة شأن عقله فانها تسمو سموّه وتنفذ نفوذه وذلك لما قد عُرفت به من السَّيْر على خطواته والاستنارة بمصباح نوره البديهي ممّا يجعلها قادرةً على ان تقف بسرعة غريبة على الغاية المقصودة والطرق المؤدية اليها فتجنح اليها كلّ الجنوح دون تردّد بين بعزم وحزم مكين . وكما ان الروح البسيط يعزم بحرّية واختيار ودون توقّف ولا مراجعة فالنابغة الجدير بان ينزّل منزلة الارواح ينوي عازماً ويُقدم عاجلاً

وصفوة القول ان النابغة يأتي اعماله بطريقة بشرية اعني بالشعور في امر قوة حسّه وبالتجريد والاستدلال والقياس في شأن عقله وبالمراجعة والمفاوضة فيما يتوسط بارادته . اما الذي يفرقه عن غيره فهو هذه المزية وهي انّ في وُسعه ان يقبض من ساعته وبخفة عجيبة على ناصية الحدّ الاوسط من القياس ممّا تضطرّ النتائج معه الى الانقياد اليه خاضعةً صاغرةً . وفي قدرته ايضاً ان يكشف القناع عن الوسائل

العناية فيعمد اليها بعزم وإقدام . وهذا هو السرّ في نبوغه بين امثاله وهذا الذي يفرده عنهم ويخصه ببعد النظر وغريب البداهة ومضاء العزيمة مما يجعلهُ جديرًا بان يلقَّب بكل صواب بالحساس الانبل والعاقل الاكمل والجازم الأمثل

أثر النوابغ في احوال زمانهم

قد عرفنا من هم النوابغ وما هي مزيّة اعمالهم بحدّ ذاتهم . فما القول بعد الذي رأيناه في قدر فعلهم وتأثيرهم في تطوّرات مجتمعهم؟ للجواب عن ذلك جواباً شافياً لا بدّ لنا من تمهيد

معلوم ان الزمان في تطوير دائم يتقلّب من حال الى حال فلا يُعرَض له قرار مع المحافظة على كيانه الجوهري الاساسي . وتبيانهُ انه اذ كانت الامة البشرية مؤلفة من افراد كثيرة كان شأن المجتمع شأن الفرد في باب المعرفة والعلم . على اننا قد تقدّم لنا إفاضة الكلام في ان عقل الفرد اذا وقف بازاء موضوع معرفته وهو الحق لا يخلو من ان يكون على حالين : اولها حال اضطرار وثانيها حال اختيار . فحاله حال اضطرار عند ادراك الموجود المطلق وما يرجع اليه من المبادىء الضرورية . وحالهُ حال اختيار عند استدلالهِ عن الموضوعات النظرية . هذا ما يجري عند الفرد وهو عينه جارٍ في المجتمع لكونهِ مجموع افراد البشر . وعليه ترى اولئك الافراد على الاطلاق جامعي الراي اضطرارًا على التسليم بالامور الاولية في كل صنف من اصناف علومهم ومعارفهم نظريّة كانت او عمليّة فلسفية او طبيعيّة اجتماعيّة او سياسيّة . واما الامور النظرية التي تحصل بالقياس بعد العناء وشحذ القريحة فتتضارب فيها اقوالهم وتتلاكم آراؤهم . والسبب في ذلك ان العقل سواء اعتبر في الفرد ام في الجمعية لا يدرك من تلك الحقائق الّا وجهًا من الاوجه مما يبقى معه حرًا في الاتحاد او الانفصال عن اي وجه من اوجهها . وهذا هو السرّ في تولّد الاراء التي تسمّى مذاهب اذا نُسّقت وبقيت نظريّة ويُطلَق عليها اسم طرائق اذا وُضعت في العمل . زد على ذلك ان الطرائق اذا تمكنت في الامة وتنازعت وغالبت بعضها بعضاً نشأ التطوّر . واذا نضج التطور كانت عاقبته الانقلاب على اختلاف انواعه سواء كان ذلك في عالم العلم او الاجتماع او السياسة

فاذا عرفت هذا زدناك علماً انَّ للنابغة أثرًا جليلًا في كل انقلاب يحدث في العالم . وهذا يطلب شرطين وهما ان يكون للداهية ارادة صادقة لإجراء ذلك الأثر وان يجد من ذاته مقدرة على اتيانه

امَّا قصد النابغة للتأثير في احوال عصره فانهُ ينشأ في صدر النابغة لوقوفه على عيوب مجتمعهِ وما احراه بذلك من غيره اذا قد تحقَّقنا فيه من سمو الطريقة في استطلاع سرائر الامور . وما اجدرَه ان يرى رؤية جليَّة ما قد اعترى جيلهُ من الشوائب والمصائب والآفات ممَّا يحصل له معه صورة واضحة عن الحال المماكسة المرغوب فيها لمجتمعهِ

زد على ذلك انهُ اذ كانت الارادة كما سبق الاثبات ميَّالة الى الخير الذي يقدّمه لها العقل فعند ما يدرك النابغة بتوقُّد ذهنه حالة زمانه السيئة او الناقصة ويقف بديهاً على ما يقتضي عملهُ لإصلاح حال قومه وترقيتهم ونقلهم من طور مضرّ الى طور يتوسَّم فيه الخير لهم ترى لارادة هذا الرجل ذي النفس السامية والهمَّة العالية تندفع ايَّ اندفاع الى تلك الغاية المتوخَّاة مائلة اليها ميلًا هذه شدَّته حتى انها لا يقرّ لها قرار ما لم تفزْ بذلك الخير المشتهى . فالنابغة اذًا هو مَن سعى غاية السعي وبعزم وإقدام لا بل بشوق وهيام الى ازالة ما يجدهُ في جيله من عيوب ونقصان وجلب ما يعرفه جزيل الفائدة وكبير العائدة للجمهور

بيد اننا لنحيد عن محجَّة الصواب ان اتَّبعنا اصحاب الراي الاول فعزونا قوة ادراك تلك الامور وقصد اجرائها الى النوابغ وحدهم دون غيرهم لان الامر الخاصّ بهم بمعزل عن سواهم هو تفوقهم المذهل في الوقوف على تلك الشؤون وإقدامهم العجيب على اتمامها وهذا ما يصدق فيه ارباب الرأي الاول . امَّا الموضوع الذي يفعل فيه عقلهم وتؤثر فيه ارادتهم فيهيئه لهم المنشأ الذي وُلدوا فيه والامة التي عاشوا في وسطها والتربية التي تهذَّبوا طبقًا لاصولها والمعارف التي تلقَّنوها . وفي هذا المعنى قد اصاب اصحاب القول الثاني

امَّا ما يتعلق بشان مقدرة النابغة على اجراء ذلك الانقلاب فاعلم ان ليس لارباب القرائح في ذلك الامر قدرةٌ شاملة ولا سلطة مطلقة . اجل اننا لا نجحد ان لهم في مثل تلك الاحوال من التأثير ابلغهُ ومن النفوذ اعظمهُ ممَّا يؤهلهم الى دفع الجمهور الى ما فيه الخير وذلك بفضل ما أوتوه من مضاء الفكر وقوة استطلاع كنه الامور

وشدّة العزيمة ودراية التوسّل بالذرائع الملائمة فيصبحون بذلك الركن الاساسي للعمل والمحرّك الاول لانشاء المشاريع الكبيرة وتدبير الشؤون المهمّة . بيد انهم ليسوا في شيء من ذات ما عندهم في استنباط وابتكار ما يحملون قومهم عليه ويسيرون بهم اليه لكون موضوعه قد اتاهم من فضل الكمالات المكتسبة قبلا والكامنة في المجتمع وفي احوال الجمهور العقلية والادبية والاجتماعية والسياسية

خلاصة المقال

النتيجة الشاملة الجديرة استخراجها من هذا المقال كله هي ان النوابغ فئة من البشر قد أنعم عليهم من العلاء بمواهب طبيعيّة اضافوا اليها مزايا اكتسابية جعلتهم يفوقون اهل عصرهم في مزاولة اعمالهم فازدانوا من البدن بأقواه واكمله ومن النفس بأبهاها وأسماها ومن الشعور بأدقه وارقه ومن العقل بامضاه وانفذه ومن الارادة باحكمها واحزمها فكانوا ولا يزالون في كل عصر آية الله في خلقه وذلك باحاطتهم بأغوص الامور وابعدها غوراً مما عجزت العامّة عن نيله وتمكّنوا من نقل الالفة من حال سيّىء الى حال صالح ومن حال حسن الى احسن فجاراهم في ذا السبيل قومهم وانقادوا اليهم عن رضى وارتياح لما توسّموا فيهم من الكفاءة لتحقيق ما كانوا هم بذاتهم يدركونه ادراكاً ناقصاً ومبهماً ويسعون في اقتنائه بارادة واهنة .

وعليه يكون النوابغ انمّة في الأمّة وقادة في الالفة لا متحكمين فيها متصرفين بشؤونها تصرّف المتسيطر . فان القدرة ومطلق السلطان لله وحده ربّ الكائنات يتصرف بها كما شاءت أحكامه الازلية وكلّ البرايا جمادها مع نباتها حيوانها مع بشرها وملائكتها خاضعة لسلطانه طائعة لأمره الذي لا مردّ له يعين محدّداً اعمالها دون فرق بين اضطراريها واختياريها طبقاً لعنايته الصمدانية . له الملك والقوة والجبروت وله الحمد والشكران الان وفي كل آن

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل السابع

في الخطابة النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

بعد كلامنا عن المفردات النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة واعلامها وامثالها وحكمها يقتضي ان نبيّن نفوذ هذا الدين بينهم بما هو ادلّ على آدابهم . وليس اكثر دلالة على ذلك من فنّ الخطابة

قد افتخر العرب في كلّ اجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسّط في الكلام وقوّة العارضة حتّى انّهم لجهلهم آداب ما سواهم من الشعوب كاليونان والرومان نسبوا الى قومهم الامتياز بفنّ الخطابة دون سواهم . ومهما كان من الصحّة في هذا الادّعاء لا مراء في انهم عُرفوا في كلّ آن بذلاقة اللسان وطلاقة الكلام

فيا ترى ماذا كان مبلغ نصارى العرب في هذا الفنّ وهل بقي شيء من آثارهم المنبئ ببلاغتهم الخطابيّة بين اهل جلدتهم

فقبل الجواب على هذا السؤال لا بدّ من تقديم ملحوظتين : الاوّل انّ ما بلغنا من خطب عرب الجاهليّة لم يُجمع الّا بعد الهجرة بمدّة مديدة فدوّنه الرواة في القرن الثاني للاسلام . فمن البديهي انّ كثيرًا من تلك الآثار الخطابيّة قد ضاع بطول الزمان وآفة النسيان او لم يبلغنا منه الّا نُتَف قليلة لا تكفي لأن نبني عليها الحكم الصواب في مقدرة نصارى العرب على القاء الخطب

الملحوظ الآخر انّ الرواة الذين رووا تلك المقاطيع كانوا من اهل الاسلام لا

يهمهم كثيراً الاشارة الى دين خطباء العرب في الجاهليَّة وكلُّهم في مظنَّتهم من اهل الشرك لا يختلف في عرفهم النصرانيّ عن اليهوديّ او الوثني

فلم يبقَ لكشف القناع عن الحقيقة الَّا ان نجري على الاستقراء والدلائل التي سبق لنا جمعها في الفصول السابقة للتمييز بين النصارى والمشركين واثبات ما يمكن استخلاصهُ لبيان علمهم بالخطابة فنقول :

معلوم انَّ الخطابة على اختلاف اغراضها من تثبيت ومشورة ومشاجرة على قسمين كبيرين دينيَّة ومدنيَّة . وفي كليهما آثار باقية تدلُّ على امتياز النصارى فيها على عهد الجاهليَّة وأوَّل ظهور الاسلام

١ الخطابة الدينيَّة بين نصارى عرب الجاهليَّة

بيَّنا في فصول مطوَّلة سبقت لنا في القسم الاوَّل من هذا الكتاب كم كانت النصرانيَّة منتشرةً في انحاء العرب فتتبَّعنا كلَّ جهات جزيرتهم واثبتنا استنادًا الى المؤرخين القدماء من يونان ورومان وسريان معاصرين ثم عرب كتبوا بعد الاسلام بقليل . هذا فضلًا عن الآثار الحجريَّة في الحميريَّة والآثار الفنيَّة المختلفة . فان كان الامر كذلك يلزم القول بانَّ الخطابة الدينيَّة كانت شائعةً بين تبعتها لأنَّ الديانة النصرانيَّة تنتشر عادةً بالتعليم الشفاهي اذ قال السيِّد المسيح لرسلهِ (متَّى ٢٨ : ١٩ — ٢٠) : « اذهبوا وتلمذوا كلَّ الامم ... وعلِّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتُكم بهِ » فلا يجوز استثناء المبشرين بالنصرانيَّة بين العرب من هذه المعرفة . ولا سيَّما انَّهم كانوا شيَّدوا بينهم كنائس عديدة واقاموا لهم اساقفة وكهنة وشمامسة كما قرَّرنا ذلك بالشواهد . وهؤلاء كلَّهم في مقدَّمة واجباتهم الارشاد والخطابة في عقائد الدين ليرسخوها في عقول رعاياهم ويثبتوها للخوارج والطالبين التديُّن بالنصرانيَّة . فليت شعري ماذا بقي من تلك الآثار الطيِّبة والخطب او المياءر . ولا ننكر انَّ اللغة الكنسيَّة كانت في بعض جهات العرب الكلدانيَّة او اليونانيَّة الَّا انَّهُ كان للغة العربيَّة حظَّها ايضاً في النواحي التي كان اهلها من اصل عربي محض كاليمن والحجاز وبين عرب المدر الساكنين في الخيم حيث كان يسكن بينهم اساقفة يتنقَّلون معهم في مناجعهم كما صرَّحت الآثار الكنسيَّة والمجامع الدينيَّة بذلك ودوَّنَّا اقوالهم

ومما عرّض الى الفقدان تلك البقايا الجليلة انّ الخطّ العربيّ الذي علّمهُ النصارى لاخوانهم العربَ كما أيّدنا ذلك بالشواهد لم يكن بعد انتشر انتشاراً كافياً ليحفظ ذلك القلم الحديث كنوزهم الادبية . ولمّا جاء الاسلام اتجهت الافكار الى الدين الجديد وجعلوا القرآن الكلّ في الكلّ انوز ذويهِ بقبائل العرب

هذا مُجمَل ما يقال عن الخطابة الدينيّة النصرانيّة ولكننا لم نيأس من التقاط بعض الحبوب من تلك السنابل المحصودة وبعض الفتات من تلك الموائد الفاخرة . فمن ذلك خطيبٌ دينيّ شاع اسمهُ في بطون بلاد العرب وانجادها اجمع كلّ اهل البادية من حضر ومدر على انهُ كان آية في البلاغة الخطابيّة نزيد بهِ قسّ بن ساعدة الذي يدلّ مجرّد اسمهِ على نصرانيّتهِ وضُرب بهِ المثل في اساليب البيان . ولو لم يكن في جزيرة العرب غير قسّ اشتهر في البلاغة والخطابة لكفى النصارى بهِ فخراً . امّا ما يؤثر عنهُ تأييداً لهذه السمعة العظيمة فأسطر قليلة رويناها في كتابنا شعراء النصرانيّة (ص٢١٢ — ٢١٣) وهناك اخبار رويناها على علّاتها تثبت رفعة مقامهِ بين العرب لكنها لا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً . وكذلك اخبارهُ المرويّة عن كتبة العرب فانّها اقربُ الى اساطير الاوّلين وخرافات الاقدمين فيقول الرواة هناك انهُ ادرك زمن بقايا الحواريّين ورأسهم سمعان الصفا وانهُ عاش ستمائة بل سبعمائة سنة (ص ٢١٦) وانّهُ بشّر بمجيء نبيّ المسلمين وانّ محمّداً رآهُ في سوق عكاظ يخطب على جمل له اورق (راجع الشرشي ٢ : ٢٧٥) واشياء أخرى اقرب الى الخرافات منها الى صحيح الروايات . ولعلّهم اصابوا بقولهم انهُ « كان اسقفاً على نجران وانهُ كان زاهداً بالدنيا يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج المسيح » وكذلك قولهم انهُ « كان يتّكئ على عصا في خطبهِ » فان اساقفة النصارى يمسكون في ايديهم عكّازاً وهم يخطبون (لا سيّما كما روى البعض) . وخلاصة الكلام انّ قسّاً كان خطيباً مصقعاً أثّر كلامهُ البليغ في قلوب العرب حتّى نسبوا اليهِ من الاقوال والاعمال ما يردّهُ النقد الصحيح ولا يقبلهُ الذوق السليم . وها نحن نروي ثلث خطب من خطبهِ فانّنا ذكرُها في شعراء النصرانيّة لا تصديقاً لصحّتها بل اعلاناً بما تناقلهُ العرب عن قسّ غثّاً او سميناً وهذه الخطب وجدناها في التذكرة الحمدونيّة (نسخة باريس الخطيّة ص 84٢)

أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والجود سرور والمعرفة كنز والجهل سفه والعجز ذلة والحرب خدعة والظفر دُوَل والايام عِبَر والمرء منسوب الى فعلهِ مأخوذ بعملهِ فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستثمروا الجد تفوزوا به ودعوا الفضول يجاوبكم السفهاء وأكرموا الجلوس بسمر ناديكم وحامروا عن الحقيقة يُرغَب في جواركم وأنصفوا مَن آنفكم يرفق بكم وعليكم بمحاسن الاخلاق فانها رفعة واياكم والاخلاق الدنيّة فانها تضع الشرف وتهدم المجد

(خطبة) ايها الناس شارفوا بابصاركم في كرّ الجديدين ثم أرجعوها كليلةً عن بلوغ الامل فان الماضي عظة للباقي ولا تجعلوا المرور سبيل العجز فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما اسلفتم . ايها الناس امس شاهد فاحذروهُ واليوم مؤدب فاعرفوهُ وغدًا رسول فاكرموهُ وكونوا على حَذَر من هجوم القدَر فان اعمالكم تطلق ابدانكم والصراط ميدان يكثر فيهِ العثار فالسالم ناجٍ والعاثرُ في النار

(خطبة) اتقوا عباد الله وانتم في مَهل بادروا الأجل ولا يغرّنكمُ الامل فكأن بالموت وقد نزل فشتت المرء شواغلهُ وتركت عنهُ بواطلهُ وهيأت اكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار الى المنزل الخالي يحمده البالي قد فارق الرفاهية وخامن (كذا) الداهية فوجهُهُ في التراب عفير وهو الى ما قدَّم فقير

هذه كما ترى حكمٌ اكثر منها خطب . والعجب انَّ الكتبة السريان المعاصرين الذين استفدنا من تواريخهم عدَّة اخبار عن العرب لم يأتوا بذكر قسّ بن ساعدة

على انَّهم ذكروا خطيباً آخر وكاتباً بليغاً اشتهر بالكوفة في القرن الاوَّل من الاسلام وكان اسقفاً على نصارى الكوفة وعاقولاء يُدعى جرجس اسقف العرب . فهذا كان متعمقاً في درس كتب اليونان ونقل قسماً منها كاورغنون ارسطوطاليس وكتب شروحاً على الاسفار المقدَّسة ولهُ عدَّة خطب ومياصر لم تزل بين مخطوطات عواصم اوربَّة كلندن وباريس ورومية يتَّضح منها ما اتَّصف بهِ جرجس اسقف العرب من العلم والبلاغة في الخطب الدينيَّة . على انَّ هذه الآثار كلَّها لم تبلغ الينا الَّا بالسريانيَّة . ومن المحتمل انَّ عربيَّتها ضاعت فبقيت ترجمتها السريانيَّة . كانت وفاة جرجس المذكور في اواخر القرن الاوَّل للهجرة

وممَّن يجب نَظْمهم في سلك خطباء النصرانيَّة اولئك السيَّاح والرهبان الذين تكرَّر ذكرهم في الشعر العربيّ المرويّ سابقاً فانَّهم لم ينقطعوا فقط الى الصلاة والزهد بل كثيرًا ما كانوا يختلطون بالعرب ويدعونهم الى نبذ اديانهم الباطلة ويرشدونهم الى الصلاح بالخطب والمواعظ . كما ورد في تراجم البعض منهم كالقديس هيلاريون والقديس افتيموس بين عرب الشام والقديس برجنيوس رسول عرب

اليمن وموسى رسول الغسّانيين وغيرهم كثيرين سبق ذكرهم . فينبغي لذن القول بان الخطابة النصرانيّة الدينيّة قد ازهرت بين العرب كما ازهرت بين غيرهم من الامم وان لم تبلغ الينا صورتها بسبب آفات الزمان وكوارث الحدثان

٢ الخطابة المدنية بين نصارى الجاهلية

ان كانت الآثار الدينيّة من خطب نصارى الجاهليّة الباقية الى عهدنا نزرة قليلة فكان أملنا في جمع مآثرهم المدنيّة اعظم لكأف الرواة بما هو اقرب الى اخلاقهم وافكارهم . الّا انّهم ما رووهُ منها لا يكاد يستحقّ الذكر او هو فصول حكميّة ليست خطباً وُضعت للإقناع والإقناع كما لا يخفى هو غاية الخطيب ومحور الخطابة

ولكن اذا كانت الخطب المرويّة لا يكاد يُعبأ بها انّما نجد في مآثر العرب ما يثبت شيوع الخطابة بين القبائل النصرانيّة . واوّل هذه القبائل واقدمها قبيلة اياد التي روينا اخبارها واثبتنا تنصرّها (ص ٧٥ — ٧٦ و ١٢٤) عن عدّة كتبة . ومنها كان قس بن ساعدة الايادي المارّ ذكرهُ . فاياد هذه نسب اليها قدماء العرب البراعة في الخطابة لنا على ذلك شاهد حسن في مديح الشعراء لاياد وذكرهم لخطبائها منها قول الشاعر في وصف خطبهم :

يرمون بالخطب الطوال وتارةً وحي الملاحظ خيفةَ الرقباء

وصفهم بتطبيق خطبهم على مقتضى الحال تارةً بالطول والتصريح وتارة بالوجازة والكناية والاشارة . وقال احدهم يرثي ابا دؤاد بن جرير الايادي :

نعى ابنَ جريرٍ جاهلٌ بمصابهِ فهمّ نزارًا بالبكا والتحوّبِ
نعاهُ لنا كالليث يحمي عرينهُ وكالبدر ينشي ضوءهُ كلُّ كوكبِ
واضربُ من حدّ السنان لسانهُ وامضى من السيف الحسام المشطّبِ
زعيمُ نزارٍ كلّها وخطيبها اذا قال طأطا رأسهُ كلُّ مُثنبِ
سليل قروم سادةٍ ثم قالةٍ يبزّون يوم الجمع اهلَ المحصّبِ
كقسّ اياد او لقيط بن معبدٍ وعذرةَ والمنطيق زيدِ بن جُندبِ

فأثنى الشاعر على ابي دؤاد الايادي واطرأ بلاغتهُ في الخطابة ثمّ ذكر اربعةً غيرهُ كلّهم خطباء وكلهم من اياد . ذكر لقيط بن يَعمُر الايادي الذي انذر قومهُ

غزوَ كسرى لهم وارسل اليهم قصيدتهُ الميميَّة التي هي خطبةٌ بليغة حاكت في صدورهم فنجوا من عدوّهم . ومنها قولهُ :

أبلغ اياداً وخلّلْ في سَراتهمِ ... انيّ أرى الرأيَ إن لم أعصَ قد نصَحا
يا لَهفَ نفسيَ ان كانت امورُكمُ ... شتّى وأُحكمَ امرُ الناسِ فاجتمعا
ألّا تخافونَ قوماً لا ابا لكمُ ... اسوا اليكم كاشالِ الذّبى سُرُعا
ما لي اراكم نياماً في بُلهنيَةٍ ... وقد ترَوْنَ شهابَ الحربِ قد سطعا
صونوا جيادَكمُ واجلُوا سيوفكمُ ... وجدّدوا للقنيّ النَّبلَ والشَّرَعا
يا قومِ لا تأمنوا ان كنتمُ غُيُرًا ... على نسائكمُ كِسرى وما جمعا
وقلّدوا امركم فهِ دِرّكمُ ... رحبَ الذراعِ بأمرِ الحربِ مُضطلعا
لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ ... فاستيقظوا انّ خيرَ العلمِ ما نَفَعا
هذا كتابي اليكم والنذيرُ لكم ... لمن رأى رأيَهُ منكم ومَنْ سَمِعا

وهي طويلة بليغة . وفيها كما ترى كلّ صفات الخطابة الجاهليَّة . وقد ذكر في مطلعها بيَع قومهِ النصارى

امّا الخطيب الثاني المذكور فهو عُذرة بن حجرة الخطيب الاياديّ الذي وصفهُ الشاعر وشبَّهُ بقس بن ساعدة بقولهِ :

فانّك ضحّاكٌ الى كل صاحبٍ ... وانطقُ من قسٍ غداةَ عُكاظها

لكنَّ آثارهُ الخطابيَّة مجهولة . ومثلهُ زيد بن جُندب المنعوت بالمِنطيق اي الخطيب المفوَّه البليغ فانَّ خطبهُ لم تبلغ الى يدنا . ويروى عنهُ انهُ كان خطيباً وشاعرًا معاً

وكما اشتهرت اياد في الخطابة بين قبائل العرب كذلك قرنوا بها قبيلة تميم وهي ايضاً من القبائل التي غلبت عليها النصرانيَّة كما دلَّت اليهِ كتبة العرب(راجع الصفحة ١٢٦ من كتابنا) . فمن خطبائهم اكثم بن صيفي بن رباح التميمي . قال ابن نباتة في كتابهِ سَرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (ص ١٢) انهُ « اشهر حكّام العرب في الجاهليَّة وحكمائهم وخطبائهم » وقد جمعوا من كلامه حكماً وامثالاً ووصايا لقومهِ منها قولهُ :

يا بني تميم لا يفوتنّكم وعظي ان فاتكم الدهرُ بي . يا بني تميم ان مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجدَّ أمن العثار . ولن يعدم الحسود ان يُتعب فكرهُ ولا يجاوز ضرّهُ نفسهُ والسكوت عن الاحمق جوابهُ . . . .

ومن اقوالهِ ما اوصى بهِ اولادهُ ليبقوا متحدين وضرب لهم مثل السهام المجتمعة :

كونوا جميعاً يا بني اذا اعترى خطبٌ ولا تتفرّقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّراً واذا افترقنَ تكسّرت أفرادا

ومن خطباء تميم الذين ذكرهم العرب في اواخر الجاهليّة واوائل الاسلام عطارد ابن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وعدُّوهم من اكابر السادات وبلغاء الخطباء. وذكروا دخولهم على نبي الاسلام وكلامهم بحضرته (اطلب الاغاني ٤ : ١٠ — ١٢) وهو لا يدلُّ على كبير امر لا لفظاً ولا معنًى اذ لم يدوّنهُ كاتبٌ وقت القائهِ وانّما روي بعد نيّف ومئة سنة. ويصحّ هذا في اساقفة نجران الوافدين على محمّد كما ذكرهم ابن سعد وصاحب الاغاني وغيرهما . فلا يمكننا ان نبدي حكماً في عارضتهم نظرًا للقليل المصنوع المروي عنهم. وكذا قل ايضاً عن بقيّة خطباء العرب الذين اشتهروا بالخطابة فبقيت اسماؤهم وضاع كلامهم. وانّما ثبت قولنا انّ الخطابة النصرانيّة دينيّةً كانت او مدنيّةً بلغت في الجاهليّة مقاماً رفيعاً شهد لهُ التاريخ وان فُقد معظم آثارها (لهُ بقيّة)

مناعي آل الوطن في اثناء الحرب

نظر عمومي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

كما أشعرنا الوت بمنخاسهِ المؤلم اذ ضرب في زمن الحرب العموميّة العدد العديد من رؤساء الكنيسة وجلّة الاساقفة ونخبة الاكليروس القانوني والكهنة كذلك بسط ساعدهُ وبطش باعمار الالوف من المواطنين من اهل العالم من الاعيان وارباب السيف والقلم وذوي الصلاح والاحسان لم يفرز بين المليك والمملوك والغني والصعلوك والصغير والكبير فكانت مناعي القوم تترادد علينا تترى لا تكاد ترقأ العين من دموعها ويهدأ القلب من روعاتهِ. وكان بودّنا ان نخصّ الجميعَ بالذكر لكنّ الصحائف الطويلة لا تستوفي باسمائهم. فاخترنا بعض الذين وقفنا على لمع من تاريخهم مباشرين اوّلًا بالوجوه والمحسنين . ثمّ نذكر بعض ضحايا الاتراك وشهداء الوطن ثمّ الادباء والكتبة ثمّ الاطبّاء. ونختم بذكر قوم من ذوي البرّ والصلاح وكلّ ذلك بوجيز

الكلام بمقتضى المقام ونشكر هنا كل من تلطفوا فافادونا شيئاً عن المرحومين نخص منهم بالذكر الفيكنت فيليب دي طرازي والكاتب الاديب جرجي افندي نقولا باز وجناب رزق‌الله افندي أيوب الحلبي وحضرة المنسيور بشاره شمالي والاب سليمان غانم - ولا شك في انهُ يفوتنا كثير ممن يستحقون ذكرًا اذ لم نحصل على شيء من اخبارهم . وسنذكر الذوات الآتين على حسب تاريخ وفاتهم

١ الوجوه واصحاب الخير المحسنون

﴿ ابرهيم سعد ﴾ ولد في الشام سنة ١٨٥٣ وجاء بيروت بسبب حادثة سنة الستين وعاش فيها عمره مشتغلاً بالصناعة والتجارة مهتماً بمساعدة البائسين معتنياً بخدمة الجمعيات ومناصرة الاعمال الخيرية وهو مؤلف جمعية القديس بولس الرسول لمساعدة الكنائس وانشاء المدارس في لبنان وقد سعى بتشييد عدة كنائس لملّة الروم الاورثدكس وشيَّد من ماله الخاص كنيسة في محلة بحمدون وتجاوزت احساناته السنوية في اواخر حياته الخمسة والثلاثين الف غرش على ان ثروته متوسطة وعائلته كبيرة توفي في ٧ كانون الاول ١٩١٤

﴿ اندره مركوبولي ﴾ احد اعيان حلب الشهباء ورجالها المعدودين . كان قنصلاً لدولة البرتغال وقضى حياتهُ قدوةً صالحة لكل مواطنيهِ . كان المسيو اندره عريقاً في الدين محبًّا لأهلهِ يساعدهم بكل ما امكنهُ لاسيَّما الاجانب منهم لم يكلّ عن ذلك طول حياتهِ فيتوكل بسائر امورهم متفانياً في خدمتهم نخص منهم بالذكر الآباء الدومنيكان كان يقوم بكل حاجاتهم بنشاط عجيب وكانت دارهُ العامرة منزلاً يكرم فيهِ مثوى ضيوفه المتواردين اليهِ . وقد عُرف المسيو مركوبولي برحمتهِ نحو الفقراء والمحتاجين وقد نجّى كثيرين من مخالب الموت خصوصاً عند وقوع القحط والغلاء ففتح مخازنهُ بكل كرم لجميع المبؤوسين . توفي رحمهُ الله مأسوفاً عليهِ من كافّة الحلبيين في ٣١ ك٢ سنة ١٩١٥ . ومن خصال الفقيد حبّهُ للعلم وبحثهُ عن الآثار القديمة جمع منها قسماً صالحاً وقد خلّف مكتبةً عامرة . وكان للمسيو اندره ولد وحيد يشبه اباهُ بحسن شمائله فاغتالتهُ المنون وقصفت غصنهُ الرطيب في ٦ آذار سنة ١٩١٨

وقد سبق الى دار البقاء المسيو اندره اخوه المسيو جورج المتوفى فجأة في ١٤ آذار سنة ١٩١٣ وكان قنصلاً في الشهباء لدولة اسبانية - جارى اخاهُ بجلستهِ الدينيَّة ومروته وكرم نفسهِ وحرصه على فعل الخير الى القريب والذبّ عن الضعفاء وحبّ الآداب . وقد توفي ابنهُ سيلفير في ربيع شبابه في ٢١ نيسان سنة ١٩١٧ وكان احسن فرع لأطيب دوحة . تُبنى عليه وعلى ابن اخيهِ الآمال لثبات وترقي محلّ اسرة ماركوبولي التجاري الشهير البعيد الاسم . رحمهم الله جميعاً واجزل ثوابهم

﴿ يوسف اندريا ﴾ من افاضل موارنة الشهباء ومشاهير رجال الخير كان يجاري آل مركوبولي بمزاياهم الحسنة كحبّ الدين وملازمة كلّ فرائضهِ وحبّ القريب والسخاء بمالهِ الخاصّ نحو ذوي البأساء لا يثنيهِ شيء عن مساعدتهم وذلك بصورة خفيَّة مستنكفاً عن ثناء الناس . وكان ذا الكلمة النافذة في المجلس الطائفي المقام لادارة اوقاف الموارنة فأحسن نظارتها . ومن مبرّاتهِ التي تُذكر فتُشكر انشاؤهُ هيكلين في كنيسة مار الياس المارونيَّة في حلب وقد صرف مبالغ كبيرة لترصيف ارضها بالرخام الاسود والابيض مع ترصيف ساحتها بالبلاط الابيض اليابس وكان اشترط على رؤساء الكنيسة ان لا يُذكر اسمهُ . توفي هذا الرجل البارّ في ١٤ شباط سنة ١٩١٦ ودُفن في جانب الهيكل الذي ابتناهُ على اسم القديس الرسول اندراوس

﴿ المركيز موسى دي فريج ﴾ استأثرت بهِ الرحمة الالهيَّة في ١٧ ايار ١٩١٦ بعد حياة قضاها في خدمة الوطن وجيهاً مكرَّماً لدى الخاص والعام . كان المركيز موسى درس في مدرستنا في غزير واتقن فيها اللغات ومبادئ العلوم . وقد كان في كلّ حياتهِ محبّاً للخير مساعداً للضعفاء متشبثاً بأهداب الدين وهو من اعضاء اخويَّة الجبل بلا دنس وجمعيَّة مار منصور . وساعد في زمانهِ على النهضة الادبيَّة في الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة . ولهُ فصول وخطب وقصائد طُبعت في مجموعها . وقد اشبتهُ قرينتهُ المصونة مدام الكسندرينة فريج باعمالهِ الخيريَّة فسمت باسعاف الفقراء واليتامى والجمعيَّات الخيريَّة وهي كريمة البارون فون ڤكتكر قنصل النمسة في بيروت وكان اخوها من حاشية الامبراطور فرنسوا جوزف . ونجلها المركيز جان رضيع محامد والديه الحسنة

﴿ توفيق بشاره ﴾ هو ابن جناب المهندس بشاره افندي من طائفة الارمن

الكاثوليك توفي في ريعان الشباب في ٨ حزيران ١٩١٦ وعمرهُ ٢٩ سنة . امتاز كاخويهِ ادمون واوجين بذكائهِ وبراعتهِ في الاشغال العموميَّة والمشروعات النافعة لصالح الوطن وكان مع ذلك مثالًا للشبَّان بحسن آدابهِ وتديُّنهِ

﴿ اسكندر بك الحدَّاد ﴾ وقعت ايضاً وفاتهُ في السنة ١٩١٦ كان بارعاً باللغة التركيَّة فارسلتهُ الدولة العثمانيَّة قائمقاماً الى حجين في قيليقية . وصار قائمقاماً على زحلة . وكان في عهد رستم باشا متصرف لبنان رئيساً على القلم التركي

﴿ خليل يارد ﴾ شقيق وجيه قومهِ بشاره افندي يارد توفيَّ في ١٧ ايَّار سنة ١٩١٧ . كان على جانب عظيم من التقوى شأن اسرتهِ الكريمة منتظماً في اخويَّة الشبَّان في كليَّتنا التي كان احد خرّيجيها الممتازين في اوَّل سني تأسيسها . وكان لطيف المعاشرة يقضي اوقاتهُ في الاشغال التجاريَّة ومطالعة التآليف التاريخيَّة والعلميَّة . وكان يحبُّ زيارة الفقراء ويُحسن اليهم سخاء

﴿ الشيخ عبد الرزَّاق البيطار ﴾ من كبار السادة المسلمين في دمشق . كان مولدهُ سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وتوفي في ١٠ ربيع الاوَّل سنة ١٣٣٥ (ك ٢ ١٩١٧ م) امتاز بين عموم اهل وطنهِ بجدّهِ في تحصيل العلوم الدينيَّة والادبيَّة ولاسيَّما العلوم العصريَّة من تاريخ وادب وهيئة . وتفرَّد بمعرفة الموسيقى العربيَّة . وقد حظينا غير مرَّة بزيارتهِ وتمتَّعنا بانسهِ وطيب اخلاقهِ . وكان الشيخ حرّ الافكار وكثيراً ما قاوم ارباب الخرافات والخزعبلات الشائعة بين مسلمي الفيحاء كما صرَّحت بهِ مجلة المنار (٢١ : ٣١٢) وقد خلَّف بعض التآليف اخصُّها كتابهُ المعنون بجلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر . وهو سفرٌ ممتع نتمنى ان يمثلهُ اهلهُ الى الطبع قريباً

﴿ الشيخ عبد الرحمان الحوت ﴾ ودَّع ايضاً الحياة في هذه السنة ١٩١٧ وكان نقيب اشراف بيروت معروفاً في الثغر بفضلهِ وحبّهِ للسلام وغيوراً موقراً من الجميع مشكوراً لما يسديهِ الى قومهِ من الخير والاحسان

﴿ الشيخ محمَّد كامل الرافعي ﴾ من اماثل الاسرة الرافعيَّة الشهيرة في طرابلس الشام . فيها ولد نحو السنة ١٨٥٤ وفيها توفي في اواخر السنة ١٩١٧ اخذ العلوم الدينيَّة والعقليَّة عن علماء ملَّتهِ واشتغل بآداب اللغة والتدريس حيناً ثم باعمال الحكومة مدَّة طويلة وعُرف الشيخ بجرأة افكارهِ وحبّهِ للحقّ ونصرتهِ في وجه اصحاب

التقليد من امّتهِ كالمولويّة والصوفيّة حتى عدّ ركناً من اركان النهضة الاسلاميّة الحديثة في طرابلس . وكان مع ذلك كثير الاهتمام بعشيرتهِ . وقد ذكر في مجلّة المنار (٢١ : ١٨) حبّ نبلاء المسيحيين لهُ لما عرفوا من حرّيّتهِ وشجاعتهِ وصدق وطنيّتهِ وعدّد بين مزاياه « وقوفهُ في وجوه الظَّلَمة الطغاة من كبار رجال الحكومة البائدة في عهد عبد الحميد ومن بعدهِ بل واحسانهُ الى مواطنيهِ المسيحيين على اختلاف طبقاتهم بالتأمين والتطمين لهم ايّام الحرب العامّة كلّما همّ بهم شيطان من شياطين الحكومة او طرأ عليهم حادثٌ من حدثان يطرأ على الأُمّة »

﴿ جرجس بتُّول ﴾ كانت وفاتهُ يوم عيد شفيعهِ في ٢٣ نيسان ١٩١٧ . اصلهُ من حاصبيا دخل في خدمة الامير بشير الشهابي فصار من جملة فرسانهِ فبلغ من العمر مئة سنة بنيّف . وكان راوية لتاريخ زمانهِ بدقّة عجيبة

﴿ جرجس مسعد ﴾ هو ابن نخله مسعد كان شابًّا حميد الصفات وحيدًا لابيهِ اخترمتهُ المنون في عزّ شبابهِ في ١٦ آذار ١٩١٨ وقد اسف عليهِ معارفهُ ولاسيّما رفقتهُ في المدرسة الذين وجدوا فيهِ خير مساعد في مدّة الحرب اذ اخنى عليهم الدهر . وقد توفي ابوهُ الفاضل في اوائل السنة الحاليّة (٥ ك ٢ ١٩٢٠)

﴿ اسكندر زياده ﴾ هو عميد عائلتهِ الكريمة ووجيه قومهِ رجل الدين والفضل والسياسة . ولد في جديدة غزير سنة ١٨٤٩ وتوفيَ في ٢٠ آب سنة ١٩١٨ اذ ظهرت اوّل لوائح خلاص الوطن بانتصار الحلفاء . تخرّج المرحوم في مدرسة عينطورا وتعاطى فنّ المحاماة فجمع في شخصهِ بين صفات الرجل التقيّ الصالح والرجل العموميّ المحنّك بالفنون الشرعيّة وآداب الهيئة الاجتماعيّة . عُهدت اليهِ مديريّة ناحية الفتوح سنين طوالًا فألّف بين القلوب وربح شكر الجميع بحسن تدبيرهِ وذكاء عقلهِ وحصافة رأيهِ . ومن مميّزاتهِ عنايتهُ في صلاح اهل بيتهِ وتهذيب اولادهِ وخلوص مودّتهِ مع اصدقائهِ واعتصامهِ غير المنفصم بحبل الدين المتين

﴿ روزاريو بتُّول ﴾ خرج من كليّتنا قبل الحرب بزمن قليل فاحرز لهُ بسلوكهِ الحسن وطيب آدابهِ حبّ اقرانهِ وكثيرًا ما سمعنا رؤساء الدين يثنون على تقواهُ وقدوتهِ الصالحة . كان ابحر الى مصر لعقد الزيجة فيها اذ قفلت الحرب دونهُ باب الرجوع الى مسقط رأسهِ فاغتنم هذه الفرصة ليخدم بني وطنهِ في مصر ماديًّا وادبيًّا

فشكروا له كرمهُ . وكان روزا ريو من اعضاء جمعيَّة مار منصور يرتاح الى كلّ اعمالها الخيريَّة . توفّاه الله في ٢٣ ايلول ١٩١٨ .

﴿ ميشال بك سرسق ﴾ من وجوه طائفة الروم . كان تخرّج في كليَّتنا . وعُرف بدماثة الاخلاق والمؤانسة وحبّ الادب . وقد اختارهُ النصارى البيروتيُّون قبل الحرب مبعوثاً عنهم الى ندوة الامَّة في الاستانة . ولمَّا انتشب الحرب اختصَّهُ جمال باشا بصداقتهِ فانتهز الفرصة لجلب القمح من حوران واحتكاره ورفع اسعاره فحرّك ذلك في قلوب كثيرين الغضب عليهِ فنسبوا اليهِ قسماً من النكبات التي حلَّت ببيروت وجوارها . عاجلتهُ المنيَّة بعد الهدنة في شباط ١٩١٩

﴿ جبران فرح ﴾ هو جبران بن مسعود فرح الماروني اصلهُ من صفين . احد كبار التجَّار في الثغر وفي باريس مع اخوانهِ . اشتهر بصدق ايمانهِ وكثرة مبرَّاتهِ واحسانهِ الى الجمعيَّات الخيريَّة والى الفقراء والمساكين خصوصاً في ايَّام الحرب . وعُرف باستقامتهِ في المعاملة فربح ثقة جميع مواطنيهِ . توفي في شهر نيسان سنة ١٩١٩

﴿ يوحنَّا الدوَّر ﴾ هو ابن المرحوم خليل الدوَّر الذي تشرَّف منزلهُ في بيروت بضيافة كثيرين من كبار القوم كالبرنس دي جوانفيل والدوق دورليان . توفي في ٨ ك٢ ١٩٢٠ فجأةً . كان يوحنَّا كأبيهِ رجلاً متحمساً في الدين ملازماً لفرائضهِ محبًّا للخير محسناً نحو الفقراء بيد سخيَّة وكان في ايَّام الحرب يوزّع كل يوم طحيناً على الفقراء فيلتجئ اليهِ المساكين والمتروون . وكانت تشبههُ في احساناتهِ اختهُ مادام هيلانه فرج الله ذات الصلاح والتقى . توفيت ايضاً في السنة ١٩١٩

وعارضت مدام هيلانة سيدة اخرى دعاها الله الى ملكوتهِ في وقت الحرب زيد بها مدام منَّة نصر الله طرَّازي التي خدمت طائفتها السريانيَّة اجلّ الخدم بما قدَّمتهُ من الصدقات للكنائس لاسيَّما كنيسة السيدة في الشرفة وكنيسة بيروت التي كانت من اعظم الساعيات في تشييدها . وكانت جعلت بيتها منزلاً للبطاركة والاساقفة وعموم الاكليروس السرياني . كانت وفاتها ايضاً مدَّة الحرب

﴿ شديد بك حبيش ﴾ هو فقيد الاسرة الحبيشيَّة والوطن الذي توفَّاهُ الله في ٥ آذار الاخير عن ٨٠ سنة بنيف . كان مولدهُ في قصبة غزير وفيها تلقَّى العلوم في مدرستنا في رفقة بعض مشاهير الرجال ديناً ودنيا نخصُّ منهم بالذكر غبطة البطريرك

الماروني الحالي والمثلث الرحمات المطران بطرس الزغبي رئيس اساقفة قبرس . ولم يزل شديد بك يترقّى في المناصب في خدمة الدولة العثمانيّة حتى صار ممثلاً لها في معظم عواصم اوربّة فانتهى الى باريس وقضى فيها عشر سنوات كقنصل عام لتركية . وقد نال في كلّ هذه المراتب ثقة دولته والدول التي تولى عندها مصالح بلاده بما ابداهُ حيثما حلّ من حسن التدبير وجزيل الهمّة ولطف المعاشرة وصدق الوفاء . شهدت على مقامهِ الاوسمة والامتيازات التي اصابها في كلّ مواطن مناصبهِ السامية . وقد بقي مع ذلك مواظباً لفرائض دينهِ ثابتاً على مبادئهِ القويمة الى آخر انفاس حياتهِ

وكان من الواجب ان نقدّم على هذا الباب ذكر اولئك ملائكة السلام وشهيدات الحب الصادق للقريب راهبات المحبّة وراهبات الناصرة والسجود والراهبات الالمانيّات وراهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي تفانَيْن في مدّة الحرب في اسعاف كلّ المحتاجين من مرضى وايتام وفقراء في المستشفيات والمياتم والمآوي ومعامل الشغل . وقد بلغ بهنّ هذا الحب اقصى درجاتهِ حتّى توفّي منهن اكثر من خمسين راهبة عُدي معظمهنّ بامراض الذين كنّ يبذلنَ نفوسهنّ في خدمتهم على ان وصف اعمالهنّ يستدعي كتاباً مفرداً نتمنى ان يحرّرهُ قلم بعض ادبائنا فيخلّد ذكر تلك النفوس الشريفة

وكم ودّع الحياة من الذوات غير الذين ذكرناهم ولم نطّلع على اخبارهم كالمرحومين يوسف بارد (١٩١٨) وعبدالله غانم (آذار ١٩١٧) والقانوني سليم قشوع (٦ آب ١٩١٨) واسكندر مسك (٢٠ اذار ١٩١٨) ونخلة قاطي (٤ تموز ١٩١٧) وغيرهم امدّهم الله برحمتهِ

٢ ضحايا الاتراك وشهداء حب الوطن

فخ نخله باشا المطران بك من اسرة آل المطران الكريمة البعلبكيّة . كان درس في كليّتنا مع اخويه ندره بك والياس . وعُرف مثلهما بحبّهِ لفرنسة فنُسبت اليهِ الخيانة للدولة التركيّة لمحاولتهِ إلحاق بعلبك بلبنان ووضعها تحت حماية فرنسة فبعد توقيفهِ وحبسهِ عُرض مشهوراً مهاناً بطريقة همجية في شوارع دمشق في ٦ ك ٢ سنة ١٩١٥ مع شتم النصارى وتهييج العامة عليهم . ثم أُبعد الى جهات حلب واورفا وقُتل هناك رمياً بالرصاص

﴿ يوسف بشاره الماني ﴾ من وجوه الطائفة المارونيَّة في بيروت كان ترجماناً لقنصلاتو فرنسة في بيروت. وُجد اسمهُ معلقاً على عريضة قدَّمها بعض الاعيان لدولة فرنسة يطلبون منها التوسُّط لدى الحكومة العثمانية في شؤون السوريين واصلاح احوال النصارى . فعُدَّ عملهُ خيانة وحُكم عليهِ بالاعدام فأُنفذ فيهِ الحكم في ٥ نيسان ١٩١٥ بعد ان استُشهد بقبول الاسرار للوقوف أمام الديَّان وتبرَّأ من جرم الخيانة

﴿ الشمَّاس اناتول ميزره ﴾ كان هذا اكليريكيًّا فرنساويًّا قدم الى سوريَّة واتخذهُ سيادة المطران يوسف الدوماني كاتباً لاسرارهِ فلمَّا دخلت تركيَّة في الحرب وأُبعد الاجانب أعلم سيادتهُ متصرف طرابلس بامر الشمَّاس فاشار بابقائهِ عنده فبقي معتزلاً الى ان وشى بهِ بعض المهاجرين فأُرسل مخفوراً الى دمشق بعد ضبط اوراقهِ وفحص مضامينها فحُكم عليهِ بالاعدام في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ لكنهُ تبرَّأ قبل موتهِ من جرم الجاسوسيَّة وصفح عن قاتليهِ

﴿ عبد الحميد الزهراوي ﴾ هو من سادة المسلمين ولد في حمص من اصل شريف سنة ١٨٧١ ثم درس في وطنهِ العلوم النقليَّة والعقليَّة وسافر الى الاستانة ومصر وعاد الى حمص وفي نيَّتهِ ان يخلص بلادهُ من جور الحكومة التركيَّة فنشر جريدة المنير سرًّا بطبعها على مسادَّة غرويَّة . فلم يلبث مأمورو الدولة ان عرفوا بها فأبطلوها . فرجع عبد الحميد ثانية الى الاستانة وحرَّر في جريدة المعلومات العربيَّة عدَّة مقالات ادبيَّة اصلاحيَّة اثارت غضب السلطان الخليع سميّه فأُوقف بأمره ثمَّ أُرسل تحت المراقبة الى دمشق ولم يزل مدَّة معرَّضاً للتُّهم فيها وفي غيرها حتَّى فرَّ هارباً الى مصر فحرَّر في جريدة المؤيد . ثمَّ في «الجريدة» لسان حال حزب الامَّة ولمَّا أُعلن بالدستور العثماني وقع عليهِ الاختيار من اهالي حمص لمجلس الاعيان . فقام بالدفاع عن مصالح وطنهِ بازاء جمعية الاتحاد والترقي حتَّى تمكَّن جمال باشا من الانتقام منهُ فأُوقف في اوائل الحرب وحُكم عليهِ بالاعدام بتهمة تأسيسهِ للمنتدى الادبي واشتراكهِ بمؤتمر باريس العربي سنة ١٩١١ الطالب باللامركزيَّة وحضر هذا المؤتمر قومٌ من نصارى ومسلمي الشام من جملتهم بعض الذين حُكم عليهم بالاعدام كالشيخ احمد حسن طبَّاره صاحب جريدة الاصلاح في بيروت وعبد الغني العريسي صاحب جريدة المفيد فيها وعبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي المتخرج في المدرسة الملكيَّة

ومدرسة الحقوق في الاستانة ومحمّد المحصاني من وجهاء بيروت . فهؤلاء نفذ فيهم حكم الاعدام في ٦ ايار ١٩١٦ وقتل في دمشق مع الشيخ الزهراوي شفيق بك المؤيد والامير عمر حفيد الامير عبدالقادر الجزائري وشكري بك العسلي احد اعضاء مجلس المبعوثان وعبد الوهاب المليجي (الانكليزي) ورشدي الشمعة ورفيق رزق سلوم الشاعر والخطيب الحمصي . وقُتل في بيروت مع الشيخ طيّاره والعريسي عُمَر بن مصطفى حمّد ومحمّد حسين الشنطي وعارف الشهابي وتوفيق البساط وسيف الدين الخطيب وسعيد عقل وباترو باولي وجرجي الحداد وسليم محمّد الجزائري وعلي حاجي عمر والضابطان امين لطفي وجلال البخاري . كلّهم لجنوحهم الى الاستقلال وطلبهم اللامركزيّة . ومعظمهم من البيوتات الكريمة او نوابغ الكتّاب ساروا الى الموت برباطة جأش لاعنين ظالم الاتراك وداعين لخلاص الوطن

وكان سبقهم الى الابديّة في بيروت شنقاً في ٢١ آب مع محمّد المحصاني اخوهُ محمود وعبد الكريم الخليل وصالح بك حيدر وعبد القادر خرسا ونور الدين القاضي وعلي الارمنازي وسليم عبد الهادي ومحمود العجم ونائف تلّو ومسلم عابدين

﴿ الاخوان انطون وتوفيق زريق ﴾ اصلهما من طرابلس الشام من طائفة الروم الاورثدكس وتخرّجا في الكليّة الاميركانيّة . ثمّ هاجر انطون الى اميركا واشتغل بالصحافة فدعا مواطنيه الى طلب الاستقلال . ثمّ رجع الى الوطن اذ أُعلن بالحرب العامّة فقُبض عليه وعلى اخيه بتهمة الفرار من العسكريّة وقُتلا معاً في المزّة بقرب الشام في ١٤ ايلول ١٩١٦

﴿ عبدالله ظاهر ﴾ كان هذا شيخاً على القبيّات في جهات عكّار وكان محبّاً للسلام يخدم وطنهُ بغيرة . فوشى بهِ البعض الى جمال باشا لجنبهِ لفرنسة فارسل يستدعيهِ الى بيروت مخفوراً حيث حُكم عليهِ بالشنق فقُتل في ٢٠ نيسان ١٩١٧

﴿ الشيخان فيليب وفريد الخازن ﴾ لم يأسف ما أسفنا على احد في إبّان الحرب أسفنا على ذينك الشقيقين بل الدرّتين الثمينتين فرعَي اسرة الكرام ورضيعي افاويق الآداب الشيخين فيليب وفريد الخازن . اللذين طلعا كفرقدين في سماء لبنان فشرّفا مسقط رأسهما العزيز بتقاهما وتعمّقهما في الدين وسعة معارفهما ودفاعهما عن امتيازات وطنهما ضمن القانون وعرفانهما الجميل نحو فرنسة التي قلّدت جدودهما الرتب

الشريفة . امر بقتلها جمال باشا ظلماً دون ان يثبت عليهما جناية كما فعل بغيرهما ممّن حكم باعدامهم . وانّما كان موتهما ابهى من حياتهما استعداً له استعداد الابرار بالرياضة والصلاة والقراءة الروحيّة والتقرّب من الاسرار المقدسة فسارا الى ساعتهما الاخيرة سير الشهداء الذين يرون في الموت النجاة من بلايا الارض والفوز باكليل الظفر . تمّ ذاك المشهد الخطير صباح اليوم السادس من حزيران ١٩١٦ . ولد فيليب سنة ١٨٦٥ وفريد سنة ١٨٦٦ . وتلقّى الاول دروسهُ في مدرسة الآباء اليسوعيين وفي غيرها من مدارس لبنان وتعمّق في درس العربيّة والشريعة على الطيّب الآثار المطران يوحنّا حبيب . وانهى الثاني دروسهُ في كلّية الآباء اليسوعيين في بيروت . وقد انشأ كلاهما جريدة الارز في جونيه سنة ١٨٩٥ فاشتهرت بروحها الطيّب ومبادئها الحرّة الصادقة . وقد خلّفا ايضاً آثاراً علميّة وادبيّة سنذكرها ان شاء الله مع ترجمتهما المطوّلة في فرصة اخرى . وفي السنة ١٩١٤ ابعدت الحكومة التركية الشيخ فيليب الى حلب ثمّ الى الشام فرافقهُ اخوهُ مختاراً وفي ٢٥ آذار ١٩١٦ استدعي الاثنان الى عاليه فأودعا السجن فزادت تلك النكبة تعلّقهما ببعضهما فعاشا متحدين وماتا متعانقين

﴿ توفيق عبدالله بدوي ﴾ من وجوه دمشق الشام . ولد فيها سنة ١٨٨٢ وتلقّى علومهُ في مدرسة عين طورا الشهيرة . تعاطى التجارة فاشتهر بنشاطهِ وامانتهِ فاختارتهُ دولة فرنسة العظمى كترجمان لقنصليّتها في الفيحاء فقام بمهمّته القيام المشكور . وقد عُرف توفيق افندي بحُسن سيرتهِ وكرم نفسهِ وآدابهِ . ولمّا انتشبت الحرب العموميّة ابعدتهُ الدولة العثمانيّة الى بلاد الاناضول التركيّة حيث ذهب شهيد تعلّقهِ بفرنسة في دار الغربة فتوفي في ريعان الشباب في ٢٢ ايّار ١٩١٨

﴿ حبيب دوناتو ﴾ هو حبيب بن يوسف دوناتو كان ايضاً من تراجمة قنصليّة فرنسة في دمشق ذا همّة وإقدام . أُبعد كذلك في اوائل الحرب العموميّة منفيًّا الى ولاية انقرة . توفيّ في ٥ نيسان ١٩١٨ في قلعة جك وقيل انهُ قُتل مع غيرهِ وهو راجع الى دمشق اذ سقط النفق على عربات قطار السكك الحديديّة . وكان حبيب من الطائفة اللاتينيّة خفيف الدين فانتظم في سلك الشيعة الماسونيّة لكنّ المنفى كما يظهر اثار عقلهُ . وقد كتب وصيّته الاخيرة في مدينة آطنه وفيها يجاهر بايمانهِ مصرّحاً بانهُ

يريد ان يموت في حضن الكنيسة الكاثوليكيَّة . وقد اوصى بقسم من مالهِ للفقراء ولاعمال البرّ (له بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

منشور بطريركي

الى جميع ابناء الطائفة الرومية الملكيَّة الكاثوليكيَّة

طبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠

كلّ يعلم ما يسبّبهُ غالباً تداخل الشعب في الانتخابات الاسقفية من السجن والفتن فاحبّ غبطة السيّد ديمتريوس القاضي بطريرك الطائفة الروميَّة الملكيَّة الكاثوليكيَّة ان يتلافى هذا الخلل بمنشور خاصّ مملوء حكمة وغيرة على صوالح الكنيسة والرعايا معاً وقد اودعهُ من الدلائل العقليَّة والشواهد النقليَّة ما من شأنهِ ان يُقنع كلّ من لا تعميهِ الاغراض الشخصيَّة ولا يفضّل المنافع الخاصَّة على الخير العامّ . فنشير الى الجميع ان يطالعوهُ في جريدة البشير ويمعنوا النظر في حقائقهِ

تاريخ العصر الدموي

تأليف ناصيف بك ابي زيد السوري اللبناني

طُبع في دمشق في مطبعة التفيد سنة ١٠١٩ (ص ٤٧٢)

ظنّ جمال باشا ورصفاؤهُ الاتراك انهم يستطيعون بالسيف قطع لسان التاريخ عن رواية فظائعهم فساء ظنّهم ولو سكت القلم لنطقت الحجارة . ومن افضل ما كُتب في ما ألمّ بسوريَّة من الكوارث والفواجع في اثناء الحرب العامَّة الكتاب المعنون بتاريخ العصر الدموي . وقد طابق الاسم المسمّى فانّ الدماء جرت سيولاً في تلك المدَّة منها في ساحات حرب كانت تركيَّة عنها في غنى لو بقيت في الحياد عن الدول المتحاربة . ومنها بالحكم الجائر الذي ابداهُ الاتراك باعدام كثيرين من كرام

الناس ونخبة الكتبة . وكم امتزج بهذه الدماء من الدموع السخينة المهرقة من عيون الوفر من الاهلين بسبب نفيهم عن الوطن وتمريضهم للمجاعة وللامراض الوبيئة . فكلّ هذه المشاهد المؤثرة قد وصفها مؤلف هذا الكتاب كشاهد عياني نالهُ قسمٌ من ويلاتها . فلا شكّ انّ كتابهُ سيبقى كبرهان حيّ على همجيّة قوم لم يزالوا منذ حلولهم في انحاء الشام يسومون اهلها خسفاً وهواناً ل . ش

مصباح الحقائق

الخوري يوسف داغر التنوري

طبع في المطبعة اللبنانيّة في بيروت سنة ١٩٢٠ ص٣٣٣

هذا كتابٌ ثانٍ اتحفنا بهِ حضرة مؤلفهِ جعلهُ تتمّة لتأليفهِ السابق البرهان الصريح في الدين الصحيح (المشرق ٢٠ : ٧١) وهو ليس دونهُ شأناً وفائدةً . فانهُ شرح موسّع للتعليم المسيحيّ اوضح فيهِ المؤلف الفاضل بكلام مسهب وطريقة خطابية وامثال وقصص لطيفة كلّ الحقائق الاعتقاديّة ووصايا الله وكنيستهِ واسرار البيعة فجاء افضل كتاب من جنسهِ للمعلّمين والمعلّمات وكلّ من عُهد اليهِ ايضاح التعليم الديني . ولا يدع انّ كتاباً مثل هذا يقتضيهِ مراجعات عديدة لتحسينهِ وزيادة ضبطهِ كما ايضاً في حسن طبعهِ وتجريدهِ من الاغلاط الطبعيّة . وممّا نستلفت اليهِ نظر المؤلف تطبيق بعض القضايا مع عادات الكنائس الشرقيّة ومراجعة الحقّ القانونيّ الجديد للوقوف على تحديداتهِ في الصوم وتناول القربان المقدّس ومناولة المرضى والتناول الفصحيّ خارجاً عن الكنيسة الرعائيّة . وممّا يقتضيهِ بعض التحوير قولهُ (ص ١٠٠ — ١٠١) ان السيّد المسيح « سيعود ليدين الاحياء الباقين يومئذٍ في قيد الحياة ويحاكمهم وبعد ذلك يموتون ثمّ يُبعثون . . . » فانّهُ لا يطابق رأي معظم اللاهوتيين . وهناك بضعة امور تحتاج الى زيادة ايضاح او تدقيق او ازالة شبهات كتعريف الغفران (ص٣١٥) وشرح مفاعيل الندامة الكاملة (٢٩٨) وسرّ مسحة المرضى (٣١٦) وسرّ الثالوث (٣٢) والاستحالة (٢٧٥) والخلاص خارجاً عن الكنيسة (١١٣) . وغير ذلك بحيث يصبح هذا الكتاب دستوراً صادقاً ومرجعاً اميناً لكلّ من يتولّى تفسير التعليم المسيحي . ل . ش

كتاب العفاف

الى الشبيبة والناشئة المسيحيَّة . عرَّبهُ الخوري بطرس ابو زيد ب م

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص ٢٧ + ٢٦٣)

كان المرحوم الاب رينه غيتون من كهنة كليتنا وضع باللغة الفرنساويَّة سفرًا جليلًا في العفاف اودعهُ خلاصة ما استفادهُ من معلمي السيرة الروحيَّة وافاضل الاطبَّاء في هذا الصدد واضاف اليه ما اوقفهُ عليهِ اختبارهُ الطويل في ارشاد الشبيبة . فاستحسن تأليفهُ عموم المطَّلعين على مضامينهِ وسعوا بنشرهِ بين الشبَّان والمرشدين الروحيين ورؤساء المدارس ليجعلوهُ سياجًا لبراءة الناشئة المسيحيَّة بازاء اهواء العصر الفاسدة . وكنَّا نتمنَّى ان ينقلهُ الى لغتنا العربيَّة بعض افاضل الكتبة فسبق الى تحقيق هذه الامنيَّة حضرة الخوري بطرس ابو زيد الباسيليّ المخلّصي فاخرجهُ على صورة لطيفة مراعيًا فيهِ امانة الاصل مع حسن التعريب . فنثني على همَّتهِ اطيب الثناء ونحضُّ كلَّ من تهمُّهم آداب الشبيبة من ارباب العيال المسيحيَّة والكهنة ومحبي خير الوطن ورقيّه على مطالعة هذا الكتاب ونشرهِ لجزيل فوائدهِ

DIE GLIEDERUNG DER AUSTRALISCHEN SPRACHEN von P. M. Schmidt. S. V. D., Wien, 1919, pp. XVI-299

تركيب اللغات الاوستراليَّة

في قارة اوستراليا الواسعة التي اصبحت بفضل الاوربيين والاميركيين من ارقى البلاد تمدُّنًا عدَّة قبائل قديمة وطنيَّة تسرح في البراري وتعيش من الصيد ورعية المواشي . فلهذه العناصر الاهليَّة لغات جمَّة تعدَّدت في وصفها كتابات اللغويين لكنَّ كثيرًا من اسرارها لا تزال مجهولة . فلكشف هذه الغوامض قد وضع حضرة الاب شميت مدير مجلَّة انثروبوس الشهيرة في ثمنَّة هذا الكتاب النفيس . وذلك انهُ اتَّصل بعد الدروس الطويلة في لغات شمالي البلاد وجنوبها وغربها وشرقها الى ان يدرك كنه تلك اللغات ويعرف خواصها وما يوجد من العلاقات بينها اوَّلًا ثمَّ بين لغات قبائل اخرى خارجًا عن اوستراليا في جزائر اوقيانية وغيرها فدوَّن كل ملحوظاتهِ في هذا السفر الواسع الرحب الدالّ على صبر عجيب في مؤلفهِ فضلًا عمَّا اقتضاه من المعارف

الجنّة . وقد سهّل حضرتهُ بذلك للباحثين عن اصول اللغات المقابلة بين ألسنة الشعوب والاطلاع على حلقات تسلسلها لعلّهم بذلك يقفون على اللغات الاوّليّة . فنشكر للاب شميت همّتهُ ونترجّى لكتابهِ رواجاً ل . ش

انتشار الامراض وقصر الحياة

للفسيولوجي اسكندر زخور

طُبع في المطبعة اللبنانيّة في بيروت ١٩٢٠ (ص ٢٧)

قال احد اساطين الطبّ انّ البطنة وشهوة الطعام المفرطة قد قتلت من البشر اكثر من الحروب . وقد قام في زماننا بين الحكماء وانصار الصحّة العموميّة قوم ممّن بينوا فضل الحِمْيَة واطرأوا الكنيسة لوصاتها بالاصوام والانقطاعات ورأوا في عملها اقرب واسطة لحفظ الصحّة ودفع الامراض المتولّدة من الحرص الزائد على الطعام . وممّن تولّى بيان هذه الحقيقة جناب الفسيولوجي اسكندر زخور فنشر في ذلك عدّة مقالات جمعها في هذا الكرّاس ومنها يلوح انّ الاقتصاد في المآكل واتّخاذ الوسائل الهيجنيّة القريبة المنال كالرياضة والاستحمام واستنشاق الهواء النظيف لمّا يقوم في وجه معظم الامراض ويطيل الحياة

انجلاء الاسرار المكنونة

في بيان الدلائل التي تنبئ بدنو يوم الدينونة

للخوري بطرس القزح . طُبع في بيروت في المطبعة الطمّيّة سنة ١٩١٠ (ص ١١٠)

متى يأتي يوم الدينونة ؟ تلك مسألة خطيرة حاول كشفَ اسرارها اركانُ الدين وجلة العلماء وذلك منذ اوائل النصرانيّة كما يؤخذ من بعض آثار الرسل والآباء الاوّلين . وممّن انذروا في القرون المتأخرة بدنوّ يوم الدينونة احد كبار المبشّرين القديس منصور فاريه واثبت قولهُ بالعجائب وردّ بإنذاره عدداً لا يُحصى من الخطأة الى التوبة . ولمّا انتشبت الحرب العموميّة سألنا كثيرون لمّا احسّوا بويلاتها أليست هذه دلائل على قرب وقوع الساعة . فكان جوابنا الله اعلم . على انّ حضرة الخوري بطرس القزح من دير الاحمر يرى في هذه البلايا التي لا تزال تكتنفنا

علامات دالّة على اقتراب الزمان اخصّها كثير من آيات الكتاب المقدّس التي تحتمل هذا التأويل ولم يقطع بها المفسّرون . على كلّ حال لا بأس ان يسهر الناس ويصلّوا فيكونوا في كلّ الاوان مستعدين ليلاقوا الديّان ان لم يكن في الدينونة الاخيرة فعلى الاقلّ في الدينونة الخاصّة في ختام حياة كلّ انسان وهي قريبة بلا شك ل . ش

شذرات

التعليم العالي باللغة العربيّة كان ألقى صاحب الهلال سؤالاً عرضهُ على حضرة الاب هنري لامنس في مناسبة تعليم العلوم العالية باللغة العربيّة فكان جوابهُ على غير طريقة رسميّة مرتاباً في موافقة تعليم هذه العلوم باللغة العربيّة « لئلّا تنعزل البلاد شيئاً فشيئاً عن الحركة العامّة اذ تصبح اللغة الوطنيّة حاجزاً منيعاً دون مواصلة التقدّم »

فرأى الكاتب الاديب فليكس فارس في هذا الجواب مخساً باللغة العربيّة وحاول الردّ عليهِ بمقالة نشرها في مجلّة بيت لحم في عدد آذار الاخير . على انّنا رأينا ردّهُ في غير موقعهِ وذلك لاسباب تضطرّنا الى تأييد قول الاب لامنس بوجيز الكلام: ١ انّ تعليم العلوم العصريّة كالطبيعيّات والكيميا والهيئة والنبات وطبقات الارض والآثار القديمة فيها وكثير غيرها تستدعي تعريب عدد عديد من الكتب الاوربيّة ومهما تعدّد المعرّبون تخور قواهم دون تعريبها بعد مدّة طويلة . ٢ انّ التعريب الحسن يقتضيه معرفة تامّة بالاصول العربيّة مع معرفة بليغة باللغة التي تُنقَل اليها تلك المعرّبات وقلّما نجد من يُتقن معرفة اللغتين تماماً . ٣ يطلب التعريب وجود الوف وربوات من الالفاظ الاصطلاحيّة المعوّل عليها بين العلماء لنقل ما يوافقها في اللغات الاوربيّة . وهذه الاصطلاحات او ناقصة في العربيّة او غير مقرّرة لعدم وجودها في معجم عربيّ . ٤ ليس في البلاد العربيّة جمعيّة علميّة (اكادمية) توجب باستعمال هذه الاصطلاحات وتحدّد معانيها ولذلك ترى كلّ معرّب ينقل المفردات العلميّة كما يعنّ لهُ دون ان يبالي بتعريب غيرهِ فتتعدّد المسمّيات لاسم واحد دون جدوى .

٥ وهب انَّ المعرّبين يستوفون كل شروط التعريب فاين الحكومة التي تتعهّد بنشرها على حسابها وتوجب التعلم بها . ٦ ولو افترض هذا التعلم الالزاميّ فانَّ تلك الكتب لا ينفد طبعها وتصريفها الّا بعد سنين طويلة والعلوم في تلك الاثناء تكون تقدّمت كلّ يوم فيعتق الكتاب ويبقى الدارس محروماً من المكتشفات الجديدة . كما جرى للتعريبات العلميّة في مصر وفي الكلّيّة الاميركانيّة في بيروت فاضطرّ رؤساؤها الى اهمال التدريس بالعربيّة وعادوا الى الافرنسيّة او الى الانكليزيّة ٧ وقد اضاف حضرة الاب لامنس سبباً آخر غاية في الصواب . اذا صار تعليم العلوم بالعربيّة وأُهملت اللغات الاوربيّة انقطعت عن ابناء العرب مناهل العلوم الحيّة التي تنعش بها اوربّة كلّ يوم ارواح المتواردين اليها وتنير اذهانهم بساطع انوارها فيبقى العرب محبوسين في نطاق ضيّق ودائرة حرجة ليس لديهم سوى ما بلغهم بالتعريب . نقول ذلك اقراراً بالحق لا لنبخس العربية حقها وكلٌّ يعلم سعينا في ترقّيها

﴿ تمة الهلال على طوابع بريد الشام ﴾ وقع في يدنا طرودات ومكاتيب من الشام عليها طوابع بريد مضافاً اليها تمة الهلال التركيّ فاخذنا العجب من العود اليه . وقد سبق لنا في المشرق (١٧ : ٦٤٠) انَّ اصل الهلال التركي شعار مدينة القسطنطينيّة قبل تجديدها على يد قسطنطين الكبير اذ كانت مدينةً وثنيّة تُعرف باسم بوزنطيوم . فكان لهذه المدينة هيكل لعبادة الإلهة هيرا (Hρα) زوجة المشتري وكانوا يمثلونها والهلال على رأسها ليس فقط اشارة الى القمر وهلاله بل ايضاً تلميحاً الى البقرة وقرنيها لأن الالهة هيرا كانت تمثّل ايضاً على صورة بقرة مقرّنة . وكان البوزنطيّون تنويهاً باكرامهم لها ضربوا الهلال على مسكوكاتهم وفي وسط الهلال نجمة مسدّسة الزوايا مع اسم مدينة بوزنطية . وقد اكرموا كذلك الإلهة ارطاميس (ومنها طاميش في لبنان) او ديانا على هذه الصورة وكانت ايضاً من معبوداتهم الجليلة

﴿ مار افرام ملفان الكنيسة ﴾ سرّنا الخبر الوارد من رومية انَّ غبطة السيّد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني بطريرك السريان قد نال من نعم الكرسيّ الرسولي بان يكرم القديس افرام السرياني في سائر الكنيسة الكاثوليكيّة بصفة ملفان فتُقام له رتبة خاصّة كأحد كبار آباء الكنيسة ومعلّميها

﴿ ترقّي الكلكة في ايّام الحرب وبعدهُ ﴾ قلنا سابقاً انَّ الحرب

العمومية مع كونها نقمةً هي ايضاً نعمة . ومن جملة نعمها نموّ كنيسة الله وارتداد غير المؤمنين اليها . فمن ذلك ما ورد من افادات المرسلين في هذه المدّات الاخيرة في الكونغو واوغندا وغيناي انّ المرتدّين من الشرك الى الايمان في نموّ متواصل . وقد بلغ بعض الوطنيين في اوغندا والغابون الى سرّ الكهنوت فكان ارتقاؤهم الى هذه الدرجة باعثاً جديداً لارتداد مواطنيهم . ومن اخبار زيلندة الجديدة انّ عدد الكاثوليك بلغ الى عشرين الفاً ولم يكن قبل اعوام قليلة بالغاً بضع المئات . ومن فوائد الحرب انّ كثيرين من جنود المستعمرات الافريقيّة والاسيويّة باختلاطهم مع الجنود الكاثوليك اكتحلوا بنور الايمان وطلبوا العماد فتعمّدوا في امكنة شتّى . وممّا افاده احد خدمة الجنود الانكليزيّة انّ ثلاثين الفاً منهم كانوا بروتستانت فانحازوا الى الكنيسة الكاثوليكيّة . واهمّ من ذلك ارتداد الاسقف الانغليكاني يوسف فردريك كنْمان من علماء كنيسته الذي جحد التعاليم البروتستانيّة بين ايدي الكردينال جبُونس في ٢٥ ت٢ الاخير . وكذلك جحد البدعة الجَنْسِنْيانيّة المطران برك فقبلهُ في الكنيسة رئيس اساقفة نيورك وينتظر قريباً رجوع رعيّته معهُ . وممّن رجع من الذوات في الصين وزيرا خارجيّتها اللذان تناوبا في خدمة وطنهما الاوّل لوتنغ زيانغ والثاني ماليَنغ الذي كان سابقاً رئيس مجلس المندوبين في نانكين . وقد لعب كلاهما دوراً مهمّاً في تاريخ الصين الاخير وكانا من اعضاء اللجنة المنشأة لتدوين الدستور الجديد . وكذلك سفير اليابان الى فرنسة المسيو مونتاو ارتدّ بعد زيارته لسيّدة لورد . ولم يُحرَم بعض المسلمين من هذه النعمة في العراق ومصر

خبز التبن . من امثال العرب انّ الضرورة تفتق الحيلة . ومن المعلوم انّ الحرب الطاحنة التي عايناها اهوالها آخراً كانت حرمت المانيا من الغلّات حتى خيف على اهلها من المجاعة . فجعل العلماء الالمان يختبرون الموادّ الغذائيّة التي تقوم مقام الخبز وممّا اكتشفهُ احدهم الدكتور فريدنتال (H. Friedenthal) انّ في التبن موادّ كثيرة تصلح للتغذية ويمكن استخراجها من قشرها كالنشا والسكّر والمادّة الزلاليّة والدكسترين والحوامض النباتيّة فاستخلص هذه المواد من التبن واصلحها بالطبخ واتّخذ منها اصيةً اقبل الآكلون على الاقتيات بها فوجدوها دسمةً لذيذة الطعم . هذا ما كتبوهُ وقت الحرب ولعلّهُ من اكاذيبهم المألوفة

أسئلة وأجوبة

س سأل من غوسطا حضرة الخوري يوسف مراد ما هو اصل تشبيه البتول العذراء مريم بارزة لبنان ومَنْ من الآباء شبّهها بالارز ومتى دخل في طلبتها الدعاء « يا ارزة لبنان »

مريم العذراء ارزة لبنان

ج اصل تشبيه مريم العذراء بارز لبنان ما ورد في سفر ابن سيراخ (٢٤ : ١٧) عن الحكمة الالهيَّة المرموز بها الى العذراء : « قد ارتفعتْ كالارز في لبنان » . وقد اثبتت الكنيسة ذلك في فرض عيد السيّدة الذي يُتلى في الطقس اللاتيني . وهكذا ورد ايضاً في كُتب الآباء كالقديس يوحنّا فم الذهب والقديس افرام والقديس برزدس وهم يشبّهون العذراء بالارز في رفعتها وخلوّها من فساد الخطيئة الاصليَّة وطيب رائحة فضائلها . امّا الدعاء « يا ارزة لبنان » في طلبتها فشاع بفضل المرسلين اللاتينيين لمّا نشروا في سوريَّة بالعربيَّة تلك الطلبة في اواسط القرن السابع عشر كما ورد في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة . وقد وجدنا هذه الطلبة مطبوعة في رومية في ذلك الوقت دون ذكر ارزة لبنان

س وسأل احد الاساتذة من هم الصقالبة واين موقع بلادهم وما هي لغتهم

الصقالبة وبلادهم ولغتهم

ج الصقالبة جيل كبير من الامم يسكنون في اواسط اوربَّة وشرقيَّها وفي شمالي آسية من حدود بلاد البندقيَّة الى ما وراء جبال اورال ينيف عددهم على ١١٠،٠٠٠،٠٠٠ منهم الروسيّون والبولونيّون والسرب والكروات والبوهيميّون والبلغار واهل جبل الاسود والبشناق ولغاتهم مع تعدّد لهجاتها تعود الى جذر كبير يتّصل باللغات الهندوجرمانيَّة . وهو ينقسم الى فرعين اللغة الصقليَّة الجنوبيَّة الشرقيَّة والصقليَّة الغربيَّة . ومن هذه اللغات ما يُكتَب بالحرف اليوناني القديم مع بعض الحروف الخاصَّة كاللغة الروسيَّة واللغة البلغاريَّة ومنها ما يُكتَب بالحرف اللاتيني كاللغة البولونيَّة . وكذلك تختلف اديانهم ومعظمهم نصارى بينهم تبعة الكنيسة البوزنطيَّة مع استقلالهم النظامي الديني كالروس والبلغار . ومنهم كاثوليك كالبولونيين وقسم كبير من البوهيميين والكروات وغيرهم في كل العناصر الصقليَّة ل . ش

المشرق

ثلاث زهرات نفيسة

في حديقة الكنيسة

للاب لويس شيخو اليسوعي

لمَّا دخل كلوفيس اوَّل ملوك فرنسة سنة ٤٩٦ كاتدرائيَّة رِمس ليصطبغ فيها بماء المعموديَّة ورأى تلك الكنيسة تتلألأ بالانوار وهي مزدانة بأبهى الحلي وافخر الرياش والحُلَل تخفق حولها الرايات وتحدق بها اكاليل الزهور اخذ منظرها بمجامع قلبه فصرخ مخاطباً اسقفها القديس ريمي : أهذه هي السماء التي وعدتني بها يا ابتِ ؟

إي نعم انَّ في بعض مشاهد الارض ما يمثل احياناً وان تمثيلاً خفيفاً مسحةً من جمال السماء ومباهجها السرمديَّة . ولا شكَّ في انَّ الحفلات التي تُقام في كنيسة مار بطرس يوم تثبيت قداسة اولياء الله لَمِمَّا يُعَدّ من جملة الرؤى السماويَّة

وفي هذا الشهر المنصرم قد تكرَّرت ثلاثاً تلك المجالي الفتَّانة لاكرام ثلث من العذارى الطاهرات بل من الزهرات العَطِرات التي نبتت في تربة فرنسة الكريمة فعطَّرت بشذى فضائلها حديقة البيعة الكاثوليكيَّة في آونة مختلفة . وقد أيد الله قداسة تلك النفوس الذكيَّة بالعجائب والمعجزات ما حمل ارباب الكنيسة الكاثوليكيَّة على فحص سيرة كلّ واحدة منهنَّ واستقراء فضائلهنَّ واثبات ما اجراهُ الله على يدهنَّ من الكرامات في حياتهنَّ وبعد مماتهنَّ . ولمَّا تمَّ البحث المدقَّق وثبت لدى اللجنة المعيَّنة لذلك انَّهنَّ ولا مراء يستحققن ان يُنظَمْن في عداد اولياء الله اصدر إمام الاحبار بندكتوس الخامس عشر البراءة المنبئة بذلك وعُقدت للاعلان بها ثلث حفلات قلَّما يُقام مثلها رونقاً وبهاء في كنيسة مار بطرس في اليوم التاسع ثم

في الثالث عشر والسادس عشر من ايار الماضي تقاطر الى الحظوة بمظاهرها الالوف المؤلفة من الزوّار من كافّة اقطار اوربّة واميركا ولاسيّما من فرنسة وطن هؤلاء العذارى حتّى ضاقت بجماهيرهم تلك الكنيسة مع رحبها وسعة أرجائها

وليست اسماء اصحاب تلك الحفلات مجهولة لدى معظم قرّائنا ألا وهنّ القديسة جان‌درك والقديسة مرغريتا ماري الاكوك والطوبويّة لويزه دي‌ماريلياك اللواتي أطلعهنّ الله بدوراً في كنيسته وقد ظهرنَ في ثلاثة مراسح مختلفة فقدّسنها بجميل مآثرهنّ: الاولى في ساحات الوغى والثانية في مقدس بعض الاديار والثالثة في المستشفيات ومآوي كلّ الاسقام البشريّة. فتنويهاً بفضلهنّ ها نحن نورد خلاصة حياتهنّ التي شرّفت وطنهنّ الكريم بل شرّفت الكنيسة الكاثوليكيّة او قل الانسانيّة جمعاء. فبهنّ يصحّ قول الشاعر:

ولو كان النساء كمثل هذي
لفُضّلتِ النساء على الرجالِ

١ القديسة جانه درك

(١٤١١–١٤٣٠)

أكرم بها فتاةً تلوح على محيّاها الصبيح سيماء اللطف والعزيمة. لله درّها ما أبهى تلك الفارسة في بزّتها الحربيّة على صدرها الدرع وعلى رأسها الخوذة

مُقلَّدة بحمائل سيفٍ لم تخترطهُ قط من غمده لأذًى وفي يدها الراية البيضاء شعار ملوك فرنسة الممثلة لطهارة قلبها وبرارة حياتها . بمنطيةٍ جوادًا يخوض بها معمعان الحرب

هذه هي جان درك مثال الشهامة والطهر وصورة حب الوطن والدين معاً قامت في الأمة الفرنسويَّة بمثابة دُبورة في بني اسرائيل فأنقذت شعبها من عدوٍّ الذ كاد يُبيد قومها ويستعبدهم تحت نير سلطانهِ المطلق

قد سبقنا في مجلَّتنا (المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٣٢١ — ٣٣٧) وروينا اخبار تلك الشهمة الكميَّة فوصفناها في اطوار حياتها العجيبة كفتاة بارَّة اذ كانت في قريتها دومرمي ترعى غنم ابيها بسذاجة الاحداث . ثم اعتبرناها كرسول الله الى ملكها بدعوةٍ علويَّة اثبتت صحتها بما اجترحته من الكرامات والآيات المتعدِّدة التي لم تدع لاحدٍ ريباً في كونها من السماء . تتبَّعنا آثارها في ساحات الوغى حيث اضحت قائدةً لجيوش ملكها تملأ بجلستها وإقدامها قلوب جميع المحاربين تحت رايتها رجاء بالنصر القريب وثقةً بالظفر المبين لاسيَّما بعد ان كسرت شوكة العدو ودخلت مدينة اورليان وفتحت الفتوحات الباهرة وفرَّقت شمل الانكليز شذر مذر الى ان قادت ملك فرنسة شرل السابع الى حاضرة رِمس فمُسح ملكاً على فرنسة بالزيت المقدَّس ولبس تاج اجداده الكرام ممجَّداً معظَّماً . وكلّ ذلك بموجب ما سبقت وبشَّرت بهِ جان درك بايعاز الاصوات السماويَّة التي سمعتها مراراً دون ان يخلَّ من كلامها حرف . وفي اثر ذلك وصفنا استشهادها وظروفهُ المؤثرة فظهرت في موتها اعظم واشرف منها في حياتها بل كانت لها في موتها حياةٌ مخلَّدة رفعت بها الى مقام اولياء الله ونظمتها في سلك اولئك العذارى اللاتي يتبعن الحمَل ويتَّسمن بسيمائهِ ويتمجَّدن بمجدهِ فضلاً عمَّا نالتهُ في وطنها من الذكر الصالح وعرفان الجميل الذي لا تمحوهُ الدهور

وقد ختمنا اذ ذاك تلك الطرفة بتعريف حفلة تطويبها في رومية في ١٨ نيسان ١٩٠٩ حيث اعلن الحبر الروماني السعيد الذكر بيوس العاشر بسموّ فضائلها وسمح باكرامها في وطنها كطوبويَّة وشفيعة خاصَّة

وهذه الآن عشر سنوات مرَّت على تلك المواسم الجليلة فنال اسم جان درك من العظمة والرفعة ما كان اقوى دليل على سموّ شأنها وعلوّ مقامها . فأُنشئت على اسمها

الجمعيات الخيرية والشركات الوطنية والمشروعات التقوية ليس في فرنسة وحدها بل في كل اقطار المعمور ولم تحرم منها بلادنا العزيزة . فزادت ثقة الناس بحمايتها والتجأ الى شفاعتها كثيرون من المبؤوسين فكرمها الله بعدة معجزات باهرة ثبتت بشهادة الشهود العيانيين وفحص العلماء الاختصاصيين . وقد كانت نتيجة هذه الحرب الاخيرة آية من شفاعتها اذ حررت وطنها الثوري من ربقة مغتصبيه كما حررت سابقاً فرنسة من نير اعدائها . فدفعت كل هذه الدواعي الكرسي الرسولي الى ان يرفع درجة اكرامها ويعمم عيدها في الكنيسة وينزلها منزلة كبار القديسين

وهذا ما جرى في الاحد الثالث من ايار في اليوم السادس عشر منه اذ عقدت في امّ المدائن لتثبيت قداسة جان دارك حفلة زادت على الحفلة السابقة عزاً ورونقاً . حضرتها الدولة الفرنسوية رسمياً بواسطة احد عظام رجالها السيو هانوتو المحرر لترجمة تلك الفتاة الشهيرة . وقد التفت حولها الجماهير المجمهرة التي تقاطرت الى عاصمة الكثلكة لتمجيد تلك الابنة المباركة التي رفعها الله من حضيض الذل الى اوج المجد

ولم يبق بعد هذه المظاهرات الشائقة الا امر واحد يؤمل منه لفرنسة مستقبل عز ثابت وفخر دائم وهو اختيار عيدها كموسم وطني تشترك فيه كل الاحزاب السياسية على اختلاف النزعات والاهواء فتكون رابطة حب ووئام بين جميع ابناء فرنسة ابنة الكنيسة البكر . وهو امر على وشك التجاز ستصادق عليه قريباً ان شاء الله ندوة العموم ومجلس الشيوخ . حقق الله الآمال

٢ . القديسة مرغريتا الوكوك

(١٦٤٧ - ١٦٩٠)

ولكن ما لنا وميادين الحروب وصلصلة الصوارم واصطكاك الجحافل وقراع الابطال . فان الانسان دعي الى

جهاد اعظم واشرف مع خصم اشد وارهب لا يفوز فيه فرسان القوة والبطش بل ابطال الفضيلة وأعلام القداسة

ومن جملة الظافرين بهذه الحرب الروحية عذراء أخرى سطعت انوار قداستها في احد اديرة رهبانيتها ثمَّ انتشرت في انحاء فرنسة . وهاك اليوم اضواء اشعتها تنير اقاصي المعمور بتثبيت الكرسي الرسولي لقداستها

هي مرغريتا مريم ألاكوك المحققة في شخصها معاني اسمها الكريم فكانت لؤلؤة ودرة ثمينة يستترخص كلّ غال بالنسبة الى جلال قدرها . كانت كالأقحوان زينة الحقول فزيّنت حديقة الرهبانيّة وعطرت روضة الكنيسة جمعاء . ترى في يدها صورة قلب فتحته حربة الجندي على الصليب فانبعث منه أتون نار اضطرم بها جنانها ثمَّ عرضته على البشر لتتقد قلوبهم بمحبة خالقهم فيبذلوا دونه نفوسهم كما جاد هو بنفسه حبًا بهم

اتاح لنا الله سنة ١٨٧٥ ان نزور الدار التي ولدت فيها مرغريتا ألاكوك فتحول الى معبد يتبارك الناس بالحج اليه . وهي بيت بسيط في وسط قرية شارول التي لا تبعد عن مدينة پاره لوتيال من اعمال بورغندية اكثر من سبعة كيلومترات . فهناك رأت النور تلك الفتاة البارّة في ٢٢ تموز سنة ١٦٤٧ وهي ابنة قاضٍ اشتهر باستقامته وتقواه وسيدة ضارعته ورعاً وحنانًا . تربّت في صغرها احسن تربية على يد والديها اوّلاً ثمَّ على يد عرابتها الشريفة الاصل ثمَّ في دير راهبات القديسة كلاره في وطنها فاصبحت منذ نعومة الاظفار مثلاً حيًا لكل اترابها بكافة اعمال البر من استحرار بالصلاة وملازمة الصوم والتقشفات ومواظبة على الاسرار المقدسة الى ان بلغت مبلغ الشباب فحاول بعض اهلها ان يحببوا الى قلبها زخارف العالم وكادوا يفوزون بغايتهم لولا انَّ الله الذي كان اجتبى لذ قلب عبدته ارسل لها من المحن والاوجاع والاكدار والهموم ما زهّدها بعالم البوار ووجّه عواطفها تامًا الى الله . على انها لم تفارق ابها بل خدمتها اصدق خدمة في اسقامها عدة سنين الى ان نالت نعمة الشفاء فألحت مرغريتا وقتئذ عليها بان تسمح لها بالترهب . فردّت الام مدّة طلبة ابنتها لكنها اجابت اليها آخرًا خوفا من ان تخالف ارادة الله

وكان الله قد اقام في كنيسته في ذلك القرن رهبانيّة جديدة انشأها احد كبار

اساقفة زمانه القديس فرنسيس دي سال مع البارونة الشهيرة بآثرها العظيمة أعني القديسة فرنسسكا دي شنتال ودعواها برهبانيَّة زيارة العذراء غايتها تقديس اصحابها وتهذيب الفتيات بالعلوم والآداب. وذلك سنة ١٦١٠. فما لبثت ان انتشرت ايَّ انتشار في فرنسة والبلاد المجاورة. وفي لبنان بعينطورا دير من هذه الرهبانيَّة سبق لنا الكلام عنهُ في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٧٠٤)

ففي احد اديرة هذه الرهبانيَّة دخلت مرغريتا الاكوك في ٢٥ ايَّار ١٦٧١ وهو دير باره لونيال المجاور لبلدتها شارول. وزادت على اسمها يوم ترهَّبت اسم مريم شفيعة رهبانيَّة الزيارة الخاصَّة

في يوم انضواء مرغريتا مريم الى العيشة النسكيَّة عدَّت نفسها ميتةً للعالم لتحيا للربّ فجعلت نصب عينيها مثال القداسة والكمال السيّد المسيح لتطبع في قلبها سيرة حياته المحجوبة ثلثين سنةً في الناصرة فانكبَّت على ممارسة الفضائل التي علَّمها البشر ولاسيَّما التواضع اساس القداسة والتجرُّد عن كلّ الاميال المنحرفة والطاعة التامَّة لاوامر الرؤساء والانقطاع الى الاشغال الوضيعة والتفاني في خدمة اخواتها والفتيات اللواتي عُهد اليها تدبيرهنَّ

فكانت هذه الفضائل كمغناطيس قرَّب الى مرغريتا قلبَ الله الذي يعطف الى النفوس الساذجة ويختار الضعيف والجاهل من العالم ليخزي القويّ والحكيم (١ كور ١ : ٢٧) فاختصَّها بنعمه الالهيَّة واتخذها محرقةً ذكيَّة الرائحة يتنسَّم عرفها الطيب

وكان اوَّل ما حبَّب الى نفسها الصلاة والتقشُّف لتفرغ قلبها من غبار الاهواء البشريَّة وتملأهُ من الله فتحيا بالمسيح بل يحيا المسيح فيها (غلاطية ٢ : ٢٠)

ولمَّا كان الربّ من دأبه اذا اصطفى نفسا ليسكب فيها اسنى هباته ان يُسرع فيشركها بصليبه بادر ايضاً الى ان يقدّم لعريسته كأس آلامه ليجعلها أولى بسوابغ نعمه. فاحدقت بها المصائب والاوجاع تترى فكانت تارة تعتريها الامراض المؤلمة المتواترة وتارة تتوارى عنها التعزية الروحيَّة وعذوبة الصلاة وحيناً يتحامل عليها عدوّ الله الشيطان فيعذّبها بتجاربه ووساوسه المخيفة. وربَّما امتحنها الرؤساء ليعجموا عود صبرها وقداستها ويتحقَّقوا أهي مفردةٌ بروح الله او مغرورة بسواه. فكانت كلُّ هذه المحن كالنار الماحصة للذهب خلَّصت قلبها من كلّ شائبةٍ ارضيَّة

ولم تكن هذه المحن لتقوى على صبرها واتكالها على الله بل ظلّت تلتجئ الى ربها وتزيد فيه ثقةً واعتصاماً ولاسيما بتقربها الى سرّ قربانه الاقدس حتى انقشعت عن قلبها تلك الظلمات واخذ السيد المسيح يكشف لها غوامض محبته الالهيّة ويذيقها حلاوة الامور السماوية وانتدبها خصوصاً الى عبادة قلبه الاقدس الذي طفح حبّاً نحو البشر واراد ان يتخذها وسيلة لنشر عبادة ذلك القلب الالهي فينعش في الكنيسة روح الحب والتقى الذي كاد يخمد بسبب انتشار البدعة الجنسنيّة مع جنوح البشر الى الاهواء العالمية وطلبهم حطام الدنيا وملاذها . وقد حظيت تلك البتول القديسة بعدة رؤى . فتراءى لها الربّ كشمس ساطعة تلقي باشعتها الى قلبها . وانتزع يوماً قلبها فجعله في قلبه المتقد نارا فرأته كهيا منثور وزُدّ لها كشعلة نار . واخص من هذه الرؤى ظهور السيد المسيح لها اذ كانت يوماً ساجدةً امام القربان الاقدس غائصةً في سرّ محبته فرأته بكلّ جلاله ملتحفا بالنور . واذا بصدره المفتوح يلوح فيه قلبهُ المجروح ينبعث منه لهيب النار ويعاوهُ الصليب وحول القلب اكليل الشوك فقال لعبدته : « هذا هو القلب الذي بلغ حبّهُ للبشر اي مبلغ حتّى انهُ لم يدّخر وسعاً في بذله نفسهُ لهم ومع كلّ هذا لم يجد في اكثرهم الّا برودةً وفتوراً » ثمّ دعاها الى التعويض عن اهانات البشر وأرشدها الى ما توفي به عن نكرانهم الجميل . ووكل اليها نشر العبادة الى قلبه معدّدًا ما سينالهُ المتعبدون له من النعم السابغة

ومنذ ذاك الحين لم تألُ مرغريتا جهدها في اتمام رغبة المخلّص فاخذت تنشر هذه العبادة اوّلا بين طالبات رهبانيتها التي كانت هي المرشدة لهنّ ثمّ بين الراهبات اخواتها وبين معارفها المترددين الى الدير

وقد اتاح الله لها احد مشاهير عصره المكرّم الاب كلود دي لاكولمبيار اليسوعي كمرشد لذمتها . فهذا بعد ان تحقّق صحّة دعوتها اخذ يساعدها في اجتذاب النفوس الى عبادة قلب يسوع وناصرهُ في عمله الآباء اليسوعيّون بوكالة خاصّة من الربّ الى عبدته مرغريتا . فما مرّ على ذلك زمن طويل حتّى ظهرت مفاعيل تلك العبادة العجيبة الى زماننا هذا حيث أقيم على ربوة مونمرتر في باريس ذاك المعبد التعويضي المكرّس لقلب يسوع الذي هو احدى آيات الهندسة العصريّة فبلغ ما صُرف على بنائه الى اليوم نيفاً واربعين مليوناً من الفرنكات . وقد وضع آخرًا الكردينال غباري الحجر

الاول لمعبد آخر سيقام قريباً ان شاء الله لذكره على جبل الزيتون بجوار القدس الشريف

لم تطل حياة مرغريتا مريم فانها اذ وجدت انَّ المهمَّة التي عُهدت اليها من قبل الربّ قد تمَّت بانتشار عبادة قلب يسوع ضمن ديرها اوّلاً ثمَّ خارجاً عنهُ في انحاء اوربّة مع مصادقة الكرسي الرسولي اخذ منها الفرح كلّ مأخذ حتَّى لم تعُد تفكّر الّا بان تجتمع بعروس نفسها في السماء. فأضناها حبُّها لهُ فماتت قريرة العين باسمة الثغر وهي في عزّ كهولتها في ١٧ ت ١ ١٦٩٠ وعمرها لا يتجاوز ٤٣ سنة

وقد مجّدها ختنُها الالهي في السماء والارض معاً بما اصطنعهُ من العجائب بشفاعتها حتَّى ادرجها اوّلاً البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٤ في سفر الطوبويّات وها هي اليوم قد نالت مجداً اعظم بنظمها في سلك البتولات القديسات

٣ الطوبويّة

لويزه دي ماريلياك

(١٥٩١–١٦٦٠)

هي الزهرة المعنويّة الثالثة التي قدَّمتها الكنيسة البطرسيَّة لاولادها كي يستنشقوا أريجها العطر ويضمّخوا النفوس بطيب فضلها . اشبهت جان دوك ومرغريتا الاكوك بقداستهما وان اختلفت عنهما بمآثرها

ولدت لويزه في باريس من أسرة شريفة في ١٢ آب ١٥٩١ . كان ابوها سيداً على قرْيار من مقاطعة اقليم ڤنداي اسمهُ لويس دي ماريلياك وأمها ماري لوكامو التي رُزيت في صغرها بوفاتها الّا انَّ اباها وكان عريقاً بالدين ومن اكمل الرجال عقلاً واسدّهم رأياً سلَّمها اوّلاً لاحدى اخواته المترهبة في دير بواسي الملكي فتربَّت تربية بنات

الاشراف . ولمّا بلغت اشدّها تولّى هو بنفسهِ تهذيبها فخرّجها بكل آداب عصرهِ من الفنون الجميلة والفلسفة مع درس اللغة اللاتينيّة لغة العلماء

وبقيت الفتاة مع هذا على سذاجة فطرتها لا تجد في غير الدين واعمال التقى لذّةً وانشراحاً . وزاد نفورها من العالم اذ توفّى الله اباهـا وعمرها لم يتجاوز ١٥ سنة . وكانت تودّ لو تستطيع ان تدخل في جمعيّة الراهبات الكبوشيّات لولا انّ ضعف صحّتها حال دون تحقيق امانيها . ولم يزل بها اهلها حتى اقنعوهـا بان تقترن باحد سراة الدولة الفضلاء المسيو انطون له غرا (le Gras) كاتب اسرار الملكة مساري دي مديشيس في ٢ شباط ١٦١٣ فعاشت معه اثنتي عشرة سنة بممارسة كلّ الفضائل الاهليّة التي وصفها سليمان الحكيم في سفر الامثال من حبّ لزوجها وحسن تربية لابنها وقيام بشؤون بيتها وخدَمها وانقطاع الى الشغل واحسان الى الفقراء والمساكين مع المحافظة الدقيقة لكل اوامر الكنيسة . حتّى جعلت بيتها اشبه بدير منهُ بدار الاشراف . وقد زارها فيهِ ارباب الدين وخصوصاً القديس فرنسيس دي سال الطائر السمعة

ترمّلت السيدة له غرا في ٢١ ك ١ سنة ١٦٢٥ اذ مات زوجها ميتةً صالحة فورثت منهُ مالاً وافراً اخذت تجود بهِ على البائسين . وكان مرشدها الاول كبوشي فاخبل الاب هونوره ثم السيّد له كامو (le Camus) اسقف بلاي وهو من قرابتها لكنّهُ لبعد مقامهِ عنها انتدب لارشادها ذاك رجل الله القديس منصور دي بول احد اقطاب الدين وسند المشروعات العظيمة التي أنشأت بهمّتهِ ومسعاه في كلّ انحاء دولة فرنسة

فما باشر الأنبا منصور بتدبير تلك النفس الكريمة حتّى عرف سموّ فضلها وارتياحها الى كلّ عمل شريف ومشروع خيري . على انّهُ لم يسرع في دفعها الى كلّ ما كان يطلبهُ قلبها من الصلاح فامتحنها مدّةً قبل ان يسمح لها بان تربط نفسها بالنذر الى الله في خدمة القريب وذلك في السنة ١٦٢٩ . فصارت منذ ذاك اطوع لهُ من بنانهِ في مباشرة كلّ ما يؤول الى مجد الله وصلاح القريب

وكان القديس منصور انشأ قبل ذاك الحين بمدّة قليلة جمعيّات خيرية كان يدعوها بجمعيّات اخوات المحبّة انتشرت في عدّة مدن من فرنسة تنضمّ اليها سيّدات .

من افاضل النساء يُعنَين بامور المرضى والمبؤسين . فارسل السيدة لويزه دي ماريلياك الى زيارة تلك الجمعيات وتنظيمها واصلاح ما لعلّهُ طرأ عليها من الخلل . فقامت بهذا الامر احسن قيام فكانت حيثما حلّت تُنهض الهمم وتبعث في الجميع روح الغيرة والنشاط . وكان مثلها اقوى فعلاً من كلامها فتسبق الكل بعيادة المرضى واسعاف المسقومين بل اقدمت على تمريض المطعونين ولم تنجُ من الداء الّا بنعمة خاصّة من الله . وقد انشأت جمعيات جديدة من جمعيات اخوات المحبّة فنما عددها وتهافت الناس الى مساعدتها . ولم تكتفِ لويزه بخدمة الاجساد بل كان همّها الاعظم تقديس النفوس وقد استرخصت من خوارنة الرعايا بان تجمع الفتيات وتعلّمهنّ حقائق الدين وممارسة اعمال التقى وتكرم بالها على من كانت منهنّ محتاجاً

خمس سنوات قضتها السيدة له غرا في كلّ هذه الاعمال المبرورة أعربت فيها عن اطيب الصفات خدمة لاشقياء هذا العالم وتعسائهِ . وكان عدد عديد من النساء البتولات طلبن منها ان يخصصن ذواتهنّ لخدمة المبؤسين مثلها فاجابت الى ملتمسهنّ . ثمّ اتّفقت بعد برهة مع القديس منصور ان تُنشئ بهنّ جمعيّة قانونيّة فيقمن في اديرة خاصّة ذات عيشة رهبانيّة منظّمة غايتها ممارسة اعمال الرحمة نحو القريب . فانتظم في هذه الجمعيّة بعض المشتركات بشركة اخوات المحبّة السابق ذكرهنّ وشركة بنات الفقراء التي كان انشأها القديس منصور قبل ذلك سنة ١٦١٧ . وتمّ الامر في ٢٥ آذار سنة ١٦٣٤ حيث ابرزت لويزه دي ماريلياك نذور الفقر والعفّة والطاعة بين يدي مرشدها الجليل وتعيّنت كرئيسة على الراهبات التابعات لطريقتها . وما فتئت ان وضعت لهنّ قانوناً مملوءاً حكمة وتقى تحت نظارة القديس منصور . فاثبتها اولاً رئيس اساقفة باريس سنة ١٦٥٥ ثم تقرّرت بتثبيت الكرسيّ الرسولي سنة ١٦٦٨ . وقد اختارت راهبات المحبّة لثوبهنّ ثوب نساء العامّة في ذلك العهد وبقين عليهِ الى يومنا واتّخذن لتدبيرهن الروحيّ كهنة الرسالة المعروفين باللعازريين الذين انشأهم القديس منصور

دخلت جمعيّة راهبات المحبّة في طور جديد يوم انتظامها قانونيًّا وصارت مذ ذاك ترقى معارج التقدّم والنجاح فتراكمت عليها طلبات البلاد مباشرةً بمدينة باريس التي سلّمت اليها ادارة اكبر مستشفياتها (Hôtel-Dieu) ومثلها فعلت معظم مدن فرنسة

ولم يكتفين بالمستشفيات فانَّ الرئيسة الفاضلة لم يبلغها خبر سقم بشري ايًّا كان حتّى كانت تسرع الى علاجه فمن ذلك انها فتحت في باريس سنة ١٦٣٦ منزلًا كبيرًا للقطاء الذين بزمن قليل كادوا يبلغون الالف عدًّا

ثمَّ رضيت بفتح مأوًى للعجزة رجالًا ونساء في السنة ١٦٥٣ ولم تلبث حتى الحقت به مأوى آخر لخدمة المجانين . فكانت كلّ هذه المقامات تصيب في ايدي راهبات المحبَّة نجاحًا كبيرًا لحسن تدبيرهـا وتجهيزها بكل ما يؤول الى راحة اولئك المسقومين . وكان الزوّار اذا زاروها يحسنون اليها بسخاء

ولمَّا جرت في عهـد الملك لويس الرابع عشر تلك الحروب الطويلة بين فرنسة والدول الاوربيَّة المختلفة طلب القوَّاد الفرنسويُّون مساعدة راهبات المحبَّة لمعالجة المرضى والمجروحين في ساحات الحرب فلبَّت رئيستهنَّ الفاضلة الى دعوتهم وسُرَّ الجنود بحضورهنَّ اي سرور حتَّى انَّهم كانوا يموتون بفرح بين ايديهنَّ

وكذلك فعلت ملكة پرلونيا لويزه ماري دي غنزاغا ابنة دوقة دي نوڤير فانَّها طلبت راهبات المحبَّة لمرافقة جنودها في الحرب وكانت أُعجبت بتفانيهنَّ يوم زارت مآويهنَّ في باريس

وقد انتشرت بزمن قليل سمعة هؤلاء الراهبات في معاملات فرنسة فـاخذ مأمورو‌ها يتسابقون في الطلب الى لويزه دي ماريلياك ترسل بناتها الى انحـائهم ففتحن عدَّة مستشفيات في بلاد شمپانية وپيكردية ولورين حتَّى اصبح اسمهنَّ مرادفًا للملائكة المحبَّة . ومن مآثرهن الجليلة خدمتهنَّ للمجرمين والائمة الذين حُكم عليهم بالاشغال الشاقَّة لجناياتهم المستقبحة فرددنَ كثيرين منهم الى التوبة والصلاح

امَّا رئيستهنَّ القديسة فكانت تتكاثر لتفي برغبة كلّ الطالبين وتسبق جميع بناتها في كلّ اعمال الرحمة والشفقة وهي غالبًا منهوكة القوى مصابة بعدَّة اوجاع تلزمها الفراش دون ان تخفف همَّتها في شيء . وكانت تستمدُّ قوًى من علٍ من القربان الاقدس الذي تعبَّدت له تعبُّدًا خـاصًّا ولاسيَّما من قلب يسوع الاقدس الذي سبقت وعرفت كنوزهُ الثمينة قبل انتشار عبادتهِ على يد القديسة مرغريتا مريم . وقد وجدوا لها آخرًا في باريس اثرًا غاية في النفاسة وذلك صورة جميلة رسمتها لويزه بيدها تمثّل شخص السيّد المسيح ربّ الجلال واقفًا وباسطًا يديهِ المثقوبتين بالمسامير وكذا

رجلاهُ المباركتان . امّا صدرهُ فيلوح منهُ قلبهُ الاقدس يشعُّ نورًا حولهُ وكثيرًا ما كانت الطوبويّة دي ماريلياك تجثو امامهُ في حجرتها . وفيهِ اعظم دليل على عبادتها لقلب الربّ

انطفأ نور حياة منشئة راهبات المحبّة في ١٥ آذار سنة ١٦٦٠ فاتت في قبلة الربّ ميتة الابرار وسبقت بذلك رفيقها في اعمالها العجيبة ومرشدها الكريم القديس منصور فمات بعدها باربعة اشهر وكان آخر اعمالهِ قبل وفاتهِ انهُ دعا كافّة راهبات المحبّة في باريس وألقى عليهنّ محاضرة في فضائل امهنّ فكان خطابهُ احسن ثناء على حياتها المبرورة . وها قد ايّد الكرسيّ الرسوليّ حكمهُ في قداستها ببراءة البابا بندكتوس الخامس عشر مثبتاً لستر فضلها وصحة العجائب التي اظهرها الله بشفاعتها . ومن اعظم هذه العجائب نموّ سلالتها الكريمة التي استوقفت نظر العالم بأجمعهِ بما اتتهُ مدّة ثلاثمائة سنة من الاعمال الشريفة لعلاج كلّ الاسقام البشريّة . فنهنئ سائر بناتها لما نالتهُ منشئتهنّ من الاكرام والشرف ونتمنى لهنّ بشفاعتها ان يزددنَ كلّ يومٍ عددًا وفضلًا لمجدهِ تعالى ولخير الانسانيّة عموماً

اللاهوت البدوي في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

من رام ان يسطّر بحثاً وافياً وقولًا شافياً عن ديانة البدو ان قضى عليهِ النقد الصحيح والعلم الراهن ان يقيم بين خيامهم حيناً طويلًا صبورًا على معيشتهم وعاداتهم رابط الجأش للاستقصاء عن سرائرهم وطيات نفوسهم . وهذا الدرس على عزّتهِ وتعذّر منالهِ لم يَخُض فيهِ الّا نادرًا العلماء المبرّزون والكتبة المترسلون فلذلك لم اطمع ان أفيَهُ حقّهُ وأُحيط بهِ من سائر اطرافهِ فاقول :

اعتقاد اهل البادية بالله ووصفهم له

بدء الحقائق الدينية واساسها هو وجود الله عزّ وجلّ . فالأعراب لا ينكرونهُ لا بل يتجلّى عندهم في سائر اطوار حياتهم . لا ريب ان الجهل يسود على عقولهم فلا يميّزون معنى صفاته الحسنى ويعجزون عن بيان طبيعته العظمى بشرح واضح يسفر عن الحقيقة نقابها ويُبديها بجمالها غير انهم لا يشكّون فيها . وقد تاه في بيداء الضلال من ادّعى ان لا دين لاهل البادية . واذا سألنا اهل البادية ما هو الله ؟ يقولون « الله خالج (خالق) الدنيا . هو رب رحيم » . واذا استوضحناهم عن غير ذلك يجيبون بهذه العبارة الجامدة « لا ندري . الله يدري » او : « لا نعلم . الله يعلم . من يدخل في علم الله . هو القدير وبكل شيء عليم . يحيي ويميت »

قلنا لاعرابيّ يوماً اين يوجد الله قال : « الله يسكن في السماء فوق سابع سماء بين النجوم فاذا حرّك يده ظهرت الكواكب بألوانها السنيّة وصعدت النجوم . والقمر يسبح في الفضاء يرسل انواره الفضيّة » فتارةً يمثلون الله بحديثهم كشيخ طوى مراحل الحياة فلعب البياض بلحيته وطوراً بفارس بطل يجول في الاقطار باقلّ من لمح البصر . قال مزعل الشراري : « ان الله يملأ الدنيا كأنّ له حصاناً اسرع من وميض البرق يطوي العالم من اقصاه الى اقصاه ويراقب الاعمال ويعلم النيّات »

سألتُ يوماً عبد الهدي شيخ العوازم وقاضيهم الاداري : كيف خلق الله العالم؟ قال : « نحن العرب لا ندري ولكن الخطيب يعلّمنا ان الله تعالى خلق الخلق من اربعة اشياء خلق الملائكة من نور والجانّ من نار والبهائم من ماء وآدم من طين . واوّل ما خلق الله تعالى من الحيوانات النحلة وآخر ما ابدع القرد . واول ما انشأ من النبات الكمأة واول ما كوّن في الارض المادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان وهو آخر المخلوقات » . قال : « لما اراد المولى سبحانه تعالى ان يخلق آدم أوحى الى الارض اني أريد ان اخلق منكِ خلقاً فمنهم مَنْ يطيعني ومنهم مَنْ يعصيني . فبكت الارض فانفجرت منها العيون وهذا اصل الينابيع . وزيّن الله ادم بانواع الزين فكان يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ثم حُمل على اكتاف الملائكة وطافوا به في السماوات مقدار مئة عام ثم سكن الجنة والجنة ليست على الارض . ولما اخطأ واكل

من الشجرة المحرَّمة بكى عليهِ جميع ما في الجنة الّا الذهب والفضة وشجر العود فناداهم المولى وهو على العرش وقال : لِمَ لا تبكون على عبدي ؟ قالوا : ربّنا لا نبكي على عبد نستعبدهُ بحبّنا . فقال : لو كان عندكم رقّة لبكيتم خوفاً فوعزّتي وجلالي لا ينتفعُ بكما (اي الذهب والفضّة) الّا بدخولكما النار . وانتِ يا شجرة العود لا يفوح لكِ عطر الّا في النار المتلهبة »

ولهم اعتقادات غريبة في خلق الارض نذكرها على علّاتها . كنت يوماً غربيَّ مادبا في خيمة الشيخ محمد الخواطرة وهو شيخ عرب الزايدة وله إلمام في الامور الدينيَّة فسألتهُ عن الارض وخلقها فقال : « الخطيب صاحب العمامة البيضاء يقول : لمّا خلق الله الارض بعث من تحت العرش ملاكاً فهبط الى الارض ودخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقهِ واحدى يديه بالشرق والاخرى بالغرب فضبطها ولم يكن لقدَمهِ موضع قرار فاهبط الله من الفردوس ثوراً وجعل قرار قدَم الملاك على سنامهِ فلم يستقرّ فاخذ الله ياقوتةً حمراء غِلَظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها على سنام الثور فاستقرّت عليها قدماه . ولذلك الثور اربعون الف قرن ومنخراه في البحر فهو يتنفّس كلَّ يوم تنفّساً واحداً فاذا تنفّس مدَّ البحرَ واذا ردَّ نفسه جزَرَهُ »

ومن معتقداتهم الجارية مجرى الحديث هو ان حكم القَدَر امرٌ لا مردَّ لهُ وفقاً لقول الشاعر العربي :

جرى قلمُ القضاء بما يكونُ فبيّانِ التحرُّكُ والسكونُ
جنونٌ منك ان تسعى لرزقٍ ويُرزَق في عشارتهِ الجنينُ

فالله هو المسبّبُ لكل شيءٍ من خير او من شرّ (١ فالانسان نفسهُ اصبح خالياً من حرّيَّة الارادة لا بل هو ذرَّة حقيرة تتناقلها ايدي الاقدار كيفما شاءت وتتلاعب بها كما يتلاعب الطفل بكُرَتهِ الصغيرة . فالمولى هو المنشىء العظيم لعالم الاكوان . من يا ترى يسقي الارض بماء غزير فتنشأ منهُ الازهار وتنضج الاثمار وتخضرُّ السهول والهضاب ؟ هو الله عزَّ وجل . وكم من خارقة يعزونها الى الله . فبينما السماء صافية والارض في راحة وهناء اذا برياح شرقيَّة تتصاعد كأعمدة نحو الفضاء فتغدو زوابع

١) الشرّ امّا مادي او طبيعي وامّا ادبي فالشر الطبيعي يجوز نسبتهُ الى الله وامّا الادبيّ فالله ليس هو مسبّباً لهُ وان يسمح بهِ . وامّا الانسان يأتيهِ بارادتهِ وحرّيَّتهِ

فالأعراب يذكرون الله في مطلع اعمالهم واقوالهم . ففي ابتياع امر يضع البائع يده في يد الشاري فيقول الشاري : « باسم الله وأفلح وصلِّ على النبي » ثم يتبايعون . واذا احتدَّ البدوي غيظاً واراد احد الحاضرين ان يهدّئ هائجه يقول له : « سمِّ بالرحمان واطرد الشيطان » . او : « استعن بالله من شر الوسواس الخناس »

وكان عرب الجاهلية يذبحون للاصنام ويلطخونها بالدم فيلتمسون بذلك الزيادة في اموالهم وكان قُصي بن كلاب ينهى عن عبادة غير الله وهو القائل :

اربًا واحدًا ام الفَ رب أدين اذا تقسَّمت الامورُ
تركتُ اللات والعزّى جميعًا كذلك يفعل الرجل البصيرُ

على ان اهل البادية الحاليين وان كانوا لا يعبدون الاوثان فهم باجمعهم يأنسون الى المعتقدات الطبيعية ويكرمون الاحجار المقدَّسة والاشجار المُورقة والمياه الرفيعة التي يَعزون اليها شفاء الامراض فيقدّمون لها ذبائح شكر كما سندلّ عليه في باب الذبائح البدوية . ويعتقدون اعتقادًا شديدًا بمراحم الله ويقولون : مَن اغتسل بعد موته فقد نال صفح الجرائم ودخل الجنّة لا محالة . وكان الجاهليون يقيمون لذلك الغسل اعتبارًا جزيلًا . ومن ذلك قول الافوه الاودي :

ألا علّلاني واعلما انني غَرَرْ فما قلتُ ينجيني التثاقل ولا الحذَرْ
وما قلتُ يجديني ثوابي اذا بدتْ مفاصل اوصالي وقد شخص البصَرْ
وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيا لك من غسل سيتبعه القَبَرْ

فالشعراء قادة العشيرة عند الاعراب يستهلّون نظمهم بذكر الله فكان العرب في عهد جاهليتهم يستهلّون بالبكاء على الاطلال والتشبيب والتغزّل . على ان ارباب الشعر في دهرنا الحاضر لم يقتفوا آثار اسلافهم فهم يبدأون بمدح المولى وصفاته كقول احدهم :

ابدي بذكر الي على انكل بادي رب الملا والي جميع البوادي
يا رب لا تكتب عليَّ نكادِ وعليك خوين الامورِ الصعبات

فالاسم الكريم هو مطلع قصائدهم كما ابنّاه في مقالتنا عن الشعر البدوي حيث اوردنا امثلة عديدة في ذلك (١

١) راجع في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٢٢٥) مقالة الشعر البدوي في شرقي الاردن

فاهل البادية يترنّمون باسم الله الرفيع في سائر اطوار حياتهم حتى قبل الغزوات والحروب وقبل ان يذبحوا النفوس الكريمة . ولقد يظهرون ايمانهم بالله بما يقيمون له من الأقسام المعظّمة . وقد ذكرنا عدداً وافراً من الاقسام في مقالتنا عن القاضي البدوي وفاتنا من هذه الاقسام قسم عظيم فاذا ارادوا ان يحملوا انساناً على الحلف يقولون له : «قل ثلاث كلمات : اولها الله وآخرها الله والكاذب بريء من الله انك ما فعلتَ الامر الفلاني» . فيجيب امام الجمهور بصوت مرتفع : «اقول ثلاث كلمات اولها الله واخرها الله والكاذب بريء من الله اني ما فعلت كذا كما تدّعي» . فمن هذه الادلة يظهر بجلي البيان انهم يرهبون الله جلّ جلاله ويقدّمون له فرائض الاكرام والاجلال

الذبيحة في البادية

ومن دلائل العبادة بين الشعوب هي الذبيحة . وهي كثيرة عند الاعراب ينزلونها منزلة رفيعة حتى لقد غدَتْ جارية مجرى الضرورة في جميع اطوار حياتهم . ونقتصر الان بذكر بعض الذبائح التي من شأنها ان تُبدي عبادتهم واعتقادهم بالله . مَن رام من الشبان ان يفترق عن اسرته ويرفع لنفسه بيتاً شعرياً جديداً عليه ان يقدّم ذبيحة شكراً لله على ما انعم عليه من غابر الازمان وطلباً لآلائه في مقبل الايام . اجلْ انه لأمر جدير بالاعتبار ان يشيّد المرء بيتاً بين هاتيك البيوت العديدة لانه يصبح ذا رأي ويعرف معنى الحرية والحياة الذاتية . فهذا البيت الحقير الذي لا يكاد يخفي اشعّة الشمس ويطفىء وقدات الحرّ له ذبيحةٌ خاصة . يأتي الشاب بنعجة بيضاء ويدير رأسها نحو الجنوب وينحرها وهو يقول : « دستور يا صاحب البيت » وينضح اعمدة البيت ونسيجه بدمها قائلاً : « يا ربّ النلا تحفظنا من العين والبلى » . وفي البيوت الحجرية ينحرون النعجة على سطح المقام فيسيل دمها على الحائط الى ان يصل الى عتبة البيت . وقد تعهّدنا هذه العادة في السلط والكرك وماعين ومادبا

وفي كل خطوة من خطوات الاقتران لهم ذبائح معروفة باسمائها . فمنها ذبيحة الصفاح او الخطبة ومنها ذبيحة الحناء والتبريد والحلّية ويكون ذلك بعد احضار العروسة على فرس أصيلة الى بيت العريس . فينهض الشاب ويذبح الشاة وهو يقول : حلّي حلّلك الله » اي ان الفتاة غدت حليلة له . ومن ذبائحهم هذه يظهر لنا ان كل

امر جليل خطير يكرّس بالدم . ولهم ذبائح متعدّدة للاموات ينحرونها على لحده فتُهراق الدماء على المائت . ومنها ذبيحة المولود الذكر والختانة والضحيّة الكبرى . افردنا لها باباً مسهباً نوردها في محلّها ان شاء الله

صلاة اهل البادية

ومن اعظم الحجج على تديّن الاعراب هي الصلاة . هل يا ترى يعرفون البسملة كما يذكرها القرآن الشريف ؟ كلّا ان عدداً وافراً يجهلون وجودها . واذا استنبأناهم عن تقصيرهم هذا في امور دينهم وآخرتهم يجيبون : لسنا خطباء . والخطيب عندهم هو الإمام المدرّس للشرائع الاسلامية . فقلّما وجدنا الصلاة منتشرةً بينهم . واهل البادية لا يبالون بفروض الشكر والاستغفار بل يدعونها للدّولاني كما يقولون . والدولاني في لغتهم هو كلّ من دخل في منصب من مناصب الدولة كالمفتي والقاضي والوظّفين والجنود . غير انّ الفلاحين اصحاب القرى في شرقي الاردن يقيمون للصلاة محلّاً ويسجدون السّجدات المعهودة وفقاً للشرع المحمدي . وكثيرون من اهل البادية لا يعتبرون ما هو مسطّر من الصلوات بل يعرفون غيرها فيوردونها قائلين : « يا رب فرشت عباتي اقبل صلاتي » ثم يأخذون بذكر صلاتهم التي ألفوها

ولقد يوجد في شرقي الاردن عشيرة تدعى عشيرة البزايدة وهي تضرب خيمها في غربي مادبا وتسرّح اغنامها في ارض الحمرة وهي جبال ممتدة شرقيّ نهر الشريعة الى قرب جبل موسى . وهذه العشيرة قد اشتهرت بالنهب والسلب والتعدّيات المتواصلة فتراها تهجم في ظلمات الليالي وطياته الى الضواحي والسُّبل المنفردة فتسرق ما يقع بين يديها من غنم وشاء وغير ذلك من امتعة المسافرين غير انّ شيخهم ابا بنيّة او محمد الخراطرة لا يدع فرض الصلاة والوضوء . ولا ندري ايّ ملاكٍ يرفع تلك التضرُّعات الى عرش المولى . وهو زعيمهم في الجرائم المتواصلة . ولقد جمعني وإياه مجلس فرح في منزل سليمان الحدادين في قرية ماعين فكان يتحدّث بالتؤدة والوقار فيضرب تارةً الامثال الهزلية وطوراً يسرد الحكايات والحكميات ممّا أعجب الحاضرين . فلم يكن ليتبسّم ثغراً ولا يبدي حركة في حديثه ممّا يخرج عن حدود اللطف والانس . ولمّا رأى الشمس قد قاربت المغيب نهض ففرش عباءته وصلّى صلاته .

فقال احد الحاضرين: يسأل المولى ان لا يدعهُ بدون مرتزق في تلك الليلة. ثم التفت اليَّ وقال بصوت منخفض: « أتدري ماذا يقول؟ » . قلت: كلّا. قال: يضرع ويقول: « يا رب تُضلّ المسافرين وتخرجنا من بينهم سالمين غانمين». فضحك الحضور من هذا التأويل اللطيف

واليكم صلاة الشرارات لا بل صلاة ارباب الخيم البعيدين عن المدن الغنّاء. وهي غريبة في بابها سمعتها من عليان الشراري في قرية مادبا. « يا الله يا الله يا الله . قامت الصلاة والله اقامها. يارب فرشت عباتي تقبل صلاتي الحمد لله حَمْد البلاد بالمطر. حَمْد الانثى بالذكر . حمد العين بالنظر . حمد من شاف عورة وستر . يا ماحي السيئات تمحي سيئاتي . يا كاسب الحسنات تكسب حسناتي وترحمني وترحم اهلي واموالي. دخيلك من الاثنين الاسودين. أَلي بيدهم مطرق حديدين واحد يضرب على الراس والاخر على الرجلين. استغفر الله على ما لهيت. واستغفرك يا الله على ما سهيت . واستغفرك على زلّة جنيت . وارحمني حيّ وميت »

وكانت العرب قديماً اذا لبّت وهلّلت تقول: لبّيك اللهم لبّيك لبيك لا شريك لك الّا شريك هو لك تملكه ومالكه. ولم يكن لهم صلاة محدودة بل كان كل امرئ يصلي حسب قلبه وعاوّ مداركه

واذا امسك السحاب عنهم مدة من الزمان كان الشيخ يحمل ابنه الطفل ويرفعه الى السماء ويقول: « بحقّ هذا الغلام اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً » . فربّما اطبق السحاب وجه السماء وأمطر مدراراً . وممّا يحكونهُ ان اهل مكة اصابهم جدبٌ عظيم وامسك السحاب عنهم سنتين فامر ابو طالب ابنه ان يُحضر محمداً وهو رضيع في قماطه. فوضعه بين يديه ورفع ذراعيه نحو السماء وقال: بحق هذا الغلام اسقنا ماء

وكان الجاهليون يكفنون موتاهم ويصلّون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل وحُمل على سريره ان يقوم وليُّه ويذكر محاسنه ويثني عليه فيدفنه ويقول: « سلام الله عليك . ورحمة الله عليك» . وفي ايامنا الحاضرة يقولون: « فلان مات رحمة الله عليه »

ولقد سمعت حميدياً من عرب الحميدة يصلّي بالقرب من سيل الموجب ويقول: « سبحان الله سبحان الله. يا مُسيّر الجناح (اي الطير) ولا ندري اين راح. يارب

تسترنا وتستر عوراتنا وترمي الظالمين بالظالمين وتطلعنا من بينهم سالمين » . ورأيت صخرياً واقفاً بالقرب من مهورة له ويصلي ويقول : يا مهرةً بغطاها . الحمد لله الذي اعطاها . الله اكبر الله اكبر » . فسألت : ما هذه الصلاة ؟ قال : يحمد المولى على انعاماته . والعرب اهل خيل ونياق فيردّدون هذه التسبحة شكراً لله على احسانه

يُروى ان عالماً من ائمة الاسلام حضر الى عرب بني صخر (وهؤلاء اقلّ العرب تديُّناً) . واخذ يروي لهم فرائض العبادة والصلاة فقال شيخهم وقد ملَّ من عظات الامام : « يا خطيب تراك اجحفتَ وجه الخير » . اي ابرمتَ الله بقولك « الله اكبر » ثم اردف قائلاً : « يا خطيب هو . علِّمني يوم الحشر والنشر مَن يكون جالساً على العرش ليحكم في يوم الدين ؟ هل موسى بن عمران يكون حاضراً ؟ قال : نعم . وعيسى بن مريم ؟ قال : نعم . ومحمد رسول الله ؟ قال : نعم . قال : كفى يا خطيب البَسْ عمامتك وارحلْ عنّا ولا تمُدّ الينا . كلهم اجاويد في محضر الاجاويد تلك المشاكل والكبائر . كلهم اجاويد يشفعون بنا عند المولى العظيم فكفانا قولاً : الله اكبر الله اكبر » . فخرج الامام من مضاربهم حزيناً على جهلهم وغباوتهم . ولذا قلّما تجد الصلاة منتشرة بين اهل البادية

ومن البدوان مَن يصلي عند ارتفاع الشمس قائلاً : « طلعت الشمس . ارتفع العرش أعطنا خير اليوم واكفنا شر امس . واكفنا شر من زادت عليه النفس . من جنّ ومن انس » . وعند غروبها يقولون : « يا رب الغروب . لا تضيع علينا المطلوب عند مسالك الطيب . جيب لنا فرجك القريب » . وعند صعود الهلال يأخذون في يدهم عوداً يابساً ويكسرونه قائلين : « يا هلال الصعود كل شهر تعود بجملك هلال مسرة لا هلال مضرة . دَرْ دو . دَرْ دو . در دو . هلّ هلالك وعزّ جلالك سبحانك في مكانك » . وقد يمكن ان تكون هذه الصلوات قليلا مما بقي من عبادة النجوم والسيارات في البادية . فالتأريخ يطلعنا على ما كان عليه الجاهليون من عبادة الاوثان لاسيما الكواكب الساطعة . على ان الحارث في بدء عمله يقول : « يا رب ترزقنا وترزق اهانا . يا رازق الهاجم والباجم يا مُرزق الطير في ظلام الليل يارب الغلال وفتاة البال يا لله انّا فلّطناك (اي قدّمناك) ومتوكلين عليك يا رب تسعدنا وتسعد عيالنا »

ولهم صلاة غريبة تختصّ بالامطار يتلون فيها آيات رقيقة واليكم وصف ذلك .

اذا امتدّت الايام بوقداتها ويبست الاعشاب ونضبت الآبار وكاد العرب يهلكون من قلة الأمطار ترفع النساء اصواتها ويسترحمن السحب المتونة والمياه الغزيرة. فتعمد النساء الى خشبتين ويرفعنها على شكل صليب ويُلبسنه الثياب النسائية الجميلة والحلى المزركشة ويعطنهنّ رأساً لذلك الصنم ويطوّقنَ عنقه بالقلائد الثمينة والاقمشة الحريرية. فهذا التمثال يدعى عندهنّ امّ الغيث. وتحمله السيدة العظيمة في عشيرتها ويتبعها جمهور كبير من النساء وهن يرنّمن :

« امّ الغيث يا دائم بلّي زرعنا النائم
بلّي زرع ابو جابر الّي للكرم دائم
ام الغيث يا دائم اسقي زرعنا النايم
راحت ام الغيث تجيب الزلازل ما جات غير الزرع طول السنابل
راحت ام الغيث تجيب الرياح ما جات غير الزرع طول الرماح
راحت ام الغيث تجيب الرعود ما جات غير الزرع طول القعود (البعير الصغير)
ام الغيث يا دائم خلّي سيلها يدعج
ام الغيث يا ربي اسقي زرعنا الغربي
ام الغيث يا دائم اسقي زرعنا النايم »

فيزعمون ان تلك الصلاة النسائية ترتفع الى العرش العلوي وتحرّك قلب الرب عزّ وجلّ فيعطف على تلك النساء والبنات المرتلات فيرسل مطراً مدراراً يحيي الزروع ويملأ الآبار

ومما ذكرنا يتجلى ان العرب لبثوا على عهد جاهليتهم. فأمّ الغيث هذه هي مريم العذراء كما فسّرها لي احد الشيوخ. وقال غيرهم لا بل هي إلاهة قديمة كان يعبدها الجاهليون ولبثت عبادتها الى دهرنا الحاضر. ولم يتسنّ للاسلامية ان تنزع من بينهم بعض العادات والمعتقدات الجاهليّة

ولقد نجد في البادية طبقةً من المتّقين الصالحين قد ارتقوا الى ارفع درجة من الكمال البدوي فهم كما قال احد المتقدمين في وصفهم :

اهل الفضائل غضّوا ابصارهم عمّا حرّم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على ذكر الصلاح ولولا الاجل الذي كُتب عليهم لم تستقرّ ارواحهم في اجسادهم طرفةَ عين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب. فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين وحزماً في لين يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمّه الشكر ويُصبح وهمّه الذكر

فهؤلاء هم الفقراء في لغة اهل البادية او اهل الطريقة . وفي كل عشيرة من شرقي الاردن نجد واحداً منهم . واليكم وصفَ واحدة منهم نقتصر بذكرها عن سائر الفقراء فهي مثال لجميع الصالحين . لقد تعهّدنا بأنظارنا فقيرةً تُدعى سلمى الشرارية قاطنة في قرية ماعين (بعل معون القديمة) وهي عجوز شوهاء كاد الدهر يفنيها وجهُها شاحب عيناها سوداوان تلمعان كالبرق . كان النهار قد قارب المغيب والشمس أذنت للرحيل وراء جبال اليهودية وكنا في حجرتنا في ماعين واذا بصوت يرتفع في الفضاء عن بعد يئنُّ انّات التضرُّع والشكر فهرعنا نحو الصوت . فكانت سلمى الشرارية جالسةً امام مغارة واسعة الارجاء تعفّر وجهها بالتراب وكان رأسها مغطّى بنسيج احمر حريري وقد اتجهت بصدرها نحو الجنوب . وكان بيدها قضيب صغير ترفعهُ على رأسها ثم تخفضه وهي تميل تارةً نحو الشمال وطوراً نحو الجنوب وعيونها شاخصة وفمها يزبد فيسيل لُعابها على صدرها . وعلى رأسها وكتفها اجراسٌ صغيرة اذا تحرّكت ابدت نغماً مطرباً . فنظرنا اليها نظرةً مرتاعين وهي كالجمل الهائج تصيح وتقول :

« هَلّا (١ هلا هلا بالله . هلا بمحمد رسول الله . هلا هلا ما هلا بقبالة الله . الباقي دايم وجه الله . السترة يا وجه الله . هلا بالعجام (٢ هلا بجدّي . هلا بسليمان هلا بفاطمة بنت النبي . الرضى بالله . السترة بالله »

فوقفنا طويلاً نتأمل بتلك الصورة المُرعبة وكانت سلمى الدرويشة خائضة في بحور الرؤى لا تكاد تشعر بمن حولها من الناس تتمثّل امامها صور بديعة صور اشباح غير منظورة . فتقدمنا نحو زوجها وسألناهُ عمّا تشاهد من المناظر الجميلة ممّا يجعلها تتبسّم تارةً وتضحك اخرى . قال : « انها ترى الدنيا وقد بُسطت امامها . ترى الملائكة جالسين على كراسي من نار لطيفة . ترى الصالحين والاشرار يمرّون امامها افراداً وازواجاً » . ولبثنا وقتاً مديداً نتأمل بحركاتها واشاراتها . وبعد هنيهة انهنت رأسها فقلنا لها : ماذا رأيت يا سلمى ؟ فقبّلت الارض ولم تنطق بكلمة ثم

١) هلا كلمة بدوية تدلُّ على التأهيل بمعنى اهلاً وسهلاً

٢) العجام هو جدّ من اجداد الاتقياء يرددون اسمه في صلواتهم ورؤاهم . ويقولون انه ملاك من الملائكة العظام

فتحت عينيها وقالت : « رأيت اناساً عديدين قد مرُّوا امامي بلباس احمر ومُطرَّف ابيض » ثم سكتت وعادت الى هياجها وصلاتها . فأخذ زوجها بخوراً ووضعهُ في النار وأدناه من انفها . فتصاعدت رائحتهُ الحارة . فلمَّا نسمت شذاه استفاقت كأنها خارجة من نوم عميق . ثم ارتمت على النار والتصق رأسها بها ولبثت دقيقة لا تبدي حراكاً واخذت تصلي وتقبل الارض فرجعت اليها حواسها . وكان في اثناء صلاتها جمعٌ من الاولاد يضحكون ويهزأون بها وهي لا تلفت اليهم نظرًا . فهذه هي الحالة الرفيعة من الكمال البدوي

وقد ذكر لي من رآها انها تُصبح يابسة كالخشبة ولا يعود اليها الرشد الَّا بالبخور المدخن وقد تَطَفَّلتُ يوماً وسألتها : ماذا ترين يا سلمى ؟ قالت : « وحد الله يا وليدي (تصغير ولدي) يظهر لي عالم الغيب كطفل بديع ثم تتقلب عليَّ الرؤى فاشاهد ملائكة مُرَدة رؤوسهم في السماء وارجلهم في الارض يتمثَّلون لي بصور مريعة ويضربونني على رأسي ويقولون : توبي واستغفري الله ربك انه توَّاب رحيم »

وماذا ترين ايضاً ؟ — « اراهم ملائكة الله باجمل الصور » — وهل يلبسون ثياباً بدوية ؟ قالت : « اراهم لابسين عمامة خضراء . يمرُّون على ارض خضراء وعلى بساط من العشب الاخضر . يسيرون في طرق خضراء وتحيط بهم الاشجار الخضراء والدنيا كلها تتجلَّى امامي باشكال خضراء » — اين هم موجودون ؟ . قالت : « كلهم متعلقون بالله مثل نور الشمس بالشمس تابعون الله » — قلتُ : فما هو العجام الذي تذكرينهُ في صلاتك ؟ قالت : « هو جدّي وهو ملاك من ملائكة الله » . قلتُ . وهو يُظهر لك ما تريدين من الاولياء ومتى تشائين ؟ قالت : « لا حينما يريد الله والنعم بالله » . ثم اردفت : « اني ارى الاتقياء الصالحين والاشقياء الظالمين » . وهذه البدوية المسكينة لم تَرَ المدن الزاهرة فتجول من مضرب الى مضرب وتطلب الاحسان وكم من مرَّة سمعت الشتائم ولم تردَّ عليها الشتيمة بل تقول : يا ولدي وحد الله

هذا شيء من مُعتقدات البدو بالله تعالى . ولنا عدة مباحث عن عبادة الارواح والاولياء والاشجار المقدسة والمرتفعات والذبائح سندرجها تباعاً سائلين الله ان يُوفقنا الى ما به مرضاته ونفع الاداب وهو اكرم مسؤول

حول جزيرة العرب

نظر اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

عسير والادريسي

قيل سابقاً انّ عسير من اليمن وانّما فصلها الاتراك عن اليمن لغايات سياسية واسم عسير مشتق من اسم قبيلة عُرفت بهذا الاسم اصلها من عنز بن وائل ذكرها الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب وموقع عسير شمالي اليمن تفصل اليمن عن الحجاز . وهي على قسمين قسم جبليّ وهو الذي يطلق عليه اسم عسير وقسم ساحلي يدعى تهامة . وجبال عسير مرتفعة تعرف بالسروات بينها اودية شتّى تسيل فيها المياه الزاخرة وجهة البعض منها الى الغرب والبعض الآخر الى الشرق . وقد امتاز بينها وادي بيشة بخصبه العجيب وكثرة غلّاته . قيل انّه يغلّ في السنة خمس غلّات متوالية من حبوب وبنّ وفواكه . وقد قسم الاتراك سنجق عسير الى سبع قائمقاميّات وهي أبها عاصمة عسير ثم خاص شمالي ابها ثم غامد ثم قنفذة التي هي مرفأ على البحر الاحمر ثم محايل ثم رجال المع ثم صبيا . واهل جبال عسير معروفون بقوتهم وبسالتهم في معامع الوغى . واصلهم يرقى الى قحطان وقسم منهم عدنانيّون . تبلغ قبائلهم ثلاثة ملايين نفساً

ذكرنا ان اسم اقليم عسير ورد لاوّل دفعة في تاريخ الوهابيين وان شيخه ابا نقطة تمذهب بمذهب الوهابيين واستولى بمساعدتهم على قسم كبير من اليمن فحكم على تلك الاصقاع الى ان قام حمود ابو المسمار فحاربه وغلبه ثمّ قتله سنة ١٨١٤

ولمّا قدم المصريّون بعد ذلك الى جزيرة العرب سيّر ابرهيم باشا سنة ١٨٢٤ فرقا من جنوده ليخضعوا بلاد عسير لدولته . لكنّ هذه الحملة لم تفز بالغاية المطلوبة . ورجعت مثلها باخيبة حملة ثانية أرسلت في اثرها . ثم عاد المصريون في السنة ١٨٣٤ وما يليها وصمّموا النية لتذليل عسير لكنّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم يروا بُدّاً من الانسحاب عنها بعد ان فتكت المجاعة والاوبئة بقسم كبير من ذويهم وبقي شيخ عسير عائض بن موسى مالكاً على بلاده دون منازع

ثمَّ مات الشيخ عائض فخلفهُ ابنهُ محمَّد فهمَّ بتوسيع املاكهِ. ثمَّ سار في اواخر سنة ١٨٧٠ الى تهامة وطرد من مدن السواحل عمَّال الاتراك وجنودهم وضمَّها الى عسير واعلن بسيادتهِ عليها . لكن الدولة العثمانيَّة لم تُغضِ على الضيم فارسلت سنة ١٨٧١ عدَّة طوابير من عساكرها تحت امرة رديف باشا فاستردَّت المدن الساحليَّة والجأت شيخ عسير الى الفرار نحو حدوده الجبليَّة . وبقي هناك خاملاً حتى وفاتهِ . ثم سكتت الصحف عن اخبار عسير زمناً حتَّى قام السيِّد الادريسي المعروف بالمهدي اليمنيّ

اسم الادريسي محمَّد بن عليّ ابن السيِّد احمد بن ادريس قيل انَّ اصلهُ من بربرة من جهات الصومال وقيل بل هو من الجزائر . ويحكى عن جدِّهِ احمد ادريس انهُ وُلد ببلدة من اعمال مرَّاكش ثُم عاش في شمالي افريقية وفي اواخر عمرهِ حجَّ الى مكَّة واقام بها عدَّة سنين يعلِّم فيها العلوم الدينيَّة والتصوُّف . فدخل كثير من اهلها في طريقتهِ من جملتهم السيد محمَّد السنوسي . ثمَّ رحل الى اليمن وانقطع هناك الى اعمال الزهد ومات في صَبيا حيث يزار قبرهُ ويرقُون اصلهُ الى السلالة النبويَّة

وقد قضى حفيده المعروف اليوم بالسيِّد الادريسي قسماً من حياتهِ في مرَّاكش وهو ضعيف الحال يرتزق بالمتاجرة . فلمَّا اكتهل خرج من بلدهِ ليزور مشهد جدِّهِ في اليمن فدخل صَبيا وثابر هناك علانية على اعمال التقى فجلب اليهِ نظار الاهلين ثمَّ قصد مصر فتلقَّى فيها العلوم في الازهر . واجتمع هناك ببعض اعداء الدولة التركيَّة فدفعوهُ الى الاستيلاء على اليمن ولا سيَّما عسير وتهامة ليخلِّصها من نير بني عثمان . فأشرب عقلهُ من هذه الافكار وعاد الى صَبيا وجعل يبثُّ الفتنة في اليمن ويتحيَّن الفرص المناسبة لتنفيذ اغراضهِ . فلمَّا انقلبت الحكومة الحميدية وأُعلن بالدستور دعا اليهِ عرب اليمن فتجمَّعوا حولهُ زرافات ووحداناً فأدى بهِ اجتماعهم الى ان يدعوهم الى الاستقلال وتحرير بلادهم من نير الاتراك فوجد لصوتهِ صدى بين الاهلين ولمَّا اكتمل عددهم اعلن بصفتهِ مهديًّا ومشى في مقدَّمتهم وهجم على الاتراك الضابطين لليمن فمزَّق شملهم

وقد وافقت دعوةُ السيِّد الادريسيّ في عسير وتهامة حركةَ الامام يحيى في صنعاء دون ان يتَّفقا لانَّ الامام يحيى من الشيعة الزيديَّة والادريسي من اهل السنَّة . لكنَّهما

بعد حين عرفا انَّ في جمع كلمتهما خيرًا وغايتُهما واحدة تحرير وطنهما فتناصرا على محاربة الاتراك سنة ١٩٠٩ فخاف السلطان من اتساع الخرق وارسل قوّات لاخماد الثورة. وجاء في مذكرة نشرتها وقتئذ الحكومة التركيَّة انَّ زعماء اليمنيين قطعوا المواصلات بين صنعاء والمرابط العسكريَّة في الجبال. وتحقَّقت الدولة انَّ غاية الادريسي والامام يحيي واحدة وهي الاستئثار بالسلطة في اليمن وعسير. على انَّ الحكومة ظلَّت تأمل حلَّ الاشكال بالتؤدة حقناً للدماء. فارسلت متصرفاً وقومندانًا لعسير سعيد باشا ومعهُ جيش تحت قيادتهِ. فلمَّا وصل الى جيزان وهي مرفأ صبيا ارسل الى الادريسي وفدًا يرأسهُ الشيخ توفيق الارناوودي ليقف على نواياهُ. وكان الادريسي لم يحشد بعد ما يعوَّل عليهِ من الجنود فلمَّا قابلهُ الوفد انكر كونهُ عاصياً على الدولة واظهر الاخلاص لخدمة السلطان محمَّد رشاد واكَّد انهُ لا يريد الَّا إصلاح القبائل خلافاً للامام يحيي. وكرَّر اقوالهُ لسعيد باشا لمَّا حضر الى صبيا وطلب منهُ ان ترفع الدولة الضرائب القديمة عن الاهلين وتقنع بالزكاة الشرعيَّة من المحصولات الزراعيَّة والمواشي وان تكلَّفهُ بجمع الزكاة على شرط ان يأخذ هو ثلثها

فرضي سعيد باشا بذلك وسمح للادريسي بتأليف جيش من الوطنيين لتنفيذ اوامر الدولة كما زعم وكتب لهُ عقد اتفاق في ما طلبهُ وارسل الى قبائل تهامة وعسير كتباً يأمرها بالخضوع لاوامر الادريسي ليتمكَّن من الاصلاح فيهم فرضوا برسومهِ. ثمَّ سافر سعيد باشا الى اليمن لمحاربة الامام يحيي الذي كان مصرًّا على ثورتهِ وانضمَّ الى الجيش المحارب هناك ليخمد الفتنة في تلك الجهات ويعيد السلام لاهلها

فلمَّا ابتعدت جيوش الدولة من عسير صفا الجوّ للادريسي وجعل ينفخ نار الثورة على تركيَّة بين القبائل فقويت شوكتهُ وامتدَّت سلطتهُ وارسل سرًّا الى الايطاليين كي يعضدوهُ في سواحل اليمن باسطولهم فاجابوا الى دعوتهِ. فما مرَّ عليهِ بضعة شهور من السنة ١٩١٠ حتى استفحل الشرّ وصارت قبائل عسير طوع امرهِ

ولمَّا آنس من نفسهِ القوَّة جاهر بمحاربة الاتراك وارسل الامراء من قبلهِ الى جهات تهامة وعسير بعد طرد عمَّالها من قبل الدولة. وفي السنة ١٩١٠ سار بجنودهِ الى مرابط الجنود العثمانيَّة فشتَّت شملهم فلم يبقَ منهم سوى المرابطين في ابها ومعهم

المتصرّف سليمان باشا فحاصروهم وشدّدوا عليهم الحصار وقطعوا عنهم المؤن حتّى اكلوا الهرر والكلاب ومات اكثر العسكر جوعاً

حملة عزت باشا وامير مكة على عسير — الادريسي حاضراً

واستمرّ الحصار عشرة اشهر الى ان عهدت الدولة الى عزّت باشا والى امير مكّة (سلطانها الحالي) حسين باشا بانقاذ المحاصرين وقطع دابر الادريسي فتوجّهت جموعهم المركّبة من العساكر النظاميّة ومن الاشراف والعرب وكان مع امير مكّة نجلاهُ الاميران عبدالله وفيصل فتوغّلوا في جهات تهامة وعسير في ربيع سنة ١٩١١ وزحفوا ظافرين الى أبها وأفرجوا عن عساكر الدولة. امّا الادريسي فنزح من وجههم الى داخل البلاد

وقد قرأنا خطبة دولة الامير حسين يوم دخوله الى ابها وفي نصّها الشائق عبرة للمعتبرين وهو الذي شقّ بعد ذلك عصا الاتراك فها نحن نوردها بحرفها الواحد كما رواها احد اشراف مكّة عبد المحسن البركاتي في تاريخ هذه الحملة ليرى القرّاء تقلّب الناس في سياستهم واستنادهم الى الدين حسب غاياتهم (اطلب كتابه الرحلة اليمنيّة ص٤٣):

أيها الاخوان اعلموا علم اليقين انهُ لولا هذه الدولة العثمانيّة وشدّة اعتناء خلفائها بالامّة الاسلاميّة خصوصاً مولانا امير المؤمنين الحالي لأختطفتكم الدول الاجنبيّة اختطاف الذئاب للغنم المنفردة (كذا!) فانّ جميع الدول ساعية من زمن بعيد في اضمحلال الشريعة المحمديّة بواسطة هؤلاء المغرورين الذين يخدموها لاغراضهم الشخصيّة (كذا!). اخواني هل يرضيكم افعال هؤلاء الذين الساعين في تخريب بلادكم باسم الحقّ ولا أدري كيف اغتررتم لهؤلاء ولامثالهم وانتم أولو العقول الراجحة والنخوة العربيّة الاصليّة. آباؤكم الاوّلون كانوا عزّ العرب وعنهم ورثتم الهمم العالية. ألستم ابناء التبابع؟ ألستم الذي (كذا) قال فيكم جدّي رسول الله صلعم: العلمُ يمانٍ والحكمة يمانيّة؟ ألستم انتم ابناء اسلافكم الكرام الذين اشتهروا بالذكاء (كذا) الفاري والمجد المؤثل فالله الله يا أبناء الأمّة العربيّة في دينكم لا تضيعوهُ بل احفظوهُ واستظلوا بظلّ الراية العثمانيّة التي هي شعار الاسلام (كذا!) ولا تغترّوا باقوال المفسدين الساعين في تنفيذ اغراض المحرّكين لهم اعداء الدين الاسلامي وانتم لطيب عنصركم وعدم معرفتكم بالسياسة الاجنبيّة تظنّون انهم انّما يخدمون الدين مع انّهم والله عن الدين بمعزل لا يخدمون الّا اغراضهم الشخصيّة مستترين باسم الدين فاحذركم ان لا تغتروا بمثل

هؤلاء الاوغاد المارقين من الدين بل كونوا مطيعين لامير المؤمنين ولتعلموا انَّ من خالفهُ خالف الله ورسولهُ ومن خالفهما فقد باء بغضب من الله وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين !!

ثمَّ رجع امير مكَّة الى الحجاز امَّا عزَّت باشا فسار الى محاربة الامام يحيي فنال بعض الفوز من العصاة ودخل صنعاء. واستدعى اليهِ شيوخ اليمن وعسير وبيَّن لهم ما ينتج عن مقاومتهم للدولة من الآفات لهم ولبلادهم بدلاً من ان يعضدوها في محاربتها للدول البلقانيَّة الاجنبيَّة. فأخمد كلامهُ ثائرتهم وهدأت الامور بعد ذلك برهة واخلد اليمنيُّون الى السكينة. وكذلك الادريسي بقي في عزلتهِ ينتظر فرصة اخرى لمعاودة حرب العثمانيين

ولمَّا انتشبت الحرب العموميَّة الاخيرة تقرَّبت الدول الائتلافيَّة الى اليمنيين واكَّدوا لزعمائهم انَّهم لا يعدُّون استقلالهم ان لزموا الحياد وامتنعوا عن كلّ فعل عدائي مع المؤتلفين. والمرجَّح انهم الآن في راحة وسلام مع قلَّة ما يبلغنا من اخبار تلك الاقطار القاصية

وجاء في خطاب الوزير بلفور في دار الندوة الانكليزية في اوائل السنة ١٩١٧ انَّ السيِّد ادريس انتهز فرصة الاحوال الحاضرة فرفع راية العصيان على الاتراك على خلاف الامام يحيي الذي بقي على ولائهِ لهم وسار بجنودهِ الى قنفذة على سيف خليج العرب فاستولى عليها

تجديد فنّ الجراحة على يد الدكتور كارّل

لحضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

من ابعد الجرَّاحين بل العلماء شهرةً الدكتور الكسيس كارّل (Carrel) الذي حاز من سبع سنوات جائزة نوبل (Nobel) البالغة ٢٠٠،٠٠٠ فرنك لاكتشافاتهِ واختباراتهِ التي اهتزَّ لها العالم اندهاشاً وفرحاً فانها والحق يقال فاتحة عصر جديد لفنّ الجراحة رغماً عن الآيات التي ارانا اياها اربابهُ في الجيل المنصرم. ولكن قبل سرد اختبارات هذا القسيس يجدر بنا ان نقدّمهُ للقراء باقوال وجيزة

من هو الدكتور كارل

الدكتور الكسيس كارل احد علماء فرنسة درس الطب في كلية ليون حيث استلفت سريعاً انظار رفاقه بتوقد ذهنه وطول فكرته وشدة انكبابه على المطالعة وبعد انجاز دروسه قصد السهر بفتة فتتلمذ للاستاذ بونسه (Poncet) الذائع الصيت فكان يعود المرضى معهُ ويساعده في اجراء عملياته . ومن غريب ما اتفق له في تلك الآونة انّ بعض الجهابذة الاجانب وفدوا الى ليون لملاقاة الاستاذ بونسه وهو غائب . فاستقبلهم تلميذهُ ورحّب بهم وقادهم في كل انحاء المستشفى بدون ان ينبس بلفظة تشير الى كونه غير الاستاذ المتغيب وعلى وجهه مسحة من الوقار يزيده كلامه الرصين تأثيراً على الزائرين الكرام . فأيقنوا انه هو الاستاذ وأعجبوا من سعة معارفه وطول باعه . وبعد ان جال بهم ساعةً كاملة بهرهم فيها بحذقه وعلمه ذهب بهم الى الدرج فغلب فيه طيشُ الشباب على رصانة العالم فامتطى كارل الدربزون كما اعتاد الصبيان وانحدر عليه كالسهم الى الطابق الاسفل . فليتصوَّر القارئ دهشة الزوّار الاجلّاء وخيبة ظنهم لما رأوهُ من خفّة طبع الاستاذ الموهوم ونزقه !

وبعد ان حاز كارل الدكتورية حدّثتهُ نفسُهُ ان يحاول السباق مع اقرانه لينال منصب جرّاح بمستشفيات ليون . ولا يخفى ما لهذه الوظيفة من الاهمية في أعين طلبة الطب وكم يتوقون للحصول عليها . فآثرت لجنةُ الفاحصين على كارل بعضَ رُحقائه وهم دونهُ بمراحل فاغتاظ ممّا اعتبره ظلماً فاحشاً . ولمّا كان شديد الغيرة على حيته الطائر في انحاء فرنسة منذ تلك الايام البعيدة اعني حول السنة ١٩٠٠ عزم على صياته من كل شائبة بترك وطنه والسفر الى الولايات المتحدة حيث طلب ونال الجنسية الاميركية فسعى هناك جهدَه للحصول على منصب ملائم لذوقه وسموّ غايته فعُيّن استاذاً بمعهد روكفلر (Rockfeller) في نيويرك حيث باشر وواصل الاختبارات والدروس التي أفضت به منذ ١٩٠٧ الى اكتشافات قضى منها العجب علماء الحاقدين وقد آن الاوان لعرضها على القرّاء بغاية الايجاز

قد اسلفنا القول بانّ كارل جدير بان يُدعى مجدّد الجراحة فبياناً لذلك ها نحن نذكر الشأو الذي ادركته قبله ثم نروي الى اية درجة اسمى ابلغها العالم

الفرنسي ؟ جُلُّ ما توصّل اليه ذاك الفنُّ قبل كارّل ان يوقف نزيف الدم بسدّ الشرايين والعروق ثم استئصال بعض اعضاء الجسم المصابة بداء عقام اي الاعضاء غير الجوهرية التي لا قيام للحياة بدونها . ولكن هيهات ان تخيط الجراحة في مكان العضو المقطوع عضواً آخر سليماً ينوب منابهُ . فكان الوف المرضى حتى الآونة الاخيرة يخرجون من قاعات العمليّات احياء بيد ان حياتهم في اغلب الاحيان ناقصة لنقصان احد اعضائها . وما الآن موقف النطاسي كارّل بازاء تلك الجراحة التي مرّ بها اجيالٌ ودأبها البتر والسلب ؟ قصدَ على حداثة سنّهِ ما لم يدرْ على خلَد اعظم الجراحين . قصد استنباط جراحة غير هادمة بل بانية غير خاطفة بل حسابية غير مُنقصة الحياة بل منميتها . وان لم تتحقّق الى الآن كلُّ امانيهِ الكبيرة فقد دخل منها الى حيّز الوجود ما ينبئنا بدنوّ تحقيق ما تخلّف منها . وما الذي انجزه العالم الفرنسي في سبيل تجديد الجراحة ؟ اسمع واحكم

١ عمليات الدكتور كارل على الحيوانات

كلّها عائدة كما ألمحنا الى التلقيح اعني قطع بعض الاعضاء وإبدالها بما يوازيها . وهاك بالتفصيل اهمّ انواع تلك العمليّات التي تُجرَى منذ سنين بمعهد روكفلر بعد ان سنَّ قوانينها الدكتور كارّل

١ً ﴿ تلقيح قِطَع العروق والشرايين ﴾ يضغط الجرّاح بملقطين على طرَفي العرق الذي يُراد بتره ثم يُقطع ويُخاط مكانه قطعةُ عرق منزوعة من حيوان مجانس للاول او قطعة شريان منه . ولا تدوم كل هذه العملية اكثر من بضع دقائق فلا يلبث ان ينتظم جرَيان الدم في العرق او الشريان الملقّح ومهما اشتدت صدمة الدماء على محل الخياطة فانّها لا تقوى على فتقها . ومن العجب ان القطع الملقحة بدلاً مما قطعه المِشرط تكون في بعض الاحيان قد حُفظت ستة اشهر ونيّف في آنية مثلّجة . وبعد اسبوع من اجراء تلك العمليّات الغريبة ترى الحيوان يطفر مرَحاً كانهُ لم يُصب بشرط المبضع . واذا شُقَّ جسمهُ بعد انقضاء عام او عامين ظهر العرق اوالشريان الملقّح بدون ادنى اثر للتلقيح فيُظَنّ انهُ في ذلك المكان وعلى ذلك الشكل من نشأتهِ

٢ً ﴿ قطع الاعضاء وإعادتها هي نفسها ﴾ من امثلة هذه العمليّات التي لم تكن في الحسبان ان الدكتور كارّل قطع كُلوَتي كلبة ثم خاطها فعادتا الى حالتهما السابقة ولم تتأذَّ الكلبة قطعاً مما عانتهُ بهذه المعاملة القاسية فانها ولدت بعد ذلك احد عشر جروًا ومن المعلوم انّ هذا شاهد جليّ على جودة الصحة

وليس مثل تلكَ العملية من النوادر في معهد روكفلر فكثيرًا ما ترى فيه حيوانات قطعت منها الأذُنان او المعدة او الذنب او الطحال الى غير ذلك من الاعضاء ثم أُعيدت كما كانت قبلًا . وربَّما صادفتَ في ممشى المعهد كلبًا اسود يثب برجل صفراء ثم تلاقي بعد هنيهة رفيقهُ الاصفر وله رجل سوداء فتفقه كيف تمَّ هذا الامرُ العجيب الذي يحدو بنا الى ذكر نوع جديد من العمليّات

٣ً ﴿ قطع الاعضاء واستبدالها باعضاء حيوان آخر ﴾ ولا يقع التبادل — كما يتضح بديهيًا — الّا بين الحيوانات التي من جنس واحد غير انه يجري بغاية السهولة والكمال كما لو أُعيد العضو المقطوع نفسه . فتُبدل على هذا النمط اغلب الاعضاء كالرجل والاذنين والانف والمعدة والكلوتين والطحال والغُدَد والذنب

٤ً ﴿ حفظ الاعضاء المبتورة من الجسم حيّةً في المثالج ﴾ . هذه ولا شك آية الآيات في اعين ائمّة الجراحين التي لم يحلموا بها سابقًا . فما اشدّ جرأة الدكتور كارّل بل ما اعظم مقدرته ودهاءه حيث انجزها لاوّل مرّة . وليس في طريقته شيءٌ من السحر بل هي غاية في البساطة . تُغسَل الاعضاء المبتورة في مائع قاتل لانواع الميكروبات ثم تُبلّل بقليل من الماء لتبقى رطبة واخيرًا تُدخل في انابيب زجاج مُعقَّمة تُسَدُّ على النار وتوضع في المثالج بحرارة الثلج الذائب . فتبقى على هذه الحالة ليس ايامًا فقط بل اشهرًا دون ان تلوح فيها علامات الحياة والنمو الى ان يُراد استخدامها لدى الحاجة للتلقيح . فتُلقى في القازلين الحارّ لإنعاشها ثم تخاط مكان العضو المبتور . فترى القلب الذي عاش اسابيع في الثلج بدون خفقةٍ واحدة . ترى ذلك القلب المقرّس المُصلّب الذي غشاه شحوب الموت ينتعش بعد ان خيط بالعروق والشرايين ثم يحمرّ بسيل الدم ثم ينقبض وينبسط في خفقات متواصلة منتظمة كأنهُ لم يباين موضعهُ الحالي بتاتًا . فيخيَّل لك انك ترى ميتًا نُشر من قبره وعاود كل الاعمال الحيويّة بعد انقطاعهِ عنها زمنًا طويلًا !

٥ ﴿ حفظ الاعضاء المقطوعة من الجسم حيّةً مع ظهور علامات الحياة بل نامية ﴾

قد توصّل الدكتور كارّل الى انجاز هذه المعجزة التي شاهدها آلاف من الطلبة بل العلماء الجهابذة . والفرق بينها والعمليّة السابقة كما بين الثريّا والثرى . فهناك اعضاء مصونة من الفساد في المثالج ولكنّ حياتها خافيةٌ عن الانظار بل تكاد تخفى عن عين العقل نفسهِ لعدم وجود علامة حيويّة ولو طفيفة . امّا هنا فالحياة منجلية في العضو المقطوع اتمّ انجلاء فلا تختلف عمّا كانت عليه قبل انفصال العضو من جسد الحيوان . ومن اغرب ما فعلهُ القريس الفرنسي من هذا القبيل انه قطع قلب فرّوج وغطسهُ في مائع يحتوي على كميّةٍ من الدم المجرّد عن كرّياته . فتغذّى القلب بما حولهُ ونما نموًّا محسوساً بل خفق بدون انقطاع اشهرًا عديدة . واذا همدت حركتهُ الحيوية بعد هذه المدة الطويلة فداعي ذلك نقصان الموادّ الغذائيّة واختلاطها بما يفرزه العضو المبتور من الموادّ المضرّة فيكفي لانعاشه القاؤه في مائع جديد مصفّى

وفي احدى اختباراتهِ جعل الدكتور كارّل قلبَين مقطوعين الواحد على مسافة طفيفة من الآخر وكلاهما في المائع الواقي للحياة . فبقي الاول يخفق ٩٢ مرّة في الدقيقة والثاني ١٢٠ مرّة . وبلغ بهما النموّ بعد ثماني ساعات ليس الّا الى كونهما التحما اشدَّ التحام فتحوّلا الى كُتلةٍ واحدةٍ ذات خفقات منفردة . وامثال وقاية الحياة على هذه الطريقة لا تحصى فقد توفّق الجرّاح العالم الى حفظ الحياة في اللحم والاعصاب بل في قِطَع من الكبد والكُلية والرئة وفي قرنيّة العين بعد ان قُطعت من الجسم وكلّ منها ينمو كانهُ بذرٌ طُرح في ارض مخصبة . وهذه جميعها من المبتكرات البديعة التي لم يسبق اشهرُ الجراحين اليها الدكتورَ كارّل

ولكننا لم نخرج بعد عن دائرة الحيوانات التي هي موضوع العمليّات الغريبة التي وصفناها في الاسطر السابقة . وجلّ اهتمامنا معرفة الفائدة التي جناها النوع البشري من تلك الاكتشافات البالغ صداها الى اقاصي المعمور

٢ عمليات الدكتور كارل على الانسان

من المعلوم ان الجراحين مارسوا عمليّة التلقيح على الانسان قبل الدكتور كارّل غير انهم لم يقدموا على اجرائها الّا نادرًا . فمن ذلك انهم اذا سُلخ جلد العنق على

إثر حرق ينتزعون قطعةً من جلد الذراع مثلاً ويلقحونها على العنق فتثبت وتنمو عليه. ومن ذلك ايضاً انهم استطاعوا غير مرّة ان يعوّضوا عن انف مقطوع بانف صناعي كوّنوه بفلذة كثيفة من اللحم مأخوذة من الجبين او الساعد . وقد اشتهر بهذا الفن او في لجمال المحيّا الجراحون مورستان (Morestin) ودلبا (Delbet) وتوفيه (Tuffier) لكن مهارتهم ومهارة امثالهم وقفت عند ذلك الحدّ

اما الدكتور كارل فقد بلغت به الجسارة بعد نجاحه الباهر في عمليات التلقيح على الحيوانات الى ان جاوز الحد الذي وهنت دونه عزائم امهر اقرانه . وهاك بالتفصيل آية من آياته . احترقت عينا احد الاميركيين فسلمت اعضاء البصر الجوهريّة ومع ذلك أصيب الشقي بالعمى حيث فقدت القرنيتان شفافتهما . فأتي به الى مستشفى فيلادلفية وفحصه الدكتور كارل فصمّم النية على ان يلقح على كل من العينين الكفيفتين قرنية سليمة وذلك حالما يتوفق الى الحصول عليها . فقيّضت له العناية لاهية بعد اربعة اشهر ان يقلع عيناً اعورت فنزع قرنيتها ولقحها على احدى عيني الضرير كما يبدل الساعاتي زجاج الساعة المكسورة وثمانية ايام بعد ذلك رُفع الضماد فبتج النظامي حيث رأى امنيته تحققت على غاية ما يروم فان الاعمى الذي كان حُرم منذ سبع سنين لذّة النور صار ينظر بالعين الملقّحة

ولما درى جراحو الخافقين بنجاح تلك العمليّة الجريئة وكثير من امثالها سلكوا متطوعين على الطريق الجديدة التي مهّدها لهم الدكتور كارل فانتشرت عمليات التلقيح العضوي في كل الاقطار . ولنكتف بوصف التلقيح الذي اجراه الدكتور دلبا (Delbet) على شخص قاسى عشر سنين امرّ العذاب من كسر عظم الفخذ في عظامه . قطع الجرّاح كسرة من قصبة الساق الصغرى وادخلها في ثقبين ثقبها على جانبي الكسر كما يصنع النجّار اذا اراد ترميم قائمة مكسورة لطاولة . فبرعمت كسرة العظم الدخيلة ولأمت جانبي العظم المصدوع اشدّ لأم . فمشى الكسيح بعد خمسين يوماً مستنداً على عكازة ثم اكتفى بعصاً بعد سنة تقريباً واخيراً مشى بدون سند

ومن البديهي انه لو تيسر للجراحين ان يجروا هذه العمليات على بني آدم بمثل جسارتهم في مباشرتها على الحيوانات لطال جدول فتوحات فنّ الجراحة الجديد ولكن الذمّة لا تسمح بتعريض الانسان الى خطر شديد ان لم تكن هناك ضرورة

ماسّة . وعلى كل حال فانّ عمليّات التلقيح المضوي لم تزل في السبع السنين الاخيرة تنمو عددًا فيسوغ لنا ان نتفاءل بها خير فأل لمستقبل الجراحة الكارليّة . وكما ان العالم باستور جدد الطبّ في اواخر الجيل المنصرم باكتشافاته المشهورة في عالم الميكروبات الذي فتحه للعلماء والاطبّاء كذلك كارل فتح للجراحين عالم التلقيح الذي لم يطرق بابه احد من قبله . فاستحق ان يحصى مثل باستور في عدد اعظم المكتشفين والمحسنين الى كل النوع البشري ونالت بكليهما فرنسة وطنهما مجدًا مؤثلًا يضاف الى ما احرزتهُ من الفخر بسبق ابنائها الى كل عمل شريف وعلم نافع

رجل الخير المرحوم صالح نعمة

لحضرة الخوري مبارك الرشماوي خادم قرية بتاتر والمنصورية

أصله ونسبه

في غرّة شباط الاخير رُزي الدين والوطن معاً بوفاة المرحوم المبرور الكاثوليكي صالح نعمة اللبناني الماروني مزوّدًا مرارًا بالاسرار المقدسة . اصل هذه العائلة من مشمش قطنت رويسة النعمان ووالدهُ يدعى نعمة كان فاضلًا ورعاً كريم الاخلاق عيّنتهُ حكومة لبنان باول تشكيلها شيخاً على قريتهِ بموجب بيولوردي . وكان مواطنوه يدعونه نعمة السعيد لكونهِ اوّل من تملّك في القرية . فكان فسيح الصدر رحب الدار طالما ردّد مواطنوهُ آيات أفضاله عليهم مدّة حركات سنة ١٨٦٠ ووالدتهُ نهول كانت ممتازة بفضائلها وتقواها الباهرة وقد لقّبها مواطنوها بالقديسة نظرًا لمبرّاتها وسماويّة روحها . فمن هذين الوالدين الفاضلين ولد صاحب الترجمة المرحوم صالح نعمة

مبادئ التجارة

ما بلغ سنّ ١٤ حتى توفي والدهُ تاركاً له عقارات بقيمة الف ليرة وديوناً عليه نحو ثلاثين الف غرش فشمّر صالح عن ساعد الجدّ ومال الى تجارة الشرانق والحرير ودرسها متدرّجاً من وكيل سماسرة الى ان صار يُعدّ بصاف اصحاب المعامل الحريرية

الكبرى في جبل لبنان من حيث اتقان الصناعة بكامل فروعها والاسم المطار . وادغم اولاده معه سنة ١٨٩٠ بالعمل تحت عنوان «صالح نعمه واولاده» فغدت مضافرة بنيه له تاجاً متمماً لعماله لانهم لا يقلون عنهُ مقدرة وحنكةً وثباتاً . وقد برهنوا فيما مرّ من السنين السوداء على تجارة هذا الصنف على ما تقدم بتخلصهم من خنانيرها الفادحة . فكان حريزه ممتازاً يزاحم اجود الماركات . وطالما تكرّر سفرهُ وسفرهم الى مدينة ليون اكتساباً لتحسين هذه الصناعة وتمكين علاقاتهم التجارية والودّية مع عملائهم وقد كان يؤدي هولاء العملاء بحقهم احسن شهادة . وقد ردّدها بعض ذوات بيروت العائدين من ليون فروى انه سمع احدهم يقول انه يحترم محل صالح نعمة واولاده احترامه لاحسن بنوكة بيروت من حيث الاستقامة والمعرفة والامانة

ثمّ بنى له معملاً للحرير فخماً في قريته مغوايا متقن الصنع والهندسة تحرّك آلاته بقوة ضغط الماء واضاف اليه بعدة جملة سنوات بصورة الاجارة نحو اربعة معامل كان يشغلها ويستفيد منها الارباح الطائلة . فتوسّع بشراء الاملاك حتى اصبح يُعدّ من كبار الملاكين في الجبل . واذ رأى ان معمل حرير معاصر بيت الدين بتمام الموافقة لصنعته نظراً لمركزه وحسن موقعه لسواق الشرانق فاشتراهُ مع عقاراته وكان له منه كما افتكر حسن الاستنتاج وقد زاد على حسنه تحسيناً حسب مقتضيات هذا الفن من الاتقان

حبوته السياسية ووطنيته

قد كان رحمه الله من معاصري رستم باشا متصرف الجبل في صباه فاوثق ذلك الحاكم باخلاص المرحوم ومقدرته كان يعهد اليه باصلاحات في ناحيته . فكان المرحوم يقوم بها احسن قيام . وبمثل ذلك كان نعوم باشا يكلّ اليه بواسطة صديقه الامير الكبير مصطفى ارسلان برّد الله ثراه قضاء بعض المهامّ بين حكومة الجبل وولاية الشام فكانت اعماله مكلّلة بالنجاح . اما جرأته الادبيّة فهي مشهورة فقد كانت تدفعهُ الى ان يناهض كل خلل بوجه اولياء الامور فلم يلِ قطعاً الى وظيفة في الحكومة اذا كان يخدمها الخدمات الجلّى وهو في اعماله ومعاملهِ . وله بهذا الموضوع مآثر وضاءة وطرائق مثمرة كانت تتجلى فيها روحه الكبيرة وتضحياته العظيمة وتفانيه بحق

اصحابه (١ فكان الوطني الصادق المخلص لربه ولبلاده المحترم القول والرأي وكان متصرفو الجبل وقناصل دولة فرنسة الفخيمة يجلّون مبادئه ووطنيته واخلاصه ويكررون زياراتهم له

اخلاقه ومعارف مبادئه وتربية اولاده

قد كان رحمه الله ذا ضمير سليم وقلب مفتوح واخلاص وشجاعة كثير الاستقامة شهماً وفياً محبوباً كريماً لم يتلقن من العلوم سوى بسيطها تحت سنديانة القرية على كاهنها وانما ذكاؤه الغريزي كان له المعلّم الأهم لو جالسته او قرأت محرراته تحكم عليه انه من متخرجي المدارس كان ذا مبدإ قويم يتطيّر من الخنوث في الوعود وذا نفس أبيّة تتنزّه من كل ما يهين الحق والناموس وذا مروءة وحمية نادرتين ينتصر للمظلوم بشدة لغاية رفع الظلم عنه كأنّ ذلك الظلم عليه فليس بهيّاب ولا وجل . كان من انصار السلامة ومحبيها يقضي بين المتخاصمين وبخاصة اقناعه وتجرّده كان مكفول النجاح . وكان اصحابه العيدون لدى حصول ملمّات عندهم يستنجدون به فكان يلبي بارتياح دعوتهم ويصرف قضاياهم مهما كانت مهمة . ودورٌ عديدة في هذا الجبل تردّد مدى الدهر افضال هذا الشهم بارجاع الطمأنينة والسكينة لداخليتهم ببذولات عنايته ومروءته . ومن مبرّاته انّهُ قرّر استدعاء طبيب وهو الدكتور الشهير مرشد افندي خاطر الى قريته مغوايا على نفقته ليجري فيها معاينة طبيّة كلّ خميس لمساعدة كل من لم تمكنهم احوالهم من دفع اجور الاطبّاء سواء كانوا من مغوايا او من القرى المجاورة . فتمّ ذلك سنة ١٩١٣ . هذا ومآثر عديدة يطول ذكرها وتعرب عن

(١ لم يمكن تعداد نفائس خدماته لانّ معظمها لمجد ونفع النصرانية التي كان مرّة بعد اخرى يتهدّد حقوق رجالها بعض ذوي الغايات ولا نذكر كذا تفصيلات لأنها تمس كرامة جيراننا غير النصارى فاكتفينا بهذا الاطلاع . وهذه واحدة من مئات : دُعي كهنة الجوار لمأتم رجل في عجدليا مسيحي فتقدّم الدروز امام الصليب فحصل لذلك عراك بينهم وبين الكهنة ادى الى المشاورة فسطّر الكهنة عريضة باسم المرحوم يشكون فيها الحالة وقدّموها له عقيب الحادثة فانفذ ما احد اولاده الى يوسف باشا فرانقو مذيلاً عليها فما اصبح الصباح الّا « والبرطان » يدوي في عجدليا وخليل بك الطرابلسي مطوقاً البلدة بجنوده حيث اعتقل نحو ١٧ شيخاً درزياً وصحبهم ابيت الدين حيث زُجّوا في السجن ولم يفرج عنهم الّا بعد مضي ٣ اشهر بمناسبة عيد الجلوس . . وهذه هي الصغيرة . . . وأين هذه من سواها :

مفاعيل تلك المروءة النادرة . فقد كانت يد الرب تسبق يديه في قضاء كل مشكل عضال وعلى تلك المبادئ السامية ربى بنيه الثلثة فكانوا على صورته طبق الاصل

حبه الدينية

كان يختلج في صدره نفس سامية كانها شعاع ينبعث منها روح الدين والوثوق بالله فاذا زرتَ محلاته في مغوايا او في معاصر بيت الدين تلقى ماصوقاً على رتاج داره ومعامله صفيحة قلب يسوع الاقدس . واذا تصفحت دفاتره تقرأ باول كل منها هذه الفقرة " ما توفيقي الا بالله إلهي " واذا تصفحت وصولات المسواق المطبوعة تستهلُّ بها كلمة "يسوع ومريم وماري يوسف" بالافرنسية واذا دخلت عمق قلبه هناك الضياء . حمل والدتهُ الفاضلة رغماً عن شيخوختها الى زيارة الاماكن المقدسة ومنذ نشأته وضع بيته واعماله تحت حماية مريم العذراء . وقد كان شديد الحرص على تهذيب بيته على هذا الاساس المكين فحصل على الحظوة الفائقة باعين بطريركية الروم الكاثوليك وعهد اليه رئيس مدرسة عين الوز الاب جيروم ابان سفره الى الاستانة بادارة شؤون واملاك المدرسة فاجاد احسن اجادة وقدَّم الرئيس له بعد عوده تقدمة ماليَّة فرفضها شاكراً فاقام في قريته جبانة وساعد بتجديد بناء معبدها وشيَّد في مغوايا معبداً نفيساً لمريم العذراء وزيَّن جداره الداخلي بحفريات الخشب والتماثيل مما هو فريد في بابه واستحضر من نيثورنو تمثالاً لهذه البتول الطاهرة بطول مترين من رخام آية في الابداع . فقد خسر الاكليروس عامةً بوفاته صديقاً حميماً وابناً مجاهداً حق الجهاد دفعاً عن شرفهم فما كان احد يجسر ان يتفوَّه باساءة بحق اكليريكي أمامه ؟ وله بهذا الموضوع مواقف الأسد . قد كافأه قداسة البابا بيوس العاشر بمنحه وسام مار غريغوريوس الكبير من رتبة كافاليار اعتداداً على محرَّرات صديقه الحميم وابيه المغبوط ماري الياس بطرس الحويك البطريرك الماروني المبجَّل . فكان في ختام كل نهار عمل بعد ان يغلق باب معمله يفتح باب الكنيسة لدخول العملة اليه لقيامة الصلاة العامَّة شكراً لله . ولذلك كانت المراكز الدينية المسيحية كافةً مع القصادة الرسولية تجلُّ مقامه وتعتبره من اخلص واعزّ ابنائها وفي ما لديه من محرراتهم النفيسة دلالة ساطعة على تقديرهم لفضله وحسن مساعيه

موازرات ابان الحرب

كنت اسمع من الفقراء العائدين من مغوايا ابان الحرب الدعاء والعرفان لهذا البيت وكانوا ينادون بأعلى اصواتهم : لو كان على مسافة كلّ اربع ساعات بيت سخي مثله لما مات فقير . لم يصدّ طالباً ولم يُرجع متوسلاً خائباً فباول شهر الحرب انفذ الى قرى ومزارع الجوار اكياس الطحين حيث وزّعت على فقرائها بواسطة اصحاب له وواصل كل سني الحرب هذه المبرّات بكل سخاء وامر بزرع اراضيه المشجرة ليضاعف التوزيع . فكانت رجاله تتراكض وراء الحبوب وكانت داره مأوى الايتام والاطفال والارامل . وفي خلال سنة ١٩١٧ يوم عيد الميلاد امر والديه نعمة ونعمان ان يحملا على ظهرهما الخبز ويصعدا الى القرية لمؤاساة اهلها وتوزيع الاقوات للبائسين فيها ومثل هذا العمل تكرر في عيد رأس السنة ومن الحسنات التي تمكّن الخال المرحوم كتمان توزيعها ستة قناطير قمح وزّعت على البؤساء عن يد كهنة الرعايا . وقد دهش المندوب البطريركي حضرة الخوري اغناطيوس مبارك المرتقي الآن الى رئاسة اساقفة بيروت في اثناء زيارته القرية لتوزيع الاحسان البطريركي مما رآه وسمعه من شكر الكبار والصغار لصاحب الترجمة وحمل كل ذلك الى غبطة البطريرك ايده الله

ومن مآثره انه سهل لمتصرفية الجبل انشاء ثلثة ملاجئ للفقراء في قضاء الشوف في عين عنوب وبريح ومغوايا باحضار راهبات ماري يوسف لإدارتها . امّا ما تبرّع به لهولاء الملاجئ فتعلمه حضرات مديراته الفاضلات والقصادة الرسولية وما تكبّده هذا البيت الكريم من العناية بتلك الادارة والمحافظة التي تنمّ عن إباء وعناء قلب عظيمين . معلوم ايضاً من الرابورت المتقدم لحكومة بيروت من رئاسة واديرة راهبات ماري يوسف فقد كان كالعطشان أيان وجد المياه يباجها وأيان وجد سبيل للمساعدة مدّ يده الكريمة . وبذيله من صورة هذا الرابورت النفيس ما له علاقة بالموضوع (١) .

(١) وهذا نصّ الرابورت في اصله :

Nous soussignées Supérieure des Sœurs de St Joseph de l'Apparition et religieuses ex-directrices des 3 hospices du Schouf : Ain-Enoub, Mogwaya et Brih déclarons bien haut que Monsieur Saleh Nemé ainsi que son honorable famille nous ont rendu durant la guerre 1914-1918 des services innombrables et éminents, en soula-

واخيرًا : قد قيل ان ألسنة الخلق هي مفاتيح الصدق فبيّن ذلك اسف نبلاء الطائفة الدرزية الكريمة وعامتها من فقد هذا الكريم نظرًا لصدق معاملاته معهم وكامل صفاته . فاجماع الاحترام لكذا رجل من كل الطوائف لسان فصيح وبرهان واضح لثبوت مكرماته

وما طار منعاهُ حتى تقاطرت الجماهير من النواحي لحضور مأتمه . فنُقلت جثته بكل اكرام الى مدفن عائلته . فلمّا بلغ عاليه مرور النعش في ضواحي طريقها الى بحمدون تألب جمهور غفير من المسيحيين تتقدمهم الصلبان ومن كرام الدروز ملاقاةً له وكذلك من اهل بحمدون مع لفيف الاكليروس . وبعد ان أُقيم له جنّاز حافل دُفن باكرام في مدفن العائلة الخاص ضمن الكنيسة وكان الاسف شاملًا الجميع وبين المؤبنين انتصب جناب الشيخ هاني عبد الله واستنزف العبرات برقيق عباراته الصميمية وعقبه احد شبان الدروز العائدين من المهجر مما كان له ابلغ تأثير . وبعد مضي اسبوع اقيم له في مغوايا جناز اسبوعي حافل حيث دُعي كافة الكهنة واهالي القرى المجاورة وفي الاحد الثالث اقام له اولاده جنازًا ثالثًا حافلًا في محله الثاني معاصر بيت الدين ولتعذُّر سيادة الحبر المفضال المطران اوغستين البستاني الكلي الشرف عن الحضور لموانع صحيّة اوفد من قبله نائبه وبعد ان وفّى بلسان سيادته حق الفقيد من التأبين تلا في الكنيسة مرسوم التعزية باسم انجال الفقيد من غبطة البطريرك الماروني المبجل وفيه ما فيه من آيات الاسى والحب والانعطاف فكما وفّى الفقيدُ عائلته من حقوق الحب والعطف الابوي هكذا وفّى

geant la misère du pays et en dépensant son temps et son argent, même au risque de sa vie pour le bien commun.

Il a toujours fait preuve d'une grande noblesse de caractère et d'un désintéressement vraiment rare.

Nous ne saurions assez lui adresser des félicitations pour sa conduite courageuse et sa moralité exemplaire.

En foi de quoi, nous lui donnons de tout cœur cette approbation écrite.

Sr Madeleine Supérieure — Sr Victoire directrice de Brih — Sr Françoise directrice de Ain-Enab — Sr Louise directrice de Mogwaya

ويتلوه تصديق القصادة الرسولية من امضاء السكرتار حضرة الاب سيريل كوسا بتاريخ ٢٢ شباط ١٩١٩

اولاده بالمبادلة حقوق الوفاء البنوية وكما عاش سعيداً شريفاً هكذا مات سعيداً شريفاً رحمه الله عداد مبراته وحسناته امين

مناعي آل الوطن في أثناء الحرب

نظر عمومي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ ضحايا الاتراك وشهداء حب الوطن (تتمة)

﴿ عزيز فيعاني ﴾ هو عزيز ابن نعمه فيعاني . كان تخرّج في كليّتنا فامتاز بذكائه واجتهاده . ثمّ صار ترجمانا اوّل لقنصلاتو روسية الجنرالية في بيروت . فكانت رتبته هذه الداعي الوحيد لنفيه في اوّل الحرب بامر جمال باشا وانهاء بكر سامي بك . لكنّه امكنه ان يعود الى وطنه مرّة اولى من حلب ثمّ مرّة ثانية من الشام بالوسائط ودفع الغرامة حتى نفي مرّة ثالثة مع شقيقه وديع افندي الى سيواس ومنها الى توقات فكانت هذه المشقّات مع سوء معاملة المأمورين الاتراك مدعاة لمرض التهاب الامعاء الذي أصيب به فأودى بحياته في غرّة حزيران سنة ١٩١٦ . وظن البعض انه مات مسموماً . وكان المرحوم من رجال الجد والنشاط محبوبا من الجميع لطفه واستقامته

﴿ الياس الخوري ﴾ مات منفيًا في حماة لما اصابه فيها من الضيق والكدر سنة ١٩١٧ . وكان اشتهر في التعليم في عدة مدارس مباشرةً بالمدرسة الوطنيّة التي انشأها في بيروت بطرس البستاني ثمّ في مدرسة طائفته المعروفة بالثلاثة الاقمار . وتوفي اخوه جبران في أيار ١٩١٨ وكان رسّاما ماهرا وحفّارًا للصور حاذقًا وكان كلاهما من افاضل الروم الارثذكس

﴿ اسكندر صفا ﴾ ومن اغتالتهم حوادث الحرب المرحوم اسكندر صفا من اعيان دير القمر كان نفاه جمال باشا السفاح الى الاناضول وبقي في النفي الى ان قهرت تركية وطلبت الهدنة فعاد الى وطنه عن طريق الاستانة فاصابه فيها مرض الحمى الاسبانيولية فتوفاه الله في اول شهر كانون الاول سنة ١٩١٨ متمما واجباته

الدينية في عمر ثلاث واربعين سنة . تولى رئاسة المحاكم في لبنان مدة طويلة في قضاء جزين وكسروان والمتن واظهر في كلها منتهى الاستقامة والذكاء والنشاط وكان ممتازاً في نزاهته وجرأته لا يهاب عند الحق احداً من اصحاب النفوذ حتى انهُ خالف رأي متصرفَيْن لبنانيَّيْن في عدَّة امور وأا توعَّدهُ واحد منهما لاستيائهِ من حكمهِ لم يبال بذلك الَّا انهُ اخيراً وثق بهِ جداً لما رآه من ثباتهِ وصلابته وكان على جانب من العلم بالشرع والقانون ويحسن من اللغات الانكليزية والفرنساوية والعربية بفروعها وله سعة اطلاع في الرياضيات لا سيما في الجبر

٣ الأدباء والصحافيُّون والكتبة

﴿ الشيخ شبلي نعمان ﴾ توفي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وله من العمر ٥٨ سنة . احد علماء المسلمين في الهند . وقد امتاز هناك بين مواطنيهِ ببلاغتهِ في الكتابة اشتغل اولاً بالتعليم في كليَّة عليكده ثمَّ ساح في البلدان فاتَّسعت افكارهُ وادرك ما يحتاج اليهِ الاسلام من الاصلاح فحاول ان يخرج مداركهُ الى حيِّز العمل فعُدَّ من زعماء المصلحين . ولم يثنِ عزمهُ ما وجدهُ من المعاكسة في تحقيق امانيه حتى نسبهُ البعض زوراً الى الالحاد . وقد ألَّف عدَّة كتب في الفلسفة والتاريخ واللغة في العربيَّة والفارسيَّة والهندية حال الموتُ دون نشر كثير منها

﴿ نقولا رزق الله ﴾ كان شاعراً مطبوعاً متفنناً غزير المادَّة تروى لهُ عدَّة منظومات حسنة . وقد نقل الى العربيَّة عدَّة روايات نشرها في مجلَّتهِ الروايات الجديدة . توفي في مصر في نيسان سنة ١٩١٥

﴿ خليل سركيس ﴾ من اكبر انصار الآداب وخدَمة الصحافة في بلاد الشام تشهد له بذلك مطبعتهُ الادبيَّة التي انشأها ونشر فيها ما لا يُحصى من المطبوعات المفيدة في كلِّ فنٍّ (راجع المشرق ٤ : ٢٢٤ — ٢٢٩) . وقد تولَّى نشر عدَّة جرائد ولاسيَّما جريدة لسان الحال الشهيرة التي خدمت الوطن باخلاص نحو ٤٠ سنة . وكان صاحبها قد تخرَّج في المدارس الاميركيَّة وتمذهب بمذهب اساتذتهِ لكنهُ بقي معتدل الخطَّة محباً للسلام مؤلِّفاً للقلوب . كانت وفاتهُ احدى آفات الحرب في ١٩ ايار ١٩١٥ ولد في عبيه من لبنان في ٢٢ ك ٢ سنة ١٨٥٠ . وكبر المصاب على اسرتهِ

الكريمة بوفاة اختهِ ساره سركيس في يوم موت اخيها فدُفنا في مشهد واحد (اطلب ترجمتهُ في تاريخ الصحافة العربيَّة للفيكنت فيليب دي طرَّازي ٢ : ١٢٩) . وللمرحوم عدَّة تآليف ما عدا كتاباتهِ في اللسان نخصّ منها بالذكر تاريخ القدس الشريف وكتاب العادات ورحلة امبراطور المانية وسلاسل القراءة . هذا فضلًا عن خدمهِ المشكورة لترقية الصناعة لاسيَّما الطباعة العربيَّة . وقد خوَّلهُ الله ولدًا يجري على آثارهِ في كلّ مزاياهُ الطيّبة

﴿ عسَّاف بك الكفوري ﴾ ولد في كفر زبد من اعمال البقاع سنة ١٨٨٢ وتعلم في الكلية الشرقية في زحلة وعلم فيها وفي المدرسة العلمانية والكلية الاميركية في بيروت مدة اثنتي عشرة سنة وحضر دروس مكتب الحقوق الفرنسي . وكتب في كثير من المجلات وحرر المهذب وعرَّب ست روايات نصفها تمثيلية والف جملة كتب في الصحة والتاريخ والتعليم ونظم ديوانين واجاد في الخطابة والتمثيل . توفي في ٢٤ ك١ سنة ١٩١٥

﴿ الشيخ ابرهيم الحوراني ﴾ ولد في حلب سنة ١٨٤٤ ونشأ في حمص والشام وتعلم في مدرسة عبيه وجاء بيروت سنة ١٨٧٠ وعلم في كليتي الصبيان والبنات الاميركيتين وفي المدرسة البطريركية وحرر جريدة النشرة الاسبوعية وتولى تصحيح مطبوعات المرسلين الاميركان وعرب والف كتبًا عديدة ناهزت الثلاثين نخص منها بالذكر ردّ الحسن على مذهب دروين في كتابهِ المعنون الحقّ اليقين في الردّ على بُطلان دروين وترك ديوان شعر كبير نفيس وامتاز بالرياضيات واحكم عدة علوم . توفي في ٢ شباط سنة ١٩١٦

﴿ ابراهيم صادر ﴾ كانت وفاتهُ في ٩ ايار سنة ١٩١٥ في شيخوخة صالحة . من اكبر خدماتهِ لوطنهِ انشاؤهُ اوَّل مكتبة في بيروت دعاها بالمكتبة العمومية وذلك في السنة ١٨٦٣ ومع قلَّة بضاعته من الآداب في ذلك الوقت تمكَّن من جمع كتب عديدة ضاقت عنها مكتبتهُ . وكم نقَّبنا فيها فوجدنا من المطبوعات النادرة والمخطوطات الفريدة التي تزين مكتبتنا الشرقية . وقد احتفل بيوبيل المكتبة العمومية في السنة ١٩١٣ فطبع عدد خاصّ من قائمتها تذكارًا . كان المرحوم ابرهيم انيسًا لطيف الطباع من اتقياء طائفتهِ واحد اعضاء اخويَّة الامّ الحزينة محسنًا الى الفقراء ساعيًا

في تهذيب الصغار ممتنياً بمأوى طائفته . خلفهُ في اشغالهِ ولداهُ الاديبان سليم افندي صاحب المكتبة العموميَّة ويوسف افندي منشئ المطبعة العلميَّة وكلاهما من الافاضل

﴿ رزق الله سركيس ﴾ كان ايضاً من الكتبيين النشطاء والساعين في تنشيط الآداب مع الاستقامة في المعاملات والاعتصام بعروة الدين الوثقى . توفي في ٦ آذار سنة ١٩١٦

﴿ امين الخوري ﴾ توفيَ في دمشق سنة ١٩١٦ مستخفياً من وجه الدولة العثمانية . درس مدَّة في كليَّة القديس يوسف ثمَّ انقطع الى الطباعة وشغل المكاتب مع اخيهِ خليل الذي كان اكبر منهُ سنًّا وارجح عقلاً . وقد نشر بعض المطبوعات المدرسيَّة بالعربيَّة والفرنسويَّة . ثم خلف اخاهُ في ادارة المكتبة الجامعة وباشر بطبع بعض الصحائف كدليل بيروت وجريدة العثماني . وسكن مدَّة في الاسكندريَّة فنشر فيها جريدة الاعلان . وكان خفيف العقل قليل التروّي انحاز مدَّةً الى الماسونية مؤملاً منها خيرًا لكنَّهُ جحدها في ساعة وفاتهِ في مستشفى الراهبات الالمانيَّات حيث طلب من ذات نفسهِ كاهناً فتمَّم كلَّ واجباتهِ الدينيَّة

﴿ فكتور شعيب ﴾ اغتالتهُ المنون وهو في زهرة شبابهِ في ١٢ تموز ١٩١٦ في دمشق الشام وكان ذهب اليها سعياً في امور مدرسة الثلثة الاقمار التي كان تولَّى تدبيرها وكان المرحوم احد تلامذة مدرستنا الكليَّة ذا همَّة واقدام على العمل . لمَّا رأى ما صارت اليهِ المكاتب الوطنيَّة بمصادرة الاتراك للمدارس الاجنبيَّة تحفَّز لمساعدة ناشئة طائفتهِ في مواصلة دروسهم واستدعى لذلك بعض الشبَّان الذين اقتبسوا العلوم معهُ في كليتنا فنفخ في مدرسة الثلثة الاقمار روحاً جديدة جاء الموت فأخمدها

﴿ الدكتور غصن الحاوي ﴾ ولد في الشوير سنة ١٨٥٢ وخسر نظره في حداثته وسافر الى انكلترا متجاوزاً العشرين من عمره فتعلَّم في مدارس العميان اشغالهم واحكم اللغة الانكليزية ورجع الى سوريا فانشأ مدرسته في بيروت لحرومي النظر ثم عاد ودخل مدرسة ادنبرج الجامعة في بلاد الانكليز يتلقى دروسها بالسمع وشرع يلقي محاضرات اذاعت صيته في سكوتلندا وادَّى امتحاناً لدى مدرسة وسليان الجامعة ونال منها شهادة دكتور . وبعد ان قضى في كندا زهاء عشرة اعوام جاء لبنان وسكن بلدته الشوير وعاش فيها يخدم مذهب البروتستانت

وتوفي في ٢٢ تمّوز سنة ١٩١٦

﴿ الدكتور دانيال بلس ﴾ هو رئيس المدرسة الكلّيّة الاميركانيّة سابقاً ووالد المستر هورَد بلس الذي خلفهُ في منصب الرئاسة . توفي في ٢٨ تمّوز سنة ١٩١٦ وكانت السنة الخمسين لانشاء تلك الكلّيّة التي لهُ الفضل الكبير في تأسيسها وصار رئيسها الاوّل مدّة ٣٧ سنة (١٨٦٦—١٩٠٢) فادارها بحكمة وعزم . على اننا نأسف لكونها صارت مركزاً لبث الروح البروتستاني ونشر حرّية الافكار فكانت مغالاتها احد الدواعي لانشاء كليّتنا الكاثوليكيــة ومدرستنا الطبية . كان مولد الدكتور دانيال بلس سنة ١٨٣٢ وجمع في شخصه مجمل صفات الاميركيين من إقدام ونشاط وثبات على العمل رغماً عن تقلّب الايّام . وبينما نحن نحرّر هذه الاسطر اذ علمنا بكل اسف وفاة ابنه في اميركا فأُصيبت الكلية الاميركيّة بموته بضربة أليمة لما كان عليه هذا الفقيد من الصفات الحميدة والآداب وحسن التدبير . ألهم الله ذويه ومرؤوسيه تعزيةً وصبراً جميلاً

﴿ المعلم خليل الخوري سركيس ﴾ توفيَ المرحوم خليل في عبيه مسقط رأسه في ١٥ ت ١ ١٩١٧ وكان مدّة لا تقلّ عن عشرين سنة معلماً في المدارس الخارجية اللاحقة بكلية القديس يوسف ولهُ عدّة قصائد في الشعر الزجلي وقد اشتهر بتقواه وحسن تديّنه اذ خدم اخوية الام الحزينة في كليّتنا بصفة كاتم لاسرارها مدة ١٥ سنة . وهو شقيق المرحوم الخوري يوسف سركيس الذي اشتهر بتقواه وغيرته في بلدته عبيه وانشأ فيها اخوية الحبل بلا دنس للرجال والنساء . وتوفي في ٢٣ آب ١٩١٦

﴿ ظاهر خيرالله ﴾ هو الشيخ ظاهر خيرالله عطايا صليبا ولد في الشوير سنة ١٨٣٤ وبعد ان تعلّم مبادئ القراءة اشتغل بناء ١٢ عاماً ثم ذهب الى مدرسة عبيه بسن ٢٥ ولكنه لم يمكث متعلماً فيها الّا سنةً ونصف فأخذ يدرس لنفسه ثم علّم في كثير من مدارس سوريا الابتدائية والعالية وكتب في عدة صحف والف نحو اربعين كتاباً في الرياضيات واللغة والقواعد والدين بعضها جدليّاً وكان يشتغل في المحاماة في خلال التعليم . توفي في بيروت في ٢٨ ايلول سنة ١٩١٦ . وقد قرأنا في المشرق عدّة تآليف من قلمهِ كلمحة الناظر في مسلك الدفاتر ورسائلهِ اللغويّة وكتابهِ الفريد المسمّى بالادلّة الغرّاء في سموّ شأن مريم العذراء زيّف فيهِ المزاعم البروتستانيّة

باجلى برهان. وقد اوقفنا على كتابهِ الاخير في بتوليَّة القديس يوسف ردًّا على مطران ملَّتهِ السيّد روفائيل هواويني في مجلَّة الكلمة وعلى بعض تآليف اخرى فريدة

﴿ حنَّا الخوري ﴾ هو حنَّا بن جبرائيل الخوري وشقيق خليل الخوري صاحب حديقة الاخبار . توفيَّ في ٢٥ شباط ١٩١٧ . تولَّى مدَّةً منصب قائمقام في الكورة وتعيَّن عضوًا لمجلس الاستئناف في بيروت . لهُ مقالات وخطب في جمعيَّة زهرة الآداب وفي الحديقة ولهُ منظومات ايضاً وقد اعتنى بجمع آثار اخويهِ خليل وسليم

﴿ نجيب غرغور ﴾ توفي في الاسكندريَّة بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٩١٧ بداء السكتة اثناء تأدية امور وظيفتهِ في ادارة البواخر الخديويَّة وعمرهُ ٥٤ سنة . كان من طائفة الروم الكاثوليك صادق الايمان . وكان منشئاً بليغاً خدم الصحافة في القطر المصريّ سنين عديدة فحرَّر في عدَّة جرائد فصولًا مستحسنة . ومنها ما تولَّى انشاءهُ

﴿ محمَّد ابو عزّ الدين ﴾ من الطائفة الدرزيَّة . كان كاتبَ ضبطِ دائرة الحقوق الاستئنافيَّة في جبل لبنان ثمَّ تعيَّن رئيساً لمحكمة الشوف وكان من ادباء الوطن المعدودين . وقد نشرنا لهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٥٣٦) مقالةً حسنة تحت عنوان «شهيد العلم» . وكثيرًا ما راسل جريدة البشير وافاد القرَّاء عن احوال لبنان . توفيَّ في آذار سنة ١٩١٧

﴿ المعلّم ناصيف الزغزغيّ ﴾ توفَّاهُ الله في شهر ايَّار من السنة ١٩١٧ في حمَّانا وكان في اول الحرب يعيش معتزلًا في وطنهِ فالوغا ومات خاملًا بعد ان علَّم في مدرستنا في بكفيَّا نحو خمسين سنة فتخرَّج تحت يدهِ عدَّة احداث اشتهروا بعد ذلك في انحاء الشام وفي مصر واميركا عرفوا لهُ فضلهُ في تهذيبهِ لعقولهم واثنوا على طيب عنصرهِ وخلالهِ الطيّبة وكانت وفاتهُ وفاة الابرار بشفاعة سيّدة النجاة التي كان رئيساً على اخويَّتها مدَّة سنين عديدة . وقد راسل جريدة البشير عشرات من السنين ولهُ فيها مقالات مفيدة

﴿ الشيخ حمزه فتح الله ﴾ توفي ضريرًا في السنة ١٩١٧ . وهو احد ادباء القطر المصريّ كانت الحكومة عيَّنتهُ مفتِّشاً على المدارس الوطنيَّة . قد خلَّف عدَّة تآليف نثرًا ونظماً فضلًا عمَّا نشرهُ من المقالات في جرائد الاسكندريَّة

﴿ علي ابو شوشة ﴾ من ادباء تونس انشأ سنة ١٨٨٧ اوّل جريدة هناك بعد الجريدة الرسميّة المعروفة بالرائد التونسي فأقبل عليها الناس بعض الاقبال . توفي سنة ١٩١٧

﴿ فتح الله الجاويش ﴾ نُبغت به الآداب في ٦ تموز ١٩١٨ . فكان لنعاه رنّة أسف في طائفته وبين كلّ معارفه لما اشتهر به من حسن الاخلاق وسعة العلوم والاستمساك بحبل الدين . خدم وطنهُ في عدّة مهمّات باخلاص وعزم اقرّ لهما كلّ رؤسائهِ . وكان كاتباً ضليعاً نشر عدّة مقالات في الجرائد الوطنيّة استحسنها القرّاء . وكان يجاهر بمبادئهِ الدينيّة لا تأخذهُ فيها لومة لائم . ولمّا تطاول على الدين المسيحي الشيخ يوسف النبهاني تصدّى لهُ علانيةً وافحمهُ قدّام كلّ جماعتهِ فألزموهُ السكوت . ولفتح الله مخطوطات مهمّة في التاريخ والآداب أظامنا عليها ونتمنّى ان لا تبقى محجوبة في زوايا النسيان . ولهُ ايضاً قصائد وتواريخ شعريّة

﴿ بشير رمضان ﴾ كان من ادباء المسلمين في بيروت يحرّر في مطبعة الولاية . ولمّا أُعلن الدستور سنة ١٩٠٩ انشأ مجلة الكوثر فأودعها عدّة فصول ومقالات حسنة . ومن آثارهِ منتخبات شعريّة وقصائد من نظمهِ . توفي سنة ١٩١٨

﴿ الشيخ اسكندر العازار ﴾ من ادباء الروم الاورثذكس واحرار الكتبة ولد في بيروت في ١٧ ك ١ سنة ١٨٥٥ وكان ابوهُ متولّياً ادارة مطبعة القديس جاورجوس فنشأ على حبّ الآداب ودرس في عدّة مدارس وانهى دروسهُ في مدرسة الاميركان في عبيه فتشرّب روح معلّميهِ ثم انحاز الى المسونيّة فكان احد اعضائها العاملين الى ان عرف دهاءها فانقلب عليها وصار يجاهر بسبّها وملامتها وعارض جرجي سرسق في تمثيل اليهودي التائه . واشتهر بالكتابة فحرّر المقالات المستملحة في عدّة جرائد وخصوصاً في جريدة التقدّم مع اديب اسحاق فدخل كلاهما في الجدال مع جريدتنا البشير دون الحياد عن آداب البحث لولا انهما دافعا عن مبادئ مخالفة لروح الدين . وقد انتهت تلك المناقشات بتعطيل الحكومة لجريدة التقدّم ثمّ نهضت وكبت مرارًا حتّى توارت من عالم الصحافة . وبقي الشيخ اسكندر مواظباً على تعزيز آرائهِ السياسيّة والاجتماعيّة رغماً عن معاكسة الدولة العثمانيّة التي لم تكن تنظر بعين الرضى الى مبادئهِ الحرّة . وكان فكه الروح في كتاباته متفنّناً في اساليبه يتقرّب

في البعض منها الى اللهجة العامية كخواطره « ترلي ترلي » وفكاهاته المنونة « بجواضر البيت » . ولهُ نظم حسن يسمى بجمعهِ مع خطبهِ الاديب الهمام جرجي افندي نقولا باز . توفي الشيخ اسكندر في ١٤ ك ٢ ١٩١٩

﴿ نجيب البستاني ﴾ هو ابن بطرس الكاتب واللغوي الشهير . كانت وفاتهُ في مصر في ٣٠ نيسان من العام الماضي ١٩١١ وكان مولدهُ في ٧ ك ١ سنة ١٨٦٢ . درس الادب على ابيهِ وعلى اخيهِ سليم وحرَّر عدَّة مقالات في الجنَّة والجنان حتَّى صار اليهِ امتيازهما بعد وفاة اخيهِ سليم سنة ١٨٨٤ . وكان ساعد اباهُ في تأليف دائرة المعارف وخلفهُ في مواصلة نشرها . ثمَّ عكف على القضاء وتولَّى في لبنان رئاسة محكمة المتن في ايَّام نعُوم باشا ثمَّ منصب المدَّعي العمومي الى ان قصد مصر واحترف فيها بمزاولة فنّ المحاماة الى آخر حياتهِ . وقد حاز عدَّة اوسمة من دول شتَّى وخصوصاً وسام القديس غريغوريوس من لاون الثالث عشر بعد ارتداده عن مذهب ذويهِ البروتستاني

﴿ صموئيل يني ﴾ من ادباء الروم في طرابلس الشام جارى اخاهُ جرجي افندي وشاركهُ في انشاء مجلَّتهِ المباحث . ولهُ ما عدا ذلك جملة آثار كتابيَّة . توفيَّ في العام المنصرم في طرابلس . وفيها توفي في ٢٥ ك ٢ من هذا العام صحافيّ آخر محمَّد كامل البحري صاحب جريدة طرابلس . ومؤلف اخبار سياحة بأسرها الى بعلبك وجهات الشام

﴿ يوسف خطَّار غانم ﴾ كانت وفاتهُ في ٢٠ آب ١٩١٩ . كان من اسرة قديمة ووُلد هو في شيخوخة والديهِ سنة ١٨٥٧ ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين القديمة في بيروت ثمَّ ثبت على ملازمة الدرس والقراءة حتَّى اصبح كاتباً ضليعاً وشاعرًا محسناً فحرَّر عدَّة فصول في كثير من صحف الشام ومصر ونظم قصائد عديدة كان يتفنَّن في وضعها . وكلّ يعرف برنامجهُ باسم اخويَّة القديس مارون طبع جزءًا منهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة اودعهُ شيئاً كثيرًا من اخبار طائفتهِ الجليلة ورؤسائها ومشاهيرها . ثمَّ توقَّف عن نشره لضيق ذات يدهِ . وانَّما نال من فضل الكرسي الرسولي عدَّة اوسمة وامتيازات ورتبة كاقليرجزاء لخدماتهِ . ولولا بعض التطرُّف في احكامهِ وبعض الهوَس في عقلهِ لعُدَّ من افاضل كتبة عصرنا

﴿ قيس لبكي ﴾ كان مهاجرًا الى اميركا محرّرًا في جرائد البرازيل في سان

باولو وغيرها . وقد عُرف هناك بتطرّفه وتحامله على الدين ففندنا في الشرق غير مرّة مزاعمهُ . وكذلك لصديقنا الاديب شكري الخوري منشئ ابي الهول ردود عليهِ في كتابهِ القنبلة الصغيرة . توفيَ بداء القلب في ٢٩ ت ٢ ١٩١٩

﴿ رشيد بك الرامي ﴾ توفيَ في ١٦ ك ٢ ١٩٢٠ عن ٤٨ سنة كان متضلّعاً من العلوم القانونيّة عُهدت اليهِ عدّة مراكز في سلك العدليّة في لبنان وفي الولايات . وبعد الحرب تعيَّن كمبعوث لبنان . وكان رشيد بك متديّناً تقيّاً دمث الاخلاق

﴿ نعمان قساطلي ﴾ كانت وفاته في شباط الاخير ١٩٢٠ . وهو من أدباء الشام ألّف كتاب الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء

ومات غير هؤلاء الادباء ممّن لم نقف لهم على تاريخ كتامر افندي ملّاط رئيس محكمة كسروان البدائيّة والشاعر المُجيد . وكريانا مرّاش في حلب . وعقل مشعلاني في مكسيكو

هذا وكم فُقد في اوربّا من العلماء في اوان هذه الحرب المشئومة . نكتفي بان نورد هنا اسماء بعض المستشرقين الذين خدموا بلادنا بتآليفهم النفيسة . ففي السنة ١٩١٥ في ١٨ شباط مات في ساحة الشرف جان مسپرو الذي جرى على آثار أبيهِ في العلوم المصريّة القديمة والبوزنطيّة . وتوفيَ ابوهُ غستون بعدهُ في ٣٠ حزيران ١٩١٦ ولهُ من الشهرة في التآليف الهيروغليفيّة والاكتشافات الاثريّة ما لم يَنلهُ غيرهُ — وفي ٢١ شباط ١٩١٥ خسرت الآداب الكتابيّة احد اساطينها الاب ڤيكورو صاحب معجم الكتاب المقدّس ومؤلف كتب عديدة في الاسفار المقدسة وكان عالماً باللغات الشرقيّة وتشرّفت بلادنا بزيارتهِ — وفي ٢ تموز من السنة مات في الحرب الكومندان كروس الذي تولّى حفريّات تلّو في العراق = وممن توفي في ١٩١٦ غدفريد كورث احد كبار المؤرخين البلجكيين والكاثوليكيين الصادقين مات في ٤ ك ٢ — وتوفي في ١٧ نيسان منها اوغست بَرث الشهير بالعلوم الهنديّة . ثم ايڤان تولستوي احد المستشرقين الروسيين (٤ حزيران) . ثمّ مادام جان ديولافوا السائحة الشهيرة الى انحاء الشرق والكاتبة الممتازة في آثار العجم وتواريخها والمرافقة لزوجها في كلّ اعمالهِ الادبيّة (ايلول) . ثمّ المستشرق الطائر السمة ملكيور دي ڤوكويه ذو المآثر المتعدّدة (١٩ ت ٢) . ثمّ الكاتب البليغ پول ألّار مؤلف تواريخ الاضطهادات النصرانيّة (ك ٢)

= وفي السنة ١٩١٧ رُزيت الآداب الشرقيّة بوفاة منشئ المجلّة السامية يوسف هالوي (٢١ ك ٢) . ووفاة المستشرق الطبّاع ارنست لدرو (Ern. Leroux) (٢٠ ايار) . ووفاة الاثريّ المصريّ جورج لوغرين (G. Legrain) (آب ١٩١٧) . ومات سنة ١٩١٨ في ١٤ منها الاثري اميل غيمه (Em. Guimet) . ومات في المانية المستشرقون مرتين هرتّان كنشلبار قنصليّة بيروت سابقاً وج . برث ناشر ديوان القطاميّ . وفلهوزن صاحب التآليف الشرقيّة المعتبرة وغيرهم ايضاً

٤ الاطباء والصيادلة

﴿ الدكتور جوزفسكي ﴾ فقد الحلبيّون هذا الطبيب النطاسي في ٤ شباط سنة ١٩١٦ وكلّهم يذكرونهُ بالخير . كان نمساويًا وتوطّن حلب زمناً طويلاً فربح شكر اهاليها عموماً بخدمهِ الصادقة التي ادّاها الى الجميع على اختلاف مللهم واديانهم وبالخصوص الى الفقراء الذين كانوا يلتجئون اليهِ ويعرفون نزاهتهُ ورقّة قلبهِ يعالجهم مجّاناً ويصرف من مالهِ عليهم . وكان للمرحوم مركز ادبيّ ممتاز في الشهباء ومنزلة عليا بين الخاصّة والعامّة يتناصرون في اطراء مناقبهِ وحسن صفاتهِ . هذا فضلاً عن مجاهرتهِ بعبادتهِ الدينيّة وحفظهِ لوصايا الكنيسة الكاثوليكية بكل تدقيق

﴿ الدكتور يوسف بك الرامي ﴾ ولد في فالوغا سنة ١٨٥٦ وتعلم في مدرستي غزير والمتين وذهب الى الاستانة فدرس في المكتب الاعدادي استعداداً للطب ودخل المكتب الطبي العسكري وقبل نيله شهادتهُ تعيّن معاوناً لمعلّم التشريح وبعد الشهادة علّم ٣٤ سنة في مكاتب الطب العسكري والملكي والصنائع النفيسة . وجاء الى بيروت عشر مرات مع اللجن العثمانية انحص تلاميذ مدرستي الفرنسية والاميركية الطبيّتين مرةً منها فقط غير رئيس . وكان عضواً في مجلسي الصحة العمومي والمعارف الطبية ومن اركان مؤلّفي دائرة المعارف التركية . والف عدة كتب وطبع بعضها بلغة الترك ونال ستة اوسمة وثلثة انواط وبلغ رتبة اميرالاي واحيل على التقاعد فاستمرّ في لبنان وتوفي في بيروت في ٢٦ ك ١ سنة ١٩١٦

﴿ الدكتور شبلي شميّل ﴾ كان بودّنا ان لا نذكر هذا الرجل الّا بالخير وفيهِ ما فيهِ من الالمعيّة والذكاء والعلم باصول الطبّ والمعارف الاصليّة الّا انهُ شوّه ذكرهُ

بانحيازهِ الى المذهب الداروني والى اقوال الماديين والملحدين وكان يجاهر بذلك وكتب عدّة تآليف لتأييد تلك المبادئ الوخيمة فجعلها عثرةً في سبيل الشبيبة حتّى انّ اصحاب المقتطف مع جنوحهم الى آرائهِ ردُّوا عليهِ في بعض اعداد مجلّتهم كما اشرنا الى ذلك في المشرق سابقاً . وقد تعجّب صاحب المنار الاسلاميّ (١٩ : ٦٢٥) من سكوتنا عن الدكتور . لكنَّ جريدتنا البشير كانت فنّدت آراءه . وكذلك ردّ حضرة الخوري جرجس فرج صفير في كتاب اصل الانسان والكائنات سنة ١٨٩٠ على ما نشرهُ من تعاليم بخنر في مذهب النشوء والتحوُّل . ومثلهُ فقيد الادب ابراهيم الحورانيّ . ويا ليت الدكتور شبلي سار على آثار اخيهِ المرحوم امين . كانت وفاتهُ في غزّة السنة ١٩١٧

﴿ مراد بك البارودي ﴾ اخترمتهُ المنيَّة في ١٥ شباط سنة ١٩١٨ . فعمَّ الاسف جميع معارفهِ لما ازدان بهِ شخصهُ من الخلال الطيّبة فكان رَيِّض الاخلاق رَحب الجنان متحنّناً على الفقراء كثير الادب ذا معرفة واسعة بامور الصيدلة وكان محبّاً للآثار القديمة يبذل في جمعها مالاً جزيلاً ومثلها المخطوطات الشرقيَّة القديمة . كان الفقيد تخرَّج في الكليَّة الاميركانيَّة فعدل عن طائفتهِ الاورثدكسيَّة ودان بالبروتستانيَّة . ومات بعدهُ باسبوع عديلهُ الهمام امين عبد النور افندي بسقوطهِ في بئر كانوا يخرجون منها الفحم رحمهما الله

﴿ الدكتور سليم جلخ ﴾ ولد في قصبة بعبدا في ١٠ ك ١ سنة ١٨٥١ ثمَّ توطّن بيروت مع اهلهِ سنة ١٨٦٠ ودرس في مدرسة عينطوره (١٨٦٤) ثمَّ في المدرسة البطريركيَّة (١٨٦٩) وبعد ان تعاطى مدَّةً اشغال والده الدكتور يوسف بشاره الجلخ دخل الكليَّة الاميركانيَّة سنة ١٨٦٨ ونال شهادتها سنة ١٨٧٣ واضاف اليها في الاستانة اجازة المكتب الطبيّ السلطاني وكان تعيَّن قبلها طبيباً لبلديَّة صور وفي عجلتون ثمَّ في بيروت . وقد خدم حيثما حلَّ مواطنيه بنشاط ونزاهة وقد اشتهر بحنانهِ على مرضى الفقراء . وكان في اوَّل امرهِ يميل نوعاً الى افكار اساتذتهِ الحرَّة ثمَّ لم يلبث أن تأصَّل بدينهِ . ففي سنة ١٨٨٥ سعى مع بعض اصحابهِ بإنشاء اخويَّة القديس مارون وترأَّسها مراراً وأسس سنة ١٨٩٦ مع المرحوم نجيب حبيقة وجناب المحامي انطون بك شحيبر جمعيَّة اخوة الفقراء المارونيَّة . وكان عضواً من

اخوية الجبل بلا دنس ومشتركاً بجمعية مسار معجور دي پول. ولهُ عدّة آثار ادبيّة وطبيّة منها كتابهُ صحة الاطفال وخطب ومقالات مختلفة في المجلات والجرائد توفي في ١٣ ايّار ١٩١٩

﴿ الدكتور رشيد شكرالله الحاو ﴾ هو ابن المرحوم الطبيب اسعد بطرس شكرالله الذي خدم ابناء وطنه بعبدا احسن خدمة وكان درس الطبّ على نفسه وحذقهُ بالعمل ومثلهُ اخوهُ المرحوم الصيدلي انطون الذي اسس سنة ١٨٥٩ الصيدليّة الشرقيّة في بيروت فخلفهُ في اشغاله انجالهُ الدكتوران الياس وجورج والصيدليّ بطرس الذين يعرف الجميع فضلهم . وقد امتاز المرحوم رشيد مثلهم بحذقهِ في مهنتهِ وبتديّنهِ . ومن آثاره اعتناؤهُ مع مواطنيهِ بترميم كنيسة بعبدا القديمة وتشييد كنيستها الجديدة سنة ١٩٠٩ . . وكان شديد التقى يحضر كلّ يوم الذبيحة الالهيّة . وقد ذكرنا في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٥٢٦) تاريخهُ لمآثاته . توفي في كانون الاول ١٩١٩ عن ٦٩ سنة بعد صبرهِ عدّة سنين على مرضٍ مزمن

﴿ الدكتور حسين بك حيدر ﴾ من اسرة آل حيدر الشريفة في بعلبك المعروفة بمروّتها وكرمها . درس في مكتبنا الطبيّ الفرنسويّ ونال شهادتهُ . ولمّا اعلنت الدولة العثمانيّة بالحرب وجّهت نيّتها الى التنكيل بآل حيدر لميلهم الى الدولة العربيّة وفتكت بالبعض منهم ونفت البعض لكن القسم الكبير منهم تصدّوا للظالمين واذاقوهم وجنودهم الامرّين فخرجوا من قتالهم فائزين بعد ان وقع بعض ابطالهم في ساحة الوغى ومن جملتهم الدكتور حسين بك حيدر وذلك في اواخر الحرب العموميّة (راجع تاريخ العصر الدموي لناصيف بك ابي زيد ص ٢٠٢)

وقد ذهب في هذه الحرب الاخيرة عدد وافر من الدكاترة المتخرجين في مكتبنا الطبيّ شهود محبّتهم لوطنهم في خدمة العسكر العثماني في ساحة الحرب او في المستشفيات نخصّ منهم بالذكر ابرهيم معربس في حملة السويس (١٩١٥) والياس عرمان في فلسطين (١٩١٦) وناوفيل ذبّانة في الشام (١٩١٦) ومنصور الخازن في بعلبك (١٩١٦) ومسعد كرم في برابك (١٩١٦) وفريد حرفوش في الحجاز (١٩١٧) واسكندر مرقّده في عقفوله (١٩١٧) وعبد المجيد حماده في بيروت (١٩١٧) والامير شامل شهاب وجورج سمعان وانطون ذبّانه ولا نعلم في اي تاريخ

امّا تلامذة المكتب الطبيّ الارمن فآثر الاتراك التمثيلَ بهم ظلماً بدلاً من الانتفاع من خدمتهم فقتلوا الدكاترة ڤاهان برونفرتيان في ديار بكر (١٩١٥) واخاه الياس في قراسند (١٩١٥) وسورين نشانيان في قيصريّة (١٩١٥) ومهران كتشيان واخاه جورج في آطنة (١٩١٦) وطوروس بابغيان في طرابزون (١٩١٧) وميساك پانوسيان في طوقات (١٩١٧) ودغران برتوكيان في سيواس (١٩١٧) وڤاهان ڤرتنيان في سيواس ايضاً (١٩١٨) ودغران سرايدريان (١٩١٨) ونشان دير ڤهران ناهنيان في خربوط وبلتزار ڤرتنيان في سيواس وكتشادور بسطرجيان في ملاطية. فدماء هؤلاء الابرار قد جرت هدراً ويا ليتها سُفكت في خدمة الوطن. ولعلّها سُفكت بغضاً بالدين فكانوا شهداء ايمانهم

ونضيف الى هؤلاء المذكورين الدكاترة المرحومين رشيد بريدي (١٩١٥) وحبشي (آذار ١٩١٧) ومنصور سوداء (١٩١٨) وصعب ملّاط (١٩١٨) ونخله مدوّر (١٩١٨) واسعد شيبان (١٩١٨) وعبد الرحمان الانسي (١٩١٩) والياس الحاج (١١ آذار ١٩٢٠) . والصيدلي اسكندر الحلو (٢٧ ك٢ ١٩١٩) . رحمهم الله جميعاً

٥ الاتقياء وارباب البر

هذا الباب واسع فان كثيرين من ذوي البرّ والتقى انتقلوا الى جوار ربّهم في هذه السنين الاخيرة لا يسعنا ذكرهم بل احصاؤهم فنكتفي بالنزر القليل

﴿ ناصيف عكرة ﴾ توفي يوم سبت الآلام سنة ١٩١٥ ودُفن مساء عيد الفصح كأن الربّ اراد ان يشركه بموته وقيامته بعد عيشته الصالحة التي قضاها في كلّ اعمال البرّ حتى انّ مرشد ضميره اكّد انه لم يفقد طول حياته براءة معموديّته. ولد ناصيف في اواخر سنة ١٨٥٨ ورضع التقوى مع حليب والدته القديسة ثمّ دخل اخويّة الامّ الحزينة في زمن المرحوم الاب حنّا فيوروثيش فصار عميدها الاشدّ وسندها الاكبر مدّة نحو اربعين سنة مضحّياً نفسهُ في خدمة ابنائها الروحيّة والماديّة. وهو في الوقت عينه مثال حيّ في ممارسة كلّ الفضائل المسيحيّة عائشاً في العالم عيشة اتقى الرهبان في اديرتهم لا يفوتهُ شيء من كلّ الاعمال المبرورة النافلة من صوم

وصلاة واعمال تقوية فضلاً عن الواجبات الدينية اللازبة . ولعلنا نعود الى ذكره ونفرد له ترجمة خاصة ان شاء الله

* جرجي يوسف اجيا * كان في حلب عمدة كل الاعمال الخيرية والتقوية كناصيف عكرة في بيروت . ولد في ٦ ك ٢ سنة ١٨٤٩ وتوفي في ٧ آذار ١٩١٩ . سبعون سنة لم يخلُ فيها يوماً عن بعض المبرات . تعشق الشغل منذ حداثة سنه لكنهُ مارسهُ بروح التقوى والاستقامة التامة . ولم يجتزئ بترتيب امور بيته وتربيته بنيه الصالحة بل قدَّم نفسهُ طوعاً لمؤازرة اكليروس طائفته السريانية وخدمة الآباء الرسلين في كل مشروعاتهم الدينية كالاخويات والجمعيات الخيرية والسجود الليلي للقربان الاقدس وتلقين الاحداث مبادئ الدين واجتذاب العملة الى العيشة الفضلى التي كان هو مثالها الحي الى آخر نسمة من حياته

* نخله شكري * هو نخله بن بطرس شكري كان رئيساً لاخوية القديس يوسف واخوية الجبل بلا دنس المارونيتين وقد وضع لذلك كتاباً دعاهُ الايضاحات الوفية في واجبات الاخوية . وكان عريقاً في الدين كثير التقوى والصلاح ذا غيرة مشكورة في خدمة الجمعيات الخيرية . وقد احسن ادارة الاوقاف في كنيسة مار مارون . توفي في ايار ١٩١٩

وكان بودنا ان نذكر كثيرين ممن عرفناهم وكانوا بصلاحهم وتقاهم ومبرَّاتهم قدوة لمواطنيهم لولا صعوبة الحصول على آثارهم كبشاره جاهل وابرهيم عورا ونقولا نحاس من الروم الكاثوليك وعبدالله غانم وطنوس الحلو (٢٠ ت ١ ١٩١٥) والياس برتي من جزين (٢ شباط ١٩١٨) . وجان ابيلا (ت ١ ١٩١٦) وجرجي شيحا (٢٥ ك ١ ١٩١٧) واسكندر شيحا (١٩١٩) من اللاتين . وابرهيم حداد الارمني (١٢ آذار ١٩١٨) وانطون مسابكي (٢٣ آذار ١٩٢٠) ومثلهم بعض عملة مطبعتنا كنعوم عقل (١٩١٨) وجبران دكاش (٣ ك ٢ ١٩٢٠) . رحمهم الرب واثابهم ثواباً جزيلاً

* اصلاح غلط * وقع في هذه المقالة بعض اغلاط نورد إصلاحها هنا :
ص ٨٤ س ١٩ مولد المطران بولس مسعد في ٦ ك ١ لا ك ٣ – ص ٢١ سامتهُ في ١٨٨٩ لا ١٨٧٩ – س ٢٥ كتاب التحفة الغراء ليس لهُ بل للبطريرك بولس مسعد = ص ٨٧ س ١٥

المسيو يوسف العلم تلميذ مار عبدا ليس عين ورقة = ص ٣٨٦ س ٢٠ كانت وفاة الشيخ عبد الرحمان الحوت في ٨ آذار ١٩١٨ ليس ١٩١٧ = ص ٣٨٧ س ٩ اصل جرجس سؤول من بيروت لا من حاصبيا ولم يدخل في خدمة الامير بشير وانما كان من افاضل الوطن = ص ٣٨٨ س ١٢ وفاة جبران فرح في ٢٣ ايار لا نيسان = ص ٣٨٩ س ١٧ وفاة اسكندر مسك سنة ١٩١٩ لا ١٩١٨ = ص٣٩٠ س٥ قتل المرحوم يوسف العاني في ١٩١٦ لا ١٩١٥ — س٢٢ كان مؤتمر باريس العربي سنة ١٩١٣ لا ١٩١١ = ص ٣٩١ س٢ الامير عمر هو ابن الامير عبد القادر لا حفيده — س ١١ قتل محمد الحمصاني سنة ١٩١٥ = ص ٣٩٢ س ٢٢ حبيب دوناتو كان مارونياً وتوفي في قلعة حلب . والمقتول في نفق السكة الحديدية هو توفيق عبدالله بدوي

العقوبة عند البدو في سوريا

بقلم الاديب ميشال شبلي احد طلبة الحقوق

ما من شيء ينمُّ عن عوائد الاقوام ويدلّ على اخلاقهم وطباعهم ونوع معيشتهم وبالجملة على حياتهم الاجتماعية مثل الحقوق المتبعة والقوانين المرعيّة عندهم . ولذا كان من اهمّ ما يعتمد عليه المؤرخون ويدرسهُ علماء الاخلاق والاجتماعيات في كتاباتهم عن احوال شعبٍ ما الحقوق التي يستنير بها ذلك الشعب والقوانين التي أجمع افرادهُ على الخضوع لها

ذلك لأنَّ القانون هو ثمرة التقاليد التي كوّنتها الاجيال في العقول وهو زبدة الاعتقادات التي انتمَّ بها الشعب في اثناء اجتيازه القرون . فاذا رأينا بين رجال التاريخ مَن أطلق عليهم لقب المُشترِع فلا يجب ان نفهم بذلك انهم هم الذين وضعوا الشريعة بل ان ما عملوه ليس هو الّا جمع العادات وضبطها لان القوانين والشرائع كانت منذ كان الانسان أُلوفاً يعيش العيش الاجتماعي مع بني جنسه

وقد بلغ اليوم الانسان في الامم الحديثة مبلغاً من الرقي وما جمعه القوانين وتسطيرُها وتحويرها الدائم بنوع يلائم الحالة الاجتماعية التي بلغ اليها الّا شاهدٌ من الشواهد على فطرته الاجتماعية

فلا عجب اذاً اذا رأينا كلَّ شعب خطا في سبيل حياته الى الأمام حريصاً على ضبط نظاماته حسب روح التمدُّن الاجتماعي الحديث . وبما ان الانسان اين كان على سطح الغبراء هو أهلٌ إن قُيضت له سلطةٌ شرعية منظمة وقُدّر له حال الأمن

والرغد أن يسير في طريق الرقي الى آخر أشواطه وجب علينا ان نقول اذاً ان الشعوب والاقوام التي لم تزل نراها في عصرنا هذا في طور الحداثة نظراً لقوانينها واعتقاداتها وعاداتها بالنسبة الى الامم الحديثة الراقية ان ليس هناك عجزٌ وخمولُ طبيعة بل ان هناك اسباباً أثرت على العقول فأوقفت تلك الاقوام عن السير الى الامام خلال الاجيال

اجل اننا لا نتمالك نحن ابناء هذه البلاد السورية من النظر بمرارة واسف الى اطراف البلاد فنرى فيها اقواماً من البدو بل ومن الحضر ايضاً لم يزالوا في حالة الانسان الفطرية وفي الحالة التي كان عليها اجداد الامم الحديثة منذ عشرات الاجيال . وقد كان الأولى بنا نحن في هذه البلاد ان يكون لنا ما نُباهي به ونُفاخر من قوانين تكون مثالاً للأمم وبلادنا كانت مهبط الشرائع والقوانين الالهية ومَنبت اعظم علماء الشريعة في التاريخ وحسبي ان اذكر بابينيانوس وقد قالوا عنه انه اعظم علماء الرومان في الشريعة على الاطلاق . وهو سوريّ الاصل ومثلهُ مُواطنهُ اولبيانوس وهو يضارعه علماً وشهرةً تاريخية

وبعد وقوع الفتح الاسلامي لم تكن سورياً عقيمة في انتاج العقول الكبيرة لدرس الشريعة والفقه كفى دليلاً عليه الإمام الشافعي احد ائمة الاسلام الاربعة الكبار هو سوريّ والامام محمد الشيباني من اعظم اصحاب ابي حنيفة هو سوريّ وأجتزئ بهذا كيلا يطول بي المجال

ولكن ان توقفت سوريا عن الرقي ويشهد بتوقفها ما بقي بين سكان اطرافها من الرِّق والعادات التي تشين الحقوق الحديثة فما كان ذلك الّا لأسباب اراني في غنى عن ايرادها . وقد نسي الماضي بما لنا من الأمل في المستقبل

اما الآن فما كنت لأتعمد سوى لمحة مجملة عمّا عند اولئك الاقوام من بدو وحضر في اطراف سوريا من عوائد لم تزل منذ اجيال الانسان الأولى وخصوصاً عمّا يتعلق منها بالعقوبة محاولاً على قدر استطاعتي بعض المقابلة مع ما كانت عليه تلك العوائد ذاتها عند الشعوب القديمة . ولست اتطرق الى ما عندهم من عوائد اجتماعية وشرائع مدنية قد يكونون متبعين فيها شريعةً مسطورة أخذ معظمها ولا ريب عن الشرائع القديمة واخصها الرومانية

ناهيك مثلاً عما عند اهل البادية بشأن الزواج وهو عقد مدني : فليس عندهم شيء معيّن يؤهل لعقد الزواج (١

وقد كانت هذه حالة الشريعة الرومانية في طورها الاول حيث كان رئيس العشيرة هو الذي يتحقق فعلاً بلوغ طالب الزواج

(قطعة مشطوبة في المراقبة عن الطلاق في البادية ومعارضتها على الشريعة الرومانيّة)

***

اما العقوبة وهي الهدف الذي توخيته في كلامي فقد كان للاب الفاضل الخوري بولس سلمان فضل كبير بوصفه مسهماً في اعداد المشرق الاخيرة عوائد البدو في تلك الاطراف . فانه يسدّ فراغاً كبيراً في دروسه احوال سكان تلك البلاد . لانه قبل ذلك كان على السوري مثلاً ان يعمد في درس اخلاق وعادات اهل بلاده الى ما كتبه ويكتبه الرحّالة والجوّابون من الاجانب . . . . . .

وجلّ ما تعمدته الآن ان اذكر ان كل ما هنالك من عوائد وشرائع منقولة

١) ذكر ذلك الاب حوسين في مجلة الشرق المسيحي (L'Orient Chrétien, 1910, P. 593)

انما هي في الحالة الفطرية لم تزل في عصرنا هذا عند الاقوام التي لم تشعر بتيّار التمدن الحديث بل ضربت الاجيال حولها سوراً لا يزول الّا مع الاجيال

ان قلت مثلاً ان هناك اصطلاحات حسنة فما هي كذلك بالنسبة لغيرها بل بالنسبة لما هو عليه مجموع تلك العوائد . فان قلنا مثلاً ان القاضي لا يسوّف ولا يماطل في اصدار احكامه فذلك حسن بل واجب في مجتمع كذلك المجتمع اذ ليس عندهم الجيوش يبلّدون الوقائع والمحاكمات فيُخشى اذ ذاك من نسيان القضية او ضياع الشهادات ولكن ذلك ليس بأفضل من التأني قبل اصدار الاحكام لتتضح الحقيقة بأبهى مجاليها سيما اذ لا يُخشى من نسيان القضية وموت الشهود وقد أودعت شهاداتهم السجلات

ومثل ذلك قولنا ان الرواة لهم فضل في حفظ تاريخ شعب ما . ولكن لو كان ثمّت تاريخ مسطور لكان افضل واثبت . فبعدم كتابة التاريخ صار للرواة فضل

ولا يخفى ان الشريعة عند الاقوام المتأخرة انما تكون مقتضبة مجتزئة بمبادئ اوّلية . ذلك لانه لا حاجة ماسّة فيها التوسع لضيق معارف تلك الاقوام ولعدم حاجتهم لشريعة ضافية البنود والموادّ اذ قد يكون عادة بين الافراد عندهم عقود والتزامات وأخذ وعطاء كما في المدنيات الحديثة

ولهذا فاننا نرى ان ما يحتاج اليه الانسان في الحالة الفطرية يكون : اولاً الانتقام الشخصي . وثانياً الدفاع عن مقتناه ضد السارق . وفي خلال كلامنا عن ذلك سنقول كلمة عن القاضي والشهود عند البدو وكل ذلك بالايجاز حسب الامكان ومقتضى الحال

اولاً : (الانتقام الشخصي) ان سنة القوة هي اول ما بدت في المجتمع الانساني حتى خالها البعض من النواميس الطبيعية فقالوا لا بدّ من سيادة القوي على الضعيف . ولكن اذا قبلنا بهذا فمن يكفل للضعيف كيانه ؟ ومن يضع الحد لتغطرُس القوي الّا تلك السلطة العمومية وهي شرعية كانت منذ كان الانسان عائشاً بين امثاله

فمن المحال اذاً ان تسود سلطة القوي وهي تبدو خلال الانتقام الشخصي مع وحدة السلطة العمومية التي لا بدّ لها من ان تكون قوية معزّزة . فاذا تطاول القوي

وتمادى في غيّه على سيادة السلطة العمومية افضى الامر الى الفوضى والفوضى من امراض الاقوام القتّالة

ان البلاد المتمدّنة في عصرنا هذا تأبى سوى سيادة السلطة العمومية مع تساوي الافراد امام قوانينها . ولكن الامم الحديثة لم تتوصل الى هذا الا بعد ان اجتازت الاطوار المختلفة . وفي درسها يمكننا ان نرى في اي طور فطري لم يزل الاقوام في اطراف سوريا عائشين

ان الانسان كان هدفاً دائماً لمطامع غيره من بني جنسه فان لم يكن ذا قوة تؤتي ذوي الحقوق حقوقهم استسلم المرء للانتقام لذاته حسب ما تمكنه قوّته وحالته

ففي الطور الاول من تاريخ الانتقام كان لمن أُصيب بالضرر الحقّ بان يفوّق سهام انتقامه على مَن اصابه بذلك الضرر او على ذوي رحمه وقرباه ان اراد . وكان يوسع كل فريق ان يستعين بذويه فتنشب الحروب وتسيل الدماء الى ان يكون صلح بين الفريقين يُعقد بالمال والفدية . وهل اصل الحروب غير ذلك ؟ ولا يخفى ما في هذا الانتقام الشخصي من الاضرار وقد لا تحصى :

(فاولاً) قد يكون الانتقام هائلاً لا يقف عند حدّ . وقد يكون احياناً اخرى اخفّ من الجريمة لعجز المنتقم

(وثانياً) عدم تمكن كل انسان من الاثار لذاته فيضيع حقّه احياناً اذ لا سلطة تذود عنه

(ثالثاً) قد يصيب الانتقام شخصاً بريئاً من ذوي قربى المجرم وهذا يأباه العدل والضمير

وفي الطور الثاني لمّا رأى المتحاربون ان الامر ينتهي بهم الى دفع الغرامة اتفقوا على ادائها دون خوض الحرب . فكانت الجريمة يعادلها مبلغ من المال

وفي الطور الثالث ظهرت السلطة ببعض القوة فعيّنت مقدار الغرامة تعريفاً لكل جريمة وجناية واوجبت على المجرم دفعها وظلّت تكتسب توسيعاً في صلاحيتها حتى كان لها في الطور الرابع الحق العمومي في كل حادث يخل براحة الهيئة الاجتماعية

اما عند سكان اطراف سوريا من بدو ورحّل فقد شاع الانتقام الشخصي

ويخال انه لم يزل في اطواره الاولى بل اشدّ ضررًا فقد جاء (١ ان اهل المقتول لهم الحق بقتل القاتل او احد اقاربه وإلحاق الضرر به بذبح مواشيه واتلاف حاصلاته ولكن دون الحق باستحلالها . فيبدو لنا ان هذا التحفظ الاخير هو اشدّ ضررًا بالمجتمع من اباحة سلبها واستحلالها . لان باتلاف مال المجرم ضررًا لاحقًا به وخسارة على المجتمع لم تسلّم بها شريعة

نعم انه يجوز لا بل يجب طلب الدية وثمن الدم وهذا بالحقيقة تعويض عادل عن الخسارة التي تنجم عن الجرم . ولكن ما يعمله اولئك الاقوام من اتلاف مال المجرم هو مناف للمنفعة العمومية وللصواب وللعدل وللضمير

والعرب يعدّون الانتقام ليس فقط جائزًا تدفع اليه الحاجة بل يحسبونه « من النواميس الشريفة ويقرّبونه من الفرائض الضرورية المقدسة » (٢ فهم لم يزالوا اذًا في حالة العشائر القديمة قبل ان بلغت في الغرب بفضل الكنيسة والتعاليم الدينية . الى حالة تطمئن لها القلوب والعواطف الانسانية من تخصيص العقاب مثلًا بالمجرم وتهذيبه في زمن انزال العقاب به . وعدم الحكم عليه الا بما ينصّ عليه القانون استدراكًا الخ . الخ .

وعند قبائل البدو ربّما هُدر دم الاجنبي . ولا عجب فذلك طبيعي في مجتمع لا سلطة عمومية فيه بل يسود فيه الانتقام الشخصي . والغريب الاجنبي ليس لهُ من احدٍ يطالب بدمه

(ثانيًا القاضي) ان القاضي عندهم يتوصل الى منصّة الحكم والقضاء بذات الطريقة التي كان يتوصّل بها القضاة عند القبائل القديمة . فالحقوق عندهم محتكرة في قوم يتوارثونها . وقد جاء في المشرق في تعريف قاضي العرب « انهُ امير من امرائهم يُعرف بتوقد ذهنه وسرعة خاطره والقاضي يرث الحكم بعد ابيه »

وهذه كانت الحال عند الاقوام الاقدمين فقد كان القاضي عند الرومان كبير عشيرته وقائدها يوم الوغى ورئيسها الديني . ومثلهم قضاة بني اسرائيل . وانهُ لكذلك عند العرب فهو الامير السائر في طليعة الخيل يوم تدقّ طبول النزو . وهو الرئيس

١) الشرق المسيحي سنة ١٩٠١ ص ٥٨٧

٢) راجع المشرق ج ٢ ص ١٠٠

الديني ولا غرو فان الاعراب يعدُّونه كذلك وهم « يعتبرون بيته مقدساً ». (المشرق ١٧ : ٥٨٤)

ولربما انهم يعتقدون ان علمه بالغ الكمال لكونه الرئيس الديني ولانه حسب اعتقادهم متَّصف بقدرة عجيبة يستدلّ على ذلك من قولهم عند طلب الحكم : « ما قول القاضي في شي مبين عليه وعلي غبي » ولهذا فانهم لا يرافعون في المحاكمة بل هي طريقة التحكيم بنوع ما . تلك الطريقة التي كانت شائعة عند الاقدمين وخصوصاً الرومان وانما يجب عليهم ان يخضعوا لها لانهم كما اشرنا قد يعتبرون قول القاضي كفصل الخطاب

ويسود في طلب الحكم عندهم التقيّد بعبارات مخصوصة والسير في طرق كرّستها الايام وهذا ما يدعونه : le formalisme . وذلك شأن كل الاقوام الذين لم يدركوا من الحقوق معناها الواسع

وللقاضي كما جاء في المشرق راتب محدود لكل دعوى يحكم بها . وهذا الراتب هو ما يتقاضاه ظاهرا على ما اظنّ . وهذه العادة بتقاضي مبلغ عن كل دعوى قد كانت عند القبائل القديمة واستمرّت حتى الاجيال الوسطى فكان الملك يتقاضى بصفته القاضي الاكبر مبلغاً عن كل دعوى هو ما يدعونه : le fredum

(ثالثاً الشهود) . اما الشهود فجدير بنا ان نقول دون ادنى تردّد ان الشهادة وتأديتها هي عند تلك الاقوام في الحالة الفطرية حقّ . والشهادة عندهم ولا ريب هي لإثبات كل دعوى مدنية او جزائية مهما بلغت . ولا عجب فلا يمكن في مثل مجتمعهم الّا الاعتماد عليها

ولكن لمّا كانت تلك الطريقة في الاثبات مفعمة بالخلل من ايجاد شهود كذبة عمدوا الى تحليف الشهود . ولكن قد يكون في الحلف ايضاً اخفاء للحقيقة فلم يروا افضل من استعمال الامتحانات(١ كبلع الحديد المحمي وغيرها وهي ما يقال له : ordalies

فلا اخال اذاً كما جاء في المشرق ان شهادة الزور داخلة على العرب من عهد قريب اذ لو كان ذلك حقاً لمّا عمدوا الى استعمال الامتحانات . ولا اخال كذلك ان

١) المشرق ١٧ : ٥٨٧

القسم والحلف هو عندهم « من ارهب الامور واقدسها » بل اني لأحسب الواحد من اولئك البدو يحلف بالله مرارًا كل يوم ولأسباب قد لا تكون داعية . وعليه قد اضحت الامتحانات كبلع النار وشرب السم « في نظر البدوي اكبر شهادة حتى المتبعة بالقسم »

فنرى اذًا ان استعمال الشهود وما ينجم عنه من شهادة الزور افضى الى استعمال بلع النار وامتحانات أخرى . فعلّق عليه البدو الاهمية وخالوه اكبر مظهر للحقيقة

اما استعمال هذه الامتحانات فقد شاع عند الشعوب البربرية خصوصاً عند قبائل الجرمان وظلّوا بعد اكتساحهم الامبراطورية الرومانية يعمدون اليها غالباً وقد تسرّب بعضها الى الاجيال الوسطى فقامت الكنيسة الكاثوليكية بتعاليمها المهذّبة الآئلة للتمدن تعمل لاستئصالها والتاريخ شاهد على انها تمكنت من ذلك . والنور لا غرو يبدّد الظلام

١ رابعاً السرقة) ان اول ما يستلفت النظر في امر السرقة عند البدو هو الايجاب على السارق بدفع المسروق مربعاً (١ . ومن الغريب ان نرى هذه القاعدة بدفع المسروق مربعاً لم تزل سائدة في اطراف الشرق ولعلّها من بقايا الشريعة الرومانية التي جُمعت في بيزنطية على عهد يوستينيانوس وعُمل بها دهرًا في مملكة الشرق الرومية ذلك لان الشرع الروماني في آخر اطوار تكوُّنه (٢ اوجب دفع المسروق مربعاً (٣

واني لاجتزئ بما ذكرت من امر العقوبة عندهم واراني بعد هذا في غنى عن ان اردّد ايضاً ان الحقوق عندهم والعقوبة على الاخص لم تزل في الحالة الفطرية لا شبه ولا قياس بينها وبين ما توصّل الى وضعه الانسان المتمدّن . وما عوائدهم في حياتهم الاجتماعية والدينية الّا من بقايا الاعصار القديمة ايضاً . فعندهم تكاتُف افراد العشيرة على الغزو بينما قد توصل الانسان المتمدن في عصرنا الى معنى التكاتف على الخير ليس

---

١) Rev. Orient Chrét, 1901, p. 529

٢) Dans l'Edit du Préteur

٣) وفي السرقة عندهم قاعدة تشذ عما اجمعت عليه قوانين الجزاء الحديثة فانه عند البدو اذا قتل صاحب الخيمة السارق الذي دخل خيمته ليلًا يلتزم صاحب الخيمة بدفع الدية . مع ان قانون الجزاء العثماني مادة ١٨٧ والقانون الافرنسي مادة ٣٢٩ تهدر دم السارق ليلًا

في الامة والشعب فقط بل يبغي نطاقاً اوسع . وما تمسكهم بمذهب على ما يخال عن حب التعبد بقدر ما هو من قبيل العادة فقد جاء عن احد مشايخ بني صخر (١ انه كان صائماً رمضان فاصابه حادث كسرت به يده . فندم على صيامه ولم يعد منذ ذلك الحين يقوم بواجب الصيام

وما اشبه هذا بما كان من اعتقادات الاقدمين الدينية فقد اخبر الشاعر اوريبيد اليوناني وهو من اهل القرن الخامس قبل المسيح ان اليونان الاقدمين عندما كان يصيبهم فشل في حرب كانوا يعودون على آلهتهم باللوم والتعنيف على سوء قيامهم بما يتوجب عليهم من الذود عن الحمى . وقد كان يبلغ بهم ذلك احياناً الى نقض الهياكل او رميها بالحجارة حنقاً

اذا قلنا بعد هذا ان الاجيال العديدة تفصل بين التمدن الحديث وبين ما هي عليه حالة بعض الاقوام في اطراف سوريا فلا ينتج من قولنا انه علينا ان ننتظر عمل الاجيال فيهم وفينا لنبلغ الى حيث ما نصبو من الرقي . بل بوسعنا ان نغتنم التمدن بوقت اقصر وذلك مع مساعدة حكومة راقية قديرة لان من اسباب تأخرنا في العهد المنصرم ما كان من تأخر وانحطاط الحكومة الماضية . ولن تلبث تلك الاقوام ولا ريب بعد ان يستتب الامر للحكومة الراقية فيستتب بذلك الأمن والراحة . لن تلبث ان تسير في سبيل التقدم وبذات الفعل تتحول وتتحور عوائدها وشرائعها وتنتظم وتكمل مع تقادم الزمن ولا غرو

اجل لا يمكن ان يكون لشعب نظام الا حسب اخلاقه وطباعه وقد سأل احدهم سولون المشترع اليوناني عما اذا كان يحسب انه سنّ لاثينا اصلح الشرائع وأعدلها . فاجابه سولون لا بل اني اخال ان الشرائع التي وضعتها هي الاكثر موافقة ومناسبة الان . وقد قال هيرودوت المؤرخ ان سولون كان يتمنى ان تثبت شرائعه عشر سنوات على الاقل بدون تغيير . ذلك لانه كان يرى ان التقلب والتطور هما من طبيعة المجتمع البشري واول ما يبدو تأثير ذلك التطور يكون في النظامات والقوانين

(١ Orient Chrét 1901, p. 602

فاذا كانت الحقوق عند قبائل سوريا الداخلية لم تزل في طور نشوئها فلا بد من ان تسير الى البلوغ بعد ان ذرّ قرن هذا العصر الجديد . واذا قيل ان ما عندهم من الشرائع المنقولة هو طبقاً لاحتياجاتهم فيجب ان نعلم ان الشريعة البشرية ليست فقط لراحة واسعاد المجتمع الحاضر بل هي الطرائق المؤدية والمؤهلة للبلوغ الى كمال الاعمال البشريّة . وانما قد يُعاب على تلك الاقوام ليس اتّباعها الآن تلك الشرائع والعوائد الفطرية . بل وقوفها جامدة في اثناء الاجيال . بل وقوفنا نحن ايضاً ونحن في بلاد هي مهد المدنيّة الشرقيّة القديمة ومنبت علماء الحقوق وصلة التعارف بين الشرق والغرب

فالأمل كبير في المستقبل . كبير بمساعدة الدولة الكريمة التي اخذت على عهدتها تمدين هذا القطر . فيكون يوم يعمّ به التقدّم سوريا كلّها فلا يعود فيها قبائل تمثل حياة الانسان في اجياله الاولى . وعلينا نحن من جهة ثانية ان ننهض بذواتنا فنختبر كل شيء قبل او نندفع في اتباعه فلا يكون في حياتنا وعوائدنا ومجتمعنا كلّه الّا كلّ ما هو صالح وبذلك تتسنّى لنا الشرائع الصالحة . ولا يكون ذلك الّا اذا كنا نريد

اعظم طامّة في الحرب العامّة

نظر اجمالي في الحرب الاوربية للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : الدول الاتفاقية (تابع)

٤ سربيا

معلوم انّ سربية احدى الدول البلقانيّة تجاور النمسة شمالًا وغرباً وتركيّة جنوباً وشرقاً . فكان موقفها بين دولتين معاديتين يعرّضها لأعظم الاخطار وهي دولة صغيرة لا يكاد عدد اهلها يتجاوز مليونين ونصف مليون من النفوس . منهم نحو ٦٠،٠٠٠ في عاصمتها بلغراد ومساحتها اقلّ من ٥٠،٠٠٠ كيلومتر

منذ نالت سربية الاستقلال سنة ١٨٢٩ اصبحت مرسحاً للمنازعات الاهليّة بين الاسرتين الملكيّتين ايرانوفتش وقره جيورجيفتش . وملكها الحالي بطرس الاوّل من هذه الاسرة الاخيرة تولّى الملك في السنة ١٩٠٣ . ثم انّ اهل سربية من العنصر الصقلبيّ فكان ذلك مدعاةً لاغراض الدول فيها فانّ روسيّة من جهة تعتبر نفسها كوصيّتها الطبيعية لوحدة الجنس فتقوم في وجه كلّ من يعاديها . ومن جانب آخر تنظر اليها النمسة شزرا لخوفها من تقرّب رعاياها الصقالبة اليها وعددهم يفوق على ضعفَي العنصر الجرماني فيها . فوقعها هذا الحرج كان كالبركان المنتظر انفجاره آجلاً او عاجلاً

جاء الارشيدوق فرنسوا فرديننذ مع قرينته في اواخر حزيران ١٩١٤ الى سراياڤو عاصمة البشناق النمسويّة ليخمد ما ظهر بين اهلها من الشغب رغماً عمّا انذروهُ من الخطر على حياته فلم يكترث لهذا التنبيه . فذهب ضحيّة تهوّره فقُتل مع الملكة بيد احد الطلبة المدعوّ غراڤاو برنشيب في ٢٨ حزيران . فرأت النمسة في هذا الفعل الاثيم مؤامرةً عقدتها سربية لتحريك الفتن في مملكتها . وفي ٢٦ تموز ارسلت الى السرب بلاغا نهائيا تعرض عليها عدّة شروط قاسية منذرةً بالحرب ان لم ترضَ بها قبل ٤٨ ساعة . رضيت سربية بها اجابةً لمشورة روسيّة وفرنسة وانكلترّة الّا شرطين يمسّان شرفها طلبت عرضهما على مجلس تحكيميّ فكادت ترضى بذلك النمسة لولا المانية التي وجدت في هذا الحادث فرصة مناسبة لحرب كانت تضمرهُ منذ عدّة سنين فدفعت النمسة على ردّ طلب سربية واعلان الحرب عليها في ٢٨ من الشهر فكان ما سبق لنا وصفهُ من نشوب الحرب بين الدول كسلسلة متواصلة تجرّ كلّ حلقةٍ اختها

ظنّ النمسويون انّهم سيزدردون سربية بوقعةٍ واحدة فزحفوا اليها بعسكر جرّار لا يقلّ عن ٢٠٠،٠٠٠ مسرعين الى عاصمتها بلغراد لا يشكّون بظفر قريب . لكنّ الامر لم يوافق حسبانهم فانّ السرب حشدوا جنودهم وانضمّت اليهم قوى الجبل الاسود فقدّموا قسماً من عسكرهم ليوقف الزاحفين في طريقهم وحصّنوا بلغراد واستعدّوا للقتال . وقد تمكّنت مقدّمتهم من ايقاف النمسويين اياماً الى ان تمّ حشد الجنود السربيّة الذين اسرعوا الى مساعدة اخوتهم فقطعوا في ثلثة ايّام

مسافة ١٥٠ كيلومترًا تحت قيادة اسكندر وليّ العهد والجنرال بوتنيك فهجموا على الجيوش النمسويّة وحاربوهم مدّة ايّام بلا انقطاع حتى بدّدوا شملهم في جبل تسار وانتهت هذه المعارك بانتصار السرب الباهر مع تفوّق النمسويين بالعدد والعُدَد

ثمّ عاد النمسويون بقوّات جديدة وحاولوا قطع نهر الساف شمالًا في العشر الاوّل من ايلول ١٩١٤ فردّهم السرب خاسرين كما ردّوهم غربًا من جهة نهر دريتسا بل دخلوا الاراضي النمسويّة وتقدّموا ظافرين الى جهات سارايافو . لكنّ العدوّ خجل من خيبته فعبّى الجيوش العديدة من جهة الجنوب وحمل الحملات المتوالية الى ان قطع نهر درينا واندفعت جنودهُ اندفاع السيل عند خراب سدوده فتقهقر السرب وانفتحت امام النمسويين طريق بلغراد فتقدّموا الى الأمام مستبشرين بالظفر وتحقيق آمالهم بالوصول الى سالونيك الا انّ السرب عادوا وناوشوا القتالَ مرارًا عدوّهم اذ اتتهم الذخائر الحربيّة من فرنسة وجدّدوا تنظيم عساكرهم فهجموا على النمسويين من علوّ جبالهم فكسروهم كسرة شنيعة عند جبل رودنيك واسروا نيفًا و٦٠،٠٠٠ من العدوّ فقضى العالم من بأسهم العجب ولاسيّما من اسكندر وليّ العهد والجنرال بوتنيك قائديهم . وهكذا انتهى الدور الاوّل من هذه الحرب التي كان يدعوها النمسويون « حرب الجزاء والعقاب » فكانت الدولة عليهم

لكنّ للقوى البشريّة حدودًا لا تستطيع ان تتجاوزها فانّ النمسويين لم يشاؤوا بازاء العالم ان يُنسَب اليهم الفشل فانتدبوا لاسعافهم المرشال ماكنزن مع فيالق من الجند الالماني . وكانت بلغارية دخلت في الحرب بجانب الدول المركزيّة فطلبوا ايضًا اسعاف جيوشها فحاربوا كلهم دولة السرب في وقت واحد شمالًا وجنوبًا فظفروا بها بعد المعارك الدامية ودخلوا بلغراد ونيش واوسكوب ثمّ مناستير واضطرّوا الجيوش السربيّة الى التقهقر دون ان يقووا على اسرهم . فسار السربيّون الى البانية واحتموا فيها مع ملكهم . تمّ ذلك في شهر تشرين الاوّل ١٩١٥

الّا ان الدول المؤتلفة لم ترضَ بان يُسحَق حلفاؤها بضغط اعدائهم فارسلت فرنسة اوّلًا الجنرال سرّاي مع جيش من اهلها الى جهات البانية لنجدة السرب . واذ رأت انّ ذلك لا يكفي لكسر شوكة العدوّ البالغ نصف مليون عددًا اتّفقت مع انكلترة على بعثة الى سالونيك لقطع الطريق امامهم الى البحر ولردّ غاراتهم

قبل بلوغهم الى تركية فوصلت جنودهم الى سالونيك في اواخر تشرين الاول لكن زحفة الالمان والنمسويين والبلغار كانت بلغت غايتها فاستولوا على السكك الحديدية وفتحوا لهم ممرًا بين المانية وتركية . فتفاءلت الدول المركزية بالانتصار النهائي

لم يقطع الصرب املهم بعد فقدان وطنهم لكنهم اخذوا يستعدون لوقائع جديدة في السنة ١٩١٦ . فلمّا كان شهر آب مشى البلغار لمحاربة الفرنسويين والانكليز وفتح سالونيك . فجرت وقتئذ معارك تقشعر لذكرها الفرائص ودامت نحو ثلثة اشهر دون انقطاع وكان الصرب يحاربون مع الفرنسويين والانكليز ببسالة عجيبة مستقتلين فتكلل ثباتهم بالنجاح وردّوا البلغار خاسرين وانتزعوا من يدهم مناستير في ١٩ ت ٢ سنة ١٩١٦

وبقيت الحال على ذلك مدة سنتين ومعظم صربية في قبضة العدو . اما جنودها فنُقلوا قسم منهم الى جزيرة كورفو وقسم آخر الى بيزرت في بلاد تونس وهناك بعد ان اخذوا نصيباً من الراحة استأنفوا التدرّب على الآداب الحربيّة تحت نظارة ضباط فرنسويين ثمّ عادوا بعد اشهر الى سالونيك يترصّدون العدو ويناوشونه القتال حيناً بعد حين مع حلفائهم . وذلك الى اواسط تموز سنة ١٩١٨ حيث تعيّن الجنرال فرنشه دِسپيري كقائد عام على جيوش البلقان فانتفضت العساكر الصربيّة مع الفرنسويين على مواقع البلغار انقضاض العقاب على فريسته في ١٥ ايلول فخرقوا صفوفهم الاولى ثم تبعوهم الى جبالهم المحصنة غرباً بينما كانت الجنود الانكليزيّة تحاربهم شرقاً . وقد امتازت خيل الصرب في هذه الحملات . فالجأوا البلغار الى الفرار ولم تنفعهم نجدات الالمان المرسلة اليهم . وما انتهى شهر ايلول حتى دخل المؤتلفون الى اسكوب وأيس البلغار من النجاة فطلبوا الامان ورضخوا للشروط القاضية عليهم بردّ صربية لاهلها . فعاد الصرب مع ملكهم الى وطنهم ظافرين غانمين وقد اتسمت اليوم تخومهم واكسبتهم الحرب ما لم يحلموا به سابقاً

٥ الجبل الاسود

تبع الجبل الاسود وملكه نيقولا جيرانهم الصرب في حربهم العوان وهم اخوة من حيث اصلهم العرقي وشاطروهم فخرهم في انتصاراتهم على النمسويين في

الاشهر الاولى للحرب مع قلّة عددهم وعددهم . لكنهم ذاقوا ايضاً معهم مرائر الكسرة واحتلال بلادهم لمّا تحاملت الدول المركزيّة متكاتفة على سربيّة . فالتجأ الجبليّون الى اعالي بلادهم وقاوموا العدوّ مدّة حتّى احتلّ جبلهم لوفسان في ١٢ك ٢ ١٩١٦ فلم يبق لهم املٌ للخلاص وصارت البلاد في حوزة المركزيين لكنّ الجنود الجبليّة هاجرت ايضاً مع السرب ثمّ التفّوا حول الفرنسويين والانكليز في سالونيك وشاركوهم في خطّتهم الدفاعيّة والهجومية الى اوان الظفر الاخير . وكان ملكهم نيقولا قد رحل الى فرنسة ليسعى في امور دولته لدى اركان الحرب العموميّة لجاء الانتصار محققاً لامانيه

٦ رومانية

هي احدى الدول البلقانيّة موقعها بين ترنسلفانية المجريّة غرباً وروسيّة شرقاً وبلغارية جنوباً والبحر الاسود شرقاً الى الجنوب عاصمتها بخارست (بقرش) عدد اهلها نحو ٦،٣٠٠،٠٠٠ وهم من عنصر لاتيني لغتهم لاتينيّة عاميّة يملك عليهم فرديناند الاوّل سميّ ملك بلغارية . وهم يدينون غالباً بالدين الرومي الاورثذكسي وبينهم عدد من الكاثوليك (راجع المشرق ٢ [١٨٩٩] : ٧٧ و ٢٢٤)

كانت رومانية في الحرب البلقانيّة لعبت دوراً سياسيًّا انتفعت منهُ دون خسارة كبيرة اذ أخمدت مطامع بلغارية ووسّعت تخومها جزاء عن توسّطها بين جاراتها

وكذلك بقيت مدّة الحرب الاخيرة في الحياد تراعي الاحوال . وفي بلادها حزبان حزب يميل الى المانية والدول المركزيّة وحزبٌ يفضّل دول الاتفاق طمعاً ببلاد ترنسلفانية ليضمّوها الى رومانية

سعت الدول المركزيّة بجذب رومانية الى طرفها حتّى بالتهديد اذ حشدت جنودها على حدود الرومان فتخوّفوا عاقبة الامر وما كان منهم الّا ان جنحوا الى روسيّة ودخلوا الحرب في جانب الائتلافيين لاسيّما اذ رأى رئيس الحكومة السيد جان براتيانو انّ الائتلافيين ارسلوا الى مقدونية حملةً تصدّ البلغار عن محاربة رومانية جنوباً . وكان إعلانهم الحرب على الدول المركزيّة في ٢٧ آب ١٩١٦ باغراء المسيو بريان رئيس الندوة الفرنسويّة الذي عقد مع رومانية عهداً يضمن لها ملك ترنسلفانية

ومن ساعتها نهضت رومانية نهضة الاسد وبعثت جنودها في عدد ٦٥٠،٠٠٠ الى ترنسلفانية ومعظم اهلها من العنصر الروماني فدخلوا اليها من جهتين على مسافة ٦٠٠ كيلومتر طولاً و٥٠ عرضاً

وكان الرومان يتكلون في صيانة تخومهم الشرقية والشرقية الجنوبية على الجيوش الروسية فخاب املهم فيها فان الالمان تحت قيادة ماكنزن وفلكنهين مع النمسويين والبلغار تحاملوا بسرعة على تلك الجهات وما لبثوا ان اجتازوا الى وسط البلاد واستولوا على اقليم دوبردجا وقطعوا الدانوب وفتحوا عاصمة الرومان بخارست في ٦ ك ١

فكان هذه الفتوحات احوجت الرومان الى سحب جنودهم من ترنسلفانية فوقفت جيوش الدول المركزية امامهم واجتهدوا في ان يحدقوا بهم ويأخذوا بخناقهم امّا الرومان فجاهدوا احسن جهاد ونجوا من ذلك الخطر لكنهم كانوا في احرج موقف فاضطروا الى التقهقر بنظام وبقيت بلاد مولدافية في حوزتهم بمساعدة الجنرال برتاو الفرنسوي الى آب من السنة ١٩١٧ حيث عاد الالمان والنمسويون بكل قواهم فدحروهم منها. وكان اكبر سبب فشل الرومان خيانة رئيس الحكومة الروسية شتورمر الذي كان يتوقع كسرتهم ليتخذها سبباً لمعاهدة منفردة للصلح

وانما رغائب رومانية في ملك ترنسلفانية لم تذهب سدى بعد نهاية الحرب فاتسعت كما شاءت

٧ اليونان

انّ الملك قسطنطين لكونه صهراً لقيصر المانية ولميله الى الدول المركزية لم يشأ ان يخوض عباب الحرب مخالفاً بذلك لرغبة معظم اهل بلاده ولاسيما رئيس حكومته ڤنيزيلوس. بل لم يبقَ على الحياد لانفاً بعد المسيو ڤنيزيلوس واخذ يعرقل سرّاً أعمال دول الائتلاف برّاً وبحراً ولمّا دخل البلغار في الحرب وساروا الى جهات سالونيك رحب بهم وسلّمهم بعض الحصون. فحكم عليه الفرنسويون والانكليز بدفع شيء من اسلحة دولته وذخائرها وطلبوا تعويضاً عمّا اعطاهُ للبلغار فنشط قوماً من رعاياهُ على اثارة فتنة قُتل فيها بعض البحّارة الفرنسويين في غرّة كانون الاوّل

١٩١٦ فكلّ ذلك دفع الدول الائتلافيّة الى حصار تخوم اليونان اوّلاً ثمّ الى إكراه الملك الى الاستعفاء عن الملك وذلك في ١٢ حزيران ١٩١٧ فأقيم ابنهُ الثاني اسكندر على العرش

فتغيّرت وقتئذٍ احوال اليونان وأعيد ڤيزيلوس الى تدبير الامور وانقلبت هيئة الحكومة وبعد ايّام اعلن اليونان الحرب على بلغارية والدول المركزيّة ثمّ سارت جنودهم الى محاربة البلغار فردوا غارتهم عند نهر ڤاردار واحتلوا ولاية يانيا التركيّة ثم انضمّت الجنود اليونانيّة الى جيوش الائتلاف في معارك مقدونية الاخيرة ضدّ البلغار والنمسويين فخرجوا من هذه الحرب التي نالوا منها المنافع الجمّة باحتلال كريت وعدّة جزائر في ارخبيل اليونان ولاسيّما مدينة ازمير العظمى

٨ بلجكة

كانت بلجكة مطمئنّة قبل الحرب لا ترى أنّ الدول المتعادية تنتهك حماها وكلّها قد اتّفقت في معاهدات سابقة على صيانة حدودها ووقّعت عليها . وقد سبق لنا في كلامنا عن المانية كيف أنّها حنثت بأيمانها وتعدّت الحقوق الدوليّة فكان بوسع بلجكة بازاء هذا الجبّار القاهر ان تحني رأسها وتكتفي لتصون شرفها بان تحتجّ على المغتصب كما فعلت لوكسمبورج لكنّ نفسها الابيّة لم ترضَ بالضيم وفضّل ملكها البطل ألبار ان يخاطر بدولته على الخنوع الى سطوة الالمان . فمجّد العالم هذه النخوة وعظّم هذه المروءة وتنسّم السماء هذه التضحية برائحة الرضى ليزيد تلك الدولة الصغيرة عزّاً وفخراً

كان دخول الالمان في تخوم بلجكة كإعصار عاصف او كتيّار جارف يريدون ان يُذهلوا العالم ببطشهم فيبلع الكلّ ذعراً من صولتهم لاسيّما بعد ما وجدوا من المقاومة في سبيلهم اذ تصدّى لهم الجنرال ليمان مع حاميته القليلة في لياج وكبّدهم خسائر عديدة واسر احد قوّادهم الكبار . لكنّ قوّات العدوّ لم تزل تنمو وذخائرهم الحربيّة تزداد وتقوى حتّى فتحوا لياج ودكّوا حصونها بمدافعهم الضخمة وقذائفهم الجهنميّة فاضطرّ الجيش البلجكيّ ان ينجو بنفسهِ من جورهم . امّا انفرس فصبرت شهرين بنيّف على كلّ قوّات العدوّ حتّى نُسفت كلّ حصونها فدخلها الالمان في ٩ ت٢

فكان دفاع البلجيكيين مدة اسبوعين خلاصاً لفرنسة اذ سمح لقوادها ان يحشدوا قواهم وينظموا جيوشهم ويستعدوا للقيام في وجه الالمان. لكن شهامتهم اثارت عليهم غضب اعدائهم فاستولوا على مدن بلجيكة ولم يرعوا لاهلها ذماماً فضربوا ونهبوا وقتلوا مدعين ان ذلك اقرب الوسائل لنهاية الحرب بسرعة. ودونك ما كتبهُ وقتئذٍ غليوم الثاني لخليفه الامبراطور فرانسوا جوزيف: « ان نفسي اسيفة تتمزق من الاسف. ولكن لا مناص من اضرام كل شيء بالنار وسفك دماء الكل رجالاً كانوا او نساء صغاراً او شيوخاً. يجب قطع كل شجرة وتدمير كل دار. فبهذه وسائل الهلع تنتهي الحرب قبل شهرين ». فناهيك بهذا الكلام صلفاً بل جنوناً. وعليه سار الالمان في بلجيكة اذ قتلوا الوفاً من اهلها الابرياء وخربوا مدنها المفتوحة وألحقوا بالدقعاء قراها ومعاملها. بل احرقوا مكتبتها الشهيرة في لوفان وصوبوا مدافعهم على كنائسها الكاتدرائية وضربوا على بروكسل عاصمتها ضرائب بلغت مئتي مليون من الفرنكات

فكان لهذه الاعمال الهمجية اسوأ وقع في نفوس العالم المتمدن عموماً وفي البلجيكيين خصوصاً حتى حولوا قلوبهم المائلة سابقاً نحو الالمان الى بغض مؤبد. ولما اراد بعد ذلك حكام بلجيكة الالمانيون كفون ديرغلدس وفون بتنغ ان يؤلفوا قلوبهم ويضمدوا على زعمهم جروحهم بضروب المجاملة والتمليقات لم يلقوا عندهم الا اباء ونفوراً وتضافر البلجيكيون على نشر صحيفة يومية سراً تحت اسم بلجيكة الحرة. كانوا يوزعونها على الاهلين ويبلغونها الى الحكام الالمان انفسهم يقبحون فيها كل اعمال العدو ويعلنون لاوربة مكايدهم دون ان يقوى الالمان على اكتشاف ناشريها. واذ سعى عمالهم ان يستروا ظلمهم فدعوا علماء بلجيكة ليواصلوا دروسهم ويفتحوا كلياتهم لم ينخدعوا بمداهنتهم وبقوا في حدادهم ينتظرون نهاية الحرب

ومن تحفزوا منتصرين لحرية وطنهم ذاك رئيس الاساقفة الباسل شرف الدين والعلم والوطن الكردينال مرسيه الذي دافع عن حقوق رعاياه دون ان تعمل فيه تمويهات عمال الالمان الذي استنفدوا الوسع ليكسبوا رضاهُ فلم ينطل عليه لا الوعد ولا الوعيد. وقد وقفنا على مناشيره وكتاباته ابان الحرب فذكرتنا بشهامة اساقفة

الاعصار الخالية الذين لم يهابوا قوة بشرية بل بذلوا النفس والنفيس في جانب الحق

اما الجيوش البلجيكية فبعد خروجها من لياج توجهت بنظام الى جهات فلندرة واجتمعت بالجيوش الفرنسوية والانكليزية لسد الطريق في وجه الالمان . وفي ٢١ آب ١٩١٤ حصلت موقعة شرلروا من اعظم المعارك التاريخية اذ نزلت لاول مرة في حومة القتال المانية مع الدول المؤتلفة فقامت حول شرلروا حرب عبوس حارب فيها نحو مليون من الجند فوقعت شرلروا خمس دفعات في ايدي الالمان واسترجعها الائتلافيون الى ان تراكم عليهم الالمان وحملوا عليها الحملات العنيفة وكانت مدافعهم تزيد اربعة اضعاف على مدافع الفرنسويين والانكليز فكان الفوز النهائي لهم . وأصيب البلجيكيون بهذه الواقعة بخسائر فادحة لكنهم لم يقنطوا وزادوا تحفظاً وتقربوا غرباً الى جهة نهري اين وايزر . ولما سقطت انفرس في ايدي الالمان تمكنت جنودها من الفرار ولحقوا باخوتهم منتظرين ما ستؤول اليه الاحوال في جوار باريس

وعندما فاز الفرنسويون بذلك الانتصار الباهر عند نهر المارن وقهروا الالمان في اواخر ايلول انسحب هؤلاء ووجهوا قواهم الى جهات كالة ليضبطوا سواحل البحر واستبشروا بالفوز القريب عند نهر ايزر لكنهم أصيبوا هناك بضربة ثانية في اواسط تشرين الثاني . فكانت ضغثاً على ابالة وقد بلغ عدد الصرعى من الالمان مائة الف . وكان للبلجيكيين في هذه الوقعة نصيب من الفخر عزاهم نوعاً عن بلاياهم السابقة وبقيت مدينة ايبر في يدهم خلافاً لما بشر به غليوم عن فتحها العاجل

وبعد هذا الفوز العظيم تحصن البلجيكيون في مواقعهم وعارضوا الالمان في حفر الخنادق . واذ قدمت حكومة فرنسة للملك البار احدى حواضرها ليسكن فيها مع حاشيته ابى الا البقاء مع جنوده فكان مثله منعشاً لهمم جميع رعاياه . وكان الشبان البلجيكيون رغماً عن ضبط الثغور وسد الطرقات والتهديد بالقتل يحتالون على الخروج من وطنهم ليلحقوا بملكهم ويحاربوا معه . فخرج الالوف منهم غير مبالين بالاخطار وانضموا بنخوة عجيبة الى مواطنيهم ليحاربوا في سبيل الوطن

بارك الله صبرهم وثباتهم في خريف سنة ١٩١٨ . فان الجيوش البلجيكية سارت في العشر الاخير من ايلول لمحاربة الالمان مع الفرنسويين والاميركيين وبادرهم القتال بمسالة غريبة فقطعوا خطوطهم التي زعموا انها لا تقطع ولم يزالوا

يتأثرون اعقابهم يوماً بعد يوم فنهكوا فيهم واجتثوا دابرهم : وما مر عليهم بضعة ايام حتى طهرت بلجكة من العدو ودخل الملك البار ظافراً مكللا بالمجد الى كرسي ملكه والفرح آخذ في صدور رعاياه كل مأخذ

مطبوعات شرقية جديدة

ABU'L-MAHÂSIN IBN TAGRI BIRDI'S ANNALS : AN-NUJÛM AZ-ZÂHIRA FI MULÛK MISR WAL-KÂHIRA, Edited by **William Popper.** Published by the University of California Press, *Berkeley, Vol VI part* I. N°s 2 *and* 3, *pp.* 165–176

تكملة كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن بن تغري بردي

مر لنا الكلام في وصف الاجزاء السابقة من هذا التأليف الجليل الذي وضعه احد كبار المؤرخين المسلمين ابو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ (١٤٦٩م) فطبع منه جزءان في ليدن اولاً ثم حاول تتمة طبعه المستشرق الاميركي وليم پوپر وها هنا جزئين اخرين طبعا في اثناء الحرب وبعدها يتناولان اخبار دول المماليك في مصر من السنة الهجرية ٨٠٨ الى ٨٢٣ . والمؤلف هناك يتسع في رواية حوادث زمانه فيأتي بالمعلومات المستوفية على احسن طريقة بذكر اعمال كل سلطان اولاً ثم بتفصيل ما جرى في كل سنة من سني ملكه . ولا تنقص هذه الطبعة عن اخوتها في شيء من حسن الورق والعناية بضبط النصوص والتذييل بروايات النسخ المختلفة . فنتمنى قريباً ان شاء الله مواصلة العمل وانجازه مع اضافة الفهارس والملحوظات عليه

ل . ش

LA REVUE UNIVERSELLE, Paris, 157, Boulevard St.-Germain (6e) N° I, Avril, 1920, pp. 128

المجلة السوبنية

هي مجلة جديدة يتولى ادارتها الكاتب الاجتماعي جاك بنفيل (J. Bainville) والادباء الشهيرون هنري مساسي (H. Massis) ولاون دوده (L. Daudet) ولويس دميه (L. Dimier) وغيرهم ولم يثنِ عزمهم عن مباشرتها لا وفرة المجلات

الادبيَّة في فرنسة ولا العوائق الحاليَّة لنشر المطبوعات . وغايتهم في نشرها جمع القوى الادبيَّة وضمّ كلمة اصحاب النظام لمقاومة تيَّار الجهل والمكر والخداع وفتّ عضد طالبي الفتن والفساد . ولإدراك هذه الغاية عوَّلوا على نشر المقالات الاجتماعيَّة والفلسفيَّة والادبيَّة والسياسيَّة الموافقة للاحوال الحاضرة سواء كان في فرنسة او في بلاد حلفائها فيطَّلع قرَّاؤهم على حركة العقول في العالم كله . وهذا العدد الاوَّل يفتتحه الكردينال مرسيه بمقالة جميلة عن الشاعر دانتي ومار توما اللاهوتي يليها مقالة اجتماعيَّة في النظام الدوليّ لشرل موراس (C. Maurras) ومقالات اخرى نخصّ منها بالذكر مقالة في انحلال تركيَّة وفي الثورة البولشفيَّة الخ الاب ج . لوفنك

I. René Pinon : La Suppression des Arméniens, 6e *éd. Paris*, 1916, *in*-12. *pp.* 76 = **II. H. Ad. Gibbons :** Les Derniers Massacres d'Arménie, *Paris*, 1915, *in*-12 *pp.* 47 = **III. Vte Bryce :** Le Traitement des Arméniens dans l'Empire Ottoman (1915-1916), *Laval*, *in*-12. *pp.* 553 = **IV. Varandian :** L'Arménie et la Question Arménienne, *Laval*, *in*-12, *pp.* 115 = **V.** La Question Arménienne devant la Conférence de la Paix, *in*-4, *pp.* 25 *et trois Cartes* = **IV. K. J. Basmadjian :** La Cilicie, son Passé et son avenir, *Paris*, *in*-12, *pp.* 47.

ارمينية وقيليقية وما ينوط بها

في باريس جمعيَّة من الارمن وانصارهم سعوا في ايَّام الحرب وبعدهُ في إلفات نظر اوربَّة عموماً وفرنسا وانكلترَّة خصوصاً الى ما حلّ بأمَّتهم التاعسة منذ اوَّل الحرب الى اليوم . وبعثاً للرأي العام قد وضعوا مؤلَّفات عديدة من جملتها التآليف المعنونة هنا وفيها التفاصيل المؤلمة عن الفظائع التي اقترفها الاتراك ليستأصلوا الشعب الارمني حتَّى قُتل منهم فوق المليون قتلًا يسوَّد الى الابد وجه الدولة العثمانيَّة . وفي هذه التآليف ايضاً عَرض الارمن امورهم على الدول الظافرة ولاسيَّما على ندوة السلام ومجلس الأمم ليجعل حدّ لعذاباتهم فيُمنحوا استقلالًا تامًّا ويوضعوا في عُهدة احدى الدول الكبرى . امَّا التأليف الاخير فهو للكاتب الارمني بسمجيان يذكر فيه تاريخ قيليقية في الزمن القديم وتملك ملوك الارمن عليها ثمَّ ينتقل الى ذكر احوالها حاضراً مؤملًا دخولها في حكمهم . فعسى ان يفوز الارمن بما يؤملوهُ من الامن والصلاح

LE CHATIMENT DE LA TURQUIE par un Diplomate, *Genève*, 1919, *in*-12, *pp.* 27.

معاقبة تركيّة لأحد وكلاء الدول

هذه محاضرة لاحد رجال السياسة عرض فيها مسئولية تركيّة وجناياتها في الحرب العمومية الاخيرة ولا سيّما رؤساءها الاتحاديين انور وطلعت وجمال بعد ما نالته حكومتهم من سوابغ النعم بفضل الدول الائتلافية . ثمّ يختم ذلك ببيان العقاب الذي تستحقّهُ تركيّة لمكرها وقوّادها لخيانتهم ل . ش

BAR HEBRAEUS BOOK OF THE DOVE, translated by **A. J. Wensinck** with an Introduction, Notes and Registers, *Leyden — E. J. Brill*, 1919, CXXXVI- 151.

كتاب الحمامة لابن العبري

قد اثبتنا في السنة الاولى من المشرق ترجمة ابن العبري ووصفنا تآليفهُ العديدة في السريانيّة والعربيّة في كلّ فنّ . فمن جملة هذه المصنفات كتابهُ السرياني المُعنون بالحمامة وضعهُ للنسّاك والرهبان الطالبين للكمال المسيحيّ . ودعاهُ بالحمامة مجازًا ليشير الى خلوة النسّاك وهذيذهم بالسماويّات . وكان وطنيّنا الفاضل القس جبرائيل القرداحي ثمّ حضرة الاب العازاري الكلداني بولس بدجان نشرا هذا التأليف : الاوّل بالحرف الاسطرنجلي في رومية سنة ١٨٩٨ والثاني بالحرف الكلداني في باريس في ذات السنة فاحبّ احد المستشرقين الهولنديين ان ينقلهُ الى الانكليزيّة مع ترجمة بعض الفصول من كتاب آخر لابن العبري (الاثيكون) ويقابلها بما ورد في كتب المتصوّفين المسلمين السابقين لعهد ابن العبريّ ولا سيّما الغزالي كبيرهم فبيّن بالمقابلة انّ ابن العبري استقى كثيرًا من اقوالهِ من بعض معاصريهِ وسلفائهِ المذكورين . فوجدنا في هذا المدّعى شيئًا من المبالغة فانّ التصوّف الاسلاميّ سبقهُ عند اليونان واللاتين والسريان عدد لا يحصى من الكتبة الذين طرقوا باب التعاليم الروحيّة والطرائق النسكيّة . فان كان ابن العبريّ اخذ شيئًا من تصوّف المسلمين فليس ذلك الّا نزرًا قليلًا . وعلى خلاف ذلك الكثير ممّا اخذهُ المتصوّفون المسلمون من تعاليم الرهبان السابقين ولعلّنا نعود الى هذا الامر عند سنوح الفرصة وعلى كلّ حال نشكر مؤلف

هذا الكتاب على طرقه هذا الباب فانهُ من الابحاث الجديدة التي قلمّا انتبه اليها المستشرقون ل. ش

النسائيات

كتاب ادبي اخلاقي اجتماعي

بقلم جرجي نقولا بار : طبعة ثانية في المطبعة العباسية (ص ٥٠١)

لم يجمد قلم اديبنا جرجي افندي مدة هذه السنين المشئومة التي مرّت علينا رغماً عن وقوف مجلّته الحسناء . وقد عاد بعد نهاية الحرب الى المواضيع التي تعشقها من وصف اخلاق النساء وذكر آثارهن والسعي باصلاح شؤونهنّ وترقية احوالهنّ . وكتاب النسائيات دليل جديد على هذه الهمّة ضمّنهُ عدّة مقالات نشرها في الحقيقة ثمّ جمعها طاقةً كلّها زهور يحسن بالجنس اللطيف استنشاق روائحها العطرة . ويا ليتهُ اودعها زهرةً اخرى تزيدها حسناً ان أضيفت اليها وهي زهرة الدين التي تزين المرأة فوق سواها . وممّن لم نجد لهنّ اسماً في جدول المدارس الاناثية التي ذكرها (ص ٤٧) راهبات القلبين الاقدسين فان مدارسهنّ من افضل المدارس نظاماً واوفرها عدداً

مغالط الكتّاب ومناهج الصواب

بقلم الاب جرجي جنن اليسوعي

بمطبعة القديس بولس حريصا لبنان (ص ١٢٦)

سبق صدور هذا الكتاب عهد الحرب فلم نطّلع عليهِ الّا مؤخّراً فنقول نعم الغاية يتوخّاها محبُّو لغتنا العربيّة ان يدوّنوا الاغلاط التي يسقط فيها الكتبة لئلّا يعودوا ويعثروا فيها . وقد حرص قديماً قوم من العلماء على ذلك كالحريري في درّة الغوّاص في اوهام الخواصّ والجواليقي في التكملة فيما يلحن فيهِ العامّة وكالمرحومين الشيخ ابرهيم اليازجي في لغة الجرائد والشيخ سعيد الشرتوني في مقالات شتّى في المقتطف . وهذا الكتاب الجديد اوسع مادّةً واسهل طريقةً جرى فيهِ كاتبهُ الفاضل على طريقة حروف المعجم . فدلّ على الخطإ ثمّ على الصّواب وعلّل ذلك بذكر السبب . على انّ هذه المجاميع كلّها مع الكثير من صوابها ربّما تجاوزت الحدود

في تضييقها على الكتبة سبل الكتابة كما ظهر بردود الخفاجي على الحريري (راجع طبعة الاستانة) وكردود الشرق على عدة مزاعم للشيخ ابرهيم اليازجي . ومن ثم لا نعد استناد حضرة الاب جرجي الى الشيخ كفصل الخطاب وربما كان حكمه رأياً لغوياً ليس الا . وعلى كلّ حال نشكر صاحب الكتاب على انتصاره لمحاسن اللغة ورغبته في خلوّها من الشوائب

لسعش

شذرات

نكبات النصارى نضمّ صوتنا الضعيف الى زفرات البائسين وانين الجرحى بل الى دموت دماء اخوتنا النصارى القتلى في جهات مرجعيون وعكّار ونواحي صور وبلاد بشاره فضلاً عمّا سُفك منها في جهات مرعش وقيليقية . فليت شعري ما هذه الحالة والى متى تدوم هذه النوائب وكنّا ظننّا ان بدخول فرنسة في هذه البلاد ستتمتع بالامان الوافي والسلام التامّ وهما قريباً من سنتين والسيف في ايدي الظالمين لا يزال يرشف دماً كأنّ حرب مجاعة الاتراك تحوّلت الى حرب البواتر والصوارم . فالى من يلتجئ المسيحي اللهيف الّا الى محاميته الطبيعيّة وامّه الثانية فرنسة المحبوبة . افيخيب بها أملنا ولديها ما لديها من الوسائط الفاعلة لقطع دابر الظالمين والذّود عن حياض المظلومين . عهدنا باسمها اذ كانت بعيدةً يكفي لردّ غارات العدوّ أفيموت ابناؤها جزراً بالسيف تحت نظرها . لا وأيم الله فاننا واثقون بعدلها وحنانها . وما لحكّامنا ذوي الشهامة والبأس الّا ان يقصدوا ويعمدوا الى الحزم فيبدّدوا المعادين ويجعلوهم عبرة زاجرة واحدوثةً سائرة

الطاولات الدائرة اخبرنا احد الاصحاب انّ بعضاً من الشبّان ذوي الطيش والترق اخذوا يتلهّون بتدوير الطاولات . وقد كتبنا في ذلك فصلاً في اوّل عدد المشرق لسنته الاولى (ص ٦٢ — ٦٦) ردّاً على جريدة البنانة فاثبتنا انّ ذلك ليس من الملاهي الطبيعيّة الجائز التفكّه بها وانّ الكرسيّ الرسولي قد حظّر على المؤمنين هذه الالعاب وهدّدهم بالحرم ان لم يرعووا . امّا ما يظهر هناك من

حركات الطاولات واجابتها على اسئلة السائلين بضربات معلومة وغير ذلك من الخوارق لا يمكن تعليله بوسائط طبيعية وعليه لا ترى ذكرًا في كتب العلماء الطبيعيين للطاولات الدائرة فلا بد اذن من نسبتها الى ارواح خبيثة تتوسل بها الى تضليل البشر . وقد اخبرنا الثقة من اهل بيروت المعتبرين انهُ حضر يومًا جلسة أديرت فيها الطاولات ولما سُئل الروح الذي يحركها ما اسمهُ اجاب بدقات ثلث كانت اول اسم الشيطان بالفرنسوية Démon . والعجب ان الشيطان ربما اجاب بنكران وجوده كما روى البشير في بعض ردوده على المقتطف . ومن غريب ما روى صاحب الهلال في احد اعداد سنته السادسة والعشرين ابريل ١٩١٨ (ص ٥٨٤) حيث ذكر جلسة استحضرت فيها الارواح انها سُئلت عن جهنم فاجاب الوسيط بينها وبين الحضور « يجوز لي ان اقول بعدم وجود جهنم بعد الموت كما انها منذ زمن بعيد لم تعُد موجودة في مخيلة كلّ انسان مفكر » . فهكذا يخدع الشيطان البشر ولا غرو فانهُ ابو الكذب وشيخ النار يشتهي ان يسقط الجهال كالعميان بين مخاليبهِ بتفضيلهم كذبهُ على تعليم السيّد المسيح وكنيستهِ بل على تعليم كلّ الاديان دون اختلاف

المئة الثالثة لمولد اوّل علماء اللغات الهنديّة من المستشرقين في ١٨ كانون الاوّل من السنة الحاضرة ستقام في مدينة دلنغن في المانية حفلةٌ عظيمة تذكارًا لمولد اوّل اوربيّ دخل الهند فتعلّم لغاتها القديمة اخصها اللغة السنسكريتيّة اصل اللغات الهندوجرمانيّة والاوربيّة عمومًا ونشر شيئًا منها . وما هذا الاوربيّ الّا يسوعيٌّ الماني اسمهُ يوحنّا كنراد رُوث (J. K. Roth s. j.) وُلد في دلنغن في ١٨ ك ١ سنة ١٦٢٠ ودخل الرهبانيّة اليسوعيّة في ٢٥ ك ١ سنة ١٦٣٩ ورحل الى الهند للتبشير بالايمان بعد ان نذر السَّفر للرسالة اذا شفي من مرض عُضال ايسوا فيهِ من حياتهِ فشفي وسافر الى الهند في ٢٧ ك ٢ ١٦٥٠ على طريق البرّ من حلب الى بغداد وبحر العجم ومضيق هرمز حتّى بلغ مدينة غوا سنة ١٦٥٢ فارسلوهُ مدّةً الى رسالتنا في الحبش لمساعدة اخوتهِ المعرّضين لاضطهاد النجاشيّ ثمّ رجع الى الهند وخصّ نفسهُ بخلاص اهلها وكان في اوقات الفراغ يدرس اللغة السنسكريتيّة القديمة بمساعدة احد البراهمة المرتدّين الى النصرانيّة حتى ألّف غراماطيقًا لاتينيًا لدرس اللغة المذكورة فبقي في الهند ثماني سنين ورحل الى أغرا واجتمع بملك المغول

ثمَّ سافر الى التبت ومنها الى الصين ثمَّ عاد راجعاً الى ايطالية على طريق روسية والتتر وتركية والنمسة وغايتهُ ان ينشر غراماطيقهُ المذكور لمساعدة المرسلين على درس تلك اللغة امّ اللغات الاوربيَّة المعدودة عند اهل الهند كلغة مقدَّسة . فلمَّا وصل الى رومية سلَّم كتابهُ الى احد الآباء اليسوعيين فيها ليمثلهُ للطبع وهو الاب اثناس كِرْخر العظيم الشهرة وعاد هو راجعاً الى الهند على طريق روسيَّة مرافقاً لسفارة ارسلها ملك النمسة الى الصين فكان الاب روث احسن دليل لها . ثمَّ رجع الى الهند ووصل اليها سنة ١٦٦٥ واستأنف اعمال الرسالة في أغرا وهناك توفيَّ في ٢٠ حزيران ١٦٦٨ . فذكرًا لهذا الرجل العظيم ستعقد حفلات رسميَّة يحضرها اعيان الالمان وعلماؤهم فتكون فخرا الكنيسة الكاثوليكيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة . امَّا غراماطيق الاب روث فان الاب كِرْخر لم يتوفق الى طبعهِ وبقي مخطوطاً في زوايا النسيان الى ان وقفوا عليهِ في خزانة الرهبانيَّة اليسوعيَّة في رومية ويسعون اليوم في نشرهِ

— السريان الكاثوليك في البصرة — نشرنا في المشرق (ص ٢٩٧ — ٢٩٩) اثرًا قديمًا للنيّب الذكر البطريرك اغناطيوس جروه استفدنا منهُ وجود رعيَّة سريان كاثوليك في البصرة في السنة ١٧٨٥ مسيحيَّة . وها قد تفضَّل حضرة القس اسحاق ارملة فارسل لنا نسخةً من كتاب آخر نقلهُ عن سجلّ رسائل البطريرك المذكور المصون في دير الشرفة العامر وهو جامع للمناشير والرسائل التي اوفدها اليه المجمع المقدَّس واجوبة البطريرك عليها . ومن جملتها الرسالة الآتية الموجَّهة اليه من رومية في تاريخ ٧ ايار سنة ١٧٨١ اذ كان بعدُ مطرانًا على حلب وذلك تحت عدد ٢٥ . وهذا الكتاب اثر جديد يؤيد وجود السريان الكاثوليك في البصرة في القسم الثاني من القرن الثامن عشر

ايها السيّد المكرَّم والكلّي الاحترام نظير اخ

ان بعض عيلات من الكاثوليكيين القاطنين في مدينة البصرة قد توسلوا من مدَّة زمان الى هذا مجمع انتشار الايمان المقدَّس كي يلتمس لهم من قدس الحبر الاعظم الاجازة ليحتضنوا الطقس اللاتيني . ويوردون السبب عن ذلك في انهُ لا يوجد عندهم كاهن من طقسهم ليوسهم . ولكن هذا ليس هو سبباً مانعاً يمنع عن ان يصير الاهتمام في ان يرسل لهم كاهن من الطقس عينه من غير اماكن . ولهذا فقد كُتب للمذكورين في ان يلتجئوا الى حضرتك بما ان سلطانك قد امتدَّ على سريان ما بين النهرين والاماكن اللائذة بها لكي توجه الاهتمام بانتخاب كاهن كافي

لتدبيرهم ويمكن ان البادري فولجنسيوس من القديسة مريم الكرملتاني الحافي المرسل في مدينة البصرة المذكورة يكتب لحضرتك عن ذلك . ولكن ان كان لا يوجد كاهن حسب المطلوب فيمكنك ان تخبر هذا المجمع المقدس لكي في حال مثل هذا يهتم للمذكورين بنوال الاجازة للدخول في الطقس اللاتيني المطلوب منهم . هذا ما لزم ان اخبر به حضرتك واني بانتظار الجواب عن ذلك . فاضرع الى الرب الاله في حفظك ونجاحك نظير اخ

استفانس بورجيا كاتم الاسرار لوزدس الكردينال انطونلي
رئيس المجمع المقدس

أسئلة واجوبة

س سأل الاديب الخواجا يوسف صفير أيوجد علاقة بين ترشيش المذكورة في سفري ارميا (١٠ : ٩) وحزقيال (٢٧ : ١٢) وطرسوس المذكورة في سفر الاعمال . ثم بينهما وطرطوس
ترشيش وطرسوس وطرطوس

ج ترشيش المذكورة في اسفار الانبياء وكتب العهد القديم هي احدى مدن اسبانية في جنوبها من اوسع البلاد تجارة كان يقصدها الفينيقيون فاتخذوا لهم فيها المخازن التجارية وكانت اكبر سفنهم تبحر اليها . وهذه المدينة خملت بعد ذلك والكتبة يظنون انها هي مدينة طُرطُوشة (Tortose) القريبة من البحر على نهر الإبر (Ebre) . اما طرسوس فهي مدينة قيليقية الشهيرة بين آطنة ومرسينة في وسطها وهي وطن القديس الرسول مار بولس وتختلف كلتاهما عن طرطوس احدى مدن سواحل الشام شمالي عمريت بين طرابلس واللاذقية

س وسأل احد القراء هل عرف مشروب الجعة (البيرة) في الزمن القديم
الجعة وقدمها

ج كان المظنون انَّ الجعة من المشروبات الحديثة بالنسبة الى غيرها لكنَّ احد الاثريين النمسويين اكتشف في اطلال بابل على اسطوانة عليها كتابات اشوريَّة ورد فيها ذكر الجعة ووصفها وتاريخ الكتابة سنة ٢٨٠٠ قبل المسيح ومن ثمَّ يجب ان تُعدَّ الجعة من اقدم المشروبات المسكرة ل . ش

المشرق

الآداب العربيَّة

منذ نشوب الحرب العموميَّة

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

خمس سنوات مرَّت علينا فلم يمكنا ان نوقف قرَّاءنا على ما ينشر في عالم الأدب من المطبوعات الشرقيَّة ترقيةً للغتنا العربيَّة سواء كانت آثاراً قديمة استخرجها الادباء من زوايا النسيان ام مآثر جديدة لابناء العصر . فسدًّا لهذه الثلمة قصدنا ان نكتب فصلاً في ذلك

ولسنا لنؤكد ان نظرنا هذا يكون شاملاً مستوفياً لصعوبة المواصلات الحاليَّة بيننا وبين الاقطار الاجنبيَّة ولقلَّة المطبوعات الواردة الينا منها وانَّما نذكر ما اتَّصلت اليه يدهُ فنكتفي بالقليل ان لم نحصل على الجليل

اولاً مطبوعات بلاد الشام

منذ دخلت تركيَّة في الحرب في جانب الدول المركزيَّة أُصيبت الآداب العربيَّة بضربة اليمة كادت تقضي عليها وذلك لأنَّ العنصر التركيّ كان مبغضاً للعرب ولكلّ ما يحسبهُ من شأنهِ ان يرفع قدرهم ويحيي ذكرهم فوضعت الحكومة يدها على مطابع المرسلين في القدس الشريف وبيروت والموصل وضغطت على بقيَّة المطابع الأ ما كان ساعياً في مصالحها . وكذا يقال عن المدارس والمكاتب وكان همّ أولي الامر التتريك في الآداب كما في السياسة

بيد ان زعماء الاتراك رأوا بعد حين أنهم لا يستطيعون ان يميتوا العربيّة ونصف اهل الممالك العثمانيّة لا يعرفون غيرها فعدلوا نوعاً عن طريقتهم وقصدوا ان يتخذوا العربيّة كوسيلة لتقريب المتكلمين بالضاد الى سياستهم . وتمكن مع ذلك بعض الافراد من نشر تآليف قليلة نذكرها جميعاً مع ما طُبع ايضاً منها بعد الهدنة الى هذه الايام الاخيرة

١ بيروت

نشرت الحكومة التركية على نفقتها «مباحث علميّة وادبيّة» عن ولاية بيروت في مطبعة الولاية (سنة ١٣٣٦ — ١٣٣٣ هـ) ابرزتها اوّلاً باللغة التركيّة في ثلثة مجلّدات نقل منها الى العربيّة مجلّدان وذلك بهمّة المدير الثاني في المدرسة السلطانيّة محمّد بهجت ومدير مدرسة التجارة محمّد رفيق التميمي (في ٤٣٦ و٥١٩ صفحة) . وهما يتناولان اوصاف جنوبي الولاية وقسم من شماليها مع تصاوير شتى . وهذا التأليف لا يخلو من عدّة فوائد نُقلت عن كتب مكتبتنا الشرقيّة التي كانت آنائذ في حوزة الدولة . غير انّ كثيراً من تلك الفصول تستدعي انتقاداً واسعاً لما اودعها كتبتها من الاحكام الضعيفة والآراء الواهنة والاغلاط التاريخيّة المتعدّدة فضلاً عن التعظيمات الكاذبة للدولة التركيّة وتجنّس حقوق الاجانب والمرسلين وغير المسلمين عموماً

وقد سعينا بعد ذلك بكتابة اثر آخر يحتوي وصف لبنان يكون كتتمة للتأليف السابق فوكلت الينا وضعهُ حكومة لبنان ومتصرّفها اسماعيل حقّي بك بوساطة رجل العلم والفضل العميم حسين كاظم بك . فقمنا بهذا العمل مع بعض أولي الهمّة من الاختصاصيين البارعين وقد سبق لنا وصف هذا الكتاب في المشرق (١٨[١٩٢٠]: ٧٣ — ٧٤)

وممّا برز بمساعي الحكومة التركيّة كتاب نُشر بالتركيّة والافرنسيّة في الاستانة تحت عنوان «الحقيقة في المسألة السوريّة» شاعت في بيروت ترجمته العربيّة والكتاب خلا من اسم مؤلفهِ الّا انهُ لجمال باشا وزير البحريّة وقائد الجيوش العام في طرفنا ضدّهُ كما يزعم تزكية نفسهِ ممّا اتاهُ من الاحكام العرفيّة والامر باعدام بعض وجوه الوطن . الّا انّ هذا الدفاع منقوض من اساسهِ اذ كانت مساعي الحزب

العربيّ علانيةً بعد اعلان الدستور وحرّيّة المطبوعات وكانت الدولة واقفة على تلك الحركات الاستقلاليّة فسكتت عنها ولم تفكر بمحاكمتها الّا يوم سيطرتها

ومن هذه المطبوعات ايضاً كتابان نشرا في المطبعة العلميّة سنة ١٩١٦ الاوّل عنوانهُ « الرحلة الانوريّة الى الاصقاع الحجازيّة والشاميّة » تأليف الكاتب الشهير محمّد افندي كرد عليّ وصف فيهِ « سياحة رجل العثمانيين وبطل الاسلام والمسلمين ... انور باشا الى المدينة المنوّرة وسوريّة وفلسطين » فاودعهُ ما حكمت عليهِ احوال تلك السنين من كلام التعظيم والتمليق مما لعلّهُ يخجل اليوم فهُ ويتبرّأ منهُ . وكذلك نُقل عن بعض فصولهِ في مجلّة المقتبس . امّا الكتاب الثاني فعنوانهُ « البعثة العلميّة الى دار الخلافة الاسلاميّة » تولّى تصنيفهُ اربعة من كتبة الجرائد الاسلاميّة الافندية محمّد باقر ومحمّد كرد علي وحسين الجمّال وعبد الباسط الانسيّ . وهم يضربون على وتر الكتاب السابق ويطرنون الدولة العثمانيّة فيرفعونها الى السماء بينما كانت تضغط على اهل جلدتهم العربيّة وتحكم عليهم ظلماً بالاعدام

وفي السنة ذاتها والمطبعة نفسها نشر باغراء العثمانيين « السيّد محمّد حبيب العبيدي الموصلي » : ١ً « كتاب جنايات الانكليز على البشر عامّة وعلى المسلمين خاصّة » وكفى باسمهِ دليلاً على ما يكنّهُ صدرهُ من الشواعر نحو الأمّة الانكليزيّة = ٢ً « حبال الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام » يسعى فيهِ بتوحيد كلمة الاسلام وبالبرهان على « انّ الخلافة الاسلاميّة قائمة بالدولة العثمانيّة » (ص ٩٦) ولا نظنّ انّ كثيرين من المسلمين يسلّمون لهُ بذلك = ٣ً « جمال التهنئة وتهنئة الجمال قصيدة رفعها الى « بطل الاتحاد الاسلامي ... احمد جمال باشا » = ٤ً « صدى الحقيقة » وهي مجموع خطب المؤلف القاها في رحلتهِ مع اصحاب البعثة العلميّة السوريّة الى دار الخلافة وزيارة ساحة الحرب في الدردنيل

ومن هذه المجاملات للدولة التركيّة في ايّام الحرب « العثمانيّات » وهي قصائد لحضرة الخوري مارون غصن قالها في السلطان محمّد رشاد وانور وجمال وعزمي وغيرهم ممّن يلعنهم اليوم القاصي والداني . وقد اضاف اليها الاهليّات وهي ابهى حسناً والطف لفظاً وارقّ معنى واصدق قولاً

ومن قبيل المواضيع السابقة « مختصر تاريخ المانية » عرّبهُ ش . حدّاد وطبعهُ

في مطبعة «جورنال دو بيروت». ومن الطبع انّهُ نسب اسباب الحرب الى الاتّفاقيين والالمانية فقط الدفاع عن نفسها. وفي هذه المطبعة نشر ايضاً سنة ١٩١٦ الاديب الارمني قهرام قرجابيد بالفرنسويّة تاريخ بيروت (ص ٦٦) اخذاً عن مصادر معروفة اخذها كتابنا تاريخ بيروت اصالح بن يحيى

ومن الكتب الحسنة التي نُشرت في ايّام الحرب كتاب الحقائق الاقتصاديّة لعبد الغني سنّي بك مكتوبي ولاية بيروت (سنة ١٣٣٤ — ١٣٣٢) أعرب فيهِ عن معارفهِ الواسعة بعلم الاقتصاد واصولهِ وطرائقهِ المختلفة والوسائل المساعدة على توسيع نطاقه فجاء كتاباً مهمّاً يُنتفع بهِ في كلّ ادوار الحياة واختلاف السياسة

وكذلك طبع معروف الارناؤوط في المطبعة العصرية سنة ١٩١٥ كتاباً ادبيّاً دعاهُ «فردوس المعرّي» ضمّنهُ رواية خياليّة لطيفة ليمجّد بها ذكر شاعر المعرّة ابا العلاء بعد ان لقي قبرهُ في وطنهِ خرباً مهملاً

امّا بعد الحرب فقد نُشر من كتب التاريخ في المطبعة العلمية سنة ١٩١٩ لفقيد الدين والعلم المطران يوسف دريان اوّلاً كرّاس صغير «مستقبل لبنان المقرّر» ثمّ ألحق بكتاب ممتع دعاهُ «نبذة تاريخيّة في اصل الطائفة المارونيّة واستقلالها بجبل لبنان من قديم الدهر الى الآن» انتقدناهُ في المشرق (١٨ : ٣١٣). كما انتقدنا تاريخ حضرة الخوري انطون يمين اللبناني المعنون «بلبنان في الحرب» (١٨ : ١٥٦)

ومن الكتب الادبيّة التي برزت حينئذٍ ديوان الشاعر المجيد الياس فياض ظهر الجزء الاوّل منهُ في المطبعة الاميركانية سنة ١٩١٨ في ٩٦ صفحة جمع فيهِ ما نظمهُ قبل الحرب وفي زمانها. بينها بعض القصائد التاريخيّة أحسن فيها الوصف — وممّا نُظم بعد ختام الحرب وقفة بين الماضي والحاضر للخوري نقولا آبي هنا الباسيلي المخلّصي في ٢٠ صفحة طُبعت في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩١٩ وقد اجاد فيها الناظم بوصفهِ لحالة لبنان في زمن الحرب ثم لفرح اللبنانيين بدخول فرنسة في مواطنهم — وقد مرّ لنا تعريف منظومتين اخريين «العقد النضير» للبرديوط المنسنيور بطرس حبيقه (المشرق ١٨ : ١٥٧) ثم «الحرب العمومية» ليوسف الخوري البشعلاني (١٨ : ٢٣٤). وممّا ظهر آخراً الجزء الاوّل من ديوان حليم دموس فيهِ منظوماتهُ

التي صنفها في المهجر او وضعها في لبنان وهو لا يقلّ عن ٣٥٩ صفحة في كلّ المواضيع الادبيّة من الشعر العصريّ . لا ينقص هذا العود غير وتر المواضيع الدينيّة وهو اطربها نغماً . ولهذا الديوان مقدّمة في الشعر وآراء الشعراء والادباء فيه

ومن الادبيّات النثريّة محاضرة « لبنان الكبير » للكاتب الاجتماعي عبدالله بك رزق الله خير . ثمّ النسائيّات للاديب جرجي نقولا باز . نضيف اليها الجزء الاوّل من كتابنا « النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة » وتذكار المئة الاولى لانبعاث الرهبانيّة اليسوعيّة . وقد مرّ وصفها جميعاً في اعداد المشرق السابقة . وفي هذه المجلّة ظهرت عدّة مقالات تفيد الآداب العربيّة والتاريخ معاً لا حاجة الى ذكرها . امّا الدينيّات فقد وصفنا ما عرفناهُ منها اعني كتابي حضرة الخوري يوسف داغر « البرهان الصريح في الدين الصحيح ومصباح الحقائق » ثمّ « المقالة الوفيّة في العبادة الحقيقية لربّ العذراء » تعريب المثلث الرحمات المطران يوسف دريان . و « انجلاء الاسرار المكنونة » للخوري بطرس القزح

٢ دمشق

نشر فيها الشيخ عبدالقادر افندي بدران في مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣٢ (١٩١٤ — ١٩١٥) المجلّدين الرابع والخامس من تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر وهما يتناولان اسماء الذين سكنوا دمشق او دخلوها مباشرةً باسم الحارث بن هشام الى آخر الزاي (زيد بن الحسن) . ويسوءنا القول بان هذه الطبعة تخلو من كلّ ما يستحبّهُ العلماء في نشر الآثار القديمة من مقابلة النسخ والتذييلات المختلفة والافادات التاريخيّة واللغويّة الخ . وطُبع ايضاً في اثناء الحرب بعض اعداد مجلّة المقتبس في مطبعة الشرق (التي نُقلت اليها ادوات مطبعتنا بعد خرابها) وفيها مقالات مفيدة (نستثني منها المقالات السياسيّة تزلّفاً الى احمد جمال باشا واصحابه) كوصف مخطوطات قديمة وايراد آثار منسيّة مثل كتاب البيزرة وتراجم كبار الرجال وغير ذلك من الفصول الممتعة التي تُشوّقنا الى عود صاحبها الاديب الى خدمة العلم والوطن قريباً — وممّا طُبع ايضاً في الفيحاء سنة ١٣٣٣ و١٣٣٤) الاسرار الكونيّة في الكرة الارضيّة جزءان لمحمّد علي المجابريّ وهو مختصر مدرسيّ في الجغرافية الطبيعيّة والسياسيّة . ثمّ

«كنز النجاة في علم الاوقات» للشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي يحتوي شيئاً من مبادئ علم الفلك ممّا لا يروي غليلاً. ثم يضاف الى هذه المنشورات كتاب طُبع لترويج السياسة الجاليّة وهو «ايقاظ الاخوان لدسائس الاعداء» وما يقتضيه حال الزمان» للشيخ اسمعيل الصلايحي احد قضاة تونس سابقاً

امّا ما طُبع بعد الحرب فكتاب «مناهج التربية والتعليم في علم البيداغوجيا» عرّبهُ بايعاز ادارة معارف سوريّة اديب التقي البغدادي وطبعهُ في مطبعة المفيد سنة ١٣٣٧ . وفي هذه المطبعة نُشر كتاب «العصر الدموي» لناصيف بك ابي زيد الموصوف سابقاً

٣ حلب

لا نعرف من مطبوعاتها شيئاً في اوان الحرب الّا كتاباً نقلهُ عن الالمانيّة فليكس افندي فارس وطبعهُ في المطبعة الماورنيّة سنة ١٩١٦ وكفى باسمهِ دليلاً على انّهُ نُشر لمجاملة الالمان وربح رضاهم بعد دخول تركيّة في محالفتهم وهو «ارتقاء المانيا الوطني في مدّة الخمس والعشرين سنة الاخيرة . للدكتور كارل هلفريخ»

٤ القدس الشريف

طُبع في بيت المقدس بعد الحرب «الزفرات» وهي قصائد لاسكندر الخوري البتجالي سنة ١٩١٩ بينها ما يشعر باحوال البلاد السيئة في زمن الحرب. وقد استأنف الكاتب الاديب خليل بيدس نشر مجلّته النفائس العصريّة منذ اواسط ايلول سنة ١٩١٩ فوصل لنا منها عشرة اعداد فقط مطبوعة في مطبعة دار الايتام . امّا مطبعة دير الروم الارثدكس فجدّدت بعض الكتب الطقسيّة وفيها طُبعت مجلّة «بيت لحم» كان ظهورها في ايلول ١٩١٩ ايضاً

٥ لبنان

عادت بعد الحرب مطبعة القديس يوسف في حريصا (لبنان) الى خدماتها الجليلة سابقاً وكان اوّل مآثرها احياء مجلّتها الغرّاء «المرآة» التي ينشئها حضرة الآباء البولسيين الافاضل ويودعونها الفصول الشائقة الدينيّة والادبيّة والتاريخيّة والفكاهيّة مع اتقان طبعها . وفي هذه المطبعة ايضاً نُشر سفران حسان سبق لنا الكلام في

تمريغها» كتاب القصارى في نكبات النصارى» بقلم شاهد عيان . وتعريب» كتاب العفاف» بقلم حضرة الخوري بطرس ابي زيد . امّا بقيّة مطابع لبنان في جونية وبعبدا وبيت شباب وكفرشيما وجبيل فحتى الآن لم يظهر شيء من مطبوعاتها . ومثلها صيداء وطرابلس ما عدا بعض الجرائد

ثانياً مطبوعات القطر المصري

لا يسعنا ان نصف كلّ مطبوعات مصر في هذه الحقبة الاخيرة . وانّما نكتفي بذكر اخصها واوّل الكلّ كتاب صُبح الاعشى لاحمد بن علي الشهير بالقلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م) وهو كدائرة معارف كتاب الدواوين يدلّ على سعة نطاق معاملات دولة المماليك المصريّة ووفرة عمالها وتعدُّد اشغالها الدينيّة والمدنيّة والسياسيّة والادبيّة والصناعيّة وكلّ هذه المعاملات تحتاج الى معارف جمّة سعى القلقشندي بحصرها في كتابه الذي باشرت بطبعه منذ السنة ١٩١٣ دار الكتب الخديويّة فانتهت منهُ في هذه المدّة الاخيرة بطبع الجزء الرابع عشر وهو ختام الكتاب فاستحقّت شكر محبي الآثار العربيّة على نشره وحسن طبعه . ولكان زاد شكرنا لها لو اضافت اليه تلك المحسنات التي يزين بها المستشرقون مطبوعاتهم من مراجعة تآليفهم على نسخ مختلفة زيادةً للضبط ومن تذييلها بالملحوظات وانجازها بالفهارس . فلولا ذلك تفقد كل طبعة نصف قيمتها

ومن مطبوعات دار الكتب الخديويّة الحديثة ايضاً كتاب الخصائص طبعتهُ في مطابع الهلال وهو لاحد ائمة العلوم اللغويّة ابي الفتح عثمان بن جنّي المتوفى سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) وهو يتضمّن عدداً عديداً من الملحوظات اللغويّة المتفرقة لا يُنتفع منها الّا باستقراء مضامينها او بوضع الفهارس الدالّة عليها فعسى ان يقوم بها المتولّون طبع الكتاب في آخر جزئهِ الثاني . وقد لحظنا في الابيات المستشهد بها بعض الاغلاط والروايات المشوّهة

وقد سعت ايضاً دار الكتب الخديويّة بنشر « كتاب الطراز لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز» في ثلثة اجزاء طبعتهُ في مطبعة المقتطف بمصر وهو للامام

يحيى بن حمزة العلويّ اليمني المتوفى سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) غايتهُ اثبات اعجاز القرآن وانّما يشتمل على افادات لغويّة جمّة وملحوظات ادبيّة دقيقة

وممّا طبعتهُ تلك الدار في مطبعة المنار كتاب الاعتصام للامام ابي اسحاق ابرهيم الشاطبيّ المتوفى سنة ٧٩٠هـ (١٣٨٨م) وضعهُ صاحبهُ لتفنيد البدع التي كثرت في ايّامهِ في انحاء الاسلام وهو مفيد لتعريف احوال الاسلام في القرون الوسطى

ومن المطبوعات الحسنة التي نُشرت في مطبعة المقتطف والمقطّم «تاريخ الحرب العظمى» وقفنا على سبعة اجزاء منهُ يزينها عدّة تصاوير وهي تتضمّن تفاصيل الحرب الى اواخر السنة ١٩١٥ وذلك باعتدال في النظر ومراعاة لحقيقة الاحوال . وكان في الوقت عينهِ صاحب الهلال اميل افندي زيدان مهتمّاً بتعريب تأليف الدكتور جوستاف لوبون « الحرب الاوربيّة » فنشرهُ في مطبعتهِ سنة ١٩١٦ . وهو كثير الفوائد مع انتصار صاحبهِ لوطنهِ وتشنيعهِ على عدّة اعمال اتاها الالمان . وبعد نهاية الحرب نظم الاديب اسعد خليل داغر سلسلة اخبارها شعراً في نحو اربعين باباً مع اختلاف بحورها وتفنّن المؤلف في ابراز معانيها ويبلغ الكتاب ١١٧ صفحة . وقد طُبع في مطبعة الهلال سنة ١٩١٩ كما طُبع ايضاً فيها مختصر تاريخ المانية معرّباً ومصوّراً يبتدئ بذكر اقدم القبائل الجرمانية ثمّ يتتبّع احوالها مع توالي الاجيال الى القيصر غليوم الثاني — وفي اثناء الحرب نشر عليّ العناني المصري كتاباً دعاهُ « الحياة الاقتصاديّة الالمانيّة اثناء الحرب الحاضرة » يطرئ فيهِ اعمال المانية ويرى لها التفوّق على اقرانها فجاءت نتيجة الحرب مخالفة لظنّهِ

وممّا له علاقة بالتاريخ الحاضر وطُبع في مصر في مطبعة المقطّم سنة ١٩١٦ كتاب ثورة العرب بيّن فيهِ مؤلّفهُ احد اعضاء الجمعيّات العربيّة مقدّمات هذه الثورة واسبابها ونتائجها وضعهُ صاحبهُ تذكاراً « لارواح شهداء الوطن » الذين حضرنا إعدامهم في بيروت والشام . فعسى ان يحقّق اليوم الملك العربي في الحجاز والشام ما بُني عليهِ من الآمال . وفي هذا الكتاب وصف مستوفٍ لتطرّف الاتراك في حكمهم وفظائع عمّالهم الاتحاديين في مدّة الحرب الاخيرة

وطبع سنة ١٩١٥ زعماء النهضة المصريّة « صحيفة من تاريخ انجلترا في مصر » يتجنّون فيها من معاملة الانكليز لوطنهم ويطالبون فيها بحقوقهم

ومن الكتب التاريخيّة المفيدة التي طبعت في القطر المصري سنة ١٩١٤ «الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد» لكمال الدين الادفوي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م) ورد فيه ذكر ٥٩٣ شخصاً من اهل الصعيد مع ايراد تاريخهم ونُتَف من اخبارهم واشعارهم. طُبع في الاسكندريّة.

ومن الادبيات القديمة التي طُبعت في مصر آخرًا في مطبعة المنار ديوان عبدالله ابن الدُّمَينة الخثعميّ من شعراء الخلافة الاموية. معظم شعره نسيب وغزل شرح بعض الفاظه دون معانيه محمّد الهاشمي البغدادي ولم يضبطه بالشكل ولا ذكر رواياته — وافضل من هذا كتاب «طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين» لابي عبدالله محمّد بن سلّام الجمحي البصريّ المتوفى سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م) وهو احد التآليف القديمة التي كان يرجع اليها الباحثون عن الشعراء الاقدمين وطبقاتهم وقد سبق ابنُ سلّام في ذلك ابنَ قتيبة. نشر هذا الكتاب حامد محمّد عثمان الحديد الكتبيّ في مطبعة السعادة طبعاً نظيفاً لكنهُ خالٍ من الشكل والروايات والفهارس. وفي الابيات المرويّة اغلاط عديدة يُقتضى اصلاحها في طبعة ثانية

وهنا لا بدّ ان نذكر كتاباً آخر طُبع في مطبعة السعادة ايضاً وانّما هو مسروق عن طبعتنا البيروتية ألا وهو كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد الاندلسيّ الذي نشرناهُ اوّلاً في الشرق ثمّ طبعناهُ على حدة مع اصلاحات شتّى وروايات مختلفة وفهارس فاستحلاهُ عبد الرؤف افندي الدبّاغ، وطبعهُ دون مراعاة للحقوق الدوليّة لكنّهُ اكتفى بالمتن دون الشروح والتذييلات وانّما اختصر فقط، قدّمتنا. فقبحاً لعادة بعض اصحاب المطابع في مصر الذين يختلسون هكذا اشغال غيرهم فيَدّعونها. وقد كتبنا سابقاً فصلاً مطوّلاً في هذه السرقات المصريّة (الشرق ١١ [١٩٠٨]: ٤٣٠) ولعلّنا نعود الى الموضوع ثانيةً جسماً لهذا الداء العياء.

ومنّن يستحقّ الثناء امين افندي عبد العزيز ناشر كتاب المكافأة لابي جعفر احمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية من ادباء القرن الرابع للهجرة فانّهُ قدّم عليهِ المقدّمات الكافية لتعريف النسخة التي اخذ عنها وتدوين اخبار المؤلف مع تمهيدهِ عذرهُ لعدم وجود نسخة ثانية يعارض عليها نسخته. ومدار الكتاب على ضروب المكافأة والمجازاة سواء كان بالحسن او بالقبيح وهو فريدٌ في جنسهِ.

ينقصهُ في آخرهِ فهرس للاعلام المذكورة فيهِ اتماماً للفائدة

ومن الآداب النصرانيّة القديمة التي نُشرت في مصر في اوّل سنة الحرب كتاب «الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة» يشتمل على خطب تُتلى في الكنائس القبطيّة الارثذوكسيّة في ايّام الآحاد والاعياد في ٢٨٧ صفحة جمعها الشمّاس حبيب جرجس من تآليف قدماء الكتبة المصريين لاسيّما الشيخ الصفيّ ابن العسّال والقسّ شمس الرئاسة المعروف بابن كبر . قد تأنّق فيها مؤلّفوها على طريقة الخطب الاسلاميّة المسجّعة كياسر ابن الحديثي البطريرك النسطوري المطبوعة في الموصل . وكان الاقباط طبعوا قبلها ٥٨ ميمرًا اي مواعظ ليعقوب السروجيّ المعرّبة قديماً عن السريانيّة فنعم الاثران . ويا ليت الاقباط يسعون بنشر مآثر اجدادهم المخزونة في مكاتب اديرتهم

هذا ما وقفنا عليه من ذكر الآداب القديمة امّا الآداب الحديثة فيحقّ لنا ان نقدّم عليها ذكر سفرين جليلين : الاوّل تصحيح لسان العرب . القسم الاوّل بقلم الاديب الفهّام احمد باشا تيمور جمع فيهِ عدّة تصحيحات لمعجم ابن المنظور المعروف بلسان العرب في ٥٩ صفحة من قطع الربع طُبع في المطبعة الجماليّة سنة ١٩١٦ . فنشكر جنابهُ على هذه الخدمة للآداب اللغويّة ونتمنّى صدور قسمهِ الثاني قريباً ان شاء الله . والثاني تصحيح كتاب الاغاني طُبع ايضاً بالمطبعة الجماليّة في ٧٠ صفحة بهمّة العالم اللغويّ محمّد محمود الشنقيطيّ مقابلاً بين طبعة بولاق القديمة وطبعة محمّد السامي الحديثة . ويا حبذا لو قدّم المصحح عليه بعض المقدّمات لتعريف اسلوبهِ . وهذان التصحيحان كلاهما قد عُني بطبعهما وتحقيقهما محمّد عبد الجواد افندي الاصمعيّ

ومن الآداب الحديثة المنثورة المطبوعة في مصر « الاثر الذهبي للمرحوم عطيّه بك وهبي » يحتوي تاريخهُ ومباحثهُ وآثاره الادبيّة المتفرّقة لجامعهِ راغب اسكندر المحامي طُبع سنة ١٩١٥ في المطبعة المصريّة الاهليّة في ٣١٢ صفحة . ومنها ايضاً كتابان طُبعا بمطبعة المعارف وقرّرت وزارة المعارف العموميّة تدريسهما طُبع الاوّل سنة ١٩١٦ وهو كتاب حسن لتربية الاوانس عنوانهُ « الفتاة والبين في ١٢ فصلاً » للسيّدة ج . س دوبوك عرّبهُ صديقنا وتلميذ كلّيتنا سابقاً الشيخ انطون افندي الجميل . والثاني كتيب في التربيّة الاوّليّة والاخلاق في جزئين عرّبهُ حافظ بريهم — وقد طُبع في هذه المطبعة ايضاً كتاب الاجتماعيّات وهي مجموعة مقالات لسيّدة اميريكيّة

« اليزابيت تون » تفيد الآداب النسائيّة والعيشة العائليّة . عرّبتها اوليفيا عبد الشهيد الاقصريّة سنة ١٩١٥

ومما يفيد تاريخ الآداب العربيّة « كتاب تاريخ الاداب العربية من نشأتها الى ايامنا » وهو لاحد اخوة المدارس المسيحية تجد وصفه في اواخر هذا العدد . ومما نُشر ايضاً في ذلك كتاب « حضارة العرب » بقلم اسعد داغر طبعهُ في مطبعة المقتطف سنة ١٩١٩ ضمّنهُ احوال العرب في اطوار تاريخهم وفي علومهم وآدابهم وقدّم كتابهُ « الى صاحب السموّ الملكي الامير فيصل بن الحسين » على انّ منشئ الهلال نسب اليهِ سرقة فصول من مجلّتهِ دون ذكرها . ومن هذا الباب تأليف الاديب عبدالفتاح عباده المسمّى « انتشار الخطّ العربيّ في العالم الشرقي والعالم الغربيّ » طبعهُ في مطبعة هنديّة سنة ١٩١٥ في ١٦٧ صفحة وهو اوّل كتاب عربي وضع في هذا المعنى . ونشر فقيد الاداب المرحوم الشيخ طاهر الجزائري في المطبعة السلفيّة سنة ١٩١٩ كتابهُ « التقريب لاصول التعريب » اودعهُ كثيراً من الفوائد في تعريب المفردات الاعجميّة وحشاهُ بالملحوظات اللغويّة الفريدة ينقصهُ شيء من التنظيم والتبويب . وقد سُدّت هذه الثلمة بما اضيف اليهِ من الفهارس

امّا المنظومات فقد وقفنا منها على الجزء الثالث من ديوان عبدالحليم حلمي المصري الذي نجز طبعهُ في مطبعة المعارف سنة ١٩١٨ وهو في ١٠٤ صفحات . وصاحبها من شعراء العصر المعدودين عدل عن طرائق الشعراء السابقين الى المنظومات العصريّة المتفننة — وقد مرّ لنا ذكر مجموعي المسيو جرجس شلحت تحت عنوان الشكوى : مناجاة الارواح ومحاورة حكيم (ص ١٥٧)

لم ينشر من الكتب الفلسفيّة في علمنا غير كتب قليلة اهمّها « محاضرات الفلسفة العامّة وتاريخها والفلسفة العربيّة وعلم الاخلاق » القاها في الجامعة المصريّة جناب الكونت دي جلارزا في السنتين ١٩١٨ و ١٩١٩ وبحث فيها عن فلسفة هوبس وديكارت ثمّ انتقل الى درس فلسفة الفارابي وابن مسكويه ثمّ عدل الى درس فلسفة الانكليزي يوسف بوتلر . وقد اتسع في ذكر تآليف هؤلاء الفلاسفة ثمّ انتقدها انتقاداً حسناً — ومنها كتاب عنوانهُ الفلسفة الادبيّة عرّبهُ بتصرّف حنّا اسعد وهي فطبعهُ بمطبعة المؤيد سنة ١٩١٩ . وقد ورد هناك ذكر واجبات

الانسان مع قطع النظر عن الدين والخالق وكفى بهِ خللاً كما لا يخفى — ومن الآثار الفلسفية القديمة ثلاثة كتب طُبعت في مجموع واحد وهي هياكل النور لشهاب الدين السهروردي ثمَّ تهذيب كتاب الفصوص للفارابي واصول المنطق لمحمد بن شريف الحسيني

ومن المطبوعات التاريخيَّة المهمَّة كتاب تاريخ سينا القديم والحديث لمؤلفهِ نعوم بك شقير وهو كتاب ضخم في ٧٧٦ صفحة جمع فيهِ كلَّ ما يُعرف عن جزيرة سينا من حيث التاريخ والجغرافية والآثار القديمة والجيولوجيَّة مع وصف دير طور سينا ورهبانهِ ثمَّ ذكر قبائل الجزيرة واخلاقهم الى غير ذلك من الفوائد الممتعة . وقد اضاف اليهِ خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجاريَّة والحربيَّة عن طريق سينا منذ اوَّل عهد التاريخ الى اليوم . فترى ما شُحن بهِ الكتاب من المعلومات هذا فضلاً عن تصاويرهِ العديدة . على انَّ المؤلف فاتهُ ذكر قدماء السيَّاح الذين زاروا دير القديسة كاترينا ووصفوها وقد نشرنا من رحلهم شيئاً . كما نشرنا في مجموعة مكتبتنا الشرقي جدول اساقفة سينا الذي نشرهُ المؤلف (ص ٥١٧—٥٢٥) امَّا سجلّ العهد المنسوب الى صاحب الشريعة الاسلاميَّة (ص ٤٩٦—٤٩٧) فلا نعدهُ صحيحاً كما بينا ذلك في المشرق سابقاً

ونُشر في السياحات « كتاب سياحتي الى الحجاز وهي حوادث واقعيَّة للشيخ غريب بن الشيخ عجيب » في ٤٧٧ صفحة ونظنّ انَّ الاسم يستر حقيقة المسمَّى . ولا يبعد ان يكون واضعه احد اصحاب الرسالة الانكليزيَّة الاميركانيَّة بمصر اتَّسع فيهِ بوصف احوال المسلمين في حجهم الى مكَّة والى المدينة مستندًا في رواياته الى المصادر القديمة والحديثة ويا ليتهُ ذكر اسنادهُ . طُبع سنة ١٩١٥

ولسنا لننسى تأليفين نشرهما في مصر اثنان من قدماء تلامذتنا الوجهاء : الاوَّل وضعهُ بالافرنسيَّة اوغست اديب باشا وعرَّبهُ الشيخ فريد حبيش فطُبع بمطبعة المعارف سنة ١٩١٩ . والثاني « في سبيل لبنان » تأليف الكاتب الاديب يوسف السوداء طُبع في الاسكندريَّة في ذات السنة وقد صار للكتابين شهرة تدلّ على اقبال الناس على مطالعتهما

هذه اخصّ التآليف المصريَّة الحريَّة بالذكر وقد طُبع في القطر المصري كثير من

الروايات الخياليّة وبعض الكتب المدارسيّة من مبادئ قراءة وصرف ونحو كقاموس التمرينات النحويّة الحديثة لمحمد افندي علي (١٩١٨) وغير ذلك ممّا ليس تحتهُ كبير شأن فضربنا عنهُ صفحاً

ثالثاً مطبوعات اميركا

قلّما يطبع الاميركيّون تآليف عربيّة . وقد ذكرنا لهم في عهدنا الاخير ما نشرهُ احدهم الدكتور ويلم بوبر من تاريخ ابي المحاسن بن تغري بردي (ص ٤٧٣) . امّا المهاجرون فمعظم مطبوعاتهم الجرائد ولا حاجة الى ذكرها . وقد ذكرنا ما نشرهُ من المطبوعات المفيدة صاحب ابي الهول الاديب شكري افندي الخوري (ص ٢٣٣) . وكذلك عُنيت الجمعيّة الفلسطينيّة لمقاومة الصهيونيّة في نيويرك بنشر كتاب « فلسطين وتجديد حياتها » ضمّنتهُ خلاصة تاريخ فلسطين ووصف جميع احوالها الجغرافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والتجاريّة الخ سنة ١٩١٩

رابعاً مطبوعات المستشرقين في اوربه

انّ الحرب الاخيرة شغلت كثيرين من المستشرقين عن مواصلة نشر الكتب المفيدة ولعلّ البعض منها لم يبلغنا حتّى الآن . فدونك ما اطّلعنا عليهِ . نشر الدكتور بتروف (D. K. Pétrof) من اساتذة جامعة بطرسبورج القيصريّة سنة ١٩١٤ في مطبعة ليدن في هولندة كتاب ابي محمّد عليّ بن حزم الاندلسيّ المعروف بطوق الحمامة في الالفة والألّاف (ص ١٤٥) مع مقدّمات وفهارس مختلفة في نحو ٧٠ صفحة نقله عن احد مخطوطات ليدن . وابن حزم من فلاسفة الاندلس توفّي سنة ١٠٦٤م عُرف كابي العلاء المعرّي بقلّة دينهِ . ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب الملل والنحل المطبوع في مصر . امّا كتاب طوق الحمامة فانّهُ يبحث عن العشق والعشّاق ولا نأبه لهُ

ومن الكتب الفريدة التي باشر بنشرها المسيو هنري (ماسّه H. Massé) قبل الحرب ولم ينجزها الّا في السنة الماضية كتاب تاريخ مصر لابن المُيَسَّر المتوفى سنة ٦٧٧هـ (١٢٧٨م) يحتوي الجزء الثاني منهُ اخبار الدولة الفاطمية . طُبع في مصر

سنة ١٩١٩ بهمّة الجمعيّة العلميّة الفرنسويّة — وقد طبع في باريس العلّامة كايان هوار الجزء الخامس من كتاب البدء للمقدسي

ومما يستحقّ ذكراً خصوصياً الجزءان الخامس والسادس من منشورات البرنس كايتاني (L. Caetani) متابعاً فيها كتابهُ الجليل المعنون بتواريخ الاسلام (Annali dell'Islam) جمع فيها ما كتبهُ اقدم المؤرخين عن الاسلام في السنين الثلاث للهجرة (٢٣—٢٥هـ)

ومما نُشر في المجلّات الاوربيّة من الآثار العربية : قصيدة قدم بن قادم من اقدم الآثار اليمنيّة نُشرت في مجلّة الدروس الايطاليّة (R. delle Studi Orientali) نشرها العلّامة اوجانيو غريفيني . كما نشر فيها ايضاً وفي المجلّة الاسيويّة الالمانيّة وصف مخطوطات عربيّة عديدة بيعت حديثاً من مكتبة ميلانو . ونشرت مجلّة اوبسالا (Le Monde Oriental, *Uppsala*) كتاب الموفّقيات لابن عبدالله الزبير بن ابي بكّار — ونشر ريشرد هرتمان في المجلّة الاسيويّة الالمانيّة كتاب ابن فضل الله العمري في جغرافيّة مصر السياسيّة على عهد المماليك — ومن منشورات المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالة واسعة للاديب الفرد بيل (Alf. Bel) في كتابات فاس الاثريّة . وفيها عدّة مقالات لحضرة الاب هنري لامنس كالتصوير في مبادئ الاسلام ووصف رحلته الى بلاد النصيريّة (١ . وهناك ايضاً مقامات ابن الاولي مع ترجمتها الفرنسويّة للجنرال فوربيغه والاستاذ دلفين (Gal Faure-Biguet et Delphin) . ومقالة للمستشرق الشهير كارا دي ڤو في بعض الآثار العلميّة عند العرب . وقد نشر المستشرق الالماني برنشتين (F. L. Bernstein) شرح معمّة امرئ القس لابن كيسان في مجلّة العلوم الاشوريّة . وللعلّامة الايطالي الفاضل نالينو نظر اجمالي في المطبوعات الشرقيّة في السنة ١٩١٦ . وبه نختم هذه المقالة مستميحين عذراً ممن يكون سها بالنا عن ذكر مطبوعاتهم

---

١) ولهُ في مجلّة الدروس الشرقيّة الايطاليّة مقالة مدقّقة في آخر ملوك بني امية مروان الثاني المعروف بالحمار . وفي مجلّة العالم الاسلامي (Rev. du Monde Musulman 1920, p. 58-84) مقالة عن رحلة الخديوي عبّاس حلمي حاجّاً الى الحرمين سنة ١٩٠٩ منتقداً على ما نشره محمد لبيب البتنوني سنة ١٩١٦

الحشرات المتطفّلة

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

انّ للمتطفّلين بين العرب قصصاً غريبة وحكايات مضحكة اتّسع في ذكرها كتبهم ورووا منها ما يُنيلهم في ذلك قصبة السبق بين بقيّة الشعوب . على انّ هذا الداء لم يفشُ بينهم فقط ولو تتبعنا عادات بعض الناس في ايامنا لوجدنا منهم بقايا حسنة ممّن يترصّدون الدعوات والمآدب ليتسرّبوا اليها فيأخذوا حصّتهم من ألطافها دون ان يدعوهم اليها احد

على انّ التطفّل لا ينحصر في الناس فقط فانّهُ شائع في كلّ مواليد الطبيعة . فاعتبر مثلاً النبات فانّهُ لا يكاد يوجد شجرة الّا ويتسلّط عليها كثير من النباتات المتطفلة فتلتصق بها وتعيش منها مع ما يلحق الشجرة من الأذى . فمن ذلك ما يعرفهُ البستاني من امر الجعيفل (الجعيفر) (orobanche) الذي يتخلل في صول البطاطا والبندورا ونباتات اخرى فيمتصّها ويضعفها . وفي الغابات لا يجهل ذات الدبق (gui العشق) المتسلّط على السنديان فانّ كلّ هذه النباتات تعيش من فضل غيرها كما يعيش الضيف من طعام صاحبه

وان اعتبرنا الحشرات وجدنا منها اجناساً عديدة تعيش من فضل سواها من الحشرات او من حيوينات اكبر منها . ولا يخلو الانسان من اقتحام هذه الهوامّ المتطفلة التي تساوره وتعيث في جسمه خارجاً او باطناً . وكذلك البهائم والطيور فانّ لكلّ منها حشرات ترتع في ابدانها كالقمل والبراغيث والتردان فمنها ما يمتصّ اجسامها ومنها ما يُنفذ في لحومها مخالبهُ ليغتذي من جوهرها . وقد تبلغ قحة البعض منها الى ان تدخل في باطن الجسم فتستوطن احشاء الحيوان او دماغهُ او طحالهُ او تنفذ تحت الجلد فتتخذ لها منزلاً طيباً تسكنهُ وتتناسل فيه . فمن ذلك برغوث يكثر في البرازيل ويدعى بالشيك (Puce-Chique) وقد انتقل منذ عهد قريب الى اواسط افريقية نقلتهُ اليها مراكب مثقلة بالرمل وهذا البرغوث يعيش في الرمل . لأنثاهُ عادة

بنس العادة اذ تنفذ تحت اظافير الشاة لتبيض هناك بيضها . والانسان لا يحسّ بها عند ولوجها تحت ظفر رجله لكنّها لا تلبث ان تضع نسلها فينمو صغارُها ويغترزون في الجلد فيشعر الانسان بألم لا يطاق ولولا إسراعهُ الى نزعها لتقرّحت رجلهُ

وكم من الحشرات المجنّحة وغير المجنّحة تعيث فسادًا في جسم الانسان وبدن الحيوان وكأنها متطفّلة مستقلة !

ولكن ليست غايتنا في هذه المقالة ان نبحث عن هذه الهوامّ وانّما قصدنا الآن ان نبسط البحث عن الحشرات المتطفّلة على حشرات أخرى لاسيّما تلك التي لا تعشش ولا تخزن قوتاً لنسلها لكنّها خُصّت بغريزة عجيبة وهي وَضْعُها لبيضها على احدى الحشرات الطيّبة لتتسلّط عليها صغارُها عند نقفها لبيضتها . او تودع ذلك البيض في الخلايا التي خزنت فيها بعض الحشرات طعامها من عسل او صيد فتعيش من فضلها . ولا بدع انّ في هذه الامور مظهرا من نظام الخالق عزّ وجلّ الذي قسم لكل حيوانات الكون رزقها وجعل بعضها مطعما للبعض لئلّا يزيد عدد البعض منها الى حدود مفرطة

= * =

سبق لنا وصف العشّ الذي تبنيه حشرة البياوباي (Pélopée) حيث تتّخذهُ من الطين وتجعلهُ خلايا لكلّ بيضةٍ من بيضها تخزن فيها ما تصطادهُ من العناكب ليكون طعاماً لصغارها عند نقفهم لبيضتهم فيتحوّلون الى دودة ثمّ يزدادون نموًّا فيبلغون بعد خمسة عشر يوماً نموّهم التامّ ويبقون في هذه الحالة عدّة اشهر من آب الى حزيران دون ان يخرجوا من عشهم المطيّن

فان عمدتَ الى احد هذه الاعشاش في زمن الخريف وحفظتهُ تحت مشبَك حديدي لاستطعتَ في شهر تموز ان تشاهد الحشرات المحبوسة فيه اذ تثقب سقف عشها المجصّص فتخرج منهُ وقد كساها الله جناحاً فتطير الى المشبك وتتشبّث به من داخله

الّا انك تعاين ايضاً ما خلا هوامّ البياوباي حشراتٍ اخرى تخالفها صورةً ولوناً . فان الاولى مبرقشة بالاسود والاصفر ذات بطن اسود

امّا الثانية فمع قوائمها الهيفاء يتغلّب على لونها الصفرة وبطنها اصفر مستطيل متقوّس ينتهي بابرةٍ طولها ازيد من السنتيمتر . فالحشرتان مختلفتان ليستا من نسل

واحد ما لم يُقل انَّ احداهما تحوَّلت الى صورة الثانية وبهِ يصحّ المذهب الدرويني في تحوُّل الاجناس وهيهات ان يصحّ وهو مبنيّ على شفير هارٍ

فكيف اذن وقوفنا على حقيقة الامر ؟ . هلمَّ بنا نعيد النظر في عمل الحشرة الامّ حينما تصطنع عشّها في شهر آب فها هي قد شيَّدت خلايا صغارها ووضعت في كلّ خليَّة بيضةً وعبَّتها بالمؤونة وهي ما اصطادتهُ من العناكب المخدَّرة ثمَّ سيَّجتها وطيَّنتها فصارت كمدَرة من الطين في ظاهرها . فاجعل هذه المدَرة على منضدتك وراقب ما يقرب اليها من الهوامّ تَرَ بعد حين هامَّةً صفراء طويلة الساقين ينتهي بطنها الاصفر بمثقب من الجنس الذي وصفناهُ آنفاً . فهذه الهامَّة ترفرف امامك دون ان تُلحق بك اذًى اذ لا حُمَة لها جارحة وان اشبهت في صورتها الزنبور . وانَّما تحوم حول مدَرة البيلوباي اذ شعرت بكنهها ولم تنخدع بظواهرها فعرفت انَّ في باطنها دودًا سميناً يحسنُ ان يغذي صغارها . ولكن كيف الولوج الى داخلها وهي محصَّنة في خلاياها وفوق الخلايا صوانٌ من الملاط يردّ عنها غارات العدوّ . لكنَّ زائرتنا لم تيأس منها فانظر رعاك الله كيف تدوّم حول المدرة كأنَّها تحاول البلوغ الى دودها . ثمَّ تراها تحطّ فوق العشّ وتفحصهُ في كلّ جوانبهِ وتعقّب اليه قرنيها مضطربةً ثمَّ تمدّ ابرة بطنها اليهِ وتلويها عموديًّا بالنسبة الى قطب جسمها فتحضنهُ بتسع نقط بقوائمها الست ثمَّ بقرنيها وبمثقب بطنها . فقرناها يُطلعانها على حالة الدود كما يظهر وبهما تقف على ما يفوت ادراك حواسّنا البشريَّة . امَّا المثقب فيجسّ المدَرة لعلَّها تجد فيها صدعًا او فُرجةً ما او غلافًا ارقّ حيث تغرز فيهِ تلك الابرة الشائكة فاذا وجدتْ مطاربها وهي تجدهُ لا محالة فمن ساعتها تجدُّ في ثقبه فترى جسمها في اضطراب الى ان تدرك غايتها فيبلغ المثقب الى جسم الدودة فيرزُّ فيها ملقيًا عليها بيضةً من بيضهِ ثمَّ تنزعهُ الهامَّة وتعيد العمل فوق كلّ خليَّة حيث توجد احدى الدودات فتلصق بها بيضةً ثمَّ تهيم في وجهها

فيا ترى ماذا يجري بعد ذلك ؟ فها قد انكشف السرّ فانَّ هذا البيض ينقف في وقتهِ ويتسلَّط المولود على جسم الدودة السمينة فيغتذي منها ويمتصُّ لحمها حتَّى اذا اقبل الصيف وانفلقت المدرة بفعل الدود يخرج من العشّ صاحب البيت (ان لم يتلف) وضيفتهُ ذواللون الاصفر والبطن المجهَّز بالمثقب الطويل . وهذا المتطفّل هو

المسمَّى في لغة العلم بالاخنومون (Ichneumon)

وليس هذا الطفيليّ وحدهُ بين الحشرات فانَّ كثيرًا منها لا يمهد العيد ولا يجني العسل او يخزن الذخائر ليعدّ طعاماً لنسله عند مولدهم

فبينما ترى عددًا عديدًا من الهوامّ كالفصيلة النحليَّة (les Apiens) تبني التخاريب من الشمع او من الطين او من الموادّ العشبيّة لتودع فيها عسلها وترى فصائل غيرها تودع اعشاشها طعاماً من العيد الذي تقتنصهُ من جراد وعناكب ودود وغير ذلك . وبعض الفصائل تجمع نفايات الطبيعة وما تناثر من اللحوم والجلود والاصواف وما فسد من السرقين الخ حرصاً على صغارها عند ولادتها . ترى على خلاف ذلك اجناساً من الهوامّ التي تعيش من النهب والسلب على نفقة غيرها فتودع صغارها حيثما تجد مطعماً لها ممَّا عُني غيرها بجمعهِ وكدَّ في تهيئتهِ

وليست حشرة الاخنومون صنفاً واحدًا بل هي انواع منوَّعة تشتمل على اشكال عديدة وكلُّها معروفة بالتطفُّل والسرقة . امَّا اسمها فهو مستعار من اسم حيوان يسمَّى عند العرب بالنمس كان قدماء المصريين يعبدونهُ وهو من ذوات الاربع يصطاد الفيران والحرابيّ ويبحث عن بيض التماسيح فيلتهمها وكان البعض يزعمون انَّهُ يدخل في بطن التمساح ويفترس احشاءهُ فيقتلهُ . فأطلق العلماء اسمهُ على الحشرات التي نحن بصددها لأنَّها تشبه النمس بوضع بيضها على الحشرات لتغتذي بلحومها عند نقفها لبيضها

والظاهر من حكمة الخالق انهُ كوَّنها لتقلل عدد غيرها من الحشرات لئلَّا يحصل اذًى بفرط زيادتها . ومن حيث انَّ هوامّ النمس لا تعيش الَّا من موادّ حيويَّة فالامّ تهاجم سواها من الحشرات لاسيَّما الدود لتجعل عليها فوق جلدها او تحته بيض صغارها التي تجد عند خروجها من بيضها سفرةً ممدودةً وطعاماً حاضرًا فتأكل اوَّلًا نسيج ضيفها الشحمي ثمَّ تعمد الى بقيَّة اعضائها الثانويَّة دون الرئيسيَّة لئلَّا تموت فيفسد بموتها طعامُها . ولا تسطو فقط على الدود بل ربَّما طاردت الحشرات التامَّة البنية . وليست كلُّها جاريةً على طريقة واحدة في غاراتها . فلكلّ صنف منها فريستُهُ التي يهاجمها فبعضها يطارد الهوامّ المجنَّحة الطائرة وبعضها ينازل الدود في اعشاشها او بين الاعشاب وكلُّها تعلم كما يقول العرب من اين تؤكل الكتف

اي كيف تبلغ الى فريستها وتوتق من لحمها . فسبحان الخالق الذي جعل قرب كثير من الحشرات اصنافاً تحصر عددها الوافر في نطاق معلوم

وهذه الحشرات التسعيَّة ممتدَّة في كلّ انحاء المعمور تبلغ انواعها بضع المئات وهي تختلف في الوانها وحجمها فمنها ما لا يزيد طولهُ الملّمترين ونصف الملّمتر ويبلغ طول غيرها ٣٠ ميلمتراً اما خلا مثقب بطنها المثلّث الخيوط البالغ طولهُ ٤٥ ملّمتراً . وهذا الصنف بهيُّ المنظر ولا تخلو منهُ انحاء بلاد الشام . ومن طول هذا المثقب العجيب يُستدلُّ على عمق المكان الذي تغرز فيهِ الحشرة بيضتها . فالتي خُضت بمثقب طويل تُدخل بيضها تحت قشر الشجر وفي باطن الخشب وفي باطن التربة لا يقوى شيء على تلك الابرة النحيفة وربَّما ثقبت اصلب الموادّ الى عمق ثلاثة او اربعة سنتيمترات في نقطة حيث لا يستطيع احدُ الناس بصراً من اكتشاف ادنى صَدع

والغريب في ذلك انَّ حشرة النمس تشعر انَّ وراء تلك الحواجز دودةً تصلح لطعام صغارها . واغرب منهُ ان هذه الحشرة اذا سبقتها احدى هوامّ من جنسها فعلقت بيضتها على فريسةٍ ما لا تعود هي فتتعرَّض لها . وان سألتَ كيف يمكنها ان تعرف ذلك والفريسة غالباً في عمق الارض او في عشّ مرصوص او تحت قشر الشجر ثمَّ البيضة المودوعة غاية في النعومة لا تراها العين او هي مُنفَذة تحت جلد الفريسة . اجبنا انَّ كلّ ذلك من الاسرار التي لا يعلمُها الّا الخالق الذي طبع في هذه الحشرات غريزتها العجيبة التي تحيّر عقولنا

ومن خصائص هذه الحشرات تلك الأُسرة التي دعوناها بالمثقب والتي جاد عليها الخالق لتغرز بيضها في فرائسها . فانَّها تختلف طولاً على حسب انواعها فتكون قصيرةً لا تكاد ترى في الجنس الذي يَسْرأ بيضهُ على حشرة ذات جلد املس وطويلةً في الجنس الذي يهاجم الحشرات الشعراء التي تعيش في العشب

وقد وصف العلّامة المسيو فابر صيد حشرات النمس لفريستها وصفاً ممتعاً ننقلهُ هنا عنهُ . قال : « ألا انظر الى هذه الدودات التي ترعى العشب بكلّ طمأنينة واذا بحشرة النمس تأتي محوّمةً في الهواء باحثةً عن اسمن الدود لتصطادها . فتحسُّ الدود بقدوم عدوّها عند سمعها لرفرفة جناحهِ فمن ساعتها تكفُّ عن الرعي وتنطح برأسها ذات اليمين وذات الشمال كأنَّها تريد ان تخيف القاحم عليها لكنَّ ذلك لا

يسلك على النمس ولا تعيره بالًا بل تحطّ بسرعة البرق على الدودة التي اختارتها وبلمح البصر ترمحها بابرتها وتُنفذ في الجُرح بيضةً من بيضها . فمثلاً تحاول الدودة ان تنجو من عدوّها المجنّح الذي لا يخشى خصمًا واذا انتهت من عملها مع احدى الدودات كرّرت العمل مع غيرها الى ان ينفد بيضُها كلّهُ فتطير ناعمة البال

امّا الدودة المبتلاة بهذا الضيف الثقيل فانّها تعود الى رعيها ثمّ تزيد نموًّا بل يصطنع الجنس الذي يشرنق منها فيلجتهُ لكنّ هذه الفيلجة تنسجها في الغالب لعدوّها فانّ بيضة النمس اذا نقفت لا تزال تمتصّ لحم الدودة الى ان تفنيها وتسكن هي الفيلجة المساوبة ثمّ تثقبها وتخرج منها فيتعجّب الناظر كيف تغيّر النسل واختلف صاحب الدار فصار المتطفّل مالكها بدلًا من ديّارها الاصليّ

وان اعتبرتَ في ايّام الربيع مرجاً من الاعشاب وعاينتَ ما يرعاهُ بينها من الدود يأخذك العجب من عددها العديد ثمّ تفكّر فيما سيحصل منها في السنة القادمة حين يولد نسلها النامي فلن تترك شيئاً من الخضرة . ولكنّك ان عدتَ الى المكان في السنة المقبلة وجدت ذلك الدود على ما كان دون ان ينمو عددهُ نموًّا معتبرًا وان بحثت عن سرّ ذلك لاكتشفتهُ في محاربة حشرات النمس لضروب الدود فانّ بين مئة دودة لا يكاد ينجو من فتكات النمس الّا اربع او خمس منها والباقي كلّه يذهب فريسة عدوّهِ . وقد اثبتت الامتحانات المتكرّرة انّ صنفاً من حشرات النمس المدعوّ بالخرج البطن (Micrigaster) يفترس هو وحدهُ تسعة اعشار دود الفراش الابيض الذي يعيث في البقول ويفسدها والنمس المذكور لا يزيد طولهُ على سنتيمترين ونصف . فكم يحقّ شكر البستانيّ لفضلهِ . واعلم انّ بيض النمس غاية في القوّة حتّى انّ البعض منهُ لا يفسد بموت الامّ اذا ماتت وهو في بطنها بل ينقف واذ لم يجد ما كلًا اغتذى من جثّة الوالدة او يأكل بعضُهُ البعض

ومن جوارح الحشرات ما عدا الفصيلة النمسيّة فصائل غيرها ذوات اربعة اجنحة او جناحين تنتهك حمى غيرها فتودع بيضها فيها لتفتات بلحوم دودها او تغتذي بما امتارتهُ صاحبة العشّ من الطعام لذويها . وربّما حدث انّ البيضة الغريبة بعد نقفها تأكل ما تجدهُ في العشّ من دود او طعام ثمّ تُصبح هي ايضاً فريسة لجنس آخر من الحشرات فينال اللصّ جزاءهُ بضربة لصّ افتكَ منهُ . ولكلّ هذه الهوامّ طرائق عجيبة في التلصّص

فمنها حشرة المتيل (Mutile) التي لا جناح لأُنثاها وتشبه النملة لكنها حمراء الوسط فهي تتسرَّب الى دهاليز الحشرات حيثما تشعر بوجود الدود فتجعل بيضها عليها ثمَّ تخرج سالمةً

ومنها حشرة الخريزيس (Chrysis) الجميلة المنظر ذات الالوان المعدنيَّة الناصعة كالذهب والزُّمرُّد واللازورد والارجوان وهي على حجم الذباب الصغير لكنها ذات اربعة اجنحة . فهذه تترصَّد حشرة البمبكس (Bembex) حين تحفر لها سرباً لتموِّنهُ بالطعام لصغارها فهي تطير الى طعامها كطرفة العين وتجعل عليهِ بيضة او اكثر ثمَّ تنطلق

ومنها الميلكت (Mélecte) التي تدخل في مخاريب بعض النحل البرّي فتسرئ بيضتها على بيضة النحلة فاذا نقفت جعلت بيضةُ النحلة اوَّلَ فريستها ثمَّ تعمد الى العسل وتستوطن الخليَّة وتخرج فراشةً وقت الربيع بدلاً من النحلة البريَّة

ومنها حشرة ستيليس (Stellis) التي تثقب لها ثقباً في خلايا صلبة كالحجر لبعض اصناف النحل وتلج من ذلك الثقب الى وسط الخليَّة وتجعل بيضتها على العسل ثمَّ تخرج وتسدُّ الثقب بملاط

ومنها ما يُسرئ بيضهُ حيثما كان فاذا نقفت البيضة قُضي على الصغار ان يطلبوا طعامهم بنشاطهم فيرشدهم وَهْمُهم الى ان يرقوا الى بعض النباتات المزهرة وينتظروا نحلةً ما بريَّة تأتي لجني الزهور فاذا حطت عليها تشبَّثت اثنتان او ثلاث او اربع من تلك الحشرات بزنبر النحلة فتدخل معها في خليَّتها وتأكل عسل صغارها متطفلة

فبهذه الطرائق العجيبة وباتلاف الحشرات بعضها لبعض تبقى الموازنة في الطبيعة بين مخلوقاتها المختلفة

على انَّ في نظر هذه الحشرات التي ندعوها بالمتطفلة ما هو اجدر بالاعتبار وذلك خدمها المشكورة للانسان . يعرف ارباب الفلاحة انَّ لغلاتهم كالقمح ولاشجارهم المثمرة كالليمون والكرمة اعداء الدَّاء من حشرات مفسدة تتسلَّط عليها فتتلفها . فانَّ الخالق اعدَّ لكل هذه الحشرات هوامَّ من جنس المتطفلين تناجزها القتال وتخفف وطأتها عن عاتق الانسان وان لم نكتشف حتَّى الآن لكل الحشرات المؤذية الهائمة المناهضة لاصنافها

فمما نقلتهُ لنا الجرائد الفرنسويَّة الرسميَّة في السنتين ١٩١٢ و١٩١٣ انَّهُ ظهرت في ايطالية حشرة تشبه الفيلوكسيرة يدعونها (Diapsis pentegona) من جنس دودة القرمز فأخذت تتسلَّط على شجر التوت حتى أتلفتها وقد انتقلت من اليابان الى ايطالية مع بعض فسائل التوت الياباني . فخاف الفرنسويُّون على توت بلادهم واستدراكاً للشرّ وضعوا بعض القوانين على الاغراس المنقولة من ايطالية الى فرنسة . وفيما هم يتباحثون في الامر واذا بنبإٍ آخر اثبت وجود حشرةٍ مناقضة لتلك الحشرات تشبه زنبوراً صغيراً فوجدوهُ ايضاً في اليابان فأنثى هذه الطائفة تدسُّ بيضها في دود عدوّها او في جسم انثاها فلا تُبقي ولا تذر . وهذه الحشرات الصالحة تنتج كلُّ انثى منها نحو مئة بيضة فبوقت قريب تنمو عدداً وتلتهم الحشرات المضرَّة بالتوت فلا يبقى منها سوى جلدها اليابس

ومن آفات الليمون حشرة يدعونها ايسَريا بِرخاري (Icerya Purchari) افسدت كثيراً من شجر النارنج في اوستراليا واميركا واوربَّة وكان ظهورها في فرنسة سنة ١٩١٠ الَّا انَّهم عرفوا دواءها بتنمية حشرةٍ أُخرى تدعى نوفيوس كردينالِس (Novius Cardinalis) التي تقتل تلك الحشرة قتلاً ذريعاً فتلاشيها بزمن قليل (١

وقد رأينا آفةً مثلها في بيروت قبل بضعة اعوام في شجر الليمون فما أُرسل الى الشام بعض الحشرات المطاردة لها حتَّى نظَّفت بزمن قليل كلَّ شجر الساحل من تلك الهوامّ الضارَّة

ومن الحشرات المؤذية للقمح هاتة تدعى ساسيدومي (Cécydomie) تشبه البعوضة الَّا انها تسرّ بيضها في زهرة الحنطة لا في الماء كالبعوضة . فالبيضة تتفقَّس فتُرى كدودة صغيرة حمراء تنمو متمدِّدةً في غلاف الحبوب فتقرضها بحيث تصبح السنبلة فارغةً وقت الحصاد واذا كبرت الحشرة ترمي بنفسها الى الحضيض متعلِّقةً بخيطٍ تجُّهُ كالعنكبوت ثمَّ تغرز في الارض . وقد بلغ سنة ١٨٤٦ ما اتلفتهُ هذه الدودة من القمح في بلجكة مليونين من الهكتولتر . غير انَّ الله وضع

١) راجع مجلَّة كسموس (Cosmos) في عددَيها ٢٦ حزيران و٢٣ ت ١ ١٩١٣

دواء لهذا الداء. وذلك حشرة غاية في النعومة من الفصيلة النسيّة يدعونها بيلّة بوسك (Psylle de Bosc) وهي مجهّزة بقرن صغير في أعلى بطنها فتحوم فوق السنابل وحيثما تجد الحشرة المفسدة ترزّ في جسمها بيضة من بيضها فهي تنقف بعد قليل وترعى جسم الدودة المؤذية فتقتلها

وفي اميركا صنف آخر من الساسيدومي يتولّد في سوق السنابل فيجففها وقد اتلف هناك ما لا يُحصى من الغلّات . وانّما العناية الالهيّة نجّت منهُ بلاد اوربة بواسطة نمس صغير يقوم في وجه هذا العدوّ فيفتك بهِ

غير انّ في اوربّة آفةً أخرى لفساد الغلات ألا وهي حشرة ذات جناحين تشبه الذبابة العاديّة تدعى اوسين (Oscine) تعيث في كلّ اصناف الغلال كالقمح والشعير والجاودار والشوفان. لكنّها هي ايضاً لها عدوّها وهو نوع من النمس نحيف الجسم يطارد ذاك العابث في سوق السنابل ويُنفذ في بطونها بيضهُ الذي يهلكهُ عند تفقّسهِ

فانظر رعاك الله عناية الخالق الذي يجعل قرب كلّ داء دواءهُ وما خوّل لهذه الحشرات النسيّة من الخواص ليرينا قدرتهُ في مخلوقاتهِ الصغيرة كما في الكبيرة فلنوجّه في كلّ شيء نظرنا الى ذاك الذي يظهر لنا آيات حكمتهِ في كلّ شيء تبارك اسمهُ وسبحانهُ تعالى الى ابد الدهور

كتاب الكتّاب لأبيه درستوير

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الخامس

وهذا باب الحذف وفصوله

١ شروط الحَذْف وأُصولهُ وعِلَلهُ

اعلم انّ اكثر ما يُحذَف في الكتاب الحروفُ المكرَّرة كراهيةَ اجتماع الاشباه في الخطّ كما يدغمون المضعَّف في اللفظ استثقالاً للتضعيف او حروف المدّ واللين

لاعتلالها وثقلها وتعاوُر السكون والحركات والتنوين اياها مع (28') كثرتها في الكلام وانهُ لا يخلو من احدها او من الحركات كلمة وانما الحركات منها فيُستخفّ بحذفها من الكتاب كما يُفعَل ذلك في اللفظ . واكثرُ حروف اللين حذفاً الالفُ لضعفها وانها اكثر في الكلام من غيرها

٢ حذف المُدغَم من الخط اتّباعاً للّفظ

فما يُحذَف لاجتماع الاشباه كلُّ حرفَين أُدغما من كلمة واحدة فانهما يُكتبان حرفاً واحداً صحيحاً كان او معتلّاً لانهم كرهوا في الكتاب ما كرهوا في الكلام من التضعيف وذلك مثل دال مُدَّ وميم مُحَمَّد الثانية وتاء اتَّزَنَ ودال ادَّكَرَ ومثل واو عَدُوّ وسُوّ ويآء يُحَيّ ومَرْمِيّ . فان وقع الادغام في حرفين من كلمتين لم يجب الحذف لانَّ ذلك لا يلزمها في كلّ موضع اذ كانا قد يفترقان فكأنهُ لم تجتمع الاشباه وذلك مثل لام التعريف اذا أُدغمت مع غير اللام كقولك السَّلام والرَّحمن والسِّراط فهذه اللام تثبت في الكتاب لانها تفارق ما دخلت عليه ولأنها جآءت لمعنًى لا يُعلَم الّا بها . وكذلك هي اذا أُدغمت في لام كقولك «اللهُ واللَّيلُ (28') واللَّوْ» وتثبت في غير الادغام في مثل «الّآل والخَيْر» الّا أن يَعرض عارض يوجب مخالفة القياس كحذفهم من «الّذي والّتي» ومن «الّذين» اذا كان جمعاً احدى اللامين للفصل بين ذلك وبين التثنية في «اللّذَين واللّتَين» فالمحذوفة من الكتاب هي اوّل الاسم لا حرفُ التعريف وكان اثباتُ اللامين فيما هو لِاثنين أولى عندهم فاذا صغّروا «الّذي والّتي» ردُّوهما الى الاصل فكتبوهما بلامَين «اللّذَيّا واللّتَيّا» لانَّ ذلك لا يُشبه التثنية . ولا تُحذف اللّام من «اللاّءي واللّاتي» لانهما لا يلتبسان بالتثنية وانما حُذفت اللام من الّذي والّتي لانهُ اسم مُبهَم طويل كثير الاستعمال يلزمهُ حرف التعريف ولا يفارقهُ فتكثر في اوّله الاشباه وللفصل بين التثنية وغيرها . وكذلك كلُّ فعل أُدغمت لامهُ في علامة الضمير مثل «أَخَذْتُ واَجَدْتُ وبَسَطْتُ وخَبَطْتُ» ومثل قوله (١ : «يُدرِككُمُ المَوْتُ» لا يُكتَب ذلك الّا على البيان ولا يُحذَف لأنَّ هذا الضمير يفارق الفعل فيكون مرّةً واوًا

١) سورة النساء ٨٠

ومرّةً نوناً مثل « فَمَّاوا وفَمَّنَ » ولا يلزم. فحكمهُ حكمُ المنفصل الّا ان يقع شيء من هذا في باب نحوٍ او حكاية لغةٍ فتثبت على اللفظ والادغام ليتبيّن المقصود كاستشهادهم في الادغام بقول علقمة (٢٩٢) :

وفي كلّ حيّ قد خَبَطْتَ بنعمةٍ فَحُقَّ لشأسٍ من نداكَ ذَنُوبُ

فلو كتب هذا « خَبَطْتَ » بالتاء لَمَا عُلم معنى الاستشهاد به . وكذلك ما كان في كلمتين مثل « هلْ تَدْري » اذا كتبتهُ في نحوٍ او تفسيرِ لغة كتبتهُ على اللفظ بالادغام كقول الشمّاخ :

وقالَتْ بيَسْؤُودٍ كأنَّ عيونَها الى الشمس هَتْدُورٌ وكيْ نَوَاكِبُ

يريد « هل تَدْنو » . وكذلك قولهم « كنتُ مَخْهُم » يريدون « مَعْهم » لأن مثل هذا لا يُعلم الّا بحكاية اللفظ بالخطّ . فامّا ما أُجري في الخطّ من المدغم في كلمتين مجرى المدغم في كلمة واحدة كهلّا والّا وعمّا وعمّن ومّا ومنْ ولمّا وامّا فقد مضى تفسيرهُ في ما تقدم. فهذا قياس كتاب جميع الادغام

٣ حذفُ غير المدغَم لاجتماع الأشباه أو الشبهين في كلمة

فامّا ما يُحذف لاجتماع الاشباه غير المدغمة فانّ كلّ ألفَيْن او واوَيْن او يائَيْن اجتمعتا في كلمةٍ واحدة حُذف احدهما وأُثبت الآخر الّا أنْ (٢٩٣) يُخافَ لبسٌ او يُحتاجَ الى عِوَضٍ او يُستخفَّ شيء فلا يُحذف . وكلّ ثلثِ ألفاتٍ او واواتٍ او ياءاتٍ اجتمعنَ في كلمةٍ حُذفت احداهنّ وأُثبتت اثنتان على ما نحن مبيّنوهُ ان شاء الله

٤ حذفُ غيرِ المدغَم لاجتماع الشبهين خاصّةً في كلمة

فمن ذلك احدى الالفَيْن في مثل « آدَمَ وآخَرَ وآمِرٍ وآنِبٍ » وفي مثل البَرَآءة والقَرَآءة والنَجَآءة » وفي مثل « آلافٍ وآجامٍ وآبارٍ » ومثل « الإسار » مصدر أسرتُ (١) . وقوله (٢) : يَسألون عن أنبآئكم » وهما يقرءآنِ . الّا انهم يكتبون مثل « قرأ » او « ملأ » كليهما بألفَيْن لئلّا يلتبس بفَعَلَ وحذفوا احدى الواوَيْن في مثل « داوُدٍ وطاوُسٍ

١) كذا في الاصل والصواب : « الإسآر مصدر أسأرتُ »

٢) سورة الاحزاب ع ٣٠

ومَوْئنة وشُؤْن ورُؤْس ومسئول وسآءوا وجآءوا جميعاً وهم يجيئون ويسيئون ويقرَؤن ويَشْنَئون ويَجْشَئون وهم يجئون ولم يستئوا حذفوا كلّ ذلك لاجتماع الواوَين وانضمام احداهما واثبتوا في مثل «رَوَوْا ولستَوْا وهم الأقوَوْن ومجتوَوْن» للمفعولين لانفتاح الاولى ولأنهم قد يتوهمون من الثقل والخفّة في الخط ما يتوهمونه في اللفظ . ومع ذلك انّ لام الفعل في هذه الاشياء (30r) محذوفة فلمّا رأوا خفّة الفتح لم يخلّوا بالكلمة بحذف شيء آخر

واما اثباتهم الواوَين في قولهم «ذَوُو مالٍ» فللفصل بين التثنية والجمع واحدى اليآءَين في مثل «الجَآني واللآني والمُقرِنين والمستهزِئين» الجمع يُحذَف لما قلنا . ولا يُحذف من التثنية في مثل «المُقرِنَيْنِ والمستهزِئَيْنِ» لئلّا يلتبس بالجمع ولا من مثل «المُصطَفَيَيْنِ والاقوَيَيْنِ والاعلَيَيْنِ» لما قلنا ولانفتاح الأولى ولا يُحذَف من «المِئين» لانهُ اسم منقوص فعلامة الجمع فيهِ كالعِوَض من نقصانهِ . فلو حُذفت الهمزة لَبقي على حرفٍ واحدٍ . ولا يُحذَف في مثل «رَئيس وبَئيس» فيلتبس بباب فَيعِل من المعتلّ عينهُ كسيّد ومَيّت . وكذلك كلّ مصدر ممّا اعتلّت عينُهُ بالياء وكانت على التفعيل «كالتَّسيِيز والتَّغيير» ولا يُحذَف لئلّا يلتبس بمصدرهِ الذي على التفعُّل «كالتغيُّر والتميُّز» . وكذلك يُفعَل ممّا فآؤهُ همزةٌ وعينُهُ ياءٌ او واو مثل «يَئيضُ أيضاً ويَؤولُ أوْلاً» . ولا يُحذَف لئلّا يلتبس بيَفعِلُ ويَفعُلُ من مثل الألِ والأضِ . فهذا قياس كلّ ما يجتمع فيهِ مثلان فيُحذف منهُ او لا يُحذَف

٥ حَذْف غير المدغَم لاجتماع ثلاثة اشباه في كلمةٍ *

واما اذا اجتمعت ثلثة اشباهٍ ويُحذَف منها واحدٌ فمثلُ الألفات في (30v) «القرَآآت والبرَآآت والفُجَآآت» وقد جَآآ كِلاهما وَشَآآ ولن يَشَآآ» ومثل المدود كلّهِ اذا نُصِب ونُوِّن كقولك «شربتُ مآءا ولبستُ رِدآءا وأعطيتُهُ إعطآءا» ومثل الهمزتَين يُفصَل بينهما بألِف كقولك : «آأنتِ أمْ أمُّ سالمٍ» ومثل

* اعلم انّ في هذه الفصول عدّة اصطلاحات لا يجري عليها النُّحاة الّا نادرًا ومنها ما لم يمكنّا تصويرهُ لعدم وجود الحركات الطبيعية لذلك لا سيّما المدّة على غير الالف والمدّة مع الهمزة المتحرّكة فوق الحروف الوسطى غير الالف (المشرق)

الواوات في « المَوْدَةِ ويَسُوءُون وُجوهَهُمْ ويَنْزُون بالأعبـاء » ومثل اليآءات في « النَّبِيِّينَ والطِّيِّينَ وتَجِيئِينَ وتَفِيئِينَ »

٦ حذف ما شُبِّه باجتماع الاشباه وبحروف اللّين في كلمةٍ

وقد يُشبَّه بالأشباه ما قـاربها وبحروف اللين ما ليس منها في بعض المواضع فيُجرى مجراها في الحذف. فمن ذلك الالف واللام اذا وقعت قبلهما لامُ القَسم او لام الإضافة حُذفت الالف لأنها تُقـارب اللام في النصبة وهي حرفُ وصلٍ كثيرُ الاستعمال وذلك قولك « للمَرْءِ أفضلُ من المرأة. وللمَرْءِ على المرأةِ فضلٌ » فكأنَّ لامَي القسم والاضافة ههنـا مشبَّهتان بهمزة الاستفهام من قول الله جلَّ وعزَّ (١ : « آللهُ أذِنَ لكم » ونحوه . وكذلك الف الوصل في « أيْمُ اللهِ وأيْمُنُ اللهِ » لأنها مفتوحة كألف اللام وهي كثيرة الاستعمال فتُجرَى مجراها (٢) فتُكتب « لَيْمُ اللهِ ولَيْمُنُ اللهِ » الّا ان تجعل ذلك نفياً بلا كما كان الايجاب باللام فيُكتب « لا أيْمُنُ اللهِ » وقد كنّا ذكرنا تفسير ذلك ولا يُفعل هذا بسآئر ألِفات الوصل غيرَ المفتوحة كقولك : « لاسْمُ اللهِ أجلُّ . ولِاسْمِ اللهِ خضعتِ الاسماءُ »

واعلم انه اذا دخلت الالف واللام على كلمةٍ اوّلها لامٌ ودخلت عليها احدى لامَي القسم والاضافة حُذفت مع ألِفِ الوصل لامٌ وهي التي في اوّل الكلمة لأنَّ ذلك عندهم كاجتماع اربعة اشباه فحذفوا اثنين كقول الله (٢ : « وللهِ على النّاس . وللّذين يُؤلُون مِن نسائهم » وقولك : « للّيْلُ أخفى للويل » ويستوي التثنية والجمع والمذكر والمؤنث في هذا الموضع في الّذي كقولك « للّذي وللّتي وللّذَيْنِ وللّتَيْنِ وللّذين وللّتين » ولا فرق بين ذلك الّا بالشكل . وامّا من كتب (٣ « فأالِ الّذين كفروا » فلا يجوز ما كُتب في غير المصحف وقد بيّنّا ذلك . ولا يجوز ان تُجرَى همزة الاستفهام مجرَى هاتين اللّامين فتُحذَف معها اللام التي تكون في اوّل الكلمة لانَّ الألِف لا توصل في الخطّ بما بعدها . وما لم نذكرهُ من هذا النحو قياسُهُ ما ذكرنا (٢)

١) سورة يونس ع ٦٠
٢) سورة آل عمران ع ٩١ وسورة البقرة ع ٢٢٦
٣) سورة المعارج ٣٦ . راجع ما ورد سابقًا في الفصل الثاني من الباب الرابع

٧ حذف ما شُبِّهَ بالاشباه من كلمتَين

ومما يُشبه باجتماع الامثال في كلمة كانت في اوّلها الفاً ولحقتها همزة الاستفهام مثل قوله (١ : « أآمَنتُم لهُ قَبلَ أَنْ آذَنَ لكم » وقولك : « أآمِرٌ انتَ ام ناهٍ . وأآخذٌ انتَ امْ مُعطٍ » . لا يُكتَب ذلك الّا بألفَين ومنهُ كلُّ كلمةٍ اوّلها ألف وصل ولَحِقَتها همزة الاستفهام حُذِفت الصلة كما تقدّم تفسيرهُ في باب الهَمزة

ومنهُ حرفُ النداء فانّهُ يُحذَف الفُهُ اذا وقعت بعدها كلمةٌ اوّلها همزةٌ قطع ويخلفُها صورةُ الهمزة مِكانها كقوله (٢ : « يآ أَبتِ لا تَعبُدِ الشيطانَ » وكقولهم « يآءَمتاه ويآءَخيَّ ويآءَخي» بالتصغير والتكبير . « ويآوُلآء ويآءَيُّها الرجل ويآءَيَّتُها المرأةُ » . فان كانت الهمزة بعدها ألف كآدَمَ وآخَرَ لم تُحذَف منها الفُ « يا » لسقوط الألف التي بعد الهمزة ولكن تثبت مثل «يا آدَمُ ويا آخَرُ» . وان وقعت بعدها الفُ وَصلٍ أُثبتت بعدها الف « يا » وحُذفت الف الوصل لأنَّ الزائدَ بالحذفِ أَولى كقولك « يآبنَ الاكرَمين ويآمرَةُ » وكقوله (٣ : « الا يآسجُدُوا لله » وقولك « يآلله » في لغة من وصل ولأنها تسقط (32) من اللفظ ايضاً كقول الراجز :

انّي اذا ما أَلَمُّ أَلَمّا أقولُ يالَّهُمَّ يالَّهُمّا

ومن ذلك قول الشاعر :

مِنَ أَجلِكِ يالَّتي تَيَّمتِ قلبي وانتِ بخيلةٌ بالودِّ عَنّي

وقول ذي الرُّمّة :

أَلا يآسَلمَي يا دارَ مَيٍّ (٤ على البِلَى ولا زالَ مُنهَلًا بجَرعائِكِ القَطرُ

كأنّهم فعلوا هذا لاجتماع الألفين مع كثرة الاستعمال ولم يريدوا اجراءَ هذا مُجرَى همزة الاستفهام لأنَّ تلك على حرفٍ واحد وهذه حرفان بمنزلة هاءٍ في التنبيه . فاذا حُذف احدُهما خلَفَهُ الآخر ودَلَّ عليه

١) سورة طه ع ٧٤

٢) سورة مريم ع ٤٥

٣) سورة النمل ع ٢٥

٤) في ذيل الكتاب الحاشية التالية : « صرّف مَيّا ههنا لأنّهُ جعلها على حيالها بعد سقوط الهاء كأنَّ اسمها مَيٌّ

وتحذف الالف من حرف التنبيه اذا وقعت بعدها همزة من اوّل اسم مضمر او الف وصل لكثرة استعمال التنبيه معها ولاجتماع المثلين وذلك قولك: « هأنا ذا وهآك وهآنتم ولا هآلله ذا » والمحذوفة ههنا الف الوصل ولا يجوز حذفها من مثل « ها انّ زيداً في الدار » لانهُ ليس ممّا يكثر استعمالهُ مع حرف التنبيه ومنهُ قول النابغة (٣٤٢):

ها انَّ تا عِذْرَةٌ إلّا تكُنْ نَفَعَتْ فانَّ صاحبَها قد تاهَ في البلدِ

وتُحذف ألف هَا ايضاً في غير هذا الموضع وسنذكر ذلك ان شاء الله

٨ الحذف على الشُّذوذ تشبيهاً باجتماع الاشباه في كلمةٍ

وممّا يُحذَف على الشُّذوذ تشبيهاً باجتماع الامثال لكثرة استعماله وانّهُ لا يلتبس عند حذفهِ بغيرهِ ألف « إلٰه » التي بعد اللام انّما هو في اللفظ « إلاهٌ » كما ترى . وكذلك يُفعَل اذا لحق الاسمَ الالفُ واللامُ فيكتب « اللهُ » وهو في اللفظ « اللاهُ »

ومنهُ الف « العَلَمِينَ » (العالمين) التي بعد العين انّما فُعل ذلك لمّا كان في اوّل الاسم الفٌ ولام وفي آخرهِ واو ونون فطال وكثُرَ استعمالهُ مع ذلك حتى عُرِف وقاربت الالف اللام في الصورة فكثرت الاشباه فيهِ ولم يلتبس حين حُذف . واذا لم تُدخِل الالفَ واللام في هذا الاسم ولم تقع في آخرهِ علامة الجمع لم يَجُزْ حذف الالف من الكتاب . ولا تُحذَف منهُ ايضاً اذا ثُنّي كراهةَ الالتباس . وعلى هذا القياس حُذفت من كلّ صفة كثيرة الاستعمال من اسماء الفاعلين اذا اجتمع فيها ما (٣٤٣) اجتمع في العَلَمِينَ كالصّالحين (الصالحين) وهو شاذٌ لا يقاسُ عليهِ . ولا يكتب احد « الجالسين والطالبين » ونحوهما الّا بإثبات الالف

وقد كتبوا « السَّموات » (السماوات) بحذف الالف وهي أبعَدُ لانَّ بين الالفين واوًا وان كان في اوّلها التعريف وفي آخرها علامة الجمع فاذا كتبوا السَّماوَةَ او سَماوَةَ لم يحذفوا . وعلى هذا حذفوا الالف من « المَلَكة » (الملائكة) بعد اللام لانّها جمعٌ ايضاً وفي آخرها تأنيث وكثُر استعمالُها . وكذلك « سَلَمٌ » (سلام) عليك « في صدور الكتب » والسَّلَمُ عليك » لكثرة الاستعمال وانَّ الالف كاللام في الصورة فحُذفت في التحيّة ولا تُحذَف في مثل « السَّلامُ المُؤمِن » ولا مِن مثل « عبدِ السلامِ »

ومما أُجري هذا المُجرى من اسماء الايام «الثَّلثآء» «الثلاثاء» لكثرة الألفات واللامات فيه مع اجتماع علامة التأنيث والتعريف فحُذفت منهُ الألف التي بين اللام والثآء.

ومن ذلك حذف الألف من «الألف» «الألاف» جمع ألف اذا كان العدد مضافاً اليها لانَّ ما قبل العدد يوضح المعنى وذلك «ثلثة آلف واربعة آلف» الى العشرة فان لم يُضَف اليها العدد أُثبتت فيها اللام فكُتبت هي الألوفُ التي تُعرف . «وهذه الآلفُ» لئلَّا تلتبس بالواحد . فان كانت (ﺟﺍ) الآلاف جمع الف الذي هو آليفٌ وأُضيفت الاعداد اليها لم يَجُز فيها الحذف لأنَّها لم تكثُر كثرة العدد . ومنهُ «ثَلَثٌ» «ثلاث» في العدد اذا أُضيفت الى المعدود حُذف منها الالف فكتبتَ «ثَلَث نِسوةٍ وثَلثانةٍ» لانَّ ما بعدها يوضحها . وان افردتَ أثبتَّ الالف لئلَّا تُشبه «الثُّلث» الذي هو بعض الشيء كقولك : «انَّ من خِلال المؤمن ثلاثاً» . وان كانت صفةً حُذفت ايضاً كقولك : «النِّسوة الثُّلَث والقُرى الثُّلَث» فاما «ثَلثة» فتُحذف منها الالف مفردةً كانت او مضافةً وكذلك «ثَلثون» لأنَّ في لفظها علامة تأنيث وجمع وانَّما حذفوا ذلك لكثرة استعمال العدد وكراهية اجتماع ما أشبَهَ المثلَين مع انَّ معناهُ معروف . ولم يحذفوا الف «ثَمنيَة» «ثمانية» لاجتماع مثلين ولكن تخفيفاً ولأنَّ فيها تأنيثاً يكون خلفاً من الالف ومعناها معلوم مفردة كانت او مضافة . وكذلك «ثَمَنون وثَمَنوكَ» (ثمانون وثمانوك) «واما «ثمانٍ» فلا يجوز فيها حذف ألفها البتَّة لانَّها عِوَض من ياء النسب وليس يخلفها شيء فهي ثابتة في الافراد والاضافة كقولك «ثماني نِسوة وثماني مائة درهم وهؤلاء نِسوةٌ ثمانٍ» . ولا تُجرى هذه مُجرى «ثَمنية وثَمنين» لأنَّ في هاتين علامتين صارتا كالعوض مما حُذف منها . والكتّاب (ﺟﺍ) يحذفون في العدد والحساب ذلك فيكتبونه «ثمني مائة» وهو رديء ونحن ذاكرون ما حُذف تخفيفاً لغير اجتماع المثلين

٩ الحذف للتخفيف قياساً لا لاجتماع المثلَين في كلمةٍ

فمن ذلك كلّ ياء في آخر اسمٍ وما قبلها مكسورٌ وهي منوَّنة في حال رفعٍ او جرٍّ او ما اشبه ذلك لأنَّها تُحذَف في اللفظ لالتقآء الساكنين في حال الإدراج وأُجري في الكتاب على ذلك في الوصل والوقف فكُتب «هذا قاضٍ ومررتُ بجوارٍ وهذه ليالٍ وثمانٍ وهذا عَمٍ ومُستَوٍ ومُستَقص» ونحو ذلك فان أُضيف شيء من

ذلك لو دخلتهُ الالف واللام أثبتت فيه الياء لأنّ التنوين قد ذهب فيُكتب « هذا المسمّى والليالي » ومررتُ بقاضيك وثمانيك . وهذا قاضي مكّة ومشتري الحمد » ونحو ذلك كذلك فهذا جارٍ على القياس

ومنهُ اليآآت التي يتّصل بها الضمير بعد حروف الجرّ كقولك « مررتُ به ووقفتُ عليه ومررتُ بغلامه » وذلك انها تُحذف من اللفظ في الوقف . وكذلك الواو بعدها في موضع (34) النصب كقولك : « رأيتهُ وانّهُ ولعلّهُ » وليس ذلك هاهُنا بمنزلته في ضرورة الشعر نحو قول الشاعر :

فان يَكُ غثّاً او سميناً (١ فانّني سأجملُ عينيهِ لنفسي بقثعما

ومنهُ حذف الف الوصل من « ابن » خاصّة اذا كانت صفةً لعلم او ما اشبه العلم من كُنيةٍ معروفة او لقبٍ غالبٍ او صفةٍ مشهورةٍ مضافاً الى مثل ذلك فانّها تُحذف من الكتاب كما يُحذف التنوين من الموصول بابن في هذا الموضع من اللفظ ليكون في الخطّ دليلٌ على ما حُذف من اللفظ اذ كان التنوين ساقطاً من الخطّ على كلّ حالٍ وذلك مثل « مُحمّد بن عبدالله وعليّ بن ابي طالبٍ وثابت بن قُطنة وابي عَمرو بن العَلاء وفلانِ بن الخليفةِ وفُلان بن فُلانٍ وهيّان بن بَيّان وطاهر بن طاهر » لأنّها كنايات عن تلك الاشياء . فان لم يكن ابنٌ صفةً لشيء من ذلك وكان مُضافاً الى مُضمَر او مُبهَم او شيء غير ما وصفنا او كان مُثنّى او مؤنّثاً لم يَجُز حذفُ الفِهِ من الخطّ كما لا يجوز حذفُ تنوينه من اللفظ وذلك مثلُ « فلانُ ابنُ الجمّالِ وزيدُ ابنُ هذا وهذا ابنُ زيدٍ وهذا ابنُكَ ومريم ابنةُ عِمران وزيدٌ وعمروٌ ابنا فلان » وان كان قد اضطرّ (35) شاعرٌ فنوّن مثل هذه الاسماء الموصوفة بابنٍ وجب اثبات الالف في الخطّ ايضاً كقول الراجز :

جاريةٌ من قيسِ ابنِ ثعلبَهْ كأنّما حليتُهُ سيفٌ مُذهَبَهْ

وقد يَحذفُ الكتّابُ الفَ « اسم » (بسم) اذا وقع بين الباء وبين اسم الله لمّا كان مفتتحاً لكل قولٍ وعملٍ وكتابٍ وكانت الالف حرف وَصل وعُرف معناهُ حذفوهُ

(١ في الاصل غثّاً بالغلط

تخفيفاً ولا يجوز ان يُفعَل ذلك بغيره ولا به مع غير الباء وغير الله عزّ وجلّ لأنهُ شاذٌ عن القياس

وتُحذف ألف الوصل ايضاً من كلّ فعلٍ اصلهُ الهمزة اذا وقع قبلها حرفٌ لا ينفرد كالفاء والواو ولام القسم وذلك قولك : « زَيدًا فَأْتِنِ وعَمرًا فَأْمُرْ » لمّا سقطت ألف الوصل كُتبت الهمزة ايضاً لانّ ما قبلها لا ينفرد وهي تتبع حركة ما قبلها . وكذلك قولك « امّا زيدٌ فَأْتَمِنْ عَمرًا وَأْتَمِنْ زَيدًا وَأْتَجِرْ عبدَالله » . ويُكتب « ثمّ ٱنْتَجِرْ زيدٌ . وثمّ ٱئْتَمِنْ عمرًا » على حركة ألف الوصل لانّ « ثمّ » تنفرد والواو لا تنفرد . ويُكتب « واللهِ لَأَتجارُكَ خيرٌ من انتجار عمرو » لانّ « مِن » تنفرد . وامّا لامُ الاضافة مع مصدر هذا الفعل ونحوه فتجري مُجرَى باء الاضافة (٣٩) وكأنّها لا يجوز معها حذف ألف الوصل لأنّ الاسم اخفّ من الفعل وانّما يُحذَف ألف « ٱسم » على غير قياس وليست الباء والكاف واللام بمنزلة همزة الاستفهام اذا حُذفت معها الف الوصل من هذه الافعال المتصادر وفي غيرها ممّا ليس بمهموز . فهذا قياس ما لم نذكره من هذا النحو

وممّا حُذف تخفيفاً على غير قياس واطّرد حتّى صار كاللازم قياساً ألفُ هَا التي للتنبيه اذا كانت مع الاسماء المبهَمة خاصّةً وذلك للزوم الاشارة المبهَمة وكثرة استعمالها معهُ حتّى عُرف المعنى ولم يلتبس ووجب تخفيفُهُ كما فُعل ذلك بيا للزومه المنادى وذلك « هَذا وهَذي وهذانِ وهؤلاء وهكذا » ولا يجوز حذفها من « هاتي وهاتا » لقلّة استعمالها وانّ « هذه وهذي » تنوبانِ عنها ولخوف الالتباس ولا يُحذَف من هاتين لمثل ذلك . ولا تحذَف في « هاذاك » ولا في « هاؤلئك » لمجيء الكاف لانّها انّما تجيء للاشارة الى غائب والغائب بعيدٌ من التنبيه . ولا يجوز ايضاً حذفُها في « هاهوذا وهاهي به وهاهُما ذانِ وهاهُم أُولاء وهاهنّ أولاء » ولا في « هاهنا » لئلّا تتّصل الهمزتانِ ولا في « ها نحنُ » لقلّة الاستعمال . واعلم انّ « هؤلاء » قد حُذفت منها مع ألف هَا همزةُ أولاء ايضاً (٤٠) ونابت الواو عنها في الخطّ كما نابت في « هاؤلئك » وقد حذفوا ألفَ « ذَا » في « ذلك » وفي « كذلك » وألف « أُولاء » في « أولئك » وذلك لاجتماع المتشابهِ في الخطّ . وكذلك الف « لكن » الخفيفة والثقيلة . وما حُذف على الشذوذ كثير نذكرهُ ان شاء الله

١٠ الحذف للتخفيف على الشذوذ لغير اجتماع الأشباه ولا للتشبيه باجتماع الأشباه

فمن ذلك ألف « الرَّحمن » (الرَّحمان) اذا دخلت عليهِ الالف واللام وذلك لشهرتهِ وكثرة استعمالهِ مع الله كما فعل ذلك « بسُبْحَنِ (سُبْحان) الله » تُحذف النُّهُ ما دام مضافاً الى الله لأنَّهُ كثر استعمالهُ في تنزيهِ الله بهِ عند كلِّ حادثةٍ وكذلك هو ان حُذفت الاضافة منهُ في اللفظ وكان معناهُ ذلك كقول الاعشى :

اقولُ لمّا جاءَني فَخْرُهُ سُبْحَنَ من علقمةَ الفاخرِ

فان أُضيف الى مضمر كقولك « سُبْحانك لا كفرانَكَ » او نُوِّن لم يَجُزْ حذفُهُ كقول امية :

سُبْحَانَهُ ثمَّ سبحانًا نَعُوذُ بهِ وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُودِيُّ والجَمَدُ

(36v) ولا يَجوز ان يُجرَى مُجرى سُبْحَنَ الله شيءٌ مما يشبههُ لانهُ على غير قياس

ومن ذلك « الحرث » (الحارث) الذي هو علم ما دامت فيهِ الالف واللام تُحذف النُّهُ لانهُ مما يكثرُ تسميةُ العرب بهِ فهو لا يلتبس بغيرهِ فاذا نُزعت منهُ الالف واللام كُتبت فيهِ الالف لئلّا يُشبهَ « حَرْثًا » . وكذلك « القَسِم » (القاسم) فان عُني بهما الصفة كالحرّاث والقسّام لم يَجُز حذفهُ . ومثلهما صَلِح وخَلِد ومَلِك » (صالح وخالد ومالك) اذا كانت اعلاماً حُذفت الالف لانهُ ليس من اسمائهم « صُلح » ولا « خُلد » ولا « مُلك » فيلتبس بذلك . فان عُني بها الصفات لم يَجُز الحذف

ومن ذلك الف « ابرهيم واسمعيل واسحق وسليمن وهرون » حُذفت لانها اسماء انبياء مشهورة كُرّرت في القرآن وكثر استعمالها فوجب تخفيفها . ولا يجوز ذلك في ما كان من الاسماء على ابنيتها « كإسرافيل وميكائيل والياسَ ونُعمانَ وقارون » لقلّة الاستعمال

ومن ذلك الف لُقمنَ (لقمان) تُحذف لانهُ شُهر بالحكمة وضُرب بهِ المثل فكثُر استعمالهُ . و « عُثمن » (عثمان) لانَّهُ شُهر بالخلافة والصحابة . و « مُعوية » (معاوية) لشهرتهِ وخلوهِ وتأنيثهِ . و « مَرْوَنَ » (مروان) لانَّ بني مروَن شُهروا بالملك . و « سُفين »

(سفيان) شُهر بالعلم والوَرَع. فكثر استعمال هذه الاشياء لما بيّنّا فخُفّف ولا يجوز ان يُفعَل (37[1]). مثل ذلك بنظائرها « بصْرَان وسَلْمَانَ وبُرْجَانَ وعَفَّانَ »

ومن ذلك حذفهم الفَ « دَرَاهِمَ » اذا كان العدد مضافاً اليها وذلك انّ العدد شيء يكثر استعماله وانّ الدراهم قيمةٌ لكلّ سِلعة فوقوعها في الحسبان كثير فهي معروفة لا تلتبس بشيء فيُكتَب « ثلثة دَرَهِمَ واربعة دَرَهِمَ » الى العشرة بغير الف (1 فإنْ افردتَ من العدد اثبتَّ فيها الالف لئلّا تلتبس بالواحد فكتبت « عندي دراهمُ واخذتُ دراهِمَكَ »

ولا يُفعَل « بدَنَانِير » ما فعلوا بدراهمَ ولا « بقَرَاريطَ » ولا « طَسَاسِيجَ » لئلّا تتصل النونانِ والرّآنِ والسينانِ وتُترَكَ الالف حاجزاً بينهما . ومَن حذفها في دنانير لزِمَهُ حذفُها في قَرَاريط . واما الدينار الواحد فاذا كان تمييزاً بعد خمسة عشر وعشرين ونحوهما حُذفت النونُ لأحوق الألف في آخره . واذا كان بعد مائة وألف لم تُحذَف . وذلك « عشرون دينرًا (دينارًا) ومائة دينارٍ » . واما « الدَّوانيق » (الدَّوانيق) فتحذف النونُ اضيف اليها العدد او لم يُضَفْ لأنّها لا تلتبس بواحدها . وكذلك ايضاً يكتب « دَنِق » (دانق) بحذف الالف وهما من الاثمان فلا يلتبسان لكثرة الاستعمال والشهرة ولا يجوز حذف ما كان على ابنية هذه الاشياء كمَنَابِرَ (37[2]) ومَسَاجِدَ ومَسَاكِنَ وطَابِقٍ وخَواتِمَ » لأنّ هذا الحذف شاذٌّ

ومن ذلك حذفهم الف جُمَدى (جمادى) لمّا كان علماً مشهوراً وهو اسم شهر يكثر استعمالُه في التاريخ وغيره . وهو مع ذلك مؤنث خفّفوه فحذفوا منه ما لا يجوز حذفُه من نظائره

ومن ذلك حذفُ الالف والواو من قولك « أَبْجَد » وهو كنية بمنزلة « ابي زاد » (2 والالف من « هَوَّز » (هوّاز) وهو اسم بمنزلة « كَوَّان » والواو من « كَلَمُن » (كلمون) وهو اسم بمنزلة « قَلَمون » والياء والالف من « قُرَشِيّات » اصلهُ « قُرَيْشِيات » وهو كجمع « قُرَيْشِيَة » تصغير « قُرَاشِيَة » يدلّك على ذلك قول الاعرابيّ :

---

1) هذا الاصطلاح لا يُجرَى عليه اليوم (المشرق)

2) يريد انّ اصل أَبْجَد « ابوجاد » وهو من المزاعم الضعيفة . ومثلهُ قولهُ في بقية الاسماء الابجديّة (المشرق)

اتيتُ مُهاجرينَ فعلموني ثلثة أسطر مُتتابعاتِ
وخطُّوا لي اما جادٍ وقالوا تعلّم مصحفاً وقُرَيْشياتِ

فقد بيّن باعرابه هذه الاسماء معانيها

وكان ابو عمرو بن العلاء يقرأ « فاصدَّقُ واكونَ من الصالحين » بواو (١ ويقول « كُتب هذا بحذف الواو كما يُكتب كلمُن بلا واو

فقد اتينا على عامّة ابواب الحذف وما لم نذكرهُ ففي ما ذكرنا دليل عليه

(له بقيّة)

النقابات والاضراب

بحث اجتماعي بقلم الاديب الشيخ ادوار الدحداح

سوقُ الإضراب عن الأعمال هذه الايام رائجةٌ رواجاً لم يُعهَد له مثيل من قبل . فكان ذلك من اكبر العوامل التي ارتبكت لها المعاملات وشلّت الحركة وتعطّلت المصانع وقلّ الإنتاج وارتفعت الأثمان وعمّ الضيق . واننا لنرى الاعتصابات على ما هي اليوم من الثوران منذرةً بهبوب عاصفةٍ هوجاء قد تُقوّض اركان النظام الحالي اذا لم تتدارك الحكومات الامر وتنظر بعين العناية في اسباب الشكوى ودواعي التذمّر فتجيب منها ما كان عادلاً وتعرض عمّا جاوز الحقّ . ثمّ تنشط للعمل على تفريج الازمة الاقتصاديّة التي أُحكمت حلقاتُها وتضرب بيدٍ من حديد على مغالاة التجّار واشتطاط ارباب المصانع ومطامع العمّال

اجل ان امثال هذه الاعتصابات التي نشهدها اليوم قد يعزّ على الحكومات مهما قويت سلطتها ان تخمد من شوكتها الى النهاية اذا لم تتوسّل الى محو الروح الثوريّ النافخ في صدور الزعماء القائمين بها . فيرجعوا عن مبادئهم التي من شأنها تقويض اركان المجتمع الانساني الى مبادئ العدل والحقّ المتبادل

---

١) في القرآن في سورة المنافقين (ع ١٠) : وأكُنْ

وهذا الروح يصعب محوهُ من صدور الزعماء والمهيّجين في زمن قريب الّا اذا قامت جماعات العمّال وادركت التنزيه بها فشقّت عصا الطاعة على زعمائها المفسدين وسارت بهداية زعماء مستقيمين يريدون لهم حقيقة الخير والنفع من طرق مشروعة لا غبار عليها

وقد رأيتُ خيال هذه الاعتصابات الآخذة بعضها برقاب بعض وحركة النقابات المستمرّة اللتين ينقل البرق صداهما الينا كلّ يوم ان اوافي قرّاء المشرق الكرام ببحث عن النقابات والإضراب فاقول :

بحث اوّل عن النقابات

١ نظرة عامّة

المرء — عاملًا او مستعملًا — مكلّف بالشغل وكدّ النفس تحصّلًا للرزق . وبينهما تفاوت في الحالات لا بدّ منه لتبادل المنافع والمصالح ولقيام الهيأة الاجتماعية وعمران الكون

غير أنّ بين اعضاء المجتمع الانساني على تفاوتهم صلاتٍ مترابطة وواجباتٍ متبادلة أعلنت بها الشرائع والنواميس . فاذا حُفظت سام النظام وساد الوئام واذا خولفت او أُهملت ساءت العاقبة فقامت الفوضى وعمّ الإضراب

والمرء بطبيعته لا يأمن العثار وقد يلج فيه . والقويّ اميل الى الخطر من الضعيف فالعامل الذي لا يملك من حطام هذه الدنيا غير قوّة عضلاته وجودة بنيته منقادٌ اضطرارًا الى مشيئة صاحب المال يجدّ ويدأب في العمل سعياً وراء الرزق طبقاً للشروط التي يقرّرها صاحب المال ورفقاً للمكان والزمان اللّذين يعيّنهما والّا فاتَهُ رزقُهُ وتجرّع غُصص الضنك . وقد يهون الامر على العامل لو لزم المالك حدّ العدل والاعتدال . على ان الغرور قد يحمل فريقاً من اصحاب الاموال الى الإخلال احياناً بواجباتهم وهذا مما يؤدّي الى إلحاق بعض العسف والحيف بالعامل الذي لا يستطيع تداركهُ وحدَهُ . ففطن الى مواطن الضعف منهُ وادرك انّهُ لا يملك بمفردهِ قوّة كافية تمكّنهُ من استرجاع حقّهِ الضائع او يدفع بها كيد المتغطرسين من الاولياء فوجّه نظرهُ الى زملائهِ ودعاهم الى التضافر والموازرة فنظم النقابات

والنقابات جمعيات تجمع شمل العمّال من ابناء المهد الواحد او الحرفة الواحدة على شروط معيّنة يتّفقون عليها ويتعهدون بتنفيذها ويتعاهدون على ان يناصروا بعضهم بعضاً في كل مايؤول الى تحسين حالتهم المادية والادبيّة والسهر على مصالحهم ودرء الضيم عنهم عند كل طارئ . ومما يقصده منشئو النقابات ان يتعارف الافراد الذين يمتهنون مهنة واحدة ويتباحثوا فيما بينهم في شؤون حرفتهم المشتركة ويجمعوا الاموال لتأسيس معاهد علميّة او مؤسسات خيريّة كملاجئ العجزة والعاطلين منهم او مروّجات صناعية الى غير ذلك

وبقدر ما تنمو النقابة بوفرة عدد شركائها واجماع كلمتهم واحكام عرى الاتحاد بينهم تصبح كذلك اقوى عملاً واعزّ جانباً فيرهب امرها ويخشى بطشها

ان العامل المعتزل والمتخلف عن رفقائه لا يبوء الّا بالخيبة والخسران اذا اغتصب حقّه غاصبٌ اذ لا مُعين له يأخذ بناصره . والاشتراكيون من اشدّ الدعاة الى مناصرة النقابات لأنّهم اتخذوها سلاحاً ماضياً في ايديهم يقهرون به اصحاب الاموال . ولقد ذهبوا الى ان احبّ الاشياء الى صاحب المال ان يرى أُجراء متفرقي الكلمة مشتّتي الرأي لا عصبيّة تجمعهم ولا آصرة تربطهم

ولهذا حرص العمّال على تأسيس النقابات . وما كادت الحكومات تُقرّها من عهد قريب حتى انتشرت انتشاراً عظيماً وتعدّدت النقابات فصارت نقابة لكل اصحاب معهد واحد او حرفة واحدة

ولم يقتصر الامر على الصنّاع بل سرت حتى النقابات الى اصحاب الاموال وارباب المصانع والاولياء . ففكّروا في امرهم وخافوا بطش العمّال فاحتذوا حذوهم فأنشئت نقابات للاولياء كما أُنشئت للعمّال

يلوح ممّا تقدّم ان النقابات في ذاتها جمعيات مفيدة اذا لزمت حدوداً تراعي معها حقوق اعضائها دون مساس بحقوق الغير . وما دام الامر كذلك فلا جُناح عليها ولا غبار على القائمين بها . وهذا ما دعا جميع السلطات من مدنيّة وكنسيّة الى الاعتراف بها واثباتها . غير ان من النقابات من يحيد عن الطريق القويم وينصرف عن الغاية الاصليّة الى مهواة الثورات والقلاقل كما هي الحال في روسيّة وفي سائر بلدان اوربا . وقد قال المسيو لاروا بوليو كبير رجال فرنسا الاجتماعيين في كتاب له :

« انك تجد معظم العمّال ذوي النشاط والهمّة ينصرفون الى اشغالهم وتصبح النقابة بتغيبهم عرضة لبعض المتلتين الشاغبين الذين يتصدّون لقيادة الآخرين بقصد تسخيرهم لمصلحتهم الذاتية . فهم ينتحلون لانفسهم حقّ التكلّم عن تلك الجماهير الغفيرة مع انهم ليسوا الّا نفرًا منهم »

٢ تاريخ النقابات

يرجع امر النقابات كما نعرفها اليوم الى عهد قريب الى حوالي منتصف القرن التاسع عشر . على انه كان للعمّال منذ القرن السادس عشر جمعيّات تقرّب بينهم وتعرف في فرنسة « بمصانب الرفقاء » (Compagnonnages) وفي انكلترا « بشركات العمال » (Trade-Unions) وفي سائر الممالك بما يقرب من هذه الاسماء . وكانت هذه الجمعيات تعمل تحت طيّ الخفاء لان الحكومات كانت تطاردها وتفتّ في عضد أعضائها لريبة سبقت الى نفسها من جرّاء تحزّب المنتمين اليها . ثم تطوّرت هذه الجمعيات حتى عُرفت في فرنسة « بطوائف الحِرَف » (Corporations) وهي تختلف تمام الاختلاف عن نقابات اليوم . وما زالت على منوالها في فرنسة حتى امر المسيو تورغو الوزير الفرنسوي المشهور على عهد لويس السادس عشر بالغائها سنة ١٧٧٦ فأُلغيت وذلك حرصاً على حرّية التجارة وتأييدًا لمبدإ الحرّية الفرديّة . فبينا نرى النقابة تترك للعامل الخيار في الانضمام اليها او الانفصال عنها كانت طوائف الحِرَف تقيّد العامل وتكرهه على الاحتراف بحرفة معيّنة دون سواها ولا تسمح له مطلقاً ان يعدل عنها الى غيرها او أن يبدل وليّه بوليّ آخر . كما انها كانت تحظر عليه حقّ الانتقال من بلدة الى اخرى سعياً وراء الربح وانتجاعاً للرزق . ولم تكن الطوائف تنصف العامل من وليّه الّا عند الضرورة القصوى والذنب الفاضح . وللأولياء على العمّال السيادة المطلقة ولم يكن من حق للعامل ان يصير وليًّا بدوره

ثم لما كانت الثورة الفرنسيّة سنة ١٧٨٩ وأُعلنت مبادئ الحرّية أبت على العمّال حرّية التضافر والتضامن خشيةَ ان يعودوا الى نظام طوائف الحرف الممقوت . اصدرت قانوناً يعاقب كلّ طائفة من العمّال او الاولياء يزيد عددها على العشرين . فلم يقابل العمّال هذا القرار بعين الرضى لانهم رأوه مجحفاً بحقّهم إجحافاً بيّناً بينما

كان الاولياء يعقدون بينهم الاتفاقات السرية التي يخفى امرها على الحكومة نظراً لقلة عدد الاولياء والمتوالين بالنسبة الى جماهير العمال

وما زالت الحال كذلك حتى سبقت الحكومة الانكليزية جميع الحكومات فأقرت متحدات العمال في بلادها سنة ١٨٢٥ ثم اعترفت رسمياً بشخصيتها المعنوية سنة ١٨٧٦ . وتابعت الحكومة الفرنسوية الحكومة الانكليزية فأقرت نقابات الحرف سنة ١٨٨٤ سواء كانت من الرؤساء ام من المرؤوسين على قاعدة ان يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء

والمتحدات الانكليزية حُرمت ردحاً من الدهر تحريماً عنيفاً على ان العمال لم يبالوا بهذا التحريم . ثم اعترفت الحكومة بها واصبحت اليوم لا تكليف عليها سوى تسجيل قوانينها طبقاً لقانون سنة ١٨٧٦ . وهي تتباين عن النقابات الفرنسوية في نشأتها وفي ما صارت اليه . ففي بدء عهدها كانت مصدراً للمنازعات ومهداً للثورات والفتن وما فتئت تناصب ارباب الصناعة العداء فضلاً عن ضررها الجسيم بالصناعة الوطنية . ومن مبادئها تعزيز الحواجز القائمة بين كل حرفة واخرى : كأن تحرم على النجار وهو في بيت يبتني ان يحرك بعض الحجارة بدعوى ان ذلك من شأن البناء دونه . ولكنها اخذت تدريجياً تخفف من حدتها وتعود عن المشاحنات والمناوآت حتى طرحت عنها كل فكرة ترمي الى الثورات سنة ١٨٤٠ واصبحت من ذلك العهد معهداً يتخرج فيه المحافظون الانكليز . بخلاف النقابات الفرنسوية التي بدأت بان تكون عصائب موادعة ومسالمة ترمي الى تحسين حال العامل ثم ما لبثت ان تعدت مهمتها بفعل المحرضين والمهيجين واصبحت باعثاً للقلاقل والفساد ولا سيما في هذا الوقت الاخير حيث تحاول قلب الحكومة الحالية واقامة حكومة من العمال على أنقاضها كما هي الحال في روسية البلشفية . وهذا ما دعا المسيو ميلران رئيس الوزارة الفرنسوية الحالية الى طلب محاكمة نقابة العمال العامة بقصد الغاء قانون سنة ١٨٨٤ او تعديله على اثر إذاعتها على العمال في اول ايار الماضي دعوة الاعتصاب العامة

٢ النقابات والعمال

ما كادت النقابات تظهر في عالم الوجود وتبيح الحكومات تنظيمها حتى صادفت من نفوس العمّال رواجاً عظيماً وهرعوا الى الانتظام في سلكها فضمّت بين نطاقها عدداً عظيماً منهم . ففي فرنسا بلغ عدد النقابات ١١،٥٠٠ نقابة سنة ١٩١٢ تضمّ ما ينيف على مليوني عامل . وهذا يعادل ٥٠ في المائة من مجموع العمّال . وفي انكلترا بلغ عدد النقابيين ٤٠ في المائة من مجموع العمّال . وفي المانيا بلغ عدد النقابيين ثلاثة ملايين عامل يعادلون ٣٥ في المائة من مجموع العمّال . وفي اميركا بلغ عددهم مليونين ونصف مليون من العمّال

وليست قوة هذه النقابات مقتصرة على كثرة عدد اعضائها بل تستند الى وفرة مالها ايضاً فقد عُني النقابيون بجمع الاموال الطائلة وايداعها خزانة النقابات لتأتي لهم بالعون عند الحاجة . وكانت هذه الاموال بادئ ذي بدء مخصصة لإمداد العمّال ايام الإضراب ثم توسّعت في الامر وأوقفت جانباً عظيماً منها على غير ذلك مما يؤول الى تحسين حالتهم وتثقيف عقلهم وضمان نعيمهم ورخائهم ايام الشدّة

وهذا ما دعا نقابات العمّال في بعض احوالها ان تتصف بصفة اقتصادية ظاهرة . فتُدعى حينئذٍ بشركات التعاون (Sociétés coopératives) . وعلى هذا الاساس شُيّدت الملاجئ وأُنشئت صناديق التوفير والاقتصاد . وصناديق إمداد المسافرين . وصناديق مساعدة المتفرّغين . وشركات التأمين من الاصابات البدنيّة . وشركات المداينة . وشركات الانتاج . وشركات الاستهلاك . ومكاتب التخديم الى غير ذلك

ولقد بسطنا في هذا المقام مناصرة العمّال فيما بينهم ولا بدّ لنا ان نذكر توفية للبحث متمنّياتهم على ارباب المال واولياء الصناعات . وخلاصة هذه المطالب تقليل ساعات العمل اليومية وجعلها ثماني ساعات . والكفّ عن العمل يوم السبت بعد الظهر ويوم الاحد بسحابته . وهذه الطريقة تُعرف بالاسبوع الانكليزي . وابطال العمل التزاماً (مقاولة) . وزيادة الاجور ومشاركة العامل في الارباح . وعدم تخديم العمّال بدون وساطة مكاتب التخديم . وامتناع الوليّ عن طرد العامل بدون

محاكمة امام مجلس تأديب يشكل من ممثلي النقابة وممثلي صاحب المال . وتعيين رواتب للمتقاعدين او الذين يصابون باضرار اثناء العمل . ولقد تطرّق العمّال الثوريون الى طلب نزع الملكيّة وجعل المناجم والشركات الكبيرة كالسكك الحديدية مُلكاً للأمّة . اي وقفاً على العمّال . الخ . .

٤ انواع النقابات

تُقسم النقابات فيما بينها الى انواع عديدة نقتصر في بحثنا على درس النوعين الكبيرين منها . وهما النقابات الثورية والنقابات الإصلاحيّة او الكاثوليكية . ولكل منهما تعاليم ومبادئ تناقض ما به مذهب الاخرى . فالاولى ترى ان تحقيق رغباتها لا يكون الّا بالثورة وبالجهاد العملي والثانية تعتمد على التؤدة والمسالمة . قال المسيو دوران احد كبار كتّاب العمران : « ان بين النقابات الكاثوليكية والنقابات الثورية هوّةً سحيقة للغاية . فعلى قدر ما تستحق الاولى من التشجيع والتعضيد تستحقّ الاخرى من الرذل والإقصاء . فليس الاسم فقط يفرق بينهما . فانت حرّ بان تلقّب الواحدة بالنقابات الكاثوليكية او المسيحية او الاصلاحية او بما سوى ذلك من الاسماء . فهذا لا يكفي بل عليك ان تنظر الى الروح الذي يضطرم فيها والى التعاليم التي تبشّر بها . والى المبادئ التي ترتكز عليها والآداب التي تسير بموجبها . فالنقابة الكاثوليكية تحترم الشريعة الالهية وترعى العدل وتؤيد الحرية وتصون المُلكيّة وتعترف بالسلطة الشرعية . اما النقابة الثورية فتعتبر ذاتها سيدة نفسها فلها قانونها الخاص وتتحكّم كيفما شاءت بأملاك صاحب المال وبحرية العمال »

والنقابات الثورية من ألدّ اعداء الدولة والوطن . يكرهون الدولة لانها تؤيد النظام الحالي في التفاوت بين الطبقات . ولأنها تصون لكل مالكٍ ملكهُ وتُقر الغنيَّ في غناه . ويمقتون الوطن لأنَّ في نصرته نصرةَ الدولة فضلًا عن ان حبَّ الوطن يعزز الحواجز القائمة بين طبقات العمّال المشتّتين في مختلف بلدان العالم ويفسد كلَّ تضامن عام بين الطبقات . وهذا ما قاله السنيور سرجيو بانونزيو من كبار زعماء الاشتراكيين : « ان النقابة الثورية تقاتل الدولة لان الدولة تمثل في نظرها الاغنياء وتعتبرها آلة لتنفيذ مصالح طبقة المتميزين ولكنها ليست كالفوضى تقاتل كلَّ سلطة .

فالفرق الجوهري بين النقابة والفوضى ان الاولى تنكر وجود الدولة ولكنها لا تنكر جميع السلطات الاجتماعية اما الفوضى فتنفي جميع السلطات ايًا كان نوعها »

واننا نورد هنا للقراء على سبيل المثل بعض المبادئ الوخيمة والتعاليم السيئة التي لا تخجل النقابات الثورية من المناداة بها :

« دين العامل طبقتُهُ »

« ليس للعامل وطن »

« الوطن لاصحاب الاملاك ومن الجنون ان يعتقد بوجود وطن مَن لا ملك له »

« يجب محاربة الدولة لانها تعتمد في سلطتها على القوة المسلحة . ويجب محاربة الجُندية ففي محاربتها محاربة الدولة » — « يجب قلب نظام العمران الحالي لانه نظام فاسد يجحف بحقوق البشر . فهناك طبقتان تتنازعان البقاء : طبقة ارباب المال الذين يملكون بدون ان يشتغلوا وطبقة العمّال الذين يشتغلون بدون ان يملكوا . او عبارة اخرى السالبون والاسياد من جهة والمسلوبون والمستبدُّون من جهة ثانية » — « يجب محاربة الحكومات سواء كانت ديمقراطية ام جمهورية ام ملكية لان لا مساواة فيها . وما المساواة الا خدعة للشعب . ومن الخطإ الفاحش ان يعتقد العامل انه مساوٍ لصاحب المال »

« على العمّال ان يحتقروا رجال السياسة والصحافة والنيابة والوزراء لانهم يسعون وراء مصالحهم الخصوصية ويهملون منافع العمّال »

« انَّ ثورويًا يصير وزيرًا لم يعد قط وزيرًا ثوريًا »

« على العمّال ان يكرهوا الحروب ويلقوا السلاح من ايديهم او يصوبوا نيران بنادقهم الى صدور ضبّاطهم كلّما دعت الحال »

« ليس عدوُّ العامل زميلهُ الذي يكدح وراء رزقهِ من الشعوب الاخرى بل ان عدوَّهُ اللَّدُود مَن كانت طبقتهُ من غير طبقتهِ »

« الحرب حربُ طبقاتٍ لا حرب شعوب وأمم »

وقد يطول بنا الشرح لو حاولنا ان نأتي في بحثنا هذا على جميع التعاليم التي يأخذ بها العمّال الثوريّون ولكننا نكتفي بذكر ما تقدَّم وقد اقتطفناها من كتبهم واقوال خطبائهم . وفي ما اجملنا دليل كافٍ على الخطر الرهيب الذي يهدد نظام الكون لو اخذ العمّال بهذه التعاليم وعمّموها

اما النقابات الاصلاحية او الكاثوليكية فتسفّه هذا الرأي وتحاربه محاربة شديدة وتبشّر بالوفاق والمسالمة وتسعى وراء تحقيق رغباتها بالطرق المشروعة . وهذه النقابات جديرة بالتشجيع والمساعدة . وقد رأينا رؤساء الكنيسة يناصرونها ويسهرون على قوانينها لئلا يتسرَّب اليها شيء من المبادئ الفاسدة . وفي القوانين التي

وضعها قداسة البابا بيوس العاشر ومن قبله قداسة البابا لاون الثالث عشر خير دليل على صلاحية هذه النقابات . واننا نقتطف هنا بعض المواد من قانون قداسة البابا بيوس العاشر للنقابات :

(المادة السابعة) — ان الواجبات التي يفرضها العدل على العمال والصناع هي :

« القيام خير القيام بالاعمال التي تعهد العامل من تلقاء نفسه بتنفيذها طبق النظام »

« الامتناع عن إلحاق ضرر ما باموال الغير واهانة ما لشخص الولي »

« الامتناع عن الالتجاء الى القوة او الجنوح الى الثورة حتى في حالة دفاع العامل عن حقوقه الشخصية »

(المادة الثامنة) - ان الواجبات التي يفرضها العدل على ارباب الاموال واولياء الصناعات هي :

« اعطاء العمال اجرة عادلة »

« عدم سلبهم ما يدخرونه سواء كان الامر بطرق العنف او الغش او الربا العلني او المستتر »

« منحهم الحرية التامة في تتميم واجباتهم الدينية »

« عدم تعريضهم الرشوة او تسخيرهم للقيام باعمال تثير الشكوك »

« حضهم على حب الأسرة ودفعهم الى الاقتصاد »

« عدم تكليفهم باشغال تفوق طاقتهم او لا تناسب اعمارهم او اجناسهم »

ولا بدّ من ان يكون القارئ قد ادرك افضلية الشرائط الحكيمة التي تفرضها الكنيسة على المبادئ التي يبشر بها الزعماء الثوريون . وفي ما تقدّم البيان الكافي على ان الكنيسة لا تنفر من النقابات ولا تبغي بالعمال شرًّا . بل هي تعرض عن النقابات الثورية التي عرّفها الكردينال مري دالفال سنة ١٩١٣ بقوله : « انها نافية للدين هادمة لحقوق الفرد والأسرة مقوّضة لنظام العدل والمحبة البشرية » . اجل انها تنفر من هذه النقابات وترذلها وتعمل بكل قواها على وضع حدّ للأضرار التي تلحقها بالهيأة الاجتماعية ولكنها في الوقت ذاته تشجع كل التشجيع النقابات الاصلاحية التي منها وحدها يُرجى النفع والخير للأمة البشرية وتحسين حالة العمال وتحويلهم مطالبهم المشروعة بطرق مشروعة وتنشيطهم على القيام بواجباتهم الدينية والوطنية

وفي العام المنصرم كتب الكردينال كسباري بهذا الصدد رسالة الى مدير احدى النقابات الكاثوليكية في فرنسا ومما جاء فيها : « انّ قداسته يرغب من صميم فؤاده ان تتألف في كل انحاء فرنسة نقابات قوية تنتعش بالروح المسيحي — كما هي

نقابتكم — فتضمّ اليها العاملين والعاملات المختلفي الحرف والمهن تحت لواء جمعيات عمومية واسعة النطاق تربطهم روابط المحبة الاخوية . لان الحبر الاعظم يعرف حقّ المعرفة انه بتشجيعاته هذه يخدم الطبقة العاملة في اقدس حقوقها وفي الوقت نفسه يوطّد قواعد السلام في المجتمع البشري .

حبّذا لو اخذ البشر بهذه التعاليم الرشيدة فاعارها ارباب المال واولياء الصناعات جانب التفاتهم ورضخ لها العمّال لساد الوفاق وعمّ الرخاء وانفضّت مشاكل عديدة من تلقاء نفسها ولم يؤدِّ بها الحال الى ما هي عليه الامور الآن من التفظيع والتقتيل في روسيّة

هنا تتجلّى الروح الدينية باجمل مظاهرها ويشعر الانسان بحاجة شديدة اليها . فهي الكفيلة بتحقيق النجاح بينما تخفق كل وسيلة سواها

انتهى كلامنا عن النقابات ويليه في عدد آخر الكلام عن الاضراب ان شاء الله

الكنيسة ومناهضة الحروب

للخوري بطرس فرج صفير احد اساتذة كلية القديس يوسف

بعد ان نشرنا في هذه المجلّة مقالةً في الانجيل والسلم العامّ قرأنا في عدد مارس المنصرم من مجلة الهلال الغراء مقالاً لمنشئها له مع الموضوع الذي كنّا بصدده علاقة . فقد جاء فيها ان نفرًا من اعاظم الانكليز انشأوا مشروعاً عظيمًا يعرف باسم « عصبة الاديان » والغاية منها على ما في نشرتهم الرسمية « تنظيمُ القوى الروحية في العالم لتوطيد السلم العام والعمل على ما فيه الصلاح القوميّ والدوليّ »

ومما قاله صاحب الهلال عن هذه العصبة ما حرفه :

« وقد اطّلعنا على محضر المؤتمر الذي عُقد في انكلترا لانشاء عصبة الاديان فوجدنا بين الحاضرين اساقفة يمثلون لاديان ومذاهب مختلفة من اساقفة وحاخامين فضلًا عن كبار المفكرين ورجال الاصلاح الاجتماعي »

وقد اردف مُحبذاً هذه الفكرة ونعم القول :

« هل من عامل في العالم افعل في نفس الانسان من العامل الديني ؟ كلا . بواسطة الدين وحده يتيسر بلوغ هذه الغاية المنشودة وبه دون غيره تنفخ الروح والحياة في هيكل عصبة الامم . فما عصبة الامم الا جسم بلا روح وصورة بلا حياة وانما روحها وحياتها «عصبة الاديان» تبثُّ مبادئ المحبة والتعاون والاخاء بين بني البشر لان الدين اشد العوامل الاجتماعية تأثيراً في الناس واقربها الى قلوبهم وافئدتهم . وبعبارة اخرى ان عصبة الاديان المراد انشاؤها هي الضامن الوحيد لثبات عصبة الامم »

فهذا امر لا يقع فيه شبهة اذ يثبته الدليل ويُشهد بصحته التاريخ . فلو قلبنا صفحات التاريخ قديمه وحديثه لنقف على من لهم اليد الطولى في اطفاء جذوات الحروب ونشر رايات السلام لاتضح لنا ان في مقدمة الذين راعهم امر الحروب فصرفوا عنايتهم في سبيل ابطالها او اقلّه في تخفيف اهوالها انما هم رجال الدين ولاسيّما ارباب الدين الاكثر شيوعاً في العالم اعني بهم روساء الكنيسة الكاثوليكية

قلنا الكنيسة الكاثوليكيّة ولا نخاف في قولنا لومة لائم مهما تشدّق بعض الكتبة ممّن لا يعرفون من التاريخ الا قشرتهُ او يستندون الى اقاويل اعداء الكنيسة او يخلطون بين الكنيسة الكاثوليكيّة والشيع البروتستانيّة او ينسبون الى الكنيسة ما فعلهُ بعض الافراد كما فعل «سيد امير علي» في مقالة معنونة بروح الاسلام نشرها في مجلّة البيان المصريّة ولم يكتفِ ان يطرئ روح الاسلام وهو حقّهُ لنا لنتعرّض لهُ فيه سواء أخطأ ام اصاب لكنّهُ تحامل على النصرانيّة بكلام نعدّهُ اهانةً لديننا مناقضاً لكل شواهد التاريخ . فمما كتبهُ هناك بعد وصفهِ للدولة الرومانيّة ومساوئها (ص ١٧٥) قال :

« فلما دخلت النصرانيّة في العالم الروماني لم تحدث ادنى تغيير او تبديل في آراء مُشرعي الرومان عن مسألة الواجبات الدوليّة بل بقيت الحرب على ما كانت عليهِ قبل من فظائع التخريب والعسف والتدمير والحيف والضيم والاذلال والابادة والاستئصال وذلك انّ المسيحيّة اخلت نفسها ونفضت يدها من مسألة المعاملات الدوليّة والواجبات الانسانيّة المتبادلة بين شعب وآخر وبذلك تركت ارباعها واتباعها يمشقون مجاهل الضلال في اسود (كذا) دياجير الجهل والغواية »

هذا واسطرٌ عديدة مثلها يضيق المقام عن ذكرها كلّها والحقيقة على طرفي نقيض . ولو اردنا تفنيدها لاقتضى مجلّدات واسعات قد صنّفها والشكر لله غيرنا

من ارباب المعارف التاريخيَّة وانَّما نجتزئ بذكر خلاصتها ذودا عن حقوق الدين المستقيم

رأت الكنيسة الكاثوليكية انه ليس بامكان البشر ان يقطعوا دابر الحروب ويؤلّفوا قلوب جميع الامم بالأمن والسلم لكنها سعت على طاقة امكانها باطفاء جمراتها وتقليل انتشارها وحصر اضرارها بقوانين منظَّمة . وقد استنفدت الوسائل في تحقيق غايتها وتوخَّت ما استطاعت بواعث النجاح . وبياناً لذلك رأينا ان نستصبح بنور التاريخ ونثبت للقرّاء فضل الكنيسة الكاثوليكية في مناهضة شرور الحروب وتخفيف ويلاتها ويلوح ذلك : اوَّلاً بتعريف روح الكنيسة ومبدأها الاساسي . ثانياً بذكر مؤسَّساتها . ثالثاً بوصف مجلسها التحكيمي

١ روح الكنيسة ومبدأها الاساسي

ليست الكنيسة كما هو معلوم الَّا المشروع الاجتماعيّ العظيم والنظام الدينيّ الجليل الذي انشأهُ السيّد المسيح لينشر في العمور بعد صعوده روحهُ وتعاليمهُ المقدَّسة التي ضمَّنها في انجيلهِ الطاهر . وقد بيَّنا في مقالتنا السابقة « الانجيل والسلام العامّ » انَّ روح المسيح هو روح السلام وانَّ تعاليمهُ عائدةٌ الى تقرير السلام بين الافراد كما بين الشعوب.

١ فانهُ تجد اسسهُ اذ كان على الارض وضع اساس الهيئة الاجتماعيَّة الجديدة حيث كرَّر على تلاميذهِ انهم اخوة (متّى ٢٣ : ٨) وانَّ لله كما لقيصر حقوقاً يجب وفاؤها (لوقا ٢٠ : ٢٥) وانَّ صاحب السلطة بينهم ينبغي عليهِ ان يعتبر نفسهُ كخادم الكلّ (لوقا ٩ : ٤٨)

ثمَّ قرَّر تلاميذُهُ هذه التعاليم من بعدهِ واعلنوا بأنَّ كلّ سلطة تأتي من الله (رومية ١٣ : ١) فيجب الخضوع لها ما لم تناهض حقوق الله فتُفضَّل طاعة الله على امر البشر (اعمال ٤ : ١٩—٢٠) وانَّ لكلّ واحدٍ دعوتهُ لا بُدَّ ان يستقرّ عليها سواء كان حرًّا او عبدًا (١ كور ٧ : ٢٠) وانهُ لم يَعُدْ يبقى بينهم يهوديّ ولا يونانيّ لا عبد ولا حرّ ولا ذكر ولا انثى بل جميعهم واحد في المسيح (غلاطية ٣ : ٢٨) ومع هذا انَّ لكلّ منهم الافراد كما الجموع واجباتٍ وحقوقاً يتحتَّم عليهم

مراعاتها (١ للوالدين كما للاولاد للرجل كما للمرأة للعبد كما للسيد لأنَّ الظالم سينال ما ظلم به (كولوسي ٣ : ١٨ – ٢٢) وآيات اخرى كثيرة تبيّن باجلى بيان ان السيّد المسيح ورسلهُ وضعوا اساس الحقوق الفرديّة والدولية كلها وانهم كانوا اعظم انصار السلام مع جميع الناس حتى الاعداء. قال الاناء المصطفى بولس الرسول (رومية ١٢ : ١٨–٢١) : ان امكن فسالموا جميع الناس قدر ما تستطيعون لا تنتقموا لانفسكم ... فان جاع عدوك فأطعمهُ وان عطش فاسقهِ ... لا تغلب الشرّ بل اغلب الشرّ بالخير . وقال في رسالتهِ الى العبرانيين (١٢ : ١٤) : اقتفوا السلام مع الجميع

فهل يقدر سيد امير علي ان يأتي بآيات واضحة مثل هذه . فانَّ ما ذكرهُ في البيان (ص ١٧٨) لتأييد رأيهِ قد سبقت اليهِ اسفارنا المقدسة منين من السنين قبلهُ لاسيَّما الحديث « صِلْ مَن قطعك واحسن الى من اساء اليك » فقد بيَّن المشرق (ص ٢٧٣–٢٧٤) انهُ منقول عن الانجيل بحرفهِ

٢ وان انتقلنا بعد هذا الى تاريخ الكنيسة واعتبرنا موقفها بازاء الدول وجدنا انها سعت طاقة جهدها في بثّ روح السلام . واوَّل ما صنعتهُ مدَّة الثلثة القرون الاولى حيث قام عليها العالم الروماني وعَبَدة الاصنام في كلّ اقطار الدنيا انَّها ابتدأت باصلاح اساس الدول اعني العائلة فانَّها ردَّتها الى كرامتها الاولى فمكَّنت روابط الزواج ونفت الاكثار من النساء ومنعت الطلاق وخفَّفت سلطة الرجل المطلقة على زوجتهِ واولادهِ وعزَّزت مقام المرأة كما يشهد لذلك اعداء الكنيسة فضلًا عن ابنائها

ولمَّا خرجت من الدياميس واصابت الحرّية بانتصار قسطنطين اخذت مذ ذاك تناهض شرائع الامم الوثنيَّة مباشرةً بشرائع الرومان . فانَّ من يمعن النظر في السُّنَن التي سنَّها قسطنطين الكبير ثمَّ ثاودوسيوس الكبير ثمَّ والنتنيان وغيرهم تحقَّق كم تحسَّنت شرائع الوثنيَّة في امور متعدّدة في النظام الاهليّ والنظام العمومي والنظام الدوليّ وفي تحرير العبيد وابطال عادات همجيَّة كالمصارعات الدمويَّة في المسارح العموميَّة اذ كانوا يعرضون الوفاً مؤلَّفة من المصارعين او من العبيد او الاسرى

١) راجع مقالات المشرق (١١ [١٩٠٨] ٧٨٨ و٨٦٣ و٩٢٢) : في الحريَّة والمساواة والاخاء ثم (١٢ [١٩٠٩] : ١٤٤ و٣٠٥) في التمدُّن والتساهل

ليتجالدوا بالسيوف فيقتل بعضهم بعضاً او يصارعوا الوحوش الضارية بل ربَّما عرضوا جماهير المسيحيين لمخالبها دون مصارعة والحضور على مقاعدهم يمتعون ابصارهم بدماء الصرعى. فلم تبطل هذه العادات البربريَّة الَّا بفضل احد ابناء الكنيسة القديس تلماك اذ نزل في مرسح القتال ليفصل بين المتصارعين فذهب ضحيَّة حبِّه للسلام وأُبطلت من بعده تلك المصارعات الوحشيَّة

٣ ولمَّا ذهب العالم الروماني غارقاً بتيَّار الامم المعروفة بالبرابرة التي اقتحمت ذلك الجبَّار العاتي واستولت على ممالكه لم يتصدَّ لها غير ارباب الكنيسة فقاموا في وجه ملوكها وكفُّوا عن الشعوب كثيراً من شرورها كالحبر الروماني لاون الكبير في رومية وبندكتوس في ايطالية ولوبوس وراميجيوس وجنوفيفا في فرنسة

ولم تكتفِ الكنيسة بوضع الحدود لأذاهم بل باشرت بتبشيرهم وتمدينهم فارسلت رُسلها اليهم في كلّ اطراف اوربة وآسية وافريقية فباشروا بذلك المترك العجيب حيث انتصر الضعيف من القوي والأعزل من الشاكّ بالسلاح والشهيد من مغتصبه وقاتله فظهر نور الحقّ بين تلك الظلمات الكثيفة وفعلت وردةُ السلام ما لم يفعلهُ حدُّ الحسام . ولم يمرّ على كنيسة المسيح اربعة او خمسة قرون حتَّى اضحت تلك الامم البربريَّة امماً جديدة ساد في كثير منها روح العدل بل ظهر بين ملوكها رجال فضل وبرّ تردّد الشعوب حتَّى اليوم اسماءهم بكلّ وقار وكلّ شكر ونُظمت اسماء بعضهم في سلك القديسين

٤ وممَّا يوقفنا بجلاء على روح الكنيسة ونزوعها الى السلام ما رتَّبتهُ بشأن خدمة الدين حيث قضت ان كلّ من سفك دماً بحياتهِ آمرًا او مُنفذًا يُمنع منعاً مطلقاً عن قبول الدرجات الكهنوتيَّة ليكون ارباب الدين ملائكة سلام ولا تحمل يدٌ سفكت الدماء إلهَ السلام

٥ واذا ما اعتبرنا صلوات الكنيسة في رُتبها اليوميَّة وقلَّبنا صفحات كتبها الطقسيَّة وجدناها مفعمةً بالابتهالات الى الله لنيل الصلح والسلام وليس هناك كلمة واحدة تشعر برغبتها في محاربة ايّ كان من البشر . واذا ما رفعت الى الله الادعية لطلب النصر لابنائها وللشكر عن الانتصار النهائي فما ذلك الَّا اعتصاماً بقوَّة الله لدفع الاذى وشكرًا لهُ على نعمهِ وهو ربُّ الجنود يهبُ النصر من يشاء

٦ وكم سعت الكنيسة في بثّ روح اللين والسلام في نفوس الملوك والوزراء والمشترعين فصرفت اذهانهم من سفك الدماء الى ترقية شعوبهم المادّية والادبية تشهد عليهِ المجلّدات الضخمة من اعمال الباباوات وبراءاتهم الرسوليّة ورسائلهم الى الملوك . وان ورد شيء من ذلك لمحاربة اعداء الدين فانّما هو دفعاً لضررهم وحسماً لشرّهم وتمهيداً للحصول على السلام . ومثلهُ قل عن جملةٍ من الاساقفة والكهنة الذين اختصّهم الملوك لمشورتهم وأسندوا اليهم امورهم فانّهم منعوا حروباً كثيرة بتوسّطهم وحسن آرائهم

ويقرّ اليوم ارباب العلم وشيوخ السياسة انّ القوانين الدوليّة المعوّل عليها بين الامم المتمدّنة بخصوص الحرب وحقوق المتحاربين انّما هي خلاصة القوانين الكنسيّة التي سبق الاحبار الرومانيّون ورؤساء الدين الكاثوليكيّ فسنّوها في مجامعهم وتقاريرهم الرسميّة فنالوا بذلك شكر الامم جمعاء . فليذكر سيّد مير عليّ شيئاً من ذلك في كلّ تاريخ الدول الاسلاميّة فانّنا نؤكّد لهُ انهُ لن يجدهُ بل يجد خلافهُ ونحن مستعدّون ان نثبته لهُ بالشواهد المتعدّدة

والدليل على انهُ ينقل ما نقل عن مصادر لا يوثق بها ذكرهُ لجروشياس (هكذا صحّف اسم غراسيانس الراهب الشهير) وقولهُ عنهُ انهُ مؤسس القانون الدوليّ في اوربّة (ص ١٧٧) وهو منظّمهُ فقط . امّا نسبتهُ الى السيّد المسيح قولاً منافياً لتعليمهِ وهو «اوغروهم (يريد الشعوب) على الدخول في الدين» فانّما هو افتراء محض

٢ منشآت الكنيسة لتخفيف وطأة الحرب

انّ روح السلم والوداعة الذي ورثتهُ الكنيسة من منشئها الالهي لم تعلن بهِ فقط بموقفها امام تيّار الحروب وارشادها الامم الى الدعة والسكينة والوئام بل انشأت المشاريع المتعدّدة لتخفيف وطأة الحروب وحصر اضرارها في منطقة ضيّقة

١ (حق الحماية) واوّل ما وضعتهُ الكنيسة بعد فوزها بالحرّيّة لحقن دماء العباد الحمى اي التجاء الخائفين على حياتهم الى الاماكن المقدّسة كالكنائس والاديرة والمستشفيات والمعاهد التي يخفق فوقها علم الصليب المقدّس فاذا دخل الخائف في حدودها اضحى آمناً من اعدائهِ . فكم نجا بذلك من ضعيف لهيف وكم أمن من

طريد شريد. وكم بطلت من طائلة غضب او انتقام! وقد صادق الملوك على هذا الحق واعترفوا به مدة كل الاجيال المتوسطة ولعل ما شاع من ذلك بين العرب واهل البادية كما رواه حضرة الاب بولس سلمان فدعاه حق الطنيب ليس هو غير صدى مما ورثوه من قبائل النصارى القدماء الذين كانوا سابقاً في جزيرة العرب

٢ (صلح الله) او سلام الله (Paix de Dieu): هو ايضاً من مشاريع الكنيسة انشأته لتصون من بلايا الحرب امكنة واشخاصاً عديدين في زمن الحرب. فالامكنة كالكنائس والاديرة والمقابر وما يقع في جوارها ما لم تكن محصنة. اما الاشخاص فمن يتعاطون الفلاحة والصناعة والتجارة وما يتصل بنظرهم كالطاحن والمواشي وما اشبه. وبموجب صلح الله كان يتحتم على المحاربين ان لا يوقعوا اذى بالمسافرين والاولاد والنساء ومن يسير في رفقتهن. وقد انزل مجمع بلنسية من اعمال اسبانية سنة ١١٢٩ اشد العقوبات بمن يتجاسر فيبيح ذماء من سبق ذكرهم. وقد اوقع مجمع كارمون المنعقد في فرنسة سنة ١١٣٠ الحرم الكنسي بمن يلقي في اثناء الحروب حريقاً في البيوت والحقول والبساتين والمدن والقرى. ونودي بهذه القوانين في بقية البلاد فصارت مرعية في اطراف النصرانية. وأقيمت فرق من جنود الدول لمعاقبة من يخالف تلك المراسيم

٣ (هدنة الله: Trêve de Dieu) هي مشروع ثالث لكسر شوكة المتحاربين تولت الكنيسة امره لمنع القتال في بعض الازمنة والمواسم الجليلة كايام الصوم الكبير واعياد السيد المسيح ومريم العذراء وبعض القديسين بل حصرت المحاربة في كل اسبوع في ثلثة ايام فقط من الاثنين الى الاربعاء. وكان الاحبار الرومانيون يشددون على حفظ هذه القوانين واتفقوا مع الملوك على معاقبة من يثلمها بعد قطعهم من شركة المؤمنين بالحرم والتاديبات الكنسية ثم امتدت بمساعيهم الى كل الدول النصرانية. وكان الاساقفة والكهنة يتلون على مسامع الشعب شروط الهدنة ثم يدعون غضب الله على من يتجاوزها فيرمون على الارض شموعهم المشعلة صارخين: اطفأ الله السرور من قلب كل من لا يذعن لشروط السلام (١

(١) جاء في المقتطف (مجلد ٦٣: ٦٤) ما حرفه «وكان نفوذ الكنيسة في ذلك الزمان عظيماً جداً فبذلته في توفيق عرى التصافي بين امراء الاقطاعيات وسنت شريعة سنة ١٠٣١ لمنع القتال وسفك الدماء في الايام المقدسة والاعياد سمتها «هدنة الله» في الارض»

ومن عناية الكنيسة ايضاً في تلطيف ويلات الحرب انها منعت في مجامعها اتخاذ الاسلحة التي تلحق الاذى بالبعيد كالسهام والاقواس وما شاكلها لئلا تصيب بريئاً مسالماً ولأنها معدودة كأسلحة الجبان الذي يخاف القتال عن كثب. ووردت في ذلك قوانين المجمع المسكوني اللاتراني الثاني سنة ١١٣٩ الذي حظر المحاربة بهذه الاسلحة العمياء التي قال عنها انها خاصة المسلمين دون النصارى (١

وما قولنا الآن عن المشروعات المتعددة التي يقوم بها الاكليروس والرهبان لمساعدة جرحى الحرب في ساحات القتال وخارجاً عنه دون اختلاف بين صديق او عدوّ وقد شكرت تركيّة في حرب القريم اعمال راهبات المحبة مع جنودها واقرّت بمبادئهنّ الشريفة . ولنا في الحرب الاخيرة من ذلك شواهد حيّة كالصليب الاحمر وغيره كلّها تنطق بفضل الكنيسة

٣ المجلس التحكيمي في الكنيسة

انّ قيام الكنيسة مقام الحكم الفاصل بين الملوك والامراء عند تباين اهوائهم وتفرّق كلمتهم قد اوقف انتشاب حروب جمّة بعد ان اوشكت ان تستعر ضراماً . وكثيراً ما انتدبوا لذلك رؤساء الكنيسة عموماً واحبارها الاعظمين خصوصاً

ولا يخفى انّ سلطة البابا الروحيّة تتناول كلّ اقطار المعمور فكانت الملوك في الاجيال المتوسطة تنقاد لأحكامه حتّى في الشؤون العالميّة وتركن الى طاعته الشعوب نظراً لما عُرف فيه من الاستقامة وصفاء السريرة واعتدال الشرب وكثرة الخبرة وسعة المدارك الى حزم اسمى من ان يأخذ بالوجوه وهو نائب المسيح وابو جميع المؤمنين يُنزلهم جميعاً منزلة الابناء.

فهذا ما جعل الملوك والامراء يرجعون اليه فاقاموه الحكم المطاع والمرشد النصوح فيما اعتراهم من وجوه الخلاف فاستناروا برأيه ووقفوا عند حكمه فأمنوا بواسطته انتشاب الحروب وكفّوا عن سفك الدماء. والشواهد التاريخيّة على ذلك اكثر من ان تُحصى

وقد ظهر الامر خصوصاً في الاجيال المتوسطة اذ رأى الاحبار الرومانيّون تطاول

(١ اطلب (Revue Archéolog. 1916, p. 295—302)

بعض الملوك على رعاياهم وظلمهم لشعوبهم فتصدّوا لهم ودافعوا عن المظلومين لا يرهبون من سطوة اولئك الطغاة . كما شاع عن هنريكوس الرابع امبراطور المانية الذي كان اضرم في اوربة حرباً عواناً ألحقت بربوعها ضروب الآفات فوقف في وجهه شيخ رومية رادعاً ولم يزل يقاومهُ حتّى اضطرّهُ الى الخضوع بما انزل بهِ من العقوبات الكنسيّة

ولمّا قامت تلك الشيع الهمجية شيع الألبيجيين وقلبوا البلاد بغاراتهم ظهراً لبطن كان الاحبار الرومانيّون في طريقهم كالسدّ المنيع الذي اوقف سيلهم الجحاف

وما قولنا بأحكام البابوات بازاء مطامع الملك فيليب اوغسط في فرنسة وريشرد قلب الاسد وجان صَنتير في انكلترا . فاولا ما قضى بهِ رؤساء الكنيسة في مجلسهم التحكيميّ لأنقذت بلادهم سيرًا وعمّتها البلايا

وكلّ يعلم النزاع الذي استحكم بين دولتي اسبانية والبرتغال لدن اختلافهما على اقتسام الاراضي الشاسعة التي اكتشفها في العالم الجديد رجال من كلتا الدولتين فعُرض وجه الخلاف الى مجلس البابا اسكندر السادس الذي نظر فيهِ بكل حكمة ورسم خطًّا على خارطة اميركا كان الحدّ الفاصل بين اراضي الدولتين فاذعن كلّ من الفريقين لهذا الحكم خانعاً ولولاهُ لاصطبغ العالمان الجديد والقديم بدماء المتحاربين

ولم تخلُ الازمنة المتأخرة من حوادث خطرة اضطرّت الملوك في أثنائها الى ان يرجعوا الى الاحبار الرومانيين في حلّ ما تعقّد بينهم من المشاكل ممّا كان لولا توسطهم قد اثار حروباً طاحنة

منها الخلاف الشهير الذي استحكم بين المانية واسبانية بشأن أحقيّة الاستيلاء على جزائر الكارولين . فاجتمع رأي الدولتين على تحكيم البابا لاون الثالث عشر ليحلّ عقد الاشكال لما قام في يقينهما من حصافة رأيه ونزاهة نفسهِ . وقد حقّق البابا آمالهما اذ اصاب بسهام رأيه كبد المشكل واصدر حكماً وقف المتخاصمون عنده راضين شاكرين

ومثلهم فعلت دولتا البيرو والشيلي لدن حكّموا البابا لاون ثمّ البابا بيوس العاشر في تعيين الحدود بين املاك الدولتين ثم في حسم خلافٍ شديد حدث بينهما

هذا قليل من كثير ممّا سطّرهُ التاريخ من مساعي الكنيسة في سبيل السلام .

ولولا شطط بعض الملوك كفيليب لوبال ثم فتن الشيع البروتستانية في القرن السادس عشر وعصيانها على رؤساء الدين لتوفرت على العالم المتمدن شرور لا تحصى

فقل لي ناشدتك الله أما كان العالم نجا من كلّ اهوال الحرب العمومية الاخيرة لو كانت النمسة والسرب رفعتا الى الكرسي الرسولي امر الخلاف الذي اثار تلك الحرب واذاق البشر الامرين ولا تزال عقابيلها تفتك بنا الفتك الذريع . فلا جرم ان ذلك التحكيم السلمي كان اعاد للعالم سلامه وانتزع الضغائن من القلوب وساعد على ترقية الامم الى معارج الامن والفلاح

لعمر الحقّ قد اضمحل اليوم الوهم الذي كان سائدا على العالم من ان العلم والتهذيب والمدنية من شأنها ان تلطّف العوائد وتهذّب الطبائع والاخلاق الى ان تزيل اسباب الخلاف . فان وقائع السنين الاخيرة اظهرت انّ كلّ رقي العلوم الحديثة لم يكن الّا اداةً هائلة جعلت الحرب بربريّةً همجيّةً وساعدتها على التفنّن في التخريب والتدمير وعليه لا يخلّص البشرية من الحروب الّا الدين

وان اعترض علينا احد بقوله انّ رؤساء الكنيسة نفسهم باشروا الحروب ودفعوا اليها الملوك وامدّوهم بالقوّات والذخائر لاسيّما الحروب الصليبيّة . اجبنا اوّلا انّ الاحبار الرومانيين لم يدخلوا قطّ في حرب هجوميّة رغبةً في توسيع املاكهم او مساعدةً لغيرهم في ذلك . ثانياً معلوم انهُ كانت للباباوات املاك اوقفها على الكنيسة الملوك والامراء من تلقاء نفسهم فتركبت منها دولة كان يتحتّم على الحبر الروماني المدافعة عنها بالقوّة اذا اغتصبها ظالم وليس من احد يأخذ على ائمّة الكنيسة فعلهم هذا او يلومهم في حفظ تلك الوديعة وهم المؤتمنون عليها . ثالثاً انّ الحروب الصليبيّة عينها انّما كانت دفاعيّة واحتياطيّة اكثر منها هجوميّة . فانّ الدول الاسلاميّة باتّساع نطاقها كانت تتهدّد الممالك النصرانيّة حتّى اصبحت على قاب قوسين من حواضرها . ثمّ انّ الحروب الصليبيّة كانت غايتها نجاة الاماكن المقدّسة من ايدي مغتصبيها ومنتهكي حرمتها فانّ الحاكم بامر الله وحدهُ كان اخرب ثلاثين الفاً من الكنائس النصرانيّة بعد ان دمّر كنيسة القيامة في القدس الشريف أفما كان هذا سبباً كافياً لمحاربة الدولة الفاطميّة المتولّية على الاراضي المقدّسة فمن يلوم الكنيسة على سعيها في الذود عن حياض دينها . وقل مثل ذلك عمّا صنعتهُ لتردّ عن اوربة

تيار الدولة التركية التي يقبح مظالمها اليوم المسلمون فضلاً عن النصارى (١) . وابعاً وهيهات ان نسلم بنسبة ما اتى به بعض ملوك النصارى ظلماً كمذبحة القديس برتلماوس وبعض اعمال ديوان التفتيش في اسبانية الى ارباب الكنيسة وهم براء منها . ولم تكتف الكنيسة بعدم اغرائهم على هذه الاعمال بل كانت اول من يؤاخذهم عليها ويشدد عليهم النكير في اتيانها حتى ولو كانوا من اعز اولادها كشرلمان العظيم والكنت دي منفور فان الاحبار الرومانيين بكتوهما على افراطهما بمحاربة اعدائهما واعداء الدين

ويسوغ لنا ان نختم هذه المقالة بما كتبهُ جابرت احد مشاهير الكتبة المصريين مزكياً الكنيسة عن هذه التهم بقوله :

بعد ان افرغت الكنيسة ما لديها من وسائل الاقناع لكف الايادي الظالمة دون ان يجديها القول نفعاً قامت – وهي لم تقل الا مكرهة – تطلب من القوة ان تخدم الحق وتناضل بالسيف عن حوزته فتدفع عن اهتضامه اقواماً لا يبرقون رأياً الا السيف ولا يحترمون الا عهد القوة . فهذا امرٌ لا غبار منهُ عليها وهي ينفي عن طلب الصفح والتنصل . حسبها ان كل من يشفي بنور العقل يعتبر اعمالها في هذا السبيل خدمة جلى للانسانية فيمحضها عليها الثناء الطيب والشكر الجزيل

حول جزيرة العرب .

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي تابع

مكة وشرفاؤها

بعد ابحاثنا السابقة عن اليمن لا بدَّ ايضاً ان نخص بنظرة اجمالية امارة شرفاء مكة كل يعرف مقام مكة والمدينة في اعين الاسلام فالأولى مركز دينهم وقبلة

(١) للكاتب الفرنسوي الشهير شاتوبريان كلام مأثور في ذلك قال : « انَّ الذين قد افاقوا الملوك من سباتهم وجمعوا الشمل ووحدوا الكلمة وابرموا المعاهدات دفاعاً عن البلاد الغربية لكي لا تقع فريسة الاتراك انما هم البابوات ولو لم يكن للكنيسة من الاعمال الخطيرة في جانب الانسانية غير هذا لكفى . فهذه النعمة السابقة تجعلها اهلاً لأن تُقام لها المذابح شكراً واكراماً »

صلاتهم ومحطّ حجيجهم والثانية منزل نبيّهم بعد هجرته ومدفنه بعد موته . ويطلق على كلتيهما اسم الحرمين وهما حاضرتا الحجاز وفرضتها على البحر الاحمر جدة والينبع

لم يكن لمكة في اول الاسلام امارة خاصة وانما كان الحكم فيها لعمال يرسلهم اليها الخلفاء الامويون ثمّ العباسيّون . بيد انه كان فيها بيوتات ينتمي اصحابها الى ذرّيّة محمد عرفوا بالشرفاء والسادة كان الناس يعظمونهم لكرم محتدهم

فلمّا كان القرن الحادي عشر للميلاد وقد تضعضعت امور الخلافة في بغداد وتملّك الفاطميّون في مصر قامت اسرةٌ من العلويين وادّعت السيادة على اهل مكة ولم يألُ اصحابها جهدهم في توطيد نفوذهم فيها فأتى الفوز حليف إقدامهم وبقوا في منصبهم الى اواخر الدولة الفاطميّة فسقطوا بسقوطها

ثمّ صارت بعدهم الامارة الى اسرة شريفة يتّصل نسلها بالشريف قتادة الذي تولّى الامارة على مكّة في اواخر القرن السادس الهجرة والثالث عشر للمسيح ويرقون اصله الى الامام حسن بن عليّ بن ابي طالب . واخبارهم طويلة لا يسعنا ذكرها . واكثر ما يرويه كتبة المسلمين كالفاسيّ والفاكهيّ والنهروالي والسهروردي عنها نزاعات ومخاصمات وحروب يطول وصفها انتشبت بين اصحابها طمعاً في السيادة وحرصاً على جمع المال من الحجيج بضروب العنف

على انّ امارة الشرفاء على الحرمين لم تكن غالباً الا سطحية يضطرّون الى الخضوع للدولة الظافرة شاؤوا ام أبوا ويخطبون باسم صاحبها لاسيما مماليك مصر من القرن الثالث عشر الى السادس عشر فاذا احسّوا منهم بضعف استبدوا بالامر وبسطوا سلطتهم على انحاء الحجاز

ولم يكن للشرفاء جيش يخدمهم وانّما كانوا يجنّدون خدمهم ومماليكهم وبعض اهل البادية لقضاء امورهم على انّ عشائر العرب كثيراً ما كانت تتعرّض للحجّاج في طريقهم ريثما يأخذ شيوخها نصيبهم من مالهم او يرضيهم الشرفاء بمبالغ يؤدونها لهم او ألطاف يهدونها اياهم

ولمّا دخلت الحجاز في عهدة ملوك آل عثمان بعد فتح سليم خان الاوّل أثبت السلطان في الامارة على مكّة الشريف جمال الدين محمّد ابا النمي من اسرة قتادة السابق ذكرها

سنة ١٣٣٢هـ (١٥٢٥م) وتقدّر بـ [illegible] مائة دينار ذهباً في السنة . وخلفه في الامارة اولاده (١) ويُعرف بيت هؤلاء الشرفاء بذوي زيد توارثوها ابا عن جدّ الى ايام الوهابيين فحملوا اولوا الامر مذهبهم في ايام الشريف مسعود بن سعيد بن زيد المتوفى سنة ١١٦٥هـ (١٧٥١م) فزيّنوا تعاليمهم وامر بحبس بعض علمائهم . ثم تلاه امر الجديين كما سبق في عهد امرهم ابن سعود وكرّروا الحملات على الحجاز حتى دخلوا مكّة واستولوا على المدينة سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) وامروا في الحرمين سبع سنين وكان ذلك في ايام الشريف غالب بن مساعد بن سعيد

وفي السنة ١٨١٢ كانت الحملة المصرية فتوفّق محمّد علي الى تحرير الحجاز فرد امره الى اصحابه لكنّه رأى في الشريف غالب بعض الضعف والموالاة للوهابيين فعزله واقام مكانه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن اخي غالب ونُفي غالب الى سالونيك وهناك مات سنة ١٨١٦

وكان يحيى كاحد عمّال الدولة ليس له من الامارة غير الاسم . وفي السنة ١٨٣١ عزله محمّد علي باشا لقتله في الكعبة احد انسبائه وقلّد امارة مكّة رجلاً من الاشراف اسمه محمّد بن عون لم يكن من بيت امرائها فصارت من بعده الامارة تتراوح بين البيتين لبيت ذوي زيد حيناً ولبيت ذوي عون حيناً آخر

وظل الى ايام ابن عون ثلاثة عشر تسعين سنة ومات في ٢٨ آذار ١٨٥٨ وقد تقلّبت عليه الاحوال فنُفي مرّتين المرّة الاولى بامر محمّد علي باشا نُفي الى القاهرة (١٨٣٦ — ١٨٤٠) والمرّة الثانية بامر السلطان عبد العزيز الى الاستانة (١٨٥٣ — ١٨٥٦) وحدث في تلك الاثناء في الحجاز مشاغبات واضطرابات كان سببها تارة عبد المطلب بن غالب الذي تحرق الامارة الموروثة من اجداده الى ان فاز بها مدّة ثم ابن عون وتوفّي سنة ١٨٥٦ . وتارة قبائل العرب تثور على الاتراك لامتناع العمّال عن اداء واجب شيوخهم وحقوق حلفائهم لآل عثمان

وكان الدولة كالعادة تسعى في تقسيم الكلمة واضعاف العناصر المخالفة

(١) تولّى الشريف [illegible] عن ثلاثة اولاد وهم الشريف حسين وهو جدّ الشريف حسين امير مكّة الحالي وملك الحجاز ثم الشريف [illegible] وهو جدّ الاسرة المعروفة بالبركاتية . ثم الشريف [illegible] الذي [illegible] الاشراف الاول المنسوبون الى ابنه مديل بن احمد بن ابي نمي

لأحكامها فكانت تعضد حيناً ابن عون وحيناً عبد المطلب على مقتضى الاحوال وكذا كان فعلها مع قبائل العرب في الحجاز .

وعيّنت الدولة بعد وفاة ابن عون ابنهُ عبدالله ليخلفهُ في امارة مكّة . وكان عبدالله سكن زمناً طويلاً في الاستانة وصار احد اعضاء الشورى فيها . فاثار انتخابهُ حقد بيت ذوي زيد وحزبهم وحدثت من جرّاء ذلك فتن في الحجاز لحق قسم من ويلاتها الاجانبَ في جدّة فنهبت مخازن الانكليز والفرنسويين وقُتل قنصلاهم ومُنع الحجيج عن زيارة الحرمين . وفي السنة ١٨٦١ قام العربان في الحجاز على الدولة وتمادوا في غيّهم الى السنة ١٨٦٤ وبطل الحجّ وقطعت الطرقات ولم تهدأ الامور الّا بعد ان دفعت الحكومة لشيوخ القبائل ٢٥٠،٠٠٠ فرنك كانت تأخرت عن دفعها لهم

وبقي الشريف عبدالله بن محمّد بن عون في منصبهِ حتّى السنة ١٨٨٢ وفيها عُزل . قيل انهُ احسن السياسة في العرب ونفذت كلمتهُ بينهم

ثمّ عهدت الدولة امارة مكّة بعد الشريف عبدالله الى عون الرفيق باشا من ذوي عون فتولى من السنة ١٨٨٢ الى ١٩٠٥ وكان ابيّ الطباع شديد الشكيمة لا يستطيع احد مخالفتهُ وقد قام في وجه ولاة الاتراك فقُضي عليهم ان ينقادوا لاوامره . ولمّا تولّى احمد راتب باشا سنة ١٨٩٢ اتفق كلاهما وجريا كفرسي رهان في ظلم الرعايا واستنزاف اموالهم واقتسام الارباح بينهما الى ان توفي الشريف عون سنة ١٩٠٥ فخلفهُ في الامارة اخوهُ عبدالله لكنّهُ مات بغتة قبل ان يباشر بمهمّات وظيفتهِ فأُسند منصب الامارة الى الشريف عليّ حيدر ابن اخي عون فدام حكمهُ ثلاث سنوات فلمّا أُعلن بالدستور سنة ١٩٠٨ انقلب من رتبتهِ مع راتب باشا الحاكم التركي في مكّة . وحكم الدستوريون على راتب باشا بدفع مبالغ ممّا اغتصبهُ من مال الاهلين . امّا الشريف عليّ حيدر فانهُ رحل الى مصر وبقي هناك

وقد عيّنت جمعيّة الاتحاد والترقي سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) لامارة مكّة الشريف حسين بن عليّ وهو الذي يعرف اليوم بملك الحجاز . خدم قبل الحرب الدولة التركيّة ولمّا حاصر الادريسيّ مع قبائل العرب في العسير حاميةَ الاتراك في أبها جمع الامير حسين سنة ١٣٢٩هـ خدمهُ ومماليكهُ وبعض المتطوّعين من اهل البادية وسار بصحبةِ جنود الدولة فأفرج عنهم كما سبق فعظمت بذلك منزلتهُ في اعين مواطنيهِ

وفي ايام الحرب الاخيرة عدل الشريف حسين عن تركيته الى الدول الائتلافية سنة ١٩١٦ فزحف مع فرقة من العرب على مكة . وفاجأ فيها الاتراك ودخلها في حزيران ثم استولى على جدة وفتح الطائف بمساعدة الجيوش المصرية في ٢٢ ايلول منها . امّا المدينة فدافع عنها الجيوش العثمانية بشهامة ولم يسلمها الفريق فخر الدين الا بعد الهدنة في ١٠ ك ٢ سنة ١٩١٩

ولما دخل الشريف حسين الى مكة اقرّت له الدول الاتحاديّة بسلطنة الحجاز . امّا الاتراك فانهم دعوا عليًا حيدرًا وقلّدوه امارة مكة ليناصب الشريف حسينًا لكنّهُ بقي في الشام بجوار جمال باشا والعثمانيين ينتظر انتصارهم لينال ما وُعد به من الامارة فخابت آماله ولم يزل الشريف حسين قابضًا على ازمّة الامر معززًا مكرّمًا تعضدهُ الدول الاتفاقيّة ولاسيّما بريطانية العظمى

ولمّا دُحرت الجنود العثمانيّة وخرجت جزيرة العرب وبلاد الشام من حكم السلاطين بني عثمان نودي بالامير حسين ملكًا على الحجاز وعزّ مقام شريف مكة . وقد افاض السيّد محمّد رشيد رضا في صفاته وشمائله في مجلّة المنار (السنة العشرون ٣٥٥ — ٣٥٨) . ومما لا ينكر انهُ حاول توطيد ملكهِ وتوسيع نطاق دولتهِ . ولعلّ ما نالهُ من الرفعة والشرف حمل بهِ الى ان يمدّ سلطانهُ الى ما وراء الحجاز فاوقفهُ اصحاب تلك الاصقاع عند حدهِ لاسيّما الامير ابن السعود(١ . وجلالة الملك حسين اولاد ذوو مقام رفيع وسجايا ممدوحة يقيمون الآن في جوارنا وهم الامراء فيصل وعبدالله وعليّ وزيد يسعون بتأليف مملكة عربيّة من سوريا وفلسطين والعراق والله اعلم بمصير الامور وهو يولي الملك من يشاء

— نبأ عن ابن الرشيد — طيّر البرق من لندن في تاريخ ٨ ايار الماضي انّ الامير سعود بن الرشيد امير حايل (راجع ما قلنا عنهُ في الصفحة ٢٨٧) قُتل في العشر الثالث من نيسان لاسباب عائليّة وانّ القتلة هم من عبيدهِ وقد نُصب الامير عبدالله بن متعب اميرًا مكانهُ وهو ابن جاريةٍ وعمرهُ ١٩ سنة وكان ابن رشيد حليفًا للاتراك في اثناء الحرب العموميّة الاخيرة

---

١) جاء في الديلي تلغراف في تاريخ ١٩ آذار الاخير انّ فرقةً من الوهابيين هاجمت رعايا الحجاز على مسافة عشرين ميلًا جنوبيّ شرقي الطائف فقتلوا عددًا وافرًا من اهلها من قرى الملك حسين واحتلّوا تلك الانحاء الى ان ارسل الملك حسين جندًا فهزموهم بعد ان احرق الدورَ ضمنيين واخذوا الغنائم الطائلة

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثامن

في التاريخ النصراني بين عرب الجاهليّة

ان ما قيل في آثار الخطابة بين نصارى العرب في عهد الجاهلية يصح في آثارهم التاريخيّة فانها قليلة جدًا كأن العرب ظلّوا في جزيرتهم معتزلين عن بقيّة الشعوب المسيحيّة لم يعرفوا منها شيئاً . وليس الامر كذلك كما سترى وانما سبب ندرة هذه المآثر انّ اهل الجاهليّة لم يدوّنوا معارفهم في بطون الدفاتر لقلّة انتشار علم الخطّ بينهم فصحّ فيهم قول المثل « كلُّ علم ليس في القرطاس ضاع »

ويُضاف الى هذا السبب سببٌ آخر وهو قلّة اكتراث الرواة المسلمين لتدوينها حين باشروا بجمع آثار الجاهليّة في القرن الثاني للهجرة . فكان حينئذٍ معظمُ همّتهم ان يرووا ما يسمعونه من عرب الحضر والمدر من الشعر الجاهليّ والمفردات اللغويّة والامثال والحكم وما اشبه ذلك . امّا ما عرفهُ اجدادهم من تاريخ النصرانيّة فلم يعيروهُ بالًا

على اننا لو نقّبنا في الامر ودقّقنا النظر في تلك المرويّات السالمة من طوفان الحروب الاسلاميّة لوجدنا انّ عرب الجاهليّة عرفوا اشياء كثيرة من تاريخ النصرانيّة واثبتوا بذلك شيوعها في ظهرانيهم

١ واوّل دليل الى قولنا معرفتهم بالاسفار المقدّسة من العهد القديم ليست الاوّليّة فقط الشائعة عند اليهود بل الثانويّة ايضاً التي وردت في النسخة السبعينيّة

وكان النصارى يعتبرونها كمنزلة بالوحي الالهي مثل الاولية . فمن راجع ما نقلناهُ سابقاً في الفصلين الثاني والرابع من هذا الجزء . وما ورد فيهما من اخبار العهد العتيق في شعر امية بن ابي الصلت وعدي بن زيد وزيد بن عمرو بن نوفل وغيرهم تحقق ان عرب الجاهلية اطّلعوا بفضل النصرانية على كلّ اخبار التاريخ المقدس قبل المسيح

٢ وفي ذينك الفصلين بابٌ آخر يثبت معرفة اهل الجاهلية بتاريخ العهد الجديد ايضاً اعني اخبار السيد المسيح واعماله وانجيله ومجيئه في آخر الازمان ليدين العالم . وورد مثل ذلك في القرآن والحديث كما روينا سابقاً . وكلّه يشهد على معرفة العرب بزبدة تاريخي العهد القديم والعهد الجديد معاً

٣ ومما يُستفاد من فصولنا السابقة ولاسيما ما اوردناهُ من الشعر الجاهلي ان العرب قبل الاسلام عرفوا ايضاً حقّ المعرفة : ١ً رُسلَ المسيح وحواريّيه وامّه مريم البتول الطاهرة ويوحنّا المعمدان السابق امام وجهه وبعض المبشرين به في بلادهم من تلاميذهم . ٢ً كنيسة المسيح ونظامها من بطاركة واساقفة وكهنة وشمامسة . ٣ً رُهبانَ النصارى واديرتهم وصوامعهم وقلاليهم ومناسكهم في اعلى الجبال وسُرُجهم المتّقدة ليلاً وعيشتهم الشظفة . ٤ً بيَع النصارى ومعابدهم وما تمتاز به من هياكل ومحاريب ومنابر ومنارات ومصابيح وصلبان وصُوَر ودُمى ونواقيس . ٥ً أسرار النصارى وخصوصاً المعموديّة والقربان الاقدس والذبيحة الالهيّة المقدّسة تحت شكلَي الخبز والخمر . ٦ً اعياد النصارى كالدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) وخميس العهد والفصح والسلّاق (الصعود) . ٧ً عادات النصارى في صومهم وصلواتهم وطوافهم حول الكنائس وحجّهم الى القدس الشريف وملابسهم الخاصّة . ٨ً امتياز احبارهم وعلمائهم بعلم الكتابة وبنقل المصاحف الدينيّة من توراة وزبور وانجيل مع تنميقها ووشيها بالرسوم وضروب النقوش الملوّنة . فكلّ هذه المعلومات تقوم مقام سِفر جليل ينبئنا بشيوع التاريخ المسيحي بين عرب الجاهلية

٤ وقد اورثنا نصارى العرب فوائد تاريخيّة جمّة منها ما نُقل عنهم بالتقليد في اقدم التواريخ الاسلاميّة كالطَّبري يؤخذ منها خبر دخول النصرانيّة بين عرب العراق والشام وانتشار الدين المسيحي في جهات اليمن قبل وبعد استيلاء الحبش عليها . ومنها كتابات حجريّة رُقمت على الصخور بالقلم المسند الحميري فاكتشفها

السيّاح في ايّامنا واشرنا اليها في مقالاتنا السابقة وممّا ورد في مضامينها ذكر سدّ مأرب والسيل العرم . ومنها عاديّات خلّفتها الامم السالفة كبعض القصور التي ينسبها العرب الى قدماء النصارى وبعض البِيَع مثل كنيسة صنعاء المعروفة قديماً بالقُلَّيس التي صبرت بعض آثارها على آفات الدهر او كمثل كعبة نجران وغير ذلك ممّا يُتّخذ حجّة لنسبة المعارف التاريخيّة وغيرها اليهم

٥ وممّا وقف عليه العرب من اخبار الكنيسة ذكر بعض شهدائها كالقديس جرجس الشهيد الذي شاع بين العرب اسمهُ ومنهم مَن دعاهُ بالخضر . ويشهد على انتشار اكرامهِ في جهاتهم ان اقدم الكنائس النصرانيّة التي بُنيت على اسمهِ انما شُيّدت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٧) وقد تكرَّر اسمهُ في الكتابات اليونانيّة المكتشفة هناك . ومثلهُ القديسان الشهيدان سرجيوس وباخوس المكرّمان بين العرب في الرصافة والرقّة وجهات الفرات . وكان بنو تغلب اتّخذوا صورة الاوّل كراية تتقدّمهم في الحرب (راجع ديوان الاخطل ص ٣٠٩) قال :

لمّا رأونا والصليبَ طالعًا ومارِ سرجيسَ وسنّا ناقعا
وابصروا راياتنا لواما خلّوا لنا راذانَ والمزارعا

وقد ذكرنا سابقاً انَّ اوّل اثر من الخطّ العربيّ قد كُتب سنة ٥١٢ للمسيح اي ١١٠ سنوات قبل الهجرة على مشهد القديس سرجيوس في زَبَد وصوَّرنا هناك صورتهُ (الجزء الاوّل ص ٢٠٣—٢٠٤) . والاثر الثاني من الخطّ العربي يرقى الى السنة ٥٦٨ م وُجد في حران من اعمال حوران كُتب على مشهد أُقيم تذكاراً للقديس يوحنّا المعمدان المكرَّم هناك

وكذلك اصحاب الكهف وهم شهداء أُفسس الذين رُوي عنهم انّهم هربوا من وجه المغتصب في عهد دقيوس قيصر فالتجأوا الى كهف اي مغارة وظلّوا فيها نائمين السنين الطوال حتّى افاقوا من سباتهم باذن الله وصاروا آيةً للقيامة . وقد ورد ذكرهم في القرآن وفي شعر امية بن ابي الصلت كما ورد ذكر اصحاب الاخدود اي شهداء نجران الذين القاهم ملك اليمن اليهودي ذو نوّاس في أتون النار (راجع سورة البروج في القرآن) — وذكروا تاريخ حبيب النجّار زعموا انهُ رافق تلاميذ المسيح الى انطاكية وساعدهم في نشر دينهِ بين اهلها

٦ امّا التاريخ المدنيّ فقد عرف منهُ نصارى العرب نُتَفاً لاسيّما تاريخ الامم المجاورة للعرب من فرس وحبش ورومان . فمن ذلك ما انشدهُ اميّة بن ابي الصَّلت في محاربة سيف بن ذي يزن للحبش بمساعدة الفرس وطردهم من جزيرة العرب (راجع في شعراء النصرانيّة لاميّتهُ ص ٢٣١) التي اوّلها :

ليطلب الوترَ امثالُ ابن ذي يَزَنٍ في البحر خيّم للاعداء احوالا

وربّما ذكروا ملوك الروم باسمهم العام « قيصر » كقول امرئ القيس عند رحلته الى حاضرة ملوك الروم يستنجدهم على قَتَلة ابيهِ :

بكى صاحبي لمّا رأى الدرب دونهُ وايقَنَ انّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك انّما نحاول ملكاً او نموتَ فنُعذرا

وخصّوا بالذكر بعضهم كثورق اي موريقيوس قيصر . قال الكندي يذكر بعض من فتك بهم الدهر (حماسة البحتري ع ٣٨٣)

وابنَيْ أبرهَةَ الذي سجدَتْ لهُ صُمُّ الفيول صوامتاً لم تنطقِ
وأجَبْتُ كسرى وابن كسرى بعدهُ والمرءَ قيصرَ وانتحَيْتُ لمُورِقِ

وكذلك ذكروا منهم هِرَقل او هِرَقل . قال لَبيد (ديوانهُ ص ٣٥) :

غلب اللياليَ مُلكُ آلِ محرّقٍ وكما فَعَلْنَ بتُبَّعٍ وبهِرْقلِ

امّا ملوك العجم فقد ذكروا معظم اسماء ملوك سلالتهم الساسانيّة مثل كسرى وازدشير وهرمز

٧ ومن المرويّات العديدة التي نقلها اوّل كتبة الاسلام على علّاتها فاثبتوها باسانيدها الى بعض اهل الكتاب من نصارى ويهود ممّا لا يخلو منهُ تأليف واحد من تآليفهم القديمة وربّما اشار اليها القرآن او نقل عنها الحديث يظهر انّهُ شاعت في جزيرة العرب مصنّفات شتّى معظمُها لبعض المبتدعين او لكتبة مجهولين لا صفة لهم رسميّة في الكنيسة . وقد بقي منها اشياء في قصص الانبياء للثعلبيّ وغيرهِ . وفيها الغثّ والسمين . ومن هذه التآليف ما ورد ذكرهُ في الشعر القديم ولا نعلم من امرهِ شيئاً كقول بشر بن ابي خازم وقيل الطرمّاح في كتاب بني تميم (المفضّليات ص٦٧٦) :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ احقَّ الخيلِ بالرَّكض المُعارُ

وكانت بعض هذه التآليف مكتوبة بالسريانيّة او الحبشيّة فوقف على مضامينها

العرب ونقلوا اشياء منها خصوصاً من كتاب « مغارة الكنوز » المنسوب زوراً الى القديس افرام . وكان في هذه الكتب الصحيح والسخيف فلم يفرز العرب العليل من السالم

هذا ما استطعنا استخلاصهُ من الآثار الباقية فهو مع قلّته شاهد صادق على ما توخّينا اثباتهُ عن شيوع التاريخ المسيحيّ عند قدماء العرب (له تابع)

تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان

للكاتبين البارعين عيسى اسكندر المعلوف والشيخ سليم الدحداح

اقترح بعض القرّاء على مجلّة المشرق هذا الموضوع الذي مع عظم شأنهِ لم يتعرّض لهُ حتى الآن احد من كتبتنا الادباء فرأينا ان ننتدب لهذا الامر كاتبين مدققين اعلم من سواهما بتاريخ لبنان نعني بهما عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلّة الآثار والشيخ سليم الدحداح صاحب المقالات التاريخيّة المستحسنة فاجابا الى ملتمسنا بما عُرفا بهِ من اللطف . فاستخلصنا مما كتباه ما رأيناهُ اقرب الى الصحّة وافتنا اليهِ ما وقفنا عليهِ من ذلك في مآثر الفرنج ل . ش

نظر اجماليّ في اصل الامراء الشهابيين واللمعيين

ليس من غرضنا ان ندوّن هنا تاريخ هؤلاء الامراء ونبحث عن اصلهم وفصلهم وكلّ يعرف ما احرزوا لهم من الشهرة وخلّفوا من الآثار في لبنان وانحاء الشام منذ قديم الزمان . فمن اراد تفاصيل اخبارهم عليه بالتواريخ المنشورة سابقاً كالغرر الحسان للامير حيدر الشهابي واخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنّوس شدياق وليراجع ايضاً في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٧٦٩ و ٨٣٠) ما كتبهُ الشيخ ابو خطّار العينطوريني عن اصل الامراء والمشايخ في لبنان

انّا نقول بالاختصار انّ الامراء الشهابيين ينتسبون الى مالك بن الحرث بن هشام المخزوميّ الذي توطّن حوران في عهد عُمَر بن الخطّاب ونال فيها الامارة . وقد لُقّب مالك المذكور بشهاب باسم جدّهِ شهاب بن عبدالله . ثمّ انتقلت سلالتهُ بعد قرون الى وادي التيم فتملّكوهُ ولم يزل يتّسع نفوذهم حتّى اتّصلوا

بالمنيين حكّام لبنان فصاهروهم ثمّ خلفوهم في الحكم بعد انقراض ذرّيتهم بوفاة الامير احمد المعنيّ سنة ١٦٩٧ وقد بقيت امارة لبنان في يد الشهابيين الى السنة ١٨٤٢ . وهذه سلسلة امرائهم : ١ً الامير بشير الشهابيّ الاوّل من امراء راشيّا (١٦٩٧–١٧٠٧) استقرّ كاللمعيين في دير القمر — ٢ً الامير حيدر شهاب من امراء حاصبيّا (١٧٠٧–١٧٣٢) — ٣ الامير ملحم بكر الامير حيدر (١٧٣٢–١٧٥٤) — ٤ً — ٥ً ثمّ اخوا الامير ملحم : احمد وحده (١٧٥٤) ثمّ مع اخيه منصور (١٧٦٢–١٧٧٠) — ٦ً ثمّ الامير يوسف ابن الامير ملحم (١٧٧٠–١٧٨٨) — ٧ً ثمّ حفيد عم الامير يوسف بشير الثاني المالطيّ المعروف بالكبير (١٧٨٨–١٨٤٠) — ٨ً آخرهم الامير بشير الثالث ابن اخي الامير يوسف (١٨٤٠–١٨٤٢)

امّا الامراء اللمعيّون فينتسبون الى بني فوارس وهي طائفة قدمت الى غربي لبنان من الديار الحلبيّة ومنهم كان ابو اللمع المتوفّى سنة ١٦٥٢ . كانوا اوّلًا معروفين بلقب مقدّمين ثم نالوا رتبة الامارة من الامير حيدر الشهابيّ لحسن بلائهم يوم عين دارة حيث انتصر القيسيّون وفي مقدّمتهم بنو شهاب على اليمنيين سنة ١٧١١ ثمّ صاهروا الشهابيين وغنوا عددًا وتفرّعوا الى عدّة بيوتات تولّوا على جهات المتن

٢ النصرانيّة بعد الصليبيين

لمّا انتهت الحروب الصليبيّة وطرد الفرنج من سواحل الشام في اواخر الجيل الثالث عشر أُصيبت النصرانيّة في سوريّة بضربة أليمة وصار لبنان تحت حكم الامراء المسلمين الذين تولّوا تدبيره باسم دولة المماليك المصريّة . امّا النصارى الوطنيّون فبقي منهم قسمٌ في المدن الداخليّة ولاسيّما دمشق وحلب وبعض المدن الساحليّة كصور وصيداء وبيروت وطرابلس وكان اكثرهم من الروم . امّا الموارنة فكان معظمهم في جهات لبنان وخصوصًا في انحائه الشماليّة وفي عكّار . وكان الروم واليعاقبة في القرى المجاورة لدمشق وحمص وحماة . ولم يبق من الفرنج الّا بعض التجّار أُقيم لهم بعد مدّة قناصل يُعنَون بمصالحهم ويتوسّطون بينهم وبين ولاة الدولة . ونال الرهبان الفرنسيّون ان يبقوا في خدمة النصارى في الاراضي المقدّسة وفي بعض مدن الشام كدمشق وحلب وطرابلس وبيروت وصيداء وعكّا فاتّخذوا

لهم فيها اديرة بقيت آثارها الى اليوم . ثم تبعهم المرسلون الكرملتان واليسوعيون والكبوشيون منذ القرن السابع عشر فتقدَّمت بهمّتهم الطوائف الشرقيَّة وزادت عددًا وفضلًا

وقد نال النصارى بعد الصليبيين اهانات ومحن شتَّى لا حاجة الى ذكرها هنا . لكنَّ تلك المصائب خفَّت نوعاً لمَّا صارت الامارة الى أُسرة آل مَعْن وكانت على مذهب اهل السنَّة وقد اشتهر منها الامير فخر الدين الاوَّل معاصر السلطان سليم فاتح الشام . وفاق عليهِ شهرةً حفيدهُ فخر الدين الثاني الذي قلَّدهُ السلاطين امارة جبل لبنان وجبل الدروز ولعلَّ ذلك الذي خدع بعض الكتبة فذهبوا الى كونه درزيًّا والصواب انهُ كان مسلماً وانَّما كان محبًّا للنصارى يتردَّد اليهم ويمنحهم الامتيازات التي خُصَّت سابقًا بالمسلمين ويستخدم المسيحيين في اكثر اعمالهِ . وكثيرًا ما كان يجامل المرسلين ويتباحث معهم في امور الدين ويستحسن كلامهم في الدفاع عن النصرانيَّة لاسيَّما بعد سفرهِ الى ايطالية ودخولهِ على ارباب دولها وخصوصاً غرندوق توسكانا ونظرهِ الى رقيّ اهلها ودينهم فرجع الى بلاد الشام وقلبهُ يتلهَّب غيرةً على اصلاح وطنهِ ليمتعهُ بشيءٍ من تمدُّن الغرب . وفي غضون ذلك أُصيب الامير بمرض عضال في السنة ١٦٣٣ . وقد اخبر المرسل الكبوشيّ الاب ادريان دي لابروس انَّهُ عادهُ في مرضهِ وعالجهُ حتَّى شفي بنعمة من الله وعناية الاب فتنصَّر واعتمد سرًّا وقد حضر عمادهُ كاخيتهُ الشيخ ابو نادر . ولمَّا حاربتهُ الدولة وصار في حوزة الاتراك أرسل اسيرًا الى الاستانة فقُتل مع ولديهِ بامر السلطان مراد . ويقال انَّهُ كان يحمل الصليب على صدرهِ وان احد اسباب قتلهِ شيوع خبر تنصُّرهِ وثباتهُ في ايمانهِ والله اعلم (١

(١ اطلب كتاب الاب هيلار دي برانتون (La France Catholique en Orient, p. 159—164) وتصداقًا على هذا الرأي ننشر هنا رسالة ارفقنا عليها حضرة الاب قسطنطين الباشا المخلصي ارسلها المطران يوحنا بن قرياقوس المعروفي من بيت صندوق الذي انفذهُ البطريرك يوحنا مخلوف الى قداسة البابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٢٥ م لتهنئته وكان ترجمان اللغات الشرقية عند ملك فرنسة مع القس جبرائيل الصهيونيّ الاهدنيّ ثم بعد بضع سنوات عاد الى لبنان فسقفه البطريرك وتوفي بعد قليل . وهذه الرسالة منقولة عن المجلد ٢٤٧٦ من سجلات مدينة فلورنسة في ايطالية وهي بحروفها :

٣ تنصّر الشهابيين

فلما قام بنو شهاب بعد المعنيين وهم مثلهم من اهل السنة وتقلّدوا تدبير لبنان بدعوة امرائه واشرافه أثر فيهم تساهل بني معن مع النصارى فانتدبوهم الى اعمالهم وعهدوا اليهم بمهماتهم وجعلوهم في حاشيتهم . فانهم بعد ان كانوا في منطقة اسلامية اصبحوا في دائرة مسيحية ودرزية في جهات دير القمر وانما غلب تأثير النصرانية فيهم على عمل الدرزية لأن الدرزي كما هو معلوم يغالون في كتم سرّ معتقداتهم ولا يقبلون مهتدين لدينهم عملا بمبدأ التناسخ فصارت اكثر معاملات هؤلاء الامراء الشهابيين مع نصارى لبنان من الموارنة خصوصاً فمهّد ذلك الطريق الى تنصيرهم

ومن الدواعي اليه ايضاً انه كان للكهنة الوطنيين والمرسلين الاوربيين مجالسات ومحاورات ومناقشات مع امراء الجبل من بني شهاب وآل بلمع فكان الامراء يستطيبون احاديثهم ويطالعون بعض كتبهم الدينية كالكتاب المقدس وسير القديسين ويشاهدون صدقهم وعملهم الخيرية فانوا الى مساعدتهم في بناء الاديرة والمعابد . ورأوا في الديانة المسيحية زواجر ونواهي وعظات وآداباً اخذت بمجامع افكارهم . ذلك مع ما كان عليه غير المسيحيين من مناوأة الامراء الاقطاعيين وإرهاقهم وتقلّب آرائهم وما اتخذه حكّام الدولة المجاورون من اساليب العسف وفنون العنف حتى سئموا العيش معهم وازدادوا تقرّباً من المسيحيين

وممّا اخبره احد شيوخ لبنان الطاعنين في السن وكان عاش مدّة في جوار بعض

« سلام الله الحي القدوس محيي الاجساد والنفوس ومبدعنا الى قرائتها باحسن الطقوس نخص به حضرة سيدنا وامبرنا وفرح قلوبنا وسرور طائفتنا المارونية المالي القدير الامير فخر الدين المكرم

والذي يعرفه على شريف علمكم عبدكم المعروف بخدمتكم المطران حنا الحصروني كاتب هذه المودة فهو ان قريب جابيكم بكتب كاحيتكم مصطفى بن حسن شبلي من اخبار عدة وان شاء الله تكونوا منصورين على اعدائكم والعاقبة الخير بمعونة ينبوع المعونة الالهية سيدنا ومهدينا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعة والدته العذرى مريم الدائم بتوليتها التي لا صار قبلها ولا بعدها آية تناسبها باعمال الله الواحد . هذا الذي نسأله متضرعين الى مراحمه الجزيلة يجعلكم باهل ويصيركم (اميراً مسيحياً) عدة البابا مؤيداً بالعز والنصر الالهي بالمذهب المسيحي الذي هو وحده مذهب الحق والنجاة المنزل من السماء بواسطة الكلمة الازلية سيدنا يسوع المسيح لخلاص الراغبين الخلاص بالايمان المذكور . . . . » اه

المقربين من آل شهاب حكّام لبنان ان من اسباب تنصّر الشهابيين تحريض نسائهم لهم على التديّن بالنصرانيّة لأنهن اجتمعن بارباب الدين المسيحيّ واستحسنّ تعاليمهم لاسيّما ما يخصّ الزواج القانونيّ بامرأة واحدة دون السماح بالإضرار والطلاق فأثّر ذلك فيهنّ اشدّ التأثير ودفعنّ ازواجهنّ الى التنصّر ففعلوا

واوّل امير يُذكر تنصّرهُ دون تعريف اسرته الامير عبدالله فهو على ما روى احد سيّاح الفرنج المعاصرين السيّد پول لوقاس(١) وقد اتّسع باخباره وذكر حادثة في غزير وانعطافهُ الى الآباء الكبوشيين واحسانهُ اليهم ببناء ديرهم والى عموم الموارنة ثم ما دهمهُ من المصائب من قبل حكّام الدولة وخصوصاً والي دمشق الذي طالبهُ بالمال الكثير ثمّ حبسهُ . وكان كثير الميل الى النصرانيّة فسعى الآباء الكبوشيّون بمساعدته في حبسه والعناية بامره في ضيقاته فطلب المعموديّة فعمّدهُ احد خدّامه الموارنة في سجنه بارشاد الآباء المذكورين فعدّ تنصّرهُ اكبر نعم حياته . ثمّ نُفي الى البصرة وفيها توفّي نحو سنة ١٧١٧ . ثمّ روى المسافر رجوع اولاده الى متعصبهم وموالاتهم للمرسلين الكبوشيين دون ان يصرّح بنصرانيّتهم

امّا اوّل من تنصّر من الشهابيين فكانوا من ابناء ثاني امراء لبنان وهو الامير حيدر المتوفى سنة ١٧٣٢ فخلّف تسعة ذكور من اربع زوجات : كان اكبرهم الامير ملحم الذي خلفهُ في الحكم ثمّ احمد وهما من زوجته الاولى الشهابيّة من حاصبيّا . ثمّ الامير عُمَر من زوجته الثانيّة امّ الامير مراد ابي اللمع . ثمّ الامير بشير من زوجته الثالثة ابنة الامير حسين قيدبيه ابي اللمع . ثمّ خمسة اولاد من زوجته الرابعة شقيقة زوجته الاولى الشهابيّة وهم الامراء منصور ومعن ويونس وحسين وعليّ

وقد تنصّر بينهم الامير عليّ وزوجتهُ سنة ١٧٥٤ وتمّ ذلك بواسطة الكاهن الماروني البيروتي الخوري مخائيل فاضل وهو الذي سُقف بعد زمان على بيروت ثمّ أُقيم بطريركاً على الموارنة سنة ١٧٩٣ . وكان سبب تنصّرهما ما ورد في آثار قديمة انّ احدى بنات الامير عليّ مرضت مرضاً ثقيلاً حتى يئس اهلها من شفائها وانقطعت عنها حيلة الاطباء . فشفاها الله بواسطة ادعية الكاهن المذكور وكان يتردّد على

١) اطلب كتاب سفره :
Voyage du Sieur Paul Lucas, *Rouen*, 1719, pp. 319—327)

عائلة الامير فطلب مع زوجته سرّ العماد من يده فقبلها في الطائفة المارونيّة . وسلالة هذا الامير تسكن الى اليوم في وادي شحرور ومنهم الامير سليم منصور شهاب الذي قضى زمناً طويلاً في خدمة البنك العثماني في بيروت ثمّ توفي وهو نائب في مجلس ادارة لبنان عن قضاء المتن في مدّة الحرب الكونيّة الاخيرة . وقد عمّر الامير عليّ طويلاً فاربى على الخمس والثمانين من عمره وتوفيّ في وادي شحرور سنة ١٨١١

وكان في تلك الاثناء الامير ملحم يصادف في حكم لبنان من المشاقّ والصعوبات التي يعارضه بها ولاة الدولة وبالخصوص والي صيداء اسعد باشا العظم الذي وُلي بعد مدّة امرة دمشق حتّى اضطرب بسببه حبل الامن فتبرّم من معاملاته الجائرة وجاهر بنفوره منه واستفحل الخلاف بينهما فنال الاميرَ من سوء تصرّف عمّال الدولة نكباتٌ ومصادرات يطول ذكرها . وقد رأى على خلاف ذلك من المسيحيين موالاةً له في ضيقه واخلاصاً في خدمته كما رأى من الطوائف الاخرى اعراضاً عنه . وكان الكهنة من مرسلين ووطنيين وارباب الدين على اختلاف طبقاتهم يظهرون للامراء التودّد ويفاوضونهم بكثير من الشؤون التي تعود اليهم بالراحة وتنشر رواق الامن في اقطاعاتهم وبذلك حبّبوا اليهم النصرانيّة . فجعل الامير ملحم يرغب الى اولاده وانسبائه ان يتقرّبوا من النصارى ويتخلّقوا باخلاقهم . واثّر فيهم مثل الامير عليّ فاهتدى بعدهُ الى الدين المسيحيّ المقدّس ثلاثة من اولاد الامير ملحم وهم الامراء سيد احمد وقاسم وحيدر انضمّوا الى الطائفة المارونيّة ايضاً

وفي اواخر سنة ١٧٦٤ تبعهم الامير قاسم ابنُ عمّهم عُمر وهذا كان استرضاهُ عمّاهُ احمد ومنصور لئلّا يزاحمهما في الحكم على لبنان وسلّماهُ حكومة غزير وازوجهُ الامير منصور احدى بناته . وكان اهتداؤهُ على يد السيّد يوسف اسطفان الفوسطاوي مطران بيروت (وهو الذي صار بطريركاً بعد ذلك) استدعاهُ الامير وابدى لهُ رغبتهُ في التنصّر وطلب منهُ ان يرشدهُ في معرفة الدين المسيحيّ فلبّى المطران دعوتهُ وحضر الى غزير ولم يزل مهتمّاً في ارشاده حتّى وجدهُ مستعدّاً لقبول العماد فنصّره هو وعائلتهُ

وبعد بضعة اشهر ولد للامير قاسم ابنهُ البكر الامير حسن . ثمّ وُلد لهُ في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٦٧ ابنهُ الاصغر الامير بشير المشهور بالكبير والمعروف بالماطي

اعظم حكّام لبنان الشهابيين فنشأ الولدان مسيحيَّين وعاشا وماتا في حجر الكنيسة من الطائفة المارونيَّة . ولا عبرة لبعض اوهام نشرها المفسدون بخصوص دين الامير بشير فلا طائل تحتها . وللامير بشير في المشاريع الدينيَّة والادبيَّة ايادٍ بيضاء من جملتها انهُ وهب الآباء اليسوعيين قطعة ارض في منطقة زحلة لبناء ديرهم وعاضد غيرهم . وكذلك تنصَّرت والدتهما وبعد وفاة زوجها الاوَّل اقترنت بالامير سيد احمد المتنصر كما سبق

ثم تبعهم بقية الامراء الواحد بعد الآخر حتَّى انهُ لم تأتِ عليهم السنة ١٨٣٠ حتَّى شملتهم نعمة النصرانيَّة جميعاً وانتسبوا الى الامَّة المارونيَّة واتَّخذوا طقسها الَّا واحداً منهم تبع الطقس الملكيّ الكاثوليكيّ . ولمَّا دخل المصريُّون بلاد الشام سنة ١٨٣٢ وجدوا الامراء مجاهرين بدينهم النصراني

ولا شكَّ انَّ هؤلاء الامراء عدلوا الى النصرانيَّة مستنيرين بنور الهداية الالهية . على اننا لا ننكر ايضاً انَّ البعض منهم دفعتهم اليها مصلحتهم وشؤونهم الخاصَّة اذ وجدوا انَّ معظم اهل لبنان نصارى موارنة وليس في الجبل من يزاحمهم على الامارة مع قلَّة المسلمين فيهِ الَّا المتاولة الذين كانوا يجاهرونهم بالعداء فوجدوا انهم لا ينالون راحةً في جنوبي لبنان وشماله الَّا بمناهضة اهل الشيعة ومعاضدة النصارى فابعدوا الاوَّلين واسكنوا المسيحيين في اطراف الجبل وبتنصُّرهم اكتسبوا ثقة الاهلين فصار لهم بذلك حزبٌ انتمى اليهم وتعلَّق بهم شديد التعلُّق

وممَّا يثبت قولنا انَّ بعض الامراء المتنصِّرين كانوا اذا خالفوا الامير بشير يرتدُّون الى الاسلام ليستلطفوا ارباب الدولة كما جرى للامير حسن الاسلامبوليّ وللامير سلمان احد ابناء الامير سيد احمد(١) وغيرهما في اواخر القرن الماضي الذين عادوا الى الدين الاسلاميّ طمعاً بوظائف الدولة . امَّا الشهابيُّون في وادي التيم فهم مسلمون الى يومنا . وكذلك لم يتنصَّر كما زعم البعض الاميرُ يوسف الشهابيّ سادس

---

(١) سنة ١٨٢٠ م ارسل عبدالله باشا والي عكا خلعة الولاية في لبنان للامير حسن علي والامير سلمان سيد احمد الشهابيين لتغلُّبهم على الامير بشير الكبير . وارسل الشيخ محمود الدسوقي اليها ليرجعهما الى الاسلام

حكام لبنان وانّما كان محبًا للنصارى (١ وسعى بتحصيل القنصليّة الفرنساويّة في بيروت للشيخ غندور سعد الخوري مدبّره وابن مربيه فنالها له سنة ١٧٨٦ بواسطة البطريرك يوسف اسطفان الذي اوفد لذلك الى لويس السادس عشر الخوري انطون القيالة البيروتي . وفي خزانة البطريركيّة المارونية جواب الاميرال دي كستريس الفرنسي الى الامير يوسف شاكرًا له عنايته

٤ تنصّر الامراء اللمعيين

سبق ان الامراء اللمعيين عضدوا الشهابيين والقيسيين يوم عن داره واباوا فيه احسن بلاء حتى نالوا لقب الامارة واقطعوا المتن وزحلة وبعض البقاع وتصرفوا في البلاد تصرُّف الامراء وكانوا مثل بقيّة الطوائف التي قدمت من الجبل الاعلى في حلب من الطائفة الدرزيّة . وعُرف اللمعيّون بثلثة بطون : اولها آل قيدبيه حكموا في الشبانيّة ورأس المتن وصليما وبكفيا وبرمانا . وثانيها آل مراد حكموا في فالوغا وقرنايل والمتين والعباديّة . وثالثها آل فارس في بسكنتا ولكل امير منهم قصر او سراي لا يزال اكثر هذه القصور باقية انارها على طرزها القديم

وكان سبب تنصّرهم احتكاكهم بالنصارى في لبنان مثل انسبائهم الامراء الشهابيين واستخدامهم في امورهم ووقوفهم على خلوص سريرتهم . وكذلك تردّد ارباب الدين المسيحيّ اليهم من الرهبان الاوربيين او الاكليروس الوطني ومحاضراتهم في شؤون الدين . ولاسيّما مثل الشهابيين . المتنصّرين فرغبوا في النصرانية وعدلوا عن دينهم

والمشهور على ألسنة الامراء اللمعيين والمقرّبين منهم انّ اوّل امير لمعيّ تنصّر كان الامير اسمعيل من آل قايدبيه من امراء صليما المعروف بالشوّلح اكبر جسمه . وقد توفّي هذا الامير سنة ١٧٨٨ بعد ان نصّر اولاده وابناء آله . واصغر اولاده الامير حيدر الشهير قائمقام النصارى في جبل لبنان الذي ساعد الآباء اليسوعيين في بناء

١) سنة ١٧٩٠ م آنس الجزار من الامير يوسف ميلا كثيرًا الى النصارى حتى نفذت كلمتهم لديه وخاصة الشيخ غندور ابن سعد الخوري صالح من رشميا فاصدر امره وهو في طريق الحاج من المزرعة الى نابيه في عكاء ان يرقب (يشنق) الامير يوسف ومدبره الشيخ غندور فعلقا ثم ندم لانه كان متقلب الآراء قسيق السيف المذل

ديرهم في بكفيا وقُبر في كنيستهم (راجع المشرق ٤ | ١٩٠١ | : ٨٢٤)

اما طريقة اهتداء الامير اسمعيل وسنة اهتدائه فلم نعثر عليهما مع كثرة البحث عن ذلك . وانا نعرف انه قدّم صورة ايمانه لقداسة الحبر الاعظم بيوس السادس فاتحفه بثلاث صور قديمة من عمل اشهر المصورين تُرى حتى اليوم في معبد دارهم ببكفيا وارسل اليه برقة يحثّه فيها على حماية النصارى . وبالحقيقة ان الامراء اللمعيين عموماً وآل قيدبيه خصوصاً ولاسيما الامير اسمعيل هذا واولاده الأمراء حسن وعساف وحيدر وحفدته كانوا اكبر ظهير للمسيحيين فمكنوا النصارى في القرى من قرع الاجراس انذاراً باوقات الصلوات وكان ذلك قبلهم ممنوعاً بتّة ولقد ذكر وفاة هذا الامير كثير من مؤرخي عصره مثل القس كرامة الحصني والقس حنانيا منير الزوقي في تاريخيهما المخطوطين واثنيا عليه وعلى اعقابه من الامراء.

وفي تاريخ الرهبانية الانطونية القس عمنوئيل البعبداتي (ص ٤٨٤) فوائد عن تنصر بعض امراء اللمعيين في قرنايل وما يجاورها فاخبر ان الاب سمعان عريض وزملاءه لما عزموا على بناء دير لرهبانهم في قرنايل استقدمهم اليه وخاطب الاب سمعان بقوله انه يرغب في بناء كنيسة على اسم قديس اشتهر بالشجاعة والذود عن حرمة دين الله اكثر من سواه فاشار اليه الاب بالقديس الياس الحيّ واطلعه على سيرته المخطوطة في كتاب قديم فأعجب بها واصدر امره ببناء الكنيسة ومال الى التنصر والتقرب من المسيحيين ومساعدتهم واوعز الى آله ان يعتنقوا المسيحية فكان ذلك نحو السنة ١٧٩٠ . واول من تنصر من هؤلاء الامراء في قرنايل الامير بشير ابن الامير حسن ابن الامير يوسف اي حفيده فقبل العماد من يد القس صموئيل من العبادية ورومية وبرمانا . وكذلك امراء رأس المتن تنصر منهم الامير فارس ابن الامير علي هو واولاده على يد الاب عمنوئيل سلام المتيني اللبناني المشهور . وكان هؤلاء الامراء يساعدون في تأسيس الديارات والمعابد والمدارس وينفقون على بعضها ويقفون لها العقارات والاراضي فنال النصرانية بهم شرف وفخر بازاء مواطنيهم . لكنّ الامر لم يكن ليروق لاصحاب الدولة خوفاً من تقوية العنصر المسيحي بتنصرهم فلم يألوا جهدهم في القاء الفتن بين العناصر بارسالهم ولاةً الى الشام

وصيدا، وطرابلس اشربوهم بغض امراء لبنان فجرى ما جرى بسببهم من ضروب العسف والظلم والمشاغب والمذابح

هذه لمعة من تاريخ تنضر الامراء الشهابيين والسعيين نقدمها لقراء الشرق مع اقرارنا بما فيها من الخلل ببعض الايضاحات والمعلومات راجين من فضل الادباء الواقفين على اخبار لبنان ان يفيدونا بما يرونه أوسع واثبت ولهم الشكر سلفا

مطبوعات شرقية جديدة

I FASTI DELLA CHIESA PATRIARCALE ANTIOCHENA da **Ignazio Efrem II Rahmani** Patriarca Antiocheno dei Siri. *Roma*, 1920. *in-4, pp.*36-XXXII

بآثر الكنيسة البطريركية الانطاكية

قد افتتح غبطة السيد الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني المحاضرات التي نقدت في رومية منذ اوائل السنة الحاضرة بساعي المكتب البابوي الشرقي . وقد اختار لذلك موضوعاً عرفه حق المعرفة اعني مآثر الكنيسة البطريركية الانطاكية التي يعدّ غبطته احدى حلقات سلسلتها الذهبية فتتبع خلاصة أعمالها ومشاهير احبارها مباشرة بهامة الرسل منشئها الاول ثم وصف آثارها وكبار رجالها وعلاقات اصحابها مع الكرسي الرسولي في مدى الاعصار وما نال ابناءها من المحن في الحرب الاخيرة وقد اضاف غبطته الى ذلك عدة افادات عن رتب وطقوس الكنيسة الانطاكية وعن ما كان بينها وبين الكنيسة الرومانية من العلاقات ثم عن نسخة الاناجيل المقدسة السريانية المعروفة اليوم بالبسيطة وما تقدمها من نسخة سابقة قد فقدت واكتشف غبطته بعض مقاطيعها . فكانت هذه المحاضرة موضوع ثناء كل من حضرها من كرادلة واساقفة وعلماء فاتفقوا على وجوب طبعها وبذلك نلنا نحن حصتنا ايضاً من فوائدها الجمة ونصوصها الشائقة اجزل الله ثواب غبطته ومتعنا زمناً طويلاً بوفرة علومه

ل . ش

Ambroise Got : L'ALLEMAGNE APRÈS LA DÉBACLE. *Strasbourg, in-8, pp. XI-262, 1919,*

المانية بعد سقوطها

ان الضربة التي أصيبت بها المانية بعد كسرتها اوقعتها في حيص بيص فقامت فيها الاحزاب المتباينة والعناصر المختلفة ومنازعات الطبقات القومية والمطامع الاشعبية التي يصعب الوقوف على ظواهرها ومكنوناتها . فاراد احد بني الالزاس الذين عرفوا مُجرها ومجرها ودرسوا حركات اهلها بعد سقوطها وهو الدكتور بالفلسفة امبرواز غوت من معيَّة البعثة الفرنسويَّة الى برلين بعد الحرب ان يطلع الفرنسويين على ماجريَّات تلك الدولة بعد خلع الامبراطور غليوم الى اواسط السنة ١٩١٩ فاتى بكتاب غاية في الحسن والضبط فتتبع كلّ فصول هذه الرواية المفجعة واستقرى امور ممثليها من وطنيين واجانب ويهود واشتراكيين وذوي عناصر شتى وكلها أعقد من ذنب الضبّ فاماط الستر عن اسرارها ووفى كلا حقّه . ونتيجة ابحاثه هذه انّ المانية لا تستطيع ان تنهض من كبوتها مهما ساعدتها الاحوال الّا بعد السنين الطوال لاسيّما مع ما يلزمها ادارهُ من الضرائب والديون للاتحاديين والتعويضات عن كلّ ما دمّرته من البلاد . وذلك كلّهُ ثمرة صَلَف قيصرها المخلوع وتجاوزه كلّ حدود القناعة والانصاف الاب ج . لوفنك

Angell (Norman) : LE CHAOS EUROPÉEN, traduit de l'anglais par **André Pierre,** *Paris, B. Grasset,* 1920, *in*—12, *pp.* XV—144

الفوضى الاوروبية

كان صاحب هذا الكتاب نورمان انجلّ الانكليزي وضع قبل الحرب تأليفاً سعى فيه بان يوضح لمواطنيه ان الحرب لا يُرجى منها اصلاح الامور كما توهّم البعض وانّ شرورها اعظم من خيرها . واليوم قد وضع هذا الكتاب الثاني ليبيّن فيه ان بنود الصلح التي صادق عليها مندوبو الدول في ڤرسايل تُنذر بأخطار جديدة وتعرّض اوربّة لفوضى مرهبة لحكمهم على الدول المركزيَّة بالضغط والتذليل والاستعباد مع كونها هي برقيها وسعة اعمالها ووفرة وسائلها كف . لانقاذ عموم الدول من ازمتها الاقتصاديَّة فانّ الدول المغلوبة كالبقرة الحَلوب ان نُزعت اخلافها تضب

حليفها فلا بدَّ اذن من منحها الحرّيّة اللازمة لتصلح شأنها وتخدم باصلاحها بقيّة الدول . ومن ثمّ لا بُدّ من تحوير معاهدة ڤرسايل . هذا رأي صاحب الكتاب ولا يبعد عن الصواب ارشد الله اولي الامر الى ما فيه خير العباد وتأييد حقوق العدل والانصاف الاب ج . لوقناك

Gautherot (Histoire) LA FRANCE EN SYRIE ET EN CILICIE. *Conférence*, 1920, *in*—12, *pp.* 210

فرنسة في سورية وقيليقية

مرّت علينا سنة ونصف منذ رأينا على سواحلنا الراية المثلّثة الالوان . وقد جرت منذ ذاك الحين عدّة امور في سورية وقيليقية نشرتها الجرائد متفرّقة فكاد يحتار العقل في معرفة اسبابها وسوابقها ولواحقها فكنّا نشتهي ان يطلعنا على سلسلتها كاتب ضليع وشاهد عيان فها نحن بهِ وهو الدكتور في الآداب غوستاف غوترو الذي رافق الحملة الفرنسويّة الى الشام ثمّ انتقل معها الى قيليقية وكان في ذهابه وايابهِ يدون كلّ ما يحدث يوماً بيوم . فلمّا اخذ افق السياسة ببعض الانقشاع جمع معلوماتهِ في كتاب غاية في التحقيق والتدقيق فذكر تاريخ هذه المدّة الاخيرة ووصف الحوادث والاشخاص والعناصر وصفاً منزّهاً عن كلّ غرض لا يهمّهُ سوى بيان الحقائق التاريخيّة وكشف معمّيات الاحوال الحاضرة . فنثني على همّة الكاتب الذي عرفناهُ واطّلعنا على مقدرتهِ ونوصي القرّاء بمطالعة كتابهِ الجامع بين اللذّة والافادة مع ما زيّنهُ بهِ من التصاوير البديعة والخرائط ل . ش

APPEL AUX CATHOLIQUES DE L'UNIVERS POUR SAUVER LES MISSIONS ALLEMANDES, par **J. Neuhaesler**, *Munster*, 1920, *in*—8, *pp.* 26

استغاثة الكاثوليك في نجاة الرسالات الالمانيّة

انّ انتصار الدول الاتّفاقيّة على المانية وحلفائها قد أدّى ببعض المتطرّفين الى نفي المرسلين الالمانيين الكاثوليك من رسالاتهم الاجنبيّة لئلّا يتخذوا كما يزعمون الدعوة الدينيّة كوسيلة الى نشر روح مدنيّتهم وحبّ وطنهم . وهو على ما نظنّ خوف باطل لا اساس لهُ لأنّ المرسلين الكاثوليك اعلى مقاماً واشدّ تجرّداً من أن يجعلوا الدين سلّماً لمآربهم الشخصيّة ومن ثمّ نضمّ نحن ايضاً صوتنا الضعيف الى اصوات المحتجّين على هذه المعاملة الجائرة التي تحرم عدّة بلاد من نعمة التبشير والتمدّن المسيحي

ولا سيما بعد أن خسرت كثيرا من مرسليها بسبب آفات الحرب . فأملنا اذن ان يسمع الاتحاديون دعاء قداسة الحبر الاعظم ويسهلوا المرسلين قضاء مهمتهم الشريفة من اي جنس كانوا . ولا بأس من محاكمة الذين يتعدون طورهم ويتوسلون بالدين لغايات زمنيّة وهذا بعيد من افكار المرسلين الكاثوليك ل . ش

Un texte d'Eutychius relatif à l'Eléona (Extrait de la Revue Biblique, Juillet, 1914), par le R. P. RENÉ BURTIN des Missionnaires d'Afrique, p. 23.

عبارة لافتيشيوس المعروف بابن البطريق بخصوص كنيسة الينة

ورد في تاريخ ابن بطريق الذي تولينا نشره في مجموعة الكتبة المسيحيين (ص ٢١٦) ان كسرى أرسل جيوشه لفتح مدينة القدس خرب قائدهم اولا كنيسة الجسمانية ثم « كنيسة الينة » فزعم العلامة كارمون غانو لاثري الشهير ان هذه الكنيسة هي كنيسة السيدة المعروفة بالجديدة (Nea. Néa) فكتب ابن بطريق بحرف عربي لفظها اليوناني . لكن حضرة الاب بورتين من مرسلي الآباء البيض تصدى له واثبت بهذه المقالة ان المقصود ليست تلك الكنيسة بل هي كنيسة القديسة هيلانة المعروفة باليونا (Eléona) فسماها ابن بطريق « الينه » . وهي التي اكتشف الآباء البيض آثارها في هذه السنين الاخيرة وكتب عنها الابوان كاي من الآباء البيض وقسان الدومنيكي الفصول الممتعة وهي التي اقامتها القديسة هيلانة فوق مغارة كان السيد المسيح يجتمع فيها مع تلاميذه في جبل الزيتون فيعلمهم وفيها اجتمع الرسل بعد صعود الرب فقرروا دستور الايمان والامل معقود على قرب تجديدها وقد بوشر حديثاً بتشييد كنيسة ملكيّة في مكانها على اسم قلب يسوع وضع حجرها الاول في اوائل كانون الثاني من السنة الحاضرة ل . ش

رسالة رعائيّة للسيّد الجليل اغناطيوس مبارك مطران بيروت

في سرّ الزواج المقدّس

طُبعت في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٣٠ ص ٢٠

قد أصيبت كرامة سرّ الزواج المقدّس في مدّة الكوارث التي دهمتنا في السنين الاخيرة بشيء من الامتهان اذ نسي بعض المؤمنين شرائعه القانونيّة فأحبّ سيادة

مطران بيروت على الموارنة انيتلافى هذا الخلل فوجه هذه الرسالة النفيسة الى الكهنة خدمة الرعايا في ابرشيته وصف فيها عظم شأن الزواج المسيحي وقداسته وذكر ما وضعته الكنيسة من القوانين لحفظ كرامته ودفعاً لما يتهدده من الاخطار بسبب الاهواء البشرية واختصر التقارير الواجب على الكهنة مراعاتها في عقد الزواج . فجاءت هذه الرسالة مفيدة للفيف الاكليرس من كل الطوائف فيحسن بهم انيطلعوا على مضامينها المدققة ل . ش

نظرة اجمالية في اعمال الجمعية الانطونية

طبع في مطبعة الاباء الفرنسيسكان في القدس الشريف سنة ١٩٢٠ ص ١٠

الجمعية الانطونية أنشئت في القدس الشريف سنة ١٩١٣ بهمة الاباء الفرنسيسكان تحت شفاعة القديس انطونيوس البادوي غايتها تعزيز الآداب ومساعدة المبؤسين فأتت من الاعمال المبرورة ما احرز لها عدة انعامات من الكرسي الرسولي وممثليه في القدس الشريف وفي هذه اللائحة ما يدل على مآثر اصحابها في سبيل الخير . فنهنئ الجمعية المذكورة ونرجو لها الثبات على خطتها وزيادة في النجاح

ديوان السموأل

رواية ابي عبدالله نفطويه

نشره الاب لويس شيخو اليسوعي (طبعة ثانية مصححة ومزيد عليها)

طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٠ (ص ٤٢ + ٥)

ان رواج هذا الديوان المنشور لاول مرة في الشرق سنة ١٩٠٩ ثم على حدة احوجنا الى اعادة طبعه . فاستفدنا من انتقاد العلماء على الطبعة الاولى واضفنا اليه عدة معلومات عثرنا عليها في مخطوطات ومطبوعات جديدة . ولا حاجة الى زيادة في تعريف ناظمه اذ اصبح اسمه اشهر من نار على علم

تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها الى ايامنا

تأليف احد اخوة المدارس المسيحية (الفرير)

طبع بمطبعة الفرير في الاسكندرية سنة ١٩١٤ (ص ٦٩٢)

قد تعددت منذ عشرين سنة تواريخ الآداب العربية فظهر منها في المانية

(بروكلمان) وفي فرنسة (هوارت) وفي ايطالية (بيزي) ثم في مصر (جرجي زيدان — محمد عاطف ورفقاؤه — المرصفي — احمد الاسكندري — الاخ بلاج) ولكل هذه الكتب مزايا ونقائص . ولعل أحسن ما نُشر الى اليوم الكتاب الذي قدَّمنا هنا عنوانهُ ظهر سنة الحرب فلم نطلع عليهِ حتى تلطف واهدانا احد اخوة المدارس المسيحيَّة في الثغر نسخةً منهُ فوجدناه احرى من غيرهِ ان يودع في ايدي تلاميذ المدارس لكثرة فوائده وحسن تبويبه وانسجام عبارته وتذييلهِ ببعض الحواشي التاريخيَّة واللغويَّة واطلاع المؤلف على المصادر القديمة والحديثة التي ساعدتهُ على انشائهِ وقد عدَّ بينها تآليف مطبعتنا الكاثوليكية ومجلتنا المشرق . ومن خواصهِ اعتدالهُ في الحكم عن الكتبة الاقدمين والمحدثين دون مراعاة الوجوه في انتقادهِ وقد احسن اذ قصر الكلام على الموتى دون الاحياء . . على أننا لا ننكر انَّ هذا الكتاب يحتاج الى تحسين وزيادة تدقيق في بعض التواريخ والتلطيف من بعض العبارات الشاذَّة الزائدة واختصار بعض تراجم المحدثين لعدم انطباقها مع سواها . وغاية ما نتمنَّى ان يصبح هذا الكتاب كدستور امين وركن مكين لمعرفة الآداب العربية وتاريخها في المدارس العموميَّة ولا سيَّما المدارس الكاثوليكيَّة ل . ش

تنصيب قلب يسوع الاقدس ملكاً

نقلهُ من الافرنسية الخوري يوسف الدكاش (ص ٣٢)

طُبع هذا الكرّاس اجابة الى رغبة الحبر الاعظم بتكريس العائلات الكاثوليكيَّة للقلب الاقدس وفيه الشروح الوافية عن اصل هذا التنصيب ومعناهُ وشروطهِ . فنحضُّ الجميع على مطالعتهِ مع ابداء الشكر لغيرة ناشرهِ

شذرات

التديسة جان درك في لندن ونيويرك — كلٌّ يعلم انَّ الانكليز كانوا سبب الحكم على جان درك لانقاذها وطنها من يدهم بعد ان كادوا يلحقونهُ

بريطانية العظمى . فلما فكّر بيوس العاشر في اعلان تطويبها تنبّم قداسته العلم أيماكس الانكليز هذا العمل فكان جوابهم آية من الانصاف والعدل فأقروا ببرءة تلك الفتاة الشهمة ولم يعارضوا الكنيسة في آرائها . وفي هذه السنة اذ اثبت البابا بندكتوس الخامس عشر قداسة جاندرك في امّ المدائن كان لهذا النبأ انعكاس صدًى في عاصمة الانكليز فأقيمت في ١٦ ايار الماضي في كتدرائية وستمنستر حفلات غاية في الفخامة حضرها علية القوم وممثلو العالم الكاثوليكي هناك وكان مزار القديسة يأخذ بالابصار لبهائه تزينهُ الاكاليل وتخفق فوقهُ الرايات الفرنسوية والانكليزية . وفي نهاية الحفلة جرى في الشوارع المجاورة مهرجان عظيم لاكرام القديسة — ولم يشاء الاميركيون ان يتخلّفوا في مثل هذه الظروف فانّ سيادة رئيس اساقفة نيويرك اقام حفلةً دينيّة ذات رونق عظيم بمعاونة رهط كبير من ارباب الكنيسة ورؤسائها وكهنتها اشتركت فيهِ معظم الجمعيّات الاميركيّة وتلامذة المدارس الذين اربى عددهم على عشرة الاف . وأُطلقت في اثناء الحفلة المدافع تحيّةً للقديسة . ثمّ تولّت جوقة من ابرع الممثلين تمثيل ادوار حياة القديسة منذ حداثتها الى وفاتها ثمّ تمجيدها بعد موتها على صورة اخذت بمجامع القلوب مع مراعاة عادات الزمان وملابس العصر . وممّا احسنوا تمثيلهُ ظهور القديس ميخائيل للفتاة بين موكب من الملائكة ودفعهُ لها رايةً وحساماً وكذلك حضورها لبعض المعارك وفوزها بالانكليز ثمّ دخولها الى رئيس ظافرة وقيامها عن يمين ملكها ساعة تتويجهِ ملكاً على فرنسة فأبقت هذه الحفلات في القلوب ذكرًا مخلّدًا

الطاولات الدائرة في الصين — ان للارواح الشريرة في الصين اعمالًا عديدة كثيرًا ما يصفها لنا المرسلون الكاثوليك في كتاباتهم تشهد على ما للابالسة في الممالك الوثنيّة من النفوذ . فممّا كتبهُ احدهم مؤخّرًا الاب دُوره اليسوعي شيوع تدوير الطاولات في هياكل اصنامهم على يد سَدَنتها . وطريقتهم في ذلك أنهم يتّخذون قِدرًا كبيرة يملأونها ماء ويغمسون في الماء طلسماً فيهِ ادعية « للملك التنّين » ثمّ يعكسون طاولةً فيركبونها على القدر وقوائمها منتصبة ثمّ يتلو عليها كاهن الصنم الفاظًا سحريّة يزجر بها الشياطين وهو يرقص حولها بينما يمسك قوائمها اربعة من الحضور فلا تلبث الطاولة ان تدور بهم وتمور تارةً وتنخفض اخرى حتى

يعيا لامسوها من اتباع حركاتها . وهم يعرضون عليها الاسئلة فتجيب عليها بضربات اصطلاحية او يربطون على احدى قوائمها قلماً صينياً بعنادهم فترقم الجواب على الورق وتكون حينئذ مقومة غير معكوسة . فترى ان تدوير الطاولات ليس هو فعلا طبيعيا كما يزعم البعض وان الكنيسة بتحريمه احسنت اي احسان

❊ مكافأة الحبر الاعظم لمحسنين صينيين ❊ اشتهر في هذه السنين الاخيرة كاثوليكي صيني اسمه « يوسف لو » من وجوه شانغاي ببراته العديدة حتى دُعي « بقديس منصور دي بول الصيني » فهو اذا قام باكراً يسرع الى استماع القداس وتناول القربان ثم يطوف بيوت الفقراء والمرضى ويزور المحبوسين ويتكرم على الجميع بماله ونصائحه وقد انشأ هو وحده مأوى جمع فيه ٢٠٠ من المبتوسين يقوم بكل حاجاتهم وحاجات الراهبات اللواتي عهد اليهن نظارته . وقد اجتذب بمثله كثيرين من مواطنيه للدين الكاثوليكي فلما بلغ خبره الى الحبر الاعظم منحه في كانون الثاني ١٩٢٠ وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كافلير وهذه اول مرة ينال احد الصينيين مثل هذا الامتياز — وكذلك منح اربع سيدات صينيات اشتهر ايضا بفضلهن في خدمة الدين الوسام المعروف باسم « لاجل الكنيسة والبابا »

❊ تكاليف الحرب على الدول ❊ نشر احد كبار الاحصائيين المسيو ادغار غرامون قائمة ما تكلفته كل دولة في الحرب الاخيرة مع نسبته الى غناها قال تكلفت بريطانية العظمى ثلاثة مليارات و ٥٠٠ مليون جنيه اي ١٢،٧ بالمئة نسبة الى غناها وتكلفت فرنسة عليها خمسة مليارات و ٤٥٠ مليون جنيه اي الربع من غناها وتكلفت المانية ثمانية مليارات و ٧٠٠ مليون اي ٢٦ بالمئة من غناها وتكلفت ايطالية ٩٠٠ مليون اي خمس غناها وتكلفت بلجكة ٥٠٠ مليون اي نحو ٨ في المئة من غناها . فهذه نحو ٢٠ مليارا من الجنيهات فُقدت في سبيل الخراب والدمار بدلاً من ترقي العالم وخدمة الشعوب والاعمال الخيرية

❊ متحف التاريخ الطبيعي في لندن ❊ قد نشر مدير هذا المتحف السر هرمر (Sr Harmer) في مجلة الطبيعة الانكليزية ما بلغ اليه هذا المتحف في هذه السنين الاخير فان مجموع ما يحتويه في الحاضر من امثلة الحيوانات كبيرها وصغيرها ودقيقها من جميع الاشكال البرية والبحرية والهوائية يبلغ ستة ملايين عدا

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب يوسف افندي صفير : ١ً من هو البطريرك نوح اللبناني وماذا يعرف لهُ من التآليف ٢ً مَنْ هو يوحنا مرمغون المارونيّ الموفد الى ملك فرنسة لويس الرابع عشر

البطريرك نوح اللبناني

١ً كان نوح من باقوفا ويُنسب الى لبنان أُقيم اوّلاً اسقفاً على حمص في السنة ١٨٠٠ لليونان (١٥٨٩ مسيحيَّة)ثمَّ مغربانًا ثمَّ عُهدت اليهِ البطريركيَّة سنة ١٨٠٥ (١٥٨٤ م) فدُعي اغناطيوس الثاني عشر وكان من النحلة اليعقوبيَّة . لهُ في المكتبة الواتيكانيَّة تاريخ عربيّ من آدم الى زمانهِ . ولهُ ايضاً ميامر . توفي في ٢٨ آذار ١٦٠٩

٢ً امَّا يوحنَّا مرمغون فالظاهر انهُ كان من وجهاء قبرس ارسلهُ الى فرنسة سنة ١٦٩٦ مطران قبرس بطرس ضومط نائب البطريرك اسطفان الدويهيّ وشيوخ بيت الخازن ليطلب من الملك لويس الرابع عشر ومن وليّ عهدهِ ان يسعيا لدى السلطان بتلطيف معاملة ولاة الاتراك مع الموارنة ثمَّ باقامة الشيخ حصن الخازن قنصل للدولة الفرنسويَّة في بيروت وتعيين الشيخ ناصيف حاكم على جهات كسروان وشمالي لبنان . فاستقبلهُ الملك لويس بكل لطف وأنالهُ اكثر مطلوباتهِ وقد نشر الرحالة لاروك (ج ٢ ص ٣٠٨—٣١٥) ما نالهُ مرمغون من الامتيازات في فرنسة اذ انتظموهُ في سلك فرسان سيدة الكرمل وفي جمعيَّة القديس لازر الشرفيَّة . فعاد الى الشرق بجواب الملك على الرسائل الموجَّهة اليهِ من الموارنة . واجتاز في طريقهِ بالاستانة حيث اكرم مثواه المركيز دي شاتونوف سفير فرنسة لدى سلطان الاتراك والتمس للموارنة عدَّة نعم من الدولة العثمانيَّة . فلمَّا عاد مرمغون الى بلاد الشام اقام في عكَّا متاجرًا الَّا انَّ عمَّال الدولة اساؤوا اليهِ فطلب من ملك فرنسة ان يقبلهُ في فرقة من جنودهِ مع ٣٠ و ٤٠ مارونيًّا لكنَّ الملك لم يجب الى ملتمسهِ . ولم يُذكر عنهُ شيءٌ آخر في التاريخ بعد ذلك

ل . ش

المشرق

الارواح في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

مرَّ من الليل هجيع طويل والأعراب جالسون على بساط الراحة والسلام يستضيئون بنور القمر ويتجاذبون اطراف الحديث . وكنَّا بالقرب من الشيخ عبد المهدي وهو امير عرب العوازم القاطنين في ماعين وضواحيها . ومَن تعهَّدهُ يوماً رأى عليه سمات الجمال البدوي ومن سمعهُ اخذتهُ هزَّة الطرب من تلهُّب فؤادهِ وتوقُّد خاطرهِ . وكان يناجي الحاضرين بأخبارهِ الملذَّة وحوادثهِ الغابرة والحروب التي كان فيها بطلًا . وكنَّا نسمع ذاك الراوي لمبتكَرات الامور ونعجب من علمهِ بأيَّام العرب وآدابهم وعوائدهم . وكان في اثناء ذلك يقوم شابٌ ويقدّم للضيوف القهوة المرَّة البدويَّة

وبينما القوم بهناء وصفاء اذ صدع الآذان خبَبٌ متواصل . فذُعر الحاضرون وارتاعوا وعلت على طِلعاتهم امارات الخوف والرعدة واخذوا يتهامسون بينهم . من يا تُرى هذا المستجير في طيَّات الظلام ؟ ما هذه الغارة ؟ كلَّا هذا ليس بغزو فالغزو يتقدَّم في مطلع الفجر . فخرج الجميع الى خارج المضارب واذا ببدويّ على متن جواده يقطع السهول والهضاب ويتهب الارض نهباً . فلمَّا نزل الى مضرب الشيخ عبد المهدي نزل مرتعد الأوصال يرجف رجف الاوراق في الاشجار . فقال له : « علامك ؟ ويش علومك ؟ اكفِ شرَّك . ما هذا الاصفرار ؟ » وكان البدوي قد عُقل لسانه وذاب قلبهُ وصوتهُ فجلس وهو يشير الينا بالايماء الى ان هدأت الحركات وسكنت الاصوات وركن بالهُ وخفَّ ارتعاشهُ فقالوا : قد لمسهُ لامس باسم الله

الرحمان الرحيم . فقلنا : دعوهُ يرتاح ردحاً من الزمن . وكان الفارس المستجير من عشيرتهم وهو من عقلاء الموازرة ثمَّ أردفنا : عَلامَك يا ابا محمَّد ؟ فنطق حينئذٍ ولسانه يتلعثم بالكلام : صوتٌ . . صوتٌ طرق مسامعي من جهة الجنوب بالقرب من الحجر المنصوب (١ كنت ممتطياً جوادي اغني وانشد الاشعار اذ سمعتُ لحناً مطرباً . فقلت : «ما هذا النغم الشجيّ في البادية » ثمَّ ارتفع كصوت ابطال الحروب واشتدَّ حتى خُيِّل لي انهُ زئيرُ اسد او هديرُ مياه السيول او قعقعة السيوف . فما كنت اسمع خبَبَ حصاني بل كنت اسمع دقَّات قلبي تتعاظم وتشتدّ . فوقفتُ مرتاعاً وصرت أجيل نظري النقّاد فما وقع على قوم ولا على شبح . فاستعذتُ برب الفلق من شرّ ما خلق . « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، باسم الله باسم الله » . وكان الصوت يتقدَّم نحوي كالبرق . فنزلت عن الجواد وقد هاج وماج . وانتشر حولي ضباب وامتدَّ في عرض السماء وشعرتُ بدويّ الرعود والعواصف . وبدا لي ان السماء تمطر انهاراً وسيولاً وايقنتُ بالهلاك فودَّعت الدنيا في تلك اللحظة . سلام على الاحباب والاقارب . هنا منيَّتي هنا اجلي هنا أُدفن في لُجج الغمر . وما كدتُ انطق بهذه الكلمات حتى رأيتُ السماء قد راق اديمُها وصفا جوُّها واضاءت النجوم بالوانها السنية

فقالوا : أهذا يُرعبك وانت بطل من الابطال تُقارع الرجال ولا تهاب النزال . قال : شعرتُ بنفسي قد ذابت وتبدَّدت في احشائي . وقد نذرتُ لربّ الفلق ذبيحةً ممتازة نعجة بيضاء — قالوا جميعهم : قد لمسهُ لامس . قد لمسهُ باسم الله الرحمان الرحيم . وحكموا انه جنٌّ او روح شريرة قد تمثَّلت له . ولا ينجو منها الَّا بالذبيحة

ولمَّا اتمَّ حديثهُ اخذ كلٌّ من الحاضرين يروي حكاية قد سمعها وشعر بها فأثرت في محفوظه . وكنا نعي في فؤادنا كلَّ ما ذكروهُ عن الارواح . فكنَّا تارة نلقي عليهم سؤالًا وطوراً كان الحديث يأتي بالحديث طبقاً لأمانينا

ولم نكتفِ بما سمعناه بل مرَّ علينا حينٌ من الدهر ونحن نعاين الاعراب ونجالسهم فنستزيد علماً ومعرفة ونستوضح افكارهم عن الارواح ومظاهرها .

---

١) الحجر المنصوب (dolmen) ويُعرف بالنَّصب ج أنصاب هو نوع من المسلَّات القديمة طوله سبعة امتار قائم في قمة الجبل المُشرف على سيل الزرقاء . وليس عليه كتابة تنبيء عن تاريخه وواضعه . وهو بالقرب من قرية ماعين . والانصاب كثيرة في فلسطين

وسنذكر في مقالتنا هذه معنى الارواح عموماً والجن خصوصاً وما ينزلون بالبشر من الاضرار والنكبات على زعمهم . وسنورد مكان تجليهم في شرقي الاردن وما يقام لهم من الاكرام . نروي ذلك دون القطع بصحته وفيه ما فيه من الغرابة والتخيل في امر الجن

١ في معنى الجن عند العرب

قال علماء اللغة : اصل هذه الكلمة من الاستتار ومن الجنين لانه مستتر في بطن امه او من الجنّة لاستتار ارضها بورقها . وقد ورد عند علماء الفقه ان الجن اجسام هوائية قادرة على التشكل باشكال مختلفة لها عقول وافهام وقدرة على الاعمال الشاقة بخلاف الانس (١ . ويزعمون انّ الله خلق الجانّ من مارج من نار . قال ابن العبّاس : المارج هو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت . وقال الجوهري : المارج نار لا دخان لها . وفي كنز الاسرار ان الجانّ هو ابو الجن كما ان الانسان هو ابو البشر . وسمي جانًّا لتواريه عن العيان

وفي كتاب الاوائل : ان الله خلق الملائكة والجانّ من جنس واحد فمن طَهُر منهم فهو ملاك ومن خبث فهو شيطان . وما كان بينهما فهو جن (١ . ثم ان الجنّ عصوا وفسقوا عن امر ربهم وسفكوا الدماء . وقال غيرهم ان الجن خمسة انواع جانّ وجنّ وشيطان وعفريت ومارد واضعفها هو الجانّ وهو مسخ الجن . واقواها هو المارد . وفي الخبر انهم اربعة وعشرون فرقة باشكال مختلفة على صور جميع الحيوانات . وفي مرآة الزمان عن الحسن البصري : هم ثلاثة انواع صنف في البرّ وصنف في البحر وصنف في الهواء (٢

لقد اوردنا ما سطرناه على علّاته نقلًا عن ائمة الفقه والحديث . واليكم قول اهل

---

١) لا يعرف النصارى وسطًا بين الارواح البارّة اي الملائكة والارواح الشريرة اي الابالسة الذين خُلقوا صالحين ثم فقدوا الصلاح بتمرّدهم على ربهم فأصبحوا طالحين

٢) روى مجاهد عن ابن العبّاس قال : « كان في الارض قبل الجن خلقٌ يقال لهم الجنّ والبنّ والطمّ والرمّ وانقرضوا ثم سكنها الجن فقاموا يعبدون الله زمانًا فطال عليهم الامد فتمردوا . فارسل الله اليهم نبيًّا كقول القرآن : يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم . وهذا الرسول يقال له يوسف فلم يطيعوه وقاتلوه فارسل اليهم الملائكة فأجلتهم الى البحار »

البادية في الارواح: الجن روح خفي يظهر مراراً بصور مرعبة واشكال مختلفة يتمثل العيان بهيئة انسان او حيوان او جماد. ولقد يمتاز عن النفوس البشرية اذ انه لا يقطن اجداثاً والنفس البشرية ترتاح في ضريح جسدها . والاعراب لا يخشون الملائكة الاطهار وانما يرتعدون لذكر الارواح الخبيثة التي خلقت لاضرار بني الانسان. ولقد ابنا ان اعتقاداتهم محمولة على المؤثرات الخارجيّة فلا يرهبون الّا ما يُنزل بهم ضرراً فيقيمون له اكراماً جزيلاً فالخوف هو مبدأ اكرامهم واجلالهم

ويدّعون ان الارواح تنتقل في اماكن عديدة فتطير من أطلال الى اطلال ومن مروج الى مروج لإرهاب البشر . على ان النفوس البشرية بعد الموت لا ترحل عن اجداثها الّا ما ندر . ومن غريب ما رأيت ان الاعراب قلّما يذكرون الملائكة الاخيار وقد لبثتُ بينهم سنين طويلة ولم اسمع الّا ذكر جبرائيل وعزرائيل ملاك الموت . ولم اسمع انهم قرّبوا ذبيحة لهذه الارواح الصالحة . ولا يسمّون الشيطان باسمه بل يقولون له : باسم الله الرحمن الرحيم

وكان العرب في الجاهليّة يزعمون ان الانسان اذا قُتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يُسمّى الهامة فلا يزال يصيح على قبره : اسقوني الى ان يؤخذ بثأره . وطائفة منهم تزعم ان هذا الطائر هو نفس الانسان تنشط من جسمه ولا تزال متصوّرة على صورة الطائر تصرخ مستوحشة . قال الشاعر العربي :

سُلّط الموت والنون عليهم فلهم في صدى المقابر هامُ

وما زالت العرب تعتقد بالهامة الى ان جاء الاسلام فمنعه وقد ورد في الحديث : لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام (١)

ويرتأون ان الجن يطلب بثأر الجان وبقي هذا الاعتقاد بين الأعراب الى ايامنا الحاضرة . وقد رووا ان اناساً اذا قتلوا جاناً اذ يرونه في الصحراء او جرحوه جرحاً بليغاً فالقاتل او الجارح يصيبه خبل وقلما ينجو من الموت عاجلاً او آجلاً

وقد يعقدون للاطفال التمائم لدفع الامراض الواردة من الارواح . والتمائم جمع تميمة هي الحرز او خرزة وقطاء تُنظم في السير وتُعقد في العنق قالوا انها سُميت تميمة

١) العدوى هي سراية المرض . الطيرة هي ما يتشاءم به من الردي . الصفر ضرب من الحيات . الهام هي نفس المرء او الطير المذكور

لان بها يتمّ امر الصبي . وكان الاعراب يضعونها على اولادهم للوقاية من العين ودفع الارواح . وكانوا لا ينزعونها الّا متى بلغ الصبي الحلم فيلبسونه العمامة والازرار ويقلّدونه السيف . وقد نهى عنها الحديث بقوله : « من علّق تميمة فقد اشرك » ولم تزل تلك التمائم بين اهل البادية

. وكان الجاهليون يتبخّرون بالعِزَى وهو نبات يشبه الكرفس الواحدة عِزاة وعزاءة . ويزعمون ان الجن لا يقرب بيتاً وُجدت فيه العزاة فيؤمنون من غوائلها . وللأعراب في ايامنا اعشاب يتدخّنون بها لطرد الارواح سنذكرها في محلّها

ومن خرافاتهم في الجاهليّة اعتقادهم بالسعلاة والغول فالسعلاة حيوان من المتشيطنة تتراءى للناس في ظلمات الليل واكثر وجودها بالغياض فاذا انفردت بانسان ارقصته ولعبت به كما يلعب القط بالفأر . واما الغول فهي ساحرة الجن تتلوّن بصور شتى وتتجلّى في الاطلال لتضلّ الناس عن طريقهم يروون عنها الاحاديث الغريبة . وبعضهم لا يفرق بين الغول والسعلاة . قال احد الادباء :

أأ فحصتُ بني الزمان ولم اجدْ خلّاً وفياً للشدائد اصطفي
ايقنتُ ان المستحيل ثلاثةٌ الغول والعنقاء والخلُّ الوفي

ومنهم من يوقن ان الهواتف هي ارواح غير مرئيّة تجاوب مَن يخاطب نفسه . وهناك خرافات ضربنا عنها صفحاً لما هي عليه من البعد عن مواقع التصديق . ومنهم من يثبت وجود التوابع زاعماً ان لكل انسان تابعاً من الجن . ومن قولهم : لهُ تابعة اي جنّية . وكانوا يستخدمون كعب الارانب كضرب من التمائم لطرد التوابع

٢ مسكن الارواح على زعمهم

﴿ ١ الاطلال ﴾ ان الارواح على زعم العرب تقطن الهواء دهراً طويلاً ثم تعود فتتّخذ الارض موطناً لها لاضرار البشر وتختار الاراضي الخربة والاطلال البالية وسيول المياه والاشجار العالية والروج الخضرة والمغاور الواسعة . ولا ريب ان الاثريين يرتاحون لذكر هذه المواقع القائمة في شرقي الاردن . وهي ملأى من الاطلال القديمة والأنقاض

وقد ذكر التاريخ الروماني والمجامع المسيحية الاولى انّ تلك الانحاء كانت آهلة

بالسكان . مكتظة بالعمارة والبنيان زاهرة بما اقيم فيها من القصور الشامخة والمدن العامرة . على انه طرأ من الحوادث ما قلبها بطناً لظهر ومرّ عليها الغزاة والفاتحون فدمّروها ولم يبقوا منها الا اثراً بعد عين ولبثت اسماؤها القديمة الى دهرنا الحاضر فمن ذلك مدن الكرك وعمان ومادبا وديبان وماعين وكلها اسماء لمدن قديمة اتى عليها من عوامل الدهر ما جعلها رجوماً وانقاضاً

في ربيع سنة الف وتسع مئة وخمس عشرة كنا عائدين من الكرك فانتهينا عند مطلع الفجر الى قصر الربّة وهي عاصمة المؤابيين (Rabbat Moab) . فوقفنا نتأمل في رفيع مبناه وما كان عليه من العظمة في الايام الغابرة . واليوم قد شاد عرب المجالي بيوتاً على انقاضه واقاموا مطحنة بخاريّة يقصدها من يجاورها من عرب الحمايدة والمجالي . غير ان اكثر آثاره واعمدته وحجارته الضخمة لم تزل مبعثرة على جانب الطريق . وكان يرافقني ثلاثة رجال من عرب البقاعين القاطنين مدينة الكرك . واخذ يروي لي احدهم حادثة جرت في ذلك الموضع قال : كان بدويّ من عرب المجالي هاجماً ايام الشتاء في هذه المغارة وهي كهف من كهوف الربّة والى جانبه فرسهُ ام عرقوب . واذا في منتصف الليل قد ابرق برقٌ لامع في داخل المغارة ورأى اشباحاً تتحرّك ثم اخذت تأدبُ مأدبةً شائقة قد جمعت من انواع المآكل والمطاعم والزينة والنظام مما لم يقع عليه نظرهُ من ذي قبل

فنهض مذعوراً يعاين هذه المشاهد المريعة والاشباح المريبة . قال : اخسّ من قوم بنس القوم البخلاء لا احد يدعوني الى الطعام . فثابت اليه نفسه وشوّقته الى هذه المائدة الفاخرة فتطفّل وما كاد يقترب منها حتى غابت عن انظاره ولم يرَ من الوليمة اثراً فقال : هذا مسكن الجن . وفرّ هارباً

ويروي الاعراب اموراً مستغربة عن الاطلال ويقولون انها آهلة بالارواح الخبيثة . فانّ خربة عطروس وهي عتاروت (Ataroth) القديمة القائمة في ارض سبط جاد تُعدّ مسكونة . وكذلك مكاور (Machéronte) يخشاها البدوي ولا ينزل بها . فاذا سار المسافر في وادي الزرقاء وقطع تلك المياه المعدنية الكبريتية يصل الى ارض متجهة نحو الجنوب . فلا يسمع نسأمةَ انسان ولا حركة حيوان بل يرى القحط والسكون غطّى تلك الكائنات واذا به بعد ساعات ثلاث امام خربة مكاور .

واول من شاد مسكناً في تلك الاصقاع هو احد ملوك المكابيين لسكندر ياني. ولمّا دارت رحى الحرب في ايام بومبيوس هُدم القصر. وبقي ردوماً الى ان جاء هيرودس الكبير ورفع اسواره وشاد ابراجه ليصدَّ عنه طوارق الزمان وصدمات الاعداء. وكان هيرودس انتيباس قد اقام فيه سجناً لارباب الجرائم الكبرى. وفيه سُجن يوحنا السابق وقُطع رأسهُ (متى ١٤: ٣ — ١٩) فالقلعة عظيمة جدًّا ممتدَّة على قمَّة الجبل كلّه وسمَّى الاعراب تلك البقعة عطروس. واذا قلَّب المرء طرفه في شواطئ بحيرة لوط يرى ضفَّته الغربية باسرها من شمالها الى جنوبها ثم يمتد النظر الى جبال اليهودية فيعاين حبرون واورشليم وبيت لحم. وهو يرتفع عن سطح البحر المتوسط ٧٢٦ مترًا وعن سطح بحيرة لوط ١١٢٠ مترًا. ومن مكاور الى عطروس ثلاث ساعات يعلوها المسافر في مواطن قاحطة. وفي عطروس يشاهد شجيرات بطم مرتفعة بين الصخور والاحجار. فهاتان الخربتان يخشاهما البدوان قلَّما يحلُّون في ربوعهما بل يلبثون بعيدين عنهما. وقد تعهَّدنا بانظارنا تلك الاطلال وتذكرنا النبوءات الرهيبة وما آلت اليه من الذلّ والخراب. وقطعنا تلك الانقاض الى وادي الهيدان (Hidan) وانتهينا الى ديبان وهي ديبون القديمة التي افتتحها الاسرائيليون كما جاء في سفر العدد (٢١: ٣٠) واسرعنا الخطى نحو عراعر او عَرُعير (يشوع ١٢: ٢٠ و ١٣: ٩) وهي قائمة على شرفة وادي الموجب الشمالية

قف ايها المسافر على قمَّة عراعر واذا بك امام وادٍ عظيم فتأخذك الرهبة والهيبة. هناك هوة عظيمة لم نرَ مثلها في كل الاردن الشرقي وهي تنحدر بين عطفات وليَّات الى ستمائة متر الى ان تنتهي الى الوادي. فهذا هو وادي ارنون الشهير ويُدعى اليوم وادي الموجب. واذا تسنَّمتَ سفحهُ الجنوبي وعلوت تلك الهضاب كدرجاتٍ الى قمَّته الشامخة تعاين عن بعد جبل شيحان وهو ارقى ذروة في ارض مواب. وهو يعلو عن سطح البحر المتوسط ٨٤٨ مترًا: فلمَّا مررنا بتلك السهول الخصبة تمثلنا قول الكتاب حيث يقول: وكان سيحون مالكاً من الارنون الى اليابوك (٣ ملوك ٤: ٤ — ١٩ وعدد ٢١: ٢١ وارميا ٤٨: ٤٥) فالاعراب من مسلمين ومسيحيين يأتون في بدء الربيع ويقدّمون ذبيحة لربّ تلك الاطلال ويستعطفونهُ لاولادهم وغنمهم وماشيتهم

وقد سألت حميدان بن مجلي ما هو هذا الرب؟ قال: هي الارواح التي تقطن من الموجب الى شيحان

﴿ ٢ المياه المقدسة ﴾ اذا تصفحنا التاريخ القديم وجدنا اثاراً عديدة لإكرام المياه المقدسة . فان بئر زمزم كانت مكرَّمة في عهد الجاهليَّة . ولمَّا افرغها جد نبيّ الاسلام وطهَّرها من الاقذار وجد فيها غزالين وسيوفاً فضية . فان العالمين ولهوزن وسميث (Welhausen et Smith) قد اثبتا ببراهين دامغة وحجج راهنة انها كانت هدايا تبرَّع بها الجاهليون لاله المياه

وروى المؤرخون ان اهل تدمر كانوا يبجلون إلاهة السعادة في بركتهم المقدسة . وذكر ارباب البحث عن ماء شرقي ديوم (Dium) اشتهرت ببركتها المقدسة . فكان السكان يلقون فيها التقادم فاذا نالت رضىً وقبولاً في اعين الالهة تهبط الى اسفلها وترسب في قعرها واذا رفضتها عامت على سطحها (Sozime, Hist. I) . ولم يخرج الكلدانيُّون عن سنن القدماء . فألَّهوا الانهار وينابيع المياه وعزوا اليها قوة عظيمة لاهلاك البشر وتدميرهم فاذاً نتلو في كتابة كلدانية لأُنُوبانِيني ملك لُولُوبي هذه الكلمات : « ليُهلِك البحرُ الاعلى والادنى اهلَهُ ونسلَهُ بغمره العظيم » . واليكم صلاة وجيزة يطلب قائلها الخلاص من المياه : « لتخلصك مياه الفرات ودجلة وتمحُ ذنوبك وجرائمك وتنجِّكَ اقنية مكلكل ودوركيب » وربما استغاث المؤمن بآلهة دجلة والفرات ايزوم وسوبالال قائلاً : « ليخلصك إلاها الفرات ودجلة ايزوم وسوبالال » . ونجد في الكتاب المقدس في التواريخ القديمة ان الشعوب كانت تطهر الآلهة من الرجس اذ ينضحها كهنتها بمياه الينابيع . ويسونها مياه القديسين . وكانوا يقسمون بالمياه لاسيما بالمبايعات ويرمون فيها الطعام الفاخر والشراب الصفي . وربما وهبوا الينابيع وسدنتها ألبسةً ثمينة ومجوهرات نادرة . واضاءوا مصابيح زيت لرب المياه

غير ان الاعراب في دهرنا الحاضر قد اقاموا اجلالاً بيناً للعيون المشهورة في شرقي الاردن لما رأوا فيها من القوة الغريبة وعهدوا فيها من سلطة الارواح الواسعة كما زعموا فضلاً عن منافعها المتوفرة في ارض قاحلة مجدبة

هناك تفِدُ الاغنام وتستقي بعد حرّ النهار ووقداته . فأول مرتع للارواح هو

حمّام الزرقاء . اذا سار المتجوّل من قرية مادبا جنوباً يقف بعد ساعة امام قرية حقيرة تُدعى ماعين فيتعهد فيها آثار ثلاث كنائس بحناياها واعمدتها وكتاباتها ثم يتخذ طريقاً مشهوراً الى حمّام الزرقاء . فيصل اليها بعد ست ساعات . وكانت تُدعى قديماً المياه الحارّة (Callirrohé) . ففي قعر ذاك المنحدر يعاين نبات المناطق الحارّة كنوبية وجزيرة العرب من اشجار التمر وغيرها ويشاهد المياه المعدنية الكبريتية تتصاعد نحو السماء كاعمدة بخارية . وكان هيرودس الكبير قد اقام على ضفافها حيناً طويلاً . على ان الاعراب يقصدونها من اطراف البادية في شهر ايار فيَرِدونها زرافات زرافات ليستحمّوا فيها وينالوا الشفاء . والقصب الطويل يمتدّ الى شواطئها على مدى بعيد . فيأتي الزائرون ويبنون بالقرب منها مناسك يستظلّون تحت خيمهم من اشعّة الشمس . وقبل ان يخوضوا في تلك المياه المعدنية يذبحون ذبيحة لرب المياه . وفي ربيع سنة ١٩١٥ قد حضرنا تلك الزيارة وشاهدنا عدداً عديداً من العربان يستحمّون في المياه الكبريتية . وكانت تفور طوراً تحت الارض ثم ترتفع متفجرة نحو الفضاء . فاذا غارت كان الاعراب يصرخون ويقولون : « رب الماء غضب علينا » واذا سالت بشدة يقولون : « رضي علينا سليمان النبي »

وقد يصبّ في بحيرة لوط نهيرات متنوعة شرقاً وغرباً فالاعراب يسمونها انهار سليمان النبي . فالبحيرة كلّها تختص بالنبي سليمان وكلها آهلة بالارواح . فالمياه الشرقية هي سيول جارفة تنضب في ايام الصيف واليكم اسماءها من الشمال الى الجنوب عين السويمة وسيل الغوير وعين المنشلة وعين حمارة ثم زرقاء ماعين والسارة وسيل الصافية وسيل الهيدان ووادي الموجب ووادي جبل شيحان ووادي درعا ووادي الكراء ووادي النمورة وغور الصافية . واما المياه الغربية فاهمها عين الفشخة ووادي النار ووادي الحسّاسة والغوير والقامرة والدرجة وعين جدي ووادي عَرَبة ووادي الحجرا ووادي السيّال

وهناك سباخ ومستنقعات كثيرة تسكنها الوحوش الضارية بالقرب من غور الشريعة وعلى ضفاف بحيرة لوط . فالارواح تقطنها على رأيهم ويرهبها الاعراب اذا سمعوا فيها من الاصوات المزعجة المرعبة

وبالقرب من السلط عين تُدعى عين الحرامية . وفي الكرك عين الزرنج وفي جبال الحمرة عين الحمرة لا يتزل الاعراب بها قبل تقديم الذبيحة . وعين الحمرة

واقعة في ارض صخرية وراء سهل الاردن شرقاً ممتدة من الشمال الى الجنوب . فقد روى لي احد الثقات ان عرب العدوان يذبحون على جدول غرين ذبيحة لرب المياه وذلك حينما يُغرّبون اي ينزلون في الشتاء الى هضاب الاردن الشرقي اتقاء لبرد الجبال القارس . واهل الغور اذا ارتقوا الى الشقّا اي الى شرفات السهل يذبحون لرب العيون وبنو صخر لهم مياه محفوظة في الرمال شرقي زيزيا يسمونها سيل الثمد وهي آبار قديمة مبنية في الرمال . فاليها يوردون اغنامهم ومواشيهم ايام التشريق ويخشون ان يضربوا اطنابهم قبل ابداء فرض الذبيحة . فيقولون « : دستور يا رب الماء . »

روى لي عقيل بن سكران العنبر من السلط قال : نزلنا على عين الحرامية نريد الصيد وهي واقعة على مسافة ساعة من الجهة السلطية الشمالية . وهناك غابة سنديان عريقة في القدم . فلبثنا الليلة كلها ولم نُصب شيئاً وفي منتصف الليل مرّ بالقرب من كوخنا نمر هائل وكان يطوي الارض والارض ترتج تحت اقدامه . فارتعد الصيادون واخذوا يلتصقون بالاغصان لئلا تقع عليهم عين الحيوان المفترس . فقال احدهم : اما تدرون ان المحل مسكون ؟ وصرنا ندعو اسم الله الكريم . ولما زال اضطرابنا وسكن قلبنا فررنا من هذه المناظر المخيفة وعدنا صباحاً قبل الفجر فلم نرَ اثرًا لحيوان فأيقنّا ان المكان مأهول بالارواح

وفي نفس السلط عين ماء جميلة تدعى عين الجادور كانت تنحدر قديماً من القلعة العليا المشرفة على البيوتات . فانهدمت تلك القلعة مع تمادي الزمان . وفي ايامنا الحاضرة يرى الاهلون فيها اشباحاً في الليالي الدامسة . فلا يتجرأ احد على المرور في تلك الاطلال الا وبيده بندقية . يزعمون انهُ يظهر فيها عجوز شوهاء تدخن بغليونها الكبير وهي جالسة على الطريق

وقد ذكر لي الشيخ ابو ستة في ماعين ان الارواح ترتاح الى عيون موسى وهو سيل غربي مادبا ينحدر في ارض عرب العوازم والزايدة . والعرب يقربون قرب المياه ذبيحة ممتازة في كل سنة

هذه مزاعم العرب وعاداتهم رويناها كما سمعناها وشهدناها على علّاتها ليقف القراء على معتقداتهم في الارواح تاركين الحكم في صحّتها لاهل الانتقاد

لها تابع

كتاب الكتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب السادس

(38') هذا باب الزيادة وفصولها

١ شروط الزيادة وعِلَلها

اعلم انّهم لا يزيدون في الخطّ من الحروف الّا ما يحذفون وذلك حروف المدّ واللين وما ضارعها لأنّ حروف اللين هي اُمّ الحروف التي لا تخلو منها كلمة وقد بيّنّا ذلك في ما مضى وانّما يزاد الحرف للفرق بين الكلمة وبين غيرها وللعوض من شيء محذوف

٢ زيادة الألف

فمن ذلك الالف تُكتَب بعد واو الجمع اذا لم تتّصل الكلمة بعلامة الضمير او لم يكن بعد الواو نونُ الجميع مثل «فَعَلُوا ولم يَفعَلُوا وبَنُوا زيدٍ وذَرُوا مالٍ»[1] فان وقعت بعد هذه الواو علامة الضمير او جاءت النون لم تُكتب هذه الالف مثل «لا يَفعلون وهم بَنُوك وبَنُون» فصارت هذه الالف في الخطّ فرقاً بين واو الجميع وبين غيرها وعوضاً فيه من النون (38') في الموضع الذي تسقط فيه مُعاقِبَةً لها ولا يجوز ان تُكتَب هذه الالف في «يغزو ويَبلو» في حال رفعٍ او نصبٍ ولا في مثل «هذا اخو زيدٍ» لما ذكرنا ولأنّ واو «يَغزو واخو زيد» ليستا بمدّتَين في الاصل كواو الجميع. قال الخليل بن احمد: «انّ الالف كُتبت مع واو الجميع من أجل أنّ مُنقَطَعَ المدّ عند مخرج الهمز هو أنّ واو الجميع لا اصل لها في الواو وانّما هي مدّةٌ والمدّات لا مُعتَمَد لها في الفم ولكن يتّسع لها الفم فتهوي في جوّ من اقصى المخارج او ادناها ثمّ تنقطع من حيث ابتدأت الهمزة ولم يكن في المدّات الثلث

---

١) لم تكتب اليوم الف الجماعة الّا في اخر الفعل (المشرق)

شيء اشبه بالهمزة صوتاً من الألف ففُصل بين هـذه الواو التي هي مدّة وبين التي ليست بهوائيّة بهذه الزيادة وخُصّت الالف بالفرق لما ذكرنا.

ومن ذلك الالف التي تُزاد في « مِائَةٍ » اجمع النحويّون على أنها للفرق بينها وبين « مئة » (١) . وقد يجوز ان تكون في الخطّ عوضاً ممّا نُقِصَ من الكلمة وذلك انّها « مِئَة » على وزن « فِئَةٍ ورِئَةٍ » فقد ذهبت لامُ الفعل منها كما ذهبت من « كُرَةٍ وظُبَةٍ » لأنّهـا من قولهم « تَمَأَى القوم » اذا تباعد ما بينهم لمداورة او غيرها فاذا ثُنّيت المِائة كانت هذه الالف لها ألزم ليُفرَق بين تثنيتها وجمعهـا في الجرّ والنصب فيُكتب الاثنان « اخذتُ مِأَتَيْنِ » (39r) باسقاط الهمزة لاجتماع الاشباه على ما تقدّم تفسيرهُ ويُكتَب الجمع « اخذتُ مِئِينَ » باثبات الهمزة وحذف الالف . ولا تُحذف الالف من التثنية في الرفع كما لا تُحذَف من غيره وتُرَدّ الهمزة في الرفع لزوال الأشباه وذلك « مِائتانِ » فان جُمعت مِائَة بالالف والتـاء حُذفت الالف لأنّها لا تُشبه ها هنا « مِئَة » (١) ولأنّ علامة الجمع قد قامت مقام العِوَض فكُتبت « مِئات » مثل « مِئِين » . وهذا على شذوذه اقرب الى القياس من كثير ممّا يفعلهُ جهلَةُ الكتّاب كزيادتهم الالف في مثل « يقرأوه ومن خطّائه » ونحوهما وذلك ممّا لا يجوز بوجه من الوجوه وقد مضى قياسهُ في باب الهمزة

ومنهُ الالف التي تُزاد في « أنا » في الكتاب في الوصل والوقف كما تُزاد في اللفظ عند الوقف وكان حقّ هذه الكلمة ان تُزاد عليها هاءٌ في اللفظ عند الوقف (٢) لتحرّك آخرها ولا يُزاد عليها في الخطّ شيء في حالةٍ لأنّها ممّا ينفرد . ولكن لمّا كثُرت في الكلام وارادوا تخفيفها جعلوا الالف بدلاً من الهاء في اللفظ في الوقف كما يبدلون الالف من النون الخفيفة فأُجريَت في الخطّ مُجرَاهـا في اللفظ وأُلزمت الزيادةُ في الوصل كما أُلزمت في الوقف لئلّا تُشبه « أن » الداخلة على الاسماء والافعـال (39v)

ومن ذلك الألف التي تُزاد في « حـاشا » في اللفظ في الوقف والإدراج كما

---

١) يشير الى الكتابة بالخطّ الكوفي قديمًا او الخطّ المهمل دون نَقْط فتُكتب مائة او مِئَة هكذا (منه) كما تكتب لمنهُ (منه) فيلتبس الحرفان (المشرق)

٢) اي كأنها كُتبت « أنَهْ »

فعل ذلك في « أنا » وجرى الخطّ على اللفظ والدليل على زيادتها قول الله عزّ وجلّ (١ : « حاشَ لله » . ولهذا اخترنا كتابها بالالف لأنّهُ لا اصل لها عندنا في الياء والواو

٣ زيادةُ الهاء

فامّا الهاء فانّها تزاد في الخطّ على كلّ فعل أُمِرَ به وكان لفظهُ على حرف واحد مثل « رَهْ وعِهْ وقِهْ وفِهْ (من الوفاء) وشِهْ (من الوَشْي) » وذلك انّ الحرف الواحد لا ينفرد فان اتّصل بشيء من هذا ما قبلهُ لم تُلحق فيه الهاء وانّما يتّصل به ما كان على حرف فلم ينفرد كالفاء والواو وذلك قولك: «زيدًا فِ وَجْهَهُ وَشِ ثوبَهُ» ونحو ذلك. وكذلك «مَا» اذا استفهمتَ بها فحذفتَ ألِفَها في اللفظ والحقتَ بها الهاء للوقف كتبتَ «مَهْ» . فان اتّصل بها مثل الباء واللام لم يَجُزْ اثبات الهاء كقولك « بِمَ وبِمَ » . وقد اجرى بعضهم جميع حروف (40ᵃ) الخفض على اكثر من حرف واحد مُجرى الباء واللام مع « ما » اذا حُذفت ألِفُها في الاستفهام فجعلوها متّصلةً بما فاثبتوا الهاء معها في الخطّ في مثل « عَلَامَ ولِلَامَ وحَتَّامَ » . والدليلُ على انّهم وصلوا ذلك كلّهُ بما كتْبهم اياهُ بالالف وتركهم الياء فقد جمعوا بين زيادة الهاء وبين وَصْل « ما » بما قبلها وهذا خلاف القياس والصواب عندنا أن يُكتب « عَلَى مَهْ والى مَهْ وحتّى مَهْ » بالهاء لانّ الميم لا تنفرد والّا تُغيَّرَ اليآت التي فيما قبلها لأنّ ما هو على اكثر من حرف لا يجب وصلهُ بما

٤ زيادةُ الواوِ

فامّا الواو فانّها تُزاد في « عَمْرٍو » في حال الرفع والجرّ ليُفرَق بينها وبين عُمَرَ الذي لا ينصرف. وهذا أشدُّ عن القياس من ألِف مِائة وفيه يقول بعض المحدَثين:

انّما انتَ في سُلَيْمَى كواوٍ ألحقَتْ في الهِجَاء ظُلْمًا بعَمْرِو

ولا تثبت هذه الواو في القافية لما نذكرُهُ في بابهِ ان شاء الله وانّما (40ᵃ) كان شاذًّا لانّ مثل هذين انّما يُفرَق بينهما بالشكل ولو زيدت الواو في كلّ اسمٍ اشبهَهُ

١) سورة يوسف ع ٣١

آخرُ لصار اكثرُ الكلام بواو مثل « قَلْبٍ وقُلُبٍ وقَدْرٍ وقِدْرٍ وعَدْلٍ وعِدْلٍ وحَمْلٍ وحِمْلٍ » . فان نُسِب عمرٌو ونُوَن او ثُنّيَ او صُغِّر او أُضيف الى مُضمَر لم يَجُز اثبات الواو فيه كقولك « هذا عُمَيْرٌ وجاءني العَمْران ورأيتُ عَمْرًا ومررتُ بعَمْرِكَ » . ولا تُكتَب هذه الواو في العَمْر واحد العُمُور ولا في قولك « لَعَمْرُ الله باعِدْ أُمَّ العَبْد من أَسِيرِها » وانّما تُزاد في الاسم العَلَم لشهرتهِ في اسمائهم وكثرة استعمالهِ واستعمال ما خِيف ان يُلتبَس بهِ ولم يَخِفّ كخِفّتهِ

ونظيرُ هذه الواوُ التي تُزاد في « أُولَئك » فرقاً بينها وبين « إِلَيْك » وفي « أُولَى » فرقاً بينها وبين « إِلَى وأَلَا » ونحوها وهذا أَقيَس على كلّ حالٍ من واو عَمْرٍو لأنّها في اسم مُبْهَم والمُبْهَم يقع على كلّ شيء . فاما « أُلَى » المقصورة التي في قولهم « الأُلَى فَعَلُوا ذلك » فلا تُزاد فيها الواو لأنّ فيها الأَلِف واللام فلا تَلتبس بما ذكرنا . وفيما قلنا من الزيادات دليل على ما لم نذكرهُ

الباب السابع

(41r) هذا باب البدل وفصوله

١ شروط البَدَل وعِلَلُهُ

اعلم انّ الحروف التي تُبدَل في الخطّ هي التي تُحذَف وتُزاد ولا تُبدَل غير حروف اللين وما ضارعها الّا اتّباعاً للفظ ولا يقع البدل في الكتاب الّا قِرَّةً او تخفيفاً او اتّباعاً

٢ بَدَلُ الهَاء

فممّا يُبدَل لاتّباع اللفظ الهاء التي تُبدَل من تاء التأنيث في كلّ اسم مؤنّث مُفرَد . وانّما يُبدَل ذلك في اللفظ عند الوقوف على الكلمة خاصّةً فامّا الخطّ فيُبدَل ذلك فيه في الوقف والإدراج فيُكتَب : « ثَرْوَةٌ طَيِّبَةٌ ومَرْءَةٌ حَسَنَةٌ وهذه جارِيَةُ زَيْدٍ » كلّ ذلك بالهاء الّا أن يُضاف الى مُضمَر فيُرَدّ الى التاء فلا تُبدل

فيها الهاء في لفظ ولا خطّ ولا وقف مثل قولك : « شجرتان (41') وشجرات » فهذا قياس هذا الضرب

وقد خولف بكلمات منه فأُلزمت التاء على كلّ حالٍ في الواحد المؤنث غير المضاف الى المضمر وذلك قولهم « ذاتُ مالٍ ولاتَ حينَ مناصٍ وياءَيْتها المرءة » لمّا كانت مضافةً او متّصلةً او لا تكاد تنفصل ولم يكن لانفصالها معنًى ومبهمةً او حروفَ معنًى قويت التاء فيها . وكذلك « هَيْهات » لمّا كانت تُكرَّر ويلزمها الاتّصال بما بعدها فُعل بها ذلك

ومن ذلك « ثُمَّتَ » في ثُمَّ و« رُبَّتَ » في رُبَّ لمّا تعلّق بهما ما بعدهما وهما حرفان ولم يكن لإفرادهما معنًى أُثبتت التاء فيهما وكذلك « رَحمتُ اللهِ » في حال إضافتها الى الله وحدَهُ لكثرة استعمالهِ معهُ في التحيّة صارت بمنزلة ما لا ينفصل بالبتّة . ومن ذلك « اللاتُ » اسمُ الصَّنم كُرِه إبدال الهاء من تائها لئلّا يُشبه اسمَ الله جلّ وعزّ . ونظير الهاء من « ثَمرةٍ وشَجرةٍ » هاءُ « هذه » لأنهُ بدلٌ من ياء التأنيث في هذي

٣ بدلُ الألِف

ومن ذلك الألِف التي تُبدَل من التنوين في حال النصب وانّما يُفعَل ذلك (42') في اللفظ عند الوقفِ خاصّةً فكُتبت الالف في الوصل والوقف وذلك « رأيتُ زيدًا العاقلَ ولقيتُ زيدًا قاضيًا عادلًا » . ونظيرها الألِف التي تُبدَل في اللفظ من النون الخفيفة عند الوقف وذلك « لا تَضربًا زَيدًا » وفي الامر « اِضربًا زَيدًا » تثبتُ هذه الالف في اللفظ في الإدراج ولكنّها في الخطّ تثبت في الحالين (١ . ومنهُ قول الله عزّ وجلّ (٢ : لَنَسفَعًا » . وقول الشاعر :

متى تأتِنا تُلمِمْ بنا في ديارنا تجِدْ حطبًا جزلًا ونارًا تأجّجا

يريد « تأجّجا » بالنون . فاذا اتّصل بها علامة ضمير لم تُكتَب الّا نونًا كما هي في اللفظ كقولك : اِضربَنَّهُ . وكذلك اذا كانت لام الفعل همزةً لم تُكتَب الفًا كقولك « اِقرأَنْ واِبدأَنْ » لئلّا يجتمع في الخطّ ألفان وتُحذَف احداهما فيذهب

١) الشائع اليوم كتابة هذه الصيغ بالنون : لا تضربَنْ اِضربَنْ (المشرق)
٢) سورة العلق ع ١٥

[illegible] بالشكل كان صواباً .
[illegible] يقول « اضربا ه يا غلام » وحُكي
عنهم : « يا حرسي اضربا عنقه » وهو شاذ
وقد زعم قوم [illegible] : ألقيا في جهنم كل كفار
[illegible] انهما الملكان وهذا احسن(٣)
وزعموا ان مثل ذلك ايضاً قول امرئ القيس(42٢) :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

[illegible] كما يقولون « يا صاحبيّ يا عاذليّ » للاثنين
[illegible] الالف من نونها في خط ولا لفظ في وصل ولا
[illegible] ليست بدلاً ولا زيادة وانما هي كنون « من » و« عن »
و« لدن » [illegible] ايضاً على قول من جعلها من كلمتين « اذ » و« ان »
[illegible] ايضاً لا تبدل الا [illegible] وتنقلب بالألف منهم فشبهوها
بالنون [illegible] وليست مثلها . وليست كنون « لدن » التي تحذف مرة
وتكون الف مرة [illegible] . ولو كانت ايضاً مما يجب لها الابدال
لوجب [illegible] نونا فرقاً بينها وبين « اذا » التي هي للظرف لأن الفها
ثابتة . ومن كتب لدن على التنوين ابدل وجب عليه ان ينوّن بالشكل

٤ بدل الواو

[illegible] في « التارة والزكوة والحيوة » غلطاً في
[illegible] « الثلاة والقطاة واللهاة
[illegible] . وزعم [illegible] في كتاب [illegible] كتبوا « الحيوة » بالواو على لغة من
يفخم الالفات التي [illegible] في مثل « الصلاة والزكاة » . وسيبويه يقول ان
الالف التي في [illegible] « الحيوان » اصلها الحيان . وكذلك قولهم
[illegible] الحيوة [illegible] الواو بدل من الياء [illegible] في الحديث ان الله جل ذكره

١) سورة ق ع ٢٣ . ٢) فيها ع ٢٥
٣) اي خطاب من الله لملكين [illegible] بالمثنى (المشرق) ٤) اي يقال لدى

لمّا عَلَّم آدم الاسمآء قالت الملئكة لهُ وعندهُ حوّآء لتَعلَمَ ما بلغ من علمهِ قالوا : ما هذه يا آدَمُ . فقال : المرأةُ . قالوا : ولِمَ سُمِّيَت المرأةَ . فقال : لأنّها خُلِقت من المرء . فقالوا : وما اسمُها . فقال : حوّاء . فقالوا : ولِمَ سُمِّيَت حوّآء . قال : لأنّها خُلِقت من شيءٍ حيّ . فالواو الأولى من حوّاء على هذا الاشتقاق عند الفريقَين مبدلةٌ من يآء . وفي قول سيبويهِ انّ الثانية ايضاً مبدلةٌ . وامّا على غالب قول اهل اللغة فانّ حوّآء مشتقّة من الحَوَّة ١) ولو كان إبدال الواو من الف « الصَّلاة والزَّكاة والحياة » قياساً على لُغة من فخّم ذوات الواو لَلزم الإبدال في جميع نظائر « الصَّلاة والزكاة » . وكتاب ذلك كلّهِ بالالف هو الصواب والقياس . ومن آثَرَ العادة (43) وجرى على الاستعمال في هذه الكلمات خاصّةً لم يَجُزْ فيها اذا ثنّى واضاف الى مضمر ووَجَبَ عليهِ الردّ الى القياس والاصل واثبات الاصل فيها كقولك « صَلاتُكَ وزَكاتُكَ وحَياتُكَ وصَلاتانِ وزَكاتانِ وحَياتانِ » . وكذلك حكمُ الواو التي تُبدل في الرِّبو (الرِّبا) وهي اقبح لأنّها في الطرف

٥ ابدال اليآء

ومن ذلك ابدالُهم اليآء من هَمزَة « إذ » وقد وقعَتْ اوّلاً ولم يتقدّمها همزةٌ . وانّما فعلوا ذلك بها لمّا جُعلت مع ما قبلَها من اسمآء الزمان اسماً واحداً مبنيّاً على الفتحة كخَمْسَةَ عَشَرَ فشُبِّهت همزتها بالهمزة المتوسّطة في مثل سَئِمَ فجُعل خطُّها على تخفيف اللفظ وذلك « يومئذٍ وحينئذٍ وساعتئذٍ وليلتئذٍ وزمانئذٍ » فهذه قريبة من القياس . فاذا لم يُجعَل الاوّل مع الثاني بمنزلة خَمْسَةَ عَشَرَ واُعرب الاوّل منها بإعرابهِ فالصوابُ فصلُهما واثباتُ الهمزةِ الفاً لزوال العِلّة التي صارتها متوسّطةً وذلك قولك : « هذا يومُ إذٍ وكان ذاك في ليلة إذٍ . ورأيتُهُ ليلةَ إذٍ » (44) ونحوَ ذلك . وعلى هذا اذا وقعت اليآء في لئلّا بدلاً من الهمزة في الخطّ لمّا اُدغمت نون « أنْ » في لام « لا » فصارتا متّصلتَين بمنزلة كلمة واحدة وكثُر استعمالها فجُعلت الهمزة كالمتوسّطة اذ كانت

١) الحوَّة اللون الاسود الى الخضرة . وهذا الاشتقاق باطل فلو عرف ابن درستويه اللغة العبرانيّة حيث ورد خبر خلقة حوّاء الذي تلقّاهُ اهل الحديث بحرفهِ لمّا قال ذلك وقرّر اصل اسم حوّاء من الحياة وقد جاء في سفر التكوين . انّما دُعيت بذلك لأنّها امُّ الاحياء (المشرق)

اللام لا تنفرد وكان ذلك في الخطّ احسن من أنْ يُكتب « لِأَلّا » على لفظ الادغام وتحقيق الهمز فتُكرّرُ الصورة. وكذلك « ان » المكسورة لمّا دخلت عليها لام القسم فأبدلوا الياء من الهمزة فكتبوا « لَئِنْ اتيتني لأُكرمنّك » لأنّها كالمتوسّطة اذ لم تكونا تنفصلان وفرقوا مع ذلك بينها وبين لام القَسَم ولام الجرّ اذا دخلتا على « أنْ » المفتوحة في قولهم : « لأَن تُكرمني أحبُّ اليَّ . وأُكرمك لِأَنْ تُكرمني » فهذا مذهبٌ وقياس

وقد أُجريت همزةُ أبٍ هذا المُجرى فأبدلوا منها في الخطّ اليآء من قولهم : « يبي. انتَ » ١) لأنّ هذا شيء كثُر في كلامهم حتّى صارتِ الياء مع ابٍ بمنزلة اسمٍ للتغذية كالكلمة الواحدة فاشتقّوا منها الفعل والمصدر كما اشتقّوا من عبد شمس وعبد قَيسٍ فقيل « عَبْقَسِيّ وعَبْشَمِيّ » فقالوا « يَأْبَأْتُهُ يَأْبَأَةً » ونحو ذلك . وجرى مجرى المثل وجاز فيه ما يجوز في الامثال من الحذف والتغيير . ويدلّ على ذلك قول الراجز (٤٤ظ) :

يا يبّي انتَ ويا فوق اليبَبْ . . .

ألا تراهُ قد ادخل الالف واللام على يبَبْ فلو لم يكونا عندهُ اسماً واحداً منكوراً بمنزلة فدآء ما فعل ذلك . وقال الآخر واشتقّ منها فعلاً :

الخَيْلُ بني آمِلْ ما أنْ يُدْنَيْنْ وأنْ يُبَأْبَأْنَ وأنْ يُفَدَّيْنْ

فالهمزة هاهنا متوسّطة ولذلك تُبدَل في الخطّ يآء على قياس تخفيف اللفظ ولا يجوز ان يُفعَل ذلك بأبٍ في غير التغذية على ما بيّنّا

وامّا ابدال الهمزة في اوائل المصادر التي فيها الف الوصل عند سقوط الفات الوصل منها واتّصالها بحرف لا ينفرد يآء مرّةً وواوًا مرّةً والفاً مرّةً كقولك : « اضمتْ مالي بأتيتاني زيداً ولأتيتاجاري عمراً . ولم أرَ كأتيتاني زيداً . والله لأتيتاري كان أجملَ بي » فانّما ذلك لاتباع الخطّ اللفظَ وذلك انّ الف الوصل لمّا ذهبت في اللفظ تبعت الهمزةُ حركةَ ما قبلها فصارت يآء مع المكسور والفاً مع المفتوح الّا انّ الفَ الوصل لا تُحذَف من الخط مع المكسور وتسقط مع المفتوح لأنّ الهمزة التي بعدها قد صارت الفاً ايضاً فلا يُجمَع بين المثلين لما (٤٥ظ) قد بيّنّاهُ . ولو لحقت هذه

١) اي بدلاً من « بأبي انت » وهو اليوم غير مأنوس

المصادرَ حروفٌ تنفردُ لبقيتْ على حالها في الابتداء. وذلك مثل « ما انتاني زيدًا صواباً ووجدتُ انثجاري عمرًا اصوبَ ». وباب الهمز أجمع من باب البدل ولكنّا قد افردنا ذلك عمّا ليس بهمز وعمّا شذّ عن بابهِ . وفي ما بيّنّا دليل على ما لم نذكره

(لهُ تابع)

طرفة

من اخبار دير الشرفة

للقس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

اننا اقرارًا بما لدير الشرفة قبلنا من الأيادي البيضاء واظهارًا لما يستبطنهُ قلبنا نحوهُ من عواطف الحبّ والولاء اذ ارتشفنا من مناهلهِ الصافية مياه الآداب المسيحيّة والتقطنا من حديقتهِ النضرة زهور التعاليم الكهنوتيّة مذ عام ١٨٩٥ الى ١٩٠٣ شئنا ان ننشر على صفحات المشرق الأغرّ طرفة من اخباره السالفة مسهبين الكلام في من أدّى له الخدم المشكورة وتهالك في سبيل نجاحه ولاسيّما الاخ رزق الله سفوّر قيّم ارزاقه والشمّاس يوسف تبّان وكيل ماديّاته فنقول :

١ً وصف دير الشرفة وتأسيسه

الشرفة دير شهير ومعهد جليل للسريان الكاثوليك أمّهُ السيّد اغناطيوس ميخائيل جروه البطريرك الانطاكيّ عام ١٧٨٥ في كسروان بلبنان ودُعي الشرفة لإشرافهِ على قريتي درعون وحريصا تحفّ به اشجار الصنوبر والسنديان والتوت ويطلّ على مصيف قصادة سوريا الرسوليّة وعلى مقام سيّدة لبنان المشيّد عام ١٩٠٤ وعلى دير مار يوسف الحرف لراهبات أسرة نطين وعلى مدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم التي أُنشئت سنة ١٩١٤ بساعي السيّد فرديانو جيانيني القاصد الرسوليّ وعلى دير الآباء البولسيّين المرسلين الملكيّين الذي شاده سنة ١٩٠٣ السيّد جرمانوس معقّد الطيّب الذكر .

على ان البطريرك ميخائيل جروه المذكور في الخبر بعد ارتقائه الى السدة البطريركية في دير الزعفران باردين على جميع السريان اضطرّ ان ينهزم من وجه خصومه سنة ١٧٨٢ الى الموصل وبغداد ويجوب المفاوز والفلوات مضطرباً على الأتعاب والمشقّات فقطع تلك المسافة البعيدة بمخاوف شديدة واخطار جمّة عديدة متطيّاً ظهر بعير الى ان افضت به العناية الالهيّة بعد ١٥ يوماً الى قرية بيت شباب بلبنان ١) في سلخ اذار ١٧٨٤ فنزل في دير مار انطونيوس النبع . وما مرّ عليه ثمّ اربعة اشهر حتى اضطرّ الى ان يغادره ويسكن بيت احد الفلاحين فلحق به اذ ذاك صديقهُ الحميم السيّد ايونيس نعمة الله الصدّي وكان قد اعتنق على يده الايمان الكاثوليكيّ في دير الزعفران سنة ١٧٨٢ فاستمرّ البطريرك والمطران والشمّاسان زكريّا القطربّلي وتوما الآمدي في ذلك البيت الحقير يستعطون القوت اليوميّ ويرقدون على الحضيض من دون حصير ٢) الى كانون الاول ١٧٨٤ ولم يستحب البطريرك الذهاب الى دير مار افرام الرغم في الاشبانيّة ٣) اذ كان فيه وقتئذٍ المطران يوسف قدسي لان الله سبحانهُ أعدّه لعمل آخر اجلّ وأفضل وهو تشييده ديرًا للطائفة على اسم سيّدة النجاة في الشرفة

ذلك ان البطريرك ميخائيل المغبوط غادر بيت شباب في اوّل كانون الاوّل ١٧٨٤ ويتم الشرفة فاستأجر بعد ستة ايام المحلّ بعشرين غرشاً في السنة وكُتب صكّ الايجار وشهد فيه السيّد بولس اسطفان والقس جرجس رئيس دير الكريم للارمن والقس حنا والقس بولس والشيخ نوفل الخازن وانطون الحاج موسى . ولمّا كان ١٥

١) راجع مجلة المشرق (٣ : ٩١٢ – ٩٢٦)

٢) عن رسالة البطريرك الى المجمع المقدس بتاريخ ٢٦ ايار ١٧٨٤

٣) شيّد دير مار افرام سنة ١٧٠٩ بمساعي السيّد اثناسيوس سفر المطران مطران ماردين (+ ١٧٢٨) راجع هذه المجلّة ٩ : ٧٦٥) وعرفنا من رسائله السيّد غريغوريوس نعمة قدسي (+ ١٧٤٠) والسيّد ديونيسيوس بشاره (+ ١٧٥٩) والسيّد غريغوريوس جرجس فتّال (+ ١٧٢٧) والسيّد غريغوريوس يوسف قدسي (+ ١٧٩٧) والخوري الياس ابرخان (سنة ١٧٢٨) وظلّ الدير مأهولاً بالرهبان حتى سنة ١٨٤١ فشدّ عليه الدروز وخيبوه واهانوا السيّد كوارتوس يوسف حانك ونبشوا مدافن الاساقفة والكهنة واحرقوا رفاتهم وذرّوا الرماد في الهواء وفتكوا بالراهب مبارك قوليّه والاخ عبدالله والقوما على صخور الوادي فانفلقت هامتها وقضيا من ساعتها

ايلول ١٧٨٦ عوّل البطريرك السعيد الذكر على شراء المحلّ مع ارزاقه وكان ذلك المحلّ عبارة عن بناء صغير وحرج وتوت وكرم وارض زرع (سليخ) فابتاعه من الشيخ ابي فارس انطون الحاج موسى الشنيمي بمبلغ ٢٦٣٢ غرشاً واستحضر في ١٦ ايار ١٧٨٧ المعلّم حنا الدرزي والمعلّم سمعان شهوان وسعد ثابت العجلتوني والشدياق اسطفان فليفل الدرعوني فخمّنوا عليه المبلغ المذكور وأيد البيع والشراء الامير يوسف الشهابي بشهادة السيّد يوسف تيان مطران دمشق والاب يوحنا رئيس الرهبان الارمن العام والقس جرجس الارمني والقس سمعان صباغ السريانيّ والشيخ غندور سعد الخوري والشيخ نوفل الخازن وانطون جباره . ثمّ عرض البطريرك ميخائيل حجّة البيع والشراء على مقام البطريركيّة المارونيّة فأيدها السيّد يوسف بطرس اسطفان البطريرك الانطاكيّ والمطران يوسف نجيم والمطران يوحنا الخار وجمهور راهبات دير الحصن . وبحضورهم عدّا الخوري صالح بن حصن الخازن عن حقوق الشفعة

ولمّا تمّ ذلك كلّه طبقاً لنيّة البطريرك المغبوط دعا المحلّ باسم سيّدة النجاة اقراراً بفضلها لانها صحبته في الحلّ والترحال وأنقذته من الشدائد والأهوال وبلّغته الى هذا المقام . وما زالت ايقونتها الكريمة التي كان يحملها اينما اتّجه مصونة حتى اليوم في ديره بالتجلّة والاكرام . ثم وقف الدير وأرزاقه وجميع امواله المنقولة وغير المنقولة لله تعالى وحتم ان يكون مقاماً لمن يخلفه من البطاركة على الطائفة السريانيّة الكاثوليكية وحرّج عليهم ان يبيعوا او يرهنوا او يهبوا شيئاً ممّا يخصّه . واستلم في ١٥ ايلول ١٧٨٦ من الشيخ ابي فارس جميع الحجج القديمة كحجّة ام حصن الموجهة الى الخوري يوسف مارون الدويهيّ والحجج التي كانت عند السيّد يوسف بطريرك الموارنة . وبعد ذلك كلّه كتب الى الحبر الاعظم مار بيوس السادس والى المجمع المقدس يخبرهما بالأمر ويتوسّل الى الحبر الروماني ان يؤيد عمله فكتب اليه صك التأييد واليك نصّه معرّباً :

البابا بيوس السادس للذكر المخلّد

ان اخوتنا الموقرين كرادلة الكنيسة الرومانيّة المقدسة المفوّض اليهم امر انتشار الايمان المقدّس عرضوا علينا بواسطة ولدنا الحبيب المونسنيور اسطفان بورجيا كاتم الأسرار ان الاخ الجليل اغناطيوس ميخائيل جروه بطريرك السريان الانطاكي قد اشترى وامتلك في درعون بجبل

لبنان ديراً سمّاه دير سيدة النجاة واستحدث فيه أبنية وطلب ان يكون هو وجميع ملحقاته وقفاً دائماً ثابتاً له ولخلفائه البطاركة . والتمس من المجمع ان ينوب منابه في التوسل الينا لتؤيد ارادته بسلطاننا . امّا نحن فعلاوةً على مزيد اعتبارنا لما لاقاه هذا البطريرك من الاضطهاد والشدائد في سبيل الايمان الكاثوليكيّ قد ازداد حبّنا له لسبب كرمه وفضله هذا التقويّ وقبلنا توسّلهُ بشاشة وترحاب واتنا واثقون كلّ الثقة ان ذلك يحمله على اعتبار كثرة تعطف الكرسيّ الرسوليّ عليه والتفاتهِ اليه . ومن ثم فنحكم بقوّة اسطرنا وبراءتنا هذه ونريد ونأمر بسلطاننا الرسوليّ ان يكون دير سيّدة النجاة المذكور مع جميع ما يملكه من الارزاق الآن وفي مستقبل الزمان وقفاً ثابتاً مؤبداً حسب نيّة البطريرك اغناطيوس ميخائيل وان يكون ذلك تحت تصرّفهِ وتصرّف البطاركة خلفائه . ونضيف الى ذلك اننا قد قبلناه وتقبله تحت حماية كرسيّنا الرسوليّ ومجمع انتشار الايمان . ونعني بسلطاننا الرسولي كائناً من كان عن التعدي عليه او التلاعب بأملاكه او الاختصاص بشيء منهُ لذاتهِ ونمنع المنع المطلق عن بيع او هبة شيء منه ومن خالف أمرنا هذا سقط حالاً في الحرم المحفوظ حقهُ لنا ولمن يخلفنا اذا كان المتعدي في قيد الحياة

أعطي في رومية بجانب مار بطرس تحت ختم الصيّاد ٢٢ ايار ١٧٨٧ وهي السنة الثالثة عشرة لحبريتنا + انكردينال ولمدس برسكي دي ارنسي

ولمّا تلقّى البطريرك منشور الأب الاقدس ازداد فرحاً وسروراً ونمي شيئاً من وزاياه فكتب الى الحبر الروماني في ٨ اذار ١٧٨٨ يشكر له تلطّفه وعطفه ويقول: « ان دير سيّدة النجاة يخصّ البطريرك الانطاكيّ السرياني الكاثوليكي دون غيره على شرط ان لا يبيع ولا يرهن ولا يهب شيئاً من ارزاقهِ بتّة . امّا كهنة الدير وناذرو الفقر والطاعة لنا ولخلفائنا فلهم حقّ المعيشة والكسوة على البطريرك شرعاً وذمّة لان كلّاً منهم هو كجزء من جسد جمعيته »

٢ افتتاح دير الشرفة

ومنذ إذٍ طفق البطريرك يراسل بلاد السريان كحلب وماردين والموصل وبغداد ودمشق والنبك في استحضار شبّانٍ ليدرسوا عليه العلوم الكهنوتيّة . ورقّى في ٢٤ اذار ١٧٨٨ الشمّاس زكريا ابن الخوري اسحق الامدي الى الدرجة الكهنوتيّة . وسمّاه يوسف ثم مطرنهُ على ديار بكر في ٢١ تشرين الثاني ١٧٩٠ ودعاه يوليوس

انطون وجعله وكيلاً اي رئيساً على الدير واجتمع اليه مذ ذاك عدد من الطلبة ارتقى اغلبهم الى الدرجة الكهنوتية(١

وفي هذا الدير عينه تخرّج البطريرك اغناطيوس ميخائيل ضاهر الحلبيّ (* ٢٢ كانون الثاني ١٨٢٢)والبطريرك اغناطيوس بطرس جروه(*١٦ تشرين الاول ١٨٥١) والسادة كورتس انطون الديار بكريّ (*١٦ كانون الثاني ١٨٤١)واثناسيوس جبرائيل حمصي (* تشرين الثاني ١٨٥٣) وكورتس يوسف حانك (* ٢٨ شباط ١٨٦٣) وباسيليوس ميخائيل هدايا (*٥ كانون الثاني ١٨٢٧)

وبعد وفاة البطريرك ميخائيل مؤسس الدير المذكور في الخير تولّى رئاسته السيد انطون الآمديّ وكان يساعده في القاء الدروس على التلامذة القس بطرس جروه . وهما اللذان اوفدا القس توما المارديني الى حلب وما بين النهرين والعراق ليجمع الصدقات من المؤمنين لتشييد غُرَفٍ لسكنى التلامذة . وقرأنا في رسالة اوفدها السيّد انطون الى القس المذكور في ٤ تموز ١٨١٢ يقول:

« اما بشأن العمارفنحن اليوم مشغولون ببناء الغرف وان شاء الله ينتهي في الشتاء ولا نقدر ان نكثر العملة لضيق ذات يدنا »

وكتب ايضاً الى القس يوسف جيّ بمصر في ٢ نيسان ١٨١٢ :

« اننا ابتدأنا نشيّد الغرف فوق القبو لانه لا يوجد محل لسكنى التلامذة وقد التزمنا ان نبني على شدّة حاجتنا وضيقتنا »

---

١) وهذه اسماؤهم : الخوارنة انطون قدسي الحلبي وشكرالله قوليّه وروفائيل طنبرجي وشكرالله براغيث وروفائيل موسى وجبرائيل سريدار وميخائيل صانع ثمّ القسوس توما المارديني ويوحنا عاقل ويوسف جيّ والياس شدياق ويوسف سكّر وجرجس جروه وميخائيل توما التبكي وبولس توما الموصليّ وميخائيل جروه ويوسف طبّاخ وانطون يازجي وعبدالله حمصي ويوسف سوكي واندراوس يشمور وافرام مداراتي ويوحنا اسلامبوليّة وفيلبس قزازه وحنا هزاز وتوما صباغ ولوقا حسن . فهولاء الكهنة اجمع تربّوا في دير الشرفة وفيه تلقّوا العلوم الكهنوتيّة منذ نشأته الى سنة ١٨٣٠ . ومن جملة تلامذة الشرفة الاوّلين ميخائيل دفّاق شلحت وفتح الله الطونجي والياس يوسف شقال وانطون عرقجنجي ومينا مباركشاه ويوسف قسطليّ وانطون عبد المعطي حمصي وميخائيل عركوس وذكريا سليمان الموصلي وجبرائيل اسلامبوليّة وعتق توما الموصلي ويوسف حنا سوكي وجرجس شمموني وعبدالله كويفاتي ويعقوب حانك وعمه ابن القس جرجس شدياق وبطرس زلّو عاس وجرجس ومتري وَلَدَي ميخائيل شيحا وموسى بن عمه شيحا ومبارك بن يوسف رباط الخ

وخلف السيّد انطون في رئاسة الدير السيّد غريغوريوس بطرس جروه في ١٥ كانون الاوّل ١٨١٤ فأنجز البناء ورمّم دير مار افرام الرغم وشاد فيه طابقاً ثانياً وتولّى بعده أمر دير الشرفة سنة ١٨٢٥ المطران جبرائيل حمصي ولكنه لم يكترث لأمور التلامذة فانهزم اغلبهم وظلّت الامور مبلبلة حتى عاد البطريرك بطرس جروه واستلم الرئاسة على الدير سنة ١٨٢٨ وأقام بعد ذلك الخوري جرجس صعب الحلبي رئيساً وتوجّه هو الى حلب

٣ المحسنون الى دير الشرفة

ولا بدّ لنا من ان نورد ههنا اسماء بعض الذين أسعفوا دير الشرفة تخليداً لذكرهم مستمطرين غيث الرحمة الالهية على نفوسهم فنذكر اولاً بعد البطريرك ميخائيل والبطريرك بطرس ابن اخيه والشماس حنا شقيقه جلالة كرلس الرابع ملك اسبانيا وقرينته الفاضلة ماري لويز الكريمة والكونتسا ويلا دي هرموزا وغيرهم من الاسبانيين النبلاء الاسخياء الذين تبرّعوا على الدير باموال طائلة وأمتعة كنسية قدّموها عن يد القس الياس دبّ الحلبي وكيل البطريرك ميخائيل في مدريد . ونضيف الى عدد هؤلاء الكرام السيّد ايرنيس نعمة الله الصدّي (+ ٢١ ايار ١٨٢١) والبطريرك اغناطيوس سمعان زوره (+ ٢١ آب ١٨٣٩) والخوري الياس ايرخان والخوري روفائيل طنبرجي والخوري شكرالله براغيث والقس يوسف جبّ وجرجس اجقم واسطفان شدياق والحاجة مريم قرينة فرج الله مبارك كشاه وجبرائيل اسطنبوليه وانطون الياس صرافيا

وقد اقتفى هؤلاء الافاضل الخوري ميخائيل ازرق والخوري يوحنا طوّاف والخوري بولس راضيه والقس فيلبس قزازه وسيّدة ابنة يوسف حلّاق الدمشقية . ونهج منهاجهم السيّد غريغوريوس متى نقّار (+ ٢٨ اذار ١٨٦٨) والبطريرك اغناطيوس جرجس شلحت (+ ٨ كانون الاول ١٨٩١) والسيّد اوسطاثيوس موسى سركيس (+ ٢٠ آب ١٩١٨) والخوري انطون قرواني الذي نُصِب وكيلاً لارزاق الدير منذ عام ١٨٨٨ وتبرّع عليه بشيء من املاكه . وزد عليه أسرة الكونت نصرالله دي طرّازي ولاسيّما الفيكونت فيليب الذي اعتنى بنظم سجلّات الدير

وصنف كتاباً في اخباره سمّاه « التحفة في اخبار دير الشرفة »

٤ تحويل الدير الى مدرسة كهنوتية

صرف بطاركة السريان ورؤساء الشرفة العناية الى تدريس التلامذة وتلقينهم العلوم والفضائل الراهنة مدّة خمسة وخمسين عاماً وأتت أتعابهم بيانع الثمار وقد اوردنا آنفاً اسماء الكهنة الذين خرجوا من هذا المعهد المبارك وخدموا النفوس في البلاد الشرقية . ولمّا كانت سنة ١٨٤٢ رأى البطريرك اغناطيوس بطرس جروه ان يحوّل الدير الى مدرسة كهنوتية ينظر البطريرك في شؤونها وينصب لها رؤساء يصرفون المساعي في نجاح تلامذتها . فكتب الى البابا غريغوريوس السادس عشر الحبر الروماني يكاشفه بما في نيّته فاستحسن الحبر الاعظم رأيه وكتب منشوراً بتاريخ ١٠ ايلول ١٨٤٢ يؤيد طلبه وسمّى الخوري جرجس صعب تلميذ البروبغندا رئيساً للمدرسة . وأقيم الخوري ميخائيل ازرق الحلبي مساعداً للرئيس وراعياً للتلاميذ . وفي سابع آب ١٨٤٥ رقي الخوري جرجس الى اسقفية طرابلس وسمّي اقليميس بولس وظلّ يسوس المدرسة ويديرها بالحزم والغيرة الى ان اسلم الروح في ميروبا في ١٧ آب ١٨٤٩ وهو الذي استقدم الى المدرسة في ١٠ نيسان ١٨٤٩ الاب يونيفاثيوس سورانيا اليسوعي ليساعده في تدريب الطلبة على الفضيلة وتثقيفهم في العلوم الدينيّة والمعارف الكهنوتيّة وشاد الغرف في شرقي المدرسة وأنجزها بعده الخوري ميخائيل ازرق سنة ١٨٥٠ وهو الذي خلفه في الرئاسة الى سنة ١٨٧٩ اعني مدّة ثلاثين سنة ولم يدّخر وسعاً اثناء ذلك في توسيع نطاق ارزاقها وتحسين املاكها وتنظيم قوانينها واصلاح شؤونها وزاد على ذلك كلّه انه وقف عليها جميع ما ملكته يده وقد عرف البطاركة ولاسيما البطريرك فيلبس عركوس لهذا الرئيس النبيل فضله وتعبه وقدروا له غيرته وكدّه وعوّلوا غير مرّة ان يرقّوه الى الدرجة الاسقفيّة كسالفه فأبى كل الاباء واخيراً انعموا عليه بلبس التاج والخاتم والصليب مكافأة لأعماله الصالحة ورقد بالرب في ١٣ تشرين الثاني ١٨٨٦

وخلف الخوري ميخائيل ازرق الخوري يوسف معمارباشي الماردينيّ في ٢٤ حزيران ١٨٧٩ وفي ٨ نيسان ١٨٨٠ أوعز اليه البطريرك جرجس شلحت ان يتوجّه الى رومة

واسبانيا واميركا ليجمع الحسنات في سبيل تشييد دير مار افرام بماردين وانجاز بناء كنيسة الشرفة الحديثة (١) ففوّض الخوري يوسف تدبير التلاميذ الى الخوري افرام ابيض الحلبي الراهب الافرامي حتى ٢٨ ايلول ١٨٨٢ فعاد واستلم ازمّة رئاستها الى ١٥ نيسان ١٨٨٣ ثم سافر الى ماردين واناب منابهُ القس موسى سركيس الدمشقي الى عاشر تشرين الثاني ١٨٨٣ فكرّ راجعاً الى المدرسة وظلّ يدبرها الى ٢٣ آب ١٨٨٤ فاوفده البطريرك الى النبك وجعل مكانه سنة ١٨٨٥ الخوري باسيل قندلفت الحلبي فظلّ الخوري يوسف وعاد الى وطنه وتوفّي فيه ليلة عيد الصعود سنة ١٨٨٩

وبعد الخوري باسيل تولّى شؤون المدرسة الخوري بطرس بزعيك الماردينى منذ ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٦ الى ٦ تشرين الاوّل ١٨٨٧ وخلفه الخوري باسيل قندلفت ثانيةً حتى سنة ١٨٨٨ فولي مكانه الخوري موسى سركيس حينما انعقد المجمع الملّي المعروف بمجمع الشرفة وكان افتتاحه في ٢٢ تموز واختتامه في ١٣ تشرين الاوّل ١٨٨٨ وترأسه السيّد لودوفيكو بياڤي نيابةً عن الحبر الروماني وكان السيّد غودنسيو بنفيلي والخوري بولس عوّاد بمثابة لاهوتيّين (٢) وغدا هذا المجمع الشهير دستوراً للطائفة ولكنه لم ينشر بالطبع بعدُ الّا باللغة اللاتينيّة فقط . وزاول الخوري موسى تدبير المدرسة الى ٢٧ كانون الاوّل ١٨٩٣ وهو الذي ابتنى ردهة الاستقبال والمنام

وتولّى الرئاسة بعده السيّد يوليوس باسيل قندلفت بعد ما رقاه شقيقه السيّد ثئوفيلس انطون الى مطرانيّة يافا بتفويض من لدن السيّد البطريرك اغناطيوس بهنام بنّي في ٢٤ كانون الاوّل ١٨٩٣ ونصبه البطريرك رئيساً للمدرسة بعد الرسامة بايّام ثلاثة

وخلفه الخوري بولس هبرا الدمشقي في ١٥ شباط ١٨٩٥ وظلّ يسهر على صوالح المدرسة، ويبذل المساعي في تدبير امورها وتحسين شؤونها المادّيّة والعلميّة حتّى ٢٦

(١) وضع الحجر الاوّل لكنيسة الشرفة في ١٦ آب ١٨٧٤ وعقد سقفها سنة ١٨٧٧ ونجز بناؤها في ١٤ آب ١٨٨٢

(٢) كان آباء المجمع غبطة البطريرك جرجس شلحت والسادة قرلس بهنام بنّي مطران الموصل واثناسيوس روفائيل جرجي مطران بغداد واقليميس يوسف داود مطران دمشق ويعقوب متى اسحق مطران سعرت والجزيرة وثئوفيلس انطون قندلفت اسقف طرابلس وربولا افرام رحماني اسقف الرها وماروثا بطرس طوبال اسقف ديار بكر

كانون الثاني ١٩٠٢ فنُصب مطراناً لابرشيَّة الموصل وتولَّى نيابة الرئاسة من بعده القس موسى دلَّال الدمشقيّ الى ايلول ١٩٠٣ فخلفه الخوري موسى سركيس وثابر يخدم المدرسة بكلّ جد واجتهاد حتى ٢٤ تشرين الثاني فسُقف على الرسمّ باسم اوسطاثيوس موسى وجُعل نائباً بطريركيًّا على حمص وحماة وتوابعهما. ورُقّي منهُ الى مطرانيَّة بغداد سالفهُ في رئاسة المدرسة القسّ موسى دلَّال ودُعي السيّد اثناسيوس جرجس وهو الذي وجه عنايته خاصَّةً الى ابتناء الطابق الثالث على طرز حديث

وفوضت رئاسة مدرسة الشرفة بعد ذلك الى حضرة الخورفسقفوس افرام حيقاري في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٢ وهو الرئيس الحالي

ومنذ سنة ١٨٤٢ الى يومنا تخرّج في هذه المدرسة البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس (✠ ٧ اذار ١٨٧٤) والسادة فلبيانس بطرس متاح (✠ ١٦ حزيران ١٨٧٤) ومارونا بطرس طوبال (✠ ١٩١٥) واثناسيوس رافائيل جرخي (✠ ٢٩ نيسان ١٨٩٠) ويعقوب متى احمر دقنه (✠ ١ نيسان ١٩٠٨) وثئوفيلس انطون قندافت (٥ آب ١٨٩٨) وقرلس بولس دانيال (✠ ١٢ تشرين الثاني ١٩١٦) وغريغوريوس جرجس شاهين (قطرن في ١٩ ايار ١٨٧٢) واثناسيوس اغناطيوس نوري (١٦ حزيران ١٨٩٥) وفلبيانس ميخائيل ملكي مطران الجزيرة الذي قتل شهيداً في ٢٧ آب ١٩١٥ (القصارى في نكبات النصارى ص ٣٨٤)

وفي هذه المدرسة درس زمناً وجيزاً السيّد اقليميس يوحنا معمار باشي تلميذ اليسوعيين بغزير (✠ ٢١ ايار ١٩١٤) والسيّد اقليميس ميخائيل نجاش تلميذ بروبغندا والسيّد اوسطاثيوس موسى سركيس تلميذ اليسوعيين بغزير والسيّد غريغوريوس هبرا والسيّد اثناسيوس جرجس دلَّال تلميذا البروبغندا . وندمج في سلك هؤلاء اسماء بعض كهنة الشرفة الذين قُتلوا في سبيل الايمان المقدَّس كالخورفسقفوس روفائيل بردعاني تلميذ البروبغندا ثمّ غزير والقسوس يوحنا بنابيلي ومتى ملاش وتوما مرجان وملكي شمعون وبنام خزيمه والراهب افرام الرهاوي . ومنهم من برح بهم اعداء الدين واثخنوا فيهم ولكن الله تعالى انقذهم من الموت الاحمر كالقس متى خزيو المارديني والقس يوسف ربّاني الموصلي [القصارى في نكبات النصارى ص ٢٠٧—٢٢٥]

٥ الاخوة الافريميون في الشرفة

ما اكتفت الشرفة بتثقيف اساقفة وكهنة لرعاية النفوس وخدمتها بل فتحت احضانها لقبول زمرة من الشبّان المتضوين الى اخوية مار افرام ولاسيما بعد حريق دير الزعفران وخرابه كما قدّمنا . على ان آباءنا البطاركة احتراماً لغاية البطريرك ميخائيل المطوّب الذكر راموا ان يجدّدوا تلك الاخوية في دير الشرفة. فأضحت الشرفة والحالة هذه ديراً ومدرسة معاً . واوّل من جدّد الاخويّة في الشرفة كان البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت في غرّة تشرين الاوّل ١٨٧٦ وكان اوّل من نذر النقر والعفّة والطاعة الخوري افرام ابيض الحلبي واقتصّ آثاره السيد اقليميس ميخائيل نخاش والسيد غريغوريوس بطرس هبرا وجملة من الكهنة(١ وأضاف البطريرك المنبوط الى ذلك انه انشأ في ماردين سنة ١٨٨٤ ديراً جليلاً جعلهُ المركز الاوّل لهذه الاخويّة وقد نشرنا على صفحات المشرق [١٢ : ٧٦٠] تاريخ ذلك الدير سنة ١٩٠٩ وخرج منه كهنة غُيُر خدموا الطائفة في بلاد ما بين النهرين وسوريا وقُتل منهم نفر سنة ١٩١٥ الدموية في سبيل الديانة المسيحيّة كالقسوس بطرس حمّال في مذيات وبولس قسطن في الجزيرة وافرام القصوراني في سعرت وابرهيم كرّوم في ديركه وملكي شمعون في باته ويوسف معمار باشي في ماردين وبولس هيمو في قلث (٢

امّا الاخوة الافريميون الذين خدموا الشرفة بأتعابهم وأعراقهم وأولوها الفوائد الروحيّة والزمنية بمثالهم ومشآتهم ووقفوا نفوسهم على خدمة سيّدة النجاة انهم فنذكر في مقدّمتهم المقدسي ميخائيل قنّاف الحلبيّ الذي يمم هذا المعهد المقدّس عام ١٨٤٢ ودفع الى رئيسه الخوري جرجس صعب عشرة آلاف غرش فاشترى بها الخوري ميخائيل ازرق سالفهُ ناعورة في جونيه وقطعتي ارض مغروستين توتاً في ظهر حريصا وقطعة ارض اخرى في ميروبا . وبعد اثنتي عشرة سنة اودى ميخائيل وصيّته الاخيرة

١) منهم الخوارنة يوسف شلحت وحنا حمصي وميخائيل دلّال الحلبيّ والقسوس بولس سياط الحلبي وبطرس صابو الماردينيّ وبولس صعب الحلبيّ وبطرس ابن الشمّاس عازر وحنّا زلّو وبطرس عبد الاحد وافرام حنوش والياس مصري

٢) راجع كتاب القصاري في نكبات النصارى تر تراجم هؤلاء الكهنة وتفاصيل استشهادهم

المتبرّع ونفس والديه . وسنة ١٩١٥ وهب الاخ رزق‌الله الدير عشرة آلاف غرش وتفرّغ مذ ذاك للتأهب الى الرحيل الى دار البقاء

وامتاز هذا الاخ الغيور بحميد الخصال وطيب الخلال ولاسيما رسوخهُ في الايمان القويم واجلالهُ للاسرار الرهبية واحترامهُ للطقوس البيعيّة واعتبارهُ لعادات الكنيسة المقدسة واستحصل لهُ الخوري ميخائيل ازرق الإنعام من المجمع المقدّس بان ينظم ذخيرة عود الصليب الكريم وذخائر اولياء الله القديسين ويعرضها للاكرام والبركة

وكان يدمن الصلوات اينما حلّ ويتار فروضهُ في وقتها لا يعجّلها ولا يؤجّلها . وكان يجتمع بالعمّلة الذين يستخدمهم كل يوم قبل الغروب وخصوصاً في شهر ايار المبارك فيقرأ عليهم التأمل ويتار معهم السبحة الورديّة ويباركهم بصورة العذراء وكان يدفع لهم الاجرة تماماً بل كان يسلف المحتاجين منهم بعض الدراهم وكان ينفر ممّن يكذب او يموّه عليهِ الحقيقة ولم يعوّد لسانهُ في جميع معاطساته الّا الصدق والصراحة ممّا يقرّ لهُ بذلك كلّ من عاشرهُ

امّا حبّهُ للقريب فكان جزيلاً جدًّا فانهُ لمّا كان يرى فقيرًا عضّهُ الدهر بنابهِ كان يبذل لهُ المساعدة عن نفس طيبة ومحبّة خالصة . وورد عنهُ انهُ حرّض الفتاة اليصابات بنت انطون الحاج في مزرعة كفردبيان لتنضمّ الى زمرة راهبات قلبي يسوع ومريم واتّفق مع الاخ باسيل ناعم ١) وفيقهِ في خدمة الارزاق ودفع لها كلّ منهما مبلغاً تجهّزت بهِ الفتاة المذكورة ودخلت الدير . وكان اذا شاهد احدًا في دقماء الفاقة أغاثهُ قدر طاقتهِ ونفّس عنهُ كربتهُ ونصح لهُ ان يصطبر على آفات الدهر ومشقاتهِ ريثما يأتيهِ الفرج من لدنهِ تعالى . وكان رحمهُ الله يقرض الفقير البائس او يستغني عن شيء من أكلهِ ليجود بهِ على الجائع . وقد لاحت فيهِ هذه المزيّة خاصّة اثناء الحرب الشعواء فانهُ تلطّف بالمحتاجين وشغلهم بغيةَ ان يسوق لهم الرزق ويزيل عنهم الضنك وكان يتعهّد المرضى منهم حاملاً ما يفتقرون اليهِ

هذا ما عدا انهُ كان قدوة الفضيلة ومرآة الكمال لتلامذة المدرسة فكان يعزّهم ويودّهم جدًّا ويغار على تقدّمهم ونجاحهم وينفق عليهم شيئاً من جيبهِ ليحثّهم

١) هو باسيل بن الياس ناعم الحالي دخل دير الشرفة في ٩ نيسان ١٨٩١ ونذر نذور الرهبنة في ٣ تشرين الاول ١٨٩٣ وهو وكيل ارزاق الدير في يومنا

في مواصلة دروسهم ويحبّب اليهم الدعوة الكهنوتية . ولمّا شعر بان أهلهُ في حلب متحفّزون لرفع الدعاوي في المحاكم للحصول على ما كسبهُ بعرق جبينهِ استأذن الرؤساء وسافر الى وطنهِ واشترى دارين جعلهما دارًا واحدة جدّدها وحبسها لاولاد باسيل ابن اخيه ويوسف حفيدهِ ولاولادهما وسجّل الوقف في محكمة حلب بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٢٧ — ١٩٠٩ . وجاء في نصّ الوقف ان الورثة اذا انقرضوا باجمعهم تغدو تلك الدار وقفاً للفقراء القاطنين في دير الشرفة وتكون التولية عليها للبطريرك

هذا قليل من كثير من مبرّات هذا العامل النشيط ومزاياهُ وخدمهِ وما برح الاخ رزق‌الله مثابرًا على الاعمال الصالحة حتى سنة ١٩١٨ فأحسّ بقرب اقبال الآخرة اليهِ وجعل يُعدّ نفسه للرحيل والمثول بين يدي خالقهِ وفاديهِ المكافئ عبيدهُ الامناء بأفضل الاجر والجزاء . وفي ١٥ ايلول لزم الفراش اسبوعاً كاملًا صابرًا على مضض الوجع وفي ٢٣ ايلول طلب سرّ المسحة وأقرّ بخطاياه وتناول الزاد الاخير . وكان اثناء ذلك يعتر قلبهُ بذكر الله تعالى ويكثر من تلاوة هذه العبارة « لمجدك يا يسوع » وظلّ على تلك الحال الى صباح ٢٥ ايلول ١٩١٨ فلفظ روحهُ مستودعاً نفسهُ ليسوع ومريم ومار يوسف . وأُقيم لهُ مأتم حافل في الشرفة حضره جملة من الخوارنة والكهنة والرهبان والاهالي وأبّنهُ حضرة الخوري بولس فضول المرسل الكريمي . فهكذا قضى الاخ رزق‌الله حياتهُ في سبيل الله وعاش عيشة الابرار والزهّاد ورقد بشيخوخة مباركة في السنّ السابعة والثمانين من عمرهِ صرف منها ثلاثاً وخمسين في خدمة دير سيّدة النجاة ومضى لينال الأجر والمكافأة المعدّة للأكرة الصالحين والعملة الناجحين المفلحين

٧ الشمّاس يوسف نبّاه الحلبي

وُلد الشماس يوسف بن انطون بن ميخائيل بن جرجس تنّان في حلب سنة ١٨٤٢ . ولمّا بلغ السنة الرابعة والثلاثين من عمره وافى دير الشرفة وتفيّأ بظلّ سيدة النجاة الوارف وقصد الانخراط في سلك الاخوية الافريمية فنذر النذور الثلاثة في ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ ووشحهُ البطريرك جرجس بالثوب الرهباني ثم رسمهُ مرتّلًا وقارئاً مع رفيقهِ الاخ رزق‌الله السابق الذكر وارتقى معهُ ايضاً الى الدرجة المفوذياقونيّة

ومذ ذاك وقف الشماس يوسف حياتهُ على عبادة الله تعالى وخدمة العذراء. وعهد اليه الرؤساء الوكالة على مادّيات الدير كإعداد الطعام وتهيئة الكسوة وعيادة المرضى وقبول الزائرين فكان مثالهُ مثل سيّدهِ يوسف بن يعقوب اذ صار وكيلًا على بيت فرعون ووزّع المؤن والذخائر على المعوزين اثناء المجاعة [تك ٤١]

وفي ٢٤ تشرين الاوّل ١٨٨٦ رقّاه السيّد ثئوفيلس انطون قندلفت الى الدرجة الدياقونية باذن السيد البطريرك وعوّل السيّد يوليوس باسيل قندلفت ان يرقيهُ الى الدرجة الكهنوتيّة فكتب في ذلك الى غبطة البطريرك بهنام بني في ٣ شباط ١٨٩٤ فورده الجواب بالايجاب في ١١ حزيران ١٨٩٣ نظرًا لكفاءة الشماس وجدارتهِ ومجازاةً لتعبهِ وخدمتهِ . بيد انهُ رحمهُ الله أبى الّا البقاء على حالتهِ اسوةً بابينا الجليل مار افرام شماس كنيسة الرها متخذًا ذلك وسيلةً لزيادة أجرهِ وثوابهِ متخوّفًا من حمل عبء الكهنوت الباهظ فاضطرّ الرئيس ان يجيب الى طلبهِ مقرّظًا تقواهُ مثنيًا على فضيلتهِ وظلّ الشماس مثابرًا على عملهِ بجدٍّ لا يعرف الكلل . ولمّا اجتمع الاباء في الشرفة وعقدوا المجمع الملّي سنة ١٨٨٨ اصطفوه ساعيًا يبلّغ الأوامر ويوصل الاخبار الى اصحابها فقام الشماس بتلك المهمّة خير القيام

واتصف الشماس يوسف بالخصال الحسنة ولاسيّما الطاعة التامّة للرؤساء فكان لا يقدم ولا يُحجم الّا باذنهم ومشورتهم وامتاز بالنصح والصدق في خدمتهِ وكنت تراهُ على كثرة شغلهِ طلق المحيّا باشًّا لكلّ من يقصدهُ في مسئلة من المسائل . وكان يدمن التقرّب من الاسرار الالهيّة ويطالع في وقت الفراغ الاسفار المقدّسة والكتب الروحيّة ويتلو صلواتهِ الخصوصيّة في أوقاتها وكان مغرمًا بحبّ القربان الاقدس فكان يقضي الساعات الطوال امامهُ ويناجيهِ مناجاة الصديق لصديقهِ ويكشف لهُ سرائر قلبهِ

امّا عبادتهُ لسيّدة النجاة صاحبة المقام فكانت عجيبة فانهُ في شتاء سنة ١٩١٣ لمّا امتحنهُ الله بعقلةٍ في لسانهِ قصد تلك الامّ الرؤوم الشفوق واستعان بها وصلّى تساعيّتها المعروفة بتساعية بيانّي وما كاد يأتي عليها كلّها الّا وانطلق لسانهُ فترنّم بمديح امّ الرحمة ونشر محاسنها واذاعها بين الناس وقصّ على سكّان الدير فضلها ومنّها عليهِ بالشفاء . وكان كلّما يحبّ ورديتها وثوبها ولذلك فقد اشترك في جميع اخرياتها وحثّ الناس على التعبد لها

وخصّ الشمّاس يوسف بالذكاء والنباهة فاجتذب اليه قلوب المجاورين للدير فصاروا يختلفون اليه ذات المرار ويستشيرونه في امورهم فكان يريهم الطريق السويّ ويبلّغهم غايتهم وما برحوا حتّى اليوم يلهجون بفضله ويثنون على حبه لهم وتفانيه في صلاحهم . وكان الشمّاس يزاول كتب الطبّ فاستحصل منها شيئاً وطفق يشتري بعض الادوية والمراهم ويتبرّع بها على من يقصده من المرضى والسقام دون عوض قاصداً في ذلك وجه الله الكريم . وناهيك انه كان للتلامذة بمثابة امّ شفوق تحنّ الى اولادها وتعيشهم في ضنكهم وبؤسهم وتسرّي عنهم جميع همومهم وكان اذا وعك احدهم تعهّده من فوره ووصف له دواء ملائماً لمرضه حتى انه لم يمت احد منهم في ايامه باذن الله تعالى

وأضف الى ذلك ان الشمّاس يوسف بخدمته بيت المؤنة مدّة ستّ وثلاثين سنة لم يثلم الامانة ابداً بل كان حفيظاً بما استودع اليه مؤثراً الاقتصاد على الاسراف معتبراً دقائق الامور كجليلها وصغيرها ككبيرها وكان يقول مراراً شتّى : ما دمت وكيلاً يلزمني ان اقوم بفروض وكالتي والّا فالأولى ان استعفي . واتصف الشمّاس بعذوبة حديثه ولطف معاشرته ولاسيّما بتسليته المصابين بالمرض . ومما نُقل عنه ان السيد اقليميس يوسف داود يوم حضر الى الشرفة سنة ١٨٨٩ استجماماً لقواه المستضعفة وتبديلاً للهواء ألفى في الشمّاس يوسف احسن مسلٍّ واكبر معزٍّ له في كربته فكان يستدعيه اليه وهو على فراش المرض ويصغي الى حديثه بكل لذة فينسى آلامه

وفي ٢٠ نيسان ١٩١٠ كتب الشمّاس يوسف وصيّته الاخيرة وجاد بما كان يملكه على الدير الذي خدمه خدمة نصوحاً . ومما جاء في تلك الوصيّة استغفاره من سكّان الدير أجمع والتماسه من غبطة السيد البطريرك ان يبلّغ الامر الى رئيس المدرسة والتلامذة ليصلّوا عليه طقس الشمامسة الدياقونيّين يوم وفاته واليوم الثالث والسابع والشهر واسبوع الكهنة وعيد سميّه مار يوسف وان يقدّس عن نفسه كلّ سنة قدّاس مؤبد في الاسبوع الذي يقع فيه عيد مار يوسف . فأيد السيد البطريرك وصيّته هذه وشهد فيها السادة اقليميس ميخائيل بخاش وغريغوريوس بطرس هبرا ويوليوس باسيل قندافت

. وواصل الشمّاس خدمته حتى استكمل ايامه . وعام ١٩١٣ ازداد ضعف بنيته واضطرّ ان يعتزل مهنته ويستريح من تعبه فاقام الخوري افرام حيقاري رئيس المدرسة الاخ باسيل ناعم مقامهُ وتفرّغ الشمّاس مذ ذلك للتأهب الى الرحيل من الدنيا الفانية الى الحياة الباقية . وفي ١٦ كانون الاوّل ١٩١٥ فُلج فلزم الفراش مسلّماً امره الى الله ربّهِ ولم يتعد بهِ المرض من مواصلة اعمالهِ الروحيّة وتقربهِ من الاسرار الالهيّة . واشتدّت عليه وطأة الفالج ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٥ فطلب سرّ المسحة واعترف وتناول . واقام الاب الرئيس الشاب منصور سلهب ليخدمه ويقوم باوازمهِ وحاجاتهِ . فكان يقرأ عليهِ فصولاً من الكتاب المقدّس او من احد الكتب الروحيّة مثل كتاب الاستعداد للموت وما شاكلهُ . وكان الشمّاس يصغي اليه بكلّ عذوبة وشوق ويستزيده القراءة راغباً اليه ان لا يحرمهُ لذّة سماع كلام الله معتبراً ان تلك القراءة تحيي قلبه وتنعش ايمانه ورجاءه وتثير فيه لواعج الوجد والارتياح الى مشاهدة فاديه وتصبّره على مكاره الدنيا وخطوبها حبّاً له

ولزم الشمّاس فراش المرض عشرة اشهر محتملاً مضض الالم موجهاً الحاظه الى الاله الذي تعذّب لاجل فدائنا متوسّلاً اليه ان يجعل اوجاعهُ كفّارةً عن خطاياهُ . وفي تشرين الاوّل ١٩١٦ انحطّت قوّته فأيقن بدنوّ الاجل فزاد في الصلوات والابتهالات استرضاء لله جلّ شأنهُ وكان يستشفع مريم امّه والقدّيس يوسف سيّده ليساعداهُ وقت نزعه ويدفعا عنه هجمات خصمه . ولبث كذلك حتى ١٣ تشرين الاوّل ١٩١٦ فرقد رقاد الابرار مزوّداً بالاسرار وله من العمر اربع وسبعون سنة . وصباح الغد ترأس الصلاة عن نفسهِ السيّد اوسطاثيوس موسى سركيس الذي وافى راجلاً من جونيه الى المدرسة على ما كان عليه من التقدّم في السنّ وانحراف الصحّة اظهاراً لجزيل حبّه للفقيد واشترك معه في الصلاة رؤساء الأديار المجاورة والكهنة والرهبان والوجهاء والعوام وأبّنه القسّ جبرائيل نجّاش احد معلّمي المدرسة

فهكذا قضى الشمّاس يوسف حياته مؤدّيا الأمانة لدير السيّدة العذراء ومُخلصاً الطاعة للرؤساء ومخلّفاً للتلامذة ولجميع من عرفه أجمل تذكار فنال من الثناء أعذبه ومن الشكر أطيبه . اي ولعمري ذهب الاكّار الصالح ولم تذهب آثاره . وغابت صورته ولم تغب محاسنه امتع الله روحه في جنّاته وأجزل له الأجر على حسناته

شذرات تاريخية من صحائف منسية

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

وصف جناب المحامي الاديب جرجي بك صفا في المشرق (١٦ | ١٩١٣ | : ٤٤٣–٤٤٥) بين مخطوطات مكتبته تاريخاً قديماً يرتقي عهدهُ الى زمن مؤلفهِ في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح او اوائل الرابع عشر والمرجح انهُ من خطهِ وعليهِ كتابة تشهد على انَّ الملك الظاهر بيبرس ابن ايبك طالع فيهِ. وقد نشر جناب البك بعض قطع منهُ . على انَّ هذا الكتاب كثير الفوائد التاريخيَّة التي لم نجد بعضها في غيرهِ فأحببنا ان نقتطف منهُ ما رأيناهُ جديراً بالاعتبار مما ورد هناك بين سنتي الاولى ٦٢٧ هـ (١٣٢١ م) والآخرة ٦٩٨ هـ ١٢٩٩ م). والكتاب اليوم في يد الوجيه المفضال احمد باشا تيمور نشير الى صفحاتهِ بالارقام الفرنجيَّة . . . حُكي

﴿ السنة ٦٢٧ هـ = ١٢٢٩ م ﴾ (٣ ع) قال: في غرَّة المحرَّم جلس محيي الدين ابو عبدالله بن فضلان في ديوان الموالي واستوفى الجزية من اهل الذمَّة فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيتهُ ويُكتب لهُ رَوْز وهو صاغر . فلقوا من ذلك شدَّة وكان ابو علي بن المسيحي رئيس الطب لهُ اختصاص ودخول الى دار الخليفة فأظهر المرض واعتذر وسأل ان تؤخذ جزيتهُ من يد ولدهِ فلم يُقبَل منهُ فحضر وادَّاها . ومضى ابن الشريح رأس مشيخة اليهود الى دارهِ ليلاً وسألهُ ان يأخذ الجزية منهُ فلم يلتفت اليهِ وقال (٣ ع) لهُ: لا بُدَّ ان تحضر نهاراً الى الديوان وتؤديها . وشدَّد في ذلك ولم يسامح احداً

﴿ السنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م ﴾ (٣ ع) وفيها توفي ابو عبدالله محمَّد بن يحيى بن فضلان . حُكيَ عنهُ ١) انَّهُ كتب الى الخليفة الناصر لدين الله لمَّا كان يتولَّى ديوان الموالي وقعة طويلة يقول فيها : « مذهب الشافعي رضي الله عنهُ يقضي انَّ المأخوذ من اهل الذمَّة اعني اليهود والنصارى في كل سنة أُجرةً عن سكناهم في دار السلم والارتفاق برافقها لا يتقدَّر في الشرع بمقدار مُعيَّن في طرف الزيادة ويتقدَّر

١) تروى هذا بحرفهِ ليرى القرَّاء كيف كان يُعامَل الذمِّيُّون وما أفتى فيهم ابن فضلان مع ما يُشمّ من كلامهِ من التعصُّب . على انَّ وصفهُ لاحوال النصارى يفيد كثيراً لمعرفة ترقيهم وتأوذهم مع ما كان يصيبهم من سوء المعاملة

في طرف النقصان بدينار فلا يؤخذ من احد منهم على الاطلاق اقل من دينار . ويجوز ان يؤخذ ما يزيد على الدينار الى المائة حسب امتداد اليد عليهم مهما أمكن . فان رأى أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يؤخذ منه فللآراء الشريفة عاوها في ذلك . وهذا لا يبقى عليهم لا في أحوالهم ولا في ذات ايديهم لان الغالب على الجميع التخفيف في القدر المأخوذ منهم وهم ضروب واقسام منهم من هو في خدمات الديوان وله المعيشة السنية (٢٤) غير تركة يده الممتدة الى اموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل . ولعل الواحد منهم ينفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة هذا مع ما لهم من الحرمة الزائدة والجاه القاطع والترقي على رقاب خواص المسلمين . وقد شاهد العبد (١) وغيره من الفقهاء الحاضرين بالمخزن لتناول البر المتقبل ان ابن حاجب قيصر (٢ اقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به واقعد مكانه ابن زطينا كاتب المخزن لمكان خدمته . وقد روي عن علي عليه السلام انه قال : « أمرنا ان لا نساويهم في المجلس ولا نشيع جنائزهم ولا نعود مرضاهم ولا نبدأهم بسلام » . وقد كان ابن مهدي استفتى العبد (١ وغيره في تولية ابن ساوي النظر بواسط فقال له العبد : لا يجوز ذلك . وذكر له قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابي موسى الاشعري وذلك انه عرض عليه حسبة عمل من الاعمال فاعجبته فقال : من كاتب هذه؟ . وكان عمر جالساً في المسجد . فقال له ابو موسى : رجل بباب المسجد . فقال عمر : ما باله لا يدخل المسجد أجنب هو ؟ قال : انما هو نصراني . فغضب عمر وقال : « أتقربونهم وقد أبعدهم الله وتأمنونهم وقد خونهم الله وترفعونهم وقد وضعهم الله لا يعمل لي هذا عملا في بلد من بلاد الاسلام »

« ثم ليس لهم في بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم في مدينة السلام فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربح الكثير

« ومنهم اصحاب المكاسب الجزيلة بتردادهم الى منازل الاعيان وارباب الاحوال ودخولهم على المتوجهين في الدولة والناس ويتحثاون فيما يعطون الطبيب زائداً

---

١) يريد ابن فضلان بالعبد نفسه

٢) كان من عمال النصارى كابن زطينا وابن ساوي الوارد ذكرها

(ع٢) على القدر المستحقّ وهو امر من قِبَل المروآت فلا ينفكّون عن الخلع السنية والدنانير الكثيرة والطُرَف في المواسم والفصول . مما يخطئون في المعالجات ويُفسدون الامزجة والابدان . ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشرة مسائل من مسائل حتّين وخمس قوائم من تذكرة الكحّالين وقد تقمّص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الاسواق والشوارع على دكّة حتى يُعرَف وبين يديه المكنّة والملحدان(١ يؤذي هذا في بدنه ويجرّب على ذا في عينه فيفتك من اول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكنّته مملوءة قراضة . فاذا عُرف بقعوده على الدكّة وصار له الزّبون قام يدور ويدخل الدور

* ومنهم أربابُ المعايش من العطارين والخلطين والكسّارين اصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة باموال التجار المسلمين واخذهم من الحجر بالمدّة وما يقفوا (يقفّون) في ميزان الذهب وميزان الارطال وما يغشّون في الحوائج ويدغلون

* ومنهم اصحاب الحرف والصناعات من الصاغة وغيرهم وما يتقلّبون فيه من الذهب والفضة ويسرقون الذهب ويجعلون عوضهُ المسّ (٢ ويعملونهُ ويسرقون الفضّة ويجعلون عوض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالها نارةً قارًا وغير ذلك

* ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقبيض . ومنهم الصيارف واحتجاجهم ببضاعة دار الضرب مع ما لهم من التبسّط في السّلطان واولاد المسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل اغراضهم في الفساد ورفاهية العيش والتلذّذ في المآكل والمشارب . ثم ما زالوا على اختلاف الزمان يؤخذون بالصّغار ولبس الغيار (ع٢) الذي اوجبهُ الشرع عليهم (٣

* وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الامصار ان يحملوا اهل الذمّة على جزّ نواصيهم وان يختموا اعناقهم بخواتيم من رصاص او حديد وان يركبوا على الأكف عَرْضاً وان يشدّوا الزنانير على اوساطهم ليتميّزوا بذلك عن المسلمين . وعلى ذلك جرى الامر في زمن الخلفاء الراشدين : وآخر من شدد عليهم المقتدي بامر الله

---

١) المكنّة كيس يُجمع فيه اجرة العمل اذ الملحدان فاعلهُ يريد بهما مساعديه
٢) المسّ هو النحاس ٣) الغيار لبس اهل الذمّة

المستنصر . . . وكان يتردد الى دار الوزير يشغل ولده عز الدين في الادب وصنّف كتاب مجمع البحرين في اللغة : وكتاب العباب الزاخر ودرّ اللباب الفاخر فانتهى منه الى فصل الباء في باب الميم وكتب بخطه « بكم » ولم يتمّه وتوفي فجأة

﴿ السنة ٦٥١ هـ = ١٢٥٣م ﴾ وفيها اعطى رجلٌ سائلاً في بعض اسواق بغداد ديناراً فقال السائلُ : اني اعرف هذا الدينار وانه فُقد مني في جملة دنانير . فسألهُ الرجل عن علامة ما فُقد منهُ فذكرها فقال : اني وجدتُ هذا منذ سنة وما زال عندي الى الآن ولم اجد احداً يذكرهُ فاخرجته لأتصدّق به عن صاحبه وهذا اول دينار اخرجتُ . ثم سلم الذهب الى السائل فاغناهُ عن السؤال . وقد ذكر ابن الحافظ النجار في تاريخه : ان رجلاً ضاع منه دُملج ذهب وزنه خمسون ديناراً ومضى عليه دهر طويل وافتقر الرجل وصار يبيع الزجاج في سلّة على راسه فعثر يوماً فسقط الزجاج وتكسّر فبكى واجتمع الناس عليه فقال : والله لقد ضاع مني مرّةً دملج ذهب وزنه خمسون مثقالاً فلم احزن عليه كحزني لهذه السلّة . فقال له رجل ممّن اجتمع عليه : انا وجدته ولكني اخرجتهُ . واعطاهُ خمسين مثقالاً ذهباً

﴿ السنة ٦٥٢ هـ = ١٢٥٤ ﴾ (99) في هذه السنة جرت بين اصحاب الشيخ عديّ بن مسافر واصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة كان سببها ان بدر الدين كان كثير التثقيل على اولاد الشيخ عديّ ويكلفهم مالاً على وجه المساعدة . فأطاقوا السنتهم فيه فارسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلهم قتالاً شديداً فانهزمت الاكراد البدوية وقُتل منهم جماعة كثيرة واسروا منهم جماعة فصلب بدر الدين منهم مائةً وذبح مائة وامر بتقطيع اعضاء اميرهم وتعليقها على ابواب الموصل وارسل مَن نبش الشيخ عدياً من ضريحه واحرق عظامهُ

﴿ السنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م ﴾ (108) وفيها توفي ابو الفضل بن ابي الخير ابن المسيحي الجاثليق ببغداد وولي بعدهُ مكيخا النصيبي وكان اديباً فاضلاً

﴿ السنة ٦٥٤ هـ = ١٢٥٦ م ﴾ (119) وهي سنة دخول المغول الى بغداد . قال : وضع السيف في اهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بانواع العذاب واستخراج الاموال بأليم العقاب مدّة اربعين يوماً فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلم يبقَ من اهل البلد ومَن التجى

اليهم من اهل السواد الاّ القليل ما عدا النصارى فانّهم عُيّن لهم شحانيّ حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلقٌ كثير من المسلمين فسلموا عندهم . . . وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلال . . . .

(119') عزّ الدين ابن ابي الحديد كاتب السلة (السكّة ؟) لم تطل ايّامه وتوفّي فرُتب عوضهُ ابن الحنّال النصرانيّ

(119v) وفيها تُقدّم للجاثليق (مكيخا) بسكنى دار علاء الدين الطبري الدويدار الكبير التي على شاطئ دجلة فسكنها ودقّ الناقوس على اعلاها واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة وعلى الرباط البشيري المجاور لها وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني

﴿ السنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦٠ م ﴾ (123') انفذ الملك الظاهر سنجر مملوك ابيه وعيّن له جماعة من العسكر فسار بهم الى الموصل . . . فلمّا بلغها مُنع عن دخولها ايّاماً فوثب محيي الدين ابن دبلاو (كذا؟) في طائفة من العوام وفتحوا له باب الجسر فدخل منهُ ووضع السيف في النصارى فقتل اكثرهم ونهب اموالهم . وبلغهُ انّ عسكر المغول واصل اليه فخرج ومعهُ الف فارس وسار نحو نصيبين فالتقى به عسكر المغول فقتلوهُ وقتلوا اكثر من معهُ . فلمّا بلغ السلطان هولاكوقان ذلك سيّر الامير سنداغوا الى الموصل

﴿ السنة ٦٦٠ هـ = ١٢٦١ م ﴾ (124') نزل سنداغوا على الموصل وحصرها . . . حتّى فتحها . . . . . ولما فرغ سنداغوا من فتح الموصل سار الى جزيرة ابن عمر ففتحها بأمان وقتل حاكمها واستعمل عليها رجلاً نصرانيّاً اسمهُ مَرْحَنيا ثمّ عاد الى السلطان

﴿ السنة ٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م ﴾ (125') فيها عُين رضي الدين المعروف بالبابا والياً بالموصل فدخلها وقبض الزكيّ الاربلي الذي كان واليها وطالبهُ بالبقايا التي ساقها الحساب عليه واستوفى منهُ معظمها ثمّ قتلهُ

(125v) وفيها قبض مَرْمكيخا الجاثليق على نصرانيّ من اهل بغداد قد أسلم فاعتقلهُ بداره المعروفة بالدويدار الكبير على شاطئ دجلة وعزم على تغريقه .

فبلغ العوام ذلك فاجتمعوا على سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال النصارى وحصروا الجاثليق واحرقوا باب داره (126r) وقاتلوا اصحابه . فنزل في سفينة وقصد دار صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فامر الكلحية بكف العوام وركب سوكال بجيش شحنة بغداد واخذ نفراً من العوام وقتل منهم وحبس جماعة فسكنت الفتنة . ثم ان الجاثليق توجه الى الاردو الاشرف وعاد على اربل وبنى بقلعتها بيعة ثم قدم بغداد واقام بها الى ان مات (سنة ٦٨٣هـ=١٢٨٤م) ورتب في منصبه مار دنحا الاربلي

﴿السنة ٦٦١هـ=١٢٦٢م﴾ (126r) فيها سار الملك الظاهر المعروف بالبندقدار الى بلاد الارمن واوقع باهلها ونهبهم واستباح اموالهم واكثر القتل والاسر فيهم خصوصاً اهل سيس واسر ابناً ليون (١ صغيراً وكان سبب ذلك ان ليون راسل البندقدار الملك مصر وهادنه على خراج مقرر يحمله اليه فعطله به هذه السنة . فلما عاد البندقدار اجتاز بانطاكية وحصرها وفتحها عنوة وقتل اهلها ونهب اموالهم وعاد الى بلاده . فارسل ليون الى البندقدار يسأله فداء ابنه فاجابه الى ذلك وقال : ان لنا اسيراً بيد المغول يعرف بسنقر الاشقر خلصه وأرسله الينا لنطلق ابنك . فسار الى عبودية السلطان اباقا وانهى ذلك اليه وسأله اطلاق سنقر فامر بتسليمه اليه فسيره الى البندقدار فاطلق ابنه . ثم ان ليون ارسل ابناً له كبيراً الى السلطان اباقا وذكر انه عجز عن الحركة وسأله ان يملك ابنه المذكور . فاجاب سؤاله واعاده اليه فاستقل بملك ابيه

﴿السنة ٦٦٥هـ=١٢٦٦م﴾ (127r — 127v) امر الصاحب علاء الدين صاحب الديوان بقتل ابن الحشكري النعماني الشاعر وسبب ذلك انه بلغه عنه انه يقول اشياء تنافي الشرع ويفضل شعره على القرآن المجيد ويقدم على ما لا يجوز ذكره . فعظم ذلك عليه . واتفق انحداره الى واسط فلما وصل النعمانية حضر ابن الحشكري عنده وانشده قصيدة يمدحه فيها فأذن الاذن فنصت الصاحب اليه فقال ابن الحشكري : يا مولانا اسمع شيئاً جديداً واعرض عن شيء له سنين . فثبت حينئذ عنده ما قيل

١) هكذا ورد هذا الاسم يريد « ليون » بن هيتوم ملك الارمن

عنهُ ..... فلمَّا ركب من الغد امر ابن سليط الاسدي ان ينفرد بهِ ويقتلهُ ... فقتلهُ واخذ فرسهُ وثيابهُ . (127ᵃ) وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانيَّة . كان شيخاً صالحاً ورعاً زاهداً حكى عن نفسهِ قال : كنت بمصر واتَّصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة (اي واقعة المغول) من القتل والنهب والفتك والاسر فأنكرتهُ بقلبي وقلت : يا ربِّ كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب لهُ ؟ فرأيت تلك الليلة في المنام رجلاً في يده كتاب فاخذتهُ منهُ فاذا فيهِ :

دع الاعتراض فما الامر لكْ ولا الحكمُ في حركات الفلكْ
ولا تسألِ الله عن فعلهِ فمن خاض لجَّة بحرٍ هلكْ

فاستغفرتُ الله تعالى وامسكتُ

﴿ السنة ٦٦٦ هـ = ١٢٦٧ م ﴾ (127ᵃ) وفيها وُلِّي على الموصل رجل نصرانيّ اسمهُ مسعود وهو من قرى اربل اسمها برقوطا وعُزل عنها البابا ورُتب معهُ شحنة من المغول اسمهُ اشموط

﴿ السنة ٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م ﴾ (132ᵃ) ذكروا لعلاء الدين صاحب الديوان انَّ بها (اي تستر) رجلاً يدَّعي النبوَّة وقد اتَّفق معهُ جماعة وقد نقَّص لهم من الفروض (132ᵃ) صلاة العصر وعشاء الآخر . فامر باحضارهِ وسألهُ عن هذه الحال فرآه ذكيًّا عارفاً ببعض العلوم فامر بقتلهِ فقُتل وسُلِّم الى العوام واخذ اكثر من كان قد اتَّبعهُ . وهذا كان صبيًّا من ابناء التجار اسمهُ كيّ اشتغل بحفظ القرآن والفقه والاشارات والنجوم وكان ينظم شعرًا بالفارسيَّة فادَّعى انهُ عيسى بن مريم وقال : «ان بلغتُ من العمر ثلاثاً وثلثين سنة تمَّ امري» ونظم شعرًا يتضمَّن ذلك فقُتل ولم يبلغ ما ذكرهُ من العمر

﴿ السنة ٦٧٥ هـ = ١٢٧٦ ﴾ (137ᵃ) في هذه السنة سار الملك الظاهر البندقدار بعساكرهِ الى بلاد الروم وغرضهُ قتل البروانه (حاجب التتر) فلمَّا عرف بمسيرهِ تحصَّن ببعض القلاع التي على ساحل البحر وخرج المغول الى لقاء البندقدار .. وقاتلوهُ فاستظهر عليهم ... ولمَّا عزم على العود (من قيساريَّة) نهب النصارى واخذ اموالهم وسبى ذراريهم ولم يقتل منهم احدًا ثمَّ رحل عائدًا الى بلادهِ واستصحب امَّ البروانه واولادهُ وحرمهُ .... (137ᵃ) .. سنة ٦٧٦ (فيها روايات عن موتهِ مسموماً)

﴿ السنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م ﴾ (١٣٩) وفيها أنهى مسعود البرقوطي والي الموصل واشموط الشحنة بها الى السلطان اباقا خان انهما ظُلما في المحاسبة على ضمان الموصل فامر بتحقيق ذلك. فلمّا عملوا حسابهما اثبتوا انّ البابا كان على الباطل ممّا اعتمده معهما وامر بقتله فقُتل وولّاهما الموصل واربل فعادا برأسهِ وطافا بهِ وعلّق على باب الجسر

﴿ السنة ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م ﴾ (١٤٠ — ١٤١) روى فيها خبر الشيخ عبد الرحمان النصّاب وتأثيرهُ في إسلام السلطان احمد خلف اباقا سلطان المغول (سنة ٦٨٢) ثمّ حرب السلطان احمد والسلطان ارغون وقتل احمد سنة (٦٨٣ ١٤٢)

وفي السنة ٦٨٢ توفّي عماد الدين زكريّا بن محمود القزويني قاضي واسط بها وحُمل الى بغداد ودُفن في الشونيزي وكان عالمًا فاضلًا صنّف كتابًا سمّاهُ عجائب المخلوقات وكان يكتب خطًّا جيدًا تولّى القضاء بالحلّة في سنة خمسين (وستمائة) ثم نُقل الى القضاء بواسط سنة ٦٥٢ واضيف اليهِ التدريس بمدرسة الشرابي فلم يزل على ذلك الى ان مات وكان حسن السيرة عفيفًا

﴿ السنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م ﴾ (١٤٣) وفيها اشتهر ببغداد عزّ الدولة ابن كمونة اليهودي صنّف كتابًا سمّاهُ الابحاث عن الملل الثلاث تعرّض فيهِ بذكر النبوات وقالها نعوذ الله من ذكرهِ. فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس دارهِ وقتلهِ فركب الامير تمسكاي شحنة العراق ومجد الدين ابن الاثير وجماعة الحكّام الى المدرسة المستنصريّة واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه الحال. وطلبوا ابن كمونة فاختفى. واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضي القضاة للصلاة فمنعهُ العوام فعاد الى المستنصريّة فخرج ابن الاثير ليسكّن العوام فأسمعوهُ اقبح الكلام ونسبوهُ الى التعصّب لابن كمونة والذبّ عنهُ. فامر الشحنة بالنداء في بغداد بالباكرة في غدٍ الى ظاهر السور لاحراق ابن كمونة فسكن العوام ولم يتجدّد بعد ذلك لهُ ذكر. واما ابن كمونة فانهُ وُضع في صندوق مجلد وحُمل الى الحلّة وكان ولدهُ كاتبًا فاقام اياماً وتوفّي هناك

﴿ السنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م ﴾ (١٤٤) وفيها اغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا ونهبوا وسبوا واخذوا اموال التجار من قيسارية الموصل وقتلوا كثيرًا من النصارى في اربل. ونهب الاكراد بلد البرازيج وباصيدى

وقتلوا جماعة من (156ᵛ) النصارى ونهبوا الاموال

﴿ السنة ٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م ﴾ وفيها توفيّ صفي الدولة سليمن بن الحمل النصرانيّ كاتب السله (السكة) ببغداد

﴿السنة ٦٩٠هـ=١٢٩١م﴾(161ᵛ)روى فيها مصادرة اليهود وقتلهم ونهبهم في بغداد وفي كل بلاد العراق . . وذكر من اعيانهم سعد الدولة وفخر الدولة الاخوين . ثم امين الدولة اخاهما الحاكم على الموصل

(163ᵛ — 166ᵛ) وفيها فتح الملك الاشرف صاحب مصر والشام لمدينة عكّة . . . قاتل من بها اربعين يوماً (برًّا وبحرًا) حتّى فتحها عنوةً وقتل في اهلها قتلاً عظيماً وسبي ذراريهم ونهب اموالهم ثمّ امر بهدمها فهُدمت حتّى عفّى آثارها والحقها بالارض ثمّ عاد الى دمشق فاقام بها شهرًا . . . (قصيدة لبعضهم في نحو ٥٠ بيتاً اوّلها :

الحمد لله ذلّت دولة الصّلُبِ وعزّ بالترك دين المصطفى العربي)

ثمّ ان الاشرف سيّر قائدًا يُعرف بالشجاعي في عشرين الف فارس الى صيداء وصور فنازل صيداء وفتحها وقتل من بها واخربها . ثمّ رحل الى صور فتلقّاهُ اهلها بالطاعة فدخلها واغلق ابوابها ووضع السيف فيهم وقتل الرجال وسبى الذراري واخربها وعاد الى الاشرف وهو بدمشق ولم يبقَ للفرنج في ساحل البحر حجر على حجر ثمّ عاد الاشرف الى مصر

﴿ السنة ٦٩٣ هـ = ١٢٩٤ م ﴾ (167ᵛ) وفيها توفي شمس الدولة ابن مخلد النصرانيّ كاتب السله (السكة) ببغداد . وفيها في الوباء ايضاً مات ابو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيفات وكان حاذقاً في علم الطب محمود العلاج وكأن الشاعر عناهُ بقوله :

كأنهُ من لطف افكارهِ يجول بين الدمّ واللحمِ
ان غضبت روح على جسمها الفّ بين الروح والجسمِ

﴿السنة ٦٩٤ هـ = ١٢٩٥ م ﴾ (168ᵛ) جلس السلطان غازان (ويروى غازان) على التخت في ذي الحجّة ودخل تبريز وصلّى في جامعها وامر بالزام اهل الذمّة الغيار فكانت علامة النصارى شدّ الزنّار في اوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم

فداموا على ذلك شهوراً ثمَّ أُزيل بمجرَّد تسلُّط العوامّ عليهم وطمع الجهّال فيهم . وتقدم السلطان باخذ دار علاء الدين الطبرسي (sic) الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بايديهم من حيث مُلكت بغداد وأُزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانيَّة واستُعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك وكان قد جعلهُ النصارى مدفناً لاكابرهم فأُزيلت القبور منهُ وصار محلًّا للوعظ

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل التاسع

التعاليم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة

اثبتنا في مقدَّمة ابحاثنا عن النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة انَّ العرب كانوا مشركين كبقيَّة الامم ما خلا الشعب الاسرائيلي وانَّهم عبدوا الاصنام قبل التاريخ المسيحي وفي القرون الاولى بعدهُ وان اختلف شركهم بعض الاختلاف في جنوب جزيرتهم وشمالها وغربها

امَّا الآثار المتأخرة الباقية من القرن السادس واوائل السابع المسيح فعلى خلاف ذلك فانَّها الى التوحيد اقربُ منها الى الشرك بل لا تكاد تجد في الشعر الجاهليّ المجموع في ذلك العهد اثرًا للشرك اللهمَّ الَّا بقايا قليلة لا يُعبأ بها

وعندنا انَّ هذا الانقلاب انَّما كان سببهُ شيوع النصرانيَّة في ظهراني العرب كما بيَّنَّا ذلك بالشواهد المتعدِّدة في القسم الاوَّل من كتابنا . واذا تقصَّينا البحث في ما

خلّفوه من الآثار وجدنا فيها من المبادئ الفلسفيّة والتعاليم اللاهوتيّة ما هو دليل لامع على قولنا

الفلسفة النصرانية في عرب الجاهلية

ليس احدٌ من قرّائنا ينتظر منّا ان نعدّد لهُ ما وضعهُ نصارى العرب في الجاهليّة من التآليف الفلسفيّة فانّ اهل الجزيرة قبل الاسلام وبعده لم يشتهروا مطلقاً في النظريّات اذ كان همّهم الاعظم ان يعيشوا في مواطنهم عيشةً فطريّة لا يزعجها ضنك الفكر ولا يخالطها التعمّق في غوامض الكون . وان قيل لنا ألا تحصي بين كبار فلاسفة العرب الرئيس ابن سينا والفارابيّ وابن رشد اجبنا انّهم اعاجم ليسوا عرباً . وان وُجد بينهم افراد احرزوا لهم ذكرًا في ذلك كالكندي فانّهُ من باب الشذوذ

لكنّ الفلسفة لا تظهر فقط في المؤلّفات النظريّة بل ربّما ظهرت في مطاوي الكلام نثره ونظمه حيث تلوح المبادئ التي يجري المرء بموجبها ويرتشد بنورها وذلك خصوصاً في فروعها الثلثة اعني بها علم الاله ثمّ علم النفس ثمّ علم الآداب والحقوق وكل ذلك متوفر في آثار الجاهليّة كما سترى

﴿ ١ علم الاله الحقّ ﴾ يُثبت الفيلسوف بالبراهين العقليّة وجود الله ووحدانيّتهُ وخلقهُ للعالم وصفاتهِ الحسنى من قداسة وحكمة وعلم وقدرة وعدل وعناية بالمخلوقات وهذا كلّهُ تجدهُ في شعراء الجاهليّة الذين روينا اقوالهم في القسم الثاني (ص١٥٨ — ١٦٢) كقول زيد بن عمرو :

الى الله أهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رصيناً لا بني الدهرِ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقهُ إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمّ ربًّا فلن أرى ادينُ الهًا غيرك الله ثانيا

وكقول قس بن ساعدة خطيب العرب :

الحمدُ لله الذي لم يخلقِ الخلقَ عبثْ

وكقول ورقة بن نوفل :

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرى ادينُ لمن لا يسمع الدهرَ واعيا
اقول إذا صلّيتُ في كل بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتُ باسمك داعيا

وكقول عبد القيس بن الخفاف (المفضليات ص ٧٥٠ Lyall . ed):

الله فاتقِ وأوف نذره واذا حلفت محارباً فتحلّلِ

وكقول طرفة (شعراء النصرانيّة ٣١٩):

لتُنقَبَنْ منّي اليه انّ م الله ليس لحكمهِ حكمُ

وكقول سويد بن ابي كاهل :

انّما يرفع اللهُ ومن شاء وضعْ

وكقول حاتم الطائي :

كلوا اليوم رزق الإله وأيسروا فانّ على الرحمن رزقكم غدا

واقوال كثيرة لاميّة بن ابي الصلت ولا سيّما داليّته العجيبة التي اوّلها :

لك الحمدُ والنعماء والفضلُ ربّنا فلا شيء اعلى منك حمداً وامجدُ

وفيها يقول :

هو الله باري الخلق والخلقُ كلهُ إماءٌ له طوعاً جميعاً واعبدُ

أُعجب بها نبيُّ الاسلام فقال لما سمعها من الشريد بن سويد : لقد كاد اميّة ان يُسلم بشعره (اطلب حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٩٥)

فهذه واقوال غيرها كثيرة تثبت انّ العرب في الجاهليّة عرفوا الاله الحقيقي ولا شكّ بانّ هذه المعرفة اتتهم من مبشّرين نصارى سبق لنا ذكرهم في تاريخ النصرانيّة بين العرب (القسم الاوّل)

﴿ ٢ علم النفس ﴾ كان لقدماء العرب قبل ان يستنيروا بنور الانجيل اراء باطلة في النفس واصلها ومصيرها فيهيمون بزاعمهم في كل وادٍ . فلمّا هداهم الله الى الحقّ عدلوا الى ما هو اقرب الى الصواب فأقرّوا بخلود النفس وحرّضوا على تُقى الله وممارسة الاعمال الصالحة واشاروا الى ما ينتظر النفسَ من الحساب يوم الدين فتجازى عن اعمالها ثواباً او عقاباً . وهذا كلّهُ مجمل ما يُستفاد من التعاليم الفلسفيّة . فدونك بعض الشواهد على قولنا . اوردنا في شعر عديّ بن زيد (ص ٢٥١) ما قال في تصوير الله للانسان ونفخهِ فيهِ من روحهِ . ولطرفة قولهُ في عقل الانسان (شعراء النصرانيّة ص٣١٧) وما خصّ بهِ من الادراك :

لنفق عقلٌ يعيشُ به حيث تهدي ساقهُ قدمُهُ

وقد ميّزوا بين الروح الخالدة والجسد الفاني كقول ذي الرمة مستغيثاً :

يا نازعَ الروحِ من جسمي اذا قُبضَتْ وفارج الكَرْب أنقذني من النارِ

واشاروا الى وقوف النفس امام الديّان وادائها الحساب عن اعمالها والى جزائها خيرًا او شرًا على موجب سلوكها . قال الحارث بن عبّاد (شعراء النصرانيّة ٣٧٠) :

كلُّ شيءٍ مصيرُهُ للزوالِ غيرَ ربي وصالحِ الاعمال

وقال مرّة بن ذُهل في مراقبة الله لاعمال البشر (فيه ص ٢٤٨) :

اللهُ للأقوام بالمرصادِ

وقال طرفة (فيه ٣١٧) :

وكيف يرجّي المرءُ دهرًا مخلّدًا واعمالهُ عمَّ قليلٍ تغالبهْ

وقال اميّة بن ابي الصلت (القسم الاوّل ص ١٦٨) :

يوقف الناس للحساب جميعًا فشقيٌّ معذّبٌ وسعيدُ

وقال عديّ بن زيد :

أعاذلَ من تُكتَبْ لهُ النارُ يلقَها كفاحًا ومَنْ يُكتَبْ لهُ الفوزُ يسعَدِ

ومثلهُ لزهير في معلقته :

فلا تكتُمُنّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتمِ اللهَ يعلمِ
يؤخّر فيوضع في كتابٍ فيُدّخرْ ليوم الحساب او يعجّلْ فينقمِ

وللبيد ايضاً :

وكلُّ امرئٍ يومًا سيعلمُ سعيهُ اذا كُشفَت عند الالهِ المحاصلُ

وكأنّ حاتمًا الطائي (شعراء النصرانيّة ١٢١) نظم آية الكتاب «من يُعطِ الفقير يقرض الربّ» بقوله :

ولكنّما يبغي به اللهَ وحدَهُ فأعطِ فقد أربحتَ في البيعة الكسبا

واقوال عديدة مثلها تنطق بمعرفتهم لاحوال النفس والماد . وقد ذكرنا سابقاً

(ص ٣٢) كيف ردَّ العلّامة اوريجانس بعض المبتدعين من العرب عن ضلال سقطوا به في امر النفس اذ زعموا انها تفنى كالجسد ثمَّ تُبعث معهُ في الدينونة

(٣ علم الآداب والحقوق) مرجع هذا العلم أن يُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ مع مراعاة الاحوال والمقامات من رؤساء ومرؤوسين وافراد وجماعات الخ . وبديهيٌّ ان احوال اهل البادية تختلف عن احوال سكّان المدن وسُنَنهم عن سُنَنهم . ولشعراء الجاهليّة تأييدًا لهذه المبادئ الصحيحة اقوال لا تُحصى جمعها القدماء فنحيل اليها . منها حماسة البحتري الذي نشرناه منذ عهد قريب . قسمهُ جامعهُ على ١٧٩ باباً تتناول معظم الآداب والاخلاق التي يتباحث بها الفلاسفة فيثبتون وجوبها وقوانينها وفقاً لتعاليم العقل واحكامه المصيبة . انظر مثلاً ما يقولهُ الاقوهُ الاوديّ في النظام السياسي وحكم ارباب الامر (شعراء النصرانيّة ص ٧٠) :

لا يصلح الناس فوضى لا سَراةَ لهم ... ولا سراة اذا جهّالهم سادوا
تُهدى الامورُ باهل الرأي ما صَلَحَتْ ... فان تولّت فبالاشرار تنقادُ
اذا تولّى سراةُ الناس امرَهمُ ... نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا

وهذا النابغة الذبياني يعزو الى الله سلطة الملوك حيث يقول للملك النعمان (شعراء النصرانيّة ١٥٦) :

ألم ترَ انَّ الله أعطاك سُورةً ... ترى كل مَلكٍ دونها يتذبذبُ

وكلُّ اديبٍ يعرف خاتمة معلّقة زُهير وما في ابياتها الاخيرة من الحكم المبنيّة على علم الاخلاق والآداب الاجتماعيّة . ومثلها في معلّقة الحارث بن الحلّزة . ولطرفة يطالب بحقوق امّه وردة (شعراء النصرانيّة ٢٩٨) :

ما تنظرونَ بحقِّ وردةَ فيكمُ ... صَغُر البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يبعثُ الامرَ الظليمَ صغيرُهُ ... حتى تظلَّ لهُ الدماء تصبَّبُ
قد يوردُ الظلمُ المبينُ آجنًا ... ملحًا يُخالَطُ بالدعافر ويُشْرَبُ
والاثمُ داءٌ ليس يُرجى بُرؤهُ ... والبرءُ بُرءٌ ليس فيهِ معتَبُ
أدُّوا الحقوقَ تُغفرْ لكم أعراضُكمُ ... انَّ الكريمَ اذا يُعرَّبْ يغضَبُ

فهذه كلُّها اقوال من الفلسفة العقليّة ابرزها عرب الجاهليّة في صورةٍ شعريّة

٢ التعاليم اللاهوتيّة بين نصارى الجاهليّة

اللاهوت كما هو معلوم اساسهُ الوحي سواء كان مدوَّنًا في الاسفار المقدّسة ام

شائعاً بتعليم الكنيسة . وقد عرف نصارى العرب الوحي وكتبهُ وانبئتهُ الانبياء والرسل كما اثبتنا ذلك في الفصول السابقة (ص ١٧٩ — ١٩٠) . مثل قول الراهب ورقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من الله وحيٌ يشرحُ الصدرَ منزلُ

وقد ورد هناك ذكر التوراة والزبور والانجيل وبعض الانبياء والرسل كموسى وداود وسليمان ويونان . ومما اخذوهُ عن الوحي معلومات عديدة عن الله جلّ جلالهُ كتوحيدهِ وصفاتهِ العاليّة . فانَّ منها ما يُستدلّ عليهِ بالوحي اكثر من القياس النظريّ والبرهان العقليّ . فايُّ فيلسوف مثلاً وصفهُ تعالى كما فعل امية بن ابي الصلت حيث قال :

لك الحمدُ والنعماء والملكُ ربَّنا فلا شيءَ اعلى منك مجداً واحمدُ
مليكٌ على عرشِ السماء مُهيمنٌ لعزّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجدُ
عليهِ حجابُ النور والنور حولهُ وانوارُ نورٍ حولهُ تتوقّدُ
مليك السماوات الشداد وارضها وليس لشيءٍ عن قضاه تأوّدُ الخ

وهو الوحي قد انبأهم بوجود الملائكة واوقفهم على مقامهم وجوهرهم وخدمتهم امام الله وطبقاتهم فذكروا منهم باسمائهم جبرائيل وميكائيل ومن طبقاتهم السرافيل (الساروفيم) والكروبيّة (الكروبيم) والملائكة الحرّاس (راجع الصفحة ١٦٤ — ١٦٧)

وقد افادهم الوحي تكوين الله للعالم من العدم وابداعهُ للكائنات جمادها ونباتها وحيوانها ثمَّ خلقهُ للابوين الاوّلين ووضعهُ لهما في جنّة عدن ثم سقوطهما بتجربة ابليس ونفيهما من الفردوس ثم ما جرى لهما ولنسلهما ولا سيما بوقوع الطوفان . فكلُّ هذه الامور التي اثبتناها بالنصوص المتعدّدة لم يعرفها العرب الّا بواسطة الوحي (راجع الصفحة ٢٥٤ — ٢٦٦)

ومن الوحي استفاد العرب ايضاً معرفة امور الآخرة كالنعيم في السماء للابرار والجحيم في جهنّم للاشرار وبعث الاجساد في آخر العالم . وقد اتينا على كلّ ذلك بشواهد متعدّدة لا تبقي في الامر ريباً (اطلب الصفحة ١٦٣ — ١٦٤ و١٦٧ — ١٧٠)

ومما توفّق العرب الى معرفته بفضل الوحي سرُّ بشارة الملاك جبرئيل لمريم العذراء

وبقاء مريم على بتوليّتها مع ولادة ابنها . وعرفوا السيّد المسيح ورسالته الى العالم وما اتاهُ من المعجزات واختيارهُ لرسله الحواريين ودعوهُ بأبيل الأبيلين المسيح بن مريا ، وانهُ هو الذي سيدين الاحياء والاموات (ص ١٨٦ — ١٩٠) وذكروا السابق امام وجهه يوحنّا المعمدان ودعوهُ يحيى

وقد عظّم عرب الجاهليّة تعليم المسيح ونعتوا دينهُ بالدين القويم كما قال النابغة عن نصارى غسّان :

مجلّتهم ذاتُ الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقب

وقد عرف العرب كنيسة المسيح وما فيها من رؤساء كالبطاركة والاساقفة والقسوس والشمامسة ولا سيّما الرهبان والنسّاك (ص ١٩٠ — ٢٠١)

وكذلك اطّلعوا على اسرار الكنيسة كالعموديّة والقربان والقدّاس وعلى اعيادها كالسبّار (البشارة) والدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) والفصح والسلّاق (الصعود) (ص ٢٠٨ — ٢١٠ — ثمّ ٢١٤ — ٢١٨)

وعرفوا مناسك النصرانيّة وكنائسها وهياكلها وما تزان به من النقوش والصور وخصوصاً الصليب فحلفوا به كقول عديّ بن زيد :

حمى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربّ مكّة والصليب

وقد حلف الآخر بالقربان ودعاهُ الشبّر

الحمد لله الذي أعطى الشبّر

ومثلهُ عديّ :

اذ أتاني خبرٌ من مُنذم لم أُخنهُ والذي أعطى الشبّر

وحلف الاعشى بالرهبان الساجدين وبالناقوس فقال :

اني وربّ الساجدين عشيّة وما صكّ ناقوسَ النصارى ايلُها
أصالحكم حتّى تبوّؤا بخالها كصرخة حُبلى اسلمتها قبيلُها

فهذه كلّها ادلّة اوضح من النور تبيّن ما كان للتعاليم اللاهوتيّة من النفوذ بين نصارى العرب استخلصناها من الشعر الجاهليّ فقط وهي احسن برهان على نفوذ الآداب النصرانيّة بينهم (له بقيّة)

النقابات والإضراب

بحث اجتماعي بقلم الاديب الشيخ ادوار الدحداح (تتمة)

بحث ثانٍ عن الاضراب

قصرنا بحثنا في العدد الماضي من المشرق على النقابات ونتناول اليوم الكلام عن الإضراب . والنقابات والاضراب أداتان تسيران جنباً الى جنب يرجع اليهما العمّال للسهر على حقوقهم وصيانة مصالحهم . فالأولى منهما اداة للجهاد السلمي والثانية اداة للجهاد العملي . والواحدة تستخدم لتنظيم حركة العمّال والاخرى لتدفع بهم الى العراك

وليست النقابات ضربةً لازب لوجود الاضراب ولكنها تسهّله اذ يكون العمّال اجمع كلمةً واشدّ تضامناً واقوى ساعداً . وقد دلّت الاحصاءات ان السنين التي كثر فيها عدد النقابات لم تكن بالسنين التي ازداد فيها عدد الإضراب ازدياداً يعادل وفرة شيوع النقابات

والإضراب او الاعتصاب إجماعٌ كلّي او جزئي من عمّال الحرفة الواحدة او المعهد الواحد على الامتناع من اداء ما أُوكلوا عليه من الاعمال . ويرمون بذلك الى تعطيل الاشغال والحاق الخسارة بصاحب المال على امل ان يرضخ لمشيئتهم ويستجيب مطالبهم كأن يقلّل ساعات يوميتهم او يخفض شيئاً من اعباء اشغالهم او يزيد اجورهم او يُدخل بعض التعديل على مصنعهم الى غير ذلك

وللاضراب قواعد معيّنة لا يجوز العبث بها . على أنّ من المضربين مَنْ عبث بهذه القواعد تحت تأثير الشاغبين والمحرّضين فشذّ عن جادّة الحق واغفل مصلحته الحقيقية وتجاوز بالاضراب حدود العدل اعني بها صيانة حقوق العمّال وجعله سلاحاً لمحاربة الحكومات وعرقلة سير القوانين والاحتجاج على برامج الدولة وتعكير صفاء النظام كما سنبيّن ذلك فيما بعد .

١ تاريخ الاضراب

الاضراب كالنقابات كان محظوراً من الحكومات الى عهد قريب فلم يكن للعامل قبل منتصف القرن التاسع عشر ان يعمد الى الاضراب او يتوسل الى تعطيل الاعمال . فقد كان معدوم الشخصية المستقلة محروم الحرية الفردية في العمل مدفوعاً بمشيئة ارباب الصناعة شأن رفاقه الذين تضمهم جمعيات « طوائف الحرف » المتقدمة الذكر

وقد رأت الحكومات وسائر السلطات صوابية الاضراب والاعتراف به ضمن شرائط محدودة لا يجوز تخطيها حتى في اوضح الحقوق والّا استهدف المضربون لطائلة القانون الادبي والمادي . والحجة في إباحة الإضراب قائمة على مبدإ الحرية الفردية فكما انهُ يجوز للرجل الواحد ان يقعد عن الكدح لرزقه بمجرَّد ارادته دون ان يقع مادياً تحت طائلة القانون يجوز لرهط الرجال ان يحذوا حذوه

ولم يكن الاضراب قبل السماح به على الرغم من تحريمه تحريماً عنيفاً مجهولاً لدى عالم العمّال . فانهم ما فتئوا يلجأون اليه في كل عصر بين آونة وأخرى . على أنَّ من استقصى حركة العمال وراقب احوالهم النفسية من الزمن السابق الى أيامنا الحاضرة ادرك تمام الإدراك ان منع الحكومات للإضراب لم يكن بالسبب الكافي لتلافي وقوعه وَدَرْءِ ضيمه بل ان وازعاً دينياً كان افعلَ بالنفوس من وسائل الشدَّة وهو الذي كان يوحي السكينة ويحبب القناعة ويدفع بصاحب المال الى انصاف اجيره

كانت الاهواء المختلفة والمصالح المتباينة اذا ما طوَّحت بالعامل وبصاحب المال وفرَّقتهما الى حين لا تلبث ان تقرّب بينهما عاطفة الدين ويجمعهما رادع الضمير . اما اليوم فقد تسممت الافكار وتبدَّلت الحال ولم يبقَ بين فريق من الصنَّاع والاولياء إلّا هوَّة سحيقة مملوءَة بالضغائن والاحقاد . قال غوستاف ليبون في كتابه روح السياسة :

« اصبحنا اليوم اذ زالت من الصدور عاطفتا الايمان والشعور الحي فلم يبقَ الّا الكراهية الوراثيَّة التي يشعر بها الفقير نحو الغني . ان العامل بعد ان فقد الايمان وتملص شيئاً فشيئاً من قيود الاجتماع ازداد تبجُّحاً وعدواناً وبات يعدّ الإنسانية بظلم فاحش يعون عنده ظلم اشد الجبابرة وطأةً »

٢ شروط الاضراب

الاضراب من حقّ العمّال والسماح به من دواعي الحرّية الفرديّة . ولكن أيجوز الأخذ بهذا الرأي على الاطلاق؟ . فاذا حدّدنا الحرية الفردية بانها تنتهي حيث تتعارض مع مصالح الغير اتّضح لنا ان العامل لم يَعُدْ مستقلًا بادارة شؤونه استقلالًا تامًّا نظرًا للتضامن الاقتصادي السائد في العالم وانه لا يُكتسب حقّ الإضراب الّا عند الضرورة القصوى . كما ان المرء الذي يتنزّل عن حقّه للحكومة لتسهر على راحته وصيانة حياته لهُ ان يسترجع هذا الحق ويستخدمه بنفسه في حالة الدفاع الشرعي

ويجمل بنا ان لا نُنجي باللائمة الكبرى على العمّال اذا افرطوا في الاضراب بل نلوم الحكومات التي تشاطرهم المسئوليّة لانها اهملت الامر ولم تُعِرْهُ الالتفات الكافي فقد كان يجدر بها ان تنشئ معاهد او تقيم محاكم ذات سلطة كافية تضمن لها تنفيذ قراراتها ليُرجَع اليها عند وقوع خلاف بين العمال وارباب المال

وليس من يجهل ان القوة كانت قبل تأسيس المحاكم الحكم الوحيد في فصل الخلاف وان هذه الشريعة لا يزال معمولًا بها عند الدول . فهي لا تنفكّ عن ان تتطاحن وتتقاتل حتى يُضمَن لها الفوز الحقّ . واذا تعذّر على الدول اقامة محكمة قويّة لفضّ الخلاف بينها فهل تعجز عن انشاء مثل هذه المحاكم داخل بلادها لتعطي كل ذي حقٍّ حقَّهُ بدون الالتجاء الى القوة وتعكير صفاء النظام ؟

تنحّت الحكومات عن الحيال دون الاضراب بالوسيلة المتقدمة ولكنها قيّدتهُ بقيود تتّفق مع مهمّتها من حفظ النظام وصيانة الحقوق والسهر على راحة العباد . ومما اشترطتهُ على الضربين ان لا يعمدوا الى وسائل العنف والشدّة وان يرغبوا عن الإضرار بصاحب المال كهدم مصنعه او تخريب العُدَد والآلات او الايقاع به . وتقدّمت اليهم ان يلزموا حدود السكينة ويبتعدوا عن المشاغبة والضوضاء وان لا يعوّقوا بالقوة والتهديد استئناف الاعمال من الزملاء الغير كافين . وتركت لهم الخيار في ان ينصحوا لهؤلاء بالحسنى وإلّا فهي تضطرّ الى التداخل بقوة الجند ومقابلة العنف بالعنف

لم ترُقْ هذه الشروط في اعين فريق من العمّال وهم العمّال الثوريون وعدّوها تسامحاً من الحكومات وممالأةً منها لاصحاب المال وارباب الصنّاع وإجحافاً بحقوقهم فنشروا الدعوة ضد الدولة ونقموا على هذا النظام الحالي ورغبوا في ان يقلبوه رأساً على عَقِب . وناوأوا الوطن ونبذوهُ . ودأبوا في اضرام نار الثورة في الجيش وحبّبوا الى الجنديّ العصيان على قوّاده وعدم اطاعة اوامر ضبّاطه

وان ما نذكره من هـذا القبيل التمرّد الذي وقع بين الجنود في ١٨ ايار سنة ١٩١٣ في معسكرات تول وبَلفور ومساكون ورودز . وقد اقتصّت الحكومة الفرنسية اقتصاصاً شديداً من بعض اعضاء نقابة العمل العامة لاشتراكهم في الفتن

وهناك فريق آخر من العمّال يختلف خطّةً ومبدأً عن زملائه المتقدّمين يعرف بالعمّال المسيحيين . وهذا الفريق اكثر رشداً واشدّ حكمةً واقرب للاعتدال وابعد عن التطرّف . وهم لا يعمدون الى الإضراب الّا بعد امعان الفكر وإعمال الرويّة

ومابرحت الكنيسة تهتمّ بامر هذا الفريق المسالم فتُصدقهُ النصيحة وتبذل نحوه العناية حتى يكون قدوةً حسنة لسائر الزملاء . وكان قداسة البابا لاون الثالث عشر وقداسة البابا بيوس العاشر من اكثر الباباوات عنايةً بهم . وقد تضيق الصحائف الواسعة عن حصر ما وضعا من المبادئ الكريمة ورسما من الخطط الحميدة التي تتفق مع صالح العمال وتراعي جانب الدين . ولشيافة الكردينال برون الانكليزي مواقف مشهورة يؤيّد فيها الإضراب ويناصر العمّال ضمن القوانين المشروعة . ويتلخص برنامج العمال المسيحيين في نبذةٍ نقتطفها من خطاب للاب رونان القاه في نادي الاسبوع الاشتراكي في ڤرسايل قال :

« للاقرار بشرعيّة الاضراب لا نحتم سوى بشرطين :

الاول . ان تكون المطالب معقولة اي قائمة على اساس جوهريّ لا بدّ منه لضمان عيشة رضيّة او لتلافي وقوع حيف فاضح يختص بمدة العمل او بالحرص على امور صحيّة مادّية وادبيّة . وان لم يكن هذا او ذاك فلا اقل من ان تبرّر الاضراب حالُ الصناعة الاقتصادية .

والثاني . ان يبرهن العمال على انهم افرغوا جميع الوسائل المؤدية الى التوفيق وحسم الخلاف . فاذا تحقّق الشرطان المتقدّمان ووقع الاضراب وقضت الحال إقصاء العمّال الغرباء عن الحلول محل المضربين فاننا لا ننكر سوى التوسّل بوسائل الحيف والعنف »

وهذه شريعة لا يدينُ بها العمال الثوريون وهم يستبيحون جميع الطرق لإنجاح

ما عليهم . وبينا نرى ان العمال المسيحيين يبتعدون عن السياسة ولا يضربون الا عند المسائل التي تمس حالتهم الاقتصادية مباشرة نرى ان الثوريين منهم يدخلون الاضراب في جميع أطوار الحياة من اقتصادية وسياسية

وقد أضرب العمال الثوريون وقاموا بمظاهرات عديدة عنيفة عندما سنت الحكومة الفرنسوية قانون الثلاث سنوات للخدمة العسكرية

ولما اشتعلت حرب البلقان الاولى وخيف من امتدادها الى سائر اوروبا اضرب فريق منهم في جميع بلدان القارة الاوربية وساروا بمظاهرات كبيرة حاملين الاعلام الثورية وكان مكتوب على بعضها : « اننا نقابل اعلان الحرب بالاضراب العام . الثورة ولا الحرب »

ولما قام المعدنون الانكليز باضرابهم المشهور في اول اذار ١٩١٢ احبَّ العمال الالمان ان يشدّوا أزر زملائهم الانكليز فاصدروا امرًا بالاضراب العام لمعدّني حوض الرور في المانيا . ولولا تخلّف العمّال المسيحيين عن تلبية الدعوة لكان ذلك الاضراب عاد بأوخم العواقب على العالم . وقد حملت الجرائد الاشتراكيّة والثوريّة على العمال المسيحيين حملات عنيفة ورمتهم بالجُبن والمروق . فقام الهرّ ستيجروَلد السكرتير العام لاتحاد النقابات المسيحية الالمانية يدفع هذه الفريّة . ومما قاله :

« ان النقابات المسيحية تعدّ الاضراب اول وسيلة للجهاد الاقتصادي فقط وهي ترى انهُ لا يجوز الالتجاء اليهِ الّا حيث لا تبقى مندوحة عنهُ بسواهُ . أمّا النقابات الاشتراكية فانها لا تقصرهُ على الجهاد الاقتصادي بل تعتبرهُ ايضًا اداة النضال السياسي وتريد ان تستخدمهُ في سبيل مظاهرات دولية »

٣ آفة الاضراب

قال المسيو لروا بوليو : « لا يجمل بالعمال ان يعمدوا الى الاضراب مكررًا لانهُ يصعب عليهم ان يستعيضوا من نتيجتهِ وان سدّت ما خسروه في خلاله . وكم من حق يُؤثر الحكيم اغفالهُ على التشبُّث به ترجيحاً لمصلحتهِ »

لم ينفرد المسيو لروا بوليو بهذه النصيحة بل اجمع رجال الاقتصاد على تأييدها ضنًّا بمصلحة العامل وحرصاً على منفعتهِ . وخير للعمّال ان يعتصموا بالتوفيق (المصالحة) كلّما دعت الحال فان هذه الخطة اخفُّ مؤونةً واسلم عاقبةً . وقد عُني الاقتصاديون

بحصر الإضراب وتفرّغوا لدرس عواقبه فاتفقوا على انها تعود بأوخم النتائج على العمّال بقطع النظر عن الأضرار الاقتصادية التي تصيب العالم . ومما دلّهم عليه اختبارهم انه لا بدّ لكل إضراب من ان ينتهي باحد هذه الحاول الثلاثة : فاما فوز واما توفيق واما إخفاق . ولبيان ذلك نورد في بحثنا كشفاً عن احصائيات الاضراب ونتائجه :

كشف مكتب العمل الفرنسوي عن الاضراب

من سنة ١٨٩٧ — ١٩٠٦

اضرب اثناء هذه المدة ١،٨٨٤،٩٧٨ عاملاً وكانت نسبة الذين فازوا منهم بطالبهم ١٢ في المائة . والذين انتهوا بالتوفيق بينهم وبين ارباب المصانع ٦٢ ٪ والذين اخفقوا اخفاقاً تاماً ٢٦ ٪

واذا اعتبرنا النسبة المئوية المذكورة نسبةً لعدد الاضرابات لا لعدد المضربين كانت :

٣٢ ٪	فوز
٣٩ ٪	توفيق
٣٨ ٪	اخفاق

واحدث الاحصائيات التي لدينا احصائية سنة ١٩١١ عن فرنسة . ومتوسط الفوز والتوفيق والاخفاق كما يأتي :

النتيجة	الاضراب	المضربون
فوز	١٧,٧٥ ٪	٩,٠٦ ٪
توفيق	٣٥,٩٢ ٪	٣٦,٢٥ ٪
اخفاق	٤٦,٣٣ ٪	٥٤,٨٦ ٪

احصائية سنة ١٩١٢ عن المانيا ومتوسط النتيجة كما يأتي :

النتيجة	الاضراب
فوز	١٦,٥ ٪
توفيق	٣٩,٩ ٪
اخفاق	٤٣,٦ ٪

ولا تختلف احصائيات سائر الممالك عمّا تقدم

ولتفهم الخسارة التي قد تقع مباشرةً بالعامل نقتبس المثل الذي اورده المسيو لوروا بوليو الاقتصادي الفرنسي الشهير قال :

« لو فرضنا ان إضراباً استمرَّ شهرًا واضاع العامل فيه ثمانية في المائة من أجرة سنته وقدرنا خاتمة الاضراب — هذا اذا حَسُنت — اكسبت العامل خمسة في المائة علاوة على جعله فان يسترد ما فقده من الفرق الا بعد تسعة عشر شهرًا » فتأمل!

ومن آفات الإضراب ان صاحب المصنع قد يستغني احياناً عن العملة اقتصاصاً منهم وتنكيلاً بهم فيستبدلهم باستخدام الآلات التي لا تطلب الّا نفرًا قليلاً لتحريكها فيقعدون عاطلين عن تحصيل الرزق مستسلمين لتجرّع غصص الفاقة والضنك . فليس بخافٍ على احد ما في ذلك من جرّ البلاء على صاحب العيلة وعياله اذا كان معيلاً . وقد حدث مثل هذا في مصر عند ما اضرب عمّال السجاير لبضعة شهور ظلّت واشتطّوا في مطالبهم

ومن آفة الاضراب ايضاً ان يوافق وقت كساد في السوق او بوار في تجارة المصنع فيؤثر رب المال الاستغناء عن عمّاله وتوفير النفقات الطائلة على ان يستجيب مطالبهم ويتكبّد خسارة فوق خسارة . ولا بدّ للمُضربين ان يرقبوا سير الحركة التجارية وحظها من الرواج قبل ان يُقدموا على تعطيل الاعمال وترك الاشغال حتى في اوضح الحقوق جلاء . فشرّ واحد اهون من شرّين

وقد رأى العمال من الحكمة ان يفاجئوا الاضراب مفاجأة ولا يدعوا اصاحب المال وقتاً يُعدُّ فيه عدّتهُ ويستعدّ لمقابلة اضراب المضربين بما قد يعود عليهم بالفشل . كأن يستحضر عمّالاً جددًا او يعالج لشغالهُ بحيث لا تتأثر من الاضراب اذا طال مدة ما . ومن المعلوم ان صاحب المال اقدر على الصبر من العامل الذي تضطرُّهُ الفاقة الى العودة الى العمل باسرع ما يمكن

٤ واجب الحكومة وقت الاضراب

ليس من ينكر ان الحكومة هي الحارس الوحيد المؤتمن على حفظ الحقوق وصيانة صوالح الجميع بقسط معادل من الانصاف والعدل . ولكن لسوء الحظ

وجدناها تتأثر غالباً بالظروف والحوادث ولا تلتزم الحياد التام ما دام هذا الحياد لا يضرّ بالسكينة والامن العام . فهي كانت ولا تزال تمالئ فريقاً دون آخر . فقد كانت في الزمن السابق تحظر على العمال الاضراب وتهددهم باشد العقوبات وتراها اليوم تؤيدهم في إضرابهم وتدفع لهم الاعانات من خزائن المجالس البلدية اثناء اضرابهم . فهذا العمل لا يتفق مع حيادها مطلقاً فضلاً عن ان المال المودع في خزائن المجالس البلدية هو من مال الضرائب الذي اشترك في دفعه صاحب المال والعامل للقيام بالاصلاح ونفقات الحكومة والدفاع عن الوطن . فلا يجوز والحالة هذه ان يُنفق في غير الغاية التي جُبي من اجلها

فعلى الحكومة ان تلتزم النزاهة المطلقة ولا تتعرّض العامل وصاحب المال إلّا اذا دعتها الاحوال للسهر على السكينة وصيانة النظام . ويخلق بها ان تنشئ مجالس التوفيق وتخوّلها من السلطان وقوة التنفيذ ما يجعل احكامها نافذة على صاحب المال والعامل وتجعل مهمتها الحيلولة دون كل حيف يقع بفريق ما متعمّدة اعطاء كل ذي حقّ حقه . فان فعلت ذلك فقد تتلافى شيئاً من الاضرار الاقتصادية الجسيمة وتعوق هبوب تلك الزوبعة القوية التي نرى بخوف ووجل بوادرها وقانا الله من شرورها

حول جزيرة العرب

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

١ ملوك حضرموت وامراؤها

تعريف حضرموت

سبق لنا بعض القول في حضرموت وموقعها (ص ٢٧) وهي بلاد واقعة جنوبيّ جزيرة العرب بين اليمن غرباً وعمان شرقاً وشمالاً والمحيط الهندي شرقاً . وتجاورها شمالاً الصحراء الكبرى المعروفة بالدهناء ذات الاقحاف الرملية الواسعة وفي شمالها الشرقي بلاد مهرة والشحر الشهيرة بزارع اللبان . وقد ورد في الكتاب

الكريم في سفر التكوين (١٠ : ٢٦) اسم حضرموت (חצרמות) معناهُ بالعبرانيَّة قصر الموت وهو اسم ثالث اولاد يقطان او قحطان من نسل سام ابن نوح دُعي بذلك لسطوته على اعدائه . ولحضرموت اربعة موانٍ على بحر الهند وهي المكلّا والشحر وقشم وظفار التي كانت قديماً حاضرة حضرموت وكان للنصارى فيها كنيسة في اواسط القرن الرابع للمسيح . وفي جنوب حضرموت جبال تبلغ اعلى قممها ٢٤٠٠ متر طولاً فيها بعض الحجارة الكريمة كالجزع ولها من المدن الشهيرة شبام وتريم وسيوون وحضرموت . ومن اوديتها في داخليَّة البلاد وادي دوعن ووادي عمد ووادي حجر . وفيها الواحات المخصبة تُزرَع نخلاً وسدرًا ونبقاً ومرًّا ولباناً وتبغاً فارسيًّا (تنباك) يعتنون بزرعهِ اعتناء عظيماً ويصدرونه الى الخارج . ومنهم من يتعاطى التجارة في سواحل العجم وفي جزائر الهند وخصوصاً جاوة وفي افريقية الشرقيَّة . ويرتزق غيرهم بالحراثة والزراعة ورعية المواشي وتربية الخيل

ويسكن حضرموت قبائل من العربان يبلغون ٥٠٠،٠٠٠ نفس وهم مشهورون بفظاظة طبائعهم وشراسة اخلاقهم وعيشتهم الهمجيَّة وهم ذوو أنفة حافظوا مدَّة الوفٍ من السنين على استقلالهم في ايَّام الملوك الصابئة وبني حمير حتَّى فتح المسلمون بلادهم في اوائل الاسلام فولَّى عليها الخلفاء من عمَّالهم

ملوكها وامراؤها

ثمَّ نمت في حضرموت سلطة بعض زعمائها فمدُّوا يدهم الى اخانها واستقلُّوا فيها بالحكم فمنهم من اهل السنَّة ومنهم من اهل الشيعة واستولى الوهابيُّون على قسم من حضرموت . فترى اليوم في تلك البلاد عدَّة امراء يدعى بعضهم شيوخاً وبعضهم سلاطين وبعضهم سادة منهم السادة العاريَّة الحسينيَّة الذين مقرّهم في مدينة حضرموت . ومنهم امراء قبائل الواحديين يملكون على حبَّان وعزَّان وبنعلي وبلحاف على سواحل البحر كان سلطانهم في اواسط القرن التاسع عشر احمد بن الحسين فخلعهُ اهل دولتهِ سنة ١٨٧٧ وملَّكوا ابنهُ صالح بن احمد فمات سنة ١٨٨١ وخلفهُ ابن اخيهِ عبدالله بن احمد فعُزل سنة ١٨٨٥ وتسلطن هادي بن صالح . ثمَّ استقال سنة ١٨٩٢ واسند الملك الى اصغر اخوتهِ السلطان مُحسن بن صالح وهو

يسكن في شبام وسلطتهُ على خلاف قبائله اسميَّة اكثر منها فعليَّة . والدولة الانكليزيَّة منذ اوائل القرن التاسع عشر لم تزل تتقرَّب من هؤلاء الامراء والسلاطين وتعقد معهم المعاهدات وتدفع لهم في كلّ سنة مبلغاً من المال تسهيلاً لتجارتها وتنفيذاً لسياستها ومآربها

٢ عمان وامامة مسقط

في اواسط كانون الاوَّل من السنة ١٨٩٥ رست بنا السفينة في خليج العجم امام حاضرة بلاد عُمان على سواحل جزيرة العرب الشرقيَّة وهي مدينة مَسقط من اغرب المدن منظراً لا يُرى منها من المركب سوى صخور مرتفعة كالسلَّات سوداء بركانيَّة متقطِّعة الاشكال وبين هذه الصخور بيوت قليلة حديثة البناء منها قصر اميرها ومنازل بعض القناصل الاجنبيين ولا سيَّما القنصل الانكليزيّ صاحب الطَّول والصَّول في تلك الجهات . امَّا المدينة فهي محجوبةٌ وراء تلك الصخور يدخل اليها الداخل كانهُ يلجُ حصناً محصَّناً بالمستحكمات الدفاعيَّة

ومسقط هذه لا يُعرف من اخبارها في الاجيال الوسطى الَّا النزر القليل . وانَّما ذاع صيتها لمَّا استولى عليها البرتغاليُّون بيد كبير قوادهم ألبوكرك سنة ١٥٠٩ فضبطوها وحكموا عليها الى السنة ١٦٥٨ حيث فتحها السلطان ناصر بن مرشد ولم تزل منذ ذاك الحين في ايدي الائمَّة والسادة الذين اتخذوها مركز سلطنة عُمان

وبلاد عمان تمتدُّ على سواحل خليج عُمان شرقي جزيرة العرب بين ثغر مربط الى جزيرة قطر وتلحق بها الجهات الممتدَّة شمالاً الى اقصى خليج البحرين فطولها نحو الفي كيلومتر وغربيَّها الصحاري الرمليَّة وسلاسل جبال يبلغ اعلاها ثلثة آلاف متر وهي تحضنها من جهات البرّ حتَّى لا يكاد يطمع فيها طامع من تلك الانحاء . وتبلغ مساحة بلاد عمان نحو ٤٥٠٠ كيلو متر مربَّع واهلها نحو مليونين ونصف من النفوس . ومناخ عمان شديد الحرارة يبلغ اربعين درجة من المقياس المئويّ في نيسان وفي بعض جهات عُمان اراضٍ مخصبة واودية معتدلة الهواء . وهم يقسمونها الى ثلاث مناطق مختلفة : الاولى تهامة عمان وهي سهول ضيِّقة تتَّسع في بعض الامكنة الى ٣٠ و ٤٠ كيلو متراً . والثانية البطنة وهي الجهات الداخليَّة الجبليَّة مع اوديتها

وهي غنيَّة بالنخيل وفيها الكروم وضروب الغلّات وقصب السكر والبنّ ومن معادنها الرصاص والكبريت والنحاس. ولاهلها حذاقة في رعية المواشي وتربية الخيل والنياق ويكثر السمك في بحرها فيصطاد منهُ اهلُها الكميّات الوافرة فيتاجرون بهِ قديدًا ومملّحاً. وفي تلك السواحل مغاصات اللؤلؤ الكثيرة واشهرها في مدن صحار ودمار ومسقط . والثالثة الجهات القاحلة الرمليَّة

لم يصعب على اهل عمان ان يحافظوا على استقلالهم طالما لم يقصد احد فتحها من جهة البحر فلمَّا ظهر الاسلام سيَّر اليها الخلفاء الراشدون ثمَّ الامويُّون ثمَّ العبَّاسيُّون بعثاتٍ جنديَّة فتحتها فتحاً موقَّتاً ثم رجع اليها اصحابُها فتملَّكوها . وكان الاهلون يختارونهم وعُرفوا منذ ذاك الحين بالأئمَّة فحاربوا الخلفاء وبقيت الحرب بينهم مساجلةً الى ان ضعفت الخلافة العبَّاسية فصارت الامور في عُمان فوضى فانتهز اعداؤهم المجاورون لهم من العجم من ملوك شيراز ومن ملوك بني نبهان الفرصة لفتح بلادهم والتملك عليها ردحاً من الدهر فاضطرَّتهم الحال الى توحيد كلمتهم فاختاروا لهم سنة ١٠٣٤هـ (١٦٢٤ م) رجلاً من شرفائهم اسمهُ ناصر بن مرشد من نخلة العباديين فهذا اذ رأى ما بلغت اليهِ اوطانهُ من الذلّ انتدب اليهِ شبَّانها وفرسانها وجعل يحارب السادة المستقلين في انحاء البلاد فكان الانتصار حليفهُ

ثمَّ وجَّه قواهُ لمحاربة البرتغاليين الذين كانوا مالكين على سواحل عمان متحصّنين في مراكزها الكبرى كمسقط ومطرح وصحار فلم يزل يناوشهم القتال مرَّة بعد مرَّة حتَّى كاد يستأصل شأفتهم . لكنَّ موتهُ حال دون تتمة عملهِ سنة ١٠٥٩هـ (١٦٤٩ م) فقضى مأسوفاً عليهِ لحسن سلوكهِ مع الرعيَّة

فخلفهُ ابن اخيه سلطان بن سيف فجرى على آثارهِ واستولى على ما بقي من الحصون للدولة البرتغاليَّة في مسقط وسواحل عمان بل جاز الخليج الى الهند وحارب البرتغاليين وغزا املاكهم في مقاطعة كُجرات ونهب مدينتي ديو ودامان ورجع بغنائمهما . ثمَّ اخذ في اصلاح بلادهِ وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها وتحصين مواقعها المعرَّضة لغارات العدو لا سيَّما مدينة نزوة . وقد دعاهُ اهل بلادهِ « سيف الكاف » يشيرون بذلك الى معرفتهِ بعلم الكيميا . توفي نحو السنة ١٦٦٨

ثمَّ توالى بعدهُ اثنا عشر اماماً من نسل ناصر بن مرشد كان اوَّلهم بلعرب بن

سلطان (١٦٦٨ — ١٦٨٨ م) جرى بينهُ وبين اخيه سيف بن سلطان حروب دامية كان الفوز فيها لسيف فملك على عمان (١٦٨٨ — ١٧١١) وجعل مقامهُ في رستاق . ثمَّ خلفهُ ابنهُ سلطان بن سيف الثاني (١٧١١ — ١٧١٨) حارب العجم وانتزع من يدهم جزيرة البحرين وسكن الخزم . ثم ملك مهنَّا بن سلطان (١٧١٨ — ١٧٢١م) اشتهر بحسن التدبير والسياسة لكنَّ ذوي الفتن لم يرضوا بهِ فقتلهُ يعرب بن بلعرب وحصل بعدهُ اضطرابات مختلفة ومنازعات بين الاحزاب طالت مدتها وفتحت باباً لاعداء الدولة فزحف عليها العجم وتملَّكوا على عدَّة اماكن منها نزوة ومسقط ولم تنتهِ هذه الاحوال السيئة الَّا بانتخاب الامام احمد بن سعيد فهذا اصلح الامور بحسن سياستهِ وبسالتهِ في محاربة العجم فاخرجهم من البلاد حيناً بالقوَّة وحيناً بالخداع والمكر فتناصر العمانيُّون على توليتهِ وساعدوهُ في حروبهِ فكان النصر معقوداً على راياتهِ . ومما يذكر لهُ من خدمهِ للدولة العثمانيَّة انهُ خلَّص مدينة البصرة من ايدي العجم سنة ١٧٥٨ وردَّها لاصحابها . وكذلك خرج لمحاربة القرصان الذين كانوا يعيثون في بحر الهند ويقلقون السكَّان بغزواتهم

مات احمد بن سعيد فخلفهُ ابنهُ الاصغر سعيد بن احمد (١٧٧٥ — ١٧٧٩ م) وكان محبًّا لاصلاح الامور وتجديدها فلم يَرُق الامر في اعين اهل عمان فخلعوهُ وتركوا لهُ الامامة وجعلوا مكانهُ ابنهُ حامد ودعي بالسيد ففُصلت السيادة عن الامامة ثمَّ نقل حامد كرسيَّ ملكهِ الى مسقط فأصبحت حاضرة الدولة الى يومنا . توفيَّ حامد لاثنتي عشرة سنة من ملكهِ (١٧٧٩ — ١٧٩٢) بداء الجدري في مسقط

ثم قام بعدهُ السيد سلطان بن احمد (١٧٩٢ — ١٨٠٤) تملك بالدهاء وتفريق كلمة اقاربهِ الطالبين الامر لنفسهم . وفي ايَّامهِ شرع الانكليز يطمحون بالنظر الى خليج العجم فعقدت شركتهم الهنديَّة معاهدةً معهُ في ١٢ آب سنة ١٧٩٨ سمحت لهم بفتح المخازن والمحلات التجاريَّة تحت حراسة بعض الجند على سواحل العجم في بندر عبَّاس وفي مسقط . ومن مآثر سلطان بن احمد توقيعهُ للوهابيين الذين سعوا في فتح عمان فردَّهم خاسرين . قُتل سلطان في البحر وهو متوجه الى سواحل العجم فاعترضهُ في طريقهِ بعض القرصان فقتلوهُ

قام بالامر بعدهُ سعيد بن سلطان (١٨٠٤ — ١٨٥٦) فطال ملكهُ واضطربت

الامور في عهده بغارات الوهابيين على عمان بيد انَّ الحملة المصريَّة في ايَّام محمَّد عليّ انقذتهُ من بلائهم . لكنَّهم عادوا بعد حين واستولوا على الخاء من عمان . وكذلك اغارت عليه بعض قبائل العرب وضايقتهُ القرصان بحرًا وعصى عليه بعض عماله فاستنجد بالانكليز فارسلوا اسطولًا لنجدته . فعدَّ الانكليز هذه الفرصة نعمةً لتمكين نفوذهم في عمان

خلف سعيدَ بن سلطان ابنهُ ثوينيّ (١٨٥٦ — ١٨٦٦) فكانت ايَّامهُ كثيرة الفتن فدعا الى نجدته الوهابيين ثمَّ الانكليز فزاد بذلك الشغب بدسائس اخوته وتداخل الاجانب . وفي ايَّامه عُقدت معاهدة بين دولة عمان ودولة فرنسة نظرت اليها انكلترَّة شذرًا وحاولت ان تعرقلها على قدر استطاعتها . قتل ثوينيّ ابنهُ سليم فملك بعدهُ سنتين بفضل الانكليز (١٨٦٦—١٨٦٨) لكن كثيرين وقفوا لهُ بالمرصاد الى ان تمكَّن احدهم عزَّان بن قيس فدخل مسقطًا وفاجأ سليمًا الذي تمكَّن من الفرار الى جهات العجم . فسعى الدخيل ان يثبت ملكهُ فساس البلاد ست سنين (١٨٦٨—١٨٧٤) حتَّى خلعهُ عن ملكه بمعونة الوهابيين تركيّ بن سعيد (١٨٧٤—١٨٨٨) وتولَّى مكانهُ . ثمَّ قام بعدهُ السيد فيصل بن تركيّ . وهو الذي وجدناهُ في مسقط يوم مرورنا فيها في اواخر سنة ١٨٩٥ فكان كالاسير في قبضة الانكليز ليس لهُ من الامر سوى قشرته وطالت ايَّامهُ فتوفي في تشرين الاوَّل سنة ١٩١٣ فخلفهُ في السيادة على مسقط نجلهُ السيّد تيمور وهو اليوم صاحب الامر فيها . وجاء في مجلَّة لغة العرب (٣ : ٢٧٩) انهُ انضوى الى الماسونيَّة قبل ملكه بسنتين

٣ الكويت وشيوخها

قد اغنانا حضرة مكاتبنا السابق الاب انسطاس الكرملي الحافي سنة ١٩٠٤ (المشرق ٧ : ٤٥٠ — ٤٥٨ و ٥٠٧—٥١٢) عن وصف الكُوَيت بعد اتساعه في تعريف موقعها واصلها ومقامها وتجارتها وما يتبعها من القرى ومغاصاتها اللؤلؤيَّة . فبقي علينا ان نورد لمحةً من تاريخها وذكر شيوخها

كان الاتراك يعدُّون الكُوَيت كقضاء من اقضية ولاية البصرة وهي على ساحل بحر العجم على ١٢٣ كيلو مترًا منها جنوبًا وعلى ٨٢ كيلو مترًا جنوبي غربي حصن

فاو حيث يصبّ شط العرب في البحر العجمي . والكويت حديثة النشأة قليلة الاتساع لا يزيد اهلها مع القرى اللاحقة بها عن ٣٠٠٠ بيت ونحو ثلاثين الفاً من السكّان يرتزق اهلها بالزراعة والفلاحة ورعاية المواشي والغوص على اللؤلؤ

ومع وقوع الكويت ضمن الولايات التركيّة فانّها تعدّ كبلاد مستقلّة منذ أيام مدحت باشا اذ ساعد الشيخ عبدالله الدولة العثمانية في إخضاع سنجق نجد لحكم الاتراك

والشيخ عبدالله هذا من أسرة عربيّة تعرف بآل صباح قديمة شريفة . استلفتت اليها انظار الدولة منذ أيام جدّه الشيخ جابر الصباح وكان يحكم على قبائل العرب في جهات شط العرب ثمّ خلفه ابنهُ الشيخ الصباح فعُني بتحسين الكويت وجعلها له مركزاً مناسباً لمقامه فشيّد له فيها قصراً سكنه . ثمّ خلفهُ عبدالله بن الصباح المذكور فعيّنتهُ الدولة التركيّة قائمقاماً على الكويت براتب معلوم وكان مع ذلك يتصرّف في مأموريّته تصرّف السيّد المستقلّ فلا تعارضهُ الدولة وانّما تكتفي بان يعيش في ولائها

ولمّا صار الامر بعد وفاة عبدالله الى صاحب الكويت الحالي وهو مبارك بن الصباح خوّلتهُ الدولة لقب الباشا وسعت بان تستميلهُ الى اغراضها وتعاملهُ معاملة العمّال . الّا ان الشيخ مباركاً لم يلبِّ دعوتها وانس من انكلترا التودُّد والمجاملة فمال اليها واستند الى قواها . فقصد الاتراك ان يصطادوهُ بالدهاء والعنف فلم يقووا عليه وكان اذا حاولوا الضغط عليه رفع العلم الانكليزي فتتطاير الجيوش البريطانيّة الدفاع عنهُ وينالهُ من كرمها المال الطائل فأصبح في يده الحلّ والربط والحكم المطلق . وردّ غارات القبائل المجاورة ولاسيّما قبيلة مطير . وقد عُني بتزيين الكويت بالمباني على الطراز الحديث واتّخذ له جنوداً لخدمته وكلّية للناشئة . ولمّا انتشبت الحرب العموميّة الاخيرة اتّفق شيخ الكويت مع عبد العزيز بن سعود وسلطان الحجاز شريف مكّة على محاربة الاتراك وقد جعل اخاهُ جابراً على نظر احوال مدينته الداخليّة وخصّ نفسهُ بامورها الخارجيّة وكان حالف سابقاً الوهابيين لردّ غارات ابن رشيد الذي كان يتهدد الكويت وتعضدهُ سرّاً الدولة التركيّة فارسل شيخ الكويت احد ابناء سعود وهو عبد العزيز بن سعود الى رياض حاضرة ابن رشيد فنشر هناك

العَلَم الوهابي الابيض والاحمر وكاد مبارك بن صباح يغلب ابن رشيد على الحائل لولا ما امدَّتهُ به الدولة العثمانيَّة من الجند والذخائر

على انَّ تقرُّب مبارك بن صباح الى الدولة الانكليزيَّة قد اصبح اليوم خطرًا على دولتهِ الصغيرة التي تطمع فيها انكلترَّة حاضرًا تتدخلها في املاكها

هذا وفي العراق في ولاية البصرة وجوار شط العرب عدَّة قبائل يحكم عليها شيوخ يغلب عليهم الاستقلال كالشيخ خزعل صاحب المحمَّرة وعجمي بك السعدون رئيس عرب المنتفق وغيرهما . والدولة الانكليزيَّة ساعية اليوم في كسر شوكتها ودفع مخازيها ومنع غزواتها . ولا شك انها تقوى عليها بسياستها المعهودة . ونختم هنا مقالتنا هذه مستميحين عذرًا عمَّا وجدهُ القرَّاء فيها من الخلل . والكمال لله وحدهُ

اعظم طامَّة في الحرب العامَّة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيَّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٩ ايطاليا

كلٌّ يعلم انَّ ايطالية كانت احدى الدول المحالفة لالمانية منذ سنة ١٩٠٢ وثالثة التحالف الثلاثي تربطها مع محالفيها روابط معاهدة تضمن لهم بموجبها المساعدة في الدفاع دون الهجوم . فلمَّا اعلنت المانية الحرب على فرنسة لم ترَ الحكومة الايطالية داعيًا للنزول في ساحة القتال لحكمها بالصواب انَّ الحرب هجوميَّة لا دفاعيَّة فصرَّحت في ٣ آب ١٩١٤ ببقائها على الحياد . وكان ذلك بعناية خاصَّة من الله اذ امكن الكنيسة ان تجمع في عاصمة الكثلكة كرادلتها من سائر الممالك وتقيم قانونيًّا خلفًا للطيب الذكر البابا بيوس العاشر المتوفى في ٢٠ آب فوقع اختيارهم على قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيدًا . وكان معظم الشعب الايطالي مؤمِّلًا انَّ دولتهم ستثبت على حيادها الى آخر الحرب

فما اعظم ما كان اندهاش العالم اذ اعلنت الانباء البرقيَّة في ٢٣ ايار سنة ١٩١٥ بان ايطالية قطعت علاقاتها مع حلفائها وانضمَّت الى دول الاتفاق فبثَّت جيوشها في المقاطعات النمسويَّة

فكان لهذا العمل اسوأ وقع في دولتي النمسة والمانية وعدُّوا ذلك خيانةً محضة فقبَّحوهُ اشدَّ التقبيح وكذلك كثر القال والقيل بين الدول المتحايدة حتى بين اصحاب ايطالية فنسبوها الى الانانيَّة والمطامع . لكنَّ ايطالية تنصَّلت من هذه الشكايات في كتابها الاخضر حيث بيَّنت انَّ الدول المركزيَّة لم تُشعرها بوقوع الحرب كأنها لا تبالي بها وانها بخست حقوقها في البلقان حيث استولت النمسة على سربيَّة ومدَّت يدها الى البانية دون ان تعطي ايطالية التعويضات الموعودة بها والتي اقرَّت بها المانية نفسها . فلمَّا الحَّت ايطالية في سؤال حقوقها وطالبت ان تُعطى تريستة وبعض المقاطعات النمسويَّة جعلت النمسة تسوِّفها وتماطلها وتعدها المواعيد الفارغة ودامت المخابرات بين رومية وڤينة اشهرًا دون نتيجة حتى عيل صبر ايطالية فقلبت وقتئذٍ ظهر المجن لحلفائها وعدلت الى الدول الاتفاقيَّة لتنال ما لم تنلهُ من حليفتيها

اجتازت ايطالية في هذه الحرب اربع مراحل هامَّة تقلَّبت فيها امورها تقلبًا عظيمًا :

كان الطور الاوَّل طور نشاط وتحمُّس عظيم وكان الشاعر غبريل دنونتزيو يبعث الهمم بقصائده الرنَّانة فاندفعت الجيوش الايطاليَّة كالسيل الجحاف في معاملات ترنتا وقصدها خرق الخطوط الدفاعيَّة والاستحكامات الحريزة التي اقامتها النمسة على طول جبل ايزونزو فنفذت في عدَّة امكنة فيها واستولت في ٦ ايلول على جبل نيرو (اي الاسود) ثمَّ واصلت حملاتها الظافرة في فصلي الصيف والخريف تحت قيادة كبير قوَّادها الجنرال كدورنا . وانتهت في ٧ تشرين الثاني باستيلائها على مشارف كرديڤوني ومضايق لانا على علو ٢٤٦٤ مترًا فوق سطح البحر رغمًا عمَّا وجدته في طريقها من فيالق العدوّ البالغة مليونًا من الجند والموانع المديدة التي كبَّدتها خسائر فادحة حتى اقرَّ العالم للايطاليين بالبسالة وصدق البلاء في الحروب بعد ان كانوا ينسبونهم الى الضعف والفشل . وفي غرَّة كانون الاوَّل صادقت ايطالية على معاهدة لندن وقرَّرت ان لا تقبل صلحًا منفردًا

امتدَّ الطور الثاني على ايطالية من اوائل السنة ١٩١٦ الى شهر تشرين الثاني منها . خمدت نوعًا حركة الجيوش الايطاليَّة في شتاء هذه السنة لكنَّها في اوائل الربيع نهضت اليها نهضةً ثانية بخيلها ورجلها وعددها وعُدَدها الضخمة وزادت الايطاليين نشاطًا حاجةُ النمسا الى قسم من جيوشها لمحاربة المسكوب في غاليسية

فتقدم الايطاليون الى الامام وتوغلوا في البلاد منتصرين مراراً على النمسويين حتى عُزل قائدهم كنراد فون هوتندورف وأُقيم مقامهُ الارشيدوق فردريك واعادوا الفيالق الموجهة الى غاليسية . على انّ الايطاليين لم توقفهم هذه التغييرات فلم يثنوا عزمهم في الهجوم حتى دخلوا مدينة غوريتزيا المحصنة في ٩ آب ١٩١٦

وفي ٢٧ منه اعلنت ايطالية الحرب على المانية وسارت جيوشها الى جبال كرسو التي تحول دون الطريق الى تريستة فلم تزل تناجز القتال الجيوش التي جمعتها النمسة فيها وتحمل على حصونها المنيعة حتى مهدت لها الطريق الى تلك الحاضرة غاية مبتغياتها اولا انّ العدوّ تسارع الى قمم هرماد الباقية من جبال كرسو وعنى فيها معظم جيوشهِ وحصّنها بكل الاستحكامات وضروب الادوات الحربيّة فرأى الجنرال كدورنا انّ محاربتها تستدعي ضحايا عظيمة فاخذ يُعدّ لها وسائل اخرى لنصرة جنده

وبهذا تمّت المرحلة الثانية للحرب الايطالية التي اكسبت دولتها قسماً كبيراً من معاملات ترنتا واوقعت في يدهم نيفاً ومئتي الف اسير وذلك قبل ان تستدعي ايطالية جيوشها الاحتياطيّة

الطور الثالث لحرب ايطالية تناول السنة ١٩١٧ باسرها على التقريب فابتدأ بانتصارات متوالية اخصّها انتصار جامبانو في ٢٣ ايار الذي كاد يكون الضربة اللازبة على النمسويين حيث تمكّنت الجيوش الايطالية من جبلي كوكنو واورتيراغا

كانت هذهِ الانتصارات تبعث في قلوب الايطاليين الامل على قرب نهاية الحرب ودخول جيوشهم الى تريستة لكنّ في تلك الاثناء حدث انقلاب روسيّة وعقدها الصلح المنفرد مع المانية فكانت نتيجة ذلك انّ المانية والنمسة سحبتا قسماً كبيراً من جيوشهما فوجّهتاهُ الى محاربة الايطاليين الذين لم يستطيعوا مقاومة هذا العدد العظيم من قوى العدوّ فذهبت ريحهم واضطرّوا الى رجوع القهقرى . وكانت اعظم كسرة اصيبوا بها في كابور توشماليّ غوريتزيا بددت شملهم وسهّلت فتح سهول بلاد البندقيّة امام الدول المركزيّة

الشوط الرابع يمتدّ في كافة السنة ١٩١٨ الى اوائل تشرين الثاني . كادت علبة كابور تو تسحق ايطالية سحقاً وتلاشي كلّ آمالها . فانّ عدد القتلى والجرحى والاسرى اربى في تلك الوقائع على نصف المليون . واراد العدوّ ان ينتفع من نصره باقتحامهِ

على كلّ بلاد البندقيّة فاغار على فلول العساكر الايطاليّة فقتل واسر ودمّر ما شاء. الّا انّ فرنسة وانكلترا لم ترضيا بان تُسحق حليفتهما فاسرع ارباب الامر واتفقوا على انقاذها من بلائها فارسلوا عدّة طوابير من جنودهم ليأخذوا الطريق على جيوش العدوّ ثمّ اقاموا لقيادة الجيوش الايطاليّة العامّة احد نوابغ الحروب الجنرال المغوار دياز وحدّدوا معهُ طريقة العمل ليتصدّوا للجيوش الالمانيّة والنمساوية

لكنّ هذه التدابير لم تتمّ الّا في خاتمة السنة ١٩١٧ واوائل ١٩١٨ بعد ان فقدوا قسماً عظيماً من الجند والذخائر واطراف البلاد فتحفّزوا لقمع شرّة العدو عند نهر بياڤي ومشارف جبال غرابا فتمكّنوا فيها وحصّنوها تحصيناً فائقاً يدسّ العدوّ من قطع خطوطه فارتدّ خاسراً في ربيع السنة ١٩١٨ ثمّ احسّ الالمان بحرج الحال في الجهات الغربيّة واستدعوا قسماً من عساكرهم المحاربة في ايطالية الى جهات فرنسة لكنّ النمسويين زادوا قواهم واستعدّوا لمهاجمة عموميّة تفتح لهم طريق مدينة البندقيّة وتظفرهم ببقاعها المخصبة

فعرف الاتحاديّون ما قصدهُ العدوّ فشمّروا عن ساعد الجد واتخذوا كلّ الاحتياطات لردّ غاراتهم. ففي ١٥ حزيران غلساً افتتح النمسويون الهجوم بمدافعهم الضخمة وبطاريّاتهم ثمّ اخذت فيالقهم تزحف الى الامام من كلّ صوب وبوات ومئات الوف وهم يؤكدون انهم ظافرون لا محالة. وكان الملك شرل حاضراً ينعشهم بشخصه ومثله ودامت هذه الحملات ثمانية ايّام دون انقطاع ظنّ ناظروها انّ القيامة قامت بكل اهوالها. على انّ الاتحاديين ثبتوا لها ثبوت البناء المرصوص وأبلوا احسن البلاء في كسر شباتها. وساعدهم على ردّ تلك الغارات ان نهر بياڤي طغى في تلك الاثناء فكان طغيانهُ موافقاً لحركات الايطاليين وحلفائهم فذهب فيهِ الوف من جند العدوّ غرقاً. قيل انّ النمسويين خسروا في ذلك الاسبوع نحو ٢٠٠,٠٠٠ جندي قتلاً او اسراً

ثمّ هدأت المعارك الدامية مدّةً ما عدا المناوشات البسيطة الى شهر تشرين فاستعدّ هذه النوبة الايطاليّون مع حلفائهم الى هجوم ثاني يتوّج هامهم بغار النصر فلمّا كان اليوم ٢٧ من تشرين الاوّل حلّقوا على النمسويين كالقشاعم فقاتلوهم قتال السباع ثمّ كرّروا عليهم الزحف ولم يدعوهم ان يتنفّسوا واستمرّ ذلك عشرة ايام متوالية كان آخرها الرابع من تشرين الثاني مزّقوا فيها شمل العدوّ كلّ ممزّق وساروا الى مدينتي ترنتا

وتريستة فدخلوهما ظافرين فعمّ الفرح ايطالية باجمعها واناهم الجنرال فون أرتز طالباً الهدنة باسم دولته فلم تُعط لهُ الّا على شروط قاسية اضطرّ الى قبولها شاء ام أبى . وكانت الثورة وقتئذٍ هائجة في انحاء النمسة والملك شرل ناجياً بنفسه من معرتها

ومن المعلوم انّ ايطالية قد نالت من هذه الحرب بلاداً واسعة واملاكاً رحبة ما عدا نواحي ترنتا واصقاع التيرول منها عدّة جزائر معتبرة كورسس ومعاملات مهمّة في البانية والاناضول . وقد صارت لها السيادة التامّة على بحر الادرياتيك

١٠ اميركا

لم يدرْ في خلد الاميركيين ان يدخلوا في الحرب العموميّة وهم يجدون في حيادهم مصادر ثروة واغتنام لزمن طويل فان الولايات المتحدة كانت قدمت للدول المتحاربة من الذخائر الحربية وغيرها ما تبلغ قيمته ٥٣ مليارًا من الفرنكات . وكان الالمان ينظرون الى رئيس الولايات المتّحدة لما ضاقت الدنيا في وجههم مؤملين بتوسطه « صلحاً المانيًا » اي موافقاً لغاياتهم . وصرّح الرئيس ولسون في نادي الشيوخ انّ هذه الحرب ينبغي ان تُختم « بسلم دون انتصار » (كذا)

على انّ الظروف قلبت افكار اميركا فانّ اهليا استاءوا كلّ الاستياء لمّا اغرقت غوّاصةٌ المانية الباخرة لوسيتانية في ٧ ايار ١٩١٥ هلك فيها غرقا عدد عديد من اعيان اميركا . ثمّ احتدموا غيظاً وجنحوا الى الحرب مدفوعين بعواطف الانسانيّة والشرف وذلك بعد ان وافق القيصر غليوم اركان دولته على حرب الغواصات العميا ليضرب كلّ المراكب الدوليّة لا يستثني منها الدول المتحايدة نفسها . فكان لهذه السياسة الخرقاء اسوأ وقع في قلوب العموم وقبحها على الخصوص الاميركيّون لما عُرفوا به من الأنفة وصيانة حرّيّة الامم

وما لبثت هذه المقاصد السيئة ان اتت بثمرتها الفاسدة . فان الرئيس ولسون قطع اوّلاً في ٣ شباط كلّ علاقات رسميّة مع الدول المركزيّة ولمّا تكرّرت مساوئ الغوّاصات اعلن الحرب رسميًا على المانيا في ٢ نيسان ١٩١٧ . وبعد قليل اقتدت البرازيل ومعظم الولايات الاميركيّة الجنوبيّة باميركة الشمالية فاصبحت الحرب مذ ذاك الحين حرباً كونية تشمل العالمين القديم والحديث . فندم الالمانيّون على

فعلهم ولكن لات حين ندم

وباشر الاميركيون الحرب كما يباشرون امورهم كلها بسرعة وأهبة عجيبتين فانهم للحال فرضوا بالتجند الالزامي على كل المواطنين فبلغ الاكتتاب في ٥ حزيران عشرة ملايين من الجند جهزوا قسماً كبيراً منهم بكل الادوات الحربية والذخائر واجازوهم فرقاً فرقاً وفيالق فيالق الى فرنسة حيث قام الجنرال جوفر بتمرينهم على كل الفنون الحربية . فرجحت منذ ذاك كفة الميزان الى جهة الاتفاقيين . وبلغ عدد الجنود الاميركية المحاربة في اواخر تلك السنة ١،٤٢٨،٠٠٠ نزلوا ساحة الوغى تحت قيادة الجنرال پرشنغ يحاربون العدو مع الامم الاتفاقية جنباً لجنب ببسالة نادرة كأن النخوة الفرنسوية تجسمت في اشخاصهم فامتزجوا بزملائهم امتزاج الماء بالراح وكأن الاميركيين اجمالاً ارادوا ان يشكروا في هذه الحرب فرنسة على مساعدتها لهم سابقاً في نوال استقلالهم

لسنا لنتبع مواقف الجنود الاميركية لوصف مآثرهم الطيبة في سنة الحرب الاخيرة وغاية ما يقال انهم احرزوا لهم فيها مجداً موثلاً فلم يدعوا معركة مهمة الا شاطروا النصر اصحابها في الساحات الغربية في شمالي فرنسة وبلجكة ولاسيما في الغارات الاخيرة التي كسحت كل قوات المانيا وحليفاتها في شهور الخريف من السنة ١٩١٨ (ايلول — تشرين الثاني) فعادوا الى اوطانهم مكللين بالظفر ومدونين على صفحات تاريخ بلادهم ذكراً مخلداً لمروءتهم واريحية طباعهم

على ان الرئيس ولسون مع ما اداه من الخدم للدول المتحالفة عكر نوعاً صفاء مجده بما اشاعه من التقارير الملتبسة في تحرير الامم وتحريها الاستقلال . فنتج عن ذلك نتائج وخيمة بعثت المطامع الاشعبية في القلوب وهددت العالم باخراب مجانا الله من عقابيل هذه الحرب الطاحنة فانها تنذرنا بويلات ومصائب اشد وامر من الحرب

هذا ومعلوم ان دولا اخرى غير التي ذكرناها دخلت ايضاً في الحرب مع الدول الاتفاقية كاليابان والصين والبرتغال والبرازيل وغيرها من دول اميركا الجنوبية غير ان اعمالها كانت محصورة في دائرة ضيقة لم تأت من الاعمال ما يستحق ذكراً خصوصياً وانما ساعدت بانضمامها الى الاتفاقيين على امتلاك مستعمرات الدول المركزية وضبط بواخرها وعرقلة حركاتها خارجاً عن اوربة . وبه نختتم هذه المقالة ملتمسين منه

تعالى ان يعيد السلام للعالم ولا يرينا ثانيةً حرباً مثلها بمنّهِ ورحمتهِ

مطبوعات شرقية جديدة

MATERIALS FOR THE STUDY OF THE BABI RELIGION compiled by Eduard G. Bronne. *Cambridge*, 1918, *in*—12, *pp.* XXIV—380

معلومات لدرس المذهب البابيّ

هذه ثلثون سنة بنيّف يجدُّ العلّامة المستشرق ادوار برَوْن استاذ اللغة العربيّة في كلّيّة كمبردج في درس المذهب البابيّ فابرز فيهِ عدّة كتابات سبق لنا وصف بعضها . وفي مدّة الحرب الاخيرة تمكّن من جمع مآثر جديدة منها عربيّة كتاريخ البابيين لميرزا محمّد جواد القزويني ومنها فارسيّة نثرًا ونظماً يبلغ عددها احد عشر اثرًا فنقل كل ذلك الى الانكليزيّة وحشاهُ بالشروح التاريخيّة والادبيّة تسهيلًا لمطالعتهِ وختمهُ بفهارس غاية في الاتقان . فنشكر جناب الاستاذ على هذا العمل الجديد الذي يزيدنا علماً في تلك البدعة الغريبة وهي احدى ثمرات بلاد العجم حيث كثرت الشيع منذ اوائل الاسلام . والبابيّة كما لا يخفى تنتسب الى السيّد عليّ محمّد الشيرازي الذي دعا نفسهُ بالباب اي الطريق لمعرفة الحقّ سنة ١٨٤٤ وتبعهُ قوم من مواطنيهِ . فقبضت عليهِ الدولة العجميّة وامرت بقتلهِ سنة ١٨٥٠ . ثمَّ خلفهُ في نشر تعاليمهِ عدّة رجال أثاروا عليهم الحكومة بتحزُّبهم عليها ومحاربتهم لها وتعاليمهم المنافية لأصول الاسلام . وقد انقسمت البابيّة الى قسمين بين الاخوين ميرزا يحيى نوري المعروف بصبح الازل الملقّب بالباب في قبرس وميرزا حسين علي المعروف ببهاء الله الذي توفّي في عكّا سنة ١٨٩٢ فخلفهُ ابنهُ البكر عبّاس افندي المسمّى عبد البهاء والملقّب بالغصن الاعظم . وهذا الفرع اشيع من الاوّل وقد ألّف نوعاً تعاليم البابيّة واخذ من الاسلام والنصرانيّة بعض التعاليم الادبيّة وانكر كثيرًا من معتقداتها فاثار عليهِ بغض اهل السنّة والشيعة معاً . وقد لخذنا العجب من مقالة ظهرت آخرًا في جريدة (La Syrie) لم يخجل كاتبها بان يعظّم هذه البدعة ويقابل بينها وبين الدين المسيحي وقد ردّت عليهِ جريدة البشير

ل . ش

PETER THOMSEN : Systematische Bibliographie des Palaestina Literature, 1/, III .1916 , Leipzig.Hinrichs , xx-387

الجزء الثالث من قائمة المطبوعات عن فلسطين

وصفنا الجزءين السابقين من هذا المجموع الفريد الذي ضمنه جامعه السيو بيتر توسن كل ما وقف عليه من المطبوعات عن فلسطين منذ ظهور فن الطباعة في كل اللغات الاوربية الشرقية فتكلف في تأليفه عناء لا يوصف . وهذا القسم الثالث هو ختام ذلك العمل الخطير يشمل المطبوعات التي برزت منذ السنة ١٩١٠ الى ١٩١٦ ويحتوي ١١٤٨ عدداً في ٣٣٦ صفحة مع فهارس للأعلام المذكورة . وكفى بهذا دليلا على همة الجامع ومن ساعده من العلماء في عمله فنكرر عليه شكرنا ونحض محبي تاريخ سوريا وفلسطين على اقتناء تأليفه ل . ش

CONSTANTIN PHOTIADES : La Victoire des Alliés en Orient 15 Sept. - 13Nov.1918 .*Paris* ., *Plon -Nourrit*., 1920, *pp.* 247 (*avec* 8 *gravures et* 3 *Cartes*)

نصرة الحلفاء في الشرق

هي النصرة التي فاز بها الجنرال فرنشه دسبري في مقدونية في ١٥ ايلول سنة ١٩١٨ وتعرف بنصرة دوبروبولي (Dobropolje) وهو جبل كان البلغار منذ ثلث سنوات حصنوه تحصيناً لا مثيل له حتى اثبت كل من رآه انه لا يُرام لحصانته غير ان الفرنسويين ليسوا ممن تثني عزمهم العقبات والمشقات فانهم بايام قليلة فعلوا ما لم يفعله غيرهم بعدة شهور والحق يقال انهم في هذه الحرب العمومية أنسوا اعظم ابطال العصور الماضية . والكتاب الذي نحن في صدده اقوى برهان على ذلك كتبه احد اليونان مقرظاً للفرنسيس بالسباق على كل من سواهم في البأس وآداب الحروب . وهذه شهادة البرنس اسكندر ولي عهد سربية في انتصار دوبروبولي كتبه ثلاثة ايام بعد وقوعه :

« قد حقق ابطال الفرقة الفرنسوية الثالثة والثانية والعشرين يوم واحد ما اعدّه البلغار من التحصينات الفائقة منذ ثلاث سنوات وصف في مشارف سوكول ودبروبولي . . . فهذا النصر الفجائي ملأ قلبي عجباً واندهاشاً مما حصلت به الجنود الفرنسوية من الفضائل العسكرية فلعمري انها اضافت صفحة جديدة غاية في البهاء الى تاريخ الجندية الفرنسوية المجيد » ل . ش

كتاب الاكتشاف الثمين لاطالة العمر مئات من السنين

تأليف الدكتور لويس بري صابونجي (طُبع في نيويرك سنة ١٩١٩

الدكتور لويس بري صابونجي هو القس لويس صابونجي الذي عرفهُ اهل بيروت قبل خمسين سنة اذ كان يحرّر النحلة ثمَّ تقلَّبت بهِ الايَّام الى ان صار في خدمة السلطان المخلوع عبدالحميد وولي عهده . وقد ذكرنا سابقاً ديوانهُ . وهذا الكتاب الجديد من جملة فكاهاتهِ يدَّعي فيهِ اكتشاف الوسائل لاطالة العمر مئات من السنين وذكر ما حاول بهِ الاطبَّاء والعلماء لاطالة الحياة وتجديد الشباب منذ قديم الزمان الى يومنا وعدَّد بعض من عمَّروا العمر الطويل . وقد تمَّ كتابهُ الى اربعة وثلثين فصلًا دعاها فكاهات وكفى بالاسم دليلًا على ان المؤلف يحاول المزح اكثر منهُ الجدّ وقد احسن بقولهِ في آخر كتابهِ انَّ الموت احد نواميس الطبيعة التي لا بدَّ منها لكنَّهُ اساء بشكهِ عن مصير الموتى الى حساب وثواب وعقاب (ص ٢٥٣—٢٥٤) وكل هذا ممَّا يستدعي اعتبارهُ ويولي الخوف قلوب الابرار فضلًا عن الاشرار ل . ش

فاذا رميت أصابني سهمي

مفكرات وصفحات مطويَّة لشبلي افندي ملَّاط (ص ٣٧)

رمى بعض اللبنانيين في المهجر جناب كاتبنا وشاعرنا الوطني شبلي افندي ملَّاط بسهام الملام لمجاملتهِ الحكومة التركيَّة في ايَّام الحرب فاقتضى عليهِ الامر ان يدافع عن تصرُّفهِ بهذه الكرَّاسة فبيَّن باصدق الكلام ما صارت اليهِ احوال البلاد في تلك الحقبة وما احاق بهِ خصوصاً من اخطار النفي والمصادرة بل الإعدام فلا يؤخذ عليهِ ان احتاط لنفسه فمدح مكرها ارباب الامر واصاب لديهم حظوة . على انهُ توسَّل بتقرُّبهِ هذا من السلطة المالكة خدمة كثيرين من مواطنيهِ لاسيَّما الفقراء والارامل والاكليريكيين هذه خلاصة تلك المفكرات فعساها تقطع ألسنة العاذلين ل . ش

رسائل الشيخ ابراهيم اليازجي وديوانهُ التاريخي

عُني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب

طبعت في مصر سنة ١٩٢٠ (ص ١٧٦)

هذه مئة رسالة ومئتا تاريخ لفقيد اللغة والأدب الشيخ ابرهيم اليازجي احسن بجمعها

ونشرها يوسف افندي توما البستاني لئلا تأخذ يد الضياع تلك الآثار النفيسة فيستفيد منها الكتبة وطلبة المدارس على انَّ الرسائل مع رشاقتها وبلاغة معانيها وانسجام عباراتها كلّها مسجّعة كثيرة التأنق فلا تنطبق على سذاجة المكاتبات العصريَّة حيث تظهر العواطف الفطرية دون تصنُّع . ولا ريب انَّ للشيخ المرحوم بقايا من هذا الجنس وقفنا على البعض منها فنؤمل ان تنشر كغيرها . ونأخذ على متولّي طبع الرسائل أنهُ اهمل تاريخها وهذا غلط لان تاريخ المكاتبات يكشف القناع عن عدة فوائد . امَّا التواريخ الشعريَّة فجامعةٌ بين حسن النظم وجودة المعنى رحم الله ناظمها

الاشتراكيَّة

تأليف نقولا حدّاد

طبع في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٠

الاشتراكيَّة اسم غامض المعنى اخذ ينتشر في الشرق بعد ان كان محصوراً في البلاد الغربيَّة . وقد يستطيب فحواهُ العمَّال واصحاب الصنائع وكلّ من يرتزق بكدّ جبينهِ اذ يرون بهِ نجاتهم من استبداد اولياء الامور وذوي الثروة . ولا شك انَّ في الاتحاد والتضامن بين العمَّال واصحاب الحرف والذمَّة وسيلةً تنقذهم من اضرار السلطة المطلقة التي لا تعتبر الضعيف وتسحقهُ بقوَّتها القاهرة . لكنَّ الاشتراكيَّة كما هي شائعة اليوم في كثير من البلاد تتجاوز كلّ الحدود وتطمع في امتيازاتٍ لا حقَّ لها فيها وازمَّتها غالباً في ايدي بعض المشاغبين والمهيجين الذين يتجاوزون كلّ حدود الانصاف ويخدمون اغراضهم وامورهم الخاصَّة . وهذا الكتاب الذي أُرسل للشرق يحتوي كثيراً من مبادئ الاشتراكيَّين الفاسدة فلو اردنا تفنيدهُ باباً باباً لاقتضى ردُّنا الصفحات المطوَّلة . فنعدُّ اذن هذا الكتاب من التآليف المضرَّة التي تهيّج الاهواء وتثير المطامع بل يعود ضررها على العملة انفسهم ل . ش

شذرات

﴿ تنصُّر الامراء اللمعيين المتيفين ﴾ كنَّا تمنَّينا في المقالة المدرجة في العدد

السابق ان يفيدنا القرّاء الكرام ما يعرفونهُ من تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين فلبّى دعوتنا حضرة البرديوط المنسنيور بطرس حبيقة فكتب لنا ما نرويه بحرفه :

انَّ اولاد الامير نصر مراد اللمعي من المتين تنصَّروا بواسطة الملك الرحمات المطران بطرس كرم البسكنتاوي رئيس اساقفة بيروت الذي انفذ اليهم شقيقه الخوري يوسف ابلياكرم رئيس كهنة بسكنتا فعلّمهم مبادئ الايمان المقدس وعمّدهم كلهم . وحكاية ذلك هو ان اصغرهم الامير يوسف بعد وفاة والده ذهبت به امّه دلا بنت الامير عثمان من آل فارس اللمعي الى بسكنتا واقامت في بيت ابيها وبما انها كانت مارونية عمّد ولدها الطفل المرحوم الخوري يوسف كرم شقيق الملك الرحمات المطران بطرس كرم الآنف الذكر — ثم ذهب الخوري يوسف الى المتين بامر اخيه المطران وعمّد الامير سلمان وابنهُ الامير فارس والامير موسى وولديه الامير احمد والامير اسعد . وكان كفيل (عرّاب) الامير سلمان واخيه الامير موسى الطيبُ الذكر المطران بطرس كرم . وعمّد الامير احمد وكان كفيله : بشاره صالح البعبداتي شماس المطران . وعمّد الامير فارس وكفلهُ الخوري خليل ابو سليمان من المتين . وعمّد الامير اسعد وكفله الشيخ عقل شديد . وعمّد في الوقت عينهِ السيدة هند شقيقة الاميرين سلمان وموسى قرينة الامير منصور برمانا وابنتها السيدة هند قرينة الامير فارس ابن الامير سلمان واختها السيدة زهر والسيدة نسيم قرينة الامير موسى عمّدهم كلهم الخوري يوسف كرم البسكنتاوي في ١٣ ك ١ ١٨٣٥ في كنيسة مار جرجس في المتين وكان ذلك اليوم موسم افراح لم تشهد مثله قصبة المتين

تنصَّر الامير مراد ابن الامير شديد مراد ابي اللمع وتبع الطقس الماروني وتزوج بابنة الامير طروده فارس من بسكنتا (جد امرآء آل فارس في بسكنتا) . وبعد ان ماتت اراد ان يقترن باختها فانوس فلم يأذن له غبطة بطريرك الطائفة المارونية فالتجأ الى غبطة البطريرك اغناطيوس صرّوف فاذن له على شرط ان يكون من ابناء طائفة الروم الكاثوليك فرضي واقترن بها فاولد شديدًا ذكرًا وبنات وبقي الامير شديد من ابناء طائفة الروم الكاثوليك الى ان مات وأخلف الامراء : عبدالله ومراد وداود وابراهيم والاميرتين . نور الهدى وفتنة فالذكور تعمّدوا على حسب طقس الروم الكاثوليك والامتان اقتبلتا العماد حسب طقس الكنيسة المارونية . وتزوجت نور الهدى بالامير سعيد ابن الامير خليل قاسم شهاب وتزوجت فتنة بالامير سعيد بشير بلاع . اما الامراء : عبدالله ومراد وداود وابرهيم فبقوا من طائفة الروم الكاثوليك الى ان ادّعى جسم الطيب الذكر المطران بطرس كرم رئيس اساقفة بيروت فحكم المجمع المقدس بعد الفحص المدقق على يد معتمدين مخصوصين وهما السيدان القاصدان يوحنا لوزانا ويوحنا المعمدان اقريني بان يبقى الامير عبدالله وحده من طائفة الروم الكاثوليك لانه كان راشدًا وان يكون اخوته الثلاثة القاصرون : مراد وداود وابرهيم من ابناء الطائفة المارونية . واما اولاد الامير عبدالله من ذكور واناث فقد تعمّدوا حسب طقس الروم الكاثوليك ثم اعتنقوا الطقس الماروني ومن بقي منهم من الروم الكاثوليك فعلى ذلك رجاء ان ينال مناصب طائفة الروم الكاثوليك في حكومة لبنان مثل قائمقامية زحله وغيرها — هذا ما وصلت اليه معرفتنا القاصرة ووجدناه مسطرًا في بعض اوراق قديمة . اه

﴿ انتحار الحيوان ﴾ سُئلت مجلة الهلال أصحيح انّ الحيوان ينتحر كالانسان . فاجابت بصحة الامر وضربت لذلك مثل العقرب المحاطة بالنار التي تلسع نفسها وتموت اذا لم تجد طريقة غيرها للنجاة . (قلنا) هذه احدى ترّهات الهلال فان الانتحار جنونٌ يجهله الحيوان غير الناطق وهو يفضل من هذا الوجه على الانسان الجاهل . وما قيل عن العقرب لا صحة له كما جرّبهُ العلماء الاثبات

﴿ حفريات عسقلان ﴾ عسقلان من اقدم مدن فلسطين قد تكرر ذكرها في الاسفار المقدّسة . بناها الكنعانيّون وقد استولى عليها الفرعون رعمسيس الثاني ثم اتخذها الفلسطينيّون كاحدى حواضرهم وامّهات مدنهم الساحليّة وهي تبعد عن اورشليم نحو ٧٠ كيلومترًا فحارب اهلها بني اسرائيل غير مرّة . وفي أيّام العرب اصبحت عامرةً كثيرة المرافق حتّى دُعيت بعروس الشام . ثمّ اخربها صلاح الدين بعد ان غلب الصليبيين الذين تملّكوها دهرًا وبقيت خرابًا الى زماننا . فالانكليز وجّهوا اليها نظرهم واخذ الاستاذ غرستنغ يستعدّ ليجري فيها حفريّات في الخريف القادم لكشف عاديّاتها . والامل معقود على وجود آثار عديدة فيها

﴿ سقوط الحكومة الشريفيّة ﴾ قد ظهر فعلًا وتحقّقنا عيانًا ما سبق العلّامة ابن خلدون فدوّنهُ في مقدّمته عن سياسة العرب لا سيّما في الفصلين اللذين هذا منطوقهما : الاوّل « في انّ العرب اذا تغلّبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب » والثاني « في انّ العرب ابعد الامم عن سياسة الملك » . فهذه الحكومة الشريفيّة منذ استولت على داخليّة الشام ومدنها الزاهرة قد قلبتها رأسًا على عقب فلم يرضَ منها النصارى والمسلمون والدروز ممّا الّا عمّالها لاجل منافعهم الشخصيّة . فلا عجب انّ سوء تدبيرها وتهييجها لعصابات الاشقياء على النصارى وزرعها بذور الفساد في المنطقة الغربيّة ومطامعها الاشعبيّة قد ساءت حتّى اصحابها فدعا الامر الدولة الفرنسويّة الى تلافي سياستها الخرقاء فصارت تتمتّع بعذوبة السلام بعد رغم معاطسها وتنكيس اعلامها

﴿ الطاولات الدائرة ﴾ بلغنا انّ احد عمّال مطبعة الاحوال يتعاطى تدوير الطاولات ويدعو اليها اصحابهُ فنكرّر تنبيهنا على انّ الكرسي الرسولي قد حرم ذلك ونهى عنهُ تحت طائلة الخطإ المبيت . هذا فضلًا عمّا يلحق من الضرر الادبي والمادّي بمن يلاعبون الارواح الشرّيرة (اللاعب مع القط يأكل خراميشه)

أسئلة وأجوبة

س سأل جبرائيل افندي شباط من اميركة عن لسان احد المسلمين كيف يمكن النصارى ان يقولوا بأنَّ الله اله واحد وقد ورد في دستور ايمانهم انَّ ابن الله السيّد المسيح صعد الى السماء وجلس عن يمين الله الآب فهذا كلُّهُ يدلُّ على اثنين لا واحد مع نسبتهم الى الآب يدين ورجلين ويميناً وشمالاً

التوحيد والتثليث

ج خلط السائل بين وحدانيَّة الله في جوهره الذي لا يقبل عدداً وبين اقانيمه الثلثة القائمة في الجوهر الواحد. ثم فاتَّهُ انَّ الكلام في دستور الايمان انَّما يدلُّ على ناسوت السيّد المسيح وطبيعته البشريَّة لا على لاهوته الواحد مع الآب والروح القدس. امَّا نسبة اليدين والرجلين والوجه واليمين واليسار الى الآب فكلّ ذلك مجاز تقريباً للاهوت الله الى عقولنا البشريَّة الضعيفة ومثلهُ كثير في القرآن ايضاً. ومن اراد ايضاحاً اوسع فليراجع الكتاب الذي نشرناهُ وجدَّدنا الآن طبعهُ «مقالات دينيَّة لقدماء كتبة النصارى»

س. سأل مستفيد ا. ع من افاضل الثغر ماهو اصل غاز البترول ؟

اصل غاز البترول

ج لم يتَّفق العلماء الى يومنا على بيان اصل غاز البترول فمنهم من زعم أنَّهُ في قلب الارض محصول انحلال النباتات والحيوانات التي سبقت آونة التاريخ. ويرى غيرهم أنَّهُ نتيجة انعقاد الغازات الصادرة من الفحم المعدنيّ المستقطرة بقوَّة الحرارة الباطنة. وقد ارتأى الكيموي الشهير السيو برتلو انهُ ناتج عن الابخرة المائيَّة المتسلّطة على المعادن الممزوجة بالكربون لدى وجود حرارة بالغة ل. ش

← اصلاح غلط ← وقع في مقالة تنصُّر الامراء اغلاط يجب اصلاحها (ص ٥٤٤ س ٤) كالمعيين والصواب كالمنيين = س ٦ تولى احمد ومنصور سوية ١٧٥٤ ثم منصور وحده = س ١٢ ثم تغلَّب عليهم لقاب الامارة = ص ٥٤٧ س ١٤ اوَّل من تنصَّر من الشابين كان احد ابناء الامير حيدر

السنة الثامنة عشرة العدد ٩ ايلول ١٩٢٠

المشرق

ترقي العلوم منذ نشوب الحرب

للاب رفائيل نخله اليسوعي

اعتادت مجلة المشرق ان تُطلع قرّاءها على حركة العلوم كلّ سنة فرأت ان تعود الى مألوف عادتها بعد انقطاعها. والعود احمد

انَّ ترقّي العلوم ونكبات الحروب على طرَفي نقيض فلا عجب ان تكون سوق العلوم كسدت نوعاً بعد ان أُصيبت بضربات مؤلمة علّلتها اسباب شتّى منها سقوط كثير من العلماء في ساحات الوغى. ومنها انقطاع العدد المديد من المنتديات العلميَّة عن التعليم والاشغال العقليَّة امّا لاحتلال العدوّ في البلاد وامّا لقلّة الوسائط المادّيَّة لمواصلة الدروس العلميَّة

على انَّ هذه الاسباب وغيرها لم توصد والحمد لله كلّ ابواب العلوم فثبت قوم من اساطين العلم على اشغالهم الشريفة وخدموا المعارف والآداب خدماً مشكورةً فرفعوا شأنها وأعلوا منارها. وها نحن نذكر بعض ما وقفنا عليه في ما بلغنا من المجلّات العلميَّة

١ الاختراعات الحربيّة

كان فكر العلماء المركزيين والاتفاقيين معاً منصرفاً الى الاختراعات الحربيَّة الدفاعية والهجوميَّة فلو اردنا وصف كل ما ابتدعوه من ضروب الاسلحة والمدافع والقذائف والادوات المتفجرة لطال بنا الكلام فنكتفي ببعض ما شاع ذكرهُ

فمن ذلك «المدافع الالمانيَّة البعيدة المرمى» التي أُطلقت على باريس في ٢٣ آذار

١٩١٨ والايام التالية فانفجرت وذهبت بحياة عدد من الناس وسقطت على احدى الكنائس فقتلت فيها ٧٩ شخصا وجرحت ٩٠ وكان ذلك يوم جمعة الآلام والشعب مجتمع لحضور رتبة دينيَّة . وقد حلَّلوا هذه القنابل فوجدوها مركَّبة من فولاذ ممزوج بعنصر الفاناديوم وكان قياس عيارها ٢١٠ ملّمترات قد أطلقها الالمان عن بُعد ١٢٠ كيلو متراً من مدافع يبلغ طول انبوبها من ١٠ امتار الى ١٨ متراً ويقدَّر ضغط انفجار بارودها في الانبوب بنحو ٣٥،٠٠٠ كيلوغرام على السنتيمتر المربَّع . وكانت سرعتها عند خروجها من فوهة المدفع تتراوح بين ١٢٥٠ متراً الى ١٣٠٠ متر في الثانية كان ٤/٥ طريقها في اعالي الجوّ وفي ذلك سرّ قطعها هذه المسافة البعيدة لأنها اذا ارتفعت في طبقات الجوّ العليا الى فوق ١٢،٠٠٠ متر وجدت هناك هواء متخلخلاً تكاد تحفظ فيه سرعتها الاصليَّة

وممَّا روتهُ الجرائد منذ بضعة اشهر استنباط احد العلماء الفرنسويين لمدفع يرمي قنابلهُ الى بُعد ٢٨٠ كيلومتراً وسوف نرى ما في الخبر من الصحَّة

﴿ الدبَّابات او التنك ﴾ هي الحصون المدرَّعة المتنقلة المجهَّزة بالرشَّاشات التي لعبت دوراً مهمّاً في الحرب ولا سيَّما في اواخره حيث القت الرعب في قلوب الالمان وسلَّطت على جيوشهم الموت الذريع وقد نالها حصَّة من الشرف في انتصار الفرنسويين مؤخَّراً على العسكر الشريفي ففتحت لهم الطريق الى دمشق . وقد بلغ عددها في الجيش الفرنسوي عدَّة آلاف . وشدَّ ما كان تأثيرها يوم حملاتها وهي مصطفَّة كمدرَّعات برّيَّة على مسافة ٥٠ متراً الواحدة من الاخرى . ودونك المبدأ الذي استند اليه مخترعو هذه الدبَّابات . كلّ يعلم ان العجلات الثقيلة اذا سارت في ارض رخوة تغوص فيها دواليبها فتثقل حركتها وربَّما عجزت عن سيرها . فاستدراكاً لهذا الخلل ومنعاً لاحتكاك العجلات بالارض جهَّزوا نصالاً ناتئةً على دائرة الدواليب فمتى دار الدولاب نشبت تلك النصال تباعاً في الارض الرخوة . وقد حسَّنوا هذا الجهاز بأنَّ عدَّدوا النصال الناشبة في الارض فجعلوها مدغمةً في سلسلة عريضة لها طول المركبة وتدور على محورين . وليس لها مكان ثابت بالنسبة الى الدواليب فيمكنها ذلك مع السلسلة المستديرة من ان تتكيَّف بكيفيَّة شكل الارض التي تجري فيها كأنها أُفرغت في قالبها . ومن غريب ما تقدر عليه هذه الدبَّابات انها

تعبر بكل سهولة فوق خنادق يزيد عرضها على مترين. وليس هذا الامر مستحيلاً عليها لأنهُ متى جاز مقدَّمُ التنك طرفَ الخندق بمسافة قليلة بطل دولابا الامام عن الحركة وتبقى العجلة مستقيمة دون ان تهبط الى اسفل لأنَّ عدداً عديداً من النصال المذكورة يبقى راسخاً في مؤخر التنك بينما يدفعها الى الامام دولابا الوراء. فتسير العجلة حتى تصل الى الطرف الثاني من الخندق فينشب فيه دولابا الامام. ولا بأس ان يبقى مؤخر الدبَّابة معلقاً في وسط الخندق. والدبَّابات التي شاهدناها في بيروت من الطرز المنسوب الى الضابط رنو الفرنساوي لها آلة محركة تدفعها الى السير ومركزها في مؤخر الدبَّابة تتراوح قوَّتها بين ١٨ الى ٢٠ حصاناً وسرعتها تختلف بين ٨ الى ١٢ كيلومتراً في الساعة ويمكنها ان تسير عشر ساعات دون ان تضطرَّ الى تجديد مؤونتها من البنزين ويقوى تصفيحها على ردّ قذائف الرشاشات ولا تؤثر المدافع الصغيرة فيها شيئاً وهي تسير في الطرق الوعرة كما تسير في السهول تتسلَّق الجبال كما تنحدر الى الوديان. ومهمَّتها ان تسبق هجوم المشاة فتخرب امامهم البطاريات الخفيفة والرشاشات

٢ الحرب وترقي الصناعة

﴿ الفحم المسحوق ﴾ انَّ ضبط الاعداء لمناجم الفحم المعدني وقلَّة عدد المعدَّنين اثناء الحرب لمَّا جعل هذه المادَّة الضروريَّة عزيزة. وكانت الدول وارباب الصناعة تسعى جهدها في توفيرها. وكانوا لحظوا ان احتراق الفحم في المواقد ناقصٌ ثبت ذلك بالتحليل الكيموي الذي اسفر عن وجود ٢٥ جزءاً في المائة من الكربون في بقايا الفحم المستخدم فظنُّوا انهم يتلافون الخلل باصلاح المواقد وتحسينها فلم يحصلوا على نتيجة تذكر. ولم يلبث الامريكيُّون ان عرفوا الداء والدواء معاً وذلك بتنعيم الفحم وسحقه سحقاً دقيقاً لاسيَّما انواع الفحم الحجري الحاوية على كثير من المواد المتطايرة (٢٥ بالمائة) القليلة الرماد (١٢ بالمائة) بعد تجريدها عن رطوبتها فبمقدار نعومة السحق تزيد مساحة الفحم المتَّقد ومقدار ما يحترق منهُ. وفي حين الاحتراق تثور دقائق الفحم في مجرى هوائي وتمتزج باوكسيجين الهواء. وقد نجم عن هذه الطريقة توفير عظيم قدَّرتهُ الولايات المتحدة في السنين الاخيرة بعشرة ملايين طنّ وذلك في المواقيد الثابتة كما في مواقيد قطارات السكك الحديديَّة

﴿ ملابس الورق واثاثهُ ﴾ وهذا ايضاً من افضال الحرب . نعم انَّ الاميركيين كانوا اتَّصلوا قبل الحرب الى استخدام الورق لصنع الأثاث وعجلات مراكب القطارات واسلاك السكك الحديديَّة وبعض الآنية لكن استعمال الورق في اثناء الحرب وبعدهُ انتشر انتشاراً غريباً ولا سيَّما في المانية . وقد ظهرت براعتهم في ذلك في معرض برسلو الذي انشأوه قليلاً قبل انتهاء الحرب فخصُّوا قسماً منهُ لمصنوعات الورق فكان بينها الملابس بتمامها والخيَم والسجَّادات والمآزر وتقليد الحرير الاصطناعي ما ادهش كلَّ الزوَّار . امَّا الفرنسويُّون فاصطنعوا من الورق صدريَّات لوقاية الجنود من البرد القارس واغطية لموائد المطاعم في المدن الكبرى بدلاً من الاغطية القماشيَّة

﴿ اعضاء الجسم الاصطناعيَّة ﴾ هذا اجزل نفعاً من كلِّ ما سبق وفضلهُ يعود خصوصاً الى اصحاب الصناعة الفرنساويَّة . كان الفرنسويُّون قبل الحرب يصطنعون في الشهر مائة ذراع يركبونها على اجسام مَن قُطع ذراعهم لعلَّةٍ ما . فلما نشبت الحرب واصابت قذائف العدوّ الوفاً وربوات من المحاربين ضاعف الصَّنعة همَّتهم فامكنهم ان يصطنعوا كلَّ شهر ١٥٠٠ ذراع وجعلوا لكلِّ ذراع مفاصلهُ عند الكتف والمرفق والمعصم بحيث يتمكَّن الانسان من حركات متنوِّعة كالانحناء والامتداد والدوران وللذراع يدٌ بخمسة اصابعها مع مفاصلها وميلامياتها يكسونها بقفاز

ومن هذه الاذرع ما يصلح لقبض آلات شتَّى فيمكن العامل مزاولة اشغال كثيرة فيستطيع ان يقبض مطرقةً او ملقطاً لحمل بعض الاغراض او ملعقة للاكل او ورقةً او قلماً او لفافة تبغ او حزمة لا يزيد ثقلها على ٥٠٠ غرام ان كانت اليد وحدها اصطناعيَّةً وعلى نحو ٢٥٠ غراماً ان كانت الذراع كلها صناعيَّة . فأحسن بهِ اختراعاً يضمد بعض جراحات الحرب

٣ الحرب والنقابات البحريَّة

﴿ الطرَّاد هود الانكليزيّ ﴾ يُعَدُّ اليوم كأعظم سفينة حربيَّة كان تعويمهُ مشهداً مشهوداً في ٢٢ آب ١٩١٨ . ومن مميِّزاته انهُ جامع بين متانة المدرَّعات اذ لدرعهِ سمك ٣ سنتيمترات وسرعة تكاد توازي سرعة المدمِّرات فانهُ يقطع في

الساعة ٣١ عقدة اعني اكثر من ٥٧ كيلومترًا . جُهِّز بآلات محركة غاية في القوة وهي تقدَّر بـ ١٤٥،٩٢٠ حصانًا فتستطيع ان ترفع برج أيفل الحديدي البالغ ارتفاعهُ ٣٠٠ متر الى علو ١٣٥ مترًا فوق سطح الارض في الدقيقة . ومحمولهُ ٤١،٢٠٠ طن . امَّا طولهُ فنحو ٢٦٢ مترًا . وكلّ ذلك من غرائب المصنوعات . قد انفقت الحكومة الانكليزيَّة على تعميره ستَّة ملايين جنيه

﴿ سرعة السفن في الحرب ﴾ نالت فيها السبق المدمرات الانكليزيَّة فان احداها قطعت في الساعة ٣٦ عقدة اعني نحو ٦٧ كيلومترًا فتستطيع ان تذهب من بور سعيد الى مرسيلية في ٤٤ ساعة بينما كانت اسرع البواخر لا تقطع هذه المسافة بأقل من اربعة ايَّام ونصف اعني ١٠٨ ساعات . ومنها ما انتقلت من ليفربول الى نيويرك في ظرف ثلاثة ايَّام ونصف اعني بسرعة ٦٢ كيلومترًا في الساعة وهي سرعة القطارات المعتادة

امَّا القوارب الاوتوموبيليَّة فقد نالت الجائزة في سباق حدث في باريس اثناء شهر اذار الماضي سفينةٌ صغيرة قطعت ١٥٠٠ متر في ١٥ ثانية وذلك عبارة عن سرعة ١٢٠ كيلومترًا في الساعة . وقد اطَّلعنا آخرًا على اختراع سيَّارة مائيَّة (hydravion) ذات سرعة ١١٣ كيلومترًا في الساعة فتغلب بسرعتها اسرع القطارات مع انَّ مقاومة الماء تفوق كثيرًا على مقاومة الهواء لاسيَّما عند ازدياد السرعة . امَّا مبدأ هذا الاختراع ففي غاية البساطة فان صانعها ركَّبها على شكل مستطيل محدَّد الطرفين كمركبة زبلين الجويَّة ثمَّ رفعها فوق سطح الماء بعوامتَين من جانبيها لا يقاومهما الماء مقاومةً تُذكر امَّا جسم السيَّارة المائيَّة فلا يعترضهُ غير الهواء . وهذا الاختراع ابتكرهُ الدكتور غراهام بال (Gr. Bell) الذي ذاع صيتهُ منذ اربعين سنة باختراع التلفون

٤ الحرب والطيعات

﴿ ترقي فنّ الطيران ﴾ لا يُخفى ما فاز بهِ هذا الفنّ المستحدث من غريب التقدُّم اثناء الحرب الاخيرة التي أدَّى بها اعظم الخدم . وكان لفرنسة بهِ السَّهم المعلَّى فانَّ عدد طيَّاراتها الحربيَّة لم يزد في ٢ آب ١٩١٤ على ٦٣ عدًّا وبلغ في اواخر الحرب ٦٠٠٠ ولا يسعنا هنا ان نعدِّد ما نالهُ من التحسينات المتوالية في السنين الاخيرة وانما

نكتفي بذكر بعض النتائج التي توصّل اليها الطيّارون في اثنائها

(١ عبور الاتلنتيك بشوط واحد) - في حزيران ١٩١٩ طار القبطان كوك من جزيرة الارض الجديدة الى دُبلين عاصمة ارلندة فحطّ فيها بعد ١٥ ساعة و٥٧ دقيقة وذلك بمعدل ٢٠٦ كيلومترات في الساعة فربح جائزة جريدة الديلي ميل وهي مبلغ ١٠،٠٠٠ جنيه

(٢ المواصلات الجوّية المنتظمة بين لندن وباريس) بلغوا فيها معظم السرعة في الخريف الماضي حيث قطعوا تلك المسافة في ساعة و٥٠ دقيقة رغماً عن حالة الجوّ السيئة

(٣ معظم سرعة الطيّارات حاضراً) ادركه سادي الكوانت الاختصاصي في اواخر سنة ١٩١٩ فطار مدّة بضع ثوانٍ بسرعة نحو ٣٦٥ كيلومتراً في الساعة. فلا استطاع الطيّارون الثبات على هذه السرعة لانتقالهم من بور سعيد الى مرسيلية في نحو ثماني ساعات ومن نيويرك الى ليڤربول في نحو ١٤ ساعة!

(٤ الطيران من لندن الى مدينة الكاپ) والمسافة بينهما ١٢،٠٠٠ كيلومتراً قطعها طيّار انكليزي باشواط متعدّدة متقطّعة ما بين ٨ شباط و١٠ آذار ١٩٢٠ بسرعة ١١٠ كيلومترات في الساعة

(٥ بين باريس وليون في ساعة و٥٠ دقيقة) صنع هذه المعجزة الطيّار الفرنسوي روجه في نيسان الماضي فبلغ معدل سرعته ٢٧٢ كيلومتراً بنيّف في الساعة وكان ارتفاعهُ في الجوّ يتراوح بين ٥ و ٦ كيلومترات. وهي سرعة تجعل المسافة بين نيويرك وليڤربول ١٨ ساعة و ٢٠ دقيقة

(٦ بين رومية ونابولي) قطع طيّار تلك المسافة في ٤٠ دقيقة بسرعة ٣١٤ كيلومتراً في الساعة وذلك في آذار المنصرم

(٧ بين موناكو وبيزرت) عبر بينهما طيّار راكباً مركبة هوائية مائية (hydravion) في ٦ ساعات وربع بمعدّل سرعة ١٢٠ كيلومتراً في الساعة

(٨ معظم الارتفاع الذي بلغته الطيّارات) تمّ ذلك في ٢٧ شباط ١٩٢٠ فصعد احد الطيّارين الى علو ١٠،٩٦٩ متراً حيث كانت درجة الحرارة او بالاحرى درجة البرد ٥٥ تحت الصفر

(٩ سرعة هبوط الطيّارات عمداً) فاز بقصبة السبق في ذلك الطيّار ڤيس

(Weiss) فانهُ انحدر باختياره من اعالي الجو بسرعة ٢٨٠ متراً في الثانية اي سرعة الف كيلومتر في الساعة وذلك مما لم يخطر على بال احد

هذا ولم يشأ الفرنسويون ان يبقى فنّ الطيران واسطةً للقتال بل ارادوا استخدامهُ لاغراض تجاريَّة كنقل الركّاب وتوسيق البضائع وحمل البريد . فلادراك هذه الغاية انشأوا المعارض للسياحة الجويَّة . ففي معرض السنة الحاضرة في باريس عرضوا ٤٣ صنفاً من الطيَّارات منها ذات سطح وذات سطحين وذات ثلاثة سطوح تحرّكها ادوات مختلفة القوَّة من عشرة احصنة الى ٧٠٠ حصان ويختلف ثقلها وهي فارغة بين ١٢٠ كيلوغراماً الى ٣٤٠٠ ك وطولها بين ٣ امتار الى ٢٥ متراً . وعلوّها بين ١،٣ و ٦،٤ متراً ومدَّة طيرانها دون ان تحتاج الى تجديد وقودها بين ساعتين الى ٢٠ ساعة . وعدد محلّات ركابها بين ١ و ٢٨ . ومساحتها الكاملة من ٨ امتار مربَّعة الى ٢٠٤ امتار

وكان اوَّل نقل البريد بنوع منتظم على الطيارات بين تولوز وبرشلونة فتمَّ ذلك في ساعة و٤٥ دقيقة ثمَّ نُقل من برشلونة الى اليكنت ثمَّ الى مالقة وكازابلانكا . وفي الولايات المتَّحدة يُرسل البريد مرَّتين كلَّ يوم مع الطيَّارين من نيويرك الى شيكاغو في ظرف ٢٠ ساعة . ونقلت الطيارات غير مرَّة الركّاب من باريس الى لندن . وفي المستقبل القريب ستحسَّن الطيَّارات البريديَّة حتَّى تقوى على هيجان الرياح الشديدة في بعض الانحاء . وكان معدَّل ما تصنعهُ شهرياً فرنسة من الطيَّارات قبل الهدنة ٣،٠٠ طيَّارة و ٤،٠٠٠ محرّك

﴿ ترقي التلغراف اللاسلكي ﴾ كانت توجيهات التلغراف اللاسلكي الكهربائيَّة تبلغ قبل الحرب الى مسافة تسعة الاف كيلومتر . ففي سنة ١٩١٥ ارسل برج نارون في بروسية البالغ علوّ ٢٥٦ متراً انباء برقيَّة اثيريَّة الى مسافة ١٤،٥٠٠ كيلومتر . ثمَّ بلغها سنة ١٩١٩ الى مسافة ١٩،٣٠٠ كيلومتر . ومن ثمَّ يستطيع الان هذا التلغراف ان ينقل افكار الانسان الى اقاصي العالم لانَّ الهواجر الارضيَّة تبلغ بالتقريب ٤٠،٠٠٠ كيلومتر . وقد فكَّرت فرنسة في انشاء اعظم محطَّة للتلغراف اللاسلكي في جوار مدينة بوردو تكون قوَّتها خمسة اضعاف قوَّة محطَّة برج ايفل فترسل كلَّ يوم نحو ٢٧،٠٠٠ كلمة الى مسافة ٢٠،٠١٠ كيلومتر . وقد

حاولت عدة بلاد في اميركة واوربة انشاء محطات شاهقة العلو للمراسلات اللاسلكية ولاسيما مع مستعمراتها

ومن الاكتشافات الحربية بالذكر من هذا القبيل تجهيز الطيارات بادوات التلغراف اللاسلكي فان الطيارات عموماً بسبب جلبة محركها وصفير الريح الشديدة كان يتعذر على اصحابها استماع الاشارات الواردة من الارض الى قبابها . وكان ذلك مشكلاً عجز عن حله الطبيعيون الى ان اهتدى اليه الالمان بتجهيز قابل ذي اشارات منظورة لا مسموعة فوضعوا في اسفل القابل مصباحاً كهربائياً صغيراً يتجه نوره الى ثقب مستطيل غاية في الدقة والثقب هذا لا ينفذ فيه نور المصباح اذ يحول بينهما غلاف نومتر الا عند وصول النبأ اللاسلكي فحينئذٍ يحيد السلك حيداً كبيراً او صغيراً على حسب طول او قصر التموجات الاثيرية الصادرة عن الباعث فيرى الطيار ضوء المصباح من وراء الثقب ويستدل بطول الاشعة وقصرها على معانيها واصطلاحاتها كعلامات التلغراف مورس . وهذا الاختراع اخذ اليوم في الانتشار فتجهز الطيارات بادواته

وفي ايلول ١٩١٨ اكتشف الطبيعيان هربرت سيدفنس ولاريف ندي طريقة جديدة للمواصلات اللاسلكية بواسطة الاشعة التي بعد الاحمر (rayons infra rouges) المنبعثة من مصباح كهربائي ساطع النور فهذه الاشعة مظلمة وحارة لا تراها العين اذا نفذت حاجزاً من زجاج اسود مصنوع باوكسيد النيقيلة فتسير سيراً مستقيماً في الفضاء الى مسافة ٢٥ كيلومتراً ثم تنعكس على مرآة شاجية الشكل فتجتمع في مستوقدها وتؤثر في بطارية كهربائية مولدة للحرارة تتصرف بتصويرها كقابل تلغراف مورس . وذلك بان ترسل الاشعة من المحطة الباعثة بدفعات متوالية طويلة او قصيرة تمثل كل حروف الابجدية . وهذا التلغراف الجديد غاية في الاحساس . والشاهد عليه انّ رجلاً قرب من الباعث رأسه على مسافة ٥٥ متراً فانبعثت من الرأس اشعة اثرت على القابل على بعد عدة كيلومترات . والاستاذ برانلي العلامة الكاثوليكي الذائع الشهرة قد بيّن خواص هذا الاختراع العجيب في جلسة مجمع العلوم الفرنسوي في ٢١ تموز ١٩١٩ . وقد أحدث في جهازه بعض التحويرات لإمكان استخدامه على ظهر البواخر لفضله على التلغرافات اللاسلكية بأن يدلّ على قرب السفن وجبال

الجليد العائمة في البحر فتنجو المراكب من صدماتها بتغيير سيرها ولا يقتضي الشعور بذلك الى آلة باعثة بل يكفي وجود القابل على السفينة المستكشفة . فلو كان مثل هذا القابل على ظهر سفينة التيتانيك لما هلكت مع ركابها بصدم قطع الجليد (راجع المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٤٢٥ — ٤٣٢)

﴿ التلفون اللاسلكي ﴾ منذ اول اكتشاف العلامة مركوني لهذه الطريقة العصرية سنة ١٨٩٧ لم يزل هذا التلفون الاثيري في ترقٍّ متواصل . ففي أيام الحرب (تشرين الاوّل ١٩١٥) امكن الفرنسويين ان يتحادثوا لأوّل مرة بدون سلك مع الاميركيين بين برج ايفل وواشنطن . واليوم قد اصبحت هذه المحادثات اللاسلكيّة امرًا جاريا . ولمّا ركب الرئيس ويلسن الباخرة التي اقلّته في نيسان ١٩١٩ من اوربّة الى بلاده بقي في اثناء سفره يتعاطى الامور مع وزرائه . وقد ادّى التلفون اللاسلكي في الحرب الاخيرة خدماً لا تُحصى فانّ الطيّارين وبعض الرجالة كانوا يحملون على ظهرهم اجهزة خفيفة يحادثون بها رؤساء الجيوش . وفوائده اليوم متنوّعة فيستطيع سكان المدن التكلّم فيما بينهم . ويمكن الطيّار التائه في اعماق الجو ان يتحادث مع الارض او مع طيّار آخر . ومن غريب ما حدث من عهد قريب لمّا دعي الاميركيّون الى الاكتتاب لقرض النصر الاخير انّ ضابطاً اميركيًّا حلّق في جوّ احدى المدن والقى خطابا امام جهاز التلفون اللاسلكي كان يحرّض فيه الرئيس ويلسن وغيره من الاعيان لينشطوا الشعب الى الاكتتاب في القرض المذكور وكانت فوق الشوارع الكبرى الغاصة بالجماهير ابواقٌ معلّقة تتلقّى صوت الطيّار فتردّده مجهرًا مفخّما فيسمعه المحتشدون جليًّا . وقد اخترع هذه الابواق اميركيّان من سان فرنسسكو امتحناها لاوّل مرّة في تلك الفرصة — ومن اهمّ فوائد التلفون اللاسلكي تسهيله للمواصلات بين الجرائد الكبرى في كل البلاد . والمساجيرو الايطاليّة كانت اوّل جريدة استخدمته لهذا الغرض بين رومية ولندن

٥ في الكيميا والزراعة

﴿ الهليوم ﴾ قد عرف المشرق سابقاً اكتشاف هذا العنصر في مجهر الطيف الشمسيّ . ثمّ افرغ العلماء جهدهم في الاستدلال على آثاره في الارض فوجدوا منه

قليلًا في الغازات المنبعثة من آبار البترول في بلاد الكنساس فجرّدوهُ منها ممزوجاً بالازوت بنسبة سبعة اجزاء في المائة . وفي شهر آذار من السنة ١٩١٨ أنشئ في تلك الاصقاع معمل هليوم كان يستحضر يومياً نحو ٢٠٠ متر مكعّب من غاز يحتوي ٧٠ جزءاً في المائة من الهليوم . ثم بلغ ذلك المحصول ٣٠٠ متر مكعّب في اواخر ١٩١٩ . وقد سمت نظارتا الحربيّة والبحريّة في الولايات المتّحدة بتنمية كمّياته وخصّصت لذلك خمسة ملايين دولار . فاصبح هذا العنصر بعد ندرتهِ البالغة يباع المتر المكعّب منهُ في اميركة بخمسة وعشرين فرنكاً وكان يساوي اوّلًا ٣٠٠،٠٠٠ فرنك ولعل ثمنهُ يهبط قريباً الى ٤ او ٥ فرنكات . ومعظم فائدتهِ اتخاذهُ لنفخ المناطيد بدلًا من الهيدروجين فانّهُ مع كونهِ اثقل منهُ مرّتين يفوق عليهِ بمزيّة معتبرة وهو عدم التهابهِ بخلاف الهدروجين السريع الالتهاب يتّقد نارًا اذا اصابتهُ قذيفة او اثّرت فيهِ عوامل الجوّ فيحترق المنطاد . واذا زال خطر الحريق باستعمال الهليوم يمكن ايضاً زيادة عدد ركّاب المناطيد لجواز وضع المحرّك ملصقاً بغلاف المنطاد لا بعيدًا عنهُ كمحرّك الهيدروجين . كما انهُ لا بأس من مضاعفة تسخينهِ دون خطر فتتضاعف قوّتهُ المرقية بمقدار نقصان ثقلهِ النوعي ومن ثمّ يعوّل اليوم العلماء عليهِ الامل تسهيلًا للسياحات الجوّيّة فيأمنون خطر الحريق وينتقلون في الفضاء بسرعة ١٢٠ كيلومترًا في الساعة ويقتصدون في المصاريف اقتصادًا عظيماً . وقد ارتأى المسيو جرجس كلود من مشاهير العلماء والصناعيين في فرنسة ان الهليوم يصلح للاستنارة ايضاً وبهِ تتوفّر كميّات عظيمة من الفحم الذي هو الآن من اعزّ الموادّ الضروريّة لرواج الصناعة

﴿الكهرباء والزراعة﴾ اجرى الانكليز سنة ١٩١٦ امتحانات على ارض مساحتها نحو ٤٠٠٠ متر مربّع زُرعت قرطماناً فعرّضوها للمجاري الكهربائيّة ١٥ يوماً بعد زرعها وثبتوا على علاجها مدّة اربعة اشهر فنما الزرع بسرعة وزكا زكاء عجيباً فكان محصول تلك الارض بمقدار ٣٠ في المئة حبًّا و ٥٨ بالمائة تبناً زيادةً على سواها

﴿تطهير الحقول من الاعشاب المضرّة﴾ وجدوا لذلك طريقةً سهلة . فانّهم لحظوا انّ الارض البور او المهملة تمتلئ بالاعشاب الضارّة والمتطفّلة واذا قُلعت تبقى جذورها في قلب الارض حيّةً تعيق المزروعات الجيّدة عن النموّ . وقد توصّل الاميركيّون الى

تعقيمها وذلك بان يُنفذوا الى عمق ١٥ سنتمترًا من الارض هبوات البخار الى ان تبلغ حرارة التربة ٥٧ درجة من المقياس المئوي وتثبت على ذلك مدة ساعة ونصف فهذه الحرارة كافية لتعقيم وقتل كل الجذور والجراثيم المؤذية للزراعة . فأتت هذه الامتحانات بنتائج فائقة لكل الآمال ولم يكلفهم تطهير مساحة مئة متر مربع اكثر من ٣٠ فرنكًا استعاضوا عنها كثيرًا بوفرة الغلال

﴿تأثير المتفجرات في التربة﴾ ان انفجار القذائف الهائلة التي كانت المدافع تلقيها في وقت الحرب كانت تنفذ في اعماق الارض الى عدة امتار فتقلب تربتها ظهرًا لبطن وتمتزج بها المواد النطرونية فاصبح كلّ ذلك لها من عوامل الخصب ونما فيها النبات بعد الحرب نموًا غريبًا فأدى نظرها بفرنسويين اسمهما بيادلو ومالوني الى اختراع طريقة جديدة لزرع الاشجار المثمرة وذلك بأن حفرا في الارض حفرة عمقها ٦٠ سنتمترًا ملآها سمادًا كيماويًا مع قرطاسة من السلولونيد فلمّا انفجراها حدث بانفجارها حفرة عمقها ٨٠ سنتمترًا خلطت تربتها خلطًا عظيمًا مع نفوذ الابخرة المتفجرة في دقائقها ثمّ زرعا الشجرة في تلك الحفرة فنمت بعد زمن قليل وكانت اوفر ثمرًا واشدّ قوة من سواها . وكرّرا الامتحان بالنجاح عينه ودوّنته سجلات اكادمية العلوم الفرنسوية

٦ ترقي الطب والجراحة

﴿إنماء العضلات وتجديدها﴾ نشرنا سابقًا ترقي الجراحة على يد الدكتور كارل . وقد اتت الحرب وشحذت الافكار لعلاج الجرحى وتخفيف آلامهم . فلمّا توفّق اليه الدكتور برغونيه وعرضه على مجمع العلوم في باريس في ١٠ شباط ١٩١٩ اختباراته لمعالجة شلل الاعضاء وضعف العضلات عن النمو فبيّن ان الطريقة الميكانيكية المستعملة سابقًا بتحريك العضلات وتمرينها قلّما تأتي بنتيجة وافية لاعادة الوظيفة الحيوية اليها . وقد اختبر العلاج الكهربائي فأتى بخير النتائج وذلك بانفاذ المجرى الكهربائي الثانوي (courant induit) مناوبة في العضلة العليلة على طولها في كل اجزائها خمسين دفعة في الثانية بحيث يصيبها منه ٥٠ هزّة . فلحظ ان حجم العضلة العليلة ينمو بغاية السرعة فتقوم العضلة بعد قليل بوظيفتها في جسم العليل وقد اخترع الدكتور بوديسون طريقة اخرى لهذه الغاية وهي تتوقّف على تهييج

المراكز العصبيَّة ولا سيَّما بالاهتزازات الميكانيكيَّة التي تزيد حياة الخلايا العصبيَّة . فوضع لذلك جهازاً بسيطاً يحدث اهتزازات متساوية منتظمة فيركبهُ على العضلات العليلة او على ما ينوط بها في الجسم . كتركيب الجهاز مثلاً على الفقرة السابعة من العنق فتتهيَّج بذلك المراكز العصبية المنوطة بعضلة القلب . فاذا بلغت تلك الاهتزازات الى اطراف العضلات الجامدة لم تلبث ان تجدد حياتها . وهذه الطريقة العلاجيَّة اصابت نجاحاً تاماً لمَّا اختبرها مخترعها في اول الحرب في مرسيلية اوَّلاً ثمَّ في باريس ولعلَّها تنتشر قريباً في سائر البلاد

﴿ التبنيج بالكلوروالوز ﴾ كثيراً ما يحتاج ارباب الجراحة الى تبنيج المرضى لاجراء عمليَّات جراحيَّة خطرة . وكان التبنيج عادة بالكلوروفورم او بالاثير . على انَّ في تخدير النخاع بالكلوروفورم خطراً عظيماً على القلب وعلى الجهاز التنفسي كما انَّ التخدير بالاثير ينهك الجهاز العصبي . ولسبب الضررين المذكورين ربَّما امتنع الجرَّاحون عن اجراء العمليَّات خوفاً من سوء العقبى . لكنَّ الاستاذ ريشه (Richet) كان وقف سنة ١٨٩٧ على مادَّة مبنجة تتلافى تلك الاضرار تدعى كلوروالوز متركبة من مزيج الكلورال والفاوكوز ومن خواصها انها تقوي القلب وتزيد الضغط الدموي . على انَّ الجرَّاحين أنفوا من استعمالها لضرورة حقنها مباشرةً في العروق . واليوم اذ اصبح الحقن امراً جارياً خلواً من كلِّ خطر استأنفت الكلوروالوز انظار العلماء فأخذوا يبنجون بها المقصود علاجهم بالعمليَّات . وكثيراً ما أُجريت مثل هذه العمليَّات على المصابين بجروح بالغة كان الجراحيُّون نفسهم ييأسون من شفائهم سابقاً فنقه منهم كثيرون واحتملوا جميعهم العمليَّات المديدة بدون أذًى . وكاد هذا الدواء يفوز برضى الجميع لولا حركات غريزيَّة يبديها المعالج وقت التبنيج بفعل الكلوروالوز والتي تعيق نوعاً شغل الجرَّاحين فيلتزم الجرَّاحون ان يربطوا العليل ربطاً محكماً ليكفَّ عن تلك الحركات المزعجة

٨ علم الهيئة والرياضيات

﴿ سيَّارة جديدة ﴾ ذكرنا في جريدة البشير (العدد ٢٥٩٦) وجود هذه السيَّارة الواقعة ما وراء نبتون التي كان الفلكيُّون يعدُّونها كحدٍّ نظامنا الشمسي

لوقوعها على بعد اربعة مليارات و ٨٠٠ مليون كيلومتر من الشمس اعني ٣٠ مرة المسافة التي بين الارض والشمس . على ان بعضاً من الفلكيين كانوا يحدسون في وجود سيارة ابعد منها فتحقق رأيهم فعلا فان مديري مرصد «فورد كولج» في الولايات المتحدة توفقوا الى اكتشاف تلك السيارة وذلك لما وجدوه من الفرق بين موقع نبتون الحقيقي وموقعها وفقاً للحساب فاستنتجوا من الفرق الزائد على ثانيتين ان تلك الاختلالات ناتجة ولا محالة عن وجود سيارة أخرى وراء نبتون بحسب ناموس التجاذب العام . كما كان سبق الفلكي الشهير له فريه فقضى بوجود السيارة نبتون بمجرد الحساب الى ان تيسر لفلكي من برلين ان يرصدها . وقد حددوا الآن مميزات هذه السيارة فوجدوا ان بعدها عن الشمس يوازي ٦٨ مرة المسافة التي بين ارضنا والشمس فيتسع بذلك قطر دائرة نظامنا الشمسي على ضعف ما كان يقول به العلماء . وحجم هذه السيارة كحجم ارضنا تقريبا وكان موقعها عند اكتشافها في كوكبة الطائر غائصة في المجرة بحيث يصعب تمييزها حتى باعظم آلات الرصد بين الالوف من نجوم المجرة كما لا تستطيع الادوات الفوتغرافية ان تأخذ صورتها ولعلهم يتوصلون الى رصدها بعد خروجها من المجرة . اما جذب الشمس لهذه السيارة التي تدور حولها على بعد عشرة مليارات و ٨٨٠ مليون كيلومترا (وهو يوازي ساعة و٢٧ ثانية بسرعة النور) وذلك دون ما يمكن ان يتصوره العقل وبياناً لذلك نوعا افترضوا ان تلك السيارة اذا سقطت نحو الشمس لا تؤثر الشمس في جذبها في الدقيقة الاولى اكثر من ٣٠٠٠ ميلمتر . وهي مسافة لا يكاد يرصدها اكبر المجهرات ومع ذلك فان هذا الجذب الشمسي هو الخيط المنكبوتي الذي يقيد تلك السيارة ويلزمها بالدوران حولنا . فسبحان من صنع تلك العجائب

مشكلة الاجرام الثلاثة من اهم المشاكل الميكانيكية التي حلها الرياضيون بعد زمن مديد مشكلة الجرمين وهاك منطوقها . فلنفرض ان جرمين يتجاذبان وفقاً لناموس معين . فماذا تكون حركتهما على فرض معرفة كل مميزاتهما الميكانيكية في وقت محدود اعني الثقل والسرعة بمقدارها ووجهتها والمسافة الفاصلة بين الجرمين . وقد استنتج العلماء بمجرد الحساب انه اذا كان احد الجرمين اكبر كثيراً من الآخر كما يتحقق الامر في الشمس وكل من سياراتها فان الاكبر يكاد ان ينتقل بالنسبة الى

الاصغر الذي يدور حوله بدون انقطاع على خط اهليلجي بسرعة تختلف باختلاف بعده عن الجرم المركزي. وكان لحل هذه المشكلة تأثير عظيم في علم الفلك حيث باح بسر دوران السيارات حول الشمس الى غير ذلك من الغوامض الفلكية .

امّا مشكلة الاجرام الثلثة فنطرقها كما يلي: بفرض معرفة المسافة الفاصلة بين كلّ منها والآخرين في وقت معيّن ومعرفة ثقل كلّ منها وسرعته ثم ناموس التجاذب بين كلّ من الثلاثة وما سواه كيف تكون حركات الثلاثة ؟ ولمّا كانت هذه المشكلة اصعب من السابقة بدون نسبة فقد اجهد فيها نوابغ الرياضيين قرائحهم من سنين عديدة فعجزوا عن حلها بالرغم عن تذرّعهم باسمى طرق الحساب . وفي السنين الاخيرة توفّق الى تذليل صعوبة هذه المعضلة احد علماء فينلنده . وممّا يزيد استحقاقه انه حلّها على طريقة حسابيّة مأنوسة لم يكن احد يتوقع فائدتها في مثل هذه المشكلة التي اعجزت ائمة علماء الرياضيّات. وقد عرض احد مشاهير الاساتذة الفرنسيين هذه طريقة الحل السهلة في احدى جلسات اكاديمية العلوم الفرنسية فقضى الحاضرون العجب من بساطة الحلّ وطول باع صاحبه. والحق يقال ان هذا الاكتشاف من اهمّ الاكتشافات التي رأيناها في بدء هذا الجيل ولا سيّما انه سيُعين الفلكيّين على ادراك مكنونات حركات النجوم وهي الان من اخطر ابحاثهم واصعبها

﴿ اختبارات الاستاذ الايطالي ماجورانا بخصوص ناموس التجاذب العام والثقل ﴾

نتيجة تلك الاختبارات الغريبة التي عُرضت على اكاديمية العلوم الفرنسية في جلستي ١٣ و٢٧ تشرين الاول سنة ١٩١٩ هي الآتية: اذا وُضع على كفّة ميزان الواحد فوق الآخر جرمان متساويان ثقلًا وحجماً فيكون ثقل المجموع اخفّ قليلًا مما لو وُضعا الواحد بجنب الآخر. والفرق بين الوزنين يكاد لا يذكر فانه لا يزيد عن عُشر المليغرام بفرض كون ثقل كل من الجرمين نصف كيلوغرام. فيكون الفرق جزء من مليار بالنسبة الى ثقل المجموع. وحين اجرى الاستاذ الايطالي ماجورانا هذا الاختبار الغريب استخدم كل الاحتياطات اللازمة لإلغاء كافّة اسباب الغلط في الوزن فمنها انه استعمل ميزاناً في غاية الدقة مصوناً من التأثيرات الخارجية بواسطة صندوق معدني محيط به ومُفرّغ من الهواء. وكُرّر الاختبار مراراً عديدة وهو لا يزال يُسفر عن نفس النتيجة المذكورة آنفاً. وهذا مما لم يخطر حتى الآن على بال احد من الطبيعيين او الفلكيين وهم الموقنون

بان نواميس الثقل (وهي تابعة لناموس التجاذب العام الذي اكتشفه العالم نيوتن) تنطبق على مادتين بنسبة كثافتها وعكس مربع المسافة الفاصلة بينهما فلا مدخل فيه لكيفية وضع احداهما فوق الاخرى او بجنبها . فيتضح من اختبارات الاستاذ ماجورانا ان منطوق هذا الناموس ليس في غاية الصحة وان كان كافياً من الوجهة العملية . اعني في وزن المبيعات وغيرها . وعلى كل حال فاننا نجد مثل تلك الظواهر الغريبة في الحرارة والكهرباء اللتين لا تنفذان في الاجسام حتى الناقلة لها بدون تناقص قوتهما . فلماذا لا يحدث مثل ذلك في قوة الجذب الصادرة كما هو معلوم من مركز الكرة الارضية . فتى نفذت قوة الثقل الجرم الادنى الموضوع على كفة الميزان فانها تنقص قليلاً فيخف تأثيرها على الجرم الاعلى الموضوع فوق الاول . فكان الجرم الادنى حاجز يحول دون جذب الآخر . ومما يؤيد هذا التأويل ويبين ان قاعدة التجاذب العام الشائعة بين العلماء حتى اليوم ليست مضبوطة ضبطاً تاماً ان الفلكيين لاحظوا من مدة طويلة في مطارد حركة لا تنطبق تماماً على القاعدة المذكورة . ومنه يتضح كم يجب على العلماء ان لا يثقوا بعلمهم حتى في الامور التي تلوح لهم راهنة مقررة فان العقل البشري مما ترقى لا يزال قاصراً

الارواح في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان (تتمة)

٣ اكرام الاشجار

قد نالت الاشجار والغابات في شرقي الاردن اكراماً عظيماً لزعمهم انها مبيت الارواح الخفية , والاشجار نوعان : منها ما ينمو على شواطئ الانهار والجداول ومنها ما ينشأ على منحدر الجبال او في السهول والهضاب . فمن شجر السهول الدوم وهو كثير في سهل اريحا يرتفع بافنانه الشائكة ويخضر في اوائل الربيع ويجف في هواجر الصيف . اما اشجار السنديان والبطم فانها تنشأ في المرتفعات . ومن اسباب اكرام الاشجار في

البادية ان البدوي يقطع البسابس بين وقدات الحرّ وانوار الشمس فيودّ ان يرى شجيرةً تقيه حرّ الشمس ووطأتها . فاذا ظهرت له عن بُعد يُسرع الخطى اليها وينام تحت اغصانها فيرتاح من نَصَب الطريق فيقدّم آيات الشكر وفروض الاجلال لرب الفلاة او للروح الساكن في اغصانها . ولعلّ هذا الاكرام من بقايا عبادة عرب الجاهليّة للشجر . روى الطبريّ وغيرهُ من المؤرخين ان العرب كانت تَعبُد نخلة نجران وكان يظن الاهلون ان الإلهة العزّة تقطن بعض الاشجار . وكان في مكة قديماً شجرة تدعى دوحة العَنْوَات وكان الاعراب يعلّقون عليها الاسلحة وبَيض النعام . ونقل بعض العلماء عن العرب ان شجرة المَناهِل تستقرّ بها الارواح ولذلك كانوا يعلّقون في اغصانها لحماً ويذبحون لها ذبائح . وكان يدّعي الاقدمون ان هذه الاشجار المغروسة بالقرب من الهياكل تنطق بالاسرار الغامضة والرموز الخفية ولذلك كانوا يدعونها بشجر النبوّات . وقد بقي اليوم شيءٌ من تلك التخيُّلات العاديّة في الاشجار لاسيّما السنديان المغروسة عند الخلوات الدرزيّة ومساجد أهل الشيعة في لبنان

وكان العرب قديماً يَعبُدون ثعلب الرِيام وهو نوع من الزهور القفرية . وادّعى بعض العلماء ان الاله ريمون هو شجر الرمّان التي كان بعض الالهة يتخذون افنانها مقرّاً لهم . وقال غيرهم انما هو إله الرعد والزوابع المعبود عند الاشوريين . وكانت عبادة الاشجار شائعة ايضاً عند الكنعانيين فانهم كانوا يقترون على الشرفات وتحت الاشجار الخضراء . والمرجّح انّ بني اسرائيل تقلّدوهم في ذلك فأنذرهم الله على لسان النبي هوشع (٤ : ١٣) : « انهم يذبحون على رؤوس الجبال ويقترون تحت شجر البلوط واللبنى والبطم لان ظلّها حسنٌ » . وقال اشعيا النبي (٥٧ : ٣-٧) : « اما انتم اولاد المعصية ونسل الكذب المتوافدون الى الاصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الاولاد تحت شقوق المعاقل . على جبلٍ عالٍ ومرتفع وضعتِ مضجعكِ والى هناك صعدتِ لتذبحي ذبيحة » . وقال ارميا النبي (٢ : ٢٠) : « لانك على كل اكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء انتِ اضطجعتِ زانيةً . خزِيَ آل اسرائيل وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وابناؤهم بقولهم للخشب : انت ربي وللحجر انت ولدتني . قد شعبتْ طرقُكِ للغرباء وتحت كل شجرةٍ خضراء . كيف انطلقتِ الى كل جبل عالٍ والى تحت كل شجرة خضراء . وآل اسرائيل سيذكرون مذابحهم وعشتاروتهم

عند الاشجار الخضراء وعلى الآكام العالية . اني اجعل كنوزكِ ومشارفكِ للنهب »

وكان الفينيقيون يقسمون بالاشجار . والاعراب يقولون في ايامنا الحاضرة : «وحياة العود والرب المعبود » . وكانت الشعوب القديمة تعدّ القمم الشامخة المخضرّة الافنان كمأوى الالهة . لأن الجبال على زعمهم اقرب الى السماء وهي بمناظرها الطبيعية تحيي العواطف الرقيقة وتقوّي الصلات بين الله والبشر (١ . بيد ان العرب قد ألفوا منافع جمّة للاشجار فاكرموها . واصبحوا يقترون تحت ظلالها فقد ذكرنا ما تُحدث في النفس من الراحة والسرور في ارض اشتدّ حرّها واتّقدت هواجرها . وزادهم في اكرامها انهم اختبروا بعد التجربة قوة الاشجار الخارقة لدفع الامراض والاضرار عن الانام فكم من شجيرة وجدوا فيها علاجاً لأعضل العاهات والامراض . ولأن اكثر الاشجار تنمو بالقرب من مقامات الاولياء زعموا انها تتّخذ قوّتها من الاولياء الذين مَيَّزوها على غيرها . وبعض الاشجار ترتفع على رجوم احد القتلى فيرتأون ان روح البطل تصونها من حوادث الايام وتمنحها سلطتها العجيبة . وطوراً بالقرب من عيون المياه فارواح المياه تكسبها شهرةً واسعة . وفي غالب الاحيان تراها على المرتفعات وقمم الجبال منفردة فيقصدها الاعراب ويذبحون تحت اغصانها ويتضمخونها بالدم وربما علّقوا على افنانها هداياهم واودعوها من ودائعهم الاعرابية لتحفظها من ايدي السارقين . امّا الاشجار التي تمتاز عندهم عن غيرها بصفاتها الشهيرة فشجرة الرّتم تُستخدم لدفع الحُمّيات التي تنشأ في غور الاردن في بدء فصل الشتاء . فهي كشجر الكينا في منافعها . ولشجرة الصَّلَتون فضل كبير في شرقي الاردن كعلاج لداء الكلب وذلك بان تُغلى في الماء الى ان تحلّل قوّتها فيشربها العليل دفعات متوالية . وللرّتم رائحة طيبة تطرد الارواح على زعمهم وتبعد العين الشريرة . ولنا بحث مسهب في الاعشاب الطبية في البادية

ومن الاشجار المكرّمة عند الاعراب شجرة السنديان . فهي وثيقة الأصل ، ممتدّة الاغصان مورقة الافنان صيفاً وشتاء . فيراها الاعراب مرتفعة نحو السماء فيخيّل لهم انها اصابت قوّة غريبة من الارواح الساكنة فيها . فكثيراً ما يمرّ الحارث تحت

(١ راجع ما جاء في المشرق عن تأليه الفينيقيين لجبل لبنان ولرأس الشقعة (٢٥ : ٥)

غصونها فيلقي اليها محراثهُ ويمضي غير خاشٍ صولة القوم اللئام لان الروح يحفظه . وربَّما القوا الى جانبها جوالق الحنطة والشعير فلا يتجرأ احد على سرقتها . وقد مررتُ بشجرة قريبة من قرية ماعين تدعى شجرة وادي الحبيس وتحتها اكياس من الحنطة ولا حارس يحرسها فسألت رفيقي من عقلاء الموازرة كيف لا يخشى صاحبها الايدي الاثيمة . قال : والروح ماذا يعمل أليس هو حارسها ؟ . او ليس يعاقب السارق اشد العقاب ؟ . قلت : ما اقرب العرب الى الخرافات ! . فقال : الا تعرف ما حدث قبل ليلةٍ ؟ . قلت : وما ذاك . قال مرَّ حُجَوي بالقرب من الشجرة راكباً فرسه . فقدَّمها من الحنطة واخذ يطعمها ثم ملأ خرجه وسار . فما كاد يخطو بعض الخطوات حتى سقطت فرسه وماتت . وكم من امرأة عقيمة أتت ورقدت تحت الاشجار المقدسة طالبةً من رب الشجر ان لا يجعلها عارًا بين النساء . ولقد عاينَّا شجرةً مورقة في قصر الرَّبة تدعى شجرة القصر فقال لي بدوي هناك : انظر انها مورقة بفضل ربها

ولقد زرنا اشجار النبي هوشع بالقرب من السلط وهي مجموعة اشجار سنديان نشأت على قمة الجبل . وقد عُهدت حراستها الى الشيخ ابي محمود فلا يتجاسر احد على كسر غصن من اغصانها . فخرجت يوماً بطلبة المدرسة الى ذاك الجبل فارتفع احدهم الى الشجرة واذا بالقيِّم قد اسرع نحوه واخذ يستعطفه بالنزول عاجلًا لئلا ينزل به ربُّ الشجر عقاباً شديدًا صارماً

ومن غاباتهم المكرَّمة شجرة الخنيطي وهو مزار بين عمَّان والسلط . وشجرة المصلَّى بالقرب من النبي هوشع . وشجرة النبي جادور وهي على مرتفع من الجبل الجنوبي من السلط وارتأى بعض العلماء ان ذاك المرتفع قائم على آثار جدر (Gadara) القديمة وهو قريب من الصوالح . وبالقرب من الكرك جنوباً توجد غابة من شجر الميس وهي موهوبة مكرَّمة

ومن اغرب ما شاهدناه انَّ جماعة من بني حميدة كانوا مجتمعين في وادي الموجب حول شجرة دُوم وكان شيخهم يدهن قشرتها بالسمن والزيت . فسألناه عن السبب في ذلك فقال : هذه شجرة مكرَّسة . وكثيرًا ما يعلقون عليها الانسجة الملوَّنة . وقد رأينا النساء يعلقن شعرهن في اغصان الاشجار شكرًا لنعمة نلنها او دفعاً لمصيبة . وذكر لي الشيخ رغل المجالي ان في وادي موسى شجرةً تُدعى شجرة المكرسي يعلق

الاعراب في اغصانها امتعة ثمينة فتحفظها كودائع لاربابها . (قال) . كان في ارض الثمد شجيرة رتم قطعهـا رجل صخري فقُتل لساعته لأنها كانت مقدسة وقد تتجلى فيها الارواح ليلاً فيقتر الاعراب الضحايا تحت افنانها ويوقدون المصابيح اكراماً لها

غير ان بعض الاعراب يدعون ان ليس في هذه الاشجار روح ولا قوة خارقة انما دبَّ الوهم في عقول الناس لما هم عليه من الجهل . روى لي بدوي قال : نزل بنا ضيف كريم من قرية مادبا من المسيحيين . وكان الطقس بارداً والرياح شديدة . ولم يكن عندنا ما يوقد من الحطب الا شجرة مقدسة . فنهض النصراني واخذ يكسر اغصانها ويقول : يارب الشجر لا تحاسب البشر . فقلنا له وقد انكر علينا سلطة الارواح : لا شاين خف الله واكفنا شرك . فلم يرتدع ولم يُصب بأذى . فقلنا : « لا بارك الله بصاحب الشجرة لانه مسلَّط علينا فقط لانا ضيوف الله »

وقد روى لي حميدان اليزيدي انه يوجد في شرقي ذيبان بالقرب من رجم سليم شجرة تدعى ام شجيرة يكرمها بنو حميدة يزعمون انها تؤذي من يلمسها وقد طار ذكرها في البادية . ومما لا ريب فيه ان للغابات اكراماً عظيماً واقساماً مغلظة فان شجرة عبدالله في الربة لها منزلة رفيعة من الاجلال فيقولون في اقسامهم : « لا وحياة ابوي وحياة الله وحياة شجيرة عبدالله اني لم افعل كذا » . واذا طال الجدال بين خصمين يقصدان هذه الشجرة ويضعان يديهما على ساقها ويقولان : « بحياة شجيرة عبدالله » . وقد تعهدنا شجرة بذان في الكرك يكرمها الجاشنة . ولهذه العشيرة شجيرات تدعى شجيرات الحيرة في ارض الكورة وهي اصقاع سهلية لعرب الحمايدة . ورأينا في اسفل قرية عراعر شجرة السلطاني يكرمها عرب الحجايا والحمايدة وتزورها نساؤهم طلباً للشفاء . وبالقرب من كنيسة الروم الاثوذكس في الكرك شجرة زيتون نالت اكراماً واسعاً من السكان على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم . فيتبخرون بها ويحملون اوراقها لاتقاء العين الشريرة

وهذه الاشجار تجير من يستظل بها من انسان او حيوان . فاذا رأى الصياد غزالاً تحت اغصانها او طيراً على افنانها لا يصيبها بأذى لانها اصبحت في مأمن من حياتها فلا يُختطَبُ منها ولا يصاد طيرها . وكم من راعٍ اتى بغنمه وزار تلك الاشجار وطاف بها وذبح لها ذبيحة ونضحها بالدم . والعرب الحاليون يستحلفون اولادهم ان

يدفنوهم بعد وفاتهم بالقرب منها . ولذا ترى اكثر المقابر في شرقي الاردن حول الاشجار المقدسة كما في هوشع والمية والجادور وعبدلله

٤ اكرام المغاور القديمة

ان الاردن الشرقي وارض مؤاب والرَّبة غنيَّة بالكهوف القديمة . فمنها ما هو قديم يرتقي عهده الى المدن الغابرة التي اصبحت اطلالاً كمغاور ذيبان والقصر وماعين ومنها ما هو طبيعي انشأته يد الايام لما انزلت به عوامل الطبيعة من الامطار والارياح فهذه المغاور يدعونها في شرقي الاردن طوراً . وهي تمتدّ على منحدر الجبال . فالارواح على رأيهم تقطن في هذين الجنسين من الكهوف

ومما يلفت الابصار ان المغاور كانت قديماً مأوى للانسان في الاعصر الاولى . ولقد عثرنا على قرى عديدة في ارض مؤاب مبنية على الكهوف القديمة . فان قرية مادبا قامت على انقاض المدينة القديمة وفيها اكثر من خمسين مغارة تحت الارض . واستخدمها الاهلون كمخازن للحبوب في دهرنا الحاضر . وقد تعهدنا في قرية ماعين مغارة واسعة تمتدُّ تحت البيوتات على مسافة مئتي متر . فيقول الاعراب انَّ هذه الكهوف آهلة بالارواح . لا يسكنون في واحدة منها قبل تقديم الذبيحة

ذكر لي عقيل السكران رواية غريبة حضرها بنفسه قال : عزَّبنا (١ الى ارض قفراء . ونزلنا في مغارة قديمة لنستريح ونبيت الليلة فيها . وكانت برفقتنا عجوز تدعى فضَّة النبر فهذه قامت باكراً جداً لتصلح لنا طعاماً واذا بشبح قد انتصب امامها في مؤخر المغارة . فلبثت المرأة رابطة الجأش ساكنة القلب . فاقترب الخيال منها . وكان الشبح يتمثل بجميع حركاتها فقالت له : ان كنت غولاً فانا أغوَل منك : ثم اخذت بترولاً ووضعته على راسها فامتثل بها الشبح ثم حملت قبساً والقته على راس الخيال فاشتعل وغاب عن الابصار

٥ الحرم المقدس

كان الحرم قديماً هيكلاً كبيراً يقوم بخدمته السدنة والكهنة . وكان مكرَّساً

(١ عزَّب كلمة بدوية بمعنى ترك المرء بيته الحجري ورحل الى البرية ليسكن في بيوت الشعر طلباً للكلأ

مكرماً . وكان كل من دخل بين اسواره من انسان وحيوان يصبح آمنا مطمئناً . وامتدت تلك الامتيازات الى المدينة نفسها . فكان الطير يرتفع في سمائها غير خاشٍ يد الانام . فقد حمى الحرم المستجيرَ به فلا يُرام فيه خائف ولا يصاد فيه وحش ولا يُحتطب له شجر . فان مدينة ايكاروس بالقرب من مصب الفرات كانت حرما مقدسا . غير ان العرب الحاليين اتخذوا لهم أحراما في البادية دعوها حُوطا . فانا نعاين في ارض البلقاء حجارة مرصوفة ومبنية على شكل دائرة قد نالت إكراما عظيما وامن فيها المستجير . ولعلَّ هذه الحوطة من اثار الحرم القديم . وربما كان الحرم في الاجيال المتقدمة على هذه الهيئة . فالاعراب يقسمون بهذه الحوطة ويودعون فيها المحراث فقد شاهدنا بالقرب من السلط في ارض السرو حوطة يبلغ محيطها ثلاثين متراً . وهي مستودع امين الحنطة والشعير وآلات الحراثة . فلا يتجاسر احد ان يمدَّ لها يداً اثيمة لأن الارواح تدافع عنها

روى لي عمار العيسى من عشيرة الحواتمة قال : « كنت يوماً افلح ارضاً لي في موقع الحَرَم . فلما غابت الشمس وراء الجبال اودعت المحراث في وسط الحوطة وعدتُ الى السلط آمنا من غوائل الايام والانام . فعدت في اليوم التالي وطلبت المحراث فلم اجد له اثرا . فأنكرتُ على الحرم سلطتهُ وأقسمت اني لا ابالي بقدرته . وبعد ايام مررتُ بالقرب منه فوجدت المحراث في موضعه . وذلك ان رجلاً كان سرقه فاصابهُ مرض اضطرهُ الى إرجاعه خوفاً من عقاب اعظم » . وانتشر الخبر في السلط فزاد اعتقاد الاهلين بقوة حوطة السرو

٦ الاحجار المقدسة

ان الاديان السامية قد اقامت عبادة للاحجار المقدسة ذكرها المؤرخون المبرّزون عن البابليين والاشوريين والمصريين فظنّوا ان الارواح تتخذ هذه الصخور مسكناً لها . ومما يولي المطالع عجباً ما يراه في اعتقادات هؤلاء الاقوام . فقد عبدوا المياه اذ وجدوا فيها مبدأً قوياً لإحياء الاشجار والزروع والقوا في الاشجار ظلّاً ظليلا ونفعاً جزيلا . ولكن الاحجار جامدةٌ لا حياة فيها . ولعلّهم اكرموها لانها كانت المادة الاولى لاصطناع التماثيل البديعة التي تخشع امامها العيون وتعنو لها الجباه لما فيها من دقة

العمل وحسن التركيب . ولكن اين ذاك من الاحجار التي لا هيئة لها ولا شكل . فاربًا شاهدوا فيها اثار العظمة فظنوا انها مأوى الارواح . فلقد احبَّ المصريون الشكل الهرمي والاعرابُ الاحجارَ المكعبة . فالانصاب قد نالت محلًا رفيعاً ومنزلة سامية في عباداتهم حتى قال اكلمنضوس الاسكندري : ان عبادة الاحجار هي من اخصّ عبادات الاعراب . وكانوا يكرمون ولا يزالون الحجر الاسود في مكة

ولقد عثرنا على صخرة ملساء مكرَّمة عند الاعراب يقبلونها ويقيمون عليها صلاتهم وهي مرتفعٌ قائم على شرفة غربي قرية ماعين . فاذا ترك المسافر الاطلال والأنقاض الشمالية وسار جنوبا تبدو له تلك الصخرة الشهيرة فتبلغ مساحتها عشرة امتار . وهي قسمان قسم عاريّ وقسم سفليّ . ففي القسم المرتفع نشاهد اثار اقدام انسان منقوشة في الصخر . وقد تحلّ فيه الرجل كقالب اصطناعي . فهذه الرسوم تُدعى اليوم آثار البركة الغريبة لان هناك بركةً عظيمة تجتمع فيها المياه ايام الشتاء . ومساحتها تزيد على ثلثمئة متر مربّع . واثار الاقدام هي سبعة وهي متجهة الى الجنوب . وثلاثة منها منقورة على خط مستقيم بحيث ان ثلاثة كهنة كانوا يقفون في تلك الرسوم متجهين نحو الجنوب . وبالقرب من تلك الصخرة تجد بئرًا كبيرة وفي اعلاها بركة صغيرة يجري الماء اليها من قناة منحوتة . وقد يشبه هذا الاثر ما وُجد في قرية إرَحا شمالي قرية جَبَع حيث اكتشف الاثريُّون مدافنَ للاقدمين . وبالقرب من هذه الرسوم ترى انصاباً كانوا يذبحون قديماً على سطحها فيسيل الدم الى بركة مغطّاة لم تزل محفوظة الى ايامنا الحاضرة وبجانب البركة ثعابين موقدًا فخريًّا لتقتير الذبائح . فيمرُّ الاعراب بالقرب من تلك الآثار فيقولون : هذه من بنايات سليمان النبي تقطن الارواح في اطلاله

وقد ذكرنا في مجرى الحديث انه يوجد في مرتفعات حمّام الزرقاء حجر متطاول يشبه المسلّات يدعى الحجر المنصوب . فالاعراب عند صعودهم في الربيع من الحمراء الى مشارق الجبال يطوفون به ويقدمون ذبيحة لصاحبه

ومما يحلو ذكره في هذا المقام ما نعاينهُ في ارض مواب والكورة وجنوبي وادي الموجب من الانصاب القديمة . وكان الموابيُّون والعمونيون يرفعون مثل هذه الانصاب في جبالهم ويعتبرونها كهياكل لعباداتهم . وهي كثيرة في مشارق عمّان وماعين ووادي غرين فلا احد يجرأ على هدمها لانها مسكن الارواح

وقد اعتاد اهل البادية ان يرفعوا جثوة كبيرة من الحجارة لأبطال قد قتلوا في ساحة الوغى يدعونها رجوماً . يزعمون انهُ في الليالي الدامسة يخرج من تلك الاحجار اصوات مرعبة وانّات أليمة . فهذه الرجوم تدلّ على واقعة جرت في تلك البقعة . فانّا نجدُ رجماً في وادي الموجب ينبئ عن معركة حدثت بين عرب الصخور وبني حميدة

وفي كوة بني حميدة رجم عظيم يدعى رُجَيم سليم يقولون انهُ تظهر فيه الارواح وهناك جثوة يسميها الاعراب رُجَيم العبد يروون عنها حكايات غريبة قال احدهم : ينهض عبد في ظلمات الليل ويطوف في تلك الانحاء فيقتل من يجده فيها . وقد مررتُ بالقرب منه فلم اسمع له اثرًا مما كان يرويه عرب المجالي . فاذا مرَّ البدوي نهارًا بالقرب من هذه الجثوة يأخذ حجرا من الطريق ويلقيه على تلك الجثوة قائلًا : « سُدّ فمك يا عَبد » والعبد هو الروح الساكن تلك الاصقاع

وقد روى لي عودة المغايرة من عرب العوازم انَّ صخرة مكاور مشهورة بعجائبها يطوف الراعي حولها ويتبرك بلمسها ولها قوّة على طرد الامراض وشفاء المصابين

وفي قرية معان نجد مغارة واسعة تُدعى مغارة بنات العين وفي داخلها حجر منصوب يشبه صورة انسان تكرمه النساء ويمسحنهُ بالسمن والزيت ويُضئنَ له المصابيح في اوقات معلومة

سرنا يوماً الى جبل هوشع لترويح النفس ، وبينما كان احد الطلبة يسرع في سيره اذ سقط على الارض . فلما كان اليوم التالي رأينا والدته مقبلةً حزينة كئيبة وقالت : ارجوك ان تخبرني اين سقط ولدي بالامس لأنَّ لامساً لمسه وهو طريح الفراش . ثم اخذت ملحاً ورشته وبخورًا واوقدته وسارت وهي تقول : باسم الله باسم الله على اسم الله . وكانت تسترحم الروح ان لا يصيبَ ابنها باذى

٥ مظاهر الارواح

سألوا الاعراب كيف يتمثّل الروح للعيان وبأي صورة يظهر البشر ؟ فيجيبون انه يظهر بصور شتّى فطورًا يُفرح القلب وطورًا يحزنه . فرأت يظهر بصورة ابنة بدوية مكتحلة العينين وبعد قليل تعود هباء ودُخاناً . وكثيرًا ما يظهر كسارد عظيم او كحيوانات مفترسة . وبينما يسمع المرء اصواتاً مطربة والحاناً متفقة واذا بالصوت

انقلاب الى زئير اسد او مواء قطة او هدير بحر او دوي رعد ويزول ذاك الصوت تاركاً اثراً محزناً . وقد سمى العرب صوت الروح عزيفاً . قال شاعرهم :

واني لأحتاب الفلاة تعليف بي عوازف جان وهام صواخد

قد حدثني بعض الرواة ان الروح يتمثل باجسام حيوانات نجسة فقد كان حسين الفاطلة يحرس زرعه واذا بقطيع خنازير قد مر بالزروع فوطئها . فارتاع من منظرها . وعند الفجر لم ير اثراً لتلك الحيوانات

ورب قائل يقول : متى يظهر الروح ؟ ان العرب تزعم ان الارواح تظهر في كل وقت عند مطلع الفجر وفي منتصف النهار . غير انها تحب الليالي المظلمة حيث تختفي انوار النجوم فتختلط مع الطبيعة لترعب الانسان

اجل ان البدوي لما طبع عليه من رهبة الارواح والقوى الخفية لا يجد وسيلة انجع من الذبيحة لتسكينها وابعادها عن إنزال الأذى بالبشر . فان باب الذبائح الذي سنذكره هو لاكرام الارواح المرهبة . لان رائحة الدماء المتصاعدة من منحر الضحايا تتنسمها الارواح فتكف عن الاضرار . وهذا هو اعتقاد اهل البادية بالذبيحة . فما كاد الطفل يفد على شاطئ العمر حتى يسعى اهله بتقديم الذبائح عنه وتتعاقبه التقادم الى ان يصل المرء الى باب القبر ويوارى تحت التراب . وهكذا يقدم البدوي الضحايا والقرابين للارواح في كل خطوة من خطوات الحياة فيزعم انها تدفع الاذى عنه وعن آله

كتاب الكتاب لابن درستويه

عني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الثامن

هذا باب النقط وفصوله

١ شروط النقط وعلله

إعلم ان النقط زيادة تلحق الحرف فرقاً بينه وبين غيره كما يزاد الحرف على

الكلمة فرقاً بينها وبين غيرها . ولذلك أجمعوا على إغفال ما لا نظير له من الحروف من النقط والرقم وذلك الألف واللام والواو والهاء والكاف لأنّ عدم نظائرها وتفرّدها بصورها قد أغنى عن ذلك

٢ ضروب النقط

وانما يفرق بالنقط بين المشتبهين من الحروف على ثلثة أضرب : إما (46a) أن ينقط احدهما ويغفل الآخر كالحاء والخاء والراء والزاي وكالدال والذال وكالسين والشين وكالصاد والضاد وكالطاء والظاء وكالعين والغين . وإما أن ينقط احدهما نقطة والآخر نقطتين او احدهما نقطتين والآخر ثلثا كالباء والياء والثاء والتاء وكالفاء والقاف . وإما ان ينقط احدهما من عل والآخر من تحت كالجيم والخاء وكالتاء والياء وكالباء والنون وكالفاء والقاف في بعض المذاهب ١) . فالنقط نقطتين فلأنّ له نظيراً قد نقط نقطة واحدة كالنون والتاء والفاء والقاف والباء والياء . وما نقط ثلاثا فلأنّ له نظيرين ينقط احدهما واحدة والآخر اثنتين كالتاء والثاء والنون . وأما الشين فانها تنقط ثلاثاً لأسنانها الثلث وهي في بعض المذاهب تنقط واحدة . وكذلك تنقط نظيرتها من تحت ينقط ذلك من لا يغفل الحروف . وما نقط من تحت فلأنّ له نظيراً ينقط من عل كالياء والتاء والجيم والخاء وكالباء والنون

واعلم ان من الكتّاب من ينقط على كلّ مشتبهين من الحروف لا (46b) يغفل واحداً منها كنقطهم الراء والسين والصاد والطاء والعين من تحت لأنّ نظائرها ينقطن من عل . والجمهور على غير ذلك

والنقط على ضربين نقط محض كنقط الباء والتاء والثاء والياء والنون وضرب قد يجري مجرى النقط كرقم الحاء والراء والسين والصاد والعين . وفي كل واحد من النقط والرقم ما يقع فوق الحرف وما يقع تحته

٣ ما لا ينقط البتّة مفصولاً ولا موصولاً

فمن الحروف ما لا ينقط البتّة لأنّه لا مشابه له في الصورة مفصولاً ولا موصولاً

١) هذا على اصطلاح المغاربة الذين ينقطون الفاء بنقطة من تحت والقاف بنقطة من فوق (المشرق)

والكتّابُ جميعاً متّفقون على ذلك وهو ستّة احرف : الألف والكاف واللام والميم والواو والهآء وسيأتيك شرح ذلك في الفصل الذي نذكر فيه صور الحروف ان شاء الله (46ᵛ)

٤ ما يلزمهُ النقطُ متّصلاً ومنفصلاً

ومنها ما يلزمهُ النقط متّصلاً ومنفصلاً لمشاركة غيره في الصوره لا اختلاف بينهم فيه . وذلك احد عشر حرفا : البآء والتآء والثآء والجيمُ والحآء والذالُ والزّايُ والشينُ والضادُ والظآء والغينُ . وهذه الحروف اذا لم تؤلّف في شيء من الكلام لم يكن بدٌّ من نقطها لتُعرَف مما شاركها في الصورة واذا أُلّفت فكانت كلاماً مُشكلاً يلتبس بغيره لم يكن بدٌّ من نقطها كقولك . تَنَخنَخ وتَبَحبَح وتَيَنّوا وتَثَبّتوا وسكرَ وشكرَ وحَرِجَ وجَرَحَ . فان كان شيء من ذلك قد استُعمل حتّى عُلم فلم يلتبس ودلّ عليه ما قبلهُ او ما بعدهُ او غير ذلك من الحال فإغفاله من النقط في مذهب كتّاب الرسائل احسن(١ . واثباتُ النقط عند اصحاب النحو والغريب والشعر اوثقُ واجودُ .

٥ ما استُغني عن نقطهِ مؤلّفاً وغير مؤلّف وربّما نُقط احياناً

(47ᵛ) ومنها ما استُغني عن نقطهِ مؤلّفا وغيرَ مؤلّف بلزوم النقط ما شاركه في الصورة وذلك سبعة احرف : الحآء والدالُ والرآء والسينُ والصادُ والطآء والعينُ . وفي هذه الاحرف اختلاف فمن الكتّاب مَن يُحدث نقطا مخالفاً ما شابهها من الحروف الى علامات غير النقط وهم اهل النحو والشعر والغريب يريدون بذلك الاحتياط ولا معنى لهُ اذ كانت نظائرها بائنة منها بنقطها . واما على مذهب كتّاب الرسائل فلا يجوز نقطُها ولا التعليم على شيء منها غير السين وحدها وذلك انهم يكتفون منها بخطّ من السين فيجعلون العلامة الفارقة بينهما خطّاً فوق السين . وقد كرهَ هذه العلامةَ قومٌ اذ كان الخطّ النائب عن السين يُنقط نقطَ الشين

(١ هذه الاصطلاحات لكتّاب الرسائل لا يُعوَّل عليها (المشرق)

٦ ما استُغني عن نقطهِ في حالِ انفرادهِ ولزمهُ النقطُ عندَ اتّصالهِ (١)

ومنها ما استُغني عن نقطهِ في حال انفرادهِ لمخالفتهِ غيرهُ في الصورة عند انفراده وأُلزم النقط عند اتّصال ما بعدهُ بهِ لاشتباههِ في الحالة بغيرهِ وذلك اربعة احرف : الهآء والقافُ والنونُ واليآء . فمن نقطَ (47ᵃ) هذه في حال انفرادها وانقطاعها ممّا بعدها فقد تكلّف موضوعاً عنهُ ولزمهُ ان يشقّ الهآء عند انقطاعها ممّا بعدها وعند انفرادها لأنّ الهآء تشبه الميم في حال اتّصالها بما بعدها وهناك تُشقّ كما تُنقَط الاربعة الاحرف . فقصّة هذه الخمسة واحدةٌ وذلك مثل « اراق واناف وحُسْنٍ ورَمْيٍ » لا يجب ان يُنقَط واحد منها ولا ان تُشقّ الهآء في مثل « غلامهِ » إذا ذكرنا واما اذا اتّصلت بما بعدها كقولك : « اَرَقْتُ واَنِفْتُ وحَسُنَتْ ورَمَيْتُ » فيُنقَط لاشتباهها بغيرها الّا ان تكون قد عُرفت الكلمة بكثرة استعمالها واستُدِلَّ عليها بما قبلها وما بعدها فيُستغنَى عن ذلك . وكذلك « بُرْهَةٌ » تُشقّ الهآء هاهنا لا بُدَّ من ذلك

وقد يختصر كتّاب الرسائل والحُسبان الحروفَ فيختزمونها ويستدلّون بطائفةٍ تبقى منهم ككتبهم « بسم الله » بغير باء ولا سين الّا خطّاً وميماً (بم) . وكحذفهم يآء الجمع في العدد وغيرهِ واجترائهم منها بطائفةٍ من نون الجمع في مثل « عشرين وثلثين ومسلمين » وفي التثنية في حال النصب والجر وكاجترائهم عن الدال والرآء في « . . ام » بنقطتين (دام رام) واستغنائهم عن الهآآت المشقوقة وغيرها ببعض جهات (48ᵃ) صورها . وكوضعهم الكاف على صورة اللام وقد عرف ذلك من كان له ادنى حظ من الكتاب . وجميع ذلك انّما يجوز في خطّ كتّاب الدواوين خاصّةً ومن نحا نحوهم في كتب المراسلات . والاحسن إثبات ذلك كلّهِ وعلى وجهه وعلى ما يستحقّهُ . فهذا ما في حروف المعجم من النقط وعلّلهِ وقياسهِ فافهمْهُ ان شاء الله

---

(١) ما ورد في هذا الباب انما هو اصطلاحات لاصحاب الدواوين مما لا يعوّل عليه (المشرق)

البابُ التاسع

هذا باب الشكل وفصوله

١ شروط الشَّكل وعِلَلُهُ

اعلم انَّ الشكل زيادةٌ تلحقُ الحروف للحاجة اليها وهو على ضربَيْن : ضربٌ هو صُوَر الحركات والسكون اللذين تُعرَفُ بهما الحروفُ وتُبيَّنُ كما كان المعجم صورًا للحروف . وضربٌ هو زيادةٌ يؤتى بها مع الحرف للفرق كما كان النقط كذلك

٢ ما هو صُوَرٌ للحركات والسُّكون

فامَّا الشكل الذي هو صورٌ للحركات والسكون فاربعةُ اشياء : الفتحة والضمّة والكسرة والوَقفة ١) وهي رقومٌ مشتقّة من حروف اسمائها (48) فرقمُ الحركات الثلث « رآء » غير محقّقة في الوجوه الثلث وهي مأخوذة من رآء الحركة ٢) . وقد زيدت على رقم الضمّة علامةٌ يُفرَق بها بينها وبين غيرها مأخوذة من الواو لاشتراك الضمّة والواو في اللفظ والمَخرج . رَقمُ الوَقف « جيم » غيرُ مُحقّقة ولا محقّقة مأخوذة من جيم الجزم . فالفتحة توضع فوق الحرف والكسرة تحتَهُ والضمّة بين يدَيه للفرق بينهنّ ولاتّباع اللفظ بها . والوَقفة لا تُوضع الّا فوق الحرف . وانّما احتيجَ الى هذه الاشياء ليُفرَق بها بين المُتشابهات ، كالخَرْق « الذي هو الارض الواسعة » والخُرْق « الذي هو ضِدّ الرِفق » . « والخِرْق » الذي هو نعتُ الكريم من الناس . فلولا الشكل لالتبسَ كلّ واحدٍ منها بصاحبه . ومثلُ « الجَلْد » الذي هو نعت الرجل الجليد . « والجِلْد » الذي هو الإهاب . فلولا الشكل ما عُلم ذلك

---

١) اراد بالوقفة السكون ٢) يريد انَّ الحركات الثلث الفتحة والضمّة والكسرة تُرقَم على صورة راء غير مبيّنة كأنّها مشتقّة من راء كلمة « حركة » الّا انَّ الضمّة تشبه الواو نوعًا كما انَّ علامة الجزم اي السكون كانوا يرسمونها على صورة جيم صغيرة يشتقّونها من جيم كلمة جزم (المشرق)

٣ ما هو زيادة يُؤتى بها للفرق

امّا الشكل الذي هو زيادة للفرق فهو خمس علامات : التشديدُ والتنوينُ والهمزةُ والمدّةُ وعلمُ ألفِ الوَصل . وكلّ واحدٍ ('49) من ذلك انّما هو طائفةٌ من حرفٍ مأخوذٌ من اسمه كما كانت صورة الحركة والسكون كذلك . (فالتشديد) شينٌ غير معرّقةٍ مأخوذة من التشديد . (والتنوين) طائفة مأخوذة من النون او من نقطتها . (والهمزة) طائفةٌ مأخوذة من العين غير معنّقةٍ لأنّهما مشتركتان في المخرج وانّما تمثّل بها وهي الصورة التي وضعها الخليل للهمز فلم يستعملها الناس وكتبوا الهمزة على صورة حروف اللين وصيّروا ما وضعهُ الخليل شكلا لها . (والمدّة) ميم ودال غير محنّقتين مأخوذتان من المدّ . وعلامة (ألف الوصل) صاد غير معرّقة ولا محنّقة مأخوذة من الوَصل

واعلم انّ هذه العلامات انّما أُحتيجَ اليها للفرق كما أُحتيج الى صُوَر الحركات والسكون لئلّا يلتبس الشيءُ بالشيءِ . وذلك انّ المشدّد من الحروف حرفان في الحقيقة وان كان يُكتَب واحدًا كدال « مدّ » وراء « فرّ » فلولا علامة التشديد لأشبه المشدّد الخفيف من الحروف . وكذلك الممدود لأنّهُ في اللفظ ألفان وهو لا يُكتَب الّا واحدًا فلولا علامة المدّ ما فُرِق بينهُ وبين المقصور . وذلك نحو السّماء والرِّداء ١) وكذلك الهمز لأنّهُ يُكتَب على صور حروف اللين كقولهم « سَئِمَ ولَؤُمَ وسَأَلَ » فلولا علامة الهَمز لالتبس بحروف اللين . وكذلك المنوّن مثل « هذا زيدٌ ومررتُ ببكرٍ ورأيتُ عمرًا » لولا علامة التنوين لأشبه ('49v) ما لا ينصرف ولا يُنوّن من الكلام . وكذلك ألفُ الوصل في مثل « أضربْ » لأنّها على صورة الف القطع في الخطّ وهي في الابتداء همزة مثلها فلولا علامة الوصل لالتبست بها

واعلم انّ هذه العلامات كلّها توضع فوق الحروف لا غير وانّ حقّ الشكل ان يوضع على الحرف الذي يستحقّهُ لا يُقدّم عليه ولا يؤخّر عنهُ فاذا كانت الكلمة الممدودة « كالسّماء والبناء » أُثبتت المدّة على قمّة الألف كما ترى واستُغني بها عن

---

١) نقول انّ هذه المدّة لا حاجة اليها مع كتابة الهمزة بعد الالف ومن ثمّ ليس التباس بين الممدود والمقصور (المشرق)

صورة الهمزة التي بعد الالف ١) وعن تسكين الالف ووُضعت مع المدّة صورة الإعراب موضعها الذي يجب على ما بيّناه . واذا كانت الكلمة الممدودة مثل « القرآآت والبرآآت ورأيتُ عطآآ ولستُ ردآآ » أثبتت المدّة على الالف الاولى وكُتبت الفان وحُذفت واحدةٌ على ما بيّنّا في باب الحذف لاجتماع الاشباه واستُغني ايضاً عن علامة الهمزة كما استُغني عنها فيما مضى . ولا يُحتاج في المنوّن هاهنا الى صورة الاعراب لأن الالف الثانية تنوب عن ذلك وتدلّ عليه . واذا كانت الكلمة المهموزة في مثل قولك للاثنين «قرأآ وملأآ » فليست بممدودة لأنّ الف الممدود تكون قبل همزة وهي همزتها قبل الفها ٢) وكذلك ما كان مثل قولهم « قد رأآها وشأآه » من « شأوتُ » (٥٠ر) فحقّ هذه ان توضع صورة الهمزة على الالف الاولى في ما فيه الفان وقبل الالف في ما فيه واحدة على ما ترى . ويُستغنى عن علامة السكون في الثانية كما استُغني في ما مضى عن صورة الاعراب . واذا كتبتَ مثل « اهدِنا الصِراطَ المُستقيم » فلا تشكُل الفَ اهدنا التي بعد النون ولا الف الوصل في الصراط ولا اللام شيئاً لانّ ذلك كلّهُ يسقطُ من اللفظ في الإدراج وان كان يثبت في الخطّ لأنّ الهجاء وُضع على الوقف والنُطق بكل كلمةٍ على حيالها والشكل والنقط انّما وُضعا على الوصل ولكنّك تشدّد الصاد في « الصِراط » لأنّك ادغمتَ اللام فيها فصارت حرفين وتسكّن لام « المُستقيم » لأنّك تلفظ بها . وكلُّ حرفٍ وقع بعد الف او قبل تآء التأنيث لا يكون الّا مفتوحاً فشكلُهُ تكلُّفٌ يُستغنى عنهُ . فقِسْ على ما نشرتُ لك وأجرِ امرَ الشكل عليه تُصِبْ ان شاء الله

واعلم انّ من شأن اهل النحو والشعر والغريب تقييد كلّ كلمة على ما يستحقّ كلّ حرف منها مبسوطاً ومركّباً واستيفاء الشكل والنقط احكاماً واستيثاقاً لأن علمهم اغمض فتقييدهُ اوضحُ على قارئيه . ومن شأن كتّاب الدواوين التخفيف واغفال الشكل من كل ما وَضَحَ ولم يلتبس (٥٠ر) كما انّ ذلك شأنهم في النقط فاذا التبست الكلمة او الحرف فتقييدُها لازمٌ على جميع المذاهب . وان كان الشيء ممّا تلحن فيه العامّة او تُخطئ مثل « الآرآآ والآبآآر » فتقييدهُ مزيّةٌ بالكاتب

١) ليس الامر كذلك لأنّ هذه الهمزة كرسيّ لحركات الاعراب الثلث على خلاف المدّة التي يصعب رسم علامة الاعراب معها (المشرق)

٢) كذا في الاصل

وذلك انَّ هذه الباء والراء بين همزتين في قياس العربيَّة ولغة فصحاء العرب وليست عند العامَّة كذلك ولكنها متقدِّمة مُبدلةٌ . واذا كتب الكاتب مثل « أطَّلع الغيب » ومثل « استحدث الرَّكب » كان ابهى لهُ أن يشكُل همزة الاستفهام

واعلم انَّ المنوَّن المنصوب تنوبُ الفهُ عن علامة تنوينهِ لأنها بدلٌ منهُ غير انَّ الكتَّاب قد استخفُّوا اثبات تنوينهِ معهُ كما كان بعد فتحةٍ واستعملوهُ حتَّى صار عندهم كاللازم وتركُ ذلك اجود . وباب الشكل واسع التصرُّف وانَّما ذكرنا منهُ امثلةً تدلُّ على ما لم نذكرهُ وفيها كفاية ان شاء الله (له بقيَّة)

مجلس البلدية في دمشق

بقلم الياس افندي سابكي صنَّفها في ايَّام الاستبداد في فصل الشتاء

عندي قصَّة بيوت شعارْ اسمعوها يا فنديَّه عمَّا جرى وعمَّا صارْ
من قصور البلديَّه

مساكين يا اهل الشامْ طرقاتهم عطلة تمامْ وصارو كلهم باهتمامْ
ليمضوا هل شتويَّه

ليعملوا طريقة للاوحالْ بيغرق فيها قفل بغالْ بيغرق دلول حتى جمالْ
يضيعوا بالكليَّه

بكل جوره بيغرق حمارْ هذا اكيد وما فيه فشارْ بيغرق بابور مع قطارْ
مع سكة حديديَّه

اكتملتْ معنا بمزاريبْ يقصف عمرها كيف تصيبْ على راس تقلها شي عجيبْ
بتنزل مثل الزيَّه

لمَّا بتنزل على الراسْ صوتها بيقرع مثل النحاسْ جرت معي آه يا ناسْ
والخزقت معي الشميَّه

جرت معي يا سيدي كان ثمنها مجيدي باعتها التوتْ ايدي
بسوق الحميديَّه

بظني العالم ميّاله يخلصوا من هل حاله كل بيت يحط سيّاله
بأمر البلديّه

لكن بترجا المأمور انه ينفذ يا سنيور يتبه على صحاب الدور
من جيبه لا يحط مصريّه

بترتاح نصف مليون عباد افتكروا فيها يا اجواد يكون ربي هيك راد
والمنفعه عموميّه

اسمعوا بعبده يا اخوان مشينا عاكف الرحمن من وجعي أصيح امان
حتى سوق البزوريّه

قطعت السوق ثلاث فشخات هناك بيلزم ندّابات لما شفت الكميونات
وصراخ العربجيّه

لما يقولوا دي و سي حالًا صابتني رفسي قعدت حالًا على كرسي
اصرخ يا بتوليّه

يا حرام عاشوفة الخيل لما شفته كيف يميل ما بقا له جنس الخيل
وينفخ بمثل الواويّه

وقع من تحت الدولاب وغارز بالطين يا شباب العربجي. بأمره لرتاب
وضربه ضربة سخيّه

فوق حملة من القناطير ينهر عليه مثل الزير تركته ومشيت بكير
احسن ما يصير مسويّه

صرت افتكر بالدولاب شعر راسي حقًا شاب لما وصلت للخراب
قلت بدها قرّاديه

مرادي نبه للانسان حتى يرفق بالحيوان بيلحقنا حقه كمان
بنمشي الطريق بهنيّه

الاغرب اه يا محي عند سكة طالع القبه انحس من درب الصنبه ١)
حتى طريق الزفتيه ٢)

١) طريق بحوران
٢) حارة في الميدان

أمـا الامور تهون لما وصلت الكركون غرقت اصف البنطلون
الجاكيت مع الصدريه
بعده وصلنا للحاره وهنا وقعت الحاره بالجوره شفت حماره
صاحبها يبكي بحذيه
ناداني بحياة الحب تعال خلصني من الجب انشق معي كالوش الصب
وصرت ابعت له خرجيه
بالحاره جملة شبان معهم بنات ونسوان قالوا صار الطوفان
والطفال تصرخ يا بي
يا دلي ويا تعتيري على شارع الخطيره صارت الناس بالحيره
واجتمعت الختيارية
حسبوا حساب المزيخ كل واحد جاب التاريخ تقدم منهم واحد شيخ
عمره تسعين للسنه
صار الشيخ يضحك يا ناس تطلع فينا وهز الراس هل طريق ماشاف الناس
من زمان الأنكشاريه
سمعت القصة وصرت مذهول وعيوني صارت بالطول قلت هذا كلام معقول
بيدركه الأولية
لما صرنا بجنح الليل كل الناس ما بقي لها حيل انا المدائره دخيل
نشوف هل حاله الخزنيه
تنازل يا رئيس وشوف هذا يكون اكبر معروف افرض علينا المصروف
افضل من الخورانيه ١)
البلديه صايره حيرانه لانها واقعه طفرانه لو خزنتها مليانه
تصليحاتها بعديه
لو كان موجود معها مال كانت بتصلح المحال بتساوي الشارع يا خال
احسن من اسكندريه

١) مال النافعة في الشام

ان كان بالدائره دآء افلاس افرضوا فريضه على الناس اولهم بيدفع الياس
مع عموم الدمشقيه
بتدفع معي كل الناس أمر الحكومه على الراس . رتبوا شغّال مع كناس
بندفع بكل ممنونيه
تشوفو الضو عمال يموت ناقصه خضار وتابوت رفع خيط العنكبوت
خصوصاً بالقيمريه ١)
الشغال يسرق الزيت والضو يصير رفع الخيط من هل نظام انكويت
وأشعرت بحمّى صدريه
من هل قصة انكويت يقطع لساني ان كان زلّيت ما بقدر امشي للبيت
بيلزمني عربيه
الله يحسّن معنا الحال فيو القدير المتعال لان العطل معنا طال
وتقولوا زمان حزيه
انصفونا اه يا حكام استبداد الشغاله دام هلكوا كل الانام
ليوفروا خمسين مصريه
نحن فيكم نستعين يحفظكم رب العالمين السكك مليانه طين
وشوارعنا مهريه
انا بوجه هل خطاب لحضرة رئيسنا المهاب لحضرة الأعضا والكتّاب
حتى للجاويشيه
يشفقوا باهل الشام حالة حزينة تمام هي الخاتمة والسلام
ارحمونا يا فنديه
بكل حال انا ممنون أتمناها بكانون نطلب منك ربي تصون
مجلس البلديه

---

١) من حارات الشام

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

سفارة الاب يوحنا اليانو الثانية الى الموارنة ١٥٨٠ – ١٥٨٢

زيارة الاب اليانو لقرى لبنان

لم يشأ السفير الرسولي الاب يوحنا اليانو ورفيقه الاب برونو ان تبقى اعمال مجمع قنّوبين حبراً على ورق مطمورة في زوايا القسام البطريركي بل صمّما العزم على نشر مضامينها في انحاء لبنان فيجني ثمارها الروحية وتعمها الخلاصيّة جميع ابناء مارون . ولذلك قصدا زيارة قرى لبنان وتفقّد شؤون الطائفة واصلاح ما لعلّهُ يكون طرأ على بنيها من الاضاليل لمجاورتهم الملل غير النصرانيّة واصحاب البدع المشذوبة بالحرم

فعرضا الامر على غبطة البطريرك ميخائيل وعلى اخيه المطران سركيس فاستصوبا رأيهما لكنهما انذراهما بما يحدق بهما من الاخطار في تجوالهما بين امم غريبة وجواسيس الحكومة التركيّة التي تعُدُّ الاجانب كاعدائها فتتهمهم بقصد بلادها لترويج سياستهم الفشيمة

فاستدراكاً لهذا الخطر استشار الاب اليانو الشيخ يوسف حبيش لعلمه بوقعه عند امير لبنان الشمالي منصور عساف فاختار رجلا من اصحابه اوعز اليه بمرافقة الزائر الرسولي على شرط ان يدفع له اجرة خدمته . واشار السيّد البطريرك الى الاب اليانو ان يلبس ثياب الكهنة الموارنة ويطوف القرى دون رفيقه الاب برونو لانه لمعرفته اللغة العربيّة وعادات الوطن لا يُستراب بجنسيته وهكذا قرَّ الامر كما روى ذلك الاب اليانو في احد مكاتيبه الى رئيسه العام مصرّحاً بملء اتكاله على الله واستعداده لاحتمال كلّ المشقّات في سبيل الكنيسة وخدمة الأمّة المارونيّة

ولم يلبث الاب المذكور ان يباشر بالزيارة المنوّة مبتدئاً بالقرى المجاورة لدير

قنّوبين كالحدث وبشرّاي واهدن وحصرون . وسار اوّلاً في رفقته السيّد البطريرك بنفسه ثمّ اصحبهُ ببعض نوّابه .

وقد وصف الاب اليانو في رسائله الى الكردينال كرافّا والى رئيسه العام الاب اقرارد مركوريان في ايلول وتشرين ١٥٨٠ ، ساوكة في تلك الزيارات . قال انهُ يدعو الشعب والكهنة ويحرّضهم على الاستمساك بعرى الايمان والطاعة للكرسي الرسولي ويشرح لهم خلاصة المعتقدات المسيحيّة وخصوصاً العقائد التي وقعت فيها بعض الشبهات او شوّهها في كتبهم الطقسيّة جهلة النسّاخ او المبتدعون . وكان في الوقت عينه يُعدّ الشعب والاحداث لاقتبال سرّ التثبيت الذي رأى بعض الخلل في منحه مع المعموديّة فكان السيّد البطريرك يتبعهُ جميع الشعب بعد ان يفسّر لهم الاب اليانو ما يتوخّاه به . ثمّ كان الزائر الرسولي يوزع عليهم الصور والمسابح وبعض الحسنات ويعتني خصوصاً بارشاد الكهنة ليحسنوا تدبير رعاياهم

وجعل الاب اليانو اوّل اهتمامه في تلك الزيارات نشر قوانين مجمع قنّوبين في كل انحاء الجبل واتّفق مع السيّد البطريرك ان يختصر موادّها ويستصفي لبابها ويعدّد نسخها لكي توضع نسخة منها في كلّ كنيسة ليطّلع عليها الجميع . وفي سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة نسخة منها باللاتينيّة كما صنّفها الاب اليانو باسم البطريرك ثمّ عربيّاً وكتب منها مائتي نسخة . وهذه صورتها :

وصايا غبطة السيّد ميخائيل الرزّي

بطريرك الطائفة المارونيّة الواجب على الجميع قبولها وحفظها

الباب الاول

١ وصايا عموميّة

١) يجب ذكر الابن الالهي مع الآب في دستور الايمان عند ذكر انبثاق الروح القدس (المنبثق من الآب والابن)

٢) كما اننا نعتقد وجود طبيعتين في السيّد المسيح ونسجد لها كذلك نعترف بانّ في شخصهِ الالهي الوحيد مشيئتين وفعلين

٣) يجب تلاوة التقديس المثلث على هذه الصورة : « قدّوس الله قدوس القوي قدّوس

الذي لا يموت » دون أن يزاد عليه « الذي صُلب لاجلنا » فان هذه العبارة مختصة بالاقنوم الثاني

٤) يعلّمنا الايمان الكاثوليكي ان المؤمنين الذين يموتون في حالة البرارة دون الوفاء التامّ من خطاياهم مع إهمالهم لثمار التوبة اللائقة تطهّر نفوسهم بعد الوفاة بعذابات المطهر ويمكن المؤمنين الاحياء ان يخففوا تلك الاوجاع بتقدمتهم على نيّتهم ذبيحة القدّاس الطاهرة والصلوات والحسنات وغير ذلك من الاعمال الصالحة

٥) يجب عماد الاطفال قبل اربعين يوماً لما يتهدّد حياتهم من المخاطر الشديدة ومن المعلوم انهم اذا ماتوا دون هذا السرّ يُحرمون الى الابد من الملكوت السماوي

٦) ليس للكاهن سلطة بان يمسح جبين المعمد بالميرون فانّ ذلك مختصّ بالاسقف الذي يمنح سرّ تثبيت للاولاد البالغين السنة السابعة من عمرهم

٧) لا يجوز توزيع القربان على الاحداث قبل بلوغهم سنّ الرشاد

٨) على كلّ المؤمنين ان يعترفوا بخطاياهم لكاهنهم ثلاث مرّات في السنة او مرة على الاقل ويتبارؤا من بدء على عيد الفصح

٩) اذا حفظ القربان في الكنيسة يجب تجديده على الاقل كلّ شهرين

١٠) اذا انفصل الرجل وزوجته عن بعضهما بسبب الزنا لا يجوز لهما عقد زواج آخر قبل وفاة احدهما. ولكن اذا اصطلحا لا بأس ان يعيشا معاً

١١) يجب على رُعاة الكنائس ان يعلّموا ايّام الآحاد والاعياد جميع ابناء رعيتهم دستور الايمان ووصايا الله والصلاة الربيّة والسلام الملائكي وبقيّة الاشياء المفيدة للخلاص الابدي

١٢) يحسن بالمؤمنين تلاوة الورديّة مع تأمّل اسرارها

الباب الثاني

٢ وصايا خاصّة بالاسرار المقدّسة

انّ في توزيع الاسرار اعمالاً وافوالاً عديدة يتولّاها الكاهن الّا انّ بينها ما هو ضروري وجوهريّ حتّى لو أهمل لا يُنال السرّ دونهُ. وهذه قانونها:

١) في المعموديّة يجب ان يسكب الكاهن ماء طبيعيّاً على رأس الولد او يغطسهُ في جرن العماد وهو يقول في الوقت ذاته: اني اعمدك باسم الآب والابن والروح القدس

٢) في سرّ القربان يجب اتّخاذ خبز البرّ وخمر الكرم ممزوجاً قبل تقدمته بقليل من الماء. ويجب على الكاهن ان يتلو على خبز الذبيحة هذه الالفاظ: « هذا هو جسدي » وعلى الخمر الممزوج بالماء: « هذا هو كأس دمي للعهد الجديد الابديّ وسرّ الايمان الذي يُهرق لاجلكم ولاجل كثيرين لمغفرة الخطايا »

٣) في سرّ التوبة يجب على المعترف بعد الفحص المدقّق ان يقرّ بجميع خطاياه المميتة التي يعرف انهُ اقترفها. ويجب على الكاهن بعد سماعهِ باقرار تلك الخطايا ان يتلو على التائب

صورة الحلّة هذه: «اني احلّك من جميع خطاياك باسم الآب والابن والروح القدس»

٤) في سرّ المسحة يجب على الكاهن ان يمسح بالزيت المكرّس بركة الاسقف عيني المريض المشرف على الموت واذنيه ومنخريه وشفتيه ويديه ورجليه وكليتيه بينما يتلو على كلّ عضو قولهُ: ليمنحك الربّ بواسطة هذه المسحة وبرحمته تعالى المغفرة عن كلّ ما اقترفتهُ «بنظرك» او «بسمعك» . . . الخ

٥) في سرّ الزواج لا بدّ من رضى الزوجين المتبادل الظاهر علناً بهذا اللفظ او بما يشبههُ: اني اقبلكِ كزوجة لي . . اني اقبلكَ كزوجي

فهذه خلاصة مجمع قنّوبين انتشرت بمساعي الاب اليانو في كل انحاء الجبل وفي المدن حيثما كان يقطن الموارنة كطرابلس وحلب ودمشق . وهو يكرّر مرارًا في رسائله انها افادت كثيرًا في ازالة الاضاليل السارية في الشعب وانّ السيّد البطريرك ميخائيل سرّ بها ووقّعها بامضائهِ . وكان الاكليروس والشعب عمومًا يرضخون لحكم الاب اليانو ويقبلون تعاليمهُ الّا في مادّة الطلاق فانّهم اعترضوا عليهِ انهُ يصعب إقناع الناس على ترك الزواج عند طلاق احد الزوجين لسقوطهِ في زنىً . لكنّ القاصد الرسولي اماط القناع عن تلك الحقيقة واثبتها بآيات الانجيل ونصوص الآباء القديسين وتعاليم الكنيسة حتّى اقتنع الجميع بقولهِ واعلن السيّد البطريرك انهُ مذ ذاك الحين لن يسمح لاحدٍ بالزواج طالما زوجتهُ بالحياة ولو وقع الطلاق بسبب الزنى . ثمّ جرى على ذلك واذ اتى اليهِ احد الاعيان بعد مدّة وقدّم لهُ مبلغًا وافرًا ليرخّص لهُ الاقتران بامرأةٍ لتطليقهِ زوجتهُ الاولى بسبب الزنى ردّهُ خائبًا .

بيد انّ الاب اليانو لم يجترئ بنشر قوانين مجمع قنّوبين لقلع الزؤان من حقل ربّ البيت فانّهُ كان تحقّق في سفارتهِ الاولى انّ كثيرًا من كتب الموارنة الدينيّة والكنسيّة قد اندسّت فيها تعاليم مخالفة لمعتقدات الكنيسة الرومانيّة اوقف عليها غيرة السيّد البطريرك والمطارنة فوافقوهُ على فسادها ناسبين ذلك الى نسّاخيها من ذوي البدعة اليعقوبيّة او من جهال الطائفة . فحسمًا لهذا الداء كان الاب اليانو حيثما يحلّ يعيد النظر في كتب الكنائس ويشير الى ما فيها من النصوص المغشوشة وغير السديدة فينبّه الكهنة على فسادها ويشير الى اصلاحها او يبتاعها من اصحابها فيحرقها ويعدهم بنسخة منها بعد طبعها في رومية مصحّحةً . وفي مكتبة باريس العموميّة بين الكتب السريانيّة الموسومة بالعدد ٢٢٥ (Fonds Syriaque, p. 171 — 173) كتاب

مجموع قوانين البيعة لابن العسّال القبطي ولتوما الكفرطابي بالكرشوني نسخة في بان سنة ١٧٨٦ للاسكندر (١٤٧٦ م) الكاهن ابرهيم بن سركيس فنظر فيه الاب اليانو وكتب بخطه في صدره بالايطاليّة « ان هذا الكتاب يحتوي عدة اضاليل وانه يُقتضى احراقه »

وقد كرّر الاب اليانو في رسائله ذكر الكتب الدينيّة الشائعة بين الموارنة والضرورة الماسة الى اصلاحها والى طبعها منقحةً في رومية ولولا ذلك تبقى جراثيم البدع منبثةً بين العموم ويظلّ الايمان معرّضاً لآفات الضلال رغماً عن استقامة الموارنة وحسن نيّتهم كما عاد الكلدان الى النسطوريّة بعد تقدمتهم الطاعة الحبر الروماني لشيوع الكتب الهرطوقيّة فيما بينهم (١

ومما يؤيد رأي الاب اليسوعي انّ بعض الموارنة بعد وفاته باشروا في رومية طبع رتبة القداس والنوافير الجارية في كنائسهم وذلك في السنة ١٥٩٤ واذ لم يكن في رومية من يعرف اللغة السريانيّة اختاروا بين النسخ الخطيّة التي استندوا اليها نسخةً فاسدة تشتمل على عدّة نوافير منقولة عن اليعاقبة كنافور برشوشان ومار مارونا مع ذكر المبتدعين في عداد القديسين المطلوبة شفاعتهم ولاسيّما برصوما احد زعماء البدعة اليعقوبيّة (ص ١٩٨، ٢٤٥)

ومن الادوية الناجعة التي عمد اليها الاب اليانو لنفي الجهل وتقريراً للايمان في لبنان انشاء المدارس للاحداث فانهُ تحقّق ما كان عليه الشعب من الجهل المطبق حتّى انهُ اكّد في بعض رسائله انّ الذين يعرفون في لبنان القراءة والكتابة لا يتجاوزون عدد الاصابع . فافرغ جهدهُ حيثما كان يمرّ كي يتّخذ معلّمين للصغار وهم غالباً كهنة الرعايا كان الاب يدفع لهم بعض الاجرة ويحرّض السيّد البطريرك على مساعدتهم بقسم من مال الاوقاف

واختار بين اولئك الاحداث اربعةً وجدهم اذكى وانشط من أترابهم اراد

(١ وقد وجد الاب اليانو بين الكتب التي وقف عليها بعض المخطوطات القديمة التي عدّها زينةً للمكتبة الواتيكانيّة فابتاعها لها . منها توراة كاملة على رقّ غزال من القرن الثاني عشر . ومنها تأليف القديس يوحنّا الدمشقي في الايمان القويم كان يريد ان ينشرهُ بالطبع ويرسلهُ الى الشرق فيوزّعهُ لفوائده

الاعتناء بهم ريثما يرسلهم الى رومية فيدرسون هناك العلوم الدينيّة ويعودون بعد اتقانها الى وطنهم . وسيأتي ذكرهم قريباً

قضى الاب اليانو سنة كاملة (آب ١٥٨٠—ايلول ١٥٨١) وهو يطوف في جهات لبنان ساعياً بكل ما يؤول الى خير الطائفة المارونية لا يأخذهُ في ذلك لومة لائم ولا يثني عزمهُ شيء من التعب والمشقات . وكان الاب برونو والاخ برنردينو يصحبانه في بعض اسفاره الرسوليّة فيسيرون ثلثتهم الى حيث يستدعيهم خير النفوس وفي رسائل الابوين برونو واليانو انهم اختبروا غير مرّة آلام السيّد المسيح وانهم وقعوا في ايدي اللصوص وعصابات المسلمين فنهبوهم وضربوهم بالعصي وحبسوهم وحكموا بالاعدام على الاخ برنردينو وانهم لولا ما دفعوهُ بالرشوة لمتعصبيهم لما نجوا من اذاهم . وقد اثنوا على بعض تجار الفرنج في طرابلس الذين تكفلوا لهم بالمال وفكوا به اغلالهم

وفاة البطريرك ميخائيل السرزي

لقي المرسلون طول مدّة اقامتهم في لبنان كلّ حفاوة واكرام من لدن زعيم الطائفة المارونيّة ورأسها الجليل . ولا يزال الاب اليانو في كتاباته يُطرئ محامده ويُعلن بصدق ايمانه وتشبثهِ التام باعتاب الكنيسة الرومانيّة وقد استمدّ له من الكرسيّ الرسوليّ بعض الانعامات كالمعافاة عن زيارة رومية كلّ ثلاث سنوات بشخصهِ وكسيامة المتزوّجين مرّتين قبل الكهنوت والاعلان بشرعيّة المواليد غير الشرعيين ولدينا قائمة ما التمسهُ من الحسنات للبطريرك المومأ اليهِ . على انّ ثقل الايّام واعباء السنين كانت اضعفت قوى السيّد ميخائيل فلم يعد يستطيع ان يقوم بكل واجباتهِ

ولما كانت اواسط شهر ايلول من السنة ١٥٨١ زاد ضعفهُ ولزم الفراش ولم يزل يتفاقم وجعهُ حتّى شعر بدنو اجلهِ وفي يوم العشرين من ايلول استدعى الاب اليانو لمساعدتهِ في رحلتهِ الى الابديّة فاسرع السفير الرسوليّ الى تلبية دعوتهِ ومنحهُ سرّ المسحة الاخيرة بحضور كثيرين من الاساقفة والكهنة والاعيان فاقرأهم الوداع واوصاهم بحفظ وديعة الايمان والخضوع للكنيسة الرومانيّة وختم ذلك بقولهِ : « اني ارانى سعيداً ان اسلّم نفسي في ايدي خالقها وبقربي ممثلو الكرسيّ الرسوليّ »

وكانت وفاته في اليوم التالي ٢١ ايلول سنة ١٥٨١ (١)

وقد عثرنا للبطريرك المذكور على بعض الرسائل المخطوطة في سجلات رهبانيتنا في رومية نروي منها نبذاً تتمة للفائدة فمنها رسالته الى رئيس الرهبانية اليسوعية العام في رومية الاب اثرَرد مركوريان كتبها عند بلوغ امره الى الاب اليانو ورفيقه الاب توما راجيو بالرجوع الى رومية بعد سفارة الاب اليانو الاولى في ١٥ كانون الاول سنة ١٥٧٨

الى حضرة الاب الموقَّر الاركون المدبّر الاخ العزيز الجنيرال

اذكى السلام التام بالعزّ والتحية والاكرام سلام الروح القدس مسانح الانعام يُخص به حضرة الاخ العزيز الموءاً اليه اعلاه ادام الله محبته واحويته زمناً طويلاً امين . والى غير ذلك الذي اتاوض به خدمة سيادتك اني انا مع جملة شعبي فرحنا بغاية بحضور اخوتك عندنا وهم القس باطيشتا والقس توما وانا نشكر فضل الله تعالى مع نضل خدمة سيادتك الذي اتمت باوسالهم الى عندنا . وايضاً نثني الشكر لفضلك لاجل ما تفضلت به بافتقادك لي بانيوس داي (اي ذخيرة Agnus Dei حمل الله) والمسبحة وعوض هذا الحنان يكون لي انشراح اذ قدرت اجازيك بشيء يكون لائقاً ومناسباً بك . ومن جملة الاخوة الذين ارسلت لنا القس باطيشتا الذي كان مجتهداً فيما هو نافعاً لخلاص نفوسنا وبقراءة كتبنا وترجمة كتبكم بلساننا وجوابه لما نشك به نحو الامانة والاعتقاد ومعاشرته معنا وبافتقاد الرعية وبحضوره لينظر خدمة الاسرار البيعية . . ورغبنا من قصادكم ان يحضروا عندنا ويقيموا في ديرنا . . . وقد ارسلت اليوم ان يحضروا الى مدينة رومية وليس عرفنا ما هو السبب الموجب لذلك لكون انهم حضروا لعندنا ليقيموا على قدر الحاجة ليكملوا ارادة السيد المعظم البابا والكردينال وكيلنا . . . . وانا ارغب ان يقيموا عندنا الى حين ما يكمل شغلنا وبالاقل القس باطيشتا ونحن نرغب منه ليقيم عندنا حتى يجينا جواب هذا الكتاب فيكون له ولسيادتك اجر عند الله . . . انتهى ذلك الحقير بعد تجديد السلام عليك وعلى كل من هو تحت طاعتك كثير كثير وطالبين من حضرتكم الدعاء الصالح لاجل الله له الحمد والشكر الى ابد الابدين

الحقير في البطاركة بطرس الماسك الكرسي الانطاكي
في دير العذراء في جبل لبنان المبارك

برز ذلك من دير قنّوبين في ١٨ من ك ١ ١٥٧٨

ثم اردف السيد البطريرك وكتب الكتاب الآتي بعد ايام الى الرئيس العام المذكور اذ رأى المرسلين متممين النية على السفر :

---

١) ليست السنة ١٥٨٠ كما ورد في تاريخ الموارنة للعلامة الدويهي (ص٤٤٤)

ܫܠܡܐ ܡܢ ܡܪܝܐ ܘܡܫܝܚܐ

سلام ربنا سيّدنا يسوع المسيح الذي حلّ على الرسل الاطهار القديسين في عليّة صهيون المقدّسة وأملاهم فرحاً وسروراً ذلك السلام بعينه يحلّ ويستقرّ على ذات الاخ العزيز الموقر المكرّم اخونا الجيرال . . اني اشكر الله تعالى وفضل سيادتكم لارسالك وافتقادك لنا بقدس الآباء الموقّرين قصّاد الكرسي الرسولي اولادكم ففرحنا وابتهجنا كثيراً بحضورهم واكتسبنا اشياء جليلة حسنة من تعاليمهم وسيرتهم الحسنة وكان يحصل لنا اكثر ممّا حصل لو انهم قصدوا عندنا وبالاكثر الاب القس ماطيشتا (اليانو) لانهُ يعرف بلساننا وقرايتنا عربي وكرشوني ومحبوب منّا ومن رعيّتنا الذين عرفوهُ واعتبروا (كذا) معهُ . لكن لمّا عرفنا الضرورة الملزمة لحضورهم عندكم اوّلاً لاجل الطاعة لسيادتكم لانكم ارسلتم تطلبوهم وثانياً لاجل الطاعون لاننا نخشين كثيراً منهُ وانهُ ابتدأ في بلاد مصر واعمالها وهاهنا جاءت اشايرهُ . والدليل على ذلك انّ العادة اذا كان الطاعون اوّلاً يحيّ الجدري وانهُ تمتلئ البلاد منهُ . وثالثاً ليعطوا حساب (عن منارضهم) وقد كتبنا الى سيّدنا المعظم البابا ولوكيلنا الكردينال كرافا لتكمل اشياء كثيرة ابتدوا بها التي ان لم تتكمّل لم نكن فعلنا شيء . وما ابتدأ به هو انهُ قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم اشياء كثيرة غلط وانّ كتبنا بغير عدد . ولافتقاد رعيّتي بصحبتي ام بصحبة احد من المطارنة لترتيب الرعيّة وتثبيتها على ما يريد قدس السيّد البابا لانّنا نحن وحدنا ليس نقدر نفعل ذلك لانّنا ليس مسموعين الكلمة مثل بلادكم ونواحيكم . وايضاً فليجاوب عمّا تشكّك به الرعيّة وليترجم كتب صالحة من لساننا الى لساننا لاجل اصطلاح شأننا فلهذا نرغب من سيادتك لاجل الله ولاجل المحبّة ان ترسلهُ لنا ثانياً ونحن نكون حافظين هذه الحسنة والفضيلة الى دهر الدهور والله يجازيك في ملكوت السماء . . . . أمّا ذلك الحقير بعد تجديد السلام عليك وعلى من هو بخدمتك والحمد لله وحدهُ

برز من دير قنوبين سنة ١٥٧٨ من التجسّد الالهي

وفي ٢٥ شباط ١٥٧٩ كتب البطريرك الى احد ابناء طائفته الشدياق عازار وكيله يطلب منهُ بان يسعى في رجوع الاب اليانو الى لبنان :

ܫܠܡܐ ܡܢ ܡܪܝܐ ܘܡܫܝܚܐ

البركة الالهيّة والنعمة السماويّة التي حلّت على التلاميذ الاطهار والرسل الابرار في عليّة صهيون المقدّسة وفي جبل الزيتون الطاهر فهي تحلّ وتنمي وتستقرّ على ذات الولد العزيز الغالي الشدياق عازار بركة الربّ ثانياً وثالثاً تحلّ عليك وعلى بيتك وعلى رزقك ومقتناك وعلى بيعك وشراك وعلى اخذك وعطاك وعلى ما تقلّب بيمينك مع شمالك امين . والى غير ذلك الذي تعرفك به بانهُ يكون على علمك بانّ قصّاد السيد البابا انصرفوا عنّا وحصل لنا من ذلك

هم و غم جزيل وليس كان مرادنا فرقتهم لكنّ الضرورة لها أحكام وانّنا نرأي خاطرنا شيء واحد الذي هو رجانا بعودة الاب القس باطيشتا الى عندنا ليكمّل ما ابتدأ به لنا . وانّنا نسأل فضلك ان تداومهُ وتطرّي فكرهُ فينا ولا تخليه ينسانا . واني قول له انّ من يغرس شجرة يسوسها الى حين تكبر وتثمر وانك انت وكيلنا في هذه القضية وتروح الى عند عزيزنا الكردينال كرافّا واسأل من فضله على لساننا ان يسعى في ارسال الاب القس باطيشتا وانك لا تفعل شيء الا بشوره . . . ولا تقطع تجديد البركة عليك ثانياً وثالثاً والحمد لله وحده

كتب في دير قنوبين في ٢٥ شباط سنة ١٥٧٩

ولدينا الكتاب الذي ارسلهُ الكردينال كرافّا الى البطريرك ميخائيل الرزي بعد عودة الاب اليانو الى رومية مثنياً على حسن سلوكه مع المرسلين وشاكراً له على ذخيرة القديسة مارينا التي ارسلها اليه (من انشاء الاب اليانو) :

رسالة الكردينال انطون كرافّا الى البطريرك ميخائيل

سلام ربّنا يسوع المسيح مع الاخ المكرّم . بعد وصول القصّاد الينا ما كتبت لاخوتك حتى كلمتُ السيّد البابا فاجاوب على سائر كتبك وعلى كلّ ما تقصد وتطلب من قداسته . فاعرّف لاخوتك انهُ ليس كان في خاطر القدير (اي الحبر الاعظم) ان يرجعوا القصّاد من عندك وبالخصوص الاب المكرّم باطيشتا لانهُ كان في ارادته ان يدوم عندكم مدّة ايّام لمنفعة بيعكم وخدمتك . لكن نقول انّ كل شيء صار بامر وتدبير الله من حيث ان اصل هذه القضيّة هي لمجد وكرامة الرب . وايضاً اعرّف اخوتك انّي قبل تاريخه جاوبت عن سائر رسالاتك اليّ والى السيّد البابا واظنّ انّ مشرّفاتنا وصلوا الى اخوتك اذا ما اصابهم تبذير في الطريق . والاب الاقدس قد فرح جدّاً اذ القصّاد خبّروهُ لاجل اقتقادهم رعيّتك وشكروا الرب في ذلك الذي اوهبك نعمة لتقصد وتشتهي قبول واحتضان كلّ ما تعلمهُ وتكرزهُ البيعة الكاثوليكيّة لتنال مع جميع المقدسين حياة الابديّة . ويشكر احسانك كثيراً الاب المقدّس لاجل الوقار والاحسان الذي عملتهُ مع قصّاده وعرض ذلك يرسل الى اخوتك ولجميع شعبك البركة الرسوليّة ولتكمّل كلّ ما تأمر وتعلّم البيعة المقدّسة . واشكر احسانك لاجل عظم القديسة مرت مارينا الذي ارسلتهُ الى حقارتي وهو مقبول وعزيز عندي وليس كان لازم ان تبعث لي من الاشياء الاخرى لكن انا اقتنيهم من اجل محبّتك واكون دائماً في خدمتك واطلب من الرب ان يحفظك مع جميع شعبك في نعمته والسلام

مكتوب في مدينة رومية في ١ آب ١٥٧٩

واطّلعنا كذلك على رسالة الاب اليانو الى البطريرك ميخائيل يعلمهُ بقرب عودته الى لبنان لسفارة ثانية مع الاب يوحنّا برونو والاخ الشمّاس برنردينو ويعلن برضى

قداسة الحبر الاعظم عنهُ وعن طائفته ويطمئنهُ عن احوال التلامذة الموارنة وعن نجاحهم في الدروس. ويذكر انهُ سيعود الى لبنان ومعهُ هدايا كثيرة المكنائس كالكؤوس والحلل الكهنوتيّة وادوات الطبع للبرشان وغير ذلك ويبدي الرجاء بان يجد عند وصولهِ السيّد البطريرك في الصحة التامّة . وتاريخ هذه الرسالة غرّة كانون الثاني سنة ١٥٨٠

فمن كلّ هذه الرسائل يتّضح ما كان للاب جوان باطيشتا اليانو من العزّ والاعتبار لدى بطريرك الموارنة والطائفة المارونية وكم هي باطلة السعايات التي نشرت بعد وفاتهِ في حقّهِ ونقلها جزافاً بعض مؤرخي الموارنة لعدم وقوفهم على الآثار التي نشرناها

انتخاب البطريرك سركيس الرزي

قال الدويهيّ في تاريخهِ (ص ١٧٧ و ٤٤٤) وفي سلسلة بطاركة الطائفة المارونيّة التي نشرناها في المشرق (ص ١٩) « انهُ في اليوم التاسع لوفاة البطريرك ميخائيل اجتمع المطارنة والاساقفة والاكليروس ومشايخ الطائفة واقاموا اخاه الاسقف سركيس لرئاسة الشعب وحضر الحفلة قاصد البابا جوان باطيشتا ورفيقهُ جوان برونا وبعد ذلك اشخص جوان برونا الى رومية بكتابة ممضاة من الجميع ولمّا وقف البابا غريغوريوس عليها امر بأن يُعطى درع تمام الرئاسة وان تكون جميع الطائفة تحت طاعتهِ في الروحيّات والجسديّات (كذا) » . ولم يزد على هذه النبذة القصيرة شيئاً - ولنا في رسالات الاب اليانو وفي سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة ما يفيدنا علماً عن بطريركيّة سركيس الرزي واعمالهِ المبرورة . فمن ذلك صورة انتخابهِ كما يلي :

لمّا كان تاريخ السنة المسيحيّة ١٥٨١ ثامن وعشرين يوم من شهر ايلول المبارك الموافق لتاريخ السنة اليونانيّة ١٨٩٢ ثامن يوم بعد نياح البطرك مار ميخائيل بطرك ملّتنا نحن الحقيرين الموارنة اجتمعنا المطارنة والاساقفة والكهنة مع باقي الاكليرس واكابر طائفتنا وكثير من شعبنا الطائعين للكرسي الرسولي وللسيّد البابا غريغوريوس الثالث عشر ولجميع الآباء الغافيّة (البابوات) الآتين بعدهُ خاتماً بعد خلف الى منتهى العالم بارشاد الله ومعونتهِ لمّا فحصنا باجتهاد شديد واهتمام وكيد في سيرة وقداسة وطهارة وعلم الاب المكرّم الجليل الممتلئ من نعمة الروح القدس الفارقليط في هذه البيعة المقدّسة دير سيّدتنا العذراء المعروف بدير قنّوبين في جبل لبنان المبارك اصطفينا واخترنا هذا المطران الحبيس مار سركيس المذكور في قرية كفرحورا ليتولّى علينا

ويكون رئيسنا ومدبّرنا ومرشدنا في الامانة الكاثوليكية الرومانيّة وجميع ما يوصينا به الاب المقدّس البابا المذكور على يد قصّاده الآباء القديسين الاب الفاضل المكرّم القسّ يوحنا باطيشتا والاب الطاهر القسّ يوحنّا برونا الحاضرين والمقدّمين في هذا المجمع المقدّس وسيّمنا هذا المطران سركيس بطركًا علينا وعلى جميع ملّتنا الموارنة القاطنين في جبل لبنان المبارك وفي جميع بلاد سوريّا وقبرس وفي سائر البلدان عوض البطرك ميخائيل المنيّح الى رحمة الله. فنحن جميع المذكورين نأمر ونوصي الحاضرين والغائبين ان يوقّروا ويكرّموا ويطيعوا لهذا البطرك المختار من نعمة الروح القدس ومن حقارتنا في جميع ما يأمر من امور البيعة المقدّسة في الزيجات والصيامات المأثورة من الاباء القديسين ومن المجامع الاطهار كما كانوا مطيعين البطاركة السالفين ولا يساوا شيئًا بضدّه ولا يرتسم بغير شورى لا اسقف ولا مطران وكلّ من يخالفهُ او يضادّهُ او يتحسّل ويتجبّر عليه بجميع ما يضادّ الناموس يكون محروم من الله ومن جميع الآباء ومن كرسيّ مار بطرس الرسول ومن جميع المطارنة والاساقفة المجتمعين في هذا المجمع المقدّس وكلّ من يطيعهُ يكون مبارك من الله ومن جميع الآباء القديسين آمين . فنحن جميعنا الحاضرين نطلب من الرب ان يطوّل عمره وبقاءهُ ايّام مديدة وسنين عديدة واشهر مزيدة ويثبّتهُ ويثبّتنا معهُ في الامانة الكاثوليكيّة الرومانيّة الى آخر الانفاس من عمرنا. ونرغب ايضًا من قصّاد السيّد البابا الحاضرين معنا ان يرغبوا الى الاب المقدّس ان يثبت هذا الاب البطريرك الذي اخترناهُ في هذا اليوم المبارك في هذه الدرجة البطريركيّة كما تثبّت البطاركة القدماء السالفين الى يومنا هذا والسبح لله دائمًا ابدًا آمين

كُتب في دير سيّدتنا العذراء دير قنّوبين بحضرة الآباء الاساقفة والمطارنة والآباء المكرّمين قصّاد السيّد البابا الواضعين خطوطهم هنا بيدهم

(وقد امضى القاصدان اسمهما باللاتينيّة) :

Ego Joannes Bta Elianus Presbyter Religiosus Soc.Jesu
fui praesens praelictis et subscripsi
Ego Joannes Bruno Presbyter Religiosus Soc.Jesu
subscripsi

ثم يليه اسماء المطارنة وكلّ منهم يكتب على هذه الصورة : « انا الحقير في المطارنة مطران فلان رضيتُ في هذا البطريرك المذكور وهذا خطّي يشهد عليّ »

مطران جرجس . مطران يوحنّا من قرية اهدن — م . داود من قرية الاقورة — م . يعقوب — م . يونان — م . قليموس

ثم اسماء الخوارنة والاعيان والشمامسة :

الخوري عزيز من بشرّه — خ . سمعان من حدشيت — خ . بطرس من اهدن — خ . جرجس من تولا — خ . سليمان من كفرزينا — خ . عازار من اجبع — خ . جرجس من كرمسده — خ . دواد من

كفرحاتا–خ . موسى من بقرزلا–خ . رزق من دير جنين–خ . سليمان من الماقوره–خ . ابراهيم من ايليج –خ . موسى من جاج–خ . عزيز من ترتج–خ . جرجس من حردين . وكثيرين من الكهنة والقسوس والبراذطة

يوسف حبيش من غزير . ابراهيم بن الخازن من عجلتون . دوميط من الماقوره . شدياق صادر من الماقوره–ش . مقبل من بير حلبون–ش . حنا من المدث–ش . صادر من حصرون–ش . الياس من حصرون–ش . باخوس من حدشيت–ش . بشارة من بان . شحاده من بشرّه . وكثيرين من الاكليروس وغيرهم

الحقير في الكهنة الخوري يوحنا حصرون كاتب هذا السجل في رضا الرعيّة جميعها وانا رضيت هذا البطرك وهذا خطّي يشهد عليّ

وزادنا الاب اليانو افادةً فوصف في رسائله البطريرك الجديد بقوله : انهُ رجل جدير بهذا المقام الرفيع لقداسة سيرته وعلمه وخبرته في سياسة الامور التي كان تداولها في عهد اخيه المتوفى . وكان قضى سنين طوالاً في حبس قزحيا ووادي قاديشا عائشاً عيشة النسّاك في الزهد واعمال التقى . ولمّا اجتمع رؤساء الطائفة لانتخاب خلف للبطريرك ميخائيل خاف ان تتوجه اليه اصوات المنتخبين فتُجعل فوق اكتافه اعباء البطريركيّة فحاول الهرب من وجههم لكنّ الآباء لم يرضوا بسواهُ واضطرّوهُ الى قبول ذلك المنصب الرفيع . امّا هو فاجهش بالبكاء وتوسّل الى الاساقفة ناشدًا اياهم الله بان يرحموهُ ويدعوهُ في عزلته وهو قد اعتاد منذ عدّة سنين العيشة النسكيّة لا يعهد من نفسه الصفات اللازمة لمثل هذا المقام . غير انّ كلامهُ هذا زاد العموم تعلّقًا بشخصه لاجل تواضعه ونزاهة نفسه ولم يزالوا يلحّون عليه مع قاصدي الكرسي الرسولي حتّى خشي ان يقاوم مشيئة الله واجاب الى دعوتهم مرغوماً

فاجلسوه حينئذٍ على الكرسيّ البطريركي وقدّموا لهُ الطاعة . وفي اليوم التالي صار احتفال عظيم فقدّم البطريرك الجديد الذبيحة المقدّسة بكل رونق وقبل ان يتناول جسد الربّ جثا امام المذبح فتلا صورة ايمانه الكاثوليكي بصوت جهور وفقاً لامر المجامع المقدّسة . فشمل الفرح جميع ابناء الطائفة لاجل هذا الانتخاب

(لهُ بقيّة)

رحلة الامير بشير الاولى الى مصر

للشيخ سلوم الدحداح

نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح

توفقت للحصول على رسالة خطية فيها اخبار رحلة الامير بشير الاولى الى القطر المصري من انشاء المرحوم الشيخ سلوم موسى الدحداح وهي بخط يده فاحببتُ ان أتحف بنصها قرّاء المشرق

والامير بشير المذكور هو الامير بشير الثاني المعروف بالكبير والمالطي ولد ابوهُ قاسم ابن عُمر وحيدًا وتيتّم من والديهِ قبل السنة الثانية من عمرهِ فاخذهُ عمّهُ الامير ملحم حاكم لبنان وبقي عندهُ حتّى بلوغهِ سنّ الزواج وتربّى مع اولادهِ السنّة وهم محمّد ويوسف وقاسم وسيد احمد وافندي وحيدر وكانوا جميعهم اصغر منهُ سنًّا . وثانيهم يوسف هو الذي صار حاكمًا على لبنان وقتلهُ الجزّار ظلمًا سنة ١٧٩٠

وكان الامير قاسم ذكيًّا جدًّا فأحبّهُ عمّهُ كأحد اولادهِ واعتمد عليهِ في امور كثيرة فلمّا توفّي الامير ملحم وخانهُ اخواهُ الاميران احمد ومنصور في امارة الجبل سعى الامير منصور باستعطاف الامير قاسم ليجعلهُ من حزبهِ وينفرد بالحكم على لبنان فسلّمهُ حكومة غزير وازوجهُ احدى بناتهِ فرُزق منها ولدين: حسن سنة ١٧٦٥ وبشير الثاني المالطي سنة ١٧٦٧ وابنةً تزوّجها بشير الثالث المعروف بابي طحين ثمّ توفّي بعد ان تنصّر مع عائلتهِ كلّها . وقد اقترنت ارملتهُ بالامير سيد احمد رابع اولاد الامير ملحم المشار اليهم اعلاهُ

وقد جرى الامير منصور مع الامير يوسف ابن اخيهِ على نفس سياستهِ مع الامير قاسم اذ رآهُ قد تولّى حكومة جبيل والبترون بساعي مربيهِ الشيخ سعد الخوري بالاتفاق مع الشيوخ علي جنبلاط ومنصور يوسف الدحداح وسمعان البيطار فطرد منها المتاولة وقوي حزبهُ حتّى خاف الامير منصور ان يزاحمهُ على حكومة دير القمر وجبل الدروز فاستمالهُ الى طرفهِ وقرنهُ باحدى بناتهِ فصار صهرهُ كالامير قاسم . ومنهُ يظهر بطلان ما كتبهُ مؤلّف « سوريا الغد » انّ « الامير يوسف احسن الى الامير بشير واعتنى به لفقرهِ رغمًا عن بُعد النسب » فاي نسب اقرب من هذا ؟

وقد اضطرّ الامير بشير الثاني مدّة حكومتهِ الطويلة على لبنان (١٧٨٨ — ١٨٤٠) ان يهجر الحكم ويفرّ من الجبل ظافرًا بنفسهِ واشهرُ هذه الفترات سفرهُ الى مصر اوّلًا في البحر سنة ١٧٩٩ ليلتجئ من ظلم الجزّار الى الصدر الاعظم العثماني يوسف ضياء باشا القادم لمحاربة الحملة الفرنسويّة هناك ثمّ ثانيًا في البرّ سنة ١٨٢٢ ليستغيث بمحمّد علي باشا طالبًا منهُ ان ينال لهُ ولعبدالله باشا العفو من الباب العالي . والرحلة التي نحن بصددها تروي اخبار سفرهِ

الاوّل . وقد شرح الامير حيدر الشهابي في تاريخه الغرر الحسان (ص ٤٩٠ – ٤٩٥) اسباب هذا السفر

امّا الشيخ سلّوم الدحداح فهو ثاني اولاد الشيخ موسى وُلد في عرمون كسروان سنة ١٧٥٠ . وقد اشتهر بذكائه ومعرفته للغة التركية خدم الامير يوسف الشهابي زمناً طويلاً ونالهُ بسببه عذابات شتى في عكّا أشفق فيها مع مديره الشيخ غندور الخوري . ولم يلبث ان استدعاهُ الامير بشير واحبّهُ جدًّا وعيّنهُ مديرًا للاحكام عنده (راجع المشرق ٤ : ١٩٣) فبقي في خدمته الى السنة ١٨١٧ حيث استقال لتقدّمه في السنّ فأقيم ابنهُ منصور في وظيفته . وتوفّي سنة ١٨٢٠ . وفيه قال السيو بوجولا في كتابه « الحقيقة عن سوريا » (ص ٥٦) في معرض كلامه عن أسَر المشايخ الموارنة : « كان سلّوم الدحداح ذا عقل ثاقب خليقاً في السياسة وحسناً لتدبير الامور . قد ادار الاحكام في لبنان في أوّل عهد الامير بشير ولم يزل اسمهُ حيًّا في ذاكرة جميع اهل هذه البلاد » . وقد حضر الشيخ سلّوم المجامع المارونيّة التي عُقدت في عهد البطريرك يوسف اسطفان الوسطاوي برئاسة البطريرك المذكور وأثناء نفيه الى الكرسي وبعد رجوعه الى منصبه البطريركي . وتوقيعهُ في ذيل اعمال كلّ هذه المجامع . امّا المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ فقد وقع غلطٌ في ذكر اسمه هناك في الطبعة العربيّة الجديدة (ص ٥٦٢) والصواب « سليمان الدحداح » كما ورد في النسخة اللاتينيّة (ص ٣٤٦) لا « سلّوم » الذي ولد بعد هذا المجمع باربع عشرة سنة

والرسالة التي نشرعها هنا قد عثرنا عليها عند بعض الاقارب وهي بخط مصنّفها . نروجها عرفها ولغتها فلم نصلح منها الّا اغلاطها الظاهرة . وهي عبارة عن ٢٤ صفحة وفي الصفحة ٢١ سطرًا على ورق صفيق مبقّع بالماء والدقيق

تاريخ سفر سعادة الامير بشير

عند الوزير الاعظم يوسف باشا ضيا (١ والى مقام

سرعسكر الانكليز الكومنده سميت سنة ١٧٩٩

انّه في ثلثة ايّام خلت من شهر كانون الثاني (١٧٩٩) المصادف الى ٢٨ خلت من شهر رجب (١٢١٣) في سبع ساعات من الليل نهار الجمعة التي هي ليلة السبت

١) يوسف باشا ضيا او ضيا يوسف كما يقول الاتراك استدعاهُ السلطان سليم الثالث فخوّلهُ رتبة الصدارة العظمى . ولمّا بلغهُ انتصار الاسطول الانكليزي على الفرنساويين في ابي قير جعلهُ قائد حملة الاتراك لمحاربتهم في مصر مع الانكليز فسار الى القطر المصريّ لكنّ الفرنسويّين غلبوهُ وجيشهُ برًّا سنة ١٢١٣ . وكان عند مروره في بلاد الشام لقي من الامير بشير كلّ اكرام ومساعدة على خلاف الجزّار الذي لم يعبأ به

سار سعادة الامير بشير من المنيّ الى البوادي (١ الذي هو قدّام مدينة طرابلس فوجد قبودان مركب الياريك (٢ الذي قد كان مرسلهُ الكومنده (٣ في طلبهِ منصباً في المحلّ المذكور مع قنصل طرابلس

وفي وصول الامير نزل الى شاطئ البحر ونزل الى المركب وصحبتهُ خدّامهُ الآتي ذكرهم وهم الشيخ نجم العقيلي (٤ ويونس بو درغم (٥ والياس بو زحم (٦ وفرنسيس نمر وحسين مكنّا (٧ وحسين الداهوك (٨ ومارون البستاني (٩ وضاهر بو شاول وابن عمه جرجس (١٠ وضاهر فرج (١١ وبطرس ديبان (١٢ وفارس

١) المنيّ والبوادي. المنيّ او المنية قرية بقرب طرابلس ويريد بالبوادي الجامع المعروف اليوم بالبدّاوي ولعلّ البوادي تصحيف

٢) القبودان كالقبطان لفظة ايطالية معناها رئيس البحر . مركب الياريك هو المركب المختص بالمرضى والجرحى

٣) هو الاميرال سدني سميث من كبار مشاهير الانكليز ولد في وستمنستر سنة ١٧٦٤ وتوفيّ في باريس سنة ١٨٤٠ قلّدتهُ دولتهُ رتباً سامية ومناصب شريفة قام بها احسن قيام . وقد امتاز خصوصاً بمحاربتهِ لنابوليون بونابرت في عكّا ثمّ في مصر بحراً حيث احرق الاسطول الفرنسويّ ثم برّاً في ابي قير فانكسر مع الاتراك . لكنّهُ لم يزل يعارض الفرنسويين الى ان اضطرّهم الى الرجوع الى بلادهم . ونال بعد ذلك من دولتهِ اعظم الامتيازات وتولّى قيادة الاسطول الانكليزيّ في البحر المتوسّط بصفة اميرال . وكان حضور الامير بشير الى مصر قبل واقعة ابي قير البرّيّة . ويدعوهُ هنا صاحب الرسالة بالسرعسكر اي رئيس الاعظم وبالكومنده تصحيف كومندان الفرنسويّة وكومودور (Commodore) الانكليزيّة او كومندا (Commenda) الايطاليّة ومعناها رئيس اسطول

٤) من مشايخ الدروز في السنانيّة وعائلتهُ كانت من مزاويج المشايخ النكديّة وبيت العبد الخ

٥) من عائلة دروز كانت في دير القمر التي تسكن قرية كفرحيم في المناصف

٦) لم تزل عائلتهُ في دير القمر

٧) لم نعرف شيئاً عن فرنسيس نمر وحسين مكنّا

٨) من عائلة درزيّة تسكن كفرنبرخ من العرقوب وبعلبك من الشوفين

٩) عائلة البستاني المارونيّة اصلها من بقرقاشا في جبّة بشرّاي وهي كثيرة الفروع منتشرة في انحاء لبنان . ومن سلالة مارون المذكور الخوري بطرس البستاني كاتم اسرار ابرشيّة صيداء حالاً

١٠) ضاهر وجرجس من موارنة دير القمر . وضاهر هو جدّ الخواجا ضاهر شاول احد التجّار المعروفين في بيروت

١١) ضاهر فرج من عائلة درزيّة تسكن عيبه وبعورته في الشحّار .

١٢) من موارنة دير القمر . ومن نسله اسكندر افندي ديبان الذي كان في عدليّة جبل لبنان

الشويري وقبلان البعلبكيّ (١ وغنطوس بو سردي (٢ والعرب صالح (٣ ومرعي بو ملهب (٤ ويوسف الحاصباني (٥ ويوسف عمّون (٦ وحسن حمدان (٧ واحمد بو عكر وعبدالله الهداري وجرجس الموصلي (٨ ومحرّر هذا التاريخ يازجي (٩ سعادته سلّوم الدحداح

وبعد نزول الامير الى المركب الياريك بقي نهار السبت والاحد والاثنين لم تقدر المركب على السفر من الريح . ونهار الثلثاء قلع المركب بسلامة الله قاصداً دمياط حيث يعلم انّ سر عسكر الانكليز في المحلّ المذكور . وفي نهاره قابل مركباً بغير بنديره (١٠ فضرب له مدفعاً اوّل وثانياً وثالثاً بكلل . فحالاً نصب بنديرة شاويّة وحضر القبطان في قارب واخبر القبودان انّ المركب كان في بيروت وانّ عسكر الجزّار متوجه الى الجبل . واخبر ان غلياطة (١١ سرّ عسكر الانكليز

---

١) لم نعلم شيئاً عن فارس وقبلان

٢) كان من دير القمر ولا تزال عائلتهُ فيها

٣) مسلم سنّي من برج البراجنة قرب بيروت وعائلتهُ لم تزل فيها . اشتهر بعده ابنهُ محمّد العرب الذي اناف عمرهُ على مائة سنة وكان لا يأكل في النهار الّا مرّة واحدة

٤) ماروني من مهريه احدى قرى المرقوب

٥) من عائلة غبريل المعروفة في حاصبيا توطّن ابوهُ دير القمر وانتمى الى طائفة الروم الكاثوليك ولم يزل من نسلهِ في الدير

٦) ماروني من دير القمر . يقال انّ اصل بيت عمّون من عاد في بلاد جبيل . قد ولّى الامير بشير بعدئذٍ يوسف هذا على قسم من مقاطعة بيت جنبلاط في اقليم الخرّوب . وقد اشتهر بعدهُ ولداهُ عمّون بك وانطون بك تعاقبا في رئاسة مجلس ادارة لبنان في عهد رستم باشا . ومن اولاد انطون بك سليم بك الذي ترأس ايضاً مجلس الادارة وتوفي سنة ١٩٠٩ . وقد توفّي آخراً اخوهُ اسكندر بك في القطر المصري بعد خدمتهِ الدولة الشريفيّة في دمشق . ودارد بك اخوهما احد اعضاء مجلس ادارة لبنان الحالي

٧) لعلّهُ من مشايخ حمدان الدروز في باتر من الشوف وفي دير كوشه من المناصف

٨) هؤلاء الثلثة الاخرون لم نقف على شيء من امرهم

٩) اليازجي في التركيّة الكاتب والمحرّر

١٠) البنديرة الراية . من الايطاليّة (bandera)

١١) تعريب (galeotta) الطليانيّة وهي سفينة خفيفة

الذي كان مرسلها الى اسلمبول وصلت الى بيروت ثمَّ سارت الى الاسكندريَّة لعند سر عسكر

ثمَّ سافر مركبنا فاصبح نهار الاربعاء قبال تمّ الدامور (١ وكان النوْ غلينة (٢ فبقي مكانهُ الى خمس ساعات من ليلة الخميس فاعتدل الريح . وفي نهاره الظهر وصل المركب الى تجاه الكرمل فتباين مركب مقلع من مينا عكَّة . وحين نظرهُ القبودان امر حالًا ان يستعدُّوا لحربهِ وكان محمول المركب ثمانية عشر مدفعاً كبارًا ومدفعين وسط . ولم تزل الى ان غاب ذلك المركب في البحر

وصباح الجمعة امر القبودان الى صُلدات (٣ المركب ان يعماوا حرباً لكي يتفرَّج الامير وكانوا مائة وخمسين صلدات فعماوا رسم ساعة في البندق ثمَّ امر البطجيران (٤ يعماوا حرباً في المدافع فضربوا المدافع . وفي نهاره عند غروب الشمس نظر القبودان في الاسترلاب (٥ ورقم عدد الاميال التي مشاها المركب لانهم كلَّ ساعة يحرّروا عدد الاميال التي يفهموها بعد القياس في المرسى الرفيع . ثمَّ ان القبودان اخبر الامير ان بعد مسافة ستين ميلًا يصل المركب الى بوغاز دمياط

وفي الليل ركّبوا الزوائد (٦ فصار المركب خفيف جدًّا فاصبح السبت على رأس برلونس (٧ المجاور ابو قير وبان شجر النخل والموادن (المآذن) ومركبين سفَّار فرنساويَّة رابطين في المينا وحولهم النقاير (٨ . وحين رأى ذلك القبطان رجع

---

١) اي مصبّ هذا النهر . والتم عند العامّة تصحيف الفم

٢) الغلينة عدوّ البحر من اليونانيَّة (γαλήνη)

٣) هو في الاصل العسكريّ الاجير تعريب الايطاليَّة (soldato)

٤) يريد بالبطجيران البطاريَّة اي بادفعيَّة من الايطاليَّة (batteria)

٥) الاسترلاب آلة لرصد طلوع النجوم وحركات الفلك وعرض البلاد . وقد نشر المشرق وصفهُ سابقًا

٦) يريد ما يزاد على القلوع لتخفيف سيرها

٧) يدعى اليوم رأس البرنس

٨) النقاير او النقاقير سلاسل حديديَّة تجعل حول السفن وقايةً لها

المركب نحو دمياط مظنًّا (ظـانًا) ان سر عسكر هناك . وحين اقبل رأينا مركباً فقاموا لهُ اشارة . فأعطاهم ايضاً اشارة انهُ مركب انكليز واسق ذخيرة وعتال يفتش على سرعسكر وانهُ لم وجدهُ في دمياط . ثمَّ ساروا المركبين سويّة نحو الاسكندريّة

ومصباح الاحد اختلف النوّ وفي (الساعة) ٥ من النهار كشفنا على الاسكندريّة فنظرنا القلع وسناجق الفرنساويّة على اعلى القلع ورأينا المنارة وثلاثة قلع على حد البحر وهي مدينة بقدر الشام حسنة المنظر ودائرها ابراج . ورأينا في المينا نحو مائة وخمسين مركباً فرنسوياً منهم ثلاثة مراكب كبار جدًّا . وبقي المركب ذلك النهار تجاه الاسكندريّة وننظر ان كان يوجد مركب الكومنده في ذلك البحر فلم وجدناه . وعظم النوّ فقال القبودان الى الامير : ربّما الكومنده يوجد في قبرص . فرجعنا وبقي المركب الاثنين والثلاثاء في المواسطة والنوّ عظيم . وقد رمى النوّ مركب الذخيرة على مركبنا فكان الخطر عظيم من تلاطم المراكب لولا زود خبرة القبودان واجتهاد البحريّة . ثمَّ بعد خلوص الخطر هجع الريح . ونهار الاربعاء سار المركب بريح معتدل وقبل العصر كشفنا رأس القطاط وبرّ قبرس (١

ومصباح نهار الخميس كشفنا على اللمسون (Limassol) فارسل القبودان القارب يسأل عن الكومنده من القنصل ورجع بجواب انهُ لا يعلم اين هو . ثمَّ رمى المركب المرسى ونزل سعادة الامير والخدم الى البرّ وارسل القبودان فيسال (٢ وثلثة صُلدات حرّاس قدام الامير . ومصباح الجمعة ارسل القبودان كبير الفيساليّة يسأل عن خاطر الامير وان يرجع الى المركب لاجل السفر . فردّ الامير الجواب ان يهل عليهِ الى نهار بكرة السبت لاجل قضاء مصالح الحزم . ثمَّ مصباح السبت حضر الفيسال والفلايك وتوجه الامير الى المينا فما قدرنا على النزول من كبر البحر وبقي الامير في البرّ الى نهار الاحد الساعة سبعة الى ان نزل الى المركب

وقلع المركب من اللمسون طالب الاسكندريّة وكان الريح طيّب وانّما كان المركب لا يقدر على سرعة المسير لاجل رفقة مركب الذخيرة . وبقي المركب

١) رأس القطاط في جهة لياسول . دُعي بذلك على ما قيل لانّ ملكةً اتت بقطط كثيرة لمحاربة حيّات ذلك المكان

٢) الفيسال الضابط من الايطاليّة (ufficiale)

الاثنين والثلاثاء الساعة خمسة فرأينا مركباً خارجاً من بحر الاسكندرية وسائر نحو دمياط فقصدهُ مركبنا ظانًّا انهُ مركب الكومنده . وحين صار مقابل مركبنا ابتدوا ينشروا بنديرات العلامات . ثمَّ نظروا مركباً ثانياً فصار منهُ حساب ثمَّ تحقَّق انهُ مركب باليك (١ انكليز يقال لهُ تيشيس (٢ وكان محمولهُ اربعة وسبعون مدفعاً وحين اقترب من مركبنا ارسل القبودان فيسالا يسأل قبطان ذلك المركب عن الكومنده . ثمَّ بعد ساعة رجع ذلك الفيسال واخبر الامير ان هذا المركب صادف جنيرالين فرنسويَّة منهزمين الى بلاد فرنسا فأخذ مركبهم وقبض على الجميع وكانوا نحو مائة نفر وصحبتهم حرمة صاحبة (٣ ابونابارته (بونابرت) وكان موسوق ذلك المركب رزًا وقهوة وسكرًا وعجوة وشالات طرما (٤ فاخذوا الجميع . وفي الليل شعَّل المركب من جنبهِ بارودًا علامة التقرُّب فهرض اي الزق في الجنب (كذا) . ونظرنا القبطان ماسكاً تلك الحرمة من يدها من طاقة الكمرة (٥ ليفرّجها علينا ونظرت اليها وهي لابسة ثوباً ابيض كاونها واعينها صغار

ثمَّ سارت المراكب الى ان قابلنا بوغاز دمياط فلم وجدوا الكومنده فحن عند قبودان مركب الباريك ان يستأذن قبودان مركب تيشيس ان يسير الى نواحي غزَّة ويافا لعلَّنا نجد الكومنده هناك . وكان اعلمهُ بان سعادة الامير صحبتهُ فحسن ذلك وسلمهُ ذلك الجنرالين الفرنساوية وكان اسمازهم فيلكس ودموه (٦ فصعدوا الى مركبنا وعمل لهم القبودان كلَّ اعتبار كأنهم من اعزّ اكابر الانكليز وكانوا مهابين الخلقة . الواحد منهم مضروب بسيف قديماً في وجههِ وقيل انهُ سر عسكر خيل عند الفرنساويَّة على سبعة الاف في زمان السلطان لويس وحين قامت المشيخة الفرنساويَّة وهو شابٌ طويل القامة حسن المنظر لابس ثوباً مخملًا بنفسجيًّا مشغولًا

١) المركب الباليك هو المركب الحربيّ من الايطاليَّة (bellico)
٢) لعلَّه اراد تيثيس (Téthis) احدى إلهات اليونان البحريَّة أطلق اسمها على المركب
٣) اي السيّدة القائمة بخدمة زوجة نابوليون المسمَّاة جوزفين
٤) شالات طرما هي شالات ملوَّنة مختلفة الالوان
٥) الكمره الحجرة الصغيرة من الطاليانيَّة (camera)
٦) لم نقف على اخبار هذين الجنرالَيْن فيلكس ودموه

بصرما (١ ونياشين الشرف على اكتافهِ . وهو الذي كان محارباً عسكر الاسلام في جسر بنات يعقوب حين كانوا الفرنساويّة على مدينة عكّا . وقابلوا الامير ومعهم ثلاثة شاويشيّة على رؤوسهم الخُوَذ البولاد مشغولين بصرما (١ وعليهم ريش اسود منعكف من النقرة الى الجبهة وصحبتهم حزمهم . وحين قابلوا الامير اعجبهم عظم صورتهِ

ثم نهار الجمعة اقترب المركب من العريش وبان العرضي (٢ والخيام في النظّارات . وحين اقترب المركب رأينا مركباً عليهِ صورة كلب فعرف القبودان انهُ مركب انكليز فارسل فيسالًا ليعلم اخبار الكومنده . وبعد ساعة رجع الفيسال يبشّر الامير ان هذا اوردي (٣ الوزير الاعظم وانَّ الكومنده عنده في الاوردي ومركبه في يافا . فسار القبودان حالًا الى البرّ ليُعلم الكومنده بقدوم الامير وسار معهُ فرنسيس دميان (٤ الذي اصحبهُ سعادتهُ معهُ من طرابلس كترجمان . ومصباح السبت رجع القبودان وفرنسيس دميان بجواب انَّ سعادة الكومنده يحضر الظهر الى مركب البلوق (٥ لاجل مواجهة الامير . وفي الترم حضر فاوكة ببنديره في طلب الامير ان يوافي الكومنده للمركب المذكور . فسار الامير وانا معهُ والبعض من الخدم . وحين وصلت الفلوكه الى المركب لاقى الكومنده الامير الى رأس الدرج وصفّ الصلدات بالسلاح وقوّص المركب ثلاثة عشر مدفعاً . ثمَّ بقي الامير نحو ثلاث ساعات في المفاوضة ورجع الى مركب الناريك

وفي ثاني يوم حضرت الفلوكات وباش ترجمان (٦ بعزم سعادة الامير الى المركب وان باقي الخدم يلاقوهُ الى البرّ . فسار الامير والشيخ نجم والفقير وفرنسيس دميان وطاهر بو شاول صحبة الامير للمركب . وفي وصولنا لاقى الامير كالعادة . وعند العصر ارسل باش ترجمان للعرضي لكي يؤلّفوا خياماً لسعادة الامير وان ينزلوا الخدم

١) البرما ويكتبها ايضاً صرما هي الاسلاك الذهبيّة في التركيّة
٢) العرضي والعرضة في اصطلاح الاتراك مقام العسكر
٣) الاوردي والاوردو في التركيّة الجيش والمُعسكر
٤) لا نعرف شيئاً عنهُ
٥) البلوك والبلوق بالتركيّة فرقة من العسكر
٦) اي رئيس المترجمين

وسار الترجمان في الفاوكة ومن شدة النوء لم قدر يصل الى البرّ والخدم طلعوا الى الفالياطه (١ ومن شدّة النوء ما قدروا على النزول الى البرّ فحرّر الكومنده مكتوبا للوزير يوصي باكرامهم . وامر قبودان الفلياطه متى هدي النوء ينزلهم البرّ . وفي السهرة انزلهم وخافوا خوفاً عظيماً ثمّ رجع فرنسيس دميان واخبرنا انّ الجميع سالمين

ومصباح الاثنين قوي النوء جدًا فقال الكومنده للامير : اني خائف ان يقوى النوء ويصير خطر على المركب ومرادنا ننزل في القارب الى البرّ ولو كان خطر . ونزل حالًا الى الكمره يشهّل حاله وقد حصل خوف عظيم عند الجميع . ثمّ نظر الى عظم البحر فعدل عن النزول الى البرّ وبقي خاطره متعوباً من نحو الامير لانهُ كان متحرف مزاجهُ من السفر فسقاه ماء زهر وغيره فاستراح نوعاً . ومصباح الثلاثاء تكلّم الكومنده مع الامير ان مراده ينزل الى مركب الياريك ليعرفهُ في طلب ذخيرة الى الوزير وبعد الغداء ينزل للبرّ وقد كان هجع النوء

وكان الوزير امر حين بلغهُ وصول الامير ان يتوجه الى شاطئ البحر ثلاثون رأس خيل بالعُدَد الكاملة وكانوا كلّ يوم يحضرون وينتظرون الى المساء . ومصباح الاربعاء نزل الكومنده والامير الى البرّ فنظرنا الخيل منتظرين كالعادة فركبوا وسرنا وسبق الكومنده قدامنا ودخلنا الاوردي فوجدنا ثلاثة خيام منصوبة بقرب خيام الوزير الاعظم . وبعد نزول الامير بتلك الخيام سار عند الكاخيه فلاقاهُ بالسلام وعمل لهُ مجايره زائدة وقال له : «انت صرت محسوباً من رجال الدولة العليّة» . وبعد ما شرب الامير القهوة توجّه الى عند الدفتردار فساق مع الامير نظير الكاخيه . ثمّ توجّه لعند رئيس افندي ثمّ رجع الى خيامهِ . فحضر سبعة افندية وسلام آغاصي (٢ ليعزموا الامير لعند صاحب السعادة . وحين وصول الامير اراد ان يقبّل اتك (٣ الوزير فاعطاهُ يدهُ وامرهُ في الجلوس اوّلاً وثانياً وثالثاً . فجلس وبعد ان ترحّب بهِ سألهُ : اتعرف تركي ؟ اجابه : لا . فوقف الجي اغاصي (٤ يترجم . فقال له :

١) تعريب (galiotte) مركب حرب صغير
٢) السلام آغاصي عند الاتراك كصاحب التشريفات
٣) الاتك بالتركيّة طرف الثوب
٤) الجي اغاصي . هو رئيس الوفود

انت من اعزّ رجال الدولة ومحسوب حضرة مولانا السلطان وانت ممدوح من سائر اعيان الناس انت صاحب الحمية والغيرة والحماسة . والدولة العليّة لها نظر عليك فلا تفتكر ولا تتوهم هذا حال الدنيا . وقال لهُ مثلاً بالتركي مضمونه ان الدنيا احيان مرّة واحيان حلوة . وقال له : لا تأخذ على خاطرك . وقال لهُ مثلاً : انّ الذي يصبر على الحصرم يأكلهُ تطلي (١ والذي يصبر على التوت يلبسهُ اطلس (٢ . وقال لهُ : انت كونْ براحتك الدولة تدبّر اشغالك . فقبّل الامير اتكهُ ورجع فامرهُ بالجلوس ايضاً وابتدأ يلاطفهُ بالكلام وسألهُ : كم لك يوم نزلت في البحر وفي ايّ مينا نزلت وانشاء الله لا يكون جعل لك اضامه (٣ . اجاب الامير : النزول من مينا طرابلس والذي يكون عازماً على التشرّف بلثم اتك سعادتك لا يبالي بالاخطار . فاعرض الكومنده للوزير اني انا كنت في بلاد سوريا في حرب الفرنساويّة على عكّا وأعلم كلّ ما توقع واقرّ لسعادتك بكل صدق ان غيرة الامير بشير حفظت بلاد سوريا لحضرة السلطان سليم . اجابهُ الوزير : بكل صدق اخبت . وقال الكومنده : انّ الامير بشير طرق باب ملك بريطانية . فكان جواب الوزير : انهُ قد صار من اعزّ رجال الدولة . ثمّ طلب الاذن ورجع الى خيامهِ . وفي خروجهِ من الصيوان (٤ وقفت الدائرة يتأملوهُ . فافتكر الوزير انّ الدائرة يريدون من الامير بخشيش فصاح الشاويش : لا احد يقبل منهُ شيئاً

وفي وصول الامير الى الخيام رأينا الكاخية مقيّداً على افندي المهردار أن يلاحظ دائماً الامير بما يلزم لهُ من الاكرام وحالاً حضرت الشربات والقهوة وابتدأ يعتذر المهردار عن نسيان الوزير انهُ في سفر وليس عندهُ شيء يليق في مقابلة الامير ويريد منهُ عدم المؤاخذة . والمهردار رجل شاب ذو معرفة وادب من اولاد اسلمبول مربّى في باب همايون واظهر للامير كلّ حب ووداد . وفي اقامة الامير كان يستشيرهُ ويتدبّر

---

١) اي يأكلهُ بطلي اي بلذّة

٢) لأنّ منهُ الحرير

٣) الاضامة في اللغة العاميّة الأذى

٤) لعلّهُ ديوان الوزير

برأيه في مواجهة رجال الدولة . ثمَّ بعدهُ قابل الامير ترجمان الدولة العليَّة جرجي بيك صاحب الفلاخ (١ وطلب منهُ ان يحرّر لهُ التفريق على الدائرة ورجال الدولة . فامر اليازجي ان يرقم لي اساميهم وأفهمني ان حين الامير يقابل احدهم أبقى افرق على موجب القائمة وهي الآن محفوظة عندي . ثمَّ قبل الغروب بساعة ارسلني الامير لعند المهردار ان متى نظر وقتاً مناسباً يطلب اذناً من سعادة كتخدا بيك (٢ على المواجهة . وعند غروب الشمس حضر الافندي يعزم سعادة الامير لعند سعادة الكاخية فسار حالاً . وحين قابلهُ وقف وترحب بالامير واكرمهُ ازود من العادة وواعده بكمال مطاربه وقسم لهُ اوامين (٣ ان ليس عند سعادة الصدر الاعظم في معزّته (٤ وانهُ متخذهُ بتمام ولد . ثمَّ بعد مفاوضة طويلة سرّية طلب الاذن وانصرف الى محلّه

وقد كان في تلك الايام وقع المراسلة بين الصدر الاعظم وبين الفرنساويّة بعد فتح قلعة العريش وانهم يسلّموهُ مصر ويرجعوا الى بلادهم عن يد الكومنده وتحرّرت شروط وارسلوا يمضوها من سرّ عسكر الفرنساويّة كليبر (٥ . وفي يوم تاريخه رجع الجنرال من مصر وهي ممضاة معهُ وانهُ في برهة ثلاثة اشهر يقوموا الفرنساوية من مصر الى الاسكندريّة . ويتقدّم لهم مراكب يوسقوهم الى بلادهم

(لها تابع)

---

٤) جرجي بيك يظهر انهُ من امراء بلاد الفلاخ كان في خدمة الدولة العثمانيّة

٢) الكتخدا والكاخية واحد وهو الوكيل ومدبّر الامور

٣) كانهُ جمع أيمان اي قسَم وحلف

٤) اي ليس لاحدٍ عند الوزير من العزّ والاكرام ما للامير بشير

٥) هو الجنرال كليبر (Kléber) البطل الشهير الذي قتلهُ غدرًا صعلوك حلبي اسمهُ سليمان في ١٤ حزيران ١٨٠٠ . ولم يأنف جمال باشا السفّاح من اطراء عملهِ في دمشق في ايام الحرب الاخيرة حيث اطلق اسمهُ على احد شوارعها

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر

الفنون الجميلة بين نصارى العرب

ليس شيء يدلّ على رقيّ الامم كشيوع الفنون الجميلة بينهم . لأن الجمال كما لا يُخفى يسبي قلب الانسان ويجرّدهُ عن الامور السافلة الدنيّة ليسمو بهِ الى عالم العقل فيقرّبهُ الى مصدر الجمال سبحانهُ وتعالى . ولذلك قد قيل أنّ الفنون الجميلة هي اثمن درّة في تاج الحضارة والمدنيّة

على انّ العرب من هذا القبيل قد تخلّفوا عن بقيّة الشعوب المتمدّنة كالكلدان والاشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان فلا تكاد تجد لهم اثرًا يذكر في القرون السابقة لتاريخ الميلاد . والسبب في ذلك عيشتهم الفطريّة البعيدة من الحضارة وانتقالهم في البوادي انتجاعاً لمراعي الابل والمواشي واشتغالهم بالغزوات والحروب

اما القرون التابعة للسيد المسيح فانّها لا تخلو من بعض آثار هذه الفنون الجميلة ولا جَرَم انّ النصرانيّة بدخولها في جزيرة العرب ادخلت معها عنايتها الدائمة بترقية دعائم الحضارة ولا سيّما في الازمنة التي سبقت قليلًا عهد الاسلام وفي اوائل ظهوره كما سترى

وبياناً لذلك قد عوّلنا على كتابة فصل في ما نعرفهُ من تأثير النصرانيّة في ترقية الجمال ونشر اصحابها لاخصّ فنونهِ بين العرب . واشهر هذه الفنون اربعة : هندسة البناء والتصوير والحفر والموسيقى نفرد لكلّ منها باباً

١ هندسة البناء

البناء اوّل صنائع العمران البشريّ لانّ الانسان في حاجة اليه لاتّقاء عوامل الطبيعة وأذى العدوّ. على ان البناء لا يُعَدّ من الفنون الجميلة الّا اذا كانت المباني شاهقة البنيان واسعة الارجاء ذات اوضاع هندسيّة ونقوش فنّيّة وفقاً لقواعد راهنة تجعلها من الابنية المعتبرة فمنها قصور الملوك والمعاقل والحصون والهياكل والكنائس وغيرها من الابنية الدينيّة والمدنيّة. وها نحن ندوّن هنا ما يعود فضلهُ الى النصرانيّة مباشرةً بالمباني الدينيّة ثم المدنيّة

﴿ المباني الدينيّة ﴾ انّ ما قدّمناهُ من الشواهد العديدة في انتشار النصرانيّة في كلّ انحاء جزيرة العرب في عهد الجاهليّة يستلزم توفير الابنية الدينيّة والكنائس والاديرة حيثما وُجد النصارى. وربّما صرّح المؤرخون بذكرها دون وصفها فلا يسعنا ان نقطع بهندامها وحسن هندستها. ولا مراء انهُ كان بينها الابنية الفخيمة والهياكل البديعة

فممّا جاء ذكرهُ من ذلك في اليمن ما رواهُ المؤرخ فليسترجيوس في مطاوي كلامهِ عن قسطنسيوس بن قسطنطين الكبير حيث قال انّ تاوفيل الهندي الذي كان اوفدهُ هذا الملك الى الحميريين نحو السنة ٣٥٦ م شيّد في اليمن ثلاث كنائس في ظفار حاضرة اليمن ثمّ في عدن وفي هرمز (راجع الصفحة ٥٦ — ٥٧)

وقد ذكر كنائس اليمن قُزْما الرحّالة الكاتب اليوناني نحو السنة ٥٣٥ م فقال: «حيثما سرت تجد كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين اهل عربيّة السعيدة الذين يُدعَون بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً» (راجع الصفحة ٦٥)

وقد خصّ كتبة العرب فصولاً من تواريخهم في وصف كنيسة صنعاء اليمن التي شيّدها أبرهة بعد فتح الحبش لليمن وهم يدعونها بالقُلَيس اشتقّوها من لفظة Ἐκκλησία اليونانيّة وتعريبها الكنيسة. وقد روينا في مجاني الادب (٣ : ٣٠٢) بعض اوصافهم. راجع معجم البلدان لياقوت (في مادّة قليس ٤ : ١٧٠) وتاريخ الطبري (١ : ٩٣٤ — ٩٣٥) وتاريخ الشيخ صالح الارمني (طبعة اوكسفرد ص ١٣٩). وأقدمُ من كلّ هؤلاء صاحب «اخبار مكّة» ابو الوليد محمّد بن عبدالله

الازرقي من كتبة القرن الثالث للهجرة والعاشر للمسيح (طبعة ليبسيك ٨٨ – ٩٠) وهذا بعض ما رواهُ قال :

« كان القُليس مربَّعاً مستوي التربيع جعل (ابرهة) طولهُ في السماء ٦٠ ذراعاً وكَبْسهُ من داخلهِ ١٠ اذرع في السماء وكان يُصعَد اليهِ بدرج الرخام وحولهُ سورٌ بينهُ وبين القليس مائتا ذراع يطيف بهِ من كلّ جانب وجعل بين ذلك كلهِ حجارة يسمّيها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبّقة بهِ . وجعل طول ما بنى بهِ من الجروب ٢٠ ذراعاً في السماء ثمَّ فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلّثة تشبه الشُّرَف مداخلة بعضها ببعض حجراً اخضر وحجراً احمر وحجراً ابيض وحجراً اصفر وحجراً اسود وفيما بين كلّ ساقَين خشب ساسَم مدوَّر الرأس غلظُ الخشبة تحضنُ الرجل ناتئة على البناء . . . ثمَّ فصل بافريز من رخام منقوش طولهُ في السماء ذراعان وكان الرخام ناتئ على البناء ذراعاً . ثمَّ فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بَريق من حجارة تُتَّم جبل صنعاء المشرف عليها ثمَّ وضع فوقها حجارة صفر ثم حجارة بيض لها بريق . فكان هذا ظاهرَ حائط القليس وكان عرض حائط القليس ستة أذرع . . . وكان لهُ باب من نحاس ١٠ اذرع طولاً في ٤ عرضاً وكان المدخل منهُ الى بيت في جوفهِ طولهُ ٨٠ ذراعاً في ٤٠ ذراعاً معلق (؟) العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضّة . ثمَّ يُدخل من البيت الى ايوان طولهُ ٤٠ ذراعاً عن يمينهِ وعن يساره وعقودهُ مضروبة بالفسيفساء مشجّرة بين اضعافها كواكبُ الذهب ظاهرة . ثمَّ يُدخل من الايوان الى قبّة ٣٠ ذراعاً في ٣٠ ذراعاً جُدرُها بالفسيفساء وفيها صُلُب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضّة وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلّق مربّعة ١٠ اذرع في ١٠ تُنشي عينُ مَن نظر اليها من طول القبّة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبّة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللَّبخ وهو عندهم الابنوس مفصّل بالعاج الابيض ودرج المنبر من خشب الساج ملبّسة ذهباً وفضّة وكان في القبّة سلاسل فضّة . . . .

ثمَّ ذكر ما حلّ بهذه الكنيسة بعد الهجرة وكيف هدمها ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني عبّاس باغراء احد ابناء الوهب بن المنبّه وبعض يهود صنعاء .

وقد ذكر ابو صالح الارمنيّ في تاريخهِ (ص ١٤٠ من طبعة اوكسفرد) كنيسةً أخرى في بلاد اليمن دعاها « مَرُور الدير » قال انهُ كان عليها حصن منيع وتسمى في زمانهِ بقبرة الحكماء .

وممّا رواهُ السيّاح المحدثون انَّ جامع صنعاء الباقي الى اليوم كان في سابق الزمان كنيسةً حوّلها المسلمون الى جامع . وكذلك روى الرحّالة الالماني الشهير غلازر (Glaser : *Skizze*, I:15,37) انهُ دخل سنة ١٨٨٦ مسجداً يدعى مسجد نُجَيم في بلدة يريم قريباً من ظفار حاضرة اليمن سابقاً فوجد في ابنيتهِ وعمدهِ وجدرانهِ

آثارًا نصرانيّة ونقوشاً تدلّ على انهُ كان سابقاً كنيسة مسيحيّة

وقد اشتهرت في تاريخ النصرانيّة مدينة نجران التي استشهد اهلها في عهد ذي نواس (راجع ص٥٩—٦١) فلمّا عاد اليها السلام ورجعت النصرانيّة الى رونقها بُني فيها كنيسة كبيرة عرفها العرب بكعبة نجران فورد ذكرها في شعر الاعشى حيث انشد يخاطب ناقتهُ :

فكعبةَ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتى تُناخي بابوابها
تزور يزيد وعبد المسيح وقيساً هو خيرُ اربابها

فمدح الاعشى هنا بني عبد المدان الحارثيين سادة نجران النصارى . قال ابو الفرج الاصفهاني (الاغاني ١٠ : ١٤٢) : « والكعبة التي عناها الاعشى هاهنا يقال انّها بيعةٌ بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاةً للكعبة وسمّوها كعبة نجران وكان اذا نزل بها مستجير أُجير او خائف أُمن او طالب حاجة قضيت او مترفد أُعطي ما يريدهُ »

وان عدلنا بالنظر عن اليمن الى العراق وجدنا هندسة البناء الدينيّة رائجة فيهِ اي رواج لنمو النصرانيّة بين اهلهِ واتساع نطاقها في كلّ انحائهِ . فهناك شاعت الطرائق الرهبانيّة شيوعها في ارض الصعيد . هناك توفّرت المناسك والاديرة التي بلغ عدد المترهّبين في بعضها المئات بل بضعة الوف . وقد عدّدنا في ما سبق اسماء كثير من هذه الاديرة التي عُني بتشييدها الملوك واعيان الدولة كدير اللجّ الذي بناهُ النعمان بن المنذر ابو قابوس . قال ياقوت : « ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناء منهُ » ودير الاعور المنسوب الى النعمان الذي تنصّر وزهد بالدنيا . ودير الجرّعة المنسوب الى عبد المسيح بن بُقَيلة الغساني . ودير هند الكبرى بنتهُ امّ عمرو بن هند « أمّة المسيح وامّ عبدهِ وبنت عبيدهِ » (ياقوت ٢ : ٧٠٩) ودير هند الصغرى . ودير حنظلة . وغيرها كثير (راجع القسم الاوّل ص ٨٢ — ٨٦) . ولا شكّ انّ بُناة هذه الاديرة لم يدّخروا وسعاً في حسن بنائها واتقان هندستها اذ كانوا من اصحاب الثروة والتقى معاً . وفي بعض بقاياها الى اليوم ما يدلّ على عظم شأنها . وهكذا يقال عن الكنائس فانّها كانت غالباً هياكل واسعة الارجاء شاهقة البنيان ذات اسواق متعدّدة جامعة بين متانة البنيان وحسن الشكل وقد بقي في الشعر القديم

عدَّة اقوال لفحول الشعراء وصفوا فيها كنائس النصارى وهياكلها ومحاريبها وصلبانها وما تزين به من النقوش (راجع الصفحة ٢٠١ — ٢١٠) وقد خصَّ الهمداني بالذكر في كتابه جزيرة العرب « كنيسة الباعونة في الحيرة ». وبعض هذه الكنائس في العراق باقية الى اليوم فأخذ الأثريون يدرسون هندستها ويبيّنون خواصّها منهم تلك الآنسة الشهيرة الانكليزية المس بل (Miss Bell) التي وضعت كتاباً ضخماً في وصف كنائس ما بين النهرين التي سبق عهد البعض منها عهد الاسلام فترتقي الى القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح واثبتت صور كثير منها

وان اقتربنا في جزيرة العرب الى بادية الشام ومملكة بني غسَّان وجدنا فيها من المباني الدينيَّة ما يُقضى منهُ العجب . وقد اثبتنا في الصفحات السابقة (راجع الصفحة ٣٠) ما رواهُ مؤرخو العرب عن ملوك غسَّان الأوَّلين وما بنوهُ من الاديرة كدير أيوب ودير حالي ودير هند ودير ضخم ودير النبعة ودير بصرى ودير سعد . ومن هذه الاديرة ما بقي عامراً بعد الاسلام والى اليوم يُطلق اسم الدير على بعض جهات الصفا وحوران كدير الكهف ودير قنّ .

وقد اختلط بنو غسَّان في منازلهم شرقي الشام وفي جنوبها الشرقيّ بالرومان واليونان النصارى فجاروهم في حضارتهم وتعلَّموا منهم هندسة البناء فشيَّدوا مثلهم البيع والكنائس التي يُرى بعضها حتَّى اليوم في جهات حوران والصفا واللجا وجولان وفي عبر الاردن وبلقاء (راجع الصفحة ٣٣) وهي من البنايات الفخيمة وعليها الرموز النصرانيَّة والكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة . وعلى اثر منها كتابةٌ عربيَّة وجدت في حرَّان سبقت الهجرة باربع وخمسين سنة كُتبت على « مرتول » اي مشهد القديس يوحنَّا المعمدان الذي شيَّدهُ احد شيوخ القبائل العربيَّة المدعوّ شراحيل (ص ٣٤)

وترى مثل هذه الابنية الدينيَّة في الجزيرة وديار ربيعة وديار بكر وشمالي سوريَّة قد اشرنا اليها سابقاً (ص ٩٣ — ١٠٦) فان كتبة العرب وشعراء الجاهليَّة قد ذكروا نحو خمسين ديراً منها نعتوا بعضها باجمل النعوت كقول ياقوت في معجم البلدان عن دير الرصافة (٢ : ٥٦٠) انهُ « من عجائب الدنيا حسناً وعمارة » . وفي زَبد شمالي سوريَّة أُقيم سنة ٥١٢ للمسيح مشهدٌ لذكر القديس الشهيد سرجيوس عليهِ اوَّل اثر من الخطّ العربيّ في تلك السنة (ص —)

ولم تخلُ اواسط جزيرة العرب كنجد والحجاز واليمامة من الابنية النصرانيّة كالاديرة والبيع والصوامع (اطلب الفصل العاشر من القسم الاوّل (ص ١٠٦—١٢٣) وهناك كانت قبائل نصرانيّة كطيّ وتميم التي افتخر خطباؤها لمّا وفدوا على نبيّ الاسلام بتشييدهم للكنائس فقال الزبرقان :

نحن الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا منّا الملوك وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

قد ورد في كتاب الوفادات لابن سعد ذكر كنيسة بني حنيفة وراهبها (ص ١٢٩ — ١٣٠) . وقد وُجد ايضاً في الحجاز ونجد اديرة للنصارى في الجاهليّة كدير خندف ودير غطفان وغير ذلك مما مرَّ وصفهُ وقد ذكر الطبري في تاريخهِ (١ : ٣٠٤٧) دير سَلع قُرب المدينة المنوّرة يثرب وفيهِ دُفن الخليفة الثالث عثمان بن عفّان

وما قولنا بالابنية الجليلة التي امر ببنائها الملك يستنيان في طور سينا ذكرًا لتجلّي الرب فيهِ لبني اسرائيل واكرامًا للقديسة كاترينا الشهيدة وهذه الابنية تشهد الى اليوم ببراعة مهندسيها

وممّا يدخل في هذا الباب ما بناهُ النصارى من الابنية الدينيّة لغير ملّتهم فمن ذلك بناء الكعبة نحو السنة ٦٠٥ للميلاد تولّى بناءها رومي اسمهُ باقوم مع رجُل قبطيّ كما روى النهروانيّ في كتاب إعلام الأعلام ببيت الله الحرام (ص ٤٩ — ٥٠) قال :

« انّ امرأة جمّرت الكعبة بالبَخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق اكثر اخشابها ودخلها سَيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا ان يشدّوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الّا مَن شاؤوا وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جُدّة لتاجر رومي اسمهُ باقوم وكان بنّاء نجّاراً فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى جُدّة فابتاعوا خشب السفينة وكلّموا باقوم الروميّ ان يقدم معهم الى مكّة فقدم اليها واخذوا اخشاب السفينة أعدّوها لسقف الكعبة المشرفة . قال الازرقي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم الى الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة . فلمّا بلغت قرب مرسى جُدّة بعث الله عليها ريحًا فحطّمتها ... قال ابن اسحاق وكان بمكّة قبطيّ يعرف نجر الخشب وتسويتهُ فوافقهم ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعدهُ باقوم (١) »

وليست هذه المرّة الوحيدة التي عمرَ النصارى ما خرب من الكعبة . اخبر الازرقي

(١) راجع ايضاً كتاب اخبار مكّة للازرقي (ص ١٠٦ — ١١٠)

في اخبار مكَّة (ص ٣٩٥ — ٣٩٦) انهُ وقع سيل جُحاف في سنة ثمانين (٧٠٠ م) في خلافة عبد الملك بن مروان دخل المسجد واحاط بالكعبة فكتب في ذلك الى عبد الملك فبعث بمال عظيم وكتب الى عاملهِ على مكَّة لاصلاح ما خرب قال: «وبعث رجلًا نصرانيًا مهندساً في عمل ضفاير المسجد الحرام وضفاير الدور في جنبتي الوادي فامر بالصخر العظام فنقلت على العجل وحفر الارباض دون دور الناس فبناها واحكمها من المال الذي بعث بهِ»

وكذلك جرى في عهد الوليد بن الملك فانَّهُ اراد توسيع المسجد الحرام وزخرفتهُ فاستقدم لذلك مهندسين نصارى. قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٤٦٦): «في ايَّام الوليد استقدم من ملك الروم اربعين روميًا واربعين قبطيًا ليعمروا المسجد فعمَّروه سنة ٨٧—٨٨ (٧٠٩ — ٧١٠ م) مائتي ذراع». قال الازرقي (ص ٢٠٩): «وهو (اي الوليد) اوَّل من نقل الى المسجد الحرام اساطين الرخام.. وسقَّفهُ بالساج المزخرف وجعل على رؤوس الاساطين الذهب على صفائح الشَّبه من الصفر وازَّر المسجد بالرخام من داخلهِ وجعل في وجه الطيقان في اعلاها الفسيفساء». فكل هذه الاعمال قام بها عملة النصارى

وما صنعهُ النصارى في الكعبة والمسجد الحرام في مكَّة قاموا بهِ ايضاً في المدينة في مسجد النبيّ لمَّا اراد الوليد ان يجدّد بناءهُ قال الطبريّ (٢ : ١١٩٤) في تاريخ سنة ٨٨ هـ (٧٠٦م):

«بعث الوليد بن عبد الملك الى صاحب الروم يعلمهُ بانهُ امر بهدم مسجد رسول الله صلعم وان يبنيهُ فيهِ فبعث اليهِ بمائة الف مثقال ذهب وبعث اليهِ بمائة عامل وبعث اليهِ من الفسيفساء باربعين حملًا وامر بأن يتتبَّع الفسيفساء في المدائن التي خربت فبعث بها الى الوليد فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز.. وفيها ابتدأ عمر بن عبد العزيز ببناء المسجد»

ومثلهُ ايضاً مسجد دمشق المعروف بالجامع الامويّ الذي خلف كنيسة مار يوحنَّا بعد الفتح الاسلاميّ. فانَّ الوليد اذ اراد تجديد عمارته التجأ ايضاً الى ملك الروم ليوجّه اليهِ مائة صانع كما روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (١ : ٢٠٢). فاجتهدوا في بنيانهِ وتزويقهِ وزخرفتهِ حتَّى عُدَّ مع كنيسة الرها ومنارة الاسكندريَّة من جملة عجائب الدنيا. وقد ذكرنا في المشرق (١٤ [١٩١١]: ٦٣٩) اعمال

الفسيفساء الراقية الى عهد بنائها التي ظهرت قبل بضع سنين في مصلّب الجامع وقناطره وكواه بعد تنظيفها من سخام حريق تيمورلنك ومن الملاط والكلس فلاحت بزهاء الوانها العجيبة ومحاسنها الباهرة وتفنّن مهندسيها النصارى في النقش وتصوير مجالي الطبيعة من زهور واشجار واثمار وصروح وقصور . وكلّ يعلم ان ترميم الجامع الاموي وتجديد زخارفه القديمة تولّاها في الحقبة الاخيرة مهندس نصراني

ومن رأى مسجد الأقصى في بيت المقدس ودرس هندسته لا يلبث ان ينسب ايضاً بناءهُ الى صنعة من الروم الذين انتدبهم الى تشييده الخليفة عبد الملك بن مروان . وبأمره قُلعت قبّة كانت للنصارى في كنيسة مدينة بعلبك وهي من نحاس مطليّ بالذهب فنصبها على صخرة هيكل سليمان (تاريخ ابن البطريق ٢ : ٤٢) وقال ابن خلدون في مقدّمته « انّ عُمَر لمّا حضر لفتح بيت المقدس وكشف عن الصخرة بنى عليها مسجداً على طريق البداوة ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مجده على سنن مساجد الاسلام . . . والزم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال لبنائه وان ينتقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتمّ بناؤها على ما اقترحهُ »

ولما ابتني عمرو في جهات منف جامع الفسطاط وكل بتشييده الى النصارى وروى المقريزي في الخطط (٤ : ١٢٤ من الطبعة الجديدة) « انّ بعض عمده او اكثرها ورخامه من كنائس الاسكندريّة وارياف مصر » وكذا قال عن جامع الجيزة

فيثبت من هذه الشواهد كلّها شيوع الهندسة النصرانيّة في كلّ انحاء جزيرة العرب قبل الاسلام ونسبة كل الابنية الاسلاميّة الاولى اليها

وقد استبان علماء المستشرقين في عهدنا تأثير الهندسة النصرانيّة في ابنية الاسلام الدينيّة . فانّ المسلمين عند الفتح العربيّ لم يحوّلوا فقط كنائس النصارى الى جوامع ومساجد كما يتّفق عليه المؤرخون لكنّهم تقلّدوا ايضاً هندسة البيع المسيحيّة فانّهم اذ كانوا يجهلون فنّ البناء كما قال ابن خلدون التجأوا في الشام والعراق ومصر والاندلس الى مهندسين وطنيين مسيحيين كان البعض منهم دانوا بالاسلام فهؤلاء جروا في تشييد مقامات الاسلام الدينيّة على ما اعتادوا في اوطانهم وقد درس الاختصاصيّون بقايا تلك الابنية فقابلوا بين كلّ اقسامها واقسام الكنائس الوطنيّة فاثبتوا العلاقة التامّة بينهما حتّى في اخصّ مميّزات الجوامع كالقبلة والمحراب والمنبر والمأذنة والجرم

فانَّ كلَّ ذلك منقول دون فرقٍ يذكر عن المباني النصرانيَّة التي وجدها العرب في فتوحاتهم . وقد بيَّن ذلك العلامة جيرو دي برانجه (Giraud de Prangey) في كتابين ممتعين خصَّهما بابنية العرب في الاندلس وصقلية ومراكش (اطلب الجرنال الاسيوي 337 — 336 .J.As. 1842[a]) والمستشرق الاختصاصي فان بركم (Max Van Berchem) في مقالة بديعة نشرها هناك (J. As. 1891[a]. 411—495 :b.) وفي كتاب الصناعة العربيَّة للمهندس غايه (Al. Gayet: *L' Art arabe*) وغيرهم فكلامهم لسان واحد في اثبات شبه مباني الاسلام الدينيَّة بالكنائس النصرانيَّة في ذلك العهد . فمنها ما يشبه الطرز القبطي ومنها ما هو اشبه بالطرز البوزنطي او الطرز السوري على اختلاف الصنعة والبنائين النصارى الذين كانوا ملتزمين العمل بحيث لا يجوز انَّ يُدعى بناؤها بهندسة عربيَّة البتَّة (١ . فشتَّان بين قولهم ورأي بعض المتوسين كالمسيو سيديليو والمسيو غوستاف لوبون الذين بخسوا حقوق اليقين ونسبوا الى العرب ما كان للذمّيين (له بقية)

النسيميّ الشهيد الحلبي

للطيّب الذكر السيّد يعقوب يوسفيان مطران حلب على الارمن

توطئة

سبق في المشرق (٩ : [١٩٠٦] : ٢٦١ — ٢٦٢) ذكر السيّد يعقوب ورنيد يوسفيان الذي سُقف سنة ١٧٤٠ على حلب فدبَّر ابرشيتها الارمنيَّة عشر سنين ثمَّ رُقّي الى السدة البطريركيَّة سنة ١٧٥٠ فتوفي في ١٥ ايار ١٧٥٣ . وقد ذكرنا هناك تآليفهُ التي من جملتها تعريبهُ لكتاب احد الآباء اليسوعيين كان نقلهُ الى الارمنيَّة السيّد يونان الطوقاني وهو كتاب عجائب القربان للاب روسيولي اليسوعي في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة تاريخها سنة ١٨٣٩ يد

١) ودونك ما كتبهُ المسيو غابه في فاتحة كتابه L'Art arabe

C'est à regret qu'en tête de ce livre je me suis vu contraint d'inscrire ce titre consacré par l'usage « *l'Art arabe* » ... si jamais titre fut vide de sens, voire même en opposition absolue avec la chose qu'il définit, c'est assurément celui-là. L'Arabe n'a jamais été artiste ...

الخوري جبرائيل الحلو من قرية عيه فالخبر التاسع والثلاثون من هذا الكتاب عنوانهُ : « خبر النسيمي الذي ارتدَّ الى الايمان بواسطة القربان المقدس» . وهي قصة عجيبة جرت قديمًا في حلب الشهباء لا يزال ذكرها باقيًا الى يومنا . وعلى ظننا انَّ هذا الخبر زادهُ على اصل الكتاب سيادة المطران يعقوب كما تحقَّقهُ من نصارى حلب فها نحن نرويهِ بحرفهِ ولعلَّ ادبا الشهباء يمكنهم ان يزيدونا في ذلك علمًا ل . ش

خبر النسيمي الذي ارتدَّ الى الايمان بواسطة القربان المقدس

حقًّا ان القربان المقدس يدعو الجميع بلسان حالهِ حين تقدمتهِ وتقديسهِ قائلًا : تقدَّموا اليَّ يا جميع قبائل الامم . كما يتبيَّن في هذا الحادث العجيب الذي بهِ تلألأت العناية الالهية وتفاضلت نحو رجلٍ مسا نبيه من الامم الغريبة بواسطةِ مذهلة العقول ونادرة الوقوع . وذلك ان رجلًا ما اميًّا من شرفاء مدينة حلب ونبلائها ابتاع من لصوص بحريَّة بوابرة جملة اسرى مسيحيين اختطفهم هؤلاء الخطَّافة من سواحل بحر ارمينية الصغرى . وكان فيما بينهم ابنةٌ جميلة الخَلْق والخُلق ذات ادب وحشمة . فلما وقع نظر سيدها عليها رُشق بسهام محبتها وشرع يتأنَّها ويتغدَّاها ويلاطفها لكي يجتذبها الى سوء معتقدهِ ليتزوج بها . امَّا هي فكانت تمانع وتدافع غير انهُ كان يلحُّ عليها بذلك فتارةً كان يرغبها بالوعد وتارةً يخيفها بالوعيد قائلًا لها : ان اطعتِني جعلتكِ سيدة في بيتي على الجميع والَّا فأذيقكِ كل نكال وأُنزل بكِ كل بلاء .

فلما رأت هذه الابنة العديمة الحظ شدَّة الحاحهِ عليها وانها لم تستطع ان تنجو منه سلَّمت لهُ بعد مجاهدتها ومقاومتها الشجيعة وارتضت بمعتقدهِ ولكن ظاهرًا فقط واما في الباطن فكانت محتفظة على الايمان المسيحي سرًّا . فاقامها رجلها كما وعدها سيِّدة على كل مَن في بيتهِ وصرَّفها بالجميع مخوِّلًا اياها كرامةً زائدة واحبَّها جدًّا لانها حلَّت من قلبهِ محلًّا جليلًا وحصل لها فيهِ منزلة سامية

وامَّا والد هذه الابنة فكان ارمنيًّا واذ توفيت زوجته ارتسم كاهنًا . وبعد ذلك قصد ان يزور القدس الشريف لكي يسلِّي قلبهُ المحزون على فقد ابنتهِ وزوجتهِ . فركب سفينةً في البحر فلقيه القرصان فاستأسروه واتوا بهِ الى مدينة حلب مع جملة اسارى لكي يبيعوهم هناك . فدبرت العناية الالهية ان يشتريه ذاك السيِّد الذي كان قبلًا ابتاع ابنتهُ فأحضرهُ الى بيتهِ وجعلهُ بستانيًّا وكان يتعب ويكدّ كثيرًا .

وفي وقت الغداء والعشاء كان يأتي صحبة عبيد آخرين ويأخذ طعامهُ من سيدته

اما هذه المرأة فلما شاهدت شيبتهُ وشيخوختهُ اخذها الحنين عليه وكانت تودّه وتشفق عليه معتنية به اعتناء زائداً ولم تكن ترى قلبها الّا شديد التعطف عليهِ ومنجذباً اليه من غير ان تعلم سبب ذلك فحدثها ظنُّها ان ميل قلبها اليهِ لاجل شيخوختهِ

فاتفق انها شاهدتهُ يوماً يندب متوجعاً ويسكب العبرات متفجعاً ويتأوّه فتقدمت اليه سائلةً واستفهمتهُ قائلةً : ما سبب توجعك وحزنك وتفجعك والحال انني اعتني بك اكثر من رفقائك واعزك اكثر من كل الخدام والعبيد نظرائك . فاجابها والدموع تهمع من عينيهِ هاطلة وتنسكب جاريةً : انا لستُ ابكي يا سيدتي على شيء مما ذكرتِ ولا اندب حظي لاني حصلت عبداً واسيراً بل بكائي وندبي على فقد ابنتي ووحيدتي العزيزة والجميلة جداً تلك التي كنت احبها نظير قلبي واودُّها كحدقة عيني فانها لا تزال مصوَّرة في وسط احشائي وكانها نصب عيني دائماً وكالشوك تنخسني وتجرح فؤادي ولا تدعني ان التذ متمتعاً بما تعزيني بهِ وتسليني باهتمامكِ الخاص بي بل كانها تدفعينهُ لي ادفعهُ انا لرفقتي العبيد . فعلى هذا ابكي يا سيدتي واندب واسفح العبرات واسحب التنهدات والحسرات من سويداء القلب

ثم بعد ذلك بايام قليلة رأتهُ ايضاً جالساً وحده يبكي ويذرف العبرات السخينة بقلبٍ جريحٍ بشدة الوجع فرقّ قلبها عليهِ واخذها الحنين والاسف وتقدّمت اليهِ وانشأت تعزّيه بلين كلامها وتسألهُ عن جنسهِ ونسبهِ قائلةً : « من أيّة مدينة وقبيلة انت وما هي طائفتك وماذا كانت صناعتك ومتى فقدت ابنتك وما هو اسمها أخبرني »

فشرع يحدثها عن ذلك جميعهِ ويخبرها بجملة هذه الامور بالتفصيل . واما هي فكانت صاغية اليهِ وتعي لما يقول فاستدلّت من قراين خطابهِ وبعض ما حدّثها بهِ انهُ والدها . ولكي تتأكد الامر جلياً وتحققهُ ليكون بريئاً من كل مظنة وشبهة اخذت تتامل ملياً فيهِ وتحقق نظرها في وجههِ فتحققت من بعض علامات واضحة انهُ ابوها . فحينئذٍ اوضحت لهُ ذاتها واعلمتهُ بنفسها قائلةً : « انا هي ابنتك الوحيدة التي تبكي متفجعاً عليها ولا تريد ان تتعزى لفقدها »

وعليك ايها القارئ ان تلاحظ كم فاض في قلب هذا الاب وابنته من وفور التعزيات والتسليات حينما عرفا بعضهما بل اي سرور حصل في قلب هذا الوالد الحزين والشيخ

الاسير حينما شاهد في حال اسره ويأسه ابنتهُ التي كان قطع الرجاء من النظر اليها فهذا لعمري لا استطيع الوفاء بوصفهِ والتعبير عنه . بل يكفي ان اقول في شانهِ هذا فقط وهو انهُ عند مشاهدتهِ ابنتهُ المحبوبة منه وتحقيقهِ ذاتها اعتدّ اسرهُ سعيداً ومباركاً لانهُ بواسطتهِ وجد وحيدهُ الضالّ وولدهُ الفقيد من عدة سنين فاعتنق حينئذٍ احدهما الآخر وتلاثما بكل شوقٍ وفرح . ثم توسلت الابنة الى ابيها بألّا يطلع على ذلك بعلها بل يكتم ما قد عرفهُ سراً . فقبل قولها . ومن بعد ذلك اقامهُ سيدهُ راعياً لغنمهِ من غير ان يطّلع على امرهِ

ولما كان يوماً جائلاً في بعض الصحاري لرعاية الغنم ابصر فيما بين تلالٍ معتزلة عن الناس امينة من طروق طارقٍ اليها ارضاً مكلأة اي ذات عشب ومرعى للماشية . ورأى في ذيل احدى التلال صخرةً مستوية بسيطة نظير مذبح فذكر انهُ كامن وحركهُ حينئذٍ الشوق لان يستعمل الكهنوت بتقدمتهِ لله خبز المغفرة . فاقبل الى ابنته وطلب منها باجاجةٍ حثيثة لأن تسعى لهُ سراً بالوشاح الكهنوتي وبكلّ ما يلزم للتقديس . فاعدّت لهُ ما طلب ولمّا حصل عليهِ شرع يتقدّم في ذلك المكان كل يوم قداساً حسب رتبة الارمن وطقسهم

فاتفق بعد ذلك بايام يسيرة ان خرج سيده صباحاً واقبل الى تلك البرّية ليفتقد غنمه فبينما كان جائلاً بتلك الفيافي نظر عن بعدٍ في ذيل تلّ شعاعَ نورٍ يسطع لميعاً كوميض البرق فتعجّب من ذلك ولمّا قرب منه شاهد اسيرهُ متسربلاً باثواب الكهنوت ومنتصباً بكل وقار وخضوع امام المذبح قائماً بخدمة التقديس وهو بغاية المجد والبهاء والاغنام ساجدة بازائهِ . فازداد تحيراً من قبل مشاهدتهِ تلك الاشعّة الساطعة من المذبح فتقدّم اليهِ وسألهُ قائلاً : ماذا تكون هذه الياقوتة اللامعة والجوهرة الساطعة المنبثق منها مثل هذه الانوار التي تخطف الابصار والغنم راكعة لها وساجدة امامها . فاجابهُ عند ذلك بحرارة واوضح لهُ علانيةً قائلاً : ان هذا النور الذي تشاهدهُ هو قدوس القديسين المسجود لهُ من جميع المسيحيين لانهُ يحتوي على جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه الاطهرين الذي تجسد لاجل خلاص البشر

فلما سمع ذلك الشريف منهُ هذه الصفات رام ان يأخذ جزءاً من القربان المقدس ليحتفظ عليهِ في بيتهِ . فاخذ جزءاً وادرجهُ في منديل نقي واصحبهُ الى منزلهِ ووضعهُ

بكل اكرام في مكان مستشرف عالٍ لكي لا تبلغ اليه يدٌ وكان يشرق منهُ نورٌ بارقٌ لامعٌ وينبعث عنهُ شعاعٌ مضيءٌ ساطع حتى كان يخال في ذلك المكان الليل نهارا

ولاجل هذه العجائب رغب ذلك الرجل الحسيب ان يتعلم اسرار الايمان المسيحي فدعا عبدهُ الكاهن وطلب منهُ ان يطلعهُ على جميع حقائق الايمان فاوضحها لهُ فقبلها وبعد هنيهة من الزمان تنوّر من الروح القدس وآمن واعتمد بيد ذلك الكاهن اسيره . فيا لهـا من فرحةٍ عظيمة حصلت حينئذٍ في قلب تلك السيدة زوجته فبلا شكّ ان فرحها عند وجودها زوجها مؤمناً كان اعظم من فرحها حين وجدت اباها ومن شدة السرور والفرح الذي اشتمل قلبها لم يمنعها من دون انها ابانت عن نفسها حالاً واوضحت انها ابنة ذلك الكاهن وهو ابوها

فحصل لذلك الشريف من سماعه هذا الخبر فرح مضاعف وصنع في ذلك اليوم عيداً عظيماً في بيته . وبعد ذلك ليس انهُ اعتق الاب وابنتهُ فقط بل خولهما مع ذلك عطايا جزيلة ووصلها بعيلات وافرة اغناهما بها . ثم اخذهما ومضى صحبتهما الى ساحل البحر ومن هناك ركبهما في احدى السفن وارسلهما الى بلادهما

وانثنى راجعاً الى مدينتهِ مجاهراً بالايمان المقدس حيث انهُ لم يرتضِ ان يضع السراج تحت مكيالٍ بل وضعهُ على منارة اي انهُ لم يقنع بان يعتقد بايمان المسيح بالسرّ باطناً فقط بل كان يجاهر به ظاهراً ايضاً منذراً بحقيقته بالازقة والشوارع معترفاً بفمه ما اعتقدهُ بقلبه وكان يعظ بهِ على الامم بغير خوف ولذلك لما سمعوا اقواله ونظروا حاله هاجوا عليهِ غضباً واوقعوا عليهِ القبض والقوه في السجن وانزلوا بهِ عذابات كثيرة متفننة وسلخوا جلده فظهر هو بازائها كالالماس الشديد الصلابة ولما رأوا انه بعد كل هذه العذابات لمستقام ثابتاً في الايمان المسيحي قضوا عليهِ بالموت قتلاً

وفيما هم ماضون بهِ الى مكان الاستشهاد لم يكن يفتر لسانه لاهجاً وناطقاً بذكر الثالوث الاقدس الذي كان يعلم بهِ وقتئذٍ منذراً وهو رافع رأسه واصابعهُ الثلثة الى فوق مشيراً بذلك الى تثليث الاقانيم . ثم انه لكي يقهر الامم الناكرين سرّ الثالوث الاقدس ويثبت لهم حقيقتهُ بآيةٍ ضرب حين خروجهِ من باب المدينة حجراً من الحجارة المشيدة في الباب باصابعهِ الثلثة قائلاً : يا سيدي رب السموات والارض ان كان سر الثالوث الاقدس الذي انذرت بهِ حقاً هو اجعل اصابعي هذه الثلثة تغرس في هذا

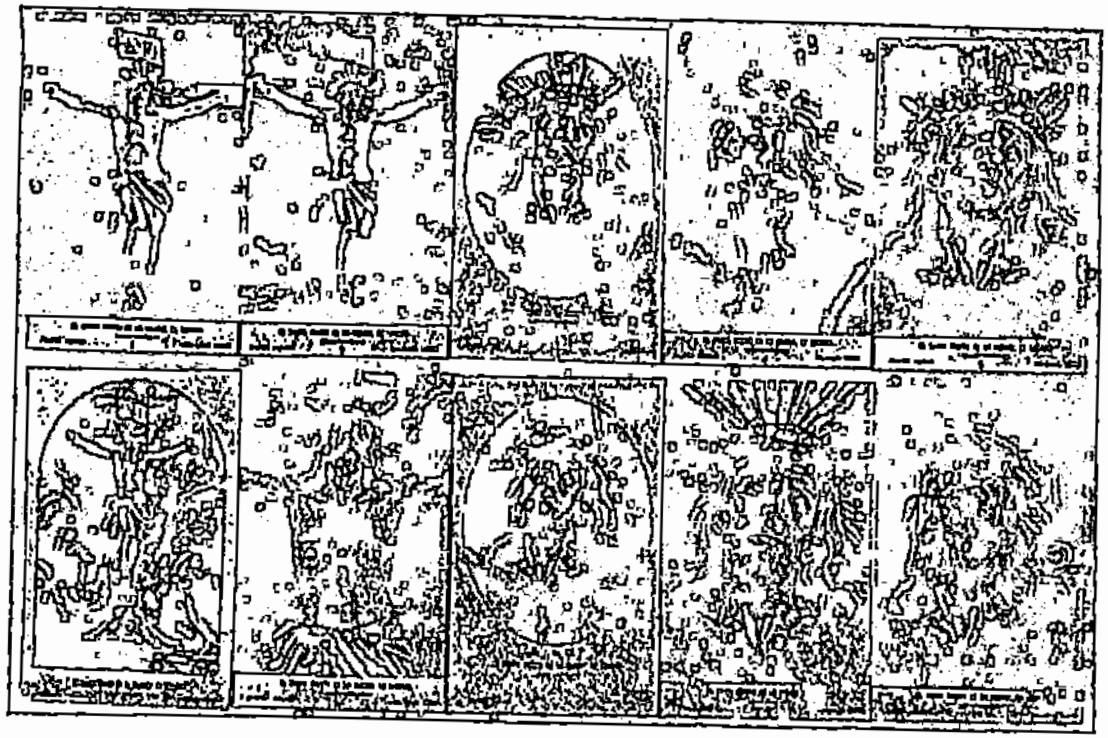

صورة المصلوب العجائبي في لمياس في بعض هيئاته

(عن صورة فوتوغرافية)

الصخر الاصمّ . فللعين يا لهُ من عجبٍ غاصت اصابعهُ في تلك الصخرة الصلدة كانها في ثلج لين . فتعجب من هذه الآية ليس المسيحيون فقط بل الامم ايضاً . ولاجل دوام تذكرة هذه الاعجوبة في حلب رام تعالى ان يستمرّ رسم اصابعه في ذلك الحجر الصلب حتى الى يومنا هذا في احد ابواب المدينة المدعو باب النصر . وحينما يمرّ المسيحيون من ذلك المكان وغيرهم كثيرون من الامم ايضاً يضعون اصابعهم في ذلك الرسم للتبريك . وهذا الشهيد الذي حدث بهِ هذا الحادث هو النسيمي المشتهر بهذا اللقب عند عامّة الناس في مدينة حلب . وحينما كان ماضياً الى مكان الاستشهاد وفعل هذه العجيبة بغرس انامله بالحجر الاصمّ كان جلده الملوخ ملقىً على منكبيه . وللمذكور نشائد وقصائد كثيرة نظمها في اعتقاد سر الثالوث الاقدس الغير الموصوف وسر التجسد الالهي وقد صنع هذا الباسل النجيب عجائب كثيرة قبل استشهاده وبعده لم نذكرها هاهنا وانما اوردنا ما يختص بمقصودنا الذي نحن في صدد التكلم عنه . وهو ايضاح مفعول قوة القداس الالهي الذي بهِ استنار هذا الرجل الشريف وخلص بالروح ونال اكليل الاستشهاد ونجا الكاهن وابنته من الاسر وخلصا بالجسد

[illegible] افادة [illegible] وبعد نجاز طبع هذا الفصل اتتنا من حلب نسخة ثانية منهُ نقلها مراسلنا الاديب شكري ايوب احد طلبة مدرستنا الاكليريكيَّة من كتاب تاريخ حلب سنة ١٧٥٢ فقابلناها مع نسختنا فلم نجد بينهما فرقاً يذكر . ومما افادنا المراسل انَّ اثر الاصابع داخل باب النصر فهناك حجران كبيران يبلغ طول احدهما مترين وربع وكلاهما يعرق لكثرة ما يمسح الناس بها الايدي تبرّكاً . وفي الحجر الاسفل آثار الاصابع فهناك ثقبان الواحد شمال القائم بازائهِ ويمكن الابهام ان يلج فيهِ . والثاني اوسع يمكن ادخال ثلاثة اصابع فيهِ . والمرجَّح انهما ثقبان صارا واحداً لكثرة ايلاج الناس من نصارى ومسلمين اصابعهم فيهما . وعلى الحجرين المذكورين كتابة يونانيَّة على ما يظهر سنعى باستخلاص فحواها . وهي ثلاثة اسطر مكتوبة على عرض الحجرين بطول ٢٥ سنتمتراً . وبازاء هذا المحل مزار للمسلمين تحرسهُ امرأة غاراً وتجمع الحسنات لايقاد قنديل عندهُ . امَّا تاريخ هذا المحلّ فلم يُعرف عنهُ شيء

مطبوعات شرقية جديدة

RENE RISTELHUEBER : Traditions Françaises au Liban, Paris, 1918, in-8, pp. 314

التقاليد الفرنسويّة في لبنان

قد عرف اهل بيروت فضل مؤلف هذا الكتاب الذي شغل عندنا مدّة منصب القنصل الثاني لدولة فرنسة قبل الحرب وهو طالما شُغِف بتاريخ وطنهِ وبالبحث عمّا اتاهُ من الاعمال المشكورة في الشرق الادنى . وكتابهُ الحاضر احدى ثمرات تنقيبهِ وهمّتهِ اراد ان يبيّن فيه ما شاع لفرنسة من التقاليد في لبنان منذ ايّام كرلوماني (شرل الكبير) الى عهدنا فنشر ذلك تباعاً في عدّة مجلّات باريسيّة ثمّ جمع مقالاتهِ في هذا الكتاب الذي اعرب فيهِ عن حسن ذوقهِ ووفرة معلوماتهِ ودقّة نظرهِ مع طلاوة في انشائهِ وتفنّن في كتابتهِ . وقد صدّره المسيو غبريل هانوتو الشهير بمقدّمة تزيدهُ اعتباراً . ومن خواصّهِ ما ألحق بهِ من الرسوم الفوتغرافيّة والفهارس المفيدة . وقد سرّحنا النظر في صفحاتهِ بكل شوق وها نحن نعرض على جناب الكاتب بعض الملحوظات لعلّها تفيدهُ في طبعتهِ الثانية . ١ً (ص ٦) لم ينكر احد قداسة القديس مارون الناسك فالكل مجمعون على برّهِ وفضلهِ وانّما المشبوه بهِ هو القديس يوحنّا مارون — ٢ً (ص ٩) لم يخلُ كرسي انطاكية من البطاركة كما ظنّ وانّما انتقل بطاركتهُ الى القسطنطينيّة وتُعرَف سلسلتهم — ٣ً (ص ١٠) قد بيّنّا سابقاً ان كتاب الكهنوت المنسوب للقديس يوحنّا مارون ليس هو لهُ بل لموسى بركيفا — ٤ً (ص ١١) ليس الرَّدة موارنة كما اثبت ذلك كثيرون ومنهم المثلّث الرحمات المطران يوسف دريان في كتابهِ الجليل «لباب البراهين الجليّة» — ٥ً (ص ١٤–١٥) لا نعرف شيئاً البتّة عن احوال الموارنة السياسيّة منذ القرن السابع الى الحادي عشر غير ما اوردهُ سيادة المطران الموما اليهِ من النصوص في نسبة الشيعة المنوثليّة اليهم — ٦ً (ص ٢١) ليس سبب معاداة الدروز للموارنة تنفّر الامراء الشهابيين واللمعيين — ٧ً (ص ٢٢) ليس مؤسس مدرسة الموارنة في رومية البابا غريغوريوس الثاني عشر بل الثالث عشر — ٨ً (ص ٢٣) لا ذكر للمطابع في لبنان

في القرن السادس عشر . وقد ذكرنا انَّ اوّل مطبعة ظهرت في قزحيّا سنة ١٦١٠ لا يُعرَف شيءٌ من امرها الّا انَّ المتولّي ادارتها الايطالي يَنكالي إيلي طبع فيها فقط كتاب المزامير بالحروف السريانيّة . والمطبعة الثانية في لبنان هي مطبعة عبدالله زاخر في الشوير انشئت بعد الاولى بمائة وعشرين سنة (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٥١ و ٣٥٩) — ٩ (ص ٨٢) انَّ الآباء اليسوعيين جاؤوا الى حلب اوّلاً سنة ١٦٢٥ ثمَّ بعد نفيهم منها عادوا اليها مع فرمان شاهاني سنة ١٦٢٧ . هذا واشياء غيرها انخدع فيها الكاتب ببعض الاسانيد الضعيفة وانّما تشفع فيها وفرة المعلومات الصحيحة التي دوَّنها في هذا التأليف الكثير الفوائد ل . ش

MOSLEM SCHISMS AND SECTS BY ABÛ-MANSÛR ABD-AL-KÂHIR IBN TAHIR AL-BAGHDÂDI, Part I. Translated by **Kate Chambers Seelye** PH.D. *New York . Columbia . University Press*, 1920, *pp.*223

ترجمة انكليزيّة لكتاب الفرق بين الفرق

ذكرنا سابقاً في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٣٩٦) هذا الكتاب ومؤلفهُ وعظم شأنهِ واثنينا على ناشرهِ . فأنعم باحدى الاوانس الاميركيّات التي تولّت نقلهُ الى اللغة الانكليزيّة تعميماً لفوائدهِ ولم تكتفِ بذلك بل ذيّلت ترجمتها بحواشٍ عديدة وايضاحات شتّى اسندتها الى قدماء الكتبة والمستشرقين المعاصرين فزادتها اعتباراً . وربَّما اصلحت ما وقع من الاغلاط في المطبعة المصريّة . فشكرًا للآنسة عن صنيعها فلا بدَّ ان يرحب بكتابها كلّ من تهمّهُ امور الاسلام

Sac. Natalis Baggio : Archaeologia Biblica Elementa ad Scholarum usum accommodata , *Vicenza*,1913 ,*pp.* 1-90

اصول العاديّات الكتابيّة

انَّ في الاسفار المقدَّسة من الآثار ما اتّسع في ذكره مفسّرو الكتاب الكريم والاثريّون المصريّون فجاءت تآليفهم مشحونة بالمعلومات عن عاديّات العهدين القديم والحديث ممَّا لا يستطيع الاطّلاع عليهِ طلبة العلوم الدينيّة . فاحبَّ الكاهن نتاليس باجيو أن يصنّف مختصراً في ذلك يسهل على المرشحين للكهنوت مراجعتهُ فقسمهُ اقساماً متعدّدة وطبعهُ بحروف نضرة واضحة مختلفة الشكل ليستدلّ الطالب على مطلوبهِ لأدنى نظر وخصَّ كلّ مادّة بشرح كافٍ لتعريفها . فنحضّ ارباب المدارس الاكليريكيّة على اقتناء هذا الكتاب لافادة مرؤوسيهم ل . ش

W. H. T. Gairdner : Egyptian Colloquial Arabic, a Conversation Grammar and Reader, *Cambridge*, 1917, xiv-293

اللغة المصريّة العاميّة

ليس درس اللغات العاميّة بامر سهل لما يدخل في هذه اللهجات من الاختلاف في كلّ قُطر بل قل في كلّ ناحية وكلّ بلدة وكلّ قرية . لكنّ العلماء الاجانب لا يسعهم الّا ان يوضّحوا المبهمات ويميطوا القناع عن المعمّيات وقد اكثروا من نشر التآليف المفيدة لهذه الغاية لاسيّما في اللغة المصريّة وهذا الكتاب من جملتها جمع فيه مصنّفهُ كلّ ما من شأنهِ ان يفيد الاجانب لمعرفة لهجة القطر المصريّ من مفردات ومركّبات ومحادثات وقراءات مع تدوين الاصول اللغويّة وتصوير لفظ العامّة بالحرف الاوروبيّ . غير انّنا استغربنا بعض اصطلاحات المؤلّف في ذلك ولدى العلماء المستشرقين طريقة افضل واسهل منها . وممّا يضمن لهذا الكتاب رواجهُ انّ احد المسلمين الشيخ كريم سلّام ساعد المؤلف في وضعه ل. ش

Zur Zeitgeschichte von Arabien von ALOIS MUSIL, *Leipzig*. 1918, *pp.*102

نظر في تاريخ جزيرة العرب حاضرًا

قد عرف قرّاؤنا الدكتور موسيل الذي منذ تخرّج في كليّتنا واستعدّ فيها لرحلاته العلميّة الى جزيرة العرب قبل ٢٥ سنة لم يزل يتابع فيها ابحاثهُ حتّى في مدّة الحرب الكونيّة وقد توفّق الى معرفة كثيرين من شيوخها وامرائها حتّى اصبح من اعرف العلماء بأحوالها . وهذا الكتاب يحتوي خلاصة ما استفادهُ من تاريخ تلك الاصقاع فتناول معلوماتهُ عنها الى اواخر سنة ١٩١٧ . من جملتها افاداتهُ عن حالة العراق وطورسينا العسكريّة اثبتها عن مصادر المانيّة مجاملةً لدولتهِ النمسويّة . وافضلُ ما ضمّنهُ كتابهُ فصلان في نسب وتاريخ الوهابيين وآل سعود وابن رشيد مع ذكره ما جرى بينهم من الحروب سجالًا تارةً لهم وتارةً عليهم وآخر ما بلغ اليهِ امر ابن سعود انهُ قهر الخصامة والزمهم الخضوع لهُ وتقدّم الى الحجاز وغلب ملكها حسين ابا الامير فيصل غير مرّةٍ . على انّ هذه الدول الوهابيّة القائمة بقوّة السيف لا تستطيع أن تثبت زمنًا طويلًا مع ما نعرفهُ فيها من المنازعات والمشاحنات وسفك الدماء والفوضى الدائمة . فهذا دأب امراء البادية سابقًا وحاضرًا ولا نظنّ انّ المستقبل يغيّر شيئًا من اخلاقهم الهمجيّة ه . لامنس

اليهود في التاريخ الى عهد السيد المسيح

محاضرة للقس بولس عبود النائب الاسقفي في يافا (٢٥ نيسان ١٩٣٠)

بلغت المسألة اليهودية في فلسطين شأناً عظيماً منذ سعى الاميريكيون والانكليز واغنياء الموسويين بعد الحرب ان يجعلوا تلك البلاد مقاماً لليهود ليحققوا آمالهم في ملكها وذلك رغماً عن حقوق اهلها المسلمين والنصارى الذين استوطنوها منذ قرون عديدة. فهل يا ترى يقصدون بذلك ترقية البلاد وتمدنها او بالحري استعبادها؟ ومما نُشر آخراً في ذلك محاضرة لحضرة القس بولس عبود القاها في يافا فاختصر فيها تاريخ الشعب الاسرائيلي في زمن عزه ورونقه وبيّن ما كان عليه حتى في ذلك العهد من سوء الاعمال التي قرعه عليها الرب مراراً على لسان الانبياء والسيد المسيح. فما ظنك به اليوم اذا صفا له الجو واستنسر البغاث وابرز ما يكمنه صدره من البغض لكل عنصر يخالف عنصره. فلا شك ان تمليك اليهود هو نفي او استعباد ما سواهم

الداء والشفاء

بقلم سليمان البستاني صاحب الالياذة

عني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر (ص ١٦)

نهض معرب الالياذة بشفائه من داء اصابه في سويسرا سنة ١٩١٨ فصانه الله من آفته في ايار سنة ١٩١٩. وقد نظم جنابه في كلا الواقع منظومتين قصيدة فوشحاً اودعهما وصف احواله عليلا فناقها وتطرق منها الى وصف الاحوال السياسية التي صارت اليها البلاد ولاسيما العثمانية والسورية معرباً عن شوقه الى وطنه العزيز ل. ش

كتاب الادب الرهباني

تأليف القس مبارك ثابت الديراني اللبناني رئيس دير بجنين

طبع في مطبعة الاجتهاد ببيروت سنة ١٩٣٠ (ص ٣٨٨)

اذا فُرض الادب على كل انسان فهو على الراهب ألزم واوجب لأنّ الراهب بانصرافه عن العالم الى السيرة الفضلى لا يكتفي بقشرة الادب دون لبابه كما تراه غالبا بين العوام بل يسعى في احراز كل حسن وجميل عند الله ولدى القريب. فتحقيقاً لهذه الدعوة السامية وضع الاب الفاضل القس مبارك ثابت هذا الكتاب وتتبع الراهب

في كلّ احواله ومقاماته المختلفة مع الربّ خالقه ثم مع قريبه رئيساً كان او مرؤوساً راهباً او عالمياً ثم مع نفسه في كافّة تطوّرات الحياة منذ دخوله الرهبانيّة الى وفاته ليوقفهُ على كلّ واجباته المؤدّية الى الآداب الخاصّة التي من مجموعها يقوم الادب الرهبانيّ وذلك بعبارة بليغة وكلام منسجم وأدلة مقنعة انتقاها من الكتاب الكريم والآباء القديسين ومعلمي السيرة الروحيّة . فنهنئ حضرة المؤلف ونوصي بمطالعة كتابه كلّ الرهبان بل سائر محبي الآداب المسيحيّة فانهم يجدون في مراجعته لذّةً ومنفعة

كتاب الارشادات الروحيّة في عبادة قلب يسوع الاقدس العصريّة

تأليف الخوري عبدالاحد الياس جرجي السرياني

طُبع في بغداد سنة ١٩١٤ (ص ٤٨٨)

دهمتنا الحرب وهذا الكتاب تحت نظرنا لنضعهُ لقرّائنا ثمّ فات عن بالنا حتّى وقع عليه البصر آخرًا بين اضابير الصحف وكان حقّهُ ان يقدّم على غيره كيف لا ومداره على ذلك القلب الاقدس الذي فاق على سواهُ حبًّا نحو البشر وفتح للعالم ينابيع النعم وكنوز الخلاص . وكان حضرة الخوري عبدالاحد جرجي نشر كتاباً اوّل دعاهُ كتاب المتعبدين لقلب يسوع ثمّ باشر بهذا التأليف الجديد الذي يتضمّن ٥٥ ارشادًا في هذه العبادة العصريّة بناها خصوصاً على ابتهالات طلبة قلب يسوع التي صنّفها الحبر الاعظم لاون الثالث عشر واضاف اليها ارشادات غيرها في اصل عبادة القلب الاقدس وتواصلها في كلّ الاجيال وفي المواعيد الاثني عشر التي اوصى بها الرب الى القديسة مرغريتا مريم جزاء المتعبدين لقلبه الالهيّ وفي عيد هذا القلب وفريضة السجود لسرّ قربانه . وكلّ ارشاد مبني على شواهد الكتاب المقدّس وتعاليم القديسين فكفى بذلك دليلًا على فضل هذا التأليف الذي لم يُسبَق في الشرق الى جنسه فعساهُ يكون موردًا يستقي من مياهه الكهنة لبنيان النفوس التقويّة ومرشدًا امينًا لكلّ من يطلب السير الحثيث في جادّة الخلاص والرقي في سلّم الكمال ل . ش

باحثة البادية

بحث انتقادي بقلم الآنسة ميّ

طُبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٢٠ (ز + ١٨٩)

يسرّنا ان نرى الاوانس يزاولن الكتابة فيجارين الجنس النشيط في الاعمال

العقليَّة . ولعلهنَّ في بعض الامور يفقن عليه بالوصف والدقَّة وخصوصاً في النسائيَّات كما فعلت الآنسة مي (ماري زياده) في هذا الكتاب الذي وضعتهُ انتقاداً لاعمال وكتابات سيِّدةٍ نبغت في الاسلام بمصر ونالت في مدارسها الشهادة العالية واشتغلت بالتعليم في مدارس البنات الاميريَّة نحو ١٥ سنة وماتت في عزّ شبابها سنة ١٩١٨ لا يتجاوز سنُّها الاثنين والثلاثين عاماً وقد عُرفت في عالم الأدب بباحثة البادية واسمها مَلَك هانم او ملك حفني ناصف اشتهرت بين نساء وطنها بما نشرتهُ من الابحاث المختلفة في احوال المرأة المصريَّة لا سيَّما المسلمة وتربية الفتيات وبما دار بينها وبين كتبة مصر من المباحثات الى غير ذلك مما اكسبها سمعةً طيِّبة وشحذ غرب ذهن الآنسة مي لتصوّرها بقلمها السيَّال كرأة وكاتبة عصريَّة ووطنيَّة وتنتقد باعتدال وصائب فكرة اعمالها وكتاباتها فاجادت واعربت عن حسن ذوقها وطول باعها في الكتابة واستحقَّت ان تدعى باحثة الحضارة كما دُعيت تربُها باحثة البادية

ل . ش

شذرات

﴿ عجائب الله ﴾ هذه سنة ونصف تقريباً تجري في لِنْبياس بلدة في مقاطعة سَنْتَنْدِر في اسبانيا معجزة تتجدَّد مراراً في الاسبوع بل مراراً في اليوم الواحد يتقاطر الى معاينتها الوف من الزوَّار بينهم العائلة الملكيَّة ورؤساء الكنيسة والعلماء والاطبَّاء والصحافيُّون والملحدون من كافة البلاد وقد أشرنا اليها سابقاً ووصفتها جريدة البشير غير مرَّة نزيد بها صورة المصلوب العجائبيَّة التي تُرى هناك على هيئات شتَّى تدلُّ تارة على الحزن وتارة على الوجع وحيناً على الخوف والجزع والرحمة والحنان وغير ذلك من العواطف المؤثِّرة مع حركات شتَّى في عيني المصلوب وشفتيه وقد فحصهُ العلماء فحصاً مدقَّقاً اوجبهم الإقرار بان تلك احدى العجائب الالهيَّة فارتدَّ بسببها الى الايمان سائر اهل القرية الذين كانوا سابقاً مبتعدين عن الدين ثمَّ كثيرون من الخطأة والكفرة .

وجرى هناك معجزات اخرى دوَّنها الصحافيُّون واصبح المقام مزارًا تقصدهُ الجماهير المجمهرة فتمجّد الله بنظر خوارقهِ . وقد وقفنا على صورة فوتغرافيَّة اخذهـا احد السيَّاح في حين نظرهِ لتلـك الحركات الغريبة فاحببنا ان نثبتها هنا لقرَّائنا — وعجائب الله كثيرة في ايَّامنا يستطيع الوقوف عليها اصحاب العقول السليمة كمعجزات لورد التي تتكرَّر كلَّ يوم . وكمعجزة الدهن السائل من عظام القديس نيقولاوس في مدينة باري منذ متين من السنين وعاينهُ مؤخرًا احد آباء كليَّتنا . وكدم القديس جانواريس في نابولي الذي يُصبح مائعًا في زجاجتهِ يوم عيدهِ وسبق لنا وصفهُ . وكشوكة اكليل الشوك التي في مدينة اندريا في ايطالية التي تظهر في جمعة الآلام عند وقوع عيد البشارة فيها محمَّرة بالدمِ . ومثلها شوكة اخرى في عاصمة البرازيل . وكمعجزات شتَّى حدثت بيننا بذخيرة عود الصليب منها مؤخرًا ابطال حركات الطاولات الدائرة السحريَّة بقوَّة هذه الذخيرة التي التجأت اليها سيِّدة فاضلة فلم يستطع الساحر مهما سعى ان يحرِّك طاولتهُ فأقرَّ بعجزهِ ولام السيدة على استغاثتها بعود الصليب المبارك

﴿ ضحايا الحرب بضرب المدافع ﴾ قـد ذكرنا سابقًا كم من ملايين البشر قُتلوا في الحرب العموميَّة الاخيرة . غير انَّ هذا العدد مع وفرتهِ قليل بالنسبة الى ما قذفتهُ المدافع من الكلل والقذائف الجهنميَّة على جيوش المحاربين . وقد اطَّلعنا على جدولٍ لاحد العلماء الفرنسويين دوَّنهُ في ساحات الحرب المختلفة شديدةً كانت الحركة او متوسطةً او خفيفة وبقي على تدوينهِ خمسة اشهر . فعـدَّ في تلك المـدَّة ٣,٦٠٩,٠٠٠ كلَّة منها ٣٦٣،٠٠٠ قذيفة قُتل بها ٨٠٩ رجـال وجُرح ٤،١٦٨ في الساحة الهـادية . و ٧١٧،٠٠٠ قذيفة في ساحة متوسطة الحركة قُتل بها ٢٧٥٣ رجلًا وجُرح ١٠،٧٥٦ ثم ٢،٥٢٩،٠٠٠ قذيفة في ساحة القتـال الشديدة الضرام قُتل بها ٩،٧٠٣ رجال وجُرح ٤٠،٤٨٨ فيكون مجموع القتلى ١٣،٢٦٥ والجرحى ٥٥،٤١٤ فاذا قسمنا هذين العددين على جملة القذائف وجدنا انَّه يلزم ٣٩٥ قذيفـة مدفع لقتل جنديٍّ واحد و ٧٥ قذيفة لجرحهِ فترى من هذه النسبة ما تتكلَّفهُ الدول من المبالغ الطائلة لتدرك غايتها من عدوٍّ واحد من اعدائها ومعدَّل سعر القذيفة ٥٠٠ فرنك

﴿ المدافع المائيَّة ﴾ . اذ لحظ احد علماء رومانية المدعو قنسطنطينسكو هذه النفقات البالغة التي تثقل اعباء الدول طلب لذلك طريقة اقتصاديَّة توفر على المتحاربين

مار افرام السرياني

تلك الكلف الباهظة لجرّب اطلاق القذائف من مدافعها بضغط الماء عليها بدلاً من البارود والموادّ المتفجرة فاتخذ لذلك قساطل انفذها في المدافع وملأها ماء، كان يجيزهُ في مجارٍ مختلفة العيار ويضغطهُ ضغطاً قوياً فيبلغهُ الى درجة الغليان ويجديهِ قوّةً دافعة تستطيع ان ترمي قذيفة ثقلها مئة كيلوغرام الى مسافة ١٥٠٠ متر فاستلفت بامتحاناته هذه نظر العلماء ولا يخفى ما تنالهُ الدول من الارباح بذلك التوفير العظيم

﴿ فقيد العلوم السريانيّة ﴾ فُجعت الآداب السريانيّة بوفاة احد جهابذتها الاب بولس بدجان اللعازري الكلداني . توفي آخراً في كولونية . وللفقيد من المطبوعات السريانيّة والكلدانيّة ما يبلغ نحو الاربعين مجلّداً ضخماً منها من تأليفه وضعها لافادة المؤمنين من الكلدان في اورمية وفارس والموصل . ومنها من آثار قدماء الكتبة والاباء القديسين السريان جمعها من خزائن الخاصّة والعامّة في الشرق والغرب ونشرها بالطبع بالحرف الكلدانيّ البديع في ليبسيك نخصّ منها بالذكر تراجم الآباء القديسين في سبعة مجلّدات وبعض اعمال مشاهير آباء الكنيسة الشرقيّة وأعلامها كمار افرام ومار اسحاق الانطاكي ومار يعقوب السروجيّ (في ستة مجلّدات) وتوما المرجي وغريغوريوس ابن العبريّ وتاريخ البطريرك يابالاها وربان صوما واعمال المجامع المسكونيّة وكتاب الفرض الكلداني (ثلثة مجلّدات) وغير ذلك مما يشكرهُ لنشره كلّ محبّي الآثار السريانيّة الدينيّة والادبيّة

﴿ شيخ الكويت ﴾ ذكرنا في عددنا السابق (ص ٦٢٧ — ٦٢٨) الشيخ مبارك بن صباح وعددناهُ بعد قيد الحياة . والصواب ما افادنا بهِ حضرة المسيو لويس موسيل في الكتاب الذي مرَّ وصفهُ (ص ٧١٤) وهو انَّ الشيخ مبارك توفي في ايّام الحرب الاخيرة في ٣ ك٢ سنة ١٩١٦ فخلفهُ ابنهُ جابر بن صباح ولم تطل مدّتهُ فمات في اواخر تلك السنة وصار امر الكويت بعدهُ لاخيهِ ناصر بمساعدة الانكليز وهو اليوم متولّي تدبير تلك الامارة

﴿ الاعلان بلبنان الكبير ﴾ في يوم ظهور هذا العدد من المجلّة يُعلَن بلبنان الكبير ودخول بيروت في منطقتهِ فنحن نشارك ابناء الوطن بفرحهم ونهنّئهم كما نهنّئ نفسنا بما كنّا نتمنّاهُ منذ زمن طويل . فالشكر الجزيل لمولى النعم سبحانهُ وتعالى على هذه الموهبة ثمَّ لدولة فرنسة الفخيمة محرّرة الشعوب وحامية الضعفاء

أسئلة واجوبة

س سأل احد افاضل الكهنة : ١ً كيف تُسدَّد الديون عموماً ؟ ٢ً هل الدين المقود ذهباً يسدَّد بالاوراق الماليَّة الاسميَّة الساقطة قيمتها الحقيقيَّة والعكس بالعكس . ٣ً هل القرارات الشرعيَّة بخصوص وفاء الديون تلزم ايضاً ذمَّةً ؟ . ٤ً هل يحقّ للدائن او المديون اذا بُخس حقُّهما بقرارات الشريعة ان يطالبا به بحكم الذمَّة ؟ . ٥ً هل للدائن او المديون ان يتمتَّع براحة الذمَّة بالارباح الناجمة عن اختلاف قيمة الذهب والقراطيس الماليَّة؟

تسديد الديون

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ الديون تسدَّد بما يوازي قيمتها يوم عقدها مثلاً بمثل ذهباً او ورقاً ماليًّا مؤمَّناً . وعلى (الثاني) انَّ الديون المعقودة ذهباً لا تسدَّد بالاوراق الماليَّة عند سقوط قيمتها الَّا باعتبار قيمتها الحقيقيَّة ليس الاسميَّة . وكذلك اذا عُقدت ورقاً لا يجوز ان يطالب الدائن بتسديدها ذهباً الَّا باعتبار قيمة الورق الحقيقيَّة يوم عقد الدين . وعلى (الثالث) انَّ القرارات الشرعيَّة بخصوص وفاء الديون لا تلزم ذمَّةً اذا كانت مخالفة للحقوق العدليَّة . وعلى (الرابع) انَّ للدائن والمديون معاً اذا بُخست حقوقهما بقرارات الشريعة الزمنيَّة ان يطالبا بها بحكم الذمَّة . وعلى (الخامس) انهُ لا يجوز للدائن ولا للمديون ان يتمتَّعا براحة الذمَّة بالارباح الناجمة لهما من هذا الاختلاف الَّا بعد مراعاة حقوق العدل بازاء حكم الضمير

س وسأل من غزير الاديب سليمان صفدي اين موقع دير قُوبل وما معنى هذا الاسم وهل يُعرف شيء من تاريخها ونسب عائلة عبُّود ابي كرم النازحة منها

دير قوبل

ج موقع هذه القرية في قضاء الشوف ومديريَّة الغرب الاقصى . امَّا معنى اسم دير قوبل فهو بالسريانيَّة دير الضيافة والمأوى . ويروى "دير قوبه" ومعناهُ دير القُبَب . امَّا تاريخها ونسب العائلة المذكورة النازحة منها فلم نجد لها ذكرًا في ما لدينا من التآليف

ل . ش

المشرق

نابغة السريان

القديس افرام الملفان

لله الشكر والحمد لقد تحقّقت امانينا التي طالما وطّدنا الامل في الحصول عليها. انبأتنا اخبار رومية بانّ القديس افرام السرياني الملقّب في الكنائس الشرقيّة بصنّاجة الروح القدس قد اقيم على منارة الكنيسة جمعاء فنظمهُ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في عداد معلّمي البيعة واعلن بهِ ملفاناً تكرمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة في كلّ الانحاء بهذه الصفة وتقيم لذكرهِ عيداً كأعياد الحائزين على تلك الرتبة

وقد زاد شرف القديس بأنّ بطاركة الشرق الاجلّاء من موارنة وسريان وملكيين وكلدان وارمن اغتنموا فرصة وجودهم في عاصمة الكثلكة ليرفعوا الى مقام قداسة ابي المؤمنين عريضةً التمسوا فيها بان يُعلن رسمياً مار افرام السرياني كملفان للكنيسة الجامعة الغربيّة والشرقيّة

فوقع طلبهم لدى الحبر الرومانيّ احسن موقع ورأى قداستهُ في تلبية دعوتهم نهزةً جديدة لبيان انعطافهِ نحو الطوائف الشرقيّة. ومن ثمّ تقدّم الى مجمع الطقوس والى بعض العلماء الاختصاصيين بان يفحصوا اعمال القديس افرام فحصاً مدقّقاً ويتحقّقوا انطباقها تماماً مع تعاليم الكنيسة واهليّتها لتُجعَل دستوراً يرجع اليهِ المؤمنون في عقائد الدين وقاعدة الآداب. فقاموا بهذه المهمّة القيام الحسن بحيث تمكّن رئيس الكنيسة بالمناداة به رسمياً كملفان ومعلّم للبيعة الكاثوليكيّة كلّها وامر بان تفرز لهُ الكنيسة اللاتينيّة طقساً خصوصيّاً في ٢٧ تموز المنصرم

فلم نرَ بدّاً من تسطير مقالة في المشرق نجمع فيها الخواصّ المميّزة لذلك الملفان

العظيم الذي استقت من موارده العذبة كنائس الشرق على اختلاف طوائفها وكانت تعاليمه كافية لأن تنكب بالكنائس السريانيَّة — لو ثبتت على اتباعها — عن سبيل الضلال . وعليه سنبيّن تباعاً على وجه الاختصار صفات القديس افرام كرجل ثم كمسيحي وناسك ثم كجاهد ثم كملفان واخيراً كشاعر .

١ الرجل

قد اجمع علماء التاريخ الكنسيّ على انَّ القرن الرابع الميلاد كان من ازهى واشرف قرون النصرانيَّة . فيه خرجت بيعة الله ظافرة من جور قياصرة رومة وعتوهم قاهرة لشوكة المتعصبين محطمة لسيوفهم . سحقت برجلها الاصنام المالكة على كل انحاء المعمور منذ الوف من السنين فثلَّت عرشها ورفعت راية ابن الله وصليبه المنير فسارت في ظلّه الى فتح العالم الوثني لتربحه للانجيل وتمتعه بحرّية ابناء الله

نعم انَّ الكنيسة وجدت في طريقها اعداء جدداً اعني شيع الهراطقة وبدع الملحدين بيد انَّ ذلك اجداها قوّةً وزادها كمالاً اذ بدَّدت بتعاليمها الخلاصيَّة غياهب تلك النحل وكشفت ظلماتها الكثيفة فبدا نورها الساطع ولاح حسنها الرائع

كان ذلك العصر زمن نوابغ الرجال وكبار الاحبار وارباب العلوم الكنسيَّة شرقاً وغرباً فناهيك باسمائهم دلالةً على عظم مقامهم . فمن يا ترى يجهل فضل القديسين امبروسيوس واوغسطينوس وايرونيموس في الغرب والقديسين اثناسيوس الاسكندري ويوحنا فم الذهب وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النازيانزي في الشرق فانَّ تآليفهم الباقية الى يومنا تنطق بسموّ فضلهم وتشهد لكنيسة المسيح بالسباق في حلبة العلوم وميدان الآداب

ففي ذلك العهد وبين هؤلاء الفطاحل ظهر افرام السرياني فجاراهم فضلاً وعلماً وشرّف شرقنا العزيز بما خلّفهُ معهم من جميل المآثر

ولد القديس افرام في اوائل القرن الرابع في مدينة نصيبين احدى حواضر بلاد ما بين النهرين في ذلك العهد . وقد جاء في ترجمة حياته المطبوعة في الموصل سنة ١٨٨٣ انَّ اباهُ كان كاهناً للاصنام في مدينته يسدن اصنم يدعى ابنيل . وذلك يخالف ما اوردهُ عنهُ مترجمو حياته ولا سيَّما ما رواهُ القديس عن نفسهِ في ميمر توبتهِ الى الرهبان

حيث سرد بعض اعمال حياته فيقول (Acta Sanctorum , IV,60) : « قد هذّبني آبائي بالمسيح . علّمني والـديّ خوف الربّ . . . قد اعترف اهلي بالمسيح في المحاكم . تربطني مع الشهداء روابط الدم » . فقولهُ هذا ينفي وثنيّة والدهِ

والارجح انّ اهلهُ كانوا اغنى بالايمان منهم بغنى العالم وحطامهِ . وقد دعاهُ ابواهُ باسم افرام ومعنـاهُ بالسريانيّة الوافر والغزير والمثمر . جاء في احدى تراجمهِ القديمة (AS, IV,74) انّ والديهِ عند مولدهِ نظرا في الرؤيا جفنةً ذات اثمار لذيذة كانت تمتدُّ اغصانهـا وتتوفّر عناقيدها فيقبل اليها عدد لا يُحصى من طالبي جناها . فسمّياهُ لذلك بافرام

ولعلّ عمادهُ تأخر الى سني شبوبيّتهِ فكان ذلك سبباً لاستلامهِ الى بعض اهواء الشباب فانّهُ في ميمرهِ المذكور يروي بالتأسف ما فرط منهُ من الذنوب في حقّ نفسهِ وحقّ القريب لا سيّما جنايتهُ التي بكاها طول حياتهِ اذ ساق بقرةً لاحد الفقراء فتاهت في البراري ثم افترستها الذئاب فحصل بذلك ضرر لصاحبها فسمح الله وفاء عن ذنبهِ هذا ان يُنسَب اليهِ جرم آخر كان هو بريئاً منهُ فحُبس ايامـاً طوالاً وكاد يذوق بسببهِ مرارة السـياط بل الحكم بالإعدام لولا انّ الله نجّاهُ برؤيا ملاكٍ حرّضهُ على التقى واعمال البرّ . وعرف من رفقتهِ الذين وجدهم في السجن انهم مثلهُ رُموا بتُهَم باطلة مع اقترافهم ذنوباً سابقة لم يُحاكموا عليها . فاستنتج من ذلك انّ الله ربّما انتقم من المجرمين فيحكم عليهم القضاة زوراً لاجل آثام لم يجترحوها تكفيراً عن آثام اخرى مجهولة عند الناس ثابتة لدى الربّ

لكنّ هذه الشوائب التي اعترف بها القديس افرام علانيةً امام تلامذتهِ لم تكد تبلغ الكبائر وقد حملهُ على اشهارها تواضعهُ جرياً على قول الكتاب (امثال ١٨ : ١٧) : « الصدّيق هو الاوّل في اشتكاء نفسهِ »

وما نعلمهُ من بقيّة حياتهِ العاليّة انهُ خرج من تلك المحنة عازماً العزم الثابت على ان ينزع عنهُ الرجل العتيق « ويلبس الربّ يسوع » (رومة ١٣ : ١٤) . وقد صرّح في حكاية احوالهِ انّ المعموديّة التي اصطبغ بها حينئذٍ طهّرتهُ من كل اوزار حياتهِ وظهر مذ ذاك متّصفاً بكل الصفات الحسنة والمناقب الجليلة متنزّهاً عن أشر الشباب مبغضاً لأباطيل العالم دمث الاخلاق وديع النفس ساعياً في خير القريب متفانياً في خدمتهِ ،

حتّى انهُ في بعض السنين اذ علم ما اصاب مواطنيهِ من الضنك بسبب المجاعة غادر منسكهُ وجاء الرها يستعطي من اهل الثروة ليسدّ عوز البائسين فنجاهم من مخاليب الموت

امّا صورتهُ الجسديّة فانّ بعض الاقدمين قد وصفها بقولهِ : « كان افرام طويل القامة ذا وجه صبيح وصورة جميلة تلوح عليهِ في كلّ حركاته سمات الوداعة واللطف وانما يظهر في عينيهِ وعلى جبهتهِ اثر الاسف والحزن لما يُحدق بالبشر من اكدار العالم »

وفي صورتهِ التي رسمناها هنا عن اثر قديم ترى وسامة وجههِ وجمال سحنتهِ ذات الوقار والورع . وقد عرَضهُ ذاك الجمال غير مرّة الى وقاحة البغايا لكنّهُ دافع بشهامة عن عفّتهِ كيوسف الحسن بل ربح الى الله بحربيهِ

بلغ القديس افرام شيخوخة صالحة فمات فيما يُظنّ في ١٨ حزيران سنة ٣٧٣م . وعدّ الرهاويون موتهُ رزءاً وطنياً فدفنوهُ باكرام عظيم ولا يزال قبرهُ في احدى كنائسهم مزاراً يتبرّك بهِ الجمهور

٢ المسيحي والناسك

ما كاد افرام يدرك شرور العالم حتّى فرَّ الى الله وانقطع الى خدمتهِ . وكان وقتئذٍ القديس يعقوب اسقفاً على نصيبين فالتجأ اليهِ افرام وطلب منهُ ان يقبلهُ بصفة شمّاسهِ فخدمهُ خدمةً نصوحاً ولمّا عُقد سنة ٣٢٥ المجمع المسكونيّ الاوّل في مدينة نيقية استدعى الاسقف شمّاسهُ ليسير في رفقتهِ فصحبهُ فعرف افرام هناك ما صارت اليهِ كنيسة المسيح من العزّ والرونق وزاد استمساكاً بالايمان المستقيم واطّلع على خبث آريوس وانصاره فاستنكف من كلّ اهل البدع

ولمّا عاد افرام الى وطنهِ اراد ان يزهد في الدنيا ويعيش عيشة النسّاك فلحق بجبل قريب من نصيبين حيث كان انقطع الى الله احد الحبساء فتتلمذ لهُ واخذ عنهُ الطريقة النسكيّة مستحرّاً بالصلاة قامعاً لشهوات الجسد بالصوم والسهر والشغل ممارساً للطاعة التامّة والفقر الانجيليّ الكامل كما اوصى بهِ الرب (متى ١٠ : ٩) مجارياً في جسدهِ للعفّة الملائكيّة حتّى كانت طهارة روحه الباطنة تزين صورة شكلهِ الظاهر . وصرف خصوصاً همّتهُ الى قمع حدّة طباعهِ فاصبح من ألين الناس خلقاً .

وكذلك اذ رأى نفسهُ مائلة الى الزهو والكبرياء لم يزل يفلُّ شباتها ويذلّلها فبلغ بهِ تواضعهُ الى ان عدَّ نفسهُ من اذلّ خلائق الله فكان يقضي الايام باكياً على ذنوبهِ واذا اثنى عليهِ احد كان ذلك الثناء لديهِ كإهانة عظيمة وعار شديد يصيبهُ عند سماعهِ احمرارُ الخجل وقلق الضمير فتنهمل الدموع السخينة من عيونه

قضى افرام عدَّة سنين في العزلة يتفرَّغ لاعمال النسك ومناجاة الله ولم يعد الى نصيبين الَّا لما رأى سنة ٣٥٠ اهل وطنهِ يتهدَّدهم لمرَّة ثالثة سابور ملك العجم وعدوّ النصارى الالدّ سائرًا لفتح مدينتهم بخيلهِ ورَجلهِ فأراد افرام ان يشاركهم في ضيقهم ويبعث فيهم روح الحميَّة والحماس للدفاع عن وطنهم . فارتدَّ سابور خائباً بعد ان حاصر المدينة سبعين يوماً ودفع على اسوارها مياه نهرها دون ان يقوى عليها . ومما يُخبَر انَّ صلاة القديس افرام ودعوة اسقف المدينة (١ على المدرّ جلبتا عليه جيوشاً من البعوض والذباب فاضطرّ ان يكفّ عن الحصار فرارًا من اذاها ويعود الى بلادهِ مغبوناً

ثمَّ انتقل القديس افرام من نصيبين الى مدينة الرها واجتمع ببعض شيوخ نسّاكها المعتزلين في ضواحي تلك الحاضرة الشهيرة وضارعهم زمناً في زهدهم وعيشتهم الشظفة الى ان دعاهُ الله الى ما هو افضل لمجدهِ تعالى وخير الكنيسة فلبّى دعوتهُ لكنَّهُ عاش في الرها بين تراكم الاشغال عيشة الزهَّاد فتتلمذ لهُ عدَّة رجال جحدوا العالم على مثالهِ وأولعوا بالحياة النسكيَّة ولهم وضع تلك المياسر العجيبة المعدودة بالمئات في سائر المواضيع الروحيَّة ولا سيَّما التوبة والموت والدينونة والصوم والصلاة . وقد انشدهم افرام عند موتهِ وُصاتهُ الاخيرة يحضُّهم فيها على الثبات في البرّ واعمال النسك منهم ابراهيم وآبا وسمعان ومارا وزينوبيوس وبحضورهم انتقل الى الله كيعقوب بين ابنائهِ اسباط اسرائيل

والشائع عند جمهور الكتبة انَّ القديس افرام لم يَرقَ في الدرجات الكنسيَّة فوق درجة الشمَّاس الانجيليّ وقد ورد في صدر معظم اناشيدهِ هذا العنوان «قال افرام السوريّ الشمَّاس» . وكذا ورد ايضاً في بعض تراجم حياتهِ القديمة . على انَّ في هذا الامر نظرًا ولا تخلو الشواهد على انهُ صار كاهناً . لنا على ذلك شهادة احد المعاصرين القديس امفيلوكيوس الذي سطَّر ترجمة حياة القديس باسيليوس احد اقمار

(١ ليس الاسقف المذكور القديس يعقوب الذي كان توفي سنة ٣٣٨ بل المدعو فولوجيز

الكنيسة اليونانيَّة الثالثة وكان امفيلوكيوس من اصدقائهِ ففي الترجمة المذكورة يخبر عن سفر القديس افرام الى مدينة القيصريَّة ليشاهد اسقفها القديس باسيليوس ويحظى بمواجهتهِ . فسُرَّ باسيليوس بنظر افرام ايَّ سرور واطرأ امام شعبهِ حكمتهُ وقداستهُ العجيبة ثمَّ لم يزل يلحُّ عليهِ حتى اضطرَّهُ الى قبول سرّ الكهنوت من يدهِ على انَّ القديس افرام كتم الامر تواضعاً عن مواطنيهِ لمَّا رجع الى الرها ولم يكشف الامر لاحد بل بقي في رتبة الشمامسة الى آخر حياتهِ . وقد جاء مثل ذلك في سنكسار الملك باسيليوس حيث يصرَّح بكهنوت القديس افرام بوضع ايدي القديس باسيليوس . ومثلهما احد مؤرخي القرن الثاني عشر في كتاب المرطقات يذكر ردود « القديس افرام الكاهن » على بدعة المسالمين . وغير هؤلاء ايضاً احدث عهداً ذكرهم البولنديون (AS,IV,52) مع ترجيح الامر دون القطع بهِ

ومما يؤيد نوعاً هذا الرأي ما رواهُ المؤرخ سوزومان القريب من عهد القديس افرام (ك ٣ ف ١٥) ان سكَّان الرها لمَّا مات اسقفهم تألبوا عليهِ ليقيموهُ اسقفاً على مدينتهم لولا انَّ القديس تظاهر بالحمق واختلال العقل ثمَّ فرَّ الى البريَّة وبقي مختفياً ريثما يتمُّ انتخاب اسقف جديد فعرفوا انَّ جنونهُ حكمةٌ سماويَّة . فاجماع الرهاويين على انتخاب القديس افرام الى الاسقفيَّة يقرِّب الى الظنِّ رسامتهُ كاهناً والله اعلم

٣ ملفان الكنيسة

لا مراء في انَّ القديس افرام عُدَّ منذ وفاتهِ بل قبلها معلماً سامياً في الكنيسة السريانيَّة حتَّى تشبَّهُ بنبيّ السريان وبشمس الامَّة السريانيَّة وعمود كنيستها . ثمَّ انَّ تآليفهُ لم تنحصر بين الناطقين باللغة السريانيَّة بل اسرع المترجمون فنقلوها الى اللغات الشائعة في الكنيسة الكاثوليكيَّة كاليونانيَّة واللاتينيَّة والقبطيَّة والارمنيَّة والكرجيَّة وفيها كلها ميامر وعظات واناشيد قد ضاع من بعضها اصلُها السرياني . وهذا لعمري شرف عظيم قلَّما امتاز بهِ غيرهُ من علماء الكنيسة . ولنا في اقوال القدماء عن اعمال القديس افرام ما يدلُّ على اعتبارهم لها وتفضيلها على كثير غيرها كالقديس ايرونيموس والقديس يوحنا فم الذهب والقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النيصصي وتاودوريطس اسقف قورش وسوزومان المؤرخ . وقد بلغ

ثناؤهم على كتاباته الى تأثيرهم لها على تآليف حكماء اليونان قال القديس غريغوريوس: « انك لو نقلتَ ما كتبهُ مشاهير اليونان الى لغة اخرى افقد رونقهُ ويبس لبابهُ بخلاف مصنَّفات القديس افرام فانَّها لا تفقد محاسنها في ايّ لغة كانت » . وافضلُ من هذا ما كتبهُ عنهُ القديس ايرونيموس قال: « افرام شمَّاس كنيسة الرها ألَّف في السريانيَّة عددًا وافرًا من التآليف . وقد بلغ صيتهُ في بعض الكنائس الى انَّها تتلو علانيةً مياميرهُ بعد تلاوة نبوَّات الكتاب المقدَّس وكتابات الرسل . وقد قرأتُ لهُ كتاباً في الروح القدس منقولاً الى اليونانيَّة فعرفتُ من الترجمة ما يتضمَّنهُ الاصل من القوَّة وسموّ المعاني »

امَّا العلوم التي أتقنها القديس افرام فهي خصوصاً العلوم الدينيَّة لم يَفُتهُ منها شيءٌ اخذها في نصيبين عن استاذهِ الكبير القديس يعقوب اسقفها الشهير بتآليفهِ ثم اتَّسع فيها بدرسهِ الخاصّ للاسفار الالهيَّة حتَّى بلغ منها مبلغاً لم يبلغهُ الَّا القليلون فقضوا منهُ العجب بل نسبوا علمهُ الى الروح القدس الذي كان يوحي اليهِ بالعلم السماويّ . وقد اخبر عنهُ القديس غريغوريوس انَّ رجلًا من الاولياء رأى ملائكةً هبطوا من السماء وبايديهم مصحفٌ جليل يحتوي باطناً وظاهرًا ابلغ المعاني وابدع الحكم واذ سُئلوا الى ايّ من كبار ذلك العصر يسلِّمون الكتاب اجابوا انهُ مرسل من الله الى عبدهِ افرام . فلما استلمهُ انطلق بهِ لسانهُ واضحى فريد عصرهِ في العلوم الدينيَّة

ومع تعمُّق القديس افرام بالعلوم النصرانيَّة لم يهمل العلوم الدنيويَّة لاسيَّما البلاغة والبيان كما يظهر من تآليفهِ الجمَّة فانهُ يسحر ألباب القرَّاء بألفاظها الرائقة ومعانيها الفائقة ونفَسها الشعري . وكذلك الفلسفة درَسها وعرف اسرارها وهذا ما سوَّل لهُ الردّ على اضاليل مبتدعي زمانهِ . والحقّ يقال انَّ اقوالهُ تتدفَّق كالعيون المتفجِّرة والانهار الزاخرة يتفنَّنُ فيها كيفما شاء . وهو في كلّ ذلك لا يحيد عن تعاليم الكنيسة ذرَّةً تراهُ يصف اسرارها واغمض معتقداتها وَصف ادقّ اللاهوتيين وارباب علم الكلام بحيث تُتَّخذ اقوالهُ حجَّةً لتأييد عقائد الكنيسة الرومانيَّة كرئاسة الحبر الاعظم على الكنيسة جمعاء وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحبل العذراء مريم بلا دنس وحقيقة القربان المقدَّس وغير ذلك ممَّا جمعهُ بعض العلماء من مياميرهِ بياناً لانطباق كلامهِ على معتقدات الكنيسة

ومما اهّله لرتبة الملفان على الكنيسة كلّها تفاسيره للكتب المقدّسة شرحها شرحاً دقيقاً جمع فيه بين معانيها اللفظيّة والمعنويّة والادبيّة والروحيّة نُشر بالطبع كثيرٌ منها وانما فُقد بعضها لسوء الحظ

وأما فحص الاختصاصيّون مؤخّرًا بامر قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر كلّ هذه الكتابات الافرامية اعلنوا بصوت واحد انّ كاتبها يستحقّ ان يُعتبر ليس فقط كمعلّم لاحدى الكنائس بل كمرشد وملفان الكنيسة كلّها فصدّق البابا على حكمهم

وهذه لعمري نعمةٌ لم تمنحها الكنيسة الّا لقليل من ابنائها تحت شروط معلومة اخصّها ثلاثة : (١) قداسة حياة الشخص المنعم عليه بذلك ٢ . سموّ علومه التي امتاز بها فأضحى نورا ساطعاً يُستضاء به في امور الدين دون ان يكون شذّ في شيء من تعاليم الدين الجوهريّة ٣ . الاعلان بهذه الرتبة بحكم رسميّ من الكنيسة

٤ المجاهد

قال القديس بولس في رسالته الاولى لاهل كورنتس (١١ : ١٩) : « لا بُدّ من البدَع فيما بينكم ليظهرَ فيكم المزكّون » . فهذه الآية قد تمّت فعلًا في كلّ قرون الكنيسة ليُعرَف بها ابناء الله الحقيقيّون من الكفرة والملحدين . على انّ هذه البدع

(١ دونك اسماء معلّمي الكنيسة وملافنتها وهم الآن اثنان وعشرون فقط : عُرف منهم في اجيال الكنيسة الاولى اربعة شرقيّين وهم القدّيسون اثناسيوس الاسكندري وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النازينزي ويوحنّا فم الذهب الانطاكي . واربعة غربيّين وهم القدّيسون امبروسيوس الميلاني وايرونيموس واوغسطينوس اسقف ايبونة وغريغوريوس الكبير بابا رومية . ثمّ أُضيف اليهم بحكم الاحبار الرومانيين القديس توما الاكويني (بحكم القديس بيوس الخامس سنة ١٥٦٨) ثمّ القديس بوناونتورا الساروفيمي (بحكم سكستوس الخامس ١٥٨٨) ثم القديس انسلموس اسقف كنتربوري (بحكم اقليمنتس الحادي عشر سنة ١٧٢٠) ثم القديس بطرس خريسولوغوس اسقف رافنّا (بحكم بندكتوس الثالث عشر ١٧٢٩) ثمّ القديس بطرس دامياني (بحكم لاون الثاني عشر ١٨٢٨) ثمّ القديس برنردوس (بحكم بيوس الثامن سنة ١٨٣٠) ثمّ القديس ايلاريوس اسقف بواتيه (بحكم بيوس التاسع ١٨٥١) وبحكمه ايضاً القديسان الفونسيوس ليغوري وفرنسيس دي سال اسقف جنيفة (١٨٧١) . ثمّ كيرلّس الاسكندري وكيرلّس الاورشليمي ويوحنّا الدمشقي بحكم البابا لاون الثالث عشر (١٨٨٣) وبحكمه سنة ١٨٩٩ القديس بيدا المكرم . وكلّ هؤلاء اساقفة او كهنة . فان صحّ كون القديس افرام كان شمّاساً فيكون هو وحده ادنى الجميع رتبةً

لم تظهر في عهد آخر ظهورها في القرن الرابع بوفرتها وعزتها وبطر القائلين بها فعمّت كنائس الشرق وكادت تنفث فيها سمّها القتّال . وانما كان السبب في ذلك ان المتنصرين بارتدادهم عن الوثنيّة لم يستأصلوا من قلوبهم كلّ جذورها الفاسدة . لكنّ الله لم يهمل كنيسته واقام حينئذٍ اولئك المؤمنين الكبار الذين أصلوا الهرطقات حرباً عواناً فقنّدوا اضاليلها وقطعوا بسيف البرهان مزاعيمها الباطلة

وقد توفّرت اذ ذاك هذه البدع في كنائس ما بين النهرين حتى اربت على العشرين بدعة فمنها ما كان من بقايا الأذريين ولا سيّما مرقيون ومانى وبرديصان وحرمون ابنه ومنها ما كان حديث النشأة كبدعة آريوس التي انتشرت انتشاراً عظيماً في انحاء الشرق وبدعة ابوليناريوس وسابليوس واونوميوس وبولوناس وأرونتدراس والمسالين والبوليين وعبدة الحيّات وغيرهم وخصوصاً اليهود اعداء النصرانيّة . فاذ رآهم القديس افرام وعلم ما يبثّونه من التعاليم الكاذبة والآداب الفاسدة تصدّى لهم وكتب تلك المداريش العجيبة التي امطلت القماط عن خزعبلاتهم وحذّرت جمهور المؤمنين من فساد آرائهم وسوء آدابهم اذ فندهم تفنيداً لطيفاً تارة بالبرهان القاطع وتارة بالمجاز والتعريض وحيناً بالتهكّم وطوراً بالالتفات والمفاوضة بحيث تنفذ ادلّتهُ في قلوب السامعين نفوذ السهام الراشقة وتخطف الاذهان خطف الشهب البارقة بينما هو يمزج كلامهُ بالعواطف اللينة والادعية الحارّة الى الله واستدعاء الخاطئ الى التوبة والضالّ الى حظيرة الايمان وحجر الكنيسة

وكأنّ القديس سبق ونظر ما سينشأ في الكنيسة من البدع الجديدة فتسارع الى تقويض اركانها . فكم من الاضاليل البروتستانيّة ومزاعم كلوين ولوناروس تجد سفسطتها مستأصلة بأقوال ملفان الكنيسة منين من السنين قبل بروزها

وقد بلغ عدد مداريش القديس افرام ضد الهرطقات ٥٦ مدراشاً نشرها بالطبع الاب بطرس مبارك اليسوعي في الجزء الثاني من اعمال القديس افرام بالسريانيّة واللاتينيّة (ص ٤٣٧ — ٥٥٩) ترى في كلٍّ منها ذلك الملفان يرصد اعقاب الهراطقة ويصف كلًّا منهم وصفاً حقيقاً به فيقبّح تعاليمهُ ويكشف خبثهُ ومآثمهُ فلا يدع له مناصاً لينجو من رشق نباله . ولله در القديس يوحنّا فم الذهب حيث كتب في مديح القديس افرام : « انّ هذا الرجل العظيم يمتاز في كتاباته بما من شأنه ان يضرم النفوس

الفاترة العليلة ويُنهض همّة المكروبين ويرشد الشاك في طريقة الكمال ويدفع الخطأة الى التوبة ويُفحم البدع بسهامه الصائبة»

٥ الشاعر

قليلون هم ملافنة الكنيسة الذين امتازوا بالكتابة نثرًا ونظماً معاً لا نعرف منهم في الكنيسة اليونانيّة غير القديس غريغوريوس النزينزي وفي الكنيسة اللاتينيّة القديس برنردوس . امّا القديس افرام فانهُ كان مطبوعاً على الشعر حتى بلغ شعرهُ تسعة اعشار مجموع كتاباتهِ . قال المؤرخ سوزومان انّ منظوماتهِ بلغت ثلاثمائة الف (tricies centenas myriades) وهو لعمري عدد لا يُحتمل تصديقهُ ومع ما فيه من الغلوّ لا بُدَّ من القول انّهُ بلغ في ذلك ما لم يبلغهُ غيرهُ فانّ ما بقي من قصائدهِ يستغرق عدّة مجلّدات

والشعر السرياني القديم من نوع الزجليّات والموشحات ينقسم الى ادوار يشتمل كلّ دورٍ منها ابياتاً معلومة لكلّ بيت عددٌ محدَّد من التفاعيل . وهم يميزون بين الميامر والمداريش والسوغيثات لكل منها ادوارها الخاصّة تختلف طولاً وعدداً في التفاعيل والاوزان يلزمها الشاعر على موجب الانغام وفنون الغناء دون التقفية غالباً . هذا قبل تطوُّر الشعر السرياني الذي التزم فيهِ الشعراء بعد ذلك العهد التقفية وجروا على فنون العرب

وكان اوّل من قصَّد القصائد عند السريان الشاعر الرهاوي برديصان اقتدى في وضعها بالشعر اليوناني وكان هو تربّى على آداب اليونان في القرن الثاني للمسيح فنظم الشعر السرياني على مثال معلّميهِ فراج بين اهل وطنهِ ايّ رواج وقام بعدهُ حرمون ابنهُ وجرى على منوالهِ فكان الرهاويون يتغنّون باناشيدهما ويعلّمونها اولادهم . لكنّ برديصان وحرمون كانا من ذوي البدع فأدخلا في منظوماتهما اضاليل تعليمهما . فلمّا اراد القديس افرام مناهضتهما لم يرَ بُدًّا من درس الفنون الشعريّة التي جريا عليها فأتقنها واخذ ينظم بموجبها وكان بليغ اللسان ذا عارضة غريبة يقول الشعر بديهاً ويرتجلهُ دون عناء . فألّف عددًا لا يُحصى من الاناشيد التي فنّد فيها مزاعم برديصان وحرمون وغيرهما من المبتدعين ثمّ علّمها ابناء وطنهِ فشاعت بينهم حتّى نسوا اناشيد الهراطقة واعتصموا بحبل الايمان المتين

ثم انتشرت اغاني افرام وتسابيحهُ ومنظوماتهُ التي وضعها في كل اسرار الديانة المسيحيَّة ومواسمها واعيادها بالكلام المنسجم والتشابيه البديعة والمعاني المبتكرة فتهافتت اليها الكنائس السريانية وتغنت بها في فرائضها الدينية ورُتبها الكنسيَّة وقسمٌ كبير منها لا يزال حتَّى يومنا هذا من جملة الصلوات التي يتلوها الرهبان والاكليرس عند السريان والكلدان والموارنة . وجاء بعد القديس افرام القديس يعقوب السروجي وبالاي وغيرهما واضافا اليها شيئاً من منظوماتهما مقتفين آثار القديس افرام الذي انشأ في الرها مدرسةً لتهذيب الاحداث وتربية الشبيبة خرج منها عدَّة شعراء نسجوا على منواله . والعجب انَّ رقَّة شعره ومحاسن نظمه تُرى حتَّى في اللغات التي نُقلت اليها تآليفهُ . كما شهد على ذلك فوطيوس زعيم الكنيسة الاورثدكسيَّة الذي اطرأ في مكتبته الشهيرة اعمال القديس افرام ووجد في كلامه مع قوَّة البرهان ودقة المعاني حسن البيان والنظر الصائب في انتقاء الالفاظ والصور الرائعة والتشابيه البديعة رغماً عمَّا يُفقدها النقل عن اصلها السرياني

وكان في فكرنا ان نروي هنا امثلةً من اقاويل القديس افرام ليعرف القرَّاء فضل ذلك النابغة الذي عُدَّ في زمانهِ بكثارة الروح القدس اولا انَّ ضيق المقام يضطرّنا الى الوقوف عند حدّنا هذه المرَّة مؤجلين لجني تلك الزهور العطرة والدرر الثمينة الى فرصة اخرى ان شاء الله (١ . وفي الختام نشكرهُ تعالى على ما منَّ بهِ بتمجيد عبدهِ القديس افرام الذي اتاح لنا الربّ في اواخر ايلول من السنة ١٩١٥ ان نتبرَّك بزيارة قبرهِ عند مرورنا في الرها . ونتمنَّى ان وضع هذا السراج المنير على منارة الكنيسة الكاثوليكيَّة ينعش في قلوب اهل الشرق الرغبة في درس تآليفهِ والاقتداء بسموّ فضائلهِ ويردّ من تخلَّف منهم عن جادَّة الصواب كاليعاقبة والنساطرة الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة التي كان القديس افرام ابنها الامين الى آخر نفس من حياتهِ

(١ راجع ما كتبناهُ سابقاً في احد اثاره اعني مقالاتهِ في البتوليَّة التي نشرها غبطة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٢٣-٣٠)

رحلة الامير بشير الاولى الى مصر

للشيخ سلُّوم الدحداح

نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح (تابع)

ومصباح الاحد نبَّه الصدر الاعظم على جميع قوَّاد العساكر تحضر في العُدَد والخيل كلّ وجاق (١ بوجاقهِ وكل رتبة برتبتها ويعملون آلاي من صيوان (٢ السور الى قناق (٣ الكومنده وكان مسافة ساعة . وعملوا آلاي على الصفَّين وفتحوا زقاق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير فكان موكباً يدهش النظر . وركب الكومنده وصحبتهُ عشرة جنراليَّة فرنساويَّة وقدَّامهم السنجق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير . ومن بعد المفاوضة امر الوزير باحد عشر كُرْك سمُّور (٤ عظام الى الكومنده والعشرة الجنرالية الفرنساويَّة . والى ترجمان الكومنده فرو اقاقون (٥ . ثمَّ رجع الكومنده وصحبتهُ تلك (اولئك) الفرنساويين الى قناقه بين تلك الآلاي . ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير بتلك (بذاك) الاتفاق . وفي ثاني يوم توجَّهوا الفرنساويه راكبين هجن

وعند الظهر ابتدأت المناداة في العرضي انَّ القيام بعد اربعة ايَّام فيسير جميع الاوردي الى قطية (٦ وهي مسافة يومين من العريش وانَّ ناصيف باشا العظم (صار) والي مصر وانهُ يقوم الى الصالحيَّة لبين ما تخرج الفرنساويَّة من مصر الى الاسكندريَّة

ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير وافهمهُ انَّ نهار بكره يرجع من قناقه لتسيم

---

١) اصل الوجاق موضع النار ثمَّ اطلقهُ الاتراك على الفرقة العسكريَّة المجتمعة حولها

٢) الألاي المناورة والموكب في التركيَّة . والصيوان فارسيَّة اصلها صايوان ومعناها الخيمة والجوسق ٣) القناق والصراب فوناق بالتركيَّة المنزل والمقام والقصر

٤) الكرك الفروة . والسمُّور (martre) حيوان صغير تُصنَع من جلده الناعم الفراء الثمينة

٥) من آق التركيَّة اي الابيض

٦) قطية بلدة صغيرة على ساحل البحر بين العريش وغزَّة .

اغراض الامير ورجع الى قناقه . وفي ثاني الأيام ارسلني الامير الى عند الكومنده فسرتُ وعند وصولي رأيت عندهُ عثمان بيك الاشقر الذي قد كان حضر الى بتدين حين كانوا الافرنج على عكا فحين نظرتــهُ تعوقت الى ان قضى اشغاله وانصرف . فدخلتُ عند الكومنده فأفهمني انهُ صار مرادهُ يسافر في البحر وانَّ الامير ان اراد السفر في البرّ له الاختيار فاعتذرتُ لهُ فسار الى عند الوزير وانا رجعتُ افهمت الامير . وبعد حضور الكومنده لعند الوزير الاعظم حضر الى عند الامير فــافهمه انَّ سفر البرّ مشقة عليه وسفر البحر انسب له وجرى بينه وبينه جملة مفاوضات سرّية

ثمَّ توجَّه الكومنده الى مركب الباوق وتوجَّه الامير يودّع الكاخية فساق معهُ كلّ اكرام واجتمع بهِ ساعةً . ثم امر احد خدمهِ ان يستأذن الصدر الاعظم في الدخول عليهِ فرجع الرسول يعزم الامير . فسار الى خيمة المنامة فاذن لهُ بالدخول واجلسهُ بجدّ فرشتهِ وبدأ يكلمهُ بالعربي قائلًا : يا امير انت ولد مخصوص لي . ثمَّ امر الوزير ان لا احد يبقى بقرب الخيمة وتكلَّم معهُ بامور لا احد منَّا عرفها ثمَّ نهض الامير وقبل اتكهُ وانصرف . وافهم الوزير الى الترجمان : اني كنتُ اظنّ انَّ الامير بشير مثل بقيَّة اولاد العرب ففي مدَّة حياتي لم نظرتُ شخص مهذَّب مقبول حلو الالفاظ مثل هذا الرجل . وقال لي الكاخية : يا يازجي انَّ الامير بشير فريد كامل المحاسن كما كنَّا نسمع عنهُ ومرادي ان تقول لهُ لا يحمل همّ . وقسم لي يمين في النبي محمَّد انهُ حين يراهُ يفرح قلبه . وبعد انصراف الامير فرّق البخاشيش وبتنا تلك الليلة

ومصباح الاثنين حضر فيسال من عند الكومنده يعزم الامير الى المركب فسار حالًا نحو البحر . فحين نظر الكاخية الامير سائرًا امر حالًا لزاه ان يقدّموا لهُ حصانًا من خيلهِ بالعدَّة الكاملة فركب الامير الى حدّ البحر ورجع الحصان ونزلنا في الفلايك الى المركب الذي كان اتى بالذخيرة لأن الكومنده رآه اهدى وقال للامير : سِر الى يافا وهنــاك تنزل الى مركبي . ثمَّ في السهرة حضر الكومنده لعند الامير وبيده مكتوب من قنصل بيروت يذكر به انَّ عساكر الجزّار سارت الى بلاد جبيل والامير حسن ومن معهُ انهزموا الى صافيتا

ثمَّ انَّ قبل نصف الليل قلع المركب فوصلنا في الليل الثاني الى يافا وكان مسافر معنا في المركب افندي مرسلهُ الصدر الاعظم الى الدولة العليّة يخبر في تصريف امر

مصر . وافندي ثاني مرسلهُ الى الاسكندريَّة كي يبقى يعطي للمراكب الذي يوسقوا الفرنساويَّة اوامر بعدم المعارضة لهم . وفي وصولنا الى قبال يافا حضر فيسال يعزم الامير لينزل الى مركب الكومنده فسار الامير وخدمهُ حالًا وفي وصولنا قوَّس المركب تسعة مدافع ولاقاهُ الى رأس الدرج وترحَّب بهِ وانزلهُ عندهُ في الكامرة الذي هي مكان منامته وجعل ستار قماش هندي بينهُ وبين الامير وقدَّم لهُ علبة الماس ثمينة واعطى الى الشيخ نجم قطعة قماش والى الفقير قطعة

ثمَّ ليلة الخميس قلع المركب من يافا طالبين قبرص فاصبح المركب قبال الكرمل ومصباح الاحد وصلنا الى قبال روشن (١ بيروت فقوَّس مدفع نيشان كي يحضر القنصل الى عنده وحالًا نزل القنصل وبو حسن رئيس المينا في فلوكه وحضروا الى عندنا واخبرونا انَّ الامير حسين متوجّه الى دير القمر . فحرَّر الامير الى اخوه يخبرهُ عن وصوله الى العريش وكلّ ما توقَّع معهُ ولكن ما شرح لهُ عن شيء خوفاً من وقوع المكتوب (في ايدي احد) وعرَّفهُ انهُ متوجّه الى الاسكندريَّة : وتوجّه في المكتوب مرعي بو ملهب وجرجس شاول لطرابلس في البحر

ونهار الاحد نصبوا على المركب طنده (٢ من صوف ابيض وازرق واحمر جلّلت ظهر المركب ونصبوا كراسي وعملوا قرَّاية مجلّلة بستر ووضعوا عليها الانجيل والزبور وطلع الخوري لابس قميص سودا واستقامت الصلاة ساعتين (٣

وفي نهار الاثنين والمركب سائر في المواسطة التقى في الذايساطة القادمة من العريش وكان بها البادري نقولا القدسي (٤ فاكرمهُ الكومنده وترحَّب بهِ وكلفهُ يجلسهُ على المائدة معهُ . وقد اخبر عن قيام اوردي همايون (٥ من العريش الى قطية - ثمَّ نهار الثلثاء اصبح المركب على الماغوصة (٦ ومصباح الاربعة قبال الملَّاحة (٧

١) الروشن الفُرضة (فارسيَّة)
٢) هي خيمة السفينة . من الايطاليَّة (tenda)
٣) هي صلاة الاحد عند الانكليكان ٤) لعلَّهُ احد رؤساء الرهبان الفرنسيسكان
٥) الاوردو الهمايون هو الجيش التركي الذي في وطن السلطان او احد كبار الوزراء . ومناهُ الجيش السعيد
٦) الماغوصة فرضة قبرص الشرقيَّة يدعوها الفرنج Famagouste
٧) الملَّاحة (Salines) مينا مدينة لرنكا في قبرص يدعونها la Scala

وبقي الى الغروب حتّى قدر رمى المرسى . وكان في المينا جملة مراكب انكليز وغساوي ومسكب وعشاه فعملوا شنك (١ مدافع في البحر والبرّ لقدوم الكومنده

ومصباح الخميس عزم الكومنده الامير كي ينزل الى البرّ يشمّ الهواء وارسل الى القنصل يعزّل لهُ حارة في الارنكه (٢ وارسل معهُ قبطان كنز (٣ يمشي قدامه للقناق وارسل معهُ اربعة صُلدات بقوا واقفين امامه وترجمان يستقيم عنده . وفي وصول الامير الى دار القنصل للملاحة اجتمعوا سائر اكابر الانكليز الى عند الامير والبست حرمة القنصل بملبوس عظيم سلّمت على الامير . ثمّ حضرت العربانات وتوجّهنا الى الارنكه لعند ابن القنصل الكبير المتوفّى وهو ولد بشوش ابن اثنتي عشر سنة فالتقوا الامير هو ووالدتهُ بكل اكرام

وقد كان حين الامير نزل الى البرّ ارسل لهُ الكومنده الف ذهب اسطنبولي خرجيّة البرّ . ثمّ نزل الامير في دار سوسان عمّة ذلك الصبيّ وابتدأ يحضروا القناصل من جميع الطوايف والمضامات (٤ يسلّمون على الامير ويهنّوهُ بالسلامة . وتوجّه الامير الى طواحين الارنكا لانّ مطرحهم مفترج وتفرّجنا على محلّات يطول عنهم الشرح . وكان حين يمرّ الامير يقفون الجميع في الاسواق يأخذون السلام كعادة الوزراء وان كان احد راكباً يحوّل حالاً . ثمّ في ثاني الايّام حضروا قباطين المراكب من قبل الكومنده يسألوا عن خاطر الامير وان كان المطرح مناسب ام لا وان كان حضروا جميع الطوائف سلّموا عليه ام لا . فاستكثر بخير الكومنده واخبرهم انهُ حاصل على كل اكرام وانشراح

ثمّ في ثاني الايّام حضر الترجمان من عند الكومنده يخبر الامير انهُ كان نزل في البياده (٥ ليحضر لعنده فما امكنهُ من التوه . ثمّ مصباح الثلثاء حضر قبودان

---

١) اي قنشة وترحاب

٢) الارنكة هي مدينة لرنكا من حواضر قبرس

٣) هذا اسم شرف كان الاتراك يطلقونهُ على امراء العرب الذين في خدمة الدولة

٤) المضامات تعريب الفرنسويّة Madame ولعلّها تصحيف المقامات

٥) البياده هم المشاة من الجند فارسيّة الاصل

كاتز وعن يده مئلّف مكاتيب اجت الى الامير من بلاد الدروز من اكابر الديره (١ ويسأل عن لسان الكومنده بان الامير يعرّفه عن الاخبار الذي في تلك المكاتيب. فردّ الامير جواب ان الشرح طويل ولكن حين ينزل الى البرّ يعرضهم عليه . وكان كلّ من يحضر في البحر يخرج يتفرّج على الامير ويسلّم عليه . وحضر جاويش قبودان (٢ وطلب مواجهة الامير وافهمني في التركي انّ الانكليز مقدّمين صورة الامر الى قبودان باشي (٣ عمارة العسمله . وارسلني لكي انظر الامير هل هو على موجب الصورة ام لا لانّ سعادة قبودان باشي هل قدر ابتهج من تلك الصورة . فعزمتهُ ودخل سلّم على الامير وقال لي: بالحقيقة انّ صورته اعظم من الصورة. ثمّ انصرف

ومصباح الاربعاء ارسل الامير فرنسيس دميان يسأل الكومنده ان كان هو متعوّق في البحر حتى يوجه لهُ المكاتيب . فحضر الكومنده حالًا الى الملّاحة وعند الغروب حضر لعند الامير وصحبتهُ موسى رَيت(٤ والقنصل وفيسال وبقي ساعة ورجع وان على بكرة يرجع ليقروا المكاتيب فقال لهُ الامير: انا الصبح اتوجّه لعندك. والكومنده يقول : انا احضر لعندك. ثمّ ثاني الايّام الصبح حضر اهالي البلد يسلّموا على الكومنده فما صار فطاوة . وصباح الجمعة قصد الامير يسبق وتوجّه لعند الكومنده وفي وصوله اخبروه ان الكومنده بعده في الفرشة . وحين علم بقدوم الامير ارسل يعزمه الى عنده . فقال الامير : انا منشرح ها هنا الى ان يكون قام من النوم . فما قبل الكومنده ولزّ على الامير في الدخول بلجاجة والامير يعتني من الدخول فما امكن حتى دخل وقابله وهو في ثياب النوم فقال الى الترجمان : ان ليس هي عادة اقابل وانا في الفرشه ولكن المحبّة تخرق العوائد . ثمّ اخبره عن التحارير الذي حضرت من البلاد وتفاوضوا في كلّ شيء وتفارقوا (وتوافقوا ؟) على تحرير الجوابات لانّ الامير لم كان ينافي الكومنده في شيء

١) الديره في لغة العامّة المقاطعة والايالة اصلها الدائرة

٢) اي القبطان الحاجب

٣) اي رئيس امراء البحر

٤) موسى رَيت(Wright) كان ترجمان القومندان سميث ويظهر من اسمهِ انهُ كان انكليزيًا

ثمَّ رجع الامير الى قناقه وفي السهرة ارسل لهُ مكتوب من قنصل طرابلس وداخله مكتوب من الشيخ بشير جنبلاط ذاكر فيهِ عن الضيم الذي حصل لهم وان البرَد (كذا) الذي من عبدالله باشا ما احد اعتبرها في ايالة طرابلس وانهم استقاموا ثلاثة ليالي في الشيخ عياش (١ تحت المطر . فانغمَّ الامير من ذلك

ومصباح السبت حضر فرقاطه من سيسيليا بكتابات الى الكومنده من سر عسكر الكبير (٢ ان لا يقبل هذا الصرف من الفرنساويَّة ولازم يأخذهم اسرى وهذه صورتها :

« ايّها الاخ المحبوب اذ قد وصلني مكتوبك وبهِ تذكر انهُ حسب التخليص المعطى لك من ديوان الملك العالي انك تخرج الفرنساويَّة من مصر باي طريقة تراها مناسبة وانك قد فهمت من آكران (٣ وزير الشمله انهم راسلوا الفرنساويَّة على الصلح وانهم يخرجوا من مصر الى بلادهم احرار بكافَّة غنائمهم وانهُ قد اختار هو الصرف على القتال وانهُ من حيث حال الحاضر ارتضيتَ انت معه وانهُ اذا مرُّوا الفرنساويَّة لا تعارضهم . والحال انَّ لامر الذي عندي من الديوان العالي انَّ الفرنساوية الذين في مصر لازم يذهبوا بالسيف ام يخرجوا اسرى . واعلم انهُ ان وصلوا الى هذا الطرف لاجل اعتبارك لم نستأسرهم بل نرجعهم تنقضهم المراكب في مصر . وانا لاجل خاطرك حرَّرت عرضحال مع عرضحالك الى الديوان العالي انهم يقبلوا رجاك بهذا الصرف ولكن هل امر يستصعب جدًّا لانهُ متعلق مع باقي الملوك فيجب بحال وقوفك على جوابنا تعطي خبر الى آكران الوزير انَّ هذا الصرف غير مقبول والى سر عسكرهم كبير ان هل صَرْف لا يتمّ »

ثمَّ مصباح الاحد ارسلني الامير انا والترجمان الى عند الكومنده ومن زود العجق لم قدرتُ افهمه ما فهمته من الامير . ثمَّ من بعد عاقة زائدة قال لي : انا بعد الغداء اتوجَّه لعنده . ثمَّ بعد الظهر حضر واجتمع مع الامير وحرَّروا كتابات الى الامير حسن (٤ وان يتوجَّه حسين الداهوك الى طرابلس . وبعد رجوع الكومنده

١) الشيخ عياش من قرى ايالة طرابلس

٢) هو الاميرال نلسون الشهير الذي ضرب الاسطول الفرنساوي في ابي قير فدمَّره سنة ١٧٩٨ . ومكتوبهُ المذكور هنا هو الذي عدَّهُ الجنرال كليبر غدرًا وخيانة بعد ان وعدوهم بالامان فحمل بجنوده على الاتراك والانكليز برًّا في هليوبوليس فكبَّدهم الخسائر الفادحة

٣) لم نقف على اخبار هذا الوزير . والشمله او الشمالة في بلاد الشام كالشمالي وفي التركيَّة عثمانلي

٤) الامير حسن اخو الامير بشير

حضر ترجمان من عند متسلم قبرص يعزم سعادته ويسأل خاطره وان يستقيم الى ان يفرجها الباري وهو يقدم لهُ ما يحتاج. فاستكثر الامير خيره وامر للرسول بنرجية. ثم مصباح الثلثاء حضر الكومنده يفهم الامير انّ مراده يرجع الى المركب وان متى اعتمد على السفر يرسل لهُ الفلايك

وفي الارنكه فيه عادة ملاعيب فتفرّجوا الخدم . وحين نظر كبرارة (١ انّ الامير زعلان جاب له صندوق داخله صور الممالك كان جابه قديماً والده الى عليّ بك عزيز مصر (٢ فتفرّج الامير على ذلك ورجعهُ . وبقي الامير ثلاثة ايام ومن المطر لم يصير تسهيل الى السفر . وفي نهار الجمعة حضر قنصل الانكليز وبيده الفرمان الشريف من سعادة الوزير الاعظم الى محفل قبرص فحواه « انّ الامير بشير الشهابي حضر الى اوردي همايون وصودف في وصوله قيام الاوردي المنصور الى الصالحية (٣ وبما ان مزاجه منحرف اقتضى انهُ يتوجه في البحر ويمكن يطلع الى جزيرة قبرص ليرتاح من سفر البحر فالمراد ان حضر اليها تسوقوا معهُ كلّ اكرام وكلّ واجب وملاحظة . وان وقع في حقه ادنى امر تبقى انت تحت عائدة الدولة العليّة الى ان يطيب خاطرهُ بالانصراف بكلّ صحّة وامان . وهذه اعزّ الخدمات منك لدينا ولتكن متحذّر في امرنا هذا ومتيقّظ من المخالفة .

وهذا الفرمان حين فهم الكومنده تضعضع احوال الامير حسن افتكر انهُ يميل في الاميّر الى قبرص ليأخذ راحة ويحرّر الى اخوه فارسل الى ترجمان موسى ريت فاعرض الى سعادة الصدر الاعظم واخرج ذلك الفرمان وارسله تحت يد القنصل . وحين رآهُ الامير ارسلهُ الى جناب الكومنده فردّ جواب انهُ بكرة اذا كان الطقس طيب ارسل الى الامير الفلايك واذا هذا الفرمان يبقى مع القنصل

١) كذا في الاصل ولم نستدل على الشخص المقصود هنا

٢) علي بك هذا كان اعرابيًّا وقع صغيرًا في ايدي النخّاسين فباعوهُ في مصر لبعض مماليكها فتقدّم عندهُ ورافق معهُ الحجّاج فخلّصهم من غارات الأعراب ثمّ تقدّم في مناصب الدولة حتى اصبح احد اعيانها وثار على الدولة التركيّة وصار في يده الحلّ والربط وحالف ظاهر العمر صاحب عكّة واستولى على الحرمين وقسم من بلاد الشام حتّى حاربهُ احد عمّاله المدعو بابي ذهب فغلبهُ ومات سنة ١٧٧٣

٣) مدينة صغيرة على طريق القفل السائر من مصر الى الشام

ونهار السبت اوّل اذار حضر قنساليه في الفلايك يعزموا الامير الى المركب فنهض الامير حالاً وسار الى عند القنصل ودّعهُ وفرّق بخاشيش على اصحاب المحلّ واليسقيه (١ والدائرة وفي الميناء ثمّ نزل الى المركب ولاقاه الكومنده حسب العادة. ومصباح الاحد حضروا القناصل واكثر اهالي البلاد ودّعوا الكومنده . والمساء حضر الترجمان يقول لي انّ الرزّ في برّ الشام قليل والكومنده مراده ان يرسل رزّ الى بيوت الامير واخوه وطلب ان تفهمهُ تحت يد من يرسله . فاستكثر الامير خيره وما امكن يقبل . ومصباح الاثنين قلع المركب من الملّاحة متوجه الى الاسكندريّة

وفي تلك الايّام وصل مركب من البلاد واخبر الكومنده انهُ خرج عمارة فرنساويّة الى هذه النواحي . وفي تلك الليلة حدث ريح عاصف وفي النهار صار المركب في الواسطة وابتدوا يستعدوا للحرب لانهُ بان مراكب عن بعد فدخلوا القباطين فيّقوا الكومنده من النوم . فاخذ الناظور وطلع الى الساري وبعد برهة نزل واخبر الامير انّنا على رشيد (٢ والمراكب فرنساويّة ومتهم اذن متّي ان ينقلوا اثقالهم من دمياط الى الاسكندريّة . ثمّ بعد ساعة ظهر مركب باليك فرجع الكومنده الى الساري والناظور بايده فعرف انهُ مركب تيشيس . وفي عصريّة ذلك النهار صار المركب على جنب فندهَ على القبودان في البرق ان متى هجع البحر يحضر لعنده . وفي الليل صار نوّ عظيم وكبر البحر فاصبح الجمعة قبال البرّ المصري والبحر كبير جدًا . وفي نهاره حضر القبودان وافهم الكومنده انهُ جاب صورة الجزّار وفرّجنا اياها . والعصر امر ان يرفع بنديرة اشارة ان قبودان مركب التيشيس وقبودان مركب الياريك يحضروا لعنده فحضروا وصحبتهم الافندي الذي متوجه الى الاسكندرية كما ذكرنا عنهُ ليعطي اوامر السفر الى الفرنساويّة وبعد ما واجهوا الكومنده رجعوا الى مراكبهم .. (التتمّة لعدد آخر)

---

١) اليَسقية هم خدّام الوزراء والقناصل . اصلها من يَساق وسناهـا الامر والنظام اي المأمورون

٢) رشيد احدى مدن مصر الساحليّة الشهيرة

اوهام الدارس بعد شهادة المدارس

لهنري مايلهاك معرّبة بقلم الاديب ميشال افندي شبلي

قرأتُ للكاتب الافرنسي هنري مايلهاك (H. Meilhac) مقالاً أعجبتُ بمعناهُ ومبناهُ صاغهُ الكاتب بقالب رسالة لحفيدٍ قد حاز الشهادة العلميَّة فجاء حقيقةً صائبة لما يصادفه السواد الاعظم من متخرّجي المدارس من انسداد ابواب الرزق امامهم . وذلك لعمري من آفات بلادنا على الاخصّ ففي كل سنة يخرج من مكاتب الدرس مئات من المتبين وبيدهم الشهادات فيأخذون في البحث عن طريقة شريفة تمكنهم من اكتساب معاشهم فصاحب النصيب هو الذي يمكنهُ ان يكون كاتباً في محل تجاري او كاتباً في دائرة يدفن فيها ذكاءهُ وعلمهُ براتب هو دون الطفيف قلما يكفيه لسد احتياجاته . ومَن تأبى عليه نفسهُ ذلك لا يجد امامهُ سوى ركوب متن البحار بجانب القروي المهاجر الى ديار الغربة حيث يوقف هناك ما هو عليه من مقدرة ونشاط في خدمة بلاد غريبة

أما إصلاح هذا الخلل فهو من الضروريات القصوى وهو بلا مشاحّة في التعليم الكافي والتخصص بفرع او صناعة معلومة يكون من ورائها النفع الشخصي العمومي ثم الثبات في مزاولة العمل . وهاك نصّ تلك الرسالة :

يا حفيدي العزيز

قد علمتُ بانك قدّمت الفحص على دروسك ونجحت فاني اهنئك فها انك تترك منضدة الدرس وتصير رجلاً غير اني انصحك بألّا تخال ذاتك مدعوًّا وكفوءًا لمزاولة كل الاعمال لانك قد حزت قصب السبق في الترجمة او لانك تفوّقت في الكتابة لانه يجب على من يريد ان يسود في العالم ان يمتاز بغير الاوّلية في دروسه ولا تظن بانه يكفيك لتملك عنان المستقبل ان تكون حائزًا على الشهادة . لا فاني حزتها قبلك وان معي شهادة العلوم والمعارف وشهادة المحاماة ايضاً فماذا نفعني كل ذلك؟ . انه حملني بعد ما حاولت مزاولة مهن عديدة غريبة ان اوقف ذاتي اخيرًا في خدمة الاتراك واني الآن اسرد لك باختصار ما آلت اليه حالي قبل ان اصير تركيًّا واتمنّى ان

يكون لك هذا الدرس نافعاً ويجعلك حكيماً مدرباً فيسهل عليك ادراك فهم امور هذه الحياة على العموم وخصوصاً حياة امثالك المنتهين من دروسهم

حزتُ انا على الشهادة الدرسية وكان عمري ثماني عشرة سنة . . وكان اليوم المعدّ لتقديم الفحص النهائي يوماً ممطراً وكانت الثلوج تتراكم في الازقة . فتأففت من ذلك عند خروجي من باب الكلية وقلت ما اكثر الثلج والاوحال فانها تضايقنا . وكان ذلك على مسمع من احد مأموري التنظيف فالتفتَ اليَّ وقال: سنأتي على تنظيف هذا كلّه قبل المساء واذا احتجنا الى عملة وفعلة فاننا سنجد غدا حتى ثلاثة الآف عامل من متخرجي المدرسة الجدد الذين سيأتوننا طالبين عملا . فعددتُ في نفسي هذه الكلمة وقاحةً منه ولكن باللاسف فانه لم يطل بي الامر حتى ظهرت لي حقيقتها المحزنة

وكنت قد انكببتُ منذ خروجي من المدرسة على درس الحقوق مدى سبع سنوات لم احتج فيها الى فتح شهاداتي . وبعدها اخيراً صرتُ في مصافّ المحامين . فأتى اليوم الذي وجب عليَّ به ان اقف مدافعاً لاوّل مرّة وذلك عن شخص اخذ من اخر بعض آنية وانكرها عليه . وكنت وَجِلًا في تلك الساعة بهذا المقدار حتى اني اتّشحتُ بثوب قصير لم يبلغ ركبتيّ فكان ذلك مدعاةً للضحك حال دخولي قاعة المحكمة . فنبّهني احد اصدقائي بلطف الى وجوب ابداله . فذهبتُ وابدلتهُ بثوب آخر كان هذه المرة طويلًا حتى اني عند الدخول عثرتُ بأذياله وانطرحت في القاعة وبوسعك ان تدرك كم احدث ذلك من الضحك حتى ان القضاة لم يلبثوا ان برّأوا ساحة الذي كنت ادافع عنه مثلي مكافأةً لي على إضحاكهم . فربحتُ القضية بدون سابق امل بذلك . ولكن رغم هذا النجاح ظللتُ احسب ذاتي دون مهنة المحاماة وكتبت بذلك لأهلي . فجاءني جوابهم وفيه هذه العبارة ومؤدّاها «ان السنّة الطبيعة تقضي بان افراخ العصافير عندما تنبت جوانحها يجب ان تقوم بذاتها بجميع احتياجاتها» . فهذا المثال جعلني ان افكر مليًا وكنت اعلم بانه ليس لي ان اطيل اتكالي عليهم فرأيتهم على صواب برغبتهم في ان يروني اقوم وحدي بأودي وكيف لا يمكن ذلك؟ ومن تراه يظن بان رجلًا مثلي بيده الشهادات العلميّة وهو مع هذا محام لا يستطيع ان يكتسب بسنة مثل ما يكتسب التاجر؟ فقلت في ذاتي: يجب ان يكون في جناحي قوّة الطيران

وكان آنئذ انَّ الاستاذ الذي درستُ عليه القراءةَ محتاجٌ الى معلم بعد ما تركه لاحتراف التجارة المعلم الذي كان عنده فطلبتُ ذلك المحلّ وادركتهُ بفضل ألقابي العلمية وكان كسبي منه ثلاثين فرنكاً شهرياً مع اكلي وشغل اربعة عشرة ساعة في النهار فتدرَّعتُ اولاً بقوّة الارادة واحتملت ذلك في الشهر الاول ولكني اقرّ ان صبري نفد في اخره فتركت الاستاذ وتلاميذه غير مأسوف عليهم . وعددتُ ذاتي سعيداً بالدخول حالاً في حاشية بعض الوجهاء لتعليم احد اولاده مبادئ اللغات القديمة . فكان ذلك احسن من الحال الاول ولكني لسوء الحظ لم اتمكن من الاتفاق مع تلميذي الجديد وما عتّموا ان نبذوني من الخدمة

واخبروني اذ ذاك ان في احدى النظارات اشغالاً هامّة يطلبون لقضائها الاكفاء فقصدتها حالاً وقابلتُ احد المعاونين وكان على صدره وسام وعلى انفه نظّارة زرقاء فقلت له : اني اودّ الدخول في النظارة كمساعد واخذت اسرد لهُ شهاداتي واعدد له معارفي . فقال لي : اكتب استدعاءك على ورقة لنتمكن من روّية خطّك . وادار قفاه . فخرجتُ شاعراً بالاهانة . ومع ذلك كتبتُ استدعائي بخط جميل يحسدني عليه اشهر الخطّاطين ولبثتُ انتظر جوابه . وبعد ستة اسابيع تلقّيت خبر تعييني . وكان ان في مدة هذه الاسابيع لم اتمكن من العمل ولم أرد ان أعلم اهلي بان شهاداتي تتركني اتضوّر جوعاً فتراكمت عليَّ بعض الديون . اخيراً دخلت النظارة وقلبي يتطلّع الى ما ستحتاج اليه الحكومة من رجل بقدرتي فقادني المعاون ذو النظّارة الزرقاء الى منضدة يعلوها كداسة اوراق وعلى كل منها رقمٌ معلوم فقال لي : عليك ان تنظم هذه الاعداد بترتيب الارقام وخرج . فوقفتُ افتكر بان هذه المهنة هي اولى باحد الاغبياء اكثر مما هي بدارس نابغة مثلي . ومع ذلك لم انبس ببنت شفة بل اخذت بترتيب تلك الاوراق ولم آتِ على اخرها الّا بعد مضي نحو شهرين ونصف مع العمل اثنتي عشر ساعة في النهار وبعد ما اكملتُها اعلمتُ المعاون بذلك فقال لي : « حسناً وها اني ارسل لك ما تعمله » . واذا باثنين من خدَم النظارة أقلّا باقلّ من عشر دقائق رزماً جديدة من مثل تلك الاوراق تضاهي بل تنيف عن التي وجدتها يوم دخولي . . فاحتدمتُ غيظاً ولكن كان يجب عليَّ ان اتمالك ذاتي

اما المعاونُ ذو النظّارة الزرقاء فقد كان مضحكاً بحركاته ولم يكن يدخل عليَّ

مرةً دون ان يُسمع صوته الأجش مردداً هذه العبارة يريد بها التهكم قائلاً : « أما وجدتم الخطأ ؟ » . فاردت اخيراً ان أظهر له خطأه لعدم تقديره ما بي من الكفاءة فنظمتُ قطعة شعرية سخرية به وقرأتها لجاري في العمل وكان هذا ايضاً من ذوي الشهادات العلمية وكانت مهنته في النظارة قائمة بثقب اوراق مذيلة وربطها مع بعضها بخيوط حمراء وكان يشطّ احياناً في عمله فيحسدني على سهولة عملي . فوجد شعري مضحكاً واعجبهُ غير انه لم يخرج في المساء حتى اخذ يفتش عن المعاون واخبره بذلك . وفي الغد جاء المعاون باكراً على خلاف عادته واستدعاني إليه ولوائح الغضب بادية بين عينيه وقال لي : باني ساكون بلا شك شاعراً نحريراً ولكني لا اصلح للخدمة في النظارة وصرفني شاكراً خدماتي . وبينما انا منصرف رأيت رفيقي يترك ثقب اوراقه ويجلس مكاني لترتيب الاعداد

ولم يكن كسبي من النظارة سوى الزهيد ولكن بما ان العمل لم يكن يترك لي وقتاً لأسرف به راتبي تمكنتُ من ايفاء بعض ديوني . ثم عدتُ فوجدت ذاتي بدون عمل ولم يكن مَن يطالبني غير انه لم يكن لي من دخل ايضاً ومع ذلك لم آسف على ترك مكتب النظارة فقد قال لي المعاون باني اكون شاعراً . فقلت في ذاتي : ان ذلك في الحقيقة هو ميلي فسأقف ذاتي في خدمة الأدب ولم أعُد لأفكر بان اقيد نفسي في كل مهنة تعرض لي على السواء . وكتبتُ رواية شعرية ذات فصل واحد جعلت بطلها المعاون ذا النظارة الزرقاء وحملتُها الى مدير احدى جوقات التمثيل فقال لي : اني سأقرأها فاذا وافقتني ووجدتُ لك مساعدا على تمثيلها فلا بأس من ذلك ولكن يجب ان انبهك ان لديَّ الان ١١٧ رواية من نوعها يجب ان يصير تمثيلها قبل روايتك . فتركتهُ وذهبت مفكراً بان اكرّس ذاتي لفرع من الادب يكون لي منه نفع اوفر . فاهتديتُ الى كتبيّ كان يطبع مُعجماً اشبه بدائرة المعارف . فاعطاني كلمتين لاكتب عنهما ما يجب . وكانت احداهما كلمة « سليمان » تبتدئ بحرف السين والاخرى تبتدئ بحرف الكاف . فكتبتُ عن الاولى مقالاً ضافياً طويلاً جمعتهُ من حيث تيسّر ذلك وكتبتُ عن الكلمة الثانية بضعة اسطر حسبما اقتضى معناها فنقدني عنها ربع فرنك . امّا المقال الاول الضافي الكبير عن سليمان فوعدني بدفع الاجرة عنه عندما يصل الى حرف السين (لأنَّ حرف الكاف قبل حرف السين عندهم

في الهجاء) فسألته اين هو في حروف الهجاء فقال انه لم يزل في حرف الباء وبعزمه ان يكتب كل سنة عن حرفين من الهجاء فقط . فطلبت ان يعطيني عملاً يُنقذني اجرته في الحال فاعطاني بعض كلمات لاكتب عنها وهي تبدأ بآخر حروف الهجاء . فشكرتهُ وانصرفتُ وفكري منشغل بما عساه ان يفيدني قوتي اليومي فرأيت ذاتي مضطرًا كما تقول العامة لتعليق لساني بالسقف . واني اظن انه لو جاءني في تلك الساعة مأمور لتنظيف الشوارع وعرَض عليَّ عملاً لما ترددت رغم شهاداتي العلمية عن ان آخذ المكنسة والممسح وانضمَّ الى مرؤوسيه . وجال بخاطري في تلك الساعة ان اذهب وآخذ محلًّا بقرب الجسر لتنظيف الأحذية مع كتابة تشير الى انَّ هناك احد متخرجي المدرسة في العلوم والمحاماة ينتظر كسب معاشه من جزّ صوف الكلاب . . .

وكان رأس السنة قد اقترب فاهتدى اليَّ بائع حلويات وطلب مني ان انظم له امثالاً وحكماً يضعها في حلوياته فلم اعجز عن ذلك بفضل النقل وتبديل ما انقله ونظمتُ بعض قطع للاعراس والولائم والولادات حسب الظروف

وكان هذا آخر عهدي بالشعر لانه لم يُكسبني خبزي واخذت اتأسف على ايام كنت فيها ارتب الاوراق في مكتب النظارة . وهذا الاسف ذكّرني بأني قد عملت الدخول في ذلك المكتب المتحوس استدعاء استلفتَ النظر لجمال كتابته فافتكرتُ في انه يمكنني ان اكون ناسخاً فطلبت ذلك وحصلت على مركز في احد مكاتب النسخ في غرفة ضيقة تفوح منها الروائح الكريهة فيها خمسة من النسّاخين الشيوخ ذوي اطواق وسخة وكان اثنان منهم ذوو شهادات علمية مثلي ومثلك . فكانت لي معهم على الاخص علاقات ودّية وكان احدهم بهيئة مهملة جدًّا لا يجيب مخاطبه الّا بهاتين الكلمتين مبتسماً : « ان الشبيبة هذّارة » . وكان الآخر يقول دائماً انه اكتشف على طريقة يمكنه بها ان يحصل على ثروة طائلة في همبورج غير ان نفقة الطريق كانت تنقصهُ دائماً للسفر الى هنالك . فقضيت سنةً تقريباً في تلك الغرفة انسخ لبعضهم مذكرات سفر او استدعاآت او حسابات واحياناً بعض روايات كانت تضجرنا اكثر من نسخ الحسابات

وبلغني في ذلك الحين موت احد اقاربي واني ارث منهُ زهاء اثني عشر الف فرنك — فتركتُ من ساعتي ذلك العمل . ولم اعلم كيف عرف حالاً ذلك الشيخ

صاحب الطريقة السُّهلى لادراك الثروة بذلك الخبر فأسرع اليَّ قائلاً: لا يمكنك ان تعيش من دخل ٥٠٠ فرنك سنويًا بل تعال معي لنذهب الى همبورج هنالك باتباع نصائحي تصير غنيًا وانا اكفل لك ذلك . فشككتُ اولا بالامر ولكنهُ اخذ يسحرني بربح الملايين حتى صرتُ اخيرًا اصغي اليه بطيبة خاطر فقال لي: «انك متوقد الذكاء ذو فطنة فيجب عليك ان تدرك كلامي» ثم اخذ يشرح لي طريقتهُ وكنت ذا فطنة كما قال ففهمتُ ما اراده وذهبنا معاً الى همبورج واخذتُ ألعب متَّبعاً نصائحه فخسرت خلال اسبوع واحد زهاء سبعة آلاف فرنك ونيف . فقال لي: انك خسرت بخطائك ومخالفتك مشورتي وما إخفاقك هذا الّا ليزيدني تمسكاً بطريقتي

فهززت رأسي وتركت هذا النصوح الغافل . غير اني عدت فلطفت من حدتي لان ما حصل قد فات وتعلمت على الاقل بان لا انشغل باللعب في المستقبل . وبعد ما طلبت من ذلك الرفيق على غير جدوى بان يعود معي لانه كان صافي القلب رغم اوهامه رجعتُ الى باريس وحدي وهناك اخذت ابحث عما بوسعه ان يجعلني غنيًا . وبما انه كان لم يزل في جيبي خمسة اوراق قيمة الواحدة الف فرنك وَوعدتُ ذاتي بان اكون متأنياً في بحثي اكثر من الماضي وقلت: لن اقبل ان اكون مدرساً باجرة ثلاثين فرنكاً ولن ارضى بان اكون ناسخاً ولن . ولن . . فيوماً ما سمعتُ احد الضباط يوصي مصوّرًا بان يعمل له رسمهُ قائلاً: « اني أعدّه لفتاة من بلادنا فاحذر من ان تكون هذه الصورة كثيرة الشبه بي لاني ارغب بان لا يعرفها اهلي » . فهذه القصّة جعلت فيَّ الميل للتصوير كيف لا ونحن في عصر التصوير الشمسي . فصرت مصوّرًا واشتريت الادوات اللازمة واتخذت لي مأوى في احدى الشرفات فلم تسوء الامور في مبتدأها وكان لي الشرف بان اصوّر مجّاناً كلَّ اصحابي تقريباً ولكن لسوء الحظ ان علومي التي لم تُغنِني فتيلاً حتى ذلك الحين اخذت تضرّ بي مذ ذاك بدلاً من ان تنفعني . ذلك اني اردت ان انتفع من المعارف التي اكتسبتها في الكيميا فازيد بذلك تحسين فنّ التصوير وبما انّي لم اكن غبيًا اكتشفتُ طريقةً محسّنة وناديتُ بها ولكن كان احد المصوّرين قد سبقني اليها ونال امتيازها قبلي فاقام عليَّ الدعوى باختلاس حقه وربح دعواه فمقتُّ مذ ذاك التصوير وبعتُ ادواتي جميعها

وقد كنت في كل تلك المدة لم ازل على طريقة الرغد في معيشتي فكان يشقُّ

عليَّ ترك بعض عوائد الرفاه فلم اكن لأرضي بهما كلّفني الامر بان البس ثوباً خلقاً او بان أعدم النار في غرفتي ايام القرّ . امّا جيبي فكان لم يزل فيه بعد خسران الدعوى ونفقات العدالة زهاء ثلثة الاف فرنك وهو مبلغ زهيد غير كافٍ لتحقيق الاماني التي حلمتُ بها للوصول الى هناء العيش وخفضه فقال لي احد اصحابي يوماً : بيدك ثلاثة آلاف فرنكٍ وانت متقاعس عن العمل ؟ ألا تعلم بانه يمكنك بهذا ان تحصل بسهولة على مدخول ستة آلاف فرنك ! فقلت له : لربما يكون ذلك بتربية الارانب . فقال : لا بل باللعب بالبورصة — فقلت اذا كان الربح في البورصة سهلاً بهذا المقدار فلماذا لا يُقبل جميع الناس على المضاربة فيها ؟ — فقال : لانَّ قوماً من البلهاء يخافون . ثم قال : نعم يا صديقي ان بعضهم يؤكد ان في البورصة الخراب وما هذا وحقّك سوى اشاعاتٍ نروّجها نحن المضاربين لتنفير المزاحمين ولكيلا تفسد الصنعة بالكثرة . واخذ يشرح لي بأيّة عمليّة يمكنني ان العب واربح دائماً واعاد على مسامعي مراراً بانهُ ليس عليَّ بان أجازف بشيءٍ من مالي حتى اقتنعتُ اخيراً بصحّة ما قال وصرتُ من دُعاة البورصة اخطر مختالاً في قاعة المضاربة بين قوم لهم من الاستقامة ما يُعرف عنهم !

فاسعدني الحظ مدة ثلاثة اشهر كنت اربح فيها كل يوم من خمسة عشر الى عشرين فرنكاً حتى سنحت الفرصة يوماً لتحقيق ارباح اوفر فدعاني صديقي ملحاً الى اغتنامها لان التصاعد في الاسعار كان مؤكداً . فلعبتُ آملاً بذلك وما عتّم ان صار هبوط هائل فخسرتُ مائة ليرة فأثّرتْ بي هذه الضربة ولم يبق معي سوى الف فرنك فاخذت أعمل الفكرة عن جديد في عملٍ ما — وكان ان استلفت نظري اعلانٌ على ورقٍ اصفر كُتبت عليه هذه الكلمات : « يُطلب بعض مستخدمين يشترط فيهم حسن الهيئة والهندام » فقدمت ذاتي للمحل المعيَّن وكانت هيئتي مرضيّة فأفهموني ما يجب عمله بان اخدم احدى المكاتب بترويج بَيْع الكتب . فهالني الامر اوّلاً غير ان بعضهم اكّد لي بان هذه المهنة تسرّ صاحبها وتكسبه المال الجزيل . فتأبطتُ يوماً إضبارة من الكتب وذهبت الى واحدٍ اعرضها للبيع فأوصد الباب بوجهي . ثمَّ تهدّدني الثاني بالشكوى والسجن بسبب ازعاجه . اما الثالث فبعد ما تمكنتُ من الدخول اليه صرفني خالاً حتى انه سألني عند انصرافي اذا لم اكن سرقتُ من

المستقبل اذا لم تكن مالكاً ناصيته هو الشقاء بذاته . انك لو كنت من العمال لما خشيتُ عليك من البؤس لان المجتمع الذي تعيش به يرأف بشديد السواعد اكثر من رجيح العقل وصاحب الصحافة والحجى . انك عالم وذكي وهذا ما يجعلني ان اخاف عليك الحياة لأن ما انت متصف به ليس من الضروريات الاولى للمعيشة وقد كثر اليوم مَن هم كذلك . فأمعن النظر بهذا وأعمل الروية . وفي الختام استودعك الله

أثران للشاعر الغزيري الخوري حنا رعد في مدح فرنسة

* تذكار خميني قد لما كانت السنة ١٨٧١ بعد حرب فرنسة والمانية ظنّ البعض ان اللبنانيين اذ رأوا الدولة المدافعة عنهم قد غلبها الالمان تراخوا بحبها وعدلوا عنها . فزار حينئذٍ لبنان القنصل الفرنساوي روستان فكان له استقبال فخم في كلّ الجهات واراد اهل لبنان بمظاهراتهم الجليلة ان يبرهنوا عن ثبات حبهم نحو فرنسة في السرّاء والضرّاء . ومن جملة ما انشده وقتئذٍ شعراء لبنان القصيدة الآتية للشاعر المجيد الخوري حنا رعد الغزيري ل . ش

حُبُّ لبنان لِدَولة فرنسا الفخيمة

حُبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركانِ ... لِفَرَنْسَ قام على ذُرى لُبنانِ
وغدا أَصيلًا في جَوارِحِنا ... تَزداد جِدَّتهُ بكلِّ أَوانِ
ولقد تمازج بالدِماءِ في جسمِنا ... كتمازُجِ الأَرواحِ بالأبدانِ
حبٌّ شرَّفهُ فرَنسُ بن لُبنانِنا ... بدم الفوارس ارفع الأثمانِ
أفما تصفحتَ التواريخَ التي ... تُنبيكَ عن حربٍ على الصُلبانِ
اذ حاولَ الاعداءُ رفعَ هِلالهم ... فوقَ الصَليبِ علامةِ الايمانِ
فهناكَ تنظرُ أنَّ اوَّلَ زاحفٍ ... لخلاصِ سوريا بنو شرّلانِ
اضحت فرنسا امَّ كلِّ حَمِيَّةٍ ... مذكورةٍ في غرَّةِ الأزمانِ
فتألبت فرسانُها وتقلَّدت ... بمُهنَّدٍ ومثقَّفٍ وسنانِ
منهم فريقٌ قد جَرَت فُلكٌ بهم ... وطوى الفدافدَ والصحارى الثاني
بَلَغَ الجميعُ الى اراضينا التي ... كانت باهل الجَوْر في غليانِ
لمَّا رأى آلُ الفرنسيس الأُولى ... نالوا السباقَ بغلبةٍ ورهانِ

الخصم يعثو مفسدًا في ارضنا حتمًا وا عليه حملة الشنآنِ
فتسابقت ابطالهم وتعاورت ايدي الكماة عواليَ المرّانِ
وتجاذبوا وتناجزوا مع مسلمٍ وتطاعنوا بمثقفٍ وسنانِ
كم سيدٍ بطلٍ همامٍ خلته أسدَ الشرى في الحربِ والميدانِ
مازال ينخزُ في الصدورِ وفي الطلى ويذيقُ اهل العيث كلَّ طعانِ
حتى تشتت شملهم متمزقًا وغدا الهلالُ بذلةٍ وهوانِ
كم من دماءٍ قد أريقت في الوغى حبًا بلبنانٍ وبالقطانِ
ما لي أجدّدُ غابرًا مع أنه في عامِ ستينَ وضوحُ بيانِ
إذ رامَ ملك الترك في لبنانِنا اعدامَ دين الحقِّ والسكانِ
طارت فرنسُ لنصرنا دون الورى ولطرد ذئبانٍ عن الحملانِ
ملأت بواخرها البحارَ وارضنا مُلئت باجنادٍ لها فرسانِ
لولا فرنسا ما نجونا من ظُبى سيفِ العدوِّ الساقلِ الخمّانِ
منها لنا أصلُ الحيوة وقد غدا منًّا لها الشكرُ بكل لسانِ
فاذا نسيناها فرنسا ساعةً فلتنسنا يدنا بل اليدانِ
كيف التناسي وفينا كلُّ بديعةٍ جادت بها من غامرِ الاحسانِ
ظنَّ الخبيثُ بمكرهِ ألبابنا قد غيّرتها طوارقُ الحدثانِ
إذ من تبرقع وجهها بكوارثٍ بتنا بليلٍ حالك الالوانِ
كسدت تجارتنا وأحبط سعينا وظللنا في خوفٍ وفي رجفانِ
لكنّنا راجونَ عودًا احمدًا لفرنسَ مع عزٍّ ورفعةِ شانِ
ماذا الرجاء وقد رأينا نهوضها من عثرةٍ وبدت بمجدٍ ثانِ
وفّت غرامتها ولنّت شغبها وتفاضلت في طاعةِ الرحمانِ
إنَّ العدى ظنّوا بأنَّ نهوضها إذ ذاك ممتنعٌ من الإمكانِ
فالله أيّدها وأعلاها على رغم الاعادي بعيدهم والداني
إذ من فرنسَ الكونُ يرجو غوثهُ فلها بكلِّ المكرماتِ يدانِ
او ما رأينا انها مع خطبها بعثت اساطيلًا الى لبنانِ
نسيت كوارثها ولم تنسَ الأولى كانوا على وجلٍ من العدوانِ

حتى ارتهم انها مع بونسها دوماً تقوم بحق كل ضمان
فليبقك المولى فرنسُ لدينا ولحفظ لبنان من البرحان
ولك الدعا منا على طول المدى تحيين تحيين الى الازمان

وللشاعر الموصى اليه ايضاً

وهو ثناؤه على فرنسة اذ وافت لنجاة النصارى

بعد حوادث السنة ١٨٦٠

كف البكا وامسح عيوناً تدمع واحفظ بقية مهجة تتصدع
صبراً ولا تهلك اسى وتفجعا فلعل سعدك في الطوالع يطلع
يا شرق امرك مذهل او معضل والقلب حيران لذاك وموجع
قد كنت كابدت المصائب جملة حتى دهتك مصيبة لا ترمع
لبنان ما هذي الجماجم والدما ما للمنازل وهي قفر بلقع
سوداء ينزل بالقلوب سوادها فكأن نازلها الغراب الاسفع
ان كان ضاق بك القضاء لنكبة لا تيأسن ففضل ربك اوسع
قد برقع الظلام وجهك بالشقا لا كاد ان ينجاب هذا البرقع
قرعت جوانب عرش ربك دعوة صعدت لديه عن حشى يتقطع
وذبائح بالجور فيك تقدمت قبلت ومنزلها المحل الارفع
واشتم عرف المحرقات لانها بازاء مقدسه الموقر تشفع
لما غدا مجد اسمه في بيته عاراً فغار وقال: يكفي المدرع
حتام تفترس الذئاب رعيتي فقطيعي المختار أوشك يقطع
ولقد اقمت لنصر شعبي ظافراً بطلاً تخر له الجهات الاربع
صحنا وكان الى فرنسا الصوت: يا نابوليون. أجابنا: لا تجزعوا
اني لمنجدكم وكاشف حزنكم برضى الاله فمن سواه يمنع؟
يا شبل ليث في فرنسا رابضاً وزئيره في كل قطر يسمع
يا عاهل الدنيا الذي يشكى له صرف الزمان وان نهاه فيردع

طال البلا والنيرُ صار باهظاً ... مَن ذا يُطيق النيرَ او من يخلعُ
جاد الغضنفرُ للعباد بنظرةٍ ... فارتدَّ قلبُ الجور منها يهلعُ
وثنى ودارَ كنا بجيش جحفل ... فرأى العدوُّ فحار فيما يصنعُ
بجزائر اتت الثغورَ وزمجرت ... منها الرعودُ بها العداةُ تخشّعوا
وكواسرٍ لا الهولُ في اوهامها ... هولٌ ولا الموتُ المُريع يروّعُ
فاذا سطت لا النارُ ترهبها ولا ... تحمي الجيوشُ ولا المدافع تدفعُ
منها الزؤاف ولم تكن يوماً سوى ال ... موت الزؤاف وكلّ عاتٍ موقعُ
بمقدامها الشهمُ المجرّب بالوغى ... يُوفرُ ترهبُ الجيوشُ وتخضعُ
فالرأي ماضٍ في ذكاه وقاطعٌ ... والسيف امضى في يديه واقطعُ
تلك البحور على البرور طغت ولا ... سدٌّ يصدُّ ولا حجاب يمنعُ
ليس الملا الّا المراكبُ والمدا ... كبُ والقواضب والقنا والادرعُ
ثمَّ الرابقُ والمرادق والبنا ... دق والصواعق والمنيّة تتبعُ
فتذكرتْ ارضُ الشآم وقائعاً ... كان الصليب لواءها لو ترجعُ
والناس ما بين المخافة والرجا ... كلٌّ لما هو اهلهُ يتوقّعُ
طلع الصليبُ فسُرَّ كلّ عبادهِ ... ولنصره عينُ الأعادي تدمعُ
بسمت ثغورُ بلادنا لأحبّةٍ ... هجروا فجلَّ بنا المصاب الافجعُ
سعداً ليوم بُشرت اعلامهُ ... انَّ الحيوة من المنيّة اسرعُ
يومٌ تضاعف بالحديد ضياؤه ... فيه الاسنّة كالاشعّة تلمعُ
يومٌ بدا وعيوننا بنهاره ... بتطلّعٍ وبليلهِ لا تهجعُ
لله درُّكِ يا فرنسا مركزاً ... للدين والدنيا اليك المرجعُ
فُقتِ الممالك مثلما الموكبا ... قد فاق عاهلك الاعزُّ الامنعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامةٍ ... فينا ولازال الشقا المستفظعُ
يا مُنيةً عظمتْ كعظمة ربّها ... هطلت فأمسكت الدما والادمعُ
عاشت بها الارواح بعد جفافها ... وغا أريجُ الشكرِ منها يسطعُ
بسنائها جيدُ البلاد مطوّقٌ ... وبذكرها قلبُ العباد مرصّعُ
لبّيكَ يا ملكَ الزمان فاننا ... لك بالفداء قلوبنا والاذرعُ

الدعوة الأمة السويسرية فانها بعد تصويت الشعب الموافق اصبحت نهائياً عضواً عاملاً في العصبة وذلك منذ منتصف ايار سنة ١٩٢٠

ولكن ما هو موقف الدول المعادية اي النمسة والمانية وبلغارية وتركية والبلاد الروسية تجاه عصبة الأمم ؟ اما البلاد الروسية فليس فيها حكومة شرعية معترف بها من الدول فلا عجب اذا رُفض قبولها . اما الدول الباقية فان المادة الاولى من العقد تنص انه «لا يحق لها الدخول في العصبة وان يحق لها ذلك الا اذا اعطت ضمانات حسنة عن حسن نيتها في القيام بكل ما تعهدت به وقبلت ان تراعي دستور العصبة فيما يختص بقواتها وتجهيزاتها الحربية في البر والبحر والهواء وايضاً على شرط موافقة ثلثي اعضاء جمعية الأمم في قبول تلك الدول »

وقد استغرب فريق عدم قبول الدول المركزية وحلفائها في عصبة الأمم فقال بعضهم ان جمعية الأمم من اساسها ان تكون مؤلفة من كل الشعوب والا فانها تكون غير كاملة ولن تصيب الهدف الذي ترمي اليه وهو صيانة السلام في العالم اجمع وبالعكس فانها تبدو كحالفة لشعوب ضد شعوب . ولكن الجواب على ذلك سهل وهو ان غرض عصبة الأمم تحقيق وضمان حالة السلام ونشر مبادئ الحرية والعدالة والمحافظة على المعاهدات الدولية فكيف يجوز قبول دول برهنت باعمالها الهمجية انها تسعى دائماً في تشويش ذلك السلام غير مكترثة بحفظ عهودها ومعاهداتها؟ وقد قال احد الكتبة فرانكليس (Frangulis) « ان فكرة الاتحاد والعيش بالالفة تستدعي وجود اعضاء متجانسين مدركين ولا يمكن القبول بينهم باعضاء لا تحدثهم النفس الا بالإنقضاض والافتراس » (١)

ولا جرم ان في ابعاد الدول المذكورة يُحدَّد ميدان عمل العصبة وذلك افضل من ان تكون تلك الدول عرقلة في طريقها بل مانعاً لأعمالها لأنه كما سنرى لا يُنفَّذ قرار من قرارات العصبة الا باتفاق الاراء فيكفي والحالة هذه من معاكستها فتتوقف كل مساعي العصبة الحسنة

لكن الاشد غرابةً من هذا هو ان الولايات المتحدة لم تشترك في جمعية الأمم . تلك الدولة التي بفضل رئيسها قد ظهرت عصبة الأمم الى عالم الوجود ابت بلسان

(١) مجلة الحقوق الدولية سنة ١٩١٦

مجالس شيوخها ان تدخل فيها ونفوذ اعداء العصبة في الولايات المتحدة وهم الجمهوريون آخذٌ بالازدياد الامر الذي يدلُّ على ان دخولها لا يتمّ بالمستقبل القريب

ومن جهة اخرى يوجد امر يستلفت النظر وهو عدم دخول الفاتيكان. وبالحري البابوية في العصبة . وبالحقيقة يظهر ان ذلك قد قصده مؤسسو العصبة قصداً صريحاً لأنهم أَبَوْا الاّ ان يستعملوا في عقد جمعية الأمم كلمة « دولة » . وبموجب قواعد الحقوق الدولية لا يُطلق اسم دولة الّا على سلطة حاكمة على بلادها ومعلوم أن منذ سنة ١٨٧٠ قد نُزعت من البابوية كل سلطة زمنية وبذلك استحال دخولها في الجمعية لانها ليست بدولة . فلو كانوا استعملوا كلمة « سلطة » لكان الضدّ بالضد لانه ما من احد ينكر ان الكرسي الرسولي هو سلطة معنوية عظيمة الشأن . هذا من الجهة الشرعية . ونكتفي بالقول من جهة اخرى ان مؤسسي العصبة باعمالهم البابوية تلك السلطة التي قرّ لها اعداؤها واصدقاؤها انها اكبر سلطة معنوية في العالم ذات النفوذ الفعّال على اكثر من ٢٥٠ مليوناً من سكّان العالم المتمدّن قد حرموا جمعية الأمم من انجع الوسائط لتحقيق امانيها

وقد شاع خبرٌ مآله ان الكرسي الرسولي التمس من عصبة الأمم قبوله فيها وانها ردّت طلبه ردّاً باتّاً لكنّ هذا الخبر كان اشاعة محضة عارية عن كل صحّة وقد كذبهُ كاتم اسرار البابوية الكردينال كاسباري تكذيباً رسمياً صريحاً . وقد شاع خبر اخر بهذا الشأن وهو ان المندوب الانكليزي في عصبة الأمم طلب اليها من تلقاء نفسه قبول الفاتيكان ولكن لم يتجاوز هذا الخبر حدّ الاشاعة . امّا عدد المندوبين فلكل دولة مندوبٌ واحد في عصبة الامم استعماريّةً كانت ام لا ما عدا انكلترة فان لها صوتاً كسائر الاعضاء ثم ان لكل واحدة من مستعمراتها كالهند وكندا واوستراليا وزيلاندة الجديدة وافريقية الجنوبية صوتاً آخر . والحجة في ذلك ان تلك البلاد ليست مستعمرات في حصر المعنى لان لها من الاستقلال وشكل الهيئة الحاكمة فيها المنفصلة عن نفس البلاد الانكليزية ما يكفي ان يجعل نفوذ السياسة الانكليزية المحضة بعيداً عنها ويجعلها اهلة ان تضاهي الدول المستقلّة القائمة بذاتها . تلك حجج على ما يقال اتخذتها انكلترة حتى تضمن سيادتها ونفوذ كلمتها في جمعية الأمم . فاذا افترضنا أنه اشكلت مسئلة وتضاربت فيها الاراء فبديهيّ ان الارجح انحياز

مندوب اوسترالية ام كندا الى انكلترة فيقوى بذلك نفوذها وترجح كلمتها

هذا هو تشكيل جمعيّة الأمم حاليًا فيكون عدد اعضائها الاصليين مع الدول التي بقيت متحايدة في الحرب والمدعوة للاشتراك خمسة واربعين وفي المستقبل سيكمل العدد بقبول المانية والنمسة وبلغارية وتركيّة وكل الدول الجديدة ويبلغ الستين . فتمتدّ حينئذٍ سلطة عصبة الأمم على جميع انحاء المعمور

امّا تركيب العصبة الداخلي فهو على الصورة الآتية . تنقسم العصبة الى ثلاثة اقسام :

١) الجمعيّة العموميّة
٢) المجلس التنفيذي
٣) كتابة الاسرار

(فالجمعية العموميّة) مؤلفة من مندوبي الشعوب المشتركة في العصبة . ولكل شعب ثلاثة مندوبين وصوت واحد . امّا صلاحيتها فهي غير محدودة والنصّ المتعلق بهذا الخصوص مطلق يفتح مجالًا للتأويل وقد اتفقوا على ان لها الحق ان تنصب هيئةً تحكيميةً لتبتّ المنازعات التي تقوم بين أمّتين ولتنتخب اعضاء المجلس التنفيذي غير الدول الخمس الكبرى ولها ان تدعو اي وقت ارادت اعضاء العصبة حتى ينظروا في المعاهدات التي اصبح تنفيذها خطرًا على السلام العامّ وان توافق باكثرية الاراء على كل تنقيح منوي ادخالهُ في عقد عصبة الأمم ولها ان تفسّر بنود المعاهدات الدولية الوعرة الفهم ونقط الحقوق الدولية الغير الواضحة تمامًا الخ

اما (المجلس التنفيذي) فقوامهُ الاساسي الدول العظمى الخمس وهي فرنسة وانكلترة والولايات المتحدة وايطالية واليابان وقد سموها الخمس الكبيرة (Grands Cinq) واربعة شعوب اخرى تنتخبهم الجمعية العمومية في الاوقات التي تراها مناسبة وهي الآن بلجيكا والبرازيل واسبانية واليونان ولكل من هذه التسع دول مندوب واحد وصوت واحد ولكن عند ما توضع على بساط البحث مسئلة تهمُّ دولةً ليس لها ممثل حاليًا في المجلس فلها ان توفد خصيصًا لهذه الغاية مندوبًا يدافع عن حقوقها في تلك المسئلة لا غير

المجلس التنفيذي هو العضو الأهم بل محور جمعية الأمم ولا يوجد في العقد بند صريح يحدد صلاحيته كما هي الحالة للجمعية العمومية واكنا نرى من مطالعة كل العقد ان من وظائفه انتخاب كاتم الاسرار العام والمصادقة على تعيين كتمة الاسرار الباقين وتعيين محل اقامة الجمعية وتهيئة كيفية ومقدار تخفيض التسليحات وله ان ينصب هيئة تحكيمية تفض خلافاً وقع بين دولتين. وتدل هاتان الوظيفتان الأخيرتان صريحاً على اهمية المجلس لانه لا وصول الى غاية عصبة الأمم الا بواسطتها

وقد بدأ المجلس باشغاله وهو يوالي اجتماعاته في رومة وفي باريس وفي لوندرة وقد اتخذ بعض القرارات مثل عقد مؤتمر دولي في بروكسل للبحث في المسائل الاقتصادية والمالية وقد عين لجنة خصوصية لتقدم له تقريراً بخصوص التجهيزات الحربية وهو آخذ بالسعي في ان يرجع الى اوطانهم الاسرى الالمان والنمسويين الذين لم يزالوا معتقلين في سيبرية وقد طلبت عصبة الامم بواسطته الى الولايات المتحدة ان تقبل الوصاية على ارمينية الخ

وقرارات المجلس مثل قرارات الجمعية العمومية تتخذ باتفاق الآراء فاذا نقص صوت واحد فسد القرار. ذلك ما عدا القرارات التي تختص بالمعاملات فان رضى الاكثرية فقط يجعلها قابلة التنفيذ

قلنا ان جمعية الامم لها عضو ثالث وهو (كتامة الاسرار) فهي مثل المجلس قد ظهرت الى عالم الوجود ورئيسها الحالي هو انكليزي اسمه درومند (Eric Drummond) يمكن تغييره وتعيين غيره بموجب قرار من المجلس وتصديق من الجمعية العمومية. وليست كتامة الاسرار عضواً عاملاً وانما أنشئت لتكون الصلة بين الدول من جهة والجمعية العمومية والمجلس من جهة اخرى. ويحق للرجال وللنساء على حد سواء ان يكونوا من اعضاء جمعية الأمم

ثانياً صلاحية جمعية الامم

صلاحية جمعية الامم تنحصر في خمس نقط وهي :

١) تنقيص الجهاز الحربي لكل الدول. ٢) حل المشاكل الدولية بصورة سلمية. ٣) استعمال الوسائط اللازمة لتنفيذ القرارات وحفظ دستور العصبة.

٤) اعطاء الوكالات على كل البقاع التي خرجت من تحت سيادة المانيا وحلفائها .
٥) جعل المعاهدات علنية

١ تنقيص التسلحات

من البديهي انه كلما قلّت التجهيزات الحربية عند امة خفت عندها فكرة محاربة غيرها . ومن البديهي ايضاً انه غير ممكن ان يطلب من امة ان تقلل من تسليحاتها اذا بقيت جاراتها بجهاز اهمّ من جهازها يجعلها ان تتمكّن من شن الغارة عليها متى ارادت . هذان امران نظر اليهما مندوبو مؤتمر الصلح من جهة واعتبروا من جهة اخرى انه لا بد من وجود قوة ما تحت امر السلطة الحاكمة في البلاد لتقدر ان تحفظ السلام الداخلي كما انه لا بد من ذلك للقيام بواجباتها الدولية اذا ما سنحت الحاجة

فبناء على ذلك ان المجلس التنفيذي مكلف ليهيّئ كيفية هذا التنقيص لكل دولة على حدة آخذا بنظر الاعتبار موقعها الجغرافي واحوالها الخصوصية فان الدولة المحاطة من كل جهة بدول اخرى تطمح الى الاستيلاء على بلادها يمكنها ان تجهز جيوشاً أوفر من جيوش غيرها . فأن فرنسة مثلاً « وهي قائمة على حدود المدنيّة » كما قال الرئيس ويلسن مهدّدة اكثر من غيرها فيجب ان يكون جهازها الحربي اهمّ من دولة اخرى مثل ايطالية او الولايات المتحدة

وبعد ان يهيّئ المجلس كيفية ومقدار هذا التنقيص يطرحه على الدول المشتركة في العصبة لتصادق عليه وبعد المصادقة يُفرَض نهائياً على كلّ دولة ان تلزم الحدود الموضوعة ولا تتجاوزها الّا برضى المجلس وهذا الرضى لا يتمّ الّا باتفاق الآراء بلا استثناء وهذا شيء صعب المنال نادر الحصول . ويجب في كل عشر سنين النظر مجدّداً في قرار المجلس هذا واذا اقتضى الامر في تنقيحه

اما الآن هل يتسنّى لجمعية الأمم ان تصل الى هذا المرمى وهو تنقيص تسليحات كل الأمم ؟ . هل يوجد عقبات وعوائق تحول دون هذه الرغبة هل يوجد دولة تأبى ان تنقص جهازها الحربي الى الحدّ الذي قرّ عليه قرار العصبة فتجبر حينئذٍ الدول المجاورة لها ان تحافظ على ما لديها من السلاح والجنود خشية منها وهلم جرّاً ؟

وعلى مَ يستند المجلس في وضع قراره وهل يمكن ان لا يوجد دولة مغبونة

وذلك على عدم معرفة من طرفها ومن ثمَّ الا يجوز وقوع حادث ما قبل مضي العشر سنين يقلب الميزانية فتصبح دولة متفوقة على اخرى مع انها لم تتعدَّ الحد الموضوع. لنفترض مثلاً ان المانية اتفقت مع سويسرة بان تتخلى تلك للاولى عن قسم من اراضيها ذي اهمية من الوجهة العسكرية فاصبحت هكذا فرنسة مهددة من نقطة كانت تظنها غير معرضة للهجوم. ولو افترضنا ان تحديد التسليحات كان معتدلاً لا حظاً فيه لدولة اكثر من اخرى أفلا يحفظ الموازنة التامة ويمنع كل تفوق دولة على اخرى سيما وان اخفاء المعدات الحربية وستر تهيئة قطع من الجيوش امر ليس بالمستحيل. وهل للعصبة ان تعلم ما توصلت اليه امة من اختراعات ابقتها مخفية عليها ان تستعملها بغتة فتضمن لها النجاح في هجماتها ؟

واننا نرى الان الأمم نفسها المشتركة في عصبة لا تبالي بتحديد التسليحات فانَّ بعضها قررت ان تزيد عدد جيوشها عما كان قبل الحرب. وحكومة الولايات المتحدة تطلب سنَّ قانون الخدمة العسكرية الاجبارية وتفاخر بأنهُ بعد بضع سنين سيكون لديها اسطول يضاهي اعظم اسطول في العالم. وكذلك بلجيكا زادت عدد وعدَّة جيشها. أيدلُّ هذا على حسن نية في تطبيق مبدئ العصبة. بينما يفكر المجلس في مسئلة تنقيص التسليحات وقد شكل في جلسته الاخيرة لجنة قوامها اختصاصيون من ضباط جيوش البحر والبر والهواء لدرس هذه النقطة

٢ هل المشاكل الدولية بصورة سلمية

هذه هي النقطة الجوهرية الاساسية في كل جمعية الامم. يقول الحكماء انهُ طالما يعيش الآدميون على هذه الارض وطالما الانسان على فطرته المعلومة لا بدَّ من تنافر بين المصالح ومنازعات وكذلك يكون بين الامم وليست هي الا مجموع افراد. فيجيب ارباب السياسة انَّ الايام تقلبت والاحوال تطورت فاصبح الفردُ مجبوراً على ان يلتجئ الى المحكمة ويطلب حقهُ منها لا من السيف فلماذا لا يكون الامر كذلك عند الامم ألم تصل الامم الى حد كافٍ من المدنيَّة ليحق لها ان تتخلص من هذه الطريقة الهمجية وهي الحرب

ومن ثمَّ قد وضع عقد عصبة الأمم في هذا الصدد القواعد الآتية : اذا وقع

بين امم مشتركة في العصبة خلاف ما لا يجوز لها أبدًا حلّهُ بالسلاح بل انه يجب ان ترفعه الى هيئة تحكيمية تختارها حسبما شاءت اذا كان هذا الخلاف قابلًا حلًّا شرعيًا فهذه الواسطة هي التحكيم . واذا كان هذا الحل غير ممكن اي اذا استحال فضّهُ استنادًا الى القوانين الدوليّة والمعاهدات السابقة فانه يُلتجأ الى الوساطة . والهيئة المتوسطة تكون اما المجلس التنفيذي نفسه اما الجمعيّة العمومية . قد نووا بخصوص التحكيم ان ينشئوا محكمة عدلية دولية دائمة وقد شُكلت لجنة لدرس هذه المسألة

واذا نظرنا الآن في مفعول هاتين الواسطتين لمنع شبوب الحرب فلا بدَّ من تقديم بعض الملحوظات . فلنفترض انه قد رُفع من طرف المانية وفرنسة لدى المجلس خلاف بينهما ولم يتوفق المجلس لوضع قرار اتفقت عليه كل الآراء . فبما ان قرارات عصبة الأمم ليست معتبرة اذا لم تتّفق عليها الاراء فيكون الخلاف هذا بين فرنسة والمانية اصبح غير قابل حلًّا ما سوى الحرب . ولنفترض انهُ لم يرضَ الفريقان بحكم المحكمة او انهما ليسا في جمعية الامم او ان فريق طلب ان يرفع الخلاف لدى هيئة تحكيمية والفريق الثاني ابى ذلك فما ان الحرب تنشب في كل هذه الاحوال ولا جرم ان هذه الاحوال ليست بالنادرة . وخلاصة القول ان كل هذه الوسائط ليس لها مفعول بنفسها وانه اذا عزمت دولة على محاربة اخرى فلديها وسائط شتى — ونصّ المعاهدة نفسه يوفّر لها كثيرًا منها — توصلها الى غايتها بدون ان تستوجب معاقبة من طرف الدول الأخرى

٣ الوسائط لتنفيذ قرارات جمعية الامم وحفظ دستورها وقوانينها

تلك الوسائط تظهر الى حيز العمل اذا عبثت دولة من الدول المشتركة في الجمعية باحدى تعهداتها وهي المنوه عنها في البنود ١٢و١٣و١٥ من عقد الجمعيّة فمثال ذلك ان امة شنّت الغارة على غيرها بدون ان ترفع الخلاف الى هيئة تحكيمية ام بدون ان تلتجئ الى الوساطة او اذا حاربت خصمها قبل مضي ثلاثة اشهر على قرار المحكّمين او المتوسطين الخ فبهذه الاحوال تعدّ الدولة هذه كأنها فعلت فعلًا عدائيًا ليس فقط نحو خصمها بل نحو جميع الأمم الأخرى اعضاء العصبة فتقطع جميعها

حالاً مع تلك الأمة المعتدية كل علاقاتها التجارية والمالية وتمنع كل علاقة بين رعاياها ورعايا الدولة الخائنة وبعد ذلك تشهر عليها الحرب وتتعهد بأن تسهل بكل ما بوسعها الحركات الاقتصادية والعسكرية مثل السماح بمرور الجنود المتوجهة ضد العدو العمومي وبكلمة اوضح تتعهد كل الأمم بمحاربة كل امة لا تحترم تعهداتها

قلنا «تتعهد الأمم» ولكن ما الذي يرغمها على المحافظة على تعهدها اذا وجدت في الحياد صلاحاً ؟ ما هي الواسطة الناجعة اذا ابت دولة ان تشترك بهذه الحرب مثلاً اذا هاجمت المانية فرنسة فما الذي يجبر الدول الأخرى على مساعدة فرنسة لاسيما اذا كان لهذه الدول مصالح شخصية تمنعها عن معاداة المانية ؟

وقد رأينا مؤخراً عدم فاعلية هذا التعهد فأن العجم وهي من اعضاء العصبة قد استغاثت بالعصبة عندما هجمت عليها الجنود البولشفية فما كانت النتيجة ؟ التأمت جمعية الأمم وتوالت الاجتماعات لتجد منفذاً تتصل به من تعهدها وبانتظار النتيجة ذهبت دولة العجم فريسة البولشفية

٤ اعطاء الوكالات على كل البلاد التي انفصلت عن الدول المركزية وحليفاتها

تلك البلاد وهي مستعمرات المانية في افريقية الشرقية وافريقية الجنوبية والكامرون والتوغو وكل البلاد التي انفصلت عن المملكة العثمانية وهي سورية والعراق وارمينية

وأس فكرة الوكالات هذه هو ان تلك البلاد لها الحق مبدئياً بالاستقلال ولكنها لم تزل قاصرة فشبهوها بالأفراد فكما ان الافراد قبل رشدهم يعين لهم وصاة فكذلك تلك البلاد بما انها لم تصل بعد الى حد من الرقي والمدنية يسمح لها ان تحكم نفسها بنفسها فأن عصبة الأمم قررت انها هي مكلفة بتدبير شؤون تلك البلاد لغاية بلوغها الرشد . ولكن بما انهُ لا يتسنى لجميع الدول القيام بهذا العمل بالتعاون سوية فانها (اي عصبة الأمم) تقيم وكيلاً عنها يكون وصياً على كل بقعة من هذه البقاع الدولة التي تجدها موافقة من حيث رقيها ومداخيلها وموقعها الجغرافي وهي مكلفة بالقيام بامور البلاد القاصرة واعطائها الارشاد اللازم لتقدر

ان تصل الى الغاية المومى اليها وهو الرشد التام حيث يجب على الوصي حينئذٍ ان ينسحب ويترك البلاد حرةً كما يترك حرا الشاب البالغ الواحدة والعشرين من عمره. وفي مدة الوصاية لا يكون الوصي مطلق اليدين يفعل ما يشاء ويحكم كيفما اراد بل ان عليه ان يقدم سنويًا الى الموكل اي عصبة الأمم تقريرًا مبينًا فيه اعمال وكالته

ولا تكون الوكالة متشابهة في كل البلاد المذكورة بل ان شروطها تختلف مع درجة الرقي التي موجود فيها القاصر اي البلاد المار ذكرها . فان الوكالة لا ريب تكون اوسع واشدّ في الكامرون وافريقية الجنوبية واخفّ والطف في سورية وارمينية حتى ان عقد عصبة الأمم نفسه في بحثه عن تركية يطلب ان تؤخذ بنظر الاعتبار تمنيات تلك الشعوب في سورية والعراق وارمينية فيما يختص بتعيين وصاة عليهم

والآن لننظر في حقيقة هذه الوصايات وما هي حقيقة فكرة تأسيسها وما الفرق بينها وبين الفتوحات والاستعمارات السابقة

ليت شعري ما الفرق بين السلطة الانكليزية القائمة في المستعمرات الالمانية القديمة والسلطة الموجودة في المستعمرات الانكليزية الاخرى ؟ ما الذي يفرق بين البلاد المستولى عليها بعد انكسار المانية والبلاد المستولى عليها قبلًا ؟ . لماذا يعتبرون الاولى مستقلة مبدئيًا والثانية مستعمرات محضة ؟ بل ما الذي يضمن لاهالي تلك البلاد « القاصرة » انها ستكون حرةً يومًا ما ؟ من الذي يضع حدًّا لهذا العقد وما هي العلامات الدالة على ان تلك الشعوب اصبحت راشدة وصارت أهلًا لان تحكم نفسها بنفسها ؟ اهي السلطة الوصيَّة اي المستعمِرة ؟ فاذ كان الامر كذلك لا امل لاستقلالها . اهي جمعية الأمم ؟ ولكنه لا يوجد نصٌّ يخوّلها هذه الصلاحية واذا افترضنا ان لها هذه الصلاحيَّة فمن الذي يجبر الدولة المستعمِرة على اخلاء البلاد وبأيّ وسائط ؟

والحق يقال ان بعض الأمم « المتمدنة » لم يزل يخالجها حبّ الفتوح والاستعمار أما رأينا مثلًا انكلترة اتخذت تلك الكلمات مثل « وصاية » و « قصر » و « حماية » واشباهها كحجاب تستر به هذه العواطف اذ رأت كل الشعوب الراقية والدانية تائقة الى الحرية والاستقلال . ولعمري ان طبيعة الانسان لم تتغير من الوف السنين فان الرومانيين الاقدمين كانوا عندما يفتحون بلدة ويفقدونها استقلالها وحريتها يلقبونها

«حرّة» او «حليفة». فعسى ان لا تكون الالفاظ الجديدة كثيرة لبعض المطامع

ثالثاً لمحة تاريخية في جمعية الامم

بمقتضى المادة ١٨ من عقد جمعية الأمم يجب على كل معاهدة او اتفاق دولي يعقد في المستقبل ان يسجل حالاً في كتابة اسرار العصبة وهذه يجب عليها ان تذيعه في اقرب وقت ممكن في جريدة عصبة الأمم الرسمية التي ستنشأ عن قريب ولا تصبح المعاهدة او الاتفاق اجبارياً لكلٍّ من الفريقين الّا اذا سُجلا . وهم يؤمّلون بهذه الواسطة اجتناب الاتفاقات السرية التي طالما سببت الحروب والتي لم يكن لها المفعول السيء الّا لانها بقيت مخفيّة

٦ لمحة تاريخية في جمعية الامم

جمعية الأمم ليست كما يخال لاوّل وهلة شيء مبتكر جديد ابتدعه الرئيس ويلسن ولم يخطر ببال احد من قبله بل انها وجدت من زمن مديد وابوّتها ليست راجعة الى رجل اميركي كما سترى

ان فكرة جمعية الأمم قد تطوّرت فكانوا في طورها الاول — وذلك في عهد الرومانيين — يعنون بها حياة الامم متحدةً في راحة وسلام تحت سيادة امّة واحدة. وهكذا لهمتها الثانية فانها كانت تؤمل جمع كل الشعوب تحت سيطرتها. هذه هي جمعية الامم حسب الفكرة القديمة اما الآن فانهم يعنون بجمعية الامم الاتفاق بين جميع الامم الحرّة لضمان حرية واستقلال كل واحدة منها وحفظها من كل تعدٍّ . فالفرق بين هاتين الفكرتين لا يخفى شاسعٌ اذ بينما نرى الاولى ترمي الى سيطرة امّة واحدة على امم اخرى نرى الثانية ومبدأها الاساسي منعُ سيادة امّة على اخرى بل انها لم تظهر الى عالم الوجود الّا بعد تهيّج العواطف القومية الوطنية . فاننا في بحثنا هذا نترك الاولى وشأنها ولا ننظر الّا في جمعية الأمم مثلما نفهمها حالياً فنقول : ما خرجت الانسانيّة من حروب دامية طويلة الّا بذلت جهدها في ايجاد طريقة في اجتناب الحروب المستقبلة كيلا تفجأها مرةً ثانية . فمن جملة تلك الوسائل كانت عصبة الأمم . واول بزوغ فكرتها كان في فرنسة . فأن كاتباً افرنسياً اسمه امريك كروسي (Emeric Cruci) قد فكر سنة

١٥٢٣ ان يوطد حالة الصلح بالطريقة الاتية وهي ان يتألف مجلس مركب من سفراء كل الدول المستقلة مهمتهُ ان يحلَّ سلمياً كل المشاكل الدولية وشرط ان يحلف كل رؤساء الدول يميناً في ان يحترموا وينفذوا كل ما يقرره هذا المجلس باكثرية الاراء وان يشهروا الحرب على كل امة لم تذعن لتلك القرارات

وقام بعد كروسي في خاتمة حروب الدين الشهيرة التي خضبت وجه اوربة بالدماء سولي (Sully) وزير ملك فرنسة هانريكس الرابع فنصح ملكه وجميع ملوك زمانه ان يؤلفوا عصبة من خمسة عشر ملكاً في درجة واحدة من القوة والسعة ينوب عن كل واحد منهم مبعوثان يؤلفون مجلساً له الصلاحية في ان يحكم ويفض كل خلاف يقع بينهم ويتعهد كل هؤلاء السلاطين بأن يحاربوا كل واحد منهم لا يتبع قرارات هذا المجلس

وفي ختام حرب الثلاثين سنة عام ١٧١٣ ادَّعى الكاهن دي سان بيار انه يوجد وسائط « بسيطة فعَّالة » على قوله لتوطيد السلام في اوربة فقال انَّ على ملوك اوربة ان يعقدوا بينهم محالفة يضمنون بموجبها بعضهم بعض ضد كل اعتداء خارجي . امَّا المشاكل الدولية التي تقع بين هؤلاء الملوك فانهم يتعهدون في ان لا يحلُّوها بالسلاح بل ان يطرحوها على جمعية عمومية مؤلفة من جميع تلك الحكومات سماها هذا الكاتب مجلس السلام فتفضُّها مسالمةً امَّا بصورة التحكيم واما بصورة الوساطة . اما تنفيذ قرارات هذه الجمعية فكاف به جيش عمومي دولي . فيرى القارئ ان فكرة تشكيل جيش كهذا لم تطرق الا على ذهن هذا المؤلف

وفي سنة ١٨٧٩ اي بضعة اعوام بعد حرب استقلال الولايات المتحدة رأى الفيلسوف الانكليزي بنتام (Bentham) انه يجب لايجاد السلام تشكيل محكمة عالميَّة مفوضة بالقضاء في كل الاختلافات الدولية ولكنه رأى ايضاً انهُ لم يكن ممكناً آنئذٍ ايجاد وسائط فعالة لتنفيذ ما تقررهُ هذه المحكمة

هذه هي اراء الاقدمين ولا بد للقارئ ان يلاحظ ان نقطها الاساسية النظرية لا تفرق كثيراً عن التي هي الآن ركن عصبة الامم الحالية مثل التحكيم والوساطة وتأليف جمعية من ممثلين لكل الدول وتنفيذ القرارات بالسلاح عند الضرورة

ولكن بقيت الحالة كما هي نظريات بدون تطبيق وبقيت الاماني اماني دون ان

يتحقق منها شيء بل توالت الحروب عديدة شديدة هائلة

واذا اقتربنا من زمننا الحاضر لم نحرم من رجال فكروا في عصبة الأمم لصيانة السلام فأن السياسي الافرنسي لاون بورجوا (Léon Bourgeois) قبل الحرب ببضع سنين وضع كتاباً سماه «عصبة الأمم» رسم فيه لهذه العصبة الخطط الآتية: ١ التحكيم الاجباري لكل مشكل قابل حلاً شرعياً. ٢ الوساطة في كل المشاكل الغير قابلة حلاً كهذا. ٣ المحافظة على النظامات الدولية وتنفيذ القرارات بفضل جيش مركب من جميع الدول للاشاة الجيوش والتجهيزات الحربية لكل الدول

وفي نفس مدة الحرب سبق رئيس الولايات المتحدة السابق مسيو تافت واسس جمعية سماها «الجمعية لتوطيد السلام» (League to enforce peace) احتوى برنامجها على كثير من النقط الاساسية التي وضعته بعدئذ عصبة الأمم. وهنا لا بدّ من تقديم هذا الملحوظ ان هذه الجمعية تأسست قبل ان يفوه الرئيس ويلسن بكلمة بخصوص عصبة الأمم لا بل انه سنة ١٩١٦ عند انعقاد جلسة الجمعية لتوطيد حالة السلام السنوي رضي ببرنامجها وصادق عليه بدون تحفظ ولم يجاهر ويلسن بافكاره الا في اواخر سنة ١٩١٦ في رسالته الى الشعب الروسي

ومن سنة ١٩١٥ توالت الاجتماعات والمداولات في اميركا وفرنسة وانكلترة ومحورها مسألة عصبة الأمم وما ستكون في المستقبل عند انعقاد الصلح

قلنا وبينّا ان فكرة عصبة الأمم ليست بجديدة ولكن هل ذلك يمسّ بشيء فضل الرئيس ويلسن؟ كل يعلم ان امر تشييد النظريات وبسط الافكار الواسعة لهو امر سهل في اغلب الاحيان وتحقيق تلك النظريات خصوصاً في مسئلة عملية كهذه. نظراً للموانع والعثرات التي تقوم عند ما يقتضي تطبيق نجاحها فشرط النجاح في العمل اكثر من النجاح في النظر. فاذاً ان الرئيس ويلسن كان فضله عظيماً اذ انه اقدم بكل جرأة على تطبيق هذه الافكار فطبّقها وسعى في تذليل كل العوائق التي حالت دونها فذللها وذلك امر لا جدال فيه ان لولا رئيس الولايات المتحدة وهمته لما كانت عصبة الأمم ظهرت الى حيز الوجود

والآن بما ان جمعية الأمم قد برزت الى الحياة فما ترى يصيبها منها وهل لها ان تطبق ما وضع من المبادئ السامية وما سيوضع من القرارات المتعددة؟

لا ريب في ان جمعية الأمم بمجرد وجودها لا تقدر ان تمنع الحروب والشرط الاساسي هو ان تكون روح المسالمة منبثة في الشعوب نفسها لأنه كما رأينا سابقاً مع وجود عصبة الأمم لا يصعب على امة عزمت على مهاجمة غيرها ان تفعل ذلك ولا يوجد واسطة فعالة حقيقة لمنعها . ويكفينا ان نذكر تأييدا لهذا القول مثال الحكومة في بلادها فانه مع وجودها وسهرها الدائم على الأمن ومع ما لديها من الوسائط التي ليس لعصبة الأمم مثلها بالنسبة فمع ذلك نرى الجرائم ترتكب والجنايات تقترف في كل انحاء تلك البلاد . وقد قال احد الكتبة الاختصاصيين في المسائل الدولية : « لا ندحة من وجود شعوب ضارية مفترسة كما انه لا بد من وجود افراد أثمة مجرمين . ولو توفر لدى عصبة الأمم كل الوسائط التي تنقصها الآن فلن يمكنها ان تزيل عن بعض الشعوب فطرتهم الهمجية الضارية » (١

والشرط الاساسي الثاني هو انه يجب على اعضاء الجمعية ذاتهم ليستخدموا صلاحيتها بنية حسنة وان لا تفتكر امة من الأمم في ان تتخذها واسطة لبسط نفوذها ولضرر غيرها فلا تسعى انكلترة مثلاً لاستعمالها كآلة لمطامعها الاشعبية الخ قال القانوني لهفور (Le Fur) : « نجاح جمعية الأمم موقف على تركيبها ونظامها الاساسي اقل مما هو على الروح التي بها ستستعمل اعضاء العصبة هذا النظام » (Facere juste et justa)

وفي نفس عقد جمعية الأمم لا بدَّ من ملاحظة كثير من النواقص فكما رأيناه سابقاً من عدم كفاءة فيما يختص بتحديد التسليحات وبالتحكيم والوساطة ووسائل تطبيق مبادئ الجمعية وتنفيذ قراراتها هو من الأمور التي تمنعنا عن الثقة التامة في مفعولها . وزد على ذلك ان الأمم نفسها المشتركة في العصبة ليست واثقة بها فأن فرنسة من بعد امضاء العقد لم يهدأ لها بال الا بعقد اتفاق خاص مع انكلترة والولايات المتحدة تعهدت به الدولتان بعضد فرنسة فيما اذا هاجمتها المانية . فلو كانت فرنسة معتقدة واثقة ان عصبة الأمم ستمنع كل حرب في المستقبل ولو لم يخالجها ريب في الدول المشتركة في العصبة جمعاء بأنها لا تخف لمناصرتها عند وقوع الاعتداء عليها لما احتاجت الى اتفاق مع انكلترة واميركة فقط ! والعائق الكبير هو هذا المبدأ ان

(١ Revue de Droit Intern., Oppenheim

قررات العصبة ليست قابلة التنفيذ ما لم تتَّخذ باتفاق الاراء. فيكفي ان تقوم دولة واحدة بالماكسة فتوقف القرارات ويتعذر تطبيقها . وامر الماكسة في مسائل دولية تتضارب فيها المصالح امرٌ على ظنّي لا بد منه

ولكنا اذا كنا نرى في عقد جمعية الأمم نواقص كثيرة فأن المادة ٣٦ منه لتخوّل الدول الحق في تنقيحه وتقويم نواقصه متى ارادت . ومن جهة اخرى اذا كان يستحيل تطبيق كل المبادئ حرفياً فيوجد امل كبير في انها ستجيء بالفعول الحسن واذا الحروب لم تمنع بتاتاً فانها ستحدّد . فتنقيص الجهاز الحربي ولو كان غير كامل والخوف من هجوم كل الدول على الدولة الناقضة عهودها — وان كان غير اكيداً — لهما حاجزان كبيران لوقوع كثير من الحروب والمجازر البشرية . وخلاصة المقال ان جمعية الأمم لا تمنع قطعياً كل الحروب بل الأمل وطيد في انها ستنقص عددها وكفى ذلك تحقيقاً لآمالنا

الصهيونيَّة

ماضيها حاضرها ومستقبلها

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

كثر القال والقيل في هذه الآونة الاخيرة عن الصهيونيَّة حتَّى كادت مسئلتها تُعتبر كاحدى المسائل الكونيَّة التي لا بُدَّ من حلّها بالقريب العاجل . هي القضيَّة التي تحوم حولها الصحافة وكتبَةُ العالمَين هي المهمَّة التي تشغل بال عالم السياسة فألفتت اليها نظر جمعية الأمم ومجلسها الاعلى فما هي يا تُرى الصهيونيَّة ؟ ما ماضيها . ما حاضرها . ما مستقبلها ثلثة اسئلة عرضها علينا احد القرَّاء فحاولنا ان نجيب عليها بوجيز الكلام

١ الصهيونيَّة وماضيها

الصهيونيَّة نسبة الى صهيون احدى تلال اورشليم التي كان حصَّنها اليبوسيُّون

قبل الاسرائيليين ففتحها داود الملك سنة ١٠٥١ ق م وجعل فيها مقامهُ بعد ان شيَّد لهُ فيها بلاطاً عظيماً والمباني الفخيمة فعُرفت بمدينة داود . ثم اتَّسعوا في تعريفها فدلُّوا بها على اورشليم كلّها . والمراد اليوم بالصهيونيَّة عصبة اليهود الساعين في انشاء مملكةٍ لذوي جلدتهم يدعونهم من حيث تفرَّقوا تحت كلّ كوكب ليجدّدوا في حاضرة اورشليم بل في كلّ حدود فلسطين ما تمتَّع بهِ اجدادهم قبل السيّد المسيح من الدولة المستقلَّة والملك الخاصّ

وان سألت متى نشأ هذا الفكر في عقل اليهود . اجبنا انَّ الصهيونيَّة كما هي متألفة اليوم من جماعات اليهود حديثة الانشاء لكنَّها قديمة ضمناً فانَّ اليهود بعد ان فتح طيطس عاصمتهم سنة ٧٠ م ودمَّر هيكلها وابنيتها وبدَّد من نجا من اهلها من السيف والاستعباد لم يزالوا يوجّهون بنظرهم الى مدينة قدسهم مؤملين الرجوع اليها عاجلاً او آجلاً

وما لبثوا ان شمَّروا عن ساعد الجدّ فجمعوا القوَّات وجيَّشوا الجيوش تحت قيادة مسيحهم « بَرْكوكب » وفتحوا اورشليم وغيرها من المدن لكنَّ القيصر ادريان ارسل العساكر لمحاربتهم فظفروا بالثائرين وقتلوا بَرْكوكب وأبعد اليهود عن اورشليم تحت طائلة الموت (١٣٥م)

وقام بعد ذلك في توالي الاعصار عدد عديد من المسحاء الكذبة يبلغ عددهم نحو السبعين فخدعوا اليهود واستفزُّوهم حتَّى اوقعوهم في تهالك جمَّة وكانت نهايتهم جميعاً الانخذال والفشل

وبقي اليهود متفرِّقين وقد نالوا من قياصرة الرومان بعد ادريان ثمَّ من الامبراطرة النصارى عدَّة امتيازات خفَّفت عنهم وطأة الذلّ دون ان يُسمح لهم بدعوة الغرباء عنهم الى ملَّتهم . وانَّما اذنوا لهم ان يقيموا لهم في طبريَّة رئيساً ملّياً يدعونهُ بطريركاً من نسل داود على ما يزعمون من ابناء الربَّان هلّل كان يدبّر امورهم ويجمع كلمتهم ويعيّن ربَّانيهم ورؤساءهم فيؤدون لهُ الاعشار ثمَّ توارث بنوهُ رئاستهُ الى سنة ٤٢٩ حيث مات آخرهم بلا عقب

على انَّ ملوك الروم رأوا خطراً في غنى اليهود واتساع ثروتهم واجحافهم بحقوق العامَّة بالمقامرات والربى الفاحش والمعاملات الجائرة كما فعلوا لمَّا قدم كسرى انوشروان لمحاربة

سورياً وفلسطين فتشددوا عليهم وقيدوهم بقوانين صارمة وربما ثار عليهم الاهلون انتقاماً من سوء تصرفهم في املاك غيرهم وفقاً لتعاليم تلمودهم القائل في فصل بابا بثرا وفي سفر حيكريم (ج ٣ ف ٢٥) « ان أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهودي ان يمتلكها » وان « الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات وحياة كل الشعوب »

ففتحت هذه المظالم في القرون الوسطى باباً واسعاً لمناهضة اليهود في كل انحاء المعمور في الشرق في الممالك الاسلامية وفي الغرب في الممالك النصرانية وقد بلغ بغض اليهود في قلوب الجميع مبلغاً كاد يستأصل شأفتهم لولا الكنيسة وارباب فانها دافعت عنهم في مجتمعاتها وانقذتهم مراراً من مصادرات وسيف اعدائهم . وكان الاحبار الرومانيون في مقدمة المحامين عنهم فافرزوا لهم في رومية العظمى حياً لا يُنتهك حماه . وقد اقر اليهود بفضل البابوات . قال الزي اسحاق صموئيل احد مندوبي مجلس الامة في فرنسا في خطاب القاه في مجتمع رؤساء اليهود السنوي سنة ١٨٠٦ :

«ان الاحبار الرومانيين استنادا الى مبادئ الادب المقدسة قد حموا اليهود المضطهدين والمنفيين من بلاد اوربة المختلفة ومنحوا لهم دولتهم . ومثلهم فعل ارباب الكنيسة الذين دافعوا عن حقوقهم في عدة بلاد . والتاريخ يعلمنا ان القديس غريغوريوس الكبير جعل اليهود تحت كنف حمايته في سائر العالم المسيحي في القرن السابع . وفي القرن العاشر حال اساقفة اسبانيا دون الشعب الذي كان قصده ذبح اليهود فشكرهم البابا اسكندر الثاني على صنيعهم . وفي القرن الحادي عشر يعود الفضل في حماية جماعات اليهود في كلرمون واوزس الى اساقفة تلك الجهات . وفي القرن الثاني عشر منع القديس برنردوس الصليبيين من التعرض لليهود والتعدي عليهم . وهكذا فعل الحبران الاعظمان اينوشنسيوس الثاني واسكندر الثالث . وفي القرن الثالث عشر قام للدفاع عنهم البابا غريغوريوس التاسع بازاء دولتي انكلترة وفرنسة وانذر بالحرم من يغتصبهم على التنصر . وقرب البابا اقليمس الخامس اليهود وسائط التعلم والتهذيب . وفتح لهم اقليمس السابع مدينة افينيون ليلتجئوا اليها من مضطهديهم في سائر اوربة»

على ان الكنيسة مع ردها الظلم عن اليهود كانت ايضاً تصون اولادها من اذاهم مادياً وادبياً فوضعت لذلك قوانين مملوءة حكمة دونتها في دستور حقها القانوني

وقد بقي اليهود في خمولهم وانحطاطهم الى زمن الثورة الفرنسوية فنالوا من إعلانها بحقوق الانسان ان يعاملوا كبقية مواطنيهم بالاستحرار التام وجاهروا بسرورهم واخذوا من الحرية والمساواة والاخاء « نصيباً وافياً

ولكن هيهات ان يرضى اسرائيل بالمساواة والاخاء وهو يعدّ الارض ملكاً له وبقيّة الامم «من زرع البهائم» (التلمود ف. يبموث) حتّى انهم يعتبرون نجسة الآنية التي يأكل فيها الاجنبيّ . ومن ثمّ جعل اليهود في القرن التاسع عشر يطمحون بالنظر الى ما هو فوق ذلك اذ رأوا في امتزاجهم ببقيّة الناس ما يُفقدهم وجدانهم لأنّ الموسوي يبقى موسويًا لا يستطيع الاختلاط بغيره . وهذا ما قرّرتهُ مجامع الحاخامين السنويّة سنة ١٩١٠ في لندن حيث قالوا : « ان الخطر العظيم على أمّتنا الزواج مع غير اليهود الذي يعرّضنا الى فقد جنسنا واصلنا »

فاعتزال اليهود عن بقيّة البشر وعُنجهيّتهم الغريبة زادت نفور الناس عنهم حتّى أبت كثير من الكليّات والجمعيّات ان ترقّيهم الى ما كانوا يؤمّلونهُ من الرئاسة والتدبير

فلمّا حبط املهم في التفوّق على سواهم بهذه الطريقة عمد الألوف منهم الى المهاجرة الى نواحي اميركة الشماليّة والجنوبيّة والى بريطانية العظمى وكانت كلتا الدولتين تبوّق وتزمّر باطلاق الحريّة التامّة لبني اسرائيل فدخلهما العدد العديد منهم حتّى صاروا يزاحمون العناصر السكسونيّة والوطنيّة فأحسّت اميركة وانكلترة بالخطر وأوصدتا ابوابهما في وجه المهاجرين الاسرائيليين منذ عشر سنوات

لكنّ المهاجرة مع تخفيفها لنكبات اليهود لا تفضّ المشكل اليهوديّ وتعرّضهُ ايضاً للامتزاج بغيره من الامم وهذا كما قلنا لا يرضى به المتحمّسون من الموسويين . ومن ثمّ طلبوا لهم طريقة اخرى اجدر واحقّ برغائبهم

٢ الصهيونية في حاضرها

انسلاخ اليهود عن سائر الدول بانشاء مملكة خاصّة قائمة بذاتها هو الحلّ الذي وجدهُ زعماؤهم لفكّ تلك المعضلة . ولكن ليت شعري اين تقام تلك الدولة الجديدة ؟ كيف انشاؤها ؟ كيف تدبيرها ؟ وكيف يحشد اليهود اليها من كلّ انحاء المعمور وقد اربى اليوم عددهم على ١٣ مليونًا من النفوس فاي ارض كافية لتضمّهم؟ تلك مشاكل اوقفت كثيرين من ذوي الخبرة الذين كدّوا ذهنهم وأسهروا عينهم في ازالتها

فلمّا كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر جعل رؤساء اليهود يشكّلون الشركات ويؤلفون الجمعيّات للبحث في هذا الشأن. فانتسب البعض من اصحاب هذه الشركات الى صهيون واتخذوا اسمها كشعار يذكّرهم بمجدهم القديم ويسوّل لذوي جلدتهم الالتفاف حوله

وكان فكرهم في اوّل الامر مقصورًا على وجود متسع من الارض في العالم القديم او الحديث يستطيع بنو اسرائيل ان يجدوا فيه الوسائط لنهضة امّتهم وترقيتها دون اختلاف مع سواها. فما صرفوا اليه نظرهم بعض البقاع الواسعة الارجاء في افريقية ولا سيّما اوغندا والكنغو وجنوبي مرّاكش والقيروان وفي آسية بلاد ما بين النهرين وفي اميركة بلاد المكسيك وفي اوقيانية بلاد اوسترالية. امّا فلسطين فما كانوا ليؤمّلوا توطّنها طالما يحكم عليها الاتراك وانّما اخذوا يهتمّون بمن فيها من ذوي جنسهم الذين لم يكونوا اذ ذاك يتجاوزون العشرة الآلاف ويساعدون مدارسه الاسرائيليّة

ثمّ تألّفت بعد ذلك جماعات الاتحاد الاسرائيلي وشبيبة صهيون واحبّاء فلسطين والجمعيّة الفلسطينيّة العموميّة وجمعيّة الاستعمار الفلسطيني مع عدّة مصارف انشأتها تلك الجمعيّات لخدمة مصالحهم وترويج اغراضهم. وهي وان لم تكن لتقصد في الظاهر التملّك على فلسطين الا انّها كانت تمهّد السبيل الى ذلك فانّها كانت تسعى في توفير عدد المهاجرين اليها من شمالي اوربّة وهم اليهود المعروفون بالاشكنازيم ومن جنوبها المدعوّون بالسفرديم فبلغ عددهم بعد حين خمسين الفًا بنيّف وكلّهم اخلاط من صعاليك روسيّة والنمسة والمجر والمانية واسبانيا ومن يهود اليمن والعجم والكرج ومرّاكش فكانت تلك الجمعيّات تمدّهم بالمال لتشييد احيائهم في اورشليم والامكنة المجاورة ولابتياع الاملاك واقتناء العقارات في انحاء فلسطين

وظهر في تلك الحقبة احد انصار اليهود الدكتور تاودور هرتسل المولود في عاصمة المجر سنة ١٨٦٠ كان هذا رجلًا نشيطًا واسع المدارك تعاطى مدّةً حرفة الصحافة وتمثيل الروايات ثمّ خصّ نفسهُ بخدمة بني جلدتهِ اليهود فألّف التآليف وخطب الخطب والقى المحاضرات وتجشّم الاسفار ودخل على دهاقين السياسة وارباب الدول يتعطّفهم على امّتهِ وينفخ في قلوبهم عواطف الحنان والرحمة على بؤس اليهود

ويستنهض همتهم لمساعدتهم حتى اقنع كثيرين من ارباب سياسة انكلترة واميركة بان يحققوا آمالهم ويفرزوا لهم ارضاً تضمهم . فسُرَّ الدكتور هرتسل وسعى باخراج هذه النيّات الى حيز الوجود في اي بلادٍ كانت ولم يوجه فكرهُ خصوصاً الى فلسطين اذ كانت نيّتهُ سياسيّةً اكثر منها دينيّة

وممّا انتجتهُ همّتهُ وقتئذٍ من الحركة بين زعماء اليهود انهم اوسعوا نطاق جمعيّاتهم الصهيونيّة وانشأوا مؤتمرًا سنويًا يجتمع فيهِ مندوبو اليهود المتفرّقين واركانهم للبحث في امورهم وكان اول مؤتمر عُقد لذلك في مدينة بال في سويسرة سنة ١٨٩٧ ولم تزل منذ ذاك الحين تتوالى المؤتمرات في اوقاتها الى عامنا الاخير

وكان في مقدّمة ابحاث تلك المؤتمرات تعيين مكان موافق لتحقيق اماني الصهيونيين واستقلالهم التام فمنهم من رضي بقارة افريقية ومنهم من طلب جهات العريش وواحات العرب . الّا ان جمهور اليهود وعامّتهم الذين رضعوا مع اللبن حب مدينة قدسهم أبوا الّا فلسطين وقاعدتها اورشليم مركز اجدادهم . ولم تزل جلبتهم تعلو وتمتد حتى نفذ في قلوب كثير من المؤتمرين

ومات في تلك الاثناء تيودور هرتسل (١٩٠٤) وقام بعدهُ بعض زعماء اليهود منهم مكس نوردو وداود ڤولبسون و ج . و . كانّ والدكتور جاكوبسون وغيرهم اقتفوا آثارهُ وفكّروا في تحقيق اماني قومهم في فلسطين فاستنفدوا الوسع في توجيه جالية اليهود الى القدس ونواحيها فعمّروا لهم الانزال والاحياء حول المدينة حتى قارب عدد اليهود في ضواحي اورشليم مئة الف من النفوس

على ان السلطان عبد الحميد بعد ان تساهل مدّة مع زعماء اليهود خاف ان يجعلوا فلسطين مستعمرةً اسرائيليّة فوضع امامهم حدودًا ربّما تجاوزوها بالرشوة وتأليف قلوب المأمورين العثمانيين . ثمّ وقع في تموز سنة ١٩٠٨ الانقلاب العثماني وكان لليهود فيهِ السهمُ المعلّى سواء كان بواسطة الاسرائيليين المنتمين الى الشيعة الماسونيّة او بواسطة اليهود المرتدّين الى الاسلام المعروفين بالدونمه او المامين فأمّلوا منهُ خيرًا واستبشروا بالفوز القريب واتّخذوا لهم علمًا خاصًا واخذوا يسعون لدى اعضاء جمعيّة الاتحاد والترقي وكان من جملتهم ثلاثة يهود كاراسو وكوهن وفرنجي وعدّة من المامين بينهم جاويد بك والدكتور ناظم وطلعت بك وغيرهم

على انَّ هذه المساعي لم تأتِ وقتئذٍ بالنتيجة المرغوبة لأنَّ قسماً من جمعيَّة الاتحاد والترقي قامت وقعدت لمعاكسته حتى انَّ احد زعمائها كاظم نامي بك صرَّح يوماً في احدى جرائد انكلترة انَّ نوايا الصهيونيين لا يستطاع تحقيقها طالما يكون الامر في ايدي الجمعيَّة المذكورة . وكان كثير من اليهود انفسهم لا سيَّما اليهود السفرديم يناصبون هذا الفكر لما وراء ذلك من الاخطار على امَّتهم

تلك كانت وقفة اليهود الصهيونيين سنة ١٩١٤ اذ انتشبت الحرب العموميَّة ونال اليهودَ شيءٌ من اضرارها وان غلب ما ربحوهُ منها اكثر ممَّا خسروا كألوف عادتهم في مثل هذه الكوارث

٣ مستقبل الصهيونيَّة

كان لدخول الحلفاء في اورشليم سنة ١٩١٧ اي وقع في قلوب المسيحيين وذكروا فتوحها سنة ١٠٩٨ على عهد غودفريد دي بوليون والصليبيين وما كانوا ليظنُّوا ان سيزاحمهم في الحكم عليها العنصر الصهيوني الذي اخذته لفتحها هزَّة طربٍ طار لها فرحاً لعلمهِ بمعاهدات سرِّيَّة بين « ملوك المال » من الاسرائيليين ورؤساء الدولة الانكليزيَّة . وما لبث ان ظهر الخفيّ وذاع الامر المكتوم لا سيَّما عند ما كتب الوزير المستر بلفور الى اللورد روتشيلد في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ما تعريبهُ :

أيها اللورد روتشيلد العزيز

يسرُّني ان اوجه الى جنابك من قبل حكومة جلالة الملك جورج الاعلان الآتي الموافق لرغائب اليهود الصهيونيين والذي عُرض على الوزارة فصادقت عليهِ . انَّ حكومة جلالتهِ تنظر نظر الرضى ان يُتَّخذ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي وهي ستفرغ كلَّ وسعها توطئةً لتحقيق هذا الامر وذلك دون ان يلحق أذىً بما لبقيَّة الطوائف التي في فلسطين من الحقوق المدنيَّة او الدينيَّة ولا تُمسّ حقوق ومصالح اليهود انفسهم في سائر البلاد . هذا واني اكون لجنابكم ممنوناً ان تُعلم هذا الاعلان لجمعيَّة الاتحاد الصهيوني

صدر من وزارة الخارجيَّة في ٢ ت ٢ ١٩١٧

فلا شكَّ ان هذه القرار اثر في شتات يهود العالم كتأثير قرار كورش ملك فارس لمَّا اصدر امرهُ الى زُرُبَّابل ليعود الى اورشليم مع اليهود الذين كان جلاهم نبوكدنصر الى العراق قبل سبعين سنة . وهذه ثلاث سنوات هاج فيها الصهيونيُّون

وماجوا ليخرجوا الى حيز الوجود امانيهم فانفتحت امامهم ابواب فلسطين فتراهم يتقاطرون اليها زرافات ووحداناً فيدخلونها كصاحب البيت الى بيته

فهذا ما هيّج عواطف المسلمين والنصارى فرفعوا صوتهم احتجاجاً على هذه المعاملات وقدّموا المعاريض الى عصبة الامم والى دول الحلفاء والى مقام الحبر الاعظم فرأت انكلترة ان تطيّبهم نوعاً في اوائل السنة الحاضرة بما بأنهم الجنرال بولز المدير العام لفلسطين من القرارات الآتية التي نشرتها الجرائد :

اولاً – صادق الحلفاء وفي مقدمتهم اميركة وفرنسة على منح شيء لليهود من الحقوق في فلسطين . ووافقوا ايضاً على ما فاه به المستر بلفور وهو ان تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود بشرط ان لا تمس مصالح الوطنيين الدينية والمدنية والسياسية بشيء

ثانياً – ستجعل انكلترة المهاجرة الصهيونية ضمن حدود وشروط ومراقبة شديدة كي لا تضر هذه المهاجرة بحالة البلاد الاقتصادية

ثالثاً – ستحافظ الحكومة كلّ المحافظة على بقاع الفلّاحين فلا تدع الناس يبيعون املاكهم الّا اذا مسّت الحاجة الى ذلك .

رابعاً – ستدير البلادَ حكومةٌ قوميةٌ وصيةٌ تقيم ميزان العدل وتحافظ على حقوق الناس فلا يستبد القوي بالضعيف

خامساً – لا يقصد الحلفاء ولن يقصدوا ان تكون في البلاد حكومة يهودية . واما الذين يحكمون البلاد فهم ابناؤها وستقرّر الاحكام بموجب قوانين يسنّها المجلس الذي تنتخبهُ الامّة بالاكثريّة والحكومة آخذة الآن بإعداد ما يكفل حقوق السكّان . وستدرّب الحكومة ابناء البلاد من اليوم على الحكم الذاتي وذلك بان يكون عدد كبير منهم في الوظائف السامية يشرفون على الاحكام تحت ادارة حكّام ذوي اخلاق راقية ونيّات صالحة

هذه التقارير خمّدت نوعاً اضطراب اهل فلسطين اكثرهم لم يروا حتّى الآن تطبيقها على احوالهم بل جاء الفعل مخالفاً للقول . كفى برهاناً على ذلك اقامة السير هربرت صموئيل مندوباً اعلى على فلسطين وهو اسرائيلي يدعوه اليهود علانيةً بامير اسرائيل . وهو اوّل حاكم يهودي على فلسطين منذ بركوكب زعيم ثورة اليهود في القرن الثاني المسيح السابق ذكره

فما تعيّن لتدبير سياسة فلسطين حتّى كان لتقليده اسوأ وقع ليس فقط بين سكّان فلسطين بل بين الانكليز مواطنيه من كاثوليك وبروتستانت وقدّم حاكم بيت لحم وحيفا وغيرهما من مأموري الانكليز استعفاءهم . واعلن قداسة الحبر الاعظم مع عدد لا يُحصى من الجمعيّات الكاثوليكيّة ومن اعيان الكاثوليك والبروتستانت

استياءهم من تسليم فلسطين الى الدّ اعداء الدين النصراني وقد نشرت جريدة البشير مؤخرًا خطاب الكردينال بورن في موتمر الكاثوليك الانكليز في ليفربول في ٣٠ تموز المتصرم وفيه ما فيه من بيان خطر وضع فلسطين تحت رحمة اليهود

وقد اتت الانباء الاخيرة من اهل فلسطين تثبت انَّ خوف النصارى والمسلمين من وضع اليهود يدهم على اورشليم وفلسطين ليس هو وهماً لا طائل تحتهُ فانَّ المراكب وقطارات السكّة الحديديَّة غاصَّة باليهود القادمين اليها حتَّى يظنّ من يمشي في بعض شوارع المدينة المقدَّسة انهُ في مدينة يهوديَّة محضة . وقد صار معظم الاعمال التجاريَّة بين ايديهم هناك كما انَّهم اصبحوا يشغلون اكثر المراكز في دوائر الحكومة . وترى اللغة العبرانيَّة منتشرة في كلّ انحاء اورشليم حتَّى اصبحت احدى لغات الحكومة الرسميَّة . وقد اتخذوا لهم كعلم الكوكب ذا الستَّة الاشعَّة كما انَّهم يتغنَّون بنشيد وطنيّ خاص . ومع كون الحكومة منعت بيع الاملاك وشراءها تراهم يتوسَّلون كلّ الوسائل ليقتنوا الاملاك ولو بأغلى الاثمان

وان سألنا الآن السائل عن رأينا في مستقبل الصهيونيَّة وهل يقوى الصهيونيُّون فعلا على اقامة دولة يهوديَّة مستقلَّة في فلسطين

جوابنا على هذا انَّهُ لا ننكر ان الصهيونيين يحاولون انشاء موطن لليهود في فلسطين وليس موطناً فقط بل دولة قائمة بذاتها مستقلَّة بتدبير نفسها . لكنَّ هناك من العقبات ما يحول دون تحقيق هذا الامل كما سترى من الملحوظات الآتية :

١ هيهات ان يتَّفق كلّ اليهود المنبثين في انحاء المعمور على نيَّة الصهيونيين . فانَّ المثرين منهم والاعيان والربَّانيين والحاخامين واليهود السفرديم يرون في مناصبهم وامتيازاتهم في كثير من الدول ما يفضلونهُ على كلّ مركز يمكنهم الحصول عليه في فلسطين

٢ لا بل يحصل لهم من ذلك اضرار جسيمة فانَّهم اذا قامت لهم دولة مستقلَّة وجب عليهم الانتماء اليها ومن ثمَّ تعدّهم الدول الاوربيَّة كاجانب فيخسرون جنسيَّاتهم التي حصلوا عليها وناهيك به من مضرَّة بالغة

٣ ان دولةً كافية لتضمّ كل اليهود تحتاج الى املاك واسعة واراضٍ مخصبة تكفي لتقوت اهلها ومن المعلوم انَّ اراضي فلسطين لا يمكنها ان تقوم بمعاش اهلها

اليوم فما قولك اذا اتاها بضعة ملايين من السكان اكثرهم فقراء يعيشون من حسنات قومهم

٤ ثمَّ انَّ املاك فلسطين معظمها اليوم في حوزة المسلمين والنصارى أفيرضى اصحابها ببيعها وهي من تليد اموالهم الموروثة من اجدادهم . فاذا تخلَّوا عنها قُضي عليهم بالهاجرة وترك اوطانهم العزيزة

٥ وان افترضنا انَّ اليهود يحصلون على قطع من الارض وارزاق كافية لمعاشهم لا بُدَّ لهم من فلاحتها وزراعتها والقيام بأحوالها . واليهوديّ كما لا يخفى يفضل التجارة على الفلاحة والارتزاق بالبيع والشراء على الكدّ بحراثة الارض والنشاط في استغلالها وتحسين تربتها . قال الماجور الانكليزي غولد سميث اليهودي يذكر المهاجرين الى فلسطين : « انهم في ادنى درجة من الرقي والنجاح » وقال تاودور ريناخ اليهودي الاثريّ الشهير عن يهود اورشليم في تاريخ الاسرائيليين (ص ٣٧٤) : « ان يهود اورشليم في عصرنا قد جمعوا بين الكسل والجهل المطبق والتعصب الذميم »

٦ وان امكن اليهود ان ينفوا الوطنيين من فلسطين الّا انَّ هناك امكنة مقدسة لا يتخلّى عنها النصارى والمسلمون مهما دُفع لهم من الاموال الطائلة فيبقى بينهم شاؤوا ام ابوا الرهبان والكهنة والكنائس والجوامع وهم يعدُّون كلَّ ذلك رجساً في اعينهم وكشظاة في حلوقهم فلا يمكن ان يخلو لهم الجوّ كما يحلمون

٧ وهَبْ انَّهم ينشئون لهم دولةً فهذه الدولة على رايهم سياسيَّة ودينيَّة معاً فمن حيث انها سياسية كم ينبغي لهم من المساعي الجبّاريَّة لعضد دوائرها فاين ملوكهم واين وزراؤهم واين جيوشهم وعددهم واين ... واين .. فكم يحتاجون الى الوسائط ليقوموا بمهمّاتها وهم خلوٌ منها كما هو معلوم . ومن حيث هي دينيَّة لا بدَّ لهم من تجديد الشريعة الموسويَّة فيقدّمون الضحايا المفروضة من موسى الكليم . وانَّما الضحايا لا يسوغ تقدمتها الّا في الهيكل فيحتاجون اذاً الى تجديد هيكل سليمان الذي في مكانهِ اليوم الجامع الاقصى . وهيهات ان يسمح المسلمون بتسليمهِ الى اليهود . ودون الهيكل لا يقوم قائم للدين اليهوديّ

٨ قلنا انَّ اليهوديّ يرتزق غالباً بالتجارة دون الزراعة والصناعة فليت شعري ان أفردت له دولة كيف يستطيع ان يرتزق بالتجارة وهو لا يجد في فلسطين ما بهِ

قوام التجارة من المحصولات المتنوّعة والصادرات المهمّة . التي يمكنهُ بها ان يعامل بقيّة البلاد المتمدّنة . وزدْ اليه مزاحمةَ ابناء ملّته المتاجرين مثله . ومن المعلوم انَّ ثروة اليهود ينالونها من مواطنيهم المختلفين عن مذهبهم . قال احد كبار السياسيّين : « انَّ اليهود اشبه بالنباتات المتطفّلة التي لا تستطيع ان تعيش وتنمو الّا ملتفّة حول غيرها من الاشجار فانْ حُصروا في قطر واحد عمدوا الى اكل بعضهم البعض »

٩ وسوف يزيد اعتزالهم عن بقيّة البشر باتخاذهم العبرانيّة الحديثة كلسان دولي وهي لغة فقيرة قلّما يمكن ترقيتها وتطبيقها على الامور الحاليّة والتقدّم العصري مع ما يدخلها من اللهجات الغريبة والاستعارات المنقولة عن الروسيّة والالمانيّة والعجميّة . فيحرم بها اولادهم من كلّ نجاح ورقي ويبقون في ذلهم وانحطاطهم القومي

هذه بعض العوائق التي سوف تقوم في وجه دولة صهيونيّة مستقلّة ولا نظنّ انهم سيقوون على تذليلها مهما انفقوا من القناطير المقنطرة ومهما تمهدت لهم الامور . ما لم يُقَل بقرب نهاية العالم ووشك وقوع اليوم الاخير

امّا مدّعاهم انَّ لهم حقوقاً في ملك اورشليم وفلسطين وانَّ الرئيس ويلسن وجمعيّة الامم وضعوا هذا المبدأ بان يُعطى كلّ قوم من الاستقلال ما ينطبق مع سالف تاريخهم وتمنيات عنصرهم فانَّهُ من المبادئ الملتبسة التي لا يمكن تحقيقها الّا باثارة كلّ الاهواء الباطلة والمطامع الاشعبيّة والفتن والحروب . ثمَّ انَّ فلسطين سكنها قبل اليهود شعوب أخرى لم ينقطع حتّى اليوم نسلهم من الفينيقيين والكنعانيين وغيرهم فضلًا عمّن جاء بعدهم واستوطنوها فصارت لهم موطناً بقوّة قانون الاستحلال فلا يجوز لغيرهم ان يدّعوا ملكها بعد القرون المتعدّدة

والافضل اليهود لو عقلوا ان يسعوا في تهذيب احداثهم وتربية ابنائهم على اصول التمدّن العصري مع المحافظة على سُننهم الدينيّة الموافقة لتعليم الاسفار المقدّسة ونبذ الخرافات التي شُحن به تلمودهم ومشناهم وزُهَرُهم وغيرها من كتب الربّانيين ويعيشوا مع سواهم بالوفاق والحبّ المتبادل في فلسطين وغيرها فلعلّهم ينالون بذلك من الرقي ما يفضل على تمنيرهم اورشليم وفلسطين والرجوع الى ازمنة خلت واحوال ادبرت لن تعود وليس عودها بالاحد المتهم والله المرشد الى الصواب

حوادث عين ابل

رواية شاهدة عيانية الاخت كليمنتين خياط

بلاد بشارة مقاطعة كبيرة يدعوهـا الفرنج بجليل العليا (Haute Galilée) واقعة في قضاء صور تمتدُّ من شمالي شرقي عكّا الى نهر القاسمية جنوباً فشمالاً يحدُّها البحر غرباً وقضاء مرجعيون شرقاً . فيهـا السهل والوعر الحزون والبطون الاودية والجبال يبلغ عدد نفوسهـا نحو ٣٥،٠٠٠ منهم مسلمون معظمهم من اهل الشيعة ومنهم نصارى اكثرهم موارنة ثمَّ روم كاثوليك دون الاورثذكس يسكنون في نحو مـائة قرية

ومن اهمّ قرى النصـارى هناك قرية عينْ ابل الواقعة شرقي صور يبلغ عدد اهلها نحو ٢٠٠٠ اكثرهم موارنة وبينهم ايضـاً روم كاثوليك وكلهم ذوو تقى وصلاح . وللراهبات قلبي يسوع ومريم في عين ابـل دير أنشئ منذ نحو خمسين سنة وكثيراً ما يتردَّد اليها المرسلون اليسوعيّون لاقامة الرياضات التقويّة وقد انشأوا فيها المدارس لأحداث الصبيان والفتيـات فاصبحت بذلك بلدة عين ابل من ازهر قرى بلاد بشارة ماديًا وادبيًا حتّى حسدها على ازدهارهـا اهل الشيعة المقيمون في القرى المجاورة لها . ولمـّا جرت الحوادث الآتي ذكرها كان موجودًا في دير عين ابل اربع راهبات رئيستهنَّ الاخت الفاضلة كليمنتين خيّاط الحلبيّة الاصل وعنها نروي ما يلي

سوابق حملة المتاولة على عين ابل

كانت عين ابل لموقعها قريباً من قرى المتاولـة الشيعيين معرّضةً لمساوئهم الّا انّهم كانوا غالباً يكتفون بسرقة مواشي اهلها ونهب غلّاتهم واهانة من يلقونهُ منهم في طريقهم . وكان العينبليّون بوصاية كهنتهم وعقلائهم يجتنبون كل سبب من شأنهِ ان يحرّك غيظهم لينجوا كلّهم من توسّط الدولة التركيّة التي ترغب في هذه المشاجرات لتربح من الظالم والمظلوم معاً بالرشوة « والبخاشيش » . وبقيت الحال على

ذلك الى دخول الحلفاء سنة ١٩١٨ في بلاد الشام فتنفس النصارى وأملوا النجاة من نير عبودية جيرتهم الثقيل

فلما كان العشر الثالث من تشرين الاول من العام الماضي بلغ الى عين ابل خبر قدوم القائد الفرار الجنرال غورو الى بيروت وما لقي فيها من الحفاوة والاكرام. فاجتمع اهل البلدة واتفقوا على ان يقاسموا نصارى بيروت ولبنان افراحهم ففي عصر النهار المعيّن لمظاهرتهم اجتمعوا في ساحة كبيرة قدام حارة مارون وطانيوس شباط فتوارد الناس اليها بكل بهجة ونصبوا العلم الفرنسوي وبازائه صورة الجنرال المطرّزة بيد الراهبات تحدق بها الزهور والحلي وتكتنفها الرايات الفرنسوية ثمّ اخذوا يتلون القصائد والتقاريظ ويتغنّون بالاناشيد ويطلقون البنادق والاسهم النارية مرحبين بقدوم الجنرال ومهنئين الدولة الفرنسوية على انتصارها. وانصرف الجميع بعد ساعات وقلوبهم طافحة بالفرح ثمّ انشأوا جمعية لنشر الحماية الفرنسوية. ولم يدروا انّ تلك المظاهرات سوف تكون قريباً سبباً لعداوة المتاولة وتجلب الدمار على بلدهم

فما مرّ علينا بضعة ايام حتّى صارت الاخبار المكدّرة تتوارد علينا وتقلقنا. فانّ متاولة بلاد بشارة اتفقوا مع عشائر بدوان الحولة وعصابات المنطقة الشرقيّة واخذوا يهجمون على قرى النصارى فينهبون ويسلبون ويقتلون ويحرقون. فاغاروا في تشرين الثاني على مرجعيون وصفد البطيخ وطرسمحات ويارون وديردغاية وقانا الخ. وكانت نيتهم بعد هذه القرى الصغيرة ان يزحفوا الى اكبر منها ولا سيّما عين ابل ثمّ العواصم وهم يقولون: «ستذبح اهل هذه القرى في سوق بنت جبيل كما تذبح الخراف»

فما بلغت هذه الاخبار مسامع اهل عين ابل حتّى عوّلوا مع نصارى القرى المجاورة على اخذ الاحتياطات لنفوسهم فأوفدوا قوماً منهم الى ارباب الحكومة في صور ينذرونهم بما يتهدّد النصارى من الشرور فلم يجدوا اذناً صاغية وانما نسبوا خوفهم الى الاراجيف الباطلة واعطوهم اسلحة قليلة للدفاع عن قريتهم فلم يطمئنّ بالهم ورجعوا الى وطنهم واستعدّوا بما لديهم من النشاط والهمّة لمقابلة العدوّ فابتاعوا ما امكنهم من الذخائر الحربيّة واخذوا يمرّنون شبّانهم على فنون الدفاع واستعمال الاسلحة فكانت الشبيبة تلبّي دعوة مدرّبيهم بكل غيرة وتسهر ليلاً مع نهار على حراسة البلد حتّى في ليالي القرّ في فصل الشتاء

وهم لعلى ذلك اذ اتاهم في احد الايام خبر تتويج الامير فيصل ملكاً على سورية مع رسالة الى اهل البلدة ورد فيها الامر ان يجمعوا كل الاسلحة وينصبوا العلم الشريفي . فكان جوابهم انهم يهنئون الامير بسمو مقامه لكنهم لا يمكنهم دفع سلاحهم ولا رفع العلم الا بامر حاكمهم الفرنسوي في صور . واذ طلب منهم حاملو الرسالة ان يدفعوا ٤٠٠ ليرة لملك سورية اجابوا : ليس لدينا مال نؤديه . فرجع الوفد على اعقابهم يتهددونا بالحرب . فاستعد الناس للحرب رجال ونساء صغار وكبار كل على ما تبلغ اليه يده من حجارة وعصي الخ . فما لبثوا ان عادوا وهم من اشقياء المتاولة لينهبوا ويقتلوا لكنهم فروا هاربين لما رأوه من استعداد الاهلين وخروجهم الى محاربتهم بكل شجاعة وانما ساقوا ما وجدوه من المواشي خارج البلدة

حملة الشيعيين على عين ابل

بقينا في هذه الحال شهرا كاملا وكل يوم تأتينا الانباء بفظائع اهل الشيعة في كل جهات القضاء وهم يتخذون بازاء الحكومة كل طرائق المكر والخداع ليغرغوا في النصارى كنانة بغضهم لا سيما بعد اجتماع شيوخهم وزعمائهم في الحجير في ٢٤ نيسان اذ صمموا النية على مهاجمة القرى التي لم يجسر المتاولة بعد ان يلحقوا بها ضرراً وخصوصاً عين ابل ودبل ورميش وعلما لبسالة اهلها . فاستعدوا لذلك سراً لئلا يجدوا من يقوم في وجههم واشاعوا ان ذاك الاجتماع لمحاربة عصابات العربان وغيرهم

فلما كانت ظهيرة يوم الاربعاء ٥ ايار ما نظرنا الا الوفا من المتاولة يسيرون من بعيد الى جهة عين ابل وقد سبقهم بريد مع رسالة يقولون فيها : «لا بأس عليكم انا الجمع الوافد ابناء سبيل وقصدنا ان نمر عندكم لنذهب الى مزار النبي يوشع ثم نحارب عصابات الاشقياء» . فلعلم اهل ابل براءاتهم استعد شبانها لمحاربتهم وكادوا ان يطلقوا عليهم الرصاص لولا انهم نشروا العلم الابيض وصرخوا «اصحاب! اصحاب!»

لكنهم لما اقتربوا من البلد الى مسافة ضرب الرصاص اذا بهم صوبوا بنادقهم على حامية البلدة فقتلوا منهم اثنين فناجزهم العينبليون القتال وكان دوي طلقات الرصاص يسمع من الجانبين كسقوط البرد على الزجاج ثم هجموا على البلد واستعدوا لحرق البيوت وكان اول بيت اجتمعوا عليه الحارة التي اقيمت في ساحتها حفلة

رفع العلم الافرنسي فرموا صاحبهُ بالرصاص من الشبّاك ثم هجموا على البيت وقتلوا من وجدوهُ فيهِ ثمَّ رشّوا عليهِ تنكة بترول واحرقوهُ بالنار فالتهب البيت وتصاعد لهيبهُ الى الفضاء حتّى صار جمراً ورماداً

وفي اثناء ذلك اتى الى ديرنا نحو ثلثين رجلاً من الاهلين بسلاحهم وصعدوا الى طابقهِ الاعلى وجعلوا ينضربون من نوافذهِ المتاولة والتجأ ايضاً الى ديرنا قوم كثير من نساء وصبيان لينجوا من المذابح التي باشر بها المتاولة في انحاء البلدة . فأدخلناهم المعبد وحرضناهم على الصلاة الى قلب يسوع الاقدس ليردّ عنّا هذه البلايا . وكان بين الجمع كاهنان الخوري انطانيوس من دبل والخوري انطانيوس من عين ابل فصعد الواحد الى الحامية وبقي الثاني بين الجمع في المعبد . وكان الجمع المذكور يصلّون ويضربون صدورهم ملتمسين رحمة الله ومنهم من يلطم وجههُ وينتف شعر رأسهِ بقلب محروق على ما اصابهم . وكنّا نجتهد ان نقوّيهم ونخمد لظى صدورهم ونحرّضهم على التوبة والاستعداد للموت كشهداء الايمان . وكانت اصوات الصغار وعويلهم ممّا يفتّت الاكباد فنلاطفهم ونقدم لهم الطعام

ثم صارت طلقات الرصاص تقترب من الدير فالتفتنا الى الكاهن وطلبنا منهُ ان يعطينا الحلّة عن خطايانا . فتلا الجميع فعل الندامة فارتفعت جلبة القوم وتصاعدت الزفرات وعمَّ البكاء كافّة الحضور وكأنّنا نفتكر اننا بعد دقائق قليلة نُقتل او نُحرق فيكون نصيبنا كنصيب القتلى في جهات البلد

وفي تلك الساعة سمعنا طرقات متواصلة على ابواب الدير فحسبنا انهُ العدوّ فزاد قلقنا ثمَّ تناوبت الطرقات واذا بالطارقين يصرخون : افتحوا نحن اهل البلد . فلمّا فتحنا الدير تواثب اليهِ عدد كبير من الجرحى هذا الرصاص في جسمهِ وذاك مقطوع اليدين والآخر مضرَّج بالدم فغصَّت بهم ساحة الدير والمدارس والطابق الاعلى . وابتدأ كلّ منهم يقصّ علينا قصّتهُ المفجعة ما اقشعرّت لهُ الابدان . فاسرعنا واحضرنا الماء والسبيرتو والشرائط من ثياب غسيل ذلك النهار فصرنا نسحب الرصاص ونضمّد الجراحات بين اصوات العويل وصراخ النساء والاولاد وترحّمهم على من قُتلوا وجُرحوا وهربوا هائمين في وجوههم

ولمّا غابت الشمس ارسلت الحامية فاخبرونا انَّ الذخائر نفدت عندهم ولم يبق لهم

ما يضربون به العدوّ وانّ الأولى بهم ان ينسحبوا مع الجرحى قبل ان يدركهم الاشقياء. فخرجوا ونحن ندعو لهم بالنجاة وتبعهم الجمع النازل عندنا وسار كلّ منهم الى ناحية وكذلك سارت معهم احدى راهباتنا الاخت بربارة وهي من عين ابل لتخدم الهاربين. فبقينا ثلاث راهبات الرئيسة والاختان سلستين طيّاح من غزير وانستازي ماريني من بغداد مع بعض النساء العجز بينهم الشمّاس انطانيوس الجثي الضرير. فطلبنا مشورته: «ما قولك اننهب نحن ايضاً او نبقى؟». فاجاب قائلاً: «ان خرجتن فتاوكنّ على الطريق لا محالة فالاجدر ان تبقين هنا ولا تهملن هؤلاء العجز وعلى الله الاتكال. فأثّر هذا الكلام فينا وقدّمنا نفوسنا فداء عن هؤلاء المساكين ومحبة بالرب يسوع

ثمّ دخلنا المعبد نصلي امام القربان وكان الكاهن نسي ان يخرجه وكان الشمّاس الضرير يصلّي معنا وكلّنا نطلب ان تتمّ مشيئة الله فينا في الحياة وفي الممات فبقينا كذلك الى الساعة التاسعة من الليل ولم تزل اصوات البنادق وجلبة الاشقياء وقرقعة ابواب البيوت المجاورة المحطّمة بقنابل ورشاشات المتاولة تطرق اذاننا وترجف فرائصنا. وكان السكّان جميعهم قد هربوا واقفلوا ابوابهم وانّما تركوا مرضاهم اذ لم يسمح لهم الوقت بنقلهم وكنّا زرناهم منذ زمن قريب فاذاقهم المتاولة عند دخولهم امرّ العذابات واحرقوهم بالكاز ولمّا اتى اهلهم بعد ايّام ليروا ماذا جرى لهم وجدوهم مجرّحين مقطّعين مشويّين بالنار بالعري التام بينهم النساء والشبّان والشابّات

ونحو الساعة التاسعة وصل الاشقياء الى ديرنا واخذوا يدورون حوله كالذئاب يصرخون ويضجّون ويطرقون على ابوابه فاشرت الى اختيّ الراهبتين ان تخرجا معي بكل هدوء لتختفي في قرنة تحت درج الدير ورافقتنا صانعتنا واسمها نجمة فلطينا هناك ونحن نصلي الى قلب يسوع والى مريم سيّدة النجاة ومار يوسف شفيعنا والى الانفس المطهريّة وكان يقوينا هذا الفكر انّنا نمجّد الله باوجاعنا ونكفّر عن ذنوبنا واذا قُتلنا نكون شهيدات ايماننا. وفي تلك الساعة سمعنا اطلاقهم القنابل على باب ديرنا وعلى مدخله الذي بقرب المعبد فارتجّ البيت لضربهم وتكسّرت واجهة الزجاج التي فوق المدخل وانفتح الباب فدخلوا الى المعبد وكانت الساعة العاشرة من الليل فهلّلوا باصوات مرعبة كانهم ابالسة الجحيم ثمّ اخذوا يمزّقون الصور ويكسرون

التماثيل التقوية والقناديل وحطموا شخص البتول المنصوب لاكرام شهرها المريمي وقتحوا بيت القربان الاقدس بكل حقة ورموا ما فيه من الصمدة المقدسة وداسوها بارجلهم النجسة وهم يصرخون : يا راهبات مرادنا ان نذبحكن ذبح الحملان! يا نصارى . . . يا فرنسوية !

فحدث ولا حرج عما اصابنا حينئذٍ من الخوف والجزع ونحن نسمع تجاديفهم وكأننا نرى كل ما يفعلون . ثمَّ هجموا على الشماس الضرير وهو يصلي فضربوه وجرحوه وحاولوا قتله لكنهم تخلوا عنه لما قال لهم انهُ ضرير واعطاهم ما عليه من الثياب . ونحن وقتئذٍ في مخبأنا نقول بعضنا للبعض : « الآن يثبون علينا . فما العمل . نجنا يا رب »

النجاة

ونحن في هذا الفكر واذا بالصانعة وهي فتاة بسيطة جداً وغاية في التقى تقول لنا : فلنهرب من باب الجنينة لأنَّ هذا الباب من داخل الدير فقلنا لها : « اما سمعتِ كيف طرقوا كلَّ الابواب وهم الان في وسط الدير يرمونكِ بالرصاص فتموتين » . لكنَّها لم تنتظر جوابنا بل خرجت للحال وذهبت تحت ستر الظلام وفتحت باب الجنينة دون ان تجد احداً فعادت الينا مسرعةً واخبرتنا بذلك وكأن ملاكاً اتى من السماء ليخلصنا من ايدي اولئك الوحوش الضارية . فتبعنا الصانعة دون وعي ولم نأخذ معنا شيئاً من اكل وملبوس ولم يكن علينا غير ثيابنا العتيقة . فاخرجتنا من الباب المذكور وافتكرنا ان نختفي في الجنينة الا انَّ لهيب بيوت الجيران ودخانهُ المتصاعد كان يُطلع علينا ويعمينا . فبقينا حيارى لا ندري ما العمل واذا بالصانعة ملاكنا المنظور في تلك الليلة اشارت الينا بان نتبعها لكي تأخذنا الى مكان امين . وكانت الساعة نحو الحادية عشرة من الليل الدامس . فقفزت امامنا كالظبية فوق سياج الجنينة ونحن في اثرها وهي تلتقفنا حين نقع ثم صرنا نتشبَّث بالصخور ونطفر في حُفَر الارض فنعلو تارةً ونهبط اخرى وثيابنا تتخرَّق بين الدغل والاشواك لكنَّنا لم نبالِ وكلّ همّنا ان نبلغ الى مأمن . وكنَّا نسمع غوغاء المتاولة « وزلاغيط » نسائهم اللواتي يجمعن اسلاب القرية وغنائمها ونمرّ في ضوء اللهيب اشباحهم كشياطين الهاوية . وكانت

الحيوانات نفسها تبدي هلعها وكان البقر يخور والديكة تصيح والكلاب تعوي والقرميد يتحطم عند سقوطه .

فمشينا نحو نصف ساعة حتى بلغنا الى شجرة وارفة الظل فاسترحنا قليلاً ونحن نستتر تحت اغصانها الكثيفة لئلا يرانا احد والفتاة نجية تجس حولنا خوفاً من عدو يترصدنا . وبعد حين شاهدنا اللهيب يتصاعد من بيت قريب منا حتى مسنا شراره فقالت الصانعة : هيا بنا نسير الى مكان آخر فانه على مسافة ساعتين من هنا مكاناً اسمه بسبسه وعراً جداً قد هرب الناس اليه ليختبئوا فيه وانا اعرف الطريق : فالعجل العجل . فتبعناها بين الحجار والصخور والاشواك في وهاد وتلال نقع مرة ونقوم اخرى وقلبنا مقطوع من الخوف وظهرنا محاول من كثرة الرعبات ونحن لم نذق طعاماً منذ الظهر . الا ان الفزع كان يطير الوجع . فكنا نسير في الغابات المقفرة والاودية المحجرة مساكن الوحوش التي كنا نسمع صوتها ومآوي الحيات حتى وصلنا بعد الجهد الجهيد وقطع النفس الى المكان المقصود وهو غور نهاية في الوعور تغطيه الاشواك ولا تكاد تأوي اليه اللصوص فكان وصولنا الساعة الواحدة بعد نصف الليل

وجدنا هناك قسماً من اهل عين ابل التجأوا اليه فسررنا بمشاهدتهم ولا سيما اذ رأينا معهم الاخت بربارة وكل فكرها فينا اذ رأت اللهيب في جهة ديرنا فظنت اننا ذهبنا ضحية النار فصارت تندب وتقول : قد احترقت الراهبات في الدير . ورفقتها يصرخون : يا رب نج نج الراهبات من الحريق . فلما وصلنا اليهم شكروا الله من صميم القلب على خلاصنا وعدوا ذلك اعجوبة من قلب يسوع

ثم اخذنا نتشاور مع الجماعة الى اين نذهب فغلب الرأي ان نسير الى قرية رميش فمشينا معهم في طرق غير مسلوكة لئلا يهتدي الينا الاشقياء فكم اصابنا من عذاب الطريق حتى وصلنا عند الفجر الى رميش وكان الندى يتساقط على ثيابنا فبللها فصرنا نرجف ونتقعقف من البرد ونتلفلف بثيابنا العتيقة المتخرقة وكان أملنا ان نلقى فيها ما يمسك رمقنا فاذا بها فارغة ليس فيها ديار ولا نافخ نار فكل اهلها اذ سمعوا ما حل بعين ابل ولوا هاربين فلم نجد من يبرد غليلنا بكأس ماء او يسد جوعنا بكسرة خبز لاسيما الاولاد يستغيثون ويطلبون ماء وخبزاً وليس من مغيث . الا اننا وجدنا في طرف القرية قوماً من اهل عين ابل كانوا سبقونا اليها فراراً من المتاولة فاخذوا يسألوننا

عن اهلهم وذويهم فاقدناهم ما وقفنا عليه فكانت هذه الاخبار كسهام نافذة في قلوبهم أفجرت عيونهم سيولاً فشاطرناهم الاحزان

ثم قلنا لهم هيّوا بنا الى قرية اخرى نجد فيها شراباً وطعاماً . فمشينا الى قرية المنصورة ومنها الى غيرها ثمّ غيرها ونحن لا نجد في واحدة منها نصيراً ولا معيناً وكل الاهلين قد نجوا بنفوسهم من هجوم المتاولة وعزّتهم . . ثم واصلنا السير حتّى دخلنا منطقة حماية الانكليز فوصلنا الساعة ١١ قبل الظهر الى قرية تدعى فوطة كان اهلها ايضاً تفرّقوا لخوفهم الّا اصحاب بيت واحد كانوا على وشك الفرار واذا بهم يطبخون الغداء دست لبنيّة ويخبزون المرقوق على الساج لزوّادتهم . وقد قدّر الله انهم كانوا من اصحاب الخير والكرم فلمّا عرفوا حالتنا من الجوع والعطش ونحن زهاء مئة نفس ترحّبوا بنا وقدّموا لنا ما حضر عندهم من حليب وزبدة وخبز ابيض ولبنيّة فأكلنا جميعنا ما قسمهُ الرب من خيره وخير الكرام وشكرناهُ تعالى على ما انعم وتمنّينا لاولئك المحسنين الف خير

ثمّ قام كلّ منّا متوجّهاً الى حيث يؤمل لنفسه وآله اماناً وخلاصاً . امّا نحن فقصدنا الذهاب الى ديرنا في معليا من قضاء الانكليز بيد انّنا ما كنّا نعرف الطريق وليس من دليل يدلّنا . وكان قد قرب الظهر . فصرنا نمشي على التخمين حتى صادفنا رجلاً بعد ساعة فاستدللنا منهُ عن طريق معليا فأجابنا : هذه طريق صعبة جداً يقطعها اللصوص فلا يمكنكنّ سلوكها . فرجعنا الى القرية وسألنا الفلاحين والمزارعين عن طريق مساركة فكلهم يقولون : انّ سائر الطرقات مقطوعة . وصاروا يقصّون علينا الف حادث مزعج يجري كلّ يوم فيها . . فاستولت علينا الحيرة والشمس تحرق اجسامنا بلهيبها ليس لدينا مظلّة نلطّف بها حرّها

فبينما نحن في تلك الحالة التعيسة اذا برجل مرّ بقربنا فتوسّلنا اليه بأرقّ الكلام واوقعه في القلوب ان يسير معنا الى معليا . فقال : كيف اسير معكنّ والطريق كلّها يقطعها اللصوص . فقلنا : وماذا يستطيع اللصوص ان يأخذوا منّا وليس لنا سوى هذه الثياب الاخلاق . قال : آتي بشرط اني انجو بنفسي اذا خرج علينا اللصوص اذ ليس لي من السلاح غير هذه العصا . فاتّكلنا على الله وابتدأنا ان نصلي على نيّة النفوس المنقطعة اتشفع فينا وتنجينا من كلّ عدوّ . فمشى الرجل ومشينا وراءه وهو ينطّ

مثل العصفور ويقول: الحقوني واستعجلوا. فسرنا حفاة بين الحجارة والصخور والشمس تقدح في رؤوسنا. والرجل من مدة الى اخرى يقول: هنا امس قتلوا واحداً. وهنا نهبوا آخر. وفي هذا الممرّ اخذوا مواشي فلان. فكان كلامهُ يقطع قلبنا ويحلّل ركبنا فضلاً عن الشوك الداخل في ارجلنا فكم كنا نقع ونقوم ونتقرع في سيرنا الاشواك النافذة في جوارحنا.

وكان برفقتنا امرأة من تلميذاتنا تربت في ديرنا مدة ١٥ سنة واعتنت بها الاخت سلستين عدة سنين وكانت قد ولدت طفلاً قبل ٢٠ يوماً تحملهُ وهي بحالة الضعف والطفل يبكي ويتململ كانهُ اوشك على الموت فتخلفت عنا وهي ترثي لحالنا اكثر منها لحالها. فاسكتناها واخذت الاخت ساستين طفلها ولفّتهُ بثيابها لتصونهُ من حرّ الشمس. فمشينا هكذا الى نحو الساعة ٥ بعد الظهر وقد اخذ منا التعب كلّ مأخذ وغلب علينا العطش لا سيما الاخت انستازي التي خارت قواها واضنكها العطش وهي تطلب بقلب مجروح جرعة ماء. فصبّرناها بذكرى يسوع على صليبهِ اذ صرخ: انا عطشان.. فصبرت مدة ثم رأت حالها في ضنك شديد كاد يُغمى عليها فلحقتها الام المرضع بنقط من حليبها ثمّ تقدمت الواحدة منا فاسرعت الى معليا وهي لا تزال على بعد نحو ساعتين فأتت بابريق ماء. فلما شربت الاخت امكنها ان تتبعنا الى القرية. والحق يقال انّنا في هذه الساعات الاخيرة تكبّدنا من العناء ما لا يفي بهِ وصف فكنا نرجف زحفاً من العياء والنَّصَب

وصلنا الى معليا بعد غياب الشمس ودخلنا دير اخواتنا في حالة يرثى لها وكانت رئيسة الدير الاخت اورسلا قد بلّغها خبر مصائبنا مع تفاصيل نكبات عين ابل بواسطة كاهن القرية التي نزلنا فيها فسبقنا. فأثرت هذه الامور في جسمها الضعيف حتّى وقعت على الارض صريعةً لا تعي. وكانت رفيقتها الاخت بلاجيا تعتني بها لا يمكنها ان تفارقها لتجد احداً يأتي لمساعدتنا. فكان دخولنا عليهما كموتى عادوا من قبرهم. فانعش وصولنا الاخت اورسلا فاسرعت هي والاخت بلاجيا الى الاعتناء بامرنا والدموع تجري من عيون الجميع وكان اوّل كلامها: الشكر لله على نجاتكنّ سالمات! لقلبهِ الاقدس المجد الذي خلّصكنّ بهذه الاعجوبة الباهرة!. فقضينا تلك الليلة في مداواة جروحنا وابدال ثيابنا وسدّ رمقنا فكأنّنا خلقنا لحياة جديدة

وفي اليوم الثاني ذهبنا الى ترشيحا لنستأجر مكارياً يأخذنا الى عكا . ونحن هناك اذ رأينا اهل معليا هجروا بلدتهم واتوا الى ترشيحا واكثر اهلها مسلمون سنيون يحتمون اليهم من المتاولة مع متاعهم على رؤوسهم واطفالهم على اكتافهم . فراهبات معليا اذ رأينَ اهلها هاربين تبعنهم ولكثرة ازدحام الناس بقينا كلّ واحدة ضائعة عن رفيقتها الى ان وجدنا بعضنا بعد التفتيش الطويل وظللنا اياماً في ترشيحا نطلب مكارياً ليسير بنا الى عكا فلم نجدهُ الّا في اليوم الرابع لكننا اسرعنا فأرسلنا تلغرافاً الى رؤسائنا في بيروت على يد رئيسة الناصرة في عكا مدام دي ريو الفاضلة اعلمناهم بخراب ديرنا في عين ابل وبقرب وصولنا الى بيروت بحراً (١)

وجدنا في عكا اهناً ضيافة في دير راهبات الناصرة فاستقبلتنا رئيستهنّ مع اخواتها بكل لطف وحنوّ ولم يوفرن شيئاً من العناية بنا جازاهنّ الله كلّ خير . ومثلهن راهبات حيفا اخواتهنّ فبذلن كلّ وسع في خدمتنا وتعزيتنا عن مصائبنا وذلك مدة اثني عشر يوماً الى ان وجدنا مركباً ينقلنا الى بيروت . وكنّا اثناء اقامتنا في حيفا نزور كلّ يوم المهاجرين من عين ابل وعددهم نحو الالف ما عدا الذين هربوا الى صفد وصور والجش وجهات أخرى فكنّا نسمع منهم عن اهلهم وبيوتهم وارزاقهم اخباراً تثير الاشجان وتهدّ الاركان فنمزج دموعنا بدموعهم . وقد لقي هؤلاء المساكين في حيفا من كرم المحسنين وخصوصاً من عناية مطران عكا الفضال السيّد غريغوريوس حجّار الشهير بحسناته ومحبّته نحو البؤساء كلّ المساعدات الممكنة ولم يحرمنا ايضاً من اسعافه بارك الله كلّ مساعيه الخيريّة وحقّق كلّ رغائبه الصالحة

ومنّن لقيناهُ في حيفا شمّاسنا انطانيوس الضرير الذي تركناهُ في معبدنا . اخبرنا انّ المتاولة في صباح تلك الليلة الهائلة هجموا كالذئاب على ديرنا وقضوا ثلثة ايّام ينقلون منهُ كلّ ما يحتويه من مؤونة واثاث وحاجات مدارس . ثمّ اضرموا فيه النار فحرقوهُ وهم يتغنّون بهذه الاقوال : « يا ما احلى كش العصفورة ! يا ما احلى سرق وحرق الديورة ! الخ » امّا هو فانتقل الى بيت امرأة ضريرة مثلهُ . كانت نجت لعلّتها ايضاً

(١) وفي اثناء ذلك عادت صانعتنا نجمة بكل جرأة الى عين ابل ماشيةً لتنظر ماذا حلّ بأهلها فوجدت امها قد قُتلت وكانت مثال البر والتقى فدفنتها بيدها كتيبةً ودفنت غيرها من اهلها وعادت فلحقتنا بعد ان ذهبت الى صفد للاستخبار عن راهباتها

فاخذها معهُ وسارا متخاصرين الى كفر برعم اعمى يقود عمياء. وانما الشماس ذكيّ عالم كان سابقاً معلماً للاولاد محسناً لتفسير التعليم المسيحي فهداهُ ذكاؤهُ الى وجود طريقة للنجاة من ايدي الظالمين والى قطع المسافة بين عين ابل وحيفا ومنها الى بيروت

وكان وصولنا الى بيروت في ٢٣ من ايار يوم عيد سيدة معونة النصارى التي لسعفتنا في هذه المحنة وأوصلتنا سالمات الى ديرنا العامر

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر : الفنون الجميلة بين نصارى العرب : ١ الهندسة (تتمة)

﴿ الهندسة المدنية ﴾ قد اتسعنا في ذكر الهندسة النصرانية الدينية في عهد الجاهلية واوائل الاسلام بين العرب . وفي جزيرتهم ايضاً ابنية غيرها مدنية كالقصور والحصون وغير ذلك مما يشيدهُ الملوك والذوات لاغراضهم الخاصة او لشؤون مملكتهم . وهذه الآثار كثيرة في كل انحاء العرب ولاسيما في ممالكها الثلث اي التبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام ورد شيء من ذكرها في الشعر الجاهلي والتقليد القديم وكشف على بعضها اصحاب الرحل الى جزيرة العرب في الحقبة الاخيرة . فهذه المباني لا يُعرَف لها غالباً تاريخ ولم تُذكر اسماء بُناتها ولا جرم انَّ للنصارى في قسم منها نصيباً صالحاً

وان باشرنا بالعراق وشمالي الجزيرة وجدنا في شعر الاسود بن يَعفر بعض قصور لآل محرّق ولبني إياد فقال :

ماذا اؤمل بعد آل محرّق تركوا منازلهم وبعد إيادِ
اهل الخَوَرْنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

فهذه القصور بُنيت لملوك نصارى وقد تولّى بناءها مهندسون نصارى ذكروا

احدهم وهو رجل رومي يقال له سِنِمّار بني الخورنق للنعمان الكبير (ياقوت ٢ : ٤٩١)

وقد اطرأ العرب محاسن الخَوَرْنق دون ان يدققوا في وصف بُنائه . ولعلّهُ هو القصر الذي زارهُ المستشرق البارع لويس ماسينيون سنة ١٩٠٨ المعروف بقصر الأُخَيْضر وألفت اليه نظر العلماء في جمعيّة الكتابات والفنون سنة ١٩٠٩ ثمّ زارتهُ الآنسة الانكليزيّة مس بل سنة ١٩١٠ واحسنت وصفهُ في كتابها المدعو (Amurath to Amurath) واثبتت صورهُ (ص ١٤٧—١٥٨٠) وهو بناء عظيم ذو طابقين تدلّ بقاياهُ الجليلة على عظم شأنه امّا اسمهُ الأُخَيْضر فقد اختلفوا في اصله ولعلّ الاصحّ ما قيل في ذلك انهُ تصحيف الأُكَيْدِر صاحب دومة الجَنْدَل النصراني الذي مرّ لنا ذكرهُ (ج ١ ص١٠٨) . وقد جاء هناك عن البلاذري ان عمر بن الخطّاب نفاهُ من وطنه لمخالفته دين الاسلام فنزل موضعاً قرب عين تمر في جهات العراق وبنى به منازل سمّاها دومة باسم حصنه (راجع مجلّة لغة العرب ٢ : ٤٧)

وممّا ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ١١٦) من الابنية النصرانيّة المدنيّة قصر العَدَسيّين قال « انهُ في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح نُسبوا الى جدّتهم عَدَسة بنت مالك بن عوف الكلبيّ »

ولا نشكّ في انّ النصارى هم الذين شيّدوا للخلفاء وامراء العراق مبانيهم . فان الالمانيين ارباب الحفريّات في سامرّا وجدوا بين انقاضها صوراً وتماثيل اشخاص بالوانها مع رسوم هندسيّة متنوعة وصلبان كثيرة موقعة باسم شماس نسطوريّ بارع بالتصوير ورد اسمهُ على صورة «مسمس» (ܡܫܡܫܡܢܐ)

وقد افادنا ياقوت الروميّ (٤ : ٤١٣) انّ قصر الخليفة المتوكل المعروف بالجعفري الجامع لكل محاسن البناء كان بانيه دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا الشرابيّ

وممّا وقف عليه الاثريّون والسيّاح في ايّامنا من الابنية الجليلة والآثار البديعة في جهات العرب في الحماء مؤاب غربيّ وادي سرحان عدّة قصور فخيمة ومعاقل جليلة سبق لنا ذكرها في المشرق غير مرّة (١ [١٨٩٨] : ٤٨١ و٦٣١ ثم ٤ [١٩٠١] : ٧٦٥ — ٧٦٦ الخ) كالمشتّى وقُصَيْر عَمْرة وطوبة وفيها من الآثار الهندسيّة ومن التصاوير وتمثيل احوال البادية كالصيد والغزوات والمآدب والصنائع ما انذهل العلماء

لوجودهِ في البراري . واتسعت منذ ذاك الحين مجلات العلماء ولاسيّما تآليف المستشرقين في وصفها والبحث عن بُناتها ومصوّريها . واليوم قد رجّح العلماء ان هذه الابنية من عهد الوليد بن يزيد الخليفة الاموي . وكان يفضّل العيش في البادية على المدن . فيصرف القناطير المقنطرة لبناء تلك الآثار ليسكناهُ وسكنى جنودهِ وحاشيتهِ . امّا مهندسو هذه القصور فكانوا ايضاً من نصارى الشام ومصر والجزيرة وقد نسبها العلماء اوّلاً الى بعض ملوك العجم ثمّ الى بني غسّان او الى بني لخم حتّى رجّحوا آخراً كونها للوليد بناها لهُ النصارى الوطنيّون . وفي هندسة هذه القصور ما استدلّوا بهِ على بلادهم المختلفة فكأنّ كلّ فريقٍ منهم تتبع طريقتهُ الهندسيّة التي اعتادها في موطنهِ . وقد وقف حضرة الاب هنري لامنس في تاريخ بطاركة مصر لساويروس بن المقفّع على ما يؤيّد نسبة هذه البنايات في بوادي العرب للوليد . قال ابن المقفّع :

« وضبط الملك (بعد هشام) الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان جفهُ يبغضهُ فبدأ يبني مدينة على اسمهِ في البريّة وجعل انساناً عليها وكان الماء بعيداً منها خمسة عشر ميلاً وجمع الناس من كلّ موضع وبنى فيها بيد قويّة ومن كثرة الناس كان يموت كلّ يوم فيها جماعة من قلّة الماء وكان يحمل لها الماء الف ومائتا جمل وما يكفيهم كلّ يوم وكانوا الجمال فرقتين ٦٠٠ تحمل يوماً و ٦٠٠ تحمل يوماً فوثب عليهِ رجل اسمهُ ابراهيم (١ فقتلهُ واخذ الملك منهُ واطلق الاسارى فمضى كلّ منهم الى موضعهِ »

ولو تتبّعنا بعد هذا المآثر البنائيّة العربيّة في شمالي الشام وفي باديتها وما وراء الاردن وفي الحجاز واليمن وفي مصر لوجدنا آثار الهندسة المدنيّة النصرانيّة في كثير منها غير ان هذه الفنون الهندسيّة لم يُحكم العلماء درسها ليتحقّقوا اصلها ودقائق صُنعها وفي القليل ممّا ذكرناهُ دليل كافٍ لاثبات قولنا بانّ النصارى اكبر فضل في البناء العربيّ الدينيّ والمدني معاً (لهُ بقيّة)

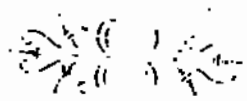

١) والصواب ان الوليد قُتل في محاربة يزيد الثالث ابن عمهِ قتلهُ بعد انتصارهِ عليهِ ولم يطل زمن ملك يزيد ثمّ ملك بعده ابراهيم المذكور هنا

مطبوعات شرقية جديدة

Fischer (Dr Hans) : Wirtschaftsgeographie von Syrien mit einer Wirtschafts-Karte, 8°. *Indischer Verlag, Berlin*. 1919

جغرافية سورية الاقتصادية

انجز الدكتور فيشر هذا التأليف في اواخر الحرب اذ تقهقر الاتراك مع الالمان من فلسطين وهو كتاب معتبر جمع فيه مؤلفهُ كلَّ المعلومات التي امكنهُ الحصول عليها لبيان احوال سوريَّة الاقتصاديَّة . وقد ساعدهُ على ذلك نفوذ دولتهِ في فلسطين وانحاء الشام . ولا شكَّ انَّ هذه الاحوال بعد انتصار الدول المتحالفة سوف تتحسَّن فيقاس التحسين على معلومات هذا الكتاب . ومن فوائده خارطتان دقيقتان تدلُّ الواحدة على حالة التربة من الجهة الاقتصاديَّة . والاخرى على احوال البلاد الصناعيَّة والتجاريَّة والمعدنيَّة . هذا الى اربعة رسوم يستفاد منها قياس المطر السنوي ثمَّ احصاء السكَّان ثمَّ المستعمرات اليهوديَّة والالمانيَّة في فلسطين ثم رسم حيفا وجوارها مع ستَّة جداول

Ferry (Abel) : La Guerre vue d'en Bas et d'en Haut, in-16, pp. 328. *Paris*, 3e *éd*., 1920.

الحرب من اسفل ومن علُ

وضع هذا الكتاب في اثناء الحرب احد ضحاياها الذي قُتل قبل الهدنة بايَّام قليلة وهو المسيو هابيل فري وكان احد مندوبي مجلس الامَّة لمعاملة الفرج فاراد حبًّا بوطنهِ تكليف نفسه بان يتجوَّل في ساحات الحرب ويحرِّر ملحوظاتهِ عن احوالها وحركاتها وقوَّادها وجنودها ليشير الى زملائهِ بما في شؤونها وتدبيرها من الخلل ليتداركوهُ بالشورى . فكتاباتهُ هذه التي نشرت الجرائد البعض منها قد جمعها اهلهُ فنشروها بعد موتهِ . فيستدلُّ من هذا الكتاب على تفاني المؤلف في خير وطنهِ وحسن نظرهِ في عدَّة امور القيت بموجب تحاريرهِ على بساط البحث في مجلس الامَّة فتداركوا ما تحقَّقهُ من الخلل في حالة الجنود وفي العُدَد والاسلحة والذخائر فكان كتابهُ مساعدًا لما نالتهُ فرنسة من الظفر

ج . لوفنك

Louis Capelle S. J : LES AMES GÉNÉREUSES, *Paris, G. Beauchesne, in* - 12, 1920, *pp.* XXVIII — 623

النفوس الكريمة

ليس الكرم المذكور في هذا الكتاب السخاء ببذل المال بل الجود ببذل النفس في خدمة الله جمعهُ حضرة الاب كابل اليسوعيّ من اقوال واعمال كبار اولياء الله ولا سيّما القديسين الذين خصّهم الرب بكرامات ورؤى عجيبة فاجتذبهم الى حبّهِ بتضحية نفوسهم ورضاهم باصناف الآلام من يدهِ تعالى وحملهم صليب ابن الله بكل نشاط وارتياح يفضّلون آلامهُ على كلّ ملاذّ الدنيا وشهواتها ففي تراجم هؤلاء القديسين تعاليم سامية وحكم الهيّة من شأنها ان تنير النفوس الصالحة وترشدها الى طريق الفضيلة وتنكّب بها عن كل ما يشتهيهِ العالم واصحابهُ فانتقى المؤلف هذه الشذرات ونظمها على اسلوب مبتكر فجعلها كدستور للنفوس الصالحة الطالبة أعلى درجات الكمال . ومع اقرارنا بفضل حضرة الجامع قد رأينا في بعض منقولاتهِ ما يجب التحفُّظ في تصديقه والكنيسة لم تبدِ حكمها فيهِ لا سيّما ما ورد في الصفحات ٣٦٢ الى ٣٦٩ عن امور الطهر . وهناك في الصفحة ٣٧٠ آراء عن اليسوس لا توافق تعليم اللاهوتيين فكان يجب التنبيه عنها . لكنَّ هذه الكنف لا تكاد تخفّف شيئاً من انوار تلك الشمس الساطعة التي تنبعث ضياؤها من هذا الكتاب ب. كسنتاكيس

Hans V. Kiesling: DAMASKUS altes und neues aus Syrien = 2) RUND UM DEN LIBANON. *Leipzig.* 1919 - 1920, *in* - 8. *pp.* 126 *et* 120

وصف دمشق — سياحة في لبنان

ليس في هذين الكتابين شيء جديد . فانَّ الاوّل منهما يحتوي وصف دمشق والثاني سياحة الى لبنان . مؤلفهما ضابطٌ الماني لا يُعَدّ من الاثريين ولا من المستشرقين وانّما سكن لبنان في زمن الحرب الاخيرة فانتهز الفرصة لزيارة انحاء الجبل وعاصمة الشام فدوَّن في مذكرتهِ بعض الملحوظات عنها فممّا لاحظهُ في كتاب دمشق (ص ١٩) انَّ العرب مواطني فيصل ليسوا كما يظنّ البعض رجال بأس ومروءة فقد رأوهم غير مرّة يجرّدون الجرحى في ساحة الحرب من ثيابهم سواء كانوا اتراكاً او الالمانيين او انكليز على سواء . وممّا افاد هناك (ص ٣٥) انَّ الالمان باشروا في دمشق مدّة الحرب حفريّات حول الجامع الامويّ اوقفتهم على ساحة الشعب

(Forum) القديمة ومساحتها . فلعلّ منشورات الاثريين تفيدنا قريباً عن صحّة الخبر ونتائج الحفريّات . امّا الكتاب الثاني المشتمل على سياحة لبنان فانّ كاتبهُ ينقل اشياء كثيرة دون تمحيصها ببودقة النقد . على انهُ يحسن الظنّ باللبنانيين ويمدح نشاطهم ونظافتهم ويذكر محبّتهم العميقة لفرنسة ولم يجد اثرًا لميلهم الى دولة عربيّة وغاية ما يطلبون النجاة من النير التركي وحماية دولة كبرى لا سيّما فرنسة . فهذه شهادة من احد الاعداء ابلغ من كلّ مدّعيات وطنيينا الخواجا خيرالله في كتابه Les Régions Arabes libérées

الاب ه . لامنس

E. J. W. GIBB MEMORIAL: 1) XXII: Kitab Al-Luma Fi'ltasawwuf of Abû-Nasr Al-Sarraj. Text edited by R. A. Nicholson. 1914, pp. L + 154 + ٤٧٢ = 2-3) XXIII. 1 et 2. Nuzhat Al-Qulûb by Hamd-Allâh Mnstawfi of Qazwin. Persian Text with Translation by G. Le Strange, 1915 - 1919. pp. XVII - ٢٧٨ and XIX-322 = 4) XXIV. Shamsu'l-'Ulum by Nashwân Ibn Saïd. Extract gesammelt, alphabetisch geordnet und herausgegeben von 'Azimuddin Ahmad. Ph. D, 1916. pp. XXIII + 44 + ١٦٣ *Leyden. E. J. Brill*

اربعة آثار من مطبوعات شركة جبّ

انقطعت عنّا لوقوع الحرب مطبوعات شركة جبّ فأُرسل الينا منها مؤخّرًا الكتب الآتية : ١ً كتاب اللُّمع في التصوّف لابي نصر عبدالله السرّاج الطوسيّ الصوفي المتوفّى سنة ٣٧٨ ه (٩٨٨م) وهو كتاب واسع في ٥٢ فصلًا جمع فيهِ مؤلفهُ ما عرفهُ عن اسم الصوفيين وتاريخهم ومشاهيرهم وطريقتهم واصطلاحاتهم الخ . وهو مفيدٌ جدًّا للوقوف على احوال الصوفيّة الذين زعم الزاعم انّ بعض الرهبانيّات النصرانيّة تقلّدوهم والصواب انهم هم الذين اقتفوا آثار الرهبان الذين سبقوهم اجيالًا ثمّ خاطوا بتعاليمهم ما انكرهُ عليهم المسلمون وغيرهم لا سيّما مذهب الحلول — ٢ً الكتاب الثاني بالفارسيّة هو لحمد الله (وفي كشف الظنون يروى لحمَد) بن ابي بكر بن حمد المستوفي القزويني المتوفّى سنة ٧٥٠ ه (١٣٤٩ م) في ثلث مقالات الاولى في مواليد الطبيعة والثانية في الانسان والثالثة في البلدان مع خاتمة في عجائب العالم . وهذا الكتاب طُبع طبعاً سقيماً في بمباي فعمد العلّامة المستشرق غي له سترنج الى قسمهِ الثالث الجغرافي فطبعهُ طبعاً مصحّحاً وذيّلهُ بالحواشي المفيدة

واضاف اليه الفهارس تتمّة لفوائده—٣ وليس الكتاب الثالث سوى ترجمة التأليف السابق الى الانكليزية مع الملحوظات الموافقة والفهارس الحسنة . فنشكر ناشر هذا الكتاب الذي يزيدنا علماً عن عدة بلدان نازحة في عهد القرون الوسطى = ٤ الكتاب الرابع من امتع المصنّفات واجداها نفعاً لمعرفة امور اليمن وهو لنشوان ابن سعيد الحميري اليمني المتوفى سنة ٥٧٣ هـ (١١٧٣ م) سمّاه شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . قال الحاج خلفاء في وصفه (٤ : ٧٤) : هو « في اللغة ثمانية عشر جزءاً سلك فيه مسلكاً غريباً يذكر الكلمة من اللغة فان كان لها نفع من جهة ذكره وذكر في كلّ مادّة ابواب الكلمة ومستعملاتها » وهذه الطبعة لا تحتوي غير منتخبات في اخبار اليمن اعتنى بنسخها وتصحيحها عظيم الدين احمد وقدّم عليها المقدّمة والملحوظات اللغويّة والتاريخيّة مع فهرس واسع على حروف المعجم لأعلام الرجال والنساء والحيوانات والاصنام ثمّ للاماكن والامم والقبائل والفرق والكتب فجاء سفراً فريداً في بابه لا سيما لمعرفة اخبار اليمن . فترى من الاوصاف السابقة كم اضحى الناس مدينين لشركة جبّ لنشرها اعزّ الكتب التي لولاها لأخذها النسيان وضاعت في زوايا الخمول ل . ش

١ سبيل الوصول الى الأصول او الفصول البيّنات في اصول الكائنات (ص٢٠٨) = ٢ صدى الحقائق المردّد ما بين موسى وعيسى ومحمّد (الكتاب الثالث) (ص ١٨٣) وكلاهما بقلم الخوراسقف خير الله اسطفان المعتمد البطريركيّ الماروني

طُبعا في نيويرك في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٦

اطّلعنا بملء السرور على هذين المصنّفين الجليلين فالاوّل قد خصّه المنسنيور خيرالله باهمّ الابحاث الفلسفيّة كوجود الخالق واصل الكائنات من المواليد الثلاثة وتركيبها وجواهرها وخواصّها المميّزة لها وخصوصاً النفس وروحانيّتها وخلودها الى غير ذلك من الابحاث التي اثبتها بالبرهان وفنّد فيها اوهام المبتدعين والماديين والدرويشيين وذوي الحلول على طريقة سهلة قريبة المنال وعبارة متينة وادلّة مقنعة . فيا ليت كتبة اميركة يعملون النظر في هذا التأليف فينكبوا عن سبل الضلال في المباحث

الفلسفية – والثاني قد قابل فيه المؤلف بين حقائق النصرانيَّة وتعاليم الأمة المحمَّديَّة فذكر ما بينهما من الاختلاف وحكم الحكم الصواب في ما رآهُ اقرب الى الحق. فلا بُدَّ من اضافة هذين الكتابين الى ما اسلفناهُ عن المطبوعات العربيَّة في اميركة ابَّان الحرب وهما من افضل منشورات العالم الجديد

مقالات دينيَّة قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر

طبعة ثانية مصحَّحة ومزيد عليها بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٠ (ص ٨ + ١٤٩)

قد عرف القرَّاء فضل هذا الكتاب الحاوي لمقالات كلها درر لقدماء كتبة النصارى ظهر معظمها في المشرق فطُبعت على حدة . واذ قد نفد طبعها اسرعنا الى اعادة النظر فيها لإصلاح ما وقع فيها من الاغلاط بعد مراجعتها على نسخ خطِّية جديدة حصلنا عليها . واضفنا اليها اربع مقالات جديدة من جنسها فبلغ مجموعها العشرين وكفى باسماء مصنِّفيها تنويهاً بمحاسنه فمنها لبولس الراهب اسقف صيداء في القرن الثالث عشر . ومنها ما يرقى الى القرن التاسع كمقالات ثاودوروس ابي قرَّة وحنين بن اسحاق . ومنها ما هو بين العهدين كمقالات عبد يشوع الصوباوي وعيسى ابن يحيي وابن عسَّال . فهذه الاسماء احسن شاهد على خطورة هذا المجموع ومحتوياته النفيسة فنحضّ الادباء عموماً ورعاة الدين خصوصاً لا سيَّما المترشحين للكهنوت على مطالعته والاقتباس من فوائده ل . ش

١ حياة الجنرال غورو المندوب السامي الجمهوريَّة الفرنساوية في سوريا. تعريب جورج بشعلاني (ص ٤٠) = ٢ حياة صاحب السموّ الامير سعيد الجزائري (ص ٤٨) = ٣ وقائع صاحب السموّ الامير سعيد (ص ٧٢)

بيروت المطبعة اللبنانيَّة ١٩٢٠

وصفنا سابقاً في المشرق (ص ١٥٤) سيرة حياة فخامة الجنرال غورو تأليف المسيو بيار غستينه فاحبَّ الاديب جورج بشعلاني نقلها الى العربيَّة تعميماً للفائدة فأجاد — ولجانبه ايضاً حياة حفيد الامير عبد القادر وهو صاحب السموّ الامير سعيد الجزائري

فبيّن مع ترجمة سيرته ما له من المآثر المشكورة ولا سيما خدمهُ الطيّبة لدولة فرنسة التي قدّرت قدرهُ وقلّدتهُ اشرف المناصب . والكتاب الثالث مثلهُ يحتوي وقائع الامير مع ما جادت به قرائح بعض الشعراء كحضرة الخوري مارون غصن وابراهيم بك الاسود والاستاذ يوسف افندي الغلبوني وغيرهم فكان لثنائهم احسن تأثير

كنز النفوس او اهمّ الغفرانات

جمعهُ حضرة الخوري بولس سيُّور البولسيّ

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٤

كانت مطبعتنا الكاثوليكيّة نشرت سنة ١٨٦٦ مجموعاً صغيراً يحتوي الغفرانات القريبة المنال لاحد آباء رسالتنا . الّا انَّ هذه النعم الروحيّة يطرأ عليها تغييرات شتّى بامر المجمع المقدّس فمنها ما يُلغى ومنها ما يستحدث . فاحبَّ حضرة الخوري بولس سيُّور ان يُعيد النظر في الكتب الرسميّة التي نُشرت في هذا الموضوع مؤخّراً بأذن الكرسي الرسولي ومجمع الطقوس كتأليف الاب برنجر اليسوعي وغيرهِ فاقتطف منها هذا الكتيّب الصغير الحجم الكبير القيمة اذ بواسطتهِ يستطيع المؤمن ان يكفّر عن ذنوبهِ باسهل منوال ويسعف الانفس المطهريّة . وقد افتتحهُ بفصلين مهمّين بيَّن فيهما ماهية الغفرانات والشروط لربحها ان كاملةً وان جزئيّةً . فنشكر حضرة جامع هذا الكنز ونحضّ كلّ المؤمنين على الاقبال عليهِ ل . ش

تاريخ لبنان في الحرب

بقلم الخوري انطون بيت اللبناني (الجزء الثاني)

بمطبعة امين هنديّة بمصر سنة ١٩٢٠ (ص ٢٣٨)

سبق لنا وصف الجزء الاوّل من هذا الكتاب (ص ١٥٦) الذي لم يدخر كاتبهُ المدقّق وسعهُ لجمع موادّهِ عن اصدق المصادر واوثق الموارد . وليس هذا الجزء دون بكره فائدةً بوفرة معلوماتهِ وكشف مظالم الدولة التركيّة وارباب وعمّالها وبيان الحقائق السياسيّة التي اماط عنها القناع . وممّا قرأناهُ بكل رغبة وتأثير تفاصيل توقيف

وحبس وكتابات ووفاة الشقيقين فقيدي الوطن والمروءة والدين والادب الشيخين فيليب وفريد الخازن (٩٩ — ١١٤) وسُررنا ايضاً بما ورد في الكتاب عن اسرار المواصلة بين دول الحلفاء والبلاد السوريَّة في زمن الحرب (١٥٨ — ٢٣٦)

شذرات

﴿ تمثال قداسة الحبر الاعظم في الاستانة ﴾ روت جريدة الاوسرفاتوري رومانو لسان حال الواتيكان انهُ نُصب آخرًا في الاستانة بحفلة مؤثرة تمثال قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر برخصة ومشاركة ارباب الحكومة المسلمين وزعماء الطائفة الاسرائيليَّة شكرًا لهُ على مساعيهِ الجليلة لمساعدة المبؤوسين في مدَّة الحرب . والتمثال المذكور يمثل قداستهُ متوشحاً بالحلل البابويَّة تدلُّ يمناهُ على شارة الاستقبال وفي يدهِ اليُسرى كتاب الانجيل الطاهر

﴿ نجم جديد ﴾ يرصد الفلكيُّون السماء فيجدون فيها من العجائب ما يكلّ لسانهم عن وصفهِ . وممَّا وقفوا عليهِ في ٢٠ آب الماضي ظهور نجم جديد سطع نورهُ في الكوكبة المعروفة بالطائر او قنوس (Cygne) في شمالها . فكان النور اوَّلاً كنور النجوم الثالثة في العظم . ثم زاد سطوعاً فاضحى كالنجوم الثانية في العظم . وقد تنبعث منهُ غازات وافرة متجهة نحو ارضنا وسرعة هذا النجم في الثانية ١٠،٠٠٠ كيلومتر . وهو ممتاز بشرائط مشعة كالاجرام السديمية امَّا حرارتهُ فكحرارة الشمس تقريباً تبلغ ٧،٨٠٠ درجة من المقياس المئوي

﴿ استخدام الشمس بدلاً من الفحم ﴾ مرَّ لنا في المشرق (١٦ [١٩١٣]: ١٣٤) ذكر معادي الخيري وادواتهِ المستخدمة حرارة الشمس لاستخراج الماء من النيل وتوزيعهِ على الاطيان وبذلك يوفرون عليهم نفقات الفحم الباهظة . وقد دفع الآن غلاء الفحم الحجري بعض الفرنج في مصر الى استخدام ادوات صغيرة ذات قساطل لولبيَّة يجعلون فيها الماء ويعرضونها لحرارة الشمس مدَّة ثماني او تسع ساعات فتبلغ

حرارة الماء درجة الغليان فيطبخون ما شاؤوا من الاطعمة ويستفيدون من سخونة الماء لبقية اغراضهم

﴿ نقد اسلامي مصوّر ﴾ النقود الاسلامية المصوَّرة قليلة جدًّا وممّا وقع في يدنا من ذلك مسكوك من نحاس اتى به من حلب احد تلامذتنا يمثل رأسين متوجّين متجهين الى الامام كُتب فوقهما «لا اله الّا الله» وتحتهما «محمّد رسول الله» وعن يمينهما «المستنجد بالله» وعلى الشمال «امير المؤمنين» ويحدق بالصورتين والكتابات السابقة اطار خفيف. امّا الوجه الثاني فيمثل رأساً امامياً مفردا ذا شعر كثيف يحدق به. وقد كُتب في اعلاهُ «نجم الدين» وفي اسفلهِ «الپي بن ايل غازي» وعلى اليمين «ابن ارتق» وعلى الشمال «ملك دياربكر» فهذا النقد اذن لاحد ملوك دياربكر من الدولة الارتقية وهو نجم الدين الپي بن تمرتاش بن ايل غازي الذي ملك على ديار بكر وماردين من السنة ٥٤٧ الى ٥٧٢ هـ (١١٥٢ — ١١٧٥م). امّا الصور التي على وجهي المسكوكة فمنقولة عن نقود بوزنطيّة ورومانيّة. وكثيراً ما تمثل صور السيد المسيح والعذراء مريم او احد القديسين تجدها في نقود السلجوقيين ملوك الروم والارتقيين ملوك دياربكر وماردين وحصن كيفا. وفي نقدنا هذا مثال رأس احد الملوك البوزنطيين مع الملكة قرينتهِ. والصورة التي على الوجه الآخر تمثل صورة ميدوزة (Méduse) احدى الإلهات اليونان. ولالپي المذكور نقد آخر من فضّة على وجههِ صورة العذراء مريم تبارك الملك. وعلى اطرافها «ابو المظفّر الپي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق» (اطلب I. GHALEB EDHEM : Catalogue des Monnaies Turcomanes, p. 30)

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب جان بك بسترس في اي سنة ضرب الاروام مدينة بيروت

ضرب الاروام مدينة بيروت

حدث ذلك سنة ١٨٢٦ اذ قدم ليلًا ١٣ مركباً من الاروام بازاء البرج المعروف

بابي هدير فخرج منها عسكر ونصبوا السلالم شرقيّ بيروت على السور وتقدّمت المراكب الى الميناء. وعند الصباح دخل بعض الاروام المدينة واطلقت مراكبهم المدافع عليها الّا ان اهل بيروت هجموا على الاروام الذين دخلوا المدينة وقتلوا قسماً منهم فهرب الباقون الى مراكبهم المتعدة الى الغنايس ثمّ حاولوا ضرب المدينة فهاج المسلمون على النصارى والقوا كثيرين منهم في الحبس وغرّموهم مالاً وافراً ثمّ نالوا الامان بتوسّط الامير بشير الكبير (اطلب تاريخ الامير حيدر الشهابي ص ١٠١٦)

س وسأل احد اطبّاء البلدة في اي سنة أُنشئت مدرسة الطب المصريّة المعروفة بقصر العين مدرسة الطب المصريّة في قصر العين

ج أُنشئت هذه المدرسة في السنة ١٨٢٨ بهمّة الخديوي محمّد علي ومساعي الدكتور الفرنسوي النطاسيّ الشهير انطون كارت بك المولود سنة ١٧٩٣ والمتوفى سنة ١٨٦٨ . فهذا قدم مصر سنة ١٨٢٥ كطبيب للجيش المصري واهتمّ ببناء مستشفى للجند في قرية ابي زبعل قريباً من القاهرة . واذ وجد نفسهُ محتاجاً الى مساعدين اختار بعض التلامذة وعُني بتخريجهم في ذلك المستشفى وذلك سنة ١٨٢٨ وفي السنة ١٨٣٧ نُقلت المدرسة الطبيّة الى القاهرة فجُعلت في مكان مدرسة علميّة سابقة وعُرفت بمدرسة القصر العيني وخرج منها عدّة اطبّاء امتازوا بعلمهم وعملهم

س وسأل حضرة الخوري جبرئيل زين من جديدة مرجعيون متى جرت عادة التقديس على قربانة مطبوعة

القربانة المطبوعة

ج كانت القربانة في اوّل الكنيسة خبزاً بسيطاً من خمير او فطير يقدّمهُ المؤمنون للكهنة فيقدّسون عليهِ ثمّ اخذوا بعد ذلك يجعلون لخبز القربان هيئةً مدوّرة ويزيدون العناية في تهيئتهِ كما ورد في اعمال القديس ابيفانيوس . امّا طبع الصور عليهِ فهو ايضاً قديم فقد وجدوا في دياميس رومية ختماً كان يُطبع على القربانة وعليهِ في اليونانيّة ΕΓΑΟΓΙΑ ΕΓΙΟΡΙΩ وقد اختلفت صورة الختم فالكنيسة اليونانيّة تطبع صليباً مربعاً مع حروف يونانيّة مختصرة I C X C N K اي « يسوع المسيح انتصر » والكنيسة السريانيّة تطبع صلباناً صغيرة متعدّدة على القربانة . امّا الكنيسة اللاتينيّة فانّها تطبع صورة المصلوب وحدهُ ل . ش

السنة الثامنة عشرة العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٢٠

المشرق

رسالة دامسطيوس في السياسة

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

اتحفت مجلّة المشرق سابقاً قرّاءها بمقالتين فريدتين في السياسة لاعظم فلاسفة العرب الواحدة لابي نصر الفارابي نقلناها عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية والاخرى لابن سينا استنسخها حضرة الاب لويس معلوف من بعض مخطوطات مكتبة ليدن الشهيرة في هولندة ثم طبعناها في المجموعة الفريدة التي ظهرت في مطبعتنا تحت عنوان «مقالات فلسفيّة لبعض مشاهير فلاسفة العرب». وهناك مقالة ثالثة في السياسة (ص ٦٠—٦٩) تُنسب الى ارسطاطاليس. وكنّا وقفنا على مقالة رابعة في السياسة لاحد قدماء فلاسفة اليونان منقولة الى العربيّة في نسخة قديمة وصفناها غير مرّة (اطلب المشرق ١٦ [١٩١٣]: ١٧٣) كانت في ملك جناب الاديب جرجس بك صنا وهي اليوم في عهدة الوجيه احمد باشا تيمور. وهذه المقالة هي الثالثة من المجموع المذكور تُنسب «لدامسطيوس وزير اليان وهو يوليانوس الملك نقلها ابن زرعة من اللغة السريانيّة». كان دامسطيوس (Themistius) خطيباً يونانيّاً شهيراً نال في القرن الرابع للمسيح مقاماً رفيعاً عند ملوك الرومان فاتّخذهُ يوليانوس المعروف بالجاحد كنديمٍ وانيسٍ ثم خدم خلفهُ يوفيانوس وجعلهُ ثاودوسيوس الكبير معلماً لابنهِ اركاديوس. توفّي دامسطيوس سنة ٣٩٥ م وخلّف عدّة آثار فلسفيّة ولكنّنا لم نجد ذكراً لرسالتهِ هذه في السياسة ولعلّها ضاعت في اليونانيّة. وقد عرّبها احد مشاهير ارباب النقل من السريانيّة اسحاق بن زرعة اليعقوبيّ المتوفّى سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م). وكان احد المتقدمين في علم المنطق وعلوم الفلسفة والنقلة المُجيدين من اليونانيّة والسريانيّة والظاهر انهُ وجد هذه الرسالة منقولة قبلهُ من اليونانيّة الى السريانيّة فحاول تعريبها. فها نحن ننشرها قبل ان تأخذها يدُ الضياع. هي في الاصل سبعة اوراق من الصفحة ٩٧ الى ١١٠. اما الملك الذي كتب لهُ دامسطيوس هذه الرسالة فنظنّهُ ثاودوسيوس لانّ ما ورد في مطاوي الرسالة من الثناء على الملك ووصف الاحوال لا ينطبق على يوليانوس بل على ثاودوسيوس والله اعلم

(ص97) بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي

رسالة دامسطيوس وزير اليان وهو يوليانوس الملك في السياسة

نقل ابن زرعة من اللغة السريانيَّة

فاقول ان الله تبارك وتعالى خلق الانسان اكمل الحيوان واتمّهُ وجعل فيه قوًى ثلثاً : القوَّة الغاذية ويسميها قومٌ الشهوانيَّة ويسميها آخرون النباتيَّة . والقوَّة الحيوانيَّة . والقوة الناطقة المميّزة . لانَّ الانسان يشارك بالقوَّة الغاذية النبات اذ كان في النبات قوَّةٌ جاذبة يجذب بها غذاءهُ بعروقهِ من الارض . وقوَّة ماسكة يمسك بها الغذاء ويمنعهُ من ان يجري منهُ ويسيل . وقوَّة مغيّرة تغيّرهُ وتشتبهُ بهِ . وقوَّة دافعة تدفع عنهُ ما فضل عن غذائهِ . ويشارك البهائم في القوَّة الحيوانيَّة اعني في الحركة الارادية والغضب والحسّ والتنفُّس فانَّ هذه المعاني مشتركة للانسان ولسائر الحيوان وان كانت كلها ليست موجودةً في كلّ حيّ . وهو لهُ القوَّة الناطقة التي بها يكون الفكر والفهم وتمييز الاشياء والتماس الفضائل والتقى فينفصل سائر ما في العالم من (98) الحيوان

واذا مال الانسان الى الشهوات الجسميَّة واللذَّات وانهمك فيها صار مؤثرًا في سيرتهِ كسيرة البهائم وغلّب لخسّ جزئيهِ على افضلهما واشرفهما اعني البدن على النفس . واذا ارفض (رفض) اللذَّات الجسمانيَّة كان مُتألهاً سالكاً السبيل التي يرتضيها الله جلَّ وعزَّ وهي اللائقة بالانسان من طريق ما هو انسان وكان قد غلّب جزءهُ الاشرف على الأدنى اعني النفس على البدن . ومن اجل ان الانسان مصنوع من الاستقصات الأربعة (١ وجب اضطرارًا ان تلحقهُ بالاعراض التي تلحق الاستقصَّات اعني التغيُّر والسيَلان . وهذه الاشياء انَّما تلحق الجسم وحدهُ فان التغيُّر ينالهُ في كيفيَّاتهِ اعني في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وسائر الكيفيَّات . والسيلان ينالهُ فيما

١) هذا من مزاعم القدماء . والاستقصات الاربعة هي الهواء والماء والتربة والنار

يتحلّل منهُ وذلك ان جسم الحيوان يتحلّل دائماً بالحركة وبالحرارة الطبيعيّة وبالهواء فيحتاج لذلك الى ان يخلف (يخلف) عليه مكان ما يتحلّل منهُ والّا انحلّ وفسد . والذي يتحلّل منهُ اشياء صلبة واشياء رطبة وروح ولذلك احتاج الى ما يخلف عليه مكان ما يتحلّل منهُ ويكون من اشياء يابسة واشياء رطبة وروح وهي الطعام والشراب والنفس وهذه الثلثة هي الاستقصّات الاربعة لانّ كلّ شيء (99) من الاشياء يغتذي ويزيد بما يشاكلهُ ويعالَج ويصلح ما فسد منهُ بما يضاددهُ (يضادّهُ) . فانّ الافراط في الحرارة يُرَدّ الى الاعتدال بالبرودة والى البرودة بالحرارة والى الرطوبة باليبوسة والى اليبوسة بالرطوبة وبالجملة كلّ ضدّ بضدّه

ولانّ الله تبارك وتعالى خلق حسّ اللمس في الانسان قويّاً جعلهُ بهِ يفضل على سائر الحيوان وجعل الجلد (الجلد) منهُ الذي بهِ يحسّ ملتقاهُ من خارج رقيقاً لطيفاً معرّى من الشعر المتكاثف ومن الصوف والريش ومن الوَبَر والقشور والاصداف التي توجد في الحيوان . فلعدم هذه الاشياء يحتاج الانسان مع الغذاء الى اللباس ولهذه الاشياء باعيانها التي لها احتياج الى اللباس والغذاء . وبسبب الصيانة ايضاً والتحصين احتاج الى المساكن فالانسان مضطرّ الى الغذاء لما يستفرغ من بدنهِ ومضطرّ الى اللباس لانّ بدنهُ معرّى من جُنّةٍ توقيهِ ومن كلّ ما يدفع المضارّ الواردة عليهِ فهو يحتاج الى المنزل ليصونهُ من الحرّ والبرد ويحوطهُ من الآفات . ويحتاج الى العلاج لينيّر الكيفيّات التي بهِ ولما ينالهُ من تفرّق الاتّصال

وكذلك احتاج الى الصنائع والعلوم التي بها يعلم هذه الاشياء . ولان الانسان الواحد ليس يمكنهُ ان يعمل الاشياء (100) كلّها احتاج بعض الناس الى بعض ولحاجة بعضهم الى بعض اجتمع الكثير منهم في موضوع واحد وعاون بعضهم بعضاً في المعاملات والأخذ والعطاء واتّخذوا المدن لينال بعضهم من بعض المنافع من قرب لانّ الله جلّ وعزّ خلق الانسان بالطبع يميل الى الاجتماع والأنس اذ ليس يكتفي الواحد من الناس بنفسهِ في الاشياء كلها . ولمّا اجتمع الناس في المدن وتعاملوا وكانت مذاهبهم في التناصف والتظالم مختلفة وضع الله جلّ وعزّ سُنَناً وفرائض يرجعون اليها ويقفون عندها ونصب لهم حكّاماً يحفظون السنن ويأخذونهم باستعمالها لتنتظم امورهم ويجتمع شملهم ويزول عنهم التظالم والبعد عمّا يُبدّد شملهم ويفسد احوالهم

ولمّا كان الشرّ يدخل على الانسان امّا في نفسهِ وامّا في اهل مدينتهِ وامّا من اهل مدينةٍ اخرى جعل الله جلّ وعزّ له ما ينحفظ بهِ من وقوع الشرّ وما ينفعهُ ويداويهِ اذا وقع في شرّ . فلمّا كان الانسان محتاجاً الى الغذاء السبب الذي قدّمنا ذكرهُ والى التناسل خلق الله عزّ وجلّ فيه شهوة هذين وقرن بهما لذّةً قويّة عجيبة ليضطرّهُ الى استعمالها . وخلق فيه القوّة المميّزة ليُفدد (ليفرز) بها ما يحتاج اليهِ من هذين فيستعملهُ (101) ولا يتبع شهوتهُ في طلب اللذّات فيخرج عن حدّ الانسانيّة ويصير في عداد البهائم

وخلق فيهِ قوّة ثالثة وهي قوّة الغضب لتستعين بها القوّة المميّزة على ضبط الشهوة وقهرها . فبيّنٌ ان (في) الانسان شيئاً هو بمنزلة الرئيس وهذه القوّة المميّزة التي تضع الامور مواضعها وبها وحدها يستحقّ الانسان ان يسمّى عاقلاً مميّزاً وصار يفضل سائر ما في العالم من الحيوان . وفيهِ ايضاً شيءٌ ما من ضبط (ضبط) وهو القوّة الغضبيّة والشهوانيّة . فانّ الانسان اذا كان على الحال المحمودة فانهُ يضبط نفسهُ بعقلهِ عن اتباع لذّاتهِ ويمتنع من ان يغضب الّا في وقت يوجب الغضب ولا يستعمل منهُ الّا بمقدار ما تدعو الحاجة

فالشرّ يدخل على الانسان من نفسهِ اذا قهرت القوّةُ الشهوانيّة منهُ القوّةَ المميّزة ولم تقدر المميّزة على ضبطها . ومن صار الى هذه الحال لم يكن بينهُ وبين البهائم فرق وكان انساناً بالاسم فقط لا بالحقيقة ووجب تجنّبهُ والحذر منهُ او تقويمهُ واصلاحهُ . ويتهيأ للانسان ان ينحفظ من وقوعهِ في الشرّ متى تأمّل نفسهُ فضلَ تأمّلٍ وعلم انهُ مركّب من شيئين : من نفس ناطقة عاقلة مميّزة مُؤثرة للخير مُحبّة للفضائل مائلة الى التقى والنسك مشتهية للنظر في العلوم (102) واستنباط الصنائع . ومن بدنٍ ارضيّ متحلّل فاسد شديد التغيّر والاستحالة مُطالب بالانهماك في الشهوات والتلذّذ للاسباب التي وصفنا . وعلم انّ البدن آلة للنفس وانّهُ انما هو انسان من جهة النفس لا من جهة البدن فمال الى اشرف جزئيهِ وغلبهُ على أَبخسهما وجعلهُ المدبّر لهُ والآمر والناهي عليهِ كما خلقهُ الله عزّ وجلّ ولم يطلق لبدنهِ من اللذّات التي يطالب بها الّا ما يحتاج اليهِ لقوامهِ فقط . فانهُ متى فكّر في هذه الاشياء . وعرف فضلها منعهُ ذلك من الوقوع فيما يؤذيهِ ويجعلهُ شرّيراً . فامّا طريق اصلاح الانسان لنفسهِ

ومداراتها واستنقاذها مما وقعت فيه من الشرور فيكون بمفارقة الافعال الرديئة ومجانبتها والتوبة واستعمال ضدّ الحال التي كان عليها

فامّا الشرور التي تدخل على بعض اهل المدينة من بعض فتحفظ بالتمسك بالشرائع والسنن التي وُضعت لهم وترك مخالفته (مخالفة) شيء منها واصلاحها ومداراتها وتكون بالتأديب والعقوبة التي توجبها الشرائع على من خالفها وتعدّاها . وامّا الشرور التي تنال اهل المدينة من اهل مدينة غيرها فان التحفّظ منها بالتحصين بالأسوار والخنادق والحراس . ودفعها اذا وقعت (103) يكون بالمحاربة والقتال . فقد تبيّن فضل الملوك وان الناس يضطرون الى تدبير وسياسة وأمر ونهي وانّ المتوليين (المتولّين) لذلك منهم ينبغي ان يكونوا أفضلهم . فان من نهى عن شيء وأمر بشيء فالواجب ان يظهر استعمال ذلك في نفسه اوّلا ثمّ في غيره

ولأن كثرة الرؤساء تفسد السياسة وتوقع التشتّت فلذلك احتاجت المدينة او المدن الكبيرة او البلدان او اكبر العمارة الى ان يكون رئيساً واحداً كما تهيأ لك أيها الملك (١ وان يكون سائر من يُنصَب لتمام التدبير والسياسة والحفظ اعواناً له سامعين مطيعين مُنفذين لما يصدر عن امره حتّى يكونوا كالاعضاء له يستعملهم كيف احبّ ويكونوا كالحاضر لجميع عمله بحضورهم وإنفاذهم لامره ونهيه يتناول بهم الامر البعيد كتناوله بيده الشيء القريب ويدرك بهم ما نأى كإدراكه برجليه ما قرب منه

ويبين ايضاً مع ذلك انه لا يكمل لسياسة اهل مدينته الّا من كمل لسياسة اهل بيته ولسياسة نفسه وان كان المستحقّ للانفراد بالرئاسة والسياسة ينبغي ان يكون افضل اهل زمانه وان يكون لمن يرأسه ويسوسه بمنزلة الوالد الشفيق متفقّداً لما صغر وكبر من (104) امور رعيّته غير متشاغل بشيء عن ما حضنها وجمع شملها وتب (ورتّب؟) العدل والانصاف فيها ودفع الضرر عنها بكل ما يجد اليه السبيل . ولم تزَ يكمل لذلك الّا من اجتمعت فيه الفضائل وانما تجتمع الفضائل في مَن كان مطبوعاً على قبولها فانه ليس كل طبع مؤاتياً لقبول الفضائل ولا كلّ نفس بصيرة بالجميل . وذلك انّ الناس على ثلاث طبقات فمنهم من يتنبّه على فعل الجميل

١) يخاطب دامسطيوس تاودوسيوس الملك

وإتيان الحقّ من تلقاء نفسهِ وهذا افضلهم . ومنهم من لا يتنبّه على ذلك من تلقاء نفسهِ الّا اذا نُبِّه عليهِ سَمِعهُ واسرع الى قبولهِ . ومنهم من لا يتنبّه عليهِ ولا يقبلهُ متى سمعهُ من غيرهِ وهذا شرّ الناس . ومن كان كذلك فلا يجب ان يقلّد تدبيرًا ولا سياسة ولا يكون الّا في عداد من يُقمع ويكفّ شرّهُ عن غيرهِ بالتخويف والترهيب وتغليظ العقوبة

ومن سعادة اهل الزمان انّ رأسهم ومتقلّد سياستهم وتدبير امورهم الملك الجليل الذي قد اجتمعت فيهِ الخصال الموجبة للملك من مؤاتاة الطبع لقبول الفضائل واستعمالها في مواضعها واظهارها في نفسهِ اوّلًا ثمّ في سائر اهل مملكته شريفها ودنيئها عالمها وجاهلها غنيّها وفقيرها بعيدها (105) وقريبها كلّ واحدٍ منهم على حسب ما توجبهُ طبقتهُ حتّى قد خضعت لهُ الامم وانقادت لهُ الممالك وبَخع لهُ الاعداء وذلّت لهُ السادة ورضي برئاستهِ الملوك . فقد سكنت الحروب وانتلفت القلوب وانطفت بسطوتهِ وافراط عيتهِ نار الشرور وكسد الجهل وقامت سُوق العلم واتّضحت السبل وانبسطت التجارات وكثر الخصب ورخصت الاسعار وانتشر العدل واستقامت الامور وزال الخوف واتّفقت الآراء وبطل الاختلاف . فليس يوجد محارب ولا معتدٍ ولا متخطٍّ طورَهُ كلٌّ قد لزم طبقتهُ ووقف في ظلّهِ . وعرف مقدارهُ . فالرئيس يأمر وينهي والمرؤوس يسمع ويطيع . وانما التام (التأمّ) ذلك كلهُ بتيقُّظ الملك واستفراغهِ وسعهُ واستعمال همّتهِ في اسباب (استتباب) سياستهِ وتدبير رعيّته ومراعاتهِ اسبابها فهو بذلك منصف لها من نفسهِ ومنتصف لبعضها من بعض ودافع الشرور عنها

واذ قد انتهيتُ الى هذا من القول فانا ممتثل ما امر بهِ الملك من وصف ماينبغي ان يكون في المَلِك من الخصال التي يستحقّ بها ان يكون ملكًا (106) ويزول عنهُ بها اسم التغلُّب والقهر . فقد تبيّن بما وصفنا انفًا انّ الناس انّما احتاجوا الى رئيس ومدبّر وملك ليدفع عنهم الاذى الواقع على بعضهم من بعض حتّى يقصد كلّ واحد منهم الصناعة التي انتحلها لمصلحة نفسهِ ومصلحة غيرهِ ممّن يحتاج اليها فلا يعوقهُ عنها عائق فيتمّ بذلك تعامُرهم وتراذُقهم وتعاضُدهم وترافدهم وتعاونهم على مصلحة عيشتهم واستقامة امورهم ويصيرون كالاعضاء الكثيرة المختلفة التي تخدم بعضها

بعضاً لتام بدنٍ واحد صحيح سليم. فواجبٌ من ذلك ان يكون المتقلد لسياستهم معرًى من الشره قاهراً للذاته لا يطاق لنفسه منها الّا ما كان به قوام بدنه فان من قهرَتهُ لذاتهُ فهو عبدٌ لها ومن كان عبداً فليس له بالحقيقة ملك

وأن يكون غير محبٍّ لجمع المال الّا من الوجوه التي تعود بالنفع على الرعية. ويكون حاذقاً بجمعهِ من وجوههِ وإنفاقه في وجوهه غير مفرط ولا مقتر ولا متجاوز حدود ما هذه سبيله غير باسط ليده الى شيء من مال العامة. واما ماله فينبغي ان يكون مبذولاً يتقدم سائر الناس السماحة (بالسماحة) والسخاء. ويمنع نفسه اولاً ثم (107) رعيته من استعمال الآلات والاواني المتخذة من الجواهر التي جُعلت قيمة الاشياء اعني الفضة والذهب للذين يتعامل بهما الناس ويقومان ان يكونان عنده مقام كلّ ما يحتاج اليه لأنّ ذلك يؤدّي الى غلاء الاشياء وعوزها

وان يكون خبيراً بأخلاق الناس كثير التفتيش عن مذاهبهم ليختار كلّ واحدٍ لما يصلح له ويجعل الشجاعَ النجد محارباً والثقةَ الامين خازناً وحافظاً والعلم السديد قاضياً حاكماً والمحنّكَ المجرّب الصحيح الرأي مستشاراً. ولا ينبغي ان يستخدم في مطعمهِ ومشربهِ وملبسهِ وبالجملة فيما يقرب منهُ الّا احد ثلثة امّا مَن تربّى معهُ وألفهُ وامّا من رباهُ الملك على اخلاقهِ وامّا مَن ربي الملك في حجرهِ. فانّما هؤلاء يخدمونهُ بمحبةٍ ولذلك يجب ان يكون إحسانهُ وافضالهُ وتفقّدهُ لامورهم اكثر منهُ لجميع الناس ولا يتّكل في مراعاة اسبابهم على غيره

فامّا حاجبهُ فينبغي ان يكون فهماً بمعرف مقادير من يصل الى الملك ليكون معاملته اياهم بحسب ذلك ولا يكون شرهاً نطفاً ولا كسلان بطيء الحركة وان يكون بين الشرس في الاخلاق ولينها (108) متيدراً على التعب والنصب حسن الحدس والتخمين معرًى من الهزل قليل الضحك

وامّا الجند والمحاربون وبالجملة مَن يحمل السلاح فلا يستعمل منهم مَن قد اعتاد الترفّه والراحة والتنعّم بالمطعم والمشرب والسماع ولين الملبس فان هذه السيرة تعرّيهم من جميع ما يُحتاج اليه منهم من الشجاعة وشدّة البدن والإقدام على الموت والصبر على الشقاء في البعوث من البرد والجوع والحرّ والعطش وما لا يكاد ينفكّ منهُ المسافر. ويُمنع الجند من انتحال الصنائع ويؤخذون دائماً بالرياضة كلّ فريق منهم

بما يصلح من السلاح ويتفقّد احوالهم بالعَرْض في كل شهر مرّة ويقام لهم جميع ما يحتاجون اليهِ لئلّا يشغلهم الطلب عمّا يحتاجون منهم ويُمنَعون عن ان يُسيئوا آدابهم في الطلب فيكون في ذلك عضاً (غضٌّ) على المملكة اذ كان اعظم قوامها فيهم

ويميّز منهم الشيخ الثاني ومَن نالتهُ آفة فأضعفت قواه الّا ان يكون يصلح المشورة والرأي والتدبير في الحروب

وما يحتاج اليهِ الملك حاجةً ماسّة علمُ اخبار الممالك التي تتاخمهُ حتّى لا يذهب عنهُ منها شيءٌ وان يشحن ثغوره (ثغوره) بالرجال ويجعل في وجه كلّ امّة من الامم التي تزاحمهُ من الرجال من يفي بمحاربتهم . فانّ الامم (109) تتفاضل في الشجاعة والجبن فمن قصد بلدةَ امّةٍ من الامم استعدّ لهُ معها ما يدفع بهِ مثلها وبادَرها بذلك قبل ان يتوسّط بلدهُ ويجيد الّا يخرج لهُ خبر الى اعدائهِ . وان يكون تدبيرهُ مستوراً عنهم ويتحذّر ممّن يأتيهِ من خدَم اعدائهِ مستأمناً فانهُ لا يؤمَن ان يكون دسيساً يصرف عنهُ اصحابه او يتعرّف اخبارهُ ويُتهيها الى اعدائهِ او يغتالهُ بضربٍ من الاغتيال

وممّا ينبغي ان تكون بهِ عنايتهُ ليس بدون عنايتهِ بمهمّاتهِ امرُ الصنائع ليجري امرها على سداد الصناعات ثلثة اصناف علميّة وعمليّة ومركّبة . فالعلميّة مثل الفلسفة والخطاب والنحو والبلاغة والعمليّة مثل التجارة والصفارة وما اشبهها . والمركّبة من العلم والعمل مثل الطبّ والموسيقى فينبغي ان يختار لتعلُّم الصنائع العلميّة بل لا يطلق تعلُّمها الّا لمن كان ذكيًّا فطناً سريع الحفظ والتمييز لما يقرأهُ عارفاً بمقدار العلم قائلًا بفضلهِ محبًّا لاهلهِ سليماً من الآراء المفسدة للعقول

ويختار لعمل الصنائع العمليّة قوماً اشدّاء اقوياء اصحّاء الابدان ويكون حظُّهم من ذلك بحسب ما تحتاج اليهم صنائعهم (110) ويختار للصنف الثالث مَن اجتمع فيهِ الخلّتان ويرئّس على اهل كلّ صناعة ابصرَهم بها واشدّهم تقدُّماً فيها ويتقدّم اليهِ في الاخذ على ايديهم ويفقدهم (ويتفقّدهم) ولا يستعمل الملك منهم الّا احذقهم ليرغب الباقون في التزيّد في الصناعة لينالوا بها الحظّ فانّ اكثر ما يتعاطى الصنائعَ للحظوظ فمتى نيلت الحظوظ باليسير من الصناعة لم ترغب الناس في الازدياد فيها ومتى تادى ذلك بطلت الصناعة او ضعفت فانّ قلّ من يستعمل الصناعة لنفسها وتفقُّد مثل هذه الاشياء تعمر بهِ المملكة . فاما عمارات الارضين وابتناء المدن والمعابر وشقّ

الانهار واستخراج المياه وعقد الجسور واصلاح السبل وتنظيفها من الدعار فيجب ان يصرف الملك اليه اكثر عنايته

وبالجملة فيجب ان يكون ولده (١ ان يُخلف المملكة لمن يأتي بعده أعمرَ مما تسلّمها متى كان قبلهُ فانَّ الله جل ثناؤهُ يجزل ثناوه (ثوابهُ) على قيامه بما نصبهُ له دون غيره والذكر الجميل يبقى له على غابر الدهر . وليس ينبغي ان يظنّ بنا اننا اغفلنا وصف وزير الملك كيف ينبغي ان يكون فان ذلك قد دخل فيما وصفنا اذ كان (111) الوزير ينبغي ان يكون متخلقاً باخلاق الملك ينوب منابهُ في كلّ شيء ولا يكون الفرق بينهما الا في المرتبة فقط . فعلوم ان جميع ما وصفنا بهِ الملك ينبغي ان يكون في وزيره موجوداً والسلام (تمّت والحمد لله على نعمهِ كثيراً)

١) كذا في الاصل وهذا لا يوافق المعنى . ولعلّهُ اراد « وَلَدَهُ » اي همّهُ

رحلة الامير بشير الاولى الى مصر

للشيخ سلّوم الدحداح

نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح (تتمّة)

ثمّ في السبت صعد القبودان الى الصاري واخبر ان تباين قلعة ابو قير ولم يزل البحر مخيماً . ثمّ الساعة ٦ قابلنا اسكندرية والعصر حضرت نقيرة من اسكندرية ومعها مكتوب من ترجمان ماركو (١ يطلب من الكومندة لكي يحضر لعنده في الشغال . واخبرت النقيرة ان الفرنساوية خرجوا من دمياط ومن السويس الى اسكندرية . وانهُ وصل كركجي (٢ من قبل الصدر الاعظم الى البلد . وفي تلك الليلة توجّه موسى رَيت في غلياط الى دمياط ومن هناك يسير الى مصر

ونهار الاحد الساعة ٢٧ رأينا قبودان كتز في يدهِ نظّارة ويطلع الى البحر ثمّ

١) لعلّهم شيئاً من امرهِ . وانما اسمهُ طلياني (Marco) ٢) الكمركجي اي صاحب الكمرك والديوان

صرخ صوت بغير وعي . فركضوا القباطين والبواق بايديهم وصرخوا على العسكر جميعه فاجتمع نحو سبعمائة صلدات على ضهر المركب وبدا البوق يزعق ويتباروا الى الحبال والسواري والدواليب تبرم من غير وعي والعسكر يدوس بعضه وهم يتزاحموا على الحبال وتدوير القلوع ومن عظم ما هم به فما احد منا قدر يسأل عن سبب ذلك وحصل الرعب عند الجميع . ثمّ رأينا المركب انحرف الى العمق وبعد ساعة اخذوا روعهم فسألنا احد التراجمين اخبرنا ان المركب علق في الرمل ولولا عناية الله والمداركة كان شكل . ثمّ قام الصياح ثاني مرة وبدوا يحدفوا الفلايك الى البحر والفيساليه والعسكر ينزلوا في القوارب من غير وعي وكان المطر نازل والبحر مثل الجبال فسألنا ما السبب قالوا : الفرقاطة شكّلت في الرمل مقابل الاسكندريّة فاعطى نيشان الى المراكب ينزلوا قواربهم والعسكر حتّى يسحبوا الفرقاطة من الرمل . فنزلوا القوارب تحت الخطر من شدّة الارياح . فحين نظروا الفرنساويّة العسكر هجم في الفلايك رفعوا بنديره وقوّسوا مدفع نيشان سألوا الى الكومنده يعرّفهم سبب ذلك فنشروا البيارق البيض وقوّسوا مدفع علامة الصلح . وبعد الجهد العظيم خلّصوا الفرقاطة من الرمل . ثمّ بعد المغرب حضر الكومنده الى عند الامير وافهمه عن الخطر الذي حصل الى المركب والفرقاطة وقال : لو ارادوا الفرنساوية الغدر لكانوا قدروا ولكن الصلح تقدّم

ونهار الاثنين اصبح المركب في ضهر البحر لأنهم صاروا خائفين من قرب البر ليحدث كما ذكرنا . وفي ٣ بالساعة تقوّص مدفع من الاسكندريّة ونصبوا سنجق وخرج من المينا مركب بثلاث صواري وفلوكه كبيره وفي رأس الساري سنجق الانكليز وفي المؤخر سنجق فرنساوي فحالاً المركب قوّص لهم مدفع علامة القبول واقتربوا الى الجنب وكان ذلك الجنرال الحاكم الاسكندريّة ومعهُ جنراليّة فرنساويّة فالتقاهم الكومنده الى باب الدرج وعمل لهم كلّ اكرام ونصب اشارات بان يحضروا قباطين المراكب يسلّموا عليهم . وكان المركب الذي بثلاث سواري غساوي طالب اذن من الكومنده بأن يوسق رزّ وبنّ الى ازمير فما حصل له سماح وعند العصر نزل الكومنده والجنرال الى الفرقاطة وحين نزولهم للقارب حدث نوء وصار خوف قريب من الامس . ثمّ زالت حالاً . وبعد ذلك رجعوا الفرنساويّة والافندي الذي قدّمنا

ذكرهُ الى الاسكندريَّة

ونهار الثلاثاء اصبح الريح معتدل وعند غروب الشمس حضر قارب من الاسكندريَّة صحبتهُ فيسال من عند كليبر من مصر فاجتمع مع الكومنده الى الساعة ١٠ وانصرف . وبقينا الاربعاء . والخميس الضهر رفعت الفرقاطة بنديره اشارة انه فيه شغل مع الكومنده فسار المركب نحوها فنزل قاربها وبهِ فيسالي فرنساوي الذي هو ثاني كليبر وساق معهُ الكومنده كلَّ اكرام ونزَّلهُ عنده في الكامره . وبعد ذلك افهم الامير : « انا مرادي اوجّه هذا الجنرال والقبطان كتز الى عند الجنرال الكبير الى سيسيليا »

فاصبح الجمعة نوء عظيم وصار ضجّة عظيمة في المركب ولا نعلم الى اين سائرين احيان نحو قبرص واحيان نواحي رودس ومع اختلاف هذه الارياح كانوا يعارضوها ويديروا المركب بالعنف الى ان رجّعوهُ الى قبال الاسكندريَّة أملهم ان في الليل يهدأ البحر فجرى الامر بخلاف وزاد البحر امرار وكان الموج يعلو على ضهر المركب ونهار السبت كان الريح مستكنّ نوعاً وقد كشفنا قلّة (قلعة) العرب وابن غازي (١ . وفي الليل هجع البحر

ونهار الاحد اصبحنا قبال برّ المغاربة والريح معتدل . وهناك مينا يقال لهُ برتو سكيا (٢ ثمَّ ان الكومنده وجّه ذلك الجنرال الفرنساوي الى مركب التيشيس . ثمَّ انَّ الكومنده ارسل الى الامير : « انَّ مراكب الفرنساويَّة لا بُدَّ من حضورهم وانت تحارب معي في البحر وانا احارب معك في الجبل » . وسأل الأتباع عن سلاحهم وانَّهم يستعدّون للحرب . وبعد الغروب وجّه المركب فسألتُ الفيسال « فرتو » في التركي عن الاخبار فقال لي : « لم بقينا نرجع الى الاسكندريَّة حتَّى نصادف عمارة الفرنساويَّة »

وصباح الاثنين الغربي فتح القبودان باب الكامره بغير وعي وصرخ على الكومنده : « مراكب العدوّ على المقدَّم » فخرج الكومنده في ثياب النوم وعلى اكتافهِ كرك سنّور من شدّة البرد وصرخ في البحريَّة : ركّبوا زوايا القلوع بطلب

١) هذه من سواحل طرابلس الغرب ٢) لعلَّهُ هو الذي دعاهُ بعد ذلك برطو سليمان

العدوّ » . وامر العسكر يستعد للحرب وابتدت تتراكض العساكر على الجيخانة (١ وتركّب زوايا التاوع . وكانتُ الفقير واقف في الكامره فقال لي الكومنده وهو يضحك : « الفرنسيس اجاوا اليوم ناخذهم بريزا » ومن شدة التاوع وثقلهم وقع قطعة فصرخ الكومنده : « ارخوا حبل القلاني » ولو يلحق الصاري لعدمهُ . وجمعوا كلّ ما يوجد على ظهر المركب وانزلوهُ للعنبر وركّبوا قداديح المدافع . ووقف على كلّ مدفع سبعة انفار وطوبجي وبيد كلّ طوبجي فتيل خوفا ان تغالط قداديح المدافع . وجدّ المركب السير في طلبهم . فبان مركبين على المقدّم وقبل ان يصير محلّ الجنك (٢ نصبوا اشارات الى بعضهم مقدار نصف ساعة وكانوا ينصبوا بنديره ويلفّوا واحده وينشروا غيرها الى ان فهموا الخبر . فقال الكومنده الى الامير : « انّ هولاي مراكب انكليز الواحد مركب حرب والثاني ذخيره » من تلك الاشاير فهمهم واحضر قدام الامير ورقة مصوّر بها البنديرات واشايرهم

ثمّ وضعوا الكراسي وعزم الجنرال الفرنساوي وشربوا قهوة . وبعد نصف ساعة لبّدوا (٣ على الجنب وطلعوا القباطين سلّموا على الكومنده واعطوه مكاتيب واخبروهُ « انهم كانوا على مالطة عند عمارة الانكليز فاتى خبر الى سر عسكر الكبير انّ عمارة الفرنساويّة خمسة واصلين فلاقيناهم مسافة ثلاثة ايّام ووقع الحرب فكسبنا منهم مركب باليك وقتلنا الكومنده بيرات (٤ ومعهُ ستّة فيساليّة وشطّط منهم مركب على البرّ والثلاثة انهزموا نحو كريت . وقد ارسلنا سر عسكر اليك ان تسير في طلبهم . وهذا الكومنده الفرنساوي بيرات الذي قُتل هو الذي كان في حصار عكّا واخذ مركبين اسلام في الخداع . وكان متوجّه بتلك المركب فمسكهُ الكومنده واخذه يسير (اسيرًا) ثم عتقهُ بشرط ان لا يعود يرجع الى الحرب حسب عوائدهم . وبما انهُ شجيع رجعوهُ الى العمارة الى ان قُتل كما ذكرنا فانسرّ الجميع بقتله ما عدا جنرال الفرنساوي

ثمّ بعد المغرب سار المركب وقام الكومنده بنديرة اشاره الى المراكب ان

---

١) الجيخانه بالتركيّة مستودع الاسلحة

٢) الجنك ساحة القتال تركيّة ٣) لبّدوا اي التصقوا

٤) التبس علينا اسم بيرات فلم نتحقّق المراد به

تمشي معهُ نحو كريت ليدور على تلك المراكب الفرنساوية وكان المركب سائر كالطائر والمقدَّم يقدح شرار . وفي ثالث يوم طلع ريح عظيم ونوْ ما صار مثله حتَّى ايأسنا من الحياة . وقبل الضو . طلع بارود في الفرقاطة اشارة انهُ البرّ قريب فأخذوا ثلاث قناديل اشارة انهُ فهم ذلك . وعند طلوع الشمس كشفنا برّ كريت . والضهر اخذ القبودان الناضور بيده ونظر نحو البحر وصرخ بصوت عظيم : « داركوا القلوع » وركض العسكر جميعه الى الحبال فتعوَّق صلدات في سحب الحبال فضربه في ذلك الناضور فانكسر شقف وبدأ يخبط برجله من غير وعي وبعد دقيقة نفد تنزيلة عظيمة ولكن لسبب استحضارهم ما تحكَّمت في المركب ثم ورد نحو جزيرة كوزا (١ وقوَّص مدفعين اشارة للمراكب . واصبح نهار الجمعة قبال جزيرة كاسوا (٢ وهي بقرب جبل كريت . ثم وجَّه القبودان كتز والجنرال الفرنساوي الى سيسيليا وتوجَّه الكومنده مع الجنرال الى الفرقاطه ودَّعهُ ورجع

ونهار الاثنين كشفنا برّ كنده (٣ والغروب كشفنا برّ طرابلس الغرب ثمَّ باط المركب وبقينا ثلثة ايَّام وكان نوْ عظيم . وفي ليلة الخميس صرخ الديدان (٤ من الصاري : « قنديل في الجرمه (؟) من جهة الغرب » . حالاً القبودان اخذ بيده ناضور الليل وقال : مركب . ثمَّ اخبر الكومنده فأمر بطفي الاضوية جميعهم وارخاء السطور (الستور) على طواقي الكامره ثمَّ امر باش بيرقدار (٥ يقف مع الحرس على الكامره ويترقَّب تلك المراكب . واصبحنا على بكرة من عظم النوْ ما عاد بان لهُ خبر وقد حدث مطر عظيم

ورجع مركبنا نحو الاسكندرية وكان الكومنده عنده ثقلة من جهة الامير ودائماً يسلّي خاطرهُ لأن قضينا تلك الشهر في النوْ والاخطبات (الاختباط) وكرهت انفسنا بحر كريت . وفي نهار السبت الساعة ٦ بان قلة العرب بين دورنا (٦

---

١) كانت كوزا او كوس (Cos,Ko) احدى جزائر تركيا في الارخبيل قريباً من برّ الاناضول ٢) تُدعى كاسوس (Kasos) بين جزيرتي كرباثوس وكريت

٣) كنده (Candie) من مدن جزيرة كريت الشمالية

٤) بريد الدَّيدبان وهي كلمة فارسيَّة معناها المراقب والراشد

٥) الباش بيرق دار هو اوَّل حَمَلة اللواء والراية ٦) دَرْنا من مدن طرابلس الغرب الساحليَّة كانت داخلة في متصرفيَّة بنغازي . وقلَّة العرب هي قلعة العرب كما سيأتي

والاسكندرية . وعند الغروب قربنا للشط ورأينا منازل عرب يقال لهم سلموس وجابوس . وكنا نؤمل ان في وصولنا نرى الاخبار المسرة ونحصل على المطلوب

ونهار الاحد وصلنا الى قبال الاسكندرية وجدنا مركب التيشيس ومركب بومبرات . ثمَّ طلع الى عندنا القبودان فسألهُ الكومنده عن الاخبار فاخبره ان غرق الصندل(١ في البوغاز ومات فيسال وخمس بحرية وان الوزير الاعظم طردوهُ الفرنساوية من مصر الى العريش فصار غم عند الجميع . ثمَّ حضر موسى رَيت واخبر كذلك . وفي ثاني الايام زاد النوء ثمَّ هجع النوء فرجع المركب نحو الاسكندرية ونصب بندرة بيضاء اشارة الصلح فنصبوا لهُ من المدينة بيرق ابيض . وارمى المرسى قبال القلعة وحضر فاوكه ببرميلين خمر هدية الى الكومنده ونزل موسى رَيت الى الاسكندرية ورجل اخبر ان الوزير انفشل الى الشهول وان النز وناصيف باشا (٢ لم يزالوا محاصرين في مصر

ومصباح السبت وردت مراكب الذخيرة كي تفرّغ حسب التعريف السابق ضربوا لهم مدفع ما احد دخل الاسكندرية . وانما في الليل وصلوا اربع مراكب ضبطوهم الفرنساوية ثمَّ ارسل الكومنده مركب الياريك يكشف خبر الوزير في قلعة العريش وغزة ويافا . والامير حرَّر مكاتيب الى اخوه الامير حسن يعرّفه الواقع وارسلها مع مركب الياريك لبيت دميان ليرساوها لقنصل طرابلس . ثمَّ توجّه نعمة حسون (٣ الى قبرص فحرَّر معهُ الامير مكاتيب ايضاً وارسل الكومنده مركب تيشيس ومركب بومبرده يفتّشوا على عمارة الفرنساوية وبقينا ثلثة ايام في المواسطة

وفي مصباح السبت رأى الكومنده ثلثة مراكب اسلام باليك وعشرين مركب كَرْوَجيه (٤ لاجل ان يحملوا الفرنساوية من الاسكندرية فضربهم جملة مدافع بكلل حتى رجعهم عن الدخول الى الاسكندرية . ثمَّ حضر جنرال فرنساوي يسأل خاطر

١) يظهر ان الصندل اسم احد مراكب الانكليز او الاتراك

٢) قولهُ انفشل الى الشهول اي هرب الى البرية . الشهول تصحيف التركية جول . والنزّ فرقة من جند الاتراك كانوا تحت امر ناصيف باشا لمحاربة الفرنسويين في مصر

٣) يظهر انهُ من رفقة الامير بشير ولم يُذكر اسمهُ قبلًا في جملة اصحابه

٤) المراكب الكَرْوَجيَّة اي المسكراة

الكومنده واخبره انه لم يزل الحرب في مصر وانّ المراكب الذي دخلت الاسكندريّة ما اخذوا منهم شيء سوى انهم تحت الترسيم الى ان يشوفوا نهاية الاحوال وانّ التغير ما وقع منهم ولا هم مغيّرين

ومصباح الثلاثة رجع مركب الياريك ومعهُ مكاتيب من الوزير الاعظم ومعرّف الكومنده انه ارسل يجيب الصف نتا (كذا) وانّ في وصول العسكر يقوم الى مصر . وحضر مركب البومبرده واخبر ان شياط (دمياط) بيد الفرنساويّة . وبقي الكومنده اربعة ايّام مقابيل الاسكندرية . ثم نظر الى شقلاوه ١) خارجة من الاسكندريّة ضربها مدفع فحضرت وطلع داخلها الافندي وكركجي الاسكندريّة . ونظر مع الكركجي مكتوب من سر عسكر الفرنساوية كليبر الى قائقام في اسطنبول يعرّفهُ « انّ جميع ما توقّع من حين الصلح الى انتقاضه لم وقع تغيّر منهم وكنا مسلّمين مصر من غير غبطه (كذا) وانّا الوزير بدّه يأخذها بالسيف والانكليز مرادهم يأخذوا الفرنساوية يسرى (اسرى) التزموا انهم قاتلوا عن انفسهم فكسروا عسكر الاسلام . ونحن لم نزل على قولنا » ثمّ اخبروا الخبر الذي ذكرناهُ عن مصر . فامر الكومنده انّ الافندي والكركجي يتوجّهوا الى عند الوزير الاعظم وارسلهم تحت اليَتق مع فيسالين وخمسة صلدات

ثمّ نظر قطعة على بحر ابو قير ارسل جابها فوجدها واسقة بصل ولقطين ووجد معها مكاتيب من الفرنساوي الحاكم في رشيد الى الاسكندرية يخبر ان الطاعون تباين في رشيد وانّ الحرب لهُ اربعين نهار في مصر ولم حضر لهم تعريف وانّهم في وجل عظيم وانّ اهالي رشيد كلّ يوم يتظاروا (يتظاهروا) في القيام ويهجوهم بالحرَف (؟)

وبقينا قبال الاسكندريّة وكان تخرج قطع من الاسكندريّة الى بوقير والمراكب يضربوهم مدافع ويردّوهم . ثمّ حضر مركب الدسبرت (كذا) من قبرص ومعهم مكاتيب ومن جملة الاخبار عن بيت القنطار وانهم حرقوا حارة ناصيف نصرالله . وفي الغروب تغيّر الريح فتوجّه المركب في البحر وبعد يومين اصبح قبال

١) الشقلاوة سفينة صغيرة لنقل الميرة

برطو سليمان (١ الذي ما بين درنا وقلعة العرب (٢ ومن هناك ركز الاعتماد ان نرجع الى الاسكندرية وانهُ يقفر اي يتأكد صحة الاخبار والذي عاد جدّ من نحو مصر

ومصباح الاحد ارمى المرسى قبال الاسكندرية وارسل موسى رَيت في فاوكه الى الاسكندرية . ونهار الاثنين بان مركبين روام فامرهم الكومنده ان لا يدخلوا الاسكندرية . ثمَّ رجع موسى رَيت وصحبتهُ جنرال فرنساوي واخبر انَّ الحرب لم يزل في مصر وانَّ الفرنساوية طالبين الاذن في الانصراف . والثلاثاء دخل مركب فرنساوي من بلاد فرنسا وكانوا يظنوا انهُ مركب روام ولم عرفوهُ حتَّى صار قبال الشيخ العجمي (٣ فهمّوا ان يلحقوهُ فما امكنهم ذلك وحصل عند الكومنده غمّ عظيم لأنهُ لو وقع بيدهم كانوا فهموا جميع الاخبار . ثمَّ انَّ الامير تكلَّم مع الكومنده ان يأذن لهُ في الرجوع الى عند اخوه لبين ما يروق الحال

والخميس قلع المركب من قبال الاسكندرية نحو المغرب والجمعة كشفنا برّ درنا ومن اختلاف الريح اصبح على طريق رودس ثمَّ اختلف الريح ودار المركب نحو بلاد المغاربة ولزود معرفة الانكليز في سفر البحر اخذوا يمشُّوا المركب بالحرقة الى ناحية قبرص وكان ريح عظيم حتَّى كاد المركب يغرق وتعالى البحر الى ان طلعَ طوان (٤ المدافع واصبح الاثنين عيد مار جرجس عند الروم (١١ نيسان شرقي ١٨٠٠) والنوء يتعاظم الى ان صار الموج فوق المركب وحصل خوف عظيم والجميع قطعوا الاياس (٥ وصار المركب يأخذ ماء واشتغلت الترنباط (الطلمبات) وبقينا تلك اليوم والليل ومصباح الثلاثاء هجع النوء وانكشف البرّ وبان جزيرة ميسر (٦ وبقربها جزيرة مار نقولا خراب وبعدها رأس السبع رودس تجاه قرمان . ثمَّ كشف السبع روس تجاه قرمان وبان قلعة عظيمة . ثمَّ بان رأس ماكري وجزيرة ماروا . ومن هناك نهر عظيم وماؤهُ طيب وبان مينا كولير ومينا جزيرة السيم المخصوصة في مار ميخائيل ثمَّ بعدها رودس

١) هو المرفأ الذي سماهُ سابقاً برطو سكيا

٢) سماها قبلاً قلّة العرب

٣) الشيخ العجمي مزار بقرب الاسكندرية ٤) يريد بطوان المدافع فوهتها

٥) يريد انهم أيسوا من الخلاص ٦) هذه الجزيرة وما يأتي بعدها ذكرهُ كلها جزائر صغيرة قرب رودس وبازاء برّ قرمانية ومواقع حربيّة على السواحل

وفي الليل اشتدَّ الريح بزيادة ومصباح الاربعاء هدي الريح والمركب قبال رودس . ثمَّ قابلنا مركبين فضرب لهم مدفع اشارة الى ان يحضروا فحضروا وهم مراكب باليك كبار اسلام فاجتمع معهم الكومنده ساعة وافهمهم يتوجَّهوا الى مقابيل الاسكندريَّة لبين ما يكون رجع ورودس قريبة الى جزيرة ستاتكويه (١ وهي تسعين ميل وهناك جزائر قرب بوغاز سكرينو وخاركي ونسروان وخار . في البوغاز توجد جبال سطل وتجاهم جزائر . ثمَّ في الليل مرَّ علينا ثلاث مراكب غسا محمولهم ذخيرة الى الوزير الاعظم

واصبحنا الخميس قبال بوغاز رودس ولم كان يمكن الدخول من مخالفة الارياح ولم يزالوا يعملوا بولطه (٢ . والمساء قرب المركب من بوغاز رودس والريح يريده (يردّه) فالتزم الكومنده يسهر تلك الليلة على ضهر المركب والبوق بيده يدير البحر في البولطه . ومن زود خبرته دخلنا مع الشمس رودس بكل سهولة . وحين رمى الحديد قوَّس احد عشر مدفع فقوَّسوا لهُ من القلعة . ثمَّ عزم الامير ان ينزل الى البرّ يشمّ الهواء فما قبل فنزلوا الخدم كي يغسلوا ويقطعوا ثياب جدد لانهم من قبرص لم احد غسَّل ثيابه . وفي ذلك اليوم اصطاد احد البحريَّة سمكة طولها ذراع ونصف وعرضها مقدار شبر وهي صفراء مرقوطة بخلق سود ومدورين شبه الافعى . والانكليز استكرهوا شوفتها جدًّا والذي اصطادها ذبحها فسألنا عن اسمها قال : موذينا (٣ اي افعى البحر وهي تلسع انَّما لحمها جيّد جدًّا

ثمَّ حضر فرمان من اسلمبول ان جميع مراكب الوسق تتوجَّه الى اسلمبول من غير عاقة فتوجَّه من مينا رودس ستَّة عشر مركب والباقي متابعين . ثمَّ انَّ الامير طلب من الكومنده الانصراف فاوعدهُ بذلك . وفي ذلك اليوم مرَّ شنبر (٤ فيه عسكر من يافا . وحضرت اليوراده (٥ الذي كانت سارت الى رشيد . ثمَّ انَّ الامير ودَّع الكومنده ونزلنا الى مركب الروسبرة فقدم الكومنده لسعادته كرك

---

١) الجزائر المذكورة هناك قريبًا من رودس ليس تحتها كبير امر ووبًا تصفّحت اسماؤها

٢) لا نعلم ماذا يفهم بالبولطة لعلَّها الايطاليَّة voluta اي حركة دوريَّة

٣) كذا في الاصل وهو يريد مورينا (murène) نوع من السمك يشبه المنكليس

٤) الشنبر هنا نوع من المراكب ٥) لعلَّها اسم مركب

سنّور والى الشيخ نجم قطعة قماش والى العبد الفقير قطعة وكان يودّع سعادته ويقبّله امرار وهو يبكي وسار معهُ الى المركب وودّعهُ ايضاً ورجع

وفي الليل قلع بنا المركب في ٢٠ ذي الحجّه ليلة الاربعاء من رودس (١ وهي مدينة صغيرة بقدر عكّا ولها ثلثة اسوار وثلاث خنادق عظام داخلها الف مدفع منهم مدفع عظيم طوله ستّة وعشرين شبر يتربّع الانسان في داخلـه . وهي شهيّة المنظر وانّما سكانها فقراء واكثرهم يهود ولها بساتين عظام ومازها. وافر وفي كلّ بستان برج مثل ابراج بيروت . ومطارب من تلك المدينة كلّ سنـة يعمارا مركب بانيك الى الدولة وهي بوغاز اناضول واسطنبول بعيدة ثلثة ايّام وفي البرّ سبعة ايام وهي مينا مقصودة الى سائر المراكب . ثمّ اصبح مركبنا الخميس بين جبال رودس والاناضول واصبحنا الجمعة قبـال فونتيه وجزيرة راس السنو (٢ والريح غلّينه ثمّ اعتـدل الريح والساعة ١١ كشفنا برّ قبرص ورأس الباف (Paphos) قبال راس الانبوط (٣

ومصباح السبت اقبلنا على رأس اللسـون ثمّ كشفنـا البومبرده الذي ارسلها الكومنده في الافندي وكركجي الاسكندريّة الى عند الصـدر الاعظم وحين نظروا المركب قوّصوا اشارة انّ لهـا معناغرض فهرنس (٤ المركب الى ان وصلت للجنب فوجدنا القبـالين والصلدات الذي ارسلهم الكومنده من بحر الاسكندريّة . وطلع القبـال سلّم على الامير واخبره ان له سبعة عشر يوم مفارق الوزير الاعظم وانهُ ارسل عشرة الاف عسكري اسعـاف الى الذين باقين في مصر وانّ باقي مع الوزير ستّة الاف . وانّ الاعلام بينهُ وبين الجزّار مقطوعة وانه فيه طـاعون في عكّا وبيروت والملاحة في قبرص

ومصباح الاثنين اقبلنـا على مدينة اللسـون فصار ريح طيّب وعند الغروب اقبلنا على الملاحة فحضر قبطان الوسبرة واخبر الطاعون قليل ولكن الامير ما سمح الى احد ينزل وحضر القنصل سلّم على الامير . ومصباح الثلاثاء وصل ثلاث

١) يريد بها هنا المدينة التي هي حاضرة جزيرة رودس

٢-٣ كلّ هذه الاسماء مأخوذة عن العامّة لا يدوّنها اصحاب الخارطات

٤) في اللغة هَرْنَصَ اي مشى وسار

مراكب والكبير فيهم ناصب سنجق مثل مراكب الياريك وبدأ يقوّص مدافع الى ان دخل المينا ثمّ عرفنا انّهم مراكب الجزّار واخبروا ان في بيروت طاعون وانهُ مات مرعي الشلفون ومنصور ابن بو كنعان الملحم وابن طنوس بو ريدان (١

ثمّ نهار الاربعاء قامنا من الملاحة . ومصباح الجمعة كشفنا جبال لبنان وبعد العشي ارسى المركب في مينا طرابلس . ومصباح السبت حرّر الامير الى اخيه يعرّفهُ في وصوله وانهُ يرسل الخيل فحضر جوابان انهُ يحضر ثمّ حضر الكمركجي ومصطفى آغا بربر ونزل الامير من البحر الى البارد (٢ وحضر الامير حسن والشيخ بشير وتوجّه الامير الى قلعة الحصن (تمت)

حاشية خاتمة رحلة الامير بشير — ان الامير بشير لم ينتفع شيئاً من هذه الرحلة لان الصدر الاعظم عاد مكسوراً من البلاد الشامية فلم يكترث الجزّار بتوصياته بالامير بشير وكذلك لم يكترث بتوصيات يدني سميث لاعتقاده عدم مداخلة هذا بشؤونه الداخلية فلا يحاربهُ منتصراً للامير . — وقد ذهب يدني سميث حانقاً من الجزّار لكنّه لم يسع في إنقاذ الامير من مظالمه . وعليه اضطرّ الامير تخلصاً من غدر الجزّار الى الاتفاق مع اخصامهِ فحصلت المعاهدة بين الامير واخصامه اولاد الامير يوسف على ان يتركوا شمالي لبنان من نهر ابراهيم الى طرابلس ويكون مركزهم جبيل وبقي عبد الاحد باز مديراً لهم في الاحكام وظلّ باقي لبنان من نهر ابراهيم حتى البقاع وصيدا تحت حكم الامير بشير ومركزهُ دير القمر والشيخ سلوم الدحداح صاحب هذه الرحلة مديراً للاحكام عنده . واما جرجس باز اخو عبد الاحد الاكبر فاقام في دير القمر في بيته مستمداً للامراء المذكورين عند الامير بشير ومات الجزّار سنة ١٨٠٤ ولبنان على هذه الحالة — التي لم تتغيّر الا في ايار سنة ١٨٠٧ بقتل ابني باز الشقيقين وخلع الامراء اولاد الامير يوسف وتوحيد الجبل في يد الامير بشير — واما الشيخ سلوم فقد لبث في منصبه حتى سنة ١٨١٧ اذ استقال وعيّن الامير عوضاً عنه ولده الاكبر الشيخ منصور الشهير ومات الشيخ سلوم في عرامون سنة ١٨٢٠

سليم خطار الدحداح

---

١) هؤلاء كلّهم من اعيان موارنة ساحل بيروت اي ما كان خارج بوابات بيروت وكان الساحل المذكور خاضعاً لحكومة الامير ٢) اي نهر البارد

المزارات في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

توطئة

قد وفرت المزارات الدينية في شرقيّ الاردن وغدت عند اهل البادية اشهر من نار على علَم . فلا يخطو المسافر بعض خطوات في القرى العامرة او في الربوع الخالية حتى يتعهّد مقاماً يتوارد اليه الزوّار ويقيمون له اكراماً ويقدّمون له القرابين والضحايا

فهذه المباني المتعدّدة تختلف باختلاف اصحابها المدعوّين بالاولياء. ولذلك قسموا المزارعات الى كبرى وصغرى . فالكبرى هي التي يشيدون اسّها ويرفعون جدرانها بالحجارة الكبيرة القديمة . فاذا دخل المرء الى داخلها الفى بنـاء مستطيلاً على هيئة القبور الاسلامية المشهورة مزيّناً بانواع الزين من نسيج حريري اخضر وشموع ومصابيح خزفية مُضيئة . وربما يبلغ طول اللحد عدّة امتار كقبر النبي هوشع في شمالي السلط . وكلّما فخم البناء واتّسع زاد اعتباره وكثر زائروه . واما المقامـات الصغرى فهي دائرة من الحجارة يسكن في وسطها الوليّ الاسلامي . فلا شيء يميّزها عن غيرها سوى الذكر والشهرة . والاعراب يدعون المقام باسم صاحبه . فيقولون زرنا هوشع اي مقام النبي هوشع واتينا الملاهلة والولي جعفر اي مزار الملاهلة والولي جعفر (١ وربما ذكروا الجبال او الاودية المحيطة بالمزارات او عيون الماء القريبة منها فمن ذلك وليّ وادي شعيب او ولي شجرة الخنيطي اوعيون الماء

١) قال الشيخ محي الدين العربي في الفتوحات المكية : «اعلم ان النبي هو الذي يأتيه الملاك بالوحي من عند الله يتضمّن ذلك الوحي شريعةً يتعبّده بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولاً . وفي الكتب الكلامية ان الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يكون المواظب على الطاعات المتجنب عن المعاصي المُعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات . وكرامته ظهور امر خارق للعادة من قبله غير مقارن لدعوى النبوّة فما لا يكون مؤذناً بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجاً وما يكون مقروناً بدعوى النبوّة يكون معجزة »

والاعراب يسمُّون المقام وليًّا لان ارواح الصالحين تقطن في ذلك البناء على زعمهم . فالولي لغةً هو المساعد والصديق والوكيل عن امرئ في امر ذي اهمية . فالله هو وليُّ الجميع وهو وليُّنا ونعم الوكيل . واما اصطلاحا فهي الارواح البارَّة والنفوس المقرَّبة من العلي تُناجيه مدى الادهار وهي تضرع اليه كي يصفح عن البشر ويساعدهم في جميع احتياجاتهم . فالجنّ تسعى دائما في اضرار بني الانسان . واما الاولياء فتارة يساعدون الملتجئين اليهم وطورًا يسيئون الى من يبغضهم . وربَّما اقام اهل البادية مزارًا لاحد الابطال والشيوخ الذين عاشوا بالبرّ والصلاح . فمن الصفات المطلوبة ان يكونوا ارباب كرم وابطالًا في الحروب يقودون الغزوات ويجمعون الفرسان ويخوضون ميدان الوغى . فاينما وقعوا أحيوا لهم ذكرًا واقاموا لهم مزارًا وغدوا مثالًا لارباب المضارب وربما كان الولي خيالًا نتج في المخيلة فجسَّمته ومثَّلته لعالم الوجود والحدثان

١ انواع المزارات

كانت قمم الجبال ومرتفعاتها في العصور الخالية مكرَّمة مقدَّسة كما ذكرناه في مقالتنا السابقة وذلك ان الاقدمين أَلِفوا هنالك من العظمة والارتقاء ما مثَّل لهم انها تلج الى كبد السماء فتنال قوَّة عجيبة ومن ثمَّ اقاموا الهياكل والمقامات الدينيَّة في رؤوسها . فلا ريب ان النفس في ارتفاعها الى هذه البنايات الشاهقة كانت تشعر بالعواطف الرقيقة والالهامات القلبية السامية فذلك ما حملهم على الظنّ ان الاعلام اقرب متناولًا الى عرش العليّ

بيد ان الاعراب لم يعيأوا عن افكار اجدادهم الساميّين لا بل اقتفوا اثارهم وساروا على مناهجهم . فمن ذلك نرى ان اكثر المزارات البدويَّة قائمة على قلل الجبال . اذا وقف السائح على قمَّة جبل هوشع يسرح الابصار بما يكتنفه من المشاهد البديعة الرهيبة يشاهد عن بعد وادي الاردن يسيل بالتؤدة والوقار والاشجار حوله يمينًا وشمالًا ويماين سُفوح الهضاب مرتفعة شيئًا فشيئًا بعطفاتها وطيَّاتها الى مقام النبي هوشع . فيؤثر ذلك المنظر في فؤاده وتحلّ في صدره المسرَّة والدهشة . ويحسُّ بان يد الله العظيم قد كوَّنتها باكمل نظام كدرجات طبيعيَّة ترتقي الى هذا الجبل . وكثيرًا

ما اقاموا المزارات على ينابيع المياه . فبينما المتجوّل يخشى وطأة الحرّ ووقدات القفر اذ يجد مسيل ماء يترقرق على الحصباء فيرتاح لخريره وحفيف اشجاره فتحمله النفس الى الصلاة في تلك الخلوة — ومن المزارات ما هو في السهول الممتدّة الاطراف ومنها ما هو على منحدر الجبال ومنها ما هو مختصّ بالرجال ومنها ما هو نسائي . ومنها ما هو مبني على اسّ تاريخي ومنها ما هو وهمٌ من الاوهام . ومنها ما هو مذكور في الكتاب المقدس كمزار النبي موسى وهارون وجاد ومنها ما هو تقليدي نابع لتاريخ البادية

٢ مزارات السلط وضواحيها : النبي هوشع وجاد وشعيب

ان مقام «النبي هوشع (١)» قائم على قنّة جبل يبعد عن السلط شمالاً ثلاثين دقيقة فقد نال اكراماً من قديم الزمن لما وجدوا فيه من الخوارق . والاهلون على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم يزورونهُ في اكبر الاعياد الاسلامية وايام المصائب والنكبات

ولما كانت الطريق المؤدّية اليه خربة وعرة اهتمّ ارباب الحكم في السلط باصلاحها وترميمها . ففي جوار المزار اشجار سنديان عاديّة يرتقي عهدها الى ثلاثة اجيال واكثر وهي ذات إكرام . والمقام هو بناء مستطيل طولهُ من الشرق الى الغرب عشرة اذرع وعرضهُ من الشمال الى الجنوب خمسة . فاذا ولجتَ من الباب المتّجه نحو الشمال أخذتك الرهبة اذ تعاين قبر احد الجبابرة العظام وقد يبلغ طولهُ خمسة اذرع ونيفاً . وهو مفروش بالسجّاد مما جادت به نفوس الزائرين . وعلى قبره نسيج اخضر مطرّز بالذهب . هناك تشاهد القرآن فوق الرأس . هناك مصابيح الزيت والسمن . وهناك قطعُ خزَف مشكّلة الالوان ما بين حمراء وبيضاء وصفراء وزرقاء معلّقة على الحائط . وهو مبني بحجارة قديمة يرتأي الباحثون ان اكثرها يرتقي الى عهد الصليبيين . وفيه آبار عديدة منقورة في الصخر ينحدرون اليها بدرجات واسعة

ولهذا المزار قيّم يدعى ابا محمّد وهو من الفضلاء وقد ذكر لي عدّة آيات اجراها النبي في مقامه . قال : « اتاني شيخ من بني صخر بابنة له يابسة الفكّ فقلت لابيها : هي

(١) هوشع النبي هو صاحب السفر المعروف باسمه في الكتاب المقدّس احد الاثني عشر نبياً كان في ايام يربعام بن يواش ملك اسرائيل

معتراة من الشيطان . فأدخلتها المزار فسقطت على الارض من شدة الالم وكانت تصيح صياحاً يشقّ الصخور فعلمتُ ان ابليس الرجيم لا يخرج الّا بالاهانة والمذلة . فضربتها على فكها بحذائي ثلاث دفعات . فكانت تشعر باضمحلال المرض شيئاً فشيئاً الى ان نالت تمام البرء والشفاء . ودهنتها بزيت النبي فلم يعُد اليها المرض » . والرعيان انفسهم يطوفون بالاغنام حول المزار في ازمان الاوبئة ويختارون خير النعاج ويصعدونها الى سطح المقام وينحرونها فيسيل دمها على عتبته . وكل من زار هذا المكان يرى اثار الدماء بادية على الحائط

لمّا أمسكت السماء في ارض البلقاء سنة ١٩١٣ امرَ القاضي الاسلامي جميع الملل في السلط من اسلامية ونصرانية ان تصعد الى الجبل المقدس فصعد القوم كبيرهم وصغيرهم واقاموا الصلاة وذبحوا الذبائح . فكان التيمم في عيد عظيم لانه اصاب الرؤوس والجلد والامعاء . وفي تلك الليلة هطلت الامطار وسالت السيول وغرقت السهول . فزاد اكرام المقام وطارت شهرتهُ

ويروى ان المرأة العاقر تزور النبي حافيةً خاشعة وتجثو امام الضريح وتقبله بدموع وتضرع ان لا تكون عارًا بين النساء . ومنهنَّ مَن يرقدن الليالي الطويلة بين أسواره بالصوم والصلاة ثم يغادرنهُ وفي نفسهنَّ الامالُ والمسرّات .

وفي جنوبي السلط أكمة تدعى بابن جادور وهو ﴿جاد بن يعقوب﴾ الذي حلّ في شرقي الاردن . فالتقليد الاعرابي يذكر انه دُفن في رابية من روابي السلط . وهذا المزار يشبه بئرًا ينحدر اليها المرء بدرجات قليلة . ويزوره المجاورون لما يجدون فيه من السلطة والقدرة . على ان عوامل الدهر قد هدمتهُ واخذ اكرامهُ يزول شيئاً فشيئاً بما حدث من الفتور والتراخي في الدين

سِرْ ايها المسافر في وادي السلط الجنوبي نحو الاردن بين رياض غنّاء واشجار ملتفّة الافنان ومياه مترقرقة على الحصباء تجد بعد ساعات ثلاث محيطاً من الحجارة وبركة ماء . فهذا هو المزار الطائر الذكر البعيد الشهرة ألا وهو مقام البلقاء كلها المدعو ﴿النبي شعيب﴾ . وهو ولي مرهوب مختصّ بالاقسام الكبرى اذا اشكلت الدعاوي واستعجمت مذاهبها وأدلجت سمارها بطلب القاضي البدوي القسَم الرهيب في بركة شعيب كما ابناه في باب القاضي البدوي . فينزل المجرم في المياه المكرّسة ويقول : بحياة

شعيب ورب شعيب اني بريءٌ مما اسند اليَّ من الجرم . وكثيرًا ما تأخذهُ الاوهام ويشعر بذنبهِ الخفي فترتجف اعضاؤه وتصطكّ ارجله ويُعقد لسانهُ فيقرّ بما جنت يده من الاثم

واذا قُتِلَ انسان ولم يُعرف له قاتل يأمر الحاكم الاعرابي المتّهمَ ان يمضي بمئة شهود ثلاثة الى محيط النبي شعيب ويقسم انه بريءٌ مما عُزي اليه . ويقال له في تاريخ الاسلام خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه بعثهُ الله الى اهل مدين واصحاب الايكة(١ . ومما يروونهُ عنهُ انه كان في اراضي مدين رملٌ عظيم يقاسون منه عناء شديدًا . فدعا الله تعالى فاجابهُ وامرهُ ان يشير الى الرمل فاشار اليه فانتقل الى مكان آخر وانقلبت الارض بدعائهِ نُحاسًا فغدا اصحابه اغنياء. وقال شعيب لقومه: « يا قوم اعبدوا الله ما لكم إله غيره . ولا تنقصوا المكيال والميزان » لانهم كانوا يجلسون على الطريق ويبيعون بالكيل والميزان الناقص . وكانوا يقطعون الطرق فلما طال تماديهم في الغي والكفر ويئس من صلاحهم دعا عليهم فاهلكهم الله بالرجفة وهي الزلزلة . ويزعمون ان شعيباً كان اذا اراد ان يصعد الجبل انخفض حتى يعلو عليه ثم ينهض الجبل به الى حيث اراد

ودونكم الحادثة الآتية قد تعهّدتُها بعيني . سرق اعرابي من عشيرة الزايدة بقرة الاب سلامة الحدادين خوري طائفة الروم الاورثوذكس في ماعين . فداخله منه ريب وخالجه فيه ظنّ فرماه بالسرقة . فانكر الأمر ونحّى عنه الجرم بالاقسام المغلظة . فلمّا عجز الاب سلامة عن ايضاح الحق ارسلهُ الى وادي شعيب كي يبين براءته في البركة المعهودة . فلم يُبالِ السارق بالامر وانتصب امام الجميع على رجل واحدة واخذ يقفز بهزء ويقول: «وحياة شعيب وحياة شعيب اني ما سرقتُ البقرة» على انه لمّا انتهى الى محيط النبي وقف وقفةَ المرتاع واخذتهُ رهبة المكان فاشار الى الحاضرين انه هو السارق . فقد رايتهُ قبل سفره وهو الذي روى لي هذه الحادثة بعد عودته . ومن هذه الروايات عددٌ لا يحصى يُستدلُّ منها ان الولي شعيب هو وليٌّ مرهوب من الزرقاء الى الزرقاء كما يقول الاعراب اي من نهر الزرقاء الشمالي المدعو

١) شُعيب على زعم العرب هو موسى المدعو في التوراة يثرو ورد ذكرهُ في القرآن في سورة الاعراف

بزرقاء شبيب الى الزرقاء الجنوبي المدعو بزرقاء ماعين . فقد يقسم الاعرابي بالله دفعات متوالية على انه يخشى ان يذكر اسم شعيب بالكذب مرّة واحدة لانه «مُظهر الاسرار وموضح الخفيّات »

ومن اولياء السلط المعدودين ﴿مزار ابي عبيدة﴾ . وهو من الابطال المجاهدين في صدر الاسلام وهو مكرّم في بقعة المدوان في غور المشاخة شرقي الاردن وهو بناء قديم وعليه قبّة مرتفعة حديثة يقدم اليه الاعراب صاغرين متذللين ويقربون له القرابين بعد رجوعهم من غزواتهم كاسبين . غير ان اكرامه لا يمتدّ الى ارض البلقاء بل ينحصر في سهل الاردن الشرقي

٣ المزارات الموابية : جعفر الطيار . النبي هارون الخ

فبعد ان ذكرنا مزارات البلقاء علينا ان نميط اللثام عن المزارات الموابيّة . بالقرب من الكرك نجد مزارًا جليلًا طار ذكره في تلك البقعة ونال شأنًا رفيعًا فهو ﴿ جعفر الطيّار ﴾ وليّ تأريخي يورده الحديث الاسلامي . ذكر المؤرخون انه في السنة الثامنة للهجرة خرج المجاهدون من البادية لمحاربة الروم وافتتاح ملكهم فالتحم الجمعان في بقعة تدعى مُوتة فسقط من الجانبين عدد وافر واسفرت المعركة عن كسر المجاهدين ونصرة الروم عليهم . وكان في مَنْ سقط قائد مشهود له في المعارك يدعى جعفرًا . زعموا ان الامام عليًا لمّا تقدّم اليه ليحمل جثّتهُ لم يستطع اليه سبيلًا بل كان كالطود في ثقله . فقال له بصوت عظيم : « خفّف دمك يا ابن عمي » فطار نحو ميل وسقط في مقامه الحالي حيث دعوهُ جعفرًا الطيار . ورفعوا له مزارًا حبسوا عليه اوقافًا واسعة . وممّا يدلّ على عظمته ما بقي فيه من آثار المجد الغابر والحجارة الضخمة والأنقاض المتبعثرة . وممّا ورد في الحديث قول محمد نبي الاسلام : «خُلق الناس من اشجار شتّى وخُلقتُ انا وجعفر بن ابي طالب من شجرة واحدة» قالوا وكان جعفر مزيّنًا بالجناحين يطير بهما في الجنة حيثما شاء . ورووا عنهُ انه لقي العدو فاصابه ثلاث وسبعون ما بين ضربة وطعنة والواء بيمينه قال : . فقُطعَتْ يمني ثم اخذت اللواء بيساري فقُطعت يساري فعوّضني الله تعالى جناحين اطير بهما في الجنة مع جبرائيل وميكائيل حيث شئت ولهذا اسمي الطيّار في الجنة » انتهى

ففي ايام الربيع يفد اليه الزائرون من عرب المجالي والحجايا والسلابطة والحباشنة والمعايطة وغيرهم فترى الفتيات يرقصن حول المزار باغاني مُطربة ونغمات رقيقة بينما الشبان يجولون في ميدان متسع على متون الجياد الاصيلة . يخوضون غبار السباق لينالوا الذكر وحسن الاحدوثة . وبعد الافراح ينحرون الذبائح ويقدمونها للفقراء اكراما لجعفر الطيّار

واذا سار السائح نحو الجنوب الى معان يرى هناك مزار النبي هرون افادني رجل تياهي من وادي موسى فقال : لا اعرف مقاماً اشدّ اكراماً ولا اوفر آيات من النبي هرون في عهدنا الحاضر . فهو مظهر الغيوب وكاشف ما في الصدور والقلوب يهجع الزائر المؤمن تحت ظلّه فيشعر بما لا يوصف من المسرّة والحبور فيعاين شيخا جليلاً ابيض الناصية طويل الشعر عليه مُطرَف اخضر يُعلمه بما يجب ان يعمل . روى لي الشيخ عليان من عرب التياهة قال : « ان اصل هذا المقام عجيب وذلك ان موسى وهرون سارا يوماً في وادي معان واذا بكهف يسطع فيه النور فبادرا اليه فدخلاه وعاينا سريراً من ذهب عليه من انواع الزين ما يذهل له العقل وقرأ على جانبه هذه العبارة : هذا السرير لمن كان طوله . فامتدّ موسى عليه فزاد من طوله . فصعد هرون فكان كقالب له فلما همّ بالنزول منه مسكه ملاك الرب وتوفاه عليه . فرجع موسى حزيناً نادباً واخبر بني اسرائيل بامر السرير »

روى لي ثلجة بن عبّاس من معان قال : عزمنا على الغزو في يوم راق هواؤه ورقّ نسيمه وأديمهُ . فلم أقدم حتى استشرتُ النبي هرون فجلست تحت ظله فظهر لي شيخ رفيع القامة ساطع الطلعة وقال : اياك والغزو فهو يوم بؤس . فاخبرتُ رفاقي فلم يُذعنوا للنصيحة وابوا الّا الغنيمة . ولمّا مضوا في طريقهم التقى بهم جيش من الاعداء فمزّقهم وشتّتهم

سألت احد الاعراب اين مقرّ النبي هرون » قال انه يرقد في قمّة الجبل بين الصخور الناشزة . فيرهبه الزائرون ويضجعون تحت ظلاله المتعكسة . وكان اكرامهُ قد فتر على تراخي الاجيال الى ان مرّ به درويش مصري يقصد الحجّ فنام بالقرب من هذا المقام فظهر له الشيخ الابيض الناصية وقال له : انا هرون النبي قُمْ وانظر فوق رأسك بناء صخرياً منقوراً من عهود قديمة هذا مزاري وهنا ضريحي . فلمّا استفاق

من رقاده اعلم الاعراب بما رأى وسمع وغدا قيساً الى ايامنا الحاضرة . وفي معان مزار نسائي مشهور يُعرف «بنات العين» هو لم يكن معروفاً من ذي قبل حتى وردت اليه بدويات يستقين ماء فشاهدن ربات المياه مرتديات ثياباً خضراء فقلن لهن : هذا مقامنا به نقطن لشفاء البشر . فانتشر ذكره بين العواقر يقدن اليه بالقرابين والمصابيح لنيل البرء والشفاء . وهو مختص بالنساء فقط ويدعونه المستشفى النسائي كما شرحه لي بعض الاذكياء الفكهاء .

ومما يجب التنبيه اليه ان اهل البادية قد رفعوا مزارات لاصحابهم واحبابهم طبقاً لسُنّة الحب المعهودة . فان اناساً عديدين تقوى فيهم ذكرى من يعزّ عليهم بعد موتهم فيرفعون لهم ضريحاً ليبقى اثراً مشهوداً . وقد يخيّل اليهم ان ارواح اصدقائهم تعود اليهم بعد وفاتهم وترفرف بلطف فوق رؤوسهم . ففي الليالي المظلمة يشتدّ بهم الحب والتأثير فينتقلون الى قبر عزيزهم ويشعرون براحة بالقرب منه وكثيراً ما يسمعون اصواتاً يخالونها مناجاة احبابهم لهم ويصبح قبر الحبيب حيناً بعد حين مزاراً مكرساً

نشبت حرب طاحنة من زمن مديد بين اهل الكرك واهل جبال فتصادم الجمعان في وادي موسى في سهل البقيعة . فانكسر الكركيون شرّ كسرة . وسقط بين القتلى فارس يدعى مصلحاً فحُمل الى الشوبك ودُفن هناك وذبحوا على قبره ذبيحة الاموات واصبح على تمادي الزمان ولياً ومزاراً

وربما رووا الآيات الغريبة عن اولئك المكرّمين في المزارات . ففي النخل مزار كريم يدعى «مزار الحُجّاج» . والحُجّاج على زعم اهل البادية هم من عرب الحياة تمردوا على الحكومة المصرية فانزلت بهم من النكال الواناً ثم رمت جثثهم للكلاب فابت هذه الحيوانات ان تفترسهم . وبينما الجموع تنظر الى هذه الامور وقد نالتهم عواطف الدهشة اذ نُشروا من الاموات وطردوا عنهم الكلاب وماتوا فايقن الحاضرون انهم قُتلوا ظلماً وعدواناً . فرفعوا لهم مزارات وغدوا من اولياء الله المقرّبين .

على ان السائحين الصالحين قد اصابوا اجلالاً واكراماً لتقدمهم في مراقي الفضيلة البدوية . اخبروا عن الشيخ عبدالله في معان انهُ عاش بالصلاح والتقوى ينفر عن المثالب والشتائم وكان خطيباً ينذر القوم بالوعد والوعيد وينهاهم عن المنكرات والمحرّمات . فلم يجد في عشرته من يعي كلامه ويحفظه . فلمّا استوفى ايامه اظهر الله

كراماته بشفاء كثيرين على ما زعموا وله سطوة واسعة على الاسقام والامراض

وقد وجدنا بعض المزارات البدوية التي لا يُعرف لها تاريخ بل هي من مخترعات المخيلة الكثيرة الاوهام. فهناك مزارات مضحكة لم تنشأ الا لتدل على عقل البدوي الديني وميله الى الخوارق المختلقة الغريبة كما ترى من رواياتنا السابقة

بالقرب من قرية ماعين غرباً رأيت دائرة من الحجارة يعرفها الاعراب ويرهبونها ويدعونها «مزار ابي رغيف». واصله ان فلاحاً كان يحرث ارضه فوضع ارغفة خبز على صخرة وجلس يأكل. فعدّها فوجدها ناقصة فقال: باسم الله الرحمان الرحيم اني بالقرب من ولي عظيم. فترك الارغفة ومضى لحراثة ارضه وقد ناله رهب عظيم. فاشتغل ردحاً من الزمن وعدّها فوجدها ناقصة فايقن ان الولي اكلها. وكان هناك وحش يسحبها الى وكره وهو لا يدري فاخبر عرب العوازم الزايدة بذلك فنحروا ذبيحة على تلك الصخرة وبنوا محيطاً بالحجارة دعوه مزار ابي رغيف الى ايامنا هذه. روى لي مزيد الفرّاج قال: «ضاعت لنا أتن في تلك البقعة فورنا بالقرب من ابي رغيف ونذرنا له عشرة ارغفة ان وجدناها. وعدنا في المساء مكتئبين واذا بالاتن ترعى في محيط ابي رغيف فوفينا النذر وايقنّا بسلطة الولي»

طال الجدال بين الاعراب على سرقة جدي وكان المتهم جالساً بين الحضور ينكر السرقة. فقال له احد الحاضرين: لا ريب انك انت السارق ودلائل الخوف بادية على وجهك فقال: اقسم بالله ورسوله ما مددتُ يدي الى الحرام. فقام احدهم وقال: «لا بالله لا نقبل يمينك اقسم لنا بالملاهلة» فلما سمع ذكر الملاهلة امتقع لونه وقال: «لا اقسم ويل للحالف وويل للمحلف» فسألت احد الجلوس: وما هي الملاهلة. قال «هم جماعة من عرب عنزة اتوا بلاد مواب وماعين وسكنوا فيها وكانوا من اولياء الله الصالحين فانقرضت ذريتهم ولم يبق لهم نسل ودُفنوا في ناحية ماعين الشرقية الشمالية

ومن العشائر ما هي بجملتها من الابرار. فقد ورثت الايات عن اجدادها. فمنهم الزعبيّون في السلط والقساطلة عند عرب الزايدة وعشيرة الفقراء وشيخهم هو كنيعان الفقراء. فالزعبيون هم طائفة من اهالي السلط رماهم الدهر بالفقر والنكبات فتركوا بيوتهم ونزلوا في الغابات الشمالية بين الوحوش وصناعتهم الفحم. ولهم

خزعبلات عديدة لا يقيم لها العاقل وزناً . قالوا انهم تآخوا مع الوحوش فلا تنزل بهم ضرراً . وقد تسلّطوا على الحيات والعقارب فيدعونها باسمها ويضعونها في احضانهم فلا تؤذيهم

ومن اغرب ما عندهم من الاعتقادات انه اذا مات احدهم تثقل جثّتهُ فيضطر حاملوها ان ينزلوها عن الاكتاف . وكثيراً ما تشتاق الى منزلها فيشعر حاملوها بدافع يدفعهم الى العودة اليها . فيزعمون ان نفس الميت تلبث في مسكنها فلا تخرج منه الّا بعد ثلاثة ايام . فيضربون بالطار وهو نوع من الطبول الصغيرة فترتاح النفس وتسير مع الجسد الى القبر

وكان في السلط حاكم يهزأ بخرافات الزعبيين والفقراء . وكان يترقّب جنازة زعبيّ ليبحث عن صحّة هذا الامر فرأى يوماً بالقرب من دار الحكومة جمعاً غفيراً وسمع اصوات الدفوف والطبول فقيل له : ان الميت يحاول الرجوع الى بيتهِ . وانتشرت الضوضاء وعلت الاصوات والجنازة لم تتقدّم . فشعر الحاكم بمكرهم واستشاط غضباً واخذ سوطاً وجعل يضرب الحاملين . فخفّ الميت للحال ونقلوه باسرع ما يمكن ودفنوهُ . ولم تزل تلك العادة جارية عند الزعبيين والفقراء في البلقاء

ومن مضحكات الزارات مقام ﴿الشيخ خُنَيْزير﴾ . واصله ان صيّاداً قتل خنزيراً برّيًّا وعلّقهُ على شجرة ودفن رأسهُ في اصلها . فمرَّ بدوي فقال : ما هذه الحجارة انهُ لا ريب وليّ من الاولياء . فقال له الصيّاد : هذا الشيخ خُنَيْزير . ونام البدوي في اصل الشجرة فهاجت منه الافكار ولم يستطع ان يوضح ما حلّ به من الاحلام المزعجة . ولمّا انبثق الصبح نحر ذبيحة على القبر الجديد . واصبح هذا المزار مكرّماً بالقرب من عمّان

ومن الخوارق التي يذكرها الاعراب مدحاً لهذا المزار انَّ اعرابيًّا وضع جرّة سمن على قبر الشيخ . والاولياء في شرقي الاردن تحفظ الودائع والامانات . فاجتاز به اعراب فقالوا : ما اكرمَ الشيخ خُنَيْزير . اننا نتضوّر جوعاً فمدَّ احدهم يدهُ الى الجرّة فخرجت حيّة عظيمة تنفث السمّ القاتل . فايقن الجميع بواسع سلطة الولي

وفي غربي الكرك مزار شهير يدعى ﴿النبي نوح﴾ . يقول الاعراب فيه : عاش نوح كالاعراب تحت المضارب ينحر الجزر للضيوف ويكرم مثواهم . فعظم امره عند

قومه وكثرت ماشيته . ولم يصبر نبيّ على اذىً مثل ما صبر نوح على قومه وكانت ابنته تخبز في التنور فاوحى اليها ملاك الله قائلاً : اذا رأيت المياه قد غلت فادخلوا السفينة فاخبرت اباها بما سمعت . وكان اول من دخل السفينة الدرّة وآخر الحيوانات الحمار . واقترف نوح اثماً عظيماً بكى عليه دهراً طويلاً فاتاه ملاك وقال له : لا تنح يا نوح . فسمي نوحاً وكان اسمه عبد الرحمان ومات ودُفن غربي الكرك . فقد زرته فوجدته غنياً بالتحف والهدايا مزيناً بانواع الانسجة مضيئاً بمصابيح الزيت والسمن

واما ﴿الخضر الاخضر﴾ فهو مكرم في بادية البلقاء ومواب . فهو على زعم العرب اول من امتطى جواداً وحمل رمحاً وانتضى سيفاً وعلّمهم الخوض في ساحات الوغى . وهو شفيع للاعراب يذكرونه في سائر احوالهم . دخل بدوي الى كنيسة مادبا وفيها صورة القديس جاورجوس على جواده الابيض فقال : يا خضر الاخضر يا ليتني ابيع مالي وحلالي وابتاع حصاناً كهذا

ويدّعي الاعراب انه لُقّبَ بالخضر لانه حيثما جلس اخضرّ ما حوله . ويقولون انه بلغ نهر الحياة في الجنة فشرب منه وهو لا يعلم وهو حيّ الى يوم يُنفخ في الصور وتُنشر الاموات من القبور . وله إكرام في شرقي الاردن لا يكاد يناله غيره من الاولياء . ولهم في ضواحي الكرك عدة مزارات نذكر اشهرها : مزار السعيدات وعبد السيد والبديوي والسهيلي والشيخ يعقوب . وفي كفر ربّة الشيخ صلاح

٤ الوليات عند العرب

واما النساء الصالحات فقد نلن اكراماً كالاولياء . فمنهنّ بناتُ العين في معان . على انه بالقرب من جبل نبا (Nébo) نجد ﴿قبر الرفاعية﴾ . وهي وليّة من عشيرة البلي توفاها الله عند عرب اليزايدة وأبدت صلاحها بعد موتها . وفي معان نرى ﴿ام جديعة﴾ ومزارها قائم بين اشجار ظليلة ومياه مترقرقة . وما هو الّا صخرة مستديرة يبلغ ارتفاعها مترين . وزعموا ان امرأة كانت هاجعة الى جانب الصخرة فرأت حيّةً هائلة عليها شعَر ذهبي قد خرجت من الماء وقالت لها : انا وليّة هذا المقام أشفي السقيم العليل . وتواردت النساء الى ام جديعة . وتوقد العاقر اياماً على تلك الصخرة وتحتك بها وتبكي بدموع سخينة . وكثيراً ما تطوف حولها دفعات متوالية وتقدّم لها من

جدول رسوم الحروف متّصلةً ومُنفَصِلةً (58r)

ا ما ا منفصل موصول منفصل	بب ب مقطوعان عطوط عطوط
حح ح محذوفان منفف مُنفّف	د مد د منفصل موصول منفصل
ر مر ر منفصل موصول منفصل	سس س محذوفان مرقّق مرقّق
صص ص محذوفان مرقّق مرقّق	ططط ط صورتهُ متّصلًا ومنفصلًا واحدةٌ
عع ع مفتوح مُنفّف مثقل منفف مثقل محذوف مفتوح محذوف	فف ف مثلث عطوط مدوّر عطوف مثلث محذوف
قف ق مثلث مرقّق مثلث مرقّق مدوّر محذوف	كك ك مشكول مشكول مرقّق مرقّق
لل ل محذوفان مرقّق مرقّق	مم م محذوفان مرقّق مرقّق
نن ن محذوفان مرقّق مرقّق	و مو و منفصل موصول منفصل
هه ه مشقوقان صحيح صحيح	لا ملا منفصل موصول
يى ى محذوفان مرقّق مرقّق	يى ى محذوفان مردود مردودٌ

(63) جَدْوَلُ الخطِّ الذي يُسَمَّى الحفيفَ.

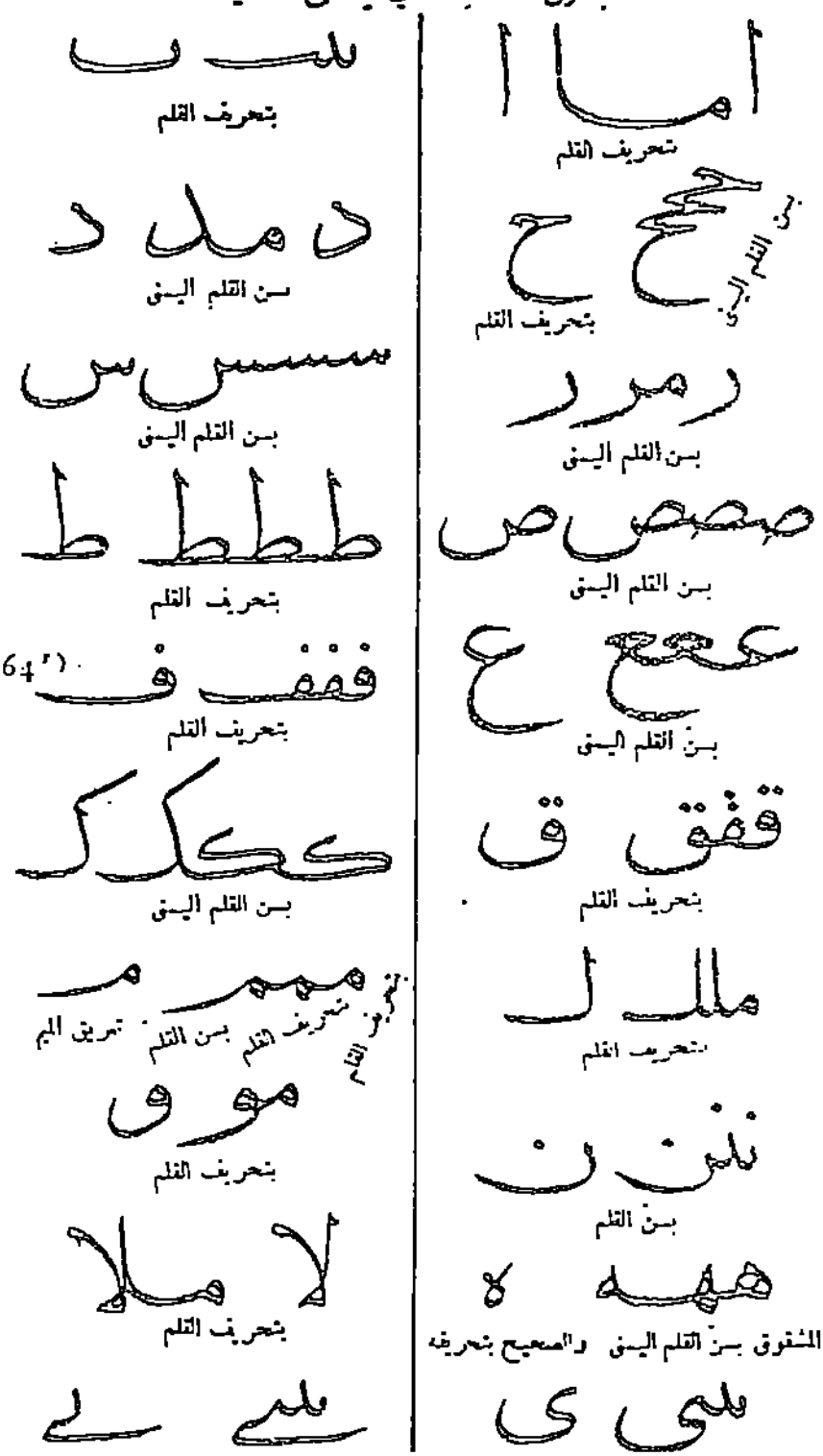

(64)

(64 ٢) جَدْوَلُ الخطِّ الذي يُسَمّى الإمساك .

اما ا بوسط القلم	لب ب بوسط القلم
حح ح بوسط القلم	دمدد بعرض القلم
رمر بعرض القلم	سسسس س بوسط القلم
صصص بوسط القلم	ططط ط بوسط القلم
ععع ع بعرض القلم	ففف ف بعرض القلم
(65 ٢) قفق ق بعرض القلم	ككك ك بعرض القلم
ملل ل بوسط القلم	ممم م بوسط القلم
نن ن بوسط القلم	مو و بوسط القلم
هههه ه بوسط القلم	لا ملا بوسط القلم
سى ى	سى ے

النذور السمن والكحل والحنا . ومنهنَّ من يقصصنَ شعرهن ويعلقنه ذكرًا لنعمة نلنها

ولقد جعلوا وليَّةً لتعزيـة الخزاني في الجنوب الغربي من رميلة الكرك تدعى «علياء» وهو مزار نسائي صرف ومن تاريخه البدوي ان شابًا انخرط في سلك الجنديَّة على عهد ابراهيم باشا ونشبت معركة هائلة بين المصريين وبني صخر فسقط الشاب قتيلًا . فعلمت اخته علياء بمصابه فلبثت على قبره تندبه بابـدع المراثي الى ان فاضت روحها على ضريحه شهيدة الحب الاخوي فدفنت بالقرب منه . وهي تعزي المحزونين وتفرج عن كربتهم

ويزعم الاعراب ان ارواح الاولياء تسكن في القبور حيث يرقد جثمانها . وهي كالبشر في جميع احتياجاتهم من اكل وشرب . فيدَّعون ان الرياح والثلوج تؤثر بهم والجوع يفنيهم الى غير ذلـك . والشرارات وهم ابعد الناس عن ربوع العمران لا يدرون قط ما هي حياة الصالحين والاولياء بعد وفاتهم . واليكم الرواية الآتية تدلُّ على اعتقادهم بالاولياء . في منحدر وادي الموجب محيطٌ من الحجارة يُدعى مزار سليم وهو جدّ الشرارات . فكان هناك في اعلى الجبل راعٍ شراري يسرح بنياقه وابله فعثر بعيرٌ له فتدحرج بشدة وسرعة عظيمتين فصـاح الراعي مستنجدًا بجده الولي وقائلًا : « يا سليم جدي تلقَّاه . يا سليم جدي تلقَّاه » والبعير يدور كدولاب سريع . فغيَّر صلاتهُ وخشي على جده وقال : « جدي يا سليم تجنَّبْ عن وجهه ليدهكك » اي لئلا يدوسك فيحطِّمك

٥ ما هي قوة الاولياء ؟ ومن اين لهم بها لو نرها ؟

في شهر ايار سنة ١٩١٥ كنت جالسًا في قمة جبل ماعين على العشب الاخضر وكانت الازهار المتنوعة والاقاحين المتلونة منبسطـة على الارض حولي . والشمس مرسلة اشعَّتها عليها فتُحيلها الى حجارة كريمة . وبينما اتأمل في الطبيعة وما كسَتها يد المولى من الجمال اذ وافى جرجس الحدادين وجلس الى جانبي . فوقع نظرنا على مزار الهلالة فسألته : « من اين سلطة الاولياء وكيف اعتقاد العرب في ذلك » . وهو رجل شيخ خبير بمزاعم الاعراب عارف بعواطفهم الدينية فقـال : « ان المولى عزَّ وجلَّ سلَّط الاولياء على البشر للخير او للشر . فمنهم من يسبغ آلاءه بوفرة على بني الانسان

ومنهم من يُنزل بهم المصائب والنكبات » . ثم اتسع مجلسنا وامتدّت حلقتنا اذ رأينا الاعراب تحيّي الحاضرين وتجلس . فدار الحديث على الاولياء فقام احدهم وقال : « سلطة الولي من الله جلّ جلاله . فان لم يمنحه القوة على صنع العجائب بعد موته يصبح قبره كاحد القبور المجاورة . والمولى حرٌّ في عطائه يمنحه لمن يشاء ويرفضه لمن يشاء . وكم من اثيم عاش بالاوزار وغدا بعد موته مقرّباً من الرحمان انه توّاب رحيم . واليكم وصف ذلك بحكاية بدوية : « مات اثنان من قاطعي الطرق بوقت واحد وكان الاوّل يقول في نفسه قبل موته : قد اقترفتُ من الجرائم ما لا يُحصى فاذا وقفتُ في يوم الحساب يزُجّني الله الى الهاوية الى عذاب اليم ولكن استشفعُ بموسى وعيسى ونبي المؤمنين انه غفور رحيم . وكان الثاني يقول : مددت يدي الى الحرام ولكن لإكرام الضيوف والله يحبُّ المحسنين وباب المولى مفتوح للاجاويد . فغفر لهما المولى وجعل الثاني من الاولياء الصالحين رحمة منه وعطفاً » .

وكان قوم من الحاضرين ينكرون سلطة الاولياء وهم نفر قليل ممّن دبَّ في نفوسهم روح الكفر والزندقة . فكانوا يؤكدون ان الوهم يستولي على عقول المستغيثين فيعظم ويزداد في المخيلة فيؤثر في مزاجهم من خير او شر . وذكروا ان بدوية وفدت الى قبر الهلالية والوهم متجسم في صدرها انها تنال الشفاء فاصابت البر قبل وصولها الى المزار على انه لم يكن فيها الّا مرض عصبي . ورووا ان المدعوّة فضّة الموازرة من عرب العوازم اشتدّت عليها الحمى فجرّت نفسها الى محيط ابي رغيف واكلت من ترابه فبرئت من مرضها . وختموا جلستهم على هذا المنوال

ومن مزاعم الاعراب انّ الاولياء ارباب المزارات هم ظلّام في سلطانهم يستبدّون به كيفما شاءوا دون تروٍ وافتكار . فقبل ان يستعدّ القائد للغزو تدفعه نفسه الى ان ينذر نذرًا لاحد الاولياء الظالمين ان عاد كاسباً غانماً . فقد رايتُ ثلاثين فارساً من عرب المجالي قاصدين غزّة فنذروا جزورًا لجعفر الطيّار ان عادوا منصورين غازين

الغازون على ظهور جيادهم متأهبون للهجوم واذا بهم في مطلع الفجر امام اغنام ملتئمة وابل مجتمعة فيستنجدون شفيعهم ووليّهم ثم ينقضّون على الغنيمة فيسوقونها امامهم . واذا لحقهم اعداؤهم تعود الفرسان الى الوراء ويصطدم الفريقان ويشتعل

وطيس الحرب بينهما. فهناك بين اصوات الرصاص وهدير البارود يرفع العقيد صوته ويستغيث بالاولياء. وبين كرّ واديار وعجاج وغبار نسمع: «يا كريم. ياستار. ياللخليل. يا للخضر» وكل يدعو ولي مصره وشفيع قطره

وفي الامراض لا يمرُّ ذكر الاولياء في خلدهم الّا بعد العلاجات البدوية والاعشاب الطبية فينذرون النذور ويقدمونها بعد الشفاء. فقد عهدتُ بدوية تُدعى كوكباً حاملة ابنها الصغير على ذراعيها بقلب كسير ودمع غزير قد نحرت نعجة في مقام النبي هوشع وفاء لنذرها ولمستْ ضريحهُ وقصّت شعرهـا وقدمته اقراراً بفضله

وسلطة الاولياء تبدو في الامراض العمومية التي تفتك فتكاً ذريعـاً بالانسان والحيوان. فاذا حل الجدري في مضرب من مضارب الاعراب هرب المجـاورون والاهلون انفسهم وتركوا المريض وحده يئنُّ بالاوجاع والآلام. وامراض البادية هي الطاعون والهواء الاصفر والحميات بانواعها. فمنها مـا يحملها اليهم الحجاج فتنتشر بسرعة غريبة. ومنها ما يحدث باجتماعهم حول المريض وملامستهم له. فينذرون النذور وينحرون النعاج على قبور الاولياء.

علينا الان ان نسطر اضرار الاولياء بالبشر بعد ان ذكرنا إحسانهم وإنعامهم. المرأة العـاقر لا يبتسم لها ثغر ولا يفرح لها قلب لان الاولياء الظالمين قد ربطوا رحمها عن الولادة. فكل مصيبة من مصائب البادية تُعزى اماً الى الارواح واماً الى الاولياء. فلا يهدأ للبدوي بال الّا بالتقادم ووفاء النذور

ومن اسباب غيظ الاولياء المعروفة عند الاعراب السرقة من مقامه. واليكم الاسهاب في ذلك. اذا مرَّ المسافر في القفر يأخذهُ العجب اذ يرى بالقرب من مزار او رجم امتعةً ملقاة على الارض ولا حارس يحرسها كجوالق حنطـة ومحراث واثاث وغير ذلك. فلا يتجرأ احد ان يمدّ اليها يداً اثيمة لانها وديعة لصاحب المزار. والولي حارس امين لكل وديعة. فهناك على رؤوس الجبال وفي سفح الاعلام وبطن الوديان وفي السهول الشاسعة نعاين الودائع ولا يمرّ في خيال البدوي ان يسرقها ولو كان في فقر مدقع

وربما تساقطت اسوار المقام وتداعت ابنيته فعلى المؤمنين ان يرفعوه ولو تكبدوا خسائر فادحة فان ثوابهم عظيم في الدارين. وقد يحدث ان بعض الجهـال الاغبياء

يستخدمون حجارة المزار لابنيتهم فيحلّ بهم من البلاء ما لا يوصف . روى لي قيّم النبي هوشع ان سالم بن بديوي من السلط ابتاع كرماً وسرق من حجارة النبي هوشع ليبني له كوخاً فلما تمّ البناء سقط بجملته

على الطريق الزوماني بين قرية لبّ وماعين مزار شهير يدعى حُرَيْثين وهو مكرم عند عرب الحمايدة . فاجتاز به خليل الصنّاع من قرية مادبا فرأى اخشاباً تصلح لبناء بيته فحمل تلك الاعواد على دابته وقال : غنيمة باردة ومكسب من الله . فلما بنى بيتهُ وذبح الذبيحة المعهودة ذبيحة البيت هبط برمّته على الفعلة فصرخ الحاضرون : من الولي حريثين! من الولي حريثين!

غير ان صاحب المزار يبدي سلطته حينما يدعوه احد عبيده الصالحين . لينتقم من خصم اقوى منه بأساً واشدّ بطشاً . كنا في مسيل الزرقاء واذا ببدوي يروي لصاحبه ان عدوّه قد مات شرّ ميتة قال : وكيف ذلك . قال : استعنتُ عليه بولي الله عبدالله فاهلكه من حيث لا يدري . واني لسعى لاسرق شاةً لاقدّمها نذر شكرٍ ووفاء .

ومما يذكره العرب ان الولي رحيم غفور . حدّثني الشيخ عبد المهدي قال : كنا في مضرب الشوابكة وكان البرد قارساً والسماء حالكة . فطلبنا حطباً فلم نجد الّا على مزار هناك فاستأذنّا من صاحب المقام وحملنا حزمةً واوقدناها فلم ينلنا اذى لان الولي عارف بضعف البشر

هل يا ترى سلطة الولي محدودة في قبره ومزاره او تمتد الى الاماكن التي يدعونه فيها ؟ قد اجمع الاعراب ان الولي يكون اشد رحمة واوسع تأثيراً وشفقة في مزاره فانه يظهر بمظهر القوة والسلطة . ولذلك نشأت عندهم الزيارات المقدسة فيحجّون الى ضريحه ومزاره كزيارة النبي موسى في غربي الاردن والنبي هوشع في شرقيه . بيد ان المولى انعم عليهم بان ينتقلوا الى حيث يدعوهم المؤمنون . فالنبي موسى يجول الاقطار ويقطع الربوع والامصار . وخليلُ الله ومقرُّهُ في حبرون ينتقل باسرع من لمح البصر الى البلقاء وبلاد مواب غير ان الخضر الاخضر يتجول بقدرة الله في كل مكان . على ان الاولياء الصغار لا تمتدّ سلطتهم الّا في مزاراتهم

ان غاية الزيارات لمقام الاولياء هي تقديم الذبائح والتقادم . فالذبيحة هي نعجة او شاة يطافُ بها حول المزار وتنحر على اللحد او الرجم . فمنها ما هو سنوي ذكراً لنعمة قد نالوها في حياتهم ومنها ما هو شهري . فقد قرّب بنو صخر على قبر جدّهم اربعين شاة .

والفقراء انفسهم يهرقون على القبر حليباً او سمناً او زيتاً . وسنبينهُ في مقالتنا الآتية

والاعراب في سائر احوالهم يخشون الأقسام بالمزارات كما ابنّاه ولكن ربما اقسموا بما لا تعود اليهم تبعتها ولا يلحقهم اذاها . ودونكم النادرة الآتية : اختلف عرب العوازم وعرب الشوابكة على ارض فحكم القاضي البدوي ان يقسم شيخ العوازم على ابي رغيف . فنهض الشيخ باكراً قبل طلوع الفجر وامر عازمياً ان يحرث الارض قليلاً . واذا بغراب ينعب في السماء فوجد حلاً لامره فالتأم الفريقان على مزار ابي رغيف ليقسموا القسم . فوقف الشيخ منتصباً في محيط الحجارة واستند على سيف وقال : « وحياة العود والرب المعبود وحياة ابي رغيف انه من حين نعق غرابها العازمي كرأبها وانا واضعها بالعيون السود والربع المتعود » . فصرخ القوم : الارض للعوازم . ولم يُصَب باذى لانه اقسم صادقاً

ومن قبيل ذلك ما حدث في مدينة الكرك منذ مئة سنة ونيف كانت وقعت تهمة على سعاد ابنة الشيخ مجلي . فبحث الشيخ بُديّوي عن وسيلة لرفع العار عنها وتبرئتها امام ذويها وعشيرتها . كانت سعاد في البادية ترعى غنم ابيها فانهمكت بالمنكر فهاج اهلها وراموا ذبحها كما هي سنّة البادية . فكانت تقسم بالاقسام العظيمة انها بريئة من اثمها فلم يسمعوا لها قولاً . فلجأت الى شيخ جليل القدر مشهور بحسن السيرة . فاستنجدته ان يخلصها من اقاربها . فأدخلها الى محرمه وامرها ان تتعرى وتزحف على الارض سبع مرات . فلما فعلت وقف الشيخ باهلها وقال : يا قوم انها بريئة مما تعزون اليها فقالوا : اقسم عنها ونحن نبرئها . قال : قولوا : عليها الله ومحمد رسول الله . فقالوا : عليها الله ومحمد رسول الله . فنهض الشيخ ورفع يده الى السماء واقسم انها من حين حَبَت (١ الى حين دَبَّت (٢ وشبَّت هي عفيفة طاهرة لم تفعل الفاحش . فعفوا عنها

وبعد سنين طويلة ادركوا نزاهتها وما اتخذه الشيخ بديوي من الوسائل لنجاتها فرفعوا له مزاراً يعرف اليوم بالكرك بالشيخ بديوي

هذا ما اتينا به عن الاولياء تفكهة للخواطر به يقف المطالع على عواطف البدوي الدينية . فيدرك كيف تتكون الديانة عند العرب خصوصاً والساميين عموماً . والله هو وليُّنا ونعم الوكيل

---

١) حبا الطفل زحف ٢) دبَّ مشى على يديه ورجليه

كتاب الكتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب العاشر

هذا باب القوافي والفواصل وفصولها

١ شروط القوافي وفصولها

اعلم انّ كِتابَها يُخالف كتابَ سائر الكلام في مواضع ويُوافقهُ في أُخر ونحن مبيّنون ذلك ان شاء الله

٢ القافية المقيَّدة وهي الموقوفة (٥١)

فاذا كانت القافية مُقيَّدةً وانتهى الوزنُ عند انقضاء الكلمة جرى خطُّها مجرى سائر الكلام كقول امرئ القيس :

تَميمُ بنُ مُرٍّ وأشياعُها وكِندةُ حَوْلي جميعٌ صُبُرْ

فان انتهى الوزن قبل انقضائها وآخِرُها حرف تضعيف كان ايضاً كذلك الّا انهُ لا يجوز أن يُشدَّدَ لئلّا يزيد البيت على وزنهِ وذلك قولهُ ايضاً :

اذا ركِبوا الخيلَ واستَلْئَموا تحرَّقتِ الارضُ واليومُ قُرْ

فان تمَّ الوزن قبل حرف لين من الكلمة او حرف لين معهُ حرفُ تضعيفٍ حُذِف الخطّ بعد تمام الوزن من حرف التضعيف وحرف اللين كقول لبيدٍ :

وقَبيلٌ من لُكَيْزٍ حاضِرٌ رَهْطُ مَرْجومٍ ورَهْطُ ابنِ المُعَلْ

يريد « المعلّى » . وكقول الاعشى :

أليس اخو الموتِ مُستوثِقاً عليّ وان قُلْتُ قد أنسأنْ

يريد « أنسأني » . وكقول عديّ بن زيدٍ (٥١) :

لو بغيرِ الماء حَلْقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصّانِ بالماء اعتِصارْ

يريد «اعتصاري». وليس في الفواصل ما يضطرُّهُ تمام وزنٍ على الحذف وقياسهُ لو جاء شيءٌ منهُ او من السَّجع بعد حرفٍ بُني عليهِ السَّجعُ والفواصل المتقدّمة وفيهِ حرف لين او تضعيف بعد تمام حرف ما تقدَّم من الفواصل والسجع ان تَحذِفَ ذلك كما حُذف في الشعر لتتَّفق الفواصلَ والسَّجعات . وانَّما كان الواجب حذف ذلك في الشعر لئلَّا يثبت حرفٌ زائد على الوزن وليوافق الكتابُ الانشاء ولا تختلف القوافي

٣ المطلَق المنصوب

واذا كانت القافية مطلقة منصوبة وجب اثبات الالف على كلّ حال منوَّنةً كانت او غير منوَّنة لخفَّة الالف وانَّ اكثرَ الانشاد على ذلك وهو من تمام الوزن لئلَّا يختلف ما بعد حرف الرويّ في الخطّ بحذف بعض الاطلاق واثبات بعضٍ كقول امرئ القيس (٢٤ز):

فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُكَ انَّما نُحاول مُلكًا او نموتَ فنُعذَرا

وقول الفرزدق :

فلو كان عبدُ اللهِ مولًى هجوتُهُ ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيا

انَّما هو «فنُعذَرَ» و «موالي». فان جاءت الفٌ ممَّا يُكتَب ياء في قافيةٍ وسائر القوافي ألفات الإطلاق رُدَّت الياء الى اللفظ فكُتبت الفًا كقول رُؤبة :

دانَيْتُ آرْوَى والديونُ تُقْضَا فَسَلَّتَت بعضًا وادَّتْ بَعْضَا

لئلَّا يختلف في الخطّ كما لا يختلف في اللفظ. ومثلهُ قول حُمَيد بن ثَوْر :

أيَحزُنُكَ الرَّبْعُ بالمُنْتَضَا وقد يُحزِنُ الربعُ بعد البَلَا ى

لأن في هذه الابيات ما هو من ذوات الواو فلا يجوز اثباتهُ على الياء. فانَّ اثبات ذوات الياء معهُ بالالف أصوَبُ. وان جاء شيءٌ من هذا الباب على لغة من يُنوِّن القافية لم يُكتَبْ ايضاً الَّا بالالف ولكن يُبيَّن تنوينهُ بالشكل كانشادهم قول العجّاج:

ما هاجَ احزانًا وشَجْوًا قد شَجَا من طَلَلٍ كالاتحَمِيِّ أَتْحَجَا (١

لأن التنوين والنون الخفيفة هما يثبتان الفَيْن وهما اقوى ممَّا لا (٢٤ز) أصل لهُ في التنوين وذلك مثل قول الاعشى :

١) في ذيل الكتاب شرح «الاتحمي» بالكتّان و «أتحجا» اي بَلِيَ .

وإيّاكَ والمَيْتاتِ لا تَقْرَبَنَّها ولا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعبُدا

وان كان شيءٌ من هذا الباب ممدودًا كُتب بالالفَيْن للإطلاق منوّنًا كان او غير منوّن كقول الشاعر :

ما هاج عمرٌو حين أدخلَ حَلْقَهُ يا صاحِ ريشَ حمامةٍ بل قاّأ

وقول مُسلم بن عَطيّة :

لمّا رأتْ في ظَهْرِيَ انحناّأ أجابَتْ وكان حَبْلُها اجلاّأ

وممّا يُشبه هـذا الباب من فواصل الآيات قوله جلّ وعزّ (١ : « أطعنا الله وأطعنا الرسُولا » . وقولهُ (٢ : « أطعنا ساداتِنا وكُبَرآءَنا فأضلّونا السّبيلا »

٤ المطلَق غير المَنصوب

واذا كانت القافية مُطلَقةً مرفوعةً او مجرورةً حُذفت منها الواوُ والياء اللتان للإطلاق وان كانا من تمام الوزن لثقلهما وانّ اكثرَ الانشاد بحذفهما وان العرب لا تكاد تقف في غير الشعر على واو قبلها ضمّة وذلك مثل قول امرئ القيس (٣ ص ٤) :

قِفا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ

وقول طَرَفَةَ :

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليَدِ

فان جاء في مثل هذه القصائد بيتٌ حرفُ إطلاقهِ من نفس الكلمة او هو علامة مُضمَر فقد اثبتهما قومٌ ولم يُجروهما مُجرى الزائدِ للإطلاقِ وحذفهما آخرون كما حذفوا الزائد في الشعر المقيّد بعد تمام الوزن . والقياس حذفُ ذلك لئلّا يختلف خطّ القوافي ولأنّهما من حروف اللين المستثقلة . والعرب قد تُنشِدُهُ بحذف هذه الحروف ايضاً ويُحذَف مثلها في غير الشعر عند الوقف كقولهم : « لم أدرِ ولم يَكُ » ومع ذلك انّ حرف الرويّ اللازمَ ما هو قبلها وذلك مثل قولِ امرئ القيس (٣ :

أفاطمَ مَهْلًا بعضَ هذا التَّدلُّلِ وإنْ كنتِ قد أزمَعْتِ صَرْمي فأجمِلي

١) سورة الاحزاب ٦٦ ٢) فيها ٦٧ ويروى في المصاحف : ساداتنا

٣) الابيات التالية تروى ايضاً في دواوينها مع حروف الاشباع « فأجملي . تكاملي . وأسلمي . سَدُّوا . ضَنّوا . تعرفوني » الخ

يريد « أجيلي » . وقول عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلّم وعمي صباحاً دار عبلة واسلم

يريد « تكلّمي واسلمي » . وقول الحطيئة :

أقلّوا علينا لا أبا لأبيكم من اللوم او سدّوا المكان الذي سدّ

(٤٣) يريد « سدّوا » . . . وقول قعنب :

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي أني أجود لأقوام وإن ضنّوا

يريد « ضنّوا » . وقول سحيم :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

يريد « تعرفوني » . وقول زهير :

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفري

يريد « يفري » . وقول الآخر :

دعوت قومي ودعوت معشري حتى اذا ما لم أجد غير الشري

كنت امرءاً من مالك بن جعفر

يريد « معشري وشري » . وقول العجّاج :

جاريَ لا تستنكري عذيري سيري وإشفاقي على بعيري

يريد « عذيري وبعيري » وقول النابغة :

اذا حاولت في أسد فجوراً فإني لست منك ولست مني

يريد « مني » . وقد احتاط قوم في مثل هذا فأثبتوا علامات الضمير خاصة بائنة من القوافي في اواخر السطور على ما انا ممثله كقول الشاعر (٤٤) :

لا يبعد الله اصحاباً تركتهم لم أدر بعد غداة البين ما صنعوا

وقول الآخر :

كذب العتيق وماء شن بارد إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي

وقياس ما كان من المقصور من ذوات الياء على هذا المذهب ان يكتب مثل قوله :

فقاتله الله من موقف وقاتل تذكاره ما مضى

وهو قبيح وهو في علامات الضمير احسنُ وأقرب من وَصلها بالقافية ولا يَحسُن في مثل قولهِ :

ألا أنعَمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي وهل يَنعَمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي

والاختيارُ في جميع هذا ما قدَّمنا من الحَذْف لأنَّهُ لا تَتَّفق القوافي في الخطّ الّا بحذف ذلك او اثبات حروف الإطلاقِ الزائدة وذلك لا يجوز . ونظير هذا الحذف من فواصل الآيات قولُهُ جلَّ وعزَّ (١ : « رَبِّ ارْجِعُونِ » . وقولُهُ (٢ : « فأخافُ ان يَقتُلونِ . واخاف ان يكذِّبونِ . ولولا ان تُفَنِّدونِ (٣ . وقولهُ : « فَبِمَ تُبَشِّرونِ(٤ . ولكم دينكُمْ ولي دِينِ(٥ . والكبيرُ المُتَعالِ (٦ . ويومَ التنادِ(٧ . واليهِ مَآبِ (٨ . واللَّيلِ اذا يَسْرِ (٩ » . وهذا اكثر من ان يُحصى . فان جاءت قصيدةٌ جُعل حرف الاطلاق فيها هو الرويّ ولم يلزمهُ ما قبله كقول الآخر :

خالي عُوَيفٌ ولَقيطٌ وَعَلي وحاتمُ الطائيُّ وهَّابُ المِئي

(54^٢) وقول الآخر :

قلتُ عَلْباءُ وهندُ الجَمَلي وأبنا لصَّوحانَ على دين علي

لم يَجُز الحذف فيهِ لأنَّ القوافي تذهب ثمَّ يختلف ما قبلها من الحروف فقِسْ على ذلك ان شاء الله

٥ ما يُرَدُّ من القوافي والفواصل الى القياس وغيره

واعلم انَّ الحروف التي تُحذَف في غير القوافي للتخفيف او تُبدَل او تُزاد كواو عمرٍو والصَّلوة والف الثَّلثة وثمانية وخالد ومالكٍ والسلام عليك والنون الخفيفة والتنوين وغير ذلك مما لم نذكرهُ واذا وقعت في قافيةٍ او ردفٍ قافيةٍ او تأسيسها زالت عن ذلك الى ما يوجبهُ القياس او يساويهِ بمثلهِ من سائر قوافي قصيدتهِ فمن ذلك قولُ الأحوص :

سَلْمُ اللهِ يا مَطَرٌ عليها وليس عليك يا مَطَرُ السلامُ

١) سورة المؤمنين ١٠١ ٢) سورة الشعراء ١١ و ١٣ ٣) سورة يوسف ٩٦
٤) سورة الحجر ٥٤ ٥) سورة الكافرين ٦ ٦) سورة الرعد ١٠ ٧)
سورة المؤمن ٣٦ ٨) سورة الرعد ٣٦ ٩) سورة الفجر ٣

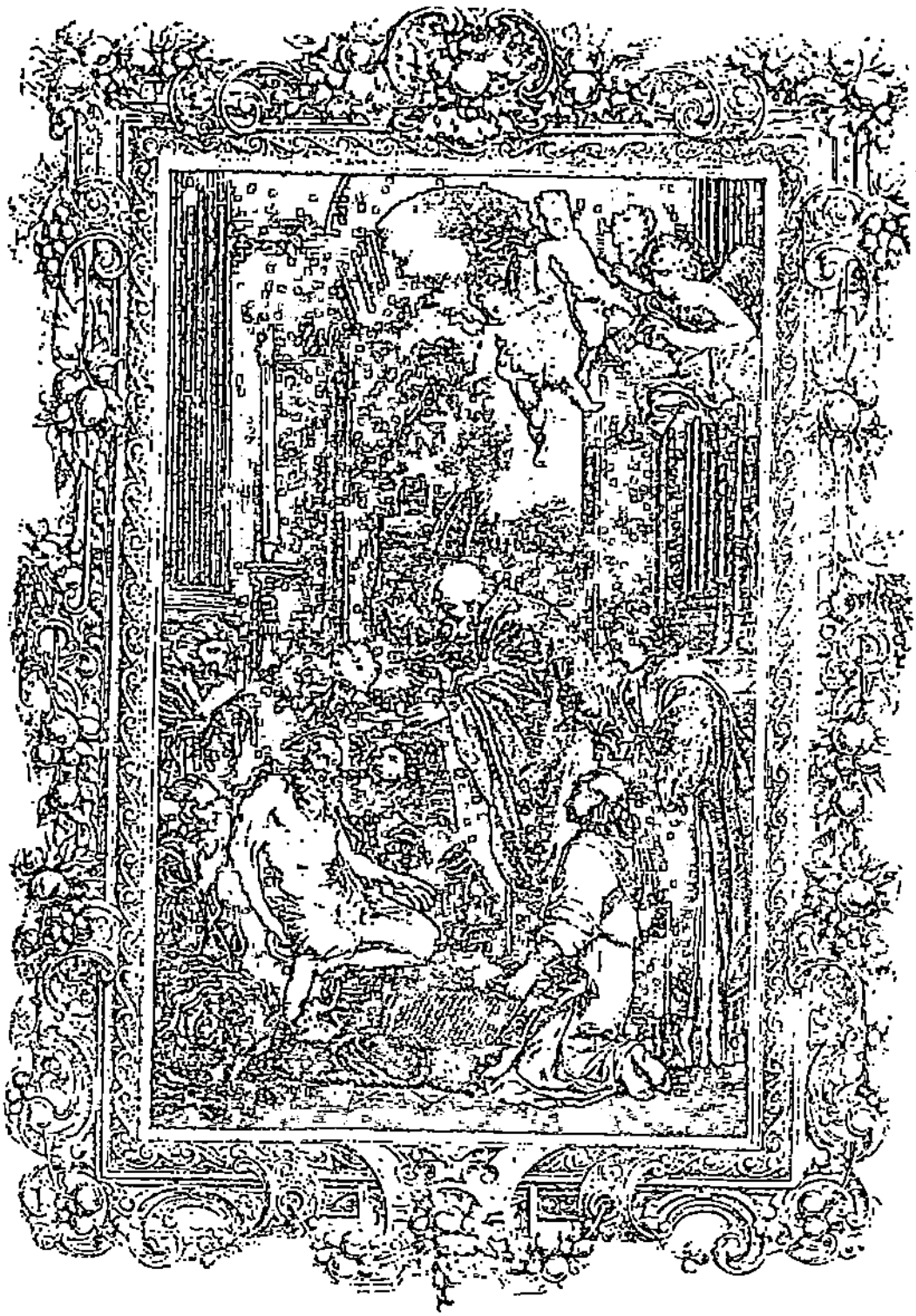

LA COMMUNION DE St. JÉROME
PAR LE DOMINIQUIN

مناولة القديس ايرونيموس الاخيرة (للمصور الشهير دوميتيكان)

وقولُ جرير (٥٥[٢]) :

وقد دَمِيَتْ قَوَائِمُ رُكْبَتَيْها . من التَّبْرَاكِ ليس من الصِّلات

وقول الاعرابيّ :

وخَطُّوا لي أبَا جادٍ وقالوا تعلَّم سَعْفَصاً وقُرَيْشاتِ

وقول طَرَفَةَ :

رأيتُ سُعوداً في شُعوب كثيرةٍ ولم أرَ سَعْداً مثل سَعْدِ بن مالكِ

وقول الأخرى :

حتّى اذا ما بلغتْ ثمانِيَهْ زوّجتُها مَرْوانَ او مُعاوِيَهْ

فلو لم تُرْدَد هذه الاشياء الى ما رأيت لَاخْتلفتْ صُوَرُ القوافي والأَرْداف والتأسيسات . فامّا هآء الوقف فتثبتُ في القافية ولا تُجْرَى مجرى حروف اللين وان كانت زائدةً لأنّها حرفٌ صحيح وهي من تمام الوزن وهي تُضارع الفَ الإطلاق في المنصوب ألَا تراها تُبْدَل منها الالف في القوافي كثيراً كقول القَطاميّ :

قِفِي قَبْلَ التفرُّقِ يا ضُباعا ولا يكُ موقفٌ منكِ الوَداعا

وكقول الآخر :

ألَا أضحَتْ حِبالكُمُ رِماما وأضحَتْ منكِ شاسِعَةً أُماما

(٥٥[٧]) وانّما هي « ضُباعَةُ وأُمامَةُ » وتبدل منها في الشعر وغير الشعر ايضاً في قولهم « انا » قال الشاعر :

قد علِمَتْ سَلْمى وجارُاها ما قَطَرَ الفارِسَ الا أنا

والاصل هآء الوقف أنّهُ قال الشاعر :

مَهْما لِيَ الليلةَ مَهْما لِيَهْ آوَدَى بنَعْلَيَّ وسِرْبالِيَهْ

وقال ابن الرُّقَيّات :

بكَرَ العواذِلُ في الشَّبابِ يَلُمْنَني وَلَوُمْنَنَهْ

ونظير هذا من الفواصل قوله جلّ وعزّ (١ : « وما أدْراكَ ما هِيَهْ . وما أغْنى عنّي ماليَهْ هلك عنّي سلطانِيَهْ (٢ » فلولا مكان الفاصلة والقافية لَمَا جاز اثباتها مع ما ينفرد كما كنّا بيّنّا . وفي ما ذكرنا من امر القوافي والفواصل دليلٌ على ما لم نذكر

١) سورة القارعة ٥ ٢) سورة الحاقّة ٢٨

الباب الحادي عشر

(56r) هذا باب رسوم خطوط الكتب وفصولها

١ جملة عدد الحروف وهيئاتها واختلاف صُوَرها

اعلم انّ حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً مختلفة الالفاظ وصورُها ثماني عشرة صورة لتشابه صُوَر الحرفين منها والثلاثة كالباء والتاء والثاء. والدال والذال والراء والزاي ونحو ذلك ولولا التشابه لكانت لكلّ حرف منها صورة. وقد تؤول هذه الثماني عشرة صورة الى خمسَ عشرة صورة ايضاً في الاتصال لتشابه صور القاف والتاء المتّصلتين اذا ابتُدِئتا او تَوَسَّطتا. وتشابُه الياء والنون والباء والتاء والثاء المُتّصلات اذا ابتُدِئنَ او توسّطنَ. ومن الحروف ما له صورتان واكثرُ من ذلك لما يلحقُهُ من التغيير في الاتصال والانفصال والتوسّط من التعريق والتعقيف والمطّ والقطّ في مثل السين والصاد والضاد والقافَ والواو والنون والياء. وفي الفاء والباء والثاء (56v) والثاء واللام. وفي العين والغين والجيم والحاء والخاء. وفي الدال والذال والالف والزاي وفي الكاف والهاء. وكما يلحق الهاء من الشقّ والعين من العطف والإقفال والفتح فيزيد ذلك كلّهُ في صور الحروف تارةً وينقص منها تارة أُخرى وجُملة ذلك على اختلافه اربعون صورة مع ما فيها من التشابه سوى ما لا صورة له ثم يَؤُلنَ الى خمس وثلثين صورة لا يُشبه بعضُها بعضاً. والذي لا صورة له مدّتان وهمزة فانّ مدّتي الحرف المضموم والحرف المكسور لم توضع لها صورة في المُعجم كما وُضعت لمدّة الحرف المفتوح الالف ولكن كُتبتا بصورة الواو والياء كما كُتبت التاء والثاء على صورة الياء. وكُتبت الهمزة على صورة حروف اللين وعلى الحذف اتباعاً لتخفيفها في اللفظ على ما كنّا شرحنا في باب الهمز. وذكروا انّ الخليل ذاد في حروف المعجم صورة الهمز فلم يعتمد عليها الناس وجعلوها شكلةً لها. فاما لام الف فحرفان مُلتئمان فُعل ذلك بهما لاشتباه صورهما وقد مضى ذكرهما متفرّقين في حروف المعجم واعلم انّ اصل الخطّ واحد وصورة كلّ حرف من المعجم في كلّ (57r)

الخطوط على شكل واحد وانّ الحروف كلها متجانسة متشابهة وان اختلفت وتباينت لتصرّفها وافتنانها كخطوط المصاحف والورّاقين والكتّاب وغيرهم وكالثقيل منها والخفيف والامساك والسريع والجليل والدقيق لما يلحق ذلك من الإدغام والتبيين او الفتح او التمور او الكسر او التعليق او التسوية او التحريف او تفريق الحروف وجمع السطور او ترصيف الحروف والتبعيد بين السطور ونحن نذكر كلّ صنف من هذه الاصناف في فصل من فصول هذا الباب مشروحاً ونرسم لجملة كل جنس منها جدولاً يُغني عن طول الشرح ويُدرك بالحسّ ونبدأ برسم اصول صور المعجم كلها على اختلافها وما فيها من اتّصال او انفصال ومطّ وقطّ وحذف وشقّ ونصب وشكل وتعقيف وتمريق وفتح وعطف واقفال وتثليث وتدوير وضرب من التغيير في جدولٍ جامع نجعلهُ إماماً يُكتفى برسومهِ عمّا سواهُ يتلو هذا الفصل ان شاء الله (انظر جدول رسوم الحروف متّصلةً ومنفصلةً)

(58ᵃ) ٢ شرح رسوم هذا الجدول مفصّلاً

امّا «الالف» فاحد الحروف الستّة التي لا تُوصل بما بعدها ولها صورة واحدة حيث وقعت مبتدأةً او متوسّطةً او متأخرة او مُنفردة غير انها تتّصل بما قبلها اذا كان من الحروف المتّصلة في كلمتها كما ترى

اب باب با ا

وامّا «الباء والتاء والثاء» فمن الحروف المتّصلة ولكلّ حرف منها صورتان فاذا كنّ مُبتدآت او متوسّطات فهنّ مقطوعات لا مطّ فيهنّ الّا عارضاً . فاذا كنّ متطرّفات او منفردات فهنّ ممطوطات كما ترى

ببب ب تتت ت ثثث ث

(59ᵃ) وامّا «الجيم والحاء والخاء» فمن المتّصلة ولكل واحد منها ايضاً صورتان فاذا كنّ مبتدآت او متوسّطات فانّها محذوفات لا يُعقّفنَ . واذا تطرّفنَ وانفردنَ فهن مُعرّفات كما ترى

واما «الدال والذال» فمن الاحرف الستّة المقطعة وصورتهما صورة واحدة حيث وقعتا الّا انهما قد يتّصلان بما قبلهما وان انقطعتا ممّا بعدهما وكذلك «الرّاء والزّاي» بمنزلة الدال والذال كما ترى

واما «السين والشين» فمن المتّصلة ولكل واحد منهما صورتان وان كانا مبتدأين او متوسطين فهما محذوفان غير معرّقين واذا تطرّفا وانفردا فانهما مُعرّقان كما ترى (٥٩)

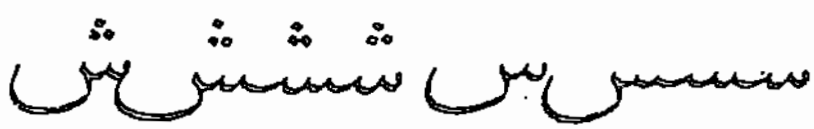

و«الصّادُ والضّادُ» لهما صورتان معرّقة ومحذوفة وهما في الاتّصال والانفصال والابتداء والتوسّط والتطرّف والانفراد بمنزلة السين والشين كما ترى

«والطاء والظاء» من المتّصلة ولكل واحد منهما صورة واحدة حيثما وقع كما ترى

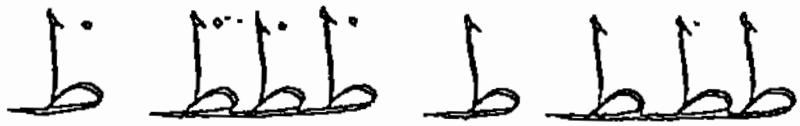

«والعين والغين» من المتّصلة ولكل واحد اربع صور فاذا (٦٠) كانا مبتدأين فانهما مفتوحا القطيفة غير معقّفين واذا توسّطا فهما مُقفّلان غير مفتوحين ولا معقّفين واذا تطرّفا فهما مُعقّفان مُقفّلان واذا انفردا فهما مفتوحان معقّفان كما ترى

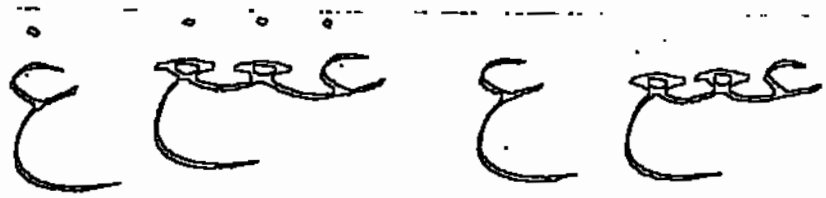

و«الفاء» من المتّصلة ولهُ ثلاث صور اذا كان مبتدأً فهو مثلّث محذوف واذا كان متوسّطاً فهو مستدير مقطوط . واذا تطرّف فهو مستدير مطوط واذا انفرد فهو مُثلّث مطوط كما ترى

و«القاف» من المتّصلة ولهُ ثلث صور هو في الابتداء مثلّث محذوف . وفي الوسط مدوَّر محذوف وفي الطرف وفي الانفراد مثلّث مُعرَّق كما ترى (60٢)

و «الكاف» من المتّصلة ولهُ صورتان اذا كان مبتدأً او متوسّطاً فهو مشكول واذا كان متطرّفاً او منفردًا فمعرًّى من الشكل كما ترى

والكتّاب يكتبونهُ في الابتداء والتوسّط منصوباً بمنزلتهِ متطرّفاً ومنفردًا .
و«اللام» من المتّصلة ولهُ صورتان اذا ابتُدئ بهِ او توسّط حُذف واذا تطرّف او انفرد عُرّق كما ترى

وقد تُمال اذا وقع قبل الالف خاصّةً متّصلًا بهِ حتّى (61٢) يتداخلا فيُكتب كما ترى

و«النون» من المتّصلة ولها صورتان محذوفة في الابتـدآء والتوسُّط ومعرَّقة في التطرُّف كما ترى

و«الميم» من المتّصلة ولهُ صورتان محذوفة في الابتداء والتوسُّط ومعرَّقة في الانفراد كما ترى

و«الواو» من المنقطعة وصورتها واحدة حيث وقعت غير أنها تتّصل (61) بما قبلها اذا كان ممّا يتّصل كما ترى

و«الهآء» من المتّصلة ولها صورتان مشقوقة في الابتداء والتوسُّط صحيحة في الانفراد والتطرُّف كما ترى

و«اليآء» من المتّصلة ولها صورتان محذوفة منتصبة في الابتداء والتوسُّط ومعرَّقة مُسيَّلة في الانفراد والتطرُّف كما ترى

وقد يُرَدّ تعريقها فيُعطَف من تحتها كما ترى 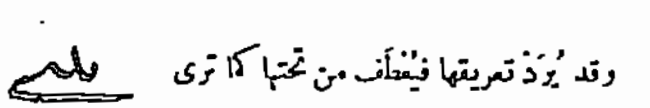

(62ᵃ) واما لام الف فخارج من جملة حروف المعجم وصورها لانها حرفان مقرونان وقد ذكرنا ذلك في موضعهِ

٣ معرفة تقليب القلم في مجالهِ

اعلم انَّ من الحروف والمدّات والتعريقات ما يُكتَب بوجه القلم ومنها ما يُكتَب بحَرْفهِ ومنها ما يكتب في عرضهِ ومنها ما يُكتَب بسنّهِ وقد رسم الكتّاب في كلّ ذلك رسماً يُعمَل عليهِ قالوا اذا ابتدئ بالمدّة وجب ان يُدار القلم على سنّهِ مثل قطّة الطآء والظآء واذا وُصلت المطّة بحرف قبلها كُتبت بوجه القلم مثل مدّة القآء المنفردة وردّة الياء كما ترى

وللقلم في كلّ نوع من انواع الخطّ مجالٌ ليس لهُ في غيرهِ وانا نمثّل صورة حروف المعجم في جدولين لنوعين من خطّ الكتّاب يُستدَلّ بهما على ما سواهما وموقع تحت كلّ حرف منها مجال القلم بهِ لئلّا يطول الكتاب بما يخرجهُ من حدّ الهجاء الى غيرهِ ومؤخّرًا استقصاء سائرهِ الى ان اضمّنهُ كتاب تعليم الخطّ ان شاء الله (62ᵇ) (اطلب جدول الخطّ الخفيف وجدول خطّ الامساك)

عيد جميع القديسين

نظر تاريخي طقسي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

في غرّة هذا الشهر تحتفل الكنيسة الكاثوليكيّة بأحد اعيادها الكبيرة الثابتة

اعني بهِ عيد جميع القديسين فتدعو سائر ابنائها الى ان يقيموا الافراح ويرفعوا من الارض اصوات التهاني الى مقام اخوتهم الظافرين باكاليل المجد بعد جهادهم في ميدان الحياة الفانية فيذكروا اعمالهم الصالحة ويأتسوا بامثالهم الحسنة ويستمدُّوهم لأن يشاطروهم يوماً افراحهم السرمديَّة . فأحببنا بهذه الفسحة ان نكتب في ذلك فصلاً موجزاً نضمّنهُ ما نعرف من تاريخ هذا العيد وخواصهِ الطقسيَّة وغايتهِ الاجتماعيَّة

١ تاريخ عيد جميع القديسين

ورثت الكنيسة المقدَّسة إكرام اوليائها من ختنها الالهي ورُسلهِ الابرار . بل كان الله عزَّ وجلَّ سبق واوصى في اسفار العهد القديم إكرام الملائكة (خروج ٢٣ : ٢٠) وتمجيد اولياء إسرائيل ورجالهم الكرام (ابن سيراخ ف ٤٤ — ٥١) . فأيد السيِّد المسيح وتلامذتهُ هذا الاكرام باقوالهم ومثالهم . فانَّ الربَّ لذكرهِ المجد عظَّم في بشارتهِ الملائكة (متَّى ١٨ : ١٠) والانبياء (لوقا ٤ : ٢٥ — ٢٧) ولم ينكر على اليهود تشييدهم القبور لاكرام رفاتهم (متَّى ٢٣ : ٣٩) . واطرأ يوحنَّا المعمدانَ بعد وفاتهِ (يوحنَّا ٥ : ٣٣) وكرَّر غير مرَّة انَّ ما يؤديهِ الناس من الاكرام لذويهِ يؤدُّونه لشخصهِ الكريم (لوقا ١٠ : ١٦) وقد بالغ في رفع شأن الابرار الذين تمَّموا وصاياهُ حتَّى دعاهم باخوتهِ واخواتهِ وامّهِ (متَّى ١٢ : ٥٠)

واسرعت الكنيسة بعد صعودهِ تعالى الى السماء فأدَّت لاوَّل شهدائها القديس اسطفانوس اكراماً جزيلاً (اعمال ٨ : ٢) وعمَّ ذلك جميع الكنائس التي اقامت الاعياد منذ اوائل النصرانيَّة ذكراً للشهداء كما تثبتهُ التواريخ القديمة واقوال الآباء وآثار النصرانيَّة في دياميس رومية وفي اماكن مختلفة . فكان المؤمنون في يوم تذكار استشهادهم يجتمعون عند قبورهم فيزينونها باكاليل الزهور وضروب الحليّ ويوقدون عندها الانوار ويقدّمون الذبيحة الطاهرة عليها ويستشفعون باوليائها . وكانوا يدعون ذلك اليوم « مولد الشهيد » (natale, natalitia) يريدون مولدهُ للسماء وكان تاريخ وفاته منقوشاً على صفيحة قبرهِ . وقد ذكر ذلك في القرن الثالث اوريجانس في ميمرهِ الثالث . وكذلك معاصره القديس قبريانوس في رسالتهِ الثانية عشرة يوصي المؤمنين بان يحفظوا تاريخ موت الشهداء ليحتفلوا به كلَّ سنة . ولدينا

عدَّة مواعظ القاها كبار الخطباء كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس غريغوريوس النزينزي والقديس امبروسيوس في تلك المواسم اطراء لفضائلهم وشهامتهم وربَّما اقاموا فوق قبورهم مشاهد او كنائس على اسمهم فمنها ما يرقى الى قرون النصرانيَّة الاولى وقد بقي من بعضها آثار صالحة الى اليوم. ولدينا في المخطوطات القديمة ادعية وتسابيح كانت تتلى يوم تذكارهم التماساً لشفاعتهم عند الله واستمداداً لبركاتهم لا يسعنا الَّا الاشارة اليها فقط

على انَّ عدد الشهداء بلغ بعد مدَّة الألوف المؤلفة. فلم تكفِ كلَّ ايام السنة لتذكار افرادهم فضلاً عن كون المسيحيين لم يعرفوهم كلَّهم. فسدًّا لهذا الخلل اتَّخذت الكنائس يوماً خصوصيًّا لذكرهم اجمالاً

واقدمُ ما ورد من ذلك في الكلندارات كلندارٌ للكنيسة الكلدانيَّة يرتقي الى السنة ٧٢٣ لليونان الموافقة للسنة ٤١١ للمسيح . وهو اقدم مخطوطات المتحف البريطاني بالحرف الاسطرنجيلي نشرهُ بالطبع العلَّامة رَيت (G. Wright) . فهناك يُذكر عيدٌ لجميع الشهداء يُحتفَل بهِ كلَّ سنة يوم الجمعة الواقعة بعد عيد الفصح . فقرَّرت ذلك الكنائس الكلدانيَّة والنسطوريَّة واضافت الى ذكر الشهداء غيرهم من القديسين المعترفين

امَّا الكنيسة اليونانيَّة فكلنداراتها القديمة تذكر عيد جميع الشهداء (ثمَّ دعتهُ بعد حين بعيد جميع القديسين) في يوم الاحد الواقع بعد عيد العنصرة وهي لا تزال على ذلك الى يومنا الحاضر وتُعلن بهِ بكلام مهيب يشعر بتعظيمها للعيد هكذا : « في هذا اليوم وهو الاحد بعد العنصرة نحتفل بعيد غاية في الجلال والبهاء اعني عيد جميع القديسين الذين وُجدوا في سائر العصور في آسية وافريقية واوروبَّة في الاقطار الشماليَّة والجنوبيَّة معاً والذين نشأوا في كلِّ العالم كزهور عطرة ومخلَّدة رواها الروح القدس بمياه نعمهِ الالهيَّة » . وفي هذا اليوم نفسهِ القى القديس يوحنَّا فم الذهب احدى عظاتهِ البليغة في الشهداء الذين ماتوا لاجل الايمان في جميع اقطار العالم (اطلب مجموع اعمالهِ ج ٢ ص ٧١١)

وكانت الكنيسة الارمنيَّة تحتفل قديماً بعيد جميع القديسين في يوم السبت الواقع بعد الاحد العاشر التابع لعيد ارتفاع الصليب . وكانت خصَّت الاثنين من ذلك

الاسبوع لذكر جميع الملائكة والثلثاء لذكر جميع الانبياء والخميس لذكر جميع الرسل فعيَّنت السبت موسماً لجميع القديسين القدماء والمحدثين المعروفين والمجهولين .

واشبهت الكنائس الغربيَّة كنائس الشرق في اكرامها لمواكب الشهداء والقديسين . ولعلَّ الكنيسة الرومانيَّة سبقت في ذلك جميع الكنائس فانَّ القديس اوغسطينوس في رسالته ال ٥٤ يصرّح بأنها ورثت تلك العادة من تقليد الرسل . وقد جاء ذكر هذا العيد في كتاب الرسوم الرسوليَّة (ف ٥ ع ١٨) . على انَّ الكنائس الغربيَّة اختلفت في تخصيص يوم العيد فكانت كلّ منها تعيّن له يوماً تراهُ اوفق لاحوال المؤمنين . فلمَّا كان القرن السادس فكَّر البابا القديس غريغوريوس الكبير في تشييد كنيسة عظيمة يقيمها لاكرام جميع الشهداء فرأى في رومية العظمى هيكلاً فخماً كان بناهُ سنة ٢٧ ق م مرقس وسباسيانوس اغريبا (+ ١٢ ق م) صهر اوغسطس قيصر على اسم جميع الآلهة فدعاهُ لذلك باسم بنتيون (Panthéon) . وكان هذا الهيكل مهملاً منذ سقوط الوثنيَّة وانكساف نورها وتلاشي آلهتها بسطوع شمس النصرانيَّة . على انَّ الموت عاجل القديس المذكور فقام بعدهُ خلفاً على تدبير الكرسي الرسولي بونيفاسيوس الرابع (٦٠٨–٦١٥) فاراد ان يحقّق بالفعل رغبة سلفهِ فاستمدَّ ذلك الهيكل من فوقاس ملك الروم وعُني بترميمهِ واصلاحهِ وتطهيرهِ من كل سمات الوثنيَّة ثمَّ دشَّنهُ وكرَّسهُ برونق عظيم للسيدة البتول سلطانة الشهداء ولجميع شهداء النصرانيَّة في العالم باسرهِ فعُرف مذ ذاك الحين بهيكل سيدة الشهداء او بسيدة الهيكل المستدير (N–D. de la Rotonde) لاستدارة قبَّتهِ الجميلة السامية العلو وامر الحبر الاعظم بتجديد العيد في كلّ سنة في ١٣ من شهر ايار . وكانت بعض الكنائس خصَّت ذلك اليوم بالعيد المذكور . كما يشهد عليهِ القديس افرام في نشيدهِ النصيبيني السادس الذي تغنَّى بهِ في السنة ٣٥٩ (١

وفي السنة ٧٣٢ اقام البابا غريغوريوس الثالث معبداً على اسم جميع القديسين في كنيسة مار بطرس الكاتدرائيَّة فزادت بذلك غيرة المؤمنين في اكرام اولياء الله . وبقي الامر كذلك الى خلافة الحبر الاعظم غريغوريوس الرابع (٨٢٧ – ٨٤٤ م) فانهُ لمَّا

١) اطلب هذه الاناشيد التي طبعها العلَّامة ليكل G. Bickell : S. Ephræmi Carmina Nisibena .p. 23 et 89

رحل الى فرنسة سنة ٨٣٧ وبلغهُ اختلاف الكنائس فيها بخصوص هذا العيد ابرز براءة امر بموجبها الكنائس اللاتينيَّة جمعاء بان تخصّ اليوم الاوَّل من تشرين الثاني لاكرام سائر القديسين ساكني الجنان السرمديَّة . فبلغ بامره هذا العيد اوج الأبهة وذروة الشرف وجعلت لهُ الكنيسة بيراموناً استعداداً لاحتفالهِ بالصوم والفرائض المقدَّسة . بل كانت بعض الكنائس تقدّم عليهِ في القرون الوسطى ثلاثة ايَّام صوم تنويهاً بعظم شأنهِ . ثمَّ جرت الكنائس الشرقيَّة الكاثوليكيَّة على منوال الكنيسة الرومانيَّة فتعيّد اليوم كلّها عيد جميع القديسين في غرّة تشرين الثاني ما عدا الكنيسة اليونانيَّة التي ثبتت على كلندارها القديم

٢ طقسيات هذا العيد

انَّ رُتب الكنيسة في هذا النهار تُشعر كلّها بالفرح والسرور اذ تفتح لابنائها أَزوقة السماء ليعاينوا في بيت الآب المنازل الجليلة والعروش الملوكيَّة التي يجلس عليها اخوتهم فيتمتَّعون بالسعادة المخلَّدة . فكأنَّ كنائس الغرب والشرق تتنافس في تعظيم اصحاب العيد فتستخرج من كنوز الاسفار المقدَّسة ومن اقوال الآباء وتعاليم اللافنة ابلغ صفاتهم وأكرم دُرر معانيهم لتصوغها تيجاناً تجعلها على مفرق اولئك الشهداء الذين غلبوا العالم وشهواته ولم ينخدعوا ببهرجتهِ وزخارفهِ الباطلة

واوَّل ما نجدهُ في هذه الفرائض الطقسيَّة انَّها تشمل كافَّة الابرار مباشرةً بربّ المجد عينهِ وثالوثهِ الاقدس ومنحدرةً بالتدريج من شخص السيّد المسيح الكريم الى والدتهِ سلطانة جميع القديسين الى ملائكتهِ على اختلاف طبقاتهم ثمَّ الى انبيائهِ ثمَّ رُسلهِ فشهدائهِ ومعلّميهِ ومعترفيهِ الى ان تنتهي بالعذارى والارامل فلا يفوتها احد من اهل السماء المشاركين لابن الله في مجدهِ كما شاركوهُ في براءتهِ وحمل صليبهِ

وبياناً لذلك تتلو الكنيسة اللاتينيَّة في قدَّاسها فصلاً من رؤيا يوحنَّا الحبيب (٧ : ٢ — ١٢) حيث أوحى اليهِ الربّ عدد المختارين من اسباط بني اسرائيل ونظر معهم جمعاً كثيراً لا يُحصى من كلّ امَّة وقبيلة وشعب ولسان واقفين امام عرش الله وبايديهم سعف النخل اشارة الى فوزهم بالظفر وكلّهم يسبّحون الله ويشكرونه على ما انعم بهِ عليهم

وكذلك في فرائض وصلوات ذلك النهار تتنقل الكنيسة من طغمة الى طغمة ومن مقام الى آخر فتمجد كلّ رتبةٍ من مصافّ القديسين فبعد تكريمها صلاة التقديس الثلث والسجود للاله المثلث الاقانيم تعظم الحمل المذبوح صارخةً انهُ مستحقٌ ان يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوّة والكرامة والمجد والبركة (رؤيا ٥ : ١٢) ثم تهنئ البتول امّ الله بما نالتهُ من الرفعة والشرف وتثني على طغمات الملائكة الذين انتصروا لله وقاموا في وجه ابليس وحزبهِ وتقرئ السلام على الآباء الاوّلين الذين آثروا خدمة الله على كرامة العالم. وعلى الانبياء الذين بلّغوا وحيهُ تعالى بكل امانةٍ وبسالة. وعلى الرسل الذين تركوا كلّ شيءٍ ليتبعوا المسيح. وعلى الشهداء الذين استعذبوا العذابات على مخالفة وصاياهُ عزَّ وجلَّ. وعلى المعترفين الذين سلكوا مع ابن الله في الطريق الضيقة طريق الفضائل السامية وكبح اهواء النفس الامّارة. وعلى العذارى اللواتي تشبّهنَ بالخمس الحكيمات موقداتٍ مصابيحهنَّ لقاء العروس الالهيّ. وعلى النساء الصالحات والارامل اللواتي جرين في العفاف وخوف الله وقداسة الزواج واحتقار ملاذّ العالم

ومن ميزة هذه الطقوس انّها كلّها تنطق باصوات التهليل والابتهاج فاذا وجّهتْ كلامها الى الاحياء حرّضتهم على الفرح مع الكنيسة الظافرة واذا فاوضت القديسين اتّسعت في وصف ما نالوهُ من الجزاء العظيم بعد محن هذه الحياة فنشفت دموعهم وانتبهت آلامهم وظفروا بحياةٍ ابديّة لا يستطيع عدوّ ان يكدّر هناءها. وهي تتلو لهم انجيل التطويبات الثاني لتصرّح لهم انّ الربّ لم يخلف بمواعيده وانهُ كما وعد اجلسهم معهُ على عرشه ومنحهم مئة الضعف بدلاً ممّا ضحّوا لخدمتهِ

وهناك من التسابيح والاناشيد التي تأخذ بمجامع القلب وكنّا نودّ لولا ضيق المكان أن ندوّن منها شيئاً ننقله عن فروض كلّ الطوائف فتظهر بها عواطف الكنيسة في كلّ مجاليها فنحضّ المسيحيين على تسريح النظر فيها والهذيذ بمعانيها الخشوعيّة

٣ فوائد هذا العيد الاجتماعيّة

لعيد جميع القديسين فوائد جمّة يمكن المسيحيين اجتناؤها فيحصل منها للهيئة

الاجتماعيَّة رقيّ وصلاح . واوّل ما يُستفاد من هذا العيد انَّ الانسان يحيي ايمانهُ ويبعث رجاءهُ اذ يعدل نظرهُ عن الارضيَّات الزائلة حيث ليس لهُ في هذه الدنيا « مدينة باقية » (عبر ١٣ : ١٤) ولأنَّ « هيئة هذا العالم في زوال » (١ كور ٧ : ٣١) فلا يركن الى هذه دار الفناء بل يصرف قلبهُ الى دار البقاء التي سبقهُ اليها الوفُ الألوف من بني جلدتهِ فينعش بذلك قواهُ ويشدّد نفسهُ صبرًا على آفات هذه الحياة واملًا بحياة اخرى ثابتة سعيدة

وللعيد فائدة ثانية وهي تشديد روابط الحبّ بيننا وبين الذين رحلوا قبلنا الى دار الابديَّة الصالحة فانَّ هؤلاء كلهم من جنسنا ومن اخواننا كلهم فروع دوحة واحدة وابناء والد واحد وبينهم من مَسَسناهم برحم وجرت دماؤهم في عروقنا ولعلَّ الموت أنسانا ذكرهم فالكنيسة امّنا تجدّد في هذا العيد ذكرهم في قلوبنا وتعلن لنا بلسان حالها انَّهم ليسوا بموتى بل احياء عند الله ولديهِ سيلتئم شملنا فيحصل معهم اجتماع ليس من بعدهِ فراق

ومن فوائد هذا العيد المبارك انَّنا باكرامنا اصحابهُ نجد في سيرتهم من الاعمال المبرورة والفضائل الساميَّة ما يحملنا على اقتفاء آثارهم كيف لا وكلهم من اهل الصلاح اذ لا يدخل السماء غير النفوس الطاهرة وارباب الفضل والبرّ . ولمَّا كان الانسان مطبوعاً على الاقتداء بما يراهُ في امثالهِ من الخير او الشرّ يدفعهُ مثل الصالحين الى ان يحذو حذوهم ويتشبَّه بهم ويستسهل السير في طريق القداسة اذ يرى من كانوا مثلهُ قد نهجوهُ وامّوا عترتهُ

ومن اخصّ فوائد عيد جميع القديسين انهُ يكشف للمرء شيئاً من نعيم السماء فيسأم على الفور من ملذَّات هذه الحياة . ويهتف مكرّرًا قول القديس اغناطيوس دي لويولا : « كم تذلّ الارض في عيني حين أبصر الى السماء » . اجل انَّ ذوي البصيرة يعدُّون الحياة الحاضرة كزبلٍ في جانب ما ينتظرهم من مباهج الابديَّة وبالنسبة الى « ما اعدَّهُ الله لمن يحبُّونهُ وذلك ما لم ترَهُ عين ولا سمعت به اذن ولا خطر على قلب بشر » (١ كور ٢ : ٨) بل « يشتاقون الى الله اشتياق الأيل الى ينابيع المياه » (مز ٤٢ : ٢) ويطلبون مع الرسول (فيلبي ١ : ٢٣) « ان ينحلّوا من قيود الجسد ليكونوا مع المسيح » ويودّون مع داود النبي (٥٤ : ٧) لو يحصلوا على اجنحة كالحمامة

ليطيروا الى ربهم ويستريحوا في جواره مع من سبقوهم الى دار النعيم او بالحري يتحولوا معهم الى شبهه تعالى في المجد » (٢ كور ٣ : ١٨) فكيف لا يستفزُّ العاقلَ هذا المنظرُ الجليل ليسعى وراء سعادته او كيف يدع شواغل هذه الحياة تلهيه عن الامر الوحيد الذي يستحقُّ اعتبارهُ ويستدعي همّتهُ فيصرخ من صميم الفؤاد الى اولئك الذين بلغوا الى مينا الخلاص راغباً اليهم بان يشفعوا به عند الله ويؤيدوهُ بنعمته تعالى لينجو من اخطار هذا العالم الشرير ويحظى معهم بالافراح السرمديَّة

تلك هي بعض التعاليم التي يستفيدها المؤمنون من هذا العيد المبارك فعساها تنطبع في قلوبهم وتدفعهم الى تضحية كل نفس ونفيس رجاء الحصول على ما تضمنهُ لهم من الخيرات الدائمة

مَعَابِرُ القِطارات

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

المِعْبَر في اللغة ما يُعْبَر بهِ النهر من قَنطرة او سفينة ونعني بهِ هنا السفينة التي تحمل قِطارات السكك الحديديَّة فتعبرُ بها ليس انهاراً فقط بل بُحَيْرات واسعة وخلجاناً وبواغيز مختلفة تنقلها من ضفَّةٍ الى أُخرى ومن برٍّ الى آخر. وهي التي دعاها الانكليز فِرِّيبُوت (Ferry-boat) اي سفينة العُبور فدرج اسمها عند الفرنسويين وغيرهم . ولا يزعمنَّ القارئ ان هذه اضغاث احلام او امور يُتوقَّع تحقيقها في المستقبل لا بل دخلت منذ سنين عديدة في حيّز الوجود رادَّت في انحاء شتَّى من اوربَّة ولا سيَّما اميركة خدماً مشكورة ضمنت لها انتشاراً واسعاً في الازمنة المقبلة

يروى عن الملك لويس الرابع عشر انهُ لمَّا سار حفيدهُ سنة ١٧٠٠ الى اسبانية ليملك عليها صرخ قائلاً : « قد زالت جبال بيرينه بين فرنسة واسبانية » مشيراً بقولهِ الى سهولة المواصلات بين الدولتين وارباحها في المستقبل

فنحن ابناء الجيل العشرين يسوغ لنا ان نهتف قائلين : « زالت البحور » او قلما يكون « زالت بعض البحور » . فكما ان المهندسين بحذقهم توصلوا منذ وسط

الجبل المتصرم الى ان يزيلوا بنوع ما سلاسل الجبال القائمة مثل سور متيع بين الدول المتجاورة وذلك بحفر الأنفاق التي يبلغ طول بعضها نحو عشرين كيلو متراً . فكذلك قد تيسر لهم ان يزيلوا العقبات الحائلة منذ عشرات من الحقب دون نقل قطارات السكك الحديدية على البحار . فالآن نرى القطارات منقولة من احد شاطئي بحر البلطيك الى الآخر ومثل ذلك على بوغاز المنش وليس بعيداً ان يشاهد ذلك المنظر الغريب في بحر الشمال والبحر المتوسط . بل ربما استطاع يوماً ما المسافرون الكارهون لمشاق سفر البحار ان يجتازوا المسافة الهائلة بين باريس ونيويورك عن طريق سيبيرية وألسكا بالعبور على مضيق بيرنغ فوق ظهر المعابر . بل ان الامل معقود على امكان استخدام هذه واسطة النقل الجديدة على اي بحر كان ما عدا اوقيانوس الاتلانتيك نظراً الى عرضه العظيم وبُعد سواحله

١ وصف معابر القطارات

معبر القطارات باخرة كبيرة متسعة الارجاء مُدّت على ظهرها المكشوف تماماً اسلاكٌ حديدية متوازية مزدوجة تناسب عدد عربات القطار المقصود نقلهُ على البحر . فالمعبر المتوسط الكبير يُمدُّ عليه خطان حديديان او ثلاثة خطوط والكبير يُجهز باربعة خطوط ويبلغ طول هذه السفن المعابر ١٣٥ متراً في عرض ٣٥ فيمكن الواحدة ان تنقل ٥٥ عربة اعني قطاراً كاملاً للبضائع . وفي كل مرفأ تحطُّ عنده السفينة رصيفٌ على شاطئ البحر تنتهي اليه السكة الحديدية . وبازاء الرصيف يُشيَّد عمودياً في البحر شبهُ سورَين طويلين تزيد المسافة بينهما زيادة يسيرة على عرض سفينة المعبر بحيث تستطيع ان تدخل بينهما فتقرب من الرصيف الى بضعة امتار . حينئذ يُخفَض مقدَّمها الذي يعلو فوق مُستوى ظهرها . ثم يُعرَض بينهُ وبين الرصيف جسرٌ صغير تصلهُ بالرصيف مُفصَّلات في غاية المتانة فيمتدّ الخطّ الحديدي بدون انقطاع من الرصيف على الجسر ومنهُ الى ظهر المعبر . ومتى استتبّ ذلك نُقلت العربات فُرادى من الشاطئ الى السفينة . ولا بأس على المعبر من الاهتزازات الكبيرة الناجمة عن هياج الامواج نظراً الى ضخامته وعرضه وثقله . ولكن يُحتمل ان تدهمه بحدوث الصواعق رجّة شديدة تُحدث اصطدام العربات المنقولة على ظهره فيؤدي ذلك الى العواقب

الوخيمة . قدفعاً لهذا المحذور تُقيَّد كلُّ عربة على إثر نقلها فوق السفينة بعدة سلاسل وثيقة تربطها بالخط الحديدي فتمنعها عن التقدّم او التقهقر . ومتى انتهى نقل كل القطار على المعبر رُفع مقدَّمهُ المخفوض وبايَنَ الشاطئ متجهاً الى مرفأ آخر مجهَّز على مثاله فتُعاد العمليات معكوسة

ربما اوقفني هنا القارئ اللبيب مستفهماً ما الفائدة من الجسر المتحرك الذي يتوسط بين الرصيف ومقدَّم السفينة . ولماذا لا تدنو هذه الى الشاطئ حتى تلاصقهُ ؟ وجهُ الجواب على ذلك انَّ ظهر السفينة والرصيف ليسا على مستوًى واحد لاسباب قريبة الفهم : اولها ان ارتفاع كل سفينة فوق سطح البحر تابعٌ كما لا يخفى لثقل السفينة ومحمولها . والثاني هو حركة الامواج التي في بعض الاعاصير الهائلة تعلو بالبواخر وتهبطها تناوُباً بسرعةٍ غريبة فيبلغ احياناً الفرق بين مُعظم الارتفاع والانخفاض ثمانية امتار ونيفاً . الثالث وهو السبب الاهمّ هو تغيُّر مستوى البحر بالمدّ والجَزر اللذين يحدثان في كثير من البحار مرَّتين في ظرف ٢٤ ساعة و ٥٠ دقيقة وثلاثين ثانية . ففي بعض المرافئ مثل دياپ وشربور يبلغ الفرق بين مستوى المدّ والجزر نحو عشرة امتار في بعض فصول السنة . وهذا السبب الاخير هو العقبة الكؤود التي حالت حتى اليوم دون تسيير البواخر الناقلة للقطارات على غير البحار القليلة المدّ والجزر كالمتوسط والبلطيك . اما الاتلنتيك فقد سبق لنا القول بانه لا يؤمَل بخصوصه شيء من هذا القبيل

وكان مضيق المَنش حتى الحرب خالياً من المعابر نظراً لشدة مدّهِ وجزرهِ . فلما انتشبت الحرب الكونيَّة وارسلت انكلترة مئات آلاف من جنودها الى ساحات القتال والتزمت ان تنقل اليهم الوفاً وربوات من طُنّات المِيَر والذخائر الحربيَّة . ألجئت حكومة الانكليز الى ايجاد طريقة ما لاستخدام سُفن نقَّالة بين جزيرتها وبين فرنسة . فانكبَّ احذق المهندسين على البحث في اكمل الوسائل الى ذلك فقرَّ قرارهم على بناية جسر طويل طافٍ على البحر . ذي ميلان قابل للتغيير وهو ممتدّ بين الرصيف ومُقدَّم المعابر بدلاً من الجُسَيْر الموصوف سابقاً الذي طوله لا يتعدّى نحو ٦ امتار . ثم حدَّدوا مواعيد إقلاع المعابر من انكلترة ووصولها الى فرنسة وبالعكس بحيث تعاقب الوقت الأنسب من المدّ والجزر . ولم يكن ادنى بأس بذلك اذ ان تلك البواخر لم تنقل

الرُّكاب بل الذخائر الحربيَّة فقط . فسارت المعابر في المدَّة الاخيرة من الحرب على خطَّين احدهما من سَوذَمبتُن الى دياب وشربور . والثاني من رَمزكِت الى كالِه

٢ فوائد معابر القطارات

لا يُنكَر انَّها لفائدةٌ جليلة ان ينتقل الركَّاب من مرفأ الى آخر بل من مدينة الى أخرى يتوسط بينهما البحر وذلك دون ان يتكلَّفوا النزول من عربات القطارات لأن المسافر يوفِّر انجاز سفره برًّا وبحرًا في نفس عربة القطار الحديدي دون ان يتجشَّم مرارًا عديدة مشقة النزول من القطار ونقل امتعته الى مرسى الباخرة ثم ركوب السفينة . وكل من ركب البحر ولو مرَّة من بيروت الى بورسعيد يعلم باختباره ما في كل ذلك من العناء الباهظ واضاعة الوقت ولا سيَّما في شحن البواخر بأمتعة المسافرين وبالبضائع . فكيف اذا ابتدأ السفر من دمشق مثلًا الى بيروت وانتهى الى القاهرة ! فسفن المعابر تزيل تقريباً كل هذه العراقيل (وليس كلامنا هنا عن دُوام البحر ودوخته) فبه يستطيع السائح ان يذهب من دمشق بل من استانبول الى القاهرة وهو في نفس عربة القطار التي ركبها من اوَّل سفره لا ينتقل منها قدماً اذا شاء . أليس في ذلك فائدةٌ عظمى في جيلنا هذا الذي راجت فيه سوق الاسفار برًّا وبحرًا الى درجة كون بعض الاميركيين المصطافين بباريس يَدعون بعد قفولهم الى الاوطان بعض خلَّانهم الباريسيين الى حضور مأدبة او مرقص في نيُويورك ؟ لكن هذه الفائدة والراحة تُشتريان بالاصفر الرنَّان اعني ان بواخر الفرَيبوت لا تنقل سوى عربات الدرجة الاولى وان اثمان تذاكر السفر تُزاد زيادةً كبيرة

اما الفائدة العظمى الجوهرية التي ربحتها التجارة من البواخر الناقلة للقطارات منذ الشطر الثاني من الجيل المنصرم فهي السرعة والرخص العجيب لأنَّ في نقل البضائع ما يُفضي الى اقتصاد عظيم . وذلك ما يلزم ايضاحهُ الآن ببعض التفاصيل . ألم تلحظ — رعاك الله — وانت متجوِّل على ساحل بيروت عند المرفأ كثرة الاعمال الواجبة مباشرتها لنقل البضائع المتراكمة اكداساً في عربات السكة الحديدية او على الرصيف او في مستودعات الساحل الى البواخر الراسية في المرفأ . فيجب اوَّلًا تحويل البضائع من القطار الى الرصيف ثمَّ نقلها بالقوارب الى قرب الباخرة ثم رفع تلك السلع بواسطة

ادوات رَفع الاثقال من القوارب ووضعها في عنابر السفينة وغني عن البيان ان ذلك يستغرق في غالب الاحيان ايّاماً عديدة نظرًا الى بطء تلك الاشغال الافتتاحية . ثم لا بدّ ثانياً من تنسيق كل هذه البضائع في قعر الباخرة لكي تشغل اقلّ ما يمكن من سعة عنبرها وذلك ايضاً امرٌ طويل . وينبغي ثالثاً تفريغ السفينة بعد انتهاء السفر وهو يقتضي بضعة ايام مثل شحنها

وما قولنا عن النفقات الطائلة التي تستلزمها كلّ هذه الاعمال وذلك بسبب كثرة اليد العاملة واستهلاك الكميات الوافرة من الفحم او الكهرباء لتشغيل الأدوات الرافعة للاثقال . وزد على ذلك ان كل هذه العمليات الطويلة تُعرّض للتلف السريع كثيرًا من البضائع القابلة الكسر او التعفّن فيضطر التاجر المرسل لها الى نقلها وحزمها حزماً متيناً غالياً ومع كلّ هذا الاحتياط فلا يندُر التلف فاستخدام سفن الفريبوت يزيل كل تلك النفقات الطائلة فضلًا عمّا يُجديه من السرعة الغريبة في نقل السلع . ففي نحو عشر دقائق يمكن نقل قطار بضائع كامل من الشاطئ الى ظهر السفينة عند الرحيل وبالعكس عند الوصول

٣ اهم خطوط المعابر

اكثر ما تستعمل المعابر المذكورة في الولايات المتحدة حيث شاعت شيوعاً عجيباً . قيل انهُ في اوّل الحرب الكونيّة بلغ عددها هناك ٦٠٠ ونيّفاً نقلت على ظهرها ١٥،٠٠٠ عربة . والداعي الى شيوع تلك البواخر المستحدثة فيها وجود انهر بالغة العرض مثل نهري سان لوران وميسيسبي وبحيرات عظيمة بين تلك الاقطار وكندا كبحيرات أنتاريو وإريه وهورون وميشيكان والبحيرة العليا التي توازي مساحتها تقريباً مساحة ايطالية . وعلى جانبيها اخصب اراضي المعمور وهي من جهة سهولٌ مترامية الاطراف غربيّ كندا ومن جهة اخرى مزارع فسيحة للولايات المتحدة تدرّ بغلّاتها على انحاء المعمور وهي التي مانت اثناء الحرب ولا تزال تمون حتى الآن قسماً كبيرًا من اوربّة التعيسة المُقحلة جزئياً . وبجوار تلك البحيرات مناجم حديد هامّة ومدن غنيّة بصناعتها العامرة مثل شيكاغو ودِتْرُيت وطُرُنطو وبُفَلو . فلا غرو أنْ كانت العلاقات التجارية بين سواحل تلك البحيرات غاية في السعة . ولذلك ترى

السكك الحديدية تأتي من كل اوب الى تلك الشواطئ شبيهة في كثرتها واشتباكها بعروق الجسم وشرايينه . ومن السواحل تُنقل قطاراتُ البضائع على مئات من بواخر الفريبوت القديرة من الولايات الى كندا وبالعكس

ولم يكتف الاميركيون باستخدام تلك السفن يوميًا على كل البحيرات المذكورة بل ادخلوا بعض التحسين في طريقة استعمالها . لاحظوا ان كلَّ فريبوت يستهلك كمية فاحشة من الفحم بسبب ثقل تلك العربات والمكان الفسيح الذي تشغله . فلملافاة هذه الخسارة رأى المهندسون ان يعتروا بواخر فريبوت بدون محرك ثم يجرونها بسفينة صغيرة ذات محرك . فعلى هذا المنوال تنقص السرعة غير ان النفقات تقلّ كثيرًا . ثم قد تجاسر الاميركيون وسيّروا الفريبوت المجرور في فُرَض يبلغ عرضها ٦٠ كيلو مترًا حيث تهُبّ العواصف الهائلة التي لا تمسّ البحيرات . بل سيروه بنوع منتظم بين هثانة وطرف شبه جزيرة فلوريدا ليستجلبوا فواكه كوبة الى الاسواق الاميركية . والمسافة بينهما تبلغ نحو ٣٠٠ كيلو متر

تلك مآثر اولئك الرجال المشهود لهم بطول الباع وعلوّ الهمّة في كل فروع التجارة والصناعة . فهل جاراهم الاوربيون في هذا المضمار ؟ لا لعمري ! والحق يقال انهم لم يكونوا في حاجة ماسّة الى الفريبوت نظرًا الى احوالهم الجغرافية وعلائقهم التجارية : فبواخر الفريبوت الاوربية لا تزال في يومنا هذا تُعدّ على الاصابع وهاك اشهرها :

١ الخط بين رِجيو في طرف كَلَبْرِيَة ومسينة على مضيق مسينة

٢ . الخط بين كوبنهاغن او إلسنور الى السواحل الاسوجيّة المقدولة منهما ببوغاز السُند الملقّب ببسفور الشمال

٣ الخط من جنوبي جزيرة سيلند الواقعة فيما كوبنهاغن الى جزيرة فيونية ومنها الى شبه جزيرة جُتلند حيث تنتهي سكك حديد اوربة المركزية

٤ - الخط من الطرف الجنوبي الشرقي الأرخبيل الدانيمرك الى سواحل مقاطعة مكلنبرغ الالمانية — وبها تنتهي سكك حديد اوربة الشرقية . فبهذا الخط يمكن السفر من برلين الى عاصمة الدانيمرك بدون النزول من عربة القطار . وقد عاينتُ ذلك الامر الغريب في سنة ١٩١١ حيث انجزت هذه السياحة . والمسافة التي يقطعها الفريبوت بحرًا ٤٥ كيلو مترًا

٥ الخط بين تريلبرغ وهو المرفأ الواقع في اقصى جنوبي اسوج . وجزيرة روغن التي يصلها جسر بساحل المانية الشمالية

وعلى هذا النمط يمكن السفر من استكهلم الى برلين او رومة في عربة القطار بدون ادنى تغيير . كل هذه خطوط الفريبوت الدنيمركية والاسوجية لعبت دوراً مهماً في سني الحرب . من المعلوم ان دانيمرك واسوج كانتا حتى دخول الولايات المتحدة في الحرب تُوردان بضائعهما الى المانية . فكانت السلع تأتي من الولايات المتحدة الى كوبنهاغن وغوتنبرغ ومنهما الى المانية بخطوط الفريبوت السابق ذكرها . ولكي يقف القراء على تواتر تلك النقلات الفريبوتية نجتزئ بذكر الارقام الآتية : في اواخر سنة ١٩١٥ كانت بواخر الفريبوت تقطع بوغاز السند الفاصل بين الدانيمرك واسوج ٢٤ مرة يومياً — وتجتاز ٦٠ مرة المضيق الواقع بين جزيرة فيونية وشبه جزيرة جُتلند — وتنقل ٦٥٠ عربة بضائع من فيونية الى جزيرة سيلند . فلولا الفريبوت لما استطاع الاسوجيون والدانيمركيون ان يرسلوا الى المانية صديقتهم جزءاً من عشرين من البضائع الواردة اليهم من الولايات المتحدة

تلك هي الخطوط المهمة التي نجدها في اوربة وحيث ادّت خدماً عظيمة فقد عزمت عدّة حكومات على انشاء خطوط غيرها في المستقبل واليك بيانها موجزاً : ١ً خط من المرافئ الانكليزية الى اسوج ومن اسوج الى بتروغراد استثماراً لخيرات روسيّة الواسعة . ٢ً خط من سواحل نروج الجنوبية الى الطرف الشمالي من شبه جزيرة جُتلند لتتصل سكك حديد نروج بالسكك الاوربية . ٣ً من المؤمل ان تُوجد خطوط شتى في كل انحاء البحر المتوسط ولا سيّما الخط على البسفور بحيث يمكن السفر من لندن الى بغداد بالقطار — والخط على الادرياتيك ليصل سكك الحديد الايطالية بسكة منويّ انشاؤها من الطرف الغربي لبلاد البلقان الى طرفها الشرقي . واخيراً الخط بين فرنسة والجزائر وبه يمكن نقل البقول والفواكه الجزائرية بغاية السرعة والرخص ليس فقط الى كل انحاء فرنسة بل الى انكلترة نفسها فيتسع بذلك نطاق التجارة في الواحدة من اهم المستعمرات الفرنسوية

ذلك ما رأينا إطلاع قرائنا عليه من ماهية الفريبوت وفوائده وخطوطه الموجودة والمنوي انشاؤها في اميركة واوربة . ولا مراء في انه لا يوجد نسبة ظاهرة بين

بساطة هذه واسطة النقل الجديدة وعظم منافعها . فسبحان من خوّل العقل البشري قوّة عجيبة لاستخراج اجلّ الفوائد من ادقّ الامور

مقاتلة الحشرات الضارّة بالزراعة

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

١ تعريف الحشرات الزراعيّة

ليس اعداء الانسان من جنسهِ فقط وانّما تعاديهِ ايضاً ضروب الحشرات فمنها ما يفتك بشخصهِ ومنها ما يحمل على مالهِ كزروعاتهِ ومواشيهِ . وخصوصاً تلك الهوامّ الصغيرة الحجم الكبيرة الأذى وهي اصناف كثيرة ولا تكاد العين المجرّدة تميّز البعض منها

وليس كلامنا هنا عن الميكروبات او الفطريّات كرَمد الكرم (oïdium) وغير ذلك من الجراثيم المُعدية الكثيرة الاضرار لكنّها لا تدخل في فصائل الحشرات التي نقصدها هنا . فالحشرات الزراعيّة ذات حلقات متواصلة ببعضها فتُدعى لذلك بالفصيلة المنصليّة . وهي اذا بلغت نموّها تتجنّح بالاجنحة فمنها ما لهُ زوجٌ واحد من الاجنحة ومنها ما تجهّزهُ الطبيعة بزوجين او ثلاثة ازواج من الاجنحة كالفراش والزنبور والذباب والجراد والحشرات العمديّة والنصفيّة الاجنحة ويلحقون بها الفصيلة العنكبوتيّة

وليست هذه الحيّوينات تامّة الخلقة عند مولدها كذوات القوائم وانما تتطوّر اطواراً شتّى في حياتها القصيرة كما ترى في دود القزّ . فانّها تكون في اوّل حياتها بزراً ثم تصير على شكل دودة ثم تتحوّل هيئاتها فتصير عروساً (nymphe) ذات فيلجة او دونها الى ان تبلغ كمالها على صورة فراشة لا تعيش سوى ايّاماً قليلة فتضع الانثى بيضها ثمّ تموت . ومثلها بقيّة الحشرات المجنّحة الّا ذوات الاجنحة المتناسقة كالجراد فانّ صغارها تشبه كبارها لكنّها خالية من الاجنحة وتختلف هيئاتها قبل بلوغها

وأضرُّ ما تكون الحشرة في حالتها الدودية فانها قبل ذلك وبعدهُ لا تكاد تأتي بضرر . امَّا الدودة فتكون ذات نَهَم عظيم تردد الطعام لتحصل على نموّها وكمال بنيتها واذا صارت فراشة قلَّما تطعَم الَّا البعض منها . ولنا مثال قريب في العثة او السوسة التي تقتات من الصوف وتفسد الثياب فتسمن بها واذا تحوَّلت الى فراشة زال ضررُها وقس عليهِ بقيَّة الحشرات التي تُفسد دودتها الثمار والكروم والبقول . فالدواء اذاً انَّما هو مقاتلتُها في حالتها الدوديَّة ومَنع فراشها عن البذار

ومما يجب اعتبارهُ انَّ الدودة لا تغتذي غالباً بالاطعمة التي تطعمها عند استحالتها الى فراشة . فانَّ بعض الحشرات تطعم لحماً في صغرها ثمَّ نباتاً اذا بلغت والعكس بالعكس

٢ نمو الحشرات واضرارها

قد جعل الله في الطبيعة توازناً عجيباً بين انتشار الحشرات وحصر نموّها طالما تجري الامور على نظامها الطبيعيّ . فانهُ تعالى وضع لكل آفة دواء ولكلّ حشرة ضارَّة عدوًّا يناصبها ويتلفها . هذه حشرةٌ تغرز ابرتها في ثمرٍ وتدخل فيهِ بزرها فاذا تحوَّل الى دودة تأكل الثمرة لكنَّها لاتلبث ان تحاول الخروج لتحوَّل الى فراشة فيسطو عليها الطير مغتذياً بها ويمنع بذلك تناسلها . وهكذا تفعل طيور كثيرة : التي تلتقم الحشرات او تقيت بها فراخها . والحشرات نفسها تعادي بعضها بعضاً كما سبق لنا وصفها

امَّا اذا بطل هذا التوازن لسبب من الاسباب في بلدٍ ما رأيت للحال ذاك البلد عرضةً لجماهير الحشرات الضارَّة . انتشرت في السنة ١٨٥٣—١٨٥٤ في حدود بروسية وروسيا دودة فراشةٍ تُدعى Lymantria Monacha فأتلفت كلّ غابات الصنوبر التي هناك وكانت مساحتها تكاد تساوي مساحة فرنسة وتزيد عن ١٨،٠٠٠ هكتار اعني ١٣ مليوناً ونصف متر مكعَّب من الخشب

وربَّما تسلَّطت على فرنسة وغيرها من البلدان دودة الصرصور المعروفة بالدودة البيضاء فأكلت كلّ جذور الشجر الغضّ وأصول المزارع

وما قولنا بالفيلوكسيرة التي هي حشرة غاية في الدقَّة لا تكاد تبصرها العين

المجرّدة . انتقلت من اميركة الى فرنسة بواسطة لا تزال مجهولـةً فأهلكت في اقلّ من ٥٠ سنة كلّ كروم فرنسة وسواحل البحر المتوسط حتى بلغت الخسارة الناجمة من أذاها على رأي الاقتصاديين عشرة مليارات من الفرنكات

ومن المعلوم انّ عدّة مقاطعات من بلاد ايطالية مهلة خالية من الزرع وذلك لما يفتك فيها من الحُمّى الاستقاعيّة اي الملاريا فانّ ميكروب هذه الحُمّي ينقلهُ البعوض الى جسم الانسان كما تحقّقوا ذلك بالامتحان اذ حجبوا بعض الفعلة بالناموسيّات وستروا عرايا جسمهم فلم يصابوا بالحمّى على خلاف سواهم من العُمّال الذين لم يُصانوا بهذه الستائر . فإقفار تلك المقاطعات وجُرودها سببتهُ اذن هذه الحشرات

ومثلها الحُمّى الصفراء في الاقاليم الحارّة ومرض النُّوام في اواسط افريقية فانّهما ينتقلان الى جسم الانسان بواسطة حشرات كالبعوض والذباب . وفي قارة افريقية ذبابة أخرى فتّاكة تسطو على المواشي فتتلفها يدعونها بالذبابة تسيي فحيثما تظهر يستحيل عمل الزراعة وتربية المواشي ويصعب السفر اذ يضطر المسافرون ان ينقلوا اثقالهم على ظهور السودان دون الدواب

قلنا ان نموّ هذه الحشرات في بعض الآونة يدلّ على اختلال التوازن بين الحشرات الضارّة ومناصبيها . وممّا يساعد على هذا الاختلال تقلّبات احوال الجوّ من حرّ وبرد وغير ذلك ممّا يُضعف اعداء تلك الحشرات فتزيد هي عددًا وضررًا

وربما كان سبب نموّها الانسان نفسهُ اذ ينقل دون علمهِ بزور هذه الحشرات فتدخل في بلادٍ كانت خاوًا منها سابقًا فتجد هناك تربةً موافقة لكيانها فلا تلبث ان تنمو نموًا بالغًا بدون ان يقوم في وجهها مقاوم

والدليل على ذلك انّ الفراشة المعروفة باسم « Liparis dispar » والموجودة في عدّة بلاد من اوربّة دون أن تأتي بضرر يُذكر دخلت صدفةً الى ولايات اميركة المتّحدة على يد زرّاع كان يؤمل من نسيجها صنفًا جديدًا من الحرير فما ظهرت هناك حتّى اصبحت من اعظم آفات الغابات فيها . وفي الولايات المتحدة الجنوبيّة ايضًا هامّةٌ اخرى تنفث في الحيوانات الزراعيّة وفي الخيل والبغال سمّ مرض عضال يُدعى بحُمّى تكساس

وممّا دهم بلاد كاليفورنية حشرة دقيقة اسمها « Tæniothripis Piri » لا

يعرَف تماماً من اين أتتها والمظنون انها انتقلت من فرنسة او من انكلترة وهي موجودة فيهما خاليةً من الاذى فلمَّا حلَّت في كاليفورنية اغارت على جميع اشجار تفَّاحها وخوخها فلم تُبق ولم تذر حتَّى اضطرَّ اصحاب الاملاك الى قلعها اصلًا الى ان تمكَّنت اخيرًا الحكومة الاميركانيَّة من اكتشاف علاجها . وعلى هذا المنوال دخلت منذ زمن قريب بعض الحشرات الضارَّة الى بلاد كانت تجهلها سابقاً

ومن منَّا لم يشاهد غير مرَّة في حياته آفة الجراد فانَّ صغارها التي تستوطن بعض انحاء العرب وافريقية تنمو في بعض السنين بقوَّة الحرارة نموًّا فائقاً فتدفعها الرياح الى بلاد مخصبة فتنتشر فيها وتكتسح ما تجدهُ من المزروعات ولا سيَّما صغارها المعروفة بالدَّبى التي لا ينجو من جشعها نبات ايًّا كان

وما يقال بالاجمال انَّ الحشرات التي تفتك بالزراعة عديدة تختلف على اختلاف البلاد . فلنضربنَّ صفحاً عن المالوش وعن الدودة البيضاء وكلاهما من آفات البساتين والمغارس . ولنذكرنَّ تلك الحشرات التي تلتهم في بعض ساعات كلَّ اوراق الاشجار التي تستطيبها . وبعضها يناوئ شجر الصنوبر ومنها ما تجدهُ في فصل الشتاء لاطياً في وكرهِ الدفيء المهنيء في كعب بعض الاشجار حتَّى اذا حان وقت الربيع زحف على تلك الاشجار فجرَّدها من كلَّ ورقها . وبعضها يطعم عساليج الكرم ليلًا فاذا لاح الصباح اختفى في جذر الشجرة

وكلُّنا نعرف دودة التفَّاح والخوخ والاجَّاص والجوز والزيتون . فجميعها نسل هوامَّ صغيرة مجنَّحة كالبعوض لا يزيد طولها على بضعة مليمترات تراها في ايَّام الربيع تحوم حول الشجر عندما تعقد الزهرة لتتحوَّل الى ثمر فهذه الهوام تجعل بيضةً من بيضها في باطن الزهرة عند مَلْمَعها حيث يتكوَّن رأس الثمرة . فاذا فقَّست البيضة صارت دودة فتفتح لها منافذ في لبَّ الثمرة بعد قرضها الى ان تتمَّ بنيتها فتخرج وتتساقط على الارض فتجمد في حالة العروس الى الربيع المقبل . ومن ثم ليست الثقوب التي نراها في التفَّاح والبندق والجوز مداخل نفذت فيها الدود من الخارج بل هي منافذ تفتحها الدودة لتخرج منها الى الهواء

فترى ما للزراعة من الاعداء فان لم يتدارك الانسان هذا الامر واحتاط لمالهِ من أذى كلَّ هؤلاء المبارزين ذهب شغلهُ سدًى . فعليهِ اذًا بالجهاد لمقاتلة

الحشرات الضارَّة بالزراعة ولعلَّ هذا الجهاد يبقى عقيماً لولا ما اعدَّت لهُ العناية الالهيَّة من المساعدين على اتلافها

شركاؤنا في معاداة الحشرات

انَّ شركاء الزارع في مقاتلة الحشرات الضارَّة اكثر ممَّا يظنّ . منهم اوَّلاً عدَّة طيور كالخطَّاف والوطواط التي لا تغتذي سوى بهذه الحشرات فأُطلق عليها اسم ملتهمي الحشرات (insectivores) . ولسنا نفرط بالقول لو أكدنا انَّ الطائر منها يطعم مئات من الحشرات كلَّ يوم ويصطاد الوفاً منها لفراخهِ ولذلك تمنع الدول الحريصة على نموّ الزراعة من قتل الطيور والعصافير

ومن الحشرات نفسها ضروبٌ شتَّى تقوت صغارها بالهوامّ المؤذية الزراعة ولذلك يدعونها بالصيَّادة ولكلّ صنف منها مطعمهُ الخاص فهذه تصطاد دودة الكرم وتلك دودة البقول او دودة الاشجار المثمرة الخ

وبعض الحشرات فرَّاسة تزدرد عدوَّها وعدوّ الزراعة بطيرانها كما يفترس الزنبور النحل الاهلي والبرّي عند جناها الزهور وكما يفترس ابن آوى الدجاج . وقد عرفنامنها تلك الهامَّة المعادية للحشرة آفة الليمون فاختبرنا فضلها قبل عشر سنين لمَّا ظهرت في حدائقنا تلك الحشرة السيئة وكادت تتلف كلّ ثمار الليمون فما سلَّطنا عليها الهامَّة الصالحة عدوَّتها حتَّى نظَّفت منها الحدائق ببضعة ايَّام

ومثلها تلك الحشرات الدقيقة التي نراها احياناً على اغراس الورد فتشوّهها . فربَّما ناصبتها القتال حشرةٌ اخرى فتأكلها اكلاً ذريعاً بعد زمن قليل ولا تدع منها على الورد غير جلدها الناعم

وقد مرّ لنا في المشرق ذكر جنس الحشرات المتطفلة التي تدسّ نسلها في اعشاش غيرها فيتقوَّتون من لحمانها . فسبحان الخالق ومدبّر العالم الذي جعل توازناً تامَّاً بين طبقات الحيوانات لتجري على نظام معلوم فيحصل منها ما نواهُ تعالى من تكوينها دون ان يصبح نموّها آفة للأرضين (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر : الفنون الجميلة بين نصارى العرب (تابع)

٢ و ٣ التصوير والنحت

يظهر الجمال في البناء بحسن رسمه وبراعة هندسته وانتقاء موادّه ووحدة أقسامه واتقان نظامه . امّا في فنّي التصوير والنّحت فانّ الجمال يلوح بتمثيلهما لمواليد الطبيعة الثلثة جمادها ونباتها وحيوانها فيخرجها المصوّر بهيئاتها والوانها وملامحها وعواطفها فيكاد يحييها بقلمه الساحر . ويجسّمها النحّات فيظهرها بنتوآتها وتداويرها الطبيعيّة فيُحكم صورة وجدانها كأنها لا ينقصها سوى الحركة والنطق

وكما شاع بين نصارى العرب في الجاهليّة فنّ هندسة البناء كذلك استخدموا فنّي التصوير والنّحت . واوّل شاهد يمكن الاستدلال به ما ورد في الشعر الجاهليّ من ذكر الصور والدُّمى والتماثيل في بيَع النصارى واديرتهم فأعجبوا بجمالها ونقوشها البديعة حتّى ضربوا بها المثل في الجمال فقالوا (الميداني ١ : ٣٠٠) : «احسن من دمية» . وقال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٥) :

كدُمى العاج في المحاريب او كالـ ـبيض في الرَّوض زهرهُ مستنيرُ

وقال عبدالله بن عَجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢)

غرّاء مثل الهلال صورتها ومثلُ غزالٍ بيعة الذّهب

وقال الاحوص (الاغاني ٤ : ٤٩ والشريشي ١ : ٢٩١) :

كأنّ لُبنى صبيرُ غادية او دُمية زُيّنت بها البيَعُ

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حليٌ يشبُّ رياضَ النَّحرِ واقدُهُ كما تُصوَّرُ في الدَّيرِ التماثيلُ

وقال عُمَر بن ابي ربيعة (الكامل للمبرد ص ٣٧٠):

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال امية بن ابي عائذ (ديوان الهذليين ص ١٧٧):

او دُمْيةٌ المحراب قد لعبتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإتراصِ

وقال الاعشى (لسان العرب ٦ : ١٤٤) وبنى فعلين من لفظ الصلبان والدُّور:

وما ايبُليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّبَ فيهِ وصارا

ومن العجب انَّ بعض الشعراء اذ رأوا هذه التماثيل في كنائس النصارى دعوها اصناماً واوثاناً . قال ابو قطيفة (معجم البلدان لياقوت ٣ : ٦٦١)

ولَحَيٌّ بين العُرَيضِ وسَلْعٍ حيث أرسى اوتادَهُ الإسلامُ
كان أشهى اليَّ قربَ جوارٍ من نصارى في دورها الاصنامُ

وروى في المفضليّات (ed. Lyall ص ٥٤٩):

يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ كطَوْفِ النصارى ببيت الوَثَنْ

قالوا: اراد بالوثن الصليب. وكانوا ينصبونهُ في وسط الكنائس. وقال بشر بن ابي خازم يمدح بني الحدَّاء النصارى (البيان للجاحظ ٢ : ٧١)

لله درُّ بني حدَّاءَ من نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
اذا غدَوْا وعصيُّ الطلح ارجلهم كما تُنصَّبُ وسطَ البيعةِ الصُّلُبُ

فهذه الشواهد وغيرها مثايا تدلُّ كلُّها على شيوع فنّ التصوير ونحت التماثيل بين نصارى العرب. قال صاحب تاج العروس (٨ : ١١١): «التمثال الشيء المصنوع مشبَّهاً بخَلْق من خلق الله عزَّ وجلَّ .. والتماثيل هي صور الانبياء. وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت..»

وممَّا تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهليّ نقش النصارى لكتبهم الدينيّة كقول روْبة (ديوانهُ ص ١٤٩):

انجيلُ أحبارٍ وحَيٍّ مُنَمْنَمُهْ ما خطَّ فيهِ بالمِداد قَلَمُهْ

وكقول الرقّش يصف رسوم الدار:

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رُقّش في ظهر الاديم قلمْ

وقال في المفضّليات (ص ٦٩٨) :

كتابُ محبّرٍ هاجٍ بصيرٍ بنسقهِ وحاذرَ ان يباعا . .

وقد ورد في تواريخ العرب القديمة ذكر آثار دينيّة من النحت والتصوير عُني بها النصارى في انحاء الجزيرة . فمن ذلك ما رويناهُ في عدد سابق (ص ٧٠٠) عن نقوش وتصاوير القُلَيس التي زان بها ابرهة تلك الكنيسة الشهيرة . وقد ذكر بعضهم تماثيلها فعدّها لجهله اصناماً (اطلب في معجم البلدان وصف القليس وما قال هناك عن كُعَيت ٤ : ١٧٢)

وما قيل عن كنيسة صنعاء يصحّ عن بيعة نجران المعروفة بكعبة نجران التي عُني ببنائها بنو عبد المدان فان قدماء الكتبة يشيدون بمحاسنها ولعلّ صورها اتى بها الحبشة بعد محاربتهم لذي نوّاس وفتحهم نجران فانّ الحبش كانوا يحسنون التصوير . وفي الحديث الاسلامي انّ بعض نساء محمّد الواتي كنّ هاجرنَ الى ارض الحبشة ذكرنَ امامهُ حسن كنيسة مارية هناك وتصاويرها . فقال لهنّ محمّد وهو في مرض الموت : «اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثمّ صوّروا فيهِ تلك الصور» (اطلب البخاريّ في باب المساجد)

وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٧٠٣) ذكر كعبة نجران وصورها مع شهادةٍ لعموم نصارى العرب باتخاذ الصور في كنائسهم . قال في وصف دير نجران :

«موضع باليمن لآل عبد المدان بن الديّان من بني الحارث بن كعب . . . بنوهُ مربّعاً مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعاً عن الارض يُصعَد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجّونهُ وهم طوائف من العرب ممّن يحلّ الاشهرَ الحُرُم ولا يحجّ الكعبة ويحجّهُ خثعم قاطبةً وكان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البيع وربّما اهل المذر بالحيرة وغسّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور وكان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام »

ومن التصاوير التي لا تزال آثارها الى يومنا في جزيرة العرب ما تزدان به كنيسة طورسينا الراقية الى القرن السادس للمسيح فانّ فيها من النقوش والفسيفساء والصور المختلفة اشياء كثيرة اتسع في وصفها زوّار ذلك المقام الجليل وهي لصورين وصنعة بزنطيين

ارسلهم يوستنيانوس الملك لتشييد تلك المقامات وتزيينها بضروب النقوش

وكذلك مكّة كان للمصوّرين والنحّاتين النصارى فيها آثار ذكرها اقدم مؤرخ لتلك المدينة وهو ابو الوليد الازرقي في كتاب اخبار مكّة (ص ١١٠ — ١١١ طبعة ليبسيك) قال يذكر بناء قريش للكعبة في الجاهليّة :

«وزوّقوا سقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن (١ . . . وصورة عيسى بن مريم وامّه وصور الملائكة عليهم السلام اجمعين فلمّا كان يوم فتح مكّة دخل رسول الله صلعم البيت . . . وامر بطمس تلك الصور فطُمست ووضع كفّيه على صورة عيسى بن مريم وامّه عليهما السلام وقال : امحوا جميع الصور إلّا ما تحت يدي . فرفع يديه عن عيسى بن مريم وامّه . . . »

ثمّ روى عن عطاء بن ابي رباح انهُ ادرك في البيت تمثال مريم مزوّقاً في حجرها عيسى قاعداً مزوّقاً وذلك « في العمود الذي يلي الباب » وانّهُ « هلك في الحريق في عصر ابن الزبير » . وروى عن ابن شهاب (ص ١١٣) « انّ امرأة من غسّان حجّت في حاجّ العرب فلمّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت : بأبي وامّي انكِ لعربيّة فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الّا ما كان من صورة عيسى ومريم » . وذكر الازرقيّ ايضاً (ص ٤٥٠) انّ في مكّة « داراً لسعد القصير غلام معاوية بناها سعد بالحجارة المنقوشة فيها التماثيل مصوّرة في الحجارة » . فلا شكّ انّ هذه التماثيل والصور اصطنعها النصارى في عهد الجاهليّة . كما عُهد اليهم في زمن المهدي ببناء مسجد مكّة وتزويقهُ . قال المقدسي في كتابهِ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص٧٣) يذكر المهدي : «المسجد اليوم من بنائهِ وقد ألبست حيطان الأروقة من الظاهر بالفسيفساء حُمل اليها صنّاع الشام الا ترى اسماءهم عليهِ » .

والى هؤلاء الصنّاع النصارى تُعزى ايضاً النقوش والتصاوير المختلفة بالفسيفساء

١) ذكر المسعودي في مروج الذهب (٤: ١٢٦) : « انهُ لما انهدمت الكعبة بالسيل سُرق منها غزال من الذهب وحُلي وجواهر فتقضتها قريش وكان في حيطانها صُور كثيرة بانواع من الاصباغ عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل في يدهِ الازلام وبقاياها صورة اسمعيل ابنهِ يجير بالناس مفيضاً والفاروق قائم على وفد الناس يقسّم فيهم . وبعد هذه الصورة صور كثيرة من اولادهم الى قُصيّ بن كلاب وغيرهم في نحو ٦٠ صورة مع كلّ واحدة من تلك الصور إلهُ صاحبها وكيفيّة عبادتهِ وما اشتهر من فعله»

التي مرّ لنا ذكرها في الجامع الاموي في دمشق وفي الاقصى في القدس الشريف وفي جامع النبيّ في المدينة . وكذلك النقوش والتصاوير التي نشرنا اليها في الهندسة المدنيّة في قصور المشتّى وقُصَيْر عمرة والأُخيضر فانّها كلّها اعمال صنّعة يُدعون في الغالب روماً وهم من نصارى الشام ومصر والعراق

وممّا وقف عليه ارباب العاديّات والسيّاح في الحقبة الاخيرة كنائس قديمة بعضها مطمور في الارض يرتقي عهدها الى القرون الثلثة قبل الاسلام في العراق وما بين النهرين وجهات الاناضول والارمن على جدرانها تصاوير شتّى يدلّ بعضها على براعة اصحابها في الفنّ ونُقلت رسومها في المجلّات الاثريّة او في تآليف مستقلّة

وكان صنّعة الحياكة ينسجون الاقمشة ويزينونها بالصلبان والتصاوير فشاعت بين العرب وقد ورد ذكرها غير مرّة في اخبار نبيّ الاسلام وفي الحديث (اطلب مجلّة المنار في مجلدها العشرين ص ٢٢٠—٢٣٠) فمن ذلك ما روى عن مسلم انّ عائشة سترت جانب بيتها بقرام اي ستر احمر عليه تصاوير وتماثيل وانها «اشترت نمرقة عليها تصاوير» وانّها «سترت بابها بدرنوك اي طنفسة فيه الخيل ذات الاجنحة» . وكانت هذه الانسجة يحيكها اهل اليمن النصارى كما سترى فيزينون نقشها بالتصاوير

وكانوا يصوّرون على بعضها الصليب وصور القديسين ويتّخذونها كألوية كما ذكرنا سابقاً (ص ٥٤١) عن راية بني تغلب المثالة لمار سرجس . ومن هذا القبيل راية العُقاب التي اتّخذها خالد بن الوليد في اوّل عهد الاسلام (اطلب ياقوت ٣ : ١٩٠ — ٦٩١) دُعيت بذلك لصورة عُقاب كان منسوجاً فيها

وممّا يدخل في هذا الباب نقود نصرانيّة عليها صور ملوك وقديسين اتّخذها اولياء الامور والخلفاء في اوّل الاسلام فطبعوا عليها شعارهم او عبارة قرآنيّة يوجد منها شيء في المتاحف الكبرى . وقد ذكرنا في عدد سابق نقوداً السلجوقيين وللأرتقيين مصوّرة فيها صور ملوك الروم او اوليائهم وبعضها يمثّل شخص السيّد المسيح وامّه الطاهرة (ص ٧٩٩)

وبالاجمال يمكننا القول بانّ فنّ التصوير لولا الصنّعة النصارى في انحاء الشرق كان فُقد بعد ظهور الاسلام لانّ اصحابهُ استنكفوا من صناعة التصوير لما وجدوا فيها من العثرة وخطر الشرك واستناداً الى ما رُوي في الحديث : «ان الملائكة لا تدخلُ بيتاً فيه

كاب او تصاوير «وانهُ « اشدّ الناس عذاباً عند الله المصوّرون » وانّ « كلّ مصوّر في النار» فكسد لذلك فنّ التصوير بين المسلمين الّا العجم منهم الى أن عادوا فاتخذوهُ زينةً وفرقوا بين صور العبادة وغيرها . ولا شكّ أنهم التجأوا الى النصارى فتعلّموها منهم . وبرع فيها بعض المسلمين كالكتامي والتازوك والقصير وابن العزيز الذين ذكرهم المقريزي في كتاب الخطط (٢ : ٣١٨) في وصف جامع القرافة وذكر شيئاً من اعمالهم . وقد قال العلامة غايه (Al. Gayet) في كتابه الصناعة العربيّة (ص ٢٥٠—٢٥٢) «ان ما يوجد في مصر من آثار التصوير والحفر والاشغال الخشبية ونقوش الانسجة والزجاج كلّها مأخوذة عن الصنّعة الاقباط الذين علّموا هذه الفنون المسلمين في مصر كما يقرّ به المسلمون انفسهم » (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Le Vcte de Noailles : Souvenirs d'Amérique et d'Orient. *Paris*, 1920, *in*-16, *pp.*238 . *Edit. franç. de la Nouvelle Revue Nationale*

تذكارات اميركة والشرق

الفيكونت دي نوايل من مشاهير كتبة التاريخ له فيه آثار حسنة نالت امتيازات الاكادمية الفرنسويّة . والكتاب الحاضر هو مجموع عدّة مقالات نشرها في جرائد فرنسة ومجلّاتها في سنين مختلفة عن اميركة وعن مصر ضمّ شتاتها في هذا الكتاب خوفاً من ضياعها وكفى بذلك تنويهاً بفوائدها وبفضل كاتبها

Lasies (J.): La Tragédie Sibérienne. *in*-16, *pp.* 256 *et* 22 *Photogr.*, *Paris. Edit. Françaises illustrées*

المأساة السيبريّة

انّ الفوضى التي تغلّبت على بلاد روسيّة عموماً وعلى مقاطعات سيبرية خصوصاً

بواسطة لينين ومشايعيه دفعت فرنسة الى ان تُرسل الى تلك الجهات بعثةً من جنودها تحت قيادة الجنرال جانين لمراقبة الامور ومساعدة الاميرال كولتشاك ضد السوفيات البولتشيكيين . وكان يرافق الجنرال الكومندانُ لازي احد مندوبي مجلس الشعب سابقاً . وهو مؤلف الكتاب الذي نحن بصددهِ فيصف ما جرى في سيبريَّة بعد نهاية الحرب مع المانية ونهضة السوفيات . وهو يرى على خلاف اهل دولتهِ والرأي العام السائد بين ارباب الجرائد ان الاميرال كولتشاك لا يستحق اعتبار الفرنسويين لتطرُّفهِ واستبدادهِ ولذلك دارت عليهِ الدوائر في ١٧ ايار سنة ١٩١٩ . امَّا السوفيات على قولهِ فانَّ من صالح فرنسة مجاملتهم وعقد الصلح معهم لئلَّا تفقد كنوز روسيَّة التجاريَّة . وعلى كلّ حال يجب على دولتهِ مدُّ يد المساعدة لزِمستفوس زعيم الشغب والعَمَلة . فهذه الآراء لم تجد في دوائر الحكومة الفرنسويَّة اذناً صاغية ولاسيَّما بعد ما شاع من فظائع السوفيات امَّا زِمستفوس فلا يُركَن اليهِ . والاحوال لا تزال في ارتباك عظيم . ومهما استدعت افكار الكومندان لازي من التحفُّظ لا يُنكر انَّ في كتابهِ معلومات كثيرة صادقة وفوائد جمَّة منها ما رواهُ عن بسالة جنود اليوغوسلوفاك وما قرَّرهُ من مطامع انكلترَّة التي ينسب اليها الحركة البولشفيَّة لكسر شوكة روسيَّة ومنعها من التملُّك على الاستانة بموجب معاهدة بين القيصر وللدولة الفرنسويَّة . ومنها ايضاً ما اثبتهُ من نخوة فرنسة ومروءتها في اخماد الثورة في روسيَّة وما انفقتهُ من المال لهذه الغاية بصفة جنود واسلحة وذخائر حربيَّة واطعمة والبسة لمساعدة كولتشاك ما يبلغ مليارًا من الفرنكات . وفرنسة لا تكاد تحسب لذلك حساباً بينما الجرائد الانكليزيَّة طيَّات وزمَّرت لارسال الحكومة البريطانيَّة كسوة عشرة الاف جندي الى سيبريَّة وانَّما فعلت ذلك على حساب فرنسة ! . ويرتأي الكومندان لازي انَّ القيصر نيقولا الثاني قُتل رميًا بالرصاص لكنَّ الاسرة الملكيَّة لا تزال في قيد الحياة

الاب كستاكيس

J. Ghersi : RECETTES UTILES. Paris. Gauthier-Villars. in-16. pp. 507

وصفات صناعيَّة مفيدة

يحتاج الناس ولا سيَّما العامَّة منهم الى معارف عديدة لم يهتمُّوا بدرسها ولا ندحة

لهم عنها صباحَ مساء لا سيَّما في امور البيت من مآكل ومشروبات واثاث وملابس ومن اشغال صناعيَّة وتحسين ادوات او اصلاحها وهم لا يعرفون احدًا يرشدهم الى مطلوبهم . فهذا الكتاب يسدُّ حاجتهم قد صنَّفهُ احد الاختصاصيّين ورتَّب موادَّهُ على طريقة حروف المعجم ليسهل على القرَّاء مراجعتها وضمَّنهُ خلاصةَ العلوم الكيمويَّة فلم يكد ينسى شيئاً ممَّا يبحث عنهُ العموم في اي صنعة كانت حتَّى ان فهارس موادِّهِ وحدها تستغرق ٢٠ صفحة وكفى بهِ دليلًا على منافعهِ الجليلة فلا يستغني عنهُ ارباب البيوت والصَّنعة

ج . ل

PIERRE GHALEB : Le Protectorat religieux de la France en Orient, *Avignon, Aubanel Frères*, 1913. *in* - 16, *pp.* 217

حماية فرنسة الدينيَّة في الشرق

يقول المثل انَّ الفضل للسابق . وقد سبق حضرة مؤلف هذا الكتاب الخوري بطرس غالب سواهُ من السوريين في البحث عن حماية فرنسة النصرانيَّة في الشرق وقد أثبت بالادلَّة ما جعلهُ محورًا لكلامهِ انَّ الطوائف المسيحيَّة دون توسُّط فرنسة كانت دخلت في خبر كان . وممَّا يُثنى عليهِ الثناء الطيِّب وضوح عبارتهِ واعتمادهُ على التآليف الاصلية ومراجعتهُ للآثار الخطيَّة في خزائن الخاصَّة . وقد اصاب في وصفهِ لبلايا النصارى وضيقاتهم في الايَّام الغابرة ودلَّ على ما عرفهُ من اسبابها واملَّهُ وثق ببعض الكتبة المحدثين ثقةً زائدة اذ كتبوا دون اطلاعهم على مآثر عديدة ظهرت في ايَّامنا . فمن ذلك ما نسبهُ الى بني اميَّة من الاساءة الى النصارى فانَّ دروسنا الخاصَّة اظهرت لنا انَّ حالة المسيحيين بالاجمال كانت في عهدهم معتدلةً محتملة . ثم ما رواهُ حضرتهُ (ص ١٧) عن عبد العزيز بن مروان (والصواب ابن عبد العزيز) ليس المقصود منهُ هناك وسماً على اليد وانَّما كان قطعةً من الرصاص يعلِّقها على ايدي الرهبان . ثم يُصلح (ص ١٨—١٩) عمرو بعمر وهو الخليفة وابن الخطَّاب بابن الخطَّاب وهاشم بهشام خليفة يزيد . وكذلك لم يكن مروان الثاني يهوديَّ المحتد وانَّما كانت امُّهُ كرديَّة . فهذه وغيرها دقائق لا تمسّ بشيء محاسن الكتاب ولا تبخس بفضل كاتبهِ

ه . لامنس

Praf. D. B. Cattan: La Chiesa di S. Maria in Domnica detta volgarmente « della Navicella », *Roma*, 1918, *pp.* 25

كنيسة السفينة

ليس هذه المرّة الاولى يذكر المشرق كنيسة رومية الشهيرة المعروفة بالسفينة (اطلب المشرق ٣ : ١٠٦٧ — ١٠٧٠ و ٤ : ٥٦٦ — ٥٦٩) وانما كان ذكرها مختصراً وعرَضاً . وهذه الكنيسة كنها ورد هناك قد اعطاها الكرسيّ الرسولي الرهبانيّة القانونيّة الباسيليّة (البلديّة) في تاريخ ٢٣ تموز سنة ١٧٣٤ فها قد مرّ عليها في ايدي الرهبانيّة الموما اليه ١٨٦ سنة . قد رُمّمت وأُصلحت مراراً بهمّة رؤسائها وإحسان بعض الكرادلة . وهي اليوم من ابدع كنائس رومية واقدمها واغناها بالآثار الصناعيّة من نقوش وتصاوير فضلاً عمّا اشتهر من الساكنين في حماها . فتتبّع حضرة الاب باسيل قطّان تلك المآثر كلّها فجمعها في هذا الكرّاس بنسبة تعيين نيافة الكردينال نيقولا ماريني محامياً لها . وقد اطلعنا عليه بكل رغبة ووجدنا فيه من الفوائد ما يدلّ على سعة علم كاتبه ويبيّن عظم شأن هذا الاثر النفيس الذي جاد به كرم الاحبار الرومانيين على الرهبان الملكيين فكان كشاهد حيّ على محبّتهم للطرائف الشرقيّة عموماً وللرهبان الباسيليين خصوصاً ل . ش

E. J. W. GIBB MEMORIAL : XVI, 2, TARIKH-I-JAHAN GUSHA OF JUWAYNI, ed. by **Mirza Muhammad Qazwini**, 1916, in-8, pp. XVI + ٣٥٨ + ك = III 5, THE PEARL-STRINGS : A HISTORY OF THE RESULIYY DYNASTY OF YEMEN by **Aliyy' ubnu'l-Hasan el-Khazrejiyy.** The Arabic text ed. by **Shaykh M. Asal** with Indices by **R. A. Nicholson**, 1918, in-8 pp. XV + ٤٨٦

تاريخ جهان كشاي (الجزء الثاني) — العقود اللؤلؤيّة في تاريخ الدولة الرسوليّة (الجزء الخامس)

هذان اثران ايضاً من مطبوعات جمعيّة المرحوم جب طُبعا في زمن الحرب . وقد وصفنا اوّلهما في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٦٣١) وبيّنّا ما يختصّ بمصنّفه ومضامينه ولغته . وهذا هو الجزء الثاني منهُ قام بنشره الاديب محمّد بن عبد الوهّاب قزويني من علماء العجم وقدّم عليه الحواشي اللغويّة وختمه بالفهارس المستوفية . امّا مدار

هذا القسم فهو على تاريخ دولة سلاطين خوارزم شاه فاتسع في وصف احوالها وتقلباتها . وللعلامة المستشرق الانكليزي ادوار برون عليه مقدمة قصيرة بالانكليزية . وفي ضمن الكتاب اربع صور منقولة عن احدى النسخ تمثل الاولى موت السلطان محمود خوارزمشاه والثانية حرب جلال الدين منكوبرتي مع الكرج والثالثة أسر المغول للملكة تركان خاتون والاخيرة جلوس سلطان المغول منكو قاآن

وكذلك ورد في الشرق (١٧ [١٩١٤] : ٣١١) وصف الجزء الاول من تاريخ الدولة الرسولية في اليمن للشيخ علي الخزرجي والجزء الحاضر يتناول ثلاثة ابواب منه : الباب السادس (١—١٢٦) في ذكر الدولة المجاهدية . ثم الباب السابع (١٢٧—١٦٢) في ذكر قيام الدولة الافضلية ووقائعها واخيراً الباب الثامن (١٦٣—٣٢٠) في قيام الدولة الاشرفية الكبرى الى وفاة الملك الاشرف اسمعيل سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) . وهذا التأليف يسد ثلمة عظيمة في تاريخ اليمن . وقد نقله الى الانكليزية المستشرق السر ردهوس (Sir J. W. Redhouse) في ثلاثة مجلدات واضاف عدة اغلاط وقعت في النسخة العربية . اما الفهارس فقد تولى عملها الاديب نيكولسن (R. A. Nicholson) وصدّر العلامة برون (E. G. Browwn) هذا الجزء بمقدمة حسنة في الانكليزية . فنشكر كلّ من اشترك في ابراز هذا التأليف الى النور ونحضّ محبي تاريخ جزيرة العرب على اقتنائه ل . ش

الاختزال او الاستنغرافية

بقلم سليمان البستاني صاحب الياذة هوميروس

عني بنشره نوما يوسف البستاني في مصر سنة ١٩٢٠ (ص ٢٧)

صار الشرقيون بفضل المزاحمة والاختلاط بالغربيين يعرفون فضل الوقت (time is money) ومن المعلوم انّ الوقت في بعض الاحوال قصير يحتاج الناس الى عمل كثير في مدّته لا سيما في المجالس العمومية والادارات السياسية وفي المدارس والنوادي الادبية حيث يحبّ السامع ان يحرز كلام الخطباء والاساتذة بحرفه فلا طريقة الى ذلك سوى الاختزال . وما ادراك ما الاختزال ؟ كلمة وضعها معرّب الالياذة دلالةً على طريقة مختصرة للكتابة يجاري فيها الكاتب سرعة الخطيب في كلامه

فيمكنهُ ان يلتقف ذلك الكلام ويدوّنهُ دون ان يحترم منهُ حرفاً . وهذه الصناعة جارية منذ زمن طويل في انحاء اوربّة فاحبَّ العلّامة الاديب سليمان افندي البستاني ان تنتشر ايضاً في الشرق فوضع هذا الكتاب لترويجها فاستحقَّ بعملهِ شكر كلّ من يُعنى برقي الاوطان وصالحها

المذكِّرة اللغويَّة

واضعهُ عازر ارمانيوس

طُبع في المطبعة المصريّة الاهليّة بالقاهرة (١٩٢٠ ص ١٤٣)

هو مجموع لغوي يحتوي نحو ٣٠٠٠ كلمة على ترتيب احرف المعجم وضعهُ اليوزباشي الاجزجي بالجيش المصري عازر ارمانيوس واودعهُ اهم مفردات المسالك الطبيعيَّة الثلث باللغات العربيَّة والفرنسيَّة والانجليزيَّة مع شرح وجيز للمفردات فهو مفيد لطلبة المدارس وخصوصاً للصيادلة

سفر الاحزان في مصائب سوريَّا ولبنان

لخليل اسعد سركيس

طُبع في سان باولو سنة ١٩١٦ (ص ٨٧)

بينا مرارًا ارتياحنا الى مصنفات بعض ذوي الذكاء من اللبنانيين في اللغة العاميَّة نثرًا كان او شعرًا . فهذا اثر جديد من ذاك الصنف للقوَّال خليل اسعد افندي سركيس نشرهُ في المهجر وقد افتتحهُ بمديح الارزة التي تزين العلم اللبناني ثمَّ اردفهُ بعدَّة زجليات اخصّها ما قالهُ في مصائب لبنان في زمن الحرب وفي تحريرهِ من النير التركي . وغير ذلك من المواضيع العصريَّة . وقد استحسنَّا خصوصاً زجليَّتهُ في مدح فرنسة المحبوبة

ل . ش .

هدايا أُرسلت الى المجلَّة

(١ المرشد الظريف في طالع الجنس اللطيف تعريب حنَّا اسعد فهمي . مصر ١٩٢٠ (ص ٢٢٠) . نحن ممَّن يقولون في الكتاب « حديث خرافة » (ص ٥)

(٢ الدرَّة الثمينة في عرافة الكوتشينة . تعريب المذكور . مصر ١٩٢٠ (ص ١٢٧) . حديث خرافة بل اضغاث احلام

(٣ القوّة الفكريّة في المتعلميّة الحيويّة. تعريبة ايضاً مصر ١٩٢٠ (ص ١١٦) هذه ثالثة الاثافي

٤) Liste des Personnes désignées par les Puissances Alliées pour être livrées par l'Allemagne

٥) Bon Curra de Vaux : Tableau des Racines Sémitiques (arabe-hébreu) accompagnées de comparaisons (lithographié)

—: Notes d'Histoire des Sciences, *Paris*, *Imprimerie Nationale* 1917 (Extrait)

—: Sur l'Origine des Chiffres, *Bologne*, 1917 (Extrait)

O. G. v. Wesendonk : Die Religion der Drusen, *Berlin*, 1920 (Extrait de DER NEUE ORIENT)

شذرات

﴿ رئيس جمهوريّة فرنسة الجديد ﴾ اختصرتُ في العدد الخامس من المشرق (ص ٣٢٤) تاريخ الجمهوريّة الفرنسويّة الاولى والثانية والحاليّة واثبتُّ اسماء روساء الجمهوريّة الثالثة مع خلاصة تاريخهم ولم يكن يخطر حينئذٍ على بال احد انّ المرض سيضطرُّ قريباً المسيو ديشانل الى الانسحاب من عالم السياسة وهو يوم انتخابهِ متمتّع بالصحّة الكاملة ومشهور بمداركهِ السامية لكنّ متاعب سنوات الحرب الاربعة وما وجدهُ من المعاكسة من اشياع المسيو كليمنسو اثّرت في قواهُ العقليّة لاسيّما بعد سقوطهِ من نافذة قطار السكّة الحديديّة فاستقال بعد ان شغل منصبهُ الرفيع سبعة اشهر وخمسة ايام. فاجتمع اعضاء مجلسي الامّة مع الوزارة وسمعوا وكلّهم وقوف خطاب استقالتهِ. وفي ٢٣ ايلول ١٩٢٠ كان عيد اجتماع الندوتين في فرسائل لانتخاب رئيس جديد فتمّ الامر واقترعوا بموجب قوانين الدولة تحت نظارة المسيو ليون بورجوا رئيس مجلس الشيوخ فنال المسيو اسكندر ميلران رئيس الوزارة ووزير الخارجيّة اكثرية الاصوات اي ٦٩٥ صوتاً من اصل ٨٩٢ مجموع المنتخبين. فكان يوم انتخابهِ ابتداء تاريخ رئاستهِ وهو الرئيس الحادي عشر للجمهوريّة الثالثة وقد عهد برئاسة الوزارة مع وزارة الخارجيّة الى المسيو جورج لايغ وثبت بقيّة الوزارة في مراكزهم. وُلد الرئيس الجديد سنة ١٨٥٩ وهو اصغر من سلفهِ بثلث سنين واكبر من المسيو بوانكاره بسنة واحدة. وقد ابتدأت حياتهُ السياسيّة سنة ١٨٨٥ حيث

انتُخب نائباً لمجلس الأمّة عن مدينة باريس وفي السنة ١٩١٢ تولّى وزارة الحربيّة فسعى طاقة جهده لإحياء قوّة الجيش المعنويّة واعداد ما يلزم لاستئناف قانون خدمة الثلث سنوات . وفي اثناء الحرب كان زعيماً للدفاع الوطني . وبعد الهدنة صار قومسيراً للجمهوريّة في الالزاس واللورين ثمّ خلف المسيو كليمنسو في رئاسة الوزارة ووزارة الخارجيّة فاشتهر بحزمه وحسن سياسته واصلح ما اختلّ من الامور لضعف سلفه فنالت فرنسة على يده ما يحقّ لها من القوّة والاعتبار في سياسة العالم خصوصاً في سوريّة وبولونية والمانية . فنتمنّى لفرنسة في ايّامه مزيد الهناء سليم الدحداح

﴿ الاكليروس الفرنسوي في الحرب الكونيّة ﴾ كان اعداء الدين قبل الحرب ينسبون زوراً الجبن والفشل الى الاكليروس فكانت الحرب العموميّة الاخيرة احسن جواب على هذه الترّهات والتهم الكاذبة فانّ الاكليروس عموماً العالميّ والقانوني في جميع الدول المتحاربة وخصوصاً في فرنسة اظهر من النخوة والبسالة والتفاني ما ادهش العالم باسره مباشرةً بالمسيو كليمنسو الذي هنّأ الكردينال أميت عمّا اجزره الاكليروس من المجد بتصرّفه في وقت الحرب . ومثلهُ رئيس الولايات المتّحدة السابق المسيو روزفلت فانهُ اعلن مرّتين في اجتماعات رسميّة انّ « الاكليروس والرهبان الفرنسويين كانوا في مقدّمة الجميع حيثما دعت الحاجة اليهم سواء كان في ساحة القتال او في خدمة الجرحى فلا يفي بحقّهم اعطر الثناء » . ومن الادلّة على مروّتهم انّ ٣٦٤٥ اكليركيًا وقعوا في ساحة الشرف نعرف منهم ١٦٢ راهباً يسوعيًا فنالت الرهبانيّة اليسوعيّة شرف السباق على بقيّة الرهبانيّات يليها أخوة المدارس المسيحيّة الذين قُتل منهم في ميدان الوغى ١١٥ راهباً ثمّ الاخوة المريميّون ٩٤ ثمّ الترابستيّون ٥٨ ثمّ رهبان الروح القدس ٥٢ ثمّ الآباء البيض ٤٨ الخ . امّا الاوسمة والامتيازات الشرفيّة والجوائز الرسميّة التي نالها الرهبان والاكليريكيّون والراهبات في هذه الحرب فانّها تُعدّ بالألوف ومن شأنها ان تُفحم كلّ من يُعميه الغرض فينكر على ارباب الدين سبقهم الى اشرف الغايات في سبيل الوطن وطلباً لوجه الله

﴿ فقيد العلوم الشرقيّة ﴾ علمنا بالاسف وفاة احد كبار المستشرقين الانكليز الذي خلّف عدّة آثار في خدمة الآداب العربيّة ألا وهو الوجيه السر شرل جس ليال (SirCh.J.Lyall) وُلد في ٩ آذار ١٨٤٥ وتوفي في غرّة ايلول ١٩٢٠ . لهُ

مقالات عديدة في الفنون العربيَّة نشرها خصوصاً في المجلة الملكيَّة الاسيويَّة في لندن ومما عُني بنشره ايضاً شرح المعلَّقات لابي زكريا التبريزي سنة ١٨٩٤ في كلكوتا وديوانا عبيد من الابرص وعامر بن الطفيل مع ترجمتها الى الانكليزية (اطلب المشرق ١٤ [١٩١٧] : ٢٤١) وديوان عمرو بن قميئة (ص ١١٨—١٢٨) وقد انجز مؤخرًا طبع شرح المفضليات لابي بركات الانباري في مطبعتنا ولم يألُ جهدًا في اتقانه واستيفاء محاسنه . وقد شهدنا له همَّتهُ وسعة علمهِ بالآداب العربيَّة وحسن نظره في شرح مشاكلها اللغويَّة فضلًا عن اريحيَّتهِ وكرم اخلاقهِ . رحمهُ الله رحمة واسعة

﴿كنيسة الجسمانيَّة القديمة﴾ كان الآباء الفرنسيسيُّون اكتشفوا قبل بضع سنين آثار كنيسة قديمة ترقى الى القرون الوسطى أقيمت ذكرًا لنزاع السيِّد المسيح في الجسمانيَّة فارادوا ان يحيوا ذكرها ويشيدوا في مكانها كنيسة جديدة فجاءت الحرب وحالت دون مرامهم . واذ حاولوا هذه السنة استئناف العمل وبالغوا في الحفر لوضع الاساس وجدوا تحت هذه الكنيسة آثار بيعة اخرى اقدم منها عهدًا لا يبعد ان تكون من القرن الرابع او الخامس للميلاد . وقد وجدوا هناك بلاطًا من الفسيفساء والنقوش المختلفة يبلغ طوله نحو ١٣ مترًا

﴿مناجم الالماس في الترنسفال﴾ قد حسب ارباب مناجم الترنسفال ما استخرجوهُ من الالماس منذ خمسين سنة اعني منذ اكتشافها واستثمارها فوجدوا انَّ مجموع ما استُخرج منهُ في حالتهِ الطبيعيَّة قبل تنظيفهِ يبلغ ٢٨ طنًّا ويساوي خمسة مليارات ونصفًا من الفرنكات

﴿ايضاح عبارة﴾ مرَّت لنا في انتقادنا على كتاب تقاليد لبنان للمسيو رستلبوبر (ص ٧١٢) عبارة استغلق فهمها على بعض القرَّاء بخصوص ما كتبهُ هذا الاديب في القديسين مار مارون ومار يوحنا مارون فانهُ نسب في كتابهِ (ص ٦) الى مار مارون ما كتبهُ ابن بطريق في مار يوحنا مارون فنبهنا فكرهُ الى غلطهِ وقلنا لهُ انَّ لا احد تعرَّض لقداسة مار مارون . وانَّ ما شنَّه على ابن بطريق هو مار يوحنَّا مارون (وقد دعاهُ ايضًا مارون) وانَّما فنَّده الموارنة

← اصلاح غلط ← في الصفحة ٨٩٦ س ١٥ قيل انَّ عيد مار جرجس عند الروم وافق ١١ نيسان شرقي والصواب انهُ في تلك السنة وافق ٢٣ نيسان شرقي و٦ ايَّار غربي

أسئلة وأجوبة

س سأل الشماس الياس غالي الحلبي ما يُعرف عن اصل وتاريخ مدينتي آطنة ومرسين

آطنة ومرسين

آطنة والصواب أدنة او أذنة مدينة اسلاميَّة أُنشئت في اوائل الدولة العباسية . وكان هناك مدينة قديمة قد خربت اسمها انطاكية صارُم او سيحون Antiochia ad Sarum) كان بناها انطيوخس الرابع المعروف بابيفانوس على نهر سيحون فجدَّد العرب بناءها لحسن موقعها . امَّا مَرسين فمدينة محدثة وعلى شاطئ البحر المتوسط لم يكن فيها قبل ثمانين سنة غير اكواخ لبعض الباعة والصيَّادين قريباً من مغارس المَرسين وهو الآس (μαρσίνη) فدعيت بهواثًا كان في محلها مدينة قديمة تُدعى صولي (Soloe) شيَّدها الفينيقيُّون لتجارتهم . ثمَّ عمَّرها القائد بومبيوس وانزل فيها الذين كان اسرهم من قرصان البحر ودعاها باسمه بومبيوبوليس

س وسأل مستفيد من مصر أصحيح ان رسالة تهذيب الاخلاق التي أُسبت في مجموعة الرسائل (ص ١٢٥-١٨٩) المطبوعة في مصر سنة ١٣٢٨ في مطبعة كردستان العلميَّة على نفقة الشيخ محي الدين صبري هي للشيخ الاكبر محي الدين العربي

رسالة تهذيب الاخلاق

ج قد اخذنا العجب من نسبة هذه الرسالة لمحي الدين بن العربي ومنها نسخ خطيَّة سبقت زمن محي الدين . والصواب انَّها لابي زكريَّا يحيى بن عديّ الفيلسوف النصرانيّ اليعقوبيّ المتوفى سنة ٩٧٥ للمسيح . ولهُ تآليف فلسفيَّة عديدة وقد طُبعت هذه الرسالة مصدَّرة باسمه في بيروت بالمطبعة العموميَّة سنة ١٨٦٦ وكذلك طُبعت في مصر بالمطبعة القبطيَّة الاهليَّة سنة ١٥٨٨ للشهداء . وفي مكتبتنا الشرقيَّة منها نسختان وكلتاهما تنسب الرسالة الى ابن عديّ ل . ش

المشرق

القديس ايرونيموس والشرق

نبذة تاريخيّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

في ٣٠ ايلول من مثل هذه السنة انتقل الى دار الخلود قبل خمسة عشر قرناً احد آباء الكنيسة اللاتينيّة وجهابذة العلوم الدينيّة الكبار نريد بهِ القديس ايرونيموس الشهير الذي لا يزال اركان الدروس الكتابيّة يستنيرون بنبراس تآليفه الممتعة ويقرّ لهُ بالسبق في حلبتها المنصفون من اعداء الدين فضلًا عن ابناء البيعة المخلصين . ولا بدع أن نرى اسم ايرونيموس قد صبر على تيّار الدهور بل زاد شرفاً مع توالي الايام بازدياد انتشار آثارهِ وغوص ارباب البحث على دُرَرها الثمينة

ومن ثمَّ لم يشأ رؤساء الكنيسة الكاثوليكيّة ان يمرّ هذا الموسم الشائق دون ان يقدّموا اصاحبهِ الاكرام الواجب ويحيوا معالم ذكرهِ . وقد سبق قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر وابرز براءةً جليلة البيان بليغة المعاني اتّسع فيها بتعداد مناقب ذلك الرجل العظيم وما اداهُ من الخدم الممتازة للدين والعلوم معاً . ثم خصَّ لتذكارهِ المنويّ ثلاثة ايّام من هذا الشهر كانون الاوّل وهي السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر منهُ لتقام في اثنائها اعياد باهرة في امّ المدائن في كنيسة مريم الكبرى حيث يُكرم المؤمنون جسدهُ الطاهر في قبرهِ المجيد قريباً من مذود السيّد المسيح وقد نُقل كلاهما من بيت لحم الى رومية فيرقد ايرونيموس في لحدهِ مجاورًا لآثار سيدهِ كما عاش في حياتهِ في ظلّ مغارة ميلادهِ . وقد احبَّت عدَّة كنائس وجمعيّات كاثوليكيّة ان تشارك رومية العظمى في هذه الاعياد كما انَّ المجلّات الدينيّة الكبرى حفلت بالمقالات المنبئة بفضل القديس ايرونيموس ومآثرهِ الخطيرة

فما كنّا بهذه النسبة لنتخلّف عن اخوتنا الغربيين بل رأينا ان نمثل في حفلاتهم اصقاعنا الشرقيّة لمجد القديس ايرونيموس من الفضل على الشرق لاسيّما وقد اتخذناهُ في كليّتنا كشفيع خاصّ لمكتبنا الشرقي لنقتدي بآثاره في تعليم العلوم الكتابيّة وتدريس اللغات الساميّة التي سبق اهل بلاده في درسها

وتنويهاً بشكرنا رأيت ان نسطر في مقالة وجيزة ما كان من الروابط بين القديس ايرونيموس واقطارنا الشرقيّة فنبيّن في فصل اوّل فضل الشرق على ايرونيموس ثمّ نلحقهُ بفصل ثانٍ فنثبت فضل ايرونيموس على الشرق

١ فضل الشرق على القديس ايرونيموس

انّ القديس ايرونيموس على خلاف سائر آباء الكنيسة الغربيّة قد نال من فضل الشرق كثيراً من مزاياه الطيّبة وشمائله الحميدة بحيث يسوغ للشرق ان يفتخر بهِ افتخارهُ بأعزّ ابنائهِ المولودين في مواطنهِ

رأى ايرونيموس النور في حدود بلاد المجر ودلماتيا في مدينة تُدعى ستريدو نحو السنة ٣٤٠ للميلاد من أسرة شريفة واسعة الثروة. ثمّ ارسلهُ اهلهُ لمّا ترعرع الى رومية عاصمة الدنيا وقتئذٍ ليأخذ الآداب والعلوم الرومانيّة عن مشاهير معلّميها فلم يلبث ان استرسل الى اهواء الشباب وأطلق العنان الى شهوات قلبهِ دون ان يردعهُ عنها رادع الضمير ولا يَزَعهُ وازع الدين اذ لم يكن بعد قد اصطبغ بمياه المعمودية . فلمّا تنصّر نحو السنة ٢٥ من عمرهِ وجد في العماد قوّةً لقهر النفس الامّارة لكنّها عادت بعد حين فدفعتهُ الى اباطيلها

على انّ العلوم التي كان تلقّنها ذلك الشابّ من جلّة اساتذة رومية اخذت تشغلهُ عن اللذات الباطلة وتحدو بهِ الى توسيع نطاق معارفهِ فقام يباشر الاسفار الى انحاء فرنسة والمانية وايطالية لينظر ما فيها من الآثار ويطّلع على خزائن كتبها فسُرَّ بما لقيهُ منها ونسخ ما سنحت لهُ الفرصة من نقله الى ان بلغ مدينة اكويليسة حاضرة وطنهِ فوجد فيها بعد غيبتهِ النصرانيّة مزهرةً والعلوم الدينيّة رائجةً والآداب الرهبانيّة نامية فاجتمع ببعض الاصحاب كانوا عدلوا عن رفاه الدنيا وصرفوا فكرهم الى الخيرات الباقية وذاقوا كم هي عذبةٌ طيّبة خدمةُ الله (مز ٣٣: ٩). وكان من جملتهم

كاهن يُدعى ايفتريوس من مدينة انطاكية كان مغرماً بالعيشة النسكيَّة يدعو اليها ذوي التُّقى والذين اختبروا مرارة العالم الغدَّار فآنس ايرونيموس وصافاهُ وحبَّب اليهِ الحياة الفاضلة والاعتزال عن زخارف الدنيا والانقطاع الى الله . فعمل كلامهُ في قلب الشابّ الذي رضي ان يزهد في اباطيل دار الفناء ويتبعهُ الى سوريَّة حيث كان كثيرون من اهلها استنكفوا من زهو الدنيا وحطامها وفزعوا الى البراري والقفار ليتمتعوا بمناجاة الله . فكان ارتداد ايرونيموس الى ربهِ نعمةً اصابها على يد احد الشرقيين من ابناء سوريَّة

على انَّ هذه النعمة كانت كفاتحة نعم أخرى أسبغها الشرق على ايرونيموس . فانهُ بعد ان تنسَّك برهةً في بعض اديرة وطنهِ اجتذبتهُ محاسن الشرق فبرح الاوطان ورحل الى الاراضي المقدَّسة فحجَّ اورشليم وتبرَّك بزاراتها الجليلة ثمَّ طاف جهات قيليقية وآسية الصغرى الى ان حطَّ عصاهُ في جوار انطاكية شرقيَّ نهر العاصي في بادية تُعرف ببادية كَلْسيس حيث وجد بعض السيَّاح فاستنهج سبيلهم والتزم على مثالهم كلَّ فرائض الحياة من صوم وصلاة وتقشفات واشغال شتَّى ولاسيَّما درس الاسفار المقدَّسة . وحاول ابليس غير مرَّة ان يغلبهُ بتجاربهِ لكنَّ جنديَّ المسيح ردَّهُ خائباً بحُسْن بلائهِ . وممَّا كتبهُ وقتئذٍ واصفاً سعادته في تلك المناسك ما تعريبهُ :

« يا حبَّذا الفقر المنسَّق بزهور المسيح . نِعمَ الخلوة التي تُنحَت فيها الحجارة الكريمة التي بها تُبنى دار الملك العظيم . فهُ درُّ العُزلة حيث يتمتَّع الانسان بمناجاة ربهِ . . . يا مَنْ خلبتهُ ملاذ الدنيا الفانية دَعْ عنك وقرها ! حرِّر نفسك من نيرها . آه كم يسرُّني اني ألقيتُ عني أعباء الجسد لأرتفع الى الانوار العلويَّة . يا صاح أتخاف من الفقر ؟ اذكر تطويب المسيح للفقراء بالروح . اينَ عزمكَ تعب الجهاد ؟ ولكن كيف ينال الاكليل السرمديَّ من لم يُعانِ مشقات الجهاد . أتكريك وَحشة البادية ؟ فما لك الَّا ان تعيش بالروح فتذوق نعيم السماء : فاني احسب مع الاباء والرسول المصطفى رومية (٨ : ١٨) « انَّ آلام هذا الدهر لا تُقاس بالمجد المزمع ان يتجلَّى فينا »

ولم يكتفِ ايرونيموس بما وجدهُ في نسَّاك سوريَّة من الفضائل وما اختبرهُ من حسن طريقتهم الرهبانيَّة بل احبَّ ان يُعارضها بسُنَن أماثل الزهَّاد في مصر اذ كانوا سبقوا الجميع في الآداب الرهبانيَّة على مثال ائمَّتهم القديسين بولا وانطون ومكاريوس وباخوميوس فقصد مصر واجتمع بشيوخ رهبانها واستمدَّ في البحث عن

طرائقهم ليأتي بها ويعلمها غيرهُ فعرف للشرق فضلهُ في ذلك

لكنَّ الله كان يُعدّ عبدهُ الى ما هو اجلّ واجدى نفعاً للعالم لئلّا يبقى نور سراجهِ محجوباً تحت المكيال فأضرم في قلبهِ الرغبة في خدمة الكنيسة اللاتينيَّة ونشر العلوم الكتابيَّة بين اربابها . فرأى القديس بوجودهِ في الاقطار السوريَّة ما يمكنهُ من تحقيق امانيهِ . كيف لا وكانت النصرانيَّة وقتئذٍ هناك في عزّها واوج مجدها تسطع فيها ضياء عقول نيّرة كالاقمار الثلثة يوحنّا فم الذهب وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النزينزي وكافرام السرياني وابيفانيوس القبرصي وغيرهم . وكانت انطاكية احد مراكز الدروس الكتابيَّة يؤمّها الطلّاب من كل فجّ وكان من جملة معلميها ابوليناريوس اللاذقي الذائع الشهرة يمثّل تعليمها المخالف نوعاً لغلوّ المدرسة الاسكندريَّة المبالغة في الرمزيَّات فكان يُعنَى بشرح الاسفار المقدَّسة على لفظها وحقيقة معانيها . فتتلمذ له ايرونيموس دون ان يهمل الاعمال النسكيَّة في خلوتهِ واستحسن طريقتهُ التعليميَّة وجرى بموجبها في تفاسيرهِ للكتب المنزلة . فكانت هذه منَّةً ثالثة استفادها ايرونيموس من شرقنا العزيز . وزادت هذه النعمة فضلاً بما وجدهُ بين علماء الشام من الوسائط لدرس لغات الكتب المقدسة الاصليَّة فدرس اوّلاً اللغة العبرانيَّة على من يتقنها ألا وهو ناسك فاضلٌ كان ارتدَّ عن اليهوديَّة فترهَّب . ثم أحفى بعد ذلك في دقائقها بتعليم احد الربّانيين واضاف اليها الكلدانيَّة . فأهّلهُ كلّ ذلك الى ترجمة الاسفار الالهيَّة

وأحظى الله عبدهُ ايرونيموس في الشرق ايضاً بموهبة اخرى فانَّهُ كان بلغهُ ما للقديس غريغوريوس النزينزي من رسوخ القدم في العلوم اللاهوتيَّة فصمَّم النيَّة على قصده في القسطنطينيَّة وكان غريغوريوس قد تعيَّن عليها بطريركاً فلم تأخذهُ في ذلك لومة لائم حتَّى بلغ تلك العاصمة وشفى غليلهُ من مورد حَبْرها الجليل الذي استقبل ايرونيموس كمعلّم ليس كطالب ولبَّى دعوتهُ في كلّ ما عرضهُ عليهِ وقد نوَّه بفضل غريغوريوس عليهِ في كتاباتهِ . ثم طاف القديس في تلك الاثناء في بلاد اليونان واجتنى من معلّميها عدَّة فوائد وابحر الى قبرس وصادف رئيس اساقفتها القديس ابيفانيوس واطّلع على تآليفهِ كما اخذ في الاسكندريَّة عن ديديموس احد كبار فلاسفتها

فترى ان الشرق لم يضنّ على ايرونيموس بهباته بل افاض عليه سوابغ نعمه بحيث يسوغ له أن يعتبر ذلك القديس كصنيعته . دعنا الآن ننظر ما ربحهُ الشرق من فضل ايرونيموس

٢ فضل ايرونيموس على الشرق

انَّ عرفان الجميل من خواصّ النفوس الشريفة التي لا ترضى بقبول النعمة الا واسرعت الى الشكر للمنعم وسعت بالمكافأة عنها على قدر طاقتها . وما كان ايرونيموس لينسى فضل الشرق عليه ولم يجتزئ بإعلان شكره في كتاباته بل اراد ان يؤدي للشرق خدماً جزيلة توازي نعمهُ اليه

واوّل خدمةٍ يحقّ لنا ذكرها انَّ ايرونيموس عطّر بلادنا بعرف فضائله مدَّة نحو اربعين سنة . فانَّهُ بعد انقطاعه الى العيشة النسكيَّة في سوريَّة الشماليَّة وتجوُّله في انحاء آسية الصغرى عاد الى رومية بدعوة الحبر الاعظم دماسوس الذي انتدبهُ الى كتابة اسراره وتنظيم السجلّات الرومانية . فلم يسعه الّا الطاعة لرئيس الكنيسة فبقي في وظيفته سنتين الى وفاة القديس دماسوس (١١ ك ١ سنة ٣٨٤) وهو ينشر في عاصمة الكثلكة وبين وجوه اهلها من رجال ونساء التعاليم الكتابيَّة ويدعو معارفهُ الى الزهد بالدنيا ولزوم العيشة الرهبانيَّة

فما ملك حزنهُ بوفاة البابا دماسوس حتَّى حنَّ قلبهُ الى الشرق ويمَّم بلاد فلسطين ليعيش فيها الى وفاته حابساً نفسهُ لخدمة الله بممارسة الزهد الرهبانيّ ولخدمة الدين بالتآليف الكتابيَّة والمصنَّفات العلميَّة وذلك في بيت لحم في جوار مغارة ميلاد السيّد المسيح . فقضى هناك نحو ٣٥ سنة قدّسها بسيرته الصالحة وباعماله المبرورة وسعيه المتواصل في الرقي الى معارج الكمال فشرَّف المشرق وزانهُ بحلية فضائله

وممَّا اجداهُ ايرونيموس الاصقاع الشرقيَّة انَّهُ دعا اليها افاضل الغرب ليتنسَّكوا بصحبته ففتح لهم ديرًا في بيت لحم قصدهُ كثيرون من نخبة الرومان فائتسوا بهِ واتخذوهُ مرشدًا ومعلّماً فانتشر عبير برّهم في كلّ الانحاء حتَّى انَّ عددًا عديدًا من زوَّار الاراضي المقدَّسة كانوا يعرّجون على دير بيت لحم ليتمتَّعوا بمشاهدة رهبانهِ ونيل بركتهم وقد ردَّ منهم ايرونيموس كثيرين الى جادَّة الفضيلة . وكما سعى ايرونيموس

بانشاء هذا الدير للرجال كذلك عُني مع القديسة پولا الرومانيَّة بفتح دير لعذارى الغرب بازاء دير الرهبان كان القديس ايرونيموس يتولَّى ارشادهُ فاصبح بعد زمن قليل زاهياً نامياً حتَّى ضاق بوفرة السيّدات اللواتي طلبن الترهُّب فيه وكان بينهنَّ الخواتين من سلالة أُسر رومية العريقة في الشرف كسيبرن وفابيوس وكيل ساقهنَّ بثالهِ وتعاليمهِ الى ذروة القداسة منهنَّ القديسة اوسطوكية وميلانية ومرقلينة وأيسلا وأليينة وغيرهنَّ

ونُعدّ فضلًا عظيماً جاد بهِ ايرونيموس نحو الشرق ما الفهُ في خلوة بيت لحم فانَّ مصنَّفاتهِ توازي مكتبةً واسعة جلبت اليهِ نظر علماء زمانهِ فكانت تتوارد اليهِ رسالات مشاهير بلاد غالية وايطالية وافريقية من جملتهم نابغة عصرهِ القديس اوغسطينوس العظيم. فكان يجيب الجميع عمَّا يعرضون عليهِ من المشاكل المختلفة. وناهيك برسائلهِ هذه دليلًا على سعة علمهِ فانَّ البعض منها كتآليف قائمة بذاتها

ولم يشرّف ايرونيموس شرقنا بتآليفهِ فقط لكنهُ خصَّ كثيراً من نتائج فكرهِ بتمجيد الشرق وذكر مفاخرهِ واطراء كبار رجالهِ. فمن ذلك كتابهُ المعنون بالكتبة الكنسيين روى فيهِ اخبار أعيان الشرق والغرب الذين نبغوا بتآليفهم الدينيَّة منذ عهد الرسل الى زمانهِ. ومنها تراجم بعض اولياء الله في الشرق ولا سيَّما ترجمة القديس پولا زعيم السيَّاح وترجمة القديس ايلاريون السائح الفلسطيني والقديس ملكوس الناسك في جهات الفرات. ومنها معجمهُ في تعريف الامكنة المذكورة في الاسفار المقدَّسة وكتابهُ في تفسير الاسماء العبرانيَّة. فكلُّ هذه المؤلفات افاد بها بلادنا وكشف في مطاويها عن غوامض تاريخها وجغرافيَّتها جارياً في قسم منها على آثار اوسابيوس القيصري

وما قرأنا عن معلومات متفرِّقة وفوائد شتَّى ضمَّنها القديس ايرونيموس سائر كتاباتهِ فوصف بها كثيراً من عادات الشرقيين ومعاملاتهم واساليب كلامهم وعيشتهم الاهليَّة وتصرُّفهم مع الاجانب وحرصهم على جمع المال والاتجار وغير ذلك ممَّا يُطلعنا على احوال بلادنا وسلوك اجدادنا قبل الف وخمسمائة سنة برواية شاهد عيانٍ فنستطيع ان نُقابلها بعاداتنا الحاضرة ونتبيَّن ما ثبت منها وما فُقد بكوارث الزمان. ومثلها العادات والطقوس الجارية في كنائس الشرق وخصوصاً في الاراضي المقدَّسة فانَّ

القديس يفيدنا عنها ويصفها وصفاً مدققاً كالاعياد والفرائض الكنسية والرتب التقوية والاصوام وغير ذلك مما كان يعاينهُ كلَّ يوم

ويلحق بهذا الباب اوصاف عديدة خصَّها القديس ايرونيموس بالتاريخ الطبيعي والموالد الثلاثة لا يفوتهُ منها شيءٌ في تفسير الكتب المقدَّسة . فلهُ في باب الجماد اوصاف للجواهر والحجارة الكريمة والاجسام المختلفة وبعض الاجرام الفلكيَّة . واوسعُ منهُ باب النبات فعرَّف في شروحهِ على التوراة اصناف النبات والزهور والبقول والاعشاب الطبية والاشجار الثمرة والاشجار العاديَّة . وربما دقق في تعريفها وبيان خواصها كاحد ارباب الطبيعة . ومثلها باب الحيوان فانهُ تتبَّع اجناسهُ المختلفة من حشرات وزحافات واسماك وطيور وحيوانات اهلية وبريَّة . فهذه كلها لو جُمعت لأحطنا بها علماً بمعارف زمانهِ في كلِّ اقسام الطبيعة لاسيَّما في انحاء الشرق لورود اسمائها في الاسفار الالهيَّة عند كلامها عن فلسطين وسوريَّة ولبنان وطورسينا

ولايرونيموس فضلٌ اعظم من ذلك اسداهُ للشرق وامتاز بهِ ألا وهو جهادهُ ضدَّ البدع والهرطقات التي وجدها في الشرق وناصبها ليمنع سريانها في الاقطار الشرقيَّة . فمن ذلك بدعة اريوس فانها رغماً من حرمها في المجمع النيقوي ومناهضة آباء الكنيسة لاضاليلها لم تزل تنفث سمها في قلوب كثيرين فكان ايرونيموس من الدّ اعدائها ودافع عن لاهوت السيد المسيح طاقة جهدهِ . وهكذا فعل لمَّا رأى تاودورس الضيعي زارعاً لبذار النسطوريَّة بقولهِ انَّ للمسيح اقنومين كما انَّ لهُ طبيعتين فتنَّدهُ ايرونيموس وافحمهُ واضطرَّهُ على الاقرار بغلطهِ

وممَّن تولَّى ايرونيموس تزييف تعاليمهم بعض المنتسبين الى اوريجانوس كروفينوس ويوحنَّا البطريرك الاورشليمي وغيرهما فانهُ ردَّ عليهم ردوداً متوالية بخصوص الثالوث الاقدس والنفس البشريَّة وكشف عن خبثهم ومهَّد للكنيسة السبيل لرشقهم بسهام الحرم بعد حين في المجمع المسكوني الخامس سنة ٥٥٣ .

ولم يكد ينجو من شرّ الاوريجانيين حتَّى تحتَّم عليهِ منازلة عدوٍّ آخر قدم الى الشرق بعد ان بثَّ زؤان تعاليمهِ في جهات الغرب نعني بهِ پيلاجيوس عدوَّ نعمة الله . فما شعر ايرونيموس بكيدهِ وبلغت مسامعهُ آراؤهُ الفاسدة حتَّى تصدَّى لهُ وصنَّف كتاباً للردّ على مزاعمهِ فاحتدم صدر پيلاجيوس عليهِ غيظاً واجتمع بأعداء القديس

ليطلبوا من حكّام البلاد نفيهُ واذ لم يفوزوا بمرادهم هيّجوا عليهِ وعلى رهبانهِ بعض الاشقياء فهجموا على ديرهم واساؤوا الى سكّانهِ ونهبوهُ واحرقوا قسماً منهُ وطلبوا الرئيس ليقتلوهُ لكنّهُ نجا من ايديهم بعناية من الله . ثمَّ قصدوا دير الراهبات وكنَّ فررنَ هاربات ففعلوا فيهِ فعلهم بدير الرهبان

اثّرت هذه الامور في ايرونيموس وذويهِ ايّ تأثير فقاسوا مدّةً آلام الفقر المُدقع وسوء السكن . ولمّا عرف البابا القديس اينوشنسيوس الاوّل بما جرى وثب البطريرك الاورشليميّ على تغاضيهِ عن حقوق الرهبان وحرم المبدعين وعزّى المضطهدين لاجل البرّ . وفي تلك الاثناء توفّي يوحنّا الاورشليميّ (٤١٧م) وأُقيم لهُ خلفاً برياوس فأنصف الرهبان وساعدهم في استئناف اعمالهم . وخرج ايرونيموس من تلك العاصفة مكلّلاً بتاج الشهادة لمقاساتهِ الاهانات والعذابات في سبيل الايمان

لكنَّ الاوجاع لم تكسر عودهُ ولم تثبّطهُ عن الذود عن حياض الدين المستقيم مع ما اصابهُ وقتئذٍ من اعباء الشيخوخة ووطأة الاسقام فانّهُ بقي الى آخر نسمة من حياتهِ يرشد ويؤلف ويعلّم فمات (في ٣٠ ايلول ٤٢٠) كالجنديّ الباسل والقلم في يدهِ مزوّداً بكل اسرار البيعة التي تعدُّهُ من اشرف ابنائها واعظم حماتها . امّا الشرق الذي بادلهُ بالفضل فانّهُ اعتبر وفاتهُ كرزء وطنيّ لكنّهُ نسب الى حسن طالعهِ ان يحفظ في ظهرانيه ذخائرهُ المقدّسة ويرى قبرهُ ممجّداً مدّة سنين طويلة قبل ان يُنقل جسدهُ الطاهر بامر الكرسيّ الرسولي الى امّ المدائن

والحقّ يقال أنَّ من خلّف آثاراً جليلة كالقديس ايرونيموس لم يمت ويصحُّ فيهِ قول الكتاب في هابيل (عبر ١١ : ٤) : « فهو ان مات لا يزال يتكلّم » بل يزأر كالاسد وقد اشار الى ذلك احد المصوّرين البارعين المسمّى بالدومينيكان « Le Dominiquain » اذ جعل تحت اقدام القديس في صورتهِ تمثال الاسد ولا غرو فانهُ حقًّا اشبه سلطان السباع بنخوتهِ وثبات جنانهِ وجرأة مُقدَمهِ فسُمع زئيرهُ الى اقاصي الارض فرجفت لهُ فرائص المبتدعين وسُرّت قلوب المؤمنين . فيحقّ للشرقيين ان يشاطروا ابناء الغرب في اكرامهم لضيفهم الشريف وقد عرفوهُ مدّة السنين الطوال اصدق نصير للحقّ واشدّ مزهق للباطل نفعنا الله بشفاعتهِ

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي

سفارة الاب يوحنا اليانو الى الموارنة ١٥٨٠ــ١٥٨٢ (تابع)

الاب اليانو والبطريرك سركيس الرزي

كان انتخاب البطريرك سركيس كنهنة جديدة للطائفة المارونيَّة في لبنان فباشر بتدبيرها بكل نشاط وغيرة فوافقت اعمالهُ ما كان مأمولاً منهُ ومضاهياً للثقة بهِ . واوَّل ما قصد القيام بهِ زيارة ابنائهِ المتفرّقين في انحاء الجبل برفقة القاصد الرسولي الذي اثنى على اعمالهِ وهمّتهِ في رسالةٍ وجّهها الى الكردينال كرافا ومما قالهُ هناك «انَّ السيد البطريرك منح سرّ التثبيت الاحداث واوجب عمادهم بعد ميلادهم بايَّام قليلة خلافاً للعادة الجارية بتأخير المعموديَّة زمناً طويلاً وحظر على الكهنة ان يُعطوا القربان الاطفال قبل سنّ الرشاد لسوء عقبى ذلك الامر وكرَّر على مسامع الجميع عقيدة المشيئتين والفعلين في اقنوم السيد المسيح .

ولدينا رسالة اخرى كتبها الاب اليانو الكردينال كرافا ذكر فيها مفصلاً ما صنعهُ مدَّة السنة التي قضاها مع الاب برونو في لبنان ليطّلع عليها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر فيعلمها أيريد منهما غير ذلك ام يأمرهما بالرجوع الى رومية فقال : هذه خلاصة الامور التي انجزناها في مدَّة سفارتنا الى الموارنة :

١ً قد عُقد المجمع الملّي

٢ً انتشر بين العموم كتاب التعليم وغيرهُ من الكتب الكاثوليكيَّة

٣ً درجت بين الاكليروس رتبة تكريس الميرون ومنح المشحة الاخيرة

٤ً قد تمَّت زيارة الطائفة الَّا بعض الامكنة البعيدة كدمشق وحلب فوجّهنا الى اهلها الرسائل المطوَّلة ريثما نتمكَّن من زيارتهما بعد عودتنا من زيارة القدس

الشريف وكذلك جزيرة قبرس نزورها في عودتنا الى ايطالية حيث ترسو السفينة في مرفأها من ١٥ الى عشرين يوماً

٥ً قد اطّلعنا على كثير من مخطوطات الموارنة الطقسيّة والدينيّة

٦ً وانتزعنا منها جدولاً نضعنا فيه على الاضاليل التي وجدناها في تلك الكتب وقد ارسلنا لنيافتكم نسخة من هذا الجدول

٧ ثمّ راجعنا مع ارباب الطائفة تلك النصوص الفاسدة فوافقونا على بطلانها

٨ً اهتممنا بالغاء عادات سيئة مخالفة للآداب الدينيّة

٩ً قد أرسلت الى جميع الكنائس تنبيهات ومعلومات عموميّة مع امر السيّد البطريرك بالسير على موجبها

١٠ واخصّ ما ألقتنا اليه نظرُ الكهنة معرفة مادّة الاسرار السبعة وصورتها

١١ً اهتممنا خصوصاً بفتح مدارس للاحداث في عدّة امكنة

١٢ قد ارسلنا اخيراً الى رومية بعض اولاد الطائفة ليتخرّجوا هناك في الآداب الكهنوتيّة

« وان بقي شيء بعد ذلك سنصرف جهدنا باتمامه بعد زيارتنا للاراضي المقدّسة ان شاء الله ثمّ نكرّ راجعين الى ايطالية في ربيع السنة القادمة (١٥٨٢) ان حسُن الامر في اعين قداسة الحبر الاعظم . ولا نرى في تأجيل رجوعنا خيراً لما يُحدق بنا من الاخطار . فانّ الغرباء قد بلغهم وجودنا في الجبل ووقفوا على سبب مجيئنا وعرفوا من هو الذي ارسلنا الى هذه الاطراف . ولا شكّ بان سينالنا من قبل امراء البلاد من جرّاء ذلك عدّة اساءات وامل السيّد البطريرك تصيبه لاجلنا مشاكل مؤلمة . فالاولى ان نبرح الشرق عاجلاً »

زيارة الاب اليانو الى القدس ثمّ الى دمشق

كانت غاية الاب اليانو من سفره الى القدس الشريف مع الاب يوحنّا بروتو اوّلاً التبرّك بمشاهدة قبر السيّد المسيح . وثانياً زيارة مَن هناك من الموارنة . وثالثاً التباعد مدّةً عن لبنان من وجه المترصّدين لسفير الكرسيّ الرسولي والمضمرين له الشرّ الى حين ورود جواب الحبر الاعظم على رسائله

ابحر المرسلان من طرابلس الى يافا في العشر الاخير من شهر تشرين الثاني كما يُستفاد من رسالة للاب اليانو مؤرخة في ٢٣ منهُ سنة ١٥٨٠ كتبها لرئيسه العام وهو الاب كلوديوس اكواڤيڤا الذي كان أُقيم خلفاً للاب مركوريان المتوفى في غرّة آب ١٥٨٠ فعُهدت اليه رئاسة الرهبنة في ١٩ شباط ١٥٨١ . وكان دخولهما المدينة المقدسة في سلخ الشهر ونزلا ضيفين كريمين على رهبان القديس فرنسيس ووجدا لدى رئيسهم حضرة الاب انجلو ستلا البندقي كل كرامة ووداد وشفيا غليلهما من معاينة كل الامكنة المقدّسة واكرام أسرار حياة وآلام وقيامة السيّد المسيح

ثم زارا الموارنة المستوطنين القدس وكان عددهم قليلاً لهم دار ابتاعها البطريرك موسى المكّاري نحو السنة ١٥٦٥ بعد أن وضع القبط ظلماً يدهم على كنيستهم المبنية على اسم مار جرجس الشهيد

وممّا روى الاب اليانو ان رئيس الاراضي المقدّسة وكلَ اليه فحص كاهنَين قدما من جهات الموصل وطلبا ان يقدّما الذبيحة على القبر المقدس . فوجدهما المرسلان من تبعة النساطرة واخذا يرشدانهما في حقيقة الايمان الكاثوليكي الى أن اقنعاهما بوحدة الاقنوم في السيد المسيح وبعقيدة امّيّة البتول والدة الله فجحدا بدعة نسطور بتلاوة دستور الايمان الذي عرّبهُ لهما الاب اليانو وطلب صورتهُ منهُ رئيس الآباء الفرنسيسيين ليفرضهُ عند الحاجة على زوّار النساطرة

*

كان رجوع الاب اليانو ورفيقهِ من القدس الشريف الى لبنان في اواسط كانون الاوّل ١٥٨١ على طريق البرّ ليزورا الموارنة في دمشق الشام ويسعيا بردّ بطريرك الروم الى الوحدة الكاثوليكيّة كما اوصاهما الكردينال سان سڤرينو

كانت دمشق في ذلك العهد تحت حكم الدولة العثمانية منذ ٦٦ سنة يتولّى تدبيرها ولاةٌ يرسلهم السلطان ثمّ يعزلهم في السنة مرّتين او ثلاث مرار فيبيعون منهُ منصبهم ثمّ يتقاضون بالربا مالهم بظلم الرعيّة وتعميم الرشوة . والنصارى كما لا يخفى في مقدّمة المظلومين

سُرَّ الاب اليانو بنظر تلك المدينة الشهيرة عاصمة برّ الشام وجنّة الشرق الفيحاء

لكنَّهُ اسف لِما رآهُ من سوء حالة الموارنة فيها ولِما يلحقهم من المظالم فبذل السعي في نهض هممهم وتجديد نشاطهم ولا سيَّما في إحياء عواطف الدين في قلوبهم فعرض عليهم ما اتَّفق عليه آباء مجمع قنُّوبين سواء كان من جهة المعتقدات ام من طرف الآداب والتهذيب فوجدهم جميعاً طوع بنانهِ خاضعين طائعين لامر رؤسائهم وتعاليم الكرسي الرسوليّ فشكر الله على حسن انقيادهم وطيب عنصرهم . ولم يجد في دمشق اسقفاً للموارنة لأن المطران جرجس البساوقيتي الذي كان سامهُ البطريرك ميخائيل الرزي على الشام سنة ١٥٧٧ كان يقيم في قنُّوبين

ثم اخذ الابوان يبحثان عن اقرب واسطة للتقرُّب من الروم وكانت اذ ذاك احوالهم الدينيَّة في اضطراب عظيم لانقسام الطائفة بين بطريركين ميخائيل السابع ويواكيم الخامس فانَّ الدمشقيين لعداوة وقعت بينهم وبين بطريركهم ميخائيل لتُهَم اتَّهموه بها سعوا بنفيهِ واختاروا بدلاً منهُ يواكيم ضو مطران طرابلس فجلس هذا على سدَّة بطريركيَّة انطاكية وحصل بذلك مشاحنات وشرور عظيمة وغرامات اموال لم تنتهِ الى سنة وفاة ميخائيل نحو السنة ١٥٨٣

فالى يواكيم المذكور كتب الاب اليانو طالباً منهُ ان يسمح لهُ بزيارتهِ مع الاب برونو باسم الحبر الاعظم واسم الكردينال سان سثرينو محامي الطائفة اليونانيَّة . فاجاب البطريرك انَّهُ يُسَرّ بمشاهدتهما ثمَّ عيَّن لهما يوماً استقبلهما فيهِ مع اعيان طائفتهِ ورحَّب بهما . فداز الحديث عن الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر ومحبَّتهِ نحو طوائف الروم واليونان الذين انشأ لاجلهم في رومية العظمى مدرسةً كبيرة لتخريج الشبَّان وقصدهُ ان يرسلهم لمساعدة بني ملَّتهم . ثمَّ اتَّسعا ببيان رغبة الحبر الاعظم في اتحاد الكنائس الشرقيَّة بالكنيسة الغربيَّة وما ينتج عن ذلك من الفوائد الجمَّة للروم . ولمَّا اعترض احد الحضور على الكنيسة الرومانيَّة باعتقادها انبثاق الروح القدس من الآب والابن اسرع الاب اليانو واثبت معتقد اللاتين بهذا البرهان البسيط ذي الحدين : امَّا انَّكم تقولون انَّ الابن هو مساوٍ للآب وامَّا انهُ اصغر منهُ . قالوا : انَّ الابن هو مساوٍ للاب . فاردف الاب اليانو قائلاً :

«فان اكَّدتم انهُ مساوٍ للاب لا بدَّ ان تقولوا انَّ الروح القدس منبثق من الاب والابن لأنَّ الانجيل يصرّح بانَّ كلَّ ما هو للآب هو ايضاً للابن فانبثاق الروح

القدس هو اذن من كليهما كن مبدإ واحد» . فاشار البطريرك الى احد علمائهم كي يعلن رأيهُ في هذه القضيَّة فـانتصب قائلًا : « انا أرى انَّ الابن اصغر من الآب » فتعجَّب المرسلان من قولهِ فقالا : «أفلا تعلم انَّ هذه بدعة آريوس التي حرمها المجمع النيقاوي والتي يضادُّها قانون الايمان الذي تتلونهُ في كنيستكم» . فانقطع عن الكلام وبقي الحضور في الحيرة صامتين . وكان حضر مع المرسلين بعض الموارنة فسُرُّوا لانتصار الحقيقة وخرج الاب اليانو دون ان ينال وعدًا صريحـاً من البطريرك بامر الاتحاد . ولمَّا عاد اليهِ بعد ذلك وحرَّضهُ على تلبيـة دعوة الحبر الاعظم كان جوابهُ انهُ لا يستطيع ان يصنع شيئاً دون الاتفاق مع بطريرك القسطنطينيَّة وانَّما رضي بكتابة رسالة الى الحبر الاعظم يشكرهُ فيها على لطفهِ وسرورهِ بمشاهدة قـاصدهِ وشفعها برسالة ثانية للكردينال سان سڤرينو . فارسل الاب اليانو المكتوبين الى رومية مع ترجمتهما عن اصلهما العربيّ

رجوع الاب اليانو الى لبنان

رجع الاب اليانو والاب برونو الى لبنان قبل عيد الميلاد من السنة ١٥٨١ وقضيا فصل الشتاء والربيع من السنة المقبلة في طرابلس حيناً وفي قنُّوبين حيناً آخر ينتظران موعد سفر المراكب الى ايطالية في نيسان

ولكنَّهُ وردت اليهما رسائل من الاب اكوافيفا رئيسهما العام ومن الكردينال سان سڤرينو يوعزان اليهما بان يعود الى ايطـالية الاب برونو مع الاخ ماريو (وكان هذا قد أُوفد حديثاً اليهما) ليطلعا الحبر الاعظم على نتيجة السفارة الى لبنان . واما الاب اليانو والاخ برنردينو فقد تقدَّمـا اليهما بان يُبحرا الى مصر لخدمة الكنيسة . لأنَّ بطريرك الاقباط كان قرَّر بان يتَّحد هو وشعبهُ مع رومية بالايمان المستقيم

رأى الاب اليانو في هذا الامر بالسفر الى مصر مشاكل اراد ان يعرضها على رئيسهِ العامّ وعلى نيافة الكردينال سان سڤرينو ليكونا على بيِّنة من احوال الاقباط لأنهُ كان قبل سفارتهِ الى لبنان سنة ١٥٦١ أُرسل مع الاب كرستـوف رودريكس الى القطر المصري فقاسيا المشقَّات العظيمة ليردَّا بطريرك الاقباط وقومهُ الى حجر الكنيسة فوجدا بعد العناء الشديد انَّ القبط جارون بالرياء وعـدم الاستقامة لا يطلبون من

رومية سوى المنافع المادية والمساعدات الماليّة ومن ثمّ لا فائدة من تكرار هذا السفر مع كثرة اخطاره . وعلى كلّ حال أعلن الاب باستعداده لاتمام اوامر رؤسائه ان ثبتوا على رأيهم

لم يشأ الاب اليانو ورفقتهُ ان يبقوا دون عمل الى حين سفرهم فخصّوا قسماً من زمنهم في زيارة اديرة الرهبان فحاول القاصد الرسولي جهد استطاعته ليُصلح احوالهم وينظّم سلوكهم ويسن لهم القوانين الرهبانيّة الموافقة لدعوتهم وهو يذكر في رسائله ما أنفقهُ على كلّ دير من الحسنات ليسدّ عوز رهبانه والمبالغ التي استدانها لهذه الغاية وفي تلك الاثناء بذل سعيهُ لدى السيّد البطريرك والاساقفة واعيان الطائفة بان يصلحوا تاريخهم السنوي على موجب الحساب الغربي الجديد الذي كان قرّرهُ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر وامر بان يبتدئ الاصلاح في تشرين الاوّل من تلك السنة ١٥٨٢ فيحسب اليوم الخامس منهُ اليوم الخامس عشر (١

فكان الكردينال كافّا محامي الموارنة كتب في ذلك الى الاب اليانو لكي يُقنع رؤساء الطائفة المارونيّة باتخاذ ذلك الاصلاح كما امر ايضاً الحبر الروماني بان يعلن الرهبان الفرنسيسيّون بذلك الحساب في مصر وفلسطين وانحاء الشام

على انّ الاب اليانو والرهبان الموما اليهم بعد ان فاوضوا مع رؤساء الكنائس تحقّقوا ان ذلك التغيير ينشئ حاضراً عوائق كثيرة وتهييجاً على الكاثوليك من قبل الاتراك والطوائف المنفصلة عن رومية بحجّة كونهم تبعوا الفرنج فتآمروا على الدولة .. ومن ثمّ وجب تأجيل ذلك الاصلاح الذي لم يتم الّا بعد ٢٤ عاماً في السنة ١٦٠٦ على عهد البطريرك يوسف الرزّي فجرى وقتئذٍ في الشام وحلب وبقيّة المدن ما خلا جزيرة قبرس (٢ امّا بقيّة الطوائف الكاثوليكيّة فلم تتبع الحساب الغربيّ الّا في القرن التاسع عشر

وممّا اهتمّ بهِ ايضاً القاصد الرسوليّ مسألة « الموارنة البيض » التي يعود اليها غير مرّة في كتاباته . ولعلّك تطلب ومن هم الموارنة البيض ؟ دونك ما كتبهُ الاب

١) راجع مقالة الاب كولنجت في اصول الحساب السنوي (في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٢٥ – ٢٣٠)

٢) اطلب تاريخ الدويهي (ص ١٨٥)

اليانو الى الكردينال كراڤا : « ان عدداً ليس بقليل من موارنة لبنان ممّن يسكنون بجوار المسلمين تظاهروا في انحائهم خوفاً منهم ومراعاة لهم بالدين الاسلامي وتعمّموا بالعمامة البيضاء فدعوا لذلك بالبيض وهم في الباطن نصارى يعلنون بدينهم كلّما وُجدوا بين اهل ملّتهم فيتقرّبون من الاسرار كالنصارى ولا يجسر ارباب الطائفة ان يخوّفوهم في ذلك لئلّا يشتهر الامر بين الاتراك فينالهم بسببهم أذى وهوان . فيولّون يعرجون على الجانبين . فبيّن لهم المرسلان اليسوعيان انّ المسيحي لا يجوز له المراء فيجب عليه ان يتحاشى ما يحمل ظنّ الناس به انهُ جحد دينهُ . فكلامهُ هذا اثّر في البعض منهم فقط فاستشار الاب اليانو الشيخ يوسف حبيش في طرابلس وطلب اليه ان يتدارك الامر ويسعى به لدى الامراء بني عسّاف سادته والاتراك اصحابه علّهم يطلقون الحرّية لهؤلاء الموارنة بان يجاهروا بايمانهم علانية دون خوف

وصلت رسائل الاب اليانو الى رومية وفهم الرؤساء انّ بعثتهُ الى الاقباط ضررها اعظم من خيرها فوردهُ جوابهم في ايّار سنة ١٥٨٢ انهُ لا بأس من رجوعهِ مع رفقتهِ الى رومية . وكان موعد اقلاع السفينة من طرابلس في ٧ حزيران فتحفّز للسفر . ثمّ بلغهُ انّ السفينة المذكورة سوف تبحر الى قبرس وانّها ستبقى هناك الى شهر آب . فبقي المرسلون محتارين لا يعلمون اينتظرون مركباً آخر يسافر رأساً الى البندقيّة او يركبون هذه السفينة . فانتهى الخلاف بينهم بان يسافر الاب يوحنّا برونو مع الاخ مريو الى قبرس ويبقى الاب اليانو مع الاخ برنردينو في سوريّة الى شهر آب . وهكذا تمّ

وجاء في تاريخ الدويهي (ص ٤٤٤) انهم يوهم بسفر الاب برونو في السنة السابقة اي ١٥٨١ قال بعد ذكره انتخاب البطريرك سركيس الرزي لرئاسة الشعب :

« وحينئذٍ كلّفوا جوان برون ان يذهب من قبلهم الى رومية ليؤدي عن بطريركهم واجب الطاعة ويطلب لهُ درع التثبيت وانفذوا معهُ كتابات الى غريغوريوس الثالث عشر والى وكيل الطائفة الكردينال كارفا . واخذ جوان برون معهُ اربعة اولاد . . . ولمّا انتهى جوان برون الى رومية سلّم رسائل البطريرك الجديد واعيان الطائفة الى قداسة البابا . وفي الخامس من شهر آذار في سنة ١٥٨٣ ارسل البابا للبطريرك سركيس كتابة التثبيت على كرسي انطاكية وكتابة أخرى لاسقف طرابلس ليلبسهُ الدرع المقدّس ويقبل منهُ يمين الطاعة »

والصواب ان الاب يوحنّا برونو لم يسافر من سوريّة الّا في ٧ حزيران ١٥٨٢

وكان وصولهُ الى رومية في ايلول . امـاً تثبيت البطريرك سركيس ومنحهُ درع الرئاسة بطلب الاب المذكور ووساطة الكردينال كرافًا فحصل في آخر يوم من آذار سنة ١٥٨٣ (لا في ٥ آذار ١٥٨٢) وذلك مشروح في براءة غريغوريوس الثالث عشر التي تاريخها في اليوم المذكور (اطلب مجموع البولّات المارونيّة للقس طوبيّا العنيسي (ص ٨٩—٩١)

سفر الاب اليانو الى حلب

اقبل الصيف واشتدَّ الحرّ على سواحل لبنان فرأى الاب اليانو ان الوقت مناسب لزيارة الموارنة في حلب وللاجتماع فيها مع بطريرك اليعاقبة كما اوصاه بهِ الكردينال سان سفرينو ونوى بهذا السفر ايضاً ان يختفي عن جواسيس الاتراك كما فعل بسفرهِ الى القدس . فارسل الاخ برنردينو الى قنّوبين ليقوم بخدمة البطريرك واماً هو فسافر وحدهُ برًّا الى الشهباء فحطَّ فيها الرحال في ١٥ تمّوز من السنة

كانت حلب في ذاك الوقت من اعظم مدن الشرق واغناها وأروجها تجارةً : اليها تنتهي كنوز الهند والعجم وما بين النهرين وبها تجتـاز قفول الشام والعرب ومصر والارمن ويتجاوز عدد اهلها الثلثمائة الف وكان النصارى منهم نحو اربعين الفاً بينهم زهاء مائتي عائلة مارونيّة . وقد اخبر الاب اليانو في رسالتهِ الى الكردينال كرافـاً والى رئيسهِ العام في تاريخ ١ آب ١٥٨٢ ان موارنة حلب تحفّوا فيهِ وبالغوا في اكرامهِ وقبلوا بكل خضوع ودعة اوامر مجمع قنّوبين وأذعنوا لكل التنبيهات التي أُرسلت الى الكنائس في لبنان وانّهم اتوهُ بكتبهم الدينيّة ليُصلح فيها ما يراهُ منافياً لتعليم الكنيسة . وسُرُّوا ايّ سرور بما اهداهم لكنيستهم من الحلل الكهنوتيّة . امّا سرّ التثبيت فانّهُ ينتظر مجيء احد اساقفة لبنان ليمنحهُ اصفارهم واردف بقولهِ انّ الطوائف الشرقيّة كثيرًا ما تسهو عن توزيع هذا السرّ . ووجد في حلب اولادًا نجباء اختـار البعض منهم ليرسلهم الى رومية ليترشّحوا فيها للكهنوت . وممّا توفّق اليهِ هناك انهُ لقي شمّاساً بارعاً في اللغة السريانيّة فاخبر الكردينال كرافًا بانهُ سيصحبهُ معـهُ الى رومية لمراقبة المطبوعات الطقسيّة التي نشرها للموارنة

وانتهز الاب اليانو فرصة سفرهِ الى حلب ليزور من فيها من تجار الفرنج فبذل مجهودهُ في تحريضهم على ممارسة واجبات دينهم ووزع عليهم الاسرار (لهُ بقيّة)

بَرْدَيْصان وبدعتهُ

نظر تاريخي فلسفي للاديب رزق الله افندي غنيمة البغدادي

سبق لنا في المشرق (ص ٧٢٩ و ٧٣٠) في مقالتنا عن القديس افرام ذكر بردیصان المبتدع فاحبَّ جناب مكاتبنا البغدادي ان يروي في هذه النبذة ما ورد عنهُ وعن بدعتهِ في التاريخ
ل . ش

١ : ترجمة المبتدع

ان بردیصان المبتدع الشرقي البعيد الشهرة أحدث في عهدهِ جلبةً اقلقت العلماء الكنسيّين وشحذت قرائح معلّمي النصارى وائمّتهم لمناضلتهِ وتقويض دعائم بدعتهِ التي راجت سوقها وانضوى الى لوائها عددٌ عديد من اهل الرُّها وما جاورها من الاصقاع . الّا ان الذين تعرَّضوا لذكر هذه الفئة هم نفرٌ من الناس . ولقد اخذني العجب عند ما طالعت في دائرة المعارف للبستاني في مادة « ابن ديصان » ما جاء هناك من وشل الاخبار واختلاط بعضها ببعضٍ . فالكاتب لا يميّز بين بردیصان الرهاوي وبين ميمون بن ديصان جد صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة الذي عاش بعدهُ بعدّة قرون . فسدًّا لهذا الخلل احببتُ ان اعرّف ابناء قومي بهذا المبتدع الطائر الصيت وقد اعتمدت لهذه الغاية على اصدق المصادر واثبتها من شرقيّة وغربيّة

روى ثيودور برخوني (احد كتبة النساطرة في اواخر القرن الثامن) (١ عن اصل بردیصان ما مفادهُ : قال بعضهم : ان اصل بردیصان من منبج وذهب غيرهم الى انه من اربل وارتأى فريق آخر الى انه ولد في الرُّها من كاهنَين وثنيَّين على نهر دَيْصان عند ما قدما اليه فسُمي بذلك النهر واسم ابيه نُخاما واسم امه نرهشيرم اه . وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مولده فايليا مطران نصيبين يقول انه ولد في ١١ تموز سنة ١٣٤ م اما تاريخ الرها وتاريخ ابن العبري الكنسي فيجعلان مولده سنة

١) اطلب ما كتبهُ عنهُ المسيو برليون في كتابهِ المنون Pognon : Inscriptions Mandaites des Coupes de Khouabir

١٥٤ . والمرجح التاريخ الاخير لأن المؤرخين اتفقوا على انه عاش ٦٨ سنة وان وفاتهُ حدثت سنة ٢٢٢ م

وقد جاء عنه انه كان من أسرة شريفة النجار وقد نشأ في صغره على الدين الوثني وتفقَّه في آدابه على احد الكهنة المنبجيين ثم دان بالنصرانية ودرس كتبها ولا يُعرف في اي سنة دان بالنصرانية وجلُّ ما يُعرف عنه انه اهتدى اليها في شبيبته . وبعد ان تضلَّع من العلوم الدينية كُهِن . وكان أليفَ طفولة أبجر بن معن امير الرها وحليف صبوته (١٧٩—٢١٥) وعلى رأي القديس ابيفانس هو الذي سعى في تنصُّر هذا الامير . ومن وقف على تاريخ هذا الرجل يأنس من اخلاقهِ وميلهِ حبَّ الكبر والطموح الى الجاه العالميّ . وهذا ما دفعهُ الى إحداث تعاليمهِ وكان يتوق الى درجة الاسقفية خلافاً لما ذهب اليه البستاني في دائرته انه كان اسقفاً . الَّا انهُ حال دون رغبته عقباتٌ جعلت هذه المنزلة بناط الثريا فصبأ الى الوالنطية . امَّا سيرتهُ فقد قال عنها مار افرام السرياني : « كان روحُ العالم قد نفخ برديصان وخلبت لبَّهُ البهرجة والأُبَّهة » . وقال موسى الخوريني : « كان برديصان رجلًا غيوراً على مصالح النصرانية وقد بذل مساعي الجدّ والجهد في ادخال الارمن اليها » . وعلى كلٍّ فانَّ القديس افرام يظهره لنا بمظهر الهرطقة وموسى الخوريني يمثله لنا عند ما كان على النصرانية قبل ان يتطرح في العقائد الفاسدة

وهنا يعرض لنا مشكلٌ آخر يجب علينا حلُّه وهو في أيَّة سنةٍ دخل برديصان الوالنطية (وهي بدعة والنطوس) ؟ لم تذكر التواريخ التي بيدنا شيئاً صريحاً عن هذه المسئلة ولكن يمكننا ان نستنتج ذلك من المقابلة الآتية وهي ان القديس ابيفانس يخبرنا ان برديصان حمل الامير ابجر التاسع على النصرانية سنة ٢٠٦ فيبين ان في هذه السنة لم يكن برديصان قد مرَقَ والَّا لاجتهد في ضمّ امير الرها الى حزبه تقويةً لشيعتهِ . ولما كان ابن العبري يذهب الى ان وفاته وقعت سنة ٢٢٢ بعد ان عمَّر نحو ثمان وستين سنة فالارجح اذاً انه مال الى الوالنطية بعد وفاة الامير ابجر اي سنة ٢١٥ وعليه فلم يبقَ في المذهب الجديد الَّا نحو سبع سنوات ولمَّا كان تشيُّعه للوالنطية لم يشبع اهواءه الميَّالة الى كسب الشهرة والنبوغ بين ظهراني قومه عمد الى نشر بدعة جديدة تُنسب اليه وتُعرف باسمه فغيَّر في اصول الوالنطية واضاف اليها غير الترر من

المذاهب الثنويّة التي كانت مثبوتة في الجزيرة قرنئذٍ وهكذا نشأت الديصانية او البرديصانية كما يسميها السريان

وكان لمترجمنا إلمام في فنّ التنجيم وقد صبأ اليه منذ صباه ولمّا وقف على ترّهاته تبذه نبذ النواة وجنح الى درس الفلكيـات وكتب فيه نبذةً حسنة اغتالتها يد الضياع ولم نعرفها الّا بشولهد استلّها منها المؤرخون الذين عقبوا صاحب الترجمة

ويُنسب اليه اختراع الشعر السرياني ومجوره وقد الّف مائة وخمسين قصيدة عامرة الابيات يذكر عددها مار افرام السرياني وله مقالات رنّانة ونبذ طنّانة في دحض الهراطقة قبل ان يتدهور في البدع الثنويّة (١ . ويُنسب اليه استنباط أبجدية سريّة (٢ . وقد نسب اليه ابن النديم في كتاب الفهرست الكتب الآتية : « كتاب النور والظلمة وكتاب روحانية الحق وكتاب المتحرّك والجماد » ثمّ قال : « له ايضاً كتب كثيرة ولرؤساء المذهب في ذلك ايضاً كتب ولم تقع الينا (٣ » . الّا ان المستشرقين لا يثقون بشهادة ابن النديم ومروياته عن هذه الكتب نظرًا الى المدّة الطويلة التي بين المترجم والمترجَم (٤ . واغلب هذه الكتب لم يبق منها باقٍ الّا كتاب واحد في شرائع البلاد المختلفة وقد عرفهُ بعضهم بكتاب القَدَر وعليه اليوم التعويل في درس المذهب المذكور كما سترى . وقد نسب اليه موسى الخوريني كتاب تاريخ ارمنية وكتاباً عن الهند اعتمد فيه على الأنباء التي اعطاه اياها سفراء الهند الذين قدموا على هليوغبال القيصر الروماني .

٢ : تاريخ بدعته

ان الديصانية أو البرديصانية قد جرت شوطاً بعيدًا في ديار بين النهرين وكان لها أتباع شايعوها مدة طويلة والّفوا فيها الكتب الضخمة وناضلوا عنها وسعوا السعي الحثيث في سبيل نشرها وبث عقائدها بين ظهراني قومهم . واوّلهم صاحبها المترجم

١) راجع تاريخي ابن العبري وميخائيل الكبير ٢) يذهب روبنس دوفال (R. Duval) في كتابه نحو اللغة السريانية ان الابجدية السريّة هي عبريّة الأصل الّا ان الظاهر انها آراميّة الاصل فأخذها العرب وسمّوها «علم اسرار الحروف» وهو عندهم فرع من علم السيمياء.

٣) راجع ص ٣٣٩ من كتاب الفهرست طبعة فلوجل ٤) روبنس دوفال ص ٢٤٣

الذي اجهد قريحتهُ في نظم الشعر السرياني وانشأ القصائد ونسج برود الاغاني التي تذيع مذهبهُ وتروي مجدهُ فطرب بها الكبار وافتتن بها الصغار . ونقّر على اوتار قاوب ذوات السوار فأغراها واثار بها شواعر ذوي الغرام . فاستأثر بها وخلب لبَّ الجميع بفصاحتهِ وسادهم ببلاغتهِ حتى اوجس منه شرًّا ائمّة المسيحيين . واليك ما قاله عنه مار افرام السرياني الشهير في ميامره :

« ابدع برديصان الاغاني وجمع بينها وبين الانغام الموسيقية – الّف الاناشيد وادخل فيها الاوزان – قسّم الالفاظ اقساماً ووزنها اوزاناً – هيأ للسامعي الطوبيّة سماً ناقعاً منشّى بالحلاوة – فلم يتمكّن المرضى من اتقاء الدواء الناجع فيهم – حاول ان يتأثّر داود (النبي) ويتزيّن بجماله – صبأ الى ذاك المديح فالّف مئة – مائة وخمسين نشيداً »

ونال حرمُنيوس (ويقال حرمون) بن ديصان القدح المعلّى في القصيد والتريض حتى فاق والدهُ في هذا المضمار الّا ان الدهر ابى ان يصون لنا تآليف هذه البدعة لنقف على مذهبها تمام الوقوف ولا يبعد ان ائمّة الدين المسيحي محوا آثارها بعد ان رجع اشياعها الى النصرانية فاستأصلوا بإبادتها شأفة اضاليلها ونجوا من شرّها وضرّها . وجلّ ما نعرفه عنها مأخوذ عن كتاب برديصان المعنون « شرائع البلاد والممالك » الذي صانته يد الصروف فكافح الدهر . وما عدا هذا المصدر نجد نتفاً في كتب المؤرخين ترمي الى هذا المقال ونقع على بعض قصائد

ان البرديصانية انتشرت في الرُّها ونواحي البطائح (وهي بطائح العراق الشهيرة) والصين وخراسان وهناك أمم منهم متفرّقون لا يُعرف لهم مجمع او بيعة (١ . وبقيت هذه الشيعة عالية الكعب وكان انصارها من نخبة القوم المهذبين والمثرين حتى سنة ٤٣٥ م . فجدَّ رابولا اسقف الرُّها الشهير في ردِّ اشياعها الى الكنيسة الارثوذكسية وقطع دابر المفسدين (٢

٣ : البرديصانية ومار افرام السرياني

يقول القديس افرام السرياني في احدى قصائده :

١) راجع كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٣٨

٢) راجع سيرة رابولا في كتاب لاد فريك وعنوانه S. Ephræmi... Opera Selecta, Oxford, 1865, p. 19

« ان رجاءنا ليس على الكائنات السبعة التي يعتقد بها برديصان . فمحروم من يقول كما قال برديصان ان المطر والطل متأتيان عن هذه الموجودات السبعة . ومحروم من يعتقد نظيره ان السيول والفيضانات منها . ملعون من يقول مثله ان الثلج والجليد منها . ملعون من يقول مثله ان الزرع منها . ملعون من يقول مثله ان الاثمار منها . ملعون من يقول مثله ان الغلاء والرخص منها . ملعون من يقول مثله ان الصيف والشتاء منها . فليكن ملعوناً من يقول مثله ان كان ذلك رجلاً او امرأة . فليكن ملعوناً من علّق رجاءهُ على الساعيات . ملعون من جحد خالقه ووهب السلطات للساعيات . ملعون من يقرأ الكتب ويضادها . ملعون من يقرأ كتب الانبياء ولا يعمل بموجبها . ملعون من يقرأ كتب الرسل ويناكس اقوالهم »

وفي موضع آخر يقول :

« ان داود (النبي) لم يقل للكائن كائنات كما قال برديصان لأنَّ الكائن واحد واسم الكائن يضادُّ الكائنات التي لا توجد (١ فان كانت لازم واحدة يجب ان تكون طبائعهم واحدة . . . . (الى ان قال) — فيستنتج من ذلك ان لا طبيعة بدون علة الّا طبيعة واحدة ولا كائن الّا واحد . امّا برديصان فانه يخلط الاسم والطبيعة بغيرهما . اذ ان جميع الخلائق قد خلقت ايُّها الاخوة فان كان اسمُها واحداً فطبائعها تختلف حسب مشيئة الخالق . ومن اعتبر ان بعض الكائنات لم يكن الخالق علّتها وجعلها متساوية فانه يريد ان يميز طبيعتها ويجعل اسمها واحداً »

٤ : البرديصانية حسب يوحنا بن دودي

ان هذا المؤرخ السرياني يتكلم عن البرديصانية في كتابهِ الاوسكوليون الذي عثر الموسيو بونيون على نسخةٍ منه تامّة فنشر شيئاً منه في كتابه « اقداح خوابير » وهو فصول تتعلّق بالبدع . لكن فيه من الرموز الكثيرة والاحاجيّ المغلقة والحشو والخلط والهذيان ما يُزعج الخاطر ويُسئم النفس . وقد اعترف الموسيو بونيون بانه لم يفهم ذلك الهُراء بل ترجمهُ الى الفرنسيّة حسب الالفاظ الكلدانية ليس الّا . ونحن حاولنا ايضاً ان نفكّ تلك المعضلات بمؤازرة بعض ائمّة الكلدان في بغداد ممّن قبضوا على ناصية اللغة ففشلنا في مسعانا . وقد رأى موسيو بونيون في المسئلة رأياً نظنُّهُ مصيباً فيه وهو ان المؤلّف عمد الى هذا الانشاء ليكتم عقائد المذهب ويخفي اسرارهُ بين ثنايا التعقيد ان لم تكن يد النسّاخ قد حرّفت المعاني وهذا ممتنع لان البحث على نسقٍ واحد والالفاظ تأخذ بعضها برقاب بعض من اول الفصل حتى

١) وقصد افرام بهذا القول ان واجب الوجود ذات واحد . وبرديصان يزعم كثرة الذوات الخالقة

آخرٍ . وطريقة برخوني في ذكر المذهب ومحاولتهُ تشويهَ حقائقهِ تؤيد رأينا في ان اجدادنا المسيحيين هم الذين سعوا في استئصال الكتب البرديصانية

ويثبت ثيودور برخوني وجود اواصر قوية تجمع بين الوالنطية والبرديصانية وانَّ هذه نَسَخت الوالنطية . ويذهب الى ان برديصان كان تلميذ والنطس وانكر كلاهما قيامة الاجساد ولم يقبلا الشريعة (اي توراة موسى) ولا الانبياء . الّا انهما رغماً عن انكارهما التوراة يوردان منها نصوصاً وآيات تؤيد مذهبهما على ما يزعمان وكانا يملآن بضحة بعض الكتب القصصية المشحونة بالاحاديث الفرية ويعتقدان بوجود ثلاثمائة عالم ذكوراً واناثاً ولدوا من الآب العام ويدعونهم آلهة ويزعمان ان جسد المسيح مرَّ بمريم مرور الماء بالميزاب . واليك الآن تعريب النصّ الكلداني على علّاته عن لسان برديصان :

« وُجدت خمس موادّ منذ الازل وكانت فارغة تائهة الّا انها تحرّكت اخيراً وصادفت ريحاً صرصراً فسافتها والتقت كلُّ مادّة بأخرى . ثم اتّقدت النار في الغابة وجمد دخانها القاتم ولم تكن تلك بنت النار فتعكّر الهواء الصافي . فامتزجت بعضها وهجم مبدأها النقي (؟) وبدأت تعوش وتتنابذ مثل الحيوانات الضارية فنطق حينئذٍ سيّدها بكلام السلم وأمر الهواء بالسكون فسكن الهواء نفحته . وهبَّ حينئذٍ هواء الاعالي واخضع البلبلة بالقوة وتدهورت الى لجج عميقة . فارتفش الهواء بنفسه (؟) واستتبَّ الهدوء وسادت السكينة وتمجّد الله في حكمته وارتفعت آيات الشكران الى رحمته وكوّن جميع المخلوقات الدنيئة من مزيج الموادّ الباقية . وان جميع الطبائع هي عاملة في تنقية الطبيعة الرديئة . فتأخذ منها ما خالطها »

هذا ما قاله برخوني عن البرديصانية وهو الفاظ بلا معنى تستكُّ منها الاسماع . وغاية ما يفهم من روايتهِ ان برديصان كان يعتقد بخمس موادّ تقوم بذاتها منذ الازل اضطربت وتبلبلت وخضعت لأمر سيّدها وركنت الى الهواء والسكينة . ويفهم من قوله « سيّدها » انه كان يعتقد بالهٍ واحدٍ قدير نافذ السلطة على هذه المواد الازليّة وهو حكيم يليق به التمجيد . وكان يعتقد بوجود موادّ أخرى صنع الله منها الاشياء الدنيا الخ . فيشبه هذا الذهب مذهب ماني

٥ : ابن العبري وكتاب اسفار الاسرار

قال غريغوريوس ابو الفرج ابن العبري : ان برديصان كان ينكر القيامة ويعتبر الجماع عفافاً ويزعم ان في كل شهر يبرز القمرُ أمُّ الحياة نورَهُ ويدخل في الشمس ابي

الحياة فيقتبس منها روح الصيانة والحفظ ويوزعهُ على العالم

وقال صليبا بن يوحنا القسيس الموصلي من رجال القرن الرابع عشر في كتابه اسفار الاسرار ما نصّه (عن نسخة خطيّة):

بَرْصُودان ويقال انه بردیصان وهذا كان يعتقد ويعلم ان الخاطئين في يوم القيامة لا يخلدون في نار جهنم وان جميع الناس صاروا لسبب الذنوب والخطايا في العذاب تحلّ عليهم رحمة الله ويتخلصون (كذا) عند انقضاء المدة المحتومة عليهم من الله حتى ان الشياطين ايضاً يرحمهم ويرفعهم الى ما كانوا عليه من قبل وان الاشرار والائمة والابرار الصالحين يمتزجون بعضهم مع بعض في النعيم الدائم وحينئذٍ تكون كلمة بولس القائل: ان يكون الله هو الكل في الكل ويرجع الكل اليه لأنه منه صدر بحركة المبتدإ

رابني ذكر بَرْصودان واستحكمتْ في عُرى الشكّ والارتياب من وصف مذهبه وصفاً يختلف كل الاختلاف عن وصف المؤرخين . وكأني بالمؤلف قد اراد ذكر بدعةٍ غير البرديصانية فخلط بينهما . لكنّ امراً يستوقفني عن بتّ الحكم في هذه القضية وهو ورود ذكر هذه البدعة بين البدع المشابهة لها والمعاصرة لها مثل الوالنطية والمانويّة وعلى كل حال فان المؤلف ليس بثقةٍ اذ بينهُ وبين البرديصانية عدة قرون وانهُ لا يذكر في مؤلفه مصادر مآخذهِ والله اعلم

٦ : البرديصانية والمؤرخون العرب

١ً : ان ابا محمد عبدالله بن المقفع ترجم كتباً كثيرة من كتب الملاحدة من الثنوية المعروفين بالزنادقة كالمانوية والزدكية . وقد روى جعفر بن سليمان عن المهدي انه قال: «ما وجدت كتاب زندقة قطّ الّا واصلهُ ابن المقفّع» . ولا بدّ انه تعرّض لذكر الديصانية ولكن لم تقع كتبه في ايدينا ولعل الزمان يطلعنا عليها يوماً في احدى الزوايا

٢ً : قال ابن النديم في كتاب الفهرست (ص ٣٣٨) ما منادهُ :

الديصانية انما سمي صاحبهم بديصان باسم نهر وُلد عليه وهو قبل مانى والمذهبان قريب احدهما من الآخر . وانما بينهما خلف في اختلاط النور بالظلمة فان الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين: فرقة زعمت ان النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه . وفرقة زعمت ان النور اراد ان يدفع الظلمة عنه لمّا احسّ بخشونتها ونتنها فشابكها بغير اختياره . ومثال ذلك ان الانسان اذا اراد ان يرفع منه شيئاً ذا شظايا محدّدة دخلت فيه فكلّما دفعها ازدادت ولوجاً فيه . وزعم ابن ديصان ان النور جنس واحد وان

الظلمة جنس واحد . وزعم بعض الديصانيّة ان الظلمة اصل النور وذكر ان النور حيّ حسّاس عالم وان الظلمة بضد ذلك عامية غير حاسّة ولا عالمة فتكارها

٣ : جاء في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل للامام ابي محمد بن حزم . في الكلام على من قال ان فاعل العالم ومدبّره اكثر من واحد :

(واما الفرقة الثانية) فانها تذهب ان العالم هو مدبّروه لا غيرهم (كذا) البتة وهم الديصانية والمرقونية والمنانية القائلون بازليّة الطبائع الاربع بسائط غير ممتزجة . ثم حدث الامتزاج فحدث العالم بامتزاجها . فاما المنانية فانهم يقولون ان اصلين لم يزالا وهما نور وظلمة وان النور والظلمة حيّة وان كليهما غير متناهٍ الّا من الجهة التي لاقى منها الآخر واما من جهاته الخمس فغير متناهٍ وانهما جسمان . ثمّ لهم في وصف امتزاجهما اشياء شبيهة بالخرافات واهم اصحاب مانى . . . هو (ايماني) وديصان متّفقان في كلّ ما ذكرنا الّا انّ الظلمة عند مانى حيّة وقال ديصان . هي موات . . . (الى ان قال) وعمدة ما عوّل عليه القائلون بان الفاعل اكثر من واحد استدلالان فاسدان احدهما هو استدلال المنانيّة والديصانيّة والمجوس والصابئة والمزدقيّة ومن ذهب مذاهبهم وهو انهم قالوا وجدنا الحكيم لا يفعل الشرّ ولا يخلق خلقاً ثم يسلّط عليه غيره وهذا عيبٌ في المعهود . ووجدنا العالم كلّه ينقسم قسمين كل قسم منها ضدُّ الآخر كالخير والشرّ والفضيلة والرذيلة والحياة والموت والصدق والكذب فعلمنا ان الحكيم لا يفعل الّا الخير وما يليق به وعلمنا ان الشرور لها فاعل غيره وهو شرّ مثلها . اه

٤ : ورد في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ذكر الديصانية فنورد كلامه بحرفه الواحد لما فيه من الفوائد والدُّرر الفرائد : قال :

الديصانية اصحاب ديصان اثبتوا اصلين نوراً وظلاماً فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشرّ طبعاً واضطراراً . فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شرّ وضرّ ونتن وقبح فمن الظلام . وزعموا ان النور حيّ عالم قادر حسّاس درّاك ومنه يكون الحركة والحياة . والظلام ميت جاهل عاجز جماد جراد لا فعل ولا تمييز وزعموا ان الشرّ يقع منه طباعاً وخرقاً . وزعموا ان النور جنسٌ واحد وكذلك الظلام جنس واحد وان إدراك النور إدراك متّفق وان سمعه وبصره وسائر حواسه شيء واحد فسمعهُ هو بصرهُ وبصرهُ هو حواسّه وانما قيل سميع بصير لإختلاف التركيب لا لأنها في نفسها شيئان مختلفان . وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسّة وانما وُجد لوناً لأن الظلمة خالطتهُ ضرباً من المخالطة ووجد طعماً لأنها خالطتهُ بخلاف ذلك الضرب . وكذلك تقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجسّتها . وزعموا ان النور بياضٌ كلّهُ لم يزل يلقي الظلمة باسفل صفحتهِ منهُ وان الظلمة لم تزل تلقاهُ باعلى صفحتهِ منها واختلفوا في المزاج والخلاص . فزعم بعضهم ان النور داخلَ الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فنادى بها واحبَّ ان يرقّقها ويلينها ثم يتخلص منها

وليس ذلك لاختلاف جنسها ولكن كما ان المنشار جنسهُ حديد وصفحتهُ ليّنة واسنانهُ خشنة ولا يلين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه حتى يدخل تلك الفروج لا امكنه الّا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول الى كمال ووجود الّا بلينٍ وخشونةٍ . وقال بعضهم بل الظلام لمّا احتال حتى تشبّث بالنور من اسفل صفحته فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويرفعها عن نفسه فاعتمد عليه فلج فيه وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيشد على رجلهِ ليخرج فيزداد ولوجاً فيه فاحتاج النور الى زمانٍ (كذا) ليعالج التخلص من الظلام والتفرّد بالمد . وقال بعضهم ان النور انما دخل الظلام اختياراً لمصلحةٍ ويستخرج منهُ جزاء صالحة لعالمهِ فلما دخل تشبّث به زماناً صار يفعل الجور والقبيح اضطراراً لا اختياراً ولو لم يرد في عالمه ما كان يحصل منه الّا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضروري والفعل الاختياري . اه

وعندي ان الشهرستاني ابدع وأجاد في كتابتهِ عن هذه الشيعة . واسهب في الكلام عنها وأطلعنا على كثير من عقائدها . ومن قابل بينه وبين ثيودور برخوني وغيرهم كثيراً من اقوال الكاتب الكلداني الذي بذل وسعه في اخفاء حقائق هذه العقيدة بالتعقيد والمراء خشية نشر تعاليمها بين ظهراني قومه وبعث ميتها من بين الرموس والاجداث . ولكن الشهرستاني من رجال القرن الثاني عشر للمسيح وتلك الشيعة قد انطفأ سراجها منذ القرن الخامس فبينها وبينه ما ينيف على سبعة قرونٍ فمن اين اقتنص أوانسها وشواردها ؟ وكيف تسنّى لهُ الوقوف على مصادرها ومواردها؟ وهي نشأت قبل الاسلام باربعة قرون واندثرت بنحو قرنين قبلهُ . وكان مرجعها بلاد الرومان وانتشارها في بلاد الفرس وكانت السريانية لغة زعمائها واشياعها . فكيف توصّل الى معرفتها ؟ . فما أقوله عنه اقوله ايضاً عن ابن النديم وابن حزم . فلو افادنا اولئك الكتبة عن مواردهم ومصادرهم ومناهلهم لكفونا مؤنة الشك واغنونا عن مصاعب الارتياب وزادوا ثقتنا بهم وأطلعونا على كتب كتبها المسيحيون فُقدت اليوم

٥ : وذكر المقريزي هذه البدعة ايضاً ولم يستقصِ

٧ : اراء بعض الاوربيين في البرديصانية

١ : ان اول من ذكرها القديس ايريناوس (١٤٠—٢٠٠م) وتلميذه هيبوليتس وابيفانس وثيودورس . وهذان الاخيران قالا عن برديصان انه تلميذ شتينس

(Schutinos) . وقد ذكرها اوريجانس وغيرهم من العلماء وجميعهم مُتّفقون على ان برديصان كان ادرياً . وذكرها اوسابيوس ونشر في كتابه « التمهيد الانجيلي » طائفةً من كتاب القدَر لمبتدعنا الشهير . ثم ان المؤلف المعروف باسم كليمنضوس وَهماً (Pseudo-Clément) نشر نتفةً ثانية من هذا الكتاب في مؤلفه المسمى (Recognitiones) وذلك في الجلد الحادي عشر

٢ً : قال الاب رُرَبكر في تاريخه العام للكنيسة (٥ : ١٤٩ — ١٥١) ما ملخصه :

تمسَّس برديصان بضع سنوات للكثلكة وتفضل عنها بما فتق الله عليه من جودة القريحة وبما أنزل على لسانه من الفصاحة والبلاغة وسخَّر معرفته بلغته في سبيل دحض الهراطقة والوثنيين . وكتب المقالات والنُّبذ مُفنِّدًا بها البدع المبثوثة يومئذٍ في بلاد بين النهرين ومن تلك البدع المرقيونية وترجمت كتبه ومؤلفاته الى اليونانية . ومن كتبه كتاب القدر . وقد رفض رفضاً باتاً التماس ابولونيوس الفيلسوف الرواقي ونجيّ الامبراطور مرقس اوريليوس . اذ ارعز اليه ان يجحد النصرانية ارضاء للامبراطور . فعرَّضه رفضُهُ هذا لخطر الموت نظرًا الى ما انطبع عليه الامبراطور من الفظاظة والغلظة . واستحق بفعلته هذه لقب « المعترف » ولكنَّه تطوّح بعدئذٍ في اضاليل الوالنطية . وانشأ اخيرًا بدعته البرديصانية

(ولم يزدنا المؤلف علماً عن عقيدة المبتدع الّا ما قاله عن كتاب القدَر)

٣ً : معجم لاروس الكبير (١ في مادة برديصان . في هذا المعجم شيء مفيد عن البدعة نورد تعريبه . قال بعد ايراد ترجمة برديصان :

« كان هذا الرجل في بادئ امره مفضالاً متوقد الفكرة الّا انه ما عتّم ان احدث بدعاً عظيمة ولم يحترم نصوص التوراة الاّ ظاهرًا وحذا حذو جميع فلاسفة عصره في حلّ المعضلة الكبرى في علة وجود الشرّ في العالم ودعا واجب الوجود بالاب المجهول وساوى بينه وبين المادّة الخالدة وزعم ان الشيطان ولد من المقيم الشرير والردئ منها . فولد للاب المجهول من زوجه (الفكرة ؟) ابنٌ دعاه برديصان المسيحَ وانتابت النوبةُ المسيحَ فكان له قرينة او اخت وهي الروح القدس وولد من المسيح وروح القدس قرانان (٢ الارض والماء والنار والهواء (٣ وبها خلق العالم المنظور باجسمه بمؤازرة ثلاثة قرانات اخرى جديدة . وانضمّ الى هذه القرانات السبعة سباعيةٌ أُخرى وهي الارواح السبعة التي تولّت تدبير الشمس والقمر والسيارات الخمس وان

١) Grand Dictionnaire Universel du XIXe siècle, par P.Larousse, p.232

٢) القِران : تعريب الكلمة الفرنسية (Syzygie) ٣) هذا يترع الى رأي الاقدمين الذين كانوا يقولون ان اصول المواد اربعة النار والهواء والماء والارض وتسمى عندهم بالأُمّهات والاسطقسات والموادّ والاركان

١٢ جنياً (١ مع ٣٦٥ روحاً كوكبياً سماهاشبوخاً (٢ تدبّر الكل وجاءتم الطبقات (٣ والتدبير السماوي «ولم يرد المبتدع بكلمة تدبير «تدبيراً آلياً» بل شرائع ادبية : واهواء شديدة وغوايات عظيمة بلغت احضان القرانات الالهية ولم يكن تدبيرها سهلاً

«اما قرينة المسيح التي يسميها ريحاً (٤ او صوفيا اي الحكمة (Sophia Achamath) فأحدثت بلبلة في الخليقة كلها عندما هجرت قرينها الالهي الّا انها ندمت بعدئذٍ على فعلتها هذه وارادت ان ترجع الى النظام الكامل فكان لها المسيح غفوراً رحيماً واخذها الى حضن مقرّ الكمالات وادّب لهذا الاقتران مأدبة معنوية او سرّية ذكرى لها. (وعلى رأيه) ان هذه الحكاية رمزية مفادها ان قرينة المسيح هي النفس البشرية المستسلمة للغواية فيستهويها منظر الاشياء المحسوسة الّا انها لا تلبث ان تشعر بالندامة فتتوق الى الترامي في حضن النظام والكمال وتتّقد شوقاً الى مشاطرة الارواح في مأدبة الانبيات القدسي والالهي . . . وان النفس البشرية التي خُلقت على صورة الله تعدّت الشريعة اقتداء بانموذجها ورجب عليها ان تكفّر عن ذنوبها فطردها الخالق من الجنة وربطها بجسد شهواني فكان لها سجناً . وزعم بردیصان ان الجسد يمثل اقمصة الجلد التي البسها الله آدم وحواء بعد سقوطهما في الخطيئة وامعن بردیصان في البحث عن النور متبعاً فيه آراء اليونان القدماء الّا انه اوصل بحثه العقائد النصرانية بما يقارب تعاليم الكنيسة ومزج بها آراء عن الانتخاب . وتبدّا لرائيه أن النفوس لم تكن خاضعة بادئ بدء للجسد بل كان الكل خاضعاً لنواميس القضاء والقدر . ولم ترتبط النفس بالجسد الّا بعد الخطيئة واستنتج من هذا المبدإ ما يأتي : ١ً : لم يتخذ المسيح جسد بشر . ٢ً : اننا لا نبعث يوم الحشر بجسدنا الارضي بل بجسد آخر سماوي حسّاس وانما هذا الجسد كان مقرّ نفسنا قبل الخطيئة . وذكر لاروس بين تلامذة بردیصان رجلاً غيوراً على مصالح هذه البدعة سمّاه مارينوس اه

٤ً : ان العلماء الذين ذكرهم معجم الاعلام المسيحيّة الانكليزي في مادة بردیصان (٥ وهم هاهن (Hahn) ومركس (Merx) وهلجنفلد (Hilgenfeld) حاولوا ان يدرسوا هذه البدعة بمقابلتها مع البدع الثنوية التي كانت منتشرة آنئذ في الجزيرة .

ويتبادر هذا الاسلوب عفواً الى الفكر اذا أقدم الانسان على درس هذه البدعة ويرى نزر المواد التي تقع بين يديه الّا ان ما يُبنى على الحدس والفرض لا يخلو من اغلاط فظيعة . وسننشر شيئاً من آرائهم في كتابنا «نشر الدفين في مذاهب الادريّين والثنويّين»

---

١) تعريب كلمة (génie) الافرنجية فهي توافقنا اتمّ الوفاق معنًى ومبنى . جاء في القاموس : الجنُّ خلاف الانس او كل ما استتر عن الحواس من الملائكة والشياطين

٢) تعريب كلمة «doyens» من باب اطلاق لفظة الشيخ على الاستاذ والعالم وكبير القوم باعتبار الكبر في العلم والمقام ٣) تعريب لفظة «hiérarchien»

٤) تعريب لفظة pneuma ٥) Dictionary of Christian Biography

Hilgenfeld: Bardesanes, der letzte Gnostiker

٥ً : نشر المستشرق كُرتون كتاب القدَر برمّته معتمداً على مخطوط سرياني يرتقي الى القرن السادس او السابع مع ترجمته الانكليزية وعليه اعتمدنا في ما يأتي فنحيل القرّاء اليه (١ . وللمستشرق الالماني ماركس المذكور انفاً كتابٌ في برديصان وترجم فيه الى الالمانية كتاب القدر (Bardesanes von Edessa,)

٦ً : كتب الابيل نو (l'abbé Nau) مقالةً مطولةً في الجريدة الآسوية تموز — آب سنة ١٨٩٩ وشفعها بكتاب دعاه «برديصان المنجّم» (٢ ويذهب الابيل نو ان برديصان كان فلكيًّا وان القديس افرام لم يدرك مذهبهُ في علم الهيئة فنسب اليه الادريّة وهو براء منها لما كان راسخاً في فكره من المبادئ الادرية الرائجة في ذلك العهد . وقد تبع المؤلفون الذين عقبوا القديس افرام اراءه وكتاباته في هذه الشيعة

٧ً : ان صاحب كتاب الآداب السريانية في اللغة الفرنسية تعرّض لذكر هذه النِحلة في الفصل الذي عقده في كتابه في الفلسفة عند السريان (٣ . فبعد ذكره آراء بعض الكتبة في برديصان ونقده كتابَ القدر قال :

«لا يظهر من فلسفة برديصان انه كان يعتقد بان فاعل العالم ومدبّرهُ كان غير واحد واثنم ذكور واناث ولم يعرف القيرانات والروحانيات ولم يسلّم بآراء أخرى ادريّة لا بل يظهر برديصان في كتاب القدَر نصرانيًّا ويعتقد بالإيمان الارثوذكسي اعتقاداً لا يقلّ منزلة عن اعتقاد السريان الذين عقبوه . فافراهاط كان يعتقد بوجود الارواح الفلكية او جنّ الافلاك . وكان غريغوريوس ابن العبري في القرن الثالث عشر يعتقد بتأثير الكواكب على العالم الارضي . ولهذا قد استغلق علينا فهم بدعة برديصان وصعبت معرفة ماهيّتها على حقيقة امرها ولكن لا يسعنا انكارها بازاء شهادة اباء الكنيسة الاقدمين وتنديدهم لها »

٨ً : وقد ذكرها رنان في كتابه المعنون «مرقس اورليوس» (ص٤٣٦—٤٣٩) واجاد في وصف برديصان الرُهاوي فمن اراد زيادة فليطالع المقال في مظانّه . وذكرهُ ايضاً في تاريخهِ للُغات السامية قال «ان برديصان وتلميذهُ لبرونا الّف كلٌّ منهما كتاباً تاريخيًّا وان منهج برديصان اللغوي كان منهج الكلدان القدماء وان الاوزان الشعرية السريانية التي تعرف بالاوزان الافرامية ادخلها برديصان في اللغة نقلاً عن اليونانية

١) راجع Cureton : Spicilegium Syriacum, *London*, 1858

٢) Bardesane l'Astrologue: le Livre des Lois des Pays, *Paris*, 1899

٣) R.Duval : Litt. Syriaque, p. 436 - 439

٨ كتاب شرائع البلاد وآراء بردیصان

قبل ان نستخلص آراء بردیصان من كتابه المذكور يحق لنا ان نزيد في وصف هذا الكتاب شيئاً عمَّا سبقنا وقتاه في تضاعيف بحثنا هذا. لم يُعرف هذا الكتاب بادئ بدء الَّا من نتفتين ذكرهما اوسابيوس وكليمنضوس في كتابيهما . الى ان وقف كُرْتون على النص السرياني في خزانة الكتب البريطانية ومن ثمَّ توالت ترجمات هذا الكتاب الى اللغات الاوروبية . ان كتاب القدر او المحاورة في القدر لا يُعرف عند السريان بهذا العنوان بل باسم كتاب شرائع البلاد نقلًا عن عنوان الفصل المعقود في هذا الكتاب في ايراد شرائع البلاد المختلفة حجةً على حرية الانسان المطلقة وهو على نسق محاورة دوَّنها في الكتاب فيلبوس احد تلامذة بردیصان . وان ثقات المستشرقين لا يشكُّون في ان الكتاب سريانيٌّ معتمدين على بعض اسماء وردت هناك مثل شمشجرام وآوديم فانهما علمان سريانيَّا الاصل لا بل رُهاويَّان . وقد ورد هذان الاسمان وغيرهما من الاسماء في آثار الرُّها القديمة . وان بعض الانباء الواردة هناك تدلُّ على ان الكتاب مؤلف في بلاد ما بين النهرين . الَّا ان إيولد وعلجنفلد ذهبا الى ان النصَّ السرياني مترجم عن اليونانية . فاثبت كرتون في مقدمة كتابه نقلًا عن اوسابيوس وثيودورس ان محاورة بردیصان تُرجمت من السريانية الى اليونانية منذ عهد عهيد . والكتاب موجَّه الى شخص يدعى انطونيوس . ويرتأي اوسابيوس انهُ لوقيوس فيروز (؟) الذي زار الرُّها سنة ١٦٥ وكان عمر بردیصان يومئذٍ ١١ سنة فلا يحتمل انهُ كتب اذ ذاك محاورتهُ هذه . والأصحُّ ان يقال انَّها موجَّهة الى القيصر انطونيوس الحُمصي المعروف باسم «هَليُوغابال» الذي أُنفذ اليه وفد من الهند سنة ٢٢٠ فرَّ ببلاد بين النهرين

كان يعتقد بردیصان في اله واحد خالق العالم غير منظور وغير مخلوق . اما سائر الكائنات او العناصر (الاسطقسات) فلها حدود وشرائع تخضع لها ولا يسوغ لها ان تتملَّص منها ولهذا لا تبعة لها عن افعالها الَّا بعضها مثل الانسان فانهُ يتمتع بحريَّة اعماله . بغضِّ النظر عن الضرورات المتعلقة بطبيعته . فيعمل الخير والشر باختياره وعلى هذا المبدأ يُسأل عن افعاله . وقد نبذ بردیصان مذهب الكلدانيين مذهب القدَر الذي كان اسَّ تعاليم المنجمين . كما انَّهُ نبذ مذهب الفلاسفة القائلين بان الانسان سيِّد نفسه . واراد ان يبيِّن ان اخلاق الشعوب لا تتأتى من الطبيعة ولا من ضروريات

الافلاك . فاورد مثلاً على ذلك قائلاً : « ان البلاد المختلفة والبروج المتعدّدة التي يولد فيها النصارى هي مثل البلاد والبروج التي يولد فيها البرابرة . وهم (اي النصارى) مع ذلك يتبعون شرائع واحدة في جميع تلك البلاد وان كانت شرائعها تختلف كل الاختلاف عن شرائعهم . وما قولنا في النصارى الذين نحن من معتقدهم وهم منبثّون في جميع الاقاليم المختلفة الّا انهم يُدعون باسمٍ واحدٍ عند كل الشعوب . فالنصارى الغربيّون لا يتزوجون باكثر من امرأةٍ مثل بني جلدتهم الفرثيين ونصارى بلاد ماذي لا يلقون جثة موتاهم للكلاب . ونصارى بلاد فارس لا ينكحون بناتهم ولو انهم فُرس . . . (الى ان يقول) ولا يستسلمون لشرائع البلاد التي يسكنونها حيث كانوا ولا يتخلّقون باخلاق اهاليها الساقطة . وان البرج الذي ولدوا فيه لا يضطرّهم ان يأتوا ما نهاهم عنه سيّدهم . . . » ويستنتج من هذا ان الانسان حرّ

وعلى رأي برديصان ان الانسان تحت تأثير ثلاث قوّات وهي الطبيعة والقدر والارادة . والقدر عنده هو تلك القوة التي اودعها الله في الكواكب وهي تنظم حالة عيشتنا حسب السير الذي خطّه لها . وان هذا التأثير يتمّ حين ولادة الانسان اذ يقرّر نصيبهُ . فتنزل آنئذٍ النفس العاقلة في النفس النابتة وهذه تهبط في الجسد وحينئذٍ تُقرّر حظوظ البشر من سعادة وبؤس حسب اقتران النجوم بالعناصر وروابطها ببعضها

٩ خلاصة البحث

ان في صدر النصرانية كانت الفلسفة الآبائية (la Patristisque) قائمة على قاعدة الايمان وما فتئت ان تطوّرت فلسفة الايمان (πίστις) بفلسفة العرفان والحكمة (γνῶσις) فانتشرت مزدهرةً ثابتة الاركان بين جماعات المسيحيين غير ميّالة الى الجدل والمناقشة ورغماً عن هذا فقد حاولت الادريّة بادئ بدء ان تستنبط مذهباً مقبولاً في نشوء العالم تجعله اساً لمذهبها الجديد الذي نشأ من امتزاج الاديان المنتشرة في بلاد السريان امتزاجاً اوجده الخيال المهيّج المتوقّد . وان اخذ هذا الدين مأخذه من الفلسفة اليونانية الّا انه افضى الى قضايا سقيمة اضطرّت الكنيسة الى ان ترفضها . ويظهر ان فكر الخطيئة والخلاص هو اول ما دفع القوم الى إحداث مذهب الادريين . فدرسوا هذه النظرية ووفّقوا بين الفلسفة اليونانية واساطير الاديان

الشرقية وهكذا نشأ مذهب والنطس في اعتقاده القائل «انهالت الألوهية على جماعة الروحانيات فنشأ منه الفراغ وان الفراغ اصلي كما انه ازلي وظهرت المادة بجانب الصورة وظهر الشرّ بجانب الخير وتكوّن عالم روحي من ايحاء الألوهية لذاتها في الكمال. فكان العالم الجسماني عملاً روحانيًا ساقطاً أودعت طبيعتهُ الذاتية للمادة. وكان ساترنس الادري يعتبر المادة ملك الشيطان والنور مملكة الله. وكان يعتبر العالم الادنى كالتخم المنازع فيه بين الارواح الصالحة والخبيثة وكل منها تسعى لتسودهُ بتنفيذ سيطرتها على الانسان. وقد نحا بردیصان هذا المنحى في ميثولوجيتهِ الا انه قال ان الآلهة ذكور واناث فاستمدت الانثى قوة سخرتها في تكوين العالم (١

فيظهر مما اطلعنا عليه من آراء المؤلفين انهم مختلفون اختلافاً بيناً في معتقد هذه الشيعة فمنهم مثل القديس افرام وآباء الكنيسة اعتبروها بدعة تضاد العقائد النصرانية توًّا وكفّروا اشياعها. ومنهم مثل الاب نو وانصارهُ ارادوا ان يبرّروا بردیصان من هذه التهمة وينسبوا اليه مذهباً علميًا لا دخل له بالدين. وحاول لاروس ان يبيّن ان اقوالهُ كلّها رموز. امّا كتبة العرب فجميعهم متفقون على ان البرديصانية ثنوية المعتقد. وخالفهم دوفال واثبت ان واضعها كان يعتقد بوحدانية الباري معتمداً على نصٍّ من كتاب القدَر الّا انه في موضع آخر يدعوه بالادري الشهير. وفي صحيفةٍ اخرى يقرّ بانه لا يقوى على انكار شهادة القديس افرام بكفر بردیصان

وبعد هذه الاقوال المتضاربة يمكننا ان نستنتج النتائج الآتية :

١ : لم تنشأ البرديصانية نشأةً واحدة بل ان صاحبها تقلّب في افكاره ومعتقده كما تقلّب بين احناء الاديان فانه ولد وثنيًا فتنصّر فشايع والنطوس وختم حياته بفرقته البرديصانية لا بل زاد انصارهُ على بدعته شيئاً كثيرًا ولا يُعتمد على كتاب القدر في نقد مذهبه لاختلاف المؤرخين في تاريخ كتابته فربما عدل بعد ذلك عمّا كتبهُ فيهِ

٢ : كانت مخيلة بردیصان متّقدة وهاجة تمثل له الاشياء تمثيلاً يكاد يكون محسوساً فيعبّر عنها بمبتكرات المعاني ويخترع لها المجازات الشعرية والكنايات البديعة وهو ابو الشعر السرياني وصانع اوزانهِ وكان عالماً باحوال اليونان وفلسفتهم ودينهم وآداب لغتهم ولهذا يجوز لنا ان نحمل كثيرًا من اشعاره وقصائده على المجاز

(1 A History of Philosophy by Dr W. Windelband, transl. by H, Pufts.

كما حملها لاروس . ومن امثال ذلك كثير عند الشرقيين كنشيد الاناشيد في التوراة . وكقصيدة ابن سينا في النفس وقصيدة ابن الفارض التي مطلعها « شربنا على ذكر الحبيب مدامةً » مما يحملهُ المفسرون على المعاني الروحيَّة والتنزُّل بالذات الالهيَّة

٣ : لم يكن فكر برديصان ان ينشئ جامعة دينية جديدة تربط اشياعهُ بمناسك وشعائر وحفلات وادعية . ولم يذكر احد من المؤرخين مجمعاً او معبداً اجتمعوا فيه لاداء فرائض دينهم الجديد او اوردوا صلوةً يُتلونها ويتقرَّبون بها الى آلهتهم واربابهم لا بل ان صاحب كتاب الفهرست يقول ان لا مجمع لهم ولا بيعة وجلّ ما قاله مار افرام ان برديصان بثَّ تعاليمه بقصائد نشرها بين قومه ومن هنا يستنتج ان فكره الوحيد كان فلسفيًا علميًا وانَّما آراؤه كانت سخيفة يضادُّ بعضها عقيدة المسيحيين

٤ : ان مذهب برديصان في تكوُّن العناصر والعوالم مذهب علمي فيه شيء كثير من الآراء الشائعة في ذلك العصر . ثمَّ ان ميل الاراميين الى علم التنجيم وصبوَّهم الى دين الشرك دين اوائلهم كانا من اجل مروَّجات الديصانية ولهذا انتشرت انتشاراً غريباً . فقاومها القديس افرام ورجال الدين . ومثلهُ اعتقاد برديصان في تأثير البروج والافلاك في حظوظ البشر مذهب شاع بين السريان حسبما قال دوفال

٥ : لا يسوغ لنا ان نبرئ ساحة هذا المبتدع من وصمة الشرك وجلّ ما يقال انه كان ثنويًا حسبما وصفه كتبة العرب وكان يقول بأصلين اصل للخير واصل للشر . وانه لم يكن يعتقد بكتب العهد القديم . وربما قدَّسها حسب اهوائه فقبل منها ما وافقه ونبذ ما خالف عقيدته معتمداً بذلك على كتب الادريَّة لاسيما في أمر تكوُّن العالم

٦ : لا نعرف كيف نوفق بين روايتي بسرخوني وابن العبري وبين رواية كتاب اسفار الاسرار . فانَّ المؤلفين الاولين يزعمان ان برديصان كان ينكر قيامة الاموات اما كتاب اسفار الاسرار فيقول انه كان يعتقد بالقيامة وانَّ في الحشر تعمّ رحمة الله جميع البشر فيخلصون ولا يهلك احد منهم فالاجدر بنا ان نذهب هذا المذهب الاخير اذ ان برديصان يقرُّ في كتابه شرائع البلاد بحرية الانسان وبتحمله تبعة اعماله وبالنتيجة انه يقرّ بيوم المعاد ولكن معتقده يختلف عن النصارى

الى هذا الحدّ كفاية . وسنتوسع باذن الله في البحث عن هذه الشيعة في كتابنا « كشف الدفين في مذاهب الادريين والثنويين . » وكل آتٍ قريب . والسلام ؟ .

كتاب الكتّاب لابن درستويه

في نشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

باب رسوم خطوط الكتب وفصولها (تتمّة)

(65) واعلم انّ احسن ما يكون المطّ في الخطّ الذي تتقارب سطوره وتتفرّق حروفهُ لأنّ المطّ ايضاً تفرقة بين الحروف فهو من جنس هذا الخطّ ولذلك حسن معهُ . واما الخطّ المتراصف الحروف المتباين السطور فلا يحسن ذلك فيه الّا في مواضع الضرورة كمبادئ الفصول ومقاطعها واواخر السطور وأعجاز الشعر . واحسنُ المطّ في غير ذلك ما توسّط السطور واقبحهُ ما ابتدئ به . ولا يحسن وقوع المطّ في سطرين متواليين ولا متحاذيين ولا متجانحين . وكثرة المطّ قبيحة في كلّ حالٍ

واعلم انّ اصوبَ المدّ عندهم ما كان في كلمةٍ على اربعة احرفٍ فصاعداً بعد ان يكون ذلك على قسمةٍ صحيحة . واقبحُ المدّ ما كان في كلمة على اقلّ من اربعة احرف ولا يجوز ذلك الّا عند الضرورة لتتمّة سطرٍ او نحو ذلك ولذلك قالوا : المدّ في حرفين سوء التقدير

ومن بنات الثلاثة ما يجوز مدّهُ . ومن ذوات الاربعة ما يقبُحُ على حسب ما توجبهُ القسمة . فمن المدّ على القسمة في الاربعة ما كان في مثل « مُحَمَّد » تُقرَن الميم بالحاء ثمّ تُمدُّ وتُجعل الميم والدال بعد المدّ (محـمّد) . وكذلك ما شاكل هذا في الاقسام وان زاد على الاربعة

ومن (66) المدّ في الثلثة على أصوب القسمة ما كان في كلمة اوّلها جيم او سين او عين وفي آخرها ألف او لام لأنّ كلّ واحدٍ من الالف واللام يقوم مقام حرفين مثل سَمَاء عَمَاء سَيل نَيل جَمَل عَمَل تبتدئ بحرفين ثمّ تمدّ وتُجعل الاف واللام بعد المدّة (سمـاء عمـاء سيـل نيـل جمـل عمـل) . فان كان آخر هذه الكلمات او نحوها حرف غير الالف واللام كتبتَ حرفاً من الثلثة ثمّ مددتهُ وجعلت الحرفين الباقيين بعد المدّة لأنّ كلّ واحدٍ من هذه الاحرف يَعدلُ حرفين غير الألف واللام نحو « خَتَم عَمَدَ سَتَرَ »

فامّا الاربعة التي يَقْبُحُ فيها المدّ على القسمة فما كان فيها لامٌ او كاف مشكولة مثل « عَليم مَكين » كان الصواب في هذا ان تُكتَب العين ثمّ تُمَدّ وتُجعَل اللام بعدَ المدّة وتكتب الميم ثمّ تُمَدّ وتُجعَل الكاف بعد المدّة نحو « عـليم مـكين » ولا يجوز ان يُمَدّ ما قبل الياء المتطرّفة في شيءٍ من الخطّ نحو « موسى وعيسى ». واذا كانت الدال او الكاف او الرآء او الهآء او نحوهنّ متطرّفة لم يَحسُن المدّ قبلهنّ لأنهنّ يَنفردنَ مثل « جُند سَنَك هنة قَبر » الّا انهم ربّما فعلوا ذلك في الراء خاصّة فكتبوا « غـمـرٌ ضـرٌ » . ولا تُمَدّ الكاف المشكولة ولا الكاف واللام مبتدأتَين ولا متوسّطتَين (66') نحو « كم بكر كُبْن بأج » . ولا يجوز مدّ البآء والتآء والثآء والفآء والقاف والنون واللام اذا كنّ مبتدءآت نحو « بَعد قَبل لَبَن » . وكلّ تآء او ثآء ممدودة فلتكن المطّة من وسطها اذا طالت المدّة ومن ثُلُثَيها اذا قَصُرت في خطّ الامساك خاصّةً ولتكن المطّة بعد هذه الاحرف في الخطّ الخفيف من طرفها

٨ ما يَحسُن من ردّ اليآء وتَعريقها وما يَقبُح

واعلم انّ رد اليآء بمنزلة المطّ ومنهُ ما يَحسُنُ ومنهُ ما يَقبُحُ وقد قيل : طولُ الردّ بَغيٌ وردُّ المدّ طُغيان . واعلم انّ كلّ يآء وقعت بعد الحروف المعرّقة لايجوز فيها الّا التعريق دون الردّ . وكلّ يآء وقعت بعد الحروف التي لم تُعرَّق كالطآء والظآء والدال والذال والالف فالرَّدُّ فيهـا جائز . وكذلك اذا اتّصلت الياء بما قبلها جاز فيها الردّ والتعريق الّا ان يَمنع من ذلك عارض . فاذا اوقعت اليآء طرفاً بعد حآء او عين او كاف لم يَجُزْ ردّها نحو « حي عي كي » ولكنها تُعرَّق نحو « حيّ عيّ كيّ » (67') . واذا تطرّفت بعد قاف او فآء مبتدأتَين لم يَحسُن تعريقها نحو « في قي » ولكن يجب ردّها مثل « في قي » . واذا اجتمعت يـآآن متطرّفتان في كلمتَين متجاورتين لم يَجُزْ ردّهما جميعاً نحو « حتى متى » ولكنّ الواجب تعريق احداهما وردّ الاخر مثل « حتّى متى » ومثل « يصلي على محمّد » واذا تطرّفت الياء بعد مدّة في كلمة مثل « حـتّى ومَـتَى » و« يصـلي على محمّد » فالأجود تعريقها الّا ان يقع شيءٌ من ذلك في قافية شعر فيترك فيه الواجب للتسوية بين صور القوافي

٩ ما يجوز فيهِ التعوير والادغام وما يَقْبح ذلك فيهِ

واعلم انَّ اصل كلّ خطّ وعمودهُ الفتحُ دون التَّعمية والتبيين والتقويم دون الادغام والتَّعوير غير انَّ بعض الحروف يُدغَم وبعضها يُعوَّر في الخطّ الخفيف خاصّةً في بعض المواضع لسرعة اليد فيهِ فممَّا يَحسُن ادغامهُ السين في مثل حَسَنَ وسَمُجَ . والهآء في مثل « هما واليهما وبينهم » ونحو ذلك . والكاف المرَّاة المنتصبة اذا تطرَّفت وبعدها واو عطف (67') نحو « عليك واليك » ونحو ذلك . والرآء في مثل « الرحمٰن الرَّحيم » . والميم في « مُحمَّدٍ وعمروٍ » . والبآآت وما أشبهها قبل نون الجميع المتطرِّفة في مثل « المؤمنين والصالحين وعشرين » ونحو ذلك . وممَّا لا يَحسُن ادغامهُ السين بعد الكاف المشكولة في مثل « كَسِلَ ونكسَ » . ويَحسُن ؟!؟ بعد اللام في الخطّ الخفيف في مثل لسان وطيلسان (لسان وطَيلسان) واذا وقعت في الخفيف كسرة بين الجيم والالف او بينها وبين الدال او العين او الكاف او اللام جاز إدغامها وتبيينها ولا يجوز في غير ذلك ادغامها نحو « محمَّدٍ ونعمةٍ » . والواو والنون تبيَّنان ولا تدغمان بعد مدَّة في اسفل اللام مثل « عَلَوا وفَلَن » . والميم اذا وقعت بعد مدَّة في الخفيف فالاحسن فيها ان تكون معمَّاة مثل « بسم وقسم » واذا كانت في الثقيل مبتدأة او متوسطة فحقُّها ان تكون مثلَّثة وان كانت متطرِّفة او منفردة فحُكمها ان تكون مربَّعة غير معمَّاة . والامساك كالخفيف الَّا في الثلث فانَّهُ يعوَّر فيهِ الميم المبتدأة والمتوسطة . ولا تعوَّر المعرَّقة (68')

١٠ ما يَحسُن من الكسر والتَّعليق والإلصاق وما يَقبح

واعلم انَّ التعليق في الكتاب لا يكون الَّا ان يُكسَر قبلهُ حرف او حرفان . والكسرُ قبل استتمام الحرف فيحسُنُ عند ذلك التعليق . فاذا لم يكن كسر فأخرجهُ مستوياً كالخطّة . وكلّ حرفٍ وصفنا ان التَّعليق له لازم وجآءك حرف معرَّق مثل الميم والزاي والنون والقاف فليكن معلَّقاً من الحرف الذي قبلهُ . وكلّ حرف تكتبهُ قبل الجيم والحآء والخآء المبتدأة ممَّا يُعلَّق بها فليكن على اوساطها . وما جآءك من صادٍ او ضادٍ او طآء او ظآء او كاف او دال او ذال اذا اتصلت بما قبلها فاكسر قبلهُ كسرةً ثم يوضع الحرف عليهِ الَّا في الخطّ الخفيف على ما ترى « مط سن حكم مد

ملك » وكلّ حرف قبل الجيم والحاء ممّا يُلصق غير المبتدأة فليكن على طرفها

١١ ما يحسُنُ من إمالة الأشباه وتسويتها وما يَقبُح

(68') واعلم انّ السين والشين يجب امالتهما الى ناحية يمين الكاتب وكذلك يجب ان يُفعل باشباههما كلّها في تفرقتها وجمعها مثل « بسم حسن حتم عتيد يحيي سلم موسى بحر » الّا انّ كلّ شبه يتبعهُ سين او شين مطوطة تُضجع الى اليسار ولا يُلصق حرفٌ بحرف ويُجعل معلّقاً

١٢ شكل الكاف وتعريتها وما يَحسُن من ذلك او يَقبُح

واعلم انّ الكاف تكون مشكولةً ومطلقةً ومنتصبة ومُضجَعةً فاذا كانت متطرّفة او مفردة لم يَحسُن شكلُها نحو « غُرك ونعمتك » . واذا كانت مبتدأة او متوسّطة جاز شكلها وحَسُن . والكاف المفردة والمتطرّفة مقدارُ أعلى كلّ واحدة منها واسفلها مقدارٌ واحدٌ شُكِلت او عُرّيت وذلك مثل « بكَ » . وكذلك المُضجَعة وهي مشكولة على كلّ حال وشكل الكاف يُستَحسَن

١٣ معرفة مقادير التعريق

(69') واعلم انّ الحروف المعرّقة منها سبعة كبار تعريقاتها متساوية على مقدار واحد وهي السينان والصادان والقاف والنون والياء . وثنتان صغيران على مقدار واحد وهما الراء والزاي واثنان بين الكبار والصغار متساويان ومتقاربان في التعريق وهما الميم والواو

١٤ وجوب الفرق وتركهُ عند اجتماع الامثال

قالوا اذا اجتمعت صادان او طاآن او كافان فلتكونا على مقدار واحد لا تزيد احداهما على الاخرى في كلمة واحدة او كلمات في سطر واحد ولا يتفاضل أسنان السين بعضها على بعض . واذا اجتمعت في كلمة باء وتاء وثاء ونحوهنّ في موضع واحد ثلثٌ واربعٌ منهنّ او اكثر فليُفاضَل بينهنّ في السمك لئلّا يشبهن السين او يُلتَبسنَ . وكلّ مشتبهَين اجتمعا والتبسا فليُفرَق بينهما امّا بتحقيق وامّا بتخفيف او بادغام او تعوير او ردّ او تعريق او فتح او مطّ او نقط او شكل .

وقالوا اذا اجتمع واوا عطف وجب الفصل بينهما (69ᵃ)

٥ حُسن التقدير وتسوية السطور واختلاف الخطوط

واعلم انَّ ملاكَ الخطّ استواء التقدير ورصف الحروف وتسوية السطور ومدّ ما يَحسن مدُّهُ وقصر ما يجب قصرُهُ وتعديل قسمتهِ وإفراد ما يَحسن افرادُهُ والمقارنة بين ما يحسُنُ ان يُقرَن بهِ وفتح ما لا يجب تعويرُهُ وتسوية جَنْبَتَي الكتاب وحواشيه وتوسيع فصولهِ والمطّ في اوّل كلّ فصلٍ فيهِ وفي آخرهِ مطّةً والجمع لما بينهما من الحروف الّا ان يوجد موضع يَحسُن فيهِ المطّ

وممّا يُعدَّل به السطور ان تُجعَل اعالي أَلِفاتها ولاماتها وكافاتها المنتصبة وطآآتها متآزية على مقدار واحد غير متفاضلة وتُجعل اسافل الحروف المعرّقة كالصادات والسينات والنونات والياآت متساوية بمقدارٍ واحد غير متفاوتة وكذلك اسافل المعقّف كالجيمات والعينات فانّها تسلم بذلك من الاعوجاج

واعلم انَّ لكل ضربٍ من الكتب ضرباً من التقدير في الخطّ وقد كان (70ᵃ) التقدير في كتب الرسائل خاصّةً ان تُنبَذ حروفها فتُجعل متفرّقةً ويقارَب بين سطورها فتكون متدانية وكان التقدير في السجلّات على ضدّ ذلك من الجمع بين الحروف والمباعدة بين السطور واجتناب المطّ والفصل فيها غير انَّ صيغة حروف السجلّات ايضاً على تلك الصورة سواء لا تُصغَّر ولا تُكبَّر . واما العهود فألفاتها مخالفة لألفات الثلثين ولا يعلق في السجلّات ولا الجليل . واما المؤامرات فعلى صيغة حروف الثلثين الّا انَّ حروفهُ اصغر . واما الأجورة والمفتح فبين الاصل والثُّلثين . واما الاثلاث فمن الاصل الاوّل وتحرّك فيها اليد ولا يُتحرّى التصحيح . وللكتّاب بعد ذلك اختيارات ومذاهب منها الموافق لما ذكرنا والمخالف . وكلّ ذلك صواب انشاء الله

حتى اعلان — قد بقي من كتاب الكتّاب بابهُ الاخير وهو الذي ذُكرت فصولهُ في العدد الاوّل (ص ٦٠-٦١) وكان قصدُنا ان ننشرهُ بتمامهِ في اعداد السنة الحاضرة فضاق عنهُ المكان ولا يحسُن ان يؤخَّر للسنة التالية فآثرنا نشرهُ على حدة مع بقيّة التآليف وما نضيف اليهِ من الملحوظات والفوارس فنصدرهُ ان شاء الله وافياً تامّاً في اوائل السنة ١٩٢١

مقاتلة الحشرات الضارّة بالزراعة

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تتمّة)

٤ طرائق مختلفة لمقاتلة الحشرات

لا بُدَّ لارباب الزراعة ان يتولّوا بنفسهم مقاتلة الحشرات ليحصروا نموّها . وممّا يرشدهم الى ذلك معرفة طبائع الحشرة التي يريدون مناوأتها كأطوار وجدانها ولا سيّما طور كيانها المؤذي والزمن الموافق لمحاربتها وملاشاتها كمعرفة الاحوال الجوّيّة والفصول التي تساعدها على النموّ . ولكلّ حشرة غريزتها في وضع بيضها وطلب طعامها وقوت صغارها . فاذا وقف المزارع على هذه المعلومات تيسّر لهُ ايجاد بعض الوسائل لمحاربة عدوّه

فدرس طباع الحشرات اوقف اصحاب البساتين في بعض البلاد على صيانة اصول النسائل عند نقلها لكي يغرسوها في الارض فانّهم يلفّون جذورها الى عمق بعض سنتيمترات بخلقة من القصب او قطعة من التنك لئلّا تقرض الحشرات تلك الاصول بانيابها . وقد عرفوا في اي عمق تسري الحشرات المذكورة وربّما رصدوا طريقها الى ان يقفوا على منفذها حيث تبني وكرها وتعشش فيخربون العشّ ويبيدون سكّانهُ

وهكذا بقيّة الحشرات . ألا ترى كيف يقاتلون البعوض حيثما تفشو حمّى الملاريا والحمّى الصفراء فانّهم يسعون باتلاف دودها الذي ينمو في المستنقعات واذ لحظوا انّ هذا الدود يحتاج الى استنشاق الهواء يصبّون على وجه الماء قليلًا من زيت البترول فيمتدّ على سطح البركة واذا مسّهُ الدود اختنق بهِ

وافضل واسطة لمقاتلة الزنابير ليست هي الركض وراءهُ في الصيف مع الخطر بلسعهِ وانّما هي بإتلاف العشّ الذي تبنيهِ أُنثاهُ في مخاريب الجدران او في البيوت وراء الخزانات وبين اثاث الدار . لأن الانثى وحدها تصبر على برد الشتاء دون الذكر فتخلّف نسلها الشقيّ في الربيع

اما الكرمة فيصونها الكرّام في شمالي سوريّة من الدود الذي يقتحمها ليلًا ويختفي في كعبها نهارًا بان يلفّ ساقها بخرقة مبلولة بمائع لزج . ويصونها الاميركيّون في

الولايات المتحدة بأن يدهنوا ساق الكرمة بدبق يدعونهُ « مغري القوائم » (Tanglefoot) لا يذوب في الصيف وهو مركب من الراتينج وزيت الخروع وصمغ كوبال . امَّا الدود الذي يأوي الى شجرة الكرم فافضل منوال لقتله رشُّ الدوالي بالكبريت كما يرشونها به لمعالجة الرَّمد

وكثير من الحشرات يُتَّقى شرُّها باتلاف اعشاشها قبل بلوغ دودها وانتشاره في فصل الربيع . ومما يعالجون به الاشجار المثمرة التي تَخزُ الحشرات اوراقها وتدسُّ بيضها في ثمارها قبل ان يعقد زهرُها ان تُرش عليها بعض المسحوقات او الموائع المسمَّمة . ومن الحشرات ما يُنفض عن الشجر نفضاً . كما يفعلون في بعض انحاء اوربَّة لتطهير شجرة الكرم من حشرة تقرض اوراقها تدعى غريبوري (gribouri) فيهزُّون الجفنة هزًّا شديداً فتتساقط الحشرات في وعاء مجهَّز لذلك فيقتلونها — وتُصاد حشرات اخرى ليليَّة بواسطة النور لا سيَّما بعض الفراشات التي تؤذي شجر البساتين والكرم . فتوقد في الجنينة بعض السُّرج ذات النور الساطع كالاسيتيلين من مسافة الى أخرى . ويوضع كلُّ سراج في لكَن او دست مملوء من الماء مع كميَّة قليلة من الزيت القيِّم الفاسد فتتهافت الحشرات الى النور وتسقط في الدست ميتةً فيقلّ عددها

وقد سبق القول انَّ الانسان شركاء في مقاتلة الحشرات فغنيٌّ عن البيان انهُ ينبغي على كلّ ارباب الزراعة بل على جميع الناس لحاجتهم الماسَّة الى الحبوب والغلَّات والفواكه ان يحرسوا ويعتنوا بوقاية وتنمية اعداء الحشرات الضارَّة ولا سيَّما خشاش الطير المساعد للزرَّاع في اتلاف الهوامّ والدود الضارّ . ومن ثمَّ ايسَّاهم ان يدَعوا الاولاد يعيثون باعشاشهم او يصطادونهم بالدبق

يروي التاريخ عن فردريك الثاني الكبير ملك بروسية انهُ سمع في بستان بلاطهِ في بُسطدام زَقزقة العصافير التي كانت تنقر ثمار شجرة الكرَز فتأتف منها وجعل درهماً لكلّ من يأتيهِ بزوج منها . فما مرَّ عليهِ ثلاث سنوات حتَّى فني جنس العصافير لكنَّ عدد الحشرات وضروب الدود المؤذية بلغ مبلغاً عظيماً فاتلف كلّ ثمار الشجر مع بقيَّة غلَّات البستان فعكس فردريك فعلهُ واعطى درهماً لكل من يأتيهِ بزوج من تلك الطيور

ولعلّ زرَّاع سوريَّة الداخليَّة يأخذهم الاندهاش لدفاعنا عن العصافير مع ما

يُعرف من نفعهم وأذاهم للغلات . نجيب انّ كلامنا عن العصافير الاهليّة التي تسكن في ظهرانينا في المدن والقرى طول السنة ولا يُعرف جنس آخر سواها في اوربة . امّا ما يدعوهُ الاهلون بالعصفور الدوري الذي يأتي في آخر الربيع الى نهاية الحصاد ويسمن من غلّاتنا فلا يعرفهُ اهل اوربة وانّما هو خاصّ ببلادنا وآفة من آفاتها ولذلك لا بأس من صيده ومحاربته على خلاف الجنس المستوطن بيننا فانّ خدماته اوفر كثيرًا من أذاه ببعض الثمار

ولكن دعنا من الطيور ولنعودنّ الى الحشرات . أفلا يمكن يا ترى ان نستخدم لمكافحة الحشرات الضارّة بالزراعة حشرات أخرى تعاديها وتتلفها وتريح الناس من شرّها . هو سؤال القاهُ بعض علماء الزراعة واجابوا عليهِ بالايجاب بعد البحث المدقّق . وهذا ما سنبيّنهُ في الصفحات التالية فنثبت ما يوجد في الطبيعة بعنايته تعالى من التوازن والنظام اذا رُوعيت الشروط المقولة في ذلك لاكتشاف الحشرات النافعة وتسليطها على الضارّة ثم لاتخاذ بعض الوسائل لاتلاف هذه الهوامّ المفسدة عند تقصير الحشرات النافعة عن أداء عملها (١

٥ مقاتلة بعض الحشرات الضارة بأضدادها

﴿ ١ إيسريا بُرخاري ﴾ أشرنا اجمالًا الى هذه الحشرة (ص ٥٠٢) في مطاوي كلامنا عن الحشرات المتطفلة وانّما ينبغي العود الى ذكرها لكثرة انتشارها وفظاعة مساوئها حتّى في بلادنا الشرقيّة . اصل هذه الدودة من اوستراليا وهي الدُّ اعداء الاشجار المثمرة . تشبه الشبه التامّ دودةً أخرى يستفيد منها اهل الهند بعد تربيتها فيدقّونها ويتّخذون منها صبوغًا احمر قانئًا وانّما هذا الجنس لا بأس منهُ . وبهِ تعلم كم تختلف الاشياء في منافعها ومضارّها

كانت الزحفة الاولى للدودة الاوستراليّة على حدائق كليفورنية . فانّ اهل تلك البلاد بعد نفود مناجم ذهبها اصبحت موردًا جديدًا لغنى اهاليها بما زرعوهُ في تربتها المخصبة من الاشجار المثمرة كالليمون والتفّاح والخوخ والاجاص الخ . فاتت باثار غاية

١) اطلب مجلّة الابحاث الدينيّة Etudes Religieuses, 5 *Avril et* 5 *Mai*, 1917; *cfr aussi* Annales de l'Institut agronomique, 2e *Série*. t.vi. *fasc*,2,1917

في اللذة كان يتزاحم عليها زُبناء العالمين. فلمّا كانت السنة ١٨٧٠ لاحظ بعض الملاكين انّ اشجارهم قد اكتست ببقع شبيهة بالبرص يعقبها ذبول الى أن تتلف فدُعي الاختصاصيّون لفحصها واعالجتها. فما لبثوا ان وقفوا على سبب الآفة فاذا هي حشرات دقيقة لم تُعرَف سابقاً في اميركة كانت تساور الاشجار في عدد لا يُحصى من ساقها الى ادقّ اغصانها فتمتصّ مائيتها. وبعد البحث الطويل تحقّقوا انها كانت انتقلت من اوستراليا سنة ١٨٦٨ ملتصقة بعضنف من اشجار الاكاسيا. وممّا ثبت لهم بالتجربة انّ كل حشرة منها تناسل ثلاث مرات في السنة ولا يقلّ النسل الواحد عن ٥٠٠ الى ١٠٠٠ بيضة فيبلغ سرُو الواحدة وذرّها في السنة العدد المهول ١٢٥ مليوناً

انتشرت الدودة بسرعة في انحاء الولايات المتحدة سنة ١٨٧٧ ثمّ تخطّت الى زيلندة الجديدة وبلغت الى مستعمرة الكاب والى جزائر الاوقيانوس الهادي (سنة ١٨٨٠) والمرجّح انها هي الدودة عينها التي شاعت في مصر سنة ١٨٨٠ فدُعيت هناك باسم ايسريا المصرية (Icerya Ægyptiaca). وفي السنة ١٨٨٠ ظهرت في البورتغال زاحفة اليها على الاصحّ من جزائر الأسور. ثمّ صارت النوبة لايطالية قريبا من نابولي وتعدّت الى سواحل الشام ثمّ ارخبيل اليونان فدالماتية فصقلّية. ثمّ انتهت الى نيس جنوبيّ فرنسة حيث يثمر فيها وجدها شجر الليمون

امّا الفخر في اكتشاف الواسطة لمحاربة هذا الداء العياء فانه يعود الى المكتب الزراعيّ في الولايات المتّحدة فان الفرع المختصّ منهُ بالحشرات الزراعيّة كدّ جبينهُ وسعى للسعي المتواصل الى أن عرف عدوّ الايسريا. وذلك انّ اعضاء المكتب المذكور اذ بلغهم انّ اصل هذه الحشرة من اوستراليا اوفدوا واحداً من علمائهم ليأخذ عنها المعلومات الوافية فيقف على اضرارها والطرائق المستعملة لمقاتلتها. فما عتّم أن وجدها هناك على عدّة اشجار من جملتها الاكاسيا لكنّ الاوستراليين لم يبالوا بها ولم يشعروا بآفاتها. واذ دقّق البحث في هذا الامر الغريب وجد ان بعضاً من الهوامّ الصيّادة والحشرات المتطفّلة تُناصبها القتال فتكاد تتلفها

فلمّا تحقّق ذلك فكّر في نقل تلك الحشرات المعادية لـلايسريا. واذ رأى أن نَقلها حيّةً في الحال لقصر عمرها عمد الى بيضها فركّبهُ على دودة الايسريا ونقلهُ هكذا بالتبريد الصناعيّ لكي يصير تنقيسهُ في الولايات المتحدة. لكنّ هذه

الامتحانات المجدَّدة مدَّة سنتين لم تأتِ بنتيجة مُرضية . فجرَّب حينئذٍ العالم الاميركي الحشرات الصيَّادة فاختار منها اجناساً من جملتها حشرةٌ نهمة تدعى نوفيوس كردينالس (Novius cardinalis) نقلها مع نباتٍ حيٍّ لتغتذي به في الطريق فجاءت نتيجة عملها طبق المرام ثمَّ ربَّاها في اقفاص فلم يمرَّ عليها زمن طويل حتَّى توطَّنت البلاد الجديدة ونمت فيها ثمَّ أُطلق سراحها في الجهات الموبوءة فنظَّفتها بوقت قليل من دودتها المفسدة . ومن عجيب امر هذه الهامَّة الصالحة انَّها تنسل ستَّ دفعات في السنة وتبيض كلَّ دفعة ٢٠٠ بيضة . فيبلغ عدد مواليد الحشرة الواحدة ومواليد نسلها في السنة ألفَي مليار فتأمَّل !

فتسارع ارباب الزراعة في كلِّ الانحاء ان يلتجئوا الى نفس العلاج فأتى بالنتيجة عينها واصبح ضرر الايسريا زهيداً لا يُكترَث له

ومن المحتمل أن الظروف تساعد ارباب الزراعة على مناهضة اشكال غيرها من الحشرات المضرَّة بوجود الهوامّ المعاكسة لها الَّا ان ذلك يستدعي شروطاً خصوصيَّة لا تتمُّ الَّا بدرس الحشرات وطباعها والاحوال الموافقة لوجدانها والحذر من وقوعها في حكم حشرات متطفِّلة تناصبها وغير ذلك

٢ الحشرة المتلفة للغابات هي الفراشة المدعوَّة ليباريس دِسبار (Liparis dispar) التي لمَّحنا اليها في اوَّل المقالة (ص ٩٤٣) فدونك خلاصة اخبارها . كان في بوستون نحو السنة ١٨٧٠ تاجر فرنسويّ الاصل يبحث عن الحرير واستنتاجه فخطر له أن يستحضر من اوربَّة الفراشة المذكورة ليجرِّب فيالج دودتها لعلَّه ينال بها حريراً غير حرير دود القزّ يغتني به . فحدث انَّ القفص المودعة فيه تلك الفراشات انقلب صدفةً فطارت منهُ الفراشات المذكورة وحطَّت على اشجار قريبة . فلم يُبالِ احد بامرها . لكنَّهُ بعد سنين قليلة وجدوا انَّ الغابات المجاورة لبوستون قد تلفت بفعل دودة تحقَّقوا انَّها دودة الليباريس المتناسلة من الفراشات الفارَّة من القفص . ثمَّ سرت الدودة من مقاطعة الى اخرى حتَّى بلغت خمس ولايات متاخمة لولاية ماساشوستس فعاثت كلَّ العيث في غاباتها وأفسدتها

على انَّ الاميركيين لم يصبروا على هذه الجائحة فاخذوا يبحثون عن الوسائل ليتلفوا تلك الدودة وصرفوا منذ السنة ١٨٧٩ الى ١٩١٣ نيفاً ومئة مليون فرنك

لهذه الغاية ليصونوا غاباتهم من شرّ ذلك العدوّ الالدّ ويحرسوا الغابات الممتدة على طول ٦٠٠ كيلومتر التي لتقرّب الدودة لليباريس منها .

وفي اثناء ذلك كان مكتب المزروعات في الولايات المتّحدة لا يألو جهدهُ في طلب الدواء لذلك الداء العُضال فوجّه بعض اعضاء فرعهِ المختصّ بدرس الحشرات الى بلاد مختلفة حتّى اقاصي اوربة وآسية كروسيّة واليابان لعلّهم يجدون الحشرة القاتلة لحشرة الليباريس فينقلونها الى اميركة . وكانوا حيثما يحلّون يستحثّون عن وجود الليباريس وطباعها ومضارّها وما يقوم في وجهها من الحشرات المعادية لها . فتوفّقوا الى اكتشاف كثير منها في بلاد شتّى فكانوا يودعونها في صناديق مجهّزة لذلك فيرسلونها الى اميركة ليبحثوا عنها بحثاً حفيًا ويربّوها تربية نظامية اذا وجدوها صالحةً لمقاتلة الليباريس . فتراكمت في بوستون تلك الارساليّات واجتمع العلماء الطبيعيّون للقيام بامر الحشرات المتطفّلة على الليباريس وتوليد بيضها وتربية دودها وفحصها بالمجهر لئلّا تأوي اليها بزرةُ هامّةٍ اخرى فتقاتلها . ففي السنة ١٩١٣ كان هؤلاء العلماء قد تمكّنوا من توطين خمسة اجناس من الحشرات المتطفّلة على الليباريس اتتهم من انحاء شتّى مع اهتمامهم بتربية غيرها . ولا شكّ انّ الحرب الكونيّة التي نشبت بعد ذلك بين الدول الاوربيّة آذنت ايضاً الحشرات المعدّة لمحاربة الليباريس بقتال عدوّة الغابات والفتك بها ونجاة الاحراج من شرّها

﴿ ٣ الحشرة المفسدة القطن ﴾ يعلم القرّاء أن الولايات الواقعة في جنوبي الولايات المتّحدة غنيّة بمزارع القطن . لكنّ لهذا النبات اعداء يتهافتون عليهِ في مظانّهِ اشدّهم ضررًا بهِ سوسةٌ صغيرة يدعونها بلسان العلم انثونوم « Anthonomus grandis » طولها ٧ ملترات لها دودة تندسّ عند خروجها من البيضة في حُقّة القطن فتفترس خيوطهُ الثمينة التي بها تجهّز الاكسية البشريّة ومنها ايضاً لسوء الحظّ تتّخذ المواد الانفجاريّة للحرب

كان دخول هذه الحشرة في الولايات المتّحدة سنة ١٨٩٢ زاحفةً اليها من بلاد المكسيك فأخذت تعيث في مزارعها القطنيّة وألحقت بها من الاضرار في عشر سنوات ما قدّروا قيمتهُ بمائتين وخمسين مليونًا من الفرنكات دون ان تنجح في مقاتلتها عدّة وسائل توسّل بها الاميركيّون ومن جملة ما التجأوا اليهِ ايضاً الحشرات الماكلة .

للانشونوم والبالغ عددها ٥٤ صنفاً مختلفاً فما ادركوا الغاية المقصودة

ثمَّ نهض المكتب الزراعيّ وفرعهُ المختص بدرس طباع الحشرات لمساعدتهم ببحثهِ عن خواص حشرة القطن وشروط غذائها ونموها . فتحقَّق بالتجربة انَّ هذه السوسة تهلك غالبا اذا فرغت من قوتها في الخريف قبل جمودها في الشتاء . فأمروا اصحاب المقاطن أن يقلعوا كل الاغراس بعد قطف قطنها وان يسبقوا زرع الاغراس الجديدة ليجاوا قطنهم قبل الخريف فيختاروا لذلك الاجناس السريعة النموّ

وممَّا وقفوا عليهِ انَّ حشرات اخرى غير الانشونوم تقرض القطن في زمن باوغها ان لم تجد غيرهُ قوتاً لكنَّها في طور حياتها الدودية تغتذي من لحم الانشونوم فزرعوا لها حول المقاطن نباتاً برّيًّا تغتذي منهُ البالغة الى عهد تفقيس بيضها فاذا حان وقت نقفها حصدوا ذلك النبات فتجمد الحشرات على المقاطن لتنجو من المجاعة وتنسل عليها دودها الذي يُغير على دودة القطن فيتلف كثيراً منها . فترى كيف تختلف وجوه القتال على اختلاف الحشرات الضارّة

﴿٤ الحشرة المفسدة للاثمار﴾ دونك ساحةً وغىً اخرى تحارب فيها ذبابةٌ صغيرة ذات اجنحة شفَّافة مبرقشة بسواد يدعوها الانكليز بذبابة البحر المتوسط (Mediterranean Fly) واسمها بلسان العلم «Ceratitis capsitata» لها في بلاد اوسترالية الغربيّة وافريقية الجنوبيَّة غارات شعواء على اثمار حدائقها

فمن اين اصلها يا ترى ؟ وما علاجها ؟ فهذا ما بحثت عنهُ حكومة اوسترالية فأوفدت احد علمائها سنة ١٩٠٣ فاستنتج هذا من اسمها الانكليزيّ ان منشأها في سواحل البحر المتوسط فزار البلاد الواقعة بقربهِ كفرنسة وايطاليا واسبانيا والجزائر وتونس فثبت لديهِ انَّ كلَّ هذه البلاد تعرفها وتتأذَّى منها دون ان تعلم لها نجعم يعاديها . فلم ييأس المذكور بل استدلَّ من وجودها في اسبانية انها سرت الى تلك البلاد من المستعمرات الاسبانية او من البلاد التي تعامل اسبانية فزار جزائر الفيليبين والصين واليابان وسواحل الهند دون جدوى . فعاد الى وطنهِ خائباً الَّا انهُ في السنة التالية ١٩٠٤ وما يليها الى السنة ١٩٠٧ قصد مرارًا بلاد البرازيل ثم ولايات الهند فوجد عدَّة حشرات صيَّادة او متطفلة تُقاتل الذبابة المؤذية لكنَّهُ ضاق ذرعاً مع ما توسَّل بهِ من الوسائط عن نقلها حيَّةً الى بلاد اوسترالية

فبقي الامر كذلك حتى تحفز احد الايطاليين للتفتيش عن حشرة وافية بالغرض فطاف في جهات المعمور ليفتش عنها وعن حشرة اخرى تقرض في ايطالية شجر الزيتون فرجع وبصحبته عدة حشرات صيادة او متطفلة كان يرجو من تربيتها خيراً. ففي السنة ١٩١٣ كانت اختباراته جارية جرياً حسناً ولم نعلم ما حدث بعد ذلك. وكفى بذكر هذه المساعي لبيان همة الدول في مقاتلة الحشرات الضارة بالفلاحة والزراعة وما تتكلفه من المبالغ الطائلة لصيانة مزروعاتها

﴿٥ الحشرة المفسدة للكمثرى﴾ الكمثرى هو الاجاص في الشام وبه دُعيت هذه الحشرة (Taeniothrips Piri) لأنها تعيث به وبالتفاح خصوصاً وهي فراشة من فصيلة المهدبات الاجنحة (Thysanoptères) لأهداب توجد في اجنحتها العليا القصيرة. وقد اجتاحت آثار بلاد كاليفورنية والمرجح انها انتقلت اليها من فرنسة او من انكلترة حيث افسدت سابقاً اشجارها فهذه الحشرة كما روى عنها الثقة تمتص مائية الشجرة فتمنع عن النمو براعمها وزهورها وتجعد اوراقها وتسبب سقوط ثمرها قبل نضجه. اما مداواة الشجر فتصير بالرش عليها من مزيج البترول والنيكوتين المدوفين في ماء الصابون فترش اولاً في اوائل آذار قبل الازدهار ثم ترش ثانية بعد ذلك باربعة الى عشرة ايام. واذا استحكم منها العدو فترش ثالثة بعد سقوط ورق زهرها الا انها ترش هذه الدفعة من اسفل الى العلو ليصيب المزيج ظهر الاوراق حيث تعيش الحشرة كما أصيب باطنها بالرشين الأولين. وفي الخريف تعزق الارض فتتلف الحشرات الساقطة عليها. وهكذا ينجو الثمر من آفتها

﴿٦ الحشرتان المفسدتان للبرسيم والقت﴾ شاعت حشرة البرسيم (Cécidomie du Trèfle) في ولاية ايلينوا من اعمال اميركة فأفسدت ما شاعت من هذا العلف الثمين. والحشرة المذكورة هامة صغيرة ترصد ذلك النبات عند ازدهاره فتلقي في كل زهرة بيضة من بيضها فاذا نقفت افترست دودتها حبوب البرسيم فلا يبقى منها ما يزرع للسنة القابلة ثم تتحول الدودة الى عروس ثم تكتسي بجناحيها في آب فتبيض وتتقلب في اطوارها الى ان تبلغ تمامها في الربيع وهلم جرا. اما مقاتلتها فبمجاعتها. وذلك بان يُحصد البرسيم قبل ان تقوى الدودة على افتراس حبوبه فيبس وتهلك الدودة بيبسه ويهلك نسلها بهلاكها. أجل ان الزارع يفقد حبوب البرسيم الا انه

الاستعاضة عنها سهلةٌ ويأمن في العام التالي من شرور تلك الدويبة

امّا حشرة الفِصْفِص (luzerne) او القتّ فقد وجدوا لها عدوًا يناجزها القتال في جهات نابولي في ايطالية . وهي حشرة صالحة يسعون بتربيتها وتوفيرها ثمّ يطلقونها في مراعي القتّ فتطهّرها من هوامّها المفسدة

فترى انّ طرائق الحرب تختلف حسب اختلاف العدوّ وتوجب الاطّلاع على طباعهِ ومعرفة الهوامّ القاتلة لهُ

﴿ ٧ قرادة حُمّى تكساس ﴾ هذه القرادة تشبه ذُبابة الكلب وهي تنفث سمّها في الدوابّ لاسيّما في جنوبيّ الولايات المتّحدة فتُضْنيها وتُودي بها . وقد توصّل الاميركيون الى اهلاكها جوعاً بطريقة انيقة وذلك انّهم دقّقوا في مراقبة طباعها فعرفوا : ١ انّها لا تتعرّض للحيوانات البرّيّة الصغيرة من ذوات الثدي وانّما تستهدف البقر والخيل والبغال . ثم ٢ انّ الانثى عند وضعها لبيضها الوافر العدد تسقط الى الحضيض . ٣ ثم ان بيضها لا يفقس الّا بعد ٢٠ يوماً من وضعهِ فتصعد الدودة فوق اعشاب الحقل وتنتظر هناك مرور احد الدوابّ فتلتصق بهِ . ٤ ثم اخيرًا انّها اذا تشبّثت بهِ تبقى لاصقةً بلحمهِ الى يوم وضع بيضها على خلاف بقيّة القردان كقراد الكلب مثلًا فانّها تتساقط على الارض في اطوار حياتها المختلفة

فاستنادًا الى هذه المعلومات اخذوا ينقلون دوابّهم في زمن وضع القردان لبيضها الى مكان خالٍ منها فيدَعونها هناك ٢٠ يوماً فقط فتسقط الاناث على الارض لتفريغ بيضها فعند سقوطها تُنقل الدوابّ الى مأمن من أذاها حيث تتملّص ثانيةً من قرداتها الاناث . ثمّ تُنقل بعد ٢٠ يوماً الى محلّ آخر أنظف وآمن . وفي تلك الاثناء يُفقس البيض وتخرج الدودة فترقى على الأعشاب واذ لا تجد في طريقها دابّة تلتصق بلحمها تهلك جوعاً وهكذا تنجو الدوابّ من شرّ هذه القردان ثمّ تطهر منها المروج والمراعي بعد اشهر قليلة وهكذا توارت تلك الحُمّى الخبيثة التي عجز العلماء عن مداواتها

وخلاصة المقال انّ في الطبيعة حشراتٍ دقيقةً لا يفي بها الاحصاء وكثير منها يناصب الانسان في مزدرعاتهِ وماله الناطق والصامت الّا انّ الله وضع الدواء موازياً للداء فعلى المرء ان يبحث عنهُ بجدٍّ ونشاط ريثما يلقى ما يكفيهِ شرّ اولئك الاعداء

وممّا يجب عليهِ الاحتراس منه ان يراقب ما يأتيهِ من الخارج من نبات اجنبيّ

لئلّا يلج معه في الوطن الحشرات الضارّة. وهذا ممّا يتحتّم خصوصاً على الدواوين والجمارك وفقاً للقوانين التي لم يرعها غالباً عمّال الاتراك في عهدهم بفعل الرشوة

وآخر ما يُستفاد من هذا الدرس ان العدوّ الذليل الحقير ربّما أتى بالأذى الكبير فلا يحسن بالانسان ان يستخفّ به. فكم حقير ذلل جبّاراً. وكم تغلب البعوضة الصغيرة رئيس السباع بابرتها كما قال الشاعر:

لا تحقرنّ عدوّاً في مخاصمة ولو يكونُ ضعيفَ البطش والخادِ
فالبعوضة في الجُرح المديد يدٌ تنالُ ما قصّرتْ عنهُ يدُ الأسدِ

النصرانيّة وادابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر: الفنون الجميلة بين نصارى العرب (تابع)

٤ فنّ الموسيقي والغناء

الموسيقي من اجلّ الفنون الجميلة غايتها تأليف الالحان وتناسب النغمات وتنظيم الاوزان المحرّكة للنفس تحريكاً ملذّاً. فمنها الموسيقي الطبيعيّة لتلحين الاصوات البشريّة والآليّة المتّخذة من آلات الطرب كالعود والارغن. وكلتاهما امّا دينيّة لتمجيد الله وتحريك القلوب على خدمته وامّا مدنيّة ليسلو بها الانسان عن اشجانه وتطرب بنغماتها الصدور وتتشنّف بالحانها الآذان فتهيّج في سامعيها مختلف العواطف اللّيّنة او الشديدة المحزنة او المبهجة على حسب ايقاعها. ولذلك قال بعضهم انّ الغناء غذاء الارواح كما انّ الشراب غذاء الاشباح

ولم يكن العرب ليجهلوا هذا الفنّ وبعض اصوله في الجاهليّة كما يؤخذ من

روايات شتّى اثبتها ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الشهير بالأغاني وربما دلّ على بعض اوزانه ونغماته بمفردات كان اصطلح عليها قدماء المغنين فكشف بعض المحدثين شيئاً من اسرارها (١

هذا في غناء اهل الحضر امّا عرب البادية فلم يعرفوا الّا القليل من هذا الفنّ كالحداء لسوق ابلهم وكالبسيط من التلاحين يسمّونها بالترنّم والتبليل والسناد والهزج. قال ابن خلدون في المقدّمة (٢: ٣٥٩ من طبعة باريس): «وهذه كلّه من اوائل التلاحين لا يبعد ان تتفطّن له الطباع من غير تعليم شأن البسائط كلّها من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بدواتهم وجاهليّتهم»

ولا نشكّ انّ نصارى العرب في الجاهليّة احرزوا لهم فخراً في هذا الفنّ كما اصابوه بالفنون الجميلة السابق ذكرها وذلك في قسمَي الموسيقى الدينيّة والمدنيّة معاً

﴿الموسيقى الدينيّة﴾ اثبتنا في ما سبق لنا من الكلام كم كان لنصارى العرب من كنائس واديار وصوامع ومقامات دينيّة شتّى في كلّ انحاء الجزيرة في شمالها وجنوبها واواسطها. تقام فيها الحفلات الدينيّة. ومن المقاوم انّ الرتب النصرانيّة تباشر غالباً بالغناء والترتيل سواء أُنشدت التسابيح التقويّة او تُليت المزامير والصلوات الفرضيّة وذلك منذ اوائل النصرانيّة كما ورد في رسائل القديس بولس حيث قال لاهل افسس (٥: ١٨–١٩): «امتلئوا من الروح متحاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح واغانيّ روحيّة ومرنّمين ومرتّلين في قلوبكم للرب». ومثلهُ قوله لاهل كولسيّ (٣: ١٦)

وقد ورد في كتب العرب انّ الرهبان كانوا اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنّموا بالالحان واستراحت اليه انفسهم. وقال الابشيهيّ في المستطرف في كلّ فنّ مستظرف (٢: ١٧٧): «لاهل الرهبانيّة نغمات والحان شجيّة يمجّدون الله تعالى فيها ويبكون على خطاياهم ويتذكّرون نعيم الآخرة» وقد قيل في مغنٍّ منهم (ياقوت ٢: ١٩١)

١) اطلب مقالات حضرة الاب كرلنجت عن الموسيقى العربيّة في المجلّة الاسيويّة الفرنساويّة Journal Asiatique, 1902

اذا رجّع الانجيل واهتزّ عانداً تذكّر محزونٌ وحنّ غريبُ
وهاج لقلبي عند ترجيع صوته بلابلُ اسقامٍ به ووجيبُ

وقيل في غيرهم (٢ : ٦٩٥) :

اني طربتُ لرهبان بجاوبة بالقدس بعد هدوّ الليل رُهبانا

وفي الشعر الجاهلي الفاظ اطلقوها على غناء القسوس والرهبان. فيقولون «هيّنم القسّ» اذا نغّم بخفوت الصوت. قال ابن بن خُرَيم يشير الى تقديس الكأس عند النصارى (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسّ المهيّنم ناقوسها طروقاً ولا صلّى على طبخها خبزُ

ومثلهُ «زمزم» اي طرّب في صوته خفيًا. قال الاعشى في المعنى (شعراء النصرانيّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بينها وإن ذُبحت صلّى عليها وزمزما

واذا رفع صوتهُ بالدعاء قالوا «سبّح» وانشدوا :

وما سبّحَ الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ايلُ الايلين المسيحُ بن مريما

واذا تغنّى القسّ بقراءته قيل شمعل. واذا اطلق صوتهُ بالدعاء قيل جأر. قال ربيعة بن مقروم في وصفه راهباً (الاغاني ١٩ : ٩٢)

جأّار ساعات النهار لربّهِ حتّى تخدّد لحمهُ متشمعلِ

(قال) المتشمعل المتغني في تلاوة الزبور. وقال عديّ بن زيد النصراني يقسم برئيس دينه :

انّي واقٍ فأقبلْ حلفتي بأيلٍ كلّما صلّى جأرْ

وقولهم «رجّع الانجيل» اذا ردّد نغماته في حلقه. وقد مرّ. ومثلهُ التلحين في قراءة الانجيل. وجاء في الحديث (ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٩ وفي الجامع الاصغر) : «اياكم ولحون اهل الكتابين. اي التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى فانهم كانوا يراعون حُسن الصوت ولا يلتفتون الى تدبّر المعنى» (كذا). فمن هذا كلّهِ ترى ما كان من المقام السنيّ للغناء الديني بين نصارى العرب

ولمّا ظهر الاسلام وشاع القرآن بين اهلهِ اخذوا قراءتهُ وتلحينهُ من قراءة

وتلحين نصارى العرب. روى الفاكهي في كتاب اخبار امّ القرى (ص٩) عن عائشة قالت: سمع النبي صلعم قراءة ابي موسى الاشعريّ فقال: لقد أوتي هذا من مزامير داود. وجاء في الحديث في الجامع الاصغر (اطلب ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٧و١٨): «سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيّة والنَّوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم بقارب من يعجبهم شأنهم». وروى ايضاً في الحديث: «اقرأوا القرآن بلحون العرب واياكم لحون اهل الكتابين»

﴿ الموسيقى المدنيّة ﴾ راجت في الجاهليّة في دور الملوك من تبابعة وغساسنة ومناذرة. وقد عرف القرّاء من فصولنا السابقة نفوذ النصرانيّة بين هؤلاء الملوك الذين تقلّدوا في افراحهم عادات الشعوب المجاورة لهم لا سيّما اليونان والفرس والروم والدليل على ذلك ما قالـه المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٩٩): «انّ العودَ عند اكثر الامم وجُلّ الحكماء يونانيّ صنعةُ اصحاب الهندسة على هيئة طبائع الانسان. ثمّ انّ كثيراً من الالفاظ الدالّة على ادوات الغناء دخيلة فممّا استعاروهُ من الروم الارغن (ἀργανον) والبَربط (βαρβιτος) والسَّنطور (καντηλον) والقانون (κανων) والقيثار (κιθαρα) وكانوا يأتون بالقيان الروميّات وغيرهنّ كما روى حسّان بن ثابت في وصفه لبعض الحفلات التي احتفل بها ملك غسّان جبلة بن الايهم قال (اغاني١٦ : ١٥): «لقد رأيت عشر قيان خمس روميات يغنّين بالروميّة بالبرابط وخمس يغنّين غناء اهل الحيرة» اهداهنّ اليه اياس بن قبيصة

ومنهُ يتّضح انّ الغناء والادوات الموسيقيّة استعارها العرب من الامم المجاورة لا سيّما النصرانيّة. امّا اهل البادية فبقي هذا الفنّ بينهم في بساطته على موجب معرفتهم الفطريّة. وقد شهد على ذلك ابو الفرج في كتابه الاغاني قال يذكر عمر بن الخطّاب اوّل الخلفاء الراشدين ومقتدًا قول ابن خرداذبه (٨ : ١٣٩):

«ولا كان الغناء العربي ايضاً عُرف في زمانه الاّ ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء وذلك جارٍ مجرى الإنشاد الا انهُ يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت . . . واوّل من دُوّنت لهُ صنعته منهم (اي من الغناء) عمر بن عبد العزيز فانهُ ذُكر عنهُ انهُ صنع في ايّام امارته على الحجاز سبعة الحان . . . ومن الناس من ينكر ان تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة . . . ولم يوجد في وقت من الاوقات ولا حالٍ من الحالات اشتهر بالغناء ولا عُرف به ولا بمباشرة اهله . . . وخالفوهم قد ايّدتهم اخبارٌ رويت»

. وفي ايّام بني امية اشتهر اوّل المغنّين من العرب وهم : ابو يحيى عبيد الله بن سريج المتوفّى بالجذام في زمن هشام بن عبد الملك . ثمّ ابو الخطّاب مسلم بن محرز وكان اصلهُ من الفرس . ثم سعيد بن وهب كان ابوه اسود وكان هو خلاسيًا مات في ايّام الوليد بن يزيد في دمشق . ثمّ الغريض واسمهُ ابو يزيد وقيل ابو مروان عبد الملك . وابو الوليد مالك بن ابي السمح . وسبقهم ابو عثمان سعيد بن مُسجح وكان في ايّام معاوية .

ولا شكّ انّ نصارى العراق والروم مع اهل فارس هم الذين علّموا هؤلاء فنّ الغناء . قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (ص ٣ : ٨٤) وقولهُ حجّة في هذا الباب في ترجمة ابن مُسجح انهُ :

« مكّي اسود مبنيّ متقدم في فحول المغنّين واكابرهم واوّل من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس الى غناء العرب ثمّ رحل الى الشام واخذ الحان الروم والبربطيّة والاسطوخوسيّة (اي تنظيم الاوزان συστοιχία) وانقلب الى فارس فاخذ بها غناء كثيرًا وتعلّم الضرب . ثمّ قدم الى الحجاز وقد اخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبحهُ من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنّى على هذا المذهب فكان اوّل من اثبت ذلك ولحّنهُ وتبعهُ الناس بعد ... وهو الذي علّم ابن سريج والغريض »

وجاء لهُ في محلّ آخر عن الغريض (٢ : ١٤٦) :

« قال هارون بن محمّد الزيّات حدّثني حمّاد بن اسحاق عن ابيهِ انّ الغريض سمع اصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها فقال لهُ مَن معهُ : يا ابا يزيد صُغ على مثل هذا الصوت لحنًا نصاغ مثلهُ في لحنهِ : « يا امّ بكرٍ ... » فاستمع باحسن منهُ »

فترى تأثير غناء النصارى والرهبان في الغناء العربيّ في الاسلام . ولنا ما هو اشهر من ذلك نزيدُ بهِ ترجمة بعض المغنّين من الذين ذكرهم ابو الفرج وغيرهُ من كتبة العرب . فمنهم حُنَيْن الحيري من فحول المغنّين روى ابو الفرج ترجمتهُ (١ في الاغاني (٢ : ١٢٠–١٢٧) وقال هناك انّهُ من العباديين واخوالهُ من بني الحرث ابن كعب النصارى كان في ايّام بني اميّة وهو من اهل الحيرة وكان مغرمًا بالغناء فاتّصل الى أن نبغ فيهِ وفي صناعة العود وكان نسيج وحدهِ في العراق فبلغ خبرهُ المغنّين في الحجاز ابن سريج والغريض ومعبد فكتبوا اليهِ ووجّهوا اليهِ نفقةً

١) اطلب مجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ. As., 1873b, 425-433)

ليشخص اليهم فخرج الى الحجاز ومات في بيت سكينة بنت الحسين بن علي ابي طالب وذلك لأن الناس كانوا ازدحموا على سطح بيتها ليسمعوا غناءهُ فسقط الرواق ومات حنين تحت الردم . وجاء في الفهرست لابن النديم (ص ١٤١) انَّ لاسحاق الموصليّ كتاباً في اخبار حُنَيْن الحيريّ

واشتهر في الغناء في اوائل الاسلام من النصارى غير حنين . منهم عَوْن الحيريّ وكان عابدياً ايضاً ذكرهُ صاحب الاغانيّ (٢ : ١٢٥ و١٠ : ١٣٥) . وذكر برصوما المزمّر (٥ : ٣٤ و٤٦ الخ) وذكر غير هؤلاء الحيريين وبه يثبت قولنا انَّ النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام فضلًا في اشاعة الغناء والموسيقى العاميَّة والمدنيَّة كما اشاعوا بين العرب الغناء والموسيقى الدينيَّة . وكانت طريقتهم في الغناء على النمط القديم المستحسن الى ان اشتهر في ايَّام الرشيد اخوه ابراهيم بن المهديّ الذي قال عنهُ ابو الفرج في الاغاني (٩ : ٣٥) انهُ « هو اوَّل من افسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً الى الجسارة على تغييره » (لهُ بقيَّة)

كيف يقرأ ويكتب العميان ؟

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعيّ

انَّ العمى لمن أعظم العاهات التي تصيب الانسان في هذا وادي الدموع فتنغّص عيشهُ حتَّى يعاف الحياة . يا لها من لياقٍ ليلاء يهيم فيها الضرير آناء الليل واطراف النهار لا يتمتَّع ولو ثانيةً في عمرهِ بلذَّة النور وبهاء الطبيعة وجمال مواليدها المختلفة فكأني بهِ مَيْتٌ قبل مماتهِ ميتٌ يجول بين الاحياء ويكاد لا يبتمدّ شيئاً يُذكر من خيرات الحياة وحظوظها . ولو فرضنا انهُ تعلَّم حرفةً ومارسها لكسب معاشهِ بدون ان يمدّ يدهُ مستعطياً فانَّما ذلك يكفل لهُ حياتهُ المادّية . امَّا الحياة العقليَّة التي تفوق الاولى تفوّق الانسان على العجماوات فأنَّى لهُ ان يُغذيها ويُنميها وهو لا يستطيع المطالعة ولا الكتابة وكلتاهما — ولاسيَّما القراءة — اهمُّ والزم الوسائط

لبلوغ تلك الغاية ؟ ولو اعتبرنا انَّ اشغال الضرير اليدويَّة محصورةٌ في دائرة ضيقة ومن جهة اخرى انهُ في غالب الاحيان محرومٌ من مؤانسة بني جنسهِ معتزل عنهم نوعاً فانَّهُ ليتبادر الى اذهاننا انَّ فاقد البصر لأشدُّ حاجةً من سواه الى تفكيهِ خاطرهِ وتثقيف عقلهِ بمطالعة بعض الكتب المُمتعة المفيدة فانَّ الكتاب للاعمى بمثابة لوح النجاة للغريق. هو نديمهُ وسميرهُ وانيسهُ وجليسهُ في كلّ آن واين يُنسيهِ مرارة محنتهِ ويُتحف عقلهُ بانواع المعلومات. ينتشلهُ من عالم الحقيقة المحسوسة المؤلمة فيصعد بهِ على اجنحة الفكر الى عالم الحقائق المعقولة السارّة. فلا غرو أن قال احد العميان: «منذ تمتَّعتُ بقراءة الكتب شعرتُ بنفسي مبعوثةً من ظلمة قبرها عائدةً الى الحياة والنور والحرّية العقليَّة!»

والحالة هذه فما اعظم الخدمة التي ادّاها الى الاضرّاء وفي شخصهم الى العائلة البشريّة جمعاء اولئك رجال الهمّة والاريحيَّة الذين لم يدّخروا وسعهم في اختراع الوسائط والأدوات اللازمة لتمكين العميان من القراءة والكتابة بسهولة نوعيَّة هؤلاء هم لعمري اهلٌ لأن تدوّن اسماؤهم باحرف ذهبيَّة في تواريخ كل الشعوب المتمدّنة وان تُنصب لهم في اكبر عواصم الارض تماثيل رائعة تخلّد ذكرهم

وفي مقدّمة اولئك الابطال العظام شخصان فرنسويّان وضع اولهما واسمهُ ڤالنتان هاوي (Valentin Haüy) طريقة كتابة للعميان فحسَّنها الآخر وهو لويس براي (Louis Braille) واوصلها الى اوج الكمال وقد دخلت في حيّز الاستعمال في سنة ١٨٢٥. اعني منذ نحو جيل وهي لا تزال مستعملة اليوم في كل الاقطار. وقد توخّيتُ في هذه المقالة ان اقدّم للقرّاء هذين البطلين بعبارات وجيزة ثم ان اعرض لهم اختراعاتهما المدهشة التي كادت تساوي بين الضرير والباصر

١ الحنان العظيم الى الاضراء

﴿ ١ ڤالنتان هاوي ١٧٤٥—١٨٢٢ ﴾ كان موظفاً بدائرة الاشغال الخارجيَّة فعنَّ لهُ ان يكرّس نفسهُ لتهذيب العميان كما فعل الكاهن الفرنسوي دي ليپاي (de l'Epée) من اجل الخُرس والصُمّ. فاخترع لهم الكتابة والطبع بالحروف النائتة وأسّس في باريس سنة ١٧٨٤ داراً للعميان الاحداث تملّكتها الحكومة فيما

بعد وسمّتها المؤسسة الشعبيّة لناشئة العميان وهي اوّل مدرسة عميان أُنشئت في العالم ولما زاد نفوذه في باريس نفاه القنصل نابليون فترك باريس سنة ١٨٠٦ متّجهاً الى بطرسبرج حيث أسس مدرسة للعميان ولدى مروره ببرلين حثّ اولي الاريحيّة والهمّة على تاسيس مدرسة اخرى . ولم يعد الى فرنسة الّا سنة ١٨١٧ خمس سنوات قبل وفاته . وله مؤلف عنوانه : بحث في تهذيب العميان (١٧٨٦)

﴿ ٢ لويس براي (١٨٠٩—١٨٥٢) ﴾ أُصيب بالعمى في الثالثة من عمره على إثر جرح في عينه فدخل في مؤسسة ناشئة العميان سنة ١٨١٩ وانكبّ فيها على دراسة الموسيقى ودقّ الارغن في كثير من كنائس باريس ثم عُيّن مدرّساً بمدرسة العميان فوضع مؤلفاتٍ لتلامذته ثم اخترع من اجلهم كتابة جديدة احرفها مكوّنة من نقط ناتئة . فاقتدروا بها على كتابة بعض المذكرات اثناء التدريس وفروض الاملاء والانشاء بسرعة غريبة نسبةً الى عاهتهم . وقد توصّل براي بعد ذلك الى تطبيق اختراعه لكتابة الموسيقى . وبعد وفاته بخمس وعشرين سنة على إثر اكتتاب شعبي اقيم تذكاراً لذلك الرجل العظيم خادم الانسانية تمثالٌ جميل في مسقط رأسه كفره

٢ اخترعها لطريقتي كتابة العميان

﴿ اختراع ڤالنتان هاوي ﴾ هو الشهم اللوذعي الذي اوحت اليه رأفته على العميان ان ينشلهم من مخالب الفقر المدقع بترشيحهم للتهذيب اي متمكّنين من القراءة والكتابة . ولمّا كان عارفاً بدقّة حاسة اللمس فيهم خطر على باله ان يضع لهم كتباً ذات احرف ناتئة لا تختلف كثيراً عن الاحرف المعتادة غير انها اكبر حجماً وأبسط شكلاً . ولطبع تلك الكتب تستخدم احرف طبع معدنية ناتئة تُصَفّ اسطراً في قالب ثم تُضغط فوق صحائف من الورق السميك المبلّل بقليل من الماء ليزداد مرونةً . فبعد ذلك الضغط تظهر الاحرف ناتئة في نفس الورق .

الحق يقال انّ تجارب «هاوي» الطويلة لم تأتِ بالنتيجة المأمولة ولم تكلّل بالنجاح الباهر الذي كان المخترع اهلاً له بطول صبره وصدق عزمه وسموّ غايته . فما عتّم الاختبار ان يُظهر نقائص طريقته باجلى مظاهر . فمنها انّ ادنى كتاب كان يستوجب

المجلدات الضخمة لطبعه على اسلوب «هاوي» . وذلك اولاً لكبر حجم الاحرف وثانياً لاستحالة الكتابة على وجهي كل ورقة . وزد على ذلك بطء القراءة لاضطرار السبابة القارئة بالتنقل على كل اجزاء الحرف الواحد قصداً لتمييزه . وعلى كل حال فان كان ثالثتان هاوي باختراعه هذا مكّن العميان من القراءة فلم يُقدّرهم بتاتاً على الكتابة فأنى لهم ان يرسموا على ورق غليظ احرفاً كبيرة ناتئة يُربي عددها على المئات في صحيفة واحدة . بيد انّ ذلك الهام كان اوّل من فكّر في استنباط اسلوب ما لتأهيل الاضرار القراءة وكفاه بسبقه الجميع فخراً في عين كل الشعوب على مدى الدهور . هو اوّل من نهج منهجاً في مفازة لم يتجاسر قبلاً احد على اجتيازها حتى وليّه «لويس برايل» وقوّم المنهج المعوج وحسّنه ووسّعه فجعله مهيعاً يسلكه الآن آلاف ممّن حرموا البصر في كل اقطار العالم

﴿ اختراع لويس برايل ﴾ كما اسلفنا في نبذتنا عن ذلك الرجل الهام انّ السنة ١٨٢٥ كانت تاريخ ابتكاره العجيب الذي تلاشت به كل نواقص طريقة هاوي . وضع «برايل» أحرفاً جديدة مركبة من نقط ناتئة يتراوح عددها بين واحدة وست . فلنرسم ست نقط على خطين عاموديين :: ولنجعل مجموعها اشارة لحرف ما

فاذا حذفنا من هذا المجموع نقطة كان عدد الاشكال الخماسية ستة هكذا :

:: :: :: :: :: :: واذا حذفنا نقطتين كان عدد الاشكال الرباعية خمسة عشر .

وكذلك اذا حُذفت ثلاث نقط امكن تشكيل الثلاث الباقية ٢٠ شكلاً . وبحذف اربع نقط تشكل النقطتان الباقيتان ١٥ شكلاً وان حذفت خمس نقط امكن وضع المفردة الباقية على ستة اوضاع فينتج عن ذلك ان عدد كل الاشكال المختلفة ثلاثة وستون فهي كافية بل تزيد عن الحاجة للدلالة على الاحرف الهجائية والارقام العشرة والعلامات الموسيقية . فلنسرد الآن مزايا ذلك الاسلوب العجيب في بساطته :

(اوّلاً) اذا كانت كل النقط ذات تقوّم ملائم والبون الفاصل بين كلّ منها وجارتها معتدلاً فبمجرّد لمس السبابة يقف الاعمى على ماهية الحرف بدون حاجة الى نقل اصبعه من جهة الى اخرى كما في اسلوب «هاوي» . فمن البديهي انه لا مناسبة

من قبيل السهولة والسرعة بين الاجناس لماً بشكل ⠗ وشكل R . والاوّل هو الراء في طريقة براي . فيترتب على ما سبق ان قراءة الاعمى وفقاً للاسلوب الجديد قائمة في مجرّد زلوج السبّابة من اول السطر الى آخره . ولمّا كانت حاسّة اللمس ذات دقّة غريبة في العميان ولا سيّما الاحداث منهم فبعد التمرين المتواتر يتوصّلون الى قراءة ١٥٠ كلمة في الدقيقة وذلك معظم سرعة التلاوة بصوت مرتفع وتكاد تبلغ مُعظم سرعة الكلام فتأمل !

وهاك احرف براي للّغة الفرنسويّة وغيرها من اللغات الاوربية التي تكتب بنفس الاحرف الفرنسوية :

A	B	C	D	E	F	G	H	I	J	K	L	M	N	O	P	Q	R
⠁	⠃	⠉	⠙	⠑	⠋	⠛	⠓	⠊	⠚	⠅	⠇	⠍	⠝	⠕	⠏	⠟	⠗

S	T	U.	V	W	X	Y	Z
⠎	⠞	⠥	⠧	⠺	⠭	⠽	⠵

امّا الارقام العشرة فيُعبَّر عنها بالاحرف العشرة الاولى بتقديم هذه الاشارة ⠼ عليها . فالالف (١) تنوب عن ١ والباء (⠃) عن ٢ وهلمّ جرّاً . ويوجد ايضاً علامات فاصلة للعبارات كالنقطة وعلامة للاستفهام الخ واشارات خاصّة لكتابة الموسيقى

ثانياً طريقة براي تمكّن الاعمى ليس فقط من القراءة بل من الكتابة ايضاً وهذه كانت ضالّة براي المنشودة . ودونك وصف الاداة البسيطة التي اوجدها لبلوغ هذه الغاية . يستخدم الضرير سُنْبُكاً يضغط به على ورقةٍ موضوعة على صفيحة معدنيّة مستطيلة بعرض الورق وعليها اخاديد يسيرة العُمق متوازية بمتساوية الابتعاد الواحد عن الآخر . والبَوْن الفاصل بين كلّ منها وجارهِ هو نفس الذي يتوسّط في الكتابة بين كل نقطة والتي فوقها او تحتها . فاذا اراد الاعمى ان يكتب حرف اللام مثلاً ورسمُهُ هكذا ⠇ فانّهُ يضغط بسنبكهِ على الورقة فوق الاخدود الاعلى من الصفيحة المعدنية ثم يعيد الضغط تحت الموضع الاول وفوق الاخدود الثاني واخيراً تحت الموضع الثاني وفوق الاخدود الثالث . انما كل الصعوبة للاعمى محصورة في الانتقال من

الحدود الى التالي بسرعة دون ان يخطئ المرمي لئلا يُشوِّه رسمُ الحرف فتتعذَّر قراءته . واذا فرضنا انه يريد كتابة le ورسمُها كذا . ∴ فالصعوبة الجديدة هي ترك البون المناسب بين الحرفين حيث يلزم مبدئياً إخلاء مساحات متساوية لكل الاحرف ايًّا كان عدد نقطها وذلك دفعاً لكل التباس ينتج من عدم مراعاة تلك القاعدة الاساسيَّة . وقد عالج لويس براي بقريحته الوقَّادة هاتين العقبتين وابتكر لهما دواء شافياً هو آية في الذكاء والبساطة . جعل براي فوق ورقة الكتابة صفيحة معدنية ذات ثقوب مربعة مصفوفة في ثلاثة او اربعة صفوف متوازية فكل صف يقابل سطرًا من القرطاس وكل ثقب حرفاً من السطور والصحيفة العليا المثقوبة موصولة بمفصلة بالصفيحة السفلى ذات الاخاديد . وتحت كل ثقب ثلاثة اخاديد مقابلة لثلاثة اوضاع النقط الثالثة

هذا اسلوب « براي » للكتابة . امَّا الطبع فانه يتمّ بواسطة احرف مسبوكة من رصاص ممزوج تُركَّب في قوالب مخصوصة كما في المطابع الاعتيادية . وجدير بالملاحظة ان كثيرًا من صفَّافي مطابع العميان هم اضرَّاء وعاهتهم لا تمنعهم عن مجاراة رصفائهم الباصرين في اتقان العمل ولو كانوا اقلّ سرعة لحاجتهم الى قراءة ما يلزم طبعه بالسبابة ليس بالعين . ومتى انتهى الصفاف من ترتيب الاحرف في قالب موازٍ لصفيحة فانه يضع عليه ورقة سميكة مُرطَّبة بالماء فوقها قطعة نسيج من الصوف او القطن يضغط عليهما ضغطاً شديداً بلازم فتنطبع الاحرف على الورق ناتئة بدون ان تثقبه وذلك لتوسط النسيج الرخو بين اللازم والورق

٣ تقدم الطباعة للعميان بعد « براي »

من اجل تعجيل العمل قد استُخدمت بالشطر الثاني من الجيل المنصرم في مطابع العميان الطريقة الشائعة في سائر المطابع تحت اسم الإستِريوتيبية (اي التنحيس) : فبدلًا من ان تُصفّ احرف الطبع في القوالب — ولا يخفى ما في ذلك من طول الشغل وكثرة النفقة خصوصاً اذا حُفظت القوالب لاعادة الطبع — تُكتب كل صحيفة على النحاس او الزنك بسُنبك مخصوص . ولا مانع حينئذٍ من حفظ الصحائف المعدنية هذه للطبقات المتوالية . ومن الفوائد الجمّة الناجمة عن هذه الطريقة بخلاف الاخرى

ان الطبّاع العميان لا يلتزم بطبع عدد عظيم من النسخ دفعة واحدة فيصعب عليه ان يجد من يشتريها لقلّة عدد الاضرار. (١)

ثم انّ ضخامة غريبة في حجم تلك الكتب فان كل حرف يبلغ ٧ ميلمترات طولاً و ٥ عرضاً واحرف الطبع المعتادة لا تسع عشر تلك المساحة. فالتوراة للعميان التي نشرتها شركة التوراة باللغة الانكليزية واللغات الاجنبية تحتوي على ٣٩ مجلّداً و ٥٨٠٠ صحيفة كلّ منها بحجم ثلاث من صحائف الشرق. ونفقات طبع كل نسخة على تلك الشركة التي تنشر الملايين من نسخ الكتاب المقدس في نحو ٤٠٠ لغة تبلغ خمس ليرات انكليزية. فهذا الغلاء الفاحش هو الآفة الكبرى الحائلة دون تقدّم فنّ الطباعة باحرف ناتئة على طريقة « براي » رغماً عن التحسينات الجزئية التي أُدخلت فيه اثناء الشطر الثاني من الجيل الاخير

ومن هذه التحسينات توفير نصف كمّية اوراق اللازم بالطبع على وجهي كل ورقة. فقد كانوا في اول الامر يطبعون على احد الوجهين ليس الّا. ثم زادوا البَوْن الفاصل بين الاسطر فاستطاعوا الطبع على الوجهين بحيث تُقابل اسطرُ الوجه الاول الخلاء الفاصل بين اسطر الثاني ولكنهم لم يستفيدوا كثيراً بذلك للزوم توسيع المسافة الحائلة بين الاسطر على الصحيفتين. واخيراً قد توصلوا الى الطبع على كلا الوجهين بدون ذلك التوسيع مع تسهيل القراءة وذلك باستخدام وسيلة تمنع التباس النقط الناتئة على احد الوجهين برقّها بجوفة على الوجه الآخر. وهذه الوسيلة مبنية على تساوي المسافات الفاصلة بين كل نقطة وجاراتها في طريقة براي. فلاجتناب الالتباس المشار اليه يكفي ان تُكتب النقط العليا من كل سطر من الوجه الثاني بين النقط العليا والنقط المتوسطة من السطر المقابل في الوجه الاول. فلم ينسَ القارئ ان احرف براي مركبة من نقط تكتب في ثلاث طبقات الواحدة فوق الاخرى. وقد طُبّقت هذه الطريقة على صناعة التنجيس كما يلي: تطوى صحيفة نحاسية الى قسمين متساويين ثم يكتب السنبك على احد الجانبين الخارجيين صفحة تُرسم بحروف ناتئة على احد الجانبين الداخليين ثم تُعاد هذه العملية على الجانب الخارجي الآخر فتُرسم الصفحة

١) يبلغ عدد العميان واحداً بين الف شخص في اوربة الوسطى وانكلترة وفرنسة حيث كان عدد العميان نحو ٣٨,٠٠٠ مع احصاء عميان الجزائر (Algérie) حول السنة ١٨٨٥

الثانية على الجانب الداخلي الآخر . فاذا تمَّ ذلك جُعلت ورقة الطبع بين الجانبين الداخليين وضُغطت بشدَّة بينهما فتنطبع عليها الصحيفتان في آن واحد

ولم تقف التحسينات عند هذا الحد . فقد اخترعت آلاتٌ للكتابة وغيرها للطبع بصفائح النحاس لكل منها ستة دساتين مُقابلة للنقط الستّ التي تتكوّن منها كل الاحرف . فالاصابع الثلاثة المتوسطة في كل يد تحرك من الثلاثة الدساتين التي تحتها ما يلزم لطبع الحرف المُراد على القرطاس او النحاس . وبما ان اليدين عاملتان معاً فيستطيع الاعمى الكاتب الطبّاع ان يُجاري الباصر في سرعة الكتابة او الطبع حيث ان كلّ حرف يُكتب على الورق او يُطبع على النحاس دفعة واحدة

٤ تأسيس جمعية فالنتان هاوي باريس سنة ١٨٨٣

رغماً عن التحسينات السابق ذكرها قلّما كان طبّاعو كتب العميان ينشرون مؤلفات جديدة نظراً الى قلة الزبن وغلاء الطبع . فإن سبعة او ثمانية كتب ذات ٢٠٠ صحيفة من قطع الثمن يزن كلّ منها كيلوغراماً ونيفاً توازي بمادّتها كتاباً اعتيادياً من قطع ١/١٦ . فانَّ تأليف المؤرّخ الفرنسوي الشهير ألبار سورل المعنون «اوربّة والثورة الفرنسوية» قد طُبع للعميان في ١١٤ مجلداً كان كل منها قبل الحرب يساوي نحو ٧ فرنكات والمجموع نحو ٥٠٠ فرنك ! فكم من الاضرار تمنعهم قلّة ذات اليد عن اقتناء مثل هذه الكتب النفيسة ! ولذلك بقيت مطابع العميان قليلة جداً حتى اليوم يكاد جميعها بفرنسة يُحصر في التي يلي ذكرها : (١) مطبعة مؤسسة للعميان الاحداث التي سبق لنا الكلام عنها . (٢) مطبعة راهبات مار بولس الضريرات في باريس . (٣) مطبعة منارة فرنسة (Le Phare de France) التي كانت تنشر اثناء الحرب بضعة كتب جديدة شهرياً . (٤) مطبعة جمعية فالنتان هاوي التي أسّسها في باريس المسيو دي لا سيزران (de la Sizeranne) سنة ١٨٨٣ . وقد اشترت هذه الجمعية الخيريّة المتوخية كل ما يؤول لخير العميان ادوات للطبع بصفائح النحاس هي اكمل ما اخترع في الآونة الاخيرة . لكنّها وقفت بعد الاختبار الطويل على كثرة العقبات الحائلة دون طبع كتب كثيرة فابتكرت طريقة اسهل لبلوغ مأربها وفي طريقة النسخ بواسطة آلات الكتابة الموصوفة آنفاً . وحيث ان

الجمعية تستدعي كل اصحاب الهمم العالية والقلوب الرؤوفة الى موازرتها في هذا العمل المبرور فترى في باريس وغيرها من مدن فرنسة مئات من الرجال والنساء والشبان والاطفال انفسهم يتعلّمون احرف براي ويستلمون من الجمعيّة آلات الكتابة الأحدث طرزاً فينسخون بواسطتها وبغاية السرعة المؤلفات المطلوب منهم نسخها. ومن هؤلاء النساخ المتفانين لخدمة العميان مَن استطاع نسخ مادّة ٢٥ كتاباً بحروف ناتئة في سنة واحدة! فلا غرو ان كانت خزانة كتب الجمعية زادت عدد كتبها من المائة حول سنة ١٨٨٥ الى الخمسين الفاً عند انتشاب الحرب الكونية. وهذا العدد يقابل ١٢٠٠٠ مؤلف فيعادل كلُّ مؤلَّف نحو اربعة كتب للعميان. ولا تزال كنوز هذه الخزانة تزداد يوماً فيوماً (١. وليست الخزانة مفتوحة فقط لكل الاضرار. بل انّها تُقرض كتبها وترسلها الى كل من يطلبها من كل انحاء فرنسة وسائر اقطار العالم. واكثر ما يُستقرض منها الروايات ثم كتب التاريخ والفلسفة والعلوم التي يرغب العميان في قراءتها اكثر مما يُزعم عنهم. وهناك ايضاً كُتَيبات ظريفة سهلة المطالعة للأطفال الكُمْه. هذا ما خلا عدداً كبيراً من المؤلفات الموسيقية الشهيرة المطبوعة كما اشرنا بعلامات ناتئة مخصوصة يقرأها الاعمى بسبّابتهِ اليسرى مثلاً ويدقّ على البيانو بيمناه ثم يعكس العمليّة وبعد التمرين المتواتر يستطيع ان يأتي بالقطعة الموسيقية تماماً عن ظهر القلب وذلك من اغرب ما توصّلت اليه مهارة العقل البشري!

ومُعدَّل ما يطالعهُ قرّاء تلك الخزانة كتابان في الاسبوع اعني نحو مائة كتاب في السنة غير ان بعضهم يقرأون مئات من الكتب سنوياً. وكفي بذلك شاهداً على عظم اللذة والسلوى التي يذوقها الضرير بالمطالعة. كان معدّل ما تقرضهُ الخزانة قبل الحرب ثلاثة آلاف كتاب شهرياً وقد زاد الآن ذلك العدد زيادة عظيمة بازدياد عدد الذين فقدوا بصرهم في السنين الاخيرة سني الحرب الضروس التي لم يعهد لها من مثيل في تواريخ الامم. ومن غريب امر تلك الكتب انَّ الكتاب يُقرأ الف مرّة ولا يزال صالحاً للقراءة رغماً عن احتكاك الف سبّابة على كل من حروفهِ وهي

١) ورد في الانباء الاخيرة انَّ في خزانة الكتب التي انشأتها جمعية فالنتان هواي حاضراً ستّة وخمسون الف كتاب ثم عشرة آلاف اخرى من التآليف الموسيقيّة

كما هو معلوم عبارة عن نُقط ناتئة نتوءاً يسيراً — ولهذه الكتب طريقة تجليد خصوصية تمنع ضغط الصحائف بعضها على بعض فلا يزول او ينقص نتوء احرفها

٥ خزانة الكتب الشعبية للعميان في لندن

تلك الخزانة هي بدون مراء من اعجب مؤسسات العالم المتمدن بسرعة ترقيها رغماً عن حادثة نشأتها . اسستها في السنة ١٨٨٢ امرأة مكفوفة فقيرة تدعى ميس أرنلد (Miss Arnold) بمساعدة صديقة لها فاستأجرتا حجرة صغيرة وجمعتا فيها بعض الكتب فكانتا تقرضانها للعميان بثمن نحو عشرة سنتيمات اسبوعياً . وكان رأس المال حسنةً لا تزيد على ٢٥ ليرة انكليزية . فنمت تلك الحبة الصغيرة شيئاً فشيئاً بواسطة الحسنات اليسيرة الواردة اليها من كل انحاء بريطانية العظمى حتى صارت اليوم بعد مضي ٣٨ سنة دوحةً كبيرة يتظلل آلاف من العميان في ظلالها الوارفة . ففي الوقت الحاضر نراها من اهم خزانات الكتب في لندن باتساعها وحسن نظامها ولا سيما بالخدم الجليلة التي تؤديها لثمانية آلاف من قراء العميان المتشتتين في كل انحاء اوربة واميركة والمستعمرات الانكليزية . وهي تحتوي الآن على نحو ٦٠،٠٠٠ كتاب باحرف ناتئة تقابل نحو عشرة آلاف من الكتب الاعتيادية فضلاً عن ٨،٠٠٠ مؤلف موسيقي . ولدينا قائمة تلك الكتب طالعناها ملياً فقضينا العجب من تنوعها . فهي ليست محصورة بالروايات وما شاكلها بل منتمية الى كل انواع العلوم والمعارف كاللاهوت والفلسفة والتاريخ الكنسي وسير القديسين والسياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية والحقوق والفلك والبيولوجية والرياضيات والطبيعيات والكيمياء الخ . ثم تجد منها بضع مئات مكتوبة بنحو عشر لغات اجنبية ونحو ٤٠٠ باللغة الدولية إسبرنتو . واكثر تلك الكتب اعني نحو ٨٥ في المائة منها منسوخ غير مطبوع للاسباب المشروحة سابقاً . ويقوم بعبء النسخ الثقيل نحو ٥٠٠ من النساخ المتطوعين الذين يبذلون قواهم في خدمة الاشقياء من بني جنسهم . ومعدل الكتب الجديدة التي تحوزها الخزانة سنوياً نحو ١،٥٠٠ القليل منها مطبوع والباقي منسوخ . ومعدل نفقة نسخ كتاب واحد على يد اعمى نحو ليرة انكليزية ونصف . وكثيراً ما تستخدم الخزانة النساخ العميان بتلك الاجرة لتوفير نسخ الكتب النفيسة

والخزانة واقعة في وسط لندن وهي فخيمة العمارة فسيحة الردهات المفروشة باتقان والمدفأة في الشتاء. وقد أنشئ لها حديثاً فرع في منشستر . معدل ما تقرضه يومياً من الكتب نحو خمسمائة اعني خمس مرات اكثر من خزانة باريس فيكون المجموع السنوي ١٨٢،٥٠٠ . واغلب الكتب ترسل بالبريد الى طالبيها القاطنين في انكلترة والخارج . عدد قرائها نحو ٨،٠٠٠ كما اسلفنا وبينهم كثير من الذين فقدوا نظرهم في الحرب الاخيرة . وهذه الخزانة موّنت ايضاً بمئات من كتبها في السنة ١٩١٩ ١٠٢ خزانة كتب اعتيادية و ٦٤ شركة او مؤسسة . وهي تقرض كتبها مجاناً ولا تطلب سوى قيمة البريد بل تتكرّم بدفعها للفقير المدقع وتدفع لأشدّ المعوزين القاطنين بلندن نفقات الانتقال من بيوتهم الى ردهاتها لئلا يعوقهم ادنى مانع عن الاختلاف اليها والتمتع بها لذ لهم . ونظراً الى الخدم العظيمة التي ادّتها الخزانة للعميان قد رخصت لها مصلحة البريد اسعارها المعتادة تسهيلاً لنقل كتب العميان الضخمة الى كل انحاء انكلترة وهكذا لا تزيد قيمة النقل البريدي على نحو عشرة سنتيمات عن ثقل يفوق الكيلوغرامين وربع . وبناء على ذلك سوّغت الخزانة لقرائها اقتراض اربعة كتب جديدة في كل شهر . ثم انها تقدّم لبعض الطلبة الاضراء الكتب اللازمة لدروسهم فضلاً عن كونها تسهّل لكل العميان تعلّم الحرف المناسبة لحالتهم بواسطة كتبها الباحثة عن تلك الحرف . ورغماً عن كل هذه الاعمال العظيمة المتنوعة ليس للخزانة دخل ثابت بل كل دخلها ناجم عن حسنات طفيفة تتوارد اليها افواجاً فيبلغ مجموعها آلافاً من الليرات الانكليزية في السنة . وهذه الخزانة تحت حماية سمو الاميرة لويزة من العائلة المالكة

وقبل ان نختم هذا الباب عن خزانة كتب العميان بلندن يليق ان نلحق به بعض الايضاحات على مشاريع انكليزية عائدة الى تثقيف المكفوفين وتلطيف بلواهم . فمنها المجلات الزهيدة الثمن التي يظهر منها في الوقت الحاضر اثنتا عشرة ونيف وبينها واحدة موسيقية وهي (The Braille Musical Magazine) . ولاثنتين منها اسمان ظريفان وهما الساعة السعيدة (Hora jucunda) وجالبة الضياء (Light bringer) . ولا اظنني مغالياً ان صرّحت بان لانكلترة قصبة السبق على كل البلاد في عدد تلك المجلات وانتشارها وان كانت معروفة ومألوفة في كثير من

الاقطار الاوربيَّة والاميركية

ومن تلك المشاريع ايضاً طبع بعض الاسفار المقدسة بحروف نائتة في ٢٤ لغة ومنها العربية بمطابع شركة التوراة بالانكليزية واللغات الاجنبية وذلك منذ سنة ١٨٣٨ اعني ثلاث عشرة سنة بعد اختراع براي

كلّ من اسفار الكتاب المقدس يباع بشلين ونصف اعني نحو فرنكين بأية لغة كانت . وقد اكد لنا مؤخرا كاتم اسرار تلك الشركة ان كل سفر انكليزي تبلغ نفقات طبعه سبعة شلينات ونصف وهو يباع كما سبقت الاشارة بخمس هذا الثمن فليت شعري كم تكون الخسارة في بيع الاسفار المطبوعة بلغات اجنبية ! وتتضح الفائدة العظمى الناجمة عن ذلك المشروع اذا لاحظنا ان في انكلترة نحو ٥٠،٠٠٠ ضرير وفي الهند نحو ٣٦٠،٠٠٠ وفي الصين فوق ٥٠٠،٠٠٠ وقد طبعت بعض الاسفار المقدسة بالهندية والصينية

٦ كتب العميان واللغة الدولية اسبرنتو

من المعلوم ان الاسبرنتو هي اللغة الدوليَّة الاصطلاحية التي اوجدها للعالم المتمدن سنة ١٨٨٧ الطبيب البولوني لويس زامنهوف وغايتهُ بها ان يؤهل كل شخص مهذب تربطه بالاجانب علاقات تجارية او علمية او غيرها للتكلم معهم في لغة سهلة التلفظ بسيطة القواعد اقتُبست جذور كلماتها من اكثر اللغات الاوربية شيوعاً . لتكون قريبة المنال . وقد انتشرت تلك اللغة الدوليّة بسرعة غريبة في كل انحاء اوربة واميركة حتى سنة ١٩١٤ حيث اوقفت الحرب انتشارها لحين وهي الآن آخذة في الانتعاش منذ عُقدت الهدنة . وكانت تنشر بهذه اللغة عشرات من المجلات في كل اصقاع المعمور . فعزم احد اصحاب الهمم الاستاذ الفرنسوي كار (Cart) على تأسيس مجلة اسبرنتية للعميان من كل البلاد لينتصر على الصعوبات الحائلة من نحو جيل دون طبع مجلات العميان في اللغات الحيَّة وذلك بسبب قلّة الاضراء الناطقين بها والمائلين الى الاشتراك بالمجلات . صدرت تلك المجلة الاسبرنتية من السنة ١٩٠٣ حتى ١٩١٦ حيث لاشتها ظروف الحرب ثم عادت في السنة ١٩١٩ . وكان عدد قرائها في آخر السنة ١٩١٣ ثمانمائة واحد عشر ينتمون الى ٢٧ بلداً منهم ١٨٩ المانياً و ٦٢

انكليزياً و ٥١ فرنسوياً و ٣٤ من الولايات المتحدة و ٤ اوستراليين وواحد مصري وآخر صيني الخ . وكلّ اولئك العميان لسان واحد في التنويه بفضل تلك المجلة التي توقفهم كل شهر على جملة اشياء مفيدة ومتعة . ومن خير حسناتها نحوهم انها تمكّنهم من التعرف بعضهم ببعض والتراسل بالاسپرنتية رغماً عن اختلاف الجنسيات وابتعاد الاقطار . ولديّ احدُ اعدادها وهو الصادر في ٢٥ كانون الاوّل سنة ١٩١٣ يحتوي على ٣٦ صحيفة قطعها تقريباً ضعف قطع المشرق (١

وكانت قيمة الاشتراك قبل الحرب ٣ فرنكات لا غير والآن ٣ شيلينات اعني نحو ٤ فرنكات والمجلة تصدر الآن في استوكهلم عاصمة اسوج . ورئيس تحريرها المسيو هارلد تيلندر وهو اعمى اخرس اصمّ بل كسيح . فما اعظم همتهُ حيث انهُ رُكنُ هذه المجلة الجليلة الفوائد رغماً عن عاهاتهِ الاربع التي تكفي واحدة منهن لاخماد همة كثير من الناس !

كل ما سبق برضٌ من عدٌ فيما يختص بالكتب والنشرات للعميان ولكن كفى بهِ شاهداً على الترقي العجيب الذي كان ثالثتان هاوي في غرة الجيل المنصرم أوّل حامل لرايته . ثم خلفهُ الاعمى النحرير لويس براي فخدم رصفاءهُ التعساء في كل الاقطار والى منتهى الازمان خدمة لا تُقدَّر باختراع اوّل طريقة قراءة وكتابة اتت بنتائج مُرضية . ثم تحسنت اساليب الطبع وزادت رخصاً وسرعة وانتشاراً . ثم اتى النسخ حليفاً للطبع فدخلت بهِ في حيز الوجود خزانات الكتب الحاوية آلافاً مؤلفة من الكتب العلمية والادبية التي لم يدُر على خلد احد المفكرين من نحو ٥٠ سنة امكان انشائها للعميان نظراً الى شدة غلاء الطبع بحروف ناتئة . واخيراً توصل اصحاب العزائم الصادقة بواسطة الاسپرنتو اللغة الدولية الى انشاء اوّل مجلة لعميان كل البلاد كان يقرأها سنة الحرب نحو الف منهم في ٢٧ قُطراً بكل قارّات العالم

---

(١) وهذا فهرسها أورده تفكهة للقراء : ١ً لعب الشطرنج . ٢ً رسالة من مدير المجلة . ٣ً الانتقال من السنة ١٩١٣ الى ١٩١٤ . ٤ً الزرزور . ٥ً باب المراسلات . ٦ً الفوائد النرية . ٧ً الاخبار الاسپرنتية . ٨ً مشكلات رياضية وغيرها . وقد عاينّا في احد اعدادها الاخيرة رسم احد كبار المحسنين للعميان يلمسهُ هؤلاء بسبابتهم وينقلونها على كل اجزائهِ الناتئة فيقفون على كل تقاطيع الوجه . وقد رأينا ايضاً صورة ناتئة تمثل كنيسة عظيمة جميلة

فسبحان الذي ألهم المخترعين رأفةً على الاضراء حدت بهم الى مداواة عاهتهم وتخفيف نير بلواهم . سبحان الذي هدى لويس براي وغيره الى تلك الطرق العجيبة التي كادت تساوي بين الاعمى والباصر في القراءة والكتابة اللتين لم يدُر على خلد البشر امكانهما للاضراء . فليهنأ اولئك البؤساء بما نالوه بفضل الباري تعالى مُلهم المخترعين المحسنين من الفائدة واللذّة والسلوى التي لا مراء انها ستزداد وتنتشر في رهطهم يوماً فيوماً كما عهدنا في السنين الخمسين الاخيرة

شوارع بيروت وأسماؤها الجديدة

نظر النعادي للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تخلو مدينة متمدّنة في اوربّة من بلديّة تهتمّ بتنظيم شوارعها وضبطها باسماء ملائمة يُهتدَى بها الى اماكنها المختلفة يعرفها الخاصّ والعامّ ولاسيّما الحوذيين ومأموري البريد والشرطتين فمنها الساحات ومنها الجوادّ ومنها الشوارع والأزقّة والخوخات . وهذه الاسماء بارزة يمكن الجميع ان يطّلعوا عليها في منافذ تلك المسالك . ثمّ يقسمون الشوارع الى عدد معلوم من المساكن او المعاهد يعلو كلًّا منها رقمٌ فلا يحصل في التفتيش عنها ادنى التباس

هذا في بلاد الغرب والشعوب الراقية ومن حذا حذوهم في اقطار العالم المتمدّنة . امّا تركيّة فانّها في معظم مدنها كانت تجري في ذلك مجراها من التهامل وعدم الاكتراث تدع للعامّة يطلقون الاسماء على أحيائهم وشوارعهم كما شاؤوا فربّما اصابوا وربّما اخطأوا . واكثرهم لا يعرفون سوى الاحياء القريبة منهم فاذا طلبوا احدًا في حيّ بعيد قاسوا قبل وجود مسكنه ضروب الملل والضجر . فكم فُقدت من جرّاء ذلك رسالات وكم ضاعت اموال وكم . . وكم . . .

فما بطل في ظهرانينا الحكم التركي وزال عنّا نيرهُ الثقيل فاحتلّت بيروت حكومة عاقلة حكيمة حتّى شعرت بهذا الخلل واوعزت الى لجنة خاصّة باستدراكه .

فلبّت دعوتها وتحفّزت الى هذا العمل الجليل. فما مرّ الزمن القليل حتّى رأينا في مدخل الشوارع على طرفيها الواحاً مستطيلة تروق للعين بكتابتها المشرقة الجميلة في اللغتين الفرنسويّة والعربيّة فأقبل الجميع الى الاطّلاع عليها وأثنوا على همّة اللجنة المكلّفة لنصبها وتقريب منالها. وما لبث احد الادباء ان رسم لبيروت خريطة كبيرة وصوّر كلّ طرقها وساحاتها ورقم على تقاطيع شوارعها الاسماء المارّ ذكرها ليطّلع عليها كل من شاء ويتجوّل في المدينة دون عناء ومشقّة

وقد رطّب هذا العمل لساننا بالشكر لكلّ من قام بهذا الامر الذي كانت اليه بيروت في حاجة ماسّة سواء كان لاهلها وافرادها لاغراضهم الخاصّة ام لأمورها للنظارة العموميّة وللسهر على راحة السكّان في كلّ اطراف البلد

على انهُ بعد النظر الملّي في هذه الاسماء واختيارها وتوزيعها على انحاء بيروت قد خطر على بالنا بعض الملحوظات رأينا ان نعرضها بكل بساطة على اللجنة التي تولّت هذا العمل المفيد

وقبل كلّ يجب علينا الاقرار بان مشروعاً كهذا ليس هو بالامر اليسير لاسيّما في مدينة كبيروت تتوفّر فيها العناصر والاديان والطوائف المختلفة وطرأت عليها بتوالي الاجيال الطوارئ العديدة وتوالت على ملكها الدول الشتّى فكيف الموافقة بين كلّ هذه الشؤون المتناقضة

والحقّ يقال انّ الذين عهد اليهم هذا الامر الشاقّ سعوا طاقة جهدهم في اكتساب رضا الجميع فترى بين اسماء الشوارع ما يذكّر كل عنصر ودين باوليائه ومفاخره فكما انّ بعض الشوارع ازدانت باسماء الخلفاء الراشدين ومشاهير الاولياء كأبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان والسيد حسين وعمر بن عبد العزيز وعبّاس وابي عبيدة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة وامّ محمّد فكذلك أطلقت على شوارع أخرى اسم السيّدة مريم العذراء واسماء القديسين كمار الياس ومار مارون ومار نقولا ومار انطون ومار جرجس (الذي ورد اسمهُ ايضاً على صورة الخضر) ومار بولس ومار منصور

ومثلهم بعض كبار الرجال من الفريقين فكما دعوا شارع هارون الرشيد وشارع فخر الدين المعنّي (الذي وضع اسمهُ بكل صواب بدلاً من الامير فيصل وكلّ يعرف ما

لفخر الدين من الفضل على بيروت وسواحل الشام). فخصّوا ايضاً بالذكر مار لويس (ملك فرنسة) والشيخ ناصيف اليازجي . ومن سعيهم بارضاء الفريقين انهم جعلوا اسماء دولتي الافرنسيين والانكليز بازاء دول الامويين والعباسيين والفاطميين

ومما يلوح من درس اسماء الشوارع الجديدة انّ محرّريها ارادوا تخليد ذكر الذين قتلوا ظلماً في اثناء الحرب بأمر الاتراك لانتظامهم في سلك الجمعيات العربيّة الطالبة اللامركزيّة او لاشتراكهم في المؤتمر العربي في باريس لتحرير الامّة ونكث الربقة التركيّة . فاستحقّوا بتفاداتهم ان يُعلن الباقون بعدهم والمتمتّعون بثمرة فدائهم اسماءهم فيذكرها الخلف بعد السلف . فكم يسرّنا أن نقرأ اسماء الشيخ فريد الخازن ويوسف بشاره الهاني وسعيد عقل ورفيق رزق سلوم وبترو بولي من النصارى . وامين لطفي بك وشفيق المؤيد وشكري بك العسلي وسيف الدين الخطيب وعمر حمد والامير عمر وعبد الكريم الخليل وعبد القادر الخرسا . وصالح بك حيدر ومحمّد المحمصاني والشيخ احمد حسن طبّاره وجلال البخاري وعبد الوهّاب الانكليزي وعلي افندي الارمنازي ورشدي شمعة وناصيف افندي تلّو ونوري القاضي من المسلمين . لولا انّ كثرة هذه الاسماء وقلّة شهرة كثير منها ستقوم عقبةً في سبيل الناشئة الجديدة . فكان يكفي ذكر البعض منهم ولاسيّما انهُ خُصّ احد الشوارع باسم شارع الشهداء وقد الحقوا بهم اسم الطيّب الذكر المطران بطرس شبلي ونعمَ ما فعلوا

ويستفاد ايضاً من امعان النظر في اسماء الشوارع انّ اصحابها عُنوا بمجاملة الدول المتحالفة التي بفضلها تحرّرت سوريّة فوسموا كثيراً من الأحياء باسماء اعلام افرنسيّة . منها جغرافيّة كجادّة باريس وشوارع لندن ومرسيلية وبوردو وفردون وليون وارتوا والزاس لورين واسبانية وبلجيكة . ومنها شخصيّة فذكروا بها شكرهم نحو الجنرال غورو المعتمد السامي على سوريّة وجورج بيكو والكولونل نيجر والجنرال النبي بل رفعوا شكرهم الى بعض اركان الحرب والمؤهلين لنصر الحلفاء كالمرشال فوش وكليمنسو وذكروا شاعرهم العصري فكتور هوغو

على انّ اهتمام اللجنة بابداء شكرنا للحلفاء لم يُنسها ذكر الاوطان الشرقيّة سواء كان بتخصيص اسماء عديدة لأعلامها الجغرافيّة ام لافاضل كتبة العرب فينشرح الصدر بنظر اسماء البلاد الشرقيّة من قريبة كشارع فينيقية والبحر المتوسط وسوريّة

ودمشق ولبنان والمن والبقاع وصنين وفلسطين ومصر واورشليم والناصرة ومنها بعيدة كالعراق ومرّاكش والجزائر وتركستان . كما يُسَرّ باسماء ائمة الكتبة كالاصمعي والحريري وابن الاثير وابن خلدون وابن جُبَير وابن بطوطة وابن الطقطقي وابن عبد ربّه والثعالبي والاتليدي والقزويني والسيوطي والشريشي وعبد اللطيف الدمشقي والمقدسي والمتنبي وبهاء الدين العاملي ومحي الدين العربي استلّوها من بعض كتب الادب دون إجهاد الفكر في انتقائها وكان يمكن الاستعاضة عن بعضها بما هو أعرف منها واقرب الينا ممّن نفموا البلاد اكثر من الاتليدي والشريشي وابن الطقطقي . فمن النصارى البطريرك الدويهي والمطران جرمانوس فرحات ونقولا الصائغ الحلبيان والمطران يوسف الدبس وبطرس البستاني وفان ديك والشيخان رشيد الدحداح وابرهيم اليازجي ومن المسلمين الشيخ ابرهيم الاحدب ويوسف الاسير والبربير

وقد احسنت اللجنة اذ ابقت بعض الاسماء الشائعة سابقاً لبعض انحاء البلد على ألسنة العموم كساحة الاتحاد وشوارع البسطة والمنارة والسراية وباب ادريس والباشورة والجمّيزة والحرش وشوارع اسواق الجميل وابي نصر وخيّاط وسرسق والجوهرية والنجّارين والصبّاغين . او عيّنت لها اسماء ملائمة لموقعها من البلد وانطباقها على احوال تلك الاحياء كشوارع المحبّة بو الحكمة والبرك والمينا والرصيف والبوسطة والهال . ولعلّها كانت اصابت لو لم تبدل بعض الاسماء الكثيرة الشيوع ولا يزال الناس حتى الان يدلّون اليها دون المبالاة بالاسماء الجديدة كحي اليسوعيّة وحي الدحداح ووادي الحراميّة وحي مار مارون وحي المدرسة البطريركيّة والرميلة والصيفي .

ومن الاسماء التي نظنّها ستثبت راسخةً في صدر العموم ما يذكّرهم بانقلاب الاحوال السياسيّة كشارع الجيش وشارع الانتصار وشارع الحريّة وشارع المنقذين وشارع الاستقلال وشارع الجمهوريّة وشارع شكري غانم الوطني الشهير واخيه خليل فانّ ذكرها يحلو على السنة القوم

ومع هذا لا تخلو بعض الشوارع من اسماء غريبة او قلّما يرى الناس انطباقها على الواقع فمن ذلك شارع الف ليلة وليلة وشارع الافتكار وشارع الاجتهاد وشارع الادب . وقد خُصّت اطراف كلّيّتنا ببعض هذه الاسماء الجميلة فرأى المنتقدون انها تدلّ

(وخصوصاً بالافرنسيَّة) على شيء من الترفُّع والعظمة

وكثير من هذه الاسماء مع حسن اختيارها لا نراها مناسبة للامكنة التي خُصَّت بها كشارع مار مارون مثلاً في رأس بيروت ومكانهُ الطبيعي قرب الكنيسة المشيَّدة على اسمهِ ومثلهُ شارع مار جرجس في غير مقامهِ وشارع منسنيور شبلي كان حقُّهُ ان يُجعل امَّا قريباً من مسكنهِ في مدرسة الحكمة وامَّا بجوار كاتدرائيَّتهِ مار جرجس

ومن هذه الاسماء ما هو ملتبس لا يدلُّ على مكان معلوم مثالهُ شارع الجامع فانَّ الجوامع كثيرة فلا يُعلم ايّ منها يُراد . فان قيل لحوذيّ : قُدني الى شارع الجامع . لقال للحال: ايّ جامع . ومثلهُ شارع المستشفى مع تعدُّد المستشفيات وقد أُريد بهِ المستشفى العسكريّ والالتباس ظاهر . وكذلك شارع الشغيلة (كذا) قرب شارع المال فانَّ الشغل هناك ليس اكثر من امكنة غيره . وكشارع التجارة رأيناهُ اقلّ حركةً تجاريَّة من عدَّة شوارع أُخرى . وكشارع الكليَّة يقصدون بهِ كليَّة مار يوسف

بل ربَّما خالفت الاسماء صفة الشوارع التي وُضعت لها فان شمالي مستشفى الروم شارعَ الصناعة ولا اثر هناك لايّ صناعة كانت . ولا نرى كيف يوافق اسم « شارع الشِعر » لمكانهِ وليس هناك ما يذكر بالشعر البتَّة . وقد قصدنا شارعي التوت والليمون لعلَّنا نرى هذه الاشجار بوفرة فما اشدَّ ما كانت خيبة رجائنا والتوت والليمون في سواهما اوفر واظهر

وكم من الاسماء التي لم يمكن احدًا ان يدلَّنا على سبب التسمية بها فكأنَّها وُضعت جزافاً دون داعٍ خاصّ

وقد أُطلقت اسماء فخيمة على شوارع سقيمة كشارع فينيقية وشارع سوريَّة وشارع الاستقلال

وقد تغيرت بعض الاسماء القديمة دون سبب كافٍ الى إبدالها كشارع النهر الذي كان يُقصد بهِ نهر بيروت أُقيم بدلاً منهُ شارع باسم نهر ابراهيم كأنهم يبشرونا بنقل حركة مياههِ المسكنة بيروت وتدوير معاملها وانارة احيائها فيا حبَّذا البشرى !

وقد لحظنا بين هذه الاسماء ما لا يليق التسمية بهِ كشارع ليمونة العشاق فانَّهُ في العربيَّة وفي الافرنسيَّة (Rue des Amours) مخلّ بالادب العموميّ ومثلهُ شارع

مادلون اشارة الى اغنيّة افرنسيّة خسيسة وكفى بشارع المرسيلياز

وممّا يُؤسف له ان تُعرّض بعض الاسماء مغلوطةً كشارع السيّدة مريم العزراء (كذا بالزاي) وسوق الجميل دون تعريف المنعوت

وكان بودّنا ان نرى بين اسماء شوارع بيروت ما يستدعيه مقامها الجغرافي وتاريخها القديم . انما كان الاولى ان تُذكر مدن سواحل الشام وداخليّة سوريّة كحلب وصيداء وطرابلس وبعلبك وهي اقرب الينا من مصر ومراكش والجزائر وتركستان

وكذلك كان ادباء سوريّة احقّ بالذكر من بعض الغرباء كعبد الغني النابلسي وابي العلاء المعرّي وابن شدّاد الحلبي وياقوت الحموي . وبين كبار الرجال كان يحقّ لمعاوية التقدُّم على سواه لخدمه العظيمة لبلاد الشام فانهُ احقّ بالذكر من هارون الرشيد . ومثل ذلك يقال عن القديسين السوريين يوحنا الدمشقي ويوحنا فم الذهب الانطاكي وكيرلس الاورشليمي الذين شرّفوا بلاد سوريا باعمالهم وكتاباتهم كما شرّف بيروت اغريبا صهر اغوسطس قيصر الذي اغناها بالمباني الفخيمة وجعلها من حواضر العالم الروماني . ومثلهُ فعل اغريبا الاوّل حفيد هيرودس الكبير واغريبا الثاني (راجع كتاب لبنان ص ٢٣٦) . وممّا كان يجب إحياء ذكره باسم بعض شوارع بيروت مدرستُها الفقهيّة التي اصابت مدّة ثلثمائة سنة قصبة السباق على غيرها فهذا الاسم يوافق شارع مدرسة الحقوق الفرنسويّة اللاحقة بكليّتنا بدلاً من شارع الافتكار الغريب . ويا ليتهم دوّنوا اسماء التوخيّين امراء بيروت والشهابيين ولاسيّما الامير بشير الكبير لما لهم من الفضل على بيروت

وممّا لا يسعنا السكوت عنهُ ترجمة اسماء الشوارع الفرنسويّة فبعضها لا ينطبق مع الاسم العربيّ كشارع الكليّة المسمّى بالافرنسيّة (Rue de la Faculté) بدلاً من (Université) وشارع الاجتهاد (Rue du Progrès) والصواب (Application, Assiduité, Diligence) وشارع الحرش (Rue des Pins) بدلاً من (Rue de la Forêt) او يقال شارع الصنوبر

وفي كتابة الاسماء الفرنسويّة ما يخالف اللفظ العربي فكتبوا مثلاً (el Bikhari) والصواب (al Boukhari) وكتبوا (Rabihi) عوضاً عن (Rabbihi) وكتبوا (Essayouti) بدلاً من (Assouyouti) وكتبوا (Chrichi) يريدون (Charichi) .

وترى الحرف العربي مكتوباً على شكلين او ثلاثة بالفرنساوي فالقاف مكتوبة بالحرفين CK في (Bickaa) وبالحرف K في (Kader, Irak) وبالحرفين q و g في (Taqtaga) والصواب (Tiqtaqa) فيا لله من هذه الفوضى. ومثلها الخاء العربية فهي Kفي Cheik وهي (Kh) في (Khalil). والثاء هي Th في (Ibn al Athir) وهي S في (Saalibi) يريدون الثعالبي. والطاء تارة T في (Tabbara) وهي Th في (Fathimites) وهلم جرا. وقد زاد على هذه الاغلاط الفرنسوية صاحب رسم بيروت (Nouveau Plan de Beyrouth) فكتب الخ Essayouli, Qazzouni, Catholiqe (sic !)

فترى كم كان يجب التروي في رسم هذه الاسماء للشوارع. ورجاؤنا ان يُصلَح منها ما يمكن اصلاحهُ لئلا تستهدف مدينة بيروت لسهام الانتقاد في كتب الاجانب بعد ما شاع عنها انها مدينة المدارس والعلوم

مطبوعات شرقية جديدة

John Maynard Keynes: Les Conséquences économiques de la Paix. *Traduit de l'anglais par* PAUL FRANCK, 9e *éd., pp.*237, *in*-16, *Paris. Nouvelle Revue Française*, 1920

عواقب السلام الاقتصادية

قد شاع هذا الكتاب اي شيوع منذ ظهوره ولا عجب فانَّ مؤلفهُ كان من اعضاء محاضرة السلام والشورى الاقتصادية العليا وزاد التفات الجمهور اليهِ منذ قدَّم استعفاءهُ من هذه الرتب لاسباب بسطها في كتابهِ فنشر علانيةً وببلاغة عدَّة امور كان الناس يجهلونها فوصف وصفاً مؤثراً ما صارت اليهِ حالة اوربَّة من الضنك والبؤس بسبب تقريرات زعماء المندوبين الاتفاقيين بحق الدول المركزيَّة. ومن ثمَّ لا يستصوب عمل اصحاب تلك الجماعات الدوليَّة الملتئمة لتقرير السلام لانهُ يزعم انها تضحي صالح اوربَّة العمومي لمنافع بعض الدول ويؤيد ذلك بجداول مختلفة قابل فيها بين الواردات والصادرات والارباح والخسائر الى غير ذلك مما يدلّ على سوء

الحالة العمومية منذ عُقدت تلك الاجتماعات وتقرّرت تلك الاقتراحات. وقد كُتب الكتاب اوّلاً بالانكليزية لفائدة الاميركيين والانكليز فنقلهُ الى الفرنسوية المسيو بول فرنك فبلغ بزمن قليل طبعتهُ التاسعة. على انّهُ لم يسلّم لهُ الكلّ بآرائهِ وقد حبّذ المسيو جاك بردو (Jacques Bardoux) مارماتهِ التاريخية ولكنّهُ استخفّ بزاعمهِ الاقتصادية في مجلة « فرنسة — اميركا ». وما لا ينكرهُ احد انّ اوربة حاضراً أُصيبت بازمةٍ لم تعهد لها شبيهاً فلا بُدّ من ان يُعار هذا الكتاب بالًا لئلّا تزيد الاحوال سوءاً بل تعود الامور قريباً الى سلامها والمعاملات الدولية الى حالتها الاقتصادية المألوفة

ج . ل

Raphael Georges Lévy : La juste Paix ou la Vérité sur le Traité de Versailles. *Paris s. d., pp. X-243. in-16. Prix 7 f.*

السلام العادل او الحقيقة عن معاهدة فرسايل

هذا الكتاب تفنيدٌ للتأليف السابق فيردّ صاحبهُ على مزاعم المستر كينس الذي رأى في معاهدة فرسايل سلاماً مخلًّا واجحافاً باوربّة وقد ردَّ عليهِ خصوصاً في شأن الامور الاقتصادية التي حاول الدفاع عنها مراعاةً لالمانية. ففي فصلهِ الاوّل يدحض ادلّة المستر كينس مُثبتاً بطلانها. ثمّ يتبعهُ بفصلٍ ثانٍ ويظهر ما في وسع الالمان من الوسائط المتعدّدة لدفع الغرامة الحربيّة المقرّرة عليهم. وقد خصّص فصلهُ الثالث بايضاح ما اصاب فرنسة من الخسائر الفادحة في هذه الحرب الطاحنة ولم ينسَ حلفاء فرنسة لا سيّما بلجيكة ورومانية وايطالية. وفي الفصل الرابع وهو الاخير يبيّن كيف عادت المانية بعد الحرب بزمن قليل الى عمرانها وغناها وقابل بين شروط الحلفاء المفروضة عليها مع الشروط الباهظة التي كانت تنوي ان تسحق بها فرنسة لو خرجت من الحرب ظافرة. فيستنتج من كل ذلك انّ معاهدة فرسايل ليست منافية لاحكام العدل. امّا نحن مع كوننا مستحسنين كلام المؤلف وايضاحاتهِ نراهُ مفرطاً في دفاعهِ عن معاهدة فرسايل كأنّها في تمام الكمال وذلك ممّا لا يوافقهُ عليهِ الجميع والله اعلم

ج . ل .

CL. HUART : LE LIVRE DE LA CRÉATION ET DE L'HISTOIRE de Motahhar ben Tâhir el-Maqdisi. *T. V et VI, Paris,* 1918 *et* 1919

الجزءان الخامس والسادس من كتاب البدء والتاريخ للمقدسي

وصفنا سابقاً الاجزاء الاربعة التي نُشرت قبل الحرب من هذا التأليف الجليل . والجزءان الحاضران تتمّة الكتاب وهما يتناولان اخبار الاسلام منذ ظهوره الى ايام المؤلف اعني الى آخر خلافة المطيع لله العباسي سنة ٣٣٤ هـ . وهي مع قصرها غاية في الفائدة لما تتضمّنهُ من معلومات المؤلف الشخصيّة او المنقولة عن المصادر التاريخيّة الاصليّة . وقد عني المسيو هوارت بضبطه وتصحيحه ونقله الى الفرنسويّة وختمه بفهرس عمومي للستّة الاجزاء فزاد بها نفعهُ . على انّ عملاً كهذا لا يخلو من عدّة مشاكل يصعب حلّها على المستشرقين نفسهم وقد ازال كثيراً منها جناب الاستاذ هوارت . لكنّنا لحظنا بعض الخلل في ترجمة عددٍ من الابيات الشعريّة وضبطها على قوانين الوزن وفي الدلالة على بحورها لا سيّما البحور النادرة . فتلزم اعادة النظر فيها وربّما وُجدت لبعضها روايات اصحّ . وعلى كلّ فانّ نشر هذه الكتب العزيزة يشرّف مكتب اللغات الشرقيّة الحيّة المتولّي هذا العمل فنوجّه اليه شكرنا ل . ش

Qu'est-ce que l'Esprit français ? Vingt définitions choisies et annotées par C. Bouglé et P. Gastinel, *Paris, Garnier Frères*, in-16, 68 *pp.*, 1920

تعريف طبيعة الفرنسويين واخلاقهم

قد اجاد الكاتبان الفرنسويّان بوغله وغستينل بجمعهما في هذا الكتاب عشرين رسماً لمشاهير الكتبة في طبع الفرنسويين ومزاياهم التي تفرزهم عن سواهم من الشعوب يريدون بذلك افادة الاجانب خاصّةً . وهذه الاوصاف مقتطفة من تآليف كتبة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مباشرةً بنتيكيو . قد وجدنا في هذا المجموع نقصاً باقتصار جامعيه على تاريخ فرنسة الحديث فيستنتج القرّاء انّ فرنسة ابتدأت فقط منذ الثورة الفرنسويّة في السنة ١٧٨٩ وان محاسن الاخلاق الفرنسويّة لم تسبق هذا العهد . ثم لم نستحسن بعض تلك المنتخبات كالذي رواه عن ڤكتور

كنسيدران مثلاً فانَّ هذا الكاتب اجنبيّ اكثر منهُ فرنسويّ وليس هو جديرًا بوصف اهل بلادٍ لم يحكم معرفتها . فكان الاولى ان يكون اختيارها لرجالٍ متصفين ذوي حكمة وذوق . فانَّ لفرنسة هيئةً غريزيَّة اتَّفقت على شاكلها الاجيال المتعدّدة فلا يسوغ تشويه تلك الصورة ج . ل

Donies (J): Les Poissons de Mer : Les Variétés comestibles. Iour préparation culinaire: la pêche du Poisson de mer: les conserves de poissons. *Paris, Hachette in-16. pp. 257 et 30 Planches hors-texte en Couleurs*

سمك البحر اجناسهُ وصيدهُ وتجهيزهُ

انَّ غنى سوريَّة لا يتوقَّف فقط على املاكها البرّيَّة فانَّ لها بمجاورة البحر ثروةً واسعة لا يحويه البحر المتوسّط من الكنوز المختلفة منها سمكهُ الذي يكسب اهل السواحل ارباحاً عظيمة الّا انَّ هذه الحرفة لا يتعاطاها الّا بعض الافراد الذين يرتزقون منها ولو تشكَّلت لذلك شركات ذات رأس مالٍ كافٍ لأمكنها ان تعتني بها . والكتاب الذي نحن بصددهِ من انفع الكتب لهذه الغاية فانَّهُ يعرّف انواع السمك التي يمكن صيدها في بحرنا ثمَّ يبيّن خواصها وفوائدها للمعاش وكيفيَّة اصلاحها بالطبخ وطرائق صيدها وحفظها في العلب للمتاجرة بها . فهذا وفوائد اخرى كثيرة يمكن الحصول عليه بمطالعة هذا الكتاب وهي تفتح بابًا واسعاً للمعاش والربح في وقت الغلاء الذي يكربنا ج . ل

Prof. B. Cattan : L'Hellénisme dans la Première Constitution de l'Eglise Gréco-Melkite. *Rome*, 1920 *PP.* 31

اليونانيَّة في اوائل الكنيسة الروم الملكيَّة

ألقى حضرة الخوري باسيل قطان هذه المحاضرة في رومية في ٢٧ حزيران الماضي بحضور نخبة من الاكليروس الشرقيّ والغربيّ تحت رياسة غبطة السيّد البطريرك ديمتريوس القاضي مع جملةٍ من ذوات رومية وعلمائها وكان مدارها على نفوذ اليونانيَّة في اوَّل تكوين كنيسة الروم . فقد اطلعنا عليها برغبة ووجدنا حضرة كاتبها مجيدًا في

وصفه لانتشار الآداب والفنون اليونانيّة في سوريّة . ولا ينكر انّ لغة اليونان كانت شائعةً بين العلماء وعلية القوم وفي دوائر الحكومة والمواصلات التجارية كاللغة الفرنساويّة في ايامنا . امّا العامّة فانّنا لا نكفّ عن رأينا بانّ لغتهم كانت السريانيّة حتّى في اكبر مدن سوريّة وحاضرتها انطاكية . واما دخل العرب تغلّبت لغتهم على السريانيّة لما كان بين اللغتين من القرابة . ولا نظنّ انّ العربيّة كانت قويت على تغيير لغة السوريين لو كانوا يتكلّمون باليونانيّة

وقد ذكر المؤلف (ص١٦) مهاجرةً لليونان الى سوريّة ولا اثر لذلك في التاريخ كما لم يهاجر اليها الرومان وانّما كان بعض المأمورين وبعض فرق الجند من اليونان . وكان معظم جند الاسكندر « برابرة » من اهل البلقان . والاسكندر نفسه كان من مقدونية وكان هو وقوّاده يتكلمون لغة المقدونيّين التي كانت تخالف اليونانيّة . ثم انّهُ ذكر (ص٣٤) القديس يوحنّا الدمشقي وانّما يدلّ اسمهُ «ابن سرجون» على اصله الوطنيّ . وكان يعرف اللغة العربيّة كما تدلّ اليه مباحثته مع العرب . نعم انّهُ الّف كتبهُ باليونانيّة لانّها كانت لغة العلماء كما ان القديس برنردوس كتب باللاتينيّة وهو يتكلّم بلغة عامّة وطنه . ثمّ ان كتب العرب عند ذكرهم الملكيين يصرّحون بانهم كانوا يقرأون الانجيل « بالجرمقانيّة » يريدون السريانيّة . وفي اثارهم الدينيّة ما يشعر بذلك كاسم « مرتمريم » اي السيّدة مريم . ومن ثمّ اني اكرّر ما اثبتهُ سابقاً في الشرق انّ الملكيين وطنيّون من اصل سرياني وكانت لغتهم وطقسهم سريانيّين ولا سيّما في داخليّة البلاد ريثما يأتينا احد بأدلّة تنقض رأينا السابق ه . ل

رواية البطل الصنديد او القديس سفستيانوس الشهيد

بقلم الاب بولس سيّور البولسي

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص ١٨٣) ٠٠

يُعَدّ القديس سفستيانوس بين ابطال النصرانيّة وكماتها المبرّزين فانّهُ بعد ان اشتهر في الجنديّة العالميّة فحصل بشهامته على رُتبها العالية تجنّد لربّه وجاهد في سبيل الايمان جهاداً افضل واشرف بلغ اوج الفخر وذروة المجد الحقيقي في عهد ديوكليسيانوس الملك . فسيرة هذا البطل الصنديد قد سبكها حضرة الاب بولس سيّور

على صورة رواية تجمع بين اللذّة والفائدة التاريخيّة فنحرّض كل الشبّان ولا سيّما احداث المدارس على مطالعتها فلا شكّ انهم يُسرّون بمضامينها وحُسن سبكها وانسجام عباراتها ل.ش

بناء على المرسح

رواية ذات خمسة فصول تأليف الخوري بشاره منصور عبيد واديب افندي لحود. طبعت في نيويرك سنة ١٩١٩ (ص ٧٧)

اخذت الحوادث التي جرت في وقت الحرب العمومية تشحذ اذهان الشعراء والكتبة والروائيين. فمنا يستحبّ تمثيلهُ على المراسح بعض اعمال الاتراك في سوريّة في تلك الاثناء. وهاءنذا برواية تمثيليّة لم يتّبع فيها صاحباها الفاضلان القوانين المرعيّة في هذا الفنّ من وحدة عمل ووحدة زمان وانّما جعلاها كصور السينماتغراف ينتقل فيها الناظر من سيئة الى اخرى اتاها الاتراك في هذه السنين المشؤومة فاذا انتهى الى اخرها شكر الله الف شكر عن نجاة العالم من اولئك الطغاة وأثنى على مصنفي الرواية

تآليف الشيخ محمّد جمال الدين القاسميّ

اوقفنا على مآثر الشيخ جمال الدين القاسميّ نجلهُ الفاضل فاتحفنا بثمانية منها فاذا هي فريدة في بابها تدلّ على ما كان عليه الشيخ من العلم الواسع بامور دينه الاسلامي وبآداب مأتهِ وهي متقنة الطبع نُشر معظمها في دمشق بين السنتين الهجريّتين ١٣٢٧ و ١٣٣١ (١٩١٠—١٩١٤) : نخصّ منها بالذكر كتابهُ نقد النصائح الكافية فدافع بكل انصاف عن معاوية الخليفة الامويّ ورهطهِ وبيّن فضلهُ بالادلّة العقليّة والنقليّة كما سبق اليهِ حضرة الاب هنري لامنس في كتابهِ الافرنسي «معاوية». ومنها كتابهُ شرف الاسباط اثبت فيهِ انّ الشرف الصميم في الاسلام هو الراقي الى صاحب الشريعة بالتواتر اباً عن جدّ من ابنتهِ السيدة فاطمة الزهراء. ومنها كتابهُ الفتوى في الاسلام دوّن فيهِ خلاصة تاريخ هذا العلم وآدابهُ منذ اوائل الاسلام وذلك بكل دقة وبيان. ومنها شرحهُ لكتاب منطقي وضعهُ الامام بدر الدين الزركشي المتوفّى سنة ٧٩٤ هـ يُدعى لقطة العجلان فسرهُ تفسيراً واسعاً وكشف فيهِ عن مقاصد كاتبهِ وقرّب معانيه لدارسي المنطق. ومنها ايضاً كتابهُ مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام

في الجنّ جمع فيهِ اراء الفقهاء والشعراء والادباء في تعريف الجنّ وما يُنسب اليهم من الاعمال وهو ينطبق على ما رواهُ حضرة الاب بولس سلمان عن الارواح في شرقي الاردن (راجع ص ٥٦١) . وغير ذلك من كتب الفقه وكان الشيخ المرحوم احمد انسته المعدودين جازاهُ الله في دار البقاء على قدر ما كتب ونفع ل . ش

شذرات

﴿ مَنْ هو صاحب كتاب الكهنوت ؟ ﴾ لمّا نشر حضرة القس يوسف حبيقة كتاب الكهنوت فوصفناهُ في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ١٥٧) لم نوافقهُ على نسبتهِ الى القديس يوحنّا مارون استناداً الى نسخة الشرفة وما ذكرهُ اثبت العلماء من جملتهم العلّامة السمعاني في المكتبة الشرقيّة (١ : ٥٢٠ و٢ : ١٢٢) واذكر المسيو رستاه وبرّ آخرًا هذا القول في كتاب التقاليد الفرنسويّة في لبنان انكرناهُ عليهِ (ص ٧١٢) . فكتب حضرة القس نبذةً في رسالة السلام (٢ : ١٩٨) لتأييد رأيهِ . ونحن لا نريد ان نتتبّع حضرتهُ في هذا الجدال . وانّما نعرض عليهِ الدواعي لقولنا : ١ً ان من كتاب الكهنوت نسخةً ثانيةً قديمة في كنيسة اليعاقبة في مديات تصرّح في صدرها بنسبتهِ الى موسى بركيفا . ٢ً انّ العارفين بكتب بركيفا وآرائهِ يستدلّون بسهولة على انشاء هذا الكاتب وافكارهِ اذا قابلوا كتاب الكهنوت مع بقيّة تآليفهِ الطقسيّة . ٣ً وليس عجباً ان رأيت (Wright) في كتاب الآداب السريانيّة لم يذكر كتاب الكهنوت بين تاليف بركيفا اذ لم يعرف النسختين المذكورتين كما انّهُ لم يذكر ولا كتاباً واحداً للقديس يوحنّا مارون بل لم يدوّن اسمه . ومثله روبنس دوڤال . ٤ً انهُ لا تُعرف نسخة قديمة ورد فيها نسبة الكتاب الى القديس يوحنّا مارون . والنسخة الوحيدة التي ذُكر فيها ذلك هي نسخة الحاقلاني المكتوبة بخطّ يدهِ دون تصريحهِ بالنسخة التي اخذ عنها . وفيها وحدها الزيادات التي اشار اليها حضرة القس يوسف فلا يمكن ان تُتّخذ حجّةً كما شهد على ذلك السمعاني حيث قال (في المكتبة

الشرقيّة ١ : ٥٢٠) : « يوجد كتاب في الكهنوت في ٤٠ فصلاً كتبهُ بيده ابراهيم الحاقلاني ولم نقف على النسخة التي نقلهُ عنها » . وقد أنكر في محلٍّ آخر انها للقديس يوحنّا مارون قائلاً (ج ٢ : ١٢١) (non Maronis genuinum opus esse) .

٥ً كلّ من ذكر من علماء الموارنة كتاب الكهنوت ونسبوهُ الى القديس يوحنّا مارون لا يعرفون الّا نسخة الحاقلاني فلا يعوّل عليها . ٦ً نعم نسلّم لحضرة القس يوسف بانّ كتاب الكهنوت ليوحنّا الداري هو غير كتاب الكهنوت الذي في النسخة الحاقلانيّة وهذا ما يؤيد رأينا بأنهُ لبركيفا . واما قول حضرة القس يوسف بأنهُ يحتمل ان بركيفا نقل هذا الكتاب وادّعى بهِ فهو بعيد عن عظم مقامهِ بين الكتبة . وعلى كلّ حال نتمنّى ان يجد حضرتهُ او احد غيرهُ نسخةً قديمة تثبت رأيهُ الّا انّ العدل يضطرّنا مع السمعاني والعلّامة رينودو الشهير الى ان نؤدي لكل ذي حقّ حقّهُ ل . ش

﴿ مراقبة الصور المتحركة بالمانية ﴾ عزمت الحكومة الالمانية في بدء هذه السنة على سنّ قانون لمراقبة الصور المتحركة . في البند الاول منه يقال ان كل شريط (film) منها ينبغي تقديمهُ للفحص الرسمي قبل عرضهِ للجمهور . ولا تُمنح الرخصة بذلك كلّما يُخشى منهُ تشويش الأمن العام او تخديش العواطف الدينيّة او اثارة الاهواء السافلة الحيوانية التي تقود الشبان الى هاوية الفجور متى أُطلق لها العنان . وما عدا كل هذه القرارات فانهُ يُحظر على عارضي الصور المتحركة ان يُدخلوا في معاهدهم شباناً لم يبلغوا السابعة عشرة من عمرهم فيعرضوا امامهم من الصور ما يُهيّج مخيّلتهم ويمسّ آدابهم

فهذا القانون الصارم وليت كل حكومات الامم المتمدنة تسنّ مثلهُ صيانة لحياة ابنائها الدينية والادبية !

﴿ سرعة الطيّارات في طبقات الجو العليا ﴾ من بضعة اشهر جاء في مقالة للمسيو راتو Rateau تلاها بأكاديمية العلوم الفرنسوية ما يأتي : « في علو ٥،٧٦٣ متراً حيث تنقص مقاومة الهواء يمكن مواصلة الطيران بدون تجديد مؤونة الوقود على مسافة ٤،٣١٥ كيلو متراً اعني اكثر من عرض الأتلنتيك . وفي نفس تلك الظروف يتيسر ادراك سرعة ٤٦٣ كيلومتراً في الساعة . والحال ان معظم السرعة التي بلغها امهر الطيّارين حتى الآن هي ٢٧٦ كيلو متراً في الساعة . واذا تمكّنت الطيّارة من حمل

ضعف مؤونتها المعتادة من الوقود فانها تقدر ان تقطع ٦٥٠ ، ٦ كيلومترًا على التواصل في علوّ ٨،٢٨٢ مترًا اعني انها تستطيع ان تجتاز دفعةً واحدة المسافة بين باريس وشيكاغو . واذا سارت بسرعة ٤٦٠ كيلو مترًا في الساعة التي تُدرَك في كلا الحالين السابقين تضحي نيويرك على بعد ١٢ ساعة فقط من لندن بدلًا من ستة ايام

﴿عدد السيارات في الولايات المتحدة﴾ قد انتشرت هناك تلك وسائط النقل انتشارًا لا يجاريها به أرقى الاقطار الاوربيَّة تمدُّنًا واعظمها غنىً واقدرها صناعةً كانكلترة وفرنسة . فوفقًا للاحصاء الرسمي الواقع في غرَّة تموز سنة ١٩١٩ يبلغ عدد السيارات في الولايات المتحدة ٢٣٣ ، ٣٥٣ ، ٦ . وحيث عدد جميع السكان ١٦٧،١٨٦،١٠٥ فينتج عن ذلك انَّ لكل ١٩ منهم سيارة !

امَّا فرنسة فرغمًا عن شهرتها بصناعة السيارات ورواج اسواقها في هذا الصنف لا تملك سوى نحو مئة الف سيارة اعني ٦٣ مرَّة اقلّ من الولايات المتحدة . وبناء على ذلك لكل ٤٠٠ فرنسويّ سيارة

امَّا اغنى ولاية من الولايات المتحدة بالسيارات فهي نبرَسكا (Nebrasqa) وحدها حائزة على ١٨٣،٠٠٠ سيارة . تقريبًا ضعف ما لفرنسة افهناك سيارة لكل سبعة اشخاص ! وفي سنة ١٩١١ كان عدد سيارات كل الولايات ٦٧٧ ، ٠٠٠ وفي سنة ١٩١٤ بلغ ١ ، ٧١١ ، ٣٣٩ وفي سنة ١٩١٦ : ٣ ، ٥١٢ ، ٩٩٦ وفي اوائل سنة ١٩٢٠ : ٦ ، ٣٥٣ ، ٢٣٣ . فتكون زادت عشرة اضعاف في ظرف تسع سنوات

﴿تجارة الولايات المتحدة مع اوربة في سنة ١٩١٩﴾ بلغ مجموع الصادرات قيمة ٥ ، ١٨٦ مليونًا من الدولارات منها ٢٢٧٩ لأنكلترة و ٨٩٣ لفرنسة و ٤٤٣ لايطالية و ٩٣ لالمانية . وبلغ مجموع الواردات قيمة ٧٥١ مليونًا من الدولارات . منها ٥٠٩ لانكلترة و ١٢٤ لفرنسة و ٥٩ لايطالية و ١١ لالمانية . فيتضح اذن ان الولايات اكتسبت بتجارتها سنة ١٩١٩ مبلغ ٤،٤٣٥ مليونًا من الدولارات !

امَّا سنة ١٩١٣ فكانت قيمة الصادرات ٢٤٨٤ مليونًا من الدولارات وقيمة الواردات ١٧٩٢ مليونًا . فمن ذلك العهد حتى اليوم زادت الصادرات زيادة ٢٧٠٢ مليونًا ونقصت الواردات نقصان ٧٤١ مليونًا . فلا غرو إذن انَّ للدولار السبق على كل عملة سواه كالليرة الانكليزية والفرنك وغيرهما

و . ن

أسئلة واجوبة

س سأل احد افاضل البلدة كم هو عدد اهل رومانية وما هي مدنها الكبيرة ورومانية وسكانها ومحاصرها

ج اشتهرت دولة رومانية احصاء سكانها الاخير سنة ١٩١٣ فكان عدد نفوسها بالغاً ٧،٢٤٨،٠٦١ بزيادة ١،٢٩١،٣٧١ على الاحصاء السابق سنة ١٨٩٧. ومعظم سكان رومانية قرويون يبلغ ٥،٩١٨،٩٢٨ اما قطان المدن فلا يزيدون على ١،٣٢٩،١٣٣ وليس فيها مدن كبيرة غير عاصمتها بوخارست (بقرش) عدد اهاليها ٣٣٨،٠٠٠ يليها ياسي ٧٦،٠٠٠ ثم غالاتس ٧٢،٠٠٠

س وسأل الاديب عبدالله ب. الشدياق من ماآتس في كولمبية أتعرف شيئاً عن مستشرق كولومبي يدعى حزقيال اوريكونشايا توفي في بيروت سنة ١٨٨٠

حزقيال اوريكونشايا المستشرق الكولومبي

ج هذا تعريب ما ورد باللاتينية في سجل كنيسة الآباء الكبوشيين في تاريخ ٢٨ من تموز سنة ١٨٨٠: «أسلم نفسهُ للرب في التاريخ المذكور المدعو Ezechiel Uricoechea المولود في حاضرة بوغوتا في اميركا متحداً بامنا الكنيسة المقدسة وذلك في مستشفى مار يوحنا بداء السكتة ولهُ من العمر ٤٦ سنة. فدُفن جسمهُ في اليوم التالي في مقبرة الرعية». اما بقية اخباره وتآليفهُ الشرقية فلا نعرف منها سوى ترجمته لغرامطيق المستشرق كسباري نقلهُ من الالمانية الى الافرنسية فنشره في باريس وبروكسل سنة ١٨٨٠

س وسأل احد القراء هل من فائدة من (بزر) العنب والزبيب

(بزر) العنب والزبيب

ج نعم انَّ منهُ فائدةً عظيمة لم ينتبه اليها اهل بلادنا واصحاب الكروم وعرفها الايطاليون منذ ١٥٠ سنة فانهم يستخرجون من هذا (البزر) كميات كبيرة من الزيت فانهم يدقونهُ ثم يبلونهُ وبعد ان يحمونهُ في مراجل الى ٦٠ درجة يعصرونهُ فيخرج منهُ زيتٌ للصناعة يباع القنطار منهُ من ٥٠٠ الى ٨٠٠ فرنك. ومعدَّل ما يُستخرج منهُ في السنة ٢٦٦،٠٠٠ قنطار ل.ش

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الثامنة عشرة من مجلّة المشرق ١٩٢٠

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرقم على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) البركة الرسوليّة – تحية المشرق لقرّائه ل . ش (١–٣) = بين عصرين (قصيدة) للاديب يوسف غصوب (٤) – اعظم طامّة في الحرب العامّة . للاب ل . شيخو اليسوعي (٤–١٦ ; ٣ : ١٣٥–١٤٤ ; ٤ : ٢٨١–٢٩٩ ; ٦ : ٤٦٤–٤٧٣ ; ٨ : ٦٢٩–٦٣٤) = الوهم في الحيوانات والحشرات وحبّها الغريزي لنسلها للاب اسكندر طوران اليسوعيّ (١٦–٢٤) = حول جزيرة العرب : نظر تاريخي اجتماعيّ للاب ل . شيخو (٢٤–٣٥ ; ٣ : ١٠٧–١١٧ ; ٣ : ١٧٨–١٨٤ ; ٤ : ٢٨٣–٢٨٧ ; ٥ : ٢٢٢–٢٢٨ ; ٦ : ٤٢٥–٤٣٩ ; ٧ : ٥٢٤–٥٢٨ ; ٨ : ٦٢١–٦٣٨) = كتاب الكتّاب لابن درستويه : نشره الاب ل . شيخو ٣٥–٤٧ ; ٣ : ١٢٨–١٣٥ ثمّ في بقيّة الاعداد) = مؤتمر سورية في مرسيليا . لهُ (٤١–٤٧) = البلشفيّون : اصلهم ومبادئهم واعمالهم . لهُ (٤٧–٥٤) = ترقّي علم الاجسام المشعّة لاحد الآباء اليسوعيّين (٥٤–٥٦) = اعتراف اليهوديّ . للاب لنوار اليسوعيّ . تعريب الخوري مارون غصن (٥٧–٦٠) = مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر الى الشرق . للاب يوسف منجان اليسوعيّ (٦١–٦٥) = الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر . للاب ل . شيخو (٦٥–٦٩ ; ٤ : ٣٠٠–٣٠٩ ; ٩ : ٦٧٥–٦٨٦ ; ١٣ : ٩٦٩–٩٧٣) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧٠) = شذرات : خلاص الوطن على يد بطريركين اخناكيين – الأنصاب في فلسطين – اثبات الماديّات لصحّة الكتاب المقدّس – اثر ديني مصري في لبنان – الآثار المصنوعة في سورية – مساعي جديدة في حلّ سرّ الكتابات الحثّيّة – المرصد الفاتيكانيّ – انتشار السلّ بنفض اوعية المسلولين – العليّاون في الحرب – الكتابات العربيّة الاثريّة في مصر (٧٤–٧٩) = اسئلة واجوبة : تاريخ الميلاد المسيحيّ اصلهُ وثباتهُ – النور والشمس (٨٠)

العدد ٢ (شباط) مساعي آل الوطن في اثناء الحرب . نظر عمومي للاب ل . شيخو (٨١–٩٥ ; ٥ : ٢٨٣–٢٩٣ ; ٦ : ٤٤١–٤٥٥) = الحقوق البدويّة في شرقي الاردن للخوري بولس سلمان (٩٦–١٠٦ ; ٣ : ١٨٤–١٩١ ; ٤ : ٢٥٦–٢٦٨) = ديوان عمرو بن قميئة نظر انتقادي للاب انطون صالحاني اليسوعي (١١٨–١٣٨) = الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي لعيسى افندي اسكندر المعلوف (١٤٤–١٤٨) = الدعارة وآدابها بين عرب الجاهليّة للاب ل . شيخو (١٤٩–١٥٤ ; ٣ : ٢٢٥–٢٣٠ ; ٤ : ٢٦٩–٢٨٢ ; ٥ : ٢١٧–٢٨٢ ; ٧ : ٥٢٩–٥٤٣ ; ٨ : ٦٠٧–٦١٢ ; ٩ : ٦٩٨–٧٠٦ ; ١٠ : ٧٨٩–٧٩١ ; ١١ : ٩٤٦–٩٥١ ; ١٢ : ١٠٠٧–١٠١١) = مطبوعات شرقيّة جديدة (١٥٤–١٥٨) = شذرات : نسخة من تاريخ البطريرك اسطفانوس الدويهي – سرعة تموّجات التلغراف اللاسلكيّ – حلّابة صناعيّة (١٥٨–١٥٩) = اسئلة واجوبة : اصل الالفاظ : صباهي . سراي . زواف . طربوش – تسمية المحافل الماسونيّة بأسماء شرقيّة – حلاقة الحبر الاعظم لشعره – رسالة لتيلوس (١٦٠)

العدد ٣ (آذار) الرتبة الكردينالية والكراداة الشرقيّون للاب ل. شيخو (١٦٣–١٧١) = التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه للاب انطون صالحاني اليسوعيّ (١٩١–٢٠٠) = الثلج في بيروت وسواحل لبنان للاب ل. شيخو (٢٠٠–٢٠٥) = ضلال الوهم في الحيوانات والحشرات للاب اسكندر طوران (٢٠٥–٢١٧) = الانجيل والسلام للخوري بطرس فرج صفير (٢١٨ – ٢٢٥) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٢١ –٢٢٥) = شذرات : المعزّون في كاليفورنية – اتّقاد الفحم بفعل الظواهر الجويّة – الحثّ – معالجة قصر النظر – امتحان جديد لدوران الارض – دياميس نصرانيّة جديدة – آثار نصرانيّة في طرابلس الغرب – نقل الابنية من أمكنتها نقل الاطمة المجسّدة (٢٢٥–٢٢٩ = اسئلة واجوبة : مساحة سوريّة وعدد سكانها – امتيازات ذوي الرتب الشرفيّة الرومانيّة (٢٤١)

العدد ٤ (نيسان) انتصار الصليب للاب ل. شيخو (٢٤١ – ٢٤٩) = مناحة جبرائيل القلاعي على رفيقه الاب يوحنّا الفريق نشرها القس جرجس منش (٢٥٠–٢٥٦) = اثر قديم للبطريرك اغناطيوس جروه نشره الاب ل. شيخو (٢٥٧–٢٦٩) = اثر قديم لاندراوس اسكندر الماروني نشره الاب بولس بيترس اليسوعي (٢٧٠–٢٧٨) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٢٧٩–٢٨٤) = شذرات : الفحم المعدني في المانية — المتحف والارواح الشرّيرة – اثر قديم لاندراوس اسكندر الماروني (٢٨٥ –٢٨٨) = اسئلة واجوبة : حفلة عقد الزواج في الصيام : السيّد المسيح اقنومه وطبيعتاه . جواب منظوم على سؤال عرضه بعض المسلمين شعراً للخوري نقولا ابي هنا (٢٨٩–٢٩٠)

العدد ٥ (ايّار) قد كنت ميتاً وها انا حيّ (قصيدة) لاحد الكهنة الافاضل (٢٩١–٢٩٤) = الجمهوريّة الفرنسويّة الثالثة وروسائها للشيخ سليم الدحداح (٢٩٤–٣٠١ ؛ ١١ : ٩٥٧–٩٥٨) = زجليّة في وصف الغلاء والجوع والضيق منذ مائة وثلاثين سنة نشرها عيسى اسكندر المعلوف (٣٠٨ – ٣٤٨) = الحشرات الجرّاحة نظر اخلاقي في طبيعة الحيوان للاب اسكندر طوران (٣٤٩–٣٦٦) = التوابع او كبار الرجال بحث فلسفي اجتماعي للقس اوغسطين مرمرجي البغدادي (٣٦٦–٣٧٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٧٣–٣٩٧) = شذرات : التعليم العالي باللغة العربيّة – قمة الهلال على طوابع بريد الشام – مار افرام ملفان الكنيسة – ترقي الكتلكة في ايّام الحرب وبعده – خبز التبن (٣٩٧ – ٣٩٩) = اسئلة واجوبة : مريم العذراء ارزة لبنان – الصقالبة : بلادهم ولغتهم (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) ثلث زهرات نفيسة في حديقة الكنيسة للاب ل. شيخو (٤٠١–٤١٢) = اللاهوت البدوي في شرقيّ الاردنّ للخوري بولس سلمان (٤١٣–٤٢٤) = تجديد فنّ الجراحة على يد الدكتور كارل للاب رفائيل نخله اليسوعيّ (٤٣٩–٤٣٥) = رجل الخير المرحوم صالح نعمة للخوري مبارك الرشاوي (٤٣٥– ٤٤٠) = العقوبة عند البدو في سوريا للاديب ميشال شبلي (٤٥٥–٤٦٤) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٤٧٣—٤٧٧) = شذرات : نكبات النصارى – الطاولات الدائرة – المئة الثالثة – اول علماء اللغات الهنديّة من المستشرقين – السريان الكاثوليك في البصرة (٤٧٧– ٤٨) = اسئلة واجوبة : ترشيش وطرسوس وطرطوس — الجمة وقدمها (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) الآداب العربيّة منذ نشوب الحرب العموميّة نظر اجمالي للاب ل . شيخو (٤٨١-٤٩٤) = الحشرات المتطفّلة للاب اسكندر طوران (٤٩٥-٥٠٣) = النقابات والإضراب . بحث اجتماعي للشيخ ادوار الدحداح (٥١٥-٥٢٤ ; ٨ : ٦١٤ - ٦٢١) = الكنيسة ومناهضة الحروب للخوري بطرس فرج صنبر (٥٢٤-٥٣٤) = تنصّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان للكاتبين عيسى اسكندر المعلوف والشيخ سليم الدحداح (٥٤٣-٥٥٢) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٥٥٢—٥٥٧) = شذرات : الندبة جان درك في لندن ونيويورك - الطاولات الدائرة في الصين — مكافأة الحبر الاعظم لمحسنين صينيّين — متحف التاريخ الطبيعي في لندن (٥٥٧-٥٥٩) = اسئلة واجوبة : البطريرك نوح اللبابي - يوحنّا مرعون (٥٦٠)

العدد ٨ (آب) الارواح في شرقيّ الاردن للخوري بولس سلمان (٥٦١ - ٥٧٠ ; ٩ : ٦٥٥-٦٦٤) = طرفة من اخبار دير الشرفة للقس اسحاق ارمة السرياني (٥٧٩-٥٩٥) = شذرات تاريخيّة من صحائف منسيّة . نشرها الاب ل شيخو (٥٩٦-٦٠١) = تنصّر الامراء اللمعيّين المتنين للمنسيور بطرس حبيقة (٦٢٧-٦٣٨) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٦٣٤—٦٣٧) = شذرات : تنصّر الامراء المعنيين التنوخيين - انتحار الحيوان - حفريات عسقلان - سقوط الحكومة الشرعيّة — الطاولات الدائرة (٦٣٧—٦٣٩) = اسئلة واجوبة : التوحيد والتثليث — اصل غاز البترول (٦٤٠)

العدد ٩ (ايلول) ترقّي العلوم منذ نشوب الحرب الاب وفيق غنه اليسوعي (٦٤١ - ٦٥٥) = مجلس البادية في دمشق وجلسة بقلم الاديب الياس سابكي (٦٧١ - ٦٧٥) = رحلة الامير بشير الاول الى مصر للشيخ سليم الدحداح نشرها الشيخ سليم الدحداح ٦٨٧-٦٩١ ; ١٠ : ٧٣٣-٧٣٩ ; ١١ : (٨٨٩-٨٩٩) = النسيمي الشهيد الحلبيّ للسيّد يعقوب برسفيان . نشرها الاب ل . شيخو (٧٠٦-٧١١) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧١٢-٧١٧) = شذرات : عجائب الله — ضحايا الحرب بضرب المدافع — فقيد العلوم السريانيّة - شيخ الكويت - الاعلان لبنان الكبير (٧١٧-٧١٩) = اسئلة واجوبة : تسديد الديون - دير قوبل (٧٢٠)

العدد ١٠ (تشرين الاوّل) نابغة السريان القديس افرام الملقان الاب ل . شيخو (٧٢١-٧٣١) = ارهام الدارس بعد شهادة المدارس لخاري ايليا ك مرآة بقلم الاديب ميشال شبلي (٧٤٠-٧٤٩) = الرثاء الشاعر القرشيّ الخوري حنّا وعد في مدح فرقة نشرها الاب ل . شيخو (٧٤٩-٧٥٣) = جمعيّة الامم الاديب ايلي تيّان (٧٥٤-٧٦٨) = الصهيونيّة : ماضيها وحاضرها ومستقبلها الاب ل . شيخو (٧٦٨-٧٧٨) = حوادث عين ابل . رواية شهادة عيانيّة للاخت كليمنتين خيّاط (٧٧٩-٧٨٩) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧٩٣-٧٩٨) = شذرات : تمثال قداسة الحبر الاعظم في الاستانة - نجم جديد - استخدام الشمس بدلاً من الفحم - نقد اسلامي مصوّر (٧٩٨-٧٩٩) = اسئلة واجوبة : ضرب الارواح لمدينة بيروت — مدرسة الطب المصرية في قصر العين — القربانة المطبوعة (٧٩٩—٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) رسالة دايسطيوس في السياسة نشرها الاب ل . شيخو (٨٨١-٨٨٩) = المزارات في شرقي الاردن للخوري بولس سلمان (٩٠٠-٩١٥) = عيد جميع

القديسين نظر تاريخيّ طقسيّ اجتماعي (٩٢٧-٩٢٤) = معابر القطارات للاب رفائيل نخله اليسوعي (٩٢٤-٩٤١) = مقاتلة المشرات الضارّة بالزراعة للاب اسكندر طوران (٩٤١-٩٤٥: ١٢ : ٩٩٨-١٠٠٧) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٩٥١-٩٥٧) = شذرات: رئيس جمهورية فرنسة الجديد - الاكليروس الفرنساوي في الحرب الكونيّة — فقيد العلوم الشرقيّة — كنيسة الجسمانيّة القديمة — ايضاح عبارة (٩٥٧-٩٥٩) = اسئلة واجوبة : آطنة ودرين — رسالة تهذيب الاخلاق (٩٦٠)

العدد ١٢ (كانون الاوّل) القديس ايرونيموس والشرق : نبذة تاريخيّة للاب ل. شيخو (٩٦١-٩٦٨) = بردصان وبدعته. نظر تاريخي فلسفي للاديب رزق الله افندي غنيمة البغداديّ (٩٧٧-٩٩٢) = كيف يقرأ ريكتب العميان للاب رفائيل نخله (١٠١١-١٠٢٤) = شوارع بيروت واسماؤها الجديدة (١٠٢٤-١٠٢٠) مطبوعات شرقيّة (١٠٢٩-١٠٢٦) = شذرات : صاحب كتاب الكهنوت - مراقبة الصور المتحركة في المانية — عدد السيّارات في الولايات المتحدة مع اوربّة سنة ١٩١٩ (١٠٢٦-١٠٢٩) = اسئلة واجوبة : عجم (بزر) العنب والزبيب وفوائده — احصاء رومانية الاخير — المستشرق الكولومبيّ حزقيال اوريكوتشابا (١٠٤٠) = اربع فهارس عربيّة — فهرس افرنسيّ لاعداد السنة ١٠٤-١٠٥٦

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن درستويه : كتاب الكتّاب ٢٥٠ ; ١٢٨ الخ
ابو مهنا (الخوري نقولا) : ردّهُ بالشعر على منظومة احد المسلمين ٢١٩
ارملة (القس اسحاق السريانيّ) نشرهُ لاثر تاريخي ٤٧٩ طرفة من اخبار دير الشرفة ٥٧٩-٥٩٥
اسكندر (اندراوس الماروني) : اثر تاريخي من قلمهِ ٢١٧
بيطرس (الاب بولس اليسوعي) نشرهُ لاثر قديم لاندراوس اسكندر الماروني ٢١٧
تيّان (الاديب اميل) جمعيّة الامم ٧٥٤-٧٦٨
جروه (البطريرك اغناطيوس) رسالتهُ الى اهل البصرة ٢٩٧
حبيقه (المنسنيور بطرس) نبذة في تنصّر الامراء الدوجي (البطريرك اسطفان) نبذة تاريخيّة للسمين المتنبين ٦٢٧-٦٢٨
خيّاط (الاخت كليستين) حوادث عين ابل رواية شاهدة عيانيّة ٧٧٩-٧٨٩
داسطيوس : رسالتهُ في السياسة ٨٨١
الدحداح (الشيخ ادوار) النقابات والاضراب ٥١٥ ; ٦١٤
الدحداح (الشيخ سليم) رحلة الامير بشير الاولى الى مصر ٦٨٧ ; ٧٣٢ ; ٨٨٩
الدحداح (الشيخ سليم) الجمهوريّة الثالثة ورؤساؤها ٢٢٤-٢٣١ ; ٩٥٧ تنصّر الامراء الشهابيين واللمعيين ٥٤٢-٥٥٢ نشرهُ لرحلة الامير بشير الاولى الى مصر بقلم سليم الدحداح ٦٨٧ ; ٧٣٢ ; ٨٨٩

بقاسم ١٥٨
ر . ش (الاب اليسوعيّ) ترقيّ علم الاجسام المشمّة ٥٤
الرشاوي (الخوري مبارك) رجل الخير المرحوم صالح نعمة ٤٣٤-٤٤٠
رعد (الخوري حنّا النزيري) قصيدتان لهُ في مدح فرنسة ٧٤٦-٧٥٢
سلمان الخوري بولس (الروم الملكي الكاثوليكي) الحقوق البدويّة في شرقيّ الاردن ٩٦ ؛ ١٨٤ ؛ ٢٥٦ اللاهوت البدويّ في شرقيّ الاردن ٤١٣-٤٢٤ الارواح في شرقيّ الاردن ٥٦١ ؛ ٦٥٥ المزارات في شرقيّ الاردن ١٠٠-١٠٥
شبلي (الاديب ميشال) المقربة عند البدو في سوريا ٤٥٥ — ٤٦٢ تعريبهُ لمقالة هنري مايهاك «اوهام الدارس بعد شهادة المدارس» ٧٤٠-٤٧٩
شيخو (الاب لويس اليسوعي) تحيّة المشرق لقرائهِ ١ اعظم طامّة في الحرب العامّة : نظر اجمالي في الحرب الاوربيّة الاخيرة ٤ القسم الاوّل : الدول المركزيّة ٥ المانية ٥ النمسة ١٣ تركيّة وبلغارية ١٥ القسم الثاني : الدول الاتفاقيّة ١٢٥ فرنسة ١٢٥ روسية ١٤١ بريطانية العظمى ٢٨٨ صربية ٤٦٤ الجبل الاسود — رومانية ٤٦٨ اليونان ٤٦٩ بلجيكة ٤٧٠ ايطالية ٦٢٨ اميركا ٦٣٢ حول جزيرة العرب : وصف اجمالي للجزيرة واتجاهاتها ٢٤ الدين فيها ٣٠ دولها الاجنبيّة والوطنيّة ٣١ الحركة الوهابيّة ومنشئها واطوارها المختلفة مع اخبار نجد ٢٢ ؛ ١٠٧ — ١١٧ ؛ ١٧٨—١٨٢ بنو رشيد امراء حائل ١٨٣ ؛ ٢٨٢—٢٨٧ اليمن وائمتها ٢٢٢—٢٢٨ عسير والادريسي ٤٣٥—٤٣٩ مكّة وشرفاؤها ٥٣٤ — ٥٣٨ حضرموت وامراؤها ٦٢١ عمان وائمة مسقط ٦٢٢ الكويت وشيوخها ٦٢٦ نشره لكتاب الكتّاب لابن دريستويه ١٢٥؛١٢٨ الخ . مؤتمر سوريّة في مرسيلية ٤١ — ٤٧ البكشيون : اصلهم ومبادئهم واعمالهم ٤٧—٥٤ الطائفة المارونية والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٦٥ ؛ ٣٠٠ ٦٧٥ ؛ ٦٦٩ مناعي آل الوطن في اثناء الحرب ٨١ ؛ ٣٨٣ ؛ ٤٤١ النصرانيّة وآدابها : الحكم ١٤٩ الحديث والتوراة ٢٢٥ ؛ ٢٦٨ الخطابة النصرانيّة بين عرب الجاهليّة ٢٧٧ التاريخ النصراني ينهم ٥٣٩ التعاليم الفلسفيّة واللاهوتيّة ينهم ٦٠٧ الفنون الجميلة : هندسة البناء ٦٩٨ ؛ ٧٨٨ التصوير والنحت ٩٤٦ الموسيقى والغناء ١٠٠٧ نشرهُ لاثر للبطريرك الدويهي ١٥٨ الرتبة الكردينالية والكرادلة الشرقيّون ١٦١ - ١٧١ الثلج في بيروت وسواحل لبنان ٢٠٠— ٢٠٥ انتصار الصليب ٢٤١ — ٢٤٩ نشرهُ لاثر للبطريرك اغناطيوس جروه ٢٩٧ ثلاث زهرات نفيسة في حديقة الكنيسة ٤٠١ — ٤١٢ الآداب الدينيّة منذ نشوب الحرب العموميّة ٤٨١ — ٤٩٥ شذرات تاريخيّة من صحائف منسيّة ٥٩٦— ٦٠٧ نشرهُ لرواية النسيبي الشهيد الحلبي ٧٠٦—٧١١ نابغة السريان القديس افرام المفان ٧٢١—٧٣١ نشرهُ لاثرين للشاعر النزيري الخوري حنّا رعد في مدح فرنسة ٧٤٩ - ٧٥٣ الصهيونيّة : ماضيها وحاضرها ومستقبلها ٧٦٨ — ٧٧٨ نشرهُ لرسالة دامسطيوس في السياسة ٨٨١ — ٨٨٩ عيد جميع القديسين نظر تاريخي طقسي اجتماعي

٩٢٧ – ٩٢١ القديس ايرونيموس والمشرق
٩٦١ – ٩٦٨ شوارع بيروت واسماؤها
١٠٢٤ – ١٠٣٠ لهُ في كلّ اعداد المشرق تعريبات واوصاف مطبوعات وشذرات واجوبة على الاسئلة
صفير (الخوري جرجس فرج) الانجيل والعلم العام ٢١٨ – ٢٢٥ الكنيسة اعضاء الحروب ٥٢٤ – ٥٢٤
صالحاني (الاب انطون اليسوعيّ) ديوان عمرو ابن قميئة ١١٨ – ١٢٨ التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه ١٩١ – ٢٠٠
طوران (الاب اسكندر اليسوعيّ) الوهم في الحيوانات والحشرات وحبها الغريزي لنسلها ١٦ – ٢٤ ضلال الوهم في الحيوانات والحشرات ٢٠٥ – ٢١٨ الحشرات الجرّاحة ٢٥٩ – ٢٦٦ الحشرات المتطفّلة ٤٩٥ – ٥٠٣ مقاتلة الحشرات الضارّة ٩٤١ ; ٩٩٨
غصن (الخوري مارون) معرّب اعتراف اليهودي ٥٧ – ٦٠
غصوب (الاديب يوسف) بن عصرين (قصيدة) ٤
غنيمه (الاديب رزق الله) برديصان وبدعته ٩٧٧ – ٩٩٣
القلاعي (جبرائيل) مناحةُ على رفيقهِ الاب يوحنا الغريق ٢٥٠ – ٢٥٦
كاهن فاضل قصيدة في آلام وموت وقيامة السيّد المسيح ٢٢١ – ٢٢٤ .
كسّتاكيس (الاب بطرس اليسوعيّ) لهُ وصف كتب ٧٩٣ ; ٩٥٢
لامنس (الاب هنري اليسوعيّ) لهُ وصف كتب ٧٩٤ ; ٩٥٢ ; ١٠٢٢
لُفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) لهُ اوصاف مطبوعات شرقيّة ٢٢٣ ; ٤٧٤ ; ٥٥٧ ; ٧٩٣ ; ٩٥٣ ; ١٠٢١ ; ١٠٢٤
لنوار (الاب لويس اليسوعيّ) اعتراف اليهودي ٥٧ – ٦٠
مرمرجي (القس اوغسطينوس البغدادي) الوانع او كبار الرجال ٢٦٦ – ٢٧٦
مايلاك (الكاتب هنري) اوهام الدارس بعد شهادة المدارس ٧٤٠ – ٧٤٨
مسابكي (الاديب الياس) زجليّة في مجلس البلدية في دمشق ٦٧١ – ٦٧٥
المعلوف (عيسى اسكندر) الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي ١٤٤ – ١٤٨ زجليّة في وصف الغلاء والجوع والضيق منذ مائة وثلاثين سنة ٢٣٨ – ٢٤٨ تنصّر الامراء الشهابيين والمسميين ٥٤٣ – ٥٥٣
مُنجان (الاب يوسف) مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر الى الشرق ٦٠ – ٦٥ .
منش (القس جرجس الماروني الحلبيّ) مناحة جبرائيل القلاعيّ على رفيقهِ الاب يوحنا الغريق ٢٥٠ – ٢٥٦
نخله (الاب رفائيل اليسوعيّ) تجديد فنّ الجراحة على يد الدكتور كارل ٤٢٩ – ٤٣٤ معابر القطارات ٩٣٤ – ٩٤١ كيف نقرأ ويكتب العميان ١٠١١ – ١٠٢٤ = لمعة شذرات ١٠٢٦ – ١٠٣٦
يوسفيان (السيّد يعقوب الارمنيّ مطران حلب) خبر النسيمي الشهيد الحلبي ٧٠٦

— تمت —

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الثامنة عشرة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ الكتب العربية والسريانية والتركية والارمنية الخ

ابن تغري بردي (ابو المحاسن) : تكملة الجزء السادس من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤٧٣

ابن العبري : نقل كتابه « الحمامة » الى الانكليزية ٤٧٥

ابو راشد (حنا) : وقائع الامير سعيد ٧٩٦

ابو زيد (الخوري بطرس) كتاب العفاف ٢٩٥

ابو زيد (ناصيف بك) تاريخ العصر الاموي ٢٩٣

احد اخوة المدارس المسيحية : تاريخ الاداب العربية منذ نشأتها الى ايامنا ٥٥٦

ارمانيوس (عازر) : المذكرة اللغوية ٩٥٦

ارملة (القس اسحاق السرياني) : القصارى في نكبات النصارى ٧١

اسطفان (الخوري اسقف خيرالله) : سبيل الوصول الى الاصول = صدى الحقائق المردد ما بين موسى وعيسى ومحمد ٧١٥

باز (الاديب جرجس تقولا) : كتاب الياس جرجس طراد آلة سيرته مآثره ٧٢ = النسائيات ٤٧٦

البستاني (سليمان افندي) الداء والشفاء ٧١٥ = الاختراع الاستنيغرافية ٩٥٥

البستاني (الاديب يوسف توما) رسائل الشيخ ابراهيم اليازجي وديوانه التاريخي ٦٢٦

بشلاني (الاديب جورج) : تعريب حياة الجنرال غورو — حياة الامير سعيد ٧٩٦

البشلاني (يوسف الخوري) الحرب العمومية او رحى الحرب ٢٢٤

البكري (ابو عبيد) كتابه التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه ١٩٣ — ٢٠٠

ثابت (القس مبارك الديراني اللبناني) : كتاب الادب الرهباني ٧١٥

جرجي (الخوري عبد الاحد الياس السرياني) : كتاب الارشادات الروحية في عبادة قلب يسوع الاقدس العمرية ٧١٦

جحا (الخوري جرجي البولسي) : مغالط الكتاب ومناهج الصواب ٤٧٦

الجويني : تاريخ جهان كشاي ٩٥٤

حبيقة (المنسنيور بطرس) : العقد النضير ١٥٧

حداد (الاديب نقولا) الاشتراكية ٦٢٧

الخزرجي (علي بن الحسن) : تاريخ الدولة الرسولية (الجزء الخامس) ٩٥٤

الخوري (الاديب شكر) في سبيل الوطن — قنبلة صغيرة — في سبيل الحقيقة — سيف ذو حدين — جبانا سيد الجبال — سجل لا يمحى ٢٢٣

خير (عبدالله بك رزق الله) : لبنان الكبير ١٥٧

داغر (الخوري يوسف التنوري) : البرهان الصريح في الدين الصحيح ٧٢ = مصباح الحقائق ٢٩٤

دريان (المطران يوسف رئيس اساقفة طرسوس) : نبذة تاريخية في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان ٢١٣ —

المقالة الوفيّة في العبادة الحقيقيّة لمريم العذراء لتاوباوي غريغوريوس دي مونفرت ٣١٤
الدكّاش (الخوري يوسف) : تنصيب يسوع الاقدس ملكاً ٥٥٧
الدويهي (البطريرك اسطفان) : نسخة خطيّة من تاريخه ٥٨
رسالة قاب سرع ٧٠
رزقان (الاب لويس اليسوعيّ) : تذكار المئة الاولى لانبعاث الرهبانيّة اليسوعيّة ٧٠
مركيس (خليل اسعد) : سفر الاحزان في مصائب سوريا ولبنان ١٥٦
شاحت (الخورفسقف جرجس السرياني) : الشكوى . مناجاة الارواح — محاورة حكيم ١٥٧
زخّور (الفيسيولوجي اسكندر) : انتشار الامراض وقصر الحياة ٣٩٦
السرّاج (ابو نصر) : كتاب اللمع في التصوّف ٧٩٤
سيّور (الخوري بولس البولسيّ) : كنز النفوس ٧٩٧
سيّور (الاب بولس البولسيّ) : رواية البطل الصنديد او القديس مفستيانوس الشهيد ١٠٢٤
شيخو (الاب لويس اليسوعيّ) : تذكار المئة الاولى لانبعاث الرهبانيّة اليسوعيّة ٧٠
= النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (الجزء الاوّل من القسم الثاني) ٧١ = طبعة ثانية لديوان السموءل ٥٥٦ = طبعة ثانية من المقالات الدينيّة لبعض مشاهير الكتبة النصارى ٧٩٦
صابونجي (الدكتور لويس براي) الاكتشاف الثمين لاطالة العمر مئات من السنين ٦٢٦
عبّود (انفس بولس) : اليهود في التاريخ الى عهد السيّد المسيح ٧١٥
عيد (الخوري بشاره) : لبنان على المرسح ١٠٢٥
فارس (الشيخ احمد) : الساق على الساق في ما هو الفارياق ٧٢
القاسميّ (الشيخ جمال الدين) : وصف تآليفه ١٠٢٥
القزح (الخوري بطرس) : انجلاء الاسرار المكنونة ٢٩٦
لايّل (السرّ شارل جس) : ديوان عمرو بن قميئة ١١٨
لبنان : مباحث علميّة واجتماعيّة عُني بنشرها لجنة من الادباء ٧٣
لحّود (اديب افندي) : لبنان على المرسح ١٠٢٥
مبارك (السيد اغناطيوس مطران بيروت) رسالة رعائية في سر الزواج ٥٥٥
المستوفي (حمدالله القزويني) نزهة القلوب ٧٩٤
ملّاط (الاديب شبلي) فاذا وميتُ اصابني سهمي ٦٢٦
منشور بطريركي ٣٩٣
منشوران رعائيان ٣٣١
مي (الآنسة) باحثة البادية ٧١٦
نظرة احماليّة في اعمال الجمعيّة الانطونيّة ٥٥٦
شوان بن سعيد : شمس العلوم ٧٩٤
نقّاش (مارون) رواية البخيل (طبعة حديثة) ٢٣٥
يمين (الخوري انطون) : لبنان في الحرب (الجزء الاول) ١٥٦ = الجزء الثاني ٧٩٧

٢ مطبوعات اوربية

Angell (N.) Le : Chaos Européen (553)

Arrogui (Ant. M. s.j.): Summarium Theologiæ Moralis (309)

'Azimuddin Ahmad : Shamsu'l-'Ulum by Nashwán Ibn Said (711)

Baggio (Sac. Natalis) : Archæologia Biblica Elementa (713)

Basmadjian (K. J. : La Cilicie, son Passé et son Avenir (171)

Bouglé (C.) : Qu'est-ce que l'Esprit français (1032)

Bronne (Ed. G) : Materials for the Study of the Babi Religion (634)

Bryce (Vic) : Le traitement des Arméniens dans l'Empire Ottoman (471)

Burtin (P. R.) : Un texte d'Eutychius relatif à l'Elenna (555)

Capelle (Louis s. j.) : Les Amos généreuses (792)

Carra de Vaux (Bar) : Tableau des Racines Sémitiques — Notes d'Histoire des Sciences — Sur l'Origine des Chiffres (957)

Cattan (P. R.) : La Donna araba — La Chiesa Copta nel Secolo XVII (155) = L'Hellénisme dans la Constitution de l'Eglise Gréco-Melkite (1033)

Chiniara (P. J.) : Le Martyr et l'Exilé (309)

Cohen (Maris R.) : Du Sionisme (232)

Le Congrès de la Syrie à Marseille (41-17)

Un Diplomate : Le Châtiment de la Turquie (475)

Donles (J.) : Les Poissons de Mer (1033)

Ducousso (G.) : L'Industrie de la Soie en Syrie (151)

El-Khazen (Cheikh Youssef) : L'Etat Juif en Palestine (232)

Féghali (L'abbé M. T.) : Le parler de Kfar 'Abida (Liban) — Etude sur les Emprunts Syriaques dans les parlers arabes du Liban (311)

Ferry (Abel) : La Guerre vue d'en Bas et d'en Haut (792)

Fischer (Dr Hans.): Wirtschaftsgeographie von Syrien (792)

Fischer (Dr Th.) : Mittelmeerbilder gesammelt z. Kunde d. Mittelmeerländer, 2te *Aufl.* (232)

French (Gal) : Why Germany capitulated on November 11-1918 ? (312)

Gardner (W. H. T.) : Egyptian Colloquial Arabic (712)

Gastinel (Pierre) : Gouraud : Sa vie — son œuvre (151) = Qu'est-ce que l'Esprit français ? (1032)

Gautherot (G.) : La France en Syrie et en Cilicie (551)

Ghaleb (Pierre) : Le Protectorat religieux de la France en Orient (953)

Ghersi (J.) : Recettes Utiles (952)

Gibbons (H. Ad.) : Les derniers Massacres d'Arménie (474)

Got (A.) : L'Allemagne après la Débâcle (553)

Huart (Cl.) : Le livre de la Création de Moqadessi, *col.* V et VI (1032)

Keynes (John Maynard): Les Conséquences économiques de la Paix (1030)

Kiesling (Hans v.) : Damaskus alte und neue aus Syrien = Rund um den Libanon (793)

Lammens (H. s. j.) : La Syrie et sa Mission historique — L'Evolution historique de la Nationalité Syrienne (156)

Lasies (J.) . La Tragédie Sibérienne (951)

Le Strange (G.) : Nuzhat al-Qulûb by Hamd-Allâh Mustawfi (794)

Léotard (M. J.) : Notice sur Marseille (312)

Lévy (R. G.) : La juste Paix (1031)

Lyall (Sir Ch. J.) : The Poems of 'Amr Son of Qami'ah (118)

Marseille et Province (312)

Mattern (P. Paul s.j.) : Directoire pour les élèves des écoles primaires chrétiennes en Syrie (310)

Mirza Muhammad Qazwini : Tarikh-i-Jahan Gusha of Juwaini (954)

Moussalli (Nâgib) : Le Sionisme en Palestine (232)

Musil (Al.) : Zur Zeitgeschichte von Arabien (712)

Nashwân ib Said: Shamsu'l 'Ulûm (791)

Neuhaesler (J.): Appel aux Catho-

*

liques (551)
Nicholson (R. A): Kitâb al-Lumaʿ of Abû-Nasr al Sarrâj (794) = The Pearl-Strings: A History of the Resuliyy Dynasty by el-Khazrejiyy (954)
Noailles (Victe de): Souvenirs d'Amérique et d'Orient (951)
Pinon (R.): La suppression des Arméniens (474)
Photiadès (Const.): La Victoire des Alliés en Orient (635)
Popper (W.): Abu'l Mahâsin Ibn Tagri Birdi's Annals, vol. IV, p. 1, 2 and 3 (473)
Rahmani (Le Patriarcat Ephrem II): I Fasti della Chiesa Patriarcale Antiochena (552)
La Revue Universelle (173)
Ristelhueber (R.): Traditions françaises au Liban (712)
Schowisch (V.): Le Transsaharien et le premier Transafricain (231)
Schmidt (P. M.): Die Gliederung d. austral. Sprachen (395)
Seelye (Kate Chambers): Moslem Schisms and Sects by Ibn Taimiya al-Baghdadi (713)
Thomson (P.): Systematische Bibliographie des Palæstinas Litteratur, Bd III (635)
Valentin (Ab.): Lucien Chabord (155)
Varandian: L'Arménie et la Question Arménienne (474)
Wensinck (A. J.): Bar Hebræus Book of the Dove (475)
Wesendonk (O. G. v.): Die Religion der Drusen (956)

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

١ الآثار المصنوعة في سوريّة ٧٥ الآثار النصرانيّة في طرابلس الغرب ٢٣٨
الآداب العربيّة منذ نشوب الحرب العموميّة ٤٨١ — ٤٩٤
آطنة ومرسين ٩٦٠
ابن درستويه ترجمتهُ ٢٦ : تآليفهُ كتاب الكتّاب يُنشر في المشرق ٣٥ ; ١٣٨ الخ
ابن زرعة معرّب رسالة داسطيوس ٨٨١—٨٨٩
ابن فضلان وفتواهُ في النصارى واليهود ٥٦٦—٥٦٩
ابو عليّ القالي : كتاب التنبيه على اوهامهِ ١٩١—٢٠٠
اثر قديم للبطريرك اسطفان الدويهي ١٥٨
البطريرك اغناطيوس جروه ٢٩٧ لاندراوس اسكندر ٢١٧ اثران للشاعر التزيري حنّا وقد ٧٤٩ — ٧٥٣
الاجرام الثلثة وحلّ مشكلها ١٥٢
الاجسام المشعّة وترقيها ٥٤—٥٦
الاحجار المقدّسة في شرقيّ الاردن ٦٦١—٦٦٢
الأحساء : وصفها ٢٨
الادريسي وحروبهُ في عسير ٤٢٥—٤٢٩
ارزة لبنان ومريم العذراء ٤٠٠
الارض وامتحان جديد لدورانها ٢٢٧
الارواح الشرّيرة والمقتطف ٢١٦ الارواح في شرقيّ الاردن ٥٦١—٥٧٠
الارزام ومترجم بيروت سنة ١٨٢٦ ٧٩١
الاشجار واكرامها شرقيّ الاردن ٦٥٥—٦٦٠
الاضراب والنقابات : بحث اجتماعي ٥١٥ ; ٥٢٤
اعتراف اليهوديّ ٥٧ — ٦٠
الاعشاب الضارّة بالزراعة وتعقيمها ٦٥٠
اعضاء الجسم الاصطناعيّة ٦٤٤
اعظم طائرة في الحرب العامّة ٤ ; ١٢٥ ; ٢٨٨ ; ٤٦٤ ; ٦٢٩
المانية في الحرب العموميّة ٥—١٢

افرام (مار) ملفان الكنيسة ٢١٨ نابغة السريان
القديس افرام الملفان ٧٢١-٧٢٢
الاكليروس الفرنساوي بالحرب الكونيّة ٥٩٨
ألاكوك (القديسة مرغريتا) ٤٠٤-٤٠٨
الفاظ اعجميّة واصلها ١٦٠
المانية في الحرب العموميّة ٥-١٦ النحم المعدني
في بلادها ٣١٥ مدافعها البعيدة المرمى ٦٤٢
مزاقيتها للصور المتحركة ١٠٢٨
الالماس ومناجمهُ في الترنسفال ٩٥١
اليانو (الاب يوحنّا اليسوعيّ) سفارتهُ الثانية
الى الموارنة ٦٥ ; ٣٠٠ ; ٦٧٥ ; ٩٦٩
امتيازات اصحاب الرتب الشرفيّة الرومانيّة ٢٤٠
اميركا في الحرب العموميّة ٦٢٢-٦٢٤
انتحار الحيوان ٦٣٩
انتصار الصليب ٢٤١-٢٤٩
الانجيل والسلم العام ٢١٨-٢٢٥
اندراوس اسكندر : اثر قديم لهُ ٢١٧
الانصاب في فلسطين ٧٥
اوريكوتشايا (حزقيال) المشرق ١٠٤٠
الاولياء ومزاراتهم في شرقيّ الاردن ٩٠٠
انهام الدارس بعد شهادة المدارس ٧٤٠-٧٤٩
ايروثيوس (القديس) والشرق ٩٦١-٩٦٨
ايطالية في الحرب العموميّة ٦٢٨-٦٣٢
ب الباباوات واهتمامهم بعلوم الفلك ٧٧-٧٨
ايترول ما هو اصلهُ ٦٤٠
بدجان (الاب بولس اللازريّ) ٧١٩
البدو وحقوقهم في شرقيّ الاردن ١٦ ; ١٨٤ ;
٢٥٦ لاهوتهم واعتقاداتهم ٤١٢-٤٢٤
المقزوبة عند البدو في سوريا ٤٥٥-٤٦٤
اكرامهم للارواح ٥٦١-٥٧٠ مزاراتهم ٩٠٠
براي (لويس) المحسن الى العميان ١٠١٤
بردصان وبدعتهُ ٥٧٧-٩٤٢
البركة الرسوليّة ١
برونو (الاب يوحنّا اليسوعيّ) ٦٥ ; ٣٠٠
بريطانية العظمى في الحرب العموميّة ٢٨٨
بشير (الامير المالطيّ) رحلتهُ الاولى الى مصر
٦٨٧ ; ٧٢٢ ; ٨٨٩
البصرة والسريان الكاثوليك فيها ٢٩٧ ; ٤٧٩
البطريرك الانطاكي (غبطة مار الياس الحويك)
وخلاص الوطن على يدهِ ٧٤
بلاد بشاره وتكباتها الحديثة ٤٧٧ ; ٧٧٩ ; ٧٨٩
البلشفيّون : اصلهم ومبادئهم واعمالهم ٤٧-٥٤
بلغارية في الحرب العموميّة ١٥
بندكتوس الخامس عشر ومآثرهُ الى الشرق
٦٠-٦٥ قتالهُ في الاستانة ٧١٨
بنو الرشيد (اطلب رشيد)
بنو السعود (اطلب سعود)
بيروت والتلج فيها ٢٠٠-٢٠٥ شوارعها
واسواقها الجديدة ١٠٢٥-١٠٢١
بين عصرين (قصيدة) ٤
ت تاريخ الميلاد المسيحيّ اصلهُ وثباتهُ ٨٠
التاريخ النصرانيّ بين عرب الجاهليّة ٥٢٩
التبنيج بالكلور الوز ٦٥٢
التجاذب العامّ وتعوير ناموسهِ ٦٥٤
تجميد الاطعمة وتقاها ٢٢٩
التربة وتطويرها من الاعشاب الضارّة ٦٥٠
قلبها بالمتفجرات ٦٥١
ترشيش وطرسوس وطرطوس ٤٨٠
ترقيّ علم الاجسام المشعّة ٥٤-٥٦ ترقي العلوم
منذ نشوب الحرب ٦٤١-٦٥٤
ترقيّ الكثلكة في ايّام الحرب وبعدها ٢٩٨
تركيّة في الحرب العموميّة ١٥
التصوير والنحت بين نصارى العرب في الجاهليّة
٩٤٦-٩٥١
التعليم العالي باللغة العربيّة ٢٩٧ التعاليم الفلسفيّة
واللاهوتيّة بين نصارى الجاهليّة ٦٠٦

التلغراف اللاسلكي وسرعة تموّجاته ١٥٩ ترقّي هذا الفنّ ٦٤٧
التلفون اللاسلكي وترقّيه ٦٤٩
التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه ١٩١–٢٠٠
تنصّر الامراء الشهابيين واللمعيين ٥٤٣ ; ٦٣٧
التنك او الدبّابات ٦٤٣
التوحيد والتثليث ٦٤٠
التوراة وما اقتبسه منها الحديث النبوي ٢٦٩ ; ٢٧٧
ث ثلاث زهرات نفيسة في حديقة الكنيسة ٤٠١–٤١٢
الثلج في بيروت وسواحل لبنان ٢٠٠–٢٠٥
ج جسان درف (النديمة) ٤٠٣–٤٠٤
حفلات عيدها في لندن ونيويورك ٥٥٧
الجراحة وتجديد فنّها على يد الدكتور كارّل ٤٢٩–٤٤١ ترقّي الطبّ والجراحة ١٥٦
جروه (البطريرك اغناطيوس) : رسالته الى اهل البصرة ٢٩٧
جزيرة العرب وصفها وتاريخها الخالي ٢٤ ; ١٠٧ ; ١٧٨ ; ٢٨٣ ; ٣٣٣ ; ٤٢٥ ; ٥٢٤ ; ٦٢١
الجمة وقدم عهدها ٤٨٠
جمعيّة الامم : ماهيّتها وصلاحيّتها وتاريخها ٦٥١
الجمهوريّة الفرنسويّة الثالثة ورؤساؤها ٢٢٠–٢٢١ ; ٩٥٧
ح الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر : حسناته نحو الشرق ٦ مقالة في الاستانة ٧٩٨
الحجاز . وصفه ٢٥ حملة الوهّابيين عليه ١١٠
الحديث واقتباسه من التوراة ٢٦٩ ; ٢٧٧
الحرب العامّة وتاريخها ٤ ; ١٢٥ ; ٢٨٨ ; ٤٦٤ ; ٦٢٩ ذكر المتوفين في مدتها ٨١ ; ٢٨٢ ; ٤٤١ الحروب ومناهضة الكنيسة لها ٥٢٤–٥٣٤ تكاليف الحرب العامّة على الدول ٥٥٩ ضحايا الحرب بضرب المدافع ٧١٨
الحشرات الجرّاحة ٣٥٩–٣٦٦ الحشرات المتطفّلة ٤٩٥–٥٠٢ مقاتلة الحشرات الضارّة ٩٤٠ ; ٩٩٨
حضرموت : وصفها ٢٧ ; ٦٦١ ملوكها وامراؤها ٦٢٢
الحقوق البدويّة شرقي الاردن ٩٦ ; ١٨٤ ; ٢٥٦
الحكم النصرانيّة بين عرب الجاهليّة ١٤٩
الحكومة الشرعيّة وسقوطها ٦٣٩
الحلّابة الصناعيّة ١٥٩
حلب والطاعون في السنة ١٧١٩ ٢١٨ شهيدها النسيبي ٧٠٦–٧١١
حوادث عين ابل لشاهدة عيسانيّة ٧٧٩–٧٨٩
حول جزيرة العرب ٢٤ ; ١٠٧ ; ١٧٨ ; ٢٨٣ ; ٣٣٣ ; ٤٢٥ ; ٥٢٤ ; ٦٢١
الحيوان : انتحاره المزعوم ٦٣٩
خ خبز التبن ٣٩٩
الخثّ كعلف الدواب ٣٣٦
خزائن كتب العميان في باريس ولندن ١٠١٩
الخطابة النصرانيّة بين عرب الجاهليّة ٢٧٧
الخطوط رسومها وفصولها ٩٢٢–٩٢٧
د داسطيوس رسالته في السياسة ٨٨١–٨٨٩
دمشق ومجلس بلديّتها (زجليّة) ٦٧١–٦٧٤
دمشق في اواخر القرن السادس عشر ٦٧١
دوران الارض : امتحان جديد لبيانه ٣٣٧
الدول المركزيّة وتاريخها في الحرب ٥ الدول الاتفاقيّة فيها ١٢٥
دياميس نصرانيّة جديدة ٢٣٧
دير الشرفة وتاريخه ٥٧٩–٥٩٥
دير قوبل ٧٣٠
الديون وتسديدها ٧٣٠
ر الرتبة الكرديناليّة والكرادلة

الشرقيّون ١٦١—١٧١
رحلة الامير بشير الاول الى مصر ٦٨٧ : ٧٢٢ ; ٨٨١
الرزّي (البطريرك ميخائيل) وصاياه على الموارنة ٦٧٦—٦٧٨ وفاته وآثاره ٦٨٠—٦٨٤
البطريرك سركيس اخوه ٦٨٤—٦٨٦
رسالة تهذيب الاخلاق وكاتبها ٦٦٠
رسالة داسطيوس في السياسة ٨٨١—٨٨٩
الرشيد (بنو) اوّل امرهم في نجد ٢٨٢ عبدالله ابن رشيد وخلفه ٢٨٢—٢٨٧
رعد (الخوري حنّا الغزيري) قصيدتاه الدونيّة والعينيّة في مدح فرنسة ٧٤٩—٧٥٢
رويث (الاب كنراد اليسوعي) اوّل علماء اللغات الهنديّة بين المستشرقين والمئة الثالثة لمولده ٤٧٨
روسيّة في الحرب العموميّة ١٤١—١٤٤
الروم في دمشق في القرن السادس عشر ٩٧٣
رومانية سكّانها وحواضرها ١٠٤٠
الرياضيات وترقي علمها ٦٥٣
* ز * زجليّة في وصف الغلاء والجوع والضيق منذ ١٣٠ سنة ٢٣٨—٢٤٨ زجليّة في مجلس بلديّة دمشق ٦٧١
الزراعة ترقي فنّها ٦٤٩—٦٥١ الزراعة ومقاتلة الحشرات الضارّة بها ٦٤٠ ; ٦٩٨
الزواج وعقده في الصوم ٢١٩
الزيت واخراجه من تفجم العنب والزبيب ١٠٤٠
* س * السعود: بنو السعود في الجزيرة ٢٤ ; ٢٠٧ محمّد بن السعود ١٠٧ سعود بن عبد العزيز ١١٢—١١٦ عبدالله بن سعود ١١٦
السلّ وانتشاره ٧٨
السلم العام والانجيل ٢١٨—٢٢٥
سؤال ديني لمسلم والجواب عليه شعراً ٢١٩
سوريّة وموقعها في سرسيانة ٤١—٤٧ الآثار المصنوعة فيها ٧٥ مساحتها واصدق احصاءات سكّانها ٢٤٠
سيّارة جديدة في الفلك ٦٥٢ السيّارات في الولايات المتّحدة ١٠٢٨
* ش * شذرات تاريخيّة من صحائف مئتيّة ٥٩٦—٦٠٧
الشرق ومآثر البابا بندكتوس الخامس عشر اليوم ٦٠—٦٠
الشمس واستخدامها بدلاً من الفحم ٧٩٨
الشهابيّون تنصّر امرائهم ٥٤٣—٥٥٧
شوارع بيروت واسماؤها الجديدة ١٢٥
* ص * الصقالبة وبلادهم ولغتهم ٤٠٠
الصليب وانتصاره ٢٤١—٢٤٩ رايته ٢٢١
الصهيونيّة: ماضيها وحاضرها ومستقبلها ٧٦٨
صيني كاثوليكي ومكافأته ٥٥٩
* ض * ضحايا الحرب بضرب المدافع ٧١٨
ضلال الوهم في الحيوانات والحشرات ٢٠٥—٢١٧
* ط * الطاولات الدائرة وتجربها ٤٧٧ ; ٦٢٩ طاهر الجزائري (الشيخ الدمشقي) ترجمته ١٤٤—١٤٨ الطاولات الدائرة في الصين ٥٥٨
الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٦٥ ; ٢٠٠ ; ٦٧٥ ; ٦٦٩
الطبّ ترقّي فنّه ٦٥١
طرابلس الغرب وآثارها النصرانيّة ٢٢٨
طرسوس وطرطوس وترشيش ٤٨٠
طرفة من اخبار دير الشرفة ٥٧٩—٥٩٥
طور سينا ٣٠
الطيّارون والطيّارات في الحرب ٧٩ ترقّي فنّ الطيران ٦٤٥—٦٤٧ — سرعة الطيّارات

في طبقات الجوّ العليا ١٠٢٨
* ع * العاديات وإثباتها للكتب المقدّسة ٧٥
عجائب الله ٧١٧
العرب (اطلب جزيرة العرب) : دينهم ٢١
العربيّة : التعليم العالي في هذه اللغة ٢٢٧-٢٢٨
الآداب العربيّة منذ نشوء الحرب العموميّة ٤٨١-٤٩٤
عسقلان وحفرياتها ٦٢٧
عسير والادريسي ٢٢٥-٢٢٩
العقوبة عند البدو في سوريّة ٤٥٦ — ٤٦٤
العلوم وترقيها منذ نشوب الحرب ٦٤١ — ٦٥٤
عمان : وصفها ٢٧ امراؤها ٦٢٢-٦٢٦
عمرو بن قميئة وديوانه ١١٨ — ١٢٨
العميان كيف يقرأون ويكتبون ١٠١٢
العنب والزبيب وفوائد حجمها (بزرها) ١٠٦٠
عيد جميع القديسين : نظر تاريخي طقسيّ اجتماعي ٩٢٧-٩٣٤
عين ابل وحوادثها المفجعة لشاعدة عيانيّة ٧٧٩
ف الفحم واتقاده بفعل الظواهر الجويّة ٢٢٥ الفحم المعدني في المانية ٢١٥ الفحم المسحوق ٦٤٣
فرنسة وتاريخها في الحرب العموميّة ١٢٥-١٤١
رؤساء جمهوريّتها الثلاثة ٢٢٤-٢٣١ ; ٩٥٧
الاكليرس الفرنسوي في الحرب الكونيّة ٩٥٨
فلسطين وأنصابها القديمة ٧٥
الفنون الجميلة بين نصارى العرب ٦٩٨ هندسة البناء ٦٩٩ ; ٧٨٨ التصوير والنحت ٩٤٦ الموسيقى والغناء ١٠٠٧
* ق * القديس ايرونيموس والشرق ٩٦١ القربانة المطبوعة ٨٠٠
قصر العين ومدرستها الطبيّة ٨٠٠
القطارات ومعابرها ٩٣٤-٩٤٠
القلاعي (جبرائيل) ومناحته على رفيقه الغريق الاب يوحنا ٢٥٠-٢٥٦
قنوبين : مجمع الموارنة في ديره سنة ١٥٨٠ ٢٠٤-٢٠٨
* ك * كارل (الدكتور) وتجديد فنّ الجراحة على يده ٤٣٩-٤٤١
كاليفورنية والمعمرون فيها ٢٢٥
كتاب الكهنوت وصاحبه بركيفا ١٠٢٧
الكتابات الحثّية والساعي في حلّ اسرارها ٧٦
— الكتابات العربيّة الاثريّة في مصر ٧٩
الكتاب المقدّس وثبات صحّته بالعاديات ٧٥
الكثلكة وترقيها في ايّام الحرب وبعدها ٢٩٨
الكرديناليّة والكرادلة الشرقيّون ١٦١-١٧١
كنتُ ميتاً وها انا حيّ (قصيدة) ٢٢١-٢٢٤
الكهرباء والزراعة ٦٥٠
الكنيسة ومناهضة الحروب ٥٢٤-٥٢٤ كنيسة المجانيّة القديمة ٩٥٩
الكويت وشيوخها ٦٢٦-٦٢٨ ; ٧١٩
كيف يقرأ ويكتب العميان ١٠١٢-١٠٢٥
الكيميا وترقيها ٦٤٩ — ٦٥١
ل اللاهوت البدوي في شرقي الاردن ٤١٢
لايل (السر شرل جس) فقيد العلوم الشرقيّة ٩٥٨
لبنان اثر ديني مصري فيه ٧٥ الثلج في سواحله ٢٠٠-٢٠٥ لبنان الكبير ٧١٩
لبيباس ومعجزة الصلوب فيها ٧١٧
اللعيّون تنصّر امرائهم ٥٤٢-٥٥٧ ; ٦٢٧
لندن حفلات عيد جان دارك فيها ٥٥٧ متحف التاريخ الطبيعيّ فيها ٥٥٩
م مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر الى الشرق ٦٠-٦٥
المئة الثالثة لمولد اوّل علماء اللغات الهنديّة من المستشرقين ٤٧٨

ماجوراتا (الاستاذ) واختبار اراتة لناموس التجاذب العام ٦٥٤
ماريلياك (الطوباوية لويزه دي) منشئة جمعية راهبات المحبة ٨ ٤–٤١٢
الماسونية وخرافة نسبتها الى سليمان ١٦٠
مؤتمر سورية في مرسيلية ٤١–٤١
مجلس بلدية دمشق (زجلية) ٦١١ ٦١٤
محمد بن عبد الوهاب صاحب الوهابيين ٢٢
المدافع الالمانية البعيدة المرمى ٦٣١ المدافع المانية ٧١٨
مدرسة الطب في قصر العين ٨٠٠
مراقبة الصور المتحركة في المانية ١٠٢٨
مرسيلية : مؤتمر سورية فيها ٤١
مرسين وآطنه ٩٦٠
المرصد الفاتيكاني ٧٧
مرمنون (يوحنا) ٥٦٠
مريم العذراء ولقبها بأرزة لبنان ٢٠٠
المزارات في شرقي الاردن ٩٠٠–٩١٥
المستشرق الكولومي اوريكوتشيا ١٠٤٠
مسقط وامامتها ٦٢٢–٦٢٦
المسيح (السيد) وهيئته الموصوفة في رسالة مروزة ١٦٠ سر موته وقيامته (قصيدة) ٢٢١–٢٢٤ كيف مات وهو اله (نظم) ٢١٩ — ٢٢١
مشكلة الجرمين والاجرام الثلثة ٦٥٢
المصريون ومحاربتهم للوهابيين ١١٤
المصلوب المجاني في لباس ٧١٧
مطابع العميان ١٠١٤–١٠١٨
معابر القطارات ٩٢٤–٩٤٠
معالجة قصر النظر ٣٢٦
المغمورون في كاليفورنية ٣٢٥
مقاتلة الحشرات الضارة بالزراعة ٩٤٠ ; ٩٩٨
المقتطف ومدعيات هذه المجلة في احساس النبات والارواح الشريرة ٢١٥–٢١٦
مكة وشرفاؤها ٥٢٤–٥٢٨
من هو صاحب كتاب الكهنوت ١٠٢٧
مناجم الالماس في الترنسفال ٩٥٩
مناحة جبرائيل القلاعي على رفيقه الاب يوحنا الفريق ٢٥٠–٢٥٦
مناعي آل اوطن اثناء الحرب ٨١ ; ٢٨٢ ; ٤٤١
الموارنة واليسوعيون في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٦٥ ; ٢٠٠ ; ٦٧٥ ; ١٦٦ مجمعهم الملي سنة ١٥٨٠ ٢٠٤–٢٠٨
الموسيقى والغناء بين نصارى العرب في الجاهلية ١٠٠٧–١٠١٢
ن نابغة السريان القديس افرام الملفان ٧٢١
النبي هارون ومزاره ٩٠٦
النبي يوشع ومزاره في الدلط ٩٠٢
نجد : وصفها ٢٨ الوهابيون في نجد ٣١ ; ١٠٧–١١٧
النحت والتصوير بين نصارى العرب في الجاهلية ٩٤٦–٩٥١
نجم جديد ٧٩٨
نخبة من تاريخ مخطوط عن حوادث جرت في القرن السابع للهجرة ٥٩٦–٦٠٧
نسيبي الشهيد الحالي ٧٠٦–٧١١
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية : الحكم ١٤٩ الحديث والتوراة ٢٢٥ ; ٢٦٩ الخطابة ٢٧٧ التاريخ ٥٢٩ التعاليم الفلسفية واللاهوتية ٦٠٧ الفنون الجميلة ٦٩٨ هندسة البناء ٦٩٩ ; ٧٨٨ التصوير والنحت ٩٤٦ الموسيقى والغناء ١٠٠٧
النظر ومعالجة قصره ٣٢٦
نقل الابنية من امكنتها ٣٢٨
نقل الاطعمة المجمدة ٣٣٩
النقابات والاضراب بحث اجتماعي ٥١٥ ; ٦١٤

النقابات البحرية في الحرب ٦٤٤
نقد اسلامي مصوَّر ٧٩٩ .
نكبات النصارى في مرجيون وعكّار وبلاد بشاره ٤٧٧
النسمة في الحرب العمومية ١٢
النوابغ او كبار الرجال ٢٦٦-٢٦٦
نوح (البطريرك اللبنانيّ) ٥٦٠
النور قبل الشمس في سفر التكوين ٨٠
نيويرك واحتفالها بعيد جان دارك ٥٥٧
** هاوي (قلنتان) المحسن الى العميان ١٠١٢
الهلال زعم هذه المجلة في اسماء المحافل الماسونيّة ورسالة لنتاس ١٦٠ وفي انتحار الحيوان ٦٣٩
الهلال ليس هو شعار الاستانة للاسلام ٢٩٨
الهيئة والرياضيات وترقيها ٦٥٢-٦٥٥
** والورق وملابسهُ واثاثهُ ٦٤٤
الولايات المتحدة وسيّاراتها ١٠٢٩
الوهابيّون : اصلهم وتاريخهم ٢١ ؛ ١٠٧-١١٧
الوهم في الحيوانات والحشرات وحبّها الغريزي لنسلها ١٦-٢٤ ضلال الوهم فيها ٢٠٥-٢١٧
** ي ** اليسوعيّون والطائفة المارونيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٦٥ ؛ ٢٠٠ ؛ ٦٧٥ ؛ ٩٦٩
اليمن : وصفها ٢٦ الوهابيّون في اليمن ١١٢
اليمن وأئمتها ٢٢٢-٢٢٨
اليهودي واعترافهُ ٥٧-٦٠
يوسف لو المحسن الصيني ومكافأتهُ ٥٥٩

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد هذه السنة

الصفحة ٩ السطر ١٥ (بحرُ الفضا) الصواب «تجرُّ الفضا» = ص ٣٧ س ٢٠ (عثرتهُ) ص عثرتهُ = ٦٦ : ٢٥ Babtistam ص Baptistam = ٧٠ : ٧-٨ رسالة قاب يسوع تُطبع في ٥٤ لغة مختلفة وتصدر متعدّدة في بعض اللغات = ٨٤ : ١٩ (في ٦ ك ٢) ص « ك ١ » - ٢١ (سنة ١٨٧٩) ص ١٨٨٩-٢٥ كتاب التحفة القرّاء ليس هو للمطران بل للبطريرك بولس مسعد = ٨٧ : ١٥ (عين ورقة) ص « مسار عبدا » = ٩٧ : ٢ (والطيب) ص « الطنيب » = ١٠٨ : ٦ و ٢٥ (السلطان محمود الاوّل) التواريخ التي في ذيل الصفحة تصحّ على محمود الثاني لا محمود الاوّل الذي جلس سنة ١١٦٣ (١٧٣٠) ومات سنة ١١٢٨ (١٧٥٤) = ١٣٠ : ٧ (لأنسيّ) = ص « لإنسي » = ١٥٠ : ١ (اللهَ فاتقي) ص «اللهَ فاتّقيَنّ » = ١٥٣ : ٢١ (من اضاع نفسهُ) ص « من أطاع نفسهُ » = ١٦١ : ٦ (لهم) ص «لها» = ١٧٥ : ٩ (معنى) ص « مضى » - ١١ (الموقف) ص « الوقف » - ٢٠ (أوّلى) ص «أولى » = ١٧٦ : ٧ (المتحركة) ص « المشتركة » - = ١٨٣ : ٨ (الامير سعود) ص «ابن سعود» = ١٩٨ : ١١٨ في المنى) ص «لتشاجعها في المنى» = ٢٠٤ : ١٤ - (صاهرتْ) ص « صاقرتِ » = ٢٤٩ : ١٤ (الكلام) ص « الكلِم » - ١٩ (والوار) ص «والواو» = ٢٥١ : ٢ (أجيل) ص « أُحيل » = ٢٥٦ : ٢٠ (تنود) ص «تعود» = ٢٨٦ : ٢٠ (في هذه السنة) ص «في» ٨ آذار ١٩١٨ = ٢٨٩ : ١٨ (٢٠ اذار ١٩١٨) ص « ١٩١٩ » = ٢٩٠ : ٥ (نيسان ١٩١٥) ص « ١٩١٦ » = ٢٩١ : ٢ (حنيد الامير) ص « ابن الامير » - ١١ (في ٢١ آب) من السنة ١٩١٥ = ٢٩٢ = ٧٤٩ : ١٥ (في جوارحنا) ص « في جوارحنا وقد » = ٧٥٠ : ٢٢ (الاعاديّ بيدهم) ص «العدوّ بيده» = ٧٩٦ : ٢ (ولدهُ) ص « وكَدَهُ » = ١٩١٥ : ١٢ « فاضمكت بالمنكر » ص « فاضمت بالمنكر »

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Dix-Huitième Année

1920

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1920

TABLES DES SOMMAIRES

XVIIIe ANNÉE 1920

JANVIER

La Bénédiction Apostolique.

A nos Lecteurs ! (pages 1) : *La Direction.*

Deux âges (Poésie) (p. 4) : *Mr Joseph Ghosoub.*

La guerre à vol d'oiseau (1re partie) (p. 4) : *P. Louis Cheikho s. j.*

L'Instinct et l'amour maternel chez les animaux et les insectes (p. 16) : *P. Alex. Torrend s. j.*

L'Arabie actuelle (p. 24) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le livre d'Ibn Dourousteuyah intitulé كتاب الكتّاب (M^s d'Oxford) (p. 35) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le congrès de la Syrie à Marseille (p. 41) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Bolcheviks : leurs idées et leurs actes (p. 47) : *P. L. Cheikho s. j.*

Nouveaux corps rayonnants (p. 54) : *P. X. s. j.*

La confession du Juif (Trad. de l'abbé M. Ghosn) (p. 57) : *P. Louis Lenoir s. j.*

Les actes de Benoit XV en faveur des Orientaux (p. 60) : *P. J. Mongin s. j.*

Les Maronites et la Cie de Jésus aux XVI et XVII siècles (p.65) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (70) — Varia (74) — Questions et Réponses (80).

FÉVRIER

Le Nécrologe de la guerre (p. 81) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le droit bédouin dans la Transjordane (p. 96) : *L'abbé Paul Salman.*

L'Arabie actuelle (*suite*) : Les Wahabites (p. 107) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Le Diwân de 'Amrou ibn Qami'ah (p. 118): *P. Ant. Salhani s. j.*

Le livre d'Ibn Durustûyah intitulé كتاب الكتّاب (*suite*) (p. 128) : *P. Louis Cheikho s. j.*

La guerre à vol d'oiseau (*suite*) (p. 135): *P. L. Cheikho s. j.*

Le Cheikh Tâhir al Jazâiri (p. 144): *M' 'Issa A. Malouf.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam (*suite*) (p. 149) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (154) — Varia (157) — Questions et Réponses (160).

MARS

Le Cardinalat et les Cardinaux Orientaux (p. 161) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Le livre d'Ibn Durustûyah intitulé كتاب الكتّاب (*suite*) (p.171) : *P. Louis Cheikho s. j.*

L'Arabie actuelle (*suite*) : Les Wahabites : les Bani Rachid (p. 178) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Le droit bédouin dans la Transjordane (*suite*) (p. 184) : *L'abbé Paul Salman.*

Un Manuscrit d'Abi 'Obeid al Bakri التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه (p. 191) : *P. A. Salhani s. j.*

La neige à Beyrouth et sur la côte (p. 200) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Les Aberrations de l'Instinct (p. 205) : *P. Alex. Torrend s. j.*

La Paix par l'Evangile (p. 218) : *L'abbé Pierre F. Sfeir*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam (*suite*) (p. 225) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (231)— Varia (235)— Questions et Réponses (240).

AVRIL

Le triomphe de la Croix (p. 241) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Une élégie de Gabriel Qelâ'î (XVIe siècle) (p. 250) : *L'abbé G. Manache.*

Le droit bédouin dans la Transjordane (*fin*) (p. 256) : *L'abbé Paul Salman.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam (*suite*) (p. 269) : *P. Louis Cheikho s. j.*

L'Arabie actuelle (*suite*) : Hayel et Ibn Rachid (p. 282) : *P. Louis Cheikho s. j.*

La guerre à vol d'oiseau (*suite*) (p. 268) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Un document inédit du Patriarche Ignace Jaroué (p. 297) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Les Maronite et la Cie de Jésus aux XVIe et XVIIe siècles (*suite*) (p. 300) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Bibliographie Orientale (309) — Varia (313) = Questions et Réponses (319).

MAI

Le Ressuscité du Calvaire (poésie) (p. 321) : *P. N.*

Les Présidents de la 3e République française (p. 324) : *Cheikh Salim Dahdah.*

L'Arabie actuelle (*suite*) : le Yémen (p. 332) : *P. Louis Cheikho s. j.*

La Syrie désolée en 1791 (*poésie populaire*) (p. 338) : *M. Issa A. Malouf.*

Le livre d'Ibn Durustûyah كتاب الكتّاب (*suite*) (p. 349) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Les Insectes opérateurs (p. 359) : *P. Alex. Torrend s. j.*

Les grands Génies (étude philosophique) (p. 366) : *L'abbé Aug. Marmargi.*

Le Christianisme et la Littérature chrétienne avant l'Islam (suite) : l'Art Oratoire (p. 367) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Le Nécrologie de la guerre (suite) (p. 383) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (390) = Varia (397) — Questions et Réponses (400)

JUIN

Trois fleurs du paradis : Jeanne d'Arc, Marg.-Marie Alacoque, Mlle le Gras (p. 401) : *P. Louis Cheikho s. j.*

La Théologie bédouine dans la Transjordane (p. 412) : *L'abbé P. Salman.*

L'Arabie moderne (*suite*) : L'Asyr (p. 422) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Les merveilles de la Chirurgie et le Dr Carrel (p. 429) : *P. Raph. Nakhlé s. j.*

Un homme de bien (*Saleh Nemé*) (p. 435) : *L'abbé M. Rachmaoui.*

Le Nécrologe de la guerre (fin) (p. 441) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Le droit pénal chez les Bédouins de la Syrie (p. 455) : *Mr Michel Chibli.*

La guerre à vol d'oiseau (*suite*) : les Etats Balkaniques, la Belgique (p. 461) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (473) = Varia (477) — Questions et Réponses (480).

JUILLET

Les publications arabes depuis la guerre (p. 481) : *P. Louis Cheikho s. j.*

Les Insectes parasites d'autres insectes (p. 495) : *P. M. Torrend s. j.*

Le livre d'Ibn Durustuyah كتاب الكتّاب (suite) (p. 503) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Syndicats et les Grèves (p. 515) : *Cheikh Ed. Dahdah.*

L'attitude de l'Eglise à l'égard de la guerre (p. 524) : *L'abbé Pierre F. Sfeir.*

L'Arabie actuelle (suite) : La Mecque et ses Chérifs (p. 534) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le Christianisme et la Littérature chrétienne avant l'Islam (*suite*) : l'Histoire chrétienne (p. 539) : *P. L. Cheikho s. j.*

La conversion au catholicisme des Emirs Chéhab et Bellama (p. 543) : *Mr Issa A. Malouf, Cheikh S. Dahdah.*

Bibliographie (552) — Varia (557) — Questions et Réponses (560).

AOUT

Le culte des Esprits dans la Transjordane (p. 561) : *L'Abbé Paul Salman.*

Le livre d'Ibn Durustuyah intitulé كتاب الكتّاب (suite) (p. 571) : *P. L. Cheikho s. j.*

L'Histoire du Monastère de Charfé (p. 579) : *L'abbé Isaac Armalé.*

Extraits d'un ancien Manuscrit historique (p. 596) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam (suite) : Philosophie et Théologie (p. 607) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Syndicats et les Grèves (fin) (p. 614) : *Cheikh Ed. Dahdah.*

L'Arabie actuelle (fin) : Le Hadramaout, l'Oman et Koweit (p. 621) : *P. L. Cheikho s. j.*

La guerre à vol d'oiseau (fin) : Italie et Amérique (p. 628) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie Orientale (633) = Varia (637) — Questions et Réponses (640)

SEPTEMBRE

Les Sciences depuis la guerre (p. 641) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

Le culte des Esprits dans la Transjordane (fin) (p. 655) : *L'abbé Paul Salman.*

Le livre d'Ibn Durustuyah intitulé كتاب الكتّاب (suite) (p. 664) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Municipalité de Damas (poésie populaire) (p. 671) : *Mr Elie Mossabki.*

Les Maronites et la Cie de Jésus aux XVIe et XVIIe siècles (suite) (p. 674) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le 1er voyage de l'Emir Béchir en Egypte: récit de Sallum Dahdah (p. 687) : *Cheikh Salim Dahdah.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam (suite) : Beaux-Arts : Architecture (p. 698) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le martyre d'un converti à Alep (p. 706) : *L'Evêque J. Yousefian.*

Bibliographie Orientale (710) — Varia (717) — Questions et Réponses (720).

OCTOBRE

St Ephrem Docteur de l'Eglise (p. 721) : *P. L. Cheikho s. j.*

Récit du 1er voyage de l'Emir Béchir en Egypte, par Sallum Dahdah (suite) (p. 732) : *Cheikh Salim Dahdah.*

Les illusions d'un Diplômé d'après Mr *H. Meilhac* (p. 740) : *Mr Michel Chibli.*

A la France ! Deux poésies du Curé *H. Raad* en 1860 et 1870 (p. 749) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Société des Nations (p. 753) : *Mr Emile Tyan.*

Le Sionisme : Passé, Présent et Avenir (p. 768) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les derniers événements de 'Ain Ibl (récit d'un témoin oculaire) (p. 779) : *Sr Clémentine Khayyat.*

Le Xme et la Littérature Chrétienne en Arabie avant l'Islam (suite) : Beaux-Arts : Architecture (fin) (p. 788) :

Bibliographie Orientale (791) — Varia (798) = Questions et Réponses (799).

NOVEMBRE

La Politique de Thémistius (traité inédit) (p.881): *P. L. Cheikho s. j.*

Récit du 1er Voyage de l'Emir Béchir en Egypte, par Sallum Dahdah (fin) (p. 889) : *Cheikh Salim Dahdah.*

Les Sanctuaires bédouins de la Tranjordane (p. 900) : *L'abbé Paul Salman.*

Le livre d'Ibn Durustouyah intitulé كتاب الكتّاب (suite) (p. 916): *P. L. Cheikho s. j.*

La Fête de la Toussaint (p. 927) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Ferry-boats (p. 934) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

La lutte contre les Insectes en Agriculture (p. 941) : *P. Alex. Torrend s. j.*

Le Xme et la Littérature Chrétienne avant l'Islam(suite):Beaux-Arts : Pointure et Sculpture (p. 946) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie Orientale (950) — Varia (957) — Questions et Réponses (960).

DÉCEMBRE

St Jérôme et l'Orient (p. 961) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Maronites et la Cie de Jésus aux XVI et XVIIe siècles (suite) (p. 969) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bardesane et sa secte (p. 977) : *Mr Jos. R. Ghanimé.*

Le livre d'Ibn Durustuyah (suite) (p. 993) : *P. L. Cheikho s. j.*

La lutte contre les insectes en Agriculture (fin) (p. 998) : *P. Alex. Torrend s. j.*

Le Xme et la Littérature Chrétienne avant l'Islam (suite) : Beaux-Arts : Musique (p. 1007) : *P. L. Cheikho s. j.*

Comment lisent et écrivent les Aveugles (p. 1012) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

Les nouveaux noms de Rues à Beyrouth (p.1025) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie (1031) — Varia (1037) — Questions et Réponses (1040).

المشرق

تواريخ العالم وروزناماتهُ

للاب لويس شيخو اليسوعي

هذا بحث جليل يطلعنا اوّلاً على التواريخ التي شاعت بين الامم القديمة والشعوب الحديثة فاستندوا اليها لتعريف ازمنة الخليقة او دولهم الخاصّة ثم ثانياً على الروزنامات السنويّة وحساب اشهرها واسابيعها وايامها وفقاً للكلندارات المعتمد عليها سابقاً وحاضراً . وليس زمن اجدر من بدء العام الجديد للخوض في عبابهِ على انّنا لم نقصد الاتساع فيهِ بل نعرضهُ على صورة موجزة لاجتناء فوائدهِ القريبة

القسم الاول : تواريخ العالم

اوّلاً اخصّ التواريخ الشائعة بين الامم

تقسم هذه التواريخ الى قسمين كبيرين احدهما عمومي يؤرخ سني الخليقة منذ اوّل العالم . والآخر خصوصي يتناول قروناً محدودة بدأت بأزمنة معلومة او بوقوع حوادث شهيرة اتّخذتها الشعوب او مشاهير الكتبة كمفتتح تاريخ بعض الدول

١ التواريخ العمومية لسني الخليقة

يُراد بسني الخليقة واوّل العالم تكوين الانسان الاوّل لمّا خلق الله الابوين الاوّلين على ما جاء في سفر الخليقة لموسى النبيّ . وليس بحثنا الآن عن آراء العلماء المختلفين في

المدَّة التي توسَّطت بين ظهور البشر على الارض ومجيء السيِّد المسيح فانَّ تلك آراء قد تعدَّدت ومذاهب تضاربت حتَّى بلغ الاختلاف بينهم نحو ثلاثة آلاف سنة فيتراوح الحساب بين السنتين ٣٤٨٣ و ٦٩٨٤ وكلهم يدَّعون الاستناد الى التوراة ونصوصها الثابتة القديمة العبرانيَّة والسامريَّة والسبعينيَّة دون ان تنقض الكنيسة آراءهم وكفى بالامر دليلًا الى انَّ الكنيسة لا تعتبر حساب التوراة حكماً فاصلًا في ذلك وانَّما ندلُّ نحن الى ما شاع في العالم من تلك التواريخ وبهِ ارَّخ الكتبة القدماء.

﴿ ١ التاريخ الاسرائيلي ﴾ قد تبع اليهود قبل المسيح وبعدهُ تواريخ مختلفة الى ان اتَّفقوا في القرن الحادي عشر على ان يتَّخذوا لهم تاريخاً يرفعونهُ الى بدء الخليقة الذي يزعمون انهُ وقع في ٧ كانون الثاني سنة ٣٧١١ . وعليه فان السنة الجديدة ١٩٢١ توافق عندهم السنة ٥٥٩٢

﴿ ٢ التاريخ الاسكندري ﴾ شاع هذا التاريخ في مصر وبين مؤرخي النصارى العرب كجرجس بن المكين المعروف بابن العميد وبين كثيرين من الكتبة في اوربَّة في القرون المتوسطة . وهو يُنسب الى يوليوس الافريقي في القرن الثالث للمسيح . فهذا التاريخ يجعل مولد المسيح سنة ٥٥٠٠ للعالم ومن ثمَّ تكون السنة ١٩٢١ على موجب هذا الحساب ٧٤٢١ . ويوافقهُ ﴿ التاريخ الانطاكي ﴾ للراهب يانودورس في اواخر القرن الرابع وانَّما يخالفهُ في امر واحد وهو يجعل مولد السيِّد المسيح قبل التاريخ الاسكندري بعشر سنوات اي سنة ٥٤٩٠ للخليقة

﴿ ٣ التاريخ القسطنطيني ﴾ عرف هذا التاريخ الذي جعل مولد المسيح سنة ٥٥٠٨ للعالم منذ اواخر القرن السادس للميلاد وشاع شيوعاً عظيماً بين الروم حتَّى الازمنة القريبة من عهدنا . ولا يزال بعضهم يؤرخون بهِ . وقد اختلفوا في تعيين اوَّل السنة منهُ حتَّى حدَّد ذلك المجمع القسطنطيني الثالث والمسكوني السادس سنة ٦٨٠ فعيَّن افتتاح السنة في اوَّل شهر ايلول . فالسنة الحالية تكون في التاريخ القسطنطيني السنة ٧٤٢٩ للعالم

﴿ ٤ التاريخ الهندي ﴾ يزعم اهل الهند انَّ للعالم اربعة ادوار انتهت ثلاثة منها وانَّنا حاضراً في الدور الرابع الذي طولهُ ٤٣٢ الف سنة اوَّلهُ سنة ٣١٠١ قبل المسيح وعليهِ فان السنة الحالية هي في حسابهم ٥٠٢٢

﴿ ٥ التاريخ اليوليّ ﴾ يُنسب هـذا التاريخ الى الفلكيّ الشهير يوليوس سكاليجر فعُرف بهِ (ère julienne) وضعهُ سنة ١٥٤٠ وجعل اوّل الخليقـة في السنة ٣٩٤٩ قبل المسيح المولود على رأيهِ في السنة ١٧١٤ للعالم فتكون سنتنا الجديدة وفقاً لهذا الحساب السنة ٦٦٣٥ منذ التكوين . امّا ما حملهُ على اختيار هذا الحساب فلأنّهُ وجدهُ بضربهِ الادوار الثلثة الشمسي والقمري والروماني فكان الحاصل العدد ٣٩٤٩ فبنى عليهِ تاريخهُ

٢ التواريخ الخاصّة الجارية بين الامم

تُقسم هذه التواريخ الى قسمين قسمٌ منها سبق عهد ميلاد السيّد المسيح وقسم جرى بعدهُ

١ التواريخ الخاصّة السابقة لعهد المسيح

﴿ ١ التاريخ الصينيّ ﴾ لاهل الصين تاريخٌ يباشرونهُ في السنة ٢٦٩٧ قبل المسيح ويقسمونهُ ادواراً يدوم كلّ دور منها ٦٠ سنة فنحن اليوم في السنة ٥٨ من الدور السادس والسبعين

﴿ ٢ تاريخ ابراهيم الخليل ﴾ ابتداؤه في السنة ٢٢٩٦ قبل المسيح وفيها دعاه الله من اور الكلدانيين الى ارض الميعاد ليكون أباً للشعب الاسرائيليّ

﴿ ٣ تاريخ الالعاب الاولمبيّة ﴾ كان في اليونان مدينة تدعى أولمبية يكرمون فيها الصّنم جوبيتر الاولمبي لهُ هناك هيكل فخيم . فسعى اهل المدينة باجتذاب الغرباء الى هيكل معبودهم فأقاموا ألعاباً غاية في الرونق عُرفت بالالعاب الاولمبيّة كانوا يحتفلون بها كلّ اربع سنوات . فاتخذ تياوس المؤرخ الصقليّ بعد الاسكندر اوّل ادوار هذه الالعاب المنظّمة كتاريخ سنةٍ فلكيّة جعل اوّلها في ١٨ تموز سنة ٧٧٦ وتدوم اربع سنوات شمسيّة . فانتشر هذا التاريخ في بلاد اليونان خصوصاً . فبموجب هذا الحساب كان مولد السيّد المسيح في السنة الاولمبيّة ١٩٤ وبقي هذا الحساب جارياً الى السنة ٤٠٠ للمسيح وهي السنة ٢٩٤ الاولمبية ثمّ أُلغي

﴿ ٤ تاريخ انشاء رومية ﴾ كان انشاء رومية على الرأي الارجح سنة ٧٥٣ قبل

المسيح فجرى الرومان وكتبتهم على هذا الحساب زمناً طويلاً — وللرومان حساب آخر زاد شيوعاً عن التاريخ السابق وهو ﴿ التاريخ القنصلي ﴾ Era consularis. دعوهُ بذلك لأنهم جعلوا مبدأهُ سنة اقامتهم للقناصل بعد الغاء الهيئة الملكيَّة والمناداة بالجمهوريَّة وذلك في السنة ٥٠٩ ق م وثبت هذا الحساب عندهم خمسة عشر قرناً الى عهد ملك الروم لاون المعروف بالحكيم (٨٨٦—٩١١ للمسيح)

﴿ ٥ تاريخ نبوتزير ﴾ ويُدعى ايضاً نبونصَّر احد ملوك بابل ملك عليها من السنة ٧٤٧ الى ٧٣٤ ق م . فالفلكي الشهير بطلميوس اذ باشر في كتابهِ المجسطي ببلاد بابل بنى حسابهُ على اوَّل عام من ملك نبوتزير اعني ٢٦ شباط من سنة ٧٤٧ . فجرى حسابهُ بين كثيرين زمناً طويلاً . لكنَّ هذا الحساب أضرب صاحبهُ صفحاً عن تعداد السنين الكبيسة فما لبث ان خالف حركات الشمس ودورانها

﴿ ٦ تاريخ البطالسة ﴾ هؤلاء البطالسة تولَّوا مصر بعد الاسكندر وعُرفوا ايضاً بالسلالة اللاغيَّة . جعلوا اوَّل تاريخهم في ١٢ تشرين الثاني من السنة ٣٢٤ وهي سنة موت الاسكندر ذي القرنين . ولذلك دُعي الحساب ايضاً بتاريخ الاسكندر

﴿ ٧ تاريخ اليونان او السلوقيين ﴾ شاع هذا التاريخ شيوعاً عظيماً حينما بلغت فتوحات الاسكندر وملك بعدهُ قوَّادهُ ولا سيَّما ملوك سوريا السلوقيين المنتسبين الى سلوقوس نيكاتور اي الظافر . وربَّما دُعي ايضاً بتاريخ الاسكندر مع انهُ لم يبتدئ حسابهُ الَّا بعد موت الاسكندر بسنين . فبدء هذا الحساب في السنة ٣١٢ قبل المسيح وثبت اجيالاً طويلة الى الازمنة القريبة من عهدنا . وانَّما اختلفوا في شهر بدايتهِ فالروم يحسبون بدايتهُ في اوَّل ايلول والسريان والكلدان يجعلون تلك البداية في غرَّة تشرين الاوَّل . بل اختلف البعض في بدء سنتهِ فمنهم من جعلها السنة ٣١١ ق م كاليهود ومنهم من حدَّد سنة ٣١٠ بل قدَّمها بعضهم الى السنة ٣١٣ ق م فاقتضى التنبيه

﴿ ٨ تاريخ بني حشمناي ﴾ ويُدعى تاريخ المكابيين اتَّخذهُ اليهود مدَّةً ذكرًا لنجاة وطنهم على يد أسرة المكابيين وذلك سنة ١٤٣ ق م . وقد ارَّخ بعض اليهود بسنة خروجهم من مصر اي السنة ١٦٤٥ ق م وارَّخ غيرهم ببناء هيكل سليمان ٩٩٨ ق م وباوَّل جلائهم الى بابل سنة ٦٠٦ وبناء الهيكل ثانياً على يد زروبابل ٥١٦ . وانَّما كان التاريخ السلوقيّ اشيع عندهم من سواهُ

﴿ ٩ تاريخ پمپيوس ﴾ هـذا التاريخ يرتقي الى السنة ٦٤ ق م حيث فتح پمپيوس بلاد الشام فجعلها من جملة الاقاليم الرومانيَّة فاتخذ السوريُّون تلـك السنة كمبدأ حسابهم

﴿ ١٠ التاريخ القيصري ﴾ هو التاريخ الروماني الذي يُنسب الى يوليوس قيصر لمَّا اصلح حساب السنة الرومانيَّة القديم بمساعدة الفلكيّ الشهير سوسيجانس وجعلهُ شمسيًّا بعد ان كان قمريًّا يوافق اوَّلهُ السنة ٤٥ قبل المسيح

﴿ ١١ تاريخ اسبانية ﴾ أُنشئ هذا التاريخ في ١ كانون الثاني من السنة ٣٨ق م اكرامًا لاوغسطوس قيصر بعد ان فتح كل بلاد اسبانية وضمَّها الى الممالك الرومانيَّة . واكثر ما شاع هذا التاريخ في اسبانية وجنوبي فرنسة وشمالي افريقية الى القرن الثاني عشر بعد المسيح

﴿ ١٢ تاريخ اكسيوم ﴾ أكسيوم في سواحل اليونان انتصر فيها اوغسطوس قيصر على خصمهِ انطوان فصار اليهِ وحدهُ الملك الروماني وذلك في ٢ ايلول ٣٠ ق م . واصبح ذلك التاريخ مبدأ لحساب شاع في عدَّة بلاد حتَّى في مدن الشام

﴿ ١٣ تواريخ المدن الفينيقيَّة الساحليَّة ﴾ قد بلغت مدن فينيقية في بعض آونة تاريخها رقيًا عظيمًا وربَّما نالت استقلالًا نوعيًّا حدا بها الى ان تتخذ لها تواريخ وطنيَّة خاصَّة تشهد عليها الآثار الباقية الى يومنا لاسيَّما النقود والمسكوكات . فدونك اخصَّ هذه التواريخ : ١ً اتخذت لها صور تاريخَيْن مستقلَّين اولهما جعلتهُ سنة ٢٧٥ ق م . والثاني سنة ١٢٦ وجعلوا اوَّلهُ في ١٩ تشرين الاوَّل ١٢٥ ارَّخت بهِ لمَّا منحها ملوك سوريَّة الاستقلال فعدلوا عن التاريخ اليوناني . ٢ً وارَّخت جزيرة ارواد وشريكتها عمريت بالسنة ٢٥٩ ق م . ٣ً وارَّخت عكَّا بالسنة ١٧٤ ق م ذكرًا لما منحها من الامتيازات انطيوخوس الرابع المعروف بالشهير . ٤ً وأرَّخ الصيداويُّون بالسنة ١١١ ق م كما يتَّضح من نقودهم . ٥ً وارَّخت طرابلس بتاريخها الوطني ١٠٥ ق م . ٦ً وكان تاريخ بيروت الوطنيّ سنة ٨١ ق م . . ولم يكن لجبيل تاريخًا وطنيًّا . وكلّ هذه المدن كثيرًا ما تبعت في حسابها تاريخ السلوقيين او تاريخ پمپيوس او تاريخ اكسيوم السابق ذكرها

٢ التواريخ الشائعة بعد المسيح

﴿١ التاريخ المسيحي﴾ هو التاريخ الشائع اليوم في كلّ الاقطار المسيحية على اختلاف مذاهبها . وضعهُ في القرن السادس للمسيح في رومية راهب يدعى ديونيسيوس الصغير كان متولياً نظارة السجلّات البابويّة فاعتمد بكتاباته الى هذا التاريخ البادئ بميلاد السيّد المسيح وكان ذلك سنة ٥٢٤ . لكنّ عملهُ هذا لم يُرَجْ وقتئذٍ حتّى قام ملك فرنسة كرلس الكبير واتخذ هذا الحساب رسمياً لدولتهِ فشاع بعدهُ في كل الدول الاوربيّة . على انّ ديونيسيوس قد وهم في حسابهِ وجعل مولد السيّد المسيح في السنة ٧٥٤ لرومية والصواب انّ ميلاد الربّ حدث اربع سنين قبل ذلك اي في سنة ٧٤٩ لرومية والسنة الرابعة من الدور الاولمبي الـ١٩٤ الموافقة للسنة ٤٧٠٩ للتاريخ اليولي . فيكون عمر السيّد المسيح يوم موتهِ ٣٦ سنة وثلثة اشهر وتسعة ايّام . امّا يوم وشهر راس السنة المسيحيّة فقد اختلفوا فيهما فمنهم من جعلها في ٢٥ ك ١ يوم عيد الميلاد ومنهم من ابتدأها في ٢٥ آذار يوم عيد البشارة وغير ذلك ممّا رويناهُ سابقاً في المشرق في مقالتنا المعنونة عادات الامم في رؤوس الاعوام (١٦ [١٩١٣] : ١—١١)

﴿٢ تاريخ الشهداء﴾ وهو التاريخ القبطي ويُعرف ايضاً بتاريخ ديوقلسيانوس نسبةً الى الشهداء لكثرة من استشهد من النصارى في عهد ذلك الملك في انحاء مصر . وكان اوّل هذا التاريخ موافقاً لليوم الجمعة ٢٩ من آب سنة ٢٨٤ للمسيح . فالسنة ١٩٢١ توافق السنة ١٦٣٧ للشهداء . . والسنة القبطيّة شمسيّة غير انّها تتبع في حسابها وكبسها كلّ اربع سنين الحساب الشرقيّ الجاري عند الروم

﴿٣ التاريخ الارمني﴾ كان الارمن يؤرخون بعد تنصّرهم بتاريخ اليونان . ثمّ اخذت البدعة اليعقوبيّة تنتشر بينهم فلمّا كانت السنة ٥٥٢ للميلاد اجتمعوا في توثين وقرّروا الهرطقة المونوفيسيّة فأنكروا طبيعتي السيد المسيح ومشيئتيه . واتخذوا حساباً جديداً دعوهُ نقاسرت جعلوا مبدأهُ في ١١ تموز سنة ٥٥٢ . وهو حساب شمسي دون اكتراثهم بالسنة الكبيسة . وراس السنة عندهم يقع في يوم عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني . فالسنة الحاضرة ١٩٢١ هي في حساب تاريخهم ١٣٧١

﴿٤ تواريخ العرب قبل الاسلام﴾ لا يُعرف من حساب تواريخ العرب قبل الهجرة الا النزر القليل فاشهر تلك التواريخ عام الفيل لمّا حاول الحبش فتح مكّة وخراب

الكعبة وذلك على الرأي الارجح في ٢٩ آب سنة ٥٧٠ للمسيح . وقد ارَّخ القُرَيشيُّون بيوم الفجار الثاني اذ انتصروا من بني هوازن وذلك سنة ٥٨٩ . وارَّخ بنوطيٍّ بعام الفساد في اوائل القرن السابع للمسيح . وكان لبُصرى في حوران على عهد الرومان تاريخ يبتدئ في السنة ١٠٥

﴿٥ التاريخ الهجريّ﴾ نسبةً الى مهاجرة محمَّد صاحب الشريعة الاسلاميَّة من مكَّة الى يثرب فدُعيت بمدينة النبي وذلك في ١٥ تموز من السنة ٦٢٢ ولأنهم اعتبروا في حسابهم رؤية الهلال فقد أخَّروا ذلك الى اليوم ١٦ منهُ . والسنة الهجريَّة كما هو معلوم قمريَّة تتألف من ١٢ شهرًا ومن ٣٥٤ يوماً وفي بعض السنين من ٣٥٥ يوماً امَّا النقص السنوي عن تاريخ السنة الشمسيَّة فيبلغ سنةً كاملة كلَّ ٣٣ سنةً واوَّل كانون الاوَّل من السنة ١٩٢١ يوافق ١١ من جمادى الاولى ١٣٣٩ وتبتدئ سنة ١٣٤٠ في ٤ ايلول

﴿٦ التاريخ العجميّ﴾ يدعى هذا التاريخ تاريخ ازدشير وهو الثالث من اسمهِ وآخر ملوك بني ساسان ملك من السنة ٦٣٢ الى ٦٣٤ حيث فتح العرب بلاد العجم وخلعوا ازدشير . وتاريخهُ يبتدئ في ١٦ حزيران ٦٢٢ اي عشر سنين الَّا شهرًا بعد تاريخ الهجرة وكانت تلك السنة هلاليَّة وبقيت جاريةً الى السنة الهجريَّة ٤٦٧ (١٠٧٥ م) فابدلها جلال الدين ملكشاه بسنة شمسيَّة كان ابتداؤها في السنة ٤٦٧ المذكورة وصحَّح فيها ما وقع من الغلط في الحساب اليوميّ

﴿٧ تاريخ الجمهوريَّة الفرنساويَّة﴾ لم يثبت الَّا ١٢ سنة من ٢٢ ايلول ١٧٩٢ الى ٤ تشرين الاوَّل ١٨٠٤

القسم الثاني : الروزنامات

الروزنامة بالفارسيَّة كتاب الايَّام يراد بها التاريخ السنوي وتدوين اعمالهِ اليوميَّة . ومثلها الكلندار وهو نظام السنة وحساب شهورها واسابيعها وايَّامها . واصل اللفظة لاتينيَّة معناها المناداة الشهريَّة كان الرومان في اوَّل الشهر يدعون الشعب فينادون بما يقع فيهِ من الاعياد

فان اعتبرنا ﴿اليوم﴾ وجدنا لهُ ثلاث هيئات فيكون امَّا يوماً نجميًّا وامَّا يوماً

شمسياً واما يوماً مدنياً (واليوم النجمي) الذي لا يختلف البتة يتعين بمرور احد النجوم الثابتة في هاجرة المكان بعد دوران الارض على محورها دورةً تامّة . وانّما لا يعوّل عليه في المعاملات لصعوبة مراقبة النجوم

(واليوم الشمسي) يتعيّن بعودة الارض بعد دورتها الواحدة على محورها مع زيادة في سيرها لتبلغ هاجرتها لأن للارض ما عدا دورتها حول الشمس حركةً خاصّة ناتجة عن انتقالها في فلكها الاهليلجي في دائرة البروج المائلة على دائرة الاعتدال ومن ثمّ ليست الايّام الشمسيّة متساوية ثابتةً فتطول احياناً عن ٢٤ ساعةً وتارة تقصر عنها . ويُدعى اليوم الشمسي باليوم الحقيقي

(اليوم المدني) او المتوسّط . قد اقتضى اختلاف طول اليوم الحقيقي وقصره ان يقسم اليوم الحقيقي اقساماً متساوية يمكن الرجوع اليها في المعاملات المدنيّة . فقسموهُ الى اربعة وعشرين قسماً متساوياً يسمّونها ساعات منها ١٢ ساعة للنهار و١٢ ساعة لليل وذلك هو اليوم المدني او المتوسّط . لا يعتبرون فيه حركة الشمس الظاهرة بل حركتها الوهميّة كأنّها تمرّ كلّ يوم في خطّ واحد من الهاجرة . وانّما تتّفق الحركتان في الانقلاب الشتوي والصيفي وفي اعتدال الليل والنهار الخريفي والربيعي.

ثمّ انّ الشعوب قد اختلفت في تعيين اوّل اليوم وتقسيمه فمنهم من يجعل اوّل اليوم من الصباح الى المساء كالبابليين والفرس والروم . ومنهم من يبتدئ اليوم من غروب الشمس كاليهود والعرب . وقد ابتدأ غيرهم النهار من الظهر كبعض الشعوب القدماء . امّا الرومان ومثلهم اهل اوربّة حاضراً فيبتدئون اليوم من نصف الليل

وكذلك جرى بعض اختلاف في ساعات اليوم فانّ اليهود واليونان والرومان كانوا يقسمون النهار الى ٢٤ ساعة نصفٌ منها نهاريّة ونصف ليليّة . امّا البابليّون والاثينيّون فكانوا يقسمون اليوم الى ١٢ ساعة فقط متساوية . وكثيرون يجارونهُ الآن ٢٤ ساعة متواصلة دون تنصيفها فالساعة ١٥ هي الثالثة بعد الظهر وهلم جرّاً

امّا ﴿ الاسبوع ﴾ فاوّل من قسمهُ الى سبعة ايّام سفر التكوين لموسى اذ روى خلق الله للعالم في سبعة ايّام ومثلهُ الكلدانيون الذين بنوا تقسيمهم على عدد السيّارات السبع المعروفة عندهم على هذا الترتيب وهي : زحل والمشتري والمرّيخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . فاخذ اليهود ثمّ النصارى هذا التقسيم وادخلوهُ في العالم

الروماني مع بعض اختلاف في ترتيبه فجعلوا اولهُ للشمس وهو الاحد عند النصارى ثمَّ الثاني للقمر (Lundi, Lunæ dies) ثمَّ الثالث للمريخ (Mardi, Martis dies) ثمَّ الرابع لعطارد (Mercredi, Mercurii dies) ثمَّ الخامس للمشتري (Jeudi, Jovis dies) ثمَّ السادس للزهرة (Vendredi, Veneris dies) والسابع الاخير لزحل (Samedi, Saturni dies) واليهود يدعونهُ سبتاً اي يوم راحة اشارة الى انتهاء الخالق من تكوين المخلوقات في هذا اليوم السابع

وقد قسم بعض الشعوب اسبوعهم الى ثمانية ايَّام وغيرهم الى عشرة ومنهم اليونان. وهكذا فعل اصحاب الجمهوريَّة الفرنسويَّة الاولى التي سبق ذكرها

امَّا ﴿الاشهر﴾ فان تقسيمها الى ١٢ شهراً يرتقي الى اوائل الكون كما يظهر من التوراة في وصف الطوفان. على انَّ ايَّام تلك الاشهر كانت تختلف فانَّ المصريين كانوا يعدُّون الشهور متساويةً كلُّها ذات ٣٠ يوماً وانَّما كانوا يضيفون اليها خمسة ايَّام. ومنهم كاليونان كانوا يحسبون الاشهر بالتناوب ستَّة منها ٣٠ يوماً وستَّة ٢٩ يوماً كالشهور الهجريَّة ثمَّ رأوا ما في حسابهم من الخلل فزادوا على سنتهم شهراً آخر في بعض السنين. ومثلهم اليهود يضيفون الى آذار شهراً يدعونهُ آذار الثاني لتتفق فصول السنة مع حركات الشمس

وكذلك ﴿السنة﴾ فانَّها امَّا شمسيَّة واما قمريَّة. فاتخذ الشعوب احد النيِّرين كقاعدة حسابهم السنويّ فانَّ المصريين اختاروا السنة الشمسيَّة وقسموها الى ١٢ شهراً متساوياً ذات ٣٠ يوماً للشهر مجموعها ٣٦٠ يوماً. واذ تحقَّقوا انفي هذا الحساب خللاً لوقوع الربيع في كل فصول السنة بعد ٧٠ عاماً بسبب نقص العام سنويًّا ٥ ايَّام عن السنة الحقيقيَّة عادوا وجعلوا سنتهم ٣٦٥ يوماً باقحام خمسة ايَّام فيها دون مراعاة الساعات الزائدة عليها في كل سنة. فنجم عن هذا الاهمال غلط آخر اصلحهُ سوسيجانس بكبس يوم كلَّ اربع سنوات وهذا الاصلاح عُرف بالاصلاح اليوليّ. على انَّ سوسيجانس لم يلحظ انَّ السنة الشمسيَّة لا تزيد ستَّ ساعات تماماً بل تنقص عن ذلك عشر دقائق وعشر ثوانٍ بحيث يحصل فرق يوم كامل كلَّ ١٢٩ سنة. فهذا الغلط أُصلح بامر البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٢ وجرى عليهِ معظم الشعوب المتمدنة الأروسيَّة والمنتمين الى الكنائس الشرقيَّة المنفصلة فقد بلغ اليوم الفرق بين حسابهم المغاوط

والحساب الصحيح ١٣ يوماً راجع مقالتَيْ حضرة الاب كولنجت في هذا البحث (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٢٥ و ٥ [١٩٠٢] : ٤٤٦) مع مقالتنا في توحيد الحسابين (٤ [١٩٠١] : ٤٢٢). والارمن كذلك في حسابهم القديم السابق ذكرهُ لم يحسبوا حساب الكبس فكاد يبلغ اليوم غلط حسابهم ٣٤٢ يوماً

امَّا الذين اتخذوا القمر كقاعدة حسابهم فالاثينيّون والاسرائيليُّون وقد ذكرنا كيف وفَّقوا بين حسابهم وفصول السنة الشمسيَّة بالنسي اي إقحام بعض الايَّام في دورة سنتهم. وكذا فعل الرومان قبل اصلاح يوليوس قيصر

وكذلك العرب في الجاهليَّة كانوا كلَّ ثلث سنوات ينسئون سنتهم القمريَّة فيزيدون عليها شهراً لتقابل نوعاً السنة الشمسيَّة. جروا على ذلك منذ ايَّام قُصَي في السنة ٤١٢ للمسيح. فلمَّا جاء الاسلام حرَّمهُ صاحب الشريعة بقولهِ في سورة التوبة (ع ٣٧): «انَّما النسيء زيادةٌ في الكفر يضلُّ بهِ الذين كفروا». ومن ثمَّ اضحت السنة الهجريَّة قمريَّة محضة لولا انَّ السنة القمريَّة الحقيقية تزيد على سنتهم المدنيَّة ثماني ساعات و ٤٨ دقيقة فتصبح الزيادة بعد ثلثين سنة ١١ يوماً ولذلك زادوا بعد حين على احدى عشرة سنة من هذه السنين يوماً ليصير الاتفاق بين السنتين. ولكنَّهم لم يوفَّقوا بين السنة الشمسيَّة والقمريَّة فتتنقَّل الفرائض الدينيَّة كالحج وصوم رمضان في كلّ فصول السنة فالربيعان مثلاً اي ربيع الاوَّل وربيع الآخر اللذان يدلَّان على فصل السنة المعروف يقعان اليوم في الصيف والخريف والشتاء كما يجوز وقوعهما في فصل الربيع

فالروزنامات من شانها ان تدلَّ على كلّ هذه الاختلافات وتشعر الناس بما يقع في كلّ فصل وكلّ شهر من المواسم الدينيَّة والمدنيَّة. وكثيراً ما يضيف اليها الفلكيُّون المعلومات الفلكيَّة المفيدة كساعات ودقائق طلوع الشمس وغروبها وادوار القمر في هلالهِ وبدرهِ ومحاقهِ وكآونة كسوف الشمس وخسوف القمر وظهور النجوم المذنَّبة وغير ذلك من الفرائد الجليلة التي تطلع الناس على حقائق الامور وتنفي عنهم الاوهام الشائنة التي كان الناس سابقاً يضلُّون بها وتحملهم لجهلهم على الخرافات. ارشدنا الله الى معرفة كلّ حقيقة ونفى عنَّا كلّ ضلال

خلاصة تاريخ العام المنصرم

لحضرة الاب جبرائيل لوقنك اليسوعي

نظر اجمالي

ها قد انتهت السنة ١٩٢٠ ولم يُصب العالم كثيراً مما كان يؤمّلهُ منها . فانَّ سلمنا ليس بثابت الاركان وهو يشعرنا بتوالي القلاقل والاضطرابات . وهذه الحالة السيئة لم تستثنِ منها تماماً الدول الظافرة التي كانت مؤمّلةً النجاة باثرها . بل شمس فلكنا لا تزال كما كانت في بدء الحرب تغيب كلَّ يوم في افقٍ يتأجج نارًا . وقد زاد صغر اوربة عمَّا كان قبل السنة ١٩١٤ . فترى قارة آسية تخطَّت الى حدود پولونية التي تجهل حتَّى الآن أتكون احد تخوم اوربَّة الشرقيَّة ام من ثغور آسية الغربيَّة . ولعلَّها لا تعلم أتدوم في قيد الحياة

على انَّ العناصر الشديدة القوى بين الشعوب الراقية قد وجدت في الاخطار الحاضرة داعياً الى تنمية مساعيها وجهادها . وان اعتبرنا الكاثوليك خاصَّةً رأيناهم يصرفون نظرهم بمزيد الهمَّة الى درس المسائل الاجتماعيَّة فهي هي الآن نقطة اجتماعهم الجوهريَّة بازاء تلك العصابات المختلفة والأنفاف الثوريَّة التي تجمع قواها لتدكَّ عرش الدول الحاضرة وهي تعتبرها كآبة الظلم والجور لامتلاكها على السلطة . فترى ماذا يكون مصير العالم عمَّا قليل ؟ والى اين ستؤدي بنا هذه الاهوال التي لا يجد كبار الساسة دواء لها ناجعاً في حكمتهم البشريَّة القاصرة ؟ ذلك سؤال يجهلون الجواب عنهُ وانَّما يعلمهُ اصغر المسيحيين ألا وهو المثل السائر : انَّ المرء في التفكير والله في التدبير فهو تعالى يريد ان يقنع الانسان بلسان الاحوال انَّهُ لديهِ وحدهُ مقاليد الامور ومفتاح الفرج

فني بدء السنة الاخيرة كم من صلح وسلام قصدوا تقريرهُ : سلام الجر سلام تركيَّة سلام بحر الادرياتيك السلام الروسي هذا فضلاً عن السلامات المتداعية كمعاهدة ڤرسايل والسلامات المتقلقلة كسلام بريطانية العظمى . ثمَّ كم من حربٍ عزموا على انجازها

كالحروب المنتشبة في اوربة الشرقيَّة وفي جهات عديدة من آسية

فبين هذه الانواء العرمرميَّة رأينا الحبر الاعظم يترفَّع عن السياسة البشريَّة وهو لا يرى غير النفوس ففي براءاته الاخيرة انهض همم المرسلين ووجَّه نظرهم الى نشر الدين المستقيم نابذين وراء ظهرهم كلَّ اعتبار زمنيّ وكلَّ ميل الى سياسة خاصَّة فلا يقصدون الَّا وجه الله وخلاص النفوس. ولذلك ترى كثيراً من هذه الدول المستجدَّة تعتصم بحبل البابويَّة المتين وتعدُّها وحدها كالقوَّة الادبيَّة الثابتة الاركان الخالية من كلَّ غرض شخصيّ. وهذا ما حمل ويحمل كلَّ يوم هذه الدول الى ان ترسل الى رومية معتمدين يمثلونها وسفراء يسعون بترويج صوالحها الدينيَّة. وقد سبقت انكلترَة بقيَّة الامم في ذلك مدَّة الحرب فاخذت الدول تجري على مثالها او تحسّن علاقاتها السابقة. فانَّ لالمانية اليوم سفارةً بدلًا من الرسالة البروسيانيَّة السابقة ولبفارية بعثةً ثابتة. وكانت عدَّة دول قطعت علاقاتها مع رومية فاستأنفتها مؤخَّراً كالبرتغال وفنيزويلة وسويسرة وموناكو. ثمَّ برومية اجتاز حاكم فلسطين اليهوديّ السر هربرت صموئيل ومثله الوفد الهنديّ الساعي بتوطيد الخلافة التركيَّة. فالكل ينظرون الى رومية كقبلة الدين وقطب العالم والى نائب السيّد المسيح كرسول السلام وهو اثبت ذلك حديثاً ايضاً في منشوره عن السلام الذي ابرزهُ في ايَّار الاخير. واتخذ شفعاء جدداً عند الله لنوال ذلك السلام بتثبيته عدَّة قديسين ولا سيَّما القديسة جان دارك التي حضر حفلة تقديسها المسيو هانوتو ممثلًا لدولة فرنسة. وممَّا يستحقّ الذكر تطويب زنوج اوغندا الشهداء. وهي المرَّة الاولى ينال اهل تلك البلاد هذه النعمة العظمى.

فرنسة

اصبحت فرنسة منذ انتخابات مجلسها الاخيرة محروبةً كمركز النظام وحصن الدفاع عن السلام وعدوَّة النهضة البولشفية. فقد أعربت عن افكارها لمناهضة الفتن في معاملاتها الدوليَّة وفي تأويلها لمعاهدة سيفر وعساها تبقى في الحدود المعقولة لئلَّا ينسبها اعداؤها الى الاستبداد

وممَّا استجدَّ في السنة الاخيرة ما رواهُ المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٩٥٧) عن انتخاب رئيس الجمهوريَّة الجديد المسيو ميلران بعد ان أُصيب المسيو ديشانيل بمصابهِ البغيت

وبتوعك صحته فقدم استعفاءه — وقد تأذت فرنسة في شهورها الاولى بما حصل فيها من الاعتصابات المختلفة من قبل النقابات البحرية والبرية والصناعية وإضرابها عن العمل ومطالباتها في زيادة الاسعار وتخفيض ساعات الشغل فنتج عن ذلك انَّ الواردات زادت كثيراً عن الصادرات ونقصت قيمة النقود فأصبح الفرنك لا يمكنهُ ان يوازي اسعار النقود الغريبة كالاسبانية والسويسرية والهولندية ولا سيَّما الانكليزية . لكنَّ احوال البلاد تحسَّنت نوعاً بعد ان تصدَّت الحكومة لدسائس شركة الاشغال العمومية وضربت على يدها

وقد سُرَّ معظم الاهلين في فرنسة لعرض الحكومة منذ شهر آذار مسألة استئناف العلاقات مع الفاتيكان والأمل معقود على قرب تنفيذ هذه المسألة بمصادقة مجلسي الندوة والشيوخ عليها — امَّا دعوى كاليو فرغماً عن كلّ ما نُسب اليهِ من الخيانة نحو وطنهِ فانَّها انتهت بتبرئتهِ نوعاً من التواطؤ مع العدوّ وانَّما استرابوا بمكاتباتهِ وحكم عليهِ بعقابٍ خفيف

ومن الامور الحريَّة بالذكر وفاة الامبراطورة اوجانية قرينة نابوليون الثالث التي جدَّد موتها ذكر الحرب السبعينية . على انَّ المتوفَّاة استحقَّت بسلوكها وقت ملكها وبعدهُ ثناء الجميع لتقاها وحنانها على الفقراء والبؤسين وانقطاعها الى الاعمال المبرورة

امَّا سياسة فرنسة الخارجيَّة فانَّها كانت مقيَّدة بموقفها الحرج ازاء حلفائها الانكليز والاميركيين وبحالتها الاقتصاديَّة والماليَّة وقلَّما تراها مستقلَّة في عملها . فمن ذلك انَّها وضعت يدها على الخمس مدن الالمانيَّة الواقعة على ضفَّة الرين اليمنى ومن جملتها فرنكفورت لتضطرَّ الالمان ان يسحبوا جنودهم من مقاطعة روهر فلم يستحسن الحلفاء عملها الَّا بلجكة التي عقدت مع فرنسة معاهدةً دفاعيَّة في شهر آب — وممَّا اقدمت عليهِ فرنسة دون حلفائها انَّها ايَّدت الجنرال ورنجل والبولونيين في محاربة السوفيات وسنذكر ماثرها في سوريَّة وقيليقية

بريطانية العظمى

جرت بريطانية في سياستها على وتيرتها المعتادة فانَّها رغماً عما تجدهُ في طريقها من المعاكسات لا تزال جاريةً على خطَّةٍ ثابتة وغاية واحدة وهي ان تجعل بلادها في مقدَّمة

دول العالم . وكان اكبر صليبها شقيقتها الصغيرة ارلندة التي لم تَعُد ترضى الّا بالاستقلال التامّ بعد ما حارب ابناؤها جنباً لجنب مع الانكليز في الحرب الكونيَّة لتخويل الامم الصغرى الحريَّة التامّة . واذ ترى انكلترة في انفصال ارلندة هضماً لسلطتها فانّها قامت في وجهها وناهضتها بكل عُنف وقساوة من ذلك توقيفها لحاكم كورك ماك سويني الذي انتحر جوعاً ليحتجّ بموتهِ على ظلم اعدائهِ فما كان من الارلنديين الّا ان شكّلوا العصابات الثوريَّة من السن فن (Sinn-Feiners) الذين اطلقوا العنان لمساوئهم ضد الانكليز فنجم عن ذلك شبه الحرب الاهليَّة التي استعرت نيرانها طول السنة المنصرمة

ولا تخلو انكلترة نفسها في داخليَّتها من المشاكل فانَّ نقابات الاشتراكيين تزيد كل يوم عدداً وعصبيَّةً فطلب المعدّنون وضع مناجم الفحم في حوزة الدولة بدلًا من الشركات الماليَّة ليعزّزوا بذلك احزابهم وتهدّد العمّال باعتصاب عام واضربوا عن الشغل في اواسط تشرين الاوّل وثبتوا على اضرابهم الى آخرهِ فألحقوا بالدولة خسائر لا تُحصى ولا يزالون يطلبون زيادةً في اجرتهم

امّا ضابط سكّان السياسة في انكلترة فلا يزال لويد جورج الّا انَّ حزبهُ قد ضعف نوعاً ولا سيّما بدخول خصمهِ الكبير المستر اسكويث في ندوة العموم . وسياستهُ الخارجيَّة ارجح وامكن فانَّهُ ناصب كليمنسو لمّا اراد ان يجعل بلاد روسيَّة ضمن دائرة من الاسلاك الشائكة وهو الذي استقبل نائب السوفيات المسيو كراسين لمّا صار الحمر يتهدّدون العجم والسلطة الانكليزيَّة في الهند . لكنَّ همّتهُ القصاء لم تقوَ على حلّ كل المشاكل من جملتها المسألة المصريَّة ومسألة العراق وما بين النهرين واعوص منها المشكل الارلنديّ مع الخوف من انفجار بركان الهند ولاسيّما انَّ البرنس دي غال الذي كانوا انتدبوهُ لسياحة في تلك البلاد لتوطيد السلطة الملكيَّة هناك احجم عن السفر

الدول المتحالفة

لمّا افتتح الحلفاء مؤتمر السلام كان يؤمّل من مجلسهِ الإقدام على عظائم الامور وها هو قد بلغ ختامهُ في هذه السنة بخمول وضعة فانَّهُ لم يبق من الثلثة المعهود اليهم تدبير الامور الدوليَّة غير لويد جورج وثباتهُ ادلّ دليل على فوز السياسة الانكليزيَّة

وعلوّ كعبها — وفي ١٠ ك ٢ قد ادخلت عهدة ڤرسايل في عملها بعد اعلان نهاية الهدنة التي قلّما نصّ التاريخ على هدنة طالت مثلها ١٤ شهرًا

وما لبث ان عُقد مؤتمر باريس الثاني الـذي لم يُدعَ اليه غير الحلفاء وفيه تعيّن المجلس الاعلى فحاول بتأليف جمعيّة الامم التي سبق الاديب اميل تيّان فوصفها وصفاً مستوفياً (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٧٥١ — ٧٦١) . وقد عقـدت الجمعيّة المذكورة عدّة اجتماعات في بلاد شتّى كايطـالية (رومية) وبلجيكة (بروكسل) وسويسرة (جنيڤة) فتباحث اصحابها في محـاكمة الامبراطور غليوم وفي الضغط على المانية لتسليم مؤونتها الحربيّة وسفنهـا وتقليل جنديّتها ودفع غرامتها الحربيّة . وفي الوسائط الناجعة لدفع الازمات الماليّة والاقتصـاديّة وكان الرئيس ولسون مصادقاً على كلّ ذلك الى ان تعيّن خلفهُ المستر هاردنغ لرئاسة الولايات المتّحدة فلم يصادق على اعمـال الرئيس السابق . كمـا انّ مجلس الشيوخ في الولايات المذكورة كان نبذ عهدة ڤرسايل اذ رأى فيها هضماً لاستقـلال الامم اعني لمذهب مُنروي . والحقّ يقال انّ كثيرًا من التقارير السابق ذكرها لم يمكن اجراؤها فعلاً فاصرّت المانية على رفض مضامينها وبقي الامبراطور غليوم في ضيافة هولندة التي لم ترضَ بتسليمه . وممّا قرّرتهُ جمعيّة الامم ان يُعرض على الدول المتحايدة الاشتراك معها فرضيت بذلك سويسرة في ايّار المنصرم واتّفقوا على ان تكون جنيڤة مركزًا لتلك الجمعيّة وحاضرتها

ثم عقد المجلس الاعلى مؤتمر باريس الثاني الذي عقبتهُ اجتماعات مختلفة كان اوّلها في لندن وكان اعضاء المجلس يصرّحون في كلّ اجتماع باتّفـاقهم التام . وهيهات ان يصحّ قولهم فان كلمتهم كانت تختلف في معظم الامور كأمر روسيّة والسوڤيات وكامر الادرياتيك وكأمر پولونية وبالاخصّ امر المـانية . فمسألة الادرياتيك لم تنتهِ الّا في آخر السنة بمعاهدة راپالّو باتّفاق ايطالية واليوغوسلاف بعد المفاوضات العديدة وتهوّر دانتزيو في ضبـط مدينة فيومه وتوسّط الرئيس ولسون

واجتمع المجلس الاعلى في سان ريمو بعد واقعة فرنكفورت وكاد الخلاف يشتدّ بين الحلفاء . فعادوا وكرّروا العزم على الثبات في اتّحاد كلمتهم فكانت نتيجة هذا الاجتماع ان فرنسة التي تقدّمت خطوةً على ضفاف نهر الرين تقهقرت بالعكس في ضفاف البوسفر وفيه جُعلت نظارة الاستانة في عهدة انكلترّة والرخصة لليونان بأن

يتقدّموا بجيوشهم في الاناضول ويستوطنوا ازمير . وهي امور هيّجت الرأي العام بين الاتراك وحدت بمصطفى كمال الى محاربة الحلفاء طول السنة

ثمّ ولي اجتماع سان ريمو اجتماعات أخرى في رومية في شهر ايار ثمّ ضيث وبولوني وسيا تداولوا فيها الابحاث عن الاحوال الحاضرة وخصوصاً في إجبار المانية على نزع الاسلحة ودفع الغرامة الحربيّة وفي مناهضة البولشفية وتأييد الجنرال ورنجل ومساعدة بولونية ودفع اليونان الى محاربة الكماليين . وقربت نهاية السنة دون حلّ كلّ هذه المشاكل حتّى جاءت غيرها ايضاً زادتها تعرقلاً كموت ملك اليونان ومحاولة الملك قسطنطين لأن يرجع الى عرشه وكفشل الجنرال ورنجل امام البولشفين والسوفيات الظافرين . وترى الشرق حاضراً محفوفاً بالمخاطر كما كان سابقاً

المانية

ذاقت المانية مرارة الثورة ثالثةً في السنة المنصرمة اذ سعى الحزب العسكريّ بان يستولي على حكم البلاد لكنّ مساعيهُ في فرنكفورت فشلت بجمود الاهلين في جنوبي المانية وغربيّها . وهذه الحركة دفعت فرنسة الى ان تحتلّ بعض المدن الالمانيّة . فاظهر الالمان من الاباء والترفّع ما لا يليق بهم بعد ان دارت عليهم رحى الحرب وربّما توهموا العالم بالخصب وسعة العيش وانّما الصحيح انّ المجاعة ضاربة اطنابها في جهات كثيرة ولا سيّما في سكسن وقد أصيبت الصناعة عندهم بضربة لازبة لهبوط نقودهم وغلاء الموادّ الغذائيّة ولصعوبة حصولهم على الموادّ الاولى لإحياء صناعتهم . فانّ آلةً كانت قبلاً تساوي مليوناً واحداً لا يُحصل عليها حاضراً باقلّ من ٢٠ مليوناً . امّا برنامج سنتها فقد بلغ ٣٠ ملياراً يضاف اليها ٤٠ ملياراً لمصاريف خارقة العادة و١٥ ملياراً لماش الجنود المحتلّة في بلادها . وقد بلغ النقص في ميزانيّتها السنويّة ٦٧ ملياراً . على انّ لالمانيّة قدرةً واسعة في الشغل يمكنها ان تغتني بها وتُغني غيرها على شرط ان يساعدها الحلفاء في اصلاح ادواتها

ايطالية

انّ حالة ايطالية الداخليّة معضلة لما يتهدّدها من العناصر البولشفيّة التي اختلطت بعمّالها فاثارت الفتن في جهات مختلفة واعتصب كثيرون من العملة وتحاملوا على المصانع وطردوا اربابها . وكان المسيو فرنشكو نيتي مساعياً بتخفيف هذه الازمة الاقتصاديّة

غاية جهده دون الفوز بمراده الى ان سقطت وزارته لمعاضدته الباعة في زيادة اسعار الخبز فقام في مركزه المسيو جيولتي دون ان يقوى على اصلاح الامور بل تفاقمت حركة العملة واستولى الفلاحون على الاملاك وخصوصاً في صقلية فاضطرت الحكومة الى توقيف زعماء تلك الفتن واقنعت العملة بقبول حكم ديوان النقابات . امّا سياسة ايطالية الخارجيّة فكانت كثيرة التقلّب فتارة تميل الى البلشفيّة وتسعى حيناً آخر في توسيع نطاق حكمها في انحاء تركيّة وقد حاولت استئناف معاملاتها مع روسيّة ومع المانية واستقبلت بكل وداد كنشلبار النمسة موسيو ريمر واعلنت لفرنسة بعدم رضاها عن دخول جنودها في فرنكفرت وباستيائها من المعاهدة التركيّة مع كونها نالت بفضلها امتيازات خاصة كوادي نهر مياندر ومرفأ أضاليا ومدينة قونية ومناجم الفحم في هرقلية . وممّا توصلت سياسة جيولتي الى فصل حكمه الاقرار باستقلال البانية وتخلية ايطالية لفلّونة مع حفظها لسيزانو . وكذلك اتّفقت مع سربيّة واليوغوسلاف بان تملك إستريّة ومدينة زارا ثم تجعل فيومه مدينةً حرّة وتتخلى عن دلماسية لليوغوسلاف وهي الآن مهتمّة في مقاومة دانتزيو وحزبه

اوربّة الشرقيّة

ليس كلامنا عن وادي الدانوب حيث المجاعة تضرب ضرباتها المؤلمة في النمسة الالمانية ولا عن المجر المصابة برهةً بغزوات البولشفيّة وانّما كلامنا عن بولونية ورومانية وليتوانية واستونية ولتّونية وفنلندة وروسيّة باجمعها فانّ الاخبار عنها قليلة متناقضة مع ما أرسل اليها من الوفود للاطّلاع على حقائق امورها ومع تدوين مكتب باريس للتبليغات الرسميّة الموفدة اليه منها . ودونك خلاصة ما ثبت من امورها : في اوائل السنة ١٩٢٠ كانت الجيوش الحمراء ظافرة غانمة . فانّ البولشفيين زحفوا بامر لينين على الجيوش القادمة لمحاربتهم تحت قيادة كولتشاك ودنيكين ويودنتش وللاستيلاء على عاصمتي روسية بتروغراد وموسكو فما لبثوا ان دحروهم وكسروهم كسرة شنيعة ثمّ تقدّموا الى حدود منغولية ودخلوا بخارى عاصمة تركستان وضبطوا اطراف السكة الحديديّة القاطعة لبحر قزوين . واوقفوا في سيبرية كولتشاك ورموهُ بالرصاص وبعد قليل اصبحت سيبرية كلها في يدهم بابتعاد اليابانيين عنها

فدفعت هذه الامور حكومة استونية الى مصالحة روسيَّة واستعدّت الدول البلقانيَّة الى السير على آثارها واذا بالجنرال ورنجل ظهر في الجنوب كخلف لدنيكين وتحفّزت بولونية للهجوم على البلشفيين بعد اهتمامها بعقد الصلح معهم . فكان الظفر اوّلًا معقودًا تحت لوائهم وفتحوا في ايَّار مدينة كياف مقدس روسية لكنَّ هذا الانتصار كان عقيماً اذ اضطرَّ البلشفيون الجنودَ البولونيَّة الى تخلية المدينة وتعقَّبوا آثارهم هاجمين عليهم حتَّى تهدَّدوا عاصمتهم فرسوفية فطلبوا الصلح اوّلًا ثمَّ أتتهم النجدات من فرنسة فاستأنفوا القتال وردُّوا الحمر على اعقابهم ثمَّ عقدوا بينهم الهدنة في تشرين الاوَّل وكذا فعلوا مع دولة ليتوانية . وكادت الامور تهدأ قليلًا واذا بالجنرال البولوني زليغوفسكي سار بجنوده الى ڤلنا فدخلها واعلن فيها بحكومة مستقلَّة كما فعل دانتزيو في فيومه وهو حتَّى الآن لم يرضخ لاوامر المجلس الاعلى بل قوَّى جيشهُ واستولى على پرنسك وضفاف نهر دنيستر . وفي هذه الاثناء شتَّت البلشفيون شمل الجنرال ورنجل وجيشهِ وتقدَّموا الى القريم والى شواطئ البحر الاسود

الشرق الادنى – تركيَّة – البحر المتوسط

شغلت مسألة تركيَّة كلَّ دهاقين سياسة الحلفاء منذ اوائل السنة وكان الجميع ينتظرون بفروغ الصبر شروط معاهدتهم فتأجلت الى شهر ايَّار . وردَّ الحلفاء الوفد التركي بعد قدومهِ الى باريس فجرحوا احساسات الاتراك وزادوهم نفورًا لمَّا سمحوا لليونان بان يعلنوا بحكمهم على ازمير . وفي شهر آذار دخلت الدول الاتفاقية الاستانة فضبط الانكليز أحياء پيرا والفرنسويُّون استنبول والايطاليُّون اشكودرة فاصبحت عاصمة تركيَّة كالاسيرة بين ايدي الدول التي اعلنت انها لا تريد نزع المدينة عن حكم السلطان . . امَّا شروط المعاهدة فقدَّمتها الدول المتحالفة الى تركيَّة في ١٠ ايَّار لتمضي عليها لكنَّها تلكَّأت وتريَّثت حتَّى اضطرَّ الوفد التركي الى قبولها بعد ثلاثة اشهر في ١٠ آب بعد دخول اليونان الى الاراضي التركيَّة وردّهم الكماليين عن بحر مرمرا ودخولهم الى مدينة بروسة لكنَّ مجلس النوَّاب لم يصادق عليها حتَّى الآن

على انَّ هذه الامور كلها لم تكفِ لحلّ المسألة التركيَّة . طالما للاتراك جيش منظَّم يقودهُ احد قوَّادهم المدودين مصطفى كمال الذي يضبط عدَّة ولايات تركية ويجنّد فيها الجنود ويناجز القتال المنتمين الى الدول المحالفة في عدَّة ولايات حتى

قيليقية وشمالي حلب والحكومة التركيّة تزدل فعلهُ ظاهرًا وهي تعضدهُ باطناً . واذ رأى اليوم الحلفاء انقلاب اليونان على ڤنزيلوس وتصميمهم على اعادة الملك قسطنطين الى عرشهِ عدلوا الى مصالحة تركيّة وتعديل معاهدة سيڤر وارجاع ازمير الى الاتراك . وسوف يوقفنا الوقت القريب على ما سيجري فعساهُ يكون خيرًا

امّا الولايات العربيّة التي تخلّى عنها النير التركيّ تماماً فقد جرت فيها مدّة هذه السنة امور خطيرة . دخل العام الجديد وسوريّة قد برحتها الجنود الانكليزيّة الى فلسطين وتولّى الفرنسويون سواحل الشام في المنطقة الغربيّة . اما الداخليّة فأعلن بها الحكم العربيّ دون العراق وما بين النهرين حيث رسخت فيهما قدم الانكليز . فلمّا اقبل الى بيروت المعتمد السامي الجنرال غورو في اواخر السنة ١٩١٩ دخلت البلاد في طور جديد فتمّ بحسن نظرهِ خروج جيش الاحتلال الانكليزي بكل هدوء وعقبهُ الجيش الفرنسوي في ضبط البلاد مستقلًا عن حكم الجنرال اللّنبي معتمد البعثة المصريّة على شرط ان لا يحتلّ الفرنسويّون المنطقة الشرقيّة ومدنها الاربع . وما لبث الامير فيصل ان عاد من لندن وباريس بعد اتّفاقهِ مع حكومتيهما مارًّا ببيروت حيث أُكرمت وفادتهُ واستُقبل كما يليق بمقامهِ

ولكن ما كاد الفرنسويون يركزون في منطقتهم الغربيّة حتّى ثارت الفتن في كلّ الجهات وتعدّدت الجنايات واصبح النهب والسلب والقتل متواليـاً تارةً في جبال النصيريّة وتارةً في مرجعيون وحيناً في تلّ كلخ وفي صور وفي بلاد بشاره . هذا مع ما كان يجري من التعدّيات والمذابح في قيليقية وجبال انطاكية وفي مرعش وعينتاب الى اورفة وانحاء الفرات . وزاد الامر تفاقماً باعلان الامير فيصل ملكاً في دمشق في ٨ آذار وذلك في مؤتمر وطني دعوهُ بنـادي العرب . فقلق النصارى واندهش الحلفاء لتجاوز الامير حدوده فدعوهُ الى اوربّة ليؤدي حساباً عن خرقهِ للمعاهدات فصمّم الآذان الى تموز حتّى اضطرّت فرنسة وقد عيل صبرها الى ان ترسل اليهِ تبليغاً نهائيًّا رضخ اليهِ اوّلاً ثم لم يقم بوعدهِ بل باشرت جنودهُ بقتال الفرنسويين فحينئذٍ وردهم الامر بالسير الى الامام فسحقت حملتهم كلّ معاكس ودخلوا دمشق في ٢٥ تموز واحتلّوا بقيّة المدن بعد ايّام قليلة . ولمّا دخل شهر ايلول أُعلن في غرّتهِ باستقلال لبنـان الكبير وحظي اهلهُ بما طالما تمنّوهُ وبذلوا في سبيلهِ النفس والنفيس وقد جرت

وقتئذٍ حفلات باهرة ذكرًا لهذه الاحداث الخطيرة في بيروت ولبنان ودمشق وحلب

امّا بلاد العراق وما بين النهرين فانّ انكلترة وجدت فيها من المعاكسات من قبل الاهلين والقبائل العربيّة ما لم يكن في حسبانها فقضت السنة في المحاربات ولها هناك جيش عظيم ينيف على ٦٠،٠٠٠ محارب

وكذا فلسطين فان اهلها بعد ما تفاءلوا بحلول الحلفاء في ربعهم استاءوا ايّ استياء لفتح بلادهم للمطامع الصهيونيّة التي تتهدّد مستقبلهم وقد تعيّن كحاكم على وطنهم اليهوديّ النحلة السر هربرت صموئيل من أسرة متاغو

على انّ تلك المشاكل خفيفة بالنسبة الى ما يجدهُ الانكليز من المناهضة الوطنيّة في مصر فانّ الاهلين ردُّوا خائبة لجنة اللورد ملنر في اواخر سنة ١٩١٩ وجرت اضطرابات شتّى وقلاقل متعدّدة في القاهرة والمدن الاخرى وعيّن المصريون وفدًا للمفاوضة في استقلالهم في لندن لم يستقبلهُ الانكليز مرّةً أولى ثمّ عادوا فدعوهُ في حزيران وجرت مداولات سريّة رضي بها الوفد ولم يوافق المصريون والانكليز معاً على شروطها فانّ الاوّلين يريدون استقلالاً تامًّا على مصر والسودان ويأبون كلّ نظارة انكليزيّة وتداخل اجنبيّ بينما الانكليز يرون في كلّ تخلٍّ عن مصر خطرًا لكيانهم في الهند والله اعلم كيف ستنتهي الامور

وزاد قلق الانكليز بسبب املاكهم الهنديّة لما حدث هناك من المشاغب والفتن اسعر نيرانها دُعاة البلشفيين الذين يستفرغون كنانة الجهد ليجذبوا العالم الى آرائهم الفاسدة فبعد ما طافوا جهات الصين وتركستان وسيبرية وأضرموا فيها سعير الثورة قصدوا العجم والهند وكردستان وما بين النهرين وقد نقموا خصوصاً على الانكليز لاستبدادهم ومطامعهم الاشعبيّة . وخصّوا الهند بدعوتهم لما لهم هناك من المساعدين خصوصاً بين المسلمين الذين يبلغ عددهم ٧٠ مليونًا . وليس بين دول آسية من تصدّى لهم الّا اليابان الذي سدّ الطريق في وجههم وهو لا يزال في توتّرٍ دائم وقد اصبح اليوم دولةً برّيّة قوية لتملكهِ على منشوريا وشنطُنغ ومنغولية بعد ان كان دولة بحريّة مهيبة . والله هو الذي يرفع من يشاء ويوذل من يشاء

الذبيحة في شرقي الاردن

بقلم حضرة الخوري بولس سلمان

توطئة

لقد طُبع اهل البادية على حبّ الفيافي والقفار فيعيشون فيها احرارًا آمنين من طوارق الايام والانام . فتراهم لا يطأطئون هامتهم تحت حكم حاكم بل حكمهم ان لا يكونوا محكومين فلذلك نزعوا بانفسهم عن مواطن الهوان وصانوها عن معرّة الذل والامتهان واكرموها عن خطط الصَّغار وأبوا الخسف والضيم . ولقد نأوا عن المدن الغنّاء وتنحّوا عن البلاد العامرة خوفاً من الاستعباد والاستبداد

ولمّا لم يدخل فيهم نور العلم والمعارف لبثت عقولهم على فطرتها الطبيعيّة الأولى واصبحوا سائرين تحت عوامل المشاهد الطبيعية التي تحيط بهم من كل الاطراف . ولم تؤثر فيهم ديانتهم ولم يعُوا من فرائضها وشرائعها ما يغيّر حالتهم وطباعهم الجاهليّة . فالعوامل الخارجيّة هي اليوم اساس معتقدهم

فما هي هذه المظاهر المرهبة التي تحتاط بهم ؟ اذا سار البدوي في السباسب اياماً طويلة بين وقدات الحرّ ووطيسه وانتهى الى شجرة ضافية الظلال مورقة الافنان يجلس تحت اغصانها حيناً يتنسّم بنسيمها فيخال لهُ ان وليًّا او روحاً ساكن فيها فيكرمها بالذبيحة وينهى عن قطعها ويأمر ان لا يُنزَل بها أذى . فالخوف يدفعهُ الى اكرامها واجلالها . ولولا الرهبة التي تنالهُ منها لمَا فعل كما اثبتناهُ في اكرام الارواح والاولياء

يمرّ ذاك البدوي صادياً عطِشاً وقد طال به زمن الحرّ وكادت اغنامه تموت من الظمإ فيعاين جدول ماء وعشباً رطباً فيشكر ربَّ العين على انعامه بتقديم الذبيحة المعهودة . وكثيرًا ما ترتفع الزوابع العظيمة فيهلع لها القلب رعباً واضطراباً وتسيل الوديان فتُخرب الزرع فلا يهدأ لها هادئ الّا بتسكين القوى الطبيعية والارواح بتقديم الذبائح

ويعتقدون ان حياتهم تتهدّدها الارواح الخبيثة في كل خطوة من خطواتهم فما

كاد الطفل يرى نور الشمس حتى يقدّموا لربّ المشيرة ضحيّة يستطفونهُ بها ان لا يُنزل به مصاباً وهكذا تتبعهُ الضحايا في كل حياتهِ الى ان يَفِد الى ابواب الابدية. فالبدوي يرى الارواح الشريرة معدّة لإضرارهِ فلا يجد وسيلة تحجز الاذى عنهُ وعن اولادهِ وماشيتهِ الّا الذبيحة

وقد رأينا ان الصلاة عند الاعراب هي في آخر منزلة من الاهمية. فالضحيّة هي باعتقادهم الوسيلة الكبرى التي تهدئ غضب هذه القوى الطبيعية الخارقة. وقد قسمنا الذبائح الى غير دموية ودموية. ووصفنا ما رأيناهُ باعيننا ووعيناه في محفوظنا واوراقنا ايام كنّا في ارض البلقاء والكرك ولقد أتينا بذكر الذبائح في عهد الجاهليّة مما له صلة ببحثنا هذا. ثم انتقلنا الى تسطير الذبائح عند الاعراب في دهرنا الحاضر. فنقول :

الذبائح في الجاهليّة

انّا نجد الذبائح في كل الاديان في الاعصر الاولى . وهي انواع متنوّعة . فمنها ما هو إخلاك تامّ لتقادم جامدة ومنها ما هو إهراق دم . ولا نعني بها تلك التقادم الكاملة التي ظهرت عند آل اسرائيل بأبهة وجلال وكانت مجلى للعواطف النبيلة الشريفة. فان الله عزّ وجلّ قد امر بها وسنّ فرائضها بل نريد أن نبحث عن الذبائح التي كانت تقدّم عند الساميّين . فهي ولا شك كانت ضرورية وكانت تناسب حق المناسبة شعور الانسان وما فيه من قوى عقلية وحسّية

كان الاقدمون يعدّون الله سيّداً مطلقاً لا اباً حنوناً . فكان لا بدّ لهُ من هدايا وتقادم ينال الرب بها رضاهُ والتفاتهُ . وقد ظنّ الانسان الجاهلي ان خير وسيلة لتسكين القوى المجهولة التي كان يرى تأثيرها ولا يدرك كنهها هي الذبيحة فكانوا يستعطفون بها الالهة كما يُستعطف السيّد العظيم بالهبات . وكانت الالهة عندهم تتحلّى تارةً بخصال البشر الحميدة وطوراً تتحلّى بمساوئهم وفسادهم

وكانت الالهة تتنسّم رائحة الذبائح وتلتذّ بها ولذلك قدّموا لها المآكل والمشارب الفاخرة كالخبز والخمر والزيت والحليب واللحوم المطبوخة والمشوية

وقد ارتأى بعض العلماء ان كنه الذبيحة عند القدماء. قائم بان الاله يقطن في كل شيء ويمنح قوّته لا بل بعضاً من حياته لكل مخلوق حتى للحيوانات. فالانسان

على زعمهم يعتبر الله اباً رحيماً . فلكي تتقوى عرى المحبة بين الخالق والانسان كان المرء يقدّم الذبيحة ويشرب من دمها فهذه هي المناولة بها يشترك المؤمن بحياة الاله اشتراك الاولاد مع ابيهم على مائدة واحدة

فهذا الرأي ليس من الصواب على شيء لا بل هو بعيد عن مرمى الحقيقة بما لا يقاس والصواب انَّ عاطفة الخوف كانت هي المحركة لهم لتقدمة الذبائح اذ كانوا يشعرون في كل امر ان المخلوقات باسرها هي تحت سلطان الآلهة . فلا شيء يخرج عن حكمها من انسان وحيوان وجماد . ولذلك افردوا لها من محصولات المعمورة باسرها . فقدّموا لها حياة الانسان والحيوان واكرموها بزروعاتهم كالاثمار والحبوب ففي بادئ امرهم قدّموا الحبوب ثم لما تعاقبت الاجيال قدموا الحيوانات ثم الانسان

فالعرب الجاهليون كان يتعذّر عليهم ان يقدّموا الخمور والزيوت فاهرقوا الحليب الموفور في بلادهم . وكانوا يقدّمون من الحيوانات البعير والبقر والغنم والغزال . ففي شهر رجب كانوا يذبحون الذبائح على الانصاب من براكير الغنم وكانوا يسمّونها ترجيباً ولهم ذبائح في النذور وبعد الحروب وفي حلق شعر الراس وفي افراح الختانة

وكان الاعراب في آونةٍ من السنة يجمعون الذبائح وينحرونها على جبل عرفات ويدعونها لوحوش الصحراء او لطيور السماء وهم يدعونهُ عيد الاضحى . وقد ذكر في القرن الخامس القديس نيلوس انهم كانوا يقدّمون الذبائح البشرية لآلهتهم فاخبر أن الاعراب هجموا في طورسينا على مناسك السيّاح فاسروا ابنهُ ثاودولس وعزموا على تضحيتهِ للزُّهرة لانهُ من براكير الغزو . وقد خاب املهم وساء طالعهم اذ غابت الزُّهرة عن الابصار . فاتوا ببعير طافوا بهِ ثلاث مرات ونحروهُ فتقدم الجمع واخذوا يخطفون من لحمانهِ تبركاً واستعطافاً ولم يبقَ من الذبيحة شيء . ثمَّ فدى الغلامَ ابوهُ فنجا من شرّهم . وفي ذبائحهم الكبرى كانوا ينشدون رجلاً تحت الهيكل ويذبحون الذبيحة ويأكلونها وهي نيئة وينضحون وجوههم بدمها

وكان كاهنهم المرشح لتقدمة الذبيحة شيخهم الكبير كما في ايامنا الحاضرة يتقلد السلطة من العشيرة ويتولى المناسك المشروطة . على ان كل اب او ربّ أسرة موكل عن أسرتهِ بتقديم الذبائح . وقد ذكروا للعرب كواهن كنَّ يتضرّعنَ لاجل الشعب وينبئنَ عن الغيب ولكنهنَّ لا يُقدمنَ على اهراق دم الذبائح

وكانت العادة عندهم اذا اوشك احدهم على الموت ان يوصي ولده بان يذبح ناقته على قبره ويدفنها معهُ كي يظمن بها يوم الحشر لئلّا يُحشر على رجليهِ قال جريدة ابن الاشيم الاسدي في الجاهليّة وقد حضره الموت يوصي ابنه:

يا سعدُ امسِ اهلكنَّ فانني اوصيك انت اخو الوصاة الاقربُ
لا تتركنَّ اباك يمشي راجلاً في المشر يُصرع لليدين وينكبُ
واحمل اباك على بعير صالح وتقى المطيّة انهُ هو اقربُ
ولعلَّ لي عمساً تركتُ مطيّةً في القبر اركبها اذا قالوا اركبوا

وقال عمرو بن زيد بن المتمنّي يوصي ابنه عند موته شعرًا:

ابنيَّ زوّدني اذا فارقتني في القبر راحلةً برحلي قاتر
للبعث اركبها اذا قالوا اظمئوا مستوثقين معاً لحشر الحاشر

وكانوا يربطون الناقة معكوسةَ الراس الى مؤخرها مما يلي ظهرها او مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون وليّة (حبل او جلد) فيشدُّون وسطها ويقلدونها عنق الناقة. ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمّون الناقة بليّة. ومنها المثل: «كالبلايا في اعناقها الولايا» ومما يجب التنبيه اليه ان باب الذبائح هو ملحق ضروري لمقالتنا عن الارواح والاولياء في البادية. اذ هي من مظاهر الاكرام للارواح والاوليا.

الذبيحة في دهرنا الحاضر

﴿ التقادم الغير الدموية ﴾ حينما يزهو العشب في شرقي الاردن وتخضرّ السهول والبطاح ويلاطف النسيم ويصفو جوّ السماء يقرّ البدوي عيناً اذ يرى السعادة ممثلة امامه فيتصوّر في مخيلته الخير العميم والحليب الوافر. فما يمضي شطر من الزمن حتى تكتنز الاغنام بعد نحولها وتدرّ ضروعها فيجمع صاحب القطيع الحليب في اناء خزفي او في ظرف جلدي ويمنع اهله واقاربه عنه اكراماً لربّ الغنم. فيقضون هكذا حيناً طويلاً لا يذوقون الحليب الى ان يستخرجوا منه السمن فيأخذون بواكيرها ويقدمونها للمقامات المقدّسة او للكنيسة فيضيئون بها مصباح المعبد. فهذا ما يسمونهُ سماطاً. فكثيرًا ما رأينا النساء حاملات تلك التقادم الى جبل شيحان او للنبيّ شعيب او هوشع او كنيسة الخضر في الكرك.

ومن تقادمهم بكر الغنم الذكر يقطعون اذنهُ ويقولون: «هذا سماطك يا وليّ

الله . فاذا نما بين القطيع يبيعونهُ ويبتاعون بثمنه بخوراً او شمعاً ويقدمونهُ للمزارات المقدسة

وقد تعهّدنا براكير الحبوب وشاهدنا شيخاً قد اتى من النبي موسى الى غرب بني صخر واخذ يجمع الصاع المقدَّم (والصاع هو مكيال يزن سبع كيلوغرامات) فقبل كل شيء يكيلون صاع المقام ثم يكيلون حبوبهم . وقد نجد اشجاراً مثمرة بالقرب من المقامات قد أُوقفت اثمارُها لعابري السبيل . او اباراً يشرب منها المسافرون كآبار النبي هوشع . واما الذين يقدّمون هذه البواكير فهم اهل الحضَر واهل المدَر من النصارى والمسلمين . ومن عوائدهم ان الفقراء يهرقون السمن والحليب على قبر الاولياء وفي الاماكن المكرسة

﴿ الذبائح الدموية ﴾ ذبيحة المولود . ما كاد الطفل ينزل الى ضفاف الحياة ويبتسم لانوار الشمس حتى تتحلّى البادية بابهى مطارفها . فتفرح الامّ بعد كربتها وتعذُب لها الحياة بعد مرارتها لانه قد وُلد طفلٌ سيكون لوالده سنداً ولعشيرته بطلاً . وان كان ابن امير او شيخ يعمُّ الفرح والسرور فتبدو الخيول في ميدان واسع الاطراف وتجول الفرسان على متون الجياد السابحات بابهّةٍ وجلال . لكن قد ينشأ هناك من الشعور الرهيبة والعواطف السريّة المخيفة ما يدفعهم على تقديم الذبيحة . فينحر الاب الجزور او النعجة البيضاء كي يدفع عن الطفل الارواح الخبيثة او العيون الحاسدة وينضح جبينه بالدم مسترحماً المولى ان يبعد عنهُ الامراض والعاهات . فهذه اوّل خطوة في مراقي الحياة . وهذه العادة جارية عند الشرارات كما رواها لي مزعل الشراري وعند الشرايرة وبني صخر . واما العرب القاطنون بالقرب من المدن والقرى فقلّما يبالون بها . على ان الأُنثى لا يُقام لها اكرام في العشيرة ولا ذكر لولادتها

ذبيحة الطهر . واذا بلغ الطفل الثالثة او الرابعة يسعى آله بتتميم فريضة الختان . يخرج الاهلون والجيران خارج المضارب ويجمعون من الحجارة الغير المنحوتة عدداً وافراً ويرفعون بها جثوةً ويضعون في وسطها غصناً اخضر من الاشجار المألوفة كالزيتون والرَّتم والطرفاء والسنديان والدُّوم والدفلى . واذا لم يجدوا شجراً يأتون بشيح وهو ذو رائحة طيبة وينصبونهُ فوق الجثوة ويُركبون الولد على نعجة بيضاء ويطوفون به سبع مرات حول هذا الهيكل البسيط . فما تكاد الذبيحة تصل الى مركزها الاوّل

حتى يقف العبد قائدها فينتضي الاب سيفاً ويضرب قوائمها فيعقرها ثمَّ يدير رأسها نحو الجنوب وينحرها قائلاً : « باسم الله وعلى اسم الله . ردّي عنهُ المكروه والروح الرديّ » . ثم يتقدَّم رجل بارع بمهنة التطهير فيختن الطفل ويعالجه باعشاب طبيَّة الى ان يبرأ من جرحه . ومن اعشابهم القويطبة يسحقونها بعد جفافها ثم يرشونها على الجرح فبعد اربع وعشرين ساعة يبرأ الجرح . وقد اكد لي ذلك مُناور شيخُ الفنيات وحفظت منها كمية عالجتُ بها بعض المجروحين فنالوا الشفاء السريع

فالختان عيد تتاوه ألعاب بدوية منها ان المدرَّبين على الخيل ورماة الرصاص يلتئمون في سهل واسع وينصبون رأس الذبيحة على مرتفع من الحجارة فيرمونهُ تباعاً ومن اصابهُ نالهُ جائزة ويسمونهُ علاماً . وقد عهدت مشهوراً ابن الشيخ فواز الصخري يرمي فلا يخطئ ابداً وهو في الرابعة عشرة من عمره . على ان الفرسان يختارون الميادين المنبسطة ويرفعون في آخرها علماً ابيض ولاوّل اشارة يطيرون الى حيث الراية . وكم من فارس يعود خجلاً وكم من سابح ينال شهرة بعيدة . كان في قرية ماعين شاب يُدعى مفضي بن موسى الحدادين . فانتظمت الخيول من عرب بني صخر وبلقاء وحمايدة واخذ الفرسان يجولون على ظهور جيادهم . وما كادت الاشارة تبدو حتى هبَّ مفضي يطير بفرسه كالنسر نحو العَلَم المنصوب وكنت ترى الخيول وراءه تتلوهُ مجدَّة بين صياح وضجيج وما هي الّا لمحة بصر حتى رفع العلم بيده وأراه للحاضرين . واخذ الجاوس والفرسان يقدّمون لهُ آيات التهاني . وكان احد الصخور ينظر اليهِ بعين الكبر والحسد . فقال لهُ : ما لك تنظر اليَّ بعين غضب . قال لهُ : « انت ولد زين يا حليل لو ما كنت نصراني » . اي ما احلاك لو كنت من عرب بني صخر المسلمين

واذا سدل الليل سجفهُ تحتفل المضارب بليلة ساهرة يجتمع الاعراب من غنيّ وفقير وسيّد وعبد لاستماع الرَّباب والشعر البدوي . ثم ينتقل الترنيم الى رقص وتصفيق يعرف عندهم بالسحجة . وسنصفها في باب الاعراس

وهل يا ترى يعتبر البدوي الختانة فرضاً ضرورياً واجباً ؟ نعم . ولا احد منهم ينكر ضرورتها فلهذا يأنسون اليها ويقيمون لها اعياداً بهجة . على انهم يختلفون في زمنها فعرب بني صخر يختنون اولادهم في السنة الرابعة او الخامسة امَّا عرب البلقاء

فلا يؤجلونها الى السنة الثالثة . والشرارات لفقرهم وقلّة ذات يدهم يرجئونها الى أمد بعيد الى ان يحصلوا على الذبيحة . على ان المسيحيين يقدمون الذبيحة بما يقابلها عندهم اي في يوم العماد . ويحتفلون به كما يحتفل الاعراب بالختانة

ذبيحة الصفاح او الخطبة . يبلغ الشاب الرابعة عشرة من عمره فيسعى الاهلون لزواجه . وربما سبق الزواج هذا الاجل . فتلتئم اقطاب العشيرة ووجوهها ويقصدون بيت العروس وبعد جلوسهم يدور صاحب البيت بالقهوة المرّة فيمسك المتقدّم عن الشرب ويقول : لا نشرب القهوة حتى ننال طلبنا . فيقول لهم : يا هلا بالكرام . فيقول المتقدم : « جينا طالبين راغبين وان شاء الله من عندك ما نطلع خائبين » ثم يطلب الابنة للشاب فيطول الحديث على المهر وهو ثمن الابنة . فالعروس تُشترى باثمان باهظة وربما بلغ ثمنها الفين او ثلاثة آلاف قرنك . وبعد جدال طويل يخرج ابو الشاب فيذبح الشاة المعدّة فيقال حينئذٍ : «فلان ذبح على فلانة» اي خطبها من والدها . وعند الشرارات والرولة ينضحون راس المرأة ويدها بالدم . فالذبيحة هي الرباط الشديد الذي لا يقوى على حلّه الاقارب والاصحاب ومن عاداتهم ان اهل العريس يقومون بلوازم الوليمة من ارزّ وسمن وطحين وحطب وغير ذلك . فاذا رجع ابو الابنة عن وعده يعوّض العريس من جميع ما تكلّفهُ وينالهُ ازدراء العشيرة كلها لانهُ خرج عن سنّة الشرف الاعرابي

وبعد تناول الطعام يربط العريس ديناراً في احد اطراف كوفيّة حريريّة ويقدّمها لخطيبته دلالة على ان روابط المحبّة قد استوثقت عُراها وتمكّنت صِلاتها فلا يفكها الّا الموت

ومن عاداتهم انّ الطفلة الصغيرة تصبح وهي في مهدها عروسة لابناء الامراء . وهذا ما حدث منذ عهد بعيد في الكرك . كان الشيخ مجلي صديقاً لاسرة مسيحيّة هناك . فزارها يوماً وكانت صاحبة البيت قد ولدت ابنة فهنّأ ربّ المنزل بالمولودة . فاجابه عن لطف : «هي محسوبة لك (في كيسك) . فعدّها من تلك الساعة خطيبةً لابنهِ . ولمّا بلغت العاشرة من عمرها طلبها من ابيها فقال لهُ : « اطلب ما شئت فهو يسير في جنب ما لك من الصداقة امّا الابنة فهو امرٌ عسير » . فابى الشيخ الّا اخذها . فارتاب المسيحي في امرهِ وضاقت الدنيا في عينيه . فهرب بأسرته الى

غربي الاردن وسكن في بيت لحم . وبعد طول الزمان عاد الى الكرك وهو من عشيرة الحدادين ثم نزح وقطن في قرية ماعين فنجا من لجاج الشيخ

غير ان بعض الاعراب لهم ذبيحة غريبة دون سفك دم بها يرتبطون بروابط الذبيحة . فان عزاب الشرارات والمتوغلين في البوادي اذا ارادوا ان يقترنوا بالزواج يضع العريس في قبضته اليمنى حنطة وتطبق العروس يدها فوقها . فيقول الشاب: « أتقبليني لكِ رجلًا على سنّة الله والرسول» . فتقول : قبلتُك . ثم تعيد السؤال نفسه قائلة : « تقبلني لك امرأة على سنّة الله والرسول» فيجيب: قبلتكِ . فيقول: «بحق البُرّ وخالق البرّ لا توق ولا بوق . هي سنّة الله ورسوله . ورباط العيش وربّ العيش انا لكِ وانت حليلة » .

والاعراب يعتبرون الذبيحة ضرورية في عقد الزواج لانها تصد الاب عن طلب زيادة في المهر . وقد رأيتُ آباء عديدين قد نكثوا بعهودهم لان الخطبة لم تتبعها الذبيحة المعهودة

ذبيحة الحنّاء ان اهل البادية يقصّرون امد الخطبة . واذا اقترب الاجل المضروب للعقد او الاكليل يُعدُّون الاثاث والفرش ويحضرون الذبائح . وقبل ذلك بيوم تجتمع الفتيات المطربات في بيت العريس . وتستتر كل ثلاث منهنّ بعباءة ويسرنَ الى بيت العروس ممتدحات اصحاب البيوتات واهل العزّ والكرم حاملات ثياب الخطبة على طبق . وهكذا بين الترانيم والاغاني يصلنَ الى البيت ويزيّنَ العروس بحلاها البدويّة . ثم يذبحنَ الذبيحة وهي شاة سوّية ويتناولنَ الطعام . وتقوم الماهرة بينهنّ وتطلي اعضاء العروس بالحنّاء كالايدي والارجل والشعر ولهذا تسمّى ذبيحة الحنّاء .

وفي اليوم التالي تقاد العروس على فرس أصيلة او ناقة بيضاء بين الاهازيج البهجة الى الكنيسة او الى بيت العريس حيث يصير العقد او الاكليل . وقبل ان يدخل العريس الى مخدعه تذبح أمهُ ديكاً بين رجليه كي تحجز عنه مصائب الزمان ونكبات الدهر

وكثيراً ما يعلقون على عتبة البيت خميرة وفوقها غصن زيتون فاذا ولج العريس الى مخدعهِ يخبر بها بديتهِ فيشطرها شطرين فيتفاءلون بزواج سعيد وايام هنيئة . وكانت

هذه العادة جارية في عهد الجاهليين . بل جاء ذكرها بين اليونانيين والرومانيين وهي من الخرافات القديمة

ذبيحة الحلية وبعد هزيع من الليل يأخذ اهل الحي في الرقص والغناء ويفد المهنئون الى مضارب الزوجين ويقدمون لهما ما تجود به انفسهم من دراهم وحلى . وقبل النوم ينهض العريس وينحر نعجة بيضاء قائلاً : « حلّي حلّلكِ الله » اي انّ زوجتهُ اضحت حليلة لهُ وفي البادية ينضح امرأتهُ بدم الذبيحة يعدُّ بذلك الزواج مكرَّساً وهذه الذبيحة هي دينية محضة ولها محل رفيع من الاعتبار عند الاسلام ويعدّ الزواج بدونها حراماً . وبها يعتقدون انهم يدفعون الاضرار والمصائب عن الزوجين . واوّل من يأكل من هذه الذبيحة هما الزوجان دون غيرهما . وقد عاينّا هذه الاعراس بانفسنا وحضرنا افراحها في الربوع العامرة والمضارب الشعرية

ذبيحة القرى يقول الاعراب في لغتهم : فلان أقرى لولدهِ اي ذبح الذبائح صباح العرس ودعا المدعوّين ليشاركوه في الافراح والهدايا . فيجلس العريس والعروس على سدّة مرتفعة في صدر البيت فيدخل المدعوّ فينهض العريس فيتصافحان ويقبّلان بعضهما بعضاً فيقول له على سَمْع من الحاضرين : «مبارك البيت الجديد» . ولا يجلس العريس على عرشهِ هذا الّا بامر الزائر الكريم . وينحرون سبع نعاج فما دون على حسب غناهم . ويوزّعون الى كل خيمة من اصحابهم واقاربهم فُلذة من اللحم وقد يظهر كرمهم بما يقدّمونهُ للمدعوين . ولهم مثل يدلّ على الجود والكرم في مثل تلك الحالات فيقولون : فلان يغمس ايدي ضيوفه بالسمن والدهن

ذبيحة الطلاق درجت الايّام ودرجت معها افراح العرس واتت الحياة باتراحها . وقد طُبع الاعرابيّ على الغضب وحدّة الطبع وجرى لسانهُ مجرى الشتائم والطلاق . واوّل هفوة تصدر من المرأة يقول الرجل : عليّ الطلاق . وتبدو عليه اشارات الكدر . واذا تعدّدت الهفوات يقول لها : انت طالقة . وربما قال في حديثهِ : «عليّ الطلاق او عليّ الحرام ان كنت فعلت الامر المذكور» فيطلقها وهي تكون بريئة من ذنب او مثالاً في اللطف والطاعة . فيدعها وينزع عنها نعيم الحياة لكلمة جرى عليها لسانهُ . ولكن لا يمرُّ عليه زمن حتى يرى عجزه وحدهُ فيندم على ما جنت يداه من الطيش والغضب

فيجد حلًا لهذا المشكل . غير انه يلقى عقبات شتّى في زواج جديد من طلب اموال طائلة وشروط باهظة ويردعه ارباب العقول الراسخة عن سالف سيرتهِ ويحثونه على ارجاع زوجته الاولى . فيرسل الوفود ويقدّم العهود ويستصفح عما اتاه في سورة الغضب . فتعود المطلّقة الى زوجها . وقبل ان تلج الى الخيمة يذبح ذبيحة الطلاق او بالاحرى ذبيحة التلاقي . وينضح جبين المرأة قائلًا : «حلّي حلّاكِ الله» . ويدعوها العرب تثنية اي الزواج الثاني . على ان العاهرة لا تُردّ اصلًا كما ذكرناه في باب الحقوق . وللاعراب مثل في ذلك : «من طلّقها لا يراعي بياض ساقها» اي من ترك امرأته لايندم على فعله ولا يذكر محاسنها

غير انّ ارباب المدن واصحاب الشرع قد اباحوا ارجاع المطلّقة بشرط بعيد عن مواطن الاداب وذلك ان الرجل يعمد الى احد معارفه ويوكله ان يتزوج المطلقة ثم يطلقها ويدعها لرجلها الاول . فهذه الوسيلة قد كرهها اصحاب المضارب واستهجنوها وقد اصابوا بما فعلوا لانه قد يحدث ان الموكل يتخذها زوجة له ولا يطلقها الا بالرشوة الفاحشة وهذا ما يسميه اهل الشرع التجحيش

ذبيحة البيت وبعد ان أسس الشاب اسرتهُ يسعى لجمع المال وتربية الماشية مما يؤهّلهُ لان يرفع بيتاً لنفسه منفردًا عن والدهِ . واما ما يضطرّهُ الى ترك اهلهِ هو ما يقع من اسباب الشقاق وعوامل التحاسد في اسرتهِ المتدّة الفروع . او ما يدفعه اليه الطمع وحبُّ الذكر والفخر . فيفترق عن اسرته وقد خلّف لوالديهِ الحسرة والكآبة . وفي نفسهِ من الآمال البعيدة والاحلام السعيدة اذ اصبح حرًّا في امور منزله . على ان رفع هذه الخيمة ينال اهتماماً عظيماً وافتخاراً كبيرًا . فما هي هذه الخيمة الشعريّة الحقيرة القائمة في السهول او في سفوح الجبال ؟ هي نقطة سوداء لا تكاد تقف في وجه الرياح ولا تقوم سدًّا في سبيل السيول الجارفة . غير انها في عين البدوي ذات عزّ واكرام لانها بيتهُ ووطنهُ . فيقام لرفعها عيد بهيج يكرّس بالذبيحة المعهودة . فبينما يضربون اوتادها ويشدّون اعمدتها يديرون رأس النعجة نحو الجنوب وينحرونها قائلين : « دستور يا صاحب البيت » وينضحون بدمها النسيج الشعري والاعمدة والاطناب والاوتاد ويسترحمون الارواح الهوائية كي تدفع عنها الاحزان والصبابات

ولقد تأصلت فيهم الخرافات حتى انهم لا يوقدون في ارض قبل ان يقدموا

النعجة البيضاء لربّ الفلاة . روى لي مزعل الشراري قال : «طال العهد بيني وبين اخي ووفرت اموالنا وكثرت ماشيتنا . فطلبنا ان نقسم رزقنا . فنال كلٌ ما قسم له المولى ورمتُ ان أنال ذكراً ومجداً فاقتُ لنفسي مضرباً واسماً ونحرت جدياً صغيراً لربّ المحلّة . ففي منتصف الليل وقف بنا جبّار من الجبابرة المرّدة وقال : يا مزعل خِسْ من رجل . أيكفيني جدي طعماً ورائحة ام ضنّت نفسك عن النعجة البيضاء . فلم اكترث بكلامه . وظهر في الليلة الثانية بوجه غضوب وعيون تتّقد شرراً وقال : ويحاً لكَ لِمَ لمْ تنحر لي من خير ما عندك . وتهدّدني بالخراب والشقاء . فنهضتُ مذعوراً وجمعتُ العشيرة ورويت لها ما رايت وسمعت . ثم تمّمت فريضة البيت فسكن غضب الاولياء وهجرت عني الاضرار »

ذبيحة الواسط ان الشيوخ اذا رحلوا الى غير متجع طلباً للمياه والكلأ يذبحون ذبائح كثيرة او ينحرون جزوراً ويُولِمون الولائم للفقراء وينضحون اعمدة البيت بالدم . وكم من مرة طمحت نفوسهم للغزوات فاذا عادوا غانمين يرسمون نطاق البيت ويرفعون عموداً وسطياً يدعونه واسطاً فلا بدّ حينئذٍ من تقديم الذبيحة . فهذه الذبيحة تسمى ذبيحة الواسط . واذا اضطرّوا ان يحجزوا أرياح الغرب عنهم ينقلون الرواق من الشرق الى الغرب ويقدمون الذبيحة

ولقد نجد بعضاً من الاعراب يقطنون تارة البيوت الحجرية وتارة البيوت الشعرية كمثل اهل السلط والكرك وعمان والشوبك . فاذا انتقلوا الى بيوتهم الشعرية ينحرون ذبيحة وينضحون بها الخيمة الاطناب كما فعل ذلك بعهد منا الشيخ ابو ستة وعبد المهدي ابو وندي من امراء العوازم

ذبيحة الطاحون : اذا رام البدوي ان يشرّق اي يرحل من الغرب الى الشرق طلباً للنجعة وذلك بعد الحصاد يهتم بطحن ما يتيسر لديه فان كان شيخاً يأتي بخمسين جملاً محملة من الحنطة والشعير ويطحنها دفعة واحدة . لانهم يتوغّلون مسافة عشرة ايام في البادية . كما ذكر لي ذلك مشهور ابن الشيخ فواز امير بني صخر . فلا بدّ من تقديم الذبيحة للفقراء واطعام الجائعين والمساكين من باكورة الحنطة . فيسمونها ذبيحة الطاحون

ذبيحة التبة : ان الاعراب يستخدمون في بناء البيوت الحجرية الاعتاب القديمة

التي ابقتها العصور الخوالي في الاطلال البالية . فلقد يجد الناقشون احجاراً يعجز الفن عن تمثيلها وقد رسم عليها من انواع الازهار والكتابات ما ترتاح له النفوس وتقرّ له القلوب والعيون كما في قصر المشتّى في شرقي زيزيا . واهل البيوتات من البدو يؤثرون تلك الاعتاب على غيرها واكثرها موجود في قرية مادبا وماعين وحسبان والمال وذيبان وشيحان والكرك . فاذا رفعوا فوق ابوابهم تلك الاعتاب يذبحون الذبائح وينضحونها بالدماء . وقد يقولون في امثالهم السائرة : «الرزق اعتاب وكعاب ونواحي» . اي ان ابواب الرزق ثلاثة منه ما تجلبه الدار السعيدة المنضوحة بالدماء . ومنه الرماح في الغارات والحروب . ومنه نواحي الخيول الاصيلة والاولاد الصالحين . فعلى كل عتبة نرى اثار الدماء في المزارات والبيوت الحجرية

وارباب البوادي اذا ارادوا ان يشيدوا بيتاً في سهولهم جمعوا الجموع لمساعدتهم فترتفع الاسوار وتعلو في الفضاء بدهر قصير وتصبح مسكناً رحباً ولكن عند القناطر يحتاج الى ذبيحة وكذا مدّ الاخشاب وتسهيل السقف . فينحر الاعرابي الشاة على حافة السقف لتسهيل الدماء على الجدران ويقول : « دستور يا صاحب البيت دونك ذبيحتك» . وربما لم تملك يداه ذبيحة فيتقدم رب الاسرة بقلب متخشع ويرفع ذراعيه ضارعاً وقائلاً : « يا صاحب البيت عليك الصبر وعلينا الوفاء»

ذبيحة الماتم قضى البدوي من الحياة شطراً كبيراً فتنعّم بلذّات العمر وراى اولاده قد درجوا في ميدان المعترك الانساني على انه ما عتّم ان رأى ايام الاحزان والاتراح قد وافت فتشعر نفسه باقتراب المنون فيأسف لانه يموت على فراشه ولم يمت في ميدان الحروب . غير ان الاهلين ينذرون نذراً ذبيحة صالحة للمولى الرحيم كي يمنّ عليه بالشفاء . فاذا قضى نحبه يودّعونه وداعاً اخيراً بالدموع والعبرات . بيد ان الذبيحة تتبعه في سائر اطوار حياته الى لحده وانتقاله الى الحياة الاخرى . وربما اختلف البعض منهم على انواع التقادم ولكنّهم جميعهم يقدمونها للفقراء . وفي كل يوم ينحرون على قبره نعجة الى اسبوع كامل وفي مساء دفنه تذبح ذبيحة العزاء وفي ختام الاسبوع تتم المناحات وتجفّ العبرات فتكون خاتمتها ذبيحة «السّبوع» وقد جرت هذه العادة بين عرب البلقاء وبني صخر وبني حميدة . وللماتم عشاء في ليلة دفنه وذلك انهم ينحرون نعجة او شاة على قبره ويقولون « دونك زادك يا فلان او دونك عشاءك يا

ابا فلان ». ولا مشاحة ان تلك العادة هي وثنية محضة نجدها مسطرة في تاريخ الجاهلية واساطير اليونان والرومان

عيد الضحية ومن اعظم الذبائح الدينيَّة هي ذبيحة الضحية. وقد حضرتُ هذا العيد البهيج عند الوندبين. وقد ضحَّى الشيخ ابو ستة ضحيَّة لوالده علي الوندبين في قمة جبل ماعين. وقد أحضروا الناقة البيضاء الكاملة الاعضاء ووضعوا على سنامها ثياباً وخرجاً مملوءاً حنطة وملحاً وبلحاً . فالزكاة في هذا العيد هي مفروضة ولا تصلح الذبيحة بدونها. فالثياب يتقاسمها الفقراء على الارض كما يقول الاعراب والله يلبس مثلها في الجنة صاحبَ الضحية فلا يذوق عذاب البرد وألم الرياح الصرصرية . والمائت على زعم الاعراب يمتطي هذه الناقة الى جنة النعيم فلا يعثر في طريقه كما ذكرناه في الضحية عند العرب الاقدمين. واما ما يملأونه في الخرج فهو زاد في رحيل المائت الى ابواب الجنة . وكان الى جانبي شيخ من عرب الموازرة يورد لي الشرح في معنى الضحية ولوازمها قال: «لا يصل المائت الى دار الخلد الأمتى حضرت الناقة والزهاب» والزهاب هو الطعام

ولربما ضحى الاعرابي ضحية وهو في قيد الحياة فينحر الجزور ويقول: «يا رب تقبَّل ضحيَّتي قبل مماتي». وقد أكَّد لي متعب العرامين ان علي الوندبين قد ضحَّى عن نفسه في حياته . وقد روى لي محمَّد الكنيمات من الفقراء ان الرولة يأتون بالذبيحة فيعقرون قوائم الناقة ويديرون راسها على حجر كبير وينحرونها فتسيل الدماء وتملأ الموضع. قال: وفي يوم الدين يوضع الحجر المنضوح بالدماء في كفَّة الميزان الالهي فترجح الاعمال الصالحة على الخطايا والمآثم »

وقد رووا لي الحكاية الآتية قال مفضي الرولي : عاش اعرابي من عشيرتنا بالكبائر والفواحش ولمَّا آن الزمان واقترب المنون قال في نفسه : « يا نفس يا نفس ما فيَّ الَّا ما يسوِّد الوجه». فسرق ناقةً ووافى بها الى صخرة في جبل مرتفع ونحرها على تلك الصخرة فسالت الدماء حتى غمرت قمَّتها فقال : « لا ريب اني من ارباب اليمين وعداد الابرار الصالحين. فمَن من الملائكة يدحرجها عن محورها ؟ وهل ميزان العدل يسعها. لا ثمَّ لا ». فارتاح فكرًا واطمأنَّ بالًا ومات مبتسماً مسرورًا

ومما ذكره لي شيخ الحمايدة ان ابن الرشيد يذبح الذبيحة ويدوز بها حول الخيام

فيرمّ بدمها دائرةً تحجز عنهُ المصائب والامراض . ومن لا يستطيع الى نحر الناقة سبيلاً يقدّم سبع نعاج او بقرة لله عزّ وجلّ . ومن الاعراب الفقراء من لا يجدون جزوراً فالعادة تسمح لهم بان يقدّموا نعجة كل سنة الى سبع سنوات وهذا ما يسير عليه اهل البلقاء والحميدة الشرارات

ويزعمون انّ المائت كثيراً ما يظهر لاقاربهِ في الحلم ويوبخهم على إهمالهم فرض الضحيّة فيسعى الاهلون باداء الواجب وتقديم الذبيحة . وقد رأينا الذبيحة مكتحلة العينين فسألنا عن السبب في ذلك فقالوا : «ان الذبيحة التي ارسلها المولى عوض اسحاق على جبل بيت المقدس كانت مكتحلة العينين »

ذبيحة البيدر اذا اتمّ البدوي حصادهُ يجمع الشمائل اكداساً في البيدر وقبل ان يُكسّر السنبل وتدوسهُ أقدام الثيران يأتي صاحب البيدر بنعجة او شاة ويقطع اذنها ويطوف بها حول السنابل . فيسمون تلك الدورة دورة القطشية ثم ينحرها لوجه الله الكريم

ذبيحة السقاء ان الامطار كثيراً ما تتأخر في البادية فتجفّ الارض والاعشاب وتفرغ الآبار وتكاد الماشية تموت من شدّة العطش فيضرعون الى الله المنّان فتسيل السماء مدراراً وتروي الارض والبشر فيقدّمون ذبيحة الشكر يسمونها ذبيحة السقاء . والسقاء هو الشنّ يوضع فيه الحليب والسمن

ذبيحة الخيل الجواد البدوي هو فخر الاعراب ومجدهم . عليهِ يقطعون السباسب ويهاجمون العدوّ ويردّون صدمات الحروب وفيهِ يعودون كاسبين . فهذا الجواد لهُ اكرام كبير ومنزلة رفيعة في المضارب فلا تراه الّا مربوطاً في اكرم ارض امام خيمة الشيخ . واذا انتجت الفرس مهرةً حلّ الهناء في الخيم وانتشر السرور وذبحوا ذبيحة ونضحوا بدمها بطن الفرس والمهرة وقوائمها وناحيتها وغرّتها . واذا ابتاعوا لهم فرساً او كسبوها في الغزو يذبحون لها نعجة قبل ادخالها البيت . هذا ما فعله عودة بن عيدي لمّا اشترى فرسهُ المشهورة « الكبيشاء » ذبح الذبيحة وطاف بها حول بيته ليمنع عنهُ أذى العيون الحاسدة وأولم وليمة فاخرة ودعا اليها الاصدقاء والاقارب . فقلت له : «ما هذه العادة وانت مسيحي . قال » : «هذه عاداتنا واذا لم نجرِ عليها خشينا عذل العاذلين ونظرة الطالحين »

ذبيحة الفطمان : ان اول ذكر يولد في القطيع يُقدَّم للمولى عزَّ وجلَّ او لاحد المزارات فيباع ويُدفع ثمنهُ لصاحب المقام او للكنيسة

ذبيحة التوريد : ان هذه الذبيحة تابعة لذبيحة الخيل وذلك ان الشريك اذا سلَّم النتاج الاول او الثاني لشريكه واصبح حرًّا بفرسهِ على حسب عوائد اهل الخيل يذبح ذبيحة التوريد لانه امتلك الفرس بتمامها لا جزءًا منها فتُمزق الصكوك والعقود ويغدو مستقلًّا بها دون معارض .

ذبيحة الكسب : انَّ البدوي لما فُطر عليه من حبِّ الغزو . لا يهدأ له بال ولا تسكن له حال حتى يشنَّ الغارات ويكسب الغنائم على انه قبل ان يرحل الى غزواته المخطرة ينذر نذرًا لوجه الله اذا عاد منتصرًا غانمًا . ورئيس الحملة او العقيد هو الموكل بتقديم الذبيحة واصطفاء خير ما اتى به من المغنم

ذبيحة النذر : لا يمرُّ يوم في البادية الَّا ونرى الاعراب ينذرون النذور لله وللاولياء . ويخيَّل ان البدوي يشعر في سائر حياتهِ بيد شديدة قوية تضغط عليه فيخشى تلك القوة العاتية الرَّبَّانية فيقدِّم لها الضحية لتلهو بها عن اذاه . وهم ينذرون النذور قبل الاسفار طلبًا للنجاح والتوفيق وقبل الغزوات البعيدة وفي القُرية . وقد ذكرناه في باب الارواح والاولياء .

وقد عاينتُ عادة غريبة في بابها اذكرها تفكهة للقرَّاء . ان النساء التي يموت لهنَّ اولاد في سنِّ الطفولية ينذرنَ نذرًا لله : وذلك انهن يَقسِمنَ النعجة شطرين ويعلقنها على شجرة ويمررنَ وهنَّ حاملات اطفالهنَّ تحت ذاك القوس اللحمي . ثم يمرُّ من تحتهِ الاب وبقية الاسرة . فالموت والمرض يهربان من تلك الاسرة . وقد تعهدتُ هذه العادة جارية ايضًا عند الروم الارثوذكس في السلط ومادبا والكرك . فان حضرة راعيهم الخوري ايوب الفاخوري قد مرَّ هو وامرأته وطفله تحت النعجة المشطورة . فمن هذا ينتج ان الجهل يعمُّ حتى المسيحيين في اعتقاداتهم الباطلة

ومما يخشاه الاعراب في بعض السنين الاوبئة الخبيثة التي تنتشر في البادية بسرعة غريبة . ومن امراضهم الطاعون والهواء الاصفر والجدري فتهلع لها القلوب رعدةً وجزعًا ويفرُّ الاعراب من مضاربهم تاركين مرضاهم بسكرات الموت يتقلبون على فراش المنون . فبينما تراهم اسودًا في الحروب قساةَ القلوب على احتمال نكبات الدهر

اذ نعاينهم في الامراض العمومية أجبن الخلق وأسرعهم الى الهرب . ولشدة ما هم عليه من الخوف يلجأون الى الذبائح كي يستنهضوا عزائم الارواح لمساعدتهم وتلك الذبائح تدعى ذبائح الفدو او الفداء لانهم بها يفتدون انفسهم من الموت الزؤام . واذا مرّ في دماغ البدوي حلم يظن ان منبهاً يدعوه الى الذبيحة . فما كاد ينهض من رقاده حتى يقوم بما تفرضه عليه الواجبات الدينية . ولا يكاد يخرج من تأثير حتى يدخل في غيره ولكل وهم او حلم يذبح البدوي ذبيحة

الذبيحة السنوية وقد نجد من الاعراب من يذبحون في كل سنة ذبيحة وذلك ان احد اجدادهم قد نذر نذراً باسم العشيرة كلها . فالعشيرة باسرها مربوطة بهذه العهود ويسمونها ذبيحة جلية بها يفون عن ذمة ابائهم

ذبيحة الغنم ولهم ذبيحة يدعونها ذبيحة الغنم في المزار . يطوف الراعي بغنمه حول المزار واذا رأى واحدة قد اقتربت من لحد الولي ووقفت امامه علموا ان نفس الولي قد اختارتها ضحية فينحرونها اكراماً واجلالاً ليرتفع الاذى عنهم وعن ماشيتهم

ذبيحة الروق ومن الاعراب من يخرج من عشيرته وينضم الى عشيرة اخرى اشد بأساً واوسع مالاً وجاهاً فيطلب شيخ العشيرة ان يقدم ذبيحة وينحرها لجد العشيرة حتى يصبح كواحد منهم متمتعاً بحقوق القبيلة وامتيازاتها وقد تسمى ذبيحة الروق

ذبيحة سليمان اذا اخضرت السهول وازهرت الربوع في شهر ايار يرد الاهلون الى حمام الزرقا . وهو من الحمامات المشهورة كما ذكرناه سابقاً . فقبل ان يغتسل المرء في مياهه المعدنية يذبح ذبيحة لسليمان الحكيم صاحب هذا المزار

ذبيحة شيحان وقد اوردنا فيما سبق ان للجبال اكراماً عند الاعراب فمن تلك الجبال جبل شيحان وهو اعلى مقام في شرقي الاردن فهو لارتفاعه وعلو مقامه يرى الزائرين وافدين اليه من اطراف مؤاب والبلقاء حاملين الهدايا وسائقين النعاج اليه . ففي الربيع يعتدل هواؤه ويرق نسيمه وتصفو سماؤه فيفد اليه بنو حميدة والرولة وبنو صخر والمجالي ويذبحون على اطلال هناك نعجة يدعونها نعجة شيحان ويسيل دمها في بئر منقور ويمنع عن الزائرين واهلهم الاضرار والنكبات

ذبيحة الضيف تركنا الرواية الآتية على لفظها البدوي كي يحيط القرّاء علماً بلغة الاعراب الحاليين وهي رواية مشهورة في شرقي الاردن يتسامر بها اهل البادية في لياليهم الساهرة وفيها من كرم الاخلاق وعلو المبادئ البدوية ما جعلها مثالاً يُضرب به المثل. قال الراوي وهو رجل شراري يُدعى سليمان: «تظاغنت(١ العرب بعد غزو وقتل ابن عياش اخوانَ الشريف الاثنين. فجلا (اي هرب) ابن عياش عن الشريف الى بلاد الشمال وأبعدْ. وراحت المادّة اثنا عشر سنة. أمحلت دَيرة ابن عياش. هزل الطرش. ضعف الحلال. نشفت السيول. تحجّرت السماء. بعث ابن عيّاش روّادهُ تورد البلاد. رجع الرائد قال: «لا بالله ما بهْ الّا ديرة الشريف (٢». قال ابن عياش: «كيف نرعى بدَيرة الشريف ونحن قَوْمْ (اي اعداء). صبراً جميلاً وبالله نستعين انا قتلت اخوته. هلّي جاي من الله ما أحلاه. سيروا على ما قدّر الله. واللّي كاتبه ربّك يصيره». سار حتى قرّب من الشريف. نوّخ الأباعر. جمع الحطب. اشعل النار. تناصف الليل. حطّ الكاسر قبال الكاسر (٣ قام الشريف باكر باكر يصلّي. التفت رأى الارض سوداء مثل الضباب والرماح مغروزة في الارض مثل الغاب والبيوت نازلة حوله. بعث العرب يَعزم الطنايب على بيت الشريف. جاب الذبائح. حطّ الحلل. ركّب الطبخ. بعث عزمهم على القهوة. السلام عليكم. وعليكم السلام(٤. حيّاً الله الرجال. حيّاً الله الرجال. قوموا يا ضيوفنا عليكم جيرة (٥ الشريف قوموا اشربوا قهوة الشريف. فرفض ابن عياش صارت الدلال (اي اباريق القهوة) تغلي على النار. ارسل العبيد لابن عياش. صَبُّوا القهوة. لم يقبل يشرب. قال العبيد: ويش علامَك يا ضيفنا. رجع العبد وخبّر الشريف قام الشريف بنفسه الى ابن عياش وقال: علامَك يا ضيفنا ما تشرب قهوتنا؟ ان كنت مديون حِناً (اي نحن) وفّينا دينك. وان كان راكبك عدوّ حِناً نركب ونكسرهم. وان كان ابن عياش اشرب قهوتنا عفينا عنك.

١) يرى القارئ اللبيب بهذه الرواية اللفظ البدوي بحروفه دون تغيير وكأنه يسمع اهل البادية انفسهم يتكلمون. يقولون: تظاغن. اي تضاغن من الضغينة والضاد تلفظ ظاء في البادية. ثم ان العرب حينما تتكلم لا تضع حروف العطف بين الجمل. ونحن تركنا كلامهم على علّاته ٢) اي لا يوجد الّا ارض الشريف حسنة للمرعى

٣) اي ضربت الخيام مقابل الخيام الشريفية ٤) هذا سلام التحية عند العرب

٥) اي نستحلفكم باعزّ ما لديكم اي بالجيرة المكرمة

قال : وحق الله انا ابن عياش . ومضى زمان طويل والايام تُطوى بينهم . مرّ الشريف وشاف ابن ضيفه قال : يا ابن عياش أهذه بنتك ؟ . قال : اي بالله . والحال هو ابنهُ ولكن جدايلهُ من قدّام مثل البنات (١ . التزم ابن عياش عمل صيوان (٢ لابنه مثل صيوان الشريفة عجائب ابنة الشريف . استحبّت الشريفة عجائبُ محسنَ ابنة ابن عياش . تسعين ليلة عاشوا بمحبّة وسلام . يوم من الايام سرح طرش (اي قطيع) الشريف مع طرش ابن عياش واذا غزو ثقيل (اي كثير العدد) من صوب عرب لام من الجنوب قشّوا (اي نهبوا) الطرشين وانهزموا . شافت الامّ ولدها قالت : يا ولدنا يا محسن ابوك يُذبَح وانت هنا مساوي حالك بنت . قال : انتم ساويتوني بنت لا انا . قال : هاتي الدرع . شدّ على الفرس رحمه بيده ونزل مثل الخاطّ تالي الليل . وصل وفات على الغزو مثل النشّاب حلق الخيل قال : يا عرب انا متحذّي (٣ . قال عقيد الغزو : ردّوا للولد عشرة اباعر . قال : يا محفوظ . الله ومحمد رسول الله هذول لا يشيلون البيت ألّي نطبخ به القهوة . قال : ردّوا له عشرة كمان . والولد مباريهم (٤ . ردّوا له مئة والولد مباريهم . قال العقيد : يا ولد ما ترجع وتأخذ طرشك ألّي اعطيك . قال محسن ابن ابن عياش : يا محفوظ اريد — ويش تريد — اريد الطرش من اوله عاتاليه . قال العقيد : اذبحوه عينهُ حمرا . اشتعل الحرب وقتَلَ الولد منهم ثلاثة عشر وردّوا الطرش ردّ القلايع (٥ وربطهم بيت الشريف وقعد . عرف الشريف قال : باطلْ باطلْ (اي اسفاً) هذا ولد وانا حسبته ابنيّة . كمد . في تناصيف الليل امر عربه بالرحيل طلع الفجر ما لقى ابن عيّاش الّا النار والارض المقفرة . زعل محسن ولد ابن عياش وبعث ذلّال (٦ راكب ذَلول فشى عشرة ايام تجيبها بيوم واحد وكتب كتاب لعجائب ابنة الشريف :

---

١) اذا عاش الابن بالدلال يرخي جديلتهُ من قدّام كالبنات . فظنّهُ الشريف فتاةً ولم ينكر ابوهُ

٢) الصيوان خيمة للنساء ٣) تحذّى عند العرب اي طلب هبة وهديّة

٤) مباريهم اي سائر جنباً الى جنب ومزاحمهم ٥) القلايع جمع قليعة هو ما يؤخذ في الغزو من فرس اصيلة وشيء ثمين

٦) الذلّال . هو راكب الذلول اي الناقة السريعة

يا كاتب المكتوب يا بو المكاتيبْ يا ناحرًا ثمّ الشريف الركايبْ (١
خذْ لي كتابي أسرع كما الذيبْ (٢ خذ لي كتابي باسم حضرة عجايبْ
بنت الشريف القاعدة بالمراتيبْ (٣ بـ روج مرج تموج موج الركايبْ
ظلّ الزمان يحطّ ويشيل ويجيب حتى جمع الشريف وابن عياش بالطنايب (٤
تمين ليلة جاضعًا على طيب مثل ابنية مرخي ذوايبْ
والله ما حكيتها بحكي سمايبْ ولا مال قلبي ليسمها ميلْ عايبْ
والله لا خوفي من نار لهايبْ ولا من سيف شنيع الضرايبْ (٥
خوفي من مقعد مناصيب يقولون ابن عياش خان الطنايب (٦

تمت مقالاتنا عن الديانة البدوية وسنتبعها بابحاث عن الاسرة العربية . سائلين الله ان يوفقنا فيما ابتدانا به ويسّر ما نتوخاه من النفع في خدمة الاداب والوطن بمنّه وكرمه

تمت

وقفة

بين الناصرة وبيت لحم

لحضرة الخوري رفائيل البستاني (نقلًا عن البشير)

بُشرى الورى أزف الوفا بموعدِ وبدتْ طوالع فجر عهدٍ اسعدِ
فالارض تمرح والسماء تهلّلت وجهنّمٌ خسئت بوجهٍ اكمدِ
أبشر وتهْ يا ايها الانسان قد امر الإله بسحق كَبْلٍ (٧)مقيّدِ
حُرّرتَ من رقٍّ أمضّك غلّهُ فلقد دنا ميعاد ذاك المفتدي

١) الناحر القاصد يقول لهُ : سِرْ بالركائب نحو الشريف
٢) ينسب الاعراب السرعة للذئب ٣) الجالسة على سرير مرتفع
٤) الطنايب هم الملتجئون الى امير المسكون حبال البيت . يعني جمع هنا لجيران
٥) اي انه لم يتكلم كلامًا ساقطًا ليس خوفًا من نار جهنم ولا من القتل بالسيف
٦) ولكن يخشى مجلس الوجوه والاعيان اذ يقولون ان ابن عياش خان جيرانه
٧) الكَبْل القيد

يا كاتب المكتوب يا بو المكاتيبْ يا ناحرًا ثمّ الشريف الركايبْ (١
خذْ لي كتابي أسرع كما الذيبْ (٢ خذ لي كتابي باسم حضرة عجايبْ
بنت الشريف القاعدة بالمراتيبْ (٣ بـ روج مرج تموج موج الركايبْ
ظلّ الزمان يحطّ ويشيل ويجيب حتى جمع الشريف وابن عياش بالطنايب (٤
تمين ليلة جاضعًا على طيب مثل ابنية مرخي ذوايبْ
والله ما حكيتها بحكي سمايبْ ولا مال قلبي ليسمها ميلْ عايبْ
والله لا خوفي من نار لهايبْ ولا من سيف شنيع الضرايبْ (٥
خوفي من مقعد مناصيب يقولون ابن عياش خان الطنايب (٦

تمت مقالاتنا عن الديانة البدوية وسنتبعها بابحاث عن الاسرة العربية . سائلين الله ان يوفقنا فيما ابتدانا به ويسّر ما نتوخاه من النفع في خدمة الاداب والوطن بمنّه وكرمه

تمت

وقفة

بين الناصرة وبيت لحم

لحضرة الخوري رفائيل البستاني (نقلًا عن البشير)

بُشرى الورى أزف الوفا بموعدِ وبدتْ طوالع فجر عهدٍ اسعدِ
فالارض تمرح والسماء تهلّلت وجهنّمٌ خسئت بوجهٍ اكمدِ
أبشر وتهْ يا ايها الانسان قد امر الإله بسحق كَبْلٍ (٧)مقيّدِ
حُرّرتَ من رقٍّ أمضّك غلّهُ فلقد دنا ميعاد ذاك المفتدي

١) الناحر القاصد يقول لهُ : سِرْ بالركائب نحو الشريف
٢) ينسب الاعراب السرعة للذئب ٣) الجالسة على سرير مرتفع
٤) الطنايب هم الملتجئون الى امير المسكون حبال البيت . يعني جمع هنا لجيران
٥) اي انه لم يتكلم كلامًا ساقطًا ليس خوفًا من نار جهنم ولا من القتل بالسيف
٦) ولكن يخشى مجلس الوجوه والاعيان اذ يقولون ان ابن عياش خان جيرانه
٧) الكَبْل القيد

فاضرب بمنحطم الكبول جهنماً واهزأ بكل تهدد وتوعدِ

***

فبدارِ يا جبريل حلّقْ ساعياً في كاعب بكرٍ لمرّ تجسدِ
وجبِ المشارق والمغارب باحثاً فوق العروش وبين اهل السؤددِ
ولجِ القصورَ الباذخاتِ فانها غصّت بربّات الجمال الخرّدِ
جبريل دعْ غيد الصروح وشأنها تمسي وتصبح في الدلال وتغتدي
فالله يزري بالتبرّج والحلى وأبى مبالاةً برفعة مَحتدِ
يبغي قلوباً لا قوالبَ قلباً وعفاف نفس لا نفيس المسجدِ
فاهرع الى كوخ بناصرةٍ بنى في عُقره الإملاقَ اخشن مرقدِ

***

جبريل قف بالباب واخفض هامةً واغضض عيوناً نحو ارض واسجدِ
سبّح الهك جاثياً متخشعاً متهيباً لجلال ذاك المشهدِ
ملكٌ امامك في نضارة غادةٍ ببهاء بدرٍ في رداء الزّهدِ
ضمّت يدينِ وعينها مخفوضةٌ والجسم منتصبٌ كغصنٍ املدِ
والقلب مفتوحٌ يضمّ عواطفاً رُفعت لجرّ رضى العليّ السرمدي
فافتح عيونك وانتصب وارفع الى مولاك يا جبريل صوت ممجّدِ
وقلِ "السلام عليكِ يا ذات البها وتحيةٌ من عرش ربك سيدي
فقدا صطفاكِ الحقّ اماً لابنهِ ليخلّص الشعب الاسير ويفتدي"

***

"مهلاً فما داعي اضطرابكِ والبكا وتردّدٍ وتمنّعٍ وتنهّدِ !!!
روح العليّ يحلّ فيكِ مؤيّداً وبه يزوغ المفتدي المتجسدِ

عذراء انت ولن تزال بكارةً ... بك مفخراً من بعد ذاك المولدِ
فانا الرسول اليكِ من قبَل العلي ... ارجو الرضى فاليه بالله اعمدي
ماذا اقول اذا انثنيتُ لسيّدي ... رحماكِ جودي بالقبول وزوّدي..
—أمةٌ انا أعنو لربي فليكن ... ما قلتهُ فأطيع دون تردُّدِ..

جبريل قُصَّ على الاله مخبّرًا ... ما كان من امر البتولة واسردِ
واحملْ الى البشر البشائر بالفدى ... واصدحْ بالحان السرور وانشدِ
وانظر الى ابليسَ نظرة مزدرٍ ... واسخر وقل: ابليسُ أرغِ وأزبدِ
رضيتْ فثلّت عرش مجدك مريمُ ... فاخسأ وتنكّص نحو نار وابعدِ
لاتضطرب مهلًا رويدك واتئد ... يا يوسف انبذ كل تفكير ردي
فالله القى الظنَّ فيك لحكمةٍ ... ليكمَّ فاه المعتدين العُنّدِ
أذعن لإحصاء النفوس وسرْ الى ... وطن فذلك امر ربك فانفّذِ
ان النبوّة لازبٌ إنجازها ... ما العَدُّ غير وسيلة وممهّدِ
يستخدم الله الخلائق ذرعةً ... ويقودهم لنفاذ امرٍ باليدِ
يا يوسف أمددْ نحو مريم ساعدًا ... واقصر خطاك على خطاها واعضدِ
سِرْ بيت لحمَ ميمّماً بهوادةٍ ... رفقاً بمريم في مناكب فدفدِ

***

بُلّغتما يا سائران مدينة ... اين النزول فيا بتول تجلّدي
ان الجموع تسارعت وتتابعت ... وتدافقت مثل الخضمّ المزبدِ
مِن ذي ثراء يزدهي بنُضاره ... وزعيم قوم فوق صهوة اجردِ
تبدو المدينة مثل بحر زاخر ... بمًا حوتهُ من جموع حُشّدِ

فالموسرون تنافسوا بزخارفٍ ومقاصف وبكل عيش ارغدِ
مالت مع الاموال اميالُ الملا ذان ابتغى المأوى فقيرٌ يُطرَدِ
ولّى النهار وقد توارت شمسهُ ودجا الدجى في غيمه المتلبّدِ
والريح تعصف والبروق لوامعٌ والرعد يقصف في السحاب الاربدِ
اين المبيت واين ملجأ بائسٍ وفقيرة خلف الرتاج الموصدِ
عذراء فاجأها المخاض بغربةٍ فجرى الدموع بخدّها المتوردِ
فمضت ويوسف قائدٌ خطواتها حتى انتهى ذاك السُّرى بالمِربَدِ
فهناك ما بين الشياه واينُق نور الانام بدا بداجن مذودِ
اللهُ ربي انت احكمُ حاكمٍ وبشمس رشدك للهداية نهتدي
يُستأصل الداء العقام بضدهِ فالكبر زلّة آدمَ المتمردِ
زُفّت الى الرعيان بشرى المفتدي قبل العظام وقبل مَلك أصيدِ
وافى الذي جعل التفاضل بالحجى وفضائلٍ وجليل صنعٍ امجدِ

***

أقبالَ شرق قد بدا في افقكم نورٌ تألّق من ضياء الفرقدِ
فتأهبوا وصِلوا مسيرًا بالسّرى متتبعين صراط ذاك المرشدِ
جوزوا هِرودسَ وابنهُ وقصوره وامضوا لملكٍ في الحضيض ممدّدِ
فتروا وليدًا في القماط امامهُ عذراء جاثيةٌ على ترب ندي
وافى ليرفع من هوان خاملًا ويجذّ ربقةَ بائسٍ مستعبدِ
أيحقّر الصلفُ الذميم بمولدٍ في عرش عزٍّ بالجمان منضّدِ
أهدوا الى الملك الفقير كنوزكم وسَلوه كنز هداية وتأيدِ
وذروا هرودس في أجيج بلابلٍ وسعير نارٍ تلتظي في الاكبدِ

مَهْ يا هرودس كُفَّ كفَّ فظائع ... واردع جنوداً كالنار الحرَّدِ
فتكت بواترها باطفال كما ... فتكت بزدرَع مناجلُ حُصَّدِ
راحيل تأبى ان يعزّى قلبها ... وحشا بنيها للشفار كاغمدِ
فاذا الذنوب تراكمت اوحالها ... جعلت فؤاد المرء فِلقَةَ جلمدِ

***

يا ربِّ مارستَ الفضائل كأنها ... لترى محاسنها الانامُ فتقتدي
وفلقتَ صبح هداية وسلكت في ... سبل الرشاد من المهاد لألحُدِ
ووطئت غطرسة الملوك باخمصٍ ... وفجرت المبوءاء اعذب موردِ
فلكم نرى يا طفل من هيرودسٍ ... شنُّوا على الاطفال غارة معتدِ
سلبوا طهارتهم وكنز يقينهم ... بمناهجٍ سفلى وافكِ الملحدِ
دسُّوا بالبان نقيع سمومهم ... واستأصلوا ادباً بصنع مُفسدِ
راموا اختلاس دراسة كي يخنقوا ... ايمان طفل في زوايا معهدِ
يا قومُ طفلُ اليوم أسُّ رقيِّنا ... ورجاننا اذ انهُ رجل الغدِ
شُلَّت يدا ابوين قادا فتيةً ... لمعاهدٍ بالدين لم تتعهدِ
رحماك يا طفلُ اشفقنَّ تحننا ... واعضد خطى الحدث الضعيف وسدِّدِ
أبدت سراحينُ الضلال نيوبها ... تتهدَّد الحملان ايَّ تهددِ
حافظ على تلك الحظيرة ساهراً ... وذُدِ الذئاب عن القطيع وبدِّدِ
وأمل لحاظ عناية لشبيبة ... ليقوم كونٌ فوق أس اوطدِ
فكما يشبّ فتى يشيب وينتهي ... والعمر يُختم مثلما فيه بُدي

أحدث الطرق لقياس بُعْد النجوم عن الارض

بقلم الاب رفائيل غله اليسوعيّ

كان الفلكيُّون في الجيل التاسع عشر اذا ارادوا قياس بُعْد احدى ثوابت النجوم عن الارض يصوّبون اليها مرصدهم مرّتين في السنة اذ تكون الارض على طرفَي احد اقطار دائرة سيرها حول الشمس لسهولة قياس الزاويتين المتكوّنتين من القطر المذكور والخطّين المتّجهين من الارض الى النجم . ولعلمهم بطول ذلك القطر البالغ نحو ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر تعود المسألة الى مطلب رياضيّ يسهل حلُّهُ وهو حساب ضلعَين متساويين في مثلّث يُعرف طول ضلعهِ الثالث وكبر الزاويتين المتّصلتين بهِ . وليس الضلعان المطلوبان سوى الخطّين المتّجهين من الارض الى النجم . وبذلك يقفون على قياس بُعد النجم عن الارض

تلك طريقة مقرّرة لا غُبار عليها قطعاً لولا انها لا تصحُّ الّا في قياس عدد يسير جدًّا من النجوم نكاد نعدُّها على الاصابع وهي الاقرب من ارضنا . وعلى هذا المنوال اثبت ارباب الفلك انَّ اقرب ما نعرفهُ من النجوم الينا يبعد عن الارض ٢٠٠،٠٠٠ مرّة بنيّف اكثر من الشمس التي تبعد عن الارض ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ كيلومتر

امّا عدم انطباق هذه الطريقة مع كلّ النجوم فذلك لأن الحساب السابق مبنيّ على قياس الزاوية المتكوّنة من الضلعين الموصوفين اي الخطّين المتّجهين من نجم معلوم الى الارض في حال مرورها بطرفي احد اقطار دائرة سيرها . والحال انَّ انفراج تلك الزاوية في رصد اقرب النجوم الينا هو اقلّ من ثانية اعني ٠٠٠٢٧٧٧ من الدرجة . وبعبارة أُخرى هي الزاوية المتكوّنة من وجهتَي النظر المصوَّب الى طرفي قُطر دائرة تبعد عن الناظر ٢٠٠ كيلومتر في حين انَّ القطر لا يزيد عن متر واحد . فصغر تلك الزاوية في اقرب النجوم الينا يتجاوز كلّ تصوُّرات مخيّلتنا ولولا الدقّة العجيبة التي بلغتها آلات الرصد الفلكيّ لعجزَ ائمّة علم الهيئة عن قياس تلك الزاوية التي يُستدلّ بها على المسافة الفاصلة بيننا وبين تلك النجوم . ولأن قياس تلك الزاوية الجوهريّة مستحيل في معظم الكواكب لصغرها لم يمكنهم ضبط

قياس تلك الثوابت . ومن ثمَّ أجهدوا فكرتهم الوقّادة في استنباط طرائق اخرى تبلّغهم غايتهم وهاك احدث تلك الطرق مع ذكر خواصها الجوهرية

١ قياس بعد النجوم بطريقة التصوير الشمسي

اذا عمدوا الى معرفة بُعد نجم ما يصوّرونهُ في حين مرور الارض بطرفَي احد اقطار دائرة حركتها . فيقابلون الصورتين المرتسمتين بوضعين مختلفين بالنسبة الى مجمل أبعد الكواكب عن الارض اعني اقلّها سطوعاً . فيستنتجون من اختلاف الوضعين مقدار بُعد النجم عنّا . ودونك تشبيهاً يقرّب الى الفهم ادراك تلك الطريقة الغريبة : افترض انك في قطار يسير بسرعة ٨٠ كيلومترًا في الساعة فترى من النافذة برجاً شاهقاً تريدان تعرف بُعدهُ عن القطار فكيف الحصول على المراد ؟ يكفي لذلك ان تصوّر البرج مرّتين تفصل بينهما مسافة ٥ كيلو مترات مثلاً . فاذا قابلت بين الصورتين وجدت صورة البرج مرتسماً بوضعين مختلفين من الأُفق الذي لم يكد ان يتحرّك نسبةً اليك بحركة ظاهرة لسبب بعده العظيم عنك . فمن قدر ابتعاد الوضعين المذكورين يتيسّر لك قياس بُعد البرج فيكون ابعد او اقرب على قدر اقتراب الصورتين او بعدهما

بفضل تلك الطريقة المبتكرة تمكّن الفلكيُّون قياس مسافة نجوم يفوق بُعدها عشرين مرّة عمّا قيس سابقاً على طريقة الزوايا المثلّثة . وقد بلغوا الى قياس نجوم تبلغ المسافة بينها وبين الارض اربعة ملايين مرّة بعد الشمس عنّا اعني ٦ × ١٠^١٣ كيلو مترًا او بعبارة اخرى قد اصطلح عليها حاضرًا ارباب الفلك تبعد ٦٠ سنة نور . وسنة النور عندهم هي المسافة التي يقطعها النور مدّة سنة وسرعتهُ في الثانية كما هو معلوم تبلغ ٣٠٠،٠٠٠ كيلو متر فتوازي سنة النور ٩٤،٦٠٨ × ١٠^٨ كيلومترًا اي نحو عشر مرّات مليون كيلو متر في مثله . ولتقريب هذا العدد الهائل الى المخيّلة اقول انَّ سنة واحدة من النور توازي ما تقطعهُ في خمسة ملايين من الاعوام طيّارة ذات سرعة ٢٣٠ كيلومترًا في الساعة او ما تقطعهُ في ٦٤٠،٠٠٠ سنة قنبلة مدفع ذات سرعة ١،٨٠٠ كيلومتر في الساعة اي ٥٠٠ متر في الثانية

وبهذه الطريقة اتّصل العلّامة الانكليزي إنس (Innes) فقرّر انَّ اقرب نجمة

الى الارض هي النجمة الصغيرة القريبة من كوكبة قِنطورس (Proxima Centauri) وبعدها عن الارض نحو اربع سنوات نور

وعليه فانَّ الفلكيين استفادوا من هذه الطريقة اي من التصوير الشمسيّ فعرفوا النجوم الثوابت التي لا يزيد بعدها عن الارض ٦٠ سنة نور . غير انَّ هذه النجوم لا يكاد يُحسب عددها في جانب بقيَّة النجوم الواقعة في ما وراء هذه المسافة . ولذلك أُلجئ جهابذة علم الهيئة الى ابتكار طريقة اخرى توقفهم على تلك النجوم الباقية

٢ قياس بعد النجوم بواسطة حركة النظام الشمسي

قد احرز نوابغ علم الهيئة فوزاً باهراً في الجيل الاخير باكتشاف حركة النظام الشمسيّ في الفضاء وقد اصبحت حقيقة هذه الحركة حاضراً من المعلومات الراهنة . كان الفلكيُّون منذ زمن بعيد قد لحظوا ان الفلك ينقسم الى قسمين يتساويان بالكبر لكنهما يختلفان في حركات نجومهما . وذلك انَّ راصدي السماء يتخيَّل لهم انَّ كواكب احد الشطرين تزيد بعداً بعضها عن بعض كلَّ سنةٍ بينما تتقارب كواكب الشطر الآخر . واذ بحثوا عن علَّة هذه الظواهر لم يجدوا لتعليلها سوى وجود حركة عموميَّة تدفع في الفضاء جميع نظامنا الشمسي . فالنجوم التي يتقرَّب منها تظهر لنا بموجب ناموس البصريَّات متباعدةً الواحدة عن الاخرى وعلى عكس ذلك النجوم التي ينأى عنها تُرى متقاربةً

فلمَّا وقف العلماء على هذا الاكتشاف الغريب الذي لم يخطر على بال أسلافهم قصدوا ايضاً الوقوف على تفاصيل تلك الحركة . فادَّت بهم الارصاد المتعدِّدة والحسابات العويصة الى تحقيق وجهة حركة ذاك النظام فعرفوا انهُ يتَّجه الى نقطة من الفلك تقرب من نجم النسر الواقع (Véga) في كوكبة الصَّنج او اللورا (la Lyre) . ثمَّ تيقَّنوا انَّ سرعة حركة النظام المذكور تبلغ في الثانية ١٩ كيلومتراً ونصف بالنسبة الى بقيَّة الكواكب . فتقطع ارضنا مع الشمس مسافة ١٬٦٨٤٬٨٠٠ كيلو متر في ٢٤ ساعة . ومسافة تنيف على ٤٠٠ مرَّة على البعد الفاصل بيننا وبين الشمس في ظرف جيل واحد

هذا وقد سبق القول انَّ اقدم طريقة عرفها الفلكيّون لقياس بعد النجوم هي

مبنية على قياس مثلث اطرافهُ النجم المرصود ثم الموضعان اللذان منهما يُرصد ذاك النجم عند مرور الارض باحد قطري دائرة حركتها حول الشمس . وانَّ قاعدة ذلك المثلث صغيرة جدًّا بالنسبة الى معظم النجوم ولو بلغ طولها نحو ٣٠٠مليون كيلومتر . امَّا الآن فبفضل معرفة حركة النظام الشمسيّ في الفضاء قد وجد الفلكيُّون قاعدةً تزيد على القاعدة السابقة ٢٠٠ مرَّة اذا صوَّبوا المرقب الى احد النجوم مرَّتين بينهما بَونُ مئة سنة . وبذلك يتَّضح عظم شان الطريقة الجديدة التي سوف يجني ثمارَها الفلكيُّون بعد عهدنا دون الفلكيين الحاضرين لقصر حياة الانسان

٣ قياس بعد النجوم بالطريقة الطيفية

معلوم انَّ نور الشمس او النجوم اذا مرَّ بموشور مثلَّث يتحلَّل على شكل مستطيل الى عدَّة الوان يمكن استقبال صورتها على حاجز يوضع وراء الموشور . وذلك ما يُدعى بالطَّيف الموشوري او الطيف الشمسيّ وفي كلّ طيف عموماً خطوط سوداء تختلف عددًا وموضعاً وعرضاً على اختلاف النور المحلَّل وتتخلَّلها الخطوط النيِّرة المختلفة الالوان الناتجة عن تحليل الانوار

فهاك الآن ما اكتشفهُ الفلكيّ الاميركي آدَمس (Adams) لمعرفة قياس بُعد الثوابت . فانَّهُ حلَّل نور نجوم كثيرة سبقهُ الفلكيُّون الى تعريف بُعدها وبالتالي مقدار ضوئها الحقيقي المقيس مع بقيَّة الكواكب على بُعدٍ واحد من سيَّارتنا دون اعتبار ما ينخدع به البصر من اكفهرارها نظرًا الى تفاوت مسافاتها الفاصلة بينها وبين الارض . فوجد تناسباً تامًّا بين الخطوط النيِّرة التي تُرى في الطيف وبين سطوع تلك النجوم النيِّرة . فبالمقابلة بين طيف نجمين معروف بُعدهما فمجهولٌ بعدُهما يُستنتج بُعد المجهول ويحدَّد قياسهُ . فكان اذا وجد مثلًا انَّ سطوع نور احدهما يوازي تسعة اضعاف سطوع الآخر يستنتج بان الاوَّل يبعد عنَّا ثلاثة اضعاف بُعد النجم الثاني . ودليل ذلك انَّ درجة لمعان اي جرم كان من الاجرام النيِّرة تنقص بنسبة مربع المسافة بينهُ وبين الراصد . فاذا تضاعفت المسافة نقص النور اربعة اضعاف . واذا كانت المسافة على ثلثة اضعاف بلغ نقصهُ تسعة اضعاف

فهذه الطريقة سهلة ذات مستقبل عظيم لتعريف بُعد النجوم الثابتة التي لنورها

سطوع كافٍ لتحلل بالنظّارة الطيفيّة (Spectroscope) المحلّلة للاشعّة المختلفة . فبها يتمكّن الفلكيّون من قياس عدّة نجوم سحيقة البُعد لا يستطاع قياسها بالطريقتين السابقتين . هذا وقد اكتشف ارباب علم الفلك طرائق اخرى غير الثلثة المذكورة لقياس أبعاد النجوم لكنّنا نضرب عن ذكرها صفحاً لبعد منالها ووعرة مسلكها وقلّة استعمالها . ولا يسعنا قبل ختام هذه المجالة الّا ان نورد بعض النتائج العجيبة التي نفضي اليها استخدام تلك الطرق المبتكرة

قاس الفلكيّان رُسل وشبلي (Russell et Shaply) بُعد نجوم كثيرة فوجدا بعضها على مسافة ٥٠٠٠ سنة نور والسنة كما قلنا عبارة عن ضرب المليون بمثاله عشر مرّات فينتج عن ذلك نتيجة تحير لها الافكار وهي أنّنا نشاهد اليوم بنظّاراتنا ليس حالة النجوم الحاضرة بل الحالة التي كانت عليها قبل خمسين جيلًا اعني ثلاثة الاف سنة قبل المسيح لأن الأشعّة الواصلة الينا الآن من تلك الكواكب قد بايَنَتْها منذ ٥٠٠٠ سنة لتقطع البعد الفاصل بينها وبين الارض وذلك رغماً عن سرعة النور البالغة ٣٠٠،٠٠٠ كيلو متر في الثانية فتأمّل

وفي الفلك كواكب اقصى بعداً من هذه كمجموعة كواكب تُرى في السماء كسحابةٍ دعوها لذلك بسحابة مجلّان فقد ثبت من قياسها أنّها تبعد عنّا نحو ٣٠،٠٠٠ سنة نور . فلو استطعنا ان نرى بمرقب جبّاري تفاصيل هيئة تلك الكواكب وحركاتها وتقلّباتها لرأينا الآن ما كانت عليه منذ ثلاثين الف سنة ! وذلك امرٌ غايةٌ في الغرابة يكاد لا يصدَّق لولا انّ ارهن المبادئ العلمية المقبولة من الخاصّة والعامة تضطرّنا الى التسليم بهِ . ولو كانت الشمس الفائقة على كل الكواكب بنورها الظاهر واقعة على بُعد سحابة مجلّان لكان نورها الواصل الينا اضعف من ان ترتسم صورتهُ على الجُلَيدات الفوتغرافيّة الموضوعة في اكمل واعظم المراقب . امّا نجوم السحابة المذكورة فانها تبعث الينا نوراً كافياً لرسم صورتها وان كانت محجوبة عن الانظار . وقد استنتج الفلكيون من ذلك ومن معرفة بُعدها عن الارض ان اقلّها ضياء هي مئة مرّة أنور من الشمس وان بعضها يضاهي الف شمس ونيّف بالنور المنبعث منها

خلاصة القول ان العلم العصري لا يزال يوسّع في نظر عقلنا نطاق الكون ويصغّر الارض التي هذّى الاقدمون في جهلهم اياها مركز كل العوالم ومدار كل

الكواكب . اما الان فلو شبّهناها في جانب الملايين من النجوم المعروفة بحبّة رمل ضائعة بين رمال اعظم الصحاري لَمَا بالغنا في التشبيه . ومن جهة اخرى اذا امعنا رائد الفكر في عظم سيّارتنا واتساع قاراتها وبحارها وكثرة بلادها ومدنها ادركتنا الدهشة عند التزامنا — رغماً عن ذلك الكبر النسبي — بالاقرار ان عالمنا هذا ليس الّا ذرّة تائهة في الفضاء المملوء بعدد لا يحصى من الكواكب التي تكاد الشمس نفسها لا تُذكر بجانبها عظماً وضياء

ولا نتمالك عند سبر اعماق الفضاء الرائعة عن الانذهال خصوصاً من عظم القدرة والحكمة الالهية التي اوجدت تلك ملايين العوالم بكل اشكالها المتنوعة وحركاتها المنتظمة وذلك بمجرد الارادة الخالقة . قال الرب له المجود : كوني . فكانت اطاعةً لامره القدوس . فلعمري ما اصدق آية صاحب المزامير حيث تغنّى بجلال العزّة الالهية قائلاً : « السموات تروي مجد الله والجلد يبشر باعمال يديه »

العلائق الاولى بين فرنسة وسوريّة

نظر تاريخي للاب هنري لامنس اليسوعيّ

ليست العلائق بين فرنسة وسوريّة حديثة العهد فانّها ترتقي الى قرون النصرانيّة الاولى حتّى الازمنة التي سبقت حلول قبائل الفرنك في بلاد غاليّة . فكأنّ البلادين منذ تعارفا عشق اهلها بعضهما بعضاً فتواخيا وتصافحا والبحر بينهما وُصلةٌ لا يكترثون لاهواله وويلاته

١ مآثر السوريين في فرنسة

انّ من يسرّح النظر في تاريخ الفينيقيين ورحلهم المختلفة الى جهات الغرب اذ كانوا يخرون البحار ويتاجرون مع اقاصي البلدان يجد انّهم منذ سالف الزمان خصّوا بمعاملاتهم سواحل غاليّة التي احتلّها الفرنسويّون بعد ذلك في القرن الخامس بل توغّلوا

الكواكب . اما الان فلو شبّهناها في جانب الملايين من النجوم المعروفة بحبّة رمل ضائعة بين رمال اعظم الصحاري لَمَا بالغنا في التشبيه . ومن جهة اخرى اذا امعنا رائد الفكر في عظم سيّارتنا واتساع قاراتها وبحارها وكثرة بلادها ومدنها ادركتنا الدهشة عند التزامنا — رغماً عن ذلك الكبر النسبي — بالاقرار ان عالمنا هذا ليس الّا ذرّة تائهة في الفضاء المملوء بعدد لا يحصى من الكواكب التي تكاد الشمس نفسها لا تُذكر بجانبها عظماً وضياء

ولا نتمالك عند سبر اعماق الفضاء الرائعة عن الانذهال خصوصاً من عظم القدرة والحكمة الالهية التي اوجدت تلك ملايين العوالم بكل اشكالها المتنوعة وحركاتها المنتظمة وذلك بمجرد الارادة الخالقة . قال الرب له المجود : كوني . فكانت اطاعةً لامره القدوس . فلعمري ما اصدق آية صاحب المزامير حيث تغنّى بجلال العزّة الالهية قائلاً : « السموات تروي مجد الله والجلد يبشر باعمال يديه »

العلائق الاولى بين فرنسة وسوريّة

نظر تاريخي للاب هنري لامنس اليسوعيّ

ليست العلائق بين فرنسة وسوريّة حديثة العهد فانّها ترتقي الى قرون النصرانيّة الاولى حتّى الازمنة التي سبقت حلول قبائل الفرنك في بلاد غاليّة . فكأنّ البلادين منذ تعارفا عشق اهلها بعضهما بعضاً فتواخيا وتصافحا والبحر بينهما وُصلةٌ لا يكترثون لاهواله وويلاته

١ مآثر السوريين في فرنسة

انّ من يسرّح النظر في تاريخ الفينيقيين ورحلهم المختلفة الى جهات الغرب اذ كانوا يخرون البحار ويتاجرون مع اقاصي البلدان يجد انّهم منذ سالف الزمان خصّوا بمعاملاتهم سواحل غاليّة التي احتلّها الفرنسويّون بعد ذلك في القرن الخامس بل توغّلوا

في البلاد ونقلوا اليها محصولات الشرق المتنوّعة من انسجة وحرائر وعطور وافاويق . ثم استوطن كثيرون منهم بعد مدة حواضر تلك الجهات ومدنها العامرة كليون وبوردو وباريس وزبونة واورليان فكانوا يعيشون فيها في احياء منفردة حرصين على حفظ عاداتهم ولغتهم الوطنيّة . وكان الغربيّون يتهافتون الى مخازنهم فيبيعون منهم زجاج صيداء وارجوان صور وانسجة بيروت وخمر غزّة وفستق دمشق وبردي مصر ومصنوعات الشرق الاقصى التي كانت تأتي بها قوافل العرب من العجم والهند والصين الى بلاد الشام فينقلها السوريون الى الغرب

وقد زاد نفوذهم بعد ان فتح الملك كلوفيس مع قبائل الفرنك بلاد غالية في اواخر القرن الخامس وصارت فرنسة في عهدة سلالته الميروفنجيّة . فكان الفرنسويون بعد تنصّرهم ينظرون الى المهاجرين الى بلادهم من اهل سوريّة بعين الرضى وطيب الخاطر ويعدّونهم كممثلي الاراضي المقدّسة ويسرعون الى اقتناء ما يأتون بهِ من ذخائر اورشليم والامكنة المشرّفة بآثار السيّد المسيح

وللسوريين في فرنسة مآثر دينيّة معدودة فانّ كثيراً من التقاليد الدينيّة نفذت بين اهل فرنسة في تلك الحقبة بواسطة السوريين . ومما ثبت اليوم لدى العلماء انّهم خلّفوا لهم في عدّة مُدن آثاراً حسنة في الصناعة الهندسيّة والابنية الدينيّة ونقش الكنائس وتزيينها بالصور . بل بلغ نفوذهم الى أن تمكّن بعضهم من الارتقاء الى الكرسي الاسقفيّة في فرنسة وصار واحد منهم اسقفاً على باريس نحو السنة ٥٩٦ م . بينما كان غيرهم من مواطنيهم اتّصلوا الى رئاسة الكنيسة جماء بصفة احبار رومانيين . وقد ورد في تاريخ فرنسة لغليلموس الطوريّ انّ مستعمرات جالية السوريين كانت منتشرة في انحاء البلاد حتّى لم تكد مدينة تخلو منهم . ويؤيد قولهُ ما وُجد في بعض المدن من قبورهم مع الكتابات المدفنيّة الدالّة على اصلهم السوريّ . ومن جملتهم واحد ينتسب الى لبنان . وذُكر في ترجمة القديس كولمبان من اهل القرن السادس انّ امرأة من سوريّة اضافتهُ في بيتها في مدينة اورليان اذ كان الملك تيارّي الثاني حكم بنفيهِ فلم يجد مأوى عند احد من الاهلين غير المرأة المذكورة وزوجها السوري وكان ضريراً

واكثر مَنْ نفذ تأثيرهم في انحاء غالية وفرنسة الرهبان الشرقيّون فانّ القديس اثناسيوس الاسكندري لمّا نُفي بدسائس الاريوسيّين قدم الى تراف سنة ٣٣٦ والى

رومية سنة ٣٤١ فعرّف اهل الغرب بالرهبانيّات الشرقيّة ولاسيّما بمنشئ المناسك المصريّة القديس انطونيوس الكبير وكان هو كتب سيرته العجيبة وكان بصحبته راهبان حرّك منظرهما في قلوب الغربيين الشوق الى الاقتداء بهما . وما لبث بعض النسّاك الشرقيين كالقديس ابراهام او المتشرّقين ككاسيان ان أشاعوا في فرنسة الآداب الرهبانيّة فأحيوا فيها معالم القداسة وجدّدوا في الغرب عجائب رهبانيّات الشرق

وممّا حبّب الشرق وخصوصاً سوريّة وفلسطين الى الفرنسويين ما كان يُنقَل اليهم من مآثر علماء الشرق كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس كيرلّس الاورشليمي والقديس يوحنا الدمشقي واوسابيوس القيصري وما كان يحرّره في بيت لحم القديس ايرونيموس فكلّ ذلك كان يزيد في القلوب اعتبار الشرق وعلوّ مقامه

ولسنا لننكر انّ بعض السوريين في انحاء فرنسة اثاروا في النفوس نفوراً لمطامعهم وحرصهم على جمع الثروة بطرائق دنيئة غير مأنوسة . الّا انّهم في الاجمال كانوا يعدّون ارباحهم شرعيّةً لما يتكلّفونهُ من النفقات الطائلة باسفارهم وتغرّبهم عن اوطانهم وبما يلحقهم من الخسائر برّاً وبحراً ولاسيّما بما يؤدّونهُ للدولة من المساعدات الماليّة بمبادلة النقود الرائجة في البلاد المختلفة

ومن ثمّ نرى بعض المبالغة في ما كتبهُ في حقّ السوريين في القرن الخامس الكاتب الفرنسوي سلفيان كاهن مرسيلية اذ نبزهم بسهام الملام ونسبهم الى الظلم في معاملاتهم التجاريّة

وممّا تشهد لهُ الآثار من فضلهم انّهم علّموا اهل فرنسة بعض الصنائع الشرقيّة كتطريز الانسجة وتلوينها وتقصيب الثياب

وخلاصة القول انّ السوريين وجدوا منذ العهد القديم في فرنسة واهلها ما يلائم طباعهم ويجتذبهم الى معاملات الفرنسيس

٢ اوّل مآثر الفرنسويين في سوريّة

انّ مآثر السوريين في بلاد غالية وفرنسة كان لها صدى انعكاس في قلوب اهلها . فلم يكتفوا بمؤانسة مَن هاجر منهم الى اوطانهم وبالاستفادة من معاملاتهم واقتناء سِلَعهم الثمينة بل احبّوا ان يرحلوا الى اصقاعهم الشرقيّة ليروا عياناً ما

صوَّرتهُ لهم مخيّلتهم من عجائبها وغرائبها

وكان اوّل باعثٍ حدا باهل غالية الى ان يؤمّوا سوريَّة زيارة الاراضي المباركة التي قدَّسها السيّد المسيح بحياتهِ الالهيَّة ومعجزاتهِ وآلامهِ وموتهِ وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء. ولدينا من ذلك اثرٌ فريد يرتقي الى عهد الملك قسطنطين ألّا وهو دليلٌ كتبهُ (نحو سنة ٣٣٣) احد زوَّار بيت المقدس من مدينة بوردو فعُرف كتابهُ بالدليل البُرْدِغلي (Itinerarium Burdigalense) وهو اقدم ما عُرف من ذلك عدَّد فيهِ مراحل سفرهِ من وطنهِ الى اورشليم ووصف مزارات الاراضي المقدَّسة

ولنا شاهد آخر على قولنا في اواخر القرن الرابع نعني بها الرحلةَ المنسوبة الى القديسة سيلفية وقيل القديسة ايثريا وما لا شكَّ فيهِ انَّ اصل الكاتبة من بلاد غالية من اقليم اكويتانية اكتُشف بسفر رحلتها الى الاراضي المقدَّسة منذ نحو ٣٠ سنة فصار لاكتشافهِ وقعٌ عظيم لكثرة ما ورد في رحلتها من الفوائد التاريخيَّة والجغرافيَّة والمعلومات المختلفة عن العادات الشرقيَّة والطقوس الجارية في كنائس فلسطين وخصوصاً في اورشليم وبيعها الملوكيَّة وعن ذخائرها الثمينة. وزارت طورسينا واديارها ثمَّ قصدت مدينة الرها واكرمت هناك الرسالة المنسوبة الى السيّد المسيح والمرسلة الى ملكها الابجر. وهي تروي كلَّ ذلك بالتفاصيل كما رأت او سمعت من رواة ثقات وكانت لا تقبل كلامهم الّا بعد انتقاد صحَّتهِ

وعقب هذين الرحالتين زائر آخر اعلى مقاماً واشرف رتبةً وهو القديس اوشار رئيس اساقفة مدينة ليون حجَّ الى فلسطين سنة ٤٤٠ م مارًّا بسواحل الشام. وقد وصف كسالفيهِ ما عاينهُ من المآثر الدينيَّة والمزارات المقدَّسة

ومثلهُ اسقف آخر فرنسوي الجنس اسمهُ أرْكلفس قدم الى زيارة الاراضي المقدَّسة بعد الفتح العربي بقليل سنة ٦٧٠ م واضاف الى سلفائهِ معلومات جديدة دوَّنها في رحلتهِ

وكم غير هؤلاء اقبلوا الى سوريَّة وفلسطين لم يحرّروا اخبار رحلتهم وانَّما شهد على مجيئهم القديس ايرونيموس في كتاباتهِ من بيت لحم فانَّهُ يقول في تفسيرهِ لسفر حزقيال: « قد يأتينا كلَّ يوم زوَّار من كلّ البلاد حتَّى من الهند ومن جهات ايطالية واقاصي غالية »

وقد جاء في ترجمة القديس سمعان العامودي لتاودوريتس في القرن الخامس انهُ كان بين زوّاره حول عامودهِ الذي عاش فوقهُ نحو ٤٠ سنة عدّة غرباء من كلّ البلاد ومن جملتهم اهل غالية . وممّا ورد في ترجمة القديسة جنوفيفة انّ القديس اوصاهم بان يهدوا سلامهُ الى تلك البتول البارّة التي يكرمها اليوم الباريسيّون كشفيعة عاصمتهم

وممّا وُجد في مثوى من قرى حوران كتابةٌ ضريحيّة على قبر احدى الفرنسويات من مدينة روان تدعى ستركرزية توفيت هناك في اواسط القرن الرابع

وفي القرن الرابع ايضاً لمّا ثارت البدعة الاريوسيّة ثمّ في الخامس البدعة البيلاجيّة وانتصر لها بعض القياصرة والملوك لم يكفّ جملة من اساقفة الغرب عن الدفاع عن حمى الايمان وكان من عدادهم بعض اساقفة غالية نفاهم الهراطقة من كراسيهم فوردوا الى سوريّة وفلسطين بينهم اساقفة طور وباريس وأرل ومرسيلية كأنّهم يعدّون سوريّة «فرنسة الشرق» كما دُعيت بعد ذلك . وربّما حسبوها قطراً واحداً مع فلسطين فأكرموها إكرامهم للاراضي المقدّسة وكانوا يرسلون اليها زكاتهم ويتمنّون ان يحصلوا على شيء من ذخائرها كما اوصت الملكة رَدْغوندة ان يؤتى لها ببعض هذه الذخائر لديرها الذي شيّدتهُ في مدينة بواتيه

على انّ هذا التهافت الى سوريّة والاراضي المقدّسة لم يُحصر في ارباب الدين وأتقياء الناس . بل اتّسع نطاقهُ منذ عرف الغربيّون غنى بلاد الشام وخصب تربتها ووفرة ثروتها وجملة محصولاتها مع اعتدال هوائها وصفاء جوّها . وكان المسافرون اليها اذا عادوا الى الاوطان يفيضون في وصف محاسنها ويتغنّون بمركز الحضارة ومنبع التمدّن كالفيلسوف جونيوس في اواسط القرن الرابع الذي يعدّد مدن سوريّة الداخليّة والساحليّة كدمشق وبعلبك واللاذقيّة وطرابلس وبيروت وصيداء وصور وعكّا ويخصّ كلّ بلد بما تفرّد بهِ من المزدرعات والمصنوعات والحرَف ويقول بالاجمال انّ مدن سوريّة لا يفي الاحصاء بغناها البليغ

وكان محبّو الآداب والعلوم يشيدون بذكر مدارس سوريّة ولا سيّما انطاكية ودمشق وقيسريّة وغزّة . امّا بيروت فأطرأوا مدارسها الفقهيّة التي نالت بها قصبة السبق على سواها حتّى مدارس رومية والقسطنطينيّة

وكذلك الفنون الجميلة فانّ الكتبة الغربيين كانوا يقضون العجب ممّا يشاهدونه في سوريّة من الابنية الشاهقة المحكمة الهندسة الواسعة الارجاء الوافية بكل اسباب الرفاهيّة والهناء الموثّثة بالرياش الفاخرة والحليّ الثمينة

وقد سبق الزائر البُرْدِغلي ثمّ بعده القديس اوشار ففصلا الحكم قبل عدّة قرون بما اشكل على الحلفاء في هذه المدّة الاخيرة بخصوص جبل الكرمل أهو من فلسطين ام من سوريّة فاتّفقا على انهُ داخل في حدود الشام على خلاف ما أفتى بهِ الانكليز اذ جعلوهُ ضمن تخوم فلسطين

كذلك الاسقف أركلف في اواسط القرن السابع وقبل المؤرخين المسلمين بنحو مئة سنة انكر ما شاع بعد ذلك عن الجامع الاقصى وعن الجامع الاموي من الروايات الضعيفة فأثبت عن الاوّل انهُ ليس فيهِ يدٌ لعمر بن الخطّاب وعن الثاني انّ المسلمين ضبطوا كنيسة مار يوحنّا برمّتها يوم الفتح ليس كما يقال انها قُسمت اوّلاً شطرين شطر منها دخلهُ خالد بن الوليد عنوةً وشطر ولج فيهِ ابو عبيدة بالامان فابقاهُ للنصارى ثم نزعهُ الخليفة الوليد من ايديهم

وافادنا الزائر الغفل من مدينة بلزنسة في القرن السادس (سنة ٥٧٠) عدّة تعليمات عن سوريّة بعد ان دهتها تلك الزلازل المهولة التي كادت تلحق بالدقعاء كثيراً من مدنها ولاسيّما الساحليّة فانهُ سار على سواحل قيليقية وسوريّة وذكر دمار مدن فينيقية كأنفة وجبيل ثم بيروت التي نعتها بالمدينة البالغة الرونق والزهو (splendidissima civitas) العامرة منذ زمن قريب بالعلوم الفقهيّة وذكر ما اخبرهُ اسقفها بانهُ أحصى ٣٠،٠٠٠ ممّن عرفهم من اهلها الذين قُتلوا بتلك الزلازل ما عدا الغرباء. ثم انتقل الى صيداء ووجدها ايضاً خراباً ونسب اهلها الى قبح السلوك (in ea pessimi homines) وعلى خلاف ذلك مدينة صرفد قال انها صغيرة لكنّها عريقة في الدين. امّا صور فوصف عظم غنى سكانها وحسن مصانعهم وانسجتهم المختلفة ولاسيّما حرائرهم على انهُ قبّح عليهم سوء آدابهم. واستحسن آداب العكّاريين وامتدح ادبرة مدينتهم

فهذه الاوصاف وغيرها حرّكت في قلوب الفرنسويين الرغبة في سكنى بلاد الشام امّا للتجارة مع اهلها واما ليقضوا فيها عيشة هنيئة بعيداً عن القبائل الجرمانيّة

الخشنة المحتلة في بلادهم . وقد سبق المشرق ووصف في عدده الاخير مهاجرة القديس ايرونيموس الى فلسطين وبناءه الاديرة فيها لاهل الغرب . ولا جرم انّ غيره ايضاً ودّوا ان يقتدوا بامثاله فانتفعت سورية من مجاورة الفرنسويين كما استفادت فرنسة من الجالية السوريين

على انّ ظهور العرب في الشام وفتحهم لمدنها لم يلبث ان اخمد تلك الحركة المتبادلة بين فرنسة وسورية لكثرة ما كانوا يجدونهُ في سبيلهم من العوائق ذهاباً واياباً . وقد وضع العرب تلك الحواجز بين نصارى سورية وفرنسة خوفاً من نفوذ الاجانب في بلادهم . فبقي حبّ السوريين الى فرنسة مكتوماً في سويداء قلوبهم كالنار تحت الرماد تبدو متأججة اذا وافقتها الاحوال

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الحادي عشر

العلوم والصنائع بين نصارى العرب

بديهيّ انّ عيشة العرب الساذجة في البوادي تحت الخيم بين الشاء والنوق لا تحتاج الى علوم واسعة وصنائع راقية . واحسن ما قيل في ذلك ما ورد في كتاب طبقات الامم للقاضي ابي قاسم صاعد الاندلسيّ (١ حيث بيّن إجمالاً ما كان عليهِ العرب من البداوة وقلّة الاكتراث بالعلوم سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبر حتّى قال انهُ « لم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور » على انّهُ استثنى منهم

١) راجع طبعتنا (ص ٤١—٤٧) التي سبقنا بنشرها مع شروح وفهارس سنة ١٩١٢ فاختلسها عبد الرؤوف افندي الدبّاغ ونشرها في مصر بعد تجريدها من فوائدها

الخشنة المحتلة في بلادهم . وقد سبق المشرق ووصف في عدده الاخير مهاجرة القديس ايرونيموس الى فلسطين وبناءه الاديرة فيها لاهل الغرب . ولا جرم انّ غيره ايضاً ودّوا ان يقتدوا بامثاله فانتفعت سورية من مجاورة الفرنسويين كما استفادت فرنسة من الجالية السوريين

على انّ ظهور العرب في الشام وفتحهم لمدنها لم يلبث ان اخمد تلك الحركة المتبادلة بين فرنسة وسورية لكثرة ما كانوا يجدونهُ في سبيلهم من العوائق ذهاباً واياباً . وقد وضع العرب تلك الحواجز بين نصارى سورية وفرنسة خوفاً من نفوذ الاجانب في بلادهم . فبقي حبّ السوريين الى فرنسة مكتوماً في سويداء قلوبهم كالنار تحت الرماد تبدو متأججة اذا وافقتها الاحوال

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الحادي عشر

العلوم والصنائع بين نصارى العرب

بديهيّ انّ عيشة العرب الساذجة في البوادي تحت الخيم بين الشاء والنوق لا تحتاج الى علوم واسعة وصنائع راقية . واحسن ما قيل في ذلك ما ورد في كتاب طبقات الامم للقاضي ابي قاسم صاعد الاندلسيّ (١ حيث بيّن إجمالاً ما كان عليهِ العرب من البداوة وقلّة الاكتراث بالعلوم سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبر حتّى قال انهُ « لم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور » على انّهُ استثنى منهم

١) راجع طبعتنا (ص ٤١—٤٧) التي سبقنا بنشرها مع شروح وفهارس سنة ١٩١٢ فاختلسها عبد الرؤوف افندي الدبّاغ ونشرها في مصر بعد تجريدها من فوائدها

اهل اليمن وبني حِمير فسلَّم لهم بالمعارف الدالَّة عليها الآثار الباقية من عهدهم وخصَّ منها علم النجوم وعلم الهندسة . وكذلك لم ينكر انَّ لبقيَّة العرب في عهد الجاهليَّة واوَّل ظهور الاسلام الماماً في مرئيَّات الفلك والمواقيت والطبّ . ومعرفة ببعض الصنائع . وها نحن نذكر هنا ما يثبت قولنا في نفوذ النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة من جهة بعض العلوم والصنائع

١ العلوم بين عرب الجاهليَّة

ذكرنا منها في فصل الفنون الجميلة ﴿علم الهندسة﴾ وما كان للنصارى من الفضل في الآثار البنائيَّة الدينيَّة والمدنيَّة قبل الهجرة وفي اوَّل الاسلام فليراجع . ونضيف الى قولنا هناك انَّ النصارى اوَّل من نقل الى العربيَّة كتب اوقليدوس في الهندسة وذلك في صدر الدولة العبَّاسيَّة نقلهُ اوَّلاً الحجَّاج بن يوسف بن مطر ثمَّ ثابت بن قرَّة . فبقي علينا ان نثبت ما اداهُ النصارى للعرب من الخدم في علوم الطبّ والنبات والنجوم والفقه . امَّا الشعر والعلوم اللغويَّة فسنفرد لها باباً آخر

﴿ الطبّ ﴾ قال صاعد (ص ٤٧) : « انَّ صناعة الطبّ كانت موجودة عند جماهير العرب لحاجة الناس طرًّا اليها . لكنَّ هذا العلم قد اقتبسوهُ من الامم النصرانيَّة المجاورة ولا سيَّما من الكلدان والسريان واليونان . وكان للسريان مدارس طبيَّة ومستشفيات في العراق وفارس في جنديسابور وكذلك اليونان اشتهرت مدرستهم الطبيَّة في الاسكندريَّة . فان تصفَّحنا التواريخ القديمة وجدنا ان الطبّ شاع بين العرب بواسطة حكماء نصارى او متطبِّبين من تلامذتهم

فممَّن سبقوا الاسلام وجاء ذكرهم في تواريخ الاطباء تيادروس قال ابن النديم في الفهرست (ص ٣٠٣) ونقلهُ عنهُ ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء في طبقات الاطبَّاء (١ : ٣٠٧) : « تيادروس كان نصرانيًّا ولهُ معرفة جيدة بصناعة الطبّ ومحاولة لاعمالها وبنى لهُ سابور ذو الاكتاف البيع في بلدهِ ويُقال انَّ الذي بنى لهُ البيع بهرام جور ولتيادروس من الكتب كنَّاش (اي مجموع طبيّ) »

وقد سبق عهد الاسلام ايضاً اطبَّاء سريان او روم شاعوا عند العرب كاهرن بن اعين المعروف بالقس الذي وضع كنَّاشاً بالسريانيَّة في ٣٠ مقالة قال ابن جلجل انَّ عمر بن

عبد العزيز وجده في خزائن الكتب فامر أماسرجويه اليهودي باخراجه فوضعهُ في مصلّاهُ واستخار الله في اخراجه الى المسلمين للانتفاع بهِ» (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٦٣). وكشمون الراهب المعروف بطيبويه (١ : ١٠٩) وكسرجيس الراسعيني اوّل ناقل كتب اليونان الى السريانية. وكسرابيون ويوحنّا ابنهِ من اهل باجرمي. فليوحنّا كتاب كنّاش كبير في سبع مقالات. وذكر ابن بختيشوع في تاريخهِ من الاطبّاء الرومين اصطفن الحرّاني واقرن الرومي (تاريخ الحكماء للقفطي ص٥٦). وذكروا طبيباً آخر رومياً يدعونهُ انسطاس ولم يعرّفوا زمانهُ ضربوا بهِ المثل في الحذق بالطبّ. وقيل من اسمهِ اشتقّوا اللفظة العربيّة النّطس او النطاسيّ (تاج العروس ٤ : ٢٥٨). قال اوس بن حجر يذكر رجلًا من تيم الرباب اسمهُ حذيم ضُرب المثل بحذقهِ في الطبّ:

فهل لكمُ فيها اليَّ فانني طبيبٌ بما أعيا النّطاسيَّ حذيمَا

واشهر من هؤلاء الحارث ابن كلدة الثقفيّ المعروف بطبيب العرب كان من نصارى النساطرة. وقد اتسع في ترجمتهِ وذكر مآثرهِ الطبيّة كثيرون من كتبة العرب كالقفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ١٦١) وابن ابي اصيبعة (١ : ١٠٩) وابن قتيبة في المعارف (ص٩٨) وذكر لهُ ابن عبد ربّه شعراً (في العقد الفريد ٣ : ١١٤) قالوا انهُ كان من الطائف وسافر الى بلاد فارس واخذ الطبّ من نصارى جنديسابور وغيرها وبرّز في صناعة الطبّ وطبّب في فارس وعالج بعض اجلّائهم فبرأوا وحصل لهُ بذلك مال كثير ثمَّ رجع الى بلدهِ الطائف وادرك الاسلام فاتّخذهُ صاحبهُ كطبيب. وكان محمّد يأمر من بهِ علّة ان يأتيهُ وبقي الى ايّام معاوية. قال ابو زيد: «وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتادهُ وتحتاج اليهِ». وقد ذكروا لهُ حكماً واقاويل عديدة تدلُّ على ثقوب عقلهِ وكثرة علمهِ. وقالوا انهُ أسلم لكنَّ اسلامهُ لم يصحّ.

وتبع الحارثَ ابنُهُ النضر بن الحارث بن كلدة وهو ابن خالة نبيّ المسلمين قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٣): «وكان النضر قد سافر البلاد ايضاً كأبيهِ واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلّم من ابيهِ ايضاً ما كان يعلمهُ من الطبّ وغيرهِ» ثم ذكر معاداتهُ لمحمّد وسعيهُ بأذاهُ الى ان كان

يوم بدر فانتصر محمّد وانصارهُ على اعدائهم وكان النضر من جملة المأسورين فامر بقتلهِ (سنة ٦٢٤ م) . وقد روينا سابقاً رثاء اختهِ قتيلة لهُ (اطلب الاغاني ١ : ١٠) وقول محمّد عند ما سمع ابياتها : « لو سمعتُ هذا قبل ان اقتلهُ ما قتلته »

وقد ذُكر من الاطباء النصارى غير هؤلاء في صدر الاسلام عبد الملك بن ابجر الكنانيّ قال فيهِ ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٦) : « كان طبيباً عالماً ماهراً وكان مقيماً في اوّل امرهِ في الاسكندريّة لانهُ كان متولّي التدريس بها من بعد الاسكندرانيين وذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى . ثمّ ان المسلمين لمّا استولوا على البلاد وملكوا الاسكندريّة أسلم ابنُ ابجر على يد عمر بن عبد العزيز وكان حينئذٍ اميراً قبل ان تصل اليهِ الخلافة وصحبهُ . فلمّا افضت الخلافة الى عمر وذلك في صفر سنة ٩٩ للهجرة نقل التدريس الى انطاكية وحرّان وتفرّق في البلاد وكان عمر بن عبد العزيز يستطبّ ابنَ ابجر ويعتمد عليهِ في صناعة الطبّ »

واشتهر في الطبّ غير هؤلاء من نصارى العرب في اوائل الاسلام ذكر منهم القفطيّ وابن ابي اصيبعة الطبيبَ ابن الاثال . قال في طبقات الاطباء (١ : ١١٦) : « كان طبيباً متقدّماً من الاطباء المتميّزين في دمشق نصرانيّ المذهب ولمّا ملك معاوية ابن ابي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن اليه وكان كثير الافتقاد لهُ والاعتقاد فيهِ والمحادثة معهُ ليلاً ونهاراً وكان خبيراً بالادوية المفردة والمركّبة » . وقد روى في الاغاني (١٥ : ١٣) كيف قتلهُ خالد بن المهاجر لانهُ سقى بامر معاوية سمّاً عمّهُ عبد الرحمان بن خالد

واشتهر ايضاً في ايام معاوية الطبيب النصرانيّ ابو الحكم الدمشقيّ قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٩) : « كان طبيباً نصرانيّاً عالماً بانواع العلاج والادوية ولهُ اعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان يستطبّهُ معاوية ويعتمد عليهِ في تركيبات ادوية لاغراض قصدها منهُ . وعُمّر ابو الحكم عمراً طويلاً حتى تجاوز المئة سنة » . ثم ذكر ابنهُ الحكم وحفيدهُ عيسى بن الحكم وجرى كلاهما على خطتهِ متطبّبين وماتا في عهد الدولة العبّاسيّة

ومن مشاهير الاطباء المسيحيين في اوائل الدولة الامويّة تياذوق وثاودورن « كان تياذوق طبيباً فاضلاً ولهُ نوادر والفاظ مستحسنة في صناعة الطبّ وكان في

اوَّل دولة بني اميَّة ومشهورًا عندهم بالطبّ. وصحب ايضاً الحجَّاج بن يوسف الثقفي المتولّى من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطبّ وكان يعتمد عليهِ ويثق بعداواتهِ وكان لهُ منهُ الجامكيَّة الوافرة والافتقاد الكثير .. ومات تياذوق بعد ما اسنَّ وكبر وكانت وفاتهُ بواسط في نحو سنة ٩٠ للهجرة ولهُ من الكتب كنَّاش كبير الَّفهُ لابنهِ وكتاب ابدال الادوية وكيفيَّة دقّها وايقاعها واذابتها » (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٢١) . امَّا ثاودون فذكرهُ ابن العبري في تاريخهِ (ص ١٩٤) وذكر لهُ ايضاً كنَّاشاً ولم نجد لهُ ذكرًا في غيرهِ

فترى صدق قولنا في فضل النصارى العرب في فنّ الطبّ والمعالجات . امَّا فنّ الجراحة فزاولها رجل من تميم على عهد رسول الاسلام اسمهُ ابن ابي رمثة وقد صنَّفهُ المرحوم جرجي زيدان في كتاب التمدُّن الاسلامي (٣ : ٢١) بابن ابي رومية

﴿علم النبات﴾ يُلحق العرب علمَ النبات بعلم الطبّ الذي يستمدُّ منهُ موادَّهُ وادويتهُ وذلك ما يدعونهُ بالمفردات ومنها يستحضر الاطبَّاء أدويتهم فيعدُّون المركَّبات . ولا جرم انَّ العرب في الجاهليَّة عرفوا كثيرًا من النباتات التي تنمو في جزيرتهم وعلموا بالتجربة فوائدها الغذائيَّة والعلاجيَّة . والدليل عليهِ ما ورد في معاجمهم من اسماء النباتات التي جمع منها الاصمعيّ كتاباً دعاهُ كتاب النبات والشجر نشرهُ الدكتور هفنر في مجموعنا الموسوم بالبلغة في شذور اللغة (ص١٧—٦٢) ونشر ايضاً للاصمعي كتاب النخل والكرم (٦٣—٩٨)

غير ان هذه اللغويات لا يحصل منها علم مفيد الَّا بمعرفة خواصّ تلك المفردات ومنافع كل صنف من النبات . وقد اصبح النصارى في هذا العلم كما في علم الطب قوماً وسطاً بين القدماء والعرب . فانَّ الاطباء الذين مرَّ ذكرهم اذ درسوا في مدارس الاسكندرية وجنديسابور اقتبسوا منها ايضاً علم النبات الصالح للطب والغذاء . والدليل عليهِ فصول اوردها ابن ابي اصيبعة وغيرهُ من الكتبة للحارث بن كلدة فيها عدَّة اوصاف للادوية النباتيَّة وللاشجار والاثمار والحشائش ذكرها في محاورة جرت لهُ بينهُ وبين كسرى انوشروان

وكذلك تآليفهم التي دعوها بالكنَّاشات وهي لفظة سريانيَّة يراد بها المجاميع الطبيَّة واوصاف الادوية المتَّخذة عموماً من النبات

ولعلّ هؤلاء الاطبّاء درسوا كتاب ديسقوريدس العين زربيّ اليوناني في النبات والحشائش والادوية المفردة في اصله اليونانيّ وعليه كان المعوّل في الطب القديم. امّا ترجمتهُ العربية فكان النصارى ايضاً اوّل المُتقدمين عليها. قال ابن جلجل (طبقات الاطبّاء ٢ : ٤٦-٤٨) : « انّ كتاب ديسقوريدس تُرجم بمدينة السلام في الدولة العبّاسيّة في ايّام جعفر المتوكل وكان المترجم لهُ اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليونانيّ الى اللسان العربيّ وتصفّح ذلك حنين بن اسحاق المترجم فصحّح الترجمة واجازها. ثمّ قال ما خلاصتهُ انّ اصطفن كان ابقى اسماء كثيرة من النباتات على لفظها اليوناني لجهلهِ ما يوافقها في اللسان العربي. وبقي الامر كذلك الى ان ارسل ملك الروم الى صاحب الاندلس الملك الناصر عبد الرحمان نسخةً من كتاب ديسقوريدس مع صور الحشائش بالوانها ثمّ ارسل اليهِ راهباً يدعى نيقولا جاء الى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) اعاد النظر في ترجمة اصطفن فصحّحها ووضع للنباتات اسماء عربيّة موافقة لها وذلك بصحبة اطبّاء وجدهم هناك ذوي معرفة بالنباتات والعقاقير فصارت هذه الترجمة هي المعوّل عليها واستفاد منها ابن جلجل وابن البيطار في تآليفها عن المفردات. ثمّ كان لجالينوس ايضاً تأليف في النبات عرّبهُ حنين بن اسحاق

﴿علم النجوم﴾ انّ صفاء اديم السماء في انحاء جزيرة العرب في معظم ليالي السنة لمّا ألفتَ انظار اهلها الى ما زيّن بهِ الله الافلاك من النجوم والكواكب والسيّارات فعرفوها منذ سالف الاعصار ودلّوا اليها باسماء شاعت بعدئذ بين الامم الغربيّة وهي لا تزال الى اليوم جاريةً على لفظها العربي بين ارباب الفلك. وكان ممّا يبعث همّتهم الى رصد الفلك ومراقبة النجوم حاجتهم اليها ليهتدوا بها في اسفارهم وهم قوم رُحّل يقطعون البراري والاقفار. ومنهم القوافل التي كان عليها المعتمد في المواصلات بين الهند وفارس وسواحل الشام. وكانوا استفادوا شيئاً كثيراً من ذلك بمجاورتهم للكلدان اللذين سبقوا جميع الامم في علم الفلك. فاخذوا عنهم علم الانواء الجويّة وحركات السيّارات ومنازل القمر ومنطقة البروج. وفي الشعر القديم آثار من ذلك

ولنا شاهد في سفر ايوب على معرفة العرب لاسماء النجوم وحركاتها في الفلك

اذ كان ايوب النبيّ عربيّ الاصل عاش في غربيّ الجزيرة حيث امتحن الله صبره . ولنا في المجوس الـذين اهتدوا بالنجم الى مـذود السيّد المسيح شاهد آخر على قولنـا والمجوس على رأي كثيرين من الآباء من شيوخ العرب . على انَّ هذا العلم كبقيَّـة العلوم كان عند العرب عمليًّا ليس نظريًّا . وربَّما قام بينهم وفي جيرتهم مَن يبحث فيه بحثًا مدقّقًا . وكان السريان اوَّل من فعلوا ذلك منهم بردَيصان المبتدع (راجـع ترجمتهُ في العدد السابق) . ومنهم سرجيوس الراس عيني ويعقوب الرهاوي وجرجس المعروف باسقف العرب وساويرس سبوكت وغيرهم . وتآليفهم باقية الى يومنـا في خزائن كتب اوربَّة الكبرى . منها ترجمتهم لعدَّة مصنَّفات يونانيَّة لجالينوس ولاسيَّما لبطلميوس القلوذي فانَّهم نقلوا كتابهُ المجسطيّ وهو افضل وامتع كتاب وضعهُ اليونان في علم الهيئة . ثمَّ تولَّى بعدهم تعريبهُ وتفسيرهُ علماء النصارى اوَّلهم حنين بن اسحاق ثمَّ الحجَّـاج بن يوسف بن مطر الكوفي وثابت بن قرَّة في عهـد المأمون ثمَّ عبد المسيح بن ناعمة الحمصيّ فاصبح مذ ذاك علم النجوم زاهرًا في الاسلام

﴿ الفقه ﴾ هو علم الاحكام الشرعيَّة العمليَّة . ولم يكن للعرب ان يستغنوا عنهُ وهو امَّا دينيّ وامَّا مدنيّ . وللنصارى في كليهما بعض الآثار بين عرب الجاهليَّة

فامَّا الفقه الديني فكان نصارى العرب يتَّبعون احكامهُ المنصوصة في المجـامع الكنسيَّة العموميَّة والخصوصيَّة التي كان يُعلن بها اساقفتهم في انحاء الجزيرة . وكانت هذه الاحكام مكتوبة امَّا باللغة السريانيَّة كما ترى في المجامـع النسطوريَّة التي نُشرت بالطبع (راجع القسم الاوَّل ص ٧١) وامَّا باللغة اليونانيَّة كالحقوق القانونيَّة التي وضعها القديس جرجنسيوس رسول الحميريين بعد موت شهداء نجران (القسم الاوَّل ص ٦٤)

وامَّا الفقه المدنيّ فغلب على المتنصرين من بني غسَّان والقبائل المجاورة للفرات وما بين النهرين الفقهُ الرومانيّ كما نظَّمهُ للملك يوستنيان . ولمَّا جاء الاسلام ادخلوا كثيرًا من احكامهِ في الفقه الاسلاميّ كما بيَّن ذلك العلماء الاوربيّون

وكان لقبائل العرب قضاةٌ نجد بينهم بعضًا من الدانتين بالنصرانيَّة نخصّ منهم بالذكر قسّ بن ساعدة اسقف نجران المدعو بحكيم العرب وحَكَمهم . وزهير بن جناب القضاعيّ وذو الاصبع العدواني (راجع تراجمهم في شعراء النصرانيَّة)

٢ الصنائع بين عرب الجاهلية

ان كان العرب في الجاهليّة يستغنون عن كثير من العلوم لعدم حاجتهم اليها ليس الامر كذلك في الصنائع . فانهم كانوا مع سذاجة عيشهم يحتاجون الى كثير من المصنوعات التي لا تُنال الّا بالحِرَف والصناعات كالمأكول والملبوس والاسلحة والمعاملات التجاريّة . وقد كان للنصارى من العرب اليد الطولى في كلّ ذلك كما سترى

﴿صناعة النسيج والحياكة﴾ هذه الصناعة من مذاهب الحضارة . فكان عرب البادية يجهلونها وانّما شاعت بين عرب الحَضَر . واكثر ما نرى شيوعها بين نصارى العرب في جهات اليمن والبحرين والشام وفي بلاد قضاعة وكانوا يبيعون بعضها من اقباط مصر . وهذه بعض الشواهد على اثبات قولنا

قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (طبعة ليدن ص ٢٨) انّ اهل اليمن « كانوا يعيّرون بالحياكة » . وكان المثل يضرب برياط اليَمَن وبُرود اليمن وربّما كانوا يخلّطونها . قال اوس بن صخر :

فاني رأيتُ البرضَ احوجَ ساعةً الى الصَّوْن من رَيْطٍ يمانٍ مُسهَّمِ

وكانت البرود اليمانيّة غالية الثمن (التاج ٢ : ٣٠٠) ومنها ما كان يُصطنع في نجران . جاء في صحيح البخاريّ في باب البرود انّ صاحب الاسلام كان يلبس « بُردًا نجرانيًّا غليظ الحاشية » . وقد وصفوا انواعاً من برود اليمن ذكرها ابن سيده في المخصّص (٤ : ٧٢) كالعَصْب قال « هو ضرب من الثياب يُعصَب غزلهُ ويُدرَج ثم يُصبغ ويُحاك يقال بُردُ عَصْبٍ » . وكالمُراجل يقال ثوب مُرَجَّل اي على صنعة البِرجَل وهو ضرب من الوشي . وكالخال وهو الثوب الناعم . وكالحِبَرَة والحَبَرَة وكلّها من برود اليَمَن

وممّا نُسب من الثياب الى مخاليف اليمن الوشيُ العَبقري المنسوب الى عَبقَر من ارض اليمن والطنافس العبقريّة . وقال ياقوت (في مادّة عبقر) : بنو يزيد ينسجون الصوف فعملوا منهُ الزرابيّ العبقريّة وعملوا البرود اليزيديّة . وممّا نُسب الى شَرْعب المخلاف باليمن البرود الشرعبيّة . ونُسب الى مخلاف جَيشان الخُمُرُ

الجيشانيّة . والى سَحُول ورَيْدة قريتين في اليمن الثياب السَّحُولية المصنوعة من القطن الابيض قال طرفة (ديوانهُ ٧٦) :

وبالسَّفْح آياتٌ كأنَّ رسومها يَمانٍ وشَتْهُ رَيْدةٌ وسَحُولُ

والى السدير من ارض اليمن نسبوا البرود السَّديريَّة قال الاعشى :

ويداءُ قفر كبُرْد السدير مشارُجا دائراتٌ أُجُنْ

وكان اليمنيُّون يعملون الرحال وينقشونها ويحسنون صنعها قال جرير (نقائض ٧٥٦) يصف رحالاً :

ومنقوشةٍ نقشَ الدنانير عوليَتْ على عجَلٍ فوق النتاق اليامرِ

ومن ثياب اليَمَن الرَّقْمُ والعَقْلُ وهما أحمران كانوا يسدلونهما على هوادج النساء (المفضَّليات ص ٥٧٨) . ومثلها الغزل اليماني ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (١ : ٣٢) . وما يدل على انَّ هذه المنسوجات كانت من صنع النصارى ما ذكرهُ ابن سعد في طبقاتهِ في باب الوفود قال عن وفد نجران وكلُّهم من النصارى انَّ رسول الاسلام صالحهم « على الف حُلَّة في رجب والف في صَفَر اوقيَّةٌ كلَّ حلَّةٍ من الاواق وعلى عاريَّة ثلثين درعاً وثلثين رمحاً وثلثين بعيراً وثلثين فرساً » . وقد تكرَّر في كتب الحديث ذكر الحلل والانسجة والحرائر النجرانيَّة

وكان العرب قبل الهجرة وفي اوائل الاسلام يقتنون ايضاً ملابسهم عند نصارى منبج واليها نسبوا الاكسية المنبجانيَّة ويقال الانبجانيَّة

وقد اشتهرت بين العرب المنسوجات القبطيَّة . فانَّ بعض مدنها كالاسكندريَّة ودمياط وتنيس والفرما كانت تحتوي على معامل شائعة الذكر قال ياقوت (٢ : ٦٠٣) . ان دمياط كان يُعمل فيها القَصَب البلخيّ من كلّ فنّ والثياب البيض الغالية الثمن والفرش القلموني من كلّ لون المعلَّم والمطرَّز . والى القبط نُسبت القباطيّات وكانت ثياباً معروفة بالرقَّة والدقة والبياض . قال الكميت يصف ثوراً :

لياحٌ كأنَّ بالانحيَّة مُنْبَعٌ ازارًا وفي قبطيَّةٍ متجلببُ

وفي الحديث انَّ محمَّدًا كان يجلّل بدنَهُ القباطيُّ والأنماط . والنَّمط ضرب من الثياب المصبغة . وقد ذكر المقريزي في الخطط (١ : ١٨١) أنهم في الاسلام كانوا

يأخذون كسوة الكعبة من تنيس وذكر عن الفاكهي انهُ رأى لهارون الرشيد كسوة من قباطي تاريخها سنة ١٩٠ه (٨٦٠ م) . وذكر ايضاً الثياب القبيّة والثياب الدبيقيّة المنسوبة الى دَبيق مدينة بين الفرما وتنيس وكانت من ادقّ الثياب المنسوجة بالذهب (لهُ بقية)

منظومات في الممدود والمقصور لابن دُرَيد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد عثرنا في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة على آثار لغويّة منسوبة الى احد ائمّة النحويين. وهو ابو بكر محمّد بن الحسن الازديّ المشهور بابن دُرَيد المولود في البصرة في سنة الهجرة ٢٢٣ والمتوفّى في بغداد سنة ٣٢١ (٨٣٦–٩٣٣ م) . لهُ في الشعر والنثر تآليف عديدة قد فُقد كثير منها ونُشر بعضها بالطبع كالمقصورة وكتاب الاشتقاق وكتاب السحاب. وكلّها تدلُّ الى سعة معارفهِ وتعمُّقهِ في اسرار العربيّة. والآثار التي نحاول نشرها عبارة عن بعض المنظومات جمع فيها ابن دريد ما عرفهُ من الالفاظ المقصورة والممدودة باختلاف حركات اوّلها سواء تباينت معانيها او اتّفقت. وقد ألحق بكل شطر شرحهُ كما ترى

قال ابو بكر ابن الازدي في معرفة ما يُمَدّ ويُقصَر:

باب ما يُفتَح اوّلهُ فيُقصَر ويُمدّ والمعنى مختلف

لا تركُنَنْ الى الهَوى واحذَرْ مُفارَقة الهَواء

الهَوى بالقصر ميل النفس. والهواء بالمدّ ما بين الارض والسماء

يوماً تصير الى الثَّرَى ويفوزُ غيرُكَ بالثَّراء

الثَّرى التراب . والثَّراء المال والثروة

يأخذون كسوة الكعبة من تنيس وذكر عن الفاكهي انهُ رأى لهارون الرشيد كسوة من قباطي تاريخها سنة ١٩٠ه (٨٦٠ م) . وذكر ايضاً الثياب القبيّة والثياب الدبيقيّة المنسوبة الى دَبيق مدينة بين الفرما وتنيس وكانت من ادقّ الثياب المنسوجة بالذهب (لهُ بقية)

منظومات في الممدود والمقصور لابن دُرَيد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد عثرنا في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة على آثار لغويّة منسوبة الى احد ائمّة النحويين. وهو ابو بكر محمّد بن الحسن الازديّ المشهور بابن دُرَيد المولود في البصرة في سنة الهجرة ٢٢٣ والمتوفّى في بغداد سنة ٣٢١ (٨٣٦–٩٣٣ م) . لهُ في الشعر والنثر تآليف عديدة قد فُقد كثير منها ونُشر بعضها بالطبع كالمقصورة وكتاب الاشتقاق وكتاب السحاب. وكلّها تدلُّ الى سعة معارفهِ وتعمُّقهِ في اسرار العربيّة. والآثار التي نحاول نشرها عبارة عن بعض المنظومات جمع فيها ابن دريد ما عرفهُ من الالفاظ المقصورة والممدودة باختلاف حركات اوّلها سواء تباينت معانيها او اتّفقت. وقد ألحق بكل شطر شرحهُ كما ترى

قال ابو بكر ابن الازدي في معرفة ما يُمَدّ ويُقصَر:

باب ما يُفتَح اوّلهُ فيُقصَر ويُمدّ والمعنى مختلف

لا تركُنَنْ الى الهَوى واحذَرْ مُفارَقة الهَواء

الهَوى بالقصر ميل النفس. والهواء بالمدّ ما بين الارض والسماء

يوماً تصير الى الثَّرَى ويفوزُ غيرُكَ بالثَّراء

الثَّرى التراب . والثَّراء المال والثروة

كم من فقير في رَجا بئرٍ لمنقطعِ الرجاء

رجا البئرِ ناحيتهُ . والرجاء ضدّ اليأس

عفّى عليهِ بالصَّفا اهلُ المودّةِ والصَّفاء

الصَّفا الحجارة . والصَّفاء الانشراح

ذهب الفَتى عن اهلهِ أمِنَ الفتى من الفَتاء

الفتى الشاب . والفَتاء الفتوّة

زال السَّنا عن ناظريهِ وزال عن شرفِ السَّناء

السنا النور . والسَّناء المجد والشرف

ما زال يلتمسُ الخَلا حتّى توحّد في الخَلاء

الخلا الحشيش . والخَلاء الخُلوة

واذا سمعتَ وَحى الزما نِ فلا تقصِّر في الوَحاء

الوَحى الصوت . والوَحاء السرعة

فلربما ودّى السَّقا الى السَّقاء

السَّقا القبر . والسَّقاء الجلدة والعلبش

يا ابنَ البَرَى انَّ الاحبَّة م يُؤذنونك بالبَراء

البَرى الثرى . والبَراء مصدر بَرَى اي قطع

وأراك قد حال العَمى ما بين عينك والعَماء

العَمَى المقصورة عمى العين . والممدودة السحاب الابيض

فانظرْ لعينك في الجَلا ان خفتَ منْ يوم الجَلاء

الجلا الكُحل . والجلاء السَّبي

وكُلِ الفَنا ان لم تجدْ خلًّا فانّك للفَناء

العَنَت عذب الطلب . والفناء الموت

ولربما ودّى الفضا متزوّديه الى الفَضاء

الفضا البلغة من العيش . والفضاء السعة

فاهرُبْ فُديت منَ الذُّكا ان كُنتَ من اهلِ الذُّكاء

الذُّكا اشتعال النار . والذُّكاء الفهم

فالمرءُ أشبهُ بالعفا ان لم يفكِّر بالعَفاء

العَفا ولد الحمار . والعفاء محو الرسم والاضمحلال

سيضيقُ مُتَّسَع الملا بالمُخرَجين من الملاء

الملا الارض الواسعة . والملاء الغنى

فأرغَبْ لربّك في الجدا ما انتَ عنهُ ذو جَداء

الجدا العطيّة . والجَداء الاستغناء اي لا تستغني عنهُ

وكأنما ريحُ الصَّبا تجري بطلّابِ الصِّباء

الصَّبا احدى الرياح . والصِّباء الشباب

باعوا التيقُّظَ بالكرى فمقولهم بذُرى كَراء

الكَرى النوم . وكَراء اسم جبل

فكأنهم مَعزُ الأبا او كالحُطام من الأباء

الأبا داء يأخذ المعز . والأباء اطرافُ القَصَب

٢ باب ما يُكسَر اوّلهُ مدًّا وقصرًا والمعنى مختلف

كم من عِظامٍ باللِّوى قد فارقت خَفق اللِّواء

اللِّوى الرمل . واللِّواء البيرق

وأرى الغِنى يدعو الفتى الى الملاهي والغِناء

الغِنى ضدّ الفقر . والغِناء الترتيل

يقضي الإنا بَعْد الإنا ومُناهُ في خمرِ الإناء

الإنا الساعات والاوقات . والإناء الوعاء

ولربّما فضح الرجا لذوي اللّحى كشفُ اللِّحاء

اللِّحى جمع لِحْية . واللِّحاء مصدر لاحاهُ اي نازعهُ وشتمهُ

ولربّما صادَ العِدى والسبقُ في صَيْد العِذاء

العِدى الاعداء . والعِذاء الضبّ والغزال

ولربّما هجروا البِنَى بعد التأنّق بالبِناء

البِنَى جمع بِنْية اي المنازل . والبناء البنيان

وسيَسْتوي اهلُ الكِبا وذوو التعطُّرِ والكِباء

الكِبا الكناسة والمزبلة . والكِباء اي البَخُور

ولربَّ ماء ذي روًى يُحتاجُ فيهِ الى رِواء

الرَّوَى الماء الكثير . والرِواء حبلٌ يُشَدُّ به الخيل

٣ باب ما يُكسَر اوّلهُ فيُقصَر ويُفتَح فيُمدّ والمعنى واحد

دار البِلى تُبلي الجديدَ م وكلُّ شيء للبَلاء

البَلى والبِلاء الشيء البالي

كم من إنًا تُفني الليا لي ثمّ تُفنَى بالأناء

الإنا والأناء بلوغ الشيء منتهاهُ

وأرى القِرى ما لا يدو مُ على الزمانِ من القَراء

القِرى والقِرَاء الضيافة

وسوى الفتى يرثُ الغِنى ولْيَنْزَعَنّ من الثَّواء

السَّوى والسَّواء الغيّر

حبُّ الفسادِ الى قِلًا وارى الصَّلاحَ بلا قَلاء

القِلا والقَلاء البغض

ماءُ الحياة رِوًى وأنّى م للمُحلّى بالرَّواء

الرِّوى والرَّواء الماء الكثير المُرْوي

كم من إيَا شمسٍ رأيتُ م ولا يُرَى مثلُ الأَيَاء

الإيَاء والأياء ضوء الشمس

٤ باب ما يضمُّ اوّلهُ فيقصر ويُكسر فيمدّ والمعنى واحد

تهوى لُقاً ما لا يحلُّ م وبعدَهُ يومُ اللِّقاء

اللُّقا واللِّقاء مصدر لقيَ بمعنى الملاقاة

٥ باب ما يُفتح اوّلهُ فيقصر ويُمدّ والمعنى واحد

وسكنتُ بيتاً ذا غماً ولتخرجنَّ من الغَماء

الغما والغَماء المتاع او سقف البيت

فانظرْ لسَهْمك في غَرًى لا يستقيمُ بلا غَراء

الغَرَى والغَرَاء ما يُلصَق به

واحذَرْ صلى نارِ الجحيم م فانّهُ شرُّ الصَّلاء

الصِّلى والصَّلاء حرُّ النار

فجَرَى الشباب يزول عنك م وقلَّ اعناء الجَراء

جرى الشباب وجراؤهُ نعتهُ

وارى الغَذا لا يستطا ب فمن لنفسك بالغَذاء

الغَذا والغذاء ما يُغتذى به

كم قد وردتُ الى أضاً وصدرت عن ذاك الأضاء

الأضا والاضاء التدبر

مطبوعات شرقية جديدة

Dr G. Samné : La syrie. Paris, ed. Bossard, 1920. pp. 733. in-8. 30 photogr. et 6 cartes, prix. 48 frs.

كتاب سورية للدكتور جورج سمنه

هذا تأليف احد السوريين المستوطنين باريس اراد ان يوقف الفرنسويين على احوال بلاده فاودع معلوماته الواسعة في هذا الكتاب ليرجع اليه كلّ من يجهل سورية من اهلها ومن الغرباء. فبعد نظر اجمالي عن جغرافيّة سورية وتاريخها الى السنة الحرب العالميّة يورد شيئاً من الفوائد عن امور سورية السياسيّة في عهد الاتراك ثم الامور الاقتصاديّة كالزراعة والتجارة وطرق المواصلات ثمّ الادبيات كالاديان والمشاريع الخيريّة والتعليم. ثمّ ينتقل الى شرح الحوادث التي جرت منذ اوّل الحرب الى هذه الاشهر الاخيرة فيذكر ما لحق سورية من الكوارث في زمن الحرب واحوالها بعده باحتلال الحلفاء ووصاية فرنسة على سورية والحكومة الشريفيّة وما يتوطد بهذه الامور التي كان سطّرها الكاتب في مجلّته (La Carrespondance d'Orient). وهو يبحث بعد ذلك عن احكام سورية واستقلالها والدستور الموافق لها. وقد لحظنا من كلامه انّ عقلهُ مُشبع من الافكار الاوربيّة التي قلّما تصحّ في هذه البلاد لاسيّما في تشكيل الحكومة وهيئتها والتصويت لاختيار المبعوثان. ولم نجد قولهُ في المهاجرين سديداً لما يُعرف من تطرُّفهم. واجود ما تقينا في هذا الكتاب الخرائط المتقنة التي زيّن بها كتابهُ فتُوقفنا بمجرّد النظر اليها على احوال سورية ولبنان وحدودهما وعناصرهما ونفوذ فرنسة فيها الى غير ذلك من الافادات المهمّة. وفي الكتاب اقوال تحتاج الى تحوير واصلاح منها جغرافيّة كقوله (ص ١٦) « انّ الليطاني يصبّ في البحر عند القاسميّة » والقاسميّة هي اسمهُ عند مصبّه. وكقوله عن البقاع انها تنحدر الى نحو مترين فوق سطح البحر وهذا لا يصحّ في البقاع بل في وادي الاردن عند بحيرة الحولة. وليس بصحيح (ص ١٨٨) قولهُ بانّ مدرسة بيروت الطبيّة منوطة بمدرسة ليون بل هي مستقلّة. وكذلك قد خلط (ص ١٨٩) بين

المدرسة الاكليركية الشرقية والمكتب الشرقي الذي بطل منذ ايام الحرب . وليس ما قاله (ص ٣٨٨) في المؤرخ سوزومان بصدد التزيرين والنصارى ثابتاً فليراجع مجموع المكتب الشرقي (MFO,I. 272, 282) ج . ل

Dr A.F. Legendre: TOUR D'HORIZON MONDIAL. Paris. Payot. 1920. in-8. pp. 343. 5 cartes hors texte.

نظر في دائرة آفاق العالم

انّ قراءة هذا الكتاب تهيج الافكار وتدفع العموم الى الاعتبار . فانّ مؤلفهُ وهو من الاختصاصيين في معرفة الشرق الاقصى قد سرّح نظرهُ في احوال العالم الحاضرة بعد الحرب فرأى بدقّة بصره ما صارت اليه الدنيا من الانقلاب مما يشعر بأخطار قريبة من شأنها ان تقلق الافكار وتشوّش الخواطر . فمن ذلك ما ظهرت بعض لوائحه في اوربّة وخصوصاً في آسية . امّا في اوربّة فانّ المؤتمرات والمعاهدات التي عُقدت بعد الحرب اماطت القناع عن ضعف اوربّة وسوء مصيرها كما يلوح مما في اثنائها من الاضطرابات . امّا في آسية فالاحوال الجديدة تنذر باعظم الآفات آجلاً او عاجلاً . فانّ مؤتمر باريس باعترافه لليابان بالنفوذ في منشورية وشنتنغ ومنغولية قد جعل الدولة اليابانيّة دولةً برّيةً بعد ان كانت منحصرةً في جزيرتها . وبذلك جرح احساسات الصين وقوّى العنصر الاصفر على الابيض حتّى انّ الياباني اخذ يعدُّ نفسهُ في مقدّمة الامم الاسيويّة كما صرّح بذلك المرشال اوكوما سنة ١٩١٨ . واضحى الخطر الاصفر يتهدّد العالم وينذر بالويلات . وقد زاد الخطر منذ فتح قناة بناما فانّ الحركة التجاريّة التي كان سابقاً محورها في مخازن اوربّة في لندن وهمبورغ وروتردام بواسطة قناة سويس قد تحوّل الآن الى الولايات المتّحدة نصار الشرق الاقصى يصدر محصولاته الى سان فرنسسكو والى نيويرك بقطعه الاوقيانوس الهادي وقناة بناما . وهذه الامور الخطيرة قد بيّنها صاحب هذا التأليف بياناً تامّاً فجاء كتابهُ كصوت النفير لتدارك اوربّة شؤونها وتأخذ اهبتها لمستقبلها . ومما يُشكر عليه الكاتب ما اضاف الى تأليفه من الخرائط المتقنة اخصّها خارطة بلاد الصين التي يتهدّدها اليابان شرقاً والاسلام غرباً ج . ل

E. G. BROWNE : A HISTORY OF PERSIAN LITTERATURE UNDER TARTAR DOMINION. Cambridgo, in-12. 1920,. XI - 586

تاريخ الآداب الفارسيّة في عهد الدول التتريّة

تعشّق العلّامة ادورد براون بلاد العجم فدرس تاريخها وامورها درساً مدقّقاً لم يبلغ اليه غيرهُ بين المستشرقين . وهناك اثرًا جديدًا من قلمهِ وهو تاريخ الآداب الفارسيّة في عهد الدول التتريّة قد ألحقهُ بكتابهِ السابق المعنون بتاريخ فارس الادبي (A Litterary History of Persia) وهو يتناول جيلين ونصف جيل من سنة الميلاد ١٢٦٥ الى ١٥٠٢ . فانّ بلاد فارس كانت في تلك الحقبة معرّضةً لمعظم الاهوال بدخول الدولة التتريّة فيها وعيثهم في املاكها وكفى باسم المغول وجنكزخان وتيمورلنك وخلفائهم دليلًا على ما ذاقتهُ العجم من المرائر والاوجاع . على انّ الآداب اللغويّة نثرًا ونظماً لم تُصب بانكساف نورها وكأنّ تلك الاحداث اذكت عقول ادبائها وقدحت زناد قريحتهم كيف لا وفي تلك الحقبة ظهر رجال من مشاهير الكتّاب ينطق اسمهم بسموّ فضلهم كحافظ وسعدي وجامي وغيرهم كثيرين شرّفوا بلادهم بكتاباتهم في كل ابواب الادب . وقد وصف جناب المؤلف مآثرهم احسن وصف واجاد في تعريف زمنهم والدول التي عاشوا بصحبتها . ومما زاد الكتاب فضلًا جودة طبعهِ وحسن تقاسيمهِ وتذييلهُ بالفوائد المختلفة وما ازدان بهِ من الصور الجميلة والحق من الفهارس المدقّقة . فنشكر الكاتب على هذه التحفة الفريدة ونتمنّى ان يختمها قريباً بتاريخ الآداب الفارسيّة العصريّة ل . ش

قدوة الصلاح في ترجمة الاب اسطفان قزاح

للخوري ابرهيم حرفوش

مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩١٥ (ص ٢٧٦)

قد فاتنا وصف هذا الكتاب الجليل الذي ظهر في ايّام الحرب فلم تسمح الظروف بتعريف مضامينهِ الممتعة . الاب اسطفان قزاح هو الرئيس العام الاوّل على جمعيّة الرسالة اللبنانيّة المعروفة بالكرسيّة بل هو منشئها الثاني مع الطيب الذكر

المطران يوحنا حبيب فتفانى بخدمتها مدة ثلثين سنة فبلغها الى المقام الرفيع الذي نعهده لها اليوم . فنشكر حضرة الخوري ابرهيم حرفوش الذي دفعه حبه البنوي الى ان يخرج هذا السراج الوهاج من تحت المكيال ويقيمه فوق المنارة ليستضيء بامثاله وفضائله السامية الكهنة عموماً وابناء الرسالة اللبنانية خصوصاً . وبما سررنا بذكره في هذه الترجمة ما كان لآباء رهبانيتنا من الحظة في اعداد هذا الرسول لمهنته الشريفة اذ تخرج على ايدي الابوين القديسين بولس ريكادونا وسليمان استيف ومن موردهما استقى روحه القدسية كما اقتبس مع المطران يوحنا حبيب كثيراً من تعاليم اليسوعيين وقوانينهم وبذلك حصل بين الجمعيتين مواخاة ومباراة صالحة في الاعمال الرسولية عساها تتوفر فيهما كل يوم لمجد الله الاعظم وخير النفوس

الطبيب الطريد (الدكتور طانيوس ابو ناضر)

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٠ (ص ١٩١)

لم ينس من قرأ البشير بعد رجوعه الى عالم الصحافة رواية الطبيب الطريد الشائقة والصادقة معاً التي سردها في عدة اعداد صاحبها الاديب الفكه الدكتور طانيوس ابو ناضر فقص على العموم ما قاساه من المظالم ابان الحرب الكونية فتبعناه في الصرود والجرود وفي احراج لبنان واوديته ومغاوره لا نكاد نراه ناجياً من بلية حتى تتعقبه مصيبة اعظم منها فينخلع القلب لكوارثه فتارة نأسف لاوجاعه وتارة نعوذ بالله من اعدائه الاتراك والخونة والجواسيس الى ان دقت ساعة النجاة بحاول الحلفاء في ربوعنا . وكل ذلك بلسان رشيق وكلام حي يكاد يمثل للابصار تلك الحوادث المشؤومة . فقد احسن جناب الدكتور بجمعه هذه المقالات في كتاب منفرد نزفه الى ابناء الوطن ليتحققوا كم هي عظيمة نعمة نجاتنا من ظلم الاتراك وحصولنا على الامن والسلام بفضل فرنسة المحبوبة وحلفائها ل . ش

تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر

بقلم محمد سعيد افندي الباني الدمشقي

قد اشتاق من اطلع في احد اعداد مجلتنا في العام الماضي (ص ١٤٤—١٤٨)

على ترجمة الطيب الذكر الشيخ طاهر الجزائري لمراسلنا الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف ان يتولى احد الادباء كتابة سيرة هذا الرجل الفريد منذ نشأته الى وفاته. فاحسَّ جناب الافندي محمَّد سعيد الباني برغبة الجمهور وتحفَّز لهذا العمل. وها هوذا قد اتحفنا بنسخةٍ من كتابهِ فأجلنا فيهِ النظر فزاد اسفنا لفقد ذاك الجهبذ الهمام الذي وقف حياتهُ على خدمة الآداب الدينيَّة والمدنيَّة. لكنَّهُ قد قيل من خلَّف لم يمت والشيخ طاهر لم يخلّف نسلاً حيًّا بالعفاف وانَّما خلَّف تآليف جليلة ستتخذ ذكرهُ بين الادباء فضلاً عمَّا خلَّف لمعاصريهِ من الامثال الصالحة التي تفرَّد بها بين قومهِ خصَّ منها صاحب سيرتهِ زهدهُ وعفَّة نفسهِ ورسوخهُ في الدين دون تعصب وملازمتهُ لكل الآداب الشريفة التي تحققناها بالسمع والبصر. عسى ان يقوم كثيرون من بعدهِ يجرون على آثارهِ

ل. ش

دستور الرؤساء في سياسة مرؤوسيهم

للعلامة الاب قالوي اليسوعي عرَّبهُ القس مبارك المتيني (طبع في مطبعة الارز سنة ١٩١٣ ص ٥٨٩) — نبذة منهُ عرَّبها القس مبارك ثابت الديراني (طبع في بيروت سنة ١٩٢٠ ص ٩٩)

قال القديس غريغوريوس الكبير انَّ فنَّ الفنون تدبير النفوس. ولا غرو فانَّ سياسة الارواح تقتضي من الصفات الفريدة ما لا يحتاج اليهِ مدبّر الاجساد. فكان لا بدَّ من دليل للرؤساء يوقفهم على واجباتهم ويرشدهم الى حسن التصرُّف مع كافة مرؤوسيهم. وليس من كتاب جامع لهذه المعلومات ومفصل لهذه التدابير كتأليف للاب قالوي اليسوعيّ الشهير بتصنيفاتهِ الدينيَّة والادبيَّة. فما وقف عليهِ حضرة الاب الملفان القس مبارك المتيني حتَّى شغف بتعاطيهِ وترجمهُ عن اصلهِ الفرنساويّ بكل دقَّة مع مراعاة فصاحة اللفظ وسلاسة التعبير في العربيَّة. ودعاهُ دستور الرؤساء. وكان حضرتهُ قد اهمل بعض الفصول من كتابهِ السادس بخصوص طالبي التوهُّب وجمعيات الراهبات لأنَّهُ وجدها خارجة عن غرضهِ فاحبَّ حضرة القس مبارك ثابت الديراني ان يخرجها ايضاً الى العربيَّة تتمَّة الفائدة. فاصبح الكتاب جامعاً شاملاً لا يستغني عنهُ رؤساء كل الاديار بل الكهنة عموماً ورؤساء كلّ الجماعات الدينيَّة.

وأحرِ به ان يكون في ايديهم كدستورهم اليومي يدرسونهُ درساً متواصلاً وكرآة تُطلعهم على كلّ خلل في تدبيرهم لمرؤوسيهم فيكونوا قدوةً حيّة لكل الفضائل التي يطلبونها منهم ل . ش

شذرات

(لبنان والمهاجرة) كان احد الادباء ارسل الى المشرق هذه القصيدة قبل الحرب فلم يسعنا اذ ذاك نشرها . وفائدتها الآن كفائدتها سابقاً لتهافت السوريين على المهاجرة

روضُ السرور وبهجةُ الأبصارِ طبُّ النفوس ونزهةُ الافكارِ
قطبُ الهنا وعليهِ دائرة الصفا دوماً تدورُ بأجمل الادوارِ
فيهِ الامانُ يسود في الخانه والخيرُ مثل سحائب المدرارِ
فيهِ العيون الجاريات سوانحاً وبهِ الرياض تجود بالاثمارِ
فيهِ المعابد والكنائس جمّةٌ ورؤوسهُ تزدان بالاديارِ
طَوْدٌ علا شرفاً بما اكتسبت لهُ ابناؤهُ من سالفِ الاعصارِ
فالشرق لولاهُ لما رُفعت لهُ في كل مكرمةٍ لواءُ فخارِ
وكذاك لولاهُ لما حُفظت لنا دُررُ الديانة من اذى الاشرارِ
قدماؤهُ الأبرارُ اضحوا طعمةً لسيوف اهل جوارهِ الفجّارِ
ورجالهُ الابطالُ كانوا عرضةً لهجوم اهل الشرّ والكفّارِ
ما فيهمُ الّا فتى مستقتلاً يحمي الذمار بسيفهِ البتّارِ
يأبى الدنيّةَ والحياةَ اذا غدت مشفوعةً منها مدى الاعمارِ
هذا هو الطَّوْدِ الذي نزلت لهُ آيُ الفخار بأقدس الأسفارِ
حتى استحقّ بأن يشبّه أرزهُ بملائكةِ الابرار والاطهارِ
هذا هو الطَّوْد الذي لجأت لهُ م النسّاك من متفرّق الاقطارِ
علت المناسكُ والصوامع كلّ شرْ فات الجبال تُنير كالاقمارِ

وأحرِ به ان يكون في ايديهم كدستورهم اليومي يدرسونهُ درساً متواصلاً وكرآة تُطلعهم على كلّ خلل في تدبيرهم لمرؤوسيهم فيكونوا قدوةً حيّة لكل الفضائل التي يطلبونها منهم ل . ش

شذرات

(لبنان والمهاجرة) كان احد الادباء ارسل الى المشرق هذه القصيدة قبل الحرب فلم يسعنا اذ ذاك نشرها . وفائدتها الآن كفائدتها سابقاً لتهافت السوريين على المهاجرة

روضُ السرور وبهجةُ الأبصارِ طبُّ النفوس ونزهةُ الافكارِ
قطبُ الهنا وعليهِ دائرة الصفا دوماً تدورُ بأجمل الادوارِ
فيهِ الامانُ يسود في الخانه والخيرُ مثل سحائب المدرارِ
فيهِ العيون الجاريات سوانحاً وبهِ الرياض تجود بالاثمارِ
فيهِ المعابد والكنائس جمّةٌ ورؤوسهُ تزدان بالاديارِ
طَوْدٌ علا شرفاً بما اكتسبت لهُ ابناؤهُ من سالفِ الاعصارِ
فالشرق لولاهُ لما رُفعت لهُ في كل مكرمةٍ لواءُ فخارِ
وكذاك لولاهُ لما حُفظت لنا دُررُ الديانة من اذى الاشرارِ
قدماؤهُ الأبرارُ اضحوا طعمةً لسيوف اهل جوارهِ الفجّارِ
ورجالهُ الابطالُ كانوا عرضةً لهجوم اهل الشرّ والكفّارِ
ما فيهمُ الّا فتى مستقتلاً يحمي الذمار بسيفهِ البتّارِ
يأبى الدنيّةَ والحياةَ اذا غدت مشفوعةً منها مدى الاعمارِ
هذا هو الطَّوْدِ الذي نزلت لهُ آيُ الفخار بأقدس الأسفارِ
حتى استحقّ بأن يشبّه أرزهُ بملائكةِ الابرار والاطهارِ
هذا هو الطَّوْد الذي لجأت لهُ م النسّاك من متفرّق الاقطارِ
علت المناسكُ والصوامع كلّ شرْ فات الجبال تُنير كالاقمارِ

أهدتْ الى الدين القويم اشاوساً كانوا المجنَّ بموقفِ الاخطارِ
وتسابقت لذُرى المعالي نفوسهم فعلَوا على متن السِّماك الجاري
بفضيلةٍ وعزيمةٍ علويَّةٍ صدعوا فؤاد الملحد الحتَّارِ
كلُّ الطوائف يمَّموا مذ صادفوا بديارهم ضيماً اليهِ بدَارِ
لله يا طود المفاخر تِهْ وسُدْ واسحبْ ذيول المجد والإخطارِ
انت الاعزُّ الامنع الحصن الذي اضحت ربوعك مطمحَ الابصارِ

=*=

مهلاً بنيه فما لكم تنأونَ عن اوطانكم لشواسع الامصارِ
ارض بها بان المناخ بحرّها وببردها وبمائها المغيارِ
ترمون انفسكم بكل بليَّةٍ متنمين غوارب الأسفارِ
وهناك قوم يزدرون بأصلكم وبلادكم وبكل ذي مقدارِ
مستصغرين كبيركم مستهجنين م مليحكم بالذل والإحقارِ
وهناك تضطرُّون ان تتجاماروا وتلاطفوا سكانها برقارِ
وهناك تلتزمون ان تتجوَّلوا ببضائعٍ كالبائع الحدَّارِ
وهناك اسباب الضلالة جمَّة تغوي الجهول الساقط الاطوارِ
كم والدٍ منهم ذي اولادهُ وسلا حليلتهُ بلا انكارِ
اجرى بميدان الغواية خيلهُ وسلا فاحرز قصبة الضمارِ
واستسلمت المنكرات عواطف عطفت لنحو الشرّ والاشرارِ
والله ما راعني من امرهم الا ادِّعاء بالتمدُّن عارِ
يسعون في إخماد نجم ضميرهم سعيَ الجهول الساقط الافكارِ
ويرون من اشعاته ونفيذهِ ناراً وما نار الوقود بنارِ
ولكم اخو عزٍّ اناخ الدهر كلكلهُ م عليهِ بتلكم الاديارِ
يمي كفافُ العيش جلَّ مرادهِ يطوي الطوى بتحرُّقٍ وأوارِ
ويصدُّ عن بسط الاكفّ لعزَّةٍ في النفس وهي عظيمة المقدارِ
يصبو الى الاوطان وهي سحيقةٌ ويحنُّ في الآصال والأسحارِ

فيهم في الذكرى ويرجو الملتقى ويصدُّ للإقلال والإعسار
ريح الصبا رُحماك ان جزتَ الحمى فاسهب بما اوعيت من اخباري
عدِّد وقل واشرح وصف ما يعتري م المتغربين بتلكمُ الامصار
علَّ الذي يقتاده التغرير للتطويح بالاموال والاعمار
ينجاب عن ابصاره سجن الخطا مستنورًا بثواقب الافكار
وليعلمَنْ ان التغرُّب عزُّهُ وصفاؤهُ ذلٌّ مع الاكدار
والمرء في الاوطان يلقى كيفما مال الزمانُ معونةَ الانصار
وديارنا والحمد لله اكتست من جوده المنّان ثوب نُضار
أرفاقُها موفورةٌ خيراتها مدفونة للبحث باستنظار
هيَّا اقتفوا وتتبعوا آثار اسلاف مضوا يا خيرة الآثار
قوم غدوا بنشاطهم وبجدهم مثلًا بافواه القبائل جار
وتوكَّلوا واستوثقوا بامانة واستسلموا للمبدع الجبَّار
هاكم زهور الحقل كلٌّ ثوبها اعلى واغلى ما اشتراه الشاري
هاكم طيور الجوّ لا تعنى وقد تلقى الغذا من اقرب الآبار
فهو الذي يكفي الخلائق كلها بعناية جلَّت عن الاحصار

﴿عملة الورق ومبالغ النقود الذهبية الكافلة لها﴾ هاك بيان قيمة عملة الورق وما يكفلها من الذهب في بنوكة اربع دول اوربية في بدء العام ١٩٢٠

	قيمة عملة		قيمة الذهب الكافل لها	
فرنسة	٣٠,٠٠٠	مليون فرنك	٥,٨٠٠	مليون فرنك
ايطالية	٩,٠٠٠	« فرنك ايطالي	٨٩٥	« « ايطالي
المانية	٣٢,٥٠٠	« مرك	١,١٠٠	« مرك
النمسة والمجر	٣٥,٦٠٠	« كورونه	٣٦٢	« كورونه

يلوح لكل ذي عينين ان قيمة الكفالة الذهبية هي نسبةً الى قيمة عملة الورق الجاري استعمالها في التجارة نحو الخُمس بفرنسة والعُشر في ايطالية و ١/٣٠ في المانية و ١/١٠٠ في النمسة والمجر. وذاك سرّ غلاء العيش بدرجات متفاوتة في تلك البلاد الاربعة وهبوط قيمة عملة كلٍّ منها بدرجات متباينة ايضاً

يسوغ لنا ان نلقب ثيانة عاصمة النمسة بذلك اللقب المشؤوم فقد بلغ فيها عدد الوفيات ما ترتعد له الفرائص . قد لاحظت لجنة المالية والميزانية في ندوة تلك الجمهورية التعيسة ان عدد الذين لا شغل لهم في العاصمة وحدها ستة وخمسون الفاً . اما في صناعة تحت التماثيل الضريحية وصناعة توابيت الاموات فلا يوجد فاعل بطال!

﴿ الكتب المنشورة في سنة ١٩١٨ ﴾ هذه نتيجة الاحصاء الذي اجراه ديوان الاتحاد الدولي لصيانة المؤلفات الادبية والفنية ومركزه برن عاصمة سويسرة :

		سنة ١٩١٨	سنة ١٩١٣
عدد الكتب المنشورة في	المانية	١٤,٧٤٣	٣٥,٠٧٨
«	انكلترة	٧,٧١٦	١٢,٣٧٩
«	الولايات المتحدة	٧,٦٨٦	٩,٠٨٥
«	ايطالية	٥,٤٠١	١١,١٠٠
«	فرنسة	٤,٤٨٤	١١,٤٦٠
«	دانيمرك	٤,٣٠٥	
«	هولندة	٣,٦٨١	
«	سويسرة	١,٧٦٤	
«	اسبانية	١,٢١٩	

فمن هذا الجدول يتضح عظم الخسارة الادبية التي جرّها الحرب الضروس على العالم اجمع ثم عظم درجة الحياة العقلية في المانية حيث لا تزال وهي منهوكة القوى على اثر حرب لا مثيل له طولاً وشدة حافزةً قصب السبق — واي سبق ! — في ميدان التأليف

﴿ اين تلك الازمان ؟ ﴾ عرّبنا تفكهةً لقراء المشرق ما ورد في صدر عدد ٧ كانون الاول سنة ١٩٠٥ من المجلة التركية المصوّرة المشهورة « ثروتِ فنون » عن رسم السلاملك . قالت :

« وليّ نعمة لفيف العثمانيين الذي بدون مِنّة قرين المعالي ورأس مال الفخر والسعادة اللامتناهية للعالم الاسلامي . سلطاننا الفاقد المثال شوكتلو مولانا عبد الحميد خان الثاني ركب يوم الجمعة الماضي عربةً جلبت بها شخصه الجليل الشرف

والعز والاقبال . فاتجه بها الى جامع حميدية الساطع الانوار المنتعش بما اغتذى به من لطف مبرّات ملجأ الخلافة . وبعد تأدية صلاة الجمعة ركب جلالته العربة ثانية بل امتطى للمجد والإجلال وشرّف السراي السلطاني الهمايوني بالعودة اليه . وفي اثناء الذهاب والعودة السنية لجلالة ظلّ الله كانت العساكر الشاهانية واقفة بكمال الانتظام لتأدية مراسم التعظيم والتبجيل . وكل تُباع جلالة السلطان على اختلاف طبقاتهم تلوا وكرّروا الأدعية الخالصة وأصعدوها الى اعتاب الاله السميع العظيم متوسلين اليه عزّ وجلّ ان ينثني اجل مولاهم سيّد العالم ويزيد شوكته .

(بخٍ بخٍ الم يجد احمد احسان صاحب امتياز مجلة « ثروتِ فنون » في ذلك العهد سوى السلطان الاحمر ليصعد اليه بخور الاجلال والثناء بعبارات معقّدة المبنى فارغة المعنى ينفر منها اشد النفور كل من له ذوق سليم !)

﴿سنة وفاة الشاعر نقولا الترك﴾ كنّا اثبتنا في كتابنا تاريخ الاداب العربيّة في القرن التاسع عشر (١ : ١٩) انّ وفاة الشاعر نقولا الترك وقعت في السنة ١٨٢٨ استناداً الى ما وجدناهُ في مقدّمة تاريخهِ عن حملة الفرنسويين في عهد بونابرت على مصر المطبوع في باريس مع ترجمتهِ الفرنسويّة سنة ١٨٣٤ . وهذه المقدمة مؤلفها المستشرق الفرنسوي دينرنج (M. Desgranges) . وجاء مثل هذا التاريخ في كتاب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابهِ دواني القطوف (ص ٢٣١) . على اننا قرأنا في العدد الاخير من مجلّة المسرّة الغرّاء ك ٢ (ص ٤٣) ابياتاً « من قول نقولا الترك مؤرخاً وفاتهُ وبيت التاريخ هو هكذا بحرفهِ :

والآن اخشتُ تاريخي بك ابداً اوفي حياتي وما بالسرا كتبتُ (كذا)

وتحت التاريخ سنة ١٨٢٦ على اننا جمعنا جملة التاريخ فوجدنا العدد ١٧٦٩ ومن المحتمل ان يكون وقع غلط في الرواية . فنرجو اعادة النظر فيهِ وان صحّ تاريخ سنة ١٨٢٦ فمن الممكن ان يكون الشاعر ارّخ وفاتهُ قبل موتهِ بسنتين والله اعلم

﴿اكتشافات زراعيّة﴾ انّ الاقتصاديين يجهدون فكرهم بسبب الغلاء الحاضر في تحسين الزراعة وتوفير موادّها الغذائيّة . فمنها وقفوا عليهِ آخراً انّ الحامض الكربونيك الذي يتسمّم بهِ من يتنفّسهُ يصلح صلاحاً عظيماً للزراعة . ومن المعلوم انّ النبات يحلّل بفعل الشمس هذا الغاز فيتخلّص الاوكسيجين الى الهواء ويمتصّ

النباتُ الكربون فيغتذي بهِ . واليوم قد جرّبوا هذا الغاز ومزجوهُ بالسَّماد الذي يوضع في مزدرعات البقول والخضرة وحول الاشجار فتحقَّقوا انَّ النبات ينمو بهِ نموًّا عجيباً ويأتي بعشرة اضعاف محصولهِ من البقول والثمار مع حسن جنسها وجودة طعمها . بينما لا تأتي غيرها بثلث هذه المحصولات

ومما اكتشفوهُ ايضاً انَّ الكرمة المصابة بداء الرَّمد (oidium) المعالجة سابقاً بالكبريت المرشوش على اغصانها يمكن علاجها بل استدراك دائها بواسطة مزيج الكبريت اذا سُقيت بهِ ساق الكرمة فانَّها تنجو من هذه الآفة

﴿امّ حرام﴾ لما ظهر بالحفر في الشهر الماضي في المقبرة الاسلاميَّة المجاورة للبحر قبر امرأة (صحيحة او موهومة) ادَّعت احدى الجرائد انَّهُ قبر ام حرام بنت ملحان الانصاريَّة التي كان يكرمها نبيُّ المسلمين ويزورها . وكانت ركبت البحر مع معاوية ابن ابي سفيان سنة ٢٧ هـ لمَّا غزا قبرس . فراجعنا اقدم التواريخ الاسلاميَّة لنقف على صحَّة الخبر فكانت نتيجة بحثنا انَّ ام حرام ماتت وقُبرت في قبرس . قال البلاذري المتوفَّى سنة ٢٧٩ هـ في فتح البلدان (ص١٥٤) : «انهم لمَّا انتهوا الى قبرس خرجت ام حرام من المركب وقُدمت اليها دابَّة لتركبها فعثرت عليها فقتلتها فقُبرت بقبرس وقبرها يُدعى قبر المرأة الصالحة» وقال ابن عبد البر النمري المتوفَّى سنة ٤٦٣ هـ في الاستيعاب في معرفة الاصحاب (٢ : ٧٨٩) : «خرجت ام حرام مع زوجها عبادة غازيةً في البحر فلمَّا وصلت الى جزيرة قبرس خرجت من البحر فقُرِّبت اليها دابَّة لتركبها فصرعتها فماتت ودُفنت في موضعها» . ولا يقال انَّ جثَّتها نُقلت بعد مدَّة الى بيروت لأن نقل الرمم في الاسلام ليس بمأنوس وما كانت بيروت حينئذٍ مربطاً للسفن

﴿تكذيب الكافر رينان﴾ بعد انتصار الالمانيين على فرنسة سنة ١٨٧٠ لم يخجل الكافر ارنست رينان ان يكتب هذه العبارة : «لا يستطيع احد تلامذة اليسوعيين او الكهنة ان يكون ضابطاً عسكريًّا يماثل في ساحة الحرب احد ضبَّاط البروسيانيين كما لا يمكن احد تلامذة المدارس الكاثوليكيَّة ان يتقن الاداب الحربيَّة ويحارب باسلحة محكمة كالالمان» . فأحسن جواب على هذه السفاسف ذكر اسماء ابطال الحرب الاخيرة كفوش وبيتان وفايول وكستلنو ومستر ومنجان ودي مودري وغورو وفرني دسبري وغيليوما ودبني وڤيتان وكلهم تلامذة اليسوعيين او الكهنة

أسئلة وأجوبة

س سأل احد ادباء بيروت أصحيح ان العرب اخترعوا الابرة المغنطيسيّة المعروفة بالحكّة او البوصلة (Boussole)؟

العرب والابرة المغنطيسيّة

ج قد عرف اهل الصين الابرة المغنطيسيّة وميلها الى جهة الشمال قبل العرب بعدّة القرون فاخذها العرب عنهم. ولعلّهم اوّل من اتّخذها في الاسفار البحريّة منذ القرن الحادي عشر. وممّا ورد من ذلك في كتبهم ما قالهُ بيلك القبجاقي في كتابهِ كنز التجّار وهو مخطوط في مكتبة باريس بيد المؤلف سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في الصحيفة ٦٨ قال:

ومن خواصّ المغناطيس انّ رؤساء بحر الشام اذا اظلم عليهم الجوّ ليلًا ولم يروا من النجوم ما يهتدون بهِ على تحديد الجهات الاربع يأخذون اناء مملوءًا ماء ويحترزون عليهِ من الريح بان يترلوهُ الى بطن السفينة ثمّ يأخذون ابرةً ويغذونها في سَمَرةٍ او قشّ حتّى تبقى مطروحةً فيها كالصليب ويلقونها في الماء الذي بالاناء ومعدود لها فتطفو على وجههـا ثمّ يأخذون حجرًا من المغنطيس كبير ملء الكف او صغير ويدنونها من وجه الماء ويحرّكون ايديهم دورة اليمين فعندها تدور الابرة على صفحة الماء ثمّ يرفعوا (كذا) ايديهم على غفلة وسرعة فـانّ الابرة تستقبل بجهتها جهة الجنوب والشمال .. رأيتُ هذا الفعل منهم عيـانًا في ركوبنا البحر من طرابلس الشام الى الاسكندريّة سنة ٦٦٠. وقيل انّ رؤساء مسافري بحر الهند يتعوّضون عن الابرة والسَّمرة بشكل سكّـة من حديد رقيق مجوّف مستعدّ عندهم يمكن انهُ اذا أُلقي في ماء الاناء عامّ وسامتَ برأسهِ وذنبهِ الجهتين من الجنوب والشمال

وقد قرأنا في الخطط للمقريزي (١ : ٢١٠) ما حرفهُ:

«ما برح المسافرون في بحر الهند اذا اظلم الليل ولم يروا ما يهديهم من الكواكب الى معرفة الجهات يحملون حديدة مجوّفة على شكل سكّة ويبالغون في ترقيتها جهد المقدرة ثمّ يُعمل في فم السكّة شيء من المغنطيس جيّدًا ويحكّ فيها بالمغنطيس فانّ السكّـة اذا وُضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبيّ بفمها واستدبرة القطب الشمالي. وهذا ايضًا من اسرار الخليقة فاذا عرفوا جهتي الجنوب والشمال تبيّن منها المشرق والمغرب ... فاذا تحدّدت الجهات الاربع عرفوا مواضع البلاد منها فيقصدون حينئذٍ جهة البلاد التي يريدونها» ل. ش

المشرق

براءة رسوليّة

في جواز مناولة القربان الاقدس في الطقسين

(تعريب جريدة البشير)

يوس الاسقف

عبد عبيد الله للذكر المخلد

انما لعادةٌ عريقة في القدم بقيت مدّة طويلة من الزمن مرعيّة في الكنيسة ان المؤمنين المسافرين يتبعون بطيبة خاطر العادات والطقوس الدينية التي كانت تختلف لاختلاف الامكنة بشرط ان لا يكون فيها ما يُشتمُّ منهُ رائحة الاعتقادات الباطلة والعبادة الوثنية. وكان ذلك معمولاً بهِ لتوثيق عرى الوئام والاتحاد بين اجزاء الكنيسة الكاثوليكية الواحدة المتعددة اي بين الكنائس الخصوصية حسبما قال القديس لاون التاسع: « ان العادات المختلفة لاختلاف الامكنة والازمنة لا تحول دون خلاص المؤمنين اذا كان يربطهم جميعاً بالله الواحد ايمان واحد يعمل بالمحبة كلّ ما يستطيع عملهُ »

وقد كانت الضرورة تقضي بذلك فان الذين كانوا يسافرون الى البلاد الغريبة لم يكونوا يجدون فيها اغلب الاوقات لا معابد ولا كهنة من طقسهم الخاص. وكان هذا يجري في منح الاسرار او قبولها وخصوصاً سرّ القربان المقدس كما كان يجري في سائر الامور المختصة بالعبادة الالهيـة. ولذلك كان مسموحاً للكهنة والعلمانيين المسافرين المصحوبين بالشهادات الرسميّة ان يقدّموا الذبيحة الالهية او يتناولوا القربان المقدس في كنائس الـذين ليسوا من طقسهم. وكان الاساقفة والكهنة والشمامسة اللاتينيون يشتركون هنـا في رومية مع اليونانيين في تقدمة الذبيحة الالهية كما ان اليونانيين في الشرق كانوا يقدسون مع اللاتينيين وقد بلغ هـذا الامر من الشهرة حدًّا بعيدًا بحيث اصبح العمل بخلافهِ جديرًا ان يكون دليلًا على زوال وحدة الايمان او اتفاق القلوب

ولكن بعد ان فصل الانشقاقُ المحزن عن مركز وحدة الكنيسة الكاثوليكية قسماً عظيماً من الشرق المسيحي لم يعد مسموحاً بحفظ تلك العادة الصالحة. فانه لمّا اخذ مخائيل كرولاريوس ليس فقط يطعن الطعن الذميم بعادات اللاتينيين وطقوسهم بل يعلم ايضاً جهاراً ان التقديس على الخبز الفطير غير جائز بل باطل قام الاحبار الرومانيون بما تقتضيهِ وظيفتهم الرسولية ولكي يُبعدوا عن اللاتينيين خطر هـذا الضلال حرموا عليهم التقديس والمناولة على الخبز الخمير لكنهم سمحوا لليونان المرتدّين الى الوحدة والايمان الكاثوليكي ان يتناولوا على الفطير عند اللاتين. وقد كان ذلك في تلك الازمنة والامكنة مفيدًا بل ضروريًا لانهُ حينئذٍ لم يكن يوجد غالباً اساقفة متّحدون بكرسي الفتوباوي بطرس ولم يكن يوجد في كل مكان كنائس كاثوليكية للشرقيين. فكان يُخشى من ان الكاثوليك الشرقيين اذا لم يُسمح لهم بالمناولة عند اللاتينيين يذهبون الى كنائس واساقفة المنفصلين فيعرّضون نفوسهم لخطر اكيد على ايمانهم

ثم ان تغيّر الاحوال السعيد الذي حصل نوعاً اذ تمت المصالحة بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية في مجمع فلورنسة أحيا بعض الاحياء النظام القديم. فان اباء المجمع المذكور قد قرّروا « ان تقديس جسد المسيح هو صحيح سواء كان على الخبز الفطير او على الخمير وانهُ يجب الكهنة ان يقدسوا جسد الرب على الفطير او

على الخمير كل حسب عادة كنيسته الغربية او الشرقية . لكنهم قد زادوا بهذا الحكم تأييد الحقيقة الكاثوليكية في صحة التقديس على الفطير والخمير ولم يقصدوا اقل القصد منع المؤمنين من المناولة في الطقسين . بل لا ريب في انهم سمحوا بها رغبة في توفيق عرى السلم والوئام . يؤيد ذلك الرسالة المسهبة التي كتبها ايزيدوروس مطران كياف وكل روسية بعد ختام مجمع فلورنسة الذي كان له فيه اليد الطولى وحيث كان ممثلاً لدوروثاوس البطريرك الانطاكي وقد وجه تلك الرسالة سنة ١٤٤٠ من مدينة بودا بصفة كونه نائب الحبر الاعظم في ليتوانية وليفونية وسائر الامصار الروسية الى جميع الخاضعين لكنيسة القسطنطينية . فتكلم فيها عن الاتفاق السعيد بين اليونانيين واللاتين قال :

« استحلفكم بسيدنا يسوع المسيح ان لا يقوم انشقاق من الان فصاعداً بينكم وبين اللاتين لانكم جميعاً عبيد سيدنا يسوع المسيح وباسمه تعمدتم . ولهذا يجب على اليونانيين اذا وجدوا في ناحية اللاتين واذا كان في ناحيتهم كنيسة لاتينية ان يحضروا القداس الالهي عندهم ويسجدوا لجسد الرب يسوع ويكرموه بخشوع كما يفعل كل واحد في كنيسته الخاصة ثم ان يعترفوا بخطاياهم للكهنة اللاتين ويتبارك من ايديهم جسد الرب . وكذلك على اللاتين ان يحضروا القداس الالهي في كنائس الروم ويسجدوا فيها بايمان حي لجسد يسوع المسيح لان هناك جسد المسيح حقيقة سواء كان قد قدسه كاهن يوناني على الخمير او كاهن لاتيني على الفطير . بما انه يحق له الاكرام عينه سواء كان تحت الفطير او الخمير . وليعترف ايضاً اللاتين عند الكهنة اليونانيين وليتناولوا من ايديهم لان لا فرق بين الفريقين . هكذا قرر المجمع الفلورنتيني في جلسته العمومية في ٦ حزيران سنة ١٤٣٩ »

على انه وان كانت شهادة ايزودوروس تثبت ان مجمع فلورنسة قد سمح للمؤمنين بالمناولة في الطقسين فلم يعمل بهذا السماح في ما بعد لا في كل الامكنة ولا دائماً . وذلك خاصة لان الروم لم يلبثوا ان نقضوا اتحاداً لم يكن محكماً . فلم يبق من داع يحمل الاحبار الرومانيين على الاعتناء بحفظ انعام مجمع فلورنسة الذي ذكره ايزودوروس . لكنه قد بقيت عادة المناولة في الطقسين محفوظة في امكنة عديدة حتى عهد سلفنا بنديكتوس الرابع عشر فانه برسالته « Etsi pastoralis » التي وجهها الى الايطاليين اليونانيين بتاريخ ٢٦ أيار سنة ١٧٤٢ كان اول من حرم لاسباب صوابية ان يتناول العلمانيون اللاتين على الخمير من ايدي الكهنة اليونانيين وسمح لليونانيين الذين لا خورنية لهم ان يتناولوا على الفطير عند اللاتين . اما في

الاماكن التي انتشرت فيها عادة المناولة في الطقسين وكان يقطنها اليونانيون واللاتين معاً ولكل من الفريقين كنائس خاصة فقد عهد الى الاساقفة ان لم يتمكنوا من منع تلك العادة دون اثارة الشعب ومن شواعره ان يسعوا في منع ذلك بغاية اللين بحيث ان اللاتين يتناولون دائماً على الفطير واليونانيين على الخمير. وقد امر سلفنا في ما بعد ان ما كان قد قرّره بشأن اليونانيين الايطاليين يتناول ايضاً الملكيين والاقباط

وقد عمّت تلك الاحكام جميع الشرقيين شيئاً فشيئاً والاصح انها عمّت بحكم العادة لا بمقتضى قانون خاص. على ان ذلك لم يمنع الكرسي الرسولي ان يمنح بعض الاحيان اللاتينيين ما كان مراراً عديدة رضي بل سمح به اي ان الشرقيين الذين لهم كنائس خاصة هم انفسهم وبدون حاجة ماسّة يتناولون على الفطير

وقد حصل ذلك خصوصاً بعد ان دفع حبّ النفوس المضطرم بعض العائلات الرهبانية من رجال ونساء الى ان تتوجه من انحاء اوربة الى الاقطار الشرقية حيث ساعدت الكاثوليك من كل الطقوس بانشاء الكثير من اعمال المحبة المسيحية في ما بينهم وفتح المدارس لتثقيف الشبيبة في كل مكان. ولما كان ابناء تلك الرهبانيات بسبب الاقتراب المتواتر من الافخارستيا يعيشون عيشة هنيّة في وسط المصاعب والمتاعب فقد اثاروا دون عناء حبّ الاقتداء بهم في قلوب كثير من الشرقيين المعروفين بشدّة ميلهم الى التقوى والعبادة. ولمّا كان هؤلاء يصعب عليهم تحقيق رغبتهم تلك لدى ذويهم لبعد الاماكن او لقلّة وجود الكهنة والهياكل او لاسباب طقسية اخرى متنوعة فقد التمسوا بالحاح من الكرسي الرسولي ان يسمح لهم بالمناولة في الطقس اللاتيني فاجاب الكرسي الرسولي بعض احيان هذا الالتماس. فانهُ قد سمح لطلبة العلم في مدارس اللاتين وايضاً لغيرهم من المؤمنين الذين يحضرون القداس في كنائسهم وهم مشتركون في الاخويات التقويّة ان يتناولوا لداعي العبادة في بحر السنة في كنائس اللاتين القربان الالهي الذي يكون قد كرّسه الكهنة اللاتين بشرط حفظ حقوق خوارنة الرعايا ولا سيما ما يتعلق بالمناولة الفصحيّة والزاد الاخير

وزد على ذلك انهُ في المجمع الفاتيكاني عينهِ بين المباحث التي بحثت فيها اللجنة الخصوصية المعينة للاهتمام بشؤون الطقوس الشرقيّة قد كانت هذه وهي هل يحسن

ان تخفف بعض التخفيف شدة القوانين الكنسية المتعلقة بمنع اختلاط الطقوس خصوصاً في مناولة القربان الاقدس وان يسمح للمؤمنين بان يتناولوا على الطقسين. واذ كان آباء اللجنة المذكورة حكموا بان يسمح بذلك وضعوا قراراً بهذا المعنى. لكن غوائل ذلك الزمن قضت بانحلال المجمع قبل ان تسمح الفرصة بعرض القرار على موافقة عموم الاباء. ثم ان بجمع انتشار الايمان المقدس المختص بالطوائف الشرقية كي يحقق رغائب اولئك الذين كانوا يضطرون غالباً الى الامتناع عن المناولة لعدم وجود كنائس او كهنة من طقسهم اصدر حكماً في ١٨ آب ١٨٩٣ وفيه تنشيطاً على المناولة المتواترة قد رخص لجميع المؤمنين سواء كانوا من الطقس اللاتيني او الشرقي الذين ليس لهم حيث يقطنون كنائس او كهنة من طقسهم ان يتناولوا حسب طقس كنيسة المحل بشرط ان تكون كاثوليكية وذلك ليس فقط عند ساعة الموت او في عيد الفصح لكن في اي وقت كان تدفعهم فيه التقوى الى المناولة

ثم ان سلفنا لاون الثالث عشر السعيد الذكر في رسالته (Oriantalium dignitas Ecclesiarum) قد متع بهذا الانعام كل الذين لا يمكنهم لبعد المسافة ان يذهبوا الى كنائسهم بدون مشقة ثقيلة. لكنه في الوقت عينه حرم في المدارس اللاتينية حيث تكون عدة تلامذة شرقيين ان يتناول هؤلاء في الطقس اللاتيني وامر ان يكون هناك كهنة من طقسهم يقدسون ويوزعون عليهم المناولة اقله في ايام الآحاد والاعياد المأمور بها وذلك مع الغاء كل انعام سابق. لكن قد دلت الخبرة بعد ذلك على انه لا يتيسر في كل مكان الحصول على كهنة شرقيين فانهم لانشغالهم في محل آخر بخدمة النفوس لا يمكنهم في الآحاد والاعياد حتى وفي غيرها من الايام ان يحضروا الى كنائس اللاتين ويوزعوا على الطلبة والطالبات الخبز الملائكي التائقين اليه

ولهذا السبب تواترت العرائض الى هذا الكرسي الرسولي لكي يخفف من شدة قوانين الكنيسة في هذا الامر الخطير. وبعد ان اصدرنا بتاريخ ٢٠ ك١ سنة ١٩٠٥ بواسطة لجنة المجمع التريدنتيني المقدس حكمنا الذي بدؤه (Sacra Tridentina Synodus) في المناولة اليومية كثرت تلك التوسلات من قبل

الشرقيين الذين يسترخصون الانتقال الى الطقس اللاتيني كي يسهل عليهم الاغتذاء بالقوت السماوي. وبين اولئك عدد عديد من الفتيان والفتيات كانوا يرغبون رغبة شديدة التمتع بالانعام نفسه

فنحن بما اننا نعتبر ان عقيدة الايمان الكاثوليكي بصحة تكريس الخبز الفطير والخبز الخمير هي ثابتة ومسلَّم بها لدى الجميع ونعتقد فوق ذلك ان الكثيرين من اللاتينيين والشرقيين يستغربون بل يستثقلون ذلك النهي عن المناولة في اي كان من الطقسين وبعد ان استشرنا مجمع انتشار الايمان المقدس المناطة به شؤون الطقوس الشرقيَّة ودقَّقنا النظر في هذا الامر قد رأينا الغاء كل القرارات التي تمنع او تقيد حرِّيَّة الاختيار بين الطقسين في مناولة القربان المقدس. ونسمح لجميع الشرقيين واللاتينيين ان يقتاتوا بسرّ جسد الربّ المجيد امَّا على الفطير وامَّا على الخمير من ايدي الكهنة الكاثوليكيين وفي الكنائس الكاثوليكية من اي طقس كانت حسب عادة الكنيسة في القدم حتى " ان جميع الذين يُطلق عليهم اسم مسيحيين اجمالًا وافرادًا يتفقون ويتحدون يومًا في هذا السرّ ورمز الوفاق والاتحاد "

وانا لعلى ثقة بان الاحكام التي قررناها هنا سيكون منها لابنائنا الاعزَّاء في الامصار الشرقية من اي طقس كانوا فائدة عظيمة جدًّا ليس فقط لاضرام نار العبادة في قلوبهم بل ايضًا لتوثيق عرى الوفاق فيما بينهم. امَّا من حيث العبادة فلا يخفى على احد ان القربان الالهي الذي اعتاد اباء الكنيسة اللاتينيون واليونانيون ان يسمُّوهُ خبز الانسان المسيحي اليومي من حيث انهُ يغذي ويقوي بنوع ما صحَّة النفس تكون الحاجة الى مناولته امسّ عند الذين تكون فيهم المحبة والايمان اعني مبدئي الحيوة الفائقة الطبيعة عينيها قد اصبحا في خطر اعظم

ولذلك ان الكاثوليك الشرقيين المضطرين ان يعيشوا في وسط المنفصلين لا يلحق هذا الاختلاط الخطير ضررًا بايمانهم ومحبتهم اذا اعتادوا ان يتقووا بهذا القوت السماوي بل انهم يشعرون بانتعاش ونمو الحياة الروحية فيهم. اما ما يتعلق بالامر فقد تبيَّن جليًّا بما جرى حتى الان ان اناسًا متحدين ايمانًا ولكن مختلفين طقسًا قد ينجم بينهم دواعي منافسة واختلاف بسبب ان البعض يسهل لهم اكثر من البعض الآخر ان يتناولوا جسد المسيح. امَّا الآن فبما اننا نريد ان جميع المؤمنين

يشتركون حسب اي طقس شاءوا في هذه المائدة المقدسة التي هي رمز واصل ومبدأ الوحدة الكاثوليكية فلم يبقَ ريب في انهُ يجب ان يزداد فيما بينهم وفاق القلوب كما قال الرسول « انا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لانا جميعاً نشترك في الخبز الواحد (١ كور ١٠ : ١٧)

فهذا اذاً ما نقرّرهُ ونثبتهُ بملء سلطتنا الرسولية :

١ً في اقامة القداس الالهي لا يجوز للكهنة ان يخلطوا بين طقس وطقس . فعليهم ان يكرسوا ويناولوا سرّ جسد الرب كلٌّ حسب رتبة طقس كنيسته

٢ً عند ما تمسّ الحاجة ولا يوجد كاهن من طقس آخر يجوز للكاهن الشرقي الذي يستعمل الخمير ان يناول القربان المقدس المكرس على الفطير وكذلك يجوز للكاهن اللاتيني او الشرقي الذي يستعمل الفطير ان يناول على الخمير . ولكن على كل منهم ان يستعمل رتبة طقسهِ في المناولة

٣ً يجوز لجميع المؤمنين من اي طقس كانوا ولداعي العبادة ان يقبلوا سرّ القربان الاقدس المكرس في اي طقس كان

٤ً يفي كل مؤمن بوصية المناولة الفصحية اذا قبلها في طقسهِ ومن يد خوريّه الذي يبقى دون ريب مطيعاً لهُ في اتمام سائر واجباته الدينية

٥ً يجب ان يقبل المحتضرون الزاد الاخير في طقسهم الخاصّ ومن يد خوريهم الخاص . امّا في حالة الضرورة فيجوز ان يقبلوه من يد اي كاهن كان . ولكن على الكاهن ان يناول حسب طقسهِ

٦ً كلٌّ يابث في طقسه الاصلي حتى ولو اعتاد المناولة حسب طقس آخر مدة طويلة من الزمان . ولا يسمح لاحد ان يغير طقسهُ الّا لاسباب عادلة شرعية يكون الحكم فيها لمجمع انتشار الايمان المقدس المختصّ بشؤون الشرقيين . ولا يدخل في هذه الاسباب عادة المناولة على طقس آخر مهما طالت مدتها

وكلما قرّرناه وحدّدناه واعلناه في هذه الرسالة نريد ونأمر ان كل الذين يعنيهم يحفظونهُ بكل تدقيق ولا نسمح بالجدال فيهِ ولا بانتقاصهِ او خرق شيءٍ منهُ لاي سبب كان ولو خارق العادة وباي حجة او باي اسم كان بل نريد ان يحصل على مفاعيله الكاملة التامّة دون ان يمنع ذلك الاوامر الرسولية السابقة حتى التي صدرت في

الجامع العامة والاقليمية ولا ايا كان من العادات والرسوم ولو كانت مثبتة بالسلطة الرسولية او بسلطة سواها فهذه كلها ابطلناها ونبطلها

واننا تحقيقاً لما سبق ننقض ونأمر ان تُنقض كل تلك العادات والرسوم نقضاً صريحاً خاصاً كما لو كنا ذكرناها في هذه الرسالة كلمة بكلمة وكذلك ننقض كل ما يخالف ما قررناه

هذا واننا نريد ان نُنسخ هذه البراءة اذا كانت مطبوعة ومهورة بتوقيع المسجل وبختم احد الموظفين الكنسيين هي عينها يكون لها نفس القوة التي لبراءتنا هذه

اعطي في رومية بقرب القديس بطرس سنة الف وتسعماية واثنتي عشرة للمسيح في عيد ارتفاع الصليب وهي العاشرة لحبريتنا

الكردينال اغلياردي	الكردينال غوتي
رئيس دائرة الختم	رئيس مجمع الانتشار
الرسولي	الايمان

المناولة الحرّة في الكنيسة الكاثوليكيّة

بفضل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر

نظر لاهوتي تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

كان السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر ببنّته العالية وسموّ نظره وحسن تدبيره قد رفع شأن الكنيسة الكاثوليكية الى اوج العزّ فصارت بساعيةٍ كالسراج على المنارة يضيء ضوؤها لكل من يطلب النور او كالمدينة على الجبل لا تخفى عظمتها على احد ايًّا كان

فلمّا قام من بعده على كرسيّ هامة الرسل قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيدًا وجّه نظرهُ خصوصاً الى المؤمنين المتبثين في اقطار العالم ليرعى كلّ الخراف الناطقة الموكولة الى همّته في الجمع مراعي الخلاص

فلتحقيق امنيته اخذ اوَّلًا في قلع الزوان الذي كان العدو اخذ في زرعه في حقل الكنيسة فضرب على الاضاليل العصريَّة المستجدَّة وابطل مزاعم بعض المحدثين الذين ستروا تحت حجاب العلم الكاذب تعاليمهم الوخيمة ثمَّ جعل ينشط بخطبه ويراءاته الرسولية واعماله الشخصية كل المشروعات الكاثوليكية من مؤتمرات عمومية ومجامع قربانية وانشاء محافل علمية ومنتديات اجتماعية حتى لم يفتهُ شيءٌ مما يصلح لخير الكنيسة وابنائها كتوجيه انظار الكتبة الى آداب الصحافة وبعث همم الشبَّان المنتظمين في الجمعيات الترويضية وعلمَّ جرًّا

ألا انَّ امام الاحبار مع عنايته بكل تلك الاعمال المتباينة قد جعل في مقدَّمة اهتمامه ترقية روح العبادة والتقى في الكنيسة كأنه اراد ان تصدق فيه السمة التي وسمهُ بها على ما يظنّ احد الاولياء تعريفاً بشخصه انهُ سيكون « كنار موقدة (ignis ardens) . وذلك ما رمى اليه باختياره لاسم بيوس الذي معناه ذو التقى والورع وزاد صراحةً لبيان خطَّته في ادارة الكنيسة حيث اتَّخذ له شعارًا كلمة الرسول (افسوس ١ : ١٠) ان يجمع ويجدّد في المسيح كل شيء

ولم تبق تلك الغايات الشريفة في طيّ النسيان بل جدّ في اخراجها الى حيز العمل منذ ابتداء رئاسته . فمن ذلك اصلاحهُ للموسيقى الكنسية وتحريضهُ للمؤمنين على قراءة الانجيل المقدس وحضُّهُ للواعظين بان يكرزوا كلام الله ويجيدوا في خطب المنابر عن الزخارف الباطلة والمواضيع التافهة القليلة الجدوى . ومنها امرهُ للكهنة وخدَمة الرعايا بان يشرحوا للشعب التعليم المسيحي في كل اسبوع

لكنَّ الكنيسة تستمدُّ خصوصاً اسباب حياتها من تلك الاسرار العجيبة التي وضعها السيد المسيح لتكون كمناهل النعم وينابيع الخلاص اذ منها يستقي ابناؤها الحياة وينالونها باوفر حظّ (يوحنا ١٠ : ١٠)

وقد امتاز بين تلك الابرار سرّ اعظم وارفع ألا وهو سرّ جسد ودم السيد المسيح في القربان الاقدس فهو المنّ الذي نزل من السماء فمن اكلهُ يحيا الى الأبد (يوحنا ١٠ : ٥٢) اذ انَّ آكلهُ يحيا بالمسيح كما يحيا المسيح بابيه السماوي (يو ١٠ : ٥٨)

فقد أنشئ هذا السرّ الفائق لكل ادراك البشر اضحى القربان الاقدس كركز حياة الكنيسة وكالروح الالهيَّة المحيية لجسم البيعة المنظور فحيثما تمتدُّ كنيسة الله

فهناك جسده الطاهر تجري منهُ سيول الحياة السماوية لتقدّس نفوس المؤمنين وترشحها لجنّات النعيم فهو هو الجسد الذي تحوم حولهُ النسور والعقبان (متى ٢٤ : ٢٨)

*

ومن خواصّ سرّ القربان الاقدس في البيعة المقدّسة انهُ رباط الحبّ بين كل ابناء الله اذ بهِ يعيشون تلك العيشة الاهليّة التي تجعلهم اولاد أب واحد هو الله بالذات وامّ واحدة هي كنيسة المسيح التي تولدهم في حجرها وتقوتهم بتعاليمها وتصونهم كبؤبؤ عينها ريثما يتصوّر المسيح فيهم فيجري في عروقهم دم واحد وتجمعهم حياة واحدة ويكونون مكمّلين بالوحدة (يوحنا ١٧ : ٢٣)

فهذه الميزة الشريفة انما تنالها الكنيسة بتوزيع سرّ القربان الاقدس الذي اتخذه السيد المسيح على شبه الطعام اليومي من برّ يقوت الاجساد وشراب ينعشهُ اعني شكلي الخبز والخمر. قال بولس الاناء المصطفى في رسالته الاولى الى اهل كورنتس (١٠ : ١٦ — ١٧) : « كأس البركة التي نباركها اليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسرهُ اليس هو شركة جسد المسيح فانّا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لانّا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » فهذه الكأس وهذا الخبز لمّا رسمهما الرب كمربون الوحدة بين تلاميذه قال لهم : « كلوا . واشربوا منهُ كلكم »

وما لبث السيد المسيح ان صعد الى السماء وارسل روحهُ الذي حلّ على تلاميذهِ فتأيدوا بقوّتهِ . لكنهم عرفوا « انّ حياة الروح كحياة الجسد معرّضة للضعف والفشل اذا لم يسندها الطعام الذي أُعطي من الرب ولذلك يقول لوقا الرسول في الاعمال (٢ : ٤٢) انّ المسيحيين الاوّلين « كانوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات »

وبقي المؤمنون في الاجيال الاولى مثابرين على تلك العادة الحميدة فيتقرّبون كل يوم الى ينبوع الحياة إمّا في المجتمعات العامّة في الكنيسة كما اشار اليهِ صاحب الاعمال وبولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٠) ويوستينوس في دفاعهِ عن النصرانيّة واما في بيوتهم حيث كانوا يحفظون جسد الربّ فيتناولونه كل يوم في عزلتهم كما افادنا ترتليانوس والقديس قبريانوس وايريناوس

على انّ الايمان ضعف بعد ذلك بفعل البدع التي انتشرت في الكنيسة وبسبب

غزات البرابرة الذين زحفوا على المملكة الرومانية ثم لاجل الحروب التي جرت بين الامم المسيحية وكان امتداد الكنيسة في اقاصي البلاد مع صعوبات المواصلات يصرف ايضاً نظر ارباب البيعة عن المؤمنين فصار التقرُّب من سرّ القربان الاقدس نادرًا حتى انَّ الاحبار الرومانيين والمجامع المقدَّسة وضعوا حدودًا لذلك مَن تجاوزها اخطأ خطأً مميتاً

ثمَّ قام في الكنيسة رجال ابرار يتلهَّبون غيرةً على خلاص النفوس كالقديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانية اليسوعية والقديس فيليب دي نيري والقديس فرنسيس دي سال والقديس الفنس ليغوري وغيرهم كثيرين فنشروا العبادة القربان الاقدس وحثُّوا المؤمنين على المناولة المتواترة وتصدَّى اليسوعيُّون لبدعة جنسانيوس الساعية بابعاد المسيحيين عن سر الافخارستيا. فاتت مساعي هؤلاء مكلَّلة بالنجاح

ومن ثمَّ جعل الكاثوليك يزيدون رغبةً في التقرُّب من خبز الملائكة ولاسيما في القرن التاسع عشر بعد خمود نار الثورة الفرنسويَّة حيث شعر الكثيرون بوجوب قتل الكفر بالاقبال على الاسرار المقدسة. وقد حرَّض الاحبار الرومانيون كيوس التاسع ولاون الثالث عشر على التقرُّب المتواتر الى سرّ محبة الله في القربان

ولكن لم يبلغ منهم احد شأو قداسة رأس الكنيسة البابا الحالي فانَّهُ استحقَّ بان يُدعى رسول الافخارستيا. فمذ تبوَّأ عرش الخلافة البطرسية صرف مفروغ جهده الى دعوة المؤمنين الى ذلك الخبز الجوهري الذي نطلبهُ في الصلاة الربانية فانَّهُ في البراءات البابويَّة الاولى التي اصدرها كان يكرّر على كافة المؤمنين رغبتهُ في رؤية ابنا الله ملتفين كلَّ يوم حول المائدة الالهيَّة وفي ٢٠ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٥ فصل الحكم في ذلك وأثبت في رقيم اصدرهُ المجمع المقدَّس قانونيَّة المناولة اليوميَّة لكافَّة المؤمنين وأعلن برغبة السيد المسيح والكنيسة الكاثوليكيَّة في ان يتقرَّب الملهيُّون فضلًا عن الكهنة وارباب الدين الى ذلك السرّ الالهي مصرّحًا بانهُ لا يحول دونهُ سوى الخطإ المميت الواجب رحضهُ في سرّ التوبة

ثم اردف امام الاحبار فعلهُ ذلك بتسهيل امر المناولة على المرضى حتى الذين لم يمكنهم الصوم من نصف الليل تحت شروط معلومة وبمنحه الغفارين على المتقرّبين بالتواتر وحضّ الرعاة على اقامة الثلاثيات الاستعداديَّة لعيد القربان الاقدس

وما لبث ان رأى في تأخير الاطفال عن المناولة اجحافاً بحقّ نفوسهم فامر بان يتقرَّبوا عند بلوغهم سنّ التمييز بعد وقوفهم على اهمّ العقائد الدينيَّة

فكان لهذه النهضة الدينية الوقع الحسن في كل الصدور وزاد اقبال المؤمنين على التناول اضعافاً على ما كان قبلاً. فانَّ في كنائس رسالتنا السوريَّة قدَّم المؤمنون نيفاً ومئة الف مناولة على نيَّة الحبر الاعظم ودوَّنوا اسماءهم في سجلّ غاية في الرونق قدَّموه الى امام الاحبار في سنة يوبيله الاسقفي فسرَّ بهِ ايَّ سرور

*

على انَّ تلك الحركة الشائقة نحو سرّ القربان الطاهر التي عمَّت اقطار العالم المسيحي وجدت في بعض الكنائس الشرقية الكاثوليكية عوائق لم تلقها في بلاد اخرى وذلك اوَّلاً بسبب مادَّة الخبز المستعملة في بعض الطوائف وهو الخبز الخمير الذي تقدّسه الكنائس اليونانية على اختلاف لغاتها ثم السريانيَّة والكلدانيَّة والقبطيَّة وثانياً لعلَّة المناولة على شكلي الخبز والخمر في الكنائس اليونانية وفي الكنيسة السريانية فقط فكان الشرقي التابع لهذه الطقوس اذا اراد التقرُّب في الكنائس اللاتينيَّة او المارونيــة او الارمنيَّة التي تقدّس الخبز الفطير منعتهُ عن ذلك القوانين الجارية بامر الكرسي الرسولي الَّا عند الضرورة التامَّة ومثلهُ اللاتيني والماروني والارمني في الطقوس ذوات الخبز الخمير لم يُسمح لهم تناول الخمير تحت طائلة الخطأ

على انَّ الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رقيم اوَّل اعلنهُ بجمع انتشار الايمان في ١٨ آب سنة ١٨٩٣ ثمَّ في براءتهِ الجليلة المنونة « بشرف الكنائس الشرقيَّة » (Orientalium dignitas Ecelesiarum) خفَّف نوعاً هذا العبء الثقيل على عاتق النفوس التقيَّة فانَّهُ منح في رقيمهِ للكاثوليك من اهل الطقسين (الشرقي والغربي ان يتناولوا في طقس غير طقسهم في الاماكن التي لا يوجد فيها كاهن او كنيسة من طقسهم الخاصّ. امَّا في براءتهِ السابق ذكرها فانَّه بعد تأييدهِ لامتيازات الكنائس الشرقيَّة وتوسيعها بنعم جديدة اذن لكلّ الكاثوليك من الطقسين ان يتناولوا على شكل الخبز الفطير او الخمير في كل موضع لا يستطيعون دون ان ينالهم انزعاج كبير الذهاب الى كنيستهم بسبب بُعدها. لكنهُ قيَّد ذلك بشرطين ان يبقى الحكم في امر هذه المناولة للسادة المطارنة وان لا يُعدَّ التناول على غير طقس المتقرّب كتغيير لطقسهِ

لكنَّ هذه التسهيلات ذاتها لم تحلّ المشكل حلًّا وافياً اذ لم يستطع كثيرون من المؤمنين ان يفرزوا بين الانزعاج الكبير او الخفيف كما انهم لم يمكنهم في كل وقت ان يلتجئوا الى السادة الاساقفة فكانوا لا يزالون في ريب من امرهم فيمتنعون عن المناولة المتواترة ولا سيما اليومية التي حضَّ عليها امام الاجبار فجاءت البراءة البابويَّة الاخيرة مزيلة لذاك المشكل مبطلة للحواجز التي كانت بين اهل الطقسين دون ان تمسّ في شيء كرامتها

وهنا لا بُدَّ من ان نعود بنظرنا الى تاريخ الكنيسة وعاداتها في ممرّ الاجيال لنتأكد انَّ قداسة نائب المسيح لم يأتِ بمنحه رخصة المناولة الحرَّة امرًا عجيباً يخالف في شيء الكتب المقدَّسة او تقاليد الكنيسة في اجيالها الاولى حتى القرون المتوسطة وانَّما ألغى حكماً موقتاً لبعض اسلافه في القرون الاخيرة

*

دعنا اوَّلًا نبحث عن امر المناولة على الخبز الفطير او الخمير. لا بدع انَّ السيد المسيح في العشاء السرّي احال الخبز الى جسده والخمر الى دمه. فهذه حقيقة تشهد عليها الاناجيل المقدَّسة ورسائل بولس الرسول وآثار كل الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة بلا استثناء في طقوسها وعاداتها وتقاليدها المتواترة جيلًا بعد جيل حتى اوائل النصرانية

فالخبز الذي قدَّسهُ الربّ هو الفطير كما يصرّح به الانجيليون الثلثة متى (٢٦: ١٧) ومرقس (١٤: ١٢) ولوقا (٢٢: ٧) بقولهم ان المسيح اكل الفصح في اوَّل يوم الفطير. وكان موسى نهى اليهود من قبل الله عن ان يأكلوا غير الفطير في فصحهم مدَّة سبعة ايَّام (خروج ١٢: ٢٠) فتعين من قول الانجيليين السابق انَّ المسيح قدَّس الخبز الفطير. ما لم يزعم الزاعم انَّ المسيح اكل الفصح قبل اوانه وهذا مما لا يوافق نصّ الانجيل ويخالف الشريعة مع انَّ الربّ اكد غير مرَّة انَّه اتى ليتمم الشرع فلا ينقض منهُ حرفاً. امَّا ما يؤخذ من آيات يوحنَّا (١٣: ١ — ٢ و ١٨: ٢٨ و١٩: ٣١ و٤٢) ان اليهود لم يأكلوا بعد الفصح وان يوم صلب المسيح كان يوم التهيئة فشكل كتابيّ سعى مفسرو الاسفار المقدَّسة بفضّه حلّوهُ

على طرائق مختلفة تثبت كلها عدم الاختلاف بين الاناجيل الثلاثة وقول يوحنا. وهو بحث خاض عبابهُ حضرة الاب انطون صالحاني في المشرق (١(١٨٩٨): ٧٧ و١٠٨) فتحيل اليهِ القرَّاء انفةً من التكرار

ثمَّ لو سلَّمنا للمعترض ان المسيح قدَّس في العشاء السرّي الخمير لا الفطير فيبقى انَّ المسيح قدَّس الفطير مساء الاحد اذ ظهر للتلميذين السائرين الى عمواس فاكل معهما واعطاهما سرّ جسدهِ عندما « اخذ خبزًا وبارك وكسر وناولهما... فعرفاه عند كسر الخبز » (لوقا ٢٤: ٣٠ و٣٥) وكان الخبز فطيرًا لوقوع ذلك الاحد في جملة الايام السبعة التي فُرض فيها استعمال الفطير

فان كان لا بُدَّ من الاقرار بتقديس السيد المسيح للفطير فلا تثريب على الكنيسة اللاتينية ومثلها الكنيستان الارمنية والمارونية لاستعمالها الفطير في القدَّاس

وان استقرينا التاريخ الكنسيّ من عهد الرسل الى ايام ميخائيل كرولاريوس في القرن الحادي عشر وجدنا الكنائس المنبثَّة في كلّ اقطار المسكونة شرقًا او غربًا يُقدّس بعضها على الخمير وبعضها على الفطير دون ان يحاجّ احد الفريقين الفريق الآخر بل ربَّما اختلفت العادة في الكنيسة الواحدة فقدَّمت الذبيحةَ تارةً على الخمير وتارةً على الفطير على مقتضى تقدمة المؤمنين الذين كانوا يأتون قديمًا بالخبز الذي يخبزونهُ في بيوتهم سواء كان خميرًا او فطيرًا لعلم الجميع بانَّ كليهما يُسمَّى خبزًا ويصلح لتقدمة الهيكل والذبيحة وقد وجدوا لكلّ شكل معاني رمزيَّة فيرون في خميرة الخبز الخمير شبهًا بنفس المسيح المحيية لجسدهِ ويرون في الفطير الخلوص والحقّ كما قال الرسول (١كور ٥: ٧—٨): « ألقوا عنكم الخمير العتيق لتكونوا عجينًا جديدًا.. ولنعيّد لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء بل بفطير الخلوص والحق » فضلًا عن كون مستعملي الفطير كانوا يعتبرون عملهم موافقًا لامر الرب لموسى في سفر الاحبار (٢: ٤) حيث قال: « وان قرَّبتَ قربان تقدمة مخبوزًا في تنُّور فليكن جرادق من سميذ فطير... ورُقاق فطير... »

وكذلك الشواهد الواردة في اعمال الكتبة الكنسيين والآباء الاوَّلين فتجد بينها نصوصًا تخصُّ بالذكر الخبز الخمير او تصرّح باستعمال الفطير. وقد جمع البعض

هذه الاقوال التي لا يُستنتج منها الّا امر واحد جواز استعمال ايّ خبز كان من البرّ للتقديس ولا ننكر انَّ الخبز الخمير زاد شيوعاً في كنائس الشرق على الفطير الذي شاع اكثر في كنائس الغرب

وكان المؤمنون المنتقلون من الشرق الى الغرب لا يتردَّدون في التقرُّب من الخبز المقدَّس وإنْ فطيراً كما كان الغربيُّون في كنائس الشرق يتزجون باهلها فيتناولون القربان على شكل الخمير

لنا على هذا الاشتراك المتبادل في المناولة عدَّة دلائل منها ما رُوي في كتاب الاحبار (Liber Pontificalis, *ed. Duchesne*, I, 354) انَّ سفير الحبر الروماني جان اسقف بورتو تولَّى في كنيسة آجيا صوفيا في عاصمة الروم رتبة القدَّاس مع الاساقفة اليونان

واغرب من ذلك شهادة جليلة وردت في رسالة للبطريرك ميخائيل كيرولاريوس نفسهِ حيث كتب لبطريركي الاسكندريَّة وانطاكية ما رواه المشرق (١٤٤:١) نقلاً عن بارونيوس المؤرخ (ج ١٧ ص ٩٣) وهذا نصُّها الشائق معرَّباً « أتصل بنا انَّ بطريركي الاسكندريَّة واورشليم لا يكتفيان بان يقبلا في شركتهما اولئك الذين يستعملون الفطير بل انَّهما يستعملان هما ايضاً في الذبيحة المقدَّسة الخبز الفطير »

فهذه الشهادة من فم اكبر اعداء الكنيسة الرومانية تكفي لتفهم كل معترض لاستعمالها الخبز الفطير في التقديس والمناولة كأنَّها تأتي بذلك امراً منكراً. وزد على هذا الرسالة التي استشهد بها الحبر الاعظم من قول ايزودورس اسقف كياف حيث حضَّ هذا المطروبوليت شعبهُ على قبول الاسرار من ايدي الكهنة اليونانيين او اللاتين على حدٍّ سواء اذ كلهم ابناء كنيسة واحدة

على انَّ هذا الاتفاق لسوء احوال تلك الازمنة لم يدم طويلا وكأنَّ الاتراك على حاضرة ملك الروم ففتحوها واسرعوا الى وضع حاجز فاصل بين كنيستي الغرب والشرق بغيةً في التسلط على ممالكها جميعاً بعد تفريق كلمتها وفقاً للمبدأ الشهير « اقسم تملك »

وكلّ يعرف كيف دخلت الكنائس الشرقية في طور جديد بواسطة المرسلين

اللاتين منذ القرن السادس عشر. فانضمَّ الكبوشيون والكرمليون واليسوعيون الى اخوتهم الرهبان الفرنسيسيين وخلَّفوا لكنيسة المسيح شعوباً جديدة من كلدان وروم كاثوليك وارمن وسريان عادوا الى الحظيرة البطرسية وابهجوا قلب امنا الكنيسة بارتدادهم

على انَّ الكنيسة الرومانية رغبةً في توطيد ايمانهم لم تشأ ان تمسَّ في شيء طقوسهم الجليلة الموروثة عن آبائهم القديسين. ولذلك قد نشر الاحبار الاعظمون الرسائل المكرَّرة في تعظيم الطقوس الشرقيَّة والمحافظة عليها بكل تدقيق وربما تهدَّدوا بالتأديبات الكنسيَّة المرسلين اذا ما حاولوا ان يغضّوا من قدرها او يجلبوا المؤمنين الشرقيين الى مغادرتها. وكان من جملة ما نهوا عنهُ الاختلاط في مناولة القربان الاقدس على غير طقس فوضعوا بذلك حدوداً لبعض حقوق المؤمنين مفتدين به الخير العام على العبادة الخاصَّة

الَّا انَّ احوال الشعوب قد تغيرت اليوم فترى الشرق والغرب قد امتزجا امتزاج الماء بالراح وصار الكلّ يعرفون انَّ الطقوس مع عظم شأنها ووجوب حفظها ليست بأمور جوهريَّة. ومن ثمَّ لا ينقص شيء من كرامتها اذا دعا الداعي الى التساهل في توسيع نطاقها لما ينجم عن ذلك من الفوائد العميمة لذوي الكنيستين كتوثيق عرى الايمان ونموّ الحبّ والاخاء اذ يجلس كل الكاثوليك على مائدة واحدة ويأكلون خبزاً واحداً من فطير او خمير بلا اختلاف

وكان ارباب الكنيستين قد احسّوا بذلك فرفعوا غير مرَّة معاريضهم الى الكرسي الرسولي في تعميم المناولة الحرَّة للمؤمنين على اي طقس شاؤوا لئلَّا يُحرم الشرقيون او الغربيون من نعمة التقرُّب في ظروف كثيرة

ولما عُقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ تجدَّدت تلك المعاريض للكرسي الرسولي طالبةً الحريَّة التامَّة في المناولة على اي طقس كان فاحال الحبر الاعظم طلبهم الى لجنة لتفحصهُ. وكان في تلك اللجنة الطيب الذكر بطريرك السريان بهنام بني احد الراغبين في المناولة الحرَّة كما انَّ بطريرك اللاتين في القدس السيد يوسف فالركا كان يرى خيراً عظيماً في الترخيص بها

وعليه فلا يكون قداسة البابا بيوس العاشر الَّا محققاً لرغائب معظم المؤمنين

الكاثوليك في انحاء الشرق اذ فوّض بهذه النعمة الجزيلة فلهُ منّا الشكر العميم

*

هذا وقد بقيت قضيّة اخرى حكم فيها ايضاً نائب المسيح الحكم الفصل ببراءته الاخيرة لها علاقة مع الامر السابق اعني المناولة على شكلي الخبز والخمر فكما منح قداستهُ الاجازة لسائر المؤمنين بان يتقرّبوا على طقسي الخبز الفطير او الخمير على مقتضى مشيئتهم كذلك رخّص ضمناً للجميع بان يتناولوا على الشكلين او على الشكل الواحد كما يشاؤون وبهذا الحكم ايضاً ازال مشكلاً كبيراً شغل عقول ابناء الكنيسة الجامعة منذ قرون عديدة

ولهذا الحلّ اساسٌ ايضاً في اسفار العهد الجديد وفي عادة الكنائس واقوال الآباء القديسين

فيؤخذ من العهد الجديد ان السيد المسيح قدّس شكلي الخبز والخمر واعطاهما في العشاء السري لتلاميذهِ اجمعين وامرهم بان يفعلوا هم ايضاً كذلك لذكرهِ وجعلهم بقولهِ هذا كهنةً في كنيستهِ ليقدّموا الذبيحة الطاهرة على شبه طقس ملكيصادق اعني تحت شكلي الخبز والخمر. وكذلك كان سبق وقال لليهود اذ بشّرهم بقرب انشائهِ لسرّ القربان (يوحنا ٦: ٥٤ — ٥٧) «ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمهُ فلا حياة لكم في انفسكم مَن يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابديّة وانا اقيمهُ في اليوم الاخير لانَّ جسدي هو مأكل حقيقي ودمي هو مشرب حقيقي من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيهِ» وجاء مثل ذلك في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتيوس (١٠: ١٣ و ١١: ٢٣ — ٣٠)

على انَّ امر الربّ ومواعيدهُ للمتقربين من سرّ الافخارستيا تعمُّ ليس فقط المتقربين من شكلي الخبز والخمر بل المتقربين من الشكل الواحد ايضاً ومن ثمَّ لا يجوز القول بان السيد المسيح امر كل المؤمنين بالمناولة على الشكلين كما امر رسلهُ والكهنة من بعدهم ان يقدّموا الذبيحة على الشكلين. وذلك انّنا نرى الرب لا يقدّم لتلميذي عمواس غير شكل الخبز بعد ان باركهُ وكسرهُ. وكذلك في اقوال الربّ لليهود ربّما قصر كلامهُ على الخبز فقط حيث قال (يوحنا ٦: ٤٨ — ٥٣): «انا خبز الحياة آباؤكم اكلوا المنّ في البريّة وماتوا. هذا هو الخبز النازل

من السماء لكي لا يموت كل من ياكل منهُ . . . ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيهِ انا هو جسدي لحياة العالم » . ومثلهُ قول بولس الرسول (١ كور ١١ : ٢٧) : « اي انسان اكل خبز الربّ او شرب كأسه على خلاف الاستحقاق فهو مجرم الى جسد الربّ ودمهِ » فتهدَّد بالجرم آكل الخبز وحدهُ او شارب الخبز وحدهُ بوضعهِ اداة الفصل

ويؤيد قولنا صاحب اعمال الرسل (٢ : ٤٢ و٤٦) الذي ذكر المؤمنين ومثابرتهم على الصلاة « وكسر الخبز » اي مناولة القربان الاقدس كما اتفق عليهِ المفسرون دون ذكر شكل الخبز

ثمَّ انَّهُ من المعلوم انَّ جسد الربّ بعد قيامتهِ جسدٌ حي متحدة بهِ نفسهُ الناطقة ولاهوتهُ الاقدس وكذلك دمهُ الزكي لا ينفصل عن جسدهِ ولاهوتهِ فمن اقتبل احد الشكلين نال السيد المسيح كلهُ بلا انقسام . على أنَّنا لا ننكر ان التقرُّب على الشكلين ادلّ على المأدبة الالهيَّة التي يدعونا اليها المخلص لذكرهِ السجود كما ان الذبيحة لا تُقام الَّا بتقدمة الشكلين كما امر بهِ السيد المسيح تلاميذهُ بقولهِ « اصنعوا هذا لذكري »

وان استقتينا بعد ذلك عادات الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة وجدنا لديها سنداً في اثبات المناولة على شكل الخبز فقط او على الشكلين وكانت العادة الغالبة ان يتناول المؤمنون جسد الربّ ودمهُ تحت الشكلين في الكنائس اذا حضروا الذبيحة في حفلات أيام الاحاد والاعياد . امَّا خارجاً عنها فكانت المناولة في الغالب على شكل الخبز فقط وذلك انَّ المؤمنين في الاجيال الاولى كانوا يحفظون في بيوتهم جسد الرب ليتناولوا بذلك الخبز السماوي في مدَّة الاسبوع يشهد على عادتهم كتبة القرون الاولى كترتوليان في كتابهِ الى زوجتهِ والقديس قبريان في كتابهِ عن الساقطين والقديس ايرونيموس في رسائلهِ

وكذلك كان السيَّاح والنسَّاك يأتون الى المدن ليحضروا حفلة القدَّاس أيام الأحد ثمَّ يعودون الى مناسكهم ومعهم جسد الرب تحت شكل الخبز فقط فيتناولونهُ في العزلة . اشار القديس باسيليوس الى ذلك في رسائلهِ وروفينوس في تاريخ الرهبان وبلاديوس في الاخبار الرهبانية (Historia Lausiaca)

ومما شهد لهُ المؤرخون الاقدمون ايضاً كارسابيوس القيصري في تاريخهِ الكنسي (ك ٦ ف ٤٤) وبولينوس الكاتب في ترجمة القديس امبروسيوس انها كانت عادة مألوفة في الكنائس ان يُحفظ في صوان خاصّ جسد الربّ تحت شكل الخبز وحده ليُحمل للمرضى ومن ثمّ لم يكن المرضى يتناولون غير الخبز دون الخمر ما لم يتناولوا قريباً من الكنيسة وبُعيد الذبيحة المقدَّسة

بل وردت في التواريخ القديمة بعض النصوص المثبتة انهم كانوا يتناولون ايضاً في الكنيسة على شكل الخبز فقط. من ذلك ما رواهُ المؤرخ سوزمان (ك ٨ ف ٥) عمّا جرى لامرأة هرطوقية في عهد القديس يوحنّا فم الذهب التي استبدلت مراءاةً الخبز المقدَّس بخبز آخر استحضرتهُ لها احدى جواريها فما كادت تدنيهِ من شفتيها حتى صار حجراً صلباً ولصق بفيها فادركت قبح صنعها واقرّت للقديس يوحنّا بجريمتها منيبة فاخرج الحجر من حنجرتها وابقاه في خزانة كشاهد على تلك المعجزة. وقد شاهد سوزومان ذلك الخبز المتحجر الباقي الى زمانهِ (راجع كتاب نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنّا فم الذهب ص ٤٩) وكفى بذلك دليلاً على انَّ القربان الاقدس كان يُعطى احياناً تحت شكل الخبز فقط

وكذلك افادنا القديس لاون الكبير بابا رومية في القرن الخامس في مبر الثاني والاربعين انَّ المانويين الذين كانوا يكرهون الخمر ويعدُّونهُ من مخترعات ابليس كانوا يندسُّون في جملة المؤمنين فيتناولون جسد الربّ «تحت شكل الخبز وحدهُ». ولمَّا قام خلفهُ القديس جلاسيوس امر بان يتناول كل المؤمنين الشكلين اي الخبز والخمر ليمتاز الكاثوليك عن المانويين. فبقي الامر كذلك مدَّة الى ان توارى اشياع ماني

وما لا يُنكر ان عادة المناولة على شكل الخمر بظلت في معظم الكنائس بدافع الظروف الشخصيَّة والمكانيَّة والزمانية

فاما الظروف الشخصية فلأنَّ كثيرين لاسيما من الاطفال والنساء يأنفون من شرب الخمر بل من رائحتها فاضطرّ الامر الكهنةَ في عدَّة كنائس ان يكتفوا بشكل الخبز. وزد عليهِ الخطر في اهراق الدم الكريم لسبب تزاحم المتناولين واضطرابهم في حركاتهم سواء شربوا من كأس واحدة او تناولوا القربان من الملعقة

فضلاً عن اشمئزاز البعض من شرب كأس او لَعْق ملعقةٍ مسَّها اشخاص ذوو عاهات ظاهرة او خفيَّة

واما الظروف المكانية التي دفعت كثيراً من ارباب الكنائس على ابطال المناولة على شكل الخمر فاصعوبة استحضار كمّيَّة كافية من الخمر في انحاء لم تُغرس فيها الكروم كالاقطار الشمالية او البلاد التي يُحظر فيها استحضار الخمر كبلاد المسلمين لاسيما اذا كثر عدد المتناولين

واما ظروف الزمان فلأنَّ الكنيسة قد اعتادت اكرام القربان الاقدس بحفظهِ في الكنائس ليلاً مع نهار للتقرُّب منهُ ولنقلهِ للمرضى ولزيارتهِ والسجود له وهذا مما يصعب اجراؤهُ في شكلي الخبز والخمر معاً لما يطرأ على اعراضهما من الفساد السريع اذا امتزجا. وهذا الخطر بعيد اذا حُفظ شكل الخبز وحدهُ لا سيما اذا جُدِّد كل ثمانية ايام وعلى الاقلّ كل خمسة عشر يوماً كما امر المجمع المقدَّس

فكلّ هذه الاسباب اوجبت بعد ردهة من الزمان ابطال عادة التناول على الشكلين فأُلغيت تاماً في الكنائس اللاتينيَّة والارمنيَّة والكلدانية والمارونية وبقي منها اثر خفيف في الكنيسة السريانية والكنيسة القبطية اذ يجعل الكاهن بعض نُقط من الدم الكريم على شكل الخبز قبل ان يُكسر فيقدّمهُ للمؤمنين . على انَّ هذا لا يكاد يصدق فيهِ معنى الشرب

فبقيت الكنيسة اليونانية وحدها محافظة على توزيع القربان على الشكلين ولعلَّ فعلها هذا كان من اعظم الاسباب في قلة عدد المتناولين في السنة اللهمَّ الَّا خميس العهد وبعض الاعياد الكبيرة. ومن غريب ما يجري عليهِ الروم الارثذكس انَّهم اذا قدَّسوا الخبز في خميس العهد حمَّصوهُ وطحنوه ومزجوه ببعض النقط من الخمر المقدَّسة وعلى هذه الصورة يحفظونهُ في كيس ويناولون منهُ المرضى والاطفال. وكل يرى ما في هذه العادة من قلة الاكرام لجسد الرب فضلاً عن انَّ هناك لم يبقَ اثرٌ للخمر ولا يجوز القول بان التناول يكون على شكلي الخبز والخمر

ومهما كان من الامر فانَّ خليفة هامة الرُّسل باطلاقهِ الحرِّيَّة للمؤمنين اقرَّ للكنيستين بصوابيَّة عملهما بل منح الكنيسة اليونانيَّة انعاماً جزيلاً اذ رخَّص لنحو مائتين وخمسين مليوناً من المؤمنين ان يجروا على مثال ابنائها فيتناولوا جسد الربّ

تحت شكليهِ اذا شاؤوا وهو امرٌ طالما رفضتهُ الكنيسة الرومانيَّة على اولادها سابقاً بل ردَّت طلبة ملوك المانية وبوهيمية والمجر الذين التمسوا تلك النعمة بالحاح لرعاياهم اللاتين . ثم انَّها بتساهلها هذا قد اوصدت الباب في وجه كثيرين من الشرقيين لاسيما الوجوه منهم الذين كانوا يطلبون الانتقال من طقسهم الى الطقس اللاتيني رغبةً في المناولة المتواترة وانفةً من استعمال الملعقة . فلم يبقَ لهم اليوم من داعٍ لمبارحة طقسهم

فالشكر اذن كل الشكر لقداسة البابا بيوس العاشر الذي وطَّد دعائم الطقوس الشرقية وضاعف ببراءتهِ هذه الجديدة روابط الحبّ والاخاء بين الشرق والغرب فيستطيع ابناؤهما ان يصرخوا مع النبيّ (مز ١٣٢ : ٢) : « ما اطيب وما الذّ ان يسكن الاخوة معاً » ويجلسوا على مائدة واحدة ويأكلوا خبزاً واحداً ويشربوا من كأس واحدة وبما تتمُّ الوحدة بين الكنيسة الظافرة والكنيسة المجاهدة حيث تزول احجاب الاسرار ويتمتَّع الابرار بنظر ذاك الاله الذي كشف لهم ايانُهم على الارض عظمَ جلالهِ وسموَّ جبروتهِ فاهَّلهم لان يروهُ وجهاً لوجه الى منتهى الادهار

شواعري في مدينة النور

للشاب الاديب الدكتور اميل عرب

وما ادراك ما مدينة النور ! هي عاصمة فرنسة في اصطلاح اهلها بل في عُرف جميع سكَّان العالَمين . دخل بنا القطار الطيَّار (الاكسبرس) في محطَّتها المدعوَّة محطة ليون ونحن وافدون اليها من مرسيلية في ضحى اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني من السنة المنصرمة . فما رنَّ في آذاننا اسم باريس عندما صرخ بهِ رائد القطار حتى شعرتُ في نفسي شبه هزَّة كهربائيَّة كادت تسحرني

وبعد هنيهةٍ ركبتُ الاوتومبيل فجعل يتطاير بي في شوارع باريس الفسيحة بين قصورها ومبانيها الفخيمة التي ذكَّرتني بما كنتُ اقرأهُ في حداثة السنّ عن المدن الموصوفة في اساطير الف ليلة وليلة . على انَّ مخيّلة الانسان كثيراً ما تعظِّم لهُ

الاشياء عن بُعد فينظمها في طرائف عالم الاوهام فاذا رآها في حقيقتها استصغرها وهذا ما جرى لي في تلك الساعة اذ عقب انذهالي الاوّل نوعٌ من الخيبة لمّا رأيتُ عاصمة الفرنسيس كغيرها من المدن وان كانت اعظم واجمل منها وسكّانها اوفر من سواها

*

مرَّ علينا في باريس احد عشر شهرًا فودَّعناها في ٢٦ ايلول مساء وركبنا القطار عينهُ ليعود بنا الى مرسيلية. وكان في محطة ليون نحو اربعين من اصدقائنا الفرنسويين والوطنيين قد رافقونا لتشييعنا فتبادلنا عبارات الوداد حتى آن وقت الرحيل فتحرَّك القطار يقلّنا الى جنوبي فرنسا وكان آخر نظرنا متَّجهاً الى مدينة النور والى اولئك الاصدقاء الذين كانوا يسلّمون علينا سلام الوداع فنشير اليهم بمناديلنا الخافقة كخفقان قلبنا

ما لبثت باريس ان توارت عن الابصار وانطرحتُ انا على صُفَّة القطار مسندًا رأسي الى وسادتها فحسستُ في نفسي بهزَّة جديدة او بالحري باضطراب عظيم كأني ارى حالي بين حيّ وميت وبين عالم الوهم وعالم الحقيقة

ففي تلك الاثناء مرَّت بازاء عيني كالبرق كلّ الامور والمشاهد التي عاينتها مدَّة اقامتي في باريس فلاحت لي فرنسة بعظمتها ورونقها مجسَّمةً في رؤيا عاصمتها فرأيتُ سلطانة الاعصار الجديدة في رونق مثلث زادها في قلبي حبًّا واعتبارًا

تصوَّرتُ لي فرنسة بسطوتها وقوَّتها العجيبة التي اكسبتها مرارًا الفخر المؤبد في اعين سائر الدول. وكنت قد رأيتُ في استعراض عيد الدولة الواقع في ١٤ تموز ما خلب لبّي وسبى قلبي حيث سار امام عمدة ممثلي الدولة وجمهور الحضور ١٢٠,٠٠٠ من الجند على مختلف ازيائهم وفرَقهم منهم الرَّجل والخيل ومنهم راكبو الدرَّاجات والطيَّارون في الجوّ ومنهم ارباب البطاريات والبحريون وكانوا كلهم يسيرون في نظام عجيب ورُواء مهيب وكان ختام استعراضهم حملةً مثلها ٤٠,٠٠٠ فارس فاقتحموا بجيادهم اقتحام الرجل الواحد مسلّمين على رئيس الجمهوريَّة. وفي مساء النهار طافوا في شوارع باريس وفي ايديهم المصابيح الزاهية الالوان تتقدَّمهم الراية الوطنيَّة وتصدح امامهم الموسيقى العسكريَّة بكل انغامها الحماسيَّة وكان

الشعب يسير على جوانبهم بكل تحشم ولا يراهم الراني الّا انحنى ليحيّي الوطن العزيز الممثّل برايتهِ المجيدة الخافقة فوق رؤوسهم

هذه صورة القوّة والبسالة تذكرتُها وقتئذٍ فصرختُ مع ابناء الوطن: فلتحيَ امّة الفرنسيس! فلتحيَ فرنسة الباسلة!

*

على انّ هذه القوّة الماديّة لم تعمل فيَّ كما عملتهُ قوّة فرنسة الادبيّة. فخطرت على بالي وقتئذٍ تلك الاعمال العظيمة والمشروعات الجليلة التي تفوق بها الامّة الفرنسويّة على جميع الامم من نوادٍ علميّة ومدارس عالية لا تُحصى لاحراز كلّ المعارف البشريّة المنبثّة في انحاء المعمور ومتاحف جمعت الطاف العالم وكنوزهُ المتفرّقة في واحد كمتحف اللوفر وكنائس يحيّر بناؤها عقول كبار المهندسين كنوتر دام ومنتمرتر وقصور فخيمة كالتروقاديرو ومشاهد عظيمة كالپانتيون والانفاليد ومباني خيريّة لا يضبطها احصاء. فكلّ ذلك كان يتخيّل لي فيذكرني برفيع مقام فرنسة من حيث الآداب والعلوم والفنون الجميلة والاعمال الخيريّة فلم اتمالك ان صرختُ: فلتحيَ فرنسة امّ الرجال العظام وسلطانة العالم الادبيّ بين شعوب المعمور!

*

وما كاد يخرج هذا الصوت من قلبي حتى اوقفني فكر آخر اطرب قلبي واقرّ عيني فرأيتُ فرنسة في منظر آخر أنساني مفاخرها السابق ذكرها وقوّتها الماديّة ومقامها الادبيّ الفريد ألا وهو رونقها الدينيّ وايمانها الحيّ. كنتُ اسمع قبل دخولي باريس انّ الدين كاد يُطمَس من قلوب الفرنسويين فأيم الله ان ذلك لإفك وكذب فاني في مدّة الاشهر التي قضيتها في عاصمتهم رأيت من دينهم ما اخجلني عن ضعف دين بعض مواطنيّ

نعم ليس دين الفرنسويين متوقفاً على بعض المظاهرات الخشوعية التي تُرى في بلادنا ولا على طول الاقامة في المعابد والصلوات المستطيلة وانّما ايمانهم يظهر بالعمل اكثر منهُ بالعواطف

وكان اعداء الدين يحسبون انهم اذا فصلوا الدين عن الكنيسة قتلوا الدين في القلوب واطفأوا نورهُ الساطع فخاب املهم وكذب حسبانهم فترى اليوم الدين في

فرنسة معززاً ظافراً في كلّ طبقات الأمة دون استثناء. واذ كنت ازور كنائس العاصمة كان يأخذ مني العجب مأخذهُ اذ ارى الجماهير المجمهرة يتقاطرون اليها خاشعين متورّعين بلا حياء بشري فسألت احد كبار القوم عن سبب هذا التزاحم فاجابني : « انما هذا ثمرة تحامل اعداء الدين علينا لانَّ الايمان كان كامناً في قلوبنا فلمَّا شنَّ اخصامنا علينا الغارة انتعش وازدهر واستيقظ النائمون من سُباتهم فعاد للدين بهاؤهُ »

قلتُ : وما هذا الشعار المكتوب على ابواب كنائسكم : حرّية . مساواة . اخاء

قال : « ومَن اجرى بهذا الشعار منَّا الكاثوليك لأننا لا نكتفي بقشرة الالفاظ بل نلزم معناها تماماً

« فالحرّية لدينا نحن الكاثوليك ان نتمسَّك بعرى الدين ونجاهر بعبادتنا الصحيحة فنعطي كلًّا حقّهُ لله ما لله ولقيصر ما لقيصر ولسنا لنتعرَّض لمن لا يوافقنا في معتقدنا ولكننا نريد ايضاً ان يقيسنا الغير بالمثل فيدَعونا نخدم الله كما نشاء

« والمساواة ليست عندنا اسماً بلا جسم . ادخل كنائسنا تجد الكبير والصغير الغني والفقير الخامل الذكر والشهير الرئيس والمرؤوس ممتزجين امتزاج الماء بالراح فلا يُبطر الغنيَّ غناه ولا يقنط الفقيرَ فقره فكلٌّ يقنع بما قسم لهُ الله واذا اضطرتهُ الحاجة وجد من يؤاسيهِ ويسدّ عوزهُ . وربَّما كان الفقير رئيساً في الكنيسة يخضع لسلطتهِ الاعيان والذوات

« ومثلهُ الاخاء فلن تعهدهُ بيننا كلاماً فارغاً فان روابط الحبّ تجمع كل القلوب فابونا واحد هو الله (متى ٢٣ : ١) وامُّنا واحدة كنيسة المسيح . نقول قولًا واحداً ونشترك في اسرار واحدة »

قال هذا واراني في الكنيسة كثيرين من اعيان الدولة والمبعوثين وقوّاد الجيوش ببزّاتهم الرسمية وكلهم مستحوذون بالصلاة كأبناء بيت واحد خانعين الى أب واحد . فبقيتُ واجماً اسرّح النظر في ذاك المشهد الجليل الذي ذكّرني بما رواه قدماء المؤرخين عن تقى الفرنسيس وورعهم

وكم لقيتُ مذ ذاك من دلائل الدين مدّة سكوني في باريس . فمن ذلك اكرامهم لموتاهم فكنت ارى اعظم الشوارع ازدحاماً اذا مرَّت فيها عربة الموتى اسرع الكلّ

الى كشف رؤوسهم امام الراحل الى ابديّته معلنين برجاء القيامة وخلود النفس. واذ زرتُ يوماً مقبرة الاب لاشاز (Père Lachaise) على سبيل الفرجة اخذني الاندهاش من كثرة الزوّار لقبور احبابهم اتوا ليزينوا ضرائحهم بالزهور ثم كانوا كلهم يجثون راكعين ليصلوا لراحة النفوس

وعادت الى ذاكرتي الحفلة الشائقة التي عقدها الكاثوليك في احد ايّام آذار في ندوة كبيرة تُدعى نادي قاغرام وكان عدد الحضور ١٥,٠٠٠ تحت نظارة الكردينال أميت (Mgr Amette) رئيس اساقفة باريس وكان حولهُ الاميرال بيانايه (l'Amiral Bienaimé) وزير البحريّة سابقاً وعدد كبير من المبعوثين والاعيان كالسيو ديني كوشين (Denis Cochin) والكونت دي مون (de Mun)

فبعد افتتاح الحفلة بالصلاة الى الروح القدس قام عدد من خطباء باريس فتكلموا في كل شؤون الكثلكة وتوسيع نطاق اعمالها وترقية مشروعاتها الخيريّة والعلمية والادبيّة. وختم نيافة الكردينال ذاك الاجتماع بخطبة كلها درر حضّ فيها الكاثوليك على تضحية النفس والنفيس في مقاومة التعليم اللاديني وبيّن انّ الدين والوطن معاً يدعوانهم الى هذا الجهاد الصالح

فدوى ذاك النادي الرحب بتصفيق استحسان الحضور وارتجّ باصوات تحمّسهم فكان مشهداً فريداً قلّما وجدنا لهُ من شبيه اللهم الّا المؤتمر الكاثوليكي السنوي الذي التأم في نادي الجمعية الجغرافية الرحب الارجاء الواقع في شارع سان جرمان وكانت الغاية منهُ مناهضة الشيعة الماسونية

وهذا المجتمع الفخيم قد عُقد في اصيل يوم الاحد في اواسط شهر حزيران بعد ان اعلنت جرائد باريس الكبرى بوشك وقوعهِ وكان لهُ عملٌ عظيم في الصدور

فكان المتقدّم في هذا الاجتماع الكومندان دي فرافيل (Cte de Fraville) جالساً على دكّة مرتفعة يحفّ به احد رؤساء شورى الدولة سابقاً وكثيرٌ من قدماء الوزراء وبعض مبعوثي دار الندوة وقوّاد الجيش وكلهم من لجنة الجمعيّة المركزيّة المعاكسة للماسونيّة في باريس

وان سألت ما هي هذه الجمعيّة وما هو تاريخها اجبتُك انّ سبعة من وجوه الكاثوليك في باريس اذ شعروا بالاخطار المحدقة والاضرار الجمّة التي تتهدّد

وطنهم فرنسة بدسائس الماسونيَّة اتَّفقوا قبل خمس سنوات على معارضة تلك الشيعة بكل ما يستطيعون من الوسائل. فبارك الله عملهم ودافعوا عن تحقيق رغبتهم دفاع الابطال بل شنُّوا الغارة على الماسونيَّة واماطوا النقاب عن قبائحها وارجاسها وانشأوا لمعاكستها جريدتين اسمهما « فرنسة العاملة وجريدة الناشئة الكاثوليكيَّة » (L'Action Française et le Journal de la Jeunesse Catholique) ومجلة شهريَّة كبيرة دعوها « المجلة اللاماسونيَّة » (La Revue Antimaçonnique) فهذه الجمعيَّة نمت بعد سنين قليلة حتى بلغ اليوم عددها سبعة آلاف. ومن جملة الخطباء المفوَّهين الذين رقصت القلوب لاستماعهم الملازم دريان (Cnt Driant) مبعوث مدينة نانسي الذي قام في مجلس الأمة غير مرَّة للدفاع عن شؤون الدين ولتكرار الطلب في ان يُجعل عيد المطوَّبة جان دورك كعيد وطني. ثم تناوب الخطباء وعدَّدوا ما تأتيه الماسونيَّة في فرنسة من الجنايات الفظيعة في حقّ الدين والدولة وبحثوا عن الادوية الناجعة تكبح شرّها وكشف اسرارها القبيحة

ومما تذكَّرتُهُ ايضاً من نهضة الدين اطلاقُ سراح الراهبة ڤالتين التي بعد ان قضت حياتها في خدمة المرضى والبؤسين هيَّج الفرماسون عليها اصحابهم وحملوا ظلماً احد القضاة ليحكم عليها بالحبس ثلاثة اشهر بدعوى ممارستها الطبّ على طريقة غير شرعيَّة فانتصر لها الصحافيُّون من جملتهم كتبة جريدة « التان » واثنوا على همة وزير العدلية « بريان » لالغائه حكم القاضي المذكور وتبرئته لساحة الراهبة

فهذه الاعمال وغيرها تمثلت اذ ذاك في عقلي فلم اتمالك من ان اكرّر تحيَّتي ثالثةً لفرنسة بقولي: فلتحيَ فرنسة ناصرة الدين! وليحيَ ذووها الناهضون للزندقة والكفر! فمن المحال ان تسقط دولة تذود عن حقوق الله وتجعل اتكالها عليه في اعمالها وتعضد برجالها ومالها كلَّ المشروعات الدينيَّة ليس في بلادها فقط بل في الاقطار كلها حتى اقاصي المعمور!

قلتُ هذا واذا بمرأى غريب لاح لي. رأيت سيدة وسيمةً جليلة المنظر لابسةً لبس الملوك على رأسها التاج وفي يدها راية مثلَّثة الالوان كُتب عليها « ليحيَ المسيح المحبّ لفرنسة » واذا بعدَّة وحوش طفرت من الهاوية لتهجم على السيدة وتنكس رايتها وكان مكتوباً على رأس كل وحش الفاظ تدلّ على كنهه ميَّزتُ بينها « ثورة.

فرضي . لا دين . ماسونيّة » فرأيتها تشبه مخالبها وفاتحة فاها لتمزّق السيدة وتفترسها . وهي على وشك العمل اذ رأيت ملاكاً عليهِ بزّة الجنود سالّاً سيفهُ الناري وعلى جبهتهِ مكتوب شعار ميخائيل « مَن كالله » فصرخ صراخاً ارتعدت لهُ فرائص الوحوش فتجدَّد امامي القتال الموصوف في سفر الرؤيا . فقاتل ميخائيل ملاك فرنسة اولئك الوحوش فلم يقووا وولّوا هاربين مخذولين فهتفت المرأة قائلة : المجد للمسيح محبّ فرنسة . الآن صار الخلاص والقوّة والملك لالهنا والسلطان لمسيحهِ (رؤيا ١٢ : ٧—١٠)

الدرّاجة

بحث تاريخي فني للاديب فريد افندي فارس نمرا احد طلبة الصيدلة في مكتبنا الطبي

قد قيل انَّ في الحركة بركةً وها قد اضحت الحركة اليوم فرضاً واجباً على الانسان اذا ما شاء ان يثبت سالماً موفقاً في ساحة الجهاد العظيم القائم في عهدنا بين الشعوب فمن تقاعس او تناعس سبقهُ اقرانهُ وفازوا بما كان يؤمل نوالهُ دونهم

وذاك النزاع في سبيل الحياة هو الذي دفع المرء الى اختراع الوسائل التي تقرّب عليهِ المسافات البعيدة وتنقلهُ بسرعة الطير بل اسرع الى اقاصي المعمور فاستعان اوّلاً بالرياح ليتجشم اخطار الاسفار ويخوض غمرات البحار ثم استخدم البخار والغازات ليعلو على اجنحتها الى اسحق البلدان ثمَّ رأى فضلاً عليها في الكهرباء فكاد يجاري البرق خفّةً

على انَّ تلك الاختراعات مع سرعتها الغريبة تقضي من النفقات الطائلة ما لا يستطيع ان يقوم بهِ غير كبار المتموّلين وذوي الثروة القارونيّة فطلب الانسان ما يخفف جريهُ مع رعاية الاقتصاد فلم يجد وسيلة افضل من استخدام قواه الطبيعية لتسيير الدرّاجات فاكتسب بها سرعة وخفة وتوفير مال واوقات

وكانت الدرّاجات قليلة الشيوع في بلادنا الى هذه السنين الاخيرة واليوم اذ عرف الناس ولا سيما الشبان فضلها اخذوا يزيدون اقبالاً عليها . وقد سبقت مصرُ قطرَ الشام في استعمالها حتى صار ركوبها امرًا مألوفاً في انحاء وادي النيل بل وُضعت

سباقات لراكبي الدرّاجات ينال فيها الجزاء من يبلغ غايةً معلومة قبل رصفائه . وقد افادتنا جريدة البشير آخرًا ان احد ركّاب الدراجات قد قطع المسافة ما بين القاهرة والاسكندريّة في الطريق الجديدة المنشأة حديثًا بينهما بظرف خمس ساعات وخمسين دقيقة . وهي لعمري سرعة عظيمة لانّ تلك المسافة لا تقلّ عن ٢٠٧ كيلومترات وقطار السكة الحديديّة السريع (الاكسبرس) يقطعها بقوّة البخار في ثلاث ساعات اعني في الدقيقة كيلومترًا و ١٥٠ مترًا

واذا قابلنا بين هذه السرعة وسرعة الرجل الذي لا يستعين بغير قوّة بدنه مع درّاجة بسيطة لرأينا الفضل للانسان على البخار من عدّة وجوه . نعم انّ الراكب المذكور لم يقطع في الدقيقة الّا ٧٤١ مترًا لكنهُ بالنسبة الى قوّته الجسديّة العضليّة قد فاق على قوّة البخار النارية والقوّة الحديديّة اذ وجد في جسمه تلك القوّة المخزونة فابرزها دون حاجة الى فحم ولا نار ولا بخار . فعاد الفضل في تسيير الدرّاجة الى عقله خصوصًا الذي اكتشف هذه العربة البسيطة والخفيفة التي يجدها في كل ساعة متهيئة لخدمته لا يعوزها علف وساسة كالخيل ولا خدمة وعمّال كالسكّة الحديديّة

واليوم حيث رغب الينا بعض الاصدقاء ان نكتب طرفةً عن تاريخ الدرّاجة وانواعها وفوائدها اجبنا الى طلبتهم بطيب الخاطر

١ تاريخ الدرّاجة

انّ الدرّاجة كبقيّة الاختراعات البشريّة ليست هي ابنة يومها بل تنقلت في اطوار شتى قبل ان تبلغ كمالها الذي نالتهُ في ايامنا . يُروى انّ اوّل من سبق الى استعمال الدرّاجة كان رجلًا افرنسيًا اسمهُ دي سيفراك (de Sivrac) اخترع سنة ١٦٩٠ عجلة صغيرة ذات دولابين متساويين من خشب جعل الواحد امام الآخر وركّب فوقها مركبة كمتن الدابّة كان يركبها فيسير بضربه الارض بقدميه مرّة على اليمين ومرّة على اليسار فتدور الدواليب بسرعة ولذلك دُعيت بالسيّار (célérifère) ثمّ حسّنوا المركبة فجعلوها على صورة فرس او دابّة كما ترى في الصورة

على انّ هذا الاختراع الاوّل لم يتسع نطاقهُ بل عُدّ كاللعوبة صبيان وكاد يبقى مجهولًا الى الربع الاوّل من القرن المنصرم ففي السنة ١٨١٨ وقع عليه نظر

احد الالمان من دوقيَّة بادن اسمهُ البارون دراي دي ساوربرون (Drais de Sauer-bron) كان متولياً توزيع المياه ونظارة الاحراج فرأى ان يحسّن اختراع دي سيفراك بوضعهِ في يد الراكب سكاناً يديرهُ كما يشاء الى الجهات المختلفة ويوقف به عجلتهُ طوع امرهِ

ومذ ذاك استوقفت الدرّاجات نظر العقلاء فاخذوا يبحثون عن الطرائق لتحسينها منهم الاسكوتلندي غاثن دازل سنة ١٨٤٦ اصطنع درّاجة سموها الحصان الخشبي لصورتها واشتهر بعدهُ فرنسوي يُدعى ارنست ميشو (Ern. Mi-chaud) كان مولعاً باصطناع الادوات الميكانيكيَّة فجعل للدرّاجة المعروفة قبلهُ مقبضاً ودوّاستين لتُدار العجلة برجلي الراكب. فشاعت اولاً ثمَّ أُهملت لثقل حركاتها وهي كلها من الخشب فكان الراكب يقاسي بتسييرها تعباً شاقاً حتى سئموها بكاسرة العظام وكان الاغنياء مع ذلك يشترونها ليزينوا بها منازلهم كتحفة فاخرة

ولمَّا كان معرض باريس الكبير سنة ١٨٦٧ عنَّ لارنست ميشو ان يبدل الخشب بالحديد وعرض درّاجتهُ على تلك الصورة للزائرين فاستحسنوها ونال جائزة على عملهِ ثمَّ كثر طلبها لانَّ الزبائن رأوا بالحديد فضلاً كبيراً على الخشب لاجل مرونتهِ وصلابتهِ وسهولة شغلهِ وتطريقهِ. ولم يزل مذ ذاك الحين المسيو ميشو يزيد في تحسين عملهِ فألبس الدولابين باطار من المطّاط (الكاوتشوك) واصلح الدرّاجات هو وغيرهُ من بعدهِ اصلاحات اكسبتها رشاقةً وخفَّة حركة وسرعة سير

ومما كان يكرّه ركوب الدرّاجة انَّ تمتطيها كان اذا مرَّ في امكنة محجرة او متوات او حفائر اهتزَّ جسمهُ بمرور عجلتهِ عليها لصلابتها. فاستدراكاً لهذا الخلل وضع الفرنسوي تروفُو (Truffauld) المطّاط المجوَّف فكان ينفخ فيهِ الهواء بمنفخة معدَّة لذلك. فكانت نتيجة هذا الاختراع ان الراكب لم يعد يشعر بما يلقاه في طريقهِ من الحصى وحُفر الارض

وكانت درّاجة تروفُو تسمَّى بسيكلاً (bicycles) وكان دولاباها على حجم مختلف فدولاب الامام كان كبيراً يبلغ قطراً متراً ونصف يجلس عليهِ الراكب فيديرهُ بالدوّاستين امَّا الدولاب الآخر الذي وراءهُ فكان صغير الشكل لا يزيد قطرهُ عن ٣٠ سنتمترًا فدُعيت هذه الدرّاجة بدرّاجة الفكبوت

على انّ هذه الدرّاجة كانت تعرّض راكبها لعدة اخطار فأهملت بعد قليل وابدلوها بالدرّاجة ذات الدولابين المتساويين اللذين لا ينيف قطرهما على ٨٠ او ٩٠ سنتيمترًا وهي البيسكلات (bicyclette)

ثمّ بعد قليل وُضع لهذه الدرّاجة سلسلة قوية مركّبة على دائرتين الواحدة تتصل بالدوّاس والاخرى بدولاب الوراء لتحريكه. وعلى طرفيهما اسنان متسارية تتشبث بكرات السلسلة وتديرها وهي الدرّاجة التي نالت رضى الجميع ففضلوا ركوبها الى يومنا مع اضافة عدّة تحسينات اليها لراحة راكبها وازدياد سرعتها. وكذلك قد أُبدل الحديد بالفولاذ اللين

٢ انواع الدرّاجات

رايت في تاريخ الدرّاجة ما طرأ على تركيبها من الاختلافات حتى بلغت الى الصورة التي شاعت فيها اليوم. على انّ هذه الدرّاجة عينها قد تفننوا في استحضارها وتسويتها على اختلاف الغايات التي توخوها فمنها ما يُصطنع للاحداث ومنها للسيدات فترى اليوم في بلاد كثيرة اولادًا ونساء يتجوّلون في الساحات والطرق العمومية دون ان يرى احد في ذلك عجبًا

ومن الدرّاجات ما يركبهُ شخص واحد او اثنان او اكثر وذلك بان تزدوج الدواليب ويلزم بعضها بعضًا بحيث تتفق حركات الركّاب. فالدرّاجة ذات المركبين (bicyclette tandem, duplette) تتألف من مقعدين على دولابين الواحد وراء الآخر. والدرّاجة ذات المقاعد الثلاثة (triplette) او الاربعة (quadru - plette) الى العشرة (déciplette) تؤلف كذلك لعدد من الركّاب يتواطأون في العمل كالبحريين في قذف المجاذيف

وبعض الدرّاجات تكون بدولاب واحد (monocycle) او دولابين كما رأيت. وكثير منها يُجعل لها ثلاثة دواليب اثنان من وراء وواحد في الامام (tricycle) وهي سريعة الحركة

وكذلك تختلف الدرّاجات المتخذة لنقل البريد او بعض لوازم الركّاب واخصّ منها الدرّاجات العسكريّة يركبها الجند امّا لرصد العدوّ وامّا لمقاتلته.

وقد اتخذوا فِرَقاً من الجند يركبون الدرّاجات في الحرب ودرّاجاتهم خفيفة جداً يمكنهم طيّها وحملها على عواتقهم في الاماكن الصعبة. واذا ركبوها يمكنهم ان يوقفوها بطرفة العين فيترجلون والدرّاجة بين افخاذهم ويطلقون بنادقهم ثمَّ يواصلون سيرهم دون تأخير قبل ان يدركهم العدوّ

فهذه الدرّاجات كما ترى دخلت اليوم في حياة العمران وتعدَّدت هيئاتها وانواعها الى ما لا يُحصى عدُّهُ. وقد ضربنا الصفح عمَّا يتحرَّك منها بقوَّة الكهرباء او البترول وغير محرَّكات (motocycle)

٣ فوائد الدرّاجة واستعمالها

واما فوائد الدرّاجة فقد كان الناس في اوَّل اختراعها يخافون تأثيرها في الاعصاب وحركات القلب لكنَّ هذا الخطر قد بعد اليوم لتحسين ادوات الدرّاجة والاطبَّاء يعدُّونها كترويض للجسم وجلبة لانشراحه وبسطه ولها لذَّة ذاتية تحصل في نفس الراكب فيشعر كأنَّهُ جواد ينهب الارض نهباً وغزال يقفز بين الآجام قفزاً ويخطر كيف يشاء ويقف أنَّى يشاء ويسير حيثما يشاء لا يثنيهِ عن اتمام عزمهِ الَّا ضعف عزائمهِ. تراهُ ممتطياً مركبتهُ يسابق النسيم البليل فطوراً تكون رفيقةً لهُ يثني الهوينا مشتبكاً بها وطوراً يتأبطها كأنَّها انيستهُ او إلفهُ العزيز الخفيف الظلّ والجانب وفي الامكنة الوعرة ومصاعد الآكام تنال شرفاً من صاحبها لانها تلزمهُ بحملها فتصبح والحالة هذه مركوبةً راكبةً. وحسنات هذه الدرّاجة انها تعلف من الهواء ولا تطلب غيرهُ مؤونة فحياتها بالهواء وممَّاتها بدونهِ وقد استعملها مأمورو البوسطة والتلغراف فوجدوا بها اكبر مساعد لانفاذ مأموريتهم وكثيراً ما يستخدمها الجند اوقات الحرب والسلم نظراً لخفتها وسرعتها وليس الخطر كبيراً في ركوبها لقلَّة ارتفاعها فاذا وقع احد رجال الفرقة وقف الذي وراءهُ حالاً بوضع رجليهِ على الارض ووقف الذين بعدهُ فيتلافون الخطر وكذلك يقدر الراكب ان يحارب ببارودتهِ ودرّاجتهُ تحتهُ دون ان تعيقهُ

وقد شاع استعمال الدراجة كثيراً في البلاد الاوربيَّة وهناك تجري مسابقات عديدة في كل سنة ولم تحرم البلاد المصريَّة من هذه السباقات كما رأيت لانَّ الصحف تفيدنا عن حركة الدرّاجات فيها وبلادنا السوريَّة قد صار لها نصيب منها

لانَّ شباننا قد بدؤوا يستعملونها واما استعمالها الطبيّ فهو ضدّ الامراض العصبية التي تستلزم العاباً رياضيَّة فنعم الدراجة لادراك هذا الغرض وقد يوصي بها ايضاً بعض الاطبَّاء لتقوية اجسامهم بعد مرض خفيف ولكن يجب ان يجتنب ركوبها كل من هو ضعيف البنية نحيف الجسم وصاحب مرض صدري

وخلاصة القول انَّ الدرَّاجة احدى الاختراعات العصريَّة التي تؤدي للانسان خدماً جمَّة فيحقُّ عليه الشكر لربِّه الذي يقرِّب بها وسائل معاشه الهنيّ

عودٌ على بدءٍ

للشيخ فدا حسين احد اساتذة كليَّة عليگده الاسلاميَّة

باسمهِ سبحانهُ

سعادة القسّ . . . مدير المجلة الغرَّاء المعروفة بالمشرق دمتم بالعزّ والكرامة الى يوم القيامة

وبعد فان الخُوَيدم ينهي بعد الدعاء لأيَّامكم لا اخلانا الله من انعامكم اني فيما مضى برهة قليلة من الزمان قد تشرفت بزيارة مقالتكم الرشيقة الشامخة الشان وخطابتكم الانيقة المبهرة للبّ كل انسان في نقض مقالة كاتب الكوثر التي حامى بها عن الاعراب الاوَّلين . . . الذين اشتهروا بانقاض العلم واطماس آثار الاقدمين من الحكماء المتألهين فاجتهد لذلك في نفي خبر الحريق الذي وقع على يدهم لمكتبة الاسكندريَّة التي لم تزل تعرف بكونها معدناً لكتب الحكماء السالفين

فلعمري لقد اعجبني وراقني ما اتيتم به في مقالتكم الغرَّاء من قواطع الحجج وسواطع البراهين في تفنيد راي هذا الكاتب والكشف عن بطول ما رماكم في كلامهِ ببغضة العرب ومعاداتها وتقبيح اخلاقها وعاداتها . واني فيما مضى من برهات الزمان وشذرات من الدهر الخوان قد عثرت على كلام مشبع طويل للعلامة مستر بُتلر (Buttler) الانكليزي صاحب الكتاب المعروف بفتوح العرب في مصر والاسكندريَّة وهو كتاب ضخم في اللغة الانكليزيَّة وافرد فيه باباً مستقلًا في

الردّ على من ذهب الى القول بوقوع الحريق على يد العرب في مكتبة الاسكندرية. فانتعشت نفسي لوضع مقالة مسهبة طويلة في اللغة العربية في الردّ على صاحب تلك المقالة النوّية وحججه الضعيفة الغير القوية وعنونتُها: «بفجعة الدهر على ضيق العلم بالكهر والصهر» فجاءت بعون الله كلاماً حافلاً طويلاً بالغ الارب في هذا الطلب. وقد مضت لذلك عدة سنين وبقيت هذه المقالة مطروحة في زوايا الخمول الى هذا الحين وحال بيني وبين نشرها عوائق الدهر وعاقني عن اكمالها ونشرها نوائب العصر. فبينما كانت الامور تجري هكذا اذ وقفتُ في تلك الايام على مقالتكم الرشيقة الباهرة النظام البديعة الانسجام فاستفدت منها عدّة فوائد والتقطتُ منها عدداً وافراً من العوائد يجب عليّ اتشكر منها اليكم والاعتراف بالامتنان العظيم من قبلي لديكم واحببت ان اقتبس من طور علمكم ناراً ومن ضياء فضلكم انواراً فها انا استأذنكم في التقاط هذه الفوائد وادراجها في مقالتي تكثيراً للوجوه والشواهد معزوّة الى اسم جنابكم ومنسوبة الى سامي خطابكم

ولكن قبل ذلك استمنحكم بان تتفضلوا عليّ بعيون بعض العبارات من الكتب التي اشرتم اليها واستشهدتم بها ولكن لم تأتوا بعيون الفاظها مخافة الاطناب في الكلام فاقتصرتم بمحض الاشارة اليها باحسن نظام. ولما ان هذه الكتب لا تكاد توجد في هذه البلاد الشاسعات اضطررت ان استمنحكم ببثّ عيون تلك العبارات ويكون لكم الفضل بذلك علينا انشاء الله تعالى. وتلك هي العبارات المطلوبة التي اشرتم اليها في مقالتكم الغرّاء وهي عدّة اشياء:

١) عين عبارة عبد اللطيف البغدادي والوزير جمال الدين ابن القفطي من اصول كتابيهما عمّا يتعلق بحريق مكتبة الاسكندرية

٢) اصل تلك الشواهد الاخرى التي جمعها المستشرق الشهير دي هامر التي اشرتم اليها في المشرق العدد الخامس لايار سنة ١٩١١ ص ٣٩٣ بقولكم «وقد جمع المستشرق الشهير دي هامر شواهد اخرى لا حاجة الى ذكرها...»

٣) اصل العبارة التي اشرتم اليها ايضاً في ص ٣٩٣ من العدد (٥) للمشرق لسنة ١٩١١ بقولكم «ان هذا المورخ (Paul-Orose) لم يتكلم عن حريق هذه المكتبة بل عن المكتبة الاولى المحروقة على عهد يوليوس قيصر ... الخ»

٤) اصل العبارة التي اشرتم اليها ايضاً في ص ٣٩٣ من العدد (٥) للمشرق سنة ١٩١١ بقولكم «كما افاد معاصره المؤرخ ايثاغريوس بل لم يذكر احد من القدماء... الخ»

٥) اصل نمرات الكوثر التي اجتهد كاتبها فيها نفي وقعة الحريق على ايدي الاعراب وخليفتهم عمر بن الخطاب

فان تفضلتم علينا باسعاف تلك المقترحات الخمس التي ذكرتُ آنفاً كانت لكم المنّة الابدية علينا ووجب علينا التشكر لكم ولو انسأ الله في اجلنا الى ابد الابدين ودهر الداهرين والّا فالامر اليكم وما انا من المتكلفين

ثم اني عجبت من سعة اطلاعكم على خبايا العلوم المشرقيّة وخفايا مطالب الكتب السالفة التاريخيّة العربيّة كيف غرب عنكم اذ مررتم ساكتين على وجوه السلب التي ذكرتموها من جهة نُفاة هذه الوقعة وما اتيتم عليها بردّ ونقض وهي باجمعها وجوه سخيفة واضحة البطول مبنيّة الفساد وليس مبناها غير الاستنكار والاستبعاد الذي لا مجال لهُ ولا محل في نطاق التحقيق والانتقاد وكان فيما ذكرتم في ذيل ذلك من وجوه السلب قولكم (٣٩٣ من العدد ٥ سنة ١٩١١): «وثانياً لان يحيى النحوي الذي يقال عنهُ انهُ راجع عمرو بن العاص.... الخ» والحال انّ معاصرة يحيى لعمرو بن العاص امرٌ ثابت متحقّق لم يبقَ فيهِ مجال لشكّ وريبة وذلك اني كنت قد قلبتُ هذا الامر ظهراً لبطن اوانَ اشتغالي بتسطير مقالتي المعنونة «بفجعة الدهر» فلم اجد بُدّاً من الذهاب الى معاصرتهما واتحاد زمانهما بشهادة يحيى النحويّ نفسهِ في بعض كتبهِ واليك اصل العبارة التي كتبتها في هذه المقالة ما تلك صورتها منقولة منها فاقول:

ومن اعظم الدلائل واكبر البراهين على معاصرة عمرو ليحيى النحوي قول يحيى نفسهِ في تفسيرهِ لكتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس فيما ذكرهُ ابن القفطي في اعلام العلماء باخبار الحكماء وقد سبقهُ في ذلك ابن النديم في الفهرست حيث قال «وذكر يحيى النحوي في المقالة الرابعة من تفسيره لكتاب السماع الطبيعي في الكلام في الزمان مثالاً قال فيهِ: مثل سنتنا هذه وهي سنة ثلث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي. قال ابن النديم: فهذا يدلّ على انّ بيننا وبين يحيى النحوي ثلثمائة سنة ونيف وقد يجوز ان يكون فسّر هذا الكتاب في صدر عمره لانهُ كان في ايام عمرو بن العاص». ومثلهُ ما ذكر ابن القفطي في اعلام العلماء قال: ذكر يحيى النحوي في المقالة الرابعة عند ما فسرها من كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس وتكلم في

الزمان فضرب مثالًا قال فيهِ: مثل سنتنا هذه وهي في سنة ثلاث واربعين وثلثمائة لدقلطيانوس القبطي » انتهى كلام ابن القفطي

قلت ومعلوم ان هذا دقلطيانوس القبطي مات في سنة ثلثمائة وثلاث وعشرين من سني المسيح عليهِ السلام وكانت وقعة الاسكندريَّة في سنة ستمائة واثنتين واربعين من سني الميلاد على صاحبها الاف التحيَّة من ربّ العباد الى يوم المعاد فهذا يوجب ان يكون يحيى النحوي حاضرًا في وقعة الاسكندريَّة وان يكون قد كتب تفسيرهُ للسماع الطبيعي لارسطوطاليس بعد وقعة الاسكندريَّة باربع وعشرين سنة. وشاهدُ ذلك انهُ قد عثر على مصنف ليحيى النحوي في السماع الطبيعي قد كتبهُ في سنة ستمائة واحدى وستين من سني المسيح سلام الله عليهِ وقد سماه فزيكا فيما ذكرهُ الفاضل العلَّامة وليم اسميث في كتابهِ المعروف الذي يدعى مجموع تواريخ المشاهير الروم واليونان ومشاهير آلهتهم (Sir W. Smith: *Diction. of Greek and Roman Biography and Mythology*) والذي احسب ان التاريخ الذي ذكرهُ الفاضل المذكور لتصنيف هذا الكتاب اقلّ من حسابنا بخمس سنين وشهادة يحيى نفسهِ دليل على صحة حسابنا فالأظهر انه صنف فزيكا في سنة ستمائة وست وستين من سني المسيح سلام الله عليهِ ان كان هذا الكتاب هو الكتاب الذي فسر منهُ السماع الطبيعي لارسطوطاليس » انتهى ما اردنا نقلهُ من مقالتنا المنونة: « بفجعة الدهر ». فان وافقتموني في هذا الراي ورايتم ان هذه الطريق الى اثبات معاصرة يحيى النحوي لعمرو صحيحة بالحساب اخبرتموني بذلك ويكون لكم المنة بذلك علينا فان نشرتم هذه العبارة تكملةً لنقض صاحب الكوثر فليس ذلك من فضلكم ببعيد والّا فالامر اليكم وما انا من المتكلفين. وليكن هذا آخر الكلام مني في تلك الرسالة المحقرة اليكم وألتمس منكم الجواب عنها عاجلًا معجلًا انشاء الله تعالى ويكون لكم المنة علينا الى اخر الدهر اه

﴿ المشرق ﴾ انَّنا نشكر للشيخ الاديب الفاضل والاستاذ العالم فدا حسين جميل ظنهِ فينا ونعتبرُ كلامهُ احسن جزاء عمَّا كتبنا في العلوم العربيَّة وعريق مكتبة الاسكندريَّة (في المشرق ١٤: ٢٩٩و٣٩٩) فانَّنا بردّنا هناك على مجلّة الكوثر لم نقصد البتَّة بخس حقوق العرب وكلٌّ يعلم ما نفرغهُ من الجهود في استخراج تآليفهم من

زوايا النسيان ورفع شأنهم لدى كلّ ذي عيان لكنّنا رأينا ايضاً انّ للتاريخ الصادق حقوقاً يجب مراعاتها وان كانت في بعض الامور لا توافق اوهام فئة من المحدثين الذين يغالون في اطراء العرب ورفعهم الى ذروة الكمال كأنّ منهم مصدر كلّ علم واليهم مرجع كلّ فضل وانّما احسن الامور اوساطها فالعدل يقضي بأن نقرّ بخدمة العرب النصوح للعلوم في عهد بني عبّاس وهو يضطرّنا ايضاً الى ان نقول بأنّهم لم يستيقظوا من سنتهم الّا بعد ظهور الاسلام بقرنٍ ونصف وانّهم بنوا على اساس من سبقهم لاسيما اليونان كما انّهم استعانوا في كثير من آدابهم ومعارفهم بقوم من اجانب المستعربين كالعجم والكلدان والسريان والروم. وناهيك للوقوف على حقيقة قولنا بمراجعة الكتب التي ألّفها العرب انفسهم في تاريخ الآداب كالوزير جمال الدين القفطيّ وابن ابي اصيبعة وابن خلدون والحاج خليفة وقبلهم ابن النديم صاحب الفهرست وابو القاسم صاعد الاندلسيّ الذي نشرنا آخراً كتابهُ الفريد « طبقات الامم »

هذا وقد بقي علينا ان نجيب الى اسئلة جناب الشيخ فنقول:

١ ان العبارات التي طلب ان نثبتها لهُ بنصّها الاصلي من كتابي عبد اللطيف البغداديّ والوزير جمال الدين بن القفطيّ في صدد حريق مكتبة الاسكندريّة قد رويناها بحرفها الواحد مع غيرها من النصوص في السنة الثالثة عشرة من المشرق (١٩١٠) ص ١٥٧ و ١٥٨ فلا حاجة الى تكرارها مع طولها

٢ الشواهد الاخرى التي جمعها المستشرق دي هامر هي التي نقلناها في العدد المذكور من المشرق (١٣: ١٥٨) عن ابن خلدون والحاج خليفة والمقريزيّ. فلتراجع

٣ شهادة بول اوروز او اوروشيوس (Paul-Orose) وردت في تاريخه (ك ٦ ف ١٥) (Migne, P. L. XXXI- 1037) المكتوب نحو السنة ٤٢٠ للمسيح والالفاظ التي استند اليها البعض لاثبات قولهم بانّ مكتبة الاسكندريّة حُرقت في زمانهِ بمساعي تاوفيل بطريرك الاسكندريّة هي هذه:

«Nos vidimus armaria librorum ; quibus direptis, exinanita ea a nostris hominibus , nostris temporibus, memorent, quod quidem verum est »

فانّ بعض المفسرين لهذا النصّ المستغلق ظنّوا انّ اوروشيوس روى انّهُ وجد خزائن مكتبة الاسكندريّة الكبرى المعروفة بالسيرابيوم بعد حرقها في زمانهِ اعني

بامر البطريرك تاوفيل الاسكندري . غير انَّ هؤلاء المفسرين لو راجعوا كلام اوروشيوس لأدركوا حقيقة معناهُ من قرائنهِ فانَّ المؤرخ يذكر هناك ما جرى من الحروب بين يوليوس قيصر وبومبيوس لمَّا تنازعا الملك في مصر وما سبَّب حربهما من الاضرار وكيف حُرقت احياء الاسكندريَّة في اثناء الحرب فامتدَّ الحريق الى مكتبة كان فيها اربعمائة الف كتاب فيقول اوروشيوس «انهُ رأى خزائن تلك المكتبة الباقية الى زمانهِ فارغةً من مصنَّفاتها المحروقة باثم رجاله» اي مواطنيهِ جنود الرومان. فوهم المفسرون في ثلاثة امور الاوَّل بزعمهم انَّ اوروشيوس يتكلَّم عن مكتبة هيكل السيراپيوم وكلامهُ هناك عن مكتبة اخرى شهيرة كانت تُدعى مكتبة بروخيوم (Bruchium) باسم الحيّ المعروف بهذا الاسم كما اعلمنا القديس ابيفانيوس في كتاب الاقيسة والاوزان (Epiphanius: *de Mensuris et Ponderibus*.c. 9). الثاني بظنهم انَّ اوروشيوس انَّما زار اخربة هيكل السيراپيوم وليس في كلامهِ ما يدلُّ على ذلك لأن هياكل الاسكندريَّة كانت متعدِّدة . والثالث بتفسيرهم قولهُ «على يد رجالنا» انهُ اراد النصارى وهناك يتكلَّم اوروشيوس لا كنصرانيّ بل كروماني فيقول انَّ الذين حرقوا تلك المكتبة انَّما كانوا من مواطنيهِ اي من الرومان مثلهُ

٤ ان شهادة المؤرخ ايفاغريوس في الكتاب الثاني والفصل الخامس من تاريخهِ واردة في جملة خبرهِ عن فتنة حدثت في الاسكندريَّة بعد موت تاوفيل باربعين سنة فيخبر ايفاغريوس انَّ ملك الروم مرقيان اراد ان يعاقب الاسكندريين لثورة اثاروها على جندهِ فهرب الجند وتحصنوا في الهيكل الذي كان قديماً لسيراپيس فاحاط بهم الشعب واحرقهم

« Cum milites in templum quod olim fuerat Serapidis se recepissent; populus eos illic obsedisse et vivos eos cremasse. »

فهذا دليل واضح على انَّ تاوفيل بتدميرهِ لهيكل سيراپيس لم يخرب منهُ الَّا القسم المختصّ بعبادة الصنم ليس الابنية الاخرى حيث كانت مكتبة السيراپيوم

٥ امَّا اعداد الكوثر التي رُدَّ فيها علينا فهي مرسلة الى الهند مع البريد ان شاء الله هذا ونشكر فضل مكاتبنا الاديب الذي استوجه نظرنا الى ما قالهُ ابن النديم

وابن القفطيّ في زمن يحيى النحويّ . وشهادتهما حرّية بالذكر الّا انّ في اقوال المؤرخين في هذا الصدد من التناقض والتباين ما لا يزيل المشكل بتمامهِ لأن يحيى النحويّ على قول علماء زماننا مستندين فيه الى قدماء الكتبة هو هو المعروف عندهم بيوحنّا الغراماطيقي (Joannes Grammaticus) او يوحنا المجتهد (Joannes Philoponus) وهم يجعلون زمانهُ في اواسط القرن السادس. وكذلك يقول ابن القفطيّ في تاريخ الحكماء انهُ كان تلميذ شاوارای او ساويروس الانطاكي الذي توفيّ سنة ٥٢٠ فبعيد عن التصديق ان يكون عاش يحيى النحويّ الى ايّام عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب اعني الى نحو السنة ٦٤٠ فبلغ من العمر قرناً ونصف بالتقريب . ولعلهُ وجد كاتبان باسم يحيى النحوي يكون العلماء خلطوا بينهما . ونحن معوّلون على درس هذا المشكل التاريخيّ قريباً ان شاء الله

زهرة الحياة

لحضرة الخوري يوسف سماحه ق. ب

هي الحياة الدنيا اشبه بزهرة تتفتح اكمامها في الصباح فتبدو جميلة المنظر زكيّة العرف تعطّر الارجاء بطيب شذاها وتستلفتُ الانظار الى بديع مرآهـا . فما اجملها عندما يبسم لها ثغر الغزالة فتنعكس اشعّتهـا على نقط الندى المكلّلة تلك الزهرة فتتلألأ كحبّات لؤلؤ على تاج من الذهب الابريز

ولكن ما قام قائم الهاجرة ورمت الشمسُ بجمرات الظهر حتى سخنت نقطات الندى فعادت بخاراً فشوّهت لون الزهرة . والشمس ترميهـا بسهامها الحادّة حتى سلبتها نضارتها !!!

مالت ربّةُ النور الى المغيب فصبغت الافق الغربي بلون اصفر . فكأنها وهي متدلّيةٌ في آخر الافق تقول بلسان حالها : الوداع أيتها الطبيعة الجميلة ! الوداع أيتها الحدائق الغنّاء . والمدن الغناء . والقصور الشاهقة . والانهار الدافقة !! . بل الوداع ايتها الازهار الغضّة . والمسالح البضّـة . التي كويتُكِ بجرّي الذي يذيب دماغ الضبّ . فلوّحتُكِ واحلتُ جمالكِ الرائع الى قبح دميم . فنضب منك ماء النضاضة .

فلا تشمين ان تصيري هشيماً مداساً ! ! ! قالت ذلك وتوارت في الحجاب / . . .

وكانت زهرتنا الوسيمة أثر فيها وطيس الحرارة فذبلت فتلاشت فسقطت هشيماً تحت ارجل المارّة ! ! . . . .

تلك هي حياتك ايها الانسان المغترّ بنُضْرَانه . المتنعم بما لديه من طيّبات الشبيبة لا يحسّ بما خبأه له الدهر من شقائه . انتبه يا هذا من غفلتك . واستيقظ من رقدتك . ولا يغرّنك زهو الشباب . فهو ما لا حقيقة له كالسراب . فانت في شرخ شبيبتك كزهرة الحقل . يبسم لك ثغر الزمان كما تبسم ربّة النهار للزهرة صباحاً فتنعشها وتدبّ فيها القوة فتنمو ويترقرق فيها ماء الجمال فتغترق الابصار بباهر رؤاها . وإنْ هي الا هنيهة حتى يتحوّل ذاك المبسمُ البادي الى جهومة تتناءى منها الابصار ! !

فلا تخدعنك ابتسامةُ الزمان وشرّةُ الشباب ورخاء العيش . فلا تعتّم شمس شبيبتك ان تأفل ويُقصر ليل شبابك ولا يبقى لك سوى بقية ذكرى محزنة / !

فان كنتَ احسنت العمل فانت من الرابحين . وان اسأت فعلى نفسك وكنت من الخاسرين . فاعمل لآخرتك كانك راحل غداً فالزمان يومان : ماضٍ لا يُردّ . ومستقبل لا يُعرَف له غد . ولا تكن كقوم غرّتهم الفانية . فغفلوا عن الباقية . فرحوا ومرحوا . وتمتعوا بلذاتهم ملياً كانهم فيها خالدون . فدرأت عليهم المنون من حيث لا يشعرون . فطفروا ذعراً وطلبوا مأمناً . فاذا الطرق في وجوههم مسدودة فصرخوا ربّنا ربّنا أجرنا انك غفور رحيم ! . واذ لم يكن صراخهم محبةً بالله ولا عن توبةٍ نصوح بل خوفاً من حرّ نار صَقَر المستمرة وسيف الموت المُصلَت فوق رؤوسهم فاجابهم الحق : « اني لا اعرفكم فطالما نبذتم شريعتي ودستم اوامري وذهبتم وراء شهواتكم وسجدتم لآلهةٍ لم يعرفها اباؤكم . بل تركتموني انا الينبوع الحيّ واحتفرتم لانفسكم آباراً مشققة لا تروي ظمأكم فانتم تموتون بخطاياكم وانا اتجدُ بهلاككم . ولو بسطتم ايديكم احجب وجهي عنكم لان ايديكم مملوءة من الدماء وقلوبكم نخرة وافكاركم زائفة شريرة . فتُرسلون الى سعير نار لا تطفأ ودودٍ لا يموت . كذا العُصاةُ والخطأةُ يحطّمون تحطيماً والذين تركوا الرب يُستأصلون . . . »

فيا ايها الذين زاغوا عن الشريعة . رحمةً بنفوسكم ارباوا بنفوسكم قبل ان يدنو الاجل . وينقطع الامل . فترون بعد هذه الحياة أيّ منقلب تنقلبون . . وما الموت ببعيدٍ عنكم . وما الحياة لكم بخالدة . بل هي كبخارٍ يظهر قليلاً ثم يبيد مضمحلاً . . . .

وحياةُ الدنيا نسمّى حياةً مثلما نُحسَبُ المجرَّةُ ضرا

النهضة الكاثوليكية في حلب

والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي (تتمة)

٣ الطوائف الحلبية في حلب من السنة ١٦٥٠ الى ١٧٠٠ (تابع)

. ظهرت النهضة الكاثوليكية بنوع اجلى في حلب في طائفة الروم الملكيين وقد بيَّنا سابقاً ما جرى على يد المرسلين في ايام السيد ملاطيوس كرمه الحموي فلمَّا صار بطريركاً وانتقل الى دمشق ورث عنهُ خلفهُ السيد ملاطيوس زعيم (١٦٣٥—١٦٤٨) ميلهُ الى الكثلكة ورخص للرهبان الفرنسويين ارشاد ابناء طائفتهِ على مقتضى تعاليم الكنيسة الرومانية . وكان لهُ قدوة في البطريرك افتيميوس الصائغ (١ الذي كان يجلّ الرهبان اليسوعيين في دمشق ويسلّمهم مدارس طائفتهِ ويرتشد بمشورتهم . وممن وقف نفسهُ على نشر الكثلكة بين روم حلب في ذلك الوقت الارشدياقون ميخائيل بجع تلميذ المرسلين ثمَّ وهبهُ داود اوَّل تلامذة مجمع انتشار الايمان الذي عاد الى الشهباء سنة ١٦٦١ فكلاهما عضد المرسلين في اثبات الحقائق الكاثوليكية ونفي ما كان سابقاً من النفور بين الكنيستين ولم تثنِ عزمهما الشدائد التي لقياها في سبيل غايتها . وكان السيد مكاريوس زعيم يزيد كل يوم تقرُّباً من الدين الكاثوليكي حتى انهُ جاهر بهِ غير مرَّة لا سيما لما جلس على كرسي بطريركيَّة انطاكية

---

١) هذا الاسم ورد محرَّفاً باسم اتيشيوس في المقالة السابقة والصواب افتيميوس كما نبَّه اليهِ حضرة الاب المحقق قسطنطين الباشا في المشرق (٩ : ٦٢٢)

من السنة ١٦٤٨ الى ١٦٧٢. ولدينا رسالتهُ التي ارسلها الى الحبر الاعظم على يد القنصل بيكه سنة ١٦٦١ مقرًّا فيها بخضوعهِ التامّ للكرسي الرسولي. وكذلك نُشرت رسالتهُ الى الملك لويس الرابع عشر في الآثار الخطّيّة (١. وبرجوعهِ وُجد في حلب في وقت واحد ثلاثة بطاركة من الكاثوليك الحديثي العهد بالكثلكة اي البطريرك الرومي الملكي مكاريوس المذكور والبطريرك كاتشادور الارمني والبطريرك اندراوس اخيجان السرياني

وتوطّدت الكثلكة في حلب بين الروم الملكيين في الربع الاخير من القرن السابع عشر فان مطروفان وغريغوريوس اسقفي حلب اثنى على ايمانهما المرسلون وقد كتب الثاني رسالةً ضمّنها خضوعهُ للحبر الروماني سنة ١٦٩٨. وفي ذلك الزمان وقع نزاع بين كيرلس الخامس واثناسيوس الرابع في امر البطريركيّة وكان الاوّل قد اختاره الدمشقيون واختار الحلبيون الثاني وكان كلٌّ منهما يتودّد الى المرسلين ويدّعي بصدق الايمان وان ظهر من كليهما ما يوقع الشكّ في صحة نيّتهما. على ان الدين الكاثوليكي زاد انتشارًا وتعمّق في قلوب كثيرين بهمة الرهبان الفرنسويين. وبذلك تمهد الطريق لطائفة كاثوليكيّة محضة لا يمتزج فيها زؤان الاضاليل الفوطيوسيّة. وهو الامر الذي جرى فعلًا بعد ذلك بقليل. وفي سجلّات المرسلين جداول تفصيليّة تعدّد اسماء المرتدّين من كهنة ومؤمنين يؤخذ منها ان عدد الكاثوليك في حلب اناف على عشرين الفًا في اواخر القرن السابع عشر. كانوا كباكورة ثلاث طوائف كريمة دخلت في حظيرة الكنيسة الرومانيّة فابهجت بيعة الله بثمارها الصالحة

٤ الاعمال الرسوليّة التي قام بها المرسلون من ١٦٥٠ الى ١٧٠٠

عرفتَ من هذا النظر العموميّ السابق كيف مهّد المرسلون الفرنسويّون الطريق للطوائف الكاثوليكيّة المستحدثة في الشهباء وكيف اسبغ الله نعمهُ على مساعيهم واتعابهم. وها نحن نعدّد في هذا الباب الاخير المشروعات التي تولّى

١) اطلب الآثار الخطيّة (Rabbath: *Documents*, I, 459,473)

ادارتها اولئك المرسلون ليرى القرَّاء انَّهم لم يدَّخروا وسعاً في فلاحة كرم الربّ فلا عجب أن اثمرت اعمالهم من الثمار الخلاصيَّة ما نما وزكا من بعدهم فصارت بهمَّتهم الكنائس الشرقيَّة اشبه بتلك الشجرة الباسقة الافنان المظلِّلة لطيور السماء بعد ان كانت كحبَّة الخردل اصغر من كلّ الحبوب (مرقس ٤ : ٣١)

انَّ امسّ عملٍ قام بهِ المرسلون عند دخولهم الشهباء ارشاد المؤمنين واثارة عقولهم . وذلك لأنَّ الجهل المطبق لتغلُّب كوارث الزمان كان قد استولى على الاذهان فلم يكد النصارى يعرفون من عقائد الايمان غير القليل الزهيد فاسرع المرسلون بعد أن اقتبسوا كفايتهم من مبادي العربيَّة الى وقف نفوسهم لتعليم الدين فباشروا اوَّلاً بجمع الاحداث ليعلِّموهم اصول التعليم المسيحيّ فكان هؤلاء الصغار اذا عادوا الى بيوتهم كرَّروا على مسامع اهلهم ما تعلَّموهُ فارشدوهم الى معرفة دينهم

ثمَّ رأى المرسلون ان يخالطوا الشعب ويفسّروا لهُ العقائد المسيحيَّة ويعدلوا بهِ عن الاضاليل التي كانت نفذت بين العموم بسوء فعل الزمان فجعلوا كلّ ايَّام الآحاد والاعياد يتناوبون في المواعظ والارشادات اوَّلاً في كنيسة الموارنة ثمَّ في كنيسة الارمن والروم فكان الحلبيُّون يتقاطرون الى سماع كلامهم كالعطاش الى ينابيع المياه وكثيرٌ من هذه الاوعاظ والخطب الدينيَّة باقية الى اليوم في مخطوطات توارثها الحلبيُّون ككنز ثمين منها للكرمليين ومنها لليسوعيين او الكبوشيين وقد نُشر بعضها بالطبع بعد ذلك وفي مكتبتنا الشرقيَّة قسمٌ منها في مجلَّدات متقنة الخطّ على ورق صفيق يُعرف باللبَّادي

ولم يكتفِ أولئك الصيَّادون باقتناص الاسماك الروحيَّة المقبلة اليهم بل اخذوا يجولون في بيوت الخاصَّة والعامَّة ليلقنوا الفقراء مبادئ الدين والآداب ويهذِّبوا النساء اللواتي كنَّ في تلك الازمنة مقصورات في بيوتهنَّ لا يستطعن الخروج منها الَّا مخفورات محصَّنات فيجمعوهنَّ في دار احداهنَّ ويعلِّموهنَّ ما يحتجنَّ اليه لخلاصهنَّ ولتربية اولادهنَّ

واذ وجد المرسلون اقبالاً من اهل الشهباء على تعاليمهم فكَّروا في نشر العبادات الكاثوليكيَّة بينهم فكان المرسلون الفرنسيُّون والكبوشيُّون يحيّون

اليهم اكرام آلام السيّد المسيح ورياضة درب الصليب والكرمليّون يشركونهم بثوب العذراء الطاهرة . امّا اليسوعيّون فانشأوا لهم الاخويّات المريميّة التي كادت تعمّ كلّ ابناء الطوائف الكاثوليكيّة

وكانت تلك الاخويّات تجمع اوّلًا نخبة الكاثوليك دون فرق بين طوائفهم فيقيمون الفرائض التقويّة في كنيسة الارمن ثمّ توفّر عدد الاتقياء حتّى اضطرّ المرسلون الى ان يقسموهم فجعلوا شركةً لكل طائفة تجتمعُ مرّة في كنيسة الطائفة فيتلون فرض السيّدة ويحضرون خطبة المرشد ويتفاوضون في امورهم الروحيّة. والحّ شبّان الموارنة وطلبوا ان تُنشأ لهم اخويّة خاصّة فاجاب الى دعوتهم الاب غليوم غوده (G. Godet) الذي توفّي سنة ١٦٥٠ ثمّ اقاموا اخويّة أخرى للاولاد من كل الطوائف طبعت في قلوبهم حبّ الفضيلة منذ حداثة سنّهم

وقد أتت كل هذه الاخويات باعمال جليلة كانت من اعظم الوسائل لبثّ روح التقى بين اهل حلب. ولدينا السجلّات التي كانوا يدوّنون فيها امور الاخوة ومبرّاتهم من عيادة المرضى وزيارة المحبوسين وتوزيع الحسنات على الفقراء . وكان يتعهّد المشتركون الحياد عن الملاهي ويلزمون لبس الثياب المحتشمة والقيام بفرائض خاصّة من العبادة والاماتات والتقرّب المتواتر من الاسرار

واذ تحقّق المرسلون اليسوعيون ان مثل الفرنج يؤثّر كثيرًا في الشرقيين افرغ الاب جان اميو (J. Amieu) كنانة جهده في نشر الفضائل المسيحيّة بينهم فأنشأ لهم اخويّة خاصّة تجتمع في الخان الفرنساويّ . فما لبثت هذه الجمعيّة ان نمت واتّسعت فدخلها كبار التجار الذين اضحوا قُدوة صالحة لكل اهل حلب فكانوا يثابرون على الاسرار ويتبرّعون بمالهم على ذوي البأساء ويصلحون بين الاعداء ويزيدون الايمان في قلوب الضعفاء

وممّا ساعد على نموّ اخويّة الفرنج في حلب انّما انضوى اليها القنصل فرنسوا پيكه فاظهر من التقى والورع والغيرة المتّقدة في خير القريب ما كان يعزّز الدين الكاثوليكيّ في اعين الجميع وقد اتّفق الاخوة فانتخبوه كرئيس لشركتهم الصالحة فتمّم واجباته بنشاط لم يعهدوهُ في غيره . وعليه لم يشاؤوا ان يقام رئيس آخر بدلًا منه . ولمّا خلفهُ

المسيو فرنسوا بارون في منصبه اراد ان يتقفّى آثار خلفهِ في تقواهُ وطلب مثلهُ ان يُدرَج اسمهُ في عداد الاخوة .

ثم توفي الاب جان اميو مرشد اخوية الفرنج فتولّى ادارتها راهب آخر يشبههُ في غيرتهِ وفضلهِ الاب جلبرت ريغو (Gilb. Rigault) الذي بلّغ الشركة ذروة كمالها حتّى انّ اهل حلب كانوا يشيرون بالبنان الى اعضائها ويثنون عليهم اطيب الثناء.

وكان المرسلون مع اهتمامهم بالارواح لا تفوتهم الاجساد فكانوا لا يكفّون في حلب عن مساعدة الفقراء لا سيما اولئك الذين كان الدهر بعد الغنى ورغد العيش اخنى عليهم وألصقهم بالدقماء فيخجلون من الاستعطاء . فكان المرسلون يقتسمون معهم قوتهم اليومي ويحنّنون عليهم قلوب مواطنيهم الفرنج

وقد رأيت في ما سبق انّ اهتمامهم بالمتوسمين والمرضى كان بالغاً جدًّا حتّى انّ بعضهم كانوا تفرّغوا لدرس الطبّ كي يعالجوا الامراض ويلطّفوا اوجاع المتوسمين فكانوا اذا خرجوا من اديرتهم تزاحم حولهم الحلبيّون وطلبوا منهم الادوية لأدوائهم او لعلاج ذويهم

وكان حنانهم على المرضى يزيد خصوصاً لدى فشوّ الطاعون فهذا الوباء كما مرَّ بك كان يتناوب على حلب فيرمي اهلها بسهامهِ القتّالة اما المرسلون فكانوا يتفانون في علاجهم قدر استطاعتهم ويعرّضون بنفوسهم الى خطر الموت بطيب القلب حاسبين موتاً كهذا في سبيل القريب شبيهاً بنعمة الاستشهاد

ومن اعمال المرسلين المشكورة في حلب خدمتهم للعبيد . وكان بين هؤلاء قومٌ ممّن أُسروا في الحرب فبيعوا كالرقيق ومنهم مَن استولى عليهم القرصان في البحر فاستعبدوهم . وكان كثير من اولئك المنكودي الحظّ نصارى في خدمة سادة من غير ملّتهم لا يسمحون لهم غالباً بان يمارسوا فرائضهم الدينيّة . فالمرسلون كانوا يتمشّون بهم ويجتمعون بهم سرًّا ليثبتوهم في ايمانهم او يردّوهم اليهِ اذا رأوهم جحدوا معتقدهم وقد رووا في رسائلهم اخبار عدد من اولئك العبيد الذين ارشدوهم ثمّ افتكّوهم من اسرهم او حملوهم على المجاهرة بدينهم . فنالت بعضهم محن وشدائدُ قاسوها بكل بسالة وصبر جميل . منهم بولونيٌّ اراد سيّدهُ ان يصنع بهِ الفحشاء فلم يجد الشاب وسيلة لأن ينجو من هذا الخطر الّا بقتل سيّدهِ فحُكم عليهِ

بالموت فمات راضياً مسلماً امرهُ الى الله في ١٢ شباط سنة ١٦٦٠ فبقي جسمهُ عشرة ايام في مكانهِ بلا فساد لم تمسّهُ وحوش الصحراء ولا كواسر الطير بل كانت تفوح منهُ رائحة عطرة حتّى دفنهُ بعض المسلمين باكرام لما تحقّقوا من براءتهِ (١

وكما مات هذا الشابّ شهيد عفّتهِ استشهد غيرهُ حبًّا بايمانهم منهم داود الحلبيّ الروميّ الذي أسهب معاصروهُ في وصف بسالتهِ وموتهِ الصالح (٢ . وكان هذا متولّياً لجمع الخراج من نصارى حلب فضغن عليهِ احد ابناء ملّتهِ والبسهُ يوماً عمامةً خضراء دون علمهِ ليوهم المسلمين انّهُ جحد دينهُ فلمّا علم داود بصحّة الامر ألقى عنهُ العمامة نافرًا فكان ذلك داعياً الى قتلهِ كأنّهُ بفعلهِ اهان الدين الاسلاميّ او ارتدّ عنهُ بعد الاقرار بهِ . وتفاصيل استشهادهِ قد رُويت في ترجمة القنصل بيكه بنوعٍ مؤثّر في القلوب (٣ . ويُخبرّ هناك كيف دخل اليهِ في حبسهِ الراهب الكرمليتانيّ برونو دي سنت ايف (Bruno de St Yves) وارشدهُ الى الدين الكاثوليكيّ وشدّد عزيمتهُ حتّى مات ميتة الشهداء بعد مقاساتهِ ضروب المحن في حبسهِ . وكانت وفاتهُ السعيدة في ٢٩ تموز سنة ١٦٦٠ وحضر حفلة جنازتهِ ثلاثة بطاركة وخمسة اساقفة وتقسّم النصارى ذخائرهُ ثمّ اشتهر بعد موتهِ بعدّة كرامات وارتدّ كلّ اهلهِ الى الدين الكاثوليكيّ ودخل حفيدهُ حنّا بن تدرس في رهبانيّة الكرمليتان ودُعي باسم داود دي سان شرل وصار بعد ذلك اسقفاً وقاصدًا رسوليًّا على ازمير(٤

ومنهم ايضاً شهيد آخر ارمنيُّ الملّة كان اسمهُ بأَلي (Baali) فهذا الشابّ كان يتردّد على المرسلين وكان ينتصر للدين الكاثوليكيّ ويدافع عنهُ بلا خوف ففي بعض الايّام اجتمع عليهِ فئة من اشقياء المسلمين الذين اوسعوهُ ضرباً فسبّ دينهم وكفى ذلك لأن يُرفع امرهُ الى الوالي فيحكم عليهِ بان يُحرق حيًّا في حارة النصارى المعروفة بالجديدة ما لم يرضَ بالاسلام فاجاب الشاب انهُ يفضّل الف موت على جحود دينهِ وسار الى الموت فرحاً متهلّلاً كأنّهُ يسير الى عرس وأُلقي في النار مقيّدًا . فلمّا

---

١) اطلب الآثار الخطيّة (Rabbath: *Documents* I, 456)

٢) راجع الآثار المذكورة (Id. I, 457-458)

٣) ترجمة فرنسوا بيكه (Vie de Fr. Picquet, pp. 96-150)

٤) الآثار الخطيّة (Documents, II, 6)

احترقت قيودهُ قام يتمشّى في النار كأنهُ لا يشعر بسعيرها فضربهُ الجلّاد ضربة على رأسهِ كانت هي القاضيــة وكان استشهادهُ في ١٢ تموز سنة ١٦٩٧ وكرّمهُ الله بالمعجزات كالشهيد داود السابق ذكرهُ (١

فكلّ هؤلاء شرّفوا الايمان الكاثوليكيّ بثباتهم وعزّوا قلوب المرسلين بقدوتهم الصالحة التي قدّموها لمواطنيهم . ولا غرو ان ترى بعــد ذلك نموّ عدد الكاثوليك في الشهداء حتى انّهم بلغوا نيّفاً وعشرين الفاً في اواخر القرن السابع عشر بعد ان كانوا بضع مئات عند وصول المرسلين سنة ١٦٢٥ . وفي الآثار الخطيّة التي نشرها الاب انطون رباط رسائل جمة تثبت ذلك تفصيلاً واجمالاً (٢

وما كان المرسلون يكتفون بنصارى الكنائس المنفصلة بــل كانوا يشملون بهمّتهم كلّ الضالّين بــلا تمييز كالبروتستانت التاجرين في حلب من انكليز وهولنديين (٣ وغيرهم بل رغب اليهم بعض الموحّدين ان يرشدوهم ففعلوا

وكان في حلب قومٌ من اليزيدية عبدة الشيطان والشمسيّة عبدة الشمس وبدعة هنديّة تُدعى بانيان فالمرسلون لم يشاؤوا ان يُحرم هؤلاء من نعمة الايمان فكانوا يزورونهم ويعودون مرضاهم ويسعفونهم في حاجاتهم فاكتسبوا بذلك ثقتهم وبعد حين جعلوا يثبتون لهم بطلان اديانهم وصحّة المعتقــد الكاثوليكيّ . وكان اليسوعيّون في مقدّمــة الذين يهتمون بأولئك المساكين فبارك الله مساعيهم وردّوا كثيرين منهم الى الدين القويم كما روى الاب بسّون في تاريخهِ وقد توفّق ايضاً الآباء الكرمليّون الى هداية قوم منهم (٤

وممّا يعود فضلــهُ الى المرسلين في القرن السابع عشر انّهم مهّدوا الطريق في الشهداء المعيشة الرهبانيّة . فانّ غوائــل الزمان كانت أنست بين النصارى تلك

---

١) وردت تفاصيل استشهاده في سجلّات الآباء الكرمليين في حلب (Documents II, 24-29)

٢) الآثار الخطيّة (Id. II, 27-29,66,73,86. etc)

٣) الآثار الخطيّة (Id. II, 6)

٤) اطلب (Besson: *Syrie et Terre Sainte*, 50-52) ثم راجع الآثار الخطيــة (Documents I,400,512)

البيئة الفضلى التي دعا اليها السيّد المسيح النفوس المتازة بتقاها فالمرسلون الفرنسويون اذ باشروا بزرع الفضائل المسيحيّة في القارب ما لبثوا ان وجدوا بين تلاميذهم رجالًا ونساء يتوقون الى الزهد في الدنيا ويرغبون في الانقطاع الى خدمة الله وتضحية نفوسهم في اعمال التنسك فاخذوا يصرفون عنايتهم الى اولئك المتورّعين فكانوا يخصّونهم بالارشادات التقوية والفرائض النافلة وممارسة الفضائل الرهبانيّة وربما يصحّ لهم ان يجمعوهم في اديرة خاصّة . من الآثار الباقية من ذلك العهد ما رواهُ الاب الكبوشي يستنيان دي طور (١ قال انّ آباء رهبانيّته في حلب علّموا عدّة بنات من اهلها ان يتبعن قوانين مار فرنسيس وكنّ يعشن كراهبات في بيوت الخاصّة وهنّ يمارسن كلّ فرائض الرواهب لا يخرجن من بيوتهنّ الّا لحضور القداس في الكنيسة وكنّ في العزلة يلبسنَ الثوب الرهبانيّ

وبعد حين اجتمعت بنات غيرهنّ من الارمن والسريان بلغ عددهن ٢٣ فطلبن من بطريرك السريان اندراوس اخيجان ان يلبسهنّ الاسكيم الرهبانيّ فالسيّد الجليل وكل امرهن الى رئيس الكبوشيين الاب جان دي سنت انيان (J-B. de St Aignan) فاخذ يرشدهنّ ويستعين بهنّ لكل اعمال التقى والصلاح بين نساء حلب (٢

وكما نشأت مذ ذاك الحين الرهبانيّة بين النساء الصالحات كذلك شعر بعض اتقياء الشبّان بدعوة الله الى التوهّب غير ان الامر لم يتسنّ لهم الّا بعد بضع سنوات في العشر الاوّل من القرن الثامن عشر ومنهم كانت الرهبانيّات اللبنانيّة المارونيّة البلديّة والملكيّة الشويريّة . على انّ بعض اولئك الشبّان سبقوهم فانتموا الى رهبانيّات غربيّة كالاخ اليّا الارمني السابق ذكرهُ والاب المكرّم ابراهيم برجس الماروني اليسوعي الذي مات شهيدًا في مصوّع سنة ١٦٨٣

ومن الاعمال التي باشرها المرسلون في حلب مدارس الاحداث . وكانت اوّل مدرسة فتحوها في حي الجديدة في دار كنيسة الروم تولّى تدبيرها الاب اليسوعي جيروم كويرو (J. Quyrot) سنة ١٦٢٨ فبلغ عدد طلبتها في السنة التالية ٣٠ طالبًا

١) اطلب كتابهُ مرسح تركيا (Théâtre de la Turquie, p. 467)

٢) الآثار الخطيّة (Documents I, 422-423)

كان الاب يعلّمهم العربيّة والايطاليّة واليونانيّة (٢ . لكنّ اعداء اليسوعيين اضطرّوهم الى العدول عن التعليم مدّة ثمّ عادوا الى تهذيب الشبيبة بعد خمس سنوات ففتحوا مدرسة اخرى مختلطة من اولاد كل الطوائف ذكروها مرارًا في رسائلهم . وكذلك الكرمليّون فتحوا مدرسة علّم فيها الاخ الياس المنتمي الى سيدة الكرمل وكان هذا حلبيًا من طائفة الارمن فكان يعلّم العربيّة والايطاليّة لنحو عشرين ولدًا. ومثلهم الكبوشيّون اداروا مدرسةً للناشئة الحلبيّة ورد ذكرها في رسالة لوزير ملك فرنسة لويس الرابع عشر (١

ولا شكّ انّ هذه المدارس لم تتجاوز في اوّل امرها مبادئ التعليم اي الكتابة والقراءة في العربيّة والايطاليّة والفرنسويّة مع اصول الدين وقواعد الحساب لكنها كانت نعمةً سابغةً في مدينة كحلب حيث كادت الآداب تُطمَس بعد ازدهارها. فاضحت كفاتحة عصر جديد فلن يمرّ على تلك المكاتب مئة عام حتى تصير الشهباء كهدٍ للنهضة الادبيّة بين نصارى الشام فمنها تنتشر الى بقيّة الانحاء.

بل نرى المرسلين يخصّون قسمًا من زمانهم للكتابة والتأليف فكانوا بذلك قدوةً للطوائف الشرقيّة. وشرعوا اوّلًا بتصنيف الكتب الدينيّة كالتعليم المسيحي وكتب الصلوات والتأمّلات وشرح العقائد الكاثوليكيّة والدفاع عن الدين القويم وقد اشتهر اليسوعيّون في ذلك فمذ دخلوا حلب درسوا لغة اهلها واسرعوا الى كتابة التآليف الروحيّة . منهم الاب حبيب شيزو الذي الّف كتبًا عديدة ونقل غيرها الى العربيّة والارمنيّة والفارسيّة قيل انّ عدد مصنفاته او منقولاته بلغ الاربعمائة (٢ . ومثلهُ الاب جان امير الذي عُني بتأليف كتب دينيّة في العبادة الى البتول وفي اكرام القديس يوسف ونقل كتاب الكردينال ريشليو في الكمال المسيحي وزيّف اضاليل المبتدعين (٣. وكذلك الاب ميشال نو (M. Nau) لهُ عدّة تآليف دينيّة منها كتاب الدلالة اللامعة (راجع مقالة حضرة القس جرجس منش ص ٥٢٣). وصنف الاب بوازو (Boisot) كتبًا منها ترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس

١) اطلب الآثار الخطية (Documents I, 380)

٢) الآثار الخطية (Id. I, 52,77,379-381,434.517 etc., II, 65)

٣) الآثار الخطية (Documents I, 53,92-63) ٤) الآثار الخطية (Id. I, 431)

وللكرمليين مآثر دينيَّة أخرى منها ما صنَّفهُ مرسلوهم في حلب من التآليف وقد وصف حضرة الاب انستاس الكرملي تلك الآثار في جملة ما عدَّدهُ من مصنَّفات اخوتهِ في الشرق واضفنا اليها اسماء كتب أخرى فاتتهُ (المشرق ٩: ٨٣١–٨٤٤)

ومثلهم الكبوشيُّون والفرنسيسيُّون ذُكر لهم في تواريخهم مصنَّفات عُنوا بوضعها او بنقلها (٣

ولم يقصر المرسلون في حلب عملهم على التآليف الدينيَّة بل صنَّفوا ايضاً عدَّة كتب لغويَّة وادبيَّة وتاريخيَّة وعلميَّة منها قاموس اللغة العربيَّة للاب شيفو وتعريب غراماطيق الاب ألفارس اللاتينيّ لهُ وقاموس آخر في اربع لغات لهُ وقاموس تركيّ لاتينيّ للاب اميو

ومن الخدم التي ادَّاها المرسلون في حلب للعلم انَّهم في رسائلهم لرؤسائهم ومواطنيهم كانوا يتَّسعون في وصف احوال الشرق عموماً وحلب خصوصاً فتجد هناك كنوزاً من المعلومات لا اثر لها في غيرها من الكتب. فمن ذلك وصف حالة الشهباء وابنيتها الدينيَّة والمدنيَّة وعادات اهلها ومرافقها وتجارتها وآدابها ونظامها السياسي ووصف مللها المختلفة حتى يستطيع من درس الباقي من تلك الآثار ان يكتب تاريخاً مطوَّلاً لحلب وجهاتها منذ اواخر القرن السادس عشر الى يومنا

وكان وزراء فرنسة يكاتبون المرسلين ويطلبون منهم ان يفيدوهم في توسيع نطاق الاعمال بين بلادهم والدولة العليَّة. ولمَّا ارادوا ان ينشئوا المكتبة الملكيَّة فرعاً لمخطوطات الشرق كان المرسلون الفرنسويون في حلب والاستانة وسطاً لتحقيق امانيهم. ففي رسائل الاب كريرو اليسوعي ما يروي فيها ابتياعهُ لعدَّة مخطوطات عربيَّة وتركية لمكتبة باريس ومساعدتهُ للمستشرق غوليوس (Golius) الهولندي في اقتناء غيرها لمكتبة ليدن (١ ..

وكان اذا لم يمكنهم ان يبتاعوا تلك الكتب ينقلوها الى الافرنسيَّة ويرسلوها

---

١) اطلب تاريخ الرسالة الكبوشيَّة في الشرق للاب هيلار دي برانتون (Hilaire de Barenton, p. 122-124)

٢) اطلب الآثار الخطيَّة (Documents 1, 404)

الى وزير الدولة كما فعل الاب نو الذي وقف على تاريخ بطاركة انطاكية الملكيين في حلب فارسل ترجمتهُ لوزير الدولة في فرنسة الشهير كولبار (Colbert)

وهذه الحركة العلميَّة امتدَّت بمثال المرسلين الى غيرهم من الاكليروس الحلبيّ كالبطريرك مكاريوس زعيم الشهير بتآليفهِ التاريخيَّة والطقسيَّة (١ والخوري بطرس التولويّ الذي ترجمهُ حضرة القس جرجس منش (٢ وعدَّد تآليفهُ ومنقولاتهِ

وكأنَّ الاعمال السابق ذكرها لم تروِ غليل المرسلين فانهم طلبوا حول حلب مدناً وقرًى ينتقلون اليها فيبشِّرون اهلها فمن المدن التي شكرت غيرتهم مدينة الاسكندرونة التي كانوا يتردَّدون اليها من وقت الى آخر فيرشدون اهلها ويوزعون عليها الاسرار المقدَّسة ولا يبالون بما يلاقونهُ في ربعها من الامراض والحيَّات. وكانوا اذا وجدوا فيها مركباً راسياً للفرنج زاروهم ودعوهم الى اتمام واجباتهم الدينيَّة. وممَّن امتاز بهذه الاعمال الخيريَّة الابوان شيزو وريغو (٣. وكذلك زاروا اهل كلس وانشأوا بينهم اخويَّة العذراء فاخذ عدد الكاثوليك ينمو فيها مذ ذاك الحين. ومن حلب خرج مرسلون آخرون فتقدَّموا الى جهات ما بين النهرين كالاب ميشال نو الذي رحل الى ماردين ليردَّ ما فيها من اليعاقبة. وكبعض الآباء الكبوشيين الذين ذهبوا الى ديار بكر واورفا فزرعوا فيها بزر الايمان الكاثوليكي

فهذه المشروعات تبيِّن علانيةً ما سبقنا وقلناهُ في مقدِّمة كلامنا انَّ حلب كانت في القرن السابع عشر مهد الكثلكة في الشرق وان الفضل في ذلك مرجعهُ الى المرسلين الفرنسويين. وان شاء الله نروي في مقالة أخرى ما اتوهُ في مطاوي القرن التالي

---

١) الآثار العلميَّة (Id. I, 48)

٢) اطلب المشرق (٦: ٧٦٩)

٣) اطلب المشرق (٦: ٧٦٩-٧٧٧)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ملحق بالقسم الأول

(التوحيد بين العرب) وممن فنّدوا رأي رينان في التوحيد الغريزي بين قدماء العرب المستشرق الشهير يوسف هالوي (Joseph Halévy) في مقالاته عن الكتابات المكتشفة حديثاً في بلاد العرب (١ بهمّة الرحالين اليها كالانكليزي دوغتي (Doughty) والقنصل الفرنسوي هوبر (Huber) والاستاذ اوتنغ (Euting) وكذلك العلّامة الاثري فيليب برجه (Ph. Berger) في كلمته عن كتابات تيماء (Inscriptions de Teimâ) ويتضح من هذه الاكتشافات ان عبادة الاصنام كانت شائعة في جزيرة العرب ومنظمة كما كانت عند غيرهم من الشعوب فلها هياكل وكهنة وذبائح وآلهة متعدّدون خلافاً لما زعم رينان رغبةً في معاداة الوحي

(عبادة الزُّهرة بين العرب) وهذا بعض قول اسحاق الانطاكي (ed. Bickell, I. 244-246) في الزُّهرة وعبادتها عند العرب ثم عدولهم الى دين المسيح

ܡܢܝܢ ܕܥܪܒܝܐ ܕܢܦܩܘ ܡܢ ܬܡܢ ܐܠܗܐ ܕܐܝܬ ܠܗܘܢ ܐܠܗ ܚܕ ܕܫܡܗ ܡܘܬܒ ܐܝܟ ܕܐܝܬ ܠܗ ܡܠܟ

« لهذا الكوكب (اي الزهرة) كانت قبائل ابناء هاجر (العرب) تقدّم الذبائح (لتنال نساؤهم موهبة الحسن والجمال) لكنّ نساءهم كبقية النساء فتبنّ جميلات ومنهنّ دميمات . ومنذ اقبلت النساء العربيّات على (عبادة) شمس البرّ (اي المسيح) فاضنّ جحدن (عبادة) ذاك الكوكب (الزهرة) الذي عبدنَهُ باطلاً . فانّ اولئك الاغراء (اي العرب) حنوا رؤوسهم للنير واناخم (خضعن) للتأديب . والنساء اللواتي تربّين في المقدس (اي البيعة) ابدلن (عبادة) الزهرة بعبادة المسيح واختلطن بمنا يصلاتهنّ »

(اصنام العرب) في تاريخ الجاهلية لابي الفداء (Fleischer: *Abulfedæ Hist. anteislamica*, p.180) ما حرفهُ عن اصنام العرب قال :

« وصنفٌ (من العرب) عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبائل فكان ودّ لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمدان (لهمدان) واللات لثقيف بالطائف والعزّى لقريش وبني كنانة ومناة للاوس والخزرج وهُبَل اعظم اصنامهم وكان هُبَل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلة على الصفا والمروة »

(ذو الخلَصة) المرجّح ان ذا الخلَصة لم يكن صنماً بل بيتاً او بالحريّ بيعةً نصرانيّة لقبائل اليمن . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٤٦١) :

« الخلَصة بيت اصنام لدوس وخثعم وبجيلة . . . وقيل هو الكعبة اليمانيّة التي بناها ابرهة بن الصبّاح الحميري . . . وقيل كان ذو الخلصة يسمّى الكعبة اليمانيّة وبيت الحرم الكعبة الشاميّة »

وقد ذكر ياقوت الكعبة اليمانيّة في محلّ آخر (٢ : ٧٠٣) ودعاها بدير نجران وعليه يجب القول ان القبائل التي كانت تحجّ اليها اعني خثعم وبجيلة ودوس كانت نصرانيّة

(الذبائح عند العرب) جاء في شرح المفضليات لابن الانباري (ed. Lyall, p. 228-229) في قول سلامة بن جندل « كأنّ اعناقها انصابُ ترجيب » انّ العرب « كانوا يذبحون في رجب » .

(نصرانية غسّان) يضاف الى ما ورد هنالك لليعقوبي قولهُ (ج ١ ص ٢٣٣) بعد ذكره لتنصر بني سليح في الشام : « وتنصرت غسّان بملكة من قبل صاحب الروم » وجعل تنصّرها على عهد « جفنة بن عليّة (ثعلبة) بن عمرو ابن عامر » . وكذلك الفيروزابادي في مقدّمة قاموسه قد قال : « انّ كثيراً من

ملوك الحيرة واليمن تنصَّروا واما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى ». وقد افادنا ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٢٧١) عن اخبار غسان بعد الاسلام ما حرفهُ قال :

« وقامت غسان بعد تنصرها من الشام بارض القسطنطينية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهَّزوا الى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان وبحر نيطش الذي بعدهُ خليج القسطنطينية وفي هذا الجبل باب الابواب وفيهِ من شعوب الترك المتنصرة والشركس واركس واللاص وكسا وسمهم اخلاط من الفرس واليونان »

(تنصر القيصر فيلبس العربي) قال اوروزيوس (اوروشيوس) المؤرخ الاسباني في القرن الخامس للميلاد عن فيلبس العربيّ « ان فيلبس سبق كلَّ الامبراطرة (القياصرة) في دينهِ بالنصرانية (Philippus-Arabs) Hic primus Imperatorum omnium Christianus fuit (*Paul-Orose, Hist.* VII, c. 20)

(ماوية ملكة غسَّان) جاء في تاريخ سوزمان (Sozomène, H. E., V, c. 1) انَّ الروم لمَّا ساروا لمحاربة الغوطيين الزاحفين على القسطنطينية استعانوا بفرقة من العرب الخاضعين لماوية

(مهاجرة النصارى الى بلاد العرب في اضطهاد دقيوس) اخبر اوسابيوس في تاريخهِ (Eusèbe, H. E., VI, c. 39) « انَّ كثيرين من النصارى هربوا الى بلاد العرب لمَّا ثار اضطهاد القيصر دقيوس »

(نفي الشهداء في بلاد العرب) قال تاودويطس المؤرخ في القرن الخامس عن ثالث القيصر الروماني « انَّهُ نفى كثيرين من المعترفين بالايمان في الرها الى حدود العرب » Qui (Valens) multos confessarios fidei Edessenos in finibus Arabiæ dispergi jussit (*Theodoret*, H.E. IV. 18)

(اساقفة العرب) وقد ذكر القديس ابيفانيوس في القرن الرابع (Epiphanius : *Anacph.* n° 12) اساقفةً اقيموا على قُرى العرب (μητροκωμίαι Ἀραβίας)

(فروة صاحب عمان) ومن مدن البلقاء عمَّان. وفي وفادات العرب لابن سعد (ed. Wellhausen, 20) انَّ فروة بن عمرو الجذاميّ كان عاملًا على عمَّان من

ارض البلقاء وكان نصرانيًا فاسلم عند ظهور الاسلام فغضب عليهِ هرقل وقتلهُ صلباً

(الفيلسوف النصراني بنتانوس في بلاد العرب) راجع في مجلة الكليّة الكاثوليكيّة (Université Catholique, 1853 XXXV, p. 329) للمستشرق البلجكيّ نيف (F. Nève) مقالة مسهبة يثبت فيها انَّ الهند المذكورة في تاريخ بنتانوس انَّما هي اليمن ليس الّا قال:

« Quand nous lisons (dans Eusèbe) que Démétrius archevêque d'Alexandrie donna en 189 à S. Pantène la mission d'annoncer l'Evangile dans les Indes, nous ne pouvous entendre par ce terme que l'Arabie Heureuse ».Cfr. aussi *Annales de Philosophie, 3e série*, t. XIII, XIV (p. 7) et XV »

(الرحمان) اسم الرحمان ورد مرارًا في الكتابات الحميريّة المكتشفة حديثاً ولاسيما في الكتابات النصرانيّة. اطلب مجلة الاسيويّة الالمانيّة (Fell: *Sudarab. Studien*, ZDMG, 1900, LIV, p. 252)

(شهداء نجران) راجع في المجلة الاسيويّة الالمانية (ZDMG XXXV, 1881, 1-75) مقالة مطوّلة في الآثار العربية والسريانيّة والحبشيّة المتوطة باخبار اولئك الشهداء للعلّامة الالماني فال (Fell: *Die Christenverfolgung in Südarabien*)

(سدّ مأرب) في رواية كتبة العرب عن هذا السدّ اشارة الى نبيّ دعا اهل اليمن الى التوحيد فابوا الاصغاء اليهِ فعاقبهم الله بانفجار هذا السدّ. فنجد في خبرهم عينهِ مع ما فيهِ من المزاعم الباطلة اشارة الى الدعوة النصرانيّة لدى ذكرهم ذلك النبيّ الذي دعاهم الى الله فقتلوهُ وهو على رأينا احد دعاة النصرانية وشهدائها في اليمن. دونك شيئاً من روايتهم نقلًا عن كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (ed. de Goeje, p. 114):

« كان اهلها (اي اهل سبأ) . . . اغنياء صاحب صامت ومواشي فلم يكونوا يرون لاحد على انفسهم طاعةً الّا لمن قد ملكوه على انفسهم وانقادوا لرئاستهِ وكان لهم اوثان يعبدونها فبعث الله عزَّ وجلَّ اليهم نبيًّا اقام فيهم زمانًا يدعوهم الى الله فكذبوه فاوعدهم وخوَّفهم وحثهم على شكر الله على ما انعم عليهم فلم يلتفتوا الى قولهِ واستهانوا بهِ وقالوا: آتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وذبحوه ذبحاً . . . . فانبثق ذلك السدّ وانى على اهل هاتين المدينتين

(يريد سبأ المنقسمة الى مدينتين عظيمتين) . . . . . فلمّا حلّ جم هذا الحدث آمنوا بالله وسألوه العفو وانابوا وخضعوا فقبل الله تعالى ذلك منهم وقوّاهم وجمع كلمتهم وأيّد امرهم . . »

(كنيسة صنعاء) قرأنا في احد مخطوطات باريس (de Slane, Mss. Arab. Paris, Ms 701 ff. 71) عنوانهُ « تاريخ صنعاء اليمن لاحمد الرازي » كتبهُ سنة ٣٩٠ (١٠٠٠ م) ما حرفهُ :

« حدّث غسّان بن ابي عبيد قال دخل عيسى بن مريم صلّى الله عليهِ في موضع الكنيسة (يريد في صنعاء !) فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء على اثر مصلّاهُ . وهذه الكنيسة في وقتنا خربة وهي اسفل زقاق المنصبين في صنعاء في الجانب الغربي محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء . وقد بقي من هذه الكنيسة ضير شبه اسطوان على حرف الطريق الى سوق الطاوين والى درب دمشق . وقد ادركتُ عقودًا كثيرة كانت باقية الى سنة ٣٩٠ »

(النصارى في حضرموت) روى الطبري في تاريخهِ (ج ١ ص ١٨٥٢—١٨٥٦ و ٢٠٠٥ — ٢٠٠٧) ان قسًّا من قبيلتي السَّكون والسكاسك النصرانيتين كانوا يسكنون في حضرموت

(النصرانية في سُقُطرى) وممن اثبتوا دخول النصرانية في جزيرة سقطرى المؤرخ فيلوستورج (Philostorge, P. G., LXV, p. 470-482) من كتبة القرن الرابع للمسيح . وبقيت النصرانية فيها اجيالًا طويلة بعد الاسلام . قال المسعودي في مروج الذهب (طبعة باريس ٣ : ٣٧) : « وظهر المسيح فنتصر مَن فيها (اي جزيرة سقطرى) الى هذا الوقت » . وفي معجم البلدان لياقوت (٣ : ١٠٢) : ان في سُقُطرى « من جميع قبائل مَهرة وبها عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى » ثمّ قال « واما اهل عدن فانهم يقولون لم يدخلها من الروم احد ولكن كان لاهلها رهبانية ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة »

ومثلهما الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر (ed. Jaubert. I. 47) . وافادنا الرحّالة مركو بولو في اواخر القرن الثالث عشر انّ سقطرى كانت خاضعة لبطاركة الكلدان الذين كان يرسلون لها مطارنة . عُرف منهم مار دوا سنة ٨٨٠ وقرياقوس سنة ١٢٨٢ فغلبت النسطوريّة على اهلها . ولمّا دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٣ وجدوا اهلها نصارى كان استولى على جزيرتهم حديثًا عرب اليمن سنة ١٤٨٠ فحاربوهم سنة ١٥٠٧ وضبطوا جزيرتهم مدّة

(القديس فرنسيس كسفاريوس في سقطرى) لم ينسَ القديس كسفاريوس جزيرة سقطرى بعد نزوله اليها عند رحلته الى الهند بل ارسل اليها مرسلين يسوعيين بلغ عددهم سنة ١٥٤٩ اربعةً وتبعهم غيرهم من المرسلين سنة ١٥٦٢. الّا ان غزوات العرب المتوالية لم تعد تسمح لهم بالسكنى هناك. (راجع مقالة مطوّلة الكاتب الفرنسويّ رومانه دي كليو (F. Romanet de Caillaud) في مجلّة الارض المقدّسة (La Terre Sainte. 1889, pp. 174 et 187) وترجمة حياة القديس فرنسيس كسفاريوس الجديدة للاب برو (A. Brou: *St François Xavier*. I. 120)

(النصرانية في البحرين) ومن المحدثين الذين اشاروا الى تنصّر عرب البحرين قبل الاسلام الرحّالة بالغراف (Palgrave) في سفره الى اواسط جزيرة العرب (ج٢ ص ٢٠٢). راجع ايضاً ما نقلناه عن ياقوت (٣: ٨٧٣ — ٨٧٤) في ذكر فرسان (ص ١٣٧)

(تنصّر امرئ القيس البدء) وقد سبق الطبريُّ ابنَ خلدون في رواية تنصر امرئ القيس حيث قال في تاريخه (ج ١ ص ٨٣٤—٨٣٥):

« وكان من عمّال سابور بن اردشير وهرمز بن سابور وبهرام بن سابور بعد مهلك عمرو ابن عدي على فُرَج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابنٌ لعمرو بن عدي يقال له امرؤ القيس البدء وهو اوّل من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس »

وفي مروج الذهب للمسعودي (٣: ١٩٩) انّ امّ امرئ القيس البدء كانت غسّانية اسمها مارية اخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسّان

(النعمان ابن شقيقة) نقل ابن خلدون في تاريخه (٢: ٢٧١) عن البيهقي ان النعمان ابن الشقيقة « هو اوّل من تنصر » وقد رأيت سابقاً ان امرء القيس البدء هو اوّل ملوك المناذرة المتنصرين قبل ذلك بزمن طويل (كما روى ابن خلدون نفسه)

(تنصّر المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء) يزاد الى ما روينا ما قالهُ ابو الفداء في تقويم البلدان (ed. Reinaud, p. 299): « كانت الحيرة منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة ».

ومن الحيرة كان احد كبار السيّاح المعروف بمار يوحنّان (Chabot : *Le livre de la Chasteté*., p. 28) الذي تنسّك في جبل الإزل في دير معرتا. قال مؤلف كتاب العفاف السرياني (ܟܬܒܐ ܕܥܦܦܐ) انهُ « كان من الحيرة عربيّ الاصل من اسرة شريفة وبعد ان درس في مدرسة نصيبين ترهّب في دير معرتا وكرّمهُ الله بعمل المعجزات »

(المنذر والاسقفان اليعقوبيّان) هذا الخبر المرويّ عن المنذر رواه المؤرخ اللاتيني وكتور التوني (Victor Tununensis, †566) المتوفى سنة ٥٥٦ م في تاريخ سنة ٥١٢ بما حرفهُ :

« Alamundarus Saracenorum rex a defensoribus Synodi Chalcedonensis baptizatus, Theopaschitas episcopos a Severo Antiochensi episcopo ad se cum litteris missos, barbarum mirabiliter propositionem concludens atque superans, Deum immortalem ostendit » (*Migne* P. L., LXVIII, p. 95)

(تنصر النعمان بن المنذر) زعم عمرو بن متى (ed. Gismondi, p. ٤٨) وسليمان بن ماري (Id. p, ٥٦) ان النعمان بن المنذر مرض مرضاً شديداً فشفاه الاسقفان النسطوريان شمعون اسقف الحيرة وسبريشوع اسقف لاشوم مع الراهب ايشوع زخا. وانهُ اعتمد من بعدهِ ولداه المنذر والحسن قال: « وكان الحسن اشدّهم تمسكاً بالنصرانية وكان لا يمنع تقدّم المساكين اليهِ اذا دخل البيعة »

(النصرانية في المدينة) ومن الآثار المثبتة بوجود النصرانية في المدينة دير كان على جبل قريب من المدينة يدعى بسَلع فنُسب اليه دير سَلع وقد ذكرهُ الطبري في تاريخهِ وكان هذا الدير صار بعد ذلك في ايدي اليهود فجعلوه مقبرة وفيه دُفن الخليفة عثمان بعد قتلهِ (راجع الطبري ج ١ ص ٣٠٤٧)

(ابو عامر الراهب) هو ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن امية من بني عمرو بن عوف ذكره ابن الاثير في اسد الغابة (٤ : ٤٨٨) وذكر في تاج العروس (٤ : ١٧٣) له ابنةً تدعى شموساً

(الحنيف بمعنى النصراني) جاء في العقد الفريد لابن عبد ربّهِ في وصف يوم الغبيط (٣ : ٨٨) « انَّ عتيبة قال لبسطام بن قيس سيد بني بكر : استأسر لي . . .

فناداه بسطام: ان كررتَ فانا حنيف. وكان بسطام نصرانيًا »

(نصرانيَّة بهراء) شهد على نصرانيتهـا ايضاً ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ١٨) قال « انَّ بعضهم (اي بعض العرب) تنصر ودان بدين النصرانية مثل تغلب من ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ من اليمن بارض الشام »

(محمَّدان نصرانيَّان في الجاهليَّة يضافان الى محمَّد بن مجاشع اسقف تميم) هما محمد ابن حمران كان من نصارى مذحج وكان معاصراً لامرئ القيس وهو الذي سمَّاه امرؤ القيس بالشويعر. امَّا محمد بن خزاعي فكان من بني ذكوان بطن من سُلَيم قدم على ابرهة ملك اليمن فتنصر ومات على دينهِ (Sprenger : *Mohammad*, I, 161)

(وصية الحرث بن كعب) قد وجدنا هذه الوصية في كتب أُخرى منها خطية ومنها مطبوعة كما رويناها . ثم وقفنا على رواية مختلفة اثبتهـا العلامة غولدسير (Goldziehr) في كتابهِ (Abhandl. z. arab. Philologie, XLIII) وفيها يقول الحارث « انهُ على دين شُعيب » وروايتنا هي الاصحّ كما يلوح من القرائن. وقد روى ايضاً غولدسير « أُسيد بن خزيمة » بدلاً من « اسد »

(نصرانيَّة بني حنيفة) ومن المحدثين الذين صرَّحوا بنصرانية بني حنيفة ارنلد (Arnold Mulheisen : *Islam and its Relations to X*, p. 34) وكذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن معاوية (ص ٤٣١)

(نصرانيَّة خثعم) قد ذهلنـا عن ذكر نصرانية قبيلة خثعم. وقد شهد على الامر ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٧٠٣) حيث قال عن دير نجران في اليمن وهو المسمَّى كعبة نجران او الكعبة اليمانية (راجع صفحة ١٤٣):

« وكان بنو عبد المدان بنَوهُ مربَّعاً مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعاً عن الارض يُصعد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجُّونهُ هم وطوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة ويحجهُ خثعم قاطبة »

فبقوله انَّ بني خثعم كانوا يحجون دير نجران اوضح بنوع صريح نصرانيتهم. وبنو خثعم كانوا ينتسبون الى خثعم بن انمار بن نزار بن معـد بن عدنان. وكانوا يسكنون في البحرين وفي اليمن مع عبـد القيس وبجيلة وحاربوا سابور ملك الفرس مع اياد (C. de Perceval : *Hist. des Arabes*, II, 48-49)

(اديرة لبني طيء) والى طيء يُنسب دير سِلسلة الذي كان في جهات الكوفة قبل الاسلام وهو سلسلة بن غنم بطن من طيء (اطلب تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٤٠٣) وهناك كان دير حُرَقة ودير امّ عمرو

من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١١ الموصل

كان اوّل فكرنا بعد حلولنا في دير الآباء الدومنيكيين الاجلّاء ان نشكر الله الذي اوصلنا سالمين الى الموصل وزاد شكرنا لعزّته تعالى انّنا علمنا وقتئذٍ شيئاً من الاهوال التي حاقت بجهات ديار بكر وما بين النهرين حيث كنّا سائرين مطمئنين والدماء تسيل حولنا ونحن لا ندري

وبعد اتمامنا الفرائض الدينيّة اجتمعنا بآباء الدير وتبادلنا مليًّا عبارات الاخاء والوداد ثمّ زرنا معاهد مقامهم وما يلحق بهِ من الابنية المجاورة كالمطبعة والمدارس ولا سيما المدرسة الاكليريكيّة التي يديرها الآباء بكل اهتمام

وبُعَيد الظهر اسرعنا الى تقدمة واجبات الوقار والاكرام لغبطة السيّدين البطريركين جرجس عبد يشوع خيّاط بطريرك الكلدان على بابل واغناطيوس بهنام بنّي بطريرك انطاكية على السريان فتشرّفنا بلثم راحتيهما والتماس بركتهما وكان استقبال غبطتيهما لنا كاستقبال اعطف الآباء بل تلطّفت كلاهما ودعانا الى مأدبة فاخرة مع حضرة رئيس الآباء الدومنيكان فكاد هذا اللطف يخجلنا لولا علمنا بانّ السيّدين الجليلين (طيّب الله ضريحهما) ارادا ان يكرما في شخصنا الحقير الرهبانيّة اليسوعيّة فشكرنا لهما تعطّفهما باسم حضرة رئيسنا العام

وكذلك حظينا بشرف المثول لدى سيادة المطران يوسف اليّا خيّاط الكلداني اسقف العمادية والمطران بولس دانيال السرياني اسقف دارا شرفاً . وكان سيادة القاصد الرسولي على ما بين النهرين وكردستان السيّد هنري التابر وقتئذٍ غائباً من

الموصل فقدّمنا لوكيلهِ حضرة الاب اغوسطين صانغ مراسيم التجلّة ودرنا بصحبتهِ في انحاء دار القصادة التي وجدناها جديرة بمقام ممثل الكرسيّ الرسوليّ . ورأينا في الديوان صور القصّاد السابقين وفي جملتهم سيادة القاصد مبارك بلنشه الذي خلّد لهُ ذكرًا طيّبًا في الموصل باعمالهِ المبرورة . ورأينا في الموصل شيوخًا يثنون على مشروعاتهِ ويذكرونهُ بالخير مع الآباء يوسف لابورد ولويس كانوتي وبولس ريكادونًا ومنصور (مكسيليان) ريلُو ولكلّهم مآثر خلّفوها في حاضرة كردستان . ولمّا اتموا المهمّة التي عُهدت اليهم عادوا الى الشام بعد ان سلّموا تلك الرسالة الى حضرة الآباء الدومنيكيين الفرنسويين بدلًا من الايطاليين الذين تولّوا تدبيرها سابقًا

الموصل من المدن المنشأة في عهد الدولة الاشكانيّة كما هو مرجّح وقيل قبلها فخلفت مدينة نينوى التي كانت واقعةً على ضفة دجلة اليسرى فبُنيت الموصل على ضفة هذا النهر اليمنى وانّما اختلفوا في تسميتها بالموصل وقد وصفها ياقوت الحموي في زمانهِ فقال واحسن (معجم البلدان ٤ : ٦٨٢—٦٨٣)

الموصل المدينة المشهورة الطيّبة احدى قواعد بلاد الاسلام قليلة النظر كبيرًا وعظمًا وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محطّ رحال الركبان ومنها يُقصَد الى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يُقصَد الى اذربيجان . وكثيرًا ما سمعتُ انّ بلاد الدنيا الحقام ثلاثة نيسابور لانّها باب الشرق ودمشق لانّها باب الغرب والموصل لانّ القاصد الى الجهتين قلّ ما لا يمرّ بها . قالوا سُمّيت بالموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل لانها وصلت بين بلد سنجار والحديثة وقيل بل الملك الذي احدثها كان يسمّى الموصل (كذا !) . وهي مدينة قديمة الاسّ على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقيّ نينوى . . . قال حمزة : كان اسم الموصل في ايّام الفرس نواردشير او بواردشير بالنون او الباء ثمّ كان اوّل من عظّمها والحقها بالامصار الظام وجعل لها ديوانًا برأسهِ ونصب عليها جسرًا ونصب طرقاتها وبنى عليها سورًا مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم آخر ملوك بني امية المعروف بمروان الحمار والجعديّ . وكان لها ولاية ورساتيق وخراج مبلغهُ اربعة آلاف الف درهم والآن فقد عمّرت وتضاعف خراجها وكثر دخلها . . . وكثيرًا ما وجدتُ العلماء يذكرون في كتبهم انّ الغريب اذا اقام في الموصل ستّة تبيّن في بدنهِ فضل قوّة . . . وما نعلم لذلك سببًا الّا صحّة هواء الموصل وعذوبة مائها . . . وليس للموصل عيب الّا قلّة بساتينها وعدم جريان الماء في رساتيقها وشدّة حرّها في الصيف وعظم بردها في الشتاء . فامّا ابنيتهم فهي حسنة جيّدة وثيقة بهيّة المنظر لانّها تُبنى بالنورة والرخام ودورهم كلها اتاج ومراديب مبنيّة ولا يكادون يستعملون الخشب في سقوفهم البتّة وقلّ ما عُدم شيء من الخير في بلد من البلدان الّا ووُجد فيها . . . »

فترى من هذا الوصف ما كانت عليه الموصل في القرون الوسطى بهيئة ملوكها بني حمدان التغلبيين ثمَّ توالت عليها الدول الاسلاميَّة من بني عُقَيل ثمَّ بني مروان ثمَّ السلجوقيين ثمَّ الايوبيين الى أن تغلَّب عليها المغول وخلفهم التركمان والعجم فنازعهم في ملكها بنو عثمان وولَّوا عليها الآغوات الذين اذاقوا اهلها امرَّ الشدائد فأنقذهم منها في اواسط القرن الماضي محمَّد باشا واليها بعد انتصاره على اولئك المستبدين الظالمين وتعميمه للامن والعدل فلمَّا مات بكاه الجميع كأعزّ الاصدقاء.

والموصل اليوم لا تشبه في شيء الوصف الذي وصفهُ بهـا ياقوت فترى ازقَّتها ضيِّقة وسخةً وبيوتها متراكمة بلا هندسة ولا نظام لا يزينها شيء من النوافذ الواسعة والطنف الجميلة فيضيق الصدر بسكناها

على انَّ بعض الاجانب والمثرين من اهلهـا اخذوا منذ بضع سنوات يبنون البيوت الرحبة والدور المتقنة الهندام والابنية العموميَّة المستطرفة كالمجلس والثكنة العسكريَّة ودار الولاية وبعض الكنائس والجوامع ومنازل الخاصَّة

امَّا الآثار القديمة فلم يبق منها الَّا القليل فمن جملتهـا بعض الخانات والمساجد والكنائس اخصُّها كنيسة الكلدان المعروفة بعمكيتا وبعض كنائس السريان واليعاقبة

والموصل يبلغ عدد اهلها اليوم نحو ٨٠,٠٠٠ نسمة ثلثاهم مسلمون وهم من بقايا القبائل العربيَّة القديمة والثلث الآخر من بقيَّة الامم والطوائف بينهم ١٠,٠٠٠ من كاثوليك الكلدان والسريان والارمن والباقون يعاقبة وبروتستانت ويهود

وموقع الموصل على ربوة لا تعلو فوق سطح مياه البحر الَّا ١٠٦ امتار فيقوى فيها الحرّ حتى يبلغ في الصيف ٤٥° من المقياس المئوي بـل يتجاوزها الى الدرجة الخمسين والمدينة مع ذلك طيبة الهواء . وفي لغة اهلها مسحة من لغـة الاعراب ولاسيما في سنجقيها كركوك والسليمانيَّة وباديَّتها

وكانت الموصل سابقاً مشهورة بمنسوجاتها وباسمها شاعت في اوربَّة الموصليَّات (mousselines) من الانسجة القطنيَّة الرقيقة الصنع مع متانتها . وكذلك بقيَّة صنائعها فكان اهلهـا يصطنعون الحليّ والمصاغات والاسلحة والطنافس . وكان في ولاية الموصل معادن يُستخرج منها الذهب والفضَّـة والنحاس لكنَّها أُهملت بعد ذلك لقلَّة الوسائط لاستثمارها . وهناك ايضاً مناجم من الفحم الحجريّ ومن

الكبريت ومنابع القير والنفط والملح المعدني وكلها كثيرة الجدوى طائلة الارباح لولا انَّ الحكومة لم تنشط الجمعيَّات المنعقدة لترويجها . وكذلك تكثر فيها المياه المعدنيَّة التي تصلح لعلاج بعض الامراض شرباً او استحماماً

وولاية الموصل غنيَّة ايضاً بمحصولاتها الزراعيَّة فانَّ تربتها من اجود الترب لا سيما اذا حُفرت فيها القنيّ لريّها كما فعل البابليُّون والعجم . وغلَّاتها وافرة تكفي لاهلها وتزيد عنهم كثيراً . وفي مفاوزها سائمة المواشي التي يرعاها الاكراد والعربان ويصدر منها الالوف المؤلفة الى البلاد الاجنبيـة وتُتَّخذ جلودها واصوافها فتُدبغ وتُصبغ ويستحضر منها ضروب الاكسية . وهناك ايضاً وحوش ضارية ذكرها الاقدمون كالاسد والنمر والببر والنعامة لكنها اليوم قد بادت منها وبقي في بواديها الضباع والذئاب والدبب والثعالب والوعول والايائل

وهذه الولاية اغنى من سواها بالحفريَّات القديمة ومنها استخرج ارباب العاديَّات كنوزاً من الآثار التي تزدان بها متاحف اوربَّـة . كفي منها بذكر نينوى التي تُرى بازاء الموصل فانَّ الحفريَّات التي اجراها هناك كبار الاثريين كالمسيو برتا (Botta) ولايار (Layard) ففي قسمهـا المعروف بكوينجيك اكتُشف قصر ملوك نينوى الذي رمَّمهُ سنحاريب بن سرغون . ثمَّ عقبهما المسيو لفتوس (Loftus) ورسام (Rassam) فاكتشفا قصرين آخرين فخيمين قصر اسارحدُّون بن سنحاريب وقصر اشوربنيال بن اسارحدون ووجدت هناك كتابات اشورية على الآجرّ في عدد ٢٠,٠٠٠ قطعة نصفها اليوم في متحف لندن البريطاني . ولما توفَّق المستشرقون الى حلّ لغز الكتابة الاشوريَّة انفتح امام العلماء عالم جديد وعرفوا من اخبار قدماء الامم الراقية الى مهد البشريَّة ما كانت طمستهُ كوارث الحدثان وبقي دفيناً في قلب الارض

وعلى هذه الاطلال قائم في عهدنا المشهد المعروف بنبي يونس فيزعم اهل الموصل انَّ يونان النبي بعد انذاره سكَّان نينوى وودّ غضب الله عنهم لحسن توبتهم توفي وقُبر هناك . وصوم نينوى الجاري في كنائس الشرق منسوب الى تلك الواقعة

امَّا حالة الموصل الادبيَّة فكانت قديماً حسنةً يشهد عليهـا العدد العديد ممَّن خرجوا منها فخدموا العلوم والآداب منهم نصارى كتوما المرغاوي النسطوري

مؤلف تاريخ الولاة بالكلدانيَّة واسحاق النينوي صاحب التآليف الدينيَّة والفلسفيَّة المتعدّدة وحنّا الحاديابيّ احد اساتذة مدرسة نصيبين وغيرهم. ومنهم مسلمون كبني الاثير وكانوا ثلاثة اخوة اشتهروا كلهم بالتأليف فواحد منهم مؤرخ شهير اسمهُ عزّ الدين علي والآخر اديب فاضل يدعى بضياء الدين محمد والثالث برزَ باللغة وعلوم الدين يُسمَّى مجد الدين مباركاً اصلهم من الجزيرة وانتقلوا الى الموصل. ومن الموصل كان ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان. وبهاء الدين بن شدَّاد كاتب صلاح الدين الأيوبيّ ومترجم سيرتهِ. وابراهيم الموصلي وابنهُ اسحاق نديما هارون الرشيد الشهيران بفنّ الغناء والموسيقى

اما الآداب في الموصل الحاضرة فانَّها كانت في منتصف القرن السابق بلغت الغاية من التقهقر والانحطاط. فلمَّا احتلَّها المرسلون الدومنيكيُّون الفرنسويون واستقرَّ فيها قدمهم صرفوا جلَّ عنايتهم في تهذيب الاحداث ففتحوا المدارس التي تُعدّ اليوم في مقدَّمة دور التعليم في تلك الجهات. وللآباء المرسلين ما عدا مدرستهم الكبرى التي يدرّسون فيها العلوم الثانويَّة مدرسة اكليريكيَّة انشأوها سنة ١٨٨٢ لتثقيف المترشحين للدعوة الكهنوتية من سريان وكلدان تخرَّج فيها عدَّة كهنة فضلاء ثمَّ مدارس ابتدائية ومياتم. وتساعدهم في تعليم الاناث راهبات من الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الثالثة يُعرَفنَ براهبات التقدمة (Sœurs de la Présentation de Tours) يتولينَ تدبير مدارس البنات وعدَّة اعمال خيريَّة منها ميتمٌ للصغار ومستشفى للمرضى ودار للقطاء

وقد اقتدى بالمرسلين ارباب الطوائف الكاثوليكية ففتحوا ايضاً المدارس لتهذيب احداث مللهم واخصّ هذه المدارس مدرسة اكليريكية للكلدان رقيت بعد نموها بهمَّة غبطة البطريرك الحالي عمانويل يوسف توما

وللمسلمين ايضاً في الموصل مدارس ابتدائية لاحقة بالجوامع. كما ان الحكومة تدير فيها مدرسة رشديَّة

اما الطباعة الموصليَّة فانَّنا قد سطرنا تاريخها في السنة ١٩٠٣ وهي الخامسة من المشرق (٥: ٤٢٢ و ٨١٠) وبيَّنا فضل مطبعة الآباء الدومنيكيين وما ادَّتهُ من الخدم للتعدّدة للدين والآداب في العراق وما بين النهرين في العربيَّة والكلدانيَّة

والسريانيَّة والتركيَّة والفرنسويَّة. وكذلك ذكرنا المطبعة الكلدانية ومطبعة الحكومة

وقد اجتمعنا مدَّة اقامتنا في الحدباء باماثلهـا المعروفين بتضلُّعهم في العلوم والآداب لا سيما غبطة بطريرك الكلدان الشهير بطول باعـه في اللغتين الكلدانيَّة والعربيَّة مع ما لهُ فيهما من المآثر وقد اطلعنا غبطتهُ على ما في القلاية البطريركية من المخطوطات وكثيرًا ما كان ارسل للمستشرقين الاوربيين من التآليف النزيرة الوجود فنشروها بالطبع

وكذلك زرنا بعض شيوخ المسلمين المشـار اليهم لمعارفهم الادبيَّة وبواسطتهم وقفنا على ما في بعض الجوامع من المخطوطات القديمـة بل امكنَّا ان نحصل عند بعض الباعة قسمًا صالحًا من التآليف الخطيَّة المحفوظـة اليوم في خزانة مكتبتنا الشرقيَّة بعضها ادبيَّة وشعريَّة وبعضها تاريخيَّة ودينيَّة لكتبة نصارى ومسلمين

ومع اهتمامنا بالتقاط تلك الآثار ودرس تاريخ الموصل الادبي رأينا من الأولى ان نحيط علمًا بدين اهلها الكاثوليك

كانت الكثلكة بعـد انتشار البدعتين النسطوريَّة واليعقوبيَّة في بلاد العراق والجزيرة اضحت في حالة حرجة لبعـد تلك الاقطار عن مركز الوحدة وعناية خلفاء هامة الرسل . لكن ارباب تلك الكنائس منذ القرن الثالث عشر اخذوا يوجهون انظارهم الى امّ المدائن ويرسلون صورة ايمانهم للاحبار الرومانيين كبريشوع الخامس ويابالاها الثالث طالبين من الكرسيّ الرسولي الشركة معهُ بالمعتقد الى ان قام يوحنَّا سولاقا في اواسط القرن السادس عشر ثمَّ كثير من اخلافهِ . وقد عدَّد سيادة المطران بطرس عزيز تلك المساعي الصالحة للتقرُّب من الكنيسة الرومانيَّة في مقالة مستجادة نشرها في السنة الخامسة من المشرق ١٩٠٢ (٥ : ١١١٥) يتَّضح منها فضل اهل الموصل في ارتدادهم الى الكنيسة المقدَّسة

وكذلك السريان اليعاقبة في الموصل ادركوا ضلالهم من وقت الى آخر فسعوا في الرجوع الى حظيرة الايمان الصحيح كالمفريان اغناطيوس داود الخيشوميّ الموصلي في القرن الثالث عشر الذين جاهر بخضوعهِ للكرسيّ مع المفريان باسيليوس يوحنَّا بن المعدنيّ ومثلهما في القرن الرابع عشر المفريان غريغوريوس متَّى حثُّو الموصليّ (١٣١٧ — ١٣٤٥) ثمَّ المفريان باسيليوس بهنام الحدليّ الذي حضر سفيرهُ الى رومية فقرَّر

باسيه خضوعهُ للحبر الروماني سنة ١٤٤٤ . وكذلك المفريانان باسيليوس نعمة الله اصغر وابن اخيه باسيليوس بطرس اصغر وكلاهما في القرن السادس عشر تردَّد في الرجوع الى الكثلكة وتقلَّبا مع الريح

على انَّ هذه الارتدادات بقيت متذبذبةً متقطعة فلم تثبت حتى قدم المرسلون الكبُوشيون الفرنسويون الى الموصل في اواسط القرن السابع عشر فكان دخولهم فيها في اواخر سنة ١٦٣٧ فاخذوا هناك يفلحون كرم الرب بكل نشاط وداوموا على ذلك نحو مئة سنة وبهمَّتهم ارتدَّ قوم من النساطرة واليعاقبة الى حجر الكنيسة منهم المفريان طيموثاوس عبد الجليل الذي انضمَّ بارشادهم الى الايمان سنة ١٦٣٧. ومنهم المفريان باسيليوس اسحق بن جُبير الذي دوَّن ترجمتهُ في المشرق (١١ : ٢٨٦) سنة ١٩٠٨ حضرة القس اسحاق ارملة ومنهم ايضاً القس خدر الكلداني الذي نشرنا رحلتهُ من الموصل الى رومية سنة ١٦١٠ في المشرق (١٣ : ٥٨١ الخ)

ولمَّا اضطرَّت الاحوال الآباء الكبُوشيين ان يبارحوا الموصل خلفهم فيها سنة ١٧٥٠ الآباء الدومنيكيُّون بامر الكرسيّ الرسوليّ وباغراء القس خدر السابق ذكرهُ . وكان اصلهم من الطليان واولهم الابوان طورياني (Turriani) وكوديلنشيني (Codeleoncini) وصلا الى الموصل في أيام مضطربة جدًّا فانَّهما وجدا عبَّاس الثاني شاه العجم وبعض الاغاوات المستبدين يتنازعون ملكها على انهما لم ييأسا بل اخذا يتعلَّمان لغة البلاد وتودَّدا الى الاهلين بل الى الحكام والامراء بتطبيب مرضاهم ومعالجة اسقامهم ففتحا لهما بالطبّ طريقاً الى القلوب ثمَّ خلفهما غيرهما فاشتهر منهم الآباء لانتزا (Lanza) الذي تعيَّن مدَّة كقاصد رسولي في بلاد الشام وصولديني (Soldini) وغارتزوني (Garzoni) ولكلهم مآثر مشكورة اخصُّها هداية بعض القرى المجاورة للموصل كالقوش وبطنايا وتلّ اسقف وتلّ كيف وهم اوَّل من طاف جبال النساطرة وكردستان فكانوا ممَّن زرعوا بالدموع ليحصد بعدهم خلفُهم بالترنيم. على انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة اخذت تتوطَّد شيئاً فشيئاً في القلوب فكانت الموصل بعد حلب المهد الثاني للكثلكة في الشرق . واليوم تراها زاهيةً زاهرةً يثني المرسلون على تُقى اهلها. وقد جمعوا قواهم الى مساعي الاكليروس الشرقيّ لردّ ما بقي هناك من المنفصلين عن كنيسة المسيح لاسيما النساطرة الذين في هذه السنين

الاخيرة اقلعوا عن اضاليلهم ليعترفوا بالايمان المستقيم ولهيف الكهنة يتنافسون في عمل الخير تحت نظارة رُعاتهم الغيورين. فللكلدان خورنيّتان كبيرتان وعدّة كنائس اقدمها كنيستهم الكاتدرائيّة على اسم الشهيدة مسكينة او مسكيتا ثمّ كنيسة مار ايشوعياب وكنيسة العذراء الطاهرة على ضفّة دجلة ومصلّيات عديدة وديران على اسم مار ميخائيل ومار ايليا الجديد غربيّ الموصل وجنوبها . قيل انّ عدد الكلدان في هذه الابرشية البطريركيّة وحدها مع القرى الكاثوليكيّة المجاورة لا يقلّ عن ٢٥,٠٠٠. وكذلك للسريان الكاثوليك ثلث كنائس: الطاهرة ومار آحودما ومار توما ولهم قريباً من الموصل دير شهير تجري فيه عدّة كرامات على اسم الشهيد مار بهنام . وهم اليوم في ولاية الموصل نحو ١٠,٠٠٠ وقد اشتهر بينهم رجال افاضل تشرّفت بهم ملّتهم كالطيّب الذكر البطريرك انطون سحيري والكثير المآثر السيّد اقليميس يوسف داود وغبطة بطريركهم الحاليّ الذي احرز له بمصنّفاته الذكر الجميل بين علماء عصره

هذا بعض ما قرّ به نظرنا مدّة اقامتنا في الموصل وكان يودّنا ان نتجوّل في ارباض المدينة ونتفقّد اديرتها ومزاراتها لولا قصر وقتنا واضطرارنا بمواصلة سيرنا الى بغداد (له بقيّة)

وزن فَعُول في العربيّة

نبذة لغوية للاب لويس ترفال اليسوعي

انّ كتب اللغة في العربيّة مع سعتها وضخم احجامها لا تزال مخلّة في اشياء كثيرة لم ينتبه اليها ائمّتهم او اشاروا اليها اشارة خفيفة لا تكاد تفي بالمقصود . فينبغي علينا الشكر للمستشرقين الذين لا يدّعون باباً الّا طرقوه وحجاباً الّا مزّقوه

فمن جملة تلك الابحاث درسهم للاوزان العربيّة من اسماء وافعال فانّهم اتّسعوا فيها وقابلوها باوزان اللغات الساميّة الشقيقات فاستفادوا من هذه المقابلة فوائد جمّة لبيان اصل تلك الاوزان وتركيبها واغراضها. فممّا نشروه منذ عهد قريب كتاب

للدكتور كرل بروكلمان (١ قابل فيه بين اوزان الاسماء والافعال في العربيّة والسريانيّة والعبرانيّة والحبشيّة واللهجات القريبة منها . واخصّ منهُ كتاب للعلّم بَرْث في اوزان الاسماء في اللغات الساميّة (٢

فمن جملة ما اورداهُ هناك وزن « فَعُول » بفتح الاوّل وتشديد الثاني المضموم ذكرا منهُ بعض الامثلة العربيّة من اوصاف وموصوفات وعرضاهُ على شبهه في اللغات السامية الاخرى كالعبرانيّة والسريانيّة والحبشيّة وكان سبقهما الى ذلك بعض المستشرقين كالاستاذ فيشر (A. Fischer) في المجلّة الاسيويّة الالمانية (ZDMG, LVIII (1904), p. 875-876) والاستاذ بريتوريوس (Prætorius) فيها (Ibid. LVII, 776) وڤولرس (Vollers) ونالينو (Nallino) فذكروا هذا الوزن في الاعلام العربيّة ورأوا انّ معناهُ التعطف والتودّد فسمّوا به هذا الوزن « caritatif »

على أنّنا رأينا كلامهم بهذا الصدد غير مستوفٍ فأحببنا ان نعود الى ذاك البحث فنعرض على اللغويين ملحوظاتنا فنذكر اوّلاً شيوع هذا الوزن ثانياً معانيهُ ثالثاً تركيبهُ ورابعاً اصلهُ

١ شيوع وزن فَعُول

ان وزن فَعُول شائع في العربية في عدّة موصوفات كبَلُوط وتَنُور وذَرُوح (سمّ) وزَقُوم (شجرة) وسَنُور (حيوان) وشَبُوط (سمكة) وعَجُور وفَرُوج وقَدُوم وقَعُور (بئر عميقة)

وجاء ايضاً في الاوصاف لكنّهُ نادر ومنهُ درهم سَتُوق اي زائف . واجازوا قَدُوس وسَبُوح بالفتح وان كان ضمّ الاوّل اشيع . جاء في تاج العروس في مادّة « سبح » ما حرفهُ :

« سُبُّوح وقُدُّوس والضمّ فيهما ويفتحان عن كُرَاع من صفاتهِ تعالى لانهُ يُسبَّح ويقدّس كذا في المحكم . . . قال ابو اسحق : السُّبُّوح الذي بَرّأه من كلّ سوء والقُدُّوس المبارك

---

١) وهو في قسمين ضخمين واسمهُ بالالمانيّة (C. Brockelmann : *Vergleich. Grammatik d. semit. Sprachen*)

٢) واسمهُ (J. Barth : *Die Nominalbildung in d. semit. Sprachen*)

والظاهر . قال اللحياني : المُجْمَع عليه فيهما الضمّ (قال) فان فتحتَهُ فجائز . وقال ثعلب : كلّ اسم على فَعُول فهو مفتوح الأوّل الّا السُّبُّوح والقُدُّوس فانّ الضمّ فيهما أكثر وكذلك الذَّرُّوح كذا في الصحاح . وقال الشيخ ابو حيّان في ارتشاف الضرب نقلًا عن سيبويه : ليس في كلام العرب فَعُول صفةً غير سُبُّوح وقُدُّوس واثبتَ فيهِ بعضهم ذُرُّوحًا فيكون اسمًا ومثلهُ قال القزّاز في جامعهِ . قال شيخنا : ولكن حكى الفهريّ عن اللحيانيّ في نوادرهِ انهُ يقال : دِرْهم سَتُّوق وشَبُّوط لضرب من السمك وفَرُّوج لواحد الفراريج . وحكوا ايضًا اللغتين في سَفُّود وكَلُّوب انتهى . وقال الازهريّ : وسائر الاسماء تجيء على فَعُول مثل سَفُّود وقَفُّور وقَبُّور وما اشبهها والفتح فيها اقيس والضمّ أكثر استعمالًا »

واكثر ورود هذا الوزن في الاعلام ولا سيما الاعلام الشائعة على السنة الجمهور فانّها كثيرة تُنيف على المئة كحَمُّود وسَأُوم وشَكُّور وصَرُّوف وفَضُّول وهلمّ جرًّا

ووزن فَعُول في الاعلام يشترك بين المذكّر والمؤنّث فالمذكّر كما مرّ والمؤنّث كأُمُّون (امينة) ورَجُون (ريجينا) وزَيُّوب (زينب) وغير ذلك

وربّما اتى وزن فَعُول بالتاء المقصورة على وزن فَعُولة فيقولون في الموصوف كَمُونَة لواحدة الكَمُون . ويقولون في الوصف حَمُوقة للكثير الحمق . ويقولون في الاعلام قَدُورة وبَدُورة (مذكّران) وحَبُوبة وزَيُّوبة (مؤنّثان)

٢ معنى وزن فَعُول

انّ المستشرقين السابق ذكرهم قد نظموا وزن فَعُول في جملة الاوزان الدالّة على التعطّف والتودّد بيد ان كلامهم في هذا الصدد لا يفي بالمرام فانّ لهذا الوزن على ما نرى معانيَ شتّى على صورتهِ المذكّرة والمؤنّثة : اوّلها المبالغة كما في قولك عَبُود عَلَم للكثير العبادة وقَمُور للبئر البالغة القعر وحَمُوقة للرجل المتناهي في الحمق وحَبُوبة للمرأة البليغ حبُّها في القلوب

ثانيها اقتصار اللفظ ونحتهُ فقالوا : جَبُور ومَخُول ورَفُول بدلًا من جبرائيل وميخائيل ورفائيل وطَنُوس عوض انطونيوس وعَنُوس نحتوهُ من عبد المسيح

ثالثها التودّد والتعطّف كحَنُون وجَنُول وزَيُّوب ونَسُوم (اعلام)

رابعها التصغير كمَرُّوم (مريم) وسَتُّوت (من ست او سيّدة) ونَجُوم (من نجمة)

خامسها اللقب مع اشارة الى بعض الموصوفات كدَبُوس وجَرُوس وشَخُود وكَبُوش وقَدُوم وقَشُور كلها من الاعلام .

٣ تركيب وزن فَعُول

يركَّب هذا الوزن بالعدول عن اوزان اخرى قريبة منهُ كما قالوا عُمَر في عامِر . فنقلوا الى فَعُول وزن فَاعِل (باسل بَسُول . مَالِك مَلُوك . جَابِر جَبُور . كامل كَمُول) ووزن فَاعلة (فاطمة فَطُوم . عائشة عَيُوش) ووزن فَعَلَل او فَيْعَل (زَيْنَب زَيُوب . زَيْنة زَيُون . مَرْيَم مَرُوم . صَيْرَف صَرُوف) ووزن فَعِيل وفَعِيلة (سَلِيم سَلُوم . فَصِيح فَصُوح . أَمِينَة أَمُون . وشَفِيقة شَفُوق . بديعة بدُوع) والأوزان فَعْل فِعْل فُعْل فَعَل الخ (بَدْر بَدُور وبَدُورة . هِنْد هَنُود . نِمْر نَمُور . حَسَن حَسُون . نَحْل نَحُول . لَحْد لَحُود . كُحْل كَحُول) . ووزن فَعْلَى (سَعْدَى سَعُود)

وربَّما ركَّبوا هذا الوزن من اسماء دخيلة او اعجميَّة فقالوا من ميخائيل مَخُول . ومن زَكَريَّا زَكُور . ومن انطونيوس طَنُوس . ومن سيسيليا سَسُول . ومن كاترينا كَتُور . ومن مارينا مَرُون . ومن هَيْلَانة هَلُون . ومن مادلينه وماتيلدا مَدُول ومَتُول . ومن ريجينا رَجُون

ورأيت انَّهم يختصرون بهذا الوزن الاعلام المركَّبة الاضافيَّة كشَكُور ولَطُوف ونَصُور وفَتُوح الخ اصلها شكرالله ولطف الله ونصرالله وفتح الله الخ

٤ اصل وزن فَعُول

الغالب على ظنِّنا انَّ وزن فَعُول ليس عربيًّا بل مستعارًا من احدى اللغات الشقيقات كالاراميَّة او العبرانيَّة لكثرته فيها . والدليل على ذلك انَّ اكثر الموصوفات العربيَّة على وزن فَعُول ليست اصيلة بل دخيلة كتَنُور وبَلُوط وزَقُوم وفَرُوج لا يمكن ردّها الى اصل عربيّ محض

وهي اقلّ وجودًا في الاوصاف كما رأيت اذ لم يذكروا من هذا الوزن الّا كلمتين نادرتين حَمُوقة وسَتُوق والثانية اعجميَّة . اما قَدُوس وسَبُوح فدخيلتان اصلهما من الآراميَّة فضلًا عن ترجيح الضمّ في اوّلهما

واكثر ما ورد من هذا الوزن الفاظ الاعلام وليس لها ذكر في المعاجم القديمة

الّا القليل منها كمنبود وهبود وحنود . والباقي شائع على السنة العامّة لم يُدوَّن في كتاب يركبونهُ كما يدور على السنتهم والله اعلم

مطبوعات شرقية جديدة

Un Newman Russe Vladimir Soloviev par MICHEL D'HERBIGNY. *Paris, G. Beauchesne et Cie*, 1911. in-12, XVI-336

سيرة الفيلسوف الروسي فلاديمير سولوفياف

ظهر في روسيّة في وقت واحد رجلان عظيمان ادّعيا اصلاح وطنهما وسلكا لنوال غايتهما طريقاً مختلفة احدهما لاون تلستوي الذي اراد ان يبني اصلاحهُ على دعائم واهنة فجحد الدين ونشر المبادئ الاشتراكيّة واثار في قلوب العامّة المطامع وروح الثورة فذهب ولم يبقَ من عملهِ غير طنطنة كلام واضغاث احلام . والآخر فلاديمير سولوفياف شخّص الداء الذي ينخر عظام وطنهِ روسيّة فوجدهُ في اتّباعها للكنيسة البوزنطيّة وانفصالها عن الوحدة الكاثوليكيّة . ولم يتّصل سولوفياف الى هذه النتيجة الّا بدرسهِ الخاصّ لتاريخ بلاده ومراجعة التقاليد الرسوليّة وتآليف آباء الكنيسة اليونانيّة في قرون النصرانيّة الاولى فاتّضح لهُ نور الحقّ وخصّ حياتهُ للتعليم اوّلاً في كليّة موسكو ثمّ انقطع للكتابة والتآليف المتعدّدة التي نشرها في روسيّة وخارجاً عنها وفيها بيّن الشرّ العظيم الذي اقترفتهُ القسطنطينيّة باغراء بطريركها فوطيوس واتباعهِ لمّا شقّت عصا الطاعة للكرسيّ الرسوليّ . ويظهر المؤلف في كلّ تآليفهِ متأهباً غيرة خير بلادهِ متقدّاً حبّاً لصالحها متفانياً في خدمة الحقّ ليس الّا وكتاباتهُ قد اثّرت في الوفدِ من مواطنيهِ ويؤمّل منها تمهيد السبيل للتقرّب من مركز الوحدة الذي اقامهُ السيّد المسيح في شخص بطرس وخلفائهِ . مات سولوفياف ولم تمت آثارهُ النثريّة والشعريّة التي سعت في جمعها شركة روسيّة من تلامذتهِ . فلمّا جدّدت نشرها جعل كثيرون يدرسونها ليستضيئوا بانوارها . وفي الكتاب المعنون آنفاً ملخص سيرة واعمال ذاك الرجل الشهير الذي عاش كالنسّاك واوقف حياتهُ للدفاع عن الحقيقة التي رأى نفسهُ سعيداً بمعرفتها ونشرها بين مواطنيهِ ويا ليت هذا الكتاب يُعرَّب لفائدة الروم في هذه البلاد فلا شكّ انّهم اذا قرأوهُ وجدوا في الكنيسة

البطرسيَّة حلَّ كلَّ مشاكلهم الطائفيَّة . وان شاء الله نعود الى نشر بعض اقوال ڤلاديمير سولوڤياف الذي ينطق اعداؤهُ نفسهم بصدق نيَّتهِ وسمو فضلهِ وقوَّة حجتهِ وبلاغة لسانهِ ل . ش

Ks. M. Czerminski s. j. : O. Maksymilian Kyllo Towarzystwa Jesusowego Misyonarz Apostolski. *Kraków*, 1911-1912. 2vols, XIV-344 et 352

ترجمة الاب مكسيميليان ريلّو

الاب مكسيميليان ريلّو هو الذي عُرف ببلادنا باسم الاب منصور ريلّو وكان احد اليسوعيين الذين استأنفوا اعمال رسالتنا الجديدة بعد الابوين بولس ريكادونا ومبارك بلانشهْ . ولهذا المرسل البولونيّ الاصل من المآثر الطيّبة والمشروعات الجليلة في ايطاليا ثمَّ في بيروت ولبنان حيث صار مدَّة رئيساً عاماً على الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ في بلاد ما بين النهرين حيث ارسلهُ الكرسيّ الرسوليّ غير مرَّة بصفة وكيلهِ الخاصّ ثم في رئاسة مدرسة انتشار الايمان واخيراً في انشاء رسالة الخرطوم حيث توفيَّ سنة ١٨٥٣ ما كنَّا نتمنَّى ان ينشرهُ احد اخوتهِ . فها قد تحقَّقت امنيَّتنا وطُبعت سيرة هذا الرجل العظيم باللغة البولونيَّة وكنَّا جمعنا كثيراً من مآثرهِ فأطلعنا عليها صاحب هذه الترجمة فدوَّنها بكتابهِ . وان شاء الله نروي لقرَّائنا عند سنوح الفرصة خلاصة هذه السيرة العجيبة التي قلَّما يُروى مثلها . وغاية ما نؤملهُ ان يُنقل هذا الكتاب من اصلهِ البولوني الذي لا نعرفهُ الى لغة أُخرى اقرب الى اللغات الشائعة بيننا ل . ش

Samuel M. Zwemer : The Moslem Christ. An Essay on the Life, Character and Teaching of Jesus Christ according to the Koran and Orthodox Tradition, *Edinburgh and London*, 1912, pp. 198

السيّد المسيح في القرآن والحديث والتقاليد الاسلاميَّة

انَّ مؤلف هذا الكتاب هو احد المرسلين البروتستانت الانكليز الذين وقفوا حياتهم لدرس العالم الاسلاميّ رغبةً منهم ان يقرّبوا المسلمين من النصرانيَّة ويزيلوا عنهم الاوهام التي يتصوَّرونها في الدين المسيحيّ . وهذا التأليف الجديد انَّما غايتهُ ان يبيّن المؤلف انَّ ما يرويهِ المسلمون في حقّ السيّد المسيح لا يوافق حقيقة الامر وانَّ شهادات القرآن والحديث والتقاليد الاسلاميَّة اذا عُرضت على محكّ الانتقاد تؤيد تعاليم النصارى . امَّا نحن فلا نبدي رأياً في هذا الكتاب ريثما نرى الفريقين

من مسلمين ونصارى يتبادلون آراءهم بكل حرّية وكلّ نزاهة لينصروا الحقّ فقط ويبطلوا ما يتصوّره بعضهم من الشبهات والاوهام . فان تمّ ذلك قربت القلوب وزال النفور وتمكّن الاخاء الصحيح بين كلّ الموحّدين ل . ش

Dr A. Dirr : Praktisch-theoretisches Lehrbuch d. Aegyptischen Vulgaer-Arabisch. 2e *umgearb. Aufl.*. *A. Hartleben's Verlag in Wien u. Leipzig*, 1912, pp. VIII-182

دليل اللغة العربية الدارجة في مصر

كما يدرس المستشرقون لغات الشرق واصولها وقواعدها الراهنة كذلك يتعلّمون ويعلّمون اللغات العاميّة الدارجة بين الشرقيين مع تدوين خصائصها المخالفة للغة العلم . وان اعتبرت لغتنا العربيّة خصوصاً تجدهم يدرسون لهجة كلّ بلد ويقابلون بينها وبين اللغة الاصوليّة لتعريف شواردها . وهوذا كتاب وضعهُ الدكتور الالمانيّ دِرّ في اللغة المصريّة قسّمهُ اقساماً عديدة بحث في كلّ باب منهُ عن احد مطالب الصرف والنحو مثبتاً فيه امتيازات اللهجة العاميّة عن اللغة الصحيحة وألحق كلّ باب بتمرينات شتى من الالمانيّة الى العربيّة ومن العربيّة الى الالمانيّة ثمّ اضاف اليه مكالمات وقصصاً ومعجماً للالفاظ الكثيرة الاستعمال . وهذه الطبعة الثانية قد حسّن فيها المؤلف عملهُ واستفاد من الملحوظات التي بلغتهُ من مكاتبيه . فنحضّ الالمان الساكنين في مصر ان يدرسوا هذا الكتاب فهو احسن دليل لتعلّم اللغة المصرية ل . ش

G. Zaïdan : Al Abbassa ou la Sœur du Calife. Traduit de l'arabe par M.-Y. Bitâr, mis en français par Ch. Moulié, *Paris, Fontemoing*, 1912. XI-320

العبّاسة اخت هارون الرشيد

بين الروايات التاريخيّة التي ألّفها صاحب الهلال قد امتازت روايتهُ المعنونة بالعبّاسة اخت هارون الرشيد جمع فيها ما ورد في كتب العرب عن البرامكة وعزّهم ثمّ نكبتهم فاخرج تلك المرويّات على صورة رواية خياليّة سدى لحمتها على منوال مؤثّر في القلوب فراج سوقها في الشرق . ولمّا زار المؤلف في الصيف الاخير عاصمة فرنسا احبّ الفرنسويّون احتفاء بالزائر ان تُنقل هذه الرواية الى لغتهم فنقلها احد تلامذة كليّتنا الادباء سابقاً ميشال افندي بيطار معلّم العربيّة في مكتب اللغات

الشرقيَّة الحيَّة في باريس ودَّجها احد القصَّاصين الفرنسويين على ذوق مواطنيه باختيار ما راق لهُ من اصلها العربيّ . فلا نشكّ ان الفرنج يتهافتون على هذه الرواية تهافتهم على البضاعة الشرقيَّة المستطرفة . ولم يسوءنا في هذا الكتاب غير مقدَّمة المسيو كلود فرَّار (Cl. Farrère) الذي حبَّا بالشرق الاسلامي اهان مواطنيه الفرنسويين في الصفحة الاولى من الكتاب حيث تأسَّف على انتصار شرل مرتل من عبد الرحمان الزاحف على فرنسة والممالك النصرانيَّة ودعا فوزهُ عملاً همجيًّا ! ! ! ل . ش

R. Jeannière, s. j. : CRITERIOLOGIA vel Critica cognitionis certæ, *Paris, G. Beauchesne* 1912, XVI-616, in-12

الطريقة الفلسفيَّة

في علم الفلسفة قسمٌ مهمٌّ يتبع علم المنطق ويُقدَّم على الابحاث الفلسفيَّة يُدعى بالطريقة الفلسفيَّة (Critériologie) وغايتهُ بيان الوسائل لاكتشاف الحقيقة والتنكيب عن الضَّلال والسفسطة فالاب جانيار اليسوعيّ ألَّف في هذا المعنى كتاباً واسعاً استفاد فيهِ من علوم قدماء المدرسيِّين (les Scolastiques) والفلاسفة المحدثين معاً فجاء تأليفاً ضخماً مستوفياً لم يَفُتْه شيء من الابحاث التي يتداولها علماء زماننا ومن المذاهب التي اشاعها كنت (Kant) واللاأدريُّون والرضعيُّون والملحدون فيبحث عنها كلّها بحثاً مدقَّقاً وينتقدها انتقاداً علميًّا يؤيدهُ بالبرهان القاطع . وقد وجدنا لهذا الكتاب المزايا الاربع التي تمتاز بها المصنَّفات النفيسة اعني الوضوح وقوَّة الحجَّة وابتكار الطريقة في ايراد القضايا واثباتها ثمَّ التفنُّن في التفسير . وعلى رأينا انَّ هذا الكتاب اولى بالاساتذة منهُ بالطلبة لخوضه في مسائل عديدة لا يحتاج اليها دارسو الفلسفة . وقد رأينا بالاجمال انَّ المؤلف يتأثَّر اعقاب معلّمي لوفان في بلجكة ولذلك قد عدل عن بعض الآراء الشائعة بين قدماء المدرسيِّين ولعلَّهُ مَلُوم في هذا الامر لأنَّ القدماء كانوا فيها ابعد نظرًا من المحدثين الاب ف . تورنيز

Dr H. Dauchez : GUIDE MÉDICAL DU MISSIONNAIRE ET DE L'EXPLORATEUR COLONIAL, Paris, G. Beauchesne, 1908, VI-340, in-12

الدليل الطبيّ للمرسل والرحَّالة الى المستعمرات الاجنبيَّة

انَّ المرسلين والسيَّاح احوج من غيرهم الى بعض كتب طبيَّة يرجعون اليها في

البلاد الاجنبيَّة التي يتنقلون فيها سواء كان لعلاج ما يعتريهم من الامراض بعيداً عن الأساة او لتطبيب الاجانب الذين يرشدونهم او يجولون بينهم وهم يعتبرون في الغالب مرشديهم والطائفين في بلادهم كأطبَّاء نطاسيين . على انَّ هؤلاء المرسلين والسيَّاح لا يعرفون عادةً من الطبّ الَّا اصوله العامَّة وليس في ايديهم من كتبه الَّا النادر او المخلّ . فسدًّا لهذه الثلمة وضع الدكتور دوشه من اطبَّاء باريس كتاباً صغير الحجم كبير الفائدة اختصر فيه علم الطبابة وضمَّنهُ ما يحتاج اليه الكهنة والمرسلون وارباب السياحات لتمريض المرضى ومعالجتهم في اكثر الاسقام والاوبئة مع وصف انواع الادوية التي يمكنهم ان يستصحبوها معهم او يستطيعون ان يُلفوها في كلّ البلاد الاجنبيَّة ويشرح لهم كيفية استحضارها مع عدَّة تصاوير تمثل لهم العمل وقد اطَّلع على هذا الكتاب كثيرون من كبار الاطبَّاء واستحسنوهُ كما اثنى على صاحبه النطاسيّ من التجأ اليه في البلاد النازحة ووجدوهُ كمكتبة طبيَّة مختصرة، جازى الله مؤلفهُ الذي اهدى كتابهُ الى ثلاثة من اولاده اليسوعيين المشتغلين في اعمال الرسالة ل . ش

كتاب المسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد

تأليف الخوري عبد الاحد جرجس البغدادي

طُبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٢٢٦)

قال احد الآباء القديسين: « ليس غلوّ في الثناء على مريم » . وقال السيّد جرمانوس فرحات:

لو كان للافلاك نطقٌ او فمٌ لترنَّموا بمديحكِ يا مريمُ

ومن ثمَّ يشملنا السرور كلَّما نرى احد كتبتنا الشرقيين يجرّدون قلمهم لاوصاف مريم وانَّما هذا السرور يتضاعف اذا كان الكاتب من اهل العلم والتُّقى كحضرة الخوري عبد الاحد جرجي فانَّ كتابهُ الحديث المعنون بالمسلك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد هو حقيقة مأثرة فاخرة قلَّما جاء بمثلها احد كهنة الشرق . وغاية ما يقال انَّها تتضمَّن لُباب الاسفار المقدَّسة واقوال الآباء وتعاليم اللاهوتيين في البتول الطاهرة . وقد جعل تأليفهُ ثلاثين فصلاً بحيث يصلح لرياضة الشهر المريميّ فيُتلى منهُ كلّ يوم فصل في الكنائس او في بيوت المؤمنين . وممَّا استحسناهُ في

هذا الكتاب انَّ كلَّ ما شرحهُ صاحبهُ البارع من عظم مقام مريم العذراء وسمو فضائلها وقوَّة شفاعتها انَّما اثبتهُ مبيِّناً فيهِ العلاقة بين والدة الله وابنها الالهيّ وفقاً لقول الآباء القديسين انَّ مريم سُلَّم المؤمنين الى يسوع فبئس من يفصل الامَّ عن ابنها او الابن عن امهِ ل . ش

دروس الجغرافيا . القسم الاوَّل

تأليف فوزي افندي العظم

طُبع في المطبعة الاهليَّة في بيروت سنة ١٣٣٠ – ١٩١٢ (ص ٤٨)

كتاب صغير الحجم لطيف الشكل نظيف الطبع جمع فيهِ مؤلفهُ الاديب مبادئ علم الجغرافية لصغار المدارس على طريقة تقرّبها الى فهمهم مع ٢٤ صورة تمثّل لهم الموصوفات ولو كان بعضها ادقّ واوضح لفازت على سواها . وكذلك بعض التحديدات تحتاج الى مراجعة نظر وتحوير

جواهر الادب في خزائن العرب

جُمع بعناية سليم افندي ابراهيم صادر

طُبع بالمطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩١٢ (ص ٢٢٠)

هو الجزء الرابع من المجموع الادبيّ الذي تولَّى نشرهُ صاحب المكتبة العموميَّة فجعلهُ ابواباً وفصولاً اثبت في كلّ منها ما يوافقهُ من المعاني كالآداب والحكم واللطائف والحكايات . وخلاصة القول انهُ عارض بهِ كتابنا مجاني الادب بل نقل عنهُ قسماً كبيراً كالاخ يبلاج في مصر ولا بأس فانَّ زيادة الخير خير كما يقال ل . ش

تاريخ مدينة زحلة

تأليف عيسى افندي اسكندر المعلوف

طُبع بمطبعة زحلة الفتاة في زحلة (لبنان) سنة ١٩١١ (ص ٢٩٨)

هي قلادة ثمينة صاغتها ايدي ابن محبّ ليزين بها جيد امّهِ المحبوبة اي الوطن العزيز . فهذا الحبّ البنوي ذلَّل لهُ كلّ الصعاب في التفتيش عن آثار زحلة التي كاد يطمسها الزمان . والحقّ يقال انَّ من راجع الكتب المطبوعة والمخطوطة لا يكاد يجد لزحلة ذكراً قبل مئة عام بيد ان نظر الحبّ يكتشف ما لا يراهُ غيرهُ ولم يزل جناب كاتبنا الهمام منشئ مجلة الآثار يقلّب الاوراق ويستفتي التقاليد ويرصد الجماد

نفسهُ حتى استخرج لوطنهِ تاريخاً يحسدهُ عليهِ غيرهُ من البلاد وهو عبارة عن ٣٠٠ صفحة تقريباً يجد فيهِ القارئ من الفوائد ما لا يعثر عليهِ في الكتب الضخمة . ولا غرو ان يكون وقع في هذا المجموع بعض الروايات الضعيفة السند فانَّ ذلك كالظلّ في الصور يزيد بهِ رونق محاسنها . فنهنئ زحلة بوجود كاتب مثل عيسى افندي خلَّد ذكر مسقط رأسهِ على ممرّ الايَّام ونهنئ عيسى افندي على ما ابداهُ من النشاط في رفع شأن وطنهِ جازاهُ الله خيرًا ل . ش

الروض النضير في روايات البشير (ع ٢)

بقلم بعض الادباء

في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١٢ (ص ١٥٨)

احدى عشرة رواية تفكّه بها قرَّاء جريدتنا البشير فودُّوا لو تُجمَع في كتاب منفرد . فها هي ذا قد ظهرت على حدة على صورة كتاب رشيق القدّ جميل الغلاف نظيف الطبع يصلح خصوصاً لاحداث المدارس تقرّ بهِ ابصارهم وترتاح الى قراءتهِ اذهانهم فيتعلمون بهِ الفضائل الاهلية والاجتماعيَّة فضلًا عن اساليب الكتابة في انشاء الروايات . وهو الثاني من جنسهِ سبقهُ بستان السارى في ثماني روايات أُخر ل . ش

شذرات

بيني وبين يسوع قصيد زفَّها اقرَّاء الشرق الشماس الفاضل حبيب جرجس اسطفان احد تلامذة المدرسة المارونية بنسبة عيد الميلاد الشريف

انت قلبي يسوعُ رمتَ فهاكا لا تُبخهُ يا ربَّهُ لِسواكا
يا حياة الارواح لا أغدُ ميتاً ماتَ من ماتَ عنْ حياة هواكا
انَّ في النفس منك مُرْوِيَ ظمءٍ لكمالٍ لها لِقاه لِقاكا
كلُّ شيءٍ تراكَ فيهِ وأحلى كلِّ شيءٍ أنْ فيهِ نفسي تراكا
يا كمالَ الجمالِ كلُّ كيانٍ كونهُ وثبةٌ تِهاها بَهاكا
بَهجةُ الحبِّ سكرةُ الفكرِ في الأكوانِ سرٌّ أنْ كلُّها تهواكا
يا هناء الراني وانتَ ضِياه في صداها وفي رِواها رآكا

منكَ هذا اليكَ ذاكَ فما أحـــلاكَ كلًّا للكلِّ ما أحلاكا
موجدي غايتي حياتي هنائي لا تدعني أشذُّ وحدي هلاكا
لا تضعني يسوعُ إنّي إن ضعتُ أضاعتْ مـا كوّنتهُ يداكا
لستُ مني أولى ولكنني منـــكَ وما في هلاكِ نفسي رضاكا
لك رسماً كوّنتني ثمَّ رقيتَ م إلى أن أبدعتَ مني أخاكا
أسفي أنْ محوتُ فيَّ وأدرى انتَ مني بما سنـاءُ سناكا
أسفي أنْ منعتُكَ القلب مثوا كَ مُريداً عليك فيه عداكا
أسفي أنني علوتُ فنـاء عدماً دونهُ مُـدينُ علاكا
سيدي سيدي اليـكَ ايابي وا شقاء لقلب مَن خـلّاكا
لستُ أهلاً لدافقٍ منك يُحيي او خليقاً بمبلجٍ من ضياكا
منبعَ الجود ليس حقٌّ لنفسٍ في بهاء تُفيضُ الّا سخاكا
كيف يخشى الجبهَ الاثيمُ يُدنيهِ م على جاذب الصليب نداكا
لا يرى الحبُّ في مُلتيك اثماً بل عليهِ يُلقى كساء دماكا
أيها الحبُّ يا يسوعيَ إنّي لك تحت الصليب في مَن أتاكا
مُدَّ كفيك لي وأولِ فمي رشفَ حياةٍ أفـاض سرُّ ولاكا
أدنني أدنني يسوعُ وأدخلـني الى القلب كلُّ عزّي عُناكا
قيّد النفس في هواكَ وأخلصـها لك الدهر لا لهذا رذاكا
ليس حرٌّ في الناس الّا لسيرًا لك يأبى من القيود فكاكا
لك كلّي مُلكٌ ولا أبتغي منـــك من الخير سيدي إلّاكا
سيّدي سيـدي اليكَ أجلني كيف تبغي وأعطني أن اراكا
ان موتي أن لا اموتَ فألقا كَ فوا لوعتي الى لقيـاكا
مُرّ بما شئتَ كلُّ مُرٍّ لذيذٌ منكَ والشهدُ علقمٌ لولاكا
فاحيَ يا سيدي يسوعُ حياةً وهنـاء لكلّ من يراكا
واحيَ من كلّ كائنٍ مدفقِ الكو ن لك الشكرُ والثناء دِراكا
كلُّ موتي ان لا أموت فألقا كَ وعيشي توقّعي ملقـاكا

مساحة الكرة الارضيّة — انَّ المسّاحين الاقدمين لجهلهم سعة

القطبين لم يمكنهم أن يضبطوا بالتدقيق مساحة كرتنا الارضيَّة فبعد السياحات الحديثة لتلك الجهات القاصية تولَّى عدَّة علماء جغرافيين ضبط مساحة كرتنا منهم علماء ثلثة ألَّفوا في ذلك التآليف الجديدة العلَّامة الفرنسوي بلديت (A. Baldit) والدكتور فاغنر (Dr H. Wagner) والاستاذ كرومل (Krümmel) فكانت نتيجة ابحاثهم انَّ مساحة السيَّارة التي نقطنها تبلغ ٥١٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع قسمها البرّي يبلغ ١٤٩,٠٠٠,٠٠٠ ك م والبحري ٣٦١,٠٠٠,٠٠٠ فتكون نسبة البرّ الى البحر كنسبة الواحد الى الاثنين و ٤٢ من المئة

آلتان لكشف جبال الجليد بعد غرق مركب التيتانيك (راجع الصفحة ٤٢٥) اخذ العلماء يبحثون عن آلة حسَّاسة تعرف ركَّاب السفن بقرب جبال الجليد فقام عالمان ووضعا آلتين كثر فيهما الكلام في المجلَّات العلميَّة . الاولى للاستاذ برنس (Barnes, Journal. *September*. p, 330) هي مقياس حرارة لبيان اخفّ درجات الحرّ والبرد تدوّن من تلقاء ذاتها الاختلافات الطارئة على الجوّ ولو عن بُعد قاصٍ فاذا قربت قطع الجليد دلَّ عليها المقياس ونبَّهت افكار عمَّال المركب. والثانية مبنية على بعض خواصّ ماء الكهربائيَّة اكتشفها المسيو كوبلان (Coplan) احد اساتذة ليدس (Leeds) فآلتهُ تتأثَّر تأثُّرًا محسوساً بقرب قطع الجليد عند طفوّها فوق سطح البحر لتكهربها. كما انَّهُ جهَّزها ايضاً باداةٍ تكشف لهُ ما في الماء من الجراثيم الناجمة عن وجود الجليد

الريّ في ما بين النهرين باشر «السير وليم ڤلكوكس» في بنائهِ خزَّان يحصر مياه الفرات عند القرية المعروفة بالهنديَّة وسيكون طول هذا الخزَّان ٢٥٠ مترًا ذات ٢٥ قنطرة لتقسيم مياه الريّ وسيرتفع علوّ الماء فوق النهر سبعة امتار ثمَّ يقام تحتهُ خزَّان آخر يبلغ ارتفاع مائهِ مترين ونصف . والمظنون انَّ هذه المياه المخزونة كافية لريّ البلاد المعروفة سابقاً ببلاد البابليين البالغة نحو ٦٠٠,٠٠٠ فدَّان

ترقي التلغراف اللاسلكي ليس برج ايفل اعظم مراكز التلغراف الاثيري بل مركز پولدهو (Poldhū) في معاملة كورنوايل من اعمال انكلترَّة فهناك سوارٍ علوّها ٢٩٠ قدماً نصبها مركوني ويمكنها ان تخابر كل انحاء

اوربة وشمالي اميركة . واليوم يسعى الانكليز في تشييد مركز آخر في لندن في ناحيتها الغربيَّة ترتبط مع مراكز اخرى متواصلة تجعل في نيويرك ثم في مدينة القاهرة ثم في عدن ومن عدن الى بريتوريا جنوبي افريقيا وسينغابور في الهند الصينيَّة وهكذا يستطيع الانكليز في خمس دقائق ان يخابروا ايَّ ناحية كانت من كل اقطار الدنيا

المكتبة الالبانية بعد انجازنا لمقالتنا عن البانية ارسل الينا جناب المسيو هنري غويس (Mr H. Güys) احد المتخرجين في مدرسة اللغات الشرقيَّة الحية في باريس ونزيل بيروت منذ ثلاث سنوات كتاباً عنوانهُ المكتبة الالبانية اودعهُ تعريف ما نُشر منذ القرن الخامس عشر الى السنة ١٩٠٠ من المطبوعات الخاصَّة بالبانية وتاريخها ووصف اهلها وعاداتها ولغاتها . فجاء كتاباً واسعاً يتضمن وصف ٧٢٤ كتاباً في لغات شتى وكان باشر بجمعها المسيو اميل لوغران (Emile Legrand) فوصف منها ٤٩٧ عدداً فلمَّا توفي قام المسيو غويس بانجاز عملهِ وتحسينهِ وزيادة الفهارس المتعة التي ترشد القرّاء الى معرفة احوال البانية .

الاسماك الغريبة الجنس ان اسباب المواصلات بين الشعوب قد وفَّرت ايضاً اسباب المعاش لاختلاط الامم ببعضها وتبادل خيراتها فكم من الحبوب والبقول والمزروعات التي لم يُعرف سابقاً اسمها اضحت اليوم رزقاً للالوف من البشر . وكما نقلوا البزور والحبوب نقلوا ايضاً الحيوانات من دواب ومواشي وطيور بعضها لحمل الاثقال وبعضها للقوت وبعضها لمجرَّد الزينة كجموع البغاوات التي ترى في قصر يلدز وقصر شونبرون في ڤينة وكانوا الى هذه السنين الاخيرة لم يفكروا في الاسماك الغريبة الاشكال التي تُرى في انهار اميركا وفي بحيرات افريقية وبحار الهند واوقيانية . فاخذ الانكليز ثم الالمان والنمسويون والسويسريون في طلب تلك الاشكال واستجلابها الى بلادهم فاصطنعوا لها احواضاً في المعاهد العمومية او بركاً في بيوت الخاصة وبعضهم يربونها ثم يبيعونها باسعار غالية لطالبيها . وكل هذه الاسماك تمتاز امَّا بالوانها الزاهية العجيبة وامَّا بتركيبها الغريب وامَّا بطبائعها المستغربة وخواصها الغريزيَّة اللطيفة في توليد صغارها وتربيتهم وفي الدفاع والهجوم لطلب غذائها فصارت تجارتها رابحة حتى ان اصحاب المؤتمر الفرنسوي العلمي سنة ١٩١٠ اعاروا الامر بالاً واهتموا بتوفير تلك الاجناس لخير البلاد

اسئلة واجوبة

س سألنا من سارًا ناغر (البرازيل) وطنيُّنا سمان الخوري عقل ما رأينا في جمعية تتعبَّد للارواح حضر احدى جلساتها فرأى في اصحابها امورًا غريبة ادهشتهُ ثمَّ دعوهُ الى الانضمام بسلكها

غرائب جماعات الناجين للارواح

ج انَّ ما رآه جناب المستفيد هو من الامور الشائعة التي طنطنت بها فئات من الناجين للارواح (Spirites) وقد كتب العلماء في هذه الطائفة كتبًا ضخمة فمنهم من عزا اعمالهم الى الخزعبلات ومنهم من نسبها الى ارواح الموتى . والصواب انَّ كثيرًا من هذه الظواهر يمكن تعليلها بعلل طبيعيَّة سواء كانت ملاعيب رشيقة اعتادها بعض النصَّابين او هي اعمال بعض المصابين باعراض عصبيَّة شديدة اخصُّهم النساء . والكلام في ذلك يقتضي شروحاً طويلة . ومع هذا لا يُنكر انَّ في بعض تلك المظاهرات فعلًا للارواح . ولكن لا يجوز ان يقال انَّها ارواح صالحة او ارواح الموتى بل ارواح شرّيرة غايتها اغواء البشر . وعلى كلِّ حال فليعلم السائل انَّ الكرسيَّ الرسوليَّ حرَّم الدخول في تلك الجمعيَّات التي اقلُّ اضرارها أن تلقي بالمنتظمين فيها في اسقام بدنيَّة وادبيَّة ربَّما ادَّتهم الى اختلال الشعور

س وسألنا جناب حنَّا افندي مدوَّر كيف نوفق بين قول صاحب مروج الاخبار (ص ٩ س ١٨) حيث روى انَّ ولادة السيِّد المسيح كانت سنة ٥٠٩٩ للعالم وبين قوله (ص ٣٦١ س ٣) بان السيِّدة والدة الاله ولدت سنة ٣٦٨٥ فيكون مولدها قبل ابنها بنحو ١٦١٤ سنة

تاريخ ميلاد السيِّد المسيح وميلاد العذراء

ج معلوم انَّ آراء القدماء قد اختلفت جدًّا في حساب سنة تكوين العالم فقد عدُّوا لهم في ذلك نيفًا ومئة رأي فمنهم من قصَّر تلك المدَّة الى السيد المسيح حتى جعلوها ٣٣٨٣ سنة فقط وغيرهم اطالوها حتى بلغوها ٧٠٠٠ سنة ونيفًا . فصاحب مروج الاخبار اتَّبع في تدوين تاريخ مولد المسيح السنكسار الروماني كما نبَّه عليه فوضع ذلك في سنة ٥٠٩٩ للعالم . واما مولد العذراء فانهُ عدل في اثباته الى تاريخ آخر للعالم كان شائعاً عند اليهود اعني سنة ٣٧٠٠ (راجع كتاب الاب دي كوبيه التوفيق بين العلم وسفر التكوين ص ٢٨—٢٩) ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ أعداد السنة الخامسة عشرة من مجلّة المشرق ١٩١٢

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرقم على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) سلام الله (١) = ايها الطفل (قصيدة) بقلم الاديب حبيب افندي ثابت (٢) = حوادث العام المدبر للاب لويس شيخو اليسوعي (٤ — ٢٠ ; ٢ : ١٢٦ — ١٤٥) = كتاب اعمال الرسل اي الابركسيس. نظر تاريخي انتقادي للخوري ابراهيم حرفوش (٢١ — ٣٥) = النحل. نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (٣٥ — ٤٦ ; ٣ : ١٩٠ — ٢٠١) = لا حول ولا . . . (قصيدة) لحضرة الخوري رافائيل البستاني (٤٦ — ٤٩) = تاريخ حوادث الشام ولبنان من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هـ (١٧٨٢ الى ١٨٤١) عني بنشره الاب لويس معلوف اليسوعي (٤٩ — ٦٠ وباقي اعداد السنة) = آفة الاشجار المثمرة نظر علمي للاب يوسف كلتاغان اليسوعي (٦٠ — ٦٧) = النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (تابع): النصرانية في العراق (تابع): (٦٧ — ٧١) النصرانية في الجزيرة (٢ : ١٤٥ — ١٥١ ; ٣ : ٢١٢ — ٢١٤) النصرانية بين عرب شمالي سورية (٣ : ٢١٤ — ٢١٨ ; ٤ : ٢٠٧ — ٢٠٨) النصرانية في الحجاز ونجد (٤ : ٢٠٨ — ٢١١ ; ٦ : ٤٥٠ — ٤٥٥ ; ٧ : ٥٤٣ — ٥٤٨ ; ٨ : ٦٢٧ — ٦٢٩) قبائل العرب المتنصرة (٩ : ٧٠٠ — ٧٠٦ ; ١٠ : ٧٧٤ — ٧٧٩ ; ١١ : ٨٤٣ — ٨٤٩) ملحق (١٢ : ٩٢١ — ٩٢٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٢ — ٧٧) = شذرات: بطريرك مجهول (٧٧ — ٧٨) نبوة ماسونية — اليهود والدستور في المملكة العثمانية (٧٨ — ٧٩) = اسئلة واجوبة (٨٠) وكذلك في جميع اعداد السنة

العدد ٢ (شباط) من بيروت الى الهند رحلة للاب لويس شيخو (٨١ — ٩١ ; ٣ : ٢٠١ — ٢١٢ ; ٤ : ٢٩٨ — ٣٠٦ ; ٨ : ٦١٥ — ٦٢٦ ; ٩ : ٧٠٦ — ٧١١ ; ١٠ : ٧٨٠ — ٧٨٧ ; ١١ : ٨٤٩ — ٨٥٩ ; ١٢ : ٩٢٩ — ٩٤٧) = من أعلى مناوة بيروت (قصيدة) للاديب سليم البستاني (٩١ — ٩٤) = مرآة الحسناء ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مراش نبذة للاب لويس شيخو (٩٤ — ١٠١) = صفحة من التاريخ الحبشي والنوبي رسالة نجاشي الحبشة الى جرجس ملك النوبة في عهد بطريرك الاسكندرية فيلوثاوس للكافالير عبدالله افندي رعد (١١٥ — ١١٩) ملحق للاب لويس شيخو (١١٩ — ١٢٢) = الأنفلكسيا او عكس المناعة بقلم الدكتور حبيب افندي الدرعوني ١٢٢ — ١٢٦) = تاريخ تتويج الملك جرجس الخامس في الهند — المروّة الفرنساوية (١٥٨ — ١٥٩)

العدد ٣ (آذار) رسولا الخير العام في مدينة السلام للاب لويس شيخو (١٦١ — ١٧٩) = كلمة في مجلة الكلمة لهُ (٢١٩ — ٢٢٦) = الترقي العلمي في العام المدبر نظر لهُ (٢٢٦ — ٢٣٢) = محفل صنين — جدول طلبة المدارس في الدولة العثمانية (٢٢٨ — ٢٣٩)

العدد ٤ (نيسان) الحقوق الدولية في الحرب مقتطف من كتاب حقوق الملل ومعاهدات

الدول للامير امين ارسلان ببعض تصرّف واختصار (٢٤١—٢٥٠) = ابن وائل: مأساة تاريخية نثرية ذات ثلاثة فصول بقلم الاب شرل ايلا اليسوعي (٢٥١-٢٦٢ ؛ ٥ : ٢٨٠-٢٩٢ ؛ ٦ : ٤١٤-٤٢٥) = مبسر مفقود لقديس انطاسيوس السيناوي نشره الاب لويس شيخو (٢٦٤-٢٨٠) = تاريخ الحرير في بلاد الشام انسيو غستون دوكوسو (٢٨٠-٢٨٧ ؛ ٥ : ٢٧٤-٢٨٠) = تحية الصليب (قصيدة) من نظم الاديب سليم ابي رزق (٢١٧-٢١٨) = اعتناق سيدتين ايسكوبالتين الكنيسة الكاثوليكية – الحكم على غاليلو – زجلية على خراب طرابلس (٢١٨-٢١٩)

العدد ٥ (ايار) شاهد القيامة في دياميس رومية رواية خيالية لاميل كيهارت من الاكادمية الفرنساوية (٢٢١-٢٢٦) = الخلاصة الملسونية خطاب القاه الاب لويس شيخو (٢٢٦—٢٥٠) = حلب الشهباء ومجلة المقتبس لحضرة القسّ جرجس منش الماروني الحلبي (٢٥٠—٢٥٦) = من المهد الى اللحد (قصيدة) للاديبين سليم ابي رزق ويوسف جرجس الخوري من طلبة كلينا (٢٥٧-٢٦٢) = اليوبيل الاسقفي انبطة بطريرك السريان (٢٦٦) — تحية الشرق للمكتب الفرنساوي الجديد (قصيدة) للمسنيور يوسف الملم – الكلمة وبطريرك القبط المستقيل (٢٦٧-٢٦٩)

العدد ٦ (حزيران) يوبيل كلية اثينا ومؤتمر المستشرقين للاب لويس رترقال اليسوعي (٤٠١-٤١٢) = مصرع جبّار البحار للاب لويس شيخو (٤٢٥—٤٣٣) = العقائد الوثنية في الديانة النصرانية انتقاد للاب لويس شيخو (٤٣٣-٤٤٥ ؛ ٧ : ٥٢٩—٥٤٣) = وداع الام لابنها المهاجر (قصيدة) من نظم الاديب يوسف افندي غصوب (٤٤٦—٤٥٠) = الذكر المخلّد في سيرة السيد جرمانوس معقد للاب لويس شيخو (٤٥٦-٤٦٥) = شطط الشيخ النبهاني (٤٧٤-٤٧٦) – التقويم الصيني ودليل الهند الكاثوليكي للسنة ١٩١٢ (٤٧٦-٤٧٧)

العدد ٧ (تموز) غاية الغناء بفتح مملكة الهواء. مختصر محاضرة القاها الاب كلاوديوس بجاسون اليسوعي (٤٨١—٤٩٤) = نظر انتقادي في حكايات بعض شهداء الفرس على عهد الملك شابور لسيادة المطران ادي شير رئيس اساقفة سمرد الكلداني (٥٠٣—٥٠٩) = تاريخ قصر الخضر للاب سبستيان رترقال اليسوعي (٥٠٦=٥٢٣) = تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي: فَعِلَ يَفْعَلُ. فَعِلَ يَفْعِلُ. فَعُلَ يَفْعَلُ لحضرة الخوري دون حنا مرنا قاتوني القبر المقدس (٥٢٣-٥٢٦) = الأرق واسبابهُ ومعالجتهُ للدكتور كامل سليمان الخوري (٥٢٦-٥٣٩) = في عرين الملسونية (٥٥٧) لغط الكلمة – شهادة يابانية للكثلكة — كتاب الكهنوت (٥٥٨-٥٦٠)

العدد ٨ (آب) العقائد المسيحية في الدياميس الرومانية بقلم حضرة الخوري بولس سلمان (٥٦١-٥٧٣) = مؤلف الدلالة اللامعة لحضرة القسّ جرجس منش الماروني الحلبي (٥٧٣—٥٧٧) = العسل نظر صناعي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي (٥٩٠-٥٩٦) = تاريخ آداب اللغة العربية (نقد الجزء الثاني) للاب لويس شيخو (٥٩٧-٦١٠) = استعمال المُنقّطات في الطبّ بقلم الدكتور كامل افندي سليمان الخوري (٦١١-٦١٥) = آثار بابلية قديمة (٦١٧) حديث خرافة – السيف القاطع لعنق الفرّ المخادع – تكذيب اشاعة (٦٢٨-٦٢٩)

العدد ٩ (ايلول) النهضة الكاثوليكية في حلب والرسالات الفرنساوية في القرن السابع

عشر للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي (٦٤١-٦٥٤ ; ١١ : ٨٥٩-٨٦٩ : ١٢ : ٩٢٠-٩٣٠) = معالجة طنين الأذنين للدكتور كامل سليمان الخوري (٦٥٥-٦٥٧) = صورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم نشرها الاب لويس شيخو (٦٥٧-٦٦٩) = نصيحة الزهور موشح لحضرة الخوري يوسف سماحه ق.ب. (٦٦٩-٦٧٣) = شركة انتشار الايمان ومنشئتها المكرمة بولين ماري جاريكو بنسبة السنة الخمسين لوفاتها نظر تاريخي للاب لويس شيخو (٦٧٣-٦٨٨) = اليسوعيون والعلم (٧١٥) — اول سائح في بلاد تيبت — المتاحف الفوتوغرافية — ما اشرنك ايها الدين — شطط مجلة المنار المصرية (٧١٦-٧١٩)

العدد ١٠ (تشرين الاول) الملائكة بازاء العلم والدين نظر فلسفي لاهوتي للاب لويس شيخو (٧٣١-٧٣٦) مقالتان قديمتان في قوس قزح نشرهما الاب لويس شيخو (٧٣٦-٧٤٤) = ميس لتادرس ابي قرة في وجود الخالق والدين القويم نشره الاب لويس شيخو (٧٥٧-٧٧٤ ; ١١ : ٨٣٥-٨٤٣) = قصر بيت الدين (قصيدة) لحضرة المعلم منصور ابي رزق (٧٦٣-٧٩٥) = مراية التدرن اي السل بالمرق — اضطهادات البابويين للارثوذكسيين — نظام الكنيسة الكاثوليكية — الدكتور شبلي شميل والمقتطف — الاله المجهول — رسالة برقية حول الارض — اكتشافات بردية — مكاتب نقالة (٨٦٥-٨٦٩)

العدد ١١ (تشرين الثاني) ألمانية نظر جغرافي تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو (٨٠١-٨١١) = براءة جديدة للحبر الاعظم — غمن والكلمة — ترقي الكنيسة الكاثوليكية في الصين — جدول منقولات البريد الدولي (٨٧٧-٨٧٩)

العدد ١٢ (كانون الاول) براءة رسولية للحبر الاعظم البابا بيوس العاشر عن المناولة في الطقسين (٨٨١-٨٨٨) = المناولة المرة في الكنيسة الكاثوليكية للاب لويس شيخو (٨٨٨-٩٠١) = شواعري في مدينة النور للدكتور اميل عرب (٩٠١-٩٠٧) = الدراجة: بحث تاريخي فني للاديب فريد افندي فارس خوا (٩٠٧-٩١٢) = عود على بدء للشيخ فدا حسين احد اساتذة كلية عليكده الاسلامية مع جواب المشرق (٩١٣-٩١٨) = زهرة الحياة (٩١٨-٩٢٠) = وزن فول في العربية للاب لويس رترفال (٩٤٧-٩٥٠) = بيني وبين يسوع (قصيدة) للشماس حبيب ج. اسطفان (٩٥٦) مساحة الكرة الارضية — آلتان لكشف جبال الجليد — الري في ما بين النهرين — ترقي التلغراف اللاسلكي — المكتبة الالبانية — الاسماك الغريبة الجنس (٩٥٧-٩٥٩) = فهارس (٩٦١-٩٧٦)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابو رزق (الاديب سليم) تحية الصليب (تخميس) ٢١٧
من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٥٧
ابو رزق (المعلم منصور) قصر بيت الدين (قصيدة) ٧٦٣

ايلا (الاب شرل اليسوعيّ) ابن وائل : مأساة تاريخيّة نثريّة ذات ثلاثة فصول ٢٥١ : ٢٨٠ ; ٤١٤
ارسلان (الامير امين) الحقوق الدوليّة في الحرب ٢٤١
انطاسيوس (القديس السيناوي) ميمرهُ المفقود في يوم الجمعة العظيمة ٢٦٤
اسطفان (الشماس حبيب) بني زيين يسوع (قصيدة) ٩٥٦
البستاني (الخوري رافائيل) لا حول ولا . . . (قصيدة) ٤٦
البستاني (الاديب سليم) من اعلى منارة بيروت (قصيدة) ٩١
بيهم (مختار افندي) نبذة لهُ في الاجانب ١٥٨
بيرس الناشر (قداسة الحبر الاعظم) براءتهُ في جواز مناولة القربان الاقدس في الطقسين ٨٨١
تورنيتز (الاب فرنسوا اليسوعيّ) النهضة الكاثوليكيّة في حلب والرسالات الفرنسويّة في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠=لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٦٩ ; ٩٥٣
تيوليه (الاب ت . اليسوعيّ) وصفهُ لبعض الكتب ٢٩٣ ; ٢٩٥
ثابت (الاديب حبيب) أيها الطفل (قصيدة) ٢
جوون (الاب بولس اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٧٠
حبيقة (المنسنيور بطرس) محفل صنين (قصيدة) ٢٢٨
حرفوش (الخوري ابراهيم المرسل اللبنانيّ) كتاب اعمال الرسل اي الابركيس ٢١
حسين (الشيخ فدا) عودٌ على بدء ٩١٣
الخوري (الدكتور كامل سليمان) الأرق واسبابهُ ٥٢٦ = استعمال المنقطات في الطبّ ٦١١ = سابلة طنبين الاذن ٦٥٥ = سراية التدرُّن اي السلّ بالعرق ٧٩٥
الخوري (يوسف جرجس) من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٦٠
الدرعوني (الدكتور حبيب) الأنفيلكسيا او عكس المناعة ١٢٢
دوكوسو (الميوغستون) تاريخ الحرير في بلاد الشام ٢٨٠ ; ٢٧٤
ديلفسيتر (الاب يوسف) لهُ وصف بعض مطبوعات ١٥٦ ; ٢١٥ جوابهُ على اسئلة كتابيّة ٦٤٠ ; ٧٢٠
ربّاط (الاب انطون اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ١٥٤ ; ٢١٥ — ٢١٦
رعد (الكافاليير عبدالله افندي) صفحة من التاريخ الحبشيّ والنوبيّ ١١٥
رترفال (الاب سبستيان اليسوعي) تاريخ قصر الخضر ٥٠٩ = لهُ وصف بعض مطبوعات ١٥٣ — ١٥٤ ; ٦٢١ ; ٨٧١
رترفال (الاب لويس اليسوعيّ) بويل كلّيّة اثينا ومؤتمر المستشرقين ٤٠١ = وزن قمّول في العربيّة ٩٤٦= لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٦٨ ; ٥٥٢ ٨٧٣
رنكين (جرج) تاريخ تتويج الملك جرجس الخامس ١٥٨
سلمان (الخوري بولس) العقائد المسيحيّة في الدياميس الرومانيّة ٥٦١
سماحه (الخوري يوسف ق . ب) نصيحة الزهور (قصيدة) ٦٦٩= زهرة الحياة ٩١٨
شيخو (الاب لويس اليسوعي) سلام الله . ادعية في رأس السنة ١ = حوادث العام المدبر في الشرق ٤ ثمّ في الغرب ١٢٦ = النصرانيّة وآداجها في العراق ٦٧ في الجزيرة ١٤٥ ;

٢١٢ بين عرب شمالي سورية ٢١٤ ; ٢٠٦ في الحجاز ونجد ٣٠٨ في المدينة ٤٥١ في مكة ٥٤٣ في نجد ٦٢٨ قبائل العرب المتنصرة ٧٠٠ ; ٧٧٤ ; ٨٤٢ = من بيروت الى الهند (سياحة) : من بيروت الى حلب ٨١ الى الفرات ٨٥ الرها ٢٠١ من الرها الى ماردين ٢٠٦ ماردين ٢٩٨ من ماردين الى ديار بكر ٦١٥ طور عبدين ٧٠٦ ; ٧٨٠ ازخ . الجزيرة . زاخو ٧٨١ مار يعقوب . ألقوش . ربان هرمز ٨٤٦ الموصل ٩٣٠ = مرآة الحسناء (ملحق بديوان المرحوم فرنسيس مرّاش) ١٤ = ملحق بصفحة من التاريخ الحبشي والنوبي ١١٩ = رسولا الخير العام في مدينة السلام ١٦١ = كلمة في مجلة الكلمة ٢١٤ = الترقي العلمي في العام المدبر ٢٢٦ = نشرة لمجمع القديس انطانيوس البناوي في يوم الجمعة العظيمة ٢٦٤ = الخلاصة الماسونية (خطاب) ٢٢٦ = مصرع جبّار البحار ٤٣٥ = عقائد الوثنية في الديانة النصرانية (ردّ) ٤٣٣ ; ٥٣٩ = الذكر المخلّد في سيرة السيد جرمانوس مقدّ ٤٥٦ = نقد الجزء الثاني من تاريخ اداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان ٥٩٧ = نشرة لصورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم ٦٥٧ = شركة انتشار الايمان ومنشئتها بولين ماري جاريكو ٦٧٣ = الملائكة بازاء العلم والدين ٧٣١ = نشرة لمقالتين قديمتين في قوس قزح ٧٣٦ = نشرة لمجمع تادرس ابي قرّة في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥ = البابية : نظر جغرافي تاريخي اجتماعي ٨٠١ = المناولة المرّة في الكنيسة الكاثوليكية ٨٨٨ = بعض ملحوظات في حريق مكتبة الاسكندرية ٩١٥ = وله في كل اعداد المشرق تعريبات ووصف مطبوعات وشذرات واجوبة على اسئلة

شير (سيادة المطران ادّي) نظر انتقادي في حكايات شهداء الفرس ٥٠٣

طوران (الاب اسكندر اليسوعي) النحل ٣٥ ; ١٩٠ = العسل ٥٩٠

عرب (الدكتور اميل) شواعري في مدينة النور ٩٠١

العلم (المنسنيور يوسف) تحية الشرق بالمكتب الفرنسوي الجديد (قصيدة) ٢٩٧

غصوب (الاديب يوسف) وداع الام لابنها المهاجر (قصيدة) ٤٤٦

القلقيلي (الشيخ محمد المصري) انتقاده على كتابات الشيخ يوسف النبهاني ٤٧٤

گبهارت (اميل) شاهد القيامة في دياميس رومية ٢٢١

كسنتاكيس (الاب بطرس اليسوعي) له وصف بعض كتب ٧٢ ; ١٥٥–١٥٦ ; ٤٦٧

كلنبانان (الاب يوسف اليسوعي) آفة الاشجار المثمرة ٦٠

بجاسون (الاب كلاوديوس اليسوعي) غاية المناء في فتح ملكة الهواء ٤٨١ له وصف بعض المطبوعات ٤٧٤

مرتا (القانوني دون جان) تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي : فَعِلَ يَفْعُلُ . فَعُلَ يَفْعَلُ . فَعُلَ يَفْعِلُ ٥٢٢

مرّاش (فرنسيس) ملحق بديوانه ٩٤

ملوف (الاب لويس اليسوعي) نشرة لكتاب حوادث الشام ولبنان ٤١ ثم في بقية الاعداد (طبع على حدة)

منش (القس جرجس) حلب الشهباء ومجلة المقتبس ٢٥٠ = مؤلف الدلالة اللامعة ٥٧٣

ميخائيل الدمشقي صاحب كتاب تاريخ

حوادث الشام ولبنان ٤٦ وفي بقيّة اعداد السنة (طبع على حدة)
خرا (الاديب فريد) الدرّاجة ٩٠٧
نيرون (الاب ج . اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ٥٥٢
بكن (وليّ الدين) قولهُ في المرونة الفرنسويّة ١٥٩

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الخامسة عشرة من المشرق

الكتب العربية والسريانية الخ

ابن الانباريّ (ابو بكر) شرح معلّقة طرفة (٢٢٢)
ابن شرف القيرواني رسائل الانتقاد (٢٢٤)
ابو العلاء المعرّي رسالة في الوعظ والحكم (٢٢٥) = مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران (٢٢٦) = رسالة التذكرة (٢٢٦)
ابي كرم الخوراسقف نعمة الله) تعريب كتاب الفلسفة النظريّة للكردينال مرسيه. المجلد الثاني (٥٥٤)
ايلا (الاب شرل اليسوعيّ) رواية ابن وائل (٤٧٢)
ارسطاطاليس كتاب الاحجار (٢١٢)
انستاس (الكرملي) كتاب التعبّد ليسوع طفل براغ (١٥٧)
برنابجات (٢١٧ ; ٧٩٢)
البستاني (الاديب يوسف توما) امثال الشرق والغرب (٦٢٧)
بلميس (الاب يعقوب) ترجمة كتابه مبادئ الديانة للخوري بطرس مراد (٤٧١)
بيدجان (الاب بولس اللازوي) كتابهُ السرياني في حياة القديسين (٢٩٢)
التنّير (محمّد طاهر) نقد كتابه العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة (٤٢٢ ; ٥٢٩)
جبران (جبران خليل) الاجنحة المكسّرة (٢١٥)
جرجس (الخوري عبد الاحد) كتاب الملك الحميد من مريم العذراء الى يسوع المجيد (٤٥٤)
الجميّل (الاديب يوسف الاجثائي) زراعة التبغ التركيّ في لبنان (٧٦)
الجواد الادهم (رواية) (٤٧٢)
حبيقه (القسّ يوسف) كتاب الكهنوت المنسوب للقديس يوحنا مارون ١٥٧ ; ٥٥٩
خدمة السبت الظلم (٢٢٦)
الخوري (امين افندي) مطوّل في انشاء المكاتيب (٢٢٧)
الخوري (الدكتور كامل سليمان) الضرران الاكبران المسكر والدخان (٦٢٦)
الخياط (الاديب محيي الدين) مدخل دروس القراءة (٧٩٢)
دريان (الخوري لويس) الاعتقاد تجاه العقل والعلم (خطبتان) (٢٩٥)
دريان (سيادة المطران يوسف) لباب البراهين

الجليّة عن حقيقة امر الطائفة المارونية (٤٩٠)
دعبول (رشيد افندي البعبداوي) موجز تاريخ الطائفتين (٤٧٣)
الدميري حياة الحيوان بالانكليزية . الجزء الثاني (٣٩٣)
رباط (الاب انطون) الانجيل الشريف (٧٣)
رسائل رعائية (٢٣٨ ; ٢١٦)
رفائيل (السيّد هوادينيّ) الدليل الامين في خدم التكريس والتدشين (٧٤)
رثاء الاسى في رثاء السيّد جرمانوس مسقّد (٥٥٦)
الروض النضير في روايات البشير لبعض الادباء (ع ٣) ٩٥٥
زيدان (جرجي افندي) نقد كتابي آداب اللغة العربية . الجزء الثاني (٥٩٧) = كتاب طبقات الامم او السلاسل البشرية (٧١٤)
سيّور (الاب بولس البوليّ) كتاب زهور النفس من حديقة خوري ارس (٢٩٥)
شيخو (الاب لويس شيخو اليسوعي) تاريخ اغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المنبجي (٢٩٤) = تفنيد التزوير ردّ على كتاب محمّد التنير ٤٧٣ = اطرب الشعر واطيب النثر (القسم الاوّل) ٧٩٠ = كتاب طبقات الامم لصاعد الاندلسيّ ٨٧٦
ص.ع شهر قلب يسوع للمسأل (٧٥)
صادر (سليم افندي ابراهيم) جواهر الادب من خزائن العرب . الجزء الثالث (٢٩٣) الرابع (٩٥٥)
صاعد بن احمد الاندلسيّ كتاب طبقات الامم (٨٧٦)
الصائغ (الخوري يوسف البوليّ) دعاة الضلال (٦٣٦)
صفا بك (محمّد) رسالة مناهل الشكران في دعوات رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي (٢٣٦)
صفير (الخوري جرجس فرج) مناجاة النفس (٥٥٦)
صنوع (الشيخ يعقوب) موليير مصر وما يقاسيه (٤٧٣)
ضومط (الاستاذ جبر) بحث في اللغة العربيّة (٢٣٧)
عبد الوهّاب التونسيّ (حسن حسني) رسائل الانتقاد لابن شرف القيروانيّ (٢٣٤) = رسالة في الحكم لابي العلاء المعرّي (٢٣٥)
العرب (ابراهيم بك) كتاب آداب العرب (٨٧٦)
العلم (الاديب فوزي افندي) دروس الجغرافيا ٩٥٥
علوان (الاب يوسف اللازريّ) ارج الوطنيّة في حياة الطوباويّة جان دوك الباسلة الفرنسيّة (٧٣)
العشيّي (الخوري يوسف) رواية ماسونيّ العذراء (٤٧٢)
غزّاله (الدكتور سليمان) لهجة الابطال (٢٣٣)
الغلاييني (الشيخ مصطفى) الدروس العربيّة (٧٥)
غويدي (الاستاذ اغناطيوس) زجليّة على خراب طرابلس (٢١٤)
فرنيه (الاب عطاالله اليسوعيّ) ترجمة كتاب الاقتداء بالمسيح (٦٣٤)
قندلفت (غطّاس افندي) امتيازات الجماعات المسيحيّة في المملكة العثمانيّة (مترجم عن اليونانيّة لستافرس فوتيراس) (٧٤١)
كاتفليس (الاديب وليم) رواية شقاء التاج او حرس جلالتها (٤٧٣)
مدرسة القديس بطرس (بسكنتا) اقاس

الطلّاب في مضمار الكتاب (٧٧)
مسعد (بولس افندي) بحث سياسيّ انتقاديّ في تاريخ مصر وسوريا والعلائق بينهما (٥٥٥)
المشعلاني (الاديب نجيب ملحم) الرهبان مَنْ هم . ماذا يعملون . ماذا ينفعون (٥٥٥)
مصوبع (المحامي سليمان افندي) قاموس القضاء الشرعي (٥٥٧ ; ٦٢٦ ; ٧٢٠)
الملوف (الاديب عيسى افندي اسكندر) تاريخ مدينة زحلة ١٥٥
المكاري (احمد الدمشقيّ) البرهان السديد في كشف الاسرار عن وجود الامير سليم عبد المجيد (٤٧٣)
ميرزا غلام (احمد) قصائد احمديّة (٧٦)
النيسابوري (ابو القسم الحسن) كتاب اخبار عقلاء المجانين (٧٨٧)
هبة الدين (الشهرستانيّ) تحرير نقل المجانز المتنيّرة (٢١٦)
ياقوت (الحمويّ) معجم الادباء الجزء الخامس (٢١٤)

مطبوعات اوربيّة

Anaissi (Tabia Abbas) : Bullarium Maronitarum (549)
Auboyneau (G.) et Fevret (A.) : Essai de Bibliographie pour servir à l'Histoire de l'Empire Ottoman (313 467)
Baudrillart (Mgr Alf.) : Fréderic Ozanam (553)
Below (G.von) und Meinecke (F.): Handbuch d. mittelalt. u. neuren Geschichte. I Erben (W.), Schmitz-Kallenberg (4.), Redlich (Osw.) : Urkundenlehre, 1er Teil (152)
Bitar (M-Y) : Catalogue des Manuscrits et des livres rares du Comte Rochaid Dahdah (789)
Blochet (E.) : Histoire des Mongols de Fadlallah Rachid ed-Din (313)
Boppe (A) : Journal et Correspondance de Gédoyn (314)
Brou (A. s. j.) : S' François-Xavier (553)
Browne (E. G.) : Kitab-i Nuqtatu'l Kaf by Ḥâjji Mirza Jani of Kâshân (72)
Cordeira (Clemente) : Grammática Espanola en idioma Arabe (551)
= Grammática de Arabe Litoral (871)
Chabot (J-B.) : Notice sur la vie et les travaux de M. Rubens Duval (156)
Charon (Le P. Cyrille) : Histoire des Patriarcats Melkites. T III. Les Institutions, fasc. 2
Cheikho (L. s. j.) : Agapius Episcopus Mabbugensis. Historia Universalis (394)
=Kitâb Ṭabaqât al-Umam ou les Catégories des Nations par Abou Qâsim ibn Sa'id (876)
Colin (Gab.) : La Tedkira d'Aboul 'Alâ al-Ma'arri (236)
The Conference of Orientalists ...held at Simla (313)
Czermiński (Ks. M. s. j.): Maksymilian Ryllo Towarzystwa Jesusowego Misyonarz Apostolski (951).
Dahlmann (Jos. s. j.) : Die Thomas-Legende und die aeltesten histor. Beziehungen d. indischen Altertumskunde (469)
Dauchez (Dr H.) : Guide Médical du Missionnaire et de l'Explorateur Colonial (954)
Davot (L'abbé) : Premières leçons de Catéchisme (315)
Delacroix (L'abbé Jean) : Ascétique et Mystique (468)
Delavaud (L.) : Le marquis de Pomponne (154)
Dirr (Dr A.) : Praktisch-theoretisches Lehrbuch d. Aegypt. Vulgararabisch (952)
Euringer (Dr Seb.) : Die Uberlieferung d. arab. Uebersetzung d. Diatessaron. Mit einer Textbeilage: die Beirutor Fragmente, herausg. u. übers

v. D'. G. GRAF (470)
Fortescue (Rev. Adrian) : THE MASS : a Study of the Roman Liturgy (873)
Gattrer (M. s. j.) et Krus (Fr. s. j.) : L'éducation de la Chasteté (156)
Gebhart (E.) : Petits Mémoires (395)
Gourlot (A. de) : JUDAS DE COLOGNE, récit de ma Conversion (468)
Grandmaison de Bruno (Dr de) : Vingt Guérisons à Lourdes discutées médicalement (874)
Halévy (J.) : Précis d'Allographie assyro-babylonienne (738)
d'Herbigny (M.) : Un Newman Russe, Vladimir Soloviev (950).
Huart (Cl.) : Histoire des Arabes, t. I (711)
Huby (J. s. j.) CHRISTUS : Manuel d'Histoire des Religions (466)
Hussy (Mary Inda) : Sumerian in the Harvard semitic Museum, Part I (870)
Isis Copia : Fleurs de rêve (393)
Jayakar (A. S. G.) : Ad-Damiri Ḥayat al-Ḥayawân. *Vol.* II (392)
Jeannière (R. s. j.) : Criteriologia vel Critica cognitionis certæ (953).
Khairallah (K. T.) : La Syrie (713)
Kratchkovsky (I.) : Abu Ḥanîfa ad-Dinawari. Kitab al-Ahbar at Ṭiwâl. Préface, Variantes et Index (552)
Lallemand (L.) : Histoire de la Charité. t. IV (153)
Legrand (E.) et Güys (H.) : Bibliographie Albanaise (959).
ΛΙΝΑΡΔΟΥ (ΒΑ) : Οἱ Μασσῶνοι ἐναντίον τοῦ Χριστιανισμοῦ (72)
Loosen (Paul) : Die Weisen Narren des Naisaburi (787)
Manasseowitsch (B.) : Lehrbuch, die arab Sprache durch Selbstunterricht schnell u. leicht zu erlernen (551)
Marçais (W.) : TEXTES ARABES DE TANGER ; transcription, traduction annotée, glossaire (767)
Margoliouth (D. S.) : Dictionary of learned Men of Yakut. V, (314)
Musil (Alois) : Neues aus Arabia Petræa (473)
Nicolas (A. L. M.) : Essai sur le Cheikhisme, III et IV
= Le Béyan Persan (233)
Palacios (M. Asin) : Noticia de los Manuscritos árabes del sacro Monte de Granada (471)
Poulpiquet O. P. (I. E. A de) : Le Dogme source d'Unité et de Sainteté dans l'Eglise (468)
Roscher (O.) : Ṭarafa's Mo'allaqa, mit Commentar des... el Anbari (232)
= Arabische Handschriften der Koprülü Bibliothek ; des top Kara Seraj (789)
Olmstead (A. T), Charles (B. B.), Wrench (J. E.) : Travels and Studies in the nearer East (Cornell Expedition) (152)
Rouët de Journel s. j : Enchiridium Patristicum (154)
Roupain (E.) Leçons et lectures d'Apologétique (155)
Ruska (Dr Julius) : Das Steinbuch des Aristoteles (312)
Schneider (Mgr W.) : Preuves de l'Immortalité de l'âme, adapté de l'allemand par. G. GAZAGNOL (468)
Vaccari (P. Alberto s. j) : L'arabo scritto e l'arabo parlato in Tripolitania. Grammatica elementare pratica (871)
Wied (Karl) : Leichtfassliche Anleitung z. Erlernung d. Turkischen Sprache. 4e *Aufl* (472)
Zaidan (G.) Al-'Abbassa ou la Sœur du Calife. Traduit de l'arabe par M.-Y. Bitâr (952).
Zwemer (S. M.) : The Moslem Christ (951).

فهرس رابع

لجميع مواد المشرق على ترتيب حروف المعجم

* ١ * آداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان وانتقاده ٥١٧—٦١٠
آدم (كيوركيس الكلداني) ٨٨٠
آرام : جدول الاقلام الآرامية ٥٢٠

آفة الاشجار المثمرة ٦٠
آلتان لكشف جبال الجليد ٩٥٨
ابراهيم باشا المصري وملكهُ لبلاد الشام ٢٧٠ —٢٧٣ ; ٨١٢—٨١٤
ابراهيم باشا والي الشام ٥٥ ; ٥١ ; ١٠٦
ابراهيم باشا زعيم الحميديَّة ٢٠٧
الابركسيس اي اعمال الرسل: نظر في هذا الكتاب ومؤلفهِ وصحَّتهِ ومضامينهِ ٢١
ابن وائل (مأساة نثريَّة ذات ثلاثة فصول) ٢٥١ ; ٢٨٠ ; ٤١٤
ابو قرَّة (تادرس) سيرهُ في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥
ابو نكد (مشايخ) ٨١٨
اثينا: يوبيل كليتها ومؤتمر المستشرقين فيها ٤٠١—٤١٢
اخيجان (اندراوس بطريرك السريان) ٦٥٢ —٦٥٣ ; ٨٦٦
الادريسيّ وجغرافيَّتهُ ٤٠٠
الاديان الوثنيَّة وخرافاتها بازاء الديانة النصرانيَّة ٥٢٠—٥٢٨
الأذان وسلطة طنينها ٦٥٥
الأرَق واسبابهُ ومعالجتهُ ٥٢٦
الارمن وغبطة البطريرك بطرس ترزيان ١٤
الارمن في حلب وارتدادهم الى الكنيسة الرومانيَّة ٦٥٣ ; ٨٦٨
الارواح ومناجاتها ٩٦٠
ازخ (بلدة) وصفها ٧٨١
اسبانية في السنة ١٩١١ ١٢٨
الاسكندريَّة وحريق مكتبتها على يد العرب ٦١٢
الاسماك الغريبة الجنس ٩٥٩
الاشجار المثمرة وآفتها ٦٠
اعمال الرسل اي الابركسيس مقالة في اثبات صحَّتهِ وموضوعهِ ومضمونهِ ٢١—٢٥
اكتشافات بُرديَّة ٧٩٩
الاكراد ٨٤٩—٨٥٠
البابية في السنة ١٩١١ ٥ نظر جغرافي تاريخي اجتماعي في ألبانية ٨٠١—٨١١
ألقوش ومآثرها ٨٥١
الالكحول واستقطارهُ ١٦٠
الله تعالى مقالة في وجودهِ عزَّ وجل ٧٥٧
الاله المجهول ٧٩٨
المانية واحوالها في السنة الماضية ١٣١—١٣٣
اميركا الجنوبيَّة في السنة المنقضية ١٤٤ اميركا الشماليَّة ١٤٢ الوسطى ١٤٤
امين خان (رزق الله المطران السرياني) ٨٦٧
انتقاد في حكايات بعض شهداء الفرس ٥٠٢
انتقاد كتاب تاريخ آداب اللغة العربيَّة (الجزء الثاني) ٥٩٧
انسطاسيوس (القديس السيناوي) سيرهُ المفقود ليوم جمعة الآلام ٢٦٤
انطاكية وكرسي مار بطرس فيها ٢٤٠
الأنفيلكسيا او عكس المناعة ١٣٢
انكلترَّة في العام ١٩١١ ١٣٦
اعتداءات الى الكنيسة الكاثوليكية ٢١٨
اوربَّة واحوالها في العام الماضي ١٣٦—١٤٥
اوزان عربية متداخلة ٤٧٦ ; ٥٢٢
اوستراليا في السنة ١٩١١ ١٤٥
الاوقاف الكنسية واولياؤها ٨٠
اوكين (القديس) زعيم النسَّاك ١٥٠
ايران واحوالها في العام المنصرم ١٥—١٦
ايطالية وحوادثها ١٤٠ حربها في طرابلس الغرب ٨ ; ١٤٠
أيلة والنصرانيَّة فيها قبل الاسلام ٢٠٩
الايقونة القائمة مقام ثوب سيِّدة الكرمل ٢٣٠
أيها الطفل (قصيدة) ٢

* ب * البابا سلفستروس الثاني والعرب ٢٩٩
بابل وقصادها الرسوليَّة ١٦٢–١٦٤ آثار بابليَّة قديمة ٦٣٧
الباخرة تيتانك الغارقة ٤٢٥–٤٢٢
باريس مدينة النور نظر في قوَّة اهلها وآداجم ودينهم ٩٠١
باز (جرجس) كيخية اولاد الامير يوسف الشهابي ٥٧٨–٥٨٩ ; ٦٩٠–٦٩٧
البحريّ (عبُّود) ١١٢–١١٥
البرتغال ونتنهُ ١٢٩
البريد الدولي ومنقولاتهُ ٨٧٥
بشير (الامير بشير الكبير) ٤٩٧–٥٠٢ الخ
بشير قاسم (الامير الشهابي) ٨١٦
البصائر (مجلَّة) انتقادها ٤٧٨
بطرس الرسول وكرسيُّهُ في انطاكية ٢٤٠
وثاثتهُ في دياميس رومية ٥٧١ في صورة ايمان الروم الكاثوليك ٦٥٨
بطنايا (قرية) ٨٥٧
بغداد تاريخ الرسالة الكرمليَّة في بغداد ١٦٢–١٦٥ ترجمة مرسلين كرمليّين فيها ١٦٥–١٧٩
باجكة واخراجا ١٤١
البلغار والترك سنة ١٩١١ ٨ ; ١٤٢
بيت الدين : قصيدة في حادثة انفجار البارود في قصرها ٧٩٢
بيره جك واحوالها ٨٩
بيكه (فرنسوا) قنصل فرنسة في حلب ٨٦٢–٨٦٥
بيني وبين يسوع (قصيدة) ٩٥٦
يوس العاشر ومآثرهُ سنة ١٩١١ ١٢٦ براءتهُ في جواز المناولة على الطفلين ٨٨١
* ت * تاريخ قصر الخضر في الجزيرة ٥٠٩–٥٢٢
تبوك ونصرانيَّتها ٢١١
تثبيت القديسين في البيعة وتاريخهُ ٨٧٦
تحيَّة الصليب (قصيدة) ٢١٧
تداخل اللغتين في الفعل الثلاثيّ : فَعِلَ يَفْعَلُ فَعُلَ يَفْعُلُ . فَعُلَ يَفْعِلُ ٥٢٣–٥٢٦
التدرُّن وسرايتهُ بالعرق ٧٩٥
ترزيان (غبطة البطريرك بطرس بولس) ١٤
الترقيّ العلميّ في العام المدبر ٢٢٦
تركيا في السنة ١٩١١ ٥ جدول طلبة المدارس فيها ٢٢٩
تقديس جسد الرب بكلام السيّد المسيح ٦٦٨
التقديس على النطير والخمير ٦٦٩
التقويم الصينيّ لسنة ١٩١٣ ٤٧٦
تلّ ارمن (قرية) ٢٦٠–٢٦١
تلّ اسقف (قرية) ٨٥٧
تلّ كيف (قرية) ٨٥٨
التلغراف اللاسلكي وترقيّهِ ٢٢٨ ; ٩٥٨
التنير (محمَّد طاهر) تفنيد كتابهِ العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة ٢٩٨ ; ٤٢٢ , ٥٢٩
تيتانك وغرقها ٤٢٥–٤٢٢
تيماء ونصرانيَّة اهلها ٢١١
* ث * الثالوث الاقدس في عقائد النصرانيَّة ٤٢٧–٤٤٢ الثالوثات الوثنيَّة ٤٤٢ الثالوث الاقدس في دياميس رومية ٥٦٤–٥٦٦
ثوب سيدة الكرمل والأيقونة العائقة مقامهُ ٧٣٠
* ج * جاريكو (المكرَّمة بولين ماري) منشئة شركة انتشار الايمان ٦٧٣–٦٨٨
جبرائيل (الاب دنبو الماردينيّ) منشئ وهبانيَّة الكلدان ٨٥٣–٨٥٦
الجزَّار (احمد باشا) وولايتهُ في الشام ٥٤–٦٠ ; ١٠٤–١٠٦ ; ٥٧٨–٥٨٢
الجزيرة : النصرانيَّة بين عربها في الجاهليَّة

١٤٥ ; ٢١٢
جزيرة بني عُمَر وآثارها ٧٨٢
جماعات المناجين للارواح ٩٦٠
جمعة الآلام ميمر مفقود للقديس انسطاسيوس السيناوي فيه ٢٦٤
جمعية الاتحاد والترقي ومساوئها ٥
جنبلاط (الشيخ بشير) ٧٥٤–٧٥٦ الخ
الجودي (جبل) ٧٨٥
جورج الخامس تتويجهُ واوصافهُ ١٢٠ تاريخ تتويجه في الهند ١٥٨
الجيولوجيّة والجغرافية والآثار في السنة ١٩١١ ٢٢٦
* ح * حاييم اليهودي ٦٩٨–٦٩٩ ; ٧٤٨–٧٤٩
الحبش في السنة ١٩١١ ١٧ صفحة من التاريخ الحبشي والتوبي ١١٥
الحثيون من هم ؟ ٢٤٠
الحجاز ونجد والنصرانيّة بين عربها في الجاهليّة ٣٠٨ ; ٤٥٠ ; ٥٤٣ ; ٦٢٧
حديث خرافة ٦٢٨
حرّان ومآثرها ٣٠٦
الحرب والحقوق الدوليّة فيها ٢٤١–٢٥٠
الحرير وتاريخهُ في بلاد ٢٨٠ ; ٢٧٤
حزب الحريّة والائتلاف ٦
الحَضَر ٥ تاريخ هذا القصر وكتاباتهُ الآراميّة ٥٠٩–٥٦٦
الحقوق الدوليّة في الحرب ٢٤١–٢٥٠
حلب ٨٤ منها الى الفرات ٨٥ حلب الشهباء ومجلّة المقتبس ٣٥٠–٣٥٦ النهضة الكاثوليكيّة فيها والرسالات الفرنسويّة في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
حلدة وآثارها ٨٠٨
حوادث العام المدبر ٤ ; ١٢٦
* خ * الخبز الفطير والخمير في الكنيسة ٨٩٣–٩٠٠ التقديس عليها ٦٦١
الخلاصة الماسونيّة ٣٢٦–٣٥٠
* د * دال ناد ملك الحبشة ١٢٠
داميان (المرسل الكرمليّ في بغداد) ترجمتهُ ١٧٤–١٧٦
الدّراجة : تاريخها وانواعها وفوائدها ٩٠٧
الدروز واحوالهم في لبنان ٨١٨–٨٢٢
درويش باشا والي الشام ٢٩٥ ; ٧٥٠–٧٥١
دروين : برهان حيّ على بطلان مذهبه في الأنثيلكيا ١٢٢
الدكتور شبلي شميّل والمتنصف ٧٩٨
دليل الهند الكاثوليكيّ لسنة ١٩١٢ ٤٧٧
دنبر (الاب جبرائيل الماردبني) منشئ رهبانية الكلدان ٨٥٣–٨٥٦
دومة الجندل ونصرانيّة اهلها ٢١٠
الدومنيكيّون ورسالتهم في الجزيرة ٧٨٥ في زاخو ٧٨٧ في الموصل ٩٤٥
ديار بكر وديار ربيعة والنصرانيّة فيهما ١٤٦–١٥١ ديار بكر (مدينة) واثارها ٦٣٠–٦٣٦
دياميس رومية وشاهد القيامة فيها ٢٢١–٢٢٦
الدياميس الرومانيّة والعقائد المسيحيّة ٥٦١–٥٧٣
دير ربّان هرمز ورهبانهُ الكلدان ٨٥٣–٨٥٦
دير الزعفران ٥ ٢
دير السمر في طور عبدين ٧٨٠
دير المخلّص وبويلهُ التوي ١١
الدين وشرفهُ ٧١٧ ميمر ابي قرّة في الدين القويم ٧٦٦
* ر * رأس العين (مدينة) ٣٠٨
رئاسة الحبر الرومانيّ على الكنيسة في معتقد الروم ٦٦٠
الرحماني (غبطة السيّد انطاطيوس افرام الثاني)

يوبلهُ الاسقفيّ ٢٩٦
رسالة برقيّة حول الارض ٧٩٩
الرسالات الترنسوبيّة في حلب في القرن السابع عشر والنهضة الكاثوليكيّة ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٢٠
رسولا الخير العام في مدينة السلام ١٦١–١٧٩
الرها ووصفها ٩١ ; ٢٠١
الروح القدس وانبثاقهُ من الآب والابن في الكنيسة اليونانيّة ٦٦٣
روسيّة وايران ١٦ احوال روسيّة سنة ١٩١١ ١٤١ مصادرها للكاثوليك ٧٩٦
الروم الكاثوليك في صيدنايا ٥٢–٥٣ في دمشق ٢٩٠–٢٩٥ في حلب ٦٥٠ ; ٩٢٠ صورة ايلاهم في القرن الثامن عشر ٦٥٧
رومية والحبر الاعظم ١٢٦–١٢٩ شاهد القيامة في دياميسها ٢٢١ العقائد المسيحيّة في اثار دياميسها ٥٦١–٥٧٢
الريّ في ما بين النهرين ٩٥٨
* ز * زاخو وآثارها ٧٨٦
زجليّة على خراب طرابلس ٢١٩
زهرة الحياة ٩١٨
زيدان (جرجي افندي) انتقاد الجزء الثاني من كتابهِ تاريخ آداب اللغة العربيّة ٥٩٧–٦١٠
* س * ساروفيم بطريرك الروم وحملتهُ على الكاثوليك ٢٩٠–٢٩٥
الساطرون او سنطروق ملك الحضر ٥١٦–٥١٩
سالياج (الاب انطونس اللازري) ١٠
السريان في حلب وارتدادهم الى الكنيسة الكاثوليكيّة ٨٦٦–٨٦٨
سقطري (جزيرة) والنصرانيّة فيها ٩٣٥
سلامُ الله ١
سليم باشا والي الشام ٢٦٦
سليمان باشا والي صيداء وعكّاء ١٨٠ ; ٢٩٠ توليّهِ على الشام ١٨٢–١٨٦ ; ٢٩١
سليمان السلحدار (والي الشام) ١٨٦
سنان باشا فاتح طرابلس الغرب سنة ١٥٥١ ٥٦٠
سنطروق ملك الحضر ٥١٢ ; ٥١٦–٥١٨
السنة الجديدة (أدعية) ١
سوريا واحوالها سنة ١٩١١ ١٠–١٥ النصرانيّة بين عرب شمالي سوريّة ٢١٤ ; ٣٠٧
سون يات سن زعيم الثورة الصينيّة ١٧–١٨
سياحة حديثة من بيروت الى الهند ٨١ ; ٢٠١ الخ
سيّدة لبنان ٤٧٨
* ش * شارت (الجنرال انتناس) وفاتهُ ١٢٧
الشام احوال بلادها في العام الماضي ١٠–١٥
الشام ولبنان وحوادثها من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ (١٧٨٣–١٨٤١) ٤١ ; ١٠٢ الخ
تاريخ الحرير في بلاد الشام ٢٨٠ ; ٢٧٤
شاهبادين (البطريرك غريغوريوس جرس) ٨٦٧
شاهد القيامة في دياميس رومية ٢٢١–٢٢٦
شدياق : اصل هذه اللفظة ١٦٠
الشرق وماجرياتهُ في العام المدبر ٤
شركة انتشار الايمان ومنشئتها المكرّمة بولين ماري جاريكو ٦٧٣–٦٨٨
الشعار IHS ومعناهُ ٢٢٩
شبّل (الدكتور شبلي) وردّ المقتطف على قولهِ ٧٩٨
شهداء القرس : انتقاد حكايات البعض منهم ٥٠٣
شواعري في مدينة النور ٩٠١
شوستر (المستر مورغان) في ايران ١٦
الشيخ عادي (مزار اليزيديّة) ٨٥٦

* ص * صادق بك (الامير آلاي) منشئ حزب الحرية والائتلاف ٦
صالح باشا الكوسا والي الشام ٢٩٠ ; ٣٦٢
الصليب وتعيينهُ (قصيدة) ٣١٧
صنين : نموة عقلهِ ٧٩ وثاؤهُ (قصيدة) ٣٢٨
صورة ايمان الكاثوليكيين من طائفة الروم ٦٥٧-٦٦١
صيدنايا واضطهاد الروم الكاثوليك فيها ٥٢
الصين وانقلاب دولتها ١٧-١٩ صناعة الحرير فيها ٢٨١-٢٨٣ التقويم الصيني للسنة ١٩١٢ ٤٧٦
* ط * الطب والجراحة وترقيهما ٢٢١
الطبيبات وترقيها سنة ١٩١١ ٣٢٨
طرابلس الشام وجليتها على خرابها سنة ١٢٨٩ ٢١٩
طرابلس الغرب والحرب الايطالية ٨ ; ١٤٠ بعض آثارها ٢٣٠
طور عبدين ومآثرهُ ٧٠٦ ; ٧٨٠
الطيران والطيارات تاريخ هذا الفن وتذليل مصاعبهِ ٤٨١-٤٩٤
* ع * العام المدبر وحوادثهُ ٤ ; ١٢٦ الترقي العلمي فيهِ ٢٢٦-٢٢٢
عبدالله باشا والي الشام ٥٦ ; ١٠٨
عبد الرؤوف باشا والي الشام ٢٦٥
العراق : النصرانية بين عربها في الجاهلية ٦٧ ريّ العراق ٩٥٨
عرب الجاهلية والنصرانية بينهم ٦٧ ; ١٤٥ الخ قبائلهم المتنصرة ٧٠٠ ; ٧٧٤ ; ٨٤٣ العرب والبابا سلفستروس ٢٩٩
العرق وسراية السل ٧٩٥
العمل : نظر صناعي اقتصادي ٥٩٠-٥٩٦
عقيدة التثليث عند النصارى ٤٢٧-٤٤٥ آثارها في دياميس رومية ٥٦٤-٥٦٦ العقائد المسيحية في الدياميس الرومانية ٥٦١-٥٧٢ عكاظ والنصرانية فيها ٦٢٧
علوش باشا والي الشام ٢٦٩ ; ٢٧٢
علي آغا واخباره ١٨٥-١٩٠ علي باشا والي الشام ٢٨٨
عود على بدء ٩١٢
* غ * غاية الغناء بفتح مملكة الهواء ٤٨١-٤٩٤
غليليو والحكم عليهِ ٢١٨
* ف * فرنسة : احوالها السياسية والدينية ١٢٤-١٢٨ مروءة اهلها ١٥٩ نظر في قوتها وآدابها ودينها ١٠١
الفرنسيسيون في حلب ٦٤٤ في بلاد نيبت ٧١٧
الفطير والخمير والتقديس عليها ٦٦٩ المناولة الحرة على الفطير والخمير ٨٨١-٩٠٠
فعول شيوع هذا الوزن في العربية ومعانيهِ وتركيبهُ واصلهُ ٩٤٧
فَعِلَ يَفْعَلُ فَعُلَ يَفْعُلُ وفَعَلَ يَفْعِلُ . وجود هذه الاوزان في العربية ٤٧٩ ; ٥٢٢
فيفاء : اصل هذه الكلمة ١٦٠
فيلوثاوس بطريرك الاسكندرية ١١٥-١٢٢
* ق * القارة او القارة ٤٧٩
القبط : كتابات قبطية قديمة في النوبة ٥٥٨ القداس وثمرة حسنهِ ٨٠٠
القربان الاقدس وتغيير اشكالهِ ٨٨٠ مناولتهُ الحرة في الطقسين ٨٨١-٩٠٠
قزما البطريرك الاسكندري ١٢١
القصادة الرسولية على بابل والعراق ١٦٢-١٦٤
قوس قزح : مقالتان قديمتان في وصفهِ ٢٣٦
* ك * الكاثوليك في الهند ١٧ ; ٤٧٧ في انكلترة ١٣١ في المانية ١٢٢ في فرنسة ١٢٦ في الولايات المتحدة ١٤٣ في الصين ٤٧٦ ; ٨٧٨

كاميل دي لاكروا (اليسوعي) والمشهد المقام لذكره ٧١٦
الكبوشيّون رسالتهم في الرها ٢٠٤ في ماردين ٢٠٢ في ديار بكر ٦٣٥ في حلب ٦٤٦—٦٥٤ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠ في نيبت ٧١٦ في الموصل ٩٤٥
كتاب الدلالة اللامعة ومؤلفهُ ٥٧٣
كتاب معالم الكتابة لعبد الرحيم القرشي ٥٦٠
الكتابات الآراميّة في قصر الخضر ٥١١—٥١٦
كرامه (بطرس) في خدمة الامير بشير ٨١٢
كرسيّ مار بطرس في انطاكية ٢٤٠
الكرمليّون في بغداد ١٦٢—١٧٩ في ماردين ٢٠٢ في حلب ٦٤٦—٦٥٤ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
كرمه (السيّد ملاطيوس) ٦٤٨ ; ٦٥١ ; ٩٣٠
الكرة الارضية ومساحتها ٩٥٧
الكلدان في حلب ٦٥١ في ولاية الموصل ٨٥٢ ٨٥٥ ; ٨٥٧ — ٧٥٨ ; ٦٤٣ ٩٤٦ رهبانهم ٨٥٢—٨٥٥
الكلمة (مجلة) ردّ عليها وبيان اكاذيبها ١٦٠ ; ٢١١—٢٢٦ ; ٢١٩ ; ٢٩٨ ; ٥٥٨ ; ٦٣٩ ; ٧٩٦ ; ٨٧٧ ثناء على بعض اقوالها ٧٩ ; ٢٠٨
كندا واحكامها ١٤٣
الكنيسة الكاثوليكيّة اعتداءات اليها ٢١٨ شهادة ياباني فيها ٥٥٩ الآثار الواردة عنها في الدياميس ٥٧٠ نظامها ٧١٧
كيرلّس الثامن (غبطة البطريرك) ويوبيلهُ الاسقفي ١١
الكيمياء وترقّيها ٢٣٠
* ل * لا حول ولا . . . (قصيدة) ٤٦
لابورد (الاب يوسف اليسوعي) في مسديات ٢١٠ في دير ريّان مرتز ٨٥٥
لبنان وحوادثهُ من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ (١٧٨٢—١٨٤١) ٤٩٤ ; ٥٧٧ ; ٦٨٨ ; ٧٤٥ ; ٨١٢ = مزار سيّدة لبنان ٤٧٨
لقا البشير صاحب كتاب الابركسيس ٢٢ ٢٨
* م * ما بين النهرين وربّها ١٥٨
الماء المقدّس والجرائم المدنية ٨٠٠
مار يعقوب (قرية ودير) ٨٥٠
ماردين ومقامها وتاريخها ومآثرها ٢١١ ; ٢٩٨
مارون (مار يوحنّا) وكتاب الكهنوت المسوري ١٥٧ ; ٥٥٩
ماري جوزف (المرسل الكرمليّ في بغداد) ترجمتهُ ١٦٥—١٧٢
الماسونيّة في الشام ١٣ الماسونيّة الارمنيّة ١٤ الماسونيّة في الصين ١٩ محفل صنّين ٧٩ الماسونيّة في فرنسة ١٣٥ في المكسيك ١٤٤ العلامة الماسونيّة ٢٢٦—٢٥٠ في عربن الماسونيّة ٥٥٧ نهضة الفرنسويين في معاكسة الماسونيّة ٩٠٥—٩٠٦
المتاحف الفوتغرافيّة ٧١٧
محمّد خان رشاد (جلالة السلطان) ٨—٩
محمّد علي صاحب مصر ٢٦٩—٢٧٢
المدارس وجدول طلبتها في تركيا ٢٢٩
مديات ووصفها ٨٠٩
المدينة (يثرب) والنصرانيّة فيها قبل الاسلام ٤٥١—٤٥٥
مرّاش (المرحوم فرنسيس) وملحق بديوانهِ ٦٤—١٠١
المراكب الهوائيّة: تاريخها وتركيبها وضروبها ٤٨١—٤٩٤
مرسلان كرمليّان في بغداد ١٦١—١٧٩
المرسلون الفرنسويّون في حلب في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
مريم العذراء في دياميس رومية ٥٧٠ تاريخ ميلادها ٩٦٠

المستشرقون وجدول مؤتمراتهم الدولية ٢٢٠
مؤتمرهم في اثينا ٤٠
مساحة الكرة الارضية ١٥٧
المسيح (السيد) واوهام التنبر فيه ٥٢٩ لاهوت
السيد المسيح في دياميس رومية ٥٦٤–٥٦٨
عمود نسب السيد المسيح ٧١٩–٧٢٠ تاريخ
ميلاده وميلاد العذراء والدته ١٦٠
مشاكل كتابية ٦٤٠ ; ٧١٩–٧٢٠ ; ٩٦٠
مصر في العام ١٩١١ ١٦
مصرع جبار البحار ٤٢٥–٤٢٢
مصطفى باشا والي الشام ٢٦٣
المصلوب وصورته على الهيكل ٥٦٠ ; ٦٤٠
المطهر وثبوت معتقده عند الروم ٦٦٤
معالجة طين الاذنين ٦٥٥
معقد (السيد جرمانوس) ترجمته ٤٥٦–٤٦٥
مقالتان قديمتان في قوس قزح ٧٣٦ .
المقتبس (مجلة) انتقاد اقوالها في حلب الشهباء ٢٥٠
المقتطف وقوله في الحكم على غليليو ٢١٨
حكمة في دروينية الدكتور شبلي شميل ٧٦٨
مكاتب نقالة ٧٩٩
مكاريوس (البطريرك ابن وعيم الحلبي) واعترافه بالكثلكة ٦٥١–٦٥٢ ; ٩٢٠
المكتب الطبي الفرنسوي في بيروت ١٢ تحية الشرق به (قصيدة) ٢٩٧
مكتبة الاسكندرية وحريقها على يد العرب ١١٢ المكتبة الالبانية ٩٥١
المكسيك وفتنة ١٤٤
مكة واثارها النصرانية قبل الاسلام ٥٤٣–٥٤٨
الملائكة بازاء العلم والدين ٧٣١–٧٣٦
اسماؤهم ٧٣٥ تكوينهم ٧٣٦ عددهم ٧٣٦
طبيعتهم ٧٣٧ حالتهم من النعمة ٧٣٨ مراتبهم ٧٣٠ اعمالهم ٧٣١ الملائكة الحراس ٧٣٢
هيئتهم وصورهم ٧٣٣ اكرامهم ٧٣٤ اتفاق كنائس الشرق والغرب في اجلالهم ٨٢٤
من اعلى منارة بيروت (قصيدة) ١١
من بيروت الى الهند (سياحة حديثة) ٨١ ; ٢٠١ الخ
من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٥٨–٢٦٣
المنارة (مجلة) وشططها ٧١٨
المناعة وعكسها ١٣٣
المناولة في الطقسين وبراءة الحبر الاعظم المؤذنة في ذلك ٨٨٣ مقالة في المناولة المرة في الطقسين ٨٨٨ المناولة على الخبز الفطير او الحبر ٨٩٣ المناولة على شكل واحد او شكلين ٨٩٧
منشورية والطاعون ٢٠
المنظمات في الطب ٦١١
مؤتمرات المستشرقين ٢٢٠ مؤتمرهم في اثينا ٤٠١
الموتى والصلات لاجلهم في دياميس رومية ٥٧٣
الموازنة في حلب ٦٥٤ ; ٨٦٥
موران (الكردينال) وفاته في استرالية ١٤٥
الموصل ولايتها ٧٨٦ تاريخها وآثارها ٩٣٩–٩٤٧
موناكو والدستور ١٤٣
ميسر لنادرس الى قرة في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥
ميسر منقود للقديس انطاسيوس السيناوي في يوم الجمعة الطيبة ٢٦٤
* ن * النبهاني (الشيخ يوسف) وشططه ٤٧٤–٤٧٦
نجد: النصرانية بين قبائلها ٦٢٧
النحل: نظر عملي اقتصادي في اصناف النحل واخلاقها ومنافعها ٢٥ ; ١٩٠
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٦٧ ; ١٤٥
هيئتهم وصورهم ٧٣٣ اكرامهم ٧٣٤ اتفاق كنائس الشرق والغرب في اجلالهم ٨٢٤
من اعلى منارة بيروت (قصيدة) ١١
من بيروت الى الهند (سياحة حديثة) ٨١ ; ٢٠١ الخ
من المهد الى اللحد (قصيدة) ٢٥٨–٢٦٣
المنارة (مجلة) وشططها ٧١٨
المناعة وعكسها ١٣٣
المناولة في الطقسين وبراءة الحبر الاعظم المؤذنة في ذلك ٨٨٣ مقالة في المناولة المرة في الطقسين ٨٨٨ المناولة على الخبز الفطير او الحبر ٨٩٣ المناولة على شكل واحد او شكلين ٨٩٧
منشورية والطاعون ٢٠
المنظمات في الطب ٦١١
مؤتمرات المستشرقين ٢٢٠ مؤتمرهم في اثينا ٤٠١
الموتى والصلات لاجلهم في دياميس رومية ٥٧٣
الموازنة في حلب ٦٥٤ ; ٨٦٥
موران (الكردينال) وفاته في استرالية ١٤٥
الموصل ولايتها ٧٨٦ تاريخها وآثارها ٩٣٩–٩٤٧
موناكو والدستور ١٤٣
ميسر لنادرس الى قرة في وجود الخالق والدين القويم ٧٥٧ ; ٨٢٥
ميسر منقود للقديس انطاسيوس السيناوي في يوم الجمعة الطيبة ٢٦٤
* ن * النبهاني (الشيخ يوسف) وشططه ٤٧٤–٤٧٦
نجد: النصرانية بين قبائلها ٦٢٧
النحل: نظر عملي اقتصادي في اصناف النحل واخلاقها ومنافعها ٢٥ ; ١٩٠
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٦٧ ; ١٤٥

(وبقيّة الاعداد) النصرانيّة ومفاخرها بازاء المعتقدات الوثنيّة ٥٣٠-٥٤٢ عقائدها المرسومة في آثار الدياميس الرومانية ٥٦١-٥٧٢ القبائل النصرانيّة بين العرب ٧٠٠ ; ٧٧٤ ; ٨٤٢ مزاعم مجلة المنار في النصرانيّة ٧١٨
نصيحة الزهور (موشّح) ٦٦٩
النفوس البارّة في الجنة قبل الدينونة ٦٦٦
نقد مزاعم مجلة المنار في النصرانية ٧١٨
النهضة الكاثوليكيّة في حلب والرسالات الفرنسويّة في القرن السابع عشر ٦٤١ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠
النسمة في العام المدبر ١٢٣
نو (الاب ميخائيل اليسوعي) مؤلف الدلالة اللامعة ٥٧٣-٥٧٧
النوبة صفحة من تاريخ الحبش والنوبة ١١٥ ملوك النوبة النصارى ١٢٣ كتابات قبطيّة قديمة في النوبة ٥٥٨
* * الهند البريطانيّة وتتويج الملك جورج ١٧ الكاثوليك فيها ١٧ ; ٤٧٧
هولندة في جزيرة بلماس ١٤١
الهيئة: ترقي هذا العلم سنة ١٩٠١ ٢٢٦
* و * وادي القرى ونصرانيّة اهلها ٣١٠
وداع الأم لابنها المهاجر (قصيدة) ٤٤٦
وزن فعّول في العربية شيوعه ومعانيه وتركيبه واصله ٩٤٧
ويران شهر ٢٠٨
* ي * اليابان في العام الماضي ٢٠ شهادة ايابي للكثلكة ٥٥٩ اليسوعيّون في عاصمة اليابان ٨١٦
اليزيديّة في ما بين النهرين ٢٠٩ مزارعهم في الشيخ عادي ٨٥٦
يسوع وشعار اسمه الكريم ٢٢٠
اليسوعيّون في ماردين ٢٠٣ حديث خرافة عنهم ٦٢٨ في حلب ٦٤٣ - ٦٥٤ ; ٨٥٩ ; ٩٣٠ في بلاد تيبت ٧١٧ اليسوعيّون والعلم ٧١٥ اليسوعيون في اليابان ٨١٦
اليهود والدستور في المملكة العثمانيّة ٧٩ اليهود في روسيّة ١٤٢
يوان شي كاي رئيس الجمهوريّة الصينيّة ١٩
يوبيل كليّة اثينا ومؤتمر المستشرقين ٤٠١-٤١٢
يوسف باشا والي الشام ١١١ ; ١٧٩
يوسف (الامير الشهابي) ٤٩٤-٥٠٠
اليونان وسياستها ١٤٢

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد السنة

الصفحة ٤٩ السطر ١٢ غلط « السنة ١١٧٩ » والصواب « ١١٩٧ » وهذا الغلط ورد غير مرّة فليُصلح = ١:٨٠ = « عظيماً » ص « عظيماً ١:١٠٢ » تاريخ » ص « تاريخ » = ١٠٤ : ٢٠ « قنس » ص « قنس » = ١:١٠٨ « يوسف الجزّار » ص « يوسف الجرار » = ١٧٩ : ١٩ « المشدّ » ص « المسد » = ١٨٠ : ٢-٤ « الرحلاويّ شهيد ايانيه » هو جدّ بيت الشهيد في زحلة وخال المطران غريغوريوس عطا = ١٨٢ : ٢٤ « زينيل آغا » وقيل « زنبيل آغا » = ٣٠٦ : ٥ « L, 338 » ص « I, 338 » = ٣٥٩ : ١ « إلّا انّ » ص « ألّا انّ » = ٣٦١ : ١٨ « للأنباء » ص للأبناء » = ٣٩٧ : ١٤ « موصولٌ » ص « موصولٌ » - ١٨ « فتيئوا »

ص « تقيّنوا = ٥٠٠ : ١٥ » بين عرب شمالي سوريّة » ص « بين عرب الحجاز ونجد » = ٥٠٢ : ٢٢ « Philosaphoumena » ص « Philosophoumena » = ٥٠٠ : ٢٢ « ara- imaischem » ص « aramaischen » = ٥٠٦ : ٩ « كو بولاها اذر پروا » ص « گو بولاها واذر پروا » — ١٠ « فان كوبولاها كان ابن الملك بولار » ص « فانّ كوبولاها كان ابن الملك شابور واذپروا كان ابن الملك بولار » = ٥٠٧ : ٦ « اذرپر » ص « اذر پروا » = ٥٠٨ : ٢١ « عشرة سنين » ص « عشر سنين » = ٧٧٧ : ٢—٣ « كثيرين من النصارى » ص « كثيرين من الطائفين » — ٢٥—٢٦ « vom Rotem bis zum Persischem Meerbusen » ص « Roten . . . Persischen » = ٧٨٦ : ١١ « ولايتا » ص « ولايتا » = ٩٦٠ : ٥ « للارواع » ص « للارواح »

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Quinzième Année

1912

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1912

TABLES DES SOMMAIRES

XVe ANNÉE 1912

JANVIER

La paix de Dieu ! (p. 1).
Bilan de l'année 1911 : I. *Orient* (p. 4) : *P. L. Cheikho s. j.*
Les Actes des Apôtres (p. 21) : *L'abbé I. Harfouche.*
Les Abeilles (p. 35) : *P. M. Torrend s. j.*
Où en sommes-nous ? (poésie) (p. 46) : *L'abbé R. Bostani.*
La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (p. 49) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*
Insectes xylophages en Syrie (p. 60) : *P. J. Clainpanain s. j.*
Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 68) : *P. L. Cheikho s. j.*
Bibliographie orientale (p. 72). — Varia (p. 78). — Questions et Réponses (p. 80).

FÉVRIER

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (p. 81) : *P. L. Cheikho s. j.*
Du haut du Phare de Beyrouth ! (poésie) (p. 91) : *Mr S. Bostani.*
Poésies inédites de Fr. Marroche, *d'après un Ms* (p. 94) : *P. L. Cheikho s. j.*
La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 102) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*
Une page de l'histoire d'Abyssinie et de Nubie (Xe siècle)

(p. 115) : *Mr A. M. Baad.* — Appendice (p. 119) : *P. L. Cheikho s. j.*

L'Anaphylaxie (p. 123) : *Dr H. Daraouni.*

Bilan de l'année 1911 : (fin) (p. 129), II. *Europe et Amérique* : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 145) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 152). — Varia (p. 158). — Questions et Réponses (p. 160).

MARS

Figures de Missionnaires : les P. P. Marie-Joseph et Damien Carmes de Baghdad (p. 161) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 179) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Les Abeilles (fin) (p. 190) : *P. M. Torrend s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Orfa (p. 201) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 212) : *Le même.*

Réponse à une Revue arabe (زهرة) d'Amérique (p. 219) : *id.*

Le Progrès des Sciences en 1911 (p. 226) : *id.*

Bibliographie orientale (p. 226). — Varia (p. 238). — Questions et Réponses (p. 240).

AVRIL

Les droits internationaux de la guerre (p. 241) : *d'après l'Emir Amin Arislan*

Le fils de Wa'il. *Drame historique en trois Actes* (p. 251) : *P. Ch. Abéla s. j.*

Discours inédit de St Anastase le Sinaïte pour le Vendredi Saint (p. 265) : *Commentaire du Psaume* II *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

L'histoire de la Soie en Syrie (p. 280) *Mr Gast. Ducousso*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 287) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : (Mardin) (p. 298) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) (p. 307) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 312). — Varia (p. 317). — Questions et Réponses (p. 320).

MAI

Un témoin de la Résurrection dans les Catacombes (p. 321) : *d'après E. Gebhart.*

La Franc-Maçonnerie : ce qu'elle est, ce qu'elle veut, ce qu'elle fait (p. 326) : *P. L. Cheikho s. j.*

Critique historique de la Revue al-Moktabas (p. 350) : *L'abbé G. Manache.*

Les étapes de la vie humaine (p. 357) (poésie) : *Mr. S. Abou Rizq* et *Mr J. G. Khoury.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 363) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

L'histoire de la Soie en Syrie (p. 374) (fin) : *Mr Gast. Ducousso.*

Le fils de Wa'il. *Drame historique en trois Actes* (suite) (p. 380) : *P. Ch. Abéla s. j.*

Bibliographie orientale (p. 392). — Varia (p. 396). — Questions et réponses (p. 399).

JUIN

Les fêtes jubilaires et le Congrès des Orientalistes à Athènes (p. 401) : *P. L. Bonzevalle s. j.*

Le fils de Wa'il. *Drame historique en trois Actes* (fin) (p. 414) : *P. Ch. Abéla s. j.*

Le naufrage du Titanic (p. 425) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les prétendus emprunts du Christianisme aux cultes païens (p. 432) : *Le même.*

Les adieux d'une mère à son fils émigrant (poésie) (p. 446) : *Mr J. Ghassoub.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : le Christianisme au Hijaz (p. 450) : *P. L. Cheikho s. j.*

L'évêque Melchite Mgr. Germain Mo'accad (1853-1912) (p. 456) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 466). — Varia (p. 475). — Questions et Réponses (p. 479).

JUILLET

La Conquête de l'air (p. 481) : *P. Cl. Mejasson s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 495): *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Etude critique sur quelques récits hagiographiques (p. 503) : *Mgr. Addi Scher.*

Les Inscriptions araméennes de Hatra (p. 509) : *P. S. Ronzevalle s. j.*

Additions à la morphologie des Verbes en arabe (p. 523) : *Don Jean Marta.*

L'Insomnie : causes et remèdes (p. 526) : *Dr K. S. Khoury.*

Les prétendus emprunts du Christianisme aux cultes païens (p. 529) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : le Christianisme au Hijaz (p. 543) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 549). — Varia (p. 557). — Questions et Réponses (p. 560).

AOUT

Le Credo des Catacombes (p. 561) : *L'abbé P. Salman.*

Le P. Michel Nau s. j. auteur d'un ouvrage anonyme (p. 573) : *L'abbé G. Manache.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 577) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Le Miel (p. 590) : *P. Al. Torrend s. j.*

Etude critique sur la 2me partie de la Littérature arabe de Mr Zaidan (p. 597) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Vésicatoires en thérapeutique (p. 611) : *Dr K. S. Khoury.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite): Voyage à Diarbékir (p. 615) : *P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : le Christianisme au Nejd (p. 627) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 630). — Varia (p. 637). — Questions et Réponses (p. 640).

SEPTEMBRE

La Renaissance Catholique à Alep et les Missions françaises au XVIIe siècle (p. 641) : *P. Fr. Tournebize s. j.*

Les bourdonnements d'oreilles (p. 655) : *Dr. K. S. Khoury.*

Une profession de Foi Catholique par les Grecs Melchites (p. 657), *éditée par le P. L. Cheikho s. j.*

Le conseil des Fleurs (poésie) (p. 669) : *P. J. Samaha o. b.*

L'œuvre de la Propagation de la Foi et la Vénérable Pauline-Marie Jaricot (p. 673) : *P. L. Cheikho. s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841 d'après un témoin oculaire (suite) (p. 688) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : les tribus arabes Chrétiennes (p. 700) : *P. L. Cheikho s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Tour 'Abdin (p. 706) : *Le même.*

Bibliographie orientale (p. 711). — Varia (p. 715). — Questions et Réponses (p. 720).

OCTOBRE

Les Anges en face de la Science et de la Révélation (p. 721) : *P. L. Cheikho s. j.*

Deux traités anciens sur l'Arc-en-ciel (p. 736), *édités* par *Le même.*

La Syrie de 1782 à 1841, d'après un témoin oculaire (suite) (p. 745) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Un traité inédit d'Abucara (IXe siècle) sur l'Existence de Dieu et la vraie Religion (p. 757), *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : les tribus arabes chrétiennes (p. 474) : *Le même.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Tour 'Abdin-Azakh-Gésireh (p. 780) : *id.*

Bibliographie orientale (p. 787). — Varia (p. 797). — Questions et Réponses (p. 800).

NOVEMBRE

L'Albanie : coup d'œil général (p. 801) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Syrie de 1782 à 1841, d'après un témoin oculaire (fin) (p. 812) : *Ms du British Museum édité par le P. L. Malouf s. j.*

Un traité inédit d'Abucara (IXe siècle) sur l'Existence de Dieu et la vraie Religion (fin) (p. 825), *édité par le P. L. Cheikho s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : les tribus arabes chrétiennes (fin) (p. 843) : *id.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite): Mar Ya'coub-Alkoche-Rabban Hormuz (p. 849) : *id.*

La Renaissance Catholique à Alep et les Missions françaises au XVIIe siècle (suite) (p. 859) : *P. Fr. Tournebize s. j.*

Bibliographie orientale (p. 870) . — Varia (p. 877). — Questions et Réponses (p. 879).

DÉCEMBRE

Constitution Apostolique de S. S. Pie X sur la Communion libre entre les différents rites (p. 881).

Etude théologique et historique sur le même sujet (p. 888) : *P. L. Cheikho s. j.*

Une année dans la Ville-Lumière. Impressions de touriste (p. 901) : *Mr E. Arab.*

Cyclisme et Bicyclette (p. 907) : *Mr F. Nohra.*

Encore l'incendie de la Bibl. d'Alexandrie (p. 912) : *Cheikh Fida Hosein.* — Appendice (916) : *P. L. Cheikho s. j.*

La fleur éphémère de la Vie (p. 918) : *P. Jos. Samaha.*

La Renaissance Catholique à Alep et les Missions françaises au XVIIe siècle (fin) (p. 920) : *P. Fr. Tournebize s. j.*

Christianisme et Littérature avant l'Islam (suite) : (Notes supplémentaires) (p. 931) : *P. L. Cheikho s. j.*

De Beyrouth aux Indes (à la recherche des Manuscrits) (suite) : Mossoul (p. 939) : *Le même.*

La forme جَمَّ en arabe (p. 946) : *P. L. Ronzevalle s. j.*

Bibliographie orientale (p. 950). — Varia (p. 956). — Questions et Réponses (p. 960). — Tables.

المشرق

احوال الكنيسة في العام المنصرم

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

هذا ملحق بما نُشر في العدد السابق عن احوال الدول والسياسة المدنيَّة في السنة المنصرمة . ولا يُخفى ما في هذا البحث من عظم الشأن لمقام الكنيسة الرفيع في العالم بل هي قُطب العالم وقبلتهُ لولاها لتزعزع على اركانهِ وتضعضع في وجدانهِ

١ رومية وحبرها الروماني

قد استلفتت رومية في كلّ آن انظار العالم الدينيّ اليها ولعلّها بعد هذه الحرب الكونيَّة زادت رفعةً بازاء عموم البشر وموقعاً في قلوب الاقارب والاجانب . ولا غرو فانَّهُ قد رُمز عنها بذلك الجبل الشامخ الذي تجري اليهِ الامم والشعوب قائلين : « هلمُّوا نصعد الى جبل الربّ وبيت اله يعقوب وهو يعلّمنا طرقهُ فنسلك في سُبُلهِ » (ميخا ٤ : ١—٣) . والحقّ يقال انَّهُ لما كانت الدول المختلفة في عراك وقتال تَسيل دماؤها انهاراً اقام سجين الفاتيكان وحدهُ ساعياً في الصلح ومفرغاً كنانة الجهد في تخفيف ويلات الحرب وذلك ببراءاتهِ التي وجَّهها الى الدول في اثناء الحرب وبعدها حتَّى انهُ استحقَّ مرَّتين جائزة نوبل الممنوحة لاكبر روَّاد السلام وشهد لهُ بتفانيهِ في تحقيق نوايا جلالة ملك انكلترَّة الحالي بقولهِ للكردينال غَسكواي : ليس احدٌ خرج فائزاً من هذه الحرب كما خرج الحبر الاعظم

ولو اردنا ان نعدّد كلّ مآثر الاب الاقدس بندكتوس الخامس عشر في سبيل المواخاة بين الامم ومساعدة المبؤسين لضاق بنا المجال. وكفى بنا ان نذكر براءتهُ الصادرة في ٢٣ ايار الاخير الموجّهة الى كافة الدول يحثّها على السعي بأسباب الصلح واستئصال جذور العدوان لتعود اوربّة الى سكينتها وعمرانها

ومن اجلّ مساعي قداستهِ حنانهُ على الصغار الايتام والمتضورين جوعاً في عدّة بلاد كالنمسة وروسيّة والمجر وانحاء البلقان فاستنهض همّة المحسنين في العالم ونشر في ذلك الرسالات والمناشير فاجاب اهل المروءة وارباب الخير الى دعوتهِ فكان ما ورد اليهِ من المبالغ نحو ١٥ مليوناً من الفرنكات اضاف اليها قداستهُ مئة الف فرنك من مالهِ. فالله وحدهُ يعلم كم ضمّد من الجراحات وكم نشّف من الدموع

وكما سعى قداستهُ باسعاف الاحداث كذلك اهتمّ بامر المهاجرين لينالوا في المهجر ما يؤمّنهُ من الراحة والمعاش مع العناية بشؤونهم الدينيّة والادبيّة وكتب في ذلك الى المتولّين مشاريع المهاجرة والى ارباب الكنيسة في مواطن المهجر

ولم يقصر إمام الاحبار نظرهُ على الكاثوليك بل ربّما سعى في مساعدة غيرهم. لنا في ذلك شاهد قريب في جالية اليهود الذين التجأوا من سوريّة وفلسطين في اوائل الحرب الى كورسكا فسكنوا بَسْطية فحرّر قداستهُ الى راعي المدينة ليقوم بخدمتهم ففعل بكل غيرة ولمّا عاد اولئك المبؤوسون الى وطنهم قام رئيسهم الربّي سليمان بن شمعون فاثنى اطيب الثناء على اريحيّة الحبر الاعظم وممثّليهِ في الجزيرة. معلناً بشكر جميع ابناء ملّتهِ لانعطاف الكرسي الرسولي وحبّهِ الجميل الخالي عن كل غرض نحو كل المكروبين

فلا مراء انّ كل هذه الاعمال الشريفة المنزّهة عن الغرض تسبي الى ابي المؤمنين قلوب رؤساء الشعوب. فانّ معظم الدُّول بعد الحربِ العموميّة وجّهت الى رومية من يمثّلها لدى الفاتيكان امّا بصفة سفير او معتمد واما بصفة نائب ومفوّض. والامل معقود عن قرب تجديد العلاقات بين فرنسة والكرسي الرسولي بعد ان قُطعت بطياشة المندوبين الفرمسون فلحق فرنسة بسبب انفصالها اضرارٌ جمّة اقرّ بها اعداء الكنيسة نفسهم. ومن اللوائح السارّة المنبئة برتق الفتق قريباً ما تبادلهُ الحبر الاعظم ورئيسا الجمهوريّة الاخيران من عبارات الانس والوداد

وقد استبشر عموم الفرنسويين بوشك فوز آمالهم اذ رأوا ما خوّل الحبر الاعظم وطنهم من الشرف بتثبيت القديستين جان دارك ومرغريت ماري ألاكوك والطوباويّة لوغرا منشئة اخوات المحبّة فأُقيمت في عاصمة الكثلكة حفلات شائقة كان لها صدى انعكاس في قلوب كل ابناء فرنسة فطربوا لها اي طرب وكاد العالم باجمعه يشاركهم في افراحها

ولن ينسى الشرقيّون ما نسوا افضالَ بندكتوس الخامس عشر وانعطافهُ اليهم بما انشأهُ في امّ المدائن من المشروعات لتهذيب اكليرسهم وما ارسلهُ من الإحسانات الى المنكوبين منهم وخصوصاً الارمن . ومن نعمهِ السابغة تقليدهُ للقديس افرام السرياني رتبة مافان للكنيسة جمعاء فاكتسب بذلك شكر اهل الشرق ولاسيّما الطوائف الكاثوليكيّة السريانيّة والمارونيّة والكلدانيّة التي تفتخر بهذا النابغة الجليل وتعتبرهُ كأكبر رُسلها

٢ اوربة الكاثوليكية

﴿فرنسة﴾ هي الدولة التي عُرفت في كلّ اطوار تاريخها كابنة الكنيسة البكر فمهما سعى العدوّ بزرع زوانهِ في ارضها لا تزال تربتها الجيّدة تغلّ الغلال الصالحة . وقد أخصبت هذه الحرب الاخيرة تلك التربة اذ سقتها بدماء ابطالها الزكيّة . وقد دلّ على تلك النهضة المبهجة ما شوهد في انحاء فرنسة من التقى وتعزيز روح الدين

ثمّ ان الحكومة عرفت لارباب الكنيسة فضلهم وأعلنت بشهامتهم وقد انصفت حتّى الرهبان الذين اقفلت اديرتهم وشتّت شملهم فمنحتهم ما استحقوهُ من الامتيازات . وكان بودّنا ان نذكر كل الكهنة والاكليريكيين الذين خصّتهم باوسمتها وليس لدينا قائمتها وانما نعلم انها واسعةٌ جدًّا . واتّفقنا على لائحة اليسوعيين الذين خدموا دولتهم في معامع هذه الحرب سواء كانوا كضبّاط او جنود ام بصفة خدَمة الدين او ممرّضين بلغ عددهم ٨٤١ راهباً ومعظمهم في شرخ شبابهم فمات منهم في ساحة الشرف او خدمة الوطن ١٦٣ . امّا الحائزون على الامتيازات الشرفيّة فهم اوّلاً ٧٠ راهباً نالوا صليب جوقة الشرف (Croix de la Légion d'honneur) . ثانياً ١٨ غيرهم مُنحوا النوط العسكري (Médaille militaire) . ثالثاً ٣٥٠ آخرون

اصابوا وسام صليب الحرب (la Croix de guerre.) بعد ان أثنى قوّادهم على فروسيّتهم امام الجنود (Citations) ٥٩٠ مرّة . رابطاً ٢٢ ايضاً تشرّفوا باوسمة مختلفة اربعة منهم لخدمتهم المطعونين . وثلثة لمساعدتهم الجنود المراكشيّة والتونسيّة و ١٥ منحهم الحلفاء اوسمتهم

فقس على ذلك بقيّة الاكليروس الفرنساويّ القانوني والعالمي وفي مقدّمتهم الكرادلة الفرنسويون والاساقفة الذين لم يألوا جهدهم في مساعدة دولتهم بضروب الوسائل فأثنى الجميع على مروّتهم وتفانيهم في سبيل الوطن وقد مرّ لنا ذكر ما اطرأهم بهِ من المديح رئيس الولايات المتحدة السابق المسيو روزفلت

ومن الادلّة على انتعاش روح الدين في فرنسة الحفلات التي أُقيمت اكراماً للقديسة جان درك في كل انحاء الدولة اهتزت لها البلاد طرباً فأنعشت في الصدور عواطف التقى وشواعر الايمان . وكذلك الطواف بالقربان الاقدس في يوم عيد الجسد استُئنف في امكنة عديدة . امّا باريس فانّ ٧٥ مندوباً من مجلس الأمّة حضروا في ١١ حزيران القداس الحبري في كنيسة مونمرتر ببزّتهم الرسميّة وفي ١٣ منهُ اجتمع ١٥ جنرالاً وثلثة من امراء البحر مع عدد لا يُحصى من اعيان العاصمة ليمشوا في طواف القربان الاقدس في مدرسة شارع البريد القديمة (Ecole de la rue des Postes)

وقد شمل الاسف فرنسة على وفاة الكردينال اميت رئيس اساقفة باريس في ٢٩ آب . على انّ ما اظهرت لهُ الجماهير المجمهرة من الاكرام بعد وفاته يُعدّ كانتصار للدين وقد مشى في حفلة جنازتهِ وزراء الدولة وقوّاد العسكر واشراف العاصمة . وقد تلطّفت نوعاً هذه الرزيّة بتعيين خلفهِ نيافة الكردينال دوبوا الذي اجمع الكلّ على عظم فضلهِ وحظينا في بيروت بمشاهدتهِ في شتاء السنة المنصرمة

وقد عقد الكاثوليك في فرنسة عدّة مؤتمرات كانت كلّها دلائل ناطقة على نشاط الفرنسويين في خدمة ايمانهم . نخصّ منها بالذكر مؤتمر رسالة الصلاة في اواسط نيسان حضرهُ نيّف ومئة مدير لذلك المشروع العظيم الذي يتناول ٧٥٫٠٠٠ مركزاً ويقوم بخدمته ٥٢ نشرة من رسالات قلب يسوع تُطبع في اكثر اللغات الشائعة من جملتها الرسالة العربيّة التي أُنشئت في العام الماضي في كليّتنا فراجت ايّ رواج

﴿ ايطالية ﴾ صار للكاثوليك الايطاليين في دار الندوة حزبٌ معدود يبلغ ١٠٠ نائب يعضدون الحكومة في معاكستها لحزب الاشتراكيين

يستعدُّ الايطاليون للاحتفال بتذكار المئة السادسة لوفاة امير شعرائهم دَنتي المتوفَّى سنة ١٣٢١.

ومما يجدر ذكرهُ خطابٌ لوزير المعارف السنيور بندتو كروتشي القاهُ في مونتيتشيتوريو في ضرورة التعليم الديني في المدارس. والوزير المذكور كما هو معلوم احد المتشيعين للفيلسوف المعطِّل هيجل فقال: «قد كذب القائلون بالتعليم اللاديني فانَّ تعليماً كهذا هو تعليمٌ كفري ضرورةً فتجريدهُ عن الدين دون معاداة الدين امرٌ مستحيل لم يوجد قطُّ ولن يوجد البتَّة. امَّا الدين الواجب تعليمهُ فهو الدين المسيحي لأنَّ حياتنا الادبيَّة كلها صادرة عنهُ»

ويحسن بنا ايضاً ذكر ارتداد الجنرال الايطالي الفونس ماري فوسكو الى الايمان. فهذا الجنرال الذي حارب مع قومهِ في الحرب السابقة وابلى فيها البلاء الحسن قد بلغ الثالثة والستين من عمرهِ وبعد ارتدادهِ طلب الدخول في مصافّ الاكليروس فاقتبل برخصة الحبر الاعظم الدرجات الصغرى في معبد لورد ثمَّ كُهِّن في معبد لاساليت

﴿ اسبانية ﴾ لا تزال هذه الدولة عريقة بالدين الكاثوليكيّ وكثيراً ما تسعى الشيع البروتستانيَّة بدسائسها وبذل مالها بان تجتذب الاسبانيين الى اضاليلها فلم تُصب من فعلها جدوى

وفي هذه السنة قد جرت في مدريد حفلةٌ مؤثرة حضرها ممثل الكرسي الرسولي والاساقفة والملك الفونس وحاشيتهُ واعيان البلاد مع جماهير لا تُحصى من الشعب التأموا في معبد فخم أُقيم لهذه الغاية في ساحة المدينة لتكريس مملكة اسبانية لقلب يسوع الاقدس. وقد تلا صورة التكريس الملك نفسهُ باسمهِ واسم كل الشعب الاسباني وجرت هناك مظاهرات تقويَّة في نهاية الأُبهة والعظمة

وقد مرَّ لنا ذكر المصلوب العجيب الذي منذ نحو سنتين اصبح موضوع إعجاب الوف من الزوَّار في بلدة لمياس بظهورهِ امامهم في صورٍ مختلفة دالَّة على التوجع والالم والحنان والانعطاف كما أنهُ بسببهِ قد ارتدَّ كثيرون من الكفرة والملحدين الى الايمان

﴿بلجكا﴾ خرجت بلجكا الكاثوليكيَّة من الحرب مكلَّلةً بتاج من المجد المؤثَّل فلم تبخل بآيات شكرها نحو الربّ الاله الذي صانها من مخالب اعدائها ورفعها في اعين الدول جمعاء . وكفى بها شرفاً موقف كبير اساقفتها الكردينال مرسيه الذي اظهر من الشهامة والتفاني في سبيل مواطنيه ما اثبت للعالم انَّ الدين وحبّ الوطن اخوان شقيقان لا تفصل بينهما قوَّة بشريَّة

عادت المشاريع الكاثوليكيَّة في بلجكا الى ازدهارها بعد ان أُصيبت ببعض الانحجاب في مدَّة العراك الدوليّ . امَّا الرسالات الخارجيَّة التي يتولَّى ادارتها المرسلون البلجكيُّون فانَّها ثبتت في نشاطها وترقيها وخصوصاً في منغولية ومنشورية والهند وافريقية . فانَّ عدد النصارى في الكنغو البلجكيّ بلغ في العام الماضي ١٦٠،٠٠٠ منهم ٤٠،٠٠٠ اصطبغوا بالمعموديَّة في بحر السنة . وهناك من طلبة العماد المستعدّين لقبوله ١٥٥،٠٠٠ بنيّف

امَّا الحكومة فكانت دفَّة امورها منذ نحو ٤٠ سنة في ايدي الكاثوليك الذين خدموا وطنهم خدماً لا تُحصى . فسعى الاشتراكيُّون والاباحيُّون الاحرار بنقض رُكنهم وكادوا ينالون شيئاً من مبتغاهم لولا انَّ الكاثوليك تداركوا امرهم وعزَّزوا قواهم لاسيَّما في مجلس الشيوخ حيث فازوا بالسبق على اخصامهم

﴿النمسة﴾ ليست دولة كاثوليكيَّة أُصيبت في الحرب العموميَّة كصاب النمسة بعد ان فصلت عنها معاهدة سان جرمان العناصرَ الاجنبيَّة التي تتألَّف منها كالصقالبة والتشاك والبوهيميين والايطاليين فاصبحت عاصمتها ڤينة البالغ عدد سكانها ٣،٠٠٠،٠٠٠ كرأس عظيم على جسم ضئيل . وحكومتها الجديدة جمهوريَّة اغلب مبعوثيها الكاثوليك المعروفون بالاجتماعيين وعددهم ٨٣ ومنهم الرئيس هَينيش امَّا الباقون فاشتراكيُّون ومناصرون للالمان وعددهم ٧٣

﴿بولونية﴾ بقيت في قبرها نحو سنة ١٥٠ ليس لها من عضد غير دينها القويم . فعادت بفضله الى عالم الوجود . على انَّ اعداء دينها ينصبون لها الاشراك ويجعلون في طريق جيوشها ضروب العثرات منهم البولشفيون واليوكوساوڤاك مع رئيسهم موساريك المُلحد والنكلترة والمانية البروتستانتيَّين وليس لها من صديق حميم غير فرنسة . فعساها ان تنجو من كل هذه العقبات . وقد فرض الكرسيّ الرسولي على

المؤمنين بصلوات خصوصية لخلاص بولونية . وأكرم اهلها بترقية رئيس اساقفة بوزن الى رتبة كردينال . وقد اخذ هناك ذوو الغيرة والحماس الديني ينظمون الشركات الخيرية ويعقدون المؤتمرات ويؤلفون الجمعيات الدينية والادبية ليعيدوا لوطنهم سابق مجده قبل ان يُقسَم ظلماً على يد فردريك ملك بروسيا وكاترينا الثانية

﴿المجر﴾ أصيبت كالنمسة بفقد قسم كبير من املاكها ونحو الثلثين من اهلها . ثمَّ احتلَّ اراضيها البولشفيون مدَّة اربعة اشهر فاذاقوا اهلها الامرَّين . واليوم عاد اليها رشدها بفضل رئيس ندوتها الكونت أبوني الذي مع كونهِ بلغ الثمانين من عمرهِ لم يزل يبذل النفس والنفيس لخلاص وطنهِ . وقد تصدَّى بكل عزم ونشاط لدسائس الماسونية واليهود فاوقف من ثبتت لهُ خيانتهم وجازاهم بذنبهم غير هيَّاب لتهديد مناصريهم . وقد عرض على اليهود هناك أن يعتزلوا عن النصارى ويؤلفوا لهم دولة يهوديَّة او يذهبوا الى فلسطين مع الصهيونيين فأبوا وهم يعتبرون المجر وابتزاز ثروتها افضل لهم من الاستقلال

﴿بوهيمية﴾ اختزلها ايضاً الحلفاء عن النمسة فاصبحت دولة مستقلَّة مركَّبة من عنصرين التشاك والسلوفاك . فالتشاك قد عُرفوا منذ زمن طويل بميلهم الى الاضاليل والتشيُّعات البروتستانيَّة بخلاف السلوفاك المستعصين بحبل الدين . فما فاز العنصران بالاستقلال حتَّى اختلفا رأياً وقام بعض كهنة التشاك يطلبون بالحاح امتيازات مضادَّة للآداب الكاثوليكيَّة بل بالغوا في القحة الى ان نادوا بالاستقلال الديني . فبعد ان افرغ رئيس اساقفة براغ السيد كرداك وسعهُ في ردّهم الى الطريق المستقيم بكل لطف وأناة لم يزيدوا الَّا تعنُّتاً فضرب الحبر الاعظم بالحرم زعيمَيهم الدكتور فورنسكي والكاهن زهراداك . فكان لهذا الفعل الحازم احسن وقع في قلوب كثيرين فتابوا الى الله واستغفروا عن ذنبهم . ولم يبقَ منهم الَّا شرذمة قليلة لا يُعبأ لها

امَّا الحكومة فانَّها متركَّبة من عدد عديد من اعداء الدين والفرمسون الذين يقصدون ثلَّ عرش الكنائسة وقد عرضوا على مجلس الأمَّة عدَّة شرائع مضادَّة الدين ولولا نفور الشعب ومجاهرتهُ بالأنفة من عملهم لكانوا جروا عليها . غير انَّ الكاثوليك قد شعروا بما يتهدَّدهم من الاخطار بتطرُّف هؤلاء الاشقياء فعقدوا

مؤتمراً كبيراً في ٣١ آب واعلنوا بتعلقهم باهداب الايمان الكاثوليكي وبمناهضة اعداء دينهم وفي نهاية المؤتمر جرى طواف حافل للقربان الاقدس مشى في اكرامه ٢٥،٠٠٠ مؤمن . واذ ارادت الحكومة ان تعاكس المؤتمر المذكور وتنشىء مؤتمراً آخر تعضده خاب املها ففشلت

﴿ ارلندة ﴾ قد بلغ السيل الزُبى ورأت ارلندة ان كل مواعيد انكلترة لها بالاستقلال عرقوبية لا يستطاع الركون اليها فتألفت الجمعيات الثورية التي دخلت مع الدولة في نوع من الحرب الاهلية وتجاوز كلا الفريقين الحدود في طلب حقوقه ومناصبة معاكسيه . وقد توسط الاساقفة الارلنديون وعرضوا على الحكومة الوسائل المتصفة لاخماد الفتن التي ذهب من جملة ضحاياها اللورد مالكسويني حاكم كورك وعدة ارلنديين زُجوا في السجون ظلماً فاحتجوا بلزومهم الصيام حتى الموت رجاء منهم ان ينالوا انصاف قومهم فماتوا مأسوفاً عليهم

ومما استاء منه العموم في ارلندة وغيرها من البلاد رفض الحكومة الانكليزية الرخصة لرئيس اساقفة ملبورن في اوستراليا السيد مانيكس بان يزور وطنهُ ارلندة . فكان لهذا العمل اسوأ تأثير فاحتجَّ عليه سائر اساقفة ارلندة واوستراليا فعدُّوها اهانةً بحقّ رئيس ديني سامي الشرف وخالٍ من كل غرض سياسي

وقد تعزّى الارلنديون في وسط بلاياهم بتطويب احد شهدائهم اوليفيه بلونكات مطران ارماغ وجاثليق ارلندة الذي سفك البروتستان دمهُ في لندن في ١١ تموز سنة ١٦٨١ لدفاعهِ عن الايمان الكاثوليكي فاعلن بهِ الحبر الاعظم طوبوياً وجرت بتلك النسبة حفلات غاية في الابهة في كنيسة مار بطرس في رومية ثم في انحاء ارلندة

﴿ لكسمبورج ﴾ زهدت غراندوقة لكسمبورج الاميرة ماري ادلائيد بالدنيا بعد ان ضبطت زمام تدبير بلادها ثماني سنوات فاكتسبت محبَّة جميع رعاياها وامتازت بذكائها وحسن تدبيرها . فآثرت وهي في ريع شبابها على غنى العالم وغروره الانقطاع الى الله في رهبانية الكرمليات في مدينة مودينا من اعمال ايطالية في ١٨ ايلول الماضي فكان مثلها قدوةً صالحة عملت في قلوب عموم آل جنسها

٣ اوربة غير الكاثوليكية

﴿ انكلترة ﴾ قد ازدادت حركة تقرب البروتستانت الى الكنيسة الكاثوليكية منذ الحرب لما عاينهُ الانكليز من صدق ايمان حلفائهم الكاثوليك . والدولة الانكليزية قد اثبتت ذلك باقامتها في رومية معتمداً ووزيراً مفوضاً ساعياً بامورها لدى الكرسي الرسولي . وكذلك الاكليروس الانكليكاني اذ عقد مؤتمراً دينياً في لندن في غرة تموز الماضي تمنى لو يتم انضمام الكنيستين الى الوحدة . ومما لا ينكر ان الحزب الانكليكاني يزيد كل يوماً تقلداً للرتب الكاثوليكية وللصلوات والعبادات الجارية عند الكاثوليك وينبذ كثيراً من التعاليم البروتستانتية ولا يزال عدد المتكثلكين منهم في ازدياد . وممن ارتد الى الكثلكة آخراً الآنسة بنسون ابنة رئيس اساقفة الانكليكان سابقاً وقد سبقها اخوها الى الدين المستقيم وهو اليوم من مشاهير الكتبة الكاثوليك

اما الكاثوليك الانكليز فمعظمهم من ذوي التحمس لدينهم . ففي العام المنصرم عقدوا في اثربول مؤتمراً تصدر في رئاسته الكردينال بورن مع الكردينال غكواي في سلخ تموز بحثوا فيه عن كل امور الكاثوليك الدينية والادبية والاجتماعية لم يفتهم منها شيء فاتفقوا على تنشيطها واتقانها

وقد ظهر نفوذهم لدى الدولة بمناهضتهم لشريعة حاول تنفيذها المندوب فيشر ليجعل التعليم في حكم الدولة فيسلب صغار الكاثوليك حرية دينهم

ومن مشاريع الكاثوليك المستحدثة تشكيلهم للجنة من الخطباء يُلقون الخطب لايضاح العقائد الكاثوليكية في ساحات المدن او حدائقها كحديقة هَيد بارك في لندن حيثما يتجمهر الشعب . فكان لهذه الخطب احسن موقع في قلوب الذين لم يعرفوا الكنيسة الكاثوليكية

ومما يشهد للكاثوليك الانكليز بالتحمس الديني عدة جمعيات تقوية واخويات وطوافات دينية يزدحم فيها الشعب الكاثوليكي دون حياء بشري . نخص منها بالذكر جمعية فرسان القربان الاقدس الذين بلغ عددهم خمسين الفاً يتنافسون في اكرام سر القربان بزيارته المتواترة وحضور الذبيحة الالهية والتناول الاسبوعي واليومي

وقد سبق لنا ذكر الحفلة الباهرة التي جرت في لندن تذكاراً للقديسة جان درك وتعويضاً عمّا اقترفهُ اجدادهم من الاثم بحكمهم عليها بالموت

﴿ المانية ﴾ انَّ هبوط القيصر غليوم قد كسر نخوة البروتستانيَّة التي كان هو إمامها فتضعضع بذلك امرها واصبحت كجسم بلا رأس. فوجَّه كثيرون من البروتستانت نظرهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة المشيَّدة على الصخرة البطرسيَّة غير المتزعزعة. هذا وقد اجتذب قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر محبَّة البروتستان الالمان بسخائهِ الحاتميّ نحو كل المنكوبين بغضّ النظر عن اديانهم وبمساعيهِ المتواصلة لدى الدول ليعيد الى العالم سلامهُ المفقود . ثمَّ انَّ ما احدثتهُ الحرب في المانية من الضنك الشديد اوجب رُعاة الانفس من كاثوليك وبروتستان ان يتفاوضوا في حلّ المشاكل الحاليَّة وبالتقارُب حصل التواخي وسقطت اوهام المنفصلين عن الكنيسة. وقد امتدَّت هذه الحركة بين كلّ طبقات الشعب حتَّى انَّ عدداً عديداً من الجنود ارتدُّوا الى حجر الكنيسة وقد أُنشئت في عدَّة مُدُن كبرلين وهالّ وشپانداو معاهد خصوصيَّة تُلقى فيها المحاضرات على العقائد الكاثوليكيَّة يُقبل اليها البروتستان بكلّ رغبة . وقد سُرَّ الكاثوليك باهتداء كثيرين من مواطنيهم وفي جملتهم الاشراف والأدباء من ارباب السيف والقلم وكأنهم يصرّحون بعجز شيعهم عن معالجة نفوسهم. وقد بلغ في فرنكفورت عدد المرتدّين خمسين شخصاً في يوم واحد. ولعلّ هذه الحركة باكورة اهتداء الالمان الى دين اجدادهم وبها تتمُّ نبوَّة لرجل الله المكرَّم دون بوسكو فاه بها سنة ١٨٨٧ فقال انَّ المانية ستعود الى الكثلكة بعد حرب عوان

من دلائل هذا التقرُّب انَّ المانية رقَّت نيابتها لدى الكرسيّ الرسولي الى سفارة في ٣٠ نيسان. ومنها انَّ فرقاً عديدة من البروتستانت انفصلوا عن كنيستهم اللوترانيَّة الرسميَّة وانشأوا لهم كنائس اخذوا من الكاثوليك كثيراً من مناسكهم الدينيَّة ورتبهم الكنسيَّة

ولا يزال في مجلس الأمَّة للكاثوليك الموقف الممتاز فانَّ عددهم مع مندوبي باڤارية وهانوڤر بلغ في الانتخابات الاخيرة في ٦ حزيران ٩٣ مبعوثاً منهم ثلثة وزراء احدهم كاهنٌ وهو الدكتور برونس. ومنهم رئيس الوزراء فهرنباخ

وقد اوفدوا الى رومية وفداً كبيراً اعلنوا للحبر الاعظم باكرامهم لشخصهِ

واذعانهم لكل اوامره . وقد فقد الالمان احد كبار علمائهم المستشرقين الاب يوحنا ستراسماير اليسوعي صاحب التآليف المعتبرة في لغة الاشوريين المسمارية توفي في لندن في ١١ ك ٢ وكان مولده سنة ١٨٤٦

﴿روسية﴾ انَّ الفوضى الشائعة في روسية بتطلُّب البولشفيين (راجع مقالتنا في العدد الاوَّل من العام الماضي ص٤٦—٥٤) قد ألحقت بالكنيسة الاورثذكسية اضراراً جسيمة فاكتسحت اموالها وبدَّدت شمل ارباب دينها الذين عجزوا عن لأم صدعها وحسم دائها . وقد ذكرنا لياذ بعض الاكليروس بحمى الحبر الاعظم فاوعز البابا الى كهنة بولونية بان يهتموا لهذا الخطب الجلل فسعوا بذلك رغماً عمَّا يلقونهُ من العقبات في سبيلهم

﴿سويسرة﴾ خطب الاستاذ الفرد مارتين في احد نوادي سويسرة خطاباً استلفت فيهِ نظر البروتستان الى ترقي الكثلكة في المقاطعات البروتستانية حتَّى في عاصمة الدولة جنيفة وحذَّرهم من خطر رومية (كذا) . وما لا يُنكر ان البروتستانية في سويسرة كما في غيرها من البلاد في انحطاط . والدليل عليهِ ان السويسريين دعوا اهل كل الاديان الى مؤتمر ليوحدوا بينها كلها على ما زعموا فلم يجب الى دعوتهم الكاثوليك والروم الارثذكس وما لبث ان تحوَّل مجتمعهم الى اختلاط وضوضاء لاختلاف آرائهم ونفور اجناس بعضهم من بعض لاسيَّما البروتستانت الفرنسويين والبلجكيين من الالمان فتفرقوا حنقين يحرقون عليهم الأرم

﴿الدول الشمالية﴾ هي الاسوج والنروج والدنيمرك . هذه الدول كانت متحايدة في ابَّان الحرب وهي لم تمنح بحريَّة الاديان الَّا من سنين قليلة وقد اخذت الكنيسة الكاثوليكيَّة في هذه المدَّة تظهر لاهل تلك البلاد كنوز خيراتها حتَّى ان البروتستان صاروا ينظرون اليها بعين الوقار والاكرام وكثيراً ما ينشرون في جرائدهم مديح رؤساء الكثلكة ويطرئون اعمال الراهبات في المآوى والمستشفيات . ولليسوعيين في عاصمة دنيمرك مدرسة عالية معظم تلامذتها من البروتستان . ولهم رسالة في نروج وعدد الكاثوليك كان في الاحصاء الاخير في دنيمرك ٨٠٧٨٠ وفي نروج ٦٠٦٠٩ وفي اسوج التي لم تعلن رسمياً بعد بحريَّة الدين ٢٠٥٣٨

﴿اليونان﴾ زار نيافة الكردينال دوبوا اثينة في اواخر شباط الماضي فسُرَّ

مما لقي فيها من كرامة المثوى وترحاب الصوم وما بلغهُ من ارباب دولتها عن رضاهم من الطائفة الكاثوليكية وكهنتها في مدن اليونان . وقد طلب متن نيافتهِ وزير الخارجيَّة القديم المسيو بوليتيس باسم الحكومة ان يتوسَّط لدى الحبر الاعظم لعقد معاهدة بين الكرسيّ الرسوليّ واليونان

﴿ الدول البلقانيَّة ﴾ اهتمَّ ايضاً البلغار والصرب والرومان بتوثيق العلائق بين دولهم والفاتيكان اذ لم يجدوا امثلَ طريقة لفضّ المشاكل الدينيَّة من الالتجاء رأساً الى إمام الاحبار فسُرُّوا بما اتوهُ من تسهيل الامور وازالة العقبات

٤ اميركا

﴿ اميركة الشماليَّة ﴾ انَّ الشيع البروتستانيَّة في اميركة الشماليَّة تتقسَّم كلَّ يوم وتزيد تفشّياً . وليس لكثير منها سوى اسم البروتستانيَّة لا تعي من تعاليمها شيئاً ويقال انَّ اكثر من نصف الاميركيين لا يعترفون بدين البتَّة امَّا القسم الآخر فالاغلبيَّة فيهِ للكنيسة الكاثوليكيَّة البالغ عدد ابنائها مع المهاجرين منهم اليها نحو ٢٤،٠٠٠،٠٠٠ يأتي بعدهم المتودست (٧،١٢٥،٠٠٠) ثمَّ العماديون (٥،٩٢٤،٠٠٠)

والكاثوليك بالاجمال متأصلون بالدين كما انهم ارقى الاهلين الراقين في الآداب والحضارة . فهم النصف من اهل الحواضر الكبرى كنيويرك وشيكاغو وبوسطون والثلث من اهل فيلدلفية وكايفلند وبوفالو وسان لويس . وحاكم ولاية نيويرك حالاً هو كاثوليكي واسمهُ الفرد سميث . وقد سبق لنا ذكر الاسقف كينسان المرتدّ عن البروتستانيَّة الى الكثلكة . وذكرنا فرسان كولمبوس الذين يقومون باجلّ الاعمال في خدمة الكنيسة والدفاع عن حقوقها مع وصف زيارتهم لرومية وباريس

والكليات الكاثوليكيَّة الجامعة في الولايات المتَّحدة في نموّ وازدهار عظيم يبارون علماء الدولة في سائر آثارهم . لليسوعيين بينها عدَّة كليَّات مجهَّزة بكل ما تحتاج اليهِ العلوم العصريَّة من متاحف ومكاتب ومراصد فلكيَّة وغيرها

وقد وُضع الحجر الاوَّل في واشنطون لكنيسة فخيمة على اسم جبل العذراء بلا دنس من اوسع الكنائس واجملها تذكاراً لمن ماتوا في ساحات الحرب الاخيرة على انهُ ساءنا ما باشر بهِ البروتستان الاميركيُّون الذين جمعوا الاموال الوافرة لاصلاح

ما دمّره الالمان في شمالي فرنسة واعانة منكوبيها ليس تبرُّعاً وبخلوص النيَّة لكن لنشر الاضاليل البروتستانيَّة بين اهل فرنسة الكاثوليك وهي غاية سيّئة احسّ بها الاميركيُّون الكاثوليك وقاموا لمناهضتها فارسلوا من ابناء ملّتهم الى تلك الانحاء يحذّرون الفرنسويين من دهاء مواطنيهم ونعمّ ما فعلوا . فعارٌ على البروتستانت ان ينتهزوا فرصة البلايا الحاضرة ليتّخذوها وسيلةً للمتاجرة بالدين فان كانت غيرة بيت الله تضرم قلوبهم فليسعوا في اصلاح مفاسد اوطانهم او يُعنَوا بردّ غير المؤمنين فما لهم يبذرون الزؤان في حقل ربّ البيت . وقد عهدنا شيئاً من ذلك في بلادنا فساءنا ما يفعلون

وفي اميركة الشماليَّة ولاية ﴿ كندا ﴾ . كان لفرسانها اطيب المآثر في الحرب وبقدومهم الى فرنسة توثّقت الروابط بينهم وبين وطنهم القديم . ومعلومٌ ان اهل كندا كاثوليك شديدو الحماسة في الدين لهم فيه مآثر لا تُحصى

ومن اميركة الشماليَّة بلاد ﴿ المكسيك ﴾ التي أُرخي فيها الخناق عن الكنيسة بعد ما قاستهُ من الاضطهادات بمكايد الماسونيَّة وذوي المفاسد مدة عشر سنوات فعاد الاساقفة وارباب الكنيسة والرهبان الى منازلهم واسرعوا الى إصلاح الاحوال وتلافي الاضرار ودعوا جماهير المؤمنين الى تطواف عمومي اجروهُ على قمم جبال كوبيلاته حيث اقاموا اثرًا جليلًا لقلب يسوع الاقدس شكرًا لهُ على نجاة البلاد من الفتن والثورات وكرسوا لهُ اوطانهم واشخاصهم ورعاياهم . وقد علمنا آخرًا انَّ الفوضويين لم يكفُّوا عن مكايدهم وإسعار نار الفتن

﴿ اميركة الجنوبيَّة ﴾ الجمهوريَّات الاميركيَّة في جنوبيّ العالم الجديد حاصلة منذ بضعة اعوام على الهدوء والسلام بنعمة خاصَّة من قلب يسوع الاقدس الذي انتشرت عبادتهُ في تلك الانحاء انتشارًا عجيباً . وقد تكرَّست لهذا القلب الالهيّ بلاد كولومبية وبلاد شيلي وبلاد بيرو والجمهوريَّة الفضيَّة يحتفل اهلها كل سنة بعيده بكل مجالي التقى والأُبهة . ولكلّها سفراء لدى دولة الواتيكان ورؤساؤها ممتازون بدينهم وتقاهم وحسن تدبيرهم يمتّعون رعاياهم بكل اسباب الراحة والهناء . ومثلهم رئيس جمهوريَّة البرازيل السيّد ابيتاشيو بسُوا الذي زار في العام الماضي رومية وقدَّم للحبر الاعظم واجبات الاكرام والحبّ البنويّ . وقد استقبل البرازيليُّون القاصد الرسولي السيّد سكاپرديني بغاية من التحفّي والاكرام

اوقيانية

﴿ اوسترالية ﴾ للدين فيها اعلى مقام . وقد زاد بنوع محسوس تعبُّد اهلها بعد تكريس اوسترالية لقلب يسوع الاقدس في ٢٩ حزيران من السنة ١٩١٩ . وكثيراً ما تأتينا الاخبار السارَّة عن المهاجرين السوريين الى تلك البلاد وما يلقونهُ فيها من الوسائط لحفظ دينهم

ومما رُوي عن اسقف ﴿زيلندة الجديدة﴾ السيد كليري انَّهُ ركب طيَّارة لزيارة رعاياهُ المتبدِّدين في الجزائر فقام باعبائهِ بغاية ما يُرام من الغيرة ولم يبالِ باخطار السَّفر الجوّي لتقلُّب الرياح وانتشار الغيوم في تلك الجهات ورجع سالماً الى كرسيهِ

الرسالات في اوقيانية على قدم من النجاح فانَّ تلك الجزائر التي كانت قبل سنين قليلة سكنى لاهمج القبائل وأكلة البشر اصبح كثير من اهلها منتظمين في سلك الدين الكاثوليكي يمارسون اسمى الفضائل المسيحيَّة . نخصّ منها بالذكر جزائر سليمان التي يبشرها الآباء المريميون وجزائر هاواي ومرسلوها آباء بكبوس وخاليدونية الجديدة وغيرها ايضاً

افريقية

اضرَّت كثيراً الحرب الاخيرة برسالات افريقية التي كان معظمها تحت ادارة مرسلين من دُول متحاربة فاضطرَّ المرسلون ان يعودوا الى الاوطان لمساعدة مواطنيهم . ومنها ما انتقل بحكم الحرب الى دول مختلفة فقُضي على اصحابها ان يبرحوها . على انَّ المرسلين ما كاد يُعلَن بالصلح حتَّى اسرعوا عائدين الى مراكزهم ليستأنفوا العمل وليستدركوا ما فاتهم من الخير في هذه الخمس السنوات . ومما ينشِّط مرسلي افريقية تطويب شهداء اوغندا الوطنيين الذين هدوهم الى الايمان فآثروا الموت الاحمر على جحودهِ وهم من اعيان تلك البلاد فأدرجت الكنيسة اسماءهم في سجلّ ابرارها بعد ما اجرى لشفاعتهم عدَّةً من الكرامات

ومن الرسالات الافريقيَّة المترقية العامرة رسالة جزيرة مدغسكار فانَّ اهلها يُقبلون بارتياح على التعاليم الكاثوليكيَّة واذا تنصَّروا واظبوا على ممارستها برغبة

ونشاط . وقد رُقي منهم في العام المنصرم اربعة كهنة انضووا الى الرهبنة اليسوعية وجاروا اخوتهم في كلّ اعمالهم الرسوليّة

وكذلك رسالة الآباء الكبوشيين والآباء اللازاريين في انحاء الحبش والكالا والصومالي فانّها حائزة الحريّة متوفرة الثمار الروحيّة

اسيا

نختم بذكر قارئتنا العزيزة هذا النظر الاجمالي في رقيّ الدين في اطراف المعمور . ولنبتدئ بالشرق الاقصى

﴿الصين﴾ بعد انقلاب الصين السياسي وجد المرسلون الكاثوليك فيها متفرجاً لتوطيد اعمالهم الرسوليّة وتوسيع نطاقها فزاد عدد المتنصّرين ونما عدد المدارس الكاثوليكيّة فأقبل عليها الناشئة اقبالاً عظيماً . وقد زار المسيو بَلْفه المبعوث الفرنسوي كليّة الآباء اليسوعيين المعروفة بالفجر (l'Aurore) في زيكاواي فاخذه الاندهاش من ترقيها وحسن تهذيب طلبتها في العلوم الراقية وصرّح بذلك في كتاباته الرسميّة . وكذلك اثنى على اعمال المرسلين في كلّ الانحاء التي زارها

امّا عدد الكاثوليك في الصين فهو الآن يُربي على المليونين . ومنهم من اصاب في الحكومة الجديدة المراتب الجليلة والامتيازات الشرفيّة . وقد اثنت الحكومة على مطبوعات الآباء اليسوعيين واخذت على عاتقها ان تطبع كتاباً للاب فروك في مظاهر الصين الجويّة

ومما يهتمّ به المرسلون في الصين حالة الاولاد الصغار من اللقطاء والايتام وهم يُعَدُّون بالالوف والربوات فيربّون منهم بضعة الوف ويعتمدون في السنة نحو ٥٠٠،٠٠٠ بمساعدة مشروع الطفوليّة المقدّسة (la Sie Enfance) المنشأة سنة ١٨٤٣ والتي بلغ مجموع حسناتها في السنة ١٩١٩ ٧،٦٦٦،٣٩٧ فرنكاً

وقد سُرّ مرسلو الصين بما منحهُ الحبر الاعظم للصين من الاكرام باعلانه احد ابنائها طوبويًا وهو بول تشان المولود سنة ١٨٣٩ الذي استشهد لاجل الايمان سنة ١٨٦١ وقد احتفل بعيده الاكليروس الافرنسي في كنيسة نوتردام في تموز الماضي

﴿اليابان﴾ يقدّر اليابانيّون قدر المرسلين الكاثوليك في بلادهم وهم اليوم نحو

مئة الف . ومما احوز للمرسلين اعتباراً اعتناؤهم بالمدارس العليا منها كلية طوكيو للآباء اليسوعيين وبعض مدارس ثانوية للاخوة المرعيين فاشاد اهل الدولة بحرصهم على تحسين الآداب . واين هذا مما ورد في مجلة المنار الاسلامية (ج ٢٠ ص ٤٤) حيث ذكرت كلمة قالها الشيخ عبد الكريم سلمان يوم شاع انَّ اليابان يرغبون في التدين بدين الاسلام فقال الشيخ حسين الجسر : « اذاً يُرجى ان يعود الى الاسلام مجدهُ » فقال الشيخ عبد الكريم : « دعهم فاني اخشى اذا صاروا منَّا ان نفسدهم قبل ان يصلحونا »

﴿الهند﴾ الرسالات الكاثوليكيَّة في جهات البنغال وكلكوتا ولاوس جارية على نمطها السابق في ترقيها وعدد متنصريها . امَّا الانحاء التي كان فيها المرسلون الالمان فأبدلوا بمرسلين كاثوليك من الاميركيين كبباي وديكان واجرا

﴿العراق وما بين النهرين﴾ عاد المرسلون الكرمليُّون الى رسالتهم في بغداد والعراق والدومنيكان الى الموصل وقد اثنوا على الاكليروس الشرقي لما ابداهُ من الغيرة في خدمة طوائفهم مدَّة ايام الحرب . امَّا ما بين النهرين في جهات سعرت وماردين وديار بكر فانَّ النصارى بعد المجازر التي وقعت في اصقاعهم وهم يؤملون النجاة عن يد الحلفاء لم يزالوا يئنُّون تحت نير عبوديتهم مستهدفين لسهام بقايا الاتراك والكماليين والاكراد يلتمسون الخلاص وليس من معين

﴿فلسطين﴾ قد شرحنا في مقالتنا عن الصهيونيين (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٧٦٨–٧٧٨) ما دهم اهلها من البلاء بحلول اليهود المهاجرين اليها ليستوطنوها . وقد كادت فرنسة تفقد فيها حقوقها القديمة من حماية الاراضي المقدسة . فاحتجَّ كثيرون على ابتخاس هذه الحقوق من جملتهم ٨٠٠،٠٠٠ امرأة فرنسويَّة قدَّمن احتجاجهنَّ مُمضى باسمائهنَّ الى مقام رئيس الجمهوريَّة . وانَّما انعش آمال الكاثوليك في فلسطين مجيء الكردينال دوبوا الى القدس وزيارتهُ لكل مشروعات المرسلين فاخذهُ العجب من ازدهارها رغماً عن آفات الحرب . وقد وضع هناك نيافتهُ الحجر الاوَّل لكنيسة كبرى يشيدونها اليوم اكراماً لقلب يسوع ستقام في جبل الزيتون في مكان كنيسة قديمة بنتها القديسة هيلانة امّ قسطنطين في نفس المحل الذي كان السيد المسيح يرشد تلامذتهُ . ولغبطة البطريرك اللاتيني الجديد السيد برباسينا مآثر يوميَّة في خير رعاياهُ وتثبيتهم في الايمان بازاء الحملة الصهيونيَّة

﴿ بلاد الشام وقيليقية ﴾ قد فقدت الرسالة الفرنسيسيَّة في الاضطرابات التي حصلت في اوائل السنة المنصرمة في شمالي سوريَّة وفي قيليقية سبعة من اعزّ ابنائها ذهبوا شهداء غيرتهم ومحبّتهم نحو القريب قُتلوا قتلاً شنيعاً في شهري كانون الثاني وشباط فاضافوا الى تاريخ رهبانيَّتهم صفحة جديدة من المجد

وكان نيافة الكردينال دوبوا محتلًّا في تلك الاثناء في ربوعنا يشاهد ما للكثلكة في سوريا عموماً وفي لبنان وبيروت خصوصاً من الآثار المجيدة في سائر اعمال الصلاح من مشروعات خيريَّة ومستشفيات ومآوى ومكاتب ومدارس عليا ووسطى وبدائيَّة قضى بمشاهدتها العجب

وقد سُرنا في بحر هذه السنة بما شاهدناهُ من النهضة الدينيَّة في مدن سوريَّة وقراها. فتبارى الاكليروس العالي والقانوني الشرقي والغربي في تعزيز الدين بالرياضات والمواعظ والحفلات الدينيَّة والشركات الخيريَّة وتكريس الابرشيات لقلب يسوع وتنصيبهِ في بيوت الخاصَّة واكرام القديسة جان دورك وتذكار الموتى وربَّما كان يحضر هذه الحفلات رؤساء الحكومة الفرنسويَّة فيزيدونها بحضورهم رونقاً

وقد اقام غبطة السيّد البطريرك ديمتريوس القاضي اساقفةً للابرشيات المترملة. وساعد سيادة المطران نيقولاوس القاضي رئيس اساقفة حوران الحكومة الفرنسويَّة في اخماد الفتن بين الدروز في حوران فربح شكرهم وشكر الدولة الفرنسويَّة

وكان غبطة البطريرك الماروني مار الياس الحويك في مقدمة الساعين في خير لبنان المادّي والادبيّ والدينيّ وقد وفَّقهُ الله في تحقيق امانيهِ. وجاء منشورهُ الاخير في كانون الاوَّل آيةً في الحكمة والتقى اعدَّ ابناء طائفتهِ وعموم اللبنانيين الى تكريس جبلهم المحبوب لقلب يسوع الاقدس في الاحد الواقع بعد عيد القربان الاقدس وهو يدعوهم الى الاكتتاب لاقامة اثر يبقى شاهداً على عواطفهم. وقد حذَّرهم من شرور المدارس العلمانية المعادية للدين تحت ستر الحياد المزعوم

فلا شكَّ انَّ هذا النظر العموميّ في احوال الكنيسة في العام المنصرم مع كونهِ نقطةً من بحر وبرضاً من عدّ يشهد انَّ الدين لا يزال قوام العالم وركنهُ الامكن وانَّ دونهُ الخراب والدمار

انشاء مكتبة كاثوليكية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

على شاطئ البحر على مقربة من مدينة هستنكس (Hastings) الواقعة في جنوبي بوغاز المنش الفاصل بين فرنسة وانكلترة بلدة صغيرة تُدعى بكسهل (Bexhill) . وقد اصبحت منذ سنة ١٩١٧ اشهر من نار على علم في كل انحاء انكلترة بمكتبتها الكاثوليكية التي تُقرض آلافاً من كتبها مجاناً ليس للانكليز فقط بل ولغيرهم من سكان كل بلاد المعمور . قد انشأها اميركي من الولايات المتحدة وهو مع كونه علمانياً يجاري اقدس الكهنة في غيرته على خلاص الانفس ولاسيما في انكلترة حيث لا يزال ألوف الالوف من الناس هائمين في ظلمات الجهل الديني محرومين من انوار الايمان وتعزياته الملطفة لكل بلايا الحياة . ولهذا الكاثوليكي الاميركي بدرجة فائقة ما لمواطنيه من بُعد الفكرة وسموّ الهمّة وقريحة الاستنباط والادارة والتنظيم . فاستخدم كل تلك السجايا في سبيل اجتذاب الانفس الى ربها والى كنيسة سيّده المسيح بنشر الاف من الكتب الجيدة في كل اصقاع انكلترة بل العالم . وقد بارك الله على مشروعه ونمّاه في ظرف خمس سنوات انماء يقضي منه العجب كلُّ من تقصّاه . فهلم بنا نتتبع المشروع من اوائله الى ما صار اليه الآن من عظم الشأن (١

١ تاريخ انشاء المكتبة

لحظ منشئ هذه المكتبة اذ كان في سنة ١٩١٢ قاطناً في بكسهل ان كثيراً من البروتستان كانوا غير راضين عن شيَعهم مستطلعين للكثلكة متهافتين الى مواردها تهافت العطاش الى ينبوع الماء الزلال . ولكن لسوء الحظ لم يكن لهم اصدقاء كاثوليك يقتبسون منهم بعض المعلومات عن الكنيسة الكاثوليكية ولم

١) مؤسس المكتب شديد الحرص على اخفاء اسمه هرباً من المجد الباطل . فلله درّه من مسيحي متواضع يعمل بقول السيد المسيح القائل لفاعل الخير : فلتجهل شمالك ما صنعته يمينك

يتجاسروا على استماحتها من بعض الكهنة الكاثوليك . فتأسف منشئ المكتبة على سوء حالهم وبحث بذهنه الوقّاد عن وسيلة قريبة المنال تدني اولئك المتطلّعين الى الحقيقة من ضالّتهم المنشودة . فلاح لهُ انهُ ليس واسطة افضل من ان تُعرَض بعض الكتب الكاثوليكية على رفّ عند مدخل كنيسة بكسهل الرعاية فيتيسّر لكل منهم ان يأخذ منها ما يستحسنهُ بدون ان يراه احد فيعيد الكتاب الى محلّهِ بعد استخدامهِ

معلومٌ لدى الخاصّة والعامّة ان الاميركيين لا يتأخرون عن اخراج افكارهم الناضجة الى حيز الوجود . وعلى ذلك جرى منشئ المكتبة . وضع ٢٥ كتاباً على رفّ اقامهُ عند باب الكنيسة فكان ذاك بمثابة الحجر الاول للصَرح الشامخ المنيع الذي بناه فيما بعد لنشر الكثلكة في انكلترة التي احبّها حُبَّهُ لوطنهِ . ابتدأ كما قلنا بخمسة وعشرين كتاباً لا غير . امّا اليوم فيبلغ عدد كتب مكتبتهِ ١٨،٠٠٠ كما تلقّينا ذلك من فمهِ ! والعجب العجاب ان ذلك النمو الغريب تمّ في اقلّ من ثماني سنوات من السنة ١٩١٢ الى ١٩٢٠ . ودونك وصف الاطوار التي قطعتها تلك حبّة الخردل لتصبح كما هي اليوم شجرة باسقة طائرة الصيت في كل انحاء انكلترة وغيرها من الاقطار

انتبه صاحبُ هذا المشروع المبرور ان بعض الاشقياء يسرقون الكتب الموضوعة عند مدخل الكنيسة فنقلها من هناك الى دارهِ واعلن للجمهور ان من اراد قراءتها فعليهِ استقراضها من صاحبها رأساً . وكان ذلك في اواخر سنة ١٩١٥ . فطفق الراغبون في الكتب الدينيّة يقصدون دارهُ لطلبها بيد ان عددهم القليل لم يكن ليُرضي ذاك الرسول المضطرم الغيرة على خلاص الانفس . ولكن ما الحيلة مع قلّة ذات اليد ؟ انّما المولى لا يخذل عبيدهُ النشطاء ولا يحرمهم من الوسائط الفعّالة لادراك الغاية التي يلهمهم بها خيراً

تُوفّي في تلك الاثناء احد اقرباء بطلنا واوصى له قبل وفاتهِ بمبلغ يُذكر الّا انهُ لم يجدهُ وافياً بما تاقت اليه روحهُ الشريفة من المشاريع الكبيرة . فلجأ حينئذٍ الى كرم ذوي الاريحيّة فأطلعهم على كافّة التفاصيل اللازمة لتحقيق ما نواه من انشاء مكتبة كاثوليكية مُجهّزة بآلاف من الكتب الجيدة ولاسيّما الدينية ليُقرضها الى اي شخص او نادٍ او جمعيّة كانت بدون أجرة . فتواردت اليه الحسنات من

كل جهات انكلترة . وفي شهر تموز سنة ١٩١٧ امتلك ارضاً وابتنى فيها بعدَّة خمسة اشهر لا غير بالرغم عن المصاعب الناجمة عن الحرب بناية المكتبة الحالية . وهي على صغرها آية من حسن الذوق والترتيب الشامل لكل اجزائها ومحتوياتها واشغالها . ففي غرَّة سنة ١٩١٨ كانت العمارة قد كملت وكانت المكتبة تحتوي على نحو ٣،٥٠٠ كتاب . ومن ذلك العهد حتى الآن ما زال صاحب المشروع يجمع الاعانات المالية ويشتري بها كل عام بضعة آلاف من الكتب النفيسة الى ان بلغ عدد مجموعها الحالي الى ثمانية عشر الفاً

٢ وصف عامر المكتبة

في المكتبة ردهةٌ للقراءة مفتوحة طول السنة للجمهور من الساعة الثامنة صباحاً الى مثلها مساء . ومعدَّل زوَّارها في اليوم نحو خمسين في الوقت الحاضر . وبها يجدون اهمّ الجرائد والمجلَّات ولا سيما الكاثوليكيَّة فضلاً عن آلاف من الكتب التي هي طوع اشارتهم . على انَّ هؤلاء عددٌ يسير من زبن المكتبة فان معظم شغلها عبارة عن إرسال الكتب بالبريد الى كل انحاء انكلترة والاقطار الاجنبيَّة . ولتسهيل وتعجيل الارسال فُتح في نفس بناية المكتبة شُعبةٌ للبريد فاليها تَرد كل يوم طلبات الكتب بالعشرات فتُبعَث اضابيرُ المؤلفات الى طالبيها في ظرف بضع دقائق اي الوقت اللازم لحزم الكتب حزماً مُتقناً ان كانت مُرسلة الى جهات انكلترة او تنسيقها في عُلَب من الكرتون الكثيف صيانةً لها ان كانت وجهتها الى الاقطار الاجنبية

قد بلغ هذه السنة عدد المقترضين بواسطة البريد نحو ١،٧٠٠ منهم نحو ١،٥٠٠ في انكلترة و ٢٠٠ في الخارج . ولمَّا زرنا المكتبة وجدنا عدد الكتب المعارة نحو ١١،٠٠٠ كتاب فلم يبق سوى نحو ٧،٠٠٠ على رفوف المكتبة . امَّا البلاد الاجنبية التي طلب اهلها استعارة الكتب فهي متعدِّدة منبثَّة في كلّ انحاء المعمور منها فرنسة وايطالية واسبانية والبرتغال واليونان وتركية وافريقية وروديسية ومدغسكر ومصر — والهند والصين — وكندا وجزيرة كوبا وزيلندة الجديدة الخ

وليس كل المقترضين افراداً فان المكتبة ترسل كتبها لكثير من الاديار والاخويَّات والمستشفيات والجمعيَّات المختلفة ونوادي القراءة . وكلٌّ من هاتيك

المعاهد يعير الكتب مَنْ شاء من اهلهِ او من المعارف . وعلى هذا المنوال يصبح كلّ من المعاهد كشُعبة لمكتبة بكسهل بنشاطهِ في نشر الكتب الجيّدة ولاسيّما الدينية الكاثوليكية . وليس ذلك مختصاً بانكلترة وحدها بل نراه في البلاد الاجنبية التي فيها الآن اربعون نادياً او مكتبة تستجلب كلّ كتبها او بعضها من بكسهل . ومن هذه المعاهد ما أُقيم في البلاد القاصية كالصين والهند وكندا وزيلندة الجديدة . واذا أُرسلت الكتب الى نادٍ او جمعية ما فان صاحب المكتبة يأذن بحفظها مدة اشهر طويلة بل سنتين او ثلاث سنين اذا أُرسلت الى الخارج اذ ليس جُلّ همّهِ ان يستعيد الكتب بوقت قريب بل ان يفيد طالبيها ما امكن

هذا ثمَّ انَّ الكتب تُعار مجاناً مهما كان عددها البالغ في بعض الاحيان من مائة الى اربعمائة عند ارسالها الى الجمعيات او النوادي او المكاتب . ولا يُطلب من المستعير سوى ان يدفع سَلَفاً نفقة البريد ذهاباً واياباً . وهي في الوقت الحاضر خمسة شلينات لمصر وسبعة وثُلث لسوريَّة عن كلّ حزمة كتب يبلغ وزنها نحو ٥ كيلوغرامات . واذا حصل الطالبون على قائمة المكتبة يقترح عليهم ان يعدّدوا عناوين الكتب المرغوبة ليرسل اليهم منها الحاضر اذ يتّفق انَّ كثيراً منها قد استعارهُ غيرهم قبلهم . وينبغي ان تكون كل المراسلات تحت العنوان الآتي : الى صاحب المكتبة في بكسهل (انكلترة) (١ . دون ذكر اسم خاصّ لأن صاحبها كما اسلفنا شديد الرغبة في اخفاء ذاته هرباً من المديح الباطل . ويُلتمس من القارئين ألّا يحفظوا الكتب ولو يوماً واحداً بدون جدوى وان يعيدوها بدون إرجاء لكي تفيد غيرهم فتفي بالمراد

كل محتويات المكتبة تُقرَض بالشروط المذكورة لأيّ شخص كان والى اجل غير محدود ولا يُستثنى من هذا الحكم سوى الجرائد والمجلّات التي لا تُعار بتاتاً اما الكتب اللاهوتيَّة وبعض المؤلفات العلمية فانّها لا تُقرض لسوى الكهنة والعلماء ومن شاكلهم . وما عدا ذلك فلا يجوز لمن يستقرض كُتباً عديدة ان يطلبها كلّها من نوع الروايات الخياليّة ومثلها لئلا يفوت الغرض المقصود من انشاء المكتبة وهو نشر

١) هذا هو العنوان بالانكليزيّة The librarian-Bexhill on Sea (England)

الكثلكة في انكلترة وغيرها خصوصاً بين البروتستان . وقد سارت اشغال المكتبة بحسن النظام وكامل النجاح وانما يُعزى إقبالها الى حكمة المؤسس الذي سن قوانينها ولا يزال ساهراً على حفظها بإزاء الف وسبعمائة مقترض . ومن عجيب امره انه رغماً عن كثرة المؤلفات التي يعيرها منذ نحو خمس سنوات — وهي تبلغ في هذا العام عدد ١٠٥ يومياً — لم يُضع منها شيئاً يُذكر . وذلك اجلى شاهد على حسن تدبيره وعلى امانة قرّائه

وانه لجديرٌ بهذا النجاح الباهر الذي كلّلت به العناية الالهية مشروعهُ الجليل . فهو لم يكتفِ ببذل امواله وحسنات المحسنين في سبيل نشر الدين القويم . بل اراد بذل نفسه واعزّ الانفس لديه لتلك الغاية الشريفة . فتراه من الصباح الى المساء مشتغلاً في مكتبتهِ مع زوجتهِ وابنتهِ وفتاة من صديقاتهِ . ولم تكن تلك النساء اعتدنَ مثل ذلك الشغل المجهد قبل تأسيس المكتبة . فما اعظم شهامة تلك العائلة التقيّة التي وقفت نفسها لاجتذاب الانفس الضالة الى محجّة الدين الكاثوليكي ! فيا ليتهُ وُجد في كل مُدن العالم عائلتان او ثلاث عيال مثلها لانتشار الصلاح مع الحق في كل الاصقاع ! تأمل في الجدول التالي تذهل من سرعة ترقّي المكتبة ولاسيّما من عظم الخير الذي صنعه مديروها الكرماء :

السنة	عدد الكتب المقرضة	مُعدّل عدد الكتب المقرضة يومياً
١٩١٦	١,٤٨٨	١١,٤٤
١٩١٧	١٠,٢١٧	٣٣,٢٧
١٩١٨	١٨,٥٥٤	٦٠,٤٣
١٩١٩	٢٤,٢١٣	٧٨,٩٦
١٩٢٠ (حتى شهر ت ٢)	٢٠,٠٠٠	١٠٥,٨٤

٣ محتويات المكتبة وخدمها

في المكتبة حاضراً كما سبقت الاشارة نحو ١٨,٠٠٠ كتاب . منها نحو ١١,٠٠٠ بين ايدي القرّاء . لكنها لا تحتوي على اكثر من نحو ٣,٠٠٠ تأليف ، فان المؤسس لا يشتري عادةً اقلّ من اثنتي عشرة نسخة من الكتب النفيسة ، بل قد اكّد لي ان عنده مائة نسخة من بعض التآليف الجليلة الفائدة . وليست غايته الاولية من ذلك

اقتصاد النفقات بالاشتراء الاجمالي بل خدمةً للقرّاء دون تأجيل الانتظار لكتاب غائب عن المكتبة وهي لا تحتوي على اكثر من نسخة واحدة منهُ

وجدول كتب المكتبة يشهد خير شهادة على ما انطوت عليه من الكنوز الدينية والعلمية والادبية فانهُ يكاد لا يُوجد نوعٌ منها الّا استحضر البعض منهُ . نجتزئ بذكر اخصّ الموادّ : اللاهوت . الليتورجيّة . العلوم الكتابيّة . كتب الدفاع عن الكثلكة . الكتب الباحثة عن الدين الكاثوليكي والرهبنات الكاثوليكية ثم عن الاديان الأُخر — النقد — الاقتصاد السياسي — الفلسفة — العلوم الطبيعية والاجتماعية — التاريخ — الادبيات بكل انواعها من روايات خياليّة ودواوين شعرية وقصص اسفار وغيرها . ومن اغزر واجل الكتب التاريخيّة سِيَر القديسين وعظماء الكاثوليك ولاسيّما المتأخرين منهم فهي تُعَدّ بالمئات

بين يدينا ذلك الجدول المطبوع اخيراً وهو آية بحسن التنسيق فيه قائمة لعناوين الكتب على ترتيب حروف المعجم ثم قائمةٌ اخرى لاسماء المكتبة مرتّبةً كذلك . فيسهل على الباحث ان يجد مطلوبه بدون عناء . واذ لا تزال المكتبة تعتني اعتناء متواصلاً بالمؤلفات الجديدة فيُطبع كلّ ثلاثة اشهر مُلحق لما استُحضر منها في تلك المدة . فللجدول المُعاد طبعه بشهر ايلول من العام الجاري اربعة ملحقات وثمنه ثلاثة شلينات ونصف مع اجرة البريد

ولا يسعنا تعداد الخدم المتنوّعة الجليلة التي تؤديها المكتبة منذ اربعة اعوام ونيّف . فكم من الكهنة والرهبان والمصنفين والصحافيين وطلبة المدارس العليا وغيرهم من الكاثوليك استقوا من مواردها العذبة فزادوا علماً بآيات دينهم الالهي وتعلّقاً بكنيسة المسيح وغيرة على اجتذاب المنفصلين من مواطنيهم اليها . ولولا المكتبة التي تمدهم المئات من الكتب مجّاناً لتعذّر على سوادهم اقتناء تلك المؤلفات النفيسة التي زادت اثمانها بعد الحرب الكونية زيادةً فاحشة الى حدّ ان كثيراً منها لا تُباع نسخته باقلّ من عشر شلينات اعني نحو عشرين فرنكاً . واذا امعنا النظر في ندوة المكاتب الكاثوليكية الكبرى في انكلترة ثم الى مسيس حاجة الصحافيين والكتّاب الكاثوليك الانكليز الى عدد كبير من المؤلفات الكاثوليكية ليستعينوا بها على

المناضلة عن دينهم في وجه اعدائه الالدّاء قدّرنا خدمة مكتبة بكسهل لديننا الشريف حقّ قدرها

٤ مكتبة بكسهل والبروتستانت

هذه بعض منافعها العظيمة للكاثوليك وليست دون ذلك للبروتستان وغيرهم فانهم يتهافتون على الكتب الدينية الكاثوليكية تهافت الجياع على القصاع ، وذلك ليس فقط من كل انحاء بريطانية العظمى بل من كل انحاء المعمور . وكفى شاهداً على ذلك مئات من الرسائل ترد كل اسبوع الى صاحب المكتبة يطلب فيها البروتستان او المهتدون حديثاً منهم بعض الكتب الكاثوليكية المناسبة لحالة نفوسهم . وهاك بعض الامثلة الغريبة المؤثرة : التمست احدى المهتديات الى الدين القويم من صاحب المكتبة مؤلفاً يحلّ المشاكل الخصوصيّة المبعدة زوجها عن الكثلكة — مهتديةٌ أخرى عائدةٌ الى الاوطان بعد ارتدادها طلبت منه كتاباً يبحث عن تداول سلطة الرسل منهم الى البابوات وذلك لاجتذاب ابيها الخادم الانكليكاني الى الدين القويم — امرأةٌ اخرى ليست كاثوليكيةً ولكنها قلقة في البروتستانيّة التمست كتاباً يُرشدها الى الحق — ثلاثة مهتدين فقدوا بسبب اهتدائهم كل خُلّانهم البروتستان ولا انيس لهم سوى الكتب غير انهم لا يجدون في محل إقامتهم كتباً كاثوليكية فهم يستمدونها من صاحب المكتبة — سيدةٌ بروتستانية كتبت له انه وُجد بين امتعة ابنها المقتول في الحرب جدول كتب بكسهل . قالت انه كان ذا نفس ابيّة تائقة الى المعالي منذ نعومة اظفاره وانه قائلاً قبل موته ارتدّ الى الكثلكة بل عزم على الانتظام في سلك الاكليروس خدمة ابناء جنسه . ثم ترجّت صاحب المكتبة ان يتفضّل باطلاعها على بعض الكتب النفيسة التي ابلغت ابنها الحبيب الى اوج الفضيلة والكمال . ولولا ضيق المقام لأطلنا تعداد تلك الطلبات الصادرة من البروتستان او المهتدين الاحاديث منهم . وهي كلها لسان واحد في التنويه بجليل الخدم التي قدّمتها المكتبة لمئات من اولئك الاشخاص الهائمين في بيداء الضلال المحرومين من خيرات الكنيسة الكاثوليكية

٥ الوسائل لانماء المكتبة

أجل ان العوارف التي افاضها منشئ مكتبة بكسهل على كاثوليك بلاده وعموم البروتستان لا يُحصيها سوى الاله الرقيب لكل حركات خلقه وسكناتهم. ولو كان ثمنها بذل الذات فقط لبات صاحب المكتبة في غنى عن الوسائل المالية. ولكن هيهات ان يسير مشروع كهذا على قدم وساق بدون بذل الاصفر الرنان! والحق يقال ان صاحبه يتذرع قبل كل شيء وعلى الدوام بالوسائل الروحية التي تستنزل عليه بركات السماء. فهو لا يزال يُصعد الى مولاه الصلوات والزفرات الحارة طلباً لمعونته القديرة. وفي مكتبة صورة سيدة الكرمل التي وُضع في عيدها سنة ١٩١٧ الحجر الاول لعمارة المكتبة. وامام صورتها مصباح لا يُطفأ نهاراً وليلاً. ثم انهُ يدفع حسنة قدّاس يُقام اسبوعياً على نيّة كل المحسنين الى المكتبة الاحياء والاموات سواء تبرّعوا بمالهم او عرّفوا المكتبة واعاروا كتبها اصدقاءهم او خدموها خدمةً ادبيّة. وقد استجابت صلواته غير مرّة العذراء المجيدة فمن ذلك انه احتاج في العام المنصرم الى مبلغ الف ليرة انكليزيّة، فاستعطاها من ذوي الاريحيّة بواسطة الجرائد والمجلّات وباشر تسموّية لسيدة الكرمل بغاية الحرارة والثقة البنوية. فما عتّم ان نال فوق ما تمناه

على انهُ لم يكتفِ بهذه الوسائل الروحيّة مع اختباره لعظم مفعولها بل تذرّع ايضاً بالذرائع الزمنيّة لدفع نفقات هذا المشروع الطائلة كثمن استئجار خزائن المكتبة واجرة المستخدمين والتنوير والتدفئة مدّة الشتاء الطويل وترميم الكتب عند اللزوم والمراسلات والاعلانات بقصد تعريف المكتبة وما شاكل ذلك يبلغ مجملها في الوقت الحاضر ثلاثة شلينات عن كل كتاب سائر من يد الى يد اعني ١،٦٥٠ ليرة انكليزية لكل المكتبة. زد على ذلك قيمة مئات من الكتب الجديدة التي لا يزال المؤسس يغني بها معهده وهو يدفع عنها الآن أضعاف اثمانها قبل الحرب. فهو في حاجة الى ٢٠٠٠ جنيه ونيّف ليقوم بنفقات السنة الجارية وسوف تزداد حاجته مع ترقّي المكتبة المتواصل. واسطع دليل على رضى الله عزّ وجلّ عن ذلك المشروع المبرور وعن صاحبه انهُ امكنهُ ان يسدّد كل ديونه حتى الآن والحسنات تتوارد اليه بوفرة

خصوصاً من جهات انكلترة واسكتلندة بصفة حسنات جزئية او تبرّعات حاتمية او بصفة هدايا كتب نادرة ومفيدة

٦ استحسان العموم لهذا المشروع

وقد تواردت الى منشئ المكتبة الرسائل العديدة من امراء الكنيسة وعظام الكاثوليك الانكليز ومن البروتستان انفسهم وهم يثنون على عمله وينشطون همّتهُ وفي مقدّمتهم رأس الكنيسة المنظور وخليفة السيد المسيح على الارض قداسة البابا بنديكتس الخامس عشر . فانهُ بارك على المشروع عند نشأته في ١٣ كانون الاول سنة ١٩١٤ . ثم تنازل وكتب للمؤسس بتاريخ ١٥ نيسان من السنة الماضية رسالة طافحة بالتهاني قال فيها ما حرفه :

في الوقت الحاضر حيث نرى كثرة الاضاليل تدسّ في اذهان العامّة سمّها الزعاف يقتضي خلاص البشر ان تحوز التعاليم القويمة اوسع انتشار . لذلك سمعنا بتزيد الفرح من نيافة الكردينال غكسكواي ان ابننا المحبوب (فلان) اسس مؤخراً في يكسهل مكتبةً لإقراض الكتب الجيدة مجاناً واننا رقيت من اوائلها الوضيعة الى اوج النجاح والتقدم في زمن يسير . فنهنئ مؤسس هذا المشروع المبرور للغاية خير التهنئة ونوصي بمعهده كلّ ذوي الصلاح — واشاراً برضانا نمنح بكامل المحبة ليس فقط للمؤسس وللقرّاء بل ولكل من يؤازرون المكتبة على اي منوال كان بركتنا الرسولية

وممّا كتبه في اواخر سنة ١٩١٩ الكردينال بُرن رئيس اساقفة وستمنستر وجاثليق انكلترة بعد زيارته للمكتبة يهنئ صاحبها :

« سُررت كثيراً من زيارة معهدك . انك تعمل عملا عظيماً وخطيراً لنشر الحقائق الدينية . فاتوسّل الى الله ان يباركك انت ومشروعك ولي الرجاء انه لن يحرمك من المدد الذي انت في حاجة ماسّة اليه لترسخ ما بنيتهُ ببذل ذاتك وبأكبر الضحايا »

وكتب المستر بريتن كاتم اسرار شركة الحقيقة الكاثوليكية (Catholic Truth Society) لصاحب المكتبة :

« لم تزل شركتنا ومعهدك مرتبطتين بصلات الوداد فانّ الواحد يُكمل عمل الآخر . جُلّ همّتنا متّجه الى نشر الكثلكة بواسطة كراريس كثيرة المعنى قليلة الصحائف . اما انت فقد آثرت نشرها بالمؤلفات الطويلة النفيسة معنًى ومبنًى »

والصحافة الكاثوليكية الانكليزية لسان واحد في إطرائها لمكتبة بكسهل . والزوار وبينهم اساقفة كثيرون يتقاطرون اليها يومياً حتى من البلاد الاجنبية . فقد زارها من القاهرة في ١١ آب المنصرم المحامي ألبر افندي مارون وقرينته وقيدا اسمهما في سجل الزائرين

كل تلك التقاريظ والتشجيعات تنشط دون مراء همة مؤسس مكتبة بكسهل فهو لا يزال يُعمل فكرته الوقّادة في سبيل توسيع نطاق مشروعه . ونيته الحاضرة ان يبني طابقاً جديداً فوق البناية الحالية ليستودع فيه خمسة وعشرين الف كتاب يقصد اقتناءها في السنين المُقبلة ثم يريد امتلاك عمارة المكتبة مع دار بريدها ، ولكل ذلك يلزمه نحو ٥٠٠٠٠ ليرة انكليزية . ولا تقف مُناهُ العظيمة عند ذلك الحدّ بل له ثلاث رغائب شريفة كبيرة لا يريد بها سوى نشر الدين القويم والمناضلة عن حقوقه في بريطانية العظمى . الاولى ان يؤسس شُعبةً لمكتبته في جوار كاتدرائية لندن الكاثوليكية فيسهل على آلاف من كاثوليك العاصمة ولاسيّما كهنتها ورهبانها وصحافيّيها وكُتّابها استخدام كنوز تلك الشعبة . الثانية تأسيس مكتب استعلامات كاثوليكي يجمع ويُرتّب كل الاخبار والمعلومات المتعلقة بالكنيسة الكاثوليكية ومشاريعها ورجالها واعمالها الخ فيكون اقوى حليف للمكتبة وخصوصاً للصحافيين الكاثوليك في الدفاع عن الكثلكة ضدّ مناوئيها ولاسيّما البروتستان فيُضحي ملاذاً اميناً للباحثين عن الدين الحقيقي والمهتدين اليه حديثاً فينير الاولين ويُثبّت الآخرين . الثالثة هي توطيد علائق وثيقة عملية بين مكتبة بكسهل وغيرها من المكاتب الانكليزية الكاثوليكية فيتضاعف نفوذ كلٍّ من هذه المعاهد بجمع قواها وتوحيد مساعيها على قدر الامكان

تلك مطامع نفس مؤسس مكتبة بكسهل مطامع نفس عالية ابيّة مضطرمة غيرةً على خلاص الانفس المفتداة بالدم الالهي . هل تتحقق ومتى ؟ ذلك سرٌّ عالم الغيوب ، على انّ في همة البطل الكاثوليكي واقتداره العجيب على التأسيس والادارة ما يُنعش آمالنا في خروج مناه الى حيّز الوجود . ومهما يكن المستقبل فان حال الموت او غيره من الموانع التي لا سبيل الى التظفر بها دون انجاز تلك المشاريع الكاثوليكية الكبرى ، فحسب مؤسس مكتبة بكسهل فخراً انهُ ابتكر في جيل يعبد عجل الذهب

عملًا جليلًا آئلًا الى مجد الله وخلاص الانفس الابدي وانّه وقف حياته وحياة ذويه على ذلك العمل المبرور فرفع به شبه منارة سامية تبُثّ انوار الايمان الساطعة في كل انحاء انكلترة بل في كل اصقاع المعمور

إكرام كاتبة مسلمة للقديسة جان درك

ترجمة جان درك للسيّدة زينب فوّاز

انّنا بنسبة الاعياد التي أُقيمت في كليّتنا لإكرام القديسة جان درك استحسنّا نشر هذه الترجمة التي وضعتها احدى الكاتبات البارعات من السيّدات المسلمات وهي زينب فوّاز فأدرجتها في كتابها المنون بالدرّ المنثور في تراجم ربّات الخدور الذي طُبع منذ نحو ثلثين سنة في القاهرة وقد وجدنا في هذه الترجمة ما يشهد لمؤلّفتها بحسن الذوق والاعتدال في الحكم مع رشاقة الاسلوب وسلاسة العبارة. والكاتبة الاديبة من سيّدات القطرين السوري والمصري فانها سوريّة مولدًا وموطنًا ومصريّة منشأً وسكنًا فلكلا الوطنين حقّ بان ينظمها في جملة اديباتهِ المعدودات. ونحن نروي كلامها بحرفهِ مع الاشارة الى ما وقع فيهِ من السهو او العبارات غير السديدة

اصل جانه درك ودعوتها الى خلاص وطنها

جان درك وتسمّى لابوسل ١) وتُعرف بالسيّدة اورليان ٢) هي فتاة فرنساويّة كانت نقيّة البشرة مهفهفة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محيّاها الصبيح سيماء الحياء واللطف والدّعة وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة وبُعد الهمّة وثبات الجأش. قطالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مُسرَج ولا مشكوم جرأةً وفروسيةً (٣ . وكانت ذات كلام بالغ بيّن الرُّشد وافعالٍ دائرة على محور الاستقامة والصلاح . ولدت في دومرمي من مقاطعة لورس (٤ سنة

١) من الفرنسويّة (la Pucelle) ٢) تريد سيّدة او عذراء اورليان (la Pucelle d'Orléans) ٣) لم تخطِ جوادًا قبل سيرها الى الحرب ٤) تصحيف لورين (Lorraine)

عملًا جليلًا آئلًا الى مجد الله وخلاص الانفس الابدي وانّه وقف حياته وحياة ذويه على ذلك العمل المبرور فرفع به شبه منارة سامية تبُثّ انوار الايمان الساطعة في كل انحاء انكلترة بل في كل اصقاع المعمور

إكرام كاتبة مسلمة للقديسة جان درك

ترجمة جان درك للسيّدة زينب فوّاز

انّنا بنسبة الاعياد التي أُقيمت في كليّتنا لإكرام القديسة جان درك استحسنّا نشر هذه الترجمة التي وضعتها احدى الكاتبات البارعات من السيّدات المسلمات وهي زينب فوّاز فأدرجتها في كتابها المنون بالدرّ المنثور في تراجم ربّات الخدور الذي طُبع منذ نحو ثلثين سنة في القاهرة وقد وجدنا في هذه الترجمة ما يشهد لمؤلّفتها بحسن الذوق والاعتدال في الحكم مع رشاقة الاسلوب وسلاسة العبارة. والكاتبة الاديبة من سيّدات القطرين السوري والمصري فانها سوريّة مولدًا وموطنًا ومصريّة منشأً وسكنًا فلكلا الوطنين حقّ بان ينظمها في جملة اديباتهِ المعدودات. ونحن نروي كلامها بحرفهِ مع الاشارة الى ما وقع فيهِ من السهو او العبارات غير السديدة

اصل جانه درك ودعوتها الى خلاص وطنها

جان درك وتسمّى لابوسل ١) وتُعرف بالسيّدة اورليان ٢) هي فتاة فرنساويّة كانت نقيّة البشرة مهفهفة القوام دعجاء العينين ذات شعر فاحم مسترسل على كتفيها يلوح على محيّاها الصبيح سيماء الحياء واللطف والدّعة وتبدو من مخايلها أمارات مضاء العزيمة وبُعد الهمّة وثبات الجأش. قطالما امتطت الفرس فسابقت عليه وهو غير مُسرَج ولا مشكوم جرأةً وفروسيةً (٣ . وكانت ذات كلام بالغ بيّن الرُّشد وافعالٍ دائرة على محور الاستقامة والصلاح . ولدت في دومرمي من مقاطعة لورس (٤ سنة

١) من الفرنسويّة (la Pucelle) ٢) تريد سيّدة او عذراء اورليان (la Pucelle d'Orléans) ٣) لم تخطِ جوادًا قبل سيرها الى الحرب ٤) تصحيف لورين (Lorraine)

١٤١١ للميلاد من راعٍ يدعى جان (١ وكان قد ربّاهُ الفقر وهذّبهُ الدين فنشأت كثيرة الهواجس الدينية (٢

ولمّا بلغت الخمس سنوات اخذت ترى في هجعتها (٣ رؤيا علويّة زاعمة (٤ انّ الملائكة والاولياء تتجلّى عليها بمنظر نورانيّ . فلمّا أنس ابوها منها ذلك اراها من القسوة والعنف ما حداها الى الفرار والانطواء (والانضواء) الى ارملةٍ من ربّات الفنادق (٥ فاقامت في خدمتها زمناً تبذُل عندها من الاخلاص في السعي والاقدام في العمل والعفاف في المسلك ما تُذكر بهِ فتُشكر

ثم عادت الى ابيها (٦ زمانَ اذ كانت فرنسا على شفا حفرة من النار والانكليز يذيقونها من حروبهم ضريع الويل الممزوج بالشنار . وكان قد مرّ بقريتها فريقٌ من الاعداء فاكتسحوها واستاقوا امرالها فاقتسموها وتركوها خاويةً على عروشها يندبها لسان الخراب ويأوي الى أطلالها البوم والغراب . فصدع فؤادها الشفّاف (الشفّاق او الشفوق) ذلُّ قومها وبوارُهم وانكسارهم للعدوّ المفضي الى دمارهم فعاودتها الاحلام والرؤيا زعمت (٤ انّها مأمورة بالإلهام بإنقاذهم وبلادهم من الهلكة والمعرّة وانتشال قومها من هوّة الحَيف والمضرّة

سيرها الى الملك شرل السابع سنة ١٤٢٨

وبعد تردُّد وأعمال روّية سارت الى شارل ملك فرنسا في شهر شباط سنة ١٤٢٩ ميلاديّة وكان عليها ان تقطع مسافة ١٥٠ فرسخاً في اقطار مشحونة بدبّابة الانكليز ومحفوفة بالمكاره والاهوال حتّى تبلغ مدينة لوزين (؟) حيث يقيم الملك (٧ فتزيّت بزيّ فارس (٨ وعلت جوادها بعد ان تقلّدت حساماً بتّاراً واخترقت تلك المهامه حتّى اذا

---

١) والصواب جاك اي يعقوب درك ٢) لم تكن تلك الهواجس اوهاماً بل عواطف تقويّة شريفة ٣) بل في يقظتها حين بلغت الثالثة عشرة من عمرها ٤) ليس الزعم هنا بمعنى الظن بل بمعنى التأكيد ٥) والصحيح انها انتقلت مع والديها الى مدينة نوفشاتو لمّا غزت قريتها عصابة من البورغنديين المشايعين للانكليز فخدمت هناك الارملة المذكورة ٦) والصواب انها عادت مع اهلها الى دومرمي بعد خروج البورغنديين منها. ٧) كان الملك مقيماً في مدينة شينون ٨) فعلت ذلك بوحيٍ من رؤاها

اشرفت على مقرّ الملك بعثت تُنبئهُ بقدومها وتخبرهُ بأنها ستكون منقذةً للعرش وراضة الحصار عن اورليان (١ وانها ستمهّد سبيل تتويجهِ في رام (٢

فلمّا قدم عليهِ البشير بذلك النبأ ابتسم ذرياً (زَرْياً) من قلب مشحون من الغيظ. ثمّ استمرّ مع وزرائهِ في شأنها ثلاثة ايام فكان فريقٌ يسخر منها ويضحك عليها وفريقٌ يذود عنها ويرى إلقاء المقاليد اليها والملك بين ذلك من حزبٍ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء حتّى اسفر الرأي عن لقائها. فلبس الملك ثياب احد اتباعهِ والبسهُ ثوبهُ الملكي اختباراً لأمرها ثمّ اذن لها. فجاءت تخترق صفوف الحشم والحاشية حتّى وقفت بإزائهِ فانحنت جاثيةً لديهِ قائلة لهُ بلسانٍ ذَرِب : حُيّيتَ وحُيّيت ايها الملك الحليم. فقال لها: اخطأتِ فانّ الملك هو ذاك مشيراً الى من ألبَسَهُ ثوبهُ. فقالت : « ما الملك الّا انت وما انت الّا الملك واني لمأمورة انا العذراء المسكينة من الروح الامين بشدّ أزرك والدأب لأسباب نَصرك وما على الرسول الّا البلاغ » . فخلا بها الملك حيناً من الدهر ثمّ ناجى وزراءهُ فقال لهم : « قد احاطت لَعمرُ الله بما في سرائري وادركتْ ممّا لا يدركهُ بعد الله الّا ضمائري واني لا اشكّ ان اكون من امرها على ثقة ولكن لا بأس من التأني ريثما تُمتحن » . ثمّ اتاها برهطٍ من سَبرة الاطبّاء واساطنة العلماء حاولوا ان يفقروها(٣) بمسائل مُشكِلات وغوامض حتّى اذا اعيتهم الحِيَل وعادوا بالخيبة والفشل عزّزها الملك بكتيبةٍ من خواصّ فرسانهِ

فبرزتْ امام الجيش شاكّة السلاح معتقلة بيدها رمحاً وبالأخرى رايةً واخذت تعدو على جوادها متفننة في انواع الفروسيّة حتّى سحرت الناظرين فهتفوا ترحيباً بها واستحساناً لها وتعجّباً منها ثمّ صارت بجيشها تنهب الارض هملجةً وخبّاً حتّى بلغت المعسكر في اورليان . واذا بارواح القوم تكاد تبلغ التراقي والعدوّ محيط بالمدينة احاطة الهالة بالبدر واهلها في شدّة من ضيق الخناق

فأمرت بادئ بدأةٍ بتطهير المعسكر من عواهر النساء وحضّت الرجال على الاستمساك بالتقوى والاعتصام بالرجاء ثمّ زحفت على البلد فاستولى الرعب على قلوب الانكليز وقالوا: « ما هذه بشرٌ إنْ هي الّا مَلَكٌ كريم (٣ » او ساحر اثيم . وكانت

١) اقرأ «اورليان» ٢) اي مدينة ريمس

٣) من سورة يوسف : ع ٣١ وفي القرآن « بشراً »

ترتدي بحلّة بيضاء وتركبُ جواداً اشهب وتنشر فوقها راية بيضاء (١ فاذا بصر بها الانكليز وهي في هذا الهندام فرُّوا من امامها كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرّت من قسورة. وما برحت تصدق الحملة وتتابعها وتبلي بالعدوّ البلاء الحسن وهي تتجرّع من انحراف جيشها عنها وعدم انقيادهِ لها انواع الغصص وضروب الإحن حتّى استتبّ لها الفوز فضعف الانكليز واستكانوا وضربت عليهم الذلّة اينما ثقفوا فألجئوا الى الجلاء على (عن) اورليان فكفّوا عن حصارها في ١٨ ايار ١٤٢٩ وانهزموا لا يلوون على شيء فسارت جان دارك الى بلوا لتهنئ الملك بما اوتيهُ على يدها من النصر . وكان القرويّون في تلك الاصقاع يتسابقون لمرآها ويتزاحمون على لثم أقدامها ولمس ثرابها. فأكرم رجال البلاط وفادتها ودعاها الملك الى وليمة فأبت قائلةً : « انّ الوقت وقتُ جهد (جهاد) وثبات لا وقت قصف ولذّات . وان الروح انبأني انّ الموت قد دنا فتدلّى حتى صار على قاب قوسين(٢ وانهُ لم يبق بيني وبينهُ اكثر من عامين فاذهب بحقّك الى رام (ريمس) حيثما اتوّجك بيدي وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء »

وصارت امامهُ بفصيلةٍ من الجيش حتّى اذا بلغت جارجوا اعترضها العدوّ فهاجمتهُ ورقت (رقيت) سلّماً نُصب لها على السور فرُميت من اعلاهُ بما جندلها من الخندق فصُرعت لكنّها افاقت بعد قليل وجعلت كقائد الجيش تستثير حميّة العساكر بكلام ارقّ من السحر وافعل في الرؤوس من نشوة الخمر وهي تعاني آلاماً مبرّحة. فدبّت النخوة في صدور الرجال وحملوا حملةً صادقة اذاقت العدوّ الازرق بلاء اسود وأرتهُ من بريق النصل الابيض موتاً أحمر . فاستولت على البلد عنوةً بعد ان أسرت

ولمّا طار الخبر الى الامير تلبوت قائد الانكليز العام اخلى سائر المدن وكرّ قافلاً الى باريس وما برحت جان دارك آخذة في سيرها وكلّما عثرت بشرذمة فتكت بها حتّى بلغت مدينة رام (ريمس) وهناك تمّ تتويج شارل في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ وكانت جان دارك ممسكةً بسيفهِ وعليها اثواب الكُماة . وبعد انقضاء الحفلة جثت عند قدميهِ . وعانقتهما باكرام باكيةً ثمّ قالت : « اليوم اكملتُ لكم نصركم وانجزتُ كلّ ما وعدتكم فأطلقوا سراحي فاعود الى ابي قريةَ العين حيث ارعى الماشية واغزل

١) رسمنا صورتها في المشرق (١٣ [١٩٠٩] : ٣٢٨) كان مرقوماً عليها اسما يسوع ومريم الكريمان

٢) من سورة النجم ع ٨–٩

الصوف جرياً على سُنَّة بيتٍ رَبَيْتُ فيهِ ونشأتُ عليهِ»

فامتنع الملك قائلاً : « كيف أُغادر مَنْ بها نجاةُ الأمّة واليها يرجع امر استتاب راحتها وعليها يتوقّف استكمال سعادتها » . ذلك لأنَّ الناس كانوا قد ازدادوا بها اعتقاداً وعلّقوا على بسالتها واقدامها آمالاً طوالاً حتّى كانوا يرون حول رايتها ارواحاً من الفَراش البرّاق (١

فساءها امتناع الملك وعرَتها من تلك الساعة الكآبة والحزن وفارقها ذلك الرشد والنشاط وذهبت عنها تلك الحميّة والبسالة وانقطعت عنها احلامها الروحانيّة حتى اصبحت اعمالها رهينة الحيرة والفشل واقوالها قرينة الوهم والركاك وكانت تُرى ابداً حائرة النفس دائمة البكاء (٢

ولمّا لم يُجدِها الإلحاح نفعاً استعادت من معبد رام (ريمس) سلاحها وبرزت ثانيةً في زيّ الابطال غير انَّ كبراء القادة وامراء الجيش كانوا قد لُشربوا بغضها واضمروا لها الحسد والضغينة فصاروا يشنعون عليها ويُسيئون معاملتها ويُغرون العساكر على نَبْذ طاعتها ويلقّبانها بالالقاب المستهجنة ويُتهمونها بهتك حجابها ويفضحونها امام العموم . . فكانت تردُّهم اقبح الردّ ولا تجالس الّا حرائر النساء ومصونات الابكار ولا تنام الّا مع امرأة تخفرها فلم يجد احدٌ فيها محلاً للوم والقذف ومع انّها جُرحت جراحاتٍ لم يثبت كونُها سفكت بيدها دمَ احدٍ

ثمّ اشارت على الملك بالشخوص الى باريس ليستخلصها من يد الانكليز فساروا وجان دارك سائرة في ركابهِ حتّى اذا بلغتها بعد شقّ النفس امرها بالهجوم على قوبور سنت اوترى (٣ حيث يقيم الاعداء فأُثخنت في تلك الواقعة جراحاً وصُرعت عدّة صرَعات . ولمّا استعادت رُشدها قامت فعلّقت درعها وسألت الملك الانصراف فأبى ووعدها باعفاء قريتها من الضرائب ومنحها رتبةً جليلة فعاودت الخدمة مرغمةً

---

١) رأى ذلك اهل مدينة تروا يوم اضطرّتهم على فتح مدينتهم للملك شرل

٢) في هذا شيءٌ من المبالغة . فانَّ القديسة جان دارك اذ لم تعُد تسمع الاصوات السماويّة التي كانت ترشدها وكان الملك لا يدعها ان تعود الى عزلتها بقيت حيناً في حيرة وارتياب لكنّها آثرت اخيراً ان تضحّي حالها في خدمة وطنها فكان موقفها داعياً لنصرة فرنسة تماماً

٣) هذا تصحيف فوبور سنت اونوره (Faubourg St.- Honoré)

وفي السنة ١٤٢٠ انتدبها الملك الى اجلاء الانكليز عن كوبين (١) فسارت متدرّعة بالاقدام بيد انها لما ارادت الايقاع بالحاضرين خذلها اتباعها فرُميت بسهم، فصُرعت واستسلمت الى الامير ڤندوم (٢ وذلك في ٢٤ ايار ١٤٣٠ فذاع خبر اسرها في تلك الاصقاع واقبل الناس لرؤيتها

ثمَّ بويعت للانكليز وخذلها الملك شرل جاحداً جميلها كافراً نعمتها لؤماً منهُ وخسّةَ اصل (٣ وخاض الناس في حديثها وكان اهل باريس يشدُّون عليها النكير ويُغرون الانكليز على اتلافها (٤ فلبثت مسجونةً في قلعة جان دولكسمبرغ حتى أُقيمت عليها الدعوى في ١٤ شاباط (شباط) سنة ١٤٣١ تحت رئاسة كوشون مترنه بوڤه (٥ من صنائع هنري السادس عامل الانكليز فسيقت الى المحكمة ست عشرة مرّة ابدت في خلالها ثباتاً عجيباً ودفاعاً مُفحماً على انهم حكموا اخيراً بأنها مبتدعة ساحرة وبأن تجازى بالحبس الابدي مقصوراً قوتها على الخبز والماء

ثمَّ ارغموها على الحَلف بان لا ترتدي بعد ذلك بلباس الرجال ثمَّ نصبوا لها شركاً بان بدلوا ثيابها ليلاً بثياب رجل فلمَّا ارادت ترك فراشها لم تجد سوى تلك الثياب فلبستها مضطرّةً فهوجمت وسيقت الى الحاكم بهذا الزيّ فحكم بأنها حانثة تستحقّ الإحراق فقالت بثبات وجلال : « انني استأنف حكمك الى عرش الحكيم العظيم (٦ »

ولكنّها لما أُخرجت الى حيث استوقدت النار خارت قواها فأنّت متأوّهةً وانا حمي الوطيس ولعلع لسان اللهيب فيه جعلت تدعو وتبتهل بلسان ابكى اعداءها (٧ وحيَّر الكردينال بوفور فحوّل وجههُ عنها تألّماً والدموع تنحدر من مآقيه كالسواقي. وقد تمَّ هذا المشهد الاثيم في ٢١ ايار سنة ١٤٣٠ في ساحة تسمّى موضع البكر وذُرّي رمادها بالهواء فوق نهر السين

---

١) تريد كمبان (Compiègne) ٢) كان الامير دي ڤندوم من حزب البرغنديين

٣) لم يجحد الملك جميلها لكنّهُ اظهر ضعفاً في الدفاع عنها وفكّ اسرها ٤) كانوا موالين للحزب البرغنديين ٥) اي مطران بوڤه (Cauchon év. de Beauvais)

٦) وطلبت ان يُرفع الحكم الى بابا رومية. الذي لمَّا بلغهُ الامر بعد موتها زكّاها وبرّأ ساحتها ٧) كان ابتهالها الى السيد المسيح ربّنا وقد طلبت ان يوضع صليبهُ المقدّس امامها فانت صارخة : يا يسوع . يا يسوع . ولم تؤثر النار في قلبها

ثمَّ بعد عشرين عاماً نقض مطران باريس ومطران رام (ريمس) هذا الحكم واثبتا براءتها. وفي سنة ١٨٢٠ أقيم لها تمثال في موطنها دومرمي وآخر في محلّ إحراقها دون (١ ثمَّ آخر في باريس وهو اجمل تماثيلها. وفي السنة ١٨٥١ نصب لها اهل اورليان تمثالاً في مدينتهم وهم يعيّدون تذكارها في ٨ ايار في كل عام

وقد عاب الرأيُ العام فولبث (٢ بقصيدتهِ التي اودعها ذمّ جان دارك وتسويد صحيفتها بانواع السبّ الظالم والقصف النادر لكنهُ لا يُستغرَب ذلك ممَّن اوقف حياتهُ على تقويض عمَد الديانات وتزييف اوليائها. وقد ألَّف كتبة الفرنج بموضوع قصَّتها عدَّة روايات محزنة من النوع المعروف بالتراجيدي اي الفاجعة وهي مما يُذيب تمثيلها القلوب ويشقّ المرائر. فيا قاتَلَ الله الانسان انهُ لكافر

ليت السباعَ لنا كانت مجاورةً وليتنا لا نرى ممَّن نرى احدا
انَّ السباع لتهدا عن فرائسها والناس ليس جادٍ شرُّهم ابدا

الحيوانات الداجنة وتربيتها

نظر طبيعيّ فلسفي لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

لا يرضى المتشيّعون لآراء دروين بان ينسبوا النباهة فقط الى الحيوان بل يزعمون انَّهُ يحصل على شيءٍ من العقل والنطق . وحجّتهم في تأييد رأيهم انَّ للحيوان حركاتٍ وسكنات لا يُستطاع تعليلها الَّا بالقول انهُ ذو فهم وتعقُّل أفلا تراهُ مدركاً لاعمالهِ وعارفاً بما يدعوهُ اليها وعالماً بما سيحصل من بعضها ان لم نقل عن كلّها ؟

قالوا : انظر مثلاً الى هذا الكلب فانَّهُ اذا بلغ مدخل بيت سيّدهِ رفع بقائمتيهِ وسندهما الى الباب وعالج زلاجهُ الى ان يفتحهُ فيدخل . ومن الكلاب الصيَّادة ما يقوم باعمالٍ عجيبة بركضهِ وراء الصيد وحجزهِ وبحراسة البيوت واهلها ومنها ما

١) هذا تحريف روان (Rouen) ٢) هو تصحيف فولتير (Voltaire) الذي اظهر كفرهُ ودناءة نفسهِ بتأليف مأساة شنَّع فيها على تلك النفس الملائكيَّة

ولنا مثال آخر في الخيل البرّية التي تسرح في مفاوز اميركة الجنوبيّة وهي تتناسل من الافراس التي ادخلها الفاتحون الاوّلون عند دخولهم تلك الاصقاع فعادت في البراري الى حالة وحشيّتها القديمة . واذا اراد الهنود الموكول اليهم امرها ان يقبضوا على بعضها احاطوا بها ثمّ سعوا الى توجيهها الى مدخل حظيرة مغروسة بالاوتاد في طرفيها . فالمدخل واسع رحب في اوّله ثمّ يتدانى خطّا الاوتاد وينتهيان الى حظيرة يمكن إقفالها . فالخيل اذا احسّت بعدوّها تنفذ في المدخل المذكور حتّى تنتهي الى الحظيرة فتوصد وراءها ويقترب حينئذ الهنود فيلقون ربقتهم حول قوائمها ويطفرون فوق متونها ويتشبّثون بعرفها ثمّ ينهبون فوقها البطاح وهم يضربونها بشمرة سياطهم ويغمزون كلكلها بالمهاز ساعات الى ان يعيا الجواد مجهودًا فيسكن او يهبط كللًا فيُسرع الراكب الى مقودٍ يجعلهُ حول عنق الفرس ويجعل الشكيمة في فمه ويلجمهُ فيصبح اذ ذاك في قبضته فيروضهُ بعض الدفعات الى ان يصبح طوع امره مروضًا فيتّخذهُ لما شاء من حاجاته على اختلافها حتى يقودهُ الولد الصغير ويركبهُ فيجري به حيثما اراد وذلك لأنّ ما لقيهُ من الضنك والقهر لاوّل مرّة قد انطبع في مخيّلته فيكفّ عن الجموح والنفور . وكل ما يصنعهُ بعد ذلك انّما هو نتيجة تربية الانسان وفعل عقله لا حصّة فيه لغريزة الفرس

فهذه المقابلة بين طبيعة الحيوان وفطرته وبين عقل الانسان واحتياله تبيّن جليًّا ما لكلّ منهما من الفعل الخاصّ فانّ غريزة الحيوان تدفعهُ الى الهرب فالانسان يسعى بتوجيه سيره الى نقطة معلومة . يدفع الوهمُ الحيوان الى ان يسير السير الحثيث في البطاح وهو لا يرى انّ سيره هذا يضعف قواه فالانسان العالم بما سينال الفرس من العناء يتّخذ ذلك وسيلةً لكبح جماحه ولبلوغ غايته . ولو كان للفرس ذرّة من العقل لعرف قوّته وفكّر في اخذ ثاره من عدوّه واستخدام سرعة قوائمه لينجو من عبوديّته ويستعيد حرّيته . على خلاف الانسان الذي يحوّل تلك السرعة وتلك القوّة لمنفعته الخاصّة

فكفى بهذه الامثلة شاهدًا على بيان ما قلناهُ عن الواسطة الثانية التي يتوسّل بها الانسان لتأهيل الحيوان اعني بها الترويض

ثمّ انّ في الحيوان نفسه استعدادًا لترقية خواصّه الوهميّة . فالقرد مثلًا من طبعه مؤهّل لتقليد ما يراهُ وقد لحظ ذلك كتبة العرب واخبروا لتأييده عدّة اخبار قد وافقهم على صحّتها المحدثون . فاذا اخذهُ الانسان في خدمته وعُني في تربيته يتقلّد ما

يشاهدهُ من الاعمال ولاسيّما اذا مرّنهُ عليها صاحبهُ بالتمرين المتواتر . فنسبةُ هذه الاعمال الى عقل القرد شطط . فاذا رأيناهُ اذاً يقتدي بالانسان في ذهابهِ وايابهِ وفي جلوسهِ على المائدة واكلهِ وشربه فكلّ هذه الاعمال توافق طبعهُ الغريزي يعملها بقوّتهِ التقليديّة دون ذرّةٍ من العقل والتمييز لأنّ مخيّلتهُ تأثرت من نظر الاعمال المذكورة فيعيدها كما رآها لا يفقه معناها كما تكرّر الببغاء ما تسمعهُ دون فهمهِ

وممّا يُروى عن احد علماء الطبيعيات في باريس في القرن الثامن عشر انهُ كان ربّى قردًا وأحسن تثقيفهُ حتى كان يُعدُّهُ كأحد اهل البيت . وكان المذكور قد جمع في حجرتهِ عددًا عديدًا من الحشرات والهوامّ والفراشات نظّمها في علب مشكوكة بدبابيس . فخرج يومًا وترك القرد في الحجرة سهوًا فما غاب سيّدهُ حتى تهافت على الحشرات المغروزة والتهمها دون ان يخطر على بالهِ انّ هذا المجموع عزيز على سيّدهِ تكلّف في جمعهِ الاتعاب والنفقات الطائلة . على انّ شرّهَ صاحبنا أدّى بهِ الى عطبهِ فانّهُ لم يلحظ انّ لكلّ حشرة دبّوسها او إبرتها فازدرد الهوامّ مع ابرها التي نشبت في حلقهِ فخنقتهُ . فانظر يا رعاك الله مبلغ عقل هذا القرد الذي لم يدّخر صاحبهُ وسعًا في تهذيبهِ وهو كما يزعم بعضُ الجهلاء شبيه بالانسان في نطقهِ . وكم حوادث أخرى تدلُّ على بلاهة القرود وتطبُّع طبعها على تطبُّعها . ولنا في ذلك شاهد قريب في القرد الذي عضّ صاحبهُ ملك اليونان اسكندر فكان علّة موتهِ

ولعلّ الكلب هو اوّل الحيوانات الداجنة التي عُني الانسان بتربيتها . وليس من شأننا ان نبحث عن اصل الكلب أهو نوع من الحيوان مستقلٌّ بجنسهِ او هو من نسل حيوان آخر سبقهُ فبادَ اثرهُ . او هو بالاحرى من مواليد بني آوى (الواويّة) أخذهُ الناس في صغرهِ وربّوهُ وثقّفوهُ فاكتسب صفاتهِ الالفيّة واورثها صغارهُ . وممّا لا يُنكَر انّ بين الكلب وبعض اجناس بني آوى او الذئاب ايضًا شبهًا تامًّا كما يعلمهُ اللبنانيّون . وفي الحبشة جنس من بني آوى يشبهُ الكلاب السلوقيّة الطويلة القوائم فمن المحتمل انّ الكلاب متسلسلة عنهُ

ومهما كان من اصل الكلب فلا شكّ انّهُ الحيوان الذي دخل عليهِ بفعل الانسان اكثر من سواهُ اختلافاتٌ عديدة في الهيئة والخواصّ العجيبة . فترى بين الكلاب ما هو مختلف الحجم مختلف اللون والوَبَر مختلف الصورة والشكل . منها الكلب

الموقوف للحراسة ككلب الرعاة الذي يقوم في وجه الضواري فتخافهُ السباع والناس ومنها الكلب الانيس الذي يرافق صاحبهُ ويُصبح لهُ ولاولادهِ صديقاً اميناً وملهاةً شائقة . ومنها ما عُني بإنعاش حاسّة شمّها فتستنشق رائحة الصيد من بعيد وتبحث عن صاحبها فتجدهُ رغماً عن ابتعاده . كما انها تعرف حوائجهُ فتأتي بها اليه وتصونها . وقد اهتمَّ بعض مثقفي الكلاب في تقوية اعصابها فتصبح من اسرع الحيوانات ركضاً واطولها نفساً . وفي بعض البلاد يتَّخذون الكلاب لسحب العجلات الصغيرة الناقلة الى الاسواق محصولات الزراعة لبيعها او يُركبون فوقها احداث الاولاد . وفي البلاد الشماليَّة كلابٌ يقطعون بها المفازات المثلجة والجليديَّة وهي تجرُّ عربات يركبها السيَّاح والمرسلون الكاثوليكيُّون لخلاص النفوس . هذا الى ما لا يُحصى من الخدم التي تؤديها الكلاب على اختلاف انواعها البالغة المئات من الكلب الصغير الذي يحملهُ صاحبهُ في جيبهِ ويتلهَّى بهِ في بيتهِ الى الكلب الكردي او كلب الارض الجديدة الشبيه بضواري السباع

فكيف يا ترى تمكَّن الانسان من ان ينال كلَّ هذه الاختلافات والتحوُّلات ؟ انَّما بلغ الى ذلك بدرسهِ لطباع الكلاب وغرائزها الاصليَّة فاختار بينها ما وجدهُ قابلاً لبعض الخواصّ والصفات فاجتهد في تنميتها بالتمرين والتثقيف والتربية الافرادية . ثمَّ سعى بان يجمع بين اجناسها المختلفة لتتولَّد منها اشكال جديدة بعد ان ألغى منها ما لم يجدهُ صالحاً لغايتهِ . فنتج عن تلك المساعي انهُ نال انواعاً مختلفة ذات صلاحية لامور شتَّى . وهكذا جرى لهُ في دواجن الحيوان التي تألف بيتهُ . وقد حصل على ذلك كما حصل على انواع النباتات السابق ذكرها التي عُني بفلاحتها وزرعها فأولاها بهمَّتهِ خواصّ جديدة توارثها النبات النامي من بزرها . فعلى مثلها اكتسب الحيوان تلك الصفات التي استخرجها الانسان من غريزتهِ القابلة لها . ومن المعلوم انَّ هذه الخواصّ ان لم يواصل الانسان اعتناءهُ في حفظها وصيانتها تُفقَد بعد زمن قليل حتَّى يعود النبات والحيوان الى ما كانا عليهِ من حالتها البريَّة والوحشيَّة

ففي مثل الكلاب وما طرأ عليها من اختلاف الاحوال برهانٌ حتميّ على ما للحيوان من الغريزة وعلى ما يستطيع الانسان بعقلهِ ان يستخرجهُ من تلك الغريزة . وهل يا تُرى منذ القرون الطويلة التي صرفها الانسان في تربية الكلاب فتمكَّن من

جعلها رقناء له وجلساء اصاب واحدٌ منها ذرّةً من العقل ليتّخذ الدرويشون ذلك دليلاً على مذهب النشوء والارتقاء ؟

انّ الجواب على ذلك سلبيٌ محضاً . ولنا على هذا الف دليل . اخبروا ان كلباً كان صاحبهُ عوّدهُ على حراسة ما يُحمل بين يديهِ من طعام وغيرهِ فلا يمسّ منها شيئاً الّا باشارتهِ فنسيهُ صاحبهُ يوماً في بيتهِ وعلى المائدة قطعةٌ من اللحم وسافر الى بلدٍ آخر ولم يرجع الّا بعد حين فلمّا دخل بيتهُ رأى اللحم سليماً والكلب ميتاً بقربهِ جوعاً

فاستنتج المدافعون عن فهم الحيوانات انّ هذا الكلب اعرب عن تمييز وعقل فآثر الموت على مسّ اللحم قياماً بوصيّة سيّدهِ

امّا نحن فنحمل عملهُ بالعكس على بلاهتهِ وخلوّهِ من العقل . فلو كان عاقلاً لفكّر في نفسهِ انّ صاحبهُ اقفل بابهُ وسها عنهُ فلا يريد موتهُ بل يحقّ لهُ ان يغتذي باللحم الذي بقربهِ ولا يعرّض نفسهُ للتلف . لكنّهُ جرى على سابق تأثيراتهِ الحسّيّة وما لقيهُ من زجر او ضرب معلّمهِ لمّا كان يخالف اوامرهِ . وشتّان بين هذا والعقل

مبلغ الوهم ومبلغ العقل

انّ الانسان اذا رأى في الحيوان اعمالاً تبعثهُ غريزتهُ على ابرازها او اعتادها بالتربية والتثقيف ينسب ذلك الى العقل لما يجد فيها من الشبه بالاعمال البشريّة . لكنّهُ مخدوع في حكمهِ هذا لانّ الاعمال البشريّة حتّى الصادرة عنّا بحركة طبيعيّة لا تخلو من شيءٍ من فعل العقل إمّا مباشرةً لمّا اعتاد الانسان على تلك الاعمال الغريزيّة واما ضمناً باندماج العقل واختلاطهِ بالفعل . ثمّ انّنا بحكمنا في عمل الحيوان نعيرهُ من تلقاء ذاتنا نيّةً دافعة لهُ عليهِ لأنّنا قد اعتدنا ان نجري مثل هذا الحكم في اعمالنا البشريّة

قد رأى كلّ منّا كلباً اكل كفايتهُ فشبع وفضلَ عندهُ كسرة من الخبز فلا يدعها بل يأخذها فيطمرها في بعض انحاء الجنينة . فمن يعاين عملهُ هذا يحكم في فكرهِ قائلاً : « نِعمَ ما فعل هذا الكلب فانّهُ احسّ بشبعهِ حاضراً فاراد ان يدّخر لهُ قوتاً ليوم آخر لعلّهُ لا يصيب طعاماً » لكنّ هذا القياس نبنيهِ نحن في عقلنا لما نجدهُ من الشبه بافعالنا لمّا ندّخر لغدنا شيئاً من ماكول اليوم . فانّ الحيوان لا يدرك معنى الزمان ومن المعلوم انّ الكلب كبقيّة الحيوانات اذا شبع او اعتلّ يمتنع عن الاكل وبهذا يفضل

على كثير من الناس الزيّنين بالعقل والذين ينسيهم الشره عقلهم في الاكل والشرب. وان سألت ما هو اذن سبب اخفائهِ لفضلة طعامهِ؟ اجبتك انّ هذا شيء من وهمهِ لا ادري لهُ تعليلاً وان شئت لسأل الزاعمين بمعرفة لغة الحيوان لأنهم يفيدونك عن سبب فعلهِ. امّا انّ فعلهُ مجرّد وهم فيتبيّن من كونهِ لا يبحث في الغد عمّا خبأهُ ليأكله. وان وجدهُ بالصدفة فانّما استدل عليهِ بحاسّة الشمّ كما يستدلّ على اي طعام كان سواهُ

وممّا روتهُ مجلّة كوسموس (le Cosmos) في احد اعداد سنة ١٩١٤ انّ احد عمّال ملك سكسونية الموكّل على كلاب الصيد لسيّدهِ افرغ جهدهُ ليعلّم واحداً منها بعض حروف الهجاء مثل «اي ولا» ثمّ أسمعه عدّة اسئلة وعلّمهُ ان يجيب عليها باحدى الكلمتين فعُدّ ذلك لدى بعض اساتذة المانية كآية دالّة على عقل الكلب لكنّهم ما غيّروا قليلاً ترتيب السؤالات او اضافوا اليها شيئاً حتّى نسي الكلب كلّ علمهِ واضحك سامعيهِ بسوء اجوبتهِ. وقس على ذلك ما روتهُ سابقاً مجلّتا المقتطف والهلال عن بعض الحيوانات الناطقة او الحاسبة ففنّد الشرق مزاعمها وما لبثت ان ظهرت الحقيقة وعُرفت حيلة معلّمي تلك الحيوانات

وما قلناهُ عن تثقيف الانسان للحيوان لا يدلُّ على انهُ يريد ان يولي الحيوان قوًى جديدة بل غايتهُ فقط ان يتّخذ ما طُبع عليهِ الحيوان من القوى الغريزيّة من اصلهِ ليستخدمها لمنفعتهِ

لنا مثال على ذلك في بيض الطيور فانّ الطبيعة خوّلتها البيض لصيانة نسلها فاستفاد الانسان من تلك القوّة لخيرهِ الخاصّ وسوّل للطائر بان يبيض بيضاً اكبر حجماً واكثر عدداً لينتفع هو منها لطعامهِ قبل حضانتها

ومثلهُ الحليب في ذوات الاثدية فانّها تدرُّ حليبها لطعام صغارها فوجد الانسان انّ حليب البعض منها يحسن لغذائهِ فاختار بينها ما رآهُ ادمث خلقاً قابلاً للتربية فسعى في اصلاح طعامها ثمّ افرز ما كان اقوى بنيةً فصارت تدرُّ لهُ حليباً اغزر من ذي قبل اذ كانت في وحشيّتها فاغتذى بهِ واطعم صغارها قوتاً غير الحليب ارخص ثمناً

فهذه الطرائق من حسن الاختيار وجودة التربية بلّغت الانسان الى تحسين اجناس الحيوان كالضان والمعز والبقر الخ ليربح لبنها ولحمها وصوفها. واذ وجد في الخيل والجمل والفيل قوّة عظيمة تمكّن من تربيتها ليستفيد من تلك القوّة. امتاز الكلب

بحاسة الشمّ وغريزة الصيد وغير ذلك من الخواص فصرفَ الانسان تلك الصفات لاصطياد الوحوش ولاستخراج الكمأة من الارض ولحراسة دارهِ ومواشيهِ. طُبعت المرأة على اقتناص صغار الحيوان مع ما خُصَّت بهِ من حسن البصر ليلًا فاتخذها الانسان لخدمة بيتهِ وتنظيفهِ من خشاش الحيوان . وفي اميركة الجنوبيَّة حيث لا يعيش القطّ يتَّخذون بدلاً منهُ حيَّة ضخمة تقوم مقامهُ كما يستبدل المصريون القطّ بالنمس . وعلى هذا النمط يستطيع الانسان على مقتضى الازمنة وحالات البلاد ان يستخدم المخلوقات التي دونهُ . فيستعين بالجمل في البلاد الشديدة الحرّ وبالأيّال في القارسة البرد وهلم جرًّا . ومن هذا كلّهِ ترى الفرق بين وَهْم الحيوان الضيّق الدائرة وعقل الانسان الواسع النطاق الذي يصرف الكائنات الى تتميم رغائبهِ

وما لا شكّ فيهِ ان معظم دواجن الحيوان ما بلغت الى ما هي عليهِ من الائتلاف وتحسُّن الحال الَّا بمساعي الانسان الذي جوّد طباعها الغريزيَّة . على ان البعض منها فقدت بتأهيلها وتربيتها شيئاً من اخلاقها الاصليَّة . فان ديك الحبش مثلًا اطيبُ لحماً واجمل ريشاً في حالتهِ الوحشيَّة منهُ داجناً . وكذلك البطَّة الوحشيَّة احرص على حضانة بيضها من البطَّة الاهليَّة بخلاف الدجاجة الحريصة على الحضانة حتَّى انَّها تتلف في عملها ان لم يراقبها اصحابها . على ان الانسان اكسبَ انثى ديك الحبش صفةً جديدة بأن دفعها الى حضانة البيض كلَّما شاء . وفي ذلك من الفضل ما لا يخفى اذ يمكنهُ ان يحصل على الفراريج في كلّ فصول السنة حينما يغلو ثمنها . وفي بعض البلاد يوزّع الناس بجمع اناث ديوك الحبش فيأجرونها من شاء حضانة بيض دجاجهِ

وخلاصة الكلام ان ما يحدث من تنمية القوى وتحسين الصفات في دواجن الحيوانات التي يختصُّها الانسان بخدمتهِ لا تصحُّ نسبتهُ الى الحيوان نفسهِ بل الى حذاقة الانسان . فلو كان اتَّصل اليها الحيوان من تلقاء نفسهِ لجاز القول ان الحيوان يترقى ويزيد كمالاً ولأمكن تبعة دروين ان يثبتوا نوعاً مذهبهم في النشوء والترقي وينكروا تكوينها من الخالق كما يزعمون الآن دون ادنى دليل . والصواب ان هذا الترقي المزعوم في الدواجن انما عاملهُ الوحيد هو العقل البشري ليس الَّا

قال احد علماء عصرنا في هذا الشأن : « قد تسلَّط الانسان على الحيوان واستعان بما وجدهُ حولهُ من الوسائط كأحوال الزمان والمكان والطعام فغيَّر نوعاً طباع الحيوان

دون ان يُحاول من تلقاء ذاته ان يحسّن حالهُ . فنال هذا التحسين من غيره وهو لم يُظهر بعلامةٍ ما كونهُ عالماً بهذا التحسين او راغباً فيهِ كالشجرة التي يلوي الانسان اغصانها ويسعى بتشكيل زهورها كما يشاء . فعاملُ التحسين في الحيوان ليس هو فيهِ ومنهُ بل هو خارجاً عنهُ . لا يسعى وراء الكمال ولا يدركهُ وانما هو مَسوقٌ اليهِ . . . وبكلمة واحدة نقول قد ثبت ان اكمل الحيوانات ولو حصلت في اوفق الظروف وانسب الاحوال لا تعي شيئاً من امر ترقيها ولا ترمي اليهِ بمشيئتها وادراكها(١ .

ترجمة يوسف الاوّل بطريرك الكلدان

١٦٨١–١٧٠٧

لباسيليوس عبد الاحد مطران آمد

توطئة

في مكتبة الكلدان في ديار بكر كرّاس صغير يحتوي على ترجمة حياة البطريرك يوسف الاوّل الذي كان مطراناً نسطورياً فارتدّ الى الكثلكة بعد ان ثبتت لهُ صحّة ايمان الكنيسة الرومانيّة فاقامهُ البابا اينوشنسيوس الحادي عشر بطريركاً على الكلدان الكاثوليك سنة ١٦٨١ فسكن مع خلفائهِ في آمد اي مدينة ديار بكر وكانت وفاتهُ سنة ١٧٠٧ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٧٨–٨٨٠) . وقد لقي بارتدادهِ عدّة ممن وصفنا احد تلامذتهِ باسيليوس عبد الاحد الذي اقيم كاتب بطريركي على آمد فسُقف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٣٧ . فهذا اذ كان واقفاً على كل تفاصيل سيرة معلّمهِ سطّرها في هذه الذلكة وهي اجمل اثر واصدق رواية لسيرة ذلك البطل الذي ثبت في الايمان مع ما قاساهُ من ضروب البلايا والاضطهادات كما سترى وذلك سنة ١٧١٩

ولنا على شهامة البطريرك يوسف الاوّل شواهد اخرى راقية الى عصرهِ منها ما كتبهُ السيد فرنسوا بيكه مطران سيزاروبل والقنصل لدولتهِ على حلب سابقاً لمّا مرّ في ديار بكر في اواخر ايار سنة ١٦٨١ فاطرأ عليهِ ولمّع في محامدهِ وكتب في ذلك الى مجمع انتشار الايمان والى قنصل فرنسة في حلب . وكان بودّنا ان نعرّب كلامهُ ورسائله لولا ضيق المكان (٢ . اما السيرة

---

١) اطلب معجم الجدليّات A. d'Alès, Dictionnaire d'Apologétique, fasc. I. 126.

٢) راجع ترجمة المطران فرنسو بيكه La Vie de Messire François Picquet Paris, 1732. pp. 359-369 ثمّ مذكرات الكفالير دارفيو Mémoires du Chevalier d'Arvieux. Paris, 1735. VI. 95-122

دون ان يُحاول من تلقاء ذاته ان يحسّن حالهُ . فنال هذا التحسين من غيره وهو لم يُظهر بعلامةٍ ما كونهُ عالماً بهذا التحسين او راغباً فيهِ كالشجرة التي يلوي الانسان اغصانها ويسعى بتشكيل زهورها كما يشاء . فعاملُ التحسين في الحيوان ليس هو فيهِ ومنهُ بل هو خارجاً عنهُ . لا يسعى وراء الكمال ولا يدركهُ وانما هو مَسوقٌ اليهِ . . . وبكلمة واحدة نقول قد ثبت ان اكمل الحيوانات ولو حصلت في اوفق الظروف وانسب الاحوال لا تعي شيئاً من امر ترقيها ولا ترمي اليهِ بمشيئتها وادراكها(١ .

ترجمة يوسف الاوّل بطريرك الكلدان

١٦٨١–١٧٠٧

لباسيليوس عبد الاحد مطران آمد

توطئة

في مكتبة الكلدان في ديار بكر كرّاس صغير يحتوي على ترجمة حياة البطريرك يوسف الاوّل الذي كان مطراناً نسطورياً فارتدّ الى الكثلكة بعد ان ثبتت لهُ صحّة ايمان الكنيسة الرومانيّة فاقامهُ البابا اينوشنسيوس الحادي عشر بطريركاً على الكلدان الكاثوليك سنة ١٦٨١ فسكن مع خلفائهِ في آمد اي مدينة ديار بكر وكانت وفاتهُ سنة ١٧٠٧ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٧٨–٨٨٠) . وقد لقي بارتدادهِ عدّة ممن وصفنا احد تلامذتهِ باسيليوس عبد الاحد الذي اقيم كاتب بطريركي على آمد فسُقف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٣٧ . فهذا اذ كان واقفاً على كل تفاصيل سيرة معلّمهِ سطّرها في هذه الذلكة وهي اجمل اثر واصدق رواية لسيرة ذلك البطل الذي ثبت في الايمان مع ما قاساهُ من ضروب البلايا والاضطهادات كما سترى وذلك سنة ١٧١٩

ولنا على شهامة البطريرك يوسف الاوّل شواهد اخرى راقية الى عصرهِ منها ما كتبهُ السيد فرنسوا بيكه مطران سيزاروبل والقنصل لدولتهِ على حلب سابقاً لمّا مرّ في ديار بكر في اواخر ايار سنة ١٦٨١ فاطرأ عليهِ ولمّع في محامدهِ وكتب في ذلك الى مجمع انتشار الايمان والى قنصل فرنسة في حلب . وكان بودّنا ان نعرّب كلامهُ ورسائله لولا ضيق المكان (٢ . اما السيرة

---

١) اطلب معجم الجدليّات A. d'Alès, Dictionnaire d'Apologétique, fasc. I. 126.

٢) راجع ترجمة المطران فرنسو بيكه La Vie de Messire François Picquet Paris, 1732. pp. 359-369 ثمّ مذكرات الكفالير دارفيو Mémoires du Chevalier d'Arvieux. Paris, 1735. VI. 95-122

التي ننشرها فهي لم تُطبع حتى الآن وانما ظهرت ترجمتها في اللغة الفرنسوية لاحد الكهنة الكلدان في مجلة الشرق المسيحي Revue de l'Orient Chrétien :86, 1,66-900 وقد تصرّف بالاصل بعض التصرّف . امّا نسختنا المنقولة عن الاصل في ديار بكر حيث نسخها يده الطيب الذكر المطران طيموثاوس عطّار سنة ١٨٨١ فاهدانا اياها . اجزل الله ثوابهُ . وها نحن نرويها بحرفها مع اصلاح ما لا يُعبأ به من ضبط كلمة او مراعاة قواعد الاعراب ل . ش

انّ مار يوسف الاول (١ بطريرك الكلدان كان مولده في آمد اي ديار بكر . وارتسم مطراناً على الطائفة النسطوريّة التي كانت في ديار بكر (٢ . غير انه في السنة ١٦٧٢ للمسيح تحرّك بإلهام روح القدس ان يرفع هرطقة نسطور . فقام عليهِ المعاندون ظاهراً . واحتمل منهم الشتائم والحبوس والعذابات فلم يقدروا عليهِ . ولم يكن لهُ مساعد في هذا الحرب الشديد الّا الله وحدهُ ومريم العذراء والدة الله

فابتدأ اولاً يكرز على جماعتهِ وينبّههم وينهيهم عن التكلّم في الكنيسة وان يكونوا في بيت الله بالخوف والاحترام كما يجب . لأنهم سابقاً كانوا يقفون في الكنيسة كوقوفهم في الاسواق والبازارات (٣ . وبعد ذلك كان يكرز على الاعتراف . ويقول : لا يجوز ان تتقرّبوا الّا وانتم نادمون معترفين بخطاياكم . وبعد ذلك رفع اسم نسطور من الكنيسة رفعاً كلياً

فلما سمع بذلك بطريرك النساطرة الشيخ اليّا (٤ الساكن في نواحي الموصل ارسل مكتوباً الى مار يوسف يستدعيهِ ان يمضي اليهِ قاصداً ان يقتلهُ . فهو لم يرتضِ بذلك

١) انّ لفظة «مار» لفظة سريانيّة وكلدانيّة مقدّمة معناها السيد تُقدّم على اسماء البطاركة والاساقفة . امّا تسميتهُ بيوسف الاوّل فبهِ نظر فانّهُ كان سبقهُ على كرسي جاثليقة بابل الكلدان يوسف آخر رُقّي الى السدّة البطريركيّة من السنة ٥٥٢ الى ٥٥٧م . ومن هذا القبيل قد دُعي يوسف الذي نحن بصدده في بعض الكتب يوسف الثاني الّا انّ الانسب ان يُدعى يوسف الاوّل لانهُ كان كاثوليكياً بخلاف الاوّل النسطوري واقام في آمد كما سبق . وخلفهُ اربعة بطاركة باسمهِ (اطلب تاريخهم في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٨٠ — ٨٨٣)

٢) تربّى يوسف على يد احد الكهنة الاتقياء اسمهُ عبد الاحد بن شلب ثمّ تردّد على المرسلين الكبوشيين الذي كانوا يبشرون بالايمان في ديار بكر فارتدّ الى الكثلكة بعد ان تبيّن صحتها وضلال النساطرة سنة ١٦٧٢ ٣) البازار لفظة فارسيّة بمعنى السوق

٤) هذا الشيخ ايليّا هو الثامن من اسمهِ خلف على كرسي بابل سنة ١٦٦٠ ايليّا السابع الذي كان ارسل صورة ايمانهِ الى الكرسي الرسولي سنة ١٦٥٧ فرجع ايليّا الثامن الى اضاليل نسطور وتوفي سنة ١٧٠٠ (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٢٧)

ولا راح لعنده لانهُ عرف بمكرهم . فلمّا نظر الشيخ اليّا انهُ لم يمضِ اليهِ جمع بعض اناس اشقياء سافكين الدم وتشاور معهم . وهم ارسلوا الى مار يوسف واحداً من شيوخهم لكي يرجعه عن مقصدهِ . لكن الشيخ ما قدر يزعزع مار يوسف عن ايمانهِ ولا ان يعزل الرعية الصالحة من راعيها . وانّما البعض الذين تشوا هراطقة وما تبعوا مار يوسف كتبوا للشيخ اليّا : قُمْ تعال الى ديار بكر ونحن نساعدك

ولما رجع الشيخ الى الشيوخ الذين ارسلوهُ اشتدَّ غضبهم على مار يوسف واقنعوا الشيخ اليا ان يقوم من ديرهِ ويأتي الى ديار بكر . وقالوا لهُ : نجيءُ معك ونُعطي كل اموالنا للباشا ونقتل مار يوسف ونخلص منهُ . واجتمع مع الشيخ اليا مقدار خمسين رجلاً من الموصل ومن القُرى وركبوا حميرهم (١ واتوا معهُ . ولمّا وصلوا الى ماردين اعطى مقدار جريمة (٢ الى الوَيْوَده (٣ لانه راكباً دخل الى الكنيسة . وبدأ يكشف غرضهُ ويزرع الفساد في ماردين . وذكر اسم تسطور ونزّل الصور من الكنيسة (٤ ويطّل قسيساً كان رسمهُ مار يوسف وارسلهُ الى ماردين

وارسل الى آمد وطلب مار يوسف ليحضر بين يديه الى ماردين . ومار يوسف ما قبل راح لانهُ كان عارفاً بمكرهم انهم يريدون ان يقتلوهُ

ولما سمع باشا ديار بكر بقدوم الشيخ اليّا الى ماردين ارسل طلبهُ الى ديار بكر لانهُ سمع ان باباز (٥ النساطرة قد جاء وجاب معهُ غروشاً كثيرة . ففرح الباشا من هذا الخبر وارسل اليهِ بولوكين سكمان (٦ واتوا بهِ الى ديار بكر وعزّهُ ولبسهُ

---

١) كان ركوب الخيل في ذلك الوقت محظوراً على النصارى واليهود

٢) الجريمة الذنب والاثم . اي أعطى مبلغاً من الدراهم يساوي مقدار ما يُفرض على مرتكب جريمة . ولعلّهُ اراد «مقدار جريبه» والجريب يساوي ٣٨٤ مدّاً من الحنطة

٣) الوَيْوَده لفظة صقلبيّة (Vaivode) معناها الرئيس وكانت تطلق على رؤساء الفلاح والملداف وقد استعملها الاتراك بمعنى رئيس الشرطة والمتصرّف

٤) النساطرة كانوا يكرمون الصور كبقيّة الطوائف الشرقيّة وفي كتبهم الطقسيّة صور جميلة الى يومنا الّا انهم في القرون الاخيرة لوجودهم بين المسلمين والاكراد وبغضاً بالكاثوليك اهملوا اكرام الصور ٥) من اليونانيّة (πάππος) وهو ابو الاب اي الجد يطلقها الاتراك على بطاركة واساقفة النصارى ٦ البلوك بالتركيّة الفرقة من الجند . والسكمان والسكبان قسمٌ من الاقسام الثلثة التي كان يتألّف منها جيش الينكشاريّة . واللفظة فارسيّة معناها المتولّي على كلاب الصيد.

قبعاً(١ كان يساوي مقدار مائة غرش (٢ وارسلهُ . فمضى وطرد مار يوسف من الكنيسة وضبط الكنيسة . وجعل يفرض قوانينهُ . ورسم ان يذكروا اسم نسطور وحلّل زيجة اولاد العمّ والخال . وبطّل سنّة الاعتراف وصار حزن عظيم للمؤمنين . وكان وصوله الى آمد اي ديار بكر في شهر شباط (١٦٧٣)

فاما مار يوسف فمضى وسكن في بيت قسيس من المؤمنين . فارسل الشيخ اليا وطلب مار يوسف ان يجيء ويقدّم لهُ الطاعة ويتصالحا . فاجاب مار يوسف وقال: نجمع الجماعة كلها ونضع بالوسط الانجيل وكل واحد منّا فايثبت كلامهُ من الانجيل . فردّ لهُ الشيخ اليا الجواب قائلاً : ما هو هذا الذي اريد . بل اريد ان تقبل اسم نسطور وتنكر ان مريم هي والدة الله . فمار يوسف ردّ لهُ الجواب وقال : قولوا للشيخ اليا : انا اقبل ان اتعذب واموت وما انكر مريم بانها والدة الله . ولا اقبل نسطور

فتشاور الشيخ اليا مع شيوخهِ فاشتكى على مار يوسف عند الصوباشي (٣ . فآمر الصوباشي بوقوف مار يوسف والشيخ اليا بين يديهِ . وصار مجادلة كثيرة قدامهُ . فمار يوسف كان فصيح اللسان وثبّت من الانجيل ومن العقليّات ان الشيخ اليا وتابعينهُ هم مخالفون قول الانجيل والرسل والكنيسة . وما هم بفعلهم لا نصارى ولا يهود ولا مسلمين . حتى تعجب الحضّار . فالصوباشي اطلق مار يوسف لحال سبيلهِ

فعند ذلك الشيخ اليا ورفقاؤهُ اعطوا دراهم للمتسلّم (اي الوالي) وحبسوا مار يوسف وبعد يومين اخرجهُ المتسلّم من الحبس وارسلهُ الى القاضي لكي يتحاكموا وأعطوا ايضاً الى القاضي رشوةً عظيمة لكي يجري بقصدهم اي ليحكم على قتل مار يوسف . وقال الشيخ اليا : ان هذا كان تلميذي واليوم يخالف امري ويتمرّد عليّ وما يطيعني . فقال القاضي لمار يوسف : لماذا ما تطيع معلمك وتخالف كلامهُ . فاجاب مار يوسف قائلاً : اولاً هذا الشيخ ما هو معلّمي ولا قرأت عندهُ ولا يعرف العربي ولا التركي . ثانياً انهُ ما يحفظ كلام التوراة ولا الانجيل . ولا قوانين الكنيسة الواحدة الجامعة المؤسسة من عيسى المسيح

---

١) اراد « قبأ » وهي كلمة فارسيّة معناها الجبّة والرداء

٢) كان الغرش في ذلك الوقت يساوي ريالاً . واللفظة المانيّة (Gruschen)

٣) الصوباشي عند الاتراك هو مثل كومسيار البوليس في عهدنا ورئيس الشرطة

فبعد مجادلات كثيرة امر القاضي : ان كل واحد منكما يكتب اعتقاد دينهِ ويوم الغد تحضران عندي . فقال مار يوسف : « ايها القاضي العادل . فليكتب اولاً الشيخ اليّا اعتقادهُ لكي نقدر تحكم في اي شي هو مُدَّعٍ وفي ايّ شي انا مخالف لهُ . وهل الشي الذي انا مخالف لهُ يخالف ايضاً الانجيل ام يوافقهُ . وانت ايها القاضي تعتبر الانجيل اهل ترضى اني اخالف الانجيل واتبع شهوة فرد انسان » . فامر القاضي ان يكتب الشيخ اليا اولاً واطلقهما

غير ان الشيخ كان يخاف ان يُظهر اعتقادهُ وما كان يعرف ماذا يكتب

ولما كان غد ذلك اليوم صباحاً ارسل الشيخ اليّا مبلغاً كبيراً من الدراهم الى القاضي كي لا يلزمهُ بالسؤال عن اعتقادهِ بل يُلزم مار يوسف . وعند نصف النهار حضرا امامهُ فسأل القاضي مار يوسف : مَذهب مَنْ تتبع انت ؟ فقال مار يوسف : « انا اتبع المذهب الذي علَّمهُ المسيح الى رسلهِ ووضعهُ في كنيستهِ الجامعة . ونسبي كلداني » . فسأل القاضي من الشيخ اليّا وجماعتهِ : انتم مذهب مَن تتبعون . فقالوا : نحن نساطرة ونتبع نسطور . فقال مار يوسف : « احكم انت ايها القاضي . هل يجوز ان أترك المسيح وكنيستهُ واتمسك بنسطور . ومَنْ هو هذا نسطور » . فغضب الشيخ اليّا وجماعتهُ وقالوا : « انت ما عليك منّا ومن مذهبنا . فنحن يهود . انت لماذا لا تطيع شيخنا وكبيرنا » . فحالاً مار يوسف تنحّى عن جانبٍ وقال للقاضي : « يا مولانا القاضي . ان هولاء يقولون بأنهم يهود . وانا ليس لي دعوى مع اليهود . انا نصراني مسيحي . اترضى ان اكون يهودياً » ! عند ذلك نظر القاضي الى الشيخ اليّا وجماعتهِ بوجه الغضب . فخافوا كثيراً فأقرّوا بالرمز الى القاضي برشوةٍ اكبر لكي لا يعكس امرهم . فلمّا علم القاضي . سكت والتفت نحو مار يوسف وقال : جاوبني ما هو دينك ؟ قال : « انا متمسك بالدين الذي علَّمهُ المسيح عيسى الى كنيستهِ الجامعة . والكنيسة ما تقبل نسطور بل قد امتهُ لانهُ ضادد الانجيل » . وقال لهُ القاضي : فاذاً لست انت نسطورياً . فقال : « حاشا ان اكون نسطورياً . انا مسيحي اي عيسوي وابن كنيستهِ الكاثوليكية ونسبي من الكلدان . وانت ايها القاضي ألست تعتبر عيسى » . فقال : نعم . قال : « اتعرف من هو نسطور » . فقال : لا . فجاوب مار يوسف : « وانا كذلك ما اعرف نسطور وما هو »

فارسلهم القاضي ثانيةً الى الصوباشي لكي يصالحهم . فلمّا وصلوا اليه قال الشيخ ايليا لمار يوسف ان يقرّ بانهُ نسطوري . فاجاب مار يوسف وقال : « انني قد قلتُ لك بانني مسيحي كاثوليكي لا أقبل تعاليم نسطور قطعاً » . وبعد مجادلات كلّية ارسلهما ايضاً الصوباشي الى القاضي . فالقاضي سأل مار يوسف وقال : انتم النصارى اذا ما قبلتم تعليم نسطور تُحسَبون مذنبين ام لا . ولمّا القاضي سأل هذا الكلام كان اناس كثيرون حضّارًا من جماعة اليعاقبة والارمن المنشقّين . فقال مار يوسف : يا مولانا القاضي اسأل الحاضرين عن هذا . فجاوب اليعاقبة والارمن الهراطقة وقالوا : كلّ من يحبّ نسطور ويقبل تعليمهُ فهو مذنب لانهُ أفسد ايمان المسيحيين وضادد الابهات . فامرهُ القاضي ان يعطي خطّ يده عن اعتقاده في المسيح . وكتب مار يوسف بيده : اني اقرّ واؤمن بان يسوع المسيح هو ابن الله الحي وانّ به اقنوماً واحداً وطبيعتين . فلمّا نظر الارمن واليعاقبة ان مار يوسف يقرّ بطبيعتين تركوهُ وخرجوا . فالقاضي كتب الاعلان : ان مار يوسف ما يقبل نسطور وما هو نسطوري . وطردهم من قدامه

ومضى الشيخ ايليا وجماعتهُ ورشوا المتسلّم ايضاً لكي يحبسهُ . فحبس المتسلم مار يوسف وامرهُ ان يُطيع الشيخ اليّا ويصير نسطوريًا . فقال مار يوسف : « يا مولانا لو قطّعتني إربًا إربًا ما اترك ديني الكاثوليكي » . وبقي محبوساً ثلاثة ايّام . فاما محبّوهُ فأعطوا دراهم الى المتسلّم واخرجوهُ من الحبس

فبدأ مار يوسف يدور الليالي في بيوت المؤمنين الكاثوليقيين المشتتين من خوف الظلم والجرائم . وكان يكرز عليهم ويثبّتهم على اعتقاد الكنيسة الرومانية ويشجّعهم ويقوّي قلوبهم . ثم انّ الهراطقة اشتكوا على قسيس كان تابعاً لمار يوسف وكان يجول معهُ فحبسوهُ . وجماعة المؤمنين اعطوا شيئاً جزئيًا للمتسلّم وخلّصوا القسيس ايضاً

غير انهُ بعد عشرين يوماً جاء باشا جديد الى ديار بكر . وشيوخ الهراطقة انتهزوا الفرصة وطلبوا منهُ ان يقطع يد مار يوسف او يدفعهُ لهم او يعذبهُ بعذاب الموت او يميتهُ دفعةً ولذلك اعطوا لهُ رشوةً كبيرة لهُ ولكاهياهُ (١ . وارسل الباشا حبس مار

١) الكاهيا والكاخيا والكهيا والكخيا كلّها من التركيّة كَخيا وكَتَخدا ومعناها الوجيه والمدير ومعتمد الوالي وكاتب سرّه

يوسف وزنجروه (١ بين اللصوص والمجرمين . وطلب مار يوسف من الباشا ان يقف امامهُ ويبرّر نفسهُ من تهمات المشتكين عليهِ ويثبت بان الديانة الكاثوليكية التي هو متمسك بها هي الحقيقية . وانّ النسطورية فاسدة

فما قبل الباشا . لانهُ كان ارتشى من النساطرة بدراهم كثيرة . بل أمر ان يعذّبوه في الحبس ازيد من الاول . فحصل فرح للجهتَين اعني للنساطرة لانهم كانوا يرجون بان مار يوسف سيُقتَل في الحبس . ولمار يوسف لانهُ لاجل المسيح استحقّ ان يُعذَّب وينحبس ويُقتل

وكان الحبس مع مار يوسف ازيد من مائة شخص من المؤمنين . وكان مار يوسف يعزّيهم ويقوّيهم في الحبس ويكرز عليهم كي يحتملوا ويصبروا على المضايقة والعذاب ويتّكلوا على الله ووالدتهِ الرحيمة . وكان البولوك باشي (٢ يضربهُ بالعصيّ كل ليلة خمسين عصاً ويضعهُ في الطمرغ (٣ وهو كان شاكراً الله ومحتملاً كل هذه الاوجاع وما كان يفتر عن الصلوة ابداً . ولما كان في هذا الجهاد كان المؤمنون يجتمعون بين بعضهم بالخفية في احد البيوت ويصلّون لاجل راعيهم ولاجل اخوتهم المحبوسين

فقامت يوماً امرأة بينهم وونّجتهم قائلةً : «هذه ايام كثيرة وراعينا في الزناجير وتحت الضرب وانتم حتّى متى تسكتون ساكتين . عندي ولدان وليس عندي دراهم . اعطيكم ولديّ . بيعوهما واعطوا ثمنهما في تخليص راعينا الصالح» . فخجلوا من كلامها وتشجّعوا . وقصدوا الباشا والتمسوا منهُ بإلحاح ان يخرج مار يوسف من الحبس ويتحاكم مع خصمهِ . فلمّا سمع الهراطقة ذلك قدّموا الى الباشا الف غرش لكي لا يصغي الى الكاثوليك بل يقتل مار يوسف لانهم قالوا : قد أفسد انجيلنا ورفع منهُ اشياء كثيرة

وامّا الباشا لكي يملك حجّة بيدهِ على قتل مار يوسف تمسّك بقولهم بان مار يوسف أفسد الانجيل ولذلك امر ان يأتي امامهُ الشيخ اليا وكذلك مار يوسف . ولمّا حضرا قال الباشا لمار يوسف : لماذا انت غيّرت الانجيل ورفعت منهُ بعض اسماء

١) اي قيّدوهُ بالزنجير اي بالحديد والسلاسل ٢) البولوك باشي اي رئيس الفرقة العسكريّة

٣) الطمرغ وبالتركيّة الطمرجة آلة عذاب كانت مركّبة من جسور غلاظ ذات براغي يجعلونها فوق الانسان وتحتهُ فيعصرونها بواسطة البراغي والزناجير حتّى تتفتّت العظام

وكلمات؟ فقال مار يوسف: «انا ما أفسدتُ قطّ الانجيل ولا رفعتُ منهُ شيئاً. بل كتاب الصلوات هم كانوا وضعوا فيهِ بعض اسماء مخالفة قد رفعتُهم». لان مار يوسف كان غطّى اسم نسطور وألصق ورقاً على اسمهِ وعلى بعض الفاظ تدلّ على هرطقة نسطور. لكي لا تُقرأ

فلمّا نظر الباشا انه لا يوجد اثبات على مار يوسف بانهُ أفسد الانجيل غضب لانه كان يريد يجبر خاطر الشيخ اليّا ويقتل مار يوسف لسبب الرشوة التي كان اخذها. فامر من جديد بحبس مار يوسف بين اللصوص والقتلة. وفي ذلك الحين تفرّق عنهُ جميع اصدقائهِ ومحبّيهِ لسبب خوفهم من الباشا ومن الشيخ اليّا. واما مار يوسف فسلّم امرهُ الى السيد المسيح والى والدتهِ مريم العذراء عليها اشرف السلام. وبقي في السجن المنتن والزنجير في رقبتهِ والقيود في رجليهِ ويديهِ بين الاكراد والمجرمين

ولمّا نظر الشيخ اليّا وجماعتهُ انّ الباشا ما قتل مار يوسف رشوا السجّان لكي يجلدهُ ويعذّبهُ بنوع قاسٍ حتى يموت تحت الضرب. والسجّان بعد ما ارتشى ابتدأ في عذاب مار يوسف وكان يضربهُ بغير رحمة وبقساوة لا تُحتمل. وكان مار يوسف صابراً على هذه كلها في حبّ المسيح. وما كان يخرج من فمهِ الّا هذا الكلام: «يتمجّد اسمك يا رب. قوّ ايماني يا رب». وبأحكام الله الغير المدركة: رفع السجان بغتةً عينيهِ في ليلةٍ ما حين كان يضربهُ الى السقف واذا بتراب سقط منهُ فيهما. وحالاً ألقى العصاة من يدهِ وبدأ كالمصروع يزعق ويصرخ من الم وجع عينيهِ حتى تعجّب كلّ المحبوسين. فخرج من السجن ومضى واخبر البولوك باشي. وهذا مضى الى الباشا وقال لهُ: «ان هذا الطران غير مذنب وقد تعدّينا عليهِ. واخاف ياسيدي ان الله يقاصصنا لاننا ظلمناهُ»

وفي الحال ارسل الباشا وطلب الشيخ اليّا امامهُ واخرج مار يوسف ايضاً وارسلهما الى القاضي لكي يحكم عليهما بالشرع. فاجتمع كلُّ المومنين الى المحكمة حتى صاروا مقدار ٣٠٠ نفس لينظروا المنتهى. فادّعى النساطرة بان مار يوسف قد بدّل الانجيل. فجاوب مار يوسف قائلاً: «هذا الانجيل معي. انظروا أمّا يوافق انجيلهم. انظروا هل يوجد فيهِ اسم نسطور. وانا ما رفعتُ اسم نسطور الّا من كتب الصلوات. المكتوب من اناس شتّى». فسأل القاضي الحضّار: هل يوجد اسم نسطور

في الانجيل ؟ فقال المؤمنون : « كيف يمكن ذلك . لان نسطور قد وُلد بعد الانجيل باربعمائة سنة وهو نسطور نفسهُ الذي خالف تعاليم الانجيل ولهذا حرمتهُ الابهات ونفوهُ من بين المسيحيين ولذلك نحن لا نقبل نسطور » . فقال القاضي : اذا كان الامر كذا ان هذا المطران ليس عليهِ ذنب

فحزن الشيخ اليّا وقال : « يا مولانا القاضي ان هـذا الرجل بدّل دينهُ وصار فرنجي (١ وفي نيتهِ ان يصير بطركاً بقوّة الفرنج » . فقال القاضي : « ان يصير فرنجي او ما يصير هذا مـا هو ذنب ديني » . ثمّ قال القاضي للذين تبعوا مار يوسف : هل انتم تقبلون نسطور ؟ اجابوا جميعهم : « نحن ما نعرف نسطور ولا نقبلهُ . نحن سريان الشرق اي كلدانيون . واذا يسمونا باسم فرنجي هذا خلاف الحق بلا سبب » . فقال لهم القاضي : ايّ واحدٍ تريدون من الاثنين مار يوسف ام الشيخ اليّا ؟ فمن خوفهم سكتوا . فقال واحد من القسوس : نريد الشيخ اليا . فاجاب مـار يوسف وقال : يا مولانا القاضي ان هذا القسيس ليس مسموعـاً كلامهُ ولقد تقاصص خمس مرات من الحكّام لسبب سيرتهِ الرديّة وذنوبهِ

فقام شمّاس من تبّاع مار يوسف وقال : « يا مولانا القاضي ان كنت تسأل من الاغنياء والفقراء والرجال والنساء والكبار والصغار فرداً فرداً تراهم كلّهم يريدون مار يوسف ولكن الآن هم ساكتون لانهم يخافون من الشيخ اليّا . لان هذا شيخ اليّا قد قال : « جبتُ معي اربعين كيساً من الدراهم (٢ وكلّ من يحامي عن مار يوسف اهلكهُ مع بيتهِ وما ابطل حتى اهلك مـار يوسف » . فقال القاضي للشماس : اتقدر تثبت كلامك ؟ قال : « نعم . انا اثبتهُ امام خمسين شاهداً » . فتعجب القـاضي وامر بتخلية مار يوسف وكان يؤمل ان الشيخ اليّا يعطيهِ ايضاً لكي لا يخلّي مار يوسف . ولكن الشيخ اليّا كان نقد ما عنده في الحاضر

ثم بعدهُ حكم القاضي وكتب : ان مار يوسف المطران يبقى في آمد ويحكم على ديار بكر وماردين وكل نواحيها . وان الشيخ اليّـا حالاً يرجع الى الموصل ولا

---

١) كان النساطرة وغيرهم من اعداء الكنيسة الرومانيّة اذا قصدوا الايقـاع باحد الكاثوليك اتّهموهُ زوراً عند الاتراك بانّهُ فرنجي لما كان يوجد من العداء والحروب بين الدولة والفرنج ٢) كان الكيس يساوي خمسمائة غرش

يتجاسر يحكم على المسيحيين في ديار بكر وماردين . ومار يوسف وجماعتهُ اخذوا الامر وشكروا الرب . ورجعوا من المحكمة بفرح الى قصر الباشا وعرّفوهُ حكم القاضي . حينئذٍ طلب الباشا من مار يوسف الفين غرش كي يلبسهُ الخلعة وينصبهُ مطراناً كالاول على الكلدان في ديار بكر وماردين . فمار يوسف ما كان عندهُ ولا پارا . فقال : يا مولاي ما عندي شي اعطيهِ . قال : اذهب ودبّر وجيب . حينئذ البادري يوسف رئيس الكابوجيين (١ في ديار بكر لما سمع بما امر الباشا جمع المؤمنين وترجّى منهم لكي يجمعوا بينهم هذه الدراهم ويعطوها دَيناً الى مار يوسف الى ان يسهّل لهُ الرب ان يوفيها لهم . فارتضوا واعطى كلٌّ واحد على قدر حالهِ . وقدّموها الى الباشا . والباشا البسهُ الخلعة وارجعهُ الى بيعتهِ ودخل الى كنيسة مار فثيون الشهيد بفرح وسرور

ورجع الشيخ اليا الى قرية عين تنُّور (٢ حيث اكثر الكلدان كانوا نساطرة وتشاور معهم كي يشكروا مار يوسف ثانيةً ويعطوا دراهم حتى يقتلوهُ . فكتبوا عرضحال وسلّموهُ بيد نساء شريرات وبواسطتهنَّ قدّموه الى الباشا . فالباشا من يتهِ تعالى ما قبل العرضحال وطرد النساء . وامر الشيخ اليا ان يرجع حالاً الى الموصل وارسل معهُ فرد جاويش حتى يطلع من ارض ديار بكر وماردين . واطلق جميع المحبوسين الذين كانوا مع مار يوسف

واما مار يوسف فبعدما رجع الى الكنيسة اشتملتهُ اوجاع مختلفة حتى قارب الموت . وبعد ان تعافى بزمان قليل انعزل الباشا وجاء متسلم جديد الى آمد . وكان الشيخ اليا وصّى الهراطقة النساطرة : اذا انعزل الباشا وجاء غيرهُ اعملوا كلّ ما تقدرون

---

١) البادري اي الاب لفظة ايطالية (padre) كانوا يطلقونها على المرسلين اللاتينيين . وهذا الاب يوسف هو المعروف بيوسف دي روريلي (P. Joseph de Reuilly) الذي قُتل شهيداً في ديار بكر سنة ١٧٠٧ (راجع تاريخ الكبوشيين للاب هيلار : P. Hilaire de Baranton La France Catholique en Orient, p. 195-197

٢) عين تنُّور قرية صغيرة غربي ديار بكر على مسافة نصف ساعة منها وهي تُدعى اليوم عليّ بوار او علي پونار وكان النساطرة يسكنونها سابقاً ثمَّ خلفهم الكلدان الكاثوليك فبقوا فيها الى السنة ١٨١٥ حيث هجم عليهم الاكراد فقتلوهم ولا تزال آثار كنيستهم على اسم مار قرياقوس باقية الى يومنا

من الضرر لمار يوسف وانا ارسل لكم كلّ ما تصرفون من المال . فمضى كم واحد الى المتسلم الجديد وقرّروا لهُ ثلاثة الف غرش كي يحبس مار يوسف . فحالاً الباشا الجديد أرسل وطلب مار يوسف . فقام من الفراش لانهُ كان مريضاً ومضى وحالاً حبسهُ الباشا في مكان مظلم والزنجير في رقبتهِ والقيود في رجليهِ ويديهِ . والرب اعطاهُ الشفاء والصبر في الحبس . والمراطقة ارسلوا واحداً اسمهُ داوود عند الشيخ اليّا ليرسمهُ مطراناً على ديار بكر ويرسل معهُ دراهم لكي يعاكسوا امر مار يوسف ويقتلوهُ

وفي تلك الاثناء اتى مطران نسطوري من القدس ذاهباً الى بلاد أورمي فأتى بهِ الناطرة الى الباشا والبسهُ الخلعة وأقاموهُ عليهم مطراناً الى ان يجيء داوود الذي أرسلوهُ الى الموصل . وبعد ذلك قالوا للباشا ان يطلب من مار يوسف ورقةً او يتنازل عن مطرنيتهِ او ان يُسلم اذا ادّعى في المطرنيّة او ان يعطي لهم دراهم مقدار ما يطلبون لكي يقبلوهُ رئيساً . فالباشا استدعى اليهِ مار يوسف وطلب منهُ هذه الشروط . فجاوب مار يوسف قائلاً : « اني ما أُسلم قطعاً ولو مزّقتني إرباً ارباً . ولا يجوز لي ان اعطي لهم دراهم لكي يقبلوني رئيساً . وما اجوز عن مطرنيتي على الذين يتبعوني لاني شرعيًّا قد صرت مطرانهم من طرف الله » . فغضب الباشا عليهِ وارسلهُ الى القاضي وامر ان يأخذوا منهُ غصباً ورغماً عنهُ ورقةً يختم فيها على اسلامهِ اذا ادّعى بالمطرنة . فاخذوهُ عند القاضي

فمار يوسف من جهة كان مصمّماً على ان لا يعطي كذا ورقة ابدا ومن جهة اخرى كان متحققاً انهم سيعذبونهُ عذاباً شديداً للغاية . وسلّم جميع اموره بيد الله واتّكل على شفاعة العذراء والدة الله . وفي الطريق كان يصلّي ويطلب من يسوع المسيح ان يساعدهُ . ومن كثرة الضربات التي كانت تنزل على رأسهِ في الطريق اظلمت عيناه لان المراطقة كانوا حولهُ مثل السباع الضارية يضربونهُ ويشتمونهُ بكل انواع الشتائم المرّة ويعيّرونهُ ويهينونهُ . ومن شدّة الاوجاع وألم قلبهِ بقي جسدهُ مثل النار وصدرهُ يلتهب وافكارهُ في عذاب الليل المزمع . وكان يشجّع ذاتهُ كي لا يُظهر ضعفاً امام الاعداء . وكل اتكالهِ كان القاءُ على مريم العذراء كي تخلّصهُ من مكر وشرّ المراطقة

ولما وصلوا الى المحكمة نظروهـا خالية لان القاضي والنائب كانا خرجا الى خارج المدينة للضيافة والتنزه . فأخروا الـدعوى الى غير يوم . وهذا ما صار الأمن أحكام الرب حيث تأخر الشرّ . ومار يوسف ارجعوهُ الى الحبس والاشرار لم يكفّوا عن سوء فعلهم . ومار يوسف يقاسي الاوجاع الجسديّة وكان الدم يسيل من بطنهِ

امّا النساطرة فكان بقي عليهم مقدار وافر من الديون وتحيّروا في امورهم . لأن داؤود مـا كان رجع لكي يساعدهم . فخافوا من الباشا والتزموا ان يخرجوا مار يوسف من الحبس حتى هو يجمع لهم من بين الجميع دراهم . ولذلـك اخرجوهُ من الحبس وروّسوهُ عليهم . وهو لكي يظهر لهم محبّة الديانة الكاثوليكية اهتمّ وجمع المال وقسّمهُ على الجماعة ووفى دينهم

وبعد ما اتوفى الدَّين الذي كان عليهم حضر داوود مرسوماً مطرانًا من الشيخ الياعليهم . فرشا الحكّام فعمي قلبهم بالرشوة وعاد النساطرة الخوّنة فقبلوهُ وبامر الباشا عزلوا مار يوسف مرّة اخرى من الكنيسة واجلسوا المطران داوود

فلمّا نظر مار يوسف ان الاضطهادات من كل جهة احاطت بهِ وليس لهـا نهاية عزم ان يزور قبر مار بطرس ومار بولس في رومية وباقي الاماكن المقدّسة . وكانت سنة اليوبيليون (١ على عهد اقليميس البـابا العاشر . وكان يؤمل ان تصير لهُ بعض مساعدات وشفى ايضاً من امراضهِ . فوصل الى رومية باتعـابٍ شديدة وتمّ بها سنة وخمسة اشهر . ومـا ساعدهُ احدٌ في رومية لانهم ظنّوا انهُ مثل بقية المطارين الذين قصدوا رومية ووجدوا المساعدات ورجعوا وما عمـلوا شيئاً . وقام ليرجع خائباً الى بلادهِ وهو خائف جدًّا لان الحكـّام يريدون دراهم والهراطقة مستعدّون ان يقتلوهُ . وكان الحزن في قلبهِ من جهة الذين تبعوهُ لئلّا ينظرهم آثمين ويخـاف ان ينقلبوا من الضعف ومن الشيطان . فحوّل امرهُ الى الربّ والى مريم العذراء

فاتفق من إحسان الله ومريم العـذراء انهُ تعارف مع مطران فرنساوي اسمهُ فرنسوا بيكاي (٢ فهذا اعطاه كم كيس من الدراهم . ولما جـاء الى دياربكر

---

١) اليوبيليون هو اليوبيل اي الغفران الكبير اصلهُ من العبرانية . واليوبيل المذكور كان منحهُ البابا اقليميس العاشر سنة ١٦٧٥

٢) راجع ما قلناه في التوطئة

استدعاهُ الوالي وطلب منهُ كم كيس دراهم . فاعطاهُ ودخل الكنيسة وضبط الجماعة كما الاول وأجود وأخيّر . وبدأ يكرز ويعلّم تعاليم الكنيسة الرومانية . وهرب المطران داوود

ولكن بعد سنة رجع ايضاً هذا المطران الهرطوقي ورشا باثني عشر كيساً للباشا وللقاضي ولاشراف البلد ولبس الخلعة وجاء الى الكنيسة وضبطها وعزل مار يوسف . وامّا مار يوسف فمضى واختفى في بيت واحد من المؤمنين مقدار خمسة اشهر وكان ينتظر الفرصة المعيّنة من الرب لنجاته . وبعد خمسة اشهر انعزل الباشا وجاء باشا اخر ومضى اليهِ مار يوسف فالبسهُ الباشا الخلعة من دون معارضة واتى وضبط الكنيسة ففرحت جماعتهُ واصدقاؤهُ ومحبُّوهُ فرحاً عظيماً

وابتدأت الامور تصطلح في حقهِ . وبدأ الرب يعطيهِ التسلية جزاء عن ثباتهِ هذا العظيم . والهراطقة الذين ضاددوهُ انتقم منهم البارئ تعالى اشدَّ الانتقام فمنهم ماتوا ومنهم ابتلاهم الله بالفقر حتى انَّ مار يوسف كان يتصدَّق عليهم . والبعض تنوَّرت عقولهم واهتدوا الى الايمان . وداوود المطران النسطوري السكري انهزم الى مصر ولم يُعرف لهُ اثر الى هذا اليوم

ثمَّ ان مار يوسف رفع اسم البطريرك الشيخ اليّا من القدّاس ووضع اسم البابا خليفة مار بطرس ورفع كليًا اسم نسطور من دياربكر . والشيخ اليّا ايضاً تيقَّن بانَّهُ ما عاد يقدر على مار يوسف فتركهُ

وبأحكام الله تعالى اتى الى دياربكر ماضياً الى المجمع ذاك المطران الفرنساوي السابق ذكرهُ (١ فلما نظر جهاد مار يوسف وغيرتهُ على الايمان وكل الجماعة قد صارت قاتوليقية فرح كثيراً . وأرسل مكاتيب الى المجمع المقدس يمدح فيها جهاد وغيرة واستقامة هذا المطران مار يوسف المعترف بايمان القاتوليقي وطلب من المجمع ان يقيموهُ بطريركاً على جميع المسيحيين الراجعين من النسطرة الى الكاثوليكية في الشرق . فالمجمع المقدس أصغى الى هذا الالتماس وقداسة البابا ارسل لهُ الباليون وثبَّتهُ بطريركاً وصار يسمّى مار يوسف الاول ويُذكر اسمهُ في الصلوات . والرب نجّح امورهُ واراحهُ من اعدائهِ

١) اي المطران فرنسوا بيكه . وقع ذلك سنة ١٦٨١ (راجع التوطئة)

وشاع صيتهُ في الشرق كله وابتدأت ان تقصدهُ جميع الطوائف لكي تتعلم منهُ وتأخذ ارشاداتهِ وما كان يفتر قط ليلاً ونهاراً وهو يعلّم قواعد الدين وارجع كثيرين من هراطقة اليعقوبيين والارمن والروم . وفي ديار بكر ما كان يوجد كنيسة كاثوليكية الا كنيسة الكلدان التي فتحها وثبتها في الدين الكاثوليكي بدمهِ وتعبهِ وعذاباتهِ ونظر اخيراً بان الكل كانوا يخضعون لهُ ويلتئمون تحت رعايتهِ

وكان يقول دائماً في كل حين بان العذراء مريم هي صارت السبب والمحامية والمنجحة هذا الايمان القاتوليقي ولولا شفاعتها وحمايتها لما كان ثبت ولا دقيقة على ما احتمل من اشدّ الظلم والقساوة والعذابات . وكان يقول للشعب دائماً : كل من يحبّ ان يكون محبوباً عند يسوع فليحب العذراء مريم . وكل من يريد ان ينتصر على اعدائه المنظورين والغير منظورين فليتمسّك في العذراء مريم . والذي يكون مستعداً ان يسفك دمهُ حبّاً بها فلا بدّ انها تنجيه من الخطية ومن الاعداء وتثبتهُ في الايمان القاتوليقي وتقودهُ الى الملكوت السماوي عند ابنها يسوع . وكان دائماً يختم كرازتهُ (١ في تبجيل ومديح العذراء مريم . وكل دفعة كانوا يذكرون اسمها امامهُ كان يحني رأسهُ الى صدرهِ . وقد شاهدناهُ اوقاتٍ كثيرة لما كانوا ينكرون امامهُ والديتها لله او بتوليتها او بعض فضائلها كان وجههُ يلتهب مثل النار ويخفق قلبهُ من شدّة كدرهِ وحزنهِ وحالاً من دون مبالاة الخوف او الحرمة كان ياخذ في حمايتها وينصح ويوبّخ ويحث ويجادل ويُقنع المتكلّمين في حقّها على غلطهم وكان يعتبر ويمدح الذين كانوا يعتبرون ويمدحون العذراء مريم . . .

وبعد ما اصطلحت لهُ الاحوال واستقامت لهُ الامور مقدار عشرين سنة رسم قسوساً وشمامسة ورفع عوائد كثيرة ادخلها الهراطقة . واتفق ان الرب ارسل لهُ من قرية تلكيف من نواحي الموصل رجلاً اسمهُ شمّاس صليوا (٢ وكان رجلاً فائقاً وادبياً وعالماً باللغة السريانيّة اي الكلدانية . فاحبّه واخذه عندهُ وعلّمهُ قواعد الايمان الكاثوليكي ورسمهُ قسّيساً وسمّاه باسمهِ يوسف (٣ . وبعد زمانٍ رسمهُ مطراناً

---

١) الكرزة الحطة لفظة سريانيّة . والكاروز الواعظ والخطيب

٢) صليوا على اللفظ الكلداني كصّليا

٣) هو يوسف الثاني الذي خلف يوسف الاوّل على كرسي بابل في آمد

لكي يكون لهُ معاوناً وخليفةً . ثم كثرت على مار يوسف البطريرك الاوجاع وقلَّ لا بل فُقد نظرُ عيونهِ وما بقي يبصر وذلك لسبب العذابات التي كان قاساها . فسلَّم امور الجماعة والكرسي الى خليفتهِ المذكور وقصد مدينة رومية لكي يقضي باقي عمرهِ بالعبادة في الاماكن المقدسة . وخرج من آمد اي ديار بكر في شهر اب سنة ١٦٩٤ للمسيح ووصل الى رومية العظمى بتعبٍ ومشقات . وهنالك بشفاعة العذراء البتول انفتحت عيونهُ وشفي من اوجاعهِ وبدأ ينظر احسن من الاوَّل مثلما خبَّرنا في مكاتيبهِ بخط يدهِ كان يرسلها لمار يوسف الثاني وللحقير كاتب هذه ترجمة حياتهِ

وهنالك سعى بان يُثبّت خليفتهُ مار يوسف الثاني بطريركاً ويأتيهِ الياليون (١ . كما في الحقيقة اتاهُ الياليون وتثبت من السدة الرسوليَّة . وبعد ثلاث عشرة سنة من وصولهِ الى رومية تنيَّح بالرب البطريرك يوسف الاوَّل برائحة القداسة وقُبر في كنيسة مجمع انتشار الايمان المقدس وذلك في سنة ١٧٠٧ للمسيح . الرب يرحمنا بصلواتهِ المقبولة بشفاعة العذراء مريم عليها اشرف السلام وبشفاعة جميع القديسين . آمين

قد حرَّر هذهِ ترجمة مار يوسف الاول بطريرك الربان الشرقيين الكاثوليكيين اي الكلدان الحقير باسيليوس عبد الاحد مطران آمد . والرب شاهد علينا اننا لم نتجاسر نكتب شيئاً زائداً . بل كلما سمعناهُ من فمهِ شفاهياً او من الشيوخ الذين كانوا شهود الحال وصارت الدعاوي في زمانهم وامامهم . وقد اقتصرنا في التحبير لئلا نعجز القارئين وقد حررناهُ في ٢٣ ايار الواقع في سنة ١٧١٩ للمسيح

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ختام سفارة الاب اليانو الثانية الى لبنان

وممَّا عُني بهِ الاب يوحنَّا اليانو في حلب قيامةً بامر الكردينال سان سافرينو

١) الياليون (pallium) هو درع الرئاسة الذي يمنحهُ الحبر الاعظم لكبار رؤساء الكنيسة

لكي يكون لهُ معاوناً وخليفةً . ثم كثرت على مار يوسف البطريرك الاوجاع وقلَّ لا بل فُقد نظرُ عيونهِ وما بقي يبصر وذلك لسبب العذابات التي كان قاساها . فسلَّم امور الجماعة والكرسي الى خليفتهِ المذكور وقصد مدينة رومية لكي يقضي باقي عمرهِ بالعبادة في الاماكن المقدسة . وخرج من آمد اي ديار بكر في شهر اب سنة ١٦٩٤ للمسيح ووصل الى رومية العظمى بتعبٍ ومشقات . وهنالك بشفاعة العذراء البتول انفتحت عيونهُ وشفي من اوجاعهِ وبدأ ينظر احسن من الاوَّل مثلما خبَّرنا في مكاتيبهِ بخط يدهِ كان يرسلها لمار يوسف الثاني وللحقير كاتب هذه ترجمة حياتهِ

وهنالك سعى بان يُثبّت خليفتهُ مار يوسف الثاني بطريركاً ويأتيهِ الياليون (١ . كما في الحقيقة اتاهُ الياليون وتثبت من السدة الرسوليَّة . وبعد ثلاث عشرة سنة من وصولهِ الى رومية تنيَّح بالرب البطريرك يوسف الاوَّل برائحة القداسة وقُبر في كنيسة مجمع انتشار الايمان المقدس وذلك في سنة ١٧٠٧ للمسيح . الرب يرحمنا بصلواتهِ المقبولة بشفاعة العذراء مريم عليها اشرف السلام وبشفاعة جميع القديسين . آمين

قد حرَّر هذهِ ترجمة مار يوسف الاول بطريرك الربان الشرقيين الكاثوليكيين اي الكلدان الحقير باسيليوس عبد الاحد مطران آمد . والرب شاهد علينا اننا لم نتجاسر نكتب شيئاً زائداً . بل كلما سمعناهُ من فمهِ شفاهياً او من الشيوخ الذين كانوا شهود الحال وصارت الدعاوي في زمانهم وامامهم . وقد اقتصرنا في التحبير لئلا نعجز القارئين وقد حررناهُ في ٢٣ ايار الواقع في سنة ١٧١٩ للمسيح

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ختام سفارة الاب اليانو الثانية الى لبنان

وممَّا عُني بهِ الاب يوحنَّا اليانو في حلب قيامةً بامر الكردينال سان سافرينو

١) الياليون (pallium) هو درع الرئاسة الذي يمنحهُ الحبر الاعظم لكبار رؤساء الكنيسة

ارتداد السريان اليعاقبة الى طاعة الكرسي الرسولي مع بطريركهم داود شاه المقيم في ماردين

وهنا ينبغي ذكر شيء من تاريخ اليعاقبة لبيان مهمّة الاب اليانو . كان بطريرك اليعاقبة في زمنه اغناطيوس نعمة الله الماردينى المعروف بالبطرك نعمة اختاره اهل ملّته لتلك الرتبة سنة ١٥٥٥ . قيل انهُ كان مائلًا الى الاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة لكنّهُ لسوء حظّهِ وقع في أشراك بعض علماء المسلمين فاتّهموهُ بالكفر واصدروا عليهِ الحكم بالإعدام فحملهُ خوفهُ منهم على جحود ايمانهِ وتظاهر بالإسلام فنجا من الموت لكنهُ لم يَنجُ من وخز ضميرهِ وتبكيت شعبهِ لهُ حتّى انّ العامّة كانت تتغنّى امامهُ بزجليّة نروي بعض ادوارها :

يا حبابي يا ساداتي اسمعوا لي هل المقالات
قمرنا انكسف نوره وبقينا في الظلمات

هتكت الدين هتك الدين بطرك نعمة يا مسكين
اخبارك شاعت باوّا الصين الى بلاد التتات

بطرك نعمة ايش سويت من بعد عزّك قد ذليت
مفاتيح السما ردّيت على رب السماوات

كنت اخو الصفا شمعون على ايدك بفيض المبرون
والحسّاد صيّروك مجنون مرمي في سوء الحالات

فللنجاة من هذه الحالة السيئة فرّ هارباً من ديار بكر الى رودس ومنها الى رومية سنة ١٥٧٨ واعلن هناك بتوبتهِ وبخضوعهِ للكرسي الرسولي ووعد بافراغ جهدهِ لردّ طائفتهِ الى الديانة الكاثوليكيّة . وكان اخوهُ داود شاه بعد غيبتهِ أقيم نائباً عنهُ في البطريركيّة اليعقوبيّة فكتب اليهِ نعمة يحرّضهُ على اتّباع الكنيسة الرومانيّة فوعدهُ داود بذلك . فوكّل الكردينال سان سفرينو الى الاب اليانو ان يتحقّق صحّة ايمان النائب داود شاه فاذا ثبت الامر يؤيد الحبر الاعظم انتخابهُ

فلمّا وصل الاب اليانو الى حلب وطلب ان يجتمع بداود شاه اخذ هذا يماطلهُ ويسوّفهُ ويعدهُ المواعيد العرقوبيّة ويعتذر اليهِ من ظلم الاتراك وانتقامهم منهُ اذا اجتمع بالقاصد الرسولي فينسبونهُ الى اتّباع الفرنج . وكان ارسل دستور ايمانهِ فوجدهُ

الاب اليانو ملتبساً غير واضح ومن ثمَّ تحقَّق انهُ لا رجاء في الحاضر الى ارتداد اليعاقبة وان مواعيدهم لغايات زمنيّة ليس الّا

ثمَّ طلب البطرك نعمة من الحبر الاعظم ان يرسل وفداً آخر الى اهل ملّتهِ مؤكداً لهُ انهم يرتدُّون الى الايمان المستقيم . فارسل البابا قاصداً رسولياً ليونردو ابيلا اسقف صيداء مع ثلاثة رهبان يسوعيين سنة ١٥٨٣ فعادوا خائبين وعرفوا صحّة ما رواهُ الاب اليانو عن مكر اليعاقبة (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٢٥٦—٢٥٧)

امّا الاب اليانو فاذ اتمَّ مهمّتهُ في حلب اراد الرجوع الى لبنان ليستعدَّ السفر ويلحق برفقتهِ في قبرس ويعود الى ايطالية . بيد انهُ بلغتهُ في تلك الاثناء رسالة من قبل رؤسائهِ في رومية تقدّموا فيها اليهِ بان يستأنف قصادتهُ الى بطريرك الاقباط في مصر . فلم يرَ بُدّاً من الإذعان الى امرهم

لكنَّ المرسل الغيور لم ينس مدَّة اقامتهِ في حلب ما عُهد اليه من اختيار بعض احداث الموارنة ليرسلهم الى رومية كما اوصاه الحبر الاعظم ليتخرَّجوا هناك على الآداب الكهنوتيّة وقد ذكر في رسالتهِ الى الكردينال كرافّا في غرّة آب ١٥٨٢ انَّ اهل حلب عرضوا عليهِ بعض اولادهم لهذه الغاية ويخصّ بالذكر واحداً منهم وجدهُ غاية في الذكاء . كان ابوهُ كاهناً ولم يصرّح باسمهِ . ولعلّهُ هو ابرهيم برجس الذي دخل بعد قليل في الرهبانيّة اليسوعيّة ومات شهيداً في مصرع . وسنعود الى هذا قريباً

وكذلك اجتمع الاب اليانو ببطريرك الروم في حلب وفاتحهُ في امر اتحاد الكنائس فوافقهُ البطريرك على نواياهُ لكنَّهُ اكتفى ببعض المواعيد الطيّبة التي اتت بعد ذلك بعدّة بنتائج حسنة

ودَّع الاب اليانو الشباء في العشر الاخير من آب سنة ١٥٨٢ وعاد الى طرابلس على طريق البرّ فاجتمع هناك بالاخ برنردينو ثم أبحر معه بعد قليل الى مصر (١ وكان وصولهُ اليها في اوائل تشرين الاوّل ونزل ضيفاً كريماً عند قنصل فرنسة المدعو بولس ماريانى الذي كان سعى لدى الحبر الاعظم باستئناف السفارة لدى الاقباط لما رآه في بطريركهم من الرغبة في الاتحاد بالكنيسة الرومانيّة . ولدينا منهُ رسائل تاريخها

١) لكنَّ الرؤساء استدعوا الاخ برنردينو وارسلوا الى مصر عوضهُ الاخ ماريو

٢٢ ت ١ وجّهها من القاهرة الى رئيسه العام والى الكردينالين كرافا وسان سافرينو يذكر فيها ختام سفارته الى الموارنة وتفاصيل سفره الى مصر مؤملاً من رسالته الى الاقباط خيراً

وكان الاب جوان برونو والاخ ماريو قضيا بعد سفر الاب اليانو الى حلب نحو ٨٠ يوماً في قبرس ينتظران سفر احدى السفن الى البندقية وقد اصابهما في تلك الاثناء مصادرات من قبل الاتراك لم ينجوا منها الا بدفع الغرامات الشاقة وكان وصولهما الى ايطالية في ايلول . وناب الاب جوان برونو عن الاب اليانو لدى الحبر الاعظم والكردينال كرافا بايضاح ما جرى من الامور في هذه السفارة الى الموارنة . فأعرب البابا غريغوريوس الثالث عشر عن سموّ رضاهُ من نتائجها الحسنة

امّا الاب اليانو فبقي في مصر كسفير الحبر الاعظم لدى الاقباط الى آذار سنة ١٥٨٥ بعد موت غريغوريوس الثالث عشر وجلوس خلفه سكستوس الخامس واصابهُ في تلك المدّة من ضروب المحن ما يطول شرحهُ وليس هو الآن من غرضنا . ثمّ رجع الى رومية فعهد اليه الحبر الاعظم رتبة رئيس المعرفين (Grand Pénitencier) فقام بواجباتها الى سنة وفاته في ٣ آذار سنة ١٥٨٩

فصل

في تاريخ المدرسة المارونيّة في رومية

في مبادىء المدرسة المارونية (١٥٧٨ــ١٥٨٤)

من أجلّ الخدم التي اداها الكرسي الرسولي للطائفة المارونيّة انشاء مدرسة اكليريكيّة يتخرّج بها بعض أحداث الموارنة في كلّ الآداب الكهنوتيّة حتّى اذا اتقنوها يعودون الى وطنهم لبنان فيخدمون اهل ملّتهم بكل امور الدين

وكان بطاركة الموارنة احسّوا بحاجة طائفتهم الى كهنة متفقهين غيورين ذوي علم وتقى يتهذّبون في مدارس الغرب ليُحسنوا بعد رجوعهم الى الوطن خدمة رعاياهم . فمن ذلك ما اخبر به البطريرك الدويهي (ص ١٤٩) في تاريخ سنة ١٥١٥

« انّ رئيس الاراضي المقدسة فرنسيس سوريانو من البندقيّة بعد نهاية رئاسته قدم الى زيارة البطريرك شمعون الحدثي ثمّ سافر في ١٤ شباط الى رومية » فارسل معهُ البطريرك الخوري يوسف مع راهبين ليتعلّما اللغة اللاتينيّة ويدرسا تعليم الآباء الاطهار وعند وصولهم الى رومية كان البابا (لاون العاشر) عاقدًا مجمعاً كبيراً في كنيسة القديس يوحنّا لاتران فقابلهم بغاية المجاملة والإعزاز وأمر ... بان ينزل قصّاد الكرسي الانطاكي عند الكردينال ستاكروس في كنيسة القديس اغسطين» . ثمّ روى كيف جرى تدريس اللغة السريانيّة في بلاد الغرب لمّا حضروا قدّاس الخوري يوسف بالسريانيّة فتعلّمها منهُ تاسيوس امبروسيوس

وفي عهد البطريرك ميخائيل الرزّي سنة ١٥٦٨ طلب هذا البطريرك عن يد رئيس القدس الشريف الاب جيرولامو دا فوسأتو من الحبر الاعظم القديس بيوس الخامس « ان يُنعم على الموارنة بدار في رومية تُجعل مدرسةً لأولادهم حتى اذا رجعوا متعلّمين الى اوطانهم قدروا ان ينفعوا بني ملّتهم» (الدويهي ص ١٣٩) . فامر البابا رئيس القدس الاب فرنسيس ڤيشنسيوس (١ فسافر الى لبنان وخاطب رؤساء الطائفة في ارسال الشبّان ليتعلّموا برومية . لكن الامر لم يتمّ حينئذٍ

وكان الفضل في ذلك للحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر خلف القديس بيوس الخامس كما سبقت الاشارة اليهِ اذ اوصى الاب جوان باطشتا اليانو في سفارتيهِ الاولى (١٥٧٨) والثانية (١٥٨٠) بان يختار في لبنان فتيةً نجباء يأتي بهم او يرسلهم الى عاصمة الكثلكة حيث تُصرَف العناية في تربيتهم وتثقيفهم

وهذا ايضاً ما تحقّقهُ سفير الكرسيّ الرسولي بعد سفارتهِ الاولى اذ كتب في التقرير الذي قدّمهُ للحبر الاعظم انّ الواسطة الاولى الواجب اتخاذها لخير الطائفة المارونيّة « اصلاح اكليرسها وذلك بان يُستجلَب الى رومية عدد وافر من الاحداث او الشبّان ليتخرّجوا في الآداب الدينيّة حتّى اذا قفلوا راجعين الى وطنهم يخدمون بني ملّتهم بالامور الروحيّة »

١) وفي تاريخ الدويهي (ص ١٣٩) « فرنسيس بنجنتين »(كذا)

وكان اوّل من انتخبهم الاب جوان باطشتا اليانو شابين فطنين لبنانيًا وقبرسيًا ركبا البحر معهُ في آذار سنة ١٥٧٨ وهما جبرئيل سعد الادنيتي وكسبار القبرسي وكان الموكّل بهما الشدياق عازر القبرسيّ المار ذكرهُ وكان وصولهما الى رومية في حزيران من السنة . وقد ورد في تاريخ الدويهيّ (ص ٤٤٤ — ٤٤٥) انّ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر « امر باحضار الولدين فبارکهما وسُرَّ بهما كثيرًا وطلب من الله ان يجعلهما غرسةً مباركةً وافتتاحاً مقدّساً لتمجيد اسمهِ وانتشار امانتهِ في اصقاع الشرق وامر بان يقيما اوّلاً في مدرسة الاحداث الى ان يتمّ بناء مدرسة خصوصيّة للموارنة »

وقد ورد ذكر الشابين في احد مخطوطات المكتبة الواتيكانيّة (الموسوم بالعدد ٥٥٢٨ في الصفحة ٣١ — ٣٣) باللغة اللاتينيّة ما تعريبهُ : « جبرئيل سعد (Gabriel Felicis) من بان من ابرشيّة سيدة قنّوبين في جبل لبنان وهي ابرشيّة البطريركيّة المارونيّة . قدم الى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩ » وكان اذ ذاك عمرهُ ١٦ سنة

« كسبار غريب (?) (Gaspar Peregrinus) اصلهُ من الاقفيّة (Episcopia) من جزيرة قبرس ومن ابرشيّة شدرا وهو من الطائفة المارونيّة ايضاً قدم الى رومية في ٨ حزيران ١٥٧٩ » وكان اذ ذاك عمرهُ ١٣ سنة

امّا مدرسة الاحداث فكانت دارًا مختصّة بالمتنصّرين المرتدّين حديثاً الى الدين المسيحيّ (dei Neofiti)

فانكبّ الشابّان على الدروس . وكانا يحضران مدارس الآباء اليسوعيين في المدرسة الرومانيّة (Collegio Romano) الذي انشأهُ القديس اغناطيوس دي لويولا فما لبثا ان تعلّما اللغتين اللاتينيّة والايطاليّة مع معرفتهما بالسريانيّة وكان جبرئيل يعرف العربيّة ايضاً وكسبار يتكلّم باليونانيّة الحديثة

فلمّا عاد الاب اليانو الى لبنان في سفارتهِ الثانية الحّ على البطريرك ميخائيل الرزي ثمّ على شقيقهِ وخلفهِ سركيس الرزي بان يلتمسا طلبة الحبر الاعظم ويختارا احداثاً آخرين ليَرِدوا في رومية منهل العلم ويتهذّبوا فيها بالسيرة الاكليريكيّة فوقع اختيار الاب اليانو على اربعة ممّن رأوهم اهلًا لذلك فاخذ المرسل الغيور يهتمّ بأمرهم فكان

في أوقات الفراغ مدّة اقامته في قنّوبين يُعنى بتعليمهم مبادئ اللغة اللاتينيّة كما ذكر ذلك في رسالته المؤرخة في ١٩ تموز ١٥٨٠ للكردينال انطون كرافا. فلله من غيرة في ذلك الرسول الذي مع عظم رتبته كقاصد البابا اخذ على نفسه مهنة المعلّم للصغار

امّا هؤلاء الاربعة فقد ورد ذكرهم في المخطوطة الواتيكانيّة السابق ذكرها وهم :

١ً يعقوب بن سمعان (Jacobus Simeonis) الحصروني كان عمره ١٩ سنة . ٢ً انطون فرنسيس (Antonius Francisci) الحصروني عمره ١٦ سنة . ٣ً حنّا رئيس (والصواب دايس) بن يعقوب (Joannes Rais Jacobi) عمره ١٥ سنة وهؤلاء الثلثة من ابرشيّة سيّدة قنّوبين وهي الابرشيّة البطريركيّة . ٤ً مرقس بن اسطفان المطوشي عمره ١٨ سنة من جزيرة قبرس وابرشيّة شدرا . وقد وصل هؤلاء الاربعة الى رومية في ٢٧ شباط سنة ١٥٨١ . وكانوا اتوا على طريق البندقيّة فرافقهم من قبرس الى رومية الخوري مارون بن اسطفان المطوشي . امّا الدويهي فقد روى في تاريخه (ص٤٤٤) انّ الذي صحبهم الى رومية هو الاب جوان برون رفيق الاب اليانو لكنّ هذا الاب لم يرجع الى ايطالية الّا في ايلول كما سبق . ونزل هؤلاء الاربعة مع الخوري مارون في مدرسة الاحداث برفقة التلميذين السابق ذكرهما ولم يلبثوا ان بلغوا مبلغهما من العلم بعد ان اعدّهم الاب اليانو بما القاهُ عليهم من الدروس في لبنان

وكانت البعثة الثالثة من الشبان الموارنة الى رومية في اواخر السنة ١٥٨٣ . هذه قائمتهم منقولة عن المخطوطة الواتيكانيّة السابق ذكرها . ١ً موسى سعد العاقوري (دعاهُ الدويهي (ص٤٤٦) موسى العنيسي) من ابرشيّة العاقورة . ٢ً جرجس بن ميخائيل الاهدني من ابرشيّة اهدن (١ (وهو جرجس بن ميخائيل الشهير بابن عميرة الاهدني) . ٣ً جبرئيل نعمة الاهدني من ابرشيّة اهدن (لم يذكره الدويهي) . ٤ً ميخائيل صليب (Michael Crucis) البلوقيتي من ابرشيّة قنّوبين (لم يذكره الدويهي) . ٥ً بطرس بن جبرائيل المطوشي من قبرس من ابرشيّة شدرا عمره ١٤ سنة . ٦ً يعقوب بن ميخائيل من الافقسيّة من قبرس من ابرشيّة شدرا عمره تسع

---

١) تصفّح الاسم باللاتينيّة فقال de Herden., Diœcesis Herdenensis

سنين . ٧ حنّا بن جرجس من ڤونو (Vuno) في قبرس ومن ابرشيّة شدرا عمره ٨ سنوات . ٨ جرجس بن انطون من الاقليّة من قبرس من ابرشيّة شدرا والثلثة الآخرون لم يذكرهم الدويهي . وكان يرافق هؤلاء التلامذة الخوري يوحنّا بن أيوب الحصروني من ابرشيّة قنّوبين ثمّ الاخ يعقوب بن سركيس القس الراهب من حردين من رهبنة مار انطونيوس (دعاه الدويهي التس يعقوب الراهب الدويهي) . ومعهُ الاخ ابرهيم بن سمعان من عنيد (؟) (Anid) دعاهُ الدويهي بالشمّاس ابرهيم بن سمعان الادنيتي . وكان الكردينال كرافا استدعى الاوّل لتصحيح الكتب السريانيّة المنويّ طبعها . واستدعى الراهبَين الآخرين لنظارة المأوى الذي خصّهُ الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر لايواء الموارنة

وهؤلاء التسعة بلغوا رومية في ١٤ كانون الاوّل سنة ١٥٨٣ ليس في اوّلها كما ورد في تاريخ الموارنة (ص٤٤٦) وقال الدويهي هناك : « وبعد ان تشرّفوا بلثم مواطئ الحبر الاعظم طلبوا من غزير كرمهِ بيتاً لأجل مأوى الغرباء وان ينعم عليهم بطبع بعض كتب للصلاة فرحّب بهم قداستهُ وامر بان ينزل الطلبة مع رفقائهم في مدرسة الاحداث واما غرباء الطائفة فاقام لهم منزلاً عند كنيسة مار يوحنّا المعروف بالتينة (١) »

ومنّن ذكرهُ الدويهي (ص٤٤٦) ولم نجدهُ في المخطوطة الواتيكانيّة « سركيس ابن موسى اخي البطريرك سركيس (٢ » . ثمّ اردف قائلاً : « وفي السنة الثانية بعث البطرك اربعة شبّان غيرهم من موارنة حلب لاجل طلب العلم » لكنّهُ لم يذكر اسماءهم . وهذه الاسماء مصرّح بها في المخطوطة الواتيكانيّة : ١ نيقولا ڤالنتان(٣ (Nicola Valentini) عمرهُ ١٣ سنة . ٢ يوحنّا منصور عمرهُ ١٢ سنة . ٣ جرجس منصور عمرهُ ١٢ سنة . ٤ يوسف ايليّا عمرهُ ثماني سنين . وكلهم من حلب كانوا درسوا شيئاً من اللاتينيّة ويعرفون اللغة العربيّة وكان نيقولا يعرف ايضاً اللغة التركيّة . كان وصولهم الى رومية في شهر نيسان من السنة ١٥٨٤

---

١) يعرف بالايطاليّة باسم della Ficoccia

٢) ولعلّهُ يوجد تلميذ عاشر لم يذكرهُ الدويهي باسمهِ اذ قال انّ عدد التلامذة المرسلين في تلك البعثة « كانوا عشرة »

٣) لعلّهُ ترجمة اسم « شديد »

وهنا لا بُدَّ ان نذكر شابَّين اخرين من الموارنة أُرسلا الى رومية سنة ١٥٨٢ ولم يُفدنا الدويهي والاب اليانو عن امرهما شيئاً . واسماهما مدوَّنان في سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة : اسم الاوَّل نيقولا جرجي (Nicola di Giorgi) . والثاني ابرهيم جرجي (Abraham di Giorgi) المولود في حلب سنة ١٥٦٣ . وكلاهما دخل في الرهبانيَّة اليسوعيَّة . كان دخول نيقولا في ٢٠ ايلول ١٥٨٢ . وابرهيم في ٢٨ كانون الاوَّل ١٥٨٢ . ولعلَّهما اخوان ولا نعرف من امر نيقولا شيئاً امَّا ابراهيم فهو الاب المكرَّم الذي بشَّر بالمسيح في الهند ثمَّ رحل الى الحبشة فقُتل شهيداً في مصوَّع في ٤ ايار ١٥٩٥ وسنعود الى ذكره . وكان لابرهيم اخ اسمهُ يوسف انضوى مثلهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولا نعلم من اخباره سوى ما ورد في احد مكاتيب الاب ابراهيم الى الرئيس العام الاب اكواڤيڤا في تاريخ ١٥ ك ١ سنة ١٥٩٣ يطلب منهُ ان يرسل اخاهُ يوسف الى الهند مع الكاهن الماروني موسى العنيسي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية (لهُ بقيَّة)

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وكان اكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم . قال الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٨٧)

بناتُ الروم في سرَق الحرير

والسَّرق واحدتهُ سَرَقة وهي شقائق الحرير او اجودهُ وقال في ذلك :

وهنا لا بُدَّ ان نذكر شابَّين اخرين من الموارنة أُرسلا الى رومية سنة ١٥٨٢ ولم يُفدنا الدويهي والاب اليانو عن امرهما شيئاً . واسماهما مدوَّنان في سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة : اسم الاوَّل نيقولا جرجي (Nicola di Giorgi) . والثاني ابرهيم جرجي (Abraham di Giorgi) المولود في حلب سنة ١٥٦٣ . وكلاهما دخل في الرهبانيَّة اليسوعيَّة . كان دخول نيقولا في ٢٠ ايلول ١٥٨٢ . وابرهيم في ٢٨ كانون الاوَّل ١٥٨٢ . ولعلَّهما اخوان ولا نعرف من امر نيقولا شيئاً امَّا ابراهيم فهو الاب المكرَّم الذي بشَّر بالمسيح في الهند ثمَّ رحل الى الحبشة فقُتل شهيداً في مصوَّع في ٤ ايار ١٥٩٥ وسنعود الى ذكره . وكان لابرهيم اخ اسمهُ يوسف انضوى مثلهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولا نعلم من اخباره سوى ما ورد في احد مكاتيب الاب ابراهيم الى الرئيس العام الاب اكواڤيڤا في تاريخ ١٥ ك ١ سنة ١٥٩٣ يطلب منهُ ان يرسل اخاهُ يوسف الى الهند مع الكاهن الماروني موسى العنيسي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية (لهُ بقيَّة)

النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وكان اكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم . قال الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٨٧)

بناتُ الروم في سرَق الحرير

والسَّرق واحدتهُ سَرَقة وهي شقائق الحرير او اجودهُ وقال في ذلك :

يَرْفُلْنَ في سَرَقِ الفِرِنْدِ وقَزِّهِ يَسْحَبْنَ من هُدَّابِهِ أَذْيالا

ومن الانسجة الثمينة التي كان يتزاحم عليها امراء العرب الدَّفَّيّ من مصنوعات اليمن قال الاعشى يصف بعض الاعيان (شرح المفضليات ص ٥٢٨ ,ed. Lyall):

يَمْشون في الدَّفَّيِّ والأَبرادِ

ومثلها السَّيْراء من برود اليمن الموشّاة المخطَّطة التي يخالطها الحرير كالسُّيور كان يحيكها نصارى نجران ودومة الجندل. وفي الحديث انَّ أُكَيْدِر بن عبد الملك النصراني صاحب دومة اهدى الى محمّد حُلَّةَ سَيْراء (التاج ٣: ٢٨٧). وكذلك عرف اهل مكّة الارجوان من مصنوعات سواحل الشام ورد ذكرهُ في تاريخ اليعقوبي (٢: ٢٣) في وصف زينة نبيّ الاسلام وفي حديث الخليفة عثمان بن عفّان (النهاية لابن الاثير ٢: ٧١). وقد ورد في صحيح مسلم (٢: ١٥٢) وصحيح الترمذي (١: ٣٣١) وفي انساب البلاذري (٣٣٢) وغيرها ذكر حلل الديباج والثياب المُعَصْفَرة والحِبَر المفوَّفة اي الرقيقة الوشاة والطيالسة التي كان يهديها الوفود من اهل اليمن ومن الرهبان الى صاحب الشريعة الاسلاميّة واكثرها من صُنع نصارى اليمن او الشام. قال ابن الاثير في أُسد الغابة في اخبار الصحابة (٢: ٤١١) انَّ عطارد بن حاجب الذي وفد على نبيّ الاسلام مع وجوه تميم النصارى وكان سيّدًا في قومه اهدى محمّدًا ثوب ديباج وروى المسعودي في مروج الذهب (٤: ١٧٨) انَّ ملوك اليمن قدموا الى ابي بكر وعليهم الحُلَل والحِبَر وبرود الوشي. وذكر ايضاً (١: ٢٢١) التاج والطيلسان فيما فرضهُ خالد بن الوليد على النصارى العباديّين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة من اهل الحيرة. وكذلك صاحب بانقيا بُصْبُهْر بن صَلوبا ذكر البلاذريّ في فتح البلدان (ص ٢٤٤) انَّهُ «صولح على الف درهم وطيلسان»

ومن منسوجاتهم ايضاً الطنافس والبُسُط والأَنطاع. اتَّخذوا بعضها لكسوة الكعبة قال البلاذريّ في الفتوح (ص ٤٧): «وكانت كسوة الكعبة في الجاهليّة الانطاع والمعافر (والصواب المَعافر وهي منسوجات يمنيّة) فكساها الرسول صلعم الثياب اليمنيّة ثمّ كساها عُمر وعثمان القباطيّ ثمّ كساها يزيد بن معاوية الديباج... وكساها بنو اميّة في بعض ايّامهم الحلل التي كان اهل نجران يؤدّونها». ومن

الطنافس الشهيرة الطنافس العبقرية التي كان يصطنعها نصارى تنوخ وقضاعة . قال ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٤١) : «انَّ التنوخيين نزلوا عَبْقَرة من ارض الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية » . وقال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٩٠٧) ان عبقرة كان يوشى فيها البسط وغيرُها فنُسب كل شيء جيد الى عبقرة . وقال الفرّاء هي الطنافس الثخان . وقال مجاهد : العبقريّ الديباج . وقد ذكر المقريزي في الخطط مصانع البُسط في صعيد مصر مما كان يشتغله نصارى الاقباط في البهنسا ودمياط وتنّيس ودابق . ذكر انَّ بعض البسط كان يبلغ طولهُ ٣٠ ذراعاً وكان يباع الزوج منها مائتي مثقال ذهب . وروى انَّ فسطاطاً صنعوهُ في تنيس منسوجاً بالذهب بيع بقيمة ١٤٠٠٠ دينار ما يساوي اليوم من نقودنا نحو ٢٠٠٠٠٠ فرنك وكانوا ينقشون على هذه البُسط صوراً شتّى من الرجال والسباع والخيل والطيور . وفي متاحف اوربّة منها بقايا (Gayet : l'Art Arabe, 248-252) وكان البعض منها مصلّباً اي منقوشاً عليها الصلبان (١ . وروى في التاج في حديث جرير (١ : ٣٣٨) قولهُ : « رأيتُ على الحُسَين ثوباً معلَّباً اي فيهِ نقش امثال صلبان »

﴿التجارة﴾ هي ايضاً احدى الصنائع التي شاعت بين النصارى فاستفاد منها العرب في الجاهليَّة واوائل الاسلام وذلك لندورة الخشب في انحاء كثيرة من جزيرة العرب الّا اطرافها ولبُعد العرب عن العمران الحضري . قال ابن خلدون في المقدّمة (٢ : ٣١٣ طبعة باريس) : « انَّ العرب ابعد الناس من الصنائع والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد من العمران الحَضَري . والعجم من اهل الشرق وامم النصرانيَّة عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لأنهم اعرق في العمران الحَضري وابعد عن البدو » ثم ذكر كيف ان العرب استجلبوا صنائعهم من عند تلك الامم

وقد مرَّ لنا شيءٌ من اعمال النصارى الخشبيَّة في جزيرة العرب منها ما سبق في ذكر القليس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٢٥) وما دخل فيهِ من الاخشاب الثمينة كالسَّاسم والساج والابنوس اشتغلها النصارى فزيَّنوا بها كنائسهم قبل الاسلام

ومثل ذلك ما رواهُ ابو الوليد محمَّد الازرقيّ في كتاب اخبار مكَّة (ص ١٠٥ ،

١) اطلب ايضاً H. LAMMENS : Fâtima, 70-74

١٠٧، ١١١) عن باقوم الرومي النجّار والبنّاء الذي وكلت اليهِ قُرَيش بناء الكعبة بعد حريقها وتصدُّع جدرانها فبناها بما اشتراهُ القريشيُّون من الخشب الذي اقبلت بهِ سفينةٌ للروم الى جُدَّة . وهم نصارى الاقباط والروم ايضاً الذين سقَّفوا بالساج المزخرف المسجد الحرام في مكَّة في ايَّام الوليد بن عبد الملك (الازرقي ص٢٠٩)

ومما صنعهُ النصارى في اوَّل الاسلام لخدمة نبيّهم وخلفائهِ الراشدين المنبر اصطنعهُ اوَّلاً رومي نجَّار كما روى ابو سعيد وقيل « انَّ اسمهُ باقوم او ياقول الرومي غلام سعيد بن العاص » وقيل انَّ اسمهُ ابرهيم النجَّار (اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ١ : ٤٣) كان يجلس عليهِ محمَّد للجمعة

وكان في خدمة نبيّ الاسلام نصراني آخر من لخم اسمهُ تميم بن اوس الداري من نصارى لخم أسلم سنة ٩ للهجرة وخدم محمَّداً وكان يسكن معهُ المدينة ويدعونه راهب الأمَّة (١ ثم اقطعهُ قرية عينون عند بيت المقدس (اسد الغابة ١ : ٢١٥)

ثمَّ اضافوا الى المنبر عرشاً كان يجلس عليهِ محمَّد اذا خطب كما جاء في طبقات ابن سعد (ج ٢ ق ٢ ص ١١) . وكان ايضاً من عمل النصارى . وبعد موت نبيّ المسلمين تردَّد الخلفاء الراشدون في رقيّ المنبر وقد اخبر المقريزيّ (الخطط ٢ : ٢٤٧) ان عَمرو بن العاص اتَّخذ منبراً فكتب اليهِ عمر بن الخطَّاب يعزم عليهِ في كسرهِ ويقول « أمَا حسبُك ان تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبَيك » فكسرهُ . لكنَّهم ما لبثوا أن اقاموها في المساجد . روى المقريزيّ (٢ : ٢٤٨) عن والي مصر قُرَّة بن شريك العبسيّ انَّهُ نصب منبراً جديداً في السنة ٩٤ هـ (٧١٣م) . (قال) « وذُكر انهُ حُمل اليهِ من بعض كنائس مصر وقيل انَّ زكريَّا بن برقنى ملك النوبة (النصراني) اهداهُ الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح وبعث معهُ نجَّاراً حتَّى ركَّبهُ واسم هذا النجَّار بقطر من اهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتَّى زاد قرَّة بن شريك في الجامع فنصب منبراً سواهُ »

وكان العرب يلتجئون ايضاً الى اهل الارياف من الشام واليمن والعراق فيتَّخذون

---

١) اطلب مجلَّة تاريخ الاديان Revue de l'Hist. des Religions, 1920. p. 250-252

من نجّاريهم العَمَد والاوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم لأنَّ الخشب مادَّةٌ لكلّ هذه كما بيّن ابن خلدون في مقدّمته (٢ : ٣٢٤) ولا تصير الى الصورة الخاصّة بها الّا بالصناعة والقائم على هذه الصناعة هو النجّار. وقد بقي من اعمال النصارى الدالّة على براعتهم في هذه الحرفة عدّة آثار تُرى في كنائس واديرة اقباط الصعيد وطورسيناء والجزيرة ومنها ما تحوّل الى جوامع ومنها المقاصير القديمة والشماري والمشارب كان النصارى يهندسونها قديماً وصبر بعضها على آفات الدهر

﴿ الحدادة ﴾ كما النجارة كذلك الحدادة خدم بها نصارى اليمن والشام والبحرين قبائلَ عرب البادية. وكان الحدّاد يُدعى في الجاهليَّة قَيْناً. والقيون عند العرب بنو اسد قيل انّ اوّل من عمل الحديد منهم كان المالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة فدعي ايضاً الحدّاد بالمالكي. وممّن ورد ذكرهم في اوائل الاسلام من ارباب الحدادة خُباب بن الارث من نصارى بني تميم سُبي من وطنهِ وبيع في مكّة فحصل في خدمة نبي المسلمين والخلفاء الراشدين من بعدهِ توفّي سنة ٣٧ ﻫ (٦٥٨م)

وكان اكثر اتّخاذ العرب للحديد لتهيئة آلات حربهم اعني السيوف والدروع ونصال الرماح والسهام والخُوَذ. امّا السيوف فمن اكرمها واشهرها المشرفيّات المنسوبة الى المشارف من قرى الشام. ومنها السيوف الحاريّة وهي التي كان يصنعها نصارى الحيرة في العراق. ومنها السُّريجيّات وكانت سيوفاً منسوبة الى قَيْن يُدعى سُرَيجاً مصغّر سرجيس. وفيها يقول العجّاج :

وبالسُّرَيجيّات يَخطِفْنَ القَصَرْ

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا انّ بلقيس ملكة سبأ اهدَتها الى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على اهلها اليمن وهي ذو الفقار كان لمنبه بن حجّاج فصار الى نبيّ الاسلام ثم ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ثمّ مِخذم ورَسُوب كانا للحارث بن جبلة ملك غسّان النصراني ثم ضرس الحمار وقيل ضرس العير او ضرس البعير كان لعلقمة بن ذي قيفان الحميريّ ثم الكَشْرح ولم يذكروا صاحبَهُ

امّا الدُّروع فممّا يدلّ على علاقتها بالنصارى واهل الكتاب ان العرب ينسبون

مسجها الى داود وسليمان كما رويناهُ سابقاً (راجع الصفحة ٢٣٣ و٢٧٢ – ٢٧٣) . وكل يعرف خبر الدروع التي اودعها امرؤ القيس الكندي الشاعر النصراني عند السموأل (اطلب ديوان السموأل الذي نشرناهُ آنفاً ص ٨) . وقد عُرف ايضاً اهل نجران بصناعة الدروع والدليل عليه انَّ محمَّداً صالحهم على ثلثين درعاً كما سبق . ومن دروع البحرين الرُّدَيْنيَّات نُسبت الى امرأة تدعى رُدَينة كانت تبيعها او تصنعها . ومنها ما كان يُنسج حلقتَين حلقتَين وهي المضاعفة قالت الخنساء تصف لأمة اخيها صخر :

اذا تلأم في زَغْفٍ مضاعفَةٍ وصارمٍ مثل لون الملح جرَّادِ

امَّا نصال الرماح والسهام فزعم الثعالبي في لطائف المعارف (ص ٧ ed. de Jong) «انَّ اوّل من عُمل لهُ سنان من حديد سيف ذو يزن الحميري واليهِ نُسبت الرماح اليَزَنيَّة وانَّما كانت السنَّة العرب صياصي البقر » والله اعلم وانَّما يُرجَّح الرأي بانَّ اصل النصال من اليمن ومن الامم النصرانيَّة المجاورة للعرب . وقد امتازت بين الرماح العربيَّة السَّمهريَّات نسبةً الى سَمْهَر اسم رجل قيل انهُ زوج رُدَينة ورفيقها في الحدادة . ومنها الخطيَّات وهي رماحٌ كانوا يستجلبونها من الخطّ وهو مرفأ للسفن في البحرين وعمان . وكذلك السهام الصاعديَّة منسوبة الى قريةٍ صَعْدة في اليمن على غير قياس

واتخذوا ايضاً من الحديد الجواشن ومثلها الخوذ يتقنّعون بها رؤوسهم تعلّموها من الروم والفرس وهي البَيْض . ثم انتشر استعمالها في بلاد الاسلام حتَّى انَّهم أحصوا ما في خزانة السفَّاح اوّل خلفاء بني عبَّاس فوجدوا خمسين الف درع وخمسين الف سيف وثلثين الف جوشن ومائة الف رمح . وزادت على ذلك في ايام هارون الرشيد فاحصاها الفضل بن الربيع فوجد عشرة آلاف سيف محلَّاة بالذهب وخمسين الفاً للشاكريَّة والغلمان ومائة وخمسين الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصَّة محلَّاة والف درع عامَّة وعشرين الف بيضة وعشرين الف جوشن ومائة وخمسين الف ترس واربعة آلاف سرج محلَّاة خاصَّة وثلثين الف سرج عامَّة (مطالع البدور للغزولي ٢ : ١٦٢)

(لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

B. Bareilles : Un Turc a Paris (1806-1811). Relation de Voyage et de Mission ds Mouhib Effondi Ambacsadeur de Sélim III, *Paris. éd. Bossard.* 1920, *in*-16, *pp.* 106

رحلة محب افندي سفير السلطان سليم الثالث الى باريس

يذكر قرّاؤنا رحلة محمّد سعيد باشا الى باريس في عهد لويس الخامس عشر التي نشرناها في المشرق (١٧[١٩١٤]: ١٠١ الخ) وما اودعها كاتبها من الاخبار المبهجة . فهذه رحلة ثانية اقرب الينا عهداً كتبها بالتركيّة صاحبها محبّ افندي المرسل الى باريس في عهد نابوليون الاوّل ليعقد معهُ عهداً باسم السلطان سليم الثالث فأسعد الحظ المسيو بارايل على وجودها في الاستانة عند بعض الورّاقين فاسرع الى نقلها الى الفرنسويّة ونشرها . فقد اطّلعنا على مضامينها فوجدناها صورةً حيّة للسياسة التركيّة في معاملاتها مع الدول الاجنبيّة وفيها ما فيها من وصف الاتراك لنابوليون ولحاشيته ودولته واخلاق الفرنج عموماً واهل باريس خصوصاً مع ذكر المعاهد العلميّة والخيريّة في العاصمة . وممّا تفكّهنا بقراءته زيارة السفير التركي لمرصد باريس واندهاشهُ لدى نظرهِ القمر بالمرقب واستماعهُ شروح الفلكيّ لاتّد الشهير وعياذتهُ بالله خوفاً من ان يُفتَنَ بسحر كلامهِ او يقع الشكّ في قلبهِ من دينهِ ل . ش

Soualah Mohammed : 1) Ibrahim ibn Sahl. Thèse produite à la Fac. des Lettres D'Alger. *Alger, A. Jourdan*, 1914. *in*-12, *pp.* 204 = 2) Une Elégie Andalouse. Thèse complémentaire, *ibid.*, 1914. *pp.* 144

ابرهيم بن سهل : حياتهُ وآثارهُ — رثاء غرناطة

هذه اوّل مرّة على ما نظنّ يقدّم فيها احد المسلمين في الجزائر تأليفاً ادبيّاً لينال بهِ امتيازات الملفنة في الآداب . نسُرّ بذلك وفيهِ دليل حيّ على تقدّم اهل الجزائر ومعارضتهم لمستشرقي الفرنج . وقد اطّلعنا على الكتاب وهو جامع لما ورد في التاريخ من سيرة ومنظومات احد شعراء الاندلس ابرهيم بن سهل المرتدّ عن اليهوديّة الى

الاسلام فان المؤلف صوالح افندي محمّد لم يدع كتاباً الّا راجعهُ واقتبس منهُ لتعريف المترجم وديوان شعرهِ وقد كتب ذلك باللغة الفرنسويّة ونقل اليها كثيراً من قصائد ابن سهل ولعلّهُ كان أحسن لو ضرب الصفح عن بعض مقاطيعها البذيئة المستهجنة — امّا الكتاب الثاني الذي ألحقهُ بابن سهل فهو أدقّ معنًى وارقّ نظماً وفيهِ رثاء غرناطة يشبهُ الرثاء الذى اثبتناهُ في كتابنا مجاني الادب (٥ : ٢٣٦) وانتقدناهُ في كتاب علم الادب (ج١ص ٢٥٣) نقدًا بيانيًّا . ولعلّ رثاء غرناطة لرائي الاندلس الرنديّ . فقد احسن صوالح افندي بطبعهِ ونقلهِ الى الافرنسيّة وتعليقهِ عليهِ عدّة ملحوظات تاريخيّة وادبيّة مع فهارس واسعة زادتهُ قيمةً ل . ش

Ben Cherif : AHMED BEN MOSTAFA Goumier. *Paris. Payat.* 1920, *in*-16, *pp.* 243

احمد بن مصطفى

احمد بن مصطفى احد الجزائريين الذين تطوّعوا في الحرب الاخيرة وابلوا فيها احسن بلاء وذهب ضحيّة بلاياها بعد ان وقع اسيرًا في ايدي الالمان . فاراد ابن شريف قائد قوّاد الجزائريين ان يخلّد ذكرهُ فكتب بالفرنسويّة هذا التأليف واودعهُ كثيرًا من اخباره ورسائلهِ وابرزهُ على صورة رواية خياليّة شرقيّة النمط ليزيد اقبال القرّاء عليها ل . ش

H. MASSÉ : ESSAI SUR LE POÈTE SAADI. Thèse pour le Doctorat ès-Lettres à la Fac. d'Alger. *Paris, P. Geuthner,* 1910. *in*-8. *pp.* 270 = BIBLIOGRAPHIE DE SAADI. *pp.* LVII

الشاعر الفارسيّ سعدي

وضع هذا الكتاب المسيو ماسيه من طلبة كلّية الجزائر لينال درجة الملفنة في الآداب . وقد احسن باختيار موضوعهِ ألا وهو احد الشعراء المفلقين في فارس الشهير بسعدي الشيرازي (١١٨٥ — ١٢٩١ م) فانّ هذا الرجل قد تجوّل في اقطار عديدة وتقلّب في اطوار شتّى وتصوّف في القسم الاخير من حياتهِ ولهُ في كتاباتهِ اشارات الى كلّ امور زمانهِ . وقد امتاز شعرهُ الفارسي برقّتهِ وتفنّنهِ وصيتهُ لا يزال الى

يومنا شائعاً بين اهل العجم يردّدون منظوماته في كلّ معاهدهم . وقد تتبّع صاحب الكتاب آثار ذلك الرجل الشهير ولم يدع من احواله شيئاً الّا امعن فيه النظر وانتقده بكل انصاف . وقد الحق بهذا الكتاب تأليفاً آخر جمع فيه لائحة المصنفات التي كُتبت عن سعدي البالغ عددها نحو الاثنين . فنهنئ الكاتب على وصفه هذا التأليف الجليل ونحضّ محبّي الآداب الفارسيّة على مطالعته ل . ش

Général Mangin. Comment finit la guerre. *Paris, Plon, XIII-330 pp., in-16, 11 Cartes.*

كيف انتهت الحرب

هذا الكتاب تاريخ عسكريّ للحرب الكونيّة الّفه احد اركان الحرب العالميّة الاخيرة الجنرال مانجان قائد الجيش العاشر . وممّا رمى اليه كاتبهُ كما اوضحه في مقدّمته ان يردّ على اعتراض كثيرين من مواطنيه الذين زعموا انّ الحرب الهائلة التي انتشبت بين الدول كان يمكن تقصير مدّتها لاسيّما انّ الانتصار الاخير وقع بعد انكسارات متعدّدة فكان اذن تمكناً الانتصار النهائي بعد غارة المارن الاولى حيث ظفر الفرنسويّون بالالمان . فهذه المزاعم الوهميّة قد فنّدها الجنرال مانجان في هذا الكتاب حيث بيّن بالاجمال الحركات العسكريّة الاولى مع فشل الجيوش اوّلاً ثمّ انتصارها تالياً . ثمّ يتتبّع سلسلة الوقعات التي جرت بعد ذلك الى الفوز الاخير فيبيّن ما كان بينها من الارتباط الوثيق الى ان توفّقت العوامل الاخيرة فجاءت بالفوز الباهر في حرب لم يسبق لها شبيه في تواريخ العالم . وقد استحسنّا انشاء الكاتب الذي يستشفّ من ورائه خلقُ الجنديّ وعزمهُ اذ يسير توّاً الى غرضه ويمضي في روايته على مثال مضاء سيفه فينفي كلّ اشتباه ج . ل

Lazin (Paul) : L' HUMANISTE A LA GUERRE. Paris, in-16, pp.249, 1920, Prix 7 fr.

البيانيّ في الحرب

الكتب العديدة التي وضعت في الحرب الاخيرة كلّها مشحونة بتفاصيل ويلاتها واهوالها وها هوذا بيانيّ نفسه النفس اراد ان يبيّن ما في الحرب من الحوادث المبهجة التي تشوّق اليها وتخفّف اعباءها . فالكاتب بول لازين سار الى ساحتها

باطمئنان واذ تولّى قيادة فرقة من الجنود نفخ في صدورهم الثقة بالفوز وهو يسعى ببسطهم وترويح افكارهم في معظم شدائد الحرب. وكان باثنائها يرسل الى اهل بيته المكاتيب المفعمة بالاخبار المفكهة التي يتهافت عليها قرّاؤها. فلمّا انتهت الحرب وعاد الى بيته جمع تلك الرسائل وصنّف بها كتاباً غاية في اللذّة بعبارة سلسة ومعانٍ مبتكرة لا تخلو احياناً من النظر الفلسفي البعيد وتفنّن البياني البارع بالكتابة ج ل

U. Zanotti-Bianco et Andrea Laffi. LA PACE DI VERSAILLES. Note e Documenti con 20 carte etnografiche e politiche, *Roma, La Voce, Trinità Monti* 18., 1919, *gr.*- 8. *pp.*,250,*prix* 10 *lire*

معاهدة ڤرسايل

قد تعدّدت الكتابات في انتقاد معاهدة ڤرسايل وهذا الكتاب قد وضعه سياسيّان من رجال ايطالية يعربان عن افكار مواطنيهما فهما يزعمان انّ معاهدة ڤرسايل مضادّة لما نشره الحلفاء من التعهّدات في اثناء الحرب فيستقريان فصول المعاهدة المذكورة التي قرّرتها الشورى العليا فينتقدان على كلّ فصل منها ويقابلانها بالقرارات التي سبقتها في زمن الحرب. فلا بُدّ لارباب الامر من النظر في هذه الاحتجاجات التي قدّمها المؤلفان بدقّة فكر وايضاح وهي تتّفق مع ما كتبه الانكليزي كيس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ١٠٣١) ويزين الكتاب خرائط حسنة

Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient (XVIe - XIXe- siècle). recueillis par le P. Ant. Rabbath. T II. fasc.3.publiés avec notes et tables par le P. Fr. Tournebize S.J. *Impr. Cath. Beyrouth*, 1921. 17/-409-644

الآثار الخطية لتاريخ الكنائس الشرقية

كنّا نتمنى بعد وفاة المأسوف عليه الاب انطون رباط ان لا تبقى الكنوز الخطيّة التي جمعها بكل عناء وفروغ الصبر مطمورةً في زوايا المكاتب ليستفيد منها محبّو تاريخ شرقنا العزيز. فسُررنا اذ عرفنا انّ تكملة الكتاب عُهدت الى احد آباء كليّتنا الذي هو مولع ايضاً بالآثار الدينيّة فنشر كثيراً منها. وها هو قد متّعنا بثمرة شغله اذ نشر تتمّة المجلّد الثاني الذي كان الاب رباط طبع منهُ قسمين. فهذا القسم

الثالث يحتوي اربعة وثمانين اثرًا من كتابات الملوك والسفراء والبطاركة والمرسلين وارباب السياسة فهو كالاقسام السابقة معدن ثمين يُعرف بهِ كثير من اخبار بلادنا العزيزة برواياتها الصادقة التي لا يستطاع نقضها. فنشكر حضرة ناشرها مع ما زاد عليها من الملحوظات الدقيقة والفوائد المختلفة ولاسيَّما الفهارس المطوَّلة. ومما نُلفت اليهِ النظر بين تلك الآثار رسالة لاتينيَّة باسم البطريرك موسى المكَّاري كتبها الى الامبراطور كارلوس الخامس (شرلكان) وامضاها هو واساقفتهُ في ٢٥ آذار سنة ١٥٢٧م ل.ش

الفخريّ في الآداب السلطانيَّة لابن الطقطقى

عُني بنشرهِ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر

بالمطبعة الرحمانيَّة بمصر (سنة ١٣٣٩ ص ٢٥١)

هذا التاريخ الجليل الفائدة المشتمل على اخبار الدول الاسلاميَّة الى آخر دولة بني عبَّاس صار اشهر من نار على علم بعد ان طُبع اوَّلًا في المانية ثم في فرنسة ثمَّ في القاهرة وكأنَّ رواجهُ في مصر اوجب تجديد طبعهِ فقام بذلك الاديب يوسف افندي توما البستاني. فيالتهُ استفاد من الطبعات الاوربيَّة بعض محسَّناتها لاسيَّما طبعة المسيو درنبورغ المطبوعة بحرف مطبعتنا والمزيَّنة بالفهارس

ماذا عمل الخوري ؟

بقلم الخوري منصور عوَّاد البحرصافي الماروني اللبناني

بيروت. المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٩٢٠ (ص ٥٣)

قد تنافس اكليروس الشرق اجمالًا في ايَّام الحرب لينقذ البؤوسين من بلاياهم. فهذه البطريركيَّات والاسقفيَّات والرهبانيَّات والجمعيَّات الدينيَّة انفقت في سبيل المحتاجين ما لديها من المال او ما حصلت عليهِ من بيع ارزاقها او ما جمعتهُ من اهل الاحسان ولو نُشر كلُّ ذلك مفصَّلًا لادهش الجميع وأفحم كلَّ المتشدقين الناسبين زورًا الطمع لارباب الدين. وكفى شاهدًا على قولنا ما فعلهُ احد كهنة لبنان الافاضل حضرة الخوري بولس عوَّاد في مدَّة الحرب وبعدهُ في رومية العظمى وايطالية وسورية لكي يضمد جراحات اهل الجبل وطنهِ العزيز. فدوَّن ذلك بهذه الكريريسة

ليس اكتساباً للفخر بل ليستنهض اريحيَّة مواطنيهِ ليؤازروهُ في اعمالهِ ويردّ للبنان عمرانهُ وزهوهُ . وها هوذا قد تولّى ادارة ميتم بحرصاف حيث جمع نيّفاً و ٧٠ ولداً يتمّ بشؤونهم وتربيتهم مع مساعدة الدولة الفرنسويَّة لكنَّ همّتهُ القعساء لا تكتفي بذلك بل قصد ان يحرّك في سائر القلوب عواطف الحنان والوطنيَّة لكي يتّسع نطاق المشروعات الخيريَّة ويُعَدّ للبنان قومٌ نشطاء يقومون بعد قليل بكل ضروريّاتهِ الزراعيَّة والصناعيَّة . فنعم القصد وبارك الله همّة حضرة الخوري الساعي بهِ وجازى خيراً كل من ساعدهُ على تحقيق نيّاتهِ ل . ش

مختارات جرجي زيدان

جزءان الاوّل (ص ١٩١) والثاني (ص٢٠٦)

طُبع في مصر في مطبعة الهلال (سنة ١٩١٩—١٩٢٠)

كان المرحوم جرجي زيدان من اغزر الادباء مادَّةً واكثرهم تفنُّناً واسرعهم خاطراً وقلماً كما تشهد عليهِ التآليف العديدة التي خلّفها منها ادبيَّة ومنها اجتماعيَّة وبعضها لغويَّة وكثير منها روايات خياليَّة ضمّنها بعض حوادث التاريخ العربيّ فاقبل عليها القرّاء ونُقلت الى عدَّة لغات . وقد اختار وهو في قيد الحياة من مآثرهِ المتبدّدة في مجموع الهلال عدَّة مقالات في فلسفة الاجتماع والعمران تحوي مباحث اخلاقيَّة وحكميَّة ونسانيَّة وسياسيَّة وادبيَّة نشرها نجلهُ الهمام في هذين الجزئين لتسهل مراجعتها على طلّابها . وقد احسن في كثير منها الّا اراءهُ التي اكتسبها من تخرّجهِ في كليَّة بيروت البروتستانيَّة او راعى فيها احوال الزمان وذوق القراء فتطرَّف فيها وهو يعدّ نفسهُ محقًّا . وفي بعض المقالات المنتخبة شيءٌ من ذلك نكتفي بالاشارة اليها ولا يصعب على ذوي البصيرة تمييزها . وما الكمال الّا لله ل . ش

شذرات

﴿ نشيد المدارس الدينيَّة ﴾ الّفهُ حضرة الخوري مارون غصن على لحن « حتّى

ليس اكتساباً للفخر بل ليستنهض اريحيَّة مواطنيهِ ليؤازروهُ في اعمالهِ ويردّ للبنان عمرانهُ وزهوهُ . وها هوذا قد تولّى ادارة ميتم بحرصاف حيث جمع نيّفاً و ٧٠ ولداً يتمّ بشؤونهم وتربيتهم مع مساعدة الدولة الفرنسويَّة لكنَّ همّتهُ القعساء لا تكتفي بذلك بل قصد ان يحرّك في سائر القلوب عواطف الحنان والوطنيَّة لكي يتّسع نطاق المشروعات الخيريَّة ويُعَدّ للبنان قومٌ نشطاء يقومون بعد قليل بكل ضروريّاتهِ الزراعيَّة والصناعيَّة . فنعم القصد وبارك الله همّة حضرة الخوري الساعي بهِ وجازى خيراً كل من ساعدهُ على تحقيق نيّاتهِ ل . ش

مختارات جرجي زيدان

جزءان الاوّل (ص ١٩١) والثاني (ص٢٠٦)

طُبع في مصر في مطبعة الهلال (سنة ١٩١٩—١٩٢٠)

كان المرحوم جرجي زيدان من اغزر الادباء مادَّةً واكثرهم تفنُّناً واسرعهم خاطراً وقلماً كما تشهد عليهِ التآليف العديدة التي خلّفها منها ادبيَّة ومنها اجتماعيَّة وبعضها لغويَّة وكثير منها روايات خياليَّة ضمّنها بعض حوادث التاريخ العربيّ فاقبل عليها القرّاء ونُقلت الى عدَّة لغات . وقد اختار وهو في قيد الحياة من مآثرهِ المتبدّدة في مجموع الهلال عدَّة مقالات في فلسفة الاجتماع والعمران تحوي مباحث اخلاقيَّة وحكميَّة ونسانيَّة وسياسيَّة وادبيَّة نشرها نجلهُ الهمام في هذين الجزئين لتسهل مراجعتها على طلّابها . وقد احسن في كثير منها الّا اراءهُ التي اكتسبها من تخرّجهِ في كليَّة بيروت البروتستانيَّة او راعى فيها احوال الزمان وذوق القراء فتطرَّف فيها وهو يعدّ نفسهُ محقًّا . وفي بعض المقالات المنتخبة شيءٌ من ذلك نكتفي بالاشارة اليها ولا يصعب على ذوي البصيرة تمييزها . وما الكمال الّا لله ل . ش

شذرات

﴿ نشيد المدارس الدينيَّة ﴾ الّفهُ حضرة الخوري مارون غصن على لحن « حتّى

ما هذا الجفا ؟ فيحسن بطلبة مدارسنا الكاثوليكية بل عموم المدارس الدينيَّة ان يتنزَّهوا بهِ ويتَّخذوهُ كشعار لحفظ آدابهم ونفورهم من المدارس اللادينيَّة :

ربَّنا قد داهمتنا هجماتُ الملحدينْ
تبتغي إقصاكَ عنَّا خابَ سَعْيُ الجاحدين !..

كيف نرضى بالبعادْ عن حمى الدينِ المبينْ
فهلمُّوا للجهادْ يا جميعَ المؤمنينْ

دينُنا مَجْدُ الجدودْ فاحفظوهُ للبنينْ
واقتدوهُ بالكبودْ فهو ذُخْرُ الذاخرينْ

دينُنا حِصْنٌ حصينْ خفقتْ فيهِ البنودْ
ولهُ في كلِّ حينْ حافظٌ ربُّ الجنودْ

أرزُنا رَمْزُ الثباتْ فاثبتوا يا دَيِّنينْ
واحفظوا حتَّى المماتْ كَنْزَ إيمانٍ ثمينْ

عزِّزوا كلَّ المدارسْ بتعاليمِ المسيحْ
وَاتَّحِدْ بينَ الكنائسْ وَحْدَةَ الدينِ الصحيحْ

ربَّنا احفظْ للبلادْ دينَها السامي المنيرْ
وَلْيَدُمْ نورُ الرشادْ فوقَ لبنانَ الكبيرْ

﴿برصليبي وكتاب الكهنوت﴾ نشر حضرة القس يوسف حبيقة ردًّا على قولنا في نسبة كتاب الكهنوت لموسى بركيفا . فقال حضرتهُ انَّهُ طالع نسخة دير الشرفة فوجد فيها ذكر ديونيسيوس وكتابهِ في الكهنوت فاستنتج انَّ ديونيسيوس هذا هو ديونيسيوس برصليبي من كتبة القرن الثالث عشر ومن ثمَّ خطَّأنا في نسبة النسخة الى بركيفا الذي سبقهُ بثلاثة قرون . فليسمح لنا حضرتهُ ان نسألهُ كيف تحقَّق انَّ ديونيسيوس المذكور هو ديونيسيوس برصليبي . وليس هناك ما يدلُّ عليهِ .

أفلا يعلم انَّ في مجموعة الآباء اليونان عدَّة تآليف منسوبة الى ديونيسيوس الاريوباجي تلميذ القديس بولس من جملتها كتابهُ في النظام الكنسيّ وفي الكهنوت(١ ؟ فاعتراضهُ اذن لا سند لهُ . وان امكنهُ ان يثبت صحَّة قولهِ أفينتج عن ذلك انَّ الكتاب الذي نشرهُ باسم القديس يوحنَّا مارون هو لهذا المؤلف. فهيهات ان يقتنع بهِ احداً من العلماء

﴿اليهود والبلشفيَّة﴾ نشرت جريدة مورننغ بوست الشهيرة خلاصة كتاب «طُبع في نيويرك بهمَّة جمعيَّة الوَحدة الروسيَّة» يؤخذ منها انَّ الحركة البولشفيَّة في ايدي العنصر اليهوديّ . وهذه بعض الاحصاءات الرسميَّة الدالَّة على ذلك فانَّ عمَّال الدولة البولشفيَّة في روسيَّة يبلغ عددهم ٥٠٣ منهم ٤٠٦ يهود و ٢٩ روسيًّا فقط والباقون من عناصر واسم شتَّى . ثم انَّ الشورى العليا تتألف من ٢٢ مستشارًا اليهود بينهم ١٧ امَّا الروسيُّون فثلثة فقط لينين وشيشرين ومُندلستام مع ارمنيَّين . امَّا الديوان الحربيّ الذي يرأسهُ تروتسكي فجعل اعضائهِ ٤٣ شخصًا ليس بينهم روسيٌّ واحد ويتركب من ٣٤ يهوديًّا وثمانية ليتونيين والمانيّ واحد . وكذلك وزارة الخارجيَّة المتألفة من ٦٤ عضوًا يديرها اليهودي زينوفياف وفيها ٤٥ يهوديًّا وروسيَّان فقط مع بعض الليتونيين والالمان والارمن . ومثلها وزارة الخارجيَّة اعضاؤها ١٧ منهم ١٣ يهوديًّا وروسيَّان فقط احدهما شيشرين . ومثلها ايضًا العادليَّة التي اعضاؤها ١٩ كلهم يهود الَّا المانيّ واحد . والمعارف يديرها ٤١ يهوديًّا من جملة ٥٣ عضوًا وقس على ذلك بقيَّة الدوائر السياسيَّة واللجنات والشركات !!!

﴿ترقّي الكثلكة في الولايات المتَّحدة﴾ قلنا (في الصفحة ٩٢) انَّ عدد الكاثوليك في الولايات المتَّحدة يبلغ نحو ٢٤،٠٠٠،٠٠٠ وقد بلغنا الاحصاء الرسميّ الاخير (Census Bureau) فاذا فيهِ عدد الكاثوليك ٢٥،٠٠٠،٠٠٠ فليس هناك طائفة او شيعة اخرى تبلغ هذا العدد فتكون الزيادة في العشر السنين الاخيرة خمسة ملايين . وللكاثوليك في تلك الولايات ١٧،٠٠٠ كنيسة او معبد بزيادة سبعة آلاف ولهم ١٠،٠٠٠ مدرسة يتعلَّم فيها ٣٠٠،٠٠٠ تلميذ . وفي ولاية نيويرك وحدها ٣،٥٠٠،٠٠٠ من الكاثوليك

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسماني (٣: ١٢)

أسئلة واجوبة

س سألنا احد الادباء ان نفيدهُ بذةً عن تاريخ دير المخلّص وعن غايتهِ وبروغرام الدروس التي تُلقى فيهِ

تاريخ دير المخلص وغايتهُ وبروغرام دروسهِ

قد مرَّ تاريخ هذا الدير وغايتهُ في ترجمة منشئهِ الطيّب الذكر المطران افتيميوس صيفي (المشرق ١٤[١٩١١]:٦٤٣—٦٥٨) امّا بروغرام دروسهِ فيُطلب من مقامهِ

س وسأل حضرة الخوري جرجس ابي سمراء: ١ً معنى آية نشيد الاناشيد (٧ : ٤): «وانفكِ كبرج لبنان الناظر الى دمشق». ٢ً هل رُزق ايُّوب البار بنيهِ السبعة وبناتهِ الثلاث بعد محنتهِ من زوجتهِ الاولى او من سواها. ٣ً كيف تُعلَّل حياة يونان في بطن الحوت أكانت طبيعيَّة او هي اعجوبة. ٤ً اين بنى نوح فلكهُ؟

اربعة اسئلة كتابيَّة

ج نجيب على الاوّل اراد الكتاب وصف حُسن العروس السرّيَّة والانفُ يوصف في الشرق بالشَّمَم والارتفاع فشبَّههُ باحد الصروح اللبنانيَّة. واراد بتوجيههِ الى دمشق انتصابهُ في وجه العدوّ. ٢ً لم يذكر الكتاب الكريم في سفر أيوب انَّهُ اقترن بغير امرأتهِ التي سبقت زمن محنتهِ. ٣ً لا شكَّ في انَّ حياة يونان في بطن الحوت كانت اعجوبةً. نعم انَّ ابتلاع بعض كبار الحيتان للبشر بل للخيل وغيرهما جرى غير مرَّة. وانَّما وجدوها في بطونها ميتة مع سلامة بنيتها. ٤ً يزعم البعض انَّ نوحاً بنى سفينتهُ في سواحل الشام قريباً من يافا ولا يمكن القطع بذلك

س وسأل الاديب يوسف افندي مدوَّر من القاهرة ما رأينا في ميتة اللورد ماك سويني محافظ كيورك ألا تُعَدّ انتحاراً؟

أتعدّ ميتة اللورد ماك سويني انتحاراً

ج من المعلوم انَّ اللورد ماك سويني كان كاثوليكيًّا عاملاً واظب على الاسرار في حبسهِ الى آخر حياتهِ ولم يكن ليُسمَح لهُ بذلك لو عُدَّ صومهُ انتحاراً. وقد قُوبل فعلهُ بفعل من يضحّي حياتهُ للخير العامّ فانَّهُ رأى بامتناعهِ عن الاكل احتجاجاً على من اقترفوهُ وحبسوهُ ظلماً وعدّهُ داعياً لنهضة أمّتهِ للدفاع عن حقوقها المهضومة. وعلى كل حالٍ ننتظر حكم الكرسي الرسولي في امرهِ ل.ش

المشرق

كتاب تدبير المنزل

نشره الاب لويس شيخو

توطئة

في جملة المقالات البديعة التي يحتويها المجموع الفلسفيّ الذي مرَّ انا وصفهُ في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ١٧٣–١٧٨) ونقلنا عنهُ في العام السابق (ص ٨٨١–٨٨٩) رسالة داسطيوس في السياسة «كتاب في تدبير المنزل» هو الثاني بين مضامين ذلك المجموع النفيس(١ لا يقلّ هناك عن ٣٥ صفحة والكتاب المذكور فريدٌ في بابه وهو كما يظهر لاحد فلاسفة اليونان يستدلّ الى ذلك من طريقة كتابتهِ ومعانيهِ

امَّا المؤلف فقد ذُكر في اوّل المقالة على هذه الصورة «كتاب برسيس في تدبير الرجل لمنزلهِ» فمن هو «برسيس» هذا المرويّ اسمهُ باهمال نقطهِ فيمكن قراءتهُ «برسيس وترسيس وترسيس» وباللاتينيَّة او اليونانيَّة Barses, Brasius, Beresius, Bersius, Thrasius, Tarasius, Teresius, Nerses, Narcissus, Neresius وليس ما بين هذه الاسماء ما ينطبق على اسم فيلسوف معروف. ويزيد المشكل اجمالًا ما ورد في آخر المقالة «تمَّ قول برولس» تتعدَّد قراءتهُ على وجوه جديدة تمييناً لا تأكيداً. وانما يصحّ القول بانهُ اسم اعجميّ

فان كان كاتبهُ من اليونان أَنرى يُعرَف مَن عرَّبهُ . . هذا ايضاً لم يصرَّح بهِ في اوّل المقالة ولا في آخرها ومن المحتمل انَّ المعرّب هو الكاتب النصراني ابو علي عيسى بن اسحاق الشهير بابن زُرْعة الذي عرَّب رسالة داسطيوس التي نشرناها وكان احد نقلة كتب اليونان الى العربيَّة

ومهما كان من مؤلف الكتاب ومن معرّبهِ فلا شكَّ انَّهُ اثرٌ قديم حريّ بالذكر ونشرهُ خدمةٌ للعلوم الفلسفيَّة ولاسيَّما ان هذا الموضوع اي تدبير المنزل قلَّما خاض في عبابهِ كتبة العرب . وهو من العلوم الجليلة . قال الحاج خليفة في وصفهِ (طبعة ليبيك ٢ : ٣٥١) : علمٌ

١) هذه النسخة الثمينة هي اليوم في ملك سعادة احمد باشا تيمور ابتاعها من جناب الوجيه جرجس بك صفا

تدبير المنزل قسمٌ من ثلثة اقسام الحكمة العمليّة وعرّفوهُ بأنهُ علم يُعرف منهُ اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجتهِ واولادهِ وخدّامهِ وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال. وموضوعهُ احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام ونفعهُ عظيم لا يُخفى على احد لأنّ حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزلهِ ليتمكّن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينهُ وبينهم ويتفرّع على اعتدالها كسبُ السعادة العاجلة والآجلة . . . واعلم انّهُ ليس المراد بالمنزل في هذا المقام البيت المتّخذ من الاحجار والاشجار بل المراد التآلُف المخصوص الذي يكون بين الزوج والزوجة والوالد والولد والخادم والمخدوم والمنزل والمال سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبَر واما سبب الاحتياج اليهِ فكون الانسان مدنيًّا بالطبع . وكُتُب علم الاخلاق متكفّلة لتبيان مسائل هذا الفنّ وقواعدهِ »

وممّا يُعرف من ذلك كتابان الواحد لارسطاطاليس شيخ فلاسفة اليونان والثاني لثاوفرَسْتوس الفيلسوف المتوفّى في اثينة سنة ٢٨٧ ق م قد اتّسع في وصفهما احد علماء فرنسة المسيو إجر (M. Egger) في مجموعة أكادمية الكتابات والفنون في المجلد الثلثين (Académie des Inscriptions et des Belles-Lettres XXX, 1, 419-482. فهناك مقالة تحت عنوان اقتصاديات ارسطاطاليس وثاوفرستوس (Mémoire sur les Œconomica d'Aristote et de Théophraste) فمن المقابلة بين ما ورد فيهما ولاسيّما مقالة ارسطاطاليس وما جاء في مقالتنا هذه التي حازلنا نشرها اتّفاقات عديدة سواء كان في المادّة او في الصورة ففي كليهما قولٌ في ما يجب على الانسان تدبيرهُ من الاموال والعبيد والاهل والاقارب كالزوجة والبنين. وبينهما شبهٌ ايضًا في الطريقة الكتابية . ثمّ انّ في مكتبة الاسكوريال في مدريد كتاب موسوم بالعدد ٨٨٣ (Casiri, I, p. 300, MS. DCCCLXXXIII) اسمهُ كتاب تدبير المنزل لارسطاطاليس لم يمكنّا الوقوف عليهِ ولعلّ بينهُ وبين نسختنا بعض الشبه فندع الحكم في ذلك لعلماء اسبانية

وقد وقع في الاصل الذي اخذنا عنهُ بعض الاغلاط فأشرنا اليها بين هلالين وجعلنا بين معقفين [ ] ما فُقد او نُسخ من الاصل. وهناك ايضًا عبارات ملتبسة تركناها على اصلها ل . ش

(٦٢) بسم الله الرحمن الرحيم

وهو عوني

كتاب رسيس (؟) في تدبير الرجل لمنزلهِ

(قال) انّ امر المنزل يتمّ بأربع خصال : اوّلها المال والثاني الخَدَم والثالث المرأة والرابع الولد

١ المال وتدبيره

امّا المال فلأنّ الخالق تبارك وتعالى وان كان جعل في الانسان القوى التي يحتاج اليها لقوام بدنهِ وصلاح امرهِ فانهُ قد جعلهُ مع ذلك متنقضاً مستحيلاً متقضّياً (كذا) ولذلك صار الانسان محتاجاً الى ان يستمدّ ويستردّ مكان ما يتحلّل منهُ اعني بقولي القوى: اي القوّة التي ينزع بها (كذا) كلّ واحد من اعضائهِ ما يشاكلهُ من الغذاء بالمقدار الذي يحتاج اليهِ. والقوّة التي تُحيل ذلك الغذاء وتقلبهُ حتى يصير شبيهاً بالعظو (بالعضو) الذي يغتذي منهُ. فان كان المُغتذى بهِ لحماً صار لحماً وان كان عظماً صار عظماً وان كان عَصَباً صار عصباً. والقوّة التي تحفظ على العضو ما اجتذب اليهِ ما دام سيالاً حتّى يجمد ويتّصل بهِ. والقوّة التي تنفي عن كلّ واحدٍ من الاعضاء ما يبقى من ذلك الغذاء من الفضل ممّا يَبْعُد من طبعهِ فلا يقوى على قلبهِ وإحالتهِ الى طبيعتهِ (٦٣). والقوّة التي تنميهِ وتمدّدهُ حتى يزيد [يزيد] في طولهِ وعَرْضهِ وعمقهِ على مقادير اجزائهِ (اجزائهِ)

فاقول انهُ وان كان قد جعل [الله] في الانسان هذه القوى كلّها وقوى أُخرى كثيرة معها بها يكون تدبيرُ بدنهِ فانهُ قد جعل فيهِ شيئَيْن بهما قوامهُ واحدهما يُفني الآخر ويحلّلهُ. وذلك انّ قوامهُ بالحرارة والرطوبة ومن شأن الحرارة ان تحلّل الرطوبة وتفنيها فلذلك لا يمكن ان يقف على حالٍ واحدة ولكنّهُ يتحلّل تحلّلاً دائماً متّصلاً ولذلك يحتاج الى ان يستدّ مكان ما يتحلّل منهُ وهو العدي (الغذاء) الذي يفيد بهِ (يغتذي بهِ او يغذيهِ)

ولو كان البدن مع هذا من جنس واحد لكان الذي يحتاج اليهِ انّما هو نوع واحد من الغذاء لكنّهُ لمّا كانت اجزاؤهُ مختلفة احتاج لذلك الى أغذية مختلفة الانواع والطعوم وجميعها من النبات والحيوان لأنّ غذاء كلّ شيء من اقرب الاشياء اليهِ وليس شيء اقرب الى طبيعة بدن الانسان من الحيوان والنبات. والنبات والحيوان محتاجان الى انواع من الصناعات حتّى يكونا ثمّ حتى ينميا بعد كونهما. امّا النبات فيحتاج الى ان يُزرَع او يُغرَس ثمّ يُسقَى ويُربّى الى غير ذلك ممّا فيهِ تمام الانتفاع بهِ. وامّا الحيوان فإلى ان يغتذي ويحرك (ويتحرّك) ويكبر (ويكبر) (٦٤) ما (وما) اشبه ذلك ممّا فيهِ مصلحه (مصلحتهُ)

ويحتاج ايضاً لجمع الغذاء وإعداده وتهيه (وتهيئة) ما يكون به الانسان والحيوان الى صناعات اخر كثيرة مختلفة . والانسان وان كان قد جُعلت فيه قوة الاستنباط لكلّ صناعة وقوّة التعلّم لها فليس يمكن الواحد من الناس لقصر عمره ان يستنبط ذلك ولا ان يتعلّمهُ لأنّ لهُ في استنباط صناعةٍ واحدة او تعلّمها شغلاً عن استنباط سائر الصناعات او تعلّمها . وان كان فيه احتمال لتعلّم كثيرٍ منها فليس فيه احتمال لتعلّمها كلّها والانسان محتاج في تدبيره معاشهُ الى الصناعات

والصناعات ايضاً مضمّنٌ بعضُها ببعض كالبناء الذي يحتاج الى النجّار والنجّار يحتاج الى صناعة الحدّادين وصناعة الحدّادين تحتاج الى اصحاب المعادن وتلك الصناعة الى البنّاء . فكل واحدة من الصناعات وان كانت تامّة في نفسها تحتاج الى الاخرى كما تحتاج اجزاء السلسلة بعضها الى بعض وان ارتفعت صناعةٌ واحدةٌ بَطَلَ بارتفاعها الباقي من الصناعات . فلمّا كان كلّ واحد من الناس يحتاج في تدبيره (٦٥) امرهُ الى انواع مختلفة ممّا يغتذي به ويستتر به وكان يحتاج لذلك الى جميع الصناعات كان (وكان) لا يمكن ان يكون الواحد مُحكماً لجميع الصناعات صار الناس جميعها محتاجاً بعضهم الى بعض في تدبير معاشهم . ولهذه العلّة احتاج الناس الى اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً بالصناعات

في حاجة الناس للنقود في المعاملات

ولمّا كان الناس محتاجاً بعضهم الى بعض ولم يكُ وقتُ حاجة كلّ واحدٍ منهم وقتَ حاجة صاحبه في اكثر الاوقات ولا مقادير ما يحتاجون اليه متساوية ولم يكن سهلاً في الامور ان يُعلَم ما قيمة كلّ شيء من كلّ شيء وما مقدارُ ثمنه من ثمنه وما مقدار أُجرة كلّ شيء ممّا يُعمَل من اجرة كلّ شيء آخر أُحتيج الى شيء تُميَّز به جميع الاشياء وتُعرَف به قيمة بعضها من بعض . فمتى احتاج الانسان الى شيء ممّا يُباع او ممّا يُستعمَل دَفَعَ قيمة ذلك الشيء من هذا الجوهر الذي جُعل ثمناً للاشياء واحدة (كذا)

ولو لم يُجعل هذا هكذا لكان الذي عندهُ نوعٌ من الانواع التي يحتاج اليها صاحبهُ كالزيت والقمح وما اشبه ذلك وعند صاحبه انواعٌ أُخر لا يتّفق اذا احتاج هذا الى ما عند ذاك ان يحتاج ذاك الى ما عند هذا فتقع المبايعة (٦٦) بينهما . ولا يتّفق ايضاً ان وقع الاتفاق بينهما في حاجة كلّ واحد منهما الى ما في يد صاحبه ان

يقع الاتفاق بينهما في ان يكون يحتاج هذا ممّا في يد ذاك الى ما يكون قيمة ما يحتاج اليهِ ذاك ممّا في يد هذا فيقع الاختلاف اذ ذاك بينهما فإمّا ان ينصرف كلّ واحد منهما عن صاحبهِ اذ لم يجد عندهُ تمام حاجتهِ وإمّا ان يتبايعا . ثمّ يحتاج احدهما ان يطلب تمام حاجتهِ من بائع آخر وكان يحتاج مع هذا الى ان يعلم كم قيمة الجزء من كلّ واحد من الانواع التي فيها مصالح الناس مثل العسل والسمن والقمح وغير ذلك من الانواع الأُخر على كثرة الانواع واختلافها في القيمة

واذا عُرف ذلك في وقت من الاوقات فقد يحتاج الى ان يُعرف في اوقات أُخر كلّما تغيّرت حال نوع من تلك الانواع بكثرة الجلب او قلّتهِ وبما يعرض من حاجة الناس اليهِ واستغنائهم عنهُ وعن الاستكثار منهُ عند اختلاف الازمنة وما يستعمل الناس من كلّ نوع في كلّ زمان وكذلك الصناعات . فلذلك طبَع الناس الذهب والفضّة والنحاس وثمّنوا بذلك جميع الاشياء واصطلحوا عليهِ لينال بهِ الانسان حاجتهُ في وقت حاجتهِ ويكون مَن يحير في يدهِ شيء اراد ان يُخلف بهِ ما خرج (٦٧) من يدهِ الى غير ذلك لم يتعذّر ذلك عليهِ . فقد صار مَن حصّل هذه الجواهر التي سمّينا في يدهِ كأنّ الانواع التي يحتاج اليها كلّها قد حصلت في يدهِ . ولذلك احتيج في مصلحة المعاش الى هذه الامور . فنحن مبيّنون كيف يصلح التدبير في الاموال فنقول :

اكتساب المال وحفظهُ وانفاقهُ

انّ الناظر في ذلك ينبغي ان ينظر في ثلثة اشياء : اكتساب المال ثمّ حفظهُ ثمّ إنفاقهُ

١ فامّا ﴿اكتسابهُ﴾ (١ فينبغي ان تحذر (تُحذر) فيهِ ثلثة اشياء الجور والعار والدناءة . امّا الجور فمثل البَخس في الوزن والطفيف (والتطفيف) في الكيل والمغالطة في الحساب والجحود للحقّ والدعوى بغير حقّ وما اشبه ذلك ممّا يجتمع فيهِ مع الاثام الموثمة (كذا) انهُ يزيل الاكتساب ويقطع المادّة ويدعو الى الحرمان وذلك لما ينتشر فيهِ من سوء الثناء فيصرف ذلك المعاملين عن صاحبهِ ويدهو مَن ابتُلي بهِ منهُ ان يخبر بهِ غيرهُ حتّى ينقطع عنهُ مَن عامَلهُ ومن لم يعاملهُ حتّى انهُ لو اقلع عن ذلك لم ينتفع بإقلاعهِ للامر الذي شاع لهُ وشُهر بهِ

١) اطلب Les Mémoires de l'Institut, XXX. 1re partie, 434-440

واما العار فمثل الشتم والصفع وما اشبه من الامور التي يحتملها بعض الناس لشيء ينالهُ (٦٨) ممَّن يفعل ذلك

واما الدناءة فأن يدَع الرجل الصناعة التي كان آباؤهُ واهل بيتهِ يعالجونها من غير عجز عنها الى صناعة أخسَّ منها كالرجل يكون آباؤهُ واهل بيتهِ إمَّا قادةَ جيوش واما وُلاةَ ثغور فيدع طلب ذلك وهو يقدر عليهِ ويقتصر على الغناء والزَّمر وما اشبه ذلك . ولسنا نقول فيمن كان آباؤهُ في صناعة خسيسة فأقام عليها انهُ قد أتى دناءةً من الامر او فعل ما ينبغي ان يُذَمَّ عليهِ لكن نقول انهُ محمود اذ رضي بحظِّهِ ولم يتعدَّ طورهُ ولو تطلب واجباً (كذا) ان يطلب الى كل انسان صناعةً فوق الصناعة التي ورَّثهُ ابوهُ لوجب ان يقصد الناس كلهم الى صناعة واحدة وهي اعلى الصناعات فكان ذلك يُبطل سائر الصناعات وكانت تلك الصناعة ايضاً التي يقصدون اليها تبطل لأنَّها لا تتمّ الَّا بالصناعات الأُخر اذا (اذ) كان الجميع مقروناً بعضهُ ببعض كما بيَّنا قبل . فهذا ما ينبغي ان يُنظر فيهِ من باب الاكتساب

٢ واما باب ﴿ الحفظ ﴾ فيُحتاج فيهِ الى خمسة اشياء : اوَّلها ان لا يكون ما ينفق الانسان اكثر ممَّا يكتسب فانَّهُ متى فعل ذلك لم يلبث المال ان يفنى . والثاني (٦٩) ان لا يكون ما ينفق مساوياً لما يكتسب لكن يستفضل ما يكون عدة (عدَّةً) لهُ لحادثٍ ان حدث او آفةٍ ان نزلت او ضيقةٍ ان كانت . وايضاً فانَّ من العدل ان يكون لرأس المال حصَّة من النفقة . ويشبه حالُ مَنْ فعل ذلك حال البدن الذي هو في النشوء والنماء . ويشبه حالُ من كانت نفقتهُ مساويةً لكسبهِ حالَ من قد انتهى نشوءُهُ وانقطع نموُّهُ . فاما حال مَن ينفق اكثر مما يكتسب فانَّها تشبه حال الابدان الهَرِمة الذي (التي) لزمها النقص ودبَّ فيها الفناء . وذلك انَّ البدن الذي هو في النشوء والنماء يغتذي باكثر ممَّا يتحلَّل منهُ والبدن الذي قد انتهى منتهاهُ يغتذي بمقدار التحلُّل والبدن الذي قد صار الى الهرَم يغتذي باقلَّ ممَّا يتحلَّ منهُ . فكما انَّ البدن الذي قد صار الى الهرم قريب من الموت فكذلك المال الذي يؤخذ منهُ اكثر ممَّا يزاد فيهِ سريعٌ الى النفاد . والثالث ممَّا يُحتاج اليهِ في حفظ الاموال أن لا يَمُدَّ الرجل يدهُ الى ما يعجز عن القيام بهِ كالرجل يشغل مالهُ في ضيعةٍ لا يقوى على عمارتها او في ضِياع متفرِّقة لا يمكنهُ مباشرتها وليس لهُ مَنْ يُعينهُ على القيام بها او يتَّخذ

من الحيوان ما يتجاوز النفقة عليهِ مقدار (٧٠) ما يبقى من مالهِ . وحالُ مَنْ فعل ذلك يُشبه الشَرِه الذي يأكل ما لم يَستمرِئهُ . فكما انَّ من اكل ما لم يَستمرِئهُ لم يُغذِهِ بل ربَّما خرج منهُ واخرج معهُ من بدنهِ ما يضرُّ بهِ خروجهُ فكذلك مَنْ تعاطى من الاكتساب ما يتجاوز طاقتهُ كان وشيكاً ان لا يفوتهُ الربح فقط دون ان يذهبَ رأس مالهِ . والرابع مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان لا يشغل الرجل مالهُ في الشيء الذي يُبطئ خروجهُ من يدهِ وانما يكون ذلك في الشيء الذي يقلّ طلّابهُ وتستغني عوامُّ الناس عنهُ كالجوهر الذي لا يحتاج اليهِ الّا الملوك وكُتُبِ العلم التي لا يطلبها الّا العلماء . والخامس مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان يكون الرجل سريعاً الى بيع تجارتهِ بطيئاً عن بيع عقاراتهِ وان قلّ ربحهُ في ذلك وكثر ربحهُ في هذا

٣ واما ﴿ إنفاق ﴾ المال فينبغي ان يحذر فيهِ خمسة اشياء : وهي اللُّؤم والتقتير والسَّرفَ والبَذَخ وسوء التدبير . فاما اللؤم فهو الامساك عن الانفاق في ابواب الجميل مثل مؤاساة القرابة والافضال على الصديق وذي الحرمة والصدقة في المحاويج بقدر ما يمكنهُ ويتّسع لهُ . واما التقتير فهو التضييق فيما لا بُدَّ منهُ مثل أقوات العيال ومصالحهم . واما السَّرَف فهو الانهماك في الشهوات (٧١) واللّذات . واما البَذَخ فهو ان يتعدّى الرجل ما يتّخذهُ اهل طبقتهِ طلباً للمباهاة . واما سوء التدبير فهو ان يوزّع الرجل نفقتهُ على جميع ما يحتاج اليهِ بالسوء حتى يصرف الى كل بابٍ منها بقدر استحقاقهِ فانهُ اذا لم يفعل ذلك وأسرف في واحدٍ ونقّص من الآخر كانت اموره غيرَ متشاكلٍ بعضها بعضاً وأن لا يتّخذ الشيء في وقت الحاجة اليه

فاللئيم يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الجميل وما فيهِ من الفضيلة . والمقتّر يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الواجب وما في تركهِ من النقص . والمُسرف من قِبَل ايثارهِ اللذّة على صواب الرأي . فاللئيم والمقتّر ممقوتان عند الله لانهما على طرق من الجور والمقتّر خاصّةً فانهُ أجورُهما . والمُسرف مذموم ممقوت ومَنْ مَقَتَهُ الناس او ذمّوهُ لم يكن لهُ في مجاورتهم خير ومَنْ لم يجاور الناس فقد صار في عدد الاموات الّا انَّ صاحب البذَخ اسوأ حالاً . وذلك لأن اللئيم والمقتّر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حالٍ يربحان حفظ اموالهما . والمسرف وان كان مذموماً فانهُ يربح التمتّع بلذّاتهِ واما صاحب البذَخ فانهُ لا مال لهُ يُحفَظ ولا لذّة يتمتّع بها . واسوأهم جميعاً حالاً من كان يسيء

التدبير وانّما يُؤتى من قبَل انهُ لا يعرف (٧٢) مقادير النفقة ولا اوقاتها. فمَنْ عرف ابواب الحقّ اللازم واوجبها على نفسهِ واقتصد في الإنفاق على لذّاتهِ ولم يتعدَّ ما يفعلهُ اهل طبقتهِ وعرف مقادير ما يستحقّ كلُّ باب من الابواب ممّا يحتاج اليهِ وأنفق فيهِ بقدر استحقاقهِ ولم يرد (يزد) في بابٍ فيضطرّ الى تقصير في الآخر وعرف اوقات الحاجة اليهِ فلا يفسد او يضيع الى ان يحتاج اليهِ ولم يؤخر شيئاً حتّى يفوت وقت الحاجة اليهِ فيصير اتخاذهُ لهُ بعد ذلك باطلًا او يعزّ عليهِ فلا يجدهُ الّا بالغلاء. فمتى لزم الانسانُ ما ينبغي من فعلٍ او تركهِ حينئذٍ يُنسَب الى الكرم والسخاء والاتساع والمؤاساة والقصد والحرمة (والحريّة ؟) وحسن السيرة والعيش. ومن كان كذلك فاذا كانت غلّتهُ او ربحُ مالهِ يقوم بنفقتهِ على مصلحة بدنهِ ومؤونة عيالهِ ويفضل لهُ عن ذلك ما يصرف بعضهُ في مؤاساة قرابتهِ واصدقائهِ واهل الحرمة بهِ وبعضاً في قرابتهِ ومساكينهِ ويدّخر بعضاً ليستظهر بهِ على دهره ونوائبه فينبغي لهُ ان لا يطلب اكثر من ذلك فانّ الطلب لأكثر منهُ شرَهٌ وهذا هو الحدّ الذي لا ينبغي للحرّ ان يتعدّاهُ فان تعدّاهُ نُسب (٧٣) الى الشره. فهذه حال المال والتدبير في اكتسابهِ وحفظهِ وإنفاقهِ

٢ في تدبير العبيد والخدام

ولمّا العبيد والمماليك (١ فالحاجة اليهم في المنازل كالحاجة الى جميع الناس في المدن وقد بيّنّا لأي شيء احتاج الناس الى ان يتّخذوا المدن ويجتمعوا فيها. والعبيد ثلثة: عبدُ الرقّ وعبد الشهوة وعبد الطبع. فعَبد الرقّ هو الذي أوجبت الشريعة عليهِ العبوديّة. وعبد الشهوة هو الذي لا يملك نفسهُ لغلبة شهواتهِ وخواطرهِ عليهِ. ومَنْ كان كذلك فهو عبدُ سَوْ وانسانُ سَوْ لا يصلح لشيء. وامّا عبد الطبع فهو الذي لهُ بدن قويّ صبور على الكدّ وليس لهُ في نفسهِ تميز ولا معهُ من العقل الّا مقدار ما ينقاد بهِ لغيرهِ ولا يبلغ بهِ الى ان يقدر يدبّر نفسهُ وهو في طبيعتهِ قريبٌ من البهائم التي تصرفها الناس كيف شاؤوا. ومن كان كذلك وان كان حرًّا فهو عبد والأصلح لهُ ان يكون عليهِ رئيس يدبّرهُ

١) اطلب Mémoires de l'Institut, XXX, 1re partie, p. 434

والعبيد يُحتاج اليهم لأشياء. فنهم مَنْ يُراد لتدبير المنزل ومنهم من يُراد للخدمة والمعاطاة ومنهم من يُراد للاعمال الجافية . فينبغي للرجل اذا اراد شرى مملوك ان ينظر اليهِ فان كان جمَع مع عبوديَّة الرقّ عبوديَّةَ الشهوة فينبغي ان لا يتعرَّض لشراهُ ولا ان يوطّن نفسهُ على قمعهِ وتقويمهِ ان طمع في (٧٤) ذلك . ومن اشترى عبدًا هذه حالهُ فقد اشترى عبدًا له مَوالٍ غيرهُ . واذا كان كذلك فليس هو عبدهُ الّا بالاسم واذا كان الانسان لا يملك نفسهُ فغيرهُ احرى بان لا يملكهُ . وان كان المملوك حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً قويَّة وبدنهُ بدن لطيف (بدناً لطيفاً) فهو ممَّن يوكَّل بالتدبير والحفظ . وان كان حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً لَيِّنة ذليلة (ذليلة) وبدنهُ بدناً صافياً فهو ممَّن يوكل بالخدمة والمناولة . وان كان عبدًا بالطبع وُكِّل بالاعمال التي يُحتاج فيها الى الشدَّة والصبر

والعبيد يشبَّهون باعضاء البدن الذي (التي) تملك الانسان افعالها . امَّا الموكلون بحفظ المنزل وتدبيرهِ فهم بمنزلة الحواسّ لانهُ بالحواسّ يُعرف ما يضرّ فيُدفع وما ينفع فيُجتلب . والموكلون بالخدمة يُشبَّهون باليدين لأنَّ بهما يتوصَّل الى إدخال المرافق الى البدن والموكَّلون بالاعمال يُشبَّهون بالرِجلين لأنَّ عليهما كلَّ البدن وثقلهُ . فينبغي للرجل ان يحفظ مماليكهُ كحفظهِ لاعضائهِ وان يفكّر لهم في امرين: احدهما الجنس الذي يجمعهُ واياهم والآخر فيما ابتُلوا بهِ . فانهُ اذا فكَّر في جنسهم علم انهم اناسٌ مثلهُ ويمكنهم ان يفهموا ما يفهم ويفكروا فيما يفكّر فيهِ ويشتهوا ما يشتهي ويكرهوا ما يكرهُ وانهُ متى عاملهم على حسب ذلك اكتسب (٧٥) مع الفضيلة التي تصير لهُ في نفسهِ المحبَّةَ ممَّن يرق (يُرزَق) المُلك عليهِ . واذا تفكّر فيما ابتُلوا بهِ علم انَّهُ لو ابتُلي بمثلهِ لأحبَّ ان يُرزق مولًى يرقُّ عليهِ ويترفَّق بهِ

واذا جاءت من المماليك الزلّات فينبغي للسيِّد ان يتغافلَ عنهُ مرَّةً ويقوّمهُ أُخرى . ويكون تقويمهُ اياهُ اوّلاً بالعتاب والتحذير والإنذار فان عاد فبالغضب وان عاد فبالضَّرب . ولا يعاقبهُ على ذنب اتاهُ من غير معرفة ولا تعمُّد ولا يترك عقوبتهُ على ذنب اتاهُ عن شرارة وخُبث . ولا ينبغي اذا اساء المملوك ان يُعاقب الّا بمثل ما يعاقب بهِ الولد اذا اتى (اساء) مثل تلك الاساءة . ذلك اصلحُ للمملوك والولد جميعاً

ويجب ان يُجعل للمماليك اوقات راحة فانَّ المملوك اذا أُردِف بعملٍ على عمل وكُلِّف نصَباً بعد نصَب ولم تكن لهُ راحة فَتَر عن الخدمة وان كان حريصاً عليها. والراحة تجدّد قوّة البدن وتحبّب الى صاحبهِ العمل . ومَثَلُهُ في ذلك مثل القوس فانها ان تركت (تُرِكت) موترةً استرخت وان حطت (حُفِظت) الى وقت الحاجة اليها دامت شدَّتها وكان اجدر ان يُنتَفَع بها . وانَّا لنعجب من قوم نراهم يُعنَون بدوابّهم ويَحرَصون على راحتها وعلى الاحسان اليها ولا يُعطُون مماليكهم نصيباً من ذلك . والمملوك وان لم يكن محتملاً من الراحة ما تحتملهُ الدابّة (٧٦) لأن كسر (كُثْر) الراحة ربّما ابطرهُ وفرَّغهُ لِما يضرُّهُ والدابّة ليست تشبههُ في ذلك فانهُ غير مستغنٍ (مستغنٍ) من الراحة عمَّا يسبدعر (يستدبهِ) قوّتهُ ويستدعي نشاطهُ ولا يبلغ المقدار الذي يخاف عليه ضررهُ . وبعد فهو من جنس المالك لهُ فقد ينبغي لمالكهِ ان ينزع مع توحي (توخي) حسن التدبير فيهِ الى الرحمة لهُ لما يتذكَّر من ضعفهِ فان دابَّتهُ اجمل للتصييع (للتضييع) منهُ

ولا ينبغي لاحد ان يغتنم (يغتمّ؟) من مملوكهِ ان يكون يرى انهُ لا بُدَّ لهُ من قبول امرهِ شاء او ابا (أَبى) بل يلتمس ان تكون خدمتهُ لهُ بالمحبَّة منهُ لذلك والنشاط لهُ والحرص عليهِ . وينبغي ان يحرص على ان يكون انقياد (انقياد) مملوكهِ بالحياء اكثرَ منهُ بالخوف . وبالمحبَّة اكثرَ منهُ بايجاب الطاعة

وافضلُ المماليك الصغارُ لانهم احسنُ طاعةً واسرعُ قبولاً لِما يعلَّمون وهم الذين يألفون الموالي ويلزمون ما يجرون عليهِ من الاخلاق . وخيرُ المماليك للرجل من لم يكن من جنسهِ لأنَّ الناس مولعون باستصغار اقاربهم والحسد لهم . فللمجانسة من هذا نصيبٌ . ومن حقّ المملوك ان يُكفى كلَّ ما يحتاج اليهِ وان لا يكلَّف ما لا يقدر عليهِ ولا يحلُّ لهُ . وعليهِ الطاعة فان لم يُطع بعد هذا وجبَت عليهِ العقوبة على ما رتَّبنا من حالٍ بعد حال . وينبغي ان يكون للمماليك عند مواليهم مراتب من (٧٧) الاحسان والتفضيل واذا احسن احدهم رفعهُ من مرتبة الى مرتبة بقدر استحقاقهِ فانَّ ذلك حثٌّ (حثٌّ) للباقين على ان يلحقوا بهِ . فهذا ما قلنا بالمماليك بعد الذي قلنا في المال

٣ في تدبير المرأة

فامّا المرأة(١ فاوّل ما ينبغي ان يبتدئ بهِ مَن ذكرَها الإخبارُ عن الغرض الذي تراد لهُ فنقول: انّ ذلك الغرض شيئان احدهما من طريق الرأي والآخر من طريق الطبع. فامّا الذي من طريق الرأي فهو انّ اكثر اشغال الرجل خارجٌ (خارجاً) من منزلهِ. فهو مضطرّ الى إخلائهِ من نفسهِ والخروج عنهُ ولا بُدّ لهُ اذا كان كذلك ممّن يحفظهُ لهُ ويدبّر لهُ ما فيهِ وليس يمكن ان يبلغ احدٌ من العناية بشيء غيرَهُ ما يبلغهُ من العناية بنفسهِ. فلمّا كان الامر على هذا كان اصلحُ الاشياء للرجل ان يكون لهُ في منزلهِ شريك يملكهُ كملكهِ هو لهُ ويُعنَى بهِ كعنايتهِ ويكون تدبيرهُ فيهِ كتدبيرهِ. فهذ هو الباب الذي دعا اليهِ الرأي ودلّ عليهِ الاختبار

وامّا الباب الآخر الذي يوجبهُ الطبع فانّ الخالق تبارك وتعالى لمّا جعل الناس يموتون وقدّر بقاء الدنيا الى وقتٍ جعلَهم يتناسلون وجعل التناسل من شيء يجمع فيهِ الحرارةَ والرطوبة. فامّا الحرارة فلأنّ النشوء والنماء والحركة لا تكون الّا بها. وامّا الرطوبة فلأنّ الانطباع والتصوير على (٧٨) اختلاف مقاديرهِ واشكالهِ لا يكون الّا فيها. وليس للرطوبة مع الحرارة ثبات ولا بقاء لأنّ الحرارة تحلّلها وتُفنيها منها فلا يوجد من كلّ واحدٍ منهما في بدن واحد مقدارُ القوّة التي يكون منها الولد فلذلك صار الولد من ذكر وانثى لأنّ الحرارة في الذكر اقوى والرطوبة في الانثى اكثر فاذا التقى الذكر في الانثى من الحرارة ما قدّر الخالق ان يكون من مثلهِ الولد استدّت تلك الحرارة من الانثى من الرطوبة ما يكون فيهِ تمام الخَلق ثمّ الولد

ثمّ من تمام التدبير في ذلك انهُ حيث جعل [الله] في الرجل الطبيعة التي يميل بها الى الحركة والظهور والتصرّف وكانت بهِ حاجة الى من يقوم مقامهُ في منزلهِ جعل في الانثى الطبيعةَ التي تميل بها الى السكون والاستتار لتقوم مقامهُ فيما فقد من نفسهِ من الصبر على لزوم منزلهِ ويقوم مقامها فيما فقدت من نفسها من الحركة في طلب المعاش. ثمّ جعل بينهما من المحبّة والفه (والألفة) ما ارتفع معهُ الحسد والمنافسة والبخل من كل واحد منهما على صاحبهِ فيما يحرز لهُ من مالهِ واطلق لهُ من التدبير فيهِ. ولو زال

(١ Mémoires de l'Institut, XXX. p^re partie, p. 433

ذلك لكان شغلُ كلّ واحد منهما بصاحبهِ اكثرَ منهُ بغيرهِ للمقارنة والشركة وقُرب المتناوَل لكنهُ (٧٩) جعلها كأنهما نفس واحدة

فالواجب على المرأة الاذعان للرجل والطاعة لهُ والتذلُّل فيما يأمرها بهِ اذ كان قد جاد لها بعزلهِ وملّكها اياهُ ولم يستأثر عليها بشيءٍ منهُ . فانها وان قالت انهُ انما فعل ذلك لانهُ اصلحُ لهُ فليس قولها هذا مما يُبطل عنها مِنّتهُ ويُزيل عنها رئاستهُ لأنَّ جميع ما يأتيهِ الانسان من الاحسان وان كان يرجع اليهِ فضلهُ وحسن الذكر فيهِ وكانت المنفعة لهُ في ذلك اكثر منها لمن يصل ذلك الاحسانَ اليهِ فليس ذلك مما يزيل الشكر عن مَن أحسن اليهِ ولا يجعل لهُ السبيل الى كفران نعمتهِ

فينبغي للرجل اذا اتخذ المرأة ان يبدأ فيفهمها المعنى الذي ارادها لهُ وانهُ لم يُردها للولد دون العناية بهِ والتفقُّد لامورهِ في حضورهِ وغيبتهِ وصحّتهِ ومرضهِ وحفظ جميع مالهِ ومعونتهِ على جميع امرهِ وما يجب عليهِ من ذلك للأسباب التي شرحناها . ولا ينبغي ان يكون قصد الرجل من المرأة لحسبٍ ولا مالٍ ولا جمال لانهُ متى قصد لواحدٍ من هذه وكان موجودًا عندها رأت المرأة انهُ قد ظفر ببغيتهِ منها ولم يبقَ عليها شيءٌ تحتاج الى ان تتقرّب بهِ اليهِ بل تظنّ أنها ان [اساءت] اليهِ او قصّرت في حقهِ كان فيما نال من حاجتهِ منها ما (٨٠) يجب عليهِ احتمال ذلك معهُ وانهُ اولى بطاعتها والتذلُّل لها منها بان تفعل ذلك بهِ . وعند ذلك يفسد تدبير المنزل اذ كان الاخسّ من صاحبيهِ قد صار في مرتبة الافضل امّا تابعاً للاخسّ وامّا مُنازعاً لهُ ومحارباً فيما يخالفهُ فيهِ . ومع المنازعة الشغل ومع الشغل التضييع . فليس يصلح امرُ المنزل الّا بان يكون افضل مَن فيهِ هو الرئيس على سائر اهلهِ ويكون سائر اهلهِ سامعين مطيعين لهُ

وقد بيّنّا الغرضين اللذين تُقصَد لهما المرأة وهما الولد وتدبير المنزل فينبغي أن ينظر ما الذي يُحتاج اليهِ لهذين الغرضَيْن حتّى يُطلَب وأمّا الحسب والمال والجمال فليس من ذلك في شيءٍ بل ربّما ضرّت هذه الوجوه كلّها لأنَّ الجمال يَكثر مَن يرمقهُ ويُبصرهُ فربّما كان ذلك سبباً لفساد صاحبهِ . والحسب يدعو صاحبهُ الى الاتّكال عليهِ وتَرك كثيرٍ مما يزينهُ . والمال ينظر (يُبطر) الرجل في نفسهِ ورأيهِ . فكيف بالمرأة التي هي الى نُقص ما هي

فالذي يحتاج اليهِ الولد من المرأة أمران : احدهما من البدن والآخر من النفس . فالذي من البدن صحّةُ البنية والذي من النفس صحّة العقل فـانهُ [ليس] مع سقم البدن وفساد العقل غاية . امّا تدبير المنزل [فيحتاج] الى فضائل كثيرة اوّلها العقل والكيس ثمّ قوّة النفس والبدن (٨١) مع ضبط النفس والكفّ لها عن الشهوات . ثمّ ذلّة النفس لتستعمل ذلك فيما بينها وبين زوجها . ثمّ رقّة القلب لتستعمل ذلك فيما بينها وبين ولدها . ثم العدل في السيرة لتستعمل ذلك فيما بينها وبين خدَمها . فلا ترى شيئاً ممّا يحتاج اليهِ الرجل من الفضائل الّا وقد تحتاج المرأة الى مثلهِ بل [اكثر] لانها اضعفُ وهي الى اكتساب الفضائل أحوَج

واذا كان ليس كل نفس تقبل الفضائل بالتأديب فقد ينبغي للرجل ان يجتهد في اتخاذ من يعينهُ على قبول الفضائل بالطبع ليمكنهُ ان يتعنى (يُبقي) على ما عندهُ ويريد (ويزيد) فيهِ . وليس يستقيم امر المنزل حتى يُوافق خُلقُ المرأة خلقَ الرجل وطريقهُ وليس يوافق خُلقُ مرة (امرأة) السوْ وطريقها خلقَ الرجل السوْ وطريقهُ . ولا ينفعان (يتّفقان) الّا ان يكونا صالحين كما انّ العود المستوي لا يطابق الّا العود المستوي فامّا العود المعوجُّ فانهُ لا يطابق المستويَ ولا المعوجَّ لأن الاستواء طريق واحد والاعوجاج الى طرق كثيرة . فلذلك يحتاج الرجل والمرأة جميعاً ان يكونا عاقلَين عفيفين مُنصفين وان لم يكونا كذلك لم يتّفقا وفسدَ تدبير منزلها

ومن شكّ فيما قلنا من انهُ يحتاج الى ان يجتمع في المرأة جميع الفضائل [يتحقّق] ذلك بـأنهُ لا يشكّ انها قِيمة المنزل ومدبّرتهُ والفكرة فيما (٨٢) يصلحـهُ والمتولّية لسياسة مَن فيهِ من الخدم وغيرهم . فهل يكون التدبير الّا من ذي عقـل ومعرفة ؟ وهل تكون السياسة الّا من ذي رفقٍ وأناة مع الشدّة في موضع الشدّة ؟ وهـل تكون المصلحة الّا مع الضبط والحفظ ؟ وهل يكون حسن القيام الّا مع الكَيْس والذكاء ؟ وهل يتمّ هذا كلهُ الّا مع صيانة النفس واطّراح الشهوات واللذّات الّا ما حَسُن منها وبَعُد عن الغلوّ ثمّ الصبر على الأذى واحتمال المشقّة والسخاء بالنفس والانقياد للعدل ؟ والّا فكيف يصون منزلـهُ من لا يصون نفسَهُ ؟ وكيف يتفرغ (يتفرّغ) لما يُصلحهُ من هو مشغول بشهواتهِ ولذّاتهِ ؟ وكيف يضبط مَنْ تحت يدهِ مَنْ قد عجز عن ضبط نفسهِ ؟ وكيف يدوم على الطريقة مَنْ لا صبر لهُ ؟ وكيف

يصبر على مؤونة الولد في تربيته والقيام بشأنه وعلى خدمة الزوج مَنْ لا احتمال لهُ ؟ وهل وُبِر (يوثر؟) على نفسهِ الّا من في نفسهِ من القوّة والنجدة ما يسهل ذلك عليهِ؟ وهل يصبر على الظلم [الّا] من كان الانصاف والعدل اقلّ ما عندهُ ؟

فانهُ ليس لاحد ان يقوى [على] المرأة فيتّفق ما بينها وبين زوجها وما بينها وبين ولدها [لكي ؟] تخيّر ظلمهم لها على ظلمها لهم وتحتمل عصبهم (غضبهم) وجهم (وجهتهم) [وا ستبدادهم] في اوقات صحراتهم (ضجراتهم ؟) وعند العلل التي تعرض لهم ثم تريهم ان [الفضل ؟] في ذلك(٨٣) كلهِ لها دونهم ثمّ لا تحقدهُ عليهم ولا يكون في نفسها منهُ شيء بل اذا ذكرتهُ في بعض الاوقات جدّد لها رقّةً عليهم ورحمةً لهم وجعلتهُ مكان الاعتذار بهِ عليهم ذكرًا لتلك الحالات التي دعتهم اليها من ضجر (ضجر) او اغتمام او علّة قربت لهم من ذلك وتفجّعت لهُ وكانت امنيتها ألّا ترى مثل ذلك لنفسها وانها تكره مثل الذي كان منهم ولكن ابقاء عليهم وشفقةً من كل ما أذاهم وغيّر حالهم . فاين نفسٌ اكمل من نفس تجتمع فيها هذه الخصال واذا اجتمعت هذه الخصال في المرأة فقد سعدتْ في نفسها وسعدَ بها زوجها وولدها وشرُفَ بها اهلُها وصارت قدوةً للنساء.

ثمّ يتلو امر المرأة امر الولد فاقول :

٤ في تدبير الولد

انّ افضل الولد ما كان من حُرّةٍ صحيحةِ البدن صحيحة العقل جامعةٍ لهذه الخصال فهذا هو اوّل صلاح الولد والاساس الذي بُني عليهِ تأديبهُ ويقوّم طريقتهُ . وينبغي أن يؤخذ بالادب من صغرهِ فانّ الصغير أسلس قيادًا واسرع مؤاتاةً ولم تغلب عليهِ عادةٌ تمنعهُ من اتباع ما يُراد منهُ ولا لهُ عزيمةٌ تصرفهُ عمّا يؤمر بهِ . فهو اذا اعتاد الشيء ونشأ عليهِ خيرًا كان او شرًّا لم يكد ينتقل عنهُ فان عوّد من صباه المذاهب الجميلة والأفعال المحمودة بقي عليها (٨٤) ويزيد (ويزيد) فيها اذا فهمها . وان أهمل وتُرك حتّى يعتاد ما تميل اليهِ طبيعتهُ ثمّ أُخذ بالادب بعد عليه (غلبة) تلك الامور عليهِ عسُرَ انتقالهُ على الذي يؤدبهُ ولم يكد يُفارق ما قد جرى عليهِ . فانّ اكثر الناس انّما ربّون (يربّون ؟) سوء مذاهبهم من عادات الصباء فانهُ لم يكن يقدّم (مُقوّمٌ) لهم في الآداب

وقد رأيت كثيراً لا يُحصَون يعلَمون انَّ مذاهبهم مذاهب رديئة ولا تخفي (تُخفَى) عليهم الطرق المحمودة ويعسر عليهم الرجوع الى تلك الطرق لعلة (لغلبة) تلك المذاهب عليهم. فان حملوا انفسهم عليها في بعض الحالات حياء من الناس في الظاهر لم يعدموا اذا خلَوا ان يرجعوا الى المذاهب الأُخر التي قد غلبت عليهم وتمكَّنت في طباعهم

ورأيتُ ايضاً كثيراً من الاولاد ما دام اباهم (آباؤهم) وغيرهم ممَّن يأخذهم بالادب أحياء فهم ملازمون الطريق المحمودة فاذا فقدوهم صاروا الى اخبث الطرق واردإها. وليس من الاسباب شيءٌ اقوى في ذلك من عادة الصباء الّا انَّ الصبيَّ اذا كان في طبعهِ ان يميل الى الاشياء الرديئة وسلك مع هذا طريق الاعتياد لها كان عليها أحرصَ واليها اسرعَ وفيها اشدَّ دخولاً حتَّى تستحكم فيهِ ولا يكون لهُ الى مفارقتها سبيل. وباداء (وبازاء ؟) هذا ان يكون الصبيّ جيّد الطبع (٨٥) يسلك بهِ طريق الاعتياد للخير. فيكون كلّ واحد من طبعهِ وعادتهِ مقوّماً لصاحبهِ حتَّى يقوى الخير فيهِ ويستحكم. فكما انَّ ذلك لا يقدر على مفارقة الامور [الرديئة لا يقدر هو مفارقة الامور] المحمودة. وفيما بين ذلك ان يكون الصبيّ جيّد الطبع ثمَّ يُحمل على الاشياء (الرديئة او يتَّفق لهُ مقارنة اهلها او يكون رديءُ الطبع ثمَّ يُحمل على الاشياء المحمودة او يتَّفق لهُ ان يرى من يسلكها. فهذان قد تنقلها العادة عن الطبع وقد يمكنهما النزوع بعد ذلك عن العادة والرجوع الى ما عليهِ البنيه (البنية). واصلح الصبيان من كان بينهم مطبوعاً على الحياء وحبّ الكرامة وكانت لهُ أنفة. واذا كان ذلك كان تأديبهُ سهلاً. ومن كان منهم قليل الحياء مستخفاً بالكرامة بعيداً من الانفة عسُر تأديبهُ. ولا بُدَّ لمن كان كذلك من تحريف (تخويف) عند الاساءة وإفزاع ثمَّ الاحسان اذا احسن. فاما الذي لهُ انفة وفيهِ حبُّ الكرامة فالمدح والذمّ يبلغان منهُ عند الإحسان والاساءة ما لا تبلغهُ العقوبة والعطيَّة من غيرهِ. وينبغي ان يُتفقَّد الصبيّ في جميع حالاتهِ من مطعمهِ ومشربهِ ونومهِ وقيامهِ وقعودهِ وحركتهِ وكلامه وجميع اموره. ويُعلَّم في جميع هذا تجنُّب القبيح والقصد الجميل فانهُ اذا عرف الجميل (٨٦) والقبيح في هذه الاشياء وقاما في نفسهِ تنبَّه عليهما وفهمهما في غيرهما من جميع الامور ولم يحتج في كثير من ذلك الى تقويم وأنا مبيّنٌ لك طريقاً الى ذلك فأوَّلهُ امر الطعام فاقول:

ادب الولد في الطعام

انهُ ينبغي ان يعوَّد الصبيّ ان لا يبادر اليهِ حتّى يوضع ولا ينظر اليهِ نظر الشَرِه وان يُحتال في تصغير قدْر الطعام في عينهِ وان ظهر منهُ شيْ من الشره ان يعيَّر بهِ ويبيَّن لهُ قبحهُ ويُعلَّم انّ الشَرَه من طريقة الخنزير فمن شاركهُ فيهِ لم يكن بينهُ وبينهُ فرقٌ . واذا جلس على الطعام مَن هو اكبر منهُ فلا يمدّ يدهُ الى الطعام قبلهُ الّا ان يُؤمر بذلك ولا يأكل الّا من بين يديهِ ولا يكثر من مدّ يدهِ مرّةً الى شيْ ومرّةً الى آخر ولكن يقتصر في اكثر اكلهِ على شيْ واحد . ولا يرغب في كثرة الالوان ولا يُسرع في الاكل ولا يعظّم لُقمتهُ ولا يلطّخ يديهِ ولا فمهُ ولا ثيابهُ ولا يلطخ اصابعهُ ولا يكون آخر مَن يرفع يدهُ عن الطعام ولا ينظر الى احد ممَّن يأكل معهُ ولاسيَّما ان كان غريباً

وينبغي ان يفهم الصبيّ انَّ الطعام انمَّا يُحتاجُ اليهِ كما يُحتاج الى الدواء فكما انهُ ليس يُقصد من الدواء الى ان يكون لديذاً (لذيذاً) او كبيراً (كثيراً) وانمَّا يُقصَد الى منفعتهِ فكذلك ليس القصد من الطعام الى لذّته (لذّته) ولا كثرته (كثرتهِ) وانمَّا القصد الى (٨٧) مقدار منفعتهِ . ويعوَّد الصبيّ ان يُنيل مَن سألهُ ممَّا يطعم فانهُ يستفيد من ذلك ضَبط الشهوة والسخاء والتجنُّب

ويعوَّد القناعة بأخسّ الطعام والاقتصار على الخبز (الخبز) بلا أدَم فانّ هذه العادة تُعينهُ على العفَّة وظلف النفس وقلّة الرغبة في المال . والرغبة في المال مذمومة في نفسها وهي مع ذلك ربَّما دعت الى اكتسابهِ من وجوه قبيحة اذا لم تتها (يتهيَّأ) كسبهُ من وجوهه (وجوهِ) جميلة . والقناعة بأخسّ الطعام جميلة بالفقير والغني الّا انَّ الفقير اليها احوج وهي بالغنيّ اجمل . وينبغي للصبيّ ان لا يستوفي الغداء (الغداء) وان استيفاءهُ للطعام وقت عشائهِ فانَّ ذلك نافع لهُ في ذهنهِ وصحَّة بدنهِ لانهُ ان استوفى طعامهُ بالنهار ثقل (ثقُلَ) واعتراهُ الكسل واحتاج الى النوم وغلظ (غلَظ) ذهنهُ عن قبول الادب . وليس ينبغي ان يعوّد الصبيّ التكاسل والنوم بالنهار بل يعوَّد النشاط والحركة والحرص على الادب . وهذا التدبير ايضاً للرجل اجود فان عُوِّدَهُ من صباه كان اسهل عليهِ وانفع لهُ . ولا يكون اكثر اكلهِ اللحومَ والاشياء الغليظة فان تركها انفع لهُ في الذكاء وصحَّة البدن وفي سرعة النشوْ لأنَّ الغداء (الغذاء)

الثقيل يُثقل الطبيعة ويمنعها من النشوء. ويعوّد (٨٨) الصبيّ الإقلال من الحلو والفواكه فانّ ذلك انفع له في نفسه وبدنه: أمّا في نفسه فلين (فلأنّه) لا يغلب عليه الترفه وحبّ اللذّات واما في بدنه فلسرعة استحالة الاشياء الحلوة والفواكه وفسادها في الابدان الحارّة. ويعوّد الصبيّ ان يكون شربهُ بعد الفراغ من طعامه فانّ ذلك اصلح لبدنه ونفسه. أمّا لنفسه فلضبطه لها واما لبدنه فلأن ذلك أعون له لاستمراء الطعام واحدر (واجدر) انيقوّي بدنهُ. وقد عرف ذلك من جرّبهُ وعلماء الاطبّاء يشيرون به والمستعملون الانبيذه (الأنبذة) يعلمون به

ووقت الطعام بالنهار للصبي هو الوقت الذي يكون قد فرغ فيه من وظيفته التي يتعلّمها وتعب تعباً كافياً. ومتى رأيت الصبي يأكل الشيّ وهو يحبّ ان يخفى (يُخفى) اكلهُ اياهُ فامنعهُ منهُ فانّهُ لم يستر اكلهُ الّا وقد علم انهُ لا يحتاج اليه وانهُ في اكله لهُ مخطئ. ويعوّد الصبيّ ان لا يشرب الماء على عدايه (غذائه) ولاسيّما في الصيف فانهُ اذا شرب ثقل العدا (ثقُل الغذاء) وفتر بدنهُ وكسل ونفد الطعام ايضاً عن معدته سريعاً واحتاج الى غيره. وان كان الشتاء فهو مع ذلك يبرّد البدن. ويحمل (ويَحمِلُ) بالصبيّ ان يضبط نفسهُ عن شرب الماء في اوقات سعله (شغله) بالتعلّم وحضور (وحضور) من يجب اجلالهُ. ولا ينبغي انّ يقرّب الصبيّ النبيذ (٨٩) حتى يصير الى حدّ الرجال لأنهُ يضرّهُ في بدنه ونفسه. أمّا في بدنه فلأنّهُ يسخّنهُ وهو لا يحتاج الى سخونة لحرارته واما في نفسه فاذا كان النبيذ يغيّر اذهان الرجال المحنّكين ويخرجهم الى السّخف وسرعة الغضب ورداءة الفكر والقحة والتهوّر فالصبيُّ احرى ان يفعل ذلك به (١ ودماغ (دماغهُ) مع هذا رقيق فحار (فبخار) النبيذ يُسرع الى افساده لقوّته عليه. ولا ينبغي للصبيّ ان يحضر مجالس النبيذ الّا ان يكون مَن فيها من اهل الادب والفضل. فاما مجالس العوامّ فلا وذلك لما نحرا (يجري) فيها من قبيح الكلام ويظهر (ويظهر) في اهلها من السخف

ادب الولد في نومه ولبسه

واما النوم فقدر (فيقدّر) للصبيّ منهُ مقدلد (مقدار) حاجته ويُمنع من ان

١) جاء في الهامش: أقول: وعلى كلّ حال فترك الشراب اولى واحرى للصغير والكبير فانّهُ مادّة كلّ شرّ

يستعملهُ للتلد (للتلذُذ) بهِ فانَّ كثرة النوم صارًا (ضارَّة) لـهُ في بدنهِ ونفسهِ لانهُ يرخي البدن ويفتحه (ويفتخهُ) ويغلظ الدهن (ويُغلّظ الذهن) ويميت القلب

وينبغي ان يُمنَع الصبيّ من ان ينام اذا اكل حتى ينحطّ الطعام ويستقرّ قرارهُ وينبه (ويُنبَّه) في السحر لينفض عن بدنهِما اجتمع فيهِ من الفضول والاوساخ فيخفّ لأنهُ ليس شيْ اعوَنعلى الذكاء من ذلك ولا ابلغ في نشاط البدن وصحّتهِ . ولا وقت اجود للمتعلّم من وقت الغداة والرجل ايضاً يحتاج الى ان يُنبَّه في السحر فاذا اعود (٩٠) (عُوّد) ذلك من صباهُ كان عليهِ اسهل . ويُمنع الصبيّ من النوم بالنهار الّا ان احتاج اليهِ لضعف او لعلّة . ولا يُعوَّد الصبيّ النوم بحضرة الناس لانهُ معما فيذلك من القبح يدلّ على انهُ ليس بمالكٍ لنفسهِ ولا ضابط لها عن اللذّة . والفراش الوطيْ رديْ للصبي لانهُ يرخيهِ ويفتخهُ والصبيّ يحتاج الى ان يُصلَّب وتشتدّ نفسهُ . ولين (ولَيْن) مال (ينال) الصبيَّ طرَفٌ من البرد في الشتاء ومن الحرّ في الصيف خيرٌ لهُ من ان لا ينالهُ شيْ منها (منهما) ومن لم يَنلهُ شيْ من ذلـك كان بدنهُ رقيقاً ضعيفاً وكانت نفسهُ ايضاً رخوة خوّارة . وكذلك المشي والعَدْو والركوب والحركة خير للصبيّ من السكون والدعة والحفظ (والحفظ ؟) والدلال

وينبغي ايضاً انلا يُعوَّد الصبيّ لبس اللين والرقيق وان لا يلبر (يُكبَر) في نفسهِ هيبة اللباس وان يفهم ان ذلك ايما (انّما) يليق بالنساء والمترفين وانَّ ذلك يدعوهُ الى محبّة المال وقد بيّنّا ان محبّة المال رديئة في نفسها داعية الى ما هو اردى (اردأ) منها . ولا ينبغي ايضاً ان يخرج بلا رداء ولا يرخي يديه (٩١) ولا يضمّهما الى صدرهِ ولا يكسف (يكشف) ساعدهُ ولا يسرع في مشيهِ جدًّا ولا يبطئ فيهِ جدًّا فانَّ السرعة في المشيْ تدلُّ على التهوّر والابطاء فيهِ يدلُّ على التيه والكسل . وكشفُ الساعد من فعل الوَقاح وارخاء اليدين من الاستخفاف بالناس

ولا ينبغي ان يُربّى لـهُ شعر ولا يزيَّن الصبيّ بشيْ من زينة النساء بل يُعرَّف قبح التصنُّع والغرض الذي يقصد اليهِ مَن يتصنَّع ويبغَّض اليهِ التشبه (التشبُّه) بالنساء ويحبَّب اليهِ التشبه (التشبُّه) بالرجال ولا يلبس الخاتم الى ان يحتاج اليهِ ويُمنَع ان يفخر (يفتخر) بشيْ يملكهُ على من لا يملك مثلهُ ويُعاب ذلك عليهِ حتّى ينتهي عنهُ .

من هو اكبر منهُ والقيام لهُ عن موضعهِ وان لا يلومر (يُكرم) الغنيّ الّا كما يكرم الفقير. ويؤخذ ايضاً باكرام من هو افضل منهُ في الادب والمعرفة وان كان اصغر منهُ سنًّا. ويُمنَع الصبيّ من التبزّق والامتخاط والتثاؤب والنجش (والتجشّي) وما اشبه ذلك بحضرة الناس لأنَّ فيه دليلًا على ضبطهِ لنفسهِ ونظافتهِ وشدَّة حياه (حيائهِ). وليس يلر (تكثُر) هذه الافعال الّا في مَن أسرف في المطعم والمشرب والنوم والراحة. ولا يدعَم (٩٢) رأسهُ بساعدهِ ومَن فعل ذلك فقد دلَّ على انهُ بلغ من استرخائهِ وبفنخهُ (وتفنُّخهِ) ان لا يقدر على حمل رأسهِ الّا ان يفعلهُ صاحبهُ وقت الاعتام (الاغتمام) والانكسار والضعف

ادب الولد في كلامهِ وتصرُّفهِ مع غيرهِ

ولا ينبغي للصبيّ ان يحلف بالله على حقّ ولا على باطل وذلك ايضاً جميلٌ بالرجل الّا انهُ ربَّما اضطرَّ اليهِ وليس يعرض للصبيّ من الامور ما يضطرُّهُ الى اليمين. واذا اعتاد الانسان من صغرهِ ان لا يحلف بالله قلَّ استعمالهُ لليمين اذا كبرُ وتوقّاها ولم يجسر عليها في اكثر الاشياء.

وينبغي ان يعوَّد الصبيّ الصمتَ وقلَّة الكلام وان لا يتكلَّم بحضرة من هو اكبر منهُ الّا بما يسئال (يُسأل) عنهُ. وانَّما ينبغي للصبيّ اذا حضر مجلس من هو اكبر منهُ ان ينصت (ينصت) لكلامهِ فانَّ الاستماع أعوَن لهُ على التعلُّم والصمتُ بكلامهِ يدلّ على الحكمة والحياء. وينبغي ان يُمنع الصبيّ من ذكر الاشياء القبيحة ويحذر (ويُحذَر) عليهِ ان يسمعها من غيرهِ فان ذكرها فاستماعها (فانَّ ذِكرها واستماعها) يولبانهِ (يوتيانهِ) بها واذا غاب ذِكرُها واستوحش منها كان لاتيانها (لإتيانها) اعيب (أغيَب) ومن ذلك اشدّ وحشةً. ولذلك ينبغي ان يحذر الصبي معاشرة مَن كان من الصبيان فيهِ جرأة وتقدُّم (٩٣)

وينبغي ان يُمنع الصبيّ من الشتم واللعن ويُعوَّد طيّبَ الكلام وحسن اللقاء وان لا يُسمع الدمر لدّه (التذمر ؟) ممَّن يقصد الى تأديبهِ اذا جاءمنهُ الزلل والى تأديبهِ غيرهُ. ومن أنفع ما أُدّب بهِ الصبيّ واجود ما عُوّدهُ استعمال الصدق وتجنُّب الكذب. وان كذب الصبيّ فينبغي ان يُلام ويُذمّ ويُعيَّر ويُضرَب إن أحوج الى ذلك. فانَّ افضل الفضائل الصدق واحسن (واخسّ) الدناءة واقبحها وارداها الكذب.

ومن يُعوَّد الكذب ونشأ عليهِ لم يفلح

وينبغي ان يُعوَّد الصبيّ خدمة نفسهِ ووالديه ومعلّمهِ ومن هو اكبر منهُ . واحرجُ الصبيان ان يؤخذوا بذلك اولادُ الاغنياء لأنَّ اولاد الفقراء يضطرُّون اليهِ فهم يعتادونهُ واولادُ الاغنياء ان لم وحدوا (يؤخذوا) بهِ لم يَدْعُهم اليهِ سبب . وفي ذلك لمن فعلهُ من الصبيان منفعة عظيمة لانهُ يحرح (يُخرّج) الصبيَّ ويُكسبهُ رجولة ودُرْبَةً ويعوّدهُ التواضع ويحتلب (ويجتلب) لهُ المحبَّة ويكون به مستعدًّا للنوائب (للنوائب) . ولا ينبغي للصبيّ إن ضربَهُ المعلّم ان يبكي ولا يصيح ولا يَضرَع فانَّ ذلك من الفشل والجُبن وانَّما يليق ذلك بالعبد لا بالحرّ . وقد قلنا انَّ من لم يكُ فيهِ من الصبيان أَنَفةٌ (٩٤) عَسُرَ فلاحُهُ

وينبغي ان يؤدَّب الصبيّ على الحسد والبغي وغيرهما ويحبَّب اليهِ المباراة في الادب والأنفة من ان يتقدَّمهُ غيرهُ فيهِ . ويُعوَّد الصبيّ ايضاً الأَنَفة من ان يبره (يَبُرَّهُ) قَرنهُ بشيء لا يبره (يبرُّهُ) بمثلهِ او اكبر (اكثر) منهُ وأن يأخذ شيئاً ويُعطي اقلَّ منهُ ومن ان يحبَّهُ قَرنُهُ اكثر ممَّا يحبُّه هو . والذي يليق بالكريم ان يبرَّ بأكثر ممَّا يُبَرُّ بهِ ويعطي اكثر ممَّا يأخذ . ويليق بالمتحبّب ان يُحبَّ اكثر ممَّا يُحبّ . وان لم يمكن الصبيّ ان يبرَّ بالوجهِ الذي برَّهُ قَرنهُ فليتحيَّل لمكافأتهِ على ذلك البرّ بوجهٍ آخر والَّا كان غير متخذ (متَّحد او متَّخذ ؟) العدل ونُسب الى محبَّة الربح لا الى محبَّة الكرامة . وينبغي ان يبغّض الصبيُّ الذهبَ والفضَّة ويحذر (ويُحذَّر) مسَّهما اكثر ممَّا يحذر (يُحذَّر) مسَّ الافعى والحيَّة . فان آفة الافعى والحيَّة انَّما تدخل على البدن وآفة حبّ الذهب والفضَّة تدخل على النفس وضررهما في النفس ابلغ من ضرر السمّ في البدن ويُحتال في وضع قدرهما عندهُ وتهجين مَن احبَّهما

وينبغي ان يؤدَّب الصبي في بعض الاوقات في اللعب ولا يلعب لعباً فيهِ قبحٌ ولا أَلَمٌ فانَّ اللعب انَّما يُراد لراحة الصبيّ وسرورهِ حتَّى يكون ذلك عوناً لهُ على ما يراد منهُ فيما بعد من التعب في الادب والصبر على مشقتهِ . فاذا (٩٥) كان في لعبهِ تعبٌ لهُ احتاجَ الى الراحة في وقت تأديبهِ فبطَلَ ما قُصد بهِ اليهِ وبقي التعب الذي بهِ

ومن اجود ما يعوّدهُ الصبيّ وابلغهِ في فلاحة (فلاحهِ) الطاعةُ لوالديهِ ولمعلّمهِ ولاهل الادب والنظر اليهم بعين الجلالة والاستحياء منهم والهيبة لهم ومن لم يكن

فيهِ ذلك من الصبيان ابطى (ابطأ) فلاحهُ

وينبغي ان يحذر (يحذّر) على الصبيّ الجماعُ او ان يُعرَّف شيء (شيئاً) من امر الجماع او يقارنهُ (يقاربهُ) حتّى يتزوّج . فانهُ مع ما في ذلك من القربة الى الله تعالى والثناء الجميل عند الناس وصحّة البدن وحسن النماء وبقاء الطهارة والنظافة والضبط النفس ، ففيهِ ان الرجل اذا لم يعرف امرأةً وكانت المرأة لا تعرف رجلًا غير رجلها كان حبّ كل واحد منهما لصاحبهِ غايةَ الحب وانطوى قلبهُ عليها وقلبها عليهِ وذلك من انفع الاشياء للرجل والمرأة جميعاً . وان كان الذين يريدون شدّة البدن يصبرون على الجماع ويؤثرون ذلك عليهِ فالذين يريدون فضيلة النفس اولى بالصبر عليهِ . ومَن حفظ هذه الاشياء وعمل بها صار بها الى الفضيلة ونال المحبّة والكرامة من الله والناس وبلغ غاية السعادة . ومن اطّرحها وظنّ انهُ لا ينتفع بها وانّ منفعتها يسيرة وترك استعمالها نال من واحة ذلك (٩٦) الشيء اليسيرَ (كذا) وأدّاهُ الى عظيم النقص والخساسة . ولعلّهُ يعرف فضيلة ذلك في وقتٍ لا يمكنهُ فيهِ تلافيهِ واستدراك ما فات منهُ فيحصل الى الندامة . فانّ اليسير من الخطأ في اوائل الاشياء واصولها ليس بيسير الضرر وكذلك المنفعة في يسير الصواب لأنّ الاشياء تُبنى على تلك الاصول

تمّ قول رولس (كذا) في تدبير المنزل والحمد لله وحدهُ

قوّة محرّكة جديدة : الفحم الاحمر

بقلم الاب رفائيل نخاه اليسوعي

من عجيب قدرة الانسان ومن شواهد مُلكهِ على العالم المادّي انهُ لا يزال يُخضع اشدّ قوى الطبيعة واعصاها لنير سلطتهِ المطلقة . هكذا سخّر على توالي العصور قوة الرياح والمياه الجارية والبخار والكهرباء ومدّ البحر وجَزْرَهُ الى غير ذلك مما يطول تعدادهُ . ولا يمضي على تاريخ البشر جيلٌ واحد الّا ونرى الانسان مدّ سيطرتهُ على قوّة جديدة فأذلّها لسلطانهِ واستخدمها لغاياتهِ

والحالة هذه فليس من المحال ان يخضع الانسان لسلطانه المطلق قوة البراكين نفسها التي لم تكتف بعصيانه بل تلاعبت باعظم مدنه ولا تلاعبُ البحر الهائج بالسفن الخائضة في عبابه في طرفة عين كما رأينا ذلك في انفجار بركان جبل پله الذي لاشى مدينة سان پيار في سنة ١٩٠٢ . إي لعمري انها ستكون ساعة جليلة في تاريخ ابن آدم اذا ما استطاع يوماً ان يضع صولجان ملكه على ذات البراكين فيسخرها لارادته ويجعلها رهن اشارته محولاً عنفها الذي طالما دمّر البلاد وافنى سكانها الى انقياد جزيل الفوائد عميم الخيرات . وعلى كل حال فان لم تتحقق هذه الامنية البعيدة فكفى الانسان فخراً انهُ نال من مراحم خالقه عقلاً يرشدهُ الى تذليل كلّ قوى هذا العالم الفاني لإصلاح امورهِ الزمنيَّة فيقوى بها على ادراك غايتهِ القصوى اي السعادة السرمديَّة

التذكار الخمسيني

لحماية القديس يوسف (١٨٧٠ — ١٩٢٠)

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٨ كانون الاوَّل من السنة ١٨٧٠ بعد مرور شهرين على دخول الجنود الايطالية في عاصمة الكثلكة وانتهاك حرمتها اصدر قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر بيوس التاسع براءةً اعلن بموجبها انهُ تلبيةً لدعاء اساقفة العالم الكاثوليكي ورهبانياتهِ ودوائرهِ الدينيَّة قد اقام بصفة رسميَّة القديس يوسف خطيب السيدة البتول ومربي الطفل الالهي ورأس العائلة المقدَّسة شفيعاً ومحامياً للكنيسة الجامعة في كل انحاء المعمور . وخصَّ لذلك عيداً سنوياً جعل رتبتهُ شبه رُتب اعياد الكنيسة الحافلة . وقد صرَّح قداستهُ بأنهُ واثق بجماية ذاك الشفيع المشفَّع ليتقذ بيعة الله مما احدق بها من الاخطار واصابها من النكبات بكايد الاشرار

والحالة هذه فليس من المحال ان يخضع الانسان لسلطانه المطلق قوة البراكين نفسها التي لم تكتف بعصيانه بل تلاعبت باعظم مدنه ولا تلاعبُ البحر الهائج بالسفن الخائضة في عبابه في طرفة عين كما رأينا ذلك في انفجار بركان جبل پله الذي لاشى مدينة سان پيار في سنة ١٩٠٢ . إي لعمري انها ستكون ساعة جليلة في تاريخ ابن آدم اذا ما استطاع يوماً ان يضع صولجان ملكه على ذات البراكين فيسخرها لارادته ويجعلها رهن اشارته محولاً عنفها الذي طالما دمّر البلاد وافنى سكانها الى انقياد جزيل الفوائد عميم الخيرات . وعلى كل حال فان لم تتحقق هذه الامنية البعيدة فكفى الانسان فخراً انهُ نال من مراحم خالقه عقلاً يرشدهُ الى تذليل كلّ قوى هذا العالم الفاني لإصلاح امورهِ الزمنيَّة فيقوى بها على ادراك غايتهِ القصوى اي السعادة السرمديَّة

التذكار الخمسيني

لحماية القديس يوسف (١٨٧٠ — ١٩٢٠)

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٨ كانون الاوَّل من السنة ١٨٧٠ بعد مرور شهرين على دخول الجنود الايطالية في عاصمة الكثلكة وانتهاك حرمتها اصدر قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر بيوس التاسع براءةً اعلن بموجبها انهُ تلبيةً لدعاء اساقفة العالم الكاثوليكي ورهبانياتهِ ودوائرهِ الدينيَّة قد اقام بصفة رسميَّة القديس يوسف خطيب السيدة البتول ومربي الطفل الالهي ورأس العائلة المقدَّسة شفيعاً ومحامياً للكنيسة الجامعة في كل انحاء المعمور . وخصَّ لذلك عيداً سنوياً جعل رتبتهُ شبه رُتب اعياد الكنيسة الحافلة . وقد صرَّح قداستهُ بأنهُ واثق بجماية ذاك الشفيع المشفَّع ليتقذ بيعة الله مما احدق بها من الاخطار واصابها من النكبات بكايد الاشرار

تلقى المؤمنون هذا الخبر بمزيد الفرح وشكروا إمام الاحبار على فعله وازدادت مذ ذاك ثقتهم بذلك القديس العظيم واختبروا مفاعيل شفاعته هذه على طرائق مختلفة كما تنبئ به عدة منشورات تقوية خُصَّت بتمجيده ونشر عبادته

وها قد مضى على ذلك القرار خمسون سنة فلم يشأ رئيس الكنيسة ونائب السيد المسيح البابا بندكتوس الخامس عشر ان تمرّ دون ان يُلفت نظر عموم ابنائه الكاثوليك الى هذه الحقبة من الدهر شكراً لله على ما انعم به عن يد هذا الولي العظيم من سوابغ منته وفيوض بركاته ثمّ تحريضاً للمؤمنين كي يجعلوه قدوةً لحياتهم فيتلافوا بحسن سلوكهم والاقتداء بشفيعهم الشرورَ والبلايا التي دهمت العالم باجمعه ويمكّنوا دعائم السلام في العمران البشري وفي الهيئة الاجتماعيّة المتداعية

ففي ٢٥ من شهر تموز المنصرم اصدر قداستهُ منشوراً حبرياً وجّههُ الى اقيف رؤساء الكنيسة ورعاياها ذكّرهم فيه بهذا اليوبيل الخمسيني وتقدّم اليهم بان يقيموا في كافّة البلاد عيداً كبيراً لإكرام القديس يوسف يجعلون موعدهُ في حدود سنة كاملة تبتدئ من ٨ك ١ سنة ١٩٢٠ وتنتهي في اواخر السنة ١٩٢١ . ولأنّ هذا شهر آذار اعتاد النصارى ان يكرموا ذلك القديس اكراماً خاصاً قصدنا ان نفرد في مجلّتنا نبذةً نبيّن فيها اوّلاً ما هي الاسباب الداعية لالتماس حماية القديس يوسف ثمّ ثانياً كيف نستحقّ التمتّع بتلك الحماية

ماذا حمل الكنيسة على التماس حماية القديس يوسف

ان كنيسة الله في سائر اطوار تاريخها مع اقرارها بان السيد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر قد اعتبرت ايضاً القديسين والاولياء لرفيع مقامهم عندهُ عزّ وجلّ ولحظوتهم لديهِ كشفعائها المشفّعين تنال عن يدهم منهُ تعالى نعماً وافرة لسعادة الدارَين . وليس الالتجاء الى حمايتهم مخلّاً في شيء بكرامة السيد المسيح بل هو مؤيّد لها ويعود اليها اذ يَعُدّ الربّ ما يقدّم لاصحابهِ من الاكرام كمقدّم لشخصهِ الكريم كما انّ التجلّة التي ينالها مبعوث الامير وحاشية السلطان تعود الى وليّ امرها

وذلك امرٌ معقول يمكن اثباتهُ بالادلّة النقليّة المتعدّدة من اسفار العهدين القديم والحديث خلافاً لما ذهب اليهِ بعض المراطقة

فهذا ابرهيم خليل الله شفع باهل سدوم وعمورة فقبل الله شفاعتهُ . وهذا موسى توسل مرارًا الى الرب ليصفح عن شعبهِ فرضي الله عن بني اسرائيل لاجلهِ . وهذا ايليا حبس المطر ثمَّ أنزل الغيث على الارض بمجرَّد صلاتهِ

بل هو الربّ يحضُّ البشر على الاستشفاع بأوليائهِ فاوحى تعالى الى ابيالك ان يلوذ بشفاعة ابرهيم لينجو من غضبهِ . «فصلى ابرهيم الى الله فشفى الربّ ابيالك وامرأتهُ وجواريهُ » . وكذا فعل باصدقاء أيوب بعد محنتهِ فامرهم ان يذهبوا الى عبدهِ أيوب قائلًا : « اذهبوا الى عبدي أيوب وأصعدوا محرقةً عنكم انفسكم وعبدي أيوب يصلّي من اجلكم لئلّا أعاملكم بحسب حماقتكم » (ايوب ٤٢ : ٨)

وظهرت مفاعيل هذه الشفاعة حتّى بعد موت اولئك الابرار كما حدث لذلك الميت الذي قام حيًّا اذ مسَّت جثّتهُ عظام النبي اليشاع (٤ ملوك ١٣ : ١٤) ومثلهُ ما ورد عن ارميا النبيّ الذي تراءى ليهوذا المكابيّ وقيل عنهُ هناك « انهُ محبّ لاخوتهِ ومكثر من الصلوات لاجل الشعب والمدينة المقدسة » (٢ مكابيين ١٥ : ١٤)

وليست الشواهد المنقولة من العهد الجديد اقلّ وضوحاً من آيات العهد القديم : توسّل بطرس لاجل حماتهِ فشفاها السيّد المسيح من مرضها . توسّل بولس لاجل نجاة الذين ركبوا معهُ البحر فاستجاب الله دعاءهُ وخلّصهم من الغرق . توسّلت الكنيسة من اجل بطرس فانقذهُ الله من ايدي هيرودس اغريباً وفتح امامهُ ابواب السجن وكسر اغلالهُ . وقد حضَّ يعقوب الرسول المؤمنين على صلاة بعضهم لاجل البعض بقولهِ (٥ : ١٦) : « صلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تبرأوا . ما اعظم قوّة صلاة البارّ الفعّالة »

ولا تبطل قوّة شفاعة هؤلاء الابرار بعد موتهم بل تزيد مفعولًا وهم احياء عند الله ثابتين في محبّتهِ . كما يلوح من قول الرب في لوقا (١٦ : ٩) اذ يحرّض ذوي الثروة على الصدقة بقولهِ : « اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى اذا ادركم الاضمحلال يقبلونكم في المظالّ الابديّة »

وفي تاريخ الكنيسة ما لا يُحصى من الاخبار الثابتة الموثوق بها لا تبقي شكًّا في قوّة تلك الشفاعة فلا حاجة الى ذكرها

هذا ثمَّ أنهُ معلوم انَّ بين اولياء الله مراتب مختلفة على حسب فضلهم وسموّ

قداستهم ولا جرم انَّ للقديس يوسف بينهم مقاماً رفيعاً لم يبلغه احد منهم بعد البتول امّ الله كما اثبت ذلك حضرة الاب بولس جرون في مقالة ممتعة نشرها في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٢٢٩ - ٢٣٦) . فهذه الرتبة السامية التي اكرمهُ الله بها على الارض خزنهُ الآن في السماء كرامةً خاصَّة تلوح مفاعيلها بما يجديهِ من الآلاء الجزيلة للمتعبّدين لهُ

وقد عرفت الكنيسة منزلتهُ هذه السامية وذلك ما حدا بها الى ان تختارهُ كحامٍ عمومي لها . ولم تميّز بهذا الشرف احداً من القديسين غيرهُ مع العذراء خطيبتهِ

وممَّا أهّل القديس يوسف الى ذلك ثلث صفات وجدتها الكنيسة في حمايتهِ :

﴿الصفة الاولى﴾ قوَّة تلك الحماية التي تفوق حماية غيرهِ من ساكني الجنان السرمديَّة . قال احد الاتقياء : انَّ شفاعة القديس يوسف هي اشبه بالامر منها بالتوسل والتضرع . فان طلب من الثالوث الاقدس حاجةً وجد في الآب الازلي مولى انابهُ في حياتهِ منابهُ لدى ابنهِ الالهي فثاله بازائهِ على الارض . وان التمس امراً من ابن الله الكلمة لبّى للحال طلبتهُ بقوَّة وصيَّتهِ تعالى : أكرم اباك وامك وهو وليُّهُ الذي كان في عهدتهِ مدَّة ثلثين سنةً يدعوهُ بالاب ويُعتبَر هو شرعياً كابنهِ . وان استمدَّ نعمةً من الروح القدس حصل عليها دون سواه بعد ان تخلَّى لهُ عن عروسهِ مريم ليحلَّ هو عليها ويظلّلها بقوتهِ . او تستطيع سلطانة السماء ان تردَّ حارس بتوليتها وخطيبها البتول خائباً اذا ما تشفَّع لديها باحد مواليهِ كلا ثمَّ كلا . فانَّ للقديس يوسف كلمةً نافذة وامراً مسموعاً مهما طلبهُ نالهُ لا محالة

﴿الصفة الثانية﴾ التي امتازت بها حماية يوسف الجليل انَّها حماية عموميَّة شاملة تمتدُّ لكل حاجات الانام . فانَّ الكنيسة اذا ابتهلت الى بعض اولياء الله تطلب شفاعتهُ لنوال نعمةٍ خاصَّة امتاز بها ذلك القديس فينالها ملتمسها بواسطتهِ من الله جزاء عن جهادهِ وتبريزهِ في اقتنائها على الارض . فتطلب الايمان والثبات من الرسل والقوَّة والشجاعة من الشهداء والاستنارة والفهم من معلّمي الكنيسة ومحبَّة الله والقريب من المعترفين والطهارة من العذارى . امَّا القديس يوسف فتلتجئ الى شفاعتهِ في كلّ حاجاتها وهي تصرّح بذلك في صلاة عيدهِ بقولها : «نسألك يا رب ان تساعدنا باستحقاقات خطيب والدتك الكلّي قدسها فننال بشفاعتهِ ما لا نستطيعهُ بقوَّتنا»

وكأنَّ الله قدَّر ليوسف عبده ان يتقلَّب في اطوار حياته تقلُّباً كثيراً ليجم عودَ دهره فيذوق حلوهُ ومرَّهُ ليعمَّ بشفاعته ابناء الكنيسة اجمعين. فترى الصغار يلوذون به اذ كان حارساً لطفولة يسوع. وبه يثق ارباب البيوت لتوليه امر العائلة المقدَّسة. اليه تستصرخ العذارى ليحرس براءتهنَّ كما حرس عفَّة العذراء الطاهرة مريم. واياهُ يستغيث المرتبطون بالزواج ليحفظوا كرامة وشرف هذا السرّ كما هو قدَّسهُ بذلك الاقتران المقدَّس الروحيّ مع سيدة العذارى. يلتجئ اليه الفقراء والعمَّال لعلمهم انَّهُ قضى حياتهُ في الشغل والكدّ. عليه تُبنَى آمال الناس في الامور الروحيَّة والحياة القدسيَّة لعيشته بجوار ربّ القداسة وسيره على مثاله. ومنهُ تُرجأ الاعانة في الامور الزمنيَّة التي أُلقيت اليه مقاليدها في تدبير بيت الناصرة. يطلب اليه المبؤوسون الفرجة من بلاياهم وهو قد عرف مرارة المنفى في مصر. واليه يُلقي المنازعون ابصارهم لينالوا بشفاعته الآخرةَ الصالحة كما حظيَ بها بين ذراعي يسوع ومريم

﴿الصفة الثالثة﴾ التي خُصَّت بها حماية يوسف انها ابويَّة حاوية رقَّةً وتعطُّفاً. ولا غرو فانَّ القديس يوسف لكونه رأس العائلة المقدَّسة اضحى ايضاً رأساً ومدبِّراً للعائلة المسيحيَّة بأسرها. لأن بين العائلتين روابط غير منفصمة وليست عائلة الناصرة الَّا الحلقة الاولى من تلك السلسلة الالهيَّة التي انحدر ابن الله الى الارض لينشئها ويعدَّها لسكنى بيت ابيه السماويّ. فما أحرى بيوسف ان يُثابر على حمايتها كما صرف عنايتهُ لحماية يسوع ومريم. وفيه تصدق آية الكتاب عن يوسف الاوَّل (مز ١٠٤: ٢١) «انَّ الرب اقامهُ سيِّداً على بيته وسلطاناً على جميع مقتناهُ». وقد حقَّق القديس يوسف امر ربِّه فلم يزلْ يُظهر لابناء الكنيسة كلَّ حنان وشفقة ولم يخيِّب قطّ أمل المعتصمين بشفاعته

٢ كيف يستحق المؤمنون التمتع بحماية القديس يوسف

اذ ثبت انَّ الكنيسة اصابت كلَّ الصواب بتوجيه نظرها الى القديس يوسف وباعلان حمايته على كل بنيها فانَّ ذلك يقتضي منهم استحقاقها وتهيئة نفوسهم لقبولها. ولا عجب لأنَّهُ ان كانت لذي الحماية فروضٌ وواجبات فذلك يستلزم ايضاً من المُنعَم عليه بها أنْ يؤهِّل نفسه لها ويترشَّح للتمتُّع بها. وانَّما يكون ذلك بالتقرُّب الى وليِّه

لينال منهُ الحظوة . وانما التقرُّب يقوم خصوصاً بالتشبّه بهِ وباقتداء فضائلهِ . وقد مارس يوسف من الفضائل اسماها ما لو اقتفى بها المتعبدون لهُ كانت لهم اضمن كفيل لسعادة حياتهم

واوّل ما دعا اليهِ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر لفيف المؤمنين ليتأسوا بهِ من فضائل القديس يوسف روحُ السلام والوئام الذي اتخذهُ ديناً وديدناً في حياتهِ . فانَّ العالم بعد هذه الحرب الكونيَّة قد تفاقمت فيهِ الشرور وزاد تنافر القلوب وانتقضت روابط الوداد والاتفاق بين الدول وأمم المجتمع الانساني بل ضعفت اواصر الحب في العيال المسيحيَّة . فما لهُ الآن ينظر الى يوسف وينعش روح الإخاء والاتحاد الذي كان يوسف مع عائلتهِ المباركة مثالهُ الحيّ

وممَّا امتاز بهِ القديس يوسف شظاف عيشهِ وتجرُّدهُ عن ملذَّات هذا العالم . خدم ابن الله الذي اختار في هذه الدنيا الصليب والاوجاع على الهناء والرفاهية ليزدري الناس برخاء العيش . وكان يوسف في مقدَّمة المتمثلين بهِ . وما احقّ بالمسيحيين ان ينهجوا منهجهُ في هذه الفضيلة وقد نرى الكثيرين يتهافتون على اسباب رغد الحياة ونعومة العيش تهافت الجياع على القصاع كأنهم يريدون ان يعتاضوا عمَّا فاتهم من الرخاء والتلذُّذ في مدَّة الحرب فلا همَّ لهم الآن يرشفوا كأس الهناء ويتسلوا لكل الاهواء لا يصرفهم عن ذلك مايرون من ضيق الاحوال وغلاء الاسعار ولاسيَّما الشبَّان والشابَّات وقد غلب على كثيرين منهم التهتُّك والخلاعة . فكيف يمكنهم ان يدَّعوا باسم المسيحيين وهم من فضائل المسيحيّ مناط الثريا . فهما هوذا يوسف مثالهم فليتعلَّموا منهُ القشف والحياد عن كلّ ملاذّ الدنيا الباطلة

وقد اطرأ الحبر الاعظم قناعة يوسف وكفافهُ في خدمة العائلة المقدَّسة وارتزاقهُ بالشغل والكدّ دون الطمع البتَّة او الحسد لمال القريب فكأنَّ مثالهُ اكبر رادع لمطامع العمَلة في هذه الايَّام التي فار فيها فائر الثورة وتألَّفت النقابات الاشتراكيَّة وتعدَّدت الاعتصابات السيئة المبنيَّة على مذهب الفوضى وقلبت المبادئ البولشفيَّة نظام الكون يحلمون كلهم بالمساواة بين طبقات البشر والحصول على الاستقلال ونفي كلّ سلطان . فأصبحت الارض ميداناً للفتن والمشاغب تشبه السكران المتمايل بشملهِ لا تثبت على قرار . فليذهبوا الى يوسف النجَّار الذي عرف ان يقدّس شغلهُ ويتوسَّل بهِ

الى رضى ربهِ فكان لهُ سلّماً رقّاهُ الى اوج الكمال وبلّغ بهِ الى ان ينال حبّ الله والناس

فهلمّوا ايها المؤمنون في هذا العيد الحسيني وتعلّموا من يوسف هذه الفضائل الاهليّة والاجتماعيّة فانها انجع دواء لأدوائكم وبها تستحقّون شفاعة ذلك القديس وتشعروا بنعم حمايتهِ لكم ولعيالكم معاً فيسود السلام على العالم وتنقشع ظلمات الشهوات الباطلة ينبوع كلّ الشرور والبلايا

العلوم في السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اخذت العلوم بعد كبوتها بسبب الحرب وعقابيلها المؤلمة تعود الى زهوها شيئاً فشيئاً لتستعيض بمضاعفة نشاط اربابها عمّا فاتها في هذه الفترة المشئومة

علم الفلك

كان الفلكيّون ينتظرون في اوربّة في العام الماضي شتاء شديد البرد لما عرفوهُ سابقاً من نواميس حركة الشمس وكلفها فجرى الامر على خلاف حسبانهم اذ كان هناك الشتاء غاية في الاعتدال فنسبوا ذلك الى انفجارات غير معهودة جرت في الشمس ودلّت عليها رصودهم . وكأنّ ما رجّوهُ لبلادهم قد صحّ في أصقاعنا الشرقيّة حيث كان الشتاء قارساً ونزل الثلج في سواحلنا على غير عادتهِ (راجع في المشرق ١٩[١٩٢٠]: ٢٠٠ مقالتنا عن الثلج في بيروت)

ومن الظاهر النادرة التي حدثت في باريس في العشر الثالث من شهر آذار في ليلة ٢٢ الى ٢٣ منهُ ظهور الشفق الشمالي مع سطوع انوارهِ الارجوانيّة في أفقها

كانت المراكز الفلكيّة لحظت في سطح القمر حُفَرًا عديدة متّسعة الفوهة على شبه القموع فلم يستدلّوا على سببها حتّى قام الفلكي الفرنساوي بوسلر (Bosler) فبيّن انها حدثت بوقوع رجوم كبيرة سقطت على القمر وغاصت في سطحهِ وقد قاس

الى رضى ربهِ فكان لهُ سلّماً رقّاهُ الى اوج الكمال وبلّغ بهِ الى ان ينال حبّ الله والناس

فهلمّوا ايها المؤمنون في هذا العيد الحسيني وتعلّموا من يوسف هذه الفضائل الاهليّة والاجتماعيّة فانها انجع دواء لأدوائكم وبها تستحقّون شفاعة ذلك القديس وتشعروا بنعم حمايتهِ لكم ولعيالكم معاً فيسود السلام على العالم وتنقشع ظلمات الشهوات الباطلة ينبوع كلّ الشرور والبلايا

العلوم في السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اخذت العلوم بعد كبوتها بسبب الحرب وعقابيلها المؤلمة تعود الى زهوها شيئاً فشيئاً لتستعيض بمضاعفة نشاط اربابها عمّا فاتها في هذه الفترة المشئومة

علم الفلك

كان الفلكيّون ينتظرون في اوربّة في العام الماضي شتاء شديد البرد لما عرفوهُ سابقاً من نواميس حركة الشمس وكلفها فجرى الامر على خلاف حسبانهم اذ كان هناك الشتاء غاية في الاعتدال فنسبوا ذلك الى انفجارات غير معهودة جرت في الشمس ودلّت عليها رصودهم . وكأنّ ما رجّوهُ لبلادهم قد صحّ في أصقاعنا الشرقيّة حيث كان الشتاء قارساً ونزل الثلج في سواحلنا على غير عادتهِ (راجع في المشرق ١٩[١٩٢٠]: ٢٠٠ مقالتنا عن الثلج في بيروت)

ومن الظاهر النادرة التي حدثت في باريس في العشر الثالث من شهر آذار في ليلة ٢٢ الى ٢٣ منهُ ظهور الشفق الشمالي مع سطوع انوارهِ الارجوانيّة في أفقها

كانت المراكز الفلكيّة لحظت في سطح القمر حُفَرًا عديدة متّسعة الفوهة على شبه القموع فلم يستدلّوا على سببها حتّى قام الفلكي الفرنساوي بوسلر (Bosler) فبيّن انها حدثت بوقوع رجوم كبيرة سقطت على القمر وغاصت في سطحهِ وقد قاس

الاميركيّ هربرت ايفس احدى هذه الحفر فوجد قطرها بالغاً ١٥٠٠ متر . وقد قال انَّ ارضنا ايضاً تصاب بمثل هذه الرجوم الّا انها يحميها جوُّها من اضرارها فانَّ الرجوم اذا مسَّت فلكنا التهبت في جوّهِ وصارت كالنتات الّا قطعاً منها جمعوها في المتاحف . امَّا القمر فلخلوهِ من الجوّ والهواء تصيبهُ تلك الرجوم بصدمات هائلة وتغوص في باطنهِ لضخمها وشدَّة سرعتها

دلَّت مراقبة النجوم انَّ بعض الكواكب يختلف نورها فبعد ان كانت ساطعة الضياء يقف عليها مجرَّد البصر إذ يتضاءلُ نورُها حتَّى لا تُرى الّا باكبر النظّارات . وقد ساعدهم على رصدها التصوير الشمسيّ ثمَّ الطيف الشمسيّ وقد جعلوا لها جدولًا وهم يبحثون الآن عن سرّ تغيير نور هذه الكواكب ولم يتَّفقوا بعد في تعليلهِ

علم طبقات الارض اي الجيولجيا

حدثت في العام الماضي عدَّة زلازل دمَّرت في البانية والبلغار وجهات تراقية بعض القرى وقد شعر المصريّون في غرَّة شهر تشرين الاوَّل بزلزلة قويَّة ذُعر لها الاهلون في سحر النهار نحو الساعة الرابعة وسُمع دويٌّ شديد في الارض لم يدوّن مثلهُ مرصدُ حلوان منذ انشائهِ

انفجر بركان في جزيرة لوسون يُدعى بولوسان كان انطفأ منذ سنين عديدة فالقى في ١٠ من شهر ايَّار بنيران وحُمم ورماد الى علو الفَيْ متر . وفي العشرين منهُ انفجر في جارة بركان آخر اسمهُ كلوت فذهب بحياة سبعة آلاف من الاهلين

اكتشفوا في اميركة في هذه السنين الاخيرة على مستودعات عظيمة لحيوانات مستحجرة هائلة العظَم غريبة الاشكال ممَّا بادت آثارها بالتقلُّبات الجيولوجيَّة في ثيومنغ من ولاية ألبرتا وفي مقاطعة كولورادو وفي جهات لوس انجلوس يشتغل الآن الجيولوجي الاميركيّ الشهير برنوم برَون باستخراجها من مدافنها ونقلها الى متحف نيويرك . وبين هذه المستحجرات هياكل حيوانات عديدة لم تُعرف سابقاً يبلغ طول بعضها من عشرة امتار الى ثلاثة عشر متراً يتقاطر الناس لمشاهدتها

ومن غريب ما وقف عليهِ العالم الفرنساوي ڤ . غاليب (V. Galippe) في اوراق من البردي الراقية الى القرن الثالث قبل المسيح وفي كهربٍ مستحجر بعضُ

من الجراثيم الميكروبيّة امكنهُ ان يحييها في مُختبره بعد جمودها الفي سنة بنيّف واستدلّ بذلك على حيويّتها رغماً عن طول الزمان كما بيّنوا قبلاً صبرها على البرد القارس

العلوم الطبيعية

﴿ فنّ الطيران ﴾ لا يزال في ترقٍّ متواصل . وانما المقصود منهُ الآن المنفعة التجاريّة والمواصلات الاهليّة بدلاً من الفوائد الحربيّة والمنازعات الدوليّة . وقد ثبت ترقّي هذا الفنّ المستحدث بمعرض عمومي جرى في باريس في اوائل السنة المنصرمة عُرضت فيهِ اصناف الطيّارات التي أُنشئت مؤخرًا في فرنسة وبريطانية العظمى وايطالية فتقاطرت الى زيارتها جماهير الوفود واخذهم الاندهاش مما رأوهُ من اشكالها المختلفة وحسن تجهيزها ومحرّكاتها بالبترين والبخار والكهرباء وتهيئتها لنقل الركّاب والسِّلَع الخ

وقد بلغ احذق مديري الطيّارات الى أن ازالوا كثيرًا من عقباتها وأمنوا غالباً ركّابها من اخطار السقوط عنها . وهذه لائحة(١ نشرها الجنرال سَيكس على اعمال الطيّارين المُلكيين في انكلترة من اول ايار ١٩١٩ الى ٣١ تشرين الاول ١٩٢٠ بيانًا لسرعتها وأخطارها واستنادًا الى احصاءات رسميّة : كانت ساعات الطيران ٤٠٠٠٠ — وعدد الحوّمات ٢١٠٠٠٠ — والرُكّاب ٥٢٠٠٠٠ — والمسافات المجتازة ٤٩٠٠٠٠٠ كيلومتر — والطوارئ المفجعة ١٣ — عدد القتلى من المديرين ٢ — والجرحى ٦ — عدد الركّاب القتلى : صفر — والركاب الجرحى ١٠ . فبناء على تلك الارقام يكون عدد الركاب الجرحى واحدًا من ٥٢٠٠٠ . فما اقلّ اخطار الطيران في الوقت الحاضر اذا قوبلت باخطار السكك الحديدية . وتؤيد هذه النتيجة الغريبة الارقامُ التي وردت في احصاء آخر للمستر مرتين وهو من اشهر صانعي الطيّارات في الولايات المتحدة . فهذه ثلاثة احصاءات اعلن بها :

اولاً نتيجة سباق الطيّارات في إنديانوبوليس . المسافة المقطوعة ٨٠٤٫٥ كيلومتر — معدّل السرعة في الساعة ١٧٧ كيلومترًا — سرعة الفائز المتوسطة ١٤١ كيلومترًا — المتسابقون الراحلون

١) نشكر حضرة الاب رفائيل نخله الذي تفضل فارسل الينا هذه اللائحة

من مبتدأ السباق ٣٣ – الواصلون الى منتهاه ١٥ فقط اعني ٤٥ بالمائة – القتل ٣ اعني معدّل واحد لمسافة ٦٤٣,٦ كيلومترا

ثانياً سباق الطيّارات من نيويرك الى طورنطو. المسافة ١,٦٧٦ كيلومتراً. معظم السرعة في الساعة ٢١٥ كيلومتراً – سرعة الفائز المتوسطة ٢٠٥ ك – الراحلون ٥٢ – الواصلون ٣٠ اعني نحو ٥٨ بالمائة – القتل ٧ اعني معدّل واحد لمسافة ٣٠,٠٠٠ كيلومتر

ثالثاً سباق الطيّارات بين فرنسكو – المسافة ٤,٣٦٠ ك – معظم السرعة في الساعة ٢١٧ ك – سرعة الفائز المتوسطة ١٩٣ ك – الراحلون ٦٢ – الواصلون ٣١ اعني ٥٠ بالمائة – القتل ٧ اعني معدّل واحد لمسافة ٣٠,٠٠٠ ك

فمن كان ينتظر ان فنّ الطيران الحديث المعرّض لاخطار كثيرة ومصاعب جمّة يفوق بدون قياس السيارات والسكك الحديدية ليس فقط سرعةً بل وأمناً ؟

وقد اطّلعنا على قائمة اخرى في ايّار سنة ١٩٢٠ عُدّت فيه ساعات الطيران ٨,٣٦٨ والمسافات المقطوعة في ٣٥,٣٣٠ حومةً بلغت ٩٥٤,١٣٧ كيلومتراً وعَدَد الركّاب ٦٤,٤١٦ لم يحدث فيها الّا ١٨ طارئاً قُتل فيها اربعة مدربين وقُتل فيها ٣ ركّاب

وممّا افادتنا المجلّات العلميّة انّ الالمان يُعدّون منطاداً من شكل مناطيد زبلين لنقل الركّاب والبضائع بين اوربا واميركة وهم يجهّزونهُ بكل لوازم السّفر لخمسانة راكب ويحملون لتسييره ٦٠ طناً من البنزين ما يكفي لقطع مسافة تعادلُ ثلثة اضعاف المسافة الفاصلة بين القارّتين

وسعى الانكليز بانشاء محطّات للطيران بين القاهرة ومستعمراتهم في جنوبيّ افريقية. ويهتمّون الآن بانشاء اللوازم لارسال البريد من لندرة الى اميركة الجنوبيّة مع الطيّارات التي ستطير من لندرة الى باريس ثم مدريد ثم رباط في مراكش ومنها الى مستعمرة غمبيا وتقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي فتحطّ في برنمبوك في البرازيل والمسافة ٢,٣٥٠ كيلومتراً

ومن فوائد الطيران ما جرّبتهُ ولاية كاليفورنيّة ونجحت فيه نجاحاً باهراً اذ اتّخذت طيّارات لمراقبة اصحاب الجنايات وتعميم الامان في جهاتها فترى الشُرَط يحوّمون فوق البلاد ويتعقّبون المجرمين. وينقضّون عليهم انقضاض العقاب على فريسته فلا يفلتون من ايديهم. وقد وُكلت اليهم ايضاً حراسة احراج تلك البلاد وصونها من الحريق وكلّ عداه

ومن كمالات فنّ الطيران التي اصابوها مؤخّرًا أنهم استطاعوا توقيف الطيّارة مدّةً في الجوّ اذا شاؤوا لبعض غاياتهم

﴿ التلغراف اللاسلكيّ ﴾ صار اليوم ينوب عن القلوس البحريّة التلغرافيّة فانّ شركة مركوني في انكلترة تعهّدت ارسال البرقيّات لكل جهات المعمور باسعار متهاودة ارخص من سواها

روت جريدة البشير في تاريخ ١٠ شباط ما قرّرت الحكومة الفرنسويّة انشاءهُ في سنت اسيز قريباً من مدينة ميلن (Melun) ألا وهي اعظم محطّة للتلغراف اللاسلكي وقد وضع حجرها الاوّل من بضعة ايّام وكيل وزارة البرق والبريد. وهذه المحطّة التي سيتمّ بناؤها بمدّة ١٨ شهرًا ستكون اقوى محطّات التلغراف اللاسلكيّ في العالم كلّهِ. وهي تُقسم الى دائرتين اوربيّة وكونيّة. فالدائرة الاوربيّة غايتها ارسال البرقيّات الى كلّ جهات اوربّة ويخصّص لها صارٍ يركزونهُ على برج علوّهُ ٢٥٠ مترًا يمكنهُ ان يرسل برقيّتين معاً. ويلحق بهذه الدائرة محطّة لقبول البرقيّات من الخارج. امّا الدائرة الكونيّة المقصود منها تبليغ البرقيّات الى كافّة انحاء العالم فيكون لها صارٍ ذو سطح مزدوج يرتكز على ١٦ برجاً علوّ البرج منها ايضاً ٢٥٠ مترًا ولها محطّة ثانية لاستقبال البرقيّات لا تقلّ دوائرها عن السّبع . وهي تستطيع ان ترسل ثماني برقيّات معاً وتتلقّى منها سبعاً حتى اربع عشرة عند الحاجة. ويمكنها ان تبعث وتتلقّى مليوني كلمة في ٢٤ ساعة. وبين محطّة ميلن والمركز الاصليّ في باريس اسلاكٌ عديدة تربطها. فستحصل من ذلك منافع للتجارة والصناعة لا يحيط بها وصف لسرعة نقل الاخبار وارسالها من والى سائر اقطار المعمور. وما اصدق قول البشير في ختام كلامها عن هذا المشروع: سبحان الذي اودع الطبيعة اسرارًا عجيبة جعل الاستفادة بها قيد ارادة الانسان واجتهادهِ

وقد اثبت الطبيعيّ الشهير المسيو ادوار برانلي احد اساتذة مكتب باريس الكاثوليكيّ بعد امتحانات اجراها في هذه السنة انّ التلغراف اللاسلكيّ يمكن استخدامهُ لإطلاق الموادّ المتفجّرة على مسافات بعيدة. وذلك ممّا يخوّل المتحاربين واسطةً جديدة للتدمير والفناء.

وقد اكتشف الفرنسويّون سرًّا آخر للتلغرافيّة اللاسلكيّة لتمكّن الغواصات

وهي في قلب البحر من ان تتلقى الانباء البرقيّة وترسلها الى المراكز المختلفة دون ان تصعد على وجه المياه كما كانت تفعل قبلاً فتتعرّض لضربات العدوّ . وهي اليوم مجهزة بآلةٍ اخترعها المسيو دي بروليي امتحنوا فعلها في عمق ٣٥ متراً تحت سطح البحر فكان البحريّون يتلقّون البرقيّات من محطّات باريس ولندرة ورومية

هذا وان «التلفون اللاسلكي» يجري في ترقّيه مجرى التلغراف الاثيري فانّ اختباراتٍ حديثة مكنت اهل لندرة وباريس من استماع حفلة موسيقيّة نُقلت في رومية وقد تحادث اهل هذه العواصم بعضهم مع بعض دون مشقّة بالتلفون اللاسلكي

ويحصل من الاختبارات الحديثة التي اجراها المسيو مرتين الطبيعي الفرنساوي في مدينة شربورغ لتبيين سرعة انتقال الصوت في الماء انّ الصوت في ماء البحر اذا كانت حرارتهُ ١٤ درجة فوق الصفر من المقياس المئويّ يقطع في الثانية مسافة ١٥٠٣ امتار فيكون انتقالهُ اسرع من الهواء بنحو خمسة اضعاف . هذا في ماء البحر المالح اما الماء الحلو في الانهار فوجد سرعتهُ في الثانية ١٣٩٩ متراً اذا كانت درجة حرارتهِ ٤ درجات فوق الصفر و١٤٣٥ متراً في درجة ثمانية و ١٤٤١ متراً عند بلوغ حرارته ١٣ درجةً

الكيمياء

انّ ابحاث العلماء في بسائط الكيمياء قد بلغت بهم الى تغيير آرائهم في تركيب تلك العناصر لاسيّما بعد اكتشافهم للاجسام المشعّة كالراديوم والهيليوم والبولونيوم حتّى انهم يرون الآن انّهُ لمكن اثبات وحدة المادّة في كل الاجسام وانّما اختلافها في الكم والكيف بقوّة عوامل قديرة تسلّطت عليها لمّا كانت ارضنا حديثة النشأة متأججة النيران في سطحها

ومما يرتأي العالم بروت ان الهيدروجين اصل كل العناصر . امّا الاوكسيجين الذي كانوا يعدّونهُ كاحد الاجسام البسيطة فانهم وجدوهُ مركّباً وانّ الهدروجين احد مركّباتهِ

وكان العلّامة الفرنساوي كوري بعد اكتشافهِ الراديوم لحظ ان هذا العنصر المشعّ يتحوّل الى هيليوم فارتأى انّ ذلك دليل على تحوّل البسائط بعضها الى بعض

وعودها الى عنصر واحد اصلي . وهذا ما شاع اليوم في انكلترة بمساعي بعض علمائها كرمساي وروثرفرد وطومسن فخلاصة ابحاثهم ادت بهم الى القول انَّ الاجسام البسيطة كلها تتركب من عدة ذرات والذرة هي مركبة من نواة اصلية هيولية من المتكهربات المعروفة بالالكترون فباختلاف هذه المكهربات في عددها وتركيبها ووضعها تتكوَّن بقية العناصر . وقد استصوب كثيرون من الكيميويين هذا الرأي وحبَّذوهُ

علم الآثار

يسرُّنا ان نُعلن بنشر مجلة سورية (Syria) الافرنسية التي صدر منها اربعة اعداد وهي تحتوي على اجلّ المباحث الاثرية التي تهمُّ اقطارنا ويتولى نشرها نخبةٌ من كبار الاثريين والمستشرقين كالمسيو ادمون بوتيه ودوسو وكونتنو وكلرمون غانو وماكلر وفرنتزكومون وشامونار . كفى بذكر اسمائهم للدلالة على عظم شأن المجلة وفوائدها . فهيَ تسدُّ ثلمةً واسعة لتعريف كنوز الشرق الادنى الثمينة فنهنئ بلادنا بصدورها ونحضُّ اهل الوطن على مطالعتها وعضدها

ومن جملة ما ورد في هذه المجلة عن آثار سورية وصف الحفريات التي عُهد امرها للمسيو كونتنو في صيداء وضواحيها فهناك عدة نقوش وخزفيات وتماثيل تشهد على ما كان لصيداء في عهد الفينيقيين واليونان والرومان من رفعة الشأن

ومن الحفريات ذات النتائج الجليلة حفريات عسقلان القديمة الشهيرة في الاسفار المقدسة وفي القرون الوسطى فانَّ مصلحة العاديات المتولية البحث عنها وقفت على قسم كبير من آثارها الراقية الى عهد الكنعانيين والفلسطينيين من اعمدة ودُمى وابنية مختلفة تُعرَف بها حضارة ذلك الزمان

واغنى منها بالآثار بابل واشور وعادياتهما العجيبة . ومما درسهُ آخرًا الاب شيل الدومنيكي والمرحوم المسيو ديولافوا هيكل بعل مردوك المعروف ايضاً بالزجيل الذي كان لمستخرَج دفائنهُ الاثريُّ كولدفاي كما لمستخرج المسيو اندري دفائن لشور المعروفة بقلعة شرقات . فيظهر من درس الاوَّلين انَّ هذا الهيكل يستحقُّ ان يُحصى في جملة عجائب الدنيا بسعة ارجائهِ وحسن هندستهِ وطبقاتهِ السبع على عدد السيارات

السبع القديمة . وكذلك استبان لهما ان اليونان في هندستهم الرائعة استعاروا كثيراً من أصول الكلدان البنائية وذلك ايضاً ما يرتأيه الاثريان بوتيه وكوك . وفي بعض الكتابات الاشورية المصونة في المتحف البريطاني في لندن قد وجدوا اسم المهندس الكلداني كيدينو الذي دعاهُ سطرابون وبليندوس كيديناس (Κιδηνας)

امَّا الآثار المصريَّة فقد اكتشف منها حديثاً الاستاذ بتري العالم الانكليزيّ نواويس من حجر الصوَّان المحكمة الصنع لبعض قدماء المصريين بينها تابوت الملك سنيوسيري الثاني ثم حلياً ثمينة ومصاغات نفيسة بينها ثعبان من الذهب كان يزين تاج احد الفراعنة وهو مرصَّع بالحجارة الكريمة الملوَّنة . وممَّا اكتشفتهُ المدرسة البريطانية في اللاهون مقابر راقية الى اوائل التاريخ المصريّ نحو ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح وجدوا فيها آثاراً جليلة تنبئ بمعتقد اهلها بحياة أُخرى ولها بعض العلاقة مع بناء الاهرام

وممَّا يختصّ بالآثار العربية كتابات نبطية وغيرها في عدد ٨٠٠ كتابة تمكَّن العالمان الدومينيكيَّان جوسن وساليناك من اخذ رسومها في حدود العرب . ومنها ايضاً الخزفيَّات التي باشر بعض ارباب الصناعة العربية في مصر العتيقة المعروفة بفسطاط فجاءت اتعابهم مكلَّلة بالنجاح لما وجدوهُ من الآثار الراقية الى عهد الاقباط واوائل الفتح الاسلاميّ

وقد أسف العلماء على تدمير الكماليين الاتراك كنيسة نيقية القديمة الراقية الى القرن الرابع للمسيح وفيها اجتمع المجمع المسكوني الاوَّل سنة ٣٢٥ م والمجمع السابع سنة ٧٨٧ ودلُّوا بذلك على همجيَّتهم وسوء تصرُّفهم

الجغرافيَّة

ان كانت الجغرافية الطبيعية لا تزال على حالها فانَّ الجغرافية السياسيَّة اصبحت في تقلُّبٍ متوالٍ ولا نعلم متى تثبت على قرار . فانَّ المؤتمرات الدوليَّة التي عُقدت في العام الماضي لم تقوَ على كبح مطامع بعض الشعوب وارضاء العناصر المختلفة بنصيبها . فهذه الدول الظافرة تجد في طريقها عقباتٍ كؤود تعترضها في احكامها وربَّما اقامها في وجهها اصحابها وحلفاؤها . وهذه الدول المركزيَّة التي تحاول كسر النير الذي يريد

اعدائها وضعهُ على مناكبها . واوّل دولة منكودة الحظّ اثّرت فيها هذه الحرب دولة النمسة التي خسرت ثلاثة ارباع سكّانها وثمانية اعشار املاكها . ومثلها دولة المجر التي سقط عدد سكّانها من ٢٠ مليوناً الى ٧ ملايين واصبحت مساحتها ١٩ الف كيلومتر مربّع بعد ان كانت ٣٢٥ الفاً . واعظم منهما خسارةً تركيّةُ فكادت سلطتها في اوربّة تضمحلّ ما خلا بعض الولايات التركيّة وفي آسية ضاق كثيراً نطاق املاكها . واُصيبت ايضاً بلغارية بخسائر فربحت منها سربية ولايتين ولم يعد لها منفذ الى البحر . امّا المانية فانّها مع ما سُلخ منها فربحتهُ فرنسة وبولونية والدنيمرك وبلجكة لا تزال قويّة مرهبة تترصّد اعداءها لتُعرقل مساعيهم وتستردّ ما فقدتهُ

امّا الدول المنتصرة فكان السهمُ الملّى من الارباح لانكلترّة بوضع يدها على مستعمرات المانية في افريقية وعلى قسم من ولايات تركية في العراق وفلسطين الخ

واتّسعت ايطالية فضمّت اليها ما اختزلتهُ من النمسة كولاية تريدنتي والتيرول وإستريه وما ربحتهُ من تركيّة كاضالية وجزيرة رودس . ولم توازِ ارباح فرنسة ضحاياها العظيمة في هذه الحرب المسكونيّة حيث استرجعت ولايتي الزاس ولورين واستملكت مستعمرات طوغو وكامرون وانتُدبت كوصية على سوريّة . وأفوز منها ارباحاً اليونان التي ظفرت ببعض بلاد الاناضول وثراقية وعدّة جزائر . وقد خرجت من هذه الحرب الى عالم الوجود دول جديدة كاليوغوسلاف وبولونية والحجاز . واتّسعت اليابان فمدّت سيطرتها على اقليم شانتونغ وجهات سيبرية ومنغولية وكورية حتّى اصبحت من اكبر الدول قوّة واعظمها خطراً على اوربة واميركة

وممّا يستحق الذكر انّ دول اميركة المركزية والجنوبية رأت في مطامع الولايات المتّحدة خطراً على استقلالها فتحالف خمس منها وهي كوستاريكا ونيكاراغوا وهندوراس وغواتمالا وسان سلفادور حفظاً على كيانها

الطب والجراحة

في اوائل السنة ١٩٢٠ كانت النزلة الوافدة باسطةً حكمتها المكروه على كثير من البلدان فحصدت في مدّة خمسة اشهر من اعمار البشر ما لم تفُزْ بهِ الحرب الكونيّة في مدّة خمس سنوات فكان عدد ضحاياها ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ منهم ستّة ملايين في

الهند ومليونان في الولايات المتحدة وقد اختلفت اسماؤها وساء فعلها

قد سبق لنا مراراً ذكر الراديوم وعلاج داء السرطان باشعّته لولا انَّ هذا العنصر لا يزال عزيز الوجود يستدعي استخلاصهُ من بعض البلاد اسابيع واشهراً من الشغل . فانَّ كليَّة بوفاو قد اشترت منهُ غرامين وربع غرام بمليون من الفرنكات . وكذلك اشرنا الى فعلهِ في الجسم اذا لم تُتَّخذ الاحتياطات في مراسهِ . وحفظهِ في صوانٍ متين فانَّهُ اذا وقع شعاعهُ على الجلد ربَّما احرقهُ حرقاً لا شفاء لهُ كما حدث للدكتور ڤاليان في باريس الذي أُصيب بجُرح اليم سبَّبتهُ اشعَّة رنتجن في علاجهِ للمرضى فلم ينجع دواء في ابراء الجرح حتَّى قُطع ساعدهُ في آذار الماضي

وقد سُررنا بما نشرهُ المجمع العلميّ في باريس بخصوص معالجة فقر الدم الحادّ (anémie aigüe) فانَّهم حقنوا بعض المتوّين بهِ بمحلول من الماء المالح والصمغ العربيّ بمقدار ٦٠ جزءاً من الصمغ والف جزء من الماء والحقن يكون في داخل العروق فأتت الامتحانات بنتائج صالحة جدًّا

ومن الحفلات البهيجة التي قام بها مكتب باريس الطبيّ التذكارُ المئويّ لوضع الدكتور لانئيك (Dr Laënnec) آلتهُ الشهيرة لمراقبة حركات الصدر وباطن الجسم (stéthoscope) التي تفضل كثيراً على إلصاق اذن الطبيب على جلد المريض وتوقفهُ على أدقّ نبرات القلب ونبض العروق وحركات الدم السائل في الشرايين . وقد كان الدكتور لانئيك اشدّ اهل زمانهِ تعلُّقاً بدينهِ الكاثوليكيّ مثل معاصرهِ النطاسيّ الدكتور ريكاميه (Dr Récamier)

ويلحق في هذا الباب ما ورد في احصاءات بلاد كاليفورنية انهُ وُجد بين اهلها البالغ عددهم خمسة ملايين نفوس ٣٠٠ شخص بلغوا المئة من عمرهم بل تجاوزوها وقد نسب الاطباء ذلك الى هواء تلك البلاد واعتدال مناخها والى حسن سلوك هؤلاء المعمرين وقناعتهم في المأكل والمشرب

ومن الاختراعات الجميلة في العام الماضي تركيب ايادٍ لمن قُطعت اياديهم او سواعدهم في وقت الحرب فقد وضع المسيو دسّيناس ايدياً صناعيَّة يمكن الجريح تحريكها والعمل بها بقوَّة ساعدهِ او منكبهِ حتَّى انهُ يستطيع ان يشتغل بيديه ويقبض

بسهولة على ما يشاء ويحملهُ ولو بلغ ثقلهُ عشرة كيلوغرامات . امَّا وزن هذه اليد الصناعيَّة فلا يتجاوز ٣٥٠ غراماً

الفلاحة

قد دفعت احوال المعاش الحاضرة ارباب العلم الى البحث عن طرق اقتصاديَّة جديدة لتوفير الغلَّات واصلاح شؤونها . فممَّا وقف عليهِ المستر مكنَّام في ملبورن من اعمال اوستراليا في أوَّل شهور سنة ١٩٢٠ انَّ للكهرباء مفعولاً عظيماً في انماء الغلَّات وتحسين اجناسها حتَّى زادت بها على ما سواها ٢٠ في المئة الى ٤٠ . والحبوب بها اثقل واكبر . وقد وجد طريقة سهلة لعلاج البذور بالكهرباء فانَّهُ يبلُّها بمحلول من سولفات النحاس بعد عرضهِ على مِلفّ ثانوي من شكل ملفّ الاطبَّاء الذي يتَّخذونهُ لمرضاهم

وكذلك ادَّت الاختبارات الجارية في انكلترَّة الى بيان مفعول الكهرباء في المزدرعات والغلَّات ليقوها من العلل والآفات الضارَّة بها

وممَّا ينمي المزدرعات الثلج الذي يسقط في بعض الانحاء وذلك لثلثة اسباب تبيَّنها الاختصاصيُّون في العام السابق : الاوَّل لان حرارة الارض يصونها الثلج نوعاً اذ يحجبها ويسترها من تقلُّبات الجوّ . والثاني انَّ الثلج عند ذوبانهِ تنفذ مياههُ بهدوءٍ في التربة فترتوي بها . والثالث لأن الثلج اغنى بالعناصر النتريَّة والحامض الكربونيك والنوشادر التي يمتزج بها في الجوّ عند سقوطهِ فيغذي بها المزدرعات فتزكو زكاءً عظيماً

وقد جرَّبوا في فرنسة الكلوروبكرين لقتل السوس في الحنطة والارزّ فانَّهم يجعلون اكياساً عامرةً منهما في حجرة مُقفلة فيسكبون على كلّ كيس من ٢٠ الى ٢٥ غراماً من هذا المحلول فينظّف الاكياس من السوس بعد ٢٠ ساعة

نبشِّر البلاد الموبوءة بآفة الجراد بوقوف المسيو ڤاسيار من علماء باريس على علاج فعَّال لهذا الداء العياء فانَّهُ ذهب الى شمالي افريقية حيث كان انتشر الجراد وتناسل فاطلق عليهِ آلة الاسهم النارية (lance-flammes) مع زيت الفحم الحجري فكان بثلثة عشر لترًا منهُ يبيد الجراد في مساحة ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر مربَّع . وقد جرَّب ايضاً للاشاة الجراد النخالة الممزوجة بالحامض الزرنيخي (acide arsénieux) فوجدهُ كثير المنفعة لاتلافها

الصناعة والتجارة

سعى بعض علماء الالمان وقت الحرب باستخراج حرير جديد من لحوم الخيل الميتة والمقتولة فانهم اغلوها في مراجل ضخمة حتّى تهرأت وتحلّلت واصبحت عروقها وشرايينها كالخيوط فاتخذوها ونسجوها فظهرت على شبه اكسية الحرير

ومن هذا القبيل ما توفق الى اكتشافه العالمان بول بكسيون الفرنساوي وسنسون انطونيو الايطاليّ فانهما عالجا قضبان التوت وقشرا اليافها فاصطنعا منها ثياباً متينة جداً تقوم لكتسيها مقام الكتّان اذ يمكن غزلها ونسجها مع الصوف

نشرت شركة الزيوت الانكليزيّة في العجم لائحةً اعربت فيها عن فكرها بنقل البترول الذي تستخرجهُ في بلاد ما بين النهرين بواسطة القساطل الى مينا حيفا والمسافة بينهما ٥٥٠ الى ٦٥٠ كيلومترًا تبلغ نفقاتها ٢٥٠ مليوناً من الفرنكات وانّما تُوفَر عليها المبالغ التي تصرفها لنقلهِ على طريقة خليج العجم

قد بحث بعض الاقتصاديين عن سبب نقص الفضّة وقلّة ما يوجد منها حاضراً فتحقّقوا انّ لذلك ثلاثة اسباب خصوصاً : الاوّل احوال المكسيك وما جرى فيها من الفتن والحروب الاهليّة ومعلوم انّ ثمانية اعشار الفضّة في العالم تُستخرج من المكسيك فهبط المعدَّن منها من ٢،٣٠٠ طنّ الى ٩٤٨ . والثاني انّ الصين التي كانت اصدرت من السنة ١٩١٤ الى ١٩١٧ ٢٣٩٥ طنًّا من الفضّة هي اليوم تشتري الفضّة لمصالحها . والثالث انّ الهند تستورد كميّات بالغة من الفضّة بلغت في السنين الثلاث الاخيرة ١٥،٥٥٠ طنًّا صرفتها في مصالحها

انّ الحركة التجاريّة في ترعة بناما تزيد يوماً بعد يوم فقد مرَّ فيها السنة ١٩١٨ ٢،٠٢٥ سفينة تجاريّة محمولها ٦،١٣١،٥٧٥ طنًّا فبلغ هذا العدد سنة ١٩١٩ ٢،٤٧٨ مركباً محمولها ٨،٥٤٥،٦٥٣ طنًّا ودفعت رسومها ٨،٨٠٠،٠٠٠ دولار

اطلعتنا مجلّة « الطبيعة » الفرنسويّة على ما يدخل في فرنسة من التبغ فنورده لتنشيط زراعتهِ في بلادنا . مدخول التبغ في فرنسة على صنفين امّا بصفة اوراق واما بصفة سكاير . تستجلب فرنسة ورقاً من الولايات المتّحدة ٢٨،٨١٢،٠٦٦ كيلو . ومن كوبا ٩٨،٢٠٧ ك . ومن جزائر الفيليبين ٤،٣٠٠،٩٢٣ ك . ومن كولومبية

٢،٩٢٤،٩٢٤ ك . ومن سان دومنغ ٢،٦٤١،٧٦٤ ك . ومن براغواي ٦٩٦،٣٣٤ ك . ومن الارجنتين ٢١١ ، ٢٢٠ ك . ومن البرازيل ٦،٧٦٠،٥١٩ ك . ومن بيرمانية ٣،٨١٤،١٢٥ ك . ومن الهند ١،٠٤٢،٩٩٠ ك . ومن انكلترة ١٠٩،٨٦٩ ك . ومن اليونان ١٤٠،٠٥٩ ك . ومن مستعمرات هولندة ٧٧٠،٦٨٩ ك

وتستجلب من مصنوعات التبغ والسكاير من هافانة ١١،٨٠٠،٠٠٠ سيكار . ومن مانيلا ٣،٥١٢،٥٥٥ س . ومن المكسيك ٣،٦٨٨،٧٠٠ س . ومن مصنوعات اميركة ١٤،٦٥٥ ك . و ٣٥٢٥ . ومن سكاير البرازيل ١٤٦،٦١٢ ك . و ٤٢٠ . ومن المصنوعات الانكليزية ١٥٤،٨٧٢ ك . و ٩٩٢٥ . ومن السكاير المصرية ٦٢،٤٢٠ ك و ٩٧٠

ومما اثر كثيراً في الامور الاقتصادية وغلو الاسعار الحاضرة ازمة الفحم الذي اصبح اليوم عليه مدار العمران ومحور الاقتصاد وهذه قائمة تبيّن استنتاجهُ في اميركة ودول اوربة قبل الحرب وما كان يورد منهُ ويصدر حينئذٍ بالطنّات :

الدول	ما استخرجتهُ	حاجتها منهُ	الوارد اليها	الصادر منها
الولايات المتحدة	٥١٧,٠٠٠,٠٠٠	٤٩٦,٠٠٠,٠٠٠	١,٤٣٨,٠٠٠	٢٢,٥٤٠,٠٠٠
انكلترة	٢٩٢,٠٠٠,٠٠٠	١٩٦,٠٠٠,٠٠٠	—	٩٦,٩٠٠,٠٠٠
المانية	٢٧٨,٩٨٦,٠٠٠	٢٥١,٩٤٠,٠٠٠	١٧,٥٣٦,٠٠٠	٣٤,٦٠٠,٠٠٠
النمسة	٥٤,٠٠٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠,٠٠٠	٤٣,٧٢٥,٠٠٠	٧,٧٢٥,٠٠٠
فرنسة	٤٠,٨٤٤,٠٠٠	٥٤,٥٠٤,٠٠٠	١٩,٧٩٧,٠٠٠	١,٠٣٤,٠٠٠
بلجكة	٢٢,٨٠٠,٠٠٠	٢٦,٤٥٠,٠٠٠	٨,٦٥٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠

فترى انَّ فرنسة كانت افقر الدول بالفحم نسبةً الى سكانها وقد خسرت في الحرب كثيراً من مناجمها التي اخربها الالمان فصارت حاجتها الى الفحم ماسَّة ستُصاب صناعتها بضربة قاضية إنْ لم يُستدرك الخلل . والفحم احدى الضرائب المطلوبة من المانية . وفي الاخبار الواردة اخيراً انَّ انكلترة ستواصل اليها ارساليَّات فحمها . وقد فكَّروا في طريقة اقتصاديَّة لنقلهِ الى فرنسة بأنْ تحوَّل قوَّتهُ الى كهرباء فيُنقل بالقلوس في مضيق المنش الى باريس وفي ذلك توفير عظيم

الرسالة الفرنسيسيَّة
وشهداؤها في الولاية الحلبيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد احتفلت الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة قبل سنتين بتذكار المئة السابعة منذ نزل منشئها الجليل القديس فرنسيس الاسيزي الى سواحل سوريَّة فوضع اساس رسالة خاصَّة لابنائهِ الفضلاء قاموا بها من بعدهِ في انحاء فلسطين والشام ومصر وقبرس احسن قيام فباشروا من الاعمال ما لا تحصرهُ صحائف الكتب الضخمة وقاسوا من المشقَّات ما لا يصفهُ اليراع ودافعوا دفاع الابطال عن الاراضي المقدَّسة وكثيرًا ما صبغوها بدمائهم الزكيَّة مستشهدين في سبيل الايمان

وليس غرضنا في هذه العجالة أن نروي مآثر الرهبانية الفرنسيسية في ما سلف من الاعوام وانَّما نكتفي بذكر ما احرزتهُ من الفخر بتقدمة سبع ضحايا جديدة لله في مطاوي السنة المنصرمة كانوا كمحرقات اصعدتها الى عرشهِ تعالى فتنسَّمها الله برائحة الرضى

*

وقبل ان ندوّن خبر استشهاد هؤلاء الابرار احببنا ان نصف ميدان جهادهم حيث نالوا تاج الظفر

للآباء الفرنسيسيين الكرام في ولاية حلب ما عدا حاضرتها ستّ مراكز احتلُّوها لخدمة النفوس في اواسط القرن الماضي وهي القنيَّة وعينتاب ومرعش وينيجه قلعه ومجوك درمسي ودن قلعه

﴿ القنيَّة ﴾ قرية موقعها في جبال انطاكية في جنوبها الشرقيّ قريبًا من نهر العاصي يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠ نفس كانوا من طائفة الارمن الغريغوريين فارسلوا الى القاصد الرسوليّ الطيّب الذكر السيد لودوفيكو بيسائي يطلبون منهُ مرسلًا يرشدهم الى الدين الكاثوليكيّ فلبّى دعوتهم وارسل اليهم سنة ١٨٧٨ الاب فيديلي

(امين) اورسيني دي غراتشيو فاستنفد الوسع في ارشادهم وهدى اكثرهم الى الدين الكاثوليكي وفتح لهم المدارس منها مدرسة للصنائع وانشأ لمرضاهم مستوصفاً وبنى لاخوته الرهبان ديرًا على اسم القديس يوسف . وقريباً من القنيَّة قرية اخرى تدعى اليعقوبيَّة ردَّها المرسلون الى حجر الكنيسة ايضاً

﴿ عينتاب ﴾ هي المدينة التي فتحها مؤخرًا الفرنسويُّون في شمالي حلب على مسافة يومين منها . موقعها في جبال صعبة عدد اهلها ٥٠،٠٠٠ النصارى منهم نحو ١٥،٠٠٠ مسيحيّ نصفهم كاثوليك ارمن وسريان وروم ملكيُّون . ففي سنة ١٨٨١ عهد مجمع انتشار الايمان الى الآباء الفرنسيسيين ان يفتحوا هناك ديرًا ويتصدَّوا لمساعي الرسالة البروتستانتيَّة الاميركانية ففعلوا . وكان القائم بهذه المهمَّة الاب قنشترو دا برينو فبنى في عينتاب ديرًا على اسم القديس بوناونتورا وانشأ مدارس ابتدائية للاحداث الذكور والاناث فبلغ عددهم المائتين ثم خلفهُ الاب يعقوب دي كستلمداما فاستحضر الادوية لفتح اجزانية مجَّانية ومستوصف وكان عدد المرتدّين الى الايمان الكاثوليكيّ سنة ١٨٩٦ وحدها ١١٠ من الاهلين

﴿ مرعش ﴾ كان اسمها القديم جرمانيقية نسبةً الى القائد الروماني جرمانيكس الشهير بحكمه على سوريَّة المتوفَّى السنة ١٩ للمسيح . موقعها شمالي غربي عينتاب على مسافة ثلثة ايام من حلب عند مصبّ نهري آق سو وجيحان جعلها الاتراك مركزًا لاحد سناجق ولاية حلب عدد اهلها بين ٥٠،٠٠٠ الى ٦٠،٠٠٠ النصارى منهم نحو ٢٢،٠٠٠ بينهم الكاثوليك نحو ١٥،٠٠٠ منهم سريان وروم كاثوليك وارمن كان للآباء الفرنسيسيين فضلٌ عظيم في ارتدادهم على يد المرسل الغيور الاب جزوالد من جينوا سنة ١٨٥٨ . لكنَّ رسالتهم هناك لم تستقرَّ الاَّ في سنة ١٨٦٦ فكان مُنشئها الاب قنشترو السابق الذكر الوافر الفضل تفانى في خدمة اهل مرعش ماديًّا وادبيًّا فعُني بتهذيب احداثهم وتربية ايتامهم وعيادة مرضاهم ومعالجتهم خصوصاً في زمن فشوّ الهواء الاصفر مع مساعدة فقرائهم . وبنى هناك دير رهبانيَّته على اسم القديس انطونيوس البادوي . واقتدى به اخوتهُ فكانوا سدًّا في وجه اعداء الدين لاسيَّما البروتستانت . ولمَّا ثار الاتراك على الارمن سنة ١٨٩٥ نجا كثيرون من النصارى بهمَّة الآباء المرسلين ثمَّ وزَّعوا عليهم الحسنات الوافرة فانقذوهم من

المجاعة كما خلَّصوهم من السيف وواصلوا عنايتهم بهم عدَّة اشهر

﴿ ينيجه قلعه ﴾ اي القلعة الجديدة هي من اكبر قرى سنجق مرعش على بُعد نحو ٣٠ كيلومترًا منها شماليًّا الغربيّ عدد اهلها ٣،٥٠٠ بينهم نحو الف ارمنيّ كانوا من الطائفة الغريغوريَّة وعزموا على الإسلام لشحناء وقعت بينهم وبين راعيهم فبلغ خبرهم الآباء الفرنسيسيين في مرعش فاسرع الى اغاثتهم الاب مرشلينو دي مونتيفرنكو سنة ١٨٧٥ واستنفد الوسع في خدمتهم فانضمُّوا الى الكنيسة الكاثوليكيَّة وثبتوا على ايمانهم . وللآباء المرسلين هناك ايضاً مشروعات ادبيَّة وخيريَّة . وديرهم على اسم القديسة مرغريتا دي كورتونة حرقهُ الاتراك سنة ١٨٩٥ كما اعملوا السيف في نصارى القرية الَّا ان الاب عمانويل غرْسيا تمكَّن من انقاذ صغار مدرسته فنجا بهم الى نواحي زيتون ثمَّ عاد الى القرية لمساعدة المنكوبين

﴿ مجوك دره سي ﴾ هي قرية تابعة لمرعش على مسافة سبعة كيلومترات غربيّ مرعش اهلها كلُّهم نصارى ارمن ارتدُّوا الى الكثلكة على يد الاب مرشلينو الوما اليه سنة ١٨٨٤ . ولمَّا وقعت حوادث سنة ١٨٩٥ المشئومة كان رئيس تلك الرسالة الاب سلفاتوري لِلي من قبادوقية فاحاط الاتراك بالقرية واوقفوا رجالها بامر قائدهم مزهر بك وكان في جملتهم الاب سلفاتوري فساقوهم الى مرعش وقتلوهم في الطريق واحرقوا جثثهم وكان مزهر بك عرض على الاب سلفاتوري ان يُسلم فزجرهُ الاب بعُنف مستكرهاً فامر مزهر بقتلهِ فقُتل شهيد ايمانهِ مع احد عشر من رفقتهِ في ٢٠ تشرين الثاني . واحرق الدير الى ان عاد الاب مرشلينو في آذار من السنة ١٨٩٦ وسعى باصلاح الخراب

﴿ دن قلعه ﴾ هي قرية ثالثة قريبة من مرعش في شمالها الغربيّ على مسافة ساعتين منها لا يزيد سكَّانها على ٦٠٠ انشأ الاب مرشلينو رسالتها مع مجوك دره سي وردَّ الثلث من اهلها الى الكثلكة . ثمَّ احرق الاتراك ديرها وبيوتها سنة ١٨٩٥ الَّا انَّ اهلها نجوا بنفوسهم مع الاب الفرنسيسكاني عمانويل تريفو والاخ ڤكتور ولحقوا بجبال زيتون ثمَّ عادوا بعد أن هدأت الامور وافرغ الاب عمانويل كنانة جهدهِ لتلافي الاضرار ومدَّ يد المساعدة الى المبؤوسين

وكان انشاء هذه المقامات السبع للرسالة الفرنسيسيَّة في ولاية حلب واخصُّها في

حدود الارمن في القسم المعروف بأرمنيّة الصغرى في القرن السابق

وألحقوا بها مراكز أخرى ثانويّة في بندق وكيسان سنة ١٨٨٠ ونصيبين قرب الفرات سنة ١٨٨٠ . هذا ما عدا رسالاتهم في قيليقية وجبل كلسيوس مثل كز بازار (عين زربة) وكسّاب وباجي اغاز . وربّما طافوا في الانحاء المجاورة لمراكزهم وبشّروا بالايمان الكاثوليكي في قراها وردّوا الى حجر الكنيسة كثيرين من الغريغوريين وغيرهم

ولمّا كانت السنة ١٩٠٩ بعد اعلان الدستور التركيّ تكرّرت في تلك الجهات الحوادث المؤلمة والفتن والمذابح فنُهبت اموال الارمن وقُتل منهم كثيرون فكان المرسلون يسعون طاقة جهدهم في خلاصهم وردّ الظلم عنهم وتوزيع المساعدات الماليّة الطائلة على المكروبين منهم وتحمّلوا بسببهم مشاقّ عديدة . وقد اهتمّ حينئذٍ كثيراً لحالهم نيافة قاصدنا الرسوليّ السيّد فريديانو جيانيني فزارهم وساعدهم بيد سخيّة وتبرّع المحسنون البيروتيّون بمبالغ وافرة لتلطيف بلاياهم

*

على انّ اختلاط بني القديس فرنسيس بالطائفة الارمنيّة وانقطاعهم الى خدمتها جلب عليهم قسماً من بغض الاتراك للأمّة الارمنيّة وكان هؤلاء المرسلون الغيّورون كلّما يصبّ العثمانيّون على الارمن سجال حتفهم ينالهم نصيب منها كما رأيت في كوارث السنة ١٨٩٥ و ١٩٠٩

ولمّا انتشبت الحرب العموميّة في السنة ١٩١٤ وانحازت الدول العثمانيّة الى جانب الدول المركزيّة حملت الاتراكَ فظاظتُهم الطبيعيّة على التنكيل بالنصارى عموماً وبالارمن خصوصاً فسالت الدماء انهاراً وارتكبوا من الفظائع ما يسوّد وجه المدنيّة بل الانسانيّة عينها

فكان المرسلون كألوف عادتهم هم الملجأ الوحيد لهؤلاء المساكين لا يألون جهداً في ضماد جروحاتهم حيثما وُجدوا . لكنّ اكثرهم اضطرّوا الى مغادرة مراكزهم ولحق الذين بقوا منهم بمحنٍ شتّى فمنهم من نُفوا ومنهم من حُبسوا وقُتلوا . وتمكّن الآباء الفرنسيسيّون في جهات مرعش وعينتاب ان يحفظوا مدّةً اديرتهم الى ان دخلت

الدولة الايطاليَّة في الحرب فتفرَّق اكثرهم وتركوا مراكزهم تحت رحمة بني عثمان

وما عاين رؤساء الاراضي المقدَّسة لوائح السلام حتَّى فكَّروا في فتح اديرتهم والاسراع الى خدمة الباقين من النصارى بعد نكباتهم الفادحة . فتقدَّم حضرة الرئيس فرديننتدو ديوناليفي الى بعض رهبانهِ بان يذهبوا الى رسالتهم في ولاية حلب وما كان ليظنّ انَّهم بعد إعلان الهدنة سيصيبهم شيءٌ من البلايا وانه يرسلهم كالسيد المسيح مثل خرافٍ بين الذئاب . فلبَّى المرسلون دعوة رئيسهم بكل نشاط غير مبالين بالاخطار وساروا الى مراكزهم في اياول من السنة ١٩١٩ فمرَّ عليهم اربعة اشهر وهم في جوزة الكماليين والعصابات الثائرة يتحمَّلون ضروب الشدائد ويقاسون الاوجاع الوانًا الى أن قتلوهم بغضاً بدينهم وغيرتهم الرسوليَّة في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ . ولم يبلغ خبرهم اليقين الى رؤسائهم الَّا بعد مدَّة . فلمَّا تحقَّق حضرة رئيس الاراضي المقدَّسة الفائق الاحترام صحَّة الخبر امر باقامة جناز حافل لراحة نفوسهم ووجَّه اليهم بالرسالة الآتية التي ضمَّنها المعلومات المفيدة عن استشهادهم وعرَّبها حضرة الاب ليونردو عقليان رئيس الآباء الفرنسيسكان في صيداء فنشرتها جريدة البشير في ١٦ ك ٢ ١٩٢١ :

الى الآباء والاخوة ابناء الرهبنيَّة الفرنسيسيَّة في الاراضي المقدَّسة تحيَّة وسلام بالربّ

مضت علينا مدَّة من الزمان ونحن بقلق عظيم ننتظر من يوم الى يوم ومن شهر الى آخر خبرًا ما مفرحاً عن اخوتنا المرسلين الموجودين بقيليقية يزيل عنَّا وعنكم الغمّ والاكتئاب من جرَّاء انقطاع اخبارهم كلّ هذه المدَّة حتَّى بلغنا اخيرًا الخبر المحزن الذي ازاح لنا الستار عمَّا اصابهم هناك اذ ذاقوا مرارة الموت بانواع مختلفة في الآونة الاخيرة لداعي انَّهم مسيحيُّون وكاثوليكيُّون وفرنسيسيُّون

وكنَّا فيما مضى غير قادرين على الشخوص بذاتنا الى رسالاتنا رغم ما بذلنا من الجهد والاجتهاد لهذه الغاية نظرًا للموانع الجمَّة التي كانت تحول دون اتمام المرغوب : فاضطرَّنا الامر الى ارسال تحارير جمَّة لكثيرين من ارباب السلطة هناك وألححنا بالسؤال بصورة محرجة كي يفيدونا صريحاً عنهم . فوردت الينا الاخبار

الحقيقية منهم واذا هي تتضمن الاثبات للرأي العام على انَّ اخوتنا هناك أُعدموا عن آخرهم في وسط ميدان اعمالهم الرسولية كجنود امناء وباذلين حياتهم حبًّا بفاديهم الالهي وحفظاً للقطيع المسلَّم اليهم

وعليه نبأتكم أيها الاخوة الاعزاء الاخبار الصحيحة المدعومة بشهادة الوكلاء من قبلنا لتطلعوا على تفاصيلها المحزنة والمفرحة معاً. داعينكم الى تقدمة الاسمافات لراحة نفوسهم ان كان ثمة احتياج الى ذلك لأنَّ من يقبل الموت صوناً لايمانهِ وحفظاً لاعتقادهِ وذوداً عن خرافهِ لا شكَّ في انهُ ينال السعادة الابدية كما هو اعتقادنا المكين بان اخوتنا هؤلاء حازوا اكليل الاستشهاد المجيد بثباتهم العجيب واحتمالهم الموت حبًّا بفاديهم الالهي

وكان بودنا ان نسهب الكلام عن كلّ واحدٍ منهم غير انَّ شدَّة وطأة الحزن تمنعنا عن الاسهاب ويتوقف القلم جزعاً والتياعاً. لكننا اظهاراً لأعمالهم المجيدة وتبياناً لسامي جهادهم المقدَّس اتينا برسالتنا هذه ذاكرين لكم أيها الاخوة الاعزاء كلّ واحد منهم على حدة بوجيز الكلام آملين ان يقوم غيرنا بهذه المهمَّة الشريفة احسن قيام في ما يأتي من الايام فنذكرهم الآن حسب تاريخ دخولهم في رهبانيَّتنا المقدَّسة فنقول :

*

انَّ الاب فرنسيس دي فكتوريو من روتيليانو (ايطالية) والاخ الفرد دوللينتس من ماجيسز (هنغارية) والاخ سلفاتوري-اباتيني من بيزولي ثلثة من اخوتنا وجَّهناهم في ايلول سنة ١٩١٩ الى رسالتنا في قرية «مجوك دره سي» بجوار مرعش التي كانت بحالة الخراب في غضون الحرب العمومية فاعتمدنا على ان نقيمها ثانيةً باذلين كل نفيس في مساعدة وإسعاف مَنْ بقي من المسيحيين الذين عادوا الى وطنهم فقدَّمت لهم ترأسانطة ما كانوا مفتقرين اليهِ من لوازم المعيشة وفتحتْ لهم ميتماً يجمع فيهِ اليتامى التاعسين الذين بلغوا منذ الابتداء الثلثين عدًّا

وكان اخوتنا المرسلون الثلثة المتقدّم ذكرهم باذلين كلّ ما باستطاعتهم لتخفيف بلايا ومصائب ابنائهم هناك مشتركين معهم بأفراحهم واتراحهم سالكين نحوهم

سلوك اب وطبيب وصيدليّ ومعلّم وكاهن حيث لم يكن هناك من ملجأ لهم سوى المرسلين المذكورين

على انهُ لدى انفجار بركان مذابح كانون الثاني المتصرم اصبح مرسلونا بخوفٍ عظيم. وكان قلقهم على الايتام والمسيحيين اكثر منهُ على انفسهم - غير انَّ احد الاتراك من سكان تلك القرى المدعوّ «ليمان اوغلي عليّ» تقدَّم الى الرئيس ورفقائهِ واخذ يطمئنهم ويشجّعهم بظاهر الصداقة والاخلاص. ودعا اخوتنا الى الذهاب هم والايتام جميعهم مع ما يستطيعون جلبهُ من الاشياء البيتيَّة وما يقدرون على حملهِ وذلك الى منزلهِ الذي لا يبعد كثيراً عن الدير حيث يجدون لهم ملجأً امينًا. وكان قد اعدَّ على قولهِ محلّات مختلفة لاضافة جميع المسيحيين

فلبَّى المرسلون الدعوة شاكرين وانتقلوا صحبة الايتام والمسيحيين بكل ما لديهم من الاثاث الى بيت المضيف واخذوا قليلًا من الراحة والطعام. ولم يمضِ الَّا قليل من الزمان وهم يتحادثون مع صاحب البيت حتى طرق آذانهم صوت إطلاق بندقيَّة من الخارج. فاندهش اخوتنا وسألوا ليمان المذكور عن السبب. فما كان منهُ الَّا أن اظهر ما يُبطنهُ من الخبث وما يكمنهُ من الخداع والخيانة وأخرج غدَّارةً واطلقها على الرئيس واخوانهِ دفعاتٍ متكرّرة اجابةً على سؤالهم وقتلهم وهم عُزَّل بينما كان شركاؤه الاسافل المتوحّشون طبقاً للاتفاق السابق بينهُ وبينهم يذبحون الايتام والمسيحيين فلم يُبقوا على احدٍ منهم ثمَّ نهبوا الموجودات من الكنيسة والدير وبيوت المسيحيين واحرقوا ما بقي

وقد حدث هذا الامر الفظيع كما بلغنا في ٢٣ كانون الثاني. وفيما نحن آخذون باحتفال تذكار خطبة مريم البتول المثلَّثة القداسة طارت نفوس اخوتنا الى مشاركتها بأفراح عرسها في السماء

*

ثمَّ انَّ الاب البير من كافي كان رئيساً على رسالتنا في قرية ينيجه قلعه وقد قام بوظيفتهِ احسن قيام نحو المسيحيين مدَّة الحرب العموميَّة فكان يتنقَّل من قرية الى اخرى في طلب وجمع شتات المسيحيين المتفرّقين في تلك الاصقاع معزّياً ايَّاهم في

كربتهم . فلمّا اتى الفرج وعاد الى رسالته العزيزة اخذ يصلح ما قد خرب بغيرة ونشاط لا يعرفان الملل . واذا بالاتراك هجموا على القرية وقتلوا بحدّ السيف شرّ قتلة الاب البير وجميع المسيحيين

*

امّا الاب اسطفانوس بالنقاتيان من مرعش فكان رئيساً منذ سنين غير قليلة على رسالتنا في دن قلعه . وقد احبّهُ المسيحيّون كثيراً اذ شاهدوا فيهِ قلب ابٍ وراعٍ ومرشدٍ ساهر . وقد شارك قطيعهُ العزيز مدّة الحرب في احزانهِ واوجاعهِ غير انهُ أُكره على السير في طريق المنفى . فلمّا أُتيح لهُ العَوْد الى رسالتهِ المحبوبة جمع العيال المتشتة واصلح ما كانت أخربتهُ ودمّرتهُ ايدي الأئمة الظالمين واذا بعاصفةٍ جديدة هبّت على دن قلعه نحو ٢٣ك٢ فهجم الاتراك بقيادة المدعو مصطفى النجّار على القرية التعيسة واضرموا النار في منازل المسيحيين فهرب هؤلاء . والتجأوا الى ديرنا . ثمّ اجتمع الجميع في الكنيسة فأحاط بها الاتراك من كلّ جانب واخذوا يطلقون بنادقهم عليها . غير انّهم حبّاً بتوفير الجبخانة اتّخذوا اقرب الوسائل اشباعاً لجشعهم وحقدهم فاوقدوا النار في الدير والكنيسة فذهبت تلك النفوس ضحيّة النار والأنقاض المتردّمة واضحت الكنيسة بعد ما كانت ملجأً ومصلّى لهم مذبحاً ومقبرة

*

ثمّ انّ الاخ يوسف عقّليان من مرعش كان احد مرسلينا في دير وطنهِ فعندما دخل الاتراك المدينة في كانون الثاني المنصرم ابرزوا الحكم المبرم بالنفي على جميع المسيحيين . فامتثل اخونا مكرهاً وتبع رفقاءهُ مشاطراً اياهم التعب المذيب والسير المضني حتى وصل آطنه في ١٥ شباط وسط البرد القارس سائراً في طرق صعبة ومفاوز وعرة منهزماً من وجه الجند التركيّ المتوحّش محروماً من كلّ معونة مضنوك القوى واذ ذاك شعر انهُ اشرف على الموت فاسرع رفقاؤهُ في البؤس والشقاء مقدّمين لهُ المقويّات والمنعشات فلم يُجْدهِ كلّ ذلك نفعاً . فاسلم روحهُ في يد فاديهِ الالهي بعد قليل من الزمن بحضور الاب ماتيرن موري رئيسهِ وشريكهِ في المنفى

*

اما الاب ليونردو بلوتكي من اوسيمو (ايطالية) فهو الاخير في مصافّ جند الله

في مصاف الشهداء . انتقل هذا الكاهن في شهر تشرين الاوَّل المنصرم الى مدرستنا في حلب حيث تقلَّد وظيفة وكيل الخرج وتعليم صناعة التصوير التي كان بلغ فيها حدَّ الاتقان حتَّى انهُ كان يماثل احسن المصوِّرين برسومهِ اللطيفة . وكان ذا غيرةٍ ونشاط في احياء تلك المدرسة مهما كلَّفهُ الامر مشقَّة وعناء فسافر الى القدس لقضاء مصالح هذه المدرسة العزيزة لديهِ . وحينما وصل في ٢٠ آب المنصرم بالسكَّة الحديديَّة الى محطَّة خربة الغزال على طريق حيفا هجمت قوَّة من العربان واكرهتهُ هو ورفقاءهُ على النزول من السكَّة واطلقوا عليهِ طلقتين اصابهُ الاوَّل في صدرهِ والآخر في فمهِ ثمَّ عرَّوا جسدهُ ورفعوهُ على خازوق . وقد اخبرنا بذلك رفقاؤهُ بالسفر الذين شاهدوا عذابهُ وميتتهُ هذه الفظيعة المؤثرة . والمذكورون لم يزالوا في قيد الحياة . وقد ذكرتها الجرائد العربيَّة في حينها

*

والآن بما ان اخوتنا هؤلاء السبعة الشهداء فارقوا هذه الفانية فنحن نعتقد اعتقاداً متيناً ثابتاً انهم نالوا اكاليل الشهادة وحازوا على السعادة الخالدة مكافأةً على بذلهم حياتهم وسفك دمائهم حبًّا بفاديهم الالهي وغيرتهم القويَّة على حفظ رعاياهم ضمن حظيرة الايمان القويم

وبما ان البشر ختموا مؤتمر الصلح والسلام فلا شكَّ انهم يتضرعون الى الله سبحانهُ وتعالى الذي وحدهُ يستطيع ان يعطي العالم السلام الحقيقي فيصبح هذا السلام سائدًا على الكون كافةً وبذلك يعود البشر الى الحب المتبادل ويكونون كأخوة دافعين كل طمع وجشع من قلوبهم وافكارهم . وسنبتهل نحن ايضاً لاجل حفظ اقليم الارض المقدَّسة من كل ضرر وشرّ لكي يحرسهُ الرب بشفاعتهم ويعضدهُ ويغمرهُ بغيث نعمهِ الفائضة كما انهم قد سقوهُ بدمائهم فيستريح ويحيا وينمو بروح الحب الالهي المسيحي الى الابد

صفحة منسية من تاريخ تونس (١٥٥٠)

للاب لويس شرل اليسوعي

تقتطف هذه النبذة التاريخية من كتاب طُبع في العام الماضي في باريس كتبهُ احد المرسلين اليسوعيين في الجزائر الاب لويس شرل الذي توفي سنة ١٩١١ قبل نجاز تأليفهِ هذا فنشرهُ خديثاً الاب روزيت واهداهُ الى المشرق وهذا عنوانهُ

R. P. Louis Charles : Les Jésuites dans les Etats Barbaresques, Algérie et maroc. Ouvrage posthume publié par le R. P. A. Rosette, *Paris, P. Lethielleux,* 1920, *in*-16, *VI*-136

والنبذة المذكورة تفيدنا عن حوادث قلَّما اتَّسع في ذكره المؤرخون فاستخرجهُ الاب شرل من سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة وبعض التواريخ الاسبانية

شرقيّ سوسة احدى حواضر بلاد تونس على ساحل البحر المتوسّط بازاء جزيرة صقلية مدينةٌ شهيرة تُدعى المهديَّة استحدثها سنة ٩١٦م المهديّ عبيد الله اوَّل الخلفاء الفاطميين قريباً من مدينة قديمة كانت تسمَّى افريقة (Africa) وجعلها كرسيّ مملكته. قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ١٤٥): « انَّها على طرف داخل في البحر كهيئة كفٍّ متَّصل بزند والبحر محيط بها غير مدخلها وهو مكان ضيّق مثل سَبْتة وحصَّنها بسور شاهق في الهواء بالحجر الابيض بأبرجة عظام وابتنى بها القصور الحسنة الشارعة على البحر والظاهرة منهُ وابتنى الناس بالمهديَّة اجلّ الابنية وصارت من اجلّ الامصار »

فهذه المدينة الحريزة كانت في القسم الاوَّل من القرن السادس عشر تحت حكم الدولة الحفصيَّة التي كان كرسيّها في حاضرة تونس الَّا ان سلاطين بني عثمان حاولوا بسط سيطرتهم على سواحل افريقية من الجزائر وطرابلس الغرب وتونس ومراكش وساعدهم على ذلك بعض مشاهير القرصان اخصُّهم خير الدين بربروسة واخوهُ عروج ثم دراغوث وكانوا يعيثون فساداً في تلك الجهات تارةً في سواحل المغرب وحيناً في شواطئ صقلية وايطالية فينهبون ويسلبون ويحرقون ويستبيحون الاهلين اسراً وقتلاً

وكانت صقلّية وقتئذٍ في حوزة الامبراطور شرلكان ولهُ في المغرب وتونس عدّة مستعمرات فرأى في غارات هؤلاء القرصان إجحافاً باملاكهِ ولاسيّما بعد موت خير الدين اذ ولّى السلطان سليمان الغازي المعروف بالقانوني دراغوث على اسطولٍ كبير وقلّدهُ رتبة قبودان باشا فسار الى مدينة المهديّة واذ رآها حرزة منيعة لا يقدر على فتحها دخلها بالمكر والخداع بواسطة احد سكّانها الذي باع وطنهُ بالاصفر الرنّان

فصفا الجوُّ لدراغوث اذ وجد لسفنهِ مرفأً اميناً وحصناً حصيناً وزاد في استحكامات المهديّة التي اتّخذها كرسيًّا لملكهِ وجعل الدفاع عنها حامية من الاتراك فصارت امنع من عقاب الجوّ وكثيرًا ما كان يخرج لمحاربة النصارى فيضبط سفنهم ويغير على سواحلهم ويشنّع في سكّان مُدنها ما شاء.

فاهتمّ الامبراطور شارلكان ليضع حدًّا لهذه الغارات وامر رئيس اسطولهِ الاميرال اندري دُوريا ونائبهُ في صقلّية جان دي ڤيغا بان يزحفا على مدينة المهديّة ويستوليا عليها مهما تكلّفا من المشقّات في ذلك

فتحفّز الاميرال من ساعتهِ لفتح المهديّة وجمع خمسين مركباً حربيّة انضمت اليها بوارج البابا يوليوس الثالث وغرندوقة توسكانة مع فرسان مالطة . وكان جان دي ڤيغا رجلًا دينيًّا فلم يشأ ان تُحرَم جنودهُ من الكهنة في تلك الحملة ليهتمّوا بشؤونهم الروحيّة وكانت الرهبانيّة اليسوعيّة المنشأة حديثاً قد باشرت في صقلّية باعمال جليلة ألفتت اليها نظر جميع الاهلين . وكان رئيسها وقتئذٍ احد مشاهير زمانهِ الاب جاك لَيْنس خطيب المجمع التريدنتيني ونسيج وحدهِ في العلم والعمل فايّاهُ انتدب نائب ملك صقلّية ليسير في رفقة تلك الحملة باذن رئيسهِ العام القديس اغناطيوس دي لويولا

واذ كانت تلك السنة ١٥٥٠ سنة اليوبيل العظيم طلب الاميرال الى القديس ان يلتمس من الحبر الاعظم بان يَمنح غفران اليوبيل الجنود المحاربين

خرج الاسطول من بالرمة في ٢٢ حزيران ١٥٥٠ وكان الاب لَيْنس مع الجيش في مركب النائب الملكي يصحبهُ الاخ المساعد مرتين زُرنوزا ليقوم معهُ في خدمة الجرحى والمرضى . سار الاسطول مدفوعاً بالرُّخاء الى جزيرة قفرةٍ تُدعى فاڤينانة وبلغ اليها بعد يومين . فتقدّم النائب الى الاب لَيْنس بان يخطب في الجيش ففعل وذكّر

الجمهور بصفات الجنديّ المسيحيّ وواجباته نحو خالقه ونحو نفسه وما يتحتّم عليه لقريبه ولاسيّما لرؤسائه . ثمّ واصل الاسطول سيره اربعة ايّام حتّى بلغ المهديّة

وفي سحر ٢٨ حزيران انحدر الجنود الى البرّ دون ان يتصدّى لهم العدوّ وكان دراغوث غائباً فعسكروا هناك فوق ربوة تشرف على المدينة ثمّ شرعوا في حصارها بكل نشاط . على انّ حرارة القيظ لم تلبث ان تضنك قواهم ففتكت الامراض بكثيرين منهم اذ كانوا مضطرّين الى الشغل في الشمس وهم شاكون بالسلاح لئلّا يفاجئهم العدو عزّلاً . فكان الاب لينس والاخ رفيقه لا يدّخران وسعاً في خدمة المرضى واذ لم يقويا على مساعدة الجميع استدعى النائب اربعة من الرهبان الكبوشيين لمعاضدتهما لكن الوباء فشا فيهم بعد قليل فمات اثنان شهيدَي محبّتهما ونُقل الآخران الى المستشفى وأُصيب معهم اكثر من ٥٠ شخصاً من المرضين والاطبّاء والجرّاحين الّا انّ الاب لينس ورفيقه نجوا بنعمة خاصة من الله وتفانيا في خدمة الموبوئين الذين كانوا يعدّون انفسهم سعداء بأن يموتوا بين ايديهما فيقبلون الموت مستسلمين الى رحمة الله ومتأهبين لآخرتهم بقبول الاسرار المقدّسة بكل ندامة وتقى

وبينما كان الجنود ساعين في تضييق الحصار اذ بلغ القبودان دراغوث انّ مدينته في خطر يتهدّدها الفرنج فعاد اليها مسرعاً وانزل ليلاً الى البرّ ١٢٠٠ من الترك والمغاربة مع ألفين من عرب البادية . ففي صباح النهار اتى احد الضبّاط وهو السيّد الفونس بيسنتل مع فرقة من الجند ليطلبوا علفاً للخيل وخشباً . وارسل النائبُ معهم السيّد لويس بيريس دي ڤرغاس حاكم برج العيون (la Goulette) سابقاً مع شرذمة أخرى ليكفّوا العملة من شغلهم ويردّوا عنهم غارات العدوّ

فما علم دراغوث مع جنوده التركيّة انّ هجموا عليهم فالتحم القتال بين الفريقين ودام ساعة وكاد الفرنج يفشلون لقلّة عددهم لولا انّ الخبر بلغ السيّد غرسية الطليطلي فبادر الى معونتهم مع كتيبة من الجند الذين ابلوا احسن بلاء فاوقفوا دراغوث وعسكره وهم يحاولون المرور بينهم ليدخلوا المدينة وينضمّوا الى اهلها . وقد امتاز في تلك الواقعة فرسان مالطة الفرنسويون فكانوا كالجدار الحيّ في وجه العدوّ كما انّهم منعوا اهل المدينة من الخروج لمساعدة دراغوث . وحمي وطيس القتال حتّى دام خمس ساعات ورأى دراغوث كلّ مساعيه خائبة فعاد منكوساً مكسوراً الى سُفُنه ثمّ أبحر

ليطلب له جيشاً آخر فيعود الى الدفاع عن مدينته وهو يحرق الأرَّم على كرته

وكان جيش الفرنج في اثناء ذلك انتهى من تجهيز ادوات الحصار واستعد للهجوم على المدينة فاراد الاب لَيْنِس ان يتأهبوا للامر بقبول الاسرار ورُبح غفران اليوبيل فأعلن ذلك في اطراف المعسكر بضرب الطبول ونفخ الابواق. ولما احتشد الجند ألقى المرسل الغيور فيهم خطاباً غاية في البلاغة والتحمس حضَّهم فيه لإعداد نفوسهم لربح الغفران المذكور وتلا على مسامعهم رسالةً للقديس اغناطيوس يبشِّرهم بهذه النعمة السابغة فدونك تعريبها:

اغناطيوس دي لويولا رئيس الرهبانية اليسوعيَّة العام

حماية السيِّد المسيح ومعونته تحلَّان على كافة السادة والاشراف والقوَّاد الشهام والجنود وسائر المسيحيين الذين يجاهدون في افريقية في سبيل الايمان وبه ينالون الخلاص الابدي

انَّ السيِّد الكلي الشرف جان دي ڤينا والنائب الملكي على صقلِّية والقائد الاعظم على بشتكم المقدَّسة سبق فكتب لي باسمه الخاص وباسم جيشكم الباسل أن التمس من قداسة سيِّدنا الحبر الاعظم البابا يوليوس الثالث ان يمنحكم انتم ايضاً المجاهدين في بلاد غير المؤمنين لمجد السيِّد المسيح وارتفاع شأن ايماننا المقدس نعمة اليوبيل لتربحوا ذلك الغفران الذي يناله الوافدون الى رومية بزيارة كنائسها العظمى. فلتزيد انعطاف قداستهِ نحوكم وبقوة سلطانهِ الرسولي تلطَّف ومنحكم جميعاً تلك النعمة الجزيلة. ولذلك لا بُدَّ لكم ان تنيبوا الى الله بالندامة والاعتراف فيزيد تمسُّكم في محاربة اعداء الصليب على قدر المنَّة التي أفاضها عليكم الربُّ من كرمهِ تعالى وجودة الكنيسة عروسهِ المقدسة. وهكذا تجنون من حربكم ثماره الشهيَّة سواء تلتم الانتصار على الارض او تُرزَقوا بالسعادة الابديَّة بالموت في سبيل الله بعد غفران خطاياكم. وقد حرَّرتُ لكم هذه الرسالة لأعلن لكم بهذه البشرى وختمتها بطابع رهبانيَّتنا

أُعطي في رومية في ٧ تموز سنة ١٥٥٠

فكان اوَّلُ من اجاب الى دعوة الاب لَيْنِس اركانَ الحرب ورؤساء الحملة كالسادة الاشراف ألفنس دي كويڤا حاكم الفوليطة وفرديننت الطليطلي قائد جيش نابولي وألفارو دي ڤينا قائد عسكر صقلِّية وفرديننت ابن اخي النائب الملكي وعدَّة ضبَّاط ومعظم فرسان مالطة. فقضى الاب بضعة ايام وليالي يسمع اعترافاتهم ويوزِّع عليهم الاسرار المقدَّسة ولا يكترث لاتعابهِ لما يجدهُ من التعزية بمعاينة ايمانهم وتقاهم ثمَّ حدَّدوا يوماً للغارة العموميَّة على البلد في ١٠ ايلول. واذ بلغ المحاصرين

انَّ اهل المدينة اعدُّوا متاريس واستحكامات قويَّة وراء السور حيث نووا فتح ثلمتهم غيَّروا للحال خطَّة هجومهم من البرّ وقصدوا الهجوم من جهة البحر التي كان اهمل المهديون تعزيزها. ففي عصر النهار باشرت السفن باطلاق بطاريَّاتها على الاسوار فدكَّتها ونقضت ابراجها وللحال هجم الجنود الاسبانيُّون كالسيل الجحاف لا يلوون على شيء. فدخلوا المدينة وناوشوا القتال الحاميةَ الاتراك ببأسٍ وحماس عجيب لم يقوَ الاتراك على ردّهِ فهربوا من وجههم وسقط منهم صرعى في ساحة الوغى الف ومئتان وأُسر تسعة آلاف . وقُتل من الاسبانيين خمسمائة وجُرح قرب الالف وكان من جملة القتلى فرديننذ الطليطلي امير الاي جيش نابولي وفرننذ لوبو امير الاي جيش لمبَرْدية وعدَّة قوَّاد وفرسان كور ورويدا وسُرَّاغا واولُوَا وموزوا

فاسرع الاب لينس في ١٤ ايلول وكتب الى رئيسهِ القديس اغناطيوس يبشّره بهذا النصر المبين وهذا تعريب رسالتهِ :

انَّنا والحمد لله بتمام العافية . ولديَّ بشرى سارَّة يجب عليَّ تبليغها لحضرتك وهي انَّ ربَّنا السيِّد المسيح في يوم الاربعاء الواقع في ١٠ ايلول تنازل بنعمة خاصَّة من جلالهِ ومكَّننا من فتح مدينة افريقة (المهديَّة) . وفي هذا اليوم الاحد قد دخلنا جامع البلد وكرَّسناهُ كنيسةً على اسم القديس يوحنَّا المعمدان . وقد أُقيم فيها قداس حافل التيتُ في خلالهِ عظةً شكرًا لله تعالى على الظفر الباهر الذي اصبناهُ وقد اوضحتُ للرؤساء والجنود ما يترتَّب عليهم من الواجبات ثمَّ منحنا سرَّ العماد لاربعة اولاد صغار ولرجلٍ جُرح في الواقعة ومات بعد قليل. والامل معقود انَّ هذا الانتصار يعيد الامان للثغور النصرانيَّة ويساعد المرسلين في جذب اهل هذه البلاد الى الايمان المستقيم . وقد سلَّمت كتابي للسيِّد جان اوزوبو من اقارب النائب الملكي في صقلّية ومن اعزّ اصدقاء رهبانيَّتنا . فأحسنوا وفادتهُ حبًّا بالرب الذي نطلب من مراحمهِ ان يصون حياتهُ لمجدهِ.

الحقير لَيْنس

ابن حضرتك بالرب

ثمَّ اهتمَّ الاب لَيْنس قبل رجوعهِ الى ايطالية باختيار كاهن فاضل يقوم بخدمة عسكر الاحتلال . فعيَّن لذلك راهبًا من فرسان مالطة مع خمسة او ستَّة آخرين يساعدونهُ في وظيفتهِ واعطاهُ كل اللوازم لتقدمة الذبيحة الالهيَّة من حلى كنائسيَّة وآنية مقدَّسة

امَّا النائب الملكي فاقام ابنهُ السيِّد الفارو حاكمًا على البلد وعزَّزهُ بحامية عددها ١٥٠٠ جندي موَّنهم بذخائر حربيَّة كافية . وكان قصدهُ ان يعود بنفسه الى صقلّية

في ٢٥ ايلول لولا نوء عظيم قلب البحر ظهراً لبطن غرق بسببه سفينتان من الاسطول . وكانت سفينة النائب الملكي عتيقة متداعية الالواح وعليها الاب لينس فضايقتها الامواج حتى أيس الجميع من خلاصها وتمكن النائب ان ينزل الى البر ودعا اليسوعي الى مرافقته لينجو بنفسه فأبى لئلا يهجر الجند في خطرهم فمنّ الله عليهم بالنجاة بنعمة خاصة نسبها الجميع الى قداسة الاب لينس وبركته

ثمّ هدأ البحر وأمخر الاسطول الى صقلية في ٥ تشرين الاول وارسى في مدينة تريباني حيث التفّ الجنود حول الاب لينس قبل وداعه وشكروه على عميم فضله نحوهم وطلبوا بركته كبركة احد اولياء الله وملائكته المنظورين . ثم بادر النائب جان دي ڤيغا وارسل الى الحبر الاعظم الرسالة الآتية في تاريخ ١٨ من الشهر :

ايها الاب الاقدس

انّ حضرة الاب الاستاذ لينس الذي رافقنا باذن رئيسه في حربنا الافريقية المنتهية بالظفر قد اظهر طول مدة هذه الرحلة غيرة لا توصف وقام بكل ضروب الاعمال الخيرية . ولكونه ذاهباً الى رومية فقد كلفته بان ينوب عني بتقبيل أقدام قداستكم وبمفاوضتكم في بعض الشؤون الآئلة الى خدمته تعالى وخير حاميتنا في افريقية . فأملي انّ قداستكم تصدقون على ملتمسي كما تنازلتم وقبلتم دعوتي في امر البويل الذي اتى بأغزر الثمار من التقى والصلاح . فليحفظ الرب قداستكم سنين طويلة لتدبير الكنيسة الجامعة

فصار للاب لينس عند بلوغه الى رومية ابهج استقبال واثنى الحبر الاعظم على خدمه المتعددة للكنيسة واعاده الى المجمع التريدنتيني لينوب عنه بصفة لاهوتيه كما كان سابقاً . وما لبث بعد قليل ان خلف القديس اغناطيوس في رئاسته العامة على الرهبانية اليسوعية وتوفي في رومية سنة ١٥٦٥

سلطانٌ يسوعيٌّ : المولى محمّد العبّاس

للمرحوم الاب لويس شرل اليسوعيّ

هو فصلٌ آخر من الكتاب السابق للاب شرل اليسوعيّ (ص ٩٧–١٠٧) . امّا السلطان المذكور فقد اشرنا اليه في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) في ردّنا على جريدة العرب

في ٢٥ ايلول لولا نوء عظيم قلب البحر ظهراً لبطن غرق بسببه سفينتان من الاسطول . وكانت سفينة النائب الملكي عتيقة متداعية الالواح وعليها الاب لينس فضايقتها الامواج حتى أيس الجميع من خلاصها وتمكن النائب ان ينزل الى البر ودعا اليسوعي الى مرافقته لينجو بنفسه فأبى لئلا يهجر الجند في خطرهم فمنّ الله عليهم بالنجاة بنعمة خاصة نسبها الجميع الى قداسة الاب لينس وبركته

ثمّ هدأ البحر وأمخر الاسطول الى صقلية في ٥ تشرين الاول وارسى في مدينة تريباني حيث التفّ الجنود حول الاب لينس قبل وداعه وشكروه على عميم فضله نحوهم وطلبوا بركته كبركة احد اولياء الله وملائكته المنظورين . ثم بادر النائب جان دي ڤيغا وارسل الى الحبر الاعظم الرسالة الآتية في تاريخ ١٨ من الشهر :

ايها الاب الاقدس

انّ حضرة الاب الاستاذ لينس الذي رافقنا باذن رئيسه في حربنا الافريقية المنتهية بالظفر قد اظهر طول مدة هذه الرحلة غيرة لا توصف وقام بكل ضروب الاعمال الخيرية . ولكونه ذاهباً الى رومية فقد كلفته بان ينوب عني بتقبيل أقدام قداستكم وبمفاوضتكم في بعض الشؤون الآئلة الى خدمته تعالى وخير حاميتنا في افريقية . فأملي انّ قداستكم تصدقون على ملتمسي كما تنازلتم وقبلتم دعوتي في امر البويل الذي اتى بأغزر الثمار من التقى والصلاح . فليحفظ الرب قداستكم سنين طويلة لتدبير الكنيسة الجامعة

فصار للاب لينس عند بلوغه الى رومية ابهج استقبال واثنى الحبر الاعظم على خدمه المتعددة للكنيسة واعاده الى المجمع التريدنتيني لينوب عنه بصفة لاهوتيه كما كان سابقاً . وما لبث بعد قليل ان خلف القديس اغناطيوس في رئاسته العامة على الرهبانية اليسوعية وتوفي في رومية سنة ١٥٦٥

سلطانٌ يسوعيٌّ : المولى محمّد العبّاس

للمرحوم الاب لويس شرل اليسوعيّ

هو فصلٌ آخر من الكتاب السابق للاب شرل اليسوعيّ (ص ٩٧–١٠٧) . امّا السلطان المذكور فقد اشرنا اليه في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) في ردّنا على جريدة العرب

انَّ لله عجائب في تغيير قلوب الانام من شأنها مرارًا ان تحيّر الحكمة البشريَّة . وقد لاحت عنايتهُ تعالى في ارتداد احد سلاطين مراكش فهداهُ بطرائق سرّيَّة الى الدين النصرانيّ ثمّ ادخلهُ في حجر الرهبانيَّة اليسوعيَّة . وقد وقع ذلك في السنة ١٦٥٥ في شخص المولى محمّد العبّاس ابن وليّ عهد سلطان فاس المولى عبد الملك(١

وُلد محمّد العبّاس سنة ١٦٣١ . وكانت امُّهُ نصرانيَّة اسبانيَّة فنشأ الولد ذكيّ الفؤاد ثاقب العقل أعرب بعد زمن قليل عن مناقب جليلة وحُنكة في الآداب الحربيَّة ثمّ اقترن بالزواج وولد لهُ ابن اسمهُ احمد وصار نائبًا لعمهِ السلطان محمّد الشيخ المعروف بالاصغر (٢ الذي كان يستشيرهُ في كلّ اموره ويفضل رأيهُ على سواهُ في الحرب والسِلم . وقد ظهرت شهامتهُ وحسن مراسهِ في محاربة اثنين من قوّاد الدولة شقّا عصا الطاعة للسلطان فظفر بهما الواحد بعد الآخر وألجأهما الى الخضوع لمولاهما . وشكرًا لنعمتهِ تعالى على انتصارهِ في هاتين الحملتين عوّل على الحجّ الى مكّة ليفي بما فُرض من ذلك الواجب على كلّ مسلم غيور . وانمّا نعمة الله كانت تترقّبهُ في سفرتهِ هذهِ

خرج محمّد العبّاس من فاس بصحبة بعض الموالي وباشر سفرهُ متنكّرًا كاحد اعيان وطنهِ وأبحر اوّلًا الى تونس حيث استقبلهُ ملكها الباي بمزيد الاكرام لأنّهُ كان حالفًا للسلطان . ثمّ ركب سفينة شراعيَّة انكليزيَّة ابحرت من تونس وذلك بمشورة الباي الذي وجدها مجهّزةً بادوات الحرب وناشرةً لواء دولةٍ مسالمة لجميع الدول النصرانيَّة فظنّ انّ لا خوف عليها من عدوّ في طريقها

فما كادت السفينة تخوض البحر اذ أبصر بها اسطولُ فرسان مالطة فامروا رئيسها بالوقوف لتفتيشها رسميًّا وتهدّدوا بضربها ان لم يخنع الى الامر . فلم يرَ بُدًّا من الخضوع فبعد التفتيش اوقفوا المولى العبّاس واخذوهُ اسيرًا الى مالطة

---

١) تولّى ابوهُ السلطان ابو مروان عبد الملك بن زيدان الملك على فاس سنة ١٠٣٧ه وقتلهُ اخوهُ

٢) هو ابو عبدالله محمّد الثالث الشيخ ابن زيدان سلطان فاس ملك بعد ان قُتل اخوهُ الوليد على مراكش في ١٥ رمضان ١٠٤٥ ه. الى السنة ١٠٦٤ وقيل ١٠٦٣ (١٦٣٥–١٦٥٤م) وكان الحقّ بالملك بعدهُ لابن اخيهِ محمّد العبّاس

فلمّا وقع نظر رئيس الفرسان على الاسير عرف بوقتهِ انهُ من اعيان وطنهِ بل استدلّ من بعض الاوانح انهُ من قرابة سلطان مرّاكش ومن ثمَّ طلب منهُ مبلغاً وافراً يفدي بهِ نفسهُ فبلغ الامر باي تونس فاسرع وجمع ١٠٠٫٠٠٠ ريال لفكّ إسارهِ

على انَّ ذلك لم يتمّ الّا بعد ثمانية اشهر لقي الاسير في مدّتها من حسن المعاملة والانس ما قرّبهُ الى النصرانيّة ودرّس عقائدها ومعارضتها على دينهِ حتّى قنع بصحّتها ولم يشأ بعد افتدائهِ من الاسر ان يعود الى وطنهِ بل اعلن في ١٢ حزيران من السنة ١٦٥٦ انهُ يريد ان يتنصّر . فامتحن الفرسانُ صدق نيّتهِ وثباتهُ وزادوهُ معرفةً بالدين المسيحيّ مدّة اربعين يوماً . ولمّا وجدوهُ مصمّماً على قصدهِ عيّنوا لعمادهِ آخر يوم من تشرين

فلمّا كان موعد تنصّرهِ اخذ لهُ كفيلاً امير فرسان مالطة الكرمندور بلتزار مَندس واراد ان يسمّى باسمهِ مضيفاً اليهِ اسم لويولا لوقوع عيد القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة في ذلك اليوم . ثمَّ تنزّل عن حقّ الملك على فاس لابنهِ احمد (١ وعُرف مذ ذاك باسم بلتزار لويولا مندس

واوّل ما فكّر فيهِ بعد تنصّرهِ ان يزهد بالدنيا ويعيش ناسكاً في بعض البراري كرهبان الصعيد ثمَّ اوحى اليهِ الله بان يخصّ نفسهُ لخدمة النفوس ولاسيّما لخلاص اهل وطنهِ فعزم لذلك على درس العلوم الدينيّة . فقصد رومية العظمى وبعد مدّة طلب الانضواء الى الرهبانيّة اليسوعيّة . لكنَّ الرؤساء قبل التلبية الى ملتمسهِ اوعزوا اليهِ بدرس اللغة اللاتينيّة مدّة ثلث سنين وارسلوا احد رهبانهم من مدينة مالقة الى فاس ليتّخذ سرّاً كلّ المعلومات عن المولى الشريف . فأدّى بهِ بحثهُ الى صحّة نسبهِ الى السلاطين وشهد على ذلك بعض تجّار النصارى ورهبانهم في فاس مثبتين شهادتهم بالقسم مؤكّدين انَّ بلتزار لويولا مندس هو حقيقة ابن سلطان فاس عبد الملك بن زيدان

فلم يبق لرؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة شكٌّ في صدق الشريف المتنصّر فقبلوهُ بين

---

١) أنَّ الذي ملك بعد السلطان محمّد الشيخ بن زيدان على فاس هو احمد الثاني ابو عبّاس ابن عمّهِ من السنة ١٠٦٥ الى ١٠٦٩ ه (١٦٥٥–١٦٥٨) لكنَّ اخوالهُ رامو الاستبداد بهِ ثمَّ قتلوهُ وبايعوا الامير عبد الكريم الثاني . وبأحمد هذا انقرضت دولة السعديين من آل زيدان في مرّاكش .

رهبانهم وبعد امتحانهِ كطالبٍ ثمَّ انقطاعهِ الى درس اللاهوت النظري والادبي ساموهُ كاهناً . وكان في ذلك الوقت في لومانات (اي كورك) مدينتَيْ جنوة ونابولي وعلى السفن الراسية في مرافئ ايطالية عدَّة اسرى حرب من المسلمين فوكلوا الى الاب بلتزار ان يرشدهم . فباشر بالعمل بغيرة وايثار عجيبين وتفانى بخدمة اولئك المنكوبين فربحهم لدين المسيح وصبغ منهم بمياه المعموديَّة نيفاً والفين . وارسل الى احد علماء فاس وطلبهُ الى جنوة وهناك اوضح لهُ صحَّة الدين المسيحي بأدلة قاطعة دفعتهُ الى طلب التنصُّر فارسلهُ الاب بلتزار الى فلورنسة حيث حظي بنعمة العماد

على انَّ هذه الارتدادات اثارت على الاب مندس غضب بعض المسلمين المتعصبين في جنوة فأقسم الواحد منهم بان يسقيهُ السمَّ او يُفقدهُ عقلهُ . فقدَّم لهُ طاقةً من الزهور كان غمسها في محلول مسموم وتلا عليها اقوالاً سحريَّة . فوقف الاب على نيَّتهِ وقال لهُ : اني عالمٌ بانك تريد ان تقتلني او تُفقدني الرشاد . وها انا استنشق هذه الزهور وروائحها السامَّة ولكن على شرط ان تتنصَّر ان لم اشعر بأذىً . ثم اخذها من يدهِ وشرع يستنشق بكل هدوءٍ عبيرها ساعةً . فلمَّا رأى ذلك الاثيم انَّ الاب بلتزار لم يلحق بهِ ضرر من سمّهِ وسحرهِ خرَّ على قدميهِ وطلب منهُ السماح عن فعلهِ وتنصَّر بعد زمن قليل

ومع وفرة الاشغال التي كان الاب بلتزار مندس مرتبكاً بها في خدمة مواطنيهِ استصوب تأليف كتاب يبيِّن فيهِ لاهل دينهِ صحَّة التعاليم المسيحيَّة ويفند مزاعمهم الباطلة في حقّهِ وكان ألَّف قبل تنصُّرهِ عدَّة تآليف . ثمَّ انشأ جمعيَّة من وجوه مدينة جنوة ليقوموا في صوالح المتنصرين حديثاً

وبقي الاب المذكور يعلّمهم ويرشدهم ويؤدي لهم كلَّ الخدم حتَّى انتدبهُ رؤساؤهُ الى مهمَّة اعظم واوسع نطاقاً . فتقدَّم اليهِ الرؤساء في تموز من السنة ١٦٦٧ ان يستعدَّ للسفر الى الهند ليبشر بالايمان المشركين من اهل تلك الجهات وكان اذ ذاك عمرهُ ٣٦ سنةً . وكان كبير القامة حسن البنية ناصع اللون جميل المنظر ذا عقل ثاقب راضي الطباع دمث الاخلاق كثير الانس واللطف . وكان ينبغي عليهِ ان يذهب اولاً الى مدينة لسبونة عاصمة البرتغال ليركب هناك البحر الى الاقطار الهنديَّة فسافر من جنوة ورافقهُ احد الخدَّام ليقوم بحاجاتهِ في هذا السفر الطويل الشاقّ

ويعتني بمرضه

لمّا وصل الى مدينة أرل حظي فيها بمشاهدة الامير الكومندور مندس الذي كان وقع في اسره واعتمد بوكالته وتسمّى باسمه فسُرَّ الامير بنظر الاب ايّ سرور واعترف اليه بذنوبه اعترافاً عاماً والحّ عليه ان يأخذهُ معهُ الى الهند ليرافقهُ في رسالته

وخرج اهل بيزيه (Béziers) للاقاته فاستقبلوهُ برونق عظيم وكلّ تجلّة واكرام . ولقي هناك بعضاً من جالية الفرنسويين الذين سكنوا في فاس منهم احد المصوّرين كان رسم صورتهُ في وطنهِ ومنهم ايضاً احد الرهبان الدومنيكان . وكان اهل المدينة يتقاطرون الى منزلهِ ليشاهدوهُ ويسمعوا حديثهُ . وزارهُ رئيس الآباء الدومنيكان مع سبعة من رهبانهِ وخطب مثنياً على فضائلهِ وهو لا يناديه الّا باسم «جلالة السلطان» وكذلك اتى ليزوره الرهبان الاوغسطينيّون والفرنسيسيّون فتقدّموا لهُ فرائض الاكرام . ومثلهم فعل اعيان البلد واميرا فرسان مالطة دي كَسْتِلمانه ودي كالو (de Castelmanet et de Calaux) اللذان كانا تمّما بمراجعتهِ في مالطة اذ كان اسيراً وكانوا جميعاً يجلّونهُ ويوقّرونهُ . وتوفّق احد المصوّرين البارعين الى رسم صورتهِ على غير علمهِ . وهذه الصورة اليوم في بيت أُسرة سُون (Saune) الشريفة

وهكذا ايضاً خفّ لاستقبالهِ اهل طولوز بغاية الأُبهة . ودعاهُ رئيس الآباء اليسوعيين الى اقامة قدّاس صادح في يوم عيد القديس يعقوب الرسول حضرهُ كافّة الرهبان وكثيرون من اشراف البلد فتناولوا القربان من يدهِ . وفي الغد دعاهُ رئيس اساقفة المدينة الى مائدتهِ وزارهُ الحاكم واخصّ الاعيان . وطلب اليهِ السير دي سان پابول احد اماثل البلد مع فرسان مالطة ان يقيم الذبيحة المقدّسة في معابد الجمعيّات الرهبانيّة . وكان الاب يجيب الى ملتمس الجميع بكل سذاجة ولطف اجتذب بهما قلوب العموم . وكان الناس يرون في هيبتهِ ورزانتهِ صورة العظمة الشرقيّة

على انّ اتعاب هذا السفر الطويل الذي تجشّمهُ في ابّان القيظ أثّرت في صحّتهِ تأثيراً سيئاً . فلمّا وصل الى مدريد اهتزّ البلد طرباً لوصولهِ لكنّهُ بعد يومين اضطرّ الى ملازمة الفراش لحمّى شديدة أضنتهُ ونهكتهُ . فدُعي اربعة من اشهر الاطبّاء لمعالجتهِ فلم يألوا جهداً في خدمتهِ لكنهم تحيّروا بعد قليل انّ مرضهُ عياء لا شفاء لهُ . فعرف الاب حالهُ واستعدّ لآخرتهِ بكل تقى . وقد اسعدهُ الحظ قبل موتهِ ان

يربح نفساً ضالّة من مواطنيهِ المهاجرين الى اسبانية

وذلك انَّ احد اطبّائهِ كان في خدمتهِ شابٌ مسلم عمرهُ سبع عشرة سنة واصلهُ من مملكة فاس. وكان الطبيب سعى في هدايتهِ الى النصرانيَّة فخاب سعيهُ. فذكرهُ للاب بلتزار وهو على وشك النزاع فقال لهُ المريض: هلمَّ بهِ اليَّ. فلمَّا دخل عليهِ استقبلهُ بكل وداد وبشرٍ باسم وكلّمهُ بالعربيَّة بلطفٍ وبغاية الانعطاف. وكان الحضور لا يدركون معنى كلامهِ الّا انَّهم بعد ساعة رأوا ذلك الشاب يذرف الدموع السخينة ويقبّل الصليب الذي كان في يد المريض ثمَّ طلب العماد وهكذا ربح الاب مندس تلك النفس قبل وفاتهِ للدين المستقيم. ثمَّ حاول الاب ان يصلّي الى خالقهِ صلاته الاخيرة قبل ان يجود بنفسهِ فلفظ صارخاً مع سمعان الشيخ: « اطلق يا ربّ عبدك بسلام » فما اتمّها حتّى اسلم روحهُ لبارئهِ وذلك في ١٥ ايلول سنة ١٦٦٧

فلمَّا شاع الخبر في المدينة عمَّ الاسف اهلها لهذا المصاب الاليم. وامرت ملكة اسبانية التي كانت سبقت الجميع لمواجهتهِ عند وصولهِ بان يُحتفل بجنازتهِ احتفال الملوك. فحضر هذه الحفلة جمهور غفير يتقدّمهم كل ارباب الدولة فخطب فيهم احد الآباء اليسوعيين ووفّى المرحوم الكريم حقّهُ من الثناء. وبهذه الميتة الصالحة مجّد الله ذاك العبد الامين الذي اتّضع حبًّا بهِ. وكان الامل الوطيد انَّ رسالتهُ في انحاء الهند ستأتي عن يدهِ بالثمار الشهيَّة لخلاص اولئك المتسكعين في ظلام الموت فاكتفى الله بحسن نيَّة عبدهِ الذي كان يشتهي ان يهرق دمهُ في خدمتهم فاسرع الى جزائهِ في اخدار ملكوتهِ

وقد كتب ترجمة حياتهِ الاب اغناطيوس دي ڤير اليسوعي سنة ١٧١٤. وجمع الاب دانيال بروناشي عدَّة كتابات ومعلومات عن تاريخهِ في مجلّدين. وصنَّف بعضهم روايةً في ارتدادهِ شخّصوها مرارًا على المسارح

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

ومما يدلّ على اتساع فنّ الحدادة بين نصارى العرب وكثرة اسلحة ملوك الحيرة. فقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٢٠: ١٣٢) انّ النعمان بن المنذر لمّا خاف كسرى وحاول الفرار من وجهه استودع مالهُ هانئَ بن مسعود الشيباني وكان في جملة وديعته «الف شكّة ويقال اربعة آلاف شكّة. والشكّة السلاح كلّه». وكان للنعمان بن المنذر كتائب مدجّجة بالاسلحة الحيريّة اخصّها كتيبتاه الشهباء والدوسر. وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه (٢: ١٨٠): «الباهوت مسلحة كسرى في الحيرة»

وكانت في بُصرى ايضاً في حوران مصانع اسلحة مشهورة. قال الحصين بن الحُمام يذكر عمرو بن هند ملك الحيرة المعروف بالمحرّق (شرح المفضّليات ص ١٠٨ Ed. Lyall):

عليهنّ فتيانٌ كأنّ محرّقٌ وكان اذا يكسو أجاد وأكرما
صنائعَ بُصرى أخلصتها قيونُها ومُطّرداً من نسج داوودَ يُبهما
يزلّون سُمراً من رماحٍ رُدينةٍ اذا حُرّكت بضّت عواملُها دما

وكانوا يطبعون اسلحتهم ويرسمون عليها النقوش والتماثيل فكان على سيف الحارث بن ظالم صورة حيّتين وانشد (شرح المفضّليات ص ٦١٦):

طوَتْ بذي الحيّات مَفرِقَ رأسهِ وهل يركبُ المكروهَ الّا الاكارمُ

اراد بذي الحيّات سيفهُ لِما كان عليهِ من تمثال الحيّات. وذكر الآخر سيفاً عليهِ صورة سمكة فعُرف بذي النون:

ويُخبِرهُ مكانُ الثُّونِ منّي وما اعطَيتُهُ عَرَقَ الجِلالِ

﴿التجارة﴾ قد اشتهر العرب منذ القديم بالتجارة كما ورد ذلك في سفر التكوين (٣٧: ٢٥) في قصّة يوسف الحسن الذي باعهُ اخوتهُ للاسمعيليين المتحدرين بتجارتهم الى مصر . على انّ هذه التجارة راجت اسواقها بعد المسيح بهمّة الامم النصرانيّة المجاورة للعرب لاسيّما الرومان والحبش . وقد سبق لنا (ص٥٧) ذكر الوفد الذي ارسلهُ الى الحيريين الملك قسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير لعقد معاهدة تجاريّة مع ملكهم . وذكرنا هناك ايضاً ما ورد في الدستور التيودوسي لثاودوسيوس الكبير بخصوص متاجرة الرومان والحبشة مع العرب

وقد اشتهر نصارى الحيرة بالتجارة . وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٢٠: ١٣٤) لَطِيمتهم قال: «وهي عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والالطاف يرسلونها الى اليمن» . وقال في التاج (٩: ٦٠): «اللَّطيمة وعاء المسك او سوقهُ وقيل كلّ سوق يُجلَب اليها غير ما يؤكل من حرّ الطيب والمتاع غير الميرة»

وكانت قريش في الجاهليّة ترتزق بالتجارة وربّما رحلوا الى الحيرة . وقد ذكر في الاغاني (٨: ٤٨—٤٩) خروج مسافر بن ابي عمرو بن اميّة من سادة قُريش وابي سفيان بن حرب الى الحيرة لامورهم التجاريّة . وقال الثعالبيّ في لطائف المعارف (ص ٧—٨ éd. de Jong,) ان هاشماً وهو عمرو بن عبد مناف كان «اوّل من سنّ الرحلتين في التجارة رحلة الشتاء والصيف وهو اوّل من خرج الى الشام من قُريش ووفد على الملوك وأبعد في السَّفر ومرّ بالاعداء واخذ منهم الإيلاف الذي ذكرهُ الله تعالى» يُشير الى سورة قُريش (١٠٦: ١ — ٢) حيث يقول: «لإيلاف قُريش. إيلافِهم رِحلةَ الشتاء والصيف» . قالوا الايلاف العهد والذمام قال الفير وزابادي: الإيلاف شبه الاجازة بالخفارة واوّل من اخذها هاشم من ملك الشام» . وورد في تفاسير القرآن انّ اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف اولهم هاشم وكان يؤالف ملك الشام باع منهُ خيلًا فسمح لهُ ان يتاجر في الشام . والثاني عبد شمس وكان يؤالف الى الحبشة . والثالث المطّلب وكان يرحل الى اليمن . والرابع نوفل وكان يرحل الى فارس وكان هؤلاء يسمّون المتجرين . وفيهم قال الشاعر:

يا ايُّها الرجلُ المحوّلُ رحلهُ هلّا نزلتَ بآلِ عبد مناف

الآخذون العهدَ من آفاقها والراحلون لرحلة الايلافِ
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلمَّ للأضيافِ
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يصير غنيهم كالكافي

وقال الثعالبي في ثمار القلوب (ص٩): «انَّ قريش زهدوا في القصوب فلم يبقَ لهم مكسبةٌ سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا باجمعهم تجاراً خلطاء» وقال في الاغاني (٨: ٥٢): «وكانت ارض الحبشة لقريش متجراً». وذكر هناك عمارة بن الوليد المخزوميّ وعمرو بن العاصي بن وائل السهميّ وخروجهما الى النجاشي في الجاهليَّة للاتجار

وكان للعرب عدَّة اسواق يجتمعون فيها للمقايضات وضروب المبايعات قد ذكرها في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٨٦٧) جناب الاديب محمود شكري افندي الالوسيّ. وكان معظم هذه الاسواق في جهات الجزيرة العربيَّة التي يغلب فيها عدد النصارى في الجاهليَّة واكثرهم من الحضَر يرتزقون بالتجارة كأسواق البحرين في عمان وهَجَر والمشقَّر وصُحار وكأسواق حَضرَمَوت والشِّحر وكأسواق اليمن مثل سوق صنعاء وكسوق دَوْمة الجندل وكسوق عُكاظ في الحجاز التي كان يقوم فيها قسّ بن ساعدة واعظاً وخطيباً مصقعاً

ومما لم يذكرهُ هناك من الاسواق العربيَّة النصرانيَّة سوق الحيرة وقد ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني قال (١٦: ٩٩) قال: «وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع اليهِ الناس كلَّ سنةٍ» وروى هناك خروج الحكم بن ابي العاصي اليهِ ومعهُ عطرٌ يريد بيعهُ واخذ حسَّان بن جَبَلة الخير على نفسهِ ان يقدّم للقوم «كلَّ خمرٍ او لحم او طعامٍ ما اقاموا في سوق الحيرة». وقصد حاتم الطائي هذه السوق ايضاً واظهر فيها شيئاً من كرمهِ الذي ضُرب بهِ المثل بنحرهِ الجزور وإطعام الناس

وما لا يُنكر انَّ اهل اليمن وعمان والبحرين وهَجَر والحيرة كانت تجارتهم واسعةً رابحة ومعائشهم رغدة والخصبُ والرخاء غالبين على اطرافهم مع ما فيها من وفرة الغلّات والذخائر وصنوف المعادن والارفاق بخلاف عرب نجد والحجاز فكانت بلادهم مجدبة قاحلة كثيرة الرمال والصحارى. وقد جاء في سيرة نبيّ الاسلام انهُ تعاطى التجارة في شبابهِ استأجرتهُ خديجة بنت خويلد في مالها فكان يخرج بهِ الى

الشام تاجرًا فرأى اهلها النصارى ودخل صوامع رهبانها وكان محظوظاً في تجارتهِ فدعا ذلك خديجة الى ان تقترن بهِ

وكما كان العرب يخرجون الى بلاد النصارى المجاورة لبلادهم كذلك كان النصارى يقدمون الى الحجاز ويبيعون اهلها محصولات اوطانهم . ولنا على ذلك عدّة شواهد . منها «موقف النصارى» في مكّة قال في التاج في مادّة حمر (٣ : ١٤٠) : «بطن مَحْسر وادٍ قرب مزدلفة بين عرَفات ومنًى . وفي كتب المناسك هو وادي النار لانهُ موقف النصارى . وانشد عُمر رض حين افاض من عَرَفة الى مزدلفة وكان في بطن مَحسر :

اليكَ يعدو قلقاً وضينا مخالفاً دين النصارى دينا»

وكذلك «مقبرة النصارى» في مكّة ايضاً ذكرها الازرقي في اخبار مكّة (ص ٥٠١) وقال انها دُبر القلع اي الجبل الذي باسفل مكّة على يمين الخارج الى المدينة على طريق بئر عنبسة

ومن سلع تجار النصارى في الجاهليّة وبعدها الخمرُ كانوا يعصرونها ويبيعونها ويشربونها في مجالس الانس . وقد وصفها شاعرهم الاعشى بقولهِ :

وكأسٍ شربتُ على لذّةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها
ليعلمَ مَنْ لام انّي امرؤٌ اتيتُ المروءة من بابها

وقد اعتادوا عَصْر المدامة لدخولها في مشاعرهم الدينيّة في القربان . كما مر سابقاً . وتغنّوا في معانيها الرمزيّة كما فعل ابن الفارض في ميميّتهِ

وممّا تاجر بهِ نصارى اليمن والعراق والبحرين الجواهر والحجارة الكريمة كالجَزْع والياقوت واللآلئ وقد اشتهر الجَزْع اليمانيّ وقد عُرف ايضاً بالخرز اليمانيّ (Conque de Vénus) وكان يتاجر بهِ اهل ظَفار فنُسب اليهم . قال المرقش الاصغر يصف ظعائن يقطعْنَ القفار :

تحلّيْنَ ياقوتاً وشذْرًا وصيغةً وجَزْعاً ظَفاريّاً ودُرًّا تَوَائما

وقد ذكر في الاغاني (١١ : ١٦٣) درْجاً لطلحة الطلحات كان فيه حجارة ياقوت ثمنُ كلّ حجرٍ منها يساوي اربعين الف درهم

وروى البكري في مُعجَم ما استعجم يصف ركوب ملك الحيرة الى دير اللجّ

(ص ٣٦٦) : « وكان النعمان يركبُ في كلّ احواله وفي كلّ عيدٍ ومعهُ اهلُ بيتهِ خاصّةً من آل المُنذِر مَن يُنادمُهُ عليهم حُلَلُ الديباج المذهّبة وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضّضة بالجوهر وبين ايديهم اعلامٌ فوقها صُلبان الذهب فاذا قضَوْا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفة على النجف»

امّا اللآلئ والدُرر الثمينة فكان يغوص عليها اهل البحرين منذ زمن الجاهليّة. قال النابغة الذبيانيّ :

او دُرّةٍ صَدَفيّةٍ غوّاصها بَهِجٌ متى يَرَها يُهِلّ ويَسجُدِ

وقد احسن المسيّب بن علَس في وصفهِ الغائص على اللآلئ وانتخابهِ الثمين بينها واستخراجها من البحر قال (شعراء النصرانيّة ٣٥٦ وخزانة الادب ١ : ٥٤٤)

كجُمانة البَحْريّ جاء بها غوّاصُها من لجّة البَحْرِ
صَلْبُ الفؤادِ رئيسُ اربعةٍ متخالفي الألوان والنَّجْرِ
فتنازعوا حتّى اذا اجتمعوا ألقَوا اليهِ مقالدَ الأمرِ
وعلَتْ بهم سَجْحاء خادمةٌ (١ تهوي بهم في لُجّة البحرِ
حتّى اذا ما ساء ظنُّهمُ ومضى بهم شهرٌ الى شهرِ
ألفى مرابئَهُ بتَهلكة ثبتَتْ مراسيها فما تَجْري
فاصبَّ أسقَفُ رأسهِ لَبِدٌ تُرعت ربا عيناهُ للصَّبْرِ (٢
أشفى يَمُجُّ الزيتَ (٣ ملتبسٌ ظمآنُ ملتهبٌ من القَتْرِ
قتلتْ اباهُ فقال أتبعهُ أو استفيدَ رغيبةَ الدهرِ (٤
نصفَ النهار الماءُ غامرُهُ وشريكُهُ بالغيب ما يدري
فاصاب مُنيتَهُ فجاء بها صدفيّةً كصُفيّة الجَمْرِ
يُمطى بها ثمناً فيمنعُها ويقول صاحبُهُ ألا تُثري
وترى الصواري (٥ يسجدون لها وبنمسّها يديهِ للنَّحْرِ
فلتلك شبهُ المالكيّةُ اذ طلعت بهجتها من الخِدْرِ

(لهُ بقيّة)

١) اراد بالسَّجحاء السفينة الطويلة الظهر ٢) اي رمى بنفسهِ في البحر وغاص لإخراج الدُرّر. والأسقفُ الطويل المنحني ليغوص. واللَّبد اي المتلبّد ٣) اراد بالزيت الماء اي اشرف يقذف الماء من فيهِ كعادة الغائص ٤) يريد انّ ابا هذا الغائص هلك في تحصيل هذه الدرّة غرقاً فقال ابنهُ اتبعهُ او انالها ٥) الصواري جمع صارٍ وهو الملّاح والبحري. ويُروى : الشواري جمع شارٍ اي المشتري . وسجودهم لفخر الدرّة ونفاستها

مطبوعات شرقية جديدة

J.Rouch. MANUEL PRATIQUE DE MÉTÉOROLOGIE. 2e *éd.,Paris, Masson et Cie,8°, p.149, Figures et Planches*

دستور عملي لعلم الحوادث الجوّية

مؤلف هذا الكتاب المسيو روش هو ملازم لاحدى المراكب الحربيّة في البحريّة الفرنسويّة ورئيس نظارة الحوادث الجوّيّة. وقد قام بهذا العمل الجليل في ايّام الحرب فدوّن تلك ظواهر الجوّ بكلّ دقّة واستخلص من ملحوظاته عدّة فوائد جمعها في هذا الكتاب فجعلهُ دستوراً عمليّاً لذلك العلم الجليل . وقد أدّت هذه المعلومات خدماً لا تُحصى للجيوش البرّيّة والبحريّة ولراكبي الطيّارات . امّا الطريقة التي كان يجري عليها لضبط حوادث الجوّ فبأن يُعدّد مراكزها في انحاء مختلفة لرصد الحوادث المذكورة من رطوبة او يبوسة من مطر او صحو من حرّ او برد من ثقل او خفّة هواء فيجمع تلك المعلومات المتفرّقة في مركز واحد ويقابل بينها وينتزع من معارضة بعضها ببعض نواميس عموميّة لمعرفة مستقبل مناخ الجوّ فيصحّ توسّمهُ بها في الغالب وان لم يمكنهُ القطع بصحّتها لما يطرأ على الجوّ من الطوارئ غير المنتظرة والانواء الفاجئة . فهذا الكتاب يبحث بحثاً علميّاً عن كلّ ذلك ويمهّد الطريق للاستدلال على حركات الجوّ والاستفادة منها للفلاحة والزراعة ومباشرة الاسفار وغير ذلك . فنمحض شكرنا للمؤلف ونحضّ قرّاءنا على مطالعة كتابهِ الجليل المفيد للعلماء كما لعموم الناس ج . ل

Paul Bureau . L'INDISCIPLINE DES MŒURS. Paris, Bloud et Gay , 1920, in-8. pp. 608

خلاعة الآداب

انّ انحطاط الآداب في عدّة بلاد اوربيّة قد دفع المسيو بورو الى تصنيف هذا الكتاب الذي يدلّ على انّ كاتبهُ اجتماعيّ وفيلسوفٌ معاً وهو من اساتذة مكتب الحقوق والعلوم الاجتماعيّة العليا في باريس . فانّهُ اذ سرّح البصر في حالة الهيئة الاجتماعيّة في وطنهِ وغيرهِ من البلاد احسّ بما مُنيت بهِ من التهتّك والخلاعة وسوء

الآداب وانتهاك حرمة الزواج الشرعي فوصفها وصف الطبيب العارف بالداء وشفّها بشرط الجرّاح النطاسيّ فبيّن انتشار ذلك الوباء العضال مقرًّا مع ذلك بفضل الذين جعلوا الادب دينهم ثمّ انتقل الى وصف ما اتخذتهُ الدول من الوسائط لحسم ذلك الداء فأثبت قلّة فائدتها. ثمّ اخذ بوصف الادوية الفعّالة لشفائهِ ألا وهي العفّة بين العزّاب ثمّ الزواج الشرعي للعموم مع مراعاة قوانينهِ اي تفرُّد الزوجة ونفي الطلاق والحبّ المتبادل. وقد ختم بقولهِ انّ الزواج كما تفرضهُ الكنيسة الكاثوليكيّة والتعاليم الدينيّة افضل طريقة لاصلاح الآداب. فنعمَ القول لرجل ادّت بهِ الحقيقة الى الاقرار بفضل الدين في اصلاح الهيئة الاجتماعيّة ي. منجان

Paul Schostakovsky: Deux ans et demi au Pays des Bolcheviks. *Paris, Hemmerlé, Petit et Cie*, 1920, *in*-12. *pp.* 165

سنتان ونصف في بلاد البولشفيك

مؤلف هذا الكتاب احد ابناء روسيّة كان غائباً عنها لمّا أُعلن بالدستور وقُتل القيصر فعاد الى بلادهِ رجاء ان يتمتّع فيها بالحرّيّة بعد الحكم القيصري المُطلَق. لكنّهُ ما كاد يربع بوطنهِ حتّى رأى في الفتنة البولشفيكيّة شداند وفظائع انستهُ استبداد القياصرة فذاق من لينين ورفقتهِ ضروب المحن الى ان تمكّن من الفرار في ليل دامس الظلمة كثير الانواء مع عائلتهِ ووصل الى فنلندة بعد اللتيّا والّتي ومنها الى ايطالية حيث بادر الى تأليف هذا الكتاب ليُطلع الدول المتحالفة على احوال البولشفيين وزعمائهم الذين اوقعوا روسيّة في هاوية لا نجاة لهم منها ما لم يَقُم بعض ذوي الشهامة فيخلّصها من براثنهم. وقد تتبّع في الكتاب امورهم فرداً فرداً وكشف عن آثامهم التي لا يكاد يتصوّرها من لم يعاينها ل. ش

ALMANACH CATHOLIQUE FRANÇAIS pour 1921, Paris, Bloud et Gay, 1921, in-12. pp. 384, Prix. 6fs.50

التقويم الكاثوليكي الفرنساويّ

يظهر هذا التقويم منذ عدّة سنين فأثبت صحّة اسمهِ بما يتضمّنهُ من المعلومات المفيدة العموميّة والخصوصيّة لجميع الكاثوليك الفرنسويين منها دينيّة ومنها اهليّة واقتصاديّة. ومنها ادبيّة يحتاج اليها كلّ من يريد الوقوف على النظام الكاثوليكيّ

ومشروعاته الفنيّة ومدارسه ومكاتبه ومزاراته وشركاته في كلّ انحاء فرنسة . وهو يفيد اهل بلادنا ايضاً الذين يقصدون معرفة الحركة الدينيّة في الدولة المحبوبة المتدبة الى الوصاة على سوريّة ويجلب نظرهم الى المشاريع الحسنة التي يمكن تشبُّه الشبيبة بها في هذه الاصقاع مع ما هناك من الاعلانات العديدة لاستحضار ما يحتاج اليه الاكليروس من الحلل الدينيّة والعلمانيّون من اجناس المصنوعات الفرنساويّة ل . ش

ALMANACH DES FAMILLES CHRÉTIENNES pour 1921. Einsiedeln, Suisse, Benziger et Cie, in-4. pp. 73

تقويم العيال المسيحيّة

يمتاز هذا التقويم المطبوع في سويسرة بحسن طبعه ونقوشه وتصاويره ومضامينه الجامعة بين اللذّة والافادة . وهو مطابق لاسمه اذ تجد فيه العيال المسيحيّة ما تشتهيه من المعلومات الدينيّة والاهليّة معاً

A. Got: LA CONTRE-RÉVOLUTION ALLEMANDE. in-8°, pp. XII-210, = L'ALLEMAGNE A L'ŒUVRE, in-8°, pp. XIV-296, Impr. Strasbourgeoise, Strasbourg, 1920

مناهضة الثورة في المانية — المانية في العمل

المسيو غوث اخذ على نفسه تعريف احوال المانية الجديدة لاهل فرنسة . وقد سبق لنا وصف كتابه المعنون «المانية بعد غلبتها» (المشرق ١٧ [١٩٢٠] : ٥٥٣) وها هوذا بكتابين آخرين يواصل فيهما دروسهُ عن المانية المتجدّة . ففي الاوّل يصف نهضة المانية بعد كبوتها وانتصار الحلفاء عليها فانّها بعد سقوط الامبراطور غليوم خيف عليها من اهل الثورة فتوالت عليها حوادث مهمّة كادت تجعلها طعمةً لاهل الفوضى . لكنّها لحسن الحظّ لم يُصِبْها ما اصاب فرنسة بعد الثورة العظمى ولم تسقط مثلها في ايدي رجال اشرار كدانتون ومورا وروبسبيار وذلك ما مكّنها من تجديد قواها واستئناف عملها . وقد خصّ الكاتب بهذا العمل الالماني تأليفاً آخر وهو الثالث من قلمه وصف فيه المشاريع الالمانيّة لاسيّما الاقتصاديّة التي تسوّل لها دفع غرامتها الحربيّة ووفاء ديونها الباهظة . على انّ ذلك يحتاج الى مساعدة الحلفاء وتمويتهم اياها

بالموادّ الاوّلية لتستخرج ما لديها من الكنوز الماليّة الغنيّة بها تربتها لاسيّما الحديد والفحم . وفي فصول هذين الكتابين بعض الخلل في السياق فانهُ كان افضل ان يقدّم الكاتب الحوادث التاريخيّة مشقّقةً ويدع تراجم بعض الرجال على حدةٍ ج . ل

Pensées choisies des Rois de France recueillies et annotées par G. Boissy, *Paris, Grasset, in-12, Prix 7fs.50*

نخبة من افكار ملوك فرنسة

من يطّلع على بعض تواريخ فرنسة التي يكتبها قومٌ من ذوي الغايات المتهوّسين يظنّ انّ ملوك فرنسة كانوا يضحّون اوطانهم لاغراضهم الشخصيّة لا يهتمّون برعاياهم وبالخير العامّ . فذلك والحقيقة على طرفي نقيض ينقدهُ هذا المجموع المتّع وفيهِ شاهد على كلّ عواطف ملوك فرنسة الشريفة وما كان يخطر على بالهم من الافكار السامية والملوءة حناناً نحو شعوبهم . واللسانُ كما قال الربّ ينطق من ملء القلب . نعم انّ القارئ لا يجد شيئاً من افكار ملوك فرنسة الاوّلين وكانوا وقتئذٍ يُعنَون بانشاء دولتهم وتنظيمها والدفاع عنها . وربما نسي المؤرّخون ان يدوّنوا اقوالهم . امّا اذا اعتبرنا ما نقلهُ هنا الجامع من اقوال القديس لويس التاسع وخلفائهِ ملكاً بعد ملك نجد في الفاظهم ما يدلّ على انّهم كانوا لشعبهم آباء اكثر منهم سادةً وانّهم كانوا يتّخذون التعاليم الانجيليّة كدستورهم في سياسة رعاياهم ولا يسعنا ان نورد هنا شيئاً من تلك الاقوال فنحيل القارئ الى مراجعة هذا الكتاب الذي نثني على همّة صاحبهِ في جمعهِ وتنظيمهِ ونحضّ طالبي الحقائق على مراجعتهِ الاب ي . منجان

Chez Jos. Paillart, *libraire-éditeur, IIrd Haspail* 51, *Paris VI* : I Un Capitaine de Cavalerie. Jeanne d'Arc, la Sainte de la Patrie, 1920, in-12, p. 92, Prix 2fs,50=II Yvon de St-Gouric. Une âme aimante, s.d. in-16, p.79, Prix. 3fs.=III Abbé Maurice Dubourg. Sixième et Neuvième Commandements. Entretiens d'un Aumônier avec un soldat de la guerre, in-16. p. 84, 1920, Prix 2fs, 50

جان دوك القديسة الوطنيّة — نفسٌ لطيفة — محادثة مع جندي من الوصيّتين السادسة والتاسعة

هذه ثلثة كتب صغيرة اهدانا اياها الطبّاع يوسف بليار ويحقّ لها ان تردان بها المكاتب . فالاوّل ترجمة حسنة للقديسة جان دوك بطل وطنها استدّها كاتبها

العسكريّ الغفل من التآليف العديدة التي نُشرت في هذه السنين الأخيرة بعد استخراج المكنونات الدفينة من سجلّات المكاتب من شأنها ان تحبّب تلك الفتاة العجيبة وتبعث في القلوب حبّ الوطن—والتأليف الثاني يصف نفساً مجروحة لما اصابها من آفات الحياة فتلقى عند قنوطها سلواناً ومرهماً لدى قلب حنون يرثي لاوجاعها ويضمّد بوداده جراحها. على انّنا كنّا وددنا ان تتوطّد تلك التعزية على دعائم الايمان الامكن والاثبت—امّا التأليف الثالث فهو للكاهن دوبورغ فهو يتألّف من رسائل كتبها في زمن الحرب لبعض الشبّان من اصحابه ليرشدهم الى العفاف عقلاً ونقلاً وهم معرّضون حينذاك لاخطار جمّة تفقدهم كنز براءتهم فاحسن حضرته بنشرها ليتّخذها شبان العصر دستوراً لحياتهم وترياقاً لادوائهم ج. ل

PATROLOGIA ORIENTALIS: LOGIA ET AGRAPHA DOMINI JESU APUD MOSLEMICOS. Collegit, vertit, notis instruxit Michael Asin et Palacios. 1, *Paris, Firmin-Didot, in-4, p.* 96

الاقوال المنسوبة الى السيّد المسيح في التآليف الاسلاميّة

انّ من يقرأ تآليف المسلمين الادبيّة والصوفيّة يجد في اثنائها عدّة حكم واقوال ينسبها اصحابها الى السيّد المسيح منها ما هو مقتطف من الاناجيل المقدّسة الصحيحة ومنها ما لا تجدهُ الّا في الاناجيل الزور التي سبق لنا عنها الكلام وبعضها ما لا يُعرف اصلهُ وكلّها مرويّة «لعيسى او عن عيسى عليه السلام». وقد جمعنا نحن منها كثيراً لعلّنا ننشرها يوماً . وقد سبقنا الى شيء من ذلك حضرة الاستاذ الاسباني الشهير ميخائيل اسين بلاثيوس فنشر في مجموع الآباء الشرقيين للمنسنيور غرافين مئة من هذه الاقوال اقتطفها خصوصاً من كتاب احياء علوم الدين للغزالي ونقلها الى اللاتينيّة وعلّق عليها الحواشي المفيدة . فاستحسنّا هذا العمل ونحن ننتظر تتمّتهُ لنزيد عليه ما لدينا من هذه المرويّات الغريبة ونبدي فيها رأينا ل. ش

E. G. Ledos : JOSEPH DENAIS, Écrivain et Journaliste angevin. *Angers, G. Grassin*, 1920, *in*-8. *pp.* 328

الكاتب الصحافي جوزف دناي

بينما كان لويس ڤوليو يشرّف الصحافة بكتاباته العجيبة في جريدة الاونيفير

ويدافع عن كلّ الحقوق المهضومة اعدّ الله في مدينة انجه في فرنسة صحافيًا آخر نزل في ميدان الجهاد للذود عن حرمة الدين والآداب وهو يوسف ديناي المولود في بوفور سنة ١٨٥١ والمتوفّى فيها في ٢٠ ت ١ سنة ١٩١٦ . فانّهُ مدّة خمسين سنة لم ينقطع عن الكتابة والتأليف حتّى انّ عدد مصنّفاتهِ بين طويلة وقصيرة في الجرائد وغيرها يبلغ ٣١٥٧ كتاباً او مقالًا قد جمع اسماءها المسيو ليدوس في هذه الترجمة البديعة التي بيّن فيها فضل ذلك الانسان الفريد في سيرتهِ الصالحة وعلومهِ المتّسعة ومعارفهِ الاثريّة والفنيّة وتآليفهِ المشعة . وقد خصّ المترجم شرقنا بكثير من كتاباتهِ لمّا ساح في انحاء تركيّة وزار الاستانة ودخل على عبد الحميد ولهُ في كلّ ذلك رسائل مفعمة بالملحوظات المصيبة ولهُ تأليف خاصّ في الفرمسونيّة التركيّة وفي عبد الحميد ومراد اخيه . وكان لم يبالِ بالامتيازات والاوسمة وقد اتتهُ مع ذلك على قدر ما كان يفرّ منها من كلّ الدول الاوربيّة والجمعيّات العلميّة من جملتها وسام القديس غريغوريوس من قبل الحبر الاعظم لاون الثالث والنيشان العثماني المرصّع من قبل عبد الحميد . وآخرُ ما فاه بهِ ان قال لزوجتهِ الكريمة ولاهلهِ : ايّاكمُ والبكاء عليّ فانّ الفراق قصير والاجتماع عند الله ابديّ

الاب ف . تورنيز

ESSAI SUR LA LITTÉRATURE DES BERBÈRES. THESE PRINCIPALE POUR LE DOCTORAT ÈS LETTRES présentée à la Faculté des Lettres d'Alger par Henri Basset, *Alger, Bastide.-Jourdan*, 1920, *in*-8, *pp.* 446

نظر في آداب البربر

البربر قبائل عديدة وطنيّة تسكن في شمالي افريقية ادخلها العرب في حكمهم لمّا فتحوا الجزائر والمغرب والقسم الاكبر منهم اليوم تحكم عليهم الدولة الفرنسويّة . ولهذه القبائل لغةٌ مستقلّة ترتقي الى اللغة الليبيّة والى العنصر الحاميّ القديم كاد يأخذها الضياع باختلاط اهلها بالعرب لكنّ بعض ذوي الهمّة من العلماء والمرسلين اخذوا يدرسونها في القرن الماضي ويجمعون شتاتها . وقد سرّنا انّ المسيو هنري باسّه نجل العلّامة رينه باسّه المستشرق الشهير ورئيس مكتب الجزائر العربيّ تفرّغ لدرس هذه اللغة وجمع مآثرها فصنّف هذا التأليف الواسع لتعريف خواصّها وبيان فرائدها والاختلافات الطارئة عليها في انحاء المغرب ثمّ روى ما امكنهُ من مآثرها الباقية في

فنون الانشاء من امثال وروايات وقصص وفكاهات واغاني وانتزع منها فوائد تاريخيَّة ودينيَّة واجتماعيَّة . وقدَّم هذا التأليف الجليل لكليَّة الجزائر لينال بهِ شهادة اللغة . فنهنئ المسيو هنري عن تصنيفهِ هذا ونؤمل لهُ رواجاً مستفيضاً ل.ش

الدين والوطنيَّة

للمنسنيور باسيليوس موسى وكيل الاقباط الكاثوليك

طُبع بالمطبعة اليوسفيَّة في مصر سنة ١٩٢٠ (ص ٧٢)

انَّ النهضة الوطنيَّة التي قام بها المصريُّون بعد الحرب الكونيَّة لم تنحصر في دائرة السياسة بل تطرَّفت الى ان مسَّت حرمة الدين كأن الوطنيَّة تستدعي التساهل في المعتقدات فتُضحَّى على هيكل حبّ الوطن . وهو بئس الرأي حاول حضرة المنسنيور باسيليوس موسى احد متخرّجي كليَّتنا البيروتيَّة تزييفهُ في هذه المحاضرة فبيَّن عقلاً ونقلاً ما هي الوطنيَّة وكيف يوجب الدين محبَّة الوطن وذلك رغم الاختلافات الدينيَّة بين ابناء الوطن الواحد . ومن ثمَّ ليس من داعٍ يسوّغ التساهل الديني مراعاةً لحرمة الوطن بل هو التساهل الدينيّ الذي يدكُّ ركن الوطنيَّة الصادقة . فنهنئ حضرة الكاتب على ما افاد بهِ واجاد بحيث ازال من العقول رأياً فاسداً بل حجر عثرة تضرُّ الدين والوطنيَّة معاً ل.ش

التعبئة في لعب الشطرنج

بقلم جبرائيل نصره المهندس

بالمطبعة المصريَّة الاهليَّة بالقاهرة (سنة ١٩٢٠ الجزء الاوَّل ص ١٨٤)

قد قيل في الشطرنج انَّهُ لعبُ الملوك وملكُ الالعاب لما يحتاج اليهِ من الخبرة والتروّي وترويض الاخلاق . وللاوربيين في الشطرنج عدَّة تآليف امَّا العرب فذكروهُ في كتبهم استطراداً دون التوسُّع . فأحبَّ الاديب جبرئيل افندي نصره ان يسدَّ ذاك الخلل فوضع هذا الكتاب المطوَّل وجمع فيهِ ما امكنهُ من ضروب الالعاب واشكالها وحلّ رموزها . فلا شكَّ ان يُقبل عليهِ كلّ محبّي لعب الشطرنج فينهج لهم طرقاً جديدة للهجوم والدفاع في هذه الحرب الادبيَّة الجديرة بالنفوس الشريفة

شذرات

﴿رسالة العصر الجديد﴾ هي الرسالة الرعائيَّة التي وجَّهها نيافة قاصدنا الرسولي السيد فريديانو جيانيني فضمَّنها نظرًا اجماليًّا على الطور الجديد الذي دخلت فيهِ الاوطان السوريَّة تحت وصاة فرنسة فاجال نيافتهُ نظره السامي في حقيقتهِ الباطنة والظاهرة واستجلى معانيهُ وأزال كلَّ لَبسٍ من شأنهِ ان يشوِّهُ محاسنهُ وقد بيَّن خصوصاً ما للديانة فيهِ من القسط الوافي فلولاها ينقلب النور الى الظلام. وان كان للحكم المدني حقوقٌ لا تُنكر فان للسلطة الروحيَّة ايضاً حقوقها الراهنة ومن ثمَّ رشق بسهم الملام المتحاملين عليها والناقضين اركانها كالشيع الماسونيَّة والتعليم اللاديني. وقد اتَّسع نيافتهُ في بيان نعمة الدين الكاثوليكي الذي عليهِ مستند التمدُّن والهيئة الاجتماعيَّة واليهِ دعا الاخوة المنفصلين عنهُ الذين شقُّوا بعد انفصالهم عن مركز الوحدة اذ الفوا كنائس جنسيَّة عقيمة . وتمنَّى لو يعود ابناء سوريَّة القدماء الذين دخلوا في مذهب عرب الحجاز الى دينهم السابق

﴿محفل صنين﴾ بشَّر مراسل جريدة الف باء البيروتي قرَّاءها بان محفل صنين الماسوني عوَّل على استئناف العمل بعد انقطاعهِ وذلك بهمَّة رئيسهِ فارس افندي مشرق . (قلنا) يا لها من بشرى تهتزُّ لها معاطف ابناء الارملة . وانَّا نودُّ لو افادنا الرئيس المذكور ما هو ذاك العمل الذي يريد استئنافهُ اعضاء محفل صنين أهو عمل خيريٌّ فندعو اليهِ كلَّ محبِّي الخير ؟ او هو عمل ادبيٌّ وديني فما احرى بنا ان نشاطرهُ العمل ؟ او هو اجتماعي واقتصاديٌّ فكم تُسَرُّ بهِ حكومتنا الجديدة التي تطلب لها مساعدين يؤازرونها في نهضة الوطن وحلِّ إسارهِ من أزمة المعاش ووقوف الاحوال . وان كانت هذه نوايا محفل صنين فما لهُ يسترها ويخصُّ بها الماسون ؟ او ليس احتجاب الماسون في محافلهم وإيصاد ابوابهم في وجه غيرهم دليلًا على انَّ عملهم هذا «غير نظيف» وانَّهم لا يعمدون الى الانزواء والاعتزال الَّا لغايات غير محمودة . قال الربُّ في انجيلهِ الطاهر (٣ : ٢٠) . من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلَّا تُفضح اعمالهُ

﴿رئيس الشرق الاعظم﴾ ورد في جرائد مصر خبر وصولهِ الى قطر النيل وفيها

انهُ ينوي زيارة القطر السوريّ . فهو ايضاً آتٍ بلا شكّ . الى العمل . اقرأ الى الاشتغال بالسياسة ومناصرة المبادئ اللادينيّة التي يجاهر بها المنتمون الى الجمعيّات السرّيّة . فعلى الكاثوليك بل على كلّ محبّ النظام والآداب ان يجعلوا سدًّا بازاء كلّ حركة فوضويّة ويتصدّوا لكل من يسعى في محاربة الدين

﴿المارشاليّة الجدد﴾ هم الجنراليّة الفرنسويّون الثلثة : فايول وفرنشه دسبره وليوتي تقلّدوا آخرًا منصب المارشاليّة وليس في فرنسة فوقها رتبة جنديّة استحقّوا ذلك بمآثرهم العديدة في الحرب الكونيّة الاخيرة . وثلثتهم تلامذة الآباء اليسوعيين . درس فايول في مدرسة سنت اتيان ودخل اخوهُ الرهبانيّة اليسوعيّة . وفرنشه دسبره من تلامذة مدرسة افنيون والمدرستان من اقليم ليون الذي بهِ منوطة رسالتنا سوريّة . امّا الثالث ليوتي فانهُ من تلامذة مدرسة باريس الشهيرة بمدرسة شارع البريد (Ecole de la Rue des Postes) . يضاف اليهم المارشال فوش الذي سبق نصبهُ الى هذه الرتبة وهو من تلامذة مدرسة سنت اتيان بعد ان تخرّج مدّة في مدرستنا في متز الى حين تملّكها الالمان سنة ١٨٧٠ ولهُ ايضاً اخٌ يسوعي . فهؤلاء اربعة من ستّة مارشاليّة في فرنسة حاضرًا يمثّلون الشهامة الفرنسويّة وهم خرّيجو الرهبان الذين لم يخجل رينان وامثالهُ من نسبتهم الى الفشل في التربية والخَوَر في التعليم

﴿فضل فرنسة على الجزائر﴾ قد تحوّلت الجزائر بفضل فرنسة الى بلاد جديدة منذ تولّت عليها واخمدت ثوراتها فانّها قد انشأت نحو ٧٠٠ مدينة او قرية جديدة . مدّت ٤٫٠٠٠ كيلومتر من السكك الحديديّة . فتحت عدّة مرافئ للسفن . طهّرت النواحي من الاوبئة . عمّمت التعليم . تضاعف بهمّتها عدد السكّان . حتّى قال بعض الاختصاصيين انّ فرنسة احيت الجزائر بعد مواتها

﴿جامعتان اميريكيّتان﴾ أنشئت الاولى في القاهرة في خريف السنة المنصرمة وقد ابتاعت لها دار الجامعة المصريّة الاولى مع ما يحدق بها من الاملاك ونالت امتيازاتها من مجلس مدينة واشنطون ورئيسها الدكتور تشارلس طومسون . والثانية هي كلّية الاميريكيّة السوريّة الانجيليّة في بيروت نالت من مجلس كلّيّة نيويرك براءة ترقيتها الى جامعة وفروع تعليمها الآن ستة : الآداب والطبّ والصيدلة وطبّ الاسنان والتجارة والهندسة . وهي تنوي انشاء فرعين آخرين للحقوق والزراعة .

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد لمن هو البيت الآتي وهل يُعرف لهُ تابعٌ

ديارٌ بأكناف المغيبِ تَسلَّعُ وما إن بها من ساكنٍ وهي بلقعُ

روى هـذا البيت ابن العربي في محاضرة الابرار (١ : ١٨٩) ولم يذكر قائلهُ وانَّما قال انَّهُ قرأهُ على باب مدينة الزهراء في الاندلس مع ابياتٍ اخرى هكذا :

ديارٌ بأكنافِ المغيب تسلَّعُ وما ان بها من ساكنٍ وهي بلقعُ
ينوحُ عليها الطيرُ من كلِّ جانبٍ . فيصمتُ احياناً وحيناً يرجعُ
فخاطبتُ منها طائراً متفرِّداً لهُ شَجَنٌ في القلبِ وهو مروَّعُ
فقلتُ على ماذا تنوحُ وتشتكي فقال على دهرٍ مضى ليس يرجعُ

س وسأل حضرة القس مبارك الداموري : ١ً هل يجب على المشترك بثوب السيدة لبسهُ مدَّةً قبل استبدالهِ بايقونة الثوب وهل يجوز الاشتراك بثوب مستعار ثمَّ تعطى القونة بدلهُ حالاً . ٢ً هل يجوز الاشتراك بالورديَّة بمسبحة مستعارة وهل يلزم لربح غفران الورديَّة ان تبارك مسبحة المشترك كلَّ مرَّة تغيَّرت باي وجهٍ كان . وهل يجب تدوين اسم المشترك مع عائلتهِ (فلان بن فلان) . ٣ً هل يجب على المتناول كلَّ يوم ان يعترف مرَّة كلَّ خمسة عشر يوماً لربح الغفارين

غفرانات ثوب العذراء والورديَّة — اعتراف المتناول كل يوم

ج نجيب على (الاوَّل) لا مانع من الاشتراك بثوب مستعار ولو تعدَّد المشتركون وتكرَّر صورة الاشتراك ما لم يكثروا . ثمَّ تعطى حالاً ايقونة الثوب . ولكن اذا عاد المشترك الى لبس الثوب بدلاً من القونة يلزم ان يبارك ذاك الثوب الاوَّل ٢ً نجيب على (الثاني) انَّ الاشتراك بالورديَّة لا يحتاج الى ان تُعطى مسبحة . ويمكن اكتساب الغفرانات بمسبحة غير مغفَّرة . وكذلك لا حاجة الى الاشتراك لمن في يدهِ مسبحة مغفَّرة فانهُ يربح الغفارين الممنوحة لها من الكاهن المأذون . لكن هذه الغفارين تختلف عن غفارين شركة الوردية . والمسبحة يجب اعادة تغييرها اذا انفرطت او فُقد كثير من حبوبها دفعةً واحدة . وامَّا تدوين اسم المشترك فيكون عادةً باسمهِ واسم نسبهِ . ٣ً نجيب على (الثالث) ان الذي يتقرَّب كلَّ يوم او خمس مرار في الاسبوع يربح الغفارين دون شرط الاعتراف كلَّ اسبوعين ما لم يكن فقد حالة النعمة بخطيئة ثقيلة .

الاب ي . منجان

المشرق

خطبة لخميس الاسرار

بقلم القس شمس الرئاسة ابي البركات ابن كبر

نوطة

زرنا في اواخر آب من السنة ١٩٠٩ مكتبة البطريركيَّة القبطيَّة غير الكاثوليكيَّة في القاهرة فوجدنا في ناظرها أُنساً وتفقَّدنا ما في خزانتها من المخطوطات النصرانيَّة القديمة . فمن جملة ما كان هناك مجموعةٌ فيها خطب قديمة للاعياد السنويَّة بينها بعض الخطب لاحد مشاهير الكتبة الاقباط القس شمس الرئاسة ابي البركات بن كبر فاستحسنَّا لهجتها الفصيحة وانشاءها البليغ من جملتها هذه الخطبة لخميس الاسرار احببنا نشرها بنية الاعياد الفصحيَّة . وقد وجدناها بعد ذلك في مجموع خطب مُني بطبعهِ الشمَّاس حبيب جرجس سنة ١٩١٤ تحت عنوان الجوهرة النفيسة في خطب الكنيسة (ص ٨٩ – ٩٣) عثرنا فيها على بعض الاغلاط فاصلحناها

امَّا صاحب هذه الخطبة فيُدعى في صدر كتاباتهِ المخطوطة باسماء والقاب جليلة تدلُّ على تعظيم اهل زمانهِ لهُ فيسمُّونهُ « المولى الرئيس الشيخ والاب الفاضل القس رشيد المتطبِّب ابا البركات شمس الرئاسة ابا الشيخ الاكمل الاسعد المعروف بابن كُبَر » ويروى كِبْر . ولم نجد مع فخامة هذه الالقاب من يفيدنا شيئاً عن اخبارهِ في كلّ ما راجعنا من التآليف المطبوعة والمخطوطة . وغاية ما نعلم انه ازهر في اواخر القرن الثالث عشر للمسيح . وكتب للامير بيبرس المنصوري الدوادار الكبير وتعاطى الطبَّ وتوفيَّ سنة ١٣٦٣ . ولهُ في آخر بعض كتبهِ قولهُ :

اموتُ ويبقى كلُّ ما قد كتبتُهُ فيا ليتَ من يقرا كتابي دعا ليا
لعلَّ الهي ان يجود بعفوهِ ويغفرَ زلَّاتي وتُبصح . فيماليا

وامَّا تآليفهُ المعروفة فقد وصفنا منها في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٧٦٠) كتابهُ المتون بمصباح الظلمة وإيضاح الخدمة وهو من أجلّ الآثار الدينيَّة في الفقه الكنسيّ . وقد وصفنا كذلك لهُ كتاباً آخر (ص ٧٦١) اسمهُ «جلاء العقول في علم الاصول الملقَّب بكشف الاسرار الخفيَّة في اسباب المسيحيَّة» في ١٨ فصلاً تاريخ تأليفهِ سنة ١٣٣٤م . ولهُ ايضاً كتاب في تفنيد

القائلين بالعمر والمُخلين الحرية القدسة ١٣٣٣ . والف ايضاً خلاصة معتقد المسيحيين وردوداً على اليهود والمسلمين . ومن تصانيفه في اللغة القبطية كتاب السلم الاكبر او السلم المفتوح وضعه سنة ١٣١٦ وضمنهُ مفردات اللغة القبطيَّة في عشرة ابواب و ٣٢ فصلاً مع شرحها في العربيَّة (*cfr* Mélanges de la Fac. Orientale, 1907, II. 260-266) ل . ش

خطبة لعيد خميس العهد

تتضمَّن تأسيس سرّ الشكر (١

المجدُ لله مجدّد شريعة الكمال ، ومبدّد زوبعة (٢ الضلال ، وموضح مناهج الفضل والإفضال ، ومرشد المؤمنين الى أصلح الاعمال ، ولابنهِ الوحيد يسوع المسيح الذي اخرجنا من ظُلمات الطغيان ، واقبل بنا الى نور الحقّ والايمان ، واظهر لنا من غوامض الاسرار الالهيَّة ما كان مستوراً عن العيان ، وخوّلنا معشرَ المسيحيين ما لم يخطر بفكر انسان ، وبذل نفسهُ دوننا فابتاعنا بأنفس الاثمان ، ورفعنا من هوّة الهلاك الى رتبة الحياة فيا لذلك من إحسان ، كيف لا وهو حمَل الله الحقيقي الذي فدانا نحن الخطأة بذبحهِ (يوحنَّا ١ : ٢٩) ، وأحيانا بموتهِ عنَّا فيا لعظيم منّتهِ ، وجدَّد لنا عربوناً لخلاصهِ على يدي رُسلهِ الاطهار رسمَ مَوسمهِ وسُنَّة فِصحهِ . وأعطانا جسدهُ ودمهُ المقدَّسَين علامةً لنُصحهِ (٣ ، ونقض حاجز العداوة الاولى بسلامهِ وصلحهِ ، وامرنا تجديداً لعهدهِ ان نصنع كلَّ وقتٍ تذكاراً لاسمهِ (لوقا ٢٢ : ١٩) الى حين موافاتهِ ، ومجيئهِ الثاني على سُحُب سمائهِ في ألوف ملائكتهِ وقواتهِ (١ كور ١١ : ٢٦) ، حسب وعدهِ في انجيلهِ المجيد (متّى ٢٦ : ٦٤) ، فلهُ التسبيح والتمجيد

معشر المسيحيين الذين وصلوا الى هذه المواهب ، وأُخرجوا الى النور المشرق من ظُلَم الغياهب ، وحصلوا على موهبة العهد الجديد ، واشتروا بدم الابن الوحيد ، وصار لهم العُتق من عبوديَّة المحال ، والارتقاء الى اسنى المراتب واشرف المحال ، واشتركوا معهُ في البنوَّة الحقيقيَّة (٢ بطرس ١ : ٤) ، كما اشترك هو معهم في الطبيعة البشريَّة ،

١) وفي الطبعة المصريَّة « شرّ الشكر » وهو تصحيف قبيح . واراد بسرّ الشكر القربان الاقدس كأنه تعريب اللفظة اليونانيَّة « افخارستيا » ٢) وفي الطبعة المصريَّة « ذريعة »
٣) وفيها « لفصحهِ »

واتصلوا بالذات العالية الالهية، باتصاله سبحانهُ بالجبلّة الآدمية

هـذا يومٌ جُدّدت فيهِ العهود، يومٌ أذهب فيهِ رسمُ الفِصح السيّدي حُكمَ فصح اليهود، يومٌ كمّل الربّ فيهِ السنّة الاولى العدليّة، وابتدأ بوضع السنّة الثانية الفضليّة، يوم أُبطل فيهِ فِصح الذبائح والضحايا، وجعل فِصحنا جسدهُ الذي بذلهُ لمغفرة الخطايا، يومٌ لزال فيهِ قُتار اللحوم والدماء الحيَوانيّة، وأعطانا بجسدهِ ودمهِ القرابين الروحانيّة، اليوم سنّ لنا ربُّ المجد تقريب الخبز والخمر الذكيّ (١، واغنانا عن دماء الجدَاء والعجول بذمهِ الزكيّ، مشيرًا بالخبز الى انهُ خبز الحياة الذي يُشبع الجياع، وبالخمر الى انهُ كرمةُ الحقّ المتعالية عن ملابسة الازدراع، اليوم عوّضنا عن فطير المرارة والشرارة، خميرَ المحبّة والطهارة (٢، اليوم سلّم الينا النواميس العقليّة، بواسطة الامور الحسيّة، وجعل الكثيف، وسيطاً للّطيف، لملاءمتهِ للأبدان الانسيّة، اليوم سلّم رئيس الاحبار خدمة الوظيفة الحبريّة الى الزمرة الحواريّة، اليوم تولّى الربّ بنفسهِ خدمة رُسلهِ، وتنازل الى ارجلهم (٣ بغسلهِ، واراهم مثالاً ليقتدوا بفعلهِ، ويفعلوا كمثلهِ،

فيا لهذا التفضُّل الذي تقصر الالسن عن صفاتهِ، ويا لهذا التواضع الذي بلغ من التدبير السعيد اقصى غاياتهِ، يا لهُ من تحنّن ما اعظمَهُ، ويا لهُ من سيّد على العبيد ما اكرمَهُ، ويا لهُ من مسلك الى الحياة ما أقوَمَهُ

ما اعظمَ هذه الفضيلة التي رسمها لنتّخذها مثالاً، وما اعظم التواضع الذي امر بهِ مقالاً، واكملهُ (٤ فعالاً، واذا كان هذا فِعلَ ربّ المجد جلّت قدرتهُ، وتعالت عظمتهُ، فكم بالحري يجب علينا ان نبذل الودّ لاخوتنا، والتواضع مع ابناء طبيعتنا (يوحنّا ١٣: ١٤)، وما عسانا نفعلهُ ونحنُ المقصّرون، او ننتهي الى بلوغهِ في هذا السبيل ونحن السالكون، فلو شربنا الامواه التي تُغسَل بها الاقدام، وجعلنا دأبنا ذلك على الدوام، وبسطنا الخدود لمن يطأها، وبذلنا الوجوهُ لمن يلطمها ويتخطّاها، لمَا بلغنا في ذلك المقصود، ولا ماثلنا سيّدنا لهُ المجد في الفضل والجود،

---

١) وفي الطبعة المصريّة الزكيّ بالزاي

٢) في هذا اشارة الى استحضار القربان في الكنيسة الغبطيّة على شكل الخمير. وفي رسائل مار بولس ما يدلّ على فضل الفطير (١ كور ٥: ٧-٨) ٣) في النسخة المصريّة: تناول ارجلهم

٤) وفيها «وكمّلهُ»

فهلمّوا أيها الاخوة لنتأمل افعال الرب في هذا العيد ، ونتصفّح اعمالهُ المجيدة في مثل هذا اليوم السعيد، ونتفهّم ما ارادهُ من سلوكنا في سُبلهِ، واقتفائنا لمثلهِ (١ ، بحسب امكان طاقتنا، ومقدار وُسع قُدرتنا، ونجعل التواضع لنا مسلكاً ومنهاجاً ، والمحبّة في سُبلنا نوراً وسراجاً، ولنغسل قلوب اخوتنا بماء المودّة، ولتكن الرحمة اليهم دائماً مصروفةً مستعدّة، لكي نرحض من البواطن دَرَنَ افكارها، ونزيل من الضمائر غلّ اسرارها، ونحظى بسعادة هذا الشبه والمثال، وننال ما وُعدنا بهِ من شرف المنال، ولنجتهد في تقويم سُبلنا، واصلاح قولنا وعملنا، والإقلاع عن خطايانا وزلّاتنا، ولننزع عن مناكبنا جلابيبَ الكبرياء، واردية التعاظم والرياء، ونشدّ اوساطنا بمناطق العزائم، ومناديل الاقلاع عن المآثم، ونصبّ مياه الرحمة في مَطاهر اكفّ المحتاجين ، ونبادر بالتفتيش عن المتضايقين ، ونجدّد شعار التوبة البريئة من الشبهات ، العريّة من الشهوات، النقيّة من معاودة الهفوات ، كما جدّد لنا ربّنا شرائع ناموسهِ، وأعلمنا وظائف تسبيحهِ وتقديسهِ،

ولنتأهّب لتناول هذه الاسرار (٢ الروحانيّة ، مستعدّين بملء القلب وكلّ النيّة ، ولا نَدنُ من هذه المائدة النيّرة السريّة ، والوليمة الشريفة الالهيّة ، ونحن ملوّثون بأوساخ الخطيّة ، او مشتغلون بالافكار الدنيّة الدنيويّة ، او مُضمرون لاخوتنا بل ولأعدائنا عداوةً ولا بغضاً، او مُكرمون بعضاً ومُهينون بعضاً ، او راغبون في الشَرَه او حبّ المال ، او عاملون بشيء من هذه الاعمال، لئلّا يُصيبنا ما اصاب يهوذا الدافع ، ونُحرَم ما حواهُ هذا الدواء الروحاني من جزيل الفوائد والمنافع، ولا نقتصر على عدم الانتفاع بهِ فقط بل ونجلب على نفوسنا ضرراً عظيماً مقدارهُ، وشجباً شديداً اوزارهُ وعذاباً أليماً دودهُ ونارهُ ، ودينونةً مهلكةً لنفوسنا واجسادنا ، ونارًا محرقة بكرة ميلادنا ، بل لنجتهد في اصلاح البواطن والظواهر، وتنقية الخواطر والضمائر، وتطهير السرائر قبل تناول السرائر، ونبذل لبعضنا بعضاً المحبّة الصادقة، ونذبح نفوسنا ذبيحةً ناطقة ، ونتقدّم بعد ذلك لتناول جسد ربّنا ودمهُ المقدّسين بواسطة كهنتهِ ، وطلباتهم المقبولة امام رحمتهِ، راجين بهِ مغفرة الآثام السالفة، وشركتهُ في الحياة المستأنفة، فنحصل على الخيرات العتيدة ، والصلات

---
(١) وفي النسخة الصريّة «لنتأمل» (٢) وفي النسخة الصريّة «ونذهب الى

المفيدة، اعاننا الله واياكم على الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة، والاخلاق الحميدة، والمناهج السديدة، وبلّغكم امثال هذا اليوم سنين عديدة واعواماً مديدة، مغفورة لكم الذنوب والآثام، مخصوصين من سعادة الدارَين باجزل الأقسام (١ ، بشفاعة الرسل الاطهار الذين عهدوا الينا هذه الوصايا، واقتادونا الى مغفرة الخطايا، واستحقُّوا ان ينالوا عظم هذه العطايا، بصلوات ابينا ورئيسنا المؤتمن على خلافتهم، المرتقي الى رتبتهم المخصوص بوراثتهم ، الجالس على الكرسي المرقصي ، الحاكم على الشعب الرسولي الداني والقصيّ، البابا انبا فلان (٢ ادام الله تدبيرهُ ، ورفع في اعلى الملكوت سريرهُ، وجمّل ببقائهِ الاعياد المسيحيَّة ، والمواسم الفصحيَّة ، ورحم بصلواتهِ ابناء المعموديَّة، امين

ميمر في عيد الفصح

منسوب الى القديس يوحنا فم الذهب

تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكيّ

توطئة

بين المخطوطات التي سبق لنا وصفها في جملة ميامر القديسين ومواعظهم (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٤٢٥ و٤٧١) مجموعان قديمان يشتملان على خطب للاباء القديسين تُقرأ في اخصّ الاعياد المسيحيَّة. وفي كليهما ميمر في عيد الفصح ينسب الى القديس يوحنا فم الذهب وهو معرَّب بقلم عبدالله بن الفضل الانطاكي من كتبة القرن الحادي عشر للمسيح (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨٨٦ و٩٤٤). وهو كما ترى اثر نفيس يحسن بنا نشرهُ . وكفى بهِ شأناً انَّ الكنيسة الملكيَّة اصطفتهُ ليكرَّر على مسامع المؤمنين في ذاك العيد الجليل . ولقد راجعنا اعمال القديس يوحنا فم الذهب اليونانيَّة فوجدناهُ هناك في مجموعات آباء اليونان لمين (PP. GG., L, 821-824) الّا انَّهُ مدرج في جملة ما لم تثبت نسبتهُ الى القديس بين التآليف المشكوك فيها لولا انَّ متولّي طبعها لا يؤيّد قولهُ ببرهان صريح وعلى كل حال انَّ وجودهُ في العربيَّة منذ نحو ٩٠٠ سنة منسوباً الى ذاك اللسان العظيم يدفعنا الى نشره في عيدنا الحاضر لئلّا تأخذهُ يد الضياع . وبين النسختين اللتين نقلنا منهما اختلاف قليل لم نرَ موجباً الى الاشارة اليه الّا في بعض المواضع ل . ش

١) وفي النسخة المصريَّة «باجذل» بالذال ٢) في النسخة المصريَّة «انبا كيرلّس» اراد بهِ البطريرك الحالي. ولفظة البابا شاعت قديماً في الكنيسة الاسكندريَّة بمعنى البطريرك

المفيدة، اعاننا الله واياكم على الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة، والاخلاق الحميدة، والمناهج السديدة، وبلّغكم امثال هذا اليوم سنين عديدة واعواماً مديدة، مغفورة لكم الذنوب والآثام، مخصوصين من سعادة الدارَين باجزل الأقسام (١ ، بشفاعة الرسل الاطهار الذين عهدوا الينا هذه الوصايا، واقتادونا الى مغفرة الخطايا، واستحقُّوا ان ينالوا عظم هذه العطايا، بصلوات ابينا ورئيسنا المؤتمن على خلافتهم، المرتقي الى رتبتهم المخصوص بوراثتهم ، الجالس على الكرسي المرقصي ، الحاكم على الشعب الرسولي الداني والقصيّ، البابا انبا فلان (٢ ادام الله تدبيرهُ ، ورفع في اعلى الملكوت سريرهُ، وجمّل ببقائهِ الاعياد المسيحيَّة ، والمواسم الفصحيَّة ، ورحم بصلواتهِ ابناء المعموديَّة، امين

ميمر في عيد الفصح

منسوب الى القديس يوحنا فم الذهب

تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكيّ

توطئة

بين المخطوطات التي سبق لنا وصفها في جملة ميامر القديسين ومواعظهم (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٤٢٥ و٤٧١) مجموعان قديمان يشتملان على خطب للاباء القديسين تُقرأ في اخصّ الاعياد المسيحيَّة. وفي كليهما ميمر في عيد الفصح ينسب الى القديس يوحنا فم الذهب وهو معرَّب بقلم عبدالله بن الفضل الانطاكي من كتبة القرن الحادي عشر للمسيح (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨٨٦ و٩٤٤). وهو كما ترى اثر نفيس يحسن بنا نشرهُ . وكفى بهِ شأناً انَّ الكنيسة الملكيَّة اصطفتهُ ليكرَّر على مسامع المؤمنين في ذاك العيد الجليل . ولقد راجعنا اعمال القديس يوحنا فم الذهب اليونانيَّة فوجدناهُ هناك في مجموعات آباء اليونان لمين (PP. GG., L, 821-824) الّا انَّهُ مدرج في جملة ما لم تثبت نسبتهُ الى القديس بين التآليف المشكوك فيها لولا انَّ متولّي طبعها لا يؤيّد قولهُ ببرهان صريح وعلى كل حال انَّ وجودهُ في العربيَّة منذ نحو ٩٠٠ سنة منسوباً الى ذاك اللسان العظيم يدفعنا الى نشره في عيدنا الحاضر لئلّا تأخذهُ يد الضياع . وبين النسختين اللتين نقلنا منهما اختلاف قليل لم نرَ موجباً الى الاشارة اليه الّا في بعض المواضع ل . ش

١) وفي النسخة المصريَّة «باجذل» بالذال ٢) في النسخة المصريَّة «انبا كيرلّس» اراد بهِ البطريرك الحالي. ولفظة البابا شاعت قديماً في الكنيسة الاسكندريَّة بمعنى البطريرك

ميمر في الفصح الجديد

لابينا الجليل في القديسين يوحنّا الذهبي الفم

رئيس اساقفة مدينة القسطنطينيّة

افرحوا يا اخوتي واحبّائي بالربّ دائماً واقول ايضاً افرحوا. الرب قريب فلا تهتمّوا بشيء. (فيلبي ٤: ٤) . قام الربّ من بين الاموات ومعهُ جمعٌ قديسين كثيرين . فلنعيّدنّ إذاً عاجلاً تعييداً لذيذاً ورغداً (١ لأنّهُ هذا اليوم حقّاً الذي صنعهُ الرب فلنتهلّلنّ ولنسرّنّ فيهِ (مز ١١٧: ٢٤) ولنُشيدنّ بقيامة مخلّصنا ولنهتفنّ بخلاصنا ولنذيعنّ بإماتة المحّال وبسَبْي الجنّ الرّجسين وبخلاص المسيحيين وبنشور المائتين لانّ بقيامة المسيح تنطفئ نار جهنّم ويموت الدود الذي لا يرقد (مرقس ٩: ٤٣) والجحيم يُغلق وابليس ينوح والخطيئة تموت وارواح الخبث تتنظّر والذين من الارض يعودون الى السماء والذين في الجحيم يُعتقون من قيود المحّال. ويهربون الى الله قائلين للمحّال : «اين شوكتك يا موت واين غلبتُك يا جحيم» (١ كور ١٥: ٥٥)

لكنّ سبب عيدنا المقدّس ومحفلنا الحاضر هو المسيح الذي هو لنا علّة كلّ الامور الحسنة لانهُ كما جبلنا منذ البدء من حيث لم نكن هكذا صنع معنا الآن نحن الهالكين فخلّصنا والمائتين فأحيانا وأنقذنا من جَوْر المحّال واذ كنّا عبيداً الخطيئة اصبحنا احراراً ومحا الصكّ الذي كتبناهُ بأيدينا علينا (كولسي ٢: ١٤) لانّ المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس صائراً من أجلنا لعنةً (غلطية ٣: ٤٣)

تلك هي الامور التي توجب علينا ان نقول عوضاً عنها : بماذا نكافئ الربّ عن كلّ الاشياء التي كافأنا بها (مز ١١٥: ١٢) فانّهُ وهو لم يزل إلهاً ارتضى ان يكون من اجلنا انساناً وصار متواضعاً (٢ حتى الموت كي يفتدينا من الموت الابديّ فسيّد الملائكة لبس صورة عبد (فيلبي ٢: ٧-٨) . وكلمة الله اتّخذ جسداً (يو ١: ١٤) والساوي للاب المديل جوهره (عبر ١: ٣) صار انساناً . وهذه الامور تصيّرها كي يخلّصنا من العبوديّة الظالمة ويفتدينا من الهوان . من اجل هذا رضي رازقُ حياتنا

---

١) ورد في النسخة A وهي اقدم النسختين : لذيذاً ورادعاً

٢) في النسخة A : صار مطاوعاً

ان يتألم جسدهُ المقدَّس . لاجل هذا دُفن ينبوع البقاء لكي يهب للمائتين حياةً ازليةً وقد أحسن الى اهل الارض وشفى آلام الناس فاستوفى المكافأة من اليهود المعاندين الله بما لم يكن لهُ اهلًا

لأنَّ ربَّنا يسوع المسيح من اجل كثرة خيريَّتهِ كان يطهِّر البُرص ويهب النظر للعميان ويشفي العُرج ويطرد الجنَّ واستنهض العازر من القبر بعد اربعة أيَّام وأشبع من خمس خبزات خمسة آلاف ومشى على البحر وأحال الماء خمرًا وشفى النزيف دمها وأحيا ابنة رئيس المجمع بعد وفاتها وصنع اسرارًا أُخر كثيرة اهلًا للتعجُّب . فامَّا اليهود فحملهم الحسد والغيرة فتارةً راموا ان يرجموهُ ومرَّةً حاولوا ان يُكرِدسوهُ (لوقا ٤ : ٢٩) واخيرًا رفعوهُ على الصليب لكنَّ ربَّنا يسوع المسيح لم يتشبَّه بشرّ اليهود المجدِّفين بل بحسب قول النبيّ (اشعيا ٥٠ : ٦) : « بذل نفسهُ للسياط وخدَّهُ للطَّمات ولم يردّ وجههُ من خزي البصاق » وقولهِ : « وسيق اخيرًا مثل الخروف الى الذَّبح ومثل الحمَل بين يدي من يجزُّهُ بغير نُطق غير مقاوم وغير مجاوب » (اشعيا ٥٣ : ٧) مفترى عليهِ ولم يردّ الافتراء بمصائر السوء ولم يتبدَّد دافعًا نفسهُ الى الحكم (١ بطرس ٢ : ٢٥) لأنَّهُ لم يأتِ في ورودهِ الاوَّل ليعاقب ويعذِّب الكفَّار بل آثر ان يرشد بطول الاناة والصبر الضالّين الى الحياة (١

واعتبرْ خيريَّة الربّ وصلاحهُ فانَّ اليهود كانوا يجدِّفون عليهِ قائلين : « انَّ بك شيطانًا » (يو ٧ : ٢٠) وانَّما هو فلطول اناتهِ كان يطرد الجنَّ (٢ من الناس . وكان اليهود يحنقون على المخلص وهو يشفي امراضهم . كانوا يحاولون رجمهُ وهو يهب للعُرج منهم المشيَ . ونهاية كلّ الامور انهُ كان محسنًا الى المفترين عليهِ مانحًا اولئك القليل شكرهم والناس الطمثين عوضًا عن الشرور خيراتٍ محتملًا الفريات بالصبر على الضرّ ولعلَّهُ كان مظنونًا بهِ انهُ يقصر عن المجازاة مع انَّ الملائكة تخدمهُ . ولئلَّا أسهب المقال فلنقبلنَّ الى اصول الامور انفسها لكنَّهُ في آخر الامر سيق ملك المجد الى الصليب والموت وسُيِّر المسيح على خشبة مَنْ تسجد لهُ الشاروبيم والساروفيم مع

---

١) وفي نسخة A : الى الحقّ

٢) وفي احدى الروايتين : بطول روحهِ كان يضطهد الجن

كلّ القوى الملائكيّة . وهذه الاشياء حلّت به وهو حليم وديع مانحاً ايّانا انموذجاً فصار معلّماً للحلم والدعة

فمن اجل هذا يجب علينا ان نحتمل بشجاعة توعّد الناس الخبثاء لأنّ سيّدنا يسوع المسيح لمّا عُلّق على الصليب اوضح اعمالاً وعجائب اكثر من تلك واعظم منها فهدّأ هكذا هيجان المتوتين لكي لا يكون لهم علّة في الكفر ولا يقولوا «صلبنا انساناً محضاً» . وقد احتمل المسيح الصليب ورُفع في الهواء لكي يطرد الجنّ الذين في الهواء . وعُلّق على خشبة لكي يشفي الخطيئة الصائرة قديماً للناس بالخشبة . وأُمن جنبُهُ بحربةٍ من اجل المرأة التي أُخذت من جنب آدم ثم خدعتها الحيّة فصيّرت حوّاء آدم ان يعصي وخرجت القضيّة على كليهما وتملّك الموت منذ آدم حتّى موسى وحلّ على الجميع حتّى الذين لم يخطأوا (رومية ٥ : ١٤) فمن اجل هذا طُعن جنب المسيح ولنعلم بهذا انّ آلامهُ لم تسبّب خلاصاً للرجال فقط بل للنساء ايضاً لأنّ آدم جُبل اوّلاً ثمّ حوّاء فاماً آدم فلم يُخدَع بل المرأة خُدعت وصارت في العصيان لكنّها خلصت بتناسل اولادها ولاسيّما بإنسالها ولدَها مريم لأنّ هذه الطاهرة ولدت المسيح المخلّص ولم تخالط رجلاً كما شهد اشعيا النبيّ (٧ : ١٤) بل ظلّلها الروح القدس كما قال رئيس الملائكة جبرائيل مبشّراً (لوقا ١ : ٣٥)

فمن اجل هذه القضية اذاً التي قُضيت علينا طُعن جنبُ المسيح كي يدبّر الامور المقدّم ذكرها . واشار ايضاً بذلك الى المعموديّة التي بها تُشرف النعمة الجديدة لأنّ المسيح أنبع من جنبهِ دماً وماء ليمحو بهما صكّ الخطيئة ونتطهّر بدمهِ ونتسلّق الفردوس فيا لهُ من سرّ ما اعظمهُ ! . فلمّا ناب اللصّ وكانت تضطرّ الحاجة الى ان يصطبغ (١ وكان الربّ معلّقاً على الصليب ولم يكن للمعموديّة حالة أُخرى لا عين ولا بُحَيرة ولا مطر ولا مَن يكتمل خدمة السرّ لأنّ التلاميذ كانوا هربوا لاجل خوف اليهود لكنّ يسوع احضر من جنبهِ دماً وماء كي يعتق اللصّ من الآثام التي ارتكبها فأوضح انّ دمهُ فداء للمتوكلين عليهِ لأنّهُ «ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عَجَلة

---

١) هذا من باب التصوُّر لا من باب الضرورة فان السيّد المسيح امكنهُ ان يمنح اللصّ الخلاص دون معموديّة . ومن المعلوم انّ معموديّة الشوق تنوب عن معموديّة الماء

يُنضَح على المتنجسين فيطهّرهم نحو طهارة الجسد فكم الاحرى بدم المسيح مخلّصنا ان يصير طهرًا لكافة المسيحيين معًا (عبر ٩: ١٥)

وان يَقُل لك احد الكفرة: لِمَ صُلب المسيح؟ فأجِبْهُ: لكي يُصلَب الشيطان. وان يَقُل: لِمَ عُلّق على خشبةٍ فنجيبهُ: لكي يخلّصنا من الخطيئة الصائرة في الفردوس بالخشبة. وان يقل لك: ولِمَ كُلل بالشوك؟ فأجِبْهُ: لكي يستأصل شوك آدم وقُرطبهُ لأنهُ شُجب فحُكم عليه بان يفلح شوكًا وقرطبًا. وبما انَّ يسوع محبٌّ للبشر شاء ان يعتني بخليقتهِ فصبر على كلّ سوء من اجلنا لكي يعتقنا من العقوبة. لأنهُ كما وُلد من امرأة عذراء لكي يمحو الخطيئة الصائرة للناس من امرأةٍ كذلك كُلِّل بالشوك ليجعل الارض التي فُلحت من المعصية فلاحةً رديئة تلين وتضحي سهلةً انيسةً بطاعتهِ

وان قال: لِمَ شرب المسيح مرًّا وخلًّا؟ فقُل له: كي يقينا نحن من سمّ التنين الميت وبذلك صارت تلك المرارة حلاوةً وشفاء. وان قال: لِمَ سجد لهُ الجند مستهزئين؟ فأجِبْهُ لكي يسجدوا لهُ كارهين ويعترفوا بلاهوتهِ مُقرّين "وتنحني لهُ في القيامة العتيدة كلّ ركبةٍ من السماويين والارضيين والذين تحت الثرى ويعترف كل انسان ان يسوع المسيح ربٌّ بمجد الآب حقًّا" (فيلبي ٢: ١٠). وتدلُّ تلك الحلّة الارجوانيّة التي ألبسوهُ اياها على ملكهِ الثابت رغمًا عن سفك اليهود لدمهِ وقتلهم اياه. كما انَّ القصبة التي جعلوها في يده سوف يكتب بها خطاياهم

لكنَّ محاربي المسيح صنعوا بهِ هذه الاشياء جاهلين المصلوب بل عموا اختيارًا اذ كانت البريّة لم تجهل سيّدها وخالقها لانَّ الشمس الحسّيّة اذ عاينت المسيح شمس العدل معلّقًا على الصليب مشتومًا من المنافقين مهينًا لم تحتمل جرأتهم بل نفرت واظلمت واستشعرت انهُ قبيح هو ان تساعدهم وتُنير عيني المنافقين اعظم النفاق. ولم تغرب الشمس فقط بل اهتزّت الارض ايضًا غير محتملة نفاق اليهود موضحةً معلنةً انَّ المصلوب هو اله فلم تشأ ان تحمل على ظهرها اعداء الله. لانَّ اليهود بلغوا باثمهم ما لم يبلغهُ غيرهم من الأمّة فانَّ قايين قاتل اخيهِ لم ينجّس الارض مثلهم ولم ينجّسها مثلهم الجبابرة بُناة البرج ولا السادوميّون عملةُ الفحشاء. ولا المشركون باكرام الاصنام ولا احد [illegible] قط خبرًا بل [illegible] نفاق كلّ هولاء فلم تُطق الارض

ان تحمل ذلك الثقل الباهظ ومن اجل هذا تشقّقت الصخور الصلبة لكي يعرفوا ان هذا هو الصخرة الحيّة التي رُمز اليه بالصخرة التي شرب منها آباؤهم وانّما الصخرة هو المسيح (١ كور ١٠: ٤) . فيا لغباوة اليهود وترحاً لقلّة نصحهم فالصخور تنشق وهم جمود بلا حسّ . تهتزّ الاشياء الخالية من النفس وذوو النفوس لا شعور لهم . انشقّ ستر الهيكل لتتضح مذ ذاك جرأتهم وتنكشف مستورات الهيكل من اجل قول المسيح : «ها انّ بيتكم يُترك لكم خراباً» (متى ٢٥ : ٣٨) وذلك انّ كلّ اشباه اليهود الحسنة خربت من اجل قتلهم المسيح وانتقل من المدينة والهيكل الملائكةُ الملازمون لها ليسكنوا في كنيسة المسيح . وقامت اجساد كثيرين من الراقدين والقديسين مع المسيح لكي نعلم نحن انّ المسيح بقيامته من الموت لم يَقُم وحدهُ بل يقيم معهُ جميع الاموات الذين يؤمنون به

فهذا هو عيد الفصح وهذه هي اسرار المسيحيين . فاذ قد سمعتم ايها الاخوة اقوال مؤسسنا التي هي عن قيامة الموتى والحياة الابديّة فسبيلنا أن نعيّد « لا بخمير رذيلةٍ وخبثٍ بل بفطير نقيّ وحقّ وانصاف (١ كور ٥ : ٨) مؤمنين بآبٍ وابنٍ وروح قدس ثالوث متساوٍ جوهرهُ غير مخلوق موقنين بالقيامة متوقّعين اتيان الربّ ثانيةً لا بالذلّة ايضاً بل بمجدٍ عظيم وبهجة سماويّة وملائكة منيرين بالخوف والفرح فالفرح من اجل الصديقين والقديسين والخوف من اجل الخطأة والظالمين . والهُ السلامة يؤهلنا اجمعين ان نوجد باعمالٍ مُرضية لاسمهِ القدوس في القيامة مع جماعة القديسين والصديقين الذين ارضوهُ باعمالهم الصالحة وايمانهم المستقيم الرأي الذي لهُ وبهِ يليق المجد والاكرام والتسبحة الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين امين

اعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين

للاب رفائيل نخله اليسوعيّ

سبق لنا القول في المشرق عن تجديد فنّ الجراحة على يد الطبيب الفرنسوي كارِل الذي تمكّن من تلقيح بعض اعضاء الجسم بقطع اخرى منهُ او من غيرهِ على

ان تحمل ذلك الثقل الباهظ ومن اجل هذا تشقّقت الصخور الصلبة لكي يعرفوا ان هذا هو الصخرة الحيّة التي رُمز اليه بالصخرة التي شرب منها آباؤهم وانّما الصخرة هو المسيح (١ كور ١٠: ٤) . فيا لغباوة اليهود وترحاً لقلّة نصحهم فالصخور تنشق وهم جمود بلا حسّ . تهتزّ الاشياء الخالية من النفس وذوو النفوس لا شعور لهم . انشقّ ستر الهيكل لتتضح مذ ذاك جرأتهم وتنكشف مستورات الهيكل من اجل قول المسيح : «ها انّ بيتكم يُترك لكم خراباً» (متى ٢٥ : ٣٨) وذلك انّ كلّ اشباه اليهود الحسنة خربت من اجل قتلهم المسيح وانتقل من المدينة والهيكل الملائكةُ الملازمون لها ليسكنوا في كنيسة المسيح . وقامت اجساد كثيرين من الراقدين والقديسين مع المسيح لكي نعلم نحن انّ المسيح بقيامته من الموت لم يَقُم وحدهُ بل يقيم معهُ جميع الاموات الذين يؤمنون به

فهذا هو عيد الفصح وهذه هي اسرار المسيحيين . فاذ قد سمعتم ايها الاخوة اقوال مؤسسنا التي هي عن قيامة الموتى والحياة الابديّة فسبيلنا أن نعيّد « لا بخمير رذيلةٍ وخبثٍ بل بفطير نقيّ وحقّ وانصاف (١ كور ٥ : ٨) مؤمنين بآبٍ وابنٍ وروح قدس ثالوث متساوٍ جوهرهُ غير مخلوق موقنين بالقيامة متوقّعين اتيان الربّ ثانيةً لا بالذلّة ايضاً بل بمجدٍ عظيم وبهجة سماويّة وملائكة منيرين بالخوف والفرح فالفرح من اجل الصديقين والقديسين والخوف من اجل الخطأة والظالمين . والهُ السلامة يؤهلنا اجمعين ان نوجد باعمالٍ مُرضية لاسمهِ القدوس في القيامة مع جماعة القديسين والصديقين الذين ارضوهُ باعمالهم الصالحة وايمانهم المستقيم الرأي الذي لهُ وبهِ يليق المجد والاكرام والتسبحة الآن وكلّ اوان والى دهر الداهرين امين

اعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين

للاب رفائيل نخله اليسوعيّ

سبق لنا القول في المشرق عن تجديد فنّ الجراحة على يد الطبيب الفرنسوي كارِل الذي تمكّن من تلقيح بعض اعضاء الجسم بقطع اخرى منهُ او من غيرهِ على

شرط حفظها حية في كل المدة المتوسطة بين البتر والتلقيح . هذا ملخص مقالتنا عن ذلك الاختراع العجيب الذي اهتز له علماء الخافقين دهشة وسروراً لكونه فتح للجراحة العصرية دوراً جديداً مجيداً سوف تتمدد فيه مآثرهم في ميدان العمليات التي كانت حتى الآونة الاخيرة قد عصت على مشرطهم ومهارتهم وسعة معارفهم

ولا شك ان قراء الشرق لدى اطلاعهم على ذلك الاكتشاف الرائع ايقنوا انهُ آخر آية بلغ اليها العلم الحاضر فما قولهم لو اثبتنا لهم انهم اساؤوا ظناً ؟ والحق يقال ان فرنسة تفتخر الآن باثنين من نوابغ علمائها فاقا على الدكتور كارل بعجيب اكتشافاتهما الحديثة وسبقاه سبقاً مبيناً عظيماً ألا وهما ناجوت (Nageotte) مدرس الهستولوجية بمكتب من اعظم المعاهد العلمية الباريسية وسنسير (Sencert) مدرس الجراحة في كلية ننسي . ويليق بنا قبل الخوض في اكتشافاتهما ان نبين على سبيل الايجاز جوهرها ثم وجه افضليتها على ما سبق اليه الدكتور كارل

يعود جوهر اكتشاف العالمين الفرنسويين الى هذا : يمكن تلقيح الاعضاء المقطوعة من حيوان على آخر — والانسان حيوان الا انهُ ناطق — بدون لزوم حفظ تلك الاعضاء حية بل ان الملقحات الميتة تتحد وتحيا بالجسم الملقح بنوع اسرع واكمل منها لو كانت حية . وكفى بذلك اشارة الى فوز الابتكار الحديث ونوالهِ قصب السبق على مآثر الدكتور كارل مع ما لهذا الاخير من فضل المتقدم بنهجهِ للعلماء طريقاً لاحباً لم يسبقهُ احد الى تمهيدهِ . هلمَّ بنا الان نوجه النظر الى الاكتشاف الجديد لندرك اسرارهُ الغامضة

معلوم ان كل الاجسام الحية سواء كانت نباتية او حيوانية هي مركبة جوهرياً من خلايا في غاية الدقة يلتئم بعضها ببعض لتكوين ما يسميه العلماء انسجة دلالة على مجانستها الجزئية للمنسوجات المتحيكة وهي متنوعة بتنوع شكل خلايا كل منها وخواص تلك الخلايا الكيماوية والفسيولوجية . فمنها مثلاً النسيج الموصل والعصبي والعظمي والغضروفي . امَّا الموصل فهو الواصل وقتاً لاسبه بين كل اجزاء الجسم ومنه يتكوَّن الجزء الاعظم مما تدعوهُ اللحم . واذا فحص بالمجهر أسفر عن ملايين الياف يتراوح قطرها بين بعض الميكرونات وبعض العشرات منها . والميكرون وحدة القياس المكرسكوبي تساوي جزءاً من الف من المليمتر . وتلك ملايين الالياف

مشتبكة بعضها ببعض اغرب اشتباك وترى فيها آلاف من الشقوق والثقوب واقنية وهي ملأى بمُصالة تتجدَّد دَوْماً وتقطن بهـا الخلايا التي ليست عديدة في غالب الاجسام

وقد بقيت تلك الاليـاف المشتبكة سرّاً غامضاً طالما اجهد الاختصاصيون فكرتهم في كشف نقابه الى المدَّة الاخيرة فعادوا خائبين . فزعم فريق منهم انهـا مصنوعة بمادّة تُفرزها الخلايا الحيَّة الماكثة في خلال الالياف كما تتألف مخاريب القفير من مُفرَزات النحل . وذهب فريق آخر الى انها مصنوعة من نفس جوهر تلك الخلايا . وكان كلا الرهطَين في ضلال مبين كما أوضح الاستاذ ناجوت بأجلى البراهين على اثر فحوصهِ المتعدّدة بالمجهر لأنداب الجروح في كل ادوار اندمالهـا . وقد اسفرت ابحاثـهُ عن كون المادة الجوهرية المتكون منها وشيجُ الياف النسيج الموصل هي ناجمة عن تحوّل مادّة الفِبرين (fibrine) التي تظهر في التَدب لكل ذي عينين . والفبرين عنصر يتكون في الدم ويسبّب جمودَهُ في حال خروجهِ من العروق . فالاستاذ ناجوت لدى فحصهِ المجهري لتدبٍ ما في كل ادوارهِ رأى الفبرين المولودة من الدم تتحوّل تدريجاً بنوع يكاد لا يُشعَر بهِ الى شكل الياف النسيج الموصل . والنتيجة الخطيرة لتلك الابحاث هي تولّد الالياف رأساً من جوهر الدم . ولم يبق مجال للشك في ذلك بعد مراقبات العلّامة ناجوت الذي خطا خطوةً جـديدةً باستنتاجه ان تلك الالياف ليست بحصر المعنى مادة حيّة فانَّ البَلْما اي العنصر الاصلي الدموي الذي تكوّنت منه ليس حيّاً . ولا يخفى على احد ان الحيّ يتعذّر قطعيًا تولّده من غير الحيّ كما اثبت ذلك نهائيًا العلّامة الكاثوليكي باستور الطائر الشهرة . اما الخلايا المتبطّنة في خلال الاليـاف فهي حيّة دون مراء ويتّضح ذلـك من تأثرها الحيَوي لبعض العوامل وتناسلها وتحوّلاتها الكيماويّة مع العناصر الخارجيّة . وحيث انها قليلة نسبةً الى عدد الالياف المحيطة بها . لأنَّ كل الجسم البشري البالغ وزنه ٧٠ كيلوغراماً لا يحتوي من الخلايا الحيَّة على اكثر من نحو خمسة كيلوغرامات . فما أغرب والحالة هذه تشبيهَهُ بمدينة توصف بالحياة رغماً عن كون معظم محتوياتها اي بيوتها ومبانيها خالية من الحياة . وقد جرت كل ألسنة العالم على وسم الشيء بسمة اشرف اجزائهِ

خلاصة القول ان النسيج الموصل في جسم الانسان والحيوانات ليس حيًّا . وانما

هو مسكن الخلايا الحية المنتثرة فيه بقلّة نسبيّة . وفضل الاستاذين والعالمين المبرزين ناجوت وسنسر هو انهما بحثا عما اذا امكن اخلاء ذلك المسكن من قاطنيه وإبدالهم بسواهم . فعمدا الى الاختبارات لحلّ ذلك المشكل المبهم . ومن ثمّ انتزعا قطعاً من النسيج الموصل في الانسان وبعض الحيوانات وغمساها في مائع قاتل لكل الخلايا الحية ثم لقّحاها على جسم حيّ . كل ذلك يعبّر عنه الآن بالتلقيح الميّت (greffe morte) فتيقّن المبتكران الجسوران على اثر امتحانات لا تُحصى ان قطعة النسيج الموصل الملقّحة لا تلبث ان تلتحم بالعضو الملقَّح اشدّ التحام وتنتعش بجواره بعد موتها بحيث يستحيل على ادقّ الفاحصين المحنّكين تعيين الحدّ الفاصل بينهما

هاك تفاصيل احد اختبارات العالمين الفرنسويين . بعد تبنيج بعض الكلاب بالكلوروفورم عريًا ثم بترا على طول بضعة سنتيمترات بعض الاعصاب الباسطة لعضلات الاصابع . ثمّ لقّحا بدلًا من الاجزاء المقطوعة باجزاء اخرى مجانسة مأخوذة من كلب ميّت وموضوعة مدة شهر ونيّف في الكحول القاتل لكل الخلايا الحيّة . ثم قُتلت الكلاب الملقَّحة بضعة اسابيع بعد العمليّة وقد كانت قبل موتها استعادت حركة اصابعها بغاية السرعة . فكانت نتيجة الفحص الدقيق بالنظر المجرّد ثم بالمجهر ان الاعصاب الملقَّحة في احدى رجلي الحيوان لا تختلف ادنى اختلاف عمّا يقابلها في الرجل الاخرى وانّ قطعة العصب الملقّحة ملتحمة التحاماً تامًّا حيويًّا بجزء العصب الذي خيطت به فهي تقاسمه كل خواصه النوعيّة والفسيولوجيّة . بل العجب العجاب انه استحال مطلقاً على الفاحصين مهما كبرا الصور المرتسمة في مجهرهما ان يريا مكان الالتحام بين الملقّح والملقَّح عليه . واغرب من ذلك ان الفلذة الملقّحة انجلت لهما بكل مجالي الحياة والياف نسيجها الموصل عامرة بكثير من الخلايا الحية الواردة اليها ضرورةً من جزء العصب التي لُقّحت عليه . وقد لاحظ العالمان سيرها التدريجي من احدى الجهتين الى الاخرى بقتل الكلاب الملقَّحة بعد مرور اوقات متفاوتة منذ اجراء العمليّة

واذ نجحا ذلك النجاح العظيم في تلقيح اعصاب العضلات تجاسرا وحاولا تلقيح قطع من الشرايين ويعلم القاصي والداني مقدار دقّتها . فأبدلا في بعض الحيوانات قطعاً مبتورة من الوداج — وهو الشريان الموصل للدماء من القلب الى النخاع — بغيرها بعد ان

قتلت خلاياها في الكحول . فاسفرت العملية عن نجاح باهر حتى في حيوانات مختلفة الجنس كالخروف والكلب . ويلزم تنبيه القراء الى ان الياف النسيج الموصل المأخوذ من الخروف والمفرَّغ من خلاياه الحية عاش تدريجاً بعد تلقيحه على وداج الكلب بالخلايا المختصة بالكلب ليس بالخروف

ثم اراد المكتشفان النحريران المقابلة بين التلقيح الميّت — وهو الاسم الذي اطلقاه على ابتكارهما — والتلقيح الحي وهو التسمية المناسبة لاكتشاف الدكتور كارّل رصيفهما الذي جارياه في الميدان الجديد الذي فتحه للجراحة العصريَّة . هذا هو الاختبار الذي اجرياه بل اعاداه مراراً : لقحا على كلبٍ فلذةَ وداجٍ ميتةً بدلاً من جزء مبتور من وداجه الايمن وقطعةَ وداج حيّةً بدلاً من احد اجزاء وداجه الايسر . فكانت نتيجة المقابلة بين الفلذتين الملقحتين ان الاولى التحمت بنوع اسهل واسرع من الثانية خلافاً لما كان يتوقعه في تلك الظروف لفيف العلماء الاختصاصيين وطبقاً لما كانا هما ينتظرانه

وتفسير ذلك السرّ الغريب ان الخلايا الحيّة اذا انتقلت من جسم الى آخر ولو كانا من جنس واحد لا تلبث ان تُحدث بعض التسمم في الجسم المُضيف لها فكأنّ هنا حرباً عواناً بين حياتين متضادتين لا تثبت الواحدة الّا بالحاق بعض الخسارة بالاخرى . وان شئنا ان نضرب مثلاً بسيطاً يقرّب ذلك الناموس الحيوي الى الاذهان فحسبُنا الاشارة الى ان احتلال مدينةٍ لا حامية لها يسهل على ايّ جيش كان بخلاف احتلال بلدة محصنة عامرة بالجنود ومجهّزة بانواع الذخائر الحربيَّة فانّ فتحها لا يُنال الّا ببعض المشاقّ . فأفلاذ النسيج الموصل الملقحة على جسم الحيوانات بعد قتل خلاياها هي اشبه بمدينة عزلاء خالية من الجند فيتيسَّر على الخلايا المضيفة لها ان تلج بين الياف النسيج الملقَّح لتنوب عن سكانه السابقين الذين لم يكن فيه عناصر حيّة سواهم . وما نقوله في تلقيح قطع النسيج الموصل ينطبق على تلقيح ايّ فلذةٍ كانت تُبتَر من جسم الحيوان . فقد سبقت لنا الاشارة الى ان القسم الاكبر مما نسميه لحماً متكون من النسيج الموصل

ومُذْ تاكد العالمان المكتشفان ناجوت وسفر افضليَّة طريقتهما على خطة كارّل اعني امتياز التلقيح الميّت على التلقيح الحي أقدما اقتداء بنموذج رصيفهما الشهير على إخراج

ابتكارهما الى حيز العمل في العمليات الجراحية فكلل النجاح مساعيهما منذ الاوائل . وقد ساعدتهما على اجراء التجارب كثرة جرحى الحرب الكبرى : فلنورد تفاصيل بعضها على طريق الايجاز

لقح اليقريسان اعصاباً حيوانية على اعضاء اشخاص مزقت شظايا الانابل قطعاً من اعصابهم . فنجحت تلك العمليات العديدة فوق ما يؤمل واستعاد المعالجون التمتع التام بالعضو الملقح بعد ان امتنعت عليه ادنى حركة . وقد بلغ احياناً طول العصب الحيواني الملقح عشرة سنتيمترات . وعلى هذا المنوال أبدلت اوتار عضلية مقطوعة بغيرها مأخوذة من حيوانات ميتة فافلحت المبادلة . ولا نتمالك ان نروي على حدة تفاصيل احدى العمليات الاخيرة . كان المعالج قد فقد كل الاوتار العضلية المعطفة لاصابع احدى يديه فبقيت الاصابع ملتوية نحو الراحة ومن المستحيل تمديدها . فألقحت عليها ثمانية اوتار مثلها منزوعة من كلب فشفي الرجل من عاهته اتم شفاء وصار يستخدم كل اصابعه كما كان يفعل قبل جرحها

وبما ان تلقيح قطع الشرايين نجح في الحيوانات كل النجاح فالاستاذان ناجوت وسنسر يبنيان عليه اطيب الامل في اجراء مثله على الانسان . فلو تحقق رجاؤهما وتعممت طريقتهما التلقيحية لنجا من الموت الفجائي الهائل آلاف من المصابين بالنورسما (anévrisme) وهي انتفاخ مفرط في الشرايين يحدث انقطاعها نزف الدماء في باطن الجسم فلا مناص عندئذ من الموت العاجل . فكم وكم حياة ثمينة تخلص من الهلاك اذا استطاع الجراح الواقف على وجود نورسما في شريان معلوم ان يبتر جزء الشريان المصاب به فيبدله بجزء ملقح

ثم ان لاكتشاف العالمين الفرنسويين تطبيقاً آخر شديد الخطورة لا يبعد تحقيقه . كان الجراحون حتى ايامنا هذه اذا ارادوا معالجة عظم فقدت منه قطعة لا بد من التعويض عنها كما في الجمجمة يعمدون الى كسر مثلها من عظم اقل اهمية للشخص المعالج ويكتفون بها العظم الناقص . ومن البديهي ان في ذلك كلفة بل مصيبة على محتمل العملية فكاني به نجا من العمى بقبول العور . فكم تخف بل تزول المصائب ان امكن في مستقبل قريب تلقيح كسر من عظام الكلاب او العجول لتنوب مناب ما انتزع من عظام الانسان . وكثير مثل هذه التطبيقات الجراحية

يسوغ لنا الآن رجاء تحققها العاجل . فما اعظم الخدمة التي ادّاها للعالم اجمع الجهبذان الفرنسويان ناجوت وسنسر باكتشافهما الرائع الذي كاد يدنينا معجزات الدكتور كارّل مبتكر فن التلقيح الجراحي الحديث

وقبل ختام هذه المقالة نريد إطلاع القراء على اكتشاف اخر شديد الخطورة يُعزى الى نفس العالمين المذكورين وله علاقات وثيقة بالاكتشاف الاول . كان العلماء عموماً ولا سيّما الاختصاصيين بعلم الخلايا الحيّة موقنين بان لكل نوع من هذه الخلايا اشكالاً ومواضع ووظائف معلومة يمتنع تغيّرها . فالاستاذان الشهيران قد اوضحا استناداً الى اختباراتهما العجيبة بطلان ذلك الرأي

وهذا بيان موجز لكيفية وقوفهما على الحقيقة المحجوبة عن ذات الاختصاصيين . انهما فحصا موضع التلقيح من كلاب بُترت منها قطع وِداج ثم أُبدلت بمثلها من كلاب أُخر . ومعلوم لدى العارفين ان قناة الوداج مكوّنة من طبقات متنوّعة من الخلايا والطبقة الوسطى مركبة في الشريان الحيّ من خلايا خصوصيّة يتخلل بينها عدة صفائح مَرنة ودقيقة لم يبق سواها في قطعة الوداج الميّت الملقح على وداج الكلب . فالعالمان ناجوت وسنسر لاحظا بعد اجراء التلقيح بمدّة ان خلايا عديدة تسرّبت شيئاً فشيئاً من انسجة الجسم المجاورة لقطعة الوداج الملقّحة وتخللت بين الصفائح المرنة التي بهذه القطعة نيابةً عن الخلايا التي قُتلت قبل التلقيح . ويمكن بالمجهر مشاهدة كل ادوار تحوُّل الخلايا الواردة من جوار الوداج الى مكانٍ وشكل ووظائف جديدة . فقد ثبت علمياً بفضل الاستاذين امكان تحوُّل الخلايا من نوع الى اخر ومن وظيفة الى اخرى . وعلى هذا الاكتشاف الجديد تستند آمال كبرى قرّب الله موعد تحققها وهي الآتية : كل اعضاء جسمنا مكوّنة جوهرياً من نسيج مُوصل يمكن تلقيحه على مثله في جسم آخر بعد قتل خلايا الاوّل . ومن جهة اخرى ان النسيج الموصل الملقّح له تأثير على الخلايا المجاورة بتحويلها الى النوع المناسب للعضو الملقّح مثلاً الى خلايا شريانيّة ان لُقّح الشريان . فما الذي يمنعنا مبدئياً بعد الحقائق الراهنة التي سبقت الاشارة اليها ان نرجي امكان التلقيح الميّت ليس فقط في قطع العروق والاوتار العضلية ومثلها بل وفي اهمّ الاعضاء الحيوية كالقلب والمعدة والرئة والكلوة . لعمري كل ذلك لم يزل الآن في دائرة الامكان ولو لم يخرج بعد

منها الى حيّز العمليّات الجراحيّة

والحق يقال ان اكتشافات العالمين الفرنسويين ناجوت وسنسر هي من ابعد ما ادركتهُ فكرة العلماء الوقّادة بفضل الفحوص والاختبارات المتعددة التي أجروها في ميدان العلوم عامّةً وفنّ الجراحة خاصة منذ شُغِفت الالباب بالتوغل في اسرار الطبيعة طمعاً في ازاحة طرف النقاب الذي اسدلهُ عليها البارئ ريثما يكشفه الانسان بانتصاره المجيد على كل العقبات الحائلة دون مرامه النبيل

رسالة تدبير المنزل لارسطو

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة (الآثار)

تمهيد

لقد طالعت في الجزء الثالث الماضي من (المشرق) الاغرّ مقالة «تدبير المنزل» لمؤلفها (ربيس) مع مقدمتها وحواشيها بلذّة لما فيها من المباحث الجديرة بالثناء على الفلاسفة القدماء في ما وضعوهُ لنا من كتب التربية وتدبير الأسرة والمنزل الخ وما عانى علماء العرب في نقلها الى لغتهم وحفظها بعد ضياع أصول كثير منها ونشرها الآن بعناية مجلّة المشرق . ولقد عُنيت بالبحث عن مثل هذه الآثار النادرة لنشرها على صفحات مجلتي (الآثار) او غيرها من المجلات الكبرى حفظاً لها من الضياع . وبما ظفرني به الحظ منذ سنوات مقالة «تدبير المنزل» لارسطو الفيلسوف اليوناني في مجموعة طبيّة طبيعية فنّية قديمة الخط نادرة الوجود اتصلت بمكتبتي مثل غيرها من المخطوطات النادرة التي حرصتُ عليها كل الحرص ولاسيما في اثناء الحرب العامّة ونكباتها فزدتها عشرات من النوادر . وقبل وصف الكتاب والرسالة استأذن ناشر المقالة المذكور صديقي العلامة صاحب المشرق بتقديم كلمة في هذا الموضوع :

كتب تدبير المنزل

لقد وقفتُ على أسماء كثير من المؤلفات المتعلّقة بتدبير المنزل وشؤون الأسرة والتربية البيتية وسياسة اربابه وعرفتُ بعضها وما بحثتُ فيه . فرأيتها ترمي الى اغراض كثيرة مثل تدبير الزوجة وتربية الاولاد وتدريب الخدام وآداب الصحة وحسن

منها الى حيّز العمليّات الجراحيّة

والحق يقال ان اكتشافات العالمين الفرنسويين ناجوت وسنسر هي من ابعد ما ادركتهُ فكرة العلماء الوقّادة بفضل الفحوص والاختبارات المتعددة التي أجروها في ميدان العلوم عامّةً وفنّ الجراحة خاصة منذ شُغِفت الالباب بالتوغل في اسرار الطبيعة طمعاً في ازاحة طرف النقاب الذي اسدلهُ عليها البارئ ريثما يكشفه الانسان بانتصاره المجيد على كل العقبات الحائلة دون مرامه النبيل

رسالة تدبير المنزل لارسطو

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة (الآثار)

تمهيد

لقد طالعت في الجزء الثالث الماضي من (المشرق) الاغرّ مقالة «تدبير المنزل» لمؤلفها (ربيس) مع مقدمتها وحواشيها بلذّة لما فيها من المباحث الجديرة بالثناء على الفلاسفة القدماء في ما وضعوهُ لنا من كتب التربية وتدبير الأسرة والمنزل الخ وما عانى علماء العرب في نقلها الى لغتهم وحفظها بعد ضياع أصول كثير منها ونشرها الآن بعناية مجلّة المشرق . ولقد عُنيت بالبحث عن مثل هذه الآثار النادرة لنشرها على صفحات مجلتي (الآثار) او غيرها من المجلات الكبرى حفظاً لها من الضياع . وبما ظفرني به الحظ منذ سنوات مقالة «تدبير المنزل» لارسطو الفيلسوف اليوناني في مجموعة طبيّة طبيعية فنّية قديمة الخط نادرة الوجود اتصلت بمكتبتي مثل غيرها من المخطوطات النادرة التي حرصتُ عليها كل الحرص ولاسيما في اثناء الحرب العامّة ونكباتها فزدتها عشرات من النوادر . وقبل وصف الكتاب والرسالة استأذن ناشر المقالة المذكور صديقي العلامة صاحب المشرق بتقديم كلمة في هذا الموضوع :

كتب تدبير المنزل

لقد وقفتُ على أسماء كثير من المؤلفات المتعلّقة بتدبير المنزل وشؤون الأسرة والتربية البيتية وسياسة اربابه وعرفتُ بعضها وما بحثتُ فيه . فرأيتها ترمي الى اغراض كثيرة مثل تدبير الزوجة وتربية الاولاد وتدريب الخدام وآداب الصحة وحسن

المعاشرة وصحة المخالقة وآداب الانسان في مأكله ومجلسه وملبسه وسفره واقامته وادارة البيت وإعداد المآكل والتمريض وما يتعلق بذلك من الآداب الرائعة ولولا ضيق المقام في هذه العجالة لعددت منها عشرات باسماء مؤلفيها ومواضيعها وما شاكل ولكنني اقتصر على الاشارة العامة منتقلاً الى وصف هذا الفنّ من مؤلفاتهم :

انّ طاش كبري زاده في كتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة (١ » الذي ضمّنهُ كثيراً من هذه الآداب ذكر في (الدرجة الخامسة) التي تبحث في الحكمة العملية ان لها اربع شُعَب : (الاولى) في علم الاخلاق . و(الثانية) في علم تدبير المنزل . و(الثالثة) في علم السياسة . و(الرابعة) في فروع الحكمة العملية وهي علم آداب الملوك . ووظائف السلطان . وآداب الوزارة . والاحتساب . وقود العساكر والجيوش

ثم قال بعد تعريفهِ الحكمة العمليَّة ما نصُّهُ وهو يدلّ على علاقات التقسيم : « ثم ان الحكماء ذكروا علومهم العملية وبحثوا فيها عن الاعمال الصادرة عن البشر . وتلك الاعمال امَّا ان تتعلق بالشخص وحده وهي (علم الاخلاق) . أو تتعلق باهل المنزل لدوام الانس والائتلاف وهي (علم تدبير المنزل) . او تتعلق باحوال اهل البلد لنظام احوال الملك والسلطنة وهي (علم السياسة) وهذه علوم ثلاثة . ولنذكر كلًّا منها في شعبة ثم نردفها بشعبة رابعة لبيان فروعها »

واليك ما ذكرهُ في الشعبة الثانية عن (علم تدبير المنزل) : « وهو علم يُعرف منهُ اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدَّامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها . و (موضوعهُ) احوال الاهل والاولاد والقرايب والخدَّام وامثالها . و (منفعة هذا العلم) عظيمة لا تخفى على احد حتى العوامّ لان حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزلهِ ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة

(١) وهو الامام عصام الدين احمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) وكتابهُ (المفتاح) من اكبر الموسوعات العربية الباحثة في اقسام العلوم ووصف مؤلفاتها وتراجم المؤلفين يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة طُبع منها الأوَّلان في الهند بحيدرابادسنة ١٣٢٨-١٣٢٩ هـ (١٩١٠-١٩١١ م) في نحو الف صفحة بقطع ربع كبير وهو ما وقف الطابع عليه من المفتاح ولهُ جزء ثالث من نسخة رائعة في مكتبة احمد باشا تيمور من الدرجة السابعة الى آخر الكتاب وهذا حريٌّ بالطبع لما فيه من الآداب والعادات ولي مقالة مطولة في وصف الكتاب ومعارضاتهِ ربما نشرتها في احدى المجلَّات

بينهُ وبين الاشخاص المذكورة ويتفرغ باعتدالها وانتظامها الى كسب السعادة العاجلة أو الآجلة»

ثم قال: « ولشهر كتب هذا العلم (كتاب بروش) . وفي هذا العلم كتب كثيرة غير هذا وستعرف الكتب الجامعة للثلاثة » . . . . . .

انتهى ما رايت ذكرهُ من هذا الكتاب الذي اعتمد عليه الحاج خليفة في كشف الظنون ونقل عنه التعاريف والحدود احياناً بالحرف الواحد كما ترى في علم تدبير المنزل

مؤلف الرسالة المنشورة في المشرق

لقد رأيت اسم صاحب هذه الرسالة كثير الصور والتحريف . واقدم من ذكرهُ ابن النديم في (الفهرست) صفحة ٢٦٣ بقوله :

« كتاب (روفس) في تدبير المنزل لطوسوس (١ »

هذا كل ما ذكرهُ عنهُ ولمـا نقل المرحوم المؤرخ جرجي زيدان كلامهُ في تاريخ دأب اللغة العربية (٢ : ٢٣٢) قال : « كتاب تدبير المنزل لبروسن (كـذا) ذكرهُ صاحب الفهرست وقد ضاع » . فحرّف الاسم خطأً مطبعياً . وكأن المؤلف لم يطالع الفصلين اللذين نُشرا من هذا الكتاب في مجلة الضياء اليازجية (٢ : ١٩٩ و ٢٤٣ و٢٦٦) في البحث عن المال والخدَّام فقط عدا الفصلين الباقيين اللذين نشرتهما (المشرق) مع الاوَّلين (٢ فلذلك قال انه (قد ضاع)

ولقد عارضت ما نُشر في الضياء بما نُشر في المشرق فرأيت الكتاب الذي نقل

---

١) لا نعلم ما هو مستند جنابه في قولهِ انَّ الكتاب المذكور في الفهرست هو الـذي تولَّينا نشرهُ في المشرق ولعلَّه كتاب آخر باسمه مع ما في ايراد الاسم من الالتباس « كتاب روفس . . . لطوسوس ؟ » (ل . ش)

٢) لم ننبه الى ما نُقل من كتاب تدبير المنزل في الضياء في سنتها الثانية ولولا ذلـك لأشرنا اليها . ومن المرجَّح انَّ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي اطلع على ذات النسخة التي اخذنا عنها . ولم يصرّح في الضياء عند من وجد الاصل الذي نقل عنهُ . وقد قابلنا بين ما نشرناهُ في المشرق والقسم الذي نشرهُ صاحب الضياء فرأينا فيهما فرقاً زهيداً فان الشيخ لم يُشر الى الاصل المغلوط فأصلحهُ توًّا وقد اصلحناهُ نحن بعد ذكر الرواية الاصليَّة صوناً لامانة النقل . امَّا تقاسيم الفصول فزدناها نحن بحرف دقيق تسهيلاً لمطالعتها (ل . ش)

عنهُ الضياء اسدَ مرمى في بعض المواضع مما نقل عنه المشرق ولعلّه اقدم واضبط . على ان ما في المشرق قد يزيد فقرات لا توجد في الضياء احياناً شأن ما ينقل عن المخطوطات القديمة ولاسيما غير المنقوطة منها او التي لم تقابل على اصلها وتضبط بقراءتها على مشاهير العلماء

بقي البحث في (اسم مؤلف الرسالة) فان ما فيه من التصحيف والتحريف وكثرة الإشكال يشوش الذهن حتى ان الاسم جاء في مجلة (الضياء) هكذا (رسس) مبلاً . وفي آخر مقالة المشرق (برولس) ولعلها بروبس لان ما جاء في فهرست ابن النديم هو الاقرب الى الاصل والفيلسوف (روفس) كان من افسس مقدماً في صناعة الطب ولم يكن في الروفسيين افضل منه . وهو قبل جالينوس المشهور (فهرست ص ٢٩١) ولاخفاء بالتبادل بين الفاء والباء فيقال روفس وروبس

ولقد ترجم هذا الفيلسوفَ ابنُ القفطي (ص ٢٩١) وابن ابي اصيبعة (١ : ٣٣) في كتابيهما (تاريخ الحكماء والاطباء) على ان ابن ابي اصيبعة سماهُ (روفس الكبير) مما يدل على انه يوجد حكيم آخر باسم (روفس الصغير) لعلهُ هو واضع هذه الرسالة . ولقد عدّدا مؤلفاته . وذكر لهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠) (كتاب حفظ الصحة) الذي فسّرهُ حنين ابن اسحق . ولكنهما لم يصرّحا باسم هذا الكتاب كما اشتهر اسمه (تدبير المنزل) . على ان ابن ابي اصيبعة ذكر له مقالة (في تدبير الاطفال) ولعلها احدى المباحث الاربعة مفردةً او سمّى الكل بأسم الجزء . وذكر له ابن النديم (كتاب التدبير مقالتان) فافرد له بعض مباحث الرسالة ايضاً . اما علوسوس الذي ذكرهُ ابن النديم فما لا يُهتدى اليهِ ولعله هو الذي دعا الى هذا التحريف والتصحيف

تدبير المنزل لارسطو

هو رسالة من كتاب طوله ٢٣ س وعرضه ١٦ وكل صفحة معدَّل اسطرها ١٧ في نحو ٤٠٠ صفحة مخروم من اوله واخره ولكنه قديم الخط مجلد بالخشب بقطع بع عريض خشن الورق مختلف الخط بالحبرين الاسود والاحمر اتّصل بمكتبتي . وفيه مقالات (التعليلات) للاسكندر الافروديسي . و(ثمار المسائل الطبية) لثاوفرسطس . و(مسائل ما بال) لارسطو في ٢٥ مقالة . و(ثمرة من كلام يحيى وجالينوس) في الترياق .

ومقالات أُخر مختلفة المواضيع لعيسى بن ما سويه وجالينوس . وبعضُها لم يُذكر مؤلفها وهي في تركيب الادوية والاغذية والحيوان والشعر والروح والنفس والعطش والروائح الخ وآخرها (في الموسيقى) لابي الفرج بن الطيّب . وكلها من نوادر المواضيع الجديرة بالنشر . على ان خط الكتاب القديم كان مهلاً فأعجمهُ بعض مطالعيه فشوّشوا بعض الفاظه . وسأصف هذه المجموعة مع غيرها من نوادر المخطوطات التي أحرزها في مكتبتي حرصاً على فوائدها وحفظاً لها من الضياع متى سنحت لي فرصة كافية

اما مقالة تدبير المنزل فقد عُنونت هكذا (ثمار مقالة أرسطو في تدبير المنزل) وهي في نحو سبع صفحات (١ . عارضتها بمقالة (بروفس) في المشرق فرأيت فيها هذه الفروق :

معارضة الرسالتين

بدأ ارسطو رسالته في الفرق بين السياسة المنزليّة والسياسة المدنيّة فأبدع في التفرقة بينهما ولم يقتضب الكلام اقتضاباً كما فعل (بروفس) وجعل اول حاجات المنزل المرأة فبحث عنها ثم عن الرجل وسياستهما معللاً عن مبادلة التعاون مفرقاً بين الانسان والحيوان في الزواج . باحثاً عن زينتهما وانها خارجية لا تأثير فيها على الاخلاق مفضلاً هذه عليها . وتطرّف الى الخدّام وعبّر عنهم (بالعبيد) ونهى عن السماح لهم بشرب المسكرات وحضّ على تعهّدهم بالاستخدام والتأديب والإشباع واسترسل الى وصف اخلاقهم وما يجب ان يفضّل منها على غيرها

ثم استرسل الى المال وتحصيله وخزنهِ وإنفاقهِ وما شاكل ذلك مشيراً الى تربية الأسرة وما يجب فيها من الحكمة

على ان الفرق بين الرسالتين ان ارسطو ادمج كلامه بدون تبويب وبدأ في وصف تدبير المنزل وشؤون اربابه متطرقاً من موضوع الى آخر بعلاقات قادهُ اليها البحث

---

١) ولعلّ هذه الرسالة هي عين الرسالة التي اشرنا اليها في مقدّمتنا على رسالة تدبير المنزل حيث روينا ما نشرهُ العلّامة إجر (Egger) في مجموعة أكادمية الكتابات والفنون منسوباً الى ارسطو في تدبير المنزل فاذا نشرهُ صديقنا عيسى افندي عارضناهُ بتلك الترجمة (ل . ش)

معتمداً على فلسفة التدبير العامّة معتمداً على آداب العبيد المستخدَمين مما يدل على شدّة عناية القدماء بهم ولاسيما في عصره . بخلاف تقسيم بروفس مقالته الى اربعة مباحث معنونة

وعبارة رسالة ارسطو تنمّ عن اساليب التعريب القديمة لكبار المعرّبين مع ما في الفاظها من الإشكال لإهمالها ثم إعجامها مما يحتاج الى إعمال النظر لردّه الى نصابه

وعلى الجملة فالرسالة جديرة بالنشر بعد تحقيق بعض الفاظها وازالة ما شوّهها من التصحيف مع كرور الايام على هذه النسخة واصطلاح الخط القديم وكثرة الايدي التي اشتغلت في الكتاب المجموعة فيه نسخاً وتنقيطاً وتشكيلاً . وسأتفرّغ لذلك عند سنوح الفرصة

ختام

ومزية المقالات جميعها انها عبّر عنها في الطب (بالعلّة) وفي غيرها (بالثمرة) فلذلك سُميت مقالات كثيرة فيه بالتعليلات واخرى بالثمار وفيها مباحث مفيدة في الطب والطبيعيّات والآداب منها في الخمر والمسكر والتعب والاعياء والعُدوى التي عبّر عنها بالمشاركة في الألم وخواصّ الحيوانات والصوت والامزجة والعطش واكثرها لارسطو وغيره من كبار الفلاسفة ولعلها من تعريب ابي الفرج ابن الطيب والله اعلم

شهيدات المحبة

في ثورة فرنسة الكبرى

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انّ شريعة المسيح قد امتازت عن الشريعة الموسويّة بكونها غلّبت الفضل على العدل ورجّحت المحبّة على القسط والإنصاف . قال رسول الامم في رسالته الى الرومانيين (١٣ : ١٠) : « انّ المحبّة هي الناموس بتمامه » وقال في الرسالة الى اهل

معتمداً على فلسفة التدبير العامّة معتمداً على آداب العبيد المستخدَمين مما يدل على شدّة عناية القدماء بهم ولاسيما في عصره . بخلاف تقسيم بروفس مقالته الى اربعة مباحث معنونة

وعبارة رسالة ارسطو تنمّ عن اساليب التعريب القديمة لكبار المعرّبين مع ما في الفاظها من الإشكال لإهمالها ثم إعجامها مما يحتاج الى إعمال النظر لردّه الى نصابه

وعلى الجملة فالرسالة جديرة بالنشر بعد تحقيق بعض الفاظها وازالة ما شوّهها من التصحيف مع كرور الايام على هذه النسخة واصطلاح الخط القديم وكثرة الايدي التي اشتغلت في الكتاب المجموعة فيه نسخاً وتنقيطاً وتشكيلاً . وسأتفرّغ لذلك عند سنوح الفرصة

ختام

ومزية المقالات جميعها انها عبّر عنها في الطب (بالعلّة) وفي غيرها (بالثمرة) فلذلك سُميت مقالات كثيرة فيه بالتعليلات واخرى بالثمار وفيها مباحث مفيدة في الطب والطبيعيّات والآداب منها في الخمر والمسكر والتعب والاعياء والعُدوى التي عبّر عنها بالمشاركة في الألم وخواصّ الحيوانات والصوت والامزجة والعطش واكثرها لارسطو وغيره من كبار الفلاسفة ولعلها من تعريب ابي الفرج ابن الطيب والله اعلم

شهيدات المحبة

في ثورة فرنسة الكبرى

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انّ شريعة المسيح قد امتازت عن الشريعة الموسويّة بكونها غلّبت الفضل على العدل ورجّحت المحبّة على القسط والإنصاف . قال رسول الامم في رسالته الى الرومانيين (١٣ : ١٠) : « انّ المحبّة هي الناموس بتمامه » وقال في الرسالة الى اهل

كولتي (٣: ١٤) : «المحبَّة رباط الكمال» . وانَّما المحبَّة فرعان كما قال السيّد المسيح (متَّى ٢٢: ٣٨ــ٤٠) : «محبَّة الله وهي الوصيَّة العظمى والأُولى ومحبَّة القريب التي تشبهها وبهاتين الوصيَّتين يتعلَّق الناموس كلُّهُ والانبياء»

وبين القديسين في كنيسة الله من اشتهر بتبريزه في احدى تينك الوصيَّتين فهام بعضهم في حبّه تعالى حتَّى كادوا يذوبون غراماً في مناجاتهِ ويتفانون في الاقتداء بكمالاتهِ . ومنهم من خصّوا نفسهم في خلاص القريب وبذلوا النفس والنفيس في صلاحهِ حبًّا بالله

وقد برّز غيرهم في اتمام الوصيَّتين فقدّموا ذاتهم محرقةً ذكيَّة على هيكلي حبّ الله وحبّ القريب . منهم اربع رواهب من راهبات المحبَّة قُتلن في السنة ١٧٩٤ في سبيل الله مستشهدات بالايمان بعد ان قضين قسماً كبيراً من حياتهنَّ في خدمة القريب لاسيَّما الفقراء والمبؤوسين . فمجَّدتهنَّ الكنيسة بتدوين اسمائهنَّ في عداد المتطوّبين من اولياء الله فأُقيمت في الشهر المنصرم الحفلات الشائقة في كنيسة حضرة الآباء اللعازريين في الثغر لاكرامهنَّ وقد شارك المؤمنون على اختلاف طقوسهم راهبات المحبَّة في تعظيم اخواتهنَّ اللواتي يسعينَ هنَّ بمماثلتهنَّ فضلاً ومحبَّةً نحو الله والقريب

١ شهيدات محبة القريب

في شمالي فرنسة مدينة كبيرة اشتهرت في الحرب العموميَّة الاخيرة بما اصابها من جور الالمان وما ابداه سكَّانها من الشهامة في حبّ وطنهم . فهذه المدينة دُهمت في السنة ١٧٩٣ بآفة اشدّ وافظع اذ تولَّى عليها من قبل رجال الثورة الفرنسويَّة كاهنٌ كان مرق من دينه واستسلم لكل اهواء قلبهِ الشرّير بغضاً باهل البرّ ومعاداة لأرباب الصلاح اسمهُ يوسف ليبون مكذّباً اسمهُ بقبيح فعالهِ ومصدّقاً في نفسهِ المثل القائل : ليس فساد اقبح من فساد ذوي الفضل »

وما كان المذكور الَّا اعلًا باولئك العلوج الهمج الذين كانوا بمكرهم وقحتهم تمكَّنوا من ضبط ازمَّة السلطة فاطلقوا العنان الى الاستبداد برقاب العباد واستصفاء اموالهم لا يستثنون من ظلمهم صغاراً او كباراً اغنياء او فقراء ارباب الدين او اشراف العلمانيين حتَّى اضحت فرنسة بمدَّة نحو اربع سنوات منقع دم عموميّ دنّس كل

اطراف البلاد وكفى بذكر اسماء بعض هؤلاء الاشرار المتفننين بجسم بشري استدلالاً على سوء سلوكهم . وانَّ اسماء دانتون ومورا وروبسبيار وامثالهم لا تزال مرادفةً لمجموع الشرور والآثام لا يفوه بها احد الَّا بالكراهية والاشمئزاز . فبوكالة مثل هؤلاء الملاحدة الاشقياء التي لويون السابق ذكرهُ وفي يدهِ قرار يثبت لهُ الحكم المطلق على مدينة ارَّاس واهلها الذين لا يُذعنون لاوامرهِ الشرّيرة مطيعين لهُ الطاعة العمياء او يُفرغ فيهم سجال بغضهِ وحنقهِ

وكان اذ ذاك في ارَّاس دير لراهبات المحبَّة يقدّسنهُ بكل اعمال الرحمة والشفقة نحو المنكوبين من فقراء وأيتام ولقطاء ومرضى وعجَّز . ولم تكن تلك الاعمال حديثة بل كانت ترتقي الى عهد منشئي جمعيَّة المحبَّة اي القديس منصور دي بول والطوباويَّة لويزه دي ماريلياك التي ذكرنا لمعةً من اخبارها (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٤٠٨) . فانهما في السنة ١٦٥٦ كانا ارسلا الى مدينة ارَّاس راهبتَيْن فاضلتين باشرتا بكل المشروعات الخيريَّة التي لراهبات المحبَّة الباع الطويل في ادارتها . فمرَّ عليهما وعلى اخواتهما بعدهما نحو قرنٍ ونصف وهنَّ موضوع اعتبار جميع الاهلين ووقارهم وإعجابهم لم يحدنَ في تلك المدَّة الطويلة ذرَّةً عمَّا اعتدنهُ من اعمال الخير والرحمة بل وسَّعنَ نطاق تلك المبرَّات حتى اضطرَّ اسقف ارَّاس سنة ١٧٨١ الى نقلهنَّ الى دار اوسع واصلح ليَقُمن بكل ما باشرنهُ من المصنوعات الخيريَّة . وبقي الامر كذلك الى ان انقلبت في فرنسة الهيئة الحاكمة وثُلَّ عرش ملوكها فصارت الامور الى الجمهوريَّة وتفاقمت حتى اصبحت فوضى يُدير سياستها المتطرّفون من رعاع الناس واهل الغوغاء

ولمَّا حدث الانقلاب السياسيّ في فرنسة سنة ١٧٨٩ وجاهر زعماؤهُ بالحرّيَّة والمساواة والاخاء لم تجد راهبات ارَّاس في هذا الشعار ما يتهدَّد اعمالهنَّ بل رأين فيهِ تأييدًا وتحبيذًا لخدمتهنَّ الاختياريَّة للفقراء والبؤوسين

وكانت رئيسة راهبات المحبَّة وقتئذٍ الاخت مادلين فونتين (S' Magdeleine Fontaine) المولودة في قرية اتريباني سنة ١٧٢٣ فكانت منذ اربعين سنة بنتف تخدم المنكوبين والبائسين لا يأخذها في عملها الملل والسأم وكان تحت امرها من اخواتها الاخت ماري لانل (M. Lanel) وترزا فانتو (Th. Fantou) وجانَّ جيرار (J. Gérard) يجارينها حبًّا وايثارًا نحو المكروبين

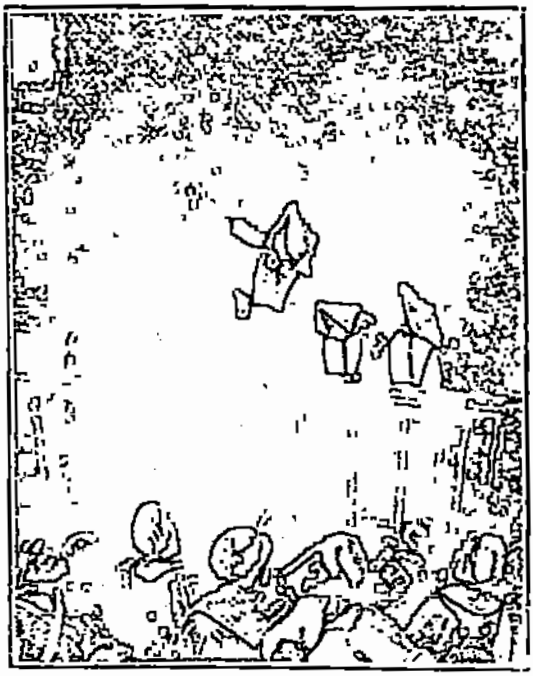

الطوباويات فونتين ولافن وفتو وجيرار

راهبات المحبّة الاربع الشهيدات

في ٢٦ حزيران ١٧٩٤

كونوا مطمئنين فاننا نحن اخر الضحايا

وكان اصل هؤلاء الفاضلات الاربع من جهات فرنسة المختلفة من أسر زهيدة بالأملاك الزمنيَّة غنيَّة بالفضائل المسيحيَّة تربين اصلح تربية على ايدي راهبات المحبة فعمل فيهنَّ مثال اولئك الملائكة المتجسدين فقصدن الاقتداء بهنَّ وهجرنَ العالم وملذاته ليعشن لله ولخدمة القريب . وبعد أن مكَّنَ في قلوبهنَّ الفضائل الرهبانيَّة وأدركن تماماً ما يطلبهُ الله منهنَّ من التجرُّد وتضحية الذات في سبيل المرضى والمنكوبين تردَّين بثوب خدمة المسيح في ممثليه التعساء على رؤسهنَّ ترفرف قرنيَّة البرارة وعلى وسطهنَّ نطاق سُبحة البتول مع الصليب المحيي . فبرزن مسرعات متطايرات حيثما وَجدنَ بؤساً يُصلحنهُ وجراحاً يضمِّدنهُ ودواء يداوينهُ

وكأنَّ الرب وجد في هذه النفوس الاربع ما سُرَّ بهِ قلبهُ الاقدس من سامي الفضل وجزيل البرّ فجمع بينهنَّ في دير واحد ليُعدهنَّ الى دعوة الاستشهاد الجليلة . فاخذن يتنافسن في كلّ عمل مبرور ويتسابقنَ في كلّ مشروع صالح في مدينة اراس لم يشاهدهنَّ احد في ذلك المضمار الّا حنى رأسهُ إجلالاً واعتباراً

قامت الثورة الكبرى واندفعت اندفاع السيل الجارف في كل انحاء فرنسة لم تخلُ في ثنائها مدينة اراس من بلاياها وفظائعها الّا انَّ الراهبات كنَّ في ديرهنَّ كفي مقدس لم تجرأ يدٌ أثيمة ان تمسَّهُ بأذًى بل طمَّنهنَّ ارباب الجمهوريَّة قائلين : لا بأس عليكنَّ طالما لا تنوين الّا خدمة الشعب واسعاف المبؤوسين والمرضى

فواصلت الراهبات اعمالهنَّ المقدَّسة مستورات محصنات يقدمنَ لله في السرّ اتعابهنَّ واوجاعهنَّ لخلاص فرنسة من المحن التي دهمتها ولو شاء الله تضحية حياتهنَّ يبذلنها بطيب القلب لسلام وطنهنَّ ونجاتهِ من الفتن والمشاغب

٢ شهيدات محبة الله

سمع الله صوت دعائهنَّ فاراد ان يضيف الى استشهاد محبَّة القريب استشهاد الدم في سبيل حبهِ تعالى فيضاعف جزاءهنَّ بقبولهِ حياتهنَّ تكفيراً عن آثام آل الوطن وقد شاركنهُ بشرب كأس ابنهِ الوحيد تدريجاً الى عكرهِ . فكان اوَّل ما ذُقن من مرارتهِ انَّهُ قضي عليهنَّ ان يخلفنَ ثوبهنَّ الرهباني فرضينَ بذلك مؤملات ان يداومنَ خدمتهنَّ للفقراء والمرضى

وبعد زمن قليل امر رؤساء مجلس الجمهوريّة بان يُكرَه الاكليروس والرهبان على قسَم ملتبس اللفظ غامض المعنى رأى فيهِ الجانب الاعظم من ارباب الكهنوت خرقاً بكرامة الدين ومن ثمَّ عوَّلت راهبات دير لرَّاس على نبذ ذلك الحلف. فحضَّ المأمورون طرفهم على إبائهنَّ فاستمررْن على اعمالهنَّ التقويَّة الخيريَّة الى خريف السنة ١٧٩٣ وهنَّ لا يزلْن مكرَّمات مشكورات من الجميع

ففي تشرين الاوَّل من السنة قدم يوسف لوبون السابق ذكرهُ متقلّدًا الحكم في ارَّاس فارتعدت فرائص الجميع لقدومهِ وكان بلغهم سابقاً ما هو عليهِ من فظاظة الطباع وشراسة الاخلاق. فما كادت تستقرُّ قدمهُ في المدينة حتى القى في السجن عددًا عديدًا من سكَّانها مدَّعياً بعدم اخلاصهم الحبَّ للجمهوريَّة. ثمَّ أرسل مأمورَين يسألان الراهبات أأدّيا القسم المفروض من الجمهوريَّة؟ فكان جواب الرئيسة كما اجابت سابقاً انَّ الضمير يمنعها واخواتها عن أدائهِ

فاتَّخذ لوبون وجماعتهُ هذا الجواب كحجَّةٍ للتشديد على الراهبات فأتوا مرَّةً ومرَّتين لتفتيش ديرهنَّ دون ان يجدوا شيئاً موجباً لمصادرتهنَّ. ثم أبدلوا اسم المأوى ودعوهُ «دار الانسانيَّة» واحلُّوا فيهِ في ٢٥ تشرين الثاني ناظرًا من قبلهم مع طبيب وجرَّاح واجزائي وفرضوا لهم راتباً من مداخيل مستوصف الراهبات اربعة آلاف ليرة فلم يبقَ للراهبات والفقراء من النفقة الَّا ما لا يُعبأ بهِ ولا يسدُّ رمَقاً

فلم تنفكَّ الراهبات مع كلّ ذلك عن العمل وكنَّ يستعطين في المدينة للقيام بمعاش المرضى والمحتاجين وقوتهنَّ اليومي محتملات تلك المعاملات السيئة باجمل الصبر. وبقين على ذلك نحو ثلثة اشهر اجتهدن في مطاويها ان يكتسبن بلطفهنَّ وخدمهنَّ الصادقة قلوب اولئك الوحوش الضارئة فلم يزدادوا الَّا شراسة. وفي ٥ شباط ١٧٩٤ اتى من قبل لوبون رجلٌ شبيهٌ بهِ قحةً وجفاء يُدعى موري (Mury) وسكن الدير واخذ يسلق الراهبات بالكلام والشتم وبعد ايَّام استخرج من لوبون وشركائهِ حكماً في حقهنَّ بانْ يكففن ايديهنَّ عن الادارة ويودَعن السجن

فحُبسنَ اوَّلًا في السجن العمومي الذي كان سابقاً مقاماً لرئيس الرهبان (Abbatiale) فبقين شهرًا بنيف ولمَّا أُحضرنَ امام المجلس للاستنطاق لم يجد المستنطقون ما يعلّلون بهِ معاملتهم الَّا امتناعهنَّ عن القسم المخالف لذمَّتهنَّ

فاعتُبر جوابهنَّ كجرم في حقّ الحكومة ونُقلن الى سجن اشدّ ظلمة واكره سكناً فضلاً عن حرَجهِ وقلّة سعتهِ يُدعى سجن « پروفيدانس » كانوا خصّوه سابقاً بالمومسات فاخرجوهنَّ ليُلقوا فيهِ سيّدات واوانس من أسر كريمة طمعوا في استصفاء اموالهنَّ مدّعين انهنَّ من اعداء الجمهوريّة . وكان عددهنَّ قريباً من الخمسانة والمكان يضيق على اكثر من مئة وخمسين اسيراً . ففي هذا الحبس دخلت الراهبات فرحاتٍ جذلات اذ أهّلنَ ان يشاركنَ ربّهنَّ بالامهِ

لكنهنَّ ما لبثنَ ان نسينَ اوجاعهنَّ ليفكّرن في خدمة رفيقاتهنَّ . والحقّ يقال ان اولئك التاعسات كنَّ في حالةٍ يُرثى لها وهنَّ غائصات في لجج الاكدار مذ فُصلن كرهاً عن اولادهنَّ واهلهنَّ وزُجّجنَ في السجن لا ينتظرنَ الّا الموت الاحمر . فكان مجيءُ الراهبات بينهنَّ كبلسم على جراحهنَّ فاخذنَ يُنهضنَ الهمم ويُنعشنَ القلوب ويُنفّسنَ عن الجميع كُربتهنَّ رافعات بنظرهنَّ الى صليب الربّ منبع كلّ تعزية وسلوان وحادياتٍ بهنَّ الى التسليم الى ارادة الله

قضت الراهبات نحو شهرين في هذا الحبس يقاسينَ ضُروب الآلام لا ينلن من القوت الّا ما لا يفي بحاجتهنَّ . وكان عمّال الحكومة يطلبون حجّةً ليحكموا عليهنَّ بالموت فلم يجدوا الى ان ادّعوا انّهن أخفين في دارهنَّ اعداداً من الجرائد المحظورة وانهنَّ كنَّ يخالطنَ اعداء الحكومة . فنفت الرئيسة الاخت فونتين هاتين الشكايتين واظهرت بكلّ جلاء انهما اوهى من نسيج العنكبوت وانَّ كلّ حياتها وحياة اخواتها مقصورة على خدمة المساكين لا يعاشرنَ غيرهم ولا يتعاطينَ شيئاً من امور السياسة . وكان جواب اخواتها كجوابها دون خلاف

غير انَّ موري واصحابهُ كانوا كالنمورة لا يرضون الّا بدماء فرائسهم فاخذوا يطلبون حججاً على اولئك العذارى القديسات تارةً يدّعون انّهم وجدوا خبايا في زوايا بيتهنَّ وطوراً انّهم وقفوا على اوراق سرّيّة الى غير ذلك من الترّهات والسفاسف التي لا يبتدعها غير اوباش القوم . وكانوا مذ شهر نيسان نقلوهنَّ الى سجن الدم المعروف بسجن « دي بودي » (des Baudets) فتولّين هناك اعمال الرحمة والحنان مع من وجدنهم من المبؤوسين الآنسين ولطّفن اوجاعهم كما فعلن بالسجن السابق

وفي تلك الاثناء دُفع الحكم المُطلق الى ايدي يوسف لوبون في حاضرة كبري

التي ارّاس من توابعها ورُخص لـهُ ان يتحكّم في رقاب الملأ كما شاء . . فكان وصولهُ الى مكان مأموريّتهِ في اوائـل شهر أيار وأعلن من ساعتهِ أنّـهُ سيُجري الحُكم الصارم في كلّ اعداء الثورة . وللحال أُلّف جماعات من الشُرَط والجواسيس فما عتّمت السجون أن ضاقت عن عدد الاسرى

ثمّ نصب المِقصلة لقطع الرؤوس في وسط ساحة المدينة فكان بشكاية بعض المدّعين العموميين يبتّ حكمهُ دون ابطاء فتتوالى عَرَبات المتهمين من دار المجلس البلدي الى منقـع الدم والجلّادون يتناوبون باعمالهم الهمجيّة بينما كان الهلع باسطاً رواقهُ على سائر الاهلين فيلزمون بيوتهم ويتوقّعون شرَّ العُقبى

ولم يَنْسَ ذاك الوحش الضاري فرانسهُ في مدينة ارّاس وبعد ان ولغ في دماء اهل كبراي ارسل الامر الى اصحابهِ الى ارّاس ان : « نحتـاج الى رؤوس نقطعها فأسرعوا لئلّا تبقى المقصلة فارغةً ولا تنسوا الراهبات » . فبلغ الامر في العشر الثاني من حزيران الى ارّاس وذاع الخبر بين الاسرى فعلا الصراخ وتصاعد العويل فكانت ساعة من الكآبة والجزع لا يستطيع القلم ان يصفها اذ كان يُدعى كلّ اسير باسمهِ

وكان اوّل المدعوّات ليركبن عربات الموت جملةٌ من شريفات المدينة فأجهشنَ بالبكاء وغشي عليهنّ لشدّة الخوف فتأثرت الراهبات من هذا المنظر وكأنّ وحياً من السماء حلّ على رئيستهنّ فتقرّبت منهنّ وقالت بصوت جهور : « اكففنَ الدموع وكنّ مطمئنّات فانّنا نحن نكون ختام الضحايا » . فسمعت النساء تلك الكلمة ولم يعلمن ما فيها من الصحّة ولاسيّما انهنّ السابقات الى كبراي فلا شكّ انهنّ يسبقن ايضاً الى القتل

ولما دُعيت الراهبات بعد ساعات ركبن العَجلة بكل هدوّ وتؤدة وعيونهنّ الى السماء وفي ايديهنّ سُبحة العذراء كنّ يتلونها في الطريق ويطلبن من الله ان يتقبّل ضحيّتهنّ ويفدي بدمهنّ رفيقاتهنّ ويحنّ على شعبهِ بردّ السلام للوطن . فلمّا بلغنَ نصف الطريق التقينَ بالعربة التي سبقتهنّ وكان احد دواليبها قد انكسر فاضطرّ السائق الى ان يصلحهُ فكرّرت الرئيسة قولها على مسامع السيّدات : « لا بأس عليكنّ فكنّ مطمئنات لأنّنا نحن خاتمة كلّ الضحايا »

ثمّ سرنَ وهنّ الآن في مقدّمة الجميع فبلغن كبراي في ضُحى اليوم السادس

والعشرين من حزيران ١٧٩٤ فقادهنّ السائق الى الحبس المختصّ بالأئمة الذين قرب فيهم نفوذ الإعدام وكان المدّعي العمومي المدعوّ كوبريار قد سبقهنّ اليه ليلقيهنّ فيه ريثما يأتي دورهنّ للمحاكمة لكن السجّان أبى قبولهنّ لضيق السجن عن الاسرى. فكان ذلك داعياً الى تعجيل محاكمتهن وموتهنّ وتتمّةً لنبوّة الطوبويّة فونتين بانهنّ خاتمة الضحايا

فحملوهنّ الى الدار الاكليريكيّة سابقاً لينتظرنَ اجتماع المجلس فدخلنَ ساعةً في معبد الدار المجرّد عن اقداسه وجدّدن تقدمتهنّ للربّ الذي كان قدّس ذاك المعبد بقربانه. وبعد هنيهة استأنفنَ السير الى المجلس الذي انعقد للنظر في امرهنّ وكان غوغاء الشعب حول نادي القضاء يشاركون القضاة بجلبتهم ويحبّذون حكمهم على المتّهمين. لكنّهم على خلاف العادة اذ رأوا اولئك الراهبات وعلى وجوههنّ سمة الحشمة والوقار والسكينة لزموا السكوت التامّ

تجدّد استنطاق الاخوات دون جدوى ولم يجد سُعاة لوبون واحزابهُ موجباً لحكم الإعدام لبطلان الشكايات السابقة القريّة الّا انّهم عادوا اخيراً الى القسم المطلوب منهنّ ولم يألوا وسعاً في اقناعهنّ بابرازه لكنهنّ بازاء الموت ثبتن على امانتهنّ لصوت الضمير وكرّرن لآخر مرّة انّ الذمّة لا تسمح لهنّ بقسم كهذا. فللحال صرخ قضاة السوء: «فلتحيَ الجمهوريّة وليمُت أعداؤها». وكانوا ينتظرون ان يجد هتافهم صدًى في الحضور فلم يتبعوا ببنت شفة وغلب على قلوبهم الأسف والحنان لكنّهم لم يجسروا على معارضة الحكّام

ولما نزلت الراهبات درجات المجلس أعدّوهنّ لقطع هامتهنّ. فأماطوا القناع عن رؤوسهنّ. وحاولوا ان يوثقوهنّ بالحبال فرأى احدهم في ايديهنّ سبحة العذراء فاراد ان ينتزعها من ايديهنّ امّا هنّ فتشبّثن بها ولم يسمحن ان يجرّدهنّ عنها. فاعتدّ المباشرون ذلك خرافةً واخذوا السابح ووضعوها على رؤوسهنّ سخريّةً وتهكّماً ولم يدروا ان ذلك الاكليل كان رمزاً عن التاج المعدّ لهنّ قريباً في السماء كما كانت في اوائل الكنيسة الفتيات الشهيدات يسرنَ الى منقع الدم واكاليل الزهور على رؤوسهنّ. فزاد تأثر الحضور لهذا المنظر

وصلت الشهيدات الى لحف الصقالة التي كانت المقصلة فوقها فجثونَ على الركب

مستحرات بالصلاة ثم صعدن بمل الثقة والشهامة فأنفذ الحكم اولاً في الاخوات الثلث قبل رئيستهن وهي تقويهن بنظرها وصلاتها . وقبل ان يُقطع رأسها التفتت الى الجمهور قائلةً : « أعيروني سمعكم ايها المسيحيون أننا نحن آخر ضحايا حكم الثورة وغداً ينتهي الاضطهاد وتخرب عمّا قليل هذه الصقالة وتزال المصقلة وتعود هياكل الربّ الى رونقها ومجدها »

وما مرّ على قولها بضع ثوانٍ حتّى انتقلت روحها البارّة الى الاخدار السماويّة . وأُلقيت جثث الشهيدات في الحفرة العموميّة من مقبرة المدينة . ولمّا بلغ كلام الرئيسة مسامع يوسف لوبون استغرب ضحكاً وقهقه معهُ كلُّ اصحابهِ ناسبين قولها الى الهذيان بل امر لوبون بان يعدُّوا حفرةً واسعة لاربع وستين شخصاً عوّل على إعدامهم . لكنّ عوائق شتى حالت دون رغبتهِ فلم يستطع ان يتمّ قصدهُ فعلاً . ثمّ وقع عيد الجمهوريّة فخرب الشعبُ صقالة المقصلة في ١٣ تموز وفي حساب لوبون انّهُ يعيدها بعد العيد فخاب ظنّهُ بل اقيم عليه دعوى شغلتهُ عن إسراهُ . وفي تلك الاثناء دارت الدورة على روبسپيار في باريس وظفر بهِ اعداؤه واعدموه مع اخيهِ في ٢٧ تموز من السنة والقوا القبض على انصارهِ

فبلغ الخبر الى كمبراي في غرّة آب وفي ثاني يوم اوقفوا يوسف لوبون وزجّوهُ في الحبس واذاقوهُ مرارتهُ كما فعل بغيره . ولم يزل يتنقّل من سجن الى آخر مدّة ١٤ شهراً ممقوتاً من الجميع مرعوباً بمنخاس ضميره الى أن حُكم عليهِ بالاعدام بنفس المصقلة التي أعدم بهِ المئين من المظلومين في ١٥ ت ١ سنة ١٧٩٥ وازدحم الناس حول جثّتهِ فرجموها بالحجارة تشفياً . ثمّ فُتحت بعد قليل الكنائس وأُعيدت المراسم الدينيّة وهكذا تمت بالحرف نبوّة الطوبويّة الاخت فونتين

وكما حلّ غضب الله بالمضطهدين كذلك اراد تعالى ان يمجّد ابرارهُ وبعد الفحص المدقّق عن حياة تلك الشهيدات وسموّ فضائلهنّ لاسيّما في موتهنّ وذلك في مدينتي ارّاس وكمبراي رفع اساقفة فرنسة الدعوى الى رومية التي اعادت فيها النظر وتصفّحت كلّ الكتابات التي حرّرها الشهود العيانيّون وغيرهم الى ان لم يبق ادنى ريب في صحّة ما روتهُ الدواوين الخاصّة فاثبت اخيراً الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر بارادتهِ السنيّة وحكمهِ السامي قداسة تلك النفوس المبرورة ونظمهن في سجلّ

اولياء الله في عداد الطوباويات وذلك في ٢ ك١ سنة ١٩١٩ وبعد ان أقيمت في رومية حفلات شائقة في السنة المنصرمة تكررت الاعياد في غيرها من المدن في السنة الحالية. وقد سُررنا نحن باقامتها بيننا في كنيسة حضرة الآباء اللعازاريين حيث أكرمت منشئة جمعية راهبات المحبة الطوبوية دي ماريلياك مع بناتها اللواتي جرين على آثارها فنلن ما نالته من الامتياز والشرف. فنهنئ من صميم القلب بنات القديس منصور دي بول بهذه الاعياد ونرفع الى الله شكرنا على ما احظى بلادنا من اعمالهن الخيرية ومساعيهن المبرورة زادهن الرب عددًا وفضلًا لمجد كنيسته ولخير عباده

تنصُّر الامير عبدالله اللمعي (١

لحضرة الخوري اسطفان فريحه البشعلاني

نشر المشرق الاغرّ في سنته الماضية (١٩٢٠ : ٥٤٣) مقالًا بشأن تنصُّر الامراء اللمعيين والشهابيين جاء فيه ان اول من اعتنق النصرانية هو الامير عبدالله ذكرهُ الرحالة الفرنساوي السيد بولس لوقاس في رحلته الى الشرق سنة ١٧١٤ بامر الملك لويس الرابع عشر ولم يصرّح بحقيقة نسبه ولا وطنه. ولمّا كنتُ قد تجرّدت للبحث عن هذه الحقائق المهمّة احببت ان اورد خلاصة ما وصلت اليه ابحاثي في هذا الشان خدمةً للتاريخ. وقبل ذلك انقل كلام الرحّالة بتمامه فانه بعد ان ذكر حادثة خلع البطرك يعقوب عواد واعادته الى كرسيه قال ما تعريبه بكل ضبط (٢ :

« من الحوادث الخطيرة التي كانت ضربةً أليمة على نصارى لبنان عزلُ الامير عبدالله الذي عُرف بجميله الى النصارى وامتاز بتعزيز الموارنة اكثر من سائر الحكام لانه كان يعاملهم بالحسنى ويستعين بهم على الولاة الاتراك محافظة على بقيّة سلطة طالما حاولوا نزعها من يده

١) قد اقتصرت الان على ذكر تنصُّر هذا الامير على ان اعود انشاء الله الى التبسُّط في تاريخ تنصُّر بقية اللمعيين ولاسيما الامير حيدر الشهير

٢) رحلة لوقاس المجلد ١ الجزء ٣ ص ٣١٩ طبعة روان

اولياء الله في عداد الطوباويات وذلك في ٢ ك١ سنة ١٩١٩ وبعد ان أقيمت في رومية حفلات شائقة في السنة المنصرمة تكررت الاعياد في غيرها من المدن في السنة الحالية. وقد سُررنا نحن باقامتها بيننا في كنيسة حضرة الآباء اللعازاريين حيث أكرمت منشئة جمعية راهبات المحبة الطوبوية دي ماريلياك مع بناتها اللواتي جرين على آثارها فنلن ما نالته من الامتياز والشرف. فنهنئ من صميم القلب بنات القديس منصور دي بول بهذه الاعياد ونرفع الى الله شكرنا على ما احظى بلادنا من اعمالهن الخيرية ومساعيهن المبرورة زادهن الرب عددًا وفضلًا لمجد كنيسته ولخير عباده

تنصُّر الامير عبدالله اللمعي (١

لحضرة الخوري اسطفان فريحه البشعلاني

نشر المشرق الاغرّ في سنته الماضية (١٩٢٠ : ٥٤٣) مقالًا بشأن تنصُّر الامراء اللمعيين والشهابيين جاء فيه ان اول من اعتنق النصرانية هو الامير عبدالله ذكرهُ الرحالة الفرنساوي السيد بولس لوقاس في رحلته الى الشرق سنة ١٧١٤ بامر الملك لويس الرابع عشر ولم يصرّح بحقيقة نسبه ولا وطنه. ولمّا كنتُ قد تجرّدت للبحث عن هذه الحقائق المهمّة احببت ان اورد خلاصة ما وصلت اليه ابحاثي في هذا الشان خدمةً للتاريخ. وقبل ذلك انقل كلام الرحّالة بتمامه فانه بعد ان ذكر حادثة خلع البطرك يعقوب عواد واعادته الى كرسيه قال ما تعريبه بكل ضبط (٢ :

« من الحوادث الخطيرة التي كانت ضربةً أليمة على نصارى لبنان عزلُ الامير عبدالله الذي عُرف بجميله الى النصارى وامتاز بتعزيز الموارنة اكثر من سائر الحكام لانه كان يعاملهم بالحسنى ويستعين بهم على الولاة الاتراك محافظة على بقيّة سلطة طالما حاولوا نزعها من يده

١) قد اقتصرت الان على ذكر تنصُّر هذا الامير على ان اعود انشاء الله الى التبسُّط في تاريخ تنصُّر بقية اللمعيين ولاسيما الامير حيدر الشهير

٢) رحلة لوقاس المجلد ١ الجزء ٣ ص ٣١٩ طبعة روان

«وكان الحاكم المعروف بامير الدروز مطلق التصرُّف في بلاده لكنه يخضع لوالٍ تركي ويقدم لهُ عسكرًا عند الحاجة ولم يكن خضوعهُ هذا ليؤثر براحته لولا ما كان يلقاه كل يوم من الترك من التضييق والتحكُّم مما يُلجئهُ الى استرضائهم بالمال الكثير

«على ان الامير عبدالله لم يستطع ارضاء ولاة صيدا والشام مع كل ما ابداهُ من التحوُّطات لكثرة مطامعهم . وكان اشدّهم طمعاً والي الشام الذي عُرف بالقسوة والجبارة حتى تمكَّنت هيبتهُ من قلوب الناس وكاد يفوق الصدر الاعظم سطوةً ونفوذًا وزادهُ عُجبًا تغلُّبهُ على العصاة من عرب فلسطين وغزَّة ولذلك صمَّم الصدر على عزله غضبًا لشوكته

«ورأى الوالي المذكور انه اصبح الحاكم بامره في البلاد فاخذ يتفنَّن بإرهاق الدروز وحكامهم بانواع المظالم والمغارم حتى اذا لم يستطيعوا القيام بضرائبه الفاحشة اتفق مع والي صيدا على نزع الحكم من يد الامير عبدالله واسرتهِ الذي ورثوهُ كابرًا عن كابر وتسليمهِ الى أُسرة اشتهرت بالعداء والبغض لهم

«فجمع هذان الواليان العساكر واتتهما النجدات لقتال الامير واحلافهِ واضطُرَّ الاميرُ الحاكم حنيد فخرالدين ان يترك قصره ويتوارى مع امراء البلاد في المغاور والجبال . امَّا الامير عبدالله فانه وقع في ايدي اعدائه الذين دبَّروا المكائد ونصبوا لهُ الأشراك . فكان حزن النصارى شديدًا ولاسيما المرسلين الكبوشيين الذين اجلَّهم الامير وقرَّبهم اليه وبنى لهم ديرًا في إقطاعتهِ وكان يريد اعتناق الدين المسيحي بعد ان يتلقَّن مبادئ اسراره المقدسة ويصير اهلًا للعماد

«وبينما كان ذلك الامير والشيخ الوقور ملقًى في ظلمة السجن وقد اصبح محرومًا من ضروريَّات المعاش كان المرسلون يحتالون لإيصال المساعدات اللازمة لحياتهِ وخاف الامير ان يهلك جوعًا وتذهب ارشادات هولاء الاباء باطلًا فطلب المعموديَّة فعمَّدهُ احد خدَّامهِ الموارنة بارشاد المرسلين الأفاضل . وقد اقتبل السرَّ بحرارة وتقوى كما يليق بالمسيحيين الاولين وكانت يداهُ مضمومتين وعيناه شاخصتَيْن الى السماء وهما تهطلان الدموع

«واذ ذاك صرح لخادمه الامين بكل شجاعة انه لم يعد يخشى الموت بعد ان نال

الحظ وصار نصرانياً وطلب اليه ان يُبلغ خبر تنصره الى الاباء الكبوشيين. فلمّا علم المرسلون بذلك طابت نفوسهم ولم يقتصروا على الدعاء لهُ بجزيل النعمة والحياة العلوية بل بذلوا الجهد في سبيل العفو عنهُ فاتّفقوا مع احد التجار على ان يؤدي الفدية عن الامير. غير ان الباشا لم يكتفِ بها بل شدّد في طلب فدية اتباع الامير كلّهم واذ لم يقدروا على أدائها ظلّ الامير مسجوناً

«واثّرت هذه المعاملة القاسية بابناء الامير عبدالله حتى صار يهون عليهم ان تذهب بيوتهم وأملاكهم ويسلم ابوهم فاخذوا يسعون لتخليصهِ وكان ابنهُ البكر الامير حسين اشجع امير في الدروز فجمع هو واخوتهُ رجالهم ورجال احلافهم وذهب الى الامير الحاكم المختبي وحمله على ان يجمع اصحابه حتى اذا تمّ حشد الجيش ساروا الى اعدائهم مصمّمين على النصر او الموت وهكذا زحفوا اليهم وكانوا قد تحصّنوا في عين دارة .

«ولم تمضِ ساعتان من الزمان حتى انتصروا عليهم انتصاراً باهراً فقتلوا من ناوأهم وغنموا ما كان معهم لكنهم لم يتعرّضوا لرجال الدولة وعسكرها مخافةَ إغضابها . وبهذا استعادوا حرّيتهم المسلوبة وإقطاعاتهم المغصوبة ولم يبقَ غير الامير عبدالله الذي لم يكن في وسعهِ ان يؤدّي فدية المسجونين أتباعهِ الباهظة ولذلك ساقوه الى البصرة القريبة من العجم وكان والي صيدا قد نُقِلَ والياً عليها

«على ان الامير المظلوم كان يعتبر ان عزاءه من الدنيا الحصول على سرّ العماد فلم يرغب سوى الاجتماع بربه في السماء وكان اوّل عمل فعلهُ اولادهُ بعد استعادة إقطاعاتهم انهم بعثوا افأتوا بالمرسلين الذين لم يكفّوا عن عمل الخير في البلاد من ١٧١٠ ايام حدوث الفتنة المذكورة وبناء على اشارة الصدر الاعظم واوامره الشديدة لم يعد والي الشام ولا غيره يُقلقون النصارى والدروز من ذلك الحين» (تمّ المنقول عن رحلة لوقاس)

***

ان الامير عبدالله هذا هو ابن الامير قيدبَيه ابن الامير ابي اللمع جدّ الامراء اللمعيين وقد اجمع المؤرّخون على انهم ينتسبون الى بني فوارس التنوخيين من اشرف القبائل العربية المتنصّرة الذين يرتقي نسبهم الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة. هاجرت هذه القبائل بلاد العرب عند ظهور الاسلام واقامت بجوار حلب ثم انتقلت الى لبنان

في اوائل القرن التاسع وكانت عشر طوائف

ولما جرى اقتسام البلاد وتفرّق الطوائف اصاب طائفةً من بني فوارس إقطاعةُ المتن فسكنوا اعاليهُ وقويت شوكتهم فيه الى ان نشأ منهم في اواخر القرن السادس عشر امير كبير يُعرف بابي اللمع مؤسس هذا البيت المشهور فاتخذ قرية كفر سلوان دارًا لاقامتهِ واقام ولده البكر قيدبيه في صليا حيث نشأ الامير عبدالله حفيد ابي اللمع وكان وحيدًا لابيهِ (١

ومن مراجعة رواية رحّالتنا يظهر ان الحوادث المذكورة فيها لا تختلف عما جاء في تواريخ الامير حيدر وطنوس الشدياق وغيرهما من التنازع والتطاحن بين الحزبين القيسي واليمني وتواري الامير حيدر الحاكم الكبير وقيام الامير حسين ابن الامير عبدالله زعيم القيسيين وكيف جمع احزابهُ ودهموا اليمنيّين في عين دارة حتى ابادوهم عن بكرة ابيهم (٢ الى غير ذلك ممّا يدل صريحًا على ان الامير عبدالله هو اميرنا اللمعيّ ليس غيره

اما مسئلة وقوعه في الأسر ونفيهِ الى البصرة فانها وان لم تَرِدْ في التواريخ الوطنية فليست بالامر الغريب وقد رأينا حفيدهُ الامير حسّن ابن الامير حسين في صليا يؤخذ اسيرًا ويصيبهُ ما اصاب جدّهُ من النفي الى البصرة حتى فُدي اخيرًا وعاد الى بلاده عن طريق دمشق بعد غيبة طويلة(٣ . هذا وان الرحالة المذكور كان معاصرًا للامير عبدالله فتقصّى اخبارهُ ووقف على تفاصيلها من الكبوشيين وغيرهم من الثقات ممّا فات غيره من المؤرخين المتأخرين

بقيت مسئلة تنصُّر الامير التي هي الغاية من مقالنا هذا فانهُ وان لم يذكرها غير لوقاس فقط فان لدينا من البراهين والادلّة ما يؤكد صحّتها ويثبت رواية هذا الرحالة الغريب وهذه هي:

١ً ان المؤرخين قد اجمعوا على ان اللمعيّين يعود اصلهم الى بني تنوخ من

---

١) طالع تواريخ الامير حيدر (ص ٣٥٠ و ٧٢٢ و ٧٣٣) وتاريخ الاعيان للشدياق (ص٦٧ و ٢٥٨–٣٠٤) وتاريخ البيطوريني (في المشرق ٤ : ٧٧٣) وشرشل بك (ج ٣ ص١٠٠) وغيرهم من المؤرخين ٢) طالع هذه الاحداث في التواريخ المذكورة لسنة ١٧١٠ م

٣) تاريخ طنوس الشدياق (ص ٦٨)

متنصرة العرب وان اجدادهم ملوك الحيرة اشتهروا بدينهم النصراني والإغراق فيه وكان لهم الايادي البيضاء في عمارة الاديرة وتشييد الكنائس (١ . ولما كانوا في الديار الحلبية ارغمهم المهدي (الخليفة العباسي) سنة ٧٧٩ م على الاسلام فاسلم الرجال وكانوا خمسة الاف ونجا النساء وبقين على نصرانيتهن واستشهد رجل فاضل منهم اسمه ليث (٢ ثم رحلوا الى لبنان حتى اذا ظهر مذهب الدروز عضده الامراء وعُرفوا به

وبقي فيهم نزوع الى النصرانية التي كانت تظهر كالنار الكامنة في بعض ادوار حياتهم حتى تنصّر الامير عبدالله ولم يلبث احفادُهُ ان اعتنقوا النصرانية باجمعهم في اواسط القرن الثامن عشر فيكون هذا الامير قد جاهر بميل عشيرته الموروث ونزعتهم المتسلسلة ولا عجب انهم كانوا يكتمون ميلهم هذا كما فعل الامير فخر الدين المعني فلانهم كانوا في وسط محمدي وحكومة اسلامية والاكثرية في إقطاعة المتن كانت من الدروز

٢ً ان لديَّ طائفةً كبيرة من الصكوك والمحرَّرات الموقَّعة بخط الامير عبدالله او الباقية من آثاره الكتابية وفيها ما يدلُّ على مبادئه النصرانية فلا نراه يذكر في كتاباته البسملة ولا نبي الاسلام مما جرى عليه الدروز وسائر بني محمّد . وسوف انشر شيئاً من هذه الكتابات . وكان شهيد الوطن الشيخ فريد الخازن رحمه الله يقول ان عنده صورة مكاتبات منقولة عن محرَّرات توسكانا بين الدوق والامير اللمعي تشير الى مبدإ الامير النصراني وتبرهن عن ذوقه الغربي كما اننا لم نسمع ولم نرَ في تاريخ اللمعيين ان اميرًا منهم جرى على قاعدة الطَّلاق المألوفة عند الدروز ولا تمشّى على شريعة تعدُّد الزوجات المرعيَّة عند المسلمين

٣ً ان كثيرًا من الحوادث التي وردت في رحلات الافرنج لم يذكرها المؤرخون عندنا إمَّا اختصارًا او إغفالًا لها لاشتهارها او لعدم اعتبارهم اهميتها وإما لانه لم تبلغهم اخبارها واذا بلغتهم فلا يجرؤون على ان يكتبوها . فهذه اخبار بعض المشايخ الخازنيين وبطاركة طائفتنا المارونية التي افاض بذكرها ده لاروك الرحالة الفرنساوي لم

---

١) طالع مؤرخي العرب وتاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص٧٣-٩٣) وتاريخ كلدو واثور (ص٢٠٧) والكولونل شرشل

٢) ابن العبري تاريخه السرياني سنة ١٠٩٠ يونانيَّة

يذكرها الكتبة المعاصرون. وهذه رواية استشهاد الشيخ ابي رزق البشملاني الذي قُطع راسهُ في قونية سنة ١٦٥٤ وإعدام ولده الشيخ يونس الذي مات في طرابلس شهيداً على الخازوق سنة ١٦٩٦ كما فصَّلها هذا الرحالة باسهاب لم يذكر منها العلامة الدويهي سوى النزر القليل للاسباب التي اوردناها . وهكذا فان المعاصرين ومَن بعدهم لم يذكروا تنصُّر الامير عبدالله لان تنصُّره بقي مكتوماً كما جرى للامير فخر الدين المعني الشهير على يد مرسل من الآباء الكبوشيين او لم تبلغهم أخباره وهو بعيد ولو عرفوا لما تجرَّأوا ان يذكروهُ في هاتيك الايام . . .

٤ ان التقاليد التي تتناقلها الاباء عن الاجداد في قريتنا صليا موطن الامير وفي غيرها من القرى المجاورة ان الامير عبدالله كان من الفضل على جانب عظيم وانه هو الذي قرَّب اليه النصارى وجعلهم من خاصَّتهِ ورجال دولتهِ . وهو الذي بنى لهم الكنائس والاديرة ووقف عليها الاملاك الواسعة . وعلى الجملة فقد كان حمًى للنصارى اللاذين به لجرّ مغنمٍ او دفع مغرمٍ يقطعهم الاراضي ويمدّ اليهم يد المساعدة حتى نما عددهم وطابت لهم الاقامة في قرى المتن ولاسيما في صليا التي رأت من العزّ والجاه في ايام اللمعيين ما جعلها تُباهي البلدان اللبنانية الكبرى حتى صاروا يقولون عنها في اغانيهم : صليا يا امّ البلادِ

٥ ان من الآثار الدالَّة على تديُّن الامير والناطقة بفضلهِ على النصرانية وحبّهِ لها الديرَ الكبير الذي انشأه في دير الحرف يوم كان مقيماً في قصره برأس المتن ووقف عليه الاراضي التي تُقدَّر اليوم بألوف الليرات وقد كتب فوق عتبة باب الكنيسة ما نصُّه :

« بسم الله الحي الازلي الدائم الابدي وبه استعين انشأ هذا الدير المبارك ان شاء الله برسم طاعة الله وعنايتهِ حضرة الجناب العالي المكرم الامير عبدالله ابن المرحوم الامير قيديه الشهير بابن ابي اللمع عفى الله عنهُ بتاريخ ذي الحجة من شهور اثنين ومائة والف» (١٦٩١م)

وقد كُتب تحته : « عمل المعلم جرجس والمعلم سمعان والمعلم جرجس الشامي » .

والاخبار المروية عن شيوخ بني ابي جوده في قرية دير الحرف ان الامير عبدالله شيَّد هذا الدير باعجوبة وهي : ان الوباء كان يفتك فتكاً ذريعاً في البلاد فخاف الامير على نفسهِ واهلهِ . فظهر القديس جرجس على جوادهِ للامير وليعض اهله وهم نيام وقال

لهم : «لا تخافوا انا مار جرجس النصراني صاحب كنيسة الوزّالة» وكان في قرية دير الحرف دير قديم على اسم القديس حلّ به الخراب ونبت في جوانبه الوزّال المعروف في بلادنا . فلما قام الامير واسرتهُ من نومهم حدَّث كل منهم الآخر بما رآه في الحلم واسرع الامير فرمّم الدير المذكور وجعل للكنيسة كاهناً يخدمها استقدمهُ من تولا البترون وهو الخوري جرجس الذي الى بنيه خيرالله الزعني من تولا جدّ أسرة ابي جوده الساكنة الى اليوم في دير الحرف وغيرها

٦ والأثر الذي كان في قرية صليا وقد اقيم اقراراً بفضل الامير عبدالله كُتب على رخامة ناصعة بخط مزركش جميل ووُضع فوق السبيل المعروف بعين احمد وهذا نصّه :

«انشأ هذا السبيل المبارك حضرة الجناب العالي والمقام السامي الامير عبدالله ابن بلمع المكرم بتاريخ نهار الثلثا من شهر رجب من شهور سنة سبع عشر ومائة والف والحمد لله» (١٧٠٥م)

وقد نُقلت الرخامةُ الى قصر ابناء الامير يوسف اسماعيل في بكفيا بعد ان هدم السبيل احد المخربين الناشئين في زمن الحرب الكبرى

٧ المعروف عندنا وعند الاباء الكبوشيين ان الامير عبدالله هو الذي انشأ دير الآباء الكبوشيين القائم الى اليوم في صليا وطن الامير حوالي سنة ١٧١٠م وكان يحب مرسلي الكبوشية فدعاهم اليه ووهبهم مكاناً جميل الموقع في اعلى صليا كان يُعرف يومئذٍ بعين بقحة فشيدوا فيه ديرهم على اسم القديس بطرس . واخذ عليهم عهداً ان يكون منهم طبيب يعالج الامراء والاهلين فضلاً عما يقومون به من الخدمة الدينية . وكان الامراء يقدمون للبادري جعلاً سنوياً من الحاجيات لمعاشه وبقي هذا العهد مرعياً زماناً طويلاً . وفي سجلات بكركي صورة صكّ شراء البادري مخايل الكبوشي الافرنجي رئيس دير صليا من مريم بنت ابي رزق سركيس بن فهد من قرية الشبانيه من بلاد المتن سنة ١١٢٠هـ قطعة ارض في الشبانيه باعها البادري لرهبان السريان الكاثوليك فشيدوا فيها دير مار افرام الرغم سنة ١٧١٠ بساعي الاب مخائيل الكبوشي الذي ترجّح انه صديق الامير عبدالله ومرشدهُ ومساعدهُ في سجنه والساعي في تنصّره . ومن ثمّ لا يبقى لنا ريب في انّ الامير عبدالله اللمعي هو اوّل امير تنصّر في لبنان وانّ رواية الرحّالة لوقاس مطابقة للحقّ وشهادتهُ مثبتة لشرف الاسرة اللمعية في سباقها الامراء المتنصرين

السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف موغبان ويوسف منسّى اليسوعيين

تمهيد

قد كثر القال والقيل في هذه الحقبة الاخيرة عن الارواح المنتقلة من هـذا العالم الى عالم آخر وما يُروى عنها من الاعمال الغريبة على يد بعض المتوسطين الذين يتعاطون مناجاتها . فتناقلت الالسنة ذكر هذه الرؤى وأشاعتها الجرائد والمجلّات فتباحث الكثيرون في صحّتها فمن ناكرٍ وجودها او ناسبها الى الشعوذة والمخرقات ومن مثبتٍ وقوعها . وربّما حكم الفريقان جزافاً دون انتقادٍ كافٍ وتروٍّ في الامور . فهذا ما حدا بنا ان نبحث في هذا الموضوع افادةً لقرّائنا ودفعاً للالتباس وكشفاً لوجه الحقّ

ولا بُدَّ في هذه التوطئة ان نعرّف السبيريتسم ونقرّر حدوده فنقول ان اسمهُ اللفظي مشتقٌّ من كلمة لاتينيّة معناها الروح موصولةٍ بصلةٍ دالّة على المعتقد او الرأي او التخصيص فيكون معنى السبيريتسم علم مناجاة الارواح او المذهب الروحاني كما دعاهُ البعض فيجوز تحديده «معرفة الوسائط للاتّصال بالارواح ومناجاتها للاستدلال على مكنونات الامور وخفايا المعلومات ولاسيّما اسرار العالم الآخر» . ومنهم من ينعتون هذه المعرفة باسم العلم بل يجعلونها مذهباً دينيًّا مبناهُ على ما يوحي بهِ الارواح . ولهذا العلم او هذا الدين خَدَمةٌ يُدعَون «سبيريت» (Spirites) وهم المتعاطون مع الارواح او المدّعون بمناجاتها او المتشيّعون لدين الارواح

وفي مقالتنا الحاضرة سنختصر اوّلاً بالاجمال تاريخ السبيريتسم ثمَّ نروي الحوادث المنسوبة الى الارواح وننتقد صحّتها ثمَّ نسعى بتفسير معانيها الغامضة . ومن بعد ذلك نبحث عن الدين المزعوم المبنيّ على المذهب الروحاني ونختم مقالتنا باثبات رأي الكنيسة الكاثوليكيّة وحكمها في السبيريتسم (١

---

١) دونك اخصّ التآليف الفرنساويّة التي وُضعت في هذا الشان

L. Roure: Le merveilleux spirite, *Paris, Beauchesne*, 3e *éd.*, 1919

Le Dr Surbled : Spirites et Médiums, 1901

١ نظر تاريخي في السبيريتسم

لقد طالما حاول الانسان ان يستشفّ اسرار الطبيعة الخفيّة وما يتّصل بالخلائق والارواح المحجوبة عن نظره . فانّ التاريخ يشهد على مساعي البشر في ذلك . وها هوذا الكتاب الكريم روى عن شاول في سفر الملوك الاوّل (٢٨ : ٧ – ٢٠) استقدامهُ للمرأة ذات التابعة في عين دور وكيف أصعدت لهُ روح صموئيل فأخبرهُ عمّا سيصيبهُ من البلايا . وكان تَبَعة افلاطون والاسكندرانيّون والأدريّون في قرون النصرانيّة الاولى يدّعون باصعاد الارواح . وقد تكرّرت هذه المدّعيات في القرون الوسطى مع ما كان يخالطها من السحريّات والشعوذة الى القرن السابع عشر مع ما تبعها من الظواهر الغريبة لمشايعي جنسنيوس في القرن الثامن عشر

على انّ السبيريتسم لم يبلغ سابقاً ما بلغهُ من الرواج والانتشار في القرن التاسع عشر حيث ثبتت هذه الكلمة لاحد مشاهير الكتبة «انّ الازمنة التي يغلب فيها الارتياب بحقائق الدين هي هي التي تغالي في المعتقدات الباطلة»

وكان مبدأ هذه نهضة السبيريتسم الجديدة في اميركة نحو السنة ١٨٤٨ . فانّ ثلاثاً من سيّدات أسرة «فوكس» بينا كنّ في بيتهنّ في قرية هيدسفيل (Hydes-vill) من ولاية نيويرك اذ سمعنَ طرقات سرّيّة لم يستطعنَ كشف معناها ونسبتها الى روح رجلٍ كان توفّي في تلك الدار فسعينَ بحادثتهِ بواسطة علامات اصطلاحيّة اتّفقنَ عليها وبها اطّلعنَ على بعض امور الروح المذكورة التي قالت لهنّ انّها روح رجل اسمهُ شرل رَين (Ch. Rayn) مات قتلاً ودُفن في تلك الدار قبل سنتين . فاستأنست النساء بتلك الروح وظلّت تتردّد عليهنّ بل تبعتهنّ الى روشستر والى نيويرك لمّا حللنَ فيهما

Le Dr Grasset : Le Spiritisme devant la Science, *Paris. Masson*, 1909 = Id. : Idées médicales, *ch. sur l'Occultisme*

Dr Pierre Janet : L'automatisme psychologique .*Paris, Alcan*, 1903

A. Arcellin :La dissociation psychologique: Etudes sur les phénomènes inconscients

Castelein : Psychologie, *Bruxelles, Devit*, 1904. *L'Appendice*

ثمَّ بعد مناجاتهنَّ للروح المذكورة وجُهنَ نظرهنَّ الى ارواح غيرها ظهرتْ لهنَّ على طرق شتَّى وربَّما حضر الغرباء هذه الجلَسات فكانوا يحدقون حول طاولة يرقبون الظواهر الروحانيَّة فيشعرون مسيساً على وجوههم واكتافهم ويشاهدون سحابةً من المانع رماديَّةً ويسمعون اصواتاً وجلبةً في مكان اجتماعهم . فكان لشيوع هذه الحوادث تأثير عظيم لم يشكَّ بوقوعها غير القليلين الذين نسبوا تلك الامور الى حركات طبيعيَّة وضربات صناعيَّة بالأقدام على الالواح او على الطاولة

وممَّا لحظوا ان بعض الحاضرين لتلك الحفلات كانوا يلعبون فيها ادواراً مختلفة فمنهم مَنْ لم يُكترَث لوجودهم او غيبتهم على خلاف غيرهم الذين كان حضورهم محتوماً واجباً لا تتمّ دونهم أعراض الارواح فدعوا هؤلاء الآخرين باسم الوسطاء (Médiums) لتوسطهم بين الارواح وعالم الكون لولاهم لا تُبدي الطاولات حركةً وتبقى الارواح جامدةً ساكنة . وما لبث هؤلاء الوسطاء ان زادوا عدداً وانتشروا في كلّ انحاء اميركة فتهافت عليهم العموم ليدرك بواسطتهم اسرار العالم الآخر ويناجوا الارواح . ثم زاد الهوَس وتفاقم الداء حتَّى بلغ اوربَّة وكان اوَّل نشوءِ في سكوتلندة سنة ١٨٥٢ ثمَّ في لندن في العام التالي ومنها خطا الى المانية ثمَّ فرنسة . وها هو منذ بضع سنين قد ظهر في مصر وانتقل منها الى اقطارنا السوريَّة

وقد وجد السبريتسم في فرنسة رجلاً يُدعى ألان كرديك (Allan Kardec) واسمهُ الصحيح لارون هيبوليت ريفايل (L. H. Rivail) تبطَّن كل اسرارهِ واقام نفسهُ داعياً لمذهبهِ وان شئتَ قلْ رسولهُ ونبيَّهُ . وُلد المذكور في ليون سنة ١٨٠٤ وتخرَّج في سويسرة بين البروتستانت . فلمَّا كانت السنة ١٨٥٥ جعل يتعاطى كلَّ ممارسات المذهب الروحانيّ بل ادَّعى انَّ الارواح سلَّمت اليهِ مقاليد اسرارها لينشرها بين الملأ فأخذ يدوّن ما تلقَّنهُ الارواح عن عالم الغيب ونشر تلك المعلومات سنة ١٨٥٧ في تأليف دعاهُ « كتاب الارواح » واردفهُ بكتاب الوسطاء ثم بانجيل السبريتسم وانشأ مجلَّة تبحث في المذهب المذكور . وكانت وفاتهُ في باريس سنة ١٨٦٩ . وفي اثناء ذلك كان الكونت اجينور دي غسبارين ألَّف كتابهُ في الطاولات الدائرة وهو يُلقي المحاضرات عن المذهب الروحاني . فيتحامل كثيرون الى ممارسة هذا الفنّ الجديد واتخذوه كلهاةٍ حتى أصبح كلعبةٍ متداولة

٢ المرويّات من اعمال السبريتسم

لا يسعنا ذكر كلّ ما يروى من اعمال الارواح واحصاؤها فردًا فردًا وانّما ندوّن اخصّ ما ينسبونهُ اليها

١ فمن ذلك وهو اكثرها شيوعاً تدوير طاولة او سكمنة او قبعة فرنجيّة او سلّة وما اشبه ذلك باجتماع عدّة اشخاص متسلسلين او بعمل احد الوسطاء منفردًا

٢ ومثلها انتشارًا طرقات تضربها الطاولة على الارض اصطلاحاً دلالةً على اجوبةٍ مقصودة. عند وجود حلقةٍ من الاشخاص حولها او وسيطٍ من الوسطاء

٣ واقلّ شيوعاً ممّا سبق كتابةُ الطاولة بقلم يعلّق في قائمتها على ورق يوضع تحت القلم. بشرط وجود الاشخاص او الوسيط السابق ذكرهم

٤ او يجعلون ايضاً قلماً في يد الوسيط في يقظتهِ او نومهِ فيجري القلم كاتباً على الورق ما يوحى اليهِ من قوّة اجنبيّة دون معرفتهِ ومشيئتهِ الشخصيّة

٥ ومثلها ندرةً ان يتكلّف الوسيط النائم او اليقظان الجواب شفاهاً او بالاشارة على ما يُلقى اليهِ من الاسئلة باسم الروح الساكن فيه

٦ واغربُ من ذلك واندر وضعُ ورقةٍ او لوحٍ بعيدَين قليلًا عن الوسيط وعليهما قلم وبعد قليل اذا كُشف عنهما يظهران وعليهما سطور مكتوبة

٧ ومثلها غرابةً وندرة ان ينتقل الاثاث من تلقاء نفسهِ من مكان الى آخر

٨ ان تُسمع صوت طرقاتٍ على جدران المحلّ حيثما توجد طاولة او بعض الاثاث

٩ واغرب من كلّ ما سبق ظواهر من النور وأشباح يُريها الوسيط او يرسم صورها بالفوتغراف او يأخذ بعض آثارها

٣ صحّة المرويّات المذكورة وانتقادها

قبل ان نبحث عن اسباب هذه المطولات والظواهر دعنا نفحص اولاً صحّة وقوعها وهل هي حقيقةً كما يزعم الوسطاء مسبّبة عن الارواح او هي بالحري مفاعيل طبيعيّة واعمال صناعيّة لئلّا نخوض في طلب امورٍ وهميّة خياليّة لا حقيقة لها ومن ثمّ لا نقبل ولا ننفي ما يرويهِ الرواة بحكمٍ سابق ريثما تلوح لنا الحقيقة بتمامها. فانّ العلماء الاثبات لا يُبدون حكمهم الّا على الامور الراهنة الثابتة بعد تقصّيها تماماً

وهذا ما جرى لاحد مشاهير الطبيعيين وليم كروكس (W. Crookes) مع الآنسة فلورنس كوك (Miss Florence Cook) التي كانت تدّعي بالعلاقات مع روح امرأة اسمها كاتي كنغ (Katie King) عاشت في عهد شرل الثاني وعُرفت باسم اني مورغان (Annie Morgan) . ففحص العلّامة كروكس تلك الرؤى المزعومة المتجسّمة ونشر ملحوظاته فيها دون ان يستنتج منها نتيجة مقرّرة ولم يشأ ان يبتّ حكماً في ذلك ثمّ لحظوا سنة ١٨٨٠ حيلاً تحايلت بها المس فلورنس كوك . وعليه لا يمكن الاعتماد على هذه الامتحانات وان كان اصحاب السبريتسم لا يزالون يشيرون اليها

ثمّ جرت في فرنسة امتحانات أخرى لم تأتِ بنتيجةٍ مقنعة واشهر تلك الامتحانات ما تولّاهُ بعضهم في مونفرت لاموري (Mónfort l' Amaury) بفحص مدّعيات امرأةٍ وسيطةٍ كانت تزاول الطبّ اسمها اوسابيا بلادينو (Eusapia Paladino) وذلك بحضور العالمَين الطبيعيين فلمتاريون ودي روشاس . وكذلك امتحن الدكتور ريشه (M. Richet) وسيطاً آخر في بستان كرمين (Villa Carmen) قريباً من مدينة الجزائر . ومثلها امتحانات أُخرى اجراها اعضاء المكتب السيخولوجي العامّ في السنين ١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٠٧ بحضور بعض مشاهير الاساتذة كالعلماء يورفتش (Yourevitch) وبرانلي وكرتيه ودرسنفال وريشه فعاينوا ما ادّعته الوسيطة المذكورة اوسابيا بلادينو لكنّهم لم يتحقّقوا صحّة مزاعمها ولم يمكنهم الّا ثلث دفعات ان يمنعوها بقبول بعض الاحتياطات لتصحيح قولها بل باغتوها غير مرّة واكتشفوا بعض حيلها

هذا وانّ العلماء الذين عُهد اليهم فحص هذه الامور الغريبة وجدوا في مراقبتها مشاكل عديدة وليس كلامنا هنا عن العمليّات البسيطة كحركات الطاولة وطرقاتها لكن عن حوادث السبريتسم الغريبة . واوّل ما حال دون فحوصهم ان الوقائع المذكورة لا تجري طوع مشيئتهم اذ لابدّ من وسيط بينهم وبين الظواهر الواجب فحصها . وكثيراً ما يعيا الوسيط عن إبراز الاعمال المزعومة . واذا اتمّ فعلاً شيئاً منها يُقيّد العلماء في فحصها بشروط تخلّ بفحصهم . فمن ذلك ان تلك الظواهر لا تحدث الّا في ظلمة نصفيّة او ظلمة تامّة ممّا يمنعهم عن اثبات الامر كما يجب

وممّا يعوق العلماء عن الفحص المدقّق لهذه الرؤى الغريبة مَكْر الوسطاء وغشّهم فمنهم من يرتزق بالشعوذة وملاعيب السيمياء اي السحر الحلال . ومنهم من يُخدَعون

بالاستهواء ويخدعون النـاس دون مشيئتهم بسبب تأثراتهم . والاولون لا يُحصى عددهم فان في المُخرقين والنصّابين رجالاً بلغوا الغاية في اختراع اعمال الشعبذة . فكم يُخدَع الناس بأعمالهم وهم ينسبونها الى السحر وليست هي حقًّا سوى حيَل يجرونها بخفّة عجيبة وحذاقة غريبة يندهش بها الناس . وقد شاع في اميركة المحتال مُملير (Mumler) كان يُذهل العموم بحيلهِ . ومثلهُ الفرنسويّ بوغه (Buguet) فان هذا ادّعى ايضاً انّهُ يستطيع ان يصوّر بالشمس أرواحاً نيجتسها وما كانت تلك الارواح سوى مصنوعات من اللفائف او تقاطيع الكرتون كان يخفيها ويأخذ صورها دون ان يشعر بهِ احد . فهذا انكشف خبثهُ وحُكم عليهِ لمكرهِ لكنّ الذين عاينوهُ لم يزالوا موقنين بصحّة مرويّاتهِ

واعظم ضررًا من السابقين الخادعون المخدوعون فانّ مثل هؤلاء يغلب عليهم الشعور والحسّ حتّى يحملهم الوهم الى تأكيد امور لا حقيقة لها الّا في مخيلتهم . فمن جملة هؤلاء الفتاة المسمّاة حنّة روثا (Anna Rotha) في المانية . والمسمّى سلادا (Slada) من اشهر وسطاء القرن السابق بكتابتهِ على الواح السُّبورات فوجدوهُ ابدل لوحاً اسود بلوحٍ آخر مكتوب قبلًا . والمسمّى شرل إلدريد (C. Eldrid) الذي كان يصوّر اشباحاً روحيّة جعل صورها في علبةٍ دسّها في الكرسيّ الذي يجلس عليهِ . والوسيطة المذكورة اوسابيا في كمبريج ثبت خداعها في عشرين جلسةً حضرها الجمهور . وغير هؤلاء كثيرون تحقّق مكرهم وذلك ما دفع الدكتور غراسيه (D' Grasset) الى ان يُعلِن وقوع الحيل المتعدّدة في اعمال وسطاء السبيريتسم مع صعوبة مراقبتهم . والدليل على صحّة قولهِ انّ الاعمـال العجيبة التي يدّعي بها اصحـاب السبيريتسم تكاد تتلاشى عند اتخاذ المراقبين لهم الوسائلَ الفعّالة لكشفِ حيلهم . وربّما امتنع الوسطاء عن كلّ عمل اذا شُدِّدت عليهم المراقبة

وخلاصـة القول انّ ما ذكرناهُ تحت الاعداد الاربعة الاولى لا يُمكن نكرانهُ ولا شـكّ في وقوعهِ . وبقيّة الظواهر مشكوك في صحّتها لاسيّما الهبوات النوريّة والشهب المنيرة وكذلك ظهور الاشباح ورؤى ارواح هيوليّة سواء كانت صورتهـا تامّةً كشخص كامـل او جزئيّةً كظهور يدٍ او ذراع او عضو آخر . ومثلها تصوير الارواح المذكورة شمسيًّا او طبع رسومها في البرافين او الآجُرّ فهذه المرويّات وغيرها

من شكلها لم تثبت الى الآن بصفة علميّة وفي عدّة حوادث استطاع المراقبون ان يكتشفوا حيلاً لاذ بها هؤلاء المدّعون بالمذهب الروحاني . فهذا هو رأي الدكتور غراسه الذي درس كل هذه الظواهر الغريبة . ويرجح وقوع الدهاء والحيلة في انتقال بعض الاثاث من مكان الى آخر دون مسيسها ظاهراً . وكذلك طرقات الطاولة على الحضيض والصفعات على الجدران او بعض الآنية . وانما أشكل عليه امرُ الوسطاء ذوي الاستهواء اذ لم يتأكد فيهم الخداع ولعلّهم مخدوعون . ومثلهُ المسيو مكسويل (Maxwell) الذي انعم النظر في كلّ هذه الحوادث السبيريتيّة فانّهُ بعد استقرائها والبحث عن صحّتها نسبها الى الخداع فختم بعضهم قولهُ بهذا الحكم النهائي : «لقد يُحدق بكل هذه الحوادث الغريبة شبهةٌ يُنتَشف من ورائها الشعوذة والحيَل»

٤ تفسير الحوادث الغريبة المنسوبة الى السبيريتسم

١ لمّا اعتبر بعض الكتبة ما تحقّقهُ قومٌ من العلماء عن خُبث اصحاب السبيريتسم وتحايُلهم لم يعودوا يصدّقون من اعمالهم شيئاً بل نسبوها كلّها الى الحِيَل والتشعوذ والاوهام . على اننا نرى في حكمهم هذا مبالغةً بيّنة لأنّهُ لا يمكن جحود بعض الظواهر ونفي صحّتها

٢ ومنهم حزبٌ آخر على عكس الاوّلين وهم المنحازون الى جانب السبيريتسم وانصار مذهبهم الروحانيّ فانّهم يرون في الظواهر المذكورة اموراً عجيبة تأتي بها الارواح لتجعل بينها وبين البشر علائق ودّيّة باطنة مفيدة لحياتهم . هذا رأي لاون دنيس خَلَفُ ألّان كرديك وقال بعض تبعته :

«إن كانت الطاولات تدور او تطرق الارض بقوائمها . ان تحرّكت الاقلام فكتبت على الالواح . ان لاحت الايادي في الفضاء . ان ظهرت الاشباح للعيان . ان تكلّم الوسطاء اضطراراً فليس ذلك لإلهاء العموم وترويح الناس وانّما هو دليلٌ على انّ ارواحاً مجرّدة عن اجسامها تسعى بالاتّصال بعالم الاحياء وهي بهذه العلامات الحسّيّة تُعلن العموم بحضورها وباستعدادها لخدمتهم فلذلك تجيب على اسئلتهم . . وقد نشأ السبيريتسم من رغبة الاحياء في البلوغ الى موتاهم الاعزّاء والاجتماع بهم ليتحادثوا معهم ويقفوا على مصيرهم في عالمهم المجهول ويستفيدوا منهم احوالي ما وراء القبر . وقد لبّت الارواح الى مبتغى البشر وهي تظهر لهم لتفيدهم تعزيةً وسلواناً وتنشّط قلوبهم وتنير عقولهم»

وان سألت هؤلاء المنتمين الى المذهب الروحانيّ وكيف تستطيع ارواح مجرّدة

عن المادة ان تتصل بعالمنا هذا الهيولي وبالبشر المتجسمين ؟ يجيبونك بقولهم : انَّ للجسم البشري مانعاً يدعونهُ بالعُنصر الكوكبيّ (corps astral) او العنصر المحدق بالروح (périsprit) يستطيع الانسان ان يبعثهُ من جسمهِ اذا شاء ويمكن الوسطاء تهييجهُ بنفوذ الارواح . فهذا المانع هو الذي يدير الطاولات ويرفع بها عن الحضيض وينقلها من مكان الى آخر . فالوسطاء على زعمهم يجعلون هذا المانع في حوزة الارواح التي تستمدهُ لغاياتها تارةً وحدهُ وتارةً ممتزجاً بالمانع الكوني المنتشر في كلّ العالم وبهِ تتمكَّن الارواح من إبراز مفاعيلها العجيبة وصورها المختلفة . وربَّما اعار الوسطاء مانعَ جسمهم للارواح فيصيب الوسيطَ حينئذٍ انحطاطٌ قوًى وضَنكٌ عظيم يكاد ان يُتلفهُ

هذا ما يقولهُ انصار السبريتسم . امَّا العُقلاء والعلماء الثقة فيرون في تفسيرهم السابق تعليلاً بعيداً عن الصواب . وقبل كلٍّ لا يرضى عقلٌ صائب بما يزعمهُ اصحاب المذهب الروحاني عن استعداد الارواح لخدمة البشر ايًّا كانوا وكيفما شاؤوا . قال المسيو مورين (A. Morin) العالم الشهير : « لا اظنُّ انَّ ارواح البشر بعد تجرُّدها من اغلال جسدها تتوق الى ان تستبطن قطعةً من الخشب كالطاولات وغيرها وتُعلن حضورها بحركاتٍ هزليَّة دنيئة مستحيلة كحركات الطاولات » . وقال عالم آخر المسيو بابينه (Babinet) : « انَّ عدد الوسطاء في اميركة يبلغ ستين الفاً أفليس القول بانَّ ستين الفاً من مشاهير الاموات هم الآن طوع بنان الوسطاء من الاقوال المُضحكة التي توجب النفي والسُّخريَّة »

وزد على ذلك انَّ السبريتسم حتَّى الآن لم يثبت مدَّعياتهِ بالبيّناتِ الصادقة . فانَّ الارواح التي يزعمون انَّها لفلان الشاعر ولفلان الكاتب ولفلان السياسي لم تثبت هويّتها بالدلائل المقنعة والحجج الدامغة . فانَّ ما تفوه بهِ من الاقوال والآراء انَّما هو صدى افكار الوسطاء او الحضور وليس صورة افكار الاشخاص المزعومين . قال المسيو جانه (Mr Janet) : « ان كورنيل الشاعر الفرنسويّ الشهير اذا استحضرهُ الوسطاء وأنطقوهُ بالشعر لا يأتي الَّا بشعرٍ سخيف ركيك اللفظ مبتذل المعنى . واذا استحضروا بوسويه الخطيب المصقع يجعلون في فمهِ خطباً ينبذها أدنى الواعظين »

وقد ادَّعى احد الوسطاء الاميركيين انَّ روح ديكنس الروائي الانكليزيّ

الشهير قد حلّت فيهِ واوحت اليهِ بانجاز احدى رواياتهِ التي حال الموت دون اتمامها . فلما أنجزها أجمع المنتقدون انَّ تتمّة الرواية بعيدةٌ عن انشاء ديكنس وبلاغة كلامهِ وانسجام عبارتهِ . ثمَّ انَّ فصلًا من هـذه الرواية كان بقي بين اوراق ديكنس لم يُطبع فهذا الفصل لا يوجد في قسم الرواية التي تولّى كتابتها الوسيط المذكور وذلك دليل قـاطع على انَّ روح ديكنس لم تشئ خاتمـة الرواية كما زعم الوسيط الاميركي(١ . ولمّا حضر العلّامة وندتْ (Wundt) جلسةً من جلسات السبيريتسم حيث استحضروا بعض ارواح كبار الرجال وجدهم جميعاً من اهل الطبقات السافلة الدنيئة التي لا يجوز ان تُنعت بطبقة عظام الرجال

وما تحقّقهُ اهل النقد انَّ الارواح المزعومة تسلك في اقوالهـا وافعالها مسلك الوسيط عينهِ فتجري على افكارهِ وتمثّل اخلاقهُ وكلامهُ . وفي بعض الاحيان تظهر هذه الارواح مهتمّةً في تصوير افكـار الحضور واحوالهم . فاذا كان الحضور من العلماء تسمى الارواح بمجاراتهم في العلوم الرائجة واذا كان الحضور من رعاع الناس جرت الارواح على منوالهم وسفالة افكارهم . وتكون اجوبة الارواح موافقة لما ينتظرهُ القسم الاكبر من الحضور حتّى انَّ بعض المنتقدين زعموا انَّ تلك الاجوبة يستمدّها الوسيط من الحضور فيعيرها الارواح

ويؤيد هذا الرأي ما كتبهُ المسيو فلمّـاريون الطبيعي المعروف بعد ان كان هو عينهُ احد الوسطـاء في خدمة ألّان كرديك فانَّهُ لمّا استحضر روح غاليليوس الشهير وطلب منهُ رأيهُ في تكوين الافلاك وعلم الهيئة وذلك في خلال سنتي ١٨٦٢ و١٨٦٣ كان جواب الروح المزعومة صدى افكـار فلمّاريون وآرائهِ السابقة ليس الّا . وقد نشر صاحب الكتاب الروحاني المطبوع في مصر ما رُوي عن روح غاليليوس في الفصل الثاني (ص ٢٠٠ — ٢١٣) . وقـد أقرَّ بذلك فلمّاريون في ٩ تمّوز سنة ١٨٩٩ في منشورات السياسة والتواريخ الدولية وفي كلامهِ عبرةٌ للمعتبرين قال :

« اني كنت وسيطًا لألّان كرديك وقد نشر هذا في كتابهِ المعنون بسفر الخليقة الفصول العلميَّة التي كنتُ على زعمهِ التقتُها من روح غاليليوس وامضيتُها انـا باسمهِ . وليست هذه

---

١) اطلب ما كتبهُ في ذلك الدكتور سوزبلدْ (ص ٥٤) وسجلّات علم السيكولوجية في ١ حزيران سنة ١٨٩٢ ص ٤٠)

الفصول الا صورة خواطري الشخصية والافكار الشائعة وقتئذٍ بين العلماء بخصوص السيارات والنجوم وتكوين الخليقة واني لم استفد شيئاً البتّة من روح غاليليوس »

ومثل فلمّاريون احتجّ عالمٌ آخر المسيو ڤكتوريان سردو (V. Sardou) على ألآن كرديك الذي ادّعى انّ الروح اوحى بمعلومات فلسفيّة مستقلّة فقال المسيو سردو انّ تلك الآراء كان سبق هو نشرها وادرجها في كتب السبريت فانها آراؤهُ ليست تعاليم الارواح

وقد ثبت اليوم بعد الامتحانات العديدة انهُ لا يوجد مطلقاً حقيقةٌ واحدة من حقائق الفلسفة والدين والآداب قد ابتكرتها ارواح السبريتسم فانها كلّها متضمّنة في تآليف الفلاسفة او في كتب التعليم المسيحيّ . واذا عرضوا على تلك الارواح مسائل عويصة فلسفيّةً كانت او علميّةً تتملّص منها دون جواب واضح

واغربُ من ذلك انّ الارواح المزعومة التي يعوّلون عليها لمعرفة حقائق العالم الآخر لا تتّفق في اجوبتها بل في كلامها تناقض ظاهر حتّى في اعظم الامور شأناً فيما يخصّ مثلاً عَوْد الارواح الى اجسادها فانّ بين ارواح الشعوب السكسونيّة وارواح غيرها آراء مختلفة فهولاء ينكرون واولئك يثبتون

وربّما ظهرت اكاذيب هذه الارواح وتلفيقاتها . وهاك مثالاً يدلّ على قولنا : كانت المدعوّة تراڤرس سميث وسيطةً للارواح فأتاها يوماً نبأ روحاني بموت احد المسجّلين الايرلنديين اسمهُ بيتر روني (Peter Roony) قال الروح ان المذكور انتحر رامياً نفسهُ تحت عجلات السكّة الحديديّة . فما اشدّ ما كان انذهالها اذ تأكدت بعد اربع سنوات سنة ١٩١٤ انّ المذكور كان حيًّا يُرزَق . فعلمت ان الروح خدعها

ولنا امثلة عديدة على كذب الارواح روتها جريدة البشير في ردودها على المقتطف وخصوصاً في ما يختصّ بالحقائق الدينيّة التي كانت الارواح تنكر وجودها ثمّ تحققها بعد الإلحاح عليها وتبكيتها على كذبها

فلا يمكن اذن الإركان الى اجوبة هذه الارواح . قال الدكتور ف . داڤس (Ph. Davis) : « هاءنذا منذ عشرين سنةً ادرس مناجاة الارواح ففي هذه المدّة كلّها لم يمكنني ان احصل انا منها بذاتي او بواسطة غيري افادةً واحدة يجوز للعلماء او للفلاسفة الاعتماد عليها »

وما قولك الآن في هذا المانع الحيوي التي يزعم الوسطاء انّ الارواح تتّخذهُ وسيلةً لاندماجها مع البشر فكيف يثبت هؤلاء الوسطاء وجودهُ ولم يعرفهُ العلماء حتّى يومنا . وان صحّ وجود مثل هذا المانع افليس الأصوب ان يقال انّ الوسطاء ذاتهم يتوسّلون بهِ لتلك المفاعيل الخارجة . ومن ثمّ لا حاجة الى توسّط الارواح

هذا ما يحضرنا من الجواب على مزاعم المتمذهبين بالمذهب الروحاني الناسبين اليه تلك المعلولات الغريبة . وسنعود الى هذا الامر ونبيّن بطلانهُ في الفصل الاخير

٣ بقي فريق ثالث متوسّط بين الطرفين السابق ذكرهما اعني بين الناسبين كلّ ظواهر السبيريتسم الى الغش والخداع وبين الذين يعزون تلك المفاعيل كلها الى الارواح . وهذه الطريق الوسطى نوافقها نحن ايضاً في قولها انّ لتلك المفاعيل علّاً شتّى والعلّة الاولى (مكرُ الوسطاء) . فلا شكّ انّ امورًا كثيرة ينسبونها الى الارواح ليست الاّ اعمالًا يأتي بها الوسطاء بثقافةٍ ولقافةٍ ممّا اعتادهُ بعض الظرفاء والمشعوذين تفكهةً للناس ولستدرارًا لدراهمهم فيعزونها للارواح لتزيد بذلك ارباحهم . وقد اقرّ بذلك الدكتور بابوس الساحر (اسمهُ الصحيح الدكتور انكوس Dr Encausse) قال : « انّ بين عشرة من الوسطاء ثمانية نصّابون مخرقون يحترفون بالشعوذة والخزعبلات (١) » . وكثيرون من الوسطاء المذكورين اذا حرّجوهم والحّوا عليهم يجيبون قائلين : « لا عجب ان نلتجئ الى بعض الحيل لأنّ الحضور يحوجوننا الى ذلك وهم تائقون الى غرائب الامور لا يرضون الّا بها » فانّ المشعوذ الشهير المدعو كلّار (Kellar) قد اتّصل في اميركة سنة ١٨٩٥ الى تقليد الكتابات التي كان الوسيط الانكليزي اغلنتون (W. Eglinton) يدّعيها للارواح ثمّ جاهر بانهُ يستطيع ان يصوّر ايّ كتابةٍ كانت تنسب للارواح المزعومين . وقد اكتشف المراقبون للوسطاء المذكورين حركاتٍ خفيّة واصواتاً تصدر من كعوب ارجلهم كان السامعون يظنّونها خارجةً من الطاولة او من الواح الارضيّة كما تحقّقوا ان بعضهم كانوا يصوّرون الاشباح بوسائط طبيعيّة خفيّة

٢ (الاسباب الطبيعيّة) لا يمكن تعليل كلّ ظواهر السبيريتسم الى الشعوذة والخداع

---

(١) اطلب كتاب رامي (ص ٥٠) Remy : Spirites et Illusionistes

وانما يمكن نسبة بعضها الى علل طبيعيَّة . قال السيد توريناس (M^{sr} Turinaz) اسقف نانسي سنة ١٩١١ في احد مناشيره التي كتبها عن السبريتسم : « انّ بين الحوادث العجيبة التي يرويها تبعة السبريتسم قسماً كبيراً يمكن نسبتهُ الى القوى الطبيعيَّة ولا نشكّ انّ دارسي الحوادث المذكورة يطّلعون على اسبابها الحقيقيَّة » . والحقّ يقال انّ بعض العلماء انقطعوا الى التعمُّق في اكتشاف عللها فوجدوا انّ بعض الامراض كالهستريَّة والجولان في النوم (Somnanbulisme) والتنويم تشبه اعراضها حالة الوسطاء في السبريتسم ويلوح لمن درسها انّ في الانسان بعض القوى الخفيَّة التي لا يدركها بالشعور وانما هي نتيجة تصرُّفه وعاداته السابقة . فهذه القوى تُبرز اعمالها في بعض الظروف وبفعل بعض التأثيرات . وهكذا يجوز القول انّ ما ينسبهُ الوسطاء الى الارواح انما هو لائحة من هذه التأثيرات الشخصيَّة فيهم تبرز الى الوجود في حالة تهيُّجهم وتدفعهم الى امور غريبة وتخيُّلات كاذبة نتارةً يدّعون بوجودهم في امكنة سحيقة او في ازمنة مختلفة وحيناً يصفون احوال اشخاص بعيدين عنهم . وطوراً تعمل فيهم تاثيرات اولئك الاشخاص كأنهم امامهم . وقد جمع العلماء كثيراً من هذه الحوادث الطبيعيَّة المسبَّبة عن العلل السابق ذكرها وعارضوها باحوال وسطاء السبريتسم فوجدوها مجانسةً لها . منها ما رُوي عن فتاةٍ تدعى هيلينة سميث ابنة احد العمّال في جنيفة حاضرة سويسرة التي تزعم انّها عاشت سابقاً مرّتين على الارض المرّة الاولى قبل ٥٠٠ سنة وانّها كانت ابنة شيخ من العرب والمرّة الثانية كانت الملكة ماري انتوانيت ثمّ بسنّة التناسخ وُلدت الآن بصفة ابنة احد المأمورين لكنّها تتعزّى عمّا فقدتهُ من عزّها السابق بمناجاتها للارواح الساكنة في سيارة المرّيخ والسيّارة اورانوس وفي القمر وانّها تعلّمت هناك لغةً غريبة وضروباً من الكتابات السرّيَّة . فهذه الفتاة قد فحصها الدكتور فاورنسي فوجدها بعيدة عن كلّ مكر وخداع وقال عنها انها جبلتْ في مخيّلتها تذكارات قديمة وتأثيرات سابقة من مطالعاتها ومسموعاتها فترويها . كأنها حدثت فعلاً معها وليست هي الّا سفاسف وخزعبلات صبيانيَّة جسّمتها لها اوهامها ومخيّلتها

والدكتور غراسه في كتابهِ المعنون : «السبريتسم بازاء العلم» يميز في الافعال النفسانيَّة طبقتين طبقةً عليا من الافعال الاختياريَّة الحرّة التي يدركها صاحبها تماماً .

وطبقة سفلى وهي الافعال التي تنشأ من النفس عفواً دون ادراك كأنها حركة ادوات لا حس لها . وللطبقتين في الانسان جهازان خصوصيان يجتمعان عادة في الافعال البشرية . وانما يحدث في بعض الاحيان انهما يتفردان باعمالها دون ان تُدرِك الطبقة العليا ما يصدر عن السُفلى من الاعمال . فالدكتور غراسه يستند الى هذا الرأي في تفسيره للاحلام وبعض الرؤى الخيالية واعمال التنويم والاستهواء . وينسب اليها بعض حركات الطاولات الدائرة يحركها الوسيط دون انتباه وبعض الاجوبة التي يردّ فيها على ما يُسأل ويعلّل بها بعض اعمال المصابين بالهستيرية

وكان الدكتور جانه (Dr P. Janet) سبق واعتمد الى هذا الرأي عينه في كتابه المعنون (l'Automatisme psychologique) وانحاز الى رأيهما هذا غيرهما من الاطباء . نعم انّ هذا الشرح لا يُزيل كلّ الشبهات ولا يوضح كلّ الظواهر وانما يكشف السرّ عن عدّة خفايا . ويؤمل هؤلاء الحكماء انهم يميطون القناع عن اشياء غيرها اذا مكّنهم الوسطاء من التنقيب عن حركاتهم وسكناتهم بفحص مدقق علمي (الاسباب الخارجة عن الطبيعة) فيبقى في اعمال الوسطاء وارباب السبيريتسم اشياء لا يستطاع تعليلها طبيعياً فهذه لا بُدّ من نسبتها الى الارواح ولكن ليس الارواح البسيطة كما يزعم اهل السبيريتسم بل الى الارواح الشريرة اعني الابالسة والشياطين شاء الوسطاء والملاحدة او ابوا كما سنبيّن ذلك في عدد آخر (لهُ صلة)

التذكار الخمسيني

لافتتاح قناة سويس

نبذة تاريخية للاب رفائيل نخله

في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ تمت السنة الحادية والخمسون لذلك الافتتاح . فيليق بنا ان نتكلم عن هذه المأثرة البديعة التي يسوغ احصاؤها في العجائب الهندسية النادرة المثال

وطبقة سفلى وهي الافعال التي تنشأ من النفس عفواً دون ادراك كأنها حركة ادوات لا حس لها . وللطبقتين في الانسان جهازان خصوصيان يجتمعان عادة في الافعال البشرية . وانما يحدث في بعض الاحيان انهما يتفردان باعمالها دون ان تُدرِك الطبقة العليا ما يصدر عن السُفلى من الاعمال . فالدكتور غراسه يستند الى هذا الرأي في تفسيره للاحلام وبعض الرؤى الخيالية واعمال التنويم والاستهواء . وينسب اليها بعض حركات الطاولات الدائرة يحركها الوسيط دون انتباه وبعض الاجوبة التي يردّ فيها على ما يُسأل ويعلّل بها بعض اعمال المصابين بالهستيرية

وكان الدكتور جانه (Dr P. Janet) سبق واعتمد الى هذا الرأي عينه في كتابه المعنون (l'Automatisme psychologique) وانحاز الى رأيهما هذا غيرهما من الاطباء . نعم انّ هذا الشرح لا يُزيل كلّ الشبهات ولا يوضح كلّ الظواهر وانما يكشف السرّ عن عدّة خفايا . ويؤمل هؤلاء الحكماء انهم يميطون القناع عن اشياء غيرها اذا مكّنهم الوسطاء من التنقيب عن حركاتهم وسكناتهم بفحص مدقق علمي (الاسباب الخارجة عن الطبيعة) فيبقى في اعمال الوسطاء وارباب السبيريتسم اشياء لا يستطاع تعليلها طبيعياً فهذه لا بُدّ من نسبتها الى الارواح ولكن ليس الارواح البسيطة كما يزعم اهل السبيريتسم بل الى الارواح الشريرة اعني الابالسة والشياطين شاء الوسطاء والملاحدة او ابوا كما سنبيّن ذلك في عدد آخر (لهُ صلة)

التذكار الخمسيني

لافتتاح قناة سويس

نبذة تاريخية للاب رفائيل نخله

في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ تمت السنة الحادية والخمسون لذلك الافتتاح . فيليق بنا ان نتكلم عن هذه المأثرة البديعة التي يسوغ احصاؤها في العجائب الهندسية النادرة المثال

منذ نحو ٣٣٠٠ سنة فكّر ساتيل احد الفراعنة في حفر قناة على طول البرزخ القائم كحاجز منيع بين آسية وافريقية . فلم يُخرج مقصدهُ الى حيّز العمل . ثم حاول احد خلفائه انشاء قناة بين النيل والبحر الاحمر فلم ينجح . فبقوا هكذا نحو ثلاثة وثلاثين جيلاً لم يجسر فيها الملوك العظام ولا جهابذة المهندسين على مباشرة ذلك العمل الجبّاري الى ان اتمّه المهندس الفرنسوي فرنان دي لسبس . قدّم رسومه لخديوي مصر سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وبعد سنتين نال منه فرماناً لانجاز مشروعهِ الّا انهُ لم يبدأ الحفر قبل ٢٥ نيسان سنة ١٨٥٩ . ثمّ ما لبث ان دُهم بعرقلة لم يكن يتوقعها وهي عدم كفاية رأس المال الاصلي البالغ مئتي مليون فرنك . وما عدا ذلك صادف عقبات سياسية اوقفت عمله مدّة طويلة . اخيراً بعد المخابرات العديدة المجهدة حصل على تأسيس شركة رأس مالها ١٩ مليون ليرة انكليزيّة مكّنتهُ من ابدال الحفر اليدوي بالماكينات الحديثة . وعلى هذا المنوال أُنجز سنة ١٨٦٩ ذاك العمل الجبّاري الذي ادهش الخافقين بسرعة ختامه رغماً عن الصعوبات والنفقات العظيمة التي تخطت العزائم مدة ٣٣ جيلاً . وكان عيد افتتاح قناة سويس من ١٦ الى ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فحضرته الامبراطورة اوجيني حليلة نابوليون الثالث المتوفاة اخيراً في اسبانية وامبراطور النمسة فرنسوا جوزف وولي عهد المانية وعدّة امراء وممثلين لكل الدول الاوربيّة

لقناة سويس ١٦٠ كيلومتراً طولاً و ٩ امتار عمقاً . امّا عرضها فهو ١٠٠ متر في سطح المياه و ٦٥ في قعرها . وهي تَصِل بورسعيد بسويس أي البحر المتوسّط بالبحر الاحمر . ولكي يقف القرّاء على الصعوبات العظيمة الحائلة دون حفر مثل هذه القناة نورد التفاصيل الآتية . كان معدّل عدد الفعلة في اشدّ حركة العمل خمسة وعشرين الفاً وبنوع معتاد خمسة عشر الفاً . وحيث لم يكن في جوارهم ماء للشرب كان ١،٦٠٠ جمل تجلب لهم المياه من بعيد بنفقات يومية تبلغ سبعة آلاف فرنك !

واذ كان النيل يُفرغ عند مصبّهِ في البحر المتوسّط كميّات عظيمة من الرمل المتّجه شيئاً فشيئاً الى القناة للرسوب في قرارها أضحى من الضروري تشييد أسداد طويلة عريضة وشديدة المتانة لاتّقاء ذلك المحذور بلغ طول بعضها كيلومترين : وكان بناؤها بكُتَل مصنوعة بزيج من للاط ورمل الشواطئ يزيد ثقلها احياناً على ٣٥٠

طُنًّا ا . امَّا مجموع نفقات حفر قناة سويس فقد بلغ نحو ٥٠٠ مليون فرنك فيكون معدّل النفقات عن حفر كلّ متر ١٢٥ ، ٣ فرنكاً

فلننتقل الآن الى شرح تفاصيل اجتياز القنـاة . من المعلوم ان كل باخرة تقصد عبورها يلزمها الوقوف في بورسعيد . فيُعلن قبطانها لإدارة القنـاة وصوله وجنسيَّة الباخرة ومرفأ خروجها ومرفأ منتهى سياحتها وحمولها ومقدار غوصها في الماء وعدد الركاب الخ . فبحسب تلك الافادات تعيّن الادارة القيمة اللازم دفعُها للاجتياز من المتوسط الى البحر الاحمر : كلّ طُنّ من البضائع عليه رسم ٧ فرنكات وثلاثة ارباع . وعلى كل شخص ١٠ فرنكات ما عدا الاطفال فهم يدفعون ٥ فرنكـات . وعلى ذلك يكون معدّل الرسوم المدفوعة من كل باخرة نحو عشرين الف فرنك . وان استكثر القراء هذا المبلغ العظيم ونسبوا شركة القنـاة الى الطمع في ارباح فاحشة ألفتنا انظارهم الى كثرة النفقات العظيمة التي تقوم بها الشركة لحفظ القناة في حالة صالحة للملاحة . واهمُّ تلك المصاريف هي التي تستلزمها البواخر المجهّزة بالات قديرة لجرف الرمل الذي يثيره الريح على توالي الايام ويهبطه الى قعر القنـاة حيث يتراكم ويُنقص عمقها . وهذا يكاد لا يزيد على مـا تقتضيه اضخم السفن . فمجرّد نفقة تلك البواخر الجارفة الرمل تبلغ سنوياً نحو اربعين مليون فرنك !

ومدّة اجتياز القناة تتراوح حسب سرعة البواخر بين ١٥ وعشرين ساعة وذلك لالتزام السفن ابطاء سرعتها المعتادة . ولولا ذلك الاحتياط لأثارت في القناة الضيقة القليلة العمق امواجاً عظيمة تُجحف بالضفّتين . وما عدا ذلك تُسام إعاقةً اخرى . لان ضيق القناة لا يسمح باجتياز سفينتين على طول المسافة بين بور سعيد وسويس . وحيث يتفق كثيرًا ان بعض البواخر لهـا وجهة البحر المتوسط وغيرها وجهة البحر الاحمر فيلزم وفقاً لنظامات شركة القناة التوقّف في محطّات خصوصيَّة ريثما تعبر الباخرة الاتية من الوجهة المعاكسة

امَّا اهميّة القناة للتجارة الدولية فتتّضح لكل ذي عينين . فان القناة قرّبت آسية وافريقية الشرقية ولاسيّما الشرقية الجنوبية الى اوربّة تقريباً لم يخطر على بال فالمسافة بين لندن وبمباي تُقطع في ٢٤ يوماً بدلًا من ٤٨ . وبفضل تلك السرعة توفّر البواخر وقتاً ثميناً وكميّات عظيمة من الفحم يُعوّض عنها بالبضائع

والحق يقال لا فائدة في اجتياز القناة الّا للسفن الحاملة لبضائع ذات قيمة متوسطة . وذلك لان رسم العبور ٧ فرنكات و٧٥ سنتيماً عن كل طن بغض النظر عن ماهية البضائع . ولذلك نرى السفن المشحونة بالاخشاب وجذوع الاشجار والحجارة والغلال لا تنتأ في ايامنا هذه تدور حول افريقية لتنجو من تلك الرسوم الغالية . على كل حال يفوق عدد البواخر العابرة سنوياً من القناة كل ما يتصوّرهُ الجمهور . ففي سنة ١٩١١ مثلاً اجتازها ٤،٩٦٩ باخرة ومنها ٣،٠٨٩ انكليزية . اعني معدّل ١٤ باخرة يومياً . فكان معدّل الرسوم المدفوعة يومياً نحو ٢٨٠،٠٠٠ فرنك

وقد نُصب عند مدخل ميناء بور سعيد الغربي — على حاجز للامواج مستطيل في داخل المياه — تمثالٌ عظيم بديع للمهندس الفرنسوي فرنان دي لسبس صاحب مشروع قناة سويس ومُخرجه الى حيّز الوجود بعد نحو عشرة اعوام من الاشغال الجبّارية . وللتمثال قاعدة مرتفعة يَرى عليها السائحُ الواصل من اوربّة ذاك النابغة فريد عصره منتصباً تُشير يمناه الى مولج القناة ولسان حاله يقول : «هذه مأثرتي المخلّدة لاسمي ومجدي !» وطول التمثال بصرف النظر عن قاعدته نحو سبعة امتار

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

في انشاء المدرسة المارونية الرسمي (١٥٨٤ — ١٥٩٢)

بلغ عدد احداث الموارنة المرسلين الى رومية ليخرّجوا فيها بالآداب الكهنوتيّة في ربيع السنة ١٥٨٤ عشرين تلميذاً كانوا يسكنون في دار بقربها كنيسة على اسم مار يوحنّا المعمدان كانت سابقاً كنيسة رعيّة فخصّصها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر منزلاً لغرباء الموارنة الذين كانوا يأتون من الشرق الى امّ المدائن لقضايات

والحق يقال لا فائدة في اجتياز القناة الّا للسفن الحاملة لبضائع ذات قيمة متوسطة . وذلك لان رسم العبور ٧ فرنكات و٧٥ سنتيماً عن كل طن بغض النظر عن ماهية البضائع . ولذلك نرى السفن المشحونة بالاخشاب وجذوع الاشجار والحجارة والغلال لا تنتأ في ايامنا هذه تدور حول افريقية لتنجو من تلك الرسوم الغالية . على كل حال يفوق عدد البواخر العابرة سنوياً من القناة كل ما يتصوّرهُ الجمهور . ففي سنة ١٩١١ مثلاً اجتازها ٤،٩٦٩ باخرة ومنها ٣،٠٨٩ انكليزية . اعني معدّل ١٤ باخرة يومياً . فكان معدّل الرسوم المدفوعة يومياً نحو ٢٨٠،٠٠٠ فرنك

وقد نُصب عند مدخل ميناء بور سعيد الغربي — على حاجز للامواج مستطيل في داخل المياه — تمثالٌ عظيم بديع للمهندس الفرنسوي فرنان دي لسبس صاحب مشروع قناة سويس ومُخرجه الى حيّز الوجود بعد نحو عشرة اعوام من الاشغال الجبّارية . وللتمثال قاعدة مرتفعة يَرى عليها السائحُ الواصل من اوربّة ذاك النابغة فريد عصره منتصباً تُشير يمناه الى مولج القناة ولسان حاله يقول : «هذه مأثرتي المخلّدة لاسمي ومجدي !» وطول التمثال بصرف النظر عن قاعدته نحو سبعة امتار

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

في انشاء المدرسة المارونية الرسمي (١٥٨٤ — ١٥٩٢)

بلغ عدد احداث الموارنة المرسلين الى رومية ليخرّجوا فيها بالآداب الكهنوتيّة في ربيع السنة ١٥٨٤ عشرين تلميذاً كانوا يسكنون في دار بقربها كنيسة على اسم مار يوحنّا المعمدان كانت سابقاً كنيسة رعيّة فخصّصها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر منزلاً لغرباء الموارنة الذين كانوا يأتون من الشرق الى امّ المدائن لقضايات

مختلفة دينيَّة او دنيويَّة بينهم عدَّة فقراء وذلك في السنة ١٥٨٢ بموجب براءة (١ تاريخها اواخر شهر كانون الاول سنة ١٥٨٢ افتتحها بهذه الالفاظ (Exigit incumbentis) وعيَّن لمعاشهم مبلغاً كافياً. ثم الحقها في السنة التالية في كانون الاول ١٥٨٣ ببراءة ثانية (٢ بدوها (Salvatoris Nostri) اثنى فيها على الطائفة المارونيَّة وطاعتها للكرسيّ الرسولي وحسن استقبالها لقصّاده اليسوعيين ثمَّ أعلن بجعله الدار السابق ذكرها مع كنيستها ملكاً للأمة المارونيَّة مستقلَّةً عن رعيَّة القديس اندراوس (S. André delle Frate) التي كانت قبلاً متوليَّةً عليها بحيث يتصرَّف بها الموارنة كما يشاؤون ويقيمون في كنيستها رتبهم وطقوسهم الشرقيَّة دون عائق.

ثمَّ رأى الحبر الاعظم نموّ التلامذة وما ينجم في اختلاطهم مع ابناء جنسهم من العوائق لتربيتهم الكهنوتيَّة ودروسهم فعاد في السنة ١٥٨٤ في ١٢ آذار منها وامر بان تُفرد الدار المذكورة للاحداث الدارسين مع كنيستها وما يلحق بها من الجنينة وبقيَّة توابعها فتُدعى بالمدرسة المارونيَّة لا يسكنها غيرهم مع الكهنة المتولّين نظارتهم والعناية بهم. وقد ورد ذكر الذين سكنوا تلك المدرسة في اليوم المومأ اليه في المخطوطة الواتيكانيَّة اللاتينيَّة الموسومة بالعدد ٥٥٢٨ (في الصفحة ٣١—٣٣) وهم التلامذة المذكورون آنفاً ثمَّ الكهنة والرهبان الآتون: ١ الخوري مارون اسطفان الكاهن العاليّ من جزيرة قبرس قدم الى رومية في ٢٧ شباط ١٥٨٢ مع أحداث قادهم اليها. ٢ الخوري يوحنَّا أيوب الحصروني الذي استدعاهُ الكردينال انطون كرافا محامي الطائفة من لبنان لسعة علمه باللغة السريانيَّة ليراقب مطبوعاتها. اتى رومية في ١٤ ك ١ سنة ١٥٨٣. ٣ القسّ يعقوب سركيس الحرديني من رهبان مار انطونيوس اتى رومية بامر الكردينال عينه لنظارة المأوى قبل تحويله الى مدرسة في ذات التاريخ. ٤ الاخ ابراهيم سمعان الادنيتي من الرهبان المذكورين اتى مع القس يعقوب. ويشير في آخر الكتابة الى ستة تلامذة آخرين لم يذكر اسماءهم ولعلهم كانوا منتظَرين (desiderantur) «اثنان من دمشق حيث يوجد كرسيّ اسقفيّ». واثنان من بيروت «ليقوما بخدمة ابناء جلدتهم الذين يهربون من ظلم الاتراك الى بلاد

١) اطلبها في مجموعة البراءات المارونيَّة للعلامة Bullarium Maronitarum, pp. 81-83

٢) في المجموعة ذاتها (ص ٨٤—٨٩)

الدروز حيث يعيش معهم الموارنة. ثم « واحد من بجدرفل ؟ (Becartela) وواحد من جبيل او الجنه (Gibbeir ?) وهما من اخصّ منازل الموارنة. وواحد من كورماتيكو (Cormatico) من قبرس. وواحد من غمبيلي (Gambili) من قبرس

فهؤلاء باشروا مذ ذاك عيشةً منتظمة كما تليق بالدارسين ولاسيّما بالمترشّحين للعيشة الكهنوتيّة. وقد أيّد الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بسلطانه السامي نظام تلك المدرسة ببراءة خاصّة (١ اصدرها في ٥ تمّوز سنة ١٥٨٤ تبتدئ بهذه الالفاظ (Humana sic ferunt) يبيّن في مقدّمتها ما حمله على تخصيص المنزل السابق العموميّ بتربية احداث الموارنة وجعله مدرسةً وما يتوقّع منها من الفوائد الجمّة للطائفة المارونيّة كلّها ثمّ يعدّد ما لتلك المدرسة من المداخيل وباي شروط يدخلها التلامذة وما سيكون نظامهم وميزاتهم وطقسهم الشرقي. ويجعل المدرسة تحت نظارة الكردينال كرافّا محامي الطائفة ويجعل في يده تدبيرها والاهتمام بسائر امورها مؤمّلاً من نجاحها خيراً كبيراً لموارنة لبنان

ثمّ اردف البابا هذه البراءة ببراءة رابعة في السنة والشهر عينهما اولها (Romanis Pontificis) حتم على مجمع التسجيل الروماني (Dataria) ان يدفع كلّ سنةٍ من مداخيله ١٢٠٠ دينار لمصروف المدرسة المارونيّة. فكانت هذه النعمة الممنوحة من ذاك الحبر الهمام كشهادة محبّته الاخيرة للطائفة المارونيّة حيث توفّي بعد قليل. فخلفهُ سكستوس الخامس الذي احبّ ان يبرهن عن انعطافه نحو الموارنة ومدرستهم فاضاف الى مداخيلها اوقاف كنيسة مريم العذراء والقديس كلوديوس المعروفة بغراسينوريو وكانت فرغت برفاة الكردينال الكسندر المتمتّع بها فابرز في ذلك براءة (٢ افتتحها بهذه الكلمات (Inter cœtera collegia) في تاريخ آب من السنة ١٥٨٥ وألحقها ببراءة ثانية بمعناها في ٧ شباط ١٥٨٦

وقد اشار الدويهي في تاريخه الى هذه الهبات البابويّة فقال عن البابا غريغوريوس انهُ « اجرى على تلامذة المدرسة المارونيّة وظائف من نفس طعامه » ثم قال (ص ١٨٠): « ولمّا قام بعدهُ كسوسطس الخامس رتّب لهم دخلاً يكفي ١٥ طالباً مع جميع من

١) اطلبها في مجموع البولّات المارونيّة ص ٩١–٩٧

٢) تجدها باللاتينيّة في مجموع البراءات المارونيّة (ص ١٠٠–١٠٣)

يقوم بخدمتهم» . وقال في محلّ آخر عنهُ : « ولمّا علم ان سالفهُ ادركتهُ الموت قبل ان ينهي المدرسة رتّب لها دخلًا سنويًا في فراسينوريو وفي السنة الثانية من رئاستهِ عيّن لها وقفاً في العامودية» (ص ٤٢٠)

وقد امتاز بكرمهِ الحاتميّ نحو هذه المدرسة الكردينال انطون كرافا الموما اليه فانهُ مدَّة حياته لم يزل ساعياً بترقيها ماديًّا وادبيًا الى سنة وفاتهِ (١٥٩٤) وهو الذي جدّد بناء كنيستها التي كانت في جملة تصاويرها صورةٌ لرفائيل المصوّر الذائع الشهرة ووقف على المدرسة قبل موتهِ جميع تركتهِ بمبلغ عشرة الاف سكودي (١ . وبهذه الارزاق الجارية على المدرسة المارونيَّة اصبحت مماثلةً لافضل المدارس المنشأة في رومية كمدرسة اليونان والمدرسة الانكليزية والمدرسة الايرلندية

امّا ادارة هذه المدرسة فجُعلت في ايدي الرهبانيَّة اليسوعيَّة فكان يسكن فيها الرهبان الموكولة اليهم العناية بالتلامذة ولاسيّما الرئيس ومدير المدارس والاب الروحيّ . وكان اوّل رئيس أُقيم عليهم الاب يوحنّا برونو رفيق الاب اليانو في قصادتهِ الثانية الى الموارنة بقي في رئاستهِ الى السنة ١٥٩٠

وكان التلامذة يذهبون كلّ يوم الى المدرسة الرومانيَّة ليتلقَّوا فيها دروسهم من الآباء اليسوعيين كتلامذة مدارس الانكليز واليونان والارلنديين مباشرةً من اصول اللغتين اللاتينية والطليانيَّة ثمّ العلوم الادبيَّة والرياضيَّة ثمّ الفلسفة واللاهوت فيدوم زمن دروسهم من عشر سنين الى ١٢ سنة

وكان لهؤلاء التلامذة ثيابهم الرسميَّة دُرّاعة سوداء (قنباز) وزنّار مثلها مع رداء طويل وقبعة اكليريكية وهم يحافظون على طقسهم السرياني فيقوم بتعليمهم اللغتين العربيَّة والسريانيَّة كهنة من ملّتهم يقطنون معهم . وكانوا يحتفلون كلّ سنة بعيد القديس يوحنّا المعمدان احتفالاً عظيماً وعلى اسمهِ كانت كنيستهم وكانوا في مساء النهار يعقدون جلسة ادبيَّة في صاحب العيد بلغات مختلفة يحضرها الكردينال محامي الطائفة وكثير من ارباب الاكليرس وذوات رومية . وفي ٩ شباط كان يعيّدون عيد القديس مارون بابهّة ورونق فيدعون اليهِ اصدقاء الطائفة ومحبّي الطقوس الشرقيَّة . وكذلك رُتَب الجمعة المقدسة ولاسيّما الشعانين كانوا يقيمونها بكل مجاليها فيتقاطر الرومانيُّون الى حضورها

(١ اطلب تاريخ الدويهي ص ١٨٠

وقد اهتمّ تلامذة رومية مع الكهنة الموارنة والرهبان الذين في مدرستهم بنشر الكتب الطقسية المارونيَّة بالسريانيَّة . واول ما ظهر من ذلك سنة ١٥٨٥ كتاب الجنازات طُبع على نفقة البابا غريغوريوس الثالث عشر في مطبعة دومنيك بازا (D. Basa) بحرف سرياني مع نقوش وتصاوير. وهو من اقدم الكتب التي طبعت بالسريانيَّة

قوانين المدرسة المارونيَّة

وقد وقفنا على قوانين المدرسة المارونيَّة في سجلّات رهبانيَّتنا اليسوعيَّة وهي باللغة اللاتينيَّة من انشاء مجمع انتشار الايمان وُضعت بعد تأسيس المدرسة في القرن السابع عشر وكان قبلها الكردينال انطون كرافا قد وضع لها بعض القوانين المختصرة جرى التلامذة عليها اوّلاً فنقَّحها المجمع المذكور واوضحها في احد عشر فصلاً

فالفصل الاوّل يتضمَّن خلاصة تاريخ انشاء المدرسة المارونيَّة بهمَّة البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة ١٥٨٣ (كذا) وما قصدهُ من انشائها اعني تهذيب بعض احداث الموارنة ذوي الآداب الحسنة والذكاء بالتقى والعلوم حتّى اذا تخرَّجوا في رومية بكل الآداب الكهنوتيَّة يعودوا الى وطنهم ويتولَّوا نشر الدين الكاثوليكي بين اهل ملّتهم ومواطنيهم . وفي هذا الفصل ذُكر الكردينال كرافا المحسن الكبير الى الطائفة المارونيَّة ومساعيه الطيّبة في انجاح هذه المدرسة مادياً وادبياً

الفصل الثاني مدارهُ على الصفات المطلوبة من اولئك الاحداث وكيف ينبغي انتخابهم قبل ان يُرسلوا الى المدرسة المارونيَّة ولذلك لا بدَّ ان يقضوا مدَّةً في المدارس المنشأة في وطنهم بفضل الكرسيّ الرسولي فيُمتَحنوا فيها ويتلقنوا المبادئ الغراماطيقيَّة فاذا وجدوهم اهلاً اوسلوهم الى المدرسة المارونيَّة . ولا يُقبَلوا في رومية الّا مصحوبين بكتاب من السيّد البطريرك او برخصة مجمع انتشار الايمان او الكردينال حامي الطائفة

الفصل الثالث يحتوي شروط دخول التلامذة في المدرسة المارونيَّة بأن يخلوا مدَّة عشرة ايَّام برياضة روحيَّة يتمرَّنون فيها على الواجبات الدينيَّة وبعد اعترافهم العام بذنوبهم وقبولهم القربان الاقدس يطَّلعون على قوانين المدرسة لينظروا

أيستطيعون حفظها فاذا حَسُنت لديهم تلَوْا صورة القَسَم الذي وضعهُ اوربانوس الثامن للشرقيين ووعدوا بتخصيص حياتهم لخدمة النفوس في العيشة الاكليريكيَّة وتأهبوا لقبول الدرجات الصغرى مباشرةً بالاكليل

الفصل الرابع خُصَّ بالرياضات الروحيَّة التي يجب على التلامذة ممارستها من صلوات لفظيَّة وتأمل يومي صباحاً نصف ساعة وحضور القداس الالهي وتلاوة الكتب الروحيَّة ومواظبة على سرّي التوبة والقربان على الاقلّ مرَّة في الشهر وفي الاعياد الحافلة . وتلاوة طلبة جميع القديسين يوميًّا مع ربع ساعة لفحص الضمير مساء . وفيهِ تحريض على درس الطقس الماروني واللغة السريانيَّة . وفيهِ ايضاً ذكر الرياضة السنويَّة وبعض الرياضات الروحيَّة في الاعياد وايَّام الآحاد . وكذلك يُذكر تعيين أبٍ روحيّ يعترف التلامذة لهُ بخطاياهم

الفصل الخامس يفصّل واجبات رئيس المدرسة وهو احد الآباء اليسوعيين وما يُفرض عليهِ لتثقيف الدارسين وتهذيبهم الروحي بحيث يوفّر لهم الوسائل ليتأصلوا في ممارسة الفرائض التقويَّة السابق ذكرها فيحسنوا القيام بها ويعيّن لهم اباً روحيًّا يقرُّون لهُ بخطاياهم دون سواه ويعدُّهم بالكتب التقويَّة وسير القديسين وكلّ ما من شأنهِ ان يزيدهم براءةً وقدساً

الفصل السادس عنوانهُ « ما يجب على التلامذة من الطاعة والاكرام للرؤساء » بيّن فيهِ ان نجاح المدرسة وحسن تدبيرها يتوقّفان خصوصاً على طاعة التلامذة لرؤسائهم وما ينتج من الاضرار بمخالفتها فيحضّ الجميع على اتمام اوامر الرؤساء واكرامهم ويتهدَّد العصاة بالعقوبات الصارمة بل بطردهم من المدرسة

الفصل السابع يبحث عن نظام المدرسة اليوميّ بحيث يحفظون بتدقيق الترتيب العام فيعيشون عيشةً متساوية في شغلهم وراحتهم وصلاتهم ونومهم وخروجهم من المدرسة ورجوعهم اليها دون امتيازات خاصَّة الّا اذا حكم الرئيس بخلافهِ . ويُحتّم عليهم ان يسلّموا ما عندهم من الدراهم لوكيل المصروف فينفقونها باذن الرئيس ولا يحفظوا كتاباً خارجاً عن نظام المدرسة دون رخصة الرئيس . وفي هذا الفصل عدَّة قوانين في تصرُّف التلامذة مع بعضهم ومع الغرباء وفي اوقات الدرس وفي ساعات الفراغ وفي الاصوام والقطاعات وفي امراضهم

الفصل الثامن يشتمل على واجبات الرؤساء في عنايتهم بحفظ النظام اليومي لترويض اخلاق التلامذة وتحسين سلوكهم لاسيّما في الخارج. وهنا كلام عن ملبوسهم وعن زياراتهم لمعابد رومية او لبعض الذوات وترويض اجسادهم بالالعاب المناسبة

الفصل التاسع يبيّن خصوصاً ما يجب على التلامذة من لزوم الحشمة والتقيّة والانس في كلّ اعمالهم ليكونوا قدوةً لكل من يراهم او يخالطهم ويحذروا من كلّ حديث يسيء الى القريب او يغيظ رفقتهم

الفصل العاشر موضوعهُ الدروس وتحريض التلامذة على ملازمتها بكل حرص واجتهاد مع حفظ نظامها سواء حضروا تعليم الاساتذة في المدارس او تباحثوا في أماثيلهم في ما بينهم او راجعوها وحدهم في غُرَفهم . مع ايضاح الطُرق المناسبة للاستفادة منها . وفيه كلام على الاعتناء بالكتب المدرسيّة والكتب المستعارة من المكتبة العموميّة

الفصل الحادي عشر يخصّ الرؤساء وفيه تعريف ما يقتضي عليهم في تخريج التلامذة بالعلوم وتثقيف عقولهم ليصبحوا يوماً انوارًا لاهل بلادهم . فيتّبع المجمع المقدّس سياق دروسهم مباشرةً بالعلوم اللغويّة والبيانيّة ثمّ الفلسفة باقسامها وفروعها ثمّ اللاهوت النظري والادبيّ وسائر العلوم الكتابيّة والشرعيّة الكنسيّة الى نهاية دروسهم وتقدمة الفحوص عنها والشهادات المؤذنة بنجاح التلامذة فيها . ولم يَنْسَ المجمع درس لغتيهم الوطنيّة والطقسيّة تحت نظارة الكهنة او الرهبان الذين عُهد اليهم ذلك . وهذا ما أهّل تلاميذ رومية لخدمة العلوم الشرقيّة في اوربّة كما سترى

وهذه القوانين المذكورة تجد خلاصتها في براءة البابا اوربانوس الثامن التي اصدرها في ٣٠ تموز سنة ١٦٢٥ لاثبات مدرسةٍ تأسست وقتئذ في جبل لبنان لتثقيف احداث وشبان الطائفة المارونيّة لاسيّما الذين يرشّحون للمدرسة المارونيّة في رومية ليتمموا فيها سياق دروس الفلسفة واللاهوت . وهذه البراءة قد نُشرت مُعرَّبةً في طبعة المجمع اللبناني الجديدة التي تولّى نشرها الطيّب الذكر الطران يوسف نجم في الفصل الثاني والاربعين من الذيل (ص ٢١٢٨–١٣) . وقد استفاد ايضاً آباء المجمع اللبناني من قوانين المدرسة المارونيّة في الباب السادس من القسم الرابع المعنون بالمدارس والدروس

وان عدنا الى ذكر تاريخ المدرسة المارونيَّة في سنيها الثاني الاولى (١٥٨٤–١٥٩٢) وجدناها ساعيةً في سبل النجاح تحت رعاية الاب يوحنا برونو الذي قام لديهم مقام احنّ الآباء بعد ان زار بلادهم فاختبر محامد اهل ملّتهم

ولم يكونوا ليذهلوا عن اكبر للمحسنين اليهم واعزّ اصدقاء طائفتهم واكبر السُّعاة في فتح مدرستهم الاب جوان باطشتا اليانو . وممَّا وقفنا عليهِ من رسائلهم التي حرَّروها للاب المذكور رسالة لجبرائيل الباني اوَّل تلاميذ المدرسة المارونيَّة كتبها كما يظهر بعد رجوع الاب اليانو من مصر الى البندقيَّة سنة ١٥٨٥ ومنها يظهر حبّ هؤلاء التلامذة للاب اليانو وعرفانهم جميلهُ :

بسم الآب والابن والروح القدس

أُقبّل الارض واحني بالهامة الخاطئة بين الايادي الطاهرات النقيَّات الركيَّات اي ايادي المحبّ الحنون وتاج رأسي وقرَّة عيني وبهجة فؤادي المحبّ المحبوب ابي القس باتيستا سلَّمهُ الله تعالى

سبب تسطيرها الاشواق الى نظرك البهيّ الله يرونا اياه بخير وعافية . ثم الذي نعرّف به الاب الحنون باني وقت سمعت انك جيت مثلما يكون اني قام من بين الاموات . فرحت جدًّا وشكرتُ الله على وصولك الطيّب الينا وعلى سلامتك ومجّدت الله القدوس الذي ردَّك الينا لانك وقت كنت غائب كنَّا مثل اليتامى بلا اب ولاسيما انك عملت عمل خير عظيم وجبتنا من بلادنا في كلّ جودة . وكنَّا مشتاقين جدًّا لاننا كنَّا دائمًا نصلي حتى الله يرونا وجهك قبل الموت . ونُعلم الاب الحنون بان البابا غريغوريوس عمل لنا مدرسة وطلبنا جماعتكم حتَّى يدبّرونا والحمد لله الجنرال انعم علينا واعطانا اياهم ليدبّرونا وكنَّا مستنظرينك زمان طويل لكي تجيء وتدبّرنا وان شاء الله وقت تجي تطلبك من الجنرال . واطلب من احسانك ان كان يجي الخوري حنَّا وانت في البندقيَّة انك تبيتهُ وتكون لنا معين في كل ضيقتنا وغربتنا . وما نتاز وصيَّة لانك دائم حريص علينا وانت جيتنا وانت ربّيتنا وادام الله بقاك

احقر الناس عبدك وابنك

جبرائيل الباني ابن القس يوسف

وقد وقفنا لتلاميذ رومية على مكتوب آخر كتبهُ جبرائيل المذكور للاب اليانو باسمه وباسم ثمانية من رفقتهِ هذا نصُّهُ :

اقبّل الارض وانحني بين اقدام السائر بخدمة العليّ الشريف ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي وعد بانجيلهِ المقدَّس ملكوت السماوات للمجتهدين بعملهِ . . . امين . وسبب تسطيري

هذه الكتابة انا الحقير جبرئيل شوقي لنظرك انت الذي بوساطتك اتيت الى هذا الموضع المقدّس ثمّ انّنا نعلم الآن ابوّتك نحن يعقوب ومرقس ونعمة وكبار ويوحنّا وانا الحقير سطّر هذه الاسطر انا معازين هؤلاء الكتب الذين اساميهم مكتوبين بورقة الاب يوحنّا (برونو) . فن كرّ بدّ وسبب يا ابونا نريد انك ترسلهم ولا تتهاون بالحبّ الروحاني الذي انت به مقيّد نحونا . ونعلمك ايضاً اننا نحن كلنا طيّبين بنظر الله ونظر سيّدنا البابا ونظر سيّدنا الكردينال انطونيوس (كرافنّا) وما يخصّنا غير نظرك ورؤياك البهي وهؤلاء الكتب والرب يجمع الشمل بيننا وبينك امين

انا الحقير مرقس القبرسيّ انا الحقير جبرائيل الهدناني انا الحقير موسى الساقوري انا الحقير جرجس الهدناني انا الحقير سركيس ابن اخو البطرك سركيس اقبّل اياديك كثير انا الحقير مخائيل ابن اخو المطران انا الحقير يوحنا الحلبي وبعد السلام كثير كثير امين امين . (وفي اخرها عبارة بالسريانيّة هذا تعريبها)

انّ التلميذ الذي وُضع من الاب يوحنّا باطيشتا اليوم يتعلّم اللاهوت وهو يسلك بمخافة الله ويطلب من ابيه الروحاني الاب باطيشطا ان يرسل لنا اعمال الشهداء والكتب التي تتنوّر بها

ولدينا مكتوب آخر كتبهُ تلميذه الخوري يوحنّا ايّوب الحصروني المار ذكرهُ بعد رجوع الاب اليانو من مصر الى البندقيّة :

بسم الربّ حافظ خائفيه وموصلهم الى درج الكمال

كما يتوق الايل الى ينبوع المياه كذلك تاقت نفسي الى حضرة الاب القديس الجوهر النفيس الذي ليس في قداسته شكّ علَم الاعلام ومصباح الظلام . . . فخر الماء وزين الكهنة ابي ومعلّمي وتاج رأسي التس باتشتا ادام الرب كهنوتهُ ويرحمني ببركة صلواته . وسبب تسطيرها كثرة الاشواق الى نظر ابوتكم البهيّة يتمّنا بها الرب قبل الموت . ثمّ نعلم ابوّتك بان وصل الينا خبر المحنة التي انت عليك فغمّنا كثيراً لكن نشكر الله على خلاصك بخير يا ابي قال داود النبي : كثيرة هي احزان الصدّيق ومن جميعها يخلصهُ الرب . وامرض على معرفتك الكريمة ابي انا الحقير تلميذك دخلتُ الى المدينة المعظّمة امّ المدن رومية وصار لي تكريم عظيم من السيد الكردينال انطونيوس كرافنّا ادام الله بقاه زمناً طويلاً . وكذلك الاب الاقدس سيدنا البابا انعم علينا بكل شيء طلبناهُ منهُ اخذ لنا كنيسة ولها بستان وعمّر لنا لرقها مدرسة عظيمة مثل مدرسة الملكيّة (اي اليونان) وأحسن . واولاد الموارنة انتقلوا جميعاً اليها وعمل لنا اسطنبا (اي مطبعة Stampa) بالحرف السرياني الكبير الربّ يجازيه في ملكوته السماويّ . وانا ومعلمي التس يوحنا برونا نقلنا الكتب من السرياني الى الافرنجي وهو يجتهد وساعي بكل اشغالنا وتعب كثيراً من اجلنا الرب يجازيه . . . ونعلم قدسك ان كان جوّن الله في شهر نيسان

اتوجّه الى البلاد ونرجوك ان تجعل طريقك علينا حتّى نتشمّك ونفرح فيك قبل الموت وحضر تطيرها تلاميذك اهل جبل لبنان يقبلون يديك

تلميذك الحقير في الكهنة يوحنّا الحصروني
من جبل لبنان

وقد اطّلعنا على رسالة حرّرها البطريرك سركيس الرزّي الى الاب الياتو في تاريخ ٢٥ آذار ١٥٨٥ يهنّيه فيها بالنجاة من محنته ويوصيه بالتلاميذ الوارنة :

ܫܠܡܐ ܘܒܪܟܬܐ ܕܫܠܝܚܐ ܢܗܘܢ ܥܠ ܪܫܝܬܐ ܕܚܒܪܝ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܐܒܐ ܕܝܠܝܢ ܘܥܠ ܟܠ ܡܢ ܕܡܚܒܒܝܢ ܠܗ ܒܫܘܪܝܐ ܕܡܪܝܢ ܢܝܚ ܢܦܫ ܐܒܐ ܡܪܝ ܫܡܥܘܢ ܪܙܝ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܛܘܪ ܣܝܢܝ ܘܛܘܪ ܣܝܢܝ ܕܒܝܬ ܡܪܝ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܐܒܐ ܕܝܠܝܢ ܘܥܠ ܟܠ ܡܢ ܕܡܚܒܒܝܢ ܠܗ ܒܫܘܪܝܐ ܕܡܪܝ

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

(الملاحة) كما اشتهر نصارى العرب بالتجارة البرّيّة كذلك اصابوا في التجارة البحريّة سهماً فائزاً. وقد بيّنا سابقاً انتشار النصرانيّة في سواحل جزيرة العرب في اليمن وعمان والبحرين فوجدوا في مجاورة البحار وسائل جديدة لتنمية ثروتهم وزيادة ارباحهم. فكان الحميريون واهل البحرين يحسنون اصطناع السفن وعمارتها فيقطعون بها خليج العرب الى الحبشة وبحر عمان الى الهند وخليج فارس الى جهات العجم. وقد اشاروا الى ذلك في شعرهم قال عمرو بن كلثوم التغلبيّ في معلّقته يفتخر بكثرة سفن قبيلته تغلب النصرانيّة :

ملأنا البرّ حتّى ضاق عنّا ونلهر البحر نملأه سفينا

وقد احسن طرفة في وصفه لسفن قومه في البحرين فذكر بعض سفنهم العظيمة وهي الخلايا والعَدَوليّة من سفن البحرين وذكر احد رؤساء البحر المدعو ابن يامن ومخر سفينته غمر المياه فقال :

كأنّ حدوجَ المالكيّة غُدوةً خلايا سفينٍ بالنواصف من دَدِ
عَدَوليّةٍ او من سفينِ ابن يامنٍ يجورُ بها الملّاحُ طوراً ويهتدي
يَشُقُّ حَبابَ الماء حيزومُها بها كما قسّمَ التربَ المفائلُ باليدِ

وذكر الأعشى النوتيّ السائر بسفنه على الفرات عند طغيانه

مثل الفُراتيّ اذا ما طما يقذفُ بالبوصيّ والماهرِ

واشار امرؤ القيس الى طلي السفن بالقير :

فشبّهتُهم في الآلِ حين تَهامُهُ عصائبَ دَوم او سفيناً مُقيَّرا

وقال الشمّاخ يذكر سفن البحرين وغواربها الكبيرة :

رماحُ رُدَيْنٍ ويحارٍ لجٍّ غَوارِبُها تُقاذِفُ بالسَّفينِ

وكانوا يُدعون النوتيَّ ملّاحاً وصرارياً جمعهُ صراريّ ايضاً وصُرّاء. قال ربيعة ابن مقروم:

واعرضَ واسطٌ فعدَلْنَ عنهُ كما عَدَلَ الصراريُّ السفينا

وقال المزرّق العبري:

الا ابنَ المُطَّى خِلْتَنَا وحَسِبْتَنا صراريَّ نُعطي الماكسينا مُكُوسا

على انَّ فنَّ الملاحة الذي كان يعرفهُ ويزاولهُ عرب الحضر في سواحل الجزيرة كان في الغالب مجهولًا لدى عرب الحجاز ونجد. بل كانوا يعدُّون ركوب البحر كالطامَّة العظمى فبعد انتشار الاسلام وثبوت قدمهِ اذ رأووا في سواحل الشام ومصر سفن الروم. ارادوا ان يعبروا البحر لينزوا الجزائر كقبرس او سواحل اليونان وآسية الصغرى فالتجأوا الى من كان في حوزتهم من الروم في الشام والاقباط في مصر ومن نصارى العرب في جهات البحرين فتعلّموا منهم صناعة السفن كما اخذوا صناعة التجارة لأنَّ انشاء السُّفن يحتاج اليها لما يدخلها من الالواح والدسر والصواري والمجاذيف مع هندسة اجزائها فعمّروا لهم السُّفن وجهّزوها لحروبهم في ايام معاوية ودولة بني امية

وفي اللغة ما يدلُّ على اصول فن الملاحة الاجنبيّ فترى فيها الفاظاً متعدّدة امّا رومية واما آراميَّة او حبشيَّة تثبت حدوث الملاحة في الحقبة الاولى من الاسلام وقد تقلّدوا في صنعها صورة مراكب الروم واليونان في هيئاتها المختلفة واجرامها المتباينة . فممّا استعاروه من اليونانيَّة : اسطول (σπόλος) أنجر (ἄγκυρα) نوتي (ναύτης) . ومن السريانيَّة او الآراميَّة : سفينة قارب قُرقور دَقل ربّان ملّاح سُكّان قِلع مجذاف صارٍ. ومن الحبشيَّة : بحرٌ شِراع مرسى

(النُّقود) انَّ التجارة والمفايضات في البيع والشراء لا تجري عادةً الّا بمسكوكات ونقود تُدفع بدلًا من السِّلع والبضائع. وكان للدول النبطيَّة وللملوك ميشان وخراسان في العراق وللملوك الجزيرة في جهات الرها وحضر وللملوك تدمر نقود ضربوها باسمهم ذهبيَّة وفضيَّة ونحاسيَّة منها امثال حسنة في متاحف اوربَّة وعند بعض الخاصّة

فوصفوها ورسموا صورها وفنّدوا بذلك ما كتبهُ المقريزيّ في كتابهِ النقود القديمة الاسلاميّة حيث قال :

« كانت نقود العرب في الجاهليّة التي تدور بينها الذهب والفضّة لا غير ترد اليها من الممالك دنانير الذهب قيصريّة من قبل الروم ودراهم فضّة على نوعين سوداء وافية وطبرية عتقًا وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهليّة مثل وزنها في الاسلام مرّتين ويسمّى المثقال من الفضّة درهمًا ومن الذهب دينارًا ولم يكن شيء من ذلك يتعامل بهِ اهل مكّة في الجاهليّة وكانوا يتعاملون باوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم »

فانّ علماء النقود العربيّة كالسير فكتور لنغلوا (V. Langlois) في كتابهِ عن نقود العرب قبل الاسلام (Numismatique des Arabes avant l'Islamisme) والسير هنري لافوا (H. Lavoix) في كتابهِ عن النقود الاسلاميّة المصونة في مكتبة باريس العموميّة والسيو دي تيسنهوزن (de Tiesenhausen) وغيرهم اثبتوا استعمال عرب الجاهليّة للنقود النحاسيّة واستغربوا قول المقريزي عن الدراهم السوداء والطبريّة واستنتجوا من كلامهِ جهلهُ بالنقود القديمة

وما لا يُنكر انّ العرب قبل الاسلام تداولوا في بلادهم ومع الامم المجاورة لهم النقود النصرانيّة فراجت بينهم ايّ رواج على اختلافها ذهبيّة كانت ام فضيّة او نحاسيّة واغلب ما عرفهُ العرب من النقود ما كانوا يتعاملون بهِ من النقود القيصريّة الروميّة مع رسومها الدينيّة . وقد اشتهرت بينهم نقود هِرَقل قال المسعودي في مروج الذهب (٢ : ٣٣٣) : « وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقليّة » وقال البلاذري في فتح البلدان (ص ٤٦٦) : « وكانت دنانير هرقل تَرِد على اهل مكّة في الجاهليّة » وروى في الاغاني (١١ : ٢٠) لكُثَيِّر عزّة قولهُ :

يروقُ عيونَ الناظرات كأنّهُ هِرَقليّ وزنٍ احمرُ التِبْر راجحُ

وروى الانباري في شرح معلّقة عنترة (éd. Rescher. 61) :

دنانيرُ ممّا شِفَّ في ارضِ قيصرِ

اراد الدنانير الجليّة المُعلَّمة الموسومة بالكتابة . وقد ذكر أُحيحة بن الجلاح دنانير مدينة أيلة التي كان صاحبها الامير النصراني يوحنّا بن روبة قال يرثي ابنهُ (ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٢٢) :

ألا انَّ عيني بالبكاء تقلّل جزوعٌ صبورٌ كلّ ذلك تفعلُ
فما هبرزيٌّ من دنانير أيلةٍ بأيدي الوشاةِ ناصعٌ يتأكّلُ
بأحسن منهُ يومَ اصبح غادياً وتغشى فيه الخمارُ المجدّلُ

(قال) يتأكّل اي يأكل بعضهُ بعضاً لحسنهِ . والوشاة الضرّابون . وقد وصفوا كذلك الدراهم الرومية . قال عنترة يصف روضةً اصابها المطر الجَوْد فأنعشها :

جادت عليهِ كلُّ بكرٍ ثرّةٍ فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

ومثلهُ الاسود بن يَعفُر (شعراء النصرانيَّة ص ٤٨٢) :

من خمرِ ذي نَطَفٍ اغنَّ مُنطَقٍ وافى بها كدراهم الأسجادِ

(قال) اراد بالاسجاد اليهود والنصارى . وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسيَّة نُتَيّاً وفلوساً قال اوس بن حَجَر (ديوانهُ éd. Haffner) :

وفارقتْ وهي لم تَجرَبْ وباع لها من الفصافص بالنُّتّي سفيرُ

وقال جرير يهجو الاخطل (الاغاني ٧ : ١٧٨) :

والتغلبيَّةُ مُهرها فلسانِ

ومن الادلَّة التي تشهد على رواج النقود الروميَّة بين عرب الجاهليَّة انَّ معظم الالفاظ الدالَّة عليها يونانيَّة او لاتينيَّة الاصل كدينار (δηνάριον) ودرهم (δραχμή) وقيراط (κεράτιον) ونُتّي (νοῦμμος) وفلس (φόλλις) وقنطار (centenarium)

ثمَّ ظهر الاسلام والمسلمون لم يعهدوا ضرب النقود فتعاملوا بمسكوكات الروم التي كانوا يربحونها بمتاجرتهم مع بلاد الشام ومصر والعراق او وجدوها في فتح البلدان فأخذوها غنيمةً واقتسمها جنودهم . ولجهلهم لغة البلاد التي استولوا عليها اقاموا لهم عمّالاً من نصارى الوطنيين ولّوهم على دواوينهم الماليَّة لجباية الخراج والضرائب المختلفة . وكان من جملتهم في دمشق سرجيوس او سرجون جدّ القديس يوحنّا الدمشقيّ المعروف بابن منصور

ففي ايَّام الخلفاء الراشدين ولاسيَّما عمر بن الخطَّاب وعثمان بن عفَّان وفي اوائل الدولة الامويَّة ضُربت نقود العرب على هيئتها النصرانيَّة السابقة . ففي متاحف اوربَّة عشرات من النقود التي ضُربت في دمشق وحمص وبعلبك وطبريَّة في ايَّام عمر في السنة ١٧ للهجرة وما بعدها وكلُّها عليها رسم هرقل ملك الروم مع صورتهِ وسائر

أشعرة النصرانيّة كاوّل حروف اسم السيّد المسيح وكصليبه المقدّس وصورة النسر . وعلى بعضها شعار قسطنطين الكبير : بهذه العلامة انتصر (ἐν τούτῳ νίκα) ثم سمة النقود M مع اسم المدينة باليونانيّة او بالعربيّة هكذا : «ضرب . دمشق (حمص . طبريّة . بعلبك . ايليا . انطاكية) . جايز» . ومعظم هذه النقود فلوس من نحاس . وقد وُجد على بعضها اسم عمر بالاختصار (عمر بن الخطّ) واسم خالد بن الوليد واسم يزيد بن ابي سفيان واسم ابي عبيدة (١

وقد وجدوا على عدّة نقود من ذلك العهد كلمة «باسم الله» وقال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٨٨١) انّ الحجّاج بن يوسف اوّل من ضرب درهماً عليه شعار الاسلام «لا اله الّا الله وحدّه رسول الله» . وليس قوله بسديد لانهُ تُعرف نقود لعليّ ابن ابي طالب ضُربت في البصرة سنة ٤٠ هـ عليها هذا الشعار «لا اله الّا الله وحده لا شريك لهُ» وعلى الوجه الآخر «محمّد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحقّ يظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون (٢»

ومن هذا ترى غلط معظم مؤرخي العرب الذين زعموا انّ اوّل من كتب على النقود الاسلاميّة بالعربيّة هو الخليفة عبد الملك بن مروان . قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (ص١٣) : «اوّل من نقش على الدراهم والدنانير بالعربيّة عبد الملك بن مروان فانهُ عُني بذلك وكتب الى الحجّاج في اقامة رسمه»

وقد اخبر المقريزي في كتاب النقود الاسلاميّة (ص٥ طبعة الجوانب) ان معاوية ابن ابي سفيان كان قبل ذلك ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلّداً سيفاً . ومثل هذه الدنانير لم يجدها بعد الاثريّون لكنّهم وجدوا فلوساً تمثّل معاوية واقفاً وشعرُ رأسه مفروق على جبهته وفي يمناهُ السيف وفي ظهر الفلس اسم ايليا وفلسطين مع صليب على هذه الهيئة ⊕ . فلمّا ملك الخليفة عبد الملك جرى اوّلاً على مثال اسلافه وابقى الصليب مع صورته واسمه في الدنانير والفلوس الى السنة العاشرة من ملكه ويوجد من هذه

---

١) اطلب مقالةً في نقود الاسلاميّة الاولى لبارون دي سلان في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (J. A., 1871², 199-211) .

٢) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. XVII, 39)

النقود بعض الامثلة في المتاحف وهي مضروبة في حمص ودمشق وعمان وقنّسرين ومنبج وسرمين وغيرها

ففي السنة العاشرة من خلافته عدل عن النقود السابقة واتّخذ نقوداً جديدة خالية من الرسوم النصرانيَّة ولذلك عدَّهُ كتبة العرب كأوَّل خليفة نقش الدنانير قال الطبري في تاريخه (٢ : ٩٣٩ – ٩٤٠) : اوَّل نقش الدنانير والدراهم على عهد عبد الملك ابن مروان سنة ٧٦ هـ . والصواب انهُ ضرب اوَّلاً النقود القديمة ونقش فيها صوراً انكرها عليهِ بقايا من الصحابة كما يقرّ بذلك المقريزي في كتاب النقود الاسلاميَّة (ص٦) . وفي السنة ٧٦هـ (٦٩٦م) ضرب نقوداً اسلاميَّة محضة وازال منها الصور والرسوم النصرانيَّة . لكنَّهُ بقي شيءٌ منها لعلَّهُ ضُرب بدون علمهِ ففي متحف باريس دينار ضُرب سنة ٧٧ هـ عليهِ صورة عبد الملك مع ساريةٍ نصرانيَّة . وفيهِ ايضاً نقود نحاسيَّة ضُربت في السنة ٨٠ عليها رسم صليب

امَّا سبب اتخاذه السكَّة الاسلاميَّة فنفوره مما كانت الروم ترسمهُ على سكَّتهم من تعظيم الصليب والاعلان بلاهوت المسيح . وهذا ايضاً ما دفعهُ الى ان يُحدث كتابات الطوامير والقراطيس التي كان في صدرها مثل هذه الأشعرة النصرانيَّة . وقد اخبر بذلك البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٠) :

«قالوا كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العربَ من قبَل الروم الدنانير فكان عبد الملك بن مروان اوَّل من أحدث الكتاب الذي يُكتَب في رؤوس الطوامير من «قُلْ هو الله احد» وغيرها من ذكر الله . فكتب اليهِ ملك الروم : انكم احدثتم في قراطيسكم كتاباً تكرهُ فان تركتموهُ والَّا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيّكم ما تكرهونهُ . (قال) فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنَّةً حسنة سنَّها فارسل الى خالد بن يزيد ابن معاوية فقال لهُ : «يا ابا هشام احدى بنات طبقي» واخبره الخبر فقال : أفرغ روعك يا امير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامل بها واضرب للناس سكّكاً ولا تُعنَ هؤلاء الكفرة بما كرهوا في الطوامير» . فقال عبد الملك : «فرَّجتَها عني فرَّج الله عنك» وضرب الدنانير . قال عوانة بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبهُ الى الربوبيَّة تعالى علوّاً كبيراً وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتدَّ عليهِ تغيير عبد الملك ما غيَّرهُ»

وقد اتى هذا الخبر مفصَّلاً في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (éd. Schwally, p.498-502) تقتطف منهُ ما يأتي :

قال الكسائي : دخلتُ على الرشيد ذات يومٍ وهو في ايوانهِ وبين يديهِ مال كثير قد شق

عنهُ البذرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في حدَم الخاصّة ويدهِ درهم تتلوّح كتابتُهُ وهو يتأمّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال: هل علمت مَنْ اوّل مَنْ سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضّة؟ قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلتُ: لا علمَ لي غير انهُ اوّل من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك. كانت القراطيس للروم وكان اكثرُ مَنْ بمصر نصرانيًا على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميّة وطرازها آبا وابنا وروحا قدّيشا (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) فلم يزل كذلك صدر الاسلام كلّهُ يمضي على ما كان عليهِ الى ان ملك عبد الملك فتنبّه عليهِ وكان فطينًا فبينا هو ذات يوم اذ مرَّ بهِ قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يُترجم بالعربيّة ففُعل ذلك فانكرهُ . . . فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بابطال ذلك الطراز . . . . وان يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد . . .

ثم اخبر استياء ملك الروم من هذه الكتابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الاسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأُبطلت مذ ذاك السكك والطراز الروميّة (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

THE ORIGINS OF THE ISLAMIC STATE. Being a translation from the arabic accompanied with annotations, geographilic and historic notes of the KITAB FUTUH AL-BULDAN OF AL-BALADHURI by Ph. Khûri Hitti. *Ph. D., vol. I, New-York, Columbia University,* 1916. *pp.* 515

ترجمة الدكتور فيليب خوري حتى لكتاب فتوح البلدان للبلاذري

قال المسعودي في مروج الذهب يصف كتاب البلاذري المعنون بفتوح البلدان (١ : ١٤) : « لا نعلم في فتوح البلدان احسن منهُ » . فاستحقّ الدكتور دي خوي (de Goeje) شكر العموم بنشره في ليدن . بيد انَّ منافعهُ كانت محصورة في المستشرقين فاحبَّ وطنيُّنا الهمام الدكتور فيليب خوري حتّى نقلهُ الى الانكليزيّة

عنهُ البذرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في حدَم الخاصّة ويدهِ درهم تتلوّح كتابتُهُ وهو يتأمّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال: هل علمت مَنْ اوّل مَنْ سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضّة؟ قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلتُ: لا علمَ لي غير انهُ اوّل من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك. كانت القراطيس للروم وكان اكثرُ مَنْ بمصر نصرانيًا على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميّة وطرازها آبا وابنا وروحا قدّيشا (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) فلم يزل كذلك صدر الاسلام كلّهُ يمضي على ما كان عليهِ الى ان ملك عبد الملك فتنبّه عليهِ وكان فطينًا فبينا هو ذات يوم اذ مرَّ بهِ قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يُترجم بالعربيّة ففُعل ذلك فانكرهُ . . . فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بابطال ذلك الطراز . . . . وان يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد . . .

ثم اخبر استياء ملك الروم من هذه الكتابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الاسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأُبطلت مذ ذاك السكك والطراز الروميّة (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

THE ORIGINS OF THE ISLAMIC STATE. Being a translation from the arabic accompanied with annotations, geographilic and historic notes of the KITAB FUTUH AL-BULDAN OF AL-BALADHURI by Ph. Khûri Hitti. *Ph. D., vol. I, New-York, Columbia University,* 1916. *pp.* 515

ترجمة الدكتور فيليب خوري حتى لكتاب فتوح البلدان للبلاذري

قال المسعودي في مروج الذهب يصف كتاب البلاذري المعنون بفتوح البلدان (١ : ١٤) : « لا نعلم في فتوح البلدان احسن منهُ » . فاستحقّ الدكتور دي خوي (de Goeje) شكر العموم بنشره في ليدن . بيد انَّ منافعهُ كانت محصورة في المستشرقين فاحبَّ وطنيُّنا الهمام الدكتور فيليب خوري حتّى نقلهُ الى الانكليزيّة

تعميماً لفائدته فباشر بذلك سنة ١٩١٦ وفي السنة التالية تولّى الدكتور ريشر (O. Rescher) ترجمتهُ الى الالمانية وقد أدّى كلاهما خدمةً مشكورة للآداب كان احجم عنها قبلهما العلماء لحصر معاني الكتاب في وجيز اللفظ اذ لم يبقَ من الاصل الّا خلاصتهُ . على انَّ جناب استاذ الجامعة الاميركانية لم يكتفِ بنقلهِ الى اللغة الانكليزيَّة بل اضاف اليهِ من الافادات ما لم نجدهُ في الترجمة الالمانية ومن ذلك مقدّمتهُ في تعريف البلاذري والاصول التي اخذ عنها ومن استند اليهِ من الكتبة بعدهُ . وقد اشار جنابهُ (ص ٧٠٦) الى كتاب آخر للبلاذري « انساب الاشراف » وليس هو سوى نسخة غير محكمة من نسخة الاستانة التي عوّل البعض على نشرها قبل الحرب . ومما زاد فوائد الترجمة الانكليزيَّة ما ذيّلها بهِ من الملحوظات الدالّة على سعة معارفه بالآداب الشرقية ومنشوراتها الحديثة في اللغات المختلفة . وقد وجدنا الترجمة عموماً متقنة مضبوطة . وانَّما كان الافضل (في الصفحة ١٨٠) ترجمة « صناعة » بلفظة (arsenal) من (industrie) كما تبيَّنَ لهُ ذلك في الصفحة التالية . وكذلك هي (ص ٢٦٣) Dhû Kalâ' وليست Kila' . ومما نُقل عن الاصل بغلطهِ (ص٣٦٧) اسم كلثوم بن عياض « القسري » وليس القشيري كما ورد هناك (اطلب الطبري والاغاني) . وكذلك اسم ارواد (ص٣٩٦) وليس الكلام هناك عن جزيرة سواحلنا . والصواب ارداد اسم بلدة قريبة من الاستانة تدعى اليوم ارداك . وفي الختام نتمنَّى ان ينجز المترجم عملهُ هذا الجليل قريباً فيربح شكرنا المتضاعف الاب ه . لامنس

The Day of the Crescent, Glimpses of Old Turkey, by G. E. HUBBARD, *Cambridge, University Press, in-12, 1920, VI-242 pp.*

تركيا في عهد رونق هلالها

المستر هوبرد كان سابقاً قنصل بريطانية العظمى في الموصل فاراد في أيام الفراغ ان يعود بالنظر الى تركيَّة في ايام عزّها في القرنين السادس والسابع عشر قبل انحطاطها الذي ظهرت لوائحهُ في اواخر ذلك العهد . فراجع لهذه الغاية ما كتبهُ قدماء السيَّاح واستعار بعض التصاوير التي نشروها في رحلهم . ومما اوردهُ في كتابهِ تركيب الكتائب الينكشريَّة ودخول كبار الدول والسفراء على السلاطين ووصف الاساطيل التركيَّة مع من يتولّى تدبيرها من عمّال النصارى كالنوتيَّة ورؤساء المراكب لجهل

الاتراك بفنّ الملاحة . ومن الفصول المؤثرة ما خصّهُ باسرى الحرب والعبيد النصارى الذين كانوا يُلقون في لومانات الاستانة واعماق حبوسها ويقضون السنين في الاعمال الشاقّة . فهذا الكتاب مما يلذّ القرّاء باوصافهِ وحسن طبعهِ وتصاويرهِ ه . ل

Fallex et Mairey. GÉOGRAPHIE D'APRÈS-GUERRE. L'Europe Nouvelle. *In*-16, 348 *pp. Cartes et figures, Paris, Delagrave,* 1920

جغرافية اوربّة بعد الحرب

قد اسرع محلّ «ديلاغراف» الى خدمة العموم بوضعهِ كتاباً جغرافيًّا يوافق احوال اوربّة بعدما حدث فيها من الانقلاب في اثر الحرب الاخيرة . فجاء التأليف في وقتهِ يجمع في قطعهِ وهيئتهِ وانشائهِ كلّ صفات الكتب المدرسيّة فلا شكّ انّ احداث المدارس يقبلون عليهِ لاحراز فوائدهِ الجمّة الاب ج . لوفنك

Axelrod (Alexandre) : L'œuvre économique des Soviets. *Paris. J. Povolozky et Cie in*-16, 147 *pp. Prix* 6 *f^cs*

عمل السوفيات الاقتصادي

قد تعدّدت التآليف الباحثة عن السوفيات وانّما هذا الكتاب يستحقّ نظرًا خاصًّا لانّ كاتبهُ احد الاشتراكيين المسيو اكسلرود الذي عاش مدّةً في روسيّة بين البولشفيين وامعن النظر في معاملاتهم الاقتصاديّة فألّف هذا الكتاب باعتدال وهو مع اقراره بالفوضى الواقعة في روسيّة يستشفّ من وراء هذه الحركة نهضةً جديدة يؤمّل منها تحسّناً في احوال تلك البلاد الواسعة ويبني رجاءهُ على ثبات البولشفيين في الحكم وارتدادهم عن مساوئهم . حقّق الله تلك الآمال ج . ل

Vichniac (Marc) : La protection des droits des Minorités dans les traités internationaux de 1919-20. *Paris, J. Povolozky et Cie ,s.d., in*-16, *pp.* 70

الدفاع عن حقوق الاقليّات في المعاهدات الدوليّة

بين الابحاث التي دارت في جمعيّة الامم بعد الحرب الاهتمام بحقوق الاقليّات في الدول . وهذا الكتيب قد خصّ فيهِ صاحبهُ النظر بتلك المسئلة فلقي تأليفهُ استقبالًا حسناً في جمعيّة الامم التي قدّمتهُ للشركة الروسيّة فصدّقت عليهِ تماماً . وكفى بذلك دليلًا على اهميّتهِ . والحقّ يقال انّ كاتبهُ لم يدع وجهاً من هذا الامر الّا نظر فيهِ .

وذلك في ستة فصول جامعة مانعة تاريخيًا وشرعيًا فبعد ان فحص مساعي الدول سابقاً لحماية الاقليات وعقدها المعاهدات في ذلك مدة القرن التاسع عشر وجدها تتناول غالباً حماية الافراد اكثر منها حماية لفوف الناس وعناصرهم القليلة والامم الصغرى الناشئة بين العناصر الكبرى التي تضبط في كل دولة زمام الاحكام ومن ثمَّ لا تزال هذه الاقليات مضحاة بغلبة العناصر المالكة . وعليه قد بيَّن الوسائل الكافلة بحفظ هذه الاقليات وغرها والذب عن حوزتها لئلا ينتهك القوي حرمة الضعيف ويستبيح ذماره . فنشكر المسيو ڤيشنياك على كشفه القناع عن وجه هذه المسألة الدولية المعتبرة ج . ل

Karl Kautsky: TERRORISME ET COMMUNISME. Contribution à l'histoire des révolutions. traduit de l'allemand par Mme N. Stchoupak. *Paris, J. Povolozky et Cie. s. d., pp.* 244. *Prix* 8 *f^rs^*

دولة الاموال الاشتراكية

كوتسكي احد الاشتراكيين العاملين في المانية لكنهُ يأبى على قوله المبادئ البولشفية وقد وضع هذا الكتاب ليتنصَّل من تبعتها . وبياناً لغرضه يسرد في كتابه تاريخ الثورة الفرنسوية وفتن الكومونة سنة ١٨٧١ ويسعى بتبييض وجه الاشتراكيين ويحاول الدفاع عن آرائهم . ثم ينتقل في القسم الاخير من كتابه الى تسطير اعمال البولشفيين في روسية التي اصاب في وصفها لعلمه بتفاصيلها وفظائعها وهو لا يرى انَّ اصحاب هذه الثورة ما فازوا الَّا بإخراجهم الى حيز الوجود مذهب الاشتراكيين . على انَّهم اذ ظفروا بمرامهم وصارت السلطة في يدهم اهملوا المبادئ الاشتراكية وتركوا الشعب على حالته من البؤس ليتمتَّعوا هم بمنافع الولاية دون غيرهم ج . ل

VERBUM DOMINI: Commentarii de re Biblica omnibus Sacerdotibus accommodata a Pontificio Instituto Biblico singulis mensibus editi. *Romæ, Vol. I. fasc.* 1 *Janu.*, 1921, *in*-8, *p.* 32

كلمة الرب

هذه مجلة ثالثة يتولَّى نشرها المكتب الكتابي البابوي في رومية تبحث الاولى في مباحث كتابية (Biblica) والثانية في الشرقيات (Orientalia) وهذه الثالثة (Verbum Domini) التي ظهرت في غرة السنة الحاضرة غايتها خدمة الكهنة فانها عوَّلت على نشر المواد الخاصة بالتعليم والارشاد والادبيات المسيحية فيستقي من

موارد ارباب الكهنوت لتدبير رعاياهم . وهي منشأة باللغة اللاتينية تعميماً لانتشارها بين اكليروس جميع الدول. وهذه قائمة الكرّاس الاوّل: ١ً اثار الكتاب المقدّس العديدة. ٢ً الكتاب الكهنوتي. ٣ً تجربة السيّد المسيح في البريّة. ٤ً الكمال الادبيّ بنظر القديس بولس . ٥ً المزمور ارحمني يا الله . ٦ً الراعي والرعيّة في ارض فلسطين. ٧ً قول الرب لابراهيم: اني سأكون ثوابك العظيم. ثمّ شذرات غيرها ج. ل

H. Lammens s. j: Le Califat de Yazid Ier. Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth. *Imprimerie Catholique. Beyrouth (Syrie). in-8. pp.* 531, 1921

خلافة يزيد بن معاوية

انّ بعض كبار الرجال قد عاشوا في ازمنةٍ مضطربة كانت سبباً لتناقض الآراء في نقد اعمالهم وفضلهم. ولا غرو انّ يزيد بن معاوية احد هؤلاء الرجال فانّ ذكرهُ لا يزال ممقوتاً بين المسلمين ولاسيّما بين اهل الشيعة الذين يرجمون قبرهُ المزعوم في دمشق (والصحيح انّهُ قُبر في حوارين في البادية شمالي دمشق). ونفورهم هذا لثلثة وقائع مهمّة حدثت في ايّامهِ ونُسبت اليهِ اعني: قتل الحسين في معركة كربلاء. ثم فتح المدينة وحصار مكّة مع حريق الكعبة . فحملت هذه الوقائع كتبة العرب على التشنيع بذكر يزيد ووصفهِ بالبطر والخلاعة والتعطّش الى اهراق الدماء. على انّ من يعتبر اخلاق هذا الامير خلواً من الغرض ويتصفّح ما كتبهُ عنهُ اقدم الكتبة يرَ ما في الحكم من التطرُّف وقلّة الإنصاف. وهذا كتابٌ واسع لحضرة الاب لامنس خصَّهُ بذاك الخليفة الاموي الثاني وألحقهُ بكتاب اوّل درس فيهِ تاريخ معاوية وكشف عن عظم فضلهِ وفريد مقامهِ بين الخلفاء. وها هوذا قد دعا ابنهُ يزيد الى محكمة التاريخ مصحوباً بكل الشواهد التي لهُ وعليهِ فنحصها فرداً فرداً بعين العدل وسبرها بمعيار الانتقاد فأثبت انّ يزيد اشبهُ اباهُ بفضلهِ في امور كثيرة وفاقهُ في امور أخرى . جرى على سياسة معوية في ترقية بلاد الشام وعُرف بكرمهِ وتساهلهِ مع نصارى دولتهِ وحبّهِ للآداب وجودة قريحتهِ في الشعر وحثّهِ للشعراء منهم الاخطل النصرانيّ . امّا الامور الثلثة المفجعة التي حصلت في عهدهِ فانّ حضرة الاب ينسبها الى الظروف والحزازات بين الاحزاب التي كانت بلغت الى حدّتها وغاية حرَجها. وقد اراد يزيد ان يخمد تلك

النيران لولا انّ الموت حال دون رغبته . ومن آثاره الباقية في دمشق القناة المعروفة بنهر يزيد . ومن اراد ان يعرف ما يتضمّنهُ هذا الكتاب الذي لا يقلّ عن ٥٣٠ صفحة من كنوز المعلومات فليراجع فهارسهُ الوسّعة في آخره وينظر في ذيل صفحاته عدد التآليف المخطوطة والمطبوعة التي راجعها لتأليفه ل . ش

Vie de la Mère Marie-Madeleine Ponnet, 1re **Supérieure de la Visitation de Lyon-Vassieux. D. S. B.,** *Paris, P. Tequi,* 1921

ترجمة حياة رئيسة دير الزيارة في ليون الام ماري مادلين بونه

انّ لله في هذا العالم مختاريه لا يكاد البشر يعرفونهم وانّما حياتهم كعرف ذكيّ يتصاعد الى السماء فيسرّ قلب العليّ او كمحرقة مقدّسة يتنسّمها الله بالرضى والقبول . وها نحن قد اطّلعنا على ترجمة حياة مثل هذه قد حوّلت انظارنا عن اباطيل عالم البوار الى طبقات عالم القدس والبرارة التي لا تشعر بها النفس حتّى تفوز بذاك السلام الذي يفوق كلّ حسّ وادراك . فنحضّ كلّ محبّي الحياة الروحيّة من رهبان وراهبات وذوي تقى وصلاح على قراءة هذا الكتاب فانّهُ من أنعش الكتب للعيشة الصالحة وأبعثها الى محبّة الخالق على مثال فتاة اختصّها الله منذ حداثتها بنعمه وجازاها لامانتها وثباتها في خدمته بترقيتها الى اوج الكمال في رهبانيّة الزيارة

El-Bokhâri: LES TRADITIONS ISLAMIQUES traduites de L'arabe avec Notes et Index par O. Houdas, *T.* IV. *Paris. E. Leroux,* 1914, *in-8°, pp.* 673

حديث البخاري وترجمتهُ الى الافرنسيّة

قد اجاد مكتب تعليم اللغات الشرقيّة الحيّة لعهده الى احد اساتذته الافاضل المسيو هوداس بنشر طبعة حسنة من حديث البخاري مع ترجمتها الى اللغة الفرنسويّة وتعليق الحواشي عليها واضافة الفهارس اليها . وهذا الجزء هو الرابع من الترجمة وبه نجاز العمل وما نجد الّا تقدمة الشكر الى كلّ من سعى بهذا العمل الكبير متمنّين لهُ كلّ رواج . وهو بعد القرآن اجدرُ كتاب بالدرس لمعرفة الدين الاسلاميّ بين اهل السنّة . على انّنا كنّا نتمنّى ان يجعل للكتاب فهرس آخر على طريقة حروف المعجم فان فهرس الفصول لا يفي بالمرام ونعلم انّ حالة صحّة المسيو هوداس ما سمحت له بذلك فان شاء الله ينوب عنهُ آخر في هذا العمل المفيد ل . ش

منية القلوب في سيرة حبيس حوب

بقلم الاب لياوس داغر التنوري اللبناني

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص٢٩)

انَّ عين الله لم تقصر وعجائبهُ في خلائقهِ لم تنقص. فهذا راهب بارّ لم يكتفِ بأن يزهد بالدنيا ويلبس الاسكيم الرهباني بل اراد ان يتجرَّد تماماً عن العالم ويعيش في محبتهِ تعالى عيشة ملائكيَّة منقطعاً الى كلّ فرائض النسّاك وفضائلهم السامية فقضى في عزلتهِ ٥٥ سنة ممارساً لكل الاعمال القدسيَّة الى ان مات في رائحة القداسة في ١ آب سنة ١٩١٦. فنشكر حضرة الاب لياوس داغر الذي لم يشأ ان يبقى ذلك النور تحت المكيال فجمع من مآثرهِ ما يحمل القرّاء على تمجيد الله في قديسيهِ ولاسيَّما الذين عاشوا بيننا وعطَّروا ارجاءنا بأريج قداستهم مثل رجل الله الاب مرقس التنوري كثَّر الله امثالهم

ل.ش

روضة العابد

صلوات ورياضات واناشيد روحيَّة منتخبة

جمعها الاب الياس جباره اليسوعي (طُبع بالاسكندريَّة)

قد رقيت اخويَّة الجبل بلا دنس المنشأة في الاسكندريَّة رقياً عظيماً بهمَّة حضرة

الاب الياس جباره اليسوعي مرشدها الغيور . ومن مآثره المشكورة لخدمتها هذا الكتاب الذي جمع فيه اخصّ ما يحتاج اليهُ ذوو التقى والعبادة في اجتماعاتهم الدينيَّة من صلوات مختلفة ورياضات روحيَّة واناشيد تقويَّة وطلبات وغير ذلك مما يوجد مفرَّقاً في كتب شتَّى فصحَّت تسميتهُ بالروضة المطابق للمسمَّى فنحضُّ اهل العبادة ان يستنشقوا اريج زهورها وعرف انوارها ل . ش

شذرات

﴿ سيادة المطران كير باسيليوس قطَّان ﴾ نهنئ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك الجليلة بقدوم حبرهم الجديد الذي تضاعفت بورودهِ افراح الاعياد الفصحيَّة . وقد صار لهُ من الاستقبال الدينيّ والمدنيّ ما لم يُعهد لهُ مثيلٌ سابقاً واتَّسمت في وصفهِ الجرائد المحليَّة . ولا غرو فانَّ قلوب اهل بيروت عشقتهُ قبل وصولهِ لما بلغها من فضلهِ وفضيلتهِ وسعة معارفهِ مع سرور قداسة الحبر الاعظم . باختيارهِ الى كرسي اساقفة بيروت على ملَّتهِ وثقة غبطة السيّد البطريرك دمتريوس القاضي بحسن تدبيرهِ وقد رأى جمهور الملاقين بالعين قرب تحقيق آمالهم اذ دخل كنيستهُ وفاه بذاك الخطاب البليغ الانيق الذي اوضح فيهِ نواياه المستطابة لرعاية ابرشيَّتهِ وقصدهُ لتضحية النفس والنفيس في سبيل نجاحها ورقيها فصارنا نشاهد قريباً في شخصهِ الكريم تحقيق ما كتبهُ سيدُهُ المعظم القديس باسيليوس في الاسقف الكامل واثبتهُ فعلاً كما صوَّرهُ قولاً

﴿ السنة الاربعمائة لوفاة ماجلَّان ﴾ في ٢٧ نيسان من السنة ١٥٢١ فقد العالم احد نوابغهِ الرحَّالة فرنان دي ماجلَّان الذي يحقّ لهُ ان يُعَدّ بعد كرستوف كولمب اكبر محسن الى العالم القديم باكتشافهِ البوغاز الجامع بين البحرين اعني الاتلنتيكي والاوقيانوس الباسيفيكيّ او الهادئ فعرف العالم بواسطتهِ استطاعتهُ من الدوران حول الكرة الارضيَّة ووقف على طريق جديد للسفر الى اليابان والصين والشرق الاقصى . كان مولد مجلَّان في بورتو من اعمال البرتغال في ١٧ نيسان ١٤٧٠ من اسرة شريفة ونشأ

الاب الياس جباره اليسوعي مرشدها الغيور . ومن مآثره المشكورة لخدمتها هذا الكتاب الذي جمع فيه اخصّ ما يحتاج اليهُ ذوو التقى والعبادة في اجتماعاتهم الدينيَّة من صلوات مختلفة ورياضات روحيَّة واناشيد تقويَّة وطلبات وغير ذلك مما يوجد مفرَّقاً في كتب شتَّى فصحَّت تسميتهُ بالروضة المطابق للمسمَّى فنحضُّ اهل العبادة ان يستنشقوا اريج زهورها وعرف انوارها ل . ش

شذرات

﴿ سيادة المطران كير باسيليوس قطَّان ﴾ نهنئ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك الجليلة بقدوم حبرهم الجديد الذي تضاعفت بورودهِ افراح الاعياد الفصحيَّة . وقد صار لهُ من الاستقبال الدينيّ والمدنيّ ما لم يُعهد لهُ مثيلٌ سابقاً واتَّسمت في وصفهِ الجرائد المحليَّة . ولا غرو فانَّ قلوب اهل بيروت عشقتهُ قبل وصولهِ لما بلغها من فضلهِ وفضيلتهِ وسعة معارفهِ مع سرور قداسة الحبر الاعظم . باختيارهِ الى كرسي اساقفة بيروت على ملَّتهِ وثقة غبطة السيّد البطريرك دمتريوس القاضي بحسن تدبيرهِ وقد رأى جمهور الملاقين بالعين قرب تحقيق آمالهم اذ دخل كنيستهُ وفاه بذاك الخطاب البليغ الانيق الذي اوضح فيهِ نواياه المستطابة لرعاية ابرشيَّتهِ وقصدهُ لتضحية النفس والنفيس في سبيل نجاحها ورقيها فصارنا نشاهد قريباً في شخصهِ الكريم تحقيق ما كتبهُ سيدُهُ المعظم القديس باسيليوس في الاسقف الكامل واثبتهُ فعلاً كما صوَّرهُ قولاً

﴿ السنة الاربعمائة لوفاة ماجلَّان ﴾ في ٢٧ نيسان من السنة ١٥٢١ فقد العالم احد نوابغهِ الرحَّالة فرنان دي ماجلَّان الذي يحقّ لهُ ان يُعَدّ بعد كرستوف كولمب اكبر محسن الى العالم القديم باكتشافهِ البوغاز الجامع بين البحرين اعني الاتلنتيكي والاوقيانوس الباسيفيكيّ او الهادئ فعرف العالم بواسطتهِ استطاعتهُ من الدوران حول الكرة الارضيَّة ووقف على طريق جديد للسفر الى اليابان والصين والشرق الاقصى . كان مولد مجلَّان في بورتو من اعمال البرتغال في ١٧ نيسان ١٤٧٠ من اسرة شريفة ونشأ

في بلاط الملكة اليونورا عقيلة الملك يوحنا الثاني ثم في قصر الملك دون مانويل وكان مغرماً بالاسفار . فلمّا بلغ العشرين من عمره سافر الى بلاد الهند وتنقّل في انحائها وتفقّد بعض جزائرها ودخل على ملوكها وسافر ايضاً الى افريقية . وكان في تلك الاثناء يجتمع بمشاهير النوتيين ويأخذ عنهم معلوماتهم ويدوّن اخبار رحلهم ويرسم خوارط تلك البلاد حتّى ثبت لهُ من بعض الدلائل وجود ممرّ او بوغاز يوصل الاوقيانوس الاتلنتيكي ببحار أخرى دعاها بعد ذلك بالاوقيانوس الهادي . وكان مدّة اقامتهِ في الهند تخرّج في كلّ آداب الملاحة وتدبير السُفن . فلمّا عاد الى وطنهِ لم يجد لدى الملك مانويل ما كان يؤملهُ من الجزاء عن اتعابهِ فقاطعهُ هذا العمل ولحق باسبانية سنة ١٥١٧ حيث عرض خدمتهُ على ملكها العظيم كرلوس الخامس (شرلكان) ليكتشف لهُ بلاداً جديدة ويفتح لسفنهِ طريقاً يمكنها من التجوّل في البحار بدورةٍ تامّة . فوقع الامر موقعاً حسناً لدى ذلك الملك البعيد المدارك فامدّهُ باسطول ذي خمس مراكب متوسّطة الحجم وكان على كلّ منها رجالٌ مختّكون بفنّ الملاحة مع عددٍ من النوتيين يبلغ نحو ٥٠٠ كان بينهم عشرة من الفرنسويين وبعض البلجكيين فخرج الاسطول من مرفأ سان لوكار في ٢٠ ايلول ١٥١٩ ثمّ ابحر متّجهاً الى اميركة الجنوبيّة تبلغ سواحل البرازيل ودخل ريو دي جانيرو المكتشفة حديثاً في ١٣ ك ١ سنة ١٥١٩ ثم توجّه الى الجنوب حتّى بلاد باتاغونية فلقي في طريقهِ عدّة مشقّات بسبب المجاعة والامراض وانواء البحر أنقمت عليهِ رؤساء المراكب الذين هيّجوا البحّارة على مجلّان وكاد يفشل في بعثهِ لولا حزمهُ وكبحهُ معرّة الثوار وحكمهِ بإعدام بعضهم . وبعد اشهر قضاها يبحث عن الممرّ المقصود بين عدّة جزائر هناك ظفر اخيراً بمرامهِ فنفذ بسفنهِ الباقية بين طرف باتاغونية والجزيرة المعروفة بارض النار وذلك في ٢٧ تشرين الثاني ١٥٢٠ ثم اكتشف عدّة جزائر واطلق عليها اسماءها وواصل مسيرهُ الى ان بلغ جزائر فيليبين في اواسط آذار ١٥٢١ فنزل احدى جزائرها المدعوّة سبو فأحسن ملكها المدعو همدار استقبالهُ ورضي بمشورتهِ ان ينتصر هو وشعبهُ فشيّد لهُ مجلّان كنيسةً واقامهُ ملكاً على كلّ امراء تلك الانحاء فاعلن بعضهم الحرب على ملك سبو فانتصر لهُ مجلّان وسار لمحاربتهم بستين من بحّارتهِ والاعداء الوفٌ مؤلّفة فنصبوا لهُ مكيدةً ورموهُ بسهم ثم قتلوهُ في ٢٧ نيسان ١٥٢١ . ولم يرجع الى اوربّة من تلك البعثة الّا

١٨ رجلاً . لكنَّ مجلّان خلّد اسمهُ بين مشاهير نوابغ العصور وأغنى لسانية بمالك واسعة وشرَّف الكنيسة بروح دينهِ ونشرهِ النصرانيّة لاوّل مرَّة في جزائر اوقيانية

﴿ الماسونيّة في بيروت ﴾ قد حظيت الماسونيّة في بيروت في الشهرين السابقين بنعمتين باهرتين الاولى بانشاء محفلٍ ماسوني جديد لأبناء الارملة افادتنا عنهُ المجلّة الماسونيّة لصاحبها سيد علي الحريري بمصر بما حرفهُ (السنة الاولى عدد ٤ ص ٩٧) :

تثبيت محفل بيروت

تمَّ تثبيت المحترم رئيس محفل بيروت في حفلة شائقة جامعة للبهجة والصفاء الاخويّ وقد حضرها حضرات الزوّار يتقدَّمهم الاخوان الدكتور اسكندر بك باردودي والدكتور اسعد عفيش وموسى صاي ارواس وغيرهم وبعد اتمام تثبيت الاخ المحترم فضل الله ابو سلقة وباقي انوار المحفل (نعم الثريا !) وموظفيهِ وقف الاخ يوسف الحاج والقى كلمةً هنّأ بها الرئيس وتلاهُ بعض الخطباء والشعراء وهم الاخوان الدكتور اسعد عفيش والدكتور اسكندر بك باردودي والمحترم موسى ارواس والاخوان الشيخ ابرهيم منذر وعزيز توما وعليّ ناصر الدين وغيرهم وقد اعرب جميعهم عن ثناء جميل على حضرة الاستاذ الاعظم ورجال المحفل الاكبر واعضاء موظفي محفل بيروت الى غير ذلك من المباحث الجليلة العائدة على الهيئة الاجتماعيّة بالنفع الجزيل (كذا . فما بالهم يخفون تلك المباحث وراء جدران المحفل أيستحون منها)

امّا النعمة الثانية التي احرزها الماسون البيروتيّون فهي زيارة « الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الفرنسويّ الاخ الكلي الاحترام برنرد ولهوف » فبعد ان زار محافل مصر الماسونيّة في ١٦ فبراير شرَّف بيروت مارًّا فيها مرور البرق فاسرع الماسون الى استطلاع انواره في ١٢ آذار ودونك الاعلان الذي نشرتهُ جريدة لسان الحال في ذلك اليوم

اعلان

ان محفل بيروت رقم ٢٢٦ التابع للمحفل الاكبر الوطني الفرنسيّ يدعو جميع الاخوان الماسون لحضور الحفلة التي سيقيمها في الدار الماسونيّة عند الساعة الرابعة في مساء اليوم ١٢ آذار سنة ٩٢١ ترحيباً بالاخ الكلي الاحترام برنرد ولهوف الاستاذ الأعظم للمحفل الاكبر الفرنسوي

سكرتير محفل بيروت سليم يوسف نكري

فترى انَّ البنّائين الاحرار لا يزالون مغرمين بفنّ البناء السياسي واللادينيّ الذي نحن ندعوهُ باسمه خراباً ودمارًا . ها قد مرَّ على الماسونيّة في بلادنا نحو ٨٠ سنة فليدلّنا اصحابها على مشروع واحد خيري او علميّ او ادبي قاموا بهِ

﴿معهد جديد لتربية الحشرات النافعة﴾ لما اطّلع قرّاؤنا على المقالات المفيدة التي نشرها حضرة الاب اسكندر طوران العام الماضي في المشرق (١٨ : ٩٤١ و١٩٨) عن الحشرات النافعة المقاتلة للحشرات الضارّة تمنّوا لو يُنشأ معهدٌ يلتجئون اليهِ لطلب تلك الحشرات عند فشوّ الادواء في مزروعاتهم . وها قد تمّ ذلك فعلًا ليس في اميركة فقط في انحاء كاليفورنية لكن في سواحل فرنسة الجنوبيّة في مدينة مَنتون (Menton) وقد أنشئ هذا المعهد بعد الحرب في العامَين الماضيَين . ومن جملة ما ربّوا هنالك فاصاب نجاحاً تامًّا الحشرةُ المعاكسة للدود الابيض المعدود بين اكبر آفات البساتين واسم هذه الحشرة العلميّ (Cryptolœmus Montrouzieri) فهذه الهامّة ما كادت تتناسل فتنمو حتّى اخذت تلتهم بالمئات والالوف الدود الابيض . والامل معقود انّهُ لن يبقى منهُ اثر قريباً في جنوبيّ فرنسة

﴿كفر البولشفيين ومنكراتهم﴾ البولشفيون كبقيّة اعداء الهيئة الاجتماعيّة وجّهوا اشدّ ضرباتهم على الدين وارباب حيثما فاز سهمهم . فقد اطّلعنا على ما نشرهُ احد رؤساء الكنيسة الروسيّة في المجلّة العموميّة الفرنسويّة في اواسط كانون الاوّل المنصرم وهو سرجيوس دي شسين فذكر هناك الشرائع التي سنّوها بحقّ الكنيسة فصرّحوا عن رغبتهم في قتل كلّ روح دين في الشعب فانهم وضعوا يدهم على كلّ مقتنياتها وانكروا عليها كلّ سلطة في اقتناء الاملاك والوراثة والتعليم وعقد الزواج . دخلوا الكنائس ونهبوها ومزّقوا صورها وكسّروا صلبانها وحوّلوها الى مسارح وعنابر ثمّ طردوا الكهنة واضطرّوا البعض منهم على كناسة الطرق والاشغال الشاقّة حبسوا كثيرين منهم ومثّلوا بهم وقتلوهم قتلًا ذريعاً يستنكف القلم من وصفهِ حتّى بلغ في سنة ١٩١٨ فقط عدد المطارنة والاساقفة الذين شنّعوا بقتلهم اربعة عشر ما عدا الكهنة وبقية الاكليريكيّين . وقد سبق انّ معظم زعماء البولشفيين يهود والباقون فرمسون . ومن هذا نرى انّ زعماء الثورة واصحاب المشاغب والفتن واهل الفساد يجعلون اوّل هدفٍ لسهامهم حيثما حلّوا الدين ورؤساءهُ

﴿اصلاح غلط﴾ قد وقع في الصفحة ٢٠٨ س ١١ غلط في تعيين المساحة بين مرعش ومحوك درهسي فكتبنا هناك «سبعة كيلومترات» والصواب «سبع ساعات»

أسئلة وأجوبة

س سأل من القاهرة يوسف افندي مدوَّر : ١ً هل تجوز الإحتفالات الدينيَّة وكالقداس والرياحات على نور الكهرباء فقط دون الشمع ؟ . ٢ً لماذا تستر الكنيسة اللاتينيَّة الصور مدَّة الاسبوعين السابقين لعيد الفصح ؟ . ٣ً وما المقصود من تغطيتها بالالوان القاتمة ؟ . ٤ً لماذا تزيَّن الهياكل في ذلك الوقت بوقوع عيد كبير

اسئلة طقسيَّة

ج نجيب على الاوَّل انَّ الجمع المقدَّس لا يعدّ النور الكهربائي بين الانوار الطقسيَّة كالشمع والزيت وانَّما يُسمح بهِ للزينة فقط ومن ثمَّ لا يجوز استعمالهُ على الهيكل في الرتب الكنسيَّة . ونجيب على الثلثة الاسئلة الاخيرة انَّ ستر الصور من شارات الحزن اللائق بالجمعتين المخصَّصتين لذكر آلام السيِّد المسيح . وكذلك الالوان القاتمة كالبنفسجيّ والاسود يوم جمعة الآلام . واما الاعياد الواقعة في تلك المدَّة فيجوز فيها تزيين الهيكل فقط بالزهور ويوم الثمانين باغصان الزيتون او النخل ويوم خميس الاسرار يُبدل حجاب الصليب باللون الابيض تذكاراً لرسم سرّ القربان الأقدس

س سألت ربَّة بيت ما هي اقرب وسيلة لتنظيف الزجاج

تنظيف الزجاج

ج هذه طريقة سهلة لتنظيف الزجاج تُسكب ملعقة خلّ في ليتر من الماء ثمَّ يُمسح الزجاج بورق الجرائد ثمَّ ينشف بورق آخر نظيف فيصبح الزجاج شفَّافاً نظيفاً لان وسخ الزجاج عادةً من دقائق الاجسام الكلسيَّة فيستحيلها الخلّ

س سُئلنا اذا وقع عيد بشارة العذراء في يوم جمعة الآلام هل يلزم البطالة فيهِ ؟

وقوع عيد البشارة في يوم جمعة الآلام

ج معلوم انَّ الكنيسة اللاتينيَّة تنقل الاعياد الكبيرة الواقعة في كلّ اسبوع الآلام الى ما بعد الفصح . اما الكنائس الشرقيَّة فانَّ العادة الجارية سابقاً كانت عدم نقل الاعياد حتى في يوم جمعة الآلام على انَّ بعض رؤساء هذه الكنائس وجدوا بين الاحتفال بعيد البشارة واحزان يوم جمعة الآلام بعض التناقض فرأوا نقل هذا العيد واشار الى ذلك الطيب الذكر السيد جرمانوس معقّد في الميناون . لكنَّ الامر حتى الآن لم يقرَّر نهائياً بتقرير رسميّ

ل . ش

عسكريين الواحد في اذرح والآخر في اللجُون يحميهما بضعة آلاف من الجند مع قلعة (Castellum) مربَّعة طولها ٦٧ متراً طولاً في مثلها عرضها جعلوا فيها ٥٠٠ جندي. وقد بقي اسم القلعة اللاتيني في اللغة العربيَّة الى اليوم يُدعى مكانها القَسطل

ثمَّ رأى الرومان انَّ هذه الاستحكامات تحتاج الى تضييق وتوثيق فزادوها عدداً. وكان عدد هذه التحصينات اوفر والمسافة بينها اقرب شرقيَّ بحر لوط ولاسيما عند وادي مجبّ (Arnon.) فبلَغوا عدد حصونهم هناك الى احد عشر في مسافة لا تزيد على ١٥ ميلاً رومانياً ثمَّ تجدها اقلَّ عدداً وابعد مسافةً بين مدينتَي بترا (سلع) وعقبة. اما سبب هذا الاختلاف فقد دلَّ عليهِ العلَّامة برونوف بقولهِ انَّ غزاة البادية لا يغيرون عادةً الَّا على الجهات القريبة من المياه وليس على طريق بصرى الى عقبة مياه كافية لاهل البادية الَّا عند نواحي وادي مجبّ. ثمَّ انَّهُ من المرجَّح انَّ اشدَّ قبائل البدو حدَّةً وحماساً كانت تسكن في جوار بحر لوط. وقد رأينا حديثاً هذه القبائل تتحامل على الامير عبدالله الذي اقامهُ الانكليز على بلاد ما وراء الاردنّ. فاضطرُّوا الى إمداده بالجند ولا تزال الامور هناك في حيص بيص. ولعلَّ الانكليز يقيمون لحراستها متارس وتحصينات (Blockhaus) كما فعلوا في جنوبيّ افريقية لردّ غارات البوير اذ لم يجدوا وسيلةً للدفاع عن املاكهم هناك

والظاهر انَّ الرومان قد فضَّلوا هذه التحصينات على تشييد الاسوار لسببين: الاول اقتصاديّ والثاني حربيّ. فالوجه الاقتصاديّ كان سببهُ قلَّة ما تحتاج تلك الحصون من الجنود الاهمية فكان يكفي للدفاع عنها مئة جندي بل اقلّ تحت نظارة قائد مئة (١). واذا دهمها خطر لقلَّة عددها كانت في أيام الفتن تُفرغ المراكز البعيدة وينضمّ جنودها الى المواقع العسكريَّة. اما أيام السلم فكان عددهم كافياً لردّ كيد اهل الحيم

اما المقام الثاني الذي عُني الرومان بتحصينهِ فكان اشدَّ خطورةً من اقليم عربيَّة تزيد بهِ ثغر الفرات حيث قُضي على رومية ان تقاتل عدوًّا لجوجاً متعنتاً ذا بأس وحُنكة في الآداب الحربيَّة اعني بهم الفرثيين ثم الفرس الساسانيين فما مرَّ على الرومان عشر سنين منذ فتوحهم لسوريَّة حتَّى اضطرُّوا الى مقاتلة اولئك الفرسان ذوي

(١) اطلب تاريخ الرومان لمرمسن Mommsen: *Roem. Gesch.*, V. pp. 142, n° 1 et 143

السرعة الغريبة في كرّهم وفرّهم المحسنين لرشق السهام المصيبة حتى في رجوعهم القهقرى كما روى الشاعر هوراس :

Sagittas et celerem fugam
Parthi *Hor. II,* 13,17-18

وقد اختبر كاسيوس احد ارباب الدولة الثلاثية شدّة ساعد الفرثيين لمّا توغّل في بلاد ما بين النهرين ففاجأهُ العدوّ عند حرّان وفقد الاعلام الرومانيّة وقُتل عند رجوعه . ثمّ زحف الفرثيون في السنة التابعة وهي السنة ٥١ قبل المسيح وتقدّموا الى انطاكية فادرك الرومان اضطرارهم الى تحصين الفرات في وجههم

ولم يحصّنوا ذلك الثغر بسور متواصل وخنادق وانما اكتفوا بضبط معابر النهر وتجهيز خطّ مضاعف من المراكز العسكريّة . وليس لدينا دليل على كونهم اقاموا عند حدود الفرس حصوناً متواصلة كما فعل ديوكلطيانوس شرقيّ الطريق الرومانيّة في اقليم عربيّة . وقد جاء في كتابة متأخرة ذكر بروج كانت بين السنتين ٤٢٠و٤٢٥ قائمةً على حدود فارس من مسافة عشرة اميال الى ٢٠ ميلاً . والمرجّح انّ الكلام هناك عن الطريق بين تدمر ومدينة سورة على الفرات . أمّا شواطئ النهر فلم يروا حاجة الى تحصينها وليس ذلك لأنّ الفرات بذاته كان يمكنهُ ان يُعتبر كحدود وافية بالمرام سواء كان لاتّساع ضفافه التي حملت بعض الكتبة الى تشبيهه بنيل مصر ام لارتفاع شواطيه . لا بل ليس كالفرات طريق عسكري افضل يساعد الشعوب الفاتحة على اقتحام البلاد فهو كمسلك لاحب يفصل بلاد ما بين النهرين عن بوادي العرب فيمكن للمحاربين ان يجهّزوا لقطعه قوارب خفيفة ينقلون عليها جنودهم واثقالهم (١

ولا شكّ انّ الرومان استخدموا الفرات لغاياتهم الحربيّة . وليس لدينا دليل على كونهم عمّروا لذلك اسطولاً (Classis Euphratensis) كما زعم مركارت (Marquardt) ولكنّهم اتّخذوا السفن النقّالة والقوارب فجعلوا عليها البحّارة والجند (٢ وبدلاً من تشييد الحصون والاسوار وحفر الخنادق ثبّتوا قدمهم وتحصّنوا عند معابر النهر كما فعل قبلهم الفرثيون والسلوقيّون . وكان السلوقيّون ابتنوا مدينة زوغما (Zeugma) ومعناها الموصل اي الموصل بين سوريّة وما بين النهرين وقد اثبت العلّامة فرنتس كومون (M. F. Cumont) انّها بلقيس الحالية على الفرات . واحتلّ

١) اطلب الكتاب السابق Chapot, pp. 255 ٢) id. pp. 145 sqq.

الرومان هذه المدينة كما نزلوا ايضاً في اوقات مختلفة في اوروبوس وسودة وفيتيفوريوم وزينوبية وقرقيسية وكلّها حصون على الفرات

وكان لا بُدَّ من توثيق هذه الحصون باستحكامات اماميّة فالرومان اتّخذوا لذلك مراكز عسكريّة محصّنة جعلوا فيها كتائب الجند . ولمّا اتّسعت فتوحاتهم شرقاً في ما بين النهرين كذلك قدّموا خطوطهم الدفاعيّة وتحصيناتهم الى الشرق حتّى ان الجبهة الدفاعيّة بلغت في بدء تملُّك الامبراطرة الى ملطية في ارمينية شمالي مرعش والى اورشليم جنوباً بعد فتحها على يد طيطس . وقد تُنبئ الآثار على مواقع عسكريّة اخرى ثانويّة بينهما في كورس واللاذقيّة وانطاكية ورفنية جنوبي مصياد مفتاح بلاد النصيريين الشرقي . وكان عدد الجنود المحتلّين في هذه المراكز كلها لا يزيد عن ٤٨،٠٠٠ من الرومان يؤلفون ثمانية طوابير هذا ما خلا الفرق الوطنيّة (١

ثم تقدّم الرومان الى الامام ففتحوا سيساط عند الفرات الاعلى وبصرى جنوبي حوران . ثمّ قام سپتيميوس سافيرس فتوغّل في ما بين النهرين وعزّز مُدنها بالتيرق المعروفة بالپرثيّة تأميناً لطرق نهر دجلة كسنجار ورأس العين وحرّان ودارا والرُّها . وشفع هذا الخطّ بخطّ رَجعي في البادية من الرصافة بين الفرات ودمشق ومن كورس بين انطاكية وسيساط ومن افامية على العاصي حيث تجتمع الدروب التي تربط جهات الجنوب بانطاكية

السوريون في خدمة الرومان

وكأني بالقارئ يسألنا هنا أترى بقيت سوريّة بازاء الرومان على جمودها دون ان يساعدهم اهلها على حماية وطنهم؟ كلّا عرفت سوريّة فضل الدولة الرومانيّة وقدّمت لها بسخاء جنودًا من مواطنيها ساعدوها على تأمين البلاد وبسط رواق السلام على اهلها . وكانت الفرق العسكريّة الوطنيّة المتطوّعة كثيرة العدد . يُستدلّ عليها بالارقام العسكريّة النظاميّة مع ذكر محلّ الاكتتاب . فتجد بينها اسماء مدن انطاكية وافامية ودمشق والسامرة وعسقلان وصور وعلى التخمين بعلبك . ثمّ نعرف ايضاً من رواية المؤرخين انّ المتطوّعين من امارة كوماجين ألفواستّ فرق من الرجّالة

(١ اطلب Chapot, l. c., pp. 74-75

واهل كليس خمساً والايتوريين ثماني واهل حمص في جبل الشيخ فرقتين والنبط ست فرق. وكان للسوريين امتياز في فرق الفرسان والمدرعين والمهاريين ولاسيما القواسين الراكبين . ومما تثبته الآثار انّ الكتائب السورية المتطوعة خدمت الرومان في عدة ولايات اجنبية فمنها فرقة كانت تحرس سور ادريانوس في بريطانية ومنها ما أقيم لحراسة نهري الرين والدانوب وبعضها بلغ الى ثغور مراكش. نعم انّ هذه الفرق لم تحصَ في جملة كماة الحروب الّا انها ادّت خدماً مشكورة

ولا نعلم أخرج من السوريين قوّاد في الجيوش الرومانيّة لكنّنا نعرف انّ احد كبار المهندسين العسكريين المدعو ابولودور كان سورياً من دمشق وهو الذي ابتنى على نهر الدانوب ذاك الجسر العظيم الذي سهّل للجيش الروماني الانتصار على قبائل الداس

وفي الختام لا يسعني الّا عقد الامل على شهامة السوريين حالاً ومعرفتهم الجميل لفرنسة . ويحملني حسن الظنّ بهم على انّ الدولة المنتدبة ستجد بينهم نفوساً ابيّة تتطوّع لخدمة وطنهم كما فعل اجدادهم في خدمة الدولة الرومانيّة

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥٦ ﴿ابو البركات﴾ الشيخ الرئيس شمس الرئاسة ابن الشيخ الاسعد المعروف بابن كبّر القبطي اليعقوبي كاتب السلطان بيبرس الداوداري والمتوفى سنة ١٣٦٣ م. له : ١ كتاب جلاء العقول في علم الاصول الملقّب بكشف الاسرار الخفيّة في اسباب المسيحيّة يتضمّن ١٨ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة كوحدانيّة الله وتثليث اقانيمه وتجسّد ابنه الالهي على رأي اليعاقبة الخ . منهُ نسخة مكتوبة سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٣م) مصونة في المكتبة الفاتيكانيّة نُقلت عنها نسخة مكتبتنا الشرقية . وهناك نسختان أخريان من عهد المؤلف كُتبت الواحدة (عدد ١١٨) في دمشق سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م)

والاخرى (عدد ١١٩) سنة ١٣٣٤ = ٢ً كتاب مصباح الظلمة وايضاح الخدمة في الفقه الكنسي في ثمانية ابواب وعدّة فصول عن العقائد النصرانيّة واخبار الرسل والتلاميذ (اطلب Oriens Christianus,II; 372-344) وقوانين البيعة والجامع . منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيّة تاريخها سنة ١٣٣٣م . وفي مكتبة برلين نسخة موصوفة وصفاً واسعاً (Ahlwardt,X, 184) وفي مكتبة باريس (Ms. ar. 203) . ٣ً لهُ ردود على اليهود والمسلمين . في مخطوطة رومية (عدد ١١٩) . ٤ً رسالة البيان الاظهر في الردّ على من يقول بالقضاء والقدر . فيها . وهذه التآليف الثلثة منقولة في مكتبتنا الشرقية . ٥ً لهُ عدّة مواعظ تقرأ في اعياد الكنيسة القبطيّة طُبعت في المطبعة القبطيّة في مصر . ٦ً معجم اللغة القبطيّة المعروف بالسلّم الكبير المقترح (اطلب مجموعة المكتب الشرقي P. A. Mallon, MFO, II, 260-263)

٥٧ ﴿ابو البركات﴾ الشيخ موهوب بن منصور بن مفرج الاسكندراني الشمّاس كان في القرن الثاني عشر (اطلب تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني ص ١٣٦ . ed. Evetts) هو متمّم تاريخ بطاركة الاسكندريّة الاقباط لساويرس بن المقفّع من سيرة الانبا اخرسطادولوس البطريرك السادس والستين (١٠٦٩م) وما بعدهُ الى آخر سيرة مرقس بن زرعة البطريرك الثالث والسبعين (سنة ١١٩٠ م)

٥٨ ﴿ابو بشر﴾ متّى بن يونس او يونان من دير قنّى الفيلسوف والطبيب النسطوري معلّم الفارابيّ والمتوفّى سنة ٩٤٠ م (اطلب الفهرست لابن النديم ص ٢٦٣ وطبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة ١ : ٢٣٥) احد كبار النَّقلة لكتب ارسطاطاليس المتقدّمين . ومما نجا لهُ من آفات الزمان : ١ً في مكتبة باريس كتاب ضخم يرقى الى القرن الثاني عشر فيهِ مجموع مقالات لارسطاطاليس منقولة الى العربيّة بكل دقّة واتقان . طُبع منها مقالة الشعر في لندن سنة ١٨٨٧ (ed. Margoliouth) . ٢ً مناظرة جرت بين متى بن يونس القنّائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي . طُبعت في المجلّة الاسيويّة الملكيّة الانكليزيّة (JRAS, 1905. pp, 79-129) مع ترجمتها الى الانكليزيّة بقلم الاستاذ مرغوليوث

٥٩ ﴿ابو الحسن بن المسيحي﴾ وقيل ابو نصر صاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني الحظيري المتطبّب خدم الخليفة الناصر وتوفي بعدهُ نحو السنة ٦٢٧ ه ١٢٣٠م

(اطلب تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص٢١٤ وطبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٠٣ ومختصر تاريخ الدول لابن العبري ٤١٦) . لهُ كتاب في الطبّ صغير الحجم سمّاهُ الصفوة في اجزاء الطبّ علميّها وعمليّها منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة المرحوم يوسف ميشال ابيلا في صيداء وفي مكتبة القس بولس سباط الحلبي (ROC., XVII, n° 16)

٦٠ ﴿ابو الخير بن المسيحي﴾ الاركيذياقون اخو ابي الحسن المذكور آنفاً وهما اخوا الجاثليق المعروف بابن المسيحي . وكان ابو الخير متطبياً ايضاً مات نحو السنة ٥٩٠هـ (١١٩٥م) . لهُ في الطبّ كتاب الاقتضاب في الطبّ وقد اختصرهُ وسماهُ انتخاب الاقتضاب . منهُ نسخة في مكتبة مونيخ (Ms. 836) وفي مكتبة اوكسفرد البوذليّة ١ : ٦٢٢ و ٢ : ١٩٥) وفي مكتبة بغداد العموميّة وفي مكتبتنا الشرقيّة وهو على طريقة السؤال والجواب

٦١ ﴿ابو الخير بن الطيّب﴾ القس الرشيد المتطبب اليعقوبيّ كان في القرن الحادي عشر . لهُ كتاب في اصول الدين دعاهُ درياق العقول في علم الاصول قسمهُ الى جملتين تحتوي الجملة الاولى ٢٤ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة والثانية خمسة فصول في الفرائض . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة قديمة من القرن السادس عشر والاخرى حديثة منقولة عن نسخة دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير سنة ١٨٩٧ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٧٥٦) ومن الكتاب ثلث نسخ في مكتبة باريس (عدد ١٧٨—١٨٠) يقال في الاولى انّ المؤلف انتهى من تأليفها في حمص سنة ١٣٦٤ لليونان (١٠٥٢م) ونسختان في اوكسفرد (Marsh. 649 et Hunt. 362) . وقد ذكرهُ ابو البركات بن كبر في لائحة كتبهِ (Riedel, p. 661) وسمّاه ابا الخير المتطبّب ونسب اليهِ ما خلا الكتاب في اصول الدين مواعظ لم نقف عليها

٦٢ ﴿ابو رائطة التكريتي﴾ حبيب بن حُديثة (ويروى خدمة) اسقف تكريت اليعقوبيّ كان في القرن التاسع للميلاد . لهُ ١ مقالة في الثالوث الاقدس في مجموعة من مجاميع باريس (Paris, Ms, 169, n° 13) يليها اربع مقالات أُخر في تجسُّد المسيح ووحدة طبيعتهِ على رأي اليعاقبة والتقديس المثلث على رأي بطرس القصّار (n° 14-17) ٢ . ولهُ في مكتبة باريس ايضاً (Ms. 82) جدال بين ابي يحيى النسطوري

وابي رائطة اليعقوبي وابي قرّة الملكيّ . ٣ً وقد نشرنا لهُ نبذةً في الاستدلال على الدين المستقيم في كتابنا مقالات دينيّة قديمة لبعض مشاهير النصارى (ص ١٤٦)

٦٣ ﴿ابو سليمان المنطقيّ﴾ هو ابو سليمان بن طاهر المنطقي كان في القرن العاشر ذكر لهُ ابن العسّال في كتاب الاصول في الباب الخامس عشر منهُ (ص ٢٧٨ من نسختنا) نبذةً من كتابه « في مبادئ الموجودات ومراتب قوّاتها والاوصاف التي توصف بها الذات الاولى وعلى اي وجهٍ وصفتها النصارى بالتوحيد والكثرة والجوهريّة والاقنوميّة » منهُ نسخة في باريس (Ms. 173, n° 10) . وقد ورد ايضاً ذكرهُ في تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ٣٠٥—٣٠٦) حيث ذُكرت لهُ محاضرةٌ مع المدعوّ بغلام زُحل

٦٤ ﴿ابو سهل الجرجانيّ﴾ هو عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني الطبيب شيخ الرئيس ابن سينا ومعلّمهُ صناعة الطبّ المتوفّى سنة ٣٩٠ هـ ١٠٠٠ م (اطلب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٢٧-٣٢٨) . لهُ : ١ً كتاب ديوان الطبّ في مجلّدين ضخمين منهُ نسخة في بيت الحكيم جدّ في حلب تاريخها سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) ويدعى ايضاً الكتب المائة في الصناعة الطبّيّة يُعرف منهُ عدّة نُسخ في مكاتب اوربّة (Brockelmann, I. 238) . و٢ً في مكتب برلين (Ms. 6207) كتاب الطبّ الكلّي . ٣ً وكتاب اصول علم النبض في ليدن (٢٧٨٣) . ٤ً في مكتبة غوتا (Ms. 1988) كتاب حكمة الله تعالى في خلق الانسان ٥ً ولهُ عدّة مقالات فلسفيّة (Jong. 113) سمّاها اصناف العلوم الحكميّة واركان العلوم ومبادئ الموجودات الطبيعيّة وتلخيص كتاب ارسطو في السماء والعالم . وقد نشرنا لهُ في كتاب المقالات الدينيّة لقدماء كتبة النصارى فصلًا في أقسام الدين (ص ١٣٢)

٦٥ ﴿ابو الصلح الارمني﴾ ويقال ابو الصالح الشيخ . كان في القرن الثاني عشر للمسيح لهُ في مكتبة باريس (Ms. 307) تاريخ يعرف باسمه «تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني» وصف فيهِ اخبار نصارى مصر في زمانهِ مع وصف اديرتهم وبيعهم وغير ذلك من الامور المفيدة . طُبع الكتاب في اوكسفرد سنة ١٨٩٥ بهمّة المستشرق افتس (B.T.A. Evetts) مع ترجمتهِ الى الانكليزية وتعليق حواشٍ وفهارس واسعة

٦٦ ﴿ابو عليّ بن يُمن﴾ هو القسّ المتطبّب من اهل القرن الثاني عشر من

طائفة الملكيّة ورد ذكرهُ في فهرست ابي البركات بن كبر (Riedel, p. 653) وذكر لهُ مقالة في ماهيّة اعتقاد النصارى . ولعلّها هي المذكورة في احد مخطوطات المكتبة الفاتيكانيّة (Ms. 135)

٦٧ ﴿ ابو الفرج بن الطيّب ﴾ القس عبد الله البغداديّ النسطوري كاتب طيماثاوس الجاثليق احد كبار الفلاسفة ومفسّري ارسطو وجالينوس المتوفى سنة ١٠٤٣ م (اطلب ترجمتهُ في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢١٣ وفي طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٩ وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٣٣٠ والمكتبة الشرقيّة للسمعاني ٣ : ٥٤٧) كان ممتازًا في المعارف الدينية وفي علوم الاوائل وترجمة كتب اليونان وشرحها . الّف كتباً عديدة لا يُعرف منها اليوم الّا الكتب الآتية : ١ً مجموع مقالات مهمّة في مكتبة الاسكوريال في اسبانية (Escur. Ms, 882) في الولادة والنبات والعطور والشعر والعطش على طريقة جالينوس وبقراط . ٢ً تفسير كتاب جالينوس لحيلة البُرء في مكتبة ليدن (Leid. 1298) . ٣ً تدبير الصحّة شرح كتاب جالينوس . فيها (1299) ثمّ في مكتبة باريس (Ms. 2858) . وفي المكتبة الديشيّة منهُ ثلث نسخ . ٤ً تفسير مقالات ارسطو . في المكتبة الخديويّة (٦ : ٨٩) . ولهُ عدّة كتب لاهوتيّة ودينيّة وكتابيّة منها : ١ً كتاب فردوس البيعة . وفيه شروح على العهدين القديم والجديد . جزءان في مكتبة الفاتيكان (Vat. ar. 36 et 37) . ٢ً مقدّمة على المزامير في ١١ باباً . في مكتبة باريس (Ms. 41) ولندن (Ms. 793) . ٣ً تفسير المزامير . في المتحف البريطاني (Ms. 793) وفي الفاتيكان (Vat, IV, 76) نسخة من القرن الرابع عشر . ٤ً تفسير تسابيح موسى واشعيا في نسخة المتحف البريطاني السابقة . ٥ً مقدّمة على الانجيل . في مكتبة ليدن في هولندة (ar. 2375) . ٦ً تفسير الاربعة الاناجيل . منهُ نسخة كاملة في لندن (Brit. Mus., Suppl. 15) وفي مكتبة الموارنة في رومية مع شرح اقسام منها في باريس (Mss. 85 et 86) . وقد عُني بطبع هذا التفسير يوسف منقريوس القبطي في مصر سنة ١٩٠٨ مهذّباً لعبارتهِ مع تصحيحهِ وتذييلهِ بالحواشي . وقد لحظنا انهُ صحّح ما لم يجب تصحيحهُ . ٧ً لهُ في الفاتيكان (١١٥) مقالات لاهوتية في التوحيد والتثليث والاقنوم والطبيعة في ١٤ باباً . ٨ً وكتاب في التوحيد . في باريس (Ms. 173) .

٩ً كتاب فقه النصرانيَّة الجامع للقوانين البيعيَّة والمجامع الشرقيَّة والغربيَّة . منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيَّة (ar. 153) وفي المكتبة الديشيَّة اللورنسية (Ms. 57).

١٠ وابو الفرج هو كما يظهر معرِّب الانجيل المنسوب الى طاطيانوس المدعوّ بديابطاسارون الذي نُشر بالطبع في رومية (سنة ١٨٨٩) ومنهُ قطعة في مكتبتنا وصفناها سابقاً في المشرق (٤[١٩٠١]: ١٠٠—١٠٢). وقد اتَّسع في تعريفها الكاهن الالمانيّ س. اورنفر (Bibl. Studien, XVII.1-71). ولابي الفرج بن الطيب مقالة ينكر فيها على مريم العذراء كونها ام الله على رأيهِ النسطوري وقد ردَّ عليهِ يحيى بن عدي. في مكتبة الشرفة نسخة من هذا الردّ الحسن. وقد نشرنا لهُ مقالة في شريعة العدل وفي شريعة الفضل رواها ابن العسال في كتاب اصول الدين

٦٨ ﴿ ابو قرَّة ﴾ تاودورس اسقف حرَّان الملكيّ (٧٤٠—٨٢٠). ١ً اول ما نشر لهُ في المشرق (سنة ١٩٠٣ ص ٦٣٣) حضرة الخوري قسطنطين الباشا ميمرهُ البديع في تحقيق ناموس موسى والانجيل الطاهر وتحقيق الارثوذكسيَّة وابطال كلّ ملَّة تنتحل النصرانيَّة سواها. ثم طبعهُ على حدة واضاف اليهِ ترجمة افرنسيَّة. ٢ً ثمَّ نشر في بيروت ميامرهُ في عدد تسعة نقلًا عن نسخة خطيَّة في مكتبة دير المخلّص وقد سعى حضرة الكاهن الدكتور جورج غراف (Dr G. Graf) في نقل هذه الميامر الى الالمانية مع مقدّمات وشروح وزيادات (Paderborn, 1910, pp. 336). ٣ً ولابي قرَّة في المتحف البريطاني (Or. 4940) نسخة خطيَّة قديمة راتبة الى القرن التاسع (٨٧٧م) تحتوي على بعض مقالاتهِ نشر منها سنة ١٨٩٧ العالم الالماني جان ارندزن (Arendzen) مقالة في عبادة الصور مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وحضرة الاب لويس معلوف في المقالات الدينيَّة القديمة خطبته في تأنس الله الكلمة (المشرق ٦ [١٩٠٣]: ١٠١١—١٠٢٣). ٤ً وقد نشرنا لهُ ايضاً في المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٧٥٧ و٨٢٥ ميمرًا جليلًا في وجود الخالق والدين القويم عن نسخة في دير الشير. ٥ً ويُروى لابي قرَّة مجادلات لاثبات الدين النصراني مع شيوخ مسلمين بحضور الخليفة المأمون في مكتبة باريس (Mss, 70[4], 71[3], 198[3], 251[5]) وفي مكتبة الفاتيكان (Vat. 136). ولابي قرَّة جدال مع عبد يشوع النسطوري وابي رائطة اليعقوبي. في مكتبة باريس (Ms. 215[4]) ولهُ ايضاً في مخطوطات مكتبتنا ميامر في التوبة وغيرها لم تطبع بعد

٦٩ ﴿ابو نوح﴾ عبد المسيح الانباري كان كاتباً للجاثليق النسطوري طيموثاوس الكبير في القرن التاسع . لهُ في قائمة ابي بركات بن كبر مجائل واجوبة في معنى الاعتقاد وقد ذكر لهُ عبد يشوع الصوباوي تاليف سريانيَّة (Bibl. Or. III¹, 212) منها تفنيد للقرآن

٧٠ ﴿ابوجي﴾ الاب لويس اليسوعيّ توفّي في ١٦تموز ١٨٩٦ . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة تعليم العصمة البابويَّة على طريقة السؤال والجواب تاريخهُ سنة ١٨٨١وقاعيَّة لعيد القديس لويس غونزاغا . وقد طُبع لهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة عشرة كتب دينيَّة وجدليَّة وتاريخيَّة ولغويَّة وجغرافيَّة .ولهُ مقالات تاريخيَّة ورسائل عديدة عن الشرق بالافرنسيَّة منها مطبوعة ومنها مخطوطة

٧١ ﴿ابيفانيوس﴾ اسقف قبرس القديس المتوفّى سنة ٤١٢ م . يوجد باسمهِ في العربيَّة دون ذكر اسم المعرّب : ١ً كتابهُ الاكساميرون (ἑξαήμερος) في شرح ستَّة أيام الخليقة .منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة في الكتابين الموسومين بالعددين ٤٢و٤٣ من القرن السابع عشر وقد ذكرهُ ابو البركات في قائمتهِ (Riedel, 648) . ٢ً ولهُ في عدَّة مجاميع من مكتبتي باريس والفاتيكان وفي مكتبتنا الشرقيَّة وغيرها ميامر شتَّى في احد الشعانين وفي دفن جسد الربّ وفي العذراء مريم . .وذكر لهُ ابو البركات كتاب الهوجل (قال انها بمعنى المرسى (Ἀγκυροβόλος)

٧٢ ﴿اثناسيوس الاسكندريّ﴾ القديس الرسولي بطريرك الاسكندريَّة المتوفّى سنة (٣٧٣م) : ١ً يُنسب لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة (ع ٣٨) كتاب البرهان في تحقيق الايمان في اخصّ المعتقدات النصرانيَّة لوحدانيَّتهِ تعالى وتثليث اقانيمهِ . وقد بيَّنا في المشرق (٧[١٩٠٤]: ٤٨٨) انّ الكتاب نفيس وانَّما نسبتهُ الى القديس اثناسيوس ليست بصحيحة . ومثلهُ مقالات ثلث تتبع هذا الكتاب الاوَّل في تجسُّد ابن الله ولاهوته وتفنيد اراجيف اليهود . تاريخ هذه النسخة سنة ١٦٨١م (Cfr. Or. Chr. 1914, p. 104) ٢ً . كتاب الردّ على اليهود في المكتبة الفاتيكانيَّة (Ms 100¹ et 645⁴) . ومن هذا الردّ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة في آخر كتاب الغصن الوريف في معنى القدّاس الشريف (ص ١٠٠—١١٢) . ٣ً وفي مكتبة الثلثة الاقمار (ع ٣٣١) عظات وميامر للجليل في القديسين اثناسيوس بطريرك الاسكندريَّة . ٤ً وكذلك

لهُ بعض الخطب في مجاميع مياصر للاعياد السنويَّة في مكتبتنا الشرقيَّة وغيرها سبق لنا وصفها . ومما ذكرهُ ابو البركات للقديس اثناسيوس الاسكندري ولم نجدهُ حاضراً كتابٌ في شرح المزامير ثم ٤٥ مسألة واجوبة بينهُ وبين انتيوخس العجمي في معنى التوحيد والتثليث والامانة . ورسالة الى قسطنطينوس الملك لما رُدَّ من المنفى الى كرسيه . ثم مقالتان في الإنباء بما يكون والتحريض على الثبوت في الايمان

٧٣ ﴿اثناسيوس الانطاكي﴾ هو البطريرك اثناسيوس الرابع دبَّاس الدمشقي المتردد بين الكثلكة والانشقاق توفي في حلب سنة ١٧٢٤ . نُعرف لهُ التآليف الآتية : ١ً مجموع مواعظ لآحاد واعياد السنة . منهُ نسخة في مكتبة انتشار الايمان في رومية . وفي مكتبة الكلدان في ماردين (ع ١٠٠) تاريخها سنة ١٧١٩ . ٢ً كتاب شرح القداس دعاهُ منهاج اللاهوت في خدام الكهنوت . منهُ نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٣ً كتاب التعليم المسيحي . ٤ً اخرج من اليونانيَّة الى العربيَّة خمسة كتب في صناعة الفصاحة منهُ نسخة في مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت تاريخها سنة ١٨٣٣ ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ احداهما سنة ١٨١٣ ٥ً تاريخ المجامع عرَّبهُ عن اليونانيَّة واللاتينيَّة . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب تاريخها سنة ١٧١٧ وفي مكتبة دير الشرفة . ٦ً تعريب تأليف مار باسيليوس كتاب صلاح الحكيم وفساد الذميم . في مكتبة القس بولس سباط (ROC, XIV. p. 352) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفيها يقال انَّ المطران جرمانوس فرحات اصلح تعريبهُ وكتبهُ القس عبد المسيح الحلبي الماروني سنة ١٧٣٠ . ٧ً وقد عرَّب ايضاً من اليونانيَّة اعمال المجامع المسكونيَّة الاولى الاربعة في نحو ٢٠٠٠ صفحة . منهُ نسخة في عدَّة مجلَّدات في مكتبة الموارنة في حلب تاريخها سنة ١٧٤٣ وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ مجمع نيقية والقسطنطينيَّة الاول ومجمع سرديكي . ٨ً كتاب توضيح كيفيَّة التوبة والاعتراف فيما يلزم المعترف والمعرِّف . في حلب في مكتبة الوجيه نقولا ايوب . وهذا الكتاب طبع في حلب سنة ١٧١١ . ٩ً وكتاب منهج الصلاح لبغية النجاح في مكتبة الروم في حلب (النعمة ٢ : ٤٠٨) . ١٠ً وطبع في بلاد الفلاخ التنداق والسراعيَّة عربيًّا ويونانيًّا . ١١ً ولهُ تعريب التريودي نقحهُ المطران فرحات منهُ نسخة عند الخورفسقفوس جرجس شلحت في حلب .

١٢ ومن كتبه الهرطوقيَّة تعريبهُ رسالة ضدّ الايمان الروماني في السبع القضايا. وقد ردّ عليهِ الشمّاس عبدالله زاخر. ١٣ وكذلك عرَّب كتاباً آخر ضدّ الايمان يعرف بصخرة الشكّ سعى بطبعهِ في انكلترة ثمَّ طُبع في روسيَّة. (اطلب ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات ص٩٩ من نسختنا الخطّيَّة)

٧٤ اثناسيوس الاورشليمي هو اثناسيوس الرابع بطريرك الروم على القدس الشريف (١١٥٢–١١٦٨): لهُ ١ كتاب مواعظ عددها ٦٦ عظة للاعياد والآحاد. منهُ نسخة في مكتبة برلين (Ahlwardt, IX, n° 10194) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة مدرسة الصلاحيَّة في القدس (Or. Chr. IV. 1914, p. 105, n° 35) وفي مكتبة القبر المقدَّس فيه. وهذه المواعظ طُبعت في حلب سنة ١٧١١. ٢ وقد نقل الى العربيَّة كتاب الدرّ المنتخب ليوحنَّا فم الذهب. منهُ نسخ خطّيَّة عديدة في حلب وبيروت وقد طبع الكتاب في حلب سنة ١٧٠٧. وهو الكتاب الذي نقَّحهُ سنة ١٨٧١ الشيخ ناصيف اليازجي وطبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ٣ ولهُ في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة اربع عظات في عيد التجلّي وفي دخول العذراء للهيكل وفي نياح العذراء وفي صعود الربّ

٧٥ اثناسيوس التوتنجي هو اثناسيوس الحلبي مطران طرابلس المتوفى في ٢٩ شباط ١٨٧٤ (اطلب المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٤٠٧). لهُ في مكتبة حضرة الآباء البيض في الصلاحيَّة في القدس الشريف مجموع مواعظ (Or. Chr. l. c., p. 112, n° 43)

٧٦ اثناسيوس مظلع مطران حمص ثمَّ مطران بيروت ولبنان الاورثذكسي سنة ١٨٠٤–١٨١٤ هو معرّب كتاب البرق الانجيلي للشمّاس مكاريوس مثنّى مدرسة بطمرس. في مكتبة الروم في دمشق. طُبع الكتاب في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت في مجلّدين ١٨٨٨–١٨٨٩. ٢ ولهُ في مكتبتنا الشرقيَّة مقالة مخطوطة في اليا النبي كتبها وهو مطران حمص سنة ١٧٩٠

٧٧ اثناسيوس مطروبوليت عكّا كان في اواسط القرن التاسع عشر عرَّب سنة ١٨٢٤ من اليونانيّ مقالات انبيوخوس المتوحّد في دير القديس سابا. منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدَّس للروم في القدس (ع ٨٣)

(لهُ تابع)

الاب شربل

حبيس عنّايا القديس

بقلم حضرة القس طانيوس شبلي الراهب الماروني

عنايا ودرها ومحبسها

على ابهى تلّ من تلال لبنان في جهتهِ الشمالية دير للرهبانية المارونية البلدية يُعرَف بمار مارون عنّايا موقعهُ شرقي حجُولا يبعد عن قرية اهمج زهاء نصف ساعة غربيًّا ويعلو فوق سطح البحر بنحو ١٢٠٠ متر . وعنّايا (١ هذه التي نُسب اليها الدير مزرعة من مزارع جبيل كان يسكنها قبل القرن التاسع عشر قومٌ من المتاولة اهل الشيعة فانتقل اسمها الى الدير لمّا ابتاع الرهبان بمالهم ارضهُ وشيّدوهُ فيها في السنة ١٨٣٩ حتّى انتهوا منهُ ومن بناء كنيستهِ في السنة ١٨٤١ إثر المصائب التي دهمتهم في السنة ١٨٤٠ بجلول العساكر المصرية في لبنان

وفوق هذا الدير على علو نحو مئة متر ربوةٌ يمتدُّ منها البصر الى افق فسيح الارجاء فيرى الناظر قسماً كبيراً من لبنان وتقرُّ عينهُ بمشاهد فتّانة تأخذ بمجامع قلبهِ من صرود وجرود وجبال ووهاد ومزارع واحراج . فعلى هذه الرابية قامت صومعةٌ صغيرة مؤلّفة من خمس غرف ضيّقة يسكنها الحبساء والنسّاك من رهبانيّتنا وبجنبها كنيسة على اسم القديس بطرس وبولس مكتنفة باشجار السنديان الكثيفة

وهذه المحبسة وكنيستها سبقتا بناء الدير ومحلّتها تُعرف بمحلّة الرُّوَيس كانت من املاك المشايخ بيت ملحم الشيعيين وهم يدعونها « بالنبيّ رأس » امّا المسيحيّون فكانوا يطلقون عليها اسم مقام التجلّي لمّا اشتراها في العشر الثاني من القرن التاسع

١) عنّايا لفظة سريانيّة فسّرها البعض بمعنى المتني (حُلُمُل) . وعندنا انها مشتقّة من (حُلُمُل) او من جمعها (حُلُمّل) ومعناها العبّاد والرهبان لعلّهم اشاروا باسمها الى الذين نسكوا فيها في سابق الاجيال فعادت بناء دير مار مارون الى ارباجا

عشر من الشيخ حسن ملحم رجلان فاضلان من اهمج اسمهما يوسف ابو رميا وداوُد موسى عيسى خليفة . وكانت غايتهما ان ينقطعا هناك الى عيشة النُّسك فزهدا بالعالم ولبسا اسكيم الرهبان المعروفين بالعبّاد من يد البطريرك يوحنّا الحلو . ثمّ عُنيا ببناء الكنيسة سنة ١٨١٢ . ودرس داوُد اللاهوت فصار كاهناً ودُعي باسم بطرس وانضمّ اليهما عدّة شبّان من اهمج وعاشوا على طريقة الرهبان العبّاد . الى ان طلبوا الانضمام الى الرهبانيّة اللبنانية البلديّة في عهد الطيّب الذكر الاب اغناطيوس بليبل الذي تولّى رئاسة الرهبنة العامّة مدّة سبعة مجامع متواصلة من السنة ١٨١١ الى ١٨٣٢ . فسلّم الاب بطرس كلّ ما في يده من الاملاك الى الرئيس العام تسليماً باتّاً شرعيّاً

ومن ذاك الحين دخل محبسة مار بطرس عنّايا رجالٌ من ذوي البرّ والفضل العظيم كالاب البشاع الحرديني الذي قضى ٤٤ سنة في تلك المحبسة (١٨٣٠—١٨٧٥) وكالاوين ليباوس الراماتي ومكاريوس المشمشاني ولكلّهم اخبار تدلُّ على قداسة سامية نرويها ان شاء الله عند سنوح الفرصة ليتحقّق اهل الوطن الكرام انّ يمين الله لم تقصر في كنيستهِ وانهُ تعالى عجيب في قدّيسيهِ . ونحن نكتفي الآن بذكر نبذة قصيرة عن احد المجاهدين في تلك المحبسة بنسبة تذكار السنة الخامسة والعشرين لوفاتهِ نزيد بهِ ذاك الحبيس الطاهر الشهرة في انحاء لبنان : الاب شربل الراهب اللبناني الماروني الصالح الذكر المعروف بالاب القديس . مستندين في كلّ ما نرويه الى شهادات مخطوطة وشفاهيّة نقلناها عن سجلّات اديرتنا في قزحيّا وكفيفان او سمعناها من رهبان وكهنة وعالميين موثوق بهم لا شبهة في شهادتهم المؤيّدة بالقسم والمديلة بختومهم وامضائهم

في صدائق الاب شربل ودخوله الرهبنة

ولد الاب شربل في قرية بقاع كفرا من والدين تقيَّين ربّياهُ على خوف الله من صغرهِ وعوّداهُ منذ نعومة اظفارهِ الصوم والصلاة وحضور القدّاس كلّ صباح فشبّ الولد على هذه الخلال الطيّبة والمزايا الحميدة التي رآها محسّةً في والديهِ فحذا حذوهما . وما كادت الدنيا تكشف لهُ عن زخرفها واباطيلها وتجلّى لباصرتهِ مصير الانسان وعاقبة الحياة حتّى كره العالم وزهد في شهواتهِ . واذ رأى الرهبان وعرف

طريقتهم النسكيّة احبَّ ان ينتظم في سلكهم . فانسلَّ من بيت والديهِ سرًّا لئلّا يصدَّهُ احدٌ من اقاربه عن بلوغ غايتهِ وتوجَّه الى دير مار مارون عنّايا راجياً الدخول في عداد الطالبين . وما لبث اهلهُ ان علموا بفرارهِ الى الدير فأتى عمّه ليثنيهُ عن عزمهِ واجتهد ليردَّهُ الى بيت والديهِ فوجدهُ مصمّماً على نيَّتهِ لا يقتنع بكلام بشر بازاء دعوة الله فرجع عنهُ خائب الامل

امّا رئيس الدير فلمّا رأى ثبات الشابّ توسَّم فيه الخير واستدلَّ من ملامحهِ على نجابتهِ ورصانتهِ فقبلهُ في جملة المبتدئين وكان ذلك في السنة ١٨٥١ ولهُ من العمر ١٨ سنة . فانقطع منذ اوَّل نسكهِ الى خدمة ربّهِ بكلّ نشاط وتُقى واكتسب بسلوكهِ الحسن وفضيلتهِ الراسخة قلوب اخوانهِ ورؤسائهِ واشتهر في زمن ابتدائهِ بطاعتهِ وسذاجتهِ وخلوص عبادتهِ

ولمّا اكمل سنتي التجربة البسهُ رئيسهُ الاب انطونيوس الباني الاسكيم الرهباني في غرّة ت ١ سنة ١٨٥٣ . وبعد ابرازهِ النذور الرهبانيّة اقام مدّة في الدير ثمَّ ارسلهُ الرؤساء الى مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان ليتلقّى فيها العلوم استعدادًا للكهنوت . فاجتمع هناك برهبان ذوي فضل وفضيلة نخصُّ منهم بالذكر رجل الله الاب نعمة الله الحرديني المعروف براهب كفيفان (١ الشهير بقداسة سيرتهِ فتعطّر الاخ شربل بشذى فضيلته وحضر وفاتهُ الصالحة في ١٤ ك ١ ١٨٥٨

ثم اخذ يثابر على الدرس مكبًّا عليهِ بغيرةٍ لاتعرف الملل دون ان يتهامل البتّة عن ممارسة الفضائل الرهبانيّة بل كان يتقدّم كال نفسهِ على كلّ شيء . وكان يدير شؤون مدرسة كفيفان رجل بالغ الصلاح المرحوم الاب نعمة الله الكفري الشهير بفضلهِ وعلمه فدرس عليهِ اللاهوت الادبيّ والنظري مع اصول اللغة السريانيّة . وبعد ستّ سنوات رقّاهُ المطران يوسف المريض مع عدّة من اخوانهِ التلاميذ الى الرتبة الكهنوتيّة بامر السيد البطريرك برلس مسعد وذلك في دير سيّدة بكركي في شهر نيسان من السنة ١٨٥٩

١) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٦٠٥) تحت عنوان «زهرة لبنان في راهب كفيفان»

قدوة الرهبان

استدعى الرؤساء الاب شربل بعد سيامته كاهناً الى دير عنّايا الذي كان ترهّب فيه فاقام هناك عدّة سنين بين اخوته الرهبان يصعد كلّ يوم سلّم الفضائل درجة فدرجة حتّى بلغ اسمى الكمال

وكان معظم همّه الابتعاد عن ضوضاء العالم وسدّ اذنيه عن جلبتها وحبس نفسه بين جدران الدير فاخذ يواظب على التقشفات والاماتات كبحاً لجماح الجسد وقهراً لبوادره واهوائه المنحرفة فما عتّم بلزومه الوحدة والاختلاء ان ذاق لذّة الحياة الروحيّة وشعر بسلام وفرح باطنيّ لا يأنس بهما الّا من تفرّغ لعبادة الله ومناجاته . ومن ثمّ كان يؤثر الموت على الخروج من الدير والمكث في خارجه ولو مدّة قليلة لئلّا تبرد حرارة تقواه المتأجّجة في قلبه . فيقضي معظم اوقاته في الكنيسة جاثياً امام القربان الاقدس غارقاً في بحر التأملات العقليّة لا يأخذه في صلاته ملل او سأم

وكان اذا امره رئيسه بالذهاب الى قرية لخدمة روحيّة او للصلاة على رأس مريض لبّى من وقته اوامر الطاعة ثمّ يعود في اليوم ذاته لئلّا يفقد ذرّة من نعمة العيشة الرهبانيّة . امّا اذا أمر بمساعدة الرهبان في شغل الحقل فكان يطيع فرحاً مسروراً ولم يُرَ قطّ بطّالاً ولو زمناً قليلاً

ولمّا كانت عادة رهبان ديره ان ينهضوا نصف الليل ليتلوا الفرض القانوني في الخورس ثمّ يعودوا بعده الى النوم ريثما يقرع جرس صلاة الصباح كان الاب شربل يقضي باقي ليله ساهداً يحييه كلّه بالتردّد مع الله منخطف الروح في مناجاته تعالى ولا يخرج من الكنيسة الّا بعد ان يتلو مع اخوته صلاة الصبح وفي آخر الجميع

وكان يحضر قداديس كل اخوته الكهنة ويستعدّ استعداداً طويلاً لتقدمة الذبيحة الالهيّة في اثرهم جميعاً فاذا باشره تلاه بكل خشوع وورع تلوح على كلّ شخصه سمات الرزانة والتواضع وربّما قضى في تلاوته ساعة او اكثر لاستغراقه في اثنائه بالتأمل ولحرصه على اتقان كل الفرائض الطقسيّة والرتب الكهنوتيّة

وكان الاب شربل مغرماً بتلاوة الكتب الروحيّة لاسيما كتاب الاقتداء بالمسيح فيقرأه بكلّ لذّة واصغاء ليغذي بقوته الروحي نفسه . ولشغفه بالله تعالى وتأمله

الدائم في السماويّات كان يذهل احياناً كثيرة عن كلّ امور الارض حتى لا يكاد يشعر بما يجري حولهُ واذا خاطبهُ احد وجدهُ لاهياً عن استماعهِ وفكرهُ في الامور العلويّة. وكان في غير وقت صلاتهِ قليل الكلام لا يجاوب الّا اذا سُئل تلوح على جبينهِ سمات البشر والوداعة والسكينة ممثّلاً في شخصهِ ما قيل عن سيّدهِ « لا يصيح ولا يماحك ولا يُسمع لهُ صوت » (اشعيا ٤٢: ١—٢) وقصارى الكلام كانت حياتهُ في الدير اشبه بحياة الارواح السماويّة

وبديهيّ ان الحياة الرهبانيّة متوقفة خصوصاً على حفظ النذور الثلثة اي الفقر والعفّة والطاعة. وفي هذه الفضائل الثلث قد بلغ الاب شربل مبلغ الكمال الرهباني

فانّ فقرهُ الاختياري لم يقتصر على نبذ مال العالم ومقتنياتهِ بل اراد ان يعيش كاذلّ الفقراء وأدقعهم سواء كان من جهة الملبس ام المأكل والمشرب او السكن. فمن جهة اللباس لم يختر لنفسهِ الّا ادناهُ فيفرح باعتق الثياب مع اعتنائهِ بنظافتها ويكتفي بالكسوة الخشنة صيفاً وشتاء لا يزيد عليها قطعةً واحدة في ايّام البرد القارس في قمم لبنان حيث ينتصب دير عنّايا. امّا اكلهُ فكان يرضى منهُ بما لا يرضى بهِ الفقراء عينهم فيقتات بكسر الخبز اليابسة او المحترقة والثمار الرديئة. ولم يذق اللحم في حياتهِ واذا قضى صُلب يومهِ مشتغلاً في الكرم كان لا يمدّ يدهُ الى حبّة من العنب ما لم يطعمهُ احد فيتناولهُ كصدقةٍ الى فقير

وكيف نصف عفّتهُ وطهارة قلبهُ فانّ نفسهُ كانت خدرًا لجلالهِ تعالى ومهبطاً لآلائهِ السنيّة. ولا غرو فانهُ كان سدّاً في وجه عدوّ الجنس البشري كلّ منفذ الى نفسهِ لئلّا يشوب ادنى فساد بياضها الناصع. فحفظاً لبهاء هذه الدرّة الكريمة كان يزيد في صومهِ ونسكهِ وتقشّفاتهِ حتّى امسى شاحب الوجه ناحل الجسم اشبه بملاك مُتقمّص بجسد انساني. وكان حريصاً على حفظ حواسّهِ لاسيما بصرهُ فانّهُ قضى حياته دون ان يرفع عينيهِ الى وجه انسان وخصوصاً الى وجه النساء فكان الاسكيم يغطّي ابدًا رأسهُ وجبهتهُ فلا ينظر الّا الى طريقهِ اذا خرج من قلّايتهِ الى الكنيسة او الحقل. وقلبهُ متّجه دون انقطاع الى التأمّل في كمالاتهِ تعالى. فاذا نظرهُ احد انجذب برؤيتهِ الى الافكار الصالحة والى محبة الله

امّا طاعتهُ فكانت طاعة الطفل لوالديه والتلميذ لمعلّمهِ. وقد امتاز بها بين كلّ

الرهبان اخوتهِ يرى في رؤسائهِ شخصهُ تعالى فيتمم اوامرهم كلّها كأنها أوحيت اليهِ من الله . ولم يقصر طاعتهُ على امر الرئيس فقط بل كان ينقاد إلى آخر راهب في الدير ولا يستنكف او يتبرّم اذا أُمر بمزاولة الاشغال الشاقّة في الحقل او بالقيام بخدم الدير الدنيئة كوظيفة الطبّاخ وما اشبه . لا بل كان يُسَرّ سروراً عظيماً بمثل هذه الاعمال التي تسهّل لهُ اقتباس التواضع ويربح بها اجر الراهب الصالح . وقد اضحى لسائر اخوتهِ الرهبان نموذجاً حيًّا في ممارسة الطاعة

سيرة الاب شربل في الحبسة وكراماته

للحبساء في رهبانيّتنا اللبنانيّة قوانين ينبغي مراعاتها لمن يشاء ان يعيش في الخلوة . فالاب شربل بعد ان قضى في الدير نحو خمس عشرة سنة بممارسة كلّ الفضائل الرهبانيّة الهمهُ الله ان يطلب من رؤسائهِ الرخصة في سكنى محبسة دير عنّايا الموصوفة سابقاً فاجابوا الى ملتمسهِ لعلمهم بسموّ فضلهِ . فما كاد يفوز بمرغوبهِ حتى اطلق العنان لكل رغائب قلبهِ الصالح . فضاعف اعمالهُ الزهديّة وزاد استحراراً بالصلاة ونشاطاً في خدمة خالقهِ على مثال الاب اليشاع الحرديني الذي سبقهُ الى الانفراد .

فكان لا يأكل بالنهار الّا اكلةً واحدة خفيفة يغتذي ببعض البقول المسلوقة او التينة واحياناً يبلّها بالزيت . وكان ينام قليلاً ويضطجع على فراش من ورق العنص والسنديان ولحاء الشجر يبسط عليهِ بَلاساً من جلد المعز وقطعةً عتيقة من اللبّاد ويسند رأسهُ الى جذوةٍ من الحطب ملفوفة بخرقة عباءة سوداء . وكان يدرس عيشة كبار الحبساء الزهّاد ليقتدي بهم . فيقضي الليل والنهار بالتأمل والصلاة يردّد في ذهنهِ الحقائق الدينيّة ويطبع في قلبهِ ذكر عواقب الانسان . وكان يُرى ساجداً امام القربان ساعات متواصلة لا يُبدي حراكاً . ومن تقشفاتهِ انهُ كان يركع في الكنيسة على قضبان جاسية محبوكة على شبه دائرة يسترها بقطعة عباءة سوداء

واراد في محبستهِ ان لا يفقد شيئاً من اجر الطاعة . فكان في كلّ مدّة اقامتهِ فيها مقيّداً باشارة رفيقهِ او خادمهِ يطيعهما اطاعة العصا للاعمى فلا يباشر عملاً الّا عن اذنهما فما لبث ان انتشر عرف هذه البنفسجة الخفية وذاع خبر رجل الله في انحاء لبنان الشمالي فاخذ الناس يقصدونهُ لينالوا بركتهُ ويطلبوا شفاعتهُ ويلتمسوا منهُ شفاء

امراضهم وكان الاب شربل يأبى أن يكلّمهم حتى تقدّم اليهِ رئيسهُ باستقبالهم فكان يفعل مرغوماً ويقلّل مواجهتهم طاقة جهدهِ مطرقاً الى الارض. امّا النساء فلم يشأ البتّة ان يقتربنَ من محبستهِ حتى اقربهنّ اليهِ

وقد ظهرت على يدهِ كرامات عديدة يتّفق الجميع على انها ثمرة قداستهِ وعظم حظوتهِ عند الله . نكتفي بذكر شيء منها ممّا شهد عليهِ الكثيرون

فمن ذلك انّ الجراد زحف في احدى السنين على لبنان فغطّى بطونهُ وحزونهُ وألحق ضررًا كبيرًا بالمزروعات فصلّى الاب شربل على الماء بأمر رئيسهِ فلمّا رُشّ على الزرع في مزارع دير عنّايا وجوارها لم يَعُد يقربها الجراد وسلمت من اذاها

ومنها انّ عارضاً من الجنون اصاب المدعو جبرائيل سابا من اهمج أدّى بهِ الى اسوإ الاعمال حتى نغّص عيشة والديه فشفاهُ الاب شربل تماماً بالصلاة على رأسهِ

وانقضّت الصاعقة يوماً على شابٍ آخر من اهمج اسمهُ سابا طنوس موسى فتقوّس ظهرهُ واشتدّ المهُ حتى بقي عدّة سنوات لا يستطيع ان يمشي ويقاسي منها الاوجاع دون ان ينجع فيهِ دواء فنقلوهُ الى زيارة الاب شربل وكانت جثّتهُ بعد وفاتهِ معروضة في الكنيسة فمسح الشابّ يدهُ عليها ثمّ امرّها على موضع الوجع فشفي تماماً كما قرّر ذلك بشهادته

ومن غريب ما حدث للاب شربل انهُ في مساء يوم وضع سراجهُ في المطبخ ليعمّرهُ وكيل الكلار بالزيت فاخذهُ بعض الخدم وصبّ فيهِ ماء واعطاهُ للاب شربل زاعماً انهُ مملوء زيتاً . فاشعلهُ الاب شربل واستضاء بهِ في ليلهِ كأنهُ زيت. فاحسّ بهِ رئيسهُ وكان امر في غيبة الاب شربل بان تُطفأ السرج ليلاً فلم يعلم بامرهِ فدخل عليهِ الرئيس ونبّهُ على ايقادهِ السراج فركع الاب شربل حالاً لرئيسهِ مستغفرًا دون ان يعتذر عن جهلهِ بامرهِ . ثمّ اطفأ السراج ورقد. لكن شمّاساً اعلم الرئيس بما فعل الخادم وكان رآهُ يصبّ الماء في السراج. فتعجب الرئيس من قولهِ واراد ان يمتحن السراج فوجدهُ مملوءًا بالماء فاضطرب وطلب المسامحة من مرؤوسهِ لتوبيخهِ اياه

وفاة الاب شربل ومعجزاته بعد وفاته

بقي الاب شربل مثابرًا على كلّ اعمال النسك بثبات عجيب يزيد كلّ يوم كمالاً

قدّام الله والناس . وهو مع كلّ شظف عيشهِ وتقشّفاتهِ متمتعاً بتمام الصحّة الى اواسط كانون الاوّل سنة ١٨٩٨ . فلمّا كان يوم الجمعة ١٦ من الشهر شرع الاب بتلاوة الذبيحة على مألوف عادتهِ وانتهى الى كلام التقديس فشعر اذ ذاك برجفة ووجع قلب فتقدّم اليهِ الاب مكاريوس رفيقهُ ونزع عنهُ البدلة وسار بهِ الى قلّايته وبعد ان استراح قليلاً عاد ليتمّم الذبيحة وبلغ الى رفعة الكأس والقربان حيث يتلو الكاهن الصلاة التي اوّلها ܐܒܐ ܕܩܘܫܬܐ (ايها الآب الحقّ) فرفع الكأس وعاودهُ العارض نفسهُ فاستمرّ دون حراك مدّة بضع دقائق والكأس في الملاء الى ان تمكّن رفيقهُ من فتح اصابعهِ واستلام القربان من يدهِ فوضعهُ على الهيكل وحمل الاب شربل الى غرفتهِ . فكان هذا آخر قدّاس تلاهُ ولم يتمّهُ

وكان الداء الذي حلّ بهِ هو الفالج فاسى اوجاعهُ المرّة مدّة ثمانية ايّام لم يعلُ لسانهُ في خلالها عن شكر الله والتسليم لارادتهِ تعالى . وكان لا يزال يستمين باسم يسوع ومريم ويوسف وبالقديسين بطرس وبولس . واذ اشتدّت عليهِ وطأة المرض غاب عن الهدى وهو يردّد الصلاة السريانيّة التي كان بلغ اليها في قدّاسهِ الاخير «ايها الآب الحقّ» وكان رفيقهُ الاب مكاريوس وحضرة الخوري مخائيل ابي رميا اهمج يتناوبان في خدمتهِ ويقرأان لهُ الكتب الروحيّة ومنحاهُ الاسرار الاخيرة فقبلها بكل ورع وخشوع . واذ قدّما لهُ حساء ليسند بهِ ضعفهُ لم يشأ ان يذوقهُ اذ عرف انّ فيهِ سمناً لأنّ تلك الايام كانت قطاعة الميلاد . وكانت الكلمة الاخيرة التي تفوّه بها في نزاعهِ صلاة الذبيحة السابق ذكرها . ثمّ اسلم روحهُ بكلّ هدوء مساء اليوم ٢٤ من كانون الاوّل وهو يعيّدون عيد الميلاد كأنّ الله اراد ان ينقلهُ الى جنان الخلود فيولد للسماء يوم ولادة ابن الله على الارض

كانت حفلة جناز الاب شربل بسيطة لكنّها مؤثّرة جدّاً قام بها اخوتهُ الرهبان وبعض الاهلين المجاورين لعنّايا وكلّهم يردّدون كلمة الاسفار المقدّسة : « فلتمت نفسي ميتة الابرار » . ودُفن في مقبرة الدير . وقد شاهد كثيرون من العوام ليلة دفنهِ نوراً يتلألأ فوق ضريحهِ كان كشعاع وهّاج يعلو حيناً ويهبط حيناً آخر . واخذ الزوّار منذ ذاك الوقت يتواردون الى قبرهِ . وهم يروون لهُ عدّة كرامات تتجدّد الى يومنا هذا

وبعد بضعة اعوام طلب رئيس دير عنّايا المرحوم القس انطونيوس المشمشاني من غبطة السيد البطريرك الحالي الاذن بفتح قبره ليكشف عن رفاته فاذن غبطته فوجدوا جسمهُ سالماً من الفساد رغماً عن المياه النازلة في القبرة الّا ان قشرةً سميكة من العفونة كانت تغطّي وجههُ ويديهِ وصدرهُ . فلمّا كُشطت بان جسمهُ محمّرًا وجرى من خاصرته دمٌ طري ممزوج بماء فنزعوا عنهُ ثيابهُ وبدلوها بغيرها ووضعوهُ في تابوت في غرفة خاصّة حيث تقام الذبيحة الالهيّة كلّ يوم ويأتي الزوّار ليتبرّكوا بنظرهِ وتنبعث من جسمهِ الى اليوم رائحة طيّبة وينضح منهُ مادّة كالعرَق مع انهُ قد مرَّ على وفاتهِ ٢٤ سنة . ويضطرّون الى ابدال ثيابهِ وغسلها من مدّة الى أخرى . وقدشاهد عدّة اطبّاء من اهل بيروت ومن لبنان جثّتهُ وفحصوا ذاك العرَق الذي يفرزهُ جسدهُ الطاهر كالاجسام الحيّة فلم يمكنهم تعليلهُ الّا باقرارهم انَّ ذلك معجزةٌ من الله لاكرام عبدهِ . وهذه شهادة للدكتور الياس العنيسي كتبها حديثاً نوردها بحرفها الواحد

« شاهدت في دير مار مارون عنّايا جثّة وليّ الله الاب شربل . فعند اقترابي من الصندوق الموضوعة به شممتُ رائحة جسيمة لا يمكن التعبير عنها فهي نظير كلّ رائحة تنبعث من الاجسام الحيّة . وبعد نظري الى الجثّة والتأمل ملياً وامعان النظر بها وجدتُ مادّة خارجة من مسام الجلد الامر المستغرب والغير الممكن تعليلهُ طبيعياً في جسم بلا حراك منذ سنين عديدة . وراجعتُ الكشف على هذه الجثّة مرارًا عديدة باوقات مختلفة ولم تزل هي هي . تحريرًا في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢١

كاتبهُ الدكتور الياس العنيسي

هذا ما كتبناه بكل اختصار وفي نيّتنا ان نرويهِ مفصّلًا ان شاء الله . ليتمجّد الربّ في قدّيسيه ويتحقّق اللبنانيّون ان جبلهم لايزال موتعاً بثمار القداسة وانهم ابناء القديسين فيجرون على آثار اجدادهم الابرار

نظر اجمالي في ترقّي العلوم سنة ١٩٢١

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد اودع الله في عالمنا هذا الصغير اسرارًا من العلم تتهافت العقول على اكتشافها

فتذخر لها بالوقوف عليها مجداً اثيلاً . وانما المجد قبل كلّ لذاك الذي حصر في ارضنا كل هذه العجائب التي لم يستنفدها العلماء منذ اوّل العالم الى يومنا بل لن يستنفدوها الى آخر الدهر

فهلمّ نذكر شيئاً ممّا توفق ارباب البحث على اكتشافهِ في العام المنصرم مباشرةً بالعلوم الفلكيّة

١ العلوم الفلكية

بقي الفلك الوفاً من السنين ككتاب مطويّ لا يستطيع الانسان فتحهُ فيبدُ ما يراهُ من القبّة الزرقاء جلداً من الزجاج مرصّعاً بمسامير من الذهب هي الكواكب . الى أن اتت الآلات الفلكيّة كالنظّارات والمجاهر فساوقتنا على حقيقة الامور . الّا انّ اكتشافات عصرنا قد فاقت على كلّ ما سبق اكتشافهُ في القرون السابقة

ولكن كم بقي هناك من الامور الغامضة والمشاكل العويصة التي يحيط العلماء كلّ يوم عن بعضها الستار . فهذه سيّارة ارضنا القمر فمع قربه من فلكنا تحير في احواله العقول . فمن ذلك انّ احد علماء اميركة الدكتور بكرنغ (Pickering) من اساتذة جامعة هرفرد زعم في العام الماضي انهُ وجد في القمر آثار الحياة قال انهُ تحقّق وجود مزارع واسعة بواسطة آلاتهِ الرصديّة . الّا انّ العلماء الفرنسويين اثبتوا لهُ انّ ما حسبهُ زرعاً انّما هي بُقَع مخضرّة تُرى بعد طلوع الشمس بزمن قليل حيث تضرب اشعّتها على رؤوس من القمر متبلورة فتُرى للعين خضراء . امّا النبات فلا اثر لهُ في القمر فانّ هذه السيّارة قد جمدت منذ الوفٍ من السنين لا حياة فيها البتّة ولا جوّ لها كارضنا

وممّا ساعد على تحقيق ذلك اطلس القمر الواسع الذي رسمهُ الفلكيّان لوفي وبوزو (Lœvy et Puiseux) من مرصد باريس . وكذلك انتهى مؤخّراً من رسم خارطة جميلة للقمر ولكل انحائهِ وجغرافيّتهِ الطبيعيّة المسيو دي مورفان (M, de Morvan) احد اعضاء المرصد المذكور

وفي هذه الخارطة دلالة على شقوق كبيرة شبه القموع زعمت احدى المجلّات الوطنيّة انّها حدثت بسقوط نيازك على القمر . والصحيح انّها آثار في القمر يوم كانت نيرانهُ متأججة وقشرتهُ الخارجة خفيفة فحدثت فيه نتوآت وانخفاضات شتّى تُرى آثارها في المراصد الكبرى . .

وقد حدث في العام الماضي كسوفان للشمس كان احدهما إكليلياً في ٨ نيسان والثاني كاملاً في ١ تشرين الاوّل. وخسوفان للقمر في ٢٢ نيسان و ١٦ تشرين الاوّل. لم نرَ من كلّ ذلك في بيروت سوى خسوف تشرين الذي انقذ فيهِ بعضُ المتنوّرين من اهل بيروت القمر من مخاليب التنين فاستحقّوا شكرهُ (اطلب المشرق ١٩٢١ ص٨٨٧). وفي السنة الحاضرة يُنتظر كسوفان للشمس يكون الواحد جزئياً في ٢٨ آذار والآخر كاملاً لا يُرى في سوريّة يقع في ١١ ايلول. امّا القمر فلا يُخسف ولا يتهدّده وحش ينبغي ردّ غارتهِ بالطرطقة

امّا النجوم فانّ العام الماضي كشف لنا شيئاً من اسرارها فمن ذلك ما اثبتهُ حضرة الاب رفائيل نخله عن قياس ابعاد النجوم عن ارضنا (اطلب المشرق ١٩٢١ ص٤٤—٤٩) ما تتحير لهُ الالباب وبهِ تعظم في عيننا قدرة الخالق الى حدّ اللانهاية

ومنهُ ما تحقّقوهُ عن التغيير الطارئ على بعض النجوم التي تظهر احياناً ساطعةً نيّرة تكاد تجاري في نورها الكواكب الزهراء ثم لا تلبث ان يضعف نورها حتى تتوارى فلا يقف عليها الناظر الّا باكبر الآلات الراصدة. امّا تعليل هذا التغيير فالبعض نسبوهُ الى دوران هذه الكواكب حول نجوم أخرى فتارةً تقرب منّا وتارةً تبتعد فيزيد او يخفّ نورها بذلك. ويزعم غيرهم انّ في تركيب هذه النجوم والتقلّبات الطارئة عليها ما يزيد نورها سطوعاً احياناً ويضعفهُ احياناً

وقد انتهى منذ امدٍ قريب اصطناع الفرنسويين لاكبر مرآة رصديّة تُعرف الى اليوم قطرها متران ونصف اصطنعوها لمرصد مُنت وِلسون في الولايات المتّحدة. تمكّن الفلكيّون الاميركيّون بواسطتها ان يقيسوا قطر اكبر النجوم وهو النجم المعروف بالغول في كوكبة بيت الجوزاء فوجدوا انّ قطرهُ ٣٠٠ مرّة ازيد من قطر الشمس فيساوي ٤١٥ مليوناً من الكيلومترات

وقد اخترع حديثاً الفلكيّ الاميركي ميشلسن آلةً تمكّن من افراز النجوم المزدوجة عن بعضها سواء ظهرت لبعدها كنجم واحد ام احتجب نجمٌ وراء نجم آخر

٢ الآثار الجويّة

اهتمّ حضرة الاب برلوتي باصلاح مرصد الآثار الجويّة في كساره بعد ما اخربهُ

منهُ الاتراك . لا بل اصبح هذا المرصد بهيئتهِ معهداً علمياً راقياً يدوّن معلوماتهِ ثلثة من آباء رهبانيتنا . وهو ينشر كلّ يوم نشيرةً يتشارك بنشرها رجال الاسطول الفرنسوي في سوريّة وهي تدلّ على ضغط الهواء وجهتهِ وسرعتهِ وعلى حالة السماء من غيم او صفاء وعلى اعلى درجة الحرارة واسفلها وعلى احوال البحر وذلك كلهُ في نقط معلومة اي في كسارة وفي بيروت وفي الاسكندرونة وصور . ومما يفيد عنهُ ايضاً وقوع الزلازل وبُعدها وجهتها . ولهُ كذلك محطّة للتلغراف اللاسلكي تربطهُ مع فرنسة والبلاد الاجنبيّة فانّها تلقّت منذ يوم الاثنين ٦ شباط خبر انتخاب الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر . فهذه الخدم المشكورة ادّت بالاكادميّة الفرنسويّة الى ان تنشّط هذا المعهد فخصّتهُ بهديّة ماليّة كما منحت الدولة الفرنسويّة اصحابهُ الوسامات الشرفيّة

وقد اشتدّت في العام الماضي الحرارة في انحاء اوربّة واميركة وتعدّدت الوفيات بضربات الشمس . وقد نسب العلماء ذلك الى الكلف الذي لحظوهُ في الشمس كما بان لهم سابقاً . وتُوفت في سواحلنا موارد المياه لقلّة ما سقط من الامطار في الشتاء وكأن الله اراد ان يعوّض لنا عنها بغزارة غيوث السنة الحاليّة

وقد مُنيت الصين بالقحط فذهب بالمجاعة الالوف المؤلّفة من سكّانها . فاتت هذه الآفة عبئاً ثقيلاً عليها مع الحرب الاهليّة في بعض ايالاتها . ثم اصيبت ولاية كتشونغ سي بكارثة الزلازل فقُتل ٢٥٠٠٠ من اهلها فكانت ثالثة الاثافي

وقد شعرنا في بيروت بهزّات ارضيّة في نيسان في صباح اليوم ١٢ منهُ وخصوصاً في اليوم العشرين حيث حدثت هزّة شديدة الساعة السادسة مساء سُمع لها دويّ قويّ

٣ الجيولوجيّة والجغرافيّة

دُشن في باريس معهد كبير اهداهُ اميز موناكو لفرنسة وخصّهُ بدرس الهياكل البشريّة المكتشفة في قلب الارض طبيعيّةً كانت او مستحجرةً ليُستدلّ بها بطريقة علميّة على تاريخ الانسان على الارض . وقد قلنا سابقاً انّ لا بأس على الايمان وعلى صحّة الكتاب الكريم مهما ثبت عن قدم بني البشر

ولاميز موناكو خدمٌ اخرى ادّاها لترقية العلوم نوّهنا بها قبلاً اخصّها المعهد

الاوقياني الـذي افرده لدرس اعماق البحار وما في غورهـا من المخلوقات العجيبة كالاصداف والنباتات والحيوانات فأوحى للعلم بعالم جديد لم يُعرَف منهُ الّا النزر القليل (اطلب المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٨٤ و ٢٠٤)

وربَّما كشفت الحفريَّات الارضيَّة عن حيوانات طُمست آثارها منذ قرون عديدة فمن ذلـك وَرَل غريب الشكل يشبه التمساح بعظم جسمهِ ذكرهُ آخرًا الطبيعيُّون وزعموا انهُ كان يسكن الصحاري والمياه معاً كالتمساح

امَّا الجغرافية فان ما حدث في هذه السنين الاخيرة من التقلُّبـات لم يسمح الى الآن بضبط حدود بلاد كثيرة. فهذه بلاد الاناضول وقيليقية قد أُعيدت الى تركية. وهذه ولايات عديدة كانت تُحصى في الامس من روسيَّة وهي تتحوَّل كلَّ يوم الى احكام جديدة . وهذه جزائر بحر سفيد ارشك اليونان ان يعدُّوا عليها سيطرتهم . وهذه جزائر الأنديمنحتها جمعيَّة الامم لانكلترة

٤ الآثار القديمة

منذ تحرَّرت سوريَّة وفلسطين من ربقة الاتراك وجدت الجمعيَّات العلميَّة تسهيلات جديدة للحفريَّات الاثريَّة. وكان في مقدَّمة اهتمامات الجنرال غورو والكولونل نورمان بعد دخول الفرنسويين في سوريَّة وقيليقية انشاء ادارة لجمع الآثار القديمة في متحفي بيروت وآطنة. وقـد خصَّ الاثريّ الشهير المسيو بوتيه (M. Pottier) مقالة ممتعة بوصف متحف آطنة وما أُودع فيه من الآثار المهملة او المتفرقة كالنواويس والتماثيل والخزفيَّات والمعدنيَّات منها اشوريَّة ومنها حثية او يونانيَّة او ارمنيَّة (١

وهناك ايضاً عدَّة كتابات يونانيَّة ولاتينيَّة منثورة في الرخام وُجدت في طرسوس وقره طاش واطنة بعضها نصرانيَّة وبعضها وثنيَّة بينها آثار مدافن او انصاب يشكر فيها الاهلون لبعض كبار المأمورين او الاعيان وبينها ايضاً اعمـدة لتعريف حدود البلاد . وقـد شرح حضرة الاب رينه موترد هذه النصوص وبيَّن فوائدها

امَّا متحف بيروت فقد عُهدت نظارتهُ الى الاثريّ المسيو فيرولو (M. Virolleaud) وقد جمع حتَّى الآن بعد سلفيهِ المسيو شامونار (M. J. Chamonard) والمسيو بروتي

(١) اطلب مجلة « Syria » ج ٢ سنة ١٩٢١ ص ٥٩١ — ٦٠٢

(M. Brossé) الوفاً من القطع الاثريّة من عهد الحثيين والفينيقيين واليونان والرومان لتُعرض في المتحف اذا ما تعيَّن لهُ معهدٌ واسع . وقد دخلت مجموعات كليتنا الاثريّة وعددُها لا يقلّ عن بضعة الوف من القطع في جملة آثار المتحف وسوف تُعرض مع الدلالة على جامعيها

ونلفتُ نظر اهل بيروت خصوصاً الى مقالة مستجادة للمسيو دومنيل دوبويسون (Du Mesnil du Buisson) نشرها في مجلة (Syria) وصف فيها استحكامات بيروت القديمة في اطوارها المختلفة قبل عهد الصليبيين ثمّ في ايام تملُّكهم عليها ثمّ ابنية الامراء الدروز وخصوصاً ما يُنسب منها للامير فخر الدين قرقماز واخيراً الابنية الحديثة في دولة الاتراك وعلى الاخص بنايات احمد باشا الجزّار في اواخر القرن الثامن عشر . وقد شفع هذه الاوصاف بعدّة رسوم وتصاوير متقنة تساعد على ادراك تاريخ بيروت وتحصيناتها . فنشكر حضرة الكاتب على احيائهِ دفائن مدينتنا وكفى بمقالتهِ دليلاً على همّة الفرنسويين في درس آثارنا التي اخنى عليها الزمان وإبرازها الى عالم الكون بعد فنائها

ومما يستحقّ الذكر في هذا الباب ما اكتُشف في الحقبة الاخيرة في جبيل من الآثار المصريّة وقف على ثلث قطع منها حضرة الاب سبستيان رنزفال فاخذ رسمها الشمسيّ اخصُّها قطعتان من نصبين اقام الواحد منهما رعمسيس الثاني وكان على الآخر اسم تحوتمس الثالث مع قطعة ثالثة تمثل تقدمة احد المصريين للالهة نبت «سيّدة جبيل» . وقد قرأ المسيو بياره مونته (P. Montet) هذه الكتابات الهيروغليفيّة التي وُجدت بين قلعة جبيل والبحر واستدلّ بها على وجود هيكل اقامهُ الفراعنة في تلك البلدة . ولم يخب ظنّهُ فانهُ باشر هناك حفريّات اثبتت رأيهُ وافادت عن نفوذ مصر وماوكها ودينها في سواحل فينيقية . ولعلّهُ يعود الى مواصلة حفريّاتهِ في فصل الخريف

ومما اكتُشفهُ في قصوبة في انحاء جبيل فصوّرهُ حضرة الاب رنزفال وفسّرهُ مذبح للزُّهرة باكيةً وبقربها الاله اوزيريس على شبه الاجسام المصريّة المحنّطة وعلى صدرهِ صولجانهُ . وكانت اسرار ادونيس تُقام قريباً من جبيل على تلّ يشرف على البلدة

وفي هذه الايام الاخيرة ظهرت في جبيل بانهيار قسم من الارض قريباً من الميا

غربيّ القلعة مغارة فيها ناووس كبير مع عدّة اواني خزفيّة . وكانوا وجدوا قبل ذلك ناووسين آخرين

وقد سبق لنا ذكر المسيو أنلار (Enlart) وابحاثهِ الاثريّة في كنيسة طرطوسة التي بناها الصليبيّون . وقد سرّنا انّ فرنسة حصلت على هذا الاثر الجليل مع قصدها بان تعيدهُ الى خدمة الدين وتسلّمهُ الى ارباب الطائفة اللاتينيّة

واما فلسطين فانّ عدّة جمعيات تتبارى فيها لاستخراج دفائنها الاثريّة وممّا وقفوا عليهِ في طبريّة جامع لليهود قديم يُنسب الى الربّان «ميت» وبقربهِ مقبرة . ووجدوا في كفرناحوم عند بحيرة طبريّة دارًا مثمّنة الزوايا مفروشة بالفسيفساء بجوار كنيس اليهود وقد توقّفوا في عسقلان الى اكتشاف آثار قصر لهيرودوس الكبير وجدوا كثيرًا من بقاياه الضخمة بينها الاروقة الفخيمة والسواري والتماثيل والنقوش الهندسية وقد وجدت الجمعيّة الانكليزية في عسقلان آثارًا اقدم عهدًا ترتقي الى زمن الكنعانيين والفلسطينيين ومنها ما يُنسب الى اليونان والرومان وغيرها اقرب الينا عهدًا من العرب والصليبيين .

ولحضرة الآباء الدومنيكيين اصحاب المدرسة الكتابيّة في القدس اهتمام عظيم بالعاديّات . وهذا ما دفع الحكومة الفرنسوية الى ان تعتبر رهبانهم كجمعيّة رسميّة تمثّل العلوم الاثريّة الفرنسوية في القدس الشريف وفي فلسطين . والحقّ يقال انهم لم يألوا جهدًا في تحقيق آمال دولتهم

ومما انجزوا من كشفهِ والاطلاع على آثارهِ في العام الماضي جامعٌ لليهود ذو ثلثة لسواق كان اليهود اقاموهُ بعد المسيح قريبًا من اريحا في بلدة يدعونها نعرام وتُعرف اليوم بعين دوق . وقد وجدوا في صحنهِ فسيفساء جميلة عليها نقوش وكتابات عبرانيّة مع عدّة رموز وتصاوير من جملتها صورة منطقة البروج ومركبة عليها صورة الشمس وفي جوانبها رموز فصول السنة الاربعة ولاسيما صورة النبي دانيال في جب الاسود وكذلك وجد الآباء عدّة آثار مدفنيّة وخزفيّات في نابلس .

وقد اتمّ حضرة الابوين جوسّن وساڤنياك في العام الماضي طبع الجزء الثالث من رحلتهما الاثرية الى جزيرة العرب (Voyage Archéologique en Arabie) فوصفا احسن وصف ما وجداهُ من الآثار في ثلث رحل تجشّماها الى العرب في مدائن صالح

وفي العُلى والخُرَيبة وفي تيماء فاخذا رسوماً فوتغرافية لنحو ٨٠٠ من الكتابات النبطيّة والحميريّة واللحيانيّة والثموديّة والعبرانيّة واليونانيّة والعربيّة بينها النقوش والصور المختلفة مما يأتي بفوائد عديدة لتاريخ قدماء العرب . وكثيراً ما خاطر الاخوان بحياتهما بين القبائل الشديدة التعصُّب فنجوا بعد الجهد الجهيد . ومن جملة ما يستفاد من كتاباتهما اسماء بعض ملوك لحيان قبل المسيح كلودان ومسعود وغيرهما ووجدا ايضاً تمثالاً لملك لحياني طولهُ متران وربع . وورد كذلك في اعلام تلك الكتائب اسم «مثيل ملك ددان» . وددان علَمٌ ورد ذكرهُ في الكتاب الكريم

ومن جملة الاكتشافات الاثرية النصرانيّة المعتبرة كنيسة العذراء في افسس حيث اجتمع الآباء للمجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ فحرموا نسطوريوس واثبتوا ان مريم العذراء هي حقيقة امّ الله . وكانت هذه الكنيسة مطمورة تحت ابنية كنيستين احدث منها عهداً

ومثلها شأناً واعتباراً آثار مسيحية وُجدت حديثاً في اعماق الارض في رومية تحت كنيسة سان سبستيان حيث اجرى الاثريون حفريّات منظّمة رجاء ان يلقوا شيئاً من آثار الرسولين بطرس وبولس اثباتاً للتقليد الشائع ان هناك قُبر هذان الرسولان . وقد اتت الحفريّات ببعض النتائج اذ وقفوا على عدّة كتابات قديمة ورد فيها ادعية للرسولين المومأ اليهما واكتشفوا ايضاً هناك ثلثة نواويس عليها نقوش رائعة تفتن بجمالها البصر . ووجدوا في مكان آخر صور اثني عشر رجلاً في ايدي البعض منهم كتبٌ منشورة والمظنون انهم الاثنا عشر رسولاً

وقد صرف فرنسويّ آخر نظرهُ الى مآثر دمشق العربيّة نريد بهِ المسيو دي لوره (M. E. de Lorey) فحرَّر في المجلّة المذكورة مقالةً عن قبر سيّدتين اشتهرت الواحدة في اوائل الاسلام اعني بها سُكينة بنت الحسين بن عليّ بن ابي طالب وتوفيت الثانية في اوائل القرن الخامس للهجرة اسمها فاطمة ابنة احمد بن الحسين بن السبطي وللسيّدتين ناووسان الواحد من خشب الجوز والاخر من حجر عليهما نقوش عربيّة بديعة وصفها المسيو دي لوره مع المسيو غستون ڤيات (M. G. Wiet) وبيّنا خواصّها وميزاتها في التصوير العربيّ .

٥ الكيميا والطبيعيات

انَّ الاختبارات التي أُجريت في المختبرات الكيمويَّة الكبرى في العناصر المشعَّة وبيان ما يطرأ عليها من التحوُّلات من عنصر الى آخر ادَّت باساطين علم الكيميا ان يغيِّروا رأيهم السابق في بسائط الاجسام وهم الآن يرتأون ان تلك الاجسام عينها مركَّبة من كُرَيَّات دقيقة يدعونها إلكترون تتركَّب منها كل الاجسام حسب اختلاف وضعها وعددها . وقد تأيد رأيهم بتحليل عنصر الاوكسيجين وكان سابقاً يُعَدُّ من الامهات البسيطة فثبت اليوم انَّهُ يتركب من دقائق أُخرى اخصُّها الهيدروجين الذي يُعتبر الآن كالعنصر الاصلي الداخل في تركيب كل الاجسام . ومن ثمَّ لم يعُد العلماء يستحيلون اصطناع ذهب صناعي . بل قام الكيموي هرتنغ فنشر الاميركي وبشَّر في بعض النوادي انَّ الامر تمَّ فعلًا وهو يعرف رجلًا (لم يصرح باسمه) توفَّق الى ذلك . وقيل انَّ الكيموي الاميركي اديسون وقف على هذا السرّ الذي كان سابقاً صرَّح باكتشافه فوُجد الخبر باطلًا (اطلب الشرق ١ [١٨٩٨] : ٥)

ومن المسائل التي تشغل اليوم افكار الدول مسألة البترول وتزاحم الدول في الحصول على ينابيعه . وقد طلبت الولايات المتحدة من انكلترة حصَّتها من ينابيع البترول العراقيَّة لتموين سفنها ومعاملها . ومن المعلوم انَّ الولايات المتَّحدة اغنى من سواها في استخراج البترول اذ انَّها تستحضر منهُ ما يساوي ٦٠ في المئة بالنسبة الى بقيَّة انحاء المعمور وهذه الكميَّة لا تكفيها لصناعتها وبحريَّتها فهي تبتاع من الخارج نحو الربع مما تنفقهُ

بلغ ترقي التلغراف والتلفون اللاسلكيَّين غاية ما كان يؤمَّل منهما فاصبح اليوم التلغراف اللاسلكي يضمُّ كلَّ اقطار العالم الى عواصم اوربَّة . فان لانكلترة محطَّات توقفها في لمحة عين عن كلّ اخبار مستعمراتها الدانية والقاصية دون اختلاف . وكذلك فرنسة قد وفَّرت محطَّاتها التلغرافيَّة اللاسلكيَّة ففي افريقية وحدها قد انشأت ١٣ محطَّة لتخابر سائر مستعمراتها .

اما التلفون اللاسلكي فالفضل في تحسينه خصوصاً لطبيعيَّين من دنيمرك بولسن (Poulsen) ثمَّ ديفورست (Deforest) فاستخدم الاوَّل ميكروفونا

مجهزًا بمحرك ذي تموجات هرتسيَّة متواترة ومتناوبة معاً . واخترع الثاني مصباحاً مثلث المجاري الكهربائيَّة تمرُّ تموجات كهربائيَّته في مشبك معدني فتقوى بها بحيث يُسمع الصوت الى مسافات بعيدة . فانَّ المندوبين الفرنسويين الى مؤتمر واشنطن امكنهم ان يسمعوا مخاطبيهم في باريس على بعد ١٢٠٠ كيلومتر . ولمَّا أُقيمت حفلةٌ عظيمة في عاصمة فرنسة تذكاراً للعلَّامة امپار تشنَّفت آذان المجتمعين بصوت رخيم تغنَّت به احدى السيِّدات كأنها حاضرة في وسطهم فسُمع غناؤها على مسافة بعيدة من باريس

وقد استحقَّ امپار في ذلك اليوم هذا الامتياز وهو الذي باكتشافه لنواميس الكهربائيَّة المغناطيسيَّة فتح للعلماء طرقاً جديدة مكَّنتهم من الاختراعات التي قلبت وجه العصور . والسنة المنصرمة كانت المنة الاولى لهذا الاكتشاف العجيب

وممَّا افاده ترقِّي التلفون اللاسلكي انَّ راكبي الطيَّارات يستطيعون الآن وهم في فضاء الجوّ ان يتحادثوا مع البرّ ويخابروا بعضهم بعضاً على مسافات بعيدة

وكذلك فنّ الطيران قد زاد ترقِّياً في هذه المدَّة الاخيرة سواء كان من جهة السرعة ام من جهة الارتفاع في الجوّ . فانَّ الطيَّار الفرنسويّ ليكوانت نال جائزة السرعة بقطعه في ساعةٍ ٣٣٠ كيلومترًا اعني خمسة كيلومترات بنيِّف في الدقيقة . وقطع آخر في نيم بدورةٍ كبيرة ٢،٩٠٠ كيلومتر في ظرف ٣٧ ساعة . أمَّا جائزة الارتفاع فقد نالها الطيار كيرش اذ حلَّق في الجوّ فبلغ الى علوّ ١٠،٦٠٠ متر وكان راكباً طيَّارة ذات محرِّك قوَّته ٣٠٠ حصان . وقد بلغ عدد المسافرين في الطيَّارات لغاياتهم التجاريَّة في العام المنتهي نحو ٥٠،٠٠٠ فلا تلبث ان تزاحم السكك الحديديَّة

٦ الطب وعلم الصحة

بقي الطبُّ قروناً عديدةً صناعةً مبنية على الاختبار والتجربة الَّا انَّ هذا الفنّ يتحوَّل من يوم الى آخر الى علم يستند الى علل راهنة ومبادئ ثابتة لاسيما منذ اكتشاف لويس پاستور للميكروبات والجراثيم المعدية . وممن افاد الطبُّ من هذا القبيل العلَّامة الفرنسويّ فرنان ڤيدال (F. Widal) الذي خصَّ نظرهُ بالسموم ومفاعيلها في الجسم بتأثيرها في الخلايا . وقد تحقَّق ان اغذية كثيرة وادوية متعدِّدة تصبح في بعض الاحيان سموماً قاتلة ان لم تُراعَ قوانين الصحَّة اذا تكرَّر

استعمالها . فكانت هذه الابحاث كدليل لتشخيص عدّة امراض مجهولة تنبّه اليها فكر الاطباء.

قد اصبح الراديوم من اكبر اسباب العلاج لم يكد يخلو معهد طبي في عواصم اوربّة من قسم خاصّ به . وقد افادنا حضرة الدكتور فيليب بركات عمّا شاهده بالعيان في باريس وبرلين من عجائبه في معالجة السرطان في كلّ مظاهره وفي مداواة الامراض الجلديّة والغُدد المنتيّة وتزيف الدم والتهاب الاعصاب وانواع الفالج . وقد دوّن ملحوظاته في عدّة فصول ممتعة في جريدة البشير الغرّاء . ويحسن بنا ان نزيد هنا ان مزاولة هذا العنصر مخطرة جدًّا ما لم يتّخذ الاطبّاء الاحتياطات اللازمة لدفع تأثيره في اجسامهم

والراديوم لا يزال اعزّ من بيض الديوك تساوي منهُ بعض الغرامات مبالغ طائلة لا تقلّ عن خمسة آلاف جنيه . ولمّا ارادت السيّدات الاميركيّات ان يودّعن مادام كوري بعد رحلتها الى اميركة لم يجدن هديّة اثمن من اتحافها ببعض مركّبات الراديوم في عُلَب محكمة . وكذلك ابتاعت بلديّة باريس بمشورة مادام كوري بمليونين من الفرنكات غرامات قليلة من الراديوم . وقد ارادت جمعيّة باريس العلميّة ان تنظم مادام كوري في جملة علمائها الكبار وهي اوّل سيّدة نالت هذا الامتياز

وممّا يُشكر لفنّ الطيران في هذا الباب نقل الجرحى والمرضى بكل سرعة من ساحة القتال الى مستشفى مدينة قريبة كما جرى قبل ستّة اشهر لمّا نُقل الى حلب على اجنحة الطيّارات بعض الضبّاط والجنود المصابين لمقاتل اهل البادية في دير الزور فتمّ ذلك بما يُرام من السرعة والراحة للجرحى

وقد تبشّرنا الصُحف بعقد مؤتمر صحّي في فرسوفية عاصمة بولونية دُعيت اليه كلّ الدول في ١٢ ايّار المقبل

٦ . الزراعة

قد اثبت المسيو اوغست لوميار (M Lumière) في المجمع الفرنسوي العلمي انّ التربة الزراعيّة تصلح للاستغلال في كلّ فصول السنة حتى في فصل الشتاء اذا سقاها الزارع بمياه معقّمة تلاشي ما فيها من الجراثيم الضارّة

وبيّن الدكتور ميزونفوف (Dr Maisonneuve) انّ البطاطا مثمرة سواء زُرعت الواحدة منها تامّة ام قطعاً مع وجود عين لكل قطعة

وضع المسيو پلاسي (M. Plessy) اداةً خاصة لرش أوكار الخلد وثقوب المالوش والحشرات القارضة للنبات بالحامض السولفوري فتُقتل بهِ لا محالة

وقفنا على احصاء غلّات فرنسة من القمح والشعير في السنة ١٩٢٠ فاذا بهما قد زادا زيادة عظيمة كما ترى:

		القمح		الشعير
السنة	١٩١٩	٤١،٦٥٣،٣١٠ قنطار		٢،٧٠٧،٣١٠ ق
«	١٩٢٠	٦٢،٧٠٦،٢٧٠ «		١،٩٩٩،٨٤٠ «

فتكون زيادة القمح ٢٦ بالمئة والشعير ٦٥ بالمئة. وكذلك السكّر بلغ مجموع ما استُحضر منهُ في السنة ١٩٢٠ ٥،٠٠٠ ٣،٦ طنّ بزيادة ١،٧٧٧،٠٠٠ على العام السابق ولالمانية السبق في اصطناعهِ (١،٣٠٠،٠٠٠ طنّ) ثم النمسة والمجر (٦٠٠،٠٠٠ ط) ثم فرنسة (٣٠٠،٠٠٠ ط)

٧ التجارة والصناعة

لا تزال احوال العالم مضطربة لأزمتهِ الاقتصاديّة. وما هذه الّا ثمرة الحرب التي زعزعت اركان الدول فلا عجب أن بلغت مفاعيلها السيّئة بلادنا. ونحنا من هذا القبيل افضل من غيرنا. وما لا ينكرهُ احد ان الدولة الفرنسويّة تسعى طاقة جهدها في تخفيف وطأتها الثقيلة بنقل اسباب المعاش من اوربّة واميركة واوستراليا وبتحسين طرق المواصلات بين انحاء البلاد بالسكك الحديديّة وبالاسفار المنظّمة بالسيّارات الى دمشق وطرابلس وبنقل البريد بالطيّارات في جهات البلاد كاللاذقيّة والاسكندرونة ودمشق وحمص وحلب ودير الزور. وما كانت الغاية من انشاء معرض بيروت الّا ترويج التجارة السوريّة (اطلب مقالتنا عن هذا المعرض في المشرق ١٩٢٠ ص٥٢٧—٥٣٧)

ومما يحقّ على السوريين ان يشكروا عنهُ فرنسة انّها دعت السوريين الى الدروس

التجاريَّة العليا في الفرع المختصّ بها في باريس فيتدرَّبوا على كلّ قوانينها وآدابها النظريَّة والعمليَّة. كما انَّها وكلت الى ادارة الزراعة بافادة العموم عن كلّ الوسائط الآئلة لتحسين التربة واستثمار الغلّات ونصب الاشجار

قد زادت التجارة البحريَّة ترقياً في العام الماضي وقد رجعت المانية الى حركتها السابقة بتنظيم شركاتها. وقد سعت بعض الدول بتعويم ما أُغرق من سفنها في الحرب فانَّ ايطالية عوَّمت في ١٢ ك٢ مدرَّعتها العظيمة «ليوناردو دي ڤنسي» التي غاصت في اعماق البحر بانفجار اصابها في ٢٣ ت١ ١٩١٦ وكذلك انكلترة تمكَّنت من تعويم بارجتها «ڤنديكاتيڤ» وكانت سدَّت بها الطريق عن السفن الالمانيَّة في مرفأ اوستند

امّا فرنسة فانَّها انزلت الى البحر في مرفا «هاڤر» ابدع سفنها التجاريَّة «باريس» في اواسط حزيران وهي طرفة من الصناعة العصريَّة فاقت بها على كلّ سواها اجتمع لتعميرها اساطين العلم فجاءت كمدينة جارية على سطح البحار وهي خاصَّة الشركة ترنسَتلنتيك طولها ٢٣٤ متراً في عرض ٢٦ في مثله علواً تبلغ ١١ طبقة يقوم بخدمتها ٦٦٤ بحرياً وتكفي لنقل ٣٢٠٠ راكب وتقطع في الساعة ٢٢ عقدة وقد أُعدَّت للتجارة بين فرنسة والولايات المتَّحدة. لها ادوات محرِّكة تبلغ قوَّتها ٤٦٫٠٠٠ حصان وهي تجري بوقود المازوت. وقد جُهِّزت بكل الاختراعات الحديثة من تلغراف لاسلكي وتلفون لاسلكي وكل معاهد اللهو والراحة. وفي وسط المركب معبد للصلاة يقدَّم فيه الذبيحة الالهيَّة كاهن خصوصي كل يوم. فبارك الله هذا العمل واصحابهُ

ومن هنا ترى انَّ الدول اخذت تعدل في وقود سفنها عن الفحم الحجري الى البترول والمازوت. وقد جاء في الاحصاء التجاري الاخير انَّ عدد السفن التي تستوقد المازوت بدلاً من الفحم كانت سنة ١٩١٩ في عدد ١٢٠٠ فبلغت في السنة التالية ٤٫٢٠٠ فالمازوت يفضَّل على الفحم من حيث ثمنهِ الارخص وسهولة نقلهِ وقلَّة المكان الذي يشغلهُ في السفينة

كنَّا رأينا سابقاً في مرفأ بيروت سفناً روسيَّة وايطاليَّة عُرضت فيها محصولات بلادهما لترويج بضائعهما. وقد قرأنا مؤخَّراً ان الفرنسويين في بلاد كندا اتَّخذوا قطارات من سكة حديدها ليعرضوا فيها مصنوعات فرنسة. فنجح هذا المعرض ايَّ نجاح

ومن افادات الاحصاءات الرسميَّة في فرنسة ان الدولة باحتكارها التبغ بأصنافهِ حصلت على ربح ٨١٦،٠٠٠،٠٠٠ فرنك ... ما أربح الدخان !

٨ التهذيب والعلوم الادبية

أحيا البولونيُّون كليتهم الجامعة الوطنيَّة في حاضرتهم الشهيرة ڤيلنا . وهي من اقدم المدارس الاوربيَّة المنشأة في القرون الوسطى كان يتخرَّج فيها الوف من الطَّلبة على عهد ملوكها . وكان الملك لادسلاس جاجلّان حبس عليها الاوقاف الوافرة سنة ١٣٨٢ وانشأ ملكُها اسطفان باطوري جمعيَّة علميَّة اضافها اليها سنة ١٥٧٨ فاصبحت مهدًا لرجالها الكبار . الَّا انَّ قياصرة روسيَّة لم يزالوا يعادونها حتَّى الحقوها بالدقماء بغضاً بتشبُّث اصحابها بالدين الكاثوليكي

وقد احتفلت كليَّة مونپليه في فرنسة بتذكار المئة السابعة لانشائها فأقيمت لذلك اعياد شائقة تصدَّر فيها رئيس الجمهوريَّة المسيو ميلران والكردينال المتوفَّى حديثاً ده كابريار اسقف المدينة . وهذه المدرسة من اقدم المدارس الطبيَّة في اوربَّة . لم ينتظم تعليمها الَّا السنة ١٢٢٠ بهمَّة الكردينال كونراد مندوب البابا هونوريوس الثالث الذي وضعها تحت حماية الكرسي الرسوليّ . وقد خصَّها الباباوات بانعامات شتَّى وجعلوا لها قوانين خاصَّة ضمنت نجاحها في تلك المدَّة الطويلة . فالى الكنيسة يعود معظم الفضل في ترقيتها وفي تهذيب عدد لا يُحصَى من اطبائها وجرَّاحيها

وفي ٢٨ تموز وُضع في لوڤان بحضور الملك والملكة والكردينال مرسيه الحجر الاول لمكتبة لوڤان التي أحرقها الالمان . وقد دُعي الى هذه الحفلة مندوبو الدُّول المتحالفة الذين اطرأوا على شهامة البلجكيين في مدَّة الحرب الكونيَّة واسفوا على ما اصاب بلادهم من الدواهي لمروءتهم ووفائهم

وفي ١١ شباط من السنة الفائتة احتفل علماء فرنسة والاثريُّون المصريُّون بتذكار السنة المئة لمولد ماريت بك الذي اكتشف كثيراً من العاديَّات المصريَّة ونهج طرقاً جديدة لترقية العلوم الاثريَّة في بلاد الفراعنة

وفي اوائل آب اقام الاميركيُّون في واشنطن تمثالاً عظيماً للشاعر الايطالي الشهير دانتي بمناسبة تذكار المئة السادسة لوفاتهِ وقد ترأس الحفلة الرئيس هاردنغ ووجوه البلاد

مطبوعات شرقية جديدة

THE DIWÂN OF DHU'R- RUMMAH, edited by C. H. H Macartney
Cambridge at the University Press., 1919, XXXIV-676

ديوان ذي الرمّة

هذه احدى تحف كلّية كمبريج انتهت من طبعها في مطبعتها الشهيرة السنة التابعة للحرب فاخرجتها على صورة مناسبة لمقامها فلم تدّخر وسعاً في اتقان طبعها . ولا غرو فان ذا الرمّة احد شعراء طور الاسلام الاوّل عاش في زمن بني امية يسكن البادية ويتردّد الى حواضر البلاد كالبصرة والكوفة ودمشق وينشد قصائده فيها . وشعره مطبوع اقرب الى شعر الجاهلية حتّى انّهم قاسوه بشعراء الاسلام الثلثة الكبار جرير والاخطل والفرزدق . قال ابو عمرو بن العلاء : انّ الشعر ابتدأ بامرئ القيس وانتهى بذي الرمّة . ولذلك ترى اهل اللغة واصحاب المعاجم يستشهدون بأبياته ويسندون اليه شروحهم . وقد اهتمّ قدماء الرواة كالاصمعي وابن السكيت والشيباني بجمع ديوانه الذي منه عدّة نسخ في لندن في المتحف البريطاني ومكتبة لندن الشهيرة والمكتبة الخديويّة والمكاتب الخاصّة . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة بديعة بخطّ المرحوم رزق الله حسّون . على انّ هذا الديوان مع عظم شأنه لم يُنشر حتّى الآن بالطبع . فقام احد المستشرقين الانكليز من علماء كلّية كمبريج الاستاذ ماكرتني فراجع كلّ النسخ المخطوطة السابق ذكرها ومنها ما يرتقي الى القرن الخامس للهجرة فقابل بينها ونشر ما وجده فيها من القصائد الطوال والمقاطيع الصغيرة والشروح اللغويّة على ابياتها . ونقل كذلك ما وجده من شعر ذي الرمّة متفرّقاً في كتب الادب والمعاجم المطبوعة والمخطوطة ما يربي عدده على مئة تأليف فألحقه بطبعته ودوّن الروايات المختلفة في ذيل الكتاب بالدلالة على مظانّها . وختم ذلك بفهرسين حسنين لأعلام الرجال والقبائل والامكنة مع عدّة اصلاحات وزيادات . فترى ما لناشر هذا الديوان من الفضل العظيم ونعمة القماء . وهذا ممّا يشفع ببعض الاغلاط التي وقعت فيه فأصلح بعضها ولم

يُصلح البعض الآخر. فانَّ البيت الحادي والعشرين في الصفحة ٣٢٨ مختلّ الوزن . وهي «السانحات» لا «السانجات» (ص٦٦٤) . وهي «لم أَنسَهُ» لا «لم أَنسِهِ» (ص٦٧٠) . وكذلك فيها «تُظهِرُ» لا «تُطهِرُ» . وممَّا كنَّا نتمنَّى ان نجدهُ في مقدَّمة هذه الطبعة خلاصة اخبار ذي الرُّمَّة عن الاغاني وكتب غيرها فانَّ كثيراً من مشاكل الديوان تنجلي بذكرها . وعلى كلّ حال نوصي كلّ محبّي الآداب العربيَّة ان يزينوا مكاتبهم بهذه الطرفة الادبيَّة ل . ش

Cruveilhier (P.): Les Principaux résultats des nouvelles fouilles de Suze. In-12, pp. IX-154, *Paris, Geuthner*

اخصّ نتائج الحفريَّات الجديدة في شوشن

كان حضرة الكاهن كروفيليه احد متخرجي مدرسة القدس الكتابية اختصر في مجلَّة الاكليروس الفرنسوي (١٩٠٩ – ١٩٢١) تاريخ حفريَّات البعثة الفرنسوية في شوشن الى السنة ١٩١٢ . وكان المتولي نظارة هذه الحفريَّات المسيو دي مورغان بمساعدة بعض الاثريين الذين كان في جملتهم المسيو بيزار (M. Pézard) المتقلّد حاضراً نظارة حفريَّات تلّ نبي مَند جنوبيّ حمص . فاضطرَّت تلك البعثة الى إهمال العمل حيث قدَّم الناظر المذكور استعفاءهُ . فما لبث الاب شيل الدومنيكي احد اعضاء جمعيَّة الكتابات نزيل باريس ومفتّر شريعة حمورابي المكتشفة في شوشن أن خلف المسيو دي مورغان وواصل الحفريَّات التي دُوِّنت نتائجها في المجلد الرابع عشر من مذكرات البعثة الاثريَّة في العجم . فعاد الكاهن كروفيليه واستلَّ خلاصة تلك الاكتشافات فنشرها اوَّلاً في المجلَّة السابق ذكرها ثم جمعها في كتاب على حدة تسهيلاً لمراجعتها . وقد صدَّر تأليفهُ بنظر عامّ في حالة الحفريَّات المذكورة الى سنة الحرب ١٩١٤ ثمّ استقرى معلوماتها فدوَّنها في فصول مختلفة كالتاريخ والدين والفقه والمجتمع الانساني واللغة وذلك بطريقة قريبة المنال توفر على الباحثين عن آثار الشرق زمناً ثميناً . ولهذه الآثار فائدة عظمى ليس فقط للوقوف على تاريخ الامم الشرقيَّة المدنيّ ولاسيَّما العيلاميين الذين سبقوا الفرس ولكن ايضاً على تاريخ الاديان في اقصى طبقاتهِ لأنَّ في شوشن أطلعوا على اقدم ما يُعرف من الآثار الدينيَّة السابقة لآثار ما بين النهرين . فنوصي القرَّاء العالميين والاكليروس بمطالعة هذا الكتاب فهو كمقدَّمة لحفريَّات

جديدة ستستأنف قريباً ومفيد جداً لحلّ عدّة مشاكل كتابيّة. ونقترح على بعض اهل الغيرة كحضرة الاب بولس سلامه خرّيج مدرسة الآباء الدومنيكان والمشغوف بمحبّة الآثار ولاسيّما شرائع حتوري ان يعربوا هذا الكتاب او ينشروا كتاباً في معناه يشمل كلّ حفريّات شوشن منذ اوّلها الاب سبستيان رنزقال

Comte de Gobineau : Souvenirs de Voyage. 1 *vol. in*-16. *Paris*, 1922. *Prix* 6f,75

ذكرى اسفار الكونت دي غوبينو

الكونت دي غوبينو احد رجال فرنسة السياسيين الذي مثّل وطنهُ في عدّة بلاد في اوربّة ثمّ في اثينة والعجم كانت وفاتهُ في تورينو سنة ١٨٨٢ . لهُ عدّة تآليف كتاريخ العجم ووصف بعض البلاد. وكتابهُ الذي نحن في صددهِ من اجود تآليفهِ اظهر فيهِ ما طُبع عليه من رشاقة الانشاء ودقّة النظر في تعريف عادات البلاد الاجنبيّة . وهو يحتوي ثلث روايات الأوليان منها في بلاد اليونان والثالثة في كاريبو في الارض الجديدة. وكلّها تدلّ على حسن ذوق وتفنّن في الوصف لاسيما الرواية الثانية التي دعاها «اكريثي فرونتوبولو» لولا انّ بعض هذه الاوصاف مخلّة نوعاً بالآداب

الاب ج . لوثنك

E. Prévost: 1°) L'ARMISTICE, *poème dit à la Comédie-Française. Une plaquette de luxe chez Jouve, rue Racine*, 15, *Paris*, *Prix* 1f,50 = 2°) L'AME INCLINÉE. *Un vol. in*-18, *ibidem*. 3f, 50

منظومات فرنسوية : الهدنة . النفس المنحرفة

المسيو بريفو شاعرٌ عصري يستحبُّ القرّاء قصائدهُ. وهذه المنظومات الجديدة من جيّد شعرهِ. فالمنظومة الاولى يصف بها الهُدنة بعد الحرب الكونيّة فضمّنها كلّ العواطف البهجة ووصف ما شمل الناس من الفرح بهذه البشرى حتى يكاد شعرهُ يستفزّ القلوب برقّتهِ وسلاستهِ. وامّا الثانية فمجموعة قصائد عن الحرب انشدها بنسبة بعض الحوادث التي جرت وقتئذٍ في ساحة الوغى منها مديح ومنها رثاء ومنها حماسة وكلّها موسومة بسمة الوطنيّة الصادقة ج . ل .

وجدان لا سياسة

للاستاذ حبيب اسطفان « الخوري يوسف اسطفان » سابقاً

طبع في مطبعة الهدى في نيويرك سنة ١٩٢١ (ص ٢٠٧)

اطّلعنا على هذا الكتاب وما تضمّن من الخطب المختلفة في الحوادث الجارية حالاً في العالم ولاسيما في سورية ولبنان فوجدنا الخطيب ذا عارضةٍ يحيط علماً بالسياسة العصريّة وبأمور بلادهِ فينتقدها بلهجة حرّة وان كان في بعض ارائهِ ما لا يوافقهُ عليهِ كثيرون لما فيهِ من التطرُّف . على أنّنا مع اقرارنا بما يحتويهِ الكتاب من الصفات الحسنة لا يسعنا الّا ان نأسف على حالة كاتبهِ فقد عرفنا « الخوري يوسف اسطفان » سابقاً كاهناً ورعاً ومرشداً للنفوس ورفيقاً للمعلّقين على مشانق الظلم وواعظاً مصقعاً فاين ذاك من « حبيب اسطفان » وتبذُّلهِ في دمشق ومصر واميركا وخطبهِ على المسارح في امور الدنيا وسياستها . أنيا تُرى الى هذا أدّت دروسهُ الاكليريكيّة في رومية وتهذيبهُ الكهنوتي وامل طائفتهِ فيهِ فندعو الى الله كي يرشدهُ الى ما فيهِ صلاح نفسهِ وخير وطنهِ

ل . ش

ترقّي الصغار في دروس الاستظهار

الجزء الاول . جمعهُ وعلّق حواشيه يوسف صغير

طُبع في بيروت بمطبعة الادب سنة ١٩٢٠ (ص ٤٦)

كرّاس صغير للمكاتب الابتدائيّة ضمّنهُ صاحب مكتبة المدارس الاديب يوسف افندي صغير نحو اربعين قطعة من النثر والنظم ليستظهرهُ الاحداث . فدلّ بانتخابهِ لهذه القطع على حسن ذوقهِ واطّلاعهِ على الآثار القديمة والحديثة . وألحق كلّ قطعةٍ منها بشرح الالفاظ الغامضة وبايضاح نتيجتها الادبيّة ليشحذ بذلك ذهن الصغار . وهذا المجموع مزيّن بالشكل الكامل الّا انهُ قد وقع في التشكيل عدّة اغلاط ينبغي اصلاحها في طبعة ثانية نذكر بعضها للافادة (٤٦) حافِظُوا (ص ٧٢) أدعى حليماً (ص ١٠١٦) هُما — تَحِلُ (ص ١١١) مِنها (١١٥) ورَجاً (ص ١١١٤) أنفِقُ

(ص ١٥[٣]) المُهاجرة (ص ١٧[١١]) وكُلُّ الخَلْق (١٧[١٣]) عديمُ الاصل (١٧[١٥]) يَشفي (١٧[١٧]) يُقيتُ الخ

﴿ نشرة الاحد ﴾ هذا أوّل اثر نعرفهُ صدر في رأس العام الجديد في بغداد من المطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة التي استقدمها سيادة المطران اثناسيوس جرجس دلّال لنشر المبادئ الصحيحة وخدمة ابناء الوطن العزيز. وقد باشر سيادتهُ بهذه النشرة التي عهد بادارتها الى حضرة الخوري عبدالاحد جرجي. وهي نعم الباكورة لخدمة الدين والادب نتمنّى ان يَنعم بقراءتها جميع الكاثوليك في بغداد ويقدّسوا بها يوم الربّ. وستنشر في كلّ اسبوع وتودع مواضيع شتّى دينيّة علميّة تاريخيّة اجتماعيّة. اخذ الله بيد منشئيها

﴿ ما لي جَلَد ﴾ خطاب اخلاقي القاهُ الاديب جرجي افندي نقولا باز في حفلة جمعيّة البرّ سنة ١٩٠٧ فنشرهُ على حدة في مطبعة القديس جاورجيوس تقريباً لفوائده وغايتهُ ان يستنهض همم كل من يتبرّم عن العمل سواء كان في خدمة الدين ام العلم ام الوطن. فعسى ذوي الخمول والغفلة يرتشدون بهذه النصائح فيقرنون العمل بالقول

﴿ الانوار ﴾ باشر يوسف افندي الحاج في العام الماضي بنشر الوقائع الماسونيّة فرأى ان سوقها قليلة الرواج وعدل عن ظلمة الماسونيّة الى « الأنوار » فجعلها لسان حال الاحرار » ونشرها في دمشق والشام. وقد احببنا الاستضاء بهذه الانوار الجديدة فتحقّقنا انّ الظلمة الماسونيّة لا تزال تخالطها وسمعنا جعجعة كبيرة ورأينا طحناً قليلاً الّا ما كُتب بقلم بعض الادباء. وكفى لكشف هذه الانوار فصل صاحبها المعنون بفيلسوف سوريّة اراد به امين الريحاني الذي رفعهُ فوق الثريّا وهو اخو ڤولتير ونصير الالحاد والزندقة كما بيّناهُ سابقاً (راجع المشرق ١٣ [١٩١٠]: ١٠٤٤ و ٣٨٩ و ٤٧٧ و ٧٠٣)

شذرات

﴿آخر ساعات رسول السلام﴾ كان السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر عظيماً في حياته ولعلهُ اعظم منهُ في مماته . كان وعد في الاسبوع السابق لموته ان يذهب باكراً في الساعة الخامسة صباحاً فيزور مأوى الكهنة العُجز الملاصق للفاتيكان ويقدّم الذبيحة في معبدهم . وكان ذاك النهار كثير الامطار شديد البرد فاراد البعض ان يثنوهُ عن عزمهِ فأبى الّا ان يقوم بوعدهِ فكان ذلك سبباً لما نالهُ من الاحتقان الدماغي الذي أودى بحياتهِ . وكان آخر ما فاه بهِ لسانهُ المبارك انهُ يقدّم حياتهُ ضحيّة لله ليلتمس من ربهِ السلام للعالم . فأكرم بهِ شهيد المحبّة وضحيّة الخير العمومي

﴿المناشير الرعويّة للصوم المبارك﴾ اطّلعنا على اربعة مناشير رعويّة اصدرها بنسبة الصوم الاربعيني نيافة القاصد الرسولي السيد الجليل فريديانو جاتيني والسادة رؤساء اساقفة بيروت وطرابلس ودمشق على الموارنة . وكلّها مملوءة من التعاليم الخلاصيّة والحكم الدينيّة الموافقة للاحوال الحاضرة فانّ نيافة القاصد الرسولي اوضح بأبلغ كلام واجلى برهان كلّ حسنات الدين الكاثوليكي للنظام البشري وللهيئة الاجتماعيّة وتخطّى من ايضاحها الى واجبات الكاثوليك في سوريا نحو وطنهم ولاسيّما في الانتخابات الموشك وقوعها ليختاروا مندوبين فضلاء ذوي دين ونزاهة لادارة امور الوطن . وقد اختار سيادة المطران اغناطيوس مبارك لارشاد رعيّته موضوعاً ذا شأن اي « الرقيّ الحقيقي بواسطة الحياة المسيحيّة » فبيّن لهم على اي شيء يتوقّف الرقيّ الحقيقي الذي يحصرهُ الملحدون والجهّال في الامور المادّية وجمع الخيرات الزمنيّة واحراز العلوم الطبيعيّة وهم يسهون عن الدين وسعادة الانسان بممارسة الفضائل المسيحيّة فتؤدي بهم مبادئهم الفاسدة الى كلّ المنكرات والى تقويض اركان الهيئة الاجتماعيّة . فشتّان بين هذه الآراء السيّئة وتعاليم الدين المسيحي الذي يولي صاحبهُ سعادة الدارين . ثمّ عدّد سيادتهُ كيف تقوم الحياة المسيحيّة في الافراد والعيال وتربية الاولاد والحياد عن كلّ اباطيل العالم وملاهيهِ القبيحة وازيائهِ الشنيعة وخدمة الوطن بتضحية المصلحة الشخصيّة للخير العمومي = وارشد سيادة مطران

طرابلس السيد انطون عريضة شعبهُ الى طريقة الخلاص والشروط الواجبة على من يريد الحصول عليهِ وذلك بالمعمودية والفضائل اللاهوتية الثلث وممارسة الفرائض التي اوقفنا عليها ديننا نحو الخالق ونحو القريب ونحو نفسنا — ورأى سيادة مطران دمشق السيد بشاره الشهالي ان يسدّ خللاً كبيراً في حياة المسيحيين حاضراً الذين يُقبلون على درس اللغات والمعارف البشريّة ويهملون اعظم واشرف التعاليم وهو التعليم الديني الذي ينير عقل الانسان ويسمو بهِ الى ما فوق طبيعتهِ ويشدّد ارادتهُ فيقوى على كبح الشهوات ويسند الانسان في جهاد الحياة. ومن ثمَّ حرّض الوالدين على افراغ وسعهم ليطبعوا في قلوب اولادهم الحقائق الدينيّة وخوف الله. فترى ان هذه الرسائل الرعويّة تؤول كلها الى توطيد اركان الروح المسيحيّ التي يتهدّدها التمدن العصري الموهوم

﴿الاتحاد الكاثوليكي لدرس المشاكل الدوليّة﴾ في السنة المنصرمة في ١٢ الى ١٤ نيسان عُقد لثاني مرّة مؤتمر الاتحاد الكاثوليكي لدرس المشاكل الدوليّة. والاتحاد المذكور عبارة عن جماعة مؤلفة من اعضاء كاثوليكيين من جميع البلاد انشأها بعض العلماء من كليّة فريبورغ الكاثوليكيّة في سويسرة. رئيسها المحامي البارون دي مُنتيناخ (Bon de Montenach) ينتظم في سلكها رجال من كبار العلماء من اثنتي عشرة دولة. وقد بحثوا في مؤتمرهم الاخير عن اخصّ المشاكل التي تفرق اليوم الدول وطلبوا لها حلًّا صوابيًّا مبنيًّا على الادلّة العقليّة الفلسفيّة والبراهين الدينيّة الصادقة. فكان لنشر اعمال هذا المؤتمر تأثير عظيم في عقول ارباب السياسة. ويحسن بكاثوليك الشرق ان ينضمّوا الى هذه الجمعيّة التي تفضل على كل عصابات الامم وتقلّباتها. وهذا عنوان كاتب سرّ الجمعيّة:

M. J. Gremaud, professeur au Collège St Michel
(*Fribourg*) Suisse

﴿البابا حنّة وجريدة لاسيري﴾ اثبتنا في العام الماضي (الشرق ١٩٢١ : ٨٥٤—٨٥٩) مقالة في خرافة البابا حنّة وبيّنا بشواهد اعداء الكنيسة نفسهم انّها احدى الاراجيف التي ليس لها ادنى نصيب من الصحّة فتعجّبنا كيف انّ جريدة لاسيري (la Syrie) عادت الى ذكرها في احد اعدادها بنسبة وفاة البابا بندكتوس الخامس عشر.

ألا يخجل محرّروها ان يجيوا مثل هذه الترّهات ويهرفوا فيما لا يعرفون . فليردّوا على براهيننا ان امكنهم

﴿وفاة سيّدين وكاهن فاضل﴾ نُعيت الطائفتان الكريمتان من الروم الكاثوليك والارمن بفقد سيّدين جليلين من افاضل اساقفتهما: المطران اغابيوس معلوف اسقف بعلبك وهوسيك كوليان رئيس اساقفة ماردين. انتقل الاوّل الى جوار ربهِ منتصف ليل الاحد ١١ شباط الماضي في زوق ميكائيل . ولد في ٤ ايّار سنة ١٨٤٧ ثمّ رُقّي الى كرسي بعلبك في ٢٩ آذار ١٨٩٦ فكان افضل راعٍ لابرشيّتهِ قاسى في سبيلها عدّة اوجاع لاسيّما في مدّة الحرب الكونيّة فكان لوفاتهِ صدى حُزن شديد في قلوب ابنائهِ بل في قلوب كلّ الذين عرفوهُ من الاخوة المتفصلين والمسلمين والمتاولة الذين حضروا جميعهم حفلة جنازتهِ وبكوا عليهِ بكاءهم على اعزّ الاقارب وأشادوا بعميم فضلهِ . وقد عرفت لهُ فرنسة خاوص محبّتهِ نحوها فجازتهُ بوسام جوقة الشرف — امّا السيد كوليان فكان مولدهُ في ماردين في ٥ ايّار سنة ١٨٤٠ وسيم رئيس اساقفة وطنهِ على طائفتهِ الارمنيّة في ٨ ايلول سنة ١٩٠٣ فرعاها سبع سنوات بنشاط وحكمة بعد ان خدمها سنين عديدة بصفة كاهن تقيّ غيور . الّا انّ انحراف صحّتهِ حملهُ على طلب الاستعفاء سنة ١٩١٠ فاعتزل في دير بزمّار منقطعاً فيهِ للعبادة ولكل الفضائل الكهنوتيّة مع ترجمة الكتب المفيدة من الايطاليّة والعربيّة الى اللغة الارمنيّة . وهو لم يَنسَ ابناء طائفتهِ المبؤوسين الذين قُتل منهم كثيرون شهداء ايمانهم ونُفي غيرهم الى اماكن شتّى فكان يرسل اليهم المساعدات على قدر استطاعتهِ . كانت وفاتهُ يوم السبت ١٨ شباط . = ومنّن استأثرتهم رحمة الله في اواسط شباط ايضاً مرسلٌ غيور ذو شهرة واسعة الخوري الاسقفي اسطفان الشمالي عن ٨٥ عاماً قضاها بممارسة كلّ اعمال الرسالة في سائر ابرشيّات الطائفة المارونيّة حيث لا يزال ذكرهُ حيًّا . وقد امتاز بمارضتهِ وبلاغتهِ في الوعظ وسرعة خاطره كما تشهد عليهِ الخطب التي نشرها بمساعدة الطيّب الذكر المطران جرمانوس الشمالي في جزئين فراجت سوقها اي رواج ونفدت نسخها بوقت قريب(١ .

(١) اطلب ترجمة حياة المطران جرمانوس الشمالي بقلم نسيبهِ الفضال الخوري بشاره الشمالي مطران دمشق حاضراً في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٨٥٠–٨٥٦) :

اجزل الله جزاء ذاك العالم العامل في رحيب جنانه

﴿احصاءات الجزائر وتونس والمغرب﴾ احصت فرنسة في العام الماضي اهل مستعمراتها في شمالي افريقية فكانت نتيجة احصائها اوّلاً للجزائر انّ عدد اهلها يبلغ ٤،٩٧١،٤٢٤ من الوطنيين ثم ٨٣١،٠٤٠ من الاوربيين اكبر مدنها الجزائر (اهلها ١٩٥،٦٥٥) ثمّ وهران (١٣٨،٢١٢) ثم قسنطينة (٧٣،١١٦) وبونة (٤١،٧٧٧) وتلمسان (١٠،٧٧٥). ويبلغ اهل تونس ٢،٠٩٣،٩٣٩ الاوربيّون بينهم ١٥٦،١١٥ اكبر مدنها تونس عاصمتها اهلها ١٧١،٦٧٧ الاوربيّون بينهم ٧٣،٤٧٢ ثمّ سفاقس سكّانها ٢٨،٠٣٣ ثمّ بيزرت (٢٠،٥٠٩) ثم سوسة (١٩،٧٩٩) ثم قيروان (١٩،٣٨٩) = امّا اهل مراكش التي بسطت عليها فرنسة حمايتها فيبلغ عددهم نحو ٤،٥٠٠،٠٠٠ يضاف اليهم خمسمائة الف في المنطقة الاسبانيّة. اكبر مدن ذلك القطر: مدينة مراكش اهلها ١٠٢،١٠٧ الاوربيّون بينهم ٢،١٠٧. ثمّ فاس ٧٠،٥٣٩ منهم ٢،٢١٨ اوربيون. ثم مكناس (٣٦،٥٩٨) ثمّ رباط الفتح (٢٩،٥٦٢). امّا المنطقة الاسبانيّة فاكبر مدنها الدار البيضاء (كازا بلنكا) ١٠١،٦٩٠

﴿اصحاب الفيل﴾ بين سُوَر القرآن سورة تُدعى بسورة الفيل وهي المائة والخامسة منها: اوّلها «ألم تَرَ كيف فَعَلَ ربُّكَ باصحاب الفيل» وفي هذه السورة اشارة الى محاربة الحبش لمكّة. ولمفسّري القرآن آراء غريبة في هذا الفيل الذي دعوهُ محمودًا ورووا عنهُ عجائب غرائب. وقد وقفنا على مقالة مستجادة نشرها السيو كنتي روسيني في عدد تموز الاخير من المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة حلّ فيها عدة مشاكل من تاريخ الحبش وغزواتهم لبلاد العرب. من جملتها (ص٢٨–٣٢) ذكر «الفيل» المشار اليه في السورة القرآنيّة فبيّن انّ الفيل لا يراد بهِ الحيوان المعروف وانّما هو اسم احد ملوك الحبش الذين غزوا بلاد العرب في القرن الثالث للمسيح وقد وجدوا له نقودًا ذهبيّة ونحاسيّة مكتوب عليها باليونانيّة «افيلاس ملك اكسوم» فسمّاهُ القرآن بالفيل وذكر اصحابهُ ثمّ اشتبه الاسم على العرب ومفسّري القرآن فظنّوهُ الحيوان. ومعلوم انّ الفيلة لم تستطع السكنى في جزيرة العرب. وممّا ورد في هذه المقالة انّ الملك النصرانيّ الذي خلف ذا نوّاس على نجران هو «كالب» لهُ نقود ماسمهِ بين مسكوكات اليمن القديمة ومثلها ايضاً للذين خلفوهُ

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الخوري يوسف العشيقي ما هي المؤلفات التي تبحث عن حقوق الاولاد الأبكار

حقوق الاولاد الابكار

ج لا نعرف كتاباً خاصاً يوضح حقوق البكارة الّا انّ في كتب الشرع والحق القانوني الشرقيّ والغربيّ والدستور العثماني والمجلّة وكتب المواريث فصولاً في ذلك. وهذه الحقوق تختلف في كلّ دولة كما اختلفت في غابر الازمنة والامكنة

س وسأل من بتلو حضرة الخوري ف . ش . ١ً متى أُطلق اسم البروتستانت على تبعة لوتاروس . ٢ً هل يعمّ هذا الاسم كلّ الشيع . ٣ً هل هو مثبت من التاريخ انّ لوتاروس قبل وفاته استدعى كاهناً كاثوليكياً فرفض مشايعوه اجابة طلبه

البروتستانت . اسمهم وزعيمهم

ج نجيب على (الاوّل والثاني) انّ اسم البروتستانت ومعناهُ المحتجّون دلّ اوّلاً على أنصار لوتاروس الذين احتجّوا على الامبراطور شرلكان وعلى الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٥٢٩ . ثمّ أُطلق بعد ذلك في فرنسة على تبعة كلوينوس وما لبث ان عمّ جميع شيع البروتستانت مع تعدُّد آرائهم واختلاف نزعاتهم وربّما اتّخذوا اسم المصلحين وذوي الاصلاح (الموهوم) . ومن البروتستانت من لا يرضى حالاً بهذا الاسم . نجيب على (الثالث) انّ ما يقال عن استدعاء لوتاروس لكاهن كاثوليكيّ عند وفاته ليس بصحيح وانّما هذا يُروَى عن ڤولتير الذي في مرضه الاخير طلب كاهناً كما كان طلبهُ في مرض سابق الّا انّ اصحابهُ في هذه الدفعة لم يسمحوا للكاهن بالدخول عليه

س وسأل الاديب ش . م من نيو يدفرد ماساس في الولايات المتحدة : ١ً هل يجمع الاعتراف بواسطة التلفون في حالة الضرورة . ٢ً هل يستطيع من أكل قبل نصف الليل بقليل ان يتناول القربان في اي ساعة كانت بعد منتصف الليل

اسئلة طقسيّة

ج نجيب على (الاوّل) انّ المرجّح انّ الاعتراف بالتليفون لا يجوز حتّى في حالة الضرورة ما لم يتحقّق الكاهن ان المريض المدنف على الموت يكلّمهُ رأساً . ولكن يستطيع الكاهن ان يحرّض المريض على ان يصدر فعل الندامة الكاملة فينال بها الغفران عن خطاياه . نجيب على الثاني انّ المناولة مسموح بها بعد نصف الليل ولو أكل المتقرب قبل نصف الليل بزمن قليل .

ل . ش

قداسة الحبر الاعظم

بيوس الحادي عشر

بمناسبة ترقيته الى السدة البطرسية

في ٦ شباط ١٩٢٢

امام الاحبار

قداسة البابا بيوس الحادي عشر

نظر تاريخي في حياة الحبر الاعظم الجديد

لحضرة الاب ليوبلد فنك اليسوعيّ احد اساتذة معهد الدروس الكتابيّة في رومية

توطئة

يحقُّ لنا أن نفتتح هذه النبذة الوجيزة بآية اشعيا النبيّ (٤٢ : ١—٣) اذ قال مبشّرًا بالسيّد المسيح : « هوذا عبدي الذي اخترتهُ فتاي الذي سُرَّت بهِ نفسي قد جعلتُ رُوحي عليهِ فهو يُبدي الحكم للأُمم » . ذاك لعمري كلام ينطبق على رئيس الكنيسة الذي يختارهُ الربّ لينوب عنهُ على الارض ويحيي في شخصهِ روح سيّدهِ .

بيد انَّ لله في اختيار عبيدهِ عموماً عنايةً خاصّة ليعدّهم الى مباشرة ما ينتدبهم اليهِ . وهذا اصحّ في الذين يريدهم لتدبير كنيستهِ ألا ترى الذين رعوها في عهد قريب منّا فكانوا متّصفين بمزايا توافق زمانهم ايَّ موافقة . فهذا بيوس التاسع كان في وجه الثورة الايطاليّة كالصخرة الصمّاء . غلبوهُ على ملكهِ لكنهُ غلبهم بثباتهِ وشهامتهِ .

وهذا لاون الثالث عشر جعل الكنيسة كنار تستضيء بهِ جميع الدول وتسترشد بنورهِ . وهذا بيوس العاشر صرف همّهُ في توطيد دعائم الكنيسة بازاء الاضاليل العصرية ونفخ فيها روحاً جديدة . وهذا بندكتوس الخامس عشر ضبط سكّان السفينة البطرسيّة في وقت هيجان الشعوب وانقلاب احوال الدنيا فكان ربّاناً حكيماً نجّاها من الانواء. بل استحقّ ان يُدعى كيوسف بن يعقوب « مخلّص العالم » . فلا بدع انّ الله في اختيار عبدهِ بيوس الحادي عشر غايةً اهلّا بجلالهِ لشفاء ادواء العالم وإنعاشهِ من كبوتهِ وتأليف القلوب بين الدول المتحاربة . وكأن ارباب الامور شعروا بدعوتهِ هذه فتوسّموا بهِ الخير واستبشروا اجمالاً بانتخابهِ حتّى اشدّهم نفوراً من البابويّة كايطالية وتركيّة واليونان

فبياناً لما قدّمناهُ نحن نعرّف اوّلاً شخص المختار ثم طريقة انتخابهِ ونختم بذكر اعمالهِ الاولى

١ شخص المختار

الولد والدارس

يُدعى المصطفى من الله «اشيل راتّي» وهو بالغ الخامسة والستّين من عمرهِ . رأى النور في بلدة دازيو من توابع ميلانو في سلخ ايار سنة ١٨٥٧ وهو الثالث من ابناء والديهِ الستّة الذين انتقلوا الى ربّهم ما خلا اخاهُ البكر واختهُ الصغرى وكلاهما حيّ يُرزق . وكانت عائلتهُ من اوساط القوم واهل تُقى الله يتعاطى ابوهُ تربية القزّ . وقد احسن والدا اشيل تربية ابنهما ولذلك لم يبرح من قلبهِ حبّهما ولاسيّما والدتهُ المسنّة فانّهُ برّها وخدمها الى وفاتها بكل تفانٍ

درس المبادئ في وطنهِ على الكاهن يوسف ڤولنتياري ثم انتقل الى مدرستي مار بطرس الشهيد ومونزا الاكليريكيّتين . وكان يقضي أيام العطلة المدرسيّة في الصيف عند عمّهِ رئيس الكهنة داميانو راتّي فالتقى عندهُ برئيس اساقفة ميلانو السيّد لويجي دي كالابيانا الذي عرف ما خصّهُ الله بهِ من الذكاء وتوقّد الذهن وجودة التُقى وحسن الطباع فاحبّهُ وقبلهُ في مدرستهِ الاكليريكيّة العليا فانعكف مدّة ثلث سنوات على الدروس الدينيّة ففاق بها اقرانهُ وأدّى بهِ نجاحهُ الى ان يرسلهُ رؤساؤهُ الى المدرسة اللُمبردية في رومية ليستقي من مناهلها العلوم الكهنوتيّة على كبار اساتذة

الجامعة الغريغوريّة التي تديرها الرهبانيّة اليسوعيّة. فانجز هناك دروسهُ ونال فيها قصبة السباق في الفلسفة واللاهوت والفقه الكنسي فخرج منها موسوماً بميزة الملفنة بعد ان رُقّي الى رتبة الكهنوت في ٢٠ ايلول السنة ١٨٧٩

وكان رفيقهُ في الملفنة والكهنوت الشاب الذكيّ اسكندر لوالدي الجالس اليوم على كرسي رؤساء اساقفة بالرمة في صقلية. فاحبَّ الحبر الاعظم ان يستقبلهما في بلاط الفاتيكان فتشرّفا بالمثول امامهُ ونالا بركتهُ. ثمّ اجابا دعوتهُ بان استعدّا لامتحان خاصّ يؤهلهما للانتظام في اكادمية القديس توما التي انشأها قداستهُ فنجحا في الامتحان المطلوب وكانا اوّل من حظي بذلك الامتياز

المعلّم وراقي جبال الألب

عاد الكاهن راقي الى وطنهِ ميلانو سنة ١٨٨٢ فوكّل اليه الرؤساء خدمة النفوس ثمّ دعوهُ بعد قليل الى التعليم في مدرسة ميلانو الاكليريكيّة التي كان تخرّج فيها سابقاً فعلّم الخطابة الكنسيّة تلامذة اللاهوت وكان يلقي المحاضرات الادبيّة كلّ اسبوع على كافّة الطلبة فيتهافتون جميعاً على استماعهِ لذلاقة لسانهِ وبلاغة كلامهِ وهم لا يزالون يذكرون حتّى اليوم ما استفادوهُ من ابحاثهِ البيانيّة ويشهدون لهُ بطول باعهِ في فنون الخطابة

وكان الاب راقي مولعاً بمشاهد الطبيعة يقطع في أيام الراحة المسافات البعيدة ليمتّع بصرهُ بما اودعهُ الله من المحاسن في انحاء وطنهِ. وكان يطلب في ذلك ايضاً ترويض جسمهِ لعلمهِ بان الانسان الكامل نفسٌ سليمة في جسم سليم. وذلك ما حدا بهِ ان ينتظم في سلك جمعيّة من المترقّين في جبال الألب الشاهقة التي تحجز بين ايطالية وسويسرة. ولتلك الجمعيّة نظامات وقوانين تراعيها. وكان الاب راقي في أيام الصيف وبعد اتعاب الدروس يجدّد قواه المنهوكة بالصعود الى مشارف الالب. فكان بصبرهِ على التعب وثباتهِ في السَّير ورباطة جأشهِ في توقّل اعلى قمم تلك الاطواد يدهش رفاقهُ حتّى أنّهُ بلغ سنة ١٨٨٩ ذروة جبل روز المعروفة باسم دوفور ناهجاً طريقاً لم يسلكها قبلهُ احد. وكان يتجشّم الاخطار بين مزالق الجليد والثلوج الغرّاء والصخور الشاهقة وكان اذا عاد الى ميلانو روى في المجلّات تفاصيل رحلتهِ وملحوظاتهِ العلميّة وما لقيهُ في سبيلهِ من المصاعب ليقف عليها غيرهُ. وممّا اخبرهُ

انهُ ضلَّ يوماً طريقهُ فبات ليلةً تامّة على رأس جبل يعلو ٤،٣٠٠ متر فوق سطح البحر يقاسي مع رفيقهِ آلام البرد القارس . وسقط دليلهُ مرّة أخرى في حفرة عميقة فخاطر الاب راتي بحياتهِ وخلّصهُ بعد الجهد الجهيد . وكأنهُ بصعودهِ الى مشارف الجبل الابيض وجبل سرفين وجبل روزكان يرمز الى معالي اشرف وأسمى رقّاه الله اليها في هذه الأيام

خمس سنوات قضاها الكاهن راتي في التعليم احرز الهُ فيها فخرًا عظيماً وربح شكر تلاميذه إجمالًا ودلَّ على براعتهِ في تلقين العلوم البيانيَّة وايضاح مشاكلها العويصة مترشحاً بها لتعليم الكنيسة الجامعة . وكانت دروسهُ الخاصّة زادتهُ رغبةً في توسيع نطاق معارفهِ فما لبث ان ادرك جلّ بغيتهِ

ناظر المكتبة الامبروسيَّة ورئيسها

في مدينة ميلانو مكتبة شهيرة تُدعى بالمكتبة الامبروسيَّة نسبةً الى القديس امبروسيوس ملفان الكنيسة انشأها سنة ١٦٠٩ الكردينال فردريك بوروماوس ابن اخي الكردينال السامي البرارة والحبيب المآثر القديس شرل بوروماوس رئيس اساقفة ميلانو . فهذه المكتبة تُعَدّ اليوم من اغنى مكاتب اوربّة بوفرة مطبوعاتها النادرة ومخطوطاتها القديمة الغربيَّة والشرقيَّة البالغة خمسمائة الف كتاب بيّف يقوم بخدمتها اكبر العلماء من اكليروس ابرشيَّة ميلانو المتّصفين بميزة الملافنة . ففي ٥ تشرين الثاني توفّي احد نظار تلك المكتبة الكاهن فرتوناتو فيلّا العالم باللغة العربيَّة فرشّح الكاهن اشيل راتي نفسهُ ليخلفهُ في مهنتهِ رجاء ان يتمتّع بتلك الكنوز العلميَّة في ساعات الفراغ . فلبّت اللجنة المشكّلة لخدمة المكتبة الى ملتمس الطالب بعد امتحانات معلومة اعرب فيها عن مقدرةٍ عجيبة

فحدّث ولا حرج بفرح الناظر الجديد اذ دخل ذاك المعهد الجليل وشرع يستقري جواهرهُ العلميَّة . وكان اذ ذاك رئيس المكتبة احد مشاهير العلماء الكاهن انطون تشريلي صاحب التآليف المعتبرة فاتّخذهُ مرشدًا وإماماً في تنقيبهِ عن دفائن العلوم ودررها المكنونة . فما عتّم أن احاط علماً بمحتويات المكتبة حتى اصبح خير دليل لمن كان يقصدها من العلماء فيقوم بخدمتهم ويُفيدهم طاقة جهدهِ عن كلّ ما يطالبونهُ بهِ بخصوص مضامينها

وكان اذا فرغ من شغلهِ مع الوفود انكبَّ على المطالعة وانقطع الى الكتابة والتأليف. واوّل ما باشر بتصنيفهِ تنظيم المكتبة الامبروسيَّة ووَصْف محتويلها على الطريقة المستحدثة الجارية في المكاتب الاوربيَّة الكبرى فكان في ذلك احسن مُساعد للاب تشرياني فانجزا عملهما وبهِ وفَّرا التفتيش المملّ على القادمين الى المكتبة

ثمَّ تخصَّص الكاهن راتي بالعلوم التاريخيَّة ونشر منها عدداً لا يُحصَى بينها التآليف الكبرى كأعمال كنيسة ميلانو وطقوسها في عدة مجلَّدات وكآثر بعض الاحبار الرومانيين ولساقفة ميلانو ومشاهير علماء ايطالية. ولهُ في المجلَّات الايطاليَّة العلميَّة والدينيَّة مقالات شهريَّة واسبوعيَّة تبلغ المئات عدداً كان العلماء يعوّلون عليها في ابحاثهم ويقرُّون بفضل كاتبها

ولمَّا استأثر الله بالاب تشرياني السابق ذكرهُ سنة ١٩٠٧ أجمع الكلّ على تعيين الاب راتي كخلفهِ في رئاسة المكتبة الامبروسيَّة. فكان خيرَ خلفٍ لهُ في تلك المهنة الشريفة. فزاد اهتمامهُ بالمكتبة وتوسيع معاهدها وما يَلحق بها من المتاحف والمجموعات الفنيَّة حتَّى استحقَّ ثناء كلّ الوافدين الى ميلانو لدرس آثارها العلميَّة

ومما يُذكر لهُ بالشكر ايضاً في عهد رئاستهِ على المكتبة الامبروسيَّة أنهُ سعى بتحصيل مخطوطات قديمة تُردان بها لخدمة العلوم ولاسيَّما المخطوطات الشرقيَّة واخصّها العربيَّة التي اقتنى منها ١٨٠٠ مجلَّد تحتوي على نحو ٦٠٠٠ كتاب بين صغير وكبير الى بها بعض السيَّاح من انحاء اليمن وسعى بوصفها السنيور غريفيني

خادم النفوس

بقي الكاهن راتي ٢٢ سنة في المكتبة الامبروسية بين الدفاتر والمحابر وخدمة الزوَّار والدارسين. على أنهُ في تلك المدَّة الطويلة لم تبرح من ذهنهِ قرائحهُ الكهنوتيَّة وخدمة النفوس. وكان مذ رجع بعد دروسهِ الى وطنهِ انضمَّ الى جماعة من الكهنة يُعرَفون بتطوّعي القديس شرل بورومايوس يأخذون على نفسهم الطاعة العمياء لاسقفهم ليختارهم لأشقّ الخدَم وأصعبها فيكونوا طوع بنانهِ في كلّ ما يأمرهم بهِ او يرغبهُ دون امرٍ صريح. فكان رئيس اساقفة ميلانو الكردينال فرَّاري يثني على غيرة الاب راتي وسرعة تلبيتهِ لاوامرهِ في كلّ ما يعرضهُ عليهِ من اعمال الكهنوت

ومما شكرتهُ لهُ الراهبات الفرنسويَّات المعروفات براهبات السيناكل (علّيَّة صهيون) انهُ رضي ان يكون خادم ديرهنَّ ومدير اعمالهنَّ فاصبح ديرهنَّ بهمّته مركزاً معتبراً

لكل اعمال الخير والرياضات الروحيّة في كلّ ادوار السنة . وكثيراً ما كان يلقي المواعظ في كنائس ميلانو ولاسيما كنيسة القديس يوسف والجالية الالمانيّة والسويسريّة

وكان الاب راتي يخدم النفوس بدون مراعاة للوجوه لا يفرق بين الصغير والكبير وبين الفقير والامير بل كان يؤثر خدمة المهملين والصغار . فمن ذلك انّه كان يجمع كلّ يوم احد أحداث الفقراء من السابوديين المشتغلين بتنظيف المداخن فيعلمهم التعليم المسيحي ويعدّهم لقبول الاسرار فكانوا يعتبرونهُ في غربتهم كابيهم

لا بل كان الاب راتي يأخذ على نفسهِ المدافعة عن حقوق المظلومين حتّى بازاء الحكومة الايطاليّة كما فعل سنة ١٨٩٨ لمّا زجّ الشرط الآباء الكبوشيين في الحبس لتهمة باطلة اتّهموهم بها فدخل على حاكم المدينة بكل جرأة ولم يزل يحمي ذمار الرهبان ويبيّن براءتهم حتى اطلق الحاكم سراحهم

ناظر المكتبة الواتيكانيّة ورئيسها

وكان اسم الكاهن راتي تتناقلهُ الجرائد وتنتشر سمعتهُ في البلاد فلمّا كانت السنة ١٩١٠ طلب الاب فرنسوا إهرلي اليسوعي رئيس مكتبة الفاتيكان العظمى ان يُعطى لهُ مساعد لتقدُّمهِ بالعمر وشعورهِ بانحطاط قواهُ فخاف ان تُعرَّض المكتبة للضياع اذا اصابهُ موت او مرض فرأى بمشورتهِ السعيد الذكر البابا بيوس العاشر انَّ الكاهن راتي افضل من سواه لهذه المهمّة لسعة معارفهِ ومقدرتهِ الاداريّة فاستدعاهُ الى رومية فكان خير معين لناظر المكتبة الفاتيكانيّة ثمَّ خلفهُ في رئاستها سنة ١٩١٤ بعد استعفاء الاب إهرلي المومأ اليهِ اذ تحقّقت آمالهُ بمُعينهِ

غنيّ عن البيان انَّ منصباً كهذا كان من شأنهِ ان يستنفد قوى صاحبهِ بيد انَّ الاب راتي قام بأعبائهِ احسن قيام فقدَّر العلماء قدرهُ واختبروا طول باعهِ في ادارة تلك المكتبة الواسعة التي يقصدها الالوف من الاختصاصيين . واسرعت الجمعيّات العلميّة وعرضت عليهِ الانتظام في عداد اعضائها . فكان من انشط مراسليها حتى كاد ينوء تحت اعباء مراسلاتهِ لولا انَّ الحرب خفّفت عنهُ الشغل نوعاً لصعوبة المواصلات بين البلاد فقلّ عدد العلماء القادمين الى رومية لاجتناء فوائد مكتبتها الفريدة . فامكنهُ ان يواصل تاليفهُ وكتاباتهِ فألقت اليهِ نظر البابا بندكتوس الخامس عشر الذي اتّخذهُ كسمير فوجد في آرائهِ السديدة وفكّ المشاكل العديدة في زمن الحرب الكونية خير مشير

السفير الى بولونية

ولم تكن الحرب وضعت بعدُ اوزارَها اذ استخرج الحبر الاعظم تلك الدرّة من صدفتها في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٨ واعتمدهُ في امور دولتهِ البابويّة وارسلهُ الى بلاد بولونية وما جاورها من الأقطار المنفصلة عن روسية بصفة زائر رسولي لتدبير امورها الدينيّة . وكانت المانية لا تزال باسطةً حكمها على بولونية فسأحسن الاب راتي في تصرُّفهِ وابدى عن فطنةٍ غريبة حتّى اكتسب ثقة الجميع فكان الاساقفة والاهلون يستقبلونهُ عموماً بفرح جزيل ويرضخون بكل طيب خاطر لِما يعرضهُ عليهم من التدابير . فزار معظم البلاد وأطلع الكرسي الرسولي على سائر احوالها وحجّ الى معبد السيّدة البتول الشهيرة في بولونية بسيّدة كزنستوشوفا

وفي تلك الاثناء أعلن المتحاربون بالهدنة واستقلّت بولونية بامورها فرقّاهُ الحبر الاعظم الى رتبة قاصد رسولي في الدولة الجديدة وتقدَّم الى رئيس اساقفة وَرْسو (فرسوفية) الكردينال كاكشكي بان يسيمهُ رئيس اساقفة على ليانت شرفاً . فتمّت الحفلة في ٢٨ تشرين الاوّل من السنة ١٩١٩ وكان سبق فقدَّم لرئيس الجمهوريّة السيّد بيلسودسكي اوراق عهدتهِ في ١٩ تموز

على انَّ الجيوش البولشفيّة كانت واقفةً لبولونية بالمرصاد فزحفت على عاصمتها وكادت تستولي عليها فاخذ الجميع اهبتهم للفرار من وجه اولئك الاشرار لعلمهم بشراستهم وهمجيّة اخلاقهم . امّا السيّد راتي فأبى الّا ان يثبت في مركزهِ قائلاً لن يحثّهُ على الرحيل : انّي لا ابرح مكاني مهما تهدّدني من الاخطار وقد قدّمت لله حياتي فلتكن مشيئتهُ . فكانت شهامتهُ هذه تنشيطاً للحكومة التي استعانت بنصائحهِ وفازت بذاك العدوّ الاحمر . وبذلك زادت ثقة الجميع بالقاصد الرسوليّ فلم يدّخر وسعاً في تنظيم تلك الدولة المستحدثة على المبادئ الكاثوليكيّة لتحيي ماضيها الشريف . واجتهد خصوصاً في انشاء كلّية جامعة كاثوليكية في عاصمة الدولة . ومن مساعيهِ المشكورة لدى عصبة الامم واللجنات المقامة منها ان تُعاد سيلزيا العليا لبولونية لثبوت حقوقها عليها . ولمّا طلب الحبر الاعظم مساعدة الدول لاسعاف المنكوبين ويتامى الحرب والاحداث المتضرّرين بالمجاعة امتاز البولونيّون بسخائهم مع ضنك احوالهم فجمع القاصد السيد راتي عدّة ملايين من الفرنكات لهذه الغاية

الكردينال ورئيس اساقفة ميلانو

وفي تلك الاثناء فقدت مدينة ميلانو رئيس اساقفتها القديس الكردينال فرّاري الجليل الذكر والعديد المآثر. فكان اوّل ما فكّر الميلانيّون والحبر الاعظم في السيّد اشيل راتّي ليقوم برعاية تلك الحاضرة فيخلف السيّد فرّاري الذي كان يعدّهُ من اعزّ كهنتهِ مدّة ٢٠ عاماً فتمّ فكرُهم فعلًا وفي ١٣ حزيران سنة ١٩٢١ عهد اليهِ بند كتوس الخامس عشر تدبير كنيسة القديس امبروسيوس ونظمهُ في سلك الكرادلة من رتبة الكهنة بالوكالة على كنيسة القديسين سلوستروس ومارتينوس دي مُنتي معدّدًا في مجمع الكرادلة صفاتهِ وخدمهُ المتعدّدة في سبيل الدين والعلم

عاد نيافة الكردينال راتّي الى ميلانو بعد أن اعتزل بضعة ايّام في دير جبل كاسين لمناجاتهِ تعالى في رياضة روحيّة. فعمّ الفرح قلوب اهلها عموماً حتّى ارباب الحكومة الايطاليّة واركان جنودها فتناصروا في حسن استقبالهِ وزيّنوا المدينة في دخولهِ فكان يوماً مشهودًا احاطت الرعيّة كلها براعيها المحبوب واعربت شفاهاً وبلسان الهتاف عن عواطفها لرئيسها الجديد فاجاب الكردينال مطرناً في خطابهِ سجايا الميلانيين الطيّبة وتشبُّثهم الدائم بالسدّة البطرسيّة الجالس عليها امامٌ اسرَ بمحبّتهِ قلوب المسكونة وعزّز الكنيسة في اعين كافّة الدول

وبعد ايّام قليلة في اواسط شهر آب اراد الكردينال ان يستمطر نعم العذراء على ابرشيّتهِ فسار في مقدّمة فئة من الكاثوليك الايطاليين الى زيارة سيّدة لورد في مقامها الشهير في فرنسة فخرج لملاقاتهِ اسقف تَرْب ولورد السيد شوبفر فتبادلا ارقّ عبارات الولاء والاكرام. ولا شكّ انّ البتول افاضت على عبدها اسبغ بركاتها وأعدّتهُ لما كان ينتظرهُ من المنصب السامي

وفي اوائل الخريف صار تدشين اوّل كليّة جامعة كاثوليكيّة في ايطالية سعى بتشييدها الكردينال فرّاري في ميلانو فأحب الحبر الاعظم ان يرئس الكردينال راتّي تلك الحفلة البهجة باسمهِ كممثل قداسته . فزادت بتوليتهِ عظمةً وبهاء وكان في جملة الحضور حاكم المدينة وحاشيتهُ ببزّهم الرسميّة

وفي الاشهر القليلة التي بقي فيها رئيساً على كنيسة ميلانو أتى عدّة اعمال مجيدة حقّقت آمال ابنائهِ في شخصهِ الكريم كالقائهِ المواعظ في الآحاد والاعياد وتنظيمهِ

لمدارس الشعب والتعليم الديني فيها وكتوسيعه للشركات الخيرية التي وجد له في اهل ابرشيته خير مساعدين على تنميتها ورقيها . ولم تنقصه في تلك المدة الاوسمة والامتيازات الدولية نخص منها بالذكر وسامي بولونية النسر الاسود ثم النسر الابيض

٢ الانتخاب البابوي

لما انتقل السعيد الذكر البابا بندكتوس الى جوار ربه في العشر الثالث من كانون الثاني المنصرم لم يدر في خلد معظم المتوسمين في الكرادلة انتخابهم للخلافة البطرسية انَّ كردينالاً حديث العهد كرئيس اساقفة ميلانو يقدم على شيوخ الكرادلة . غير انَّ افكار الله غير افكار البشر . وكأنَّ مرؤوسيه الميلانيين شعروا بأنهُ سيكون مختار الربّ فتجمهروا ورافقوهُ الى المحطة عند سفره الى رومية . وكذلك اهل بولونية الذين عرفوهُ حقَّ المعرفة توقَّعوا انتخابهُ فما خاب ظنُّهم

ولمَّا نال الكردينال راتي معظم اصوات المنتخبين اعني ثلثيها على الاقل اجمعوا كلُّهم دون استثناء انَّ المختار هو احق واجدر بهذا الشرف السامي ورأوا في سوابق حياته كعالم نحرير وكراعٍ حكيم ومدبر خبير يجمع بين الحزم واللين وبين الفطنة والاقدام ما يضمن لهُ حسن رئاسة الكنيسة جمعاء مع معرفته بلغات كثيرة واختباره لأحوال الدول التي كان تفقَّد عواصمها كباريس وفينَّة ولندرة

ويضاف الى هذه الصفات انَّ البابا الجديد وسيمُ المنظر كبير القامة ذو هيبة ووقار تلوح على جبهته سمات العزّ والسؤدد مع رقَّة طباع . وزد على ذلك بنيتهُ القويَّة وصحتهُ التامَّة وجلَدهُ على الشغل ما يحملنا على الظنّ بطول رئاسته حفظهُ الله

وكان انتخابهُ في منتصف يوم الاثنين ٦ شباط بحضور ٥٣ كردينالاً والاحياء منهم اليوم ستُّون فغاب ثلثة لعجزهم ومرضهم وتأخر اربعة كرادلة اميركة فوصلوا بعد الانتخاب الذي صار افتتاحهُ في الخميس السابق فدامت المناولات والجلسات مدَّة اربعة ايام وتمَّ كلُّ شيء على موجب القوانين المقرَّرة لذلك وليست هذه المدَّة بكثيرة لما يتوقَّف على حسن الانتخاب من الخطورة وعظم المسئولية

وكان الشعب يجتمع كل يوم في ساحة كنيسة مار بطرس الوفاً مؤلفة بلغ عددهم الى مائة الف بتيقن ينتظر اشارة مطومة بشعلة اوراق التصويت لا يعقبها دخان . فما عاينوا ذلك الا ارتفعت اصوات الفرح الى عنان السماء وبعد نصف ساعة انفتحت

النافذة المؤدّية الى الطنف الخارجي الـذي يعلو فوق كنيسة مار بطرس المطلّ على الساحة المذكورة فخرج منها حاجبان اعلنا بشخص المنتخب ونثرا على الحضور اوراقاً عليها اسمهُ ونشرا من علٍ شعارهُ الخاصّ وفرشا بساطاً . فما لبث ان خرج الحبر الاعظم بالثياب البابويّة البيضـاء يتقدّمهُ الصليب المقدّس حاملاً لهُ اقدم الكرادلة الشمامسة وذلك لاوّل مرّة منذ عهد بيوس التاسع احتجاجاً على الدولة الايطاليّة فمنح البركة الرسوليّة للمدينة وللعالم اجمع من الخارج بدلاً من داخل الكنيسة

فليس قلمٌ يستطيع وصف ما غلب على الحضور من السرور لدى رؤيتهم نائب المسيح فظلّوا ساعةً يصرخون : فليحيَ بيوس الحادي عشر ! فليحيَ حبرُنا الاعظم ! . وكانت هناك كتيبة من الجند الايطالي فقدّمت للبابا التحيّة العسكريّة ودقّ نفيرهم . وكلّ ذلك على غير سبق من جهة الحكومة . وكلّ هذه التظاهرات قد جرت في يوم مطير دون ان يكترث لذلك اولئك الجموع

امّا ما جرى للحبر الاعظم من الاكرام وتقدمة الخضوع من سائر الكرادلة فذلك ممّا وصفتهُ سابقاً مجلّة المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٧٢٧–٧٣٩) لا حاجة الى اعادته . وانّما نقول انّ الدُّول كلّها تقبّلت نبأ اختيار بيوس الحادي عشر بكل ارتياح وتسارعت الى إرسال برقيّات التهانئ الى مقامهِ . وكان سبق ملك اسبانية فوكّل الى رئيس اساقفة سراقسطة الكردينال سلدفايلا اي روميرو بأن يقدّم لقداستهِ اوّل تحيّات الملوك باسمهِ وباسم كلّ الشعب الاسباني ففعل فوراً . وكان لفعلهِ تأثير عظيم في كلّ الحضور

وما عتّم السفراء ان اجتمعوا في الفاتيكان فقدّموا للحبر الروماني مراسيم التهنئة باسمهم وباسم دولهم وكان المتقدّم بينهم سفير اسبانية يتكلّم باسم الجميع وهم يمثّلون ٣٢ دولةً

ولمّا كان اليوم الثاني عشر من الشهر تمّت حفلة تتويج البابا في كنيسة مار بطرس بحضور جميع الكرادلة والسفراء والاعيان وعدد لا يُحصى من الشعب الروماني والغرباء برُتب دينيّة وطقوس فخيمة تأخذ بمجامع القلوب وتفوق على كل المشاهد العالميّة . وكان المكلّف بتتويج الحبر الاعظم الكردينال بيليو اليسوعي الفرنساوي . وختم الحبر الاعظم هذه الحفلات بعد ان حملهُ الحرس الشرفي على المنصّة البابويّة بمنحهِ ثانيةً البركة الرسوليّة من جناح كنيسة مار بطرس الخارجي لسائر الحضور وللعالم اجمع

٣ حبر الحبر الاعظم الاولى

لا نتّسع في هذا الامر ونحن الآن في فاتحة خلافة الحبر الاعظم وانّما نجد في بعض اعماله ما ينبئ عن افكاره وعن استعداده لتدبير الامور

فمن ذلك اختياره لاسم بيوس وقد بيّن سببه بقوله لرصيفه في الدروس الكردينال نوالدي «اني قد وُلدتُ على عهد بيوس (التاسع) وتوظّفت في رومية على بيوس آخر (العاشر) ثمّ ان اسم بيوس اسم سلام فسأدعى ايضاً بيوس» ولعلّهُ وجد ايضاً في الذين سبقوهُ قديماً بهذا الاسم ما حبّبهُ اليهِ . كبيوس الرابع الذي كان مثلهُ من ميلانو وهو من سلالة المديشيس الشهيرة . وكبيوس الخامس القديس الذي انقذ ايطالية من الاتراك . وبيوس السابع الذي اعاد للبابويّة رونقها بعد نابوليون الاوّل

ومنها شعارهُ البابوي المثبّل في قسمهِ الاعلى نسراً ذا رأسين اشارةً الى سفارتهِ في بولونية وفي القسم الاسفل ثلث كُرات مشيراً بها الى اسمهِ راتي الذي يدلّ على السرعة والنشاط في العمل وتحت الشعار هاتان الكلمتان (raptim transit) اي يسير مسرعاً

ومنها انّهُ ابطل عادة اسلافهِ الثلثة بخروجهِ الى الشعب في اعلى ساحة كنيسة مار بطرس لتعمّ بركتهُ رومية والعالم اجمع ومعلناً بذلك انّهُ مستعدٌّ ان يصالح حكومة ايطالية التي أشعرت بتقرّبها الى الكرسيّ الرسولي ولإعلانها نيّتها بتحرير خطّتها مع رئيس الكنيسة

ومنها اخيراً انّهُ اثبت في منصبهِ كوزير دولتهِ نيافة الكردينال غسباري مع نيافة مأموريهِ منبئاً بذلك انهُ يريد ان يجري على آثار سلفهِ في سياستهِ السلميّة مع العالم باجمعهِ ليكون هو رائد السلام بين الشعوب في هذه الازمنة الحرجة . فما لنا الّا ان نردّد مع الكنيسة صلاتها الى الله لاجل رئيسها « فليحفظهُ الربّ ويعدّهُ بالقوّة والنعمة ويسعده في الارض ولا يسمح بان تقوى عليهِ يد اعدائهِ » (١

---

(١) كانت هذه المقالة ماثلة للطبع اذ وردت علينا نبذة أخرى حسنة من قلم احد دكاترة المكتبة الامبروسيّة في ميلانو ممّن عرفوا الحبر الاعظم وقدّروا اعمالهُ وهو حضرة الكاهن جوان غلبياتي (G. Galbiati) ملفان اللاهوت والفلسفة والآداب . فكنّا وددنا ان ننشرها لولا تأخرها عن النبذة السابقة فاكتفينا بالاشارة شاكرين لحضرتهِ

رئاسة القديس بطرس

بقلم حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعيّ

توطئة

من المقرّر انهُ طالما كان السيّد المسيح على الارض رئيساً على الجمعية الجديدة التي اسسها أعني الكنيسة لم يكن ممكناً لسمعان بطرس ان يتصرّف بالرئاسة لان الربّ يسوع وهو الرئيس الاوّل والاعظم كان مقيماً مع التلاميذ ولم يكن بطرس الّا نائباً منه ولانَّ السيّد المسيح كان وعدهُ فقط بالرئاسة اذ قال له : « انت الصَّفاة وعلى هذه الصَّفاة سأبني كنيستي ... وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات » (متى ١٦ : ١٨ و ١٩) . ومن ثم كان السيّد المسيح يُعدُّ بطرس لهذه الرئاسة ويُدرّبهُ اليها تدريجاً ويعوّد التلاميذ شيئاً فشيئاً على ان يشعروا ويفهموا ان بطرس سيكون الرئيس . وذلك لئلّا يخامرهم الحسد ويداخلهم النفور وتقوم فيما بينهم المباحثات والمجادلات في ايّهم الاعظم كما حدث مرارًا فالتزم الربّ ان يُوصيهم بان يؤثروا التواضع وان يكون الاكبر فيهم كالخادم

لا يخفى ان التلاميذ كعامّة اليهود لم يكونوا مستعدّين لفهم وقبول ما كان يريد المسيح ان يُبيّنه لهم ويعلّمهم اياه . فقد قال لهم في آخر يوم من حياته في العشاء السرّي : « ان عندي كثيرًا اقوله لكم ولكنّكم لا تطيقون حَمْله الآن » (يوحنا ١٦ : ١٢) فبالأحرى لم يكونوا يطيقون فهمه وقبولهُ في بدء كرازته بالانجيل وذلك لانّ افكار اليهود والتلاميذ انفسهم كانت بشريّة . فكانوا يمثّلون نفوسهم بمملكة على الارض يكون فيها المسيح ملكاً عظيماً ويكونون هم من كبار الموظفين . ولهذا السبب كان السيّد المسيح يحتملهم ويقوّم عوجهم بصبر ويرشدهم بنور تعاليمه كما شفى الاعمى تدريجاً ويكشف لهم شيئاً فشيئاً الحقائق والاسرار الالهية وكلّ ما يتعلّق بالمملكة الروحيّة التي انشأها اي الكنيسة

وهكذا تصرّف المسيح في اعلان رئاسة بطرس على الجمعية التي أسّسها . فانّه تمجّد اسمه رغبةً في حفظ الوفاق والمحبة بين التلاميذ اعلن رئاسة بطرس وبيّنها

رويداً رويداً حتى بلغ معرفتها الى الكمال وازال كل شبهة وريب في حقيقتها . فكانت كالشمس التي يبدو ضوءها ضئيلاً عند الصباح وتسطع اشعتها وتبهر العيون في رائعة النهار

رئاسة القديس بطرس

١ في الاناجيل

عندما ابتدأ يسوع بكرازة الانجيل أتى اليه اثنان من تلاميذ يوحنا وكان احدهما اندراوس « وأقاما عنده ذلك اليوم» (يوحنا ١ : ٣٩) . ثم اتى اندراوس بأخيه سمعان الى يسوع . فلما نظر يسوع الى سمعان قال له : « انتَ سمعان بن يونا انتَ تُدعى كيفا الذي تأويلهُ الصفاة » (يوحنا ١ : ٤٢) ومعنى الصفاة الصخرة الصُّلبة . فإعطاء يسوع لقبَ الصفاة لسمعان اوّل مرةٍ رآه لم يكن الّا لغايةٍ قصدها ربّ الحكمة . انما كانت غايتهُ تعالى ان يمهد السَّبيل لما سيقوله له في ما بعدُ في قيصرية فيلبُّس « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦ : ١٨) ومن ثمَّ منذ ابتداء كرازة الانجيل قد اختار المسيح سمعان بن يونا اساساً اي رأساً للجمعية التي كان يُريد ان ينشئها فلقَّبهُ بالصفاة

ومن ذلك اليوم نرى دائماً سمعان بطرس في مقدَّمة الرسل يشغل المكان الاول بالقول وبالعمل وذلك بتدبير خصوصي من المسيح . ولذا كلٌّ من الانجيليين اذ يذكر اسماء الرسل يصدّرها دائماً باسم سمعان بطرس . فاوّل الذين اختارهم يسوع ليكونوا تلاميذه كان سمعان بطرس «وفيما كان يسوع ماشياً على شاطئ بحر الجليل رأى اخوين وهما سمعان المدعو بطرس واندراوس اخوه يُلقيان شبكةً في البحر لانهما كانا صيادين فقال لهما : اتبعاني فاجعلكما صيادَي الناس» (متى ٤ : ١٨ ومرقس ١ : ١٦) وحينما اختار يسوع الاثني عشر رسولاً يذكر الانجيليون سمعان بطرس في المقام الاول « وهذه اسماء الاثني عشر رسولاً : الاوّل سمعان المدعو بطرس» (متى ١٠ : ٢ ومرقس ٣ : ١٦ ولوقا ٦ : ١٤) فهو الاول ليس بالترتيب فقط لكن بالرتبة معنياً . ولما اراد يسوع ان يعلّم الشعب المزدحم على شاطئ بحر جنّاسر «رأى سفينتين راسيتين في البحيرة . . .

فركب احدى السفينتين وكانت لسمعان وسأله ان يتباعد قليلاً عن البرّ وجعل يعلّم الجموع من السفينة» (لوقا ٥ : ٢ و٣) . فاراد المسيح بفعله هذا ان يُفهمنا انّ علم الايمان والآداب في بحر هذه العالم المضطرب سيصدر في المستقبل من سفينة بطرس اي من الكنيسة التي يرأسها بطرس وخلفاؤه . ولكي يؤيّد المسيح هذه الحقيقة صنع اعجوبة صيد السمك المرموز به الى صيد النفوس فانّه «لمّا فرغ من الكلام قال لسمعان: تقدّم الى العمق وألقوا شباككم للصيد . فأجاب سمعان وقال لهُ : يا معلّم إنّا قد تعبنا الليل كلّهُ ولم نُصب شيئاً ولكن بكلمتك ألقي الشبكة» (لوقا ٥ : ٤و٥) ويخبر الانجيلي انّهم احتازوا من السمك شيئاً كثيراً حتى تخرّقت شبكتهم . فاعترى سمعان الانذهال من هذا الصيد العجائبي . « فقال يسوع لسمعان: لا تخف فانّك من الآن تكون صائداً للناس» (لوقا ٥ : ١٠) . فلماذا اتمّ يسوع كل ذلك في سفينة بطرس ولماذا وجّه الخطاب الى سمعان بطرس مع ان ابني زبدى يعقوب ويوحنّا كانا معهُ أليس لانّ يسوع كان اختار بطرس ليجعله رأس الكنيسة التي يُنشئها لخلاص النفوس؟

ثم اذا عيّن يسوع بعض الرسل ليرافقوه في امرٍ ما كان دائماً بطرس من جملتهم وفي مقدّمتهم . كما جرى اذ دخل يسوع بيت رئيس المجمع ليُقيم من الموت الصبيّة طالبتا «فلم يدعْ احداً يتبعهُ الّا بطرس ويعقوب ويوحنّا اخا يعقوب» (مرقس ٥ : ٣٧ ولوقا ٨ : ٥١) . وكذلك في تجلّي الربّ على الجبل لم يُصعِد معهُ الّا بطرس ويعقوب ويوحنّا ليعاينوا مجده . الّا ان بطرس هو الذي يتكلّم باسم الثلاثة قائلاً «يا ربّ حسنٌ لنا ان نكون ههنا» (متى ١٦ : ١—٩ ومرقس ٩ : ١—٨ ولوقا ٩ : ٢٨—٣٦) . وفي نزاع المخلّص في بستان الزيتون لم يصحب معه الى داخل البستان الّا هؤلاء الثلاثة ليشاهدوا حزنه واوّلهم بطرس «واخذ معه بطرس وابني زبدى وطفق يحزن ويكتئب» (متى ٢٦ : ٣٧ ومرقس ١٤ : ٣٣) . وإذ كانت عيونهم ثقيلة من النعاس والحزن لم يوجّه يسوع الكلام الّا الى بطرس «فقال لبطرس: أهكذا لم تقدروا ان تسهروا معي ساعة واحدة» (متى ٢٦ : ٤٠) وفي انجيل مرقس (١٤ : ٣٧) ويختصّ بالعتاب بطرس «فقال لبطرس : يا سمعان هل انت نائم أو لم تقدر ان تسهر ساعة واحدة» كأنّه اذا عاتب بطرس عاتب الجميع لانه يمثّلهم بما انه الوكيل

ومما يُثبت ان بطرس كان مهيّأ ليكون نائب المسيح والرئيس على الرسل ما ورد:

مراراً في الانجيل انه كان يجيب قبل الكلّ وباسم الجميع . فلمّا حرّض المسيح الرسل على ان يكونوا كعبيدٍ ينتظرون سيّدهم ليفتحوا له «قال له بطرس : يا ربّ ألنا تقول هذا المثل ام للجميع» (لوقا ١٢ : ٤١) . ولمّا قال يسوع انه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات نرى بطرس يسرع ويتكلّم باسم الجميع «اجاب بطرس وقال له : هوذا نحن تركنا كل شيء وتبعناك» (متى ١٩ : ٢٧ ومرقس ١٠ : ٢٨ ولوقا ١٨ : ٢٨) . وعندما تكلّم السيّد المسيح عن إعطاء جسده مأكلاً ودمه مشرباً استثقل بعض التلاميذ كلامه ورجعوا الى الوراء وتركوه «فقال يسوع للاثني عشر : ألعلّكم انتم ايضاً تريدون ان تمضوا» (يوحنا ٦ : ٦٨) فمن منهم يا ترى يعطي الجواب المزّي قلب يسوع؟ لا ريبَ في انه بطرس «فاجاب سمعان بطرس : يا ربّ الى من نذهب : انّ كلام الحياة الابدية هو عندك وقد آمنّا نحن وعرفنا انّك انت المسيح ابن الله» (يوحنا ٦ : ٦٩ و٧٠) هذا هو ايمان بطرس الحيّ القويم الثابت . وقد منحهُ الله موهبة هذا الايمان الغير المتزعزع لانه كان اختاره ليؤسس الكنيسة على هذه الصخرة

وامتياز بطرس هذا ليس فقط ظهر في اقوال المسيح واعماله وعَلِمَ بهِ التلاميذ لكنّه اجتاز جماعتهم واطّلع عليه الغرباء . فلما اراد الذين يجبون الدرهمين أن يستوفوهما من يسوع لم يكلّموا الّا بطرس إذ اشتهر عنه انه المقدّم في الرسل . يخبرنا الانجيل «انهم لمّا أتوا الى كفرناحوم دنا الذين يجبون الدرهمين الى بطرس وقالوا له : أما يؤدّي معلّمكم الدرهمين» (متى ١٧ : ٢٣) . ومما هو جدير بالاعتبار ان المسيح اراد ان يؤدّي عنه وعن بطرس . وما ذلك الّا لانه كان نائبهُ . «فقال له : امضِ الى البحر وألقِ الشصّ فاول سمكة ترفعها افتح فاها فتجد استاراً فخذهُ وأدِّ عني وعنك» (متى ١٧ : ٢٦) واذ أرسل يسوع تلميذين ليُعدّا الفصح كان اولهما بطرس (لوقا ٢١ : ٨) ولمّا غسل المسيح ارجل التلاميذ كان بطرس اول من تقدّم اليه يسوع «فتقدّم الى سمعان بطرس» (يوحنا ١٣ : ٦)

قد تحقّقنا من كل ما سبق ان المسيح قدّم سمعان بطرس على جميع التلاميذ والرسل . وقد علم بذلك بطرس فنراه يتصرّف دائماً بمقتضى الرئاسة التي وعده بها المسيح فيتكلّم ويعمل ويسأل ويجيب كمن له وظيفة خصوصية والرتبة الاولى بين الرسل . ونشاهد سائر الرسل يحسدون بطرس على تفضيل يسوع له ويتباحثون مراراً

فيما بينهم من هو الاعظم (مرقس ٩ : ٣٣ ولوقا ٢٢ : ٢٤) وعلى الخصوص يعقوب ويوحنا ابنا زبدى . فيما ان يسوع كان استصحبهما مراراً مع بطرس كان لهما الامل اكثر من غيرهم ان يتقدّما عليه . فطلبا بواسطة امّهما ان يكون الواحد عن يمينهِ والآخر عن يسارهِ في مُلكهِ (متى ٢٠ : ٢١ ومرقس ١٠ : ٣٧) . لكنّ عهد الله لا يُنقَض فانّه تعالى كان اختار بطرس ليكون أساساً لا لمملكة دنيوية زائلة بل لجمعية روحية هي الكنيسة فيبقى بطرس أساسها ورئيسها

رئاسة بطرس ليست شرفية فقط بل رئاسة سلطة

وربّ معترض يقول اني اعترف برئاسة بطرس في مجتمع الرسل لا تضاح هذه الرئاسة في الاناجيل المقدسة لكني افهم بها رئاسةً شرفيّة ليس الّا

فيلزمنا ان نبحث ونرى ما لهذا القول من الصحّة . ان المسيح اذ اقام رئيساً على كنيسته لم يلتفت الى الشرف بل الى الخدمة وتضحية الذات لاجل ابناء الكنيسة . فقد قال عزّ اسمه : «من اراد ان يكون فيكم اوّل فليكن لكم عبداً كما ان ابن البشر لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه عن كثيرين» (متى ٢٠ : ٢٧ و٢٨ ثم ٢٣ : ١١ ومرقس ٩ : ٣٤ و١٠ : ٤٣) فيلزم ان يكون نائبُ المسيح كمعلّمهِ عبداً وخادماً . ولكن هذا لا يمنع ان تكون له السلطة في الكنيسة بالنيابة عن ابن الله . كما بيّن ذلك السيد المسيح . فانّهُ «لما جاء يسوع الى نواحي قيصرية فيلبّس سأل تلاميذه قائلاً : من تقول ان ابن البشر هو» (متى ١٦ : ١٣) فسؤال يسوع هذا لم يكن ليعلم ما كان يعلمه بالمعرفة التي أفاضها على ناسوتهِ اللاهوتُ المتّحد به جوهرياً بل لتتمنّى لبطرس الفرصة ان يعترف بلاهوت المسيح فيَعدهُ بالرئاسة على الكنيسة ويقلّدهُ فيها السلطة المطلقة . «أجاب سمعان بطرس قائلاً : انت المسيح ابن الله الحيّ» (متى ١٦ : ١٦) . فاعتراف بطرس هذا بألوهية يسوع كان وحياً لهُ من الآب لانّ الله كان اصطفاه منذ الازل ليكون هامة الرسل واساس الكنيسة ومعلّم المؤمنين «فاجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا فانّه ليس لحمٌ ولا دمٌ كشف لك هذا لكن أبي الذي في السماوات» (متى ١٦ : ١٧) فماذا جازى يسوع بطرس لقاء اعترافه بألوهيتهِ . فلنسمع المسيح يتكلّم بسلطانه الالهي ويقول باحتفال لبطرس بمرأى ومسمع من جميع الرسل «وأنا اقول لك : انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وأبواب

الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦ : ١٨) يقول المسيح: انا ابن الله أعدك باني سأجعلك نائبي على الارض واساس كنيستي ولا احد يقوى على نقض وعدي هذا . ومعلوم ان الكنيسة هي بناء أدبيّ اي جمعية منظورة ولا تقوم الجمعية ولا تثبت ما لم يكن لها رأس منظور يدبّرها وسلطة تضمّ اعضاءها في الوحدة . ومن ثم فكما ان البناء المادّي لا يكون ثابتاً ما لم يقم على اساس متين كذلك كنيسة المسيح التي هي جمعية بشرية روحية تحتاج بعد صعود منشئها الى السماء الى اساس تقوم عليه . فيؤكد يسوع ان الاساس هو بطرس . ويلزمها ايضاً سلطة تسوسها وتدبّرها وتجري فيها القضاء فهذه السلطة هي سلطة بطرس . ولهذا قال له يسوع « وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات . فكلُّ ما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السماوات وكلّ ما حللتهُ على الارض يكون محلولاً في السماوات» (متى ١٦ : ١٩) . فكما انه اذا سلّم صاحب الامر والنهي مفاتيح المدينة لشخص ما يُسلّمه المدينة بأسرها ويجعلها تحت سلطانه كذلك اذ سلّم المسيح مفاتيح كنيسته لبطرس جعلهُ رئيساً مطلقاً عليها وفوّض اليه كامل السلطان على ان يحلّ ويربط اي ان يسنّ شرائع ويُلزم المرؤوسين بحفظها ويعاقب من لا يحفظها وان يصنع كل ما يؤول الى فائدة الكنيسة بحسب اختلاف الازمنة على ما يرتئيه . لانّ المسيح بهذا الاطلاق وهذا التعميم « كلّ ما ربطتَه . كل ما حللتَه » اراد ان يفوّض الى بطرس مُطلَق الامر والنهي في كنيسته ويجعله صاحب الحلّ والعقد بحيث يكون ليس فقط جميع المؤمنين بل سائر الاساقفة في الدنيا قاطبةً تحت يده حتى بقيّة الرسل انفسهم

ولا يقدح برئاسة بطرس وسلطته ما قالهُ له المسيح بُعيد ذلك: « اذهب خلفي يا شيطان » لانّ لفظة الشيطان في هذا الموضع لا يراد بها ابليس بل المُقاوم . تؤيّد هذا المعنى قرائنُ الكلام . فانه لمّا تنبأ المسيح عن آلامه « أخذه بطرس نحوه وبدأ يزجره قائلاً: حاشى لك يا ربّ لا يكون لك هذا » (متى ١٦ : ٢٢) وكان قول بطرس هذا صادراً عن فرط محبته ليسوع . لكنه بما ان محبتهُ هذه كانت بشرية استحقّ توبيخ الربّ فقال له يسوع: « اذهب خلفي يا شيطان فقد صرتَ لي شكّاً لانك لا تفطن لما لله لكن لما للناس» (متى ١٦ : ٢٣) . فلا منافاة اذاً بين هذا القول وقول السيّد المسيح سابقاً انهُ سيقلّدهُ السلطان الاوّل في الكنيسة

ولا يقدح ايضاً برئاسة بطرس وسلطته المطلقة انهُ ضعُف عزمُهُ في الآلام وانكر انه يعرف يسوع . فانهُ خطئ بدون ريب لأنهُ نكر ربَّهُ بلسانهِ ولكن لم يرتب به في الباطن . يؤيد قولنا هذا ان المسيح بعد ان تنبأ للتلاميذ انهم سيتركونهُ قال لبطرس: «سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل ان يغربلكم مثل الحنطة . لكنّي صلّيت من اجلك لئلا ينقص ايمانك وانت متى رجعتَ فثبّت اخوتك» (لوقا ٢٢ : ٣١و٣٢) فاذا كان المسيح نفسه قد صلى لاجل ايمان بطرس خاصةً فمن المحال ان لا يُستجاب في صلاته وبالتالي من المحال ايضاً ان لا يكون بطرس وخلفاؤهُ معصومين من كلّ غلط في الامور المتعلقة بالايمان والّا فكيف يمكنهم تثبيت المؤمنين على الحقّ ان لم يكونوا ثابتين عليه . ومن الظاهر ظهور الشمس ان الذي يأمره الله بتثبيت غيره في الحقّ لا يستطيع إنفاذ هذه الوصية الالهية الّا ان يكون هو ثابتاً فيه ثباتاً لازماً لا يتزعزع وذلك بما يمنحه الله من المعونة والعضد بما انّه نائبهُ على الارض ويعلّم باسمهِ

ولكن لماذا يا تُرى سمح الله بسقوط بطرس ؟ . ان الله سمح بذلك لغايات اوّلها ان يتعلم بطرس الاتضاع في الرئاسة وعدم الثقة بقدرتهِ الذاتية بل يتكل على نعمتهِ تعالى كما علّم المسيح الرسل اذ قال لهم : «بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً» (يوحنا ١٥ : ٥) . ثانياً اراد يسوع ان يتعلم بطرس بالفعل والاختبار ان يكون كملّمهِ رحوماً نحو الخطأة . كان سأل بطرس المسيح سابقاً «يا ربّ كم مرّةً يخطأ اليَّ اخي فأغفر لهُ أإلى سبع مرّات . فقال له يسوع : لا اقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة سبع مرات» (متى ١٨ : ٢١و٣٢) . فسقوطهُ علّمه بالتجربة الرحمة والمغفرة . حسبما قال بولس الرسول عن المسيح (عبرانيين ٤ : ١٥) «انّ الحبر الذي لنا ليس ممّن لا يستطيع ان يرثي لأمراضنا بل قد جُرّب في كلّ شيء مثلنا ما خلا الخطيئة» أمّا بطرس فقد جُرّب وسمح الله بسقوطهِ في التجربة ليعرف ان يرثي للخطأة

بطرس بعد قيامة المسيح

علينا الآن ان نشاهد بطرس بعد قيامة المسيح لنتحقق ان يسوع عامله كرئيس على الرسل حتى بعد خطيئتهِ وأنّ تصرُّف بطرس كان كمن له السلطة بينهم

نشاهد بطرس يندم ندامةً شديدة على خطيئته «بكى بكاءً مُرّاً» (متى ٢٦ : ٧٥) ومرقس ١٤ : ٧٢ ولوقا ٢٢ : ٦٢) فقبل يسوع ندامته وغفر له وبيّن لهُ ذلك اذ

تراءى له على انفراد بعد القيامة قبل جميع الرسل والتلاميذ ليعزّيهُ في حزنه وبكائه كما ورد في لوقا «وهم يقولون لقد قام الرب في الحقيقة وتراءى لسمعان» (لوقا ٢٤ : ٣٤) «تراءى لكيفا ثم للاحد عشر» (١ كورنتس ١٥ : ٥). فلماذا تراءى لكيفا اي لبطرس خاصةً الّا مراعاة لمقامه بما انه نائبهُ . فاراد المسيح ان يؤيّد سلطته حالًا بعد القيامة ويزيل ما ربّما خامر عقول التلاميذ من سقوطه

الملاك في القبر وبطرس . التلاميذ وبطرس

ومما يحسن الاشارة اليه هو ان الملائكة انفسهم بنوع تكلّمهم مع النسوة بيّنوا تقدُّم سمعان بطرس بين التلاميذ ورئاستهُ عليهم . والدليل على ذلك هو انه لمّا ذهبت النساء يوم قيامة السيّد المسيح الى القبر ودخلنَهُ ولم يجدنَ جسده المقدس بل رأينَ شابًّا اي ملاكًا بهيئة شابٍّ فاوصاهنَّ هذا الملاك ان يقلنَ للتلاميذ ولبطرس ان الربَّ قد قام « فاذهبنَ وقُلن لتلاميذهِ ولبطرس انّه يسبقكم الى الجليل وهناك ترونهُ كما قال لكم » (مرقس ١٦ : ٧) . فنسأل ما سبب تخصيص الملاك بطرس . أليس لعلمهِ ان بطرس كان الرئيس في جماعة التلاميذ وانّه حان الوقت لهذا الرئيس ان يعمل بمقتضى وظيفتهِ

ثم انّ التلاميذ بتصرّفهم يعترفون برئاسة بطرس . فهذه مريم المجدلية إذ لم تجد جسد الرب في القبر تُسرع وتخبر بطرس «فاسرعت وجاءت الى سمعان بطرس» (يوحنا ٢٠ : ٢) فلماذا تسرع الى بطرس مع علمها بانهُ انكر الربَّ في الآلام الّا لعلمها بانه الرئيس . ثم انّ سلطة بطرس ورئاسته كانت تضطرّه ان يبادر الى القبر ويبحث عمّا حدث وهكذا فعل « فخرج بطرس والتلميذُ الآخر [يوحنا] وأقبلا الى القبر وكانا مُسرعَين معاً . فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء الى القبر اولًا » (يوحنا ٢٠ : ٣ و ٤) . ومما هو جدير بالاعتبار ان يوحنا لم يدخل القبر رغماً عن رغبته في الاطلاع على الحقيقة بل انتظر ان يدخل بطرس قبله بما انه الرئيس واحتراماً لوظيفته «ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر فرأى الاكفان موضوعة . . . فحينئذٍ دخل التلميذ الآخر الذي جاء اولًا الى القبر» (يوحنا ٢٠ : ٦—٨) . امّا لوقا فانّه لم يذكر يوحنا بل اكتفى بذكر بطرس لانّه رئيس جماعة الرسل « فقام بطرس واسرع الى القبر» (لوقا ٢٤ : ١٢)

ارعَ خرافي ارعَ غنمي

انَّ الامر الذي يبيّن خاصةً رئاسة بطرس لا الشرفية بل الفعلية التي تخوّله السلطة في تدبير الكنيسة هو ما حدث عند ما تراءى يسوع للتلاميذ على بحر طبرية ويخبرنا بهِ يوحنا الانجيلي وكان حاضراً . « كان قد اجتمع سمعان بطرس وتوما الذي يُقال له التوأم ونتنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه . فقال لهم سمعان بطرس : انا ذاهب لاصطاد . فقالوا له : ونحن ايضاً نجيء معك » (يوحنا ٢١ : ٢و٣) . في هذه الآية دليل على انقياد التلاميذ لبطرس . ثم تراءى لهم يسوع على الشاطئ واصطادوا ذلك الصيد العجائبي وعرفوا يسوع وانتهوا الى الشاطئ وكان بطرس سبق الجميع سباحةً لفرط محبته ليسوع . فبعد ان تغدّوا خاطب يسوع سمعان بطرس وقال له : « يا سمعان بن يونا اتحبّني اكثر من هؤلاء » (يوحنا ٢١ : ١٥) وقال له ذلك اول مرة ثم كرّره ثاني مرة وثالث مرة . فلماذا ثلاث مرار ؟ نجيب ان يسوع اراد ان يمهّد لبطرس السبيل ليجاهر بمحبته لهُ ثلاثاً كما انهُ كان انكرهُ ثلاثاً . وبهذا الاعتراف وبهذه المجاهرة اعاد يسوع لبطرس شرفه امام التلاميذ بما انه رأس الكنيسة واثبت له الاعتبار اللائق والواجب لهُ امام المؤمنين

اما الامر الاعظم اهمية هو ان السيّد المسيح في هذا المقام قلّد القديس بطرس نهائياً ما كان وعدهُ به من الرئاسة العامّة على كنيسته بأسرها . فانهُ بهذا الخطاب « ارعَ خرافي ارعَ غنمي » اختصّه دون سائر التلاميذ وناداهُ باسمهِ قائلاً ثلاث مرار يا سمعان بن يونا اتحبّني اكثر من هؤلاء وامرهُ قائلاً : ارعَ خرافي اي تولَّ امرهم وكن رئيساً عليهم . ولا يخفى انَّ الرعاية في ما يختصّ بالبشر لا تستعمل الّا في معنى الرئاسة كما ورد في متى (٢ : ٦) « المدبّر الذي يرعى شعبي اسرائيل » ومن ذلك قول السيّد المسيح : « انا الراعي الصالح » (يوحنا ١٠ : ١١) فعبّر عن رئاسته على الكنيسة بلفظ الراعي . ومثلهُ قول هامة الرسل « رجعتم الآن الى الراعي الى اسقف نفوسكم » (١ بطرس ٢ : ٢٥) . ثم انَّ قول المسيح ارعَ خرافي ارعَ غنمي يعني الخراف والغنم المختصّة به تعالى ومعلومٌ انَّ المراد بخراف المسيح وغنمهِ جمهور المؤمنين باسرهم فيُراد بالخراف التي هي اولاد الضأن المرؤوسون من عامّة الشعب وبالغنم التي هي الامهات الرؤساء من الاساقفة وغيرهم . فاتضح من ذلك كلّه ان السيّد المسيح قد اقام القديس

بطرس رئيساً عاماً على الكنيسة كافةً وفوّض اليه رعاية كل مرؤوس ورئيس في الكنيسة على الاطلاق لكي يرعاهم اي يسوسهم في كل ما يتعلق بالامور الدينية الآئلة الى خلاص النفوس والسعادة الابدية اي الايمان والأعمال الصالحة

رئاسة القديس بطرس

٢ في سفر اعمال الرسل

بقي علينا ان نبحث عن تصرّف بطرس بعد صعود المسيح الى السماء أكانَ تصرُّفَ رسولٍ مماثل لسائر الرسل ام تصرّف رئيسٍ له مِلْ السلطة في الكنيسة

يذكر لوقا في بدء سفر الاعمال (١ : ١٢و١٣) ان الرسل رجعوا من جبل الزيتون الى اورشليم واقاموا في العلية . فيستبي بطرس قبل جميع الرسل كما ضنع كلّ الانجيليين وما ذلك الّا بالنظر الى وظيفته وسلطته «ولمّا دخلوا صعدوا الى العلّية التي كانوا مقيمين فيها بطرس ويعقوب ويوحنا الخ » ثم نرى بطرس يبتدئ باستعمال وظيفته فيرأس انتخاب مَن يقوم مكان يهوذا الاسخريوطي « وفي تلك الايّام قام بطرس في وسط الاخوة وكان عدد الاسماء جميعاً نحو مئة وعشرين » (اعمال ١ : ١٥) وخطب في الجماعة موضحاً لهم الصفات المرغوبة في من ينتخبونه . ثم انّه في عيد العنصرة اذ حلّ الروح القدس على التلاميذ واجتمع جمهور اليهود حول العلّية نُشاهدُ القديس بطرس قائماً امام الشعب يخطب فيهم ويشرح لهم آيات الكتاب المقدس التي تشير الى حلول الروح القدس وفيضان النعم ويبكّتهم بجرأة على انهم صلبوا المسيح وقتلوه بأيدي الأثمة « فقام بطرس مع الاحد عشر ورفع صوته وخاطبهم قائلاً : ايها الرجال اليهود . . . » (اعمال ٢ : ١٤) « فلمّا سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل : ماذا نصنع ايها الرجال الاخوة . فقال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل واحد منكم . . . » (اعمال ٢ : ٣٧و٣٨) فترى من كل ما ذكرنا ان بطرس يتصرّف كمن له المقام الاول والرئاسة والسلطة

الآيات التي صنعها بطرس وخطابهُ في الهيكل ثمّ امام المحفل

ولكي يرفع الله مقام بطرس امام جماعة المؤمنين وليؤيّد سلطته ويوضح رئاسته اراد ان تجري على يده المعجزات الباهرة . فقد قال الكتاب (اعمال ٥ : ١٢) اجمالاً

عن جميعهم انه « جرت على ايدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب » . الّا ان الكتاب ضرب صفحاً عمّا صنعه سائر الرسل ولم يذكر من هذه الآيات والعجائب التي تمت في الأيام الاولى من الكنيسة الّا ما جرى على يد بطرس رغبةً منهُ في ان يبيّن ما كان له من الرئاسة والسلطة ويوصي بالاعتبار الواجب له . فمن هذه الآيات شفاء المخلّع ايناس المضطجع على فراش الاوجاع في لُدّة منذ ثماني سنين (اعمال ٩ : ٣٣ و ٣٤) واقامة طابيثا من الموت في يافا (اعمال ٩ : ٤٠) وشفاء المرضى بظلّ بطرس « ان الناس كانوا يخرجون بالمرضى الى الشوارع ويضعونهم على فُرش واسرّة ليقع ولو ظلُّ بطرس عند اجتيازهِ على بعض منهم فيبرأوا من كل علّةٍ بهم » (اعمال ٥ : ١٥) . كان المرضى اذا لمسوا ثوب المسيح يبرأون من امراضهم ولكن في هذا الموضع نرى انّ ظلّ بطرس كان يشفي المرضى وذلك بالقوّة التي اعطاه اياها المسيح . وقد روى كتاب الاعمال وقصّ بالتفصيل ما جرى للرجل الذي كان اعرج من بطن امه فشفاه بطرس عند باب الهيكل الحسن في وقت صلاة الساعة التاسعة حيث كان يجتمع الشعب للصلاة « فتفرّس فيه بطرس مع يوحنا وقال : انظر الينا . . . فقال بطرس : ليس لي فضّة ولا ذهب ولكنّي اعطيك ما عندي . باسم يسوع المسيح الناصري قُم وامشِ » (اعمال ٣ : ٤ و ٦) . ثم خطب بطرس مرة ثانيةً مبيّناً لليهود ان يسوع هو المسيح وان الله اقامهُ من الموت وحرّضهم قائلاً : « توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم » (اعمال ٣ : ١٩) . وخطب ايضاً مرة ثالثة وبجرأةٍ وقوة كمن يتكلم بسلطة امام محفل اليهود حيث اجتمع « رؤساؤهم والشيوخ والكتبة وحنّان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والاسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة » (اعمال ٤ : ٥ و ٦) . فلماذا لا ننظر الّا بطرس ولا نسمع الّا بطرس ولا نرى احداً يدافع عن الحقّ الّا بطرس ؟ أليس ان ذلك دليل على رئاسته وسلطته ؟ ولمّا تهدّد رئيس الكهنة الرسل وامرهم ان لا يعلّموا باسم يسوع « أجاب بطرس والرسل وقالوا : ان الله احقّ من الناس بأن يُطاع » (اعمال ٥ : ٢٩) فترى ان الكتاب يخصّص دائماً بطرس بين سائر الرسل فلا يمكن تعليل ذلك الا بكونه رئيساً على الكنيسة جمعاء .

بطرس وتأديب حنانيا وسفيرة

ومما يؤيّد رئاسة بطرس وسلطته في الكنيسة ما اخبر به سفر اعمال الرسل (٥ : ١ — ١١) عن التأديب الذي اجراه والقصاص الصارم الذي عاقب به حنانيا وسفيرة

امرأته وذلك ان المؤمنين « الذين كانوا يملكون ضياعاً او بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويُلقونها عند اقدام الرسل فيوزَّع لكلّ واحدٍ على حسب احتياجه » (اعمال ٤ : ٣٤ و ٣٥) :

«وإنَّ رجلاً اسمهُ حنانيا مع سفيرة امرأتهِ باع ملكاً لهُ واختلس بعض الثمن وامرأتهُ تعلم بذلك وأتى ببعضهِ وألقاهُ عند أقدام الرسل. فقال بطرس: يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك حتى تكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الضيعة . ألم يكن لك مدَّةَ بقائهِ وبعد أن بيع ألم يكن في سلطانك فلماذا جعلتَ في قلبك هذا الأمر. إنَّك لم تكذب على الناس بل على الله . فلمَّا سمع حنانيا هذا الكلام سقط ومات فوقع خوفٌ عظيمٌ على جميع الذين سمعوا بذلك . فقام الفتيان وكفَّنوهُ وحملوهُ ودفنوهُ . وبعد مدَّة نحو ثلاث ساعاتٍ دخلت امرأتهُ وهي لم تعلم بما جرى. فأجابها بطرس قولي لي أبهذا الثمن بعتما الضيعة. فقالت: نعم بهذا. فقال لها بطرس: ما بالكما اتَّفقتما على تجربة روح الربّ ها إنَّ أقدام الذين دفنوا رجلكِ بالباب وهم يحملونكِ. فسقطت في الحال عند قدميهِ ومات فلمَّا دخل الأحداث وجدوها ميتةً فحملوها ودفنوها بجانب رجلها . فوقع خوفٌ عظيمٌ على جميع الكنيسة وعلى كلّ الذين سمعوا بذلك »

ان الله سبحانه وتعالى اراد بهذه العقوبة السريعة الهائلة التي تمَّت على يد بطرس إلقاء المهابة في نفوس الناس وحملهم على الخضوع لرؤسائهم وخاصة لبطرس هامة الرسل ورأس الكنيسة (١

تبشير بطرس الامم الوثنية

بما انَّ بطرس هو رأس الكنيسة قد شاء الله ان يكون هو اوَّل من يبشِّر الامم الوثنية ويقاسمه في حمية المؤمنين كما حدث في ارتداد قائد المئة كرنيليوس في قيصرية فلسطين فان هذا الرجل « كان تقيًّا يخشى الله هو وجميع اهل بيته ويُعطي الشعب صدقاتٍ كثيرة ويصلّي الى الله في كل حين» (اعمال ١٠ : ٢) . فتراءى له ملاك الله وقال له : «أرسل الآن رجالاً الى يافا واستحضر سمعان الملقَّب بطرس» . وفي اثناء ذلك اعلن الله لبطرس بالرؤيا ان لا يتردَّد في قبول مثل هؤلاء في الكنيسة . فذهب بطرس الى قيصرية فلسطين حيث كان يقيم كرنيليوس ووعظهُ هو وجميع اهل بيته وبينما هو يكلّمهم عن السيد المسيح حلّ عليهم الروح القدس « حينئذٍ اجاب بطرس

(١ انما استحق حنانيا هذا العقاب المخيف لأنهُ فضلاً عمَّا استعمله من الكذب والاحتيال نقض عهدهُ لله تعالى الذي ألزم نفسهُ به وكانت له الحرِّية ان لا ينذرهُ ويُبقي المال او بعضهُ في سلطانه (اعمال ٥ : ٤)

أفلا احدًا يستطيع ان يمنع الماء فلا يعتمد هؤلاء الذين نالوا الروح القدس مثلنا . ثم أمر ان يعتمدوا باسم الربّ » (اعمال ١٠: ٤٧و٤٨) فهكذا كان تبشير الامم الوثنية اولًا على يد بطرس رئيس الكنيسة وذلك بتدبير خصوصي من الله لكي يكون نائب الراعي الصالح هو الذي يفتح قبل الكلّ باب الحظيرة المقدسة لهذه الخراف الضالّة . وقد اشار الى ذلك بطرس في المجمع الاورشليمي اذ قال (اعمال ١٥: ٧): « ايها الرجال الاخوة إنكم تعلمون أنه من الأيام الاولى اختار الله من بيننا أنّ الامم من فمي يسمعون كلمة الانجيل فيؤمنون »

امّا ما ورد في سفر اعمال الرسل (٨: ١٤) وهو « لما سمع الرسل الذين في اورشليم ان اهل السامرة قد قبلوا كلمة الله ارسلوا اليهم بطرس ويوحنا » فلا يُستنتج منه شيء ضدّ رئاسة بطرس في الكنيسة . لانه لم يُرسَل بطرس كمرؤوس يُعطَى الاوامر بل كرئيس يُطلب اليه ان يتوجّه الى السامرة لما له من النفوذ والاعتبار وخاصّةً لانّ توطيد الايمان في قلوب اهل السامرة كان له شأنٌ عظيم لانهم اوّل أمّة قبلت ايمان المسيح خارج اليهودية وكان ارتدادها توطئة لارتداد الامم الوثنية . فرأى التلاميذ انه يليق ان يذهب اليهم من كان رأس الكنيسة وله المقام الاوّل فيها والسلطة التامّة

بطرس في السجن

ثم اننا مما يخبره لوقا عن سَجن بطرس نتحقق عظم شأنه واعتباره لدى جماعة المؤمنين وانه كان الرئيس في الكنيسة . فعند ما تكلّم لوقا عن اضطهاد هيرودس للكنيسة وقتله يعقوب الرسول اكتفى بهذه العبارة « وقتل يعقوب اخا يوحنّا بالسيف » (اعمال ١٢: ٢) امّا لدى كلامه عن سَجن بطرس وحفظه للقتل فيرينا لوقا الكنيسة جماء مهتمّة لنجاته وحفظ حياته الثمينة تتضرّع الى الله بصلوات حارّة « فكان بطرس محفوظًا في السجن وكانت الكنيسة تصلّي الى الله من اجله بلا انقطاع » (اعمال ١٢: ٥) . وما سبب هذه الصلوات المتواصلة الّا رئاسة بطرس في الكنيسة . وقد استجاب الله توسّلات الكنيسة لحفظ حياة رئيسها ففي ليلة اليوم الذي كان عزم فيه هيرودس على قتله ارسل الله ملاكه ونجّى نائبه . فشكر بطرس الله وقال : « الآن علمتُ

يقيناً ان الربّ قد ارسل ملاكهُ وانقذني من يد هيرودس ومن كلّ ما تربّصهُ بي شعب اليهود» (اعمال ١٢ : ١١)

بطرس ومجمع الرسل في اورشليم

ولدينا على رئاسة بطرس برهان آخر منَ المجمع الاول الذي التأم فيه الرسل للبحث عن مسألة الختان وسُنَن موسى. فأن بطرس هو الذي ترأس المجمع بصفتهِ وليس للكنيسة فعرض المسألة وشرحها وبيّن بالبراهين ما الذي يلزم ان يُقرَّر فيها وجزم في الامر كما يتضح من سفر الاعمال «واذ جرت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم: ايها الاخوة ... لِمَ تجرّبون الله لتضعوا على رقاب التلاميذ نيرًا لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نحمله. ولكن بنعمة الربّ يسوع نؤمن ان نخلص نحن مثل اولئك. فسكتت الجماعة كلّها» (١٥ : ٧–١٢). ثم تكلّم يعقوب وبيّن انه موافق لرأي بطرس قائلًا: «قد شرح سمعان كيف افتقد الله الامم منذ الاوّل ليتخذ منهم شعباً لاسمه الخ» (اعمال ١٥ : ١٤) (١

ويحسن بنا قبل الختام ان نشير الى ما صنعهُ بولس الرسول بعد ارتداده الى الرب وقد اخبرنا به هو نفسه في رسالته الى اهل غلاطية (١ : ١٥–١٩) قال: «لما ارتضى الله الذي فرزني مُنذُ كنتُ في جوف امّي ودعاني بنعمته ان يعلن ابنهُ فيَّ لأُبشّر بهِ بين الامم لساعتي لم أُصغِ الى اللحم والدم ولا انطلقتُ الى اورشليم الى الذين هم رُسل قبلي بل سرتُ الى ديار العرب وبعد ذلك رجعتُ الى دمشق ثم إنّي بعد ثلاث سنين انطلقت الى اورشليم لأزور بطرس فأقمت عنده خمسة عشر يوماً ولم أرَ غيرهُ من الرسل سوى يعقوب اخي الربّ». ان يعقوب هذا كان اسقف اورشليم. فما سبب تخصيص بطرس بالزيارة دون سائر الرسل والاقامة عنده خمسة عشر يوماً الّا لانَّ بولس الرسول كان يعتبر بطرس رئيساً مُقاماً من السيّد المسيح على الكنيسة جمعاء. فكان

١) لا يخفى ان بطرس لما لهُ من السلطة في الكنيسة انشأ الكراسي الثلاثة المشهورة بين جميع الكراسي الاسقفية في العالم المسيحي اي كراسي رومية وانطاكية والاسكندرية. فبعد ان اسس كرسي انطاكية باقامته مدة سبع سنوات في تلك المدينة انتقل الى قاعدة مملكة الرومانيين وأسس كرسي رومية كما تعدّدت الشواهد على ذلك. ومن هناك ارسل تلميذه مرقس واسس كرسي الاسكندرية. ومن ثم فالبطريركيات المتنازة في الكنيسة تنسب الى بطرس عامة الرسل

لا بدّ له من زيارته ومخابرته في امور الكنيسة ونشر الايمان والتبشير بيسوع المسيح ولا يُنقِص شيئاً من سلطة القديس بطرس ولا يضرّها مقاومةُ بولس الرسول له في حادث خصوصيّ أوردَ خبرهُ في رسالتهِ الى اهل غلاطية (٢ : ١١) قال: «لما قدِم كيفا الى انطاكية قاومتُهُ مواجهةً لانّه كان ملوماً». وذلك ان بطرس «قبل قدوم قومٍ من عند يعقوب كان يأكل مع الامم فلما قدموا تنحّى واعتزل مخافةً من اهل الختان وتظاهر معهُ سائر اليهود حتى ان برنابا ايضاً انجذب الى تظاهرهم» (غلاطية ٢: ١٢و١٣). فتنحّي بطرس واعتزالهُ الاكل مع المتنصّرين من الامم انما كان لئلّا يشكّك المتنصّرين من اليهود لان اليهود لم يكونوا يؤاكلون الامم كما يُستفاد من سفر الاعمال (١١ : ٢و٣) اذ ذهب بطرس الى قيصرية بالهام من الله لمّا استدعاه قائد المائة كرنيليوس بايعاز الملاك. فان الذين من اهل الختان استغربوا دخول بطرس على رجال قُلف والاكل معهم. فخشي بولس من ان يظنّ المتنصّرون من الامم انهم ملتزمون بحفظ شريعة موسى فلذلك قاوم بطرس. الا ان الشيء الذي قال بولس ان بطرس كان ملوماً فيه لم يكن شيئاً متعلقاً بالايمان ولا بالآداب ولا بالتدابير العمومية ولا بالسلطة العامة ولا بالعصمة. انما كان امراً خصوصياً لم يرهُ بولس مناسباً في تلك الظروف. فلما ظهر لبطرس ان بولس كان محقّاً انقاد لرأيهِ شأن الرئيس الحكيم وكما ينقاد الملك الى رأي وزيره في اجراء بعض التدابير اذا رآه صوابياً

وقد لاحظ بعض العلماء ان ما صنعه بولس ليس فقط لا يُضعف سلطة بطرس بل بالعكس يؤيّدها ويثبتها. لانه لو كان غير بطرس اعتزل مؤاكلة المتنصّرين من الامم لمّا كان بولس اكترث لهذا الامر لكن لانّ بطرس كان رئيس الكنيسة كان مثله مؤثّراً جدًّا في جماعة المتنصّرين من اليهود والتلاميذ يدفعهم على الاقتداء بهِ كما حدث بالفعل إذ ان سائر اليهود حتى برنابا تظاهروا مع بطرس. وهذا ما خشيهُ بولس ودفعهُ الى مقاومتهِ

ويعلم القرّاء ان بولس الرسول نفسه تصرّف احياناً كما تصرّف بطرس. فانه لمّا اراد ان يأخذ معهُ تيموثاوس رفيقاً في الرسالة لم يحجم عن ان يختنه مراعاةً لخاطر اليهود ولئلّا يشكّكهم. وقد ذكر ذلك سفر الاعمال (١٦ : ١—٣) اذ قال عن بولس «وقدم الى دربة ولسترة واذا بتلميذ هناك اسمه تيموثاوس ابن امرأة يهودية مؤمنة

لكن اباه يوناني وكان مشهوداً له من الاخوة الذين في لسترة وايقونية فاراد ان ينطلق هذا معهُ فاخذهُ وختنه من اجل اليهود الذين في هذه الامكنة لان جميعهم كانوا يعرفون ان اباه كان يونانياً » .

الختام

ها اننا روينا ما ورد عن القديس بطرس في الاناجيل المقدسة وفي سفر اعمال الرسل . فنسأل القارئ اللبيب لو افترضنا ان جميع ذلك ورد وقيل لا عن القديس بطرس لكن عن احد رفقائه الرسل كالقديس فيلبس مثلاً أليس ان القارئ كان استنتج ان فيلبس هو الرئيس على الرسل . والحال ان جميع ما روينا قيل عن بطرس لا عن غيرهِ من الرسل . فيُستنتج طبعاً وضرورةً انه هو الرئيس اذ لا بدَّ من رئيس في جماعة منظَّمة سوف تنتشر في العالم اجمع

فمن كل ما سبق يتضح لكلّ ذي بصيرة وعقل سليم وقلب مستقيم ان السيد المسيح اختار بطرس الرسول واقامه نائباً له على الارض وأساساً للكنيسة ورأسها المنظور وراعي جميع المؤمنين وقلّدهُ السلطة المطلقة . وان القديس بطرس بعد صعود الرب الى السماء تصرّف تصرُّف رئيس . وانّ جميع المؤمنين شرقاً وغرباً منذ نشأة الكنيسة اعتبروا القديس بطرس رئيسها الشرعي وانقادوا لطاعتهِ عملاً بمشيئة يسوع المسيح لاسيما السجود وحسبوا خلفاءهُ على الكرسي الروماني وارثين لسلطتهِ كما يتضح من تاريخ الكنيسة ومن اقوال الآباء ومن تحديدات المجامع وكما يقتضي به العقل السليم الذي يحكم بان كلّ جماعة منظورة لا تقوم الّا برأس منظور

معجزة فلكية حديثة

بقلم حضرة الاب رفائيل غله اليسوعي

رغماً من الاكتشافات الفلكيَّة العجيبة المتتابعة عاماً فعاماً بل شهراً فشهراً من غرَّة الجيل التاسع عشر الى يومنا هذا لم يهتدِ حتى الآونة الاخيرة احدُ ائمة علم الهيئة الى طريقةٍ لقياس حجم الكواكب مباشرةً . وما سبب وعورة ذلك المشكل سوى

لكن اباه يوناني وكان مشهوداً له من الاخوة الذين في لسترة وايقونية فاراد ان ينطلق هذا معهُ فاخذهُ وختنه من اجل اليهود الذين في هذه الامكنة لان جميعهم كانوا يعرفون ان اباه كان يونانياً » .

الختام

ها اننا روينا ما ورد عن القديس بطرس في الاناجيل المقدسة وفي سفر اعمال الرسل . فنسأل القارئ اللبيب لو افترضنا ان جميع ذلك ورد وقيل لا عن القديس بطرس لكن عن احد رفقائه الرسل كالقديس فيلبس مثلاً أليس ان القارئ كان استنتج ان فيلبس هو الرئيس على الرسل . والحال ان جميع ما روينا قيل عن بطرس لا عن غيرهِ من الرسل . فيُستنتج طبعاً وضرورةً انه هو الرئيس اذ لا بدَّ من رئيس في جماعة منظَّمة سوف تنتشر في العالم اجمع

فمن كل ما سبق يتضح لكلّ ذي بصيرة وعقل سليم وقلب مستقيم ان السيد المسيح اختار بطرس الرسول واقامه نائباً له على الارض وأساساً للكنيسة ورأسها المنظور وراعي جميع المؤمنين وقلّدهُ السلطة المطلقة . وان القديس بطرس بعد صعود الرب الى السماء تصرّف تصرُّف رئيس . وانّ جميع المؤمنين شرقاً وغرباً منذ نشأة الكنيسة اعتبروا القديس بطرس رئيسها الشرعي وانقادوا لطاعتهِ عملاً بمشيئة يسوع المسيح لاسيما السجود وحسبوا خلفاءهُ على الكرسي الروماني وارثين لسلطتهِ كما يتضح من تاريخ الكنيسة ومن اقوال الآباء ومن تحديدات المجامع وكما يقتضي به العقل السليم الذي يحكم بان كلّ جماعة منظورة لا تقوم الّا برأس منظور

معجزة فلكية حديثة

بقلم حضرة الاب رفائيل غله اليسوعي

رغماً من الاكتشافات الفلكيَّة العجيبة المتتابعة عاماً فعاماً بل شهراً فشهراً من غرَّة الجيل التاسع عشر الى يومنا هذا لم يهتدِ حتى الآونة الاخيرة احدُ ائمة علم الهيئة الى طريقةٍ لقياس حجم الكواكب مباشرةً . وما سبب وعورة ذلك المشكل سوى

بُعد النجوم الهائل فانّ اقربها الينا لو فرضنا انـه بحجم الشمس لظهر لاغلبنا ظهور كُرَيّة طول قُطرها سنتيمتر واحد نشاهدها على مسافة خمسمائة كيلومتر مثلاً

فما اطول باع العلّامة الاميركي النحرير الاستاذ ميكلسون المدرّس في كلّية شيكاغو وما اسمى قدرته العقليّة حيث استطاع حلّ تلك العقدة التي ما زال جهابذة الفلكيين يعالجونها في الجيل المنصرم على اساليب شتى فذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وما يزيد فضل الاستاذ المشار اليه ويرفع قيمة اكتشافه أنّ قولهُ مستندٌ الى اثبت مبادئ علم النور فاصبح الاستاذ ميكلسون من اعظم جهابذته في الخافقين. وحيث لا يسمح ضيق المقام ومشاكل البحث بعرض تلك المبادئ على اسلوب علمي لا يترك مجالاً للشكّ والغموض فحسبُنا وصف طريقة ميكلسون على نمط موجز قريب المنال

اذا ارتسمت صورة نجم ما في مرقب ظهرت على شكل نقطة ساطعة مُحاطة بدوائر دكناء فيضاء تناوباً تضرب صفحاً عن سبب تكوُّنها. هذا ما نراه اذا كانت عدسيّة المرقب المواجهة للنجم مكشوفةً لاقبال نوره. لكن اذا غطّيناها بصفيحة معدنيّة ذات ثقبَين ضئيلين متوازيين شاهدنا في مستوقد النظّارة بدلاً من صورة النجم الوحيدة السابق وصفها صورتَين مثلها تظهران من الثقبين. وقد برهن الاستاذ ميكلسون بالحساب فضلاً عن الاختبارات العديدة أنّه اذا وُجدت نسبة معلومة بين بُعد الثقبين وقُطر النجم المرقوب ارتسمت احدى الصورتين على الاخرى بحيث تزول الدوائر الدكناء والبيضاء الملاحقة فيها. وسبب ذلك الزوال ان الدوائر الدكناء في احداهما تغطّي الدوائر البيضاء في الاخرى والعكس بالعكس. فيكفي اذاً من الوجهة العمليّة إبعاد احد الثقبين عن الآخر الى ان تغيب الدوائر. فيمكن حينئذٍ قياس البُعد الفاصل بينهما ويُقاس ذلك على فرض قياس بُعد النجم عنّا بمعرفة مقدار انفراج الزاوية التي ضلعاها شعّاعان من عين الراقب الى طرَفي قُطر الكوكب المرقوب. فلا شيء اسهل بعد كل ذلك من اجراء حساب بسيط يوقفنا على طول ذلك القُطر ثم على مساحة سطح النجم. واخيراً على حجمه. تلك هي على جناح السرعة التفاصيل الجوهرية لطريقة ميكلسون. ويلوح لكل ذي عينين انها سهلة المسلك رغماً من وعورة المشكل الذي وُضعت لحلّه.... فسبحان من قدّر العقل البشري على ادراك ابعد الغايات باقرب الوسائل واهونها!

كان اوّل تطبيق الاستاذ الاميركي الشهير لطريقته في مرصد مَونت وِلسن

(Mount Wilson) وفيه اقدرُ نظّارة في العالم قُطرُ مرآتها بطول مترين ونصف ا
(راجع المشرق ص ٢٩٩)

واول نجم قيس قُطره على هذا الاسلوب هو المعروف عند العرب باسم إبط الجوزاء (Bételgeuse) وقد اخذه الافرنج عنهم في جملة ما اخذوه من المعلومات الفلكية: والجوزاء هي من اسطع ما نراه من الكوكبات كثيرًا ما ادمجها شعراؤنا في تشابيههم واستعاراتهم اللبقة المستظرفة. مثال ذلك ما ورد في مطلع قصيدة لخليل بك مطران الشاعر الذائع الصيت في سورية ومصر:

كانوا ثمانيةً من النُدَماء متآلفين كانجم الجوزاء
في مجلس حجبَ الشبابُ بامرهم ابوابَهُ الا على السرّاء

إبط الجوزاء هو النجم الواقع في شمال هذه الكوكبة فهو ادنى نجومها الى النجمة القطبية. وقد اهتدى الفلكيون الى قياس بُعده عن الارض فوجدوه زهاء مائة وخمسين سنة نور. وقد سبق لنا ايضاح ذلك التعبير الجاري الاستعمال في علم الهيئة فقلنا انهُ عبارة موجزة عن المسافة التي يطويها النور في ظرف سنة بسرعته البالغة ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية. فبناء على ذلك نرى ان شعاع إبط الجوزاء الواصل الآن الى مقلتنا قد انطلق من ذلك النجم الرائع البُعد منذ مائة وخمسين عاماً نعني قبل ولادة جدّ جدّنا في الغالب ولم يزل منذ ذلك الوقت ينهب خلَوات الرقيع بسرعة البرق حتى وافانا بعد شوطهِ الذي تعجز أقدرُ مخيلة عن مجرّد تصوّره

قاس الفلكيون بُعد ابط الجوزاء وهي لعمري معجزة كافية لتخليد مجدهم في تاريخ البشر ولكنهم لم يتوصّلوا قبل الاستاذ ميكلسون الى قياس حجم ذلك الكوكب الساطع في اقاصي الجلَد. فقد طالما عالجوا ذلك المشكل الغامض وحاولوا حلّهُ بكل ما دار على خلدهم من الطرق المتنوعة فذهبت كل افكارهم هباء منثورًا وكانوا كمن يضرب على حديد بارد. ولا بدع ان لم يكن لهم قِبَلٌ بحلّ تلك العقدة فهل من سبيل الى قياس قُطر نجم يبعد عنّا نحو عشرة ملايين اضعاف بُعد الشمس الواصل الينا ضياؤها في ثماني دقائق ليس الّا؟

أجل يوجد الآن سبيل الى ذلك الامر المستحيل بالامس بل هو طريق رَحبة ممهّدة هيّنة نهجها وسلكها مرّة اولى في صيف السنة ١٩٢٠ نابغة علم النور الاستاذ

ميكلسون فاحرز باكتشافه البديع النادر المثال مجداً لن يمحوه كرُّ العصور

قاس العلّامة الاميركي قطر ابط الجوزاء على طريقته البسيطة التي لخّصناها فيما سبق (١ فوجده يساوي ثلاثمائة ضعف قطر الشمس وذلك كناية عن اربعمائة وخمسة عشر مليون كيلومتر ! فينتج عن ذلك ان حجم ابط الجوزاء يوازي ٢٧ مليون ضعف حجم الشمس فلو نُقلت شمسُنا الى وسط ذلك الكوكب الرائع لَضاعت هناك ضياع رملةٍ في كثيب بل لاستطاعت ارضنا ان تبقى في باطن ابط الجوزاء على بعدها المعتاد عن الشمس البالغ نحو مائة وخمسين مليون كيلومتر (راجع الرسم)

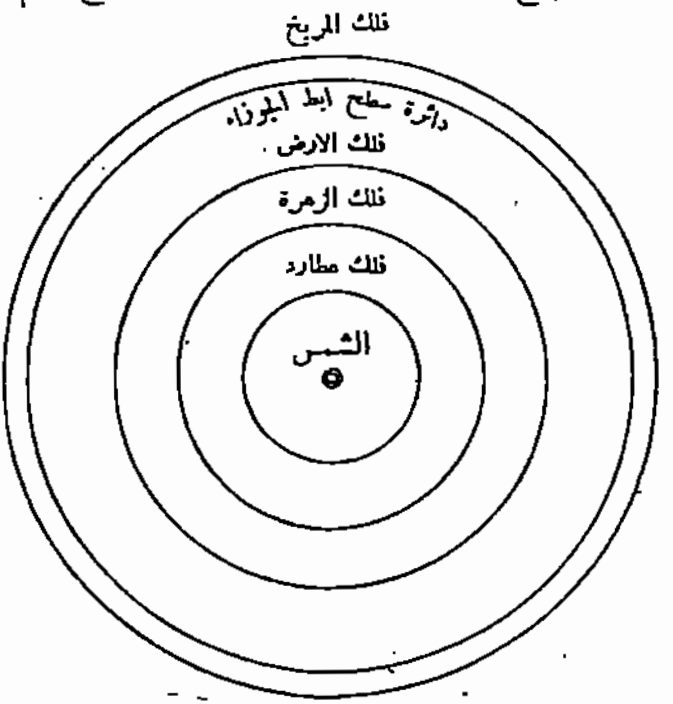

المقابلة بين حجم ابط الجوزاء وأفلاك بعض السيارات الشمسية

١) عرفنا بها ان انفراج الزاوية التي ضلعاها خطّان متجهان من العين الى طرفي قطر ابط الجوزاء يساوي $\frac{٥٦}{١٠٠٠}$ من الثانية المندسية وهو يساوي انفراج الزاوية المارّة بطرفي كُرَيّة صغيرة لا يزيد قطرها عن سنتيمتر واحد وهي على مسافة ٦٧ كيلومتراً من العين

ورغماً من كون زاوية النظر الى قطر ابط الجوزاء شديدة الصغر فهي أكبر من مثلها في بقية الكواكب. ولذلك اجرى ميكلسن طريقته على ذلك النجم قبل غيره

وبما ان حجم الشمس يساوي نحو ١،٢٩٥،٠٠٠ ضعف حجم الارض فان ابط الجوزاء يوازي تقريباً ٣٩،٩٦٥،٠٠٠،٠٠٠ ضعف حجم ارضنا! ولو جعلنا ذلك النجم على بعد الشمس منّا لوسعت مساحته كل طول سمائنا وعرضه! أفلم يصدق والحالة هذه صاحب المزامير حيث ترنّم بعظمة الالـه القدير الذي خلق ملايين من الكواكب الرائعة الكبر بمجرّد فعل ارادته . فصاح بلسان الدهشة يخاطب العلي (٨ : ١ — ١٠):

« ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض وقد جعلت جلالك فوق السماوات . . . اني ارى سماواتك عمل اصابعك والقمر والكواكب التي كونتها . ما الانسان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده ؟ نقصته عن الملائكة قليلاً وكلّلته بالمجد والكرامة . سلّطته على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميه . . . ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض! »

المئة الثالثة لتثبيت قداسة

اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس

للاب لويس شيخو اليسوعي

من جملة ما دعا الى الاحتفال به السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر شهراً قبل وفاته التذكارُ المئوي القريب بتثبيت قداسة بعض اولياء الله الذين اعلن بسر فضلهم البابا غريغوريوس الخامس عشر في ١٢ اذار سنة ١٦٢٢ وفي مقدّمتهم قديسان عظيمان زيّنا كنيسة الله بآثرهما السنيّة تمدّهما الرهبانيّة اليسوعيّة كركنَي جماعتها . نريد بهما القديس اغناطيوس دي لويولا منشئها وفرنسيس كسفاريوس اوّل مرسليها الى الشرق الاقصى

فهذا ما حدا برؤسائنا رسالتنا الى ان يقيموا في كنيسة كأيّتنا مواسم خارقة العادة

وبما ان حجم الشمس يساوي نحو ١،٢٩٥،٠٠٠ ضعف حجم الارض فان ابط الجوزاء يوازي تقريباً ٣٩،٩٦٥،٠٠٠،٠٠٠ ضعف حجم ارضنا! ولو جعلنا ذلك النجم على بعد الشمس منّا لوسعت مساحته كل طول سمائنا وعرضه! أفلم يصدق والحالة هذه صاحب المزامير حيث ترنّم بعظمة الالـه القدير الذي خلق ملايين من الكواكب الرائعة الكبر بمجرّد فعل ارادته . فصاح بلسان الدهشة يخاطب العلي (٨ : ١ — ١٠):

« ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض وقد جعلت جلالك فوق السماوات . . . اني ارى سماواتك عمل اصابعك والقمر والكواكب التي كونتها . ما الانسان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده ؟ نقصته عن الملائكة قليلاً وكلّلته بالمجد والكرامة . سلّطته على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميه . . . ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض! »

المئة الثالثة لتثبيت قداسة

اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس

للاب لويس شيخو اليسوعي

من جملة ما دعا الى الاحتفال به السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر شهراً قبل وفاته التذكارُ المئوي القريب بتثبيت قداسة بعض اولياء الله الذين اعلن بسر فضلهم البابا غريغوريوس الخامس عشر في ١٢ اذار سنة ١٦٢٢ وفي مقدّمتهم قديسان عظيمان زيّنا كنيسة الله بآثرهما السنيّة تمدّهما الرهبانيّة اليسوعيّة كركنَي جماعتها . نريد بهما القديس اغناطيوس دي لويولا منشئها وفرنسيس كسفاريوس اوّل مرسليها الى الشرق الاقصى

فهذا ما حدا برؤسائنا رسالتنا الى ان يقيموا في كنيسة كأيّتنا مواسم خارقة العادة

للاحتفال بذلك التذكار الجليل خُتمت يوم الاحد في ١٢ آذار المنصرم برتب دينيَّة باهرة بادر الى حضورها عدد وافر من اهل المدينة وكانت الكنيسة مجلّلة بكسوة اعيادها تنيرها المئون من مصابيح الكهرباء ذات الضياء الساطعة المنظَّمة على اشكال مختلفة محدقةً بمحراب القلب الاقدس وصورة صاحبي العيد وحنايا الهيكل بين اكاليل الزهور وسعف النخل ممَّا يأخذ بمجامع الابصار

ولا عجب باقامة هذه الاعياد في اصقاعنا السوريَّة لقديسين نبغا في الاقطار الغربيَّة. فانَّ لكليهما مآثر استفاد منها الشرق فما كان احرى به ان يُبدي لهما شكرهُ في هذا التذكار المئوي

وبياناً لذلك ها نحن نورد شيئاً من تلك المآثر الجليلة التي حظينا بها بهمَّة هذين النيِّرين اللذين سطعا في فلك الكنيسة في اواسط القرن السادس عشر

١ اغناطيوس دي لويولا والشرق

انَّ علاقات القديس اغناطيوس دي لويولا مع الشرق متعدّدةٌ. شُغف بحبّه منذ نعومة اظفاره اذ كان يعاين في انحاء وطنه اسبانية آثارًا جليلة لا تزال تنبئهُ بعظمة الدول العربيَّة التي بسطت حكمها على قسم كبير من بلاده مدَّة سبعة اجيال

فلمَّا ارتدَّ الى الله في السنة الثلثين من عمره بعد حياته الشريفة في خدمة ملكه سنة ١٥٢١ كما بسطنا ذلك في احد اعداد المشرق السابقة (١٩٢١ : ٨٩٥) انقطع الى العبادة في كهف مَنْريزة واخذ يتأمل اسرار حياة سيّده يسوع المسيح فاحس برغبة عظيمة الى مشاهدة الاماكن المقدَّسة التي شرَّفها ابن الله مدَّة الثلث والثلثين السنة التي قضاها على الارض. فلم يدَّخر وسعاً حتَّى حقَّق شوقهُ فعلًا مع ما كان يتخلَّل الاسفار في ذلك الزمان من المخاطر والمشقَّات برًّا وبحرًا. الا انَّ تلك الاتعاب لم تثبط عزمهُ بل تجشَّم تلك الرحلة بصفة فقير يرتزق بصدقات الناس في طريقه ويقاسي بطيب القلب ما يجدهُ من العناء والمتاعب

كان سفرهُ في فصل الصيف من السنة ١٥٢٣ حيث ركب سفينةً شراعيَّة في البندقيَّة في ١٤ تمُّوز فبلغ بها الى قبرس ثم ابحر الى يافا فاحتلَّ مرفأها في ٣١ آب سنة ١٥٢٣ بعد ٤٨ يوماً من سفر شاقّ نجا فيه من قرصان الجزائر وانواء البحر بل انتشلته

منشئ الرهبانية اليسوعية

القديس اغناطيوس دي لويولا

(١٤٩١–١٥٥٦)

صورة حفلة تثبيت قداسة

اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس

في ١٢ آذار ١٦٢٢

قواهُ المنهوكة لتقشفاته السابقة باستنشاقه هواء البحر المحيي

قضى اغناطيوس شهرين في فلسطين وحجّ الى كل مزاراتها المقدّسة ماشياً مستعطياً وقلبهُ مفعم بشواعر الخشوع والتقى . وكان يودّ ان يبقى هناك وينشئ مذ ذاك الحين في اقطارنا جماعة رسوليّة تسعى بنشر الايمان لولا ما وجدهُ في طريقه من العقبات التي صدّتهُ عن تحقيق نيّته فعاد الى اسبانيا مشمولاً بعناية خاصة من الله

مرّ على اغناطيوس ١٣ سنة بعد رجوعه من القدس الشريف اعدّهُ الله فيها لانشاء رهبانيّته التي تمّ تأليف عشرة اعضائها الاولين في اواسط شهر آب من السنة ١٥٣٧ اذ اجتمعوا في يوم عيد انتقال العذراء الى السماء في كنيسة مونمرتر في باريس فارتبطوا بالنذور الرهبانيّة الثلثة الفقر الاختياري والعفّة وابدلوا نذر الطاعة بنذر آخر وهو السفر الى الاراضي المقدّسة للتبشير بالايمان . ومنهُ يتّضح ما كان يستعر في قلب اغناطيوس من الشوق لخدمة بلادنا الشرقيّة

وقد ثبت اغناطيوس على قصده ونال الرخصة من الحبر الاعظم بولس الثالث بان يذهب ورفقتهُ الى الشرق ليبشر معهم بالسيّد المسيح وسعى بذلك غاية جهده في البندقيّة الّا انّ الحرب التي انتشبت بين السلطان سليمان القانوني وجمهوريّة البنداقة اعترضت دون عزمه الى ان أيسوا من اتمام ما نذروهُ لله . فعوّضوا عن ذلك بما تولّوهُ من الاعمال الرسوليّة في كل اعمال ايطالية حتّى ذاع صيتهم واخذ الاساقفة والملوك يتسابقون في طلب البعض منهم ليرشدوا رعاياهم ويتصدّوا للبدع المستحدثة في انحاء بلادهم وما لبث الحبر الاعظم بولس الثالث ان اعلن رسمياً برهبانيّتهم واثبت قوانينها في ٢٧ ايلول ١٥٤٠

وكان اغناطيوس لا يزال يترصّد الفرص ليفتح لابنائه ابواب الشرق ولاسيما الاراضي المقدّسة وكاد يرى ما يتمنّاهُ متحقّقاً في السنة ١٥٥٣ . فانّ زعيم فرسان القبر المقدّس المدعو دون بيار دي زارات تقدّم الى خلف البابا بولس وهو يوليوس الثالث ونال من كرمه ان يُسمح لفرسان القبر المقدّس بان يؤلفوا شركة منظّمة في الشرق ويعهدوا الى الرهبانيّة اليسوعيّة لتفتتح في الممالك العثمانيّة ثلث مدارس جامعة الواحدة في القدس والثانية في الاستانة والثالثة في جزيرة قبرس ونشر البابا براءة في ذلك تاريخها ٦ تشرين الاوّل ١٥٥٣ . وكانت هذه البراءة مفقودة حتّى اكتشفها حضرة الاب

هنري لامنس في ثينة في المكتبة الشهيرة بروسيانا (Rossiana) التي نُقلت اليوم الى رومية فنشرها في مجلة المباحث (Etudes, *Juin*, 1896)

الّا انّ تلك المساعي والبراءة البابويّة لم تبرز الى حيّز الوجود لمناهضة وجدها دي زارات في سبيله من قبل بعض المعترضين وذوي الغايات فتأجلت رغائب منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة في خدمة الشرقيين. ثمّ انتقل الى جوار ربّه في ٣١ آب ١٥٥٦

لكنّ الله منحهُ قبل وفاته لتحقيق آماله ان ينظم في سلك رهبانه شابًا ذكيًا شرقيّ الاصل مرتدًا عن اليهوديّة تربّد به الاب جوان باطشتا اليسانو المرسل مرّتين كسفير الى الموارنة في لبنان وفي انحاء الشام وكان اعظم ساعٍ في فتح مدرستهم الرومانيّة التي ادخلت الطائفة المارونيّة في طور جديد بمن تخرّجوا فيها من النوابغ وقد نشرنا شيئًا من اخباره سابقًا في هذه المجلّة

ثمّ ورث رؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة المأمون عن منشئهم محبّتهُ للشرق فما صفا لهم الجوّ حتّى فتحوا الرسالات الشرقيّة المتعدّدة في الاستانة وجزائر اليونان كصاقز وفكسوس وفي انحاء الاناضول والارمن والعجم كازمير وارزروم واصفهان وفي جهات الشام ولبنان كحلب ودمشق وطرابلس وصيداء وعينطورا وفي مصر والحبش كالاسكندريّة والقاهرة وقندهار فأتى ابناء اغناطيوس من الاعمال الرسوليّة ما ابهج كنيسة الله وسرّ قلب ابيهم المتمتّع بسعادة الابرار

وهذه الرسالات قد تجدّد معظمها في القرن الماضي الى اليوم بعد انقطاعها مدّةً بسبب النكبات التي حلّت بالرهبانيّة اليسوعيّة عكايد الاشرار في اواخر القرن الثامن عشر. فلا شكّ ان اباهم القديس اغناطيوس يرى من طوّ مقامهِ ابناءهُ يفلحون تلك الكرمة التي اشتهى هو ان يسقيها بعرقهِ ودمهِ

ولهذا القديس العظيم مأثرة جليلة أخرى في هذه البلاد يعود اليهِ فضلها تمامًا تربد بها كتاب رياضاتهِ الروحيّة الذي ألّفهُ بوحيٍ خاصّ من الله فينعش في قلوب كلّ من يمارس تلك الرياضات روح التقى والغيرة المسيحيّة الصادقة. واليوم قد عمّ استعمالها سنويًا في كلّ انحاء الشرق وسائر الطوائف الكاثوليكيّة وفي المدن والقرى فيُجنى منها اطيب الثمار الخلاصيّة

٢ القديس فرنسيس كسفاريوس والشرق

ان كان لاغناطيوس دي لويولا فضل على الشرق الادنى فانَّ لتلميذهِ فرنسيس كسفاريوس فضلًا اعظم على الشرق الاقصى اعني الهند واليابان والصين . الَّا ان تلك الدعوة الخاصَّة كان يقتضي للقيام بها رجلٌ مؤيد بقوَّة من الله جامع لكل الصفات الطبيعيَّة التي ينقاد لها الناس كجمال الخلقة وتوقد الذهن والمروءة ورباطة الجأش والاستعداد لاقتحام كلّ المخاطر . وهذه الصفات كلّها قد منحها الله عبدهُ فرنسيس

كان مولدهُ في ٧ نيسان ١٥٠٦ في تخوم اسبانية المجاورة لفرنسة في قصر اسرتهِ العريقة بالشرف . وما كاد يبلغ اشدَّهُ حتَّى انكبَّ على درس العلوم في وطنهِ اوَّلًا ثمَّ في عاصمة فرنسة فبرع فيها براعة غريبة حتى قضى رفاقهُ ومعلّموهُ العجب من ذكائهِ واناطوا اليهِ تدريس الفلسفة في كليَّة باريس التي كانت تُعَدّ وقتئذٍ في مقدّمة كلّ مدارس اوربَّة فطمح ببصرهِ الى اشرف مناصبها

الَّا انَّ الله كان يريدهُ لما هو اجلّ واعظم من ذلك فارسل لهُ عبدهُ اغناطيوس الذي زهَّدهُ في مجد العالم وكلّ زخارفهِ ورغَّبهُ في الخيرات الروحيَّة الثابتة وفي خدمة ملك الملوك وكنيستهِ فصمَّم الآذان مدَّةً دون نصائحهِ الى ان فتح الله على قلبهِ فأبصر الحقيقة وبعد ان ارتاض تحت يد اغناطيوس برياضاتهِ الروحيَّة خرج منها رجلًا جديدًا لا يعرف كالرسول المصطفى الَّا يسوع وإيَّاه مصلوبًا

وكان فرنسيس يتوق كمرشدهِ اغناطيوس الى التبشير في اصقاع فلسطين وسوريَّة . لكنَّ الله كان اختارهُ لمهامّ أسمى وخدمات اجلّ في سبيل الكنيسة ولمجدهِ تعالى

وكان البرتغاليُّون في تلك الأيَّام قد ساروا الى الهند وفتحوا منها قسمًا فرغب ملكهم يوحنَّا الثالث وكان رجلًا ذا دين وتُقى ان يردّ الى الايمان الكاثوليكي اهل تلك البلاد الوثنيين فطلب من القديس اغناطيوس ان يرسل اليهِ بعض رفقتهِ لهذه الغاية فتعيَّن لذلك فرنسيس كسفاريوس . فشكر الله على هذه النعمة وبها تحقَّق ما كان رآهُ غير مرَّة بالحلم اذ كان يشاهد هنديًّا اسود اللون طويل القامة راكبًا على عاتقهِ يكاد يسحقهُ بثقلهِ فيئنّ فرنسيس من شدَّة ضغطهِ حتَّى يسمعهُ رفقتهُ الراقدون بقربهِ

وقع يوم سفر كسفاريوس من لسبونة عاصمة البرتغال الى الهند في ٧ نيسان ١٥٤١ وعمرهُ اذ ذاك ٣٦ سنة . وكان الحبر الاعظم بولس الثالث قد زوَّدهُ ببركتهِ قبل خروجه من رومية وخوَّلهُ انعامات شتَّى وجعلهُ نائباً رسولياً لهُ في الاقطار الهندية بموجب براءة سلَّمهُ اياها

لم تدُم رسالة فرنسيس كسفاريوس في الهند والشرق الاقصى الَّا عشر سنوات قضى ثلاثة اعوام منها في الاسفار فانَّ سفرهُ الاوَّل من لسبونة الى غوا اقتضى ١٣ شهراً اذ لم تبلغ به السفينة الى الهند الَّا في ٦ ايار ١٥٤٢ . وعليهِ قس بقيَّة اسفارهِ الى جزائر الهند ثم الى اليابان ورجوعهُ منهُ الى الهند ثم سفره الى الصين . فلم يبق لهُ للتبشير بالايمان الَّا سبع سنين ومع قصر هذه المدَّة قد اتى فرنسيس باعمال جبارية لم يرَ مثلها الَّا لرسل المسيح الاوَّلين

على انَّ القديس في اسفارهِ ايضاً كان يُفرغ كنانة المجهود في إصلاح مَن يركبون معهُ السفينة من وثنيين ومسلمين ونصارى فكم من الآيات اجترحها امامهم . وكم ردَّ منهم الى الايمان المستقيم بكلامهِ وقدوة سيرتهِ . وكم نجَّاهم من الغرق بصلاتهِ

بيد انَّ معظم مآثرهِ انَّما كانت بين عبدة الاصنام . فبعد أن قضى عدَّة اشهر في غوا وردَّ اهلها النصارى والبرتغاليين عن فتورهم وسيرتهم الشرِّيرة حتَّى بعث فيهم روحاً جديدة واضرمهم غيرةً في امر خلاصهم ثمَّ انشأ لهم مدرسةً اكليريكيَّة لتهذيب الشبَّان المترشحين للكهنوت سار الى سواحل مدوراي وردَّ الى النصرانيَّة اهلها واكثرُهم يرتزقون بالغوص في البحر لنزع اللآلئ من اصدافها وكانوا قديماً على النصرانيَّة الَّا انَّهم بتمادي الزمان فسد ايمانهم باضاليل الوثنيين فارشدهم فرنسيس الى الحقّ وثبَّتهم في ايمانهم وهم لا يزالون الى اليوم يذكرون تعاليمهُ ويتشبَّثون بارشاداتهِ

ثمَّ بشَّر فرنسيس سكَّان راس قرين وتجوَّل في مدنها وقراها ودعاهم الى الايمان وثبَّت تعاليمهُ بشفاء المرضى وصنيع المعجزات فآمنوا واعتمدوا فعمَّر لهم الكنائس والمدارس

ثمَّ دخل مملكة ترافنكور وعرض على ملكها واهلها ايمانهُ وأيدهُ بالعجائب الالهيَّة فأقام ميتَين الواحد نبشهُ من قبرهِ وكان الآخر محمولاً على النعش وطرد الشياطين وردَّ باشارة الصليب جيشاً من اعداء تلك المملكة فآمنوا جميعهم ونبذوا

عبادة الاصنام ولم تمض مدّة قليلة حتّى شيّد لهم في انحاء المملكة ٤٥ كنيسة وعمّد في شهر واحد عشرة آلاف رجل

فشاعت سمعة القديس في انحاء الهند فكان اصحابها يرسلون اليه السُعاة ويطلبون منهُ ان يذهب الى بلادهم ويصبغهم بمياه المعموديّة فبشّر اهل جزيرة منار وازال عنهم بشفاعتهِ الطاعون الذي فشا بينهم . ثمّ زار في مدينة مليابور قبر القديس توما الرسول واصطنع فيها عدّة عجائب ارتدّ بسببها كثيرون الى التوبة

وقد تمّ لهُ كلّ ذلك بثلاث سنوات . وهو يسير في رسالاتهِ على الاقدام حافياً مرتدياً بثياب رثّة كالفقراء فتزيد بسيرتهِ هذهِ هيبتهُ في النفوس

وفي السنة ١٥٤٥ ابحر القديس الى جزائر الهند فبشّر بالنصرانيّة في مَلَقا ثمّ اخذ ينتقل من جزيرة الى اخرى فنصّر اهل جزيرة امبوانة وبارانورة وأولاط وجزيرة ترنات وجزائر الملوك الخمس وقد اثمر فيها كلها ثماراً من البرّ لا تُحصى وذلك خصوصاً بما كان يصطنعهُ من الخوارق فانّهُ في مَلَقا احيا فتاةً ميتة وردّها لاهلها سليمةً ونجّى السفينة الحاملة لهُ الى امبوانة من القرصان . وفي جزيرة اولاط انقذ الملك ورعاياهُ بالتماسهِ المطر من السماء بعد حبسهِ مدّة اشهر والمدينة على وشك فتح ابوابها للعدوّ لنفاد المياه . فرجع العدوّ مُدبراً واعتمد الملك ورعيّتهُ . وردّ اهل ترنات بما اوحى اليهم من الامور البعيدة متنبّئاً بوقوعها . وهدى مَلِكتها بقوّة براهينهِ في اثبات الدين المسيحي . وعمّد في جزيرة تولو ٢٥،٠٠٠ من الكفرة . وعلى يدهِ اهتدى اهل جزيرة المور وتنصّروا وكانوا قوماً من الهمج يأكلون لحوم البشر . وكان الساكنون في بعض هذه الجزائر يعاندون الحقّ فيتهدّدهم القديس بغضب الله فلا تلبث ان تصيبهم انواع من البلايا فينيبون الى الربّ فتكفّ عنهم

وكأنّ الهند مع طولها وعرضها وكثرة سكّانها لم تكفِ لتبرّد غليل فرنسيس كسفاريوس فاراد ايضاً ان يُبحر الى اليابان وكان بلغهُ ان بعض تجّار البورتغاليين قد سافروا اليها للمتاجرة فتأثّر من ذلك ايّ تأثير وساءهُ ان يرى قوماً يقتحمون الاهوال الى اقاصي البلاد لأرباح زمنيّة فيسبقون رُسل المسيح وطالبي ملكوت الله

فبعد ان زار ثانيةً مقامات المرسلين في الهند وتحقّق ثبات المرتدين الى الايمان واضاف اليهم غيرهم كثيرين من المهتدين ركب سفينةً لاحد الهنود كادت تتلف

غرقاً لولا شفاعة القديس فبلغت به الى مدينة كنفوكسيا في ١٣ آب سنة ١٥٤٩

فلمّا نزل الى البرّ اخذ يبشر بالمسيح بواسطة ترجمان ياباني كان القديس هداهُ الى الايمان في الهند يُدعى بولس الحجر . لكنَّ الله بعد حين اتاح لهُ ان يتكلَّم بألسنتهم وذلك بمعجزة ظاهرة فبعد ان دعا اهل كنفوكسيا الى المسيح رحل الى مملكة فيرَندو فعمَّد ابن ملكها والملكة امَّهُ وكثيرين من ارباب الدولة . وانتقل الى مياقو عاصمة البلاد في ذاك الحين والى حاضرتهم امَنجوشي ثم الى بلاد بُنغو وهو في كلّ هذه المدن يُعلن بحقائق الدين المسيحيّ ويدافع عنها امام ملوك اليابان وضدّ كهنة الاصنام ويؤيدها بالمعجزات الباهرة كاقامة الموتى وطرد الشياطين وابطال اعمال السحر . ويمارس حيثما حلّ اسمى الفضائل الانجيليَّة من صوم وصلاة ومقاساة الشتائم والاهانات والصفح عن المجرمين حتَّى انَّ الاعداء نفسهم اقرُّوا بفضله واذعن كثيرون من ملوكهم وامرائهم وعلمائهم الى دينهِ وفيهِ قال حينئذٍ احد زعماء البروتستانت : « يا ليتك وانت انت تكون من حزبنا مشايعاً لنا » ولكن هيهات ان يقوم مثلهُ في غير كنيسة المسيح الحقيقية !

لم يكتفِ كسفاريوس بنشر الانجيل وصَبْغ الالوف المؤلفة من الوثنيين بمياه المعموديَّة لكنَّهُ اراد ان يثبت النصرانيَّة في تلك الاصقاع لئلَّا تزعزعها انواء الاضطهادات فناب عنهُ مرسلين غيورين من رهبانيَّتهِ فنمت تلك الغرسة الصالحة في تلك التربة الجيِّدة حتَّى اصبحت بعد حين دوحةً عظيمة وارفة الظلّ تأوي اليها جماهير المؤمنين الذين ضحُّوا بعد سنين قليلة النفس والنفيس في سبيل ايمانهم فمات منهم عددٌ لا يُحصى شهداء المسيح بكل رضًى وطيب خاطر حتَّى المذارى الفتيات والاولاد الاحداث فشرَّفوا الكنيسة بثباتهم الى آخر نفس من حياتهم

هذا كلُّهُ عائدٌ فضلهُ الى ذاك الأكَّار الصالح الذي عرف في اي تُربة يُلقي زرعهُ لئلَّا تدوسهُ الأقدام وتخنقهُ الاشواك وتنقرهُ طيور السماء

كان رجوع فرنسيس الى الهند في اواسط نيسان من السنة ١٥٥٢ لكنَّ سفرهُ بحرًا طال بسبب الانواء والاخطار الى كانون الاوَّل فما كادت قدمهُ تطأ البرّ في غوا حتَّى اسرع الى زيارة الرسالة الهنديَّة فوجدها طبق مرامهِ نامية راقية تبهج نظر الله وكنيسته على انَّهُ كان بلغهُ مدَّة اقامتهِ في اليابان انَّ اهل تلك الدولة يعتبرون الصين

كركز الحضارة ورأس المدنيَّة فقال لهُ كثيرون انَّهم اذا رأوا الصينيين يتضوون الى الدين المسيحي يقتدون بهم لا محالة . فكان ذلك باعثاً قوياً دفع كسفاريوس الى السفر الى الصين لينصّر اهلها . ولم يَرُعهُ ما كان يسمعهُ من المخاطر المتعدّدة وصعوبة النفوذ في تلك البلاد الموصدة الابواب للأجانب . فان ذكر هذه الاخطار ما كانت الّا لتزيدهُ رغبةً في تحقيق امانيه . وكان ناوياً بعد تبشيره في الصين ان يسير براً الى اوربة فيردّ روسية الى الكنيسة ثمَّ يسعى بارتداد البروتستانت في المانية فيرى الارض صغيرةً بازاء غيرتهِ

فاخذ من ثمَّ يستعدّ لهذا السفر الجديد ولم يلبث ان باشرهُ وغمَّ ما وجدهُ في اتمام قصدهِ من المشقات لاسيما من قبل والي مَلَقا البورتغالي فابحر الى جزيرة سنسيان التي هي مدخل الصين راجياً ان ينتقل منها قريباً الى كنتون . لكنَّ الله اكتفى بحسن نيَّتهِ وراى ان يجازيهُ عن كلّ اعمالهِ مجازاة البطل الشهم الذي خدَم سيّدهُ اخلص خدمةٍ فأُصيب في تلك الجزيرة بحُمَّى خبيثة انهكت قواهُ وكانت سبب وفاتهِ في ٢ ك ١ سنة ١٥٥٢ فكان كرسي المتوفّى بازاء ارض الميعاد

ثمَّ نُقل جسد القديس الطاهر دون ان يصيبهُ الفساد وتعدَّدت المعجزات بشفاعتهِ بعد وفاتهِ ولا يزال جسدهُ الى اليوم سليماً دون اثر الفساد في مدينة غوا في كنيسة بديعة شُيّدت ذكراً لهُ . وعلى قبرهِ مشهد فخيم من المعادن الغالية الثمن والحجارة الكريمة مثَّلوا عليهِ اعمال القديس وعجائبهُ . وكلَّ خمس سنوات تجتمع اساقفة الهند وجمهور عظيم من الناس فيُفتح القبر وتُعرض جثَّة القديس المحفوظة بلا تحنيط في هيئتها الطبيعيَّة فيراه الزوَّار كأنهُ مضطجع نائم

ثم بلغت الكرسيَّ الرسولي تفاصيل سيرة القديس واعمالهِ العجيبة وآياته الباهرة في حياتهِ ومماتهِ . فبعد الفحص المدقّق عن قداستهِ وفضائلهِ السامية نُصبت ذخائرهُ على المذابح ودُوّن اسمهُ في سجلّ اولياء الله

وكان في الوقت ذاته قد جرى الفحص عن حياة اغناطيوس دي لويولا وثبتت ايضاً براءتهُ الفائقة وعظم فضلهِ وفضيلتهِ . فكان الاعلان بقداسة اغناطيوس وابنهِ الروحيّ فرنسيس كسفاريوس في يوم واحد فتمجَّد الله بعبدَيه وهما حتى يومنا هذا زينة كنيستهِ واحسن قدوة لمن يقصد خدمتهُ تعالى في الحياة الرهبانية وفي الهيئة الرسولية بل اصبح اسمهما مرادفاً للغيرة في نشر مجد الله الاعظم والتفاني في خلاص النفوس

نهضة بولونية

نظر اجمالي في دولتها للاب جبرائيل لوفنك اليسوعي

كان قبل الحرب الكونيَّة الاخيرة اسم بولونية نسياً منسيًّا لايكاد يعبأ احد بجسمه وفي حقيقة الحال كانت روسيَّة تحت اسم تلك الدولة من خوارطها فتشير الى موقعها باسم « دولة المعاهدة » تريد معاهدة ڤينَّة سنة ١٨١٥ التي أتفقت فيها روسيَّة وبروسية والنمسة على تجزئتها واتخذت كل دولة منها حصَّتها . ومذ ذاك الحين ضُرب الصفح عنها لئلَّا يُحركوا بذكرها غضب قياصرة الروس . ومن ثمَّ عُدَّ صراخ احد الفرنسويين « فلتحي بولونية يا سيِّدي » عند مرور القيصر اسكندر الثاني في باريس كإهانة لشخصه

وكثيراً ما كنَّا نسمع سابقاً الدارسين لتاريخ ممالك اوربَّة اذا ورد اسم بولونية في التاريخ يقولون : « انَّ بولونية كانت من أصلها معرَّضة للموت والفناء ويثبتون قولهم بالادلَّة الآتية : انَّ بولونية ليس لها حدود طبيعيَّة تصونها واهلها معروفون بطيشهم وخفة طباعهم ثم ان الدول الكبرى المجاورة لها كثيرة المطامع فلا عجب اذا تلفت وماتت

واليوم اذ عادت بولونية بعد ١٥٠ سنة الى الحياة نجد عدداً عديداً من المتفلسفين الذين يشكُّون في ثباتها بالاستقلال الممنوح لها زاعمين انَّ اقسامها الثلثة السابقة الروسيَّة والالمانيَّة والنمسويَّة مختلفة العناصر متباينة الجوهر فلا تستطيع ان ترتبط بالوحدة القوميَّة

ولا يجهل البولونيُّون ما يعترضهم في استقلالهم من المشاكل لكنَّهم مصمِّمون العزم على توطيد دولتهم لتُصبح راسخة القدم عالية الكلمة في اوربَّة الغربيَّة . ومن الدول التي تعبس في وجوه بولونية وتعترضها في رقيها بريطانيةُ العظمى وليس ذلك على ما يظهر لاسباب اقتصاديَّة بل لانتماء اهلها الى الكثلكة . وكذلك يعادي بولونية كلَّ الذين يعادون الدين المسيحي . وقد ظهرت معاداةٌ مثلها في آخر الحرب الاخيرة للنمسة الكاثوليكيَّة فتآمر عليها اليهود والبروتستانت والفرمسون بغضاً

بدينها فجعلوها في مؤخر الدول بعد ان كانت معدودة بين دولها الكبرى

وهذا البغض نفسهُ قد يضمرهُ لبولونية هؤلاء الاعداء فيمتعضون منها ويسعون في عرقلة امورها ويناصبونها القتال في حياتها الاقتصادية والادبية لئلا تنال ما تؤملهُ من الحضارة والترقي

ولعلَّ احسن الوسائل التي يمكن البولونيون ان يتوسلوا بها للذود عن حماهم ان يعرضوا حقيقة الامور بالصحافة والتآليف الصادقة فيبيّنوا للعالم الخطة المثلى التي يسيرون عليها في دولتهم المستجدة ليزيلوا عنهم التهم الباطلة ويفندوا المزاعم المادية. واذ قد وقفنا على تأليفين جديدين طُبعا مؤخرًا في اللغة الفرنسوية فها نحن نستخلص منهما المعلومات المفيدة لتعريف تلك البلاد المجهولة

والتأليف الاول مدارهُ على تحديد تخوم بولونية وضعهُ المسيو وَنسلاس نَلكوسكي عمَّا ألفهُ صاحبهُ قبل الحرب سنة ١٩١٢ وقد نقله مؤخرًا الى الفرنسوية المسيو فارنسكي في وارسو سنة ١٩٢١ (١) . ولأن تأليفهُ سبق الحرب لم يقصد منهُ مؤلفهُ الا الوجه العلمي دون غاية سياسية . وهو يُنحي الى تفنيد القائلين بان بولونية خالية من حدود طبيعية فلا يسعها ان تطلب لها الاستقلال

واثباتًا لقوله يقرّر وجوب استقلال بولونية لأنها هي الحاجز الطبيعي بين اوربة الغربية واوربة الشرقية اذ اليها تنتهي مميزات اوربة الغربية فتمتزج تدريجاً بخواص اوربة الشرقية ولولا هذا الامتزاج التدريجي والاندماج اللذين لتصادمت الحضارتان وتغلبت عليهما الروح القومية المادية . فموقعها بالنسبة الى شبه جزيرة اوربة الغربية كموقع سهول لمبردية بالنسبة الى جبال اپنين او كموقع وادي الكنج بالنسبة الى معاملة دكان في الهند . فبولونية مثلها تعدّ كساحة وغى للشعوب فيها يظهر نفوذ احد العنصرين المتنافيين . قال احد كبار الكتبة : « ان بولونية كالجندي الواقف على باب اوربة الغربية يصون تمدنها الراقي لئلا تعيث به الامم الهمجية الواردة من آسية » . وقد ظهر فضل بولونية يوم تقدَّم الاتراك فبلغوا الى ابواب ڤينة فان جنودها ردّوهم خائبين فكانت نجاة اوربة على يد ملكهم سوبيسكي سنة ١٦٨٣

(١) اسمهُ بالفرنسوي : Wenceslas Nalkowski : La Pologne entité géographique. traduit par T. Warynski, Varsovie, 1921

وامتياز بولونية بكونها دولة متوسطة يظهر ليس فقط في موقعها بل يلوح ايضاً في اقليمها ونباتها وحيوانها ولا سيما في طباع اهلها. فان اعتبرتَ طرفي بولونية وجدت في غربيّها العنصر الجرماني الممتزج بالاخلاق البولونيَّة . وفي شرقيّها عدَّة عناصر صقليَّة وروثنيَّة وليتوانيَّة يتفتَّت بينها العنصر البولوني . ولنا دليل على صفة بولونيَّة البورية في العنصر اليهوديّ المتجمع فيها متوفرًا كفي احد مراكزه

وفي اديان بولونية وآثارها الهندسيّة دليل آخر على قولنا بانَّها دولةٌ وسطى جامعة بين المتباينات . فانَّ الطائفة اللاتينيَّة هي الغالبة على الشعب غرباً والطقوس الشرقيَّة عليه شرقاً في الروثنين . وكذلك الهندسة الكنسيَّة والدنيَّة تشبه في الغرب الابنية الشائعة في اوربَّة الغربية من الزيّ الروماني والقوطي والمستحدث . امَّا في الجانب الشرقيّ فترى الهندسة البوزنطيَّة وبروجها المتيَّة وذلك تدريجاً على قدر ما تسير الى المنطقة الشرقيَّة او الجنوبيَّة الشرقيَّة . ففي تلك البسيطة الواسعة تألَّف شعبٌ مستقلّ احيا تربتَها ووسَمتها بسمته

*

هذا ما استفدناهُ من التأليف الاوَّل ونحن مصدّقون على قول كاتبه واثباته لميزة وطنه عمَّا سواه . امَّا التأليف الثاني فاعمّ فائدةً واشمل موضوعاً وهو تقويم بولوني للسنة ١٩٢١ يصف احوال بولونية بعد فوزها بالاستقلال

لمَّا انتشبت الحرب الكونيَّة سنة ١٩١٤ نزل البولونيُّون في ساحة الوغى في جانبَي الدول المتحاربة لانقسام وطنهم بينهما الَّا ان الجيوش البولونيَّة التي كانت مع الدول المركزيَّة النمسة والمانية ابلت بلاء اصدق واثبت لبغض جنودهما لروسيَّة الظالمة. واجتهد الروس ان يكسبوا ثقة البولونيين الذين تحت حكم دولتهم فوعدهم الغرندوق نقولا نقولوفتش بالاستقلال لكنَّهم لم ينخدعوا لهذه المواعيد العرقوبيَّة التي جدَّدها القياصرة مرارًا دون اتمامها فعلًا

وكان الفوز في اواخر السنة ١٩١٤ في جانب المسكوب الذين دخلوا بلاد غاليسية اي بولونية النمسويَّة فنهبها القوزاق واحرقوا كنائسها واسروا اساقفها وسجن الاسقفُ الروسيّ افلوجيوس احدائها ليخرّجهم على الاخلاق الروسيَّة . فزاد كلّ ذلك نفور البولونيين من اعدائهم المسكوب

ثم دخلت السنة ١٩١٥ فانقلبت الامور وزحفت الجيوش الالمانيَّة والنمسويَّة على روسيَّة فخاصت اوَّلاً غاليسية ثمَّ سارت الى بولونية الروسيَّة منتصرةً فدخل الالمان الى حاضرتها وَارسو (فرسوفية). وبدخولهم انتعشت آمال البولونيين وتشوَّفوا الى استقلال بلادهم

وفي الواقع منح الالمانيُّون بعد مدَّةٍ اهل بولونية نوعاً من الاستقلال اعلنوا به في ٥ تشرين الثاني من السنة ١٩١٦ لكنَّ المانية قيَّدت تلك الموهبة بشروط ثقيلة اذ جعلتها تحت نظارتها وبثَّت في انحائها فِرَق جنودها لتدبير حركاتها الحربيَّة. وكانت النمسة وعدت بولونية بأنَّها تردّ لها غاليسية لتسترضيها

وفي تلك الاثناء صارت الدول باجمعها بعد فشل روسيَّة تنظر الى بولونية بعين اللطف وتتمنَّى لها الخير. فان الرئيس ولسون جاهر في ندوة شيوخ الولايات المتَّحدة في اوائل سنة ١٩١٧ بحقوق بولونية في الاستقلال التامّ. بل اعترفت حكومة السوفيات الجديدة في بتروغراد في شهر آذار بذلك الاستقلال. امَّا فرنسة فتحقيقاً لأماني صديقتها بولونية الَّفت جيشاً من البولونيين في تخومها لتمدّ اليها يد المساعدة

على ان الاستقلال المعطى لبولونية في السنة ١٩١٦ كان في الظاهر اكثر منهُ في الحقيقة لكثرة ماكانت تلقى الدولة الجديدة من المصاعب. فكان موقفها حرجاً بين المجلس الوطني الذي شكَّلهُ اهلها لتدبير الامور وبين الحكومة الشرعيَّة التي كانت في ايدي مجلسٍ موقَّت يتألَّف من ٢٦ شخصاً يعيِّنهم ارباب الجيش الالماني. فتواترت الاحوال بين المجلسين وخصوصاً بتطرُّف الاحزاب من الاشتراكيين والديموقراطيين. ثمَّ تحسَّنت الامور نوعاً بتأليف مجلس اداري وشورى وزاريَّة في ايلول سنة ١٩١٧ فسلَّمت الدول المركزيَّة امور العدليَّة والمعارف الى هيئته

وكان السوفيات بعد سقوط الملكيَّة يطلبون من المانية ان تستدعي عساكرها من بولونية. وكذلك طلبت بولونية ان يكون لها حصَّة في معاهدة برست ليتوسك الَّا انهُ لم يتمّ شيءٌ من كلّ ذلك

فاتَّفقت حينئذ فرنسة وانكلترة والولايات المتَّحدة على إعلان استقلال بولونية متألفةً من اقسامها الثلاثة التي اغتصبوها منها. وذلك في كانون الثاني من السنة ١٩١٨. لكنَّ اعتراف الدول المتحالفة بقي دون مفعول مدَّة نصف سنة حيث كانت

بولونية تلقى من جهة البلاد المجاورة لها مشاكل عديدة كانت سببتها معاهدة الالمان والروس في برست ليتوسك. فمن ذلك انّ اوكرانية وضعت يدها على اراضي بشلم التي كانت تدّعي بها بولونية. وكذلك قامت في وجه بولونية دولة ليتوانية لسبب ضبط الحدود الفاصلة بين الدولتين لاسيما لتنازعهما كلتيهما في الحكم على ڤيلنا الحاضرة البولونية الشهيرة

ثمّ تقلّبت الامور ثانيةً وفي تموز سنة ١٩١٨ باشرت دول الاتفاق غاراتها في الوجهة الغربيّة وتوالت انتصاراتها. ففي شهر تشرين الاوّل تولّى المجلس الاداري في بولونية تدبير البلاد وطلب من الجيوش ان تقسم لهُ قسَم الطاعة. وفي تشرين الثاني طُردت الحامية الالمانية من بولونية الروسيّة وعُهد بالامر الى رئيسها الحالي جوزف پيلسودسكي - وفي شهر كانون الاول اضطرّت الجنود الالمانية الى تخلية بولونية البروسيانيّة. وبذلك عادت بولونية الى تخومها السابقة في القرن الثامن عشر

وفي السنة ١٩٢٠ اعترفت الدول تباعاً باستقلال بولونية التامّ. فاصبحت دولةً يبلغ اهلها ٤٥،٠٠٠،٠٠٠ من النفوس. كان نحو النصف منهم في تبعة روسيّة في القسم المعروف منها باسم «مملكة المعاهدة» انفةً من اسم بولونية وكانت قسمت تلك المملكة الى عشر ولايات حشدت فيها كل يهود روسيّة

وهذا القسم الروسي الذي اغتصبتهُ روسيّة ورُدّ الى نصابهِ يُقسَّم اليوم الى خمس ولايات (palatinats) لم ينقص منها الّا قطعة صغيرة صارت في حكم ليتوانية. والبولونيون الاصليون يبلغون في الايالات المذكورة ٧٩ في المئة من عنصرهم

والقسم النمسوي اي غاليسية يتركّب من ثمانية ملايين من النفوس نصفٌ منهم بولونيون اصليّون والنصف الاخر يتركّب من الروثنيين او الاوكرانيين

امّا القسم الثالث الذي كانت استولت عليهِ بروسية اعني غرندوقيّة پوسنانية. فاستردّتهُ بولونية لأن تسعة اعشار اهلها من الاصل البولونيّ

ويُضاف الى هذه الاقسام الثلثة بعض المعاملات اخصُّها اراضي بيالستوك التي اختار اهلها الانضمام الى بولونية. هذا فضلًا عن قسم من سيليزية العليا الذي نالتهُ بولونية في العام الماضي. وكلّ هذه الانحاء حافلة بالسكان البالغ عددهم ٩٤ في الكيلومتر. والغالب على تلك الاراضي التربة الزراعيّة البالغة ٥٨ في المئة من مساحتها. ثم يتبعها في نظم

شأنها اتساع احراجها . وقد قلّ عدد كبار المتملكين الذين يملكون حاضراً ٤٢ بالمئة من الاراضي . امـا المستغلات الشائعة فهي خصوصاً البطاطا والجاودار والشوفان ثم القمح والشعير . وهناك المعامل الكبرى للسكّر والبيرة وللاستقطار

وتحت هذه التربة السطحيّة كنوز معدنيّة في غاية الشأن اخصّها الفحم الحجري فان هناك من المناجم الفحميّة ما يفوق على مستودعات انكلترّة والمانية معاً . ولهذا السبب تترقّى بولونية يومـاً بعد يوم في صناعتها فترى سكّان القرى يتواردون الى حيث تتوفّر اعمال الصناعة كوارسو ولودس . وفي تزاحم الفعلة في المدن كما لا يخفى خطر ظـاهر بنمو الحزب الاشتراكي . والعمّلة في بولونية ومثلهم الفلّاحون يؤلّفون النقابات والشركات المتضامنة ويعقدون الاجتماعات المختلفة

امّا المعارف فانّها تختلف باختلاف اقسام بولونية الثلثة وكان عدد المدارس في غاليسية اوفر منهُ في روسيّة والمانية وكان النمسويون يسمحون بتعليم اللغة البولونيّة بخلاف الدولتين الاخريين . فما أُعلن بالاستقلال حتّى توفّرت المدارس في كلّ طبقاتهـا وازداد عدد التلاميذ ازدياداً مهمّاً . فانّ عدد المدارس كان قبـل الحرب لا يتجاوز ٥٨٥٥ يدرس فيها ٤٠٦،٠٩٦ تلميذاً وقد بلغ سنة ١٩١٨ عدد المدارس ١٠،٣٥٦ يتردّد اليها ٨٦٨،٧٥٠ ولداً . وكذلـك التعليم الثانوي فانّ مدارسهُ التي كانت قبل الحرب ٣٥٧ اصبحت سنة ١٩١٨ ١٢٣ وما عدد طلبتها من ٨٧،٠٠٠ الى ٩٨،٠٨٥ طالباً

وللعلوم العليا سبع كليّات جامعات في كراكو (كراكوفية) ولمبرغ وبوزن وفيلنـا ولوبلين وكليّتان في وارسو . واثنتان من هذه الكليات حرّتان في وارسو ولوبلين . ولبقيّة العلوم الاختصاصية نحو عشرين مكتباً

هذا نظر اجمالي اقتطفنا فوائدهُ من التقويم المومأ اليهِ ومنهُ يتّضح ما في بولونية من الحركة والانبعاث الى الترقي والحضارة . وما هي الّا نهضةٌ من شعبٍ حرّ طالمـا ضغطهُ اعداؤهُ بقوّتهم الجبريّة وهو اليوم يطمح الى ما يستحقّهُ من الرفعة وعلوّ المقام

وممّا كنّا وددنا ان نطّلع عليهِ في هذا التقويم فأسفنا على نقصانهِ وصف حالـة بولونية الدينيّة . وهي على ما نعلم غاية في الازدهـار وكفى بهِ دليلًا اعلان روساء بولونية بنيّتهم ان يتّخذوا الدين الكاثوليكي وسُنّتهُ كقاعدة دولتهم الجديدة

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

(٦٥) المجلس السادس

في ذكر ما جرى من البحث في النحو واللغة والخطّ والكلام

وفي يوم الثلثاء الثامن من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الامير فقال لي: ألكم من العلوم مثل ما للمسلمين ؟

قلت: نعم وزيادة وافرة

قال: وما الدليل عليه ؟

قلتُ: انّ عند المسلمين علوماً كثيرة منقولة من السريان وليس عند السريان علمٌ منقول من عند العرب

قال: أفلكم علم النحو واللغة وحسن الخطّ والكلام مثلما للمسلمين ؟

قلتُ: نعم

قال: فكيف نحوُ السريانيين من نحو العرب ؟

قلتُ: نحوُ السريانيين احسن واكثر فائدة واعظم فضيلة

قال: أترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل العرب ؟

قلتُ: لا

قال: فكيف تعرفون الفاعل من المفعول ؟(٦٦)

قلتُ: «انّ المفعول ليس يخلو ان يكون مجانساً للفاعل او غير مجانس فالمجانس هو. مثل قولنا: «ضرب زيدٌ عمراً» فعمروٌ مجانس لزيد اذ عمرو انسان وزيد انسان. ومثلهُ قولنا: «قتل خالدٌ بكرًا وسبقَ الفرسُ الاشقرُ الفرسَ الادهمَ. ونطحَ الثورُ الاسودُ الثورَ الأبيضَ» وغير ذلك من الاشياء المتجانسة. وأمّا الذي ليس هو متجانس فمثل قولنا: «خلقَ اللهُ العالمَ. ورحمَ اللهُ زيدًا. وركب زيدٌ الحمارَ. واكل عمروٌ الخبزَ. وشرب بكرٌ اللبنَ» وما شاكل ذلك ممّا مفعولهُ غير مجانس لفاعله.

«فلمّا رأى السريانيّون الفاعلَ والمفعول على هذين القسمَين وانّ المفعول لا يلتبس

بالفاعل الّا اذا كان مجانساً لهُ. الّا في النادر حسبما أبيّنهُ أدخلوا على المفعول المجانس للفاعل حرفَ اللام كما يُدخلهُ العرب على المفعول في بعض كلامهم نحو قولهم : « قال زيدٌ لعمرو . ودعا خالدٌ لبكرٍ » . ولم يُدخلوا هذا الحرف على المفعول الذي لا يجانس الفاعل اذ لا يلتبس بما تقدَّمَ عليهِ او تأخَّر عنهُ كما لا يلتبس قولنا « خلقَ اللهُ العالَمَ » (٦٧) سواء تقدَّمَ اسمُ العالَم على اسم الله او تأخَّر عنهُ اذ يستحيل ان يكون العالَم خالقاً والله تعالى مخلوقاً . كما لا يلتبس قولنا : « رحمَ الله زيداً . وركبَ زيدٌ الحمارَ . واكلَ عمروٌ الخبزَ . وشربَ بكرٌ اللبنَ » وما شاكل ذلك ممّا لا يلتبس تقدُّمُ المفعول او تأخُّر أُعرب ام لم يُعرَب . فبإدخال اللام على المفعول المجانس لفاعلهِ عرف السريانيُّون المفعولَ من الفاعل تقدَّم او تأخَّر

« وقد يتَّفق في النادر ان يكون مفعولٌ غيرَ مجانسٍ لفاعلهِ ويجوز وقوع الفعل منهما معاً نحو قولنا « ضرب زيد الفرس » فقد يُحتمَل ان يكون المراد بهذا القول انَّ زيداً ضربَ الفرسَ ويُحتمل ان يُراد بهِ انَّ الفرسَ ضربَ زيداً . فكلُّ مفعولٍ هذه صفتُهُ يُدخل السريانيُّون عليهِ ايضاً اللام ليُفرَق بينهُ وبين فاعلهِ . ولمّا كان العرب انَّما يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ليفرقوا بينهما وكان للسريانيين علامة تدلُّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أبيَنُ من الرفع والنصب ما احتاجوا ان يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول كما تفعل العرب (٦٨)

قال : وما الدليل على انَّ ادخالَ حرف اللام على المفعول أبيَنُ من رفع الفاعل ونصب المفعول في الفرق بينهما ؟

قلتُ : لأنَّ حرف اللام يفرقُ بين كلّ فاعل ومفعول وليس الرفع والنصب كذلك . وذلك اذا قلنا : « ضربتْ سلمى الكرَى . وكسرتِ العصا الرحى . وقتل سيرويهِ خالويهِ » لم يَفرق الرفعُ والنصب بين فاعل هذه الافعال ومفعولها . وكذلك يجري الامر في سائر الاسماء التي لا تنصرف

قال : فما فضيلةُ لغة السريانيين على لغة العرب ؟

قلتُ : انَّ فضيلة لغة السريانيين على لغة العرب هي انَّ كلام السريانيين ما فيهِ التباس اذا تكلَّم بهِ احدٌ مشافهةً ولذلك استغنى عن النحو فيما يُشافِهُ بهِ بعضُهم بعضاً . وامّا كلام العرب فكثيراً ما يُلتَبَسُ بهِ في المشافهة . والذي يلتبسُ منهُ على

ضربَيْن : فمنهُ مـا يكشفُ النحوُ والإعراب لَبْسَهُ كقول القائل : « ضرب زيدٌ عمرًا وضربَ عمرًا زيدٌ . واكرم خالدٌ بكرًا واكرمَ بكرًا خالدٌ » فانَّ السامع يعلم انَّ زيدًا (٦٩) هو الضارب لانهُ مرفوع وعمرًا مضروبٌ لأنَّهُ منصوب . وخالدًا مُكرِمٌ لأنَّهُ مرفوع وبكرًا مُكرَمٌ لأنَّهُ منصوب . وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لولا الاعراب لالتبست

« وامّا ما لا يزيل النحوُ لَبْسَهُ كقول القائل : «ضرب عيسى موسى . وقتل القاضي الغازي . ورحمَ وكيلي خازني» وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لا يتميَّز فاعلُها من مفعولها . وممّا يلتبس ايضاً ولا يكشف الاعراب لَبْسَهُ كقول القائل : « لقيتُ زيدًا مسرورًا » فان السامع لا يعلم صاحب الحـال وهل المتكلّم هو المسرور او زيد . ومثلهُ : « لقيت عمرًا خجِـلًا . ولقيتُ بكرًا مهموماً » وما شاكل ذلك . واذا كان الامر على هـذا ولم يكن في كلام السريانيين اذا تكلّموا به مشافهةً ما يلتبس به كلام العرب التباساً يكشف النحوُ بعضَهُ وبعضُهُ لا يكشفهُ عُلِمَ انَّ لغة السريانيين افضل من لغة العرب ؟

قال : وما فضيلة نَحْوِ السريانيّينَ على نَحْوِ العرب ؟ (٧٠)

قلتُ : «انَّ فضيلة نَحْوِ السريانيين على نحو العرب انّما هي انَّ نَحْوَ السريانيين ضروريٌّ ونَحْوَ العرب اصطلاحيٌّ . ويفضلهُ ايضاً بأنَّ نحو السريانيين ضروريٌّ يزيـل اللبس الواقع في الكتاب ونحو العرب ليس يزيلهُ . فانا ابيّن ذلك بامثلةٍ اذكرها فاقول :

«انَّ الكلام مؤلَّف من جُمَل . والجُمل مؤلَّفة من مبتدإٍ وخبر ومن فعل وفاعل ومن خبرٍ واستخبار وطلبٍ وسؤال وامرٍ ودُعـاء وتعجُّب وغير ذلك . وقد تلتبس مباني هذه الاقسام بعضها ببعض اذا كُتبت . فمن ذلـك اختلاط جملة في جُملة نحو قول القائل : « وصل المصريون والشاميُّون والعراقيُّون لم يصلوا » فهذا قولٌ مؤلَّف من جملتَيْن ويُحتَمَل ان يكون المراد بهِ «انَّ المصريين والشاميين وصلوا وانَّ العراقيين لم يصلوا» . ويحتمل انَّ المراد بهِ انَّ المصريين وصلوا وانَّ الشاميين والعراقيين لم يصلوا . فـاذا تكلّم المتكلّم بهِ بالسريانيّة او بالعربيّة مشافهةً علم السامع من اشارات المتكلّم ونَغَمات صوته هل المصريُّون والشاميُّون وصلوا كلهم او المصريين وصلوا ولم يصل الشاميُّون والعراقيُّون . فهذا القول اذا كُتب بالسريانيّة فـانَّ قارئهُ

يفهم معناهُ كما يفهمهُ اذا سمعهُ مشافهةً . وكذلك ايضاً يفهمهُ من يسمع قراءتهُ بالسريانيَّة . فأمَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا القارئ ولا السامع يفهمان معناهُ (٧١)

فلذا السبب وقع الخلف بين علماء المسلمين في قولهِ الوارد في القرآن (سورة آل عمران ع ٥) : «وما يعلم تأويلهُ الَّا الله والراسخون في العلم قالوا : آمنَّا » فقال بعضهم انَّ لله والراسخين في العلم يعلمون تأويلهُ . وقال آخرون انَّ الراسخين لا يعلمون تأويلهُ وانَّما آمنوا بهِ فقط . فنحوُ العرب ليس يدلُّ على حقيقة ذلك كما يدلُّ نحوُ السريانيين على المراد بهذا القول لو كان سريانيًّا

«ومن ذلك التباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ نحو قول القائل : « زيدٌ غلامُ عمرو » فانَّ هذا القول يُحتمل ان يكون كاملًا تامًّا مركَّباً من مبتدإ وخبر بانَّ زيداً مبتدأ وعمرًا خبرهُ . ومُحتمل ان يكون كلُّهُ مبتدأ يقتضي خبرًا نحو قول القائل : «زيدٌ غلامُ عمروٍ فاضلٌ» فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمروٍ» مبتدأ (١) وقولهُ «فاضل» خبرهُ . ومحتمل ان يكون خبرًا لمبتدإ قد تقدَّمهُ نحو قول القائل «الوارد من الموصل زيدٌ غلامُ عمروٍ فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمروٍ» مبتدأ مع بدلهِ وقولهُ «الوارد من الموصل» خبرهُ واذا تكلَّم المتكلم بهذا القول الذي هو « زيدٌ غلام عمرو » بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يفهمُ السامع اي قسم اراد بهِ المتكلم من هذه الاقسام الثلثة (٧٢) وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة . وامَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يعلم القارئ ولا السامع غرض المتكلَّم بهِ

«ومن ذلك التباس الإخبار بالاستفهام نحو قول القائل : « عالمٌ بالبصرة » فانَّ هذا القول يحتمل ان يكون استفهاماً واذا تكلَّم بهِ المتكلم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يعلم السامع عن اشارات المتكلم هل هو مُخبِر او مُستفهم . وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة يعلم القارئ والسامع ذلك . وامَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا القارئ ولا السامع يعلمان غرض الكاتب بهِ الَّا بأن يُقدَّم عليهِ حرف الاستفهام

ومن ذلك التباس الامر بالطلب نحو قول القائل : «أعطني مائة درهم» فانَّ هذا القول يحتمل ان يكون سؤالًا . واذا تكلَّم بهِ المتكلم مشافهةً بالسريانيَّة او بالعربيَّة يعلم المخاطَب بهِ من اشارات مخاطبهِ هل هو مأمور او مسئول . وكذلك اذا كُتب هذا القول بالسريانيَّة فانَّ قارئهُ ومن يسمعهُ يعلمان أهو امر او سؤال . وامَّا

(١) يُريد المبتدأ مع بدلهِ «غلام عمروٍ»

اذا كُتب بالعربيَّة فليس يعلم ذلك القارئ ولا السامع

« ومن ذلك التباس الإخبار بالدعاء (٧٣) نحو قول القائل : « غفر الله لك » فقد يحتمل هذا القول ان يكون خبراً ويحتمل ان يكون دعاءً فاذا تكلَّم بهِ المتكلِّم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً علم السامع غرض المتكلِّم . وكذا اذا كُتب بالسريانيَّة يعلم القارئ والسامع ذلك . لمَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يعلمان الغرض فيهِ ما هو

« ومنهُ التباس السؤال بالتعجُّب نحو قول القائل : « كيف خربت المدينة » فقد يحتمل هذا القول سؤالًا ويحتمل ان يكون تعجُّباً . واذا ورد مشافهةً يعلم السامع الغرض منهُ وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة . ولمَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يُعلم الغرض منهُ . واذا كان الامر على هذا فقد ثبت انَّ نَحْو السريانيين يكشف ما لا يكشفهُ نحوُ العرب

قال الوزير : « وانَّما يُفيدنا نَحْوُ العرب معرفة معاني كثيرة ملتبسة مثل القول (٧٤) الوارد في القرآن (سورة التوبة ع٣) : « انَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولهُ » فانَّهُ لولا الإعراب توهَّم السامع او القارئ انَّ الله بريءٌ من المشركين ومن رسولهِ . ومثلهُ قولهُ (سورة الملائكة ع ٢٥) : « انَّما يَخشى اللهَ من عبادهِ العُلَماء » فانهُ لولا الاعراب توهَّم السامع والقارئ انَّ الله يَخشى من العلماء . ومثل ذلك اقاويل كثيرة لولا الاعراب لالتبست على السامع والقارئ »

قلتُ : « انهُ قد يتَّفق انَّ اقاويل كثيرة لا يكشف النحوُ لُبسها مثل هذين القولين . واذا كان الامر على هذا فلا نفخر في قولَين يكشف الاعراب لبسهما بالاتفاق وهو لا يكشف لُبس اقاويل كثيرة مثلهما . فمن ذلك قول من يقول : « انَّ الله بريءٌ من المشركين وعيسى وموسى » ومثلهُ : « انَّ الله بريءٌ من المشركين وسيبويهِ » او « بريءٌ من المشركين وملَّتي » او « بريءٌ من المشركين ومرشدي الى الحقّ » (٧٥) فانَّ هذه الاقاويل جميعها ممَّا لا يكشف الإعراب لُبسها كما كشف لُبس قولهِ « انَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولهُ »

« ومن ذلك ايضاً قول من يقول : « انَّ اللهَ يعاقبُ المشركين ورسولهُ » ومثلهُ لعلَّ اللهَ يرحمُ المظلومين ورسولهُ » فانَّ النحو لا يكشف لُبس هذه الاقاويل كما

كشف لُبس قوله «انَّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولُهُ»

وكذلك قول من يقول: انَّما يسمع اللهُ من علمائهِ وموسى» ومثلهُ «انَّما يخاف وكيلي من اصحابي وخازني» وما شاكل ذلك ممَّا لا يكشف النحوُ لُبسَهُ كما كشف لُبس قوله: «انَّما يخشى اللهُ من عبادهِ العلماء». واذا كان الامرُ على هذا فقد (٧٦) ثبت انَّ نَحو العرب ليس يكشف لُبس كلّ الاقاويل الجارية في الكلام وانَّما يكشف لُبس بعضها بالاتفاق - على خلاف نَحوِ السريانيين الذي يكشف لُبس كلّ الاقاويل كشفاً واحداً»

قال الوزير: وكيف استخرج علماء السريانيين نَحوهم وعلى ايّ اصول رتَّبوهُ؟

قلتُ: «انَّ علماء السريانيين ابتدأوا فأحكموا كلامهم إحكاماً لا يلتبس عليهم شيءٌ منهُ اذا تكلَّموا بهِ مشافهةً. ثمَّ بعد ان أحكموا ذلك وأتقنوهُ حدَّدوا اقاويل كثيرة لا تلتبسُ مشافهةً وانَّما تلتبس في الكتابة مثل اختلاط جملةٍ في جملة. والتباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ. والتباس الخبر بالاستفهام والسؤال بالطَّلب. وغير ذلك من اقسام الكلام المقدَّم ذكرها

«فبحثوا عن السبب الذي من اجلهِ لا تلتبس تلك الاقاويل اذا تكلَّموا بها مشافهة وتلتبس في الكتابة عند سائر اهل الكتابة والخطوط (٧٧) فوجدوا انَّ السبب في ذلك هو اشارات المتكلم ورفعُ صوتهِ وخفضُهُ ولينُهُ وقوَّتُهُ حسبما يقتضيهِ معنى الكلام. وذلك انَّ المتكلّم اذا كان سائلاً تكون اشاراتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مستخبراً. واذا كان مخبراً تكون اشاراتهُ غير اشاراتهِ اذا كان داعياً. واذا كان مستفهماً تكون اشاراتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مُخبراً فجعلوا لكل قسمٍ من هذه الاقسام علامةً وهي نقطةٌ او نقطتين او اكثر يضعونها على القول واذا شاهدها القارئ علم ما هو المعنى وقرأها بالاشارات التي يعرفها الحاضر عند سمعها

«وذلك انهُ اذا رأى القارئ على القول علامة الاستفهام قرأ ذلك القول باشارات الاستفهام. واذا رأى عليهِ علامة التعجُّب او علامة الامر او علامة النداء قرأهُ باشارات التعجُّب او الامر او النداء. واذا شاهد عليهِ علامة القطع بين الجملتين وقفَ وقفاً يدلُّ على القطع. وكذلك اذا شاهد عليهِ علامة انقضاء المبتدإ وابتداء الخبر قطع

قطعاً يدلُّ على ذلك. ولهذا السبب لا يلتبس (٧٨) على السريانيين شيءٌ من كلامهم وكتابهم. واذا كان الامر على هذا فقد عُلم ان نحو السريانيين اجود من نحو العرب

« وذلك انَّ نحو العرب تابعٌ لكلام العرب مرتَّبٌ على ما يقتضيهِ كلامهم المصطلح عليه. ونحو السريانيين مبنيٌّ على اصول عقليَّة وقياسات ضروريَّة. وقد بيَّن ابو بكر محمّد بن زكريّا الرازي في كتاب الطبّ الروحاني في الفصل الخامس منهُ انَّ نحو العرب من العلوم الاصطلاحيَّة الضروريَّة. وحُكي عن بعض الشيوخ العلماء انهُ قال في نحو العرب: انهُ علمُ مَنْ لا علمَ لهُ يفرحُ بهِ من لا عقل لهُ. وبيَّن ايضاً حنين ابن اسحاق في المقالة الثالثة من كتابهِ في نحو العرب انَّ العرب ليس لهم نحوٌ يعرفون منهُ المعاني الغامضة كما للسريانيين (٧٩). ويستدلُّ من قولهِ انَّ نحوَ العرب غير كافٍ ولا مُقنع لِما يُحتاج اليه. ولم أقُلْ ذلك وانا أقصد الطعن في نحو العرب ولا ان أجحد فضلهُ وشرفهُ وانما قصدتُ من ذلك ان ابيّن انَّهُ اذا قيسَ نحو العرب بنحو السريانيين وُجد نحو العرب دونهُ ووُجد نحو السريانيين اكثر فائدةً واعظم فضلًا »

*

قال الوزير: وكيف علمُ اللغة عندكم مما عند المسلمين؟

قلتُ: انَّ علم اللغة ضروريٌّ عند سائر اهل اللغات بهِ تقوم معرفة الاشياء وإثباتها ومعرفة الافعال وتصريفها والحروف ومعانيها ومعرفة الزوائد والحذف والفكّ والادغام وغير ذلك من التصريف وللسريانيين في ذلك معرفة تامَّة.

قال الوزير: أفيستعملون المجاز في كلامهم كما يستعملهُ العرب؟

قلتُ: لا يستعملون المجاز الّا ضرورةً عند الحاجة اليهِ لأنَّ استعمالهُ لغير ضرورة عيبٌ لا فضيلة. وذلك ان الكلام كلَّهُ على ضربَين (٨٠) حقيقة ومجاز. فاذا كان حقيقةً كانت فيهِ كلفةٌ على المتكلم وسهولةٌ على السامع. لأنَّ الكلام اذا كان حقيقةً لا يلتبس واذا كان مجازًا كان سهلًا على المتكلم مشتبهاً على السامع لأنَّ اللَّبس لا يقع في الكلام اذا كان حقيقةً وانَّما يقع فيهِ اذا كان مجازًا. فلذلك ليس نرى استعمال المجاز الّا لضرورةٍ كما نستعملهُ في قولنا: « سخط اللهُ ورضي وسمع وابصر » وما شاكل ذلك مما نوردهُ مجازًا اذ ليس يوصَف باستعمالهِ حقيقةً. واما استعمال المجاز حيث يمكن استعمال الحقيقة فهو عندنا عيبٌ وعجزٌ من المتكلم ».

قال الوزير: لو كان المجاز عيباً لما كان اكثر القرآن مجازاً

قلتُ: أسأل الوزير أيّده الله ان يُفيدني من الكلام في مجاز القرآن

قال الوزير: انهُ من المعلوم انَّ لغة العرب اوسع من سائر اللغات

قلتُ: وما الدليل على ذلك ؟

قال: الدليل على ذلك اننا نجد لشيءٍ واحدٍ عند العرب اسماء كثيرة وليس عند السريانيين ولا عند غيرهم الّا اسمٌ واحد للشيء وربّما لم يكن له عندهم اسمٌ اصلاً (٨١)

قلتُ: امّا الاشياء التي لها عند العرب اسماء كثيرة فهي الاشياء التي يستعملونها كثيراً ويشاهدونها دائماً مثل السيف والفرس والجمل والاسد والحمار وما شاكل ذلك. واقوى الاسباب في كثرة اسماء هذه الاشياء عندهم هو كثرة طوائف العرب واختلاف لغاتهم. ولجميع هذه الاشياء اسماء عند السريانيين وربّما كان للشيء الواحد اسماء كثيرة عندهم حسب اختلاف البلدان واللغات. واما القول بانَّ عند العرب اشياء ليس لها اسماء عند السريانيين فمُنكر اذ ليس عند العرب شيءٌ لهُ عندهم اسمٌ يكون اسمهُ خالياً عند السريانيين. وانما اسماء الاشياء السخيفة القبيحة التي يستهجن الانسان ذكرها فانها في لغة العرب كثيرة الاسماء وفي لغة السريانيين قليلة حسبما ذكرهُ حنين بن اسحاق في كتابهِ المرسوم بكتاب النُّقط اعني نقط الكتب.

« ومما يدلُّ على انَّ لغة العرب ليست اوسع من غيرها انَّ عند السريانيين والروم والفرس اسماء كثيرة مفيدة ليس لها عند العرب اسمٌ فمن ذلك العقاقير والادوية والآلات وغير ذلك (٨٢) من الاشياء المستعملة فانَّ اسماءها عند السريانيين والروم والفرس موجودة وعند العرب معدومة. والدليل على ذلك انّا نجد في كتب الطبّ والطبخ وغير ذلك من الكتب المنقولة الى العربيّ اسماء كثيرة قد أُخرجت اليهم بلغة السريانيين واليونانيين والفرس اذ لم يُوجد لها عند العرب اسماء تُسمّى بها. ولو نُقل الى السريانية كتاب من كتب العرب لما كانت فيهِ لفظة يتعذّر وجود نظيرها عند السريانيين. واذا كان الامر على هذا فليس لغة العرب باوسع من لغة السريانيين »

*

قال الوزير: وكيف الخطّ السرياني من الخطّ العربيّ في الحسن والصحّة والفائدة

قلتُ: « الخط السرياني اوضح واكثر فائدة من الخط العربيّ

قال الوزير: وكيف ذلك؟

قلتُ: «لأنّ الحروف السريانية غير منقّطة وغير متشابهة. والحروف العربيّة كثيرة التنقيط ومتشابهة (٨٣) كتشابه الباء والتاء والنون والياء. والجيم والحاء والخاء. والدال والذال. والراء والزاي. والسين والشين. والصاد والضاد. والطاء والظاء. والعين والغين. والفاء والقاف. وفي كثرة التنقيط كلفة على الكاتب ولَبْس على القارئ. وتشابُهُ الحروف مُشكل حتى ان في القرآن وهو محفوظ بالدرس ومشكول ومضبوط خلفاً كثيراً بين القرّاء بسبب إشكال النقط وتشابه الحروف. ومن ذلك في سورة البقرة (ع ٢٦١) قولهُ: وانظرْ الى العظام كيف نُنشِزُها» فقرأها قومٌ بالدال وقومٌ بالراء. وفي سورة طه (ع: ٩٦): «لم يَبْصُروا بهِ» قرأها قومٌ بالتاء «لم تبصروا». وفي سورة الانبياء عن داود (ع ٨٠): «وعلّمناهُ صَنعةَ لَبوسٍ لكم لِتُحصِنَكُم» فقرأها قومٌ بالياء «ليُحصِنَكم» وآخرون بالنون «لِنُحصِنَكُم». وفي سورة الحجّ (ع ٦١): «يَدعُون من دونهِ» قرأها قومٌ بالتاء «تدعون» ومثل هذا في القرآن كثير اختلف فيه القرّاء. ومعلوم انهُ لو كانت هذه الحروف غير متشابهة (٨٤) لما وقع هذا الخلف في القرآن

وقد اتّفق في المكاتبات بين الناس لاجل تشابه الحروف ما يتجاوز عددهُ الوصف كقولهم: «اقبلوا القوم» و «اقتلوا القوم» وما شاكل ذلك ما لا يُحصى ولا يُعَدّ

ومما يدلُّ على انّ الذين استخرجوا الخط العربي لم يُحكموا الامر في تشكيل الحروف ولا في تسميتها هو انهم سمّوا اكثر الحروف المتشابهة باسماء متشابهة في الخط وذلك مثل الباء والتاء والثاء. فانّ هذه الحروف اذا كُتبت كانت اشكالها متشابهة ايضاً. وكذلك الحاء والخاء وبقية الحروف السابق ذكرها وكلّها مما يلتبس اسمها وكتابها. واذا كتب الكاتب لفظةً فيها حرف من هذه الحروف المتشابهة واراد ان يبيّنهُ ثنّى بذكرهِ ورقمهُ مصغّراً تحت الحرف المشبوه لكنّ تلك التثنية لرسم الحرف لا تفيد كثيراً لتشابه الحرفين. وكذلك تشابه اسم الحرف باسم الحرف الذي يشبههُ مثال ذلك ان يكتب (٨٥) الكاتب «نَقَصَتْ» ثم يتبعهُ بقولهِ «بالصاد لا بالضاد» فليس يفيد قولهُ غير إعادة اللفظة. ولو كان اسم الصاد لا يشبه اسم الضاد لكان لقولهِ

فائدة بيّنة . وعلى هذا القياس يجري الامر في سائر الحروف المتشابهة . وهذا التباس لا يدخل مثلهُ في خط السريانيين »

قال الوزير : فهل حروف السريانيين تتصل بعضها ببعض كما تتصل حروف العرب؟

قلتُ . نعم . فيها ما يتّصل وفيها ما لا يتّصل لكن لا فائدة في اتّصالها ولا ضرورة في تفريقها

قال الوزير : وكيف ليس فائدة في اتصالها وهو احسن للخط واسرع في الكتابة وأبين للقارئ ؟

قلتُ : ليس في اتصال الحروف ما يحسّن الخطّ ولا ما يُعين على سرعة الكتابة ولا ما يزيد في البيان (٨٦) . وذلك انهُ قد يتّفق في الخط العربيّ الفاظ كثيرة مركّبة من حروف مقطّعة اذا أُلّف منها كلام وكُتب يوجد الخط فيهِ مساوياً للخطّ المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أبيَنُ للقارئ واوفق للضبط والشكل

« وقد كان جرى لرجلٍ رومي كان يكتب بالعربيّة مع بعض المسلمين مشاجرة في هذا المعنى فاستخرج فصولاً بالعربيّة مؤلّفة من الفاظ مركّبة من حروف مقطّعة فبيّن انّ لا فائدة في اتصال الحروف ولا ضرورة في تفريقها . ومن جملة ما اورد هذا الفصل : «ورد داود الازرق واوّل وردهِ لازمَ دَرْب دادان الازدي وزرع ارض زردق ارزًا وروض لاون وردًا»

فمعلوم انهُ اذا كُتب هذا الكلام وما يجري مجراهُ ممّا هو مؤلّف من حروف مقطّعة (٨٧) كان الخط فيهِ مساوياً للخط المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أبين للقارئ واوفق للضبط والشكل منهُ . وبالعكس لو كتب الكاتب «جبيخل» وهو اسم اعجميّ متّصل الحروف مركّب من جيم وباء وياء وخاء ولام فليس يتمكّن الكاتب من نقطهِ وشكلهِ وهو متصل الحروف كما يتمكن من نقطهِ وشكلهِ لو كان متفرق الحروف . وكذلك سَجَحَ وسَحَجَ وشَحَجَ . وحَجَرَ وجَحَرَ وخَجَرَ ومثل ذلك ممّا لا يُحصى ممّا لا يتم التمكين من نقطهِ وشكلهِ اذا كان متفرّق الحروف . فاذا كان الامر على ما ذكرتُ فليس للخط العربي فضيلة على الخط السرياني ولا في اتصال الحروف فائدة . وان كان في اتصالها فائدة فالخط العربي والسرياني مشتركان فيهِ

*

فقال الوزير: فكيف علمُ كلام النصارى من علم كلامِ المسلمين؟(٨٨)

قلتُ: «انَّ علم الكلام عند النصارى أبين وأوضح وأصحّ منهُ عند المسلمين لأنهُ مبنيّ على مقتضى شرعهم وموجب كتابهم وليس يوافقهم على اصولهِ وحدودهِ الّا من يوافقهم على المذهب. وكلام النصارى هو علم المنطق وهو مبنيّ على مقتضى العقل واصول القياس فليس يخالفهم فيهِ احد لأنهُ يجري مجرى الحساب الذي لا خلف فيهِ عند سائر اهل الملل. ولذلك ترى درسهُ ونصرة دينهم منهُ ومن استعمالهم قوانينهُ في مناظرة مخالفيهم

قال الوزير: انَّ المسلمين يرون ان درس علم المنطق وغيره من العلوم الفلسفية كفرٌ وإلحاد حتى انهم يعتقدون فيمن يطّلع فيها انهُ زنديق

قلتُ: «لا شك في ان اعظمَ مواهب الله تعالى على العبد موهبةُ العقل. وعلمُ المنطق مما يهذّب العقل. فكل شرع ينفي علم المنطق هو مضادّ للعقل. ويلزم من يعتقد انَّ المنطق مضادّ للدين اقامته الدليل على انهُ ضدّ العقل ليصح قولهُ انهُ ضد الدين والدين لا يصحُّ الّا بصحة العقل(٨٩). وهذا مما لا يتعاطاهُ احد ممن يطلبون علم المنطق ولا ادّعاهُ. ونرى جميع المسلمين حرسهم الله يذمّون هذا العلم وقد كان فيهم علماء. درسوهُ طمعاً في نقضهِ ولم يتمكن احد من ذلك»

قال الوزير: انَّ المسلمين لم يمنعوا من درس المنطق والعلوم العقلية. ولا يعتقدون انها تضادّ العقل وانما منعوا منها لأن الاشتغال بها يقطع عن النظر في العلوم الشرعيّة

قلتُ: انَّ الاشتغال بجمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والحرصُ بالاكل والشرب والجماع يقطع عن النظر في العلوم الشرعيّة اكثر مما يقطعهُ الاشتغال في العلوم العقليّة. فكان يجب على المسلمين حرسهم الله ان يزهدوا في جمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والاكل والشرب وسائر الشهوات الجسديّة اكثر من تزهيدهم بدرس العلوم العقليّة(٩٠) اذا كان قصدهم في التزهيد بالعلوم العقليّة التوفّر على العلوم الشرعيّة لأنَّ الشهوات الجسديّة اعني محبّة العزّ والرئاسة والمال والجماع تبعث على الظلم والغشم والتغلّب والعلوم العقليّة تبعث على العدل واتباع الحق والتمسك بالشرع: واذا كان الامر على هذا فدرس كتب المنطق محمود غير مذموم»...

قال الوزير: انَّ لهذا القول ومما تقدَّمهُ من القول في النحو اجـوبةً ليس يتَّسع المجال لذكرها على انك والله ما تعدَّيتَ فيما اوردتَهُ في هـذه العلوم ولا علمتُ انَّ للنصارى مثلها

وانقضى المجلس بحسن الفصل السادس ولله المنَّة وخالص الشكر

(التتمة في العدد الآتي)

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧٨ ﴿اده﴾ الياس بن يوسف الشاعر المتوفَّى سنة ١٨٢٨ (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٩٣و٧٣٦) : لهُ مجموعة اخبار واشعار في ٢٣٥ صفحة عند الخواجا جاماتي في عينطوره تاريخها سنة ١٢٤٧ه (١٨٣١). نشرنا ما وجدنا من شعره

٧٩ ﴿اده﴾ الاب جبرائيل اليسوعي الماروني المتوفَّى في ٧ آب ١٩١٤ هو مؤلف كتاب القواعد الحلية في علم العربيَّة في جزئين . لهُ في كليَّتنا من المخطوطات روايات تمثيلية منها رواية القديس جرجس وبعض محاضرات

٨٠ ﴿ارجتان﴾ لويس فرنسوا دي لرجتان راهب كبوشي ازهر في اواسط القرن التاسع عشر . له المخاطبات اللاهوتيَّة الروحانيَّة على عظائم سيدنا يسوع المسيح وهي ١٥ مخاطبة في مدَّة فصول عن كمالات السيد المسيح نقلها الى العربيَّة الاب يوسف دي رويلي (J. de Reuilly) المرسل الكبوشي في مدينة حلب . منهُ نسخة عند الآباء الكبوشيين في بيروت وفي مكتبة الشماس نقولا ايوب في حلب تاريخها سنة ١٧٢١ . ونسخة في مكتبتنا الشرقيَّة كتبها الخوري عبدالله كديد سنة ١٨٥٣ . وقد وقفنا للاب دي لرجتان على كتاب مخطوط في جزئين عنوانهُ مخاطبات في كتاب علم اللاهوت يشبه الكتاب السابق وقد ورد في مقدَّمته انهُ قد عرَّبهُ من الافرنسيَّة البادري القتيريوس (كذا) من الرهبنة الكبوجيَّة سنة ١٧٨٤

قال الوزير: انَّ لهذا القول ومما تقدَّمهُ من القول في النحو اجـوبةً ليس يتَّسع المجال لذكرها على انك والله ما تعدَّيتَ فيما اوردتَهُ في هـذه العلوم ولا علمتُ انَّ للنصارى مثلها

وانقضى المجلس بحسن الفصل السادس ولله المنَّة وخالص الشكر

(التتمة في العدد الآتي)

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧٨ ﴿اده﴾ الياس بن يوسف الشاعر المتوفَّى سنة ١٨٢٨ (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٩٣و٧٣٦) : لهُ مجموعة اخبار واشعار في ٢٣٥ صفحة عند الخواجا جاماتي في عينطوره تاريخها سنة ١٢٤٧ه (١٨٣١). نشرنا ما وجدنا من شعره

٧٩ ﴿اده﴾ الاب جبرائيل اليسوعي الماروني المتوفَّى في ٧ آب ١٩١٤ هو مؤلف كتاب القواعد الحلية في علم العربيَّة في جزئين . لهُ في كليَّتنا من المخطوطات روايات تمثيلية منها رواية القديس جرجس وبعض محاضرات

٨٠ ﴿ارجتان﴾ لويس فرنسوا دي لرجتان راهب كبوشي ازهر في اواسط القرن التاسع عشر . له المخاطبات اللاهوتيَّة الروحانيَّة على عظائم سيدنا يسوع المسيح وهي ١٥ مخاطبة في مدَّة فصول عن كمالات السيد المسيح نقلها الى العربيَّة الاب يوسف دي رويلي (J. de Reuilly) المرسل الكبوشي في مدينة حلب . منهُ نسخة عند الآباء الكبوشيين في بيروت وفي مكتبة الشماس نقولا ايوب في حلب تاريخها سنة ١٧٢١ . ونسخة في مكتبتنا الشرقيَّة كتبها الخوري عبدالله كديد سنة ١٨٥٣ . وقد وقفنا للاب دي لرجتان على كتاب مخطوط في جزئين عنوانهُ مخاطبات في كتاب علم اللاهوت يشبه الكتاب السابق وقد ورد في مقدَّمته انهُ قد عرَّبهُ من الافرنسيَّة البادري القتيريوس (كذا) من الرهبنة الكبوجيَّة سنة ١٧٨٤

٨١ ﴿ارجنتي﴾ هو كير اوسطراتوس ارجنتي الطبيب من اهل القرن الثامن عشر الساقزي لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب وفي مكتبة الموارنة فيها ايضاً (ع ٣٢٢) كتاب العشاء الرَّباني عرَّبهُ عن اليونانيَّة القس مسعد الدمشقي سنة ١٧٤٧ وفيهِ يحاول ان يثبت ان السيِّد المسيح حوَّل الى جسدهِ في العشاء السرّي الخبز الخمير لا الفطير . وقد فنَّد حضرة الاب انطون صالحاني هذا الرأي في مقالتهِ عن استعمال الفطير والخمير (المشرق ١ [١٨٩٨] : ٧٧ و ١٠٨)

٨٢ ﴿اركنجلو﴾ هو الاب الكبوشي اركنجلو الكوتريزي (كذا) لهُ في مكتبة الرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين في دير الشير «كتاب في الايمان» ١٠٠ ما المؤلف فلا نعلم من امرهِ شيئاً لعلَّهُ الاب اركنجلو المذكور في كتاب الآثار النصرانيَّة الذي ألَّفهُ المرحوم الاب انطون رباط (ج ١ ص٣٩٨—٣٩٩)

٨٣ ﴿ارنودي﴾ الاب بطرس ارنودي (P. Arnoudie) اليسوعي المتوفَّى شهيد محبَّتهِ في خدمة المطعونين في حلب في ١٩ حزيران سنة ١٧١٩ . لهُ في مكتبة الموارنة في حلب كتاب الدرّ المنثور في تفسير الزبور في ستَّة مجلَّدات (ع٣٧) . وهذا الكتاب ألَّفهُ الاب ارنودي ونقَّح عربيَّتهُ عبدالله زاخر وقد طبع في المطبعة المخلصيَّة في بيروت في ثلثة مجلَّدات سنة ١٨٦٨—١٨٦٩) . وللاب ارنودي ايضاً كتاب تفسير سبعة مزامير التوبة اصلح ايضاً عربيَّتهُ عبدالله زاخر وقد طُبع في الشوير سنة ١٧٥٣

٨٤ ﴿اروتين﴾ القس يعقوب الحلبي والراهب اللبناني عاش في اواخر القرن الثامن عشر . عرَّب كتاب علم اللاهوت النظري ليوحنَّا كلوديوس فيرتوريو (J. Cl. de Vertrieu) اسقف بواتيه في فرنسة المتوفَّى سنة ١٧٣٢ . وهذا الكتاب ١٦ جزءاً في عدَّة مجلَّدات . منهُ نسخٌ خطيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي حلب في مكتبة الموارنة ومكتبة الشمَّاس شكري ايوب (تاريخ كتابتهِ سنة ١٧٨٥ و١٧٨٦) . وللقس يعقوب ايضاً تعريب التعليم المسيحي الروماني المؤلف بامر المجمع التريدنتيني المعروف بكاتيكزمو رومانو طُبع بالعربيَّة بامر البابا بيوس السادس في مطبعة انتشار الايمان في جزئين سنة (١٧٨٦ و١٧٨٧) . وقد صحَّح تعريبهُ الخوري ديونيسيوس حجَّار . وهذا التعليم هو الذي اعاد فيهِ النظر الخوري يوسف البستاني فجدَّد طبعهُ في المطبعة العمومية سنة ١٨٩١

٨٥ ﴿ازرق﴾ الخوري ميخائيل رئيس دير الشرفة المتوفى في ١٣.ت٢ ١٨٨٦ (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٨٥) . لهُ في مكتبة دير الشرفة قاموس سرياني عربيّ في مجلّدين

٨٦ ﴿الازمرليّ﴾ بولس داود بن موسى صونسينوس الازمرليّ العبرانيّ نسباً المسيحي مذهباً . كان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ألّف كتاباً يُدعى نور الالباب الهادي الى الصواب في ١٢ باباً يردّ فيهِ على اليهود . وفي مقدّمتهِ يُخبر عن تنصّرهِ في السنة ١٧٥٩ اذ كان عمرهُ ٣٤ سنة . من هذا الكتاب عدّة نسخ منها واحدة في مكتبة حضرة الخورفسقفوس جرجس شلحت في حلب . ونسخة في بيت الشمّاس شكري أيوب تاريخها سنة ١٧٨٧ . ونسخة ثالثة في بيت المرحوم حنّا العوراء في بيروت

٨٧ ﴿استاف﴾ الاب سليمان اليسوعي (P. Reymond Estève) المتوفّى في ١٠ ك ١ ١٨٧٣ المرسل في سوريّة . لهُ عدّة رسائل في احوال سوريّة الدينيّة . وقد ذكر لهُ الاب لويس أبوجي كتاباً في شرح رؤيا القديس يوحنّا الحبيب (L. de Vals. *Avril*, 1874)

٨٨ ﴿استران﴾ من الاخوة الصغار من الرهبانيّة الفرنسيسيّة . لم نقف على شيء من اخبارهِ . ورد لهُ في مكتبة الموارنة في حلب مع كتاب لاهوت ابن القلاعي (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٣٥٦) «خمس وخمسون مقالة من كتاب الناموس الجامع عن الامانة الارثذكسيّة واركانها الثابتة بالله»

٨٩ ﴿استفانوس اياقوسكي﴾ رئيس اساقفة اورياتزكي ومورسكي من كتبة القرن الثامن عشر . وجدنا لهُ في مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت (ع ٣٣٧) ردّاً على البروتستانت تحت هذا العنوان «كتاب البراهين السديدة ضدّ الآراء البروتستانيّة الجديدة» مباشرةً بسرّ القربان . ونظرنا لهُ ايضاً في مكتبة المرحوم الخوري توما أيوب «كتاب ملخّص صخرة الايمان» ترجمهُ عن اللاتينيّة مكاريوس متروبوليت ديار بكر سنة ١٨٥٢ . وفحوى الكتاب ردّ على البدع الّفهُ صاحبهُ سنة ١٧٢٧

٩٠ ﴿اسحاق الانطاكي﴾ هو مار اسحاق الكبير المعروف بالسوري او الناسك ازهر في القسم الاوّل من القرن الخامس وتوفّي نحو السنة ٤٦٠ . لهُ تآليف

عديدة بالسريانيّة معظمها بالشعر . نشر منها قسماً كبيراً الدكتور بيكل التمساوي والكاهن الفرنساوي حنّا شابو والاب بولس بيجان اللعازري . إنّما ما يُعرف منهُ بالعربيّة فالتآليف الآتية : ١ً كتاب الميامر والمواعظ في السيرة النسكيّة عدّتها ٥٢ ميمراً ذكرهُ ابو البركات في قانته ودعاهُ تلميذ مار افرام (Riedel, p. 674) وصرّح بانّ معرب الميامر هو الشمّاس عبدالله بن الفضل الانطاكي . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٦٦) وفي مكتبة القبر المقدّس في القدس تاريخها سنة ٧٠٧٥ لآدم (١٥٦٧ م . ٢ً وقد روينا لهُ في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٢٧٣ — ٢٧٧) ميمراً لعيد بشارة العذراء . ٣ً وفي احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة بعد نسكيّات مار باسيليوس والانبا مكاريوس « مسائل سألها بعض الحبساء القدماء وهو القديس مار سمعان العمودي في مبادئ امره من القديس المعلم النفيس ماري اسحاق فكتب الجواب عنها » (ص ١٢٠—١٦٠) وهي خمسة اسئلة في الامور الروحيّة

٩٤ ﴿ اسحاق النينوي ﴾ هو مار اسحاق اسقف نينوى النسطوري الذي ترك الاسقفيّة وتنسّك ومات في دير ربّان شابور في القرن السابع (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٢١٥—٢٢٠) . لهُ بالسريانيّة سبعة تآليف نشر منها الاب بولس بيجان كتابهُ في الطريقة الرهبانيّة . امّا تآليفهُ المحفوظة في الترجمة العربيّة فهي الآتية : ١ً مجموعة ميامر في السيرة النسكيّة . منها نسخة قديمة على رقّ في مكتبة دير الشرفة تاريخها سنة ١١٩٥ للشهداء (١٤٨١ م) وصفها في المشرق (١٢ : ٢١٩—٢٢٠) حضرة الاب اسحاق ارملة . ونسخة اخرى في المكتبة الفاتيكان وصفها السمعاني في المكتبة الشرقيّة (١ : ٤٤٦) . ونسخة ثالثة في مكتبة اليعاقبة في القدس الشريف . ثمّ في مكتبة الكلدان في ماردين على رقّ . وفي دير اللويزة سابقاً وفي مكتبة البلمند . ٢ً ولهُ في مكتبة الموارنة (ع ٣٤٧) كتاب الطبّ الروحاني في ٤٧ فصلاً تعريب ابن الفضل الانطاكي . ٣ً وفي مكتبتنا الشرقيّة رسائل وميامر لمار اسحاق النينوي اولها رسالة الى اخيهِ الراهب (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٧٥٩) . ولهُ ميامر اخرى متفرّقة في مجاميع مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة باريس والفاتيكان . ولا بُدّ من تنبيه القرّاء على انّ الكتبة يخلطون مراراً اسحاق الانطاكي باسحاق النينوي فينسبون الى الواحد اعمال الآخر . وعلى رأي يعقوب الرهاوي انّهُ وُجد ثلاثة اشخاص باسم اسحاق نُسبت

اليهم تآليف بعضهم وخصوصاً تآليفهم النسكيّة

٩٢ ﴿اسحاق بن جبير﴾ هو المرتدّ عن اليعقوبيّة مطران آمد طيموتاوس والمفريان باسيليوس بن جبير الموصلي (١٦٢٩–١٨ أيار ١٧٢١). اطلب ترجمتهُ في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ٢٨٦–٢٩١): له ١ً تعريب الخلاصة اللاهوتيّة لمار توما الاكويني في اربعة مجلّدات. وجدنا منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب. وفي مكتبة مدرسة عين تراز وفي مكتبة دير الشير (اطلب المشرق ١١ : ٣٦٦–٣٧٩) ومجلّدات متفرّقة في بعض المكاتب وفي مكتبتنا الشرقيّة. ومنهُ مختصر في دير الشرفة. ٢ً ترجمة فلسفة ارسطو ومقالات اخرى فلسفيّة معرّبة عن اللاتينيّة لشارحها المعلّم بطرس باربي الباريسي. منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٨٠) اخرجهُ في رومية في عهد البابا اقليمنضوس الحادي عشر. ٣ً كتاب مدرك النجاة ومحجّة الفوز بالحياة فنّد فيهِ اضاليل اليعاقبة. منهُ نسخة في مكتبة دير الشرفة ونسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيّة. ٤ً مواعظ مختلفة لكل الاعياد في عدد ١٥٠ موعظة دعاها كتاب العلل لدفع الملل. منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٨١) وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ٨٥) وفي دير الزعفران بالكرشوني. ٥ً كتاب في الاسرار السبعة ووصايا الله تاريخهُ سنة ١٨٠٢م. (كان في مكتبة سمرد قبل ان ينهبها الاتراك). ٦ً كتاب الزهريّة في التلاوة الشهريّة لذوي الاشغال وتدبير العيال صنّفهُ في رومية سنة ١٧١٦ - منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب في آخر كتاب العلل. ٧ً كتاب الردّ على اعتراضات كوركيس الاوّل بطريرك اليعاقبة في السنة ١٦٩٢ منهُ نسخة في مكتبة دير الشرفة. هذا ما عدا تآليفهُ السريانيّة اخصّها ترجمة كتاب الاقتداء بالمسيح (في رومية وفي مكتبتنا الشرقيّة) وغراماطيق سرياني (في مكتبة دير الشرفة وفي مكتبتنا الشرقيّة)

٩٣ ﴿اسحاق بن حنين﴾ ابو يعقوب العبادي النسطوري توفّي سنة ٢٩٨ او ٢٩٩ هـ (٩١٠–٩١١م). اطلب ترجمتهُ ولائحة تآليفهِ في فهرست ابن النديم (ص٢٧٥) وفي تراجم ابن خلكان (ص٩٧) وفي طبقات الاطبا. لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠) وفي المجلة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG, L, 393). الباقي من تآليفهِ العديدة تعريبهُ لمقولات ارسطاطاليس (طُبع في ليبسيك سنة ١٨٤٦. وكتابهُ في الادوية المفردة الذي نقلهُ الى اللاتينيّة نقولا الدمشقي (طُبع سنة ١٨٤١). ومن مخطوطاتهِ في احد

مجاميع المكتبة الفاتيكانيَّة تعريبهُ لوصيَّة افلاطون التي نشرناها في المشرق (اطلب مجموعتنا مقالات فلسفيَّة قديمة ص ٥٢) . ولهُ في مجموع مقالات في الطبيعيَّات مطبوع على الحجر في الهند تعريب كتاب المعطيَّات لاوقليدوس (ص ١٢٣—١٥٢)

٩٤ ﴿لسرانيل﴾ اسقف كشكر النسطوري. عُرف رجلان بهذا الاسم تسقَّف كلاهما على كشكر كان الاوَّل في اواسط القرن التاسع (راجع تاريخ عمرو بن متَّى ص٧٣—٧٤) . والثاني توفي بعد ان صار جاثليقاً مدَّة ثلثة اشهر بنيف سنة ٩٦٠م. والظاهر ان الكاتب هو هذا الثاني (Graf : *Christ.-arab.* Liter. p. 38) ذكر لهُ ابو بركات في قانتهِ (Riedel, p. 652) كتاباً في اصول الديانة . وقد روى لهُ ابن العسَّال في كتابهِ اصول الدين مقالة حسنة في شريعة العدل وشريعة الفضل (ص ١٠٦—١١٠ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة)

٩٥ ﴿اسطفان﴾ الشمَّاس الملكي كان في اواسط القرن السادس عشر . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة كتاب يدحض فيهِ اضاليل الاقباط في ٣٥ فصلًا تاريخهُ سنة ١٥٤٣م

٩٦ ﴿لسكندر﴾ القس اندراوس القبرسي الماروني احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية ومعلم اللغات الشرقية فيها . توفي نحو السنة ١٧٥٠م (اطلب ترجمتهُ في الجامع المفصَّل في تاريخ الموارنة المؤصَّل للمطران يوسف الدبس ص ٤٦٩) . لهُ ١ً كتاب الطبّ الروحاني في ١٤ فصلًا يحتوي الادوية لشفاء الخطايا الروسية كتبهُ سنة ١٧٤١ . في مكتبة الموارنة في حلب (ع٣٩٩) . ٢ً تعريبهُ لكتاب محبَّة يسوع سنة ١٧٣٧ . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ولهُ ٣ً مقدَّمات علَّقها على كتاب القداس الماروني المطبوع سنة ١٧١٧ في رومية

٩٧ ﴿اشعيا﴾ القديس الناسك . عاش في القرن الرابع للمسيح (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٨٤) لهُ وصايا وتعاليم روحيَّة في كتاب البستان في احاديث الرهبان (ص ١٠٢ و١٢٣ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) . وكذلك في كتاب آخر من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة يحتوي على ميامر وتعاليم قديسين « قوانين القديس اشعيا وضعها للشبَّان المبتدئين في الرهبانيَّة » (٤١٠—٤٣٥)

٩٨ ﴿أصلان الآمدي﴾ مطران آمد اليعقوبي المتوفَّى سنة ١٧٤١ لهُ في

مكتبة دير الزعفران قرب ماردين : ١ً تعريب كتاب بركيفا في تفسير الاسرار . ٢ً تعريب كتاب التاولوغيا للمفريان شمعون المنعمي . ٣ً ولهُ مواعظ عربيَّة

٩٩ ﴿ اغابيوس القريطشيّ ﴾ هو اثناسيوس لندوس ثم الراهب اغابيوس المتزهد في جبل آثوس والمتوفَّى في البندقيَّة سنة ١٦٦٤ . لهُ في اليونانيَّة الحديثة عدَّة كتب اطلب وصفها في معجم التاريخ والجغرافية الكنسيَّين (Dict. d'Hist. et de Géogr. eccl. I, 895) . ومما نُقل منها الى العربيَّة الكتب الآتية : ١ً كتاب خلاص الخطأة (Ἁμαρτωλῶν σωτηρία) في ٣ اجزاء و ٣٨ رأساً في بيان علل النفس وشفائها وفي ممارسة الفضائل . نقلهُ الى العربية الخوري يوسف المصوّر الحلبيّ سنة ١٦٠٢ . منهُ عدة نسخ في مكتبة باريس (Paris. n° 223) وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ٧٠) . ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة وقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة القبر المقدَّس في اورشليم . ٢ً كتاب الفرائد اللطاف في سرّ الاعتراف . عرَّبهُ ايضاً الخوري يوسف صادر . منهُ نسخة في دير الآباء الكبوشيين في بيروت . ٣ً كتاب عجائب العذراء يحتوي ٦٨ اعجوبة . اخرجهُ الى العربيَّة مكاريوس الانطاكي . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ١٧٠٨ (ص ٣٣٠)

١٠٠ ﴿ اغابيوس المنبجيّ ﴾ ويدعى ايضاً محبوب بن قسطنطين اسقف منبج الروميّ الملكيّ . كان في القرن العاشر للميلاد . لهُ تاريخ عربي من اوَّل الخليقة الى زمانهِ دعاهُ كتاب العنوان الكامل بفضائل الحكمة ارسلهُ الى رجل اسمهُ عيسى ابن حسين . والكتاب في قسمين القسم الاوَّل منهُ نسخة في مكتبة اوكسفرد وفي دير الشرفة ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . امَّا القسم الثاني فلا تُعرف منهُ الَّا نسخة وحيدة في مكتبة فلورنسة وآخرها ناقص تنتهي بخلافة المهدي العباسي . وهذا الكتاب قد عُنينا بنشرهِ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٩١٠ — ١٩١٢ في مجموعة الكتبة النصارى الشرقيّين . ونشرهُ ايضاً في باريس المستشرق الروميّ ڤاسيلاڤ مع ترجمة فرنسويَّة في السنة ذاتها .

١٠٢ ﴿ اغابيوس مطر ﴾ هو اغابيوس الثالث بطريرك الروم الكاثوليك المتوفّي في عين تراز في ٢١ ك ٢ ١٨١٢ . لهُ في مكتبة الآباء البيض في الصلاحية في القدس كتابات شتَّى ومناشير (Or. Chr. 1914°, p. 327) . وهو الذي جمع مجمع دير

القرقفة الذي اسرت رومية باتلافهِ لآرائهِ الجنسيَّة

١٠٢ ﴿اغاتن﴾ مطران حمص. لا يُعرف زمانهُ. ذكر لهُ ابو البركات في لائحتهِ (Riedel, p. 659) كتاب ايضاح الايمان وسرّ الكهنوت. لم نعثر عليهِ في المكاتب

١٠٣ ﴿أغريضا﴾ الراهبة ماري دغريدا الاسبانيَّة (Marie d'Agréda) (١٦٠٢—١٦٦٥) من رهبانيَّة مار فرنسيس. اشتهرت بكتابتها لسيرة السيدة البتول مريم العذراء الموحاة لها. من هذا الكتاب نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٣٠ والثانية ١٨٥٩. عنوانهُ كتاب مدينة الله السرّيَّة وعجيبة قوَّة الله الكلّية. يتضمَّن قصة مريم العذراء ... للراهبة مريم من قرية اغريضا ترجمهُ من الاسبانيَّة البادري رافائيل الملقَّب ونتبول من رهبان القديس فرنسيس المدعوين سرفنتين (Observantin). ومنهُ ايضاً نسخة في مكتبة الاديبين نقولا افندي أيوب والشمّاس شكري أيوب في حلب. ولها في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٢٨) «رياضات روحيَّة استعملتها العابدة مريم من يسوع دي اغريضا رئيسة دير اغريضا تحت قانون مار فرنسيس في اسبانية» (لهُ صلة)

لخميس الاسرار

خمريَّة القس ارسانيوس الفاخوري

(تتلا عن ديوانهِ المخطوط)

من قرقفٍ عاطى المديرُ كؤوسَها شرباً فطابوا بالشرابِ نفوسا
كم وحَّدوا كم هلَّلوا كم كبَّروا لمَّا أراهم في البدور شموسا
ولقد رماهم في التصابي والهوى اذ زفَّ بكراً بالجلاء عروسا
شبَّت بهم نارُ الجوى في حبِّها وبحبِّها كان الجنانُ وطيسا
والى الوصالِ تهيَّجت اشواقهم يتذوَّقون وصالها المأنوسا
يروي الرواةُ حديثَ مُبدعِ سرِّها ولذكرها يحيي الرُّواةُ رؤوسا
ويُضمِّنون حديثهم في شأنها حتَّى الى نوح وكان رئيسا

القرقفة الذي اسرت رومية باتلافهِ لآرائهِ الجنسيَّة

١٠٢ ﴿اغاتن﴾ مطران حمص. لا يُعرف زمانهُ. ذكر لهُ ابو البركات في لائحتهِ (Riedel, p. 659) كتاب ايضاح الايمان وسرّ الكهنوت. لم نعثر عليهِ في المكاتب

١٠٣ ﴿أغريضا﴾ الراهبة ماري دغريدا الاسبانيَّة (Marie d'Agréda) (١٦٠٢—١٦٦٥) من رهبانيَّة مار فرنسيس. اشتهرت بكتابتها لسيرة السيدة البتول مريم العذراء الموحاة لها. من هذا الكتاب نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٣٠ والثانية ١٨٥٩. عنوانهُ كتاب مدينة الله السرّيَّة وعجيبة قوَّة الله الكلّية. يتضمَّن قصة مريم العذراء ... للراهبة مريم من قرية اغريضا ترجمهُ من الاسبانيَّة البادري رافائيل الملقَّب ونتبول من رهبان القديس فرنسيس المدعوين سرفنتين (Observantin). ومنهُ ايضاً نسخة في مكتبة الاديبين نقولا افندي أيوب والشمّاس شكري أيوب في حلب. ولها في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٢٨) «رياضات روحيَّة استعملتها العابدة مريم من يسوع دي اغريضا رئيسة دير اغريضا تحت قانون مار فرنسيس في اسبانية» (لهُ صلة)

لخميس الاسرار

خمريَّة القس ارسانيوس الفاخوري

(تتلا عن ديوانهِ المخطوط)

من قرقفٍ عاطى المديرُ كؤوسَها شرباً فطابوا بالشرابِ نفوسا
كم وحَّدوا كم هلَّلوا كم كبَّروا لمَّا أراهم في البدور شموسا
ولقد رماهم في التصابي والهوى اذ زفَّ بكراً بالجلاء عروسا
شبَّت بهم نارُ الجوى في حبِّها وبحبِّها كان الجنانُ وطيسا
والى الوصالِ تهيَّجت اشواقهم يتذوَّقون وصالها المأنوسا
يروي الرواةُ حديثَ مُبدعِ سرِّها ولذكرها يحيي الرُّواةُ رؤوسا
ويُضمِّنون حديثهم في شأنها حتَّى الى نوح وكان رئيسا

فهي الغزالةُ والحُبابُ نجومُها ... بالمزج فالمكلومُ منها يُوسَى
ان ذرَّ ليلاً قرنُها يتأى الدُّجى ... ونفى سناها الهمَّ والتعبيسا
بل كلُّ ذي نورٍ يُكرَّمُ نورُها ... ولذا ترى كلَّ النجوم مجوسا
وهُمُ لاهل الدير فيها هنأوا ... حسدوا بها الشمّاسَ والقسّيسا
ودماً لهُ الربُّ المسيحُ اختارَها ... منهُ لها قد حازتِ التقديسا
ليلَ العشا السرّيِّ بارك كأسها ... فالشربُ منها يرمضُ التدنيسا
وسقى التلاميذَ الذين اختارهم ... مستمشأً اجسادهم ونفوسا
وبها تسامَوا رتبةً وجلالةً ... وبها غدا ذاك الخسيسُ نفيسا
دارت بها الرسلُ الكرام بنشطةٍ ... يجلون في كل الجهات كؤوسا
قد عيَّنوا لجلالها وزفافها ... ابداً اساقفةً لها وقسوسا
فيباركون مقدّسين كؤوسها ... يتلون آياتٍ تلاها عيسى
لله راحٌ قد سمتْ فمُديرُها ... كانَ المسيح المقتدى القدُّوسا
والخبزُ صيَّرهُ لهُ جسداً وبا م ... لأعراض كلٌّ قد غدا محسوسا
لكن يكون الربُّ في الشكلين مو ... جوداً غذاء مانحاً تقديسا
في كل شكلٍ منهما هو كاملٌ ... ومن الورى بهما يُرى ملموسا
وبكل جزء منهما ايضاً كذا ... بالحُبِّ اضحى للنفوس عروسا
قال: اصنعوا هذا لذكري ذا لكم ... عهدٌ جديدٌ يُبطلُ الناموسا
الحبرُ ملكيصاذقٌ لبدى لنا ... رسماً يدلُّ عليهما مأنوساً
يا خمرةً سار الركابُ بذكرها ... وحُداتُهم سيرًا اذلّوا العيسا
جابوا الفيافي والقراء وما هوَوا ... قيلولةً فيها ولا التعريسا
وبكلّ ارض قد طوَوا في نشرها ... حتى ملَوا كلَّ الجهات شموسا
في الشرق كان شروقُها وامتدَّ في ... كل الدُّنى وغدا الغروبُ حبيسا
تهدي الى سبُلِ الهدى انوارُها ... فهي التي قِدماً رآها موسى
يا خمرةً قدسيَّةً فيها الشفا ... ويعودُ حيًّا مَن غدا مرموسا
فيها القداسةُ والنجا لحُسانها ... يُضحي سعيداً من يكون تعيسا
فالشكر لربِّ المسيح إلهنا ... ذاك الذي منها ادار كؤوسا

تنّين القديس جرجس

بنسبة عيده في ٢٣ نيسان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

لمّا كتبنا في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٣٧٥–٣٩٩) مقالة مطوّلة بنسبة المئة الثالثة عشرة لتذكار استشهاد القديس جرجس ثم اردفناها برواية اثر جديد من اعماله (١٠ [١٩٠٧]: ٤١٤–٤٢٠) شككنا في صحّة ما يروى عنهُ في قصّة قتلهِ للتنين سواء كان في بيروت كما هو شائع في بلاد الشام ام في غيرها كما يرويهِ بعض الكتبة. وكان من جملة ما استدللنا بهِ على زعمنا ما كتبهُ البولنديُّون ائمّة الانتقاد في اخبار القديسين انّ هذه القصّة لا اثر لها في كتابات المؤرّخين قبل القرن الحادي عشر اعني ٧٠٠ سنة بعد استشهاد ذاك البطل الصنديد

ثمّ انّ الكتبة المتأخرين قلّما يعيرون بالًا للتنانين والوحوش الغريبة التي ورد ذكرها في التواريخ القديمة بل يعدُّون رواتها قليلي التبصُّر في مواليد الطبيعة منقادين الى خرافات العوامّ واوهامهم الباطلة

وليست غايتنا في هذه العجالة ان نقيل آراء علماء الطبيعة في هذا الشأن ولا ان نبحث عن صدق الرواة الاقدمين في ما ذكروهُ من هذا القبيل وهم يؤكدون صحّتهُ. الّا انّنا قرأنا في التواريخ القريبة الى زماننا قصّةً اجمع على حقيقتها مؤرخون موثوق بقولهم مع عدد كبير من شهود العيان (١ . نعني بذلك تنّين جزيرة رودس الذي ظهر في زمن فرسان رودس في عهد رئيسهم العام هليون دي ڤيلنوڤ (Hélion de Villeneuve) الذي دبّر طائفتهم من السنة ١٣١٩ الى سنة وفاته ١٣٤٦

فلمّا كانت السنة ١٣٤٠ تقريباً ظهر في الجزيرة تنّين عظيم كان على صورة ضبّ

١) تابع تاريخ بواساً (Chronique de Boissat) ثمّ تاريخ فرسان مالطة لفرتو (Vertot: *Histoire des Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jérusalem. I. V.137*) ثم تاريخ جزيرة رودس لبليوتي (Biliotti: *L'Ile de Rhodes. 146-150*)

تنّين القديس جرجس

بنسبة عيده في ٢٣ نيسان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

لمّا كتبنا في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٣٧٥–٣٩٩) مقالة مطوّلة بنسبة المئة الثالثة عشرة لتذكار استشهاد القديس جرجس ثم اردفناها برواية اثر جديد من اعماله (١٠ [١٩٠٧]: ٤١٤–٤٢٠) شككنا في صحّة ما يروى عنهُ في قصّة قتلهِ للتنين سواء كان في بيروت كما هو شائع في بلاد الشام ام في غيرها كما يرويهِ بعض الكتبة. وكان من جملة ما استدللنا بهِ على زعمنا ما كتبهُ البولنديُّون ائمّة الانتقاد في اخبار القديسين انّ هذه القصّة لا اثر لها في كتابات المؤرّخين قبل القرن الحادي عشر اعني ٧٠٠ سنة بعد استشهاد ذاك البطل الصنديد

ثمّ انّ الكتبة المتأخرين قلّما يعيرون بالًا للتنانين والوحوش الغريبة التي ورد ذكرها في التواريخ القديمة بل يعدُّون رواتها قليلي التبصُّر في مواليد الطبيعة منقادين الى خرافات العوامّ واوهامهم الباطلة

وليست غايتنا في هذه العجالة ان نقيل آراء علماء الطبيعة في هذا الشأن ولا ان نبحث عن صدق الرواة الاقدمين في ما ذكروهُ من هذا القبيل وهم يؤكدون صحّتهُ. الّا انّنا قرأنا في التواريخ القريبة الى زماننا قصّةً اجمع على حقيقتها مؤرخون موثوق بقولهم مع عدد كبير من شهود العيان (١ . نعني بذلك تنّين جزيرة رودس الذي ظهر في زمن فرسان رودس في عهد رئيسهم العام هليون دي ڤيلنوڤ (Hélion de Villeneuve) الذي دبّر طائفتهم من السنة ١٣١٩ الى سنة وفاته ١٣٤٦

فلمّا كانت السنة ١٣٤٠ تقريباً ظهر في الجزيرة تنّين عظيم كان على صورة ضبّ

١) تابع تاريخ بواساً (Chronique de Boissat) ثمّ تاريخ فرسان مالطة لفرتو (Vertot: *Histoire des Chevaliers Hospitaliers de S. Jean de Jérusalem. I. V.137*) ثم تاريخ جزيرة رودس لبليوتي (Biliotti: *L'Ile de Rhodes. 146-150*)

كبير شبيه بتماسيح النيل طولهُ بضعة اذرع وظهرهُ كظهر السُّلحفاة صلابةً ذو قشور لا يعمل فيها الحديد ولـهُ اربع ارجل تنتهي بمخاليب مرهفة وذنب طويل ورأسهُ شبيه برأس التمساح متفلطح على طرفيهِ اذنان كاذني البغل ولـهُ فم واسع مع عدّة انياب في فكيهِ وعيناهُ تقدحان ناراً . وكان لونهُ كلهُ كلون الحديد اما بطنهُ فكان لين الجلـد يضرب الى اللون الاخضر . وعلى جانبيهِ زُعنفتان كزعانف السمك او اجنحة الطير يستعين بهما في سيرهِ

فهذا الحيوان الغريب كان احتلّ مغارة رطبة تعرف بمغارة موباس (Maupas) ويسمّونها اليوم سَندرولي يتزّ منهـا الماء فيسيل الى مستنقع هناك ذي مياه آجنة تنبعث منهـا الروائح القبيحة . وكان اذا اقـترب من غورهِ حيوان وثب عليهِ فوراً فابتلعهُ . فكان يسطو على القطعان فيأكل خرافها ويلتهم البقر والخيـل وربّما هجم على الرُّعاة ففتك بهم حتى اصبح لاهل الجزيرة آفةً فسعى بعض كُماتهم بقتلهِ فلم يفلحوا اذ لم تكن اذ ذاك شاعت البندقيّات النارية فكان التنّين يصرعهم بذنبه ثم يفترسهم

ثم اراد بعض فرسان رودس ان يوقعوا بهِ وينقذوا الجزيرة من شرّه فكـان نصيبهم نصيب كماة الجزيرة حتى انَّ رئيس الفرسان السابق ذكرهُ امر مرؤوسيهِ ان يكفّوا عن مقاتلة ذاك الوحش صوناً لحياتهم

وكان بين الفرسان شابٌ شجاع صـادق البـأس يُدعى ديودونه دي غوزون (Dieudonné de Gozon) من بـلاد بروفنسة جنوبي فرنسة من اسرة عريقة في الشرف . فهذا امتعض من امر الرئيس اذ كان يتأهّب بأساً ويتوخى ان يحرز لـهُ اسماً شريفاً بين كماة عصرهِ بقتل ذاك التنّين

فلتحقيق نيّتهِ طلب من رئيسهِ ان يعود مدّةً الى قصر اجدادهِ وهنـاك اصطنع هيكل حيوان شبيهٍ بهيكل التنّين في صورتهِ وهيئتهِ ولونهِ وحركاتهِ واستحضر كلبَين من كلاب الرعاة الشرسي الطباع فاخذ يتمرّن على قتل التنّين ويضرّي الكلبين عليهِ لاسيّما على بقر بطنهِ الخالي من القشور فوجدهما طوع بنانهِ . وكذا فعل بفرسهِ ليعتاد منظر الوحش . فلمّا تمّ لهُ المرام عاد الى رودس ومعهُ الكلبـان ثمّ سار خفيةً عن رئيسهِ ودون علم الفرسان وصفائهِ الى مأوى التنّين راكباً جوادهُ شاكّاً بسلاحهِ بعد ان دخل كنيسة القديس اسطفان التي كانت مطلّة على مقام الوحش وصلّى فيها صلاةً

حارّة ليظفره الله بذاك الحيوان ثمّ سار وبيده رمحهُ لمقاتلة التنّين

فما شعر الوحش بقدومهِ حتى خرج من غورهِ متنمّرًا غيظًا يقصد افتراسهُ فثبت الفارس امامهُ وضربهُ برمحهِ دون ان يؤثر ذلك في جسمهِ واعًا نفخ نفخةً هائلة وزفر زفيرًا هلع لهُ الجواد وارتدّ الى الوراء بخلاف الكلبين اللذين حملا على الوحش. فاسرع اذ ذاك الفارس ونزل عن جوادهِ ثمّ تقدّم الى التنّين ليضربهُ بسيفهِ ضربةً قاضية. فرفع التنّين رجليهِ ليهجم عليهِ فرأى الكلبان بطنهُ مجرّدًا فوثبا عليهِ يبقرانهِ وادخل الفارس سيفهُ في حلقهِ. فانتصب الوحش وضرب الفارس بذنبهِ ثم خارت قواه فسقط ميتًا فوق قرنهِ فضغطهُ بثقلهِ

فغاب الفارس عن الحواسّ وكاد يغطس من رائحة الوحش المستكرهة الّا انّ اثنين من خدّامهِ كان كشفا لهما سرّ مقاتلتهِ للوحش وهما يشاهدانهِ عن بُعد اسرعا فأتيا الى مساعدتهِ واخرجاهُ بعد العناء والمشقّة من تحت الحيوان وجرّداهُ من اسلحتهِ. ثمّ نضحا الماء على وجههِ ففتح الفارس عينيهِ وكان اوّل ما وقع بصرهُ على التنّين المضرّج بدمهِ قريبًا منهُ. فانتفض للحال وعادت اليهِ كلّ قواهُ ثمّ جثا راكعًا ليشكر الله على نجاتهِ وعلى خلاص الجزيرة من عدوّها

وكان خبر انتصار الفارس قد بلغ اهل المدينة وانتشر بينهم انتشار البرق فخرجوا الى ملاقاتهِ وادخلوهُ البلد مترنّمين بمديحهِ ناشدين الاهازيج صارخين: هوذا البطل الذي خلّصنا ومواشينا ورعاتنا من الوحش الضاري والتنّين الرهيب

على انّ رئيس الفرسان اذ بلغهُ صنيع مرؤوسهِ ساءهُ فعلهُ لمخالفتهِ اوامرهُ وقوانين رهبانيّتهِ. فلم يشأ ان يسمع كلامهُ بل امر ان يُجرّد من ثوب الفرسان ويُلقى في السجن دون ان يحنّ عليهِ او يرضخ لشفاعة اخوتهِ الفرسان

فما كان من امر ديودونه الّا ان رضي بحكم رئيسهِ ومشى الى حبسهِ ليكفّر عن ذنبهِ. فلمّا رأى الرئيس طاعتهُ وحسن سلوكهِ في قبول القصاص رضي عنهُ واعادهُ مسرعًا عند وصولهِ الى باب القاعة وقام فقبّلهُ واثنى على تواضعهِ وعلى شجاعتهِ معًا قائلًا: «انّ انتصارك على نفسك اعظم عندي من انتصارك على التنّين» وردّ لهُ بزّة الفرسان والقى الجميع يهنّئونهُ على ظفرهِ بالتنّين

وبعد ثلاث سنوات توفّي الرئيس هليون دي ڤيلنوف فوقع الانتخاب على

ديردونه دي غوزون كرنيس عام عليهم لما عرفوهُ من بسالته بعد قتلهِ التنين قد برهم ثماني سنين من ١٣٤٦ الى ١٣٥٣

امّا التنين فقُطع رأسهُ وعُلق فوق احد ابواب المدينة المعروف بأمبواز فبقي هناك الى اواسط القرن التاسع عشر فعاينهُ كثير من زوّار رودس ووصفوهُ كما سبق

ولمّا كان الشبيه بالشبيه يُذكَر نقول انّ في تاريخ هذا التنين الحقيقيّ ما يقرّب الى تصديق ما رُوي عن تنين مارجرجس لو وردَ فيهِ خبر اكيد يرتقي الى زمن القديس

ولعلّ ما كتبهُ القزوينيّ في عجائب المخلوقات عن التنين (ص ١٣٢) لا يخلو من بعض الصحّة بعد ما ورد عن تنين رودس قال :

«التنّين حيوان عظيم الخلقة هائل المنظر طويل الجثّة كبير الرأس براق العينين واسع الفم والجوف كثير الاسنان . . . ولونهُ مثل لون النسر عليهِ فلوس مثل فلوس السمك بجناحين على هيئة جناحي السمك واذناهُ طويلتان وعيناهُ مدوّرتان . . . »

والله اعلم !

مطبوعات شرقيّة جديدة

Abbas Tobias Anaissi : COLLECTIO DOCUMENTORUM MARONITARUM . I vol . in-12 , pp. 217, Liburni 1921 .

مجموع آثار مارونيّة

كان حضرة الاباتي طوبيا العنيسي من الرهبانيّة اللبنانيّة الحلبيّة أتحفنا سابقاً بمجموع البراءات الممنوحة لطائفة الموارنة (Bullarium Maronitatum) فأثنينا على عمله (المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٥٤٩) وعرضنا لمؤلفهِ ما خطر على بالنا من التحسينات . وها هو اليوم تفضّل وارسل لنا مجموعاً جديداً من الآثار المارونيّة التي وقف عليها في سجلّات المجمع المقدّس وفي المكتبة الفاتيكانيّة ومكاتب اخرى في رومية العظمى مما يبلغ عدده ١٣٤ اثراً . فلا شكّ انّ كلّ الباحثين عن تاريخ الشرق المسيحي يُسرّون بهذه الاكتشافات ويشكرون لجامعها فضلهُ وهمّتهُ ويتمنّون ان تحذو كلّ

ديردونه دي غوزون كرنيس عام عليهم لما عرفوهُ من بسالته بعد قتلهِ التنين قد برهم ثماني سنين من ١٣٤٦ الى ١٣٥٣

امّا التنين فقُطع رأسهُ وعُلق فوق احد ابواب المدينة المعروف بأمبواز فبقي هناك الى اواسط القرن التاسع عشر فعاينهُ كثير من زوّار رودس ووصفوهُ كما سبق

ولمّا كان الشبيه بالشبيه يُذكَر نقول انّ في تاريخ هذا التنين الحقيقيّ ما يقرّب الى تصديق ما رُوي عن تنين مارجرجس لو وردَ فيهِ خبر اكيد يرتقي الى زمن القديس

ولعلّ ما كتبهُ القزوينيّ في عجائب المخلوقات عن التنين (ص ١٣٢) لا يخلو من بعض الصحّة بعد ما ورد عن تنين رودس قال :

«التنّين حيوان عظيم الخلقة هائل المنظر طويل الجثّة كبير الرأس براق العينين واسع الفم والجوف كثير الاسنان . . . ولونهُ مثل لون النسر عليهِ فلوس مثل فلوس السمك بجناحين على هيئة جناحي السمك واذناهُ طويلتان وعيناهُ مدوّرتان . . . »

والله اعلم !

مطبوعات شرقيّة جديدة

Abbas Tobias Anaissi : COLLECTIO DOCUMENTORUM MARONITARUM . I vol . in-12 , pp. 217, Liburni 1921 .

مجموع آثار مارونيّة

كان حضرة الاباتي طوبيا العنيسي من الرهبانيّة اللبنانيّة الحلبيّة أتحفنا سابقاً بمجموع البراءات الممنوحة لطائفة الموارنة (Bullarium Maronitatum) فأثنينا على عمله (المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٥٤٩) وعرضنا لمؤلفهِ ما خطر على بالنا من التحسينات . وها هو اليوم تفضّل وارسل لنا مجموعاً جديداً من الآثار المارونيّة التي وقف عليها في سجلّات المجمع المقدّس وفي المكتبة الفاتيكانيّة ومكاتب اخرى في رومية العظمى مما يبلغ عدده ١٣٤ اثراً . فلا شكّ انّ كلّ الباحثين عن تاريخ الشرق المسيحي يُسرّون بهذه الاكتشافات ويشكرون لجامعها فضلهُ وهمّتهُ ويتمنّون ان تحذو كلّ

الطوائف حذوهُ فتنشر ما لها من الآثار المثبتة بعلاقاتها مع الكرسيّ الرسوليّ في ما سبق من الاجيال كما فعل ايضاً حضرة الاب صموئيل جميل للكلدان . على أننا نودّ انّ مثل هذه المنشورات المهمّة تبرز بكل ما يحقّ لها من الاتقان ولذلك نعرض على حضرة الاباتي طوبيا بعض الملحوظات على هذا المجموع الثاني الذي أطلعنا على محتوياته بكل رغبة فنقول : ١ً كان من المستجاد أن تُطبع هذه الآثار بقطع مجموع البولّات لتُضمّ اليهِ في التجليد . ٢ً نأسف على خلوّ المجموع الجديد كسلفهِ من فهرس موسّع للموادّ واسماء الاعلام على طريقة حروف المعجم تسهيلاً للبحث عن محتوياتها . ٣ً الاغلاط الطبعيّة في اللاتينيّة والايطاليّة متعدّدة تقتضي الاصلاح وان كان عددها اقلّ من المجموع السابق . ٤ً يوجد في هذه الآثار عدّة اقوال تستدعي بعض الايضاحات في ذيل الكتاب الذي يخلو منها تماماً . ٥ً بين الآثار المنشورة جديداً ما لا يفيد كثيراً الطائفة المارونيّة كمنح اوسمة او امتيازات شرفيّة لبعض الافراد مع الرقيم المشير اليها فانّ الموارنة الذين حازوا مثلها لا يُحصى عددهم فما الداعي لذكر بعضها . ٦ً وعلى خلاف ذلك يوجد آثار عديدة مهمّة لم نقف عليها في المجموعين معاً كبراءة البابا بندكتوس الرابع عشر الموجّهة الى الاكليروس الماروني في ١٦ شباط ١٧٤٢ لازالة ما وقع من الاضطراب في الجبل بسبب المجمع اللبناني وللدفاع عن المنسنيور يوسف السمعاني (Appendix ad Bullarium Pontificium S. C. de Prop. Fide, 97) التي اوّلها (Apostolicæ servitutis) . ٧ً وقد وجدنا اختلافاً في النصّ الاصلي بين ما نشرهُ حضرة الاباتي (في العدد ١٦) وما نُشر سابقاً في طبعة المجمع اللبناني اللاتينيّة (عدد ٥) بخصوص براءة الحبر الاعظم اقليمس الثاني عشر الموجّهة الى المنسنيور يوسف السمعاني . فما هو سبب الاختلاف؟ . ٨ً قد خلط المؤلف (ص ١١٨) بين قنصل حلب المسيو بيسكه وقنصل بيروت ابي نوفل الخازن . وغير ذلك مما لا يسعنا ذكرهُ فرداً فرداً . واملنا ان يُعاد طبع المجموعين كليهما ويزاد في تحسينهما واتقانهما ليعوّل عليهما الكتبة المستشرقون ل . ش

W.Scott-Elliot: L'histoire de l'Atlantide. *Esquisse géographique, historique et ethnographique.* 1 *vol. traduit de l'Anglais, Paris* 1922

الاتلنديد قارّة ذكرها كتبة اليونان القدماء ورووا انّها غاصت في البحار فطمست

آثارها . وقد تعدّدت اقاويل العلماء في تعريف موقعها واحوالها وليس في كلامهم ما يمكن الاستناد اليهِ لتحقيق امرها . ومن العجب انَّ صاحب هذا الكتاب الجديد يزعم انَّهُ وقف على حقيقة تلك القارة وموضعها وتاريخها وتعريف اهلها وقد ادرج في كتابهِ رسوماً وخوارط لاثبات قولهِ دون ان يدلّ على اصل تلك الرسوم والظاهر انَّ كلامهُ اشبه باضغاث احلام نائم منهُ بحقائق راهنة ج . ل

P. Boissonnade : Le travail dans l'Europe chrétienne au Moyen-Age V-XVe siècles. *Un vol. in-8°, pp.* 431 *avec* 11 *gravures dans le texte, Paris. Alcan,* 1921, 18 *f^rs*

الشغل في اوربّة المسيحيّة مدّة القرون الوسطى

هذا الكتاب من جملة مجموعة يتولّى نشرها احد اساتذة كلّيّة فرنسة المسيو جورج دينار تحت عنوان « تاريخ عامّ للشغل البشري » . فعهد الى المسيو بولسوناد تصنيف تاريخ الشغل في اوربّة في القرون المتوسّطة وهو احد الاختصاصيين الذي درس تلك الاجيال درساً خاصاً وألّف فيهِ التآليف المتّسعة فهو اذن خير دليل في بيان ما حاول وصفهُ . فبعد ذكرهِ لهجوم الامم البرابرة على المملكة الرومانيّة وعيشهم فيها يبيّن ما كان لبوزنطية من الفضل في معارضتها للبرابرة وايقافهم عند حدودهم مدّة نحو الف سنة وبذلك اصبح الشرقُ لاوربّة مثالًا ومرشدًا فنسجت على منوالهِ تدريجاً ثمَّ استقلّت بأعمالها . وكان للرهبانيّات الاوربيّة وللكنيسة عموماً في الوقت عينهِ حصّة كبيرة في تلك النهضة التي بلغت اوج كمالها في القرون الوسطى حيث نشأت تلك الابنية الدينيّة والمدنيّة المتعدّدة التي تنطق بفضل اصحابها النوابغ وتشهد لهم بالتقدُّم في كلّ الفنون الصناعيّة حتّى انَّهُ يجوز ان تُدعى تلك القرون بعصر الصناعة والشغل الذهبيّ . وقد امسى الشغل منذ ذاك الحين ميزةً لاوربّة فاقت بها على باقي المعمور . فتلك خلاصة الكتاب الذي نحن بصددهِ الذي يجب على كلّ محبّي الشغل ان يطالعوهُ ليقتبسوا من فوائدهِ الاب ج . لوقنك

Seignobosc (Capitaine N.): COURS DE TOPOGRAPHIE ÉLÉMENTAIRE, à l'usage des Sociétés de préparation militaire. 7e *éd., Paris Ch. Lavauzelle. in-12,* 100 *pp. et* 102 *figures. cartonné,* 2 f^rs50

المرشد الى وصف الامكنة

هذا كتاب صغير الحجم قريب المأخذ يحتوي على ما يحتاج اليه تلامذة المكاتب

الهندسيّة وهو يفيد ايضاً السيّاح الذين يراجعون خارطة البلاد التي يتجوّلون فيها

Albert Cherel : En relisant après la guerre Bazin, Bourget, Barrès, 1 *vol. in-16, Paris, de Gigord. s. d.*

العَوْد بالنظر الى كتابات بازِن وبورجه وبارِس قبل الحرب

بازِن وبورجه وبارِس ثلثة كتبة شاعت تآليفهم قبل الحرب الكونيّة كان القرّاء يصدّقون على ما يحرّرونهُ في احوال فرنسة الادبيّة وفي مستقبلها. فاحبَّ المسيو شيرل ان يعيد النظر في تلك الكتابات ليرى مَن من الثلثة كان اصدق نظرًا وأصوب رأيًا فصحّت ظنونهُ قبل الحرب ؟ فأدّى بهِ انتقادهُ لهذه الآثار بنزاهة بان المجلي في هذه الحَلْبَة انّما هو رينه بازن الكاتب المصريّ الجامع بين التديُّن واصالة الرأي فضلًا عن طلاوة الانشاء والانسجام. ودونهُ بورجه الذي مع براعتهِ في الكتابة لم يُصِب في معالجة ادواء بلادهِ الى أن رآها رأيَ العيان في أبّان الحرب. وكان لبارِس تأثير خاصّ بالناشئة الافرنسيّة لكنّهم رأوا في زمن الحرب انَّ وطنيّتهُ ينقصها روح الدين وتضحية الذات ج. ل

L'ORIENT VU DE L'OCCIDENT, essai critique par E. Dinet et Sliman ben Ibrahim. *Paris, Geuthner*, in-12, pp. 104

انك لفي وادٍ وانا في وادٍ

أحسن المسيو دينيهْ باختيارهِ هذا العنوان لكتابهِ فانهُ منذ جحد دين آبائهِ احتلّ وادياً بعيدًا من وادي أُمّتهِ فلا عجب ان يرى الامور على صورة تخالف ما يراهُ غيرهُ. وهل هو يا تُرى المُحِقّ او ليس هو بالاحرى مخدوعاً بسراب فيغلّب اوهامهُ على حقيقة الامور. لستُ لأُنكر ان المستشرقين ايضاً اذا كتبوا عن الاسلام واوائل تاريخهِ ربّما حادوا عن جادّة الحقّ ولعلّ الذنب في تضارب اقوالهم اعتمادُهم على كتبة العرب الذين دوّنوا في كتبهم اسانيد متباينة متناقضة تراها في الناسخ والمنسوخ وفي السير النبويّة وفي الاثر والخبر والحديث وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد مما لا يُدوَّن بالكتابة قبل اواسط القرن الثاني للهجرة. بخلاف الاناجيل التي يقرّ اليوم اعداء النصرانيّة انّها راقية الى زمن رسل المسيح. فكيف لا يضيع المستشرقون في تلك المهالك اذا ارادوا التفتيش عن الحقيقة. وقد اقرّ المسيو دينيهْ في كتابهِ غير مرّة بوجود

هذه المناقضات وهو يستند لتفنيد خصومهِ الى ذات الاسانيد التي وجد المستشرقون فيها اثبات حججهم . هذا ومما ننكرهُ عليهِ قطعيًّا ما رواهُ (ص ٤٢) عن كليّتنا البيروتيّة وعن اشتراك تلاميذنا باهل المدينة في مواسمهم الدينيّة ل . ش

Dr P. Caujole : Les tribulations d'une Ambulance française en Perse. I *Vol. in-12, 1921. pp. 180, avec 48 Photographies, Paris « Les Gémeaux »*

مستشفى عسكري فرنساوي في العجم

في اواسط سنة ١٦١٧ ارسلت فرنسة على طريق اركنجل الى العجم بعثةً طبيّة لخدمة جرحى الجيوش الروسيّة في حدود ارمنية وتركيّة والعجم وكان عدد تلك اللجنة بالغًا ٦٠ طبيبًا او جرّاحًا او ممرّضًا فصادف سفرُهم فَشَل روسيّة وغارات الدول المركزيّة فلم يبلغوا اورمية حيث فتحوا المستشفى الّا بعد ثمانين يومًا اصابهم في مدّتها عدّة نكبات . فقاموا بمهمّتهم في اورمية وخدموا الجرحى والمرضى مدّة ثمانية اشهر بغيرةٍ عظيمة بقطع النظر عن اديانهم وبلادهم فبلغ عددهم ٦٦٢ بين روسيين وعجم ومسلمين ونصارى . ثمّ تفاقمت الامور وانقطعت عنهم اخبار وطنهم الى ان جاءهم الامر بالعَوْد الى فرنسة . فحدّث عما قاسوهُ في طريق رجوعهم من الاهوال والاتعاب وضروب الكوارث على طريق العجم والعراق الى بغداد ومنها بحرًا على عدن فبورسعيد فبيروت الى ان بلغوا مرسيلية وباريس في ٣ شباط ١٩١٩ . فهذه البعثة قد سطّر تاريخها الدكتور كوجول وادمج فيها كثيرًا من المعلومات الجغرافيّة والتاريخيّة والاخلاقيّة تلذّ القارئ وتفيدهُ معًا . وقد سرّنا ما اثبت فيها المؤلف من الثناء على الاشوريين الكلدان ورغبتهِ في ان تمنحهم الدول استقلالًا استحقّوهُ بامانتهم وبأسهم

Die wechselnden Gesangsstücke der ostsyrichen Messe von Adolf Bücker (*Breslau*)

الالحان الدينيّة المختلفة في القداس السرياني الشرقي

كتب الطيّب الذكر المطران ادّي صليبا ضحيّة الاتراك في زمن الحرب مقالتين شائقتين في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٨٤ و ٥ [١٩٠٢] : ٧٣٠) بيّن فيهما قدم ليترجيّة الكلدان وتفاصيل كتبهم القانونيّة . وهذه مقالةٌ ثانيّة لاحد اساتذة كليّة

يرسلو خصّها بالقناء الكنعي الشائع عند الكلدان في ليترجيتهم فبحث فيه بحثاً تاريخياً مدققاً وبيّن ما طرأ عليه من الاختلافات في سابق الاجيال مع بيان خواصه والحانه وقابل بينهُ وبين طقوس الطوائف الشرقية الاخرى فأفاد واجاد

THE BATTLE OF MEGIDDO. Dissertation by Harold Hayden Nelson. *The University of Chicago*, 1913, *pp.* 63. *Photographies, Cartes*

واقعة ماجدّو

كانت ماجدّو مدينةً لبني كنعان في الالف الثاني قبل المسيح يعدُّونها كمفتاح بلادهم . فلمّا طمح الفراعنة بنظرهم الى بلاد الشام كان اوّل اهتمامهم فتح تلك المدينة . واعظم واقعة حصلت هناك انما كانت في عهد الفرعون تحوتمس الثالث احد كبار ملوك السلالة الثامنة عشرة فحاصر المدينة واخذها عنوةً في ١٥ ايار من السنة ١٤٧٩ قبل المسيح . وقد جاء في الآثار المصريّة الهيروغليفيّة عدّة كتابات يفتخر فيها الفرعون لفتحه تلك المدينة الحريزة ومع كثرة ما ورد عن تلك الواقعة لم يتّسع حتّى الآن احد الكتبة في ظروفها تماماً ووصف تفاصيلها المختلفة فاراد الدكتور نلسون ان يتّخذ هذه الواقعة كموضوع بحثه ومادّة امتحانه لينال بها امتيازات اللفنة في كليّة شيكاغو . والحقّ يقال انهُ نظر في موضوعه نظراً شاملاً جامعاً فاستخرج الكتابات الهيروغليفيّة مع ما اكتشفوا من الآثار حديثاً واثبت انطباقها على موقع ماجدّو التي زار مرّتين اطلالها واستفاد من وصفائه معلوماتهم عنها . ومما يزين هذا الكتاب تصاويره النسخة البديعة وخارطتاه لساحة وغى ماجدّو ل . ش

LES INDUSTRIES EN SYRIE ET AU LIBAN par Edmond Béchara Ingénieur E. I. L. Le Caire, 1922, pp. 49

الحرف والصنائع في لبنان

هذه محاضرة حسنة القاها صديقنا وخريج كليّتنا جناب المهندس الاديب ادمون بشاره في نادي الجمعيّة اللبنانيّة السوريّة في مصر في ١١ ك٢ ١٩٢٢ فنشرتها مجلّة العالم المصري ونقلتها الى العربيّة مجلّة المقتطف . فلمّا اطّلعنا عليها وجدناها مطابقة لما كنّا ننتظر من همّة وسعة معارف كاتبها . فانّهُ احاط بالموضوع وبيّن ما لسوريّة ولبنان من موارد الثروة فوجد ٢٧ حرفة او صناعة يستطيع السوريّون ان يرتزقوا منها ويغنوا

بلادهم باستثمارها . فنشكر جناب المؤلف على هذه الخدمة الجليلة التي ادّاها لوطنه ونحضّ اهل الشام ان يدرسوا هذه المحاضرة ويستفيدوا من معلوماتها الواسعة ل . ش

Introduction à l'étude du Droit Musulman Algérien par Marcel Morand. *Alger, Jules Carbonel*, 1921 pp. 215

مقدّمة المسيو مرسيل موران على كتابه في درس الحقوق الاسلاميّة الجزائريّة

انّ المسيو مرسيل موران متقدّم كليّة الحقوق في الجزائر واحد كبار الفقهاء يفوق على كل اقرانه بمعرفة القوانين الشرعيّة والاداريّة التي تجري عليها الحكومة في الجزائر منذ فتحها الّا انّهُ كصفاته الفقهاء قليل المعرفة للتاريخ فاذا بسط القضايا اصاب في تعريفها لكنّهُ لا يكترث بما افادنا النقد التاريخي منذ ٣٠ سنة اذ وقف المستشرقون على تقلّبات الفقهاء في اطوار التاريخ الاسلاميّ بينما هو لا يذكر غير النصوص القريبة العهد من عصره . وكنّا نودّ ان نلقى في كتاب المسيو موران درساً مدقّقاً للحقّ الاسلامي الجزائري الذي يقرّ عن جهله له (ص٩٥) مع انّهُ يصرّح بوجود بعض موارده كالفتاوى وغيرها (ص٨٦) . وممّا يؤسف له انّ فقه اهل الجزائر حتى يومنا هذا لم يدرسهُ احد ولولاهُ يبقى علم الحقّ الاسلامي مخلّاً فلا يستحقّ ان يُدعى الّا باسم الحقّ الاستعماري الفرنساوي في الجزائر وهو الذي اشتهر المسيو موران بتدريسه او يُدعى باسم الحقّ الاسلاميّ النظري الذي يختلف عن الحقّ الاسلامي العملي . وكان الاوفق لو باشر المسيو موران درس الحقّ المذكور قبل تصنيفه لكتابه المقدّمات السابقة لتدوين دستور الحقّ الاسلامي الجزائري فكان استفاد منهُ لتأليفه

لويس دي برون

ماك سويني اللورد محافظ كورك

بقلم منصفان (الخوري منصور لسطفان)

المطبعة اليوسفيّة في القاهرة سنة ١٩٢٢ (ص ١٨٣)

اذا مات الجندي في ساحة الحرب اطرأهُ وطنهُ واثنى الناس على شهامته وهنا بطل عظيم الهمّة شريف النفس لم يرَ واسطة للاحتجاج على مغتصبيه الّا ان يمتنع عن

كلّ طعام او يطلقوا لهُ حرّيتهُ . فمات ضحيّة حبّهِ لوطنهِ اذ عرف انّ موتهُ سيبعث في قومهِ عزماً جديداً في مطالبتهم الاستقلال لجزيرتهم . وهكذا كان . فان موتهُ نفع وطنهُ اكثر من حياتهِ . وكان في ايام صومهِ الاختياري لا ينقطع عن اتمام فرائضهِ الدينيّة الى آخر نفس من حياتهِ . والكتاب الذي نحن بصددهِ قد اتّسع مؤلفهُ الفاضل في تعريف ذاك الرجل العظيم ونشر كلّ ما من شأنهِ ان يبيّن تاريخ حياتهِ وجهادهُ في خدمة وطنهِ . فنحث بني الوطن على مطالعة هذا الكتاب ليستقوا من مناهلهِ فيخدموا بلادهم بنزاهة وتفانٍ . والكتاب يُطلب في البلدة من مكتبة الاديب يوسف صفير

مواعظ شهر ايّار على نسق الاب موزرلّي اليسوعي

تأليف السيّد انجيلو برساني دوسنا وتعريب القس يوسف غبريل الراهب اللبناني

طُبع في بيروت سنة ١٩١٤ (ص ٥٧٦)

مذ نشر الاب الفونس موزرلي سنة ١٧٨٥ كتابهُ الشهير في الشهر المريميّ (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٨٥–٣٩١) قد اضحى ذلك التأليف كدستور هذه العبادة التي عمّت اليوم اطراف الشرق والغرب . وقد نسخ كثيرون على منوالهِ وتقلّدوهُ على ضروب مختلفة . ولعلّ هذه المواعظ التي ألّفها في الايطاليّة سيادة اسقف باتارا انجيلو برساني دوسنا من افضل ما شاع من ذلك فأحبّ حضرة القس يوسف غبريل الشبابي الحلبي اللبناني ان ينقلهُ الى لغتنا ليستفيد بهِ المتعبدون للعذراء في هذه البلاد . فجازاه الله خيراً عن عملهِ

ل . ش

دستور الحياة الروحيّة

للعلّامة الاب سورين اليسوعي

ترجمهُ عن اصلهِ القسّ مبارك المتيني اللبناني (طُبع في بعبدا سنة ١٩١٤ ص ٣٢٩)

هذا احد آثار ذاك الراهب الصالح والعالم العامل الذي فقدهُ الدين والوطن في العام الماضي القس مبارك المتيني اوّل ملفان في اللاهوت من كليّة القديس يوسف —

وقد احسن كل الاحسان بتعريبهِ هذا الكتاب الذي وضعهُ احد معلّمي السيرة الروحيّة الكبار من القرن السابع عشر وينهج لطالبي الكمال افضل طرائقهِ على منوال قريب وفي غاية الوضوح . وكفى لبيان فضلهِ ما كتبهُ فيهِ نابغة زمانهِ بوسويه : « اننا وجدنا في هذا الكتاب فوائد راهنة وجديرة بان ترقّي الانفس الى الله بحسب الروح المسيحي الاكليريكي والرهباني » . ل . ش

شذرات

﴿احصاء لبنان الكبير﴾ نشرت الحكومة الاحصاء الرسميّ للبنان الكبير في اوائل الشهر المنصرم فننقل عنهُ بعض نتائجهِ لافادة القرّاء . انّ مجموع هذا الاحصاء اجمالًا يبلغ ٧١٠،٥٦٢ نفساً فهو اذن دون الثُلث من اهل سوريّة البالغ على ما يظنّ ٣،٠٠٠،٠٠٠ من النفوس . ولبنان الكبير يُقسم الى ستّة اقسام او قائمقاميّات اوفرُها عددًا لبنان المتوسّط وعدد اهلهِ ١٩٩،٨٩٥ . ثم لبنان الشمالي ١٣٦،٤٩٨ ثم لبنان الجنوبي ١٣٠،٣٦١ . ثم لواء البقاع ١١١،٩٦٤ . ثمّ مدينة بيروت ٩٤،٤٣٢ . ثمّ طرابلس ٣٧،٤١٢ . امّا من جهة الطوائف فاوفرهم عددًا الموارنة ١٩٩،١٨١ . ثمّ المسلمون السنّيون ١٢٤،٧٨٦ . ثم الشيعيّون ١٠٤،٩٤٧ . ثم الروم الارثوذكس ٨١،٤٠٩ . ثمّ الدروز ٤٣،٦٣٣ . ثم الروم الكاثوليك ٤٢،٤٦٢ ثمّ البروتستنت ٤،٢١٥ . ثم مختلفون اعني لاتين وارمن وسريان وكلدان ٨،٤٣٦ مع اجانب ٢٠،٢٥٠ . وفي المجموع المذكور يدخل عدد من المهاجرين يبلغ ١٣،٧٨٤ والمنتخبون من المجموع ٧٧،٨٢٠ . امّا عدد النوّاب فسيكونون ثلثين ١٠ موارنة و٦ سنّيون و٥ شيعيّون و٤ اورثذكس ثمّ ٢ من الروم الكاثوليك و ٢ من الدروز و ١ عن المختلفين

﴿الصاعقة واسبابها﴾ كثيرًا ما تدوّي الصاعقة في ختام الشتاء واوائل الربيع

وقد احسن كل الاحسان بتعريبهِ هذا الكتاب الذي وضعهُ احد معلّمي السيرة الروحيّة الكبار من القرن السابع عشر وينهج لطالبي الكمال افضل طرائقهِ على منوال قريب وفي غاية الوضوح . وكفى لبيان فضلهِ ما كتبهُ فيهِ نابغة زمانهِ بوسويه : « اننا وجدنا في هذا الكتاب فوائد راهنة وجديرة بان ترقّي الانفس الى الله بحسب الروح المسيحي الاكليريكي والرهباني » . ل . ش

شذرات

﴿احصاء لبنان الكبير﴾ نشرت الحكومة الاحصاء الرسميّ للبنان الكبير في اوائل الشهر المنصرم فننقل عنهُ بعض نتائجهِ لافادة القرّاء . انّ مجموع هذا الاحصاء اجمالًا يبلغ ٧١٠،٥٦٢ نفساً فهو اذن دون الثُلث من اهل سوريّة البالغ على ما يظنّ ٣،٠٠٠،٠٠٠ من النفوس . ولبنان الكبير يُقسم الى ستّة اقسام او قائمقاميّات اوفرُها عددًا لبنان المتوسّط وعدد اهلهِ ١٩٩،٨٩٥ . ثم لبنان الشمالي ١٣٦،٤٩٨ ثم لبنان الجنوبي ١٣٠،٣٦١ . ثم لواء البقاع ١١١،٩٦٤ . ثمّ مدينة بيروت ٩٤،٤٣٢ . ثمّ طرابلس ٣٧،٤١٢ . امّا من جهة الطوائف فاوفرهم عددًا الموارنة ١٩٩،١٨١ . ثمّ المسلمون السنّيون ١٢٤،٧٨٦ . ثم الشيعيّون ١٠٤،٩٤٧ . ثم الروم الارثوذكس ٨١،٤٠٩ . ثمّ الدروز ٤٣،٦٣٣ . ثم الروم الكاثوليك ٤٢،٤٦٢ ثمّ البروتستنت ٤،٢١٥ . ثم مختلفون اعني لاتين وارمن وسريان وكلدان ٨،٤٣٦ مع اجانب ٢٠،٢٥٠ . وفي المجموع المذكور يدخل عدد من المهاجرين يبلغ ١٣،٧٨٤ والمنتخبون من المجموع ٧٧،٨٢٠ . امّا عدد النوّاب فسيكونون ثلثين ١٠ موارنة و٦ سنّيون و٥ شيعيّون و٤ اورثذكس ثمّ ٢ من الروم الكاثوليك و ٢ من الدروز و ١ عن المختلفين

﴿الصاعقة واسبابها﴾ كثيرًا ما تدوّي الصاعقة في ختام الشتاء واوائل الربيع

بعد وميض البرق فيُسمع لصوتها قَعْقعة هائلة ترتعد الفرائص احياناً لهديرها . ومع كثرة البحث عن اسباب الصواعق لم يزل امرها قليل الوضوح . وممَّن درس هذه الظاهرة الجوّية مؤخرًا احد علماء الطبيعيّات في واشنتون المستر همفريس (W. J. Humphreys) فنشر في احد اعداد جريدة معهد فرنكلين مقالةً مستملحة بحث فيها عن الاصوات الجوّية ومن جملتها الصاعقة التي يُعرف ما بينها وبين البرق من العلاقة اذ ليس صاعقة الّا مسبوقة ببرق . والبرق اصطكاك يحصل بين السُّحب باندماج كهربائيّتها فيحصل من ذلك نورٌ ينتشر في السماء على مسافات بعيدة وصوتٌ لا يُسمَع الّا عند قرب السُّحب من العيان . وهذا مما يُجمع عليه الطبيعيّون لكنَّهم لم يتّفقوا على تعريف خواصّ هذا الصوت وطول ضجيجهِ على خلاف البرق الذي يلمع بطرفة عين . لا شكّ انَّ السحب عند اصطكاكِ بعضها ببعض او عند مسيسها للارض بفعل الطاقة الكهربائيّة تنفصل دقائقها بغتةً وبشدّة ويحمى الهواء فتتخلّل اجزاؤهُ فيحصل لذلك انفجار كما يحصل عند اطلاق المدافع . اما سبب امتداد الصوت على مدّة بضع ثوانٍ الى قريب من نصف دقيقة بخلاف البرق السريع اللمعان فانَّ ذلك يتأتّى من سرعة انتشار نور البرق الذي يمتدّ على مسافات بعيدة دون ان يستطيع النظر ان يتبع تموُّجاتهِ بخلاف الرعد الذي يسير حينما ظهر البرق لكنَّ صوتهُ بطيء الحركة فلا يبلغ مسامعنا الّا تدريجاً على مقتضى قرب السحب او بعدها . فهبْ انَّ وميض برقٍ يقطع في الثانية ثمانية كيلومترات لامتداد النيرم على هذه المسافة فانَّ الرعد ربّما بلغ آذان السامع تدريجاً في مدّة لا تقلّ عن ٢٤ ثانية . وهذه المدّة تختلف في الوقت ذاته على اختلاف موقع السامع بالنسبة الى تلك النيرم . ولا بُدّ ايضاً من اعتبار الصدى الذي يعكس صوت الرعد ويزيدهُ شدّةً وامتدادًا لاسيّما في الاودية والجبال . ويوجد بين صوت المدافع وصوت الرعد فرقٌ ظاهر فانَّ صوت المدافع اقوى وأهول فيُسمع من بُعد بخلاف الرعد الذي لا نسمعهُ على مسافة ٢٠ الى ٢٥ كيلومترًا والسبب في ذلك انَّ اطلاق المدافع يحدث في مركز واحد من دائرة محدّدة ويسير في طبقةٍ من الهواء اكثف من السحب المتغلغلة التي يبرق فيها البرق . وهذا من عناية الخالق الذي يلطّف عن البشر في الرعد اصوات المدافع المزعجة

ج . ل

﴿ سباق ادبي ﴾ هذه اوّل مرّة وقفنا للماسون على عمل ادبيّ وان لم يكن مجرّدًا من الغاية لترويج شيعتهم . كان محفل رشيد الحديث الانشاء في بيروت اقترح على الكتبة وضع مقالة في الازمة التجاريّة في سوريّا وبيان اسبابها وعلاجها . فاجتمعت لجنة لفحص المقالات التي قدّمها المتسابقون في هذه الحلبة وعددهم اربعة عشر كاتباً فحكمت بالجائزة البالغة الف فرنك لكاتبي مقالتين قسمتها بينهما . وقد اطّلعنا على المقالتين في جريدة البرق تحت العددين ١٤٨٨ و ١٤٨٩ فوجدناهما مع حسنهما لا تتجاوزان الطبقة المتوسّطة من الكتابة لفظاً ومعنًى . ثمّ اطّلعنا على مقالة أخرى كان قدّمها الكاتب الاديب عبدالله بك رزق الله خير للمحفل امتحاناً لنزاهته في الحكم لغير المنتظمين في سلك اخوانه الاحرار . فلم تنل طرفتهُ ما استحقّتهُ من الاعتبار فادرجها في تتمة اعداد من جريدة الوطن فاذا هي تفوق على تينك المقالتين فوق الذهب على الصفر والبدر على النُّها . فكان سكوت اللجنة الحاكمة عنها احسن دليل على انّ الماسونيّة لا تطلب في اعمالها الّا خدمة بني الارملة

﴿ نبأ رسميّ عن الماسونية البيروتيّة والدمشقيّة ﴾ استفدنا من تشكيل اللجنة المعيّنة للحكم في الاقتراح السابق ذكرهُ انّ السادة « عمر بك الداعوق وسليم افندي دانا واسكندر افندي حدّاد والدكتور حسن بك الاسير وتوفيق افندي حمادة وتوفيق افندي الناطور » من ابناء العشيرة الماسونيّة . وكذلك افادنا صاحب جريدة الانوار الماسونيّة (عدد ٥) يوسف افندي الحاج انّ الاحرار (اعني الفرمسون) نهضوا من سِنَتهم بهمّتهم في طرابلس وحمص وحماة وسلمك وجونية « وتمكّنوا من وضع حجر الاتحاد » ثمّ ذكر حفلة تأسيسيّة « لوضع حجر الزاوية حسب المراسم القانونيّة » (اي الماسونيّة) لمحفل سوريّا الجديد فذكر اسم رئيسه نعمان بك ابي شعر واسم الاخ شاكر بك حنبلي خطيب المحفل ثمّ الاخ عبدو كحيل . وكان خطاب الاخ يوسف الحاج مسك ختام تلك الحفلة فتعطّروا باريجه وسكروا بخمرته!

﴿ العرفان والبابوية ﴾ نشكر مجلّة العرفان على ما كتبته في عددها الاخير جمادى الثانية (٢٩٧—٣٠٠) في مديح الحبر الاعظم الطيّب الذكر بندكتوس الخامس عشر وفي انتخاب خلفه بيوس الحادي عشر وقد الحقت ذلك بفصل عن تاريخ البابوية وجدنا فيه اشياء نقلتها على علّاتها عن مصادر لا يوثق بها

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة القس يوسف القوسطاوي رئيس دير فيطرون ما هي علاقة الدول الكاثوليكيّة كفرنسة واسبانيا والنمسة بانتخاب الباباوات وهل هذا الامتياز لتلك الدول قديم العهد ؟

الدول الكاثوليكيّة وعلاقاتها بانتخاب الباباوات

ج ان الباباوات منذ القرن التاسع جزاء لما ادّاهُ ملوك بعض الدول من الخدم للكنيسة منحوهم ان يُبدوا رأيهم في انتخاب الباباوات فاذا وجدوا بين الكرادلة من يعدُّونهُ مخالفاً لدولتهم طلبوا بواسطة سفرائهم من الكرادلة المنتمين الى بلادهم ان يعدلوا عن انتخابهِ . وكثيراً ما حدث بسبب تداخل الملوك امور مزعجة تلقي الشقاق في مجمع الكرادلة . وهذه الامتيازات والحمد لله قد أُلغيت منذ رَفع الدول حمايتها عن الكرسي الرسوليّ بوضع يد ايطالية ظالماً على رومية ثمّ بحكم بيوس العاشر

س وسأل جناب الكتبيّ يوسف افندي صفير : ١ً من هو اغناطيوس مطران نابلس المذكور في مقالة حضرة الاب ابرهيم حرفوش عن الاديار القديمة في كروان (ص ٧٥٤ س ٢١ من المجلّد الثامن للمشرق) . ٢ً من هو المطران اسحاق دبّيه الذي وجد في بعض المجاميع الكرشونيّة تاريخ وفاتهِ سنة ١٧٣٩

اغناطيوس مطران نابلس المارونى — المطران اسحاق الدبّية

ج لا نعرف لنابلس مطراناً بهذا الاسم وعلى ظنّنا ان الصواب اسقف طرابلس وهو المطران اغناطيوس الخازن الحادي عشر من اساقفة طرابلس (راجع المشرق ٨: ٤٠٣ وبرنامج اخويّة القديس مارون ص ٣٣١) . امّا المطران اسحاق الدبّيّة فلم نجد لهُ ذكراً في كتب التاريخ . والعجب انهُ لم يُذكر اسمهُ بين الموقعين على اعمال المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ اي ثلاث سنين قبل وفاتهِ

س وسأل الشمّاس شكري أيّوب ما هو اصل اسم حلب والى اي عهد يرتقي بناؤها ؟

حلب : اسمها وقدم عهدها

ج لحضرة الاب بولس جوون في حلب واسمها وآثارها فصلٌ ممتع في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ١٤ و ١١٦) فليُراجع ل.ش

المشرق

شهيدا لبنان

الشيخ فيليب والشيخ فريد قعدان الخازن

لسيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي الجزيل الشرف

ما أصلتَ الاتراك سيفَ نقمتهم علينا إلّا لصِدْق وطنيّتنا وشدّة تمسّكنا بامتيازاتنا وفرط حبّنا وإخلاصنا للأمّة الافرنسيّة حامية ذمارنا. وقد تفنّن اولئك الغاشمون في ضروب الانتقام وأماتوا العدد العديد من مواطنينا الكرام شفاء لغليل سخطهم وظنًّا منهم انّهم بتلك وسائل الإرهاب المقوتة يخنقون فينا شعائر وطنيّتنا وعواطفنا وحبّنا لفرنسة. غير انهم خابوا ظنًّا وأخطأوا حدسًا لأنّ صوت شهدائنا الاعزّاء الذين لا ننسى أبدَ الدهر تضحية دمائهم الزكيّة في سبيل الوطن المحبوب لا يبرح يطرق مسامعنا فانهم «وان ماتوا لا يزالون يتكلّمون» (عبر ١١ : ٤) ويدعوننا الى اقتفاء آثارهم المجيدة والنسج على منوالهم بالاستبسال في المحافظة على المبادئ الشريفة مبادئ الشهامة والاستقامة والعدالة والحرّيّة. وانّ من هؤلاء شهداء الوطن فئةً قد امتازت بمجموع من الصفات الحميدة الغرّاء تجعل أسفنا عليها شديدًا وتحملنا على نشر ما انطوى واستطوَتهُ الايّام منها تخليدًا لذكرها واقرارًا بجميلها كالمأسوف عليهما كلَّ الأسف الشيخَين الشقيقين فيليب وفريد قعدان الخازن اللبنانيَّين

نشأ هذان الشهيدان في قرية عرامون من اعمال كسروان ورضعا مع الحليب تقاليد العائلة الخازنية واعتبرا طول حياتهما إباء النفس والإخلاص لله وحبَّ الوطن وفرنسة اشرف وأمجد ما ورثاه عن الاجداد ولم يكن ذلك في اعينهما بالشيء القليل. فحبُّ الوطن وحبّ فرنسة والتمسّك بالدين والائتمار باوامره والعمل بنواميسه تلك

كانت الصفات الشريفة والحُلية البهيَّة التي تحلّى بها شهيدانا العزيزان وقد كانت ممتزجة مقترنة فيهما الى درجة لم نشأ معها التفريق لا بينها ولا بينهما

ما كاد الشيخ فيليب يبلغ اشدَّهُ حتى نشط للعمل بل للمكافحة والجهاد في سبيل ما كانت توحيهِ اليهِ روحهُ الوطنيَّة فما كان يأتي الاتراك او من حذا حذوهم في بغض الوطن اللبناني مظلمةً او اجحافاً في حقٍّ الّا ورفع صوتهُ احتجاجاً دون ان يخشى بطش الحكومة وشرّها . وقد قبضت عليهِ حكومة ذلك العهد معتقدةً انها تكمُّ فاه بالإرهاب فازداد جرأةً وواصل الاحتجاج بلسان الصحافة المصريَّة على المظالم التي تحمّلها لبنان في عهد متصرفيَّة واصه باشا . ولم يكن بعد اخوه فريد بلغ من السنّ ما يسمح له بمشاطرته الجهاد في سبيل خير الوطن ومصلحتهِ لكنَّهُ ما شبَّ حتى نهج منهج اخيهِ دون ان يحيد عنه ذرَّةً حتى كان يخيّل للناظر الى الاثنين وللمتقرّب منهما انَّ روحاً واحدةً تنعشهما

من اكبر الآفات ومن اعظمها شرّاً على البلدان انمّا هو حبُّ الوظائف الذي يُقعد النفوس عن العمل الجدّي ويميل بها الى ايثار المصلحة الشخصية على المصلحة العمومية . وكلٌّ يعلم ما كان من تفشي هذا الداء في تركيا ولبنان وكم كان من ورائه من اذلال النفوس وهضم الحقوق الى غير ذلك مما يُخجلنا ذكرهُ وتبيانهُ . على ان ما خُصَّ بهِ فقيدانا العزيزان من اباء النفس والشهامة وما امتازا بهِ من الحبّ المخلص لوطنهما وقاهما من شرّ ذلك الداء الوبيل فعلما باعتقادهما الراسخ في ذهنيهما من ان الوطنيَّ الحقيقي هو من ترفَّع عن المصلحة الشخصية وعاش لوطنهِ لا لنفسهِ وازدريا بكلّ الوظائف التي كانت تعرضها عليهما الحكومة ليقينهما انها لم تكن تفعل الّا لاكتسابهما بهذه الطريقة وحملهما على الإغضاء عن مساوئها لتنتفع ويستفيد البلاد من خدمتهما . وجلُّ ما تمنّياهُ بهذا الشأن وكان مصدرهُ المحبَّة الوطنيَّة انَّما كان ان ينال احدهما الحماية الافرنسيَّة فيعمل على مصلحة وطنهِ باوفر جرأة في ايّام سار فيها الاستبداد والجور والظلم وخفَتَ صوت الحق وكانت ارادة الحاكم هي الشريعة والقانون

وما نالا هذه الأمنيَّة من تعطّفات الحكومة الافرنسيَّة الجليلة بتعيين احدهما فيليب ترجماناً فخريًّا للقنصليَّة العامَّة في بيروت الّا سعيا في تحقيق رغبةٍ اخرى كانت

في اعينها بمكان يُذكر من الاهمية وهي تأسيس جريدة تمكنهما من نشر مبادئهما الشريفة وخدمة مواطنيهما بالدفاع عن حقوقهم وما لبثت رغبتهما هذه ان تحققت وظهرت جريدة الارز فادّت الخدمات الجلّى للدين والوطن وفرنسة نيّفاً وعشرين سنة وقد قيل عنها انها كانت اقرب الجرائد العربيّة الى روح الصحافة

وقد ظلّ منشئاها الفاضلان يدبّجان مقالاتها الشائقة الغراء بكل جرأة ونشاط الى ان سنّ المجلس النيابي التركي قانون الصحافة فاراد حاكم الجبل في ذلك العهد تنفيذهُ في لبنان وتقييد الصحافة به فهبّ الاخوان للمعارضة والاحتجاج على عمل رأيا فيه شديد المساس بامتيازات لبنان لكن فوزهما لم يكن بالامر السهل ايام عضد اوربا لفتيان الاتراك عضداً قد دفع بهؤلاء الى هاوية التعصب الذميم ضد كل العناصر غير التركيّة ولذا لم يُعبأ باحتجاج شيخينا فاوقفت جريدتهما

وكانت صدور الاتراك وصنائعهم لا تزال تلتهب حقداً على الشقيقين لانهما كانا قد قاما حاجزاً منيعاً دون تحقيق رغائبهم في ضمّ لبنان الى السلطنة العثمانية ضمّاً كاملاً يوم قامت تلك الفئة اللبنانيّة على اثر اعلان الدستور العثماني واخذت تلحّ في وجوب انتخاب مَن يمثل لبنان في مجلس المبعوثان. وكان الاتراك يرمون من وراء ذلك الى حرمان لبنان استقلاله ومنع الدول الاوربيّة بهذه الطريقة من المداخلة في شؤون هذه البلاد . فنطن الشقيقان للامر واشهرا في جريدتهما الارز الحرب الدوان على تلك الفكرة وقد أيّداها بمقالات ضافية تجلّت بها وطنيتهما الحقة ومقدرتهما الكتابية المنطقيّة اذ بيّنا بالحجج الراهنة والادلّة القاطعة ان لا سبيل الى تمثيل لبنان في المجلس النيابي التركي وهو على ما هو من استقلاله الذاتي الممنوح له بموجب دستور خاصّ موافق عليه من الدول العظمى . وقد قيّض الله لهما النجاح في الامر وحبطت مساعي الذاهبين فيه غير مذهبهما

ومما كان ينشط عزيمتهما ويثبتهما في الخطة التي اختطّاها لنفسهما انما كان منع حبّهما لوطنهما تمسكهما المتين العُرى بحبّ فرنسة وتفانيهما في سبيل مصلحة تلك الامّة النبيلة التي كان من عنايتها بهذه البلاد وسكّانها منذ القديم ما اكسبها حقوقاً مقدّسة فيها . وهذا ما دفعها الى تجشّم المشقّات وتكبّد النفقات الطائلة في سبيل نشر المحرّرات السياسية التي تبادلتها الدول بخصوص لبنان تعميماً للفائدة وتبياناً لما لفرنسة من الفضل

والحنان على لبنان واهلهِ . وعندنا ان نشر تلك الكتابات باللغة العربيَّة كان من اهمّ الاسباب لحنق جمال باشا وسخطهِ على الشقيقين الخازنيَّين فدفعها الى الموت شنقاً وقد زاد ذلك في علوّ منزلتهما في القلوب ورفعة شأنهما وتقدير فرنسة والبلاد تضحيتهما

وهنا مجال لذكر حادثتين تُبيّنان اجلى بيان الى اية درجة بلغ الشقيقان من الوطنيَّة ومن حُبّهما لبلادهما ولفرنسا . بلغهما ما كان في نفس دارولاد (P. Deroulède) الافرنسي الشهير من عواطف الوطنيَّة السامية . ولمَّا اتصل بهما خبر الحكم عليهِ بالنفي نظم احدُهما فيليب قصيدةً عربيَّة رنَّانة طلب الى صديقهِ المأسوف عليهِ كل الاسف المطران بطرس شبلي ان ينقلها الى الشعر الافرنسي . فطبع الاصل مع الترجمة وركب البحر الى اسبانية وتوجَّه الى مدينة سان سابستيان حيث كان دارولاد وقدَّم لهُ قصيدتهُ المعبّرة عمـا كان يكنُّهُ فؤاده من العواطف النبيلة الشريفة . فأجلَّ دارولاد استقبال ضيفه الكريم واثنى على شعوره الثناء العاطر واهدى اليه مع رسمهِ مجموعة مؤلفاتهِ . وقد شاهدنا رسم ذلك الوطني الافرنسي الصادق يعلو مكتب الوطني اللبناني الكبير

وحين استعرت نار الحرب منذ اعوام بين الدولة العثمانية وايطاليا وأمّت دارعتان ايطاليتان مياه بيروت ودمَّرت فيها النَّاقتين العثمانيَّتين انقره وعون الله اسفَ الشيخ فيليب كلَّ الاسف لان الضربة لم تكن من فرنسا لانه لم يكن في نظرهِ يحقّ لغير فرنسا ان تأتي عملاً في هذه البلاد

وكأن جمال باشا الظالم ادرك دنوّ الاوان لفوز السياسة التي يسعى وراءها الشقيقان الخازنيان فأمرَ غير مبالٍ بالعفو الصادر بتاريخ ١١ ك١ سنة ١٩١٣ ان تصير محاكمة الشيخين امام ذلك الديوان العرفي الذي اشتهر اعضاؤه بغشمهم وجُبْنهم وتضحية شعورهم امام ارادة جمال السفَّاح فاصدر عليهما الحكم بالاعدام وبلَّغهما اياه قبل تنفيذه بثلاثة ايام خلافاً لما عومل به سائر المحكوم عليهم . وقد تساءل النـاس كثيراً ولا يزالون يتساءلون دون جدوى عن مستندات ذلك الحكم الجائر التي ظلَّت مكتومةً رغماً عن انَّ جمال باشا نشر كتيباً بالعربية والافرنسية ذكر فيه اسماء المحكوم عليهم بالاعدام مع الاسباب التي اوجبت الحكم . فكأنه خشي ملامة الرأي العام فلم يأتِ على ذكر شيخينا العزيزين ولا ذكر الاسباب التافهة التي دفعتهُ الى الانتقام منهما

وما انتشر خبر اعدام الشقيقين في البلاد حتى تولت الكآبة جميع القلوب لما كان لهما فيها من الحب والمكانة الرفيعة . ولما كان يُعقد عليهما من الآمال الكبيرة . وقد بكاهما اللبنانيون ندماً لانهما كانا اخبرَ الجميع بمعرفة تاريخ البلاد واشدّهم تمسكاً بالوطنية يدلُّ على ذلك منشوراتهما العديدة في تأييد حقوق البلاد . من ذلك ما كتبهُ احدهما فيليب باللغة الافرنسية حينما ارادت الحكومة العثمانية إحداث بعض شرائع وقوانين جديدة في لبنان فبيَّن اجلى بيان ان لبنان مستقلٌ منذ القديم بعدليتهِ واحكامهِ . وقصارى القول انَّه ما من جهة هجم منها الهاجمون الّا صادفوا فيها الشقيقين في اوّل خطّ الدفاع معرّضين صدرَيهما للذبّ عن حقوق وطنهما وعن حريتهِ ومن تصفّح مجموعة جريدتهما يكاد لا يرى صفحة تخلو من مقالة او نبذة او على القليل كلمة للمدافعة عن المبادئ الصحيحة

من الناس مَن تكون اعتقاداتهم ومبادئهم نظريَّة بحتة فيعملون بكل الطرق على نشرها وتحبيبها غير انك اذا نظرت الى حياتهم لا تراها مطابقةً في شيءٍ للمبادئ التي يكونون قد ملأوا بها اعمدة الصحف وبطون الكتب . ومنهم مَن اذا اتبع مبدأً من مبادئهِ عسر عليه العمل بالمبادئ الاخرى . فذلك لم يكن شأن فقيدينا العزيزين فانهما قد ظلّا حياتهما كلها عاملين بمبادئهما الشريفة ولم يكن انهماكهما في الشؤون الوطنية ليُقعدهما عن الاهتمام بامر الدين وواجباتهما نحو الخالق كما يعلم كل من عرفهما فعملاً بتقليدات العائلة الخازنية المجيدة لم يغفلا قط عن القيام بواجباتها الدينيَّة . بل لم يكتفيا بما هو واجب عليهما من باب الوصيَّة فكانا يعملان ايضاً بما هو من باب المشورات الانجيليَّة كسماع القداس يومياً والمناولة المتواترة وغير ذلك ممَّا كان دليلاً ساطعاً على رسوخ الدين فيهما وخصوصاً في احدهما فريد الذي كان الدين يزيد في مناقبهِ الطبيعية بهاءً وجمالاً يحمل مَن يدنو منه على حبهِ حبًّا مشفوعاً بنوع من الاحترام . ~~ولم يكن ليغرب عنه انَّ كثيرين لطيشهم وقعوا في حبائل~~ صفاتهم الطبيعية فأفرط في السهر على نفسه سهراً حفظ فضيلته من كل شائبةٍ

وقد تجلَّت فضيلة هذين الشهمين بأبهى مظاهرها ابَّان الحرب العمومية ولاسيما في الايام الاخيرة من حياتهما في سجن عاليه فما استعرت نيران الحرب حتَّى فقها ما كان يبطنه الاتراك من الشرّ لهذه البلاد وما عتمت ماجريات الامور ان اظهرت صحة

تخوفهما . فما لبث الجوع ان عضّ بعض العائلات بنابهِ وكان فيليب وفريد اول مَن فكّر في الاقتصاد بالمعيشة ليتمكنا من مساعدة بعض المعوزين بما كان يتوفر لديهما من هذا الاقتصاد . وكثيرون من القراء قد شاهدوا بأم العين ما كانا يوزّعانهِ في تلك الآونة الضيّقة على الفقراء اللاجئين الى جونه . وما لبث ان حذا حذوهما بعض اقاربهما الخازنيين الكرام فتناوبوا توزيع الطعام على الفقراء يوميًّا الى ان كان من طول مدة الحرب ما جعل الخازنيين في ضيقةٍ كغيرهم

علم الكل ما كان من خمول السلطان محمّد رشاد وانتقال الحكم من يدهِ في اول الحرب الى زمرة الثلاثة طلعت وأنور وجمال واقتسامهم المملكة العثمانية . وكان نصيب جمال منها سورية والبلاد العربية . ولدى وصولهِ توسّل بالإرهاب للبلوغ الى غايتهِ واتخذ له اعوانًا من تلك الفئة السافلة التي تعرّى أفرادها من الشهامة والشعور الوطني فاخذوا يدسّون الدسائس لمواطنيهم ويعملون على الايقاع بهم بالتقريرات الزورية التي كانوا يرفعونها الى جمال . فبدأ هذا بأن أبعد تراجمي قنصليات الدول المتحاربة في المدن السورية ولم يشفق على المريض والمسنّ منهم . وقد لقي بعضهم حتفهُ في منفاه كالمرحومين حبيب دوناتو ترجمان قنصلية فرنسا في الشام وعزيز الفيعاني ترجمان قنصلاتو روسيا في بيروت وغيرهما

على ان الشيخ فيليب لم يكن الّا ترجمانًا فخريًا لقنصليّة فرنسا في بيروت وكانت المرحومة والدتهُ في مرضها الاخير ومع هذا اصابه ما اصاب غيرهُ وتقرّر إبعادهُ الى قيسارية غير انه عند بلوغه مدينة حلب صدر الامر ان يبقى فيها فظلّ هنالك الى ان توفيت والدته فرُخص له بحضور دفنها . ولكن ما وارَوها رمسها حتى طُلب مع شقيقهِ الى الديوان العرفي في عاليه . وقد حضر الشقيقان امام هيئة ذلك الديوان ومثلوا غير هيّابين لدى اعضائهِ الذين يأبى القلم تسطير ما اتوه من المظالم التي لا يحيط بها وصف والذين اقلُّ ما يقال عنهم انهم ظلّوا خمس سنوات يلعبون بحياة نخبة رجال هذه الديار لعب الطفل بالأكر . وكانت سجون عاليه ملأى بأمثال فقيدَينا من صادقي الوطنية . وما استُنطق الشيخ فيليب واخوه حتّى تحقّق لديهما سوء نيّة القضاء وانهما صائران الى ما كان قد صار اليه نخبة من رجال سورية ولبنان الذين كانوا موقوفين معهما وسيق بعضهم الى الشام والبعض الآخر الى بيروت حيث تنفذ فيهم

حكم الاعدام كشفيق المؤيد والزهراوي ورفاقهما الذين سيذكر السوريون طويلاً جرأتهم وتقديمهم حياتهم ضحيةً للوطن التاعس . فبدماء اولئك الابطال استحقت البلاد ان تطهَّر من العنصر التركي ومفاسده

ولا بدَّ لنا هنا من ان نُثني ثناء عاطرًا على وطنية اخواننا المسلمين العرب الذين رغماً عن الروابط الدينيَّة التي تربطهم بالاتراك لم يُخدعوا بمواعيدهم العرقوبيَّة بل استاءوا اشدَّ الاستياء مما اتوه من المظالم وارتكبوه من الجنايات الفظيعة وشرعوا يهتمُّون الاهتمام كلهُ لمستقبل البلاد . والذي ساعد على ذلك كل المساعدة ومن حيث لا يدري انما هو جمال باشا . فسياستهُ الخرقاء وهمجيَّة اسلوبه حفرت بين العرب والاتراك هاويةً عميقة فصلت بين العنصرين انفصالاً ليس بعده اتصال

قلنا ان شهيدينا علما من الجلسة الاولى سوءنيَّة قُضاتها ومذ ذاك الحين تدرَّعا بالصبر الجميل وبفضل ما امتازا به من التديُّن والوطنية وشهامة النفس اخذا ينتظران الموت برباطة الجأش غير مكترثين الَّا للتأهب للاقاة الخالق فلم يكونا يتناولان من الاطعمة المرسلة اليهما الَّا ما يكفي لحفظ حياتهما والباقي كان يجودان به على الفقراء . وكان كتاب الاقتداء بالمسيح سميرهما في كل تلك المدة فلم يكونا ينقطعان عن الصلاة الَّا الى التأمل والهذيذ بآياته السجديَّة التي كان بعضها يوافق حالتهما اشدَّ الموافقة فيشدد عزائمهما اذ يبدد عنهما الكروب الزائلة ويُفرح قلبهما بالحبور الابدية . وقد شهد الكاهن الذي ساعدهما في ساعتهما الاخيرة انهما تأهَّبا للموت تأهب الابرار فاقتبلا الزاد الاخير بكل خشوع واخذا ينعشان في قلبيهما شواعر التوَّاق الى الوطن السماوي . وعند ما اقتادهما الجند الى المحلّ المعدّ لإعدامهما اجتازا المسافة تاليين طلبة العذراء عليها السلام . ولمَّا بوشر بتلاوة الحكم عليهما لاح لاحدهما ان اخاه يهمّ ليفهم شيئاً من النصّ التركي علَّهُ يعرف السبب في إعدامهما فقال له اخوه : « لنرفع قلوبنا وعقولنا الى العلاء يا اخي ولندع الناس يقرأون ويحكمون كما يشاؤون » . ثم ما لبث ان قُضي الامر وطارت روحهما الى الخالق فاصيب لبنان بخسارة اثنين من أخلص واعزّ بنيه وفقدت فرنسة بهما شهمين كانت قد اختبرت اخلاصهما وامانتهما وتناولت الخسارة فيهما السدين ايضاً لانهما كانا من اشدّ انصاره يحبّانه الى الناس باقوالهما ولاسيما بمثالهما

قلنا وتأييداً لما تقدم نثبت هنا بعض فقرات من وصيتهما الاخيرة

«... فيليب وفريد الخازن وهما على اهبة ركوب السفر الطويل الى امام الديان الرهيب يسألان سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي صلواته المقبولة لديه جلّ شأنهُ ليرحم نفسيهما الفقيرتين بالاعمال الصالحة فيكون له الفضل دنيا واخرى. ثمّ يرجوان ان يحيط الغلام (وهو كلوفيس ولد احدهما فيليب) وعائلتيهما بذات العناية والالتفات اللذين متعنا بهما ويسهر على تربيته وتلقينه الآداب والعلوم الصحيحة عملاً بالمبادئ الدينيّة موجباً على والدته ان تسهر بعين لا تنام على إبعاده عن العشرة الرديّة المفسدة للاخلاق لان التربية الاولى هي الاساس المتين الذي يبنى عليه مستقبلهُ ديناً ودنيا. على انه اذا كانت دعوته للكهنوت فعلى سيادته تتكل باقناع والدته بعدم معارضته. (ثم يسألان المساعدة على ايفاء الديون ابراء لذمتهما .....) وقصارى القول نرجو ان يعمل ما هو موافقاً لبراءة ذمتنا ومصلحة الغلام وراحة بال قرينتينا المنكودتي الحظ ونسأل الله ان يكافيهُ عن اعماله هذه اضعاف حبّات الرمال

«وقبل الختام نسأل سيادة عبدالله مغفرة على ما حمّلناه من الاثقال بنا وبعائلتينا بعد براحنا هذه الدنيا ونشكر له كلّما ابداه وشقيقهُ معنا من المروّة النادرة والمساعدة والحب والاهتمام بنا والفضل ونسألهُ ان يظلّل الغلام بعنايته ويشملنا وغبطتهُ وسائر الاساقفة والكهنة اصدقائنا بالصلوات. عن سجن عاليه في ٤ حزيران سنة ١٩١٦ بعد ظهر الاحد

ولدك	ولدك	
فريد تعدان		فيليب تعدان
الخازن		الخازن

اوصيك بعائلتنا وان كان لا لزوم لهذه الوصية فريد

المحاورة الدينيّة

التي جرت بين الخليفة المهديّ وطيماثاوس الجاثليق (تتمّة)

فلكنا المظفّر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب؟

فجاوبتهُ قائلاً: اننا نسجد للصليب لانهُ علّة الحياة

قلنا وتأييداً لما تقدم نثبت هنا بعض فقرات من وصيتهما الاخيرة

«... فيليب وفريد الخازن وهما على اهبة ركوب السفر الطويل الى امام الديان الرهيب يسألان سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي صلواته المقبولة لديه جلّ شأنهُ ليرحم نفسيهما الفقيرتين بالاعمال الصالحة فيكون له الفضل دنيا واخرى. ثمّ يرجوان ان يحيط الغلام (وهو كلوفيس ولد احدهما فيليب) وعائلتيهما بذات العناية والالتفات اللذين متعنا بهما ويسهر على تربيته وتلقينه الآداب والعلوم الصحيحة عملاً بالمبادئ الدينيّة موجباً على والدته ان تسهر بعين لا تنام على إبعاده عن العشرة الرديّة المفسدة للاخلاق لان التربية الاولى هي الاساس المتين الذي يبنى عليه مستقبلهُ ديناً ودنيا. على انه اذا كانت دعوته للكهنوت فعلى سيادته تتكل باقناع والدته بعدم معارضته. (ثم يسألان المساعدة على ايفاء الديون ابراء لذمتهما .....) وقصارى القول نرجو ان يعمل ما هو موافقاً لبراءة ذمتنا ومصلحة الغلام وراحة بال قرينتينا المنكودتي الحظ ونسأل الله ان يكافيهُ عن اعماله هذه اضعاف حبّات الرمال

«وقبل الختام نسأل سيادة عبدالله مغفرة على ما حمّلناه من الاثقال بنا وبعائلتينا بعد براحنا هذه الدنيا ونشكر له كلّما ابداه وشقيقهُ معنا من المروّة النادرة والمساعدة والحب والاهتمام بنا والفضل ونسألهُ ان يظلّل الغلام بعنايته ويشملنا وغبطتهُ وسائر الاساقفة والكهنة اصدقائنا بالصلوات. عن سجن عاليه في ٤ حزيران سنة ١٩١٦ بعد ظهر الاحد

ولدك	ولدك	
فريد تعدان		فيليب تعدان
الخازن		الخازن

اوصيك بعائلتنا وان كان لا لزوم لهذه الوصية فريد

المحاورة الدينيّة

التي جرت بين الخليفة المهديّ وطيماثاوس الجاثليق (تتمّة)

فلكنا المظفّر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب؟

فجاوبتهُ قائلاً: اننا نسجد للصليب لانهُ علّة الحياة

فقال لي ملكنا تكرارًا: انَّ الصليب ليس علّة الحياة بل علّة الموت

فجاوبتهُ: ايّها الملك ان الصليب هو علّة الموت كما قلتَ ولكنَّ الموت هو علّة القيامة والقيامة هي علّة الحياة وعدم الموت. فاذًا الصليب ايّها الملك هو علّة الحياة وعدم الموت فلذلك نقدّم بواسطتهِ السجدة لله تعالى الذي فتح لنا بهِ ينبوع الحياة وعدم الموت. فذاك الذي قال في البدء (٢ كور ٤: ٦) «انهُ من الظلام يُشرق النور» وقد أحلى المياه المُرَّة بخشبة مرَّة (خروج ١٥: ٢٣) وبمنظر الحيّة القتالة اعطى الحياة لبني اسرائيل (عدد ٢١: ٩) هو أخرج لنا من خشبة الصليب ثمار الحياة وهو ايضًا اشرق لنا بين اغصان الصليب أشعَّة الحياة وعدم الموت. وكما اننا نبذل الجهد في إكرام الاشجار وخدمتها حبًّا باثمارها هكذا نحن نكرّم الصليب ونوقّره اجلالاً لثمرة الحياة التي خرجت منهُ. ثم ولئن تتلألأ اشعَّة محبَّة الله الساطعة نحو الكل في المخلوقات المنظورة والغير المنظورة ولكن لمَّا أُسلم الى الموت على خشبة الصليب حبًّا بخلاص الكل وحياتهم وانبعاثهم ازدادت اكثر اشعَّة هذهِ المحبة تلألؤًا نحو الناطقين. فبالصواب ايّها الملك المظفَّر يُفترَض على الكلّ ان يُظهروا محبتهم لله بواسطة الصليب الذي أظهر بهِ تعالى محبتهُ نحو الجميع

وملكنا قال لي: ايمكن ان يموت الله كائنًا ما كان؟

فجاوبتهُ قائلًا: ان يسوع بما انهُ إله لم يَمُت بل مات في الطبيعة البشريّة بما انهُ انسان. فكما ان الإهانة تُنسب للملك نفسهِ حينما ينشقّ ارجوانهُ باهانةٍ او تتمزّق ثيابهُ الملوكية بحقارةٍ هكذا موت يسوع عليهِ السلام الذي صار لهُ في الجسد يُنسب لاقنومهِ الألهي

وملكنا قال لي: أعوذ بالله انَّ عيسَى عليهِ السلام «ما قتلوهُ وما صلبوهُ ولكن شُبِّهَ لهم هكذا» (سورة النساء ١٥٦)

فجاوبتهُ قائلًا: انهُ مكتوب في سورة عيسى (١ وهي «السلام عليَّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعَثُ حيًّا» فيتّضح من هذه الآية جليًّا ان يسوع قد مات وقام. وفي سورة آل عمران (ع ٤٨): «قال الله لعيسَى انّي متوفيكَ ورافعُكَ اليَّ»

فملكنا قال لي: إنَّ عيسَى لم يَمُت بعد وسوف يموت

١) تدعى اليوم هذه السورة سورة مريم (ع ٣٤)

فجاوبتهُ قائلاً : ان كان عيسى لم يمُت حتى الآن فلم يصعد بعدُ الى السماء ولم يُبعث حياً بل سوف يصعد فيُبعث حياً . ولكن ان كان ايها الملك معلوماً ومقرَّراً لدى الجميع صعود يسوع الى السماء منذ امدٍ مديد وانبعاثهُ حياً كما يشهد عن ذلك كتابك ايضاً فبصوابٍ تقول ان عيسى قد مات على خشبة الصليب كما تنبَّأ عنهُ الانبياء قبل مجيئهِ

فملكنا قال لي : واي من الانبياء تنبأ عن عيسى انهُ يموت على خشبة الصليب ؟

فجاوبتهُ ان كثيرين من هؤلاء تنبأوا عن ذلك فاولاً قال داود النبي (مز ٢١ : ١٧—١٩) : « ثقبوا يديَّ ورجليَّ وأحصوا كلَّ عظامي وهم نظروا وتفرَّسوا فيَّ وقسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا » . وقيل في الانجيل ان هذهِ جميعها قد جرت بالفعل . ثم اشعيا النبي يقول عن المسيح (٥٣ : ٥) انهُ « يُذبح لاجل خطايانا ويتضع لاجل آثامنا » . ويقول النبي المشار اليه بمنزلة شخص عيسى (٥٠ : ٦) « جسدي اعطيتهُ للضاربين وخدّي للناتفين لم أستر وجهي عن المعيّرين والباصقين » . ثم ارميا النبي (١١ : ١٩) يقول هكذا : « وانا مثل حملٍ داجنٍ يُساق الى الذبح وانهم فكروا عليَّ نيَّات قائلين : لنُلقينَّ العود في خبزهِ ونهلكهُ من ارض الاحياء » . وايضاً دانيال النبي (٩ : ٢٦) يقول : « ان المسيح يُقتل ولا يكون لهُ » . كذلك زكريا النبي (١٣ : ٦) يقول : « ما هذهِ الجروح في يديك ؟ فيقول : هذهِ التي بها جُرحتُ في بيت احبائي . يا ايها السيف انتبه على راعيَّ » . فذلك واكثر من ذلك قال الانبياء عن موت المسيح وقتلهِ وصلبهِ

ثم ملكنا قال لي : ان الانبياء تشبيهاً شبّهوا المسيح هكذا

فجاوبتهُ : ممَّن اتاهم هذا التشبيه ايها الملك أمن الله او من الشيطان ؟ فان كان من الله سبحانه كيف كان يوحي الى الانبياء ما ليس لهُ وجود حقيقةً اذ لا يليق بهِ تعالى مطلقاً ان يُوحي شيئاً يُغشّ بهِ الناس . فان كان الله جلَّ شانهُ اتى بهذا التشبيه الخالي عن الحقيقة والحواريُّون كتبوا ما اوحي اليهم فصار هو علة هذا الغشّ للجميع ولكن هذا محال و غير ممكن . فمن أتى بكذا التشبيه واظهرهُ للحواريين ؟ هل الشيطان ؟ ولكن أية مشاركة للشيطان اخزاهُ الله مع الحواريين في الامور المختصَّة بالعناية الربانية ومن يتجاسر على القول بان الشيطان الرجيم كان يستطيع ان يغشّ الحواريين الذين

كانوا بالقوة الآلهية يضطهدونهُ ويطردونهُ وهو كان يهرب من امامهم مُذبرًا ومُولولاً ؟ فاذًا يجب القول انَّ ذلك موحًى من الله

وملكنا قال لي: انَّ عيسى المسيح كان مكرَّمـاً لدى الله فلم يكن ليسلَّمهُ بيد اليهود ليقتلوهُ

فجاوبتهُ قائلًا: انَّ الانبياء الذين احتملوا القتل من اليهود لم يصيروا بذلك مرذولين لدى الله ومحتقرين فاذًا ليس كلُّ مقتول من اليهود مرذولاً ومحتقرًا. هذا ما يلاحظ الانبياء. واما نظرًا الى يسوع المسيح فنقول انَّ اليهود قد صلبوهُ حقيقةً لا من حيث كان ضعيفاً ولم يقدر عليهم بل من حيث احتمل ذلك بارادتهِ كما قال هو في انجيل يوحنا (١٠ : ١٧) : « اني اضع نفسي لآخذها ايضاً . ليس احدٌ ياخذها مني بل أضعها انا من ذاتي : لي سلطان ان اضعها ولي سلطان ان آخذها ايضاً » . فالمسيح اذًا اظهر بذلك انهُ تألم بارادتهِ ولا من اجل انهُ كان ضعيفاً واليهود اقوياء لانَّ الذي زعزع السماء وهو على خشبة الصليب وزلزل الارض واظلم نور الشمس واظهر علامات الدم في القمر ومن اجلهِ الصخور تشقَّقت والقبور تفتَّحت والموتى انبعثت لم يكن حقيقةً ضعيفاً ولا ممَّن لا يستطيع ان يخلّص نفسهُ من يد اليهود فاذًا تألُّمهُ على خشبة الصليب كان بارادتهِ وحريتهِ

فملكنا قال لي: فاذًا اليهود ليس لهم ذنب في صلب المسيح وموتهِ لانَّهم كمَّلوا ارادتهُ

فجاوبتهُ هكذا: ان كان اليهود صلبوا المسيح لاجل هذهِ الغاية وهي ان يقوم من بين الاموات منوَّرًا ويصعد الى السماء ممجَّدًا فليس لهم ذنب لا بل يستحقون المدح والتبجيل ولكن غاية اليهود في صلب المسيح اذ كانت موجَّهةً الى قتلهِ واهلاكهِ من الارض لاجل ذلك يستحقُّون العذاب والموت لانهم صلبوا المسيح لكي يهبط الى الجحيم . فالله مجَّدهُ اذ اقامهُ من بين الاموات واصعدهُ الى السماء

وملكنا محبّ الله قال لي : ايًّا من هذين الامرين تقول هل كان المسيح يريد ان يُصلَبَ ام لا ؟ فان كان يريد فاليهود ليس لهم ذنب لانهم عملوا ارادتهُ فلماذا يكونون ملعونين ومرذولين ؟ وان كان صُلِبَ دون ارادتهِ فاليهود صاروا اقوى منهُ فكيف يمكن ان يكون ويُدعَى الهاً من لم يستطع ان ينجّي نفسهُ مَن يد صالبيهِ؟

فارادتهم صارت اقوى من ارادته جداً

فجاوبته انا ايضاً معترضاً عليه : ماذا ينتكر ملكنا الفتي الذهن والغزير الحكمة ايًا من هذين الامرين يقول : هل كان يريد الله سبحانهُ ان الملاك يصير شيطاناً ام لا؟ فان قلتَ ايجابياً فلم يبقَ عتاب على الشيطان اذ صار هكذا لانهُ صنع الارادة الالهية وكملها . وان جاوبتَ سلبياً فارادة الشيطان اذاً تغلبَتْ على ارادة الله وقويت . فكيف يمكن ان يكون ويُدعى إلهاً ذاك الذي غُلبَتْ ارادتهُ من ارادة ابليس ؟ اقول ايضاً : هل كان يريد الباري سبحانهُ ان يُطرَد آدم من الجنّة (اي من الفردوس) ام لا ؟ فان قلتَ ايجابياً فينجو الشيطان من العتاب لانهُ ساعد ارادة الله جلّ شانهُ في اخراج آدم من الجنة وطردهِ منها . وان جاوبتَ سلبياً فكيف لا تقول ان الله غُلبَتْ ارادتهُ واضحى ضعيفاً اذ من دون مشيئتهِ حدث هذا الامر ؟ فكما ان الباري تعالى لا يزال إلهاً قديرًا وان اخطأ ابليس وآدم ضدّ ارادتهِ الالهيّة . ثم ان آدم وابليس لا يخلوان من الذنب وان كان ارتضى الله بكلَيهما اي بان ابليس يسقُط من السماء ويُطرد آدم من الفردوس وذلك لانهما لم يكونا مخطئين تبعاً لارادتهِ تعالى بل لاجل تكميل ارادتهما في الخطيئة . هكذا يسوع المسيح لا يزال ان يكون ويُدعى إلهاً ذا القدرة وان قلنا ان اليهود تجاسروا وصلبوهُ بإثمهم فلا يقدرون ان ينجُوا انفسهم من الجحيم واللعنة وان كان المسيح قد ارتضى بان يتألم على خشبة الصليب حبًا بخلاص البشر لان اليهود لم يصلبوا عيسى تبعاً لارادتهِ بل لاجل البغضة والحقد نحوهُ ونحو الذي ارسلهُ فلهذا السبب صلبوهُ اي لكي يموت ويَهلك من الارض واما المسيح فانهُ اراد ان يُصلَبَ حتى بموتهِ يُحيي الجميع كما قلنا

وملكنا المظفّر قال لي : ايها الجاثليق ينبغي ان تعلم كما ان الله عزَّ وجلَّ اعطى اولاً الناموس اي الشريعة على يد موسى وبعدهُ الانجيل على يد عيسى هكذا ايضاً جعل الخلاص على يد محمّد عليهم السلام

فجاوبتهُ قائلاً : أيها الملك نظرًا الى الشريعة الموسويّة التي كانت مزمعة ان تنتسخ قد سبق الله واعلن عنها جهرًا بفم الانبياء اذ قال الله تعالى في ارميا النبي (٣١ : ٣١—٣٤) هكذا : «ها انَّ اياماً تأتي يقول الرب وأُعاهد آل اسرائيل وآل يهوذا

عهدًا جديدًا ليس مثل العهد الذي عاهدتُ بهِ اباءهم يوم امسكتُ بايديهم لأُخرجهم من ارض مصر حيث هم نقضوا عهدي وانا سَئمتهم يقول الرب. بل هذا يكون العهد الذي بهِ أُعاهد آل اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب أجعل شريعتي في احشائهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الهًا وهم يكونون لي شعبًا ولا يعلّم ايضًا الرجل صاحبهُ والانسان اخاهُ قائلًا: اعرفوا الرب لانهم سيعرفونني باجمعهم من صغيرهم الى كبيرهم». فهذهِ الآيات تُعلِن واضحًا بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسوي وبانزال العهد الجديد اي الانجيل واثباتهِ. وايضًا في يوئيل النبي يتكلم الله عزَّ وجلَّ صريحًا عن المعجزات المزمع حدوثها في زمان انتساخ الشريعة الموسويّة واثبات الانجيل وعن الروح الفارقليط الذي كان عتيدًا ان يحلّ على الحواريين فيقول (٢: ٢٨): «ويكون بعد هذهِ اني أُفيض روحي على كل بشرٍ فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلامًا ويرى شبّانكم رؤًى وعلى العبيد ايضًا وعلى الإماء أُفيض روحي في تلك الايام». فيريد بالروح الفارقليط الذي بعد صعود يسوع المسيح الى السماء أُرسل الى الحواريين كما سبق عيسى ووعدهم. ثم يقول النبي المشار اليهِ (ع ٣٠–٣١): «واجعل مُعجزاتٍ في السماء وعلى الارض دمًا ونارًا واعمدةً من دخان فالشمس تتحوّل الى ظلمةٍ والقمر الى دمٍ» فهذهِ جميعها جرت امام الكل عندما تألّم يسوع المسيح على خشبة الصليب. فلمّا انذر بهذهِ الآيات يوئيل النبي اردفَ قائلًا (ع ٣١): «انّهُ ياتي يوم الرب العظيم المخيف» يريد اليوم الذي بهِ كلمة الله المتأنس في طبيعتنا يظهر من السماء كالبرق مع قوّةٍ ومجدٍ كثيرٍ «ذاك اليوم الذي بهِ جميع قوّات السماء تتزعزع والنجوم تسقط من السماء» كما قال يسوع نفسهُ في الانجيل (مرقس ١٣: ٣٥) ثمَّ يقول هذا النبي (ع ٣٢): «ويكون كلُّ من يدعو باسم الرب ينجو» اي كل من يقرأ انجيل الله ويفعل بما يأمر بهِ ينال الحياة الدائمة. فاتضح اذًا ان الله بهذهِ الايات المنزّهة عن كل غشّ وكذب أعلن جليًّا بانتساخ العهد العتيق اي الناموس الموسويّ وبالانتقال منهُ الى العهد الجديد اي الانجيل. ولكن لم يعلّم سبحانهُ تعالى في موضع البتة عن انتساخ الانجيل والانتقال منهُ الى شيءٍ آخر اي الى القرآن. ثم انَّ العهد القديم كان رمزًا عن الانجيل والانجيل هو رمزٌ عن ملكوت السماء الذي لا شيءَ افضل منهُ.

وملكنا المظفر قال لي: أليس موسى عليه السلام قال علانية لبني اسرائيل في تثنية الاشتراع (١٨ : ١٥): «ان الرب سوف يُقيم لكم نبياً مثلي من بين اخوتكم» فمن هم اخوة بني اسرائيل سوى الاسمعيليين؟ ومن صار نبياً مثل موسى سوى محمد؟

فجاوبتهُ قائلاً: أيها الملك انه يوجد اخوة كثيرون لبني اسرائيل في هذا الاعتبار ما خلا الاسمعيليين. فاولاً ان الآدوميين هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل وذلك لان الاسرائيليين قد وُلدوا من يعقوب والادوميين قد تسلسلوا من عيسو. واما يعقوب وعيسو فكانا ابني اسحاق ابي اليهود واخي اسمعيل الذي منهُ المسلمون فاذاً هم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل. وان كان الكلام الذي قالهُ موسى عن اخوة بني اسرائيل لا يُطلق على اسباطهم الاثني عشر بل على انسبائهم الأُخر نقول انهُ ينبغي ان يطلق بالأحرى على الادوميين لانهم أقرب لبني اسرائيل من بني اسمعيل كما رأينا. ثانياً ان اخوة الاسرائيليين ما هم الاسمعيليون فقط بل والعمونيون والموابيون. ثم ان موسى لم يَقُل للاسمعيليين بل لبني اسرائيل «ان الرب يقيم من اخوتكم» ولا من الغرباء نبياً مثلي ولا مخالفاً لي في التعليم. فهذه الآية تشبه تلك التي خاطب بها الباري تعالى شعبهُ عن ملكٍ قائلاً (١ ملوك ١٢ : ١٣) «من بين اخوتك اقيم عليك ملكاً». فكما إنَّ إقامة هذا الملك من بين اخوة بني اسرائيل لا تدلُّ على بني اسمعيل هكذا اقامة نبيٍّ من بين اخوتهم لا تشير الى بني اسمعيل. وايضاً ينبغي ان ننظر الى التشبيه المصرَّح في هذه الآية حيث يقول موسى لشعب اسرائيل: «ان الرب يقيم لك نبياً مثلي» فان كان محمد نبياً مثل موسى كان يقتضي ان يصنع ايات ومعجزات كثيرة كما فعل موسى ولكن محمداً لم يأتِ بمعجزات البتة فاذاً ليس محمد مثل موسى. ان كان محمد نبياً مثل موسى كان ينبغي ان يحفظ التوراة ويعلّم الناموس الذي أُعطي في جبل سينا ملازماً مع الحكانة السبوت والاعياد كما كان يفعل موسى ولكنَّ محمداً لم يعمل بذلك فاذاً ليس هو مثل موسى

وملكنا قال لي: انَّ كلامك ظريف ومعانيك حسنة لو قبلتَ محمداً بين الانبياء.

فجاوبتهُ هكذا: انه مذكور عندنا ان نبياً واحداً يأتي الى العالم بعد صعود يسوع الى السماء ومن قبل نزولهِ من هناك كما تعلمنا ذلك من ملاخي النبي ومن جبرائيل الملاك الذي بشر زكريا بحبل يحيى ابنهِ

وملكنا قال لي : ومن هو هذا النبي الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبتهُ هكذا : هو اليّا لان الله تعالى في ملاخي النبي الذي اتى اخيرًا بالنبوّة في العهد العتيق يقول عنهُ (٤ : ٤–٥) هكذا : « اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرتهُ بها في حوريب لكل اسرائيل اوامر واحكامًا هاءنذا أرسل اليكم اليّا النبي قبل ان يجيء يوم الرب العظيم المخيف فيردّ قلوب الاباء على الابناء وقلوب الابناء على آبائهم لئلّا آتي انا واضرب الارض بالحرم » . وجبرائيل الملاك لمّا بشّر زكريا بحبل يحيى أتى بهذا الكلام نفسهِ في لوقا (١ : ١٩) : « فقال لهُ الملاك : لا تخف يا زكريّا لان صلاتك سُمِعَتْ وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنًا وتسميهِ يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادتهِ لانهُ يكون عظيمًا امام الربّ ومن بطن امّهِ يمتلئ من الروح القدس ويردّ كثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلههم ويتقدّم امامهُ بروح اليّا وقوّتهِ ليردّ قلوب الآباء على الابناء والعصاة الى فكر الابرار لكي يهيّئ للربّ شعبًا مستعدًّا » . فانظر يا ايّها الملك المظفر كيف ان الملاك يدعو عيسى المسيح ربًّا والاهًا . ثم ان الآيات السابقة تعلّمنا ما يأتي اي انهُ كما ان يحيى بن زكريّا سبق يحيى يسوع المسيح وأرى الجميع شخصهُ قائلًا (يوحنّا ١ : ٢٩) : « هوذا حمل الله الذي يرفع خطيّة العالم » وقال ايضًا (١ : ٣٣) : « هذا هو الذي يعمّد بالروح القدس والنار هذا هو ابن الله الذي لستُ مستحقًّا ان احلّ سيور حذائهِ » . هكذا سوف يأتي اليّا النبي قبل شروق عيسى المسيح من السماء فيسبق منذرًا جميع الناس ومحرّضًا اياهم على ان يكونوا بظهورهِ المجيد الثاني مستعدّين للقائهِ وموبّخًا المسيح الدجّال . فلا فرق بين يوحنا المعمدان واليّا النبي نظرًا الى قوّة الروح المتكلم فيهما اذ انهُ واحد الاّ انّ يوحنا المعمدان قد اتى واليّا سوف يأتي امام يسوع المسيح الذي سيظهر من السماء بقوةٍ ومجدٍ كثير ليقيم البشر من بين الاموات لانهُ كلمة الله وخالق في البدء كل البرايا فهو يجدّدها اخيرًا كلها وهو ملك الملوك وربّ الأرباب وملكهِ لا يكون انقضاء .

ثم ملكنا النزيرة حكمتهُ قال لي : لو لم تغيّروا التوراة والانجيل لكنتم تشاهدون محمدًا ايضًا مع الانبياء الأخر

فجاوبتهُ قائلًا : ايّها الملك المعظّم إنّ الله تعالى منحكم التاج والعرش

والصولجان الملكي ومع هذه كلها اعطاكم ايضاً ذهناً غزيراً وقلباً وسيعاً ومستعداً لتدبير أمور الجماعة والأفراد كما تستحق دولتكم ذلك فيليق بشأنكم العزيز ان تفحصوا عن جميع هذه الامور التي تقولون عنها فاي شيء كان يحملنا على ان نغير الكتب لان التوراة والانبياء يصيحان جملةً كصوت الرعد ويعلمان عن الوهية المسيح وعن ناسوته وعن ولادته الالهية العجيبة التي صارت من الآب قبل كل الدهور التي لا يقدر احد ان يصفها البتة كما قال اشعيا النبي (٥٣ : ٨) : «وجيلهُ مَن يَصِفُهُ» فهو الذي قيل عنهُ (مز ١٠٨ : ٣) : «من البدء قبل خلقة العالم ومن رحم قبل الفجر ولدتُك» وايضاً (مز ١٧ : ١٧) : «وقبل الشمس موجود اسمهُ» . وعن ولادته الزمنية من الأمّ يقول اشعيا النبي (٧ : ١٤) : «ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمهُ عمانوئيل» . وإنَّ داود الملك واشعيا والانبياء جميعهم يعلّمون صريحاً وواضحاً عن العجائب والمعجزات التي كان عتيداً ان يفعلها في وقت ظهوره بالجسد وعن معرفة الله الحقيقة التي كانت تتلى منها المسكونة في وقت مجيئه الى العالم ويخبرونا عن آلامه وصلبه وموته بالجسد كما قلنا أنفاً . ويتكلمون ايضاً عن قيامته من بين الاموات وعن صعوده الى السماء وعن مجيئه الثاني الى العالم وعن قيامة الموتى وعن الدينونة التي يدين بها الجميع لانهُ الهٌ وكلمة الآب . ولما كان التعليم المسيح كلهُ محتوياً في التوراة والانبياء فلأجل اي سبب كنَّا نغيّرهُ ؟

ثم لو فرضنا اننا قد غيّرنا وحرّفنا التوراة والانبياء التي هي عندنا وبيدنا ولكن كيف كنَّا نستطيع ان نغير ونحرّف التي هي بيد العبرانيين ؟ ثم اذا اعترض أحد قائلاً : ان النصارى غيّروا وحرّفوا الكتب التي كانت بيدهم واليهود صنعوا كذلك بكتبهم . فنقول لاي سبب لا يغير ويحذف اليهود الآيات الموجودة في كتبهم التي تفتخر بها الديانة المسيحية وتستند عليها اذ ليس توجد عداوة في العالم مثلما كانت قبلاً والآن بين النصارى واليهود واذ قلنا ان اليهود غيّروا وحرّفوا كتبهم فكيف نحن كنَّا نسكت عن هذه الآيات المحرّفة من هولاء اذ عليها يقوم مدار ديانتنا ولكن لا النصارى ولا اليهود غيّروا او وحرّفوا الكتب كما تشهد العداوة الموجودة بينهم التي من سببها لا يمكن يتفقوا مع بعضهم في كذا أمر مهمّ فاتضح اذاً انهُ لم يكن ممكناً ان يتفق مع ان بعضهم النصارى واليهود في تحريف الكتب ولا ننكر

ان اليهود يخاصموننا في شرح بعض الكلمات والاسماء وعن الأزمنة . ولكن نظراً الى وجود الالفاظ والكلمات وحقيقتها ليس مخاصمة بين بعضنا قط لان الألفاظ والكلمات هي موجودة عند الطرفين على حدٍ سواء . فيا ايها الملك نحن لم نغيّر او نحرّف التوراة والانبياء

وكذلك ينبغي ان نقول عن الانجيل لان ما قال الانبياء الاوّلون عن المسيح هو هو مكتوب في الانجيل عنهُ . فاذاً واحدٌ هو شعاع النور الذي يضيء لنا من التوراة والانبياء والانجيل . ولكن مع هذا الفرق وهو انّه في التوراة والانبياء قد سبق الكلام والرموز وفي الانجيل ظهرت الأفعال والحقيقة فالانجيل ينذرنا بما علّم الانبياء عن لاهوت المسيح وناسوتهِ دون أدنى تغيير لان واحداً هو معطي التوراة والانجيل وهو الله

ثم لو غيّرنا وحرّفنا الكتب لكنّا نجتهد في تغيير الأمور المظنونة دنيّةً وحقيرةً ومضادّةً لديانتنا كالخوف والضرب والآلام والصليب والموت وما اشبهَ ذلك ولكن ليس فقط لم نغيّر هذه الامور بل نفتخر بها ونكرّمها كما نفتخر بالأمور التي هي سامية في ديانتنا وعظيمة ونكرّمها . لاننا كما نعتقد في يسوع انّهُ الهٌ ليس لهُ بداءة ولا نهاية وهو مساوٍ للآب بالطبيعة هكذا نعتقد بهِ انّهُ انسان حقيقةً وهو مساوٍ لنا بالطبيعة البشريّة

فلم نغيّر او نحرّف ايها الملك سطراً واحداً من كتاب الله . فان كان موجوداً اسم محمد في كتبنا لكنا ننتظر الى مجيئهِ بالاشتياق كما اشتقنا الى استقبال الذين كتب عنهم الانبياء . ثمَّ اية قرابة لنا مع اليهود اكثر ممّا لنا مع الاسمعيليّين ؟ ولماذا كنّا نقبل المسيح الذي هو من جنس اليهود ونرفض محمداً الذي ظهر من ذريّة الاسمعيليين ؟ لانَّ واحدة هي قرابتنا بالطبيعة مع الاسمعيليين ومع اليهود . والحق يضطرني ان اقول ان قبل ظهور المسيح كان اليهود ذوي اعتبار عند جميع الامم وعند الله ايضاً وبعد ظهور كلمة الله في الجسد منهم صاروا مرذولين ومحتقرين عند الله والناس لأنّهم غمّضوا عيونهم لئلاّ يبصروا ويتمسّكوا بالنور الذي أتى الى العالم ليُغيّر البشر فأضحى اذاً اليهود مبغضين ومكروهين من كل احدٍ . واما الاسمعيليون فبالعكس فانّهم مكرّمون معتبرون عند الله والناس لتركهم عبادة الاوثان والشيطان

وسجودهم وتكريمهم لله وحده فلذلك يستحقون ان يحبهم الجميع ويكرموهم . فلو وُجد في الكتب نبرة ما بحقهم ليس فقط لم نكن نغيّرها ونحرّفها بل كنا ننظر اليها بفرح عظيم وننتظر تمامها كما ننتظر ذاك الذي سيأتي في المنتهى كما قلنا عنهُ اعلاه . لاننا لسنا منقحين وصايا الله بل بالأحرى نحفظها بكل تدقيق

وملكنا قال لي متبسماً : فلنترك الآن المحاورة ونتكلم عن هذه الأمور في وقتٍ آخر حينما يصير لنا فرصة لنعكف عليها

فنحن مجدنا الله الذي هو ملك الملوك وربّ الأرباب وهو يعطي الحكمة والفهم للملوك لكي يدبّروا محاكمهم بالعدالة والرحمة . ثم دعونا للملك ولدولته طالبين من الله ان يؤيّدها ويحفظها في العالم دائماً وان يثبت سدّة عرشهِ بالعدل والبرّ الى الابد لمين . وهكذا خرجنا من عندهِ

قبر عَزْرا الكاتب (١

للاديب يوسف افندي غنيمة

توطئة

عزرا والعرب يدعونهُ باسم عُزَير هو الكاتب والكاهن الذي كان في خدمة ملك بابل ارتحشستا المعروف بالطويل اليد الذي ملك من السنة ٤٦٤ الى ٤٢٤ قبل المسيح . يرتقي نسبهُ الى هارون (سفر عزرا الاوّل ٧ : ١–٥) وهناك ورد شيء من تاريخهِ (١عزرا ٧ و ١٠ ثمَّ ٣ عزرا ٨–١٢) وذكرهُ يوسيفيوس في العاديات اليهوديّة (ك ١١ ف ٥ ع ١–٥) . حظيَ لدى ملك بابل ونال منهُ ان يعود الى اورشليم مع قسم من اهل الجلاء الذين لم يعودوا مع زربابل وكان عددهم ١٧٠٠ وامداهُ مئة وزنة فضّة فكان وصوله الى اورشليم في غرّة الشهر الخامس من

---

١) هذا فصل استللناه من كتابنا «ترجمة المشتاق في تاريخ يهود العراق» الذي انجزنا تأليفه ولم نطبعه بعد . وقد نشرنا فذلكةً منه في مجلّة المقتطف الغرّاء (ايلول وتشرين الاول ١٩٣٠) ونشرنا ثلاثة فصول في وضيعة دار السلام في بغداد (٢٢ آب و ١٩ ايلول و ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٠) وهذا فصل لم ينشر بعد ارصدناه للمشرق الاغرّ

وسجودهم وتكريمهم لله وحده فلذلك يستحقون ان يحبهم الجميع ويكرموهم . فلو وُجد في الكتب نبرة ما بحقهم ليس فقط لم نكن نغيّرها ونحرّفها بل كنا ننظر اليها بفرح عظيم وننتظر تمامها كما ننتظر ذاك الذي سيأتي في المنتهى كما قلنا عنهُ اعلاه . لاننا لسنا منقحين وصايا الله بل بالأحرى نحفظها بكل تدقيق

وملكنا قال لي متبسماً : فلنترك الآن المحاورة ونتكلم عن هذه الأمور في وقتٍ آخر حينما يصير لنا فرصة لنعكف عليها

فنحن مجدنا الله الذي هو ملك الملوك وربّ الأرباب وهو يعطي الحكمة والفهم للملوك لكي يدبّروا محاكمهم بالعدالة والرحمة . ثم دعونا للملك ولدولته طالبين من الله ان يؤيّدها ويحفظها في العالم دائماً وان يثبت سدّة عرشهِ بالعدل والبرّ الى الابد لمين . وهكذا خرجنا من عندهِ

قبر عَزْرا الكاتب (١

للاديب يوسف افندي غنيمة

توطئة

عزرا والعرب يدعونهُ باسم عُزَير هو الكاتب والكاهن الذي كان في خدمة ملك بابل ارتحشستا المعروف بالطويل اليد الذي ملك من السنة ٤٦٤ الى ٤٢٤ قبل المسيح . يرتقي نسبهُ الى هارون (سفر عزرا الاوّل ٧ : ١–٥) وهناك ورد شيء من تاريخهِ (١عزرا ٧ و ١٠ ثمَّ ٣ عزرا ٨–١٢) وذكرهُ يوسيفيوس في العاديات اليهوديّة (ك ١١ ف ٥ ع ١–٥) . حظيَ لدى ملك بابل ونال منهُ ان يعود الى اورشليم مع قسم من اهل الجلاء الذين لم يعودوا مع زربابل وكان عددهم ١٧٠٠ وامداهُ مئة وزنة فضّة فكان وصوله الى اورشليم في غرّة الشهر الخامس من

---

١) هذا فصل استللناه من كتابنا «ترجمة المشتاق في تاريخ يهود العراق» الذي انجزنا تأليفه ولم نطبعه بعد . وقد نشرنا فذلكةً منه في مجلّة المقتطف الغرّاء (ايلول وتشرين الاول ١٩٣٠) ونشرنا ثلاثة فصول في وضيعة دار السلام في بغداد (٢٢ آب و ١٩ ايلول و ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٠) وهذا فصل لم ينشر بعد ارصدناه للمشرق الاغرّ

مشهد عَزْرَا الكاتب

على ضفّة دجلة قريباً من شط العرب

السنة ٤٥٩ ق م فسعى باصلاح احوال اليهود في فلسطين وتطبيقها مع امور الشريعة فاستحق بذلك شكر أمّته. ثمّ ساعد عمياً في اصلاحاته ايضاً سنة ٤٤٤ (٢ عزرا ف ٢: ١ و ٨: ١). وكانت وفاتهُ قبل السنة ٤٣٣ . وعلى رأي يوسيفوس انهُ توفّي في اورشليم . وفي تقليد اليهود انهُ عاد الى بابل فزعم بعضهم انهُ فيها توفّي ولهُ من العمر ١٢٠ سنة وارتأى غيرهم انهُ توفّي في زمزومو على ضفّة نهر دجلة قريباً من القرنة حيث تجتمع دجلة والفرات في شط العرب. وهناك مشهد على اسمه. يحجُّ اليهِ اليهود منذ قرون عديدة. وهو الذي ورد هنا وصفهُ (المشرق)

يقوم هذا المعهد الديني اليهودي في بقعةٍ من الارض على عَدْوة دجلة اليمنى بين القرنة والعمارة على مقربة اثنين وعشرين ميلاً من ملتقى الرافدَين حيث تكثر المستنقعات وتتوفّر القصباء والحلفاء . هناك في تلك الخلوة البعيدة عن ضجيج الناس وقلاقل المدن. هناك حيث يسود السكون والهدوء وتجري دجلة متمرّجةً وملتوية خاملة بين امواج مياهها من ذكرى التاريخ أبدعها ومن عِبَر الايام أوقعَها في النفوس تجعل تقاليد يهود العراق مرقد عَزْرا الكاتب : كاتب الشريعة ورائد بني اسرائيل في رجوعهم الى مسقط راسهم وبيت عزّهم وقدس اقداسهم . ويحفّ بالمقام اشجار النخل الباسقة التي تهديهِ آيات السلام وشعائر الاحترام

اختلف ثقات المؤرخين في مدفن هذا الرجل الإمام ومحلّ وفاتهِ فمنهم من قال انه دُفن في عَوَرْتا من اعمال نابلس (١ . ومنهم من قال انه قُبر في زمزومو (Zam-zumu) في اسفل دجلة بينما كان مسافراً الى بلاد فارس (٢ واثبت غيرهم انهُ لُحِد في اورشليم (٣ وربما كانت هذه الرواية على شيء من الصحّة . الّا ان تقليد اليهود في العراق وتواتر روايات المؤرخين والراحلين من غيرهم يعتبران مدفنهُ في العراق حيث يزورهُ بنو قومهِ

امّا نحن فلا نبتّ في هذه المسئلة التاريخية المتوغّلة في القدم بل ندع الاهتمام بها الى الاثريّين الاختصاصيين والمنقّبين البحّاثين ربما يتوصّل واحد منهم الى إماطة اللثام عن هذه الحقيقة التاريخية الكتابية وجلّ قصدنا في كتابة هذا الفصل ان ننقل اقدم النصوص الواردة في كتب التاريخ عن المزار العراقي اليهودي ووصفه

ان ياقوت ذكر مدفن عزرا في اعمال نابلس على ما مرّ بك بيد انهُ ذكره ايضاً

١) معجم البلدان مادة عورتا ٢) Sir, E. A. Wallis Budge: *By Nile and Tigris, vol. I, p. 171*

٣) يوسيفوس. كتاب العاديات الفصل الحادي عشر العدد الخامس

في محلّه في اعمال بصرة العراق في موضعين من معجم البلدان في مادتي ميسان ونهر سَمُرة واليك ما جاء عنه في كل منهما :

جاء في مادّة ميسان : «اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتُها مَيسان . . . . وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزرا النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور وانا رأيتهُ »

وجاء في مادة نهر سَمُرة : «قرية فيها قبر العُزَير النبي عليه السلام في ارض ميسان»

وقد ذكر القزويني (١ من رجال القرن الثالث عشر للمسيح مشهد عزير النبي وهو يكرّر كلام ياقوت بالحرف في كتابه آثار البلاد

وقد زاره في القرن الحادي عشر الرحّالة بنيامين التطيلي الّا ان مما يؤسف له ان في اخبار هذه الرحلة التي نشرها آشير قد سقط اسم المكان الموجود فيه هذا المزار فورد كلامهُ على هذه الصورة مبتورًا قال : «ان مدفن عزرا الكاهن والكاتب واقع في . . . . حيث دهمهُ الحِمام بينما كان مسافرًا من اورشليم الى الملك ارتحشستا وحيث يأتي اليهود للصلوة ايام الاعياد (٢ »

وقد ذكر هذا المزار يهوذا الحريزي الذي زاره في اوائل القرن الثالث عشر وقال عنه في رحلته التي بدأها سنة ١٢١٧ م في الفصل الخامس والثلاثين منها ما ملخّص تعريبهِ : انه غادر بلاد اسبانية وسافر في البحر وكانت قِبْلته بلاد الكلدان قرب شوشن وعلى مقربةٍ منها موضع يدعى سمدا (وربما صحيحهُ نهر سمرا) وبالعبرية اهوا (٣ - فعلى بعد ثلاثة فراسخ من هذا المكان تقريباً قبر عزرا الموجود منذ عهده الاول اي منذ بناء الهيكل الثاني الى نحو السنة الألف من الأسر . وكان بعد انقضاء هذا العهد العهيد عبارةً عن كومة اطلال ولم تسمح تلك الدوارس للمطّلع الوقوف على شيء من ذلك الاثر . وقد علمنا من اناسٍ كثيرين انه منذ ١٦٠ سنة أُوحي الى

١) اطلب طبعة غوتنجن سنة ١٨٤٨ (ص ١٣٠)

٢) راجع M. Edouard Charton: *Voyageurs Anciens et Modernes, II, 188*

٣) اعتمادًا على هذا النصّ نشر حضرة الاب انستاس الكرملي فصلًا في ١١ كانون الثاني ١٩٢٠ في وضيعة دار السلام البغدادية رجّح فيه توحيد نهر سمرا ونهر اهوا الوارد ذكره في سفر عزرا (٨ : ١٥ و ٢١ و ٣١) مخطئًا رأي من سبقهُ من العلماء الكتابيين في موضع اهوا او نهر اهوا

احد الرعاة موضع رمس هذا الملك الالهي وتكرّرت هذه الرؤيا ثلاث او اربع مرات. وقد أيد قدرته بشفاء عين الراعي فاعاد اليه بصره. وعلى اثر ذلك دعا الراعي سكّان تلك البقعة وروى لهم حلمهُ وعيّن المكان الذي فيه القبر وتأييداً لصحّة مروياته قصّ عليهم خبر شفائه العجيب. وعند ما الحّ عليهم كل الالحاح حفروا الارض فوجدوا صندوقاً من حديد محفوظاً في تابوت آخر مسدود ومختوم وفيه كتابة لم يتمكن من قراءتها القوم. فتقدّم احد علماء اليهود وفكّ طلسمها وقرأ فيها اسم عزرا واسماء اجداده الى هرون الكاهن العظيم. وكانت تُشاهَد احياناً انوار فوق ذلك القبر المحتاط بقبور سبعة صالحين آخرين. وقد حاول كثيرون من الدهريّين ان يتّخذوا تلك المعجزة حادثةً غريبة من الحوادث الجيولوجية او يعتبروها انفجاراً ارضياً منبعثاً من أطيمة او ينبوع قطران تشتدّ نارهُ ليلاً (١. وقد شاهدتُ هذه المعجزة بعيني وسجدت امام هذا المظهر من مظاهر العناية الالهية (٢. اه

وقد وصفهُ ريج (Rich) (٣ في بدء القرن التاسع عشر وصفاً دقيقاً قال: «هو بناء يشبه جامعاً يقوم على لسان بارزٍ في النهر. وقد نشأ هذا اللسان من دورة تدورها دجلة هناك حيث تلتوي كل الالتواء. وقد التفّ حول المكان عدد من الاعراب يسكنون قريةً مساكنها من القصب. وموقعهُ في الجانب الايمن من النهر محتاط بجدار وحصون والقبّة منشأة باجرّ اخضر مطليّ بدهان الخزف (يريد الواصف بهذا الاجرّ القاشاني المشهور في العراق) يعلوها زينة من نحاس اصفر تمثل كفّاً مفتوحاً تحيط به اشعة جلال. وبعد ان جزنا الباب رأينا ساحة دارٍ صغيرة ثم بلغنا قاعةً فسيحة مظلمة فيها طيقان تسندها كوم مربّعة من الاجرّ (اي اعمدة مربّعة من الآجرّ) مجرّدة من كل زينةٍ. ومن هنا جُزنا باباً منخفضاً افضى بنا الى غرفة مودع فيها مَن هو موضوع احترام اليهود الديني. انّ سقف الغرفة معقود وفيها نوافذ صغيرة مشبّكة بالحديد

١) اشار الكاتب الى النار التائهة التي يدعوها الفرنسيون (feu follet) وتشاهد في المستنقعات والمقابر وقد ضلّ كثيرون في تعليلها فانزلوها منزلة المعجزة وما هي الّا من مظاهر الطيمة ٢) راجع Archives de l'Orient Latin, I, 237 ٣) ان المستر ريج (Rich) كان قنصلاً انكليزياً في بغداد سنة ١٨٠٨. راجع كتابه: Residence in Koordistan, II. p. 389

مرتفعة كل الارتفاع . والغرفة مبلّطة بآجرٍ ابيض واخضر مرصوفاً ترصيفاً متناوباً . وفي روزنةٍ صغيرة قنديلٌ موقد

" يقوم القبر في منتصف الغرفة وهو مستطيل الشكل منحرف السطح مصول من الخشب ومُسجّى بِسَخْلٍ اخضر وطوله ٨ اقدام وعرضه ٤ اقدام وارتفاعه ٦ اقدام وبينه وبين كل طرفٍ من اطراف الغرفة ٣ اقدام . وكانت زواياه واعلاه مزدانة بكُرِيّ كبيرة من النحاس الاصفر المذهّب . . . وقد اخبرنا الاعرابي الذي طوّفنا ان الذي اقام البناء الحاضر قبل نحو ثلاثين سنة هو خوف يعقوب Khoph Yacoob (ربما اراد الكاتب ان يقول خوجه يعقوب او خلفة يعقوب) "

ولا يخلو من فائدةٍ ذكر الوصف الذي وصفه به الرحّالة بنيامين الثاني (١ قال :

" وبعد انحدار ثلاثة ايام في دجلة يقوم على عدوةِ النهر بناء مربّع في منتصف فلاةٍ فيه قبر العزير ويحيط بالبناء بعض دور صغيرة . واما البناء عينه فمؤلّف من غرفتين كبيرتين متنافذتين تخصّ الاولى منهما المسلمين والثانية مع القبر اليهودَ . وهناك عتمة حالكة يقاطعها نور ضئيل يأتي من الباب . وفيها مصطبة طولها ١٦ قدماً وعلوها عشر اقدام وعرضها ست اقدام . وعلى اطرافها الاربعة كتابة لا تُقرأ اليوم وهي مسجّاة بقماش ثمين مزركش ومحلّى بالذهب . ويزوّق الغرفةَ كثيرٌ من الزين النفيسة ولا يخشى بتاتاً على سلامة تلك الكنوز وان كان موقع المزار في وسط بيداء تحيط بها عشائر البدو . . . وقد كان قبر عزرا موضوع بحثي وتنقيري اذ ان الكتاب لا يذكر موتهُ ولا محلّ دفنهِ فخامرني شك في حقيقة هذا الحدث الّا اني رغماً عن ذلك تأكدت الأمر من مطالعتي كتاب "سدر هدروث" وغيره من الكتب التاريخية . . . . . ان كتاب "سدر هدروث" لا يصرّح بموضع الدّفن ولهذا تمسكتُ بالتقاليد اذ لم اقف على شيء اصحّ منه بعد البحث المدقق فيه

"وتحتفل جماعة من يهود بغداد والبصرة بعيد الاسابيع (شبيعوت) عند قبر عزرا

١) ان اسمهُ الحقيقي يوسف اسرائيل (١٨٦٤–١٨١٨) كان من يهود رومانية وانتحل اسم بنيامين الثاني تشبُّهاً ببنيامين التطيلي واحياء لذكر ذلك الرحّالة الذي عاش في القرن الثاني عشر . وقد بحث في رحلته الاولى عن الاسباط العشرة المفقودة وكان عمره يومئذٍ ستاً وعشرين سنة . توفي في لندن بينما كان يتأهب لرحلةٍ ثانية للبحث عن يهود الصين

فيشتركون بالحفلات التقوية . ويعرف العربُ غاية تلك الزيارات ولا يُقيمون عقبات في سبيلها » (١ (انتهى)

وقد زرتُ (كاتب هذه المقالة) هذا المرقد سنة ١٨٩٣ فكانت تَرِد اليه جماعات اليهود من كل اطراف العراق للتعفر بثرى رفات الراقد الصالح وزيارة ضريحهِ في عيد الاسابيع فيدخلون غرفة الجدَث وهم حفاة حرمةً للمكان ويوقدون قناديل اكراماً الراقد هناك ويطوّف القيّمُ الزائرين فينفحونه بحلوان. ومن اقسام البناء دار قوراء فيها غرف عديدة لضيافة زائري المكان من اليهود وللسكنى فيها مدة اقامتهم هناك . وقد نُكب بعد زيارتي المذكورة ببضع سنوات زوّار هذا المعهد نكبة احزنت القوم اذ هوى قسم من بناء المنزل فمات عدد منهم تحت الردم ورضّت اعضاء غيرهم . ولكن جماعة اليهود جددت ذلك البناء واحكمت أُسسه (٢

وقد جرى حول هذا المعهد معارك بين البريطانيين والاتراك في ربيع سنة ١٩١٥ ولكنه لم يصب باذى بل غاية ما كان ان اليهود لم يتمكنوا من القيام بزيارة العزير كل مدة الحرب

وآخر وصفٍ ننقل منه نتفةً للقراء يُظهر حالة المعهد في ايامه الاخيرة - ومن مقابلة كتابات الرحّالين المختلفة على توالي الاعوام يقفون على تطوّر ذلك البناء مع الزمان والوصف المذكور نُشر في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٧ في مجلة انكليزية (٣ قال الكاتب : ان مساحة الغرفة تبلغ نحو ثلاثين قدماً مربعاً وجدرانها بيضاء مزينة بكتابات ونقوش عربية (٤ ملوّنة بالازرق الباهر والاصفر والاحمر مما يبهر النظر وارضها مبلّطة بقطع من الرخام الملوّن وفي زواياها (اي زوايا القطع) مربّعات صغيرة من الصخر الاسود او الرخام (٥ وفي وسطها القبر ومساحته ٥×٧×١٥ قدم . انتهى

---

١) راجع Sidney Mendelssohn: *The Jews of Asia, p. 199-200*

٢) عن مذكرتي ٣) راجع Blacwood's Magazine, *October 1917, P. 538*

٤) ان الصفة العربية ترجع الى النقوش فقط وكلتا الكلمتين ترجمة arabesques

٥) ان بلاط الغرفة هو القاشاني الملوّن فليس هناك رخام ولا صخر كما توهّمه الكاتب

نقل الصور الشمسيَّة بالمجرى الكهربائي

ومشكل التَّرائي عن بُعد

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعيّ

كلّنا نعلم بل قد علم آباؤنا وبعض اجدادنا إمكان نقل الحروف المكتوبة او الكلمات الملفوظة من مكان الى آخر بواسطة المجرى الكهربائي وجهاز التلغراف او التلفون. وقد امتاز جيلنا هذا على سلفهِ باستغنائهِ في ذلك عن المجرى واسلاكهِ الطويلة الكثيرة النفقات المتعدّدة بعدد وجوه المراسلة او المحادثة اذ ظهر من نحو عشرين سنة التلغراف اللاسلكيّ ومن نحو ١٣ سنة التلفون اللاسلكيّ. ففي عام ١٩٠٢ أرسل مخترعُ التلغراف الاثيري المهندسُ الايطالي مَركوني البرقية الاولى بين اوربّة واميركة. وفي ١٩٠٧ حادثَ مواطنُهُ الملاّمة مايوراما (Majorama) بدون سلك شخصاً يبعد عنهُ ٦٠ كيلو متراً

لكن مهما كان من العجب العجاب في كل هذه الاختراعات ولاسيّما في اللاسلكيَّين اللذين هما من أبهى مفاخر الجيل العشرين فايّ انسان ولو عالماً كان يؤمل في غرّة جيلنا هذا نقل الصور الشمسية بواسطة المجرى الكهربائي في ظرف بضع دقائق الى مسافات بعيدة بالغة آلافاً من الكيلومترات؟ أما كانت هذه الامنيّة في ذلك العهد تُعدّ كرابع المستحيلات. مع ذلك قد صنع هذه المعجزة الاستاذ الالماني كُرن (Korn) من كليّة مونيخ قبل سنة ١٩٠٧. ففي اول شباط من تلك السنة عرض ذلك المبتكر الجسور اختراعهُ على جلّة علماء باريس بحضرة المسيو برتو ناظر الاشغال العمومية حينذاك. فجعل في جهاز الباعث صورة شمسيَّة لرئيس الجمهورية في ذلك العهد اعني المسيو فَليار ونقلها في مدّة وجيزة امام الجمهور المحتشد الى جُليدة فوتغرافيَّة ملفوفة على جهاز القابل. وكان الجهازان ظاهرًا على مسافة بضعة امتار الواحد من الآخر لكنَّ البون الحائل بينهما كان بالغاً في الحقيقة ١،٠٢٤ كيلومتراً لأنَّ الباعث كان موصولاً بالسلك التلفوني المُتّجه من باريس الى ليون والقابل بالسلك العائد من ليون الى باريس. فنجح اختباره نجاحاً باهرًا واخذ الناس يستعينون بهِ ولا سيّما في

البعض من اصحاب اشهر المجلات الفرنسوية والانكليزية. فما عمّ استعمالهُ هذا ان كشف بعض معايب طريقة الاستاذ كُرن فقام رصيفه الفرنسوي ادوار بلان (Belin) وتوفق الى وجود طريقة جديدة خالية من نقائص اختراع سلفهِ . فهلّم بنا الآن نفسّر هاتين الطريقتين على سبيل الايجاز باوضح ما يمكننا من الكلام

١ طريقة الاستاذ الالماني كرن

يشتمل «جهازهُ الباعث» على مصباح زنست ن (انظر الشكل الاول) وهو من أنور المصابيح الكهربائية الجاري استعمالها ذات سُلَيك متأجج . فهو يرسل اشعتهُ على عدسيّة ع تجمعها كلها في المستوقد د . ونقطة المستوقد واقعة على سطح اسطوانة مجوّفة ا من زجاج تدور حول محورها وفي الوقت ذاته تنتقل على طولهِ بسرعة

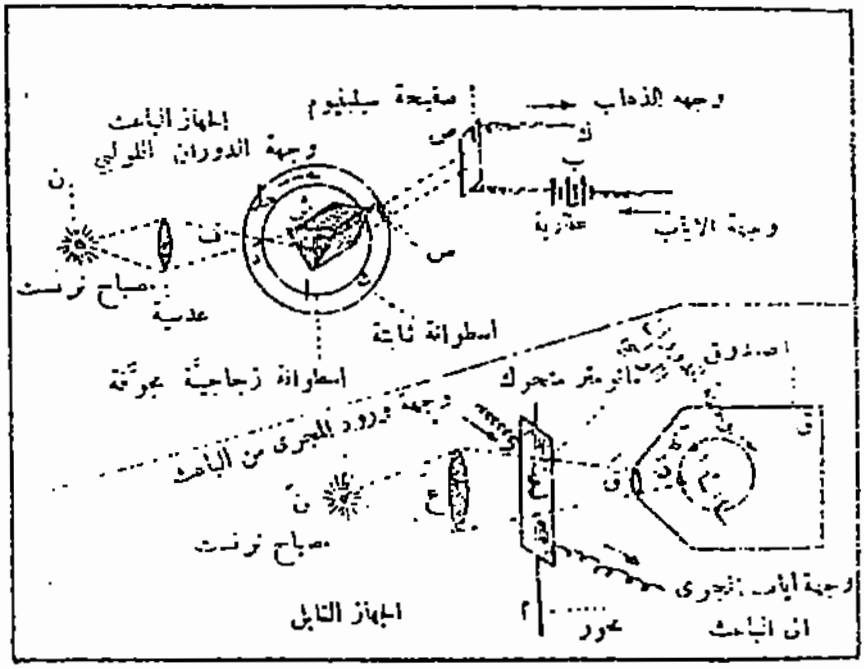

(الشكل الاوّل) نقل الصور الشمسية على طريقة الاستاذ كُرن

متساوية . وقد أُطلق على تلك الحركة المزدوجة اسم الحركة الاولبية . وهي حركة اسطوانات الفونغراف القديم الطرز . وقد لُفّت على الاسطوانة الزجاجيّة ا الجَلَيدة الفوتغراقية المراد نقلها الى الجهاز القابل . وبما ان هذه متحركةٌ مع الاسطوانة بحركة

لولبيّة فمن الواضح ان كل نُقطها ستمرّ الواحدة بعد الاخرى بالنقطة د الثابتة في الفضاء وهي كما اسلفنا مستوقد العدسيّة ع . والاسطوانة ا تحتوي في تجويفها على موشور زجاجي ثابت ش وهي نفسها في داخل اسطوانة ثابتة ث أدمجت في جهتها التي تجتمع فيها الاشعة الصادرة من المستوقد د والعابرة بالموشور ش . والصفيحة ص من معدن السيلينيوم (قد جعلناها في الشكل الاول خارجاً عن الاسطوانة الثابتة لزيادة الوضوح) . وفي مقدّم الاسطوانة الثابتة ث نافذة مستديرة ف صغيرة جداً يمرّ بها النور المنبعث من مصباح نرنست ن قبل انحصاره بأجمعه في المستوقد د . ومن خواصّ معدن السيلينيوم انهُ اذا أُدرج في دائرة مجرًى كهربائي يزيد قوّة هذا المجرى او ينقصها بنسبة ازدياد او نقصان النور الوارد اليه . وتلك المزيّة الغريبة هي الركن الاساسي لاختراع الاستاذ كُرن

قلنا انَّ كل نقطة من الجليدة الفوتغرافيّة الملفوفة على الاسطوانة ا تمرّ بالمستوقد د وذلك بسبب الحركة اللولبية . والحال ان لكل نقطة درجةً معيّنة من البياض والسواد وبعبارة اخرى من النور او الظلمة . وأشعّة المصباح ن المتجمّعة بالمستوقد د تتجمع بكل نقطة من الجليدة حين مرور هذه النقطة بالمستوقد فتنفذ هذه بتمام سطوعها او نقصانهِ او زوالهِ حسبما تكون النقطة بيضاء او بينَ بينَ او سوداء . فيترتب على ذلك ان تلك الاشعة بعد عبورها في الموشور ش تقع على صفيحة السيلينيوم ص بدرجة سطوع مطابقة تماماً لدرجة بياض او سواد النقطة المارّة بالمستوقد . ثم تزيد او تنقص قوة المجرى الكهربائي ك الواصل بين الباعث والقابل بحسب زيادة او نقصان النور الوارد الى صفيحة السيلينيوم ص . فلنبيّن الآن كيف تؤثر تلك تغييرات المجرى على الجهاز القابل

«الجهاز القابل» فيه ايضاً مصباح نرنست نَ يرسل اشعّتهُ على عدسيّة عَ تجمعها في المستوقد دَ بعد دخولها من النافذة المستديرة فَ التي في مقدّم صندوق قَ مقفل من كل جهة . والمستوقد دَ على سطح اسطوانة زجاجية اَ تُشبه تمام الشبه الاسطوانة ا من الباعث وتتحرك مثلها حول المحور م بحركة لولبيّة . ومن الضروري طبعاً ان تحدث هاتان الحركتان بسرعة واحدة وفي وقت واحد بحيث اذا مرّت نقطة معلومة طَ من جُليدة الباعث بمستوقده د تمرّ حينذاك النقطة طَ القابلة

لها في جُليدة القابل بالمستوقد ـدَ . ومن البديهي ان هذه الجليدة الاخيرة هي التي ستُنقل اليها نقطة فنقطةً الصورةُ المرتسمة على جليدة الباعث . ولكن كيف ذلك ؟

قد وُضع بين العدسيّة ـعَ والنافذة ـفَ غلفانومتر ـغ وهو مقياس لقوّة المجرى الواصل اليه من الباعث في النقطة ـد والمنطلق منه الى الباعث في النقطة ـذ . وهذا الغلفانومتر يدور حول محوره ـم دورةً صغيرة او كبيرة بحسب نقصان او زيادة المجرى المارّ به ونهائياً بحسب درجة سواد او بياض النقطة من جليدة الباعث المارّة بمستوقده ـدَ

ثم وفقاً لصغر او كبر دورة الغلفانومتر ـغ الحائل بين العدسيّة ـعَ والنافذة ـفَ تزيد او تنقص الاشعة الواردة من تلك العدسيّة الى المستوقد ـدَ ان لم يَرِد مجرًى الى الغلفانومتر فوجهته عاموديّة بالنسبة الى العدسيّة ـعَ ولذلك قلنا انه بصغر دورته الناشئة طبعاً من ورود مجرى ضعيف تزيد الاشعة الواردة من العدسيّة الى المستوقد ـدَ عمّا تكون عند دورة كبيرة ناجمة عن مجرى شديد

اخيراً بحسب زيادة او نقصان الاشعّة المتجمّعة في المستوقد ـدَ تتأثر كل نقطة من جُليدة القابل المارّة بذلك المستوقد فتصير ذات درجةٍ من البياض او السواد مساويةٍ تماماً للنقطة المقابلة لها في جليدة الباعث . وعلى هذا النمط تُنقل الصورة بواسطة المجرى الكهربائي من الباعث الى القابل

هذا ملخّص اختراع الاستاذ كُرن وقد بلغ في سنة ١٩٠٧ درجةً من الكمال مكّنت صاحبَهُ من نقل صورة ملك انكلترة سابقاً ادوار السابع من مونيخ الى نورمبرغ ثمّ الى مونيخ اياباً في ظرف احدى عشرة دقيقة ونصف لا غير بتاريخ ١٦ كانون الثاني من العام المذكور

والحالة هذه ما الذي حال دون انتشار طريقة كُرن رغماً عن اقبال بعض المجلات المصوّرة الشهيرة على هذا الاختراع منذ نشأته ولاسيّما على جانبي بوغاز المَنش بين فرنسة وانكلترة ؟ ان اتقان الصورة المرتسمة على جليدة القابل يستوجب في جهاز العلّامة الالماني خلوّ دائرة المجرى الكهربائي من ادنى اضطراب طول مدّة العمليّة . والحال ان ذلك قلّما يتمّ لان الاسلاك التلغرافية والتلفونية كثيراً ما تجتمع وتتوفّر بين بلد وآخر فبعضها يؤثر على بعض تأثيراً مزعجاً في طريقة كُرن . وما عتم

الاختبار الطويل ان كشف ذلك العيب الجوهري الـذي لم يظهر من اوّل وهلة . وتأثيرُ الاضطرابات السابق ذكرها على جليدة القابـل هو ان الصورة تُشان بخطوط سوداء متواصلة او مُنقطة تذهب برونق الاصل

ذاك ما حدا بالخبير الفرنسي بلان (Belin) الى ابتكار طريقة جديـدة سالمة من تلك الشوائب فتوفّق بعونه تعالى الى بلوغ مراده كما سترى

٢ طريقة الفرنسوي بلان

لا يوجد فرق جوهري بين قابل بلان والذي ابتكره كرن انما الفرق عظيم بين الباعثين . وهاك بغاية الايجـاز وصف باعث المخترع الفرنسي . يحتوي كجهاز كرن على اسطوانة معدنية ا ذات حركة لولبية قد لُفّت عليها ليس جليدة فوتغرافية كما في الطريقة

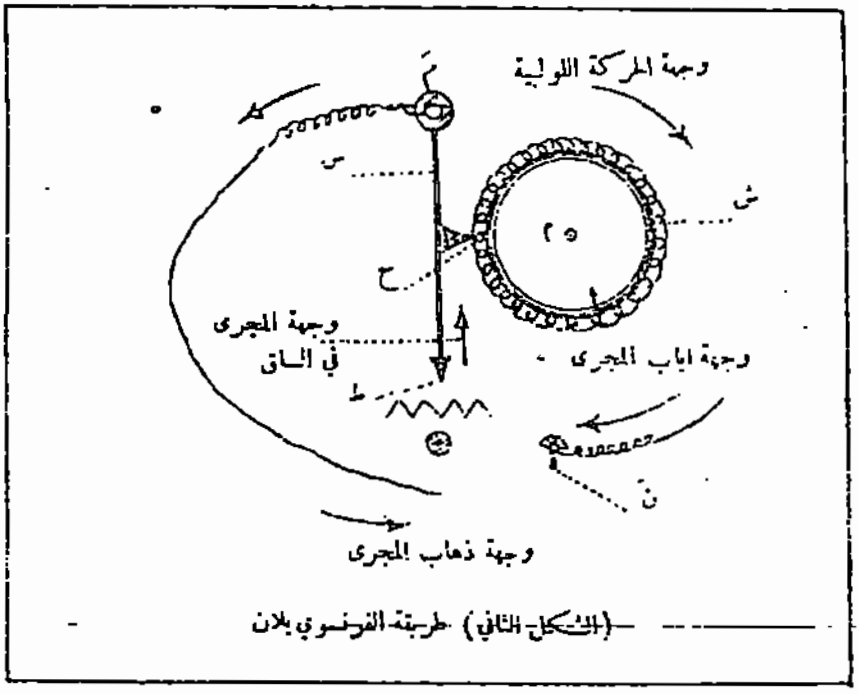

(الشكل الثاني) طريقة الفرنسوي بلان

السابقة بل صورة شمسية ش على ورق سميك . ويلزم ان تكون هذه قد أُخذت على طريقة بُوَتْفان (Poitevin) التي لا مجال هنا للإفاضة في شرحها . حسبنا ان نعرف أنّ في هذه الطريقة سُمك الطبقة الحسّاسة لتأثير النور المخطّية للورق البسيط

يزيد او ينقص بحسب درجة بياض او سواد كل نقطة من الجليدة التي أُخذت منها الصورة. ولذلك رسمنا الصورة الملفوفة على الاسطوانة بوهادٍ وهضاب كبّرناها كثيراً لزيادة الايضاح. ثمَّ تجاه الاسطوانة ساقٌ معدنية ب يمكنها الدوران حول محورها أ ولها على احد جانبيها المتجه الى الصورة المقصود نقلها حدٌّ ح من الصَّفير اي الياقوت الازرق دقيقٌ للغاية ملامس دائماً لسطح الصورة الشمسية ش بفعل زنبرك. فمتى دارت هذه دورتها اللولبية تجيز كلَّ نقطها واحدة بعد اخرى على الحدّ الصَّفيري ح فيصبح بمثابة مِسْبَر يسبُر كل اجزاء الصورة المتفاوتة كثافةً كما اسلفنا. وطرف الساق ب المُشار اليه بحرف ط في الشكل ينتقل حين دورتها حول محورها أ على صفّ أنصاب شتى ن صوّرناها بهيئة حدّ المنشار بخلاف الحقيقة لتقريب وظيفتها من الاذهان. فكلُّ نُصبٍ عُلّق بهِ طَرَف ملفٍّ ذي طول معلوم اذا مسّه طرف الساق ب سبّب في المَجرى الكهربائي الساري فيها مقاومةً لهذا المجرى تختلف درجتُها بنسبة طول الملفّ اللاحق للنصب الممسوس. ومقاومات الملفّ تزيد تدريجاً في الصف ن من اليمين الى اليسار. فحين تمرّ وهدةٌ اي نقطةٌ قليلة الكثافة من الصورة ش بالحدّ الصَّفيري ح يميل هذا يسيراً الى اليمين (انظر الشكل) فيُدير الساق الحاملة له الى تلك الوُجهة فيمسّ طَرَفُ الساق ط نصباً يُدخل في المجرى الكهربائي مقاومةً يسيرة تنقصه بنسبة درجتها. وحين تمرّ هضبة اي نقطة شديدة الكثافة من الصورة ش بالحد الصفيري يميل هذا الى اليسار وينقل طرف الساق الى نصب ذي مقاومة شديدة تُضعف المجرى كثيراً

٣ المقابلة بين الطريقتين

فاذا قابلنا الآن بين قابل كُرن وقابل بلان رأينا ان الاول يسبر كلَّ نقطة جُليدة فوتغرافية بمسبر من النور. اعني بتجمّع اشعّة مصباح زنست في مستوقد عدسيٍّ فينفذ هذا المسبر الشعاعي كل نقطة ثم يَحِل سالماً او ناقصاً بحسب درجة بياض النقطة او سوادها الى صفيحة سيلينيوم تزيد او تُنقص المجرى الكهربائي التي هي مندمجة فيها بنسبة درجة سطوع المسبر الشعاعي الواصل اليها. اما مسبر بلان فهو حدٌّ صَفيري ينتقل على كل نقطة صورة شمسية على ورق فيميل بوهادها يميناً وبهضابها

يساراً وبتلك الحركات المختلفة المتوالية يجعل طرفَ الساق التي تحملهُ وبها يمرّ المجرى الكهربائي مماساً لانصاب ذات مقاومات متفاوتة تُنقص او تزيد المجرى بنسبة درجة كثافة كلّ نقطة يسبرها الحدُّ الصَّغيري

هلُمّ بنا الآن نفحص عن اية الطريقتين لها قصب السبق على الاخرى. (اوّلاً) انّ باعث بلان أبسطُ بدون قياس من باعث الاستاذ كُرن كما يتضح من مجرَّد النظر الى رسميهما. (ثانياً) مدَّة ارسال الصورة الفوتغرافية على الطريقة الالمانية كانت نحو ربع ساعة ونظراً لطولها كثيراً ما كانت تحدث فيها الاضطرابات الكهربائية الشائنة لكمال الصورة المرتسمة في قابل كُرن وقد ألفتنا الانظار اليها سابقاً. اما طريقة بلان فقد مكَّنتهُ منذ اوائل سنة ١٩٠٩ وهي تقريباً في نشأتها من ارسال صورة حاكم ليون من هذه المدينة الى باريس في ظرف خمس دقائق وعشرين ثانية لا غير. ورغماً من هذا قِصر الوقت العجيب قد وصلت تلك الصورة الى العاصمة بغاية الوضوح في كل اجزائها فيوقن الناظر اليها انها خارجة من معمل احد المصوّرين الشمسيّين. وقد رأيناها اثناء كتابة هذه المقالة ممثّلةً في احدى المجلّات الفرنسوية الشهيرة فأعجبنا بها. (ثالثاً) ان طريقة كُرن لا تنطبق الّا على الجُلَيدات الفوتغرافيَّة. امّا اسلوب بلان فهو مناسبٌ ايضاً بادخال تغييرات جزئية لارسال كلّ مخطوط او رسم بسيط بشرط ان تكون نقطهُ المختلفة متفاوتةً في النتوء او الكثافة وكثيراً ما يتمّ ذلك

فينتج من هذه المقايسة الدقيقة بين ابتكار كُرن واختراع بلان ان لهذا السهم الفائز. امّا فوائد نقل الصور الشمسية بالمجرى الكهربائي وقد أُطلق عليها في اوربة اسم التلافوتغرافية (téléphotographie) فهي واضحة لكل ذي عينين. هي التي مكّنت مجلاّت شهيرة مثل الإلستراسيون (L'Illustration) وجرائد يوميّة ذائعة الصيت مثل إكسلسيور (Excelsior) — وكلتاهما صادرة في باريس — من ان تنشرا اسبوعاً فاسبوعاً بل يوماً فيوماً صور الحوادث الهامّة ورجالها المستلفتين انظار كل المجتمع الانساني. فلولا التلافوتغرافيَّة لتعذّرت المقارنة بين الواقعات اليومية وصورها التي تكاد تحييها لنظر ملايين من الذين لم يعاينوها فتزداد بذلك معرفة حوادث العمور فائدةً وكمالاً ولا سيّما لذّةً فانّ الاختبار اليومي يثبت إقبال الاحداث والكهول على معاينة الصُوَر خصوصاً اذا كان موضوعها ماجريات العالم

٤ امكان التراني عن بعد

قبل ختام مقالتنا هذه لا نتمالك ان نلقي نظر البحث الى مسألة هامّة بل مُنية بعيدة طالما اشرأبت اليها اعناق العلماء والمخترعين نعني بذلك التراني عن بُعدٍ ايّةً كانت المسافة الفاصلة بين الشخصين. والحق يقال لم تدنُ تلك الامنيّة السحيقة الى أمل جهابذة العلماء الّا بعد تحقّق التحادث عن بُعد بواسطة التلفون ولا سيّما حين اصبح لاسلكيًّا وهو الآن جاري الاستعمال خصوصاً في الولايات المتحدة. لعمري ما اعظم سعادة الامّ السورية التي هاجر ابنُها وفلذةُ كبدها الى نويرك مثلًا لو استطاعت ليس فقط ان تسمع كل نبرات صوته المحبوب بالتلفون اللاسلكي بل ان تمتّع مقلتيها بمشاهدة كل تقاطيع محيّاه المرتسم بخطوط نارية في اعماق فؤادها الوالدي الشديد التألم من مضض النوى

فتلك السعادة الغريبة التي كانت بغرّة هذا الجيل يعدّها العلماء مستحيلةً اضحت اليوم بفضل التلافوتغرافيّة من الممكنات بل ممّا يُحتمل تحقيقهُ في عصرنا هذا مُولِد العجائب باختراعات لا تُحصى كالطيران والمواصلات اللاسلكية. وهاك دليلين لتوطيد مدّعانا. (الاول) ان من الامور الجارية اليوم ارسال الصور الفوتغرافية في خمس دقائق بل اقلّ الى مسافة تزيد عن الف كيلو متر. (والثاني) انهُ لا يوجد نظريًّا ادنى مانع يحول دون بثها من اقصى العالم الى اقصاه وان تكاثرت العوائق العمليّة في قطع المسافات البعيدة جوًّا ولاسيّما ان لزم عبور بحرٍ محيط واسع كالاطلنتيك. وهل من عجبٍ في ذلك؟ أليس امرًا ثابتاً بالتاريخ وبالاختبار اليومي ان المواصلات البحرية بوجه الإجمال اصعب بدون قياس من المواصلات البرّيّة. هذا التلغراف الكهربائي يرقى اختراعهُ على يد فرنسوي الى سنة ١٧٧٠ ومع ذلك فانّ اول برقيّة جازت الاطلنتيك اتت من جزيرة الارض الجديدة الى اوربة بتاريخ ١٢ آب سنة ١٨٥٨ اعني ٨٨ سنة بعد اختراعه المذكور. والحالة هذه لا يُستبعد امكان المواصلات التلافوتغرافيّة بين اوربة واميركة بل بين هذه والشرق الادنى في الجيل العشرين. فاذا تمّ ذلك استطاعت الوالدة السورية التي ضربناها مثلًا فيما سبق ان ترى في بيروت او دمشق او حلب صورة ابنها القاطن في نويرك بضع دقائق بعد إرسالها من هناك. تلك سعادةٌ عظمى

فانّ الوالدة ترى على هذا المنوال الغريبِ ولدَها كما هو حالاً ليس كما كان من مدة اسبوعين او اكثر

ولكن اين ذلك من فرح الترائي الحقيقي الذي يرى فيه القريب قريبهُ والحبيب حبيبه ليس بحالة الجمود والصمت بل يسمع كل رنّات صوته الشائق ويرنو الى كل ما تنطق بهِ تغييرات محيّاه من عواطف الوداد والأُنس . فهل كل ذلك ايضاً دخل الآن بفضل التلافوتغرافية في حيّز الإمكان ؟ أُجيب أَجل ثم اجل ولست اخشى تكذيب مكذّب . (اوّلاً) ان المحادثة بل المحادثة اللاسلكيّة بين اوربة واميركة تحققت منذ ٥ سنوات بنيّف فانها جرَت اول مرّة بين برج إيفل في باريس وبين واشنطن في تشرين الاول سنة ١٩١٥ . (ثانياً) ان الترائي لا يختلف جوهريًّا عن ارسال صورة فوتغرافيّة بل يقتضي فقط بعث «فِلم» (film) سينماتغرافي اعني شريطاً طويلاً من جُليدات فوتغرافيّة تُمثِّل كل حركات وسكنات الشخص المُصوَّر . ثم يلزم لإمكان الترائي ان تَرِد تلك صورُ الفِلم من نويرك الى بيروت مثلاً بحساب عشرة على الاقل في الثانية . فان تمّ ذلك وتتابعت تلك الصور مُنارةً بنور شديد ومُكبّرةً على حاجز قماشي كما في ردهات السينماتغراف فلا ينقص الترائيَ شيء

ومن معترضٍ يقاطعنا بقوله : كيف يُحتمل امكان بعث عشر صور على الاقل في الثانية حال كون ارسال صورة واحدة بالتلافوتغرافية يستغرق على طريقة بِلان المكمّلة نحو خمس دقائق ؟ ذاك الاعتراض معقول وهذا جوابي عليهِ . الوقت المشار اليه ضروري لبعث صورة ذات كبر اعتيادي امّا صور الفِلم السينماتغرافي الكافية لحلّ مُشكل الترائي عن بُعد فلا مانع من ان تكون عشر مرّات اصغر من الصور المعتادة بل عشرين مرّة بشرط ان تؤخذ بواسطة جهاز فوتغرافي بغاية الكمال . فاذا اعتمدنا على درجة الصغر الاخيرة قد يمكن حاضراً ارسال صورة فِلميّة صغيرة هكذا في جزء من عشرين من خمس دقائق اعني في ١٥ ثانية . فيترتّب على ذلك ان مكان الترائي التلافوتغرافي المقتضي بعث عشر صور على الاقلّ في الثانية متوقّف حاضراً على زيادة سرعة الارسال مائة وخمسين ضعفاً فمَن يتجاسر ويستطيع دون الحياد عن جادّة الصواب ان يؤكد استحالة بلوغ تلك السرعة وإن لم يختلف اثنان في صعوبتها

وهاك ايضاً شهادة احد نوابغ فرنسة تأييداً لحجتنا :

انّ العالم الفرنسوي جورج كلود (Claude) المشهور باختراعه طريقةً مكمّلة لاصطناع الهواء المائع قد نشر سنة ١٩٠٥ مؤلّفًا حسنًا على الكهرباء خصّص فيه فصلًا كاملًا لإرسال الصور الشمسيَّة بواسطة المجرى الكهربائي . ومن عجيب امره انهُ تنبّأ فيه سنتين على الاقلّ قبل اختراع الاستاذ كُرن لاوّل جهاز تلافوتغرافي بإمكان ذلك النوع الغريب من المواصلات . بل سبقت قريحتُهُ الوقّادة فوصفت بدقّة عجيبة ما يقتضيهِ ذلك من الادوات والعمليّات المختلفة في الباعث والقابل وأشار في وصف الاول الى فائدة استخدام معدن السيلينيوم الذي استعمله فعلًا المخترع الالماني . ثم ان جورج كلود في نفس الكتاب المنوّه به يصرّح بان الترائي التلافوتغرافي المقتضي بعث عشر صور على الاقل في الثانية يمكن على الارجح تحقيقهُ رغماً عن الصعوبات العظيمة الحائلة دون ذلك . ولا شك عند من يعرف قيمة هذا العالم والمخترع المشهور ان قوله الاخير جدير بالتصديق ولا سيّما ان قولهُ الاول النبوي قد تمّ حرفيًا بكل تفاصيلهِ الدقيقة عامين ليس الّا بعد ان فاه به . وكفى بذلك دليلًا باهرًا على سموّ عقله وبُعد نظره

زد على ذلك ان كلّ ما سبق من بحثنا وحدسنا لم يخرج عن دائرة التلافوتغرافيّة السلكيّة وهي ضيّقة النطاق . فكم يتّسع امامنا مجال الامل في دنوّ تحقق الترائي عن بُعد ان اصبح لاسلكيًّا . وهنا ايضاً مَن مِن جهابذة العلم انفسهم يقدر ان يُصرّح بامتناع ذلك الترقي . لو كنتَ استفتيتَهم في غرّة هذا الجيل عن امكان التحادث التلفوني اللاسلكي . أما كان كثيرٌ منهم ان لم نقل السواد الاعظم صرّحوا لك بانّ تلك الامنيّة هي اشبه شيء ببيضة الديك ؟ وهل تجهل ان طائفة من ائمّة الرياضيّين الغائصين في بحر النظريّات المستخفّين بالعمليّات والمتعامين عنها جاهروا غير مرّة بناء على حساباتهم الدقيقة العميقة باستحالة فنّ الطيران اي انقياد الانسان في مركبة اثقل من الهواء . أيّةً كانت الوسائل المستخدمة لبلوغ هذه الغاية ؟ فما عمّت الحوادث التي لا يستطيع انكارها مُكابر ان كذّبت هؤلاء المدّعين بمعرفة ما تعجز القوى الطبيعيّة عن ادراكه من افانين الاختراعات العجيبة . ويا ليت اولئك الانبياء الكذبة يرتشدون بتلك العبرة المُبطلة لدعواهم !

واخيرًا ربما سألنا سائل بعد إمعانهِ النظر في وصفنا الآنف لجهازي كُرن وبيلان

بدقتها وتركيبها للعقد الذي ليس فيه ادنى اداة باطلة وكيف يُحتمل إمكان الاستغناء عن كل تلك الاجهزة الكثيرة الاجزاء والوظائف لمجرّد استخدام اللاسلكي اي التموّجات الكهربائية الاثيرية ؟ فجوابنا على هذ السؤال الحصيف ان التلافوتغرافية اللاسلكية تغني ضرورةً سلك المواصلة ولكنها لا تطرح جانباً بقيّة الاجهزة كما ان التلغراف والتلفون اللاسلكيين لا يقومان بدون باعث وقابل يفوقان كثيراً بتعقيدهما اجهزة المواصلات السلكية . فمن يجهل مثلاً ضرورة تشييد صوارٍ عالية جداً للتمكن من العلاقات اللاسلكيّة ؟

والحالة هذه يكفي لتحقّق التلافوتغرافية الاثيريّة ايجاد مِسبَر يسبر كل اجزاء الصورة المقصود إرسالها فيُحدث في حين مماسّته لكلّ نقطة تموّجات كهربائية تناسب درجةُ شدّتها درجةَ بياض او سواد النقطة الممسوسة . وبعبارة اخرى ما احدثهُ مِسبَرا كُرن وبلان من التغيرات في المجرى الكهربائي الناقل للصورة لا نرى وجه امتناع إحداثه في التموجات الاثيرية . ولنا شاهدان جليّان على امكان الاستغناء بهذه عن ذاك في التلغراف والتلفون اللاسلكيّين

فينتج من الايضاحات السابقة التي استوجبت بعض الافاضة في الشرح ان التحادث اللاسلكي امرٌ متحقق منذ نحو خمسة اعوام وان التراني بحصر المعنى اي بدون تحادث لكن برأى كل شخص لحركات الآخر وسكناته أمرٌ لا يقتضي ايجادهُ سوى زيادة سرعة الارسال الحاضرة نحو مائة وخمسين ضعفاً بل يُحتمل تحققه بالطريقة اللاسلكية . فاذا يعوق الآن تحقّق التراني والتحادث معاً وهما ضروريّان لكمال المؤانسة ؟ لعمري اذا سلّمنا بامكان كلٍّ من الامرين بمفردهِ فلا مندوحة لنا من الاقرار بامكانهما مجتمعَين . ولنا ايضاً شاهد على ذلك في السينماتغراف المتكلّم الذي وان لم يكن جاري الاستعمال بسبب وعورة مسلكهِ وكثرة نفقاته فقد دخل في حيّز الوجود منذ ١٥ سنة على الاقلّ وقد حضرنا احد مشاهدهِ حول سنة ١٩٠٦ في ثغر الاسكندرية

فيسوغ لنا في آخر هذا المبحث العويص الشائق ان نُسَرّ بكوننا استدرجنا القارئ اللبيب فبيّنا لهُ إمكان الجمع بين التراني والتحادث عن بُعد حتى بين اميركة والشرق الادنى بل على الاسلوب اللاسلكي . ويلوح لنا اننا لم نحدْ ثمرةً

عن المبادئ العلمية الراهنة في كل الادلة التي اوردناها لتأييد ذلك الإمكان الذي سيضحي ان تحقق يوماً ما اعجوبة العجائب الناتجة من قوة العقل البشري الناطقة الف مرة افصح من سواها بسيادة الانسان المطلقة على العالم المادي رغماً من عدم التناسب الناجم بين فرط ضعف جسمه والقوى الكونية الهائلة التي اذلها مرغومة الانف لسلطانه السامي . وأيم الحق ما اعظم قدرة الله جلّ جلاله حيث استطاع بمجرّد مشيئته ان ينفخ حفنة الطين التي جُبل منها جثمان جدّ البشر بروح صاغها على مثال ذاته سبحانه وتعالى فسلّطها بواسطة العقل على العالم الهيولي وقدّرها على فتح كل بمالكه حتى الاشدّ خفاء ومناعة

ولا نتمالك أن نزيد على ملحوظنا السابق اعتباراً فلسفياً آخر جليل الفائدة وهو هذا : ان كان من المؤكد الذي لا يحوم عليه ادنى ريب ان امراء العلم انفسهم جاهلون — واي جهل ! — لحدود القوى الطبيعية عاجزون في كثير من الاحوال عجزاً مطلقاً عن التصريح اليقيني بما هو في دائرة الإمكان وما هو خارج عنها فما اعظم قحة الزنديق في رذله كل الكائنات والحقائق اللامادية الفائقة لحواسه بحجة تعذّر إحاطته بغامض اسرارها . بل ما اشدّ جنون المؤمن بوجود الله وروحانية النفس وخلودها بنعيم الآخرة او جحيمها ان يكتفي بقبول تلك الحقائق التي يدركها عقله ويَنبذ نَبذ النواة الحقائق الفائقة الادراك التي تنازل رب العباد واوحى بها الينا على لسان انبيائه الكرام ولا سيما ابنه الوحيد سيدنا يسوع المسيح له المجد والجلال والملك الى دهر الداهرين !

التعليم الاجباري

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

كنّا انتقدنا في بعض اعداد سنتَي المشرق الحادية عشرة والثانية عشرة (١٩٠٨ و ١٩٠٩) «الفاظاً سحريّة» شاعت في زماننا على ألسنة الناس ولا تزال تمرّ بها الجرائد وتُطبّل كأنّ سعادة البشر تتوقف عليها وهي اشبه بالسراب ينخدع بهِ التائه في

عن المبادئ العلمية الراهنة في كل الادلة التي اوردناها لتأييد ذلك الإمكان الذي سيضحي ان تحقق يوماً ما اعجوبة العجائب الناتجة من قوة العقل البشري الناطقة الف مرة افصح من سواها بسيادة الانسان المطلقة على العالم المادي رغماً من عدم التناسب الناجم بين فرط ضعف جسمه والقوى الكونية الهائلة التي اذلها مرغومة الانف لسلطانه السامي . وأيم الحق ما اعظم قدرة الله جلّ جلاله حيث استطاع بمجرّد مشيئته ان ينفخ حفنة الطين التي جُبل منها جثمان جدّ البشر بروح صاغها على مثال ذاته سبحانه وتعالى فسلّطها بواسطة العقل على العالم الهيولي وقدّرها على فتح كل بمالكه حتى الاشدّ خفاء ومناعة

ولا نتمالك أن نزيد على ملحوظنا السابق اعتباراً فلسفياً آخر جليل الفائدة وهو هذا : ان كان من المؤكد الذي لا يحوم عليه ادنى ريب ان امراء العلم انفسهم جاهلون — واي جهل ! — لحدود القوى الطبيعية عاجزون في كثير من الاحوال عجزاً مطلقاً عن التصريح اليقيني بما هو في دائرة الإمكان وما هو خارج عنها فما اعظم قحة الزنديق في رذله كل الكائنات والحقائق اللامادية الفائقة لحواسه بحجة تعذّر إحاطته بغامض اسرارها . بل ما اشدّ جنون المؤمن بوجود الله وروحانية النفس وخلودها بنعيم الآخرة او جحيمها ان يكتفي بقبول تلك الحقائق التي يدركها عقله ويَنبذ نَبذ النواة الحقائق الفائقة الادراك التي تنازل رب العباد واوحى بها الينا على لسان انبيائه الكرام ولا سيما ابنه الوحيد سيدنا يسوع المسيح له المجد والجلال والملك الى دهر الداهرين !

التعليم الاجباري

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

كنّا انتقدنا في بعض اعداد سنتَي المشرق الحادية عشرة والثانية عشرة (١٩٠٨ و ١٩٠٩) «الفاظاً سحريّة» شاعت في زماننا على ألسنة الناس ولا تزال تمرّ بها الجرائد وتُطبّل كأنّ سعادة البشر تتوقف عليها وهي اشبه بالسراب ينخدع بهِ التائه في

الصحاري فلا يلبث ان يقف على ضلالهِ فيزيد اسفهُ . فمن ذلك الحرّية والمساواة والاخاء والتساهل والتمدُّن نسمع بها ولا يكاد يرينا المنادون بها غير نشرتها

وفي باب التعليم والمدارس مفرداتٌ يردّدها المتشدّقون ويبنون عليها كل الاماني الطيّبة وينتظرون منها حلّ كلّ مشاكل المجتمع الانساني . فهذا يطرئ المدارس العلمانية وقد فنّدنا سابقاً اوهام القائلين بها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٦٢٠ و ٦٩٠) وذاك يطلب المدارس الوطنيّة كأنَّ المتخرّجين في مدارس الاجانب لم يكونوا عادةً في مقدّمة السُّعاة في ترقية الوطن ومنهم فقهنا معنى الوطنيّة فمات بعضهم شهداء حبّهم للوطن (راجع مقالة شهيدي لبنان وكلاهما تخرّج في مدارس الاجانب) ومعظم الذين يعوَّل عليهم اليوم في نهضة الوطن رضعوا افاويق العلوم في مدارس الاجانب . ويطنطن غيرهم بالمدارس المجانيّة كانهم لم يُسبَقوا اليها منذ ثمانين سنةً . فالرهبانيّات الاوربيّة التي خدمت بلادنا بالتهذيب والعلوم قبل الحرب الكونيّة انشأت مئات من هذه المدارس للذكور والإناث . فان كانت الآداب انتشرت في هذه البلاد السوريّة فلهم يعود معظم الفضل وكانوا يجمعون النفقات من اهل الكرم في فرنسة لفتح هذه المدارس المجانيّة . امّا الدُّول فاذا انشأتها لا تصرف عليها من مالها الخاص بل من الضرائب التي تتقاضاها على الشعب . فتلك اذن كلُّها اسماء بلا اجسام . يكفي العاقل ان يعتبرها ملياً ليكتشف ما وراءها من البهرجة والتزويق الباطل

ومن التمويهات التي عمدت اليها بعض الجرائد في هذه المدّة الاخيرة « التعليم الاجباري » فنسبت اليه تمدُّن الدول الاوربيّة ورقيّها كما نسبت تأخّر بلادنا لخلوّها منها فأحببنا مجاراتها في هذا الميدان لنرى ما في قولها من الصلاحيّة فنؤيّدهُ او عدمها فنفنّدهُ

طرفٌ في تاريخ التعليم الاجباري

انَّ من اطّلع على تواريخ الامم الراقية التي يُنسب اليها بلوغ اوج التمدُّن بين قدماء الشعوب كالمصريين والبابليين واليونان والرومان حيث كانت الحضارة نامية والآداب معزّزة لا يجد فيها أثرًا لما يُدعى بالتعليم الالزاميّ او الاجباري وغاية ما كان يُعنى بهِ ارباب الدول انّهم كانوا يجلُون الآداب والأدباء ويمنحون الامتيازات لمن برزَ في العلم واذا انشأوا المدارس العموميّة رغّبوا الاهلين والاحداث في تربيتها

وتهذيبها واناطوا الى المتخرجين فيها المناصب الشريفة وقلدوهم الرتب المنيفة

وما قولنا الآن بالشعوب المسيحيَّة فانَّ الكنيسة ما كانت تبسط سلطانها على احد الاقطار حتَّى تُسرع الى نشر الديانة والعلوم معاً . فان كانت تشيّد بيعةً كانت تضيف اليها مدرسة للاحداث . ومثلها الرهبانيَّات التي نشأت في حجر الكنيسة فانَّ كلَّ دير من اديار الرهبان كان في الغالب يشتمل على دار للعلوم يتقاطر اليه اولاد الاغنياء والفقراء معاً بكل ارتياح دون إجبار ولا كراهية . ولو اردنا سرد تاريخ تلك المدارس في كلّ بلدٍ من بلدان الشرق والغرب معاً لما حصرتهُ المجلَّدات الضخمة . كفى بذكر مدارس الاسكندريَّة وانطاكية والرها ونصيبين وبيروت في الشرق ثم مدارس رومية وميلانو وجبل كاسين وليون وباريس واكس لاشابل وتريف ومئات غيرها في الغرب . وقد تخصَّصت عدَّة رهبانيَّات لتعليم الناشئة نخصّ منها بالذكر رهبانيَّة القديس مبارك بكل فروعها ثم الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ جماعة اخوة المدارس المسيحيَّة

وكانت الكنيسة اذا عقدت مجمعاً عموميًّا او خصوصيًّا لا يبرح من فكر المندوبين اليه الوصاة بانشاء المدارس للاحداث وحسن تربية الشبيبة . حتَّى اقرَّ اعداء الكنيسة نفسهم أنها نالت السبق في تعميم العلوم . قال الوزير غيزو وهو بروتستاني النحلة في مجلس النواب في فرنسة في ١٦ آذار سنة ١٨٥٥ : «انَّ فرنسة لكثرة ما كان فيها من المدارس قبل سنة ١٧٨٩ بفضل الرهبانيَّات العديدة والمنشآت الدينيَّة وغيرها اصابت قصبة السبق على كلّ الدول . لكنَّها الآن (اي السنة ١٨٥٥) قد انحطَّت عن مقامها حتى صارت في مؤخر كلّ الدول »

ولمَّا كان اكبر اسباب ذاك التأخر منافاة المدارس الدينيَّة وسعي الجمهوريَّة الاولى باحتكار التعليم ووضع المدارس في عهدة الحكومة وحدها

ثمَّ أُعيدت الحرِّيَّة سنة ١٨٥٠ للكنيسة وارباب ولرؤساء الرهبانيَّات لفتح المدارس الدينيَّة فعاد معها إقبال العموم على المدارس الابتدائيَّة والثانويَّة خصوصاً حتَّى انَّ وزير المعارف ڤكتور دورويّ في عهد نابليون الثالث تخوَّف من نموها العظيم فقال سنة ١٨٦٣ «اذا بقيت المدارس المنشأة من الرهبان على ترقيها سيأتي زمنٌ قريب لن يبقى في فرنسة مدرسة علمانيَّة واحدة »

والحقُّ يقال انَّ هذا النموّ المتواصل قلَّل عدد الاميين في فرنسة حتَّى سقط الى

قريب من عشرة في المئة قبل سنة ١٨٨٢ باقرار ارباب الحكومة نفسها كما سترى

ففي هذه السنة سعى وزير المعارف جول فري بوضع سُنَّة التعليم الاجباري ولم يزل ينادي بها ويحرّض على تصديقها ويموّه في بيان منافعها لتعميم العلم حتّى فاز بغايته وأُدرجت شريعة التعليم الالزامي في دستور الدولة

وهذه سُنَّة الاجبار دخلت ايضاً في بلاد غير فرنسة كالولايات المتّحدة وانكلترة لكنّها لطّفتها كثيراً بمنحها الحرّيّة التامّة لعناصرها وارباب اديانها بأن يفتحوا المدارس الحرّة ويهذّبوا الشبيبة كما يشاؤون على حسب روح دينهم واساليبهم التعليميّة فمنعت الشريعة على هذه الصورة كثيراً من اضرارها. لأنَّ نفي العلم الديني يقلّل ثقة الاهلين بالمدارس الاجباريّة. واذا كانوا فقراء لا طاقة لهم بوضع اولادهم في المدارس الدينيّة الحرّة يفضّلون البقاء على جهلهم من ارسالهم الى المدارس اللادينيّة

امّا فرنسة فزادت شريعتها حراجةً بوضع سنّة أُخرى سنة ١٨٨٦ اذ حرمت التعليم على الرهبانيّات غير المأذونة ثمّ الحقتها بشريعة ثالثة في منع التعليم على الرهبانيّات المأذونة ايضاً سنة ١٩٠١ فأقفلت الوفاً من المدارس الدينيّة ليخلو الجوّ لمدارس الحكومة وحدها اي العلمانيّة اللادينيّة او قُلْ بالحري المعاكسة للدين وهي الداهية الدهياء. وانّما سُمح للكاثوليك انشاء مدارس دينيّة على نفقتهم يديرها غير الرهبان دون ان يستفيدوا شيئاً من الضرائب العموميّة كأنَّ الاهلين لا يمكنهم ان يتمتّعوا من فائدتها الّا بتخريج اولادهم في مدارس الحكومة مع كونهم شاطروا الفرنسويين كلهم في دفع تلك الضرائب

الدواعي الى التعليم الاجباري

لا شكّ انَّ القارئ وجد بين سُنَّة التعليم الاجباري ومطاردة الرهبانيّات المرصّدة للتعليم تناقضاً ظاهراً فيتساءل كيف التوفيق بينهما وما الداعي الى حصر التعليم في ايدي الدولة بوضع النواميس لإلغاء المدارس الدينيّة

لذلك سببان: الواحد اختلاقيّ تمويهيّ كاذب نودي بهِ لمخادعة العموم وكَمِّ أفواه المحتجّين. وهو انَّ التعليم الاجباريّ لا بُدَّ منهُ لتعميم العلم بين كلّ أحداث البلاد. وقد ثبت بالامتحان الذي اشرنا اليهِ انَّ انتشار العلم يزيد على قدر ما تُمنح الحرّيّة

لكل عناصر الدولة ولاسيما ارباب الدين والرهبان وكما سترى قريباً في بيان نتائج التعليم الالزامي

والسبب الثاني وهو الحقيقي لم يُعلَن به جهاراً وانما صرّحت به الجمعيات السرّية وهو قتل الدين في المدارس وتخريج الشبيبة على المبادئ الاباحيّة الكفريّة لتكون المدارس العلمانيّة الرسميّة هي الكلّ في الكلّ فيخلو الجوّ لاعداء الدين ليسطوا على عقول الصغار ويبذروا في قلوبهم بذور الكفر والفساد

وليس قولنا هذا وهماً فرياً بلا سند فانّ الفرمسون صرّحوا بنيّتهم غير مرّة بحيث لا يبقى في الامر ادنى ريب. وقد اثبتنا في كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» (٣ : ٣٣) فصلاً واسعاً اوردنا فيه اقوالهم في مجتمعاتهم السرّية منقولةً عن النشرات الرسميّة التي وقفنا عليها. وقد كانت المحافل الماسونيّة سبقت وسنّتها في «هياكلها» قال الاخ «لوبلتيه (Lepelletier) سنة ١٨٨١ أسنّ مجلسُ العموم التعليم «المجاني العلمانيّ الاجباريّ» : انّ الشريعة التي اشترعها آخراً مجلس العموم انما هي الشريعة التي سبقنا وقرّرناها في محافلنا منذ سنين عديدة بحرفها الواحد فحصلنا اخيراً على مرغوبنا». وكان المسيو پول برت (Paul Bert) كاتب لجنة التعليم الاجباريّ ادّعى زوراً بدفاعه عن شريعة التعليم العلماني الاجباريّ «انّ اصحاب الدين ليسوا اهلاً لتربية الاولاد وإعدادهم للعيشة العائليّة والمجتمع البشري وذلك لاعتبارهم الزيجة ادنى شأناً من العزوبة» لكنّ الاخ «فرُوليا (Ferrouillat) المدافع عن الشريعة ذاتها في مجلس الشيوخ كان اصدق لهجةً بقوله «انّ السبب الحقيقي لمطالبتنا بهذه الشريعة انّ إله اللوائح المدرسيّة هو غير إله الجمعيّات الرهبانيّة. الهنا هو إله الفلسفة اله الديانة الطبيعيّة ليس إله الوحي»

وكان في جملة مقاصد المؤتمر الماسونيّ المنعقد في ليون سنة ١٩٠٥ البند الآتي: «يجب الغاء كلّ تعليم ايّاً كان ابتدائياً او ثانوياً غير التعليم العلماني ولذلك لا بُدّ من نزع التعليم من كلّ الجمعيّات الدينيّة»

فالتعليم الاجباريّ اذن احد الاسلحة الماسونيّة لا يُراد به الّا محاربة الدين وارباب لتنزع منهم أقدس حقوقهم التي خوّلهم ايّاها الدين وثقة الشعوب وتقاليد الامم المتواصلة

نتائج التعليم الاجباري

انَّ الذين يطلبون وضع سنَّة التعليم الاجباري يستندون عادةً الى فرنسة التي يعتبرون شرائعها مثال العدل والحكمة ويا ليتنا كنَّا نستطيع ان نوافقهم في حكمهم بخصوص التعليم الاجباريّ . ولئلَّا ينسبنا احد الى الغرض الشخصيّ نورد هنا شواهد من ارباب الحكومة الفرنسويَّة نفسها وهم يقرُّون بعدم صلاح سنَّة التعليم الاجباريّ وأضراره ونؤيد قولنا بالتقاويم الرسميَّة التي اصدرتها الحكومة

ولإثبات الامر لا بُدَّ من المقابلة بين مـا قرَّرتهُ الحكومة عن شيوع التعليم في فرنسة قبل وضع شريعة التعليم الاجباريّ في ٢٨ آذار سنة ١٨٨٢ وبعدها . ولنا على ذلك شاهد صادق في قرار المسيو پول برت المعروف بعاداته للدين الذي قدَّمهُ لمجلس الشيوخ ليلتمس به شريعة التعليم الالزاميّ قال : «انَّ في فرنسة حاضراً (١٨٨١—١٨٨٢) عُشر الاولاد البالغين هم اميون يجهلون القراءة والكتابة » . اما مسيو بريان رئيس المجلس الحالي فادَّعى انَّ عدد الاميين كان وقتئذٍ ١٤ بالمئة . لعمري وان سلَّمنا بتقويم المسيو بريان نرى كلا العددين قليلاً وما ذلك الَّا بفضل المدارس الدينيَّة التي كانت الجمعيَّات الرهبانيَّة العديدة من كهنة ولاسيَّما اخوة المدارس المسيحيَّة وغيرهم انشأوها في كلّ مكان فكان الاولاد يقبلون اليها بكل ارتياح من تلقاء نفسهم دون اكراه ولا إجبار

فما مرَّ على شريعة التعليم الاجباري ١٨ سنة بعد ان أُقفلت الوفٌ من المدارس الدينيَّة التي كان يديرها الرهبان واضطرَّ الكاثوليك ان يفتحوا على نفقتهم مدارس حرَّة غيرها حتَّى زاد عدد الاميّين فبلغ قريباً من ٢٥ بالمئة اي ضعف عددهم قبل شريعة التعليم الالزاميّ . وذلك باقرار المسيو بريان عينهِ سنة ١٩٠٠ . ومن ذاك الحين نرى هذا العدد يزيد كلَّ سنة لنفور الاهلين من المدارس الالزاميَّة مع ازدياد عـدد التلاميذ في المدارس الكاثوليكيَّة

ولدينا قوائم نقص التلاميذ في مدارس الحكومة للسنة ١٩٠٣ وما بعدها فترى كلَّ سنة عددهم يقلّ في كلّ مقاطعة من مقاطعات فرنسة حتَّى نادى الراديكاليون

ذاتهم بالويل والثبور . ولما أُعلن بالحرب الكونيَّة الاخيرة اخذ رؤساء الجيش العجب العجاب من عدد الاميين في فرنسة

ولا يظنَّنَّ احد ان الحكومة ضنَّت بمالها واقتصدت من مصروفها على مدارسها . فالامر على خلاف ذلك فانَّ ميزانيَّة التعليم . كانت في السنة ١٨٨٠ سبعة عشر مليوناً من الفرنكات . فبلغت بعد عشر سنين مئة مليون ثمَّ زاد هذا العدد عشرة اضعاف حتى بلغ مليارًا !!! قبل الحرب وفي السنة ١٩١٤ قدَّم المسيو كالون (Mr Callon) للحكومة قائمة لمدارس ٢٣ معاملةً من ولايات فرنسة فكان معدَّل عدد التلاميذ الذين يحضرون مدارس الحكومة يبلغ خمسة بالمئة بينما يبلغ في المدارس الدينيَّة الحرَّة الكاثوليك ٩٥ بالمئة . وذكر ١٥٠ مدرسةً لا يحضرها البتَّة احدٌ من التلاميذ

وها قد انتهت الحرب الكونيَّة منذ نحو ثلث سنوات فماذا حلَّ بالتعليم الاجباري ؟

قد صار في حالة يُرثى لها : اوَّلاً لقلَّة المعلِّمين رغماً عن زيادة رواتبهم ثلاثة اضعاف فيدفعون للمعلم في اوَّل سنة تعليمه ٣٦٠٠ فرنك وكان راتبهُ لا يتجاوز الى سنة ١٩١٩ ١٢٠٠ فرنك ويزاد هذا الراتب بعد حين حتَّى يبلغ ٦٥٠٠ فرنك . ومع كلِّ هذا ترى عدد المعلِّمين ينقص كلَّ سنة بضعة مئات

ثانياً لنفور الاولاد عن المدارس الرسميَّة وعدم ثقة الاهلين بحسن تعليمها وتربيتها وميلهم الى المدارس الكاثوليكيَّة الحرَّة . مثال ذلك معاملة مين ولوار فانَّ تلاميذ الحكومة اخذوا يهجرون مدارسها منذ سنة ١٩١٣ فكانوا اوَّلاً ثلثة فبلغوا سنة ١٩١٤ ٢٧٠ ثمَّ ١٣٥٠ سنة ١٩١٦ حتَّى بلغوا ٣٢٢٨ سنة ١٩١٨

وها نحن نختم بتقرير المسيو هيريو (Ed. Hérriot) الوزير السابق واستاذ الآداب في جامعة ليون من مندوبي مجلس الشيوخ ورئيس حزب الراديكال . عيَّنتهُ الحكومة رئيس لجنة ميزانيَّة التعليم في هذه السنة الحاليَّة فقال في خطابهِ الوارد في الجريدة الرسميَّة :

« انَّهُ لمن الامور المقلقة ان نرى عدد الاميين في فرنسة رغماً عن مدَّعياتنا الشرعيَّة بالتمدُّن والحضارة الراقية . ولو سمعتم المسيو فردينان بريسون لصرَّح امامكم

بجدارة لم أبلغها انا فيقول لكم انهُ ليست بلاد فيها مواظبة التلامذة على المدارس في اسوإ حال من بلادنا » (١

ثمَّ عَرَض على المندوبين ميزانيَّة التعليم للسنة ١٩٢١ فاذا هي بالغة ١٫٣٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ اي مليارًا و٣٤٠ مليونًا من الفرنكات

فهذه الارقام ابلغ ما يمكننا ايرادهُ في ختام هذه المقالة لإفحام الذاهبين الى المطالبة بالتعليم المجاني والاجباري

التعليم الاجباري امر مستحيل

لعلَّ القارئ يستغرب قولنا هذا . وهو مع ذلك يطابق الواقع بالتمام ويُستنتج من الكلام السابق

وذلك (اوَّلاً) لأنَّ الانسان من طبعهِ لا يُحبّ ان يُكرَه على الامور التي يرشدهُ اليها صالحهُ . فانَّ عقلهُ يدعوهُ اليها اذا وجد فيها منفعةً او حبَّبتها اليهِ الحكومة اذا تغاضى عنها بيان فوائدها المادِّيَّة والادبيَّة . والتعليم من هذا القبيل فان استعملت السلطة التهديد والعقاب مع الاهلين نفَّرت منها ومنهُ القلوب وربَّما حملتهم على مخالفتها في حين كانوا مستعدّين للقيام بواجباتهم دون مداخلتها الجبريَّة فيسيئون الظنَّ بها وينسبون فعلها الى بعض اغراضها

(ثانياً) انَّ التعليم الاجباريَّ اذا سنَّتهُ الحكومة تتجاوز حقوقها . فايُّ حقٍّ رعاك الله تدَّعيهِ لوضع سنَّةٍ كهذه ؟ فلا شكَّ انك تقول انَّ للحكومة حقًّا أن تعدّ للوطن رجالًا يقومون في مساعدتها لتدبير المجتمع الانساني الذي هو موكول اليها . نجيب اننا لا ننكر ذلك ولكن أتدرك رغبتها بالجبر والاكراه ؟ او ليس الاحرى بها ان تشوّق القلوب اليهِ وتسهّلهُ على الناس وتضع لذلك المجازيات والامتيازات المرغبة فيهِ وتساعد الجمعيَّات القائمة بهِ ؟

(١ هذا قولهُ بالحرف « Il est bien inquiétant de constater que la France, malgré toutes ses légitimes prétentions à la civilisation et à la haute culture, soit encore le pays comptant le plus d'illetrés!...M. Ferdinand Buisson vous le dirait avec une autorité qui me manque : la fréquentation ecolaire n'est nulle part plus mauvaise que dans notre pays » (*Journal Officiel*, 19 *Févr.*, 1921, p. 821. *Rapport de M. Ed. Herriot*)

وعلى مثل هذا تسير في امور كثيرة يعود نفعها الى الوطن وهي لا تجبر عليها مطلقاً وانما تسعى في استمالة القلوب اليها . أليس مثلاً نموّ المواليد بالزواج خيراً عظيماً للوطن فهل فكّرت الحكومة في جعل الزواج اجبارياً ؟ لا لعمري

ثمّ انّ التعليم الاجباريّ لا يُمكن تنفيذهُ الّا بمعاقبة مَن خالفهُ . قُلْ لي ناشدتك الله كيف تستطيع الدولة ان تعاقب بالحبس او بالغرامة الماليّة والدّين يحتاجان الى مساعدة اولادهما لكسب معاش عائلتهما إمّا برعاية المواشي او بصناعةٍ ما . وهذا ما اجابهُ آخرًا بحسن نظره وسلامة ذوقهِ في جلسة اللجنة الاداريّة المعقودة في ١٠ أيار المسيو بتي مندوب الحكومة على قول احد اعضاء اللجنة حسن بك بيهم اذ « طلب التشبث بجعل التعليم الابتدائي الزاميًا تدريجًا » قال المسيو بتي : « انّ الحكومة لا تستطيع جعل التعليم اجباريًا . . . وان عدنا الى المبدأ فنصرّح انهُ رغمًا عن ميل الحكومة الى تعميم التعليم الابتدائي فالالزام بهِ بموجب قانون يقتضي فرض عقوبات على مخالفيهِ ذلك ليس من الحكمة لا بل ينفّر القوم من العلم : فهل تُحبَس الامّ التي تهمل ارسال ولدها الى المدرسة ؟ او يُغرَم الاب الذي لا غنى لهُ عن ولدهِ لمصالحهِ اذا لم يرسل ولدهُ الى المدرسة ؟ » لله درُّهُ من قول رجل حكيم !

(ثالثًا) وان أتت الحكومة عملاً كهذا فسنّت التعليم الالزاميّ فتحت امامها بابًا واسعًا من المشاكل والمنازعات والتظلّم والدواعي لا تستطيع سدَّهُ وتعجز عن اقفالهِ . فكم من الاولاد لأسباب عديدة لا يمكنهم حضور المدارس . فهذا فقير وذاك يتيم وغيرهُ ضعيف والآخر في مكان بعيد عن المدارس و . و . و . . أفتقيم الحكومة في كلّ مكان فِرَقًا من الشُرَط ليتجوّلوا ويعاينوا البيوت ويسحبوا الى السجون المخالفين ؟ او تزيد الحكومة على ميزانيّتها القناطير المقنطرة لتقوم بمعاش كلّ هؤلاء وتفتح لهم المآوي ؟

(رابعًا) ثمّ التعليم الالزاميّ يستوجب من النفقات ما تنوء دونهُ عواتق الوطن ولا يقوم بهِ مال قارون . فانّ التعليم ليأتي بثمرتهِ لا بُدَّ لهُ من معلّمين قديرين تعلّموا مدّة عدّة سنين فنّ التعليم . ثمّ يجب توفيرهم الى عشرة اضعاف ما هم عليهِ اليوم وزيادة رواتبهم وتموينهم بالكتب المدرسيّة المجّانيّة . وهذا كلّه يستدعي المصاريف الطائلة . وما قولنا عن بناء المدارس واستئجارها وهنا الطامّة العظمى . ثمّ كم وكم من

القرى التي لا يمكنها ان تجمع عشرين تلميذاً بل عشرةً منهم افتُشيِّد لهم مدارس ايضاً ؟ . أفكّرت الجرائد لمّا طلبت التعليم الالزامي بكل هذه الامور ؟ او اعتبرها جناب حسن بك بيهم لمّا عرض على المجلس الاداري التعليم الالزامي ؟أو ليس يصحّ بعد هذا قولنا انّ التعليم الاجباري امر مستحيل ؟

لكنّنا نعرف واسطةً سهلة لتعميم الآداب والعلوم بين الاحداث دون اجبار ولا كراهية ألّا وهي تنشيط ارباب المدارس والطلبة معاً بأن يوزّع ما يُجبَى من الاموال لهذه الغاية على المكاتب كلّها بلا فرق على قدر عدد تلامذتها وبمقتضى نجاحهم في الامتحانات العموميّة ثمّ تُعهد الوظائف لمن نال منهم قصبة السبق في الامتحانات المذكورة . والسلام

المعارض والاسواق

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ معرض بيروت الذي استوقف في هذا الربيع انظار اهل لبنان الكبير وسوريّة عموماً قد ابان لزائريهِ ما يُنتظر من هذا المشروع لرواج التجارة وترقية الصناعة بين انحاء الوطن فتزيد بهِ المواصلات وتنمو حركة المعاملات فتبلغ البلاد الى ما يؤمّل من الحضارة بتوفير الإنتاج والصادرات الوطنيّة وبفضل الاقتصاد من الواردات الاجنبيّة

وقد رأينا بنسبة معرضنا هذا ان نكتب شيئاً عن المعارض والاسواق عموماً مباشرةً بما شاع منها في الشرق ثمّ في الغرب وما صارت اليه من النموّ والاتساع في القرن السابق

١ المعارض والاسواق في الشرق

قيل انّ النور من الشرق . وليس نورنا هذا الهيوليّ فقط بل النور الادبي نور الحضارة والترقّي . والمعارض والاسواق احد اشعّة هذا النور الذي انبعث من الشرق

القرى التي لا يمكنها ان تجمع عشرين تلميذاً بل عشرةً منهم افتُشيِّد لهم مدارس ايضاً ؟ . أفكّرت الجرائد لمّا طلبت التعليم الالزامي بكل هذه الامور ؟ او اعتبرها جناب حسن بك بيهم لمّا عرض على المجلس الاداري التعليم الالزامي ؟أو ليس يصحّ بعد هذا قولنا انّ التعليم الاجباري امر مستحيل ؟

لكنّنا نعرف واسطةً سهلة لتعميم الآداب والعلوم بين الاحداث دون اجبار ولا كراهية ألّا وهي تنشيط ارباب المدارس والطلبة معاً بأن يوزّع ما يُجبَى من الاموال لهذه الغاية على المكاتب كلّها بلا فرق على قدر عدد تلامذتها وبمقتضى نجاحهم في الامتحانات العموميّة ثمّ تُعهد الوظائف لمن نال منهم قصبة السبق في الامتحانات المذكورة . والسلام

المعارض والاسواق

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ معرض بيروت الذي استوقف في هذا الربيع انظار اهل لبنان الكبير وسوريّة عموماً قد ابان لزائريهِ ما يُنتظر من هذا المشروع لرواج التجارة وترقية الصناعة بين انحاء الوطن فتزيد بهِ المواصلات وتنمو حركة المعاملات فتبلغ البلاد الى ما يؤمّل من الحضارة بتوفير الإنتاج والصادرات الوطنيّة وبفضل الاقتصاد من الواردات الاجنبيّة

وقد رأينا بنسبة معرضنا هذا ان نكتب شيئاً عن المعارض والاسواق عموماً مباشرةً بما شاع منها في الشرق ثمّ في الغرب وما صارت اليه من النموّ والاتساع في القرن السابق

١ المعارض والاسواق في الشرق

قيل انّ النور من الشرق . وليس نورنا هذا الهيوليّ فقط بل النور الادبي نور الحضارة والترقّي . والمعارض والاسواق احد اشعّة هذا النور الذي انبعث من الشرق

قلّما ورد في تواريخ الامم القديمة ذكر المعاريض والاسواق . على انّ الذي يُروى في آثار البابليين والاشوريين والمصريين عن سعة نطاق تجارتهم وتعداد ما كان يُرى في عواصم ممالكهم من محصولات البلاد المختلفة كحرائر الصين واسلحة الهند وافاويه العرب وأرجوان صور وزجاج صيداء ومعادن افريقية ومنسوجات العجم لا يُمكن تعليل وجوده في بلد واحد دون اقامة الاسواق والمعارض .

وقد نسب البعض اختراع الاسواق والمعارض الى اهل الصين لِما عُرفوا بهِ من النشاط في الاعمال الصناعيّة والمتاجرات . ولعلّ الفينيقيين قد نالوا في ذلك قصبة السبق لموقع بلادهم في جوار البحر ومتاخمتهم للبلاد الغنيّة بخصب تربتها ووفرة مصنوعاتها . وقد ثبت وجود مستعمراتهم ومستودعاتهم في كلّ انحاء المعمور المعروفة في زمانهم حتّى اقاصي أفريقية وفي كلّ دائرة البحر المحيط فكانوا حيثما يحلّون يقيمون تلك الاسواق الحافلة ويتّخذون المستودعات الجامعة لكنوز الشرق . وكان لصور وصيداء اسواق شهيرة كانت تُقبل عليها تجار البلاد السحيقة . وقد وصف النبي حزقيال في الفصل السابع والعشرين من سفر نبوّتهُ تلك الاسواق بكلام شعري يدلّ على عزّها وغناها وذيوع شهرتها قال :

«جميع سُفُن البحر وملاّحوها كانوا فيكِ لترويج مَوْسمك . ترشيش متّجرة مكِ في كثرة كلّ غنىً وبالفضّة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقكِ . . . أرام متّجرة مكِ في كثرة صنائعكِ وبالبهرمان والأرجوان والوشي والكتّان والمرجان والياقوت اقامت اسواقكِ . يهوذا وارض اسرائيل متّجرتان مكِ وبحنطة مِنّيت والحلاوى والعَسَل والزيت والبَلَسان اقامتا اسواقكِ . دِمَشق متّجرة مكِ . دان وياوان بالغَزْل اقامتا اسواقكِ . العرب وجميع رؤساء قيدار هم تجّار يدكِ بالحملان والكباش والتيوس فانّهم بهذه اتّجروا مكِ . تجّار شبا ورَعْمة متّجرون مكِ وبأفضل كلّ طيب وكلّ حجر كريم وبالذهب اقاموا اسواقكِ . . . سُفن ترشيش سيّارة لكِ لموسكِ »

فمن هذه الاوصاف وتعداد المتّجرات التي كانت تُقام بها اسواق صور يلوح جليًّا ما بلغت تلك الاسواق من الفخامة والثروة العظيمة وإقبال الناس اليها لعرض محصولات بلدانها

وقد جارى العربُ الفينيقيين في اقامة الاسواق وقد ساعدتهم على ذلك قوافلهم التي كانت تتنقّل في كلّ انحاء البلاد من الهند والعجم الى الشام ومصر والحبش .

وقد مرّ في السنة الاولى للمشرق (١٨٩٨ : ٨٦٥ — ٨٦٩) فصل حسن للاديب البغدادي محمود شكري افندي الالوسيّ حيث ذكر عدّة اسواق كانت تقام في جهات الجزيرة في الجاهليّة وتدلّ على طول باع العرب في المتاجرات كسُوق (دَوْمة الجَنْدل) في غرّة ربيع الاوّل كانوا يجتمعون في اسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء وكان ملكُها أُكَيْدِر يرعى الناس ويقوم بامرهم الى نصف الشهر . وكسوق (هَجَر) في ربيع الآخر كان يتولى امرهم صاحب هجر في البحرين المُنْذر بن ساوي الدارميّ . وكسُوق (عُمان) في البحرين ايضاً كانوا يقيمونها في جمادي الاولى . وكسوق (المشقَّر) وهو حصن في البحرين كذلك كان موسمُها في جمادى الاخرى . وكسوق (صُحار) في اوائل شهر رجب . وسوق (الشَّحْر) بين عُمان وعَدَن في اواسط شعبان . وكأسواق أُخرى في اليمن كسوق (عَدَن) وسوق (صَنْعاء) في اواخر شعبان وايّام من رمضان كانت تُعرض فيها انواع الطيب والأُدُم والبُرود وسوق (حَضْرَموت) في ذي القعدة . واسواق الحجاز كسوق (ذي المجاز) بناحية عَرَفة وسوق (مجنّة) قرب مكّة . ولاسيّما سوق (عُكاظ) الشهيرة على عشرة اميال من الطائف وكان من اعظم مواسمهم واسواقهم تقصدهُ طوائف العرب قبل اتمامهم لمناسك الحجّ . وقد ذكر في الاغاني (١٦ : ٩٩) سوقاً أُخرى سنويّة في الحيرة كان يجتمع اليها الناس . وذكر المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٤١٧) الاسواق الصَّفْريّة باليمن قال : «كانوا يتبارون منها ومن تخلّف عنها هلك جوعاً» فكلّ هذه الاسواق وغيرها لم نذكرها احسنُ شاهد على شيوع المواسم بين العرب بحيث لم يَخلُ منها شهرٌ واحد في احدى جهات الجزيرة

وقد بقي من هذه الاسواق البعض منها في زمن الاسلام الى ان بطلت بسبب الحروب وقلّة الامن . وقد اقيم غيرها بدلاً منها في عهد الاسلام كسوق الثلثاء ببغداد سبقت بناء المنصور لبغداد قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٥) : «كان يقام في الجانب الشرقي عند نهر معلّى في بقعة بغداد قبل بناء بغداد وكان في كل شهر يقام هناك سوق في يوم الثلثاء . . . ثمّ صار به معظم سوق البزّازين» . وكانت تقام سوقٌ شهيرة في خوزستان ورد ذكرها في اوصاف البلدان

وقد بُني في بعض الامكنة مدنٌ كانت قبل بنائها لسواقاً فأُطلق عليها اسم

السُوق كسُوق الاهواز وسوق الخميس مدينة في انحاء البصرة وسوق الأَربعاء بلدة من نواحي الاهواز

ومما ذكرهُ كُتَبة الروم سوقٌ ذائعة الشهرة كانت تقام كلَّ سنةٍ في مدينة الرُّها كان يقدم اليها الناس بالالوف حتى من الشرق الاقصى بينهم الصينيُّون كانوا يعرضون فيها مصنوعات الحرير التي لم يكن بعد يصطنعها غيرهم . وقد ذكر ايضاً أَميان مرسلين (ك ١٤ ف ٣) سوقاً اخرى في مدينة بطنة وهي سَرُوج كان اهلها يقيمون كلَّ سنة في اوائل ايلول سوقاً حافلة تُرى فيها كلّ محصولات الهند والصين

ولمَّا احتلَّ الفرنج الصليبيّون في القرون الوسطى سوريَّة وفلسطين راجت اسواق التجارة رواجاً عظيماً وتوفَّرت المعاملات بين الشرق والغرب . ومما ساعد على تلك النهضة اسواق سنويَّة او شهريَّة كانت تُقام في مدن سواحل الشام في أَيام المواسم عند ورود السُّفن الاوربيَّة اليها . فكانت خانات الوطنيين وفنادق الفرنج كمعارض عموميَّة لكل غنى الحافقيْن وقد خصَّوا منها بالذكر عكَّا وصور وصيداء وطرابلس واللاذقيَّة وحلب ودمشق . والبعض من هذه الاسواق في القرون الوسطى كانت تُقام كلَّ سنة في مدن الداخليَّة كالرَّقة قريباً من الفرات وفي مدائن صالح على طريق الحاج وعند النبيّ روبيل في فلسطين

وقد خمدت تلك الحركة بفوز الاتراك وضغطهم على التجارة الوطنيَّة والاجنبيَّة الى ان عُقدت المعاهدات الجديدة بين فرنسة وتركيَّة الَّا انَّ تلك الاسواق والمعارض السابقة بقيت منزويةً محصورةً في بعض النواحي

ومن الاسواق الشرقيَّة التي اصابت شهرةً في القرون الاخيرة سوق سمرقند تتوفَّر فيها ضروب المرافق واصناف الاعمال الصناعيَّة

وكان قبلها الرَّحالة نيبوهر (Niebuhr) في القسم الثاني من القرن الثامن عشر وجد في تهامة واليمن مواسم واسواقاً كسوق الجمعة وسوق السبت ونومة ولحان وغيرها

ولم تخلُ في ازمنتنا هذه الاسواق السنويَّة ومما ذكرهُ منها في جهات العرب الرَّحالة بلغراف (١ : ٢٢٣) اسواق الاحساء والحفوف ومبرَّز فعدَّد ما يُعرَض فيها من الامتعة والاقمشة والمصوغات والبزور والافاويه والاثمار والمواشي والخيل والابل

ومثل هذه الاسواق في بعض جهات سورية كسوق حماة الشهيرة وسوق النبطية بقرب صيداء وسوق الخان وسوق جزين وسوق بنت جبيل في بلاد بشاره

وقد سعى بعض ذوي الهمة في لبنان ان ينشئوا معارض دعوا اليها اهل الوطن من تجار وصنّاع وعمّال ليعرضوا فيها المصنوعات الوطنية المختلفة من اقمشة ومنسوجات وحرائر واشغال خشبية وادوات معدنية واثاث بيوت وغير ذلك فأقيمت مرة اولى في الشوير سنة ١٩٠٥ ثم تكرر ثانية فيها في تموز من السنة ١٩٠٦ ثم أقيم ثالث مرة في زحلة فصار عليها بعض الاقبال لكن القائمين بهذه الاسواق لم يكن لهم صفة رسمية من قبل حكومة لبنان ولذلك انحصرت منافعها في دائرة ضيقة وانما بيّنوا ما وراءها من المنافع الاقتصادية لو تولّت عملها حكومة منظّمة. وهذا ما قصده فخامة المفوّض الاعلى الجنرال غورو باستدعاء اهل سورية الى معرض حافل في عاصمة لبنان الكبير لتكون بيروت مجمع البحرين وملتقى الخافقين ...

٢ الاسواق والمعارض في الغرب

ان كان الفضل للشرق في سبيل التمدّن وترويج الصناعة والتجارة وابتداع الاسواق والمعارض الّا انّ الغرب اصاب ايضاً في ذلك مفاخر لا تُنكر. فقد جاء في قصائد هوميروس الالياذة واسفار عوليس وفي التواريخ القديمة ما يشير الى الاسواق التجارية في بعض مدن اليونان وجزائرها كان يتوارد اليها الزوّار من انحاء البلاد وكان الفينيقيّون يقصدونها بسلعهم الثمينة

وقد راجت بين الرومان الاسواق الشهرية والسنوية كان رؤساء الدين يعيّنون مواسمها ويفتتحونها بذبائح يقدّمونها للآلهة وهم يدعونها باسم تسابيعات (nundinæ) المختزلة من (novemdinæ) لأنها كانت اولاً تدوم تسعة أيام ثم جعلوها اسبوعاً واحداً. وهذه الاسواق ترتقي الى اوائل المملكة الرومانية. واشهرها السوق المقامة في غرّة كانون الثاني كانوا يحتفلون بها احتفالاً عظيماً

وكان لمدن المملكة وفي بعض قراها اسواق أخرى تعدّدت مع نموّ الثروة واتساع نطاق الدولة وتكرّرت غير مرة في السنة بل في الشهر والاسبوع حتى صارت لا تختلف عن الاسواق اليومية الثابتة

ولما سقطت المملكة الرومانيَّة وقامت بعدها الممالك اللاتينيَّة وجدت في الاسواق السنويَّة وحشد المبيعات في بعض الامكنة من انجع الوسائط لتعميم الرفاهية ورخاء العيش في البلاد . فتمهَّدت السُّبل للمتاجرة مع اهل سوريَّة فكان السوريُّون منذ القرن الرابع للمسيح ينقلون الى الغرب كلَّ صادرات الشرق . وقد ذكر المسيو براهيه (L. Bréhier) ما كان لهم من المستودعات والمستعمرات في ايطالية كرومية وراڤنَّة وفي فرنسة كليون وبوردو ونزيونة وفي المانية كتراف ما يدلُّ على سعة ثروتهم ووفرة اعمالهم

ومنَّن عُني من ملوك فرنسة باقامة الاسواق التجاريَّة ذاك الملك الملقَّب بالكبير شرلمان واليه تُنسب سوق بوكار (Beaucaire) التي كانت ملتقى المجازات بين اسبانية وفرنسة وبين فرنسة وايطالية والشرق كان يزورها في ايَّام السلم نحو ثلثمائة الف زائر فتُعرَض فيها في العشر الاخير من تمُّوز كلَّ ضروب السِّلع من انسجة واجواخ وحرائر وضروب الفلات والاثمار والمشروبات يتولَّى تدبيرها لجنة مؤلَّفة من ١٢ عضواً

وفي القرن الثامن للميلاد الى القرن السادس عشر اشتهرت اسواق مدينة تروية (Troyes) المعروفة باسواق شمپانية كان يتزاحم فيها كلَّ اهل اوربَّة الغربيَّة أُقيمت بمساعي امرائها دوقة دي شمپانية فكانت مورداً عظيماً لثروة تلك الاصقاع ويجري ولاتُها على قواعد غاية في الضبط والدقَّة

ومثلها شهرةً سوق لَندي (Lendit) كانت تُقام في بطحاء رَحبة موقعها بين باريس ومدينة سان دنيس وكانت قبلاً تُعقد هناك حفلات دينيَّة عظيمة تُعرض فيها ذخيرة عود الصليب مع ذخائر اخرى ثمينة يُطاف بها بأُبهة وجلال فاتَّخذها التجَّار موقعاً لمواسمهم فكانوا يفتتحونها في اواسط حزيران الى آخره . ثم نُقلت في القرن السادس عشر الى مدينة سان دنيس الى ان أُلغيت في القرن الثامن عشر .

وقد اشتهرت في المانية لسواق لَيپسيك منذ القرن الرابع عشر ولا تزال الى يومنا هذا تجذب اليها برونقها الجماهير المجمهرة بما يُعرَض فيها من اصناف الفراء والجلود والاصواف والادوات الحديديَّة والصينيَّات وكلَّ لوازم الكتابة والطباعة والاصباغ الخ . وهي تُقام ثلاث مرَّات في السنة في كانون الثاني ثمَّ في عيد الفصح وفي الخريف .

ولروسيَّة سوقها الشهيرة في اواسط ممالكها في مدينة نوفغورد (Novgorod) التي هي من اقدم مدنها وكانت مدَّةً حاضرة بلادها . ففي القرون الوسطى تمتَّعت بالاستقلال وصارت جمهوريَّةً تجاريَّةً راجت امورها بحسن موقعها عند مفرق الطرقات بين اوربَّة والشرق الاقصى

٣ المعارض العمومية

على انَّ تلك الاسواق مع وفرة مرافقها وكثرة معروضاتها وعدد زوَّارها كانت وطنيَّةً لا يشترك باعمالها الَّا القليل من الغرباء . وبقيت على ذلك حيناً من الدهر الى اواسط القرن التاسع عشر الَّا انَّ تلك المواسم الوطنيَّة كانت بلغت مبلغاً عظيماً من الشهرة منذ صرف نابليون بونابرت جهدهُ في توسيع نطاق معرض باريس سنة ١٨٠٣ فعرض فيهِ ١٤٢٢ تاجراً مصنوعاتهم المختلفة . ثم زاد هذا العدد في المعارض الصناعيَّة التالية الى ان بلغ عددهم في معرض سنة ١٨٣٤ ٢٫٤٧٧ وسنة ١٨٣٩ ٣٫٢٨١ فكان نجاح هذه المعارض داعياً الى تحويلها الى معارض دوليَّة تشترك فيها الدول تعميماً لفوائدها وتنشيطاً لارباب الصنائع بالمباراة والمنافسة

وكانت الدولة السابقة في اقامة هذه المعارض الدوليَّة الدولة الانكليزيَّة اذ شيَّدت في لندن قصرها المعروف بقصر البلَّور (Cristal Palace) سنة ١٨٥١ فكان عدد العارضين فيهِ مصنوعاتهم ١٧٫٠٠٠ وزارهُ ستَّة ملايين شخص وبلغت نفقاتهُ نحو سبعة ملايين ونصف من الفرنكات امَّا ارباحهُ فزادت على ١٢ مليوناً . وهذا قصر البلَّور قد حوَّلتهُ الدولة الى متحفٍ يزورهُ الناس من كل الاقطار

ثمَّ وليهُ سنة ١٨٥٥ معرض باريس ارصدت الحكومة لأبنيتهِ ١٦٨٫٠٠٠ متر مربَّع وعُرضت فيهِ مصنوعات ٢٣٫٢٥٤ تاجراً . ومع كثرة مَن قصدهُ من الزوَّار خسرت فيهِ الدولة نيفاً وثمانية ملايين من الفرنكات

ثمَّ تتابعت بعد ذلك المعارض الدوليَّة في عواصم الدول الاوربيَّة في انكلترة (لندن ١٨٣٢ و١٨٧١—١٨٧٤ وغلاسكو ١٩٠٣) وفي باريس (١٨٦٧ و١٨٧٨ و١٨٨٩ و١٩٠٠) وفي ڤينَّة (١٨٧٣) وفي ليون (١٨٧٣) وفي هولندة (امستردام ١٨٨٣) وفي بلجكة (انفرس ١٨٨٥ وبروكسل ١٨٨٨ و ١٨٩٧ ولياج ١٩٠٢)

وفي اسبانية (برشلونة ١٨٨٨) وفي دنيمرك (كوبنهاغن ١٨٨٨) وفي ميلانو ١٩٠٦ وما لبثت اميركة أن فتحت ايضاً معارض حافلة (فيلدلفية ١٨٧٦ واورليان الجديدة ١٨٨٥وشيكاغو ١٨٩٣ وسان لويس ١٩٠٤)بل ارادت اوستراليا ان تجاري اوربة واميركة فانشأت معرضين سنة ١٨٧٩ في سيدني وسنة ١٨٩٠ في ملبورن. وأنشأت فرنسة معرضاً عمومياً لمستعمراتها في هانوي عاصمة تونكين (١٩٠٢)

ولكلّ هذه المعارض تواريخها المشرة بفخامتها واتساع مساحتها وعدد العارضين فيها المصنوعات والاختراعات الجديدة وما تكلّفتهُ في انشائها الدول والجمعيّات الخصوصيّة مع ما اصابت من النجاح او الارباح او تكبّدتهُ غالباً من الخسائر

وقد امتازت بين هذه المعارض معارض باريس التي كانت تضمّ ما خلا السلع وضروب المصنوعات البشريّة والفنون الجميلة كلّ ما يروق النظر من الملاهي والالعاب وتمثيل عادات الشعوب في حفلات باهرة . وكان لكلّ دولة بنايتها الخاصّة تعرض فيها محصولات بلادها تُشبه كلّ واحدةٍ منها بلدةً كاملة . وفي احد هذه المعارض (سنة ١٨٨٩) بُني برج ايفل البالغ علوّهُ ٣٠٠ متر كلّهُ من الحديد وجُهّزت العيون المنيرة وكادت ارباحهُ تغطّي نفقاته . وفي معرض سابق(١٨٧٨)بُني قصر التروكاديرو الفخيم ذو الحدائق البديعة والشلّالات الرائعة

وامتاز ايضاً بين المعارض برونقهِ وعظمتهِ وضروب محاسنهِ معرض ڤينّة القائم في ساحتها الشهيرة المعروفة بالپراتر (Prater) في مساحة بلغت قريباً من مليونَي متر مربّع مع جملة من العارضين اناف على ٤٢،٠٠٠ عارضٍ الّا انّ النفقات عليهِ خسّرت النمسة ٤٨ مليوناً من الفرنكات

ومثلهُ أبهةً وجمالاً معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ تذكاراً للمئة الخامسة منذ اكتشاف اميركة على عهد كريستوف كولومب عارض ابهى معارض باريس بفنون محاسنهِ وعدد زوّارهِ الذي بلغ نيّفاً و ٢٧ مليوناً من الزوّار

وطبّق على هذه المعارض بطرائفهِ وفنونهِ معرض سان لويس في عاصمة لويسيانة الذي تناصر الاميركيّون ليجعلوهُ آية الحسن والجمال واستعدّوا في تجهيزهِ نحو سنتين . ومثلهُ معرض لياج سنة ١٩٠٥ الذي بلغت مساحتهُ مئة هكتار وقصورهُ ثمانين قصراً . وعَرضت فيهِ ثلثون دولة طرائفها

ثمّ خمدت نوعاً حركة المعارض الدوليّة الفخيمة لما كانت تقتضيه من المبالغ العظيمة وما يلحق الدول بسببها من الخسائر وفضّلت الرجوع الى المعارض الوطنيّة الخصوصيّة. منها معرض مرسيلية الوطنيّ سنة ١٩٠٦ الذي امتاز خاصّة بالعلوم البحريّة ومحصولات البحر المختلفة . ومن الاسواق الوطنيّة التي أقيمت بعد الحرب سوق باريس التي أنشئت هذه السنة من ١٢ الى ٢٤ ايّار عُرضت فيها للبيع منتجات البضائع الافرنسيّة كموادّ البناء من الحديد والزجاج وموادّ الزينة والاثاث والمجوهرات والساعات والحلي وازياء الخياطة والجلد وغير ذلك من الالبسة والحاجيّات الضروريّة ومن الموادّ الكيماوية وادوات الصيدليّات والموسيقى والكتب والورق وادوات التصوير الشمسي ولوازمه وآلات الصور المتحرّكة والسيّارات والطيّارات والدرّاجات والالات الزراعيّة وغيرها

فمن هذه اللائحة يرى القرّاء ما كان للاسواق والمعارض من عظم الشأن وسبب إقبال الدول والشعوب عليها فانّها بجمع المحصولات المتفرّقة في انحاء المعمور ووضعها تجاه اعين الزوّار لبيان منافعها في مساعدة الانسان في سائر اعماله تفتح له سبلاً جديدة من الاقتصاد والترقّي في بلوغ غايته في حياته المادّيّة وحياته الادبيّة معاً وبهما ينال سعادة الدارين

وان شاء الله نخصّ في عدد آخر مقالاً في معرض بيروت

مذبح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيصس

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

في هذه السنة تحتفل الكنيسة الكاثوليكيّة باجمعها لأوّل مرّة عيد القديس افرام السرياني الذي اعلن به ملفاناً على البيعة كلها الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر . وعيدهُ واقع في ١٨ من الشهر الحالي حزيران فاحببنا انتهاز هذه الفرصة لنشر اثر قديم يحتويه احد مخطوطات مكتبتنا

شرقيّة . والمخطوط المذكور سبق لنا وصفهُ في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٧٦–٦٧٨) . فيهِ حسون ميمرًا من ميامر القديس افرام نسخهُ في السنة ٦١٢ ه الموافقة للسنة ١٢١٥ مسيحيّة ه ابو الفتح بن ابو النور». امّا معرّب هذه الميامر من السريانيّة فلم يُذكر ولعلّهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي الذي اشتهر بتعريب اعمال كثيرين من الآباء اليونان والسريان (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٩٤٨–٩٥٤) . وفي آخر هذا السفر الجليل مديح القديس افرام لمعاصرهِ القديس غريغوريوس اسقف نيس اخي القديس باسيليوس الكبير وهو منقول الى العربيّة فقابلناهُ مع اصلهِ اليوناني في مجموعة آباء اليونان لمين (Migne, PP GG. XLVI 819-850) فوجدناهُ مطابقًا لهُ . وقد رأينا في نشرهِ فائدتين: الاولى اثبات ما اصابهُ مار افرام من علوّ المقام والرفعة في اعين اهل زمانهِ حتى الغرباء عن امّتهِ السريانيّة . والثانية ايراد مثالٍ من كتابة النصارى في القرون الوسطى بالعربيّة ومتدرّجهم في الترجمة من اليونانيّة ولذلك لم نتعرّض لإصلاح الاصل الّا في جُمل قليلة غامضة المعنى ذهب المتّ ببعض الفاظها فاستدللنا على معناها من الاصل اليونانيّ . وهذا المديح يبتدئ في الصفحة ٧٨٢ من نسختنا ل . ش

هذا مديح

الاب القديس غريغوريوس اسقف نيس (١

في الاب افرام السريانيّ

١ توطئة الخطاب . لا يجوز ان يوضع السراج تحت المكيال بل على المنارة فالقديس افرام هو ذاك السراج

انّ الذي يحرّكني على هذا الموضوع الذي انا متكلمٌ فيهِ المثل الذي قيل في الانجيل الالهي وهو مثل المصباح فيحلّ لساني بعد ما كان لِلجام الصمتِ خادمًا ويوضح لي طرق المعاني ويمهّد تمهيدًا للسبل التي تتهاجن (تتهاجمُ) فيها الخيل فيسهّل لمركبة الكلام المختلفة انواعهُ السلوكَ في طريق سهلة ناهجة بما صرّح في هذا المثل قائلًا (متى ٥ : ١٥) : « انهم لم يشعلوا مصباحًا ويضعوهُ تحت القفيز بل على منارة لينير لجميع مَن في البيت » ثمّ يتبع المثل بالمعنى المكنون في القول وينادي : « هكذا سبيلُ ضوئكم ان ينير امام البشر حتّى يروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا اباكم الذي في السماوات »

١) وفي الهامش : « اخو القديس الكبير باسيليوس

شرقيّة . والمخطوط المذكور سبق لنا وصفهُ في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٧٦–٦٧٨) . فيهِ حسون ميمرًا من ميامر القديس افرام نسخهُ في السنة ٦١٢ ه الموافقة للسنة ١٢١٥ مسيحيّة ه ابو الفتح بن ابو النور». امّا معرّب هذه الميامر من السريانيّة فلم يُذكر ولعلّهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي الذي اشتهر بتعريب اعمال كثيرين من الآباء اليونان والسريان (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٩٤٨–٩٥٤) . وفي آخر هذا السفر الجليل مديح القديس افرام لمعاصرهِ القديس غريغوريوس اسقف نيس اخي القديس باسيليوس الكبير وهو منقول الى العربيّة فقابلناهُ مع اصلهِ اليوناني في مجموعة آباء اليونان لمين (Migne, PP GG. XLVI 819-850) فوجدناهُ مطابقًا لهُ . وقد رأينا في نشرهِ فائدتين: الاولى اثبات ما اصابهُ مار افرام من علوّ المقام والرفعة في اعين اهل زمانهِ حتى الغرباء عن امّتهِ السريانيّة . والثانية ايراد مثالٍ من كتابة النصارى في القرون الوسطى بالعربيّة ومتدرّجهم في الترجمة من اليونانيّة ولذلك لم نتعرّض لإصلاح الاصل الّا في جُمل قليلة غامضة المعنى ذهب المتّ ببعض الفاظها فاستدللنا على معناها من الاصل اليونانيّ . وهذا المديح يبتدئ في الصفحة ٧٨٢ من نسختنا ل . ش

هذا مديح

الاب القديس غريغوريوس اسقف نيس (١

في الاب افرام السريانيّ

١ توطئة الخطاب . لا يجوز ان يوضع السراج تحت المكيال بل على المنارة فالقديس افرام هو ذاك السراج

انّ الذي يحرّكني على هذا الموضوع الذي انا متكلمٌ فيهِ المثل الذي قيل في الانجيل الالهي وهو مثل المصباح فيحلّ لساني بعد ما كان لِلجام الصمتِ خادمًا ويوضح لي طرق المعاني ويمهّد تمهيدًا للسبل التي تتهاجن (تتهاجمُ) فيها الخيل فيسهّل لمركبة الكلام المختلفة انواعهُ السلوكَ في طريق سهلة ناهجة بما صرّح في هذا المثل قائلًا (متى ٥ : ١٥) : « انهم لم يشعلوا مصباحًا ويضعوهُ تحت القفيز بل على منارة لينير لجميع مَن في البيت » ثمّ يتبع المثل بالمعنى المكنون في القول وينادي : « هكذا سبيلُ ضوئكم ان ينير امام البشر حتّى يروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا اباكم الذي في السماوات »

١) وفي الهامش : « اخو القديس الكبير باسيليوس

٢ ان نفور القديس افرام من كلّ مديح في حياتهِ هو سببٌ يضطرّنا الى مديحهِ
بعد وفاتهِ ليمجّد الناس الله في اوليائهِ

فمن هاهنا لستُ مطالَباً بالجُبْن والاستتار فيما امر السيّد ان اتجرّأ عليهِ واذكرهُ في هذا المصباح البهي الذي كان ضوؤهُ اشرقَ من ضوء الشمس . وذلك ما ذُكر في الحديث عن سيرة ابينا الالهيّ (افرام) ولا نلزم بترك ذكرها ودفنها(٧٨٣) في قعر الصمت بل نستنفد الوسع في ان نشهرها في ذروة البيعة حتى تظهر لجميع المتطرّفين في مسكن العالم فاذا اشتهرت للناظرين مجّدوا الآب الذي في السماوات . وما سبيلنا ان نهاب ونتّقي الرباط الذي ربطنا بهِ ذلك القديس لأنّنا في تهيُّئنا لذلك نتهاون بما امر بهِ السيّد المسيح . فالضرورة الآن توجب ان نأخذ مبادئ المديح من هاهنا . على انّ أخذنا ذلك ربّما كان في وضعهِ مخالفاً لنيّة القديس . لكن من يعرف تمييز الامور يعرف انّ ذلك الرباط المانع عن اطلاق اللسان بالمدح وتكليل الزهد بالمجد البشري انّما هو رباط لا يربط وضبط لا يضبط من اجل حرص عشّاق الفضيلة على ما ذكرهُ ذلك القديس فيما امر بهِ من فرارهِ من مديحنا وصدّهِ ايّانا عن التعرُّض لمديحهِ ووجب ان نجعل نحن السبيل الى نعتهِ وتقريظ فضيلتهِ من هاهنا لا سيّما وانّ كلّ واحدةٍ من فضائله حجّة واضحة الى الثناء عليهِ . ولمّا كان هو لا يُسَرّ بمديحٍ كان ذلك زيادةً في فضلهِ وتضعيفاً لفضيلتهِ . وكان (٧٨٤) غرضهُ ألّا يظهر صالحاً بل ان يكون على الحقيقة بارّاً . فلو لم يكن لهُ من الفضل الّا زهدهُ في الاوصاف لقد كان في ذلك كفافٌ يكتفي بهِ من يهمّ ان يمدحهُ لاسيّما وانهُ لم يقتنعهُ الزهد في المديح حتّى اضاف الى ذلك رباطاً ربط بهِ من يريد الثناء عليهِ

فهذا وحدهُ من فضائلهِ قد فتح لنا في الاوّل ميدان الكلام الذي ينبغي لنا فيهِ ألّا نجازف ولا نبعد عن الغرض ولا نهوي في جرفٍ بل نسلك طريقاً ملكيّة ونتأمّل ان ذلك الرجل العجيب لو لم يعلم انهُ اهلٌ للمديح لمّا كان يمنع من يُريد مدحهُ لأنّ من يعلم انّ لا فضل فيهِ يستحقّ بهِ المديح لن يوصي احداً بان لا يمدحهُ بل يكون غرضهُ ان لا يهمل امر نفسهِ جملةً . فمع ذلك ينبغي ان تزيد اهتماماً في مدحهِ . ألا ترى ما قال الخطيب النبيل بولس مزيّن الكنيسة وفم المسيح (١ كور ١٥ : ٩) : « انني لستُ اهلاً ان أُدعى رسولاً » فلم تمنع عليهِ هذه اللفظة ان يُدعى رسولاً بل زادت في فضلهِ

وجده لما ظهر فيها من تطأطئه وتواضعه . وكذلك هذا الاب الجليل لما حكم على نفسه بانهُ غير اهل للمديح(٧٨٥) لتُقاه وتقشفه فهو من هاهنا اهلٌ اكمل اصناف المديح لأن ناموس كنيستنا المقدَّسة يريد ان تُكلَّل الراغبين في الفضيلة في كلّ نوع من انواعها . ونوع التواضع وإحناء العقل الى التطأطؤ والخضوع هو من افضل انواعها بحسب ما قيل في بشارات الرب (لوقا ١٤ : ١١) : « انَّ مَنْ يُذلُّ نفسَهُ ويتواضع فهو الذي يرفعها ويجلُّها » فقد صار من ها هنا كلُّ من تعرَّض لوصف هذا الاب الطاهر بعيدًا من كل مذمّة في تقريظه ووصف مناقبه حتّى يصير مثل مصباح على منارٍ شامخ يبيّن لكل احد نوره وينادي بذكر سيرته الطاهرة

واذا ما شاهد السامع الحكيم لما وعدنا به عرف الصدق في اثر القول عند افتراعه واستقرائنا نوعاً نوعاً من فضائله التي منها نحن قد ولّفنا (أَلّفنا) اكليلاً ذهبياً مرصَّعاً بانواع من الاحجار الثمينة وقدَّمناهُ لعروس المسيح التي هي البيعة المقدَّسة تقدمةً مأثورةً وهديَّةً مخبورةً فانَّها تبتهج لما ترى في ابنائها من المواهب اذا ما حصل للصديقين ذكرٌ تشيد به الالسنة في وقته . فانَّ الزمان في هذا عند تصرُّفه قد قدَّم افرام الى مديحنا (٧٨٦) وكيف لا تقبل الكنيسة مثل ذكره بسرور وهو ذاك الانسان الذي افراهُ جماعة النصارى لا تشبع من ذكره والثناء عليه اعني هذا افرام السرياني

٣ ليس مديحنا لافرام لاجل مناقبه الطيبة بل لاجل فضيلته

فاني لا استحي من ذكر جنسه اذ كنتُ اتجمَّل بأخلاقه وهو افرام الذي ضوء سيرته وعلمه قد انار العالم فصار معروفاً عند كلّ من تطلع عليه الشمس ولم يجهلهُ الّا مَنْ جهل باسيليوس الكبير الذي هو كوكب الكنيسة المنير . قلتُ افرام الذي هو نهرُ فُراتٍ معقول (١ للبيعة الذي منهُ يشرب جماعة المؤمنين فيثمر كلّ واحدٍ منهم من زرع الامانة بدل الواحد مئة . افرام كرْمةُ الله الكثير ثمرتها وكان حملها قيد حلاوتها الشديدة من تعليمه . وكانت تُسرُّ أَتراب الكنيسة بتملّيه من المحبَّة الالهيَّة . افرام مدبّر الكنيسة الحسن السياسة الامين الذي كان يوزّع اقواله في الفضائل

١) اشارة الى وطن القديس افرام قريباً من الفرات

على مشاركيهِ في العبوديَّة توزيعَ البُرّ (١) ويسوس منزل سيّدهِ السياسة التي لا عيب فيها التي متى ما ذُكر جنسُهُ ووطنُهُ ونباهة والديهِ وشرف اهلهِ وميلادهُ وتربيتهُ ونُشوءُهُ وهيئة جسمهِ وحظُّهُ وصناعتهُ وما جرت عادة مؤلفي الاقوال (٧٨٧) ان يوشحوا بذكرهِ مديحهم كان ذلك فضلًا لا نحتاج اليهِ . اذ كان لم تجرِ عادتُنا انفدح الرجال الالهيين بما هذه سبيلهُ . على انَّهُ قد كان لهُ من هذا المعنى اكبر حظٍّ لو ذُكر لكان فيهِ كفاية . الَّا انَّ ما زيَّن بهِ هو نفسهُ في سيرتهِ ومقالهِ كان اجلّ من ذلك وافضل فوجب ان نجعل لهُ الاكاليل من القول على هذا المعنى اذ كانت المدائح الحقيقيَّة انَّما هي من الاشياء التي الينا فعلُها والكرامة الواجبة انَّما هي لمن لهُ السلطان على الفعل واما غير ذلك ممَّا تقدَّم ذكرهُ وتعديدهُ فالذمّ عليهِ أولى ولا يستحقُّ المديح

وعلى كلّ حال كيف يرضى هذا الرجل ان نؤتيهُ الوصف من جنسهِ وهو قد اطرح كلّ حسَبٍ في العالم واختار ان يكون لله وحدهُ ولدًا باتخاذهِ الاعمال الخطيرة ؟ وكيف يتباهى بوطنٍ من كان يتصوَّر انَّهُ غريب في الارض كلّها ويستنكف من كلّ قُنيةٍ هيولانيَّة ويتصوَّرها عدوًّا لما كان يرجوهُ من الطوبى الازليَّة في الدار الباقية؟ وكيف كان يمكن من قد وطئ وداس (٧٨٨) ككلّ جنس من حلى العالم وكان يستثقل مع ذلك ثوب نفسهِ الذي هو جسدُهُ ويتصوَّر انهُ يعوقهُ عن العَدْو في طريق الفضيلة ان يلتفت بعد ذلك الى غُرَف والدٍ او أملاك جدٍّ ؟ وكيف كان يريد الاوصاف والمدائح من نشوءٍ جسماني وتربية شريفة وهيئة جميلة وصنعة مأثورة وغير ذلك ممَّا يُتباهى بهِ في العالم مَنْ كانت تربيتُهُ منذ ابتداء نشوئهِ في درس الكتب الالهيَّة وكان شربُهُ ورِيُّهُ من المعين الجاري ابدًا منها ولم يزل يزيد فيها هذا سبيلهُ الى ان وصل الى المسيح . فاذا كنا نحن قد عرفنا هذا من طرائقهِ واخلاقهِ وانَّ ابانا هذا الكبير الجليل لا يرى فيما ذكرناهُ مديحًا بل هزأً وضحكةً فسبيلنا ان نعود الى ما يخصُّهُ ونروم تفضيلهُ بما يلائمهُ . لعمري انَّهُ ليس من شأن القول ان يتجاوز مقدار الطاقة والجدّ بل ان يقف عند الصواب فينبغي ألَّا نقصد طريقةً يكونُ الافراطُ فيها عائقًا من المأثور ولا نجري في سبيلٍ غريبة فنخطئ طريقة الآباء الملكيَّة القاصدة فيجب من

(١) تلميح الى يوسف الحسن في توزيع القمح على المحتاجين مع اشارة الى معنى افرام اي المثمر

ها هنا ان (٧٨٩) لا نحيد في تقرير القول عن مقدار القصد

والذي يجب ان نقدّمهُ لما رتّبهُ من القول هما العملُ والعلمُ اللذان تتبعُهما العشرةُ الاجزاء من الفضائل وهي الامانة والرجاء والمحبّة وحسن العبادة لله ودرس الكتب الالهيّة وتطهير النفس والجسم والدموع الدائمة وما يتبع ذلك من سُكنى البراري والانتقال من موضع الى موضع والهرب من المضرّات ومداومة التعليم والصلاة التي لا تفتر والصوم والسهر اللذان يُجاوزان كلّ حدّ والهجوع على الحظيظ (الحضيض) والاضجاع على الخشونة التي تفوق القول والزهد في القنية والخضوع الواصلان الى ابعد غاية والرحمة التي تتجاوز الطبيعة البشريّة والغيرة الالهيّة على الذين كانوا يتكالبون على من يستعمل حسن العبادة وغير ذلك ممّا شأنهُ ان يماثل خالقهُ الانسانُ الذي يكون متجرّدًا ويجعل جميع عيشهِ لله مُرضيًا. فبهذه المدائح يتجمّل ابونا هذا . وهذا المقال نعرفهُ ونعلم أنهُ يخصّهُ فنميل الى ذكرهِ وتمديدهِ للمنفعة بذلك لا لهُ بل لنا. لأنّ اسمهُ المطلق يرشد الى الفضيلة ذوي (٧٩٠) الحرص اذ كنّا لا نعلم شيئاً من اخبارهِ الّا اليسير قد اقتطفناهُ ممّا زرعهُ في مواضع مختلفة من اقواله فجمعنا نحن من ذلك ما تشبّهنا فيهِ بالنحلة الممدوحة التي تجمع انواع الزهر واصلحنا من ذلك شمّاً روحانيًا. ولن ينقم هو علينا لا محالة فيما نحاولهُ من ذكرهِ لأنهُ لا يجزع من الشيطان الشرّير الذي من شأنهِ ان يُعرقل جماعة عند اواخر جهادهم وقد وصل هذا الاب في هذا الوقت الى موانئ الروحانيين وحصل خارجاً من كلّ اضطراب وتقلقل. فهلمّ يا صاح نتأمّل حال هذا الرجل العجيب في كلّ صنفٍ من الاصناف التي عددناها فنشرح ما لهُ في ذلك المعنى والى ايّ مقدارٍ من الصعود الروحاني وصل اليهِ ونبيّن ذلك للذين قد اجتمعوا هاهنا

٤ ايمان القديس افرام وجهادهُ في سبيلهِ

فنبتدئ بالامانة التي وصل منها الى الطريقة المستقيمة التي لا تعدل عن حسن العبادة بحسب ما عرفنا من مصنّفاتهِ وما تسلّمناهُ من رأي الكنيسة المقدّسة فيهِ. فانهُ بالسواء رفض ما جمعهُ سابليوس (١ في غير وجههِ وما توسوس آريوس في قسمتهِ (٢

١) نكر سابليوس التمييز بين اقانيم الثالوث الاقدس ٢) قسمة اريوس أنّهُ جعل اقنوم ابن الله مخلوقاً من الآب ليس مولوداً فقط

فوقف عند الحدّ المستقيم فيما بين القولين فقسم الثالوث القدّس الواحد الذي لا يختلط ولا يمتزج بالعدد وجمعهُ بالجوهر (٧٩١) حتّى لا يلحقهُ عارٌ من قَفْر اللاهوت على رأي اليهود ولا يأتيهِ من كثرة الآلهة رأيُ اليونانيّة الذين صُرعوا فيهِ . وهذان المنيان لعمري هما اللذان يبكّتان مَن قد سكر من الآراء المختلفة ولم يتهدَّ الواجب في معرفة اللاهوت الذي لا يُدرك . فامّا ابوليناريوس (١ فانّ الاب افرام دفع رأيهُ البهيميّ بكل حرصهِ واخرجهُ من كلّ نفس مسيحيّة

واما الذين يقولون بعدم التشبيه (٢ فسدّ افواههم بحجج الكتاب وبراهينهِ وبكّتهم وخلّف لنا آثارًا من اقوالهِ لا تُرام أوحاها اليهِ البارئ . واما نواطس (٣ فان هبوطهُ بسهام افرام كمثل هبوط الشرير وسقطتهِ بقوّة صليب المسيح ففي اقوالهِ يجد الطالب قوّة معلمنا هذا ويعرف بهذا المقدار انهُ رجلٌ شهمٌ في المصارعة وانّ خصمهُ صبيٌّ ضئيل في الانخزال ولم يقنع بسفسطة من اشتهر في ذلك الزمان من الهراطقة اذ يرى كيف قطع افرام اصول زوانهم بسيف الامانة وبأقوالهِ السديدة بل اضاف الى ذلك قَطع الأوهام التي كانت ستنتشر في المستأنف بما ابصرهُ منها بعين النبوّة فحصدها وملأ كتبهُ سلفاً واشعارهُ من البراهين على ذلك(٧٩٢) . وقد وصل هكذا ابنُ الحقّ الى ما لم يصل اليهِ قبلًا غيرهُ

٥ رجاء القديس افرام

واما رجاؤهُ وثقتهُ بالله وحدَهُ فدلّت عليها النعمة الحاصلة لهُ من الرجاء والخيرات المخزونة لذوي الثقة في المعاد . وكان لا يزال يهدُّ بقولهِ وعملهِ في جميع عمرهِ بقول الزبور (٢٧ : ٧) : «قلبي على الربّ عوّل فسُوعدتُ وغنا جسدي» ولمّا كان رجاؤهُ وثقتهُ بالله على هذا المعنى «احاطت به نعمةً ربّه والتوكّل على رحمته (مز ٣١ : ١٠) لأن الرحمة تجعل المتوكّل عليها مثل جبال صهيون وترفعهُ الى شاهق من الطوبى والسعادة الصادقة وكان يعرف اتمّ معرفة ما قيل في الانبياء كقول داود (مز ١٢٤ : ١) : «طوبى

١) ابوليناريوس زعم انّ السيّد المسيح كان خالياً من النفس البشريّة وانّ اللاهوت كان يقوم في جسده بدلًا منها ٢) هؤلاء صنف من الهراطقة الاريوسيين كانوا يُدعَون باسم الأتوميين اي القائلين بعدم شبه الاقنوم الثاني بأقنوم الاب وكان زعيمهم فوتينوس

٣) احد هراطقة القرن الثالث للمسيح أنكر سلطة الكنيسة في غفران بعض الخطايا

للرجل الذي اسم الربّ رجاؤه ». وكقول هرميا (١٧ : ٧) : « مبارك الرجل الذي توكّل على الربّ ويكون الربّ رجاءه » فيكون « مثل العود النامي عند المياه الذي اصلهُ قد نُصب في الثرى » (مز ١ : ٣) . وكقول اشعيا (٣٣ : ٢٢) : « انّ ملكنا هو الربّ فالربّ مخلّصنا » واني « سأكون معوّلاً عليه فاخلص » (اشعيا ١٢ : ٢) وكقول بولس المغبوط وعظهُ (عبر ١٠ : ٢٣) : « سبيلنا ان نتمسك بالميعاد فانّ الذي وعدنا ثقةٌ امين » . فلمّا كان ابونا هذا افرام مغتذياً بهذا الرجاء تهاون بالعالم وبكل ما فيهِ واشتاق وصبا الى المجد (٧٩٣) الدهريّ الباقي الى الابد

٦ محبّة القديس افرام لله

واما محبّتهُ لله وتقريبهِ فقد وصل من الاستقصاء في حفظها الى المقدار الذي قالهُ هذا الاب الالهيّ عند انصرافهِ من العالم مما لا نحتاج معهُ الى برهان من جهة اخرى قال : « انّي ما جدّفتُ على الربّ في جميع عمري ولا خرجتْ كلمة جهلٍ من شفتيّ في جميع حياتي ولا لعنتُ احداً ولا خاصمتُ احداً من المؤمنين » فيا لهُ من لسان سعيد تجاسر ان يلفظ بهذا اللفظ الذي لا يليق ان يقولهُ بالحقيقة الّا الملئكة الذين لا هيولي لهم ولا اضطراب في حياتهم . واما نحن المرتبطون بخدمة الجسد فهذا القول غريبٌ فينا وفوق طبيعتنا وقد يصعب علينا ان نقوم بالواجب فيهِ . وستتعب كثيراً ايها السامع في الفحص عن جماعة المذكورين بالفضل قبل ان تجد مثل هذا الاب القديس في طهارة حياتهِ وخالص ودّهِ لانّ المحبّة اجلّ الفضائل واكبرها وقد حفظها افرام وقام بواجبها اكثر من غيرهِ من الآباء . ولكن « اذ يأخذ كلّ احد في المعاد على قدر اعمالهِ » (متى ١٦ : ٢٧) فانّا نترك القول في هذا لغيرنا ممن يريد (٧٩٤) ان يستقصيهُ حتى لا نُتصوَّر بصورة من يريد ان يقابل بين الآباء ويعادل الواحد منهم بالآخر . ولم نذكر ما ذكرناهُ على جنس المعارضة والمباراة وانّما ذكرناهُ لنبيّن منهُ نموذجاً من اعمالهِ حيث رقي بسُلّمها الروحانية الى ابعد غاية اعني ابانا هذا بل ابا العالم ومعلّم جميع المسكونة افرام الالهيّ (لهُ صلة)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانيّة بين عرب الجاهليّة وفي اوّل الاسلام

قد شاعت في جزيرة العرب في عهد الجاهليّة واوائل الاسلام عادات لا يمكن تعليلها الّا بنفوذ النصرانيّة واندماجها في القبائل العربيّة . فمن هذه العادات ما هو دينيّ بحت . ومنها ما هو شرعيّ . وبعضها مدنيّ واجتماعيّ . فهـا نحن نتتبّع هذه الاقسام الثلثة بالتوالي

١ العادات الدينيّة

﴿ الصلاة ﴾ هي في مقدّمة الواجبات الدينيّة بها يرتفع الانسان عن حضيض عالمه هذا الهيوليّ الى ربّه وخالقه ليسجد له ويشكره ويستغفره من ذنوبه ويلتمس نعمهُ . على انّ اهل البادية كانوا في كلّ اطوار تاريخهم قلّما يكترثون لهذه الفريضة كأنّ لسان حالهم يقول مع احدهم (١ :

لا لصلّي (نصلّي) ولا لصوم (نصوم) ولا لذكر (نذكر) ربّنا حمًّا (لمًّا) لقوم (نقوم)

فلمّا دخلت النصرانيّة بينهم ألفت القبائل للتنصّرة الصلاة والدعاء الى الله كما يلوح من عدد الكنائس التي كان النصارى اقاموها في جهات العرب وكما بيّنّا في القسم الاوّل من كتابنا بشواهد مختلفة رويناها عن كلّ ناحية من جزيرة العرب

ولمّا ظهر الاسلام فرض صاحبهُ على تبعته خمس صلوات في النهار فاستعار ذلك ممّا وجدهُ شائعاً بين الرهبان الذين كانوا يقيمون صلواتهم السبع في خمس قومات من

١) اطلب كتاب الكونت لندبرغ Landberg: *Dialectes de l'Arabie Méridionale*

النهار والليل جاء في نقائض جرير والفرزدق(ص٥٢٥) عن صلوات النصارى: «وكانت اخصّ صلواتهم خمساً قال الفرزدق يذكر عجوزاً من بني جعفر عاذت بابيه غالب :

عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالبٍ فلا والذي عاذت لا أضيرُها »

واخصّ صلوات المسلمين في طرفي النهار حين يصبحون وحين يُمسون (سورة هود ع ١١٦ وسورة الروم ع ١٧) وهكذا كان رهبان جزيرة العرب يبكّرون الى الصلاة ويواظبون عليها في ليلهم. قال مجنون ليلى :

كأنّهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ يتلو الزّبور ونجمُ الصبح ما طلعا

وقال الآخر (اللسان ١٤: ٨٩) :

عن راهبٍ متبتّلٍ متنسّكٍ صادي النهارَ لِليلِهِ متهجّدِ

ومن سُنَن الاسلام (الوضوء) والاغتسال قبل الصلاة . وهي عادة كان سبق اليها نصارى الشرق فتجدها في قوانينهم القديمة . ففي كتاب الايثيقون اي الآداب لابي الفرج ابن العبري بابٌ وهو الثالث من مقالته الثالثة قسمهُ الى عشرة فصول بحث فيها عن طهارة الجسد واحكامها وشروطها كما كانت شائعةً في كنائس ملّته اليعقوبيّة . وذكر الاحواض التي كانت في ساحات الكنائس لإتمام فريضة الوضوء . وقد وصف حضرة الخوري ابراهيم حرفوش في المشرق(٦[١٩٠٣]: ١١٦—١٢٣) احد مخطوطات دير مار شليطا القديمة وفيه قوانين جارية في الاعصار السالفة في ٥١ باباً ورد في احدى صفحاته (ص١٠٨) شروط الصلاة وحدودها على هذه الصورة:

« فاما حدودها (اي الصلاة) وشروطها فانّها تحتاج في اوّل شيء الى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في إثر الحدث. فان لم يجد الماء فليتجمّر بثلاثة حجار وما زاد عليها حتّى ينفي اثر النجوى. ثم غسل اليدين بالنسبة وغسل الوجه برسم الصليب المحيي ويستحبّ ايضاً غسلُ الرجلين في كلّ غداة. فاما مَن لم يُحدث فلا يحتاج الى الاستنجاء بل يستحبّ منهُ غسل اليدين والوجه وغاية الغسل ان يعمّ الماء العضو الذي يغسلهُ وعموماً كاملاً الخ. (ثم يليه فصلٌ في الاغتسال من الجنابة غسلاً عاماً . . مع الاعتراف الى الكاهن وقبول صلاة الاستغفار) »

ومن شروط الصلاة في الاسلام الاتجاه الى (القبلة) وهي ايضاً عادة مستعارة من قدماء النصارى الذين كانوا يتّجهون في صلاتهم الى الشرق اذ يتّخذون الشمس الشارقة رمزاً عن السيّد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشرق. قال صرمة

ابن أنس قبل الاسلام (كتاب البدء ١ : ٧٦) يصف صلاة النصارى الى مطلع الشمس :

ولهُ شمسُ النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفالِ

فاتّخذ محمّد على مثالهم قبلةً للصلاة كانت اوّلًا اورشليم ثمّ حوّلها الى الكعبة في مكّة

وفي الصلاة الاسلاميّة (القيام والسُّجود والركوع ورفع الايدي) وكلّ ذلك سبق اليه النصارى ووصفهُ شعراء العرب. وقد وصف البعيث رهبان النصارى عند وقوفهم في الصلاة (اطلب الصفحة ١٧٧ من الجزء السابق) :

رجالٌ يُتلُّون الصلاةَ قيامُ

وقال المضرّس الاسدي في سجودهم :

ويخالُ ساجيةَ العيونِ خواذلٍ بجادٍ لينةٍ كالنصارى السُّجَّدِ

وقال النابغة الذبياني في الراهب الراكع (تاج العروس ٥ : ٣٦٣) :

يبلغُ عُذرًا او نجاحًا من امرئٍ الى ربِّهِ ربِّ البريّةِ راكعِ

وقال اخر في رفع اكفّهم في الصلاة :

فذا فضلُ ايدي المستنيث المُسبِّحِ

واذا تلا المسلمون القرآن لحّنوا فيه (بالتجويد) ولعلّهم اخذوهُ عن تلحين الرهبان بالزبور والتسابيح. قال ابن قتيبة في المعارف (ص ١٨٠) :

كان اوّل من قرأ بالالحان عبيد الله بن ابي بكرة وكانت قراءتهُ حزنًا ليست على شيء من الحان الغناء ولا الحداء فورث ذلك عنهُ ابن ابنهِ عبدالله بن عمر بن عبيد الله فهو الذي يقال لهُ قراءة ابن عُمَر واخذ ذلك عنهُ الاباضيّ واخذ سعيد العلّاف واخوهُ من الاباضيّ قراءة ابن عُمَر وكان هرون الرشيد معجبًا بقراءة سعيد العلّاف . . . وكان القرّاء كلهم الهيثم وابن اعين وغيرهم يُدخلون في القراءة من الحان الغناء والحداء والرهبانيّة فمنهم من كان يدسّ الشيء من ذلك دسًّا رفيقًا ومنهم من كان يجهر بذلك » .

فلا مراء انّ القراءة المُحزنة والحان الرهبانيّة تدلّ هنا صريحًا الى نفوذ الغناء الرهباني في التجويد .

ويجوز ان نضيف الى هذا الباب (السُّبحة) التي يدعوها النصارى المسبحة يتلون

ابن أنس قبل الاسلام (كتاب البدء ١ : ٧٦) يصف صلاة النصارى الى مطلع الشمس :

ولهُ شمسُ النصارى وقاموا كلَّ عيدٍ لهم وكلَّ احتفالِ

فاتّخذ محمّد على مثالهم قبلةً للصلاة كانت اوّلًا اورشليم ثمّ حوّلها الى الكعبة في مكّة

وفي الصلاة الاسلاميّة (القيام والسُّجود والركوع ورفع الايدي) وكلّ ذلك سبق اليه النصارى ووصفهُ شعراء العرب. وقد وصف البعيث رهبان النصارى عند وقوفهم في الصلاة (اطلب الصفحة ١٧٧ من الجزء السابق) :

رجالٌ يُتلُّون الصلاةَ قيامُ

وقال المضرّس الاسدي في سجودهم :

ويخالُ ساجيةَ العيونِ خواذلٍ بجادٍ لينةٍ كالنصارى السُّجَّدِ

وقال النابغة الذبياني في الراهب الراكع (تاج العروس ٥ : ٣٦٣) :

يبلغُ عُذرًا او نجاحًا من امرئٍ الى ربِّهِ ربِّ البريّةِ راكعِ

وقال اخر في رفع اكفّهم في الصلاة :

فذا فضلُ ايدي المستنيث المُسبِّحِ

واذا تلا المسلمون القرآن لحّنوا فيه (بالتجويد) ولعلّهم اخذوهُ عن تلحين الرهبان بالزبور والتسابيح. قال ابن قتيبة في المعارف (ص ١٨٠) :

كان اوّل من قرأ بالالحان عبيد الله بن ابي بكرة وكانت قراءتهُ حزنًا ليست على شيء من الحان الغناء ولا الحداء فورث ذلك عنهُ ابن ابنهِ عبدالله بن عمر بن عبيد الله فهو الذي يقال لهُ قراءة ابن عُمَر واخذ ذلك عنهُ الاباضيّ واخذ سعيد العلّاف واخوهُ من الاباضيّ قراءة ابن عُمَر وكان هرون الرشيد معجبًا بقراءة سعيد العلّاف . . . وكان القرّاء كلهم الهيثم وابن اعين وغيرهم يُدخلون في القراءة من الحان الغناء والحداء والرهبانيّة فمنهم من كان يدسّ الشيء من ذلك دسًّا رفيقًا ومنهم من كان يجهر بذلك » .

فلا مراء انّ القراءة المُحزنة والحان الرهبانيّة تدلّ هنا صريحًا الى نفوذ الغناء الرهباني في التجويد .

ويجوز ان نضيف الى هذا الباب (السُّبحة) التي يدعوها النصارى المسبحة يتلون

عليها صلوات معلومة اختلفت مع الازمنة وقد وُجد منها في مقابر سيّاح الاقباط في الصعيد. وهي قديمة في الاسلام لورود ذكرها في كتاب العين للخليل قال (١ : ٥) «السبحة خرزات يُسبَّح بعددها» وجاء في مجلّة المنار المصريّة لمنشئها محمّد رشيد رضا (١٥ : ٨٢٣) فصل في السبحة واصلها في الاسلام قال:

«كنّا نرى هذه السُّبَح في ايدي القسّيسين من النصارى والرهبان والراهبات ونسمع انّها مأخوذة عن البراهمة. . . والظاهر انّ المسلمين اخذوها اوّلاً عن النصارى فكانوا في مهد الاسلام عند ظهوره في جزيرة العرب وفي البلاد المجاورة لها كالشام ومصر فلا بُدّ ان يكونوا قد اخذوا السُّبحة عنهم فيما اخذوهُ من اللباس والعادات. والامر في السبحة ينبغي ان يكون اشدّ من اخذ غيرها عنهم لأنّها تدخل في العبادة وتُعَدّ شعاراً . . . فالسبحة من البدع الداخلة في العبادة (كذا)»

﴿ الصوم ﴾ احد اركان الاسلام لم يعرفهُ المشركون من العرب في الجاهليّة وانّما كان المتنصّرون منهم يقومون بهِ على مقتضى نواميسهم ولعلّهم كانوا يصومونهُ في رجب وهو وقتئذٍ من اشهُرهم الثابتة يوافق شهرنا نيسان قال المقريزي في الخطط (١ : ٢٨٢):

«رجبٌ شهر حرام ويقولون لهُ الاصمّ لانهم كانوا يكفّون فيهِ عن القتال فلا يُسمع فيه صوت سلاح . . . ورجب الاصمّ هو شهرُ مُضَر وكانت العرب تصومهُ في الجاهلية وكانت تغار فيه وتغير اهلها وكان يأمن بعضهم بعضاً فيهِ ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون

قال امية ابن ابي الصلت يذكر جزاء الصائمين في دار النعيم:

اذا بلغوا التي أُجرَوا اليها تقبَّلهم وحُلّل مَن يَصُومُ

وكان اخصُّ اصوامهم صوم الفِصح قال غر بن تولب:

صدَّت كما صدَّ عمّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيل الفِصح صوّامُ

ومن صوم النصارى اقتبس محمّد صومَ رمضان ثلثين يوماً وكان صوم الفصح لا يزيد على ذلك في بعض الكنائس (٢ . ومنهم ايضاً اخذ عادةَ الإفطار بعد غروب الشمس الّا أنّ النصارى لم يأكلوا حينئذٍ الّا مرّة واحدة على خلاف المسلمين الذين حلّل

١) اطلب مجلّة لغة العرب (٢ : ٢٤٥)

٢) اطلب معجم الاديات النصرانيّة Dict. d'Archéologie et de Liturgie. *art.* Carême

لهم الأكل طول الليل . وكذلك كان النصارى لا يأكلون الّا الاعشاب والبقول والاثمار دون اللحم والبياض وكلاهما مسموح بهِ للمسلمين . قال العلّامة توماس پتريك هيوس (U. Patrik Hughes) في معجم الاسلام (ص٥٣٤) (Dictionary of Islam) : « انّ الارجح عندنا انّ محمّدًا اخذ عن النصارى ناموس الصوم ثلاثين يوماً . وكان صوم النصارى في الشرق غاية في الشدّة يمتدّ الى النهار والليل معاً فخفّف محمّد هذه السُّنّة وحصرها في النهار دون الليل تلطيفاً لشدّتهِ كما قال (سورة البقرة ع ١٧١) : « يريد اللهُ بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر »

امّا الخيط الابيض والخيط الاسود اللذان ذكرهما هناك (ع ١٨٣) فانّ اميّة بن ابي الصلت كان سبق الى الاشارة اليهما بقولهِ (تاج العروس ٥ : ١٣٧) :

الخيطُ الأبيضُ ضوءُ الصُّبح منفلقٌ والخيطُ الأسودُ لونُ الليلِ مركومُ

﴿ الزّكاة ﴾ هي ايضاً من اركان الاسلام المفروضة على ذويهِ بقولهِ (سورة البقرة ٢ : ٧٧) : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » اي الصدقة وما يُرصَد من الاموال لوجه الله واعانة الفقراء . وعندنا انّ صاحب الشريعة الاسلاميّة تقلّد فيهِ اهل الكتاب اي اليهود والنصارى فان موسى في كتاب التثنية الاشتراع وسفر اللاويين يفرضُ على بني اسرائيل تعشير مالهم لخدمة الكهنة والهيكل . . امّا النصارى فمن وصايا كنيستهم الراقية الى قرون النصرانيّة الاولى الوصاة بوفاء العُشر

ولمّا دخل النصارى في طاعة المسلمين من العرب وُضعت عليهم العشور والمكوس . قال المقريزي في الخطط (٢ : ١٢٢) :

« قال زياد بن جرير : اوّل من بعث عمر بن الخطّاب رضَ منّا على العشور انا فامرني ان لا افتّش احدًا وما مرّ عليّ من شيء اخذتُ من حساب اربعين درهمًا درهمًا من المسلمين واخذتُ من اهل الذمّة من عشرين واحدًا وممّن لا ذمّة لهُ العُشر . وامرني ان اغلظ على نصارى بني تغلب . . . فلعلّهم يسلمون »

﴿ الحجّ ﴾ هو ايضاً من اركان الاسلام ومعلوم انّ الحجّ الى مكّة سبق الاسلام . وكان نصارى العرب يحجّون في الجاهليّة لمزارات مختلفة . ولاسيّما للقدس الشريف فانّ القديس ليونيموس في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس ذكر في رسائلهِ (Migne, P. L: XXII, 489, 870) بين زوّار الاراضي المقدّسة الذين كان

يشاهدهم في بيت لحم عرب اليمن وهو يدعوهم على موجب اصطلاح ذلك العهد باهل الهند. وقد وصف امرؤ القيس تزاحم الاولاد على الراهب المقدّس اي العائد من زيارة القدس الشريف بقوله (اللسان ٨: ٥٠) :

كما شُبرَق الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

وفي ذلك القرن الخامس كان عرب حمير والعراق يحجّون زرافات الى مقام القديس سمعان العمودي كما روى ذلك في تاريخه تاودوريطس الذي عاينهم هناك (Migne, P.G., LXXIV. 104)

ومن مزارات العرب التي كانوا يحجّون اليها مشهد القديسين سرجيوس وباخوس في الرصافة وقد مرّ لنا ذكر الكتابة العربيَّة السابقة للإسلام التي وُردت هناك

وكانوا يحجّون في جزيرة العرب الى كنيسة القُلَيس التي شيّدها ابرهة في صنعاء بعد فتح اليمن (راجع الجزء السابق ص ٦٤ و ٣٣٤) ومثلها كنيسة ظفار

ومن المحاجّ التي كان النصارى العرب يقصدها ايضاً في الجاهليَّة طور سينا ومعابدهُ الشهيرة المقامة في مشارف ذلك الجبل حيث يروي التقليد مناجاة الله عزَّ وجلَّ لموسى النبيّ واوحى اليه بشريعته

بل كان نصارى العرب واليهود في الجاهليَّة يحجّون الى مكَّة كما روى ذلك ياقوت في معجم البلدان لأنهم كانوا يرون في الكعبة تذكارًا لما ورد في سفر التكوين (ف ٢١) عن هاجر واسمعيل بن ابرهيم الخليل متَّفقين في ذلك مع تقليد عرب الحجاز. وقد ذكر في الاغاني (٢١: ١٦٤) خروج هدبة بن خشرم الى الحجّ وكان نصرانيًا كما ذكر التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٣٥)

وقد مرَّ لنا (ص ٦٤ و ١٧٤) انَّ النصارى كانوا يدعون بعض بيَعهم بالكعبات مثل كعبة نجران الوارد ذكرها في شعر الاعشى وكعبة اليمن. قال عَبدةُ بن الطبيب (المفضّليات ٢٩١):

في كعبةٍ شادها بانٍ وزيَّنها فيها ذُبالٌ مُضيءُ الليلَ مَفتولُ

وكان لكعبة مكَّة منذ عهد الجاهليَّة حَرَمٌ اي حدودٌ تُحدق بها لا يجوز انتهاكها. ووضع محمّد حَرَمًا لمسجد النبيّ في المدينة. وانَّما الحَرَم شاع قبلًا عند اليهود حول هيكل اورشليم واتخذهُ النصارى لبعض كنائسهم الكبرى لامتيازها وهو الحِمَى

كان الداخلون فيه في امان . وقد مرَّ في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٧١) اكتشاف المسيو نويل جيرون لنُصب اي عمود ضخم من الحجر المانع في دمشق كان دالًا على حمى كنيسة دمشق قبل الفتح الاسلامي كما تبيّنهُ كتابة يونانيّة اثبتناها هناك . وكان للنصارى قرب بعض الكنائس بروجٌ للاطيار لا يجوز صيدها كحمام مكّة التي يضرب المثل في امانها فيقال آلف من حمام مكّة

وكان العرب يطوفون حول الكعبة . وكانت تلك عادةً جاريةً بين النصارى العرب يطوفون حول الكنائس قال الشاعر الجاهليّ يذكر طواف النصارى حول الصليب فدعاهُ زُورًا بالوثن (لسان العرب ١٧ : ٣٣٤) :

يطوفُ العُفَاةُ بأبوابهِ كطوف النصارى ببيت الوَثَنْ

وقال الحارث بن خالد يصف بشرة أَمة عائشة بنت طلحة (اغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرةُ خودٌ مثلُ تمثال بيعةٍ تظلُّ النصارى حولهُ يومَ عيدها

ومما رواهُ في الاغاني (٧ : ١٨٤) لعنترة وقيل بل لعبد قيس بن خفاف البرجمي قولهُ :

تمشي النعامُ به خلاءً حولهُ مشيَ النصارى حول بيت الهيكلِ

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية حديثة

Jacquier (l'abbé E.) : Etudes de critique et de philologie du Nouveau Testament. *Vol. in-12. pp. 17-513, Paris, Gabalda*

دروس انتقادية ولغوية على العهد الجديد

كان المسيو جاكيه احد مشاهير اساتذة مكتب ليون الكاثوليكيّ نشر قبل ١٥ سنةً كتابهُ الخطير المعنون بتاريخ العهد الجديد في اربعة مجلّدات ولم يزل مذ

ذاك الحين يراقب ما ينشره العلماء في هـذا المعنى فجمع عدّة معلومات استفادها من تلك المنشورات ومنها ألّف هذا الكتاب الجديد الذي وضعهُ كملحق لكتابهِ يفيد بهِ القرّاء ما استجدّ من العلوم الكتابيّة كي ينتقدها انتقاداً حسناً من حيث مضامينها وملحوظاتها اللغويّة. وقد تتبّعنا فصولهُ فرداً فرداً فرأيناهُ غالباً يكتفي ببيان آراء الكتبة الذين راجعهم دون ان يقضي في صحّتها او فسادها واذا فعل اكتفى بكلمةٍ يسيرة دون ان يتّسع في تأييد حكمهِ . ويظهر لمطالع هـذا الكتاب انّ المؤلّفين المحدثين الذين يتقصّون الابحاث الكتابيّة لا يزالون على اختلاف آرائهم وانّما اتّفقوا فقط في بعض مسائل ثانويّة كتحديد زمان تأليف اسفار العهد الجديد ولغتها . واما الباقي فكلّ فريق ثابتٌ على مذهبهِ السابق. ولم يجد المسيو جاكيه في من خالفهُ ادلّة مقنعة لتغيير آرائهِ الشخصيّة

الاب ي . ديلنسيفر اليسوعي

Tixeront (l'abbé J .) : Mélanges de Patrologie et d'histoire des Dogmes. I *vol. in-12, pp. V-279, Paris. Gabalda*

مجموعة ابحاث في بعض آثار الآباء وتاريخ المعتقدات

هذه سبع محاضرات القاها المسيو تيكسرون في جامعة ليون الكاثوليكيّة في السنتين ١٩١٩ – ١٩٢٠ مع خمس مقالات نشرها في مجلّات شتّى في ازمنة مختلفة يرتقي بعضها الى السنة ١٨٩٩ واقربها عهداً ظهر سنة ١٩١٣ . ومدار المحاضرات كان على آثار القديس اغناطيوس النوراني ثمّ كتاب الراعي لهرماس ثمّ رسالة كنيسة ليون وثيقة عن شهداء السنة ١٧٧ م ثمّ تأليف اقليمس الاسكندري المعنون بالمعلّم ثمّ مآثر ترتليانوس الادبيّة واعمال القديس ايريانوس . امّا المقالات فهذه عناوينها : دفاع اثيناغورس عن الدين المسيحيّ . اقوال الآباء والكتبة في اللاهوت وجوهرهِ واقانيمهِ في القرنين الخامس والسادس . رسالة فيلوكسينوس الى ابي نفير . تعليم القديس غريغوريوس الكبير في سرّ التوبة . الطقس الارمني المعروف بالمثل . فمن مجرّد اسماء هذه المحاضرات والمقالات يرى القرّاء ما يتضمّنهُ الكتاب من الفرائد التي كانت بتفرّقها مفقودةً وقد صارت بنظمها قلادةً ثمينة يتحلّى بها جيد مطالعيها . وليست غاية كاتبها أن يُحيط بكل معانيها فان ذلك يستدعي كُتباً مطوّلة لكنّهُ احسن في انتخاب اخصّ فوائدها وكنه مضامينها

الاب ي . د

Labriolle (Pierre de): HISTOIRE DE LA LITTÉRATURE LATINE CHRÉTIENNE. in-8, VIII- 741 pp. 1920. Prix 20 f^r. Paris, Société d'édition « les Belles-Lettres » B^d St Germain, 157

تاريخ الآداب اللاتينيَّة المسيحيَّة

قد تألفت في فرنسة في سنة الحرب الاخيرة جمعيَّة منسوبة الى غيليوم بوده (G.-Budé) غايتها نشر تآليف كتبة اليونان والرومان الاقدمين مع ترجمتها والبحث في مضامينها لتسدّ مسدّ مطبوعات سابقة تولَّاها بنكوك (Panckoucke) ولومار (Lemaire) ونيزار (Nisard) فتبقى فرنسة في مقدَّم الدول المهتمَّة باحياء دفائن القدماء. وقد نشرت الى اليوم عدَّة تآليف مهمَّة كأعمال افلاطون وتاوفرست ولوكراس وبرس سمي بطبعها فرعٌ منها يُدعى بفرع الآداب وقد نالت لبعضها الجوائز والامتيازات الفخريَّة. وممَّا برز من منشوراتها آخرًا الكتاب الذي نحن بصدده للمسيو لابريول في الآداب اللاتينيَّة المسيحيَّة التي كان أهملها اهل العصر السابق وعاد اليها علماء زماننا اذ عرفوا بحُسن نظرهم ما تحتويه من الكنوز الغالية الثمن فنشروا كثيرًا منها. فالمسيو لابريول شمل بنظره كلَّ هذه المكنونات فوضع كتابهُ هذا في تاريخ تلك الآداب الجليلة وتعريف اصحابها وبيان محتوياتها وانتقادها بكل اعتدال. وليس اجدر منهُ بهذا العمل الجليل كيف لا وقد علَّم مدَّة سنين طويلة هذه الآداب في جامعة فريبورغ في سويسرة فلم يَفُتهُ شيء من جلائلها ودقائقها. ومع اقراره بفضل بعض كتبة عصرنا المبرّزين في هذه المراد كالمسيو شرل بابو (Ch. Babut) لم يوافقهُ في كلّ مزاعمه مثلًا بخصوص القديس مرتينوس وسولبيس ساويرس على انَّهُ لم يطَّلع على ما كتبهُ الاب ديلهاي (H. Delehaye) البولندي في هذا المعنى (Anal.Boll., fasc.I -II,1920). وقد استحسنَّا جدًّا ما ختم به الكاتب تأليفهُ من الجداول والفهارس التاريخيَّة والجغرافيَّة وذكر ما لكل كاتب من التآليف. فنتمنَّى ان يدخل هذا الكتاب في جملة التآليف المدرسيَّة في المكاتب العليا والمدارس الجامعة فضلًا عن المدارس الاكليريكيَّة

الاب ج لوفنك

Clérissac (Humbert O. P.): LE MYSTÈRE DE L'EGLISE. In-12, pp. XXII-370, Paris, Téqui. Prix 6 f^r

سرّ الكنيسة

قد توفّي صاحب هذا الكتاب وهو احد افاضل الرهبان الدومنيكان قبل نجازه

تأليفهِ فتولّى نشرهُ المسيو ماريتان (Mr Maritain) استاذ الفلسفة في جامعة باريس الكاثوليكيَّة. وهو من احقّ الكتب بالاعتبار يبحث عن مسائل قلّما يعيرها بالًا اهل العصر حتى الكاثوليك. امّا موضوع الكتاب فمدارهُ على الكنيسة وقد بنى كلامهُ عنها على كلمة قالها القديس اوغسطينوس حيث وصفها بجسم تامّ ذي اعضاء مناسبة لها. فتتبع المؤلف تركيب الكنيسة اوّلًا في انشائها للسيّد المسيح ثمّ في مجالي حياتها الروحيَّة والنبويَّة والمدنيَّة والسرّيَّة وعمل الروح القدس فيها لتنمية ابنائها وبسط سلطتها مع مظاهر اعيادها الجليلة وكلّ ذلك بوصف موثر كاوصاف لادوشفوكو او لابرويار. وقد وجدنا مع ذلك بعض الخلل في تبويب الكتاب وتنظيمهِ على يد متولّي طبعهِ كما اننا كنّا فضّلنا إثبات الحواشي في ذيل الصفحات ليس في آخر الكتاب. ج. ل

Guilloux(Pierre):L'Esprit de Renan: *Un vol. in-16, pp. 412. Paris, de Gigord, s. d.*

روح رينان

لعلّ قرّاءنا يعلمون ما بلغ اليهِ من السمعة ارنست رينان في زمانهِ في عهد نابليون والجمهوريَّة الثالثة وقد عرفهُ بعض اهل الوطن في بعثهِ الى فينيقية لوصف آثارها. فهذا الرجل الذي اتّخذتهُ الزندقة كراية تسير تحت كنفها قد ضعفت سطوتهُ منذ وفاتهِ وكاد يزول التهوّس الذي كان استفزّ معاصريهِ لتمجيدهِ. وها هوذا كتاب غاية في الانصاف والصدق وضعهُ المسيو غيليو اماط فيهِ الحجاب عن ذلك الرجل الذي بعد ان تخرّج في مدرسة سان سولبيس الاكليريكيَّة قلب للدين ظهر المجنّ ومال الى الإلحاد ومنذ ذاك الحين أقام نفسهُ قاضياً على كلّ امور الدين والدنيا معتبراً ذاتهُ الكلّ في الكلّ لكبريائهِ المفرط. وقد اختار المؤلف لإثبات حكمهِ اقوال رينان في تآليفهِ ورسائله السرّيَّة والعلنيَّة التي من شأنها ان تنفر منهُ كلّ انسان ذي فكرة وذوق وقد اخذت الناشئة الحديثة تستكف منهُ حتى حفيدهُ ارنست بسيخاري (E. Psichari) استكرهُ تلك الاخلاق الدنيَّة وارتدّ الى الدين وهو يسعى ان يكفّر عن ذنوب جدّهِ ويعوّض عن الشرّ الذي فعلهُ ج. ل

Mgr Gibier : Les reconstructions nécessaires. 1 vol. in-12, Paris, Téqui, Prix 6fr

ترميم الابنية المتداعية

الابنية المتداعية التي يدعو الى ترميمها سيادة رئيس اساقفة ڤرسايل المنسنيور جيبيه ليست الابنية المادّية التي أخربتها الحرب وانّما اراد بها الابنية الادبيّة التي يقوم بها المجتمع الانساني والتي أصيبت بزماننا بضربات مؤلمة مباشرةً بالنفوس ثم العيال ثمّ المدارس ثمّ الصنائع ثمّ الرعايا والمدن والمجتمع الانساني كلّهُ فانّ سيادتهُ يستقري كل هذه الابنية ويثبت ما لحق بها من الأذى بالروح العصري وضعف الدين وانتشار الاراء الفاسدة والاميال الباطلة ثمّ يدلّ على الوسائط لعلاج هذه الأدواء وذلك بكلام لطيف ولهجة حيّة مستطابة ج . ل

L'Arabe parlé. Dictionnaire-Grammaire par Bruce Millard avec la collaboration de W. Catzéflis., *Paris., Libr. Garnier Frères in-16, pp. IX-164*

اللغة العربيّة العاميّة : اصولها ومعجمها

قد سبق بعض المستشرقين وألّفوا كتباً في اللغات العاميّة العربيّة في مصر والجزائر ومراكش والشام تسهيلًا للمتجوّلين من الفرنج في تلك البلاد فأحبّ جناب الانكليزي ميلّار مع مواطننا وليم كتسفليس ان يضمّا في كتاب واحد لهجات تلك البلاد المختلفة فوضعا هذا التأليف الجامع للاصول اللغويّة وللمفردات والمباحثات الدارجة بين العموم وذلك باللغتين الفرنسويّة والانكليزيّة . امّا العربيّ فهو بالحرف اللاتيني وذلك على طريقة غريبة ليست بمأنوسة فيصوّر مثلًا الثاء بحرف s والحاء بحرفي hh والخاء بحرفي qh والقاف بحرفي kk ولا فرق بين الذال والزاي والظاء فكلّها مصوّرة بالحرف z وهلم جرّاً ل . ش

Manuel de Conversation Français-Marocain par B. Tedjini. Paris, Libr. Garnier Frères, in-32, pp. 204

محادثات بالفرنسويّة والعربيّة المراكشيّة

هذا كتاب صغير الحجم وُضع لافادة المسافرين من الفرنج الى مراكش يشتمل على مباحثات في الامور الجارية والحاجات اليوميّة التي لا غنى عنها للمتجوّلين في تلك

الاصقاع وهي بالـلغتين العربيَّة والفرنسويَّة والالفاظ العربيَّة ممثَّـلة بحرف افرنجي كالسابق . الَّا انَّ اصطلاحاته في تمثيلها غير اصطلاحات الكتاب الموصوف وهي غريبة ايضاً . فيا ليت كان يتَّفق الفرنج على قاعدة واحدة في تلك الاصطلاحات التي يضيع فيها المبتدئون بل العلماء ايضاً !

Arabic Romanic Transliteration and arabic Reading, by Najoob Mitry Saleoby. *M. D. D. Sc., Sarkis Press, Bayrut, Syria,* 1920. *in-8, pp.* V-78

تمثيل العربيَّة بالاحرف اللاتينيَّة والقراءة العربيَّة

في هذا الكتاب حلٌّ معقول لتمثيل حروف الهجاء العربيَّة بالحروف الاوربيَّة شرح فيه مؤلفهُ الاديب نجيب افندي متري صليبي قواعد ذاك التمثيل بعد وصفه للحروف العربيَّة وبيانه لمخارجها وصحَّة لفظها ثم أتبعها بعدَّة تمرينات عليها بموجب طريقته : ولعلَّهُ كان يستطيع اختصارها ايضاً بنبذهِ للحروف الاوربيَّة المزدوجة كالثاء والخاء والذال والشين والغين فانَّ الطريقة التي ننهجها الآن في مطبعتنا يفضلها عدَّة علماء اوربيين هكذا : ث (ṯ) خ (ḫ) ذ (ḏ) ش (š) غ (ǧ) بدلاً من th, kh, dh, sh, gh, وعلى هذا النمط يكتب جناب المؤلف اسمهُ الكريم Najeeb لا Najib Salibi Saleeby

ل . ش

Los Precedentes Musulmanes del « PARI DE PASCAL » por Miguel Asin Palacios presbitero, *Santander,* 1920, *in-12, pp.* 64

سَبْقُ الكتبة المسلمين الى رهان بسكال

ورد في خواطر (les Pensées) بسكال الكاتب الفرنسويّ الشهير كلمة تعرف برهان بسكال جعلها في وجه الملحدين كسيف ذي حدَّين وظنَّها مقنعة مرغمة لكفرهم فقال « لا بأس من الايمان بالمعاد لأنك ان امنتَ بوجوده فصدَّق ايمانك كنت فائزاً كل الفوز وان لم يصدق ايمانك به فلا تخسر شيئاً » وقد ورد مثل هذه الكلمة في كتب قديمة الَّا ان بسكال اخرجها على صورة قياس وجيز يؤثر في ذهن سامعه . وقد جاء للعرب مثل ذلك قال ابو العلاء المعرّي :

زعم المنجِّم والطبيبُ كلاهما أنْ لا معادَ فقلتُ ذاك اليكما
ان صحَّ قولكما فلستُ بخاسرٍ او صحَّ قولي فالويل عليكما

وللغزالي في إحياء علوم الدين وفي الميزان والاتحاف كلام يشبههُ . فبحث العلَّامة

الكاهن الاسباني الشهير بدروسه الاسلامية الاب ميكال اسين بلاسيوس عمّا يوجد من العلائق بين قول بسكال واقوال الغزالي فوضع هذا الكتاب الذي اودعهُ نتيجة ابحاثهِ وهو يرجّح انَّ بسكال اخذ القياس المذكور عن الغزالي مع جهلهِ باللسان العربيّ سواء بلغهُ قول الغزالي ببعض تراجم كتبهِ او بواسطة بعض المستشرقين في زمانهِ . وعلى ظنّنا انَّ ادلّتهُ مبنيَّة على الحدس والتخمين لا تكفي لاقناع العلماء لا سيّما انهُ ورد لغير العرب اقوال مثلهُ . لكنّنا قد سُررنا بمطالعة كتابهِ الدالّ على تعمُّقهِ في درس كتب فلاسفة الاسلام والمتصوّفين ل . ش

I. GOLDZIHER. Le Dogme et la Loi de l'Islam, HISTOIRE DU DÉVELOPPEMENT DOGMATIQUE ET JURIDIQUE MUSULMAN. Traduction de Felix Arin.. *Paris*. Libr. P. Geuthner, 1920, in-8. pp.315

عقيدة الاسلام وشريعتهُ

ليس اليوم بين المستشرقين بل قل بين الشرقيين كلهم من يبلغ في معرفة تاريخ العقيدة الاسلاميَّة وشريعتها مبلغ العلّامة اغناسيو غولدسير احد اساتذة جامعة بوذابست في المجر كما يتّضح ذلك لمن وقف على كتاباتهِ الاسلاميَّة السابقة . وكتابهُ هذا المنقول حديثاً الى الفرنسويَّة هو كخلاصة دروسهِ الطويلة للشرع المحمّدي منذ ظهور نبيّ الاسلام الى القرون الاخيرة فانَّهُ اعتبر تلك الشجرة الباسقة في جذرها البسيط في الطور الاوَّل من تاريخها ثمَّ في شُعَبها العديدة وفروعها واغصانها المختلفة المتباينة التي ظهرت في انحاء الاسلام ثمَّ نمت وبسقت وكثيرٌ منها تلاشى فلم يبق منهُ الّا آثار قليلة . فالمعلّم غولدسير في كتابهِ هذا يتتبّع سلسلة تلك التعاليم واستنادها الى القرآن والحديث وما جرى بسببها من الاختلافات والمجادلات والحروب بين اهل السنَّة والشيعة وبين الخلفاء والخوارج وبين زعماء الملل والنحل . فكتاب الاستاذ غولدسير يكشف النقاب عن كلّ هذه المعمّيات بحيث يقف القارئ على تطوُّراتها ودقائقها . فنشكرهُ على ما افاد وأجاد ونثني على مترجم الكتاب المسيو أرين وطابعهِ المسيو غوتنر ونحضُّ كلّ من يتوق الى معرفة احوال الاسلام الدينيَّة على درسهِ ل . ش

La Mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé par **Louis Brunot**. *Paris, Ernest Leroux, in*-8, 1921, *p.* 358

البحر وتقاليدهُ واعمالهُ الوطنيَّة في رباط وسلا

في مراكش مدينة شهيرة بُنيت في القرن الثاني عشر للميلاد تُدعى رباط وفي

ضواحيها بلدة سلا التي قامت في القرن العاشر على اخربة المستعمرة الرومانيَّة شلّا . وكلتاهما قد لعبت في القرون الوسطى الى ايامنا دورًا مهمًّا في تاريخ مرّاكش ولاسيَّما في الاعمال البحريَّة لموقعها بجوار البحر الاتلنتيكيّ فرأى المسيو لويس برونو في درس تاريخها ومآثرها البحريَّة موضوعاً شائقاً من شأنه ان يستوقف نظر القرّاء ولاسيَّما مواطنيه بعد بسط سلطتهم على مرّاكش . وهذا الكتاب يلذُّ جدًّا مطالعيه لما ضمَّنهُ صاحبهُ من الفوائد التاريخيَّة ووصف الاخلاق والعادات القوميَّة والمواسم الدينيَّة الشائعة في مرّاكش وسواحلها بين الاهلين وخصوصاً بين الملّاحين واهل البحر مع بيان صناعتهم البحريَّة وفنّ الملاحة عندهم وتمييزهم للمراكب وارتزاقهم بالصيد مع ذكر الاسماك التي يصطادونها والاهازيج التي يتغنَّون بها واشياء اخرى كثيرة يطول تعدادها ولا يجدها العلماء في غير هذا الكتاب . فنهنّئ المسيو برونو على وضعه هذا التأليف الفريد في جنسه الذي يوقفنا على مجاهل تلك البلاد الغربيَّة ل . ش

١ شهر قلب يسوع : تأملات وجيزة (طبعة ثانية ص ١٢٠) = ٢ الكنز الروحي للعابد المسيحي (ص ٤٣٧) = ٣ فرض الحبل بلا دنس (ص ٢٩)

(طُبعت كلها في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢١)

١ وافق تجديد كتاب شهر قلب يسوع دخول حزيران المخصَّص لاكرامه . وهذا الشهر قد نقلهُ من الايتاليَّة حضرة الاب انطون صالحاني وهو في الاصل موجَّهٌ للعمّلة الّا انَّ حضرة المترجم رأى في تعميمه بين كلّ النفوس التقوية فائدةً اعظم فأخرجهُ في هذه الطبعة الثانية على صورة تشمل جميع المتعبّدين للقلب الالهيّ . ومن خواصّ هذا الشهر انهُ جامع بين الوجازة والوضوح وبين النظر والعمل مع النوافذ التقويَّة ولذلك اصابت طبعتهُ الاولى قبولًا واستحساناً

٢ الكنز الروحي للعابد المسيحي هو طبعة جديدة لكتاب الصلوات المكرَّر سابقاً نشرهُ في مطبعتنا الّا انَّ حضرة الاب صالحاني المتولّي طبعهُ قد اعاد فيه النظر واصلح كثيرًا من عباراته الركيكة وألقى منهُ قسماً لا يحتاج اليه اهل العبادة فاستبدلهُ بصلوات تقويَّة جديدة متفرّقة مع طلبات وادعية وافادات شتّى تتوق اليها النفوس الصالحة فنشكر لحضرته تقريب مواردها من اهل الصلاح

٣ هذا فرض الخيل بلا دنس انتزعهُ حضرتهُ من الكتاب السابق لفائدة المتعبدين للبتول الطاهرة في اخويّاتها . وقد راجعهُ على اصلهِ اللاتينيّ وضبط ترجمتهُ

١ رواية العَلَم السماوي ٢ كتاب نَغَمات الملائكة

كلاهما بقلم الشيخ امين ظاهر خيرالله صليبا

طُبعا في مصر في السنتين ١٩١٩ و ١٩٢٠ (ص ١٠٦ و ٨٠)

قد عشق صديقنا الشيخ امين افندي ظاهر خيرالله المواضيع الدينيَّة جارياً بذلك على آثار رجل الوطن والدين والدهِ المأسوف عليهِ . وقد اتينا غير مرَّة على ما دبَّجه قلمهُ السيَّال نظماً ونثرًا قبل الحرب الكونيَّة بوضعهِ التآليف الادبيَّة الدينيَّة ترويحاً لأخلاق الناشئة العصريَّة . وها هوذا قد اهدانا كتابين جديدين انشأهما حديثاً على نمط كتاباتهِ السابقة . فالاوَّل يتضمَّن اهتداء الملك قسطنطين الكبير الى الايمان المسيحيّ اخرجهُ على صورة رواية غاية في الحسن دعاها بالعَلَم السَّماوي مشيرًا الى ظهور الصليب لقسطنطين في كبد السماء يوم محاربتهِ لمكسنطيس . والثاني تسابيح تقويَّة واناشيد مطربة يبلغ عددها ٥٤ تسبحة في كلّ مواضيع التُّقى والدين والادب بنظم رائق ومعانٍ بليغة تُحقّق اسم الكتاب بنَغمات الملئكة . فنمحض شكرنا للمؤلف عن هديتيهِ النفيستين ونتمنَّى لهما رواجاً عظيماً لا سيَّما في المدارس وبين ناشئة الوطن

هدايا مرسلة الى المشرق

١ ﴿منشور رعائيّ﴾ وجَّههُ سيادة مطران دمشق بشاره الشمالي الجزيل الشرف الى اكليروس ابرشيَّة دمشق المارونيَّة واعيانها وشعبها عموماً بمناسبة تكريس الطائفة المارونيَّة لقلب يسوع الاقدس اعلن فيهِ حقوق الله على خلائقهِ ثمَّ واجبات الخلائق نحو ربّهم لاسيَّما خدمتهم لهُ تعالى بكل اعمالهم طول حياتهم وذلك ما يدعوهم اليهِ غبطة السيد البطريرك بتكريس نفوسهم وعيالهم للقلب الاقدس .

٢ ﴿ انَّ هذا السرّ عظيم﴾ خطاب لحضرة الاب الخوري مارون غصن القاهُ في ١٣ نيسان الاخير في كنيسة القديس ميخائيل بالشيَّاح بيَّن فيهِ عظيم سرّ الزواج

المسيحي بازاء التاريخ المقدس وتقليد الكنيسة المتواصل . ثم تخلى الى اثبات ما يستحق من الكرامة والاعتبار في اعين جميع المسيحيين وباي خشوع وورع يجب ان يحتفل به لا في البيوت بل في الكنيسة حيث تُقام الاسرار المقدسة عادةً

٣ ﴿ رواية شهيد الدين وابطال المروءة ﴾ هي رواية تمثيلية ذات ثلثة فصول ألفها نثراً مع بعض النظم حضرة الخوري فرنسيس نجم مدارها على بيان شهامة بعض المسيحيين في الدفاع عن وطنهم وايمانهم ثم انتصارهم على اعدائهم الوثنيين والعفو عنهم بعد اسرهم كرماً وامتثالاً لاوامر الدين

٤ ﴿ مقالة في الاعتقاد الباطل ﴾ لحضرة الخوري بطرس قزح من دير الاحمر ذكر فيها بعض الخرافات والاعتقادات الباطلة التي يتناقلها الناس ويعولون عليها لالتماس بعض الخيرات المادية او لدفع بعض المضرات فاثبت حضرته بطلان تلك المزاعم وفندها عقلاً ونقلاً وخطأ الملتجئين اليها

٥ ﴿ الكرميات ﴾ مجموعة مقالات وقصص في موضوعات شتى بقلم احمد شاكر الكرمي نشرها محيي الدين رضا صاحب مكتبة السعادة في مصر . في هذه المقالات عدة مزاعم لم يتروَّ فيها كاتبها البعض منها له كمقالاته في الزواج والبعض منقول عن غيره كمقالة الفلسفة الشرقية المؤدية الى تعطيل الاديان ونكران الوحي

٦ ﴿ سورياً للسوريين ﴾ هي رسالة سياسية اجتماعية تاريخية حسنة وجّهها احد افاضل المسلمين الى قومه ليبيّن لهم شطط اللائذين بالحكومة العربية الحجازية التي لا يُرجى منها خير لبلاد سورية فسرد تاريخ دخولها في جهات الشام في نهاية الحرب الكونية وتتبع مساوئ ممثلها الامير فيصل الذي كاد مع حاشيته يقلب البلاد ظهراً لبطن ليفوز بمطامعه تارةً بالمواعيد الفارغة وحيناً بسياسة التلوّن ودسّ الدسائس واخيراً بالعداء المكشوف وسياسة الخراب فكانت النهاية فشل الامير وعلوّ الحق ورجوع السلام الى نصابه بحسن دراية الدولة المنتدبة وحكمة المفوض الاعلى فخامة الجنرال غورو . فنوصي بمطالعة هذه الرسالة كلّ من غرّهُ السراب العربي

٧ ﴿ الدواء الشافي ﴾ بقلم شكري افندي الخوري صاحب ومحرر جريدة « ابو الهول » في سان باولو : البرازيل . هي مقالة صادرة عن قلب يتلهّب غيرةً على الوطن يستدعي فيها الدولة الفرنسوية الى كسر شوكة المتعصبين ومناصرة الضعفاء

٨ ﴿ معارضات قصيدة «يا ليل الصبّ» للحُصري القيرواني ﴾ جمعها الاستاذ الاديب عيسى اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة الآثار من شعراء مختلفين زمناً ووطناً واضاف اليها معارضتهُ . وكنّا أحببنا لو خصَّ صديقُنا الجامع لهذه المقاطيع وقتهُ الثمين لما هو ارفع وانفع من هذه المعارضات الشقيّة التافهة

٩ ﴿ الحقّ يعلو ﴾ بقلم يوسف نصر . لا نشكّ في انّ الحقّ لا يُطغى عليهِ ولكن ربّما اشتبه الحقّ على كاتب هذه المقالة فنسب اليهِ اوهامهُ الباطلة

١٠ ﴿ الوقائع الماسونيّة ﴾ بلغتنا في آخر دقيقة والمجلّة ماثلة للطبع نسخة من الوقائع الماسونيّة المطبوعة في بيروت « لمؤلفها وناظم عقدها يوسف الحاج » . وسنفرد لها فصلاً في العدد القادم انشاء الله

شذرات

﴿ قلب يسوع في صدر لبنان ﴾ هي القصيدة العامرة الابيات التي نظمها في الاسبوع الماضي حضرة الخوري رافائيل البستاني فنشرها في البشير . ضدها قرّاءنا كتذكار تكريس لبنان للقلب الاقدس في غرّة شهر حزيران المخصّص باكرامهِ

ألبنانُ سِرّ مَنْ راكَ لا تكتمِ الحبّا ... ففي صدرك المحبوبُ قد أودعَ القلبا
فنزّل هذا القلبِ قلبٌ ومُهجةٌ ... فأخلِ لهُ مثوًى يروقُ لهُ رحبا
حبيبُكَ لا يرضى نديداً مزاحماً ... فينأى اذا ما غيرُهُ يطلب القُربا
أبى الطهرُ نُزلاً حيثُ تأوي مآثمٌ ... وهل ألِفَ الحقُّ الأضاليلَ والكذبا
ألبنانُ هذا القلبُ يأبى تقلُّباً ... فجانِبِ انتقالاً في الولاء ومثا يأبى
فقلبُ يسوعٍ ليس ضيفاً مغادرًا ... ولكنهُ مَلِكٌ ينود بك الحُقبا
مليكٌ على عرش القلوب قد استوى ... وعن غير هذا العرش ما ملك الشعبا
فسائلْ رفاتاً في ضريحٍ جدودنا ... فتعرفَ عزّ ذا القلب ما شئتَ من أنبا
فما عصمَ الأجدادَ شمٌّ براذخٍ ... وان حكَّ في الافلاك متكبُها الشهبا
وما كفَّ كفَّ الفاتحين كتائبٌ ... ولا هضاب متوازٌ متناقلٌ او عضبا

٨ ﴿ معارضات قصيدة «يا ليل الصبّ» للحُصري القيرواني ﴾ جمعها الاستاذ الاديب عيسى اسكندر المعلوف اللبناني صاحب مجلة الآثار من شعراء مختلفين زمناً ووطناً واضاف اليها معارضتهُ . وكنّا أحببنا لو خصَّ صديقُنا الجامع لهذه المقاطيع وقتهُ الثمين لما هو ارفع وانفع من هذه المعارضات الشقيّة التافهة

٩ ﴿ الحقّ يعلو ﴾ بقلم يوسف نصر . لا نشكّ في انّ الحقّ لا يُطغى عليهِ ولكن ربّما اشتبه الحقّ على كاتب هذه المقالة فنسب اليهِ اوهامهُ الباطلة

١٠ ﴿ الوقائع الماسونيّة ﴾ بلغتنا في آخر دقيقة والمجلّة ماثلة للطبع نسخة من الوقائع الماسونيّة المطبوعة في بيروت « لمؤلفها وناظم عقدها يوسف الحاج » . وسنفرد لها فصلاً في العدد القادم انشاء الله

شذرات

﴿ قلب يسوع في صدر لبنان ﴾ هي القصيدة العامرة الابيات التي نظمها في الاسبوع الماضي حضرة الخوري رافائيل البستاني فنشرها في البشير . ضدها قرّاءنا كتذكار تكريس لبنان للقلب الاقدس في غرّة شهر حزيران المخصّص باكرامهِ

ألبنانُ سِرّ مَنْ راكَ لا تكتمِ الحبّا ... ففي صدرك المحبوبُ قد أودعَ القلبا
فنزّل هذا القلبِ قلبٌ ومُهجةٌ ... فأخلِ لهُ مثوًى يروقُ لهُ رحبا
حبيبُكَ لا يرضى نديداً مزاحماً ... فينأى اذا ما غيرُهُ يطلب القُربا
أبى الطهرُ نُزلاً حيثُ تأوي مآثمٌ ... وهل ألِفَ الحقُّ الأضاليلَ والكذبا
ألبنانُ هذا القلبُ يأبى تقلُّباً ... فجانِبِ انتقالاً في الولاء ومثا يأبى
فقلبُ يسوعٍ ليس ضيفاً مغادرًا ... ولكنهُ مَلِكٌ ينود بك الحُقبا
مليكٌ على عرش القلوب قد استوى ... وعن غير هذا العرش ما ملك الشعبا
فسائلْ رفاتاً في ضريحٍ جدودنا ... فتعرفَ عزّ ذا القلب ما شئتَ من أنبا
فما عصمَ الأجدادَ شمٌّ براذخٍ ... وان حكَّ في الافلاك متكبُها الشهبا
وما كفَّ كفَّ الفاتحين كتائبٌ ... ولا هضاب متوازٌ متناقلٌ او عضبا

ولكنَّ هـذا القلبَ قد كان مَوْئِـلا يردُّ غُزاةً جاعـلًا رأسهم كَعْبـا
فكـان ولم ينفكَّ ذلـك دأبَـهُ فتـابعْ أيا لبنانُ نهجـك والـدأبا
تقدَّمَـكَ الأجـدادُ فالزم صراطهم فإرثـاً اتاك الجبُّ منهمُ لا كَسْبـا

أحبُّوا حبيبـاً حبُّـهُ قـد علا بهِ على خشبٍ يستمطرُ المزنَ والضربا
وقـد ساقهم حبُّ الحفـاظ ودينُهم الى قُلَـلٍ شمّـاء تخترقُ السُّحبـا
اقـاموا بهـاتيـك الرواسي وآثروا عـلى مُخصبـات الريفِ باثرةً جُـدْبا
ثوَوا مثلمـا تثوي القشـاعمُ رفعـةً وقد تخذوا مأواهمُ الجلمدَ الصُّلبـا
وقـد وَغَـلوا في الغيل خشيةَ غيلةٍ كـأنهمُ الآسـادُ مُخـدِرةً غضبى
علَوْا قُنَنَ الأطواد ضنّـاً بدينهـم كما اقتعـدوا جُرْدًا مطهَّمةً قُبّـا
أُبـاةٌ أبوا ضيمـاً وعـافُوا معرَّةً وقـد أنِفوا ذلاً ولم يـألفوا السَّبّـا
غضـافرُ لم يَقْنُوا لسلطـة غـاشمٍ فكـلٌّ بنفسٍ عن مـذلّتهـا يربا
فمـن كل مقتولٍ النِّبـال وسـاعدٍ يرى في الرَّدى لـلذَّود عن عرضهِ قُرْبى
يُـفدُّون بالارواح كنزَ يقينهـم ولم يرهبوا الإمـلاقَ فيهِ ولا الخطبـا
اذا قـلبُ فـاديهم يناجي قلوبهم ترى فيهمُ رَوْحَ المكارم قد هبّـا
يحيُـون قلبـاً في اصيـلٍ وغـدوةٍ ويَحيَوْن فيـهِ مـارحين بـهُ عجبـا
فتـهُ قواهـم والحيـاةُ ومجدُهـم كما استـهلوا في حبِّهِ الأوعرَ الصَّعْبا
فقـاموا كأسوارٍ حـديدٌ بناؤهـا بوجهِ طُغـاةٍ حاولوا الفتـك والنهبـا
وصـالوا كما صـالت قساورُ حرَّدٌ حِفـاظـاً على دينٍ وعـذراء ان تُسبى

أأحفـادَ ابطـالٍ ضراغمَ مُرَّدٍ شـذا ذكرهم خاضَ المشارقَ والغربا
ويا نسـلَ اجـادٍ كرامٍ تتيَّـموا سبيلَ جدودٍ وألزموا ذلـك البـدربا
سبيلٌ يقود الخطوَ للفضل والعلى ويُرضي بني الدنيـا ويستطب الربّا
فـا الدينُ الّا منهجُ العـدل والهدى يرى الطـاهرُ الظمـآنُ موردَهُ عَذْبا
يمجُّ زُلالَ المـاء من حُمَّ جسمـهِ ويُغضي شعاعُ الشمس من ارمدَ الهـدبا
ومنـظرُ شُرْطيٍ يبلبـل سارقـاً ويلقي بقلبِ السافـك الفـادر الرعبـا
فـلا غرو ان يحتـكَّ بالـدين فاسدٌ فـا الجـلدُ الّا دأبُ مهزولةٍ جَرْبى

فما هال ليثاً في العرينة ثعلبٌ وما ارتاع نسرُ الجوّ إنْ سمع الثعبا
فأقبلوا الى الحسّاد نظرةَ مزدرٍ فتُضرمَ نارُ الحقدِ في جوفهم قُضبا
وكونوا كما كان الجدود فتسعدوا ولا تخشَوُنَّ العذلَ في الدين والقشبا
فتمثالُ فاديكم يمثّل قلبَهُ هلمّوا بجُوهُ فهو قد فتح الجنبا
فللقلب نطقٌ بل لغاتٌ فصيحة يحيط بها الأميُّ والدارسُ الكتبا
يحادثُ قلبُ الحبِّ قلبَ حبيبه ولا حائلٌ دون الحديث ولا حجبا
فناجوا حبيباً بل خطيباً قد اعتلى على منبر الآلام لم يأنفِ الصلبا
أجلّوا فؤاداً في شغاف فؤادكم ومن أطهرِ الاميالِ أهدوا لهُ صحبا
أيا قلبُ كُنْ في صدر لبنان مُحيياً نفوساً واجساماً فيكتب الحصبا
وكن سانداً تنهي وتأمر مطلقاً وأصلِ الاباطيلَ المضلّلةَ الحربا
وحافظْ على كنز العقائد مُبعداً عقاربَ غيٍّ تبتغي نحوه الدبّا
أضئْ ما دجا في النفس والقلب والنُّهى وبدّدْ ظلاماً يفسد الدين واللُّبّا
ولا تدع الاهواء تعصفُ ريحُها ليَسريَ روحُ الطُّهر ذا أرَجٍ رطبا
وصُن من سموم الفسق زهر شبيبةٍ ومن سمّ حيّاتٍ تروم بها لبّا
فشبّاننا نبني عليهم رجاءنا وهم في غدٍ يضحون للوطن الثُّطبا
فسدّدْ خطاهم في الغضاضة أنّهُ يَشيب على ما في صباه الفتى شبّا
فيُختم عمرٌ في رضاك كما ابتدا فنسعدَ في الدارين هذه والعُقبى

﴿النباتات النيّرة﴾ لبعض الاشجار المقطوعة والاغصان المتعفّنة خاصّةُ التشعشع كالفسفور فتضيء في الظلمة . وقد روى احد العلماء انّهُ عاين في اميركة قوماً يجرّون شجرةً مقطوعة على طرق مفروشة بالبلاط فكانت تخطّ بمرورها خطّاً نيّراً على البلاط وكان نور الشجرة يكاد يبهر النظر بسنائه وبقيت منها شظايا مضيئة بضعة ايام . وشوهدت امكنة شتّى كانت تضيء فيها ميلاً جذوع الاشجار المقطوعة فتنير ما يجاورها

﴿ اطول قناة في العالم ﴾ هي قناة الصين الكبرى الممتدّة من هنغ شو الى تيان تسين . طول قسمها الجوهري ١٬٣٧٠ كيلو متراً ، اعني ٢٨ مرة ونصف اكثر من طول قناة سويس . يوشر حفرُها في الجيل الخامس قبل المسيح حيث كانت تباشير التمدّن الاوربي بادية على افق العالم الشرقي البالغ في ذلك العهد عمراناً اثيلاً . ولم تختم

حتى الجيل الثالث عشر بعد المسيح فاستغرق انجازها ١،٧٠٠ سنة ونيف . اما الآن فليست قابلة لاجتياز السفن في كثير من اجزائها وقد عزمت الحكومة الصينيَّة على تخصيص المبالغ الطائلة لترميم تلك مأثرة جدود ابناء السماء !

﴿الماسونيَّة والحرب الكونيَّة﴾ كان ورد في لسان الحال في عدد السبت ٣ ايار ١٩١٩ ما حرفهُ : « رأي غليوم الثاني في الحرب . كتب غليوم الثاني كتاباً الى الدكتور شليمان من كليَّة برلين اتهم فيهِ الماسونيَّة بأنها اثارت الحرب وأكَّد انَّ الانتصار التامّ كان مضموناً لالمانيا لولا الهدنة وانَّ انكسارها لم يسببهُ غير مكايد الاشتراكيين الديموقراطيين في المانيا » فان صحَّ قولهُ عن الماسونيَّة كانت « شتشتة نعرفها من اخزم »

﴿اصلاحات وفوائد﴾ ورد في الصفحة ٣٣٩ س ٣ انَّ لبعض الهوام من الاجنحة « زوجين او اكثر » والصواب « لا اكثر » . ويُصلَح س ٩ « انَّ لاكثر انواعها ثمانية عيون » لا « ازواج من العيون » . وكذلك س ٢٦ « ولغيرها زوج من المعاجن في كلّ من شفرتيها العُليا والسفلى » لا « زوجان » = وقد الفت الاستاذ منصور افندي جرداق نظرنا الى خطإ وقع في الارقام في الصفحة ٤٤ سطر ٤ من عدد ك ٢ حيث ورد ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر والصواب ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ . وافادنا جنابهُ انَّ فارس الشويريّ المذكور في رحلة الامير بشير الاولى الى مصر (ايلول ١٩٢٠ ص ٦٨٩—٦٩٠) والذي لم نقف لهُ على تاريخ « هو فارس جرجي مرهج من قرية الشوير والمعروف عنهُ انَّهُ قدَّم خدمات مشهورة للامير في أيام كربتهِ ولذلك جعلهُ كاخيَّتهُ وبواسطتهِ رقَّى الامير بيت عسَّاف مرهج المشهورين وقرَّبهم اليهِ » = واستفدنا من مجلَّة العرفان الصادرة في صيداء (ص ٣٤٤) انَّها سبقتنا الى نشر قصيدة ابن دريد في المقصور والممدود في الصفحة ٣١٥ من سنتها الرابعة . وعذرُنا في جهلنا لما نشرت انهُ لم يبلغنا من اعداد سنتها الرابعة الأثلثة اجزاء اي ١ و ٩ — ١٠ ومن السنة الخامسة العددان ٥ و ٨ فلو تفضَّلت بارسال ما ينقصنا من اعدادها كنَّا لها من الشاكرين . ومن إفاداتها انَّ الكاتبة زينب فوَّاز التي نشرنا ترجمتها لجان دارك في شباط الماضي (ص ١٠٨) هي « عامليَّة شيعيَّة معروفة ولم تزل اسرتها موجودة في تنين وانَّها توفيت في غضون الحرب » اما ما زاد صاحب المجلَّة هناك عن تطرُّف البشير والمشرق في ذكر اعمال الشيعة في بلاد بشارة فجنابهُ أعلم منَّا انَّهُ دون الحقيقة وليس من جنايات « شذَّاذ واخلاط منهم فقط » ولو سكتنا لصرخت الحجارة

أسئلة واجوبة

س سأل احد السادة الافاضل: ١ً باي عهد ترك الموارنة استعمال البدلة الشرقيّة اي الغفّارة في القدّاس واتخذوا البدلة اللاتينيّة ؟ . ٢ً هل يمانعهم الكرسيّ الرسولي اذ ارادوا العود الى استعمال بدلتهم الشرقيّة ؟

البدلة الشرقيّة في الطقس المارونيّ

ج نجيب على الاوّل انّ الموارنة لم يتّخذوا البدلة اللاتينيّة في وقت واحد وانّما دخلت عندهم تدريجاً بما اهداهم الكرسيّ الرسوليّ من البدلات المتعدّدة على يد المرسلين اللاتين بسبب فقر كنائسهم لاسيّما في سفارتي الاب اليانو اليسوعي اللتين رويناهما في المشرق . وكانوا قبل ذلك يلبسون الغفّارة في التقديس كالسريان . ونجيب على الثاني انّ الامر في عهدة مجمع الطقوس ولو عُرض عليهِ رغبة الاكليروس في الرجوع الى البدلة الشرقيّة لا نظنّ انّهُ يجد في ذلك مانعاً

س سألنا كثيرون ما سبب تأخّر الروم هذه السنة في تعييد الفصح حتّى زاد الفرق بينهم وبين الكاثوليك اكثر من شهر ؟

تأخّر الفصح عند الروم في السنة الحاليّة

ج قد استوفينا في المشرق مسألة الحساب الشرقيّ في تعييد الفصح والاصلاح الغريغوريّ لهذا الحساب . راجع في المشرق (٣ : [١٩٠٠] : ٢٢٥—٢٣٠) مقالة للاب موريس كولنجت تحت عنوان «اصول الحساب السنوي» ثم مقالة ثانية لحضرتهِ تحت العنوان : «الفصح تاريخهُ وبيان حسابهِ» (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٢٦ و ٣٤٤) . ثم مقالةً ثالثة لنا تحت العنوان «توحيد الحسابين» (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٤٢٢—٤٢٦) . فمن مراجعة هذه الفصول يتّضح لك انّ التابعين للحساب القديم في هذه السنة كانوا مخالفين لقانون المجمع النيقاوي الذي امر بان يُعيَّد الفصح في الاحد الواقع بعد اوّل بدر يلي للاعتدال الربيعيّ فالاعتدال الربيعيّ كان في ٩ آذار غربيّ وكان البدر الواقع بعدهُ في ٢٥ منه والاحد الاوّل في ٢٧ آذار هو الفصح في الحساب الغريغوريّ امّا تبعة الحساب القديم فانّهم لم يحتفلوا بعيد الفصح الّا في الاحد الواقع بعد البدر الثاني من الاعتدال الربيعي اعني في ٢٤ نيسان وذلك بسبب الغلط الواقع في حسابهم ل . ش

المشرق

الوقائع الماسونيَّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

كانت الماسونيَّة في بيروت ولبنان وانحاء بلاد الشام الى العهد التركيّ الاخير لا تجسر على البروز الى النور شأن كلّ من يخاف ان تُفضَح اعمالهُ (يوحنَّا ٣: ٢٠). وكأنَّها استبشرت بالحرّيَّة منذ احتلال الدولة المنتدَبة مؤملةً في وجود من يَشدُّ بأزرها من الجمعيَّات السرّيَّة الاوربيَّة. ولعلَّها استحكمت شكيمتها بزيارة «الاخ الكتلي الاحترام برزد ولهوف الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الفرنسويّ» في شهر أيار الماضي فرأت الوقت مناسباً لتميط شيئاً من الستر الذي يحجبها عن اعين العموم

ولنا دليل على ذلك بنشرة نشرها آخرًا احد اعضاء الماسونيَّة البيروتيَّة ألا وهي مجلة «الوقائع الماسونيَّة لمؤلفها وناظم عقدها الاخ «يوسف الحاج». فتراها برزت بثوب قشيب عليهِ الرموز الماسونيَّة: النجمة الباعثة باشعَّتها على اقطار المعمور والنسر ذو الراسين وفي برائنهِ سيف السلطة ليحطِّمهُ ثمَّ الدائرة والهلال والبيكار والزاوية حتَّى التاج والصليب تمويهاً على اصحاب الدين والدنيا مع الحرف السرّي G المُختلَف في تفسيرهِ. فسُررنا لدى نظرنا الى هذه الواجهة الحُسنى وسفور الماسونيَّة عن وجهها الوضّاح. ولم يُرِبنا شيء من محاسنها الباطنيَّة الّا كلمةٌ صغيرة قرأناها تحت عنوانها وتلك قولها «وهي (اي مجلة الوقائع الماسونيَّة) محصورة بالاخوان فقط» فيا لله كيف لم يرَ صاحب المجلَّة انَّهُ بهذه العبارة يكسف ذاك النور الباهر المنبعث من الشمس الماسونيَّة ويحصرهُ في المتنوّرين الذين لا حاجة اليهم بهِ. فيا خيبة أملنا اذ كنَّا نرجي خيرًا بمطالعة هذه المجلَّة التي لولا «احد الاخوان الاحرار» بقيت مستورةً عنَّا دون ان نستنير بضيائها الساطعة!

ولكن دعنا من الواجهة واشكالها الملتبسة التي وعدنا صاحب الوقائع « شرح رموزها » هلمَّ بنا نتصفَّح المجلّة لنستضيءَ بانوارها

واوّل ما نجدهُ في باطن الغلاف انَّ « الماسونيَّة جمعيَّة خيريَّة غرضُها ترقية الفكر بدراسة كلّيّات الادب والعلوم والصنائع والفنون وممارسة عمل الخير »

فهذه نغمةٌ قد سمعناها غير مرَّة من ابناء الارملة وحتَّى الآن لم نجد لها صدًى في ايّ بلدٍ كان . فمهما حدَّقنا النظر الى اخبار الامم وبحثنا البحث المدقّق لنطّلع على اعمال الماسونيَّة الخيريَّة خابت آمالنا بل تحقَّقنا كذب هذا المدَّعى . وبرهاننا قريب فليدلّنا الفرمسون في كلّ سوريَّة ولبنان وفلسطين ومصر على مشروع خيريّ تقوم به تلك الشيعة باسمها ويُعرَف بها ما لم يكن في فلك القمر فلم يبلغنا خبرهُ . وقد فنَّدنا هذه الاكاذيب بفصل واسع في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون (١ : ١٧ – ٢١) واوردنا إقرار الفرمسون انفسهم في انَّ جمعيَّتهم ليست خيريَّة

وما هي ترى تلك « ترقية الفكر البشري بدراسة كلّيات الادب والعلوم والصنائع والفنون ؟ » هذا كذبٌ آخر اقطع من الاوّل . يُرقّي الفكر البشري بالعلوم الادبيَّة والدينيَّة والفنيَّة . فاين يا ترى جمعيَّة ماسونيَّة تسعى بنشر الآداب والفنون ؟ وانّنا نسكت عن العلوم الدينيَّة وهي الدّ اعدائها . أيعرف الماسون مدرسة جامعة او كلّيَّة او مكتباً علميًّا او صنائعيًّا يتولّاها « الاخوان » ويبذلون عنها الدرهم رخيصاً فليذكروا لنا ذلك نحبّذهم ونطريْ سموّ غرضهم . ولكن هيهات !

ثمَّ أتبع الاخ ٭٭ يوسف افندي الحاج وصفهُ للماسونيَّة بقولهِ انَّها « تحرّم في مجتمعاتها تحريماً قطعيًّا كلّ مناقشة دينيَّة او سياسيَّة ... او القدح في اعمال السلطة الدينيَّة والحكومة » . هذا كذبٌ ثالث تشهد لهُ كلّ صفحة من تاريخ الماسونيَّة في كلّ البلاد منذ نشأتها من اوائل القرن الثامن عشر الى يومنا الحاضر . ومن درس تاريخ الدول الاوربيَّة مذ ذاك العهد رأى للماسونيَّة يدًا في كلّ ما جرى من الامور السياسيَّة المهمَّة في تلك الدول طبختها في مجتمعاتها السرّيَّة ثمَّ انفذتها بدسائسها العديدة ومكايدها المختلفة لا يردعها في ذلك ضمير ولا يردّها سلطان . وان طاب الاخ ٭٭ يوسف الحاج شهادةً على قولنا ذكرنا لهُ إقرار احد شيوخ الماسونيَّة الاخ غونار سنة ١٨٧٦ : « كنّا سابقاً قد ألفنا القول على سبيل الفطنة اننا لا نتعرّضُ للاديان وللسياسة ... كنّا

نقول ذلك احترازاً من مراقبة الشرط لتخفي عنهم ما تقضي به علينا واجباتنا الماسونيَّة. واما الآن فاني اقول جهاراً بأننا في محافلنا نشتغل بالسياسة ونعم السياسة سياستكم أيها الاخوان».

امَّا معاكسة الماسونيَّة للدين وارباب فانها كالشمس في رابعة النهار لنا عليها شواهد لا تحصرها المجلَّدات الضخمة. وكلّ ذلك موضح في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون الذي لم يحاول واحدٌ من الاخوان تفنيده

فلنقلب الآن صفحات المجلَّة ولنجتنِ شيئاً من ثمراتها الشهيَّة. يفتتحها صاحبها بسلام وتمهيد فيما له من كلام شعريّ يهدي به الكاتب سلاماً مثلثاً باسم الاخاء والمساواة والحريَّة على الصديق الذي اوصلهُ الى البناية الحرَّة .. الذي عرَّفهُ معنى الحياة ... الذي قادهُ برحلاته الثلث فاخرجهُ من الظلمة. بل قل انهُ ادخلهُ فيها اذ وجب عليه الآن كتمان اسرارها والتستُّر وراء جدران هياكلها بعد ان تقيَّد بالحلف المغلَّظ على حفظ لسانه. فيا له من نور بل من تسكُّع في الظلمة !!

وكأنَّ الاخ ... يوسف لم يجد في تعريفه السابق للماسونيَّة وجهاً معقولاً عاد اليه في فصل عنونهُ «بناية الماسونيَّة» على انَّهُ لم يزدنا بكلامه الَّا التباساً في حقها. فتارة يصوّرها كمدرسة كلّ الفضائل قال «الماسونيَّة تبيّن لأتباعها كلّ نقيصة لا بُدَّ من تجنُّبها وكلّ فضيلة يجب اتباعها طلباً للكمال» وحيناً ينعتها «بالمجتمع للمبادئ والاميال المختلفة ويمزج فيها كلّ الآراء والحالات الاجتماعيَّة ... فتحدث المناقشة والانتقاد» ومع ذلك «ليس هنالك من عقيدة مقرَّرة دينيَّة كانت او سياسيَّة». وخلاصة الكلام انَّ الماسونيَّة «ترفع الشخصيَّة وتبنيها بينما نرى الحياة تضلّلها وتهدمها ... تسوق الفرد الى السعادة بمساعدته على تكوين ذاته .. تساعد على وجود النظام العام سالماً من كلّ ضغط يشوّهه. ترفع لها هيكلاً حيث يشتغل دائماً لهيب اشواقنا الابديَّة. فهي باقية دائماً مساوية لنفسها قويَّة ببنيانها فتغفر لكل اعدائها»

فيا لهُ من لغط لا يُدرك لهُ رأس من ذنب فمن يا تُرى يعيرنا جهراً انتقد على شيء من المعمَّيات الماسونيَّة!

ويلي هذا الفصل الحلونبذة عنوانها «حقائق مختصر تاريخ الماسونيَّة قبل عام ١٧١٧» يردّد فيها الكاتب كلّ الخرافات والسفاسف التي اعتادها الماسون ليعظّموا عشيرتهم

فلا يخجل أن يذكر هناك تلك الآراء المتضاربة والاقوال المتباينة التي يردد ابناء الارملة ان يضللوا بها السُذَّج فهذا يرقيها الى آدم في الفردوس (بل قل الى الحيَّة التي تقمَّص فيها ابليس) وذاك الى بناء هيكل سليمان والآخر الى جماعات البنَّائين في القرون الوسطى وكفى بهذه الاقاويل دليلًا على التمويهات الماسونيَّة

ثمَّ تتبعهُ ترجمة جان تيوفيل ديزاغليه وهو احد متطرِّفي البروتستانت الذي اشتغل مع فرمسون انكلترَة لمحاربة الدين الكاثوليكيّ في القرن الثامن عشر فنعم المثل يقدّمهُ الاخ «. يوسف الحاج ليثبت صحَّة قولهِ انَّ الماسونيَّة لا تتعرَّض للاديان . وهناك هيكل جسم دزاغليه صوَّره كرمز لطيف من تهويلات الماسونيَّة

وبعد هذا رسمان ماسونيَّان الاوَّل رسم «ف باستور» الذي «انتُخب استاذًا اعظمًا (كذا) للشرق الاكبر الفرنساوي تسع سنوات متتابعة » فنسأل الاخ «. يوسف الحاج من هو «ف باستور» ؟ فان كان اراد بهِ باستور العلَّامة الشهير فقد طاش سهمهُ فان ذاك اسمهُ لويس بستور وكان رجلًا عريقًا في الدين توفّي متزوِّدًا بكل اسرار الكنيسة كما روى ذلك في ترجمتهِ الاب هرنو (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٥١—٥٧) وان كان غيرهُ فليس هو ممَّن تشرَّفت بهِ الانسانيَّة اذ لم نجد لهُ ذكرًا في معاجم المشاهير . امَّا الجنرال بنيه (Général Peigné) فانَّهُ كاد في اوَّل الحرب الكونيَّة يسقط فرنسة في التهلكة ولذلك عُزل من منصبهِ فنعم المثال للماسون !. ومالهُ لم يذكر رجال الحرب العظام المعادين للماسونيَّة والمتأصلين في الدين كالمرشال فوش والمرشال فايول والمرشال فرنشه دسبري والجنرال كستلنو وجنرالنا المحبوب غورو . وان اراد صور كبار الماسونيَّة وجدها بسهولة في تاريخ أئمَّة البشر والزنادقة كريسهوبت وكليوسترو وفولتير وروبسبيار ودانتون وامثالهم فهؤلاء مثال الكمال الماسوني!!

ولا نتعرَّض للفصل التالي في تاريخ الماسونيَّة منذ عام ١٧١٧ فانَّهُ لم يذكر منهُ الَّا بعض الاسطر وان اراد الوقوف على تفاصيلهِ فليراجع الكتب الضخمة التي الَّفها باروبل (Barruel) وديشان (Deschamps) ومنها تواريخ لبعض الماسون لا تُنقَض شهادتهم كلوبس بلان (L. Blanc) وراغون (Ragon) وكلافل (Clavel) يفيدوهُ عن كمالات الماسونيَّة وكلّ مساوئها ومعايبها لا تجد فيما يذكرونهُ عملًا يستحقّ الذكر والثنا.

وفي الصفحة ٩ نبذة في توحيد « الماسونيَّة بين الامم » وفي قوله احسن رد على ما يقولهُ في آخر المجلَّة (ص ٤٠) أنهُ لا يُقبل في الماسونيَّة من لا يعتقد بالله او لا يؤمن بخلود النفس . ولا يجهل احد انَّ الماسونيَّة الفرنسويَّة والماسونيَّة الهولنديَّة وكثير غيرهما قد لبذوا اسم الله وجاهروا بالالحاد وبنكران خلود النفس . فتوحيد الماسونيَّة بين الامم هو مناقض رأساً هذا القول اذ يتَّحد الماسون سواء كانوا ملحدين ام معتقدين فاتحاد المؤمن مع الكافر يؤثم المؤمن وينفي صدق ايمانه

وبعد هذا ٠٠ كلمة الى ابناء المحافل السوريَّة « ليس تحتها كبير امر يليها فصل مفيد عنوانهُ « المحافل ووقائعها » نعلم منهُ انَّ محافل بيروت حاضراً ستَّة : ١ محفل لبنان شيخ محافل سوريَّة المتأسس منذ نحو ٥٠ سنة ٢ محفل السلام الذي يشتغل تحت رعاية الشرق الاكبر الاسكوتلندي وبتدبير رئيسه الدكتور اسكندر البارودي فنسال من مراحمه ان ينشئ شرقاً اقليميا في سوريَّة (تمنَّى يا سوريَّة لمثل هذه البشرى !) ٣ محفل صيدا . تزعزع بنيانهُ مدَّةً لمَّا سرق الاخوان الاحرار صندوقهُ (راجع كرَّاسنا السادس في الماسونيَّة ص ٢٢) لكنَّ اعضاءهُ قاموا بنهضة جديدة وكفاهُ فخراً انَّ رئيسهُ هو الاخ ∴ فارس مشرق الشهير بالكمال الماسوني . ٤ محفل بيروت الذي انتخب باجماع الرأي الاخ ∴ محمَّد باشا مخزومي رئيساً شرفياً . ٥ محفل الرشيد المؤسس آخراً وقد ذكرنا انَّ رئيسهُ الاخ ∴ فضل الله ابو حلقة . ٦ محفل فينيقية المؤسس جديداً ببراءة من الشرق الاكبر المصري ورئيسهُ الاخ ∴ الداماد احمد نامي بك . دُشِّن المحفل في ٥ أيار بمفوَّضية الاخ ∴ ميشال مرزا وناب عن محفل السَّلام الاخ ∴ ابراهيم منذر وعن محفل الرشيد الاخ ∴ سليمان سعد وعن محفل بيروت الاخ ∴ فليكس فارس . وكان سابقاً في بيروت محفل بهذا الاسم فانحل (راجع كرَّاسنا الثاني في الماسونيَّة ص ٤٩) وقد نسي الكاتب محفل المغارة السوداء في المعاملتين فأحرقهُ الاخوان الاحرار بمنازعاتهم

ثمَّ روى صاحب الوقائع الماسونيَّة (ص ١٦) انَّ الشيعة دخلت دمشق بمساعي الامير عبد القادر . وقد اتينا سابقاً بشواهد تثبت ان الامير نبذ الماسونيَّة لمَّا عرفها كما جحدها الشيخ محمَّد عبده بعد ما تحقَّق انَّ غايتها مقاومة الملوك والباباوات (اطلب كرَّاسنا الرابع في الماسونيَّة ص ٤٠٩) وكذلك أبى الدخول فيها الشيخ جمال الدين الافغاني لمَّا

ارسل اليه الفرمسون في مصر وفداً يدعونهُ رسمياً الى الانضواء الى شيعتهم بقوله : «انكم تريدون أن انتظم في جماعتكم لكي تفتخروا بي امـا ! فأراني مهاناً اذا انتسبتُ اليكم» فرجعوا خائبين خجلين

ثمَّ هناك خطابان (ص١٣) الواحد « للاخ حقي بك العظم حاكم دولـة دمشق القاهُ في محفل بيروت صرَّح فيه للاخوان « أنهم لهُ وانهُ لهم » وتوسل « الى مهندس الكون الاعظم ليشدَّ همَّتهُ للقيام بالواجب نحو عشيرة البنَّائين الاحرار» . والخطاب الآخر للاخ الشيخ سليم البابا في محفل السلام « نندّد في اصحاب الرأي فيهم الذين اذا خطبوا او وعظوا افتخرت بهم اعواد المنابر . . واذا رجعوا الى قومهم نفثوا من السموم ما يقتل عاطفة الالفة »وهذا لعمري شأن الماسوني ذي الوجهين

وتجد بعد ذلك (ص١٥–٢٠) مجموعاً واسعاً من الاكاذيب الماسونيَّة والمدَّعيات الفارغة التي يندى من ذكرها خجلا جبين كلّ رجل ذي عقل صائب ما خـلا جبين الفرمسون . اسمعْ واحكمْ قال (ص ١٥) «انَّ الماسونيَّة العمليَّة انتشرت في انحاء سوريا في اوائل التاريخ المسيحي واوائل الهجرة وقد بنى البنَّاؤون الاحرار بنايات متعدّدة لا تزال آثارها الى الآن من الكنائس والجوامع والقلـع والاسوار » فيا لله كيف لم يستحي الاخ .·. يوسف الحاج من كتابة اسطر كهذه وكلّ كلمة منها كذبٌ ظاهر وهو القائل قبلًا (ص ٥) « انَّ التاريخ الماسونيَّة مظلم صعب » فكيف الآن اصبح لهُ واضحاً . يا للتناقض !

ومثلهُ كذباً وسفاسف مضحكة باب « لوائـح القوانين والشرائع الماسونيَّة من اوَّل عهدها الى اليوم » (ص١٦) فروى انَّ «اوَّل الشرائع الماسونيَّة وضعت سنة ٧١٥ ق م لمدارس البنَّائين التي اسـسها توما (كذا توما بالتاء ! !) برمبيليوس في رومية» فكان بودّنا ان يخرج مؤرخو رومية من قبورهم ليطّلعوا على هذه الاكتشافات التي جهلوها في زمانهم واوحى بها الله الى الاخ .·. يوسف الحاج

واغرب من هذه اللائحة «لائحة سانت البـان سنة ٢٩٠ ب م الذي . . . ادخل الماسونيَّة الى انكلترا» . وقد ذهب شهيداً بامر الامبراطور ديوقليتوس » (كذا ديوقليتوس) ومن العجب انَّ هذا القديس سانت البان الشهيد استاذ الماسونيَّة الاعظم قد عرَّفهُ الاخ الماسوني اليَّا الحاج في كتابهِ الخلاصة الماسونيَّة (ص٣) وروى عنهُ انَّهُ

انشأ الماسونيّة في بريطانية العظمى عام ٩٢٦ . (كذا) وانهُ «احد الثلثة الذين ماتوا شهداء بانكلترّة عام ٢٦٨ أيام اضطهاد دقلديانوس » (كذا) فيستنتج من هذه الترّهات الماسونيّة انَّ الشهيد سانت البان الذي على قول الاخ الياً الحاج انشأ الماسونيّة سنة ٩٢٦ (كذا) واستشهد عام ٢٦٨ (كذا) هو هو الذي على قول الاخ يوسف الحاج وضع اللائحة المعروفة باسمهِ سنة ٢٩٠ (كذا) اعني ٢٢ سنة بعد موتهِ فايمُ الحق ما كنا لنظنّ ان المعدة الماسونيّة يمكنها ان تهضم مثل هذه «المحشّيات» . وقس على هاتين اللائحتين عدّة لوائح كلائحة يورك سنة ٩٢٦ ولائحة ادوار الثالث سنة ١٣٥٠ الخ . ومثلها المؤتمرات الماسونيّة المزعومة التي عُقدت قبل سنة ١٧١٧ لا يتّفق عليها اثنان من المؤرخين لا بل من الماسونيين نفسهم وكلّها مدوّنة في المجلّة كحقائق تاريخيّة راهنة

ثم يأتي فصل عن « الملوك والامراء الماسون الفرنساويّين » يفتتحهُ « بماسونيّة نابوليون الاوّل في مصر » وهو كلام رماهُ على عواهنهِ فانَّ ما ذكرهُ المؤرخون اجمالاً عن ماسونيّة نابوليون حدسٌ وتخمين فانَّ البعض يزعمون انَّهُ دخل الماسونيّة في جزيرة مالطة وغيرهم في باريس في محفل شارع سان مرسيل وبعضهم في مصر مدّة بعثهِ فهذه الاقوال المتضاربة تبيّن انَّ الامر غير اكيد . وعلى كلّ حال تعرف انَّ نابوليون اضحى بعد ذلك من الدّ اعداء الماسونيّة لاطّلاعهِ على دسائسها . ولولا اثنان من قوّاده كباسيريس وماسينا كان ألغى كلَّ محافل الفرمسون في فرنسة فاقنعهُ القائدان بحفظها لتكون الةً في يدهِ لتثبيت ملكهِ . ولمّا وضع نابوليون سناً في مراقبة الجمعيّات ليمنع استقلالها طلب اليهِ الكونت مورار (Cte Muraire) ان يستثني من هذا الحكم الشيعة الماسونيّة فاجابهُ نابوليون : « كلّا ثمَّ كلّا لأنَّ الماسونيّة لا بأس منها اذا بقيت تحت قبضتنا واذا استقلّت تصبح خطرة مخيفة » . ولمّا عرف نابوليون انَّ وزيرهُ فوشه (Fouchet) دخلها واخذ يدسّ الدسائس للحال عزلهُ . الّا انَّ الماسونيّة نقمت على نابوليون وتصدّت لهُ وكانت اكبر عاملٍ في خذلانهِ في حروبهِ الاخيرة وسقوطهِ . أفما كان الاحرى بالفرمسون ان يخجلوا من سعيهم في مناهضتهِ ؟ وزد على ذلك ان نابوليون بموتهِ في حضن الكنيسة وقبولهِ الاسرار الاخيرة جحد الماسونيّة فعلاً واقرَّ بمساوئها . امّا بقيّة الامراء الذين ذكرهم فانَّ تاريخ حياتهم جميعاً لمّا يسوّد وجه الماسونيّة ولا يشرّفها

ثم اورد الاخ ... يوسف الحاج فصلاً مطولاً عن وجود الله وكمالاته . فسررنا بقراءة هذا العنوان في مجلة ماسونية . ونحن نعلم انَّ عدداً عديداً من الماسون ينكرون وجود الله . ولكن لسوء الحظ وجدنا في مقالة الكاتب اموراً ملتبسة . تقرُّ يا افندي بان الله موجود لكنيّ لا اجد في مقالتك كلمةً تدلّ على انهُ خالق المخلوقات ومخرجها من العدم الى الوجود فلا شكَّ انك تعتبر الله عزّ وجلّ كاخوتك الماسون الذين يعتقدون بوجودهِ انهُ « مهندس الكون الاعظم » اعني انهُ فقط محوّل الكائنات من صورة الى أخرى كما يفعل الكيموي والطبيعيّ والمهندس

والدليل على انَّ هذا هو معتقدك في الله تعالى انك تقول (ص٢١) : « لسنا ننكر انَّ قوى الطبيعة ازليَّة لأن فعل الخلقة ازلي لا بدء لهُ ولا انتهاء . امَّا منذ الازل اقتضى لهذه المعلولات وجود علَّة تنظّمها . انَّ القوى الطبيعيَّة مادّيَّة آلية محضة وليست بذاتها عاقلة فتحتّم اذاً وجود علَّة عاقلة حرّكتها ونظّمتها على نسق متناسب لقوام الكائنات »

فنتيجة هذا القول انَّ المادَّة ازليَّة كالله سبحانهُ تعالى وذلك احد الاضاليل المنافية للكتب المقدَّسة وتعاليم الكنيسة والعقل . امَّا قولك « انَّ فعل الخلقة ازلي لا بدء لهُ ولا انتهاء » فكلام ملتبس أتريد بهِ انَّ الله تعالى كما انهُ واجب الوجود منذ الازل هو ايضاً منذ الازل قادر على خلق الكائنات وانَّ هذا الكمال في الله لا بدء لهُ ولا انتهاء فذلك نسلّم بهِ . امَّا اذا نويت بذلك كما يظهر من قرينة كلامك انَّ الله منذ الازل خلق الكائنات وانَّ وجوده لم يسبق كيانها وانهُ لم يكوّنها بل حرّيتهِ فكل ذلك من الاضاليل المنافية لكمالاتهِ تعالى الدالَّة على إلحاد الفرمسون وكفرهم

وفي هذه المقالة اقوال أخرى تدلّ على مذاهب مشتبهة استقاها الكاتب من موارد عكرة كقولهِ (ص٣٤) : « لسنا نعلم ان كان العنصر العامّ الذي منهُ تتولّد وتستفرد الانفس بفعل القدرة الالهيَّة قابلاً ام ليس بقابل لتوليد افراد على حالة الكمال والنقاء » فما هو هذا العنصر العام؟ وكيف تتولّد منهُ الانفس كأنَّ الله ليس هو خالقها رأساً من العدم وانَّما يستخرجها من ذلك العُنصر العام ؟ وكذلك قولهُ (ص٢٥) عن الجسد انَّ النفس تتّخذهُ كساء ولا « يضرُّ بها ان تجدّدهُ مراراً متعدّدةً » يشير بهِ

الى مذهب التقمص الباطل الذي يزيفهُ كلّ الفلاسفة . لا بل يجعل غاية التنازع بين الحيوانات التي يفترس بعضها بعضاً ان تجدّد ارواحها كساء جسدها فترتقي من حياتها البهيميّة الى ان تبلغ دور الانسانيّة » وهذا نوع جديد لتأييد المذهب الدرويني وترقي الحيوان . وبلوغهِ الى كمال الانسان !!

فترى مبلغ علم الفرمسون حتّى عندما يحاولون الدفاع عن الحقائق الطبيعيّة كوجود الله وخلود النفس يخلطونها بالآراء السخيفة والاقاويل الصبيانيّة

ثمّ ينقلنا الاخ ... يوسف الحاج من تلك المقالة الفلسفيّة الى خرافات جديدة تحت عنوان « الجمعيّات السرّيّة القديمة اراد بها العقائد المصريّة القديمة » نقلاً عن كتاب المذهب الروحانيّ المطبوع في مصر . فدونك اوّل هذه المقالة لتعلم سعة علم الماسونيّة بالتاريخ : « ذهب اكثر العلماء المستشرقين انّ المصريين اخذوا علومهم وتمدّنهم عن الهنود وذلك قبل مجيء المسيح بسبعة آلاف سنة قصد مانس وهو احد براهمة الهند ان يفتّن البلاد فهاجر وجماعتهُ الى ارض مصر فاعمروها » فبالله عليكم يا علماء الماسونيّة اعلمونا من هم المستشرقون الذين قالوا ذلك ؟ من هو مانس المذكور ؟ ما هي آثارهُ الدالّة عليهِ في مصر ؟ . وقس عليهِ بقيّة هذا الفصل المضحك فانّ اوّلهُ يدلّ على بقيّة دُررهِ الثمينة

ثمّ في الصفحة ٣٢ ترجمة « الاخ الكونت تولستوي فيلسوف روسيّاً ورجل الحقيقة كفى بالنظر الى صورتهِ الغريبة هناك لتعرف « أبا البولشفيين » الذين يذيقون الان مواطنهم الامرّين . وقد الحق بهذه الترجمة فصلاً بقلم تولستوي دعاهُ « الضمير الحيّ » وانّما اراد بهِ ان يبغض السلطة الى الشعب وينسب الى القيصر ما يحدث من الوقائع الشائنة ليثير عليهِ الخواطر . وهذ ايضاً مما يوافق الروح الماسونيّة

ومن الفصول التي لم نتعرّض لها فصل « الرموز الماسونيّة » (ص ٢) يدّعي فيها الاخ ... يوسف الحاج انها نوع من العلوم الفلسفيّة . ونعم العلوم وبينها التهاويل الماسونيّة التي وصفناها في كتابنا « السرّ المصون » كالحراب والسيوف والمطارق وهياكل الموتى وجماجمهم والتوابيت والصدر المكشوف للخناجر والرأس المظلّل بالسيوف والنار المشعلة تحت انف الطالب والكأس ذات الشراب المرّ والسلّم المعلّق بالهواء . فهذه هي علوم الماسونيّة الفلسفيّة فما احراها بهم وما احراهم بها !

امّا القانون الماسوني الذي ختم بهِ المجلة (ص ٤٠) في ١٥ بندًا ثم ما نقلهُ عن الدستور الماسوني في ظهر الغلاف فلا يصعب على احد نسبتهُ كلّهُ الى غير النفاق والشعوذة بعد ما قلنا سابقاً . فهذه خلاصة الوقائع الماسونيّة وباكورة اعمال ابناء العشيرة فان شاء الله لا يحرموننا من دراري اقوالهم مرّة اخرى ولا يحصرون كنوزها بين الاخوان !

كشف الظنون عن حال الفرمسون

لمحمّد علي بن علي بن محمّد عزّ الدين الشامي العامليّ

هذه الرسالة صنّفها كاتبها سنة ١٢٨٨ هجريّة ثمّ اعلن بها سنة ١٢٩٠ (١٨٧١–١٨٧٣) لمّا ابتدأت الحركة الماسونيّة تنتشر في بيروت وبعض انحاء الشام . وقد اوقفنا عليها السنة ١٩١٠ احد اصحابنا المسلمين من جبل عامل – وكنّا اشرنا اليها سابقاً في كراريسنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون (٩ : ٣٦–٣٠) ونقلنا عنها نتفاً فرأينا ان ننشرها هذه المرّة بتمامها لفوائدها وخصوصاً لمنفعة المسلمين الذين ينخدعون بهذه العشيرة الناقضة لاركان كلّ دين وسلطان ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الاسرار ومُسبل الاستار وصلّى الله على نور الانوار وصفوة الجبّار محمّد وآله الابرار وصحبهِ الاخيار . وبعد طالما وقع النزاع واضطرب الفكر وقضى بالعجب في قضيّة هذه الطائفة المشهورة بالفرمسون . فمن الناس من يزري عليهم ويتّهمهم بالزندقة ومنهم من يذبّ عنهم ومنهم الساكت عن حالهم المتحيّر في امرهم . والعمدة في ذلك اخفاء امرهم على وجهٍ لا يمكن الاطّلاع عليهِ الّا لمن دخل مجالسهم وصار في جملتهم . وانا اذكر لك في هذه الجملة الخفيفة الحكم في ذلك على وجهٍ يريح فكرك ويزيح الهمّ عن قلبك

وتمام الكلام في ذلك يتوقّف على مقدّمات : احدها انّهُ لا ينبغي لعاقل ان يتكلّم بما لا يعلم ولا يزري على مجهول فانّ ذلك من الجهل المركّب لانّ صاحبهُ

امّا القانون الماسوني الذي ختم بهِ المجلة (ص ٤٠) في ١٥ بندًا ثم ما نقلهُ عن الدستور الماسوني في ظهر الغلاف فلا يصعب على احد نسبتهُ كلّهُ الى غير النفاق والشعوذة بعد ما قلنا سابقاً . فهذه خلاصة الوقائع الماسونيّة وباكورة اعمال ابناء العشيرة فان شاء الله لا يحرموننا من دراري اقوالهم مرّة اخرى ولا يحصرون كنوزها بين الاخوان !

كشف الظنون عن حال الفرمسون

لمحمّد علي بن علي بن محمّد عزّ الدين الشامي العامليّ

هذه الرسالة صنّفها كاتبها سنة ١٢٨٨ هجريّة ثمّ اعلن بها سنة ١٢٩٠ (١٨٧١–١٨٧٣) لمّا ابتدأت الحركة الماسونيّة تنتشر في بيروت وبعض انحاء الشام . وقد اوقفنا عليها السنة ١٩١٠ احد اصحابنا المسلمين من جبل عامل – وكنّا اشرنا اليها سابقاً في كراريسنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون (٩ : ٣٦–٣٠) ونقلنا عنها نتفاً فرأينا ان ننشرها هذه المرّة بتمامها لفوائدها وخصوصاً لمنفعة المسلمين الذين ينخدعون بهذه العشيرة الناقضة لاركان كلّ دين وسلطان ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الاسرار ومُسبل الاستار وصلّى الله على نور الانوار وصفوة الجبّار محمّد وآله الابرار وصحبهِ الاخيار . وبعد طالما وقع النزاع واضطرب الفكر وقضى بالعجب في قضيّة هذه الطائفة المشهورة بالفرمسون . فمن الناس من يزري عليهم ويتّهمهم بالزندقة ومنهم من يذبّ عنهم ومنهم الساكت عن حالهم المتحيّر في امرهم . والعمدة في ذلك اخفاء امرهم على وجهٍ لا يمكن الاطّلاع عليهِ الّا لمن دخل مجالسهم وصار في جملتهم . وانا اذكر لك في هذه الجملة الخفيفة الحكم في ذلك على وجهٍ يريح فكرك ويزيح الهمّ عن قلبك

وتمام الكلام في ذلك يتوقّف على مقدّمات : احدها انّهُ لا ينبغي لعاقل ان يتكلّم بما لا يعلم ولا يزري على مجهول فانّ ذلك من الجهل المركّب لانّ صاحبهُ

يفعل خطأ العالم وهو جاهل . قال الله تعالى في ذمّ قوم (سورة النساء) : « ما لهم بهِ من علمٍ الّا اتباع الظنّ إنْ هم الّا يظنّون إنْ هم الّا يخرصون » وقال تعالى (سورة الاسرى) : « لا تقفُ ما ليس لك بهِ علم انّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنهُ مسئولاً » . وقال عالمٌ لجماعة من اصحابهِ : « ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فها » . واومأ بيدهِ الى فيهِ

(ثانيها) انّ القيل والقال وهتك أعراض الرجال غير جائز عقلاً ولا شرعاً الّا لمظلوم بُغي عليهِ او لإقامة امر دينيّ كالكلام على ضالّ بيّن الضلالة تريد دفعهُ عن ضلالهِ . امّا عقلاً فلانّهُ ظلمٌ بلا داعٍ موجود وكلّ ظلم عند العقل حرام وامّا شرعاً فلقولهِ تعالى (سورة الحجرات) : « لا يغتبْ بعضكم بعضاً أيحبُّ احدكم ان يأكل لحم اخيهِ ميتاً فكرهتموهُ » الى غير ذلك ممّا نصّت عليهِ الكتب السماويّة وصرّحت بهِ السنن النبويّة

(ثالثها) انّ دفع الضرر المظنون واجبٌ والمحتمل حسنٌ عند العقل . مثلاً اذا وجدتَ في طريقك وادياً وأخبرك مُخبر انّ فيهِ سباعاً مؤذية ولك مناصٌ عنهُ بارتفاعك في سفح او سلوك طريق آخر فانّهُ يجب عليك العدول عن الوادي الى السفح او الطريق الآخر وهذا دفعُ الضرر المظنون . واذا لم تجد من يُخبرك واحتملتَ ذلك من نفسك فانهُ يحسن عقلاً سلوك السفح او الطريق الآخر لتحقّق السلامة وهذا دفع الضرر المحتمل . (فان قلتَ) أليس من اصولك أصالةُ الاباحة وردّ قول كلّ من يدّعي التحريم وتروي انّ كل شيء لك حلال حتّى تعلم الحرام بعينهِ وكلّ شيء لك مطلق حتّى يرد فيهِ نهيٌ وبهذا استحللتم قهوة البنّ وشرب الدخان وغير ذلك من الحادثات بعد النبوّة . (قُلتُ) ولكنّ ذلك فيما لا ضرر فيهِ بل وفيما لا يُظنّ فيهِ الضرر بل وفيما لا يُحتمل فانّهُ ايّ شيء حصل من ذلك يقطع الاصل فلا يجوز أكلُ شيء من الاعشاب التي يُخشى منها السمّيّة او نحو ذلك من الادواء المضرّة

(رابعها) ان ماهيّة هذه الطريقة على التمام لا يمكن ان تُعلم الّا لمن دخل في ذلك الامر وانتظم في سلكه وانّما الذي نعرفهُ على وجه الاجمال كما تواتر النقل بهِ عنهم وعن غيرهم انّ لهم مجلساً يجتمعون فيهِ وفيهِ او في داخلهِ محلٌّ للسرّ وهو في بلاد الشام موجود في مدينة بيروت فقط وان كان لهم مجالس في غيرها ولكن ليس

فيها محلّ للانتظام في سلكهم غير بيروت الآن (١ فمن اراد الدخول يكتب الى مجلس الجمعيّة يستأذن فاذا وصلت كتابتهُ سألوا مَن يثقون بهِ منهم او من غيرهم اذ لا يقبلونهُ الّا اذا كان عاقلًا غنيًّا من ذوي البيوت فلا يقبلون من كان مجنونًا او مغفّلًا او غير موثوق بهِ في تعثّلاتهِ ولا مَن كان من السَّفَلة ولا من كان فقيرًا لاسيّما اذا كان يطلب هذا الامر لفقرهِ ولا يلتفتون الى شيءٍ وراء ذلك من مذهب او عدالة او صناعة او غيرها . فاذا شهد عليهِ بذلك جماعةٌ وختَم الشهود على اسمهِ أُذن لهُ فيقدّم قبل دخولهِ مبلغًا من الدراهم قيل اقلّهُ اثنا عشر ذهبًا ثمَّ يُرسَم عليهِ تقديم ذهبٍ واحد كلّ سنة . وهذه الدراهم موضوعة في الصندوق يُعمل بها كباقي البنكات ويُصرَف الناتج في مصالح مجلس الجمعيّة وفيما اذا احتاج احد من تلك الطريقة وقصدهم بل ربّما اعطوا مَن استعطاهم من غيرهم على حسب احوال اهل الشيم (٢

ثم بعد دخول هذا المجلس ينقطع العلم عن الذي دخل في الطريقة ولا يُعلم ما يصنع ولا ما يُصنَع بهِ غيٌّ او رشاد صلاحٌ ام فساد واذا خرج وسُئل لا يبدي شيئًا ولو قُطع رأسهُ . فلا ادري أهو مجرَّد امان منهم لكتم سرّهم وهو في غاية البُعد ام لأَيمان او عهود تؤخذ عليهِ او لعمل يربط على قلبهِ ولسانهِ كالرصد او لغير ذلك . ونقل لي جماعة عن بعض ثقاتهم انَّهُ يؤخذ عليهم من الأَيمان المغلّظة والعهود كلٌّ حسب مذهبهِ ولا يقدر ان يبدي شيئًا من السرّ . ولكن كم سمعنا ورأينا من عهد نُبذ ويمين انتُقض ومجامع تفرّقت ومواثيق تمزّقت . نعم هم قد يستحلّونهُ ويسعون في ضررهِ ولكن ذلك لا يرفع الإشكال فكم دخل في هذه الطريقة مَن لا يخاف الضرر من ملك ذي صولة لا يخشى من احد او غريب منقطع لا يدري اين يذهب والله اعلم بحقيقة الحال وكيف كان فلم نرَ لهذه القضيّة فائدة سوى ما هو ظاهر من الائتلاف بينهم والتحابّ كما هو شأن اهل الطرائق او ازيد منهُ حتّى انَّ هذه الطريقة لتسمّى بالاخويّة هذا غاية ما اطّلعنا عليهِ من ماهيّة هذه الطريقة وغايتها

(خامسها) انَّ هذه الطريقة لم نجد لها اثرًا في الشرائع المقدّسة ولا كتبها الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن ولا في اخبار احد من الرُّسل واوصيائهم . وما يُنقل عن بعض اهل هذه الطريقة من أنها من اوضاع سليمان بن داود عليهِ السلام فلم نجد لهُ

(١ قال هذا قبل انشاء المحافل المختلفة (٢ الكرَم الماسوني اعزُّ من بيضة الديك

اثرًا ولعلهُ تمويه . على انها لو كانت من آثار سليمان لكان ذكرها في الكتب المقدسة من اهم آثار سليمان وداود المذكورة فيها واهم من ذكر إرم ذات العماد المذكورة في القرآن ومن قصة راغوت واستير ونشيد الانشاد المذكورة في العهد القديم ...

اذا عرفت هذه المقدمات اتضح لديك ان هذه الطريقة مجهولة الماهية لا يُدرى ما كُنهها ولا ما فيها صلاحٌ او فساد ضلالٌ او رشادٌ وهل هي سحرٌ او شعبذة او نحوها من التمويهات او لمور حقة وحيث الحال ذلك وانَّ اهلها لا يتفوهون ببنت شفة ولا يظهرون امرًا من امورهم لغيرهم فلا يجوز الكلام عليهم ولا لهم بوجه من الوجوه لا بقدح ولا بمدح الّا على ما ظهر منهم(١ كما نعرف ذلك . امّا القدح فلانهُ مجرّد غيبة وانتهاك عرض بشيءٍ هو مخرّص وقد عرفتَ المنع منهُ في المقدمة الثانية وامّا المدح فما هو الّا مجرّد تكلّم بما لا يغني وإتعاب اللسان والجنان بما هو رَجم بالغيب يعدّكَ العقلاء فيه مكثارًا تقول ما لا تعلم وتتكلّم بما لا يُفهم وذلك جهل مركّب وقد وضح لك قبحهُ في المقدمة الاولى . وان بقيت مهتمًّا في اصل القضيّة يدعوك الوسواس الى الاطّلاع عليها فان كنتَ محاول الاطّلاع على كنهها من دون الدخول في سلك اهلها كنتَ محاولًا للمحال كما عرفناكهُ في المقدمة الرابعة (١

على انك لو أعرتني سمعك لأرحتُك فاقول لك انهُ لا داعي الى الاهتمام بهذه القضيّة ولا إتعاب الفكر فيها لأنها ليست داعية لامر ديني(٢ فانّا نرى الداخلين فيها على اختلاف مذاهبهم باقون على ما هم عليهِ من التديّن بدينهم فقد دخل بيت الفرمسون في عصرنا هذا جماعة من المسلمين والنصارى وغيرهم من الفروق وخرج كلٌّ على ما هو عليه لم يتغيّر عن حالهِ في الظاهر (٢ من مذهبهِ في التفكّر في ذلك وطلب النفس ايّاهُ الّا من باب «المرء حريصٌ على ما مُنع» وهذا ليس من شأن العقلاء بل العاقل لا ينبغي لهُ ان يشغل نفسهُ الّا بما يهمُّهُ من امر دينهِ ومعادهِ وشيءٍ يسير هو بلاغ من امر معاشهِ . فنتج من ذلك انَّ إهمالها احرى وترك النظر فيها اجدى على انهُ كم من مغطّى لو كُشف لانكشف عن اضحوكة او مكروهٍ وكم من شيءٍ حقير

١) هذه الظواهر قد تعدّدت اليوم بما نشروهُ في كتبهم السرّيّة التي شاعت على الرغم منهم او ضبطت بين ايديهم مع ما كشفهُ المرتدّون عنها فكاد لم يبقَ شيء محجوب من احوالهم

٢) بل الغالب على الداخلين في الماسونيّة عدولهم عن الدين ومعاداة الاديان كما اثبتنا

تعظّمهُ الافئدة والابصار للجهالة بكنهه فاذا عُرف صَغُر وندم طالبهُ على طلبه . وان كنت تريد الاطلاع عليها بالدخول فيها والانتظام في سلك اهلها لإراحة الفكر من تعب القلب فعلى رسلك ما أهونَهُ لولا خطر الطريق

دونك امورًا عقليّة وشرعيّة يجب ان تعتبرها . امّا (اوّلًا) فلما ذُكر من عدم معرفة ماهيّة الفرمسون وغايتهم وكلّ طالب شيْ مع عدم معرفة ماهيّته وغايته طالبٌ جاهل راكبٌ في ذلك مَتْن عمياء خابطٌ خبط عشواء . (فان قلت) كفى من الفائدة إراحة النفس من تعب الطلب واخراجها من ظلمة الجهل الى نور العلم . (قلتُ) إراحتُها في الإعراض عن الخطر اولى وكلُّ عاقل اذا رأى شيئاً لا يدري حالهُ رأى الإعراض عنهُ اجدر فاذا أدخل فيه نفسهُ وكان فيه شيْ مما يلوم نفسهُ عليه كانت جنايتهُ على نفسه واوقعها في أعظم ممّا فرَّ منهُ . ولقد بلغنا عن بعض عوامّ بداوة العجم انّهُ دخل السوق ليأكل فعرض عليه الطبّاخ شيئاً من ورق العنب المحشو بالارز واللحم فقال بالفارسيّة : « اذا لم يكن ثمّة حيلةٌ فلا معنى لهذه اللقلقة » . وامّا دعوى اخراج النفس من الجهل الى العلم فهي خدعة وسواسيّة كدعوى بعض الوساوس الى تعليم السِّحر والشعوذة وغيرها ممّا يكون فسادًا او بطالةً بل تعليمُ أمثال ذلك اجدر بالنفس والقادم عليها قادم على بصيرة بخلاف ما نحن فيه

(فان قلتَ) الفائدة ظاهرة وهو تحصيل الاخويّة والتحابّ . (قلتُ) نعم هذه الفائدة امّها حاصلة ويمكن ان تكون من الاستخدام او الرصديّة ولكن لا يحسن الدخول لاجلها مع عدم العلم بالماهيّة والمّ القائل في لين الافاعي . ثم نقول زيادة على ذلك انّ الفائدة تحصل بادنى سبب ولا حاجة الى النظم في هذا السلك الذي لا يُدرَى نوعهُ ولا جنسهُ والدخول في هذا الامر الذي لا يُعرف وجهُ الخروج منهُ . والراعي لا يُورد إبلهُ الّا حيث يعرف مصدرها فما اقبح الانسان الذي اطلق الله سبحانهُ قلبهُ وجعلهُ وإنْ صغر حجمهُ ليسمع ما في السماوات والارضين ان يغلقهُ ويربط عليه ويقصرهُ على جهة واحدة وصحبة شخص واحد او اشخاص احسنوا او اساؤوا

امّا (ثانياً) فلمّا ظهر لك في المقدّمة الثالثة عدم جواز المخاطرة بالنفس وحسن تجنّبها عن كلّ ضرر مظنون او محتمل لاسيّما وليست هي الّا نفس واحدة . وانت في دخولك هذا البيت مع تصميم اهله على عدم إظهار ما فيه كالداخل على بيتٍ يُحتمل فيه وجود

عقارب تلدغ وحيّات تلسع واسود تبلع فانّ العقل يأبى دخولهُ وان احتُمل وجود كتب تنفع وثياب تلمع وجواهر تتشعشع . (فان قلتَ) ارى الداخلين فيها عقلاء بل لا يدخل في هذا الامر سوى ذوي العقول ولا اراهم ينكرون على انفسهم شيئاً . (قلتُ) وما يدريك ولعلّهم ابتُلوا فصبروا وأُخذ على قلوبهم كما أُخذ عليها في إخفاء الماهيّة . على انّهُ كيف يصحّ لك ان تتأسّى بهم لمجرّد عقلهم وهل يُبتلى بالامور الكبار والداء العضال الّا العقلاء ؟ وهل تعد ابليس مجنوناً ام تعدُّ احداً من النصارى والمسلمين وغيرهم من ذوي العقول خارجاً عن حدّ العقلاء ؟ مع انّ كلّ طائفة منهم تخطّئ الاخرى ؟ وهل ظهور العقل من شخص حاجزٌ عن الخطإ ؟ كلّا لا يقول بهِ جاهل فضلًا عن عاقل

امّا (ثالثاً) فانّا نقول لمريد الدخول في هذا البيت عرّفنا مذهبك فان كنت لستَ من اهل الكتب السماويّة كالملحدة والزنادقة وعبدة الاوثان فاصنع ما شئت لانّ ما انت فيهِ اعظم من كلّ عظيم فاذا اردت الشفاء فداوِ جُرحك الاخطر . وان كنت من اهل الكتب السمويّة كالمسلمين والنصارى واليهود قلنا لا يسوغ على شريعتك ان تدخل هذا البيت وكلُّ من دخلهُ قبلك من اهل ملّتك غافل عن وجه المنع لانهُ قد يخفى على العلماء منهم فضلًا عن الجهلاء

ولنتكلم على طريقة المسلمين اوّلًا فنقول انّ هذا البيت لا يُمنع منهُ احد من اهل النِّحَل لنِحلته واكثر اهلهِ من الهند مجوس خارجين عن الملل الثلاث . وحيث صحّ ذلك وكان هذا البيت ممّا يدخلهُ الملحد والموحّد فكيف تدخلهُ أيُّها المسلم اذ لم يظهر لك منهُ الّا الاخويّة وهي لا تجوز في مذهبك وقد قال لك ربُّك جلّ وعلا على لسان نبيك عم (سورة الممتحنة) : «ما جعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة» . وايضاً اذا حصل جهاد دخلتهُ ما تصنع لو تواقف الصفّان من المسلمين والمشركين وكنتَ في صفّ المسلمين وكان في صفّ المشركين او بعضهم ممن دخل هذا البيت فان قاتلتَهم بطلت الاخويّة التي لا فائدة لك غيرها وان لم تقاتلهم ورميتَ سلاحك تركتَ مذهبك الذي اوجب عليك الجهاد وكتابك الذي يقول (سورة التوبة) : «قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم» . وايضاً اذا فعل اخوك المسلم ما يوجب الحدّ من زنى او سرقة او قتل وامرك إمامك وسلطانك بجلدهِ او قطع يدهِ او قتلهِ وكان

ممّن دخل هذا البيت فما تصنع ؟ ان فعلت بطلت الاخويّة وان تركت خالفتَ وليَّ امرك الذي قال لك الله في حقّهِ (سورة النساء) : « أطيعوا الله ورسولهُ وأولي الامر منكم » وربك الذي قال (سورة النور) : « الزاني والزانية فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة » وقال (سورة المائدة) : « السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والنفس بالنفس » . وغير ذلك ممّا وجب عليك من اقامة الحدود . وايضاً اذا دعاك الاخ الفرمسوني لطعامهِ وكان ممّن يبيح لحم الخنزير وشرب الخمر وغير ذلك ممّا لا يباح لك في مذهبك ولم يكن في السفرة طعام يُباح لك فان لم تُجبهُ فاين الاخوية وان اجبتهُ تركتَ دينك وخالفت شريعتك

ولو اردتَ ان اسرد عليك هذا واشباههُ لطال المجال واتسع القال وفيما ذُكر مُقنعٌ لكل ذي بال . (فان قلتَ) املٌ مبني هذه الاخويّة على الامور الدنيويّة واما الدينيّة فلا بل يبقى كلٌّ على ما يوجبهُ مذهبهُ والمسلم لا يناكح المشرك ولا يأكل مما حُرم عليهِ في مذهبهِ ولا يُصلي بصلاتهِ ويقاتلهُ على الدين ويقطعهُ ويقتلهُ للحدّ الى غير ذلك وبالعكس . (قلت) على ذلك تكون الاخويّة جعليّةً اصطلاحيّةً والمحبّة ظاهرةً قشريّة لا تستأهل خسارة مال ولا دخول في مجهول ولا اتعاب فكر ولا غير ذلك ممّا يوحش قاصدي هذه الطريقة ومثل هذا يحصّل باقلّ من ذلك ولا كلفة ولا استيحاش . فانّ ما هو حاصلٌ بين جملة من الدُّول في عصرنا هذا من الهدنة والتحابّ والغيرة على بعضهم بعضاً والاتحاد حتّى كأنّ الجميع دولةٌ واحدة آكدُ من الاخوّة الفرمسونيّة على هذا التقدير ما عدم اخفاء شيءٍ من الامور موجب التهمة وشغل الفكر والمودّة الحاصلة من اهل كلّ دين مع بعضهم بعضاً بل اهل كل بلاد بل اهل كل جامع من حرفة او عمل آكد وآكد

وبالجملة ايها المحتدي قل ما شئت وقدّر ما اردت ان كانت هذه الاخويّة على النحو السابق فهي تُبيح حمى الشريعة والخروج عن جملة من احكام الله الذي انزلها على لسان نبيّهِ صلعم وآلهِ فان قصدتها وادخلتَ نفسك فيها خالفتَ بل ألحدتَ ولا خيرَ بخيرٍ بعدهُ النار ولا شرَّ بشرٍ بعدهُ الجنّة . وان كانت على النحو الثاني ذهب تعبك ضياعاً ولا ادري لك فيها فائدة وهل هي اذ ذاك الّا مُداهنة ومحبّة كاذبة ودعوى غير صائبة ويا ليت شعري هل تريد شرفاً وعزّاً يزيدك عن شرف

الاسلام وعزّهِ او اخولناً غير مَنْ تصطفيهم للدين. ولعلّهُ قد يجول في خاطرك ما لو اردت ابداءهُ لتقطّعت نفسك حسرات بل خفتَ من الحيطان وقُلتَ: لها آذان. وارتعت من شعارك ودثارك. وليلك ونهارك. وهو انَّ الزمان قد خان. وخلا المكان من الخلّان والاخوان. والملوك لا يعبأون بالصعلوك. والعمّال في اغفال والقضاة مشتغلة بالرشوان والناس عبيد الدنيا والفخار. يدورون مع الدرهم والدينار. والدين في الساق يلفّ الساق بالساق لم يبقَ منهُ الّا عبابة كصبابة الماء في قعر الاناء. وذبالة جفّ عنها الدهن فيُحتاج في حفظ الجاه والعرض والمال والدين الى مداهنة الشياطين فضلًا عن الاناسين والدخول الى بيت محظوظ عاقل او مجنون فضلًا عن بيت الفرمسون الذي شرّفهُ الملك بانليون وغيرهم ممّن يقومسون في العزّ ويتعمدون ويرتعون في الشرف ويمرحون. (فاقول لك) لا الومك لو عرفت الماهيّة وامنت الغائلة وذلك موقوف على الدخول والدور باطل عند اهل المعقول. وقد جاء في آثار النبوّة: «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وجاء ايضاً: «حلالٌ بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات أمن من الهلكات». وجاء ايضاً: «اخوك دينك فاحتطْ لدينك» ومن حكم الشعر:

ونفسك فاكرم عن امور كثيرة فما لك نفسٌ بعدها تستعيرها

على انَّ ما شكوتهُ من احوال الزمان هيّن عند اهل الهمّ واظنّك منهم وما مصائبهُ عندهم الّا خدش. انظر الى قائدهم كيف يقول:

فبات يريني الخطبَ كيف اعتداره وبتُّ أريهِ الصبرَ كيف يكونُ

والى قول الآخر:

فيا نفس قرّي انَّما الدهر ساعةٌ ويا دهر هوّنْ حسبك الموتُ ميدانا
وهل الدنيا الّا دار زوال واهلها كركب عرّسوا ساعةً ثمَّ ارتحلوا
دع الدنيا ولا تركن اليها فزخرفها سيذهبُ عن قليلِ
وان ضحكت بوجهك فهو منها كضحك السيف في وجه القتيلِ

ولا آلوك نصحاً دَعْ طلب الجوهر من الباعة المكّاسين في الاسواق بالاثمان الغالية الكاذبين عليها لنفاقها واطلبها من معادنها ومن يُعطيها مجّاناً اجلُّ عليك وارفع للتهامة عنك وارفق بك واوثق لك. اطلب الشرف والعزّ من الله الذي لا يمنع سائلًا ولا يبخل بنائل ولا يمنّ على عطيّة فلقد قال وهو اصدق القائلين (سورة آل عمران):

«ومن يُرِدْ ثواب الدنيا نؤتهِ منها. ومن يُرِد ثواب الآخرة نؤتهِ منها». وقال جلّ وعزّ (سورة الطلاق): «ومن يَتَّقِ الله لا يجعل له مخرجاً ويرزقهُ من حيث لا يحتسب ومن يتوكّل على الله فهو حسبهُ انّ الله بالغُ امرهِ قد جعل الله لكلّ شيء قدرًا» وقال عزّ وجلّ من قائلٍ (سورة العنكبوت): «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم والله مع المحسنين»

وحيث عُرف الحال على طريقة المسلمين فاعلم انّ مثلهُ جارٍ في اهل الكتاب من النصارى واليهود فانّ اقامة الحدود ونحوها من الاحكام في الحلال والحرام والموالاة في الله والمعاداة في الله ممّا يشترك فيهِ الجميع وان اختلفوا في الماهيّات والشروط. والتوراة والانجيل لاسيّما الاولى مملوّان من ذلك ان اردتهُ فراجعها خصوصاً في سفر الاحكام من التوراة بل احكام التوراة اصعب من احكام القرآن. ولولا خوف الملل لأوردتُ عليك جملةً من ذلك. وكذا ما دلّ عليه العقل من عدم جواز المخاطرة بالنفس والدخول في مجهول وحسن تجنّب ما يُظَنّ فيهِ الضرر

ثمّ اقول لليهوديّ: اذا كنت ممّن دخل بيت الفرمسون وجاءك بعض من دخل هذا البيت مسلم او نصراني او مجوسيّ ودعاك يوم السبت الى مهمّ او عمل لا يمكن تأخيرهُ عن ذلك اليوم فان لم تُجبهُ فسدت الاخويّة وان اجبتهُ عطّلت سبتك وهتكتَ دينك. وعلى هذا قِسْ غيرهُ من الاحكام المختصّة باليهود. فان قلت ليست اخوّة توصل الى ذلك قلنا لك ما قلناهُ للمسلمين حرفاً بحرف

واقول للمسيحيّ: اذا كنتَ في صفّ القتال وامرك البطريق وكان بين العدوّ بعض من دخل هذا البيت فان قاتلتهُ بطلت الاخويّة وان تركت وخالفتَ رئيس مذهبك الذي تطلب خلاص نفسك بطاعتهِ نقضت دينك. وعلى هذا تُقاس بعض الاحكام التي تختصّ بالنصارى وممّا تقدّم ثبت انهُ واجب على المسيحيّ ما يجب على المسلم واليهوديّ من التوقّف عن الدخول في هذا الامر المجهول وسبحان واهب العقول. والحمد لجلالهِ اوّلاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وصلّى الله على انبيائهِ ورسلهِ وتابعيهم الى يوم الدين آمين

وكان ختام هذه الرسالة البديعة عصر نهار الجمعة ثاني شوّال المبارك سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) والحمد لربّ العالمين وصلّى الله على سيّد المرسلين وآله الاطيبين

مسألة البترول

نظر تاريخي واقتصادي للاب رفائيل نخله اليسوعي

منذ سيّر الاميركي فلتن (Fulton) في سنة ١٨٠٧ الباخرة الاولى على نهر هُدْسُنْ (Hudson) حتى غرّة الجيل العشرين بقي الفحم على اختلاف انواعهِ الوقودَ السائد استعمالهُ في كل بحريّات الدول الراقية . امّا في عصرنا هذا الى العجائب والغرائب فقد جاراه رصيفٌ قديم حديث النعمة ومع ذلك كبير الحظوة لدى اعظم الامم ألا وهو البترول الذي اصبح اليوم من اخطر مواضيع السياسة والاقتصاد السياسي وقد غدت طُرق اقتنائهِ بكميات وافرة في مقدّمة هموم الحكومات العظمى . ومأربنا في هذه المقالة القاء نظرة سريعة على الحوادث التي افازت رصيف الفحم بمقامه السامي وشهرتهِ الطائرة

١ لمعٌ من تاريخ البترول

كان اكتشاف اوّل آبار البترول في اميركة سنة ١٨٥٨ . وحول هذا العام شرعت بعض مُدن رومانية وفي مقدمتها بكرش باستخدام البترول للاستنارة وكان ذلك غريباً جديداً في ذلك العهد . ومن سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٦٣ بعد فتح الروس للقوقاز اكتشفوا منابع بترول في غاية الاتساع بشبه جزيرة أبشرون (Apchéron) على الضفّة الغربية من بحر قزبين او بحر الخزَر فباشروا تعدينها بهمّة قصاء . ولم يمضِ على ذلك سنون قليلة حتى انتشر بترول مدينة باكو في كل البلاد المحيطة بالبحر المتوسط وما عتّم ان خلف فيها الزيوت النباتيّة في استنارة الافراد اعني البيوت الخاصّة دون الشوارع والطرق العامّة . وكان سبب رواجهِ العظيم شديدَ رُخصهِ . ومن نحو عشرة اعوام اكتُشفت ينابيع هامّة في المكسيك . ويوجد مثلها على جانبي جبال لُورِستان الواقعة تقريباً على الحدود بين ايران وتركية وهي التي اثارتْ مطامع انكلترة فحدت بها الى نشر نفوذها بل حمايتها على بلاد العجم وما بين النهرين ولا مطمح لها في كل ذلك سوى ان تجعل تعدين آبار البترول بين ايدي رعاياها دون سواهم . ففي سنة ١٩٠٩ تأسست في ايران بسعي الحكومة البريطانية شركة البترول الانكليزي

العجمي (Anglo-Persian Oil) وفي سنة ١٩١٤ في ما بين النهرين شركة البترول التركي (Turkish Petroleum C°) التي لانكلترة فيها حصّة تُذكر

ومن العجب العجاب ان البترول على حداثة عهدهِ بلغ في بريطانية العظمى مكانةً سامية جعلتهُ في السنين الاخيرة يقوم مقام الفحم بكل سفن الاسطول الانكليزي تقريباً . والالمان تهافتوا على البترول من سنين عديدة ولا تهافت الجياع على القصاع بل كان لهم القدح المعلى في آبار غاليسية ورومانية وروسية وما بين النهرين . امّا فرنسة فلم يدرك فيها للآن مثل تلك الحظوة ولو ان استعمالهُ لا يزال ينتشر فيها يوماً فيوماً بحيث لا يحوم شكٌّ على كونه يسُدّ فيها مسدّ الفحم في مستقبل قريب

هلُمّ بنا الآن انتقري على جناح السرعة تاريخ البترول بفرنسة للاستفادة بما فيهِ من العِبَر لكل معتبر . كان امتحانهم لوصيف الفحم على الاقل سنة ١٨٦٤ في مدفئة نهريّة فرنساوية رست عند شاطئي نهر السين في باريس فتقاطرت الجماهير لتشاهد هذه البارجة الظريفة الغريبة بوقودها المبتكر . وفي سنة ١٨٦٩ أُحميت مراجل بعض القاطرات بالمازوت فأسفرت هذه التجربة عن نجاح كامل على مثل السابقة . والمازوت هو مادة لزجة ثقيلة يُخلفها البترول بعد التهاب عناصره المتطايرة المستخدمة في محركات السيارات والمعروفة في فرنسة باسم خلاصة البترول (essence) وقد سطعت للعيان في الاختبارين السابقين افضلية البترول على الفحم المبنيَّة على المزايا الآتية : سهولة الاحماء وسرعة تحويل الوقود الى حالة الضغط المحرّك وزيادة الحرارة الناتجة عمّا تكون مع الفحم وقلّة المكان الذي تقتضيه ذخيرة البترول واخيراً تقليل عدد الأُجراء المستخدمين في احماء المراجل ولاسيّما في نقل كميّة الوقود اللازمة الى عنبر البواخر

اجل ان تفوّق البترول الجلي اوانئذٍ اتمّ جلاء . فما الذي حال اذن دون قيامهِ مقام الفحم في سفن الاسطول الفرنساوي ؟ لذلك سببان كلّ منهما اوهى من خيط العنكبوت : (الاول) استنبطهِ لترويج مصالحهم الشخصية آلافٌ من ارباب مناجم الفحم ومديريها ومهندسيها وعمّالها وهو ان فرنسة غنيَّة بالفحم لكنها فقيرة بالبترول فكيف تسحب يدها من كنوزٍ مكنوزة امامها لتمدّها الى البلاد الاجنبيَّة مستعطية

منها بنفقات هائلة كميات الوقود العظيمة التي لا غنى عنها . وقد زاد ذوو الغايات هذا الخطر الوهمي روعاً حيث طبّلوا وزمّروا مكرّرين على أسماع الملأ النغمة الآتية : لو حدا الجهل والتهوّر بوطننا العزيز الى اتخاذ البترول رسمياً بصفة الوقود الوحيد فما اسوأ ما يكون مصير فرنسة وما اهولَ ما يغدو صحوُها من نشوتها المادية اذا نشبت بها حربٌ عوان وضرب الاعداء نطاق الحصار حول كل شواطئها ليمنعوها عن التموّن بالوقود الضروري لأسطولها بل ولوقاية حياتها الاقتصادية ؟

امّا السبب الثاني الملفّق لمناهضة البترول فهو ادّعاء كون شدّة قابليّته للالتهاب خطرَ حريقٍ دائم . وقد راجت سوق هذا المدّعى الى حدّ انهُ دخل في تعليم المدارس البحريّة . والحقّ يقال ان البترول المُجرّب في ذلك العهد اعني نحو سنة ١٨٧٠ كان واردًا من اميركة ومحتوياً حتى ٧٢ جزءاً في المائة من الموادّ المتطايرة القابلة الالتهاب . وزد على ذلك ان السفن عموماً والبوارج خصوصاً كانت يومئذٍ من خشب يُوطّده في داخل المركب بناءٌ من حديد يُشبه هيكل الجسم البشري المجرّد عن لحمه . والحالة هذه لم يكن خطر الحريق وهميًّا بل من ارهن الحقائق . ولكنه كان يمكن تخفيفهُ في نفس ذلك العهد لو استجلبت فرنسة عوضاً عن البترول الاميريكي بترول باكو المحتوي ٣٣ جزءاً في المائة ليس الّا من الموادّ المتطايرة السريعة الالتهاب المناسبة للاستنارة المُخلفة بعدها راسباً اسمه مازوت (mazout) صالح لاحماء المراجل لا يلتهب الّا بحرارة عالية تبلغ نحو ١٥٠ درجة من القياس المئوي وهو لا يتأثر بفعل الموادّ المنفجرة . فيتّضح ان خطر الحريق الذي كان اصحاب الغايات يولّون الناس به كان يتوقّف دَفْعُهُ على اختيار اجود وآمن صنوف البترول . امّا خطر افتقار فرنسة العارية عن الوقود الجديد الى دول اجنبيّة تموّنها به ما لم يَحُلْ الوغى دون ذلك فلم يكن الّا بعيدًا بل طفيفاً . واليك شاهدين جليّين على حكمنا هذا : الاول ان بريطانية العظمى الخالية هي ايضاً من البترول لم تكترث بذلك الخطر الموهوم بل قرّرت وجوب استخدام المازوت في بوارج اسطولها وهي ~~ملتزمة باستيرادهمن~~ الخارج بكميات عظيمة . والثاني ان الدول الاتفاقيّة بل والدول المركزية استطاعت اثناء الحرب الاخيرة استجلاب مِيَر وذخائر لا تحصى من وراء البحار رغماً من المصاعب الشديدة والاخطار الهائلة

وعلى كلٍّ حال فقد نجح ذوو الاغراض بفرنسة سنة ١٨٦٥ في تمويه الحقيقة على اهل الربط والحلّ وأوهموهم بان العدول عن الفحم والإقبال على البترول لمن اكبر المهالك لحياة الامّة . ومن جهة اخرى كان حينذاك ارباب السلطة والنفوذ بالبحريّة الفرنساوية في شغل شاغل بنقل الجنود من وطنهم الى المكسيك حيث دارت رحى الهيجاء فلم يضعوا امر البترول موضع الاهتمام . ثم زاد الطين بلّةً بنشوب الحرب السبعينية الوخيمة العواقب لفرنسة كما هو مشهور . فبقي امر البترول نسياً منسيّاً الى عهد ظهور الغوّاصات

فانها لم ترَ بُدّاً من استخدامه حيث استحال عليها حفظ المداخن(١ . وقليلاً بعد ذلك دخلت سنة ١٨٩٠ السيّارات المحسّاة هي ايضاً بالبترول (٢ في ميدان طرق المواصلات السريعة وحازت فيه بمدّة يسيرة قصب السبق حتى انك تكاد لا ترى سواها الآن في كل الولايات المتحدة واعظم المدن الاوربيّة . فراجت سوق البترول ايّ رواج بعد طول كسادها وكان لذلك الاقبال خير وقع في البحرية الفرنسوية الساهية منذ نحو ثلاثين سنة عن حل مشكل الوقود حلًّا علميّاً مُرضياً من كل جهة . واخيراً جاء منبثقاً اياها من بنتها فنّ الطيران بترقيه العجيب السرعة خصوصاً منذ سنة ١٩٠٨ ومآثره العديدة الفنانة ومحرّكاته التي هي نسيج وحدها لجمعها بين غاية القوة ومنتهى الخفّة . ومعلوم لدى القاصي والداني ان وقودها البترول او ما ضارعهُ من المواد المتطايرة الملتهبة . ومع تلك العبر الفصيحة الحائمة لهمها كانت البحرية الفرنساوية شديدة التعلق بعوائدها وتقاليدها الآمرة بالمحافظة على الفحم مهما تكاثر عدد خصومه . فتأمل يارعاك الله كم تحول عادةً متأصلة ولو غير معقولة دون التقدم المادّي والادبيّ ! وفي النهاية قرّ رأي زعماء الاسطول بعد التيّا والتي على اعادة التجارب في اواخر الجيل المنصرم ليس على البترول وحده بل مرشوشاً بشكل قطرات دقيقة للغاية على الفحم

١) الغوّاصات الاولى وفي مقدمتها غوّاصة المهندس زدِه (Zédé) المصنوعة سنة ١٨٨٦ كان محرّكها في حين الغوص المخزّنات الكهربائيّة (accumulateurs) لكن الاختبار اوضح افضليّة البترول عليها من عدة اوجه

٢) اول محرّك بالبترول للسيّارات اتى بنتائج مُرضية هو الذي ابتكره دَيملير (Daimler) سنة ١٨٩٠

المتأجج وقد أطلق على هذه الطريقة اسم الاحماء المختلط (chauffe mixte) . وأفرغ صانعو المراجل جعبة قرائحهم في تجهيزها براش البترول على النمط المذكور غير ان مساعيهم ذهبت ادراج الرياح حيث لم تأت بالفائدة المطلوبة . فاعرضت البحرية عن الاحماء المختلط الذي ابلغته بعد ذلك انكلترة الى اوج الكمال فعمد ذوو الهمة في البوارج الافرنسية إلى تجربة المازوت وحدهُ واقبلوا عليه بعد النجاح التام . فلما شبّت نار الحرب الكونيَّة كان لفرنسة عِدَّة سفن خفيفة مُحماة بهِ ليس الّا والكيلغرام منه ينتج ١٣ ضعفاً من البخار . ولكن المراجل بقيت هي هي كما كانت في عهد الفحم ولم تُستخدم المحركات ذوات الالتهاب الباطن المغنية عن المراجل والجاري استعمالها في السيَّارات والطيَّارات الّا في الغوّاصات حيث لا مندوحة عنها فيها

اما سواد الشعب فانهُ لم يعبأ بمشكل البترول حتى الحرب العظمى بيد انَّهُ شرع يُعيرهُ بالًا بل يتأثر من خطورته وصعوبة حلّهِ يومَ ادرك مسيس حاجة الجيوش الذائدة عن حياض الوطن الى ذلك الوقود الجوهري لتسيير الطيَّارات والسيَّارات وعرف العقبات الكؤودة الحائلة دون استجلابه من اميركة او من غيرها الناجمة خصوصاً عن نشاط الغوّاصات الالمانيَّة الضاربة في ذهابها وايابها المتواصل نطاقَ حصار حول كل الشواطئ الفرنساوية . وزادت قلقَ الجمهور ندورةُ بترول الاستنارة وغلاؤهُ الفاحش ثم الشكوى التي بلّغتها قيادةُ الجيوش العليا في سنة ١٩١٧ الى الحكومة بسبب ازمة البترول الوخيمة العواقب وكون المؤونة الشهرية المعيّنة بقدر اربعين الف طُن (!) لا تصل بهذه الكميَّة التي لا غنى عنها . وكانت علّة هذا التشويش الخسارة العظيمة الملتزم باحتمالها منذ شهر آب سنة ١٩١٤ الاتحاد الفرنساوي لمستوردي البترول من الخارج وقد تعهّد بازاء الحكومة منذ نشوب الحرب بتموين الجيوش . وخسارتهُ ناجمة عن صعوبة النقل البحري وغلائهِ وتعسُّر الدفع بالدولارات الاميركة . وعلى إثر تلك الحوادث المزعجة المؤلمة اخذت الحكومة على عاتقها مسؤولية هذا التموين الحيوي (١ والتمست لاجل ذلك من الرئيس والسن ان يبذل جهدهُ ويُعمل نفوذه الواسع في امدادها بكل ما تحتاج اليه من هذا الوقود . فلبّى دعوتها بأريحيَّة

---

١) كان للجيش الفرنساوي في آب سنة ١٩١٤ ١٦٠ سيَّارة نقل فاصبحت ٨,٥٠٠ سنة ١٩١٥ و٧٠,٠٠٠ سنة ١٩١٨ . وكان له ١٣٢ طيَّارة فصارت ٦,٠٠٠ ثمَّ ١٢,٠٠٠

شريفة وفي تموز سنة ١٩١٨ شكّلت فرنسة لجنة البترول ورأست عليها المسيو برانجه من مجلس الشيوخ. وناهيك بكل تلك الشؤون شواهدَ على فائق خطورة مشكل البترول في عين فرنسة اثناء الحرب الكونيّة! فصحّ قول لُورد كرزن: «ان الحلفاء ساروا الى الظفر على امواج البترول»

وبحسن عناية لجنة البترول وبحكم نظامها رُتق فتق الامور فقرّرت الحكومة في تشرين الثاني سنة ١٩١٧ تموين الجيوش كل شهر بـ ٥٥،٠٠٠ طن من الخلاصة اي البترول المصفّى و ٢٥،٠٠٠ من البترول المعتاد او الخام وقد رفعت في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ هاتين الكميّتين الى ٦٠،٠٠٠ طن من الاول و ٥٥،٠٠٠ من الثاني. امّا الاسطول المعتاد من قبل الحرب على التموّن بنفسه فكان من باب الاقتصاد خصّص سفينةً لاستجلاب البترول اللازم له من باطوم ميناء القوقاز الواقعة في شرقي البحر الاسود او من قُسطنطنة الثغر الروماني على ضفّة ذلك البحر الغربيّة او لدى الاقتضاء من الولايات المتحدة والمكسيك. فسارت اموره على قدم وساق وشرع في انشاء مستودَعات عظيمة للبترول في موانئ فرنسة دفعاً للمحاذير الناتجة عن قلّة أمن النقل البحري. وقد جاءت هذه المشاريع باشهى الفوائد فقُرّر انشاء مستودعات اخر في بعض ثغور ابعد المستعمرات تعميماً للمنفعة وقد جرى ذلك الآن في الموانئ الآتية: دَكار (سينغال) — فُوردُفرَنس (عاصمة مرتينيك) — دِياغو سُوارس (في شمال مدغسكر) — سيغون (عاصمة الهند الصينية الفرنساوية) — نُومِيا (عاصمة كالدونية الجديدة) — پيايتي في جزيرة تَيتي (Taïti) عاصمة المستعمرات الفرنسوية في اوقيانية

ولما هالت فرنسة الخسائر الفادحة والاخطار الدائمة المسبّبة لها من الغواصات الالمانية منذ اواخر سنة ١٩١٤ زادت في اسطولها البوارج الخفيفة المحماة بالبترول زيادة عظيمة فأدّت هذه لها خدماً لا تحصى سوف يُقدّرها القرّاء قدرها حين تأتي المقابلة بين الفحم ومُزاحمه

من البديهي ان الرواج العجيب الفجائي الذي فاز به البترول في الجيش والاسطول الفرنساوي طول سني الحرب الضروس بل وبعدها كانت بخست قدر الفحم اي بخس وحطّت من مكانته في اعين الحكّام والرعايا. ولعلّ الطامّة الكبرى بل الضربة القاضية له بفرنسة ازمة الفحم المستفحلة في العام المنصرم ولا تزال بلاد كثيرة تحت

ثقل وطأتها . واخصُّ دواعي تلك الازمة هي كما لا يخفى من جملة اعتصابات عملة المناجم في انكلترة وشدة صعوبة النقل على السكك الحديدة وعلى الانهر نفسها بفرنسة وغيرها . كان ملايين من الفرنساويين يستضيئون بالبترول قبل سنة ١٩٢٠ بيد انه لم يدُر على خلَدهم تصميم الاستدفاء به واحماء عدد لا يُحصى من مراجل الصناعة الكبرى والوسطى بهذا الوقود الثمين . فما اشدَّ ما كانت دهشتهم يوم أعلن وكيل الحكومة العامّ في تموين البترول الى سكان باريس وضواحيها انه مستعدّ لإمداد الملّاكين وارباب المصانع بكل ما يلزمهم من هذا الوقود بل حثّهم بمزيد الجدّ على إبدال مراجلهم المحماة بالفحم بغيرها موافقة لاستخدام البترول لعظم فضلهِ على الفحم

وقد حان لنا الآن امعان رائد النظر العميق في المزايا العديدة التي تجعل السبق للبترول على سلفهِ بمراحل رغماً من رواج سوق قرنهِ طول الجيل الماضي تقريباً دون ادنى مزاحمة يُعتدّ بها . اما اللمعة التاريخية الآنفة فهي برهان ضمنيّ جليّ على افضلية البترول فضلاً عن كونها طافحة بالعِبر المفيدة ولعلّ خلاصتها شدّة صعوبة استئصال العوائد القديمة ولو عاكست تيار التمدّن والترقي معاكسةً بيّنة . فلا بدّ والحالة هذه من حدوث حوادث جلّى وانقلابات خطيرة تفتح عيون القوم المُبصرَ على حفظ تلك الفوائد الضادّة لرُقيّهِ

٢ فضل البترول على الفحم

ان استخراج البترول من آبارهِ اهون وارخص كثيراً من استخلاص الفحم في مناجمه . حسبنا شاهداً على صعوبة هذا وفرط نفقاتهِ أن تعدين الفحم يستلزم جيشاً جرّاراً من المعدّنين فهم يُحصَون بمئات الآلاف في فرنسة وغيرها من البلاد الغنيّة بالفحم ! زد على ذلك ان بئر المنجم ودهاليزهُ البالغ مجموع طولها في كثير من الظروف عشرات كيلومترات يقتضي انشاؤها ملايين من الفرنكات ولاسيّما انها محتاجة الى تخشيب غاية في الغلاء (١ ومتى استُخرج الفحم من احشاء الارض يلزم انتقاؤه ثمّ غسله وذلك

١) الخشب اللازم لذلك يَرد عادةً من اقطار اوربة الشمالية ولاسيّما نروج . ولذلك رأينا الغوّاصات الالمانية تطارد اثناء الحرب السفن الشراعيّة والبخارية الذاهبة من نروج الى انكلترة وسوقةً بالاخشاب الضرورية للمناجم البريطانية . ومن جراء تلك المطاردة نقص انتاج الفحم الانكليزي نقصاً هاماً

امرٌ طويل كثير النفقة . ثم ينبغي نقله من اعماق المنجم الى السفن او الشاحنات ومتى بلغت نهاية سيرها يلزم نقله ثانيةً منها الى محلّ استعماله . وهاتان العمليّتان ارخص بدون قياس في البترول منها في خصمهِ كما سترى . اخيرًا ان احماء المراجل بالفحم يقتضي تواتُر إدخالهِ فيها بعكس ما يحدث في البترول حيث يكفي صبُّه في انائهِ مرّةً واحدة ليوم كامل بل لايام عديدة . ومن هذا الوجه لا غير امكن في بعض الظروف الاستغناء عن ٩/١٠ العمّال السابقين . زد على كل تلك عوائق الفحم وجوب تنظيف المراجل المتواتر الوعر المسالك الكثير المصاريف

امّا البترول فلا تجد في استخراجهِ واستعمالهِ ادنى اثر للعوائق المذكورة . فلا حاجة هنا الى بذل قناطير مقنطرة من الاصفر الرنان لحفر منجمٍ يضاهي في عين المبصر مدينةً تحت الارض . يكفي هنا حفر بئر ضيّقة القطر فإمّا ينبجس البترول من فوهتها وامّا يُدفع اليها بالمضخّات وعلى كلا الحالتين فلا حاجة لسوى نفر قليل من العمّال . واذا طلبتَ حجّةً دامغة على قولنا هذا ضربنا لك بصفة مثل بئرًا في المكسيك يُستخرج منها يوميًا مائة الف برميل من البترول وهناك اقلّ من خمسين عاملًا — امّا نقل البترول الى معامل التقطير فانهُ يتمّ بالقنوات والمضخّات كنقل ماء الشرب وغاز الاستنارة وفي ذلك الاسلوب ما فيه من السرعة والرخص الواضحين . وفي اميركة اليوم قنيٌ يُقدَّر الآن طولها بـ ٤٦،٠٠٠ كيلو متر اعني نحو مرّة وسُدس طول دائرة الكُرة الارضيّة . امّا قُطرها فيتراوح من خمسة الى ثلاثين سنتيمترًا . والمضخّات المُصعِدة للبترول من جهة منخفضة الى اخرى عالية والمسهّلة لسيله تراها هناك متتابعة والبون الفاصل بينها يختلف من ٢٥ الى ٣٠ كيلومترًا . وتُستخدم في الشتاء مثلًا محطّات لإحماء وتسييل ما يجمد منهُ بسبب الزمهرير . والبترول المصفّى في معامل التقطير تنقله الى كل اصقاع الولايات المتحدة نحو ٦٠،٠٠٠ شاحنة مصنوعة على شكل خزّانات وما يُصدَّر الى الخارج تُوسَق بهِ سفن خاصّة اطلق عليها اسم السفن البتروليّة . لكن الولايات المتحدة تستهلك من البترول ضِعفي ما يفي اليوم بحاجة كل بقيّة اقطار المعمور !

ونذكر القراء بهذه المناسبة ان المتمولُ الشهير رُكفِلر لُقِّب ملك البترول وان المزاحمة شديدة بين شركتهِ الجبّارية المسمّاة ستاندرد أيل (Standard Oil)

ورصيفتها الانكليزية المدعوّة رُيل دُيتش (Royal Dutch)

فلنعُد الآن بعد هذا الاستطراد الطويل الى معامل تقطير البترول . فيها ترى ماكينات يديرها النفر القليل من العمّال تحلّل البترول الخام الى كل اجزائهِ المفيدة من خلاصات (وهي البترول المصفّى) وزيوت التدهين والمازوت والنازلين والپارافين المستعملة في صناعة أنور اصناف الشموع والبقايا الجامدة القابلة الالتهاب وهي تستعمل كوقود في نفس عملية التقطير . ثم ان نقل كميات البترول العظيمة من هذه المعامل الى السفن والشاحنات التي تذهب به الى اقاصي المعمور ايضاً آيةٌ في السهولة وقلّة النفقة بسبب امكان تسييلهِ بالقُنيّ السابق ذكرها . أجل ان انشاءها يقتضي بذل آلاف مؤلفة من الليرات ولكن متى تمّ ذلك زالت المصاريف بالكلية او كادت بخلاف ما يحدث في نقل الفحم كما يلوح لكل ذي عينين

ونُعلم القرّاء بهذه المناسبة انّ في نية فرنسة انشاء قنيّ البترول من هڤر (Le Havre) وهو من اعظم موانئها على الاطلنتيك الى باريس . وبما ان باريس اعلى من ثغرهِ اعني هڤر فمن الضروري اصعاد البترول بواسطة مضخّات جاذبة موزّعة على طول المسافة الفاصلة بين المدينتين . فيترتّب على ذلك النظام ليس فقط اقتصاد كبير في استخدام اليد العاملة بل وفي عدد قطارات البضائع ولا يخفى ما يجرُّه قطار واحد من النفقات الفاحشة ولا سيما في الازمة المالية الحاضرة الممتدّة بدرجات متفاوتة على كل بلاد الغبراء

ولعل اهمّ اسباب افضلية البترول على الفحم التفوّق العظيم الذي حازتهُ في السنين الاخيرة المحرّكات بالبترول على سواها . فان الاولى وخصوصاً التي على المثال المُبتكر من المهندس الالماني دِيزِل (Diesel) الشبيهة بمحرّكات السيارات لها ثلاثة اضعاف قوة المحركات بالفحم البخاريّة . واذا ضربنا صفحاً عن القوة ناظرين الى مجرّد الحرارة المُنتجة وجدنا ان كيلوغراماً من البترول يُحمي مرّة ونصف على الاقل كمثلهِ من الفحم . فعلى الوجهين نتحقق ان للاول قصب السبق على الآخر

هلمّ الآن لنقابل بين ثمن هذا وذاك فعلى الاثمان مدار كل الصناعة والتجارة . في شباط سنة ١٩٢٠ كان طُنّ الفحم يساوي نحو ٢٣٠ فرنكاً في ميناء هڤر حيث الفحم الانكليزي رخيص وطنّ المازوت ٤٠٠ فرنك . لكن اذا اسقطنا من المبلغ

الاخير الاقتصادات العديدة في اليد العاملة ونفقات النقل فانه يهبط الى ٢٠٠ فرنك في المحركات البخارية المحماة بالبترول والى ما دون ١٥٠ في التي أُطلق عليها اسم المحركات الانفجارية (moteurs à explosion) وهي الجاري استخدامها في السيارات فضلًا عن المصانع حيث لا تزال تنمو رواجاً ولاسيّما التي على مِثال ديزل المشار اليها سابقاً . وقد حسب الكُنترامیرال دُغوي (Degouy) انهُ لو أُدخلت محركات ديزل في كل السفن التجارية الفرنساوية — وكان مجموع محمولها نحو ٦٠٠،٠٠٠ طنّ في الشطر الاول من سنة ١٩٢٠ — لأصبحت فرنسة في غنى عن ملايين من طنات الفحم وزادت ثروتها بنسبة ما في ذلك الاستغناء من عجائب الاقتصاد وقد غدا القرّاء اهلًا لتقديرها قَدْرها بعد ايضاحنا اياها ولو بايجاز

هذا ولا نتمالك قبل ختام الكلام ان نذكر للبترول مزيّةً عظيمة على وصيفهِ من الوجهة الحربيّة فانّ الحرب وان تكن ولا سيّما في ايّامنا داهيةً دهياء بل مجموع كل الدواهي . فلا نكير ان الامم صغيرةً او كبيرةً لا تزال ولن تزال تُعِدّ لها عُدّتها بكل وسائل التمدّن العصري . ومن هذا القبيل يفوق البترول على الفحم ايّ تفوُّق لكونهِ يمكّن من نفي الدخان في البوارج وبقيّة السفن اللهمّ اذا كان لها محركات انفجارية . وما ادراك يا صاح ما الدُخان ابّان الحرب ؟ هو جاسوس خائن يشير سواد وجههِ الى سواد نواياه يصعد بقامتهِ الهيفاء المتلويّة الى ما فوق اعلى البروج والصواري ويُطلع بارجة العدوّ على موقع السفينة عن بعد يبلغ احياناً زهاء ٧٥ كيلومترًا ! فهل من خيانة شرّ من هذه واوخم عاقبةً وما اثمن البترول واسمى قدرهُ حيث انه يخلو منهُ بتاتاً . ودليل ذلك ان البارجة السائرة بمحرك انفجاري (١ لا ترتسم على أُفق العدوّ الّا بشكل خطّ افقي غاية في الدقة فيصبح فعلًا اصابة هذا المرمى الضئيل بالقنابل او الطوربيل مستحيلًا

واليك قبل ختم هذا الباب بعض تصريحات الاميرال فيشر الانكليزي المشهور له بطول الباع . قال « ان اتخاذ زيت البترول بصفة وقود لمحركات الباخرة موريتانية اسفر عن اقتصاد اليد العاملة فأغنى عن نحو ٣٠٠ عامل » . ولا يظنّنّ القارئ ان الاميرال يعني

١) يكاد هذا المحرّك لا يخرج الآن في الاسطول الفرنساوي عن دائرة الفرّاصات وقد ولجها من اعوام عديدة

بقوله مجرّد العمّال القائمين بادارة المحرّكات والّا لكان الظنّ فاحشاً . انما عنى كل العمّال الذين كان استعمالُ الفحم يستدعي شغلهم رأساً او ضمناً

ثم اردف هذا الاميرال بما حرفه : ان امّتنا الحمقاء (كذا) لا تعتقد بافضليّة زيوت البترول (على الفحم) والمحرّك الانفجاري (على غيره) . امّا انا فانّي على يقين من ان هذين العاملين الجديدين سيحدثان انقلاباً عظيماً ليس فقط في الحرب البحرية بل وفي التجارة البحرية ! »

وهو يشير على حكومة بلاده بتجربة هذين الابتكارين في السفن القائمة بنقل البترول من الخارج الى بريطانية العظمى . ويجدر بنا ان ننوّه بهذا الاميرال العظيم معرّفين القرّاء انهُ هو الذي ادخل الغوّاصات في الاسطول البريطاني رغماً من مقاومات كل ذوي السلطة وكانوا يعتبرونها ألاعيب لا طائل تحتها

وقد اعلمنا هو ايضاً ان انكلترة تنظر في مسألة انشاء مستودعات بترول في وسط البحار لتموين السفن عند الحاجة !

ولا نكير ان لبريطانية العظمى في الوقت الحاضر «سياسة البترول» كما يقول بعض الصحافيين . وهي قائمة في وضع اليد على آبار البترول ما امكن ولدى امتناع ذلك تسعى في عهد اتفاقات مع اصحابها او بلادها بحيث تنال انكلترة بغيتها من ذلك الوقود الجيوي بل تُقاسم المعدّنين بعض ارباحهم الطائلة

ويشير الكنترامیرال دوغوي السابق الذكر على فرنسة بان تحذو حذو جارتها وحليفتها في اتّباع «سياسة البترول» وهو يجاهر بانها تتفق كلّ الاتفاق مع سياستها في البحر المتوسط فان الجزائر والمراكش تحوي على قوله كميّات هامّة من البترول . وان لم تستخرج فرنسة من هاتين المستعمرتين ما يفي بعوزها فهو ينصحها بالتموّن من اميركة او بالاخرى من شواطئ البحر الاسود ولاسيّما من بلاد قوقاز ورومانية واوكرانية واخيراً عند الضرورة من ارخبيل مالازية في جنوب آسية

وقد سبق لنا القول على فائق الرواج الذي حازه البترول بفرنسة خصوصاً منذ الحرب الكونية . ومن احدث الادلّة على ذلك كون شركات السكك الحديدية تقصد الاستعاضة بالبترول عن الفحم في كل قاطراتها مُقتفيةً على آثار بلاد كثيرة ولاسيّما ولاية كاليفرنية من الولايات المتحدة . والحالة هذه فمن المرجح بل من شبه الاكيد

ن فرنسة تتبع مثل انكلترة سياسة البترول بعد ان وقفت على نتائجها

آن لنا ختم هذه المقالة التي رأينا بها امورًا غريبةً لم تكن في الحسبان ولعلَّ غربها كون وقود جديد لم ينتشر استعماله في المحرّكات الّا في اواخر الجيل المنصرم دا اليوم بل قبل الحرب من اخطر مواضيع سياسة الدول الكبرى الى حدّ كون هذه السياسة وُسمت باسمه . ولا غرو فان اقتناءهُ بكميات وافرة لتعميم استعماله و من اعظم المسائل الحيوية للعمران الحاضر

مديح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيس (تتمّة)

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

٦ عبادة مار افرام ودرسهُ للاسفار المقدّسة

امّا حسن العبادة فاتّجر منها القديس افرام نقيبة الحكمة على ما ذُكر في أيوب ١٢ : ١٣) عندما قيل : «ها حسنُ عبادتهِ حكمةٌ » الّا انّا قد ذكرنا في معناها وشرحناهُ ند ذكرنا امانتهُ وطهارته اذ اشبه بولس وطلع الى السماء مثلهُ (٢ كور ١٢ : ٢) واقتنى خرًا لا يفنى في بيعة المسيح

امّا درسُ الكتب الالهيَّة فقد أشعل لنفسهِ فيهِ مصباحاً من قول داود (٢٨ : ٤) « انَّ فيَّ تتّقد نارٌ » لأنهُ قد اشتعلت في قلب هذا القديس نارٌ من النظر الالهيّ ألهبت شوقهُ لدرس كلّ كتاب من العهدين العتيق والجديد ففتّش واستقصى وفسّر كلَّ كتاب بلفظهِ من اوّل الخليقة الى ظهور النعمة الاخيرة . وقد اظهر المعاني المكتومة في قعر الكتب (٨١٥) فنشرها وبيّنها وكان الروح القدس سراجهُ في ذلك . لم يشرب كأس الحكمة الروحانيَّة فقط المنعمة من الحكمة الالهيَّة وسقاها لغيرهِ تعليمهِ بل ادرك أيضاً حكمة الكتب المقدَّسة البرّانيَّة وما تمتاز بهِ من تقويم اللسان وتقويم المنطق مع ما تكنُّهُ في قعر المعاني فأحكم ذلك كلَّهُ وبالغ فيهِ وما وجدهُ من ذلك نافعاً ضبطهُ وما كان غير نافع اطّرحهُ وقوّم تجارتهُ في العمل والنظر بميزان العدل

ن فرنسة تتبع مثل انكلترة سياسة البترول بعد ان وقفت على نتائجها

آن لنا ختم هذه المقالة التي رأينا بها امورًا غريبةً لم تكن في الحسبان ولعلَّ غربها كون وقود جديد لم ينتشر استعماله في المحرّكات الّا في اواخر الجيل المنصرم دا اليوم بل قبل الحرب من اخطر مواضيع سياسة الدول الكبرى الى حدّ كون هذه السياسة وُسمت باسمه . ولا غرو فان اقتناءهُ بكميات وافرة لتعميم استعماله و من اعظم المسائل الحيوية للعمران الحاضر

مديح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيس (تتمّة)

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

٦ عبادة مار افرام ودرسهُ للاسفار المقدّسة

امّا حسن العبادة فاتّجر منها القديس افرام نقيبة الحكمة على ما ذُكر في أيوب ١٢ : ١٣) عندما قيل : «ها حسنُ عبادتهِ حكمةٌ » الّا انّا قد ذكرنا في معناها وشرحناهُ ند ذكرنا امانتهُ وطهارته اذ اشبه بولس وطلع الى السماء مثلهُ (٢ كور ١٢ : ٢) واقتنى خرًا لا يفنى في بيعة المسيح

امّا درسُ الكتب الالهيَّة فقد أشعل لنفسهِ فيهِ مصباحاً من قول داود (٢٨ : ٤) « انَّ فيَّ تتّقد نارٌ » لأنهُ قد اشتعلت في قلب هذا القديس نارٌ من النظر الالهيّ ألهبت شوقهُ لدرس كلّ كتاب من العهدين العتيق والجديد ففتّش واستقصى وفسّر كلَّ كتاب بلفظهِ من اوّل الخليقة الى ظهور النعمة الاخيرة . وقد اظهر المعاني المكتومة في قعر الكتب (٨١٥) فنشرها وبيّنها وكان الروح القدس سراجهُ في ذلك . لم يشرب كأس الحكمة الروحانيَّة فقط المنعمة من الحكمة الالهيَّة وسقاها لغيرهِ تعليمهِ بل ادرك أيضاً حكمة الكتب المقدَّسة البرّانيَّة وما تمتاز بهِ من تقويم اللسان وتقويم المنطق مع ما تكنُّهُ في قعر المعاني فأحكم ذلك كلَّهُ وبالغ فيهِ وما وجدهُ من ذلك نافعاً ضبطهُ وما كان غير نافع اطّرحهُ وقوّم تجارتهُ في العمل والنظر بميزان العدل

٧ طهارة نفسهِ وورَعهُ

واما الطهارة فقد أحكمَ وقوَّم منها في النفس والجسد ما وصلت كلّ الطاقة الطبيعيَّة اليهِ بل قد زاد على قوَّة الطبيعة حتَّى أبانَ ان ذلك كان موهبةً من النعمة فلم يطلق للنفس ان تنحرف وتتراخى في قنية القول المستقيم بل كان على الحقيقة ملكاً في نفسهِ ومتيرًا في احوال جسده. والشاهد على ذلك خبَر تلك المرأة المومسة الزانية التي كان سوَّل لها ابليس قتَّال البشر خديعة بعلها المصطبغ بالعموديَّة الطاهرة. فدفعها هذا القديس عن الوصول الى ما أمَّلهُ منها الشرّير واجتذبها الى ان تصارع ذلك الملعون بمواعظهِ وصلواتهِ (٧٩٦) واقوالهِ الالهيَّة بعد ان نشلها ممَّا كانت عليهِ وصيَّرها عفيفةً بعد ما كانت فاسقة

واما الدموع فاني اذا رمتُ ذكرها وشرح هطلانها وجَريها الدائم من مقلتيه ربَّما جرت اليَّ دموعهُ اذ لا استطيع ان اخوض لجَّة عبراتهِ فاشرحها بكلامي دون ان تسبل بذكرها عبراتي. فان افرام ما كان يخلو لهُ وقت دون هطل الدموع لا في نهار ولا في ليل ولا ساعةً بل ولا لحظةً ولا اذكر اني رأيت عينهُ قط ناشفةً بل كان يبكي تارةً جهارًا وتارةً سرًّا وكان يقول انَّ بكاءهُ على زلَّاته. وكان ربَّما يقطع بكاءهُ بتنهُّدات وزفرات وربَّما استدعت الزفرات بكاءهُ فكان بروز هذين الشيئين بالتناوب احدهما سبب للآخر فالزفرات تولِّد فيهِ الدموع والدموع تستدعي الزفرات. وكان السبب في ذلك مجهولًا عند الكثيرين لانَّ الزمان ما كان يفصل فيما (٧٩٧) بينهما بل كانت الدموع دوبًا تتبدَّل بالزفرات والزفرات بالدموع وكان ذلك دورًا دائرًا لا يُعرَف المبتدئ من التابع لها. وللمتأمِّل ان يشاهد ذلك في مؤلَّفاتهِ فيجدهُ فيها ذكيًا ليس فقط فيما ألَّفهُ على التوبة واصلاح اخلاق البشر بل فيما كتبهُ ايضًا من المدائح التي تحمل عادةً على السرور والجذل لأنَّ هذا القديس كانت صورتهُ واحدة في النعمة التي كان غنيًّا بها فانَّهُ يدعو سامعي اقوالهِ وبقوَّة نطقهِ الالهيّ المزوج بالدموع الى الحياة الصادقة

فمن يبلغ بهِ العتوّ وتحجُّر القلب الى ان يسمع اقوالهُ فلا يلين ولا يطرح صلابة اخلاقهِ ويرقّ لما يكون قد بَدَرَ منهُ من السيئات ؟ ومن يكون وحشيًّا في خلقهِ وبَربريًّا في مذهبهِ فينتفع لشيء من تعليمهِ فلا يبكي على الزمان الذي صرفهُ فيما لا

ينبغي ؟ ومن يكون غليظاً وعديماً من الانسانيَّة فيذوق حلاوة الفاظهِ ولا يسرع الى الخضوع والتأني ومحبَّة الخير ؟ ومن يكون قد ألف السرور واستعمال اللذَّات(٧٩٨) والتباعُد عن الدموع والمحزنات ويتأمل قولهُ فلا يبكي ولا ينتحب ويندم على ما سلف من تفريطهِ ويتصوَّر انَّ المجازاة على ذلك منتظرة لهُ ؟ قد قيل في الامثال « أنك انَّما تسلق حجرًا » يقال ذلك في الامور المستنعة ولقد رأينا لعمري تلك الامور المستنعة متسهلة لهذا الرجل القديس لأنَّهُ جاء الى النفوس التي لا خضوع ولا ترتيبَ لها فليَّنها واقنعها بان تنثني وترجع الى الواجبات . ومن ذا الذي يطالع ميمرَهُ الذي قالهُ في التواضع فلا يبغض ويُمقت كلَّ تيه وتجبُّر ويعتبر نفسهُ اذلَّ من كلِّ احد ؟ ومن يتلو قولهُ في المحبَّة ولا يحرص ان يصبر على كلِّ شيءٍ في اقتنائها ؟ ومن يقرأ ما ألَّفهُ في البكوريَّة ولا يجتهد ان يكون طاهرًا في نفسهِ وجسمهِ ؟ ومن يتأمل اقوالهُ في يوم الدين وحضور السيِّد المسيح فلا يتصوَّر انهُ واقف في ذلك المقام ومطالَب عن اعمالهِ فيقشعرّ ويرتعد من الدينونة الآتية عليهِ ويتصوَّر انهُ ان لم يرتدع تحلّ بهِ ؟ . فهكذا صوَّر الدينونة المستأنفة هذا الرجل (٧٩٩) النبويّ العظيم ووصف ذلك اليوم الرهيب حتَّى انهُ لم يدع شيئاً لم يذكرهُ بل تكلَّم فيهِ حتَّى صار وصفهُ عند الناس كأنهُ تامٌّ بالفعل . ولأنهُ قد كان التخيُّل والتصوُّر لذلك اليوم وتلك الساعة قد بلغا من هذا القديس اقصى مبلغ كان يهرب من العالم ومن جميع ما فيهِ ويبتعد عنهُ فارًّا نازحاً ويأوي الى البرازي والفيافي وينقطع الى التأمل بذاتهِ والى استماع صوت الله فيزيد ترقيًا في الفضائل لعلمهِ انَّ سكنى البريَّة يعتق الانسان ويخلّص من يريد الفرار من الشغب والاضطراب كما انَّ الصمت يجعل الانسان مخالطاً للملائكة متشاغلاً بعباداتهم متعالياً بعقلهِ الى نظر الله بحسب طاقتهِ

٨ تنقُّل القديس وسياحتهُ . دخولهُ الرها وسفره الى قيصريَّة

امَّا انتقال القديس افرام من موضع الى موضع فانَّ الروح القدس كان يحركهُ الى ذلك لعمارة الكثيرين ولصلاح حالهم فما كان يمانعهُ ولا يخالفهُ لانقيادهِ الى اوامر الله في كلِّ شيءٍ انقيادًا لا يشبههُ فيهِ غيرهُ . ومن ثمَّ لمَّا امرهُ الله ان يترك وطنهُ كما أمر ابراهيم الالهيّ اجاب الى ذلك وقصد مدينة الرها لانهُ ما كان (٨٠٠) يليق ان تبقى الشمس محجوبةً تحت الارض . وقد قصد من سفرهِ هذا امرين : احدهما ان

يزور المواضع المقدَّسة التي هناك والآخر ان يجتمع برجل يطابهُ من اهل الكلام فيجتني منهُ ثمرة علمهِ اوينيلهُ هو من ثمرتهِ . فلما وصل الى باب المدينة التقى بامرأة مومسة بدلًا من رجلٍ من اهل التقى والعلم فخاب املهُ وحصل لهُ من ذلك كآبة فحدَّقت المرأة نظرها اليهِ بوقاحةٍ ونظرهو اليها شزرًا فلمَّا رأتهُ يتأملها قالت: لايّ معنًى ينظر اليَّ هذا الحكيم؟ . فاجاب القديس قائلًا: بل انت يامرأة لأيّ سبب تلقين نظرك اليَّ . قالت: امَّا انا فاني انظر الى الرجال لأني من الرُّجل خُلقتُ . امَّا انت فالاحرى بك ان تجعل نظرك الى الارض التي منها خُلقت . فلمَّا سمع افرام منها ذلك الكلام بخلاف ظنّهِ منها اعترف اعترافًا صريحًا بانهُ قد انتفع من قولها ومجَّد الله الذي يُنطق بالحكمة غير اهلها

ثمَّ سار افرام بعد هذا الى قيصريَّة القبادوق وارشدهُ الروح القدس (٨٠١) الى باسيليوس الكبير الذي هو فم الكنيسة الناطق بالآراء الذهبيَّة . فلمَّا رأى ذلك الشيخ ابتدأ بتكرمتهِ والثناء عليهِ لاسيَّما اذ ابصر بعينهِ الطاهرة حمامةً الهيَّةً جاثمة على كتفهِ اليمنى توحي اليهِ بأقوال التعليم وتنقلها منهُ الى الشعب السامع . فعرف افرام ان المتكلِّم هو باسيليوس الالهيّ كما علم باسيليوس باشارة الحمامة انَّ القادم هو افرام السريانيّ . فتمتَّع كلٌّ منهما بصحبة الآخر وعلم افرام انَّ سفرهُ أحظاهُ بمرغوبهِ فلم يَعُد خائبًا

٩ هرب القديس افرام من الموبقات ومواظبتهُ على التعليم

ثمَّ ان طبيعة عقلهِ الصحيح كانت ترشدهُ الى الفرار من المضرَّات والتحفُّظ من الموبقات فكان لا يفتكر الَّا بالاعمال المختارة النقيَّة ويُؤثر ما فيهِ المنفعة ويطرح ما يعوقهُ عن التعاليم الصالحة . لأنَّ المسيح كان قد وهب لهذا الشيخ وزنات وافرة من الكلام ليتَّجر بها ويوزِّعها على موائد قلوب المؤمنين . وقد وجب ذلك عليهِ اكثر من غيرهِ لانهُ كان (٨٠٢) يقول انهُ أبصر عند خروجهِ من سنّ الصبا كرمةً نبتت على لسانهِ فنشأت وعظمت حتَّى ملأت الارض واستظلَّ بها كلّ طير السماء . وكانت ثمارها تنمو على قدر ما تُقطَف ويغتذي منها الطيور . وقد ذكر رجل من اهل البرّ رؤيا رآها قال: انَّهُ رأى جوقةً من الملائكة منحدرين من السماء ومعهم لوح طرس كبير مكتوب عليهِ من الناحيتين وكان الواحد منهم يقول في مصافحةِ لصاحبهِ: الى مَن نسلِّم

هذا الطرس ؟ فكان بعضهم يقول: الى فلان وبعضهم : الى آخر . ولمّا ذكروا جماعة عبيد الله الصالحين قال بعضهم : لعمري انّ هؤلاء ليس يمكنهم ان يعكوا هذا الطرس . حتّى اتّفقت جماعتهم فقالوا : ليس يقدر احد ان يتسلّمهُ في زماننا غير افرام . فلمّا انتبه الرجل الذي آثرهُ الله بتلك الرؤيا بكّر الى (٨٠٣) البيعة سحراً وسمع افرام يعلّم هناك بقولٍ غزيرٍ موشّح بالنعمة. فتذكّر ما رآهُ ووقف على معناهُ ومجّد الله لِما منحهُ لعبدهِ من تلك الموهبة الفاخرة

ولغزارة ما اتاهُ الله من الحكمة صارت مجاري كلامهِ دارّةً وكانت المعاني تتدفّق من ذهنهِ حتّى عجز اللسان عن استيعابها فسأل هذا الشيخُ الكبير طالباً الى الله ان يحصر فيهِ غزارة وحيهِ اليهِ قائلًا : « خفّف يا ربّ امواج نعمتك » لانّه كان يراها كاللجّة التي لا قعر لها فتهيج في صدرهِ ولا تترك لهُ راحةً من كثرة ما كان يتوارد على فكرهِ من الخواطر التي يقصر عن تأديتها اللسان فيقطع كلامهُ بالدعاء ويقطع الدعاء بالدموع(٨٠٤) ولم يكن يشغلهُ شيءٌ في كلّ ذلك الّا النظر الالهيّ . وذلك انهُ كان قد امات جسدهُ مع لذّاتهِ وجعلهُ بالنسك والامساك عبداً لرئاسة الفكر لا حراك فيهِ الى ما لا ينبغي لإنهاكهِ بالصوم . الّا انّ قوّتهُ كانت تزيد في النهوض الى الاشياء النافعة التي تفيد خلاص النفس . وما كان الليل ليقطعهُ عن الهجود ومجاهدة العدوّ وتعمّد الفضيلة وما كان النهار يخدعهُ بخيالات اليقظة لأنّ الليل كان يستلمهُ من النهار صاحياً وكان يخلفهُ بعد انصرافهِ ساهراً فلا يخالج تخيّلٌ باطل فكرهُ وقت درسه . وانّما كان يتناول من النوم الكفاف لحفظ الحياة لئلّا ينقلب نظام الطبيعة تماماً فيصيب جسمهُ الانحلال . وكان مع ذلك يطرد النوم عن مقلتيهِ بالهجوع على الحضيض والاضجاع على الخشن واماتة الجسم في كلّ معنى (٨٠٥)

١٠ زهد افرام بالدنيا وتواضعهُ العجيب

امّا الزهد في القنية فانهُ بلغ فيهِ مقدار ما نسمع عن الرسل الالهيين فان رام احد ان يسمّيهُ مثالًا لكلّ الزهّاد فلن يخطئ عن الصواب . ولنا على ذلك شاهد من كلامهِ الحلو اللذيذ الذي قالهُ عند رحيلهِ الى السماء وهو قولهُ : « انهُ لم يوجد قطّ لافرام كيس ولا عصاً ولا مزود ولا فضّة ولا ذهب ولا غير ذلك ممّا يُقتنى على الارض (متّى ١٠ : ٩) لاني سمعتُ من الملك الصالح في الانجيل المقدّس وهو يقول لتلاميذهِ : لا تقتنوا

شيئاً على الارض فلم يكن لهم شيء يؤملون عليهِ . فهكذا كان افرام متهاوناً بالجسد وعاشقاً ما هو افضل منهُ واجلّ ومن هاهنا حصل لهُ مساواة الابسطليين (الرسل)

وما لي اذكر تواضعهُ مع انَّ اقوالهُ ومؤلفاتهِ تنادي بانَّ هذه كانت من اكبر فضائله يهتمُّ بها اكثر من كل شيء . فهيهات ان يكون نوى ترفُّعاً او تكون رجلهُ عثرت بالمجد البشري وهو يلازم البكاء بغير انقطاع (٨٠٦) ويأكل الرماد مثل الخبز (مز ١٠١ : ١٠) ويمزج كأسهُ بالبكاء . وكان اذا سمع في حياتهِ احداً يمدحهُ سخط عليهِ وتبدَّل لونهُ غيظاً واطرق الى الارض فينطف العرق منهُ وينقطع كلامهُ من شدَّة الحياء الذي كان يعقد لسانهُ . وعند انصرافهِ من هذا العالم الى الحياة الدهريَّة الباقية زجر من يتعرَّض لمديحهِ فقال : لا تلحنوا لحناً على افرام ولا تمدحوهُ ولا تكفنوهُ بثوبٍ نفيس ولا تجعلوا لجسمي قبراً خاصاً فاني قد عاهدتُ الله ان يكون مضجعي مع الغرباء لأني كنت في العالم غريباً كما كان آبائي (مز ٣٨ : ١٣) . فلك ايها السامع على عظم تواضعهِ دلائل كثيرة صادقة

١١ ترحُّم افرام على المحتاجين وغيرتهُ على خلاص نفوسهم

واما رحمة افرام وتحنُّنه على القريب فانَّهُ ليس فقط كان ممارساً لها بل اصبح فيها (٨٠٧) معلماً . ولانَّ زهدهُ بالمال لم يسمح لهُ ببذلهِ على المحتاجين فانهُ جعل العوض من ذلك انهاض الناس وتحريكهم بمواعظهِ المترادفة على اعمال الرحمة . فانَّ كلامهُ كان كمفتاح مصوغ من الله يفتح بهِ خزائن الاغنياء ليفرّقها على المحتاجين . وكانوا اذا شاهدوهُ يخال لهم مشاهدة الملائكة فيحرّكهم نظرهُ على التحنُّن ويجتذب مَن فيهِ العتوّ والغلظة الى الرأفة . وما كان احدٌ ممَّن غلبت عليهِ القحة يستطيع ان يبصرهُ ولا يستحي بل يحسّن سلوكهُ ويزيد تجمُّلاً

ولعلَّ احداً يظنّ انَّ القديس افرام بانقطاعهِ الى هذه الاعمال الفضلى الكثيرة لم يبقَ لهُ فراغٌ ليهتمَّ بامور الكنيسة . كلَّا فانَّهُ بتفرُّغهِ لدرس الكتب الالهيَّة وتعمُّقهِ في اسرار الديانة لم يتمكَّن فقط من ارشاد الناس ووعظهم بل امكنهُ ايضاً ان يميّز الآراء (٨٠٨) الصائبة ويقيم الحجَّة على من يخالفها . فكان بتعليمه يوضح العقائد الدينيَّة ويُحسن شرحها وبمعرفتهِ لآراء الهراطقة يوبّخ المبتدعين ويبكّتهم ولا تخمد غيرتهُ في ذلك اصلاً

ومما يبيّن شدّة غيرته انّ ابوليناريوس المبتدع الفاسد الآراء القليل العقل كان صنّف تأليفين ندّد فيهما على التعاليم المستقيمة ودفعهما الى امرأة كانت تخدمهُ في اللذّات لتحتفظ بهما. فانتهى خبرهما الى افرام الكبير فتزيّا بزيّ اصحاب ابوليناريوس وقصد المرأة وحمل اليها بركة السيّاح ثمّ سألها ان تعيرهُ المصحفين ليقرأهما وينتفع بما ألّفهُ المعلّم حتّى يقاوم بذلك معشر المعادين للدين القويم. فتسهّل لهُ بذلك الوصول الى ما ارادهُ واجابتهُ المرأة الى ما سأل (٨٠٩) ثمّ دفعت لهُ المصحفين لظنّها انهُ من حزب ابوليناريوس وطلبت ان يعيدهما اليها. فلمّا حصل عليهما تشبّه هذا القديس الكبير بيعقوب الاب الاوّل في حيلتهِ على اخيهِ العيس لمّا ربح بكوريّتهُ. فاخذ كلّ ورقة من المصحفين وألصقها بالاخرى بغراء السمك ثمّ اعادهما الى المرأة التي لم تُبصر وتنفذ الى باطنهما. فلمّا مضى على هذا ايّام قلائل اوعز الشيخُ الالهيّ الى قوم من الارثذكسيين ان يستدعوا ابوليناريوس الى المناظرة فاجاب الى ذلك واثقاً بما كتب في المصحفين. فلمّا حضر للمناظرة وكان ابوليناريوس قد طعن في السنّ دفع المصحفين الى بعض اصحابهِ ليجاوبوا عنهُ لكنّهم لمّا ارادوا فتحهما لم يقدروا على ذلك بسبب التصاق (٨١٠) اوراقهما. فلمّا رأى شيخهم ذلك تغيّر لونهُ خزياً واضطربت نفسهُ وانصرف عن المجمع وصُرع وأشرف على الموت من قلّة صبرهِ على العار. فهذه كانت صورة ابينا هذا الكبير المعلّم افرام في غيرتهِ على الدين

١٢ وداعة القديس افرام وسلوكهُ في المناظرات

واما الدعة واللين فكان افرام يستعملها عادةً الّا في اوان المناظرة. فانّهُ عند الجدال كان يظهر الشهامة والحزم الشديد. وكما انهُ كان يستحقّ الثناء في صومهِ وصلاتهِ ودماثة طباعهِ في معاملاتهِ مع القريب كذلك كان في وقت المناظرة ودفاعهِ عن الايمان اهلاً بالمديح لبسالتهِ واشتدادهِ على الهراطقة. فكان كالصيّاد الحاذق الذي تُمتدح غارتهُ في صيد الوحوش الكاسرة. وكمدبّر السفينة الذي تتبيّن فراهتهُ عند مقاومتهِ الريح العاصفة. وكالطبيب الحاذق الذي يُعرف فضلهُ اذا ما أنقذ المرضى من الآلام التي يصعب برؤها. وكالمقاتل الباسل الذي تتّضح شجاعتهُ عند مصادمتهِ مصافّاً قويّاً (١١١). فهكذا هذا القديس الغيور والحريص على حسن العبادة فانّما عُرف فضلهُ في مناضلة المقاومين للحقيقة

وبالحقيقة نقول انهُ لم يكن نوع من انواع الفضيلة الّا وقد بلغ فيهِ افرام ما لم يبلغهُ غيرهُ فيجوز ان نشبّه نفسهُ بعينٍ تدرُّ مياهاً صافية حلوة يستعذبها شاربُها وتُخصب ما يُسقى بها . او نشبهُ ببستان جميل الازهار يانع الثمار طيب الروائح . او بسماء باسطة رواقها على الارض مزيَّنة بعدّةٍ من الكواكب . او بذلك الفردوس الذي كان في عدن ذي الاغراس النامية المنصوبة فيهِ الاشجار المثمرة الّا انهُ ليس فيهِ سبيلٌ الى دخول الحيَّة الخبيثة . فعلى مثال هذه التشابيه تصوَّرت لنا نفس افرام السعيدة وما خُصَّت بهِ من انواع الفضائل (٨١٢) المزيّنة لها

١٣ اقتداء افرام بالقديسين والآباء

وقد كان درس هذا القديس العجيب متجهاً في كل حال الى هذا الغرض الوحيد ان يجمع في نفسهِ من الفضائل ما كان يراهُ متفرقاً في غيرهِ من القديسين . فاخذ من هابيل اوّل الصدّيقين قربانهُ المقبول ولم يقدّم مثلهُ ذبائح اغنام او شحماً او غير ذلك ممّا كان يقدَّم في العهد القديم بل قدَّم ذبيحة ناطقة لا دم فيها قدّم عبادتهُ كمحرقة اصعدها بنار الطهارة والنسك فانتقل بها مثل هابيل الى الحياة الابديَّة دون ان يتمكَّن عدوّ البشر من قتلهِ . وقد اشبه اخنوخ برجائهِ ولم يقتنع بان يدعو الله فقط مثلهُ وان لم ينتقل مثلهُ من الارض الى الفردوس فقد انتقل من أخلاط الهيولي الى الحياة بالروح . واما نوح فلم يشبهُ افرام بخلاص الجنس في سفينةٍ صغيرة من خشب بل اوثق نفسهُ من كلّ ناحيةٍ (٨١٣) حتَّى امكنهُ ان يخلّصها من عطب العالم دون ان يفقد شيئاً ممّا اقتنتهُ من الفضائل

وقد اشبه ابرهيم بمعانٍ كثيرة منها الامانة والدعة ومحبَّة الله ولاسيَّما في هربهِ من الدنيا ومن اهلهِ واقاربهِ كما هرب ابرهيم من ارضهِ وقد قرَّب بإماتة جسدهِ واعضائهِ ضحيَّة تنسَّمها الله كضحيَّة ابرهيم لابنهِ الوحيد . وبها تشبَّه ايضاً باسحاق بالموت الطوعيّ الذي رضي به لمّا علم انَّ والدهُ قصد ذبحهُ . الّا ان ضحيَّة ابرهيم لم تتمّ امّا افرام فصار كاهناً لنفسهِ مثل السليحين فكان كلّ يوم يتجرَّد لله بحياة الروح ويقدّم لهُ اماتة جسدهِ بدلاً من روحهِ كما قدَّم ابرهيم الكبش بدلاً من ابنهِ

امّا يعقوب فقد تشبَّه بهِ اذ قاوم المنشقّين عن الكنيسة ونزع عنهم حقوق بكوريَّتها كما فعل يعقوب بالعيس اخيهِ واثبتها للبيعة الحقيقيَّة (٨١٤) . وان لم يرَ مثلهُ

سلّماً بين السماء والارض فانهُ رأى عمود اسرار الله فادرك غوامضها . وكأني بهِ ايضاً صار شبيهاً بيعقوب في بركاتهِ التي منحها لتلاميذهِ قبل وفاتهِ كما فعل يعقوب لبنيهِ

وكذلك قد اشبه يوسف بطهارتهِ وعفّتهِ كما انه على مثالهِ وزّع بُرّ التعاليم الخلاصيّة على الناس متشبّهاً بيوسف في توزيعه الغذاء على اهل مصر

امّا موسى فجرى افرام على آثارهِ وهرب الى البريّة من فرعون العقلي وابصر الله في عزلتهِ بمناجاتهِ تعالى ثمّ هدى شعباً كثيراً بتعليمهِ وفوائدهِ واحتال على كتب الهراطقة كما احتال موسى على غنى اهل مصر وشقّ مثلهُ بحراً مالحاً لا يُشرَب ألا وهو بحر الكفر فاجتاز بالشعب الارثذكسي وخلّصهُ من غمرات التجديف وغرق (٨١٥) ذوي فرعون وهم اولاد الكفّار وان شئتَ فقل عماليق او الهراطقة اجمعين . ومثل موسى اخذ من يد الرب ناموس الحقّ وسلّمهُ الى المؤمنين . وقد رأى مثلهُ رَسم الخباء في الطور لا خباء هيولياً بل الخباء الرهيب الذي سيقف فيه البشر يوم الدين . وقد عُني مثلهُ في تقديس الكهنوت بما وَضعهُ من الوصايا لقداسة الكهنة . وقد اخرج مثلهُ من القلوب المحجّرة كانصخر مياه التوبة والندامة ولم يكن ذاك المنّ السماوي الذي قات بهِ موسى شعب الله الّا صورة ضعيفة لاقوالهِ التي غذا بها النفوس ودلّ بها الى ذلك الخبز الجوهريّ الذي ارسلهُ الآب لخلاص العالم وهدانا الى طريق السماء

ولو اردنا ان نقابل بينهُ وبين غير هؤلاء من افاضل القدماء لوجدنا لهُ من المآثر ما لا ينقص بها عن واحد منهم . شقّ يشوع بن نون نهر الاردن وفتح افرام (٨١٦) بتعليمهِ ايدي الاغنياء المقفلة وبسطها للعطاء على شعب ارض الميعاد العلويّة اي ملكوت السماء . خصّ نفسهُ مثل صموئيل لخدمة الله منذ صباه فسمع مثلهُ صوت الله . قرّع كايليّا كهنة السوء وأوقد في الذبيحة الناطقة لا دفعةً واحدة بل دفعات عديدة النارَ الالهيّة . وبمركبة نار من الفضائل صعد مثلهُ الى السماوات . واستغنى مثل اليشع بنعمة الروح المضاعفة واستأهل مثل الانبياء لبصر الالهيّات

بل انني لا اتوقّف عن تشبيههِ بذاك الذي كان واسطة بين الناموس والنعمة اعني بهِ يوحنّا المعمدان السابق فانّهُ قد سكن مثلهُ البريّة وصارت اليهِ مثلهُ كلمة الله فنادى مثلهُ ايضاً بالتوبة وعلّم القادمين اليهِ ان يعترفوا بخطاياهم . ومثل بولس الاناء المصطفى صبر على كثير من التجارب وما رضي بزرع بَذْر التوبة بل بالغ

مثلهُ في التبشير بالامانة(٨١٧) . وما لي أُطيل الكلام لتشبيهِ بكل واحد من القديسين وقد ملأ المسكونة كلّها باعمالهِ الفاضلة . فالإطناب بالكلام عند وجود الاعمال يُنقص شيئاً من فضلها اذ يقصر اللسان عن استيفاء محاسنها

١٤ انتقال افرام الى دار البقاء

الّا انهُ يحسن بنا ان نزيد في الكلام شيئاً يلتذُّ السامع بذكرهِ وذلك عجيبةٌ وقعت في ساعة وفاتهِ . فان هذا الرجل الالهيّ لما حانَ وقت انصرافهِ الى النعيم تقدَّم الى الحضور بان لا يكفّنوهُ بكفن نفيس وان فكّر احد منهم بذلك فلا يُخرج فكرهُ الى الفعل بل يدفع ما اعدَّهُ للمساكين . وكان هناك رجلٌ من الاعيان قد اعدَّ لكفن القديس ثوباً فاخرًا فلمّا سمع وصاتهُ هذه قال في نفسه : انني بدلًا من الثوب اعطي المساكين ثمنهُ فقط . فصرعهُ للوقت الشيطان ووقع طريحاً قدّام (٨١٨) سرير القديس والزبد يخرج من فمهِ فالتفت اليهِ رجل الله المتحنّن فقال لهُ : قل يا انسان ماذا صنعتَ حتّى جرى عليك هذا العقاب . فنهض الرجل بأمرهِ وهو مضطرب من شدَّة صرعهِ واعترف بذنبهِ الذي فكَّر فيهِ فأبرأهُ الاب بوضع يدهِ على رأسهِ والصلاة عليهِ ثمَّ قال لهُ : تتمم الآن وعدك الذي كنتَ همتَ بهِ ولا تحرم المساكين ثوبك . فأثبتت هذه الآية في آخر عمرهِ سموّ قداستهِ في اعين الحضور وزادتهم غيرةً في ممارسة الفضيلة

ثمَّ بعد هذا انصرف افرام الى ميناء الملكوت الدهريَّة حيث لا موت ولا اضطراب وانضمَّت الى القديسين نفسهُ الطاهرة المقبولة عند الله فاستقرَّت في المساكن السماويَّة حيث مراتب الملائكة حيث مجموع الآباء وصفوف الانبياء وكراسي المسيحيين حيث سرور الشهداء وجذل الابرار وبهاء المعلمين (٨١٩) ومحافل الأبكار ونغمة المختارين فالى ذاك المقام الجليل والمكان السعيد ارتقت نفس ابينا افرام وقد تقدَّمتهُ في صعودهِ الى الله فضائلهُ السامية التي جمعها في عمرهِ فأرَتهُ كلُّ واحدةٍ منها ما اكسبتهُ من الحسن والجمال الذي لا يدركهُ البصر ولا يحصرهُ القول . فتقدَّمت الكبيرة من فضائلهِ وهي المحبَّة فقالت : انظري ايتها النفس المحبوبة هذا النعيم الذي بلغتهِ بممارستي . ثمَّ تبعها التواضع قائلًا : انك بواسطتي حيث اتَّضعتِ في العالم قد ارتفعتِ الآن الى هذه السعادة العظمى . وهكذا تقدَّمت بقيَّة الفضائل يثنين عليهِ

لكونهِ باشرهنَّ في حياتهِ ويرينهُ ما نالهُ من الجزاء بسببهنَّ

فما اشهى هذا الانصرافَ من العالم الذي يتمنَّى كلُّ واحد منَّا ان يصل الى مثلهِ. ويا لها من ميتة لا تحتاج الى دموع. وانفصال يفيد اجتماعاً ابدياً. ونقلة لا تُولي صاحبها (٨٢٠) ندامةً. ويا تجنيزاً لا يخلف وراءهُ حزناً بل سلواناً وتعزيةً بذكر فضائل الميت بينما يُخلف غيرهُ الحزن والكآبة . وذلك لأن موت القديسين يوجب السرور ويسبب الافراح وليس موتهم سوى ارتقاء الى مجدٍ اثيل ومقام شريف

فهذا لك منَّا يا افضل الآباء ويا معلّم المسكونة . اقبل عذرنا اذ تجاسر اللسان ان يهديك هديَّة لا تفي باستحقاقك. فانَّنا لم نقدم على مدحك لحاجتك اليهِ مع بُعدهِ عن وصف فضلك السامي وانَّما طلبنا بهِ منفعة الاحياء بعدك ليكون لنا قدوة وباعثاً الى الصلاح. وقد دفعتنا اليه اسبابٌ أُخر منها انقاذك لرجل شريف من اخطارٍ وقع فيها فهو جرَّأني على التعرُّض (٨٢١) لمديحك وذلك انهُ كان وقع في اسر قوم من بني اسمعيل ولم يهتدِ الى النجاة منهم ليعود الى وطنهِ فالتجأ اليك واستعان بك فما خاب املهُ فيك وبعد ان كان حصل في شدَّة عظيمة حتَّى أَيِس من الحياة ولم يكن يتوقَّع غير الموت صرخ اليك : « يا مار افرام أَغِثني » فأسرعت الى معونتهِ وارجعتهُ الى وطنه سالماً بنعمة شفاعتك. فهذا الرجل الوجيه هو الذي دفعني الى القاء خطابي في مديحك. فان كان كلامي قد قام بالواجب نحوك فلك يجب الشكر والمنَّة وان كان على خلاف ذلك قد بقي بعيداً عمَّا تستحقُّ فانت ايضاً لسموّ فضلك سبب قصوري وقد كنت في حياتك تحجب اعمالك وتصدُّ كلَّ من يقصد مديحك. وعلى كلّ حال (٨٢٢) قد وفينا دَينا بحسب الطاقة ونحن على ثقةٍ بانك لا تذمُّنا ولا تصرف وجهك عن الشديدي الحرارة في محبَّة ابوَّتك بل تقبَّل كلامنا كما يتقبَّل الوالدان مناغاة اطفالهما عند وقوفك قرب المذبح الالهي وخدمتك للثالوث القدُّس مع الملائكة فاذكر جماعتنا واسأل الصفح عن خطايانا لنصل الى نعيم الملكوت الدهريَّة بيسوع المسيح ربّنا الذي لهُ المجد مع ابيهِ الذي لا ابتداء لهُ والروح القدس الالهي الآن وابداً الى دهر الداهرين آمين .

المذاهب المستحدثة

لفلاسفة الاعصر المتأخرة

لحضرة الخوري يوسف العشيقي

تمهيد

كنّا نشرنا قبل الحرب الكونيّة كتابنا المعنون بالاجوبة السديدة الذي وقع موقع الاستحسان لدى القرّاء وقد خطر على بالنا ان نلحقهُ بقسم آخر نجعلهُ كتتمّة لهُ . على أننا رأينا قبل نشره ان نقدّم عليهِ كتمهيد بحثاً عمومياً في المذاهب المستحدثة التي شاعت في الاعصر الاخيرة نثبتهُ في مجلّة المشرق فنذكر شيئاً من تاريخ تلك الاضاليل ومصادرها وزعمائها وما احدثتهُ من النتائج الوبيلة الى غير ذلك ممّا يُعدّ العقول لأبحاثنا في كلّ مذهب على حدةٍ مع تفنيده

لا مشاحّة في انّ لا ألفة بين روح الله وروح العالم . ومن ثمّ لا عجب في انّ الكنيسة لم تخلُ في كلّ عصر من اعداء الدّاء أصلوها الحرب العوان . فما كادت تنتصر في الاجيال الاولى على اضطهادات الوثنيّة التي كانت تتعقّب الاجساد حتّى قام بعض العاقين من ابنائها وطفقوا يمزّقون احشاءها باضطهاد روحيّ اشدّ خطورةً واكثر تأثيراً من اضطهاد القياصرة ولاسيّما في الجيل الثامن عشر حيث نهض لمقاومتها كثيرٌ من المتفلسفين الملحدين وشرعوا يضاعفون حملاتهم على الدين المسيحيّ وتعاليمهِ . فقُضي على الكنيسة ان تقف أمام كلّ فئة من هؤلاء المبتدعين

اجل لقد قام في كل جيلٍ وعصرٍ ملحدون كثيرون حاولوا أن يشوّهوا جمال التعاليم المسيحية بما تحرّوهُ من إنكار بعض الحقائق وأتوه من التفاسير التي لا تنطبق البتة على حقيقة التعاليم الالهية لكنّهم مع ذلك لم يزالوا يعتقدون بعض قضايا الايمان وما انفكّوا يمارسون بعض فرائض الدين على خلاف ارباب الفلسفة المستحدثة الذين لم يكشفوا للكنيسة وجهَ عداوتهم فقط بل حاولوا ان يمحوا كلّ أثر ديني من القلوب بما لقّنوهُ واختلقوهُ من المبادئ السفسطيّة التي املتها عليهم اهواؤهم واوحاها اليهم روح

العتوّ والتيه . وقد كان لهولاء في مذهب جنسانيوس (١ ما مهد لهم السبيل لتحقيق أمانيهم لان تعاليم لوتاروس في الانتخاب والاختيار المطوق والنعمة كتعاليم كلوينوس التي تنسب الشرّ لله جلّ جلاله ومبادئهما بخصوص السلطة قد أحيت جميع اضاليل مَن تقدّمهما وأثبت القول للكفر والعصيان بحيث اصبحت تلك التعاليم اساس الفلسفة المستحدثة في الجيل الثامن عشر . ففي حضن المذهب البروتستاني نشأ فرنسوا باكون (١٥٦١—١٦٢٦) فمهّد الطريق للاباحيين ثمّ قام بعدهُ توما هوبس (Hobbes) (١٥٨٨—١٦٧٩) وتندال (Tindall) (١٦٥٧—١٧٣٣) اللذان جاهرا بالكفر والزندقة . وقام في هولندة اليهودي باروك سبينوزا (Spinosa) (١٦٣٢—١٦٧٧) فانكر الوحي . واشتهر في فرنسة بيار بايل (P. Bayle) (١٦٤٧—١٧٠٦) بمذهب الريب واللاأدريّة . ومنذ ظهر لوتاروس في المانية انتشرت في انحائها آراء الفلسفة الكاذبة : فنفث كثيرون من البروتستانت سمّ اضاليلهم في ما لفّقوهُ من المبادئ المنافية على خطّ مستقيم جميع الحقائق الاساسيّة ففتحوا باباً واسعاً لمذاهب ناكري الوحي والاباحيّين والمتربيين والوضعيّين والماديّين وقد تسرّب شيء من هذه المزاعم الى بعض الكاثوليك كالقانوني بيار غسندي (P. Gassendi) (١٥٩٢—١٦٥٥) ورينه ديكرت (R. Descartes) (١٥٩٦—١٦٥٠) وبلاز بسكال (B. Pascal) (١٦٢٣—١٦٦٢) ونقولا مالبرنش (N. Malebranche) (١٦٣٨—١٧١٥) وغيرهم ايضاً

فينتج اذن انّ اصول الفلسفة المستحدثة قد نشأت خصوصاً في البلاد التي شاع فيها الاصلاح البروتستاني الموهوم اعني انكلترّة والمانية وهولندة فنقضوا اساس التعاليم الدينية وانحازوا الى اوهامهم الباطلة وكان في مقدّمتهم الانكليزيّون لُوك (N. Locke) (١٦٣٧—١٧٠٤) وصموئيل كلارك (S. Clarke) (١٦٧٥—١٧٢٩) وكولنس (Collins) (١٦٧٦—١٧٢٩) فتاهوا في بيداء الضلال وتحاملوا على الدين

---

١) جنسانيوس او كرنيليوس جنسن (C. Jansen) ولد في هولندة سنة ١٥٨٥ وتوفي سنة ١٦٣٨ اشتهر باضاليله في حقّ النعمة والحرّيّة البشريّة اودعها في كتابه المعنون باوغسطينوس مدّعياً زوراً انّها من تعاليم القديس اوغسطينوس المعلّم الشهير . وقد رذل تعاليمهُ الاحبار الرومانيّون اسكندر السابع واوربانوس الثامن واكليمنضوس الحادي عشر

المسيحي ونددوا بتعاليم الكنيسة ولم يلبث روح عدائهم ان تسرَّب الى فرنسة حيث انتصر لتعاليمهم ڤولتير (١ وروسُّو (٢ واصحاب القاموس العام (٣ الذين شرعوا مذ ذاك الوقت ينشرون مبادئهم الفاسدة وتعاليمهم الكفريَّة مستندين الى بعض اصحاب المقامات العالية فبثُّوا روح العداء ضد ارباب الدين وضد الكنيسة والجمعيَّات الرهبانيَّة وعلى الخصوص الطغمة اليسوعية التي اشتهرت بعلمائها الافاضل ومرسليها الغيورين الذين وقفوا إزاء تلك الاضاليل وفندوها بالبيِّنات القاطعة والحجج الدامغة . وقد كان ڤولتير اشد زملائهِ عداء لهذه الجمعية المقدسة التي كان تخرَّج على معلِّميها واقرَّ بفضلهم لكنَّهُ اضطرَّهم الى طردهِ من مدرستهم وهذا ما كتبهُ لاحد اصدقائه هلڤاسيوس قال : « يهمُّنا ان نسعى اوَّلاً في الغاء الرهبنة اليسوعية وعندئذٍ يتيسَّر لنا الغاء الدين المسيحي » وهذه لعمر الحق اكبر شهادة من اعداء ابناء يسوع تدلُّ على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في الدين المسيحي والتربية

١) اسمهُ فرنسوا ماري أروِه (F. M. Arouet) وُلد في باريس سنة ١٦٩٤ وتوفي فيها سنة ١٧٧٨ قضى حياةً سياسيَّة غاية في الاضطراب حتَّى أُلقي غير مرَّةٍ في السجن ونُفي لوقاحتهِ وخلاعتهِ ثم رفع لواء الكفر في زمانهِ ولم يحترم شيئاً مقدساً . وكتبهُ مشحونة بالاكاذيب التاريخيَّة والادبيَّة والدينيَّة الَّا القليل منها (طالع ما حدث لهُ قبل وفاتهِ بكتابي الاجوبة الدبدة ص ٢٤ و ٢٥)

٢) جان جاك روسُّو (J. J. Rousseau) وُلد في جنيف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٧٨ كان ابواهُ بروتستانيين وصرفَ ايَّام شبوبيَّتهِ بمطالعة القصص الخياليَّة وكتب الملحدين . وكفى بذكر تأليفيهِ الموسومين بالمعاهدة الاجتماعيَّة (Contrat Social) وباميل (L'Émile) تنويهاً بغرابة عقله وتطرُّفهِ في الالحاد وفساد قلبهِ

٣) القاموس العامّ معجم علميّ وتاريخي واجتماعي اتَّفق على تأليفهِ في اواسط القرن الثامن عشر عدَّة كتبة عُرفوا باسمهِ فدعوا اصحاب القاموس العام (les Encyclopédistes) وكانوا عصبةً من دُعاة الفلسفة المستحدثة فتضافروا في كتابة موادّهِ وانَّما كان بالواقع مجموعاً للاضاليل والنوايات والمثالب ضدَّ الدين فأصبح مستودع اسلحة الكفر لمادة كلّ الاديان . وقد كان لديدرو (D. Diderot) (١٧١٣–١٧٨٤) ودالمبير (d'Alembert) (١٧١٧–١٧٨٣) اليد الطولى في انشائهِ . واشترك في تأليفهِ معها زنادقة من جنسها كڤولتير وروسو وكندلياك (E. Condillac) (١٧١٥–١٧٨٠) وهلڤاسيوس (Helvétiurs) (١٧١٥–١٧٧١) وللالماني هولباك (D. Holbach) (١٧٦٣) ١٧٨٩) ودوبنتون (L. Daubenton) (١٧١٦–١٧٩٩) ومرمونتيل (J. F.Marmontel) (١٧٢٣–١٧٩٩) وبوفون (G. Buffon) (١٧٠٧–١٧٨٨) ومونتسكيو (Montesqieu) (١٦٨٩–١٧٥٥)

والآداب . ولكن لسوء الحظ لم يلبث نفوذ هذه الشرذمة من ارباب الفلسفة المستحدثة أن انتشر بين العامّة والخاصّة حتى في قصور ملوك اوربا بما تذرّعوا به من الحيل واتخذوه من الاسباب المهيّجة فقامت قيامة هؤلاء على المعاهد الدينيّة وخصوصاً على الرهبنة اليسوعيّة التي دافعت دفاع الابطال عن حقائق التعاليم المسيحية مفنّدة اضاليل الفلسفة الكاذبة ومبيّنة ما ينجم عنها من الاخطار العظيمة على المملكة والدين والوطن بما لا يدع مجالاً لمرتاب مّما اوغر صدور اولئك الخدّعة فازدادوا حقداً وغضباً واخذوا يثيرون الخواطر ضد الجمعية المذكورة ويتّهمونها بالدسائس والمؤامرات حتى تمكّنوا اخيراً من حمل ملوك اوربا على اضطهاد هذه الفئة من اهل البرّ ظلماً وعدواناً. ففي البرتغال قام لمناصبتها الملك يوسف الاول منقاداً لوشاية وزيره كڤاليو المعروف بپمبال (Pombal) الذي كان ينسب لها المؤامرة ضد شخص الملك !!. وفي فرنسة نهض لمقاومتها الملك لويس الخامس عشر منقاداً لوشايات وتخرصات وزيره شوازيل (Choiseul) وعشيقته پومبادور (de Pombadour) اللذين تمكّنا اخيراً من الحصول على امر من الملك لنفي آباء هذه الجمعية من مملكته ومثبتاً في الوقت عينه الاحكام التي كانت اصدرتها المجالس بشأنهم فأبطلها الملوك لظلمها

وفي اسبانية قام الامير درّاندا (d'Aranda) صديق شوازيل وزير فرنسا واخذ يحرّض الملك ويغريه على طرد اليسوعيين من مملكته أسوةً بفرنسا والبورتغال وما لبث المذكور يعمل الحيل على شارل الثالث حتى استحصل منه الاذن بطردهم . ففي شهر نيسان سنة ١٧٦٧ احاط جنود الملك في ليلة واحدة وساعة واحدة بجميع اديرة اليسوعيين في اسبانية وطردوهم بعد ان ساموهم خسفاً ونكّلوا بهم اشد التنكيل

وما حدث في اسبانية قد حدث في نابولي وصقلية وپارما ومالطة ما خلا مملكتي روسيّة وپروسية اللتين ما انفكّتا عن معاملة هذه الجمعية الفاضلة بالحسنى إقراراً بفضلها وما لها من الخدم الجلّى والآثار المشكورة

واما غاية هذا الاضطهاد فقد ابانها صريحاً البابا اكليمنضوس الثالث عشر في رسالته الصادرة في اول تشرين الثاني سنة ١٧٦٤ . « ان اعداء الدين يعلمون حسناً أنّ لا نصرة لهم ولا فوز إلّا بتدمير هذه الجمعيّة المقدسة التي هي حصن الدين القويم »

على ان البعض من اصحاب الفلسفة المستحدثة ممّن مرقوا من الدين لم يقفوا عند هذا الحدّ من بثّ روح الثورة بين العامّة والخاصّة واضطهاد الجمعية المشار اليها بل توفقوا اخيرًا في هدم هذا السدّ المنيع بواسطة اعوانهم ولاة ذلك العصر الذين طلبوا الى البابا اكليمنضوس الرابع عشر الغاء الرهبنة اليسوعية تحت حجج فارغة وتوعّدوهُ باضطهاد الكنيسة ومناوأتها إلّم يُجب طلبهم واتحد لهذه الغاية شوازيل في فرنسا وامير نابولي وحاكم بارما ووزير اسبانية وكرفاليو في البرتغال واستولوا على عدة اماكن من املاك الكرسي الرسولي واخذوا يواصلون طلبهم تارةً بالمجاملة وطورًا بالوعد والوعيد واحيانًا بالتهديد حتى اكرهوا البابا اخيرًا على اجابة طلبهم بالغاء هذه الطغمة الملائكية في براءته المؤرخة في الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ١٧٧٣ تحت عنوان « Dominus ac Redemptor » وقد صار تنفيذ هذه البراءة في كل مكان على حياة الحبر المذكور الّا في روسيا وبروسية بناء على طلب ملكيهما اللذين كانا يُنزلان هذه الجمعية اعظم منزلة من الحب والاعتبار

بيد أنّ تلك البراءة بالغاء الجمعية اليسوعية لقد أتت باسوأ النتائج وارخها لانّ الكنيسة بالغائها الجمعية المذكورة قد فقدت اكبر انصارها والدين افضل مجاميعه والعائلة البشرية احكم مهذّبيها . ومذ ذاك الوقت خلا الجوّ لاصحاب الفلسفة الكاذبة فازدادت فلسفتهم انتشارًا وتأيدت المذاهب الكفريّة فعمّ الشقاء وساد الشقاق وانتشرت الفوضى وقامت الثورات على قدم وساق . اما البابا اكليمنضوس الرابع عشر فلم يكن يرتاح لهُ بالبعد تلك البراءة بالغاء جمعية ابناء يسوع الذين كانوا ويشهد بهِ الحق اعمدة الدين الكاثوليكي واكبر عضد للكنيسة كما كتب عنهم الاحبار الرومانيون والمؤرخون الصادقون من كاثوليك وغيرهم كثيرين لا يسعنا المقام ذكرهم (١)

(١) ويحسن بنا ان نذكر هنا ما كتبه العلّامة دي سيغور في عماناته عن الرهبنة اليسوعية (ص٢٢ من مذكراته وجه ١٣٩) (de Ségur: *Causeries, p. 139*) « ان كلوين كان يعدّ ابناء يسوع من الدّ اعدائه وعليه لم يكن يقوى على اخفاء ما اضمره من الحقد والضغينة ضدّ هؤلاء بل كان يقول جهارًا : انه ينبغي التخلّص منهم . وقد كتب بكل قحة لاحد اصحابه : اذا لم نتمكن من اهلاك هذه الفئة ينبغي على الاقل ان نسعى في طردهم وسحقهم بأكاذيبنا ووشاياتنا

وقصارى الكلام قد كان من نتائج الفلسفة المستحدثة تفاقم الشرور وازدياد الثورات والمروق من الدين وثلّ العروش خصوصاً في فرنسا التي روّت ارضها بدماء

« Jesuitæ vero qui se maxime nobis opponunt aut nocandi, aut si hoc commode fieri non potest, ejiciendi, aut certe mendaciis et calumniis opprimendi sunt »

على ان ابناء كلوين ومن بعدهم ابناء فونتير قد تلقّوا هذا التعليم بكل امن وحرص ولم يكونوا يقصّرون في شيء مما تركه لهم اجدادهم من الوصايا والتعليمات بحق الطغمة اليسوعية . ونحن لا نحتاج الى تبرئة هذه الرهبنة الفاضلة مما قرّفها به اعداؤها حسداً وبغضاً بل ندع الكلام عنها لاشهر كتبة البروتستان واصدقهم كشول (Schœll) ورانك (Ranke). وهاك ما اجاب به ملك فرنسة هنريكوس الرابع ديوان الندوة واساتذة كلية باريس رداً على ما افترى به هؤلاء ضدّ الاباء اليسوعيين واتهموهم به : « اشكر اهتمامكم بشخصي وبما يعود الى تحسين حال المملكة . اما ما ذكرتموه من امر كلية سُربون مع اليسوعيين فليس فيه ما يؤثم هؤلاء ويبرّر اولئك . لان احكام كلية سُربون بحق اليسوعيين لم تستند الى قواعد الحكمة والعدل لان اصحابها حكموا عليهم قبل ان يعرفوهم كما فعلتم انتم ولئن كانت كلية سُربون القديمة رفضتهم حسداً فالحديثة تلقتهم بكل الاعتبار والتكريم واتخذتهم من اشهر وافضل اساتذتها . اما قولكم بان مشاهير علماء ديوانكم لم يتخرّجوا عليهم ولم يأخذوا عنهم شيئاً فتسلّم به اذا كان المراد بهؤلاء العلماء الشيوخ الذين سبقوا عهد اليسوعيين في فرنسا . واذا كانت مدارسكم تعلّم احسن من مدارسهم فلمَ اقفرت ولم تقم لها قائمة بعد مغادرة اليسوعيين لها ؟ أو لم يلجأ الامر اخيراً الى طلبهم وإرجاعهم في دواي (Douai) وبتاموسون (Pont-à-Mousson) وخارج المملكة رغماً عن الاوامر المشدّدة التي اصدرتموها بطردهم والغاء رهبانيتهم ؟ . اما قولكم باتهم يتفنون من الاحداث امضاء ذكاء وافضلهم عقلاً فقولكم هذا هو شهادة لهم لا عليهم . أفلسنا نحن نختار افضل الشبان واشجعهم لنعدّهم جنوداً يحمون ذمار المملكة والوطن وندفعهم لساحات الحرب . اما قولكم انهم يتداخلون في تدبير امورهم كما يستطيعون فذلك لا يحطّ بشأنهم بل هي حكمة لا تنكرها عليهم وانا ذاتي تسنّمتُ العرش كما استطعت . إنما ما يذهلني جمّ على الخصوص هو صبرهم وجلدهم واحتمالهم الذي يؤدي بهم الى تحقيق ما يرغبون

« اما قولكم باتهم مدقّقون بحفظ قوانينهم فهذا مما يؤيدهم ويثبتهم وفي الوقت عينه يزيدهم حظوةً بعيني واعتباراً في قلبي وعليه لا اشاء ان ابدّل او اغيّر شيئاً من قوانينهم بل اريد المحافظة عليها . واذا وجد من الاكليروس من ينظر اليهم شزراً فلا عجب فالجهّال كانوا او يكونون دائماً اعداء العلماء وعندما قصدت إرجاع اليسوعيين الى فرنسا لم يرُق ذلك بعين ذوي الاصلاح الموهوم واصحاب السيرة المتراخية من طبقة الاكليروس وهذا لعمر الحق ما ضاعف اعتبار هؤلاء الاباء الافاضل بقلبي » آه

ولم نكن نعجب نحن فيما إذا صادف اليسوعيون في كل عصر اعداء الدّاء يحاولون الحطّ

ابنائها كما يؤيد ذلك تاريخ الثورة الفرنسيّة وساغوبار في خطابه المشهور سنة ١٧٧٠ وجمال الدين الافغاني احد فلاسفة الشرق المشهورين في ردّه على مذاهب الفلسفة المنوه بها . ومما قال هو : ان البعض من هولاء الفلاسفة قد أسسوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وقد درجوا الاديان بين عداد الاوهام الباطلة ... وغرسوا بذور الاباحة والاشتراكية ففسدت الاداب وقامت الثورات وعدمت السلطة نفوذها وتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعية . . لانّ الدين هو سلك النظام الاجتماعي وبدونه لا اساس للآداب والتمدن » . ومما لا مريةَ فيه ان الفلسفة المستحدثة اضحت في ذلك الوقت مرسحاً للضلال : اضاليل علميّة وتوامها تشويش الافكار والقاء الريب في الحقائق الاساسيّة . واضاليل عمليّة وغايتها ثلّ العروش وهدم المعابد وقلب كل نظام وبكلمة واحدة إقامة مملكة الشرّ على انقاض مملكة الخير . فمن اضاليل الاولى نشأ مذهب العقليّين (le Rationalisme) اي ناكري الوحي في فرنسة والمانية ثم المذهب الوضعي (le Positivisme) ثم مذهب الاباحية (le Libéralisme) الذي اتى به بعض علماء الكاثوليك . ثم مذهب الاشتراكية (le Socialisme)

١ً : مذهب نكران الوحي الالماني . ان هذا المذهب المادي ينكر بتاتاً وجود النفس والارواح غير المنظورة . وماتويل كنت (١ احد المتصرين لهذا المذهب لم يقف عند حدّ نكران وجود النفس والعالم غير المنظور بل ينفي تحقيق وجود العالم المادّي ايضاً وهو يزعم ان الدين لا حقيقة له بل هو امرٌ وهميٌ لا يمكن اثباتهُ الى غير ذلك من الامور التي تدعو طبعاً الى الريب وقد أيد مذهب كنت فيكتْ (٢ الذي جاهر ان كل ما هو خارجٌ عن الفاعل المفكّر (le moi) هو وهميٌ لا حقيقة له . واما شالينغ (٣ فقد انكر الفاعل المفكّر وما ينسب الى الموضوع (٤ . واما

من كرامتهم بما يختلقون عليهم من الدول الهراء والتهمات الباطلة لان الجهّال قد كانوا دائماً اخصام العلماء والاشرار اعداء الابرار . وبغض الجهّال والاشرار والكفرة والارانقة لابناء يسوع هو افضل شهادة على فضلهم وصلاحهم وبيّنة جلّاء على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في عالم الدين والعلم

١) (Emmanuel Kant) ولد سنة ١٧٢٤ توفي ١٨٠٤

٢) (J. Fichte) فيلسوف الماني اخذ عن كنت وضح منهاجهُ ولد ١٧٦٢ توفي ١٨١٤

٣) (Sehelling) فيلسوف الماني ولد ١٧٧٠ توفي ١٨٥٤ ٤) ونعني بالفاعل المفكر Subjectif والموضوع Objectif

الفيلسوف الالماني هيغل (Hegel) ١٧٧٠ – ١٨٣١ فليس احدٌ يجهل امره وامر ترّهاته العلمية بخصوص صور نطق الحياة فهذا الفيلسوف اتى في مذهبه بامور متناقضة وهو يعتقد بوحدة الذات بين الله والمخلوقات وعدم الفرق بين الخير والشرّ وبين السلب والايجاب (النعم واللّا) الى غير ذلك مما سيأتي الكلام عنهُ في حينه

١ : مذهب (l'Hermésianisme) نسبة إلى الكاهن الالماني هرمس (١ قد شاء هذا الفيلسوف تهذيب المعارف البشرية واصلاح الدين المسيحي على اسلوب جديد بالاستناد الى مدارك العقل البشري فقط وكان يزعم انه بهذه الطريقة الجديدة يخدم الدين الكاثوليكي افضل خدمة ويوفق في الوقت عينه بين العقل والايمان ويزيل كل خلاف بين الفلاسفة لكنه هدم اساس العقائد الموحاة والتقليد العام الذي مشت عليه الكنيسة منذ نشأتها وقد كان لمذهب الكاهن المذكور تأثير عظيم في المانية فاتخذتهُ الكليات حتى المدارس الاكليريكية دستوراً للتعليم . ولما رأى البابا غريغوريوس السادس عشر ما اتى بهِ من الاضاليل حرّم تآليفه بمنشوره الصادر في سنة ١٨٣٥ تحت عنوان Ad augendas وجدّد هذا التحريم بيوس التاسع ١٨٤٧

ب : وقد نشأ في المانيا عن مذهب نكران الوحي مذهبٌ اخر لم يكن اقلّ ضلالاً وخطورةً مما تقدّمهُ لان البعض من اولئك الفلاسفة لم ينكروا اليقين الفلسفي فقط بل تخطوا الى نكران اليقين التاريخي ايضاً . وزعيم هولاء كان الدكتور ستروس (٢ الذي انكر حقيقة الاناجيل التاريخية فاصدر سنة ١٨٣٥ تأليفه المشهور الذي دعاه «حياة المسيح» زعم فيه بأن الاناجيل انما هي عبارة عن تصوُّرات شعرية وقصص خيالية لا يتمثل بها شبه الحق وان من يدعونه المسيح انما هو خيال استعاره كتبة الاناجيل من الخرافات الوثنية وقصص اديانهم . وقد حذا رينان (٣ الفرنساوي

(١ Hermes . وُلد في مونستر ١٧٧١ توفي سنة ١٨٣١ (٢ David Strauss احد زنادقة الالمان . وُلف «الدروس في اصل الديانة المسيحية» وصاحب «حياة المسيح» ولد في ورتمبرج ١٨١٨ وتوفي ١٨٧٤ (٣ E. Renan ولد في ترِكويار في ٢٧ شباط ١٨٢٣ ودخل مدرسة سان سولبيس الأكليريكية حيث درس الفلسفة واللغات القديمة وكان شديد الميل لمطالعة فلسفة الالمان وتآليفهم الجدلية مما ضعف به روح الايمان واخيراً ترك الثوب الاكليريكي وبعد ان تقلّب مدّة بين الشكّ واليقين نبذ دينهُ واعلن بكفره وقد فنّد علماء الكاثوليك آراءهُ الراهنة . توفي سنة ١٨٩٢

حذو ستروس ونهج منهاجهُ في تأليفه «حياة المسيح» التي حرَّم قراءتها مجمع فحص الكتب سنة ١٨٦٤

٢ : مذهب ناكري الوحي من الفرنسيس. ان طريقة فلاسفة الالمان لم تكن لتروق بأعين فلاسفة الشعب الفرنسيسي الملحدين بل رأى احدهم كوزين (١ ان يلطِّف المذهب الالماني بخصوص الوحي فأتى بمذهب آخر هو لشبه شيء بمذهب الحلول فانكر اولًا الوحي بالمعنى الكاثوليكي واقام العقل حكماً فاصلًا بامور الدين ناكرًا سلطة الكنيسة والاسرار والعجائب والانبياء خصوصاً سرّ التثليث والتجسُّد والفداء والنعمة وقد اطلق على مذهبه اسم مذهب الاختيار (٢ . وكان من انصار هذا المذهب جوفروا (Th. Jouffroy) (١٧٩٦—١٨٥٢) وداميرون (Damiron) (١٧٩٤—١٨٦٢) وقد حرَّم مجمع فحص الكتب قراءة تأليف كوزين العنون تاريخ الفلسفة (١٨٤٥) والمجمع الفاتيكاني رذل جميع الاضاليل التي اتى بها المذكور في تعاليمه (١٨٧٠)

٣ : (le Positivisme) ان أول من انتصر لمذهب هولباك الالماني وهلفاسيوس الماديين كان كاباتيس (P. J. Cabanis) (١٧٥٧—١٨٠٨) وبروسه (Broussais) (١٧٧٢—١٨٣٨) ودوترلسي (deTracy) (١٧٥٤—١٨٣٦) زعم هؤلاء ان تصورات الانسان انما هي نتيجة تأثرات دماغية. وان الخير والشر هما كلمات فارغة لا حقيقة لها. وبالجملة قد نسب هولاء كل معارفنا وتصوراتنا الى المادَّة ومن هذا التعليم نشأ مذهب البوزتيفسم. وحقيقة هذا المذهب هو عدم التسليم بشيء الّا ما يثبته الاختبار الحسّي والعلمي. وأولُ من ايّد هذا المذهب كونت (Auguste Conte) (١٧٩٨—١٨٥٧) ونشرهُ باسم العقل والعلم ليتره (Emile Littré) (١٨٠١—١٨٨١) وتان (Hippolyte Taine) (١٨٢٨—١٨٩٣) وسانت بوف (Sainte-Beuve) (١٨٠٤—١٨٦٩)

ان هذا المذهب لا ينكر الامور الفائقة الطبيعة فقط بل النفس والعالم العقلي والادبي وقد اطلق عليه ارباب المدارس اللادينيَّة اسمَ التقدّم العقلي والنجاح العلمي

١) (Victor Cousin) ولد في باريس سنة ١٧٩٢ تقلَّب في غدة مناصب علميَّة ومدنيَّة وقد كان خطيباً وفيلسوفاً وكاتباً فصيحاً توفي في كان في ١٣ كانون ثاني سنة ١٨٦٧

٢) (l'Eclectisme) اي اختيار ما يراهُ حسناً في جميع التعاليم

وقد رشق المجمع الفاتيكاني تعاليم هـذا المذهب بالحرم الشديد وببراءة السِّلابوس «le Syllabus» المشهورة

ب : le Libéralisme مذهب الإباحية : نشأ هذا المذهب بين البعض من ابناء الكنيسة الكاثوليكية ولم تكن غاية اصحابه مناهضة الدين ومقاومة تعاليمه بل التوفيق بين العقل والايمان وبين الكنيسة والمـذاهب المستحدثة . قد حرّم تعاليم هذا المذهب غريغوريوس السادس عشر ببراءته التي اوّلها «Mirari» سنة ١٨٣٢ وبيوس التاسع في منشوريه « Quanta cura » و « Syllabus » سنة ١٨٦٤

اول من جاهر بالمذهب المشار اليه كان لامنيه (١ الذي جعل العقل العام (ويريد به الرأي العام) مصداقاً على اليقين لينفي عن العـقل الفرديّ المعرفة الاكيدة المتعلقة بعلم الكلّي والاداب وقد وهم المذكور انهُ سيتيسّر له إيقاف اضاليل عصره عند حدّها بما اختلقهُ من المبادئ فتعدّى في ذلك حدود الصواب ولكنّه لم يقف عند هذا الحدّ من مبادئه المغايرة بل شاء ان يجمع بين الحقيقة والضلال باطلاقه العنان للحرية البشريّة وقد انشأ تأييداً لمبادئه جريدته المشهورة التي دعاها « المستقبل » l'Avenir سنة ١٨٣٠ وقد حرّم كثير من اساقفة فرنسا مطالعة الجريدة المذكورة كما ان رومية رشقت بسهم الحرم الشديد تعـاليم الاب المذكور ومن ثمّ انفصل عنه صديقـاه لاكوردير (٢ ومونتالمبر (٣ ولم يكن لامنه ليقلع عن ضلاله بل ازداد قحةً ونشر تأليفه المشهور الذي حرمته الكنيسة «Les paroles d'un croyant» ١٨٣٤ . وقد حذا حذوَ لامنه الاب بوتن (Bottain) استاذ كلية ستراسبورج فحرمت الكنيسة تعاليمه لكنّه ما عتّم ان رجع عن ضلاله وقدّم للكنيسة خضوعهُ

ثانياً : اضاليل عمليّة . ان الاعمال تتبع عادةً الاعتقاد فمن ضلّ اعتقادهُ ساء عملهُ

١) (Lamennais) ولد في برتانيا من اعمال فرنسا سنة ١٧٨٢ وتوفي في باريس ١٨٥٤ وقد كان المذكور كاتباً بليغاً سريع الخاطر متوقد الذهن لكنّهُ شديد التمسك برأيه

٢) (Lacordaire) وُلد في ١٢ ايار سنة ١٨٠٢ . كان اولاً محامياً دعاوى ثم ترك مهنتهُ ودخل المدرسة الاكليريكية بعمر ٢٢ سنة . تعرّف بلامنه واخذ عنه ثم شاركه في تحرير جريدته لكنه افترق عنهُ عندما انفصل عن الكنيسة . وفي سنة ١٨٤٠ دخل لاكوردير بسلك رهبان القديس عبد الاحد وسنة ١٨٦١ نقله الله الى دار كرامته .

٣) كان (Montalembert) (١٨١٠–١٨٧٠) خطيباً مفوّهاً وكاتباً بليغاً

وهذا ما حدث لبعض ابناء الجيل الثامن عشر والتاسع عشر فكان من نتائج فلسفتهم الكفريّة المروق من الدين وتأليف الجمعيّات ضدّ كل سلطة وانتشار روح الثورة في البلاد وحدوث المشاجرات بين الكاثوليك انفسهم خصوصاً في فرنسا كتأسيس بعض الجمعيّات تحت اسم كنائس تذكر منها الجمعية التي أسسها احد الكهنة الاب شاتل (Châtel) فهذا الكاهن انكر العصمة وبعض الاسرار وجعل مرجع الكنيسة الى الحكومة المدنيّة ولكنّ المنكود الحظ لم يتخلّص من جدران الحبس سنة ١٨٤٢ اقتصاصاً منه على جرائم قضت عليه بسوء العاقبة . ومن اسوأ هذه العصابات جمعيّات ابناء الارملة والجمعيّات الاشتراكية والمدارس اللادينية

ومن نتائج الفلسفة الكفريّة ايضاً مناهضة الاديان واطفاء كل شاعرة دينية في القلوب وعلى الخصوص مقاومة كل سلطة شرعية وقد عزمنا على ان نثبت ذلك بالادلة الراهنة والحجج الصادعة . . .

معرض بيروت

نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ .

قد حان لنا بعد كلامنا العموميّ عن الاسواق القديمة شرقاً وغرباً وعن المعارض الوطنيّة والدوليّة ان نلقي نظرًا الى معرضنا البيروتي الذي انتهى آخرًا زمنهُ الرسميّ فنروي شيئاً من تاريخهِ واسواقهِ ومميّزاتهِ وفوائدهِ لتزدان بهِ صفحات مجلّتنا . وكان بودّنا لو خُصص لهذا المعرض كتاب مستقلّ يشتمل على تفاصيل اخبارهِ ومحاسنهِ المادّيّة والادبيّة فيُستند اليهِ لتاريخ بيروت حاضرة لبنان الكبير فيكون كغُرّةٍ في جبينها وكتاج على مفرق هامتها . وليس الامر عويصاً بعد ما ورد في الجرائد الوطنيّة ولاسيّما في جريدتنا البشير المنير من الاوصاف المتفرّقة في اعدادهِ المتوالية منذ شهر نيسان الى اليوم . وها نحن نسعى بسدّ هذه الثلمة بكتابة فصل اجمالي يبقى كتذكار لهذه المأثرة الوطنيّة

وهذا ما حدث لبعض ابناء الجيل الثامن عشر والتاسع عشر فكان من نتائج فلسفتهم الكفريّة المروق من الدين وتأليف الجمعيّات ضدّ كل سلطة وانتشار روح الثورة في البلاد وحدوث المشاجرات بين الكاثوليك انفسهم خصوصاً في فرنسا كتأسيس بعض الجمعيّات تحت اسم كنائس تذكر منها الجمعية التي أسسها احد الكهنة الاب شاتل (Châtel) فهذا الكاهن انكر العصمة وبعض الاسرار وجعل مرجع الكنيسة الى الحكومة المدنيّة ولكنّ المنكود الحظ لم يتخلّص من جدران الحبس سنة ١٨٤٢ اقتصاصاً منه على جرائم قضت عليه بسوء العاقبة . ومن اسوأ هذه العصابات جمعيّات ابناء الارملة والجمعيّات الاشتراكية والمدارس اللادينية

ومن نتائج الفلسفة الكفريّة ايضاً مناهضة الاديان واطفاء كل شاعرة دينية في القلوب وعلى الخصوص مقاومة كل سلطة شرعية وقد عزمنا على ان نثبت ذلك بالادلة الراهنة والحجج الصادعة . . .

معرض بيروت

نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ .

قد حان لنا بعد كلامنا العموميّ عن الاسواق القديمة شرقاً وغرباً وعن المعارض الوطنيّة والدوليّة ان نلقي نظرًا الى معرضنا البيروتي الذي انتهى آخرًا زمنهُ الرسميّ فنروي شيئاً من تاريخهِ واسواقهِ ومميّزاتهِ وفوائدهِ لتزدان بهِ صفحات مجلّتنا . وكان بودّنا لو خُصص لهذا المعرض كتاب مستقلّ يشتمل على تفاصيل اخبارهِ ومحاسنهِ المادّيّة والادبيّة فيُستند اليهِ لتاريخ بيروت حاضرة لبنان الكبير فيكون كغُرّةٍ في جبينها وكتاج على مفرق هامتها . وليس الامر عويصاً بعد ما ورد في الجرائد الوطنيّة ولاسيّما في جريدتنا البشير المنير من الاوصاف المتفرّقة في اعدادهِ المتوالية منذ شهر نيسان الى اليوم . وها نحن نسعى بسدّ هذه الثلمة بكتابة فصل اجمالي يبقى كتذكار لهذه المأثرة الوطنيّة

١ لمحة تاريخية عن معرض بيروت

ما كادت تستقرّ قدم فخامة الجنرال غورو في مدينة بيروت حتّى اخذ يفكر في نجاحها وترقيتها وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها لتنهض من كبوتها بعد ما اصابها من الانحطاط بسوء تدبير الدولة التركيّة ولاسيّما في ايّام الحرب الكونيّة. فكان اوّل ما خطر على ذهنهِ الوقّاد انشاء سوق عموميّة يُدعى اليها اهل سوريّة ولبنان مع بعض الممثلين للمحلّات التجاريّة الافرنسيّة في باريس وليون ومرسيلية وغيرها فيكون اجتماعهم في بيروت واسطةً للتعارُف بينهم وسبباً لتوثيق عرى المواصلات فيطّلع الغربيّون على مصنوعات الشرق ويقدّرونها قدرها كما يستفيد اهل الشرق من الاختراعات الاوربيّة العديدة

لكنّ مشروعاً كهذا مع ما كان عليهِ اذ ذاك الوطن من القلق وغلاء الحاجيّات لم يكن بالامر السهل ان لم نقل ضرباً من المحال الّا انّ المثل يقول : « انّ كلمة المستحيل ليست بلفظة افرنسيّة » ومن ثمّ لم يعبأ فخامتهُ بتلك العوائق مهما عظمت فخابر رئيس الجمهوريّة الفرنسويّة المسيو ميلران واجتمع في فرنسة بارباب الفنون والصنائع وشكّل اللجن وانتدب لادارة انشاء المعرض وابنيتهِ واعمالهِ بعض الاختصاصيّين ولم يزل يتتبع كلّ اقسامهِ حتّى اخرجهُ بهمّتهِ القعساء من بطون الارض بابنيتهِ ومخازنهِ ومطاعمهِ وضروب معروضاتهِ الى حيز الوجود. ثمّ ألفت اليهِ انظار دولتهِ الكريمة التي ارسلت وفداً خاصّاً لحضور تدشينهِ يرأسهُ المسيو فرنان دافيد . فوقع افتتاحهُ مساء يوم السبت ٣٠ نيسان بحفلة توفّرت فيها كلّ اسباب الموءانسة وحضرها علية القوم من فرنسويّين في مقدّمتهم الجنرال غورو والاميرال مورنه والمسيو روبر دوكه والجنرال غرنيه دوبلي والمسيو سوليه نائب باريس ووطنيّين يتقدّمهم حاكم لبنان مع قناصل الدول والاعيان فتفقّدوا ابنية المعرض في اقسامهِ الثلثة في شارع اللّنبي وحديقة الاتحاد وفي الربوة المشرفة على البحر وراء السراي القديم واستعرضوا بضائع التجار وسُرّوا خصوصاً بنظر المصنوعات الوطنيّة وقضوا بقيّة النهار في حضور مشاهد بهجة ووليمة فاخرة وألعاب ناريّة مختلفة فاه في اثنائها الخطباء البلغاء واثنوا على كلّ من عُنوا باقامة السوق البيروتيّة

هذا ونضرب الصفح عمّا جرى بعد ذلك في الايّام التالية من الحفلات البهجة ومجالس الانس الشائقة منها سباق السيّارات ومعركة الزهور اللطيفة لنحوّل النظر الى ذات المعرض

٢ مشتملات المعرض

يطول بنا تعداد كلّ ما عُرض في سوق بيروت من المصنوعات الشرقيّة والغربيّة فها نحن نذكر منها ما امكنا مشاهدتهُ نوردها مقسّمةً الى بعض اقسام عموميّة

١ الفنون الجميلة

لها حقّ التقدُّم اذ تدلُّ اكثر من سواها على آداب الشعوب وترقّيها

واوّل ذلك (فنّ الهندسة) الذي ظهر في هذا المعرض بكلّ جلائهِ . وليس كلامنا على الحوانيت والمخازن التي قُسمت اربعة اسواق في شارع اللنبيّ فانّها وان لم تخلُ من الاتقان والتفنُّن لكنّها أُقيمت على طرز بسيط اقتصادًا لتكفي لعدد العارضين المديد . وانّما نُريد تلك البنايات الفخيمة التي تشيّدت بسرعة غريبة وبكل ذوق . منها مداخل اقسام المعرض الفخيمة سواء كانت في شارع اللنبي ام في المنشيّة فانّ هندستها على جانب عظيم من الأبّهة والجمال وقد أُفرغ الجهد في زخرفة ابوابها تلوح عليها مسحة من بهاء الابنية الشرقيّة القديمة

ويلوح ذلك خصوصاً في المعاهد التي شُيّدت في حديقة الاستقلال لمدن سوريّة المختلفة . فهناك ستّة ابنية تأخذ هندستها بالبصر لحسن تنسيقها ولطف تنظيمها وترى لها الغرف المختلفة والمقاصير والنوافذ تعلوها السطوح والشرفات ببينات شتّى تروق النظر وينشرح لها الصدر . وقد وضع رسومها ذوو الخبرة بالذوق الشرقيّ متفننين في وضعها ما امكن ليجد فيها الوطنيّون امثلة لمبانيهم

ولا نتعرّض لذكر المطعم القائم كصرح عظيم على التلّ المشرف على المرفأ الكاشف على البحر وسواحلهِ وعلى لبنان ومناظره الفتّانة وهو مثال حسن للهندسة الاوربيّة لا ينقصهُ شيء من اسباب الهناء

وانّما نأخذ على معظم هذه المباني قلّة متانتها وهي من الخشب المطليّ بالجبصين

فلا تصلح الّا لزمن المعرض ثمّ تخرب وتزول بهجتها

و (فنّ التصوير) في المعرض حصّة وافية فرأينا لمدّة مصوّرين وطنيين اعمالًا تدلّ على حذقهم في هذا الفنّ الذي بقي دفيناً مدّة اجيال طويلة في سوريّة فاحياه بعض اهل بلادنا البارعين كالفضلاء داود القرم وحبيب سرور وكرم صليبي والفرد بك سرسق وحمصي . فهناك لهم عدّة تصاوير منها صور اشخاص احياء او ماتين بملابسهم الشرقيّة ومنها صور ازياء اهل البادية ومنها صور حيوانات او زهور او ابنية وعدّة رسوم على درجات مختلفة من الجمال بين حسن ووسط ودون . وقد استحسن الزوّار صورة يوحنّا المعمدان في شبابهِ لداود افندي القرم

وكذا (فنّ النحت) فمنهُ أمثلة متقنة الصنع فعند مدخل بناية لبنان تمثالان من رخام رُمز بهما الى وقود الجبل سابقاً والى نهضتهِ المستقبلة بشخص امرأتين نائمة فستيقظة من نومها وكلتاهما من رخام ابيض نحتهما يوسف سعدالله الحويك وما كان ضرّهُ لو كان ستر عريهما بثوبٍ ما ! . وقد امتاز ايضاً بالنحت الخواجا خوكاز

وقد عُرض في داخل البناية صليب عليهِ شخص السيّد المسيح مصلوباً على كبرهِ الطبيعيّ وهو منحوت في خشبة واحدة من السنديان الّا ذراعيهِ . وهيئة المصلوب جليلة وسيمة في اوجاعهِ قد اجاد عملهُ الياس افندي متّى

وهناك عدّة تماثيل صغيرة من الطين الاحمر لجان افندي دبس خطر لهُ ان يمثّل بها على منوال مؤثر احوال لبنان المفجعة في ايّام الحرب فترى مصائب اهلهِ في كلّ هيئاتها من عري ومرض ومجاعة وموت واكدار يصعب على القلم رسمها وانّما اخرجها المصوّر بدقّة تثير عواطف الحزن والحنان في قلوب ناظريها

ومّما يلحق بهذا الباب ثمانية قطع من الفسيفساء القديمة العهد عرضها في قسم دمشق صاحباها سليم افندي سسرا وعزيز افندي سرجي . وهي اشغال بيّنة ليست سابقة للتاريخ النصرانيّ كما كتب هناك لكنّها مع ذلك جديرة بالذكر لحسن رصفها وتركيبها بالفسيفساء الناصعة الالوان . فاثنتان تمثّلان الالهتين هيرا المدعوة ايضاً جونون وبروزرپين إلهة الجحيم . وبعضها يمثّل إلهة الشعر ايراتو وعجلة سباقٍ في الميدان وصورة الشتاء على هيئة شيخ متلفّع بردائهِ وصورة جبل اولمپوس فقرأها بالغلط صاحب الكتابة المعلّقة عليها اولمپياس وظنّ انّها والدة الاسكندر ثمّ صورة ثلثة

شخاص من اليونان كتب احد المازحين فوقها بقلم حديث اسم الشيطان مفيستوفيلس

٢ الصنائع

للصنائع في معرض بيروت الحظّ الاوفى لاسيّما مصنوعات دمشق من محلّات جورج وجبرائيل نعمان وجرجي بيطار واصفر وسركيس وابرهيم قرواني ومصنوعات بيروت من معامل ومحلات سيوفي وترزي والياس متى وامين وهبه وجبران زياده ونقولا عجوري واسكندر عكّاوي ومن دار الصنائع والفنون الاسلاميّة

واخصّ المصنوعات الدمشقيّة الآنية النحاسيّة المنقورة المنقوشة المزيّنة بالاشكال الهندسيّة والكتابات العربيّة والعبرانيّة بينها الاطباق والصوانيّ والبواطيّ والقناديل والثُّريّات والمسارج والمناقل والمواقد واللكُنُ والاباريق والقماقم على اختلاف اجناسها واحجامها وهيئاتها ممّا اندهش لحسنها الزوّار وخصوصاً الاوربيّون وبادروا الى اشترائها

ومنها المصنوعات الخشبيّة الرائعة من طاولات وخزانات ومكاتب واسكمنات ومقاعد وقباقب وعُلَب كلّها مطعّمة باجناس الاخشاب الملوّنة او بقطع من الفضّة او الاحجار الملوّنة على شكل الموزائيك فتروق لـلعين بتنسيقها ولـطف تقاطيعها واسواقها البديعة ورسومها الهندسيّة

ومنها ايضاً الصنائع الصينيّة الزرقاء ذات الزهور والآنية المحلّاة بالميناء والأسلحة القديمة المجوهرة كالسيوف والقامات والخناجر مع نقوشها الذهبيّة المرصّعة بالمينا والكتابات المنزلة فيها (اطلب وصفها في المشرق للاديب يوسف غنام ثابت ٣ [١٩٠٠] : ٥٧٧ و ٧٠٠) (و ٤ [١٩٠١] : ٧٨٤)

امّا المصنوعات البيروتيّة فانّها اقرب الى الصناعة الغربيّة كادت تفوق عليها ببعض خواصّها. فانّ اثاث البيوت وما يدعونهُ بالموبيليا يشبه اتمّ الشبه اصنافهُ المجلوبة من اوربّة مع ما تمتاز بهِ من التقليدات الشرقيّة. فهناك المنضدات اللطيفة وطاولات الشغل او اللعب والأُطُر (البراويز) والحواجز البيتيّة بينها صفائح جداريّة بحجارة ملوّنة شغل اسعد فرج وغير ذلك من المصنوعات الرائعة

ولبيروت السَّبق في شغل المنسوجات والاقمشة واشغال الابرة والتطريز والزركشة بالالوان وبالذهب . وقد شاعت خصوصاً في بلادنا بفضل راهبات المحبَّة والراهبات اليوسفيَّات وراهبات العائلة المقدَّسة وراهبات قلبي يسوع ومريم فقد عُرض البعض من اعمالهنَّ الجميلة . والبعض الآخر لبنات دار الصناعة الاسلاميَّة ولبعض الاوانس الوطنيَّات كاماً جورج صفير وروز بحاح ومدام سليم جلخ وغيرهن من الفاضلات أعربن عن براعتهنَّ في النقش والرقش والتخريج من خروجات ووجوه طاولات وازياء اخرى جميلة . ونضيف الى المنسوجات الوطنيَّة اشغال الديا في بكفيا وبيت شباب

وقد عَرض حابيُّون كثيراً من الثياب الشرقيَّة القديمة المزركشة بالذهب والمحلَّاة بالقصب الصالحة لامراء العَرَب . وتعارضها مصنوعات الزوق التي وصفها سابقاً في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٤٤١) حضرة الخوري جبرائيل كيرلُس كما وصف مقصَّبات حلب الفريدة (٤ : ٧٥١) المرحوم يوسف مشحور

ومن مصنوعات حلب المرسلة الى المعرض السجَّادات والطناقس بالوانها المُشرقة ونقوشها البديعة . وقد عرض مثلها ايضاً محلّ بشاره اصفر وسركيس من دمشق

ومن مصنوعات القدس تُحفهم التقويَّة اللطيفة منها خشب ومنها صدف او عاج لهم فيها السبق منذ الزمن القديم اتى بها للمعرض بعض اهل بيت لحم ومن جملتها تمثيل العشاء السرّي وصورة السيّد المسيح ورسله كلُّها من الصدف على احسن طرز

وممَّا عُرض ايضاً من المصنوعات الوطنيَّة اشكال الصابون امتاز بينها صابون جرجي افندي ابي سعد . وعُرض ايضاً قرميد جان افندي دبس الذي مرَّ ذكر تماثيله بالآجر .

امَّا المصنوعات التي عرضها الفرنسويُّون وغيرهم من الفرنج فانَّها راقت في اعين الوطنيين كما راقت في اعين الفرنسويين مصنوعات الشرق وبذلك تمَّت الفائدة بامتزاج الشرق والغرب . وقد بلغ عدد مَن عرض من الاوربيين نحو الالف حضر من محلَّاتهم من يمثّلهم او اتخذوا لهم وكلاء . فممَّا يستحقّ الذكر حلي ومجوهرات ومصاغات محلّ تيادي وماسون وشركائهم ومنها كلّ لوازم الطباعة واصناف الورق ومعدَّات التجليد من محلَّات دابرني وبريو وغوت وبلانكان في باريس ومنها اطياب وعطريَّات محلّ ڤينيون في ليون ومنسوجات مختلفة وازياء من عدَّة محلَّات . مع جلود واجواخ

واصباغ ومواد بنائيّة . امّا الادوات الحديديّة والمحرّكات والمضخّات والمطاني والادوات الكهربائيّة فانّ الفرنسويين وغيرهم من الاوربيين عرضوا منها ما لم يكد يخطر على بال الوطنيين فاخذ منهم العجب بنظرها كلّ مأخذ كساعات سويسرة واوتومبيلات اميركة ومواقد ايطالية للغاز واجواخ بلجيكة

وقد كان للمعروضات المدرسيّة قسمٌ صغير استحسنّا بعض الطافه . الّا انّنا وجدنا ما عرضتهُ المدرسة العلمانيّة من اشغال تلامذتها مبتذلًا لا يشرّفها كثيرًا

٣ الزراعة والاعاشة

انّ سوريّة ارض زراعة تصلح تربتها في مناطقها المختلفة لضروب الغلّات والمزدرعات فسُررنا بما اجتمع في المعرض من لوازم الزراعة والفلاحة . وقد نالت طرابلس في ذلك قصب السبق فانّ بنايتها احتوت على ضروب مساطر الحبوب والبزور والغلّات المختلفة في سائر اصنافها مع ما يستخرج منها من الزيوت والاسمان والمشروبات والمربّيات المختلفة . وقد عرض اهل بيروت كثيرًا من هذه الحلويات لبعض البارعين في عملها من المسلمين كالافنديّة بكري رمضان والبحصلي والعريسي . كما عُرضت مشروبات محلّيّ مانولي ونمر كرم

وكان في المعرض المغتذيات والمشروبات الاوربيّة مقام رفيع منها واردات المستعمرات الفرنسويّة وغيرها كالارز والبنّ والسكّر والكاكاو ومنها مصنوعات فرنسة الشهيرة من باقساط ومعجونات وملبّسات وحلويات . ومنها خمورها الذائعة الصيت كالكونياك وبوردو وشمبانية . هذا فضلًا عن مياهها المعدنيّة الفاخرة وموادّها الطبيّة مع الادوية الانكليزيّة . وكان لكل هذه المعروضات من يمثّلها في المعرض ويشرح خواصّها وفضلها

وممّا يلحق بباب الزراعة التبغ اللبناني واصنافهُ المختلفة عُرضت منهُ نموذجات جيدة في بنايتي طرابلس ولبنان نخصّ بالذكر تبغ بكفيا للامراء بلمع ومحل فريحه (اطلب مقالة الاجزائي الاديب يوسف افندي جميل في التبغ وزراعته في لبنان في المشرق ١٤[١٩١١] : ٤٥ الخ) . وكذلك زراعة التوت وتربية دود القزّ وبزورهُ خُصّت ببعض الالتفات في معرض بيروت

ومما له علاقة كبيرة بالزراعة الآلات الزراعيّة التي تؤدي اليوم للملّاكين وارباب الفلاحة خدماً مشكورة لا تُحصى . في كلّ اطوار الحراثة والزرع والحصد والكدس فجرى امتحان ما اتى بهِ منها بعض التجار الفرنسويين بحضور جمهور كبير عرفوا فضلها عياناً . وكذلك عُرضت ضروب السمادات الاصطناعيّة الكيموية التي من شأنها ان تُحسّن التربة وتُخصبها

امّا الإعاشة فكان لها معرض خاصّ في اقبية قاعة البورصة قريباً من السراي القديمة . فُرش صحنها بالسجّاد العجميّ والبسط الشرقيّة ممّا اصطنعهُ فتيان وفتيات ويتامى كانوا يشتغلون في وسط المعرض اشغالًا مختلفة من حياكة واحذية وبُسط وغزل الصوف . واذا دخل الزائر غرفةً من عن شمالهِ او توغّل الى داخل المعرض سُرَّ بما يراهُ من انواع الحبوب والمسلوسات الوطنيّة والاجنبيّة . ومن اكداس الاطعمة كاكياس الدقيق والقمح والارزّ والبنّ والسكر وغيرها من المآكل التي وزّعتها الحكومة ولجنة الاعاشة على البؤسين بعد دخول الفرنسويين الى بيروت فأنقذتهم من المجاعة والموت الباسطَين رواقهما عليهم . ويدلُّ على حالتهم التعساء ما ترى هناك من الصور الملوّنة بريشة بعض المُلحقين بادارة المعاشة فلا يتمالك الزائر ان يصرخ : لله درُّ فرنسة انّها حقيقة ملجأ البائسين واحنُّ الوالدات على الملهوفين أيّدها الله مدى الدوران

٤ الفنون الحربيّة

وكأنَّ لجنة المعرض رأت من الواجب بعد الحرب الكونيّة الاخيرة وما بلغ آذان اهل بيروت من ويلاتها ان تعرض على السوريين شيئاً من ادواتها وذخائرها وتهاويلها برًّا وبحرًا فخصّت رواقاً وهو المشيّد جنوبيّ حديقة الاستقلال لتلك الغاية فاذا دخلهُ الزائر عدَّ نفسهُ في مسلحة ودار صناعة حربيّة . ولمّا كانت الامور تلوح حقائقها بالمقابلة فقد عُرض هناك عدّة اشخاص من فرسان وجنود القرون الوسطى الى الاجيال المتأخرة فتراهم بشكّتهم الحربيّة متنّعين ومدرّعين من الرأس الى القدم وفي ايديهم الاسلحة القديمة من تروس ورماح يمشون الى العدوّ فيصارعونهُ او يرمونهُ عن كثب امّا اليوم بعد الاكتشافات الحديثة فقد تغيّرت كلّ اداب الحرب فترى في المعرض المدافع والرشّاشات والمتراليوز وضروب البنادق والموادّ الانفجاريّة كالرمّانات

والقنابل واصناف القذائف . هذه للحرب البرّية . امّا الحرب البحريّة فقد عُرضت ألغامها العائمة وادوات الطربيد او النسّاف التي تنفذ في قلب البحر الى ان تبلغ الى سفينة العدوّ فتنفجر تحتها فتهلكها

ومن حسن ذوق مهندسي هذا القسم تنظيم الاسلحة كالحراب والسيوف والغدّارات حتى هيئة جميلة فترى بعضها كطاقة الزهور وغيرها على هيئة الآلات الموسيقيّة كالقيثارات وغيرها . وهناك ايضاً ادوات التلغراف والتلفون اللاسلكي اللذين لعبا في الحرب الاخيرة دوراً معتبراً

فهذا نظر اجمالي يمكّن القرّاء من الحكم على منافع معرض بيروت الذي زاره نحو خمسين الفاً من سوريين وغيرهم . ولعلّ كثيرين منهم لم يقدّروه قدره الذي هو جديرٌ به وعلى كلّ حال فانهُ كان اجلى برهان على رغبة فخامة المفوّض الاعلى وارباب الحكومة المنتدبة في السعي بشؤون الوطن وترقيته وتوفير الوسائط لتحسين اموره المادّية والاقتصاديّة وتوثيق الروابط بين الشرق والغرب لفائدتهما جميعاً . يشهد على ذلك كلّ منصف مثنياً اعطر الثناء على كلّ من قام بهذا المشروع الجليل واخرجهُ الى حيز الوجود

نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من اجمل واغرب الإيالات الجديدة التي امتدّت عليها فتوحات العلم العصري قعر البحار وكل ما انطوى عليه من آيات الحسن الرائعة التي بقيت آلافاً من السنين مدفونة في اعماق الاوقيانوس محجوبة عن انظار العلماء انفسهم . وقد توصّل البحّاثون في اواخر الجيل المنصرم وفي عصرنا هذا الى سَبْر تلك الاغوار الفسيحة المطمورة تحت غمار المحيط باستخدام الغوّاصات المجهزة بعدة آلات في غاية الدقة لمعاينة عجائب الحياة في قعر البحار . وقد تجاسر بعض المصورين المشغوفين بتلك المحاسن المستفزّة لقلوبهم فتوشّح بجهاز الغوّاصين وانحدر الى قرار المحيط على حبل مُرخى من

والقنابل واصناف القذائف . هذه للحرب البرّية . امّا الحرب البحريّة فقد عُرضت ألغامها العائمة وادوات الطربيد او النسّاف التي تنفذ في قلب البحر الى ان تبلغ الى سفينة العدوّ فتنفجر تحتها فتهلكها

ومن حسن ذوق مهندسي هذا القسم تنظيم الاسلحة كالحراب والسيوف والغدّارات حتى هيئة جميلة فترى بعضها كطاقة الزهور وغيرها على هيئة الآلات الموسيقيّة كالقيثارات وغيرها . وهناك ايضاً ادوات التلغراف والتلفون اللاسلكي اللذين لعبا في الحرب الاخيرة دوراً معتبراً

فهذا نظر اجمالي يمكّن القرّاء من الحكم على منافع معرض بيروت الذي زاره نحو خمسين الفاً من سوريين وغيرهم . ولعلّ كثيرين منهم لم يقدّروه قدره الذي هو جديرٌ به وعلى كلّ حال فانهُ كان اجلى برهان على رغبة فخامة المفوّض الاعلى وارباب الحكومة المنتدبة في السعي بشؤون الوطن وترقيته وتوفير الوسائط لتحسين اموره المادّية والاقتصاديّة وتوثيق الروابط بين الشرق والغرب لفائدتهما جميعاً . يشهد على ذلك كلّ منصف مثنياً اعطر الثناء على كلّ من قام بهذا المشروع الجليل واخرجهُ الى حيز الوجود

نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من اجمل واغرب الإيالات الجديدة التي امتدّت عليها فتوحات العلم العصري قعر البحار وكل ما انطوى عليه من آيات الحسن الرائعة التي بقيت آلافاً من السنين مدفونة في اعماق الاوقيانوس محجوبة عن انظار العلماء انفسهم . وقد توصّل البحّاثون في اواخر الجيل المنصرم وفي عصرنا هذا الى سَبْر تلك الاغوار الفسيحة المطمورة تحت غمار المحيط باستخدام الغوّاصات المجهزة بعدة آلات في غاية الدقة لمعاينة عجائب الحياة في قعر البحار . وقد تجاسر بعض المصورين المشغوفين بتلك المحاسن المستفزّة لقلوبهم فتوشّح بجهاز الغوّاصين وانحدر الى قرار المحيط على حبل مُرخى من

ظهر سفينة ما بلغ به الى قعر اليم حيث رسّخهُ ووتّرهُ حجر ثقيلٌ . وعلى هذا النمط كان يتوقّف اخو الفن هنيهةً على طول الحبل كلما رأى ما يستلفت اليهِ ناظريه فيرسم الغرائب البادية امامه على ورق مخصوص لا تأثير للماء عليه رسماً سريعاً قليل التفاصيل والدقّة . وكان اذا خرج من المياه يُكمّل هذا الرسم الغليظ ويُحكمهُ بما وعاه في خزانة ذاكرته بل في حدقتي مقلتيه من الاشكال والالوان الشائقة وآيات الحياة البحريّة الآخذة بمجامع القلوب

ولم تقف جسارة البحث العصري عند هذا الحدّ . مع انهُ لم يكن في الحسبان بل تخطّته متجهة الى التصوير الشمسيّ لاعماق البحار . وقد سبق الى ذلك المستر وليمسون الذي توفّق بعد الجهد الجهيد الى اختراع جهاز فوتغرافي بحري . وهاك على جناح السرعة كيفية استخدامه . انهُ يُجعَل هو والمصوّر في اسفل انبوب معدني واسع القُطر وقابل التمدّد مُناط بظهر مركبٍ خاص . وكانت التجربة الاولى لهذه الطريقة الغريبة في ميناء تاسو الواقعة في جزائر انتيل (Antilles) الانكليزية والبحر هناك ذو صفاء وشفوف لا مُتجاوَز وراءهما . وقد وُسِمت السفينة الاولى للتصوير الشمسي البحري باسم القصّاص الفرنسوي الشهير جول ڤرن تذكاراً لروايتهِ الخيالية المُعنونة بـ «عشرين الف فرسخ تحت البحار» . ومن عجيب امرهِ وقدرة مخيّلتهِ انهُ وصف الغوّاصات اعواماً طويلة قبل اختراعها بل وصف عجائب قعر المحيط كأنهُ شاهدها مشاهدة العيان

يحول ضيق المقام دون افاضتنا في سرد آيات الحسن الرائع التي تمكّن العلم العصري من معاينتها بواسطة الوسائل المشار اليها آنفاً وما ضارعها . على اننا لا نريد ختم هذه العجالة قبل ازاحة طرف الحجاب عنها ليقف القرّاء ولو بعض الوقوف على شيء من البدائع المكتنة في جوف المحيط

كثيراً ما تشاهد هناك العين المفتونة من الوهاد والهضاب المغطّاة بالغابات الفنّاء النضيرة ما يُمثّل امامها جبال الألب المشهورة في الخافقين بنائق محاسنها . واشجار تلك الغابات هي في الغالب نوعٌ من نبات الماء يُدعى الخُثّ المعروف في كثير من اللغات الاوربية باسم ألغا (alga في الانكليزية و algue في الفرنسوية) . امّا سكّان تلك الاحراج الممتدّة الى مدى العين فحدّث عن كثرتها وتنوّعها ولا حرج .

منها الانواع الضئيلة التي تلوح لناظريك بشكل زُهيرات نَبَضَ فيها عرق الحياة . ومنها الطوائف الساطعة الضياء كانها مصابيح حيّة او حُلى مرصّعة بأبدع الحجارة الكريمة . ومنها فصائل الاسماك الغريبة التي لم تحلم المخيلة بوجودها على ارضنا هذه . واليك بعض الامثلة منها : السمكة المنعوتة في عرف البرازيليّين بالقَمَرِيّة (peixe-lua) المشوب سوادها بالحُمرة — والسمكة المعروفة عند الطبيعيّين باسم كيتودُنت (chetodonte) وهي ذات منقار كالطيور واسنانها بدقة الإبر تصيدُ بها الحشرات المائية الحاطّة على نباتات البحر . وهذه السمكة بديعة الالوان ولاسيما الزرقة والخضرة والصفرة فكأنها تشعّ اشعاعاً . ثمّ سمكة الوَرْنك (raie) الهائلة الكبر المتوشّحة ثوباً لماعاً من الذهب والقرمز (١

واذا طاف رائدٌ باعماق المحيط في ارجاء ذلك العالم الجديد شاهد من تنوُّع وتغيُّر مناظره الجذّابة ما يسحر مُقلتيه بل عقله . فهنا قمم الجبال العالية المكسوّة بما يحاكي غابات الصنوبر في لبنان . وهناك ثُغرةٌ عجيبة العمق والطول قائمة بين طودين شامخين . وفي جهة اخرى ترى مغاور بعيدة الغور فاغرةً فاها على منحدر علَم منيف . ثم ان الارض التي تطأها او تُشرف عليها تبهر ناظريك بضيائها كأنها لابسة رداء يققاً من الثلج وهي في الواقع متّشحة بثوب غريب من الرمل الناعم العسجدي . وكثيراً ما ترى هناك غابات المرجان (٢ الورديّ اللون في نشأته والاحمر في عنفوان شبابه والابيض في دور شيخوخته كشعر الانسان الطاعن في السنّ والاسود بعد موته كثياب الحداد . واذا تعدّيت تلك الغابات فربما افضى بك السير الى مروج فسيحة وفرت فيها الحيوانات المعروفة بنجوم البحر (étoiles de mer) البديعة الهيئات والالوان . وما يزيد بهاء كل تلك المشاهد العجيبة ان الاشعّة والظلال تمتزج وتتلاعب على سطح تلك الجبال والوديان تلاعبها السحريّ المعهود في سفوح لبنان مثالاً . ولعمري لولا ان الشمس تنفذ بضيائها المحيي الفتّان الى اعماق البحار لتجرّدت هذه عن كل ظواهر الحياة ومحاسنها الرائعة . لكنّ هناك اغواراً شديدة العمق تنحدر اليها الغوّاصات فتراها محاطة بظلام دامس كأنّ ليلاً دائماً مدّ رواقه على ارجائها . عندئذٍ

١) راجع مقالة الدكتور كونيغ في هذه الاسماك العجيبة في المشرق (١٠[١٩٠٧] : ٢٠٤;٨٧)

٢) وهو من الكائنات الحيّة كما لا يخفى

يستخدم الرُّوَّاد أنور المصابيح الكهربائية فهي تبدِّد بلمحة عين تلك الغياهب المتراكمة على مسافة طويلة فتمكّن الانسان من التمتّع ببعض البدائع التي ذكرناها آنفاً على سبيل السرعة والايجاز

امَّا اصفى البحار مياهاً وبالتالي انسبها للتنقيب هي الواقعة في جوار دائرتي الانقلاب مثلاً حول جزيرة تاهيتي (Tahiti)

واخيراً لا يندّ عن ذهن المطّلعين ان من اجمل واوسع العلوم العصرية الجديدة علم المحيط (l'Océanographie) المتناول في نطاقه الواسع كل ما انطوت عليه اعماق البحار من الجمادات والنباتات والحيوانات على اختلاف انواعها . ومن اشهر رافعي لواء هذا العلم المتضلّعين من فروعه العديدة الواسعة امير موناكو وهي الامارة الصغيرة المستقلة الواقعة على شاطىء البحر المتوسط بين فرنسة وايطالية . فهذا النابغة هو من اعظم روّاد اعماق المحيط وقد كرّس لهذه الغاية قواه ووقته وماله فوسّع نطاق العلم الحديث توسيعاً اطار صيتهُ من المشارق الى المغارب وضمن له الخلود في تاريخ المعارف البشرية . ومن اجلّ الخدم التي ادّاها لعشّاق علم المحيط تأسيس متحفين لـه احدهما في مدينة موناكو قاعدة امارته والآخر في باريس وكلاهما حافل ببعض الكنوز الدفينة في قعر البحار . فسبحان الخلّاق العظيم القدير الذي يتنازل ويكشف لنا على توالي العصور في هذه الارض الصغيرة الحقيرة آيات رائعة الحسن تنبئنا ولو يسيراً بما عسى ان يكون جمال الاله اللامتناهي الكمالات

المئة السابعة

لإنشاء رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

للاديب نقولا باپانيقولا

في يوم عيد القطاس الاخير اصدر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيدا براءةً جليلة الفحوى بليغة المعنى وجّهها الى الكنيسة جمعاء ذكر فيها وقوع موسم عظيم اراد به تذكار المئة السابعة لانشاء الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الثالثة المعروفة برهبانيَّة

يستخدم الرُّوَّاد أنور المصابيح الكهربائية فهي تبدِّد بلمحة عين تلك الغياهب المتراكمة على مسافة طويلة فتمكّن الانسان من التمتّع ببعض البدائع التي ذكرناها آنفاً على سبيل السرعة والايجاز

امَّا اصفى البحار مياهاً وبالتالي انسبها للتنقيب هي الواقعة في جوار دائرتي الانقلاب مثلاً حول جزيرة تاهيتي (Tahiti)

واخيراً لا يندّ عن ذهن المطّلعين ان من اجمل واوسع العلوم العصرية الجديدة علم المحيط (l'Océanographie) المتناول في نطاقه الواسع كل ما انطوت عليه اعماق البحار من الجمادات والنباتات والحيوانات على اختلاف انواعها . ومن اشهر رافعي لواء هذا العلم المتضلّعين من فروعه العديدة الواسعة امير موناكو وهي الامارة الصغيرة المستقلة الواقعة على شاطىء البحر المتوسط بين فرنسة وايطالية . فهذا النابغة هو من اعظم روّاد اعماق المحيط وقد كرّس لهذه الغاية قواه ووقته وماله فوسّع نطاق العلم الحديث توسيعاً اطار صيتهُ من المشارق الى المغارب وضمن له الخلود في تاريخ المعارف البشرية . ومن اجلّ الخدم التي ادّاها لعشّاق علم المحيط تأسيس متحفين لـه احدهما في مدينة موناكو قاعدة امارته والآخر في باريس وكلاهما حافل ببعض الكنوز الدفينة في قعر البحار . فسبحان الخلّاق العظيم القدير الذي يتنازل ويكشف لنا على توالي العصور في هذه الارض الصغيرة الحقيرة آيات رائعة الحسن تنبئنا ولو يسيراً بما عسى ان يكون جمال الاله اللامتناهي الكمالات

المئة السابعة

لإنشاء رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

للاديب نقولا باپانيقولا

في يوم عيد القطاس الاخير اصدر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيدا براءةً جليلة الفحوى بليغة المعنى وجّهها الى الكنيسة جمعاء ذكر فيها وقوع موسم عظيم اراد به تذكار المئة السابعة لانشاء الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الثالثة المعروفة برهبانيَّة

التوبة فأطرأ ذاك المشروع السامي الذي باشرهُ فريد عصرهِ القديس الكبير فرنسيس الاسيزيّ الساروفيمي الذي ما اكتفأ بتأسيس رهبانيَّتين لجنسي ابناء الكنيسة الذكور والاناث فقدَّس بهما الوفاً بل ربوات ومئات الوف من الناس فدعاهم الى الكمال الرهبانيّ الذي بلغوا على مثالهِ ذروتهُ فشرَّفوا العالم بممارسة اعظم الفضائل بل اراد ايضاً ان يقدّم لكافَّة المؤمنين العائشين في العالم وسائط قريبة المنال تنقذهم من شرورهِ وتؤهّلهم لخلاص نفوسهم بل تساعدهم على بلوغ الكمال المسيحيّ . فللهِ درُّها شجرةً عاديَّةً متأصلة الجذور باسقة الفروع نامية الاغصان لم يقوَ الدهر على استئصالها مدَّة سبعة قرون

فهلمَّ بنا نلقِ النظر الى ذاك الفرع الثالث الذي يقع في هذه السنة تذكار قرنهِ السابع فنروي شيئاً عن اصلهِ وقانونهِ وشرفهِ وامتيازاتهِ

١ اصل رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

كان القديس فرنسيس في السنة ١٢٢١ خرج الى الدساكر والقرى المجاورة لوطنهِ اسيزي ليلقي فيها المواعظ ويرشد اهلها الى التوبة فبلغ الى قلعةٍ تُدعى كرنيريو (Carnerio) تبعد اربعة اميال عن اسيزي فهناك تألَّب الشعب لاستماع كلام الله فخطب القديس في احتقار العالم واباطيلهِ بغيرةٍ عظيمة أثارت في قلوب سامعيهِ الرغبة في جحود الدنيا والزهد بحطامها فطلبوا الى القديس ان يقبلهم في عداد رهبانهِ وراهباتهِ واذ وجدهم مرتبطين بروابط الزواج لم يسمح لهم فرنسيس بان يهجروا بيوتهم بل عرض عليهم رهبانيَّةً اخفَّ توافق حالتهم في الدنيا دعاها برهبانيَّة التوبة بحيث يخدمون الله في بيوتهم رجالاً كانوا او نساء ويقدّسون حياتهم بالعيشة الصالحة وممارسة الفضائل المسيحيَّة في العالم ووعدهم انَّهُ يضع لهم قانوناً مناسباً لهذه الغاية . فسُرَّ العموم لهذا الخبر واقبلوا على تحقيقهِ اقبالاً عظيماً كان سبباً لاصلاح مدنٍ بل اقطار برمَّتها . وكان اول من طلب الانضواء الى هذه الرهبانيَّة العالميَّة احد تجار مدينة كنَّارا (Cannara) المستوطن في قرية كاجيانوني (Caccianone) اسمهُ لوشيوس كان القديس ردَّهُ الى التوبة بمواعظهِ وكان مقترناً بامرأة صالحة فجعلها فرنسيس باكورة رهبانيَّتهِ الثالثة وكلاهما قد نُظم في عداد اولياء الله

وما لبث ان تبع مثالها غيرهم من المؤمنين في جهات فيرنسة وبلاد توسكانا فاهتمّ فرنسيس بوضع قانون خاصّ لهؤلاء المتعبّدين كما انهُ البسهم ثوباً غاية في الحشمة امتازوا بهِ في اعين الناس وهو عبارة عن ثوب طويل رماديّ اللون يثبتهُ على احقائهم زنّار حبلٍ معقّد

٢ قانون الرهبانية الثالثة

ان الجماهير المجمهرة التي تزاحمت حول القديس فرنسيس لتتبع رهبانيّتهُ العالميّة الجديدة اضطرّتهُ الى ان يُسرع ويكتب لهم قانوناً يجرون عليهِ في العالم. فوضعهُ بعد ان استحرّ بالصلاة وطلب معونتهُ تعالى وجعلهُ في ٢٣ فصلًا اودع فيها لباب التعاليم الانجيليّة. وكان اوّل ما حثّ بهِ على طلبتهِ الحفظ التامّ لوصايا الله العشر ولوصايا كنيستهِ ثمّ فرض عليهم ان يلبسوا لباساً بسيطاً بعيدًا عن الجاه العالميّ ويمتنعوا عن حضور المراقص والولائم والمسارح وبالاجمال كلّ الحفلات العالميّة الباطلة وينكفّوا عن حلف اليمينات الّا وقت الضرورة ثم يحتموا عن اكل اللحم كلّ يوم اثنين واربعاء ما عدا انقطاعات الكنيسة وكذلك قيّدهم ببعض الاصوام غير الاصوام المفروضة وبتلاوة صلوات معلومةٍ كلّ يوم صباحاً ومساء وقبل الاكل وبعدهُ مع وجوب التقرّب من الاسرار المقدّسة في بعض الاعياد. وممّا قضى بهِ في قانونهِ ان لا يحمل الاخوة الاسلحة الّا لاجل الدفاع عن الكنيسة والايمان المسيحي والوطن باجازة مرشديهم وان يخصّوا شيئاً من مالهم للصدقات والاعمال الخيريّة ويسعوا في تأليف القلوب ونشر السلام ويزوروا الاخوة المرضى ويصلّوا لراحة نفسهم بعد وفاتهم

فليس هذا القانون كما ترى سوى نظام الحياة المسيحيّة وعيشة المؤمنين الصادقين. وجعل القديس فرنسيس للمنتمين الى هذا القانون مرشدين من رهبانيّاتهِ الكبيرة يزورونهم من وقت الى آخر ويراقبون انطباق اعمالهم مع القانون المذكور ويردعونهم عن كلّ ما يخالف بنودهُ السابقة

وهذه الرهبانيّة الثالثة تصلح ليس لاهل العالم فقط بل لكل الكهنة العالميّين قد جعل لها اطواراً كأطوار الرهبانيّات كطور الطالب الدخول وطور المبتدئ ثمّ اخيراً بعد سنة تامّة اذا قام فيها المبتدئ بواجباتهِ يُنظَم في سلك الاخوة ويفوز بكل النعم الممنوحة لهم في حياتهِ وبعد مماتهِ

ثمّ انّ هذا القانون الذي وضعهُ القديس فرنسيس اثبتهُ كثيرون من ائمّة الاحبار كالباباوات اونوريوس الثالث وغريغوريوس التاسع ونقولا الرابع وكثيرون غيرهم ونوّهوا بفضلهِ وحرّضوا المؤمنين على التقيُّد بهِ ولذلك رأوا تحوير بعض بنودهِ لتوسيع نطاقهِ في كلّ انحاء المعمور فخفّفوا شيئاً من اثقالهِ من جهة اللبس الرمادي وغيرهِ وبخصوص الانقطاعات والاصوام والصلوات دون ان يغيّروا شيئاً من جوهرهِ بخصوص العيشة المسيحيّة والابتعاد عن كل فخفخة وتقشّف والمواظبة على الاسرار والصلاة العقليّة وفحص الضمير وما اشبه من الرياضات الروحيّة الجارية بين الرهبان

والثوب المختصّ اليوم بالرهبان الثالثيين يُلبس تحت الثوب العادي وهو عبارة عن رقعتين كثوب الكرمل اكبر قطعاً منهُ وكذلك الزنّار يتمنطق بهِ الاخوة تحت ثوبهم العالميّ . وفي بعض حفلاتهم الرسميّة يلبسون ثوبهم الكامل

امّا الاصوام فقد يُفرَض منها للثالثيين حاضراً يومان اعني في بيرموني عيد الحبل بلا دنس وعيد مار فرنسيس

وكذلك الصلوات فانّها مقتصرة على الكهنة بتلاوة فرضهم اليومي وعلى اهل العالم بتلاوة فرض اخويّة العذراء او بدلاً منهُ بتلاوة الصلاة الربيّة والسلام الملائكي والمجد اثنتي عشرة مرّة كلّ يوم

فبهذه التسهيلات اضحى قانون الرهبانيّة الثالثة قريب المنال يستطيع الانضواء اليهِ وتتميم فرائضه اليسيرة كلّ المؤمنين . فيا ليتهم يبادرون الى اتباعهِ مع ما ينالونهُ بهِ من الشرف والنعم الجزيلة

٣ شرف الرهبانيّة الثالثة ونعمها الوافرة

انّ الكنيسة الكاثوليكية منذ ظهرت الرهبانيّة الثالثة لم تزل ترعاها بعينها الساهرة وتجزل عليها نعمها الفائضة وتنهض همم مرشديها وتنشّط المؤمنين على الانتظام في سلكها لما عاينت من اثارها الجيّدة ومفاعيلها العجيبة في النفوس

واوّل فضل يُعزى لهذه الرهبانيّة الثالثة انّها نفخت في الكنيسة روحاً جديداً غيّر وجه العالم في تلك القرون الوسطى التي كان غلب عليها روح المنازعات القوميّة والحروب الاهليّة مع الانصباب على الترفّه ورغد العيش . فكانت الرهبانيّة الثالثة احسن دواء لهذين الدائين بنشرها روح السلام وبتجرّد اصحابها عن الترف والتخنّث

وكان المنتمون الى هذه الرهبانيَّة ألوفاً مؤلَّفة من كهول وشبان ينبذون مهنة الجنديَّة ليرتزقوا بالزراعة والصناعة حتَّى انَّ الامبراطور فردريك الثاني أيس من تجنيد جيش كان يعدُّهُ لحروبهِ لمناهضة الدين

ومن شرف الرهبانيَّة الثالثة انَّهُ نشأ منها رهبانيَّات قانونيَّة عديدة كان يعيش اصحابها في الاديرة ويبرزون النذور الرهبانيَّة. ولكلٍّ منها اعمال جليلة وتاريخ واسع

وعلى مثال هذه الرهبانيَّة الثالثيَّة الفرنسيسيَّة قامت ايضاً بين اهل العالم رهبانيَّات ثالثيَّة اخرى من الدومنيكان والكرمليتان والاوغسطينيين تقدَّست فيها نفوس الوف ومئآت الوف من الأُسر الشريفة والعائلات المسيحيَّة فكان الفضل للسابق

وممَّا يشهد على شرف الرهبانيَّة الثالثيَّة في الكنيسة وجميع انحائها ما خرج منها من اولياء الله وقديسيه وقدّيساتهِ المثبتة قداستهم من الكنيسة كالقديس كونراد والقديس ايفو والقديس لويس ملك فرنسا والقديس فرديناند الملك والقديس روكس والقديس إلزيار وبعض شهداء اليابان وكالقديسات انجيل دي مريسي ومرغريتا دي كورتونا واليصابات ملكة المجر واليصابات ملكة البرتغال والقديسة روزا دي ڤيترب . ونال غيرهم في الكنيسة رتبة الطوبويين والمكرَّمين يطول بنا تعدادهم لكثرتهم

ومنَّن انحازوا الى هذه الرهبانيَّة الثالثة ملوك وامراء ثمَّ كهنة عديدون تشرَّف بعضهم برُتَب مختلفة منهم اساقفة ومنهم كرادلة ومنهم احبار رومانيُّون نذكر بعضاً منهم ليرى القرَّاء فضل هذه الرهبانيَّة على الدين والدنيا معاً

فمن ملوك فرنسة لويس الثامن ملك فرنسة وابنهُ القديس لويس التاسع ومن ملوك اسبانية كرلوس الثاني وفيليبوس الثاني والثالث والرابع وفرديننس الثالث ومن ملوك النمسة القديس رودلفوس وكرلوس الخامس وفردريكس الثالث ومن ملوك بولونية كازيميروس الرابع ومن ملوك البرتغال الفونس الاوَّل وفرديننس وبطرس ومن ملوك بوهيمية كرلوس الرابع ثم لويس ملك المجر وميخائيل باليولوغ امبراطور اندرونيكوس ملك الروم . ومثلهم ملكات عديدات كمريم تريزا ملكة فرنسة ومرغريتا امرأة القديس لويس الملك وامه بلانش دي كستيلية وحنة ملكة كستيلية وايزبلَّا ملكة اسبانية الخ.

ومنّن رُقيّ الى السدّة البابويّة بعد دخوله في الرهبانيّة الثالثيّة الاحبار الرومانيّون غريغوريوس التاسع والعاشر ومرتينوس الرابع وكفى فخرًا الرهبانيّة الثالثيّة انّ منها خرج الباباوات الاربعة الأخيرون بيوس التاسع ولاون الثالث عشر وبيوس العاشر وبنديكتوس الخامس عشر الجالس حاضرًا على العرش الرسوليّ

وقد تشرّفت هذه الرهبانيّة الثالثة بما نالتهُ من المناشير والبراءات الرسوليّة التي اثنى فيها رؤساء الكنيسة الاعظمون اطيب الثناء على هذا المشروع الجليل ولولا ضيق المقام لأثبتنا منها قسمًا صالحًا فنكتفي بنُتَف قليلة ننقلها عن منشور قداسة الطيب الذكر لاون الثالث عشر الذي اصدرهُ في ١٧ ايلول سنة ١٨٨٢ قال:

« انّ هؤلاء الرهبان العاملين كانوا حقيقةً جنودًا للمسيح وقاموا في الكنيسة كالكاهنين الجدد فأضحوا سندًا امينًا للسلام العام. وبما انّهم اقتفوا آثار فضائل مؤسّسهم واتّبعوا قوانينهُ اجتهدوا ما استطاعوا على إحياء وترقية الآداب المسيحيّة في البلاد فاطفأوا نيران الفتن وترعوا الاساحة من ايدي الثائرين وقطعوا اسباب ودواعي المخاصمات فكم عزّوا من بائسين وجبروا من مهملين وكم استأصلوا من جراثيم التعاسة والرزء وكم ناهضوا من فساد وازالوا من شرور. فمن هذه الطغمة الثالثة كمن ينبوع صافٍ جرت مياه الفضائل المسيحيّة من دمائه اخلاق وطمأنينة عامّة وسلام يتيّ وحفظ حقوق الافراد والتمدّن الصحيح فكل اوربّة واجب عليها الشكر للقديس فرنسيس لأنها به امكنها حفظ جميع املاكها »

ثمّ حرّض المؤمنين على الدخول فيها مبيّنًا لهم ما سيربحون من فضلها . وقد عاد لاون الثالث عشر في براءات اخرى عديدة وكرّر الثناء عليها ولاسيّما في براءته الصادرة سنة ١٨٨٣ التي اوّلها Misericors Dei Filius . ومثلهُ فعل البابا بيوس العاشر . وفي البراءة التي اشرنا اليها في اوّل هذه المقالة للحبر الاعظم بنسبة هذا العيد المنويّ فصول كنّا نودّ ان نعرّب معانيها البليغة واقوالها المجديّة. وممّا وصفهُ هناك المحبّة والسلام الفضيلتين اللتين اوصى بهما السيّد المسيح وكانا كشعار الرهبانيّة الثالثيّة في كلّ نواحي المعمور مارس بهما ابناء القديس فرنسيس الثالثيّون بمثالهم كما نشروهما بتعاليمهم فدعا امام الاحبار اهل عصرنا اليهما ونحن الآن في حاجة ماسّة الى ممارستهما بعد ما أصيب به العالم من الحرب الكونيّة

وممّا اوصى به ايضًا الحبر الاعظم على مثال الرهبانيّة الثالثيّة العود الى بساطة الحياة والاستنكاف من الاعتناء المفرط بالجسد والحياد عن الازياء النسائيّة الباطلة والملابس الخلاعيّة وكلّ ما ينافي الروح المسيحيّ ويدفع العموم الى الشهوة والفساد

ومما يدلُّ على اعتبار رؤساء البيعة للرهبانيَّة الثالثة النعم العديدة والنفائس المختلفة التي لم يزل الكرسي الرسولي يمنحها للمنتمين الى هذه الرهبانيَّة فهي بعد الرهبانيَّات الكبرى اغنى الجمعيَّات الرهبانيَّة بتلك الكنوز الروحيَّة . وناهيك بها داعياً قوياً يكفي ليحدو بجميع المؤمنين الى ربحها لتمتعهم بسعادة الدارين

٤ الرهبنة الفرنسيسية الثالثة في انحاء الشرق

انَّ اثار القداسة والبرارة التي اجتناها الغرب عن يد الرهبان الثالثيين قد اصاب الشرق منها قسماً صالحاً . وذلك منذ انشاء الرسالات الفرنسيسيَّة في اصقاعنا الشرقيَّة وكان ذلك منذ عهد القديس فرنسيس الذي قدم الى مصر ثمَّ ارسل البعض من تلاميذهِ الى عكَّا والقدس الشريف ثمَّ نمت هذه الرسالة وأنشأت بتمادي الزمان عدَّة اديرة في انحاء سوريَّة وفلسطين وفي جزيرة قبرس . فكان الرهبان يسعون حيثما يحلُّون بان يجذبوا اهل العالم الى الرهبانيَّة الثالثة فوقع كلامهم احسن وقع بين نصارى الشرق واجاب كثيرون الى دعوتهم واعتنقوا بطيب القلب القانون الثالثي . ثمَّ جاء الى سوريَّة الرهبان الكبوشيُّون في القرن السابع عشر فنشروا مثل الفرنسيسيين بين المؤمنين الدعوة الى الرهبانيَّة الثالثة فوجد صوتهم صدى استحسان في قلوب الكثيرين فشاعت هذه الرهبانيَّة خصوصاً في حلب كما يشهد على ذلك كتاب مخطوط في مكتبة الآباء اليسوعيين للاب لاونردوس يشرح فيهِ كلَّ ما يختصُّ بهذا القانون والمنتمين اليهِ والكتاب تاريخهُ سنة ١٧٣٣ يُستدلُّ منهُ انتشار الرهبانيَّة الثالثة في جهات هذه البلاد حيثما كان للآباء الفرنسيسيين اديرة ورسالات . ومما ذُكر هناك في جملة المنتمين الى هذه الطائفة امير من امراء بغداد المتنصِّرين لم يروِ شيئاً عن اخبارهِ

والرهبانيَّة الثالثيَّة في الوقت الحاضر يتبع قانونها كثيرون في القدس الشريف وفي جهات فلسطين والشام ومصر وما بين النهرين تحت ادارة ابناء القديس فرنسيس وهم غالباً يعيشون عيشةً فرديَّة ويقومون بواجباتهم كلٌّ منهم في بيتهِ . وفي بعض الانحاء كما في دمشق وحلب يجتمعون في ايَّام معلومة لإقامة مناسكهم التقويَّة

وقد سعى حضرة الآباء الكبوشيين في تنظيم الرهبانيَّة الثالثيَّة في جهاتنا على صورة اخريات يُعنون بجمعها في بعض أيَّام السنة . باشر بذلك حضرة الاب ريمي المرسل

الغيور ثمّ لما تراكمت عليه الاشغال خلفهُ في هذا العمل التقوي حضرة الاب يعقوب حدّاد الغزيري سنة ١٩٠٦ ومذ ذاك الحين استنفد وسعهُ في تنشيط الاخوان وتنميتهم فنفخ فيهم روحاً جديداً يُشار اليهم بالبنان في تقاهم وعيشتهم الصالحة وغيرتهم وبلَغ حضرتهُ عددهم الى نحو اربعة آلاف لولا انَّ المجاعات والاوبئة في ايّام الحرب أودت بحياة كثيرين منهم

وقد وقفنا على بعض معلومات عن حالة الرهبانيَّة الثالثيَّة في بيروت ولبنان تدلُّ على نجاحها واقبال الاهلين عليها. فانَّ حضرة الاب يعقوب يتولّى اليوم ادارة خمسين شركة من الاخوان رجالًا ونساء انشأها في ٢٥ مكاناً من قرى لبنان وسواحل بيروت كالدامور وجونية وانتيلياس وجبيل وبترون وحارة حريك وشنتير وساحل علما ومعراب وغيرها فيجتمع الاخوان في اوقات معلومة ليسمعوا مواعظ مرشدهم ويجدّدوا نشاطهم في اقام واجباتهم . ولهم عيد سنويّ غاية في الرونق والبهاء وهو يوم عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول يجتمعون فيه من كلّ فجّ وصوب ويلبسون ثوبهم الرهباني ويقضون النهار في العبادة وتوثيق عرى الاخاء فيختبرون «ما اطيب وألذّ ان يسكن الاخوة معاً» . وهذا اليوم قد تعيَّن منذ عهد قريب كعيد الثالثيّين الرسميّ . ومن اعيادهم الرسميَّة ايضاً عيد القديسة اليصابات ملكة المجر التي شرَّفت هذه الرهبانيَّة بعظم قداستها .

وفي الختام نتمنّى للرهبانيَّة الثالثيَّة كلّ ازدهار وانتشار فانَّ العالمين من المسيحيين قلّما يجدون مثلها وسيلة لينجوا من اخطار العالم ويزيدوا فضلًا وصلاحاً ويجلبوا عليهم وعلى عيالهم نعم الله وبركاته العميمة

مطبوعات شرقيّة جديدة

MÉLANGES DE L'UNIVERSITÉ St JOSEPH. T. VIIe, in.-8°, pp. 448, 40 Planches. *Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1921

مجموعة كلّية القديس يوسف

هي مجموعة المكتب الشرقي الذي لم يَعُدْ الى نظامه بعد الحرب . وقد تأخر

الغيور ثمّ لما تراكمت عليه الاشغال خلفهُ في هذا العمل التقوي حضرة الاب يعقوب حدّاد الغزيري سنة ١٩٠٦ ومذ ذاك الحين استنفد وسعهُ في تنشيط الاخوان وتنميتهم فنفخ فيهم روحاً جديداً يُشار اليهم بالبنان في تقاهم وعيشتهم الصالحة وغيرتهم وبلَغ حضرتهُ عددهم الى نحو اربعة آلاف لولا انَّ المجاعات والاوبئة في ايّام الحرب أودت بحياة كثيرين منهم

وقد وقفنا على بعض معلومات عن حالة الرهبانيَّة الثالثيَّة في بيروت ولبنان تدلُّ على نجاحها واقبال الاهلين عليها. فانَّ حضرة الاب يعقوب يتولّى اليوم ادارة خمسين شركة من الاخوان رجالًا ونساء انشأها في ٢٥ مكاناً من قرى لبنان وسواحل بيروت كالدامور وجونية وانتيلياس وجبيل وبترون وحارة حريك وشنتير وساحل علما ومعراب وغيرها فيجتمع الاخوان في اوقات معلومة ليسمعوا مواعظ مرشدهم ويجدّدوا نشاطهم في اقام واجباتهم . ولهم عيد سنويّ غاية في الرونق والبهاء وهو يوم عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول يجتمعون فيه من كلّ فجّ وصوب ويلبسون ثوبهم الرهباني ويقضون النهار في العبادة وتوثيق عرى الاخاء فيختبرون «ما اطيب وألذّ ان يسكن الاخوة معاً» . وهذا اليوم قد تعيَّن منذ عهد قريب كعيد الثالثيّين الرسميّ . ومن اعيادهم الرسميَّة ايضاً عيد القديسة اليصابات ملكة المجر التي شرَّفت هذه الرهبانيَّة بعظم قداستها .

وفي الختام نتمنّى للرهبانيَّة الثالثيَّة كلّ ازدهار وانتشار فانَّ العالمين من المسيحيين قلّما يجدون مثلها وسيلة لينجوا من اخطار العالم ويزيدوا فضلًا وصلاحاً ويجلبوا عليهم وعلى عيالهم نعم الله وبركاته العميمة

مطبوعات شرقيّة جديدة

MÉLANGES DE L'UNIVERSITÉ St JOSEPH. T. VIIe, in.-8°, pp. 448, 40 Planches. *Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1921

مجموعة كلّية القديس يوسف

هي مجموعة المكتب الشرقي الذي لم يَعُدْ الى نظامه بعد الحرب . وقد تأخر

نشرها الى الآن لما نال مطبعتنا الكاثوليكيَّة من الآفات التي كادت تقضي على حياتها . ومع ما لقيهُ اصحاب هذه المجموعة في طريقهم من العثرات قد تمكَّنوا بأيدٍ تعالى من ازالتها . ومن يَرَ هذا الجزء الجديد لا يحسبهُ ادنى مقاماً من زملائهِ السابقين وهو لا يقلّ عن ٤٤٨ صفحة يُضاف اليهِ قسم خاص يحتوي ٤٠ صورة من العاديَّات الموصوفة فيهِ وكلُّها في غاية الاتقان . وهذا فهرست اهمّ المقالات المدرجة فيهِ :

(١ كتابات بلاد قبادوقية وبنطوس للاب دي جرفانيون اليسوعي . (٢ المقابلة بين لغة طنجة العاميَّة ولغة الشام للمرحوم الاب لويس رتزفال اليسوعيّ . (٣ تصوّف الإمام الغزّالي للدكتور اسين بلاسيوس . (٤ دروس آثار شرقيَّة للاب سبستيان رتزفال اليسوعي . (٥ مصانع تارَّانية قديمة في بيروت للاب رينه داريب اليسوعي . (٦ خلافة يزيد بن معاوية . ملحوظات وفهارس للاب هنري لامنس اليسوعي . (٧ فهرس مخطوطات المكتبة الشرقيَّة (الوارد وصفهُ) للاب لويس شيخو اليسوعي . (٨ ليس ابن قتيبة مؤلف كتاب النَّعَم للاب موريس بويج اليسوعي . (٩ خواطر عن علي بن ابي طالب للاب ه. لامنس . (١٠ نقائض جرير والاخطل جمعها ابو غانم للاب انطون صالحاني اليسوعي . (١١ كتابات يونانيَّة مكتشفة في بيروت . للكابيتان ميئيل دوبويسون وللاب رينه موترد اليسوعي . (١٢ ما عرفهُ اللاتين في القرون الوسطى عن فلاسفة العرب . ثمَّ وصف عدَّة مطبوعات ج . لوفنك

Inscriptions grecques de Beyrouth par le Lieutenant du Mesnil du Buisson et le Père René Mouterde

١٠ كرَّاس ذو ١٣ صفحة يحتوي وصف اربع كتابات يونانيَّة اكتشفها حديثاً اللازم دومنيل دو بويسون والاب رينه موترد اليسوعي في بيروت وفسَّرا مضامينها تفسيراً وافياً وفيها عدَّة معلومات لتاريخ مدينتنا القديم

Catalogue raisonné des Manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université de Beyrouth, par le P. L.Cheikho S. J., *fasc.II*, 1921. *pp.* 93-152

١١ هو جزءٌ ثانٍ من وصف مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة تابعٌ لما سبق لنا وصفهُ من المخطوطات التاريخيَّة (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧١٠) يحتوي وصف ٩٥ مخطوطاً منها ١٣ كتاباً تاريخيًّا جديداً ثم ١٤ كتاباً جغرافيًّا ثم ٣٨ كتاباً في علم الهيئة وعلم النجوم ثم ١٢ كتاباً في الطبيعيَّات وفنّ الموسيقى وعلم الاثقال واخيراً ٢٠ كتاباً في الرياضيَّات . على أنَّنا لا نزال آسفين على بعض من المخطوطات الموصوفة التي اخذتها يد اثيمة في مدَّة الحرب ونطلب من ذوي المروءة ان يدلّونا اليها اذا وقفوا عليها

G. Loclerc: HISTOIRE DU MOYEN-AGE. Collection belge de Manuels d'histoire. *Etablissements Casterman. Tournai*, 1919

تاريخ القرون الوسطى

باشر محلّ كسترمان في تورناي من اعمال بلجكة بنشر مجموعة تواريخ لافادة المدارس. وتاريخ القرون الوسطى هو واحد من المجموعة المذكورة يشهد لاصحابه بحصافة العقل وحسن الذوق في انشائه وترتيبه. وهذا الكتاب يستحقّ ان تتّخذهُ المدارس ليست الوطنيّة فقط بل الاجنبيّة ايضاً كدستور لتعليمها التاريخي. وفيه من الفوائد وصادق المعلومات ما يصلح للمعلّمين والمتعلّمين معاً فلا يكاد يفوت شيء مؤلفهُ من تعريف المشاريع المادّية والادبيّة والفنيّة التي امتازت بها الاجيال المتوسّطة مع خلاصة احوالها السياسيّة فيستطيع القارئ الوقوف على حقيقتها دون الخوض في غمراتها. ويزين الكتاب عدّة تصاوير موافقة للمتن ج. ل

F. Mourret: HISTOIRE GÉNÉRALE DE L'EGLISE. T.IX, L'Eglise Contemporaine. 2e partie. 1878-1903, 1 *vol. in*-8. *Paris. Bloud et Gay*, 1921

تاريخ الكنيسة العام. القسم التاسع: الكنيسة العصريّة

التاريخ الكنسيّ العام الذي يؤلفهُ الكاهن موره قد تمّ منهُ تسعة اجزاء بزمن قليل. والقسم الذي نحن بصددهِ هو التاسع من المجموع يتناول تاريخ الكنيسة من السنة ١٨٧٨ الى ١٩٠٣ اعني تاريخ بابويّة الحبر الروماني الطيّب الذكر لاون الثالث عشر روى فيه المؤلف البليغ ما جرى في تلك الحقبة من الامور الدينيّة سواء كان في باطن الكنيسة ام في علائقها مع الدول فبسط كلّ ذلك بنوع واضح وانشاء منسجم مستنداً الى اخصّ التآليف واصدقها. وفي الكتاب فهارس للمواد. غاية في التدقيق وحسن التنسيق ج. ل

Dr Le Bec: CRITIQUE-ET-CONTRÔLE MÉDICAL DES GUÉRISONS SURNATURELLES. 1 vol., in-16. Paris, Beauchesne, 1920

انتقاد وتحقيق طبي للشفاءات العجيبة الفائقة الطبيعة

أقيم صاحب هذا الكتاب الدكتور لوباك رئيساً على اللجنة التي تفحص في مدينة لورد المرضى الواردين اليها طلباً للشفاء من العذراء البتول فكتب سنة ١٩١٧ تأليفاً

بهذا العنوان البيّنات الطبيَّة على صحَّة عجائب لورد حيث اثبت انهُ ممكن تحقيق بعض الشفاءات العجيبة الجارية هناك ونسبتها الى قوَّة فائقة الطبيعة وذلك ببراهين مقتبسة من العلوم الطبيَّة . وها هوذا قد اضاف الى كتابهِ تأليفاً آخر خصَّهُ بانتقاد العلل وتشخيصها واسبابها وعلاجها الطبي ثمَّ روى على عكس ذلك ما يجري في لورد من الشفاءات على طرائق مخالفة لكلّ ما يقرّرهُ الاطباء في تآليفهم وامتحاناتهم . وهذا الكتاب من شأنهِ ان يقنع كلّ رجل صائب الادراك يطلب باستقامة الوقوف على حقيقة عجائب لورد طبياً كان او لا ج . ل

Pierre Redan: LA CILICIE ET LE PROBLÈME OTTOMAN avec préface de M. R. Pinon, *in-12, Gauthier-Villars, Paris,* 1921

قيليقية والمسألة العثمانيَّة

قال المسيو بيدون في مقدّمة هذا التأليف : « انَّ هذا الكتاب قد اتانا بمعلومات راهنة وحديثة عن قيليقية » . والحقّ يقال انَّ المسيو ريدان مؤلفهُ جدير بهذا الثناء لانهُ عرف ان يجمع في كتاب صغير الحجم معلومات واسعة واحكاماً صادقة تدلُّ على حسن نظرهِ وكثرة ابحاثهِ فانَّهُ افتتح كلامهُ بتعريف جغرافيَّة البلاد وسكَّانها وبيان عناصرهم واديانهم واخلاقهم ثمَّ روى ما جرى من الامور بعد دخول الفرنسويين الى قيليقية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ثمَّ خصَّ فصلاً بمحصولات قيليقية وخصب تربتها وما يؤمل من ارباحها لو أُحسن القيام باستثمارها . ثمَّ يفحص ما هناك من المشاكل السياسيَّة معلناً باعتدالهِ في حكمهِ دون ميلٍ خاصّ الى الارمن او الى الاتراك فيقرّ بما للاوَّلين من المطالبات غير المعقولة لكنَّهُ يبيّن ايضاً انَّ للكماليين مدَّعيات لا حدَّ لها . ومما يثبتهُ هناك انَّ عدد النصارى في قيليقية على ما ورد في جداول الاتراك الرسميَّة ٢١٥،٠٠٠ والمسلمين ١٨٥،٠٠٠ امَّا العنصر التركي فقليل جدًّا . ثمَّ بيَّن سوء نيات الكماليين والاتراك خلافاً لما اشاعهُ المسيو لوتي وعدَّد مظالمهم وخيانتهم اذ قتلوا ٣٠٠ جندي فرنسوي وسبعة الى ثمانية آلاف ارمني في مرعش واذ خانوا الرابطة الفرنسويَّة في اورفة سنة ١٩٢٠ بعد ان صدَّقوا على معاهدة الصلح . ثمَّ يستقري الكاتب ما في قيليقية من العناصر ليبيّن علائقها مع الدولة الفرنسويَّة . فهو يثني اوَّلاً الثناء الطيب على الطوائف الكاثوليكيَّة وعلى المرسلين اللاتين الذين بمشروعاتهم

المختلفة حبّبوا فرنسة الى اهل الشرق حتّى صار اسم الفرنسويّ مرادفاً لاسم الكاثوليكيّ ثم يذكر الارمن وخواصهم المميّزة لهم عن بقيّة الطوائف وهو يشجي اليهم باللائقة في بعض الامور لكنّهُ يزكّيهم في كثير منها ويُطري نخوتهم في عينتاب وحجين حيث فقدوا عشرة الاف نفس في السنة ١٩٢٠ لسبب تطلّعهم بفرنسة وهم مستعدّون في كلّ وقت للانضمام اليها على شرط ان تعضدهم وتصونهم من ضربات اعدائهم . وقد ختم الكاتب كلامهُ بذكر ممثلي فرنسة حاضراً في قيليقية وما نالوهُ من الاعتبار بحسن تصرّفهم بين اهلها ولاسيّما بدراية وحكمة الجنرال دوفيو الذي لا ينقصهُ شيء لبسط السلام في تلك الانحاء بشرط ان تمدّهُ الدولة بالمساعدات اللازمة

الاب ف . تورنبيز

Comte Emmanuel de Rougé : Manifestations diaboliques contemporaines, *in*-12, *Paris*, *Téqui*, 1921

الظواهر الشيطانية العصريّة

قد سبق للابوين يوسف مونجان ويوسف منسى مقالتان في المشرق عن السبيريتسم حيث تتبّعا تاريخ المذهب الروحاني ومظاهر انهِ المختلفة وما يدخل في كثير منها من الخزعبلات ومكر النصّابين مع تعريفهما بأحكام الكنيسة في بعضها التي لا يُستطاع نسبتها الى غير قوى خارجة عن الطبيعة المحسوسة اعني الى الارواح الشريرة . وهذا الكتاب المعنون آنفاً يؤيّد هذا الحكم بما يرويهِ من عدّة وقائع ظهر فيها جليّاً عمل الابالسة خزاهم الله . على انّنا نقرّ بانّ المؤلف وهو الكونت مانويل دي روجه قد تجاوز حدود الاعتدال في بعض آرائهِ لاسيّما في ما كتبهُ عن المغناطيسيّة والتنويم اللذين لم تبتّ الكنيسة فيهما حكماً نهائيّاً الى الان ل . ش

F. Cocart (l'abbé): ENFANT QUE FERAS - TU PLUS TARD ? in-16°. pp. XIII-66. Paris, Pierre Téqui., 82 rue Bonaparte

ماذا تريد ان تصنع يا بني في مستقبل حياتك ؟

انّ العدد العديد من الكهنة الذين ذهبوا ضحيّة الحرب في فرنسة أخلى كثيراً من الامكنة من رُعاتها فتلق الاساقفة من جرّاء ذلك واخذوا يسعون في تلافي هذا الضرر العظيم بتنمية عدد المترشحين للدعوة الاكليريكيّة وهذا الكتاب الصغير مما يمهّد الطريق لكثير من الاولاد ليجحدوا العالم وينتظموا في سلك الاكليروس . فان

الكاهن مؤلفهُ يوجه الكلام الى الناشئة بين السنّ العاشرة الى الرابعة عشرة ويفسّر لهم ما هي الدعوة الكهنوتيَّة وكم عظيم هو شرفها وكيف يمكن الولد ان يميّز هذه الدعوة وبأي واسطة يستطيع ان يتبعها ويغلب العوائق التي تحولهُ دون تلبية صوت الله لاسيّما من قبل والديهِ اللذين لا تجيزلهما الذمّة بان يتصدّيا لدعوة اولادهما . فهذا الكتاب يصلح ان يتّخذهُ الكهنة كدستورهم في ارشاد الشبيبة ومساعدة الاولاد في ادراك دعوتهم ويا حبّذا لو عرّبهُ احد الغيورين ليجني من ثمارهِ الشهيَّة اهل الشرق فيزيدوا اعتبارًا للدعوة الاكليريكيَّة ويساعدوا طوائفهم في تهذيب كهنة صالحين كما يريدهم الله ويحتاج اليهم المؤمنون الاب ي . ديلنسيغر

التأملات اليوميَّة في الحقائق المسيحيَّة والاكليريكيَّة

للاب شيفاسي عرَّبهُ القس مبارك ثابت الديراني اللبناني

المجلَّد الاول . طبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد ١٩٢٠ (ص ٣١٢)

بين الاسباب التي تساعد على تفاقم الشرور في الارض ما قالهُ ارميا النبي (١٢ : ١١) : « قد خُرِبت الارض كلّها لأنَّهُ لا انسانٌ يتأمّل في قلبهِ » فلو كان المسيحيون يصرفون نظرهم الى اعتبار الحقائق الابديَّة لارتدُّوا الى الصلاح وعاشوا بالتقى وممارسة الفضيلة . وها هوذا كتاب يحسن بهم أن يتّخذوه كدليل للحياة الفضلى يحتوي لكل يوم من ايّام السنة تأمّلًا في احد اسرار حياة السيّد المسيح وتعاليمه السماويَّة قد نقلهُ حضرة رئيس دير بحنين القس مبارك ثابت من الافرنسيَّة نقلًا محكمًا بلغة فصيحة وهو مقسم الى اقسام سهلة ثمَّ يُشرح كلّ قسم شرحًا وجيزًا نظريًا وعمليًا يرشد المتأمل الى كلّ واجباتهِ نحو خالقه ونحو قريبهِ ونحو نفسهِ . فنحضّ كل المؤمنين ولاسيّما الكهنة والرهبان والاكليريكيّين على مطالعتهِ واجتناء اثمارهِ الطيّبة ل . ش

التعليم الوطني اللبنانيّ

من آثار جمعيّة المساعي اللبنانيّة في مصر

طبع بمصر في مطبعة الهلال سنة ١٩٢١ (ص ٦٨)

غاية مؤلفي هذا الكتاب ان يرشدوا اللبنانيّين منذ حداثة سنّهم في المدارس الى معرفة واجباتهم الوطنيَّة . ولذلك قد وضع على طريقة التعاليم المدرسيّة بالسؤال والجواب وهو يُقسم الى ثلثة ابواب : الاوَّل في الوطن اجمالًا لتعريف لبنان واسمهِ

وحدوده وعناصره ومميزاته وبعض تاريخه . والثاني في حبّ الوطن واصل هذه الغريزة واسبابها والادلة على خلوص الوطنية وصدقها . والثالث في الواجب نحو الوطن بخدمته والسعي في ترقيه وبذل المال سدًا لنفقاته العمومية والدفاع عنهُ بالخدمة العسكرية . فمن هذه الخلاصة يستدلّ القرّاء على حسن نيّة واضعي هذا الكتاب ليعدّوا للبنان رجال الغد الذين سيتولّون تدبيره لاسيّما اذا فاز الجبل بالاستقلال التامّ وفي الكتاب بعض شوائب خفيفة يحسن اصلاحها في طبعة ثانية . (ص ١٢) منذ اكتشاف رسالات العمارنة صار مرجع تاريخ سواحل فينيقية الى ١٥٠٠ سنة قبل المسيح . (ص ١٦) قد ثبتَ اليوم لدى العلماء ان احرف الهجاء ليست من اختراع الفينيقيين وانّما ساعدوا كثيرًا على نشرها . ثمّ نسي المؤلف في تلك الصفحة ان يذكر بيروت في جملة اشهر المدن الفينيقيّة القديمة . (ص ١٤) الخدمة العسكرية العمومية في نظر الفلسفة الصحيحة ليست بالامر المقول وانّما يكفي ان يخصّ للدفاع عن الوطن فرقٌ منظّمة اختياريّة تقوم الدولة بنفقاتها ل . ش

يا للحيف : انتقاد قرار الديون

بقلم عبدالله رزق الله خير

بيروت ١٩٢١ (ص ٤٢ + ٤٦)

قد عرف القرّاء جهاد صديقنا الاديب ع . و . خير في امر الديون المعقودة وقت الحرب وما عرضهُ من الوسائط لحلّ هذا المشكل الكبير واذ لم يجد كلامهُ اذناً صاغية عاد الى المسألة في هذه الكرّاسة كتبها في اللغتين العربيّة والافرنسيّة رجاء ان يتدرك الامر اصحابهُ وينال كلّ ذي حقّ حقّهُ . وانّما كنّا وددنا لو اكتفى الكاتب بعرض افكاره بايضاح واعتدال متحايدًا عن كل كلمة جارحة لعواطف الذين لم يجروا على رأيه . وعسى ان ينظر أولو الامر الى تقريره بعين الرضى والقبول ل . ش

غاية الحياة

محاضرة بقلم مَيّ . مطبعة المقتطف بمصر ١٩٢١ (ص ٢٢)

يسرّنا أن نرى سيّدات فاضلات كالمحجوبة تحت اسم مَيّ يسعين في نهضة بنات جنسهنّ والحديد بالحديد يُفلح وبنا انهنّ اعلم بالداء ربّما كنّ ايضاً اخبر بالدواء . وقد قرأنا بلذّة هذه المحاضرة في غاية الحياة وقد حاولت الكاتبة الفاضلة ان تعدل

بالنساء عمّا ينخدعن بهِ من اعراض العالم وحطامهِ وتحوّل نظرهن الى ما هو انفع لهنّ واجدى لميالهنّ ولخدمة الوطن وللمجتمع الانساني بتهذيب نفوسهنّ والعمل المفيد والآداب النسائيّة الفضلى . وكنّا وددنا لو سكتت (ص١٥) عن « السفّاحة ماري تيودور» اي ماري تودور (M. Tudor) فانّ في هذه التسمية من تحامُل اعدائها البروتستانت ما لا يجهلهُ مؤرخ مُنصف وانّما السفّاحة الظالمة الاثيمة اختها الملكة اليصابات قاتلة ماري ستوار والوف من افاضل بلادها ومن الكاثوليك الابرار ل . ش

شذرات

﴿ الكليّات الكاثوليكيّة في الولايات المتحدة ﴾ من اجلى الشواهد على انّ الدين حليف العلم وان رافعي لواء الكثلكة هم ايضاً في مقدّمة رافعي منار العلم ما نشاهدهُ اليوم من الازدهار العجيب في الكليّات الكاثوليكيّة بالولايات المتحدة . فانّ عددها قد بلغ في غرّة هذا العام ٢٢ ويضمّ مجموعها نحو ١،٩٠٠ استاذ و ٣٠،٨٤٩ تلميذًا وكل هذه الكليّات تحت ادارة رهبنات شتى ولاسيما اليسوعيين فانّ لهم وحدهم اثنتي عشرة كلية جامعة ولا يُستثنى من ذلك الحكم العامّ سوى كليّة واحدة يُديرها كهنة عاليون . وهاك جدول اعظم تلك الكليات باعتبار عدد الطلبة وفقاً لاحصاء غرّة هذه السنة :

١ كلية ماركيت لليسوعيين	في ميلوُكي	وبها	٣,٦١٢ طالبًا
٢ كلية فُردهام لليسوعيين	في نيويرك	وبها	٢,٩٢٤ طالبًا
٣ كلية سان لويس لليسوعيين	في سان لويس	وبها	٢,٦٧٠ طالبًا
٤ كلية نتردام دولاك (Notre Dame Du Lac)	في نُتردام	لجمعية الصليب المقدس	وبها ٢,٤٦٠ طالبًا
٥ كلية القديس منصور دي بول	في شيكاغو	لجمعية رسالة هذا القديس	وبها ٢,٢٩٥ طالبًا
٦ كلية جورجتَوْن لليسوعيين	في واشنطن		وبها ٢,٢٦٢ طالبًا
٧ كلية دوكان (Duquesne)	في بتسبرغ	لجمعية الروح القدس	وبها ٢,٢٢١ طالبًا
٨ كلية لويولا لليسوعيين	في شيكاغو		وبها ٢,١٠٠ طالب

بالنساء عمّا ينخدعن بهِ من اعراض العالم وحطامهِ وتحوّل نظرهن الى ما هو انفع لهنّ واجدى لميالهنّ ولخدمة الوطن وللمجتمع الانساني بتهذيب نفوسهنّ والعمل المفيد والآداب النسائيّة الفضلى . وكنّا وددنا لو سكتت (ص١٥) عن « السفّاحة ماري تيودور» اي ماري تودور (M. Tudor) فانّ في هذه التسمية من تحامُل اعدائها البروتستانت ما لا يجهلهُ مؤرخ مُنصف وانّما السفّاحة الظالمة الاثيمة اختها الملكة اليصابات قاتلة ماري ستوار والوف من افاضل بلادها ومن الكاثوليك الابرار ل . ش

شذرات

﴿ الكليّات الكاثوليكيّة في الولايات المتحدة ﴾ من اجلى الشواهد على انّ الدين حليف العلم وان رافعي لواء الكثلكة هم ايضاً في مقدّمة رافعي منار العلم ما نشاهدهُ اليوم من الازدهار العجيب في الكليّات الكاثوليكيّة بالولايات المتحدة . فانّ عددها قد بلغ في غرّة هذا العام ٢٢ ويضمّ مجموعها نحو ١،٩٠٠ استاذ و ٣٠،٨٤٩ تلميذًا وكل هذه الكليّات تحت ادارة رهبنات شتى ولاسيما اليسوعيين فانّ لهم وحدهم اثنتي عشرة كلية جامعة ولا يُستثنى من ذلك الحكم العامّ سوى كليّة واحدة يُديرها كهنة عاليون . وهاك جدول اعظم تلك الكليات باعتبار عدد الطلبة وفقاً لاحصاء غرّة هذه السنة :

١ كلية ماركيت لليسوعيين	في ميلوُكي	وبها	٣,٦١٢ طالبًا
٢ كلية فُردهام لليسوعيين	في نيويرك	وبها	٢,٩٢٤ طالبًا
٣ كلية سان لويس لليسوعيين	في سان لويس	وبها	٢,٦٧٠ طالبًا
٤ كلية نتردام دولاك (Notre Dame Du Lac)	في نُتردام	لجمعية الصليب المقدس	وبها ٢,٤٦٠ طالبًا
٥ كلية القديس منصور دي بول	في شيكاغو	لجمعية رسالة هذا القديس	وبها ٢,٢٩٥ طالبًا
٦ كلية جورجتَوْن لليسوعيين	في واشنطن		وبها ٢,٢٦٢ طالبًا
٧ كلية دوكان (Duquesne)	في بتسبرغ	لجمعية الروح القدس	وبها ٢,٢٢١ طالبًا
٨ كلية لويولا لليسوعيين	في شيكاغو		وبها ٢,١٠٠ طالب

ويلي هذه الكليات الثاني الفائق عدد طلبة كل منها الالفين اربع اخرى يزيد في كل منها عدد التلامذة على الالف

ومما يبيّن فضل هذه الكليات الكاثوليكيّة المقابلة بينها وبين الكليات البروتستانيّة فانّ طلبة الكليّات البروتستانيّة لا يرضون بالانقياد لايّ نظام كان فينبذون اوامر روسائهم الّا اذا وافقت اهواءهم وذلك لما طُبعوا عليهِ من روح الاستقلال والحريّة المفرطة . على خلاف تلامذة الكليات الكاثوليكيّة فانّ الدين اصلح كثيرًا أخلاقهم القوميّة لاسيّما لمواظبتهم على الاسرار المقدّسة ومنذ نُشرت في كلّ انحاء العالم براءة البابا بيوس العاشر في التناول المتواتر قد اقبل عليهِ الطلبة الكاثوليك كلّ اقبال. ففي اثنا الصوم الاربعيني في العام المنصرم بلغ عدد المناولات بين طلبة احدى الكليّات الكاثوليكيّة الكبرى في الولايات المتّحدة كليّة نُتردام في مدينة انديانة ٢٥،٠٠٠ وكان عددها يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ يوميًا في بقيّة ايّام السنة

الاب ر . نخله

﴿حامل كفنهِ﴾ قرأنا في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة ليدن ٢ : ١٨٢) ما حرفهُ : « في سنة ٢٩٩ (٩١١ م) توفي محمّد بن يحيى بن محمّد البغدادي المعروف بحامل كفنهِ كان فاضلًا وقع لهُ غريبة وهو انهُ مرض فأُغمي عليهِ فغُسل وكُفّن ودُفن فلمّا كان الليل جاءهُ نبّاش فنبش عنهُ فلمّا حلّ اكفانهُ ليأخذها استوى قائمًا فخرج النبّاش هاربًا فقام هو وحمل اكفانهُ وجاء الى منزلهِ واهلهِ وهم يبكون عليهِ فدقّ الباب فقالوا : مَنْ . فقال . انا فلان . فقالوا : يا هذا لا يحلّ لك ان تزيدنا على ما نحنُ فيهِ . فقال : افتحوا فوالله انا فلان . فعرفوا صوتهُ وفتحوا لهُ وعاد حزنهم فرحًا وسُمّي من حينئذٍ «حامل كفنهِ» سكن حامل كفنهِ دمشق وحدّث بها »

﴿مدينة الزهراء في الاندلس﴾ ورد في تاريخ ابن تغري بردي عن بناء هذه المدينة ما يلي : « في تاريخ سنة ٣٢٥ (٩٣٧ م) أسّس امير المؤمنين الناصر لدين الله الاموي مدينة الزهراء . وكان منتهى الإنفاق في بنائها كلّ يوم ما لا يُحدّ . كان يدخل فيها كلّ يوم من الحجر المنحوت ستّة آلاف صخرة سوى الآجرّ وغيرهِ وحُمل اليها الرخام من اقطار الغرب ودخل فيها اربعة آلاف وثلثمائة سارية واهدى لهُ ملك الفرنج اربعين سارية رخام واما الورديّ والاخضر فمن افريقية والحوض المذهّب

جلب من قسطنطينيَّة والحوض الصغير عليهِ صورة اسد وصورة غزال وصورة عُقاب وصورة ثعبان وغير ذلك والكلّ بالذهب المرصَّع بالجوهر وبقوا في بنائها ستَّ عشرة سنة . وكان ينفق عليها ثلث دَخل الاندلس وكان دَخل الاندلس يومئذٍ خمسة آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف درهم . . وبين هذه المدينة اعني الزهراء وبين قرطبة اربعة اميال وطولها الف وستمائة ذراع وعرضها الف وسبعون ذراعاً . . ولم يُبْنَ في الاسلام احسن منها لكنَّها صغيرة بالنسبة الى المدائن وكان بسورها ثلثمائة بُرج وعُمل ثلثها قصوراً للخلافة وثلثها للخدم وثلثها الثالث بساتين . . وقيل انهُ عُمل فيها بحرة ملأها بالزئبق وكان يعمل فيها الف صانع مع كلّ صانع اثنا عشر أجيراً وقد أُحرقت هذه المدينة وهدمت في حدود سنة ٤٠٠ (١٠٠٩ م) وبقيت رسومها وسورها »

﴿ فقيدان عزيزان من تلامذة كليتنا ﴾ اولهما غبطة كيرلس مكار بطريرك الاقباط سابقاً استأثر الله بهِ في ١٨ ايَّار الماضي وكان المرحوم قد تلقَّى في مدرستنا الاكليريكيَّة علومهُ الكهنوتيَّة ولهُ عدَّة تآليف تُعرب عن سعة مداركهِ . كان فُصل عن رئاسة طائفتهِ لاسباب يطول شرحها فأتت الحرب الكونيَّة وهو يعيش بيننا بكل سذاجة وتُقى فمات مزوَّداً بكل اسرار الكنيسة وقد انجز بضع ساعات قبل وفاتهِ كتاباً فنَّد فيهِ ما شاع باسمهِ من الاعتراضات على سلطة الكنيسة . والثاني هو احد مكاتبي مجلَّتنا فقيد الادب والدين والوطن المرحوم سليم اصفر توفّي وهو في عزّ كهولتهِ في ١٤ حزيران بعد حياة كلُّها صلاح وعمل في خدمة آلهِ الكرام ووطنهِ . وقد ابقى في مجلَّة المشرق وجريدة البشير وكتاب لبنان عدَّة آثار تُنبئ بمعارفهِ الواسعة في الفنون الزراعيَّة والصناعية وقد استعدَّ لملاقاة ربّهِ استعداد المسيحيّ الصادق بل الراهب الورع . افاض الله سجال رحمتهِ على الفقيدين العزيزين

﴿ خديعة ماسونيَّة ﴾ اخبرنا الثقة من اصحابنا انَّ احد المنتسبين الى الشيعة الماسونيَّة ادخلهُ بيتهُ وأراهُ صورة السعيد الذكر البابا بيوس التاسع . وعليهِ الاوشحة الماسونيَّة مدَّعياً انَّ ذاك امام الاحبار كان داخلاً في الماسونيَّة . فسألنا ما رأينا في ذلك . جوابنا انَّ هذه من اكاذيب الفرمسون وترَّهاتهم التي يكفي لتفنيدها ذكر براءات هذا البابا التي وجَّهها الى عموم الكنيسة فرشق الشيعة الماسونيَّة بسهام الحرم المحفوظ

حاله للحبر الاعظم راجع كراسنا الرابع السرّ المصون في شيعة الفرمسون (ص٩) فلو كان هو احد ابناء الشيعة ما لهم سكتوا ولم يذكروه بانضوائه سابقاً الى جمعيتهم . فانظر يا رعاك الله صحة ما قلناه قبلاً انّ كلّ اعمال الماسونيّة مراء ونفاق تجري على حسب تعليم احد زعمائهم ڤولتير «اكذبوا اكذبوا فلا بُدّ ان يبقى من كذبكم بعض الاثر»

﴿ المقتطف واليسوعيّون ﴾ سرّنا ما قرأناه في عدد المقتطف الاخير لشهر حزيران عن بعض آثار اليسوعيّين العلميّة كمقالة الاب كورتي اليسوعيّ عن النجوم الجديدة (ص ٥٤٥) وقد عرفنا الاب المذكور اذ كان يشتغل في مرصدنا الشهير في ستونيهرست (راجع المشرق ٩[١٩٠٦]: ٨٩٨) . وكذكره مقالات الاب هنري لامنس في المشرق (ص ٥٤٠) ومقالات الاب جوليان في البشير . وكاطرائه لمرصد سكاوي في الصين وما نالهُ الآباء اليسوعيّون من الامتيازات الشرفيّة لاشغالهم الفلكيّة هناك (ص ٦١٢) فنشكر الرصيفة على حسن ظنّها بعلماء رهبانيّتنا وقلّما قرأنا في صفحاتها شيئاً من ذلك سابقاً

﴿ عاديّات قدس ﴾ قدس مدينة قديمة أصبحت في الالف الثاني قبل المسيح عاصمة الحثّيين فاشتهرت بحضارتها . وقد فتحها رعمسيس الثاني في القرن السادس عشر قبل المسيح . ثمّ خربت بعد ذلك ولم يبق منها سوى ردوم تعرف في يومنا بتل نبي مندو . وقد باشر فيها العلماء الفرنسويون آخراً حفريات اوقفتهم على عاديّات شتّى من جملتها كتابة لرعمسيس الثاني فاتح المدينة وقد نُقلت آخراً الى متحف بيروت

﴿ المجمع العلميّ العربيّ في دمشق ﴾ قد اسعدنا الحظّ في رحلتنا الاخيرة الى عاصمة الشام ان نجتمع باعضاء المجمع العلمي العربي للافاضل الذي يسعون طاقة جهدهم في رفع منار العربيّة وآثارها . فوجدنا في رئيسهم الهمام محمّد افندي كرد علي وفي جميع اصحاب المجمع من الحفاوة باهل العلم والهمّة في ترقية العلوم الشرقيّة ما وطّد أملنا في نجاح مساعيهم الطيّبة . وكفى دليلاً على ذلك مجلّة المجمع التي ظهر منها اربعة اعداد حافلة بالمقالات الحسنة في كلّ ابواب الكتابة . زاد الله المجمع المذكور رقياً ونجاحاً

— وفاة الكاتبة زينب فوّاز — نقلنا في عددنا السابق (ص٤٧٥) عن مجلّة العرفان ان زينب فوّاز العامليّة «توفيت في غضون الحرب» وقد افادنا احد أدباء مصر انّ وفاتها وقعت في ٢٠ صفر ١٣٣٢ (١٩ ك ٢ ١٩١٤) اي قبل الحرب بعدّة اشهر فوجب التنبيه

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الكهنة أيجوز أن تُحل الملّة عن الخطايا لكاثوليكيّ منتمٍ الى الشيعة الماسونيّة ؟

المنتمون من الكاثوليك الى الشيعة الماسونيّة

ج قد صرّح المجمع المقدّس غير مرّة بأن الكاهن لا يستطيع ان يحلّ كاثوليكيًا منتميًا الى الشيعة الماسونيّة ما لم يجحد الشيعة بتاتًا ويقطع جهارًا كلّ علاقة مع اهلها

س سألنا احد المرسلين الفرنسيسيين في الصين أيوجد شهادة قديمة في كتب السريان او الكلدان عن تبشير القديس توما الرسول في بلاد الصين ؟

تبشير القديس توما الرسول في بلاد الصين

ج نعم قد وردت في ذلك شهادة في الطقس الكلداني في تسابيح عيد القديس توما تجدها في طبعة المرحوم الطيب الذكر الاب بولس بدجان اللازري (الجزء الثالث الصفحة ٤٧٦) هذا نصّها :

ܒܝܕ ܬܘܡܐ ܫܠܝܚܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܐܦܝܬܘܗܝ ܕܗܢܕܘ ܥܡ ܡܢܝܢܘܬܐ ܕܝܢܐ ܬܘܒܘ ܠܐܡܬܐ ܕܫܪܪܐ ܠܗ ܡܢܗܝܢ ܥܡ ܚܝܠܬܐ ܕܝܢܐ ܠܡܪܕܘܬܐ

تعريبها : « بواسطة مار توما تلاشت اضاليل الوثنيّة من بين اهل الهند . بواسطة مار توما الصينيّون ايضاً مع الجيش رجعوا الى الحق » . وقد اثبت العلماء ان هذه الصلوات الكلدانيّة من اقدم الآثار الكنسيّة ترتقي الى نحو القرن الرابع للمسيح

ومن الآثار الصينيّة التي تؤيّد صحّة هذا الخبر قولهم انّ رجلًا من الزهّاد اسمهُ « تامو » قدم من الغرب الى الصين وكان على صدره صليب وبشّر بشريعة الهيّة . فتامو هذا الذي يكرمهُ الصينيّون كأحد الفلاسفة العظام ويصوّرون صورتهُ في معابدهم قد ذهب كثير من العلماء انهُ الرسول توما[1] . والله اعلم ل . ش

[1] اطلب L. Gaillard s. j ; *Croix et Swastika, p.* 80 *ss* 9.

المشرق

المئة الثالثة لوفاة يسوعيَّين جليلَين

القديس يوحنا بركانس والمكرم الكردينال بلرمين

للاب لويس شيخو اليسوعي

يقول الروح القدس في الاسفار المقدَّسة ان ذكر الصدّيقين يثبت على طول الزمان وها نحن نجد مصداقاً على صحّة هذا القول في تذكار المئة الثالثة لرجلَين من عبيد الله توفيا بمثل هذه السنة في رومية العظمى لم يكد يفصل بين موتهما الصالح شهر واحد زيد بهما شاباً بلجيكيًّا مرآة البرارة انتقل الى جوار ربّهِ في عزّ شبابهِ يُدعى يوحنا بركانس وشيخاً كبيرًا زيَّن كنيسة الله مدَّة ثمانين سنة بعمق فضلهِ وسعة علومهِ وقداسة حياتهِ يعرفهُ الشرق والغرب معاً المكرَّم الكردينال بلرمينس الايطالي. فانَّ بلجيكة وايطالية يتباريان في اكرام هذين الرجلين العظيمين اللذين شرَّفا ذينك القطرين في مدَّة حياتهما كما سترى وماتا جنباً لجنب في عاصمة الكثلكة بعد ان التمس الشاب بركة الشيخ الجليل وشهد الشيخ على برارة الشاب وسامي فضلهِ

١ القديس يوحنا بركانس

هو الزنبقةُ اليقق التي ابهج بهاؤها نظر السماء والوردةُ العطرة التي سرَّت الكنيسة بأريجها والمحرقةُ التي تنسَّم الله رائحتها الذكيَّة بالرضى. قال احد الفلاسفة انَّهُ لا يعرف على الارض مشهداً اجمل واشهى من نظر شابٍ عاش بارًّا ومات بارًّا دون ان يدنّس ثوبهُ بجأة الخطيئة. ويوحنَّا بركانس في مقدَّمة الذين يستحقُّون هذا الثناء الطيّب كما تثبتهُ شهادة الوفر من الشهود العيان الذين صحبوهُ في كلّ ادوار حياتهِ

الشاب الصالح

كان مولد يوحنا بركمانس في ١٣ آذار سنة ١٥٩٩ في مدينة صغيرة من اقليم برابنت من اعمال بلجيكة تدعى دينست ليست بعيداً من حاضرة لوفان . وكان والداه اغنى بالخيرات الروحيَّة منهما بغنى العالم فلم يألوا جهداً في تربية ابنهما وكان بكر اخوته الخمسة الذين اشتهر منهم ادريان فبشَّر بالايمان في جزائر الفيليبين في رهبانية الاوغسطينيين ثمَّ شرل الذي خلف اخاهُ في الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ سميُّهُ يوحنا الذي اقترن بالزواج وبعد وفاة قرينته دخل في مصاف الكهنوت وصار قانونياً على كنيسة مدينته سان سولبيس التي كان خدمها سابقاً كوافه

ففي هذه التربة نبتت تلك الغرسة المختارة فنمت وترعرعت مشمولة بنظر السماء والارض فلم يكد الولد يبلغ سنَّ الرشاد حتَّى اظهر من الفضائل ما لم يُعهَد في امثاله من تُقى ووداعة وصبر على الاوجاع وإكرام للوالدين حتَّى قيل فيه كما قيل في سميِّه القديس يوحنا المعمدان : «ما عسى ان يكون هذا الصبيّ»

وكان مع حداثة سنه ينهض باكراً من الفراش فيسرع الى الكنيسة ليخدم هناك قدَّاسين او ثلاثة قدَّاسات بكل ورع وتقوى . وثبت على عادته هذه الحميدة حتَّى في ايَّام دروسه قبل ذهابه الى المدرسة . وكان اذا وجد في نهاره فراغاً من الشغل بادر الى مناجاة الله في الصلاة وهو يجد فيها من العذوبة والسلوان ما يصغِّر في عينه الالعاب واللاهي الصبيانيَّة

باشر يوحنا الدرس في السنة السابعة من عمره وانكبَّ عليه بمنتهى الرغبة والنشاط . وكان الله انعم عليه بذهن ثاقب وفؤاد ذكي فما لبث ان فاق على اقرانه واضحى لهم قدوةً في طلب العلم كما كان مثالهم في الفضيلة

ولمَّا بلغ العاشرة من عمره شعر في باطنه بدعوة الله الى العيشة الاكليريكيَّة فاستعدَّ لها بدرس اللغة اللاتينيَّة ومبادئ العلوم . واذ رأى انَّ والديه لا يستطيعان القيام بنفقة دروسه دخل بيت احد الرهبان المدعو بطرس إمريك الذي كان جمع في داره بعض الفتية النجباء ليُعنى بتهذيبهم ويخرِّجهم على الآداب الكهنوتيَّة . فانضمَّ

يوحنـاً اليهم ليخدمهم ويكتسب بخدمتهم معاشهُ ويواصـل بصحبتهم دروسهُ الاكليريكيَّة

فما مرَّ على الاب امريك بضعة ايَّام حتَّى عرف ايَّة درَّةٍ ثمينة ربحهـا فلم يعتبر يوحنَّا كخادمٍ بل كملاكٍ يعرضهُ على فتيتهِ ليتشبَّهوا بهِ في حركاتهِ وسكناتهِ . فكان هو صباح مساء ساعياً في كل حاجاتهم لم يدع واحداً منهم يأخذ عليهِ خللاً في خدمتهِ بل كان يسبق رغائبهم ويؤدي لهم خدماً اختياريَّة لم يكن مضطرًّا اليها

ومن العجب العجاب انَّ هذه الاشغـال لم تعُقهُ عن النجاح في دروسهِ ولا عن اتمام رياضاتهِ الروحيَّة . فكان اذا فرغ من خدمتهِ اسرع الى كتابه او جثا راكعـاً امام صورة تقويَّة للبتول العذراء مريم التي رضع مع الحليب عبادتها وكرَّس نفسهُ لها في مزارٍ قريب يُدعى مونتاغو كان يتردد اليهِ لاكرامها . واذ حظي في تلك الاثناء بالتقرُّب لاوَّل مرَّة من المـائدة الالهيَّة زادهُ القربان الاقدس حرارةً حتَّى خيل لرفقتهِ انهُ احد الارواح السماويَّة المتقمصة بجسم بشريّ

بقي يوحنَّا ثلث سنين في خدمة الاب امريك وتـلامذتهِ ومع كونهِ لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمرهِ كان نبغ في دروسهِ الثـانويَّة وهو يستعدّ لختامهـا بالدروس البيانيَّة والخطابيَّة . بيد انهُ في غضون ذلك قد جرت لهُ محنٌ كادت تقطع آمالـهُ من دعوتهِ الاكليريكيَّة فانَّ والدتهُ أُصيبت بمرض مزمن وشعر ابوهُ بعجزهِ عن القيام بأود عائلتهِ فاستدعى ابنهُ يوحنَّا وعرض عليهِ احوال بيتهِ وطلب منهُ ان يساعدهُ في مهنتهِ

فكان كلام والدهِ هذا كصـاعقةٍ انقضَّت عليهِ فخرَّ على اقدامهِ بازاء فراش اوجاع والدتهِ واجهش باكياً ثمَّ استحلف والديهِ بألَّا يصدَّاهُ عن اتباع صوت الله الذي يدعوهُ الى الكهنوت وبقي كـذلك جاثياً مذرفاً للدموع السخينة حتَّى اثَّر كأبهُ في قلب والديهِ التقيَّين فخـافا ان يقاوما مشيئة الله واطلقـا لهُ الحرِّيَّة لاتمام دروسهِ على شرط ان يسعى بنفسهِ بامر معاشهِ

الَّا انَّ الله لم يهمل يوحنـاً واذ كان صيت براعتهِ قـد انتشر في وطنهِ أَلهم كاهنين فاضلين بأن يسعفاهُ في مواصلة دروسهِ في بلدتهِ اوَّلاً ثمَّ في مدينة مالين احدى حواضر بلجكة حيث استخدم للقانونيّ فرولمون كما خدم الكاهن امريك وتمكَّن

حضور المدارس المنشأة هناك وكان حيثما يمرّ يحرز لـهُ محبّة الجميع بمناقبهِ الفريدة
ذا فارقهم اسفوا على فقدانهِ اسفهم على فراق اعزّ الخلّان . ولثقة القانوني فروامون
انتدبهُ الى نظارة ثلثة اولاد من اسرة شريفة كانوا في عهدتهِ فتولّى الامر بغيرتهِ
عودة حتّى اصبحوا بتدبيرهِ وحكمتهِ اطوع اليهِ من بنانهِ فحبّب اليهم الفضيلة والعلم
ه اكثر منهُ بأقوالهِ وزرع في قلوبهم بذار البرّ والطهارة كما كانوا يقرّون بذلك
بقيّة حياتهم

وبينما كان القديس بركانس منكبًّا على هذه الاعمال لم يكن ليهمل دروسهُ
كليريكيّة بل كان يتفرّغ لها في ساعات الليل واطراف النهار . وحدث في غضون
ك انّ الرهبانيّة اليسوعيّة تلبيةً الى دعوة بلديّة مالين فتحت في هذه المدينة مدرسةً
نيف الناشئة فيها وكان ذلك سنة ١٦١٥ . فتقاطر الشبّان اليها ليستقوا من مناهلها
دبة . ورغب يوحنّا بركانس ان يحضر ايضاً دروسها البيانيّة والخطابيّة فعزّ الامر
معلّميهِ السابقين لئلّا يفقدوا تلميذًا كاملًا مثلهُ فتصدّوا لهُ برهةً لكنّ القديس
ت على عزمهِ واخذ يتردّد الى المدرسة الجديدة وهو باقٍ في خدمة القانوني فروامون
قضى يوحنّا سنةً ونصف في مدرسة الآباء اليسوعيين ختم فيها الآداب اللاتينيّة
لّم اليونانيّة واصاب في كلتا اللغتين قصب السبق على اقرانه . لكنهُ وجد فيها
ائل جديدة لنموّ عبادتهِ وتقديس نفسهِ بفضل مرشديهِ كالتأمّل اليومي وفحص
سير . ومن ذلك ايضاً انهُ انضوى الى اخويّة العذراء المنشأة للطلبة فكان من
ص اعضائها ولم يكتفِ بالفرائض المعتادة لاكرابها بل كان يصوم السبت وفي
لموتات اعيادها لينال شفاعتها

وكان يوحنّا لم يفكّر قبلًا الّا بالدعوة الكهنوتيّة الّا انهُ لمّا عرف الآباء اليسوعيين
ى عياناً فضائلهم شُغف حبًّا برهبانيّتهم وسمع صوت الله يدعوهُ الى عيشة
كمال في طغمتهم على انّهُ لم يشأ ان يتسرّع في امرهِ فعمد الى الاستحرار بالصلاة
طلب مشورة ابيهِ الروحيّ والفحص المتكرّر من دعوتهِ حتى لم يبقَ لهُ ريبٌ في
يئة الله . ومذ ذاك الحين نوى ان يقطع كل علاقة مع العالم مهما وجدهُ في طريقهِ
العوائق ولاسيّما من قبل والدهِ الذي توسّل بكل الوسائل ليردّ ابنهُ عن قصدهِ .
كنّ القديس برسائلهِ وكلامهِ اثبت لهُ بالادلّة الواضحة انّها هي ارادة الله فلا يجوز

للانسان ان يحول دونها . فاراد ابوهُ ان يختبر دعوتهُ على يد بعض الاصحاب من رهبان وغيرهم فما عاينوا ابنهُ قليلاً حتى وافقوهُ على عزمهِ واقرُّوا بصحَّة دعوتهِ واقنعوا اباهُ بتخلية سبيلهِ

الراهب الكامل

ما نال يوحنَّا الاذن من والدهِ باتّباع دعوتهِ حتَّى بادر الى دير ابتداء اليسوعيين في مالين دون ان يذهب الى بلدتهِ ليودّع اقاربهُ لئلَّا يلقى موانع جديدة تعترضهُ في سبيل دعوتهِ . وكان اوَّل ما فاه بهِ عند دخولهِ الدير : « لقد كسرتَ يا ربّ اغلالي فانّي اقدّم لك ذبيحة الشكر » . والحقّ يقال ان يوحنَّا مذ وضع يدهُ على المحراث لم يلتفت الى الوراء بل اخذ على نفسهِ ان يسير الى ذروة الكمال . واذ رأى ساعة دخولهِ احد الاخوة المساعدين يشتغل بجرائة الجنينة تناول المعول من يدهِ وجعل يكرب الارض ليفتتح حياتهُ الرهبانيَّة ببعض اعمال التواضع

وجد بركانس يوم دخولهِ دير الابتداء في ٢٤ ايلول ١٦١٦ سبعين شاباً من ابناء وطنهِ جحدوا مثلهُ العالم والباطلهُ وطلبوا خدمة الله في الرهبانيَّة وكان بينهم الادباء والشرفاء والعلماء وذوو الخصال الفريدة والمناصب العالية فما انتظم في سلكهم حتَّى عدَّ نفسهُ كالاخير بينهم وكخادمهم امَّا هم فما لبثوا ان اعتبروهُ كملاك مرسل من الله ليكون بينهم كمثال حيّ للكمال الرهبانيّ

وكان اوَّل ما باشر بهِ في ابتداء حياتهِ الرهبانيَّة انهُ تعمَّق في درس قوانين القديس اغناطيوس لئلَّا يفوتهُ في حفظها شيءٌ مهما كان طفيفاً فسار بموجبها ولم يحدْ عنها ذرَّةً حتَّى قيل عنهُ انَّهُ احيا تلك القوانين في سلوكهِ ولو ضاعت يوماً لوجدوها في شخصهِ وكلّ سيرتهِ . وقد سعى رفقتهُ في ان يراقبوهُ لعلَّهم يرون في تصرُّفهِ ولو نقصاً خفيفاً او هفوةً زهيدةً فخاب مسعاهم واقرُّوا ليوحنَّا بتمام الكمال

امَّا القديس فكان على خلاف ذلك يزيد تواضعاً ويلتمس من مرشديهِ أن يتشدَّدوا عليهِ ويوبّخوهُ على نقائصهِ ويفرضوا عليهِ الاعمال المذلَّة الشاقَّة وقد اختار بين الفضائل الرهبانيَّة تلك التي تزيدهُ تجرُّداً من نفسهِ وتقرُّباً من الله ولاسيَّما الطاعة وهي من مميّزات الرهبانيَّة اليسوعيَّة فانَّهُ كان يمارسها بكل دقَّة نحو كلّ من كان

لهُ عليهِ بعض السلطة حتى من المتدنين مثلهِ فكان يتمم اوامرهم كأنها من الله لا يفرق بين الاوامر السهلة او الشاقة . وكان تواضعهُ يدفعهُ الى مزاولة الاعمال الدنيئة ككناسة الدار وتمريض المرضى وخدمة المساكين

وكذلك الفقر الرهباني فان يوحنَّا بركمانس كان يختار لنفسهِ احقر الألبسة ويكتفي بما يرضى بهِ الفقراء المدقعون من مطعم ومشرب بل يزيد على ذلك ما يسوّاهُ لهُ روح التقشُّف والاماتة الاختياريَّة حتَّى اضطرَّ الرؤساء الى ان يردعوهُ عن افراطهِ في ذلك خوفاً على صحَّتهِ

وفي مدَّة الابتداء أطلق خصوصاً العنان لعبادتهِ لاسيَّما نحو القربان الاقدس ونحو البتول الطاهرة جعلها كمحور حياتهِ الروحيَّة . فكان يزور في نهارهُ متواتراً ابن الله سجين هياكلنا ليحيا بهِ ويضرم قلبهُ بحبهِ ولا يذهب الى النوم الَّا بعد تقدمة رقادهِ للاله الساهر في قربانهِ ليلاً مع نهار لينوب عن البشر في اكرام ابيهِ السماويّ . امَّا البتول فكان مشغوفاً بحبها ساعياً في اكرامها ومجتهداً في نشر عبادتها . ومما يُخبر عنهُ انَّهُ كتب بدمهِ صكاً وقيَّد نفسهُ بالنذر ان يدافع عن عقيدة حبل العذراء بلا دنس الخطيئة الاصليَّة التي لم تُعلن بها الكنيسة الَّا في اواسط القرن الماضي فاستحقَّ بذلك ان تشملهُ ملكة السماء بأسبغ نعمها

وكان بركمانس معَ اجتهادهِ في تحصيل الفضائل ونفورهِ من كلّ الشهوات العالميَّة دمث الاخلاق ليّن العريكة سهل المعاملة باسم الثغر يخدم الله بفرح وسعة قلب ويجتذب قلوب رفقتهِ الى الله فيهتفون عند نظرهِ : « ما ألذّ وما اشهى ان يسكن الاخوة معاً »

قضى بركمانس سنتين في دير الابتداء في مالين احرز في مدتهما جميع الفضائل الرهبانيَّة وختمها بابراز النذور الثلثة المعتادة اي الفقر والعفَّة والطاعة مرتبطاً لبقيَّة عمرهِ بطريقة ابناء القديس اغناطيوس

ما انتهى يوحنَّا من محن الابتداء حتَّى انتدبهُ رؤساؤهُ الى درس الفلسفة فارسلوه الى رومية العظمى حيث كانت نخبة شبَّان الرهبانيَّة اليسوعيَّة على مقربةٍ من الكرسي الرسوليّ ومن رئيسهم العامّ . وكانوا تقدَّموا اليهِ قبل سفرهِ ان يودّع اهلهُ فكتب الى ابيهِ يعلمهُ بالامر الَّا ان الله كان استدعى والدهُ الى دار البقاء قبل ذلك باسبوع .

فلمّا وقف على الامر رفع الى الله الادعية لراحة نفسه ثم سعى جهده في تعزية والدتهِ واخوتهِ واهتمّ طاقتهُ بمستقبل اخوته الصغار موصياً بهم الاقارب والاصحاب وخصوصاً القانوني فروامون وليّ نعمتهِ

قدوة المدارسين

كانت الاسفار في ذلك العصر طويلة شاقّة معرّضة لعدّة اخطار فتجشّم القديس هذا السفر بأمر الطاعة مع رفيقٍ آخر يشبههُ بصلاحهِ وتقاهُ فقطعا طريقهما بشهرين ونيّف وكانا حيثما يحلّان يستلفتان نظر من يراهما بحشمتهما وحسن سلوكهما . وكان وصولهما الى رومية في آخر يوم من السنة ١٦١٨ في شدّة الزمهرير وكان السفر انهك قواهما حتّى ان رفيق يوحنّا لم يلبث ان أصيب بداء عُضال فتوفّي بعد قليل

أمّا القديس فانّهُ منذ اوّل ايام قدومهِ استوقف نظر رئيس الرهبنة العام الاب موشيوس ڤيتلسكي وبقيّة الآباء حتى هتف احدهم : « انّ بلجيكة قد انعمت علينا بملاكٍ محض » وقال غيرهُ : « كنّا فقدنا لويس غونزاغا فها قد احياهُ الله في شخص هذا الشابّ »

كانت المدرسة الرومانيّة حيث دخل يوحنّا بركانس من اعظم مدارس الرهبانيّة اليسوعيّة يتخرّج فيها نحو مئتين من الرهبان الواردين اليها من كل اصقاع اوربّة يدرسون فيها العلوم الدينيّة العليا اعني الفلسفة واللاهوت وتفسير الكتاب المقدس والحقّ القانوني وكان لمعلّميها شهرة ذائعة في كل الانحاء بطول باعهم وكثرة تآليفهم كفى بذكر بعض من شرفوا اذ ذاك تلك المدرسة كالكردينال بلرمنيوس والكردينال دي لوغو والاب قرنيليوس الحجريّ وغيرهم كثيرين . وكان رئيس المدرسة الاب قرجيل سيباري رئيس لويس غونزاغا سابقاً وكاتب ترجمته كما صار رئيساً على بركانس ونشر ايضاً ترجمة حياتهِ وهو اصدق المؤرخين

واوّل ما أثّر في بركانس عند وصولهِ الى رومية نعمةُ وجودهِ في عاصمة الكثلكة ومركز الايمان المستقيم تُحدق بهِ من كل جهة مآثر الدين الجليلة كالكنائس الفخيمة ومقامات القديسين الشهيرة وقبور الشهداء مع قربهِ من نائب المسيح وخليفة هامة الرسل فزادتهُ تلك الآثار عبادةً وأنهضت بعواطفهِ الى عالم البقاء

واذ كان تذكار لويس غونزاغا حيًّا بين رفقتهِ الدارسين وقبرهُ في كنيسة المدرسة قصد يوحنا ان يتَّخذهُ كشفيعهِ الخاص ويقتدي بكل امثالهِ وقد شهد من عاش معهُ انهُ اشبههُ الشبه التامّ وقال الواحد منهم: « لم أَعُد اقرأ ترجمة لويس لأَني ارى فضائله حيَّةً في سيرة يوحنا » وما لا يُنكر انهُ لم يدع من قانون الرهبنة والمدرسة صغيرًا او كبيرًا الَّا انجزه بكل تدقيق اذ يرى فيهِ مشيئة الله

وما سبق لنا ذكرهُ من فضائلهِ في دير الابتداء في مالين قد ثبت عليهِ في رومية او بالحري قد نمى وازداد كثيرًا ولولا ضيق المكان لروينا لهُ في كلّ فضيلة آثارًا عجيبة تنبئ بعظم برارتهِ وذلك على سواء في كل اطوار حياتهِ في امورهِ الروحيَّة او في سلوكه مع رؤسائهِ وفي تصرُّفهِ مع اخوتهِ الرهبان. فكان مع ربّهِ خشعًا ورعًا ومع رؤسائهِ بسيطًا سليم النيَّة ولاوامرهم مذعنًا ومع رفقتهِ كلًّا للكلّ وديعًا لطيف المعاشرة مستعدًّا لخدمتهم في كلّ الحاجات مهما كلَّفهُ ذلك من المشاق

واذ كان الدرس اهمّ اشغالهِ انكبَّ عليهِ بلْ قواهُ ليكون العلم في يدهِ وسيلةً لخدمة الدين. فكنت تراهُ يُصغي بكل حرص الى تعاليم معلّميهِ في الفلسفة والرياضيَّات ثم يعود اليها في انفرادهِ ليدرك كلّ مشاكلها واذا اعتاص عليهِ شيءٌ منها عرضهُ على معلّميه واستمدّ من الله ادراكهُ بالصلاة ثمّ يدوّن خلاصة تلك التعاليم في دفاترهِ ويردّدها في ذهنهِ ثمّ يتباحث فيها مع اقرانهِ حتَّى انَّ كثيرين منهم كانوا يقصدونهُ في صعوباتهم فيحلّها لهم حلًّا مرضيًا. واذ رآهُ الرؤساء في ختام الفلسفة قديرًا على مدافعة كل قضاياها امام جماهير المعلمين والتلامذة اوعزوا اليهِ بان يستعدَّ لهذا الامتحان في حفلة يحضرها وجوه رومية وعلماؤها فقام بهذه المهمَّة احسن قيام حتَّى اثنى على سعة علمهِ كلّ الحضور مع اطرائهم حشمتهُ وتواضعهُ في اجوبتهِ

مبشّر الابرار

على انَّ اجتهادهُ العظيم لهذه الحفلة الحافلة ليحقّق آمال معلّميهِ فيهِ أَثَّر في صحَّتهِ تأثيرًا مؤلمًا ولاسيَّما انَّ ذلك وقع ابَّان الصيف الذي تفتك في فصلهِ الامراض في اهل رومية وعلى الاخصّ في الغرباء

ففي العشر الاوَّل من شهر آب شعر يوحنَّا بوعك في صحَّتهِ فلقيهُ رئيسهُ في

طريقهِ ووجدهُ ممتقع اللون عليل القوى فامرهُ ان يذهب الى مستشفى الدير ليُري نفسهُ للاخ وكيل المرضى. فذهب ممتثلاً . فما عتَّم الاخ بعد فحص جسمهِ ان وجدهُ مصاباً بـداء الرئة فقلق لذلك والزمهُ الفراش . فأحسَّ القديس باضطراب الوكيل فطمَّنهُ بقولهِ : « مهما حدث فأننا في يد الله ابينا فلتكن مشيئتهُ » ولمَّا اعلمهُ الاخ بعد مدَّة بخطر الموت ضمَّهُ الى صدرهِ شاكرًا لهُ على هذه البشرى

ثمَّ انتشر بعد ساعة خبر مرض بركانس بين الرهبان اخوتهِ حتَّى عمَّهم الحزن كأنهم أُصيبوا باعظم المصاب وتباروا في الصلاة والدعاء الى الله ليحفظ لهم تلك الحياة العزيزة . لكنَّهُ تعالى وجد تلك الثمرة ناضجة لجنَّتهِ فآثر ان يقطفها وينقلها الى دار الخلود

سطا الداء على بركانس مدَّة خمسة ايَّام كان فيها مثال الصبر الجميل والطاعة للممرِّضين والوداعة نحو كلّ من يعودهُ وهو لا يذكر اوجاعهُ الَّا كنعمة من الله معلناً بفرحهِ ان يموت في عنفوان شبابهِ كسلفهِ لويس غونزاغا وكان كلّ كلامهِ عن السماء وامور الابديَّة . ولولا امر رئيسهِ لكان اقتبل الاسرار الاخيرة جاثياً على الحضيض في هيئة التوَّابين والخطأة وطلب من الجميع السماح عمَّا فرط منهُ في حقهم فأجابتهُ دموع اخوتهِ لدى سماعهم هذا الكلام المشعر بتواضعهِ . وكان يعدُّ حياتهُ كلا شيء ويتوسَّل الى الاطبَّاء ان لا يُنفقوا عليهِ مال الرهبنة ويلتمس من اخوتهِ ان يكفُّوا عن طلب شفائهِ ليذهب ويتمتَّع بربّهِ

وقد نمى خبر مرضهِ الى بعض اعيان رومية من ارباب الدين وغيرهم فأتوا ليعودوهُ ويطلبوا دعاءهُ وكانوا اذا خرجوا يصرخون : حقًّا هذا احد اولياء الله

ثمَّ تفاقم الداء دون ان يفقد القديس شيئاً من رشادهِ بل كان يزداد رغبةً الى مواجهة إلههِ وكان آخر ما فاه به اسم يسوع ومريم ولمَّا بلغ الحضور الى دعاء طلبة العذراء « يا عذراء العذراء يا امًّا طاهرة » اسلم الروح بكل هدوء وسكينة وتطايرت نفسهُ الى الاخدار السماويَّة . كأنَّهُ بلسان حالهِ يردِّد قول النبيّ : « ما اجمل الجيل العفيف الطاهر فانَّ ذكرهُ يبقى خالدًا » وكان ذلك في ١٣ من شهر آب سنة ١٦٢١ وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ

هذا هو البارّ القديس الذي تحتفل بلاد بلجيكة وطنهُ مع الرهبانيَّة اليسوعيَّة بالمئة

الثالثة لوفاته . فانَّ الله اراد ان يمجّده بعد موته بعدّة معجزات باهرة بيّنت ما له عنده تعالى من الكرامة . فالكنيسة اذ بلغها خبر تلك الآيات اقامت لجنةً خاصّة للبحث عن فضائل يوحنا بركانس السامية وعن العجائب التي جرت بشفاعته فلما تبيّنتها ادرجت اسمهُ اوّلاً سنة ١٨٦٥ في عداد الطوباويين على عهد بيوس التاسع ثمَّ بعد معجزات جديدة تحقّقها ديوان المجمع المقدّس نظمه السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٨ في سلك القديسين فعُدَّ احد انوار المنارة المثلثة التي سطعت ضياؤها في الرهبانية اليسوعيَّة في رومية اي ثلثة من شبّانها الكرام الاجلّاء استانسلاوس كوستكا البولوني ولويس غونزاغا الايطالي ويوحنّا بركانس البلجكيّ الذين لا تزال حياتهم تبعث في الناشئة المسيحيَّة روح التقى والبرارة

٢ المكرَّم الكردينال بلرمينوس

قد اعتبرنا الشاب الصالح الذي احبَّهُ يسوع لحفظهِ كلّ وصاياهُ ومشوراته (مرقس ١٠ : ٢١) فلنوجّه نظرنا الى الشيخ الجليل الذي شبع من الايام ولم يحدْ طول عمرهِ عن سَنَن الفضيلة والكمال . نريد بهِ المكرَّم الكردينال بلرمينوس سراج الكنيسة المنير الذي جمع بموجب وصيَّة المسيح بين العلم والعمل فاستحقَّ ان يدعى بذلك عظيماً في ملكوت السماوات

مدائح بلرمينوس

ولد الكردينال بلرمينوس في مدينة مُنتيلشيانو من اعمال توسكانة في ايطالية في ٤ تشرين الاوَّل ١٥٤٢ يوم عيد القديس فرنسيس الاسيزي فدعي في المعموديَّة روبرتوس فرنسيس روموليس . وكانت اسرتهُ عريقة في الشرف واعرق في الفضيلة والبرّ ولاسيَّما امُّهُ شقيقة الحبر الاعظم مرسيل الثاني التي لم تدَّخر وسعاً في تربيتهِ المسيحيَّة . وكأنَّ الولد قبل بلوغهِ سنَّ الرشاد ادرك نوايا والدتهِ فكان في يدها كالشمع الرخص اللَّين يسير فرحاً على كلّ تعاليمها الصالحة . وكان اوَّل ثمرة ذهنهِ الثاقب خطبةً صغيرة قالها في آلام المسيح امام والدتهِ واخوتهِ ثم اردفها بقصيدة لطيفة في مديح البتوليَّة اندهش الكلّ لحسنها . وكان روبرتوس ذا صوت رخيم فاذا دعاهُ احد الى الغناء رسم على جبهتهِ إشارة الصليب وغنَّى الاغاني التقويَّة ليس الَّا وكان

يقول: «معاذ الله ان استعمل صوتي لغير خدمته تعالى ومديح الفضيلة»

كان الآباء اليسوعيون فتحوا حديثاً مدرسةً في وطن بلرمينوس فألحّ على اهله ان يكون من تلامذتهم فما انتظم في سلكهم حتّى ظهر فضلهُ على جميع اقرانهِ بل كان شرفاً لمعلّميهِ. ومما يُروى عنهُ انّهُ سمع يوماً احد الاعيان يُحقّر تعليم اليسوعيين فقام للحال وذهب الى عمدة المدينة وطلب منهم ان يعيّنوا لجنةً تفحصهُ هو وبقيّة الدارسين في المدينة ليروا فضل معلّميه فاجابوا الى ملتمسهِ فخرج ظافراً من هذا الامتحان وافحم الثالبين

ثمّ عُقدت حفلة ادبيّة في المدرسة وعرض الدارسون مثالاً من انشائهم فقوبل خطاب بلرمينوس بالتصفيق الحادّ وطلبوا منهُ ان يعيدهُ لبلاغتهِ

وكانت شبيبة الاشراف في البلدة قد فتحت نادياً يتردّد اليهِ أدباؤها فارسلوا الى روبرتوس يدعونهُ ليخطب فيهم مع حداثة سنّهِ فأبى اوّلاً ثمّ كرّروا عليهِ الدعوة الى ان اقنعوهُ فتألّبوا لاستماعهِ قائلين: «هلموا بنا نسمع عظة الملاك روبرتوس» فلم يخب ظنّهم فيهِ وكان لكلامهِ احسن وقع في قلوبهم

الراهب والمعلم

كان ابو روبرتوس يعلّق على ابنهِ آمالاً بعيدة لاسيما في المناصب الدينيّة. غير انّ روبرتوس لم يشأ ان يُذعن لصوت اللحم والدم بل اراد ان يفحص دعوتهُ امام الله ويضحّي لها كلّ اعتبار بشري فانفرد اياماً بالخلوة وتأمل الحقائق الابديّة في رياضات القديس اغناطيوس فعلم دون مراء انّ الله يدعوهُ الى الرهبانيّة اليسوعيّة. فقام بينهُ وبين ابيهِ نزاع طويل كان لهُ فيهِ الظفر بمساعدة خالهِ اسكندر سرتين شقيق البابا مرسيل الثاني فقرأ الوداع لاهلهِ وسار الى رومية طالباً من الاب جاك لينيس خلف القديس اغناطيوس في الرئاسة العامّة على الرهبانيّة اليسوعيّة ان يقبلهُ بين رهبانهِ وكان بلغهُ ما لروبرتوس من الصفات الجليلة فقبلهُ دون تريّث وعافاهُ بامتياز خصوصي نادر جدًّا عن امتحانات الابتداء وامرهُ بدرس الفلسفة

وكان بلرمينوس ضعيف المزاج عليل الصحّة فزادتهُ دروسهُ انحرافاً الّا انّ جودة قريحتهِ وحصافة عقلهِ مكّنتاهُ من ادراك كلّ غوامض الفلسفة حتّى دُعي الى

المدافعة عن كلّ تعاليمها بحضرة جمهور الاساتذة والطلبة فأجمع كل الحضور على بُعد شأوهِ في كلّ فروع النظريّات (١

ففي إثر هذه الحفلة ارسلهُ الرؤساء الى مدينة الفنون الجميلة فيرنسة ليدرّس فيها الآداب اللاتينيّة . فلبّى دعوة رؤسائهِ وهو يشعر بانحطاط قواهُ لا يعلم كيف يقوم بمهمّتهِ هذه الصعبة لكنّهُ انطرح عند اقدام السيّد المسيح في قربانهِ الاقدس وطلب منهُ بحرارة وثقة الصحّة والعافية ليخدمهُ كما يليق في الرهبانيّة ويتمّم اوامر رؤسائهِ . فقام معافًى بالصحّة التامّة ومذ ذاك الحين الى آخر حياتهِ لم يعد يشعر بضعف في جسمهِ ولم يتمّم فقط تلك السنة وظيفتهُ بل اضاف اليها عدّة اشغال كالمواعظ والارشادات ونظم القصائد . وفي السنة التالية علّم الخطابة في مدرسة أُخرى وتكلّف باعباء مختلفة مدّة ثلث سنوات دون ان تصاب صحّتهُ بأذًى . وكان في خطبهِ اوّلًا يُعنى كثيرًا بالفصاحة وترويق العبارات لكنهُ في بعض الايّام دُعي الى الخطابة بغتةً فقضى عليهِ الارتجال فلحظ انّ كلامهُ زاد تأثيرًا في النفوس لسذاجتهِ فلم يَعُد بعد ذلك الى التأنّق في الخطاب وانّما كان يستقي افكارهُ من مورد العبادة ومناجاة الله ثمّ يلقي الكلام عفوًا فيأتي بالثمر المرغوب

وفي تلك الاثناء قام القديس فرنسيس بورجيا بعد وفاة الاب لينس رئيساً عامًّا على الرهبانيّة اليسوعيّة فارسل بلرمينوس الى مدينة كابوا ليدرّس اللاهوت فقضى هناك سنتين فقط فأتقن تلك الدروس التي لم يُحكمها غيرهُ الّا في اربع سنوات وقدّم عنها فحصاً علنيًّا عموميًّا في كنيسة جنوة الكاتدرائيّة أُعجب بهِ كل من حضرهُ . وكان في درسهِ لا يطلب الّا وجه الله فيتّخذ العلم كوسيلة الى معرفة خالقهِ وزيادة حبّهِ لهُ

فلمّا عرف القديس فرنسيس بورجيا ما نالهُ بلرمينوس من الشهرة في جنوة اراد ان يرسلهُ الى مدينة لوفان عاصمة بلجيكة ليجعلهُ فيها كسدّ بازاء سيل البروتستانيّة الزحاف الذي اندفع الى تلك الجهات . فذهب بلرمينوس وهو لم يزل شمّاساً بسيطاً . فعند وصولهِ عُهد اليهِ الوعظ في كنيسة المدرسة . فلمّا رآهُ الجمهور متأهّباً للخطابة

(١ وكان بين معلّمي بلرمينوس الاب يوحنّا اليانو علّمهُ العبرانيّة وهو الذي أُرسل سفيرًا الى الموارنة في لبنان كما روينا ذلك في المشرق سنة ١٩٢٠

وهو في مقتبل الشباب لا يزينهُ الاكليل الاكليريكيّ والدرع الكهنوتيّ اخذهم العجب وكادوا يزدرون بكلامهِ ومن ثمَّ اسرع الرؤساء وامروهُ ان يستعدّ للرتبة الكهنوتيَّة فتمَّ ذلك فعلًا في السنة ١٥٧٠ ثمَّ عاد الى ارشاد المؤمنين فاقبل السامعون اليه بكل رغبة حتَّى ضاقت بهم الكنيسة واذ اتَّخذ كموضوع خطبهِ تفنيد الاضاليل البروتستانيَّة ذاع صيتهُ في كلّ انحاء بلجكة بل بلغ خبرهُ الى هولندة وانكلترَّة حتَّى ان كثيرين من اهلهما كانوا يأتون الى لوفان ليسمعوا خطبهُ الدينيَّة فردَّ البعضَ منهم الى حجر الكنيسة

وكان بلرمينوس مع مواعظهِ في الكنائس يعلِّم ايضاً اللاهوت النظريّ في كليَّة لوفان فيدهش الجميع بعارضتهِ وقوَّة براهينهِ وسعة مداركهِ . الَّا ان تقواهُ وقداسة حياتهِ كانا يحيكان في القلوب اكثر من علمهِ . وقد وُجد في مفكِّراته انهُ كان يلتجئ في امورهِ الروحيَّة الى قلب يسوع الاقدس . فسبق بتعبُّدهِ نحوهُ عهدَ وحي الرب بهذه العبادة الى القديسة مرغريتا مريم

بقي بلرمينوس سبع سنوات في لوفان وكان بلغ مسامع البابا غريغوريوس الثالث عشر ما نالهُ هناك من المجد الاثيل بردِّهِ غارات البروتستانت فامر الرئيس العام بان يستدعيهُ الى رومية ليتولَّى في المدرسة الرومانيَّة علم الجدال لنقض اضاليل ذلك العصر فأجاب بلرمينوس مسرعاً الى ما امرهُ بهِ رئيسهُ الَّا انَّ اهل بلجكة عدُّوا فراقهُ كمصاب عظيم لوطنهم فودَّعوهُ والقلوب آسفةٌ على فقد مثله كنزاً ثميناً

كان سفر بلرمينوس كثير الاخطار والبروتستانت يرصدونهُ في طريقه فأبدل ثيابهُ بثياب العالميين واخذ لنفسهِ احد اسمائهِ الثلثة فسمَّى ذاتهُ السيد رومولوس ثمَّ سافر برفقة بعض البروتستانت الذين لم يعرفوهُ فكانوا يُسرُّون بأنسهِ وآدابهِ ولمَّا وصل الى جنوة عاد الى لبسهِ الكهنوتيّ فتعجَّب رفقتهُ من تغيير زيّهِ وقالوا : ما كنَّا لنظنَّ ان يسوعيًّا يبلغ الى هذا الحدّ من اللطف والمؤانسة

جلس بلرمينوس على كرسيّ تعليم المجادلات في المدرسة الرومانيَّة اثنتي عشرة سنة (١٥٧٧—١٥٨٩) فكان يتقاطر اليه اشراف رومية وارباب الاكليروس ليسمعوا تعاليمهُ وطلبوا كلهم منهُ ان يمثِّل تلك التعاليم للطبع فنُشرت بمجلدين ضخمين وراجت في انحاء اوربَّة ايّ رواج ونُقلت الى معظم اللغات الاوربيَّة . واجمع العلماء

على انها كانت ضربةً لازبة على المراطقة اللوترانيين والكلوينيين والانغليكان . وممَّن شهد على فضل مجادلات بلرمينوس القديس فرنسيس دي سال فانهُ كان في رسالتهِ بين المراطقة لا يأخذ معهُ الا ثلثة كتب كتاب صلاتهِ والكتاب المقدَّس ومجادلات بلرمينوس ويقول : مع هذه الاسلحة الثلثة لا اخاف عدوًّا . وكان تاودورس دي بيز احد كبار زعماء البروتستانت يقول : « انَّ مجادلات بلرمينوس قد أتلفتنا » . وتقدَّمت اليصابات ملكة الانكليز الى علماء شيعتها بان يردُّوا على تلك المجادلات فلم يستطيعوا فامرت بإعدام كلّ من يُدخل منها نسخة في انكلترَّة لئلَّا يرتدَّ اهلها الى دين اجدادهم . لكن اوامرها زادت رغبة الناس في مطالعتها وفقاً للمثل انَّ كلّ ممنوع متبوع حتَّى انَّ احد باعة الكتب في انكلترَّة كان يقول انَّ مجادلات بلرمينوس اغنتهُ اكثر من بقيَّة كتبهِ المبيعة . وخلاصة القول انَّ مجادلات بلرمينوس أوقفت تيَّار البدع البروتستانيَّة وفتحت ايضاً اعين كثيرين من الضالّين فارتدُّوا عن ضلالهم وكتبوا الى مؤلفها شاكرين لهُ على ما اوضح لهم من انوار الحقّ

ولمَّا كانت السنة ١٥٨٩ صارت امور فرنسة الى حالة سيئة بعد وفاة هنريكس الثالث وتحامل البروتستانت على الدولة حتَّى خيف من انقلاب بنت الكنيسة البكر وتحوُّلها الى المذهب البروتستاني فاراد البابا سكستوس الخامس خلف غريغوريوس الثالث عشر ان يتلافى هذا الخطر العظيم فارسل الكردينال غايتاني كقاصدٍ رسولي ليسعى في تدبير الامور ثمَّ انتدب الاب بلرمينوس ليرافقهُ بصفة لاهوتيّ في المجادلات مع البروتستانت ونشرَ وقتئذٍ براءةً ممجِّدة اظهر فيها محبَّتهُ لفرنسة ورغبتهُ في رقيّها

ولنا في تاريخ هذه السفارة عدَّة شواهد على ما اداهُ بلرمينوس في باريس من الخدم لكنيسة فرنسة بمناهضة البدع البروتستانيَّة وجمع كلمة الكاثوليك من جملتها رسالة جليلةٌ وجَّهها الى كلّ اساقفة الدولة وسطَّر لهم واجباتهم لخلاص دولتهم فكان لكلامهِ صدى استحسان في كلّ القلوب وكان من اقوى الاسباب لكبح سورة البروتستانت ولردّ هنريكوس الرابع الى دين الملوك آبائهِ

ثمَّ عاد بلرمينوس في السنة التالية الى رومية فوكل اليهِ الرئيس العام الاب اكواڤيڤا مهنة مرشد روحيّ للمدرسة الرومانيَّة التي كانت تتربَّى فيها زهرة الرهبانيَّة اليسوعيَّة الواردين اليها من كل اصقاع اوربَّة ومنها خرج عدد لا يُحصى من عظام

الرجال فتولّى بلرمينوس إرشادهم في كلّ الآداب الرهبانيّة وأعدّهم طاقةً جهده الى ما ينتظرهم يوماً من اعمال رهبانيّتهم ومشاريعها المختلفة. وكفى فخراً بلرمينوس انّ بين الرهبان الموكولين الى عنايته كان لويس غونزاغا قدوة الشبّان المتوفّى بين ذراعيه ووطنيُّنا الحلبي ابراهيم جرجس الماروني شهيد الرهبانيّة اليسوعيّة في مصوّع

ومن الوظائف المهمّة التي قام بها بعد ذلك بلرمينوس رئاسته على المدرسة الرومانيّة السابق ذكرها مدّة سنتين (١٥٩٢—١٥٩٤) ثم رئاسة اقليم نابولي (١٥٩٤—١٥٩٧) كان في كلتاهما مثال الحكمة والعزم والمحبّة في كلّ اموره حتّى انّ الجميع كانوا يودّون لو يتولّى تدبيرهم فيرون فيه قدوة الرؤساء. كما وصفهم القديس اغناطيوس في قوانينه لا يسير في كلّ اعماله الّا بموجب الخير العموميّ ومجد الله الاعظم. وفي تلك الاثناء توفّي الكردينال توله (Cardinal Tolet) اليسوعي فاحتاج البابا اقليمس الثامن الى لاهوتي حاذق في كلّ العلوم الدينيّة فاشار اليه الكردينال باروني بتقليد هذه الرتبة الاب بلرمينوس

الكردينال

كان احد الاسباب التي دفعت بلرمينوس الى الدخول في الرهبانيّة اليسوعيّة انّ ابناءها ينذرون الفرار من المناصب الاكليريكيّة كالرتبة الاسقفيّة وشرف الكردينالية والطمع بكل رئاسة. غير انّ احكام الله ربّما خالفت احكام البشر وهذا ما جرى لبلرمينوس فانّ ابتعاده من هذه المناصب الجليلة اضحى سبباً لتقليده اياها

وذلك انّ البابا اقليمس الثامن منذ اوقفه الكردينال باروني على فضل بلرمينوس فكّر في ترقيته الى رتبة الكردينالية لئلّا يبقى ذاك السراج تحت المكيال. لكنّ بلرمينوس كان يمانعه على قدر استطاعته ومثله رئيس الرهبانيّة العام بموجب قوانين الرهبنة لكنّ الحبر الاعظم في آخر الامر حكم الحكم الفصل وفرض عليه بأمر الطاعة وتحت الخطأ الثقيل بان يقبل منصب الكردينالية فأذعن الى مشيئة الله مرغوماً وكان ذلك سنة ١٥٩٩ ولمّا أعلن البابا بعزمه امام المجمع الكردينالي قال: «انّنا قد خوّلنا الاب بلرمينوس منصب الكردينالية لأنه فريد وحده في كنيسة الله من حيث العلم ولانه ابن اخت ذلك الحبر الرومانيّ الجزيل الشرف والسامي القداسة مرسيل الثاني».

دخل بلرمينوس في مصافّ الكرادلة لكنّهُ لم يغير شيئاً في بساطة سلوكهِ وشظافة عيشهِ وانّما كان يردّد لمن يهنئهِ بمنصبه الجديد كلام الكتاب المقدّس عن ناعمة في سفر راعوث: « لا تدعوني نُعمي بل ادعوني مُرّةً » مشيراً الى هنائهِ في الرهبنة وعنائهِ خارجاً عنها وكان يطلب بإلحاح من اخوتهِ الرهبان ان يصلّوا لاجلهِ لينجو من اخطار تلك الوظيفة ومسئوليتها امام الله

ومن ثمَّ قصد ان يتمّم كلّ واجباتهِ دون مراعاة الاشخاص ويعيش مرتدياً بالارجوان عيشة اخوتهِ اليسوعيين في الفقر الاختياري والتواضع . امّا رواتب المعاش التي عيّنها لهُ الحبر الاعظم فما كان ينفق منها الّا القليل لحاجات دارهِ وكان الكثير الباقي يصرفهُ كلّهُ على الفقراء والمحتاجين . والى كرمهِ هذا وعلمهِ معاً اشار الله بعد وفاتهِ اذ ظهر بلرمينوس لاحد الابرار برونق المجد وعلى جانبيهِ ملاكان في يد الواحد كتاب مفتوح وفي يد الآخر كيس دراهم صدقاتهِ التي بسببها دُعي أبا الفقراء

خدم بلرمينوس الكرسيّ الرسوليّ خدماً جليلة منذ وقف حياتهُ لهذه الدعوة بصفة كردينال فكان يباشر اعمال الكرادلة بهمّة لا تعرف الملل وكان اذا استشارهُ الحبر الاعظم في بعض المهامّ عرض فكرهُ بصدقٍ وصراحة لا يأخذهُ في ذلك لومة لائم . وقد ظهرت نزاهتهُ هذه في عدّة امور لاسيّما في تبرير المكرَّم الفرنساوي الاب جان دلا بريار منشئ رهبانيّة الفوليان الذي كان اوقعهُ اعداؤهُ في تهمةٍ باطلة وبقي سبع سنوات معرَّضاً لسهامهم بازاء الكرسي الرسوليّ . ففحص بلرمينوس دعواهُ بكل حذاقة ونشاط واثبت شرعيًّا براءتهُ واعادهُ الى رهبانيّتهِ معزّزاً مكرَّماً

ومن مآثرهِ الجليلة دفاعهُ عن قضيّة النعمة الالهيّة والتوفيق بينها وبين الحرّيّة البشريّة وهي المسألة التي استفحل فيها الجدال بين الآباء الدومنيكان والرهبان اليسوعيين وكاد البابا اقليمس يحكم فيها للاوّلين فبيّن لهُ بلرمينوس الرأي الصواب واوقفهُ عن الحكم ولعلّ البابا امتعض عن فعلهِ هذا نوعاً . ففضّل بلرمينوس خدمة الحقّ على رضاه

وفي السنة ١٦٠٢ احتاجت مدينة كابوا الى رئيس اساقفة يُعنى بشؤونها بعد وفاة راعيها فدعا البابا اقليمس بلرمينوس ورقّاهُ بيدهِ الى درجة الاسقفيّة . فمن وقتهِ خرج من رومية وسار كالراعي الصالح الى ابرشيّتهِ ليرعى شعبهُ على مثال الرُسل الاوّلين .

والحقّ يقال أنهُ تجرَّد هناك لكل اعمال الخير والغيرة الرسوليَّة مدَّة ثلاث سنين بقي فيها فكان يزور ابرشيَّتهُ وكلّ رعاياها ويمنح سرّ التثبيت للاولاد وربَّما كان هو يسعى بتعليمهم مبادئ الدين وكان لا يدع احدًا او عيدًا الَّا يعظ فيهما الشعب وكان كثير الاهتمام بالآداب العموميَّة واستئصال العادات الذميمة وكان يهتمّ خصوصاً بارباب الدين من كهنة او رهبان ليصلح ما يراهُ فيهم من النقص ويجعل حياتهم مطابقةً لشرف دعوتهم . وكان في كابوا كما في رومية يصرف كلّ اموال الكنيسة في اسعاف المعوزين والفقراء

وفي تلك الاثناء استأثر الله بنفس الحبر الاعظم اقليمس الثامن فسار بلرمينوس الى رومية ليشترك مع الكرادلة اخوتهِ في اختيار خلفٍ لهُ . فكانت اعين الجميع متَّجهة اليهِ وكثيرون يفكِّرون في تقليدهِ تلك المهمَّة السامية امَّا بلرمينوس فصرف نظر الكرادلة عن نفسهِ وعدل بهم الى اختيار من كان يراهُ اهلًا لرئاسة الكنيسة جمعاء وذلك في الانتخابات الثلثة التي حضرها لمَّا قُلِّد البابويَّة لاون الحادي عشر القصير الايَّام (سنة ١٦٠٥) ثمَّ بولس الخامس (١٦٠٥–١٦٢١) وغريغوريوس الخامس عشر (١٦٢١–١٦٢٣) وكانوا كلُّهم يجلُّونهُ ويعتبرونهُ كاشرف واقدس وأعلم رجال عصرهِ

ولمَّا صارت الخلافة الرسوليَّة الى البابا بولس الخامس امر بلرمينوس بان يبقى في رومية ليساعدهُ في تدبير الكنيسة . فتنزَّل حينئذٍ عن ابرشيَّتهِ لئلَّا تُصاب بأذًى في غيبتهِ فيقوم بشؤونها غيرهُ . فسكن منذ ذاك الحين رومية الى آخر عمرهِ اعني خمس عشرة سنة قضاها متفانياً في خدمة الكنيسة ومساعدة الحبر الرومانيّ

وقد لعب في تلك الحقبة ادوارًا مهمَّة لاسيما في الدفاع عن الكنيسة وتعاليمها فهو الذي أفحم بكتاباتهِ بعض البنادقة الذين عصوا على الكرسيّ الرسولي مع زعيمهم باولو سربي . وهو الذي فنَّد ما كتبهُ ملك انكلترَّة جاك الاوَّل ضدَّ الكنيسة الرومانيَّة . وهو الذي بيَّن باجلى برهان حقوق الحبر الرومانيّ وعصمتهُ في تعليم الكنيسة ضدَّ البدعة الجانسينيَّة والبدعة الغليكانيَّة فأعدَّ منذ ذاك ما حدَّدهُ بعدئذٍ المجمع الفاتيكانيّ حتَّى دُعي بلاهوتيّ البابويَّة . وقد انتشرت تعاليمهُ هذه في كلّ الانحاء حتَّى انَّ اعداء الكنيسة ولاسيَّما في انكلترَّة كانوا يسمُّون الكاثوليك بلرمينيين او بابويّين

على انَّ قداسة بلرمينوس لم تكن دون علمهِ فانَّهُ مارس اسمى الفضائل بدرجة سامية كما اعلن بذلك المجمع المقدَّس في العام الماضي . وقد اراد الله ان يؤيد قداستهُ هذه بالكرامات حتَّى في حياتهِ فمن ذلك ما شهد بهِ كلّ اهل كابوا اذ احيا شجرة تين لاحد الفقراء المسمَّى سلفادور دي نيكندروس كانت احترقت وحُكم على حارقها بجزاء نقدي لكنَّ الكردينال امر صاحبها بان يذهب ويجني ثمارها واذ اكَّد لهُ هذا انَّها يبست ولم يبق منها لا ثمر ولا ورق كرَّر عليهِ الامر فذهب امتثالاً لامرهِ واذا بالشجرة مكتسية بالورق مثقلة بالثمر اللذيذ فقطف منهُ سلَّة قدَّمها للكردينال شكرًا لهُ فعُرفت مذ ذاك بتينة الكردينال القديس وقطع كثيرون من اغصانها فغرسوها كبركة في بساتينهم . ومثل ذلك الصيدُ العجيب الذي اجراهُ بامرهِ بعض فقراء الصيَّادين فتكرَّرت ببركتهِ معجزة الصيد التي رواها الانجيل عن السيِّد المسيح

وكان بلرمينوس بلغ السنة الثانين من عمرهِ وهو في تمام العافية الَّا انَّهُ بوحيٍ من الله عرف قرب زمان وفاتهِ وعيَّن سابقاً وقوعهُ في يوم عيد جروحات القديس فرنسيس شفيعهِ فطلب من الحبر الاعظم غريغوريوس الخامس عشر بان يعتزل عن الاشغال ويستعدَّ لسفرهِ الاخير فاذن لهُ فاختار دار الرهبان اليسوعيين المبتدئين في رومية التي تُدعى بدار القديس اندراوس حيث كان توفي القديس استانسلاوس كوستكا وهناك استعدَّ للاقاة ربّهِ بكل تؤدة وسكينة وكان مع ذلك يحضر الاجتماعات البابويَّة في اوقاتها . فلمَّا قرب عيد جروحات القديس فرنسيس شعر بانحطاط قواهُ واضطرَّ الى ملازمة الفراش وكان يتكلَّم عن موتهِ بكل رغبة كأنَّهُ ذاهب الى مأدبة فاخرة . وكان سبقهُ الى الابديَّة ببضعة ايَّام يوحنَّا بركمانس السابق وصفهُ وكان عرفهُ جيدًا واثنى على فضيلتهِ وينشط نفسهُ بذكر وفاتهِ الصالحة ويتمنَّى ان يراهُ قريباً

ولمَّا علم الحبر الاعظم بدنوّ اجل بلرمينوس اراد ان يعودهُ بذاتهِ ليباركهُ فأتى اليهِ مع حاشيتهِ فاستعظم بلرمينوس تواضع الحبر الاعظم وصرخ عند دخولهِ : «سيِّدي لستُ مستحقًّا ان تدخل تحت سقفي » فوقع هذا الكلام في قلوب الحاضرين موقعاً عظيماً

ولمَّا كان صباح عيد جروحات القديس فرنسيس رقد بلرمينوس بالرب وذلك في

١٧ ايلول سنة ١٦٢١ بعد ان ضمّ الى صدره مرّة اخيرة صليب رهبانيّته وتلفّظ باسم يسوع المبارك

وقد جرى بشفاعة بلرمينوس بعد وفاته معجزات جديدة اثبتت قداسته منها زجاجة من دمه الذي لم يزل سيّالاً حتّى يومنا هذا في مدينة سلمنكا في اسبانية وغير ذلك ممّا يبعث الرجاء أننا سنراه في العاجل القريب مكرّماً على هياكلنا بصفة طوباويّ

وقد خلّف بلرمينوس للكنيسة مكتبةً واسعة من تآليفه التي تنيف على الخمسين عدًا. نذكر هنا بعضها ما عدا مجادلاته السابق ذكرها فمنّا ألّفه كتاب شرح المزامير وكتاب تراجم الكتبة الكنائسيين. ولهُ غراماطيق اللغة العبرانية وكتاب صعود العقل الى الله من اجلّ الكتب الفلسفيّة وكتابان في واجبات الاساقفة وفي واجبات الامراء المسيحيين وكتاب في سلطة الحبر الاعظم الزمنيّة. ولهُ في الادبيّات كتاب سجع الحمامة في شوق النفس الى دار البقاء وكتاب الاستعداد للميتة الصالحة وكتاب في سعادة القديسين في السماء مع مجموع واسع من المواعظ والخطب وتراجم بعض القديسين منها ترجمة القديسة مريم المجدليّة. ومن تآليفه التي نُقلت الى لغتنا العربيّة كتابهُ تفسير التعليم المسيحي المستفيض الشهرة عرّبهُ الخوري يوحنّا الحصروني من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية سنة ١٦٢٧ وطبعهُ هناك ثمّ تكرّر طبعهُ في مطبعتنا من تعريب الاب بطرس فروماج وقد نُقل الى لغات عديدة. وكذلك شرح المزامير الذي عرّبهُ الاب ارتودي اليسوعيّ بمساعدة الشمّاس عبدالله زاخر وطُبع في المطبعة الخلّصيّة في بيروت بثلثة اجزاء قد استمدّهُ خصوصاً من شرح بلرمينوس وكتابهُ في سبعة اقوال المسيح على الصليب عرّبهُ المثلّث الرحمات السيّد غريغوريوس حجّار رئيس اساقفة صور وصيداء وطبعهُ في بيروت سنة ١٩١١ وهو ايضاً الذي عرّب لهُ كتابهُ سُلّم السعادتين وطبعهُ سنة ١٩١٠. فهذه الآثار كلّها تنعش روح الايمان وتحيي شواعر التقى الى يومنا هذا في نفوس المسيحيين وتخلّد ذكر ذلك الرجل العظيم الذي لا يزال اسمهُ مباركاً في كنيسة الله. ولا عجب اذ شاء مواطنوهُ في ايطالية ان يحتفلوا هذه السنة بتذكار المئة الثالثة لوفاته متّعنا الله بشفاعته امين (١

(١) قد مرّلنا في تسطير هذه الترجمة على سيرة المكرّم الكردينال بلرمينوس التي كتبها في مجلّدين الاب كودر اليسوعي سنة ١٨٩٣ P. Couderc S. J: Le Vénérable Cardinal Bellarmin. 2 *vols in-4, Paris*, 1895.

اثر عربي قديم للقديس يوحنا فم الذهب

نشرهُ حضرة الخوري لاونديوس كلزي رئيس دير الشير

المقدمة

بينما كنتُ اسرح الطَّرف في سجلّ مكتبة دير الشير وقع نظري على كتيّب مخطوط خطًّا قديمًا ومرسوم بالعدد ٥١ يبلغ طولهُ ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ س ينطوي على ٧٠ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطرًا . وفي الكتاب رسالتان . الثانية للشمّاس عبدالله الزاخر الحلبيّ وجّهها الى البطريرك اثناسيوس دبّاس سنة ١٧٢٤ يثبت فيها انه يجوز للمسيحي العلماني ان يدافع عن قضايا الايمان . وهي رسالة شهيرة . امّا الرسالة الاولى وهي التي تهمّنا حاضرًا فانّما لذلك اللفتان العظيم شرف الكنيسة عمومًا والشرق خصوصًا القديس يوحنا فم الذهب وجّهها الى المدعو ثاودورس الذي كان ترك الرهبانيّة وعزم على الزواج

وللقديس يوحنا فم الذهب في مجموعة اعماله في مين (Migne PP. GG, XLVII, 277-319) رسالتان الى ثاودورس المذكور الواحدة مطوّلة والاخرى اقصر طولًا وهذه الاخيرة هي التي وجدناها في مخطوط دير الشير وتبلغ منهُ ٣٩ صفحة صغيرة . والحقّ يقال انّها اهلٌ بذلك الملفّم العظيم اذ اودعها كلّ الادلّة التي من شأنها ان تبيّن للراهب الساقط الجاحد لدعوته سوء فعلهِ بخروجهِ من الرهبنة بعد ان انضوى اليها وتورد لهُ كلّ الاسباب المقنعة التي تحدو بهِ الى الرجوع الى دعوتهِ بالتوبة الصادقة

امّا ثاودورس المذكور هنا فهو ثاودورس الذي اشتهر بعد ذلك بكتاباتهِ وتآليفهِ المختلفة لاسيما بشرح الكتب المقدّسة وجنح فيها الى بعض آراء النسطوريّة . كان مولدهُ سنة ٣٥٠ وتوفي سنة ٤٢٨ بعد أن نُصب اسقفًا على مدينة المصيصة . وكان في شبوبيّتهِ ترهّب مع القديس يوحنا فم الذهب في دير كرتيريوس وديودوروس . ثمّ سئم الحياة النسكيّة وكاد ينخدع بأباطيل العالم لولم يردّهُ الى دعوته القديس يوحنا صديقهُ بالرسالتين اللتين اشرنا اليهما والتي نورد هنا احداهما

ولم يُذكر في مخطوطنا اسم كاتب المقالة ولا وقت كتابتها ولعلّ معرّبها من اللغة اليونانيّة هو عبدالله بن الفضل الانطاكي في اواسط القرن الحادي عشر للمسيح وقد بيّنت مجلّة المشرق انّهُ قد نقل الى العربيّة كثيرًا من اعمال القديس يوحنا فم الذهب . وقد اردتُ نشر هذه الرسالة الذهبيّة ليقف عليها محبّو الآثار الدينيّة القديمة مع ما في نصوصها من بعض الركاكة طمعًا بالفوائد الجمّة المتضمّنة فيها ولأنّ من شأنها ان تشجع المخطأة وتدفعهم الرجوع الى الله ثمّ رغبةً في إخراج هذه الجوهرة الثمينة من مدفنها في بطون المكاتب

رسالة لأبينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب

ارسلها الى ثاودورس الراهب الشاب الذي سقط وترك الرهبانية وقصد الزيجة والدخول في العالم . فكتب له القديس هذه الرسالة لينشطه الى الرجوع والتوبة مذكرًا لهُ بالديونة والحساب امامَ منبر الديان المرهوب

. . .

انه لو كان ممكن ان تُحتمل الدموع والتنهُّد بالكتُب لكنتُ املأُ بهما لك كتابي هذا وأرسلهُ اليك . اذ قد بلغني عنك انَّك أفرزتَ نفسك من مصافّ الاخوة وتركتَ العهود التي عاهدتَ الله بها . ولهذا أفزع واجزع واخاف وأرعب لأن الذي ينتظم مع الفرسان من غير عهد ولا اكتتاب لا يُلام اذا ما ترك الفروسية ورجع الى الوراء . وأمّا الذي اكتتب مع الفرسان وانتظم في مصافّهم فاذا ما ترك الفروسيَّة فان بهذا الفعل يوجب على ذاته العقوبة الجزيلة

فاعلم ايها الحبيب ثاودورس ليس هو امرٌ صعب اذا ما وقع المُصارع بل ان الصعوبة اذا ما ثبت في سقطتهِ . ولا هو حزنٌ اذا ما انجرح المقاتل بل الحزن هو اذا ما قطع رجاءهُ ولم يُعانِ العلاج للجرح وأيس من ذاتهِ . أما ترى التجار الذين يسافرون في الابحار فانهم وان أصيبوا في البحر وضاعت اموالهم فلا يمتنعون من ركوب البحر لكنهم بعد ذلك يرجعون ويركبون البحر ايضاً ويصبرون على تلاطُم الامواج واهوال اللُّجج ويقصدون الاماكن البعيدة مجتهدين بكل حرص ليردُّوا اليهم غناهم . وكثيرون من المجاهدين قد رأيناهم بعد وقعات كثيرة نهضوا وحظُوا باكلَّة الغلبة . وآخرون كثيرون من الفرسان حينما كانوا يصافُّون الاعداء انغلبوا منهم وفرُّوا هاربين ثمَّ بعد ذلك تشجَّعوا ورجعوا وقاوموا بجلادة وشهامة فقووا عليهم وغلبوهم وظهروا ابطالًا في الحرب . وغيرهم كثيرون ايضاً من المؤمنين بالمسيح من شدة العذابات الصعبة المراس ارتخت عزائمهم وعزموا ان يطيعوا (المضطهدين) بل البعض منهم اطاعوهم وسقطوا في العبادة الباطلة . ثمَّ بعد ذلك رجعوا وجاهدوا فنجحوا ولبسوا اكلَّة الظفر مع الشهداء الغالبين . فلو انَّ كلَّ واحد من المذكورين كان قطع رجاءهُ من اول مرَّة لما كان يحصل على الخير الذي حصل عليه فيما بعد . هكذا انت يا حبيبي وان كان العدو قد زعزعك من مقامك قليلًا فلا تفشل خائفاً

وتطرح ذاتك وترجّ بنفسك في الهوّة المهلكة مؤيساً بل قف بجلادة وارجع سريعاً من حيث خرجت ولا تظن ان هذه الضربة لك عارٌ فهل يعيّر احدٌ بعض الفرسان اذا ما نظره راجعاً من القتال جريحاً . بل ان الفارس الذي يطرح السلاح ويمكّن الاعداء من نفسه فهذا الذي يُعيَّر ويُهزأ به . ولكن اذا ما هو وقف متجلّداً في القتال فانّهُ وان جُرح وتأخر قليلًا فالذين لهم معرفة بالحروب لا يلومونهُ اصلًا

ان الذين لا يعاينون الحروب. اولئك لا ينجرحون امّا الذين يحاربون الاعداء بجلادة ويصافّونهم بسلاحهم فعلى الغالب ينجرحون ويصابون كما أُصبتَ انت . لانك اذ اردتَ ان تقتل الحية بجرأة فلسعتك فلا تيأس ايها الحبيب بل ثِقْ واطمئن يا اخي لانك لا تحتاج الّا الى علاج قليلٍ وانتباهٍ وشجاعة فلا يبقى فيك اثر الجراح والضرب . بل انك ترضّ رأس العدو بنعمة المسيح . ولا تحزن لانك جُرحت في ابتداء جهادك بل اعلم ان العدو الغاشّ حينما ابصر بمكره فضائل نفسك وانك مجاهد بطل حيث انك ابتدأتَ بقتاله بحرص وجلادة فخاف منك جدًا وافتكر في انك ان بقيتَ على هذا الحال تغلبه وتقهره فحرص واجتهد بل أفرغ جهدهُ وقاومك بكافّة حيلهِ . فحينئذٍ توانيتَ انت ايضاً متراخياً لانه لولا توانيك لما قدر العدو ان يجرحك . ولو قصدت أنت ان تقف مقابله بجلادة لما امكنه ان يصرعك ويسقطك بل كان شرّه يرجع على هامتهِ

لأنّ مَن ذا الذي لا يتعجب بل كان سُرَّ من انقلابك الاول السريع الحار . ومن لا يندهل من انتقالك من اشراك العالم وفخاخه الى اقتناء الفضائل والصلاح اذ انك رفضت نعيم الاطعمة اللذيذة كلها وطرحت الملابس الثمينة وتوطّأتَ الكرامات والعظمة المرغوبة من الكثيرين . وحرصك ورغبتك اللتان كانتا لك في الحكمة البرّانية رددتهما بسرعة الى كتب الله بهذا المقدار حتى انك كنت تصرف النهار كله في مطالعة الصحف المفيدة وتجيز الليل كله في الصلوات والتضرّعات ولم تذكر شرف جنسك وعزّ آبائك بل كنت تفضّل السجود لأقدام الاخوة على كل شرف . فاذ شاهد منك العدو هذه المناقب حزن جدًا واستيقظ وابتدأ باجتهادٍ ان يقاتلك قتالًا شديدًا . غير انّهُ يا اخي لم يجرحك جرحاً ليس له شفاء . ولو انه تركك الى زمان طويل الى ان تقتني كل نوع من انواع الفضائل والصلاح بعد ان تتعب تعباً زائدًا

شديداً ثم ابتدأ في قتالك وغلبك فقد كان يقال انك خسرتَ خسارة جزيلة . حتى وان كان ذلك كذلك فلا ينبغي ان تيأس وتقطع رجاءك . بل جرحه اياك في ابتداء مصادمتك له خيرٌ لك كي تزداد تحفظاً وحذاقة في قتاله فلا يعود قادراً على ان يظفر بك . ولأن هذا اللص الخبيث لم يخرج لمقاومتك حين رجوعك من سفرك وتجارتك وجزيل ربحك بل انه نهض عليك في ابتداء نزولك في البحر قبل ان تعاني جزيل اضطرابه وكثرة اخطاره وجرى امره معك كمثل مَن يريد ان يقتل وحشاً كاسراً فاذا ما هو خدش خدشهُ يسيراً لم يضرَّهُ ذلك . وانما يصير هذا سبباً لاحتفاظه منه وحرصه كي لا يسلم ذاته في يده دفعةً اخرى . هكذا فعل عدو جنس البشر اذ انه قصد ان يضربك ضربة صعبة بالغة فاخطأ الغرض لانهُ صيَّرك ان تنتبه وتسهر بحرص مترقباً وروده ايضاً

واعلم ايها الاخ ان طبيعة الانسان سريعة الزلق والانتقال من حال الى حال الا انها كما تسقط سريعاً كذلك تنهض ايضاً سريعاً . انظر ما اصاب النبي والملك داود الذي بعد ان اقتنى فضائل كثيرة وكان مختاراً من الله سقط بخطيئة العشق لتلك المرأة الغريبة وتمَّ العمل بالفسق . ولم يقف في هذه الحدود بعد هذا الجرح العظيم بل زاد على ذلك جرحاً آخر اذ مزج الزنا بالقتل ومع ذلك لم ييأس لكنَّهُ حالما نبَّههُ الطبيب انتبه ونهض سريعاً ووضع على جراحه مراهم واستعمل ادوية متفننة وهي الصوم والنوح والبكاء والصلاة الدائمة والاقرار بالخطيئة والندامة عليها وبهذا اجتذب الله الى الرحمة اليه والرجوع الى رتبته الاولى بعد تلك السقطة المريعة واستحقَّ بافعاله هذه ان يستر خطأ ابنه سليمان حينما سقط بعبادة الاوثان لكي يرضي نساءهُ وابتعد من اله آبائه اذ وقع في الفخ الذي وقع فيه ابوه

فانظر يا اخي كم شرٍّ يعمل من لا يضبط شهوتهُ وكيف تنقلب فيه الرئاسة الطبيعية التي خُلق فيها ويصير عبداً واسيراً للشهوة والسلطة . وحقاً ان سليمان قد كان استحق ان يُقرع من الملك والسلطنة لاجل افعاله هذه ولكن لاجل صلاح والده داود تركهُ الله في كرسي الملك والسياسة العظيمة . وانت ايها الحبيب لو كنت حرصت في الامور العالمية والاشياء الجرَّانية ثم تماهلتَ وكسلتَ فاني كنت اذكرك باماكن القضاة وبالذين يكلَّلون هناك ويحصلون على الكرامات . وكنت أطلب

منك ان ترجع الى ذلك الحرص لتحظى بهذه المذكورات . واما نحن اذ قد صار حرصنا كله في الامور السماوية وليس لنا هوى في شيء من الامور الدنيوية فانا نذكرك في يوم الدينونة الرهيب وكيف اننا كلنا عتيدون ان نقف امام عرش المسيح لنعطي جواباً عن كل ما فعلناهُ وافتكرنا به وقلناه . فحينئذٍ يكون الديّان جالساً يستفحص كل شيء ذاك الذي خالفتَ مواعيدهُ بماذا تعتذر لديهِ وماذا تجاوبه ان انت ثبتَّ على مخالفتك العهود التي عاهدته بها ؟

قُلْ لي هل تحتجّ بامور العالم ؟ والحال انه قد سبق سيدنا يسوع المسيح وقال لنا : « ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » . وان انت احتججتَ بانك قد خُدعتَ فلا يبرّرك هذا الاحتجاج كما انهُ لم يبرّر آدم عندما احتجَّ بالمرأة اذ قال : « ان المرأة هي التي غرّتني حتى صنعتُ ما صنعت » . ولم تتبرّر المرأة ايضاً باحتجاجها بالحيّة

يا حبيبنا تاودورس مخيفٌ هو ذلك الموقف الرهيب وتلك الدينونة لانه لا يُحتاج هناك الى اناس يفحصون ويوبّخون ولا الى شهود يشهدون بل الاشياء كلها ظاهرة بين يدي الديّان . ولا يدينا على الاعمال فقط بل على الاقوال والافكار بما انه فاحص القلوب وعالم الخفيّات حتى وحركات قلوبنا الصائرة بالليل والنهار

وعساك تتعلّل بضعف الطبيعة وانك لم تقوَ على حمل نير المسيح الطيب وحملهِ الخفيف فاعلم ان النياح من التعب ليس هو جيداً لان سيدنا يسوع المسيح يدعونا الى هذه الاتعاب ويعدنا بواسطتها الراحة اذ يقول : « تعالوا اليَّ ايها المتعبون والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . احملوا نيري عليكم ان نيري طيب وحملي خفيف »

اخبرني يا اخي ايُّ شيءٍ اخفّ من هذا وهو ان يستريح الانسان من الهموم والامور الدنيويّة ومن الخوف والتعب والنَّصَب ويكون خارجاً عن اضطراب العالم وامواجه ويصير الى مينا هادئ . انا اسألك ايها الحبيب ايُّ شيءٍ في امور الدنيا احبُّ الى الناس وافضل عندهم ؟ فلستُ اشكّ انك تقول لي انها الرئاسة والغنى والكرامات . وماذا يكون اشقى اذا ما انقلبت . حيث ان الرئيس يخاف ان تقوم عليه الجماعة وتشغب . ويخاف ايضاً من الروساء الذين فوقه . ويلتزم بالاهتمام بالذين هم دونهُ . والذي كان بالامس رئيساً في الغد يصير مرؤوساً . لان امور هذه الدنيا

تشبه الذين يلعبون في الملعب . وكما ان اوليك في ملاعيبهم يصيرون الواحد ملكاً والآخر قائداً وغيره فارساً الى ان يتمموا ما ابتدأوا به وفي حال انصرافهم من هناك لا يبقى الملك ملكاً ولا القائد قائداً ولا الفارس فارساً

هكذا في ذلك اليوم الرهيب لا يُكافأ الانسان لاجل اسمه ووظيفته بل لاجل تصرُّفه وافعاله . انَّ الكرامات والشرف العالمي يُرى عندنا لذيذاً وحلواً الَّا انه يذهب عنَّا الى غيرنا وشيكاً . والكتاب يقول : « الويل للذين يفتخرون بقوتهم والذين يفتخرون بكثرة اموالهم وغناهم » . غير ان الحرية المسيحية ليست هكذا إذ انَّ المسيحي الحقيقي لا ينتقل من الرئاسة الى الرعاعة . ولا من الغنى الى المسكنة ولا من المجد الى الهوان بل انه يمكث غنياً اذا ما هو تمسكن ويرتفع اذا ما هو اتضع ولا يقدر احد ان ينزعه من الرئاسة التي يرأسها . لانه لا يرأس على الناس بل على أراكنة وسلاطين ضابطي ظلمة هذا العالم كما قال الرسول

ثمَّ تقول ان الزواج مكرَّم ومضجعهُ نقيّ والله يدين الفسقة والزناة . نعم حقٌّ ما تقوله وهذه آية رسوليَّة . فاما انت فلا يمكنك منذ الآن ان تحفظ ناموس الزيجة . لان الذي قد عاهد الختن السماوي ان يقيم لله نفسهُ ذبيحةً طاهرة اذا ما هو حنث بوعده واتخذ لهُ امرأةً فقد فسق وان سئيتَ لي ذلك عشرة آلاف مرَّةً بقولك ان هذا زواج فاجاوبك قائلاً : لابل انه فسق . واقول ايضاً انه شرٌّ من الفسق . واعلم انَّ الله افضلُ من البشر بما لا يقدَّر والكتاب المقدس قد روى قولهُ : « اوفوا للرب نذوركم » فلا يغرنَّك احد بقولهِ لك ان الله لم يمنع عن التزوُّج . وانا ايضاً اعلم ان الله لم يمنع من التزوُّج لكنه تعالى قد منع عن الفسق الذي تريد ان تفعلهُ باقترانك مع امرأة غير اني ارجو ان ذلك لا يكون اصلاً . ولا تعجب من قولي عن التزوُّج انه فسق حقٌّ لاجل انَّهُ يتم بمخالفة الله

فربَّما رأينا قتلاً صيَّر فاعلهُ باراً لانه تمَّ بطاعة الله وقد رأينا ايضاً فعلَ رحمة عوقب فاعلهُ لاجلهِ اكثر من القتل لانهُ صنعهُ بخلاف ما اوصاه الله . فنحاس الكاهن لمَّا طعن الزاني مع الزانية وصنع القتل حُسب له ذلك براً وصدوقيَّةً لانه كان قتلٌ برضى الله . لمَّا شاوول الملك لانهُ لم يقتل ملك العمالقة كما امرهُ الله مع ان فعلهُ هذا فعلُ رحمة عاقبهُ الله لاجلهِ عقوبةً صعبة بهذا المقدار حتى ان صموئيل النبي طلب

الى الله من اجله كثيراً ولم يقدر ان يخلصهُ مما قضى الله عليهِ بهِ . وسهر هذا النبي ليالي كثيرة بالتضرُّع والبكاء الى الله لاجلهِ ولم يترك الله له هذه المخالفة التي صنعها ضدَّ ما اوصاهُ الله ونزع منه الملك واعطاه لداود

فاذاً لا تعجب من قولي ان الانسان يُدان عن التزويج اكثر من الفسق اذا كان ذلك مخالفاً للعهود مع المسيح . وكما قلتُ لك اولاً انك لو كنت من رعاع الناس لما كان احد يلومك على تركك الفروسيَّة والتجنُّد للمسيح اما الذي هو نظيرك فهذا عارٌ عليه . اذ لم يبقَ لك الآن سلطان على نفسك لانك تجنَّدت وتعيَّنت فارساً للملك السماوي . لانه كما انَّ المرأة اذا ما اقترنت برجل لن يبقى لها سلطان على جسدها بل لرجلها السلطان عليه . فكم بالحري اكثر من هذا بأضعاف الذين تعاهدوا مع المسيح فانهم لا يعود لهم سلطان على اجسادهم

اعلم ان الذي تركتهُ الآن انت هو الديَّان للجميع في ذلك اليوم الاخير . افتكر في كلامي هذا وتأملهُ في كل وقت . واعلم ايضاً ان في ذلك اليوم الرهيب سيجري نهرٌ من نار امامه وعذابات ليس لها احصاء توجد هناك والذين يسلَّمون الى تلك العذابات لايبقى لهم رجاء خلاص منها . اما شهوات العالم فهي كالظلّ والمنام وأضغاث أحلام لأنهُ قبل ان تتمّ الخطيئة تنطفئ اللذَّة اما العقوبة عنها فليس لها انقضاء . اللذة هي زمن يسير واما الاحزان فمؤبَّدة . العالم لا يوجد فيه شيء ثابت وقد قال بعض القديسين انَّ حياتنا هي اسرع من الماء الذي يجري . والنفس المجاهدة لايوجد شيء اكرم منها . وهذا لا يخفى عمَّن وصلوا الى اقصى الجهاد

وانا اعلم ايها الحبيب انك لم تسترخِ كثيراً بازاء قتال العدو . بل انك واقفٌ في وسط لهيب نار الفخ . فاذا ما صرختَ نحو العدو قائلاً : انني للذَّاتك النجسة لا أعبد ولأصل شرورك ومكايدك لا اسجد . ثم اذا رفعت عينيك الى ساكن السماء فحالاً يطفئ عنك وهج اللهيب ويحرق الذين طرحوك في هذا الاتون الناري ويرسل لك في وسط الاتون سحابةَ ندًى وريحاً لطيفاً هادئاً حتى لا تدنو النار منك ولا الى حواسك وافكارك بشرط ان لا تحرق انت نفسك . لأن المدن الحصينة لا تسلَّم للاعداء غالباً من قتال الذين هم خارجاً ولا تُهدَم من خيامهم الَّا اذا نافق واحد او اثنان من داخل فيسلّمونها بخيانةٍ منهم الى الاعداء بغير عناء

وكذلك انت ايها الاخ ان لم تتنازل مع العدو بما تُهجس لك به الافكار من داخل فلا يقدر عليك احد من خارج ولو احتال عليك بحيل شتى لانَّ لك بنعمة الله معاضدين كثيرين اقوياء يتولَّونك جيدًا ويعينونك باجتهاد . ويتحنَّنون على نفسك وهم رفاقُك واخوتك الروحيُّون الذين منهم فيلاريوس قديس الله واخوه فلورنطس الفاضل . والمتمهِّر بحكمة المسيح برفيريوس . واخرون كثيرون الذين لا يزالون ينوحون في كل يوم ولم يكفُّوا في كل يوم من الطلبة والدعاء لاجلك . واني لا اشكُّ في انهم كانوا ينالون ما يسألونهُ لو انك ايضاً تريد وذلك اذا اجتهدتَ بحرص ان تخلّص نفسك ولا تميل مع العدو بقبول ما يقدّمه لك بل قاومتهُ بضد ذلك . وكيف لا يكون هذا عارًا ايها الاخ وهو ان آخرين لم ييأسوا بعد من سلامتك بل انهم في كل وقت يقدمون لله صلوات وتضرعات طالبين منه تعالى ان يردَّ اليهم عضوهم . وانت لا تريد تنهض من سقطتك بل تمكث فيها كمن ليس له رجاء . ألعلَّ الذي يقع لا يقوم ؟ فانت تريد ان تضادَّ الكتاب المقدَّس بقطع رجائك عند سقطتك وكانك تقول بافعالك التي هي لسان حالك : ان الذي يقع لا يقوم

فانا اطلب منك يا حبيب ان لا تظلم نفسك هذا الظلم كلهُ . وارجوك الَّا تُحزن انفسنا بهذا الحزن العظيم وليس اني اقول لك هذا بما انك لم تبلغ بعد عشرين سنة من العمر بل لقلتهُ لو كنت عشت سنين كثيرة وكلها أَجزتها في رضا المسيح . ولو كنتَ عند الكبر والشيب سقطت بمثل هذه السقطة فما كان ينبغي لك حينئذٍ ان تقطع رجاءك . افطن وافتكر باللص الذي آمن على الصليب . أَخطِر ببالك اولئك الذين عملوا في الساعة الحادية عشر واخذوا الاجرة كاولئك الذين عملوا النهار كلهُ . وكما انهُ لا ينبغي للذين يكونون سقطوا في آخر كبرهم ان يقطعوا الرجاء كذلك لا ينبغي للذين يكونون في عنفوان صباهم اذا هم زلقوا ان يمكثوا في حالتهم تلك ويعدوا انفسهم بهذا الرجاء قائلين : نحن نشبع اولًا من لذات هذا العالم وبعد ذلك نتعب قليلًا ونأخذ الاجرة وافرةً

انني يخطر ببالي حينما كنت احذرك وانت راغب مجتهد فكنتَ تقول لي : كيف اصنع لاني اخاف ان يكون خروجي من الدنيا بعد زمنٍ يسير فماذا اعتذر امام الذي قال : لا تُبطئ في رجوعك الى الرب ولا تؤخره من يوم الى يوم . ردّد في نفسك هذه

الافكار واجتهد في ان تربط السارق . لان سيدنا يسوع المسيح هكذا سمّى يوم خروجنا من العالم كسارق يأتينا في يوم لا نعلمه . تأمل بهموم الدنيا للجميع الخاصّ منهم والعامّ . تأمل بمخافة الأراكنة . بجسد اهل المدن الذي ربما بلغ الى اقصى غاية من البلايا . بالاتعاب وبالمشقات التي لا تعداد لها المحيطة بالبشر من كل جهة وناحية . وانظر هذا التعب والعناء كلّه يجوز وينقضي في هذا العالم . فاي شيء يكون اكثر حزناً من هذه المذكورات ؟ ما اكثر الذين تعبوا في امور الدنيا لكي يلتذّوا ويجدوا لهم راحةً ما يعتاضون بها عن تلك فلم يحصلوا على ذلك غير انهم اجازوا حياتهم بالاتعاب والهموم والبلايا . وحيث ظنّوا انهم يعتاضون عن ذلك هاهنا فاختطفهم الموت وذهبوا من غير ان يستريحوا قليلاً . وكذلك ايضاً ما اكثر الجنود العالميّين الذين كابدوا اتعاباً كثيرة وخاطروا بذواتهم مراراً وانتصروا في الحروب لكي يكون لهم دالّة عند الملك الارضيّ . وقد حدث لهم كثيراً انهم لم يبصروا وجهه واياديه بل خاب املهم . فكيف يؤمّل الانسان الذي في حياته لم يجاهد الّا مع العالم والجسد ان سيبصر وجه الملك السماوي

ولو اخذتُ اذكر لك جزءاً من الهموم التي تحلّ في المنازل من اجل المرأة والبنين لرأيت ما اكثرها . لانهم ان لم يولد لهم ولد يحزنون حزناً عظيماً . حيث ان الذين هم هكذا يرون انهم باطلاً اقترنوا بسنّة الزواج . والذين يلدون اولاداً يصيرون كانهم في العبودية . لانّهُ ان مرض احدهم تنغّص عيشهم لاجله . وان مات تصير المصيبة اعظم وينوحون عليه نوحاً لا عزاء له . وفي كل زمان حياتهم تتجدد لهم هموم مختلفة . والذي يتخذ له امرأة فقيرة له حزن خصوصيّ . والذي يأخذ واحدة غنيّة له حزن آخر لان الذي يتخذ المسكينة فقد اضرّ بماله . والذي اتخذ الغنية فقد صيّر عليه رقيباً ومعلماً واهان حرّيته

وماذا اقول ايضاً فيما يكابدهُ الاكابر والاغنياء تارة من كثرة النفقات والمصاريف متى يلتزمون بها ولا تتيسّر لهم بل احياناً كثيرة تتعذّر عليهم المكاسب والارباح . وماذا اقول ايضاً عما يتكبدونهُ احياناً من هموم العبيد والإماء وامور كثيرة غير هذه . فتلك هي حياة اهل العالم المملوءة من المشقات والاتعاب ايها الحبيب . وهي ان يزجّ الانسان نفسهُ في هذه المذكورات جميعها بل وفي بلايا اكثر منها

وبالنتيجة تصير حياته لغيره لا لنفسه

فاننا نحن نشكر الله لاننا ليس عندنا شيء من هذا وانت نفسك ايها الاخ ثاودورس تشهد بهذا كله . لانك تعلم بكم فرح وسرور تمتعت بذلك الزمان الذي فيه افرزتَ نفسك لله وانفصلت من اضطرابات العالم ومن بحر امواجه وملكت الحرية التي لا يملكها الا الذين ابتعدوا من التزويج واختاروا المسيح اولئك يسعدون بل ينتصرون على هذه البلايا كلها . لأنَّ الانسان اذا ما قصد ان لا يضرّ بنفسه فلا يقدر احد ان يضره اصلاً . ان هو خسر مالاً فلا يحزن لانه قد عرف اننا لم ندخل الى الدنيا بشيء وكذلك لا نخرج منها بشيء . ولا يدخل في قلبه حبُّ المجد الباطل ولا رغبة الكرامات لانه قد علم ان تدبيرنا هو سماوي . وان قرّعه انسان لا يحزن واذا ضربه لا يغضب . وهلم جرًا

وانما مصيبة المسيحيين هي واحدة فقط ان يخالف الانسان خالقه . اما بقية الاشياء كخسارة الاموال ليست هي شيئاً عند من حسُنت عبادته كما تقدَّمنا فقلنا . وكذلك الخروج من الوطن وبقية الاحزان الفادحة فلا نرى انها شيء . لاسيما اولئك الذين تركوا العالم والتحقوا بالمسيح كما سبق القول . فالامر الذي كل الناس يخافونه ويرهبونه اكثر من الجميع وهو الخروج من الدنيا هو عندهم احلى من الحياة ولذيذ بهذا المقدار حتى انهم يحتسبون ذواتهم نظير انسان صعد الى جبل عالٍ وهو ينظر الى البحر متأملاً الى الذين يسيرون فيه كيف ان البعض قد غرقتهم الامواج والآخرين قد صادمتهم الصخور وتكسَّرت مراكبهم . ويجتهد غيرهم ان يمضوا الى مدينة مقصودة منهم فيأخذهم الريح الى غيرها . والبعض قد غرقوا واخرين قد فارقوا الدنيا وهم طائفون على الماء . ومصائب كثيرة غير هذه

امَّا الذين خصصوا نفوسهم وتجنَّدوا للسيد المسيح فانَّهم يرون ذواتهم انهم قد نجوا من هذه المخاطر وخلَّصوا انفسهم من بحر هذا العالم وامواجه . وحصلوا في مينا هادئ . فاي شيء يكون اصلح واسهل من ان لا يكون للانسان سوى همّ واحد وهو كيف يُرضي الله كما ينطق بذلك إمامُنا ذاك الرسول المفضل بولس الطوباني بقوله : «ان المتزوج يهتمّ كيف يرضي امرأته . والغير المتزوّج يهتمّ كيف يرضي الله»

ارايت يا حبيبي مصايب الذين يسيرون في بحر هذا العالم والمخاطر الحاصلين بها

فانا ارجوك ان تهرب من هذه اللجج والامواج الخطرة وتستكين في السكينة والهدو حيث لا خوف عليك . ومن المعلوم ايها الاخ ان القيامة والدينونة حقّ وبعد خروجنا من هذه الدنيا لا بدّ لنا ان ننتصب امام عرش المسيح لنأخذ جزاء افعالنا ثواباً ام عقاباً لانه لم تُعَدْ جهنم عبثاً ولاتهيّأت الخيرات باطلاً . وهذه الاشياء ابدية ليس لها انقضاء . اما العالم فهو لسرع زوالاً من الظلّ فلا تخسر تلك لاجل هذه مع انك تقدر ان تربح الامرين كليهما . ان اردت وقصدت ذلك باجتهاد لأنّ الرسول الالهي بولس المعظم يثبت ذلك للذين يعيشون بالمسيح من غير زواج بقوله : «اني ارقُ لكم واشير عليكم بهذا لمنفعة انفسكم »

وحقاً ان الذين يهتمّون بامور الرب وحدهُ هم افضل من المتزوجين وبعد مضينا الى العالم الآتي لا يمكننا ان نتوب لان هاهنا ميدان الجهاد فهل رأيت احد الفرسان المجاهدين بعد ان يجوز موسم الحرب ويمضي الناس من موضع الجهاد . متفرقين يفتكر في ان يجاهد ؟ فافتكر متأملاً في هذه كلها واكسر سيف العدو المرهف البتّار الذي به يقتل كثيرين اعني به قطع الرجاء الذي بواسطته يصير الذين يسقطون ييأسون من التوبة . وهذا هو سلاح العدو والذي به يقوى على الذين سقطوا . ولكن اذا ما اردنا فنحن نقدر بنعمة المسيح ان نكسر هذا السلاح ونطفئ هذا السهام المحمى ونرضي ربنا والاهنا يسوع المسيح

انا اعلم يا اخي اني قد تعدّيت حدّ الرسالة فاغفر لي . لانني لم افعل هذا كرهاً بل انني كُلِّفتُ من الحب والحزن اللذين اضطرّاني في ان اكتب اليك هذه الرسالة مع كثيرين كانوا يمنعوني عن ذلك بقولهم لي : كفّ عن تعب لا يجدي نفعاً ولا تزرع على الصخرة . فلم اقبل ذلك من احدٍ منهم بل اني اجبتُهم قائلاً : انّ لي رجاء ثابتاً ان كلام الكتب لا شك ينفع وانا ايضاً اصلّي واطلب اننا نحن نربح . ولكن لا نُلام ايضاً ولو لم نربح ونكون شرّاً من الذين يركبون السفن في البحار لان اولئك اذا هم رأوا بعض ركّاب البحر قد أُصيبوا وانكسر مركبهم . يرخون القلاع ويرمون مراسيهم ويركبون حالاً القارب ويذهبون ليغيثوا الذين قد اصيبوا وصاروا في خطر الغرق حتى وان كانوا اناساً لا يعرفونهم . فماذا اوليك لم يريدوا ولا يحبون ان يخلصوا فليس احد يلوم الذين اعانوهم وقت هلاكهم

فنحن قد فعلنا ما يجب علينا . وارجو بنعمة المسيح انك انت ايضاً تعمل ما يجب عليك . واننا سنبصرك ايضاً في قطيع غنم المسيح على ما يجب وان يقبلك وانت معافىً صحيحاً بالصحة الحقيقية المرضية له بصلوات جميع القديسين . يا حبيبنا ان كنت ترانا في شيء . وتحفظ مودتنا بعد ولم تكن طرحتنا بالكلية من فكرك اقرأ رسالتنا هذه وتأملها جيداً واكتب لنا جوابها فانك اذا فعلت ذلك ستسرنا جداً ونفرح جميعنا امام منبر المسيح وتؤهلني انا الحقير ان اقول بدالة : هاءنذا والبنين الذين اعطانيهم الله . وايضاً : ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد . جعلنا الله مستحقين ذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للطبيعة البشرية التي فداها بدمه الكريم الذي له المجد والعزة والاكرام والسجود الان ودائماً والى ابد الدهور كلها امين

لغزان في المريخ

للاب رفائيل غله اليسوعي

لا نعلم من السيارات الثماني الدائرة حول الشمس واحدةً استفزت رغبة الفلكيين في الاطلاع على غامض احاجيها بقدر المريخ . فلا الزهرة التي تبدو في شكل ماسة كبيرة زهراء مرصعة — والزهرة اسطع من كل النجوم — ولا زحل الذي ادهش الاقدمين والمتأخرين بحلقاته اللامعة الغريبة . ولا نبتون الذي اعلن الفلكي الفرنساوي الشهير لفريه (Le Verrier) بمجرد حساباته العميقة موقعهُ الخفيّ في اقاصي النظام الشمسي على بعد اربعة مليارات و ٨٠٠ مليون كيلومتر من الشمس . وبالاجمال لا نعلم سيارةً حيّرت عقول العلماء بقدر المريخ ولاسيّما منذ نحو خمسين سنة ، وقد زاد القيل والقال وتضاربت الآراء كل التضارب في هذا الكوكب العجيب اثناء العام الماضي حيث دنا في دورته حول الشمس الى اقرب مسافة من الارض . فلاح اوانئذٍ لرهط من قليلي التبصُّر المستندين الى ادلة واهية ان نبأً لاسلكيًّا ورد الينا من اهل المريخ . وكان كثيرٌ منهم قبل ذلك باعوام ارتأوا بوجود أناس مثلنا على سطح هذه السيارة وانها مخططة بأقنية مستقيمة عديدة لا يمكن تعليلها بسوى عقل منشئيها .

فنحن قد فعلنا ما يجب علينا . وارجو بنعمة المسيح انك انت ايضاً تعمل ما يجب عليك . واننا سنبصرك ايضاً في قطيع غنم المسيح على ما يجب وان يقبلك وانت معافىً صحيحاً بالصحة الحقيقية المرضية له بصلوات جميع القديسين . يا حبيبنا ان كنت ترانا في شيء . وتحفظ مودتنا بعد ولم تكن طرحتنا بالكلية من فكرك اقرأ رسالتنا هذه وتأملها جيداً واكتب لنا جوابها فانك اذا فعلت ذلك ستسرنا جداً ونفرح جميعنا امام منبر المسيح وتؤهلني انا الحقير ان اقول بدالة : هاءنذا والبنين الذين اعطانيهم الله . وايضاً : ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد . جعلنا الله مستحقين ذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للطبيعة البشرية التي فداها بدمه الكريم الذي له المجد والعزة والاكرام والسجود الان ودائماً والى ابد الدهور كلها امين

لغزان في المريخ

للاب رفائيل غله اليسوعي

لا نعلم من السيارات الثماني الدائرة حول الشمس واحدةً استفزت رغبة الفلكيين في الاطلاع على غامض احاجيها بقدر المريخ . فلا الزهرة التي تبدو في شكل ماسة كبيرة زهراء مرصعة — والزهرة اسطع من كل النجوم — ولا زحل الذي ادهش الاقدمين والمتأخرين بحلقاته اللامعة الغريبة . ولا نبتون الذي اعلن الفلكي الفرنساوي الشهير لفريه (Le Verrier) بمجرد حساباته العميقة موقعهُ الخفيّ في اقاصي النظام الشمسي على بعد اربعة مليارات و ٨٠٠ مليون كيلومتر من الشمس . وبالاجمال لا نعلم سيارةً حيّرت عقول العلماء بقدر المريخ ولاسيّما منذ نحو خمسين سنة ، وقد زاد القيل والقال وتضاربت الآراء كل التضارب في هذا الكوكب العجيب اثناء العام الماضي حيث دنا في دورته حول الشمس الى اقرب مسافة من الارض . فلاح اوانئذٍ لرهط من قليلي التبصُّر المستندين الى ادلة واهية ان نبأً لاسلكيًّا ورد الينا من اهل المريخ . وكان كثيرٌ منهم قبل ذلك باعوام ارتأوا بوجود أناس مثلنا على سطح هذه السيارة وانها مخططة بأقنية مستقيمة عديدة لا يمكن تعليلها بسوى عقل منشئيها .

فقصدُنا من هذه المقالة حلّ هذين اللغزين بناء على المبادئ العلمية الراهنة لنرى ما في الرأيين المذكورين من الصحّة

١ نبأ لاسلكي من اهل المريخ

لا يجهل قرّاء المشرق ان طائفة من العلماء ولاسيّما المتطرّفين رجّحوا بدرجات متفاوتة وجود بشر مثل بني آدم على ظهر سيّارة المريخ اللاحقة للارض في سلسلة السيّارات المكوّنة للنظام الشمسيّ . واولئك العلماء — وهم النزر القليل نسبةً الى غيرهم — يسندون نظريّتهم هذه الى الشبه الغريب بين سيّارتنا والمريخ من وجوه عديدة كالحجم وتوالي فصول العام الاربعة ودرجة الحرارة التي هي نصف درجة الحرارة الارضيّة المتوسّطة ووجود قارّات وبحار يحيط بها جوٌّ يحتوي على بخار الماء.

ولا حاجة للتصريح بان اصحاب ذلك الحدس لم يأتوا ببرهان علمي واحد قاطع لا مردّ عليه لتأييد مدّعاهم مع كونهم افرغوا كنانة المجهود لبلوغ هذه الغاية. ومما روت الجرائد عن بعض الاميركيين في العام المنصرم اذ كانت الارض متوسّطة بين المريخ والشمس على خط مستقيم (١ انهُ بقي في ولاية ونبرسكة من الولايات المتحدة سبعة ايام متوالية وعلى اذنهِ قابلُ التلغراف اللاسلكي وهو موصولٌ بصارية تنتهي اليها اسلاكٌ طولها ٣٥ ميلاً (والميل ١٫٦٠٩ امتار) كان قد مدّها على مساحة ٢٥ ميلاً مربّعاً. وكان المقصود من كل هذا الاستعداد الغريب تمكين القابل من قبول النبأ اللاسلكي المرسل الى الارض من اهل المريخ اثناء مقابلتهم لدنيانا. أجل بقي هذا العالم سبعة ايام متواصلة والقابل على اذنه. لكن واأسفاه لم يأته رغمَ جلَدهِ العجيب واستعدادهِ الفنّيّ الاعجب منه ادنى برقيّة لاسلكيّة من المريخيّين الموهومين. فيا لخشونة طباعهم وسوء آدابهم !

وضاق صدر عالم آخر اميركي ايضاً — وما اكثر الغرائب في اميركة بالاشياء والاشخاص ! — لطول انتظاره نبأ المريخ وهو على سطح الكرة الارضيّة فحدّثته نفسه بالصعود في منطاد الى علو ١٥ كيلومتراً زاعماً انه يسهل على البرقيّة اللاسلكية

١) في المقابلة يبعد المريخ عن الارض ٨٧,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر وهو بُعدٌ لا يُذكر في نظر الفلكيين !

المريخية الوصول اليه . فكادت روحه تبلغ التراقي وبعد ان قاسى الامرّين انحدر الى الحضيض مجنّي حنين

وفي نفس ذلك الوقت على وجه التقريب هاجت الاذهان وماجت في مشارق الارض ومغاربها عند نشر الصحف للحادث الآتي الذي لم يُعهد له نظير . وهو ان كثيراً من محطّات اللاسلكي المنتشرة في كل اقطار المعمور قبلت تموّجات كهربائية غير ارضيّة اي واردة من احد الاجرام السماوية . وقد أكّدت الدوائر التلغرافية الشهيرة ان الايطالي مركوني مخترع اللاسلكي اعتقد بصحّة هذا الخبر .

وهاك بعض الحجج التي كان المتنورون يؤيدون بها مدّعى الجرائد : اولاً لا يوجد سوى محطّات قليلة قادرة على ايصال انبائها الى كل جهات العالم وهي ترسلها في اوقات معلومة غير الوقت الذي وردت فيه التموّجات العجيبة

ثانياً ان طول هذه (راجع الصفحة ٣٠٣ من المجلد السابع للمشرق) يفوق طول التموّجات الصادرة من كل المحطات الكبرى فانّ طول التموجات الصادرة يومياً من برج ايفل في باريس للدلالة على الوقت يبلغ ٢،٥٠٠ متر . اما التي تبثها محطة دونا (Dona) بجوار ليون لنفس هذه الغاية فطولها نحو ١٥،٠٠٠ متر فهي نحو ثلاثين مليار مرّة اطول من التموجات النورانية البالغ طولها نحو جزء من خمسين مليوناً من السنتيمتر !

وعلى وجه الاطلاق ان طول التموجات الكهربائية يتراوح بين بضعة ميلمترات وملايين من الامتار

ثالثاً لا مستند للقول بانها آتية من الجو — ولا شك الان في امكان ذلك الامر بغضّ النظر عن الظروف الخصوصيّة — لان شدّتها تنقص حينئذٍ بنسبة عكس مربّع المسافة الفاصلة بين مصدرها ومنتهاها نعني المحطّة القابلة لها . والحال ان درجة شدة التموجات العجيبة كانت هي هي او كادت في محطات يبلغ البعد بين بعضها آلافاً من الكيلومترات . وعلى كل حال فمن المؤكّد لدى الخبراء الاثبات ان التموّجات الكهربائية الجويّة لا تنتشر الى مسافات بعيدة كالسابقة

فاستنتج مُوردو تلك البراهين الثلاثة ان مصدر التموّجات المبهمة السرّية شديد البعد عن الارض حيث لم تؤثر على درجة شدّتها مسافة آلاف كيلومترات على سطح

نبراء . ومن ثمَّ صرَّحوا وهم لا يخشون تكذيب مكذِّب ولا لومة لائم بان
صدرها احد الاجرام السماوية . عندئذٍ رقصت احشاء القائلين بوجود أناس مثلنا
ب المرّيخ ارتياحاً وتهلّلاً ثم طبّلوا وزمّروا على مرأى ومسمع من الملا بان اهل المريخ
م الباعثون لتلك التموجات الغريبة وذلك بقصد محادثة اخوتهم بني النبراء نزلاً
يهم !

هلمَّ بنا الآن يا رعاك الله لنرى بعين التروّي ما في هذا القول من الصحّة لئلا
مي الكلام على عواهنه . تعلم يا صاح ان التموّجات الكهربائية ناجمة عمّا سمّاه
طبيعيون الشرارة المتذبذبة (étincelle oscillante) حيث قد ثبت بالاختبار انها
صدر نارة من القطب الايجابي وطوراً من السلبي . والحال ان رهطاً من العلماء الثقات
ونوا شرارات متذبذبة منبعثة من الجوّ اثناء العواصف ودوّنوها بآلات لا تختلف
ن قابل اللاسلكي . فيتحتم علينا القول بان جهات الجو المضطربة التي هي منشأ
لاطلاقات الكهربائية هي ايضاً منشأ تموّجات في غاية الشدة . وقد صُنعت على هذا
بدأ آلاتٌ منبئة بدنوّ الزوابع يدقّ جرسها المنبّه كل نحو عشر دقائق طالما الإعصار
ى بعد نحو ٣٠٠ كيلو متر ثم تقصر الفترات وترنّ الدقّات كل دقيقة او كل ثلاثين
ية اذا كانت العاصفة على وشك الوصول — فهذه الحوادث المقرّرة باختبار سنوات
ديدة حدَت بالعالم الفلكي الفرنساوي نزدمان الى القول بحضر من اعضاء اكاديمية
ارم الباريسيَّة بان الشمس تُصدر تموّجات كهربائية مثلما لها إشعاع الحرارة والنور
كان ذلك حول سنة ١٩٠١ . واليك بعض الادلّة التي استند اليها الارذعي نزدمان
اءة الجسورة في ذلك المعهد

اولاً ان من الامور الاكيدة علميًّا التي لا ينكرها مكابر ان لكل التموّجات
ء كانت نوراً او حرارة او كهرباء نواميس مشتركة عامّة لا يحيد عنها ايُّ تموّج كان
شعرة . ولو لم يقصر الباري القوة الحاسّة في شبكيّة عيننا على التموجات النورانية
كنا نرى تموجات الحرارة والكهربائيَّة ايضاً ومن يستطيع ان يرجم مقدار الانقلاب
تج عن ذلك في شعورنا بأعراض العالم الهيولي ! فحيث لا يوجد في نظر العلم
صحيح العصري فرقٌ جوهري مطلق بين انواع التموّج الثلاثة فيرجّح على الاقل
نها مجموعة في الشمس المحتوي إشعاعها على النور والحرارة

ولكن شتّان ما بين هذا الدليل الترجيحي واليقين الكامل ! فاليك ايها القارئ الفطن دليلاً آخر يُرضيك اتمّ الرضى . لم يبرح من ذهنك ان جهات الجو المضطربة بالاعاصير هي مصدر تموجات كهربائية . والحال انّ صور الشمس الفوتغرافية تعلمنا ان سطح هذا الكوكب مكوّن من نحو سحائب نيّرة مشعّة تبلغ حرارتها زهاء ٦٫٠٠٠ درجة من المقياس المئوي ومساحة بعضها تفوق مساحة فرنسة (نحو ٥٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع) وهي متحركة بسرعة هائلة بحيث تختلف صورتها من دقيقة الى اخرى وتلك السرعة تفوق سرعة اشدّ الاعاصير بدون قياس مع ان هذه تبلغ احياناً ١٦٢ كيلومتراً في الساعة اي نحو ٤٥ متراً في الثانية

هذا ما نلاحظه في سطح الشمس امّا باطنها فقد أرَتنا فيه النظّارة الطيفيّة انفجارات دائمة وبتنهي الشدة . فنستخلص من كل تلك الحركات الانقلابية المحيّرة بقوتها ودوامها ان الغازات المكوّنة للكوكب المنير هي كالجهات المضطربة من الجوّ الارضي اثناء العواصف مصدر اطلاقات كهربائية وبالتالي منشأ تموجات كهربائية ايضاً وان هذه وتلك تفوق ما نشاهده على الغبراء بنسبة تفوق شدّة الاعاصير الشمسية على عواصفنا

ويؤيد ذلك ما رصده العالم الفرنسوي ديلندر (Deslandres) اثناء كسوف كامل للشمس وهو ان الطرف الاسود من القمر محاطٌ بشبه هالة وردية اللون محزّزة الشكل أسفرَ تحليلها بالنظّارة الطيفيّة عن كون أشعة الجو الشمسي الناجمة عن الانفجارات الباطنية منارةً بالكهربا . ومتولدةً من اطلاقات كهربائية مضارعة للتي نراها في اعاصيرنا

ومنذ نحو ١٧ سنة صرّح العالم الفلكي نُردمان بوجود تلك التموّجات الكهربائية الشمسية بناء على كل الادلّة السابقة التي ارشدته اليها قريحتهُ الوقّادة او أرصاد اخوانهِ ائمة علم الهيئة

فلعمري لو عرف كلّ ذلك المطبّلون والمزمرون في منتصف العام الماضي زاعمين انّ اهل المريخ توفقوا بفرط حذقهم الى ايصال برقيّة لاسلكية الى سكان الارض لما قالوا بتلك السفاسف ولا تعدّوا حدود الصواب اذ طلبوا تعليل امرٍ طبيعيّ من بُعدٍ قاصٍ وهو قريب المأخذ بل تحت يدهم . نعني ان الشمس مصدر التموّجات الغريبة

التي ادهشت الجمهور

ولو درى ذلك الفلكيان الاميركيان المذكوران في مستهل هذه العجالة لما أسرف الاول مؤونة علمه وتدبيره وصبره ليلصق اذنهُ مدة سبعة ايام متواصلة بقابل اللاسلكي — وما صعد الآخر بمنظاره الى علو ١٥ كيلومترًا حيث كاد يُصمّ صداه واوشكت روحه ان تفيض

وايم الحق يقال ان مثل ذلك الفضول والتشبث العنيد بآراء واهية خالية عن كل ارجحية علمية لمن المضحكات المبكيات . والاصوب في نظرنا ان يُضحك منها

ولكن ليت شعري ألا يستند قول العلماء القليلين القائلين بوجود أناس مثلنا في المريخ الّا على المشابهة بينه وبين الارض من جهة الحجم واربعة فصول السنة ودرجة الحرارة والقارّات والبحار ؟ لعمري كل هذه الادلة ضئيلة نسبةً الى النتيجة الخطيرة المستخلصة منها . ولو لم يكن هنا دليل آخر اقوى منها كثيرًا — مع انه باطل مثلها كما سترى — لما رأينا بعض الفلكيين يخبطون خبط عشواء في قبول نظريّة ينبذها اليوم نبذ النواة معظم ائمة علم الهيئة العالمين ببجدة الامر . والدليل المذكور كاذب مثل الاوّل وهو هو ما سمّاه الواهمون « أقنية المريخ » وقد افردنا الباب الثاني لايراد البراهين الدامغة على عدم وجود تلك الاقنية وهي الركن الاقوى لادعاء المدّعين بكون للمريخ سكّانًا

٢ اقنية المريخ الموهومة

نفتتح هذا الفصل ببعض المعلومات على جارنا المريخ الذي مدار كلامنا عليه وقد سبق لنا القول بانه يلي الارض مباشرةً في سلسلة السيارات بالانطلاق من الشمس واعتبارها كالطرف الاول للسلسلة . يدور المريخ حول قطبيه في ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة و ٢٧ ثانية من الوقت الشمسي المتوسط . ويدور حول الشمس بمدّة اقلّ يسيرًا من سنتين وهي بالضبط سنة و٣٢١ يومًا . وللمريخ قطرٌ يزيد قليلًا عن نصف قطر الارض البالغ نحو ١٢،٨٠٠ كيلومتر . وثقله يساوي نحو عُشر وزن كرتنا المقدَّر بـ ٥،٥×١٠^٢١ طنًا . وبعده المتوسط عن الشمس زهاء ٢٢٧ مليون كيلومتر (بُعد الارض ١٤٩ مليون ك) وله قمران لم يُكتشفا الّا سنة ١٨٧٧ لفرط صغرهما قطر الاول ١٢ كيلومتر وقطر

الآخر عشرة . واسمها فوبوس (Phobos) ودَيْمُس (Deimos)

والآن بعد تقديمنا المريخ للقرّاء هلمّ بنا لنمعن رائد النظر العلمي في أُقنيتهِ . اوّل من لحظها الفلكي الايطالي سكياپارِلي (Schiaparelli) سنة ١٨٧٧ على سطح السيّارة ثم رصدها بعد ذلك رهطٌ من نوابغ الفلكيين في كل الامم الراقية . وهذه الاقنية ظهرت لهم بشكل شبكة من خطوط دهماء مستقيمة في الغالب وملتقية من مسافة الى مسافة بنحو شامات سوداء أُطلق عليها اسم بُحيرات لسبب واضح وهو ان الانسان يحفر في بعض الاحيان اقنية كثيرة متشعبة من بحيرة واحدة لري الاراضي المحدقة بها . وقيسَ عرضُ اضيق الاقنية فوُجد مساوياً نحو ٢٠ كيلومترًا . ومن البديهي ان كل بحيرة اعرض من الاقنية الصادرة منها . امّا عدد الاقنية المرصودة فما زال يزداد بهمّة سكياپارِلي وخلفهِ المبرّز الفلكي الاميركي لاوِل (Lowell) حتى بلغ اليوم عددها فوق اربع مائة ومن العجب العجاب ان المرقب يُري في بعض الاحيان الاقنية مثنّاةً فكل منها يتحوّل ساعتئذٍ الى خطين متوازيين متقاربين — ومن المميّزات الغريبة للمريخ التي لا مندوحة لنا عن ذكرها لاحكام ارتباط حلقات جدالنا الآتي على حقيقة الاقنية اي ما دعاه العلماء باسم فكيهِ الكُتلتين القطبيّتين اشارة الى هيئتهما المستديرة المنتظمة المغطية للقطبين وما جاورهما الى بعد ٣٥ درجة من كل قطب وهما ناصعتا البياض ويرجح تكوّنهما من الجليد او الثلج اثناء الشتاء المريخي بدليل كونهما تتناقصان في اوائل الصيف وتزولان بتاتاً في حمارّة القيظ . وقد زعم البعض انهما ناجمتان عن تخثّر الغاز الفحمي اي الحامض الكربونيك الغزير على قولهم في جوّ المريخ . ويمنعنا ضيق المقام عن الخوض في هذه النظرية

وما يزيد قيمة كل هذه الارصادات الشائقة العجيبة كون سطح المريخ غير محاط كالزُهرة والبرجيس (او المشتري) بسحائب كثيفة دائمة الحركة حائلة دون اتقان الرصد . ثم ان جوّ جارنا قليل الكثوفة نسبةً الى غيره وفي ذلك سهولة عظيمة لنا في ملاحظة كل تفاصيل السيّارة الكثيرة الاحاجي الغريبة الاشكال والتطوُّرات

كلُّ ما سبق هو من قبيل المعلومات التمهيدية . فلنلج الآن الى كبد المشكل ومنطوقهُ على هذا النمط : ان كانت الاقنية حقيقية فهل يمكن تعليلها بغير عقل

سكّان المريخ ؟ وان كانت خيالًا كاذباً مشبهاً للسراب الخادع او البرق الخلّب فما البرهان العلمي على ذلك ؟

اجاب بعض معاصري سكياپارلي مكتشف الاقنية ورهطٌ من خلفائه باستحالة نسبتها الى غير قريحة المريخيين. قال احد هؤلاء العلماء پيكرنج (Pickering) انها اراضي الزراعة المستطيلة الشكل الزائدة النصوع حين تسقيها المياه العرمرميّة الناتجة عن ذوبان جليد الكتّتين القطبيّتين وثلجها مدّة فصل الربيع. ولا نكير ان اسطع ما تتراءى لنا في ذلك الفصل

امّا الاميركي لاوِلْ فانه ضرب على نغم پيكرنج بل فاقهُ بزعمهِ ان ازدهار حقول المريخ اثناء الربيع ناجم عن كونها مسقيّة باقنية اصطناعيّة تبرهن استقامتها الهندسيّة على شأو بعيد من التمدّن العقلي في سكّان السيّارة جارتنا . اما جهاتها التي لا تتاخم الاقنية فهي قاع صفصف لكونها محرومة من المياه الوافرة لمقاومة جفاف المناخ المفرط . ومن غريب هذيان الفلكي لاوِل انه ادّعى كونه حضر من وراء عدسيّة مرقبهِ افتتاح قناة جبّاريّة ذات سدود على المريخ !

فما قولنا عن الحجة السابقة على وجود سكّان مثلنا او على الاقل مزدانين بالعقل على سطح جارتنا أهي من الادلّة الساطعة التي تلقم مَن ينكرها الحجر ! كلّا ثم كلّا واليك شواهدنا

اوّلًا انه من المحقّق ان المريخ كثير الجبال والوديان والوهاد والهضاب وتؤيد ذلك الصبغات المختلفة في لونه باختلاف اصقاعهِ ثم عدم استدارة طرف الكتّتين القطبيّتين على شكل هندسي كامل . فكيف والحالة هذه نرى دليلًا على عقل سامٍ في حفر اقنية في غاية الاستقامة يبلغ طول بعضها آلافاً مؤلفة من الكيلومترات وهي متساوية العرض من اقصاها الى اقصاها ؟ اليس في هذه الاعمال الجبّارية عناء هائل ذاهبٌ ادراج الرياح ؟ ومن جهة اخرى اين سِمَة العقل في جَلْب المياه من الكتّتين القطبيّتين اي من بُعد يبلغ احياناً خمسة آلاف كيلومتر وترك اراضي واسعة مترامية الاطراف بدون ريّ ولا زراعة مع انها متاخمة لها ؟ وايم الحق انه لرابع المستحيلات ان يرى المتبصر هذه الملحوظات بميزان الرشد بدون ان يعتريهُ على الاقلّ شك شديدٌ في وجود المريخيين العاقلين ايًّا كان شكل اجسامهم

على اننا لا نقف في تفنيد هذا المذهب الواهي الاساس عند هذا الحد بل نسير الى الامام ونورد اقوى البراهين على فساده الكلي . اولًا يقرّ الذائدون عن حياضه ان كل الراصدين للاقنية رصدوها بنظّارات ضعيفة وعلى الاكثر متوسطة القوة فنظارة مكتشفها سكياپارلي لم يزد قطر عدستها الخارجية (objectif) على نحو ٢٥ سنتيمترًا . والحال انه لا يبقى للاقنية من اثر في الستر اليسير من أقدر المراقب الاوربية والاميركية كمرقب مرصد ليك في كاليفرنية البالغ قطرُ نظارته ٩١ سنتيمترًا . والدليل الساطع على غريب قدرته ان الفلكي بَرنَرد اكتشف بواسطته القمر الخامس للمشتري مع ان قطره لا يبلغ ٥٠ كيلومترًا وان تلك السيارة تبعد عن الارض نحو ٦٢٥ مليون كيلومتر نعني فوق اربعة اضعاف بُعد الشمس عنّا . فبهذه النظارة الجبارية تتلاشى الاقنية الموهومة كاضغاث احلام ولا يبقى على سطح المريخ سوى شامات كالحة منثورة بدون هندام في كل جهاته وسيتضح لك عن قريب انها هي ما سمّاه القائلون بحقيقة الاقنية «بحيرات المريخ»

وان لم تكفك ايها القارئ القطن شهادة مرقب ليك السابقة على عدم وجود الاقنية فأصغِ الى شهادة أخرى صادرة من نظّارة مرصد يركس (Yerkes) بجوار شيكاغو وكان لها في منتصف العام المنصرم المقام الاول بين كل نظّارات المعمور اذ قد بلغ قطر عدستها الخارجية ١٠٥ سنتيمترات أعني بزيادة ١٤ سنتيمترًا على عدسة مرقب ليك . فلمّا استفتى احدُ الباحثين مديرَ مرصد يركس بخصوص أرصاد لاوَل التي هاجت لها اميركة وماجت من فرط الإعجاب وردت اليه من ذلك العلّامة البرقية الآتية وهي من الغرابة بمكان بالنسبة الى شدة ايجازها وفكاهتها : « مرقب يركس أقدرُ من ان يرى الاقنية » !

ويؤيد الشهادتين الآنفتين — ان كان ثَمّ حاجةٌ الى التأييد — كون اقوى مرقب فرنساوي وهو مرصد مودون (Meudon) الشهير الواقع في ضواحي باريس لم يرَ في المريخ شيئًا يشبه الاقنية عن كَثَب او عن بُعد .

وفي وسعنا ايراد ادلة اخرى كثيرة من هذا القبيل ولكن ما لنا فيها حاجة بعد الحجج السابقة . على اننا لا نجتزئ بذلك لردّ قول القائلين بحقيقة الاقنية بل نتطرق الى تعليل ظهورها الجلي في النظّارات الضعيفة والمتوسطة . الامر الذي حاد بكثير

من الراصدين عن جادّة الصواب. فاذا فسّرنا تلك الظواهر الكاذبة الخادعة تفسيراً علمياً مقبولاً نكون اجبنا جواباً شافياً على كل اعتراضات ومُماحكات المدّعين ما لا وجود له الّا في مخيّلاتهم وعدسيّات مراقبهم القصيرة البصر

يُطلَق لسم القوّة الفاصلة في النظارات على طاقتها لتمييز دقائق الاجرام السماوية. والاختبار مع الحساب لسانٌ واحد في التصريح بان تلك القوة تنقص او تزيد بنسبة قصر او طول قطر العدسيّة الخارجيّة. واليك مثالاً يعينك على ادراك ذلك. ارسم يا رعاك الله على ورقة خطّين متوازيين دقيقين وابتعد عنهما تدريجاً. ألا يأتي وقت يخيّل فيه لك انهما ممتزجان متوحّدان؟ وما داعي ذلك سوى ان ابتعادك يضاهي في تأثيره تضايق قطر العدسيّة الخارجية من مقلتك. بعكس ما لو تدانيت الى الورقة فانك على هذه الحال تميّز فيها ادقّ التفاصيل دون اقلّ عناء.. وعلى هذا النسق ذاته ان الشامات الكالحة التي تظهر منثورة في كل جهات سطح المريخ لمن يرصدها بمرقب قوي تتراءى في غيره متكتلة وموصولة بخطوط مستقيمة توهم بوجود اقنية هناك

وسائل يسألنا معترضاً: «ولماذا نرى تلك الخطوط الوهمية سويّة بغير التواء؟» نجيب ان الفسيولوجيين لم يتوفقوا حتى الآن الى تعليل ذلك الشعور المخالف للحقيقة ولكن الاختبار يشهد على حدوثه كلما اجتمعت الظروف السابقة. فدونك مثلاً وصف التجربة التي اجراها الفلكي الاميركي الشهير نيوكب (Newcomb). انه رسم على إطار ابيض جملة شامات دكناء منفصلة الواحدة عن الأخرى ومتشققة شذر مذر في كل اوب من الإطار بحيث تجانس في عين مشاهدها عن كثب صورة سطح المريخ المتجلية في اقدر المراقب. ثم جعل رهطاً من الفلكيين المعدودين على مسافة معلومة من ذلك الرسم حيث تضعف كثيراً قوة البصر الفاصلة. فتوسل الى كل منهم ان يرسم الشكل الماثل امام ناظريه كما يراه. فرسم الجميع الشامات الدهماء موصولة بخطوط مستقيمة!

ثم انّ الفلكي الايطالي تشيرُلي (Cerulli) برهن باختباره على امكان رصد مثل اقنية المريخ على سطح القمر نفسه الذي لم تُرَ فيه ابداً وذلك بمجرّد استخدام نظّارة ضعيفة للغاية — واخيراً ان المستر هِل (Hale) صوّر المريخ تصويراً شمسياً بواسطة مرقبه ذي المرآة البالغ قطرها ١،٥٢ متراً وكان من مدّة قريبة نسيج وحده

في المعمور ويُرجَّح انه لا يزال حائزاً على المقام الاول بين رصفائه (١ . فالقوة الفاصلة فيه يُقضى منها العجب ومع ذلك لم يظهر على الصور ادنى اثر للاقنية الموهومة ولو ان كثيراً من التفاصيل الدقيقة المجهولة في سطح القمر ظهرت عليها مرّةً اولى — أفلا يسوغ لنا بعد كل تلك الشواهد الآخذ بعضها برقاب بعض ان نختم تحقيقنا بفتوى نيوكمب الطائر الصيت : « ان كل النظريات العديدة التي لخاض فيها رهط من الفلكيين بخصوص قابليّة المريخ للسكنى هي ضرب من الخيالات العارية عن كل سندٍ من الارصاد الاكيدة »

وقد ضرب على مثل هذا الوتر بل زاده رنّةً العالم الفرنساوي نُزْدَمن حيث فاه بما حرفه : « ان اقنية المريخ الشهيرة لا وجود لها فانّها محض ظواهر ناتجة عن نقائص النظّارات الضعيفة وعدم كفاية قوتها الفاصلة » ويُردف قائلاً : « كان البعض يرتاحون الى وضع اقنية الري المريخية — وهي عمل تمدّن راقٍ غير ارضي — في موضع الاشياء الثابت وجودها بقوة البراهين — فوا اسفاه لا مناص لنا في انتظار ادلّة جديدة من الاستمرار على القول باننا لم نشاهد حتى الآن بحسالي حياة عاقلة منتظمة في سيّارة غير ارضنا هذه . ولا نعني بذلك عدم وجود تلك الحياة في السيارات الأُخر مع اننا ماناون الى الايقان بوجودها فيها . انما نعني ان هذا الامر بوجه حقيقته ندّ الى يومنا هذا عن غِلَظ وسائطنا الرصدية وبعبارة اخرى انه من بنات المخيّلة ليس من نتائج العلم »

محاورة سريانية بين الخاطئة والشيطان

نقلها الى العربية حضرة القس مبارك مزرعة النهر اللبناني عن بعض ميامر مار افرام بتصرُّف

ونظمها بنسبة عيد القديسة مريم المجدلية الواقع في ٢٢ تموز

لك المجدُ يا من في مجيئك كفَّتِ عُصاةُ البرايا عن ركوبِ الخطيَّةِ

---

١) هذا المرقب ذو مرآة هو المدعو تيليسكوبيًا عند الافرنج — امّا المراقب الاخرى السابقة الذكر فهي محض نظّارات ذوات عدسيات معروفة بالفرنساوية باسم lunette astronomique. وقد اطلقنا على النوعين لفظة « مرقب » تجريًا على الاصطلاح الغربي

في المعمور ويُرجَّح انه لا يزال حائزاً على المقام الاول بين رصفائه (١ . فالقوة الفاصلة فيه يُقضى منها العجب ومع ذلك لم يظهر على الصور ادنى اثر للاقنية الموهومة ولو ان كثيراً من التفاصيل الدقيقة المجهولة في سطح القمر ظهرت عليها مرّةً اولى — أفلا يسوغ لنا بعد كل تلك الشواهد الآخذ بعضها برقاب بعض ان نختم تحقيقنا بفتوى نيوكمب الطائر الصيت : « ان كل النظريات العديدة التي لخاض فيها رهط من الفلكيين بخصوص قابليّة المريخ للسكنى هي ضرب من الخيالات العارية عن كل سندٍ من الارصاد الاكيدة »

وقد ضرب على مثل هذا الوتر بل زاده رنّةً العالم الفرنساوي نُزْدَمن حيث فاه بما حرفه : « ان اقنية المريخ الشهيرة لا وجود لها فانّها محض ظواهر ناتجة عن نقائص النظّارات الضعيفة وعدم كفاية قوتها الفاصلة » ويُردف قائلاً : « كان البعض يرتاحون الى وضع اقنية الري المريخية — وهي عمل تمدّن راقٍ غير ارضي — في موضع الاشياء الثابت وجودها بقوة البراهين — فوا اسفاه لا مناص لنا في انتظار ادلّة جديدة من الاستمرار على القول باننا لم نشاهد حتى الآن بحسالي حياة عاقلة منتظمة في سيّارة غير ارضنا هذه . ولا نعني بذلك عدم وجود تلك الحياة في السيارات الأُخر مع اننا ماناون الى الايقان بوجودها فيها . انما نعني ان هذا الامر بوجه حقيقته ندّ الى يومنا هذا عن غِلَظ وسائطنا الرصدية وبعبارة اخرى انه من بنات المخيّلة ليس من نتائج العلم »

محاورة سريانية بين الخاطئة والشيطان

نقلها الى العربية حضرة القس مبارك مزرعة النهر اللبناني عن بعض ميامر مار افرام بتصرُّف

ونظمها بنسبة عيد القديسة مريم المجدلية الواقع في ٢٢ تموز

لك المجدُ يا من في مجيئك كفَّتِ عُصاةُ البرايا عن ركوبِ الخطيَّةِ

---

١) هذا المرقب ذو مرآة هو المدعو تيليسكوبيًا عند الافرنج — امّا المراقب الاخرى السابقة الذكر فهي محض نظّارات ذوات عدسيات معروفة بالفرنساوية باسم lunette astronomique. وقد اطلقنا على النوعين لفظة « مرقب » تجريًا على الاصطلاح الغربي

وحلّت بجنّات القداسة والتُّقى فأحببْ بروضِ القدس روضَ المسرّةِ
الى الارض قد وافى الالهُ بحبّهِ وحلّ حثيثاً في فناء البتولةِ
وابدى لأتباع الخطايا وداعةً ليدنوا اليهِ دون خوفٍ ورهبةِ
وامراض اجساد الانام برحمةٍ شفاها وابرا النفسَ من كلّ علّةِ
وقد زار مَن هم في الحياةِ ومَن قضَوا تبارك ربٌّ يمتني بالخليقةِ
ومرّت بهِ العميانُ يوماً فابصرتْ وباتت تسير المُقعَدون بسرعةِ
وصارت جميع المُرْج تقتزُ بهجةً وحلّوا جميعاً معبدًا بالسويّةِ
وقد صاد زكّى الباغي من تحت تينةٍ كذا ولديَ زبدى دعا من سفينةِ
ومن فوق بئرٍ قد دعا سامريّةً وخاطئةً في بيت أبرصَ حلّتِ
ولما درت تلك الاثيمة أنهُ نزيلٌ مضافٌ عند سمعانَ سُرّتِ
وقالت اذا ما شِئتُ بارقَ وجههِ بحبٍّ وايمانٍ يرقُّ لذلّتي
تتوق الى رؤياه نفسي ولم تزل تحنّ اليهِ كلّ يوم بلذّةِ
فلا بدّ ان يمحو ذنوبيَ مثلما محا سيّئات النِّرِ زكّى بنعمةِ

الشيطان

رآها عدوُّ الخير تبغي ندامةً فشقّ عليه الامر كلَّ المشقّةِ
وقال لها : يا وَيْبة الحسن والبها لماذا اراكِ في اكتئابٍ وحَسْرةِ ؟
لماذا تسحُّ العينُ دمعاً وعَندماً فهل قد شعرتْ من حبيبٍ بجفوةِ
فلا تجزعي اني اسير اليهم وألقي بقلب الكلّ بزر المحبّةِ

الخاطئة

فقالت لهُ حُبّي المسيحُ لانهُ يحبُّ جميع التائبين بوفرةِ
وعنكم تميل اليوم نفسي فحبُّكم كذوبٌ يسوق المرء نحو الرذيلةِ

الشيطان

محضتُ لكِ نصحاً بحبٍّ وانني وَدُودٌ فهل لا تعلمين مودّتي
وبعدَ الكرامات التي قد عملتُها تُبينين نحوي دون اهل البسيطةِ

الخاطئة

كفرتُ بكَ الكفر الشديد وانني أقيم على كفري بعزم وقوّةِ

فسعداً لمن تقتلوهُ حقاً فانهُ يصير حبيباً لابن تلك البتولةِ

الشيطان

فلا تذهبي نحو المسيح الذي افتدى جميع البرايا ان قبلتِ نصيحتي
لديهِ تلاميذٌ تسامى عفافهم فلا بدَّ من ان يطردوكِ بنفرةِ

الخاطئة

يدَ الدهر لا أصغي اليكِ ولا ولا . . . لانكَ ترمي التائبين ببغضةِ
خدمتُ لك طول الحياة فقد كفى لاني أريد اليوم إبطالَ خدمتي

الشيطان

لكِ الويل ان رمتِ المسيرَ لبابهِ فانك تلقينَ العذاب بشدةِ
لديهِ تلاميذ قساةٌ وكلهم يهتمون في ان يبعدوكِ خلياتي

الخاطئة

لك الويل والتقريع من كل ناطقٍ لانك تقتلو اللائذين بتوبةِ
فانَّ التلاميذ الذين ذكرتهم بحبرٍ عظيمٍ يشفعون بذلتي

الشيطان

ألا تعلمين اليوم انكِ في الخنا ملطَّخةٌ والفحشُ أقبح خلةِ
فكيف تودّين الذهاب الى الذي يسامره أولو النقاءِ والفضيلة

الخاطئة

أجلْ ان آثامي تعاظم حدُّها وطارت باقطار البسيطة شهرتي
ولكنني ارجو السماح كما رجت سماحَ الخنا راحابُ يوماً فعُزّتِ

الشيطان

اراكِ واني حائرٌ متعجبٌ ولا علمَ لي من اين جئتِ بفطنةِ
خُلقتِ وكان الجهلُ فوقك ضارباً قباباً فكيف الان جئتِ بحكمةِ

الخاطئة

اراكَ خجولاً متهاناً ومُبلّلا لانَّ الهي قد رماك بلعنةِ
وصرتَ كما الصيّادُ أفلت صيدهُ فعضَّ اليد اليمنى وناح بحرقةِ

الشيطان

فسعديكِ يا ذات البها ان أطعتِني واجحمتِ عن تكريم ابن البتولةِ
اخاف اذا ما شام وجهكِ مرةً تذوقين منه اليومَ شرَّ بليةِ

الخاطئة

فطوبايَ في ذا اليوم حقًّا لانني تركتكُ واستأثرت بابن البتولةِ
يُبَرّ كثيرًا بي ويرثي لحالتي وإنْ هو الّا مغرمٌ بالأحبةِ

الشيطان

فمن ذا الذي قد بثَّ فيك وساوساً ومن قد اتاكِ اليوم في شرّ جرأةِ
صرفتِ أوْيقات المنام بخدمتي فماذا دهاكِ اليوم ايتها التي . .

الخاطئة

انا يا عدوَّ الخير أبهى حمامةً نجت من مخاليب الشقاء بنعمةِ
وطرتُ سريعاً نحو ربّي وخالقي واتّفقتُ في اغصان اجمل جنّةِ

الشيطان

على مَ غبطتِ اليوم فضلي ونعمتي ألستُ بمولاك وانتِ رفيقتي
وهل ذقتِ غير الحب من سائر الورى غداة خدمتِ عظمتي حسب نيّتي

الخاطئة

لقد كنتَ ربي واستهنتُك كالعدى أما المرءُ حرٌّ في وداد وبغضةِ
واخضعتُ عنقي تحت نير مخلصي وفي نيره للناس اطيبُ لذّةِ

الشيطان

مُسلاً اقطارُ العوالم سمعةً وتُعجَبُ منكِ اليوم كلُّ البريّةِ
بأن الزواني المومسات تجاسرت وحلّت بقربي منه من دون خشيةِ

الخاطئة

ستعلم كل الارض شرقاً ومغرباً بأن المسيح الرب يغفر ذلّتي
فيلقي جميعُ الكائنين شجاعةً ويندنون منه دون خوف ورهبةِ

الشيطان

وشَعْرُكِ ذات الحسن كان معطَّرًا فأضحى زريًّا مُهملًا واحبيبتي
يشقُّ عليَّ ان اراه بحالةٍ تصبُّ لها العينُ الدموعَ بكثرةٍ

الخاطئة

فشعري الذي بالمسك كان معطَّرًا وصاد الورى للنار من دون شفقةٍ
اذرّي عليه اليوم من عَفَر الثرى واحضاد نفسي للمسيح بتوبتي

الشيطان

وعينُكِ بالتكحيل زاد بهاؤها فجرّت لاهل الحب شرَّ مصيبةٍ
اراها تسحُّ اليوم صَيِّب ادمعٍ بدون انقطاع يا لها من بليّةٍ

الخاطئة

على الاعين النُّجل التي بجمالها نفوسَ الورى جرّتْ لاعمق هوّةٍ
بان تسكب الدمع الهتون لاجل ان تقدّمها لله أنفسَ تحفةٍ

الشيطان

وفوكِ الذي اذ كان يشدو مغنّيًا فيجلب للمشتاق اكبر دهشةٍ
يرتّل آيَ المجد والسبح دائمًا ويبدي نواح الوُرْق في غصن أيكةٍ

الخاطئة

فمي ذا الذي كان الغناء غرامُهُ خليقٌ بان يُبكى عليه بلهفةٍ
ويشكر للرب الذي عمَّ نعماهُ ويُبدي له مدحًا باطيب نغمةٍ

الشيطان

تعالَيْ اليَّ يا فتاةُ تنعّمي بكنزي ومالي وارتعي وسط جنّتي
ولا تذهبي نحو المسيح فانّهُ غضوبٌ والّا ترجعين بخيبةٍ

الخاطئة

مدى الدهر لا آتي اليك وانني اعدّ كنوز المال احقر قيمةٍ
واذهب نحو الرب إيسوعَ مَن بهِ سروري حبوري وارتياحي ولذّتي

الشيطان

ألا تعلمين انّ ابن مريم طاهرٌ فلا يستجيب الدهرَ آلَ الخطيئةِ
فحيدي اذًا عمّا عزمتِ فربما اذا ما رآكِ يتهرك بنفرةِ

الخاطئة

لأعلم حقًّا انه اطهرُ الورى به ابتدًا رفقٌ باهل الرذيلةِ
فها انني ادنو اليهِ ولا مرا ينيلني من غفران ذنبيَ مُنيتي

*

فقامت اذًا والطيبُ معها وأقبلت تسير سريعًا نحو ربّ الخليقةِ
وقد قرعت باب الرجا بأمانةٍ وحبٍّ فنالت منه اسعد حظوةِ
وخرّت على اقدامهِ غسلتهما بطيبٍ ثمين ثمّ عادت ببهجةِ
فيا أيها المولى الذي بحنوّهِ محا كلّ ذنب من ذنوب الاثيمةِ
تلطّف بنا واغسل جميع ذنوبنا وامطر علينا سُحب حلم ورأفةِ
فنهدي لك التسبيح ما ذرّ شارقٌ وما غرّدت في الأيك طيرٌ وغنّتِ

المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

حقيقة هذا البحث وتعريفه

كان لمذهب الماديين في القسم الثامن من القرن التاسع عشر نهضةٌ سيئة اثّرت في العقول وقد كان ظهورهُ في اثر مذهب الاباحيين او العقليين الذين جاهروا بسيادة العقل وسلطتهِ العليا . وكلا المذهبين يتّفق في إنكار الوحي ونفوذ ما يعلو فوق الطبيعة بامور البشر واحوال الكون

الشيطان

ألا تعلمين انّ ابن مريم طاهرٌ فلا يستجيب الدهرَ آلَ الخطيئةِ
فحيدي اذًا عمّا عزمتِ فربما اذا ما رآكِ يتهرك بنفرةِ

الخاطئة

لأعلم حقًّا انه اطهرُ الورى به ابتدًا رفقٌ باهل الرذيلةِ
فها انني ادنو اليهِ ولا مرا ينيلني من غفران ذنبيَ مُنيتي

*

فقامت اذًا والطيبُ معها وأقبلت تسير سريعًا نحو ربّ الخليقةِ
وقد قرعت باب الرجا بأمانةٍ وحبٍّ فنالت منه اسعد حظوةِ
وخرّت على اقدامهِ غسلتهما بطيبٍ ثمين ثمّ عادت ببهجةِ
فيا أيها المولى الذي بحنوّهِ محا كلّ ذنب من ذنوب الاثيمةِ
تلطّف بنا واغسل جميع ذنوبنا وامطر علينا سُحب حلم ورأفةِ
فنهدي لك التسبيح ما ذرّ شارقٌ وما غرّدت في الأيك طيرٌ وغنّتِ

المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

حقيقة هذا البحث وتعريفه

كان لمذهب الماديين في القسم الثامن من القرن التاسع عشر نهضةٌ سيئة اثّرت في العقول وقد كان ظهورهُ في اثر مذهب الاباحيين او العقليين الذين جاهروا بسيادة العقل وسلطتهِ العليا . وكلا المذهبين يتّفق في إنكار الوحي ونفوذ ما يعلو فوق الطبيعة بامور البشر واحوال الكون

امّا الفرق بينهما فكون الاباحيين لا ينكرون وجود الله كالماديين ولكنّهم لا يكترثون لوجوده ولا يرون حاجةً لعنايته في تدبير العالم ويزعمون انّ الانسان كما العالم في غنًى عنهُ تعالى اسمهُ وتبارك . امّا الماديون فلا يكتفون بنكران العجائب والوحي وكلّ امور العالم العلوي وحقوق الله على البشر وعنايته في سياسة الخلائق بل يجحدون اللاهوت وكلّ ما يفوق الطبيعة المادّيّة . ويدّعي ذوو المذهب المادّي انّ اصل الانسان والحيوان يمكن اثباتهُ دون الله وانّ المادّة الهيولّيّة ابدئيّة منها تكوّنت كلّ المخلوقات ومواليد الطبيعة من جماد ونبات وحيوان دون استثناء الانسان وذلك بموجب سنّة ترقّي المادّة : فالحياة على قولهم دخلت توًّا الى العالم بقوّتها . وكذلك النفس البشريّة انّما هي مجموع قوى الطبيعة الهيولّيّة التي تطوّرت اطوارًا شتّى فصارت اوّلًا نباتًا ثم حيوانًا حتّى بلغت طور الحيوان الناطق اعني الانسان الفهيم المدرك

فما الانسان الّا نتيجة هذا الترقّي الذي سيزيد رقيًا في مستقبل الزمان . وامّا اجدادهُ فبعض الحيوانات العديدة الاجناس من ذوات الفقرات التي أنسلتهُ كما أنسلت القرودَ اخوتهُ . واذا تحقّق انّ الانسان سليل البهيمة وانّ اصل البهيمة من الجماد لا بُدَّ من القول انّ ذلك المركّب ينحلّ في الموت ولا يبقى اثر من كيانهِ فلا ثواب ولا عقاب . ومن ثمّ ليس وجود للشريعة الادبيّة في هذه الحياة وما لبني البشر الّا ان يرشفوا في هذا العالم كأس اللذّات ويتمتّعوا بمعظم الشهوات . هذه خلاصة مذهب الماديّين

وقد استند الماديّون في تأييد رأيهم عن جحود الاله والعالم الآخر الى مزاعم الذاهبين الى النشوء وارتقاء الكائنات بتطوّر احوالها وذلك مذهب الملحد لامرك (Lamarck) في القرن الثامن عشر فأشاعهُ دروين وعمّمهُ في النصف الثاني من القرن السابق وقد بلّغهُ هكل (Hæckel) الالماني الى اقصى حدودهِ الهيولّيّة . وربّما دُعي مذهبُ النشوء بالمذهب الدرويني وان كان دروين ليس هو مبتدعهُ كما انهُ لم يستنتج منهُ نتيجة الكفران بالخالق كما سترى وانّما الحصّة التي تعود الى دروين وَضْعهُ للعوامل او الاركان التي على ظنّهِ تثبت مذهب الترقّي اعني الانتخاب الطبيعي والمجاراة الحيويّة وغير ذلك ممّا سيأتي نقدهُ

*

ولو شئتَ تمهيداً لما يدّعيه الماديون والدرويينيون فادخل الى متحف من متاحف التاريخ الطبيعي حيث جُمعت امثلة او مساطر من كلّ اجناس الحيوان والحشرات المعروفة في العالم سواء كانت في الارض ام في الهواء او الانهار او المستنقعات حتى اعماق البحار مباشرةً باصغر الهوامّ وادنى الديدان والحيوانات النباتيّة البحريّة ثم الاسماك والطيور والزحافات الى اعظم الحيوانات ذوات الاربع البرّيّة واكبر حيتان البحر

وهذه المجاميع المختلفة قد نُظمت وقُسمت تقسيماً لطيفاً على موجب ما بين الاجناس والانواع من التشابه فترى ذوات الاثدي وحدها والطيور وحدها وكذلك الزحافات وهلمّ جرّا . فهناك الرُتب العليا ثمّ الاجناس ثمّ الانواع يمثّلها احد الافراد الدالّ على خواصها العموميّة ثمّ مميّزاتها العائليّة والجنسيّة . وكلّ ذلك على مقتضى التقاسيم التي اصطلح عليها العلماء بعد الفحص المدقّق

وفي المتاحف التي كلامنا عنها لم تُعرَض فقط الحيوانات المعروفة في زمننا بل هناك ايضاً امثلة لاشكال متعدّدة قد فُقدت من الكون وانّما وجدوا في طبقات الارض العميقة بعض مستحجراتها فعرضوها مع الاجناس الموجودة حالاً على وجه البسيطة ونظموها في سلكها على مقتضى ما فيها من الخواصّ التي تقرّبها الى الاجناس والانواع الحاليّة

على انّ اكبر المتاحف التي تُعرَف اليوم مهما تعدّدت معاهدها وغُرفها ومقاصيرها لا تكفي لأن تحصر جميع الحيوانات المعروفة ولا النباتات ولا المستحجرات . لأنّ عدد تلك الاجناس التي وقف عليها العلماء تبلغ اليوم ٢٨٠،٠٠٠ منها بجنّحة بجناحين ومنها ذات اربعة اجنحة جلديّة ومنها غُلافيّة الاجنحة او متناسقة الاجنحة او نصفيّة الاجنحة يضاف اليها عشرون الفاً من الفصيلة العنكبوتيّة هذا ما عدا ثمانية الاف من الديدان وخمسون الفاً من الهُلاميّات ولا يقلّ عدد ذوات الفقرات عن خمسين الفاً منها الطيور (٣٠،٠٠٠) والحيوانات المائيّة البرّيّة (٢،٠٠٠) المُشوكة (٣،٠٠٠) ذوات اثدي مختلفة (٧،٠٠٠) . امّا الحيوانات الاهليّة فهي زهاء مائتين فقط (١

وكما اعتبرنا متحفاً للحيوانات نستطيع ان نتخيّل متحفاً آخر جُمعت فيه كلّ

(١) ورد هذا الاحصاء في مجلّة كوسموس (Cosmos, 3 Oct., 1912)

نباتات العصور من ادقّ الطحالب الى اعظم الاشجار العادية سواء تجدها اليوم على سطح الارض ام استُخرجت من طبقاتها الباطنة في جملة المستحجرات وكلّها ايضاً منظّمة حسب رتبها واجناسها وفصائلها

فاذا قام انسان عاقل بازاء هذه الجامع المختلفة من الحيوانات او النباتات التي تجري في عروقها او جرت سابقاً مياه الحياة لا بُدَّ ان يخطر على فكره هذا السؤال: ليت شعري من اين استمدّت هذه الكائنات حياتها وكيف تشعّبت فيها شُعَب الحياة فظهرت على هذه الهيئات المتعدّدة التي ندعوها نباتاً او حيواناً ؟. من اين لسلاسلها هذا السياق العجيب فتتشابه من عدّة وجوه مع اختلافها في خواصّ اخرى ؟. أفيا تُرى يجوز ان نَنسب ذلك الى الصدفة والى الطبيعة العمياء او بالحري الى عاقل ناطق يدلُّ عليهِ ما فيها من الترتيب وحسن البنية والصورة ؟ وبالاجمال من اين اتى هذه الكائنات ذاك المبدأ المحيي الذي انفذ فيها الحياة ؟

فان طلبت جواباً على هذه الاسئلة اختلفتْ عليك الاجوبة على اختلاف ذوي المذاهب السابق ذكرهم . فانَّ الوحي يجيب بلا تريُّث : انَّ حياة المخلوقات المذكورة بل كلّ مبدأ حياة من الله وحدهُ الذي لم يخلق فقط السماء والارض بل دبّر ونسّق ورتّب كلّ شيء بنظام عجيب كلًّا حسب طبقتهِ من نبات او حيوان او انسان ناطق

أمّا دروين فيجيب ايضاً ان الله هو مُبدع الحياة لكنَّهُ لم يُبدع كلّ هذه الانواع رأساً وانّما خلق منها في بَدء الخليقة بعض افراد النبات او الحيوان فجعلها كأمثلة اوّلية تكوّنت على صورتها الاجناس والانواع بتمادي الاجيال على موجب سنّة الترقّي الطبيعيّ بقوّة العوامل التي سبق التلميح اليها

أمّا هِكل تائهٌ يجيب مستندًا الى مذهب دروين في الترقي مع نفيهِ كلّ عامل خارج عن الطبيعة فيقول بكل وقاحة: دعوا الله على جنب فانَّهُ اسمٌ بلا مسمًّى امّا المادّة فانّها ازليّة ولا تحتاج الى من يخلقها وكلُّ ما يُرى في الارض انّما هو من منشآت المادّة اصلًا فالحياة ظهرت اوّلًا على الارض بصورة بسيطة جدًّا على شبه خليّةٍ مفردة ثمَّ نمت هذه الخليّة تدريجاً وتحوّلت الى هيئاتٍ مختلفة لا تُحصى مع طول الاجيال الى ان بلغت اخيرًا الى كمال الانسان . فاصل الحياة وكلّ حياة من المادّة والمادّة ازليّة . فهذا مذهب الماديين او الدهريين

فاين الحقيقة يا تُرى بين هذه المذاهب المتنافية ؟ وماذا يقول العلم الصحيح بازاء هذه الآراء المتناقضة ؟ ايلزمنا قول الماديين المولِه للطبيعة ؟ او نكتفي برأي دروين او نرجح مزاعم العقليين ؟ او بالحري نؤيد ما اوحى بهِ الله في كتبهِ المنزلة عن تكوين العالم مع التوفيق بينهُ وبين ما ثبت للعلماء الثقات بابحاثهم الصادقة؟

ما يخبرنا الوحي والعلوم الطبيعية عن اصل الكائنات

١ الوحي

انَّ تعاليم الوحي لا تدع لنا ريباً في اصل الموجودات فان سفر التكوين يفتتح كلامهُ بقولهِ : « في البدء خلق الله السماء والارض » ثم يذكر انفصال المياه من اليابسة ويردفهُ بقولهِ تعالى : «فلتنبت الارض نباتاً واشجاراً» حتى اذا بلغ الى اليوم الخامس يقول : « فلتُفِض الارض نفوساً حيَّة على حسب انواعها ... اي الحيوانات» ويختم بقولهِ تعالى : «فلنصنع الانسان على صورتنا وشبهنا »

ولحسن ادراك رواية الكتاب المقدَّس لا بُدَّ من القول بانَّ موسى في وصفهِ لتكوين الخليقة لم يقصد بهِ وضع مقالة علميَّة في مبادئ المبروَّات وانَّما غايتهُ كانت اوَّلًا ان يثبت شعبهُ في معرفة الاله الحقيقيّ الذي اخرجهُ من ارض مصر ويبعدهُ عن عبادة الاوثان التي سقطت فيها الامم المجاورة لبني اسرائيل . وثانياً ان يجعل سنداً للاسبوع الاسرائيليّ مع تخصيص احد ايَّامهِ لخدمة الله اي السبت . فاذا انعمتَ النظر في رواية الخليقة في موسى وجدتَهُ مقرِّرًا لعبادة الاله الحقّ فيصف وحدانيَّتهُ وازليَّتهُ وتكوينهُ لكل ما هو خارج عنهُ نافياً بذلك ازليَّة العالم وموجباً استخراجهُ من العدم ثم يسرد موسى بالتوالي بازاء شعبهِ تفاصيل الخلائق التي أبدعها الله بقدرتهِ اعني السماء والارض مادَّة العالم ثمَّ الشمس ثم البحار واليبس ثم كواكب السماء ثم النبات ثم حيوان البحار (الاسماك) والسماء (الطيور) والارض (الدبَّابات) ثم الانسان خاتمة اعمالهِ عزَّ وجلَّ . وبذلك يتحتَّم على الانسان ان يعبد ربَّهُ وحدهُ وخالق العالم بأسرهِ

امَّا تقسيم الخليقة في ستَّة ايَّام او بالحري في ستَّة اطوار من الاجيال فانَّ معظم المفسِّرين يرون في ذلك صورة السبَّة التي يعقب ايَّامها الستَّة يومُ راحة كما انَّ الله بعد خلقهِ في الستَّة الايَّام كفَّ عن العمل في اليوم السابع وهذا ما صرَّح بهِ الله في

اعلانهِ براحة يوم السبت على طورسينا حيث قال (خروج ٢٠ : ١٠–١٢) « في ستّة أيام تعمل ... واليوم السابع سبت للربّ الهك لا تصنع فيهِ عملاً ... لانَّ الربّ في ستّة أيام خلق السماوات والارض ... وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الربّ يوم السبت وقدّسهُ »

قلنا انَّ موسى لم يقصد في رواية تاريخ الخليقة كتابة فصل علميّ على انَّهُ في وصفهِ هذا قد أحكم ترتيب انشاء العالم وتوالي المخلوقات بنظام موافق لغايتها فانَّهُ يذكر اوّلاً تكوينهُ تعالى للاستقصات واركان المادّة اجمالاً ثم يبيّن عمل الله بخلقهِ اقسام العالم وتنظيمها في ستّة ازمنة يدعوها ايّاماً . والنُّ سنة عند الله كما يقول الكتاب كيوم من أيام البشر . ومرجع هذه الاعمال الى ثلثة امور تحقّقها علماء الطبقات الارضيّة : الاوّل انَّ النباتات سبق في الخليقة وجود الحيوان في البحر والبرّ (وهذا ما روى موسى في اليوم الثالث) . والثاني انَّ ظهور الحيوان في البحار والطيور في السماء سبق وجود الحيوان على الارض (روى موسى ذلك في اليوم الخامس) . والثالث انَّ الحيوان انتشر بعد ذلك في الارض وكان الانسان خاتمة مخلوقات الله (وهذا عمل اليوم السادس في سفر موسى) . فا كتفى بتعيين هذه الاطوار الثلثة بسياقها دون ان يصرّح بما طرأ عليها بتوالي الدهر من النموّ والكمال سواء كان ذلك بتوسّط الخالق وتكوينهِ لمخلوقات جديدة ام بفعل النواميس التي وضعها في اوّل الخليقة ولم يُرمز بها في الاسفار المقدّسة

قال الكردينال بيليو اليسوعيّ في تفسيرهِ للفصل الاوّل من سفر التكوين (في مجلّة الابحاث Etudes, 5 Nov. 1918) ما ملخّصهُ : انَّ بين مرويّات موسى في سفر الخليقة امرًا من شأنهِ ان يستوقف نظرنا وهو انَّهُ ذكر هناك ايّاماً لا تُقاس بحركات الشمس او بكوكب آخر وانَّما حدودُها زمنُ الأعمال الذي يوافقها وبهِ تمتاز فيبتدئ كلّ عمل من اعمال الخالق ثمَّ ينمو ويمتدّ الى ان يبلغ كمالهُ وذلك في مدّة اجيالٍ لا يعرفها الّا الله ولا ينطبق عليها قسم من اقسام زماننا الحاضر . وما هذه الايّام الّا اطوار العالم المختلفة التي وقفت عليها العلوم الحديثة ولاسيّما علم طبقات الارض الذي لا دخل لهُ فيما رواهُ موسى في اليومَين الاوّلين وانما ابحاثهُ تبتدئ مع ما ذكرهُ في اليوم الثالث عن الارض حيث اخذت الرواسب تحطّ في قعر البحار

فامكن الحياة ان تظهر وتنشأ على قشرتها بعد ان بردت نوعاً حرارتُها الطبيعيَّة . فمن قابل بعد ذلك بين المعلومات الجيولوجيَّة الثابتة ورواية موسى يأخذهُ العجب من توافقها وذلك مباشرةً بأوَّل تركيب البحار واليابسة كما رواهُ في اليوم الثالث مع ما ورد هناك من ذكر نشوء النباتات والاشجار الجبَّاريَّة التي منها تكوَّنت تلك المستودعات الفحميَّة التي استمدَّت منها الصناعة العصريَّة قوَّتها المحرِّكة . وكذلك اليوم الرابع يوافق ما يثبتهُ الجيولوجيُّون عن تقسيم الحرارة والنور نهائيًّا في نظامنا الشمسيّ وبهِ ينتظم اختلاف الاقاليم ولاسيما اليوم الخامس الذي فيهِ جاء وصف ظهور طبقات الحيوان تدريجاً على وجه الارض اعني الحيوانات البحريَّة اوَّلاً ثمَّ البرِّيَّة وفي آخرها كلها الانسان .

هذا ما يُستخلَص من رواية موسى . لكنَّ هناك مشاكل اخرى لم يتعرَّض لها منها مسألة تكوين كلّ نوع من انواع النبات والحيوان فهل خلقها الله منذ البدء او بازمنة معلومة بخواصّها الجنسيَّة فبلغت الينا بالتناسل كما خُلقت اوَّلاً مع ما دخل عليها من الاختلافات العرضيَّة المستمدَّة عن طوارئ الزمان والمكان وغير ذلك من العوامل الطبيعيَّة ؟ او يقال بالاحرى انَّ الله خلق اوَّلاً بعض الاجناس الاصليَّة وأمثلة الرُّتب النباتيَّة والحيوانيَّة فهذه الاجناس وهذه الامثلة التي اصطلح عليها العلماء الطبيعيُّون في كتبهم المدرسيَّة قد تحسَّنت ونمت وتكاملت على مدى الدهور بما طرأ عليها من العوامل الطبيعيَّة كحصولها في اقاليم مختلفة واغتذائها بأغذية شتَّى لم تزل تتحوَّل من تلقاء ذاتها من جنس الى جنس ومن فصيلة الى اخرى كما نراها في عالمنا الحاضر او في بطون الارض بين المستحجرات ؟

فهذان الحلَّان لمشكل تكوين الانواع محتملان ولم تصرِّح الاسفار المقدَّسة بواحد دون الآخر كما انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة لم تحتم باحدهما . فتبقى المسئلة علميَّة لا تمسُّ الايمان بشيء . نعم انَّ مفسِّري الاسفار المقدَّسة الى اواسط القرن التاسع عشر كانوا يرجِّحون الرأي الاوَّل اي تكوين الله رأساً لكل نوع من انواع الحيوان والنبات وبلوغها الينا ثابتةً كما خلقها الله وهكذا كانوا يفهمون قول الكتاب انَّ الله خلق النبات والطيور والبهائم «كلًّا حسب اصنافهِ» لكنَّ ترقِّي العلوم الطبيعيَّة كعلم طبقات الارض وعلم العاديَّات وعلم النبات وعلم الحيوان استدعى كثيرين من

العلماء حتّى من الكاثوليك الى القول بالرأي الثاني اي بتكوين الامثلة الاصليّة الاولى ثمّ بترقّي الاجناس وتحوّلها بفعل العوامل الطبيعيّة مع طول الزمان

والكنيسة تطلق الحرّيّة للقائلين باحد هذين الرأيين بشرط ان يبقى فعل الخالق مصوناً في تكوينهِ للاجناس الاوّلية التي منها تفرّعت بقيّة الاجناس . امّا تكوين الانسان اي الابوين الاوّلين بفعل الخالق فانّ الكنيسة بلسان اللجنة الكتابيّة المعيّنة لتفسير الكتاب المقدّس رسميّاً امرت باعتبار رواية موسى حسب منطوقها الحرفي وان لم تحتم شيئاً بخصوص نوع تكوين الانسان وذلك في تاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٩٠٩

٢ العلوم الطبيعيّة

فلننظرنّ الآن ما تفيدنا العلوم الطبيعيّة بخصوص نشأة المخلوقات وانواعها ونُعارض معلوماتها بما استفدنا من الكتب المقدّسة

كلّ يعلم انّ العلوم الطبيعيّة في فروعها المختلفة قد ترقّت ترقّياً عظيماً في غضون القرن التاسع عشر . وكثيراً ما ساعد على ذلك سهولة الاسفار والمواصلات بين انحاء العالم المختلفة والابحاث الجيولوجيّة ودرس الطبقات الارضيّة في عدّة اقطار ثم قابلوا بين معلومات تلك الابحاث ودوّنوا نتائجها فوجدوا في كلّ طبقة من طبقات الارض التي رسبت فوق ركنها الاصلي بتوالي الاجيال بقايا نباتات وحيوانات شتّى وربّما وجدوا فيها هياكل تامّة سالمة من الحيوان ثمّ نباتات كاملة طُمرت قديماً وقت ازدهارها على الارض او في اعماق البحر . وقد اتّصلوا الى بيان ترتيب تلك الطبقات الارضيّة ومنها الى تعريف الازمنة التي فيها طُمرت تلك الكائنات . أجل انّهم لم يستطيعوا تعيين عدد السنين التي بها تكوّنت كلّ طبقة لكنّهم اثبتوا ترتيب تلك الازمنة مع ما تقدّم من مواليدها وما تأخّر

وممّا سهّل ايضاً إحراز هذه العلوم ما أُنشئ في حواضر البلاد من المتاحف فبفضل المواصلات بين سائر البلاد تمكّن كثيرون من جمع اصناف الحيوان وضروب النبات منها حيّةً ومنها مستحجرة تُتولّوا ترتيبها على طرائق علميّة راهنة فاثبتوها على حسب رُتبها واجناسها وانواعها وفصائلها لتظهر للعيان حلقاتها واتّصال بعضها ببعض بحيث يحسب الناظر انّهُ يطّلع على مشاهد الطبيعة ومواليدها العموميّة بل يرى خلاصة الكائنات المنبثّة على وجه الارض

فكلّ هذه الوسائل أدّت بالعلماء الى وضع معلومات ثابتة يمكن الاستناد اليها ومقابلتها مع المعلومات المستفادة من الاسفار المقدّسة

فالشائع اليوم بين ارباب الجيولوجية انّ الارض كانت في اوّل تكوينها كرةً ناريّة بردت شيئاً فشيئاً ثمّ جمد سطحها الّا انّ هذا السطح تكيّف على مدى الدهور بتكيّفات متتالية تُرى آثارها الى يومنا. وكثيرًا ما تغيّرت هيئتهُ في نتوآته وجباله واوديته وعلى الخصوص في القرون الاولى بفعل الانفجارات البركانيّة وتراكم البرور الخ فكانت الطبقات المغمورة بمياه البحار ترتفع فيصير بعضها اقطارًا برّيّة وبعضها جزائر. وتكوّنت في بعض الجهات سلسلة اطواد شاهقة وفي غيرها على خلاف ذلك اصبحت اغوارًا عميقة غمرتها مياه الاوقيانوس

ولم تبق القارّات الثابتة على حالتها بل طرأت عليها العوامل الجوّيّة كالرياح والامطار واليبس والثلوج والجليد فلم تزل تفتك بها حتّى اثّرت في كيانها تأثيرًا عظيماً. ومثلها السيول الجليديّة والمثالج والانهار وامواج البحر فانّها كلّها بقوّة احتكاكها وصدماتها غيّرت هيئة الارض فكانت السيول والانهار تسحو التربة وتجرفها وتدفعها الى البحر حيث كانت ترسب في قعره وتطمر تحت اجرانها بقايا النبات والحيوان المعاصر لها

ولنا على ذلك مثال خفيف في ما يحدث في زماننا مع اختلاف قوّة العوامل الجوّيّة وسورة المياه في ذلك العهد القديم. فان علماء طبقات الارض يقوّمون الآن بستّة عشر كيلومترًا مكعّبًا على الأقلّ محصّل الأجرُف الارضيّة التي تحملها العوامل الجوّيّة وسيول المياه في كلّ سنة وتسحوها الى البحر. ويضربون على ذلك مثل نهري العراق اي الفرات ودجلة فانهما باجتماعهما في شطّ العرب ونقلهما الى بحر فارس ما يجرفان من التربة يدفعانه كلّ سنة خمسين مترًا عن سواحله. وشطّ العرب بالنسبة الى كبار انهار اميركة والهند والصين يُعَدّ من صغار الانهار

فكل هذه الأجرف اذا بلغت قعر البحار رسبت فيها واختلطت بما يُجرَف معها من بقايا النبات وهياكل الحيوان وجثث الحيتان التي تموت في البحر والاصداف المختلفة فيتكوّن من هذه المجاميع طبقة من الطبقات الارضيّة التي يدعونها بطبقة الارض الرابعة

وعلى هذا المثال تكوّنت الطبقة الثانية من انحلال موادّ الطبقة الاولى ثمّ الطبقة الثالثة بتحلُّل الطبقتين الاولى والثانية

واذا افترضتَ انّ بعض الطوارئ الطبيعيّة كالزلازل وغير ذلك ترفع يوماً بعدَ آلافٍ من السنين الى ما فوق سطح البحر تلك الطبقة الراسبة في قعره فانّ علماء ذلك الزمان سوف يجدون في تلك الرواسب بقايا النبات المعاصر لنا والحيوانات التي تُرى في زماننا الحاضر

وكذلك يمكن ان نفترض انّ انقلاباً أرضيًّا آخر مع طغيان عرمرميّ يحلّ على قسم من البلاد ويكسوها حمأةً كثيفة فيُطمَر معها النبات والشجر والحيوان المنتشر في تلك الانحاء

فمثل هذه الانقلابات قد حدثت في العصور القديمة بعضها بطوارئ شديدة فاجئة وغيرها بفعل الازمنة البطيء والرواسب المتوالية فانطمرت قارات ارضيّة قديمة تحت المياه وطفا غيرها ناتئاً من قعر البحار حتّى يجوز القول انّ كلّ اقسام الارض وقاراتها كانت تارةً في اعماق البحار وتارةً مرتفعةً عنها . وما يُرى فيها من انواع النبات والحيوان المستحجرة في طبقات بلاد مختلفة يدلّ على ما كان شائعاً منها في اطوار معلومة برًّا كان او بحرًا . وبعض هذه الطبقات سميك جدًّا حتّى انّ منها ما يُعَدّ من جبال العصور ويبلغ سمك رواسبها في بعض الطبقات الى نحو خمسين كيلومترًا

فهذه سجلّات تاريخ ارضنا مدفونة في طبقاتها المختلفة ويكفي لمعرفة اقدم ما ظهر على ارضنا من المواليد الطبيعيّة ان نفحص تلك الطبقات مباشرةً واقربها الى قشرة الارض الاوّليّة الى اعلاها واقربها عهدًا منّا . ومن هذا الفحص يمكن اثبات او نفي ما يدّعيه الدرويتيّون بانّ في اوّل الخليقة لم يكوّن البارئ على الارض الّا بعض امثلة النباتات والحيوانات التي منها تسلسلت في تتابع الاجيال بقيّة انواع النبات والحيوان . ويقتضي ذلك وجود هذه الامثلة في اعمق طبقات الارض واقدم رواسبها ثمّ وجود تفرّعاتها بالتسلسل الى أيامنا في الطبقات المستحدثة

وكذلك لو صحّت مزاعم هِكل والماديين بقولهم انّ الحياة ظهرت من تلقاء ذاتها في بعض الخلايا التي منها تولّدت تدريجاً مواليد النبات ثمّ مواليد الحيوان لأنبغى وجود آثار هذا التسلسل في طبقات الارض بحيث نجد اصغرها وابسطها في الطبقات

السفلى ثمّ اكبرها واكملها في الطبقات العليا

وقد وضع الجيولوجيّون لهذه الطبقات الارضيّة اسماء خاصّة تسهيلًا لدرسها. فالرواسب الحديثة التي اخذت تتكوّن قبل خليقة الانسان بزمن طويل الى ايامنا هذه تُدعى على اصطلاحهم بطبقة الارض الرابعة (terrain quaternaire) وتحتها بالتدريج الطبقات الثالثة ثم الثانية ثمّ الاولى التي اقدم رواسبها تعتمد الى قعر الارض الاصلي

ثم يقسم الجيولوجيّون هذه الطبقات الاربع الى صفائح ممتازة لكل صفيحة منها اسمها الخاص تُعرَف بجنس صخورها وبانواع المستحجرات الموجودة في باطنها دون غيرها

فانّ بقايا الحيوانات الموجودة في الطبقة الاولى الأبعد عمقاً هي حيوانات بحريّة اكثرها عديم الفقرات . امّا النبات فيُرى منهُ باسفل الطبقة بعض اجناس الخُثّ (algue) البحري ثمّ فوقهُ في طبقاتهِ المرتفعة عددٌ لا يُحصى من الاشجار العاديّة المختلفة الاجناس التي طُمرت بانقلاب الارض ظاهرًا لبطن وهي مستودعات الفحم الحجري كنز صنائعنا حاضرًا

وفي صفائح الطبقة الثانية معظم ما وجد فيها من الحيوان زحّافات اكثرها مائيّة عظيمة الاجرام يبلغ طول بعضها من ١٥ الى ٣٠ بل ٤٠ مترًا وكلّها ذوات اسنان

وفي صفائح الطبقة الثالثة وجدوا عددًا عديدًا من الحيوانات ذوات الاثدي البالغة الكبر منها الطيور العظيمة . امّا النبات فما وُجد منهُ هو من ذات الفلقتَين (dicotylédonées) وفي احدث صفائحهِ تُرى الحيوانات المجترّة ثمّ اصناف القرود ثمّ اجناس الفيلة التي لم يُعرف منها في عهدنا الّا جنس واحد

واخيرًا الطبقة الرابعة وقد وُجدت فيها حيوانات متعدّدة اكثرها باقٍ الى يومنا وفي آخرها جميعاً يظهر الانسان

فمن هذه الخلاصة التي انتزعناها من كتب الجيولوجية يلوح انّ الحياة لم تظهر اوّلًا كما يزعم الماديّون على صورة خلايا غاية في البساطة بل على صورة نباتات وحيوانات تامّة البنية ذات نوع معلوم. فانّ في اقدم طبقات الارض وُجدت حيوانات

بحريّة يدور الدم في شلوشها وعروقها مجهّزة بالاعصاب وبأجهزة تنفّسيّة الخ . امّا النبات فاقدم ما وُجد منهُ بعض اشكال غير واضحة التركيب . ثم يليها دون وسيط بين الجنسين تلك النباتات والاشجار العاديّة اصل فحمنا الحجري . وكلّ هذه المواليد العريقة في القدم نباتيّة كانت او حيوانيّة تدهش الناظر باختلاف اجهزتها وانسجتها وصورها ولا شيء فيها يدلّ على انّها كانت مسبوقة بأمثلة اخرى خلفتها . وكثير من اجناس تلك المواليد قد صبر على الدهور فبلغ الى عهدنا

نعم انّهُ وجدت بعد ذلك اجناس جديدة على مدى الاجيال الّا انهُ لا يوجد بينها وبين ما سبقها علاقة تدلّ على انّها تولّدت منها . بل لكل جنس خواصّهُ في نموّهِ فالبعض منها نما وازدهر مدّة قرون عديدة والبعض الآخر بعد ظهوره زمناً معلوماً لا تعود تجد لهُ اثرًا او لم يبقَ منهُ الّا انواع قليلة في الازمنة التالية

وكذلك ترى من جانب آخر رُتَباً كاملة من الحيوانات تظهر في وقت معلوم بكامل أهبتها ومميّزاتها دون ان تجد في ما سبقها انواعاً يستطاع القول عنها انّها منها تفرّعت كما انّها اذا فنيت لا ترى لها خلفاً يمكن القول عنهُ انّهُ من مواليدها

هذا ولا ننكر انّ في ظهور الكائنات المتوالي بعض الترقّي من حيث كمال تركيبها من اجناسها المختلفة فانّ ارباب الطبيعة يعتبرون الحثّ والنبات العديم الزهر انقص كمالًا من النباتات ذوات الفلق الواحد وهذه دون النباتات ذوات الفلقتين . وقد وجدوا في طبقات الارض اوّلًا الحثّ البحريّ ثم النبات العديم الزهر الذي منهُ الخنشار العظيم الشكل في الاراضي الفحميّة ثم الاشجار المخروطة الشكل كالسرو وهي ذات فلق واحد وفي الاخير الاشجار ذات الفلقتين وهو الترتيب النظاميّ الذي يتبعهُ الجيولوجيّون في تقاسيمهم . ولكن هذا النظام المتوالي لا تُرى بين حلقاته علائق تدلّ على التحام قسم بآخر بل تُرى هذه الاقسام مستقلّةً ظاهرة بكمالها دون اجناس انقص فأكمل تجتاز بها الى بلوغ كمالها

وكذلك الحيوان يظهر من آثاره المستحجرة في طبقات الارض بعض الترقّي اذ ظهرت اوّلًا الحيوانات المائيّة العديمة الفقرات ثمّ ثانياً الزحّافات الكبيرة وكبار الطيور ذوات الاسنان . ثمّ ثالثاً الحيوانات ذوات الاثدي كالفيل والقرد ثمّ الانسان الّا انّهُ لا يوجد علاقة بين هذه الرتب ولا شيء يمكن اعتباره كتوطئة لجنس آخر

يأتي بعده فانَّ في هذه المستحجرات رُتباً كاملة وعلى الاقلّ اجناساً ظهرت في طبقات الارض بعدد عديد. منها جنس الصدفيّات المعروفة بأمونيت (ammonites) البالغ انواعها اربعة آلاف نوع وكأنها قد فنيت دون ان يتولّد منها اجناس لاحقة بها كما انها ظهرت دون ان يوجد قبلها اجناس تفرّعت هي منها

فهذه نتائج المعلومات الجيولوجيّة سوف تمهّد لنا الحكم على مزاعم الدروينيين والماديّين في آرائهم عن ظهور الحياة ونموّها على وجه الارض. لا بل نستطيع ان نقول مع احد اراكنة علم الطبقات الارضيّة المسيو دي لاپاران (Mr de Lappa-rent) مستشهدين بقوله الآتي: يظهر من درس تاريخ كُرتنا الارضيّة ان الحياة لم تدخلها بالتدريج وبترقّي اجهزة الحيوانات بتوالي الازمنة. بل ظهرت بقدر ما يمكننا ان نبدي حكمنا في ذلك في وقت واحد بظهور اجناس شتّى حاصلة على كلّ الكمال الذي تحتمله الاحوال المحدقة بها. فكفى بهذا نفياً لمذهب القائلين بترقّي المخلوقات وتسلسلها (له تابع)

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوّل الاسلام (تابع)

العادات الدينيّة (تتمة)

﴿ استلام الحجر الاسود ﴾ ومن المعلوم انَّ المسلمين اذا حجّوا الى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الاسود الذي فيها ولعلّهم يفعلون ذلك احتذاء بنبيّهم.

يأتي بعده فانَّ في هذه المستحجرات رُتباً كاملة وعلى الاقلّ اجناساً ظهرت في طبقات الارض بعدد عديد. منها جنس الصدفيّات المعروفة بأمونيت (ammonites) البالغ انواعها اربعة آلاف نوع وكأنها قد فنيت دون ان يتولّد منها اجناس لاحقة بها كما انها ظهرت دون ان يوجد قبلها اجناس تفرّعت هي منها

فهذه نتائج المعلومات الجيولوجيّة سوف تمهّد لنا الحكم على مزاعم الدروينيين والماديّين في آرائهم عن ظهور الحياة ونموّها على وجه الارض. لا بل نستطيع ان نقول مع احد اراكنة علم الطبقات الارضيّة المسيو دي لاپاران (Mr de Lappa-rent) مستشهدين بقوله الآتي: يظهر من درس تاريخ كُرتنا الارضيّة ان الحياة لم تدخلها بالتدريج وبترقّي اجهزة الحيوانات بتوالي الازمنة. بل ظهرت بقدر ما يمكننا ان نبدي حكمنا في ذلك في وقت واحد بظهور اجناس شتّى حاصلة على كلّ الكمال الذي تحتمله الاحوال المحدقة بها. فكفى بهذا نفياً لمذهب القائلين بترقّي المخلوقات وتسلسلها (له تابع)

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوّل الاسلام (تابع)

العادات الدينيّة (تتمة)

﴿ استلام الحجر الاسود ﴾ ومن المعلوم انَّ المسلمين اذا حجّوا الى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الاسود الذي فيها ولعلّهم يفعلون ذلك احتذاء بنبيّهم.

قال البخاري في الصحيح (٢:١٤٧) : « جاء عُمر الى الحجر الاسود فقبّلهُ فقال : اني اعلم انك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلعم يقبّلك ما قبّلتُك » . قلنا ولا يبعد ان العرب اخذوا ذلك عن النصارى الذي يقبّلون حجارة كنائسهم تعبُّدًا او كحجّاجهم الى القدس الشريف حيث يقبّلون قبر السيّد المسيح او الحجر الذي صعد من فوقهِ الى السماء في جبل الزيتون وعليه رسمُ أثر قدمهِ المبارك »

وقد سبق لنا ذكر حمام مكّة ومأمنها من الصيد . ودونك ما رُوي عن حمام الكنائس . روى الطبري في تاريخ (٢:٨٦١) لرجل من بكر بن وائل ونسبهُ في الاغاني (٢:٧٢) لعبد الرحمان بن الحكم

أتتك العيسُ تنفخُ في بُراها تُكشّفُ عن مناكبها القُطوعُ
كأنَّ مواقعَ الأكوار منها حمامُ كنائسٍ بُقعٌ وقُوعُ

﴿النذور﴾ يروى عن عرب الجاهليّة انهم كانوا ينذرون مواليدهم للكعبة . ذكر ابو الوليد الازرقيّ في اخبار مكّة (ص ١٢٨—١٢٩) عن امرأة اخزم بن العاص الجرهميّة انّها كانت عاقرًا فنذرت إن ولدت غلامًا ان تتصدّق بهِ على الكعبة عبدًا لها يخدُمها ويقوم عليها فولدت من اخزم التوْتَ فتصدّقت بهِ عليها فكان يخدمها مع اخوالهِ من بُرْهم . (قلنا) انَّ هذه العادة اعني نذر المولود الى الله كان سبق العربَ اليها اصحابُ الكتاب من يهود ونصارى . وكلّ يعرف كيف نذرت حنّة العاقر ان ولدت غلامًا تجعلهُ في خدمة الله فولدت صموئيل فوفت بنذرها . وقد ورد في القرآن في سورة آل عمران نذر امرأة عِمران (يعني القديسة حنّة) بابنتها مريم العذراء فخدمَتْهُ تعالى بالمحراب تحت كفالة زكريا الكاهن

﴿ المساجد وبناؤها على شكل الكنائس ﴾ لا مراء في ان المسلمين اوّل ما شيّدوا المساجد لصلاتهم بنوها على صورة الكنائس فضلًا عمّا حوّلوهُ منها الى جوامع عند فتحهم البلاد النصرانيّة كالجامع الامويّ في دمشق والجامع الاقصى في القدس الشريف وجوامع حمص وحماة وحلب فكل من يدخل هذه الجوامع من المهندسين يحتم لاوّل وهلة انّها من هندسة النصارى الاقدمين كما اثبتنا ذلك في فصل الفنون الجميلة (ص٣٤٣—٣٥٠) . فلمّا حاول المسلمون تشييد مساجد جديدة تقلّدوا فيها الكنائس

النصرانيَّة وكان بُناتُها في الغالب نصارى من الروم والقبط واهل الشام لا يعرفون الَّا هندستهم الدينيَّة

وقد قابل المرحوم ثان بركم (M. van Berchem) بين كل اقسام الجوامع كصحنها ورواقها واركانها وعواميدها وسقفها وقبلتها ومحرابها ومنبرها ومقصورتها ومنارتها وبين الكنائس النصرانيَّة واقسامها المختلفة عند ظهور الاسلام وختم بقوله « انَّ وَضع الجوامع يُشبه شبهاً تامًّا واضحاً بناء الكنائس القديمة (١ » يريد الكنائس المعروفة بالكنائس الملكيَّة (Basiliques)

وما نقولهُ هنا اجمالًا عن هندسة الجوامع نستطيع ان نثبتهُ ايضاً لكل قسم منها مفردًا كالمآذن والمنارات التي تقلَّدوا فيها الصوامع النصرانيَّة وكالمنبر الذي مرَّ لنا ذكرهُ في باب التجارة وهلمَّ جرًّا

﴿ الخطابة في المساجد ﴾ ومما استحدثهُ الاسلام الخطب الدينيَّة في المجامع. يروى لصاحب الشريعة الاسلاميَّة بعض الخطب التي القاها في قومهِ يذكرهم ويحضُّهم على الاعمال الصالحة وانَّما تقلَّد في ذلك ما وجدهُ من العادات الجارية بين النصارى المجاورين لهُ الذين كان اربابهم وكهنتهم يرشدون في الكنائس رعاياهم. وقد مرَّ لنا فصل في الخطابة بين نصارى العرب في الجاهليَّة مع ذكر إمامهم المضروب فيهِ المثل قسّ بن ساعدة

وكان منبر الخطابة بين النصارى رمزًا عن الرئاسة والسلطة الدينيَّة . وكذلك اعتبرهُ محمَّد والمسلمون بعده. فكان الخلفاء يرقونهُ ايَّام الاعياد والصلوات العموميَّة فيلقون منهُ الخطب كما كان يفعل اساقفة النصارى في كنائسهم وقد سبق لنا (ص ١١٩) ذكر العرش الذي اضافوهُ الى المنبر وكان يجلس عليهِ محمَّد كما روى ابن الاثير في اسد الغابة وابن سعد في طبقاتهِ. وكان ذلك على مثال العرش الذي يجلس عليهِ

---

١) راجع (Encyclopédie de l'Islam, art. ARCHITECTURE, p. 428b
اطلب ايضاً كتاب سلادين في الفنون الاسلاميَّة H. Saladin : Manuel d'Art Musulman, I, 7-10 وكتاب تواريخ الاسلام لبرنس كايتاني L. Caetani : Annali dell' Islam, I, 432 ومجلَّة الاسلام لبكر Beker, Islam, III, 392 وكتاب الصناعة العربيَّة لغايه Gayet : l'Art arabe, p. 27. 85

رؤساء الدين النصراني في كنائسهم

وكذلك اعتاد الاساقفة اذا خطبوا او صلّوا صلاةً عموميّة ان يمسكوا بيدهم العصاة الرعويّة المعروفة بالمكّاز . وقد مرّ في خبر قسّ بن ساعدة انهُ كان اذا خطب يتكئ على عصاً (وقيل على سيف) ومما رواهُ البخاريّ في صحيحهِ في كتاب الصلاة (١ : ١٣٥) «انّ النبيّ امر بحربةٍ فتوضع بين يديهِ فيصلّي اليها»

وللجوامع مآذن او منارات يؤذنون منها بالصلاة . وهي ايضاً مما تقلّد فيهِ المسلمون النصارى . فانّ المسلمين كانوا يؤذنون اوّلاً بالصلاة على باب مساجدهم ثمّ عاوا سطوحها للاذان او اذّنوا فوق اسوار المدن كما ورد في شعر الفرزدق قال (تاج العروس ٩ : ١٢٠) :

وحتّى غلا في سور كلّ مدينةٍ مناد ينادي فوقها بأذانِ

ثمّ اخيراً تقلّدوا صوامع الرهبان وهي قلاليّ محدّدة الطرف او أبراج كان يسكنها الراهب لعبادتهِ ويقرع منها الناقوس . فصارت المأذنة مرادفة للصومعة . ورد ذلك في كتب الادباء كابي الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ٨٥) اذ ذكر مأذنة المدينة فدعاها ايضاً هناك بالصومعة (١ . وروى عن بعض الموسوسين انهم « كانوا يصفّرون المشايخ في الصوامع اذا اذّنوا » . وفي خطط المقريزي (٢ : ٢٤٨) انّ معاوية امر مسلمة بن مخلد ببناء الصوامع للأذان في جامع فسطاط العتيق المعروف بجامع عمرو قال «وجعل مسلمة للمسجد الجامع اربع صوامع في اركانهِ الاربع . . . وامر ان لا يُضرب بناقوس عند الاذان يعني الفجر » . وكذلك ورد في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمنيّ (ص ٥٤ Ed., Evetts) : « وكان فتوح مصر في المحرّم سنة ٢٠ للهجرة ومن الصوامع ما هو باقٍ الى الآن جعلهم المسلمين مواذن (كذا) »

﴿المجامر في المساجد والجنازات﴾ معلوم انّ النصارى في مناسكهم الدينيّة في الكنائس وفي جنازات موتاهم يضرمون المجامر ويحرقون البخور ويوقدون الشمع والمشاعل قال الحسين بن الضحّاك يصف كنيسةً (البكري ٣٦١) :

عجّت اساقفها في بيت مذبحها اذكى مجامرها بالعودِ والنارِ

وقد روى الترمذي في صحيحهِ (١ : ١١٦) عن محمّد انّهُ كان يجمّر المسجد قبل

١) اطلب مجلّة الجمعيّة الشرقيّة الاميركانيّة JAOS., XXX, 132-154, art. Gottheil

فود الجماعة . وذكر ابن الاثير في النهاية (١ : ١٧٥) نعيماً المجمّر الصحابيّ قال وهو الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلعم » وهكذا فعل الخلفاء الراشدون بعده ثم معاوية وبعض خلفاء بني اميّة

وممّا ورد في كتاب تحقيق النصرة لابي بكر المراغي انّ عمر بن الخطّاب عند رجوعه من غزوة الشام اتى « بمجمرة من الفضّة فيه تماثيل وكان يجمّر بها المسجد ثم توضع بين يدي عمر بن الخطّاب » . وممّا ورد في تجمير المسلمين للموتى ما ذكره ابن الاثير في أُسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ : ٥٤٥) وابن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة (٨ : ١٨٧) عن مرضية الصحابيّة قالت : « اراكم تنكرون شيئاً رأيته يُصنع على عهد رسول الله صلعم رأيت الميت على عهد رسول الله صلعم يُتبع بالمجمَر » . وكذلك روى ابن سعد في طبقاته (٨ : ٥٣—٥٤) عن عائشة زوج نبيّ الاسلام انه حُملت في دفنها المشاعل من الجريد الملفوف بالخرق والمغموس بالزيت . ثمّ افتوا بتحريم التجمير وفي صحيح ابن ماجة « انهُ لا يجوز اتباع الجنائز بالمجامر وما يشابهها لأن ذلك من فعل الجاهليّة » يعني النصرانيّة (١

﴿ اكرام القبور ﴾ يروى في الحديث (جامع السيوطي ص ٣٥٧) : « قاتل الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور انبيائهم مساجد » كأن صاحب الشريعة الاسلاميّة حرّم بذلك اكرام الموتى وزيارة قبورهم . الّا انّ المسلمين لم يعيروا بالًا الحديث المذكور كما يثبت ذلك مألوف عاداتهم في اكرام قبر نبيّهم في المدينة وقبور الخلفاء الراشدين هنالك مع ما يزين تلك القبور من الحليّ ويُوقد فوقها من السُرج ويقدّمون اليها من الهدايا . ومن ذلك يتّضح انّ العادة النصرانيّة غلبت عليهم الّا بعض المتطرّفين منهم كالوهابيين الذين ينكرون كلّ اكرام للاولياء . وممّا يستند اليه اهل السنّة في اكرام الاولياء ما رواهُ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ٢ ق ٢ ص ٩—١٠) « انّ رسول الله صلعم صلّى على اهل البقيع اي قتلى أُحد بعد ثماني سنين » وقد اخبر الواقدي عن فاطمة الزهراء ابنته انّها كانت تخرج الى أُحد لزيارة قبر حمزة عمّ محمّد (٢

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG.1905, 403-404): وتاريخ معاوية للاب لامنس Lammens: Mo'âwia, (367, 436)

٢) اطلب كتاب الاستاذ غولتسيهر Goldziher: Culte des Saints chez les Musulmans. *Paris*, 1880

﴿الاستشهاد﴾ واخصّ من يكرمهم النصارى شهداء دينهم الذين بموجب وصاة السيّد المسيح فضّلوا الموت في سبيل ايمانهم على الحياة والغنى والشهوات. وليس للنصارى شهداء غيرهم . فرأى صاحب الشريعة الاسلاميّة ما في هذه الميتة الشريفة من المجد فعظّم الاستشهاد ورغّب فيه بالمواعيد الجليلة في الآخرة . لكنّ بين هذا الاستشهاد والاستشهاد النصرانيّ برزاً عظيماً . فبينما النصارى لا يعدّون شهيداً الّا من مات لاجل الدين المستقيم ترى المسلمين يكرمون كشهداء كلّ من مات في الحرب والجهاد. بل يعتبرون كشهداء غيرهم ايضاً . جاء في الحديث (جامع السيوطي ص٢٩٣) : « الغريق شهيد والحريق شهيد والغريب شهيد والملدوغ شهيد » . وروى حديثاً آخر (ص٢٧٢) : « الطاعون والغرق والبَطَن والحرق والنفساء شهادة لأمّتي » وفي صحيح البخاري (٣ : ١٩٣) : « الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله »

٢ العادات الشرعيّة

﴿اصول الشرع الاسلاميّ﴾ لمّا ظهر الاسلام كان معظم العرب لا يعرفون من الشرع الّا ما يفي بامورهم ويكفي لمعاملاتهم في حياتهم الساذجة . فلمّا فتحوا البلاد الراقية في التمدّن كالشام ومصر والعراق والعجم احتاجوا الى شرائع اوسع وادقّ وكان نصارى تلك البلاد يتبعون الشرائع الرومانيّة التي نقّحها ونظّمها يوستنيان الملك فعليها جرى العرب اوّلاً بمساعدة عمّال من نصارى الروم والسريان والاقباط وانّما ثبتوا على بعض نواميسهم الاصليّة في عيشتهم الفطريّة مع ما استخلصهُ الفقهاء من القرآن او الحديث . وبقوا على ذلك الى اواسط القرن الثاني للهجرة اذ ظهر كبار الائمّة كالشافعي وابي حنيفة ومالك وابن حنبل فوضعوا اللفقة الاسلامي اصولاً ثابتة يرجع اليها المسلمون حتّى يومنا هذا . على انّ الذين يدرسون هذا الفقه لا يزالون يقابلون بينهُ وبين الشرع الرومانيّ ويلحظون اشياء كثيرة مصدرها الحقوق الرومانيّة

﴿الدواوين﴾ لا قيام لدولة كبيرة الّا بانشاء دواوين مختلفة يُعهد الى كلّ منها تدبير بعض امورها كبيت المال وتدبير الجُند وديوان الانشاء وديوان التوقيع وديوان الاعمال وديوان الجباية وديوان الخاتم . ولم يكن للعرب الفاتحين دربة في كلّ

ذلك ومن ثمَّ اقرُّوا الدواوين على ما كانت عليهِ قبل فتحهم في ايدي عمَّال من نصارى البلاد . وجاء في كتاب لطائف المعارف للثعالبي (ص١٠) «انَّ اوَّل من دوَّن الدواوين عمر بن الخطَّاب عملًا بما قال لهُ رجلٌ: رأيتُ الاعاجم يدوِّنون ديواناً لهم فدوِّن لنا انت ديواناً فامر بوضع الديوان» على انَّ هذه الدواوين تولَّاها اوَّلًا النصارى لعلمهم بتدبيرها . لنا على ذلك مثال جليل في أُسرة ابن منصور الدمشقيَّة التي اشتهر منها سرجه او سرجون بن منصور من ندماء يزيد بن معاوية (الاغاني ١٦ : ٧) وكاتب معاوية بن يزيد وعبد الملك بن مروان على ديوان الخراج والجند (الطبري ٢ : ٨٣٧ ابن عبد ربِّهِ ٢ : ٣٢٢) وابنهُ يوحنَّا هو ملفان الكنيسة اليونانيَّة العظيم المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي . وكان هؤلاء العمَّال يكتبون في الروميَّة او القبطيَّة او الفارسيَّة الى ان تمكَّن العرب من نظارة تلك الدواوين فنقلوها الى العربيَّة وذلك في عهد عبد الملك بن مروان ثمَّ الوليد بن عبد الملك

﴿ التاريخ ﴾ كان للامم المجاورة للعرب تواريخ للاعوام والشهور يعرِّفون بها ازمنة الوقائع والحوادث المهمَّة فكان اليونان يؤرِّخون بسني الخليقة وبتاريخ الاسكندر ذي القرنين وبمولد السيد المسيح . وكان الفرس يؤرِّخون بيزدجرد بن شهريار او احد ملوكهم وأرَّخ العرب قبل الاسلام بعام الفيل او ببعض ايَّامهم المشتهرة كيوم جَبَلَة ويوم الكُلاب ويوم ذي قار . امَّا المسلمون فقيل انَّ عمر اوَّل من ارَّخ منهم في السنة ١٩ او ٢٠ هجريَّة تعلَّموا ذلك من جيرتهم . جاء في كتاب التاريخ في علم التاريخ للسيوطي (ص٩ ed. Seybold) «انَّ رجلًا من المسلمين قدم من ارض اليمن فقال لعمر: رأيتُ باليَمَن شيئاً يسمُّونهُ التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا . فقال عمر: انَّ هذا لحَسَن فارَّخوا» ثمَّ اختلفوا في بدء التاريخ الى ان اصطلحوا على سنة هجرة محمَّد من مكَّة الى المدينة وجعلوا اوَّل العام شهر المحرَّم لانهُ شهر حرام ومنصرَف الناس من الحجّ . قالوا انهُ يوافق يوم الخميس الثامن من شهر ايَّار سنة ٩٣٣ للاسكندر (لهُ تابع)

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

في المدرسة المارونيّة

اثبتنا مبادئ تاريخ المدرسة المارونيّة ونظامها وتدبير شؤونها الماديّة والادبيّة مع ترجمة قوانينها وما نالتهُ من كرم الاحبار الرومانيين من الامتيازات المشعة فضلاً عن الاوقاف الكافية لمعاش تلامذتها

وبقي الاب يوحنا برونو على رئاسة المدرسة المارونيّة في مقامها الجديد من السنة ١٥٨٤ الى ١٥٩٠ وهو يبذل جهدهُ في تمهيد العقبات التي كان يلقاها في طريقهِ مدّة تلك السنين الاولى فذلّلها بحكمتهِ وحسن نظرهِ . وقد ساعدهُ كثيرًا على ذلك الكردينال انطون كرافا محامي الطائفة المارونيّة الذي كان يعتبر هذا المشروع كأعظم خدمة يؤديها للكنائس الشرقيّة ليعيد لها رونقها القديم

ولمّا عاد الاب جوان باطشتا اليانو الى رومية سنة ١٥٨٥ بعد محنتهِ الشديدة في سفارتهِ الى الاقباط عهد اليهِ البابا سكستوس الخامس خلفُ غريغوريوس الثالث عشر وكالة التأنيس العظمى فبقي عليها الى سنة موتهِ في ٣ آذار سنة ١٥٨٩ . وكان في تلك المدّة لا يدّخر وسعاً في خدمة المدرسة المارونيّة ونجاحها وكان يكاتب معارفهُ في لبنان ويرحل لهم الصدقات وآنية التقديس ويطّلع على احوالهم الدينيّة . وممّا وقفنا عليهِ في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة المكتوب التالي ارسلهُ الى الاب اليانو من طرابلس في ١٠ ايلول سنة ١٥٨٦ ثلاثةٌ من اهلها بهذا الامضاء « يونان ويوسف وسركيس » ولعلهم كهنة طرابلس الموارنة

السلام الباقي على الاب المكرّم المحب والاخ بالمسيح التس باطيشتا سلّمهُ الله تعالى من كل شرّ وبرحمنا الرب ببركة صلواتهِ المقدّسة آمين

ثمّ نعلم سيدنا وعزيزنا اننا نحن بعون الله وبصلواتك طيّبين وشاكرين الله لسمنا بسلامتك

اذ جئت من مصر طيّب . وانهُ قد وصل الينا من فضلك على يد الخواجا فرنسكو (١ كأس وصينيّة فضّة مطليين ذهب ومبخرتين وقنديل وسطل وسخّانة نحاس لغسل اليدين واشحيم فرنجي وعتيقة (٢ . واما دوايات الكتابة الذي اوصاك عليهم القس جرجس والبامام (والبلسم) فما بعثت لنا منها شيء . ونريد من فضلك واحسانك ان تبعث لنا عودة قدّاس كاملة وتاج وبلسم وكتاب العتيقة يكون بخط عبراني ولفظ سرياني مثل الصغير الذي كان معك والدهن الذي وعدتنا به لقطع الدلف . واكتب لنا حقّ الخوانيج الذي تبعثهم لنا كم تكون حتى نرسل لك حقّها كما يريد خاطرك . ونريد من فضلك ان تقبل لنا ايادي سيّدنا البابا وتشاوره ان يرسل لنا ورقة من جهة الصوم والاعياد حتى بدستوره نمشي على رتبتكم لانّ ذمّتنا تدلّنا باختلاف الطائفة عنكم

امّا امر القس سركيس فهكذا كان . لمّا اراد البطرك ان يرسل الحصروني ام حبقوق ام غنطوس ما احد منهم اراد ان يدخل رومية من شأن خمّ الاسطنا (كذا) . ومن بعد ما جلب البطرك واحدًا منهم جاء لعندنا وقال : أبعث القس سركيس . وتوافقنا معهُ وقمنا هنأناهُ . ومن بعد ما وصلتُ لطرابلس قام البطرك والحصروني عملوا شور غير ذلك ما نعرف ايش بدا لهم ومن ايش الرب يعلم . كنت بعثتهُ من كل قلبي لكن الحصروني جاءنا خبر انهُ تكلم غرائب وقال اننا كنّا طلبنا ان نأخذ رعيّة البطرك واشتكى علينا الى البابا وانّنا مخالفين الكنيسة ورتبتها . الله يجازيه . وباين رجع الينا وهو يقول انه جاء من رومية ميّت من الجوع بلا زوّاده وباب معهُ بعض اوراق كتب نُوبات واشينات ايش نريدهم كان لنا خاطر ان تطبع كتب الكنيسة على يدك كما يريد الله وكما تعرف انت لكن ايش في خاطر البطرك والشرح طويل . وبعد السلام والباقي على الدوام في محبتك الحقير يونان واخوته كل واحد باسمه ومن المطران يعقوب . كُتب في طرابلس ١٤ ايلول سنة ١٥٨٦ مسيحيّة . عبوديّة محبتك بالمسيح يونان يوسف وسركيس

فيؤخذ من هذه الرسالة انّ الموارنة في رومية باشروا بطبع كتبهم الطقسيّة في غيبة الاب اليانو . وقد سبق انّ الكردينال انطون كرافا كان استدعى لهذه الغاية الخوري يوحنا ايوب الحصروني فنشر بالطبع كتاب الجنازات المعروف بالنويسة . الّا انّ الطائفة كانت في حاجة امسّ الى كتاب القداس والشحيم . وكان الاب اليانو يفكر في تنقيحها وطبعها ويحثّهُ على ذلك الكردينال كرافا لولا انّ الموت عجّلهُ قبل ابراز فكره الى الوجود

وفي السنة ١٥٩٠ قام خلفًا على رئاسة المدرسة المارونيّة الاب ايرونيموس فوروفتني الروماني بعد الاب يوحنا برونو ولا نعلم أكان ذلك بسبب موت الاب برونو أم

١) نظنّ انهُ كان قنصل البندقيّة في طرابلس واحد تجارها

٢) يريد بالعتيقة توراة العهد العتيق

لوظيفة اخرى عُهدت اليه . وبقي الاب فوروفنتي ستّ عشرة سنة في تدبير المدرسة (١٥٩٠–١٦٠٦) فجرى على آثار سلفه وعُني عناية عظيمة في ترقيتها . وفي اوّل سنة رئاسته كتب البطريرك سركيس يطرس الرزّي الى رئيس عام الرهبانيّة اليسوعيّة الاب كلوديوس اكوافيفا يستدعي سبعة من التلامذة الذين كانوا على ما يظهر انهوا دروسهم فحان وقت سيامتهم كهنة . وها هوذا الكتاب :

ܟܬܒܐ ܕܟܪܝܣܛܘܣ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܡܪܘܢܝܬܐ

البركات المتواترات مع السلام الروحاني الذي خصّ به سيّدنا تلاميذهُ في الفرقة الصهيونيّة فذلك السلام بينهِ يكون مع الاخ العزيز العالم المعلّي الدّين الخيّر المعلّم العامل في وصايا ربّهِ ذو الفهم والعقل والمعروفة صاحب الراي الصالح والتدبير الناجح المغروس على الجوقة الاطهار الايسوعيّة ابونا المحب الجنرال (كلوديوس اكوافيفا) تكون البركة حالّة عليك وعلى تلاميذك القسوس والشمامسة كل واحد باسمهِ وعلى رزقكم ومقتناكم ويحلّ الرب ويبسط امنهُ وسلامهُ وطاعتهُ ورضاهُ وبركاتهِ وباقي خيراتهِ عليكم وبينكم آمين

والمعروض على المسامع الكريمة كرّمها الله انهُ وصلت الينا اخبار اعمالك الصالحة انت وتلاميذك اولادنا الذين يتعلّمون في المدرسة وفرحنا وانشرحنا غاية الانشراح وخصوصاً في تكريمكم ابن اخي الشماس سركيس الله يجازيكم الخير في ملكوت السماء امين . ونُعلم محبتك بانا ارسلنا نجيب من الاولاد سبعة لعند اهلهم والقصد من محبتك ان يكون نظرك عليهم وتوصي فيهم حتّى يصلوا الى بلادهم . وابن اخي الجيس حضر عندي وهو يقبّل ايديك ويوصيك في اخيهِ سركيس حتّى يكون نظرك عليهِ وتصلّي عليهِ حتّى يصل هو ورفقاه بالسلامة لعند اهلهم وبها تصل معهم من الخير تصلوهُ معنا . وعند محبتك فهم يُغني عن طول الشرح ونكرّر البركة عليك وعلى كل من يلوذ بخدمتك امين والشكر لله على الدوام

برز من دير قنوبين في جبل لبنان المبارك

سنة ١٥٩٠

ونكلف خاطرك يا اخي ان تكلم عزيزنا الكردينال خرانان (كرانّا) ان يخلي الاولاد جائين من المدرسة مجبورين الخاطر ولا يتعب علينا في سفر مجيئهم لعند اهلهم ومن شان بشة الاولاد

فمن هم يا تُرى هؤلاء السبعة الذين طلب البطرك سركيس الرزّي رجوعهم الى لبنان من تلامذة المدرسة المارونيّة وباكورة اثمارها في خدمة مواطنيهم ؟ ان البطرك سركيس لم يذكر منهم سوى سيّئ سركيس ابن اخيهِ . وكذلك الدويهي في تاريخهِ لم

يرو شيئاً عن رجوعهم وانّما ذكر فقط عرَضاً (ص ٤٤٤) «انّ يوحنّا دايس بن يعقوب الحصروني عاد الى لبنان سنة ١٥٩٠ ثمّ لبس لسكيم مار عبدالاحد وصار اسقفاً». أمّا الخمسة الباقون فنظنّ انهم اوّلاً التلميذان اللذان قدما اوّلاً الى رومية سنة ١٥٧٨ اعني جبرائيل سعد الادنيتي وكسار القبرسي ثم يعقوب بن سمعان الحصروني الذي اتى مع يوحنّا دايس سنة ١٥٨٠. أمّا انطون فرنسيس الحصروني ومرقس بن اسطفان الطوشي رفيقاهُ فان الاوّل كان مات في رومية كما قال الدويهي (ص ٤٤٤) والثاني مرقس طلب الدخول في الرهبانيّة اليسوعيّة فقبلهُ الرؤسا. لكنّه توفي قبل دخوله الدير بعد ان نذر النذور الثلثة كما اخبر الاب سكيني في تاريخ الرهبانيّة اليسوعيّة (ج ١ ك ٥ ع ٣٤). ثمّ المدعوّان القس ميخائيل والخوري نعمة الوارد كتابهما الى رئيس عام الرهبانيّة اليسوعيّة بعد رجوعهما الى لبنان ولعلّهما جبرائيل نعمه وميخائيل صليب السابق ذكرهما. وهذا هو المكتوب الذي حرّرهُ هذان الاخيران الى الاب كلوديوس اكوافيفا باسمهما واسم رفقتهما يشكرانه ويشكران الرهبانيّة اليسوعيّة التي اهتمّت بتهذيبهم في المدرسة المارونيّة (من سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة):

تقبّل الارض وغني جامتنا تحت موطئ اقدام الاب الحنون الرحوم الطاهر الحاذق الماهر المتلئ نعماً ومواهب من روح القدس الذي هو مزيّن في جميع الاصطلاحات والفضائل العالي في العلوم الروحيّة الذكيّ في اعمالهِ البهيّة قائد غنم سيّدهِ يسوع المسيح في الطريق المستقيمة مرشد الناس الى طريق الحياة السراج المضيء بين الشعوب والشمس التي بشعاعها تضيء الدنيا وجميع اقطارها القمر البهيّ بين النجوم حافظ الوصايا الالهيّة عود البيعة القاتوليقيّة السائر في الطريق الابوسطليّة وهو مطمئنا وابونا وعزّنا ورافع طائفتنا نحن الموارنة وتاج رأسنا الجنرال (كلوديوس اكوافيفا). يرحمنا الرب نحن الحقيرين في تلاميذك الكهنة الرهبان الخوري نعمة والقس ميخائيل في بركة صلاتك المقدّسة امين. ادام الله محبّتك علينا ورئاستك على طائفتنا وعلى مدرستنا نحن الموارنة زمناً طويلاً وايّاماً كثيرة امين

ونُعلم روحك انّنا وصلنا نحن وارفاقنا الى بلادنا طيّبين بعون الله وبركة صلواتك المقدّسة امين. اخوتنا الرهبان شاكرين فضلك واحسانك عوّض الله عليك الخير الذي عملتهُ معنا ومع ديورتنا يجازيك الله عوضاً عنّا في ملكوتهِ السماوية امين. ونُعلم قداستك انّنا قبل ما نظهر من المدرسة بيومين كنّا مشتاقين ان نتبارك من قداستك وسألنا المدبّر لكي يسمح لنا بذلك فقال لنا انّ قداستك رحت الى برّا المدينة. واما نحن تلاميذك الرهبان ما دمنا طول ايّام حياتنا ساكنين في ديورتنا ما ننسى فضلك واحسانك وحنّيتك علينا برّا بلادنا. وما نحتاج ان نوصي قداستك بالأولاد (الباقين في رومية) لان الاب لا يحتاج الى وصيّة باولادهِ لأنّهم اذا كانوا

مريضين طيّبين الخاطر جميع ايّام حياتهم يطلبون لك الخير . وسبب تسطير هذه الرسالة هو كثرة الاشواق الى نظر ايقونتك البهيّة الله يسمعنا عن قدوسيّتك الاخبار الصالحة

الحقير القس ميخائيل والخوري ضمه
في ٢٩ آب سنة (الف وخمسمائة) وتسعين مسيحيّة

ولا نشكّ في انّ هؤلاء السبعة بعد رجوعهم اخذوا يفلحون كرم الرب بنشاط ويسعون في خير طائفتهم . الّا انّ آثار تلك الازمنة لا تكاد تروي شيئاً عن اعمالهم وسوف ندوّن مع جدول اسمائهم ما عثرنا عليه من اخبارهم

وفي السنة ١٥٩٣ رجع الى لبنان جرجس عميره الذي صار بعد ذلك بطركاً على الطائفة . فهذا بعد وفاة الاب اليانو اهتمّ مع بعض رفقته بطبع كتاب القدّاس الماروني في مطبعة الديشيس في رومية فطبع سنة ١٥٩٤ طبعاً متقناً بحرف سرياني جميل ونقوش وصور الّا انّهم لم يحسنوا انتخاب المخطوطات التي مثّلوها للطبع فنشروا نوافير بعض اليعاقبة ولم يصلحوا ما فيها من آثار هرطقتهم واذ لم يكن في رومية من يُحسن اللغة السريانيّة لم تنقّح هذه الشوائب . على انّ المجمع المقدّس شعر بهذا الخلل ولم يسمح بنشر الكتاب الّا السنة ١٦٠٨ وفي آخره ترجمة مار مارون منقولة الى السريانيّة عن تاودوريطس بقلم ثلثة من تلامذة الموارنة في رومية هم جرجس الكرمسداني وميخائيل الادنيتي وجبرائيل الصهيوني

وفي الصفحة ٢٨٦ انّ الكتاب طُبع في رومية باذن الرؤساء في السنة الرابعة لاقليمس الثامن في زمن الكردينال باليوتي (الذي خلف الكردينال كرافا في حماية الموارنة) وفي عهد البطريرك سرجيوس الرزّي

وقد جاء نشر هذا الكتاب المغلوط احسن مبرّر لما وُشي به الاب جوان باطشتا اليانو حيث قيل عنهُ انّهُ اتّهم في رومية الطائفة المارونيّة واشاع عن كتبهم الطقسيّة ما لا صحّة لهُ مع ما نعرفهُ من خلوص محبّة الاب اليانو للموارنة ودفاعهِ عنهم وتفانيهِ في خدمتهم . وعليهِ يسوّغنا ما رواه الدويهي في تاريخهِ عن البطريرك سركيس (ص ١٨٢ — ١٨٣) قال :

وفي السنة ١٥٩٦ (١٠٠٥ ﻫ) في الثامن عشر من ايلول امر البطريرك (سركيس الرزّي) بالتئام رؤساء الكهنة ومشايخ الجبّة وعلماء الطائفة وبعد قراءة مكتوب البابا (اقليمس الثامن) برهن امامهم وامام قصّاد الكرسي الرسولي انّ اخاهُ البطريرك ميخائيل والطائفة كلها ابرياء

من التُّهم التي اتَّهمهم بها باطلًا جوان باطشا . ولمَّا وقف الاب دنديني على اقرار علماء الطائفة وفحص الكتب التي كان وقف عليها ووسمها بخطهِ تحقَّق انَّ كلَّ ما اتُّهموا به هو محض تجنٍّ

فالعجب كلَّ العجب من البطريرك سركيس لاحتجاجهِ على الاب اليانو في ما قالهُ عن كتب الموارنة وهو كان احد الشهود العيان في فحص هذه الكتب معهُ ولا نطلب ردًّا على قولهِ سوى هذا الكتاب المطبوع قبل تجنيهِ بسنتين مع اسمهِ الكريم وبمساعي ابناء طائفتهِ . ولو كان اطَّلع عليهِ الاب دنديني لكان امكنهُ ان يدافع عن شرف اخيهِ السنيرِ الرسولي الاب اليانو الذي كان اعلم منهُ بالسريانيَّة والعبرانيَّة والعربيَّة

واعجب من ذلك كيف نسي البطريرك سركيس ما كتبهُ عن شقيقهِ وسلفهِ البطريرك ميخائيل الوزّي ناكرًا ما اقرَّ بهِ عن كتب الموارنة التي افسدها الهراطقة وهو القائل في المكتوب الذي نشرناهُ سابقاً (ص٥٣—٥٤) الى رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة حيث يثني كل الثناء على الاب اليانو ويطلب منهُ ان يرسلهُ ثانياً الى لبنان وهناك يقول: « انهُ (اي الاب اليانو) قرأ فرائض من كتبنا ووجد فيهم اشياء كثيرة غلط » . وجاء مثل ذلك في تقرير الاب اليانو الذي قدَّمهُ للحبر الاعظم وفيهِ يذكر الكتب التي وقف عليها فوجدها ملوَّثة بالاضاليل على انَّهُ لم ينسب ذلك الى سوء نيَّة او هرطقة صوريَّة بل الى الجهل وبعض الظروف فقال (ص٢٩) : « انهُ بتمادي الزمان وبسبب اختلاطهم مع الامم والطوائف المخالفة لدينهم قد تسرَّبت الى كتبهم بعض الاضاليل ودخل في طقوسهم ورتبهم بعض الشوائب التي سبَّبها قلَّة المعلِّمين الذين يُعنَون بارشادهم . . . وقد درَّنا هذه النصوص المضادَّة للحقائق الكاثوليكيَّة » . ونحن بيَّنَّا سابقاً انَّهُ يوجد الى اليوم في مكاتب اوربَّة مخطوطات مارونيَّة كالتي وصفها الاب اليانو . وكفى بهذا تزكيةً لذلك الرجل العظيم الذي تشهد لهُ كلُّ آثارهِ الباقية الى اليوم وتنبئ بغيرتهِ في خدمة الطائفة المارونيَّة ولو لم يكن لهُ من الفضل الَّا سعيهُ في انشاء المدرسة المارونيَّة في رومية لكان ذلك اكبر دلائل محبتهِ نحوها

(لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

Aug. Périer: 1°) Yahiâ Ben Adi, un Philosophe arabe Chrétien du Xe Siècle - 2°) Petits traités apologétiques de Yahiâ ben Adi avec traduction française. 2 *vol. in*-12. *pp.* 228 *et* 135. *Paris J. Gabalda et Paul Geuthner*, 1920

الفيلسوف النصراني العربي يحيى بن عدي ومقالاته

لله الشكر الذي اوحى الى حضرة الكاهن اوغسطين بيريه بتوجيه نظره الى احد مشاهير فلاسفة النصارى في القرن العاشر ألا وهو الشيخ ابو زكريا يحيى بن عدي اليعقوبي النحلة إمام العلوم المنطقيّة في القرن العاشر للمسيح . فانّ هذا الرجل العظيم الذي عارض بسعة علمه ووفرة مصنّفاته ابا نصر الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا كما يتّضح من جدول مؤلفاته التي سردها ابن ابي اصيبعة في كتابه تاريخ الاطبّاء وابن القفطي في اخبار الحكماء وابن النديم في الفهرست قد بلغ في العلوم النصرانيّة مبلغاً قلّما بلغهُ احد من اهل ملّته فصبحت تاليفهُ الدينيّة هذه على آفات الدهر بخلاف غيرها من تآليفه وقد اسعدنا الحظّ بنشر بعضها في مجلّة المشرق الّا انّ عدداً عديداً منها لم يزل مخزوناً في بطون المكاتب الكبرى ولاسيما في باريس ورومية حيث كنّا استنسخنا منها قسماً . وقد اطّلع عليها في هذه السنين الاخيرة حضرة الكاهن بيريه فأعجب بها واتّخذها مادّةً لتأليفين قدّمهما لجامعة باريس لينال بهما امتيازات اللفنة . فترى في الواحد تعريف ذاك الفيلسوف النطاسي وترجمة حياته وجدول تآليفه المفقودة والباقية مع انتقاد ما لم تأخذه يد الضياع انتقاداً علميّاً بناهُ على اصول اللاهوت والفلسفة الراهنة مميّزاً ما في تآليفه من القوّة والضعف ومن الغثّ والسمين مقرّاً بسموّ فضله وسعة مداركه في عاصمة الدولة العبّاسيّة حيث امكنهُ رغماً عن دينه ان يُلفت اليه نظر اهل زمانه أمّا الكتاب الآخر فقد ضمّنهُ ثماني مقالات لاهوتيّة جدليّة ليحيى بن عدي في اثبات اخصّ العقائد النصرانيّة مع ترجمتها الى اللغة الفرنسويّة وقد ذكرهنالك ما سبقنا ونشرناهُ منها في المشرق . وقد اضاف الى المقالات خلاصة جواب ابن عدي على اعتراضات فيلسوف العرب يعقوب الكندي على النصرانيّة وختمها بجدول

الالفاظ الفلسفيّة التي لابن عديّ مع ترجمتها الى الفرنسويّة . فترى ما في هذين الكتابين من الفوائد الجليلة التي من شأنها ان تزين مكاتب المستشرقين والشرقيين

LES SAINTS : S' Jean Berchmans (1599 - 1621) par HIPPOLYTE DELEHAYE. S. J., *Paris, V. Lecoffre-Gabalda*, 1921, *pp.* 170

ترجمة القديس يوحنّا بركمانس

ألّف هذا الكتاب حضرة الاب ديلهاي البولنديّ الشهير في ايّام الحرب الاخيرة وهو ملقى في الحبس بتهمة الالمان المستولين على وطنهِ بلجيكة ثمّ اعاد فيه النظر بعد نجاتهِ فنشرهُ بنسبة الاعياد التامة في هذه السنة لاكرام القديس بركمانس ونظمهُ في مجموع تراجم جديدة للقديسين يراقب نشرها احد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة المسيو هنري جولي (H. Joly) تحت اسم «القديسون» (Les Saints) وكلّها مكتوبة بقلم مشاهير الكتبة جامعةً بين صدق الرواية وبلاغة الانشاء. فكفى باسم الاب ديلهاي تنويهاً بفضل هذه الترجمة الجديدة التي كتبها بقلب مفعم حبًّا لوطنهِ ولخير الشبّان وطلبة المدارس الذين يجدون في يوحنّا بركمانس مرآة كلّ فضائل الناشئة الكاثوليكيّة ل . ش

Ed. Driault : LA QUESTION D'ORIENT depuis ses origines jusqu'à la Paix de Sèvres (1920), *Paris. F. Alcan*, 8' *éd.*, XI-479, 1921

المسألة الشرقيّة

لهذا الكتاب شأن عظيم لأنّهُ وحدهُ يشمل بنظرهِ سائر المسألة الشرقيّة ولا عجب انهُ بلغ طبعتهُ الثامنة . ومع اقرارنا بفضل المؤلف في اقسامهِ الجوهريّة قد وجدنا في دقائقهِ عدّة اغلاط كان يسهل على صاحبهِ ان يتحاشاها فصحّف مثلًا (ص٨) اسمي اجنادين والقادسيّة فكتبهما (Aïznadin, Kadéniah) . جعل برابرة افريقية من عنصر سامي (ص٤٩) . زعم ان لا سنّة للشيعة غير القرآن وان المعتزلة ينكرون وحي القرآن (ص ١٠) . ومن رواياتهِ الغريبة انّ السلطان سليماً وجد في اليمن رجلًا من سلالة العبّاسيين فباع منهُ حقوق الخلافة (ص٢٨) . وقد خلط (ص١٥٣) بين الامير بشير الثالث ابن قاسم ملحم وبشير الثاني المالطيّ الكبير . وهناك عدّة تواريخ غير مضبوطة . فهذه الشوائب من شأنها ان تمنع المدارس من اتخاذ كتابهِ كدستور للتعليم .

ولا نظنّ ان ارباب السياسة يوافقونهُ على ما كتبهُ (ص١٤١–١٤٣) عن مصير الاستانة اذ يريد ان تُعطى ملكاً لليونان — الاب ه . لامنس

J. Vandervorst : ISRAËL ET L'ANCIEN ORIENT (Préface du Cardinal Mercier). *Bruxelles, Devitt*, 1915. *XVI–424, pp., in-8°, 9 pl. hors texte, nombreuses figures et une grande carte à part.*

الشعب الاسرائيلي والشعب القديم

يسرّنا ان نفيد قرّاءنا الكرام عن صدور هذا الكتاب النفيس الذي ظهر في ايّام الحرب فتأخرنا عن وصفهِ . وضعهُ احد تلامذة المدرسة الكتابيّة في القدس الشريف الكاهن فندرفرست الملفان في اللاهوت والعلم في مدرسة مالين الاكليريكيّة وقد ضمّنهُ من تاريخ بني اسرائيل في الشرق القديم ما يحتاج اليهِ كهنة زماننا وذلك على نسق مدرسي واضح قريب المنال فنوصي بهِ طلبة المدارس الاكليريكيّة ونتمنّى ان يعرّبهُ احد كهنة وطننا او يحذو حذوهُ اذ ليس في لغتنا ما يوقفنا على تاريخ بني اسرائيل في نور الاكتشافات الحديثة التي توضح كثيرًا من اسرارهِ . والكتاب المذكور يسدّ هذا الخلل ويفيد من هذا القبيل عموم اهل وطننا . وقد قسمهُ المؤلف الى ستّة اقسام تتناول تاريخ شعب الله من اصلهِ الى عهد ملوكهِ ثمّ من الملوك الى فتح الاشوريين للسامرة ثمّ منهُ الى جلاء بابل ثمّ من الجلاء الى الاسكندر ثمّ من الاسكندر الى دخول بومبيوس الى اورشليم سنة ٦٣ق م ثمّ من عهدهِ الى كسرة بركوكب سنة ١٣٥ب م ويلي هذه الاقسام عدّة ملحقات مفيدة اوّلها رسالة من رسائل تلّ العمارنة ثمّ كتابة الملك ميشا ثمّ جداول ملوك الكلدان وبابل والشور وفراعنة مصر وملوك اليهود والسارقيين . وفي آخرهِ خارطة كبيرة لا تحتوي مع كبرها الّا اعلامًا قليلة . ولنيافة الكردينال مرسيه مقدّمة في صدر هذا الكتاب حرّرها في وسط ميدان الوغى — الاب س . ر .

Sir Percy Sykes : A HISTORY OF PERSIA, 2d ed. London, Macmillan and C°, 2 vols., 1921, 8°, XXVIII-563 et XX-594 pp., cartes et illustrations.

تاريخ العجم

هي هديّة نفيسة اتحفنا بها متولّي طبع هذا الكتاب بمجلّدين ضخمين ضمّنهما السير بيرسي سيكس تاريخ العجم منذ اصولهِ الى عهدنا . وقد كان طبعهُ اوّلًا قبل

ستّ سنين اذ كان ضابطاً . ثمَّ كرَّر آخرًا طبعهُ بعد ترقيتهِ الى رتبة جنرال واضاف اليهِ تاريخ العجم الى زماننا حتَّى اواخر الحرب الكونيَّة . على ان الله قد توفَّى الجنرال قبل نهاية طبعهِ فقامت قرينتهُ المصونة بهذا العمل احسن قيام . والحقّ يقال انَّ المؤلف خدم وطنهُ بتأليفهِ خدمةً مشكورة اذ لم يكن قبلهُ للانكليز سوى تاريخ مَلكولم المطبوع قبل مئة سنة بنيّف فسدَّ هذه الثلمة عُني بتصنيفهِ مع انتظامهِ في الجنديَّة ليستفيد منهُ ضبَّاط دولتهِ وقناصلها . ولذلك نهج فيهِ منهجاً عمليّاً يرشدهم في تصرُّفهم . وهناك جدول واسع للتآليف التي راجعها في وضع تاريخهِ وتحقيق معلوماتهِ . فاخذنا العجب من وفرتها حتَّى كاد يستوفي بجموعها . وزد على ذلك أنَّهُ استشار في وضع كلّ قسم من كتابهِ الاختصاصيين من مواطنيهِ واستفاد خصوصاً من ملحوظاتهِ الشخصيَّة اذ قضى في العجم ٢١ سنة حتَّى ادرك مكنونات صدور اهلها وامتزج بهم امتزاج الماء بالراح . ومن ثمَّ يمكننا ان نثق برواياتهِ ملءَ الثقة وان لم يقصد بكتابهِ العلماء الاختصاصيين بل جمهور الوطنيين . وينتهي المجلَّد الاوَّل الى تاريخ هارون الرشيد . وخصَّص ١٦٠ صفحة من الثاني لتاريخ الحرب الكونيَّة في جهات العجم . ويزين هذا الكتاب تصاوير عديدة فوتغرافيَّة وغيرها منها في المتن ومنها على حدة وهي اشبه بتحف يمثّل للعيان احوال تلك البلاد . وزد عليها سبع خرائط بديعة اربع في المتن وثلثاً خارجة عنهُ الواحدة منها تمثّل الشرق الادنى مع اسماء بلدانهِ القديمة والثانية تحتوي وصف العجم الحاليَّة وافغانستان والثالثة جزيرة العرب وفقاً للاكتشافات الحديثة . فكفى بهذه الاسطر بياناً لمحاسن هذا الكتاب الذي يقوم مقام مكتبة واسعة توقفنا على كلّ احوال العجم . ومن ثمَّ لم نستثقل ثمنهُ البالغ ٣ جنيهات ونصف للمجلَّدين . س . ر

P. Loti : La mort de notre chère France en Orient. 1 *vol. in*-16. *Paris. Calmann-Lévy*, 1920. *Prix*, 6fs,75

آخرة فرنسة في الشرق

عُرف پيار لوتي منذ زمن طويل بميلهِ الى تركيا قبل الحرب وفي اثنائها . وقد ثبت على سياستهِ هذه حتَّى بعد الحرب فانَّهُ صنَّف اربعة كتب ليدعو وطنهُ الى مصالحة الاتراك . وهذا الكتاب الذي ظهر في العام الماضي اشبه بصوت النفير يكرّر

فيه الالحاح على مواطنيه لمصافحة تركيّة فتراهُ في كلّ تآليفه يدقّ على هذه النغمة. وستعلم قريباً ما سيؤول اليه امر البلاد

Rouillon : POUR LA TURQUIE. Documents, 2e *éd., Paris. Grasset*, 1921. 1 *vol., in*-18, *Prix* 4 *frs*

مآثر لجانب تركيا

المسيو روليون احد جنود فرنسة في الشرق ما رسخت قدمهُ فيه حتّى انكشفت امامهُ حياة اهليه واحسّ بما تغلّب عليه من الاوهام في حقّ الشرق قبل قدومه الى تلك البلاد. وصمّم العزم على ايقاف اهل بلاده على حقائق الامور عند عودته الى الوطن. والحقّ يقال انّهُ ما لبث بعد الاعلان بالصلح ان قام بهذا الامر متصرّاً للحقّ وللعدل معاً. وكان المسيو روليون قبل خروجه من فرنسة يتصوّر الاتراك على غير حقيقة احوالهم فلمّا اضطرّتهُ واجبات الحرب الى التقرّب منهم في اوطانهم وجد فيهم من الصفات ما حبّبهم اليه وبعد عودته الى بلاده صنّف هذا الكتاب لوصف مزاياهم وشمائلهم الحسنة وهو بذلك يوافق ما كتبهُ بيار لوتي ودي فازيو وطارو اخوان. ونحن لا نعارضهُ في كثير ممّا كتبهُ الّا انّنا نراهُ ايضاً كالمذكورين قد تسرّع في حكمه ولو عاشر الاتراك زمناً مديداً لرأى فيهم من الخلال ما لم يستطبهُ واعلن به كثيرون ممّن عرفوهم حقّ المعرفة ج. لوقنك

Sokolov (Dr Boris) : Le Voyage de Cachin et de Frossard dans la Russie des Soviets (Faits et Documents), traduit du russe par Lydia Krestovsky. 2e *éd., Paris, J. Povolosky et* Cie. *in*-8e, *Prix* 6f,50

رحلة كاشين وفروسار الى روسيّة ومعاينة السوفيات

انّ الانقلابات السياسيّة التي حدثت في روسيّة استدعت الاشتراكيين الغربيين ان يوفدوا اليها في صيف السنة المنصرمة وفوداً ليقفوا على احوالها. لكنّ المتولّين على امور روسيّة خافوا من تلك المراقبة واسرعوا الى استقبال تلك السفارات وراقبوا اصحابها الى الامكنة التي اعدّوها لهم دون ان يسمحوا لهم بمعاينة الاهلين وفحص الامور بذاتهم لئلّا يطّلعوا على صحّة احوال الدولة فينشروها في بلادهم بعد رجوعهم. الّا انّ الفرنسويّين المدعوّين كاشين وفروسار افرغا كنانة جهدهما لكي يخرجا من تلك الدائرة الضيّقة فتمكّنا من غايتهما واجتمعا على قدر استطاعتهما

خفيةً بكثيرين من سكّان روسيّة من جميع الطبقات ونقلا معلوماتهما فنشراهما في هذا الكتاب وبيّنا في اي هوّة اصبحت روسيّة وانّ الشعب الذي كان لينين واصحابهُ وعدوهُ بالمواعيد البالغة هو اليوم على وشك البوار ج . ل

Landau-Aldanov (M. A) : LÉNINE, 1 vol. in-8°, 4e éd., Paris, J. Povolozky et Cie, s. d., Prix 6frs,50

لينين ضابط الجمهوريّة الروسيّة

منذ ضبط لينين زمام الامور في روسيّة تعدّدت في وصفهِ الكتابات ولعلّ هذا الكتاب احسن وادقّ ما كُتب عنهُ وهو لأحد مواطنيهِ الواقف على عجرهِ وبجرهِ والمطّلع على كل امور البولشفيين . ويؤخذ من مضامينهِ انّ لينين ليس بيهودي ولا الماني مثل كثيرين من ذوي حزبهِ وانّ اسمهُ الصحيح ايليتش دوليانوف ولد سنة ١٨٧٠ في سنبرسك وكان ابوهُ مستشار الدولة واحد عمّال وزارة المعارف فسعى بتهذيب ابنهِ وتعليمهِ الدروس الشرعيّة لكنّ الشاب مال الى اهل الثورة اقتداء باخيهِ الذي حُكم عليهِ بالإعدام لكيدةٍ كادها ضد حياة القيصر اسكندر الثالث . فجرى لينين على مثالهِ وانتظم في سلك الاشتراكيين الذين تفرّعت منهم البولشفيّة فأوقف ونُفي من وطنهِ . وفي الحرب الاخيرة حبسهُ النمساويّون ثمّ اطلقوا سراحهُ فذهب الى سويسرة واندمج بشاغيبا . ولمّا حدثت في روسيّة ثورة ١٩١٧ عاد الى وطنهِ وتصدّر بنفوذهِ في مجلس امّتهِ حتّى نيطت بهِ الامور وصار صاحب الحلّ والربط . ويصرّح المؤلف في هذا الكتاب بدهاء لينين ومكرهِ واتخاذهِ كلّ الوسائط مهما كانت قبيحة لبلوغ غايتهِ فاصبحت روسيّة بفظاظتهِ وجورهِ منقعاً للدم وهبطت بعد عزّها لاسفل دركات الذلّ والهوان ج . ل

فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة

طُبع ثانية بنفقة وعناية الاديب ميخائيل افندي رحمه

بيروت سنة ١٩٢١ (ص٢٩٧)

لم تقلّ هذه الطبعة الجديدة عن الطبعة السابقة حسناً واتقاناً مع ما يلقاهُ الطابعون من المشقّات لملاء الموادّ المطبعيّة وانّما اراد جناب متولي طبعهِ ان ينشرهُ في اوّل قدوم سيادة باسيليوس قطّان مطران بيروت الجديد على طائفتهِ لينال باكورة بركاتهِ وقد

تقبّل سيادتهُ هذه الهديّة الثمينة وارسل اليهِ من القاهرة رسالة اثنى فيها على غيرتهِ ونشاطهِ تجدها في اوّل الكتاب وكنّا لولا ضيق المكان اثبتناها بحرفها الشائق

خواطر روحيّة

للقس واصاف كرم اللبناني

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٢١ (ص ٩٥)

هي خطب مختصرة القاها حضرة المؤلف في اديرة اخوتهِ الرهبان لبنيانهم الروحي وتعزيز دعوتهم السامية في قلوبهم فعساها تثمر في تلك التربة الجيّدة اثاراً شهيّة تبلغ السنين والمئة وتبهج نظر السماء وتعود على الطائفة والوطن بالخيرات العميمة

التربية في العائلة

للمسيو فيلكس تومبا عربهُ عن الافرنسيّة وديع رشيد شهاب

طُبع بمطبعة طبّارة في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٢١٩)

هذا الكتاب من اوسع واجمع ما نُقل الى يومنا الى العربيّة في التربية العائليّة وقد راجعنا بعض فصولهِ فرأينا المؤلف حسن نظر واعتدالاً في امور تهذيب الاولاد. فهو يستقري احوال الابرين في اختلاف مقامهما في المجتمع الانساني ويتتبّع اطوار حياة اولادهما منذ اوّل نشأتها الى اقترانهم بالزواج ويراقب سلوكها معهم في تربيتهم المادّيّة والادبيّة والدينيّة والمدنيّة فوجدناهُ في كلّ ذلك ناهجاً نهجاً موافقاً للروح العصري دون تطرُّف. واخصُّ ما رمى اليهِ كشف زلّات الوالدين في تلك التربية وجهلهما غالباً قواعدها الصحيحة. ولسنا نقول انّ الكاتب مُصيب في كلّ اقوالهِ وانّما يوضح آراءهُ بكل صدق واستقامة. فلا بأس من اعتبار كلامهِ بتروٍّ والعمل بهِ بفطنة وعلى كل نشكر جناب الامير معرّب هذا الكتاب المفيد ل. ش

شذرات

﴿ الحمّى الملاريّة وعلاجها عند العرب ﴾ لمّا احتلّ العرب في اوّل الاسلام انحاء الهند والعراق وجدوا فيها بعض البلاد الموبوءة فأنهكتهم حمّياتها وطلبوا لها علاجاً. وقد روى ياقوت في مادّة «بجضوة ما حرفهُ :

تقبّل سيادتهُ هذه الهديّة الثمينة وارسل اليهِ من القاهرة رسالة اثنى فيها على غيرتهِ ونشاطهِ تجدها في اوّل الكتاب وكنّا لولا ضيق المكان اثبتناها بحرفها الشائق

خواطر روحيّة

للقس واصاف كرم اللبناني

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ١٩٢١ (ص ٩٥)

هي خطب مختصرة القاها حضرة المؤلف في اديرة اخوتهِ الرهبان لبنيانهم الروحي وتعزيز دعوتهم السامية في قلوبهم فعساها تثمر في تلك التربة الجيّدة اثاراً شهيّة تبلغ السنين والمئة وتبهج نظر السماء وتعود على الطائفة والوطن بالخيرات العميمة

التربية في العائلة

للمسيو فيلكس تومبا عربهُ عن الافرنسيّة وديع رشيد شهاب

طُبع بمطبعة طبّارة في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٢١٩)

هذا الكتاب من اوسع واجمع ما نُقل الى يومنا الى العربيّة في التربية العائليّة وقد راجعنا بعض فصولهِ فرأينا المؤلف حسن نظر واعتدالاً في امور تهذيب الاولاد. فهو يستقري احوال الابرين في اختلاف مقامهما في المجتمع الانساني ويتتبّع اطوار حياة اولادهما منذ اوّل نشأتها الى اقترانهم بالزواج ويراقب سلوكها معهم في تربيتهم المادّيّة والادبيّة والدينيّة والمدنيّة فوجدناهُ في كلّ ذلك ناهجاً نهجاً موافقاً للروح العصري دون تطرُّف. واخصُّ ما رمى اليهِ كشف زلّات الوالدين في تلك التربية وجهلهما غالباً قواعدها الصحيحة. ولسنا نقول انّ الكاتب مُصيب في كلّ اقوالهِ وانّما يوضح آراءهُ بكل صدق واستقامة. فلا بأس من اعتبار كلامهِ بتروٍّ والعمل بهِ بفطنة وعلى كل نشكر جناب الامير معرّب هذا الكتاب المفيد ل. ش

شذرات

﴿ الحمّى الملاريّة وعلاجها عند العرب ﴾ لمّا احتلّ العرب في اوّل الاسلام انحاء الهند والعراق وجدوا فيها بعض البلاد الموبوءة فأنهكتهم حمّياتها وطلبوا لها علاجاً. وقد روى ياقوت في مادّة «بجضوة ما حرفهُ :

شكا قومٌ من اهل حضوة الى عمر بن الخطّاب رض وباء ارضهم فقال: لو تركتموها. فقالوا: معاشنا ومعاش إبلنا ووطننا. فقال عمر للحارث بن كلدة: ما عندك في هذا؟ فقال الحارث: البلاد وبيئة ذات الادغال والبعوض هي عشّ الوباء. ولكن ليخرج اهلها الى ما يقاربها من الارض العذبة الى تربيع النجم وليأكلوا البصل والكراث ويباكروا السمن العربيّ فيشربوه وليسكوا الطيب ولايشوا خاةً ولاينامو بالنهار فارجو ان يسلموا فامرهم عمر بذلك»

﴿ الحُمّى التيفوئيديّة ﴾ قرأنا في جريدة علميّة فرنسويّة انّ القرويين من اهل فرنسة اذا أُصيبوا بالحُمّى التيفوئيديّة ينجون منها بالعلاج الآتي: يعمدون الى طلاء (لبخة) من البصل يفرمونهُ ثم يسحقونهُ ثم يجعلونهُ على رجلي المريض بحيث يحيط بهما الطلاء تماماً ثم ينزعونهُ بعد سبع او ثماني ساعات فيشفى المريض من حُمّاهُ. وقد اشاع هذا العلاج احد الكهنة الفرنسويين فاصاب نجاحاً عظيماً. وقد اثبتت لنا احدى راهبات المحبّة في الثغر صحّة ذلك بتجربتها

﴿ الجزء الثاني من الوقائع الماسونيّة ﴾ مهما سعى صاحب هذه المجلّة ان يبيّض الحبشيّة الماسونيّة فانّهُ يُضيع صابونهُ. وفي هذا الجزء الثاني من التمويهات والخرافات والدّعيات الكاذبة ما اشرنا اليهِ في عددنا السابق. ولو اردنا تفنيد كل فصلٍ بفصلهِ لاتّسع بنا المجال. وان كان صاحب الوقائع الماسونيّة صادقاً فليردّ على كلّ ما نشرناهُ في كتابنا « السرّ المصون في شيعة الفرمسون » حيث اوردنا نصوص ارباب العشيرة الدالّة على نقضهم لأساس الدين والمجتمع الانساني في كلّ البلاد

﴿ الحيوانات المثلة وتفاوتها في الذكاء ﴾ هو عنوان فصل في مجلّة الهلال التي اعتادت نشر غرائب الامور دون تمحيصها ببودقة الانتقاد. وفي هذا الفصل اشياء كثيرة حاول الكاتب ان يقنع بها القرّاء انّ للحيوان الاعجم فهماً كالانسان فضرب مثال قرود وكلاب وافراس قضى اصحابها السنين لتعليمها بعض الحركات الشبيهة بحركات الانسان. وكلّ ما صحّ من ذلك لا يتجاوز بعض النباهة والذكاء الغريزي ليس الّا. امّا ما دلّ على عقل كالفرس الحاسب الذي صوّرهُ هناك (ص١٥٤) فقد اثبتنا سابقاً في المشرق كيف استدلّ العلماء على حيلة صاحبهِ لتعليمهِ بعض اشارات الى ارقام توضع امامهُ. فكان الاحرى بصاحب الهلال ان يروي ذلك ولا يدّعي انّهُ تعلّم الجمع والطرح والضرب والقسمة » فيضلّل القرّاء بهذه السفاسف

﴿ البدلة اللاتينيّة عند الموارنة ﴾ قلنا في جواب سابق (ص٤٧٦) انّ البدلة

اللاتينيّة دخلت عند الموارنة في اوقات مختلفة بالتدريج بما اهداهم الكرسي الرسولي من البدلات المتعدّدة على يد المرسلين اللاتين . وقد اعترض علينا في ذلك من رومية حضرة الخوري لويس الخازن بقوله في انّ ذلك يرتقي الى عهد اينوشنسيوس الثالث كما ورد في منشوره المؤرخ سنة ١٢١٥ حيث يقول (المجمع اللبناني ص١٦٦) : «راسين للاحبار المقيمين ببلاد الموارنة ان يجروا في استعمال الملابس الحبريّة وشعارها الملائم لمقامهم حسب عادة اللاتينيين صارفين عنايتهم الى تطبيق كلّ ذلك على اصطلاحات الكنيسة الرومانيّة» . (قلنا) اوّلاً ان الكلام هنا ليس عن عموم الكهنة بل عن الاحبار . (ثانياً) لا نظنّ انّ هذا الكلام يتجاوز درجة الرخصة والسماح باستعمال الملابس اللاتينيّة . (ثالثاً) وعلى رأينا انّ ما اتّخذهُ خاصّة الاحبار الموارنة من اللاتين ماورد ذكرهُ في مقالة حضرة الاب لامنس عن الاخ غريغوريوس وجبل لبنان (في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٥٨) « اعني الخاتم والتاج والعكّاز» . (رابعاً) وما يؤيد قولنا ما كتبهُ الاب دنديني في سفارتهِ الى لبنان سنة ١٥٩٦ حيث يقول في الفصل الرابع والعشرين من رحلتهِ انّ بدلة الموارنة تشبه الفنّارة اللاتينيّة ثمّ يردف ذلك بقولهِ : انّ بدلتهم ليست كبدلتنا الّا ما يُرسل اليهم من رومية على تفصيل بدلتنا . وهذا نصّهُ الواحد (في طبعة باريس سنة ١٦٧٥ ص ١١١) :

Ils ne se servent point de Maniqule ni d'Estole, et ils n'ont point de Chasubles semblables aux nostres, si ce n'est qu'on leur en envoye de Rome toute taillées à nostre faron. Mais au lieu de Maniqule, ils portent sur les deux bras deux pièces de drap de soye ou de laine teinte, qui sont cousues à l'Aube, ou qui en sont détachées, et ils passent l'Estole à leur cou par une ouverture qu'ils y laissent, le reste estant joint partout. Elle est au moins large d'un bon demi-pied, et leur pend devant l'estomach jusqu'aux pieds. Ils prennent ensuite la Chasuble, qu'ils ne font point passer comme nous par la teste, ny descendre devant et derriere; mais estant tirée de dessus les épaules pour la faire avancer sur la poitrine, elle joint en cet endroit, comme si c'était une Chappe, avec cette différence seulement qu'elle va jusqu'à terre par derriere, et non pas par devant

﴿ اديب الشوير ﴾ نُعي الينا من قصبة الشوير احد ادبائها المعدودين المرحوم جرجس همّام توفاهُ الله في وطنهِ في ٥ تموز المنصرم عن ٦٥ سنة . وقد فقدت بهِ الآداب احد رافعي منارها كمعلّم في مدارس بلادنا وكمؤلف عدّة تآليف مدرسيّة احرزت لمصنّفها شهرة منها ايضاحهُ على مقالات اقليدس في الهندسة الابتدائية وكتاب مدارج العلوم ومدارج القراءة ومعجم الطالب والكنوز الابريزيّة في اللغتين العربيّة والانكليزيّة وغير ذلك

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد القس ي. غ ما قولنا في كاهن عهد اليه المؤمنون توزيع حسنات قداديس ليقدمها هو او غيره من الكهنة على نيتهم فخدع برجل غريب ادّعى الكهنوت ووكالة جمعية قدوس كان يتجوّل ومعهُ شواهد على استقامته وصلاحه فسلّمهُ الكاهن عدّة حسنات واخذ وصولها ثمّ ظهر بعد ذلك مكر جامع الحسنات وتبيّن انّهُ نصّاب ليس بكاهن. أفيجب على الكاهن المخدوع ان يوفي هو القداسات التي سُلبت حسناتها ؟

الكاهن موزّع حسنات القداسات المخدوع

انّ المجمع المقدّس في قراره المؤرخ في ٢٥ ايار سنة ١٨٩٣ والذي قيّد به الطوائف الشرقيّة في ١٨ آب من تلك السنة يأمر بألّا يعطي الاساقفة حسنات القدّاسات لغير كهنة ابرشيّتهم ما لم يعرفوا الكهنة الغرباء ولا ريب لديهم مطلقاً في صلاحهم ويتحقّقوا بعد زمن معلوم وفاءهم للقدّاسات المذكورة

وفي قرار المجمع المؤرخ في ١٠ أيار سنة ١٩٠٤ يفرض المجمع على الكهنة الموزّعين لحسنات القدّاسات ان يوفوا بذاتهم تلك القداسات اذا تأكدوا عدم وفائها لسبب من الاسباب كموت الكاهن قبل وفائها او غير ذلك من الحوادث

وقد جاء في الحقّ القانوني المطبوع حديثاً في البند ٨٣٣ انّهُ من الواجب على موزّع القدّاسات أن لا يسلّمها الّا لكهنة يعرفهم حقّ المعرفة ولا شكّ في صلاحهم (omni exceptione majores) او يستند في ذلك الى شهادة اسقفهم الخاص المرضي بهم. وفي البند ٨٣٩ انّ الكاهن المكلّف بتوزيع القدّاسات يبقى مقيّداً بوفائها الى ان يعلمهُ الكهنة ببلوغ الحسنات وقبولهم وفاءها . ومن هذا يتّضح انّ الكاهن الذي خدعهُ النصّاب لا يزال ملتزماً بوفاء الحسنات المفقودة ي. مونجان

س وسأل آخر ما معنى اسم الشوكولاتا ومن اين اصلها ؟

الشوكولاتا واصلها

ج اسم الشوكولاتا من لغة الهنود في المكسيك وهي مركبة من كلمتين معناهما ماء شجرة الكاكاو ولمّا دخل الاسبان الى المكسيك تعلّموا استحضارها منهم وادخلوها اوربّة سنة ١٥١٣ كما ادخلوا قبلها التبغ الذي وجدوهُ شائعاً بين الوطنيين في العالم الجديد ل. ش

المشرق

ادوار حياة النجوم

للاب رفائيل نخله اليسوعي

يكاد الراصد للنجوم الزُّهر التي رُصعت بها الزرقاء ان يتصوّرها اجراماً نيّرة ثابتة اللمعان بل ثابتة المكان لا يطرأ عليها احد التغييرات والتطوُّرات التي تمتاز بها الاجسام الحيَّة . فشتَّان ما بين هذا الوهم والحقيقة الراهنة المنجلية في العشرين سنة الاخيرة بأكمل جلاء على يد نوابغ الفلكيين ! وقصدُنا في هذه المقالة كشف النقاب عن هذه الحقيقة الغراء استناداً الى اصدق الارصاد واثبت الاختبارات والحسابات . وقد قسنا هذه المجالة ابواباً شتَّى زيادةً للايضاح

١ طبقات النجوم الاربع

سبقت لنا الاشارة في مقالتنا على قياس بُعد النجوم الى ان نور تلك الكواكب اذا مرّ بموشور مُثلَّث يتحلَّل على شكل مستطيل الى عدَّة الوان ترتسم على حاجز يوضع وراء الموشور ويُطلق على مجموعها اسم الطَّيف . وفي كل طيف على وجه العموم الوان قوس قزح السبعة يتخلّلها خطوط سوداء تختلف موضعاً وعَرْضاً بحسب ماهيَّة النور المحلَّل وبكلام آخر بحسب ماهيّة العناصر الكيماوية الداخلة في تكوين النجم المرصود . فكلٌّ من تلك الخطوط السوداء هو بمثابة شاهد ناطق بوجود عنصر معلوم كالحديد او الذهب في الكوكب المحلَّل نوره

ولمَّا قابل الفلكيُّون بَعد أرصاد لا تُحصى بين آلاف من اطياف النجوم وقفوا على إمكان نظمها في اربع طبقات ليس الَّا لكل منها ميّزات بيّنة . فطَيف الطبقة

الاولى فيه النزر اليسير من الخطوط السوداء المختصة بعنصري الهيدروجين والهليوم ويكاد لا يوجد فيه ادنى اثر لخطوط المعادن . نضرب مثلاً على هذه الطبقة كوكبة الجوزاء او الجبّار (Orion) وهي من اسطع ما يُرى على صفحات السماء من النجوم . وقد اشتهرت خصوصاً ببهاء نور فقارها ويدها الآخذين بمجامع القارب

أما طيف الطبقة الثانية فانّ خطوط الهليوم فيه اضعفُ وخطوط الهيدروجين اقوى وذلك دليل على كون الغاز الاخير هو الغالب في تركيب جوّ تلك النجوم . ثمّ ان خطوط المعادن المختلفة اكثر واعرض بدون قياس منها في الطبقة الاولى . ومن اشهر كواكب الطبقة الثانية الأبرق (Sirius) من نجوم كوكبة الشعرى اليمانية (Grand Chien) ثمّ النسر الواقع (Véga) التابع لكوكبة الصَّنج او الاورا (la Lyre)

وطيف الطبقة الثالثة هو اغنى من السابقين بخطوط المعادن ولاسيّما الحديد وعنصر التيتانيوم وهذا معدن ذو حُمرة ضاربة الى الصُفرة وهو من اعصى المعادن على الذوبان . ومن هذه الطبقة نجم السِماك الرامح (Arctürus) من انور نجوم هذه الطبقة فضلاً عن كوكبة ضابط العنان (le Cocher) وعن شمسنا التي لا حياة ولا قوام للارض بدونها

اخيراً طيف الطبقة الرابعة يفوق الكل بخطوطه المعدنيّة بل يمتاز عن جميعها بخطوط مختصة بكثير من المواد المركّبة كيماويًا . على خلاف كل الخطوط المشار اليها حتى الآن المتعلقة بالعناصر او البسائط . ومن اهمّ تلك المواد المركبة أكسيدات بعض المعادن والسيانوجين (cyanogène) وهو غاز مركب من أزوت وكربون . نضرب مثلاً على نجوم هذه الطبقة كوكبة الجاثي (Hercule)

وخلاصة القول اننا اذا انتقلنا من طيف الطبقة الاولى منحدرين الى طيف الطبقة الرابعة لاحظنا نموًا متواصلاً في عدد الخطوط وهو دليل على توفُّر العناصر في النجوم . وكذلك ثقل هذه العناصر فانهُ يزداد من طبقة الى طبقة على نمط مطّرد اذ يزيد ثقل المعادن المكتشفة في الطيوف حتى ينتهي الى بعض المواد الكيماويّة المركبة في الطبقة الرابعة

ومن غريب الامور ان لكل من الطبقات الاربع لوناً مميّزًا فللأولى لون البياض الناصع او الضارب الى الزرقة وللثالثة الصفرة الساطعة كلّ يوم في شمسنا وللرابعة

الحُمرة او اللون النارنجي . ويقال ان في مائة نجم ستين بيضاً وخمسة وثلاثين صفراً وخمسة حمراً

ولكن ليت شعري ما هو سرّ هذه الطبقات المتباينة ظاهراً وباطناً لوناً وتركيباً . وهل هي بدون ادنى تغير منذ خلقها رب النجوم او فيها بعض ما في الاجسام الحية من التطورات البطيئة العديدة ؟ ذاك ما سنجيب عليه بالايجاز في الباب الآتي

٢ . تطور النجوم او انتقالها من طبقة الى طبقة

مجرَّد هذا العنوان يدلُّ القارئ اللبيب على الشبه الغريب الواقع بين النجوم والاجسام الحيّة . فكما تُولد هذه ثم تجوز تدريجاً كل ادوار الحياة من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة وهرَم تُنضي بهِ الى الموت هكذا وُلدت الزُهر يوم خلقها الباري عزّ وجلّ ثمّ تطوّرت منتقلة من دور الى دور حتى يدركها شبه الفناء . نعم انهُ أُطلق عليها اسم الثوابت اشارةً الى جمودها لكنَّ ذلك محمول على الظواهر وفيهِ مغالاةٌ فاحشة . ولا شك في زوال ذلك التأثير متى وقف القارئ على جليّة الامر . فاني ساعرض عليه بغاية الايجاز نظريّة العلّامة الانكليزي الفلكي الشهير سر لُكير (Sir Lockyer) مكتشف عنصر الهليوم في الطيف الشمسي سنة ١٨٦٩ اي ٢٦ عاماً قبل تحقيق وجود هذا العنصر في تربة الارض . فنظريّة لُكير آئلة الى تعليل الطبقات الاربع المذكورة سابقاً وكشف النقاب عن تتابعها في كلّ النجوم دون استثناء

وهاك اولاً الاختبارات الشهيرة التي استند اليها ذلك العالم . قد لاحظ انه اذا عُرض عنصر كيماوي معلوم على لهيب بسيط ثم على سعير القوس الكهربائي واخيراً على كبد الشرارة الكهربائية — ولا يخفى ان هذه ثلاثة مصادر متزايدة الحرارة — يتغيَّر عدد وشكل الخطوط الطيفيَّة بتغير ماهيّة مصدر الوقود . فلنستنتج من هذا الاكتشاف الخطير بجارة عظيمة ان البسائط نفسها اذا أُلقيت في مصدر حرارة في غاية الشدّة تتحلّل الى عناصر اوليّة ابسط منها (proto-éléments) . ورغماً مما كان اوانئذٍ في تصريح الفلكي الانكليزي من الغرابة حيث كان الكيماويون موقنين بامتناع تحليل البسائط فقد جاءت في اوائل العصر الجديد الاجسام المُشعَّة

واشهرها الراديوم مصداقاً لصحة مُدَّعى أُكير . فقد وجدوا ان عنصر الهليوم مثلاً متولد من الراديوم مع ان كليهما بسيط في عرف ائمة الكيماويين !

فلخص نظرية لكير المؤسسة على تجاربه المشار اليها أنهُ يُعلل طبقات النجوم الاربع والتغيرات السابق ذكرها الطارئة على اطيافها تدريجاً بتغير درجة حرارة النجوم في ادوار تطوُّرها المختلفة . واليك بعض الايضاحات على هذا التطوُّر .

يرتأي أُكير مع لفيف الفلكيين المعدودين ان كلَّ نجم يتولَّد من تكاثف المادة السديمية المنتشرة قبل ذلك في الفضاء . وانَّ الجامع لشتاتها هو قوة الجاذبية التي تجعل ملايين الذرات المتباعدة المتبعثرة تتهافت سريعاً متجهةً الى مركز مجموع تلك المادة المتكوِّنة منها . وفي هذه الحركة التكاثفية يحدث بين تلك الذرات صدمات يزداد عددها بازدياد التكاثف نفسهِ كما يلوح من اول وهلة . فينتج عن ذلك حرارة تنمو درجتها نمواً متواصلاً الَّا انها لا تتعدى حداً معلوماً . لماذا ؟ لان التكاثف اذا بلغ درجةً ما من الشدة لا يزيد بعدها الَّا بغاية البطء فنموّ حرارة النجم التابعة لهذه الزيادة يقلّ بسبب تمهلها عن كمية الحرارة التي يفقدها النجم بإشعاعهِ المتوالي . ومن البديهي ان الحرارة لا تزال تكبر حتى ينطفئ النجم بعد ادراكهِ معظم حرارتهِ وغاية ضيائهِ . فاذا شبَّهنا مبلغهُ ذاك بشباب الانسان — وما اصدق واجمل هذا التشبيه ! — فلا بُدَّ من الاقرار بان لكل نجم ولادةً وطفولة وشباباً وكهولةً وشيخوخة وهرماً يعقبهُ موت كما يحدث في كل انسان . لعمري مَن كان في الجيل الاخير يتصوَّر مثل هذه المجانسة العميقة بين اجرام سماها الثوابت علماء الخافقين على توالي العصور وبين ابن آدم ولعلهُ اكثر من كل ما سواه تغيراً وتطوراً في جسمه بل وفي نفسهِ !

فللكواكب اذاً على رأي أُكير دَوَران جوهريان تُقسم اليهما حياتها : دورُ نموّ متواصل في الحرارة يليهِ دور تناقص يفضي الى الانطفاء وهو بدون مراء موتٌ حقيقي لنيرات السماء . ففي الدور الاول تنحلُّ العناصر المركَّبة الثقيلة الى ما هو ابسط واخفّ منها . وفي الدور الثاني تنضمّ الذرات المنفصلة بالتحليل فتعيد العناصر الاصلية . ثم يترتب على وجود درجة حرارةٍ لا متجاوز وراءها في تطوّر كل نجم انَّ بعض الزُّهر البالغة درجة حرارة معيَّنةً هي في دور النشوء والبعض الآخر في دور

النقصان والانحطاط غير ان كل كوكب اجسم واكثف جرماً بدون قياس في الدور الاول منه في الثاني نظراً الى دوام تكاثفه في اثناء تطوراته المختلفة المتتابعة

وقد ابتكر الفلكي الفرنسوي نُرْدمن (Nordmann) من نحو عام طريقة مبنيَّة على البصريات لقياس درجة حرارة النجوم اسفرت عن نتائج أتت مؤيدة باجلى منوال لنظرية لكير المبنية على التحليل الطيفي. ومنها ظهر باكمل بيان ان نجوم الطبقتين الاولَيين البيضاء او الزرقاء هي اشد النجوم حرارةً فسطحُ بعضها تفوق حرارتهُ على عشرين الف درجة من المقياس المئوي والبيضاء احرُّ من الزرقاء. ذلك ما يفسِّر لنا كون طيف الاولى يكاد لا يحتوي سوى خطوط الهيدروجين والهليوم امَّا طيف الاخرى فانهُ يشمل زيادةً عن ذلك خطوط كثير من المعادن التي كانت هناك متحلّلة بسبب فرط الحرارة الى عناصر اولية ابسط منها مجهولة في كيميائنا الارضية (١

(١) ان وجهة الكيمياء العصرية هي القول بوحدة المادة رغماً من اختلاف خواص العناصر المتبرة اوليَّةً وبسيطةً حتى اواخر الجيل المنصرم وقد جاءت الاكتشافات المتواترة في الاربعين سنةً الاخيرة مؤيِّدًا قوياً لصحة هذه النظرية او اقلَّهُ لارجحيَّتها. وحسبنا هنا الاشارة الى بعض تلك الاكتشافات الغريبة: برهن الكيماوي الفرنساوي بليغو (Péligot) على كون معدن الاورانيوم مركَّباً. ومثل ذلك فعل فون ولسباخ (von Welsbach) بخصوص عنصر الديديم (didyme) وكذلك أوربان (Urbain) أثبت تركيب الإيتربيوم (ytterbium). ومن المعلوم ان بعض أملاح الراديوم المحلَّلة في الماء يتصاعد منها غاز لا يلبث ان يتحول في ظرف بضعة ايام الى عنصر الهليوم المعدود من البسائط ولم يكن من قبل ادنى اثر لهُ في تركيب ملح الراديوم المحلَّل. وحول السنة ١٩١١ صرَّح السر وليم رَمْسيه (Ramsay) النابغة الانكليزي بان الغاز السابق ذكرهُ يُحوِّل النحاسَ وهو من البسائط كما لا يخفى الى عنصرَين بسيطين آخرين اعني السوديوم والليتيوم

ولعلَّ اسطع الشواهد على صحَّة نظرية وَحْدة المادة هو الآتي بيانهُ: من الشائع ان المرقب بُرينا في بعض جهات الجَلَد شبه سحائب ضاربة الى البياض يدعونها مجرَّةً أسفر التحليل الطيفي لنورها عن كون كلٍّ منها كُتْلةً هائلة الحجم تحتوي على نحو ستة غازات متأججة مشمشة منها الهيدروجين والهليوم وعنصر جديد لا يوجد في غير تلك الاجرام السماوية المدعوَّة بالفرنساوية (nébuleuses) اي السحابيَّات فأطلق عليهِ لذلك إسم نبوليوم (nébulium). ومن جهة اخرى لا يختلف اليوم اثنان من الفلكيين في كون منشأ كل نجم هو من تلك السحابة وانَّ طيف النجوم ولاسيما الصفراء والحمراء يشمل خطوطاً عديدة شاهدة على وجود معادن كثيرة في النجم المحلَّل نورهُ. فيلزم حينئذٍ تأكيد كون هذه المعادن المعدودة بالعشرات والمعتبرة من البسائط تكوَّنت شيئاً فشيئاً من عناصر السحابيَّة الاصليَّة القليلة — وبرتأي العلماء انه لو كان

والنجوم الصفراء من الطبقة الثالثة كالشمس ظهرت دون كواكب الطبقتين الاوليين حرارةً وفقاً لأقيسة تُزدمن . وذاك نقصان الحرارة(١ يوقفنا على سبب ازدياد خطوط المعادن في طيف تلك النجوم الصفراء فيه نرى خطوط الحديد والتيتانيوم والنيكل والكلسيوم والنحاس بيد ان خطوط الهيدروجين تصبح ضئيلةً الامر الدالّ على نقصان كثافة الجوّ الهيدروجينيّ المحيط بتلك الثوابت

اما النجوم النّارنجيّة والحمراء فقد اتضحت دون سائر النجوم حرارةً والحمراء دون النارنجيّة وقد عرّفتنا الاقيسة المتعدّدة ان درجة حرارة هذه كواكب الطبقة الرابعة تقارب معظم ما توصّلنا اليه على الارض اعني درجة حرارة القوس الكهربائي البالغة نحو ٤٫٨٠٠ درجة من المقياس المئوي . فبذلك وقفنا على سبب تضاؤل ثم تلاشي خطوط الهيدروجين في طيف تلك النجوم وازدياد الخطوط المعدنية بل ظهور خطوط جديدة مختصّة ببعض الموادّ الكيماوية المركبة ولاسيما أكسيدات بعض المعادن ثم السيانوجين

واذا عُدنا الآن الى مقابلتنا السابقة بين ادوار حياة النجم والانسان لاحَ لنا كالشمس في الضحى ان الانجم البيضاء والزرقاء في عنفوان شبابها والصفراء في سن الكهولة والنارنجية في الشيخوخة والحمراء في منتهى الهرم على وشك الانطفاء . لعمري ما اعظم واجمل المشاهد الجديدة التي يرفع العلم عنها النقاب فتنجلي بحسنها الفتان وجلالها الساحر امام انظارنا الطّربة المنذهلة ايّ انذهال !

أمّا طول ادوار حياة تلك الثوابت فحدّث عنه ولا حرج اذ ان بعض ائمّة

لدينا مصادر حرارة تضاهي ما بالنجوم ليس علينا تحليل كلّ البسائط واعادتها الى عنصر اوّلي واحد يرجّح كونه الهيدروجين

وبناء على كل هذه الاكتشافات الحديثة المتضافرة لتأييد وحدة المادّة فحجرُ الفلاسفة المعروف ايضاً باسم الحجر الكريم الذي طالما أجهد كيماويو القرون الوسطى ولاسيما العرب فكرتهم الوقّادة وبذلوا مساعيهم واموالهم للحصول عليه بقصد تحويل كل المعادن الى ذهب لم يكن امرًا مستحيلاً كما وهم سواد العلماء في القرون الاخيرة حتّى غرّة الجيل المشرّبين . اما الآن فقد شاعت نظرية وحدة المادّة شيوعاً ينبئنا بظفرها التام في المستقبل القريب . (راجع الصحيفة ١٩٨ من عدد آذار للمشرق)

١) هذا النقصان نسبي فان درجة حرارة الجوّ الشمسي تبلغ بعض الاحيان ٨٫٠٠٠ درجة من القياس المئوي !

الفلكيين كالكاهن الفرنسوي مورو (Moreux) يقدّرون ان مدّة كل منها تتراوح مليون عام ومليون جيل !

طريقة نُزمن لقياس درجة حرارة النجوم جاءت بالشواهد الساطعة على صحة نظريّة لُكير اعني تناقص الحرارة تدريجاً من الطبقة الاولى الى الرابعة او بعبارة اخرى من دور البياض الذي يبلغ فيه النجم معظم حرارته الى دور الحمرة وهو المنبئ بالانطفاء القريب

ومُعظم درجة الحرارة تختلف باختلاف النجوم ولاسيّما باختلاف ثقلها . فبازدياد هذا تزداد قوة تجاذب ذرّات النجم في تكاثفه فتكثر الحرارة الناجمة عن تصادم تلك الذرّات كما سبقت الاشارة . ومن جهة اخرى فكميّة الحرارة التي تخسرها الكواكب بالاشعاع تنقص بمقدار عظم ثقله . كما ان الكواة تحفظ حرارتها مدة يزيد طولها بنسبة وزن الكواة — وبناء على ذلك فكما انه يوجد كواكب اثقل من الشمس زاد معظم درجة حرارتها عمّا كان في ماضي شمسنا هكذا نعرف نجوماً اخفّ من الشمس لم تدرك ولن تُدرك درجة حرارتها حاضراً مع انها بعيدة عن درجة الحرارة العظمى المنقضي زمانها منذ آلاف اعوام

ومن اغرب الامور لأول وهلة ان كل النجوم التي وزنها الفلكيُّون بميزان أرصادهم وحساباتهم العميقة لا يوجد بينها ما يفوق ثقل الشمس تفوُّقاً يقارب مليون ضعفٍ مثلاً . وذلك من الغرابة بمكان نظراً الى عدد النجوم الهائل . فقد حدس بعض ائمة علم الهيئة ان خارطة الجلَد المبنيَّة على التصوير الشمسي التي يتضافر منذ سنين عديدة اعظم مراصد العالم على رسمها ستشمل عشرة ملايين كواكب !

وممّا اوضحهُ من مدّة قريبة المستر ادكتن (Eddington) النقّاب عن السرّ العجيب السابق ذكره ما معناهُ قال : ان في باطن الكرة النجمية قوّتين متماكستين الاولى دافعة عن المركز (centrifuge) وهي ناجمة عن كون النور يُحدث ضغطاً على الذرّات المعترضة لهُ في طريقهِ وقد صاغ العلماء دواليبَ بغاية الصغر تدور بمجرَّد قوة النور في وعاء فُرِّغ من الهواء لتسهيل الدوران . اما القوة الثانية فهي التجاذب العامّ الجاذبة كل اجزاء النجم الى مركزه (centripète) . وقد عرف ادنكتن بالحساب انَّ القوة الجاذبة تساوي عشر مرات بنيف القوة الدافعة في الكواكب التي

ثقلها اقل من نصف ثقل الشمس . امّا التي وزنها عشرة اضعاف وزن الشمس فتتساوى فيها القوّتان المتضادتان . وبناء على ذلك لا عجب في عدم وجود كواكب ثقلها مليون ضعف ثقل شمسنا فلو وُجدت لتشتتت بعد قليل كل ذرّاتها شذر مذر بسبب التفوّق العظيم لقوة النور الدافعة على قوة التجاذب . وخلاصة القول ان الفرق بين اكبر النجوم واصغرها لا يزيد نسبةً عن الفرق بين العلوج والزعانف في العائلة البشرية

*

وقد سبق لنا القول ان بعض الزُهر البالغة درجةً معيّنة من الحرارة هي في دور النشوء والبعض الآخر في دور النقصان غير ان حجم كل كوكب اعظم كثيراً في الدور الاول منه في الثاني نظراً الى دوام تكاثفه . وما عسى ان تكون درجة سطوعه في هذين الدورين من حياته ؟ في دور النمو اعني عند ازدياد حرارته يزداد معها مقدار لمعان او اشعاع كل متر مربّع من سطحه بيد ان هذا لا يزال يتناقص بسبب التكاثف فينتج من توازن زيادة الإشعاع ونقصان السطح المُشعّ ثباتُ درجة لمعان الكوكب في دور نشوئه اي حتى بلوغ اللون الابيض . امـا في دور نقصان الحرارة فالاشعاع ومساحة السطح يصغران معاً بالتدريج فيترتب على ذلك تناقص متواصل في درجة اللمعان

وقد جاءت أرصاد عديدة دوّنها مؤخرًا الاستاذ رُسِل (Russel) مصداقاً يؤكد لنا صحة الاعتبارات السابقة التي هي بمثابة مُلحق لنظريّة لكير واليك بيان ذلك

من المعلوم ان الفلكيين قسموا الكواكب الى نحو ١٨ طائفة بحسب درجة لمعانها سواء كان ظاهرًا للعيان او محجوباً عن الانظار لكن كافياً للتأثير في جُلَيدة جهاز التصوير الشمسي . ثم انهم عرفوا بالحساب بناء على معرفة المسافات الفاصلة بين الارض وكثير من النجوم ماذا تكون درجة لمعان كلٍّ منها اذا جُعلت كلها على بعدٍ واحد معلوم من ارضنا . فلنفرض ان الشمس يكون لها في هذه الظروف الدرجة الخامسة من اللمعان . فالارصاد المشار اليها سابقاً اعلمتنا ان درجة سطوع النجوم التابعة لكل من الطبقات الاربع تكون حينئذٍ امـاً ثابتة على وجه التقريب وهي الدرجة الاولى اي معظم اللمعان وامّا متناقصة بالتدريج من الدرجة الرابعة الى الحادية عشرة وفقاً لطبقة النجم . ومن البديهي ان نجوم الطبقة الاولى اعني البيضاء

هي التي في الدرجة الرابعة من السطوع او في ما دونها قليلًا بخلاف كواكب الطبقة الرابعة الحمراء التي في الدرجة الحادية عشرة او في ما يعلوها يسيرًا

وماذا يُستخلص من كل هذه الارصاد الغريبة ؟ ان النجوم المُحصاة في الدرجة الاولى هي التي في دور نشوئها . وقد بيَّنا آنفًا بمجرَّد الحجَّة العقليَّة ان درجة لمعانها تبقى اوانئذ بدون تغيير بسبب التوازن بين ازدياد الاشعاع التابع لنموّ الحرارة ونقصان مساحة سطح الكوكب الناجم عن تكاثفه . اما النجوم المتراوحة بين الدرجة الرابعة والحادية عشرة بحسب طبقتها فهي التي في دور النقصان والانحطاط . وقد سبق لنا البرهان على التناقص المتواصل في لمعانها بداعي ممية نقصان الاشاع وتصاغر المساحة السطحية — ثم ان نجوم الدرجة الاولى ذات عظم جباري نسبة الى القسم الاخير من الثوابت لان مدة التكاثف أقصرُ فيها بدون قياس . والحالة هذه أفليست الارصاد الحديثة من اوضح الشواهد على صحَّة نظريَّة العلَّامة لُكير وقد ابتكرها بعد نحو ثلاثين عامًا من الاشغال والدروس التي تعجز دونها عزائم الابطال

ويليق بنا قبل ختم هذا الباب إلفات الانظار الى ان الشمس في اعتباراتنا السابقة هي في درجة اللمعان الخامسة . ولما رأينا ان الكواكب التي في دور النشوء حائزة على الدرجة الاولى في طول مدَّة ذلك الدور فالنتيجة الواضحة هي ان الشمس في دور النقصان . ويؤيد ذلك كونها ذا لون اصفر وهو المميِّز للطبقة الثالثة وهي وسط دور الانحطاط . وان مسَّت الحاجة الى تأييد آخر فهو كون ثقل الشمس النوعي يوازي مرَّةً ونصف ثقل الماء وذلك ابلى دليل على كون تكاثفها بلغ درجة شديدة لا احتمال لوقوعها بدور النشوء . وبهذا الصدد اذكر نُكتةً لطيفة للفلكي الفرنساوي الشهير نُزدمن المنوَّه به سابقًا حيث قال في معرض كلامه عن انحطاط الشمس : « ان اوقاتها معدودة اعني آلافًا من الاجيال ! »

٣ نسبة عدد النجوم النامية والمتناقصة

هذا المشكل العويص طرق بابه اخيرًا المسيو كروملين (Crommelin) وسبب صعوبة حلِّه كون النجوم النامية اكبر واسطع من سواها كما رأينا في الباب السابق . فهي ترسل لنا نورها من مسافات ابعد كثيرًا من غيرها التي تستطيع ان تبعث الينا

اشعتها . فيتعذر علينا والحالة هذه ان نجد النسبة الحقيقية بين عدد الزُهر النامية وعدد المنحطة . ولكن المسيو كروملين ابتكر بعقله النيّر وسيلةً بسيطة لحلّ هذه العقدة ولو جزئيًا . فانهُ امعن النظر في خمسة وعشرين نجماً من اقرب النجوم الينا فوجد فيها ثلاثةً نورُها يفوق ٤ اضعاف نور الشمس . واربعة نورها بين ٤ اضعاف والثلث . وخمسة نورها بين الثلث و $\frac{1}{20}$ و ١٣ نورها دون $\frac{1}{20}$. وقد حذا الفلكيون حذو كروملين وطبّقوها على طائفة نجوم اكثر من السابقة بدون قياس وابعد منّا فأسفرت اقيستهم عن مثل النتائج المذكورة اعني ان عدد النجوم المتناقصة الصغيرة اعظم كثيرًا من عدد النجوم النامية الكبيرة . وهنا تأييد آخر لنظريّة لُكير بخصوص تطوّر الكواكب حيث صرّح بان تكاثف النجم متى بلغ حدًّا معلوماً — اي عند بلوغه الدرجة العظمى من الحرارة — لا يتواصل الا بغاية البطء . وبعبارة اخرى يؤكد العلّامة الانكليزي ان دور الانحطاط اطول من دور النموّ

هذه الاقيسة الآنف ذكرها عرّفتنا على وجه التقريب والتعميم انهُ في كل ثلاثين كوكباً لا يوجد غير واحد في دور النموّ وانه في ٢٫٥٠٠ نجم لا يوجد غير واحد بلغ معظم نموّه كنجوم الجوزاء (Orion) . اما الكواكب المنحطة الآن الى اقصى دركات التناقص القريبة من الانطفاء والزوال فعددها على رأي الفلكي نُرد من يحتمل بلوغهُ ثلاثة ارباع مجموع النجوم . وقد زاد هذا العالم على حدسهِ هذا ان عدد مصابيح السماء الهامدة بالكليّة هو اعظم من السابق كثيرًا وقد ارتأى بعض الجهابذة انه يساوي الف ضعف الكواكب المضيئة . وبناء على ذلك فعالم المجرّة الذي ارضنا بل كل النظام الشمسي نظير ذرّة تائهة في هائل فضائه لا يشمل فقط مليارًا ونصف من الثوابت بل ينيف المرّة على ذلك العدد البالغ اي الف وخمسمائة مليار افكما ان عدد الاحياء على وجه الارض كلا شيء نسبةً الى الاموات الراقدين في احشائها هكذا عدد النجوم النيّرة يكاد لا يُعبأ بهِ اذا قوبل بعدد الكواكب الهامدة

ويُرجح نُرد من امكان احصاء النجوم المنطفئة على وجه اضبط بملاحظة ما تحدثه من التأثير والتغيير في حركات الكواكب النيّرة . هذا على قوله ميدانٌ جديد يدعو فرسان علم الفلك الى شقّ غبارهِ

٤ تطور النجوم وقول الماديين بازلية المادة

لقد طال بنا خوض مسألة حياة النجوم وما انطوت عليه من التطورات القريبة الشبه بادوار عمر الانسان. فليكن مسك الختام اعتباراً فلسفياً عميقاً لا اشك في كونه يحظى برضى القرّاء. لا يندّ عن معرفتهم ان سواد الزنادقة — ان لم يكن كلهم — حيث انكروا وجود الخالق جلّ جلاله ولم يجدوا سبيلاً الى التصريح بدخول الكون في حيّز الوجود دون علّة سابقة له واكمل منه فقد الجأتهم الضرورة الى القول بازليّة المادّة بل قد ضلّ بعضهم وبلغ بهم الجنون الى جعلها الاله الواحد رغماً مما فيها من ملايين الاشياء والاشخاص المتباينة بل رغم الجرائم الفظيعة المشوّهة كلّ يوم لعالمنا الشقي الاثيم. واولئك الماديّون الكفرة يدّعون بقحة وبهتان عجيبين ان العلم العصري حليفهم والشاهد على صحّة عقيدتهم شهادةً لا يردّها سوى الجهلة الغائصين في دياجي الغباوة. وايم الحق ان العلم العصري لبراء من هؤلاء المدّعين الكذبة وفي مقالتنا السابقة العارضة لبعض احدث نتائج علم الهيئة اجلى برهان على نفاق اولئك المتطفلين على موائد العلم الصحيح. اليس من الاكيد حاضراً عند ائمة الفلكيين ان الثوابت تتولّد من السحابيّات وتتكاثف وتنمو حرارةً فتبلغ معظم تأججها وضيائها الابيض اليقق ثم تتناقص حرارتها شيئاً فشيئاً مع دوام التكاثف المتباطئ وتتغيّر لونها من البياض الى الصفرة فالحمرة حتى يعتريها الانطفاء التامّ ؟

فقل لي الآن يا رعاك الله ان كان عالم النجوم الماديّ ازليّاً كما يدّعي الزنادقة أفما كان عاش حتى اليوم عدداً لا متناهياً من الاجيال ؟ أفما كان ينتج عن ذلك ضرورةً بلوغ كل الكواكب في يومنا الحاضر على الاقلّ الى نهاية تطوّراتها اعني الى الانطفاء الكامل ؟ والحال ان في سماء الجيل العشرين ملايينا من النجوم النيّرة. فاتضح اذن جهل الماديين وسخافة عقلهم !

ولا يخفى علينا انهم يميدون الكرة والهجوم على سواد العلماء بل جميع ابناء آدم القائلين بوجود الله الذي خلق هذا الكون الرائع من العدم. وما ادراك ما يتذرّعون به من سلاح البراهين طمعاً بالظفر الباهر ؟ يقولون ان تطوّرات النجوم هي بمثابة دائرة لا ثلمة فيها فكل كوكب على زعمهم يتولد من السحابيّة فينمو فيبلغ اشدّه

فيتناقص حرارةً وحجماً فينطفئ الّا انه بعد ذلك ينثر ذرّاته في الفضاء فتُعاد السحابيّة الاصليّة فيتولد منها ثانيةً ليجوز كل ادوار تطوره السابقة وهلمّ جرّاً بدون ختام

يا لهُ من رأي فاشل بل من جنون فاحش ! أجيبوني يا معشر المدّعين التفلسف فضلاً عن العلم ولكنّ اقوالٌ كالسابقة يلوح فسادها وحمقها للاطفال والاميّين انفسهم ! اجيبوني اين رأيتم ولو مرّة واحدة بين ملايين النجوم الظاهرة في مراقبكم نجماً مفرداً عاينتم فيه تجدُّد ما تسمّونهُ «دائرة التطور المغلقة» ؟ من منكم يتجاسر ويقول : «اجل اني شاهدت ذلك» بل اين رأيتم ولو مرّة واحدة مصباحاً مُنطفئاً يصبح مُنيراً من تلقاء نفسه اعني بدون ادنى علّة خارجيّة ؟ أوليس ذلك بالحرف الواحد ما تدّعون حدوثه عدداً لا يحصى من المرار في ملايين من الكواكب منذ ازلها الموهوم ؟ ألا الزموا الصمت بدلاً من التشدق على مرأى ومسمع من العقلاء والعلماء الحقيقيين بمثل تلك الاكاذيب الملفقة والسفاسف الحمقى والخرافات العجائزية التي لا يرضى بها نفس الاميين بل يخجل من سفاهتها ذات العقل البشري !

حسبكم قحةً إنكاركم وجود الله عز وجلّ مع ان اسمى شرف الانسان ملك الكون المادّي الاقرارُ بوجوده ووحدانيّته وكمالاته اللامتناهية ثم السجود لعزته والطاعة لاوامره

حسبكم ذلك الانكار الفظيع ! فأستحلفكم ليس باسم الدين الذي نبذتموه نبذ النواة بل باسم العلم وقد ادّعيتم رفع رايته ألّا تنكسوها الى حضيض أفنادكم واوهامكم بحجّة تبرير إلحادكم السافل . وايم الحق ان علم الجيل العشرين ولاسيّما علم الهيئة بعجيب اكتشافاته الحديثة يقوم في وجهكم بل يُلقمكم الحجر وهو يؤدي اجلى الشهادات على وجود الله وعلى كونهِ خالق هذا العالم الهيولي والمودع في احشائه القوى السرّية القديرة التي نشأت منها على توالي العصور ملايين الكواكب التي كنّا من برهة واقفين بفائق الدهش مع ائمة الفلكيين بازاء مشاهد تطوّرها الفتّانة

مثال العفاف في رواية جنفياف

نظمها الاديب ميخائيل افندي عبدالله الرامي

مقدمة

يروي الرُّواة ان جنفياف احدى اميرات الفرنج في القرن الثامن للميلاد كانت ابنة الدوق دي برابان اقترن بها بالزفاف سيغفريد (Siegfried) او سيجفرُوا امير مملكة تراف وما لبث ان دعاهُ الملك شرل مرتل سنة ٧٧١ لمحاربة عرب اسبانية الذين كانوا اغاروا على فرنسة . فلبَّى سيجفروا دعوتهُ وجعل قبل سفرهِ زوجتهُ جنفياف تحت نظارة وكيلهِ المدعو غولو (Golo) . فهذا غلط تعمة سيدهِ ووارد الاميرة عن نفسها فردَّت طلبهُ الاثيم بأنفة . فاراد غولو ان ينتقم منها . ولمَّا عاد الامير من حربهِ ظافرًا اسرع اليهِ ورماها بالخنى . وكانت الاميرة ولدت ابنًا فصدَّق سيجفروا تهمة غولو وامر بقتلها وقتل ولدها مما الَّا انَّ الذين عُهد اليهم هذا الامر اخذتهم الشفقة عليها وتركوها في القفر فأوت الى مغارة في غابة كثيفة واوضعت ابنها بجليب ظبية لقيتها هناك وافتاتت هي من الاعشاب والثمار سبع سنين . الى ان خرج الامير الى الصيد في تلك الغابة ورأى الظبية فتأثرها فهربت الى المغارة حيث كانت جنفياف . فعرف الامير زوجتهُ واطَّلع على حقيقة امرها واعادها وابنها الى قصرهِ مكرَّمةً معزَّزة . وامر بقتل الخائن غولو . لكنَّ الاميرة لما قاستهُ في تلك المدَّة الطويلة توفيت بعد قليل ودُفنت برونق عظيم . فهذه خلاصة رواية جنفياف التي شاعت في كلّ انحاء اوربَّة . وممَّن اخرجوها على صورة شائقة لطيفة الكاتب النساري كويتوف شيد وقد عُرِّبت هذه الرواية في بلادنا فاحببتُ ان أفرغها في قالب النظم مع اعترافي بقصر الباع ملتمسًا من رؤساء القريض المعذرة عن هفوات اللسان والله الهادي وعليهِ التكلان

م . ر

نارُ الكريهة حين شبَّ لظاها ... ظفرت جيوشُ فرنسةٍ بعداها
وبغابر الازمان كم غالت جيو ... ش الغالِ في الهيجاء مَنْ ناواها
حربٌ ضروسٌ طالما دارت على الـ ... أعراب في غرب البلاد رحاها
ما بين غاليةٍ واندلسٍ لكمْ ... شبَّت فرنَّ بذي الجهات صداها
قد سالت البطحاء من سفك الدما ... والارضُ غصَّت من جرا قتلاها
والنصر كان حليف جيش أوربَّةٍ ... اذ فرَّتَ الاعرابُ من انحاها

***

سيجفرُوا الكرَّارُ كان غضنفرًا ... ببسالةٍ نارُ الكفاح يطاها

قاد الجيوش بنخوةٍ وحميّةٍ نحو الكريهةِ باسماً يلقاها
تتخذ الاميرةَ جنفياف حليلةً في عام حربٍ طالما أصلاها
حسناء تحكي البدرَ في كبد السما واللطفُ والاحسانُ من مبداها
فعلُ الفضيلة والتقى من دأبها وكذا العفافُ شعارُها ورداها
كانت « كطابيثا » غزالةِ عصرها تكسو العُراةَ وقلَّ مَنْ جاراها(١

***

« غولو » الخبيث الوَغدُ هام بحبها وغدا السليمُ متيّماً بهواها
قد رام يَغويها فخاب ولم ينل يا قوم ألا سُخطها وقلاها
فشكَتْهُ حالاً للامير وخصُّها قتلَ الرسولَ وبعد ذا عاداها
وعلى الاميرة صاحبُ الغدر اشتكى للبَعْل ايضاً مُهملاً شكواها
قد قال خانت جينفيافُ حليلَها وتعلّقت بسوى عشيرٍ صباها

***

« يينجفرُوا » الغرورُ قطّب وجهه حين الرسالةَ فضّها وقراها
وبحبس زوجته الامينة قد قضى فوراً بدون الفحص عن دعواها
حبلى بآخر شهرها في الحبس زُجّوها وفرط الطلق قد ناجاها
ذكراً كبدر التمّ قد ولدت بضنك العيش والربُّ العظيم وقاها
« دُولور » سمّتهُ لما من لوعة الـ ألم المبرّح والشقاء عراها
وطعامها في السجن خبزٌ اسودٌ فتبلّهُ بمدامعٍ عيناها

***

حكم القضاةُ بقتلها في ليلةٍ صرفُ المنيّة فجأةً وافاها
« برتا » اتت سراً لتنذرها بما شرّاً لها قد اضرمت اعداها
كتبت الى البعل الحقود رسالةً من غدر « غولو » كيف كان جزاها
ولقد حَبَت برتا لشدّة حبها عقداً ثميناً شاهداً لولاها
قالت لها : ذا الجيدُ اصبح عرضةً للذبح . والدهر الخؤون جفاها

١) يشير الى طابيثا الصالحة التي احياها القديس بطرس كما ورد في سفر الاعمال (ف ٩)

واستاقها كالشاة جلّادان نحـــو الغاب وا أسفي لسفك دماها
فتشاوروا في ضرب عنق وحيدها وتأججت نار الاسى بحشاها
وقعت على اقدام كلٍّ منهما تهمي الدموع كوابلٍ عيناها
قالت «اذا في ضرب عنقي قليبا شرّ اولا» ولظى الفراق كواها
كلٌّ عفا عن قتلها رفقاً بها والله من غدر البُغاة حماها

***

ودرى وايقن خصمُها «غولو» بأنّ م رسولَهُ كاس الحمام سقاها
وتوغلت تلك الاميرة في القفا ر وظلّ كهفٍ قد غدا مأواها
تقتات من بعض البقول وطالما خارت من الجوع الشديد قواها
تحنو على طفل ضعيفٍ جائعٍ باكٍ فضعّف وجدها وأساها
بمغارةٍ في الغاب كان مقامها عينُ المهيمن ضمّنها ترعاها
وبقربها روضٌ نضيرٌ فيه سا قيةٌ تروّي في الهجير ظماها
تخذت لها طاساً من القرع الذي قد عاينته نابتاً بجاها
دخلت الى تلك المغارة ظبيةٌ أنِسَتْ بها واستبشرت بلقاها
وطعامها اتخذته من البانها فقهت وكان الجوع قد اضناها
واتى الشتاء ببردهِ وصقيعهِ والثلجُ ارضَ الغاب قد غطّاها
امّا غزالة جنفياف بقربها كانت تبيت وحبّذا ملقاها
تقتات من بعض الحشائش عندها اذ قلّ في ارض الفلا مرعاها
ثم انقضى فصل الشتاء براحةٍ نالت بها تلك الفتاة مُناها

***

جاء الربيع ورنّمت اطيارهُ في الروض يشجي المستهامَ غناها
حيث الطبيعة حلّةً خضرا اكتست سبحانَ ربِّ الكون مَن أنشاها
ونوافحُ الازهار طاب عبيرُها وتسربلت اشجارها بِرداها
وتراقصت اغصانها طرباً على شدو الحمائم في حمى جرعاها
فغدت فتاة الغاب تحمد ربّها الحنّان من طيب الحياة حباها

بَرَزت من الغار الذي زمنَ الشتا قد طال فيه أسرُها وخباها
والله كان نصيرها وملاذَ من القت على الرب الكريم رجاها
واصطاد ذئبٌ نعجةً بجوارها فاستنقذتها بعدما أرداها
واستحضرت صوّانةً سلخت بها فروًا من البرد الشديد وقاها
واقد كست دولورَ من جلد الظبا ثوباً جميلًا والسرورُ اتاها
كانت تُجمّع في المصيف طعامها بعضَ الثمار مؤونةً لشتاها
سكنت بذاك الغاب سبع سنين اذ نالت بدولورَ الحبيب مناها
واقد نشا وتورّدت وَجناتهُ ذا طلعةٍ قرّت بها عيناها
ربّتهُ بالتقوى فكان مهذّباً ولدًا مطيعاً ليس من يعصاها
كالشبل في الغابات ربّ بالتقى يحمي بهاتيك الجهات حماها

***

فغدت بذاك العام وهي مريضةٌ والقرُّ في فصل الشتا اضناها
والثلج غطّى الارض ايضاً والذنا بُ الطُّلس قد ملأ الجهات عواها
باتت تئنُّ وارشكت تقضي من السحمّى الشديدة بعد فرط ظماها
« دولورُ » كان يعولها بالماء مع لبن النزالة حيث دام حذاها
قالت من الاوجاع لمّا استوقدت نارُ البعاد واضرمت احشاها:
« دولورُ يا ولدي الحبيب ومهجتي دنت المنيّة جاء يوم لقاها
سأموت من فرط الكآبة والضنى هيهات أنك ان تعودَ تراها
ولئن قضت هذي الحزينة بعدها في الغاب غيرك لا يقيم عزاها
فاحرص على دفني ولا تحزن فانَّ النفس في دار البقا مثواها
أخبر اباك اذا ظفرتَ بقربهِ كيف الفقيدة في البعاد عراها »
دولور أجهش بالبكاء تأسفاً ودعا المهيمنَ كي تنالَ شفاها
نقّهت وقد ولّى الشتاء وبردهُ عنها وزالت برهةً حمّاها

***

« سيجفروا » بالغرب عاد مظفّراً وجيوشهُ انتصرت على اعداها
وبقصر « نفرابورَ » كان دخولهُ في حفلةٍ تلهبا ابهاها

لكنهُ غيظاً تنمَّر صدرهُ ... لجريمةٍ « غولو » الخبيثُ جناها
ولقد تحقَّق غدرهُ وعتوَّهُ ... برسالةٍ من جنفياف قراها
والوغدُ حالاً قد اقرَّ بذنبهِ ... مذ طاوع النفسَ اللجوج هواها
مولاهُ حتماً رام يضرب عنقهُ ... لمقاصدٍ بغيابهِ اعراها
لكن وصيَّة جنفياف اطاعها ... عفواً عن الوغد الذي عاداها
القاه في سجنٍ مخيفٍ مظلمٍ ... والنفس نالت بالعقاب جزاها
واقام جنَّازاً بهيجاً خافلاً ... عن نفس من فاقت بفرط تقاها
قد طالما سكب الدموع لفقدها ... متأسفاً وملازماً لحداها
ملَّ التعازي في الاسى من بعدها ... طرًّا وبالدمع السخين بصاها

***

خرج الامير « سيجفروا » للصيد في ... ارض تكاثر في الغياض ظباها
قصد التنزُّه في الفلاة مسرَّةً ... كي تستريح النفس من برحاها
فغدا يطارد ظبيةً دخلت الى ... غارٍ به قد شاقها مأواها
دخل الامير اليهِ ثم ارتاع من ... مرأى فتاةٍ كالخيال راها
نادتهُ قِفْ يا ذا الفتى مهلاً ولا ... تجزعْ فدونك مَن تروم لقاها
فانا حليلتُك الامينة جنفيا ... ف اذاً فخذ من قصَّتي فحواها
فاجابها يا ذا الخيال ألا ابتعد ... عني فان النفس طال شقاها
أخرجْ وكلمني لأعلم من ارى ... فحليلتي رحمَ الالهُ ثراها
خرجت اليهِ عاجلاً بتبسُّمٍ ... ايضاً وقد لمست يديهِ يداها
فارتدَّ عنها جازعاً متحيِّراً ... عند اللقاء وهالهُ مرآها
حتى أرتهُ خاتم الاكليل عا ... د لنفسهِ وبلهفةٍ حيَّاها
وبكى بكاء المستهام باوعةٍ ... متعجباً من حيث طال بقاها
في غابةٍ مأوى الوحوش تظلُّها ... طول المدى وتجول في انحاها
قالت لهُ عين العناية طالما ... جنح الدجى كانت بها ترعاها
«دولور» اقبل ساخطاً لما رأى ... رجلاً عظيماً في الفلاة هناها
قد صاح يا أمّاه من هذا فقا ... لت لا تخف وتبسَّمت شفتاها

هذا ابوك «سيجفروا» البطل الذي فاق الاكابر والجبابر جاها
والوالد المشتاق ضمّ لصدره ذاك الغلام به وعجباً تاها
أمّا الاميرة بالامير ترحّبت دخلتْ به ايضاً الى مأواها
وتحدّثا من بعد ذاك هنيهةً عمّا بذي الآجام كان عراها

***

سيجفروا بالبوق نادى صحبهُ في غابةٍ وافوهُ من اقصاها
وتألّبوا بالقرب منه دهشةً ممن رأوا واستخبروهُ شفاها
فاجابهم : « ذي جنفياف حليلتي والله جودًا قد اطال بقاها
وعلى ذراعي النجلُ «دولور» الذي في السجن رب العرش قد اعطاها
هيّا اضرموا نارًا وهاتوا كسوةً بعد الطعام لكي تنال غذاها »
واعدّ ذاك « الكنت » مما يقتضي في خيمةٍ لقرينه وكساها
جلستْ على خير الطنافس والنما رق والسرورُ بقربهِ وافاها
ولما اعدّوا للترحّل هودجاً والجمعُ سارَ امامها ووراها
اهل البلاد الى لقاها بادروا بسرّةٍ كلٌّ وقد حيّاها
حتى اذا دخلوا المدينة وانبرت كل النساء تشوّقاً اتراها
والآس قد اهدينها رمزًا الى فعل الفضيلة والتقى بصباها
« ثلفُ » الامين لقد سعى حالًا الى الـ ـمدينة فبشّر امّها واباها
حضروا الى قصر الامير بلهفةٍ كلٌّ وطار مسرّةً للقاها
زارتها اعيانُ البلاد وقد غدت تُهدَى وتُهدي كلَّ من اهداها
ثمّت اتاها ناسكان بسرعةٍ كلٌّ بذلٍ يستبيح رضاها
رجعا من القدس الشريف الى البلا د ومدة نسكاً بهِ صرفاها
كانا كسيأفين فيما قد مضى إبّان « غولو » رام سفك دماها
فترحّبت بهما وقد جازتهما خيرًا كما ربُّ العباد جزاها
قد عوفيت وتوردت وجناتها والسعد ايضاً والهنا وافاها
وكذا غزالتها لذاك القصر قد وافت فسرّت كل من يلقاها

***

وقضى بذاك السجن غولو بعدما ايامهُ بالذل كان قضاها
ومضى الى دار الشقاء معذَّباً يا ويح تلك النفس ما اشقاها
أنعِم بقصّةِ جنفيافَ وحسنها فهاك نظماً يا اخي فحواها
رحم المهيمن كل ذات فضيلةٍ هي مثلها في برّها وتقاها

المذهب الدروينيّ واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

٣ مذهب النشوء والتحول

لمذهب النشوء والتحوّل دَوْران اصليّان تطوَّرَ بهما في انتشاره : الدَّوْر الاوَّل هو الذي شاع فيهِ مذهب دروين كما اوضحهُ في كتابهِ المعنون بأصل الانواع وهو اوَّل ما صنَّفهُ ثمَّ اردفهُ بكتب اخرى عديدة سعى فيها بتوسيع نطاق مذهبهِ . امَّا الدور الثاني فهو دور الجوهر الفرد (Le Monisme) الذي ذهب اليه الالماني هكل

١ المذهب الدروينيّ

كان دروين انكليزيّ الاصل مولدهُ سنة ١٨٠٨ ووفاتهُ سنة ١٨٨٢ وكان بروتستانيّ النحلة مؤمناً بالله وبالوحي قائلاً بتكوين الله عز وجلّ للخلائق من العدم في مواليدها الثلثة اي الجماد والنبات والحيوان كما رواهُ موسى في سفر التكوين في غضون كلامهِ عن خلق الله للنبات (تك ١ : ١١) ثمَّ للحيوان الاعجم (١ : ١٣) ثمَّ للانسان (١ : ٢٤) فدروين يسلّم بكل ذلك ضمناً إن لم يصرّح بهِ في كتابهِ اصل الانواع المطبوع سنة ١٨٥٩ بالانكليزية

ولكن كيف خلق الله هذه المواليد ؟ هل ابدع سبحانهُ وتعالى كلّ انواع النبات والحيوان كما هي حاضراً او كما اطّلع عليها علماء طبقات الارض بعد تلاشيها

وقضى بذاك السجن غولو بعدما ايامهُ بالذل كان قضاها
ومضى الى دار الشقاء معذَّباً يا ويح تلك النفس ما اشقاها
أنعِم بقصّةِ جنفيافَ وحسنها فهاك نظماً يا اخي فحواها
رحم المهيمن كل ذات فضيلةٍ هي مثلها في برّها وتقاها

المذهب الدروينيّ واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

٣ مذهب النشوء والتحول

لمذهب النشوء والتحوّل دَوْران اصليّان تطوَّرَ بهما في انتشاره : الدَّوْر الاوَّل هو الذي شاع فيهِ مذهب دروين كما اوضحهُ في كتابهِ المعنون بأصل الانواع وهو اوَّل ما صنَّفهُ ثمَّ اردفهُ بكتب اخرى عديدة سعى فيها بتوسيع نطاق مذهبهِ . امَّا الدور الثاني فهو دور الجوهر الفرد (Le Monisme) الذي ذهب اليه الالماني هكل

١ المذهب الدروينيّ

كان دروين انكليزيّ الاصل مولدهُ سنة ١٨٠٨ ووفاتهُ سنة ١٨٨٢ وكان بروتستانيّ النحلة مؤمناً بالله وبالوحي قائلاً بتكوين الله عز وجلّ للخلائق من العدم في مواليدها الثلثة اي الجماد والنبات والحيوان كما رواهُ موسى في سفر التكوين في غضون كلامهِ عن خلق الله للنبات (تك ١ : ١١) ثمَّ للحيوان الاعجم (١ : ١٣) ثمَّ للانسان (١ : ٢٤) فدروين يسلّم بكل ذلك ضمناً إن لم يصرّح بهِ في كتابهِ اصل الانواع المطبوع سنة ١٨٥٩ بالانكليزية

ولكن كيف خلق الله هذه المواليد ؟ هل ابدع سبحانهُ وتعالى كلّ انواع النبات والحيوان كما هي حاضراً او كما اطّلع عليها علماء طبقات الارض بعد تلاشيها

في كرور الاجيال . او بالحري هل برأ الخالق في اوّل الخليقة بعض الانواع التي جعلها كأمثلة رُتَب تفرّعت منها بفعل الطبيعة بتمادي الاجيال الاجناسُ والانواع التي نعرفها في زماننا ؟

فيجيب دروين على هذا السؤال غير مرتاب في حكمه انَّ هذه الاجناس والانواع الحاضرة او المكتشفة في اعماق الارض لم يخلقها الله رأساً وانَّما تعدَّدت فيها الاجناس والانواع بمرّ الدهور وبقوّة الطبيعة وحدها وهي ترتقي اصلاً الى بعض الاجناس الاوليَّة من النبات والحيوان التي خلقها الله في بدء العالم

واعلم انَّ دروين في كلامه عن اصل الكائنات وتفرُّعاتها لا يقسمها كلها الطبيعة الى رُتَب واجناس وانواع وانَّما يذكر فقط امثلةً اصليَّة (او قل ان شئت مثالاً فرداً) كوَّنها الله في بدء الخليقة كانت تتكيَّف بكيفيَّات مختلفة وتتحوَّل الى صور شتَّى بفعل عوامل طبيعيَّة حتَّى بلغت الى خواصّ جديدة وبالانتخاب الطبيعي اصبحت ثابتةً تتوارثها مواليدها وتلك هي الانواع التي نعرفها

فالمبدأ الدرويني يعود اذن الى قوله انَّ الانواع تحوَّلت بواسطة الانتخاب الطبيعي . ذاك هو ناموسهُ الذي أدار على محوره كلّ مذهبه . يزعم انَّ انواع النبات والحيوان قابلة التحوُّل من صورة الى صورة ومن جنس الى آخر وانَّ هذا التحوُّل قد جرى جرياً بطيئاً جدًّا وبطريقة غير محسوسة وبزمان لا يُقاس طولهُ . وذلك ما يجعل الانواع المستحدثة مختلفة كل الاختلاف عن الامثلة الاصليَّة المشتقَّة منها . وفي هذا التحوُّل الدائم يبقى من تلك التطوُّرات نخبة من الافراد التي تحفظ الصفات الجديدة التي اكتسبتها ثم تورثها مواليدها بينما تتلف بقيَّة الافراد التي دونها بنيَّةً وقوَّة . وهذا ما يدعوهُ بالانتخاب الطبيعيّ على مثال الانتخاب الصناعيّ الذي يعتمدهُ الناس في عهدنا لايجاد بعض الصنوف العرضيَّة في النوع الواحد من الحيوان والنبات

فانَّ الذين يربّون في الوقت الحاضر بعض الحيوانات ويريدون ان ينالوا منها صنفاً جديداً يعمدون الى فحول يجدون فيها شيئاً من الخواصّ التي يطلبونها في الصنف الجديد فاذا ولد صغارُها اختاروا منها ما يرونهُ متَّصفاً بتلك الخواصّ وينفون البقيَّة وهكذا ينالون بعد زمن جنساً من الحيوان المطلوب تثبت فيها تلك الصفات بالوراثة . فينسب الناس الى المربّين المذكورين ذلك الصنف الجديد الذي هو نتيجة

الانتخاب الصناعي الحاصل بذكاء عقل اولئك المربين الحاذقين

وما يصنعهُ مربّي الحيوانات ينالهُ الزرّاع في النباتات والبقول والبستاني في الزهور فانهما يبلغان الى توليد تلك الاصناف الجديدة تارةً بان يجمعا بين صنفين مختلفَين من المواليد وتارة بطرائق اخرى لاسيَّما في النبات وكلاهما بعد التوليد ينفي ما يراهُ مخالفاً للصفات المرغوبة

فالانتخاب الصناعيّ الذي يصير بواسطة الانسان وحذاقة عقلهِ يقوم خاصَّة بالغائهِ للمواليد الضعيفة . فمثل هذا الالغاء يُدخلهُ دروين في مذهبهِ لكنهُ يتمُّ على رأيهِ بقوَّة الطبيعة وحدها في انحاء المعمور ويتمادي الزمان في النبات والحيوان . يزعم ان افراد الصنف الواحد يثبت منها فقط الاقوياء واما الضعفاء فتتلاشى . فيجري بين هؤلاء الافراد ضرب من النزاع للبقاء فلا يعيش منها الّا الغالب اعني الممتاز بينها بالقوَّة والرشاقة او غير ذلك من الصفات الطبيعيَّة . والعامل في هذا النزاع هو ايضاً على قول دروين الانتخاب الطبيعي

ومن ثمَّ اذ لم يزل هذا الاختيار الطبيعيّ والغاء الافراد الضئيلة جاريين على وتيرة واحدة مدَّة عدَّة اجيال فتنتج عنهما اختلافات زهيدة توارثتها المواليد تباعاً حتى اولدت سلالاتٍ جديدة او انواعاً جديدة كما يقول دروين . مثال ذلك انَّ الله خلق في البدء صنفاً من الفرس او حيواناً آخر سبق الفرس ومنهُ تفرَّع في توالي الزمان الحصان والحمار وحمار الوحش والبغل الخ . وذلك بظهور بعض الخواصّ الجديدة التي اكتسبها صدفةً الفرس الاصلي بهذا الانتخاب الطبيعي مع الغاء الافراد الضعيفة ثم اورثها لمواليدهِ من بعدهِ

ومثلهُ الكلب الاصلي المخلوق في البدء تحوَّل الى انواعٍ اخرى فجاء بعد كرور الاجيال على صور شتَّى وراثيَّة يدخل في حيزها الذئب والثعلب وابن آوى والكلب الحاضر وما اشبه ذاك الكلب الاوَّل . وهذه الانواع تولَّدت على رأي دروين في بعض تطوُّرات الجنس الاصلي حيث بلغ احد افرادها الى خاصَّة لم يرثها من مواليد سابقة واورثها هو لمن خلفهُ فثبتت تلك الخاصَّة فيهم واصبحوا هكذا نوعاً مستقلاً

ودونك مثلاً آخر يُطلعنا على عامل جديد من ذاك الانتخاب الطبيعيّ . يقول دروين انَّ الايل والغزال واصنافهما المتعدّدة رأت قوائمها الامامية تطول شيئاً فشيئاً

في نسلها الى ان ثبتت هذه الخاصّة في احد مواليدها فصارت نوعاً جديدة تتوارثهُ وما ذاك الّا الزرافة الطويلة القوائم . وان اعترضتَ على دروين قائلاً : وهب انَّ الزرافة اكتسبت طول قوائمها من نسل الغزالة فما قولك بطول عُنقها من اين ورثتهُ؟ فلا يتردّد دروين في جوابهِ وهنا يدخل عاملاً جديداً في انتخابهِ الطبيعي يريد بهِ الاحتياج . ولذلك وضع ايضاً هذا المبدأ «ان الحاجة توجد الآلة» فلمّا طالت قوائم الزرافة بحيث لم تستطع ان ترعى النبات او تشرب ماء السواقي اقتضى الامر ان تُطيل عنقها فاولدت فيها الحاجة امتدادَ العنق وذلك بالتدريج البطيء وفي مدّة اجيال طويلة ومواليد متعدّدة على حسب ازدياد قوائمها طولاً

وان قلت لدروين: ومن اين للزرافة ذنبها الطويل على خلاف الايل والغزال؟ اسمع وتعالَ عن الضحك فان دروين سبق بنفسهِ وردّ على هذا الاعتراض في كتابهِ عن اصل الانواع : « قال كانت الحيوانات الاصليّة من ذوات الثدي خاليةً من الذنب وانّما احتاجت اليهِ بعد ذلك لتقي نفسها من الذبابِ والهوامّ . فهي الحاجة التي انتجت تلك المذنّبة الزرافة كما للخيل والبقر الخ» . وسوف نعود الى ذكر هذا الذنب

وعلى هذا النمط يبني دروين مذهبهُ في كل عضوٍ يجدهُ في انواع الحيوانات الراقية التي في اطوار حالاتها احتاجت الى تلك الاعضاء فحصلت عليها شيئاً فشيئاً بالانتخاب الطبيعيّ . وما عيونها وآذانها وحواسُّها وقوائمها ومخالبها سوى نتيجة تلك التطوُّرات والانتخاب الطبيعيّ والحاجة . وما يقولهُ دون ادنى برهان عن الحواسّ والاعضاء الظاهرة يقرّرهُ ايضاً للاجهزة الباطنة كدورة الدم والاعمال الحيويَّة . ولو تتبّع الانسان سلسلة الكائنات بلغ في سلّم الاجيال متصاعداً الى زمن حيث كانت تلك الحيوانات خالية من تلك الحواسّ وتلك الاجهزة الظاهرة والباطنة . وكل ما يوجد من هذه المخلوقات حيًّا او متحجّراً في قلب الارض وهو مزدان بهذه الحواسّ هو حديث العهد فلا بُدَّ من الترقّي الى ملايين من السنين قبلها اذ كان خاليةً منها

اسمع الآن ما كتبهُ هكل من اشهر تلامذة دروين في تكوين حاسّة البصر قال: « لو تتبّعنا بالتدريج نشوء هذه الشاعرة صاعدين في مراقي الدهور ومعتبرين توالي

والد الحيوان الى اصله الاول وجدنا انَّ حاسَّة العين تحسَّنت فيه شيئاً فشيئاً بنشوء انواع جديدة »

وكلّ هذه التحوّلات تحدث كما سبق القول من تلقاء ذاتها وإنْ هي الّا نتيجة قوّات عمياء ومفعول الصدفة مدّة قرون عديدة . فهذه العين التي هي احدى عجائب الكون بتركيب كلّ اجزائها التي أُعطيت للحيوان لغايات معلومة قد اوجدتها قوّات الطبيعة دون فعل عقل سامٍ عُني بتكوينها . وكلّ ذلك مبنيّ على هذا المبدأ انَّ الحاجة اوجدت الآلة . وعلى مثال ذلك يقولون في حاسَّة الذوق والقوَّة المحرّكة . فالذوق نالهُ الحيوان لحاجته الى طعام مريّ وغذاء صالح بينما كانت حاجة الحيوان الى الاكل تجهّز لهُ معدةً لهضم تلك المآكل . ولحاجته الى طلب غذائه قريباً او بعيداً عنهُ احتاج الى اعضاء تنقلهُ بالحركة اليه وهكذا تولّدت القوائم للحيوان من اصغر الديدان الى اكبر الدوابّ وكذلك وُجدت في الاسماك الزعانف وفي الطيور الاجنحة ما لم يفضّل احد تعليل وجود الاجنحة بقوله مع احد كتبة القرن الثامن عشر الممهّد الطريق للدرويينيين : انَّ اسماكاً مجنّحة وثبت على فرائسها فخرجت الى الشاطئ حيث نشفت زعانفها واضحت اجنحةً فطارت بها الى الجوّ . فهذه الفكاهة التي عرضها ذاك الكاتب كامر وضعيّ كان يسلّم بأنهُ لا هو ولا غيرهُ قد عاينا شيئاً من ذلك وعلى قوله انَّ هذا قد حصل في جهات القطب او في بعض الامكنة المقفرة التي لم تطأها قدمُ البشر . فكم يسمعنا الدرويينيّون مثل هذه الخرافات التي لا وجود لها الّا في مخيّلتهم ويُضحكون بها الثكلى

وممّا يزعمهُ ايضاً الدرويينيّون لتأييد مذهبهم انَّ الانتخاب الطبيعيّ والغاء المواليد المستضعفة جزيا ويجريان حالاً على ناموس آخر اعني به التنازع على البقاء بين طوائف الكائنات . وهذا مثال عن زعمهم ننقلهُ عن احد علماء العصر الماضي المسيو دي كاترفاج موضحاً به قول دروين قال : معلومٌ انَّ النبات كثيراً ما تأبرهُ الهوامّ عند ما تجني الزهور اطعامها فتنقل من زهرة الى اخرى بمادَّة اللقاح المنتشر على قوائمها . ثم من الزهور ما لا يحطّ عليه الّا بعض اصناف الهوامّ . قال دروين : لا يزور نبات البرسم وزهر الثالوث الّا الزنبور . فاذا كثرت الزنابير قلّ ايضاً البرسم والزهر المذكور بالتلقيح . لكنَّ للزنابير في الجرذان اعداء الدّاء تغير على اوكارهم . ومن اعداء الجرذان الهررة .

فاذا افترست الهرّ جرذوناً نجا بذلك عشٌّ من الزنابير فيعيش نسلهم وينشأ ثم اذا كبر صغار الزنابير يلتهمون البرسم وزهور الثالوث فيزكوان. فترى انّ بين الهررة والجرذان والزنابير حرباً عواناً منهُ ينتج توفّر البرسم » (كتاب دروين في اصل الانواع فصل ٣)

وعلى هذا المثال يقول دروين انّ في العالم اجمع تنازعاً متواصلاً للبقاء تارةً بين الطوائف وتارةً بين الافراد . وفي هذا النزاع يتلف الضعفاء من بعض الوجوه أمّا الفائزون فهم الذين يقوون على خصومهم سواء كان بقوّتهم او بخاصّة اخرى . وثمرة هذا النزاع على زعم دروين الانتخاب الطبيعيّ

ويضيف دروين الى التنازع للبقاء عاملاً آخر وهو تأثير الوسط او التناسب والملاءمة . أجل لا يشكّ احد في انّ الظروف المختلفة كالغذاء والسكن ومناطق البلاد وغير ذلك لمّا يؤثر تأثيراً معاوماً في كثير من الحيوان والنبات . فاذا زرعتَ مثلاً النبات متقارباً رأيت بعضها تميل الى حيث تجد هواء ونوراً . بعض الحيوانات قليلة الوبر في البلاد الحارّة فاذا نُقلت الى بلاد شديدة البرد توفّر وطال صوفها . وربّما تغيّر لون وبرها باختلاف مسكنها او طعامها . فان الخنزير البرّي اذا دُجّن وخالف اكلهُ السابق يستأنس فلا يعود الى صيده ليلاً بل يصيب جسمهُ بعض التغير في بنيته . ولعلّ الخروف في عهده الاوّل كان اشرس خلقاً واكثر نفوراً فلمّا دجن صار ألوفاً دمثاً بتأثير الوسط في خلقه

وما يدلّ على فعل الوسط دلالةً واضحة انّ دواجن الحيوان اذا خرجت من الفة الانسان تعود الى طبعها الاصلي فتتوحش . دع مثلاً الفرس او البقر او الكلب في خاوةٍ من البشر فلا تلبث ان تعود الى وحشتها . لكنّ في ذلك دليلاً باهرًا ايضاً على انّ الحيوان الداجن لم يتنوّع كما يريد دروين بل اختلفت فقط بعض اخلاقه عرضيًّا بفعل الوسط وذلك على مدّة تأثير تلك العوامل فيه فاذا كفّت العوامل رجع الى غريزته

ومن العوامل التي التجأ اليها دروين ليثبت زعمهُ في تنوّع الكائنات استعمال الافراد لبعض الاجهزة والاعضاء او عدم استعمالها ومن المعلوم انّ الاعضاء تقوى وتشتدّ بالعمل وبالعكس تضعف وتشلّ باهمالهه . فاستخرج دروين مبدأً من هذا الملحوظ تأييدًا لمزاعمه فيقول مثلاً ان النعامة وبعض الطيور المجنّحة تعجز اليوم عن

الطيران لقلة استخدامها لأجنحتها . وكذلك بعض الحيوانات القارضة كالخلد القاصرة البصر او العمياء يزعم دروين انها فقدت حاسة النظر تدريجاً لقلة استعمالها في قلب الارض مع اضافة ذلك الى الانتخاب الطبيعي . وعلى هذا المثال يدعي دروين ان كثيراً من الطيور كانت مخالبها تتركب من خمسة اصابع فلعدم حاجتها اليها اهملت استعمالها فشلّ بعضها ثم فُقد

وآخر ما تشبث به دروين للدفاع عن تنوع الافراد الانتخابُ النسلي فاذا تزاوج الحيوان ربما خلّف في نسله صفات جديدة تصير مع الزمان وراثيةً ومن ثمّ اصاب ذكورُ ذوات الثدي اجساماً ذات تركيب اشدّ واقوى وخُصّوا باسلحة للدفاع عن كيانهم في وجه اعدائهم كالقرون في الابقار والكباش وكالانياب في كواسر الحيوان . وكذلك مُنحت ذكور الطيور محاسن جديدة كالاجنحة الملوّنة الزهيّة وكالتغريد المُطرب وعلمٌ جرًا

على انّ دروين في كتابه عن اصل الانسان اذ يستقري انواع الحيوان ليتحقّق فيها صحّة قوله عن الانتخاب النسلي يلقى في طريقه كثيراً من المشاكل التي تُبطل مزاعمهُ الّا انّ قريحتهُ تجد لكلّ مشكلٍ حلًّا ما شاء ام ابى كما سترى

وهاك مثلًا يوقفك على ما ينويه دروين . انّ رتبة ذوات الثدي البرّية تقسم الى اجناسٍ وانواع غاية في الاختلاف . البعض منها عظيمُ الهيكل كبير الجسم كالفيل الخالي وخصوصاً الفيلة التي عاشت في الاجيال الغابرة البالغ كبرها نحو خمسة امتار . وغيرها اصغر جسماً كالجمل وفرس البحر والبقر الخ . ومنها ذوات جُثث متوسطة كالاسد والدبّ وابن آوى والشاة . ومنها اخيراً انعم وادقّ جسماً كالقرقدون والخلد والجردون والفارة الخ . فبين كلّ هذه الحيوانات المختلفة نوعاً وحجماً وصورةً يوجد على ما يدّعي دروين وحدة مثالية لأنّ هياكلها جميعاً مركّبة على رسم واحد اذ لها اربع قوائم متّصلة بجسمها واظلاف في اقدامها ولها رأس بفكّين وانياب وفي ظهرها سلسلة طويلة من الفقرات تنتهي بذنب الخ . وكذلك يوجد تشابهٌ في اجهزتها الخارجة في العينين والاذنين واليدين والثديين المُفرزين للحليب كما في اجهزتها الباطنة ايضاً كالجهاز التنفسي والهضمي وفي اتساق كل هذه الاجهزة وتنظيمها

فيضرب دروين صفحاً عن الاختلافات الجوهريّة بين كلّ هذه الانواع ويزعم انها كلها عائدة الى مثال واحد تجنّس وتنوّع حتّى افضى الى كلّ الاجناس والانواع الثابتة التي نشاهدها اليوم وكفى لذلك وجود العوامل التي عدّدها ونسبها الى الانتخاب الطبيعيّ اعني تنازع البقاء وتأثير الوسط والانتخاب الزوجي واستعمال الاجهزة او إهمالها. فهذه وحدها انتجت في تلك الحيوانات الاختلافات التي نحن ندعوها اجناساً وانواعاً وما هي في الحقيقة الّا مواليد مثال اصلي واحد

وما يقرّره دروين عن الحيوانات ذوات الثدي يُثبتهُ ايضاً عن بقيّة الرُتب الحيوانيّة ذوات الفقرات كالطيور والزحافات والاسماك ومثلها رُتب الحشرات العليا كالغشائيّة الاجنحة والغشائيّة الاجنحة والغمديّة الاجنحة. ويضاف الى الحيوان رُتب المواليد النباتيّة الراقية ايضاً الى مثال أصلي وحيد فهذه خلاصة المذهب الدروينيّ : وحدةُ المثال الاصلي ووجود ذاك المثال في ظروف مختلفة. قال دروين :

« والمفهوم من وحدة المثال الاتّفاق الاصلي الموجود في كائنات القسم الواحد في تركيبها مع استقلالها في العادات وضروب المعيشة . وعلى رأيي وحدة المثال لازمة لوحدة التسلسل . اما احوال الوجود المختلفة فداخلة في الانتخاب الطبيعيّ الذي يستخير حالاً الاجزاء المختلفة التي في كلّ فرد فيطبّقها باحوال حياته او يكون استخارها مدّة الاجيال الغابرة فطبّقها بها . وهذه التطبيقات ربّما وقعت بزيادة استعمال الاجزاء او بزيادة اهمالها او تكون حدثت بفعل الاوساط توًّا وهي على كل حال خاضعة لسُنن النموّ والتحوّل المختلفة. ومن ثمّ يجب القول انّ سُنّة احوال الوجود هي الناموس الاسمى لأنها تشمل بواسطة الوراثة تحوُّلات وتطبيقات سابقة وهي وحدة المثال »

هذا ما كان دروين اقتصر عليهِ في كتابهِ اصل الانواع اعني وضعهُ للانتخاب الطبيعيّ وعواملهِ المختلفة في توليد الانواع. وليس هناك ما يُشعر بنكرانهِ فعل الخالق او لنسبتهِ الانسان الى البهيمة العجماء وغاية ما يمكن تقريعهُ بهِ انهُ يجعل مقدّمات يُستنتج منها اصل الانسان من الحيوان . وسوف نبدي رأينا في نظريّة دروين هذه عند درسنا للحوادث الحاضرة ولما يُستنتج من العلوم الطبيعيّة كالنبات وطبقات الارض ونبيّن ايضاً كيف اتّسع دروين في مذهبهِ واوضحهُ في تآليفهِ التابعة بعد ان نشرها تلاميذهُ وصارت لها سمعةٌ واسعة فعاد اليها خصوصاً في كتابهِ المعنون اصل الانسان المطبوع سنة ١٨٧١

٢ الجوهر الفرد

هذا الطور الثاني الذي تطوَّر اليهِ مذهب تحوُّل الانواع وهو يُنسب لهِكل . وهِكل هذا الماني الوطن مولود سنة ١٨٣٤ وهو لم يجترئ بنشر المذهب الدروينى وآراء النشوئيين بل بلغ الى اقصى نتائج المذهب المذكور فنكر وجود الخالق وابتدع طريقة جديدة لتعليل وجود العالم وما فيه من الكائنات سندها الى اوهامهِ واضغاث احلامهِ

يزعم هكل ومثلهُ الماديون انَّ المادَّة ازليَّة كانت في الاصل مجموعاً بلا صورة ولا حركة ولا تكاثف ولا حياة . وان سألتهُ كيف نُظمت الافلاك ؟ ومن اين اتت لها نواميس التجاذب العمومي ؟ وكيف تكوَّنت في جملتها ارضنا هذه الصغيرة ؟ يجيبك انَّ كلَّ ذلك حدث بحركة ذرَّةٍ واحدة في الاصل انتقلت منها الى بقيَّة دقائق الكون فحصل بذلك بينها تجاذب وباجتماعها حدثت كلَّ التركيبات الكيميَّة وتكوَّنت المعادن . وجملة القول انَّ الافلاك بأجمعها نشأت من تلقاء ذاتها مع ما يصحبها من النواميس الطبيعيَّة . وقد دُعي هذا المذهب بالجوهر الفرد لتفرُّع كلَّ الكائنات تدريجاً من الذرَّة الاولى المتحرِّكة

وليس هذا النشوء والتحوُّل محصوراً بالمادَّة بل ثبت على كمالهِ حتَّى كيَّف المادَّة بصورها المعدنيَّة ثم ترقَّى الى النبات والحيوان فانشأ لها صورهما وكلَّ ذلك بقوَّة الطبيعة اذ ينكر هكل وذووهُ وجود الله ووجود نفس روحيَّة مجرَّدة عن المادَّة . فالمادَّة وحدها لا تزال تنشأ وتتحوَّل بمقتضى نواميس طبيعيَّة ابديَّة . هذا مذهب الماديين

ولكن اسأل هِكل عن اصل الحياة النباتيَّة والحيوانيَّة أنَّى اتتهما هذه الحياة ؟ يجيبك هِكل انَّ الحياة ظهرت اوَّلاً من تلقاء ذاتها في بعض ذرَّات المادَّة كما تظهر في الآليات عند فسادها . ومن ثمَّ يقول هِكل بالتولُّد الذاتي . يزعم انَّ الحياة تولَّدت اوَّلاً في بعض ذرَّات المادَّة الزلاليَّة التي ترى في اعماق البحر فأضحت اصل الآليات الحيويَّة وبنشوئها بمدَّة عددٍ عديد من الاجيال تمكَّنت من توليد النبات ثمَّ تحوَّل ذاك النبات بعد ردهة من الدهور الى الحيوان وما الانسان الَّا احدى حلقات تلك السلسلة الحيوانيَّة

على انَّ الانسان كما زعم هِكِل لم يبلغ بعد الى كماله وانما هو لا يزال في ترقٍ متواصل بقوَّته الطبيعيَّة . وكما انَّ جسمهُ هو نتيجة ترقّي جسم الحيوان كذلك نفسهُ ليست هي الَّا ترقّي الحياة الحسِّيَّة التي في البهائم فبلغت النطق والادراك بعد الاجيال المديدة . بل يزعم انها كلَّ يوم تزيد ترقّياً

فخلاصة تعليم هِكِل انَّ اصل الانسان نفساً وجسداً من القرد . واذ لا يستطيع ان يعيّن قرداً من اجناس القرود الموجودة حاضراً لما يوجد بينها وبين الانسان من التباين في التركيب الطبيعي زعم دروين انَّ للانسان والقرود الحاليَّة اجداداً اقدم منها عهداً انقرضت من العالم ولم يبقَ في طبقات الارض اثرٌ منها الَّا انَّهُ لا يشكّ في وجودها (كذا)

وقد ظنَّ بعض علماء العاديَّات انَّهُ وجد هيكلاً لبعض الحيوانات زعم انَّهُ السلسلة المفقودة والوسط بين الانسان والبهيمة فزمَّر الداريون وطبَّلوا لهذا الاكتشاف لكنَّهم بعد زمن قليل تبيَّنوا انَّ لا اصل لتلك الاشاعة حتَّى انَّ هِكِل ذاتهُ اقرَّ بذلك فكتب : « انَّنا حتَّى الان لم نجد اثراً لذاك الانسان المظنون الذي تفرَّع في طور الجيولوجيَّة الثالث من القرود اجداده . لكنَّ الشبه الموجود بين صنف البشر ذوي الشعر الصوفيّ وبين القرود الشبيهة بالبشر لمَّا يوقف المخيلة بسهولة على مثال متوسّط بينهما يُرجح لنا وجود الانسان القرد » زه ! زه

ومع اقرار هِكِل بعدم وجود تلك الحلقة الموصلة بين بني البشر والقرود تراهُ يتفلسف فيها كأنها قد وُجدت حقيقةً وقد اثبت كيانها فيقول : « كان الانسان غير ناطق وهو اصل كلّ صنوف البشر المتوالية بواسطة الانتخاب الذاتي فاولد اوَّلاً انواعاً بشريَّة فُقد اصلها وانقرضت مع الزمان لكنَّها قريبة الشبه بالانسان القرد وبقي من تلك الانواع جيلان وهما جيل البشر ذوي الشعر الصوفي والبشر ذوي الشعر الصقيل ومن هذين الجيلين تفرَّعت بقية صنوف البشر الحاليين البالغ على زعمهِ اثني عشر صنفاً

فكل هذه الخزعبلات يعتبرها هكل كحقائق راهنة فيزعم انَّ نشوء المادَّة والتولُّد الذاتي ونشوء الكائنات الحيَّة وتسلسل الانسان من القرد كأنها لواحق لازمة للمذهب الدروينيّ ولمبادئ النشوئيين . فالى هذا الحدّ افضى تعليم دروين بواسطة تلامذتهِ اعني الى المادَّة المحضة !

وهل يا تُرى رَضي دروين في آخر حياتهِ بهذه النتائج حتى نكران الخالق عزَّ وجلَّ ؟ انَّ دروين في كتابهِ عن اصل الانسان المطبوع سنة ١٨٧١ صرَّح باعتقادهِ عن تنوّع الانسان وتفرُّعهِ من القرد لكنَّهُ في هذا الكتاب عينهِ يقرّر صريحاً ايمانهُ بوجود الخالق وبخلود النفس كما سترى

امَّا هكل فيدَّعي انَّ دروين صدَّق على كلّ آرائهِ حتَّى نفيهِ وجود الخالق وهو يستشهد برسالة وجَّهها اليهِ وحقَّق كلّ اقوالهِ . والله يعلم ان كانت الرسالة المذكورة صحيحة او مزوَّرة وقد ثبت تزوير هكل لما هو اعظم شأناً من ذلك اذ بلغت بهِ قحتهُ لإثبات مدَّعاهُ عن تسلسل الانسان من القرد الى ان صوَّر نُطَف اجنَّة قرودٍ وادَّعى انَّ بعضها لبني البشر فكذَّبهُ العلماء واضطرُّوهُ الى ان يقرَّ بتلاعبهِ في تلك الصور في مجلَّة برلين (Berlin Volks-Zeitung, 29 Nov. 1908) . وكذلك كان زوَّر عدَّة اجنَّة ادَّعى انَّها طبيعيَّة دسَّ فيها اقساماً بشريَّة مع اقسام من هياكل القرود . وقد بيَّنت وقتئذٍ مجلَّة المشرق خبث هكل ومكرهُ ردًّا على مجلَّة المقتطف الشايعة لذلك الملحد الكذَّاب (اطلب المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٢٣٨ ; ٣١٨ ; ٧١٩) . فان قلنا بعد هذا انَّ هكل زوَّر كتاباً لدروين لا نرانا مُنصفين لهُ حقًّا

ومهما كان من امر دروين واصحابهِ فان مذهب الجوهر الفرد هو اختراع هكل الالمانيّ . وقد تردَّد صداهُ في بعض انحاء المعمور لاسيَّما بين الذين يعتبرون الحياة كوطن اللذَّات واتباع الشهوات ليطلقوا لها العنان دون ان يحاسبهم عنها الالهُ الديَّان اذ انَّ كلّ شيء وفقاً لهذا المذهب ينتهي بالموت . وكان اكبر رواج مدَّعيات هكل بين مواطنيهِ الالمان الذين يقولون بترقّي الطبيعة البشريَّة غير المتناهي الى ما هو فوق الانسان (Sur-homme) ويجارون لدولتهم الباوغ الى هذا المقام الراقي فيصرخون : «المانية فوق الكل» (Deutschland über alles) فلها التفوّق على كلّ العناصر والدول التي هي دونها . وقد ألفتت الجرائد والمجلَّات الفرنسويَّة انظار قرَّائها الى نفوذ مبادئ هكل في دماغ مواطنيهِ الالمان الذين جروا في معاملاتهم مع بقية الدول بمقتضى تلك التعاليم على موجب سنَّة الانتخاب الطبيعيّ وتنازع البقاء والفناء العناصر الضعيفة لتصير المانية الكلّ في الكلّ . قال احدهم دي مُنسن (de Munsen) : « انَّ غاية التاريخ هي التمدُّن والتمدُّن يقتضي سَحق طبقات البشر غير القابلة للترقّي

بواسطة امم ارقى منها » . وقال لمبرخت (Lamprecht) مثل هذا القول الغريب الوحشيّ : « انَّ الشعوب الصغيرة كالنبات المتطفل الذي يجب السعي بالقائه » . وقال ادولف لُسُون (A. Lusson) : « انَّنا نحن الالمان من عُنصر سامٍ ولذوي هذا العنصر السيطرة والسلطان فيجب على العناصر التي هي دونهم ان يخدموهم » . وقال تريتسك (Trietscke) مهذّب المانية الكبير : « انَّ المانية هي الدولة الشريفة بالذات ومن مهمّاتها ان تعدّ للانسانيَّة عهداً جديداً فعليها ان تسير في طريقها دون ان يثبطها عائق يعترضها »

فترى من ثمَّ كيف طبَّق الالمان تعاليم دروين وهكل على دولتهم بواسطة الانتخاب الطبيعي وتضحية القوى للضعيف . وفي عدد قادم نبحث ان شاء الله عن صحّة كلّ هذه المدَّعيات الباطلة فنزيفها بالبراهين العلميَّة (الهُ صلة)

الدَّعوات في مزامير داود

للاب فردينان توتل اليسوعيّ

يحثّ السيّد المسيح على تلاميذه في انجيله الشريف « ان يحبُّوا اعداءهم ويحسنوا الى مبغضيهم ويُصلّوا لاجل من يُعنتهم ويضطهدهم » واوصى بولس الرسول اهل رومية (١٢ : ١٦) قائلاً : « باركوا الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا » ومن ثمَّ لم تزل الكنيسة تحذّر ابناءها عن اللعنات والشتائم وقد جاءت تحذيرها المذكور في جملة وصاياهُ تعالى مع الوصيَّة الثامنة التي تأمرنا بالامتناع عن شهادة الزور وعن كل ما يسيء القريب من الشتائم

على انك اذا تصفَّحت بعض اسفار الكتاب المقدس ولاسيما كتاب المزامير اخذك العجب مما يعرض لك في عدة فصول وآيات من الفاظ الشتم وروح الانتقام كأنها نفثة مصدور قد نكَّل به النبيّ عدوّهُ وابتلاهُ باشد النكبات وهو مثابرٌ على امره يشفي غليله بقذف اللعنات والشتائم على من ظلمه ويستطر ناراً من

بواسطة امم ارقى منها » . وقال لمبرخت (Lamprecht) مثل هذا القول الغريب الوحشيّ : « انَّ الشعوب الصغيرة كالنبات المتطفل الذي يجب السعي بالقائه » . وقال ادولف لُسُون (A. Lusson) : « انَّنا نحن الالمان من عُنصر سامٍ ولذوي هذا العنصر السيطرة والسلطان فيجب على العناصر التي هي دونهم ان يخدموهم » . وقال تريتسك (Trietscke) مهذّب المانية الكبير : « انَّ المانية هي الدولة الشريفة بالذات ومن مهمّاتها ان تعدّ للانسانيَّة عهداً جديداً فعليها ان تسير في طريقها دون ان يثبطها عائق يعترضها »

فترى من ثمَّ كيف طبَّق الالمان تعاليم دروين وهكل على دولتهم بواسطة الانتخاب الطبيعي وتضحية القوى للضعيف . وفي عدد قادم نبحث ان شاء الله عن صحّة كلّ هذه المدَّعيات الباطلة فنزيفها بالبراهين العلميَّة (الهُ صلة)

الدَّعوات في مزامير داود

للاب فردينان توتل اليسوعيّ

يحثّ السيّد المسيح على تلاميذه في انجيله الشريف « ان يحبُّوا اعداءهم ويحسنوا الى مبغضيهم ويُصلّوا لاجل من يُعنتهم ويضطهدهم » واوصى بولس الرسول اهل رومية (١٢ : ١٦) قائلاً : « باركوا الذين يضطهدونكم باركوا ولا تلعنوا » ومن ثمَّ لم تزل الكنيسة تحذّر ابناءها عن اللعنات والشتائم وقد جاءت تحذيرها المذكور في جملة وصاياهُ تعالى مع الوصيَّة الثامنة التي تأمرنا بالامتناع عن شهادة الزور وعن كل ما يسيء القريب من الشتائم

على انك اذا تصفَّحت بعض اسفار الكتاب المقدس ولاسيما كتاب المزامير اخذك العجب مما يعرض لك في عدة فصول وآيات من الفاظ الشتم وروح الانتقام كأنها نفثة مصدور قد نكَّل به النبيّ عدوّهُ وابتلاهُ باشد النكبات وهو مثابرٌ على امره يشفي غليله بقذف اللعنات والشتائم على من ظلمه ويستطر ناراً من

السماء على خصمه اهلّ الديّان العادل ينتقم لهُ ويشفي كربتهُ (١

ومصداق ذلك ما جاء في المزمور المئة والثامن فان آياته الاحدى والثلاثين تشتمل على عواطف ورغائب كأنها تصعد من اتون نار الحقد والضغينة وقد اورد فحواها القديس يوحنا فم الذهب في تفسيره المزامير قال (٢ : ـــــــــــــــــــ

يتمنى صاحب المزمور ان يرى خصمهُ مقبوضاً عليهِ مزجوجاً في السجن مقوداً امام الحكام محكوماً عليه بالإعدام لا بل يتمنى له ان يرى ما يُسخن عينهُ ويُرعد فرائصهُ من مشهد آله هابطين في مهاوي الذل والشقاء ورؤية امرأته ثكلى واولاده يبكون صارخين من البرد والجوع وليس لهم من يجير ولا معين لانهم نسل الكافر ولا حقّ لهم في الرأفة ولا نصيب من مودة الناس وهم في لعنة من ربهم ليُمحى اسمهم من ارض الاحياء وتُغفر خطايا ابيهم واثمهم على لوح الحساب ويلٌ ويلٌ لعدو النبي فلا بد ان يخوض في لجة الاحزان ويهلك في هاوية البلايا »

وكأني بكاتب الوحي قد استقلّ ما رشق به خصمه من الدعوات فزاد عليها وقال في الزبور الثامن والستين في العدد الثالث والعشرين:

لتكن مائدتهم فخاً لهم فخاً وجزاء وشركاً
لتُظلم عيونهم فلا يبصروا وأحنِ ظهورهم كل حين
صُبّ عليهم سخطك وليدركهم وَغر غضبك
لتصر دارهم خراباً ولا يكن في اخبيتهم ساكن . . .
زد على اثمهم اثماً ولا يدخلوا في برّك
ليُمحَوا من سفر الاحياء ومع الصديقين لا يُكتَبوا

هذه اللعنات نقرأها في الزبور ال ٣٤ وال ٥٤ وال ٥٧ وال ٥٨ وال ١٣٦ وغيرها معتمدين في تعديد المزامير على اعداد الفصول كما نقرأها في الترجمة اللاتينية التي يُرجع اليها في البيعة (٣

ثم ان مقتضيات مقالتنا هذه تدعونا الى ذكر نظائرها من آيات السباب واللعن نقتطفها من المزامير ونوردها في مواضعها استعانةً بها على غرضنا وهو ان نعرف كيف

١) راجع مقدّمة كرك بتريك على شرح المزامير Kirk Patrik A. F. : The Book of Psalms with introduction and notes . *Cambrige*, 1902

٢) اطلب شرحهُ على المزمور ١٠٨ في مجموع الآبا لمين (ج ٥٥ ص ٢٥٨)

٣) اما الترجمة العربية فاخذناها عن الكتاب المقدس المطبوع عند الاباء المرسلين اليسوعيين في بيروت

يسوغ لنا نحن المسيحيين ان نتلفظ بكلام النبي القاسي وقد علّمنا يسوع الحليم ان نصلي هكذا : « اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن نغفر » كأنه اوصانا ان الله لا يغفر لنا ما لم نغفر لاعدائنا . لا بل علّمنا ان نصفح عمّن ظلمنا واساء الينا لمّا صاح على الصليب : « يا ابتِ اغفر لهم لانهم لا يدرون ما يعملون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) وكيف تأمرنا الكنيسة بتلاوة اقوال نستقبحها لا بل كيف تجعلها هي مرارًا على شفاه كهنتها عندما يتلونها رسميًا في الصلوات العامة وكيف تحلّ عندنا تلك الاقوال ازاء الانجيل محلّ الاكرام والعبادة بما انها في الكتاب على ما فيها من معانٍ يخالف ظاهرُها ما تعلمناه عن عصمة التوراة من الخطإ والغلط والله مصدرها والروح القدس مؤلفها وهي كتاب الحق الازلي الى البشر واساس شرعنا الكنسي وينبوع ايماننا القويم

وعليه قد رأينا ان نجمع اشدَّ ما جاء في المزامير من اقوال الانتقام ونلخصها في ثلاث قضايا زيادة في الايضاح والتدقيق في وضع مقالتنا هذه فنقول :

(اولًا) ان النبي يستحلف الديّان العادل ان ينتقم من اعدائهِ اشدَّ الانتقام فاين منه المحبة وصفح الذنوب ؟

(ثانيًا) ان النبي يتمنى ان يبلغ القصاص من الشرير اقصاه حتى يحلّ بآلهِ وامّهِ وابيهِ وزوجتهِ واولادهِ فاين منه العدل والانصاف لانه لا عقاب الا للمذنبين اما آل المذنب فهم ابرياء ؟

(ثالثًا) ان النبي يبالغ بالبغض عندما يتمنّى لخصمهِ ما لا يتمناهُ مؤمنٌ لأشدّ عدوّهِ اعني الهلاك الابدي فاين منه عاطفة الرحمة ومخافة الله ؟

فهل من سبيل الى حلّ هذا المشكل المُريب سيّما وقد شغل النفوس في ايام الحرب العظمى لمّا تساءل بعض المسيحيين هل يحقّ لهم ان يصوّبوا على اعدائهم اللعنات الواردة في المزامير . وطرحوا هذا السؤال على الاكليروس الانكليكاني وكانت في انكلترة الكنائس مفتوحة والناس يبادرون اليها زرافاتٍ ووحدانًا يطلبون النصر لعساكرهم من رب الجنود . فانعقد المجلس المعروف بالبيتين للشورى (The Two Houses of Convocation) في مدينة كنتوربري وتُبودلت الاراء

واختلفت المذاهب بشأن تلك المزامير (١)

فمن المستشارين من كان يخاف من تحريفها صيانةً لحرمتها وهي كتاب الصلوات التقليدي الذي صادق عليه السواد الاعظم من البروتستانت الانكليز حتى امسى كدستور العبادة عند الخاصة والعامة منهم منذ انشاء البدعة البروتستانية فخافوا ان يكون تحريفه باعثاً على الشك والريب في قلوب السذّج منهم

الّا ان معظم المستشارين اقنع المجلس بالعدول عن الخطّة القديمة وحذف مزامير اللعنة من كتاب الصلوات لأنها امست في زعمهم قديمة العواطف لا تناسب العصر ولا روح الانجيل الذي هذّبنا واوصانا بالصفح ومحبّة الاعداء.

ولم يجهل البروتستانت الانكليكانيون ان الكنيسة الكاثوليكية ما برح كهنتها يردّدون تلك المزامير في الفرض القانوني الّا ان المجلس رأى الاقتداء بها في هذا الامر غير محمود خلاف ما اعتادوه من الأخذ عنها في تدبير شؤونهم الدينيّة. امّا نحن فلا نرى في مزامير اللعنة ما يدعونا الى حذفها من الصلاة العامّة لانها وان كانت في الظاهر غير مطابقة لما تعلّمناه من المحبة للقريب ومسامحة الاعداء هي في الحقيقة ليست الّا اسلوباً قد اختاره الكاتب الموحى اليه من الروح القدس ليدلّ على احدى صفاته تعالى اعني عدلهُ الغير المتناهي وبغضه الغير المتناهي وهذا ما نروم ايضاحه في مقالتنا هذه

حاول كثيرٌ من شرّاح الكتاب المقدس ان يفكروا هذا المشكل الذي نحن الآن في صدده فلنأخذ بذكر بعض ارائهم زيادة الايضاح ورجاء ان نجد بين اقوالهم درّة ثمينة نلتقطها ونضمّها الى أجوبة جمّة يقتضيها الحلُّ الكامل لمشكلنا هذا .

. . .

ان كلفينوس زعيم بروتستانت جنيف شرح المزمور ٣٤ في كتابه الضخم الذي

---

(١) راجع Tracts on Common Prayer, nº 1. The Use of the Psalter. 1 Plea for a revised used of the Psalter in Public Worship. by the Rev. C.W.Emmet. II The Imprecatory Psalms, by Dr Burney. III The Language of Vindictiveness in the Prayer Book, in the Bible, and in Moderne Life, by Dr Sanday. *Oxford* 1918-*Expository Times*, nº 12-*Sept*. 1918, *Vol*. 29

ضمنه مجموع تعاليم المصلحين كلّهُ (١ قال: « ان داود لا يدافع عن نفسه ولا يطاوع شهوةً ثارت في صدره بلا روّيةٍ ولا حكمةٍ بل انه بالهام روحي يطلب للهالكين ما يستحقونه فلا يدور في خلده عاطفة ثأر او ضغينة او غيرهما من العواطف الغير المحمودة »

الّا اننا نلاحظ ان صاحب الزبور لا يتكلم عن الهالكين بل عن اناس احياء يدعو عليهم بالويلات في هذه الحياة. امّا كلفينوس واتباعهُ في البدعة فانّهم يعتقدون ان الله يَسِم بسمة الهلاك منذ هذه الدنيا اولئك الذين سبق وحدّد انهم سيهلكون ولذلك لا يرى كلفينوس ان في اقوال النبي عليهم بخساً في حقوقهم. الّا ان هذا تعليمٌ ضالّ فاسد ومناقض لرحمة الله تعالى وجوده الغير المتناهي فانه تعالى كما قال القديس بولس يريد ان جميع الناس يخلصون ويبلغون الى معرفة الحق (١ تيموثاوس ٢ : ٤) لانه صالح وحنون ولا يفرح بموت الشرير ولكن بخلاصه وقد بذل المسيح دمهُ لخلاص الجميع والإنسان ما دام عائشاً على الارض لا يحرمه الله تعالى نعمة التوبة والاهتداء.

ثم انه من طالع هذه اللّعنات في مواضعها لا يجد فيها شيئاً من الاعتدال كما يزعم كلفينوس (مزمور ٦٧ : ٢٢):

« ان الله يشجّ رؤوس اعدائه
والهامة الشعراء من السالك في آثامه . . .
لكي تتخضّب رجلك بالدم
وتلحس السنةُ كلابك دمَ الاعداء »

. . .

ولقائل ان يقول ان ما جاء في الزبور ال ٦٨ وال ١٥٨ على لسان النبي من اللعنات انما مصدره الحقيقي اعداء النبي وهم المؤاخذون برغبة الانتقام والشتم والسباب

هبْ ذلك القول كافياً لإفحام من اعترض على ورود اللعنة في هذين الزبورين

١) وهو المسمّى Corpus Reformatorum. Vol. 55. JOANNIS CALVINI opera quae supersunt omnia. *Brunsvigae*, 1886. *In Psalm.* 108 *et* 34 .., *T. XXXV - XXXVII*

فكيف يسوغ ما ورد منها في كثير من الاسفار المقدسة ؟ فقد جاء في نبوة ارميا مثلاً (١٨ : ٢١) :

« سلِّمْ بنيهم الى الجوع وادفعهم الى يد السيف
ولتكن نساؤهم ثكالى وارامل ورجالهم قتلى الموت . . .
فلا تغفر اثمهم ولا تمحُ خطيئتهم من امامك

. . .

وقد حاول بعض المفسرين ان يحملوا كلام اللعنة محمل التفاؤل والنبوة فقط . قال القديس يوحنا فم الذهب : ان الانبياء يتنبأون بالامور المستقبلة فيتكلمون عنها كما لو كانت حاضرة التماساً لهيبتهم في قلوب السامعين وتهذيباً لهم بامثال القصاصات التي حلّت بغيرهم من الناس . وكذلك يعلّم اوسابيوس (١ ان الكتاب المقدس يستعمل صيغة الامر حيث تعوّدنا استعمال المضارع . وقد اثبت مار توما اللاهوتي (في شرحه المزمور ال ٥٤) قول القديس اوغسطينوس ان « كُن وكوني » معناهما « سيكون وستكون » وكذلك ارتأى رأي الاباء القديسين عدد غير قليل من المتحدثين فكتب الانبا دوكار (٢ في مؤلف له ردّ فيه على من اساء تأويل الكتاب المقدس وعدّه ككتاب بشري عرضةً للزلل والضلال قال : « ان تلك الاقوال التي يسميها لعنات من جعلوا دأبهم نقد التوراة دون فهمها ليست هي شتماً ولعناً إنْ هي الّا نبوات » . وقال الانبا لسيتر (٣ : « هو الله يتكلم ويتهدد ويلعن فليس في اقواله طلب او تمنٍ او لعنة بل قال فحكم وجلا عمّا يكون »

وكأني بالاسفار المقدسة تثبت بعضها اقوالاً يورد القديس بطرس آيات الزبور ال ١٠٧ وال ١٠٨ كما لو كانت نبوات لا لعنات قال (اعمال ١ : ٢٠) : « ايها الرجال الاخوة ينبغي ان تتمّ هذه الكتابة التي سبق الروح القدس فقالها على لسان داود عن يهوذا . . . وقد كُتب في سفر المزامير ليصِرْ دارُهم خراباً ولا يكن فيها ساكن

١) راجع شروحهُ على المزامير في مجموعة الآباء لمين ج ٢٣ ص ٢٠٠ و ٤٨١

٢) Du Clot : La Ste Biblo Vengéo. p. 353, *T. II Gautier, Besançon* 1835

(3 Lesêtre : les Psaumes, *Lethielleux.*

وليأخذ رئاسته آخر ». ولذلك رأى العلامة كورنيلي هذا القول افضل حلّ للمسألة(١ » ولما انتقد هذا الرأي دافيدسن » لانه مخالف لفكر المؤلف ومُبدل الامر بالمضارع حين ان الامر عند العبرانيين يُعبّر عن رغبة وقوع الفعل والمضارع عما يستقبل من الزمان » ردّ عليه كورنيلي قائلًا : « لا ريب في ذلك ولكن لا يخفى علينا ان كثيرًا ما يأتي الامرُ بمعنى المضارع على سبيل المجاز كما ورد في اشعيا (٢٣ : ١) : « وَلولي يا سفن ترشيش فقد دُمّرتْ حتى ليس بيت ولا مدخل . . . اندهشوا يا سكان الجزيرة . . . اخزي يا صيدون »

الّا انه ليس بيسير ان يُعدّ كل ما ورد من اللعنات في الاسفار المقدسة كنبوءات ولا نرى ما يمنع من استعمال حقيقة الالفاظ غالبًا دون المجاز

فلذلك اجتهدنا ان نؤدي بعض الاجوبة نرجو انها تحلّ المشكل حلًّا مُرضيًا لاسيما اذا اتخذتها ايها القارئ اللبيب لا بأفرادها فقط ولكن بمُجملها فارتباط الادلة يزيدها قوّةً ويولد في العقل ذلك الارتياح والاطمئنان الذي يشعره الانسان اذا انتقل في معرفته من الشك الى اليقين

وبما اننا لخّصنا اقوال اللعنة في ثلاث قضايا رأينا ان نرتب على ذلك التقسيم الاجوبة عن هذه الاسئلة الثلاثة . فنعرض اوّل سؤال ونقول : كيف لم ينقص صاحب المزامير من حقوق المحبة نحو القريب ؟

١ التوفيق بين حقوق المحبّة نحو القريب ودعوة الانبياء

قال العلامة سوارز (٢ ان الله تعالى في العهد القديم اخضعَ البشرَ لشريعة العدل والإرهاب فان نارًا من السماء هبطت واكلت قائد أَخزيا ورفقاءه الخمسين لما دعا عليهم النبي ايليا (٤ ملوك ١ : ١٠) . امّا في العهد الجديد فكأني بالرحمة والرأفة تسلّطت على العدل والنقمة لان التلميذين يوحنا ويعقوب لمّا طلبا من المسيح ان يُنزل نارًا من السماء على السامريين قال لهما الرب (لوقا ٩ : ٥٥) : « انتما لا تعرفان من اي روح انتما » ومعنى كلامه « قد زال روح العهد القديم روح العبودية والخوف وحلّ عليكم الان روح

(1 Cornely : Introductio in V.T. libros sacros, *Lethielleux*, 1887, p. 122

(2 Suarez: T. XIV. p. 15. de Oratione -c. 19, 6.

جديد روح المحبة والصفح». اما صاحب الزبور فقد كان تحت ناموس قاسٍ قيل فيه «العين بالعين والسنّ بالسنّ» فلم يكن يُخطئ اذا عامل خصمهُ بمقتضى ذلك الشرع ودعا عليه بما هو اهلهُ من الويلات والنوائب

لا بل ودعاء النبي على اعدائه وتسليمُ امره الى الله تعالى جدير بالمديح في ايامٍ تمرَّد فيها الناس اخذ حقّهم من خصمهم دون الالتجاء الى سلطة شرعية مرتّبة فكانوا يسفكون الدماء وشروط الثأر حلّلت لهم تلك الفظائع. امّا داود فكان مزمعاً ان ينتقم من خصمه نابال (١ ملوك ٢٥ : ٣) الذي كان اهانه لكنه تنازل عن حقوقهِ الى الله تعالى وطلب منه ان يقتصَّ له من عدوّه وحاز بذلك مديح الكتاب المقدس. فدعاؤه ولعنته كانا برهاناً على ايمانهِ بالعدل الالهي وتسلُّطهِ على شهوته

لا شك ان شريعة المحبة عُرفت عند يهود العهد القديم وكانت عندهم الوصية الثانية «احبب قريبك كنفسك» وهي اشبه بالاولى «احبب الهك من كل قلبك» ولم ينف الكتاب حقوق الخصم من تلك القرابة ولكنه لم يذكرها وروح الصفح والغفران في العهد العتيق كان نسبةً الى العهد الجديد كالطفل الصغير بقابلة الرجل القوي فلا عجب ان لم تظهر تلك فضيلة المحبة برونقها وجمالها في سيرة الابرار الذين حفظوا الناموس الموسوي ولم يشعروا بحلاوة شريعة من قال (متّى ١١ : ٢٩) : «تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب. وقال (متّى ٥ : ٤٤) : «أحبُّوا اعداءكم وأحسنوا الى مبغضيكم». ولذلك لم يتجاوز النبي حقوق المحبة لمّا فاه على خصمهِ بكلام الانتقام والشتم بل عمل بحسب الناموس

٢ التوفيق بين سنّة العدل ولعنات الانبياء

وربَّ معترضٍ يقول: قد سلّمنا بذلك ان النبي اذا طلب من الله ان يقتصَّ له من عدوه وعمل بموجب الشريعة فلا حرج عليه وهو لم يتعدَّ حقوق القريب ولكن ليس الامر كذلك فانت تسمعه يلعن اولاد الخاطئ وآلهُ ويتمنّى موت البريء فان كان العدل يسلّح الحاكم بسلاح القوة والقصاص لينتقم ممّن خالف النظام وذلك العدل فضيلة في الحاكم وهو من اركان المجتمع الانساني الّا ان من تعدّاه واستعمل ذلك السلاح الجارح في غير موضعه يرتكب جريمةً وقد يستعمل القصاصُ كسلاح في غير موضعهِ اذا عوقب الاثيم من غير ذنبٍ او بعقاب غير مناسب للذنب. فبناء على ذلك

قل يا رعاك الله باي حق يفوه النبي بمثل هذا الكلام في الزبور (٧٨: ١٢) : « وكافئ جيراننا بالعار الذي عيّروك به سبعةً اضعافٍ »

أفلم يكن كافياً ان يقتصّ الله من اعداء شعبه مرّةً واحدة حسبما امر على لسان موسى «العين بالعين والسنّ بالسنّ» حتى يُنزل العقوبات منزلها ؟ واي خطيئة خطئ هؤلاء الاولاد الصغار وهؤلاء النساء والشيوخ حتى يتمنّى لهم صاحب الزبور عذاباتٍ وآلاماً تقشعرُّ لها الابدان فاين العدل والانصاف ؟

نأتي بثلاثة اجوبة ردًّا على هذا الانتقاد فنقول :

(اولًا) ان الله تعالى كان يظهر عدله في العهد القديم ويقتصّ من الخطأة باشدّ صرامة منهُ الآن في العهد الجديد فيهذّب شعبهُ بالامثال والامثال ويُنذره بما فاتهُ عن شرّ الخطيئة الجسيم . لاننا منذ اضاءت علينا شمس الانجيل تعلّمنا ان الخطيئة هي الشر الغير المتناهي والدرن الملطّخ النفس الفاصلها عن محبة خالقها فمن اجلهِ تنتقل من حال النعمة الى حال اللعنة وتصير مستحقّةً للنار الابدية . وقد نقرأ في جراحات الصليب كل ما احتمله الاله المتجسد ليفتدي بدمه ما خسرناهُ باوزارنا ويكفّر عن معاصينا تكفيراً تامًّا فيسهل علينا النظر الى الذنوب بعين الذكاء وتقديرها كما يقدّرها الديّان الرهيب في ميزان عدله

امّا اليهود فلم يدركوا مثلنا ثقل المعاصي ليتحاشوها فحفر الله وصاياه على الحجر وعرضها لشعبه على يد موسى لعلّهم يفطنون وانذرهم أن «اجتنبوا المأثم والّا لأذيقنّكم مرّ العذاب فتعلموا (خروج ٢٠: ٥) «انّي انا الرب الهكم اله غيور افتقد ذنوب الاباء في البنين الى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ» وقد انجز الله ما وعد وانزل نارًا من السماء على سادوم وعامورة (تك ١٩: ٢٤) وارسل ملاكه فقتل ابكار المصريين وفتك بذينك اللاويين اللذين مسّا تابوت العهد غير مكلّفين

افمن العجب اذًا اذا تكلم على لسان نبيه بتلك اللعنات وتهدّد بها الاثيم وهو الاله ذو العدل الغير المتناهي فلا جرم اذًا على صاحب الزبور ان تمنّى لخصمهِ وآلهِ واولاده ذلك العقاب الصارم الذي وضعهُ الله جزاء للخاطئ واهلهِ كما انه لا جرم عليك ان رأيت شقيًّا قد قتل غيرهُ وأبرز العدلُ المدني فيه حكم الاعدام ان ترغب تنفيذ الحكم لينال الشرير ما يستحقه من العذاب ويكفي الدنيا شرّهُ

ولا تقل ان النبي تجاوز حقوق العدل البشري لما اقتصّ من خصمه كما يقتصّ الله من الخاطئ فاستمطر الويلات عليه وعلى ذريته وآله كما لو كانت الاهانة التي صدرت في حقّ النبي تبلغ الاهانة المتوجهة نحو الله بالثقل والفظاعة وشتان بين شرف الخالق وشرف الخليقة. أجل الّا انّ النبي الداعي على الاثيم لا ينظر اليه كعدوّ شخصي بل كعدو الله نفسه ولذلك يطلب قصاصه وقصاص ذريته بحسب العدل الصارم ابتغاء لمجد الله عزّ وجلّ

ومن ثمّ نجيب (ثانياً) ؟ لان الله تعالى في العهد القديم كان قد قطع عهداً مع شعبه ان يتولّاه بعناية خصوصية ويدفع عنه غارات اعدائه ان سلك طريق الصلاح وعمل بحسب وصاياه وكان قد تنازل الله تعالى فأملى على لسان انبيائه كشروط عقد بها اتفاقهُ مع اسرائيل بحيث يؤدون له واجب الخدمة في هيكل قدسه ويحافظون على شرائعه فينعمهم خيرات ونعماً حتى في هذه الدنيا وان خالفوا عهده يعاملهم بقساوة ويفتقدهم بالآفات والمحن حتى في هذه الدنيا فأصبحت اذ ذاك سعادةُ اسرائيل وتعاستهُ متعلقةً على حسن سيرته وخدمته لربّه او على اساءته اليه ومخالفته لما وعد به الله ورؤساء الشعب باسم الجميع. فبموجب ذلك النظام الالهي كان الصالحون خير مساعد للشعب والخطأةُ شرّ آفة لهم. فالاولون بايمانهم وامثالهم يثبتون اخوتهم في الصلاح والبرّ ويستدرّون النعم والبركات والآخرون بقبيح تصرفهم يجتذبون الضغاء والسذج من اليهود الى الشرّ والكفر ويستمطرون البلايا والويلات. فعلى هؤلاء قام النبي بكلام السبّ والشتم وتمنّى لهم العذاب لعلّهم يرعوون ويكونون عبرة لمن اعتبر

ولمّا كثر عدد المنافقين واختلطوا بالامم المجاورة تعلّموا منها عبادة الاصنام ثم عادوا بين ذويهم يتعاطون شؤون الدين وهم مدنّسون ومن ثمّ انتصرت الامم على اليهود وقهرتهم وهتكت حرمة الهيكل واقداسه وخيف على وجود الشعب المنتخب وعلى الدين القويم فتسلّح النبي بالحمية الوطنية والغيرة على حقوق الشريعة وبيت المقدس وانشد وقال (المزمور ٧٨):

« اللهمّ ان الامم قد دخلوا ميراثك
نجّسوا هيكل قدسك جعلوا اورشليم اطلالاً

جعلوا جثث عبيدك طعاماً لطيور السماء
لحوم اصفيائك لوحوش الارض
سفكوا دماءهم مثل الماء حول اورشليم ولم يكن من دافن
صرنا عاراً لجيراننا وهزواً وسخرة للذين حولنا »

فهؤلاء الاشقياء اعداء الله اعداء اسرائيل واعداء النبيّ يتمنى هذا اشدّ البلايا:

أفِضْ غضبك على الامم التي لم تعرفك
وعلى الممالك التي لم تدعُ باسمك . . .
وكافئ جيراننا سبعة اضعاف في احضانهم
بالعار الذي عيّروك به ايها السيد »

فيدعوهم النبي امام الديّان العادل حتى في حياتهم هذه لئلا يزيدهم اهمال القصاص فجوراً فيكونوا كحجر عثرة وشكّ في طريق البار (المزمور ٤١: ١١) :

« اقول لله انت صخرتي فلماذا نسيتني
ولماذا امشي بالحداد من مضايقة العدو
عند ترضُّض عظامي عيّرني مضايقيّ
بقولهم لي النهار كله: اين الهك ؟»

ويتبيّن لنا جلياً كيف قرن النبي حجّته بحجّة الله تعالى وتمنّى قصاص الخاطئ وهو خصمه في هذه الدنيا اذا تذكرنا ان اليهود كانوا يترقّبون في هذه الحياة إنجاز حكم الله بين الخير والشر. فنحن المسيحيون ان رأينا الشرير سعيداً والصديق تعيساً قلنا: «لابأس لان المسيح قال: طوبى للحزانى طوبى للجياع طوباكم اذا اضطهدوكم من اجلي وسوف يأتي على سحاب السماء يؤدي لكل بحسب اعماله». اما اليهود فكانوا ينتظرون عقاب الاثيم في هذه الحياة كما كانوا يرجون المكافأة على الحسنات في هذه الحياة فلذلك يستحلف النبيُّ الله ان يظهر حكمته وتدبيره وقوته وعدله وينتقم حالاً من الشرير لئلا يقول للصديق: اين الهك ؟ الله لا يرى ولا يعرف (مز ٤٣: ١)

« اللهم احكم لي وخاصم لدعواي مع امة غير صفية
ونجني من صاحب الكذب والاثم . . . »

(مز ٧٣: ٢) اما انا فاوشكت قدماي ان تزيغا وخطواتي كادت تزلّ
لاني غِرْتُ من السفهاء اذ رأيتُ سلام المنافقين
فانهم لا اوجاع لهم الى الموت وابدانهم سمينة
ليسوا في ضرر كالناس ولا يصابون مع البشر»

وكأنَّ صبر الله زادهم شرًّا وفجورًا اردف النبيّ :

« لذلك تطوّقوا الكبرياء واكتسوا ثوب الجبور
فيهم الاثم يخرج من الشحم . . .
لذلك يرجع شعبي هنا ويجرعون مياهًا طافحة
ويقولون كيف يكون الله عالمًا وهل من علم للعلي ان هؤلاء منافقون
وهم مدى الدهر في دعة وقد ازدادوا ثروة
اذن باطلًا ذكيت قلبي وغسلت كفّي بالنقاء
وكنت مضروبًا النهار كله . . . .
ولقد هممتُ ان أدرك ذلك لكنه صعبٌ في عينيّ

ولذلك التجأ النبي الى الصلاة وتبصر في آخرة الاشرار وعلم انهم جُعلوا في مزالق ووقعوا في تهلكات وصاروا الى الخراب في لحظة وانقرضوا وفنوا من الاهوال فطاب نفسًا وقرّ عينًا لان الله انتصر على اعدائه (مز ٥٧ : ١١) :

« يفرح الصدّيق اذا شهد الانتقام
يغسل قدميه بدم المنافق
فيقول الانسان ان للصدّيق ثمرًا
ان في الارض إلهًا ديانًا »

وقد يراعي صاحب اللعنات حقوق الرحمة حتى في الاقتصاص من اعدائه لانه اذا طلب للشرير الخجل والعقاب فذلك ابتغاء لاصلاحه وخيره (مز ٨٢ : ١٧) :

« املأ وجوههم عارًا فيسألوا عن اسمك يا رب
ليخزوا ويرتاعوا الى الابد وليخجلوا ويهلكوا
فيعلموا انك انت وحدك اسمك الرب المتعالي على جميع الارض

(ثالثًا) وقد يُستغرب من يقول : سلّمنا ان العدل الالهي في مظاهراته كان اقسى معاملةً للخطيئة في العهد القديم منه الان في الحاضر وانَّ بغض النبي للخطيئة في شخص الخاطي كونهُ عدو الله والصديقين أملى عليه اللعنات والشتائم التي قرأناها لكنَّهُ لا يندر ان تجد في المزامير بعض معانٍ مخالفة لكل روح انسانية ورحمة مما لا يطاق احتماله

وقد جاء في الكتاب الذي وضعه المحترم إمّت وقد اشرنا اليه في بدء هذه المقالة وعنوانه «استعمال المزامير» ما يلي تعريبه : «اي فائدة روحية يجتنيها مَن دخل الكنيسة وقت صلاة المساء او ايام الاحد فسمع الولد البريء القائم بخدمة الهيكل

او السيدة المتنية بنظام الترتيل ينشدان باجمل اصواتهما ويطلبان من الله ان يُشكل امرأة عدوهما ويُبيتم اولاده ويسألان عسى ان يُمنحا النعمة فيخوضا برجليهما في دم الخطأة (مز ٥٧ : ١١) :

وقد ذكر كارل هِفْرِيش كورنيل الاستاذ في كلية هاله (Halle) الزبور ال ١٣٦ المشهور لما فيه من لطيف العواطف وحسن الشعور :

« على انهار بابل
هناك جلسنا فبكينا
عندما تذكرنا صهيون . . . »

حتى انتهى الى الآيتين الاخريين :

« يا ابنة بابل السائرة الى الدمار
طوبى لمن يُمسك اطفالك
ويضرب بهم الصخرة »

فقال : «من لي ان تُقطع يدي اليمنى ولا ارى هذه الآية في نهاية هذا الزبور الجميل!» فهل من وسيلة الى تأويل تلك الآية بحيث تخفف ما يظهر فيها من غليظ المعنى وشرس الطباع فلا نبالغ باستهجانها وتسلم يد الاستاذ كرنيل من القَطْع؟ أُجيب نعم وحسبنا ان نرجع الى مصدرها ونبحث في غاية المؤلف فيها لنفهم معناها

فاقول ان تلك الآية كسائر الاسفار الموحى بها لها مؤلفان الاول هو الله تعالى والثاني هو الانسان . كلٌّ من الاثنين له في كتابة التوراة تأثير العلّة الفعّالة بعاملها امّا الله تعالى فيبتدعها لكونه العامل الاول الاصيل وامّا الانسان فيؤثر فيها لكونه الآلة التي تنتقل الى انجاز العمل بحسب مشيئة ومعاملة العامل الاصيل . وانّما مشيئة الله تعالى اذا استعمل الانسان كالآلة ليست الّا خلاص البشر وما من شأنه ان يهدي الناس الى غايتهم القصوى . فلأنّ الله تعالى املى على صاحب الزبور تلك الاية التي ادهشنا وجودُها في التوراة تحتّم علينا ان نقول انها موجودة لتعليمنا ومساعدتنا على السلوك في منهاج الصلاح بمخافة الله وتقواه

الا انه ليس ضروريًّا ان نتخذ هذه الاقوال وغيرها كما لو كان الله تعالى اوحى بها حرفاً حرفاً وبتمام نصّها الى النبي مهما ذهب اليه بعض المفسرين في هذا الزعم بل يسوغ لنا ان تنسب اساليب المزامير وطرق معانيها واختيار الفاظها الى النبي نفسه

كانه وحده مؤلفها لانه وان كان آلةً في يد العامل الالهي الّا انه آلةٌ حيَّة ولا جرم عليه ان يتصرف في تأليفه كما يتصرف كل مؤلف بحسب ما طُبع عليه من الميل الى الشعر او النثر والى استعمال التخيُّل والمجاز او النص البسيط واستعمال الالفاظ بحصر معناها . فبناء على ذلك اذا توخَّينا فهم آية من آيات الكتاب لا بدَّ لنا من الرجوع الى المؤلف البشريّ فندرس طبعه وعوائده واساليبه ثم نحكم عن معانيه بالقرائن . امَّا صاحب الزبور فبديهي انه كتب كشاعر وقد استعمل اساليب الشعراء في زمانه وبلاده فلم يخشَ ان يكتب ما كتب عن بنت بابل . وان ابتغينا ادراك حقيقة ما اختلج في صدره من العواطف فلا بدَّ ان نرجع الى عوائد العبرانيين في تلك الايام

هي الدهور مضت عليها لكن اذا قاربنا بين ما جاء من اللعنات في التوراة وما يأتي من الشتم والهجاء والذم في اللغة العربية عاميَّةً كانت او لغويَّةً نرى ان لهذه الالفاظ جزءاً كبيراً من المجاز يأمرنا ان نخفف كثيراً من معانيها ان اردنا ان لا نتجاوز حدود الحق في فهمها فلا يندر ان تسمع امًّا اذا عيل صبرها على ولدها تخزيه قائلةً : «تضرَب» «يَكسِرْ يدك» «يقصف عمرك» ثم اذا هدأ ولدها او اظهر لها الطاعة تلاطفه بهذه الاقوال «تقبرني» «انت عيوني» واذا انصدع له عضو او وقع مريضاً تسمعها تكلمه بالفاظ صاغها الحنو «يا بني انا فداك» . أفمن المحتمل ان ينتقل قلب الام من اللعنة الى البركة بمدة بضع دقائق؟ كلَّا ثم كلا ولكن تلك الفاظ الشتم والسب جاءت على لسان الام ولم تفطن لها بل كانت كمرجفة تهددت بها ولدها لعله يكفيها ويكفي نفسه شر الاذى . قال الشاعر عن لسان والدة :

ادعو على ابني وقلبي يقول يا ربّ لا لا

واوضح ما يدل على ان كلام اللعنة ليس له تلك المعاني الفظة التي تظهر لقارئ التوراة غير المتعود على عوائد الشرق ان بعض من الشتائم يتقابل بها الاصحاب على سبيل المزح والضحك «يخرب بيتك» «يلعن ابوك» وغيرها

وانك قد تقرأ في الكتب اللغوية ككتاب تهذيب الالفاظ لابن السكيت وكتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني وكتاب مجمع الامثال لابي الفضل النيسابوري المعروف بالميداني ابواباً واقوالاً تختص بالهجو والشتم واللعنة وقد جمعها المؤلفون ليستعين بها المطالع فيختار منها ما يصلح له في مناقشة او

محاورة او قصيدة سلكت بها عادة العرب الى السباب سواء كان ذلك بحصر المعنى او بالمجاز

وكثرة استعمال هذه الاقوال دليل على انَّ قائليها لم يُعيروها حقَّ الانتباه فيسألون عنها بتمام معناها . فمن الناس من يلعن الطعام سواء خالف او وافق ذوقه . وقد جاء في كتاب مجمع الامثال ما شابه الآيتين الثامنة والتاسعة من الزبور المئة والسادس والثلاثين شتماً وطعناً فاورد الميداني هذا المثل « تربت يداك » ثم علق عليه ما يلي(١ . « قال ابو عبيد يقال للرجل اذا قلَّ مالهُ قد تَرِب اي افتقر حتى لصق بالتراب . وهذه كلمة جارية على السنة العرب يقولونها ولا يريدون وقوع الامر ألا تراهم يقولون : لا ارض لك ولا امَّ لك ، ويعلمون ان له ارضاً وامًّا قال المبرد : سُمع اعرابي في سنة قحط بمكة يقول :

«قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا رب العباد ما لنا وما لكا أنزل علينا الغيث لا ابا لكا

(قال) فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال : اشهد انه لا ابا له ولا ام ولا ولد

وكذلك يُضرب المثل لمن يطلب ما لا نفع له : «ثكلتك امك اي بردٍ تَرقع »

فمن نقل هذه الالفاظ الى اللغة الافرنسية مثلاً ولم يراعِ بترجمتها اصطلاح المجاز بل عبَّر عن كل لفظة بحصر معناها ابتعد عن المعنى الاصلي ودفع القارئ الافرنسي الى القول : «يا لهم من امة متوحشة» مع ان الضارب بالمثل العربي تمنى الثكل لأم صديقه على سبيل المزاح

ورب شتائم ولعنات جاءت بصورة التمني وليس لها في واقع الامر الا معنى الذم « كجدع الله مسامعه » فعلق الميداني على هذا المثل وقال (١ : ١١٣) : « هذا من الدعاء على الانسان والمسامع جمع السمع وهو الاذن وجمعها بما حولها كما يقال غليظ المشافر وعظيم المناكب » . فهذه وغيرها(٢ من الأمثال تسوّغ لنا منهم ما جاء في المزامير من اقوال لا يطابق احتمال معناها كما يفهم العرب اقوال الشتم والهجاء بحيث نعتبرها كاسلوب من اساليب البلاغة ويحق لنا تشبيه عوائد الكتاب العبرانيين بعوائد كتاب

---

١) راجع الجزء الاول من مجمع الامثال للميداني (طبع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠١ هجرية في الوجه ٨٨) ٢) مثل ما جاء في كتاب الامثال في الوجه ١٢٩ : « لا ترك الله لهُ في الارض ولا في السماء مصعداً » عن دعاء قالتهُ امرأة على ولدها

العرب لما بينهم من قرابة الاصل واللغة والآداب

٣ التوفيق بين عاطفة الرحمة وغنّي الانبياء بهلاك اعدائهم

امّا الان فبقي علينا ان نردّ على ثالث سؤال يأتي به مَن انعم النظر باقوال النبي على خصمه «ان يُمحى اسمه من كتاب الاحياء ومع الصديقين لا يُكتب» (مز ٦٨: ٢٩) فاننا قلنا سابقاً ان الله تعالى يقتصّ من الخاطئ لاصلاحه وخيره فكيف يطلب النبي من الله ان يُضرَب الشرير فيهلك؟

وقد رأينا ان نعالج هذه الاية بمعزل عن سائر ايات الدعاء واللعنة لما لها من المعنى الخطير لانه لا انسان يدرك حقيقة الهلاك الابدي والافتراق الابدي عن الله الغاية القصوى الّا ويتمنّى أن يهتدي البشر اجمعين الى خالقهم ويخلصوا من النار فكيف وردت تلك الاية على لسان النبي وهو كاتب الوحي؟ قد شغل المفسرين هذا المشكل فاتوا باجوبة منها :

(الاوّل) ان النبي لمّا تمنّى لخصمه «ان يمحى اسمه من سفر الحياة لم يطلب هلاكه لانه لم يكن يفهم بتلك الحياة السعادة الابدية الفائقة العقول التي علّمنا العهد الجديد انها تكون برؤية الله تعالى وجهاً لوجه والتمتّع به . وكما ان معرفة اليهود لعواقب الانسان كانت محدودة وغامضة ان يحثوا عن النعيم فكذلك كانت غير تامّة وغامضة ان يحثوا عن الجحيم فيأتي ذكرها خمسين وستين مرة في التوراة وليس لها المعنى الذي يُراد به عندنا مقر الهالكين

فان قرأت ما كتبه ايوب عن الدار الخالدة بقيتَ في ريب هل فرق المؤلف بين جحيم الصديقين (وهو اليمبوس) وجحيم الخطاة (اي جهنّم) او هما عنده سواء (ايوب ١٤: ٧): «الشجرة لها رجاء فانها اذا قُطعت تُخلف ايضاً وفراخها لا تزول . . . اما الرجل فاذا مات لبث هناك والبشر متى فاضت روحه فاين يوجد . . . .»

وكذلك جاء في سفر الجامعة من الاقوال بحيث يظهر منها ان اعتقاد اليهود في العهد العتيق لم يكن واضحاً بما يخصّ عواقب الانسان وجزاء الخير والشر في الحياة الاخرى (الجامعة ٩: ٥٣) «وشر ما يجري تحت الشمس ان حادثاً واحداً للجميع فتمتلئ قلوب بني البشر من الخبث وصدورهم من الجنون في حياتهم وفيما بعد يصيرون الى الاموات . . . والاحياء يعلمون انهم سيموتون اما الاموات فلا يعلمون شيئاً

وليس لهم من جزاء بعد اذ قد نُسي ذكرهم». ذكرتُ هذه الايات لا كأن العقائد العظمى التي يعرف بها الانسان خلود النفس وجزاء الاعمال في الحياة الاخرى لم تكن راسخةً (١ عند اليهود ولكن لأبيّن انها لم تكن معروفةً عندهم بتمام الوحي وصراحة التعليم كما هي عندنا منذ اشرقت علينا شمس الانجيل. وقد تعوَّد اليهود كما قلنا سابقاً على انتظار إنجاز حكم الله منذ هذه الحياة فيبارك الصديق بطول العمر وكثرة الاموال اما الخاطئ فعقابهُ الموت. ولذلك يُباح لنا ان نؤوّل قول النبي انه لما تمنى خصمه ان يُمحى اسمه من سفر الاحياء لم يتمنَّ له الهلاك الابدي بل يطلب موته او ابعاده عن شركة الصدّيقين او عن جمع اسرائيل لئلا يصير علّة للشك والخطيئة بينهم

وكذلك ان تمنى النبي لخصمه ان «لا يُكتب مع الصدّيقين» لا نرى من الضرورة ان نفهم كلامه كانه دعا عليه بفقد حال النعمة وخسارة مودة الله تعالى ومحبته لان تعليم اليهود الديني لم يَرْقَ بهم الى معرفة تلك الحياة الروحية التي علّمناها المسيح له المجد لكنهم كانوا يقصدون بها فضائل تؤثر بحياة الانسان الخارجية اكثر منها بالداخلية فالطهارة كانت تُحفظ عندهم خصوصاً بالامتناع عن مسّ ما حرم الناموس مسّهُ والقداسة بالانفراد عمّا حرم الناموس الاجتماع به ولو كان مباحاً من وجه الشريعة الطبيعية المكتوبة على الواح القلوب. فلذلك ان سمعنا صاحب الزبور يحرم خصمه من جماعة الصديقين فحسبنا ان نفهم كلامه كما لو تمنى طرد الخاطئ من اسرائيل

(الثاني) قال الاب الفريد دوران اليسوعي في شرح هذه الآية كما سمعناهُ من فمهِ ان النبي لما تمنى لخصمهِ ان يمحى اسمهُ من كتاب الاحياء تكلَّم على سبيل المجاز كما كان سبقه موسى فقال لله تعالى: «والان ان غفرت لهم خطيئتهم والّا فامحني من كتابك الذي كتبتهُ». وتبعه بولس الرسول في رسالته الى الرومانيين في الفصل التاسع في الآية الثالثة وكتب: «ولقد وددت لو اكون انا نفسي مُبسلاً عن المسيح من اجل اخوتي»

فليس من المحتمل ان صديق الله موسى وصديق المسيح بولس يرضيان بافتراقهما عن محبة الله ونعمته انما تكلما بتلك الشدة ليُظهرا عظم محبتهما للشعب ولا يحق لنا

١) واعتقادهم في ثواب النعيم وعقاب الجحيم يظهر حتى في الاسفار التي يُشكل معناها على الشارحين كسفر الجامعة. وقد اثبت المشرق سابقاً فصلاً خصوصياً في اعتقاد اليهود بخلود النفس وجزائها بعد الموت انظر (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٨٧٨-٨٨٦)

ان نأخذ كلامها بحصر المعنى . وكذلك ان سمعتَ النبي يقول ما قاله من بليغ اللغة فلا تأخذه بحصر المعنى

(الثالث) ومن الناس من يفضل اخذ الفاظ تلك الاية المخيفة بحصر معناها ولا جرم عليهم في ذلك كما انه لا حرج على النبي ان يتمنّى التدهور للشرير من خطيئة الى خطيئة الى ان يقع في هاوية العذاب الابدي لانه ينتصر لشريعة الله تعالى ويطلب منه ان ينجز ما قدّره بعدله الازلي على الخطيئة في شخص الخاطي فيؤدب البشر بتلك القصاصات الرهيبة التي يخشونها اذا رأوها قد حلّت في غيرهم

ولا نستكبرنَّ ذلك العذاب عذاب النار الابدي والابتعاد عن الغاية القصوى فليس باكبر من شر الخطيئة فاننا لا نتشكّى من مثل هذه الاقوال وغيرها الّا لاننا اضعنا المعنى الحقيقي للكتاب المقدس مع ما يتضمن من البغض الغير المحدود لشر الخطيئة» (١ اما النبي فكان ينظر اليها متجسمةً في شخص الخاطئ فلم يفرق بين الشخص وفعله وتمنى له ما استحقّهُ من العقاب

والمسيح نفسه اله الرأفة والوداعة والغفران صوّب الفريسيين سهاماً صائبة وويلات مرهبة لعلمه انهم متمردون بخطيئتهم فكرههم ككراهته للخطيئة . وكذلك الكنيسة في صلواتها تطلب انكسار اعدائها لئلا ينتصر الشر على الخير بانتصارهم

جئنا بعدة جوابات حاولنا ان نحل فيها المشكل المتولد من قراءة دعوات المزامير فبيّنا كيف انها مع ما تتضمنه من الكلام الفظّ والعبارات المستبيحة لا تتعدى حقوق العدل وقد جاءت في الكتاب المقدس لتهذيب الشعب الاسرائيلي وردعه عن المآثم

الّا اننا عند الختام لا بدّ لنا من الجواب على من يسأل هل يجوز لنا معشر المسيحيين ان نتلو في صلاتنا هذه المزامير وان نصوّب اعدائنا بالدعاء والشتم فاقول ان الكنيسة هي المعلمة للايمان وللصلاة وبما انها امرت كهنتها بتلاوة المزامير اجمعها فلا جرم علينا ان تلونا تلك المزامير ايضاً على شرط ان نتمسك بالمعاني المفيدة لنفوسنا والملائمة لروح الانجيل ونبعد عن فكرنا ما جاء فيها مخالفاً لمحبة الاعداء والغفران لهم

ولا بأسَ ان نوجّه تلك اللعنات الى اعداء نفوسنا غير المنظورين اعني الابالسة الاشرار اعداء الله واعداء نفوسنا وقانا الله شرّهم

١) قالهُ بُرْلي في شرح هذه الآيات « We have largely lost the true Biblical conception of the exceeding sinfulness of sin» p. 38

المئة السابعة لوفاة القديس دومينيك

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

هذه السنة الحاضرة غنيَّة بتذكار ما وقع في مئاتها السالفة من الامور الخطيرة ولاسيَّما وفيات افرادٍ من كبار الرجال. وقد مرَّ لنا في الاعداد السابقة ذكر البعض منهم وضربنا الصفح عن غيرهم ولا يسعنا السكوت عن واحد منهم خدم الدين والهيئة الاجتماعيَّة بنفسهِ وبتلامذتهِ من بعدهِ نعني بهِ القديس دومينيك منشئ الرهبانيَّة الدومنيكيَّة الذي احتفل رهبانهُ الاجلَّا ووطنهُ اسبانية بتذكار المئة السابعة لوفاتهِ في ٦ آب المنصرم

عداد القديس دومينيك

دومنغو دي كزمان ولد سنة ١١٧٠ للميلاد في بلدة كلاروجة من اعمال قسطيلة في ابرشيَّة أوسما. وكان ابواه من اشراف تلك البلاد يُدعى والدهُ فليكس ووالدتهُ حنَّة أزرا . وكانت هذه سيِّدةً صالحةً عريقة في البرّ والتقى يُروى عنها اذ كانت حبلى بابنها انها رأت في حلمها كلباً وبفيهِ سراجٌ منير يطوف بهِ في الارض. وكذلك رأوا يوم تنصيرهِ كركباً ساطعاً على جبينهِ فتوسَّموا بذينك الامرين خيراً لمستقبل الصبيّ ودُعي الطفل دومنيك اي عبد الاحد

نشأ الولد في حجر والدتهِ على الصلاح والورع الى ان ترعرع فسلَّمتهُ أمُّهُ الى خالهِ وكان رئيس كهنة من افضل ارباب الدين ليتخرَّج تحت نظارتهِ في الآداب والفضيلة فبلغ فيهما حيث لم تبلغ الآمال والهمم وقرنهُ بين العلم والدين حتَّى أُشير اليهِ بالبنان في كليهما

وفي الخامسة عشرة من عمرهِ ارسلهُ ابواهُ الى جامعة مدينة بالنشيه من اعمال مملكة لاون فانكبَّ هناك مدَّة تسع سنين على درس الفلسفة واللاهوت فنبغ فيهما واستفاض صيتهُ فكان الناس يقصدونهُ في فكّ مشاكلهم فيلبّي دعوتهم ويُحسن

معاملتهم ويرشدهم الى ما فيهِ صلاحهم فيعودون شاكرين يلهجون بسموّ فضيلتهِ ويطرئون سعة علمهِ

وفي سنة ١١٩١ أُصيبت بلاد اسبانية بالمجاعة فازدحم الفقراء على ابواب المحسنين فما كان من دومينيك الّا انهُ افرغ جيوبهُ وفرّق ما كان لهُ من الدراهم على المحتاجين ثمَّ باع امتعتهُ وكتبهُ ووزَّع عليهم اثمانها . وبلغ بهِ حبُّ القريب الى ان عرض على امرأةٍ ان يفتدي ابنها من أَسر المسلمين ويقوم مقامهُ لولا انَّ اصحابهُ تصدَّوا لهُ ومنعوهُ

٢ الكاهن رجل الله

ذاع صيت دومينيك في وطنهِ فاستدعاهُ اسقف مدينة أُوسْما ومع كونهِ في مقتبل الشباب اقامهُ في كنيستهِ في جملة اكليروسها القانوني بصفة ارشدياقون فما لبث ان اصبح قدوةً لكل رصفائهِ بعبادتهِ واستحرارهِ بالصلاة وتجرُّدهِ عن كلّ ملاذّ الحياة بالاصوام المتواترة والتقشفات اليوميَّة كلبس المسوح والنوم على الحضيض وجلد جسدهِ بالمقارع

فحدا ذلك باسقفهِ الى ان يرسمهُ كاهناً ليفلح كرم الرب وينقطع الى خلاص القريب . فزادتهُ نعمةُ الكهنوت غيرةً فعلَّم اوَّلاً اللاهوت وشرح الكتاب المقدَّس في بالنسية ببلاغة عظيمة . ثم اخذ يطوف اقاليم مملكة اسبانية كتالينية وقسطيلة وليون يدعو اهلها الى قداسة الحياة فكان حيثما يعظ او يوزّع الاسرار يحيي في القلوب شواعر الايمان ويردّ الخطأة الى التوبة ويهدي الضالّين من اهل البدع الى حجر الكنيسة فكان لكلامهِ في النفوس وقع عظيم

ولمَّا كانت السنة ١٢٠٣ طلبهُ اسقف أُسما ليرافقهُ الى فرنسة ليقوم بمهمَّةٍ عهدها اليهِ ملك قسطيلة الفنس التاسع لدى ملك فرنسة . فجاء النجاح موافقاً لرغبتهما على انهما لم يعودا الى اسبانية اذ عاينا انَّ جنوب بلاد فرنسة اضحت كشعلة من النار بما اثارهُ الهراطقة الالبيجيُّون من الفتن اذ كانوا يندفعون اندفاع السيل الجحاف على المدن والقرى ينهبون اموالها ويقتلون سكَّانها ويبثُّون فيها اضاليل مباني المبتدع اي الثانويَّة والاشتراكيَّة . ومن ثمَّ قصدا المدينة الخالدة رومية العظمى وطلبا من الحبر

الاعظم اينوشنسيوس الثالث ان يرخص لها في مناهضة اولئك المبتدعين وارشادهم امأمها يمنعان الشرّ من الاستفحال والتفاقم. فرضي البابا بكل طيب قلب بما عرضا عليه وبارك نيّتهما وتمنّى لهما خيرًا

٣ الرسول الغيور

عاد الرسولان الى فرنسة واجتمعا بممثلي الكرسي الرسولي وبرهبان القديس مبارك وزعماء الكاثوليك ليتّفقوا على الوسائل الواجب التوسّل بها لكبح جماح الهراطقة. واذ كان بعضهم يجنحون الى استعمال القوّة والتنكيل رأى دومينيك انّ وسائل الاقناع أفضل واولى. ومن ثمّ اشار الى الحضور ان ينبذوا في معاشهم كلّ ترفٍ وبذخ ويسلكوا مسلك الرسل فيكتسبوا بمثالهم اولئك الخوارج ويردّوهم الى الصراط المستقيم. فاجاب كثيرون الى نصائحه

امّا القديس دومينيك فانّهُ مشى في مقدّمة الجميع ونزل في ذلك الميدان يدعو اليه كالراعي الصالح تلك الخراف الضالّة. وأقام في بهرتهم في مدينة ألبي حيث قويت صولتهم واشتدّت شوكتهم ومنها اشتقّوا اسمهم الالبيجيين. فكان يواصل عملهُ ليلًا مع نهار تارةً بالوعظ والارشاد وحينًا بالمحادثات والمجاملات وطورًا بالعجائب التي كان يجترحها ليثبت صحّة اقواله من شفاء مرضى وخلاص غرقى واحياء موتى وطرد الابالسة. وممّا اقترحهُ على الهراطقة أن تُلقى في النار كُتب الفريقَين فاذا ثبت بعضها على اللهيب عرفوا صحّة ايمان كتبتها فرضي الجمهور واضحت صحائف الالبيجيين بلمحة عين رمادًا بخلاف الكتب الكاثوليكيّة التي أُلقيت ثلاثًا في الموقدة فلم تؤثر فيها النار. فكانت هذه الاعجوبة مدعاةً لارتداد بعض الهراطقة الى الدين الحق

لكنّ معظمهم بقي مصرًّا على ضلاله فأثّر عنادهم في صدر دومينيك ولم يشأ ان يشتدّ عليهم بالعقاب فالتجأ الى العذراء مريم التي كان واثقًا بحمايتها وطلب اليها بالحاح ان تشير اليه بواسطة فعّالة يُلين بها تلك القلوب الصمّاء. فظهرت لهُ ووعدتهُ خيرًا اذا نشر عبادة تأمّلات اسرار حياتها وحياة ابنها الالهي الخمسة عشر من فرح وحزن ومجد في الورديّة المقدّسة او المسبحة. فاسرع القديس وعلّمها سامعيه فانتشرت بعد قليل في جنوبي فرنسة ولاسيّما في الجهات المربوءة ببدعة الهراطقة فارتدّ بممارستها

الوفُ منهم . ومن النعم العجيبة المنسوبة الى الورديّة انَّ ملكة فرنسة بلَنْش دي قسطيلية قصدت القديس وطلبت اليه ان يباركها ويصلّي لأجلها كي يمنحها الله وارثاً للمملكة فاشار اليها بصلاة الورديّة فتبعت مشورة القديس ولم تزل تتلوها بحرارة حتّى حبلت بذاك الملك العظيم والقديس الجليل مار لويس التاسع فخر دينه ودولته معاً ومرآة اشرف الفضائل المسيحيّة

ومما يُنسَب الى فضل القديس دومينيك انتصار الجيوش الكاثوليكيّة على عساكر الالبيجيين . فانَّ الحبر الاعظم اينوشنسيوس الثالث اذ رأى الفظائع التي يقترفها الهراطقة في بعض انحاء فرنسة وانَّ شرّهم لا يزال يستفحل رغماً عما يفرغهُ القديس دومينيك من كنانة الجهد لهدايتهم أوعز الى ملك فرنسة بان يحاربهم فامر احد كبار الامراء وهو المدعو سيمون دي منفور ان يفلّ شبانهم فحشد الامير جنوداً من الكاثوليك في عدد الف وثمانمئة مقاتل فاسرع الهراطقة الى محاربته وكان عددهم ينيف على مائة الف جندي وحاصروهُ في قلعة حريزة كان تحصّن فيها فلم يهلع قلب سيمون دي منفور الباسل وانّما تقرّبوا من الاسرار الالهيّة وخرجوا كالاسود الى ساحة الوغى بينما كان القديس دومينيك يصلّي لاجلهم كموسى يوم محاربة الاسرائيليين لاعدائهم فانتصر الكاثوليك على الالبيجيين انتصاراً باهراً فبدّدوهم شذر مذر ورجعوا سالمين لم يُفقد منهم سوى سبعة جنود وذلك هو انتصار موره (Muret) في ١٢ ايلول من السنة ١٢١٣

وقد انتهز اعداء الكنيسة هذه الفرصة ليرموا القديس دومينيك بتهمة باطلة زاعمين انهُ كان سبباً لما جرى من الدماء في تلك الحرب وهي امري شكاية بلا سند ومما يشهد لهُ التاريخ انهُ كان اذا وقف على فعل ذميم في احد الجنود الكاثوليك كان يرفع الامر الى القائد ويبكّت الفاعل بجرأة فيردعهُ . على انَّ الآثام والمظالم التي كان يقترفها الهراطقة لم تسمح لهُ بالسكوت عنهم فعيّنهُ البابا اينوشنسيوس كمفتّش عن دُعاتهم وناشري ضلالهم لمحاكمتهم وقطع نظامهم ففعل بكل همّة وانصاف

٤ منشئ الرهبانيات

رأى دومينيك انَّ الاعمال العظيمة لا تثبت الّا بجمع القوى والاتحاد وذلك ما

حدا بهِ الى انشاء جمعيات رهبانيَّة تساعدهُ في سائر مشروعاتهِ الرسوليَّة

وكانت اوَّل رهبانيَّة فكَّر في انشائها رهبانيَّة نساء لتهذيب بنات جنسهنَّ وكان ذلك في السنة ١٢٠٦ في مدينة تولوز انتشرت بزمن قليل في عدَّة بلاد واتت بأثمار يانعة سواء كان لتقديس الراهبات لنفوسهنَّ ام لتربية الفتيات وخصوصاً بنات الأعيان والاشراف

وكان يصحب القديس دومينيك في اعماله الرسوليَّة بعض الرجال من ذوي الصلاح والغيرة يشاطرونهُ اتعابهُ ففكَّر بعد انتصار الكاثوليك من الالبيجيين ان يضمَّ اليهِ رجالاً تجمعهم روابط الاخاء والدين ليبشروا في انحاء فرنسة واسبانيَّة ويساعدوا الكاثوليك في شؤونهم الدينيَّة. ولم يفرض عليهم اوَّلاً رسوماً ولم يكد يفرزهم عن الكهنة العاملين في معاشهم ولبسهم وانَّما نظمهم في جملة القانونيِّين. وتمَّ ذلك اوَّلاً في مدينة تولوز. فما لبث ان رأى ما ينجم بتبشيرهم من الخير فقصد رومية لينال من الحبر الاعظم تثبيت جمعيَّتهِ كرهبانيَّة قانونيَّة وكان اذ ذاك الجالس على كرسي القديس بطرس اينوشنسيوس الثالث وهو لا يرى في انشاء رهبانيَّات جديدة منفعة للكنيسة. وصادف وصول القديس دومينيك الى عاصمة الكثلكة وفود القديس فرنسيس الاسيزي اليها وهو ايضاً يطلب تثبيت رهبانيَّتهِ فلم يجدا في اوَّل امرهما اذناً صاغية في الحبر الروماني الى ان اراهُ الله في الحلم كنيسة مار يوحنَّا اللاتراني الكبرى متداعيةً على وشك السقوط لولا انَّ فرنسيس ودومنيك سنداها بمنكبيهما وقوَّيا دعائمها فعدَّ ذلك وحياً من الله واثبت الرهبانيَّتين في السنة ١٢١٥

واذ اقيم في تلك السنة مجمع مسكوني في رومية وهو اللاتراني الرابع حضرهُ دومنيك وسُرَّ لضرب البدعة الالبيجيَّة فيهِ بالحرم ثمَّ عاد الى فرنسة لتدبير رهبانيَّتهِ فاتَّخذ لها قانون القديس اوغسطينوس كما اوعز اليهِ الحبر الاعظم. على انَّ اختلاف الازمنة وتباين الاحوال اضطرَّا القديس الى ان يحوِّر ذلك القانون ويزيد عليهِ بنوداً مختلفة فعاد الى رومية لينال الاجازة عنها

وكان في غضون ذلك توفي البابا اينوشنسيوس الثالث وخلفهُ اونوريوس الثالث فأثبت تلك التحويرات ومنح القديس دومينيك كنيسةً مع ملحقاتها في رومية ليقيم فيها ديراً لرهبانهِ. فما كاد يتمكنهُ حتَّى تقاطر اليهِ جمهور الطلبة فانافوا على المئة عدداً

فعني القديس بتهذيبهم على الآداب الرهبانيَّة وانتشر في ايطاليـة عَرف فضائلهم فعُرفوا بالاخوة الواعظين لاهتمامهم خصوصاً بالارشاد والتبشير . ثم عيَّن لهم القديس ثوباً ابيض كما اوحتْ بهِ لاحد رهبانهِ العذراء مريم مع شملة سوداء فوقهُ كعلامة لطهارة قلوبهم وتجرُّدهم من الجاه العالميّ

وبعد ان رأى دومينيك انَّ رهبانيَّتهُ قويت جذورها ونمت فروعها في ايطالية عاد الى فرنسة واجتهد في تعزيزها وترقيتها في انحاء اوربَّة فلم تخب مساعيهِ . فدعا الاساقفةُ والملوك وارباب الصلاح رهبانَ مسار عند الاحد ففتحوا الاديرة في نواحي فرنسة ولاسيَّما في عاصمتها باريس حيث سمَّوهم باسم «جاكوبين» لسكناهم في كنيسة يعقوب الرسول برخصة كليَّة باريس . ثم انتشروا في اسبانية والبرتغال والمانية والمجر وبولونية وروسيَّة ومما كان يساعد على نموهم شهرة منشئهم الجليل وما كان يأتيهِ من المعجزات والكرامات العديدة حيثما ترسخ قدمهُ

وقد اضاف القديس دومينيك الى فضلهِ هذا على الكنيسة فضلاً آخر تمَّ بهِ الحبلُ المثلَّث المتين ألا وهو انشاؤهُ للرهبانيَّة الثالثة المختصَّة باهل العالم . وقد مرَّ لنا في عدد سابق ذكر الرهبانيَّة الثالثة التي انشأها القديس فرنسيس لتقديس حياة المؤمنين الساكنين في العالم وما نجم عنها من الخيرات العميقة ولاسيَّما لانعاش الروح المسيحي بين الشعوب . فما قيل هناك عن الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة يصدق تماماً عن الرهبانيَّة الثالثة الدومنيكيَّة التي استحقَّت بغيرتها الاسم الذي دعاها به عسكر المسيح وانَّا نشير اليها إشارةً اذ لا يسمح لنا ضيق المقام بالاتساع في وصفها

فكل هذه المآثر الجليلة قام بها القديس دومينيك في السنين الاخيرة من حياتهِ . وكان آخر ما انشأهُ ديرًا كبيرًا لراهباتهِ في رومية في كنيسة القديسة سابينا وكان تنقل اليها راجلاً لبعض شؤون رهبانيَّتهِ ثم غادر رومية ووصل الى مدينة بولونية فأنذرهُ الله بقرب وفاتهِ وزوال جزائهِ في دار الخلود فتهلَّل قلبهُ لهذا النبأ واستعدَّ للاقاة ربِّهِ بقبول الاسرار وبعد ان جمع ما لديهِ هناك من تلامذتهِ واوصاهم وصاتهُ الاخيرة بممارسة كلّ الفضائل الرهبانيَّة وزوَّدهم ببركتهِ الصالحة لفظ روحهُ البارَّة بين يدي خالقهِ في اليوم السادس من شهر آب سنة ١٢٢١ وكان في الثانية والخمسين من عمره .

٥ تمجيد الله لوليه — نموصلانه

ما برح دومنيك هذه الفانية حتّى اوحى الله بمجده في جنّة النعيم فظهر بالبهاء والجلال لبعض رهبانه وتضاعفت الآيات السماويّة عند قبره حتّى اضطرّ ارباب الدير الى ابتناء كنيسة متّسعة الارجاء لكثرة من كان يقصدها لاكرام ذخائر وليّ الله . وبلغ خبر تلك الكرامات مسامع الحبر الروماني غريغوريوس التاسع فامر بان يشاد لهُ قبر جديد اجلّ واشرف من السابق فما فُتح القبر الاوّل حتّى فاحت منهُ روائح طيّبة تعطّرت بها الكنيسة مدّة ايّام وجرت عجائب جديدة بنقل جثمانه وكان ذلك سنة ١٢٣٣ وفيها اعلن البابا الموما اليه بقداسة دومينيك وادرج اسمهُ في سجلّ القديسين

امّا رهبانيّتهُ فها قد مرّ عليها سبعمائة سنة وهي لا تزال كدوحة نامية تبهج كنيسة الله بأعمال ابنائها الاجلّاء فلا تكاد تجد نوعاً من الفضل الّا وقد امتازوا بهِ سواء كان في التعليم ام في التبشير او في الوعظ او في الكتابة والتأليف ولو لم يَقُم بينهم غير المعلّم الملاكي القديس توما الاكويني شمس المدارس لكفى لهم بهِ فخرًا فما قولك بعدد لا يُحصى من رجالهم العظام بينهم احبار رومانيّون كالقديس بيوس الخامس وبندكتوس الثالث عشر وقدّيسون كرام كالقديس انطونينوس الفقيه والقديس منصور فرّاريوس بوق الدينونة والقديسة كاترينة السيانيّة والقديسة وَرْدة من ليما ومرسلون غيورون كالقديس هياكنتوس ودي لاس كازاس . ومن يجهل في زماننا الذين اشتهروا في عهدنا في القرن المتصرم كالاب لاكوردار منشئ المحاضرات الدينيّة في كنيسة باريس الكبرى ومجدّد رونق الرهبانيّة الدومنيكيّة وكالابرين مونسبراي وجانفيه الواعظين المبرّزين

وقد اصاب شرقنا العزيز نصيبهُ من افضال الرهبانيّة الدومينيكانيّة وذلك منذ عهد الصليبيين برسالات موقتة انتدبهم اليها الاحبار الاعظمون ثمّ برسالاتهم الثابتة لاسيّما الرسالة الموصليّة حيث فتحوا الاديرة واداروا المدارس وانشأوا المطابع وقد اشتهر بينهم رئيسهم الطيب الذكر السيّد غنزالس دوثال الذي تعيّن بعد ذلك كقاصد رسوليّ على سوريّة فخدم بلادنا بغيرة لا تعرف الملل . ومن آثاره ذاك التمثال الجميل الذي يزين مشارف حريصا اقامهُ بالاتفاق مع غبطة مار الياس الحويك بطريرك الطائفة المارونيّة الجزيل الشرف

ومن مآثر الرهبانيّة الدومنيكيّة قريباً منّا ايضاً مكتبهم الكتابي الشهير في القدس الشريف الذي تخرّج فيه عدّة من ارباب الدين واشتهر رهبانهُ بما نشروهُ من التآليف العلميّة والاثريّة في مجلّتهم الكتابيّة وفي تآليف اخرى متعدّدة. وقد اناطت الحكومة الفرنسويّة بمدرستهم بعد الحرب الكونيّة كلّ الابحاث الاثريّة في فلسطين فكان لهذا الامتياز احسن موقع في قلوب العارفين بفضلهم

ونحن نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت إمام الاحبار الذي نشر بنسبة هذا الذكر المنوي براءة اطرأ فيها القديس دومينيك واذاع على رؤوس الملأ محاسن بنيه الكرام ونطلب من الله ان يزيدهم عدداً وفضلاً

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة كتاب ضخم مكتوب بخط جليّ حسن يرتقي الى القرن الثامن عشر وهو مجموع قصص عربيّة قديمة ورد البعض منها في جملة قصص الف ليلة وليلة كقصّة سندباد البحري وحكاية هارون الرشيد وباسم الحدّاد وخبر الملك جليماد . وقد وصف حضرة الاب انطون صالحاني هذا المجموع وصفاً مختصراً في اوّل كتابه المنون «طرائف فكاهات في اربع حكايات» استخرجها منهُ وعُني بنشرها لاوّل مرّة سنة ١٨٩٠ ثمّ كرّر طبعها حديثاً في هذا العام

وفي اوّل هذا المجموع قصّةٌ لم تُنشر حتى الآن بالطبع وهي قصّة سليمان الملك وزحلته الجويّة محمولاً على بساطهِ العجيب الى ان بلغ الى قصر عاد بن شدّاد حيث أطلعهُ الجنّ على قبر ذاك الملك العظيم فقرأ ما كُتب عليهِ من الحكم شعراً ونثراً وكلّها تذكّرهُ بزوال الدنيا وبتقوى الله . فهذه الحكاية الشبيهة بقصص الف ليلة وليلة بما يُرى فيها من عجائب اخبار الانس والجنّ والحيوان جديرة بان تُلحق بتلك الفكاهات ولذلك احببنا تدوينها في هذا العدد من مجلّة المشرق ليستفيد من مضامينها الباحثون عن اصل القصص العربيّة

وقد ورد في الجزء الثالث من كتاب الف ليلة وليلة (اطلب طبعنا البيروتيّة ص ٣١٩–

ومن مآثر الرهبانيّة الدومنيكيّة قريباً منّا ايضاً مكتبهم الكتابي الشهير في القدس الشريف الذي تخرّج فيه عدّة من ارباب الدين واشتهر رهبانهُ بما نشروهُ من التآليف العلميّة والاثريّة في مجلّتهم الكتابيّة وفي تآليف اخرى متعدّدة. وقد اناطت الحكومة الفرنسويّة بمدرستهم بعد الحرب الكونيّة كلّ الابحاث الاثريّة في فلسطين فكان لهذا الامتياز احسن موقع في قلوب العارفين بفضلهم

ونحن نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت إمام الاحبار الذي نشر بنسبة هذا الذكر المنوي براءة اطرأ فيها القديس دومينيك واذاع على رؤوس الملأ محاسن بنيه الكرام ونطلب من الله ان يزيدهم عدداً وفضلاً

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة كتاب ضخم مكتوب بخط جليّ حسن يرتقي الى القرن الثامن عشر وهو مجموع قصص عربيّة قديمة ورد البعض منها في جملة قصص الف ليلة وليلة كقصّة سندباد البحري وحكاية هارون الرشيد وباسم الحدّاد وخبر الملك جليماد . وقد وصف حضرة الاب انطون صالحاني هذا المجموع وصفاً مختصراً في اوّل كتابه المنون «طرائف فكاهات في اربع حكايات» استخرجها منهُ وعُني بنشرها لاوّل مرّة سنة ١٨٩٠ ثمّ كرّر طبعها حديثاً في هذا العام

وفي اوّل هذا المجموع قصّةٌ لم تُنشر حتى الآن بالطبع وهي قصّة سليمان الملك وزحلته الجويّة محمولاً على بساطهِ العجيب الى ان بلغ الى قصر عاد بن شدّاد حيث أطلعهُ الجنّ على قبر ذاك الملك العظيم فقرأ ما كُتب عليهِ من الحكم شعراً ونثراً وكلّها تذكّرهُ بزوال الدنيا وبتقوى الله . فهذه الحكاية الشبيهة بقصص الف ليلة وليلة بما يُرى فيها من عجائب اخبار الانس والجنّ والحيوان جديرة بان تُلحق بتلك الفكاهات ولذلك احببنا تدوينها في هذا العدد من مجلّة المشرق ليستفيد من مضامينها الباحثون عن اصل القصص العربيّة

وقد ورد في الجزء الثالث من كتاب الف ليلة وليلة (اطلب طبعنا البيروتيّة ص ٣١٩–

(٢٦) حكاية لها بعض الشبه بقصتنا هذه نريد بها حكاية التاقم السليمانية التي ارسل الخليفة المروي عبد الملك بن مروان نائبهُ على مصر موسى بن نصر ليطلبها لهُ في مدينة النحاس . على أنَّ هذا التشابه في بعض اقسام الحكايتين لا يفقد شيئاً من رونق حكايتنا هذه التي لا يُعرف لها نسخة عربيَّة غيرها . وانما نشر منها العلَّامة الحاخام جلينك (Jellinek) ترجمة عبرانيَّة في كتابهِ بيت مدراش (ج ٥ ص ٢٢) فلخَّصها العالم البلجكي شوفان في كتابهِ المنون
Chauvin : Bibliographie des Ouvrages Arabes , V , 38 - 39
ثمَّ انَّ بين مخطوطات برلين (ج ٩ . ص . ا ع ٨٩٦٦) قصَّة النمسة مع سليمان المذكورة في اوَّل حكايتنا واعلم انَّ هذه الحكاية تبلغ في نسختنا ٣٧ صفحة دللنا عليها في مواضعها . ولغة هذه النسخة بسيطة تركناها على اصلها الَّا ما وقع فيها من الاغلاط النحويَّة كرفع الفاعل ونصب مفعول ممَّا لا يعبأ بهِ . وكذلك وقع في رواية بعض الابيات الشعريَّة اغلاط وخلل في الوزن ممَّا شوَّههُ النسَّاخ فاصلحناهُ على قدر الامكان

(١٢) نبتدي بعون الله وحسن توفيقه

ونكتب خبر سليمان ابن داود وما جرى لهُ في قصر عاد ابن شدَّاد

وهي اخبار لذوي العقول

(قال) انَّ الله تعالى اعطى لسليمان المُلك العظيم الذي لا يُحَدّ ولا يوصف ولا يفق لاحد من ملوك الدنيا لا من قبلهِ ولا من بعدهِ . وهذه هي اوصافهُ انَّهُ قد سخَّر له الله تعالى الانسَ والجنَّ والوحوش والطيور والهواء وسائر ما خلق الله تعالى . وقد اعطاهُ الله سريرًا من حرير اخضر طولهُ سبعة فراسخ وعرضهُ كذلك . وكان سليمان يبسط ذلك السرير وينصب كرسيهُ عليهِ ويجمع حولهُ وزراءهُ وعلماءهُ ويجلسون معه فوق ذلك (٢٥) السرير . وكان يجعل الانس عن يمينه والجنَّ عن يساره ويركب هو وعساكره فوق ذلك البساط وكان يأمر الريح ان يرفع البساط بين السماء والارض . وكان سفره ومرحلته شهرين ورجوعه كذلك . وكان لهُ اربعة وزراء : وزير من الانس اسمه آصاف . ووزير من الجن اسمه الزرياط . ووزير من الطيور اسمه العقاب . ووزير من الوحوش وهو الاسد

قال الراوي : فركب سليمان ذات يوم على البساط هو وعسكرهُ . وقد احدقت علماء بني اسرائيل والوحوش من ورائه والطيور من فوق رأسهِ والانس عن يمينهِ

والجن عن شماله . واما ما كان من الطيور فصفّتْ اجنحتها بعضها على بعض حتى لا تقع عليه حرارة الشمس . ثم انه أمر الريح ان يحمل ذلك البساط فارتفع البساط من فوقه وساروا . وبينما هم سائرون (2) بين الشمس والارض مرّوا على وادي النمل . فلمّا ابصر النمل ان سليمان الملك قد اقبل هو عساكره وعلوّ شأنه وعظمته واذا بنملة سوداء كبيرة وهي على صخرة صمّاء تنادي وتقول : « ادخلوا ايها النمل الى بيوتكم لئلّا يدوسكم سليمان وجنوده وما تحسون » . فلما سمع سليمان هذا الكلام أمر ان يُنزّل البساط على الارض . وانفذ سليمان وراء النمل وقال لهم : من هو الذي قال منكم هذا القول ؟ واذا بالنملة قد تقدمت الى سليمان وقالت لهُ : السلام عليك يا نبيّ الله . وسجدت له فقال سليمان : « وعليكِ السلام يا ايتها النملة . فما هو القول الذي قلتِه : ادخلوا الى مساكنكم لئلّا يدوسكم سليمان وجنوده . فكيف انا ادوسكم وانا بين السماء والارض » . فقالت النملة : « نعم يا نبي الله قلتُ هذا القول . واعلم يا نبي الله ان كل راعٍ يسألهُ الله عن رعيته (3) وانا رعيتي هم هؤلاء النمل في هذا الوادي . فلما اقبلتَ انت وعظم شأنك لأنّ الانس عن يمينك والجن عن شمالك والوحوش من ورائك والطيور فوق رأسك وكان الوقت وقت تسبيح النمل خفتُ ان ينظروا الى عظم شأنك وملكك وسلطانك فيشتغلون عن ذكر الله فيهلكون . وكان يصيبك انت امرٌ من الله فيدخل في قلبي منك عُجب وان العُجب يُهلك الجبابرة » . فتعجب سليمان من كلام النملة وقال : « مسائل كثيرة أريد اسألكِ ايتها النملة » . فقالت لهُ : « يا نبي الله لستَ انت في موضع تسأل . والسائل اجلّ وأعلى من المسؤول وانت على سرير ملكك وانا على وجه الارض »

فامر سليمان ان يقدموا النملة اليه فقال لها : أسألكِ الآن ايتها النملة ؟ فقالت له : لا . فقال لها : ولماذا ؟ فقالت لهُ : « يا نبي الله انت رجل جليل القدر وعظيم الشأن . وانت خُلقتك اعظم من خلقتي ولو مررتُ على بعض اذيالك لغاب شخصي (3) واختفى كلامي » . فتبسّم ضاحكاً وقال : اشكر نعمتك يا سيّدي الذي انعمتَ عليّ بهذا وادخلتني مع عبيدك الصالحين . ثمّ قال للنملة : ما تريدين ان اصنع معك ؟ فقالت لهُ : « خذني على يدك وارفعني قبالة وجهك . وعند ذلك اسألني ما تريد »

فمدّ سليمان يده واخذ النملة ووضعها في كفه واقامها مقابل وجهه ثم قال لها :

اسألكِ الآن يانملة هل سمعتِ عن الملوك المتقدمين ان احداً قد أُعطي مثلي من الملوك ؟ فقالت لهُ النملة : « وايش قد أُعطيتَ انت ؟ فقال لها سليمان : ان الله لقد سخَّر لي الانس والجنّ والطيور والوحوش والهواء وسائر خلائقهِ تعالى . فقالت لهُ النملة : نعم يا نبي الله . وانا قد رأيت من الملوك من هو اكثر منك واكبر منك . فقال لها سليمان الملك : ومن هو ذلك ؟ فقالت لهُ النملة : انا . فقال لها : ويحكِ ايتها النملة وانتِ ايش قد أُعطيتِ من الملك وغيره . وما انتِ ؟ قالت لهُ (٤ب) : « انتَ يا نبي الله قد سخَّر الله لكَ جميع مخلوقاتهِ وقد سخَّرك الله انتَ لي . حتى حملتني بيدك ورفعتني قبالة وجهك وصيَّرتني اعلى منك » . فغضب سليمان لمَّا سمع هذا الكلام من النملة . ثم انه ألقاها من يدهِ على الارض . وقال لها : يا نملة هل تعرفين من انا ؟ فقالت لهُ النملة : « نعم اعرف من انت . وانت لولا عناية الله ايش كنت ؟ واعلم يا سليمان ان اوَّلك نطفة مَذِرة وآخرك جيفة قذرة » . فتعجب سليمان من كلام النملة وعجَّزهُ الله عن ردّ الجواب لها . فقالت النملة لسليمان : « رُحْ يا سليمان فلا بدَّ ان يجري لك امر حتى يتحدثون به على شارع الطريق » . وانصرفت النملة الى حال سبيلها

ثم ان سليمان امر الريح ان يرفع البساط فرفعهُ وجعل يسير بين السماء والارض . فسار نحو عشرة ايام وعشرة ليالي . وفي اليوم الحادي عشر بينما هم سائرون اشرفوا على قصر عالي (٢ب) البنيان ومشيَّد الاركان شاهق في الهواء لا يكاد يوصف . وهو مبني لبنة من ذهب ولبنة من فضَّة . فلما نظره تعجَّب من بنيانهِ وامر الريح ان يهبط البساط على الارض واقبل الى وزيرهِ آصاف وقال لهُ : « يا اصاف قد طفت الدنيا مشارقها ومغاربها وبلغتُ ما لم يبلغهُ الاسكندر (١) . ولم أرَ مثل هذا القصر وان قدَّرني الله تعالى فلا بدَّ ان اعرف مَن بناهُ ومَنْ صاحبه ومتولّي عليه »

ثم ان سليمان نزل عن سريرهِ واخذ آصاف وزيرهُ واقبل نحو القصر . فنظر ارضاً زكيَّة التراب بهيَّة الجناب فقال سليمان : يا آصاف ترى الموت حلَّ باهل هذا القصر ؟ فقال اصاف : « يا نبي الله اذهب بنا نحو القصر فانه لا يخلو من ساكن يسكنه حتى نسألهُ عمَّا نريد » . فاقبلوا نحو القصر ومعهم علماء بني اسرائيل وجعلوا يطوفون حول القصر وهم متعجبون من بنيانهِ ولم يجدوا لهُ باباً ولا مضرباً فقال سليمان : يا آصاف ما

١) معلوم انَّ الاسكندر عاش بعد سليمان بعدة اجيال

أزين (٢٥) هذا القصر وما احسنهُ . فانهُ ما يخلو من ساكن يسكنهُ

عند ذلك تقدّم الى بين يدي سليمان وزير الزرياط قائلاً لهُ : « يا نبي الله مُرني بما شئت . فلا تغتمّ من امر هذا القصر فاني اجيئُ لك بخبره بالحقيقة » . فقال لهُ سليمان : افعل ما شئت .

ثم ان الزرياط اخذ ثلاثة من العصافير العفاريت وارتفعوا في الهواء فغابوا ساعةً زمانيَّة واتوا وهم مرتعبون مطروحون من الجو ووقفوا بين يدي سليمان . فقال وزيره الزرياط : « وحياتك يا نبي الله اننا صعدنا حتى بلغنا سماء الدنيا واننا اشرفنا على اعلى القصر وأردنا الهبوط عليهِ فكان مانعٌ يمنعنا . وكلّما اردنا النظر اليهِ كان رادٌ يردُّنا وغشاوة تغشي ابصارنا . فلم نقدر على الدنو منه » . فقال لهم سليمان : هل وجدتم على اعلاه شيئاً من الطيور ؟ قالوا : نعم يا نبي الله رأينا على جانب القصر نسراً وافراخه . فقال سليمان : ائتوني بالعقاب (٢٦) . فدعوا العقاب فاتى الى عند سليمان . فقال لهُ سليمان : اذهب يا عقاب في طلب النسر

فارتفع العقاب وغاب ساعةً زمانيَّة وعاد ومعهُ نسر عظيم كبير . فلما وقف بين يدي سليمان قال : السلام عليك يا نبيَّ الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام يا ايها النسر ما اسمك ؟ قال لهُ : اسمي الاجير . فقال لهُ سليمان : كم لك من العمر ؟ قال : يا نبيَّ الله لي من العمر سبعمائة سنة وفي هذا القصر صرتُ . فقال لهُ سليمان : يا نسر هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيه حسيساً ؟ فقال : لا وحياتك يانبيَّ الله لكن النسر الذي في البرج الآخر هو اكبر مني وافضل مني ذهناً وعقلاً فادعُ بهِ اليك فانَّهُ لا يخلو علمهُ من ذلك . فقال سليمان للعقاب ائتني بهِ . فارتفع العقاب والنسر وجاءا معهما بنسر عظيم اكبر من الاول فوقف بين يدي سليمان فقال لهُ : السلام عليك (٢٧) يا نبي الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام ايها النسر ما اسمك ؟ قال لهُ : اسمي الاهيف . فقال لهُ سليمان : كم لك في هذا القصر ؟ فقال : فيهِ صرتُ . ثم قال لهُ : كم لك من العمر ؟ فقال : تسعمائة سنة . فقال لهُ سليمان : هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيهِ حسيساً ؟ فقال النسر : لا وحياتك يا نبي الله . لكن النسر الذي في البرج الآخر اكبر مني سنًّا وافضل مني عقلاً وذهناً . فأحضرهُ اليك فانه لا يخلو علمه من ذلك . فقال سليمان للعقاب : ائتني بهِ .

فارتفع العقاب والنسران في الجوّ وغابوا ساعة زمانيّة . واتوا ومعهم نسر عظيم اكبر من الاوّلين . وقد حملوه على اجنحتهم من كبره وقد انتفض ريشهُ وبقي مثل النرخ الذي ليس لهُ ريش . فلما وقف بين يدي سليمان قال : السلام عليك يا نبي الله . فقال لهُ سليمان : وعليك السلام يا ابا النسورة . ما اسمك ؟ فقال : اسمي للمهار . فقال لهُ سليمان : كم لك من العمر ؟ قال لهُ : لي (7') من العمر الف وخمسمائة سنة . قال لهُ سليمان : كم لك في هذا القصر ؟ قال لهُ النسر : يا نبي الله اتيتُ لهذا القصر في اعشار شبابي . وانا لي الآن مقيم في القصر الف ومائتي سنة . قال له : يا ابا النسورة هل رأيت في هذا القصر انيساً او سمعت فيهِ حسيساً او تعرف له باباً ؟ فقال : « نعم يا نبي الله انا اعرف لهُ باباً عظيماً بمصراع من الذهب الاحمر ومصراع من الحديد الصافي وعليهِ قفل من ذهب الاحمر ولهُ عن ايسار الباب خندق وعلى جانبهِ حوض من رخام ابيض مكتوب ابيات شعر لطيفة . ولكن يا نبيّ الله لي في هذا القصر دهر طويل وكلما اريد النظر اليهِ كأنَّ راداً يردّني وغشاوة تغشّي بصري . لكن كنت اسمع فيهِ جلبة وضجيجاً » . فقال سليمان : « يا ايها النسر انا متعجب من وصفك لانك تقول ان له باباً ومصراعاً . وانا قد طفتُ حولهُ (7') فما وجدتُ لهُ باباً ولا طريقاً » . فقال لهُ النسر : « يا نبي الله ذلك من كثرة ما مرّت عليهِ الايام والرياح والزوابع فطمّت الباب واختفى فان اردت ان يظهر لك ذلك فمُر الريح ان تهبّ في القصر ولا تؤذي بهِ شيئاً بل تكشف لك حيطانهُ وبابه فتنظر ما ذكرتهُ لك

فعند ذلك امر سليمان الريح فخرجت منها مقدار منكار ثور ؟ . ثم هبت فقلعت الارض وكشفت الباب والطريق . فنظر سليمان باباً عظيماً بمصراع من ذهب الاحمر تغيّر لونهُ فصار مثل الرغيف المحروق من طول الايام والدهور والازمان . وعلى الباب قفل الذهب الاحمر

قال الراوي : فنظر سليمان واذا على الباب شُرفةٌ بلون الحجر الازرق ومجرى عليها بالذهب الاحمر وقد كشفت الريح القصر وبنيتهُ وكان فيهِ شيءٌ يحيّر العقول . وظهر الخندق الذي على يسار الباب . فحينئذٍ دعا سليمان النسورة وصرفهم الى حال (7') سبيلهم ثم تقدّم الى الباب ومعهُ علماء بني اسرائيل وعظماؤهم وملوك الجن وساداتهم والتفت الى وزيرهِ آصاف وقال لهُ : يا اصاف ليت شعري من كان صاحب

هذا القصر ومَنْ بناهُ ؟ فما هذا الامر الأعجبَ . يا هل ترى ايش عمل الزمان فيهم . ويا ترى اين الذي عمّره ؟

وفيما هو يتكلّم بهذا الكلام واذا به رأى ابياتَ شعر مكتوبة بالفهلوي (١ فلم يعرف سليمان يقرأها فدعا علماء بني اسرائيل فقرأوها . وهي هذه الابيات من الشعر اللطيف :

آثارُهم بعدهم حقٌّ وما صنعوا ... وأخبرونا بأنا لهمُ تَبَعُ
يا واقفاً بازاء القصر مرتجياً ... اخبار قوم وعن املاكهم ترعوا
فادخل لقصر اذا ما ترتجي خبراً ... عن سادة في الثرى باصاح قد وُضعوا
كانوا جميعاً فجاء الموت فرّقهم ... وخلّفوا لسواهم كلّ ما جمعوا
فإنْ تسألتهمُ يوماً كأنهمُ ... ماعايَنوا الارضَ في عيش ولا سمعوا
ولا جرى بينهم يوماً موانسةٌ ... لا كان فيهم ضراءٌ لا ولا نفعوا
(8٢) كانوا كباراً فحُلُّوا من مراتبهم ... وحالهم قاهراً سقطٌ وما ارتفعوا

قال الراوي : فتعجب سليمان من ذلك ثم تقدم نحو الخندق واذا على جانبه حوض من الرخام الازرق طولهُ عشرون ذراعاً وفي ذلك الحوض الف جمجمة تلوح مثل بيض النعام من كثرة ما مرّت عليها السيول والامطار . وهي كأنها ناظرة الى نحوهم ومشيرة اليهم . فقال سليمان لآصاف وزيره : يا تُرى اين هو الابيض من الاسود ام الحُرّ من العبد ام الذكر من الانثى ام الشيخ من الشاب ؟ فما أتمّ سليمان كلامهُ والّا وقد ماجت تلك الجماجم مع بعضها بعض وأذن لها ملّاكها بالكلام . فعند ذلك لما نظر سليمان هذا الامر . قال ما هذا الّا امرٌ عجب وقدرهُ عظيم . واذا هو بلوح عند رأس الحوض موضوع على عامود حديد ومكتوب عليه اربعة سطور باليوناني . وهذا معناها (8٣) :

نزلنا هنا ونحن الملوك ولنا الجاهُ ... قتلنا الجوع بشيءٍ ليس طعناهُ
سكنا بحمى القصر زماناً ملكناهُ ... بدلنا الدرّ بالخبز فما وجدناهُ
فاسأل النسر عن القصر من بناهُ ... سكناً فيه زماناً كثيراً نزلناهُ
فمن يغترّ بالدنيا يجمع مالاً لا يحناهُ ... فيذي عاقبتهُ وذلك قد شرحناهُ

قال الراوي : عند ذلك بكى سليمان لمّا قرأ هذه السطور . ثم انه عاد الى الباب

١) الفهلوي اللغة الفارسيّة القديمة

وقال لوزيره آصاف: ادخل بنا نحو القصر حتى ننظر عجائبه . فاذا كان هذا ظاهر القصر وخارجه فكيف يكون من داخله ؟ فوقفوا جميعاً على باب القصر . فتقدم سليمان الى الباب ليفتحه . واذا مكتوب عليه اربعة سطور باليوناني وهي هذه الابيات :

يا طالباً صفو عيش كلّهُ كدرُ افنيت عمرك لهواً ماذا تنتظرُ
ماذا تردُّ جواباً عن مساوئهِ والذنبُ يربو عليه الرمل والمطرُ
وقد حملت ذنوباً لو تحمّلها صمُّ الشواهق لم يُعرف لها اثرُ
فحذّر النفسَ قبل الموت ترجرُها عن المعاصي عسى ان ينفع الحذرُ

قال الراوي: واذا على يسار الباب مكتوب يقول: «لا يدخل (٩٢) هذا القصر الّا ملك او نبي فاذا اراد الدخول اليه يحفر عند عين الباب وينزل اربعين درجة فيجد تابوتاً من رخام. فيكسر ذلك التابوت ويُخرج منه المفاتيح ويفتح الباب . ويدخل القصر فيرى فيه عجائب كثيرة وفي وسطه بركةٌ من الياقوت والجوهر ويرى فيه الزمرّد الاخضر . ويرى فيه قبّةً لها اربعة ابواب . فيعدّ ثلاثين آية ويجتهد الّا يغلط في العدد فيرى عقرباً من نحاس وفراشهُ من اللؤلؤ الابيض . ثم انه يعدّ احدى وعشرين آية فيجد عقرباً من فضّة فيفرك ذلك العقرب فينفتح قدامهُ باب فينحدر تحت الارض في سرداب ويسير في مكانٍ واسع جدًّا . فيرى هناك قبرًا واسعاً طولهُ خمسون ذراعاً وعند القبر صنم مرصّع بالزمرّد والجوهر وعيناهُ من الياقوت الاحمر وقوائمهُ من الزمرُّد الاخضر . وفيه مكتوب حديث هذا القصر ومَنْ أنشأهُ »

فلما وقف سليمان على (٩٣) هذا القصر والقاصير وقرأ ذلك المكتوب أمر خدامهِ ان يحفروا عن يسار الباب فحفروا واذا قد ظهر تابوتٌ من رخام فكسروا ذلك التابوت فوجدوا فيه المفاتيح . فاخذها سليمان وفتح الباب فدخل هو ودخل معهُ وزراؤهُ وعلماء بني اسرائيل واقبل عيناً يتمشى في الدهليز . ثم انهُ التفت الى الحائط داخل الدهليز واذا مكتوبٌ عليه هذا الابيات :

قد كان صاحب هذا القصر في دَعةٍ مَلكاً عزيزاً تخاف الناس من باسهِ
فبينما هو مشغولٌ بنعمتهِ في مجلس اللهو مسرورٌ بجلّاسهِ
واتاهُ امرُ قضاء لا مردَّ لهُ فارتدَّ ميتاً وزال التاج عن راسهِ
يا داخل القصر ابصر في محاسنهِ قد صار قفرًا فهو يبكي على تاسهِ

قال الراوي : ففتح سليمان الباب واذا وراء الباب دهليز معتم . فدخل اليه ومشى فيه . فوصل الى الباب من ورائه واراد ان يفتحه فرأى عليه مكتوباً هذه الابيات (١) (١٥٢) :

المال بعدك الورّاث تجمعه ... بعد انصرافك من دار الى دار
وما سمحت بما خلّفته كرماً ... لولا المنون وحكم بالورى جاري
قد ضاع ما كنت مسروراً برؤيته ... تحمي حماك بنصل الصارم الباري
لا تستقرّ ولا تسخو بخردلة ... شحاً عليه ولو ألقيت في النار
حتى رميت بأقدار مقدّرة ... من الاله العظيم الواحد الباري
ولا الجنود التي جمّعتها نفعت ... ولا فداك صديق من جرى العار
فجاءك الموت محتوماً على عجل ... ليس اليدفعه ملك بأموال
حتى اذا صارت الاكياس وافرة ... وانت تتبع استاراً باستار
عادت لنبرك قبل الصبح كاملة ... وقد اتوك بحمّال وحفّار
ويوم عرضك تلقى الرب منفرداً ... بحمل اثم واجرام وأوزار
فلا تغرّنك الدنيا وزينتها ... وانظر الى فعلها بالاهل والجار

قال الراوي : عند ذلك بكى سليمان بكاء شديداً لمّا سمع هذه الابيات ثمّ انهُ فتح الباب ودخل الى القصر فرآهُ مليح البناء وفيه قبّة وقبب ومقاصير وفيه اجساد قد اكلها (١٥٣) التراب وهي مملوءة ياقوت وجواهر وفيه من الاموال شيء كثير لا يُعدّ ولا يوصف . فلمّا عاين سليمان ذلك سبّح الله تعالى وقال : تبارك الله العظيم ثمّ انهُ تقدّم قليلاً قليلاً واذا هو بقصورة كأنها لؤلؤة بيضاء فتعجّب من حسنها وعليها مكتوب هذا البيت شعر لطيف

هذي منازلُ اقوامٍ وقد رتعوا ... في ظلّ مُلكٍ وقاهم شرّ عدوانِ

قال الراوي : فتقدّم سليمان الى القصورة واذا فيها بركة عظيمة من الذهب الاحمر وفيها دقيق صافي البياض فقال لوزيره : يا آصف ما ترى هذا الدقيق وما اشدّ بياضهُ فكيف كان اهل هذا القصر يشكون من الجوع ومن قلّة الزاد . فقال آصف : يا نبيّ الله ليس هذا زاداً لكنّهُ ياقوت وجواهر طحنتها ملوك الجبابرة فما سدّت لهم من جوع ولا قامت لهم مقام الزاد

---

(١) هذه الابيات وردت بروايات مختلفة في الف ليلة وليلة ج ٣ ص ٣٣٦

فتعجب سليمان الملك وقال: سبحان (١١٢) الله العجيب ما اعجب هـذا القصر وما احسنهُ . ثمَّ انهُ تقدَّم الى داخل القصر واذا هو بقبَّة لم يرَ الناظرون مثلها وهي من الزمرُّد الاخضر ولها اربعة ابواب فتقدَّم الى البـاب الاوَّل واذا مكتوبٌ عليهِ هذه الابيات :

أيا ابن آدمَ لا يغرأ بك الامل ... يقضي عليك الذي لملتهُ الاجل
اراك ترفع للبنيان مجتهدًا ... وقدبنى قبلك الاسلافُ والأُوَلُ
ماتوا فما انتفعوا بكل مـا عملوا ... وخلَّفوا المال والاملاك وارتحلوا

قال الراوي: ثمَّ تقدَّم سليمان الملـك الى الباب الرابع ليفتحهُ وكان عليـهِ سترٌ مسبول وهو منسوج باللؤلؤ والياقوت واذا مكتوب عليهِ هذه الابيات :

تزوَّدْ من الدنيـا قليلًا بمـا يبقى ... ودعْ ما مضى قبلًا لتحظى بما تاتي
فاني ملكتُ الملك والخلق والورى ... افرقـهم غربـاً وابعثهم شرقـا
اتاني رسولُ الموت فورًا بسرعة ... واصبحتُ رهنًا في القبور بما أتى
(١١٢) وحيدًا غريبًا بالتراب بذلَّة ... ويرعى بجسمي الدود يمزقهُ مزقا

فرفع سليمان الستر ودخل الى القبَّة فرأى فيها سريرًا طولهُ خمسون ذراعاً وعليهِ من انواع الياقوت الاحمر وفرشهُ من الديباج الحسن المنظر . فرفع سليمان السرير فصار في يدهِ قطعاً قطعاً من كثرة السنين والاعوام وعاين عند رأس السرير لوحاً من الزمرُّد الاخضر كُتبت عليهِ هذه الابيات :

انظر الى معشر بـاتوا على دعَـة ... واصبحوا في الثرى رهنًا بما عملوا (١)
فاين راحت ملوك الارض قاطبـةً ... اماهم عـادمُ الـلذَّات فـارتحلوا
باتوا عـلى قرَّة الحرَّاس تحرسهـم ... غـابوا وذلُّوا ولم تنفعهُمُ الحيَـلُ
واستنزلوا بعـد عزٍّ عن معـاقلهم ... فأودعوا حفرًا يـا بئس ما نزلوا
دعـا بهم صارخٌ من بعـد عزَّهم ... اين الاسرَّةُ والتيجـانُ والحُلَلُ
اين الوجوهُ الـتي كانت منعَّمـةً ... من دونها تُضرب الاستـار والكُلَلُ
فـأفصح القـبر عنهم ثمَّ جـاوبني ... تلك الوجوهُ عليهـا الدودُ يقتتلُ

(لهُ تابع)

١) تجـد بعض ابيات هذه القطعة في القصيدة اللاميَّة المنسوبة الى علي بن ابي طالب والى غيرهِ ايضاً (اطلب مجاني الادب ج ٣ ص ٢٧-٢٩)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانية بين عرب الجاهلية وفي اوّل الاسلام (تابع)

٣ العادات الشرعية والاجتماعية

﴿الحَلِف﴾ قد اعتاد العرب على القَسَم بالله وبما يقرب اليه كالملائكة والاولياء. قال عبيد بن الابرص (ديوانهُ):

حلفتُ بالله انَّ الله ذو نِعَمٍ لمن يشاء وذو عفوٍ وتَصفاحِ

وقال الآخر (امالي القالي ٣: ٢٩)

انا والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ ومن هو يحيي العظم وهو رميمُ
لقد كنتُ اطوي البطنَ والزادُ يُشتهى محافظةً من ان يقالَ لئيمُ

وكانوا في الجاهليّة يحلفون باصنامهم كاللات والعزّى ونَسر. ثمَّ شاع ذلك بينهم حتّى النصارى واليهود دون اشارة الى معتقدهم بها كما يقال باللاتينيّة حتّى في عهدنا بحق هِرَكل (me hercle) او بالايطاليّة بحق بخُوس (per Bacco) فكذلك نصارى العرب حلفوا باصنام الجاهليّة وبالانصاب على سبيل العادة ليس عن اعتقاد ديني. فمن ذلك قول عبد المسيح المتلمس يهجو عَمرَ بن المنذر:

أطردتني حَذَرَ الهِجاء ولا واللاتِ والانصاب لا تنلُ

ويروى: والله. ومثلهُ مهلهل التغلبيّ حلف بالانصاب:

كلّا وانصابٍ لنا عاديّةٍ معبودةٍ قد قُطِّعَتْ تقطيعا

وحلف اوس بن حجر باللات والعزّى فقال :

وباللات والعُزّى ومن دان دينها وبالله انّ الله منهنّ اعظم

وحلف الاخطل بالعزّى وبنَسْر وما يُضحّى عليهما من الضحايا :

اما ودماء سائرات تمالها على قُنّة العزّى وبالنَسْر عندما

وذكر له في الاغاني (٧ : ١٧٣) حلفاً قالهُ افتخاراً على جرير والفرزدق : « انا واللات اشعرُ منهما » فاردف الراوي قائلاً : « حلف باللات هزوًا واستخفافاً بدينه » (قلنا) بل حلف بها جرياً على عادة العرب دون حمله ذاك الحلف على الدين مع ما نعلمهُ من تشبُّث الاخطل بدينه حتّى في مجالس الخلفاء . ومما حلف به مشيراً الى دينه ما رواهُ ايضاً ابو الفرج في الاغاني (في الصفحة المذكورة :) "وحقّ الصليب" . « وحقّ الصليب والقربان » وروى لهُ في محلّ آخر (٨ : ٨٥) : « قدّوس قدّوس . . وحقّ الصليب » وقد ذكر لهُ في نقائض جرير والفرزدق حلفاً بالمسيح

وكذلك لم يأنف النصارى عن الحلف بمكّة ومناسك الحجّ (اطلب ديوان الاخطل ص ١٠٠ وشرح مغني اللبيب للشيخ محمّد الامير (١ : ٢١٠) قال:

اني حلفتُ برب الراقصات وما أضحى بمكّة من حُجب وأستار
وبالهدايا التي احمرّت مذارعها في يوم نسك وتشريك وتنحار
وما بزمزم من شُطْب محلّقة وما يثرب من عون وأبكار
لأجلسنّي قريشٌ خلفها وجلا وموّلتني قريشٌ بعد إعسار

وحلف الآخر بالكعبة وإله اسرائيل (امالي القالي ٢ : ٤٦) :

قلت وكنتُ رجلاً فعلينا هدا ورب البيت اسرائينا

وقد جمع عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ الشهير في حلفه بين مكّة والصليب (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سمى الاعداء لا يسألون شرًا عليك وربّ مكّة والصليب

ومثله الاعشى حلف بأسكيم الرهبان وبالكعبة :

حلفتُ بثوبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصيٌّ والمضاض بن جرهم

وورد في الاغاني (١٢ : ٧٥) لعبد الرحمان بن الحكم بن ابي العاص :

حلفتُ برب مكّة والمصلّى وبالتوراة احلفُ والقرآن

وهو القائل ايضاً (اصلاح المنطق ص ٢٢٤) :

واني وربّ الساجدين عشيّةً وما صكّ ناقوس النصارى ايلُها
أُصالحكم حتى تبرّؤا بخسانها كصرخة حُبلى اسلمتها قيلُها

وممّا لا شبهة فيه عن ايمانهم بالمسيح قول عمر بن عبد الحقّ :

وما قدّس الرهبان في كلّ بيعةٍ ايل الايلين المسيح بن مريا

قال في اللسان (١٣ : ٦) : وكانوا يعظمون الابيل ويحلفون به وحلف عديّ ابن زيد بالقربان ودعاهُ الشَّبر (اصلاح المنطق ١٦٩)

اذ اتاني خبرٌ من مُنْعِمٍ لم أخُنْهُ والذي اعطى الشَّبَرْ

﴿ الختانة ﴾ معلومٌ انّهُ لا ذكر للختانة مطلقاً في القرآن وانّما يجري عليها المسلمون بموجب السنّة والتقليد . والشائع بين الكتبة المحدَثين انّ العرب قبل الاسلام كانوا يختتنون . وفي زعمهم هذا نظر فانّ لنا عدّة شواهد تثبت ان كثيرين من العرب لم يألفوا الختانة ومن المحتمل انّ النصرانيّة ابطلتها بينهم . روى صاحب الاغاني لحاجب يزيد بن المهلّب ابياتاً في هجو اليمن وممّا ينسبهُ اليهم انهم غُرْل غير مختتنين قال (١٣ : ٥١) :

فللزنجُ خيرٌ حين تنسب والدًا من أبناء قحطانَ المناشلةِ الغُرْلِ

وجاء في التاج (٢ : ٣٢٤) بيت للفرزدق عن آل حوران غير المختتنين . وكذلك هجا حريث بن عناب بني نُمَيل ودعاهم بالثُلف (اغاني ١٣ : ١٠٣) . وممّا ورد في نقائض جرير والفرزدق (ص ٦٦٩) انّ بني عامر يوم شعب جبلة قتلوا ثمانين غلاماً أغرل . وفي امالي القالي (٣ : ١٦) ما يثبت رأينا قال : « روى الاصمعيّ عن سَلْم بن قتيبة قال : كانت اياد تردُ المياه فيُرَى منها مائتا شاب على مائتي فرس بشيّةٍ واحدة وكانوا أعدّ العرب وانهم استقلّوا بعشرين الف غلام أغرل فاوغلوا حتّى وقعوا ببلاد الروم »

وقد ذكر ابن الاثير في تاريخهِ في وصف أيّام العرب انّه كان ٦٠،٠٠٠ منهم غُلفاً دون ختانة . فلا شكّ انّ النصرانيّة بانتشارها في جزيرة العرب قبل الاسلام كانت ابطلت تلك السنّة بين كثير من القبائل

﴿الحجاب﴾ قد فرض الشرع الاسلاميّ التحجُّب على نساء المسلمين . وليس المسلمون اوّل من سبقوا الى الامر بهِ . فانَّ الامم القديمة كانت تحجب الفتيات الى عهد زواجهنَّ فاذا تزوَّجنَ أسفرنَ عن وجوههنَّ . ولنا على ذلك شواهد في سِفر التكوين (٢٤ : ٦٥ و ٣٨ : ١٤) . وقد ورد مثل ذلك في الآثار الاشوريَّة والرومانيَّة وغيرها . وكذلك الكنيسة لم تزل توصي النساء بالحشمة وتغطية رؤوسهنَّ ولاسيَّما وقت الصلاة في الكنيسة (١ كور ١١ : ٣ — ١٧)

على انَّ صاحب الشريعة الاسلاميَّة عمَّم ذلك وفرض بهِ على جميع النساء مطلقاً ناهياً عن سفور وجوههنَّ الَّا باذاء اقاربهنَّ الادنين . وهذه سنَّتهم الى يومنا الَّا من تقلَّدوا الآداب العصريَّة وتثاروا باسم الغرب فيعتبرون الحجاب مضرًّا بتربية الاناث مانعاً لترقية جنسهنَّ باخساً من قدرهنَّ

وما لا شكَّ فيهِ انَّ عرب البادية لا يحجبون نساءهم تلك عادةٌ جروا عليها منذ القديم . وما القناع والنصيف والخمار الَّا كسية كانت نساؤهم يسترنَ بها رؤوسهنَّ دون الوجوه وعلى الاقلّ دون العيون كما ترى في وصاوص المصريَّات . وفي الشعر الجاهليّ ما يؤيّد زعمنا قال المثقّب العبديّ (المفضّليات ص ٥٧٩) :

أرَيْنَ محاسناً وكَنَنَّ أخرى من الأجياد والبَشَرِ المصونِ

وورد هناك بين الشروح عن منجول البراقع : « لا يلبس منجولَ البراقع الَّا الحسانُ لأنهنَّ يحبِّبنَ أنْ تُرى وجوههنَّ منها لحسنها والقباحُ تلبس الوصاوص لتغيبها حتَّى لا تُرى وجوهها لقبحها . وقال عمر بن ابي ربيعة (المفضّليات ص٢٥٩) :

ولمَّا تواقفنا وسلَّمتُ اقبلَتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ ان تتنقَّبا

وروى في الحماسة (ص٥٥٣) : « ولما تفاوضنا الحديث واسفرت » . قال : « وهكذا كانت نساء العرب تفعل اذا كانت جميلة » بل نبذتِ كثير من نساء الاسلام الحجاب كما روى المؤرخون . اخبر الصفدي في شرح لاميَّة العجم (١ : ٦٨) : « كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشيء فلمَّا دخل بها مُصعب ابن الزبير كلَّمها في ذلك فقالت : انَّ الله عزَّ وجلَّ قد وسَّمني بوسم جمال فأحببتُ ان يراهُ الناس والله ما فيَّ وصمةٌ استترُ لها »

وقد ذكر صاحب الاغاني (١٠ : ١٢٨) انَّ الخليفة المأمون كان يخرج الى الشمّاسيَّة

ليتنزّه بعد قدومه من خراسان . ثمّ اخبر ان ابراهيم الموصلي دخل اليه ، وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدنَ »

﴿ الردافة ﴾ هي من العادات التي اتخذها العرب من الامم النصرانيّة المجاورة لهم وهي كالوزارة شاعت عند ملوك الحيرة وملوك غسّان النصارى . (قال في التاج ٦ : ١١٥) : كانت الردافة في الجاهليّة لبني يربوع لانهُ لم يكن في العرب احد اكثر غارة على ملوك الحيرة من بني يربوع فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفُّوا عن اهل العراق الغارةَ . . . قال جرير وهو من بني يربوع :

ربّمنا واردفنا الملوكَ فظلّلوا وطاب الاجاليب الهمَ المترّعا

وقال المبرّد (الكامل ٧٦٣) : « للردافة موضعان احدهما ان يردفهُ الملوك دوابّهم في صيد والآخر ان يخلف الملك اذا قام عن مجلسه فينظر من امر الناس . (قال) كان الملك يردف خلفهُ رجلًا شريفاً وكانوا يركبون الابل وارداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بامر المملكة بمنزلة الوزراء في الاسلام واحدهم رِدْفٌ والاسم الردافة كالوزارة » . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٥١٨) في مادّة طِخْفة اليوم المنسوب الى هذا المكان بين بني يربوع وجيش ملك الحيرة لمّا اراد بعد موت ردفهِ عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ان ينقل الردافة الى غيرهم فأبت بنو يربوع ذلك ورحلت فنزلت طخفة وبعث الملك اليهم جيشاً فيه قابوس ابنهُ وابن لهُ آخر وحسّان اخوهُ فانتصر عليهم بنوا يربوع وبقيت الردافة فيهم

﴿ العمامة ﴾ تُنعَت العمامة عند العرب بتاجهم . وقد وصفها ابو الاسود الدولي بقولهِ : العمامة جُنّة في الحرب ومكنةٌ من الحرّ ومدفأةٌ من القرّ ووقار في النوادي وزيادة في القامة وهي تُعَدّ من ميزة سادة العرب : قالت الخنساء في اخيها :

فارسُ الحرب والمعمَّم فيها مدرهُ الحرب حين تلقى نطاحا

وقد شاعت العمامة خصوصاً بين نصارى اليمن والعراق : وممّا يروي صاحب الاغاني عن خبر اساقفة نجران مع نبيّ الاسلام انهم كانوا « من السادة المعمَّمين » وترى الى يومنا العمامة من مميّزات كهنة واساقفة وبطاركة الكلدان في العراق وجهات ما بين النهرين

(لهُ تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

An arabic History of Gujarat, by 'ABDALLAH MUHAMMAD BIN 'OMAR AL-MAKKI AL-ASAFI ULUGHKHANI, ed. by E. Denison Ross Ph. D. *Vol. II, J. Murray*, 1921, *XXXVIII*-٨٥٢-٣٩١

القسم الثاني من تاريخ كجرات لعبدالله محمد بن عمر المكي الاصفي ألغخاني

سبق لنا ذكر الدفتر الاوّل من هذا الكتاب الفريد المعروف بظفر الواله بمظفر وآله (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) يشتمل على تاريخ كجرات احدى معاملات الهند والملوك الذين حكموا عليها . وهذا المجلّد الثاني يحتوي تتمّة الدفتر الاوّل ويبتدئ بتاريخ السلطان ابي الفتح احمد شاه ويمتدّ من السنة ٩٢١ الى ٩٨١ ويليه الجزء الاوّل من الدفتر الثاني مدارهُ على بقيّة اخبار كجرات وامرائها . ولهذا التاريخ شأن كبير لندرة المعلومات من اخبار الدول الاسلاميّة في الهند . وقد بيّن جناب الناشر لهذا الكتاب الفريد في مقدّمته الانكليزيّة خواصّهُ والاصول التي اخذ عنها مؤلفهُ وقابل بينهُ وبين ما يُعرف من اخبار تلك الانحاء الهنديّة مع ما يُستخلص من الكتاب من اخبار مؤلفهِ ولاسيّما انّ النسخة فريدة مكتوبة بقلمهِ فنشكر السر دنيسون روس الذي احياهذا الاثر الجليل ونتمنّى ان ينجز قريباً ما بقي منهُ ونحضّ كلّ محبّي تاريخ الهند الاسلامية على اقتنائهِ ل . ش

Mylès (HENRI) : LA FIN DE STAMBOUL. Essai sur le monde turc., 1 *vol, in*-16. *Editions E. Sansot. Paris. s. d., Prix* 6 F.

خاتمة الاستانة

لم يقصد واضع هذا الكتاب الانتصار للترك او للعناصر المادية لهم من يونان او بلغار وانّما رأى ما آلت اليهِ احوال الاستانة حاضراً وتضعضُع امورها فلم يشأ ان تُفقَد تلك المشاهد التي كانت تقرّ لها عينهُ قبل الحرب فاراد ان يحييها بقلمهِ فيصفها وصفاً حيّاً كما عاينها فتراهُ يذكر في عدّة فصول قصيرة عادات تلك العاصمة التركيّة في كلّ طبقاتها من وزراء واعيان وعمّال وصنّاع فينقل كلامهم ويروي حكاياتهم ويصوّر كلّ احوالهم تصويراً مبهجاً . ومما دوّنهُ هناك ميل عموم الاتراك

الى الفرنسويين حتى في ايام الحرب وكيف ثبتت مدرسة غاطه سراي على خطتها الفرنسوية في التعليم رغماً عن مساعي الالمان في تحويلها الى خطة تعليمهم الوطني

ج. ل .

LA FOI DE NOS PÈRES, par S. Em. le Cardinal Gibbons, traduit de l'anglais par l'abbé A. Saurel. *Paris, P. Téqui, 82 rue Bonaparte XIII-474, in-12, 1921*

ايمان اجدادنا

هذا الكتاب البديع لفقيد الكنيسة الجليل نيافة الكردينال جبونس رئيس اساقفة بلتيمور وضعهُ بالانكليزية فراج اي رواج حتى بلغ طبعتهُ الثامنة والعشرين. فطلب الكاهن سورل من المؤلف الرخصة بترجمتهِ الى الفرنسوية وفي يدنا منهُ الطبعة الرابعة. ولا غرو ان شاع الكتاب هذا الشيوع وقد ضمّنهُ صاحبهُ الدفاع عن اخص العقائد الكاثوليكية لاسيما الحقائق التي ينفيها البروتستانت كعصمة الحبر الاعظم في امور الدين وكتساهل الكنيسة الكاثوليكية في تدبيرها وسياستها على خلاف كثير من الشيع البروتستانت وكمسألة الاقرار بالخطايا في سرّ التوبة . وقد اوضح المؤلف كل ذلك ببراهين قاطعة قريبة المنال وبكلام يسيل عذوبةً ولطفاً. والترجمة الفرنساوية مضبوطة تكاد تحاكي الاصل رقّةً وانسجاماً

الاب بطرس كسنتاكس

Roger Lambelin: LE RÈGNE D'ISRAËL CHEZ LES ANGLO-SAXONS Paris, B. Grasset, in-12. pp. 270 Prix. 6 F, 75

ملك اسرائيل في العنصر الانكليزي السكسوني

المسيو لمبلان احد الذين تعمّقوا في درس احوال اليهود ونفوذهم ودسائسهم وكثيراً ما نشر في المجلات الاوربية المقالات الشائقة المبنية على قرارات اليهود انفسهم واثبت ما يتهدّد اوربة من الاخطار بترقّي العنصر اليهودي. والكتاب الذي نحن في صدده قد خصّهُ الكاتب البارع بالامم الانكليزية في اوربة وفي اميركة فيثبت ان اليهود قد كادوا اليوم يمدّون على العالم سيطرتهم بواسطة تلك الامم فتراهم حيثما يزداد النفوذ الانكليزي تزداد ايضاً شوكة بني اسرائيل. ولنا على ذلك شاهد قريب منّا بالحركة الصهيونية في فلسطين. وخلاصة هذا الكتاب مدوّنة في كلمة قالها احد

كتبة اليهود المسيو سُمبارت انَّ الحرب الكونيَّة الاخيرة فتحت باباً واسعاً لأمته لتسود على العالم ولا شكَّ انَّهُ كان لها في اعلانها الحظ الوفيّ وختم ذلك بقوله (ص ٢٧): «انَّ الحروب والثورات والفتن هي لليهود أيام حصادهم !!» . ثمَّ استقرى المؤلف الحوادث التي جرت بعد الحرب فتتبَّع في كلٍّ منها الحركة اليهوديَّة بحيث لم يُبقِ شكًّا في القضيَّة التي اراد تأييدها انَّ العالم اليوم آلة في يد اليهود وذلك خصوصاً بواسطة العناصر الانكليزيَّة السكسونيَّة. فنحضّ قرَّاءنا على تصفُّح هذا الكتاب ليدركوا اسرار السياسة الحاضرة ب.ك

Alb. Monniot: LE CRIME RITUEL CHEZ LES JUIFS. Paris. P.Téqui, 1914, pp. 376, in-12, Prix. 3f. 50

الضحيَّة الطقسيَّة عند اليهود

انَّ الذين وقفوا في بلادنا على قتل اليهود للاب توما الكبوشي ولهنري عبد النور ولحوادث اخرى عديدة جرت في حلب واللاذقيَّة والاسكندريَّة لا يشكُّون في ما اعتادهُ الموسويُّون من سفك دم النصارى ليمزجوهُ بفطائرهم الفصحيَّة وقد جمع صاحب هذا الكتاب الدلائل العديدة لاثبات هذه القضيَّة التي طالما انكرها بنو اسرائيل وصرفوا التناطير المقنطرة ليمحوا اثرها من تاريخ الشعوب ولاسيَّما بواسطة الصحافة التي كثُرَ افواهها بالرشوة. على انَّ صوت الحقّ يُفحم كلَّ هؤلاء المتشدّقين ويَسِم اليهود بسمة من العار لا تطمسها الدهور. فنهنئ المسيو مونيو لكشفهِ الستار عن هذه الحقيقة بما لا يُحصى من الشواهد بينها الاقراراتُ الرسميَّة في المحاكم الشرعيَّة ل.ش.

E. Rabaud: Eléments de Biologie Générale 1 *vol., in-8, Paris, Alcan, Prix,* 15f.

اصول علم الحياة العموميّ

علم الحياة علم مستحدث لم يتَّفق العلماء حتَّى الآن على تحديد اصوله وبيان خواصّهِ كما يقرّ بذلك مؤلف هذا الكتاب لأنَّ مرجعهُ الى مراقبة الطبيعة وأعمالها وتعليل ظواهرها وكثيرًا ما يفضّل العلماء الطبيعيُّون نظرهم الشخصي على الوضعيَّات. وهذا ما بيَّنهُ المسيو رابو في مقدّمات كتابهِ. وكأنهُ نسي بعد ذلك هذه المبادي لمَّا

اراد ان يبيّن اصل الحياة فانّهُ يجنح الى تعليم المـاديين ويزعم انّ الحياة تولّدت من مجموع عناصر كيـويّة دون توسّط عـامل يفوق الطبيعـة . وهو قول لا يـستندُ الى برهان ويـستنتجهُ من مقدّمات غير صائبة ومن زعمه بانـهُ لا يوجد فرقٌ جوهري بين الخلايا الاوّليّة التي تتركّب منها الاجساد وان الحيّ منهـا يظهر كاليت . فيا لهُ من دليل سفسطيّ كأنّ الحياة تقع تحت العيان او يمكن نظرها في غير مفاعيلهـا فـاذن ظنّ الكاتب وبنى كتابهُ على شفير هارٍ ج . لوثنك

S. Arrhénius: Le destin des Étoiles, études d'Astronomie physique, *Trad. franç. par* T. Seyrig. 1 *Vol., in*-16, *Alcan,* 1921

مصير الكواكب

مؤلف هذا الكتاب اسوجيّ واحد مشاهير الفلكيين لهُ في علم الفلك تآليف عدّة منها كتابه المعنون بتطوُّر العالم وكتابهُ الموسوم بحياة الكون . وها هوذا قد جمع في هـذا الكتاب الجديد الصغير الحجم عدّة معلومات عن الكواكب اتّصل اليهـا العلماء منذ عهد قريب . فمن ذلك تعريف المجرّة وتكوين النجوم عن مادّتها السديميّة يليهِ فصول عديدة في تركيب النجوم وحركاتها ثم في الآثار الجوّيّة والمجرّتها ثمّ ابحاث في سيّارات نظامنا الشمسيّ وما يُعرف عن كلٍّ منها لاسيّما عطارد والمرّيخ والزهرة ويفنّد ما شاع عن اقنية المرّيخ وسكّانهِ ويثبت الشبه بين الزهرة حاضرًا وارضنا في اطوارها الجيولوجيّة الاولى على خلاف عطارد والمرّيخ اللذين هربا ويُعلنان لاهـل ارضنا ما ستصير اليهِ سيّارتنا اذ تنطفئ فيها الحياة . وكأنّي بقارئ هـذا الكتاب يأخذهُ العجب من اعمال الخالق فيردّد مع النبي داود . «السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر باعمال يديهِ » ج . ل

Une Française d'Alsace : Mlle Louise Humann par Mme Paul Fliche, Paris, P. Téqui, in-12, XV-189, 1921. Prix. 3F, 50

الآنسة لويزة هومان الفرنسويّة الالزاسيّة

انّ الله يظهر قوّتهُ عند فشل البشر وعجزهم فيوسل الى العالم نفوسًا عارّةً من روحهِ الالهي يعالج بها ادواء العـالم . والآنسة لويزة هومان احدى هذه النفوس التي ادّت لوطنها بلاد الالزاس ولدينها الكاثوليكيّ خدمًا لايفي بها احصاء فانّها ولدت

وعاشت في ايام الثورة الفرنسوية وعايشت ما حلّ على فرنسة في غضونها من البلايا فوقفت نفسها للدفاع عن الايمان والآداب دون ان تبالي بماكسة البشر ومعاداتهم حتى بلغت الى رفع منارة الدين بعد هبوطها وارتدّ على يدها كثيرون من الضالين الذين جاهدوا معها الجهاد الصالح فرأت قبل وفاتها سنة ١٨٣٦ انّ الله كلّل مساعيها بتعزيز المبادي المستقيمة التي كانت من اصدق انصارها . وهذا الكتاب يحتوي تفاصيل حياتها البارّة المثبتة قول الرسول انّ الله يختار مستضعف هذا العالم ليخزي الاقوياء. ل . ش

NOTES LEXICOLOGIQUES sur le Vocabulaire Maritime de Rabat et Salé par Louis Brunot. *Paris, E. Leroux*, 1920, *XVI*-153, *in*-8

معجم الالفاظ الجارية بين البحريّين في رباط وسلا

مرّ لنا في المشرق (ص ٤٦٨) وصف الكتاب الذي ألّفهُ المستشرق لويس برونو في التقاليد البحريّة والاعمال الوطنيّة الجارية في بلاد مراكش وخصوصاً في مرفأي رباط وسلا وها هوذا اضاف اليه كتاباً لغويًّا جمع فيه كلّ الالفاظ التي سمعها هناك من افواه النوتيين ودوّنها على ترتيب حروف المعجم واضاف اليها شروحاً باللغة الفرنسويّة لئلّا تأخذها بعد حين يد الضياع . فنعم العمل الذي يفيد تعريف اللهجات الخصوصيّة واصولها التاريخيّة . ونتمنّى ان يقوم في بلادنا من يحذو حذو المسيو برونو ويؤلف معجماً للهجات العاميّة في سوريّة كما فعل حضرة العلامة الاب ميشال فنالي للغة وطنه كفر عبيدا فنال شكر العلماء. ل . ش

The Maronite Liturgy of the Holy Sacrifice in the Syriac-Maronite Rite, *translated by* Jos. P. Gorayeb, Buffalo, 1915, in-16, pp.60

ان العدد العديد من مهاجري الموارنة الى اميركة الشمالية قد ألفت اليهم ابصار اعلها ولاسيما الكاثوليك منهم فتراهم يقبلون الى كنائسهم ويأنسون بحضور رُتبهم الشرقيّة فتمنّوا غير مرّة لو نُقلت صلوات قدّاسهم الى الانكليزيّة فانتدب حضرة الخوري فرنسيس شمالي احد مواطنيه الاب اليسوعي يوسف غريّب السدامودي من اساتذة مدرسة بوفالو لهذا العمل فاجاب اليه بطيب الخاطر . وقد سُررنا لهذا العمل وكان بودّنا ان يترجم اكليروس كلّ طائفة صلواته الى الافرنسيّة كما فعل الروم الكاثوليك ليزيد اقبال الفرنسويين على طقوسنا الشرقيّة ولاسيّما في الحفلات

الرسميَّة التي يُدعى اليها ممثلو الدولة الفرنسويَّة . وكثيرًا ما اعلنوا برغبتهم في ترجمتها ليجتنوا من طيب اثمارها . وعلى كلّ حال نشكر حضرة الاب غريّب لقيامهِ بهذه الخدمة في المهاجرة لابناء وطنهِ الذين لا يعرفون السريانيَّة وللاجانب معاً

تقاليد فرنسا في لبنان

للمسيو ريستلهوبر نقلهُ الى العربيَّة القس بولس عبُّود

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢١ (ص ٣٤١)

وقد وصفنا سابقاً (المشرق ١٨ [١٩٢٠] و ٧١٢) هذا الكتاب في اصلهِ الفرنساوي وبيَّنَّا ما يستحقُّهُ من الاعتبار بما يتضمَّنهُ من الفوائد العظيمة واشرنا الى بعض ما وقع فيه من الاغلاط التاريخيَّة فنثني على همَّة الخوري بولس عبُّود الذي نقلهُ الى العربيَّة ليستقي من مواردهِ العذبة اهل الوطن . امَّا ما وقع فيهِ المؤلف من الخطأ فقد وعدنا حضرة الناقل بان يخصّ لتصحيحهِ بحثاً ارجأهُ الى فرصة ثانية . وكلّ آتٍ قريب

تاريخ المسئلة الشرقيَّة

تأليف حسين لبيب استاذ التاريخ بمدرسة القضاء الشرعي

طُبع بمطبعة الهلال سنة ١٩٢١ (ص ١٢٠)

ظنَّ البعض انَّ الحرب الكونيَّة الاخيرة بضربها على الممالك العثمانيَّة تحلُّ المسئلة الشرقيَّة العويصة التي تشغل الافكار منذ ثلاثمائة سنة الَّا انَّ سياسة الحلفاء لم ترضَ بحلّها نهائيًّا لما ينجم من ذلك من المشاكل بين الدول الاوربيَّة ولاسيَّما بعد نهضة مصطفى كمال ومطالبتهِ بحقوق قومهِ الاتراك وانتشاب الحرب بينهُ وبين اليونان والله اعلم كيف تكون نهايتها . وقد أحسن حسين افندي لبيب بتدوين تاريخ هذه المسئلة ليعرف الشرقيُّون اصولها ويميّزوا بين غثّها وسمينها وقد الَّف علماء الغرب عدَّة كتب في هذا الموضوع مرَّ لنا ذكر بعضها ل . ش

مختارات جرجي زيدان (الجزء الثالث)

طُبعت في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٢١ (ص ١٥٦)

انتقدنا في بعض اعدادنا الماضية (ص ١٥٧) الجزئين الاوَّلين من هذه المنتخبات

التي تدلّ على سعة معارف صاحبها وتوقّد ذهنه في إدراك الامور مع ما لحظنا فيهما من الآراء الضعيفة في بعض المسائل الفلسفيّة والاجتماعيّة . وهذا الجزء قد قُدّ من ذاك الصخر فيه طرفة من محاسنها ومسحة عن مساوئها . فمنا لا نوافق فيه المرحوم جرجي زيدان مقالتهُ عن التعليم الالزامي (ص١٣) وقد اثبتنا في المشرق (١٩٢١ : ص٤٣٥) ما في الإجبار من الأضرار . وكذلك قولهُ في تعليم العلوم العصريّة في اللغة العربيّة بيّنّا ما فيهِ من الخلل من عدّة وجوه . على ان مقالات فقيد الآداب جرجي زيدان تفوق على كثير من امثالها برزانة كاتبها واعتدالهِ وبيانه فانّهُ احد الذين ساعدوا كثيراً في ترقية الآداب العربيّة فجازاهُ الله خيراً ل . ش

﴿هدايا أرسلت الى المشرق﴾ ١ مدحة الحور فسقفوس جرجس شلحت في مار افرام كنّارة الروح القدس . طبعت بمصر سنة ١٩٢١ (ص٨) مذيّلة بشروح لغويّة وتاريخيّة

٢ برنامج شركة القديس منصور دي بول في حلب عن السنتين ١٩١٩—١٩٢٠ وهما السنتان الحادية والثانية والعشرون لتأسيسها . طُبع في مطبعة الثبات في حلب (ص٢٩)

٣ حزب العمّال في دولة لبنان : القسم الاوّل البروغرام والقانون الاساسيّ طبع في مطبعة جدعون في بيروت (ص ٨ و 7)

شذرات

﴿الذباب﴾ من المعلوم لدى الخاصة والعامة ان الذباب من اسرع وشرّ النقّالة للامراض الوبائية فيفتك كل سنة بمئات الآلاف من البشر . وتأييداً لتلك الحقيقة الراهنة نذكر الحادث الآتي . قد أُحصي في ذبابة واحدة ٦،٦٠٠،٠٠٠ جرثومة لامراض شتّى منها الدوسنطارية والتيفوس والهيضة والطاعون الخ . الذبابة تعيش نحو خمسة اسابيع ليس الّا ومع ذلك ففي هذا الوقت اليسير تلد نسلاً . وهذا يلد غيره وهلمّ جرّا حتى النسل الثاني عشر فيبلغ عدد كل افراد الذباب المتناسلين على النمط السابق وصفه زهاء ١،٠٩٦،١٨١،٢٤٩،٣١٠،٧٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ويسوغ التعبير عن هذا الرقم الهائل على الوجه التقريبي الآتي وهو مليارٌ مضروب مرّتين في مثله . ولو بقي كل هذا الذباب حيّاً لكان مجموعه يساوي حجم الكرة الارضيّة ا

التي تدلّ على سعة معارف صاحبها وتوقّد ذهنه في إدراك الامور مع ما لحظنا فيهما من الآراء الضعيفة في بعض المسائل الفلسفيّة والاجتماعيّة . وهذا الجزء قد قُدّ من ذاك الصخر فيه طرفة من محاسنها ومسحة عن مساوئها . فمنا لا نوافق فيه المرحوم جرجي زيدان مقالتهُ عن التعليم الالزامي (ص١٣) وقد اثبتنا في المشرق (١٩٢١ : ص٤٣٥) ما في الإجبار من الأضرار . وكذلك قولهُ في تعليم العلوم العصريّة في اللغة العربيّة بيّنّا ما فيهِ من الخلل من عدّة وجوه . على ان مقالات فقيد الآداب جرجي زيدان تفوق على كثير من امثالها برزانة كاتبها واعتدالهِ وبيانه فانّهُ احد الذين ساعدوا كثيراً في ترقية الآداب العربيّة فجازاهُ الله خيراً ل . ش

﴿هدايا أرسلت الى المشرق﴾ ١ مدحة الحور فسقفوس جرجس شلحت في مار افرام كنّارة الروح القدس . طبعت بمصر سنة ١٩٢١ (ص٨) مذيّلة بشروح لغويّة وتاريخيّة

٢ برنامج شركة القديس منصور دي بول في حلب عن السنتين ١٩١٩—١٩٢٠ وهما السنتان الحادية والثانية والعشرون لتأسيسها . طُبع في مطبعة الثبات في حلب (ص٢٩)

٣ حزب العمّال في دولة لبنان : القسم الاوّل البروغرام والقانون الاساسيّ طبع في مطبعة جدعون في بيروت (ص ٨ و 7)

شذرات

﴿الذباب﴾ من المعلوم لدى الخاصة والعامة ان الذباب من اسرع وشرّ النقّالة للامراض الوبائية فيفتك كل سنة بمئات الآلاف من البشر . وتأييداً لتلك الحقيقة الراهنة نذكر الحادث الآتي . قد أُحصي في ذبابة واحدة ٦،٦٠٠،٠٠٠ جرثومة لامراض شتّى منها الدوسنطارية والتيفوس والهيضة والطاعون الخ . الذبابة تعيش نحو خمسة اسابيع ليس الّا ومع ذلك ففي هذا الوقت اليسير تلد نسلاً . وهذا يلد غيره وهلمّ جرّا حتى النسل الثاني عشر فيبلغ عدد كل افراد الذباب المتناسلين على النمط السابق وصفه زهاء ١،٠٩٦،١٨١،٢٤٩،٣١٠،٧٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ويسوغ التعبير عن هذا الرقم الهائل على الوجه التقريبي الآتي وهو مليارٌ مضروب مرّتين في مثله . ولو بقي كل هذا الذباب حيّاً لكان مجموعه يساوي حجم الكرة الارضيّة ا

ولكن اغلبه يهلك قبل انقضاء الخمسة الاسابيع . فتأمل في حكمة الخالق وعنايته بالبشر

﴿إكرام العلماء في البصرة﴾ قرأنا في مواسم الادب للسيد جعفر البيتي (٢ : ١٠٤) ما حرفهُ قال: ضاقت المعيشة على النضر بن شميل (العالم اللغوي الكبير) فخرج يريد خراسان فشيَّعهُ من اهل البصرة ثلثة آلاف رجل ما منهم الا محدث او نحوي او لغوي او عروضي او إخباري فلما صار بالمربد جلس ثمَّ قال: «يا اهل البصرة يعزُّ عليَّ فراقكم فوالله لو وجدتُ كلَّ يوم كيلة باقلاء ما فارقتكم». فلم يكن منهم من يتكفَّل لهُ ذلك . ذكرهُ ابو عبيدة في مثالب اهل البصرة والنضر هذا من اصحاب الخليل توفي سنة ٢٠٤ (٨١٩ م)

﴿تاريخ ضريح المرحوم جرجس همَّام﴾ اوقفنا صديقنا اسعد افندي رستم على هذه الابيات التي نظمها قبل وفاته المرحوم جرجس همَّام لتُحفر على قبره وضمَّنها ايمانهُ بالقيامة ودار الخلود:

كأني وقد أمسيتُ في القبر ثاويا ... وحولي اصحابي واهلي بواكيا
يذوبون من فرط الكآبة والأسى ... ويسقون من ماء الدموع تُرابيا
اقولُ لهم والبَيْنُ قد حال بيننا ... سيبعثني ربّي ويجبي عظاميا
ويجمعني في من أحبُّ فنلتقي ... ونحرز في دار الخلود الامانيا

﴿ترقّي الرسالات الكاثوليكيَّة في الصين﴾ وقفنا على آخر احصاء المتنصرين في الصين بهمة المرسلين الكاثوليك فاذا هو بالغ في السنة ١٩٢٠ : ١،٩٩٤،٤٨٤ وفي هذه السنة قد زاد نحو ١٠٠،٠٠٠ وكان عددهم سنة ١٩٠٦ اقل من مليون . فناهيك به دليلاً على نجاح الدين المستقيم في تلك البلاد المتكمة في ظلام الوثنيَّة

﴿وسام جوقة الشرف لمدير فرصة شنغاي﴾ روينا (ص ١٥٥) ما نقلتهُ مجلة المقتطف عن الامتيازات التي نالها الآباء اليسوعيُّون مديرو مرصد زيكاوي وقد انبأتنا رسائل الصين عن تفاصيل الحفلات التي أُقيمت في قنصليَّة فرنسة بحضور الجالية الافرنسيَّة واشراف الدولة الصينيَّة بنسبة تعليق وسام جوقه الشرف على صدر الاب فروك الذي منذ ٢٥ سنة يؤدي للدول الاوربيَّة خدماً لا تُحصى بنشره المراقبات الفلكيَّة والارصاد الجويَّة التي عليها يعتمد ارباب السفن الحربيَّة والتجاريَّة في بحار الصين . وكلهم لسان واحد في اطراء المرسلين الكاثوليك على اختلاف دولهم واديانهم

﴿بعثة علميَّة في اقطار الصين﴾ ومما استفدنا من رسائل الصين انَّ حضرة

الاب ليسان (Licent) اليسوعيّ من كبار العلماء الطبيعيين تجوّل في هذه السنين الاخيرة في عدّة ولايات صينيّة لدرس طبيعيّاتها لاسيّما ولايتي خنسو وكوكونور فجمع من المعلومات ما يؤمّل نشرهُ في عدّة تآليف عن جغرافية البلاد وتعريف عناصر اهلها وبيان خواصّها المدنيّة والجيولوجيّة والنباتيّة والحيوانيّة وكلّ ما يصلح لترقية الصين في الاقتصاديّة وجمع جمعهُ من الامثلة النباتيّة يبلغ علوّهُ اربعين متراً ومن الهوام والحشرات في العلب مترين مكعّبين ومن جلود الطيور لتحبيرها ٢٫٥٠٠ جلد ما عدا الفي صورة فوتغرافيّة لغرائب تلك البلاد . فأثنت الدولة الفرنسويّة على عملهِ هذا واتّسعت الجرائد والمجلّات العلميّة في وصف كلّ هذه الاكتشافات

﴿ الحيّات المطلقة ﴾ من ظريف ما اخبر بهِ المقريزي في الخطط (٢ : ٣١٩) عن احد الحُواة ما ننقلهُ تفكهةً للقرّاء قال : حدّث الامير ابو علي تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشي قال : اجتمعنا ليلةَ جمعة مع جماعة من الامراء في جامع القرافة في مصر . وعملنا سماطاً وجلسنا واستدعينا بن في الجامع فاكلنا ورفعنا الباقي الى بيت قيّم الجامع ثمّ تحدّثنا وغنا وكانت ليلةٌ باردة فنمنا عند المنبر . واذا انسان نصف الليل ممّن نام في هذا الجامع من عابري السبيل قد قام قائماً وهو يلطم على رأسهِ ويصيح : وا مالاهْ ! وا مالاهْ ! فقلنا لهُ : ويلك ما شأنك ؟ وما الذي دهاك ؟ ومَنْ سرقك ؟ وما سُرق لك ؟ فقال : يا سيّدي انا رجل من اهل طرا يقال لهُ ابو كريت الحاوي أمسى عليَّ الليل ونمتُ عندكم واكلتُ من خيركم وسّع الله عليكم ولي جمعة اجمع في سلّتي من نواحي طرا والحيّ الكبير والجبل كلّ غريبةٍ من الحيّات والافاعي ما لم يقدر عليه قطّ حاوٍ غيري وقد انفتحت الساعة السلّة وخرجت الافاعي وانا نائم لم اشعر . فقلت لهُ : ايش تقول . فقال : اي والله يا للنجدات . فقلنا : يا عدوّ الله قد اهلكتنا ومعنا صبيان واطفال . ثمّ انّ نبّهنا الناس وهربنا الى المنبر وطلعنا وازدحمنا فيهِ ومنّا من طلع على قواعد العمد فتسلّق وبقي واقفاً . واخذ ذلك الحاوي يتجسّس وفي يدهِ كنف الحيّات ويقول : قبضتُ الرقطاء . ثمّ يفتح السلّة ويضع فيها ثمّ يقول : قبضتُ امّ قرنين . ويفتح ويضع فيها ويقول قبضتُ الفلانيّ والفلانية من الثعابين والحيّات وهي معهُ باسمائها ويقول «ابو تليس وابو زعير» ونحن نقول : ايهِ . الى ان قال : «بس انزلوا ما بقي عليّ همّ ما بقي يهمّكم كبير شي . قلنا : كيف . قال : ما بقي

الّا البترا. وامّ رأسين انزلوا فا عليكم منهما. قلنا: كذا عليك لعنة الله يا عدوّ الله لا نزلنا للصبح فالمغرورُ من تغرّه. وصحنا بالقاضي ابي حفص القيم فأوقد الشمعة ولبس صباغات الخليب خوفاً على رجليه وجاء فنزلنا في الغور وطلعنا المئذنة فنمنا الى بكرة وتفرّق شملنا بعد تلك الليلة. وجمع القاضي القيّم عياله ثاني يوم وادخلوا عصيًّا تحت المنبر وسمّناً وشالوا الحصر فلم يظهر لهم شيء. وبلغ الحديث والى القرافة ابن شعلة الكتاميّ فاخذ الحاويّ ولم يزل به حتّى جمع ما قدر عليه وقال: ما اخلّيه الّا الى السلطان وكان الوزير اذ ذاك يانس الارمنيّ

وهذه القضيّة تُشبه قضيّةً جرت لجعفر بن الفضل بن الفرات وزير مصر المعروف بابن حزاية وذلك انهُ كان يهوى النظر الى الحيّات والافاعي والعقارب وامّ اربعة واربعين وما يجري هذا المجرى من الحشرات. وكان في دارهِ قاعة لطيفة مرخمة فيها سلل الحيات ولها قيّم فرّاش حاوٍ من الحواة ومعهُ مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطّها. وكان كلّ حاوٍ في مصر واعمالها يصيد ما يقدر عليه من الحيّات ويتباهون في ذوات العجب من اجناسها وفي الكبار وفي الغريبة المنظر. وكان الوزير يثيبهم على ذلك اوفى ثواب ويبذل لهم الجُعل حتّى يجتهدوا في تحصيلها. وكان لهُ وقت يجلس فيه على دكّة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيُخرجون ما في السلل ويطرحونهُ على ذلك الرخام ويحرّشون بين الهوام وهو يتعجّب من ذلك ويستحسنهُ. فلمّا كان ذات يوم انفذ رقعةً الى الشيخ الجليل ابن المدبّر الكاتب وكان من اعيان كتّاب أيامهِ وديوانهِ وكان عزيزًا عندهُ وكان يسكن الى جوار دار ابن الفرات يقول لهُ فيها: «نُشعر الشيخ الجليل ادام الله سلامتهُ انهُ لمّا كان البارحة عرض علينا الحواةُ الحشرات الجاري بها العادات انساب منها الى دارهِ الحيّة البترا. وذات القرنين والعقربان الكبير وابو صوفة ومما حدادا لنا الّا بعد عناء ومشقّة وبجملةٍ بذلناها للحواة ونحن نأمر الشيخ وفّقهُ الله بالتقدّم الى حاشيتهِ وصبيتهِ بصون ما وُجد منها الى ان تُنفذ الحواة لاخذها وردّها الى سلالها». فلما وقف ابن المدبّر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: «اتاني امر سيدنا الوزير خلّد الله نعمتهُ وحرس مدّتهُ بما اشار اليه في امر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك انّ الطلاق يلزمهُ ثلاثاً ان بات هو واحد من اهلهِ في الدار والسلام»

أسئلة وأجوبة

س سال الاخ دانيال الراهب اللبناني: ١ً ما هو هذا سفر المستقيم المذكور في كتاب يشوع بن نون (ف ١٠ ع ١٢) . ٢ً هل الآية الواردة هناك في وقوف الشمس والقمر كانت سابقاً في اصل الكتاب او كانت على هامشه فادخلها النساخ في المتن ؟

سفر المستقيم – آية وقوف الشمس

ج نجيب على (الاوّل) انَّ سفر المستقيم هو احد الاسفار المفقودة من التوراة وقد ورد ذكرهُ هنا في سفر يشوع ثم في كتاب الملوك الثاني (ف ١ ع ١٨) وقد فسَّرهُ البعض عن العبرانيَّة بسفر الصدّيقين وامَّا في الترجمة السريانيَّة فيدعى سفر التسابيح (ܬܫܒܚܬܐ ܕܡܫܝܚܐ) والظاهر انهُ كان مجموعاً من التسابيح التي كانوا يترنَّمون بها في اعيادهم . ونجيب على (الثاني) انَّ بعض المفسّرين يرون انَّ آية وقوف الشمس بامر يشوع نُقلت من بعدهِ من سفر المستقيم فاعتُبرت من الوحي بتصديق الانبياء عليها

س وسأل مستفيد ما لنا ننظر الى الشمس عند شروقها وغروبها ولا نطيق النظر اليها في رائعة النهار

النظر الى الشمس في طرفي النهار وفي الظهيرة

ج السبب في ذلك انَّ نور الشمس ينفذ في طرفي النهار طبقة من الجوّ اكثف واقلّ صفاء منهُ في الظهر بسبب الابخرة المتصاعدة من الارض عند الافق

س وسأل ايضاً هل يمكن وجود نور بلا حرارة او حرارة بلا نور

وجود النور والحرارة

ج لا يوجد عادةً نور بلا حرارة وانَّما الحرارة لا تزيد دائماً بنسبة زيادة النور فان بعض الاجسام ساطعة النور قليلة الحرارة كبعض الانوار الكهربائيَّة . امَّا الحرارة فكثيراً ما تحصل دون نور وقد تمكَّن العلماء من تجريد اشعَّة الشمس عن نورها مع ثبوت حرارتها المحرقة ل . ش

***

المشرق

نقل المسافرين والبريد بالطيّارات

من قلم الاب نخله اليسوعي

انّ فنّ الطيران خرج الآن من دور المآثر البطليّة التي أودت بحياة عدد لا يحصى من واقعي لوانه ودخل بعد الحرب الكونية في دور عملي اقلّ خطرًا بدون قياس لكنّهُ اجزل فائدة لكل المجتمع البشري. ومن اعظم الخدم التي يقوم بها حاضرًا نقلهُ للمسافرين وللبريد من بلد الى آخر ولاسيّما من عاصمة الى اخرى على جناح السرعة ولا استعارة هنا في هذا التعبير!

١ نقل المسافرين

اجل ان القطارات والبواخر تنقل حتى يومنا هذا تقريباً كل المسافرين فلا يُستثنى من هذا الحكم العام سوى النزر القليل منهم وهم الذين تُلجئهم ضرورةٌ ماسّة الى تقصير مدّة السفر بقدر الامكان او الذين شُغفوا بالتحليق في مملكة الهواء ونَهب رحيب الفضاء والتحرّر من اغلال الجاذبية. وعدد الفئة الاخيرة لا يزال ينمو يوماً فيوماً وقد هان الآن على هؤلاء المغرمين بالطيران إشباع نَهمتهم فيهِ بدون تبذير الاصفر الرنّان فان نفقة السياحات الهوائية لا تتجاوز كثيرًا مصاريف السفر بالدرجة الاولى من القطارات او البواخر بل هي دونها في بعض الظروف وان يكن ذلك من الغرابة بمكان

هاك جداول اهمّ خطوط الطيران الاوربية لنقل المسافرين والبريد والبضائع. أمّناه استنادًا الى معلومات عديدة طلبناها لاجل قرّاء المشرق من وكالات شركات الطيران في باريس:

١ (من باريس الى لندرة) خطّان جويّان تبلغ في احدهما نفقة السفر ٣٠٠ فرنك بدلًا من نحو ١٧٠ في الدرجة الاولى من القطار والباخرة بالسفر الاعتيادي. المسافة بين العاصمتين نحو ٣٧٠ كيلومترًا تُقطع في ساعتين ونصف بسرعة زهاء ١٥٠ كيلومترًا في الساعة. والسفر يوميّ في احد الخطّين ويجري ثلاث مرات كل اسبوع في الخطّ الآخر

٢ (من باريس الى بروكسل) السفر يوميّ ما عدا الاحد. المسافة نحو ٢٧٥ كيلومترًا والنفقة ١٧٥ فرنكًا

٣ (من باريس الى ستراسبرغ) السفر يومي ما عدا الاحد. المسافة نحو ٤١٥ كيلومترًا تُجتاز في ساعتين ونصف ليس الّا بسرعة ١٧٠ كيلومترًا في الساعة وهي اعظم ما نعرفه في خطوط الطيران. والنفقة ١٥٠ فرنكًا بدلًا من ١٠٦ فرنكات بالدرجة الاولى من السكة الحديدية

٤ (من ستراسبرغ الى براغ) عاصمة تشاكوسلوفاكية: السفر يجري ثلاث مرار في الاسبوع. المسافة زهاء ٥٣٠ كيلومترًا يقطعونها في ثلاث ساعات ونصف بسرعة نحو ١٥٢ كيلومترًا في الساعة. والنفقة ٣٥٠ فرنكًا — ومن العجب العجاب ان السياحة طيرانًا من باريس الى براغ على الخطّين الاخيرين تعاقبًا تتمّ باجتياز نحو الف كيلومتر في ست ساعات ومع ذلك تراها ارخص من السكة الحديدية. فتأمل!

٥ (من براغ الى ڤرسوڤية) المسافة زهاء ٥٣٠ كيلومترًا والنفقة ٣٠٠ فرنك

٦ من تولوز (فرنسة) الى كازابلنكا (مراكش) على طريق برسارنه وأليكنت ومَلَقة ورباط. السفر يجري ثلاث مرات في الاسبوع. مجموع المسافات يبلغ نحو ١٨٥٠ كيلومترًا تُقطع في ١٤ ساعة بمعدّل سرعة ١٣٢ كيلومترًا في الساعة — ومقدار النفقة ١٬٦٨٠ فرنكًا

في نيسان سنة ١٩٢١ كان للشركة المالكة هذا الخط ٧٠ طيارة لجميعها محرّكات قوّتها إجمالًا تفوق على ٤٥٬٠٠٠ حصان بخاري. ومن غرّة ايلول سنة ١٩١٩ وهو تاريخ افتتاح هذا الخط الى نهاية سنة ١٩٢٠ اجتازت طيّارات الشركة ٦٠٠٬٠٠٠ كيلومتر بنيّف

ولكل من شركات الطيران السابق ذكرها جداول مطبوعة لمواعيد قيام وورود

الطيارات ولنفقات نقل الاشخاص والبريد والامتعة والبضائع . وكل ذلك ناطق بسرعة ترقي تلك المواصلات الجديدة

ولكي يقف قرّاء المشرق على بعض تفاصيل تلك الاسفار الجديدة ويتحققوا جزيل فوائدها وجميل مستقبلها رأينا ان نحدّثهم هنيهةً عن التي تجري الآن يومياً بين لندرة وباريس وهما كما لا يخفى اعظم العواصم الاوربية بل اكبر مدن المعمور اذا ضربنا صفحاً عن نويورك وحدها فان لها المقام الثاني بعد لندرة

تقوم الآن كما مرَّ بك شركتان بنقل المسافرين هواء بين باريس ولندرة واحدة انكليزية والاخرى فرنساوية وكلتاهما تتنافس بقوة الطيارات ومهارة سوّاقها وفاخر مراكبها اي المخادع المعدَّة للسيَّاح المغلقة من كل جانب كما في القطارات . فهي مفروشة باجمل الاثاث ومدفّأة على الدوام بحيث لا يشعر الركّاب بادنى برد مع ان الطيّارات ترتقي احياناً الى علوّ نحو ١٫٥٠٠ متر

هلمَّ بنا الآن لنلقي نظرة سريعة الى بعض ظروف الاسفار اليومية بين باريس ولندرة فيقف القرّاء بذلك المثل على كيفية السياحات الجوّية عموماً

من يقصد السفر من باريس مثلاً يذهب الى مكتب احدى الشركات في العاصمة الفرنساوية فيدفع ثمن تذكرته بعد الاطلاع على كل المعلومات المفيدة . وفي اليوم المعين تنقلهُ احدى سيَّارات الشركة الى محطة الطيران الواقعة على مسافة نحو ستة كيلومترات من باريس في بقعة اسمها بورجه (Le Bourget) . وقد أُطلق على المحطة اسمان ظريفان وهما المحطة الهوائية (aérogare) والميناء الهوائية (aéroport) وكلاهما جاري الاستعمال . ولا مراء ان الثاني اغرب واجمل من الاول مع انه لا يخرج عن دائرة الحقيقة كما يتَّضح للمعتبر . والحق يقال ان محطة باريس الهوائية تفوق جميع رصيفاتها الاوربيَّة بحركة طيّاراتها واليك عددها لسبعة الاشهر الاولى من السنة المنصرمة :

كانون الثاني (٢٠٠) شباط (٢٧٠) آذار (٣٥٠) نيسان (٥٠٠)
ايار (٧٠٠) حزيران (٩٠٠) تموز (٩٥٠) الخ

تلوح سرعة الترقي لاول وهلة من محض تلاوة هذا الاحصاء فقد زاد عدد «السفن الهوائية» الراسية شهرياً في ميناء بورجه من ٢٠٠ الى ٩٥٠ نعني بنسبة ١

الى ٤ ½ وذلك في مدة سبعة اشهر ليس الّا. أفليس هذا من العجب العجاب وهو ايضاً خير كفيل برواج تلك الاسفار في المستقبل القريب ؟ هذا ولم نتوقف على وجود بقية هذا الاحصاء لآخر السنة ١٩٢٠ ولما مضى من السنة الحالية الّا اننا على يقين من مواصلة النموّ المشار اليه

ولاحظ يا رعاك الله ان الارقام السابقة مختصة بمجرد الطيارات القائمة بالاسفار بين باريس وغيرها من عظيم المدن الاوربية على وجه منتظم على الاقل وكثيراً ما يجري يومياً (راجع الجدول السابق) والحالة هذه لا تجد في ذلك الاحصاء ادنى اثر للطيارات الواردة من مدن فرنساوية قريبة او المنطلقة اليها ولا للتي يُقصَد منها مجرَّد «النزهة الهوائية» فتأمل !

امّا سبب تفوّق محطة باريس الهوائية على كل مزاحماتها فهو موقع العاصمة الفرنساوية في ملتقى اهمّ الطرق الجوية في كل العمور وهي الواصلة اليوم او المزمعة ان تصل غداً اوربة بأفريقية . واميركة باوربة . وهذه بآسية . وشمال اوربة بجنوبها وشواطئ المتوسط . ولذلك ترى ذوي الفكر البعيد من الفرنساويين يبنون على مستقبل محطة باريس اطيب الآمال لرواج كل مصالح بلادهم بل لانتشار التمدّن والنفوذ الفرنساوي في مشارق الارض ومغاربها

والآن حيث ادرك القرّاء خطير شأن تلك المحطة الهوائية المركزية للعالم اجمع نورد لهم وصفها على جناح السرعة اذ نحن في الطيران والطيّارات اشتان ثم شتّان ما بين هذه المحطة ومحطّات السكك الحديدية في المدن الكبرى وهي في الغالب بنايات طويلة عريضة شامخة فخيمة يقف المرء مبهوتاً لدى مرأى عظمتها وجلالها . امّا في محطة بورجه فانك تكاد تُحصي حجارة ابنيتها لقلة العمارة

وهناك تمتع ناظريك بمشهد سهل فسيح منبسط امامك وترى في بعض جهاته طيّارات ترتاح من عناء شوطها المُنهِك فيخيّل لك انها طيور جنارية عائدة من مهجرها وراء البحار الى تربة الوطن العزيز في غرّة ربيع ساطع الانوار باسم الازهار . ثم اذا رفعت مقلتيك رنوت الى طيّارات أُخر محلّقة على مسافات متباينة فمنها الوافد ومنها

الراحل . وحول السهل ترى كثيراً من مستودعات الطيارات (١ (hangars) مصطفة كالجنود ولها سقوف واطئة وابواب في غاية العرض . اما بناية المحطة نفسها فهي عبارة عن بعض ردهات صغيرة متلاصقة هي اشبه بالأكواخ منها بدور المدن فقد شيدت بالخشب من باب الاقتصاد والاكتفاء موقتاً بالضروري الذي لا بدّ منهُ . والحق يقال انك تجد فيها كل ما انت في حاجة اليه فهناك مطعم يقدّم لك ما كولات شتّى شأن كل المحطات الكبرى . وهناك ردهة الجمرك حيث تُلصَق الوُرَيقات المعروفة من الجميع على الأعكام . وهناك ايضاً مكتب جوازات السفر فلسنا لننسى اننا في الميناء الهوائية لباريس . وهناك اخيراً محلّ للبريد الجوّي السائر الآن على قدم وساق وترى الراحاً معلقة امامك تنبئك بمواعيد وصول وانطلاق الطيّارات في ذلك اليوم مع بيان وجهة السفن الهوائية الراحلة

ومن مزايا هذه السياحات على غيرها انك لا تحتاج الى ابقاء امتعتك معك ولا يخفى على المتعوّدين الاسفار الطويلة ما في ذلك من فرط العناء . امّا هنا فيأتي احد العمّال ويأخذها منك مقابل وَصلٍ وينقلها الى المحلّ المعدّ لها في مؤخر جسم الطيارة المعروف عند الفرنساويين باسم fuselage وترجمته «الغزلية» وقد سُمّي هكذا باعتبار شكله المستطيل الدقيق نسبياً . ومتى وصلت الى منتهى سياحتك اتى مستخدم آخر واعاد اليك ازاء وَصلك كلّ الامتعة . فتُعتَق من هتها طول السفر

ثم ان السهل الرحيب مقسّم الى قسمين يحيط بكل منهما حاجز فالاول مختصّ بالرحيل والثاني بالوصول وتملو كلّ واحد كتابةٌ طويلة عريضة واضحة لكل ذي عينين تدلّ على غايته دفعاً للالتباس الشديد الخطر في الطيران

أصغِ الآن يا رعاك الله الى ما يجري قبل انطلاق كل طيارة من العمليات التمهيدية المقصود منها تأمين السفر ضدّ كل الطوارئ الممكن ملافاتها . ترى اوّلاً الميكانيكي الساهر على المحركات يقلّب عينيهِ في كل اجزائها من دواليب ودفّاعات او رفّاصات ومخازن البترول واساطين مواقدهِ الى غير ذلك من الاعضاء الجوهرية التي يجرُّ ادنى اختلال فيها البوارَ العاجل . ويجري هذا الفحص الدقيق تحت مراقبة

١) من اغرب ما قرأنا بشأن ترقي الطيران ابتكار مستودع على شكل خيمة متحركة خفيفة نسبياً تحملها الطيّارة حيثما اتجهت وتضربها اينما حطّت للالتجاء اليها

السائق او الرُّبان (pilote) الموكول اليه تدبيرها في فضاء الجوّ

واثناء ذلك ترى منطادَ التجربة الخفيف صاعداً فوق المحطة في طبقات الجو فتزيد او تنقص سرعتهُ في كلٍّ منها ويحيد كثيراً او قليلاً عن الخط العامودي بحسب شدّة الريح ووجهته في كل طبقة. ويلاحظ كل هذه التفاصيل شخصان احدُهما يتبع المنطاد بنظّارته والآخر بيده كرونومتر وهو ساعة في غاية الضبط يقيّد بواسطتها الوقت المستغرَق في اجتياز منطاد التجربة لكل من الطبقات. فبفضل هذه العملية يتمكّن السائق المطّلع على نتائجها من احكام تسيير الطيّارة مهما كان ارتفاعها اثناء السياحة ولاسيّما انهُ يواصل ما استطاع طول مدّة شوطه ملاحظة الاحوال الجوّية بمساعدة الموازين المختلفة كميزان ثقل الهواء والحرارة والرطوبة والريح التي هي تحت نظاره

كل كلامنا حتى الآن يدور على محور الامور العرضيّة في حكم المتروّي اما الجوهر في السياحات الجوية فهو الطيّارة بدون مراء. فلا مندوحة لنا من وصف احدى الطيّارات الفرنسوية من طرز « جُليات » وهي من اقدر التي تقوم بنقل المسافرين من باريس الى لندن وبالعكس. ولعلّ القارئ اللبيب يرجم بالظنّ انها وُسمت باسم الجبّار الشهير في تاريخ اليهود نظراً الى عظمها ولم يخطئ المرمى. فانّ عرض جناحيها المنبسطين يبلغ ٢٨ متراً وطولها ١٤ متراً. ولها محرّكان مركوزان على جانبي جسم الطيّارة او «المنزلة» وقد نيطت بها المركبة المستطيلة المغلقة من كل جهة المحاطة بالنوافذ الزجاجيّة والمدفأة صيفاً وشتاء. هذه مختصة بالركاب وترى بها صفّين طويلين من المقاعد الفاخرة المصنوعة من الخيزران طلباً لعظم الخفّة. فمتى جلس المسافر على احدها تمتّع من النافذة التي على جانبه الايمن والايسر بمشاهد فتّانة تتبدّل على الدوام من رهاد وهضاب وجبال وسهول وانهار وبحار هيهات ان تجاريها مناظر السكك الحديدية

اما إحكام درجة التدفئة اللذيذة فكفى شاهداً عليه ان كثيراً من السياح يخلعون معاطفهم طول مدة الطيران لئلا تثقل عليهم وطأة الحرارة مع انهم يرتقون احياناً الى ١٫٥٠٠ متر ونيّف. اما السائق والميكانيكي فانهما يجلسان في اعلى جهة «المنزلة» المتوسطة فهو انسب مكان لادارة السفينة الهوائية كما يتضح

وثقل «جليات» فارغاً ألفا كيلوغرام ويقدر على حمل ٣٫٠٠٠ غيرها من مسافرين وامتعة وبضائع ومن وقود. وسرعتهُ في الساعة نحو ١٦٠ كيلومتراً فهي ضعف سرعة

القطارات المستعجلة وتمكنه من قطع ال ٣٧٠ كيلومتراً تقريباً الفاصلة بين محطة بورجه التي وصفناها (١ ومحطة كريدن (Croydon) من ضواحي لندرة في ظرف ساعتين وثلث (٢ . ومعلوم ان السفر المعتاد يستغرق على الاقل ثماني ساعات فتأمل! . ولا يخفى ما في الاسفار الارضيَّة والبحرية من ضروب العناء كرجّة القطارات ودخان مداخنها ودُوام البحر ودوخته والانتقال من القطار الى الباخرة ومن هذه الى قطار آخر بقطع مسافاة تُذكر ترجلاً وبتجشم الانتظارات المملة الذاهبة بمؤونة الصبر . فلا اثر لكل تلك العوائق والشرور في السياحات الجوّية فضلاً عن عجيب سرعتها وبديع مناظرها ومُنعش هواء طبقات الجوّ العليا وهو يكاد يشفي المدنف ويجدّد حياته !

اخيراً ان سرعة صعود « جليات » تبلغ كيلومتراً في اربع دقائق ليس الّا مع انه لا يقوى على الارتقاء عامودياً كما هو معلوم من القاصي والداني فما ادهش تلك السرعة حيث تقدره على الصعود بك الى قمة جبل صنّين بعلو ٢،٦٠٠ متر في ظرف عشر دقائق و ٢٤ ثانية !

ومن أبدع ما يجمّل السياحات الجوّية ان سائق الطيارة يُصعدها او يُحدرها في الجو وهي طوع بنانه ليمتّع المسافرين اكمل تمتُّع بمناظر الطبيعة فيعتلي مثلاً فوق الغابات العظيمة ليمكّنهم من شمولها بنظرة واحدة وينخفض لدى المرور بالمدن ليتمتعوا بمشاهدة اهمّ بناياتها الفنّية ومجالي حياتها اليومية

وبعد التلذُّذ بتلك الرؤى الفتّانة والتحليق في علوّ لا ينقص معدّلهُ عن نحو الف

---

١) مدة السفر في الواقع ساعتان ونصف لما في معظم السرعة من المحاذير وقد توصلوا الى جعلها ساعةً و ٥٠ دقيقة بسرعة نحو ٢٠٠ كيلو متر في الساعة

٢) ولا بدع فان لجليات مأثرتان هما من اجل التي سجّلها تاريخ الطيران . الاولى انه طار من باريس الى ميناء دكار الواقعة في اقصى غرب افريقية تقريباً وذلك من ١٠ الى ١٦ آب سنة ١٩١٩ فكان لهذه المعجزة صدى إعجاب وتحبيذ في افئدة كل الفرنساويين . وقد قام بها وبما يليها اللبوتنان بوسوترو (Bossotrot)

اما الثانية فهي الطيران بدون توقف مع ٨ ركاب من باريس الى كازابلنكا في مراكش . والمسافة بينهما عبارة عن نحو ٢،٢٠٠ كيلومتر وقد اجتيزت في ١٧ ساعة و ٤٥ دقيقة تعني بسرعة نحو ١٢٤ كيلو متراً في الساعة ولم يأت بمثل هذه المأثرة احد الطيارين الفرنساويين حتى غرة سنة ١٩٢٠

متر تنزل الطيارة نزلة فجائية ولو انها غير مزعجة ولا خطرة فتنحط على تربة محطة كريدن من ضواحي لندرة برشاقة النسر الواقع بعد حومة طويلة على صخرة جذبته بناصع صفرتها الذهبية . فيكاد السائح لا يصدق انه هبط من مملكة الهواء الى ملك الثرى مع ان باب مركبته قد فتح وسلم النزول الى الارض ركز على عتبته . ولا بدَّ من هذا السلم حيث للطيارة دواليب تجري بها على الحضيض بغاية السرعة لتستطيع الارتفاع في الجو . ومتى انحدر المسافر من سفينته الهوائية وتزود منها بنظرة الوداع مبشراً نفسه بأفراح العودة فانه يقدم جواز سفره ويعرض امتعته لعامل الجمرك بمحطة كريدن وعند خروجه منها يركب السيارة المعدة له ولرفقائه وهي تقلهم الى العاصمة الانكليزية في نحو عشرين دقيقة . فلا يزال يردد في مخيلته ذكر تلك السفرة العجيبة الآخذة بمجامع قلبه ويود لو ان كل سياحاته تجاريها ولو نوعاً في السرعة والراحة والتمتع

فيتضح من مقالتنا هذه على السياحات الجوية المنتظمة بالطيارات ولاسيما بين باريس وبعض حواضر المدن الاوربية خصوصاً لندرة ان تلك الاسفار ادركت اليوم وقتاً يضمن لها مستقبلاً مجيداً . ومع ذلك يخشى عليها في رأينا من مزاحمة المناطيد من طرز زبلين فهذه وحدها تقدر الآن على حمل مئات من الركاب وعشرات آلاف الكيلوغرامات من البضائع بسرعة نحو ١٢٠ كيلومتراً التي لا تقل كثيراً عن السرعة الجارية في الطيارات كما مر بك . والحالة هذه فمزية المناطيد الزبلينية قدرتها العظيمة ومزية الطيارات خفتها المدهشة فلكل منهما حينئذٍ وظيفته في تسهيل وتعجيل المواصلات الدولية . ولا نرى امكان الاستغناء المطلق عن المناطيد ما لم تجارها رصيفاتها في القوة وشتان ما بينهما الآن من هذا القبيل

ولعل خير الادلة على صحة رأينا هو الحادث الآتي (١ وهو ان المدير العام للشركة الصانعة للمناطيد الزبلينية اتفق في الشطر الثاني من سنة ١٩٢٠ مع رهط من اكبر المتمولين في اميركة الشمالية لانشاء سياحات منتظمة في الاتلنتيك بين اوربة والولايات المتحدة . والمدير المشار اليه صرح لهم بقدرته على صنع منطاد جديد الطرز

١) قد ذكر المشرق جوهر ذلك الخبر في عدد آذار المنصرم بالصحيفة ١٩٦

يستطيع نقل ٥٠٠ راكب ونحو ٨٢ طنًا من البضائع وعبور الاتلانتيك ثلاث مرّات يعني اجتياز مسافة نحو ١٨،٠٠٠ كيلومتر بدون تجديد مؤونة وقود محرّكاته البالغ ٦٠ طنًا من البنزين وبسرعة نحو ١٣٠ كيلومترًا في الساعة تمكنه من قطع المسافة الفاصلة بين القارّتين في اقلّ من يومين . فتأمل !

٢ نقل البريد بالطيارات

هذا النقل هو الفائدة الثانية العظمى التي تجنيها الآن بعض الدول الكبرى من الطيارات لتعجيل المواصلات البريدية بين حواضر مدنها . ومن البديهي الذي لا يختلف فيه اثنان ان الطيارات لا تخشى هنا مزاحمة المناطيد فان المعوّل في هذا النقل على السرعة وخفّة الحركات ليس على القدرة وذلك نظرًا الى قلّة وزن البريد حتى في العواصم ولاسيما اذا كاد ينحصر في الرسائل كما هو الآن

قد سبق لنا القول (راجع الصحيفة ٦٤٧ من عدد ايلول لسنة ١٩٢٠ من المشرق) ان اوّل نقل بريدي بالطيّارات على وجه منتظم كان بين تولوز (فرنسة) وبرسلونه (اسبانية) . ومن ذلك العهد ما زالت هذه الطريقة المبتكرة الجليلة الفوائد تمتدّ وتوسّع نطاقها ولعلّها ادركت في الولايات المتحدة اوج عزّها الحاضر . الامر الذي حدا بنا الى وصف بعض ما بلغت اليه في بلاد « العمّ سام » من غريب الترقي المنبئ بقرب تعميمها في كل اقطار المعمور

وما ادراك يا صاح مقدار رواج البريد الطائر هناك ؟ كان يصل في غرّة هذا العام بين نويرك وسان فرنسسكو مارًّا بمدن ذات شأن مثل كلافلند وشيكاغو وأوماها وسُلت لِك سِتي (Salt Lake City) . وخلاصة القول ان هذا الخط البريدي يجتاز كل عرض الولايات ذاهبًا من اقصاها شرقًا الى اقصاها غربًا . وطوله يبلغ نحو ٤،٢٠٠ كيلومتر فيكاد يساوي المسافة بين نويرك وليفربول وهي زهاء ٥،٠٠٠ كيلومتر

وعلاوة على هذا الخط الجاري أُنشئت عدّة خطوط ثانوية تربط اهمّ نقطة بالمدن الكبرى الخارجة عنهُ فمنها ما يصل نويرك بفيلادلفية ثم واشنطن — وشيكاغو بمنيبوليس (Minneapolis) — وشيكاغو بسان لويس

كانت اوائل هذا البريد الجوّي في منتصف ايار سنة ١٩١٨ وعلى حداثة عهده قد نقل في العام الماضي مائة مليون رسالة ! وذلك تقريباً عدد رعايا الولايات . اما سرعتهُ وجليل خدمهِ فحدّث عنها ولا حرج . كانت المسافة بين نويرك وسان فرنسسكو ٩٠ساعة ونصف بالقطار فهبطت الى٣٥ساعة اعني نحو ثلث طولها بفضل الطيارات . وكانت بين نويرك وشيكاغو زهاء ٢٤ ساعة و ٢٠ دقيقة فقصرت حتى تسع ساعات ونصف وقس على ذلك في بقية الاحوال وانت تعلم ان قطارات الولايات لا ندّ لها في الخافقين من جهة السرعة — وكذلك الاقتصاد في النفقات عجيب ايضاً فقد نقصت مصاريف «البريد الطائر» عن مصاريف البريد المعتاد بمبلغ ٤٢،٥٠٠ دولار في الخط بين واشنطن ونويرك وبما يفوق ١٠٠،٠٠٠ دولار في الخط بين نويرك وشيكاغو . فما اجمل الاقتصاد مقروناً بسامي المزايا المنوّه بها آنفاً !

وقد دفع هذا النجاح الباهر الحكومة الاميركية الى انشاء خطين بريديّين جديدين هما الآن على غاية الانتظام . الاول بين مدينة كيوست (Keywest) الواقعة في طرف شبه جزيرة فلوريدة وبين جزيرتي كوبة وهاتانة الغنيّتين بانواع المحصولات كما هو مشهور . فالبريد الطائر يسبق البواخر على هذا الخط باربع وعشرين ساعة — والثاني هو الواصل بلدة سيتل (Seattle) الواقعة في الولايات بميناء فيكتورية الكنديّة التي ترسي بها مئات من بواخر الشرق الاقصى اليابانية والصينيّة الخ . فبريد تلك البلاد يصل الى داخل الولايات بربح ٢٤ ساعة ايضاً بواسطة هذا الخط الثاني . وفي نيّة الحكومة نشر مثل تلك الخطوط البريدية الجويّة في طول البلاد وعرضها تعميماً لفوائدها الجمة . قال المسيو بريغر (Praeger) المعاون الثاني لمدير البريد العامّ في الولايات منوّهاً بالخدم العظيمة التي تقوم بها الطيارات : « كل طيارة بريدية تحمل ما يتراوح بين ١٨٠ و ٧٢٥ كيلوغراماً من الرسائل في كل شوط ويحدث هذا النقل على اكمل ما يرام من الانتظام ٩٠ مرّة في المائة وقد جاء الاقتصاد في النفقات مصوّباً لادارة البريد في انشائها الخطوط الجوية وانزالها بدل النقل الى سنتين (١ (two cents) عن كل ٢٨ غراماً على وجه التقريب » . وكفى شاهداً على حسن تقدير حكومة الولايات للبريد الطائر انها تعدّهُ سنوياً بمبلغ ١،٢٥٠،٠٠٠ دولار معيّنة له

١) السنت يساوي خمسة سنتيمات من العملة الفرنساوية

في الميزانيّة ليقوم بوظيفته الحيوية خير قيام. ثم ان مجموع طول خطوطه كان بالغاً في غرّة هذا العام نحو ٥٠٥٣٦ كيلومتراً منها نحو ٤٠٢٠٠ في الخط الاكبر الواصل نويرك بسان فرنسسكو كما مرّ بك

ولما اقترح من زمن قريب بعض الجهلة على ندوة واشنطن — المسيطرة على كل الولايات بسلطتها الاشتراعية كما لا يخفى — إلغاء البريد الجوّي ونفقاته الطائلة قام وقعد سوادُ نوّاب الأمة وأبوا قبول طلبه باكثرية الاصوات: وقالت احدى امهات الجرائد الاميركية النويرك تيمس (Newyork Times) وقد حمي وطيس جدال الصحافيين في هذا الموضوع قولاً حكيماً نترجمه حرفياً: « اذا أُلغيت مساعدة الحكومة المالية فستهبط الولايات الى ما دون الصين في نقل البريد فالصين قد انشأت خطاً جوياً دائماً بين پاكين وتيان تسين (١) »

هذه لمعة وجيزة في ترقي البريد الطائر آثرنا فيه اميركة على غيرها اذ لاح لنا كالشمس في رائعة النهار ان الترقي هناك اعظم بدون قياس منه في سائر الاقطار خصوصاً بالنسبة الى طول الخطوط وشدة حركتها التي برهنت عليها ارقام عديدة سابقة

وقد اعلم الشرق قراءهُ (راجع الصحيفة ١٩٦ من عدد آذار الاخير) انه كما نوت انكلترة انشاء محطات الطيران بين القاهرة ومستعمراتها في جنوب افريقية هكذا تفكر في انشاء بريد جوّي بين عاصمتها واميركة الجنوبية على طريق باريس فمدريد فرباط في مراكش فمستعمرة غمبيا في غرب افريقية الوسطى فيناء برنمبوك في البرازيل بعد عبور الاتلنتيك. وطول هذا الخط الجاري الذي ليس له مثيل حتى الآن سيكون نحو ٨٠٠٠ كيلومتر وذلك يساوي ثُمن دائرة الكرة الارضية!

فكل هذه الحوادث وكثير مثلها كافلة بتعميم البريد الجوي في المستقبل القريب لأنّ فيه مع نقل المسافرين خدمتين جليلتين يقوم بهما فن الطيران الحاضر الّا ان الاولى هي الآن على الاقلّ اشد خطورة بدون قياس بل يرجح امتناع مجاراة الطيّارات في هذا الميدان. امّا الآخر — نعني ميدان السياحات الجوية — فلا تزال المناطيد والطيارات تتسابق فيه كفرسي رهان ولا نرى وجه امكان الجزم بان لاحدهما افضليّة واسبقية مطلقة على الآخر حيث تفوّد كل منهما بكمالاته المشروحة آنفاً

---

(١) المسافة بين هاتين المدينتين لا تزيد عن نحو ١٥٠ كيلومتراً

ومن العجب العجاب وما كذّب انتظار الفنيّين انفسهم ان الطيران العسكري يقوم بخدمتيه الجليلتين باخطار اقل كثيراً من التي تودي بحياة الناس في القطارات والسيارات مثلاً. والحجج الدامغة لاثبات ذلك هي الاحصاآت التي ورد منها شيء غير يسير في عدد آذار من المشرق (الصحيفة ١٩٦). فنحيل اليها القارئ هرباً من الاعادات المملّة التافهة. ونزيد عليها الاحصائين الآتيين: اولاً لم يبلغ عدد القتلى في كل خطوط البريد الاميريكي الموصوفة سابقاً سوى الثانية وذلك من نشأتها في ١٥ ايار سنة ١٩١٨ الى غرة سنة ١٩٢١ رغماً من كونها تطير بغضّ النظر عن حالة الجو ولو عصفت اشدّ العواصف. ثم ان كثيراً منها كان مستخدماً في الحرب مصنوعاً لها ثم أُجري فيها بعض التغييرات بقصد توفيقها لنقل البريد. غير انها لم تزل مع ذلك مشوبة بنقائص تُعرّضها لاخطار اكثر (١ — ثانياً ان جميع الطيّارين المُلكيين الفرنساويين اجتازوا من غرّة كانون الثاني الى منتصف تموز من العام المنصرم نحو ١،٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر اعني نحو ٣٢ مرّة دائرة الكرة الارضية ومع ذلك العدد الهائل لم تسفر كل الطوارئ التي اعترتهم في تلك السبعة الاشهر الا عن خمسة قتلى وسبعة جرحى. فايُّ شركة ملاحة او سكك حديدية او سيارات تقدر ان تنافس الطيّارين بأمن اسفارها استناداً على مثل الاحصاء الاخير؟

اليس من الغرابة بمكان ان ركوب جواد الريح الحرون العاتي غدا اليوم آمن من خوض الدأماء بل من نهب الفضاء على صعيد الغبراء!

ويزيد تعجبنا زيادةً عظيمة اذا انتبهنا الى قصر المدّة التي نال في منتهاها الانسان ذلك الانتصار الشريف الباهر الذي فتح به مملكة الهواء المنيعة فطاف بسرعة السهم المرشوق في كل رحابها مشرقاً ومغرباً بأمن اعظم ممّا لو تجوّل بهذه السرعة في انحاء ملكه القديم. فلم يبرح من ذهن القرّاء ان الطيران لم يخرج قبل سنة ١٩٠٦ من دور التجارب المُودية بحياة مئات من راغبيه المتفانين في رفع لوائه وهاك جدولاً فصيحاً في وجازته يريك عظم ترقّي هذا الفن من ذلك العهد حتى غرّة هذا العام:

١) لانكلترة ايضاً كثير من الطيارات القديرة المعدة في الحرب لرمي القنابل وقد حُوّلت اليوم الى طيارات ملكية تجارية وبعضها يقوم بنقل المسافرين بين لندرة وباريس

	سنة ١٩٠٦	سنة ١٩٢٠
مُعظم السرعة في الساعة	٤١ كيلومترًا	٣٠٠
اطول شوط بدون توقف	٢٢٠ مترًا	١٩١٥ كيلومترًا
اطول مدة الطيران	٢١ دقيقة	٢٤ ساعة و ٤٢ دقيقة و ٤٥ ثانية
معظم الارتفاع في الطيران	٤٥٣ مترًا	فوق ١٠،٠٠٠ متر

فلا نتمالك عند مشهد ذلك النصر المبين المكلل جبين المرء سلطان الكون المادي بتاج من اشرف واجل تيجانه ان نصعد آيات الثناء والتعظيم الى سلطان السلاطين الباري عزّ وجلّ الذي زان الانسان بالعقل وجعل بيده عن لطفٍ وتنازُل عجيبين صولجانَ الملك المطلق على كل ممالك العالم الهيولي !

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة)

(12') قال الراوي: فلمّا سمع سليمان الملك هذه الابيات صرخ صرخةً ووقع مغشيًّا عليه ساعةً زمانيّة. فلمّا افاق من غشيته جلس على سريره وقال: يا آصاف قد طُفت مشارق الارض ومغاربها فما نظرتُ مثل هذا القصر ولا احسن منهُ ونظرتُ انّ صاحبهُ كان لبيبًا عاقلًا فيا ليتني كنتُ رأيتهُ وعرفتُ كيف كان حديثهُ ثمّ انهُ مشى حول السرير واذا مكتوب على جوانبهِ هذه الابيات :

سَلِ الملوك اذا وافت منيّتهم ... اين الجنودُ واين الخيلُ والحَوَلُ
اينَ الفوارسُ والنلمان ما صنعوا ... اين الصوارمُ والخطّيّةُ السُّمُرُ
هيهات ما منعوا ضيمًا ولا دفعوا ... عنهم أذى نجيعًا واقامَ الاجلُ
الى القبور وضيق اللحد قد نزلوا ... رهنًا بما صنعوا يومًا وما عملوا

قال الراوي: فجعل سليمان يدور في تلك القبّة ويتعجّب من بنيانها (12') وبينما هو دائر رأى بركةً عظيمةً في وسط القبّة وسمع في اعلاها ضجيجًا وصياحًا فرفع رأسهُ

	سنة ١٩٠٦	سنة ١٩٢٠
مُعظم السرعة في الساعة	٤١ كيلومترًا	٣٠٠
اطول شوط بدون توقف	٢٢٠ مترًا	١٩١٥ كيلومترًا
اطول مدة الطيران	٢١ دقيقة	٢٤ ساعة و ٤٢ دقيقة و ٤٥ ثانية
معظم الارتفاع في الطيران	٤٥٣ مترًا	فوق ١٠،٠٠٠ متر

فلا نتمالك عند مشهد ذلك النصر المبين المكلل جبين المرء سلطان الكون المادي بتاج من اشرف واجل تيجانه ان نصعد آيات الثناء والتعظيم الى سلطان السلاطين الباري عزّ وجلّ الذي زان الانسان بالعقل وجعل بيده عن لطفٍ وتنازُل عجيبين صولجانَ الملك المطلق على كل ممالك العالم الهيولي !

قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة)

(12') قال الراوي: فلمّا سمع سليمان الملك هذه الابيات صرخ صرخةً ووقع مغشيًّا عليه ساعةً زمانيّة. فلمّا افاق من غشيته جلس على سريره وقال: يا آصاف قد طُفت مشارق الارض ومغاربها فما نظرتُ مثل هذا القصر ولا احسن منهُ ونظرتُ انّ صاحبهُ كان لبيبًا عاقلًا فيا ليتني كنتُ رأيتهُ وعرفتُ كيف كان حديثهُ ثمّ انهُ مشى حول السرير واذا مكتوب على جوانبهِ هذه الابيات :

سَلِ الملوك اذا وافت منيّتهم ... اين الجنودُ واين الخيلُ والحَوَلُ
اينَ الفوارسُ والنلمان ما صنعوا ... اين الصوارمُ والخطّيّةُ السُّمُرُ
هيهات ما منعوا ضيمًا ولا دفعوا ... عنهم أذى نجيعًا واقامَ الاجلُ
الى القبور وضيق اللحد قد نزلوا ... رهنًا بما صنعوا يومًا وما عملوا

قال الراوي: فجعل سليمان يدور في تلك القبّة ويتعجّب من بنيانها (12') وبينما هو دائر رأى بركةً عظيمةً في وسط القبّة وسمع في اعلاها ضجيجًا وصياحًا فرفع رأسهُ

فظهر لهُ اشخاص مختلفة الالوان ابدان بلا رؤوس ورؤوس بلا ابدان وبكاء وعويل في اعلى القبَّة . فصرخ سليمان من صحن القبَّة هو ومن معهُ ليزجرهم فلم يبطل الصراخ فزاد تعجُّبهُ وقال لوزيرهِ : يا آصاف ما هذا الصياح الذي اسمعهُ ؟ فقال آصاف : يا نبيَّ الله لا شكَّ انَّ بعض الجنّ ساكن هاهنا وقد غلب عليهم العصيان والتمرُّد

فعند ذلك دعا سليمان الملك العفاريت فحضر منهم في الحال مائتان وخمسون عفريتاً كأنهم النخل الشواهق وسجدوا بين يدي سليمان وقالوا لهُ : ما تريد يا نبيَّ الله ؟ فقال : اريد منكم بان تأتوني بمن يزعق في هذه القبَّة . فصعدوا وطافوا جميع القبة فما وجدوا شيئاً فحضروا بين يدي سليمان والصراخ لم يبطل . ثم انهم غابوا ثاني مرَّة فوجدوا حيَّة عظيمة (13a) كأنها جمل وكانت من الجنّ فوقع العفاريت عليها وقالوا لها : ويحكِ يا حيَّة لماذا هذا الصياح والضجيج والصراخ والملك سليمان قد دخل هذا القصر ؟

ثمَّ انَّهم احضروها بين يدي سليمان الملك وقالت لهُ : السلام عليك يا نبيَّ الله . فقال لها سليمان : وعليك السلام . ثم سألها : ما هو الذي حملكِ على هذا الصراخ وانا داخل القبة . قالت لهُ : يا نبيَّ الله زعقتُ وصحتُ حتَّى تسمع صوتي وتطلبني فآتي بين يديك لاشتكي لك ما قد حلَّ بي من اهل هذا القصر ومن نكبات الدهر . فقال لها سليمان : ما اسمكِ ؟ قالت لهُ : اسمي النائلة . فقال لها سليمان : كم لكِ في هذا القصر ؟ فقالت : اساءتهُ عليَّ كان وخرابهُ على يديَّ صار . فقال لها سليمان : وكيف خربتِهِ واهلكتِ اهلهُ ولاي سبب صنعتِ بهم ذلك ؟ فقالت لهُ : انا اخبرك يا ملك الانس والجن (13b)

اني قبل العمارة كنتُ تحت الارض فبدأ صاحب هذا القصر في بنيانهِ وكان صاحبهُ رجلاً جبَّاراً عظيم الشأن قويَّ السلطان . قال لها سليمان : وايش كان اسمهُ ؟ قالت لهُ : كان اسمهُ عاد بن شدَّاد بن تامر بن لود بن سام بن نوح عليهِ السلام . وكان عادٌ ذا بطش وهيبة فملك الدنيا باجمعها من اوَّلها الى آخرها وبنى هذا القصر في ثلاث مائة سنة واتقن بنيانهُ واحكم هندستهُ ثمَّ ملأهُ بالجند والعساكر وكنتُ انا وبعلي ساكنَيْن فيهِ مع اولادي . وبعد وفاتهِ قام غيرهُ في تمادي الزمان فجاء خدمهُ وهجموا

علينا فهربنا فجدُّوا في طلبنا وتبعونا الى خارج القصر وقتلوا اولادي الاربعة ونجوتُ انا وبعلي منهم

ولمَّا كانت السنة الثانية قتلوا لي ثلاثة اولاد آخرين فاشتدَّ علينا (٤٢) الألم وبقينا خمس سنين ما طلعنا من مكاننا وما رأينا ضوء الشمس من الحزن الذي اصابنا. ثمَّ من بعد ذلك خرجنا في بعض الأيام وهم في اكل وشرب وفرح وسرور. فلمَّا رأونا جدُّوا في طلبنا فهربنا منهم فلحقوا بعلي وقتلوه ونجوتُ انا منهم وبقيتُ وحدي متروبةً في مكاني ولم أرَ احدًا من القوم لأن أجل بعلي واولادي كان على يد هؤلاء القوم وليس لي حيلة في حكم الله معهم. ثمَّ اني أقمتُ على حزني مقدار عشرين سنة فظهرتُ على وجه الارض حتَّى خرجتُ في بعض الأيام الى مشارق الدنيا وهم في اكل وشرب وفرح وسرور فلمَّا رأوني جدُّوا في طلبي وانا هاربة منهم فلحقوني وانا داخلة في وكري فضربوني ضربةً شديدة فقطعوا ذنبي فألمني ذلك الماً عظيماً وبلغ مني الوجع حتَّى لم استطع اصبر عنهم ولا ساعة من عظم ما نابني منهم ومن (٤٣) فعلهم الرديء ثمَّ غلب عليَّ طبعي الخبيث في ضررهم فخرجتُ الى الماء الذي كانوا يشربون منهُ فنفثتُ فيه السمَّ ثمَّ صرتُ ألدغهم وارمي سمّي في طعامهم حتَّى اهلكتُهم جميعاً وما بقي في القصر غير النسر الذي في اعلاه

ولمَّا مرَّ عليَّ سنون واعوام كثيرة جاء ملك ومعهُ الف وزير وتحت يد كل وزير الفُ الفٍ من الاعوان فضجَّت بهم هذه الارض من كثرتهم فسكنوا في هذا القصر زماناً طويلاً ثم سلَّط الله عليهم جوعاً شديدًا فماتوا باجمعهم وهلكوا وبقي القصر على حاله زمناً طويلاً. وبعد ذلك اتى الى هذا القصر عفريتٌ عظيم وكان اسمهُ الدَّغوة وهو من اولاد الشيطان ومعهُ من جنده مائة عفريت فجاء وسكن في هذا الصنم الذي كان يعبدهُ عاد واعوانهُ معهُ وهو الى الآن في هذا القصر (٤٤).

فلمَّا سمع سليمان الملك ذلك قال للحيَّة: قد عجبني حديثكِ وقد أشرحتِ قلبي من الهمّ والغمّ. ثمَّ قال لها: واين هو هذا العفريت؟ قالت لهُ: يا عظيم الملك هو في هذا السرداب تحت هذه المقصورة. فلمَّا سمع سليمان نهض قائماً وطاف القصر ولم يترك فيهِ مناوقاً الَّا فتحهُ ولم يترك باباً مفتوحاً الا اغلقهُ. فلما وصل الى باب المقصورة وجد مكتوباً عليهِ هذه الابيات:

حتى متى تبتغي العلياء يا رجلُ ترجو الخلود فلن يبقى لك الاملُ
اراك ترفع بنياناً فتُحكمهُ وقد بنى قبلك الاسلافُ والأولُ
قد جمّعوا المال من حلٍّ ومن حرمٍ ولم يُرَدَّ القضا لمّا انقضى الاجلُ
فقال صاحبهم للقوم ليس لكم فيها مقامٌ فساروا بعد ما نزلوا
(15ᵛ) اللهُ ربّي تعالى الله خالقُنا فانظر لنفسك قبل الموت يا رجلُ
وخذ من الزاد ما يُرضي جلالتهُ خيرًا وذلك تقوى الله والعملُ

قال الراوي: فبكى سليمان عند ما قرأ هذه الابيات ثمَّ انهُ فتح تلك القصورة واذا هي من العقيق الاحمر وفرشها من البلّور الابيض وبينها العواميد من الذهب الابريز. فجعل سليمان يخطر الفراش ويعدّها حتّى عدَّ عشرةً منها فوجد باباً من الحديد الصافي وعليهِ عقرب من الفضّة فتركهُ فانفتح لهُ باب سردابٍ تحت الارض فنظر سليمان الى باب عليهِ مكتوب هذه الابيات:

ألا بَعَّدَ المولى لدارٍ تروحها كُفيتم بلاءَ الدنيا كُفيتم ظنونها
فما زالت الدنيا محلًّا لباطلٍ وللناس ارزاقٌ فيتكلونها

قال الراوي: فتعجّب سليمان من هذه الابيات وامر وزيرهُ آصاف (16ᵛ) ان يكتبها ولم يزل يقرأها حتّى حفظها وانحدر الى السرداب فعدَّ واحدًا وعشرين درجةً وكان مع اصاف شمعة فهبَّ ريحٌ فاطفأها. فعند ذلك همَّ سليمان بالرجوع فلم يعلم الى اين يمضي. وفيما هو كذلك اذ نظر ضوءًا من بعيد فقصدهُ ولمّا وصل اليهِ نظر واذا هما عينا ذلك الصنم تلوحان مثل البرق من فوق ذلك السريز. وكان الصنم مرصّعاً بالذهب وعيناهُ كدرّتين تشعّان وتلمعان في رأسهِ فقال سليمان: يا آصاف انظر هذا الصنم كأنهُ حيٌّ ناطق. فقال آصاف: يا نبيَّ الله هذا الذي تراهُ طلسمات عملها ملوك الجبابرة من قديم الزمان

فعند ذلك دنا سليمان نحو الصنم فصار الصنم على كرسيّه وكان يدور كدوران (16ᵛ) الرحى وصار يخرج من عينيه لهيب نار ومن مناخيرهِ دخان وكبريت وصار الصنم يرتفع الى اعلى القبّة ويظهر منهُ صياح وصراخ عظيم وصوت كصوت الصواعق والرعد وكان ينادي باعلى صوتهِ ويقول: «يا شياطين يا ابالسة ويا اهل الفتن والطغيان تعالوا هاهنا لقد اتاكم سليمان وليحضر اليَّ اوّل الشياطين وجنودهُ فها قد حضر سليمان وهو يذلّكم ويفلّ جنودكم ويكسر اصنامكم ويهلك ملوككم

ويعذبكم . تعالوا حتى نقتلهُ ونخلص الانس والجنّ منهُ . فاجابهُ الحال مائة عفريت مردة وظهروا على سليمان الملك وكشفوا عصيانهم وبيّنوا عزمهم على مقاتلتهِ

فعند ذلك صرخ سليمان صرخةً عظيمة وقال لهم : الويل لكم يا جنود ابليس يا ملاعين يا ويلكم يا ملاعين يا عفاريت أتتمرّدون عليّ ايضاً ولنا ملككم وسلطانكم والحاكم (17ᵃ) عليكم ومُذلّكم لانّ معي آيات الله العظيمة . ثمّ انهُ اومأ عليهم بالخاتم فوقع الصنم على الارض وغُشي على الشيطان الذي كان ساكناً فيهِ وانهزمت العفاريت المتمرّدون . فزعق عليهم سليمان فوقعوا بعضهم على بعض ثمّ قاموا وصعدوا في الفضاء وبقوا هاربين يقتلون في الهواء

وبعد ذلك دعا سليمان وزيرهُ ودنا من كرسيّ الصنم وطاف جولهُ ونظر في ضوء الشمس واذا لوحٌ من الذهب عليهِ مكتوب هذه الابيات :

ستُزعجك المنايا في بَوارك وتُهلكك الردى بحذاء دارك
وتترك ما شقيتَ بهِ زماناً وتُنقَل عن غناك واقتدارك
فقدّم توبةً تُحظك عفوًا تجدْ عزًّا وتسعدْ في جدارك

قال الراوي (17ᵇ) : فبكى سليمان عند ذلك بكاء شديداً ثمّ انهُ تقدّم الى الكرسي فرأى من ورائهِ قبرًا طولهُ خمسون ذراعاً وهو مرصّع بالذهب والجواهر الثمينة واصناف السَّبج والعقيق الاحمر وجميع الاصناف من الياقوت والزمرُّد . فتأمّل ذلك سليمان وتعجّب غاية العجب . ثمّ تطلّع ايضاً فرأى عند رأس القبر لوحاً مكتوباً عليهِ هذه الابيات :

انا ابن شدادَ الملكُ تجلّلني الارض جماء وكلُّ مكانِ
فيّ القبائل والجحافل والملا كلّ البلاد واهلها تخشاني
وجمعتُ مالاً ليس يُحصى وصفهُ وذخيرةً لنوائب الازمانِ
فاتاني الموتُ المفرّق الموى فنُقلتُ من عزّي لدار هواني
فندمتُ حتى لا تُفيد ندامتي اسفاً على فخري وعالي شأني
وقد رأيت جميع ما قدّمتهُ اني الرهينُ بهِ وكنتُ الجاني
(18ᵃ) فانظر لنفسك يا فتى قبل الفنا واحذر شديد نوائب الازمانِ

فقال الراوي : فعند ذلك بكى سليمان بكاء شديداً حتى انهُ بلّ لحيتهُ من الدموع ثمّ تقدّم عند رجلي الصنم فوجد لوحاً مكتوباً عليهِ هذه الابيات :

تزوّد من الدنيا فانك راحلٌ قريباً لانّ الموت لا شكّ نازلُ
فعمرُك في الدنيا غرورٌ وباطلٌ وعيشك في الدنيا محالٌ وباطلُ

فلمّا قرأ سليمان هذه الابيات نظر واذا لوح آخر مكتوبٌ عليه يقول « انا ابن شدّاد بن نامر بن لود بن ارام بن سام بن نوح . قد بنيتُ الف مدينة على ترتيب هذا القصر وجعلتُ ارضهُ مسكاً وعنبراً وبنيتهُ لبنةً من فضّة ولبنةً من ذهب وركبتُ في عمري الف جواد سوابق وملكت الدنيا شرقها مع غربها (18ᵃ) وبرّها مع بحرها وقمتُ الفاً من الملوك وتزوّجت كثيراً من النساء وبعد هذا جميعه بقيت انا وحدي في هذه الدنيا الغرور فلا تغرّنك الدنيا وشهوتها واعرفْ بيان مذموم فعلها ومن يركن اليها يكون طاغياً باغياً عاصياً لربّهِ . فقد بان لي الآن اني بعد هذا جميعه لا اكلتُ ولا شربتُ ولا ملكتُ ولا فرحتُ ولا بنيتُ ولا عمّرتُ ولا رحتُ ولا جئتُ . والآن بالله عليكم يا سامعون انّ كلّ من يتأمل فيّ ويبصر ما حلّ بي يعتبر بحالهِ فانّ العاقل يعتبر بغيرهِ فتحلّ عليهِ طاعة الله مولاه وبعد هذا جميعه اقول وانوح وابكي على نفسي بدموع لا تنشف :

عاوتُ على الملوك بكل امرٍ وفقتُ على الموالي في زماني
(19ᵃ) وحاكيتُ الثريا في علاها وها انا في التراب كما تراني

قال الراوي : فبكى سليمان الملك بكاء شديداً لمّا سمع هذه الابيات هو ومن معهُ . ثمّ سجد على الارض وخرّ على وجههِ قائلاً : المغرور بهذه الدنيا جاهل . ثمّ انهُ خرج خارج القصر وقفل الابواب كما كانت واستدعى بالحيّة والنسور وطيّب قلوبهم ورتّب لهم رواتب من اللحوم ثمّ ارسلهم الى القصر وصرفهم الى حال سبيلهم ومضى ولم يلبس شيئاً من القصر لاهو ولا وزراؤهُ ولا عسكرهُ

ثمّ ركب على البساط وامر الريح ان ترفعهُ فرفعتهُ وساروا ايّاماً ولياليَ حتّى وصلوا الى بيت المقدس هو ومن معهُ وهو حيران (19ᵇ) ومتعجب من هذا القصر العجيب وممّا رأى فيهِ ومن جواهرهِ الفريدة ومن عمارتهِ الفائقة العقول ثمّ عاد يسبّح الله العظيم المالك علينا دائماً امين

المذهب الدروينى واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

انتقاد مذهب التحوُّل والترقّي

١ التولد الذاتي

انَّ مذهب التحوُّل وتكوُّن الانواع بالنواميس الطبيعيَّة أدَّى بالمتمذهبين به شاءدروين ام ابى الى نكران العالم الفائق للطبيعة والى جحود الخالق والنفس المجرَّدة عن الهيولي . امَّا اصل الحياة على زعم هؤلاء المنتمين الى المذهب المذكور فهو من التولُّد الذاتي حيث اتَّقدت الشرارة الاولى من الحياة في بعض ذرَّات المادَّة الخالية منها سابقاً . ظهرت صدفةً في خليَّة من الخلايا ثمَّ نمت بعد ذلك وانتشرت

وهنا لا بُدَّ ان نستفتي كبار العلماء عن رأيهم في التولُّد الذاتي . اصحيحٌ هو يا تُرى ما يزعم البعض ان بعض الاحياء مهما كانت صغيرةً تولد دون جرثومة سابقة اي دون التناسل الطبيعيّ . فان ثبت ذلك امكن هكل ان يسند رأيهُ في اصل الحياة الى مبدإ شبيه بالحقيقة يحتمل الصحَّة نوعاً . امَّا اذا تبيَّن بطلان التولُّد الذاتي فيسقط مذهب هكل كبناء لا اساس لهُ . وهنا لنا ادلَّة مبنيَّة على الاختبار الذي ينفي كل التأويلات والماحكات

نقرُّ بان العلماء الاقدمين الى اواسط القرن التاسع عشر كانوا يقولون بحدوث التولُّد الذاتي ساندين زعمهم الى ما نراهُ كل يوم في الموادّ النباتيَّة والحيوانيَّة التي عند فسادها يظهر فيها الدود ثمَّ يتحوَّل الدود الى ذُباب . واذا فحصتَ تلك الموادّ بالمجهر رأيت الوف الالوف من الحيَّويناتِ البالغة الصغر المدعوَّة بالجَلَميَّات والميكروبات . فكان العلماء منذ ارسطو الى آباء الكنيسة وعلماء القرون المتأخرة ينسبون هذه المواليد الى التولُّد الذاتي

وقد ظهر بطلان هذا الزعم بما اكتشفهُ وقرَّرهُ بالامتحانات العديدة ذلك الجهبذ العظيم والنابغة الفرنسويّ الكبير لويس باستور حيث اثبت ان الحيّ ايًّا كان يتولَّد

من حيّ سابق. وهذا المبدأ الجليل اثبتهُ في باريس مجمع العلوم الفرنسويّ بعد ان عيَّن لجنةً من العلماء الاختصاصيين لفحصهِ وبعد ان كثر القال والقيل بين المناقضين لهُ والمتشيّعين بهِ حتّى تحصحص الحقّ وزهق الباطل فاعلن المجمع المذكور حكمهُ بما نصُّهُ : « ان الكائنات الآليّة في حالة ارضنا الحاليّة تنال حياتها من احياء اخرى سبقتها الى الوجود وليس حيٌّ بينها كبيراً كان او صغيراً الّا وقد تناسل عن أجداد لهُ سابقة » ثمَّ عاد كاتب اسرار المجمع العلميّ المذكور مصرّحاً بقولهِ : « انَّ الامتحانات التي بلغ اليها العلّامة باستور هي ثابتةٌ مقرّرة اذا نكرها احد دلّ بنكرانهِ الى انهُ يجهل القضيّة جهلاً مطبقاً »

والحقّ يقال انَّ الفضل في اكتشاف هذا الامر وتبيانهِ بالاختبارات المقنعة يعود الى باستور المومأ اليهِ وقد تبعهُ في تكرار هذه الاختبارات اكبر علماء العالَمين فلم يَعُدْ احد يشكّ ببطلان القول بالتولُّد الذاتي. وقد نتجت ايضاً عدَّة معلومات مما وجدهُ باستور عن تولُّد الكائنات الآليّة من جراثيم سابقة. كنسبة الاوبئة الفاشية الى جراثيم حيَّة وكسلامة الاطعمة من الفساد وكاتخاذ الاحتياطات الصحيَّة في العمليَّات الجراحيَّة الخ

ومن هذه الاكتشافات ايضاً تولَّد احد العلوم المستحدَثة علمُ الميكروبات او البكتيرولوجيا الذي مبناهُ على هذه الحقيقة « انَّ كلّ جرثومة تنشأ عن جرثومة سابقة من نوعها » . وقد دخلت هذه المعلومات في الصناعة كتربية دود القز واختبارات الخمور والجعة والجبن الخ وفي الطبّ لمعالجة امراض شتَّى تصيب الانسان والحيوان والنباتات الزراعيَّة

ليس تولُّدٌ ذاتي ! ذلك يعلن بهِ فنّ الجراحة فانَّ الجراحيّين اذا باشروا عمليَّة ابتدأوا بالاحتياطات التعقيميَّة الواجبة كالماء الغالي والقطن المعقَّم مع تعقيم الآلات الجراحيَّة والعناية بالنظافة التامَّة لئلّا ينال الجروحَ شيءٌ من أذى الجراثيم السابقة

ليس تولُّد ذاتي ! هذا ما يجاهر بهِ الطبّ حيث يبحث عن الميكروب الخاصّ بكل علَّة وعن الوسائل لتخفيف وطأتها ان لم يستطع منع نشوئها

ليس تولُّد ذاتي ! قد تحقَّقهُ فنّ الفلاحة وهذا ما ساعد الفلّاحين على معرفة الامراض المصيبة للكرمة والبطاطا والعلل الفاشية في دود القزّ والحيوانات الداجنة.

وكثيراً ما سبق العلماء وارشدوا الفلاحين الى الوسائط الكافلة بازالتها ومنع رجوعها

ليس تولد ذاتي اكما اجمع عليه علماء الصحة (الهيجين) . ألا ترى كثيرين من الحلاقين ينشرون اعلاناً على باب محلاتهم عليه هذه الكلمة «تعقيم» ليطمئنوا زبناءهم ويقيدوهم انَّ ادوات حلاقتهم معقَّمة لا تنقل جراثيم وبائيَّة من وجه شخص الى آخر. فتراهم قبل استعمالهم للموسى يعرضونها على شعلة نار قنديل لاستئصال كل جرثومة ضارَّة . وفي عدَّة بلاد قوانين تقضي على العطَّارين والجزَّارين باتخاذ الوسائل الكافلة بنظافة مبيعاتهم وذلك كلُّهُ لما ثبت عند الجميع بانَّ الاوبئة تنتج عن جراثيم سابقة الوجود

وخلاصة القول انهُ اليوم لم يبق رجل صائب العقل سديد الرأي يذهب الى التولُّد الذاتي اللهمَّ الَّا بعض الماديين تأييداً لزعمهم الباطل ويُشار اليهم بالبنان لتأخرهم عن حركة العلوم . وبذلك يسقط بناء المذهب الدروينى المشيَّد على اساس واهٍ فيقضى على الناكرين لوجود الخالق احدُ امرين امَّا ان يقرُّوا بهِ عزَّ وجلَّ وذلك ما يثبتهُ العلم وامَّا ان يقولوا بالتولُّد الذاتي وينفردوا في رأيهم الباطل عميهين في طغيانهم

ولعلَّ هكل والمتشيعين بزعمهِ يدَّعون بانَّ التولُّد الذاتي قد بطل الآن وانَّما كان جارياً في الاجيال السالفة . هذا كلام بلا سند يرميهِ هؤلاء المتشدقون على عواهنهِ لا يستحقُّ اعتباراً .

وقد حاول الدكتور هكسلي (Hexley) الانكليزي سنة ١٨٦٨ اثبات رأي هكل فادَّعى انهُ وجد في قعر الاوقيانوس مادَّةً اوليَّة نشائيَّة دعاها باثيبيوس زعم انَّ الحياة تتولَّد فيها ذاتيًّا . فطبَّل الماديُّون الالمانيُّون وزمَّروا لهذا الاكتشاف اذ رأوا ذاك الهلام المنتزع من اعماق البحار فحسبوهُ اوَّلَ جسم آلي نشأت عنهُ الحياة وانتشرت في العالم . على انَّ فرحهم هذا ما لبث الى ان آل الى خزي وعار واقرَّ علماء الالمان في مؤتمر همبورج المنعقد سنة ١٨٧٦ انَّ العنصر المزعوم عديم الحياة . وفي مؤتمر آخر عُقد في انكلترة سنة ١٨٧٩ اذ حاول احدهم ان يهنئ هكسلي عن اكتشافهِ المزعوم لاصل الحياة قام هذا ورفض تهنئتهُ قائلاً «انَّ الباثيبيوس الذى ظننتهُ مصدر الحياة ليس هو شيئاً سوى راسب سلفات الكلس» . وباقرار هكسلي هذا لم يَعُد احد الى ذكر الباثيبيوس المشئوم

وما يستوقف النظر في هذه الكائنات الدقيقة والجراثيم والحلميات وما يدعوه العموم بالعفونيات انها ليست فقط متولدة من حيويات سابقة بل هي كلها انواع مستقلة ثابتة غير قابلة التحول من نوع الى آخر كما يدعي مشايعو دروين . ومن ثم يجب نبذ اراء الماديين ومزاعمهم الباطلة في تولد الحياة ذاتيًا في بعض دقائق المادة وانتشارها تدريجًا في بقية الكائنات بتحولها من نوع الى آخر . وان صح ذلك في الواليد السفلى فما قولك بالنفس الانسانية ذات النطق والادراك أفيستطيع هكل وانصاره ان يرقوا أصلها الى المادة الجامدة . فليخزَ هؤلاء جحدة اللاهوت الذين لم يلتجئوا الى التولد الذاتي الا ليفلتوا من تكوين الخالق ويتنصلوا من تبعة واجباتهم نحوه تعالى كما اقرَّ بذلك هكل حيث قال : « لا مناص لتعليل وجود الحياة من احد امرين او القول بالتولد الذاتي وتحول المادة الآلية بتمادي الزمان او الاقرار بالاعجوبة (يريد بالاعجوبة تكوين الخالق للكائنات) . هذا ما كتبهُ دي سوري (de Soury) في شرحه مذهب هكل . ومرجع قولهم الى هذا المبدأ الغريب « اننا معشر الماديين في حاجة الى إثبات التولد الذاتي فنفضل القول بالمستحيل من الاقرار بوجود الله » زه ! زه

٢ الانتخاب الطبيعي

سقطت توهمات هكل في قدم المادة واصل الحياة الطوعي وما حمله الى مزاعمه الباطلة سوى بغضه لما يفوق الطبيعة . وفي ما سبق الكفاية لردّ ترهاته

ولعلّ سائلًا يطلب منّا قائلًا : « لقد ثبت لدينا بطلان اقوال هكل . ولكن ألا يمكن يا تُرى الانضواء الى مذهب دروين بقولنا معهُ انَّ الله خلق بادئ بدء بعض الانواع التي تحولت بعدئذٍ الى انواع أخرى ؟ او يوجد في هذا الرأي شيء ينافي الايمان المسيحي او يردُّهُ العقل الصائب أو ليس هو بالحري رأيًا راجحًا ؟ وما هو مبلغ رجوحه ؟ وهل يجوز ان نُعير بالًا لتلك العوامل التي يدعم عليه دروين رأيهُ اعني النزاع لبقاء الحياة وحاجة الكائنات الى بعض الاعضاء وعمل الوسط والوراثة وهلم جرًّا ؟ وهل اثرت تلك العوامل المزعومة في احوال النبات والحيوان الى ان ثبتت اخيرًا على الانواع التي نعرفها اليوم ؟ وخلاصة القول اذا نفينا زعم هكل في قدم المادة ونكران الخالق هل من داعٍ لقبول مذهب دروين وانصاره الذين يقرون

بوجود الخالق وانما يحصرون فعلهُ في تكوين بعض الامثلة الاوليَّة النباتيَّة والحيوانيَّة التي منها تولَّدت بفعل الزمان كلّ الانواع ؟

وهنا يجب تكرار ما سبقنا الى ايرادهِ اعني انَّ الاسفار المقدَّسة لم تصرّح بشيء ينفي اصلًا مذهب دروين اللهمَّ الَّا ما يختصّ بتكوين الانسان . وكذلك الكنيسة لم تبتّ حكماً في المسائل العلميَّة التي لا مناط لها بالدين وبعقائدهِ . لا مراء في انَّ الله هو خالق المواليد الثلثة الجماد والنبات والحيوان ولكنَّهُ تعالى امكنهُ ان يخلق جملةً او تباعاً بعض الأمثلة النباتيَّة والحيوانيَّة فمكَّنها حسب الظروف ان تنتج بقوَّتها انواعاً جديدة على كرور الدهور فهذه القوَّة المودعة في الاصول الاوليَّة تعود اليهِ تعالى كما يجب ان تُنسب اليهِ الانواع والتحوُّلات الناجمة عنها

فبعد هذه المقدَّمات علينا ان نوضح رأينا في مبدأ دروين المتوقف على الانتخاب الطبيعي

اعلم انَّ دروين لاثبات قولهِ في فاعليَّة هذا الانتخاب الطبيعي استند الى ما ينالهُ الانسان بحذقهِ من الانتخاب الصناعيّ اذ يوفّر اصناف النوع الواحد من النبات والحيوان الداجن . وقد بيَّنا سابقاً كيف اتَّصل الانسان بتوقُّد ذهنهِ وحسن نظرهِ الى ان يستخرج من بعض الانواع ضروباً جديدة من الزهور الزاهية والاثمار اللذيذة والجذور الغذائيَّة . كما انهُ توصَّل الى توليد صنوف عديدة من الحمام والدجاج والكلاب والخيل والشاء الخ وذلك بالتربية اعني بإجهاد فكرهِ في اتخاذ الوسائل لهذه الغاية لاسيما حسن انتخابهِ للمولَّدين . فاذا بلغت هذه الكائنات الى بعض الصفات التي قصدها الانسان ثبتت فيها واورثتها نسلها . فليت شعري ماذا يستطيع الدرويينيُّون ان يستنتجوا من ذلك غير هذه النتيجة الواضحة وهي قدرة الانسان بذكائهِ على تربية الحيوان او النبات ليصدرا بهمَّتهِ بعض خواصّ ثانويَّة عرضيَّة ليس الَّا . ولكن هيهات ان يستولد بذلك نوعاً جديداً قائماً بذاتهِ ثابتاً في نسلهِ

وما يدلُّ على انَّ هذه التحوُّلات الناتجة عن عقل الانسان وهمَّتهِ هي عرضيَّة انَّك لو تركت هذا النبات وهذا الحيوان بعد تربيتهِ الى غريزتهما الطبيعيَّة واهملت تربيتهما تراهما بعد حين يعودان الى حالتهما السابقة ويفقدان الخواصّ المكتسبة . فدَعْ مثلًا البقر والخيل في البراري هُمَلًا كما يفعل الاميركيُّون في مفاوزهم والمتغوليُّون في

صحاريهم القاحلة تجدها بعد ردحة من الدهر مستوحشة نافرة

فان كان الانسان مع كلّ حذاقته وافراغ مجهوده واتخاذه ما لديه من الوسائط لم يستطع حتى الآن ان يستولد نوعاً جديداً ثابتاً فكيف تستطيع الطبيعة العمياء المهملة لذاتها ان تدرك بقوّة سحريّة هذه الغاية فتستولد عدداً لا يُحصى من الانواع والفصائل مع ما فيها من النظام العجيب وما لكل منها من جميل التركيب. فلو كان لهذه النباتات ولهذه الحيوانات ما يتوهمهُ فيها مشايعو دروين لأمكنها ولاسيّما بمساعدة الانسان ان تُظهر شيئاً من تلك التحوُّلات النوعيّة الثابتة التي يدّعونها لها . وحتى اليوم خابت آمالهم فيها . فان كان الانتخاب الصناعيّ عجز عن ذلك فكم بالحري الانتخاب الطبيعيّ المزعوم

وان ذهب الدرويتيُّون الى أنَّ الطبيعة في سالف الدهور كانت في توليدها للانواع اقوى منها في زمننا الحاضر أجبنا انَّ لدينا آثاراً من التاريخ واجغرافيّة راقية الى ألوف من السنين وكأنها تنبئ بانواع ثابتة وتنفي كلَّ تحوُّل وترقٍّ . ادخل مثلاً مدافن مصر التي يرقّي العلماء اصلها الى ستّة آلاف سنة تجد فيها ما لا يُحصى من مخطّطات المصريين بينها جُثث ملوكهم واعيانهم وجثث حيوانات شتّى اهليّة ووحشيّة وضروب النباتات فلا فرق بينها جميعاً وبين المواليد الشائعة منها اليوم في انحاء وادي النيل

وكذلك التصاوير البديعة التي نقشها المصريُّون على جدران تلك المدافن تمثّل اجناس الحيوان كالكلاب مثلاً بينها كلاب الصيد والكلاب البيتيّة وكلاب الرُّعاة لا تختلف البتّة عن اجناسها الحاضرة كأن هذه بعض مواليدها في الامس لا تمتاز عنها بايّ خاصّة نوعيّة كانت

على انَّ الدروينيين فراراً من هذه المشاكل العويصة يزعمون انَّ هذه التحوُّلات النوعيّة حدثت في دهور عريقة في القدم وذلك ببطء وبنوع غير محسوس . فهلمَّ نفحص تلك الدهور ومواليدها فلا شكَّ انها تُفحمهم بلسان حالها

اكتشف الاثريُّون في اعماق الارض قبوراً سبق عهدُها طور زمن التاريخ فلقوا فيها اصدافاً برّيّة وبحريّة اذا قابلت بينها وبين ما يُرى بجوارها حاضراً لا تجد فيهما اختلافاً . وبعض العلماء يزعمون انَّ تلك القبور ترقى الى ٢٠٠،٠٠٠ سنة بل الى ٣٠٠،٠٠٠ سنة وهيهات ان نسلّم لهم باقوالهم ولكن كفى بظنونهم هذه لردّ مبدأ

الترقي والتحوُّل اذ في كلّ هذا العدد من الدهور لم يحصل تحوُّل في تلك الاصداف

وكذلك النبات فقد وجدوا في سويسرة في طبقات الارض السفلى انواعاً من الشجر دُفنت فيها في الطور الجليدي الذي سبق وجود الانسان على الارض بالوف من السنين . وهذه الاشجار لا تختلف قط عن شجر سويسرة حاضراً بينها البندبان والشربين والسَّرو والصنوبر والبندق المعروفة في زماننا في اواسط اوربَّة

وقد روى الجيولوجيُّون الذين درسوا في عهدنا طبقات الارض انَّ قسماً عظيماً من النباتات والزهور التي نعرفها اليوم قد وُجدت ايضاً في العهد الجيولوجي المعروف بالميوسان (miocène) وهو القسم الاوسط من الطور الثالث . وكذلك وجدوا حيواناتنا الحاضرة في القسم الاخير من ذلك الطور وهم يعرفونهُ بالبليوسان (plio-cène) . وليس فرق بين القديمة والحاضرة الَّا انَّ بعض حيوانات ذلك العهد قد تلاشت وفنيت اليوم . امَّا ما بقي منها فانَّ انواعها كانواع زَمننا الحاضر . فهذه الوف من السنين كما يطلبها الدرويئيُّون فاين ما يشيرون اليهِ من الترقي واستحالة الانواع ؟ فذهبهم اذن لا سند لهُ ابتدعتهُ مخيلتهم ولا يفيدهم القول بالانتخاب الطبيعي كما لم يستفيدوا من التولد الذاتي . نعم انَّنا نوافقهم على مفاعيل العوامل المختلفة كالغذاء والمناخ في إحداث بعض التغيرات العرضيَّة المنحصرة في الحجم واللون والخلق الخ لكنَّ هذه التغيرات لا تبلغ الى تحويل نوعٍ الى نوعٍ آخر

انظر الى جنينتك حيث جمعتَ ضروباً من الزهور من عدَّة اشكال ومن بلاد مختلفة ترَ فيها صنوفاً يابانيَّة واميركيَّة ومن جنوبي افريقيَّة وكذلك النباتات الغذائيَّة . فانَّها تكيَّفت كلها بكيفيَّات خفيفة عرضيَّة على حسب هواء بلادها الاصليَّة لكنَّها لم تغيِّر نوعها على الاطلاق . وكذلك ترى في كلّ قارَّة وفي اعراض كل بلاد انواعاً خاصَّة من النبات والحيوان لا تجدها في غيرها من الجهات الَّا ان ذلك ليس برهاناً على ان تلك الانحاء هي ولَّدت تلك الانواع المختلفة

ولو ثبت انَّ هذه الانواع الخاصَّة ببعض البلدان تتحوَّل الى انواع اخرى بنقلها الى غيرها من الاقليم لاستطاع الدرويئيُّون ان يتَّخذوا ذلك دليلاً على زعمهم لكنَّ الامر ليس كذلك فان اشجار اوستراليا واميركة وزهور الصين واليابان وبُقول افريقية الجنوبيَّة تبقى على نوعها اذا نُقلت الى اوربَّة ولا يطرأ عليها سوى بعض

الاختلافات العرضيَّة . ومثلها المواشي الاوربيَّة التي نُقلت الى اوسترالية والى زيلندة الجديدة فانَّها بقيت على خواصها دون تغيير يذكر

خذ بذور كل النباتات وازرعها في ايّ البلدان تشاء تجد انَّ بعضها ينشأ وينمو على شكلهِ من نبات او شجر ثمَّ يأتي بثمره الخاصّ ويتوطَّن مكان زرعهِ والبعض الآخر ينشأ ضئيلًا ضعيفًا ثم يتلف قبل ان يثمر ومنها ما لا يكاد ينبت ولا ينمو . والسبب في هذا الاختلاف انَّ لكل نبات مزاجهُ الخاصّ فيحتاج لينمو الى تُربةٍ تناسبهُ والى عَرْض من البلاد يوافق مزاجهُ من برد او حرارة او رطوبة . فالبذور التي تزرعها تتكيَّف بكيفيَّات الارض التي تقع فيها . ويحصل هناك ضربٌ من الانتخاب الطبيعيّ فلا تربّي كلُّ تربةٍ غير المزدرعات المناسبة لطبعها واحوالها . وشأن بين هذا الانتخاب الطبيعي والانتخاب الدروينيّ الذي يدَّعي ببروز انواع جديدة . وبذلك تحبط كلّ آمال الدروينيين الذين ينسبون الى الطبيعة العمياء والى الصدفة نتائج لا يقوى عليها العقلاء . يريدون انَّ الصدفة في توالي الاجيال استخلصت بين الانواع الاوَّليَّة ما رأتهُ ملائمًا لطبيعتها ولم تزل هذه الانواع تترقَّى وتتحسَّن الى ان تصبح انواعًا جديدة . وكل يعلم ان الصدفة والنظام على طرفي نقيض فحيثما يوجد نظام وترتيب وهندام فهناك عامل فهيم ناطق وهو الله سبحانهُ وتعالى يظهر قدرتهُ غير المتناهية وسموّ عقلهِ في اصغر الكائنات بما يودعهُ فيها من هذا النظام العجيب

وفي المذهب الدروينيّ تناقض آخر فهو يزعم من جهة انَّ انتخاب الانسان الصناعي للنبات وللحيوان من شأنهِ ان يحدث في الطبيعة انواعًا جديدة . وبقولهم هذا يعترفون بان تكوُّن الانواع الجديدة يمكن حدوثهُ في ظرف ستَّة آلاف الى عشرة آلاف سنة اعني بعد تكوين الانسان . ومن جانب آخر اذا انكرنا على دروين ومشايعيهِ عدم حدوث هذا التحوُّل النوعيّ في قديم الزمان واثبتنا قولنا الى الآثار التاريخيَّة والى فحص الطبقات الجيولوجيَّة ورقينا هكذا الى الازمنة السابقة للتاريخ دون وجود تغيير في النبات والحيوان القديمين وبذلك نُبكم افواههم يجيبوننا قائلين انَّ تغيير الانواع لا يحدث ببضعة الاف من السنين لا بدَّ لذلك من سياق اجيال عديدة سبقت عهد الانسان بمدَّة طويلة . وبذلك يظهر تناقضهم بنوع جليّ . فترى ان المذهب الدروينيّ في مزاعمهِ يتبع تخيُّلاتهِ واوهامهُ ويحيد عن البراهين المؤيدة بالعلم الصحيح

٣ رأي الجيولوجية والعاديات الارضية في المذهب الدروينيّ

رأيت ان المتمذهبين بالمذهب الدروينيّ لم يجدوا مناصاً من تفنيد رأيهم في التحوُّل والترقي الّا بان ينسبوا ذلك الى الاعصار السالفة وفي زمن الاطوار الاولى من تركيب ارضنا. فلنستفتِ اذن ما خلّفتهُ لنا تلك الاجيال الاولى لعلّها توقفنا على صحّة الامر

فلنعد الى تلك التاحف التي سبق لنا ذكرها حيث جُمعت كل مواليد الطبيعة النباتيّة والحيوانيّة ونُظمت بترتيب على حسب اجناسها وانواعها وضروبها المختلفة المعروفة منذ اوائل تكوين ارضنا الى يومنا فيشملها النظر في تسلسلها وترتيبها الاصطلاحيّ. وانّا نعتبرها نحن ليس على صورة شبهها هذا ولكن على حسب قدمها فنجعل في رأس كلّ جنس وكلّ نوع اقدم ما يُعرف منهُ ثم نضمّ اليه ما اكتُشف من امثالهِ قديماً ثم حديثاً بالتوالي الى يومنا

فان كان المذهب الدروينيّ صحيحاً وجب ان يكون اقدم مولود من كل جنس ومن كل نوع أبسط تركيباً ثم تأتي بعدهُ الافراد المتولدة منهُ بالتدريج أرقى بنيةً وألطف تركيباً الى ان نبلغ الى المواليد العصريّة التي يجب على رأي دروين ان تكون في اوج الكمال غنيّة بما ورثتهُ من اسلافها السابقين. فبناء على ذلك هذا جدول النباتات التي اكتشفها الطبيعيُّون على حسب قدمها في طبقات الارض :

١ بعض اصناف الحتّ البحريّ (algues marines)
٢ الخنشار (fougères) الجبّاري المتحجّر في الطبقات الفحميّة وقد درست اثارهُ
٣ اشجار عاديّة مخروطة الشكل (cicadées, conifères) تشبه اشكالها المعروفة اليوم
٤ اشجار ذات الفلقة الوحيدة (monocotylédonées)
٥ اشجار ذات فلقتين (dicotylédonées)

وان اعتبرنا بين الحيوان اصنافَ الطيور وجدنا اقدمها في التاريخ وفي الطبقة الارضيّة الثانويّة طيوراً جبّاريّة مسنّنة ليس الّا. ثمّ في الطبقة الارضيّة الثالثة وُجدت عدّة طيور مختلفة خالية من الاسنان لم يبق اليوم من اشكالها الّا النزر القليل. امّا طيورنا الحالية الشائعة في زماننا فلا يظهر منها شيءٌ قبل الطور الجيولوجي الرابع وهي تخالف انواع الطيور السابقة وليس علاقةٌ بينها جامعةٌ لحلقات طور مع آخر

وكذلك الحيوانات ذات الثدي قد وجدوا منها بعض الامثلة في طبقة الارض الثانوية مما ذهبت آثاره حاضراً . ثم وجدوا في طبقة الارض الثالثة انواعاً من ذوات الثدي وكلها بالغة الضخم كبيرة الحجم يدعونها مستودُنت وباليوثيريوم وغير ذلك وكلها طمست آثارها في الطور الرابع

وخلاصة القول انَّ في طبقات الارض المختلفة عدَّة نباتات وحيوانات توالت على سطح الارض الَّا انها ليس بينها علاقة تمكن الدروينيين من القول بأنها تحوَّلت تباعاً وترقَّت فاصبحت بترقيها انواعاً جديدة

فلو شاء الدروينيُّون ان يقنعوا الناس بصحَّة رأيهم في تحوُّل الكائنات وترقيها لاقتضى عليهم ان ينظِّموا انواع كلّ جنس ويثبتوا ان ابسطها تركيباً اقدمُها وان في سياق ظهورها على الارض زادت اختلافاً ورقياً جيلًا بعد جيل وانَّهُ لم تظهر فوراً في اطوار الاجيال امثلة جديدة كاملة مخالفة للامثلة السابقة بل ارقى تركيباً من الانواع التي ظهرت من بعدها وانَّ بين الانواع الحاضرة والانواع الاصليَّة سلسلةً منظومة الحلقات دون انقطاع تترقَّى صورها تدريجاً الى غاية كمالها

وكلّ هذه المطالب قد عجز عن تبيانها دروين وهكل وكلّ انصارهما ولم يستطيعوا قطّ ان يثبتوا هذا ترقي الانواع واختلافها

سبق لنا في جدول النباتات انَّ اقدم ما يعرف منها انواع الحتّ البحريَّة (algues) ثمّ بعد زمن طويل ظهرت اشجار باسقة عاديَّة تحوَّلت بعدئذٍ الى مستودعات فحمنا الحجري المدفونة في باطن الارض والمستخرجة منهُ في عهدنا . فليقل لنا الدروينيُّون ايّ علاقة يرونها بين الحتّ وبين هذه الاشجار الجبَّاريَّة واين النباتات المتوسّطة بينهما؟

وكذلك المواليد الحيوانيَّة . كيف ظهرت تلك الطيور الكبرى ذوات الاسنان القاطعة دون ان يسبقها طيور اخرى مهَّدت لظهورها السبيل ؟ ومثلها تلك الحيوانات ذوات الثدي البالغة الضخم والحجم التي ظهرت في الطور الجيولوجي الثالث فاين الحيوانات التي أعدَّت وجودها بالتحوُّل والترقّي وما السبب لظهور ما هو ادنى كمالًا منها بعد فنائها على عكس المبدأ الدروينيّ ؟

وقس على ذلك حشرات صدفيَّة مستحجرة كالأمونيت (Ammonites) التي وُجد منها في الطور الجيولوجي الثاني ازيد من اربعة آلاف نوع . وكفصيلة البلنيت

(Belemnites) العديدة الاشكال والانواع . وكلها لم يبق منها اثر في عهدنا فكيف لم تترقَّ وتتحوَّل الى انواع جديدة على مقتضى المذهب الدروينيّ ؟

فترى انَّ الجيولوجية تنسف المذهب الدروينيّ نسفاً حيث نرى بتمادي الاجيال انواعاً من النبات والحيوان كاملة الأهبة تامَّة البنية تعيش على الارض في طور او طورين من الاجيال ثمَّ تفنى عن كثب دون ان تبقي نسلاً اكمل منها بعدها . وكذلك تلك الطيور الغريبة الشكل والبالغة العظم وتلك الزحَّافات الهائلة التي تُرى آثارها في طبقات الارض قد توارت وقام بعدها طيور وزحَّافات صغيرة الحجم متوسطة العظم . وكلّ ذلك مخالف للمبادئ الدروينيَّة

وممَّا ينقضها ايضاً وجود انواع عديدة حيَّة معروفة في عهدنا كالحيوانات المتوسطة بين النبات والجماد كالاسفنج والاصداف النجميَّة الشكل والبطليموس فهذه وغيرها موجودة آثارها في اقدم ما نعرف من مستحجرات الاطوار الاولى فبلغت عهدنا دون ان يطرأ عليها تغيير في كيانها وصورتها . ولو صحَّ رأي دروين لوجب ان نجد فيها ترقياً متواصلاً منذ تلك الادهار السالفة الى اليوم . وليس شيء من ذلك

فكفى هذه الدلائل تبيَّن لذوي العقول الراجحة انَّهُ ليس علاقة يُبنى عليها تطوُّر معظم الانواع . فان الفحص الجيولوجي يثبت لنا ليس فقط انواعاً واجناساً تامَّة من الحيوان والنبات بل رتباً وفصائل مستقلَّة ليس قبلها ولا بعدها ما يتَّصل بها او يتبعها بعد ظهورها

وحبَّذا ما قالهُ الجيولوجيّ العصريّ الكبير المسيو دي لاباران (de Lappa-rent) السابق ذكره : « انَّ الحياة استولت على ارضنا تقريباً فجأةً على قدر ما يمكننا القطعُ بهِ بظهور كائنات جامعة منتهى كمالها الموافق للاحوال المحيطة بها »

وان لم يقتنع الدروينيُّون بهذه البيِّنات السلامعة والحجج الراهنة اتينا لهم باقرار دروين نفسهِ الذي شعر بتداعي مذهبهِ وسقمهِ قال في كتابهِ عن اصل الانواع كما رواهُ الاب ڤيكورو : « ان بنية كلّ حيوان محدودة منظَّمة بكل تدقيق بحيث لا يجوز لنا في حالة علومنا الحاضرة ان نتَّخذ تركيبها كحجَّة لاثبات ما نرويهِ من التحوُّل في انواعها المختلفة من ذوات الفقرات الى الحلقيَّات ومن الهلاميَّات الى السيلنتريات (Cælentères) وذلك ليس في عهدنا فقط بل في كلّ اطوار التاريخ

التي يبحث عنها الجيولوجيُّون ... ليس لنا برهان وضعي ثابت يجوز لنا ان نركن اليهِ اللهمَّ الَّا بعض دلائل غير كافية لتبيان التحوُّلات التدريجيَّة في انواع الحيوان... نعم أننا نجد في كلّ فئة بنوعٍ جلي اختلافات عديدة الَّا انَّنا ما نطلبهُ فيها من الترقي لا يظهر فيها مطلقاً»

فهذا الكلام إقرارٌ واضح على انَّ المزاعم الدروينيَّة اوهام وتخيُّلات لا صحَّة لها في الطبيعة وانَّما هي كالبرق الخُلَّب او كالسراب في الصحراء او كاضغاث الاحلام ينخدع بها الناظر برهةً ثمَّ لا يلبث ان يقف على حقيقة الحال فيزيد اسفهُ على ما أمَّل منها خيراً فكان ضيراً (لهُ صلة)

رحلة حديثة الى الشهباء

للاب لويس شيخو اليسوعي

حلب احدى عواصم سوريَّة الكبرى لها مع بيروت ودمشق التقدُّم على سواها من مدن الشام . وقد زرناها سابقاً ونوَّهنا في المشرق غير مرَّة بعظم شأنها وحسن آثارها ومناقب سكَّانها

على أننا كنَّا نودّ ان نقف على ما استجدَّ في الشهباء في هذه الحقبة الاخيرة فندوّن على صفحات المشرق ما يستحقُّ الذكر مما جرى فيها واذا بأمر من رؤسائنا اتانا بغتةً لنذهب اليها لبعض الشؤون الدينيَّة فانطبق امرهم مع رغبتنا

ركبنا القطار في بيروت في مساء يوم الأحد الواقع في ٢١ تموز وما لبثنا ان شعرنا في مشارف لبنان بريحهِ البليل فنسينا حرَّ سواحلنا اللافح . وفي سحر النهار بلغنا رياق حيث انتقلنا الى قطار حلب الواسع الاسلاك ذي المراكب الرحبة المُريحة

عشر ساعات وازيد من ٣٠٠ كيلومتر تفرق بين رياق وحلب فيقضي الراكب صاب نهارهِ في مركبته يسرح الابصار من نوافذها الى مدن عامرة كبعلبك وحمص وحماة والى قرى خصبة كرأس بعلبك وقصير وحميديَّة ويسرُّهُ النظر الى قمم لبنان مع بعض المثالج التي لم تقوَ اشعَّة الشمس على تذويبها والى وادي العاصي وبساتينهِ الغناء

التي يبحث عنها الجيولوجيُّون ... ليس لنا برهان وضعي ثابت يجوز لنا ان نركن اليهِ اللهمَّ الَّا بعض دلائل غير كافية لتبيان التحوُّلات التدريجيَّة في انواع الحيوان... نعم أننا نجد في كلّ فئة بنوعٍ جلي اختلافات عديدة الَّا انَّنا ما نطلبهُ فيها من الترقي لا يظهر فيها مطلقاً»

فهذا الكلام إقرارٌ واضح على انَّ المزاعم الدروينيَّة اوهام وتخيُّلات لا صحَّة لها في الطبيعة وانَّما هي كالبرق الخُلَّب او كالسراب في الصحراء او كاضغاث الاحلام ينخدع بها الناظر برهةً ثمَّ لا يلبث ان يقف على حقيقة الحال فيزيد اسفهُ على ما أمَّل منها خيراً فكان ضيراً (لهُ صلة)

رحلة حديثة الى الشهباء

للاب لويس شيخو اليسوعي

حلب احدى عواصم سوريَّة الكبرى لها مع بيروت ودمشق التقدُّم على سواها من مدن الشام . وقد زرناها سابقاً ونوَّهنا في المشرق غير مرَّة بعظم شأنها وحسن آثارها ومناقب سكَّانها

على أننا كنَّا نودّ ان نقف على ما استجدَّ في الشهباء في هذه الحقبة الاخيرة فندوّن على صفحات المشرق ما يستحقُّ الذكر مما جرى فيها واذا بأمر من رؤسائنا اتانا بغتةً لنذهب اليها لبعض الشؤون الدينيَّة فانطبق امرهم مع رغبتنا

ركبنا القطار في بيروت في مساء يوم الأحد الواقع في ٢١ تموز وما لبثنا ان شعرنا في مشارف لبنان بريحهِ البليل فنسينا حرَّ سواحلنا اللافح . وفي سحر النهار بلغنا رياق حيث انتقلنا الى قطار حلب الواسع الاسلاك ذي المراكب الرحبة المُريحة

عشر ساعات وازيد من ٣٠٠ كيلومتر تفرق بين رياق وحلب فيقضي الراكب صاب نهارهِ في مركبته يسرح الابصار من نوافذها الى مدن عامرة كبعلبك وحمص وحماة والى قرى خصبة كرأس بعلبك وقصير وحميديَّة ويسرُّهُ النظر الى قمم لبنان مع بعض المثالج التي لم تقوَ اشعَّة الشمس على تذويبها والى وادي العاصي وبساتينهِ الغناء

والى ما يلوح عن بُعد من الآثار القديمة كهرمل ودير مار مارون ورستان وخصوصاً تلّ مندو قريباً من بحيرة حمص حيث قامت لجنة من الاثريين الفرنسويين بحفريات حديثة فوجدوا هناك بعض العاديات منها كتابة هيروغليفية لرعمسيس الثاني التي يُستفاد منها ان في ذلك الوقع كانت عاصمة الحثيين المعروفة بقدس وفيها انتصر عليهم الفرعون في القرن الخامس عشر قبل المسيح

على انّ القطار اذا قطع حماة سار في مفاوز قاحلة تلوّحها الشمس في هذه الأيام بنيرانها المحرقة فتمّت نظرنا برؤيا السراب في الافق

وفي تلك الجهات حدثت قبل اشهر تلك الغارات من عشائر البدو التي عكّرت مياه الامان فضربت الجنود الفرنسويّة على ساعد المقلقين وفتّت في عضدهم وقد اقامت الدولة المندوبة في عدّة امكنة مخافر من جنودها البواسل فاطمأنّت القلوب

اوّل ما يلوح لنظر ركّاب القطار من الشهباء . قلعتها الراقية طبقاتها السفلى الى الالف الثاني قبل المسيح (اطلب المشرق ٢ [١٨٩٩] : ١٧) فغُرشت جوانبها بنحيت الحجارة ثم تكلّل اعلاها بالابنية المنيعة التي تكرّر ترميمها بتعاقب الدول فبانت من العزّ شأواً عظيماً في القرون الوسطى . وفيها يقول الخالدي شاعر سيف الدولة بن حمدان :

وخرقاء قد قامت على من يرومها ... برقبها العالي وجانبها الصعب
يمرّ عليها الجوّ بيض غمامه ... ويلبسها غداً بساعده الشهب

وبقيت على ذلك حتّى تمّ خرابها في عهد الدولة العثمانيّة على ان الجنود الفرنساويّة المرابطة فيها قد ترأّت في هذه الأيام اصلاحها

محطّة حلب في غربي المدينة تبعد عنها نصف الساعة فيسرّ المسافر في حيّ جديد يُعرف بالجميليّة يزدان كل يوم بأبنية رحبة محكمة البناء ثمّ يدخل الاحياء القديمة التي ضاقت عن سكّانها فانفرجوا منذ خرجوا الى ضواحيها القريبة قبل ٣٠ سنة فشيّدوا احياء العزيزيّة والحميديّة والتلل والنيّال التي يسكنها اعيان البلد وذوو الثروة . ولا عجب فان اهل حلب ينمون نموّاً متواصلاً مع ما استوطنها من مهاجري الارمن وغيرهم ولا نستبعد ما قيل لنا انّ عدد النفوس في حلب يبلغ اليوم ٢٥٠،٠٠٠

وما لا يُنكر انّ موقع حلب قد ضمن لها في الاجيال السالفة ترقّياً ونجاحاً

ولعلّ مستقبلها القريب يكون افضل وانجع من ماضيها . كيف لا وهي في وسط بلاد عامرة وافرة الخيرات لا تستغني عن المرور بها كقيليقية والارمن وانحاء الشام وما بين النهرين مع قربها من البحر لاسيما اذا تمّت عمّا قليل السكّة الحديديّة بينها وبين الاسكندرونة وكذلك موقعها على طريق العراق وفارس والهند بسكّة بغداد التي سوف تُعيد لها بالربى ما خسرتهُ بفتح ترعة سويس قبل خمسين سنة . وذلك ما كان يحمل بعض الدول الغربيّة ترنو اليها بعين الطمع كالمانية قبل الحرب وفي غضونها ولاسيّما انكلترة بعد عقد الصلح تأميناً لطريقها الى الهند

انّ الحرب الكونيّة التي عركت بكلكلها معظم البلاد فاذاقتها العلقم قد كانت لحلب اوان خصبٍ وغنىً على حدّ ما قيل :

بذا قضتِ الايّامُ ما بين اهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

فانّ تجارتها قامت على ساق فأتتها الارباح الطائلة بمعاملاتها مع المانية والنمسة وجنودهما في الشرق ومع قبائل البادية التي توفّر لديها المال المدفوع لها لتبقى في سلمها ولا تزيد بغتتها وطأة الحرب على اعناق الدولة العثمانية . فتدفّقت في صناديق تجّار الشهباء الاموال واتسع نطاق معاملاتهم فكادوا يجتذون الحرب . وزد على ذلك انّ الدولة العثمانيّة بازاء الالمان لم تشأ ان تضغط على الحلبيين حتّى الارمن منهم الذين كادت تستأصل شأفتهم في انحاء ممالكها . وكان ولاة حلب يجاملون سكّانها مسلمين ونصارى ولم ينفذوا منها الّا بعض الاجانب . فكلُّ ذلك ادّى الى نجاح احوال حلب ونموّ حضارتها ولولا ما اصاب اهلها من الامراض الوبائيّة بمرور العساكر العثمانيّة في ارجائها لخرجت من الحرب ظافرةً بمناها رافلةً بغناها

*

على ان هذه الحال السعيدة زالت بنهاية الحرب فانقلبت الامور وأُصيبت حلب كبقيّة مدن سوريّة بآفة الغلاء وكسدت اسواقها بما حدث فيها من تفرّق الكلمة والتحزّبات السياسيّة فانتمى كثيرون الى الامير فيصل ودولته العربيّة ورأى غيرهم ان تملّك احد ابناء البادية على مدينة راقية كحلب يخسُّ بشأنها وهبوطٌ لعلوّ مقامها . ثمّ بلغ مسامع الحلبيين صدى الفتن الجارية في دمشق وفي بعض انحاء الشام فكادت هذه الاخبار تهيج بعض الاشقياء في الشهباء والعرب المجاورين للبلد وتثير بين اهلها

الفتن والمشاغب لكن الدولة الفرنسوية اسرعت قبل انتصارها على الفيصليين في ميسلون وارسلت فئات من عساكرها المظفرة الى حلب فدخلتها دون عناء وبسطت الامان على سكانها . وها قد مرَّ عليها سنة بنيف واهلها راتعون ببحبوحة سلام لم يعهدوا مثلهُ في سابق تاريخهم لاسيما بهمة الجنرال دي لاموط الذي يسهر على كل صوالح المدينة ويطيّب قلوب الاهلين جميعاً دون مراعاة الوجوه ودون تمييز في الاديان لا يرشده في سياسته غير روح العدل والخير العام

اما غلاء الاسعار في الحاجيات والمأكولات وان هبط قليلاً فانهُ لا يزال ثقيلاً على كاهل العموم وسببهُ انقطاع المعاملات بين حلب والمدن الداخلية الشمالية والشرقية كمرعش واورفة وبيره جك وديار بكر وماردين والموصل فان القوافل التي كانت تتردَّد من تلك المدن الى حلب كانت تغني الشهباء بوارداتها وصادراتها . والامل معقود على قرب استئناف هذه المعاملات لخير البلاد ورحمةً بالعباد

ومما يشكرهُ الجميع لفرنسة انشاؤها مأوى رحب الارجاء للاولاد الايتام والمنقطعين يجدون فيه طعامهم اليومي ومنامهم ويُسمح لهم في النهار ان يرتزقوا باي شغل يلقونهُ في المدينة . ذلك فضلاً عن الجمعيات الخيرية التي لكل طائفة من الطوائف ولاسيما جمعية مار منصور دي بول التي بلغت في هذا العام السنة الثالثة والعشرين منذ انشائها وصرفت في سبيل الخير بعد الحرب في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ما بلغ ١٤١،٣٣٤ غرشاً بهمة رئيسها الغيور ديزيره افندي حمصي واعضائها الافاضل اثاب الله اجزل ثوابه كلَّ عاملي الخير

ومع ما اصابتهُ حلب من الترقي في هذه السنين الاخيرة هي لا تزال في حاجة الى عدة امور لولاها لا يمكنها ان تُنظَّم بين امهات المدن العصرية . فمن ذلك حاجتها الى الماء الشروب فان اكثر اهلها يشربون مياه الآبار والصهاريج الا الذين يبتاعون ماء عين التلة على بعض المسافة من المدينة . وكثيراً ما فكَّر ارباب الامر واعيان البلد في جلب مياه الفرات او بعض الينابيع او الانهر الى حلب وحتى الآن لم يبرز الفكر الى حيز العمل . وكم يحتاج اهل الشهباء ايضاً الى المياه لسقي مزروعاتهم لقلة مياه نهر قويق الذي لا يفي بهذا المقصود وينضب في الصيف

ومما تحتاج اليه حلب احتياجاً كبيراً إنارة البلد سواء كان بالكهرباء ام بالغاز

على الاقلّ . فان مدينة ذات شأن لا غنى لها عن مصابيح نيّرة وهّاجة ليلًا لتنوير شوارعها ومعاهدها العمومية . والبترول قليل النور لا يقوى على ذلك . فمن شاهد حلب واحياءها ليلًا عدّها بلدة خاملة او قريةً صغيرة

ثمّ انّ حلب في حاجةٍ ماسّة الى ترامواي يسير بين احيائها المتفرّقة . فانّ العجلات قليلة واقلّ منها الاوتوموبيلات لا يستطيع العموم ركوبها لغلاء اسعارها ولصعوبة السير عليها في وسط البلد لضيق الطرقات

*

وان سألت اين مبلغ حياة حلب الادبيّة ؟ اجبنا ان اهل الشهباء قد عُرفوا منذ سابق الازمنة بولوعهم بالمعارف والفنون ولو سعى احدهم ان يكتب في ذلك تأليفاً خاصاً لأضاق بالامر ذرعهُ مع كثرة من شرّفوا وطنهم من كتبة وشعراء ومؤرخين بعضهم سريان وبعضهم يونان ومنهم عرب نصارى ومسلمون وقد ذكرنا في المشرق (٩[١٩٠٦]: ٦٢٩ : ٦٩١) عدداً عديداً ممّن اشتهروا في القرون الاخيرة في حلب الى زمننا القريب بحيث يصحّ ان يُنسب اليهم قسمٌ صالح من النهضة الادبيّة التي ظهرت في سوريّة في الجيلين السابقين

على انّ بيروت في الحقبة الاخيرة اصابت من هذا القبيل بالسهم الافوز منذ احتلّها المرسلون الاوربيّون والاميركيّون ففتحوا المدارس والكليّات وانشأوا المكاتب والمطابع وابرزوا التآليف المتعدّدة مع الجرائد والمجلّات بينما كانت حلب ضاجعةً في بطحائها غائصة في متاجراتها الداخليّة كأنها منقطعة عن عالم التمدّن وانّما تحسد سواحل الشام على رقيّ آدابها

بيد انّها في مفتتح القرن العشرين احسّت بهذا النقص فأحبّت ان تتلافى الخلل . واليوم ترى في حلب عدّة مدارس ثانويّة يتعلّم فيها الاحداث مع اللغات الوطنيّة والاجنبيّة مبادئ العلوم العصريّة أقدمُها مدرسة الآباء الفرنسيسيين في الشيبيني ثمّ مدارس الطوائف الكاثوليكيّة الارمن والروم والموارنة والسريان يجاري طلبتها بعضهم بعضاً في هذا الميدان الشريف . وللاباء اليسوعيين مدرسة حديثة للمعارف الفنّيّة استقبلها الاهلون بالترحاب . وللروم الاورثذكس والمسلمين ايضاً مدارسهم الناجحة . وكذلك في حلب عدّة مدارس للاناث تقوم بعظمها راهبات الكاثوليك

خصوصاً اليوسفيّات وراهبات المحبّة المعروفات براهبات بزنسون وراهبات سان شرل الالمانيّات وراهبات الارمن وراهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين . وكان الالمان في وقت الحرب يديرون في حلب مدرسة كبيرة وهم يؤملون تحويلها الى كلّيّة جامعة لكن الزمان دار عليهم فاحبط مساعيهم . وكذلك اصحاب المدارس العلمانيّة اللادينيّة خاب املهم في مجاراة المدارس الكاثوليكيّة

امّا المطابع في حلب فقد دوّنّا تاريخها في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٣٥٥) الى اواخر القرن السابق وقد زاد انتشارها في العشر السنين الاخيرة وقلّما تنشر من المطبوعات المهمّة ومعظم اشغال اصحابها بنشر الجرائد كالتقدُّم والأمّة والصاعقة والنهضة وغير ذلك مع مجلّات قليلة كالشعلة . ونؤمل من أدباء الشهباء ان يتحفونا بما هو اجدر بذكائهم وسعة معارفهم

ولا يفوتنا انّ الآداب لا تترقّى الّا اذا عُني بإنمائها المكلّفون بترقيتها وذلك خصوصاً بهمّة مدير المعارف وعمّاله بأن يقرّبوا للادباء وسائل التأليف ويفتحوا لهم المكاتب العموميّة ويجهّزوها بكل ما من شأنه ان ينشّط الكتبة ويشحذ قرائحهم

على انّ في حلب بعض المكاتب الموقوفة على الجامع وانّما يصعب الانتفاع بها لتفرُّقها وقلّة الوسائط لدرسها واستنساخها . فكان الاولى لو جُمعت في نادٍ واحد يُعدُّ لهذه الغاية كما فعل سابقاً في دمشق المرحوم مدحت باشا لما جمع في جامع الملك الظاهر المخطوطات المتفرّقة في جوامع المدينة . ومن اللازم اللازب ان يُضاف الى هذه المخطوطات اخصّ الكتب الشرقيّة المنشورة في جهات الشام ومصر وفي اوربّة ليقف عليها الوطنيّون

ومن مكاتب حلب المعتبرة مكتبة الدار الاسقفيّة المارونيّة التي وصف قسماً كبيراً من مخطوطاتها حضرة الاب ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني في المشرق في السنة ١٩١٤ . وقد قيل هناك انّ اوّل من اهتمّ بانشائها السيّد الشهير الطبّ الذكر المطران جرمانوس فرحات . وقد سمح لنا سيادة المطران الجليل ميخائيل اخرس بان نستقري مضامينها فقضينا عدّة ايّام نتصفّح مخطوطاتها في الديوان الاسقفي حيث أُعدت لها خزائن كبيرة أُودعت فيها . وهناك ما عدا الكتب الخطّيّة النفيسة الاسلاميّة والنصرانيّة مطبوعات اوربية قديمة كان معظمها يخصّ الرهبنة اليسوعيّة قبل الغائها

سنة ١٧٧٣ فتضعضعت وتشتت فسعى مطارنة حلب الموارنة الافاضل باقتنائها لئلا تأخذها يد الضياع وعلى اكثرها مكتوب في صدرها « مكتبة دير الآباء اليسوعيين في حلب » وهي تدلّ على عناية الرهبان اليسوعيين في كلّ وقت وبلد بإنشاء المكاتب المفيدة للدرس والتأليف وتوسيع نطاق العلوم

ولسائر الطوائف مكاتب صغيرة فيها بعض المخطوطات ليست بالنادرة . واقلّ منها شأناً مكتبة الروم الارثذكس الاسقفيّة التي لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر وقد قيل لنا انهُ كان في حلب مكتبة معتبرة تخصّ البطريركيّة وانّما فُقدت كنوزها بفعل الزمان وتغافُل ناظريها . وقد اهدى غبطة البطريرك الحالي اثمن واعزّ ما وجدهُ فيها القيصر المرحوم نقولا الثاني لما رحل الى روسيّة . وكان في جملتها رحلة البطريرك مكاريوس الحلبيّ الى روسيّة وهو سِفرٌ جليل غاية في الشأن لم يُنشر الى اليوم بالطبع

وعند بعض الخاصّة مكاتب تحتوي مخطوطات نفيسة ذكرناها سابقاً كمكتبة المنسنيور جرجس شلحت السرياني ومكتبة الخورفسقفوس جرجس منش الماروني . واطّلعنا على مكتبتي الادباء نقولا ورزق الله أيوب . وفي كلّها بقايا من آثار الاقدمين ولاسيّما من اعمال قدماء النصارى والمرسلين

واحسن مكتبة خاصّة وجدناها في حلب مكتبة الوجيه الفاضل اسعد بك الميتانيّ جمع فيها معظم مطبوعات الشرق العربيّة مع بعض المخطوطات الدينيّة القديمة العهد البديعة الكتابة بينها ما كتبهُ المصنّفون بيدهم فتتضاعف قيمتهُ

*

وممّا يذهل الزائر لحلب نشاط اهلها في الشغل فانّك حيثما تسير تجد الجميع صغاراً وكباراً في اشغال شاغلة يصرفون في إتمامها كنانة جهدهم لاسيّما الصَّنَعة وارباب الحرف . وترى الاسواق حافلة بالجماهير للبيع والشراء وفيها كلّها الخيرات دارّةٌ واسباب المعاش متوفّرة اذ يأتي القرويّون كل صباح باوساق الخضر والبقول والفواكه اللذيذة كالعنب والبطيخ الاصفر والاحمر (الزبش) والفستق الحلبيّ الشهير في كلّ البلاد . واراضي حلب تصلح للزراعة فتذكر فيها الغلّات على اختلاف اجناسها . ومن مزروعاتها النامية القطن الفاخر والسمسم والذرة والدخن والكروم . وقد روى ياقوت في معجم البلدان انّ القرى اللاحقة بحلب كان عددها بالفاً ٨٢٠ عدّاً

وكذلك الصناعة في حلب تكاد تجاري صناعة دمشق فيها معامل الصابون والرقم والدباغة . ومن مصنوعات حلب الممتازة المنسوجات المختلفة الحريرية والقزلية والصوفية يقال انَّ عدد الانوال التي تصطنعها لا تقلّ عن عشرين الف نول يعيش منها ربوات من اهلها . ومنها الاقمشة الثمينة وصناعتها التي مرَّ لنا ذكرها في مقالة خاصة (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٧٥١)

وحلب غنيَّة بالمواشي وبالخيل الجياد والابل لقرب حلول عرب البادية منها

وابنية حلب جميلة تبنى حاضراً على الاطراز الجديدة وكانت قديماً تُشاد على نسق شرقي لطيف فتحلى سقوفها بالاصباغ والدهون الملوَّنة وتُرقم على مدارها بالذهب الحكم وابيات الشعر . وعلى اطراف البلد توجد مقالع الحجارة البيضاء والصفراء والحمراء والسوداء القاريَّة

والغالب على حلب واهلها التجارة امتازوا بها منذ سالف الاعصار وذلك لحسن موقعها اذ كانت محطَّ قوافل شرقي آسيَّة وسوريَّة . وفيها تُستودَع البضائع الاوربيَّة والاميركانيَّة المختلفة . وكان يقدم اليها تجار الفرنج منذ عهد دولة المماليك في مصر بينهم البندقيّون والجنويّون ثمَّ الفرنسويّون والانكليز واستوطن كثيرون منهم حلب كان لهم فيها الخانات الواسعة الجميلة . واسواق حلب القديمة كلّها مسقوفة تقي تجارها من حرّ الصيف ومن برد الشتاء وامطاره

امَّا اخلاق الحلبيين فقد اشتهرت بالانس واللطف على موجب المثل السائر «حلبي جلبي» فيجد الغريب بحسن معاشرتهم ولين عريكتهم ما يطيّب نفسهُ ويؤلف قلبهُ ويجذبهُ الى معاملاتهم

وكذلك روح الدين شائع بين اهل حلب تدلُّ عليهِ مشروعاتهم العديدة ولاسيَّما الكاثوليك ولعلَّنا نفرد لها مقالاً خاصاً تنويهاً بتقاهم واريحيَّتهم . وكذلك المسلمون يقومون بفرائضهم الدينيَّة بكل حرص على انَّ بعض جهلائهم تجاوزوا الحدود فارادوا في هذه الاسابيع الاخيرة ان يضطرّوا ذوي دينهم الى ان يقفلوا مخازنهم طول يوم الجمعة كما سعى بذلك بعض المسلمين في بيروت على خلاف السنن الاسلاميَّة . غير انَّ المراجع الدينيَّة في حلب كما في بيروت رأوا في عملهم إجحافاً بصوالح العموم ونشروا اعلاناً رسميّاً بانَّ صلاة الجمعة وحدها مفروضة على المسلمين وليس من

موجب في يوم الجمعة تبطيل الاشغال واضطرار الناس الى الامتناع عن البيع والشراء.

وقد علمنا انَّ الالفة غالباً تسود بين اهل حلب رغماً عن اختلاف الاديان ولا يُصبأ ببعض الاوباش الذين يحاولون تعكير صفاء الولاء والحبّ . وقد عاينا ذلك في غرّة ايلول في موسم استقلال سوريّة ونجاتها من النير الحجازي . فكان العيد بهيجاً اشترك في افراحه كلّ الاهلين واعربوا عن عواطفهم المخلصة لمندوبي الدولة الفرنسويّة وممثليها . ومما لا ينكر انَّ اعيان المدينة ورؤساء الاديان وخصوصاً السادة الاساقفة لم يألوا جهدهم في جمع القلوب وتوحيد مساعي العموم لترقية المدينة ونجاح امورها

على انَّ اهل حلب عموماً وتجارها خصوصاً يتوجّسون خوفاً من خطر عظيم يحلّ بمدينتهم فيكون عليها ضربةً لازبة . يرون في تحديد الانتداب الفرنساوي على مسافة بضعة كيلومترات من حلب شمالاً وشرقاً وتخصيص ما وراء تلك الحدود بالاتراك سوف يحرم حلب من معظم مواردها بقطع معاملاتها مع داخليّة البلاد فتصبح شلواً هامداً لا تحيه جوارحهُ او نهراً لا تمدُّهُ السواعد فتنضب مياههُ. وقد عرضوا الامر على الدولة الفرنسويّة لتلافي هذا الخطر فعساهم ينالون غايتهم

وفي الختام نتمنّى لحلب رقياً متواصلاً ونجاحاً دائماً لتكون نقطة الدائرة بين البلاد التي تحدق بها كما هي مركز حياتها التجاريّة والاقتصاديّة والادبيّة

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب ايروانيموس دندبني الى لبنان (١٥٩٦ــ١٥٩٧) .

كان مرّ على سفارة الاب يوحنّا اليانو الثانية الى لبنان خمس عشرة سنة وعلى وفاته ستّ سنوات . وكان تعيّن على محاماة الموارنة في رومية بعد الكردينال كرافا

موجب في يوم الجمعة تبطيل الاشغال واضطرار الناس الى الامتناع عن البيع والشراء.

وقد علمنا انَّ الالفة غالباً تسود بين اهل حلب رغماً عن اختلاف الاديان ولا يُصبأ ببعض الاوباش الذين يحاولون تعكير صفاء الولاء والحبّ . وقد عاينا ذلك في غرّة ايلول في موسم استقلال سوريّة ونجاتها من النير الحجازي . فكان العيد بهيجاً اشترك في افراحه كلّ الاهلين واعربوا عن عواطفهم المخلصة لمندوبي الدولة الفرنسويّة وممثليها . ومما لا ينكر انَّ اعيان المدينة ورؤساء الاديان وخصوصاً السادة الاساقفة لم يألوا جهدهم في جمع القلوب وتوحيد مساعي العموم لترقية المدينة ونجاح امورها

على انَّ اهل حلب عموماً وتجارها خصوصاً يتوجّسون خوفاً من خطر عظيم يحلّ بمدينتهم فيكون عليها ضربةً لازبة . يرون في تحديد الانتداب الفرنساوي على مسافة بضعة كيلومترات من حلب شمالاً وشرقاً وتخصيص ما وراء تلك الحدود بالاتراك سوف يحرم حلب من معظم مواردها بقطع معاملاتها مع داخليّة البلاد فتصبح شلواً هامداً لا تحيه جوارحهُ او نهراً لا تمدُّهُ السواعد فتنضب مياههُ. وقد عرضوا الامر على الدولة الفرنسويّة لتلافي هذا الخطر فعساهم ينالون غايتهم

وفي الختام نتمنّى لحلب رقياً متواصلاً ونجاحاً دائماً لتكون نقطة الدائرة بين البلاد التي تحدق بها كما هي مركز حياتها التجاريّة والاقتصاديّة والادبيّة

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب ايروانيموس دندبني الى لبنان (١٥٩٦ــ١٥٩٧) .

كان مرّ على سفارة الاب يوحنّا اليانو الثانية الى لبنان خمس عشرة سنة وعلى وفاته ستّ سنوات . وكان تعيّن على محاماة الموارنة في رومية بعد الكردينال كرافا

سنة ١٥٨٩ الكردينال جبرائيل باليوتي ثم الكردينال ألدوبرندينى سنة ١٥٩٤ . امـا الحبر الاعظم فكان البابا اقليمس الثامن جلس على السدّة البطرسيّة في آخر كانون الثاني من السنة ١٥٩٢ فتولّى تـدبير الكنيسة ١٣ سنة . وكان البطريرك سركيس الرزّي لا يزال يرعى طـائفتهُ بكل عناية . قال الدويهي في تاريخ الطائفة المارونيّة (ص ١٨٢) :

« وفي السنة ١٥٩٥ أقام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسفَ بن موسى اخيهِ اسقفاً وارسلهُ سفيراً الى البابا اقليمس الثامن في بعض مصالح الطائفة ولتهنئتهِ بعرش الخلافة . فأجلَّهُ البابا غـاية الاجلال وعند عودتهِ ارسل في صحبتهِ قسّيسَين من الشركة اليسوعيّة وهما ايرونيمس دندبني وفابيوس برونا »

ولهـذه السفارة شأن عظيم في تاريخ الطائفة المارونيّة فلا بدَّ من تقـديم بعض الملحوظات عليها :

كان رئيس هذه السفارة الاب ايرونيمس دندبني . ولد في مدينة سيزانو من اعمال ايطـالية سنة ١٥٥٤ من أسرة شريفة ودخـل الرهبانيّة سنة ١٥٦٩ وهو اوّل يسوعيّ علّم الفلسفة في باريس ثم عُهدت اليهِ عدّة مهامّ من تعليم ورئاسات شتّى تدلّ على ما كان لهُ من الاعتبار لدى رؤسائهِ وعند اهل عصرهِ

فبينما كان يعلّم الـلاهوت السنة ١٥٩٦ في مدينة بروزة اذ طلبهُ الحبر الاعظم اقليمس الثاني ليذهبَ الى لبنان بصفة قاصد رسولي ليتحرّى امور الموارنة ويستقصي احوالهم الدينيّة فيوقف على صحّتها إمام الاحبار . وقد شرح ذلك هو عينهُ في اخبار رحلتهِ قال (ص ٤ من طبعة باريس سنة ١٦٨٥) ما تعريبهُ :

« كانت بلغت مسامع الحبر الاعظم والكرادلة منذ مدّة طويلة بعض الوشايات بحقّ الموارنة . وكان قومٌ نسبوا اليهم عدّة اضاليل وبدع . وكان الموجودون منهم في رومية يسعون جهدهم في تذكية طائفتهم الّا انّ الامور لم تتجلِ فكـان البعض ينفون ذلك والبعض يصدّقونهُ حتّى صعب الوقوف على الحقيقة . واذ كان الكرسيّ الرسولي يصرف المبالغ العظيمة لتهذيب احداث الطائفة في المدرسة المنشأة لهم وقد اتى منهم الى رومية اخيراً فرقةٌ عديدة واكثرهم لا يستطيعون ان يتكبّدوا على الدروس لنضاضة سنّهم حتى زادت المصاريف بورودهم فسبّب ذلك بعض الاستياء في الحاشية البابويّة لاسيما وقد بلغهم انّ الذين كانوا أتموا دروسهم ورجعوا الى مواطنهم في الدام المنصرم لم تُعهَد اليهم وظائف يقومون بها مع كونهم اتقنوا الدروس الفلسفيّة واللاهوتيّة وبلادهم في غاية الحاجة الى عملة نشيطين لتأييد الدين . وبناء عليه عزم قداسة الحبر الاعظم على ان يرسل

الى بلاد الموارنة رجلاً ثقةً يبحث بحثاً مدققاً عن احوالهم الدينيَّة وامورهم الاديَّة فيوقف الكرسي الرسولي عند رجوعهِ عمَّا لحظهُ وتبيَّنهُ. ثمَّ يسعى في سفارته بحسن اختيار الاولاد المرسلين الى المدرسة المارونيَّة من حيث بلوغهم السنَّ المناسب وذكاء عقلهم كما يجب عليهِ ان يهتمَّ بامر التلامذة الذين اتموا دروسهم ليولُّوهم رعاية النفوس وتدبير كنائس طائفتهم »

هذا ما كتبهُ الاب دنديني في اسباب سفارتهِ الى لبنان كما دوَّنهُ في اوَّل تاريخ رحلتهِ التي ستذكر خلاصتها . ومن قولهِ هذا يتَّضح بان التُّهم في صحَّة ايمان الموارنة لم تصدر كما ظنَّ البطريرك سركيس من الاب اليانو المتوفَّى قبل ستَّ سنين بل من ناس احياء كما يلوح من كلامهِ . ولعلَّ هؤلاء كانوا من الشرقيين الذين اتوا رومية من طوائف أخرى فاطَّلعوا على كتب الموارنة التي اتى بها سابقاً الاب اليانو وكان الهراطقة دسُّوا فيها اضاليلهم فنشروا ذلك في رومية وعاكسهم الموارنة الذين فيها

فلمَّا تعيَّن الاب دنديني لهذه السفارة توجَّه الى امّ المدائن فامتثل بين يدي الحبر الاعظم ليقف على سائر نيَّاتهِ والتمس من فضلهِ ان يمدَّهُ بكل النعم الروحيَّة تسهيلاً لاعمالهِ كما التمس منهُ الرخصة لزيارة الاراضي المقدَّسة . فنال من فضل قداستهِ كل ما طلبهُ لخير الموارنة وتنشية العبادة بينهم وسمح لهُ بمنح الغفرانات وتعليقها على المسابح والايقونات وتماثيل حمل الله ورخَّص لهُ بحلّ الخطايا المحفوظة والمسامحة بالتأديبات الكنسيَّة . ثمَّ سلَّمهُ براءةً تاريخها ١٢ حزيران ١٥٩٦ الى البطريرك سركيس يذكر فيها عناية الكرسيّ الرسولي بالطائفة المارونيَّة رغماً عن بُعدها عنهُ ثمَّ يذكر انَّ عنايتهُ هذه هي التي دفعت الحبر الاعظم الى تعيين الاب ايرونيموس دنديني الممتاز بتقاه وعلمهِ وغيرتهِ ليزور الطائفة المارونيَّة ويعزّيها في مصائبها ويستعلم عن كلّ احوالها فيوقف عند عودتهِ قداستهُ على كل حاجاتها . ويختم بذكر ما يرسلهُ معهُ من الهدايا كعربون انعطافهِ اليهِ والى ابنائهِ الموارنة (١

ثمَّ اجتمع الاب دنديني برئيسهِ العامّ الاب كلوديوس اكوافيفا فعيَّن لهُ كرفيق ومستشار الاب فابيوس برونو من افاضل آباء الرهبانيَّة الذي تقلَّد بعد رجوعهِ رئاسة المدرسة المارونيَّة وسعى بترقيتها ودفع ابرهيم الحاقلاني الى تأليف غراماطيقهِ السرياني

١) اطلب نصّ هذه البراءة في اللاتينيَّة في مجموع البراءات المارونيَّة للاب طوبيا العنيسي T. Anaissi : Bullarium Maronitarum, p. 106 وفي تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة بالعربيَّة للخوري ميخائيل غبريل (ج ٢ ص ٣٨٦)

اللاتيني . ولـدينا المذكرة التي اعطاها الرئيس العـام المرسَلين في ١٩ باباً وهي مملوءة حكمة وتقى يوصيهما بهـا كيف يجب عليهما ان يتصرفـا في بعثتهما بخصوص واجباتهما الروحيّة والرهبانيّة ثمّ في معاملاتهما مع رؤساء الطائفة المارونيّة وشعبهـا وفي زيارة كنائسهم واديرتهم ورعـاياهم ليحققا آمال الكرسي الرسولي ويوثقـا روابط الايمان والطاعة الواجبة نحوهُ . واذ كان الابوان يجهلان العربيّة والسريانيّة عيّن لهما الرئيس العام بصفة ترجمانين اثنين من تلامذة المدرسة المارونيّة اللـذين كانا انجزا فيها دروسهما القسّ موسى العنيسي الذي كان عاد الى لبنان في السنة السابقة والشدياق يوسف اليان الحلبي الذي رافقهما في السفر . على انّ جهل المرسلَين للغات البلاد اضرّهما كثيرًا اذ لم يستطيعا ان يتحققا بنفسهما كثيرًا من الامور التي وقف عليها الاب اليانو قبلهما . وكأنّ قصر الوقت لم يسمح لهما بمطالعة كتابات ذلك الاب ورسائلهُ التي وصف فيها لبنان واهلهُ وسائر امورهِ احسن وصف . وذلك ايضاً كان خللًا اذ حُرما عدّة معلومات كانت افادتهما في القيام بمهمّتهما وفي الدفاع عن التُّهم التي اشاعها البعض بحقّهِ زورًا

أبحر القاصد ورفيقهُ وترجمانهُ من مينا تقرب البندقيّة بعد ان لبسوا ثياب زوّار الاراضي المقدّسة وذلك في ١٤ تمّوز ١٥٩٦ . وكان مركبهم مجهّزًا بالمـدافع لردّ غارات القرصان الّا ان سفرهم كان ميمونًا والريح في الغالب موافقةً . وقـد وصف الاب دنديني في رحلتهِ ما حدث لهم في طريقهم على جزائر اليونان وكندية وقبرس فيتّسع في اخلاق السكّان وعاداتهم واديانهم وخواصّ بـلادهم . وزار في قبرس الموارنة المستوطنين فيها . ثمّ ركبوا سفينة أخرى نقلتهم الى طرابلس فبلغوها في اواخر شهر آب ونزلوا ضيوفاً فيها على احد تجار البنادقة فاستراحوا قليلًا من اتعـاب السفر ولاسيّما الاب فابيوس الذي بقي مريضاً بضعة أيام

وقد خصّ هنا الاب دنديني عدّة فصول من كتابهِ لوصف اخلاق اهل طرابلس وعاداتهم المختلفة ديناً ودنيا ولاسيّما الاتراك والمسلمين ليوقف مواطنيهِ على امورهم في كلّ اطوار حياتهم

٢ الاب دنديني في لبنان

ثمّ ينتقل الاب الى ذكر صعودهِ الى قنّوبين مارًا بقرية اهدن حيث قدّم الذبيحة

الالهيَّة في معبدٍ على اسم القديس يعقوب «اشبه بقبر منهُ بكنيسة» . ولمَّا قرب من قنُّوبين وجد عدَّة كهنة اتوا لاستقباله باسم السيّد البطريرك سركيس الذي كان مريضاً ملازم الفراش . وكان وصولهُ في غرَّة ايلول الى قنُّوبين فدخل على البطريرك فوجدهُ جالساً على فراشهِ وقدَّم لهُ براءة الحبر الاعظم ورسائل الكردينال باليوتي محامي الطائفة ورئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام فقبَّل البراءة ووضعها على رأسهِ اجلالاً ثمَّ دار الحديث بين القاصد والسيّد البطريرك مدَّةً عن احوال الحبر الاعظم والمدرسة المارونيَّة وغير ذلك

وفي الغد شرح الاب دنديني للسيّد البطريرك الغرض من سفارتهِ وما يرغبهُ الحبر الروماني من الخير للموارنة فطلب منهُ ان يجمع السادة الاساقفة ليتفاوضوا في امور الطائفة ويتذاكروا في احوالها الدينيَّة والادبيَّة . وهنا اخذ البطريرك سركيس يتشكَّى ويتجنَّى ويتذمَّر تارةً على الحبر الاعظم الذي لم يرسل لهُ سوى براءة بسيطة بدلاً من منشور رسمي كما لأسلافهِ وتارةً على الذين شوَّهوا على زعمهِ صيت الموارنة في رومية وخصوصاً على الاب اليانو مدَّعياً انهُ اتَّهم الموارنة بتُهم باطلة وانَّهُ زوَّر باسمهم بعض الكتابات (كذا) وان المجمع الذي عُقد بحضرتهِ وحضرة الاساقفة المعنى بتوقيعهم كانت اعمالهُ مغشوشة واشياء أُخرى اندهش الاب دنديني لاستماعها ولم يكن مطَّلعاً على حقيقتها فبقي محتاراً في الجواب عنها (١ وانَّما حاول إخماد غضب البطريرك الذي كان المرض يزعجهُ ويثير طباعهُ حتَّى تمكَّن من تطييب قلبهِ وقدَّم لهُ ما ارسلهُ لهُ الحبر الروماني من حُلل اسقفيَّة وآنية ثمينة للحفلات الدينيَّة . امَّا المجمع الذي طلب الاب دنديني اقامتهُ فرأى ان ما يجري في الشام وتنتظر من الحروب بين الامير فخر الدين الكبير وآل سيفا وامراء الاتراك يحول دون اجتماع الاساقفة الَّا اثنين منهم ففضَّل تأجيلهُ الى زمن آخر ريثما يشفى البطريرك وتهدأ الامور

وكان الاب فابيوس بقي في تلك الاثناء في طرابلس فلمَّا عوفي لحق برفيقهِ وسار كلاهما يتجوَّلان في انحاء لبنان ليستطلعا احوالهُ ويراقبا شؤون اهلهِ وكلَّ ما يألفونهُ من العادات في عيشتهم الفرديَّة والعائليَّة والاجتماعيَّة . فعيَّن لهم البطريرك

١) وقد رأيت في ما سبق بطلان كلّ هذه الشكايات التي لم نجد لها سنداً في كل ما لدينا من كتابات الاب اليانو

ليسير في خدمتهم احد شمامسته المدعو يوسف خاطر فزاروا قرى لبنان وفحصوا ارزها واراضيها ومزروعاتها وحيوانها وطيورها واجتمعوا باهلها فوقفوا على عاداتهم وتفقدوا احوال رهبانها وراهباتها وفحصوا اديرتهم وكنائسهم . وبحثوا عن امور الاكليروس . وقد نشر الاب دنديني كلّ ذلك في رحلته التي تحتوي من المعلومات عن لبنان وعن الموارنة ما لم يسبقهُ اليه كاتب آخر فجاء كتابهُ كمرآة تاريخ ذلك الزمان وصورة حيّة تمثل كل اطوار حياتهم منذ ولادتهم الى وفاتهم فيصف ملبوسهم رجالًا ونساء وماكولهم ومشروبهم وافراحهم واحزانهم وتمسّكهم في الدين وقلّة معارفهم . وهناك بيان لما يلحقهم من الدولة من الجور وضروب المظالم والاهانات . وفيه ايضاً ذكرُ عادات شتّى بطلت بين الموارنة منذ زمن طويل منها تمشّم رجالهم باللفّة المنيّرة وحلقهم لشعر رؤوسهم مع ارخاء لحاهم وتقلّدهم السيوف وتنكّبهم الاقواس (ص ٨٩) ومنها مناولة الشعب على الشكلين : الخبز والخمر (ص ١١٤ و ١١٩) ومناولة الاطفال الصغار . ومنها مباشرة القدّاس وتهيئة الذبيحة قبل ان يلبس الكاهن الحلّة الكهنوتيّة كما يفعل كهنة السريان حاضراً (ص ١١٠ — ١١١) وقد سبق انّ هذه الحلّة كانت ايضاً في ايّام دنديني كحلّة السريان اي الغفّارة (ص ١١١) . ومنها انّهم في الصوم يقدّمون الذبيحة عند العصر ويفطرون بعدها (ص ١١٦) وللاب دنديني فصلٌ عن رهبان وراهبات ذلك العهد في لبنان (ص ١١٤ — ١١٨) يفيدنا عن عيشتهم ومناسكهم وذلك قبل انشاء الرهبانيّات الحديثة بنيّف ومائة سنة يذكر فيه ما استحسنهُ من عاداتهم وما استنكف منها

وممّا افادنا هناك (ص ١٥٠) ذكر الاعياد التي كانت شائعة عند الموارنة . واضاف اليها الكلنداز السنوي مع جدول الاعياد المفروضة بالاتفاق مع المجمع وهي هذه ختانة الرب . الغطاس . دخول العذراء الى الهيكل . مار متيّا الرسول . عيد البشارة . مار يعقوب ومار فيلبّوس الرسولان . مار يوحنّا المعمدان . مار بطرس ومار بولس . تجلّي الرب . انتقال العذراء . مار برتلماوس الرسول . ميلاد العذراء . مار متّى . ارتفاع الصليب . مار ميخائيل . الرسولان مار سمعان ومار يهوذا . عيد جميع القديسين . مار اندراوس الرسول . مار توما الرسول . ميلاد الرب . القديس اسطفانوس اوّل الشهداء . ما عدا آحاد كل السنة واليومين التابعين لعيد الفصح وصعود الرب . واليومين التابعين

لعيد المنصرة . الثالوث الاقدس . عيد جسد الرب وشفيع المكان

فهذا الجدول اقدم كلندار نعرفهُ للكنيسة المارونيَّة وهو يسبق ٧٧ سنةً كلندارًا اخر نشرناهُ سابقاً عن بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة في هذه المجلَّة (٨ [١٩٠٥]: ٨٧١ — ٨٧٤) . وما من شأنهِ ان يُذهل القرَّاء انَّ لا ذكر فيهِ لزعيمي الكنيسة المارونيَّة القديس مارون الناسك ومار يوحنَّا مارون . وقال الاب دنديني انَّ الكلندار المذكور وُزِّعت نسخهُ على كل الكنائس وامروا الكهنة ان يعلنوا يوم الاحد في القداس بالاعياد الواقعة في الاسبوع

٣ مجمع قنوبين في سنة ١٥٩٦

بعد أن قضى القاصد الرسولي ثلثة اسابيع في قنُّوبين والقرى المجاورة ودقَّق النظر في المناشير البابويَّة المرسلة الى الموارنة من اينوكنت (زخيا) الثالث سنة ١٢١٥ واسكندر الرابع سنة ١٢٥٦ ولاون العاشر سنة ١٥١٥ وغريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٧ ليتَّخذ مضامينها كوادٍ يعرضها على المجمع المنويّ رأى ان صحَّة السيِّد البطريرك قد تحسَّنت نوعاً وانَّ امور البلاد قد هدأت بعض الهدوء فرغب الى غبطتهِ ان يستدعي الاساقفة الى قنُّوبين فوافقهُ البطريرك ولبَّى الاساقفة دعوة رئيسهم وانتظم عقد المجمع في ٢٨ من شهر ايلول على الحساب الغربي الموافق لليوم ١٨ منه (١ في الحساب الشرقي الذي كان يجري عليهِ وقتئذٍ الموارنة كبقيَّة اهل الشرق

فافتتح الاب دنديني المجمع بتلاوة براءة الحبر الاعظم التي يفوِّض اليهِ فيها ان يعقد مجمعاً ملئيًّا للوقوف على احوال الطائفة ويسعى في كلِّ ما يؤول الى خيرها بواسطة الاكليروس وخصوصاً السادة الاساقفة

ثمَّ تخطَّى الاب الى عقائد الايمان التي كان الحبر الروماني يودّ ان يطَّلع على معتقد الموارنة فيها . فاكاد يعرض ذلك على المجمع حتَّى «طفق السيِّد البطريرك يحتجّ بعبارة مطوَّلة احتجاجاً قويًّا على مجمع كان انعقد في السنين الماضية منكرًا انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ . ثمَّ حرم اغلاطاً جمَّة عزاها بعض الناس اليهِ والى قومهِ ورمى

١) جاء في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩) المطبوع حديثاً « في ثاني ايلول » والصواب « في الثامن عشر ايلول »

بالحرم القائلين بها (١ » مؤكداً انهُ لم يزل مرتبطاً بالكنيسة الرومانية وانهُ سيثبت دائماً على ايمانها. ثمّ قام رئيس الشمامسة مدفوعاً بغيرةٍ عظيمة قائلاً : « نعم أننا نريد ان نتبعها ولا ننفصل عنها حيثما سارت ولو انحدرت الى الجحيم » (كذا في رحلة الاب دنديني ص ١٣٥)

فيلوح من هذا الكلام تعلّق الموارنة بالكنيسة البطرسيّة وانفتهم من كلّ الاضاليل الشائعة في الشرق. على أننا لا نفهم كيف امكن البطريرك سركيس «ان يحتجّ على المجمع المنعقد سابقاً سنة ١٥٨٠ منكراً انعقادهُ او تثبيتهُ منهُ او من الاخ سالفهِ » واعمال ذلك المجمع باقية الى اليوم في ترجمتها اللاتينيّة التي نشرها المرحوم الاب انطون رباط في كتابهِ « مآثر تاريخيّة للكنائس الشرقيّة » (ص ١٥٢—١٦٩) وليس هناك ما يمسّ البتّة شرف الطائفة المارونيّة وفي آخرها امضاء السيّد البطريرك ميخائيل الرزي واخيه وخلفهِ سركيس. وانّما فيها اعلان صريح بايمان الموارنة وتشبُّهم بالكرسي الرسوليّ . امّا اصلهُ العربيّ فلم يُفقد تماماً وقد نشرنا سابقاً (ص ٤٨) خلاصتهُ التي ارسلها البطريرك ميخائيل الرزي الى كنائس لبنان بصفة « وصايا يجب على الجميع قبولها وحفظها ». ولا شكّ انّ البطريرك سركيس نسب الى الاب اليانو ما هو براء منهُ وكثيراً ما دافع هذا الاب عن الموارنة وعن صدق ايمانهم وعزا ما وجد في كتبهم من الاضاليل الى الجهل او الى خبث النسّاخ المراطقة. وبهِ تسقط ايضاً احتجاجات البطريرك الدويهي على الاب اليانو الذي ثبت حبّهُ الخالص للموارنة ودفاعهُ عنهم بما سبق نشرهُ (٢

وليست اعمال مجمع قنّوبين هذا الثاني الّا صورة اخرى للمجمع السابق . وقد احسن الطيّب الذكر المطران يوسف نجم بتعريب بنودهِ عن اصلها اللاتيني في ذيل المجمع اللبناني (ص ٩—١٧) وهذه البنود في عدد ١٣ بنداً صدّقوا عليها في هذا المجمع باتّفاق الاصوات مصرّحين باعتقادهم في السيّد المسيح اقنوماً واحداً الهيًّا في طبيعتين ومشيئتين وفعلَين وفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن وفي معنى

---

١) في الذيل المذكور (ص ١٠) ٢) انّ للاب بطرس مرتينوس اليسوعيّ في تاريخ لبنان الذي لا يزال مخطوطاً دفاعاً طويلاً من الاب جوان باطشتا اليانو وردّاً عن التهم الثريّة التي اشاعها بعض الجهّال في حقّه وردّ عليها الدويهيّ في تاريخهِ

التقديسات الثلث الواردة في كتبهم (Trisagion) وفي وجود المطهر وعموم الخطيئة الاصليَّة ودخول الانفس البارَّة الى السماء قبل الدينونة مع بعض اعتقاداتهم في الاسرار المقدَّسة لاسيَّما التثبيت والقربان الاقدس

وهناك ايضاً ٢١ قانوناً بخصوص الفرائض الدينيَّة والعيشة المسيحيَّة (١ اقرَّها الآباء. وألحُّوا في التماس تثبيتها بسلطان قداسة البابا فوعدهم بذلك القاصد الرسولي ثمَّ انحلَّ المجمع في غرَّة تشرين الاوَّل وهو اليوم العشرون من ايلول على الحساب الشرقي

٤ وفاة البطريرك سركيس السرزي وانتخاب خلفه

بعد ارفضاض المجمع اراد الاب دنديني ان يتجوَّل في بعض انحاء لبنان ليماين اديرة الرهبان فانطلق الى حبس قزحيَّا ودير مار انطونيوس المجاور لهُ وكان الرئيس على قزحيَّا المطران يوسف ابن اخي البطريرك سركيس وكان معهُ شقيقهُ سركيس الذي كان تلقَّى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية. اما دير مار انطونيوس فوجد فيهِ الاب دنديني ثلثة اخوة وكلَّهم اساقفة . ثمَّ انتقل الاب دنديني الى اهدن فتجمهر اهلها واتوا لاستقبالهِ وتحفَّوا بهِ واكرموهُ اكراماً عظيماً فوزَّع عليهم عدداً وافراً من المسابح والصلبان والايقونات فشكروهُ ايَّ شكرٍ على تلك الهبات الثمينة

ثمَّ صعد الاب من اهدن الى دير مار سركيس الذي يبعد عنها ميلاً فسار امامهُ نخبة من رجال اهدن يتغنَّون بالتسابيح كالعوف عادتهم عند زيارة السيِّد البطريرك . فدخل الدير بكل ابهة ورونق وبعد الصلاة في الكنيسة عاد رئيسُ الدير الذي كان استقفاً طاعناً في السنِّ ضريراً. وما كاد يدور الحديث بينهما حتَّى ورد ساعٍ من قنُّوبين يعلم القاصد بان السيِّد البطريرك أُصيب بنوبةٍ قويَّة وانهُ على وشك النزاع فقام الاب المذكور من ساعتهِ وانتقل راجعاً بكل سرعة الى قنُّوبين لكنَّهُ عند وصولهِ عرف انَّ البطريرك كان فارق الحياة قبل ساعتين وانتقل الى رحمة ربهِ وذلك في ٥ من تشرين الاوَّل (٢ الموافق لليوم ٢٥ من ايلول. فوجدهُ الابوان قد عُرض في الكنيسة

١) تجدها مطبوعة في ذيل المجمع اللبناني (ص١٣—١٣) وفي تاريخ الموارنة للدويهي مع صورة المجمع (ص ٢٨٧—٢٩١) ٢) اما الدويهي فيزعم انَّ وفاتهُ كانت في ٧ منهُ

بحلّتهِ البطريركيّة جالساً على عرشهِ في يدهِ العكّاز وعلى رأسهِ التاج وحولهُ النائحات والنادبات بجلبة عظيمة . وفي الغد تقاطر الناس من كلّ صوب فدُفن البطريرك بحفلة حافلة في معبد القديسة مارينا المجاور لدير قنّوبين

وقد وجدنا للبطريرك المذكور في سجلّات رهبانيّتنا رسالة وجّهها سنة ١٥٩٢ الى رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواثيفا يوصيهِ بقسيسين يرسلهما الى بلاد الفرنج لجمع الحسنات لدير قنّوبين هذا نصّهُ :

الحقير بطرس بطريرك الموارنة

لحضرة الاخ الجنيرال

البركة الالهية والسلام الروحاني الذي خصّ بهِ سيدنا تلاميذه لما دخل اليهم والابواب مغلقة تلك البركات التي خصّهم بها وذلك السلام الذي اهداهم اياه ذلك يكون بينه حالّ على الاخ العزيز صاحب الفهم والمعرفة والمشورة الصالحة الاخ البار والاتاء المختار صاحب الفضل علينا وعلى اولادنا الذين في المدرسة هو وتلاميذه . وايضاً نخص في البركة الالهية الجوقة اليسوعية الروحانية تكون البركة حالة عليهم وبين ايديهم وعلى رزقهم ومقتناهم امين

والذي نعرض على المسامع الكريمة كرمها الله بان واصل لعند محبتك اخوتنا القس ابراهيم والقس يعقوب ولهم خاطر انهم يمشوا في البلاد صوب المزارات ونحن مشرفتك ان اين ما راحوا يكونوا مكرمين وان كان يرسم فضلك حتى يحوشوا للدير شوية نفقات لانهُ كثر علينا ظلم الترك والمحل قطع بلادنا وخلّى داخله وخارجهُ مثل البرّ وهذا الكرسي يا اخي هو ملجأ الفرنج في الفضل وفي كل ضيقة يجي عليهم بقوة المسيح وعلى يدينا في الكرسي يسر كثير ما لهم عدد (كذا) اذا اطلعوا عليهِ الملوك والتجار بشيء تخرج عليهِ ما هو عيب الله يكون معك يا اخي انك تمشي لنا درب مثل معرفتك ليكون لنا بها نجي على دربك ويبقى لك الاجر والحسنة عند الله : ومثل محبتك ما يدل على صواب وعندك فهم يغني عن طول الشرح وبعد البركة والسلام عليك وعلى اخوتك العزيزين تلاميذنا كل واحد باسمهِ والشكر والخير لله رب العالمين آمين

برز من دير قنّوبين جبل لبنان المبارك بيد الحقير بطرك الموارنة طانع ومعتقد كرسي بطرس بابا رومية سنة ١٥٩٢ مسيحيّة ثامن يوم من شهر تشرين الآخر

قال الدويهي في تاريخهِ : « وفي النهار التاسع خلفهُ في البطريركيّة يوسف ابن اخيهِ موسى الرزّي ولهُ من العمر ٤٦ سنة وهو الثامن من البطاركة في دير قنّوبين »

امّا الاب دنديني فيقول انّ انتخاب خلف البطريرك سركيس صار في ١٩ يوماً بعد وفاتهِ وانّ الاساقفة والاعيان رغبوا اليهِ ان يُعيّن خلفاً للسيد سركيس فمن شاءهُ اختاروهُ لكنّ القاصد الرسوليّ أبى ان يتداخل بالامر ونزل الى طرابلس ينتظر نتيجة الانتخاب تمّ ذلك في ١٣ ت ١ بموجب الحساب الغربي الموافق للثالث منهُ في الحساب الشرقيّ . ووقع اختيار الاكليروس والشعب على المطران يوسف الرزّي رئيس حبس قزحيًا وابن اخي البطريرك المتنيح فخلفه على محبسة قزحيًا اخوهُ سركيس تلميذ رومية السابق ذكرهُ

وما كاد البطريرك الجديد يتبوّأ سدّة اسلافهِ حتّى ارسل واستدعى من طرابلس الاب دنديني . فلمّا قدم اعرب عن سرورهِ بزوياهُ واكّد لهُ انهُ مصمّم النيّة على السلوك بموجب كلّ رغائب الكرسيّ الرسوليّ فانتهز الاب تلك الفرصة ليعرض عليهِ عدّة امور لم تتقرّر في المجمع الاخير فاجابهُ اليها لكنهُ أجّل ذلك الى زمن رجوعهِ من عند امير البلاد ابن سيفا وهو ذاهب ليزورهُ كما كانت العادة جاريةً قبلهُ

فلمّا خرج البطريرك لمقابلة الامير اراد الاب دنديني ان ينتهز تلك الفرصة ليزور القدس الشريف مع رفيقهِ ريثما يكون رجع البطريرك يوسف الى قنّوبين فسافر الى طرابلس ليركب قارباً يقودهُ الى يافا لكنهُ حدثت وقتئذٍ امطار وانواء شديدة منعتهُ من السفر فعاد الى قنّوبين بعد رجوع البطريرك من زيارتهِ لامير البلاد وحضر جنّازًا حافلًا أُقيم في ١٣ ت ٢ لراحة نفس البطريرك عمّهِ حضرهُ عدد لا يُحصى من الشعب

فاجتمع الاب دنديني في اثناء ذلك بالبطريرك يوسف وفاوضهُ اوّلًا في امر تلامذة رومية العائدين منها بعد دروسهم كي يعطوهم المراتب التي هم اهلٌ لها فيخدموا الطائفة بعلومهم وآدابهم فاجابهُ البطريرك الى ذلك بأن اقام اسقفًا على افقيسية (قبرس) موسى العنيسي من العاقورة وسقّف يوحنّا الحوشبيّ وجعلهُ معاوناً لهُ في تدبير شؤون دير قنّوبين (١ . وسقّف اخاهُ سركيس مطرانـاً على دمشق فخلفهُ على رئاسة دير قزحيًا . وكلّ هؤلاء من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية . وبايعاز الاب دنديني

١) في تاريخ الدويهي (ص ١٨٥) انّ تسقيفهُ كان سنة ١٦٠٣ وفيها ارسلهُ سفيرًا الى البابا بولس الخامس . امّا المستفاد من اقوال الاب دنديني ان تسقيفهُ كان بحضورهِ وكذلك يؤخذ من رواية دنديني انّ سيامة سركيس الرزّي وجرجس عميره كانت سنة ١٥٩٦ لا السنة ١٦٠٠

سليم جرجس عميره كاهناً ثمّ اسقفاً «رغماً عن مماكسة بعض السالكين على غايات بشريّة» (ص ١٧٢) سامهُ كاهناً المطران موسى العنيسي ثمّ رقّاهُ البطريرك بمساعدة مطرانين آخرين الى رتبة الاسقفية وعهد اليه بتأليف كتب لارشاد الكهنة وهو الذي كان طبع سابقاً غراماطيقاً سريانيًّا لاتينيًّا وعُني بطبع كتاب القدّاس في مطبعة المديشيس

ولمّا رأى الاب دنديني حسن استعداد البطريرك الجديد لاصلاح الامور المخلّة وتحوير العادات الباطلة استلفت نظرهُ الى بعض ما يحسن به استدراكهُ بعد اثبات المجمع المقدّم ذكرهُ فالبطريرك يوسف «لم يكتفِ بأن اثبت ذلك المجمع وسلّم بكل ما فيه باباً باباً وامر بان يرعاهُ الجميع بكل اجتهاد بل جمع اليه كلّ الاساقفة بحضرة سفير الكرسيّ الرسولي ايرونيموس دنديني وزاد عليه القوانين الآتية» وهي ستّة تجدها مفصّلةً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٧—١٩) وكان تاريخ هذه المزيدات في ٣ تشرين الثاني (١ سنة ١٥٩٦

وقد نشر المرحوم رشيد الشرتوني في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٨٩ — ٦٩٣) قوانين مجمع ضيعة موسى كايضاح وتتمّة لمجمعَي قنّوبين في السنتين ١٥٨٠ و ١٥٩٦

ولمّا رأى الاب دنديني انّ سفارتهُ لدى الموارنة قد تمّت على مقتضى رغائبه استعدّ لوداع البطريرك والسادة الاساقفة واراد قبل فراقهم ان يسلّم السيّد البطريرك مفكّرةً في بعض الامور لئلّا تبرح عن باله

فممّا ورد هناك ان لا يُرسَل اولاد الى المدرسة المارونيّة قبل بلوغهم السنة الرابعة عشرة من عمرهم ومعرفتهم القراءة والكتابة وان يُعطَوا عند رجوعهم من رومية رتباً موافقة لمعارفهم . ومن وصاته للبطريرك ان يعيّن اسقفاً لقبرس يقيم فيها وكذلك في العاقورة . ومنها ان يرسل الى رومية مَن يقدّم الطاعة باسمه للكرسي الرسوليّ (وقد تمّ ذلك سنة ١٥٩٨ كما روى الدويهيّ ص ١٨٣ اذ ارسل الخوري جرجس بن يونان من قرية ايليج مع الشدياق يوسف اليان الحلبي تلميذ رومية) وفي وصاته ايضاً اشياء كثيرة في اصلاح الرهبان كفصل بيوتهم عن اديرة الراهبات وتقييدهم بالعيشة العمومية وفرض سنة ابتداء على طالبي الترهّب يبرزون بعدها النذور الرهبانيّة الثلثة مع عدم السماح للاخوة بامتلاك شيء من المال . وهناك وصايا

١) لا «تشرين الاوّل» كما ورد سهواً في ذيل المجمع اللبناني (ص ١٩)

أخرى للاكليريكيين والكهنة لاسيّما لإرشاد الشعب والوعظ أيام الآحاد الخ

وليس في بقيّة رحلة الاب دندينى ما يهمّنا فانهُ زار مع رفيقهِ الاب برونو الاراضي المقدّسة ثمّ رجع الى طرابلس وبقيا فيها الى ان امكنهما ان يبحرا الى ايطالية في اوائل كانون الثاني سنه ١٥٩٧ بعد مرورهما بالاسكندرونة ثمّ بقبرس ومنها الى البندقيّة فلم يبلغاها الّا بعد اتعاب واخطار كثيرة في اواسط شهر حزيران. ثمّ رحلا الى رومية فدخلا المدينة المقدّسة في ١٧ تموز. واذ كان الحبر الاعظم عليلًا لم يمكن الاب دندينى ان يعرض عليهِ اخبار سفارتهِ الّا في شهر تشرين الاوّل فسُرَّ قداستهُ بنجاح السفارة ووعد بانّهُ يداوم اهتمامهُ بالأمّة المارونيّة مثنياً على اكليروسها وشعبها وإشعارًا بمحبّتهِ نحوها عيّن لحمايتها ابن اخيهِ الكردينال ألدُوبرندينى خلفاً للكردينال باليوتي

ثم نشر الاب دندينى رحلتهُ بعد سنة باللغة الايطاليّة في رومية فنقلها الى الافرنسيّة العلّامة المستشرق ريشرد سيمون سنة ١٦٧٥ وعلّق عليها عدّة ملحوظات في مئتي صفحة تدلُّ على سعة علمهِ باحوال الشرق وحسن نظرهِ وجودة فكرتهِ (لهُ صلة)

الاسقف الطريد

صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة

للمرحوم القنصل الفرنساوي فردينند رنزفال

حدث الواقع الآتي سنة ١٨٥٨. وفيها تعيّن السيّد نابوليون بنيامين كرنيس اساقفة على سراياقو عاصمة الهرسك والبشناق بعد ان قام احسن قيام بأمور اسقفيّة غلطة في الاستانة. وكان السيّد المذكور يميل الى الدين الكاثوليكي دون ان يُعلن بهِ الّا انّهُ كان يتشبّه في لبسهِ بلبس الاساقفة الكاثوليك فيتردّى بثوب ذي أزرار وعُرى صغيرة مثلهم تحت البُردة اليونانيّة الواسعة

وبقي على ذلك مدّةً حتّى لحظ الكهنة الذين في حاشيتهِ نزعتهُ الى الكثلكة

أخرى للاكليريكيين والكهنة لاسيّما لإرشاد الشعب والوعظ أيام الآحاد الخ

وليس في بقيّة رحلة الاب دندينى ما يهمّنا فانهُ زار مع رفيقهِ الاب برونو الاراضي المقدّسة ثمّ رجع الى طرابلس وبقيا فيها الى ان امكنهما ان يبحرا الى ايطالية في اوائل كانون الثاني سنه ١٥٩٧ بعد مرورهما بالاسكندرونة ثمّ بقبرس ومنها الى البندقيّة فلم يبلغاها الّا بعد اتعاب واخطار كثيرة في اواسط شهر حزيران. ثمّ رحلا الى رومية فدخلا المدينة المقدّسة في ١٧ تموز. واذ كان الحبر الاعظم عليلًا لم يمكن الاب دندينى ان يعرض عليهِ اخبار سفارتهِ الّا في شهر تشرين الاوّل فسُرَّ قداستهُ بنجاح السفارة ووعد بانّهُ يداوم اهتمامهُ بالأمّة المارونيّة مثنياً على اكليروسها وشعبها وإشعارًا بمحبّتهِ نحوها عيّن لحمايتها ابن اخيهِ الكردينال ألدُوبرندينى خلفاً للكردينال باليوتي

ثم نشر الاب دندينى رحلتهُ بعد سنة باللغة الايطاليّة في رومية فنقلها الى الافرنسيّة العلّامة المستشرق ريشرد سيمون سنة ١٦٧٥ وعلّق عليها عدّة ملحوظات في مئتي صفحة تدلُّ على سعة علمهِ باحوال الشرق وحسن نظرهِ وجودة فكرتهِ (لهُ صلة)

الاسقف الطريد

صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة

للمرحوم القنصل الفرنساوي فردينند رنزفال

حدث الواقع الآتي سنة ١٨٥٨. وفيها تعيّن السيّد نابوليون بنيامين كرنيس اساقفة على سراياقو عاصمة الهرسك والبشناق بعد ان قام احسن قيام بأمور اسقفيّة غلطة في الاستانة. وكان السيّد المذكور يميل الى الدين الكاثوليكي دون ان يُعلن بهِ الّا انّهُ كان يتشبّه في لبسهِ بلبس الاساقفة الكاثوليك فيتردّى بثوب ذي أزرار وعُرى صغيرة مثلهم تحت البُردة اليونانيّة الواسعة

وبقي على ذلك مدّةً حتّى لحظ الكهنة الذين في حاشيتهِ نزعتهُ الى الكثلكة

فاسرعوا ووشوا بهِ لبطريرك الفنار فتقدَّم اليهِ بالعود من مقامهِ سرايافو الى الاستانة . فادرك السيّد نابوليون معنى هذا الامر وفهم انهُ مطلوب ليقوم بازاء محكمةٍ ومع هذا لم يتريَّث في اجابتهِ لامر البطريرك وبكل جرأة قدم الى عاصمة الدولة لكنهُ لم يطلب الضيافة في الفنار واتَّخذ لهُ سكناً آخر اميناً في المدينة

فخرج يوماً لترويح النفس في بعض احياء الاستانة واذا برجلين من عصبة المتولّين مطافئ البلدة من اشقى الناس وشرّ العباد هجما عليهِ كالذئاب ورمياهُ مكرهاً في عجلةٍ مقفلة كانا اعدَّاها لذلك ثم سارا بهِ كلمح البرق الى جهة أدرنة . وقد حدث الامر على فور بالقوَّة الجبريَّة دون ان يستطيع احد الحضور في ذلك الحيّ ان يحتجّ على الجانيَين او يصدَّهما عن العمل وكان الشقيَّان قد احتاطا لنفسهما واستخرجا من الباب العالي بواسطة الفنار فرماناً يبرزانهِ لكل من يتصدَّى لهما في فعلهما الاثيم ولو كانوا من رجال الشرط

على انَّ الخبر ما لبث ان انتشر في العاصمة فاستنكف منهُ كل من سمعهُ من اهل العدل وارباب الصلاح . والتجأت القصادة الرسولية في الاستانة الى سفير فرنسة هناك المسيو توفنيل (M. Thouvenel) لينقذ المظلوم من ايدي اعدائهِ . فتقدَّم السفير الى الصدر الاعظم رقيماً طالباً بالحاح من البطريركيَّة اليونانيَّة تحرير السيّد نابوليون بنيامين . لكنَّ البطريرك انكر بكل عتوّ وقوفهُ على هذا الامر مؤكداً انهُ يجهل الواقع تماماً ولا علم لهُ بما جرى بحق الاسقف المظلوم وباي مكان هو

فلمَّا رأى السفير حبوط مساعيهِ بالطريقة الرسميَّة لدى الدولة حاول بنفسهِ كشف السرّ المكنون واثقاً بنشاطهِ وذكاء عقلهِ لفكّ اغلال ذاك الاسير البئيس . فبحث عن وسيلة للبلوغ الى حبسهِ لينال من يدهِ وثيقةً يقدّمها لارباب الدولة العثمانيَّة تضطرُّهم الى طلب حرّيَّة الاسقف الطريد ضحيَّة الظلم والاستبداد

ولكن ليت شعري كيف الوصول الى السجين ولا احد يعلم في ايّ مكانٍ حُبس ! . على انَّهُ ليس امر عسير على العناية الصمدانيَّة التي ساعدتنا بنوع عجيب

كلّ يعلم انَّ بين الاديار التي اعتاد الروم اليونان الحجّ اليها مزارَين خصوصاً مبنيَّين فوق صخور شاهقة وكلاهما مشهور بقدمهِ وبما ينسبهُ اليهِ العموم من الأقاصيص الغريبة احدهما دير جبل آثوس في مقدونية والآخر دير مار يوحنَّا الريلي القريب من

مدينة سماكوف في بلغارية موقعهُ في اعلى قمم جبال البلقان. فخطر على بال السفير مسيو توفنيل انَّ الاسقف الجليل قد يكون حُبس في احدهما لوحشة موقعها وبُعدهما عن كل مجتمع بشري وبناء عليهِ كتب للحال الى المسيو شمپوزو (Champoiseau) النائب القنصلي في فيليپي (Philippopolis) ليسعى بالتفتيش عن الطريد في احد هذين الديرين

وكنتُ الفقير وقتئذٍ من عمَّال قنصليَّة فيليپي فاستدعاني وعهد اليَّ بتلك المهمة لعلمهِ بمعرفتي التامَّة للُغة اليونانيَّة ووقوفي على كلّ عادات الروم الارثذكس فرجح كوني اجدر بهذه المهمة من غيري فاتمكَّن من انقاذ السيّد نابوليون

*

فخرجت من فيليپي مختارًا بنفسي لا اعلم ما ستكون نتيجة بعثتي هذه. فسرتُ متَّجهاً الى مدينة سماكوف الواقعة في سفح الجبل الذي في قمهِ مبنيّ دير القديس يوحنَّا الريلي فقدَّمتُ زيارتهُ اوَّلًا قبل دير أثوس لوقوعهِ على طريقي مؤجلًا سفري الى جبل اثوس اذا ما خابت ظنوني في دير سماكوف

فسرتُ الى هذه المدينة وبلغتها بعد ثلثة ايَّام ونزلتُ فيها ضيفاً على الدكتور أنتربرغ (Dr Unterberg) المتولي فيها امور دولة النمسة والنمسويين المتعدّدين الذين استوطنوا تلك المدينة لتعدين معادن حديدها الغنيَّة. وكان نائب القنصل النمساوي في فيليپي كتب اليهِ يوصيهِ بحسن استقبالي فرحَّب بي ولم يدَّخر وسعاً في إراحتي فهيأ لي فراشاً وثيرًا لليلتي واتاني بما لم انتظرهُ من المعلومات كما سترى

فبعد العشاء اخذنا نتداول الحديث الشجون فعرفتُ من كلام الدكتور انهُ كاثوليكيّ فنشَّطني علمي بدينهِ ان أُشير امامهُ الى الوقائع الحديثة مازحاً فسألتهُ هل بلغهُ ما جرى لرئيس اساقفة سرايائو السيّد نابوليون

- فاجاب الدكتور على الفور: أجل اني اعرف قصَّتهُ برمَّتها وقد دُعيت آخرًا لاجبر لهُ ساقهُ المكسورة لمحاولتهِ الفرار من حبسهِ

فلم اكد اتمالكُ عن إبراز عواطفي لدى استماعي هذا الكلام لكني ضبطتُ نفسي وتظاهرتُ بعدم الاكتراث فقلتُ: أو لعلَّهُ هنا ؟

فانحنى الدكتور اليَّ كأنهُ يبوح بسرّ خفي قائلًا: نعم هو محبوس في دير مار

يوحنّا الريلي الذي صرتُ منذ زمن قليل طبيبَ رهبانهِ الرسميّ . امّا الاسقف فهو في حالة يُرثى لها ولذلك اراد النجاة من مضطهديهِ فاخذ قِطَعاً من جوخ عتيق وجدها تحت يدهِ فعقدها مع بعضها كحبلٍ مدَّهُ من نافذة قلّايتهِ وتمنطق بهِ الّا انَّ حبلهُ انقطع في الهواء فسقط على الحضيض وانكسرت ساقهُ فحملهُ الرهبان الى حبس آخر وضاعفوا نحوهُ سوء معاملاتهم

فاستفدتُ من هذا الحديث كلَّ ما كنتُ راغباً في معرفته ولذلك كففتُ عن السؤال الزائد لئلا يشعر الدكتور بسبب سفري وحتّى انظر كيف اتصرّف في امري في الغد

فما كاد يسفر الصباح حتى نفضتُ من الفراش بكل نشاط وبذلتُ الرجاء في ادراك غايتي واعددتُ رُزمة أمتعتي الصغيرة وسرتُ مع خادم ألبانيّ امين من عمّال قنصليتنا في فيليبي وكانت وجهتي الى دير مار يوحنّا بصفة احد زوّارهِ . ولحسن الحظّ كان ذلك النهار يوم عيد القديس شفيع الدير فأمكنني ان اختلط ببقيّة الزوّار دون ان تقع عليّ شبهةٌ ما

ولا بُدَّ ان أضيف هنا شيئاً مهمّاً الى ما سبق : كنتُ قبل ان اتجشّم السفر قد واجهتُ في فيليبي السيد كانوفا اسقف هذه المدينة اللاتيني من رهبنة الكبوشيين فسمح لي ان احضر في كنائس اليونان كلَّ رتبهم الدينيّة وان اتقرّب عندهم لقبول الاسرار على شرط ان لا يتشكك احد من فعلي هذا . فاستناداً الى هذه الرخصة اتممتُ كل الفرائض الدينيّة الجارية عند الروم وشاركتهم في مطانيّاتهم وفي كلّ حركاتهم وسكناتهم وانا لا اجهل منها شيئاً اذ كنت مولوداً في جزيرة زَنْتي الغالب على سكّانها الطقس اليوناني الارثذكسيّ فكنتُ متقناً لكل رُتبهِ . وكنتُ ايضاً اتخذتُ لي اسماً يونانياً فدعوتُ نفسي ديونيسيوس باسم احد الرهبان القديسين المكرَّمين في جزيرة زَنْتي . فبعد ان انجزتُ كلَّ صلواتي وكرّرت مطانيّاتي خرجتُ من الكنيسة وطلبت ان ازور الدير

فاتّفق ان الرئيس عيَّن لمرافقتي شمّاساً يونانياً من الاستانة كانت البطريركيّة ابعدتهُ ليسكن هذا الدير تكفيراً عن بعض الذنوب التي كان اقترفها بأشر شبابهِ . وكان هذا الشمّاس في مقتبل العمر وسيم الوجه يُدعى اغاثنجلوس وكان يلوح على منظرهِ

انهُ مضنوك القوى ومتضايق في سكنى هذا الدير الذي يحول دونهُ ونوال رغائبهِ في رخاء العيش والحرّية المشتهاة

فما كدنا نتعارف حتّى اخذ يفتح لي قلبهُ ويعدّد لي اوجاعهُ ويذكر امتعاضهُ من معاشرة الرهبان البلغاريين العائشين في هذا الدير. وبذكرهِ اسم البلغار اظهر في لهجتهِ ما يدلُّ الى بغضهِ لهم واستخفافهِ بهم . والامر ليس فيهِ ما يجلب الانذهال لأنَّ اليونان والبلغار مع كونهم على دين واحد لا يزالون يتشاحنون ويتباغضون

وعند المساء عاد اليّ الشمّاس فزاد انساً وانبساطاً لِما شعر بهِ من الهدوء بقرب الشمس الى المغيب ولمنظر الطبيعة البهيج وبما سقيتهُ من الروحيّات تهيئةً لاكل العشاء فاتّسع في الكلام عن امور شتّى الى ان قال لي بغتةً بصوت خافت :

قد زعمتَ انك سكنت في الاستانة في حيّ غلَطة فلا بُدَّ انك عرفت هناك السيّد نابوليون بنيامين رئيس اساقفة سراياقو الشهير او تكون على الاقلّ سمعتَ باسمهِ

قلتُ : نعم اني سمعتُ بذكرهِ وبقصّتهِ ولكن بطريقة مبهمة غير واضحة

قال : أيّاكَ يا سيّدي انَّ هذا الاسقف هو عندنا في هذا الدير وانهُ لا يبعد عنّا الّا بمسافة بضع خطوات ؟ . . أسفي عليهِ ! . . . فاني اظنُّهُ شريد العقل ممسوساً بفهمهِ ! . . قد خطر في بالهِ فكر غريب . . يريد يتبع الشيعة البابويّة ! . . . فهذا يا سيّدي امرٌ مستقبح . . هذهِ مصيبة لهُ وللمأة الارثذكسيّة جمعاء ! .

قال هذا وهو يُشعرني بصوتهِ انهُ متحسّر على ضلال الاسقف وانَّ الرحمة عليهِ غالبة على قلبهِ. ثمَّ اردف قائلاً : «امّا انا فكلُّ ما تسنح لي الفرصة لأراهُ ابكّتهُ على فعلهِ . ولذلك يعدُّ مواجهتي لهُ كعذاب اليم واذا حادثتهُ سكت وأجماً لا ينبس ببنت شفة »

قلت : «لا غرو من فعلهِ هذا فانك انت شابٌّ فكيف يرضى شيخ جليل مثلهُ ان يسمع تبكيت فتًى في مقتبل العمر . ولعلّهُ ينصت الى كلام رجل غريب يتكلّم امامهُ ليس باسمهِ فقط بل يوقفهُ على ما هو شائع من الرأي العام »

فوقع كلامي هذا موقع الاستحسان في قلب اغاثنجاوس ورأيت في ملامح وجههِ انهُ اثّر فيهِ ولذلك اردفتُ قائلاً : ألا يمكنني ان اراهُ

قال الشمّاس : لا بأس ان تجرّب . . . فلعلّك تستطيع ان تهدي هذا الضالّ

المسكين . . واني لأعلم انهُ اذا رآني يبقى على جموده ولذلك اني سأدعك معهُ وابتعد عنكما بعد ان أقودك الى قلايتهِ

فرضيتُ بما عرضهُ عليّ دون ان اظهر اثرًا من الانبساط كأني اشكُّ في نتيجة زيارتي لاعادة النعجة الضالة الى حظيرتها ولو استطاع اغاثنجلوس ان يرى ما خامر قلبي من الفرح لأخذهُ الانذهال من معارضتهِ بين خفايا نفسي وجمود ظواهري

وبعد ان تعشينا سواء بكل انشراح عيَّن لي لليوم الثاني موعد زيارتي للاسقف ثمَّ سلَّمنا على بعضنا وارينا الى فراشنا

*

سبقني الشمّاس في صباح يوم الغد مستأنسًا بمباشرتي وهو كاد يعدُّني كاحد مواطنيهِ . فاسرعتُ الى استقبالهِ فاخذني معهُ وقادني في دهليز طويل وضيق حتَّى بلغنا الى باب مظلم شبيه بباب السجون . وكان قلبي يجبُ وجبانًا قويًا وكاد التأثر يخنقني . ففتح الشمّاس الباب واذا بي رأيتُ ويا للاسف وجلاجلال المنظر يناهز الخمسين وهو جالس على الحضيض على جبهتهِ غضونٌ وعلى وجههِ تجعدات من تأثير الاوجاع والجوع . . ذلك السيّد نابوليون ! . . وكان بقربهِ على الارض مثلهُ ولدٌ لا يزيد عمرهُ على ١٢ سنة . وهو يرقع للاسير بعض اسمالهِ المتخرقة والولد احد طالبي الترهب كان في خدمة الاسقف يقرأ لهُ ويكتب ما يملئهُ عليهِ . وكان ضوء خفيف ينفذ الى الفلاية من كوَّة فيها فيزيد منظر ذاك المكان كدرًا ووحشة . ففي هذا الحبس كان الرهبان ألقوا الاسقف الطريد بعد محاولتهِ النجاة من ايديهم وموقعهُ في وسط الدير حيث لا سبيل الى الفرار

فلمَّا رأى السيّد نابوليون انَّ باب حبسهِ قد فُتح رفع رأسهُ منذهلًا واذ لمح وجه الشمّاس دليلي اكبَّ منحنيًا . فاخذ اغاثنجلوس يشرح لهُ سبب زيارتنا لكنَّ الاسقف لزم السكوت كعادتهِ ولم يجب بكلمة فالتفت رفيقي اليَّ قائلًا : ترى انَّنا لا نستفيد شيئًا وهو يأبى ان يكلّمني فأدعك وحدك معهُ وأطلب من الله ان يؤيدك بعونهِ . . قال هذا وخرج واقفل الباب فبقيتُ وحدي بازاء السيّد بنيامين

أنَّى لي ان اصف ما شعرتُ بهِ حينئذٍ من العواطف المتباينة كالترحُّم على الاسير والغيظ على مضطهديهِ ولاسيَّما الفرح لفوزي بالمرغوب ! . . . لكنَّ قيامي بالواجب

أتحمد في تلك الشواعر لئلا تفوتني برهة من ذاك الوقت الثمين . فأسرعتُ الى الباب ومكّنتُ منهُ الزلاج وتحقّقتُ انهُ ليس ثمّ أذنٌ صاغية تُراقبنا ثمّ عدتُ الى جهة الاسقف وخررتُ على اقدامه وقبّلتُ يديهِ بمنتهى الشوق

فرفع اليّ عينيهِ بعد ان بقي ناكساً واجماً ونظر اليّ نظير الرجل الحذر كأنهُ يقول بلسان حالهِ: ألستَ تريد ان تخدعني

أمّا انا فقلتُ لهُ بملء الثقة : « سيّدي السرعةَ كلَّ السرعة . أما عندك هنا قرطاس وقلم وحبر ؟ فارجوك ان تخطّ بيدك كتاباً تُعلن فيهِ بحبسك في هذا الدير

ففكّر الاسقف هنيهة كأنّ الرجاء بالخلاص احياهُ ثمّ قال: نعم اني استطيع ذلك ولكن يوم غدٍ اذ ليس عندي اليوم شيءٌ من ادوات الكتابة

فاردفتُ قائلاً لما خالج نفسي من الريب : ومن هو هذا الولد الذي كان يجوارك عند دخولي أيوثق بهِ ؟

قال الاسقف : لا خوف علينا منهُ فانهُ نعم الفتى يودّني ويتفانى في خدمتي

فتفاوضنا اذ ذاك في اي طريقة يمكن السيّد نابوليون ان يبلّغني كتابهُ فاتّفقنا على تسليمهِ الكتاب الى خادمهِ الصغير فيأتي بهِ ويضعهُ في احد المستراحات المختصّة بالزوّار . فبعد ان قرّرنا هذا الامر ودّعتُ الاسقف وخرجت من قلّايتهِ . ثمّ واجهتُ الشمّاس لأعلمهُ بإصرار الحبيس على افكارهِ

وفي صباح اليوم التالي قمتُ باكرًا اترصّد مجيءَ الولد فجاء في الوقت المعيّن وليس هناك احدٌ من الزوّار فما دخل المستراح ووضع الكتاب في كوّة منقورة في حائطهِ ينفذ منها نورٌ ضئيل حتى خرج وتبعتهُ فوجدت فوطةً زرقاء من الخيش ملفوفةً وضمنها المكتوب المرغوب الذي خرجتُ للحصول عليهِ فتجشّمتُ كلَّ هذا العناء . ولولا وقوفي في ذاك السرح الغريب واحتياجي الى حفظ هيبتي متظاهرًا بعدم الاكتراث لاندفعتُ مترنّمًا بتسبحة الشكر (Te Deum) بملء الفؤاد لكنّني طويتُ ذلك في صدري وسبّحت لله في قلبي

وبعد هنيهةٍ عدتُ الى قلّايتي وهناك بازاء ملائكة السماء الذين مهّدوا طريقي خررتُ ساجدًا وتلوتُ آيات الشكر لذاك الذي بارك مشروعي العسير بنوعٍ محسوس ولم يبق لي بعد هذا الّا الترحال فودّعتُ الشمّاس اغاثنجلوس ورهبان الدير

ثمَّ قفلتُ راجعاً الى فيليبي فوصلتُ اليها بعد ايَّام والسرورُ طافحٌ من جنانيَ فسلَّمتُ رئيسي كتاب السيّد بنيامين كعلامة انتصاري. فاهتزَّ فرحاً لهذا النبإ واسرع فارسل الى سفير فرنسة المسيو توفنل الكتابَ المومأ اليهِ فاخذه السفير وقدَّمهُ رسمياً للصدر الاعظم ليفكَّ اغلال السيّد نابوليون بنيامين ويطلق سراحهُ

فلمَّا وقف الصدر الاعظم على هذا الكتاب وهو المتَّفق مع بطريرك القسطنطينية لتوقيف الاسقف الكاثوليكي اخذ منهُ الاندهاش كلَّ مأخذ وهو لم يعلم بايّ طريقةٍ امكنَّا الحصول على هذه الوثيقة. لكنَّهُ لم يستطع إنكار مضمونها فارسل الى بطريركية الفنار وطلب ان يُطلق سبيل السجين وبعد ايَّام قليلة اخرجوهُ من مكمنهِ وسلَّموهُ الى ارباب الدولة في سماكوف ثم وجَّهوهُ الى فيليبي راكباً عربةً فوصل الينا منهوك القوى بعد تعب السفر ومشقَّاتهِ الشديدة في حبسهِ. فنزل عندنا في دار القنصليَّة ضيفاً كريماً واقام يومين فسُررت لمرآهُ ايَّ سرور وشاطرتُهُ غرفتي للمنام. ومن فيليبي ارسلناهُ الى ادرنة واوصينا بهِ المسيو ڤرنزا نائب قنصلها الذي عُني بتسفيرهِ الى الاستانة فاحتفى بهِ السفير وحاشيتهُ واكرموهُ إكرام اولياء الله وشهداء الايمان

وبقي السيّد نابوليون بعد رجوعهِ من منفاهُ مجاهراً بايمانهِ الكاثوليكي منقطعاً الى الله وكان يعيش في دير الآباء الفرنسيسكان في حيّ بيرا فيتمتم عندهم في كنيسة مار انطونيوس كلَّ فرائضهِ الدينية شاكراً لهُ تعالى على ما انعم بهِ عليهِ من معرفة الايمان المستقيم والعيشة في حظيرة خليفة هامة الرسل وراعي كنيسة المسيح التي لاجلها كان رضي بتضحية حياتهِ. وبقيتُ اكاتب سيادتهُ من وقتٍ الى آخر حتَّى تراكمت عليَّ الاشغال في المناصب الرسميَّة التي قلَّدتني ايَّاها دولتي فاضطررتُ ان اقطع تلك العلاقات الوديَّة وتلك الذكرى الطيبة والمبهجة للقلب

وقد بلغ الكرسيَّ الرسولي خبرُ نجاة السيّد بنيامين العجيب فأثاب رئيسي المسيو شمبوزو ومنحهُ وسام القديس غريغوريوس ونلتُ انا الفقير وسام القديس سلوستروس جزاء لخدمتنا للكنيسة. امَّا السيّد بنيامين فبقي عزيزاً مكرَّماً الى وفاتهِ الصالحة في السنة ١٨٩٧

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث عشر

الشعر النصراني وشعراء النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة واوَّل الاسلام

هذا آخر فصل من كتابنا « النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة » نختم بهِ القسم الثاني منهُ المختصّ بآداب النصرانيَّة . وقد أجلناهُ الى آخر الكتاب لنجعل كلّ ما سبق كتوطئة لهُ اذ كان غرضنا ان نبيّن نصرانيَّة معظم الشعراء الذين سبقوا الاسلام

١ اصل الشعر العربي

زعم بعض الزنادقة المتفيهقين انَّ الشعر العربي سبق الاسلام بحينين من السنين بل سبق ميلاد السيّد المسيح باجيال عديدة حتَّى نسبوا منهُ نُتَفاً الى زمن نبيٍّ يدعونهُ هوداً يزعمون انهُ عاش قبل ابرهيم الخليل في الالف الثالث قبل المسيح . وتوغَّل غيرهم في غاوهم واوهامهم فرووا لآدم ابي البشر ابياتاً رثى بها على رأيهم ابنهُ هابيل القتيل فعارضهُ فيها ابليس الرجيم (١

تلك مزاعم يضحك منها العلماء ويضرب بها عرض الحائط كلُّ من لهُ ادنى إلمام بتاريخ اللغات عموماً واللغة العربيَّة خصوصاً

وقد ارتأى البعض انَّ سفر أيوب الموروث في التوراة عربيُّ الاصل عربيُّ اللهجة والتصوُّرات شعريُّ الصورة وقد استوطن أيوب صاحبهُ غربيَّ جزيرة العربيَّة في البثنيَّة وضمَّن آياتهِ كثيراً من التشابيه والاوصاف الشائعة بين العرب كذكر النجوم ووصف الخيل وغير ذلك . نجيب على هؤلاء انَّ في هذا الرأي نظراً لاسباب منها انَّ سفر أيوب

١) اطاب المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٤٨٩ – ٤٩٣)

لا يعرف منهُ منذ نحو ثلاثة آلاف سنة غير ترجمتهِ العبرانيَّة ثم ليس لدينا حجَّة قاطعة يمكننا ان نستند اليها لنثبت كتابتهُ في لغة اخرى فانَّ مضامين هذا السفر والتقليد اليهودي القديم لا يذكرانِ شيئاً من ذلك. وعلى كلّ حال اذا صحَّ قول العلماء بان سفر أيوب كتب بالاصل في العربيَّة فلا شكَّ ان تلك العربيَّة كانت مختلفة عن عربيتنا التي هي لهجة بعض قبائل الحجاز لهجة قريش التي لم تشعَّ الَّا بعد قرون عديدة. ولعلَّها النبطيَّة او انة أخرى اقرب الى الاراميَّة منها الى العربيَّة. ومن ثمَّ ليس من الممكن الاستناد الى هذهِ اللغة المزعومة لنجعلها اصل شعرنا العربي في الوقت الحاضر

وان تتبَّعنا بعد ذلك سياق الاجيال منحدرين الى اوائل النصرانيَّة لا نجد ذكرًا للغة العربيَّة الَّا بعض تقاليد مستحدثة رواها الرواة بعد الاسلام لا يوثق بها. ولسنا لننكر انَّ العرب في تلك الاثناء تكلَّموا بلغةٍ خاصَّة لكنَّ تلك اللغة كانت تختلف اختلافاً عظيماً في كل قبيلة على اختلاف مواقعها في انحاء الجزيرة وتأثير اللغات المجاورة لها وحالة المتكلمين بها من اهل حضَر او اهل المدَر فيطلقون على كلّ هذه اللهجات اسم اللغة العربيَّة كما يطلقون اسم العرب على اهل الجزيرة مع اختلاف عناصرهم القحطانيَّة والعدنانيَّة والاسمعيليَّة

ولعلَّ بعض رجال تلك القبائل بعد ان بسط الرومان سيطرتهم على نواحي العرب قلَّدوهم بعض اعمالها دوَّنوا شيئاً من مآثر لغتهم فأخذتها ايدي الضياع. ومن الشواهد الحسنة التي يمكننا ان نثبت بها قولنا كتابةٌ حجريَّة وُجدت في رومية سنة ١٧٧٣ (١ راقية الى اوائل القرن الثاني للمسيح في عهد تراجانوس القيصر. وهذه الكتابة لاتينيَّة كتبها ورَّاق عربي اسمهُ مرقس اولبيوس كستوراس كان رافق حملتي الرومانيين في غالية وفي سوريَّة فجعلها على ضريح رجل اسمهُ مرقس اولبيوس سيمفورس كان معهُ في الحملتين:

M. ULPIUS SYMPHORUS, VIXIT ANNIS XXIV . . . ULPIUS CASTORAS LIBRARIUS ARABICUS BENE MERENTI QUOD IS EXPEDITIONIBUS DUABUS GALLIAE ET SYRIAE SECUM FUERAT

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (J. As. 1840 1. p. 199) وكتاب ليتورمان في الكتابة الفينيقيَّة Essai sur la propagation de l'Alphabet Phénicien. II, 145

فذكرُ وراقٍ او كاتب عربي في ذلك العصر من الامور الغريبة التي تثبت ما كان للعربيَّة من الشأن في تلك الأيام. ولكن ما هي تلك العربيَّة التي المشار اليها أهي عربيَّة قريش ؟ او النبطيَّة او الحيريَّة او لغة قبائل الشام الخاضعة للرومان ؟ كلّ ذلك محتمل ولا يمكن بتُّ الحكم به . وما لا شكَّ فيه انَّ ذلك الكاتب لم يخطّ كتاباته بالقلم العربيّ الذي برز للوجود في اواسط القرن السادس للمسيح فقط . وانَّما كانوا يكتبون قبل ذلك بأقلام لغات أُخرى اخصّها في جنوبي جزيرة العرب الحميريَّة والمينويَّة وفي الشمال بالنبطيَّة والثموديَّة واللحيانيَّة والصفويَّة وقد وُجدت من كلّ هذه الخطوط امثال مختلفة في جهات العرب يرقى بعضها الى ما قبل المسيح

وقد سبق لنا القول انَّ اقدم كتابة تقربُ لهجتها من عربية قريش هي الكتابة الضريحيَّة التي وُجدت في جهات الصفا على قبر ملك العرب امرئ القيس بن عمرو وتاريخها في ٧ من شهر كانون الاوَّل سنة ٣٢٨ للمسيح . وهي مكتوبة بالحرف النبطي الجميل نورد هنا رسمها . امَّا لغتُها فمع قربها من لغة قريش اي لغتنا الفصحى لا تزال مضطربة مشوَّشة مختلطة بالفاظ غريبة

فان كان المنثور في القرن الرابع للمسيح على هذه الصورة فما قولنا بالموزون ؟ ولنا هنا ايضاً شاهد صادق على انَّ العرب في ذلك الجيل لم يجهلوا الشعر . وهو لاحد المعاصرين المؤرخ اليوناني سوزومان (١ فانَّهُ في تاريخهِ الكنسيّ في الفصل الثامن والثلثين منهُ يذكر محاربة ماويَّة ملكة عرب الشام للرومانيين وانتصارها على جيوشهم ثمَّ تنصُّرها وتنصُّر قومها على يد احد السيَّاح المدعو موسى . فهناك يصرّح المؤرخ بما شاع من الاغاني الحماسيَّة بين رعايا ماوية يمدّدون فيها مآثرهم وغاراتهم على الرومان وهذا نصُّهُ (١ :

Haec ita gesta multi ex earum regionum incolis etiamnum commemorant et apud Saracenos vulgo cantibus celebrantur.

وما يقوله المؤرخ سوزومان عن الاغاني الحماسيَّة يجوز ان نطلقهُ على بقيَّة امورهم كالافراح والاحزان والمديح والغزل والفخر لأنَّ الغناء غريزة في الانسان . ولكن يا ترى ماذا كانت اوزان تلك الاغاني ؟ كم كانت اجزاؤها ؟ كيف كان ايقاعها ؟ وهل

1) Sozom. : H.E, *L. VI, ch.* 38,; *Migne, pp. GG, LXVII, col.* 1410

جدول اقدم الكتابات العربية

١ كتابة عربيّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ البصرى ٣٢٨ للمسيح
وجدها في غارة من اعمال حوران للمستشرق درسو

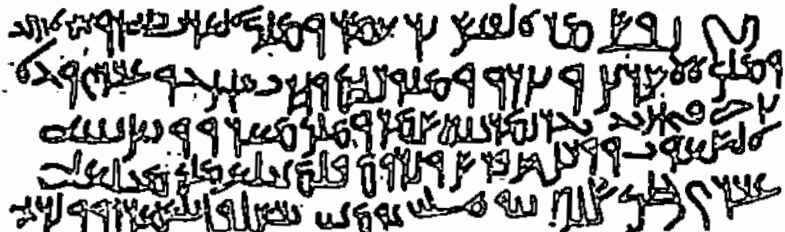

صورة الكتابة مأخوذة من الحجر

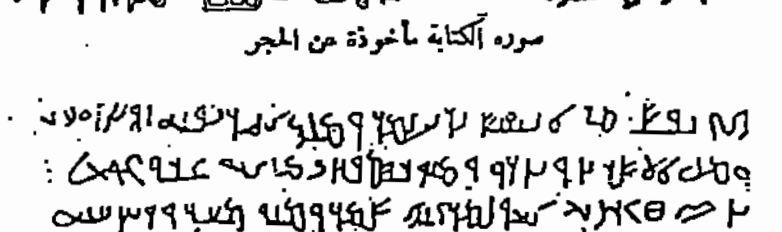

رسم الكتابة بالخط

ذي نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلّهِ ذو أسر التاج
ومَلكَ الاسدين وترادو وملوكهم وعرّب حجر عكدي وجاء
بزجاي (؟) في حَجّ نجران مدينت شتر ومَلكَ معدو وبيّن بنيه
الشعوب ووكّلهنّ فارسو لروم فلم يبلغ ملكُ مبلغهُ
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولدهُ

رسم الكتابة بخط عربيّ (نقلاً من كتاب دوسو)

صورة القلم الحميري

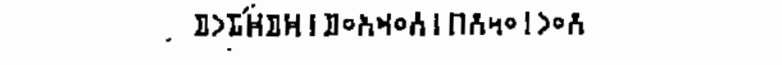

صور ونصب سعداوم دملمرم

٢ً كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة
على مشهد اقيم ذكرًا لمار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح
اطلب صورتها في القسم الاوَّل. (الصفحة ١٠٤)

٣ً - كتابة عربيَّة يونانيَّة وُجدت في حرَّان من اعمال حوران
تاريخها سنة ٤٦٣ البصرى و٥٦٨ للمسيح

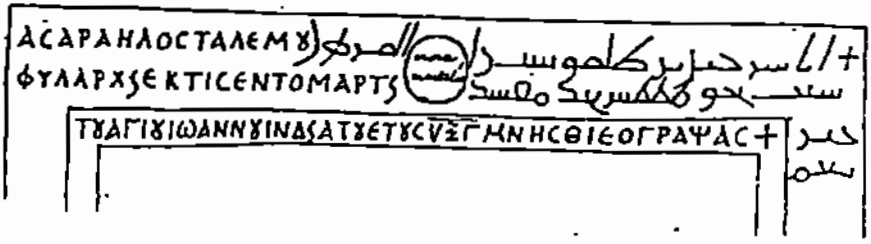

٤ً مثال خطّ عربي نسخيّ على البردي تاريخهُ السنة ٢٤ للهجرة (٦٤٦ م)

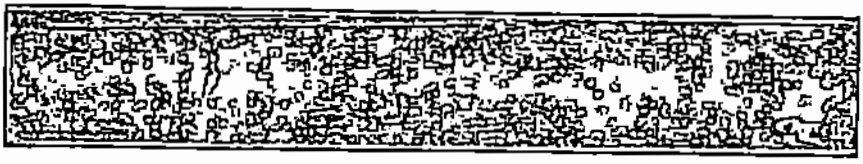

٥ً قطعة من سورة البقرة عن رقّ من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية

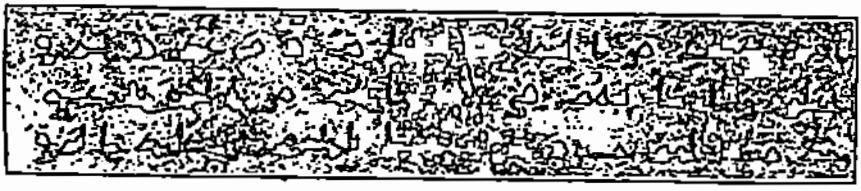

ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجليّ للمقابلة بين الخطّين

ܟܡܝܢ ܡܢ ܫܡܝܐ ܒܗ ܚܫܘܟܐ ܘܪܥܝܐ ܘܒܪܩ
ركمين من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق
ܡܫܝܡܝܢ ܒܐܨܒܥܝܗܘܢ ܡܢ ܩܠܝ ܕܡܘܬܐ ܘܒܪܩܐ
يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق
ܡܚܘܪ ܡܘܬܐ ܘܐܠܗ ܡܚܝܛ ܒܟܦܪܝܢ ܘܒܪܩܐ ...
حذر الموت والله محيط بالكفرين (كذا) وبكاد البرق ...

كانت لغتها فصيحةً كلغتنا او بالاحرى كانت لهجةً خاصّة لتلك القبائل ؟ انّنا نجهل كلّ ذلك

فلكي نستطيع ان نبني كلامنا على اساسٍ متين لا بُدّ ان نتقرّب الى زماننا بزهاء مائتي سنة اعني الى اوائل القرن السادس للمسيح فان الشعر العربي الموزون ذا الاجر المتعدّدة والايقاع الثابت لا تُرى آثارهُ قبل ذلك

ويؤيد قولنا اتّفاق كتبة العرب الاقدمين. قال الجاحظ في كتاب الحيوان (١: ٢٧) : « امّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ اوّل من نهج سبيلهُ وسهّل الطرق اليهِ امرؤ القيس بن حُجْر ومهلهل بن ربيعة . . . فاذا استظهرنا الشعر وجدنا لهُ الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام »

وذكر السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) لعمر بن شبّة في طبقات الشعراء قولهُ : « وهؤلاء النفر المدّعى لهم التقدُّم في الشعر متقاربون لعلّ اقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة او نحوها »

على انّ هذا القول يصحّ في القصائد المطوّلة ليس في الابيات القليلة التي لعلّ بعضها يرتقي الى اواسط القرن الخامس . قال محمّد بن سلّام الجمحيّ في طبقات الشعراء (ص ١٨) : « لم يكن لاوائل العرب من الشعر الّا الابيات يقولها الرجل في حادثةٍ وانّما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطّلب وهاشم بن عبد مناف »

فيبقى البحث عن تلك الابيات المفردة والقليلة فكيف اهتدى الى نظمها العرب ؟ هل ابتكروها دون علم سابق ؟ او حذوا فيها حذو غيرهم من الامم المجاورة لهم كالحبش والروم والسريان ؟

قلنا انّ الغناء غريزة في الانسان والغناء يحتاج الى بعض الوزن والايقاع قلبًا اراد الناطقون بالعربيّة المحضة وهي عربيّتنا التي اخذت بالثبات في القرن الخامس للمسيح ابتدأوا بالتعبير عن عواطفهم واحساساتهم في الحبّ والتحسُّس والغضب والوصف بما يقرب من الشعر الموزون اعني بالكلام المسجّع الذي روى منهُ الرواة الاقدمون بعض المقاطيع كان يرتجلها الكهّان والعرّافون وبعض القوّالين . فمن اقدم ما رووا من ذلك قول ظريفة الحير الكاهنة تنذر زوجها الملك عمرًا بسيل العرم

(المسعودي في مروج الذهب ٣ : ٣٧٩) :

« ما رأيتُ اليوم . قد ذهب عني النوم . رأيتُ غيماً أبرق . وارعد طويلاً ثم أصعق . فما وقع على شيءٍ الا احترق . فما بعد هذا الا الغرق» . (وقالت ص ٣٨٢) : « هي داهيةٌ دهيماء . ومصيبةٌ عظيمة . بامور جسيمة . . . انَّ لي فيها الويل . مما يجيءُ به السَّيل . . . خطبٌ جليل . وحزن طويل . وخلفٌ قليل . وعدٌ من الله تزلّ . وباطلٌ بطلّ . ونكالٌ بنا نكلّ . فبغيرك يا عمرو فليكن النَّكل »

فترى في هذه الاقوال اسجاعاً متتالية بينها شيءٌ من الموازنة فانتقلوا منها الى ابسط البحور وهو الرجز فلزموا التقفية كلزومهم الاسجاع في المنثور وراعوا فيه عدد الاجزاء والوزن مع جوازات كثيرة . وكانت ابياتهُ قليلة . قيل انَّ من اقدم ما ورد منهُ قول دُوَيد بن زيد بن نهد حين حضرهُ الموت :

اليوم يُبنَى لدُوَيدٍ بَيتُهُ لو كان للدهر بليٌّ أبليتُهُ
او كان قِرني واحداً كفيتُهُ يا رُبَّ غبٍ صالحٍ حويتُهُ
ورب غيلٍ حسنٍ لويتُهُ

وقول امرئ القيس اذ بلغهُ خبر قتل ابيهِ بدُمون في نواحي اليمن :

تطاولَ الليل علينا دمُّونْ دمُّونُ انَّا معشرٌ يمانونْ
واتنا لقومنا محبُّونْ

ومثلهُ لكُلَيب اخي المهلهل وتروى لطرفة ارتجز بها اذ رأى قنابر تلتقط حباً يُنثر لها :

يا لكِ من قُبَّرةٍ بمَعمَرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري
قد رُفع الفخُّ فماذا تحذري ونقّري ما شئتِ ان تنقّري
قد ذهب الصيادُ عنك فابشري لا بُدَّ يوماً ان تُصادي فاصبري

فان كان السجع والرَّجز المذكوران هما كما يظهر اصل الشعر العربيّ ترتقي آثارهما الى اوائل القرن السادس او اواخر الخامس فيجب البحث عن أمة مجاورة للعرب امكنهم ان يتقلّدوها في سجعهم ورجزهم السابقين . وانّنا نرى ان تلك الأمة كانت الأمة الاراميَّة اي الكلدان والسريان الذين كانوا منذ اواسط القرن الرابع بعد تنصُّرهم زيَّنوا كلامهم المنثور بالسَّجع والفواصل ونظموا شعراً يقرب من اراجيز العرب . ولمَّا كان الاراميُّون يستوطنون حدود العرب وكثيراً ما امتزجوا بهم امتزاج

الماء بالراح وبنوا في جزيرتهم العدد العديد من الاديرة والمناسك حيث كان الرهبان يتغنّون بالتسابيح ويحيون لياليهم بالاناشيد الروحيّة فيسمعهم اهل البادية ويردّدون نغماتهم فتبعثهم على الاقتداء بهم كما فعلوا بعد ذلك في تجويد القرآن على ما اثبتنا سابقاً فلا نشكّ ان العرب اخذوا ايضاً عن نصارى السريان والكلدان تسجيع الكلام وموازينهُ الشعريّة البسيطة كما ترى في الاراجيز العربيّة . ولعلّ القبائل القريبة من الروم وجدت ايضاً في تلحينهم وغنائهم وشعرهم ما دفعهم الى التشبُّه بهم في آدابهم

ويؤيّد قولنا هذا ان كثيراً من القبائل العربيّة المتنصّرة كانت تحضر ما يقيمهُ في وسطها من الرتب الدينيّة الاساقفة والكهنة خصوصاً في جهات الشمال والشمال الغربيّ حيث توفّرت الكنائس النصرانيّة الكلدانيّة والسريانيّة وفي جهات الشام شرقيّ دمشق وفي نواحي الاردن حيث انتشرت اليونانيّة وأُقيمت الطقوس الكنسيّة في تلك اللغة . امّا القبائل المتنقّلة فكان يرافقها اساقفة او كهنة يُدعَون باساقفة المضارب كما شرحنا ذلك كلّهُ في القسم التاريخيّ . فلا غرو ان العرب الذين كانوا يعاينون تلك المحافل الدينيّة ويسمعون ألحانها تأثّروا منها فاستفزّتهم قريحتهم الى ان يجروا عليها نوعاً سواء كان في غنائهم او في شعرهم

ولنا في ما رويناهُ عن سوزومان المؤرخ شاهد آخر على رأينا اذ ينسب الى بني غسّان تلك الاغاني العربيّة التي كانوا ينشدونها بعد محاربتهم الرومان . وهو في الفصل عينهِ يذكر تنصّرهم وفي ذلك دليل على اصل كلامهم الموزون وعلاقتهِ مع دينهم النصرانيّ سواء كانت تلك الاغاني اسجاعاً مرصوفةً او اراجيز موزونة

٢ في نشأة الشعر العربي وتقصيد القصائد

كان بحر الرجز كأساس اوّل للشعر العربيّ . على انّ تفاعيلهُ بما فيها من الجوازات الشعريّة العديدة ما لبثت ان برزت على صور شتّى تفنّن بها الشعراء بتركيب الاسباب والاوتاد فاخرجوها على اوزان مختلفة جروا عليها بفطرتهم دون ان يدوّنوها بكتاب مكتوب فبقيت سماعيّةً تقليديّة الى ان قام الخليل في القرن الثاني للهجرة وامعن النظر في صورها واوزانها واستخرج اعاريضها واثبتها على قواعد صحيحة . والى ذلك اشار ابن الرشيق في العمدة (ص ٥) بقولهِ في اصل الشعر العربيّ : « كان الكلام

كلهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر أيامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسُحبانها الأجواد . لتهزّ نفوسها الى الكرم . وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمّا تمّ لهم وزنهُ سمّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردّد في القول بانّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان أنما كانوا من العرب المتنصّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُحيل القرّاء لاثبات نصرانيّتهم الى قسمنا الاوّل في تاريخ النصرانيّة في عهد الجاهليّة

وعلى رأينا انّ شعراء الجاهليّة الاوّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيّة واحتكّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ماركها العرب الغسانية والمناذرة وبني الحارث وكان تمدّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدّبوا بآدابهم وجارَوْا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراء في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواء كانت تلك الحروب اهليّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس . فانّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزّ قريحتهم وهيّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظّ وفيّ كما سترى . (لهُ صلة)

الانتحار

بنسبة مقالة حديثة في فتى الارز

للاب لويس شيخو اليسوعي

الانتحار ! وما ادراك ما الانتحار ! خَطبٌ مُريع بل شرٌّ شنيع واثمٌ فظيع كاد

كلهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر أيامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسُحبانها الأجواد . لتهزّ نفوسها الى الكرم . وتدلّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمّا تمّ لهم وزنهُ سمّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردّد في القول بانّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان أنما كانوا من العرب المتنصّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيما المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُحيل القرّاء لاثبات نصرانيّتهم الى قسمنا الاوّل في تاريخ النصرانيّة في عهد الجاهليّة

وعلى رأينا انّ شعراء الجاهليّة الاوّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيّة واحتكّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ماركها العرب الغسانية والمناذرة وبني الحارث وكان تمدّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدّبوا بآدابهم وجارَوْا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراء في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواء كانت تلك الحروب اهليّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس . فانّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزّ قريحتهم وهيّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظّ وفيّ كما سترى . (لهُ صلة)

الانتحار

بنسبة مقالة حديثة في فتى الارز

للاب لويس شيخو اليسوعي

الانتحار ! وما ادراك ما الانتحار ! خَطبٌ مُريع بل شرٌّ شنيع واثمٌ فظيع كاد

شرقنا العزيز يجهله الى القرن السابق فسرى الينا بدخول التمدُّن العصري او قل بالاحرى بنشوء المتجيَّة الحديثة . فكان لاوَّل ظهوره في اوطاننا صدى اشمئزاز وتأفُّف حسبناهُ الضربة القاضية عليه

ولكن لسوء الحظ ما كان ذلك الشرّ الَّا لاطئاً كنار تحت الرماد والى الآن يذكر العموم بعض الحوادث المؤلمة وان قليلةً التي جرت في ظهرانينا

على انَّنا ما كنَّا لنسمع اذا بلغنا خبر بعض المنتحرين انَّ احد الكتبة يتجاسر ان يثني عليه لفعله هذا السيّئ ويصوّر الانتحار في جريدة عموميَّة كأثرة حميدة او كفعل شهامة . وها نحن الآن قد رأينا صحيفة أتت بمثل هذه القباحة.

*

روت الجرائد انَّ الدكتور جان غرينبرغ الوسوي اصابتهُ رصاصة وهو يجرّب سلاحاً فجُرح جرحاً بليغاً ما لبث ان أودى بحياته بعد بضعة أيام. هذا ما شاع واثبتوهُ بكون الجريح استدعى جرَّاحاً شهيراً لمعالجته . على انَّ جريدة حديثة العهد تُدعى بفتى الارز خالفت تلك الاشاعة وادَّعت بان الدكتور انتحر وقتل نفسهُ عمداً

وما كنَّا لنتداخل في الامر لنفيه او لاثباته وكان الاحرى بجريدة فتى الارز ان تقتصر على الخبر كبقيَّة الجرائد ولكن لم تكتفِ بمخالفة الصحف الوطنيَّة ومدح القتيل حتَّى تعرَّضت لقضيَّةٍ تُعَدّ في عالم الدين والدنيا من اعظم القضايا شأناً . ففي صدر عددها السادس في ١٧ ايلول الاخير بعد روايتها الخبر اخذت تُطنب في فعل الانتحار الاثيم وتنعت المنتحر المزعوم «بالشهيد الحي بعواطفهِ العظيم باخلاصهِ الكبير بعملهِ الابيّ بنفسهِ» الى ان فاهت بهذا المبدأ القبيح : «كذب المتفلسفون بقولهم انَّ الانتحار جبن واثم وجناية على الهيئة الاجتماعيَّة »

فأخذنا الاندهاش لدى قراءة هذه الاحرف وحسبنا انَّنا خُدعنا ببصرنا وعدنا الى تلك الاسطر لنستثبت صحَّتها فاذا هي كما قرأناها بل اضاف اليها الكاتب ما يؤيّدها ويزيد في شناعتها وهو على ما يُقال فتى كاثوليكي ماروني !!

ومن ثمَّ ينبغي علينا ذوداً عن حياض الدين وصوناً لحرمة الآداب ان نفنّد هذا القول فلا يعود الى مثلهِ كاتب وطنيّ فنقول : ان الانتحار جناية كبيرة يتَّفق في تأثيمها معاً العقل والدين والهيئة الاجتماعيَّة وخير الانسان

ولا بُدَّ قبل اثباتنا لقضيتنا من تقديم بعض المقدّمات ليتّضح فكرنا للقرّاء فنقول :

(اوّلاً) نريد بالانتحار قتل الانسان نفسهُ عمدًا لينجو بموتهِ من مصيبةٍ لا يحسن الصبر عليها . فبقولنا « عمدًا » نستثني المنتحرين بباعث الجنون وشرود العقل

(ثانياً) لا يحلّ للانسان ان يأتي عملاً ينوي بهِ تلف حياتهِ ولو عَرَضاً

(ثالثاً) لا يدخل في باب الانتحار الإقدام على الموت امّا لخير عمومي كما في الحرب وامّا لخدمة القريب كخدمة المطعونين وامّا تأييدًا الدين كوقوف الشهداء بازاء المضطهدين اثباتاً لايمانهم

١ الانتحار بازاء العقل

معلوم انّ الله كتب في الانسان شريعةً ندعوها بالشريعة الطبيعيّة يقف عليها العقل السليم لاوّل وهلة . واوّل ما يثبتهُ العقل الصائب انّ الانسان مخلوق وانّ لهُ سيّدًا حياتهُ في يدهِ فكما انهُ اعطاهُ الحياة كذلك لهُ الحكم فيها فيفصم حبلها اين ومتى وكيفما شاء . فاذا تطاول الانسان على نفسهِ بالانتحار استبدّ بأمر نفسهِ وحرم الله بعض حقوقهِ المقدّسة

وقد بيّن تعالى حكمهُ على حياتنا بما طبعهُ في قلب الانسان من الكراهية من الموت فيفضّل الحياة على كلّ الخيرات ويرى بقيّة الشرور كالحبس المؤبّد والاعمال الشاقّة دون الموت شرًّا

ثمّ انّ العقل يرشد الانسان الى الدفاع عن نفسهِ بازاء ظالمٍ يحاول اغتصابها فيجوز لك المحاماة عن حياتك ان تصونها بالوسائط اللازمة حتّى اذا اقتضى صونُها قتلَ من يهجم عليك جورًا لا بأس من ذلك والشرائع البشريّة نفسها تبيح لك بهِ . وما ذلك الّا لأنّ الناموس الطبيعيّ يبيح دفع القوّة بالقوّة ويثبت كون الحياة عطيّة من الخالق الذي يأمر بحفظها فكم بالحري يحظر على الانسان ان يتلفها بيدهِ

٢ الانتحار بازاء الدين

انّ الاديان على اختلاف نزعاتها تقضي على الانسان بصيانة حياتهِ وتؤثّمهُ اذا

عمد الى تلفها . فهذه الشريعة الموسويَّة المدوَّنة في الاسفار المقدَّسة تصرِّح بذلك فانَّ وصيَّتهُ تعالى الخامسة « لا تقتل » تعمّ كلّ قتل يحاولهُ الانسان بسلطان نفسهِ سواء كان قتل ذاتهِ او قتل قريبهِ . وقد كان الله في سفر التكوين سبق وبيَّن ذلك اوَّلاً بتقريعهِ لقاين بعد قتلهِ اخاهُ هابيل (تك ٤ : ١٠) ثمَّ بتكرارهِ لنوح بعد الطوفان حيث قال (٩ : ٦٥) : « ايّ انسان قتل اخاهُ اطلبُ نفس الانسان . ان يك سافكُ دم الانسان الانسانَ فدمُهُ يُسفك لأنهُ بصورة الله صُنع الانسان » فمن هذا يستفاد انَّ اثم سافك الدم هو واحد سواء سفك دم نفسهِ او دم قريبهِ لأنَّ كليهما صُنع على صورة الله . وهو القائل عزَّ وجلَّ (تثنية ٣٢ : ٣٩) : « انا أميت وانا احيي » . وقال ايضاً (حكمة ١٦ : ١٣) : « انَّ لك سلطان الحياة والموت . . . أمَّا الانسان فيقتل بخبثهِ لكنَّهُ لا يعيد الروح الذي قد خرج ولا يسترجع النفس المقبوضة » فكلّ هذه الآيات الكريمة لا تدع ريباً في تحظيرهِ تعالى الانتحار على الانسان كقتلهِ لقريبهِ

وقد جرت الكنيسة على موجب هذه التعاليم فانَّها بمجامعها ورسائل احبارها وكتابات علمائها لم تزل تستقبح الانتحار وتعدُّهُ من اعظم الجنايات . وتحرم المنتحرين من الدفن الديني ولا تسمح بان يُقبَروا في ارض مقدَّسة ما لم يعيشوا مدَّةً بعد محاولتهم قتل نفسهم فيتوبوا او ثبت بعد الفحص ان نوعاً من الجنون شوَّش عقلهم ففعلوا دون معرفة تامَّة او ارادةٍ ثابتة . أمَّا اذا عاش طالبو الانتحار بعد سعيهم بهِ عمداً فان الكنيسة لا تسمح لهم بالانتظام في سلك الاكليروس

وليست النصرانيَّة وحدها قد رذلت الانتحار بل غيرها من الاديان ايضاً كالاسلام واليهوديَّة والاديان الوثنيَّة نفسها . فأمَّا الاسلام فانَّ لصاحب شريعتهِ حديثاً رواهُ البخاري وغيرهُ من رواة الحديث وهو قولهُ : « كلُّ من يقتل نفسهُ يعذَّب في نار جهنَّم » وقولهُ : « من يقتل نفسهُ يُنفَ من الجنَّة الى الابد » وروى ابو داوُد انَّ نبيَّ الاسلام نهى عن دفن قاتل نفسهِ بالصلاة عليهِ (١ . أمَّا اليهود فرأيتَ ما ترويهِ التوراة في اسفارها الالهيَّة . كذلك الامم الوثنيَّة كاليونان والرومان وبعض الشعوب البرابرة كانوا يستقبحون الانتحار يدلُّ على رأيهم كبار فلاسفتهم كفيثاغورس وسقراط وشيشرون فانَّهم يعدُّون الانتحار كجناية في حق عناية الآلهة ويجعلون في الجحيم

١) الطلب Hughes : Dictionary of Islam, *art.* SUICIDE

مكاناً خاصاً للتنكيل بهم . أما الذين سمحوا بهِ منهم فكانوا من الملاحدة الذين ينكرون الخالق وعنايتهُ ويقولون بمذهب الماديين

٣ الانتحار بازاء الهيئة الاجتماعية

خُلق الانسان ليعيش مع بني جنسهِ في المجتمع البشريّ فهو عضوٌ من اعضاء ذلك الجسد الادبيّ المنتشر على وجه الارض وقد جعل الله لكل فردٍ من افراد هذا المجموع وظيفةً يقوم بها فيخدم ذاك المجموع كما هم يخدمونهُ . فاذا اخلّ الفرد بوظيفتهِ من تلقاء نفسهِ اساء الى الجماعة اذ حرمها احد اعضائها العاملين لخيرها وكفر بجميلها بعد ما نالهُ من فضلها وهي قامت في خدمتهِ بالمربى والمعاش والسكن والدفاع عنهُ الخ

وقد جاء في سفر أيوب (٧ : ١) انَّ حياة الانسان جهاد على الارض وكلّ انسان احدُ المجاهدين في ساحتها فكما يُقضى على الفراريّ بالخيانة لوطنهِ كذلك المنتحر يخون المجتمع البشري بفرارهِ من ساحة الجهاد العامّ وتصرُّفهِ بنفسهِ دون رخصة مليكهِ الذي هو الله وقد ائتمنهُ على حياتهِ ليبذلها في منفعة العموم فاضاع الأمانة

ولا يقولنَّ احد انَّ رجلاً تعيساً بائساً هو عبءٌ ثقيل على الهيئة الاجتماعيَّة فموتهُ افضل من حياتهِ . نجيب على ذلك : كلّا ليس البائسون والاشقياء وذوو العاهات في هذا العالم شرّاً للهيئة الاجتماعيَّة فانهم بصبرهم وبفضائلهم نعم القدوة للمجتمع البشري الذي ينتفع بالفضيلة والآداب الحسنة اكثر مما ينتفع بالصنائع كما انَّ الرهبانيَّات التي يقضي رجالها ونساؤها حياتهم في الصلاة والتقشُّفات يخدمون الجمعيَّة الانسانيَّة افضل الخدم ويشرّفونها بترقيتها عن الميوليَّات والامور المادّيَّة الخسيسة وتوجيه نظرها الى العالم الادبي والروحي الذي يجب ان تسعى اليهِ الهيئة الاجتماعيَّة

ومما يدخل في هذا الباب ان للمنتحر غالباً اهلاً واقرباء كالدّين واولاد وزوجة وغيرهم يكونون في حاجة الى خدمتهِ . افليس ظلماً فظيعاً ان يحرمهم عملهُ ويعرّض بهم الى الفاقة والبؤس ان لم نقل الى اليأس والقنوط فضلاً عمّا يلزمهم من العار والخجل لموت احد اقربائهم الادنين موتاً شنيعاً كهذا

٤ الانتحار بازاء نفس المنتحر

ان كان العقل والدين والهيئة الاجتماعيّة تتفق على تقبيح الانتحار فليس صالح المنتحر باقلّ منافاةً لهذه الجناية وذلك لأنّ بين المبادئ الفلسفيّة الراهنة التي تُعَدُّ من الاوّليات في تآليف الفلاسفة كارسطاطاليس وغيره «انّ اوّل محبّة الانسان هي لنفسه» ليصونها ويرعاها ويطلب لها كلّ خير ينطبق مع صلاحها. وكلّ يرى انّ الانتحار على طرف نقيض من هذا المبدأ المقول. فاي شرّ يا ترى اعظم من ان يتلف الانسان نفسهُ ويفقدها الحياة اكبر خيراتها. وهذا يُفحم ذات الذين ينكرون وجود الله وخلود النفس

وفي المبدأ الانجيلي «أحبب قريبك كنفسك» اثباتٌ لهذا المبدأ الفلسفيّ. كأنّ الرب يقول: كما انّ الانسان يريد بالطبع الخير لنفسه ولا يتلفها ولا يضرّها كذلك يجب ان يعامل قريبهُ بموجب هذا الناموس

وللانسان المؤمن بوجود الله وخلود النفس برهان آخر يصدّهُ عن الانتحار. انّ الله خلق الانسان لمجده بان يسبّحهُ تعالى ويمجّدهُ ويخدمهُ فينال بعبادته هذه وخلوص خدمته السعادة الابديّة. فكيف يا ترى يقوم المنتحر بهذه الخدمة افليس هو بالحري كالعبد الشرّير الذي لا يرضى باتمام اوامر سيّده فيقضي عليه سيّدهُ بما استحقّهُ من العقاب؟

وبهذا يسقط ايضاً مدّعى المدافعين عن الانتحار بانّ بعض شرور هذا العالم لا تُطاق فيستخفّ الانسان الموت على احتمالها. وهو قول يفوه به الجهّال لا العقلاء. فما هي يا تُرى شرور الدنيا وبلاياها كلها مهما كانت فظيعةً بالنسبة الى سقوط النفس بين يدي الاله الحيّ والديّان العادل الذي يعاقب بعذابات ابديّة يفوق اخفّها على كل ما يُعرَف في عالمنا من الاوجاع والآلام ولاسيما اذ لا يبقى للمنتحر وقت للتوبة. أفلا يصحّ في هؤلاء العميان قول العامّة: «هرب من الدلفة ووقع تحت الميزاب»

أما قول بعض المتفلسفين والكتبة المحدثين الذين جعلوا الانتحار في بعض الظروف شهامةً وفعلاً محموداً كما فعل فتى الارز فليس هو سوى لغط وشقشقة لسان بلا معنى او بالحري هو كلام فاقدي الشعور أئمّةٍ يموّهون الحقيقة على البسطاء ويصبحون في طريقهم حجر عثرةٍ فيشككونهم والويل لمن تأتي على يده الشكوك

مطبوعات شرقيّة جديدة

LA SYRIE : Précis historique par le P. H. Lammens. 1er *vol.*, *Beyrouth. Impr. Catholique, in-12, pp. IX-279.* 1921. *Prix relié 7 f.*

سوريّة : خلاصة تاريخيّة

كانت مدارسنا منذ امد مديد في حاجة ماسّة الى تاريخ مدرسيّ لسوريّة. لأن كلّ ما ظهر من ذلك سابقاً لا يفي بالغاية المطلوبة سواء كان بالعربيّة او باللغات الاجنبيّة. وها قد سدّ حضرة الاب هنري لامنس تلك الثلمة بوضعهِ هذا الكتاب النفيس الذي يستحقّ وحدهُ ان يُجعل في ايدي الدارسين لاشتمالهِ على كلّ الصفات التي يستحبّها طلبة المدارس من وفرة المواد وبلاغة الانشاء وحسن التنسيق والتدقيق في الروايات. وهذا الجزء الاوّل يتناول تاريخ سوريّة منذ الفتح العربيّ الى آخر تاريخ الصليبيين. وقد قدّم عليهِ المؤلف نظراً عموميّاً في تاريخ سوريّة القديم وتعريف حدودها وميزاتها وعناصرها المختلفة وألحقهُ بفصل خاصّ بجزيرة العرب واحوالها وظهور صاحب الدعوة الاسلاميّة فيها قبل فتح الشام وملك بني اميّة. وفي الكتاب ما عدا التاريخ الاسلاميّ والصليبيّ عدّة ابواب في تعريف احوال سوريّة الدينيّة والادبيّة والفنّيّة والاقتصاديّة كما يشتهيها القرّاء. وقلّما يجدها الطالب في الكتب المنشورة سابقاً. فنثني على همّة حضرة الاب لامنس ونشكرهُ على هذه الخدمة الجديدة التي ادّاها للوطن وننتظر بفروغ الصبر الجزء الثاني من هذا الاثر الفريد متمنّين بان يُنقل الكتاب قريباً الى العربيّة ل. ش

LE COTON EN SYRIE ET EN CILICIE. par Ed. L. Achard, Beyrouth, Impr. du Haut Commissariat, in-4, pp. 128

القطن في سوريّة وقيليقية

هذا درس مستوفى في احوال القطن وزراعتهِ ومحصولاتهِ في جهات سوريّة وانحاء قيليقية كتبهُ احد الاختصاصيين المسيو ادوار أشار وقدّمهُ لغرفة التجارة في مرسيلية. ضمّنهُ المؤلف كلّ المعلومات التي استفادها في بعثتهِ الاخيرة الى هذه البلاد بمراقبتهِ الخاصّة ومفاوضاتهِ لارباب الزراعة. فجاء كتابهُ جامعاً مانعاً لا يطلب فيهِ القارئ

مبحثاً الّا وجده بخصوص سائر الافادات المتوطة بالقطن كتربته وانواعه وتنميته وكتياته ولوازمه . واستطرد المؤلف هناك الى مزروعات أخر كثيرة يستطيع الوطنيون ان يُعنوا بها ويحتنوها فيوفروا غلّاتها . فنحث كلّ الملّاكين ان يمعنوا النظر في هذا التأليف البديع فيفتح لهم ابواباً جديدة للثروة ل . ش

A. F. Breedenbeek: Die Betriebsfreiheit im Versicherungswesen, im Handel, Schiffahrt und Industrie. *in-8vo, pp.* 191; *Amsterdam, Librairie Internationale « Messis »*

حرّية التجارة في مشاريع التأمين والمبايعات والتجارة البحريّة والصناعة

قد ظهر في هذه السنين الاخيرة بطلان مبادئ حزب الاشتراكيين الذين يسعون في جمع الاملاك والثروة العموميّة ليقسموها بين الناس . بيد انّ اراءهم هذه لا تزال مشتة في رؤوس كثيرين من العموم . وليس اقلّ خطراً منها الاشتراكيّة الدوليّة التي تدفع الحكومات الى احتكار الاعمال والمشاريع والصنائع لتصبح في ايديها كوسيلة لتأييد سيطرتها على الشعب . وهذا ما يثبتهُ بريدنبك مؤلف الكتاب المعنون آنفاً فيثبت ان هذا الاحتكار سيئ العقبى كثير الاخطار على الدولة . وقد استطرد المؤلف ليبدي رأيهُ في جمعيّة الامم التي تشكّلت بعد الحرب وما كان يُنتظَر منها لخير الدول وكيف تقلّبت حتّى اصبحت كريشة يتلاعب بها الهواء ما لم ترجع الى المبادئ الاصليّة المؤسسة على قواعد الآداب الثابتة اعني قواعد الديانة النصرانيّة الالهيّة ولذلك يأسف على عدم انتداب الحبر الاعظم اليها ليرسل من يمثّلهُ فيها اذ ليس اجدرَ من الحبر الروماني لتأليف القلوب وفكّ المشاكل الدوليّة الاب ي . ديلنسيغر

Une mission d'études sur la **Lavande** et son industrie dans le Sud-Est de la France, *in-8e, Vigot Frères, Paris, Prix,* 8fr, 1921 = Les Simples et leur Cueillette dans la régéon de Tarare, *Brochure, in-8, L. Declume, Lons-le-Saunier,* 1920

اللزامي (اللوندا) وصناعتها في جنوبي شرقي فرنسة – اجتناء المفردات الطبيّة في مملكة ترار

قد انهضت الحرب الاخيرة همم الناس لفتح طرق جديدة للارتزاق لاسيما باجتناء محصولات الوطن والاستفادة من تربته . وكان الفرنسويون قبلها يبتاعون بملايين من الفرنكات عدّة نباتات لصناعتهم من النمسة والمانية فوجدوا انهم يمكنهم الاستغناء

عنها باستثمارها في بلادهم . والكتابان السابق ذكرهما في اعلاهُ يصفان ما تألّف من الشركات في فرنسة حديثاً لاستنبات كثير من النباتات الصناعيّة كالخزامى (اللوندا) ذات المنافع العديدة في العطريّات والاستقطار والاجزلنيّات ثم النباتات الطبيّة المعروفة عند العرب بالمفردات . ولو شاء المواطنون لامكنهم ان يحذوا حذوهم فانّ ارض لبنان والسواحل غاية في الاهليّة لهذه النباتات فاذا زرعوها وجنوا ثمارها يستفيدون منها كثيرًا او يرسلونها الى فرنسة الى المكتب الدولي فيبتاعها وهذا عنوانهُ :

Paris, VII. rue de Bellechasse, 44

Paul Vivier : Téléoptique des orages et des tremblements de terre. 1 *brochure, in-8; 88 pp., Paris, Mendel*

رصد الانواء والزلازل قبل حدوثها

يدّعي صاحب هذه الكرّاسة ان رصد الغيوم يؤدي براقبيها الى الاطلاع على حوادث سابقة كالانواء والزلازل . فيقول مثلًا انّ راصد الغيوم في باريس اذا قابلها بمثلها في اميركة يستدلُّ على وقوع كارثةٍ في يابان . وبيانًا لذلك قد جمع المؤلف عدّة ملحوظات مختلفة المصادر يستند اليها لاثبات زعمهِ . على انّنا لم نجد فيها ما يكفي للاقناع مع ما اودع في كتابهِ من الادلّة على سعة معارفهِ . وعلى كلّ حال ننتظر حكم العلماء الموثوق بهم لتأييد رأيهِ او لنبذهِ الاب ب . برلوتي

Général Sarrail : Mon Commandement en Orient (1916-1918). *Paris, E. Flammarion, rue Racine. 26, Prix. 7f, 75, 1920*

الجنرال سرّاي : قيادتي في الشرق من ١٩١٦ الى ١٩١٨

كلّ يعرف ما تراكم من الشكايات في حقّ الجنرال سرّاي وتصرّفهِ في السنتين اللتين قضاهما كقائد الجيش الفرنساوي في حملتهِ على الشرق . فحاول الدفاع عن نفسهِ في هذا الكتاب ليبيّن ما لقيهُ في طريقهِ من العوائق التي غلّلت يديهِ وحالت دونهُ ودون الفوز المأمول من جيشهِ في مقدونية . فتراهُ يتشكّى ويتجنّى من معظم رؤسائهِ الذين على زعمهِ كانوا يعاكسونهُ ويسيئون فيهِ الظنّ . واغرب من ذلك انّهُ يرمي بسهام الملامة رجالًا اجمع الرأي العام على إطراء سموّ عقلهم وحسن سياستهم وشهامة اخلاقهم . وخلاصة القول لا نظنّ انّ هذا الكتاب يزكّي صاحبهُ ويبخس حقّ الذين حاول انتقادهم الاب ب . كستاكيس

Dr. René Aragon : Mon Voyage au Bostland , *in*-12 , *pp* . 155 *Paris, Jouve,* 1920

سفري الى بِسْتْلَنْد

بِسْتْلند بلادٌ وهميَّة معناها بالانكليزيَّة «افضل البلاد». فانَّ الكاتب ابتكر طريقةً شائقة ليتفقد الامور الاهليَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة الجارية في البلاد الاوربيَّة حاضراً. فانَّهُ تخيَّل دولةً جامعة فيها كلّ كمالات الحضارة العصريَّة دون شيءٍ من نقائصها جعلها في بعض اطراف الارض المجهولة فيرحل اليها ويتجوَّل في كلّ انحائها ويصف خواصّها ويقابل مزاياها الطيبة واسباب رقيّها الكامل بما يعهدهُ من الخلل في الحواضر الاوربيَّة. وكذلك يفاوض اهل تلك البلاد ويدرس طباعهم وعاداتهم فيجد فيهم من المحاسن والمدارك السامية ما يكاد يبغّض اليهِ تمدُّن بلادهِ الموهوم. وعلى هذا المنوال يستلفت نظر ارباب الامر الى اصلاح كثير من الاحوال المخلَّة الشائعة في بلادهم والى تحويرعدَّة شرائع ضررُها اعظم من منفعتها. فنحرّض القرّاء على مطالعة هذا الكتاب الظريف ليقفوا بهِ على ما يحتاج اليهِ التمدُّن العصري ليبلغ كمالهُ

ل . ش

Bertrand Russell: La pratique et la théorie du Bolchévisme, *traduit par* **André Pierre,** *in*-16, 1921, *pp.* 217, *éditions de la Sirène*7

Etienne Antonelli: LA RUSSIE BOLCHEVISTE, Paris, B. Grasset, in-12, pp. 278, 1919, Prix Sfr, 50

البلشفيَّة العمليَّة النظريَّة – روسيَّة البولشفيَّة

قد مرَّ لنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٤٧) فصلٌ مطوَّل في تعريف البلشفيَّة واصلها ومبادئها الوخيمة واعمالها المستقبحة . وكلُّ ما بلغنا عنها مذ ذاك الحين عن المصادر الثقة زادنا كراهيةً لها وانفةً من مآثمها . وها قد اتانا في تلك النحلة كتابان مختلفان : احدهما للانكليزي برتران روسل الاشتراكي الذي يسعى في الدفاع عن البلشفيَّة وتعليمها وان اقرَّ بسوء تدبيرها ومظالمها وكفى باقرارهِ دليلًا على خبث الشجرة التي تُعرَف من ثمارها . امَّا الكتاب الآخر فهو لرجلٍ خالٍ من كلّ غرض صائب الفكر عالم بدقائق الامور واسبابها وعواقبها اسمهُ اتيان انطونلي ألَّف كتابهُ سنة ١٩١٩ ووصف البلشفيَّة احسن وصف وتتبَّع تعاليمها واعمالها في كلّ دوائرها

السياسيَّة الداخليَّة والخارجيَّة واثبت اقوالهُ بقرارات رسميَّة لا يُرتاب في صحَّتها فراج الكتاب وطُبع وبلغ في سنة ظهوره سبع طبعات فنوصي بهِ من يريد الوقوف على حقيقة الامور التي قلبت روسيَّة ظهرًا لبطن وجعلتها طعمةً للفوضى ل . ش

PROTOCOLS DES SAGES DE SION traduits du Russe et précédés d'une Introduction par Roger Lambelin, *Paris, B. Grasset*, *in*-12, 1921, *pp.LXXV*-153

قرارات حكماء صهيون

هذا كتاب نشرهُ اليهود سرًّا باللغة الروسيَّة سنة ١٩١٢ فوقف عليهِ احد الادباء المسيو روجه لمبلان فنقلهُ الى الافرنسيَّة وقدَّم عليهِ مقدِّمةً مطوَّلة ليبيِّن صحَّتهُ فيثبتها بوصف طبعتهِ الاصليَّة ورسم تصاوير غلافهِ الغريبة . امَّا محتواهُ فقرارات دوَّنها «حكماء صهيون» اي ارباب اليهود وزعماؤهم في ٢٤ فصلًا اودعوها طرائقهم الجهنَّميَّة ليبلغوا الى السيطرة على العالم باسرهِ بكل وسائل الخداع والمكر واحتكار ماليَّة الدول وإثارة المشاغب والفتن الى ان يُصبح اسرائيل سيِّد العالم . وقد تمَّ لهم قسمٌ كبير من افكارهم القبيحة بمناصرة البلشفيَّة التي في ايدي اليهود لُحمتها وسداها . فمن لهُ اذنان سامعتان فليسمع او يتأمَّل مضامين هذا الكتاب ل . ش

كتاب الحساب بقلم ابرهيم صادر

الكتاب الاوَّل . طُبع في بيروت في المطبعة العلميَّة سنة ١٩٢١ (ص ٧٢)

نشر مؤلف هذا الكتاب سابقًا ثلثة كتب في مبادئ الحساب : ترويض الالباب في علم الحساب وهديَّة الاحباب وزبدة الفوائد في الاربع قواعد وهذا كتاب رابع الفهُ آخرًا لطلبة المدارس وقد اهتمَّ فيه غاية جهده ليخرجهُ على طريقة عمليَّة سهلة المنال تقرِّب فوائدهُ من احدثهم سنًّا واقلَّهم ادراكًا . وزاد ذلك بما اودعهُ فيهِ من الاعمال الحسابيَّة والتمارين المتعدِّدة ل . ش

الموجز المغيث في علم المواريث

بقلم فيليب عزيز المحامي لدى المحاكم الاهليَّة والمختلطة

طبع في مصر في المطبعة اليوسفيَّة سنة ١٩٢١ (ص ٧٦)

يعلم دارسو الفقه الاسلامي كم يحتوي علم المواريث من المشاكل التي يستعصي

حلّها على نفس المتضلّعين بهذا الفنّ فهذا الموجز بوضوح عبارتهِ وحسن تقسيمهِ وشمولهِ لاصول المذهب الحنفي مع ذكر اوجه الخلاف مابينهُ وبين المذاهب الاسلاميّة الاخرى المالكي والشافعي والحنبلي يوفّر على دارسيهِ وقتاً طويلاً وانجاثاً مملّة لاسيما انه متقن الطبع على ورق صفيق

التربية في العائلة · زلّات الوالدين

للمسيو فيلكس توما عرّبهُ وديع افندي رشيد شهاب

طُبع في بيروت في مطبعة طبّارة سنة ١٩٢١ صفحاتهُ د + ٢١٩

قال احد كبار الرجال « انّ فنّ الفنون سياسة النفوس » وهو قول يصحّ قبل كلّ في تربية الاحداث رجال الغد. ومن ثمّ نشكر معرّب هذا الكتاب البديع في التربية العائليّة وكشف زلّات الوالدين في هذا الفنّ الجليل . والحقّ يقال ان صاحب هذا التأليف قد أعرب عن نظر دقيق ودرس عميق لهذا المطلب المهمّ فهو يستقري كلّ اطوار حياة الولد ويميط الستار عن زلّات الوالدين في تلك الاطوار ويرشدهما الى الصواب ليقوما باقدس واجباتهما نحو فلذة اكبادهما سواء كان في زمن وجود الولد في البيت او في المدرسة لتربيتهِ البدنيّة وتهذيب اخلاقهِ وعقلهِ وصيانتهِ من كل اسباب الرذيلة مع الاعتناء في ارشادهِ للحياة الاجتماعيّة . على انّنا مع استحساننا للكتاب اجمالاً لا نشير على الجميع بمطالعتهِ لما فيهِ من وصف امور يصدق وقوعها في اوربّة ولا توافق احوال بلادنا او تُصبح حجر عثرة لمن يُسيء فهمها لاسيّما بعض اقواله في الاديان التي يعتبرها كلها متساويةً في صحّتها وضلالها ل . ش

﴿ هدايا ارسلت الى المجلة ﴾

١ رسالة للقديس يوحنّا فم الذهب وجّهها الى ثاودورس ليردّهُ الى دعوتهِ بعد جحودهِ الرهبانيّة وهي التي نشرها سابقاً في المشرق حضرة الخوري لاونديوس كلزي (ص ٤٤) .

٢ حفلة تكريم ميرزا بك بمناسبة تعيينهِ مديراً ماليّة لبنان الكبير سنة ١٩٢١ . طُبع في مطبعة المعارف (ص ٢٩)

٣ كتاب الحميريين . اثر قديم في رواية شهداء نجران بالسريانيّة

Axel Maberg : THE BOOK OF THE HIMYARITES . A hitherto unknown Syriak Work on the Himyaritic Martyrs. *pp*. 10, *Extrait dn Bulletin de la Société des Lettres de Lund* 1920–1921

شذرات

﴿ القلب الجريح فوق الضريح ﴾ كان لوفاة الاب بطرس فضّول المرسل اللبناني المتوفّى في اميركة رنّة حزن في قلوب كلّ معارفهِ لما شاع من فضلهِ وتُقاهُ فرثاهُ كثيرون منهم حبيب افندي عوّاد خريّج المدرسة المارونيّة في رومية وتلميذ الاب المرحوم فقال من قصيدة بالعنوان السابق:

تقيٌّ رشفنا من معين انضاعهِ ... ويا حبّذا رشفاً يُزيل أُسانا
سقانا التُّقى والفضل من مزن طهرهِ ... ومن شرّ ابليسَ الرجيم وقانا
حدانا اليهِ اللهُ يوماً وقلبنا ... ذليلٌ فامسى في المصاب عزانا
وكان كأمٍّ في محبة طفلها ... وكان ابأً يحنو علينا حنانا
ففي كلّ قلبٍ قد بنى صرحَ حبّهِ ... فعاد له قلب الجميع مكانا
ربينا وعشنا في رضاهُ ورشدهِ ... وكلٌّ غدا في حبّهِ يتفانى.

الى ان قال خاتماً ومؤرخاً سنة وفاتهِ ١٩٢٠ :

فطوباك يا من في النعيم مقامهُ ... وفي حضن ابراهيم حزتَ امانا
ألا فاشفعنْ فينا ورقّ لحالنا ... وكن يا أبانا في الكروب مُنانا
يحنُّ فؤادي آرخاً نشر مدحهِ ... الى دار خلدٍ كي نراك عيانا

﴿ التصوير في الاسلام ﴾ مما يُثبت انّ الاسلام لم يأنف من تصوير الصور المجسّمة من حيوان وبشر ما رواهُ المقريزي في كتاب الخطط (٢ : ٣١٨ والطبعة الجديدة ٤ : ١٢٠) عن جامع القرافة في مصر حيث قال «انهُ كان فيهِ من القناطر والعقود والخلايا المزوّقة بانواع الاصباغ من صنعة البصريين وبني المعلّم المزوّقين شيوخ الكتامي والنازوك» ثم وصف شاذروانًا يُرى على هيئات مختلفة على حسب وقوف الناظر تائهاً او لا نتزُ فيهِ «من افخر الصنائع عند المزوّقين وكانت هذه القنطرة من صناعة بني المعلّم وكان الصنّاع يأتون اليها ليعملوا مثلها فما يقدرون وقد جرى مثل ذلك للقصير وابن عزيز في ايام البازوري سيّد الوزراء الحسن بن عليّ بن عبد الرحمان وكان كثيراً ما يحرّض بينهما ويُغري بعضهما ببعض لانهُ كان احبّ ما يُهدى اليهِ كتابٌ مصوّر او النظر الى صورة او تزويق وكان يشتطّ في أُجرتهِ ويلحقهُ عجب في

صنعته وهو حقيق في ذلك لانهُ في عمل الصورة كابن المُقلة في الخطّ وابنُ العزيز كابن البوّاب وقد أمعن شرح ذلك في الكتاب المؤلف فيهِ وهو طبقات المصوّرين المنعوت «بضوء النبراس وأنس الجلّاس في اخبار المزوّقين من الناس» . وكان البازوري قد احضر بمجلسهِ القصير وابن عزيز فقال ابن عزيز: انا اصوّر صورةً اذا رآها الناظر ظنّ انها خارجة من الحائط . فقال القصير: لكن انا اصوّرها فاذا نظرها الناظر ظنّ انها داخلة في الحائط . فقال: هذا أعجب . فامرهما ان يصنعا ما وعدا بهِ فصوّرا صورة راقصتين في صورة حنيّتين مدهونتين متقابلتين هذه تُرى كأنها داخلة في الحائط وتلك تُرى كأنها خارجة منهُ . فصوّر القصير راقصةً بثياب بيض في صورة حنيّةٍ دهنها اسود كأنها داخلة في صورة الحنيّة وصوّر ابن عزيز راقصة بثياب حُمر في صورة حنيّة صفراء كأنها بارزة من الحنيّة . فاستحسن البازوري ذلك وخلع عليهما ووهبهما كثيراً من الذهب . وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل الكتاميّ صورة يوسف عم في الجبّ وهو عريان والجبُّ كلّهُ اسود اذا نظرهُ انسان ظنّ انّ جسمهُ باب من دهن لون الجبّ»

﴿اصل لعب الشطرنج﴾ الشائع بين العرب انّ واضع لعب الشطرنج هو حكيم احد حكماء الهند الذي عاش على قول المسعودي في اواخر القرن الثالث قبل المسيح في عهد الملك بلهيت خان دبشليم معاصر اسكندر ذي القرنين . وقد قرأنا مؤخّراً في احد اعداد المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة التي ظهرت هذه السنة (عدد نيسان–حزيران ص ٢٧٠) ان ملك الصين المدعو «مو» كان يتلهّى في القرن العاشر قبل المسيح بلعب الشطرنج كما ورد في تاريخ اسفارهِ الذي كتبهُ احد معاصريهِ (راجع مقالة العلّامة ليوبلد دي سوسور المنشور هناك) (J.AS., Avril-Mai, 217-280)

﴿الهند الانكليزيّة في الحرب الكونيّة﴾ أدّى الهنود للانكليز في الحرب الكونيّة خدماً عظيمة كما يتّضح من القائمة الرسميّة الآتية . تجنّد من الهنود ٤١٦،٦٧٩،١ نفراً قُتل منهم في ساحة الحرب ٦١،٣٩٨ وجرح ٧٠،٨٥٩ وأُسر ١١،٠٧٠ . وقد كلّفت الهند نفقات الحرب قريباً من ٤٠٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه تكرّم الاهلون بتقدمة ثلثها بصفة تبرّعات وهدايا اختياريّة

﴿المرصد الناتيكاني﴾ قد روينا سابقاً ان علماء الفلك اتّفقوا على انشاء خارطة عظيمة للسماء وافلاكهِ ونجومهِ . وهو من ابدع المشروعات التي نرى بوضحها علماء

العصر وقد قسموا هذا العمل بين ثمانية عشر مرصداً فلكياً في العالم . ومن جملتها المرصد الفاتيكاني في رومية الذي يتولّى تدبيره الابوان يوسف لانس الاوراتوري وجان هاغن اليسوعيّ . وها هما قد اتمّا المجلّد الخامس من العمل الخاصّ بهما وهو اذا نجز سيبلغ عشرة مجلّدات و ٢٨٠٠ صورة شمسيّة

﴿ مزاعم غريبة لمجلّة المقتطف ﴾ افتتح المقتطف عددهُ الاخير الصادر في سبتمبر بمقالة عنوانها «حركات الجماد» روى فيها بعض الاعمال الكيمويّة حيث تتجاذب بحركات طبيعيّة العناصرُ المختلفة لما بينها من الائتلاف فزعم الكاتب ان تلك الحركات تشبه حركات النبات وحركات الحيوان . ثمّ تطرّف الى ان قال (ص ٢١٠)

« كلّما دقّقنا البحث وجدنا انّ بعض افعال الجماد والنبات والحيوان متشابهة في النوع ولو اختلفت اختلافاً كبيراً جدّاً في الدرجة »

ثمّ قال : « ان المخلوقات الحيّة وغير الحيّة متّصل بعضها ببعض ويظهر فيها الارتقاء من البسيط الى المركّب . فان كانت نواميس الطبيعة قد كفت لتوليد انواعها بعضها من بعض في مدّة ملايين السنين التي مرّت على الارض فذلك ادلّ على قدرة واضع هذه النواميس مما لو خلق كلّ نوع على حدة ولاسيما انّنا نرى التنوّع او ما يشبهُ يجري الآن امام عيوننا بالوسائل الطبيعيّة »

فهذا هو المبدأ الدرويني بعينهِ بل يُربي على مزاعم دروين الذي لم يجعل «الجماد والنبات والحيوان نوعاً واحداً تختلف بالدرجة فقط» فهو الى قول هكل والماديين اقرب منهُ الى المذهب الدرويني . فنحيل القرّاء لتفنيده الى المقالات الشائقة التي يدوّنها حاضراً في المشرق حضرة الاب اسكندر طوران

ويعود الى هذه المزاعم الباطلة قولُ المقتطف في مكان آخر من هذا العدد (ص ٣٠٥) عن الوراثة الدروينيّة الموهومة قال :

« كلّ الاعمال التي يعتادها الانسان مدّة قرون كثيرة ترسخ فيهِ بالوراثة فيرضع الطفل من غير ان يعلّمهُ احد الرضاعة ويبكي ويضحك ويكذب ويخدع (كذا !) ولكنّهُ لا يتكلّم ولا يكتب لأن الكلام والكتابة حديثان جدّاً في تاريخ الانسان »

بُشرى لكنّ ايتها الأمهات سيأتي يوم لم تَعُدْنَ تحتجنَ الى تلقين اطفالكنّ الكلام بل تسمعن الصغار يحادثونكنّ في المهد كما روى القرآن عن السيّد المسيح . ولن تحتجن الى اساتذة والى المدارس لأنّ الوراثة تطبع فيهم منذ ولادتهم صناعة الكتابة والقراءة فطوبى لمن يعيش في تلك الأيام ليرى كلّ هذه العجائب التي ينبأ عنها المقتطف . ونبشّر الحملان والعجول وصغار البهائم التي ترضع اليوم بالوراثة أنّها

ستترقى يوماً فتبكي وتضحك وتكذب (كذا !)بالوراثة الى ان تتكلم وتكتب بالوراثة . هذه فلسفة اصحاب المقتطف بل بعض تُرّهات ارباب التحوُّل والترقي !!!

ومثل هذا غرابةً نبذة في العدد عينهِ من المقتطف (ص ٢٩٦) على اطلال المذهب المادّي حيث يستغرب تصدّي مئات من حملة الاقلام يتكفّرون طائفةً قليلة جدًّا من العلماء تقول بالمادّية ورجالها من افضل الناس سيرةً (كذا) ، بينما يتغاضون عن الف كبيرة وكبيرة يأتيها غيرهم . فكأن المقتطف يجعل جحود الخالق من الصغائر وهي كما لا يُخفى اكبر الكبائر وباب كل الشرور . امّا ، انّ رجالها القليلين من افضل الناس سيرةً ، فلم يقل بهِ غير المقتطف ولو اردنا تفنيدهُ لجمعنا التآليف الضخمة وللمقتطف ايضاً هناك (ص ٢٨٨) كلام في ازياء النساء سنعود اليهِ ان شاء الله . هذا مع شكرنا لهُ عن ثنائه على طبعتنا لكتاب الكتّاب لابن درستويه (ص٢٩٦)

﴿ عماد العذراء مريم ﴾ معلوم انّ العذراء مريم كانت بريئة من الخطيئة الاصليّة وسرّ العماد وضعهُ السيّد المسيح لإزالة تلك الخطيئة الجدّيّة . فما كانت إذن محتاجة الى سرّ العماد . فاذا ثبت عمادها فذلك تشبُّهاً بعموديّة ابنها ولزيادة نعمتها فقط . ومَن قالوا بعمادها القديس افرام وهاك تعريب ما ورد في صلاة السريان الكاثوليك الطقسيّة في الاحد السابق عيد الميلاد كما افادنا حضرة القس يوحنّا عزّو السرياني . والكلام عن لسان البتول تخاطب ابنها الالهي الذي وُلد منها بالجسد وأولدها بالروح بالمعموديّة :

« اني اختٌ من آل داود لأنهُ ابٌ لكلّينا . ثمّ اني والدتكَ لاني حبلتُ بك . وخطيبتك بسبب رجائك . اني والدتكَ وصرتُ ابنتكَ من بطن الماء » (اعني ماء المعموديّة)

وقد وجد حضرتهُ هذا الكلام في تآليف الملفان المذكور في الطبعة الرومانيّة (ج ٢ ص ٤٢٩) بما هو اجلى واوضح واوسع وهذا تعريبهُ :

« اني اختٌ من آل داود لانهُ ابٌ لكلّينا . ثمّ اني والدةٌ لاني حبلتُ بك وخطيبةٌ من اجل قُدسك (اي نعمتك) . وانا أمَةٌ وابنةٌ من الدم الذي ابتعتَني بهِ والماء الذي عمّدتني بهِ (مع وفا معمّدا وحده ولحمها)

« كيف ادعوك يا من كان غريباً عنّا وصار منّا هل ادعوك يا تُرى ابناً أم ادعوك اخاً ؟ هل ادعوك خطيباً ام ادعوك سيّداً ؟ . يا والداً لامهِ ميلاداً آخر من بطن الماء (معمد لامه مجا اسفا مع حمصا)

يا ابن العلي الذي اتى وحلّ بي فصرتُ امّهُ . ومثلما ولدتهُ ولدني ميلاداً آخر لأنهُ (بالمعموديّة) يولي ميلاداً ثانياً . يا وشاح امهِ الذي لبس هو جسدها فليست هي بجدهُ

أسئلة واجوبة

س سأل من برمانا يوسف افندي صيقلي ماذا نعرف عن قطعة من الصليب المقدّس الاصلي - ورد في كتاب انكليزي لفرنسيس ماك كولك في سقوط عبد الحميد انّ هذا السلطان اهداها الى قيصر روسيّة بمناسبة حفلة تتويجه ويقال هناك انّها اكبر القطع الموجودة ولعلها اكبر من المحفوظة في رومية العظمى

قطعة الصليب المقدّس الاصلي المهداة لقيصر روسيّة

ج لدينا كتاب واسع في « آلات الآلام » لكاتب شهير «روهودي فاوري» Rohault de Fleury : *Instruments de la Passion* ذكر فيه كلّ القطع المعروفة من الصليب المقدّس في الشرق والغرب وهو لم يذكر القطعة المذكورة في كتاب ماك كولك . ولعلّها كانت مصونة في خزائن السلاطين وجدوها في خزانة ملوك الروم بعد فتح القسطنطينيّة سنة ١٤٥٣ . وان بلغنا شيء من امرها عدنا الى ذكرها

س وسأل احد كهنة حلب الافاضل : ١ً لاي سبب تحظر الكنيسة من قراءة الانجيل المطبوع عند البروتستانت ولا فرق بينهُ وبين الطبعة الكاثوليكيّة . ٢ً هل الغفرانات المعلّقة من الكنيسة على الثوب الازرق والصلوات المفروضة لذلك يمكن ربحها مراراً كل يوم؟

قراءة الانجيل في الطبعات البروتستانيّة – غفرانات الثوب الازرق

ج نجيب على (الاوّل) انّ قراءة طبعة الاناجيل البروتستانيّة محظورة على الكاثوليك لسببين : احدهما تحريفهم لبعض آيات الانجيل المقدّس (راجع كتاب كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف للاب يوسف ثمان هام اليسوعيّ المطبوع سنة ١٨٧٢) . والآخر لأنّ الطبعات البروتستانيّة خالية من شرح بعض الآيات المبهمة كما امر به المجمع التريدنتينيّ . ونجيب على (الثاني) انّ الغفرانات الكاملة المعلّقة على الثوب الازرق بتلاوة ست مرات الصلاة الربيّة والسلام الملائكي لا يُمكن ربحها الّا مرّة كلّ يوم بخلاف الغفرانات الجزئيّة التي يجوز ربحها مراراً بتلاوة الصلوات المذكورة (راجع كتاب الغفرانات للاب برونر الطبعة الثالثة ج ١ ص ٥٦٦ في الحاشية)

***

المشرق

اثران عربيّان

للاحبار الرومانيين في الماسونية

عُني بنشرهما الاب لويس شيخو اليسوعيّ

تمهيد

من الادلّة الساطعة التي تدلُّ على عناية الاحبار الرومانيين واهتمامهم بصوالح الكنائس الشرقيّة اسراعُهم الى تنبيه رُعاتها وابنائها وتحذيرهم من الشيعة الماسونيّة. قلنا في كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرسون» انَّ هذه البدعة على صورتها الحاليّة بطقوسها الخفيّة ورموزها الباطلة لم تتجاوز اوائل القرن الثامن عشر. فانتشرت في انحاء اوربّة بساعي اوّل منشئيها الانكليز انتشار النار في الحشيش اليابس لما صادفت في القلوب من الشوق الى مقاومة كلّ سلطة شرعيّة دينيّة كانت او مدنيّة واطلاق العنان الى كلّ الاهواء السيّئة والاميال الشرّيرة

وكان اوّل من تحفّز لمناوءتها الاحبار الرومانيّون فكشفوا اسرارها واماطوا السرّ عن مساوئها الخفيّة. ولمّا احسّوا بان هذه العدوى تجاوزت حدود اوربّة واخذت تنتشر في انحاء الشرق امر المجمع المقدّس بان يُنقل الى اليونانيّة الحديثة والى العربيّة والى الارمنيّة المنشوران الاوّلان اللذان اصدرهما الحبران الاعظمان اكليمنضوس الثامن سنة ١٧٣٨ وبندكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥١ قطبًا في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٧٩٦ . واذ كان هذان الاثران في غاية الندرة في ترجمتها العربيّة رأينا ان ننقلها عن الطبعة الاصليّة التي وقعت في ايدينا نسخةٌ منها

١ منشور البابا اكليمنضوس الثاني عشر

اكليمنضوس الاسقف عبد عبيد الله السلام والبركة الرسوليّة

لكل المؤمنين بالمسيح

انّا اذ قد أُقمنا باهتمام العناية الالهيّة في سموّ النظارة الرسوليّة بدون استحقاق

اقتضى علينا بموجب الواجب الرعاني الذي تقلدناهُ ان نسعى بقدر النعمة الموهبة لنا من العلاء ونهتم بكل حرص ان نضع حاجزاً بازاء الاضاليل والشرور الفاشية لتُحفظ خصوصاً نقاوةُ الايمان الأرثذكسي وتُقصى اخطار الفتن من كل العالم الكاثوليكي في هذه الازمنة الحرجة البالغة الصعوبة

ولأنهُ قد اتَّضح لدينا بواسطة الاخبار الشائعة انَّ بعض اخويَّات وجمعيَّات او اجتماعات وعصابات ومحافل وشركات مدعوَّة عموماً باخويَّة البنَّائين او فراسون او ملقَّبة باسماء أخرى حسب اختلاف اللغات اخذت تمتدّ وتنتشر باتساع وتتقوَّى كلَّ يوم ويُشترك بها على سواء اناسٌ من كل ديانة وشيعة يرتبطون برباط وثيق خفي بموجب شرائع ورسوم مخترعة منهم ويتزيَّون بزيّ كمال طبيعي كاذب ويقيّدون ذواتهم بحلف صارم على الكتب المقدَّسة تحت طائلة العقوبات الشديدة بان يكتموا بسر عميق الاشياء التي تجري بينهم في الخفية.

على انَّ الاثم مهما اختفى لا بُدَّ ان يفتضح يوماً ويُنادى به جهراً. ولذلك مذ شاع خبر هذه الجمعيَّات المذكورة قد اصدرت في عقول المؤمنين اشتباهات وريباً ثقيلة حتَّى انَّ الاكتتاب والاشتراك بتلك الجماعات صار يُعَدّ عند العقلاء والاتقياء شبيهاً بالسقوط في الاثم والنفاق عينهِ لأنهم لو لم يفعلوا شرًّا لمَا ابغضوا النور في الغاية. وقد اتَّصلت جلبة هذه الشيعة الى حدٍّ اوجب حمل الدول على معاكستها فنُفيت من بلاد كثيرة بواسطة السلطة العاليَّة لمعارضتها سلام الممالك ولاقلاقها أمنها

فنحن اذن بما انَّنا قد تأمَّلنا بامعان الاضرار العظيمة التي تجرُّها هذه الجمعيَّات ليس فقط على هيئة البلاد المدنية بل وعلى نفوس المؤمنين وهلاكها وتحقَّقنا أنها تناقض مناقضة تامَّة كلَّ الشرائع الزمنيَّة والفرائض القانونيَّة. وتملَّمنا من اوامرهِ تعالى انهُ ينبغي علينا ان نسهر ليلاً ونهاراً كالعبد الامين الحكيم المُقام على العائلة السيَّديَّة لئلَّا يحاول مثل هؤلاء اللصوص ان ينقبوا البيت ويعيثوا بالكرم مثل الثعالب اعني انلَّا يفسدوا قلوب البسطاء ويطعنوا الابرياء غيلةً رأينا انهُ من الواجب علينا ان نسدَّ في وجههم السبيل المؤدي الى ارتكاب المعاصي قبل اتساعهِ

فبناء على عدَّة اسباب عادلة صوابيَّة واضحة لدينا وبعد طلب مشورة بعض اخوتنا المحترمين كردينالية الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة وبعد بذلنا مساعينا الخاصَّة نحتم

ونحكم عن معرفة تامّة وعزم ثابت وبمل سلطاننا الرسولي بان مثل هذه الاخويّات والجماعات والشركات والعصابات والمحافل الملقّبة بالبنّائين او فرامسون هي مرذولة ومحرومة كما أننا نرذلها ونحرمها بمنشورنا هذا الحاضر الدائم الثبات

ومن ثمّ نأمر بكل شدّة وتدقيق بقوّة الطاعة المقدّسة جميع المؤمنين عموماً وافراداً من اي مقام ومحل ورتبة ودرجة وعظمة وسموّ كانوا عوامّ او اكليريكيين قانونيين او غير قانونيين حتّى المستوجب ذكرهم صريحاً وبالافراد بان لا احد لأيّة حجّة او سبب كان يتجاسر ان يشترك في جماعة البنّائين او الفرامسون المدعوّين بهذا الاسم او باسم آخر او يعضدها او يقبلها في منازله او بيوته او في مكان آخر او يخفيها او يكتب او يتمّن فيها او يحضرها او يعطي اذناً او اجازة لأن تجتمع في مكان ما او يمدّها بشيء على اي نوع كان إنْ شوراً او اسعافاً او معونةً علانيةً او سرّاً باستقامة او على غير استقامة بذاته او بواسطة غيره او يحثّ الآخرين ويجتذبهم ويحرّضهم ويقنعهم بأن يكتتبوا بهذه الشركات او يُحضَروا بها او يحضروها او يسعفوها او يعضدوها باي نوع كان. بل يلزمهم الامتناع قطعاً عن هذه الجمعيّات والشركات والمحافل تحت القصاص بالحرم لكل المخالفين كما سبق وذلك بذات الفعل وبدون توضيح آخر البتّة ولا يستطيع احد ان يفوز بالحلّ عنهُ من ايّ كان الّا منّا او من الحبر الروماني المقام بعدنا ما عدا المشرفين على الموت

ثمّ نُريد ايضاً ونامر انّ الاساقفة والرؤساء ومقدّمي الاماكن الاعتياديين او القائمين للتفتيش عن الاضاليل الاراتيكيّة في اي مكان وُجدوا ان يفحصوا ويُجروا الحكم ضدّ المخالفين من اي مقام ومحل ورتبة ودرجة وعظمة وسموّ كانوا وان يقاصّوهم ويؤدّبوهم بالعقوبات المستوجبة كالمشكوك بهم شكّاً ثقيلاً بالهرطقة ونمنح لكلّ من هؤلاء سلطاناً مطلقاً لأن يفحصوا ويتصرّفوا ويقاصّوا بالعقوبات المناسبة اولئك المخالفين وان أحوج الامر فليستغيثوا ضدّهم بالسلطة المدنيّة.

ونُريد ان تُعتبر نُسخ هذا المنشور المسجّلة من شخص ذي وظيفة كنائسيّة مطبوعة كانت او مخطوطة مثل الرسالة الاصليّة الحاضرة عينها. ولا يُباح لاحد من البشر ان يتجاوز او يخالف بجرأة وجسارة اسطر هذا القرار وما يحتويه من التحريم والامر والنهي. وان أقدم احد متجرّئاً على ذلك فليعلم انهُ سقط تحت رجز الله القادر على كلّ

شيء وغضب الرسولين بطرس وبولس

أُعطي في رومية بجذاء كنيسة القديسة مريم الكبرى سنة التجسُّد الالهي الف وسبعمائة وثمان وثلثين في اليوم الرابع من شهر ايار من السنة الثامنة لحبريتنا

٢ منشور سيدنا وابينا بالمسيح

سيدنا البابا بنديكتوس الرابع عشر بالعناية الالهية

الذي به تُرذل وتحرم بعض اخويات وجمعيات البنائين او فرامسون

قد طبع في مطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس سنة الف وسبعمائة واحدى وخمسين

بنديكتوس الاسقف عبد عبيد الله . لذكر الامر المخلَّد

انهُ قد استبانَ لنا كامر صوابيّ لاسبابٍ عادلة تقتضي ذلك بان نثبت من جديد ونوطد بتأييد سلطاننا شرائع سلفائنا الاحبار الرومانيين وتحديداتهم الحميدة ليس فقط تلك التي يُخشى ان تبطل قوتها تلقى اما لدى الزمان واما لاهمال البشر بل ايضاً تلك التي لا تزال حافظةً قوتها ومفعولها تماماً

وبما انَّ سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الثاني عشر في رسالتهِ الرسوليَّة المبرزة في اليوم الرابع من شهر ايار سنة ١٧٣٨ الموجَّهة الى كلّ المسيحيين التي اوَّلها « في النظارة السامية » (In eminenti) قد رذل مؤبداً وحرم بعض اخويات وجمعيات او اجتماعات ومحافل وشركات ملقَّبة باسم البنائين او فرامسون او باسم آخر اخذت وتتخذ تنتشر وتمتدّ كلَّ يوم في بعض الانحاء وامر كل المسيحيين فرداً فرداً تحت القصاص بالحرم بذات الفعل بدون اعلان آخر مع حفظ الحلّ عنهُ للحبر الروماني وحدهُ المالك وتتخذ ما عدا ساعة الموت بألَّا يتجرأ احد او يتجاسر على الاشتراك بتلك الجمعيات او يدخلها او ينشرها او يعضدها او يقبلها او يخفيها او يكتب فيها او يحضرها وما اشبه ذلك كما هو مصرَّح بالتفصيل في الرسائل المذكورة التي فحواها كما يأتي (وهنا نصّ المنشور السابق)

وبما انه كما بلغنا يوجد بعض من يزعمون دون ارتياب ويجاهرون به علانيةً بقولهم انَّ ذاك قصاص الحرم الذي ابرزهُ سالفنا قد بطل من بعدهِ وانهُ لم يتثبت بسلطتنا كأن تثبيت الاحبار التابعين واجبٌ صريحاً لتوطيد المناشير الرسوليَّة المبرزة من سلفائهم . وبما ان بعضاً من اتقياء الناس الخائفين من الله رغبوا الينا وبيَّنوا انهُ

لَفيد جدًا لحسم مواربات المُتفيهقين بأسرها ان نوضح مطابقة ارادتنا ونيَّتنا لإرادة ونيَّة سالفنا فنوليهُ قوَّةً جديدة

فنحن اذن ولو كنَّا اوضحنا جليًّا نيَّتنا هذه غير مرَّة اذ منحنا بحلم لكثيرين من المؤمنين بالمسيح الحلّ عن الحرم الذي سقطوا فيهِ بمخالفتهم رسوم هذا المنشور بعد ان ندموا وتابوا حقًّا ورجعوا تمامًا عن مثل هذه الاخويَّات والجمعيَّات المحرَّمة وقصدوا عدم الرجوع اليها في المستقبل وفعلنا ذلك مرارًا لاسيَّما سنة اليوبيل العام الماضي حيث فوَّضنا الى معلّمي الاعتراف المرتّبين منَّا ان يمنحوا الحلّ باسمنا وسلطاننا لهؤلاء التائبين الذين يلتجئون اليهم

ثمَّ لم نتقاعد عن بذل الجدّ والاهتمام بكل حرص وتيقُّظ بان يُجرى الحكمُ من القُضاة والمحاكم ضد مخالفي المنشور السابق ذكرهُ . فبهذه الامور ونظائرها قد اعطينا براهين صادقة عن نيَّتنا خالية من كل ريب واثبتنا ارادتنا المطلقة نظرًا الى قوَّة التأديب وفاعليَّتهِ كما حتم بهِ سالفنا اكليمنضوس السابق ذكرهُ غير مبالين بما اشاعهُ بعض الناس بحقّنا اذ نحتقرهُ بطمأنينة ونترك دعوتنا لحكم الله العادل القادر على كل شيء مترنمين بتلك الالفاظ التي كانت تُتلى قديمًا في الخدمة الالهيَّة كما يُروى في القنداق القديم المنسوب الى سالفنا القديس جلاسيوس المطبوع بهمَّة الكردينال يوسف ماريًا توماسينو الموقَّر في القدَّاس الذي يقال ضدّ الثالبين وهي هذه « نسألك يا ربّ ان تمنحنا بألَّا نتزعزع من تمويهات عقول الاشرار بل بعد ان نطأ النفاق نتوسَّل اليك بألَّا تسمح ان نرهب الثالب الظالمة ولا نتمرقل بالتمليقات الخادعة بل بالحري ان نحبّ ما تأمر بهِ »

ولكن لئلَّا يقال انَّنا قد اهملنا شيئًا ما يعدم صواب ممَّا كان يمكنًا بسهولة ان نقطع بهِ اسباب المثالب الكاذبة ونسدّ افواه المتشدّقين فبعد ان استمعنا مشورة اخوتنا الموقرين كردينالية الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة قد حتمنا وحكمنا معًا بأن نثبت باسطرنا هذه منشور سالفنا المورود منا سابقًا حرفًا حرفًا وبنوعٍ خصوصي بحيث يُحسب اكثر اتساعًا وفاعليَّةً من الجميع . كما انَّنا نثبتهُ ونوطدهُ ونجدّدهُ . ثمَّ نريد ونحتم عن معرفةٍ تامَّة وبملء سلطاننا الرسولي وبموجب هذه الاسطر الحاضرة ان تكون لهُ القوَّة والفاعليَّة الدائمة في كلّ شيء ولاجل كلّ شيء كانهُ قد برز منَّا اوَّلًا

بانعطاف خصوصي وبسلطاننا وباسمنا . وفيما بين الاسباب الثقيلة جداً الموجبة للتحريم والرذل الواردة في المنشور السابق ما يأتي :

(اولاً) الاتحاد في هذه الاخويات والجمعيات بين اناس من كلّ ديانة وشيعة . ومن هذا يتّضح بالكفاية كم من الاضرار الجسيمة يمكن ان تحدث للديانة الكاثوليكيّة

(ثانياً) ارتباط اصحاب تلك الجمعيات بالسرّ العميق لاخفاء ما يجري بينهم من الامور . بحيث يجوز ان يُقال في تلك الشركات ما نقلهُ في دعوة اخرى مختلفة جداً شيشيليوس ناطاليس عن مينوكيوس فيلكس : « انّ الاشياء الحميدة تُسرّ بالاشتهار واما القبيحة فترغب الاستتار »

(ثالثاً) القسَم الذي يلزمون بهِ ذواتهم لحفظ هذا السرّ بدون انثلام كأنهُ يُباح لكل انسان ان يعفي ذاتهُ بحجّة اي وعدٍ وحلفٍ كان من وجوب كشف كلّ شيء متى سُئل من السلطان الشرعي عمّا تلزم معرفتهُ . كما لو سُئل اعضاء هذه الجمعيات هل يصير فيها شيء يضادّ الديانة وراحة العموم والشرائع

(رابعاً) انّ هذه الاخويات لا تضادّ فقط الشرائع الدينيّة بل والقانونيّة ايضاً لأنّ الناموس المدني يحرّم كلّ الاجتماعات والاشتراكات ما عدا تلك التي تلتئم باذن السلطة العلنيّة كما ورد في الحقّ القانوني في باب الجمعيات والالتئامات المحرّمة (ك ١١ ف ٢٢ ع ٧) او كما هو مذكور في الرسالة السابعة والتسعين من الكتاب العاشر لكايوس بلينيوس شيشيليوس يكُندوس حيث يقال : « انهُ لمحرّم بأمرٍ ملكيّ ان تصير اجتماعات واخويات بدون اذن الملك »

(خامساً) انّ هذه الاخويات والجمعيات قد حُرّمت واستُنصلت من اقاليم كثيرة بواسطة شرائع الحكّام المدنيين

(سادساً واخيراً) انّ لهذه الاخويات والجمعيات سمعة رديئة عند الناس الاتقياء ذوي الحكمة . وعلى رأيهم انّ كلّ من ينضمّ اليها يسقط في وهدة النفاق القبيح والاثم الفظيع . ومن ثمّ قد حرّض سالفنا نفسهُ في منشوره المذكور كلّ الاساقفة والرؤساء وباقي مقدّمي الاماكن الاعتياديين بان لا يتقعّدوا عن الالتجاء الى مساعدة السلطة العالميّة إنْ أحوج الامر لإتمام كلّ ما مرّ ذكرهُ

فهذه الامور جميعها لسنا نثبتها ونؤكدها إجمالاً وإفراداً فقط ونحث ونحرض ونأمر بحفظها الرؤساء الكنائسيين اجمعهم على السواء بل نحن ايضاً انفسنا بموجب وظيفة الاهتمام الرسولي المقلد لنا نستغيث بأسطرنا هذه ونطلب بكل إلحاح من الملوك الكاثوليكيين وباقي السلطات العالمية معونةً واسعافاً لتبلغ المراسيم السابقة مفعولها لأنَّ الله قد اختار الملوك العظماء والسلطات الزمنية لينصروا الايمان ويحموا الكنيسة

وبناء عليه يجب ان يسموا باحوال الامة وطرائق مناسبة لتنال هذه المناشير الرسولية ما يحق لها من الاذعان والاكرام وتُحفظ حفظاً تاماً كما اشار به اليهم المجمع التريدنتيني في الرأس العشرين من الجلسة الخامسة والعشرين وكما اوضحهُ منذ زمن قليل بكلّ جلاء السلطان كرلوس الكبير (الخامس) في الرأس الثاني من شرائعهِ حيث اردف قائلاً بعد ان اوصى كلّ الخاضعين لملكهِ بحفظ التحديدات الكنائسيَّة: «لا يمكننا ان نفهم كيف يستطيع الذين لا يحافظون على الامانة نحو الله ويعصون كهنتهُ ان يكونوا امناء في حقنا». ولهذا امر كلّ حكام المقاطعات ووزراءهُ ايضاً بان يلزموا الجميع عموماً وخصوصاً بان يقدّموا الطاعة الواجبة لشرائع الكنيسة ورتّب عقوبات صارمة ضدّ الذين يتهاونون بتتميم ذلك ثمّ استتلى كلامهُ قائلاً: فليعلم الذين يستخفُّون بهذه الاوامر لا يسمح الله او يعارضونها انهم يُحرمون من المناصب في مملكتنا ولو كانوا اولادنا ولا يكون لهم محلّ في بلاطنا ولا منادمة معنا ولا اشتراك مع خاصّتنا بل سيقاصُون بشدَّة وصرامة»

ثمَّ نريد ان يكون لهذه الاسطر الحاضرة خطأً كانت او طبعاً اذا كانت ممضاة من احد القضاة ومسجَّلة بختم شخص ذي وظيفة كنائسيَّة ذاك التصديق عينهُ الذي للاسطر الاصليَّة متى تقدَّمت او عُرضت

فلا يُسمح اذن لاحد من البشر ان يقاوم بجرأة او يضادّ بجسارة اسطر تثبيتنا هذا وتحديدنا وتفويضنا واستغاثتنا والتجائنا وحَتْمنا وارادتنا . وان تجرأ احد على ذلك متجاسراً فليعلم متحققاً انهُ يسقط تحت رجز الله القادر على كلّ شيء وغضب الرسولين الطوباويين بطرس وبولس

أُعطي في رومية بجذاء كنيسة القديسة مريم الكبرى سنة التجسُّد الالهيّ ١٧٥١ في الخامس عشر من حزيران من السنة الحادية عشرة لحبريَّتنا

مكان + الختم

التصوير الشمسي المُلوَّن

للاب رفائيل نخله اليسوعي

أدّى التصوير الشمسي المعتاد في كل مجالي الحياة الاجتماعية خدماً تُذكر فتُشكر واكثرها معروف من العامّة فضلاً عن الخاصّة فلا حاجة لسردها في هذه المقالة بل نزيد هنا الاشارة السريعة الى ما عاق بذلك التصوير من الشوائب وشرح الطريقتين المُثليَين اللتين اخترعهما شخصان تفتخر فرنسة بعلومهما واعمالهما لاستدراك هذه النقائص

خلق الباريءُ عزَّ وجلَّ العين البشرية ليس فقط للتمتع باشكال الاشياء من طويل وقصير وفسيح وضيّق وعالٍ ومنخفض ومجوّف ومحدّب الى غير ذلك مما يستطيع العميان في كثير من الاحوال معرفته بحاسّة اللمس. بل على الاخص للتنعُّم بمشاهدة الالوان البديعة التي جعلها الخلّاق العظيم من اجمل حُلى الطبيعة ولم يكشفها لغير الباصرين فيصحّ القول ان مميّزة حاسة البصر هي الاحساس بالالوان ليس بالاشكال

ولعمري لولا زرقة السماء الناصعة وزرقة البحار النيلجيّة وخضرة الحقول والغابات وبياض ثلوج الشتاء وصفرة اوراق الشجر في الخريف واحمرار الشمس في الصيف وامتزاج كل تلك الالوان في مئات من الصبغات الظريفة الفتّانة بازاهر الربيع وفراشه. لولا كل تلك المحاسن الآخذة بمجامع الانظار والقلوب لأصبحت أرضنا هذه كعروس عاطل بل تعرّت عن جمال محيّاها الرائع او كادت. لذلك لم يكتفِ اهل الفنون الجميلة ولاسيّما المصوّرون بان يرسموا بريشتهم الماهرة الرشيقة ما مثّل امامهم او انطبع في مخيلتهم من حسن الاشكال كالجبال الشامخة والاشجار الباسقة الوارفة الظلال والانهار الواسعة الخصبة الضفاف بل غمسوا تلك الريشة في كل الوان قوس قزح لتمثيل الالوان والهيئات معاً وعدم فصل ما جمعهُ الباريءُ في الطبيعة لنعيم العيون والقلوب

ومن نقائص التصوير الشمسي المعتاد انهُ كان عاجزاً عن تمثيل الالوان بسوى تفاوت الدرجات في إشباعهِ صبغات اللون الاسود او لون آخر مُفرد كالازرق او الاخضر. فلا بدع أنْ شحذ العلماء والخبراء قرائحهم لسدّ ثلمة ذلك التصوير وتمكينهِ من رسم كل

الالوان كما هي في الطبيعة في الاشياء والاشخاص . وها نحن الآن نبسط الكلام في خير الطرق التي اخترعت من نحو خمسين سنة لبلوغ تلك الغاية

١ طريقة الاستاذ لبمان (Lippmann)

صاحب هذه الطريقة هو احد الاساتذة في كلية العلوم بباريس الاستاذ لبمان الشهير باختراعاته واكتشافاته العديدة وقد توفي من بضعة اشهر مأسوفاً عليه . وطريقته لا تختلف عن التصوير الشمسي المعتاد الا بالميزات الآتية : ينبغي ان تكون الصفيحة الحساسة شديدة الشفوف وعارية عن ادق الحبوب المتكونة عادة على سطح المادة الحساسة . حتى اذا صُوّب المجهر نفسهُ (او المكرسكوب) الى صفيحة لبمان لم يرَ عليها ادنى حبّ او خشونة بل رآها على غاية الصقل . ومتى رُكزت هذه الصفيحة عمودياً في آلة التصوير صُبّ الزئبق على كل مساحة ظهرها العاري عن المادة الحساسة . عندئذ تُفتح الآلة كجاري العادة لتصوير ما تشاء . ثم تُفرَّغ من الزئبق واخيراً تُسحب منها صفيحة لبمان وتُعالج المعالجة الكيماوية المعتادة . فمتى انتهت هذه وجفت الصفيحة رأيتَ على سطحها الحساس كل اشكال الشيء المصوَّر والوانهُ الطبيعية بشرط ان تمسكها عمودياً وتنظر اليها في نور الشمس ليس في ضوء اصطناعي . ولعلَّ القارئ المعجب بسهولة هذه الطريقة يسألنا ما عسى ان يكون سرُّها ؟ . انه ليسهل علينا شرح ذلك السر الغامض على اسلوب علمي محض لا غبار عليهُ انما ذلك يفضي بنا الى مباحث طويلة عسيرة لا تروق لمطالعي هذه المقالة . فلا مندوحة لنا والحالة هذه من الاكتفاء بالاشارة الى مبدإ طريقة لبمان لتصوير الالوان

قلنا انَّ مادَّة صفيحة لبمان الحساسة غاية في الشفوف فاذا ورد الى تلك الصفيحة شعاع نور من الصورة الخارجة نفذ كثافةَ تلك المادَّة الحساسة في احدى نقطها لكنهُ ينعكس راجعاً عودهُ على بدئهِ دون ان يجتاز الى ظهر الصحيفة بسبب الزئبق الذي يُطلى بهِ ذلك الوجه فيرجع اذن الى صورتهِ الخارجيَّة بالطريق التي جاء منها . وفي اثناء ذلك الذهاب والاياب الذي يحدث بسرعة النور — وهي ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية كما لا يخفى — يحلّل الشعاعُ المذكور المادَّةَ الحساسة

على انَّ كثافة تلك المادَّة لا يتحلَّل منها الا ما يبلغ اليهِ النور فتوجد طبقات

من الفضّة الناتجة عن ذلك التحليل يتخلّلها طبقات من المادة الحساسة الباقية بدون تحليل . وتبقى المسافة بين كل طبقة من النوع الاول وجارتها من الثاني بدون تغيير في كل كثافة المادّة الحساسة حيث عبّرَ شعاعٌ ذو لون معلوم مثلاً شعاع احمر لكنها تزيد او تنقص في كل نقطة من المادة الحساسة بحسب لون الشعاع الوارد اليها . فأقصرُ ما يكون البونُ الفاصل بين الطبقات الفضّية او المحلّلة وغيرها في اللون البنفسجي . واطول ما يكون في الاحمر . وطوله المتوسّط في الاصفر حيث يبلغ ٠٠٠

التي حللها النور لشكال تلك الصورة الخارجة والوانها الطبيعية

ولو اتسع بنا المقام لبرهنا القارئ على كون الالوان المتنوعة والمتغيرة التي نشاهدها في عرق اللؤلؤ (nacre) وفقاقيع رغاوة الصابون بتأثير نور النهار مسببة ايضاً عن علة شبيهة جداً بالتي تلوّن صفيحة لبان بالوان الشيء المصوَّر

لكنّه مع ما صادفته طريقة الاستاذ الفرنسوي المخترعة سنة ١٨٩١ من الرواج في دوائر العلماء فانها بقيت خارجاً عن المقامات العملية ولاسيما الصناعية . واسباب الكساد عديدة نكتفي بذكر اهمها : ١ً صفائح لبان غالية بسبب اتقان صقلها وخلو سطحها من ادق النتوء — ٢ً مدة عرضها لاشعة الشيء المصوَّر تبلغ بضع دقائق في نور الشمس وذلك وقت طويل جداً بالنسبة الى التصوير المعتاد فهذا فجائي تقريباً — ٣ً لا يمكن ازالة بعض شوائب الصورة الملوّنة كما يسهل ذلك في الصور الشمسية غير الملونة — ٤ً اخيراً لم يتوصل لبان الى نقل صور صفائحه الملونة على الورق فتبقى كل صورة مفردة غير قابلة للتمثيل المتعدد . ويلوح لنا ان هذا النقص الاخير هو اعظم نقائص طريقة لبان الذي حال دون انتشارها وتعميمها في الثلاثين سنة المنقضية منذ اختراعها . ومع ذلك فاننا لا ننكر البتة فضل الاستاذ الفرنسوي بل نقرّ له بطول الباع في علم النور وبُعد النظر وعلو الهمة في تسخير مبادئه الراهنة للتصوير الملون

٢ طريقة لوميار

توفّق لوميار (Lumière) الطائر الصيت بابداع السينماتغراف من نحو عشر سنوات الى حل مشكل تصوير الالوان على اسلوب اكمل من طريقة لبان مع انه لم يتمكّن من تكثير الصور المأخوذة عن صحيفة واحدة كما يجري ذلك في التصوير الشمسي المعتاد

لا يندّ عن ذهنك ايها القارئ اللبيب إمكان صوغ كل الالوان بل كل صبغاتها المتعددة بواسطة مزيج معلوم من ثلاثة الوان تُدعى جوهرية او اساسية وهي مثلاً النارنجي والاخضر والبنفسجي . ذلك المبدأ المؤيد بالاختبار هو ركن طريقة لوميار . امّا الصفيحة الفوتغرافيّة التي اخترعها فهي عبارة عن لوح من الزجاج المعتاد على احد وجهيه طبقة من جيلاتينو برومور الفضة (gélatino-bromure d'argent) وعلى كل مساحة هذه الطبقة الملاصقة الزجاج قد نُثرت آلاف مؤلفة من حبوب نشويّة

المادّة شفافة يبلغ قطر كل منها نحو $\frac{1}{100}$ من الميلمتر بعضهـا نارنجي اللون والبعض اخضر والباقي بنفسجي على شرط ان تمتزج هذه الالوان الثلاثة امتزاجاً كلياً في كل نقط طبقة الجيلاتينو برومور

ففي حين التصوير تُـدار الجهة المجرَّدة من الحبوب والجيـلاتينو برومور من صفيحة لوميار الى الشيء المراد تصويره . فلنرَ الآن ماذا يحدث بعد معالجة هذه الصحيفة في المغاطس الكيماوية . ولنفحص احدى النقط في الجهة المجرّدة من الصحيفة ندعوها لزيادة الوضوح النقطة ن أثّر فيها شعاعٌ اخضر مثـلاً فمن العجب العجاب أنّنا اذا عاينّاها في نور الشمس نراها ملوّنة ليس بالخضرة بل باللون الارجواني . وما سرُّ ذلك التغيير المدهش ؟ أمِل اليَّ سمعك ايها القارئ الذكيّ فلا تلبث ان تحيط به . ان الشعاع الاخضر الوارد من نقطة معلومة من الصورة الخارجة الى النقطة ن من صفيحة لوميـار اخترق لوح الزجاج وصادف خلفه مئاتٍ من الحبوب النشويّة منها النارنجية ومنها الخضراء ثم البنفسجية . قلنا «مئات من الحبوب» مع أنّنا نتكلم عن نقطة لا غير من الصفيحة لان تلك الحبوب ذات صغر مكروسكوبي كما سبقت الاشارة . فالشعاع الاخضر يجتاز بغاية السهولة الحبوب الخضراء ويحلّل من ورائها النقط المحاذية لها من المادة الحساسة وهي الجيلاتينو برومور فتصبح تلك النقط على اثر ذلـك التحليل والمعالجة التالية في المغاطس الكيماوية غير شفافة . والحالة هذه فاذا صوّبنـا النظر الى النقطة ن من الصفيحة الفوتغرافية فالشعاع الاخضر الموجود في نور الشمس الابيض لا يستطيع الوصول الى عيننـا من النقطة ن بسبب عدم شفوف نقط المادة الحساسة التي وراء كل الحبوب الخضراء الملاصقة للنقطة ن . امّـا الشعاع النارنجي والشعاع البنفسجي الموجودان ايضاً في نور الشمس فانهما يصلان الى مقلتنا بعد عبور نقط المادّة الحساسة التي وراء كل الحبوب النارنجية والبنفسجية الملاصقة للنقطة ن . وسبب ذلـك ان تلك النقط من المادة الحساسة بقيت شفافة حيث لم يحللها الشعاع الاخضر الاصلي نعني الشعاع الوارد من احدى نقط الشيء المصوَّر الى النقطة ن .

ومتى امتزج في عيننا الشعاعان النارنجي والبنفسجي السابق ذكرهما تكوّن منهما اللون الارجواني ولذلك نرى النقطة ن ارجوانية كمـا اسلفنا . والارجواني يُسمّى في اصطلاح علماء الطبيعة اللون المُتمّ (complémentaire) للاخضر حيث ينتج من

جمعها اللون الابيض . وعلى وجه الاطلاق يقال ان لوناً مـا متمّ لآخر اذا نجم اللون لابيض من اتحادهما . فاذا فهمت شروحنا السابقة — ولا صعوبة فيها للقارئ المتأني المتنبه — اتضح ان كل نقطة من صفيحة لوميار تتلوّن على اثر العلاج الكيماوي المعتاد باللون المتمّ للون المقابل تلك النقطة في الشيء المصوَّر . فيلزم حينئذٍ معالجة الصحيفة علاجاً آخر لاستعادة الالوان الطبيعية . وخلاصة هذا العلاج ان تُزال المادة الحساسة في النقط التي فقدت فيها شفوفها على اثر تحليلها بتأثير الاشعة الواصلة اليها . يُنال ذلك بغطس صفيحة لوميار في محلول برمنغانات البوتاس (permanganate de potasse) الممزوج بقليل من الحامض السلفوريك . ثم تُعرض الصفيحة لنور الشمس . فلنرَ الان تأثير هذا النور على النقطة ن

الشعاع البنفسجي والشعاع النارنجي المحتويان في نور الشمس يجتازان بكل سهولة الحبوب التي من لونهما وراء النقطة ن ثم يحلّلان خلف تلك الحبوب المادّة الحساسة فيُفقدانها شفوفها — امّا الشعاع الاخضر المحتوى ايضاً في نور الشمس فهو لا يستطيع مثل ذلك التحليل لانّ المادة الحساسة الواقعة وراء الحبوب الخضراء قد أُزيلت في محلول برمنغانات البوتاس السابق الذكر

فيترتب على ذلك اننا اذا صوّبنا الآن نظرنا الى النقطة ن رأيناها خضراء كالنقطة المقابلة لها في الشيء المصوَّر لان الشعاع الاخضر وحده يستطيع الوصول الى عيننا بعد عبور نقط شفّافة من المادة الحساسة . وعلى هذا النمط نرى كل نقطة من صفيحة لوميار ملوّنة بذات اللون الذي يقابلها في الشيء المصوَّر

ان طريقة لوميار المخترعة من نحو عشر سنوات فاقت برواجها كل ما سبقها من طرق التصوير الملوّن ولاسيما طريقة الاستاذ ليبان التي كادت تنحصر في الدوائر العلمية . وسبب ذلك ان للاولى على الثانية مزايا هامّة من الوجهة العملية وهي عدم الاحتياج الى الزئبق الشديد الغلوّ والمثقّل كثيراً لآلة التصوير — ثم سرعة التصوير تكاد تبلغ سرعة التصوير المعتاد — وزد على ذلك ان صفائح لوميار بعد انتهاء معالجاتها الكيماوية تكون ملوّنة في حدّ ذاتها بسبب حبوبها المثلثة الالوان (راجع شرحنا السابق) . اما صفائح ليبان فليست ملوّنة في حدّ ذاتها بل تراها عيننا ملوّنة بسبب تحليلها لنور الشمس الابيض الوارد منها الى مقلتنا

وعلى كل حال فكلتا الطريقتين لا تمكّن كما اسلفنا من تكثير الصور المأخوذة عن صفيحة واحدة على الورق النوتغرافي. وبسبب ذلك النقص العظيم نرى حتى يومنا طريقة لومبار هذه قليلة الرواج رغماً من كمالها النسبي . والله المسؤول ان يهدي ذوي القرائح الوقّادة الى سدّ هذا الخلل الجوهري في المستقبل العاجل

المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

نسل الانسان واصلهُ

انَّ مسئلة اصل الانسان ذات شأن عظيم ولذلك لا بُدَّ من فحصها فحصاً منفرداً مدقّقاً . انَّ دروين في كتابهِ الاوّل المعنون «بأصل الانواع» لم يتعرَّض للبحث عن اصل الانسان قلّما شاع كتابهُ وتذهب بمذهبهِ بعض تلامذتهِ فتجاوزوا حدودهُ واطلقوا رأيهُ على نسب الانسان حذا هو ايضاً حذوهم وانتمى الى قولهم بعد اثنتي عشرة سنة في كتابهِ «اصل الانسان» وزعم على مثالهم انَّ الانسان بلغ الى حالتهِ من العقل والنطق بمدى الدهور بعد ان مرَّ بسلسلة تحوُّلات عديدة وترقّى بالتدرُّج من البهيمة الى حيوان ناطق . ويعلّل ذلك بستَّة ادلّة هي كما ترى :

١ انَّ بين الانسان وبين ذوات الاثدي من الحيوان شبهاً عظيماً من حيث تركيب الجسم والصورة العموميَّة ففي كليهما مشابهة في العظام والاعصاب والعضلات ومجاري الدم والاحشاء حتَّى المخ

٢ يستطيع الحيوان ان يُعدي الانسان بعدَّة امراض واوبئة كما انَّ الانسان على عكس ذلك يمكنهُ ان يُعدي الحيوان كما ترى مثلاً في الكَلَب . وهذا دليل على شبه دمهما

٣ انَّ بعض الحيوان يأنس بما يأنس بهِ الانسان كالقرد مثلاً الذي يستطعم القهوة والشاي والتبغ والاشربة الروحية وبهِ يثبت انَّ لكليهما ذوقاً واحداً ومعدة متشابهة

وعلى كل حال فكلتا الطريقتين لا تمكّن كما اسلفنا من تكثير الصور المأخوذة عن صفيحة واحدة على الورق النوتغرافي. وبسبب ذلك النقص العظيم نرى حتى يومنا طريقة لومبار هذه قليلة الرواج رغماً من كمالها النسبي . والله المسؤول ان يهدي ذوي القرائح الوقّادة الى سدّ هذا الخلل الجوهري في المستقبل العاجل

المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

نسل الانسان واصلهُ

انَّ مسئلة اصل الانسان ذات شأن عظيم ولذلك لا بُدَّ من فحصها فحصاً منفرداً مدقّقاً . انَّ دروين في كتابهِ الاوّل المعنون «بأصل الانواع» لم يتعرَّض للبحث عن اصل الانسان قلّما شاع كتابهُ وتذهب بمذهبهِ بعض تلامذتهِ فتجاوزوا حدودهُ واطلقوا رأيهُ على نسب الانسان حذا هو ايضاً حذوهم وانتمى الى قولهم بعد اثنتي عشرة سنة في كتابهِ «اصل الانسان» وزعم على مثالهم انَّ الانسان بلغ الى حالتهِ من العقل والنطق بمدى الدهور بعد ان مرَّ بسلسلة تحوُّلات عديدة وترقّى بالتدرُّج من البهيمة الى حيوان ناطق . ويعلّل ذلك بستَّة ادلّة هي كما ترى :

١ انَّ بين الانسان وبين ذوات الاثدي من الحيوان شبهاً عظيماً من حيث تركيب الجسم والصورة العموميَّة ففي كليهما مشابهة في العظام والاعصاب والعضلات ومجاري الدم والاحشاء حتَّى المخ

٢ يستطيع الحيوان ان يُعدي الانسان بعدَّة امراض واوبئة كما انَّ الانسان على عكس ذلك يمكنهُ ان يُعدي الحيوان كما ترى مثلاً في الكَلَب . وهذا دليل على شبه دمهما

٣ انَّ بعض الحيوان يأنس بما يأنس بهِ الانسان كالقرد مثلاً الذي يستطعم القهوة والشاي والتبغ والاشربة الروحية وبهِ يثبت انَّ لكليهما ذوقاً واحداً ومعدة متشابهة

٤ يرعى اجسامَ ذوات الاثدي الكبرى والبشر عدّةُ حشرات متطفّلة تتشابه جنساً ان لم تتشابه نوعاً

٥ انَّ النطفة البشريّة ونطفة الحيوان في بعض تطوُّرهما كأجنّةٍ في بطن الامّهات لا تكادان تختلفان صورةً ومادّةً . وهذا الامر يعدُّهُ الدرويتيّون كاحد الامور الجوهريّة في تأييد مذهبهم

٦ انَّ لكلّ ذوات الثدي وفي جملتها الانسان في بعض انحاء اجسامها الخارجة او الباطنة شيئاً من الاعضاء الأثريّة الدالّة على انّها امّا بقايا بعض الاجهزة التي بطل استعمالها قبل تطوُّر اصنافها وامّا هي اعضاء جديدة سوف تقوى وتبلغ يوماً كمالها

هذه هي الادلّة التي استند اليها دروين وفيها من ظواهر الحقيقة ما لعلّهُ يؤثّر في عقول البسطاء ويدفعهم الى الانضواء الى رأيهِ في اصل الانسان فدَعْنا نسبر بميار العقل هذه الادلّة ونبحث عن حقيقتها الوهميّة فنقول :

انَّ الادلّة الاولى الاربعة تعود الى دليل واحد لا غير لأنَّ من الدليل الاوّل تشتقّ الادلّة الثلثة التالية ويمكننا تفنيدها بهذا الجواب الاجمالي : ان كان الله عزّ وجلّ قد شاء بعنايتهِ ان يكون جسم الانسان شبيهاً بصورة الحيوان من حيث هيكلهِ ومشاعرهِ واجهزتهِ فبديهيٌّ انَّهُ اراد ايضاً ان يكون التشابه في الدم والاحشاء والمعدة الخ كما اراد ايضاً ان يكون بينهما تشابه في الامراض والذوق والحشرات المتطفّلة . . .

امّا الدليل الخامس فلا نتّسع بتفنيدهِ لأن ذلك من امور الاختصاصيين . على انّنا نستطيع القول بان هذا التشابه بين الاجنّة ليس هو ثابتاً لأنَّ هِكل لمّا حاول اثبات قولهِ في ذلك زوّر صور الاجنّة وبيّن العلماء كذبهُ وخداعهُ (المشرق ١٣ [١٩١٠] ٧١٩) — فلكي نجيب على دليليه الباقيين الاوّل والسادس ها نحن نبسط الكلام في تلك الاعضاء الاصليّة الاثريّة وفي التحوُّلات التي يزعم دروين انّها كانت المسبّبة لها ثمّ نعتبر الاختيار التناسليّ الذي يدّعي دروين انهُ اكبر عامل لتلك التحوُّلات والترقّيات واخيراً نبحث عن الشبه الموجود بين جسم الانسان وجسم الحيوان (١

١) النصوص التي ننقلها من دروين اخذناها عن الطبعة الثالثة من ترجمتها عن اصلها الانكليزيّ (الطبعة الثانية) بقلم المسيو ادمون بريه (Ed. Barbier)

١ الاعضاء الاثريّة ومذهب التحوّل

قال دروين : « لا مراء في انّ لكثير من الحيوان اعضاء غير تامّة البنية يمكن الاستدلال منها انّها موروثة من اجداد سابقين فضمرت وضعفت لقلّة الاستعمال. مثال ذلك ان لبعض ذوات الثدي كاصابع أثريّة تُرى في الكلب والحصان »

ونجد في الانسان نفسهِ بعض الاعضاء الخارجة او الباطنة الضامرة التي يتوهّم الناظر اليها انّها آثار لحالة سابقة وُجد فيها فمن ذلك تركيب الآذان والزغب المنتشر على الجسم والعاقم اي الفقرات في اسفل سلسلة الفقار. أليست هذه الآثار في الحيوان والانسان بقايا اعضاء اضحت اليوم دون جدوى وصورًا لأجهزة سابقة تمّت او لأجهزة مستقبلة سوف تتكوّن في الاجسام؟ والّا فما هي يا تُرى الفائدة من هذه الاعضاء الزائدة؟

قبل ان نجيب على اعتراض دروين في هذه الاعضاء الاثريّة المتمّمة او المتحوّلة على قولهِ دَعْنا نقدّم على ذلك ملحوظاً عموميًّا. الى اي شيْ يستند دروين واصحابهُ في زعمهم ان هذه الاعضاء الاثريّة موروثة من اجدادٍ سابقين وانّها قد تمّت بتمادي الزمان او انّها مبادئ اعضاء مستقبلة؟ اليس تفسيرهم هذا احد اوهامهم المحمولة على التخيّلات دون الوضعيّات المعهودة؟ فلو كان مذهب التحوّل مثبتاً بالبراهين المقنعة لأمكنهم ان يؤيّدوا تلك البراهين بهذه الادلّة . امّا ان يجعلوها اساس مذهبهم فذلك مخالف للنظريّات وللقياس المنطقي

ثمّ ان صحّ افتراضهم انّ تلك الاعضاء موروثة من الاجداد وجب عليهم ان يبيّنوا لايّ سبب بعد ضعفها وضمورها لم تبلغ القوى الطبيعيّةُ الى نفيها وملاشاتها مع انّهم ينسبون الى تلك القوى القدرة على توليد اعضاء جديدة. وكذلك افتراضهم انّ هذه الاعضاء الاثريّة هي اصول اعضاء سوف تكمل في المستقبل مبنيٌّ على الوهم اذ ينسبون الى الطبيعة العمياء العمل لغاية معلومة ومقصودة من سابق الازمنة وهذا يتجاوز طور المذهب الدروينيّ القائل بالانتخاب الطبيعي لأنّ العمل لغاية يدلّ على عقل فائق الطبيعة يرشدها الى تلك الغاية

ثمّ يمكننا القول مع بعض الكتبة انّ هذه الاعضاء التي نراها عقيمة دون جدوى

في حياة الانسان البالغ لا يُستبعَد انّها مفيدة للمولود في طور حياتهِ كجنين في بطن امّهِ لأنَّ تلك الحياة سرٌّ غامضٌ لم يدرك العلماء حتّى الآن دقائقهُ

وقد اعترف دروين عينهُ في كتاباتهِ الاخيرة انهُ في تآليفهِ السابقة نسب الى الاختيار الطبيعيّ قوّةً زائدة قال (ص ٦٥ من كتابهِ في اصل الانسان) عن هذه الاعضاء الاثريّة : « انهُ لمن المحتمل كما يظهر لي اليوم انّ في تركيب كلّ الكائنات ذات الاجهزة الآلية ومن جملتها الانسان بعضَ الخواصّ التي ليس منها فائدة في الحاضر ولا في الازمنة السالفة ولا اهميّة لها فيزيولوجيّة »

هلمَّ بنا الان نتبع دروين في بعض تفاسيرهِ التي اخترعها لتعليل اصل تلك الاعضاء وما طرأ عليها من التقلُّبات وما بقي من آثارها . فمنّا ضربهُ مثلًا على ذلك الثُّندوتان الظاهرتان في صدر الذكور من ذوات الثدي فيزعم انّهما كانا في الاصل ثديَيْن كاملين كما في صدر النساء يرضعون بهما مثلهنَّ صغارَهم لكنَّ الذكور أهملوا ذلك وخصُّوهُ بالنساء فصغر في صدرهم حجمُ الثديين فأصبحا ثندوتَين . وهو تفسير عجيب لا اثر لهُ في علم الطبيعة وقد اتى بهِ صاحب المقتطف في بعض اعدادهِ

ومثلهُ قولًا وهميًّا في ثنايا الحيوانات المجترّة التي لا تُرى بين اسنانها وهي مع ذلك في مكانها تغطّيها اللّثة فيزعم دروين انّها اصلٌ لثنايا سوف تظهر يوماً في المستقبل

ويزعم — وهذا من باب المضحكات — انَّ الفَقَر اي الشَّعَرات التي تُرى منبثّةً على بدن الانسان انّما كانت في اوّل الامر صوفاً يكسو جسدَهُ كبقيّة الحيوانات . ومثلهُ تفكُّهاً قولهُ ان المآقم التي في اسفل سلسلة الفقرات كانت عَجْب ذنَبهِ الطويل كالحيوان

وان سألتَ دروين وكيف حصلت هذه التحوُّلات فانّهُ يأتي بأجوبة تُضحك الثكلى وهو يعدُّها كأجوبة مقنعة . فاسمع كيف فقد الانسان صوفهُ الذي كان يوشّح جسمهُ . ظنّ دروين بادئ بدء انَّ ذلك لربّما حصل بفعل الشمس او بتأثير الامكنة التي استوطنها . ثمَّ حدَسَ بانَّ الانسان الاوّل رأى صوفهُ مأوى للحشرات الصغرى فنبذ ذلك الصوف . وفي آخر الامر ارتأى انَّ الامر حَصل بنتف ذلك الصوف من الجسم لاسيّما المرأة التي حاولت جرْدَ جسدها تنظُّفاً ورغداً فجاء نسلها منتوف الشعر مسحوج الجلد

ومن مضحكات دروين ومبكياته شرحهُ لفقد الانسان ذنبهُ قال (ص ٦) :
« على ما يظهر لنا ان الانسان كما القرود الشبيهة به قد فقد ذنبهُ بالاحتكاك او بالجروح التي تعرَّضت لهُ بما لا يُحصى من الدهور . ثمَّ انَّ عَجب الذنب صَغُر وتضاءل في البدن فدقَّ حجمهُ وتغيَّرت هيئتهُ ليصبح مُناسباً لانتصاب القامة في الانسان او لنصف انتصابها في القرد »

ولعلَّك تتصدَّى لدروين وتقول لهُ : ان كان الاحتكاك او السَّحج قد كفيا لازالة ذَنب الانسان فكيف ثبت الذَنب في الكلاب والهِرَرة وكلاهما يقعد عليهِ غالباً ؟ فمن اين الاختلاف ؟

وعلى رأي دروين ان طيَّاتِ الآذان وغُضونَها الخارجة الصَّدَفيَّة الشكل هي اعضاء اثريَّة كانت سابقاً طويلةً متطرِّفة وذات حركة كالحيوان فأُصيبت بأذًى ما فقصرت واصبحت ساكنة اخفَّ سمعاً من البهيمة

وكذلك الشمّ فانَّ الانسان فقد شيئاً من حدَّتهِ التي تُرى في البهائم . وذلك على قول دروين لأن الحيوان في غاية الحاجة الى حاسَّة الشمّ ليُرهق صيدهُ وليتَّقي عدوَّهُ وان سألت دروين : وما سبب ضعف هذه الحاسَّة في الانسان ؟ اجابك : لأنها اقلّ فائدةً لهُ . يا للجواب المضحك ! وكيف تزعم ان القوَّة الشامَّة اقلّ فائدةً للانسان وانت تفترض الانسان في فطرتهِ الطبيعيَّة أنما كان اليها في حاجة ماسَّة لطلب قوتهِ ولادراك رائحة عدوّهِ ؟ . ألا ترى انك تجعل الانسان ادنى من الكلاب التي امتازت بشمّها العجيب بل ادنى من كلّ الحيوانات التي تميّز بشامَّتها قوتها فتختار صالحهُ وتحيد عن ضارّهِ ؟

وان شئتَ ان تعلم كيف يشرح دروين انتصاب الانسان على رجليهِ على خلاف الحيوانات الدابَّة فأَصغِ سمعك الى هذه الفكاهة الجديدة قال :

« رأى الانسان انهُ لا يقوى على السَّيطرة الَّا اذا استعان بيديهِ واتَّخذهما كآلتين توافقانهِ مذعنتَيْن لإرادتهِ . . . على ان ذلك ما كان ليتسنَّى لهُ الَّا ان يخصّ يديهِ باعمال تمرينيَّة كإعداد الاسلحة ورمي الحجارة ورشق السهام الخ . وذلك كلّهُ كان يستدعي ان يلقي بثقل جسمهِ على ساقيهِ ورجليهِ . . . وناهيك بهذا السبب تعليلاً لاختيار الانسان لانتصاب قامتهِ . ولكن يوجد اعمال كثيرة اخرى تضطرّ الانسان الى تحرير ذراعيهِ وتهيئة صدرهِ واعلى جسمهِ

ليستقرّ على رجليهِ ثابتًا . ولكي ينال هذه الغاية المرغوبة قد انبسطت رجلاهُ وانتصبا ثمَّ تغيَّرت صورة ابهام الرجل فلم يعد يستطيع الانسان ان يقبض برجلهِ شيئًا »

فيا لها من شروح عجيبة غريبة بل من سفاسف تافهة ! كيف أمكن دروين ان يعرضها على قرّائهِ بلا مزاح ! فانهُ اعتبر الانسان كقردٍ اوسع فهماً من رصفائهِ فخصَّ نفسهُ باعمالٍ دقيقة أدَّت بهِ الى ان يمشي منتصباً . فكم هناك من المستحيلات التي رضي بها دروين دون ان يسندها الى سبب معقول . وما لهُ لا يثبت صحَّة قولهِ بتربية صغار القرود لتفوز كأسلافها بمزايا البشر كما فعل بعض المتوسّين في هذه السنين الاخيرة فما ادَّت مساعيهم الّا الى الفشل والخيبة وربما عرَّضوا نفوسهم الى شراسة اولئك الحيوانات الكريهة كما حدث لملك اليونان الذي ذهب ضحيَّة موانستهِ لقردهِ

ولعلَّك تريد ان تقف على الحلقات التي وجدها دروين ليثبت تناسل الانسان من القرد . وقبل كلٍّ يجب ان نروي اقرارهُ بانهُ حتَّى اليوم لم يمكن احدًا ان يبيّن وجود حلقةٍ تجمع بين العاقل وغير العاقل فانهُ يكرّر ذلك غير مرّة . قال (ص ١٥٨) : « انَّ الانسان يتناسل من جنس ادنى من جنسهِ ولو لم نقف حتَّى الآن على الوصلة الجامعة بينهما » . وقال (ص ١٧٠) : « انَّ بين الانسان والنسل السابق الذي تفرَّع منهُ هاوةً عظيمة لم يمكنَّا بيان الجسر الجامع بينهما سواء كان بين الحيوانات المعروفة حاضرًا او البائدة سابقاً »

ومع اقرار دروين بهذه الحقائق تراهُ يتنطَّع في كلامهِ ويتفيهق ويزعم انَّ الانسان من احد اجناس القرود المفقودة والقرودَ من جنس حيوانات موجودة في جزيرة مدغسكار تُعرف باسم ليموريان (Lémurien) وانَّ الليموريان من جنس المرسوبيو (Marsupiaux) المختصَّة بكيس في صدرها تأوي اليهِ صغارها . وهؤلاء ينتمون الى حيوانات في اوستراليا تدعى مونوترام (Monotrème) وينزل منها الى الاسماك ثمَّ الى دعاميص الضفادع . والدليل على انَّ اصل الانسان الاوَّل من مولودات بحريَّة تأثير القمر في جسمهِ كما يؤثر في مياه البحر وحيوانهِ بالمدّ والجزر . زهّ ! زهّ !

فالى هذه الدرجة من الخرافات والترّهات يبلغ بعض العقلاء اذ يصمُّون آذانهم دون صوت الوحي ففي كلّ بيداء يهيمون . واذا عجزوا عن فكّ الاعتراضات التي يقدّمها لهم خصومهم لا يجيبون بغير تكرار اعتقادهم بمذهب التحوُّل والترقي

فيطلبون من مشايعيهم ان يذعنوا الى كلامهم ويتبعوهُ مطيعين لحكمهم طاعةً عمياء.

وربَّ سائل يسأل ان كان دروين متشبثاً بمذهبهِ هذا المنافي للحقائق الثابتة فما كان يا تُرى معتقدهُ في آخر حياتهِ عن وجود الخالق وخلود النفس وعن وحدة او كثرة النوع البشري؟

لا شكَّ في ان دروين قرَّر دون تردُّد وحدة جنس الانسان مع اعترافهِ بصنوفهِ المختلفة كما انَّ للنوع الواحد من الحيوان ضروباً مختلفة تدلُّ على اصلها الواحد ويثبت دروين رأيهُ بقولهِ (ص٦٦٠) «انَّ بين عناصر البشر المتباينة تشابهاً من وجوه شتَّى سواء كان في تركيب اجسامهم ام في خواصهم العقليَّة حتَّى انهُ لا يجوز مطلقاً ان ننسب تلك الخواص الى غير وحدة اصلهم واكتسابهم تلك المزايا بالوراثة»

ولعلَّك تسأل وكيف يوفق دروين بين عقيدة وجود الله الخالق ومزاعمهِ في ذاك الترقي الطبيعيّ في طبقات الحيوان من اوهامها الغريزيَّة الى النطق والادراك؟ هذا شيء لا يوضحهُ صريحاً وما لا ريب فيه انهُ يعتقد وجود الله ويعترف بهِ خالقاً. ومما يثبت قولنا ما نُقل عنهُ (ص ٩٩) اذ يُلقي على نفسهِ هذا السؤال الآتي: هل اعتقد الانسانُ بادئ بدء وجود الله؟ فقبل ان يجيب على هذا السؤال يروي اقوال بعض ارباب الاسفار عن شعوب همجية زعموا انَّ ليس في لغتهم كلمة للدلالة على الله (١ ثمَّ يردف دروين قائلاً: «ولا حاجة الى تنبيه القرَّاء على انَّ سؤالنا عن معتقد الانسان الاوَّل وبعض الشعوب بوجود الله يختلف عن سؤال آخر أعلى درجةً وارفع مقاماً اعني حقيقة وجودهِ تعالى التي اجمعت في كلّ الازمنة العقول النيِّرة على اثباتها بالايجاب»

كذلك قد صرَّح دروين عن اعتقادهِ لخلود النفس فمن جملة ما تفوَّه بهِ قولهُ (ص ٦٧١): «بديهيٌّ ان يتساءل ذاك الذي يرتاي ترقي الانسان من الحيوان كيف نوفق بين هذا الرأي مع خلود النفس؟... لكن أيَّة حاجةٍ لنا ان نعرف بتدقيق في أي زمن من اطوار حياتهِ يُضحي المولود خالداً سواء كان ذلك قبل ميلادهِ او بعدهُ. فليس في جهلنا ذلك في مسير حياتهِ الراقية ما يوجب القلق... وكما انَّ

١) قد فنَّد كثيرون من المرسلين الكاثوليك هذه الرواية وبيَّنوا اعتقاد أبعد الشعوب من الحضارة والتمدُّن بوجود الهٍ يدعونهُ باسماء مختلفة ويتصوَّرونهُ على صور شتَّى

عقلنا لا يستطيع تحديد زمن تطوُّر الانواع وتحوُّلها من طبقةٍ الى اخرى كذلك في حياة الافراد ظواهر متعدّدة يعسر علينا تميز خفاياها ولا يرضى العقل بنسبتها الى مفعول قوّة عمياء »

فهذا كلام لا يمكن تفسيرهُ الّا بان يقال انّ للخالق عزّ وجلّ فعلهُ الخاص في اطوار حياة الانسان وانهُ هو الذي يمنح النفس البشريّة خلودها وان كنّا نجهل بالتدقيق في اي زمن من حياتهِ ينال الولد تلك النفس الخالدة

فهذه النصوص التي رويناها لدروين تبيّن انّهُ في اواخر حياتهِ ثبت على اعتقادهِ بوجودهِ تعالى وبخلود النفس وانهُ لم يجنح الى مذهب الماديين وان كان اتّسع في رأيهِ عن تحوُّل الانواع وترقّيها وبلغ الى القول بانّ اصل الانسان من جنس القرود. وهذا ايضاً ما اعلن بهِ الانكليز مواطنوهُ لمّا احتفلوا قبل بضع سنين بتذكار مولدهِ المئويّ فاقاموا لهُ حفلات مدنيّة ودينيّة معاً اشارةً منهم انّهم لا يعتبرونهُ كأحد جحَدَة اللاهوت والكفّار. كيف لا وهو القائل : « اني ما كنت مطلقاً زنديقاً ولم انكر وجود الله . . . واظنّ انّ مذهبي في النشوء والترقّي ليس يناقض لحقيقة وجود الله »

٢ الانتخاب التناسلي وتأثيره في الحيوان

احسّ دروين بضعف حججهِ لتأييد مذهب النشوء والتحوُّل ولذلك اطال الكلام في كتابهِ عن اصل الانسان وجمع كلّ ما امكنهُ من التغيرات الواردة في الحيوان ولاسيّما في ذوات الثدي ظنّاً منهُ انهُ يقنع بها القرّاء

وممّا يجعلهُ في مقدّمة العوامل لاثبات زعمهِ الانتخاب النَّسلي الداخل في ضمن الناموس العظيم اي الانتخاب الطبيعيّ . ومرجع الانتخاب النَّسلي الى وجود جنسَي الذكر والانثى في عامّة الحيوانات حتّى الهوامّ فيقول دروين قد طُبع الجنسان على ان يجمعا تدريجاً قواهما الخاصّة بهما مع بقيّة المزايا اللاحقة بها ليورثاها نسلهما من بعدهما

واثباتاً لهذا القول يأتي دروين بوصف عدد عديد من الاعضاء والاجهزة الثانويّة التي استلزمت الطبيعة بالعموم وجودها او استدعى الافرادُ تركيبها . على انّ دروين لنزاهة اخلاقهِ وجد كثيراً من الامور التي تخالف اقوالهُ والمبادئ التي وضعها . وها

نحن نثبت شيئاً منها قال : « ان الذكور عادةً اقوى من الاناث لانهم معرَّضون للقتال ولذلك يجب ان يكونوا مسلَّحين ولهذا قد أُعطي اصناف كثيرة من الحيوان اسلحةً دفاعيَّة وهجوميَّة كالقرون في الخراف والانياب في السباع فترى قرون التيوس اطول من النعاج وكذلك انياب ذكور السباع اعظم من انياب الاناث . لكنَّ هذه القاعدة لا تصحّ كما لحظ دروين عينهُ في قرون المعز الملتوية الى الوراء غير الصالحة للمقاتلة . وكذلك الايائل فانَّ قرون ذكورها آفةٌ لها في الحرب لافراط طولها فتنشب في الادغال وتشتبك بقرون اخصامها . فلا يستطيع دروين ان يطبّقها على قاعدته الا بقوله ان تلك فَلَتات الطبيعة او غاية تلك القرون الزينة لا التسليح والقتال

وربَّما يجد دروين تقصير الانتخاب التناسلي في بلوغ غايته فينسب للحيوان نظرًا سابقًا وسعياً وراء غاية مقصودة كقوله عن ظبي ذي قرون مرؤسة حادَّة : « انَّ الظبي الاوَّل الذي خُصَّ بقرون محدَّدة اصاب ذلك صدفةً من الطبيعة الَّا انَّهُ رآها مفيدة فأورثها نسلهُ من بعده » (ص ٥٦٣)

وقال ايضاً : « انَّ الاصوات الرخيمة والريش الفاخر في الطيور قد حظيت بها الذكور دون الاناث وذلك من مفاعيل الانتخاب التناسلي لأنَّ الذكور نوت بذلك استلفات نظر الاناث وإطرابهنَّ عند حضانتهنَّ » ولكن ليس ذلك مطَّردًا وربَّما تساوى الذكور والاناث في كُمدة الالوان او شبهها فكيف يفسّر دروين ذلك ؟ انَّ هذه الاعتراضات لا تعيق دروين فانَّهُ يرى لكل شيء جواباً ساء او حسن . فاسمع : « انَّ لبعض الطيور الواناً كمدة لانها ما وُجدت في احوال توجب تغيير تلك الالوان او لأنَّها تفضّل الالوان البسيطة كالابيض والاسود على سواهما . ولربَّما حصل ذلك بالانتخاب النسلي فاختارت الطيور تلك الالوان القاتمة لتأمين حياتها من العدوّ » (ص ٢٠٨) . فترى كيف يتملَّص دروين من الاعتراضات على اقاويله وتفنيد قواعده بكثرة شذوذها

وكذلك تتنوَّع شروحهُ على انتقال خواصّ الحيوان من الجدود الى الخلف في اصنافها بالوراثة ذكورًا كانت او اناثًا . فتارةً يزعم انَّ الذكر وحدهُ يورث الذكور من جنسهِ خواصَّهُ كالديك مثلًا اورث الديكة عُرفهُ ومخالبهُ وتارة يزعم انَّ الاناث ايضاً تنال بالوراثة بعض خواصّ الذكور . وحيناً يقرُّ « بانَّنا في اغلب الاوقات لا نعلم

لايّ سبب تنتقل بعض الخواص بالوراثة الى الجنسين ، ما بينما خواصّ اخرى لا تنتقل الّا الى جنس واحد وهو الجنس الذي ظهرت فيهِ هذه الخواصّ لاوّل مرّة » (ص ٢٥٥) . فما لك اذن يا دروين ان كنت جاهلًا لاسباب كلّ هذه الشواذات تبني اقوالك على مبادئ عموميّة لا تستطيع تعليلها في مواطن كثيرة ؟

وقد حاول دروين ان يبيّن انتخابهُ النسلي المزعوم حتى في الحشرات والهوامّ فيزعم انّ الفراشات هي التي باختيار تناسلها استفادت الوان ريشها العجيبة وانّ الحشرات الغمديّة الاجنحة استخارت لها بالتناسل قرونها الرفيعة هذه طويلةً وتلك قصيرةً وان المتناسقة الاجنحة كالصرصور استلطفت الاصوات الصيّتة . وقس على ذلك بقيّة الهوامّ التي يتحذّق دروين في مخيّلتهِ ليجد فيها شبهاً ايًّا كان ليثبت اوهامهُ

خذ مثلًا الجُباحب اي الذبابة الصغيرة ذات السراج اللامع في الليل فاسأل دروين ما السّبب لهذا النور التي تبعثهُ الأنثى دون ذكرها ؟ يُجيبك فوراً : لأن لهذه الهوامّ المنيرة اعداء في بعض الطيور وصغار ذوات الثدي فتبعث الجباحب نورها لتنجو من شرّها ولعلمها بان اولئك الاعداء يكرهون النور ويتشبّه بالجباحب على قول دروين هوامّ اخرى لادراك تلك الغاية (ص ٥٠٦) . فترى في كلّ هذه الشروح كيف ينسب دروين للحشرات فهماً وادراكاً اذ تتوخّى وسائط معلومة تبلّغها الى غايات مقصودة

دونك مثلًا آخر : انّ في الغابات وعلى شجرها وتحت اعشابها بقّاً يُعرف ببقّ الخشب فصنفٌ منهُ تزين ذكرهُ وانثاهُ ألوانٌ زهيّة فما معنى هذه الالوان؟ يقول دروين (اسمع وتماسك عن الضحك) : «معلوم انّ هذه الحشرات ذات رائحة خبيثة فتزيّنت بهذه الالوان الجميلة لتحذّر بها الحيوانات التي تحاول التهامها لتعلم انّها غير طيّبة للاكل» (ص ٣٠٩) اعني انهُ ينسب لها فهماً كأنها تقول لعدوّها بلسان حالها : اياك ان تأكلني فاني لست لذيذة الطعم

وهذه خنافس نوعٌ منها معدنيّ اللون غاية في الحسن فما الفائدة من اختيارها ذلك؟ يجيب دروين : هذا اللون ان كان لا يفيدها لحماية نفسها ينفعها لتحذير عدوّها كالجباحب المنير (ص ٣٣٣)

وما معنى هذه القرون الضئيلة الطويلة المرتكزة في جبهة او مناكب بعض الجعلان فايّ غاية قصدت بها تلك الحشرات وهي تعيقها اكثر من ان تفيدها اذ لا

تقوى على دَفع عدوّها ولا يمكن تعليلها لفائدة سابقة ؟ يقول دروين : « يجب ان نفترض انّ هذه الحشرات حصلت على تلك القرون لتزدان بها » (ص ٣٢٧) . ما أحلى والطف هذا الشرح في جعلان تعيش في الاقذار والزبل وهي تطلب الحليّ والزينة لنفسها بوضع قرونها !

ولدروين شروح هزليّة مضحكة في تعليل الوان الفراشات فكلٌ يعلم ما خُصّت بهِ هذهِ الهوامّ من الالوان البهيّة المختلفة فدروين يزعم ان كثيراً من صنوفها عمدت الى تلك الالوان الجميلة تقي نفسها من نَهَم الحشرات الطالبة أكلها لتحذّرها من ذلك لسوء طعمها (ص ٣٤٣) . ويزعم انّ اصنافاً غيرها تمثّلت بها في زينتها لتأمن من اعدائها . ويدّعي دفعات اخرى انّ تلك الفراشات تخيّرت لها الريش الملوّن المصقول لتنجو من اسنان الطيور التي تحطّ عليها ولا تمسّ جسمها وانّما تخدش فقط ذلك الريش (ص ٥٤٥)

وان وجد فراشاً ذا ريش قاتم يدّعي انهُ استخارهُ ليتشبّهُ باوراق الاشجار وقشورها التي يسكن فيها

وكذلك دود تلك الحشرات يدّعي دروين انّها تتفنّن في تحصين حالها تارةً بان تتّخذ لها زنبيراً شائكاً وحيناً بان تجاري ما حولها من الاعشاب في الوانها الكمدة لئلّا يراها الطير . وان رآها جميلة الالوان يزعم كما قال عن الفراش ان ألوانها اللطيفة تُوعز الى عدوّها بانهُ لا يجد في اكل لحمها لذّةً (ص ٣٥٨) فهي تفعل كبعض باعة الادوية والعقاقير الذين يودعون الادوية المسمومة في زجاجات ملوّنة تأمينـاً لحياة العموم لئلّا يسمّوها (ص ٣٥٩)

ولم ينسَ دروين الحيّات وما لبعض اجناسها من الالوان الساطعة . فيروي في كتابهِ (ص ٣٨١) مراسلة لبعض اهل اميركة الجنوبيّة الذي افادهُ انّ هناك اربعة اصناف من الحيّات الظريفة الالوان ضربان منها سامّة قاتلة وضربان آخران لا يؤذيان ويصعب على العموم التمييز بين الصنفين . فيستنتج دروين انّ الصنفين الاخيرين تقلّدا الوان الصنفين السامّين ليخدعا بذلك المسافرين فلا يقربون منهما كما يهربون من ذينك الجنسين الخبيثين (ص ٣٨٨)

وهكذا يحاول دروين في شرح كلّ ما يراهُ في الحيوان فينسب اليهِ عقلاً فهيماً

مدركاً لصلاح نفسهِ طالباً لخيرهِ الوسائل المنجية ومتّخذاً عمداً ما يراهُ اقرب الى تلك الغاية التي قصد ادراكها

وقد ضرب دروين صفحاً عن اخلاق عديدة للحيوان لو تصدّى لها لزادتهُ ارتباكاً وحيرةً وعجز عن شرحها. أما قولهُ مثلاً عن غريزة بعض الهوامّ والحشرات كالعناكب والعقارب التي اثبت العلّامة فابر انّ اناثها اذا حملت هجمت على ذكورها وازدردتها. أفيقول دروين انّ هذا ايضاً من الانتخاب النسليّ ? لكنّهُ فضّل السكوت عمّا لا يستطيع وجود وجهٍ معقول لشرحهِ . فترى كم وكم من الاوهام والتخيّلات الغريبة تهافت اليها دروين لبلوغ غايتهِ ليثبت في آخر الامر تناسل الانسان من البهيمة. وقد روينا كلامهُ ومزاعمهُ ليحكم القارئ حكماً عدلاً في المذهب الدرويني ويقدّر عواملهُ قدرها من الضعف والعجز عن ادراك ما ادّعاهُ لها

وممّا يجب تنبيه القرّاء اليهِ جهل دروين لطباع الحيوان فانّ علماء الطبيعة الذين درسوا اخلاق الحيوانات وغرائزها بمراقبة حركاتها وسكناتها وباقي شؤون حياتها قد اثبتوا ما لا يُحصى من اعمالها المقرّرة التي هي على طرفي نقيض مع ما رواهُ دروين الذي درس الحيوان في متاحف بلادهِ فقابل بين اشكالهِ الميتة الجامدة التي رآها هناك منضّدةً منظّمةً على الرفوف بيد احد العلماء فظنّ انهُ تكفيهِ المقابلة بينها ليضع تلك المبادئ العموميّة التي توهّم صحّتها وهيهات ان تنطبق مع الحقيقة في شيء

٣ شبه الهيكل البشري وهيكل الحيوانات الفقارية

من جملة البراهين التي يلوذ بها غالباً ارباب مذهب النشوء والماديّون لينشروا مذهبهم الباطل ما يجدون من الشبه بين هيكل الانسان وهيكل الحيوان فتراهم اذا حاولوا اثبات رأيهم عرضوا بالتصوير في المجلّات وكتب التاريخ الطبيعيّ هياكل البشر والقرود ثمّ هياكل الطيور وذوات الاربع ليثأثر الناظر من الشبه بينها ويعدل الى مذهب النشوء والتحوّل ويحكم انّ كلّ ذلك من فعل الطبيعة العمياء لا دخل فيهِ لعقل فهيم والهٍ حكيم

ساءت ظنونهم وعميت قلوبهم وكان الاحرى بهم اذا وجدوا شيئاً من التشابه بين اعضاء الانسان والحيوانات وبين هيكلهِ وهيكلها ان يرقوا بعقولهم نحو الخالق

فيأخذهم العجب من حكمته وقدرته تعالى اذ اتخذ رسماً واحداً جعلهُ قواماً لِما لا يُحصى من الكائنات المختلفة باشكالها الخارجة واخلاقها المتباينة وغرائزها الطبيعيَّة وجمع بين اصول الجمال اي الوحدة والاختلاف معاً فأبدع تنانين من ذوات الفقار في طور العالم الثاني يبلغ طولها ٤٠ متراً وألحقها بانواعٍ عديدة من جنسها لا يتجاوز بعض الباقي منها الى يومنا بضعة سنتيمترات . فانَّ من يعتقد وجود الخالق لا يذهلهُ شيءٌ مما يراهُ في العالم وتنكشف امام عينهِ تلك الاسرار التي يغمض حلُّها على تَبَعة دروين. فيدرك الاسباب التي دفعت الخالق على تقديم او تأخير بعض الكائنات وعلى اختيارهِ لتكوين اجناس الحيوانات في ازمنةٍ دون غيرها . وعلى وَضعها حين شاء وكما شاء دون ان يجعلها سلاسل متتالية ذات حلقات متواصلة كما يفترضهُ الدرويتيُّون وكلّ ذلك وفقاً لما توخَّاهُ الله في وحدة رسمهِ

وقد اناط تعالى بهذا الرسم الوحيد ما لا يُحصى من الحيوانات المختلفة الحجم المتباينة الصورة من زحافات وطيور وذوات أثدٍ واسماك لكل منها نوعاتها وغرائزها المختلفة على اختلاف مواطنها من القُطب الشمالي الى خطّ الاستواء والى القطب الجنوبي مع ما يقتضيهِ حالها في كلّ وسَط وفي كلّ مناخ فكم فيها من الصفات والمحاسن التي لا يفي بها احصاء وذلك كلُّهُ منوط بهذا الهيكل الوحيد الذي لا يكاد يختلف جوهرهُ مع اختلاف هيئاتهِ غير المتناهية والانسان احد هذه الكائنات مبنيّ على الهيكل عينهِ

وهذه الوحدة العجيبة التي تعتمدها الخلّاق ليست محصورة في الحيوانات ذات السلسلة الفقاريَّة بل يمكن بيانها في الحشرات عينها التي حدَّد العلماء اجناسها وانواعها ورتبها . وبينها ما لا تكاد العين تبصرهُ لصغر حجمها وكلُّها مركَّبة تركيباً يجاري في محاسنهِ تركيب كبائر الحيوان . ويُرى الرسم المذكور في الاصداف النجميَّة الشكل وفي كلّ طبقات النبات وبالاجمال في كلّ الحيويَّات المنتشرة على الارض سواء كانت حياتها نباتيَّة او حياة ذات حركة وحسّ كالحيوان او حياة عقليَّة كما في الانسان

وترى في تقسيم الحياة على الارض في كلّ جنس ونوع منها بل وفي كلّ فردٍ من افرادها نظاماً عجيباً ثابتاً . فانَّ لكل هذه الكائنات نواميس مقرَّرة لا تختلف فتجد لكل نبات زهرهُ وبزرتهُ التي تحتوي مهما كانت دقَّتها على قوَّةٍ تبدو للعيان على

صورة شجرة باسقة او شجيرة لطيفة تشبه الشجرة التي تكوّنت فيها البزرة

وكذلك الحيوان فانّهُ يولد وينمو ويتناسل كل نوع على مقتضى نواميسهِ الخاصّة دون خلل ولا اختلاط . ولكل عضوٍ من اعضاء تلك الحيوانات على اختلافها من اكبرها حجماً الى ادقها جسماً تنسيقهُ العجيب المناسب تماماً الغاية المقصودة منهُ

ومثل هذا النظام والترتيب في مجموع الافلاك الدائرة في الفضاء . فانّ لكلّ هذه الكواكب سيرَها على نواميس راهنة لا تحيد عنها ذرّةً حتّى يستطيع الفلكيّون قياسها وضبط حركاتها فيسبقوا الى تعيين ظواهرها قبل وقوعها بزمن طويل

فالمادّيون يتشدّقون قائلين انّ ذلك كلّهُ فعلُ الصدفة . وقد سبق لنا القول انّ الصدفة والنظام على طرفي نقيض . فانّ الصدفة ليست الّا الطبيعة العمياء التي لا يصدر منها الّا الخراب والدمار

وان عُدنا الآن الى اعتبار هياكل الحيوانات والبشر لزمنا القول ان التشابه المذكور فيها مع اختلاف انواعها البالغ انّما هو اعظم دليل على العقل الالهي السامي الذي ابدعها فوسمها بسمتَيْ الوحدة والتنوّع

هذا وقد اقرّ زعماء مذهب النشوء والتحوّل ان اكبر داعٍ ساق بهم الى القول برأيهم انّما هو ما قصدوهُ من نفي الخالق اذ رأوا في كلّ الكائنات سمتهُ تعالى وسَمْتهُ الالهيّة فظنّوا ان مذهبهم يُفيزهم بمبتغاهم وهيهات!

وخلاصة القول في مدّعي الدروينيين عن تشابه الهياكل الحيوانيّة والبشريّة انّنا لا ننكر ذلك الشبه الذي يُرى في كافّة طبقات الحيوانات ذات السلسلة الفقاريّة من حيث هيئة تلك الهياكل العموميّة الّا انّ مع ذلك الشبه ايضاً اختلافاتٍ لا يُحصيها العدد في كلّ دقائق كيانها كما لحظ ذلك ارباب النشوء والترقّي عينهم مع اقرارهم بانهم لم يجدوا سنداً لذاك التحوّل المزعوم . والدليل على قولنا انّ اصغر العظام التي يجدها الطبيعيّون تكفيهم للدلالة على صنف الحيوان ونوعهِ وتركيبهِ لعلمهم بخواصّ كلّ عضوٍ واختلافهِ في كلّ نوعٍ

ولو اردنا ان نتتبّع كلّ قسمٍ من هذه الهياكل لألحقنا السأم بالقرّاء وكفى ذكر ما يأتيهِ دروين من المضحكات في شرح هذه الميّزات كقولهِ مثلاً عن القرد كيف اتّصل الى حذاقة العمل بيدهِ وتغيير هيئة رجليهِ مع ما قصدهُ عمداً من التغيرات

العديدة في بدنهِ ليقوم منتصباً وكلّ ذلك اوهام لا وجود لها الّا في مخيّلة دروين الذي يُعير القرد مسحةً من عقلهِ وكان الاولى بهِ ان يخصّها بتأييد الحقائق الراهنة فلا يغوي الناس بمثل هذه الترّهات . فليعلم الدرويتيّون العلم اليقين انّ القرد ولو امكنهُ ان يقصد الحصول على غاية معلومة من المستحيل ان يغيّر شيئاً من هيئةِ جسمهِ ولو شاء ان يجعل مثلاً ليديهِ او لرجليهِ وجهةً ما او تركيباً آخر في عظامهما لعجز عن ذلك . وقس عليهِ بقيّة الحيوانات

وخلاصة القول انّ لا شيء يحوجنا لدى نظرنا التشابه في هياكل الحيوانات المختلفة ان نقول بانّها لشأت عن بعضها بالتحوُّل وعلى خلاف ذلك نجد في هذا الشبه داعياً جديداً لتمجيد الخالق والصراخ مع النبيّ : « أيها الرب الاله ما اعجب اسمك في كلّ الارض ... انك بكل حكمة وقياس ونظام قد ابدعت كلّ المخلوقات »

(التتمّة لعدد قادم)

شهيد الاستانة

الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

احرزت الكنيسة الكاثوليكيّة لها فخراً باهراً ومجداً اثيلاً في ٢٥ تشرين الاوّل (١ من السنة ١٧٠٧ في عاصمة الدولة العثمانيّة باستشهاد احد الكهنة الارمن الكاثوليك المدعو غوميداس كرجيان وشى بهِ الارمن الغريغوريّون الى عليّ باشا الجورلي مدّعين لارتدادهِ الى الكثلكة بانّهُ دخل في دين الفرنج ودفعوهُ بالرشوة الى ان يقضي عليهِ بالاعدام فعرض عليهِ الاسلام لينجو من الموت فأبى وثبت على دين الكنيسة البطرسيّة فقُتل بقطع هامتهِ لكنّ موتهُ انالهُ ذكراً طيّباً لدى مواطنيهِ

١) وذلك بمقتضى الحساب الشرقيّ القديم الموافق لليوم الخامس من تشرين الثاني

العديدة في بدنهِ ليقوم منتصباً وكلّ ذلك اوهام لا وجود لها الّا في مخيّلة دروين الذي يُعير القرد مسحةً من عقلهِ وكان الاولى بهِ ان يخصّها بتأييد الحقائق الراهنة فلا يغوي الناس بمثل هذه الترّهات . فليعلم الدرويتيّون العلم اليقين انّ القرد ولو امكنهُ ان يقصد الحصول على غاية معلومة من المستحيل ان يغيّر شيئاً من هيئةِ جسمهِ ولو شاء ان يجعل مثلاً ليديهِ او لرجليهِ وجهةً ما او تركيباً آخر في عظامهما لعجز عن ذلك . وقس عليهِ بقيّة الحيوانات

وخلاصة القول انّ لا شيء يحوجنا لدى نظرنا التشابه في هياكل الحيوانات المختلفة ان نقول بانّها لشأت عن بعضها بالتحوُّل وعلى خلاف ذلك نجد في هذا الشبه داعياً جديداً لتمجيد الخالق والصراخ مع النبيّ : « أيها الرب الاله ما اعجب اسمك في كلّ الارض ... انك بكل حكمة وقياس ونظام قد ابدعت كلّ المخلوقات »

(التتمّة لعدد قادم)

شهيد الاستانة

الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

احرزت الكنيسة الكاثوليكيّة لها فخراً باهراً ومجداً اثيلاً في ٢٥ تشرين الاوّل (١ من السنة ١٧٠٧ في عاصمة الدولة العثمانيّة باستشهاد احد الكهنة الارمن الكاثوليك المدعو غوميداس كرجيان وشى بهِ الارمن الغريغوريّون الى عليّ باشا الجورلي مدّعين لارتدادهِ الى الكثلكة بانّهُ دخل في دين الفرنج ودفعوهُ بالرشوة الى ان يقضي عليهِ بالاعدام فعرض عليهِ الاسلام لينجو من الموت فأبى وثبت على دين الكنيسة البطرسيّة فقُتل بقطع هامتهِ لكنّ موتهُ انالهُ ذكراً طيّباً لدى مواطنيهِ

١) وذلك بمقتضى الحساب الشرقيّ القديم الموافق لليوم الخامس من تشرين الثاني

وما لبث ان جرت بشفاعته كرامات عديدة توالت الى عصرنا هذا ودفعت الكرسي الرسولي الى ان يبحث عن سيرة وموت ذلك البطل الصنديد ليُودع اسمهُ في سجل اوليائها باعلانهِ طوباويًا . والمأمول ان ذلك يتمّ في عهد قريب

وقد سرَّنا ان حضرة الاب ميخائيل قديد الارمني الكاثوليكي في حلب عمد الى ترجمة حياتهِ التي كتبها بالارمنيَّة الورتبيد اكوب مغريان الارمني الكاثوليكي فاخرجها الى العربيَّة ليشع بروايتها الشائقة جميع الطوائف الكاثوليكيَّة ولاسيَّما الارمن ليكون مثال ذلك الشهيد سندًا وتعزيةً لهم في بلاياهم ومصائبهم المتعدّدة . وقد كنَّا احببنا لو افادنا حضرة المعرَّب في مقدّمتهِ شيئاً عن مؤلف الكتاب وعن المصادر التي رجع اليها لوضع تأليفهِ فذلك من شأنهِ ان يزيدنا ثقةً بروايتهِ

فسدًّا لهذا الخلل رأينا ان ننشر عنا بعض تلك المآثر الناطقة بشهامة رجل الله وقداسة حياتهِ ننقلها عن شهود عيانيين او معاصرين استفدناها خصوصاً من احد آباء رهبانيَّتنا في الاستانة حضرة الاب يوسف لوبون (P. J. Lebon) بعد ذكر خلاصة حياتهِ

ولد غوميداس (ويروي البعض غُورميداس) في الاستانة سنة ١٦٥٦ من اسرة فاضلة من الارمن الغريغوريين . وكان ابوهُ كاهناً يُدعى مرديروس . نشأ الولد في حجر والديهِ على التقى ثمَّ تلقَّى العلوم على بعض اساتذة طائفتهِ فبرع فيها لاسيَّما العلوم الدينيَّة . قيل انهُ استظهر كلَّ اسفار العهد الجديد فاهَّلتهُ علومهُ الى اقتبال الكهنوت بعد اقترانهِ بالزواج الشرعي جرياً على عادة الكنائس الشرقيَّة فرسمهُ كاهناً مطران طوقات الدعو كيراكوس وتعيَّن كرئيس لكنيسة مار جاورجيوس في صاماطيا احد احياء الاستانة

وفي تلك الاثناء حدثت بين الارمن في حاضرة الدولة فتن وانشقاقات فكان قسمٌ منهم عرف حقيقة الايمان الكاثوليكي فجاهر بتعاليم الكنيسة الرومانيَّة وكان في مقدّمتهم البطريرك ملشيصاداق سبوح او صبحي فقام لمعاكستهم حزبٌ آخر لم يألُ جهدًا في معارضتهم حتَّى التجأوا الى الحكومة العثمانيَّة لادراك غايتهم

وكان من جملة الذين اهتدوا الى الايمان المستقيم الكاهن غوميداس اذ تحقَّق صدقهُ وموافقتهُ لتعليم القديس غريغوريوس المنوّر فاخذ يبشّر بهِ علانيةً ويرشد اليهِ رعيَّتهُ في صاماطيا . واذ كان ذا عارضةٍ وبلاغة عظيمة كانت جماهير الشعب تتقاطر

الى لسماعهِ ولاسيَّما انهُ كان رخيم الصوت في غنـاء الاناشيد الطقسيَّة متقناً لـلرتب الكنائسيَّة مهتماً بزينة بيت الله فاستمال اليهِ قلوب الجميع وهدى الى حجر الكنيسة البطرسيَّة عدداً عديداً من الضالّين

فحرَّكت غيرتهُ البغض في صدور الحزب المبادي وكانوا قد اقاموا لهم بطريركاً شديـد المعارضة للكاثوليك يُدعى افرام فتمكَّنوا من نفي البطريرك الشرعي ملشيصادق واضطهدوا المؤمنين انصارهُ واضمروا الشرّ خصوصاً لغوميداس.فلم يرَ النجاة من ايديهم الَّا بالفرار الى اورشليم سنة ١٧٠١ لكنَّهُ قاسى هناك من العذاب واضطهاد المخالفين الذين عوَّلوا على تنصيره ما اضطرَّهُ الى الرجوع الى الاستانة وكان بلغهُ ان بطريركاً جديداً اسمهُ اواديك مسالماً للكاثوليك أُقيم بعد خلع افرام

فلمَّا عاد الى عاصمة المملكة تحقَّق ان مواعيد البطريرك اواديك كانت عرقوبيَّة وانهُ اثار على الكاثوليك اضطهاداً اشدَّ من سلفهِ فاختفى غوميداس من وجههِ ريثما تهدأ تلـك العاصفة . وكان سفير فرنسة المركيز دي فريول تمكَّن من ابعادهِ عن الاستانة فثار ثائر اعداء الايمان وتألَّبوا على الكاثوليك سنة ١٧٠٦ كضواري السباع وسعوا بمصادرتهم ونفيهم واستصفاء اموالهم . وقبضوا على غوميـداس فساقوهُ الى المحكمة والقوهُ في السجن وحكموا عليهِ بالاعمال الشاقَّة وبذلوا الـدراهم لينالوا من وزير الصدارة علي باشا الجورلي حكماً عليهِ بالموت لكنَّ الوزير اذ رأى انَّ المسألة دينيَّةٌ لم يكترث لها بل اطلق سراحهُ بعد ان دفع للوزير ما طمع بهِ من المال

فرجع غوميداس الى دارهِ مطمئناً واستأنف اعمالهُ الرسوليَّة من وعظ وارشاد وحفلات دينيَّة كان يزدحم الشعب لحضورها ويُقبل عليها إقبال الجياع على القصاع فتوغَّرت لذلك صدور المخالفين فوكلوا امرهم الى بطريرك جديد يدعى اوهتيس شاع بغضهُ نحو الكاثوليك . فما كاد يستقرُّ قدمهُ في الاستانة حتَّى حذا حذو اواديك ونصب المكائد ودسَّ الدسائس وبذل اكياس الرشوة حتَّى أُطلقت يدهُ على المرتدين الى الكثلكة فاذاقهم العذاب الوانًا

وكان غوميداس اوَّل من صوَّب اليهِ سهـام بغضهِ ولم يكتف بتوقيفهِ وحبسهِ بل اراد ان يشفي غليلهُ بموتهِ . فتمَّ لهُ ذلك كما شاء فاستشهد غوميداس في ٢٥ تشرين الاوَّل من تلك السنة بعد ان اظهر من الثبات العجيب والشهامة الدينيَّة ما

اذهل الالوف المؤلفة من المسلمين والنصارى الذين حضروا قتلهُ

وقد لحظ كتبة تاريخهِ انَّهُ اشبه في موتهِ فـاديَةَ الالهي في عـدَّة امور في نوع توقيفهِ وتكبيلهِ بالاغلال وسَوقه في الشوارع بالهوان وفي لطمهِ وسجنهِ وفي محـاكمتهِ لدى وزيرٍ كان اشبه شيءٍ ببيلاطوس بتردّدهِ في الحكم وضعفهِ وإصغائهِ الى شهود الزور وفي طلب الفريفوريين ان يكون دمهُ عليهم وعلى ابنائهم وفي إقرار اعدائهِ بعد موتهِ ببرارتهِ وفي التماس ابنتهِ من الوزير دفن جثتهِ فدُفن مكرَّماً

*

هذا ما يُستفاد من رواية المؤرخين الثقات . وها نحن نذكر شيئاً من كتاباتهم التي حرَّروها في يوم استشهاد الكاهن غوميداس او قليلًا بعدهُ . فمن ذلك ما كتبهُ سفير فرنسة دي فرّيول في تشرين الثاني اي يوم الاستشهاد وفقاً للحساب الغربي ثمَّ في ٨ منهُ وهما كتابان وجّههما الى وزير الملك لويس الرابع عشر (١ قال :

«قد قُتل الكاهن دير غوميداس وها انا مُرسل لجنابك تفاصيل استشهادهِ . كان المذكور معتبراً لدى طـائفتهِ نظراً لنزاهتهِ واستقامتهِ وكان متَّقداً غيرةً لنشر الدين الكاثوليكي . قد عانى مراراً الاضطهـادات في سبيل دينهِ وحُكم عليهِ بالاومان قبل ستَّة اشهر لكنَّ بعض الوجوه من طائفتهِ انقـذوهُ من تلك المصيبة بدفعهم مبلغاً كبيراً من المال . . . وفي ٣ من شهر تشرين الثاني ارسل الصدر الاعظم جنوداً ليوقفوا بعض الارمن ويزُجوهم في الحبس بداعي كونهم قد « تفرنجوا » وخصوصاً دير غوميداس . فلما بلغوا الى حيّهِ ولجوا في عدَّة بيوت فالقوا الرعب في اهلها . فلمَّا سمع الدير غوميداس هذه الجلبة ليس فقط لم يفرَّ هارباً او يختفِ كما فعل غيرهُ بل وقف على باب دارهِ وسأل عمَّال الوزيرة من تطلبون ؟ . قالوا : دير غوميداس — قال : انا هو . فدعُوا اذن هؤلاء القوم مطمئنين

« فقادوهُ الى الحبس وفي ضحى هذا اليوم اوقفوهُ في ديوان الصدر الاعظم حيث كان حضر بطريرك الارمن دير اوهنيس مع ٣٠٠ من اصحابهِ . فلمَّا رأى الوزير دير غوميداس انتهرهُ متجهِّماً : لماذا عدلتَ الى دين الفرنج ؟ اجاب غوميداس : بما اني كاهن

١) اطلب كتاب المآثر التاريخيَّة للكنائس الشرقيَّة للمرحوم الاب انطون رباط
A. Rabbath : Documents inédits, I, 126-130

قد رأيتُ من الواجب عليَّ ان اتعمّق في درس ديانتي لأُلقّنها الغير وقد وجدتُ في تعاليم الارمن الذين يناهضوني عدّة اضاليل يمنعني الضمير من اعتقادها

«قال الوزير: وما هذه الاضاليل ؟ — اجاب غوميداس: أو انت تعرف ديانتنا معرفةً كافية لتحكم عن الصواب او الضلال ؟ — قال الوزير : صَهْ ألَا تعلم اني قادر على قتلك ؟ — قال غوميداس : وبذلك تمنحني نعمةً جزيلة . ولكن يجب عليك ان لا ترفع السيف على رأسي في امر يمسُّ الدين وانا على غير مذهبك . وان سفكت دمي فاني اناقشك الحساب عنهُ يوم الدين

« فانذهل الوزير لاستماعهِ هذا الكلام وقام مغتاظاً فالتفت الى البطريرك دير اوهنِس قائلًا : أنك انت المسئول عن دم هذا الرجل . اجاب اوهنِس : فليحلّ على الذين طلبوا توقيفهُ (١ . فجلس الوزير وقال لغوميداس : انَّ هؤلاء يدَّعون انك هجرت شيعتهم لتتبع شيعةً سواها . قال غوميداس : وأيتهما على رأي الوزير هي الفضلى ؟ قال الوزير : على رأيي انَّ كلتيهما فاسدة — اردف غوميداس : فماذا يعنيك اذن ان اختار الواحدة دون الاخرى ؟

«فهيّج جوابهُ هذا صدر الوزير فأمر الحال بقتلهِ . ومن ساعتهِ اقتادهُ الجند الى منقع الدم ومعهُ اثنان آخران من الارمن الكاثوليك . وكان غوميداس في طريقهِ مستحرًا بالصلاة فلقيهُ بعض كهنة الروم المتوجهين الى دار الصدر الاعظم ليفاوضوهُ في امر بطريركهم الجديد . ولمَّا عرفوا ان غوميداس حُكم عليهِ بالموت اقتربوا منهُ وطلبوا دعاءهُ

« ولمَّا وصل الى ساحة الإعدام التفت الى رفيقيهِ الارمنيَّين وحرَّضهما على الثبات في دينهما والاستشهاد في سبيلهِ قائلًا لهما انَّهُ يتقدَّمهما ليجدا في موتهِ مثلًا . ثمَّ خرَّ جاثياً على ركبتيهِ وبينما هو يتلو دستور الايمان قطع السيَّاف رأسهُ . . . امَّا الارمنيان رفيقاهُ فحملهما الخوف على جحود دينهما فأسلما

« وما لا ينكر ان علي باشا رجلٌ سفَّاك الدماء . ومحبٌ للدراهم ويرى ان سيّدهُ السلطان (وهو احمد الثالث) يميل الى الارمن الهراطقة . ولو كان للاتراك في هذه الأيام حربٌ تشغلهم لمَا ارتبكوا في هذه الامور الدينيَّة وما عمدوا الى التلهّي بحق

١) وفي رواية اخرى : فليحلّ دمهُ على اليسوعيين الذين غرَّروهُ هو وكثيرين من اهل ملّتنا

النصارى . وقد رأى الصدر الاعظم انَّ هذه المشاجرات الدينيَّة من شأنها ان تكسبهُ الاموال الطائلة التي هو متعطّش اليها »

هـذا ما يكتبهُ فريول السفير . وقد عُني الآباء اليسوعيُّون الذين كانوا وقتئذٍ في الاستانة بجمع اخبار غوميداس في حياتهِ وموتهِ وما جرى لهُ بعد استشهادهِ فدوَّنوا كلَّ ذلك واودعوا نسخةً ممَّا كتبوا في سجلَّاتهم وارسلوا الى رومية نسخةً ثانية ليثبت الكرسيّ الرسوليّ قداستهُ وينظم اسمهُ في عداد اولياء الله . وهذه الاعمال كانت فُقدت لما حدث لرومية من الكوارث في اواخر القرن الثامن عشر الَّا انَّها لحسن الطالع قد اكتُشفت سنة ١٨٩٥ بين سجلَّات مجمع انتشار الايمان فاستأنف المجمع المقدَّس فحص تلك الدعوى والامل معقود على قرب اعلان الشهيد غوميداس طوبويًّا

فممَّا يستفاد من تلك الاعمال والشواهد العديدة المضافة اليها ان الله مجَّد شهيدهُ بعدَّة كرامات حدثت بعد موتهِ . فمن ذلك انَّ جسدهُ الطاهر بقي ثلثة ايَّام في ساحة بارماق قابو حيث قُتل دون ان يصيبهُ فساد وكانت تنبعث منهُ رائحة طيِّبة . وفي ثاني يوم استشهادهِ اشرق حولهُ نورٌ عجيب اثَّر نظرهُ في الحرَّاس حتَّى قيل انَّ بعضهم تنصَّروا لرؤياه

وممَّا يُعزى الى الشهيد غوميداس انَّ مدينة الاستانة التي كان انحبس عنها المطر منذ عدَّة اشهر جادها السماء بامطار غزيرة مدَّة ثلاثة ايَّامٍ متوالية حين استشهادهِ

وزادت تلك الكرامات بما تبادر الكاثوليك الى جمعهِ من ذخائر الشهيد كقطع من ثيابهِ ومناديل مغموسة بدمهِ . فلمَّا رأى الاعداء ما حصل للكاهن القديس من الاكرام ندم كثيرون منهم على ما فعلوهُ واطرأوا شهامتهُ في دفاعهِ عن ايمانهِ . ولمَّا البطريرك اوهنس وكهنتهُ فتنمَّروا غيظاً وطلبوا من أولي الامر ان تُلقى جثَّتهُ في البحر . لكنَّ ابنة الشهيد المدعوَّة اغاوني دخلت بكل جرأة على الصدر الاعظم وطلبت جثَّة والدها فسُمح لها بذلك فدُفنت بكل اكرام بحضور جمهور عظيم من الشعب من كل الطوائف الكاثوليكيَّة حتَّى من طائفتي الروم والارمن غير الكاثوليك . وقد أودعت اللحد في مقبرة الارمن الواقعة عند باب ادرنة حيث جرت عدَّة عجائب اعلن بها الذين اتوا لزيارة قبرهِ ولالتماس شفاعتهِ

ولعلَّ الجثَّة لم تبقَ هناك زمناً طويلاً اذ يُخبر السفير المركيز دي فريول انَّهُ

تمكّن من استخراجها من مكانها ليلاً وارسلها الى فرنسة لتنال ما تستحقهُ من الاكرام

وما لا يُنكر انهُ منذ استشهاد الكاهن غوميداس الى هذه السنين الاخيرة لم يزل ذكرهُ حيًّا ومقام قبرهِ مكرَّماً والمعجزات المجترحة بشفاعتهِ متواصلة وقد جُمعت في كتابٍ خاصٍّ حيث ينيف عددها على الثلثمائة . بينها ارتداد كثيرين من الارمن غير الكاثوليك الى حجر الكنيسة المقدَّسة مع وصف ما أُصيب بهِ اعدائهُ من العقاب فانَّ اغلبهم حلَّت بهم مصائب فاجعة وماتوا ميتةً سيئة رأى فيها مواطنوهم يد الله المنتقم منهم لعبدهِ غوميداس

ومما ورد في الترجمة العربيَّة التي أَلمنا اليها انَّ القس غوميداس خلَّف سبعة بنين ذكرَين وخمس أُنثى توفّي احد الصبيين في رومية سنة ١٧٠٨ وكان اسمهُ نهابيد وتقلَّد الثاني وظيفة ترجمان في نابولي واسمهُ يوحنَّا . وكانت اصغر بناتهِ اغاوني وهي التي طلبت جثَّة والدها من الوزير . وكانت قرينتهُ تُدعى هُرْية عريقة في الدين ولمَّا قُبض على زوجها حرَّضتهُ على بذل نفسه في سبيل ايمانهِ القويم

وقد وقفنا على رسالة كتبها الاب اليسوعي تاريليون كتبها من الاستانة في ١٤ أيار سنة ١٧١٠ روى فيها ما لحق بالصدر الاعظم علي باشا الجورلي من المصائب اذ عزلهُ السلطان احمد الثالث من منصبهِ ومات اسوأ ميتةٍ جزاء جورهِ في حقّ الشهيد غوميداس . وروى على خلاف ذلك نموّ الشرف والذكر الحسن اللذين حظي بهما ذلك الكاهن المفضال بحيث يجوز القول انَّ موتهُ انعش الايمان في قلوب كلّ المسيحيين ولاسيَّما الارمن واضحى في كلّ تركية باعثاً لارتداد كثيرين من غير الكاثوليك حتَّى انَّ عددهم في العاصمة وحدها بلغ ١٢،٠٠٠ وبذلك صحَّ قول الآباء القديسين انَّ دم الشهداء زرعٌ جديد للمؤمنين

الشطرنج : فوائد في اصلهِ وحكمتهِ

لجناب القانوني جرجي بك صفا رئيس دوائر استئناف الحقوق في لبنان الكبير

قرأت في العدد الاخير من المشرق الاغرّ (ص ٧٩٧) كلمةً في الشطرنج واصلهِ القديم فاردتُ ان اكتب شيئاً مما وقفتُ عليهِ بهذا الباب لعلَّ فيهِ فائدةً

١ لغته واشتقاقه

واوَّل ما عنَّ لي اثبات ما ورد في المعاجم وبعض كتب الادباء . جاء في تاج العروس وفي عاصم افندي : الشِطرَنج بكسر الشين أجود كجِردَحل . وقال الفيروزابادي انَّ الشين لا تُفتح . لكنَّ ما نفاهُ من فتحها اثبتهُ غيرهُ وجزم بهِ الحريري وغيرهُ وقالوا الفتح لغة ثابتة ولا يخالفها اوزان العرب لأنهُ عجميّ معرَّب فلا يأتي على قواعد العرب من كلّ وجهٍ . وقال ابن برّيّ في حواشي الصحاح : « الاسماء العجميَّة لا تشتقّ من الاسماء العربيَّة والشطرنج خماسيّ واشتقاقهُ من شَطَرَ او سَطَرَ يوجب كونها ثلاثيَّة فتكون النون والجيم زائدتين وهذا بيّن الفساد » . وقد ورد بالسين (سَطرنج) وهي لغة

أمّا اشتقاقهُ فقد اختلفوا فيهِ فمَن اشتقَّهُ من العربيَّة زعم انهُ من الشطارة او المشاطرة . وقال ابن هشام اللخميّ في فصيحهِ انهُ من التَّسطير . وقد نفى ابن برّي اشتقاقهُ من العربيَّة

واشتقَّهُ كثيرون من العجميَّة فقال في البرهان القاطع : «هو معرَّب عن شُتر وهو اسمٌ لليبروح (او اللفّاح mandragore) واليبروح يكون على شكلين فسمَّوا هذا اللعب الشطرنج تشبيهاً بهِ فعلى هذا يكون اعجميّاً» . . وهذا بعيد . وابعد منهُ ما ورد في شفاء الغليل انهُ تعريب « شُدرَنك » (او شُدرَنج) اي مَن اشتغل بهِ ذهب عناؤهُ باطلاً . ومثلهُ غرابةً انهُ من « شطّ رنج » اي ساحل التَّعب . وكذلك اشتقاقهُ من « صَدرَنج » اي مئة عناء . وقالوا « صَدرنك » اي مئة حيلة . قال في التاج : « وكلّ ذلك احتمالات »

واقرب الى الصحة ما قالهُ الطيّب الـذكر وشهيد الدين السيد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد على الكلدان في كتابهِ الالفاظ الفارسيّة المعرّبة (ص١٠١) : الشطرنج معرَّب عن شَتْرَنك . وعندي انَّ الفارسي شترنك اصلهُ شاهُ تُرَنك اي الشاه لطيف او الشاه اللطيف . او هو مركَّب من « شَتْ » وهو تخفيف شَتَل ويُطلق على الحصَّة التي يعطيها المقامر بعد نهاية اللعبة الى الـذين حضروا المجلس ومن « رَنك » ومعناهُ القمار » . وقال غيرهُ انَّ اصلهُ : « شاه رنج » اي همّ الملـك او حزنُ الملك . ومن الاشتقاقات الشائعة انهُ من « شش رَنج » اي ستَّة الوان او ستَّة اصناف من القطع الداخلة في اللعب وهي الشاه (الملك) والفرزان (الملكة) والفيـل والفرس والرخ (البُرج) والبيدق (اي الجندي الماشي)

وقد اشتقَّهُ الغير من الهنديَّة . قال السيّد ادّي شير : وقيل انهُ مركَّب من « شَتْر » وهو العدوّ باللغة الهنديَّة ومن « رنك » ومعناهُ الحيلة او المشية اي حيـلة العدوّ او مشيتهُ : وقال ڤولرس (Vullers) في معجمهِ الفارسيّ اللاتينيّ انَّ اصل الشطرنج من السنسكريتيَّة « چتر إنك » ومعناهُ « اربعة اصناف » اشارة الى ما يدخل في ساحة الحرب من المحاربين وعدَّتهم في الهند اعني « الفيلة والخيل (إسب) والايراج (الرخ) والجند المشاة (بيده)

فترى من تعدُّد هذه الآراء شيوع لعبة الشطرنج في انحاء الشرق قديماً

٢ اصل الشطرنج وتاريخه

كما اختلف الكتبة في اشتقاق اسم الشطرنج كذلك لم يتَّفقوا على مخترعه وزمن اختراعهِ . قال هيرودوتس (١ في تاريخه (ك ١ ع ٩٤) : « حدثت مجاعة في زمان الملك أتيس بن مانيس شملت كل بلاد الليديّين فقاساها الليديون مـدة قصيرة ثم رأوا ان حالة هذا الضيم لن تزول فعالجوا في إزالـتهِ كلٌّ بحسب ما عنَّ لهُ وفي تلك الغضون اخترعوا الملاعب والملاهي مثل اللعب بالطابة والشطرنج والكعاب وما شاكل ذلك فكانوا يقضون نهارهم لاعبين بالمناوبة بقصـد التلهي عن الجوع وفي

١) اطلب ترجمة تاريخ هيرودوتس العربيَّة لحبيب افندي بسترس (١ : ٥٨٠)

اليوم التالي كانوا يشتغلون عن اللعب بمناولة الطعام واستمروا على هذه الحالة ثمان عشرة سنة ...»

قال ابو اسحاق برهان الدين ابرهيم المعروف بالوطواط في كتابه غرر الخصائص الواضحة (ص ١٥٥): «ان رجلاً من الحكماء اسمهُ صِصَّة (١ وضع لملك الروم المدعو بلهيث لعبة الشطرنج وعرضها عليه واظهر له مكنون سرّها. فقال له الملك: اقترح ما تشتهي. قال: ان تضع حبّة بُرّ في البيت الاوّل ولا تزال تضعفها حتّى تنتهي الى آخر البيوت فما بلغ تعطيته. فاستخفّ الملك عقلهُ واحتقر ما طلبهُ وقال: كنتُ اظنّ برجاحة عقلك وتوقّد فكرك ان تطلب شيئاً نفيساً. فقال: أيها الملك انّك لمّا صرّفتني الى التمنّي لم يخطر ببالي غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنهُ. فانعم له الملك بما سأل وتقدّم باحضار الحسّاب وامرهم بحساب ذلك فأعملوا في بلوغ قصده مطايا الافكار حتّى لاح لهم نجم صدقه فعرفوهُ بعد الإنكار فلم يجدوا في بلاد الدنيا من البُرّ ما يفي للحكيم بمراده ولو كانت الرمال من امداده». وهذه هي الارقام (٢

١٨٤،٤٦٧،٤٤٠،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

ونظم بعضهم ذلك بحساب الجمّل :

هاوٌ أهبطُ وصفرٌ بعدهُ زَجزٌ وثنِ صفرًا وقُلْ ددٌ زَوٌ دَدَحا

وجاء في كتاب وفيات الاعيان للقاضي شمس الدين ابن خلّكان (١ : ٦٤٣) في ترجمة ابي بكر محمّد المعروف بالصوليّ الشطرنجي قال : رأيت خلقاً كثيرًا يعتقدون ان للصولي هو الذي وضع الشطرنج وهو غلط وانما وضعه صِصَّة. واردشير ابن بابك اول ملوك الفرس الاخيرة هو الذي وضع النرد ولاجل ذلك قيل النردشير لانهم نسبوه اليه. ولما تمّ وضعه واشتهر افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذٍ بلهيت فوضع له صصّه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على ....

١) وقد تصحّف هذا الاسم بالمشرق (ص ٦٩٧) بحصّه والصواب كما ترى بصادين مهملتين الاولى مكسورة والثانية مشدّدة مفتوحة وفي الآخر هاء ساكنة

٢) وفي قاموس لاروس ذكر العدد على هذه الصورة بنقص صفر في الخانة الخامسة :

١٨،٤٤٦،٧٤٤،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

قال ان ثمن القمح المشار اليه بهذا العدد يساوي نحو ٢٠٠ مليار فرنك

الترد ولما عرضه على الملك واوضح له امره سأله ان يتمنى عليه فتمنى عليه عدد تضعيف بيوته قمحاً فاستصغر الملك ذلك وانكر عليه ما قابله من الترز القليل فقال له : ما اريد غيره فامر له به فلما حسبه ارباب الديوان قالوا للملك : ما عندنا ما يقارب القليل منه . فانكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثاني اكثر من الاول »

قال ابن خلكان : « وقد كان في نفسي حرارة من هذه المبالغة حتى اجتمع بي بعض حسّاب الاسكندرية وذكر لي طريقاً تبيّن لي ما ذكروه واحضر لي رقعة بصحة ذلك وهي انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر واثبت فيه ٣٢،٧٦٨ حبة . (قال) ونجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عيّرتها . فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه في هذا النقل . ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة (١ ثم انتقل من الويبات الى الإردب ولم يزل يضاعفها حتى انتهى في البيت الاربعين الى ١٠٠،٧٦٢ اردباً وثلثي اردب وقال : في هذا المقدار شونة . ثم انه ضاعف الشون الى البيت الخمسين فكانت الجملة ١،٠٤٢ شونة . ثم قال : هذا المقدار مدينة . ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكان ١٦،٣٨٤ مدينة وقال : نعلم ان ليس في الدنيا مدن اكثر من هذا العدد . قال ابو عبدالله محمد بن الاكفاني : اذا جُمع هذا هرماً واحداً مكعباً كان طوله ستين ميلاً وعرضهُ كذلك وارتفاعه كذلك فالميل الذي هو اربعة آلاف ذراع بالعمل الذي هو ثلاثة اشبار معتدلة على ان الاردب المصريّ مساحته ذراع مكعب وزنته مائتان واربعون رطلاً والدرهم اربع وستون حبة من القمح » انتهى كلامه

وكان المحققون يرون انَّ الشطرنج من وضع الهند في القرن الثالث للميلاد . لكنَّ ما ورد في المشرق (ص ٧٩٧) نقلاً عن المجلّة الاسيويّة الفرنساويّة يبيّن انَّ هذه اللعبة كانت معروفة بالصين في القرن العاشر قبل المسيح يلعب بها احد ملوكهم المدعو « مو » . فترجّح ان واضع الشطرنج هو احد علماء الصين . فاخذهُ عنهم اهل الهند ثمَّ دخل بلاد فارس . ولمّا غزا العرب الفرس اخذوهُ عنهم وعن طريقهم اتّصل الى اوربّة

١) الويبة ٢٢ او ٢٤ مدًّا

٣ اسرار الشطرنج وحكمته

كان للعب الشطرنج شأن عظيم عند الشعوب القديمة الغازية وكان عند الفرنج من الشروط الاساسيّة لمن يريد الدخول في طبقة الفرسان. قال الحسن بن عبدالله في كتاب آثار الاول في ترتيب الدول (ص ١٣٠) : « وُضع الشطرنج لصفة الحرب ولِما فيه من قصد المغالبة وهو يُنهض القوّة الغضبيّة وهو من وضع الهند واقتباساتهم مثال في سياسة الملك وتدبير الحرب » . وقال الوطواط في غرر الخصائص الواضحة (ص ١٥٦) : « وضع بعض حكماء الهند الشطرنج وبيّن للملوك فيها ما خفي عنهم من مكايد الحروب وكيفيّة ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبيّن فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والنجدة والقوّة والجلَد والشجاعة والبأس فمن عدم شيئاً من ذلك عُلم موضع تقصيره ... والتقصير سبب الهزيمة والتلَف وعدم المعرفة بالتعبية داعٍ الى الانكشاف » . وقد نشرت مجلّة المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٧٧ — ٣٩) ارجوزة لابن الهبّاريّة بيّن فيها الراجز غاية لعب الشطرنج وما فيه من الحكم لاتقان آداب الحرب. ولعليّ بن الجهم وصف مثلهُ حيث قال :

ارضٌ مربَّعةٌ حمراء من أدَمٍ ... ما بينَ جيشَيْنِ مصفوفينِ بالكرمِ
تذاكَرا الحرب فاختالا لها شُبُهاً ... من غير ان يأثما فيه بسفك دمِ
هذا يكرُّ على هذا وذاك على ... هذا يكرُّ ويمينُ الحرب لم تَنَمِ
فانظر الى فِطَنٍ جاشت بفكرهما ... بمسكرَيْن بلا طبلٍ ولا عَلَمِ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (١ : ١٥٩) الحكمة في وضع الشطرنج بقوله : صُنعت الشطرنج في أيّام بلهيث ملك الهند فقضى بفضلها على النرد وبيّن الظفر الذي ينالهُ الحازم والنكبة التي تلحق بالجاهل وحسب حسابهما ورتّب لذلك كتاباً للهند يعرف « بطَرَق جنكا » يتداولونهُ بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائهِ وجعلها مصوّرة تماثيل مشكّلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان ممّا ليس بناطق وجعلهم درجات ومراتب ومثّل الشاه بالمدبّر الرئيس وكذلك ما يليها من القِطَع واقام ذلك مثالاً للاجسام العلويّة التي هي الاجسام السماويّة من السبعة (اي السيّارات) والاثني عشر (اي منطقة البروج) وافرد كلّ قطعةٍ منها بكوكب

وجعلها ضابطة للملكة . فاذا كان عدوّ من اعدائه فوقعت فيهم حيلة في الحروب نظروا من اين أُوتوا في عاجل او آجل . والهند في لعب الشطرنج سرٌّ يسرُّونهُ في تضاعيف حسابها ويتغلغلون بذلك الى ما علا من الافلاك . . . وما تقتضيه سائر المؤثّرات العلويّة في هذا العالم »

وقد شاع لوضع الشطرنج غايةٌ أُخرى نوّه بها الكتبة قالوا : انّ اردشير بن بابك كان وضع لعب النَّرد ليبيّن انّ امور النـاس تجري على حسب القضـاء والقدَر وان الانسان ليس لهُ تصرُّف في نفسه لا يملك لها نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً ولا يقدر ان يجلب لها سعداً ولا شقاء بل هو مصرَّف على حكم القضاء كالـلاعب بفصّي النرد (الزهر) لا يعلم ما يردان عليه من خير او شرّ من نفع او ضرّ أيكون غالبـاً او مغلوباً . فعلى ذلك المثال يكون تارةً غنيًّا وتارةً فقيرًا على حسب تقلُّب الاقدار به . فلمّا رأى حكماء الهند ما نواهُ واضع النرد خالفوهُ بوضع الشطرنج ليثبتوا انّ احوال الناس تجري بحسب العقل لا الصدفة وهذا هو رأي قوم من كبار العلماء منهم اكثم ابن صيفيّ حكيم العرب فانهُ قال : المرء يعجز لا المحالة (١ يريد انّ الانسان يعجز لا الحيلة فانّها موجودة دائماً لكنّ الانسان يعجز ولا يهتدي اليها وهذا ما اشار اليه بديع الزمان بقوله في مقامته البغداديّة :

أعملْ لرزقـك كلَّ آلَهْ لا تقعُدَنَّ بـذلَّ حـالَهْ
واخضَ بكـل عظيـمةٍ فالمرء يعجزُ لا المحـالَهْ

ورُوي هناك «لا محالة» فظنَّ الشارح انَّ معناه انَّ المرء يعجز بلا شكّ والصواب انَّ معناه « اسعَ واجتهد ولو كان الامر عظيماً فانَّ الحيلة موجودة وهي لا تعجز وانّما العجز يكون من المرء »

وترى الكتبة تارة يجنحون الى القول بالقضاء والقـدر وتارة يعدلون الى السعي الشخصي والحزم في العمل . وهنا لا بُدَّ من التمييز بين الامور العموميّة التي لا تداخل فيها للحرّيّة البشريّة التي حكم الله بها بقضائه ويدبّرها بحكمته وعنـايته وبين

١) المَحالة والمَحال والحيلة والاحتيال بمعنى واحد . كذا في مختارات الصحاح . وقولهم لا مَحَال هو مصدر ميميّ بمعنى التحوُّل من حَالَ الى كذا اي تحوَّل اليه وخبر لا محذوف اي لا محالة موجودة (حسن چلبي)

الامور المنوطة بحرّيّة كلّ انسان التي لا تقع تحت قضاء الله السابق بل تحت قضائهِ اللاحق اي التابع لاختيار المرء . فان هذه الامور الاخيرة تستدعي حزم الانسان وسعيهُ وتوجيه حرّيّتهِ الى ما هو افضل لهُ (اطلب في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٩٩ مقالةً في القضاء والقدر) وفيها يصحُّ قول العامّة في مثلهم عن لسانهِ تعالى : « قوم تأقوم معك» وكذلك المثل الفرنساوي : aide-toi le Ciel t'aidera . وعلى هذا الوجه يجب تفسير ما جاء في الاسفار المقدّسة وفي غيرها حيث تُنسب الامور حيناً لله وحيناً للانسان دون الله وربّما كان كلامها عن الامور المقدّرة من الله التي لا دخل فيها للمشيئة البشريّة

٤ اصناف الشطرنج

لا يُعرف في يومنا من لعب الشطرنج غير الآلة الشائعة منهُ في كلّ البلاد . وقد عرف القدماء من اهل الهند وغيرهم اصنافاً أُخرى قال المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٣١٢–٣١٤) : « قد ذكر الناس ممّن سلف وخلف انّ جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيئاتها ستّ صور لم يظهر في اللعب غيرها . (فاوّلها) الآلة المربّعة المشهورة وهي ثمانية ابيات في مثلها ونُسبت الى قدماء الهند ٢ ثم الآلة المستطيلة وابياتها اربعة في ستّة عشر والأمثلة تُنصب فيها في اوّل وهلة في اربعة صفوف من كلّ الوجهين حتّى تكون الدوابُّ منها في صفّين والبيادق في صفّين امامها ايضاً ومسيرها كمسير امثلة الآلة الاولى . ٣ والآلة المربّعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في امثلتها قطعتان تُسمّيان الدبّابتين ومسيرهما كمسير الشاه الّا انّهما يأخذان ويؤخذان . ٤ ثمّ الآلة المدوّرة المنسوبة الى الروم . ٥ ثمّ الآلة المدوّرة النجوميّة التي تسمّى الفلكيّة وابياتها اثنا عشر على عدد بروج الفلك مقسومة بصفّين ويتنقّل فيها سبعة امثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيّرين (اي السيّارات) وعلى الوانها . . . ٦ ثم آلة اخرى تسمّى الجوارحيّة استُحدثت في زماننا هذا وهي سبعة ابيات في ثمانية وامثلتها اثنا عشر في كلّ جهة منها ستّة كلّ واحدة من الستّة تسمّى باسم جارحة من جوارح الانسان التي بها يميّز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهي سائر الحواسّ والحسّ المشترك الذي من القلب» انتهى قول المسعودي

وذكر ابن عربشاه في تاريخ تيمورلنك انَّ هذا الامير كان ملازماً للعب الشطرنج مع بعض الشطرنجيين كمحمَّد بن عُقَيْل الخيمي وزين اليزدي وعلاء الدين التبريزي ومن قولهِ لعلاء الدين : « انتَ في ملك الشطرنج فريد كما اني في سياسة الملك وحيد » . قال ابن عربشاه انَّ علاء الدين كان يلعب هو والامير (اي تيمور لنك) بالشطرنج الكبير ورأيتُ عندهُ شطرنجاً مدوَّرًا وشطرنجاً طويلًا . . وكانت عَلَتْ هِمَّتهُ عن الشطرنج الصغير فكان يلاعب بالشطرنج الكبير ورقعهُ عشرة في احد عشر وفيهِ من الزواند جمّلان وزرّافتان وطليمتان ووزير . والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شيء ورسم الشطرنج الكبير بهذه الصورة :

اربعة ايات

الرخ يدق	الفرس يدق	الدبّابة يدق	الطليمة يدق	الزرافة يدق		الفيل يدق	الجمل يدق	الوزير يدق	الفرس يدق	اليدق يدق
رخ	فرس	دبابة	طليمة	زرافة	الشاه يدق	زرافة	طليمة	دبّابة	فرس	رخ
فيل		جمل		وزير	شاه	فرزين		جمل		فيل

واخبار الشطرنج كثيرة فنكتفي بما اوردنا منها

المشاريع الكاثوليكية في حلب

للاب لويس شيخو اليسوعي

وعدنا في عددنا السابق باننا نفرد نبذةً موجزة لذكر ما انشأهُ الحلبيُّون الكاثوليك من المشاريع الدينيَّة المنبئة بما طُبعوا عليهِ من التقى والغيرة في خلاص النفوس. وها نحن نقسم ذلك ثلثة اقسام نعدّد في القسم الاوَّل مشاريعهم التقويَّة. وفي الثاني منشآتهم لتهذيب الشبَّان وتعليم الاحداث وارشادهم. وفي الثالث نذكر اعمالهم الخيريَّة لمساعدة المبؤوسين

١ المشاريع التقويَّة

هي متعدّدة. اخصُّها الاخويَّات المريميَّة التي لم تزل منذ انشائها الاوَّل في رومية في القرن السادس عشر تأتي بالاثار الجنيَّة وتوطيد روح الدين والتقى حيثما تُقام لاكرام العذراء الطاهرة التي تمدُّ المشتركين فيها بأسبغ النعم. وقد سبقت حلب غيرَها من مدن الشام في تأسيس هذه الاجتماعات الدينيَّة منذ القرن السابع عشر بهمَّة المرسلين لاسيَّما الآباء اليسوعيين الذين اقاموا نحو عشر اخويَّات مريميَّة للطوائف الكاثوليكيَّة المختلفة منها للرجال ومنها للنساء. وبعضها للشبَّان او الاحداث وقفنا على اعمال كثيرين من المنتمين اليها مدوَّنة في سجلَّات قديمة فهي تدلُّ على وفرة دينهم وحسن سيرتهم وممارستهم لكل الفضائل المسيحيَّة

وقد عادت هذه الاخويَّات في حلب منذ خمسين سنة الى نشاطها السابق اذ عرف الحلبيُّون فضلها في إنعاش روح الايمان في القلوب ودفع المنضوين اليها الى كلّ المحامد واعمال البرّ. وهي اليوم تعمّ سائر الطوائف الكاثوليكيَّة في الشهباء يتبادر الى انشائها ارباب الاكليروس والمرسلون معاً فلا تكاد تخلو كنيسة من بعضها يتبارى مرشدوها واعضاؤها غيرةً في ترقيتها ونجاحها

فما سُررنا بمشاهدتهِ من تلك الاخويَّات التقويَّة في كنيسة الآباء اليسوعيين اخويَّة سيّدة الاحزان (الامّ الحزينة) للرجال ولاسيَّما العمّلة من كلّ الطوائف يبلغ

عدد اعضائها اليوم ٣٥٠ شخصاً ممتازين بتقاهم وغيرتهم وتشبثهم بكل وصايا الدين يجتمعون كل احد بعد الظهر ويقضون ساعة في تلاوة فرض السيدة وسبحتها واستماع الارشادات والتغني بمدائح ام الله الموقعة على الآلات الموسيقية الرخيمة

وللنساء فيها اخويتان الواحدة عمومية على اسم اخوية الميتة الصالحة والاخرى خاصة بالفتيات بنات مريم تحت اسم اخوية الحبل بلا دنس وكلتاهما نامية العدد عريقة بالعبادة يجتمع اعضاء الاولى يوم الاربعاء والثانية الخميس . ويدير الآباء اخوية ثانية نسائية للميتة الصالحة في حي العزيزية في كنيسة الكلدان

وفي كنيسة حضرة الآباء المرسلين الفرنسيسيين غير الكاتدرائية اخوية مريمية للشبان يديرها احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل يحضر اجتماعاتها اكثر من ٦٠ عضواً ويترنمون بالتسابيح المريمية الموقعة على آلات الموسيقى

وقد انشأ اكليروس الروم الكاثوليك ايضاً في كنيستهم في حي الجديدة وحي شارع سوس اخويتين للرجال اصابتا نجاحاً عظيماً ينضم الى كل منهما العدد العديد من ذوي التقى والصلاح

وكذلك الموارنة قد اشتهرت لهم اخوية على اسم سيدة مونتليجون (Mont-ligeon) وهي جمعية تقوية أنشئت سنة ١٨٨٤ في بلدة من ابرشية ساي (Séez) في فرنسة فانتشرت في بلاد كثيرة وغايتها اسعاف الانفس المطهرية وقد اغناها الحبر الاعظم بعدة غفرانات ونعم روحية

وكان منشئها في الشهباء سيادة الحبر الجليل ميخائيل اخرس في زمن كهنوته فاصابت نجاحاً عظيماً حتى بلغ عدد المشتركين فيها من الشبان نحو ٨٠٠ وضاق بهم معبد اجتماعهم في الزقاق الطويل فالتجأ مرشدهم الغيور الى ذوي الاحسان فجمع من الدراهم ما كفاه لتشييد كنيسة جميلة تعد من اعظم وابدع كنائس حلب اقامها في حي الحميدية . وقد اخمدت الحرب الاخيرة نوعاً همة اعضائها وانما عادوا اليوم الى ممارسة فرائضهم السابقة واستئناف غيرتهم . وللموارنة في كنيستهم في الحميدية اخوية اخرى للنساء تقام كل يوم خميس

ومن الاخويات التي تأتي حاضراً في حلب بالثمار التقوية الشائقة اخوية الوردية المقدسة المنتسبة الى سيدة بومبي . وان سألت ما هي بومبي وما هي سيدتها ؟

اجبناك انها مدينة قديمة رومانية شهيرة راقية الحضارة . كان موقعها جنوبي نابولي على مسافة ٢٤ كيلو متراً من جبل الفيزوف ذي البركان الناري الذي فار فائرهُ سنة ٧٩ للمسيح فسجّى بحممه ورماده مدينة بومبي وغطّاها بكفن من الملاط لا ينفذ فيه الريح فبقيت المدينة اجيالاً تحت ذاك الكفن الحجري الى ان انتبه اليها في القرن الماضي ارباب الامر ومحبُّو الآثار القديمة فاخذوا يكشفون عنها سترها البركاني ليعيدوها الى حالتها القديمة من ازقّة وشوارع وبيوت ونوادي عموميّة واروقة وتماثيل ونقوش فيظن زائر آثارها انهُ يرى مدينةً نائمة ليست مدينةً غابرة ميّتة

ففي بعض جوانب هذه المدينة اقام احد الايطاليين من رجال الخير والتقى يدعى بارتولو لونكو سنة ١٨٨٧ معبداً لسيّدة الورديّة زانهُ بضروب المحاسن الهندسيّة وضمَّ اليه مآوى للفتيات اليتيمات وللاولاد الفقراء والمهملين لاسيّما ابناء المحبوسين والمحكوم عليهم بالاعمال الشاقّة وجعل تلك المآوى تحت نظارة رواهب غيورات وجعل عبادتهنَّ الخاصّة سيّدة الورديّة المنسوبة الى بومبي وهناك صورتها وتمثالها كما ظهرت للقديس دومينيك وأوحت اليه بورديّتها . وقد بارك الله هذا العمل واظهر ثمّة قوّتهُ بما اجرى من الآيات الباهرة العديدة حتّى انتشرت عبادة سيّدة ورديّة بومبي في انحاء اوربّة فأحبَّ حضرة الاب يوسف ربّاط الكاهن السرياني الحلبي الغيور ان يشرك مواطنيه في الشهاء بهذه النعم فانشأ في كنيسة طائفته الجليلة اخويّة ورديّة سيّدة بومبي فنالت من الحظوة والاستحسان ما جاوز أملهُ وكثر عدد المشتركين بها حتّى بلغ كما قيل لنا نحو ٣٠٠٠ فقسمها الى عدّة فروع للرجال والشبّان والنساء والبنات . وقد خصَّ بها احد مذابح الكنيسة فزانهُ بصورة سيّدة الورديّة العجائبيّة وبتماثيل كبيرة جميلة الصنع تمثّل البتول عند ظهورها للقديس دومينيك لتوحي اليه بالورديّة مع تمثال القديس وتمثال القديسة كاترينا السيانيّة . وقد قدّمنا الذبيحة الالهيّة على ذلك الهيكل وسُررنا بما وجدناهُ من المزدحمين حولهُ كما أطربتنا اصواتهم الخشوعيّة التي تتلو صباح مساء وردّية العذراء الجليلة . فنثني على همّة منشئ هذه الاخويّة ومساعديه والمشتركين بعمله المبرور

هذا وانَّ للارمن الكاثوليك اخويّتهم ايضاً وهي على اسم سيّدة الجبل بلا دنس يعرب المشتركون بها عمّا طُبع عليه بنو طائفتهم من التقى والتعبّد لسلطانة السماء التي

لم تضنّ بنعمها السابغة اليهم . وقد كان الطيب الذكر المرحوم الورتبيد بولس بليط قد انشأ في كنيستهم اخويّةً على اسم « قلب مريم » صادفت اقبالاً عظيماً سنين طويلة ثمّ أتت الحرب فأخمدت انفاسها ولعلّ سيادة المطران اوغسطين صانع يهتمّ بعد رجوعه مؤخّرًا من الاستانة بتجديد حياتها بمساعدة بعض كهنته الافاضل

هذا ما وقفنا عليه من الاخويّات المنشأة في حلب في الطوائف الكاثوليكيّة . ولا شكّ انّ في مدارسهم ومدارس الراهبات اخويّات أخرى لطلبة وفتيان تلك المدارس ضربنا صفحاً عن ذكرها

ولا يسعنا الّا الثناء على جمعيّة اخرى تقويّة تمتاز عن الاخويّات وتُنظّم بين الرهبانيّات فتُساعد كثيرًا على تقديس النفوس والعيال المسيحيّة نريد بها الرهبانيّة الفرنسيسيّة الثالثة التي افردنا لها مقالةً سابقة في المشرق (ص ٥٣٨) ومنها فرعٌ في حلب تحت ادارة حضرات ابناء القديس فرنسيس يبلغ عدد المنتمين اليها ٦٠ عضوًا فتتمنّى لها كلّ النجاح

ونُضيف الى هذه الاعمال التقويّة عملَين آخرين حريّين بالذكر : الاوّل اجتماع كهنة كلّ الطوائف الكاثوليكيّة تحت رئاسة رُعاتهم الاجلّاء في عصر الخميس الواقع قبل اوّل جمعة من الشهر في احدى الكنائس بالمناوبة فيتلون هناك بعض الصلوات لاكرام القلب الاقدس ويسمعون ارشادًا في اخصّ واجبات الكهنوت ويختمون ذلك ببركة القربان الاقدس . وقد اسعدنا الحظّ على حضور ذاك الاجتماع فوجدنا تعزيةً كبرى في ورع الكهنة وتفاهم العميق وارتباط قلوبهم على اختلاف طوائفهم

وفي مساء ذلك النهار عينه يصير في كنيسة الآباء اليسوعيين اجتماع آخر جزيل الفائدة لنموّ العبادة المسيحيّة نريد به اجتماع اخوة السجود الليلي فيقضون ساعةً جاثين امام القربان الاقدس ومقدّمين لقلب يسوع الالهيّ تكفيرًا عمّا يصيبهُ من الاهانات لاسيّما في سرّ محبّته . وفي هذه الجمعيّة مشتركون من كلّ الطوائف بينهم الاغنياء والفقراء الشيوخ والشبّان الكهنة والرهبان ينيف عددهم على المائتين تراهم يتبارون جميعاً في اكرام القلب الالهيّ فيأخذ منظرهم بمجامع القلوب

٢ - المشاريع التهذيبية للشبان والاحداث

قد مرَّ لنا ذكر المدارس في حلب والمشروعات الادبيَّة التي توفَّرت فيها تهذيب الشبَّان. ونزيد على ما قلنا هناك انَّ للطوائف الكاثوليكيَّة ما عدا المدارس الثانويَّة مدارس غيرها ابتدائيَّة مجَّانيَّة للطبقة الفقيرة من العيال المسيحيَّة نخصّ منها بالذكر مدرسةً لطائفة اللاتين تحتوي على ١٥٠ تلميذًا. ثمَّ مدرسة أخرى لطائفة الروم الكاثوليك. ومثلها للسريان وللارمن الكاثوليك. وقد اقامت ايضاً جمعيَّة مار منصور مدرسة لهؤلاء الفقراء لا يقلّ طلبتها عن المئة. ونظنّ انَّ للراهبات مدارس مثلها مجَّانيَّة للفتيات الفقيرات

وفي حلب مشروعات غيرها لتهذيب الناشئة اجداها نفعاً وافضلها غايةً النادي الكاثوليكيّ الذي يُعنى بتدبيره كهنةٌ افاضل من طائفة الروم الكاثوليك وهو تحت إشراف سيادة المطران مكاريوس سابا الجزيل الاكرام. يجتمع فيه خمسون عضواً من نخبة الشبَّان

وممَّا تتَّحد الالسنة والقلوب في تحبيذه والثناء على القائمين باعماله جمعيَّة اخوة التعليم المسيحي التي كان انشأها في حلب المرسل الغيور الاب جليان هنري اليسوعيّ سنة ١٨٨٦ فراجت سوقها رواجاً عظيماً بهمَّة بعض شبَّان الشهباء المتحمّسين في دينهم المتقدين غيرةً في نشر ايمانهم المقدَّس. فجرت على هذه الجمعيَّة تقلُّبات شتَّى بعد وفاة منشئها وقد جدَّدت قواها بعد الحرب وعادت الى سابق مآثرها وهي تتألَّف حاضراً من ٣٥ عضواً معظمهم من الأُسر الحلبيَّة الوجيهة ينتمون الى كلّ الطوائف الكاثوليكيَّة. وهم يدبرون خمسة تعاليم اي خمس فرق من الصبيان في احياء فقيرة مختلفة فيجمعون الصغار في اوقات معلومة ويلقّنونهم الصلوات ومبادئ التعليم المسيحيّ ويعدُّونهم لمناولة القربان الاولى فتقام لذلك حفلات شائقة في المواسم الكبيرة ويوزّعون عليهم الكسوة في ابتداء فصل الصيف ثمَّ ينتدبون الرجال والشبَّان في أيَّام الدوم ليلقي عليهم احد الكهنة بعض المواعظ لرياضة روحيَّة

ثمَّ وجد ذوو الغيرة والتحمُّس انَّ بعض العمَّلة غير الفتية الصغار يحتاجون الى معرفة دينهم وواجباتهم المسيحيَّة وهم يمتنكفون من حضور مجتمعات اولئك

الاحداث فلذلك عمدوا رجاء في استجلابهم على فتح مدارس ليليَّة يدعون اليها اولئك العملة فيعلمونهم مبادئ القراءة والكتابة . فلبَّى دعوتهم بعض زملائهم من اخوة التعليم واعضاء جمعيَّة مار منصور دي بول فتكللت مساعيهم بالنجاح ثمَّ اضافوا الى التعليم المدرسيّ التعليم الديني فوجدوا في قلوب اولئك العملة تربةً صالحة جانتهم عن اتعابهم . وقد خصَّ كثيرون منهم يوم الجمعة ببعض الاعمال التقويَّة على شبه الاخويَّات فيجتمعون في كنيسة السريان فيتلون المسبحة ويسمعون الارشاد الذي يلقيه عليهم احد الكهنة وينالون بركة سيّدة الورديَّة

وللبنات الفقيرات ايضاً اجتماعات اسبوعيَّة يوم الاحد ليتعلَّمن مبادئ الدين والصلاة ويُعَدِّدن نفوسهنَّ للمناولة الاولى . وتقوم راهبات القلبين الاقدسين بهذا العمل الاثير بموجب نذرهنَّ في مدارسهنَّ في الفوري والعلاف والحميديَّة حيث يُنيف عدد البنات المجتمعات لهذه الغاية على الثمانة فيتربَّين على اصول ديانتهنَّ ويألفن الفضيلة منذ نعومة اظفارهنَّ

٣ الاعمال الخيريَّة

كما طُبع اهل حلب على التقى والعبادة كذلك جُبلوا على اسعاف البؤوسين والرحمة نحو الفقراء . وقد ظهرت مبرَّاتهم خصوصاً في ايَّام الحرب الكونيَّة فانهم لم يمدُّوا فقط يد المساعدة نحو البائسين من اهل وطنهم بل تبرَّعوا ايضاً بسخاء بالهم نحو المنكوبين الذين احتلَّوا ربوعهم او نفتهم الى الشهباء الحكومة التركيَّة او اجتازوا بها قبل نفيهم الى الداخليَّة لاسيَّما الارمن فانَّ كثيرين من اهل الخير استنفدوا الوسع لاعانة هؤلاء المظلومين . ومنهم من كانوا يزورونهم في سجونهم وفي مضاربهم المنصوبة خارجاً عن البلد فلطَّفوا اوجاعهم وخلَّصوا البعض منهم من براثن اعدائهم

ولمَّا حطَّت الحرب عن اوزارها شمَّر اصحاب المروءة والرحمة عن ساعد الجدّ لتضميد جروحاتها وشكَّلوا بمساعدة الحكومة المتندبة اللجن لاسعاف المحتاجين ومعالجة المرضى . ولكل طائفة اليوم لجنتها المهتمَّة بمساعدة ذويها . وقد مرَّ لنا ذكر جمعيَّة مار منصور دي بول ونخوة رئيسها واعضائها في مباشرة اعمال الرحمة

ومما يُذكر بالشكر ميتمٌ لطائفة الروم الملكيين يُعنون فيه باعاشة وتربية نحو ٥٠ ولداً

وكذلك للسريان مأوى ليلي كان يلتجئ اليه اهل البأساء المنقطعون فيتّقون فيه من فواجع الطرقات والشوارع. وقد نوّهنا بذكر المأوى الذي فتحتهُ الحكومة المنتدبة بعد دخولها الشهباء.

ولا يسعنا السكوت عن المستشفيات الكاثوليكيّة في حلب اكبرها واجمعها لاسباب راحة المرضى وعلاجهم. مستشفى راهبات مار يوسف الذي ادّى من الخدم الجليلة في زمن الحرب وبعدهُ ما أنطق ألسنة الجميع بفضل مديراتهِ وثقافتهنّ كما عرفوا جميعهنّ بتخريج الفتيات في مدرستيهنّ الداخليتين

ومثلهُ مستشفى كانت تديرهُ في الحرب راهبات سان شرل الالمانيّات توارد اليه عدد عديد من الجرحى والمرضى فوجدوا في القائمات بادارتهِ ملائكة من الرحمة والشفقة

ومما احدثهُ الايطاليّون في حلب بعد اعلان السلم مستشفى لمعالجة ابناء جلدتهم جعلوا تدبيرهُ في ايدي راهبات الطوبوي كوتولنكو الذي اثبت الكرسيّ الرسولي قداستهُ

هذا بعض ما احاط بهِ علمنا من مشروعات الكاثوليك الدينيّة والتهذيبيّة . ولعلّهُ فاتنا شيءٌ منها مما لا يجهلهُ الله ومكتوب ثوابهُ في سفر الحياة

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ الشعر النصراني

رأيت في ما سبق انّ النهضة الشعريّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح

ومما يُذكر بالشكر ميتمٌ لطائفة الروم الملكيين يُعنون فيه باعاشة وتربية نحو ٥٠ ولداً

وكذلك للسريان مأوى ليلي كان يلتجئ اليه اهل البأساء المنقطعون فيتّقون فيه من فواجع الطرقات والشوارع. وقد نوّهنا بذكر المأوى الذي فتحتهُ الحكومة المنتدبة بعد دخولها الشهباء.

ولا يسعنا السكوت عن المستشفيات الكاثوليكيّة في حلب اكبرها واجمعها لاسباب راحة المرضى وعلاجهم. مستشفى راهبات مار يوسف الذي ادّى من الخدم الجليلة في زمن الحرب وبعدهُ ما أنطق ألسنة الجميع بفضل مديراتهِ وثقافتهنّ كما عرفوا جميعهنّ بتخريج الفتيات في مدرستيهنّ الداخليتين

ومثلهُ مستشفى كانت تديرهُ في الحرب راهبات سان شرل الالمانيّات توارد اليه عدد عديد من الجرحى والمرضى فوجدوا في القائمات بادارتهِ ملائكة من الرحمة والشفقة

ومما احدثهُ الايطاليّون في حلب بعد اعلان السلم مستشفى لمعالجة ابناء جلدتهم جعلوا تدبيرهُ في ايدي راهبات الطوبوي كوتولنكو الذي اثبت الكرسيّ الرسولي قداستهُ

هذا بعض ما احاط بهِ علمنا من مشروعات الكاثوليك الدينيّة والتهذيبيّة . ولعلّهُ فاتنا شيءٌ منها مما لا يجهلهُ الله ومكتوب ثوابهُ في سفر الحياة

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ الشعر النصراني

رأيت في ما سبق انّ النهضة الشعريّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح

اي القرن السابق لظهور الاسلام وفي تأخر تلك النهضة سرٌّ غامضٌ ارتاب في فكهِ الباحثون عن اخبار الجاهليّة . فهذه امّة عظيمة منتشرة في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة اوربّة على اطرافها الممالكُ الوطنيّة ذات الجاه والشرف والسلطان سبقت الاسلام بمدّة قرون لا ينقصها شيءٌ من اسباب الحضارة والعمران بينها ارباب العقول الراجحة والاذهان المتّقدة لسانُها من اغنى الالسنة واشرفها واقدرها على التعبير عن كلّ العواطف البشريّة وهي مع ذلك لم تنتج شاعرًا مفلقاً قبل اوائل القرن السادس وذلك باقرار اقدم الكتبة من العرب . فكيف يا تُرى يمكن تعليل ذلك الخمول ؟

إنّنا طالما امعنّا النظر في هذا الامر واستقصينا البحث فيهِ فلم نجد لهُ شرحاً مقبولًا الّا بان نقول ان النصرانيّة كانت اصل تلك النهضة ولأنها لم تبلغ في جزيرة العرب نفوذها وعزّها الّا في القرن السادس وان كان دخولها الى الجزيرة سبق ذلك العهد فكذلك بلغت النهضة الادبيّة معها الى اوج عزّها في ذلك الجيل

١ً وكان من نتائج توغُّل النصرانيّة في جهات العرب انّها سوّلت لهم طرقاً للكتابة التي لا تستطيع الآداب ان تنتشر وتترقّى دونها . فاستمدّ العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق والنبط والحبش . تلك المصادر الثلثة للاقلام العربيّة الاولى اعني القلم النسخي والمسند والكوفيّ . وقد اثبتنا ذلك في باب خاصّ عليك بمراجعتهِ (ص ١٥٢ — ١٥٨) . وناهيك بهِ على ما كان للنصرانيّة من السهم الافوز في حفظ المآثر الادبيّة ونشرها . وقد وقع ذلك في القرن السادس

٢ً وكان للنصرانيّة فضلٌ آخر على ترقية الآداب بين العرب انّ اربابها مع نشر الكتابة نشروا ايضاً التعليم امّا بفتح المدارس للناشئة وامّا بالتعليم الخاصّ وقد جمعنا في فصل سابق (ص ٣٨٩ — ٣٩١) بعض الشواهد المثبتة لقولنا منها المدارس المتعدّدة المنشأة في العراق في اديرة الرهبان وغيرها كان يحضرها احداث العرب كما ذكرنا هناك عن المرقّشَين الاكبر والاصغر وعن عديّ بن زيد وعن ورقة ابن نوفل والبرّاق بن روحان . ونوّهنا ايضاً بذكر معلمين نصارى في مكّة والمدينة وغيرهما . فليت شعري يُحتاج الى برهان اعظم لبيان تأثير النصرانيّة في آداب الجاهليّة وشعرائها المقدّمين في ذلك القرن السادس ؟

٣ً ومن الأدلّة المقنعة على انّ النصرانيّة هي التي بعثت الشعر العربيّ واخرجتهُ

من مهده في القرن السادس انّ ذاك الشعر كان ظهوره اوّلًا بين القبائل النصرانيّة . فان استنتينا على ذلك اقدم الكتبة كابن قتيبة في كتابيه المعارف وفي الشعر والشعراء وابن سلّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص٢٢) وابن الرشيق القيروّاني في العمدة (ص٥٤) ثمّ السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) أجابونا باتّفاق الاصوات انّ الشعر العربي كان اوّلًا في ربيعة . وقد اثبتنا شيوع النصرانيّة في ربيعة كما اجمع عليه الرواة كابن قتيبة (في المعارف ص٣٠٥) وابن رُسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٧) وغيرهما (راجع الصفحة ١٣٠) . ومن ربيعة كانت تلك القبائل العظيمة التي كادت تستولي على جزيرة العرب كبكر وتغلب ابنَي وائل وكبني امرئ القيس وشيبان وعجل وحنيفة وقد تحقّقنا نصرانيّتها كلّها استنادًا الى معظم الكتبة . فالنتيجة بعد ذلك ظاهرة وهي نصرانيّة الشعراء المنتمين اليها الذين سبقوا غيرهم زمنًا كما سبقوهم الى تقصيد القصائد . قال الفرزدق يذكر المهلهل التغلبيّ :

وسهلهلُ الشعراء ذاك الاوّلُ

٤ ولنا بيّنة أخرى على نصرانيّة هؤلاء الشعراء الاوّلين نعني بها منازلهم التي كانوا يسكنونها مع قبائلهم فانّ قبائل ربيعة كانت تحتلّ متاوز ما بين النهرين من الفرات شرقيّ حلب وجنوبها الى جهات الموصل والعراق ولا يزال يُطلق على قسم كبير منها اسم ديار بكر وديار ربيعة . وكانت هناك النصرانيّة راسخة القدم منذ القرن الرابع للمسيح فتنسّك فيها الحبساء بعدد وافر كصعيد مصر وتشيّدت فيها اديرةٌ ذكر منها كتبة السريان والعرب ما ينيف على المئة عدًّا . فما لبثت تلك القبائل العربيّة ان جحدت الشرك ودانت بدين المسيح وقد روينا في القسم التاريخيّ كثيرًا من اخبارها والشواهد على تنصّرها نقلناها عن اصدق الرواة من يونان ولاتين وسريان بينهم كتبة كانوا معاصرين للامور التي يخبرون بها وشهود عيانيّون لما يدوّنونهُ في بطون التواريخ تارةً يذكرون كنائسهم وتارةً اساقفتهم الساكنين بينهم في الحضَر والمدَر وتحت الخيم وحينًا مزاراتهم الدينيّة الى غير ذلك من الدلائل الصريحة على ايمانهم

فلمّا ظهر الاسلام اقرّ كتبتهم بما تحقّقوهُ من تنصّر تلك القبائل وقد دوّنا ما اعلنوا بهِ حيث قالوا « انّ من قبائل العرب المتنصّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وتنوخ وجذام » وكلهم من ربيعة او من القبائل اليمنيّة المحالفة لهم

ومما يجدر بالاعتبار انّ بين هؤلاء الشعراء قرابةً يُستدلُّ بها ايضاً على وحدة دينهم فانّ كليباً والمهلهل كانا خالي امرئ القيس بن حجر الكندي وامّهُ فاطمة اختهما . وكان المرقّش الاكبر عوف بن سعد عمّ المرقّش الاصغر عمرو بن حرملة وكان هذا عمّ طرفة ابن العبد وكانت امّ طرفة وردة وهي اخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح

٥ ويؤيّد قولنا في نصرانيّة هؤلاء الشعراء انّ من يراجع دواوينهم او ما رُوي عنهم من القصائد لا تجد فيها اثرًا للشرك وعبادة الاصنام اللهم الّا في بعض الاقسام التي بيّنّا انّها كانت الفاظاً جارية على السنتهم كما ترى من اشكالها في ألسنة كلّ الشعوب دون اشارة الى معتقد البتّة (اطلب الصفحة ٧٠٥)

٦ وعلى خلاف ذلك تجد في شعرهم آثارًا بيّنة لاعتقادهم بالاله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات واشارات واضحة الى الأسفار المقدّسة والى الانبياء والى العادات النصرانيّة وقد جمعنا منها فصولًا واسعة مرّ ذكرها في كتابنا هذا فلتُراجع . وهذا يصحّ ايضاً في معظم الشعراء الذين جمعنا قصائدهم في كتاب شعراء النصرانيّة سواء كانوا من اياد او مضر او قضاعة او طيئ او من اليمانيّة

ولا شكّ انّنا كنّا وجدنا في منظوماتهم ما هو ادلّ على دينهم لو لم يُفقد كثير منها . وزد على ذلك انّ اهل اللغة الذين حاولوا جمع تلك الآثار لم يباشروا بتدوينها الّا في اواسط القرن الثاني للهجرة اذ كان قسم كبير منها قد اخذتهُ يد الضياع او تلف بالنسيان . وكان هؤلاء الرواة مُسلمين لا يهمّهم غير الفرائد الادبيّة والنوادر اللغويّة فيضربون الصفح عمّا يعزّز ديناً غير الدين الاسلامي . ويثبت ذلك ما تجد في المعاجم من ابيات متفرّقة دُوّنت في مظانّها يُستفاد منها اشياء كثيرة عن نصرانيّة اهل الجاهليّة رويناها في ما سبق كلآلئ فريدة من قلائد منفرطة

وان قيل ما لهم لم يصرّحوا بنصرانيّة هؤلاء الشعراء فيزيلوا بذلك الشكّ والريب ؟

السبب (الاوّل) لذلك كما قلنا انّ الرواة السابق ذكرهم قلّما سعوا في البحث عن اديان اولئك الشعراء واذا تصفّحت ما نقلوهُ من اخبار شعراء الجاهليّة لا تكاد تجد تنويهاً باحوالهم الدينيّة . وان ذكروا شيئاً من ذلك رووهُ استطرادًا لا تعمّدًا . ولولا اشارات خفيفة عن البعض الذين لا شبهة في نصرانيّتهم لما تحقّقنا دينهم كقسّ بن

ساعدة وعديّ بن زيد وجابر بن حني والبرّاق بن روحان وبسطام بن قيس

السبب (الثاني) لسكوت الرواة عن نصرانيّة اولئك الشعراء أنهم كانوا من قبائل عصاميّة صحيحة النّسب فما كانوا يرون داعياً الى ذكر دينها وكلها متساوية في شرف جنسها العربيّ من قحطان او من عدنان على خلاف القبائل اليهوديّة فانّ الكتبة الاقدمين يميّزونها عن القبائل العربيّة ويصرّحون بيهوديّتها نسباً ودينًا كقريظة والنضير

والسبب (الثالث) الذي قضى على الرواة المذكورين الإضراب عن ذكر اديان الشعراء ما وجوده من الاختلاف في نصرانيّتهم. فانّ دعاة النصرانيّة الذين دخلوا في جهات العربيّة لم يكونوا على معتقد واحد فكان بينهم الصحيح الايمان كالقديس بنتانوس (St Panténe) واوريجانوس وموسى رسول الغسّانيين والقديسين هيلاريون ونيلوس وافتيموس ثم عتبهم النساطرة في العراق وفي سواحل البحرين وعُمان واليمن واليعاقبة في جهات الفرات وما بين النهرين وبادية الشام. وكان فرّ الى جزيرة العرب كثيرون من المبتدعين لينجوا من مصادرة ملوك الروم وغيرهم كاللاأدريين والمندائيّين ومتنصري اليهود المدعوّين بالإبيونيين والكسائيّين وهلمّ جرًّا حتّى انّ القديس ابيفانيوس منذ القرن الرابع كان يصف جزيرة العرب بكثرة بدعها واضاليلها

ومن ثمّ اذا تكلّمنا عن شيوع النصرانيّة في جزيرة العرب لسنا نقصد بها الديانة الكاثوليكيّة الخالية من كلّ ضلال بل الدين المسيحي عمومًا مع ما اختلط به من آراء الهراطقة الباطلة. والحقّ يقال انّ توفّر هذه الشيع وتعاليمها المتناقضة هي التي سوّلت للاسلام الفوز بالنصرانيّة في جزيرة العرب وفي البلاد الخارجة عنها. وقد ظهر بعد ذلك في نفس الاسلام شيء كثير من تلك البدع كما ترى في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابن حزم وغيرهما فكانت كنار تحت رماد شبّت بساعي الخوارج والملحدين في ايّام الخلفاء

واراؤنا هذه عن شيوع النصرانيّة في كلّ انحاء العرب ونفوذها في آدابهم وشعرهم قد تحقّقها غيرنا من كبار المستشرقين كدي ساسي ولونورمان في فرنسة وبالغراف (Palgrave) وليّال في انكلترّة (١ ورلهوزن في المانية فيرون في معظم الشعر الجاهلي

١) اطلب كتاب ليال في مقدّمة ترجمته الانكليزيّة G. Lyall : Translation of ancient Arabian Poetry

واطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير
انيَّة مما يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها
لعرب قبل ذلك العهد وذلك وقتاً ما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك
وبعض التبابعة فأثرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء اولئك
فقصدوهم متديِّنين بدينهم . وقلَّما تجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من
كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل
بن عمرو وشعراء طيء (التتمة لعدد آخر)

خرافة البابا حنة

فكاهة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

ما كنا لنظنّ ان بعض الخرافات التي اكل عليها الدهر في مواطنها وشرب تقطع
وتظهر في سواحلنا كالبضاعة الكاسدة في بلدها تُرسل الى الاقطار الاجنبيَّة
روج فيها

هذه الروايات الصبيانيَّة خرافة البابا حنة سألنا رأينا فيها احد ادباء البروتستانت
افندي الرشي وقد أطلعهُ عليها احد دُعاة الإرساليَّة الاميركانية فرأينا ان
بها قرَّاءنا ليعلم السوريون الى اي حدٍّ يبلغ البغض للكنيسة الكاثوليكيَّة
ب اعدائها

١ من هي البابا حنة

زعم مؤرخو البروتستانت ومن استند اليهم في القرن السادس عشر انَّ فتاة
حنَّة اصلها من مايُنس في المانية عشقت في القرون الوسطى رجلاً سافرت معهُ
لاد اليونان فاستوطنا عاصمتها اثينة وانكبَّت حنَّة هناك على العلوم فبرَّزت فيها
اجازاتها . ثمَّ مات عشيقها فعادت الى اوربَّة وتنكَّرت بملابس الرجال واتخذت

واطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير
انيَّة مما يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها
لعرب قبل ذلك العهد وذلك وقتاً ما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك
وبعض التبابعة فأثرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء اولئك
فقصدوهم متديِّنين بدينهم . وقلَّما تجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من
كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل
بن عمرو وشعراء طيء (التتمة لعدد آخر)

خرافة البابا حنة

فكاهة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

ما كنا لنظنّ ان بعض الخرافات التي اكل عليها الدهر في مواطنها وشرب تقطع
وتظهر في سواحلنا كالبضاعة الكاسدة في بلدها تُرسل الى الاقطار الاجنبيَّة
روج فيها

هذه الروايات الصبيانيَّة خرافة البابا حنة سألنا رأينا فيها احد ادباء البروتستانت
افندي الرشي وقد أطلعهُ عليها احد دُعاة الإرساليَّة الاميركانية فرأينا ان
بها قرَّاءنا ليعلم السوريون الى اي حدٍّ يبلغ البغض للكنيسة الكاثوليكيَّة
ب اعدائها

١ من هي البابا حنة

زعم مؤرخو البروتستانت ومن استند اليهم في القرن السادس عشر انَّ فتاة
حنَّة اصلها من مايُنس في المانية عشقت في القرون الوسطى رجلاً سافرت معهُ
لاد اليونان فاستوطنا عاصمتها اثينة وانكبَّت حنَّة هناك على العلوم فبرَّزت فيها
اجازاتها . ثمَّ مات عشيقها فعادت الى اوربَّة وتنكَّرت بملابس الرجال واتخذت

لها اسم يوحنا الانكليزي وسكنت رومية فاشتهرت فيها بعلومها . واذ توفي بابا رومية وقع عليها الاختيار فجلست على كرسي الخلافة البطرسية مدة سنتين بنيف . واضافوا الى هذه الفاسف أنها اذ تصدرت في احد الطوافات الدينية تمخضت بمولود فعرف امرها ثم حكم عليها فرجمت

هذه هي الرواية الغريبة التي اشاعها في سويسرة والمانية اولاً ثم في بقية الاقطار البروتستانية انصار لوتاروس وكلوين فدونوها في كتبهم كاحدى الحقائق الراهنة التي لا يجوز الشك فيها

٢ زمن وجود البابا جنة

يقول المثل العربي ان الكذب حبله قصير . وفي مثل آخر ان جلبة الكذب لساعة وغلبة الحق الى ظهور الساعة . وقد صح ذلك في رواية البابا جنة . وكان اول ما لاح مكر المخترعين لتلك القصة الخسيسة اختلافهم في تعيين زمن وجود البابا جنة . ولا يخفى على احد من المؤرخين المحققين المدققين ان السلسلة البابوية راقية بلا انقطاع الى عهد هامة الرسل القديس بطرس النائب الاول للسيد المسيح ترويها السجلات الرومانية كما اثبتها غير واحد من مؤرخي الكنيسة وسواهم واذا راجعت تلك السلسلة لن تجد البتة انفصاماً في حلقاتها ولا ادنى اثر للبابا جنة المذكورة

وان سألت البروتستانت ان يعينوا تاريخاً صحيحاً للمرأة المزعومة انفرط عقدهم وذهبوا في تعيين زمنها مذاهب متناقضة كانت اول دليل على كذب تلك الاشاعة . فمنهم من زعموا ان جنة المذكورة جلست على الكرسي البابوي في غرة شهر آب سنة ٨٥٤ بعد القديس لاون الرابع الشهير بما اضاف الى رومية من الاحياء التي عرفت باسمه فدعيت بالمدينة اللاونية . والحال قد اجمع كل المؤرخين ان بندكتوس الثالث خلف لاون الرابع دون مهلة تذكر وتشهد على ذلك رسالة هنكمار رئيس اساقفة ريمس الذي اخبر انه ارسل وفداً الى البابا لاون الرابع ليثبت اعمال مجمع سواسون فلما وصلوا الى عاصمة الكثلكة وجدوا البابا قد مات وخلفه بندكتوس الثالث

ويشهد على الامر ذاته ايضاً فوطيوس في كتابه عن انبثاق الروح القدس (Migne PP. GG., CII, 376-7) حيث يقول ما تعريبه : « قد عرف جيلنا خبراً جليلاً

شهدت معجزاتهُ على قداستهِ وهو البابا لاون الذي قام خلفاً لهُ بندكتوس ذاك ملاك الحلم والمحبَّة . ثمَّ تبعهُ نقولا . . . »

وكتب المؤرخ المعاصر أدون من ثينًا من اعمال فرنسة في تاريخهِ (Migne:PP. LL. CXXIII, col. 137) قال: «لمَّا توفي لاون الرابع خلفهُ على الكرسي الرسولي بندكتوس . . ثم قام بعد بندكتوس ذلك الحبر العظيم نقولا فدُفن عند وفاتهِ بقرب سلفهِ تحت رواق كنيسة القديس بطرس »

فترى أنهُ ليس سندٌ البتَّة لزعم القائلين بجلوس البابا حنَّة في القرن التاسع . وقد ارتأى غيرهم انها كانت في القرن الحادي عشر وانَّ جلوسها على العرش البابوي كان سنة ١٠٨٩ وهو رأي جان دي مالبي (J. de Mailly) وليس كلامهُ اثبت من السابق فانَّ في تلك السنة كان ضابطاً لأزمَّة الكنيسة البابا اوربانوس الثاني الشهير المعلن بالحروب الصليبيَّة الذي خلف في آذار سنة ١٠٨٧ فكتور الثالث المتوفى في ايلول ١٠٨٦ . وقال اتيان دي بوربون انَّ البابا حنَّة كان مالكاً سنة ١١٠٠ وهو ايضاً قول خالٍ من كلِّ مسحة حقٍّ لأن الجالس على السدَّة البطرسيَّة في تلك السنة كان احد مشاهير عصرهِ البابا بسكال الثاني الذي دبَّر كنيسة المسيح من السنة ١٠٩٩ الى ١١١٨ . فهذه كلُّ مخترعات القائلين بخرافة البابا حنَّة

٣ اصل هذه الخرافة وطريقة شيوعها

وهلمَّ نسأل وما اصل هذه الخرافة وكيف امكن مخترعيها ان يذيعوها في امكنة عديدة حتَّى حسبها بعض الكتبة من الامور التاريخيَّة الراهنة . ها نحن نبيِّن ذلك استناداً الى اصدق المؤرخين الكاثوليك والبروتستانت معاً

لمَّا كانت السنة ١٥٥٠ نشر الكتبيُّ البروتستاني المدعو جان هيرولد (J. Hérold) من مدينة بال في سويسرة تاريخين : الاول لمؤلفٍ يُدعى ماريانوس سكوتوس (الاسكوتلندي) المتوفَّى سنة (١٠٨٥ م) وكان اصلهُ من ارلندة وترهَّب في رهبانية القديس مبارك . ويبتدئ تاريخهُ من اوَّل العالم الى زمانهِ اي السنة ١٠٨٣ . والتاريخ الثاني لرتينوس البولوني رئيس اساقفة غنيسن المتوفَّى سنة ١٢٧٨ ألَّف تاريخاً جامعاً لاخبار الكنيسة منذ اوائل النصرانيَّة الى زمانهِ

فالمتولي نشر التاريخين السابقين تجاسر فدسَّ في الاوَّل في تاريخ سنة ٨٥٤ ما تعريبهُ : « في غرَّة آب من هذه السنة توفي البابا لاون فخلفتهُ امرأة تُدعى حنَّة دبَّرت الكنيسة سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام » فجعل هيرولد هذه الفقرة كمقدِّمة لما اراد بسطهُ في التاريخ الثاني لرئيس اساقفة غنيسن حيث روى ذاك الخبر الغريب على هذه الصورة : « قام في تدبير الكرسيّ الرسولي بعد لاون الرابع يوحنَّا الانكليزي من مايَنس فدبَّرهُ سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام ومات في رومية . يقال انَّ يوحنَّا المذكور كان امرأةً رحلت في أيام شبابها مع عشيقها الى اثينة فتنكَّرت بلبس ثياب الرجال ودرست العلوم في تلك الحاضرة الشهيرة فبرعت فيها وغلبت اشهر اساتذتها بذكائها . ثم قدمت الى رومية على زيّها متنكِّرةً فعلَّمت المنطق والطبيعيات والادب حتَّى تزاحم التلامذة حولها مفتخرين بالتخرُّج عليها . وقد بلغ بها علمها الفريد وحسن سيرتها الى انتخابها للمنصب البابويّ . لكنَّها لما اصابت ذاك المقام الرفيع خالفت سلوكها وفي بعض الأيام اذ كانت جاريةً في موكب فخيم من كنيسة القديس بطرس الى كنيسة مار يوحنَّا اللاترانيَّة تمخضت كما قيل بين كنيسة القديس اقليميس ومسرح الكوليزه فماتت ودُفنت هناك ولذلك لم يعد الاحبار الرومانيُّون يمرُّون على هذه الطريق انفةً وتكرُّهاً »

فلمَّا طُبع هذان الكتابان جعل المتشيِّعون للوتاروس واعداء الكنيسة يطنبون ويزمِّرون برواية هذه القصَّة ويزيدون عليها كلَّ ما تسوِّله لهم مخيِّلتهم السجة : غير انَّ ذوي النزاهة منهم ارادوا ان يتحقَّقوا صحَّة هذه الحكاية فطلبوا نسخاً مخطوطة من التاريخين المشار اليهما فما لبثوا ان وقفوا على وقاحة هيرولد وتزويره للكتابين فانَّ العلَّامة ڤيتز (M. Waitz) توفَّق الى اكتشاف النسخة الاصليَّة من تاريخ ماريانوس مخطوطةً بيده فلم يجد اثرًا لتلك الرواية ثمَّ وُجدت نُسخ اخرى من كتابهِ وكلُّها خالية منها

وهكذا فعل العلماء البروتستانت باوندل (Blondell) وليبنتس (Leibnitz) وصموئيل مار (S. Mares) وغيرهم في انتقاد تاريخ مرتينوس البولوني فثبت لهم تزوير هيرولد فقبَّحوا عملهُ واعلنوا بكذبهِ ومكرهِ . واذ اراد المؤرِّخ سبانهيم ان يدافع عن صحَّة رواية حنَّة البابا فنَّد الفيلسوف ليبنتس حججهُ فلم يدع منها اثرًا وتفنيدهُ

هذا في مجموع تآليفه (ك ١١ ص ٢٨٦) وكفى بشهادة مثله بياناً للحقيقة

وكان ممخرق آخر من البروتستانت زوّر مثل هيرولد تاريخاً قديماً لسيغبرت من كتبة القرن الثالث عشر فتصدّى له ناشرو مآثر جرمانية : (Pertz et Bethmann Monumenta Germaniæ) فأثبتوا في تأليفهم النسخة الصحيحة من هذا التاريخ وقابلوها بنسخ غيرها وكلّها تجهل خرافة البابا جنّة

ولمّا عُقد في باريس مؤتمر برامي (Poissy) سنة ١٥٦١ فحضره البروتستانت والكاثوليك اعترض زعيم اهل الشيعة تاردورس دي باز (T. de Bèze) على الكاثوليك بقصّة البابا جنّة فقام ذاك الجهبذ المرتد عن البروتستانت الكردينال دو برون (Du Perron) فأفحمه فلم يُحِرْ جواباً . واليوم لم يَعُد الى ذكر هذه الخرافة الّا الجهلاء الذين ليس لهم ادنى إلمام بالتاريخ او يستقون معلوماتهم من دائرة معارف البروتستانت القديمة (les Centuriateurs de Magdebourg) التي يأنف المحقّقون مراجعتها لكثرة اكاذيبها وتزويراتها

ولعلّك تسأل اليس في التاريخ اثرٌ ما قد اتّخذه النصّابون كحجّة لروايتهم هذه الغريبة ؟ يجيب العلماء على ذلك بقولهم انّ هذه الرواية اشاعها بعض الايطاليين المعادين للبابا يوحنّا العاشر سنة ٩١٤ لأنّ انتخابهُ صار بمساعي الاميرة تاردورة من دوقات مقاطعة توسكانة التي كانت تسلّطت على رومية وتمكّنت بنفوذها من تنصيب البابا المذكور على الكرسيّ الرومانيّ فدعوا البابا تهكّماً البابا جنّة

وقال غيرهم وهو الرأي المرجّح انّهُ شاع في ايطالية انّ ذوي الاحزاب المتعدّدة الذين كانوا يسطوا حكمهم على مدينة القسطنطينيّة في اواسط القرن الحادي عشر اقاموا على كرسيها البطريركي امرأةً فبلغ الخبر الى مسامع البابا لاون التاسع فكتب سنة ١٠٥٤ لميخائيل كرولاريوس رسالة رُويت في جملة اعمال الآباء اللاتين (Migne, PP. LL. CXLIII. col. 760) يقول فيها ما تعريبهُ : «حاشانا ان نصدّق ما يتناقلهُ الصوت العام عن كنيسة القسطنطينيّة فانّهم يشيعون انّهُ جلست امرأة على كرسيها البطريركي بيد انّ ما نعرفهُ عمّا يجري في هذه الكنيسة من القلاقل والى اي حدّ بلغت من إهمال القوانين المقدّسة في تنصيب رجال لا اهليّة لهم البتّة لتدبير الكنيسة يدفعنا الى الظنّ بوقوع مثل هذه الشكوك» . فلا يبعد انّ هذه الإشاعة عن كرسيّ

القسطنطينيَّة حولها زورًا بعض الملاحدة على الكنيسة الرومانيَّة وموهوها بتفاصيل فريَّة كاذبة . وعلى كلّ حال لو كان الكرسيّ الرسوليّ في القرن التاسع الى القرن الحادي عشر تدنَّس بما نسبهُ اليهِ المشعوذون لما كان سهاه كيرولاريوس بطريرك القسطنطينيَّة وهو من ألدّ اعداء الكنيسة الرومانيَّة عن تقريع البابا لاون التاسع ورد سهمهِ اليهِ

فهذه نبذة قصيرة كان يمكننا ان نطيلها بشواهد غيرها تزيدها اثباتاً لكنَّ في ما ذكرنا الكفاية لمن يطلب الحقّ ويزيف الباطل

آثار قديمة في معراب

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

قبل ان نباشر بوصف هذه الآثار احببنا ان نصدّرها ببعض المعلومات التي استفدناها من حضرة الخوري المفضال بطرس باسيل الذي حضر اكتشاف تلك العاديَّات في معراب في بعض املاكهِ قال :

معراب قرية صغيرة في كسروان تتَّصل بفوسطا من جهة الجنوب وبدلبتا من الشمال وهي على جبل عالٍ مشرف على البحر يمتدّ منها النظر الى مسافة بعيدة طيبة الهواء بما يكتنفها من الغابات الكثيفة وفي وسطها رابية مستديرة الشكل تعلو عن سطح البحر نحو من ٨٤٠ متراً . وعلى قمَّة هذه الرابية المعروفة « بالقلعة او الحصن » آثار ابنية قديمة العهد بقي منها قسم اساس جهتيها الشرقيَّة والجنوبيَّة . والى جانبيها الشرقيّ والشماليّ ابنية متهدّمة متراكمة ممَّا يدلّ على شرف هذا المكان في سالف العصور . وقلَّما ورد لها ذكرٌ مع ذلك في كتب المؤرخين الَّا عرضاً . قال الدويهيّ في تاريخ الطائفة المارونيَّة (ص ١٢٥ — ١٢٦) في وقائع سنة ١٣٠٧ ما حرفهُ : « قيل ان جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقيّ غزير » . وروى مثل ذلك الامير حيدر في تاريخهِ (ص ٤٨١) وانَّما دعا بانيهُ « سليمان بن معراب »

القسطنطينيَّة حولها زورًا بعض الملاحدة على الكنيسة الرومانيَّة وموهوها بتفاصيل فريَّة كاذبة . وعلى كلّ حال لو كان الكرسيّ الرسوليّ في القرن التاسع الى القرن الحادي عشر تدنَّس بما نسبهُ اليهِ المشعوذون لما كان سهاه كيرولاريوس بطريرك القسطنطينيَّة وهو من ألدّ اعداء الكنيسة الرومانيَّة عن تقريع البابا لاون التاسع ورد سهمهِ اليهِ

فهذه نبذة قصيرة كان يمكننا ان نطيلها بشواهد غيرها تزيدها اثباتاً لكنَّ في ما ذكرنا الكفاية لمن يطلب الحقّ ويزيف الباطل

آثار قديمة في معراب

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

قبل ان نباشر بوصف هذه الآثار احببنا ان نصدّرها ببعض المعلومات التي استفدناها من حضرة الخوري المفضال بطرس باسيل الذي حضر اكتشاف تلك العاديَّات في معراب في بعض املاكهِ قال :

معراب قرية صغيرة في كسروان تتَّصل بفوسطا من جهة الجنوب وبدلبتا من الشمال وهي على جبل عالٍ مشرف على البحر يمتدّ منها النظر الى مسافة بعيدة طيبة الهواء بما يكتنفها من الغابات الكثيفة وفي وسطها رابية مستديرة الشكل تعلو عن سطح البحر نحو من ٨٤٠ متراً . وعلى قمَّة هذه الرابية المعروفة « بالقلعة او الحصن » آثار ابنية قديمة العهد بقي منها قسم اساس جهتيها الشرقيَّة والجنوبيَّة . والى جانبيها الشرقيّ والشماليّ ابنية متهدّمة متراكمة ممَّا يدلّ على شرف هذا المكان في سالف العصور . وقلَّما ورد لها ذكرٌ مع ذلك في كتب المؤرخين الَّا عرضاً . قال الدويهيّ في تاريخ الطائفة المارونيَّة (ص ١٢٥ — ١٢٦) في وقائع سنة ١٣٠٧ ما حرفهُ : « قيل ان جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقيّ غزير » . وروى مثل ذلك الامير حيدر في تاريخهِ (ص ٤٨١) وانَّما دعا بانيهُ « سليمان بن معراب »

فمن هو هذا ابن معراب او ابن مغراب ؟ وهل يتفق عهده مع عهد هذه الابنية في القدم ؟ فانَّ هناك من الآثار الرومانيَّة وسواها ما لا ينطبق على هذه الرواية من حيث الزمان

وفوق قرية معراب في شرقيها على بعد عشرين دقيقة منها قرية اخرى صغيرة تدعى « قلعة معراب » لوجود بناء عظيم بقربها

وقد وصف حضرة الاب لامنس في كتابه تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الاثار (١ : ٣٧ — ٣٨) هذه القلعة ويرجح هناك انها اخربة معبد قديم اقامه الرومان على تلك المشارف . وموضوع بحثنا هنا ليس هذه القلعة البعيدة عن القرية بل الحصن الكائن في نفس معراب وراء الكنيسة القديمة شمالاً وهو الذي اشار اليه الدويهي

فبينما كان بعض الفعلة يشتغلون بحفر اساس بيت جديد شرع في بنائه حضرة الخوري باسيل على انقاض ذلك الحصن اذ عثروا على صحيفة مبتورة طولاً وعرضاً على جانبيها كتابة لاتينيَّة نثبت نصها وفحواها قريباً . وكذلك سنذكر اهم المسكوكات النحاسيَّة التي وجدت هناك مع تمثال ثور صغير من البرونز قديم جداً وسنان سهم او حربة

وقد افادنا حضرته انهُ قد عثر على رأس تمثال من الحجر الابيض المعروف بالجوي والرأس مشوَّه الانف والحاجبين يبلغ علوُّهُ نحو ثلاثين سنتيمتراً وقطرهُ نحو العشرين ؛ وعثر ايضاً على حجر من هذا النوع يبلغ علوهُ نحو ١٣٠ سنتيمتراً بعرض ٤٠ مربع الشكل على جوانبه الاربعة نقوش ورموز لم يُدرَك مغزاها . وقال ان بعض شيوخ قريته اخبرهُ انهُ عندما شرع اهل القرية ببناء كنيستهم كانت جدران هذا الحصن لم تزل قائمة على علو نحو اربعة اذرع فنقلوا حجارته واقاموا بها كنيستهم . وعثروا على جثة صنم مقطوع الرأس وليس لهم اهمية في الاثار فنحتوا هذه الجثة وجعلوها عتبة لباب الهيكل

وهاك الآن وصف اخص للنقود القديمة التي عرضها علينا حضرة الاب مع شرح الكتابة المنقورة على جانبي الصفيحة

﴿النقود﴾ اقدم ما فيها من المسكوكات يرتقي الى عهد الرومان ما عدا نقداً

واحدٌ كبيرًا من البرونز ضربهُ على اسمهِ بطلميوس الثالث المعروف باورغاتيس . في مدينة بطلمايس وهي عكة . ومعظم هذه النقود هي بيروتيَّة ضُرب واحد منها في بيروت على عهد القيصر يزُفا (٩٦–٩٨م) . وبينها نقدٌ آخر عليهِ اسم القيصر تراجان (٩٧–١١٨م) ونقدٌ ثالث على زمن كراكلا (١٩٨–٢١٧م) . ثمَّ نقد رابع ضرب في أيام الملك غورديانس الثالث (٢٣٨–٢٤٤) . وبين تلك المسكوكات ثلثة لمدينة صيداء عليها صورة القيصر هيارغابال الحمصيّ الاصل (٢١٨ – ٢٢٢) ثم نقدان الواحد للقيصر كومودس (١٧٥ – ١٩٢) والآخر لهليوغابال وهذان ضُربا في جبيل – واخيرًا مسكوك نحاسيّ لدومطيانوس قيصر (٨١ – ٩٦) ضُرب في انطاكية . فيستفاد من هذه النقود انَّ المحلَّ كان مأهولًا في أيام الرومان لكنَّ شهادتها لا تكفي لبيان حضارة اهلها وخصبها

﴿ الصفيحة المعدنيَّة ﴾ يجب نظمُها في سلك الصفائح اللاتينيَّة المعروفة بالاجازات العسكريَّة . وكانت هذه الاجازة كصكٍّ رسميّ يُعطى لقدماء الجنود الذين كانوا خدموا في احدى الفرق العسكريَّة مدَّة ٢٥ سنة ينالون بموجبها حقوق المدنيَّة الرومانيَّة هم واولادهم . وكانوا يصدرون هذه الاجازة بموجب قرار من الامبراطور على صورة الشرائع فينقش نصُّها على صفيحة من البرونز ثمَّ يعلَّق اوَّلًا في رومية على قمَّة الكابيتول ثمَّ على جبل پلاتان وراء هيكل اوغسطس . وكانوا يهدون منهُ نسخةً للمنعَم عليهِ بهذا الامتياز وكان النصّ مرقومًا على صفيحتين من المعدن مثقوبتين بثقوب متوازية ينظمون فيها اسلاكًا تضمُّها ضمًّا شديدًا بحيث تستحيل قراءة ما كُتب في داخلها وانَّما النصّ يُقرأ فقط على احد الوجهين الخارجيَّين . والوجه الآخر كان يتضمَّن اسماء ستَّة شهود على صحَّة النسخة وامانتها . امَّا الوجهان الداخليَّان فكانا ملتحمين بستَّة ختوم من الشمع ومكتوب عليهما ما كان مرقومًا على الصفيحتين الخارجيَّتين احترازًا من التزوير واثباتًا لصحة الاجازة

والقطعة الصغيرة من الاجازة العسكريَّة التي وجدت في معراب قد كُتب على وجهَيها نصّ الحكم الامبراطوري الذي بموجبهِ تُمنح حقوق المدنيَّة الرومانيَّة لاحد قدماء الجنود الذي سقط اسمهُ واسم الفرقة التي كان منتظمًا فيها وانما ورد فيها كالوف العادة لائحة فيالق الفرسان والمشاة الذين نال جنودهما القدماء حقوق المدنيَّة

الرومانيَّة . واذا قابلنا بين اجازة معراب واجازات أُخرى وُجِدت في غير بـلاد (١
ـكنَّا القول بانَّ الجندي صاحب اجازة معراب كان من جنود فيالق راسية Rhétie
باللاتينيَّة Rætia من اعمال بلاد بافـارية وتيرول المتدَّة الى نهر إنّ (Inn) .
دونك نصّ معراب في اصلهِ اللاتينيّ مع تدوين الالفاظ المختصرة والـدلالة على
المحذوف منها بقوسين ( ) امَّا الساقط منها فدللنا عليهِ بمعقَّين [ ]:

Imp(erator) Cæs(ar), divi H(adriani) f(ilius), divi Trajani Parthi
ci nep(os), divi Nervæ prone(pos), T(itus) Aelius H(adrianus)
Antoninus Aug(ustus) Pius, pont(ifex) max[(imus), trib(unicia
potes(tate) .
imp(erator) II, co(n)s(ul) II[II, p(ater)p(atriæ),
equitib(us) et peditib(us) qui m[ilitaver(unt) in alis
IIII quæ appellantur II Fl(avia miliaria) [et ....
et I Fl(avia) Gemell(iana) et Sing(ularium) c(ivium) r(omano
rum) et coh(ortibus) XIII, I F(lavia) Canath(enorum)
(miliaria) Sag(ittariorum) et[Breucor(um) et I et II Ræt(orum
et II Aquit(anorum
et III Bracaraug(ustanorum) et II Th(racum)] et III Th[ra
c(ium
c(ivium) r(omanorum) et III Britann(orum) et IIII[Gall(o
rum) et V Bracar] aug(ustanorum
et VI Lusit(anorum) et VIIII Batav(orum) [et sunt in Raetia
sub Vario Clemente proc(uratore), XXV[stipend(iis)
[emer(itis) dimiss(is) honest(a)] missione, qu[orum nomina
[subscripta sunt ...

واوَّل ما يستفاد من هذا الاثر لائحةُ ما كان للرومان من الفيالق العسكريَّة في
لاد ريسية من السنة ١٥٤ الى ١٦٠ للمسيح . ومنهُ ايضـاً يتَّضح معنى ونسبة آثار
ـرى مثله كالاجـازة الرابعة والـثين في تاريخ سنة ١٥٣ التي وجدت في مـدينة

(١ اطلب مجموع الكتابات اللاتينيَّة = Dipl. XXXV (XXIV) - CIL, III, 866
Dessau, 2002; Dipl.LXXIII,-CIL,III S,p 1991.

واتسبون (١ . فانها منذ الآن يجب نسبتها الى فيلق ريسية بدلاً من فيلق النوريك (Noricum) والنوريك اقليم روماني يوافق اليوم بلاد غسة الحاليَّة

ثم يمكننا ايضاً ان نستخلص من هذا الاثر ان اهل سوريَّة الذين كانوا يكتبون في الجنديَّة الرومانيَّة كانوا عند انتهاء مدَّة خدمتهم البالغة ٢٥ سنة يعودون الى مواطنهم بكل رضًى . والجندي المذكور في صفيحة معراب كان منتظماً بلا شكّ في الفئة العسكريَّة المدعوَّة باسم فلافيا الاولى المجموعة في جهات قنوات بين البصرى ودمشق . واما سلاحها الخاص فكان القوس والنشّاب (I Flavia Canathenorum miliaria Sagittariorum) ولا غرو فانَّ اهل تراقية واهل سوريَّة كانوا افضل المحاربين بالقسيّ في العساكر الرومانية

وان سألت عن اعمال جندي معراب بعد ان اصاب حقوق الجنسيَّة الرومانيَّة ؟ اجبنا ان الرومانيين كانوا يمنحون الإقطاعات جنودهم القدماء في امكنة حصينة ليدافعوا عنها ويردُّوا غارات الامم او العصابات المادية لدولتهم . وكان لبنان من جملة البلاد التي ناهضت زمناً السلطة الرومانيَّة فاضطرّ القائد بومبيوس ان يحارب امراءه كديونيسيوس الطرابلسيّ وسيلاس اليهودي ملك ليساس فلا يُستبعد ان الجندي المذكور في صفيحة معراب كان احد الجنود المستعمرين في تلك الانحاء لحفظ السلام والتصدّي لاهل الجبل عند محاولتهم غزو السواحل . ولعلَّهُ ايضاً كان احد المتولّين نظارة الغابات اللبنانيَّة حيث كان احتكر الامبراطور اربعة اجناس من اشجارها اي السرو والصنوبر والشربين والشوح لصلاحيَّة خشبها للعمار . وقد وجدوا الى اليوم نحو مئة كتابة حجريَّة للقياصرة ولاسيَّما للقيصر ادريانوس تنبئ باحتفاظهم لهذه الاجناس . ومما كانوا يخصُّون به اولئك الجنود القدماء اعمال النافعة كفتح الطرقات كما تدلّ على ذلك كتابات أُخرى كانت تنصب على اطرافها . هذا ما باشرهُ من العمل على رأينا جندي معراب عند رجوعهِ الى وطنهِ ولا نظنهُ انهُ عمد الى الراحة والبطالة والله اعلم

١) اطلب مجموع الكتابات اللاتينيَّة - Le diplôme de Ma'râb-CIL, III S,p. 1988 qui semble fixer l'attribution à l'armée de Rhétie du diplôme LXIV, sera publié dans les *Mélanges de l'Université St Joseph*

المركبة الهوائية الاولى في باريس

لشاهد عيان الكونت لويس فيليب دي سيغور سنة ١٧٨٤

توطئة

الكونت لويس فيليب دي سيغور سليل أسرة شريفة اشتهر منها كثيرون في خدمة ملوك فرنسة في القرن الثامن عشر ثم في خدمة دولتهم على عهد نابوليون الاول والملوك خلفائه الى اواسط القرن التاسع عشر. فمنهم كماة الحرب ومنهم السياسيون ومنهم الكتبة. وقد اشتهر في كل ذلك الكونت لويس فيليب دي سيغور المولود سنة ١٧٥٣ والمتوفى في ٢٧ آب ١٨٣٠ . وهو جد السيد الجليل والكاتب البليغ المنسيور دي سيغور الشهير بتآليفه الدينية وحياته المقدسة. وللكونت الموما اليه مصنفات جليلة اهلته للانتظام في سلك الاكادمية الفريسوية من جملتها كتاب مذكراته ونوادره عن ملك لويس السادس عشر (Souvenirs et Anecdotes sur le règne de Louis XVI) ألفه سنة ١٨٢٦ واودعه كثيراً مما عاينه في ذلك العهد في كل المناصب التي تقلب فيها والبلاد التي تنقل اليها فتجد من القصص الظريفة والنكت اللطيفة ما يسر الخاطر ويبهج الناظر. ومما وقفنا عليه هناك فصل حسن عن اول مركبة هوائية شاهدها اهل باريس مرتفعة فوق المدينة وحاملة لراكبيها الاخوين الشقيقين شرل وروبر منغلفيار (Mongolfier) وذلك سنة ١٧٨٤ . فاحببنا نقله الى العربية تنكيهاً للقراء ليروا مبادئ ذلك الفن العجيب الذي بلغ اليوم اوج عزه بعد ان قطع اشواطاً بعيدة في اطوار حياته الهوائية ل . ش

بينما كنت في باريس بعد رجوعي من اميركة سنة ١٧٨٤ اذ حرك فينا الصناعي مونغولفيار الامل الباطل بالتقرب الى النجوم . فان هذا الرجل كان استحق الشهرة اولاً باختراعه طريقة لإعداد الرقوق من جلد العجول (papier vélin) ثم خلد اسم مسقط رأسه انوناي (Annonay) ثم فرنسة وطنه واسم عائلته باكتشافه المراكب الهوائية والمناطيد

وقد اصابت انوناي في عصرنا هذا شرفاً مضاعفاً بمولد اثنين من اهلها منغولفيار ثم ذاك الوطني العظيم الشريف بواسي دانغلاس (Boissy d'Anglas) الذي انار عصره بجملة فضائل سامية في وسط الرذائل المحيطة به واظهر شهامة غريبة في ايام الاهوال وصان حقوق الادب مع السياسة ومزج خطبه في مجلس الدولة بنزاهة غريبة

وشنّف آذان معاصريه بشعره الرنّان وثبت على صداقته على عكس ما جرى غيره في تقلّبهم مع احوال الزمان

أمّا وقوف منغولفيار على سرّ طيران المراكب الهوائيّة فكان نصفهُ من الصدفة شأن كلّ الاكتشافات العظيمة التي يرقى قسمٌ منها الى الصدفة والقسم الآخر الى القريحة . كان منغولفيار في احد أيام السنة ١٧٨٣ يشتغل في معمل ورقه فاخذ ابريق قهوة ليغلي فيه ماء فجعل عليه غطاء من الورق محدّباً على شبه الكُرَة . فما كان من امره الّا أنهُ انتفخ ثم صعد في الهواء . فتعجّب مونغولفيار وأعاد الامتحان فجعلهُ نظر تلك الكرة المرتفعة الى الجوّ الى البحث عن سبب ذلك فما لبث ان تحقّق وجود غاز الهواء المتخلل الذي هو اخفّ من الهواء الجوّي . وباكتشافه هذا السرّ كان ايضاً اكتشاف المناطيد وفنّ الطيران وفتح مملكة الهواء لنشاط البشر

واوّل ما امتحنهُ مونغولفيار لتسديد الهواء وتخلّله هيئةُ النار وبخارها كأنّهم اشاروا بذلك الى بطلان المجد المنتظر من ذاك الاكتشاف الشبيه بالدخان كغيره من الاكتشافات القليلة الجدوى . لكنّهم عدلوا بعد ذلك عن النار الى استعمال الغاز فنجح الاختبار واناطوا بالمركبة الهوائيّة سفينة صغيرة تصاعدت معها ورأى العموم باندهاش رجالًا يرتفعون الى الهواء

امّا اليوم (يريد سنة ١٨٢٤) فقد اصبح مشهد المراكب الجوّية ملهاةً شائعة في مواسمنا واعيادنا كالنيران الصناعيّة التي توقد ليلًا . لكنّي لن انسى ما نسيتُ التأثير الشديد والعميق الذي اثّر فيّ وفي جميع اهل باريس ذاك التحليقُ الاوّل الذي باشرهُ وسط حدائق قصر التويلري (Tuileries) الاخوان شرل وروبير صاعدين على جناح الريح الى القبّة الزرقاء

وكان بلغ الملك لويس السادس عشر ما قصدهُ الاخوان من العمل الخطير فنبّهه الى التهوّر ولرقّة قلبه الحنون تخوّف عليهما الموت . ومن ثمّ بينما كانت عيون جميع الحاضرين شاخصة اليهما بملء العجب ممّا حاولاهُ من الكفاح مع الرياح في سفينة صغرى في وسط الفضاء متعرّضين لضروب الاخطار المجهولة اذ ورد عليهما امرٌ من الوزير ينهاهما عن سفرهما الجوّي . لكنّ شهامة ذينك الرجلين وانتظار الشعب بفروغ الصبر بعد ان دُعي ليتمتّع بذاك المشهد الغريب نتيجة عقولٍ نابغة غلبا على كلّ

لاوامر الملكيَّة فقطع الاخوان حبال مركبتها الكرويَّة الشكل واذا بها اخذت تصاعد بكل عظمة الى عنان الفضاء. فرأينا راكبيها يقطعان برباطة الجأش طرق السماء

لا مراء انهُ لو كان حصل مثل هذا المرأى في احد الاجيال السابقة لظنَّ الناس انَّ هذا من افعال الآلهة والارواح العلويَّة. وقد بعث في هذا المنظر قوَّةً غريبة كانت تهوّل في عيني كلّ مآثر الابطال

فشعرتُ باهتزازٍ في كلّ وجداني لم يسعني تحميدهُ وانطلق لساني بما شحذ قريحتي فانشدت بديهاً ابياتاً بهذا المعنى :

يا حبَّذا الأخوانِ شرلُ وروبرٌ اذ حاولا رَقياً من الغبراء
لم يرهبا خطراً ولم تردعهما بلوى سقوطٍ من علوّ فضاء
صعدا الى فلك السماء بجرأة يتبخترانِ على جناح هواء
يا ليت شعري كيف يطيعُ الأُلى مُ جزاء تلك الأثرة الغرّاء
فكفاهما مجداً اثيلاً خالداً ان شاطرا الارواحَ مُلْكَ سماء

فبعد هذا الانتصار الباهر على قوَّات الطبيعة بدافع العقل البشري اهتزَّ الناس طرباً واحسُّوا بما للانسان من العزّ والقدرة وما استبعدوا نسبة اعظم العجائب الى قوى البشريَّة كأنَّ طبيعة الآدميين لا تقوى على ضبطها الحدود

وكان البعض يتهوَّسون فيؤكدون انهُ ثبت اكتشاف توجيه المراكب الجوّيَّة وانهُ عمّا قليل ستسير في الجوّ اساطيل منها فيسهل الهجوم على انكلترَّة. واخذت بعض النادة من النساء يُوجسن فزعاً لئلّا يهبط عليهنّ في حدائق المدينة بعض الطيّارين من المغاربة فيسبونهنَّ الى بلادهم. وطوب فرحاً الذين يتعاطون تهريب البضائع اذ لن تستطيع عمّال الدواوين ان يوقفوهم اذا حلّقوا في الجوّ وبالعكس صار ارباب الجمارك يخافون من فقدان وظائفهم

وممّا كان ينعش الآمال بصعود المراكب الجوّيَّة الى الفضاء الخدمُ العديدة المنتظرة منها في وقت الحرب اذ ترتفع فوق الحصون. على انَّ الدولة الفرنسويَّة لم تلتجئ اليها الّا في موقعة فلوروس (Fleurus) التي جرت سنة ١٧٩٤ بين الجنرال جوردان والجيوش النمساويَّة وانَّما اتَّخذوها لتطلّ راقبة قوَّات العدوّ ورصد حركاته. العلماء يظنُّون انهُ مستحيل توجيه المراكب الهوائيَّة مع هبوب الرياح الجوّيَّة.

ولكن مَن يعلم ما يحدث في المستقبل ؟

هذا ما اخبرهُ الكونت دي سيغور وكان الشاهد العياني لاوّل معركة هوائيّة حلّقت في الجوّ وروايتهُ حريّة بالذكر اذ يفيدنا ما شمل الناس من الفرح باكتشاف فنّ الطيران وحدْسهم بما سينتج منهُ من المنافع . فلو عاد اليوم الى الحياة اهل ذلك العصر ورأوا ما جرى في الحرب الاخيرة ويجري كل يوم على يد الطيّارين من الاعمال العجيبة والفوائد الجمّة لأخذ الاندهاش منهم كل مأخذ ولعرف الكونت دي سيغور صحّة كلمته الاخيرة : «ولكن من يعلم ما سيحدث في المستقبل » فكأنهُ تنبّأ سلفاً عمّا تعاين اليوم من غرائب الطيران

مطبوعات شرقيّة جديدة

Mermeix: Les Négociations Secrètes et les Armistices, avec Pièces justificatives. *Paris, Librairie Ollendorf, in-12, 1919, pp.365. Prix 8fr*

المفاوضات الدوليّة السرّيّة والاربع الهادنات

انّ انكشاف الغيوم عن سياسة الدول المركزيّة قد سمح لمؤلف هذا الكتاب بان يميط الستار عن احوال المانية وحليفاتها في ايّام الحرب فبيّن استنادًا الى الاوراق الرسميّة والسرّيّة معاً التي وقف عليها ان المانية بعد فشل جيوشها الاوّل عند نهر المارن وعجزهم عن فتح باريس احسّت بان آمالها بالانتصار النهائي قد حبطت وشرعت مذ ذاك الحين تسعى بوسائط سرّيّة الى عقد الصلح مع الدول الاتفاقيّة على شرط أن تبقى الاحوال على ما كانت قبل الحرب دون فقدان شيء من املاكها ودون غرامة حربيّة . فمن يطالع هذا الكتاب يقف على دسائس الدولة الالمانيّة العجيبة لادراك غايتها السرّيّة . فبينما كانت تصرخ علانيةً أنها هي الظافرة ولها الكلمة الفاصلة كانت ترسل سرًّا مفوّضيها ومعتمديها الى الدول المتحايدة كاميركة وسويسرة ثمّ الى بعض وجوه الدول المعادية وتصرف المبالغ في تفويضهم لعقد المهادنات والمفاوضات للصلح . الّا انّ كلّ مساعيها آلت الى خذلانها رغماً عن تحريكها للفتن

ولكن مَن يعلم ما يحدث في المستقبل ؟

هذا ما اخبرهُ الكونت دي سيغور وكان الشاهد العياني لاوّل معركة هوائيّة حلّقت في الجوّ وروايتهُ حريّة بالذكر اذ يفيدنا ما شمل الناس من الفرح باكتشاف فنّ الطيران وحدْسهم بما سينتج منهُ من المنافع . فلو عاد اليوم الى الحياة اهل ذلك العصر ورأوا ما جرى في الحرب الاخيرة ويجري كل يوم على يد الطيّارين من الاعمال العجيبة والفوائد الجمّة لأخذ الاندهاش منهم كل مأخذ ولعرف الكونت دي سيغور صحّة كلمته الاخيرة : «ولكن من يعلم ما سيحدث في المستقبل » فكأنهُ تنبّأ سلفاً عمّا تعاين اليوم من غرائب الطيران

مطبوعات شرقيّة جديدة

Mermeix: Les Négociations Secrètes et les Armistices, avec Pièces justificatives. *Paris, Librairie Ollendorf, in-12, 1919, pp.365. Prix 8fr*

المفاوضات الدوليّة السرّيّة والاربع الهادنات

انّ انكشاف الغيوم عن سياسة الدول المركزيّة قد سمح لمؤلف هذا الكتاب بان يميط الستار عن احوال المانية وحليفاتها في ايّام الحرب فبيّن استنادًا الى الاوراق الرسميّة والسرّيّة معاً التي وقف عليها ان المانية بعد فشل جيوشها الاوّل عند نهر المارن وعجزهم عن فتح باريس احسّت بان آمالها بالانتصار النهائي قد حبطت وشرعت مذ ذاك الحين تسعى بوسائط سرّيّة الى عقد الصلح مع الدول الاتفاقيّة على شرط أن تبقى الاحوال على ما كانت قبل الحرب دون فقدان شيء من املاكها ودون غرامة حربيّة . فمن يطالع هذا الكتاب يقف على دسائس الدولة الالمانيّة العجيبة لادراك غايتها السرّيّة . فبينما كانت تصرخ علانيةً أنها هي الظافرة ولها الكلمة الفاصلة كانت ترسل سرًّا مفوّضيها ومعتمديها الى الدول المتحايدة كاميركة وسويسرة ثمّ الى بعض وجوه الدول المعادية وتصرف المبالغ في تفويضهم لعقد المهادنات والمفاوضات للصلح . الّا انّ كلّ مساعيها آلت الى خذلانها رغماً عن تحريكها للفتن

والمشاغب بواسطة الاشتراكيين ولاسيّما عن ايقادهـا نيران الثورة في روسيّة . فنثني على واضع هذا الكتاب واثباته الحقائق التاريخيّة التي زوّرها اصحاب الغايات

Gabriel Chavet :Ce que doit savoir l'employé de bureau. *Paris . Gauthier-Villars,* 1921, *in*-12, *pp.* 255

ما الواجب ان يعرفهُ كاتب المخازن

هذا كتاب نوصي بهِ كلّ شبّان بيروت وسوريّة الـذين يباشرون الاشغـال العموميّة في المخازن بصفة كتبة وعمّال . فانّ صاحبهُ في خمسة عشر فصلًا ممتعًا جمع كلّ ما يحتاج اليهِ الكاتب من المعارمات ليزين نفسهُ بالاخلاق الراضية ويُعنى في شغلهِ بحفظ قواهُ الجسديّة ثمّ يوقفهُ على مـا يفيدهُ من المعارف والعلوم كمعرفة اللغات الاجنبيّة والآداب الكتابيّة وتدبير الادارة الخاصّة باشغالهِ وكلّ ما ينوط بها من المعاملات المختلفة والمكاتبات والمحاسبات مع درس الطرق المسهّلة لاشغالهِ كالكتابة الصناعيّة والطبع على الجلاتين والمفاوضات مع البعيدين بالتليفون والتلغراف واشيـاء اخرى كثيرة لا يجدها العامل الّا في هذا الكتاب الذي يجب ان يكون كدستورهِ اليوميّ في كافّة معاملاتهِ يقلّبهُ صباح مساء ليتقن كلّ اشغال مهنتهِ ويا ليت احدًا من ذوي الهمّة يُعنى بتعريبهِ ل . ش

Abou Jousof Ya'koub : Le livre de l'Impôt Foncier. traduit et annoté par F. Fagnan. *Paris,* 1921, *in*-12. *pp* 352, *P. Geuthner , Prix* 40frs

كتاب الخراج لابي يوسف يعقوب

القاضي ابو يوسف يعقوب الكوفي هو صاحب ابي حنيفة احد ائمة المـذاهب الاسلاميّة الاربعة كان لهُ التقدّم في الفقه الاسلامي فتولّى القضاء في بغداد على عهد الخلفاء العبّاسيين المهدي وابنيهِ الهادي وهارون الرشيد وهو اوّل من دُعي بقـاضي القضاة واتّخذ ملبوسًا خاصًّا لذوي منصبهِ توفّي في بغداد سنة ١٨٢ هـ (٧٩٥ م) . وقد ألّف كتبًا جمّة اناخ بها الدهر الّا الكتاب الذي نحن بصددهِ المعروف بكتاب الخراج ضمّنهُ امالهُ على ما عرضهُ عليهِ الخليفة هـارون الرشيد من المشاكل فـطُبع بالقاهرة ومنهُ نسخ خطّيّة متعدّدة في مكاتب اوربّة ومصر . فعهدت النوّضيّة العليا في سوريّة ولبنان مع ادارة العاديّات والفنون الى احد كبار الاختصاصيين في علم الفقه المستشرق الفـاضل المسيو فنيان بان ينقل هـذا الكتاب الفريد الى الافرنسيّة

تسهيلاً لدارسي الفقه الاسلامي الحنفي . فقام بهذا الامر احسن قيام ونشر الكتاب في السنة الحالية وذيّله بالحواشي والملحوظات العديدة التي تدلّ على سعة علمه بهذا الفنّ وتضاعف قيمة الكتاب ، فنحضّ كلّ طلبة الفقه والحقوق على اقتنائه ومراجعته . وقد عُني السيوفو تتر صاحب المكتبة الشرقية في باريس بطبعه فاحسن واجاد .

I THE INSTITUTE OF INTERNATIONAL EDUCATION, Guide Book for Foreign Students in the United States = II EDUCATIONAL GUIDE FOR SYRIAN STUDENTS IN THE UNITED STATES, by Philip K. Hitti, Ph, D. *New York*, 1921, *in*-12, *pp.* 97 *et* 67

مكتب التهذيب الدولي – دليل تهذيبي للطلبة السوريين في الولايات المتحدة

اهدانا جناب الاستاذ فيليب حتّي معلم التاريخ في الجامعة الاميركانية في الثغر هذين الكتابين وأحدهما من قلمه وكلاهما قد وُضع لارشاد الطلبة الاجانب عموماً والسوريين خصوصاً لاسيّما المهاجرين الى اميركة فيفيدانهم عن كلّ ما يختصّ بالمدارس البدائية والثانوية والعلوم العليا في الولايات المتّحدة وحواضرها المختلفة . وهناك وصفٌ مدقّق لتاريخ تلك المدارس وطرائقها العلميّة وطبقاتها المتتالية والمقابلة بينها وبين المنشاءات التهذيبية الجارية في اوربّة . ثمّ بيان واسع لتعريف الدخول فيها واسباب المعاش للمتمين اليها وما لديهم من الوسائط لترقية عقولهم من نوادٍ ادبيّة ومكاتب سواء كانت للذكور ام للاناث الى غير ذلك . فلا شكّ انّ الطلبة الاجانب الذين بلغ عددهم اليوم في المدارس الاميركيّة نيّفاً وعشرة آلاف – وهو يزداد كلّ يوم – يجدون في هذين التأليفين المعلومات الوافية ليستفيدوا من التهذيب الاميركي الشائع الفضل

ل . ش

ALMA MATER: COLLEGIUM URBANUM DE PROPAGANDA FIDE, *Pasqua M CMXXI*, *in*-4. *pp.* 188

مدرسة مجمع انتشار الايمان الكبرى في رومية

هذه المدرسة المنشأة منذ ثلثمائة سنة قد ادّت للعالم الكاثوليكي خدماً لا يفي بها احصاء . ففيها تخرّج الوف من الشبّان من كلّ الاصقاع عادوا الى اوطانهم فانارو مواطنيهم بأنوار الايمان الساطعة فمنهم البطاركة والاساقفة والكهنة والرهبان طالما عرف شرقنا العزيز فضلهم واستفاد من مساعيهم . وقد وقفنا على لائحتهم السنويّة

الاخيرة فوجدناها مفعمة من الفوائد الخاصّة بانشاء هذه المدرسة واساتذتها وطلبتها البالغ عددهم نحو ١٥٠ . وفي هذه المجموعة اخبار المدرسة ووقائعها السنويّة ثم عدة مقالات ورسائل منوطة بامورها او بتلامذتها مع متفرّقات دينيّة وتاريخيّة وادبيّة شتّى وتراجم بعض المتنيّحين مصدّرة بصورهم . فسُررنا بمطالعة هذه الطرفة الجميلة وتمنّينا للمدرسة الاوربانيّة كلّ نجاح تحت نظارة قداسة الحبر الروماني ومديريها الافاضل

Mons. Carlo Salotti : VITA E MARTIRIO DEL BEATO OLIVIERO PLUNKET Arcivescovo di Armagh e Primate d'Irlanda. *Roma*, 1920, *in*-12, *pp.* 274,

ترجمة حياة واستشهاد الطوباوي اوليفيار بلونكت

في العام الماضي اعلن الكرسيّ الرسولي قداسة كبير اساقفة ارلندة الطيب الذكر والشهيد العظيم اوليفيار بلونكت الذي حكم عليهِ الانكليز البروتستانت بالموت لاجل دينهِ الكاثوليكي في ١٠ حزيران سنة ١٦٨١ فودّع الحياة ببهجةٍ في سبيل ايمانهِ كتوما مورس كنشليار هنريكوس الثامن والكردينال جان فيشر . وكان هذا الشهيد الباسل تخرّج في رومية وبرّز بين الطلبة وصفاتهِ فندبهُ الكرسيّ الرسولي لمهمّةٍ مشفوعة بالاخطار في وطنهِ ليسند الكاثوليك في الاضطهادات التي يكابدونها في ارلندة فاجاب ملبّياً دعوة رؤسائهِ ولم يجهل انهُ يمشي الى الموت . وهكذا كان لكنّهُ بموتهِ كان اكبر منهُ بحياتهِ . وهذا ما عزم ان يبيّنهُ صاحب سيرتهِ واستشهادهِ المنسيور كرلو سالوتي فاستقرى اعمال حياتهِ البارّة ووصف فضائلهُ السامية في اطوارها ولاسيّما في حبسهِ وموتهِ في لندرة في ساحة تيبورن وختم ذلك بما نالهُ من المجد بعد موتهِ في وطنهِ الى ان نظم الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر اسمهُ في سلك اولياء الله في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٠ وبذلك تخلّد ذكرهُ ورُسم مضطهدوه بسمة العار كما يستحقّ الظالمون

ل . ش

Abbé Malinjoud: CATÉCHISME DES TOUT PETITS. Préparation dogmatique et morale à la 1re Communion. *Paris, Lecoffre et Gabalda*, 1909. *in*-12, *pp.* 467

التعليم المسيحيّ وشرحهُ لاحداث الناشئة

كثيراً ما يرى الكهنة ومفتّشو التعليم المسيحيّ صعوبةً في تلقين العقائد والحقائق

الدينيَّة للاحداث في اوّل بلوغهم سنّ الرشاد وربّما اعتاص عليهم ان يفرغوا في عقولهم ما يدركونهُ هم بكل وضوح. فها هوذا كتابٌ يعينهم على ذلك بما اودعهُ مؤلفهُ — وهو الكاهن الفاضل قانوني كاتدرائيَّة نوتردام في باريس وشقيق الكومندان مالنجو الذي في طرفنا حاضراً — من التفاسير القريبة المنال المفرغة في قالب السذاجة والايضاح مع ما اضاف اليها من التشابيه المنطبقة على فهم الاولاد والامثال المنتزعة من عيشتهم اليوميَّة بحيث يستطيع الصغار ان يدركوا اسرار الديانة وتعاليمها السامية . ولعلَّ الذين يقلبون هذا الكتاب يندهلون من تصوُّراتهِ وايضاحاتهِ الساذجة الصبيانيَّة مع قلَّة تدقيقهِ في بعض الشروح فكلّ ذلك قد اتى بهِ عمداً لبلوغ غايتهِ من ترسيخ العقائد الدينيَّة في قلوب الصغار . امَّا الشرقيُّون فان وجدوا في الكتاب ما هو أجدر باحداث اوربَّة منهُ بصغار بلادنا فيسهل عليهم ان يستبدلوا ذلك بما ينطبق على مدارك ابناء الوطن

الاب يوسف مونجان

في سبيل لبنان

تأليف يوسف افندي السودا

طُبع في الاسكندريَّة سنة ١٩١٩ (ص٤٥٠)

مؤلف هذا الكتاب قد وقف نفسهُ منذ عدَّة سنين على خلاص وطنهِ من ايدي الظالمين فجاءت الاحوال موافقةً لرغائبهِ بكسر الحلفاء لشوكة الاتراك . وكذلك اتَّسعت حدود لبنان بما ضُمَّ اليهِ من السواحل وسهول البقاع كما كان يتمنَّاهُ مع الاستقلال النوعي تحت انتداب الدولة الفرنساويَّة صديقة لبنان . لكنَّهُ في كتابهِ هذا «في سبيل لبنان» يطلب ما فوق ذلك اعني الاستقلال التامّ ليصبح لبنان جمهوريَّةً او مملكةً دستوريَّة كسويسرة وبلجكة وهولندة تُنظِّم شؤونها وتقوم بامورها بذاتها دون تداخل دولةٍ كبيرة في احوالها حتَّى فرنسة صديقة اللبنانيين اللهمَّ الَّا المدافعة عن استقلالهم وتسليفها المال لاصلاح امورهم الاقتصاديَّة وهذه لعمري أحلامٌ لا تصحُّ للبنان في الحاضر بل لا يرغب عاقل في صحَّتها وكلّنا يعلم ما هو عليهِ الجبل من الانقسام وتفرُّق الكلمة ديناً وسياسةً واقتصاداً فلو جُعل الجبلُ على غاربنا

لطلبت علينا الفوضى وأكل بعضنا بعضاً . هذا رأينا في تخيُّلات المؤلف . ونحن نقرُّ بفضلهِ لما اودعهُ في كتابهِ من المعلومات والآثار عن وصف لبنان وخواصهِ وتاريخهِ وسياستهِ القديمة وان كنا لم نسلّم بما ورد هناك عن المَرَدة ومبادئ الطائفة المارونيّة لمخالفة مروياتهِ كافّة المؤرخين القدماء . فان كان افلاطون صديقاً فالحقُّ اصدق

كتاب التعليم الرهباني

تأليف القسّ يواكيم بلاديوس اللبنانيّ

عني بنشرهِ وتنقيحهِ القس طانيوس شبلي اللبناني (مطبعة حريصا ١٩٢١ ص ث × ١٧٢)

القس يواكيم بلاديوس من اسرة بليط الارمنيّة الحلبيّة كان معاصراً لوطنيّهِ الطيّب الذكر السيد جرمانوس فرحات فترهّب في الرهبانيّة المارونيّة اللبنانيّة وأُرسل الى رومية حيث درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان فبرع في علومهِ . وعاد الى لبنان فخدم رهبانيّتهُ وطائفتهُ الكريمة خدماً عديدة منها عدّة تآليف سنفصلها ان شاء الله في فرصة اخرى . وقد طُبع من كتبهِ كتاب المرشد الامين للرؤساء والمرؤوسين بهمّة حضرة الخوري ميخائيل غبريل . وكتابهُ هذا التعليم الرهباني من اجلّ الكتب وانفعها للرهبان بل لعموم الاكليروس قسمهُ الى ٣٤ فصلاً جعل الفصول على طريقة السؤال والجواب تسهيلاً لادراك معانيها وتقريباً لفوائدها . وقد ادخل في تلك الفصول كثيراً من تعاليم اللاهوت الادبيّ فزادهُ نفعاً لولا ان بعض الاجوبة تحتاج الى زيادة ايضاح لئلّا يُسيء الراهب معناها لقصرها كبعض ما ورد هناك عن النذور والتأديبات والفرائض الرهبانيّة وغير ذلك . وفي آخر الكتاب سبعة تأملات روحيّة في الطريقة الرهبانيّة لسبعة أيام الاسبوع . فنشكر حضرة القس طانيوس شبلي على نشرهِ هذه الدرّة الثمينة مع ما قدّمهُ عليها من الافادات الحسنة ونتمنّى لكتابهِ كلّ رواج لاسيما في الاديرة الرهبانيّة

ل . ش

ابتسامات ودموع او الحب الالماني

من مذكّرات ف . مكس مولّر نُقلت الى العربيّة بقلم "مي"

الطبعة الثانية . بمصر سنة ١٩٢١ (ص ١٦٤)

عُرف في القرن السابق فردريك مكس مولّر بين علماء المانية وانكلترة

كمستشرق ولغويّ وباحث في اصول اللغات . وقد وقفت لهُ الاديبة « مي » وطنيّتنا على كتابٍ صنّفهُ في ريعان شبابهِ دعاهُ بالحبّ الالمانيّ وروى فيهِ شواعرَ قلبهِ في اوّل سنّهِ ثمّ في مقتبَل عمرهِ وحرّر في ذلك مذكّراتٍ اخرجها على صورة شعريّة . فنقلتها الآنسة « مي » مرّةً أولى ونشرتها تحت عنوان « الحب الالماني » وقد عادت اليوم الى تكرار طبعها فوسمتها « بابتسامات ودموع » ونقّحتها فزادتها حسناً في اعين من تجتذبهم ابتسامات ودموع المحبّين . اما نحن فلم يهمّنا منها سوى خواطرها الفلسفيّة التي وجدنا فيها الغثّ والسمين . وانّما نثني على مقدرة المعرّبة وطلاوة انشائها وكنّا طالعنا قبل ذلك مقالتها الحديثة «فضل الآداب» في المقتطف فاستحسنّاها

ردّ الشارد الى طريق القواعد

بقلم جرجي افندي شاهين عطيّة

في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٤٠)

بيننا قومٌ — والحمد لله — يغيرون على فصاحة لغتنا العزيزة وبلاغتها فينشرون في ذلك فصولاً حسنة يصلحون فيها ما يعثرون عليهِ في الجرائد والصحف من الاغلاط وينبّهون عليها الادباء. فمن جملة هؤلاء المصلحين الكاتب جرجي افندي عطيّة فانهُ كان نشر في جريدتهِ المراقب لسنتها الرابعة بعض الملاحظات المتعلّقة بمخالفة القواعد العربيّة فرغب اليهِ فريق من الاخوان ومحبّي الادب واللغة ان يجمعها في كرّاس منفرد. فاجاب الى ملتمسهم وقد اهدانا من مجموعتهِ نسخةً فرأيناهُ غالباً مصيباً في اصلاحهِ وتمنّينا لو خرج الى حيّز الوجود فكر الطالبين انشاء لجنةٍ رسميّة في بيروت او في دمشق الشام تحت نظارة ادارة المعارف يهمّ اعضاؤها بامور اللغة من وضع الفاظ جديدة وتعريب غيرها والغاء بعض الدخيل واصلاح الاغلاط الواردة في الكتب والجرائد ريثما يوضع لذلك معجم رسمي كمعجم الاكادمية الفرنسويّة يرجع اليهِ كلّ الادباء . حقّق الله الآمال !

ل . ش

التعبئة في لعب الشطرنج

بقلم جبرائيل نصره المهندس

القسم الثاني (ص ١٤١ — ٢٩٠) طُبع في مصر سنة ١٩٢٠

اثنينا على هذا التأليف لمّا اتحفنا صاحبهُ بقسمهِ الاوّل (راجع الصفحة ٢٣٧) وها

هوذا القسم الثاني منهُ وبمتنتهُ وهو يشبه الاوَّل في كلّ محاسنهِ مادّةً وصورةً فوجدنا في مصنفهِ ما عُرف بهِ لاعبو الشطرنج المبرّزون من دقّة الفكر وبُعد النظر ورزانة الطباع كفى عليهِ دليلًا ما عرضهُ من اسرار هذا اللعب وكشفهِ لها (راجع المقالة التي نشرناها في هذا العدد عن الشطرنج لجناب جرجي بك صفا) ل.ش

شذرات

﴿ذكرى أليمة﴾ في غرّة آذار من السنة ١٩٠٨ صدّرت مجلّة المشرق عددها بالتهاني لأسقف بيروت الجديد وحيّتهُ بقصيدة رنّانة تحت عنوان الاسقف الصالح وتفاءلت باسمهِ الكريم فتمنّت لهُ ثباتَ الصخرة البطرسيّة بين الانواء العاصفة ومهابةَ الاشبال فتحقّق فيهِ كلاهما حيث لم تهدّ ركنهُ الانواء ولم يُطق الاتراك استماع زئيرهِ فأبعدوهُ عن عرينهِ فمات لكنّهُ أضحى بعد موتهِ ازأر منهُ في حياتهِ. وكفى بحفلة نقل رفاتهِ الكريمة دليلًا على قوّة صوتهِ فانّ جثّتهُ الطاهرة من مدفنها في آطنة الى قبرها في كنيسة بيروت الكاتدرائيّة اصبحت موضوع اكرام وتعظيم لم يرَ مثلهما الملوك والعظماء. فكانت الجماهير تخرج لاستقبالها ليلًا الى المحطّات من مرسين الى آطنة بالشموع والمشاعل وكلّ مجالي الحداد الى ان أقلّتها الجياد السود المطهمة الى الدارعة المعدّة لنقلها. امّا الحفلة التي جرت في بيروت كانت اشبه بدخول ظافر الى عاصمتهِ بعد انتصارهِ على اعداء دولتهِ. وقد سبق حضرة الخوري المفضال رافائيل البستاني فأهداهُ هذه الذكرى التي تردّد فيها بين الاسف على فقدان ذاك الراعي الجليل والفرح بالانتصار المعدّ لهُ في مركز ابرشيّتهِ بين ابنائهِ الاعزّاء. قال:

بيروتُ قد أوهى قوايَ تحيُّري ... أأقولُ صبّي أدمعاً ام أبشري
فأقلُّ ما تُبدينهُ ذرفُ الدِّما ... من مقلتيكِ وإن تُسرّي تُعذري
للحزن نيرانٌ تُؤجّجُ في الحشى ... والمجدُ يبسم ثغرهُ فتخيّري

*

هوذا القسم الثاني منهُ وبمتنتهُ وهو يشبه الاوَّل في كلّ محاسنهِ مادّةً وصورةً فوجدنا في مصنفهِ ما عُرف بهِ لاعبو الشطرنج المبرّزون من دقّة الفكر وبُعد النظر ورزانة الطباع كفى عليهِ دليلًا ما عرضهُ من اسرار هذا اللعب وكشفهِ لها (راجع المقالة التي نشرناها في هذا العدد عن الشطرنج لجناب جرجي بك صفا) ل.ش

شذرات

﴿ذكرى أليمة﴾ في غرّة آذار من السنة ١٩٠٨ صدّرت مجلّة المشرق عددها بالتهاني لأسقف بيروت الجديد وحيّتهُ بقصيدة رنّانة تحت عنوان الاسقف الصالح وتفاءلت باسمهِ الكريم فتمنّت لهُ ثباتَ الصخرة البطرسيّة بين الانواء العاصفة ومهابةَ الاشبال فتحقّق فيهِ كلاهما حيث لم تهدّ ركنهُ الانواء ولم يُطق الاتراك استماع زئيرهِ فأبعدوهُ عن عرينهِ فمات لكنّهُ أضحى بعد موتهِ ازأر منهُ في حياتهِ. وكفى بحفلة نقل رفاتهِ الكريمة دليلًا على قوّة صوتهِ فانّ جثّتهُ الطاهرة من مدفنها في آطنة الى قبرها في كنيسة بيروت الكاتدرائيّة اصبحت موضوع اكرام وتعظيم لم يرَ مثلهما الملوك والعظماء. فكانت الجماهير تخرج لاستقبالها ليلًا الى المحطّات من مرسين الى آطنة بالشموع والمشاعل وكلّ مجالي الحداد الى ان أقلّتها الجياد السود المطهمة الى الدارعة المعدّة لنقلها. امّا الحفلة التي جرت في بيروت كانت اشبه بدخول ظافر الى عاصمتهِ بعد انتصارهِ على اعداء دولتهِ. وقد سبق حضرة الخوري المفضال رافائيل البستاني فأهداهُ هذه الذكرى التي تردّد فيها بين الاسف على فقدان ذاك الراعي الجليل والفرح بالانتصار المعدّ لهُ في مركز ابرشيّتهِ بين ابنائهِ الاعزّاء. قال:

بيروتُ قد أوهى قوايَ تحيُّري ... أأقولُ صبّي أدمعاً ام أبشري
فأقلُّ ما تُبدينهُ ذرفُ الدِّما ... من مقلتيكِ وإن تُسرّي تُعذري
للحزن نيرانٌ تُؤجّجُ في الحشى ... والمجدُ يبسم ثغرهُ فتخيّري

*

وَلَجَ العرينةَ غِيلةً غرٌّ وقد ... هالته هيبةُ شِبلِ لَيثٍ مُخدِرِ
خارت عزائمُهُ فأدبرَ مُحجماً ... فثناهُ طبعٌ هاتفٌ عُدْ فأغدُرِ
فاستنجدَ الطبعُ اللئيم ثعالباً ... فأتت تُلبّيه لذاك المُنكَرِ
نصبوا المكايدَ خِسّةً ودناءةً ... كي يفتكوا غدراً بذاك القَسوَرِ
فمضى التضنفرُ نحو منفاهُ وما ... فتئت شهامتُهُ بخصمٍ تَرْدري
فطوى القِفارَ الشاسعاتِ وطرفُهُ ... يرنو للبنانِ بملءِ تحسُّرِ
لبنانُ موطنُهُ ولبنانٌ بهِ ... يعتزُّ مفتخراً بأعظمِ مفخرِ
فلكَمْ سعى في مجدِ لبنانٍ وكم ... دفعتْهُ همّتُهُ لقطعِ الأبحرِ
ما نجتنيهِ من جليلِ محاسنٍ ... هو من جَنى غرسِ الفقيدِ المُثمرِ
خاضَ المجامعَ والمسامعَ ذكرُهُ ... متعطِّراً كعبيرِ مسكٍ أذفرِ
فلذكرهِ يفترُّ ثغرُ بلاغةٍ ... ويبثُّ علمٌ عن محيًّا مُسفِرِ
حبرٌ طوى ايّامَهُ متحرّياً ... علماً يُفيد وفوق متنِ المِنبرِ
فسما بمعرفةٍ الى أوجِ العُلى ... فرنا الى جمٍ بنظرةِ مُزدرِ
وبعادُهُ عن موطنٍ أوهى القوى ... والظلمُ أثّر فيه كل تأثُّرِ
فدعاهُ مولاهُ فلبّى دعوةً ... لينالَ اجرَ الطاهرِ المُتبرِّرِ
فقضى ولبنانٌ الذُّ حديثَهُ ... وبهِ وعن تذكارهِ لم يَفترِ
هل من عجابٍ ان تحنّ بقيّةٌ ... منه للبنانَ البهيِّ المنظرِ
يأبى رُفاتُ الحبرِ تربةَ غربةٍ ... فحنينُهُ للموطنِ المتحيّرِ
أبناءَ خراتِ العظم حبُّ بلادنا ... يبقى فذاك من العُجابِ الاكبرِ

*

أهلاً برمزِ المجدِ أهلاً مرحباً ... شقّي الرّواخرَ يا دوارعُ وامخُري
لبنانُ شقَّ الصدرَ مَثوى للّذي ... هو كنزُ مجدكَ فاحتفظْهُ وافخرِ
واذرف من العينين دمعاً قانياً ... واجمع أزاهرَكَ الذكيّةَ وانثرِ

﴿ وفاة تلميذين فاضلين ﴾ أفجعتنا المنون بوفاة تلميذين عزيزين من الطائفة المارونيّة استأثر الله بهما الواحد في الغربة والآخر في الوطن . فاماً (الاوّل) فهو

الدكتور سمعان مسايكي خريج كليتنا منذ نعومة اظفاره الى نهاية دروسه الطبيّة في مكتبنا الطبّي الفرنساوي عرفناهُ مدّة نحو اربعين سنةً ولقيناه فيه حيثما حلّ او رحل في بيروت وحمص والاسكندريّة مثال الجدّ والنشاط. والتمسّك بعُرى الدين والتفاني في خدمة القريب ولاسيّما الرحمة على المبؤوسين في المستشفيات والمآوى والمياتم ودور الفقراء . وقد قدّرت فرنسة خدماته الجلّى لجنودها المرضى والجرحى فاهدتهُ وسام جوقة الشرف. وها قد اولاهُ الله بوسام اشرف واجلّ اذ دعاهُ الى دار سعادته ليجازيهُ على كلّ اعمال رحمته . وما احسّ بداء الخناق الذي فاجأه في صباح اليوم ١٨ من الشهر المنصرم حتّى عرف قرب رحيله الى الابديّة فطلب كاهناً واستعدّ لملاقاة ربّه الذي افعم نفسهُ تعزيةً في تلك الساعة وكان ينظر بكل ثقة الى السماء متبسّماً وكان آخر ما اوصى به قرينتهُ الاسيفة ان تُعنى كلّ العناية بتربية اولادهما ثمّ لفظ نفسهُ البارّة. وقد اثّرت حفلة جنازته في الجمهور الكبير الذي شيّعها. اجزل الله ثوابهُ وألهم شقيقهُ وجميع آله الصبر الجميل على فقدانه

وما مرّ اسبوع على هذا المصاب حتّى نُعي الينا تلميذ آخر من تلامذة مدرستنا في عزيز المأسوف عليه خليل طنّوس باخوس توفّاهُ الله فجأة يوم الثلثاء ٢٥ تشرين الاوّل اذ كان يحرّر لجريدته الروضة مقالةً لاستقبال رفات فقيد الدين والوطن السيّد بطرس شبلي فسقط كالجندي الباسل في ساحة الوغى. ولم يكن الموت الفجائي ليرهبهُ وهو يقوم بواجباته الدينيّة بكل حرص ويحضر يوميًّا الذبيحة الطاهرة متشبّهاً بالتعاليم الخلاصيّة التي استقاها في اسرته الكريمة ولدى معلّميه الافاضل. قضى حياتهُ في خدمة الآداب بين الاوراق والمحابر فدرّس في عدّة مدارس ثم انشأ المطبعة اللبنانيّة وحرّر الروضة سنين عديدة ملازماً في تحريرها الخطّة المثلى والدفاع عن الدين. ومن مآثره بعض الروايات التمثيليّة كرواية الحارث بالشعر وتعريب رواية ديمتريوس وغير ذلك ممّا يشهد لهُ بحسن الذوق وطول الباع في الكتابة تغمّدهُ الله برحمته

﴿ التحف الفنيّة الفرنسويّة في روسيّة ﴾ اهدانا محلّ بوفولسكي (J. Povolozky) في باريس درساً كتبهُ احد اساتذة مكتب الفنون في بيتروغراد الدكتور اندره لفنسون (M. André Levinson) كشف فيه الستار عمّا أودع في متاحف

روسيَّة ولاسيَّما في قصور الأسرة القيصريَّة من الطُّرَف الفنيَّة والصور البديعة التي كان المصوّرون الفرنسويون يعرضونها على قياصرة روسيَّة فيبيعونها منهم سرًّا ويزينون بها قصورهم ولم يسمحوا للباحثين عن مآثر الفرنسويين في الدول الاجنبيَّة ان يزوروها. وقد تمكَّن الآن المسيو لفنسون بعد دخول البولشفيك في بتروغراد من فحص هذه المآثر الفنيَّة الفرنسويَّة ووصفها فأطلع عليها ارباب الفنون الجميلة في فرنسة فكان لوقوفهم عليها احسن وقع وسرُّوا لاكتشافها

﴿ سفر ايوب وقيامة الاجساد ﴾ في سفر ايوب (١٩ : ٢٥–٢٧) آية تدلُّ صريحاً على قيامة الاجساد وهي قولهُ : « اني لعالم انَّ فاديَّ حيٌّ وسيقوم آخرًا على التراب وبعد ذلك تُلبَس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي اعاين الله الذي انا اعاينهُ بنفسي وعيناي تريانهِ لا غيري ». على انَّ القديس افرام ملفان الكنيسة قد وجد في هذا السفر برهاناً آخر على قيامة الموتى كما افادنا حضرة القس يوحنَّا عزّو السرياني . وذلك انهُ جاء في السفر المذكور انَّ الله بعد محنة أيوب « زادهُ ضعف ما كان لهُ قبلًا » (٤٢ : ١٠) لكنَّهُ لم يخلف من الاولاد « الَّا سبعة بنين وثلاث بنات » (٤٢ : ١٣) اعني بعدد اولادهِ قبل محنتهِ . فاين الضِعف المذكور؟ فيجيب القديس افرام لشرح هذا المشكل بقولهِ : « انَّ الله لم يضاعف عدد اولادهِ لأنَّ الاولاد الاوَّلين الذين ابتلاهُ الله بهم قبل محنتهِ سيقومون في اليوم الأخير كالاولاد المولودين بعد محنتهِ وبذلك يتضاعف عدد اولادهِ كما تضاعف بقيَّة امواله »

﴿ رسالة القمر الى اهل بيروت ﴾ في تاريخ ١٦ تشرين الاوَّل ١٩٢١

أيها الاعزَّاء الاكرمون. امَّا بعد فاني اكتب واللسانُ يتلجلج فلا ادري باي صورة أعبّر لكم عمَّا يكنُّهُ صدري من الشكر لجزيل فضلكم . فلولاكم لكان اخفى عليَّ الدهر وحق نوري . فاني اذ كنتُ سائرًا بكل اطمئنان في فلكي أرسل اليكم اشعَّتي الفضيَّة فاكسو ارضكم بالنور واذا بتنّين هائل خرج عليَّ في طريقي من أعماق الجحيم فوثب عليَّ شاحياً جحافلهُ ليلتهمني فكدتُ اموت خوفاً من منظرهِ فصرخت وما كان من مغيث فاخذ التنّين يلتهم قسماً من جسمي فحينئذ خُسف عنكم نوري فادركتم ما دهمني من الخطر العظيم فقُمتم كبواسل الكماة ومداره الحروب وعمدتم الى صليل الحديد وطرق آنية النحاس والتنك واطلاق البواريد

وضرب المدافع وقرع الاجراس والتأذين على رؤوس المنائر . ومثلكم فعل المتنوّرون من اهل لبنان وسوريّة فتصاعدت الضوضاء الى عنان السماء حتّى ظنّ الناس انّ القيامة قد قامت فنهضوا مذعورين من الفراش وصمّت اذانهم لهذه الجلبة وطار النوم من اعينهم لكنكم رأيتم البلاء خفيفاً بالنسبة الى نخوتكم ومروّتكم في نجاتي . والحقّ يقال انّكم قد عرفتم من اين يؤكل الكتف وادركتم اقرب وسيلة لتردّوا عني ذاك العدوّ الجهنمي فانّهُ اذ سمع تلك الجلبة ارتعدت فرائصهُ وطارت قواهُ وقذف من فيهِ ما افترسهُ من لحمي وعظامي وفرّ هارباً الى الهاوية التي خرج منها . أمّا انا فأضأ لكم بدري التمّ وبدا وجهي المنير لأُظهر لكم شكري . وهاءنذا حرّرتُ هذا الكتاب ليكون شاهدًا مخلّدًا على ممنونيّتي . لا زلتم ملجأً لكل ملهوف ومحامياً عن كلّ مبؤوس انارکم الله بضيائي مدى الدوران ودمتم بسلام

﴿ مُضحكات المقتطف ﴾ نقلنا في عددنا السابق (ص ٧٩٧) بعض آراء المقتطف الغريبة من جملتها ما قالهُ عن انتقال الكلام بالوراثة الى الاطفال . وقد رجع في عددهِ الاخير (اكتوبر ٣٩٨) الى هذه الخرافة وحاول تأييدها بحجج اوهن من نسيج العنكبوت فزعم انّ الطفل في الاعصار القديمة لم يكن عند مولدهِ يعرف ان يرضع ثدي امّهِ وانّما اكتسب ذلك بالوراثة بتمادي الاجيال . وكذلك زعم انّ الديك والطائر استفادا الاوّل صياحهُ والآخر تغريدهُ بالوراثة . فعلى هذا المنوال سيستفيد الاطفال الكلام والنطق بالوراثة قال : « ولكن هذا يستلزم ان تبقى اللغة واحدة الزمن الكافي من السنين لترسيخ آثارها في النفس وانتقالها بالوراثة . . . ولا يبعد ان تصير لغة الناس واحدة على مرّ سنين فيسهل ترسيخها وانتقالها بالوراثة » . فانظر رعاك الله ما لا يأنف اصحاب المقتطف من نشرهِ في « مجلّة علميّة » وقد قابلوا هناك بين ما يجري في جسم الانسان من الاعمال الغريزيّة كتحوّل الغذاء الى دم ولحم واعصاب الخ وبين الاعمال البشريّة المنوطة بالعادات واصطلاحات الشعوب وتقلّباتهم كاللغة وخلطوا امورًا يميّزها ادنى الناس عقلًا وادراكاً . فالى هذا الحدّ ابلغتهم دروينيّتهم فيُضحكون منهم العقلاء والجهّال

﴿ شفاء داءَي السل والزهري ﴾ روت جريدة البشير المنير خبر مداواة داءَين عضالين يفتكان بالناس فتكاً ذريعاً ألا وهما السلّ والزهري . فننقل عنها ما كتبت

منتظرين زيادة ايضاح قالت : « صرّح المسيو اليكس كاهنت كاتم اسرار ثلاثة من حكّام كندة ان قد تقرّب جعل الثوم دواء للتدرّن الرئوي وان هذا الداء سيقضى عليه بخمس سنوات وذكر ان ذلك نتيجة امتحانات طبيّة دلّت على انّ للثوم فائدةً عظمى وسيكون لهُ الفضل الاكبر في محو السلّ من العالم » = وقالت عن الزهري : « ابلغ الدكتور « رو » مدير معهد باستور جمعيّة العلوم خبر علاج جديد للزهري بواسطة الحقن في العضلات بأملاح البسموت (sels de Bismuth) وقد عولج مئة مصاب بالزهري بهذا العلاج فحصلوا على العلاج التام »

﴿ الآثار القديمة في سوريّة ولبنان ﴾ انّ لجنة علماء الآثار الفرنسويين التي منها المسيو فيرولو المتولّي نظارة الآثار السوريّة والمسيو دي لوره (Mr de Lorey) والمسيو أنلار (Mr Enlart) والمسيو مونته (Mr Montet) والمسيو بيزار (Pézard) بعد انقطاعها مدّةً عن الشغل في أيام الصيف عادت مؤخّرًا الى حفريّاتها . وقد افدنا سابقاً قرّاءنا عمّا اكتشفهُ المسيو بيزار في العام الماضي في تلّ مَنْد قريباً من حمص من عهد الحثيين . ومن جملة ذلك نصبٌ للفرعون ساتي الاوّل الذي ملك على مصر قبل رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبهِ تأكّد انّ اخربة تلّ مَنْد هي قدَس القديمة حاضرة الحثيين وسيعود الى مواصلة شغلهِ في الربيع القادم . وكان المسيو لوره خصّ نفسهُ بحفريّات امّ العَمَد جنوبيّ صور حيث اكتشفوا سابقاً عاديّات جليلة وهو اليوم في دمشق يبحث عن الآثار العربيّة القديمة . والمسيو مونته يشتغل اليوم في جبيل الغنيّة بالآثار الفينيقيّة والمصريّة واليونانيّة . وممّا استفدنا منهم انّ مادام دنيز لهلاسور (Mme Denyse Lelasseur) احدى السيّدات العالمة بالاثريّات وخرّيجة مدرسة اللوفر في باريس اهتمّت بحفريّاتٍ في اطراف صور قريباً من المدينة فعثرت على مبانٍ قديمة بينها مصاغات من الذهب والكهرمان والزجاج الصوريّ الشهير ثمّ الخزفيّات اليونانيّة والفينيقيّة والمصابيح والتماثيل الصغيرة الخ . وقد وقفت هناك على دهليز ذي نقوش وصور زاهية الالوان دقيقة الصُنع مع كتابات يونانيّة مهمّة . وممّا بلغنا مؤخّرًا انّ المسيو أنلار في طرطوس اكتشف تحت الكنيسة الراقية الى زمن الصليبيين سرباً واسعاً وآثارًا جليلة لعلّها من كنيستها القديمة الشهيرة

أسئلة وأجوبة

س سألنا الدكتور ا.ج. ماذا نعرف من شجرة المَنْبة وثمرها وهل تصحُّ في بلادنا ؟

ج المَنْبة (manguier) من اشجار الهند ومناطق آسية الوسطى الحارّة. ذكرها ابن بطوطة في رحلته فقال :

« انَّ المَنْبة تشبه النارنج الا انها اعظم اجراماً واكثر اوراقاً وظلُّها اكثف الظلال غير انهُ ثقيل فمن نام تحتهُ وُعك وثمرها على قدر الاجّاص الكبير فاذا كان اخضر قبل تمام نضاجهِ اخذوا ما سقط منهُ وجعلوا عليهِ الملح وصيَّروهُ كما يُصيَّر اللِّم والليمون ببلادنا ويأكلون ذلك مع الطعام . واذا نضجت المَنْبة في اوان الخريف اصفرَّت حبَّاتها فاكلوها كالتفّاح فبعضهم يلطفها بالسكين وبعضهم يعصّها معاً وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة يزرعونها فتنبت منها الاشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها »

والمَنْبة اشكال متنوّعة اشهرها المَنْبة الهنديَّة ذات اوراق مستطيلة محدَّدة كالأسنَّة . وقد زرعوها بمصر فنجحت ولا نعلم ايصحُّ زرعها في بلادنا لاعتدال حرارتها

س وسأل الكتبيّ الاديب يوسف افندي منير : من هو الاب جرجس بنيامين الاسقف المارونيّ والراهب اليسوعي كما ورد في المشرق (١١[١٩٠٩]ص٣٩٠) وهل هو المطران جرجس بنيامين المذكور في تاريخ الموارنة للخوري غبريل (ص ٩٧) الذي عاش في اواخر القرن الثامن عشر ؟

المطران جرجس بنيامين

ج وجد اسقفان مارونيّان بهذا الاسم عاش كلاهما في القرن الثامن عشر :

(الاوّل) هو جرجس بن عبيد بن سركيس الهدناني أُرسل الى رومية سنة ١٦٧٠ فتخرَّج في مدرستها المارونيَّة الشهيرة وسيم كاهناً سنة ١٦٨٣ على اهدن ثمَّ خلف على كرسيّ اهدن (وقيل على الرها) المطران بولس السدوبهي سنة ١٦٩٠ . وقد روى المطران فرحات اخبارهُ مع البطريرك يعقوب عوّاد (راجع سلسلة البطاركة الموارنة للدويهي الطبعة الثانية ص ١٨٢ — ١٨٤) ثمَّ استعفى عن الاسقفيَّة ودخل الرهبانيَّة اليسوعيَّة سنة ١٧١٤ برخصة الحبر الاعظم وتوفّي في رومية في ٨ك ١ سنة ١٧٤٣ واخبارهُ كثيرة — اما (الثاني) فكان ايضاً من أُسرة عبيد من اهدن وانَّما عاش في اواخر القرن الثامن عشر ذكرهُ الطيب الذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سوريَّة (٨ : ٥٨٧) وقال انهُ تثبت سنة ١٧٩٠ مطراناً على طرابلس ولم يذكرهُ صديقنا الشيخ الاديب سليم دحداح في سلسلة مطارنة طرابلس (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٤٠٣)

ل.ش

المشرق

التذكار المئوي الرابع

لوفاة لاوون العاشر . لمناداة لوثاروس بالاصلاح

ولارتداد اغناطيوس دي لويولا

في مثل هذه السنة حدثت في اوربّة ثلث وقائع كان لحدوثها في التاريخ صدًى لا يزال يُسمع رنينهُ الى يومنا هذا . نريد بها وفاة لاون العاشر الذي اليهِ نُسب القرن السادس عشر ونهضتهُ الادبيَّة . ثم عصيان الراهب الاوغسطينيّ لوثاروس الذي مزّق البراءة البابويَّة القاضية في شذبهِ وحرمهِ . ثمَّ ارتداد اغناطيوس دي لويولا الى الله وتخصيص نفسهِ الى خدمتهِ تعالى قبل انشائهِ للرهبانيَّة اليسوعيَّة . تلك هي الامور الجليلة التي احببنا ان نلخّص ذكرها في هذه الصفحات

١ وفاة لاون العاشر

انطفأ هذا السراج الوهّاج في غرَّة كانون الاوَّل سنة ١٥٢١ في عاصمة مملكتهِ رومية وهو في عزّ كهولتهِ لا يتجاوز عمرهُ ستًّا واربعينسنةً بعد ان أنار بضيائهِ اللامعة العالم الكاثوليكي على السدَّة البطرسيَّة ثماني سنين وبضعة اشهر فقط . فكان خبر وفاتهِ كضربة قاضية أُصيب بها اهل رومية بل دهمت سائر ايطالية والكنيسة الجامعة وعالم الآداب معاً

كان اوّل سطوع هذا الكوكب المنير في فلورنسة حاضرة بلاد توسكانة في ايطالية وذلك في ١١ كانون الاوَّل ١٤٧٥ من أسرة طبّقت شهرتُها العمود من آل مديشيس

انصار الفنون الجميلة وسائر المعارف البشريَّة فكانهُ اقتبس من اسرتهِ ومن وطنهِ نور مجدهما الاثيل

عُني ابوه امير فلورنسة لوران دي مديشيس الملقَّب بالفخيم (Laurent le Magnifique) بتخريجهِ في كل آداب عصرهِ فاختار لهُ اوسع الاساتذة علماً واتقبهم عقلاً كبوليسيان وخلقُنديل ومرسيل فيسان (Marsile Ficin) وبيك دي لا ميرندول فنشأ جان مزداناً بهمَّتهم بالعلوم والآداب مشارًا اليهِ بالبنان لذكاء عقلهِ ووفرة معارفهِ وحسن سيرتهِ مع غضاضة سنهِ فرقَّاهُ البابا اينوشنسيوس الثامن الى رتبة كردينال وهو في الثانية عشرة من عمرهِ اعترافاً بفضل الولد وشكرًا لوالدهِ لما ادَّاهُ للكنيسة والدين من الخدم الجليلة . لكنَّهُ فرض على الولد قبل ان يتَّشح بالبزَّة الكردينالية الرسميَّة ان يواصل دروسهُ ويضيف الى علومهِ المدنيَّة درس العلوم الدينيَّة في كليَّة بيزة مدَّة ثلث سنوات ففعل ونال فيها كلَّها قصبة السبق مع شهادات معلّميهِ الناطقة بنجاحهِ ورقيهِ . فلبس الارجوان في مدخل شبابهِ واعرب عن اقتدارهِ بما القاهُ مذ ذاك الحين من الخطب على المنابر . فاهتزَّت مدينة فلورنسة طرباً لدى نظرها ابن اميرها منظوماً في سلك امراء الكنيسة واقامت لتهنئتهِ مواسم فاخرة وصفها الكتبة وصفاً شائقاً وتنبَّأوا لهُ بالجلوس يوماً على عرش البابويَّة

لم يفرح الامير لوران زمناً طويلاً بارتقاء ابنهِ الى منصب الكرادلة فانَّ الموت عاجلهُ فودَّع الحياة مزوَّدًا باسرار الدين معلناً بشديد تعلُّقهِ بايمانهِ (١٤٩٢) . وكان آخر كلامهِ وصاةً لابنهِ الكردينال عامرةً حناناً وحكمةً يرشدهُ فيها الى كلّ واجباتهِ الدينيَّة والدنيويَّة ويحذّرهُ ممَّا يحيد بهِ عن الصلاح

كان موت لوران مديشيس داعياً لانقلاب الامور على ذريَّتهِ فان بعض اعدائهِ وفي مقدّمتهم راهبٌ مُتعَّتهٌ يدعى سفانارول (Savanarole) هيَّجوا عليهم الشعب فنسي اياديهم اليهِ وهجم على املاكهم ونهب اموالهم وبخس حقوقهم واضطرَّهم الى الفرار من وطنهم

وكاد الكردينال جان مديشيس يهلك في هذه المشاغب لكنَّهُ نجا بنعمةٍ خاصَّة من الله والتجأ الى بلاط بعض امراء ايطالية اصدقاء اسرتهِ الجليلة فكان لهُ المنفى نعم المدرسة لترويض اخلاقهِ واكتساب الفضائل الخاصَّة بالرجال المتمكّنين ذوي

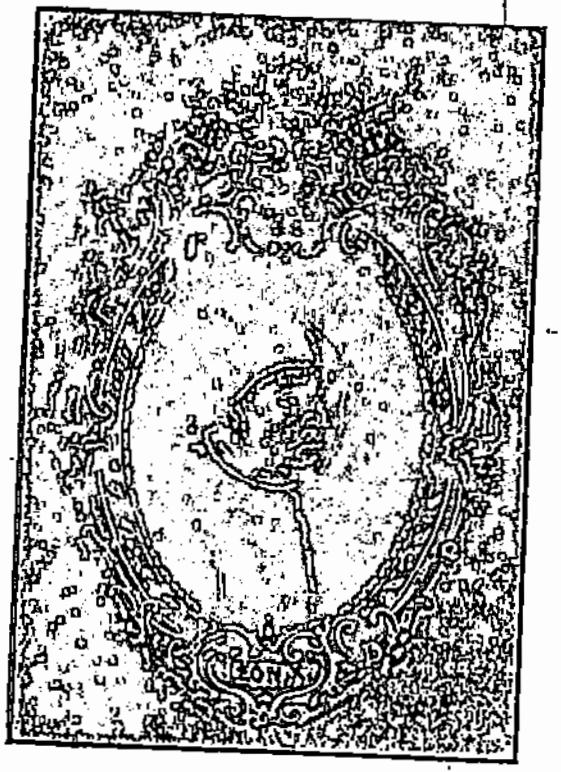

لاون العاشر (١٥١٣–١٥٢١)

رفائيل المصوّر الشهير († ١٥٢٠)

العود المُعجم . وبعد ان قضى عند مضيفيهِ نحو سنتين احبَّ ان يتجوَّل في انحاء اوربَّة ليزور عظماءها ويفتقد ما فيها من الآثار والفنون الجميلة . واذ كان اسم المديشيس شائعاً في كلّ اقطارها وجد الكردينال حيثما سار اطيب مثوى وارحب منزل فطاف في مدن النمسة والمانية وهولندة وفرنسة يتفقَّد ما في كلّ منها من المجاسن والمتاحف والمخطوطات العزيزة الوجود ثمَّ ابحر الى رومية فأقام في احد قصورها معتزلًا الامور السياسيَّة ومنقطعاً الى الدرس والمطالعة وجَمع التُّحف الفنيَّة لاسيَّما المخطوطات القديمة التي كان انتهبها الفلورنتيُّون من مكتبة والدهِ فابتاعها وزيَّن بها دارهُ الكردينالية . فما لبث ان توارد عليهِ رجال العلم ومحبُّو الآداب فكان يأنس بهم ويدعوهم الى مائدتهِ فاضحى قصرهُ نادياً علميًّا أحيا بهِ ذكر قزما جدّهِ الشهير ولوران الفخيم والدهِ حتَّى عادت فلورنسة فحسدت رومية لازدهار الفنون فيها باحد ابنائها الذين كندت نعمتهم . ومذ ذاك الحين تألَّف فيها حزبٌ لردّ السلطة الى آل مديشيس بساعي بعض زعمائها

قضى الكردينال مديشيس في رومية خمس عشرة سنة حائدًا عن السياسة ملازماً خدمة الكنيسة والآداب مدَّة ملك البابا اسكندر السادس وخلفهِ يوليوس الثاني وهو فائز بالحظوى لديهما لسعة فهمهِ وشهرة اسرتهِ ولأسفهما على آلهِ لِما حلَّ بهم من المصائب على خلاف استحقاقهم

وكان يوليوس الثاني سليل أُسرةٍ معادية لاسرة مديشيس الَّا انَّهُ عدل عن صوت اللحم والدم وقدَّر الكردينال جان مديشيس حقَّ قدرهِ . وفي السنة ١٥١١ عهد اليهِ امر بعثةٍ على مدينة بولونية التي كانت رفعت لواء العصيان على الحبر الاعظم فسار اليها بقلبٍ اصمَّ من الجلمود وكاد يكسر شوكتها لولا انَّ اهلها التجأوا الى لويس الثاني عشر ملك فرنسة الذي كان اذ ذاك يحاول بسط سلطتهِ على ايطالية الشمالية فحدثت وقتئذٍ وقائع تشيب لها الاطفال بين جنود البابا ومطلقاتهِ الاسبانيين وبين الفرنسويين والمنتمين اليهم من الالمان وكان الظفر في اوَّل الامر حليف ملك فرنسة رغماً عمَّا ابداهُ البابويُّون من البسالة والحماس تحت قيادة الكردينال دي مديشيس الذي كان في مقدَّمة الجيش بلا درع ولا سيفٍ ينفخ في القلوب روح النخوة والحميَّة الى ان وقع اسيرًا في ايدي الفرنسويين . الَّا انَّ امور الحرب ما لبثت ان دار دولابها فقُتل في

حومة الوغى غستون دي فوا (G. de Foix) بطل عصره المغوار ورأى الفرنسويون انَّ انتصارهم لا يجديهم نفعاً فعادوا الى اوطانهم والكردينال دي مديشيس في أسرهم لكنَّهُ نجا من ايديهم بنوع عجيب وعاد الى رومية فصار لهُ فيها استقبال الجندي الباسل والعبد الامين وعُظِّم في اعين جميع اهل ايطالية حتَّى انَّ العُصاة عادوا بواسطتهِ الى الطاعة وفتح كثيرون من الامراء ابواب مدنهم للجيوش البابويَّة

وكانت فلورنسة من جملة المدن التي أحنقت عليها الكرسي الرسولي لميل سودريني صاحبها الى الفرنسويين فانتهز انصار أسرة مديشيس هذه الفرصة فزحفوا عليها ودخلوها عنوةً واسروا سودريني واخذوا يعملون السيف في اهلها لولا ان الكردينال جان دي مديشيس توسَّط بين المدينة وفاتحيها ونال لمواطنيهِ الامان. فعادت الاسرة المديشيَّة الى عزّها السابق وملك على فلورنسة جوليان اخو الكردينال وخلفهُ من بعدهِ آلهُ الى اواخر القرن السابع عشر

امَّا الكردينال جان فانتدبهُ الحبر الاعظم لمهامّ جديدة وجعلهُ حاكماً على مدينة بيروزة فجمع في تدبيرها بين الحزم واللين واكتسب رضى الجميع

*

في ٢١ شباط سنة ١٥١٣ انتقل البابا يوليوس الثاني الى جوار ربّهِ بعد جلوسهِ على كرسيّ الخلافة البطرسيَّة احدى عشرة سنة عزَّز فيها سلطان الاحبار الرومانيين وانقذ ايطالية وطنهُ من نير الطامعين في ملكها وجعل على مفرق الكنيسة الكاثوليكيَّة تاجاً من البهاء زادها حسناً في اعين العالم باجمعهِ

اسرع الكرادلة فاجتمعوا لانتخاب خلفهِ فما مرَّت عليهم أيام قليلة حتَّى وقع الاختيار على جان مديشيس في ١١ آذار سنة ١٥١٣ حيث وجدوهُ كفوأً لتدبير الكنيسة وجديراً بالذبّ عن حقوقها وقهر اعدائها وهو اذ ذاك شمَّاسٌ انجيليّ فقط فسيم في ١٥ آذار كاهناً ثم اسقفاً في ١٧ منهُ وفي التاسع عشر جرت حفلة تتويجهِ برونق عظيم وتباشر بهِ عالم الدنيا والدين. واتخذ لهُ اسماً شرَّفهُ قبلهُ تسعة من الباباوات اوَّلهم واعظمهم القديس لاون الكبير (٤٤٠–٤٦١) الذي خلَّص رومية مرَّتين من ايدي البرابرة الهونيين والفندالين وملكيها اتيلا وجنسريك. وقد شرَّف ايضاً هذا الاسم الثانية الذين اتَّسموا بهِ لكنَّ لاون العاشر فاق عليهم لجمعهِ كلّ

الصفات المتفرّقة فيهم فاستحقّ كبعض نوابغ الدنيا ان يزدان عصرهُ باسمهِ الكريم.

اشتهر لاون العاشر من ثلثة وجوه كرجل سياسة وكرجل دين ورجل ادب

﴿ رجل السياسة ﴾ تبوأ ابن مديشيس السدّة البطرسيّة في زمن كانت ثلث دول كبيرة تطمح ببصرها الى ايطالية لتقتسم اصقاعها وهي المانية وفرنسة واسبانية لحقوق صادقة او فريّة تدّعيها لادراك امانيها . هذا فضلًا عن الجمهوريّات الايطاليّة الصغرى التي كانت تنوي توسيع حدودها وتجس حقوق الكنيسة الرومانيّة . فكانت تلك المطامع تجعل موقف الحبر الروماني حرجاً محفوفاً بالمخاطر . الّا انّ لاون العاشر عرف بحسن نظرهِ وحنكتهِ بالامور السياسيّة كيف يسلك مع الدول ليفوز باستقلال ايطالية . فانّهُ تصدّى لملك فرنسة لويس الثاني عشر واضطرهُ بمساعدة مكسيميليان الاوّل ملك النمسة وعضد الجيوش السويسريّة الى ان يبرح ميلانو ومقاطعاتها . ثمّ خاف البابا من محالفة كادت تُعقَد بين النمسة وفرنسة واسبانية وتتهدّد ايطالية فتمكّن بحذاقتهِ وحسن تدبيرهِ ان يمنعها ويصون موطنهُ والكرسيّ الرسوليّ معاً من هذه المخاطر الجديدة

ثمّ قام في فرنسة بعد لويس الثاني عشر فرنسيس الاوّل ابن اخيهِ (١٥١٥) فشبّت نيران جديدة تخوّف منها لاون العاشر وجعلت ايطالية تحت رحمة اعدائها فسعى البابا باطفاء سعيرها لكنّ فرنسيس الاوّل قهر كلّ القوّات المتحالفة لردّ غاراتهِ وبسط ملكهُ على ميلانو وتوابعها . فلم يقنط البابا من امرهِ بل اجتمع في بولونية بملك فرنسة وعقد معهُ معاهدةً خوّلت الحبر الاعظم سلطة فعليّة ونفوذاً اعظم في رعاية الشعوب الكاثوليكيّة لاسيما في ايطالية وفرنسة

ولمّا عاد لاون الى رومية حاول تمكين سلطانهِ في عدّة مدن ايطاليّة كان امراؤها يتصرّفون فيها على هواهم ولا يكترثون لاوامرهِ ونواهيهِ . فانتزع مدن اوربينو وبيروزه وبارمة من ايدي طغاتها وسلّمها لعمّال امناء . واستنفد الوسع في بسط السلم والامان في انحاء البلاد

ثمّ خلف في المانية مكسيميليانَ حفيدهُ كرلوس الخامس سنة ١٥١٩ وقد كان سابقاً ورث فرديننذَ الكاثوليكيّ سنة ١٥١٦ بملكهِ على اسبانية فجمع على رأسهِ تاجي المانية واسبانية . وما عتّم ان وقع بينهُ وبين فرنسيس الاوّل منازعات وحروب

دامت ثلثين سنةً وابتدأت على عهد لاون العاشر فاصابهُ منها هموم كدَّرت صفاء حياتهِ لطموح بصر كليهما الى ايطالية هذا الى جنوبها وذاك الى شمالها وهما يطلبان جميعاً من الحبر الاعظم نعمة الامبراطورية الرومانيَّة وامتيازاتها . فكان البابا يضطرّ حيناً الى ممالأة الواحد وحيناً الى مجاملة الآخر لئلا ترجح كفَّة ميزان احدهما فيصبح خطرًا على البلاد وعلى الممالك البابويَّة . على انهُ في آخر الامر نفر من عُنجهيَّة ملك فرنسة فانحاز الى كرلوس وفي اثناء ذلك مات بعد ظفر حلفائهِ

وكانت غاية ما يقصدهُ لاون العاشر من حروبهِ ان يمتع بلادهُ بالسلم والراحة ويكسر نير الاجانب فيجعل ايطالية مستقلَّة بامورها قويَّة باتحاد عواهلها مع اكبر ماركها وحُماتها اعني الحبر الروماني

وكانت هذه الغاية القريبة يوجّهها لاون الى غاية اسمى واعظم وهي ان يجمع كلّ قوى الدول المسيحيَّة ويربطها بروابط محكمة لردّ غارات الاتراك الذين كانوا يتقدَّمون كلّ يوم الى نواحي الدول النصرانيَّة ويتهدَّدونها من كلّ صوب بعد ان فتح سليم الاوَّل بلاد الشام ومصر ورودس وتقرَّبت جيوشهم من المجر والنمسة . وكأنَّ الملوك الاوربيّين ساهون عن ذاك الخطر المُجحف على خلاف الاحبار الرومانيين الذين كان جلُّ مسعاهم ايقاف العثمانيين عند حدودهم لا بل كسر شوكتهم وثلّ عرشهم . ومن يطَّلع على كتابات لاون العاشر الى كافَّة الملوك والامراء في المانية وانكلترة واسبانية وفرنسة والمجر وسويسرة والبندقيَّة وجنوة يأخذهُ الاندهاش لصوت ذاك النفير الذي يبعث ملوك النصرانيَّة من جمودهم ويوقظهم من سِنَتهم . وقد بلغ بهِ حبُّهُ لخلاص النصرانيَّة الى انهُ دعا اهل رومية الى طواف ديني مشى هو فيهِ حافياً لينال من الله رحمتهُ وقهر اعداء كنيستهِ وكذا فعل بعدهُ خلفاؤهُ الى ان وجد نداؤهم صدًى في قلوب الملوك فاتحدوا مع الكرسي الرسولي وانقذوا اوربَّة من همجيَّة بني عثمان بانتصاراتهم عليهم في ڤينَّة وبودابست وليبانت

﴿ رجل الدين ﴾ لم تكن امور السياسة لتصرف نظر لاون العاشر عن شؤون الدين بل قل انهُ لم يقصد من سياستهِ الَّا الدفاع عن حياض الدين اذ انَّهُ رأى خطرًا كبيرًا على استقلال الكنيسة الروحي لو فقدت استقلالها الزمنيّ كما ترى في البطريركيَّات الشرقيَّة التي اصبحت آلةً في ايدي الملوك والسلاطين بفقد حرّيَّتها

ولنا اوّلاً عدّة شواهد تثبت ما طُبع عليهِ لاون العاشر من روح التقى والحماس في الدين . فهذا مجموع رسائلهِ البابويّة التي تنطق كلها بتفانيهِ في سبيل الدين ويفنّد كلُّ سطرٍ منها اكاذيب البروتستانت في المانية واشاعاتهم في حقّهِ

ومن الخدم الجليلة التي ادّاها لاون العاشر للكنيسة جماء مواصلتهُ لاعمال المجمع المسكوني السابع عشر وهو الخامس من مجامع الكاتدرا اللاترانيّة كان باشر بهِ سلفهُ يوليوس الثاني سنة ١٥١٢ فعُقدت بهمّة لاون عدّة جلسات وُضعت فيها قوانين حسنة للإصلاح الحقيقي لآداب المؤمنين والاكليروس وبها بطل سلفاً مدّعى لوتاروس لاصلاحهِ الموهوم . وفي هذا المجمع قُطع دابر الانشقاق الذي احدثهُ بعض الكرادلة في بيزة فأنابوا الى الله وجاؤوا خاضعين لراعي الكنيسة . وفيهِ ايضاً أُثبت رسمياً مشروع خيريّ كان انشأهُ راهب فرنسيسي يُدعى برنردان ليقرض العَمَلة والفقراء مالاً في ضيقتهم بدلاً من رهن يرهنونهُ ريثما يردُّون المال فيسترجعون المرهون بجمالة زهيدة يؤدونها وبذلك ينجون من ربى اليهود الفاحش البالغ ٢٠ الى ٥٠ بالمئة . وكان ختام هذا المجمع في آذار سنة ١٥١٧ بعد اتفاق الآباء على وضع بعض الرسوم لمحاربة الاتراك وتقييد الطباعة بقوانين تكبح جماحها وتحصرها ضمن حدود الأدب

والى هذا البابا يعود الفضل بانشائهِ في رومية ملاجئ للفتيات التائبات ومطاعم مجّانيّة لفقراء المدينة . ومن مآثرهِ الدينيّة اهتمامهُ العظيم بالرتب الدينيّة لتُقام على منوال اهل بجلالهِ تعالى لاسيّما رُتب جمعة الآلام التي كان يتزاحم الزوّار من كلّ الانحاء لحضورها . وكذلك كان من السُّعاة في تنظيم الموسيقى الدينيّة والحانها الشجيّة . كما انّهُ انهض الدروس اللاهوتيّة في كليّة رومية المعروفة بمدرسة الحكمة (la Sapience) فاختار لها ثلاثة من اساطين ذلك العلم الجليل ورقّى بعض اللاهوتيين الى رتبة الكرادلة واعدّ منذ ذاك الحين اختصاصيين اشتهروا بعدئذٍ في المجمع التريدنتيني

واظهر لاون عنايةً خاصّة في نشر الدين في البلاد الاميريكيّة والجزائر المكتشفة حديثاً في العالم الجديد بين شعوب تلك المجاهل السحيقة . ولم ينسَ كنائسنا الشرقيّة كما يلوح من براءاتهِ الاحدى عشرة المرسلة لبطاركة الموارنة ولساقفتهم وشعبهم

ولا يسعنا ان نسكت عن نشاطهِ العجيب في تشييد كنيسة مار بطرس التي كان

باشر ببنائها اسلافهُ فكان لهُ في متابعة العمل سهمٌ عظيم كما تشهد عليهِ حتَّى اليوم عدَّة تحف تزين ذاك البناء المعدود بين عجائب العمور

هذه بعض مآثر لاون العاشر في جانب الدين من شأنها ان تُفحم المتشدّقين من الشيع البروتستانيَّة الذين صوَّروهُ في كتاباتهم كرجل فنونيّ عالميّ لا يكترث لخدمة الدين ولصوالح الكنيسة

﴿رجل الآداب﴾ قد اعتاد المعادون للكنيسة ان ينبزوا ذويها بالجهل ومناهضة العلوم . لعمري انَّ تلك دعوى باطلة يردُّها تاريخ الكنيسة من اوَّل ظهورها في العالم الى اليوم . وقد امتاز خصوصاً الاحبار الرومانيُّون بحفظ الآداب ورفع منارة العلوم في كلّ اجيالهم

على انَّ لاون العاشر قد لاح في سماء الكنيسة ككوكب دريّ ونجم ساطع النور فاق سلفاءهُ بنشر لواء المعارف والفنون الجميلة . وقد سبق انهُ رضع منذ صباه فاويق العلوم وعشق الآداب ولم يزل متشبثاً باهدابها الى زمن رقيهِ الى منصب الخلافة البطرسيَّة . فلمَّا ألقيت اليهِ مقاليد الكنيسة الجامعة رأى ان تعزيز المعارف احد واجباتهِ كتعزيزهِ للدين ليجريا في ميدان التمدُّن كفرسي رهان لا يفرق بينهما حاجز

واوَّل ما صنع لاون لنشر لواء العلوم انهُ دعا اليهِ مشاهير زمانهِ واقرَّهم في اصمتهِ رومية وجعل لهم رواتب واسعة تغنيهم عن هموم المعاش وكثيراً ما كان يدعوهم الى البلاط الفاتيكاني ويقضي معهم ساعات الفراغ ويعيّن لكلّ منهم ما يراهُ مناسباً لمعارفهِ

فتهافت الى رومية جمهور من العلماء والأدباء والشعراء والصنّاع والمؤرخين اصبحت بهم رومية كمتدى العلوم جماء ومركز كلّ الفنون

ومن الادلَّة الناطقة بفضلهِ تنشيطهُ للطباعة التي كان الحبر الروماني بولس الثاني دعا اصحابها الى رومية منذ السنة ١٤٦٦ فجعلهم تحت حمايتهِ فصدرت من مطابعها كتب دينيَّة وادبيَّة لا يُحصَل عليها اليوم الَّا بشقّ النفس والمبالغ الطائلة . فوسَّع لاون نطاقها وعُني بامورها المادّيَّة والادبيَّة وجعلها تحت نظارة اليونانيّ الشهير جان لسكاريس وجهَّزها بكل الادوات اللازمة وسعى باستحضار حروف عبرانيَّة وكلدانيَّة وسريانيَّة وما لبثت بعد قليل أن اصدرت مطبوعات جديدة لقدماء كتبة

الرومان واليونان مع ترجمات عديدة للكتاب المقدَّس من العهدين العتيق والحديث ولاسيَّما المزامير والاناجيل

وممَّا ساعد نشر العلوم والمعارف المكتبةُ الفاتيكانيَّة فانَّ لاون اضاف اليها مخطوطات مكتبتهِ الخاصَّة وابتاع لها كتباً عزيزة الوجود منها كتب شرقيَّة عربيَّة وسريانيَّة وعبرانيَّة وارسل فيليبوس بيروَّالد (Ph. Béroalde) ناظرها وعدَّة علماء الى انحاء ايطالية والمانية وفرنسة واليونان ليبحثوا عن المخطوطات في كنائسها واديرتها فيجلبوها ولو بأغلى الاثمان. قيل انهُ دفع ٥٠٠ دينار في تاريخ المؤرخ تاكيتوس وجدهُ في احد اديرة المانية. فلمَّا طُبع اعلن البابا في مقدَّمتهِ انَّهُ يجازي جزاء عظيماً كلَّ من يأتيهِ بكتاب قديم مخطوط. وكان الملوك والامراء يتقرَّبون الى لاون بارسالهم لهُ مخطوطات نادرة كان يدعو العلماء الى نشرها على نفقتهِ

ووجد لاون العاشر الكليَّة الرومانيَّة خاملةً دون مدرسة باريس وميلانو وبولونية فاراد ان تجاريها جميعاً بل تكون في مقدَّمتها في تعليم كلَّ العلوم ليس الدينيَّة فقط كاللاهوت والحقّ القانوني بل المدنيَّة ايضاً كالفقه والطبّ والهيئة والرياضيَّات والفلسفة والادب والبيان واللغة والتاريخ الطبيعي وكان يدفع بسخاء رواتب كلّ المعلمين الذين بلغ عددهم فوق المئة وكان للعلوم البيانيَّة ١١ معلماً و٢٠ للفقه و١٥ للطبّ والمفردات الطبيَّة وعلمٌ جرًّا. وقد صُنفت بهمَّتهِ تواريخ شتَّى كان لها احسن وقع في عالم العلم

وكان الحبر الاعظم مولعاً بالفنون الجميلة وقد مرَّ لنا ذكر اصلاحهِ للموسيقى الكنسيَّة وكان يحبّ ان يسمع نغمات كبار الموسيقيين لترقى نفسهُ بها الى الله والامور العلويَّة وكان يضرب بالقيثارة كداود الملك

وقد نبغ في ايَّامهِ قومٌ من الشعراء الايطاليين كاريوستو وبمبو وفيدا وجيبرتي وسنازار كان البابا يثيبهم على ما تنتجهُ قرائحهم من القصائد الرنَّانة

وما قولنا بولع لاون العاشر بفنّ التصوير فكفاهُ فخراً ان رفائيل المصوّر الشهير كان بجيرتهِ فصوَّر لرومية تلك التصاوير التي تزين الى اليوم كنيسة مار بطرس والقصر الفاتيكاني وبعض المتاحف والتي يُدفع في ثمن الواحدة منها الوف الالوف من الفرنكات وقد مات رفائيل في ربيع شبابهِ وعمرهُ ٣٧ سنة يوم جمعة الآلام سنة

١٥ فاثر موتهُ اعظم التأثير في الحبر الاعظم فبكى في جنازتهِ (اطلب صورتهُ)

ومثل رفائيل في نبوغهِ بالتصوير والنحت والهندسة معاصرهُ ميكال أنج الذي
رّف عصر لاون العاشر وأدّى للكنيسة من الخدم في هندسة كنيسة مار بطرس
نشها وتصاويرها ما جعل اسمهُ منتظماً في سلك اكبر نوابغ العالم

ونضرب الصفح عن عشرات آخرين من المصوّرين والنحّاتين والمهندسين الذين
نوا يساعدون ذينك المطلّين وكثيرون كانوا من تلامذتهما ولهم في رومية اعمال
شار اليها بالبنان

فهؤلاء وغيرهم ايضاً كانت تلك النهضة الادبيّة التي جمّلت خلافة لاون
اشر وكانت داعياً لترقي ايطالية عموماً ورومية خصوصاً. فانَّ انتشار الصناعة كان
عياً لاتساع دائرة الاعمال التجاريّة والاقتصاديّة حتّى زاد عدد سكّان رومية وبلغ
ضعف عددهِ السابق

٢ مناداة لوتاروس بالاصلاح الموهوم

ورد في العدد ٢٥٩٠ من النشرة الاسبوعيّة الاميركانيّة في تاريخ ٧ تموز السنة
١٩٢ مقالة بهذا العنوان «ذكرى الاصلاح الانجيلي» افتتحها كاتبها بهذه الاسطر:

« في ١٨ من نيسان هذه السنة كان قد مرَّ ٤٠٠ حوْل على وقوف المصلح الشهير مارتن
ر طلباً للاصلاح الديني في وُرمس فني مثل ذلك اليوم يتذكّرهُ كلّ الذين نالوا الاصلاح
يهِ وكل محبّي ذيّاك الاصلاح لأن ذلك العمل الكريم يُعدّ في التاريخ من اعظم الاعمال»

كنّا نودّ ان نضمّ صوتنا الى صوت النشرة الاسبوعيّة وكلّ المتبذهبين بمذهبها
نتهم جميعاً بهذا الموسم السعيد بيد أنّنا مهما تمعّنا في ذكرى هذا الاصلاح وجدناهُ
سماً بلا جسم وقشرة دون لبّ. وهذا ما نحاول بيانهُ بفصل وجيز نعرضهُ على
لّ من لا تغشّي عيونهُ الاوهام فنقول:

اوّلاً انَّ الله اذا رأى في كنيستهِ فساداً فاراد اصلاحهُ لا بُدَّ ان يختار لها مُصلحاً
حنلاً بارًا. ثانياً ينبغي على المصلح المذكور ان تكون تعاليمهُ صالحة موافقة للوحي
تعليم الآباء. ثالثاً ويلزم ان يأتي ذاك الاصلاح بالنتائج الحسنة والاثمار الجيّدة.
الحال هذه الشروط الثلثة مفقودة لا اثر لها في الاصلاح البروتستاني

صورة لوتاروس

صوَّرها يوحنا هُلبين معاصرهُ

قال لوتاروس في هذا كراتهِ (وجه ٣٥) : عندي ثلثة كلاب شريرة وهي الكنود (كفران النعمة) . والكبرياء . والحسد . فمن عضَّتهُ أحسنتْ عضَّتهُ .

ومزاجي يتدفَّق بالغضب . وعقلي يشحذ غرارهُ بالكيد .

وقريحتي تجود عند النيظ

١ بين لوثاروس مصلحاً صالحاً بن اثماً

لو أجلنا النظر في سيرة لوثاروس الروئية من البروتستانت فضلاً عن الكاثوليك واجتبيناها من كتاباته وجدناها بنس السيرة التي يخجل منها كلّ رجل عاقل بارّ خائف من الله. وُلد مرتينوس لوثاروس في أيسلابن من اعمال المانية سنة ١٤٨٣ من عائلة حقيرة وبعد دروسه ترهّب في رهبانيّة الاوغستينيّين سنة ١٥٠٨ ثم سيم كاهناً وأُرسل الى ورتمبرغ ليعلّم فيها الفلسفة وكانت في تلك المدّة تساوره الوساوس فتشوّش عقلهُ وتبلبل راحة قلبهِ. وفي السنة ١٥١٢ نال امتياز اللقنة في رهبانيّته فاخذ مذ ذاك الحين يُظهر استبداداً في تعليمهِ قلّما يقنع لمشورة رؤسائهِ الداعين لهُ الى الخطّة المثلى

وقد اظهر لوثاروس في ذاك الوقت ما طُبع عليهِ من شراسة الاخلاق لاسيّما الكبرياء والغضب فانّهُ جاهر بهما حتّى لم يخجل بتقديسهما حيث قال: «دون الكبرياء لا يستطيع الانسان عملاً حسناً». وكان يبرّر غضبهُ الوحشيّ وسوء طباعهِ بمثل السيّد المسيح الذي غضب على الفرّيسيين. واخذ مذ ذاك الحين يرشق بسهام لسانهِ البذيء كل من لم يوافقهُ على آرائهِ الغريبة فيلقّبهم بألقاب يستحي من لفظها الاوباش تجدها في تاليفهِ

وفي السنة ١٥١٦ اراد الحبر الاعظم لاون العاشر ان يشرّف بيعة الله بتمجيد هامة الرسل في رومية ومواصلة بناء كنيستهِ الشيّدة على ضريحهِ فأرسل الى انحاء اوربّة واعظين ليدعوا المؤمنين الى التوبة ويمنحوهم غفرانات قانونيّة طالبين منهم بعض الصدقات لمساعدة ذاك المشروع التقويّ. فامتعض لوثاروس غيظاً على الحبر الاعظم اذ انتدب لهذه الغاية الرهبان الدومنيكيين بدلاً من ذوي رهبانيّته وانتهز تلك الفرصة ليسلق ارباب الكنيسة والحبر الروماني نفسهُ بالشتائم مدّعياً انّهُ بذلك يتجاوز سلطتهُ ويبيع الروحيّات وينسى ما اعطى السيّد المسيح لرأس كنيستهِ من سلطان الحلّ والربط في السماء والارض وانّ الغفرانات لا تمحو بذاتها الخطيئة وانّما تسامح فقط بالعقاب الزمني الذي تستوجبهُ الخطيئة المغفورة من الله. والدليل على انّ لوثاروس أقدم على خطبهِ الثوروئيّة لغايات سافلة ما اقرّ بهِ بعدئذٍ في كتبهِ بقولهِ: «إني اقسمُ على حياتي وخلاصي اني لمّا تصدّيتُ لمناقضة الغفرانات ما كنتُ أُدرك معناها» فكان اذن فعلهُ هذا جهلاً وتعنّتاً وعجرفةً ليس غيرةً على الكنيسة وإصلاحها

ولمّا استدعاهُ اسقفهُ ثمّ الحبر الاعظم ليؤدي الحساب عن اقوالهِ واعمالهِ اظهر الخضوع اوّلاً ثمّ نشر راية العصيان واخذ ينفث في الكنائس وساحات المدن سموم غضبهِ على كلّ الاقداس ويحرّك مطامع امراء المانية على اوقاف الكنائس فسلبوا ونهبوا واحرقوا وقتلوا باغرائهِ . واذ ضربهُ الحبر الاعظم في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٠ بالحرم لعصيانهِ احرق البراءة الرسوليّة وفرّ هارباً من وجه العدل مختفياً عند امير سكسونية فردريك صديقهِ والموافق لهُ على نفاقهِ

وبما ان الكبرياء يعاقبهُ الله بان يهمل الانسان الى اهواء قلبهِ ما لبث لوتاروس ان خلع كلّ عذار فجحد كهنوتهُ وخدع راهبةً تُدعى كاترينا دي بور تزوّجها سِفاحاً وعاش معها بالزنا . ثمّ اخذ يحرّض الكهنة على نبذ سُنّة العزوبة على مثالهِ بل سمح لاحد امراء المانية بالاضرار اي الزواج بامرأتين معاً على عكس التعليم الانجيلي

هذا هو رجل الإصلاح الذي تفتخر بهِ الشيع البروتستانيّة . فمن شوكهِ على رأيهم نبت العنب ومن عوسجهِ التين على خلاف قول الرب . وقد عرف نفسهُ حقّ المعرفة اذ أرّتهُ يوماً كاترينا امرأتهُ السماء لامعةً بالكواكب فصرخ متأسفاً : ليس هذا من حصّتنا !

٢ ليست تعاليم لوتاروس جديدة بالاصلاح

انّ من يطّلع على كتابات لوتاروس يجد فيها من الاضاليل ما كان متفرّقاً منها في كافّة الهرطقات السابقة . واوّل ما بنى عليهِ صرحَ تعاليمهِ هذا المبدأ الفاسد انّ الكتاب المقدّس وحدهُ يحتوي كلّ دستور الايمان وحقائق الدين لينفي بذلك سلطة الكنيسة للتعليم كأن السيّد المسيح ارسل الى العالم اجمع تلاميذهُ بقولهِ : «اذهبوا واكتبوا» ولم يقل لهم «اذهبوا وعلّموا» . واضاف الى هذا المبدأ مبدأً ثانياً اشنع منهُ وهو حرّيّة كلّ مؤمن ان يفسّر الكتاب المقدّس على هواهُ ففتح بذلك باباً واسعاً لكلّ البدع والترّهات والتعاليم المتناقضة فينكر الواحد من اصحابهِ ما يثبتهُ الآخر وكلاهما على قولهِ مُلهَم من الروح القدس . تلك هي حرّيّة الضمير او حرّيّة الافكار ينبوع كل البدع والسفسطات

فعلى هذا الاساس الواهن بنى لوتاروس مذهبهُ . ولم يلبث ان يشفعهُ بتعاليم اخرى

الضلالُ فيها ظاهر لكل عيان بل هي والحقيقة على طرفي نقيض منها انكار لوتاروس لحريّة الانسان في اختياره للخير والشرّ كأنهُ مدفوع اليهما من الله وبهِ ينفي كلّ ثواب وعقاب ويجعل الخلاص والهلاك تحت رحمتهِ تعالى دون ملاحظة أعمالهِ الصالحة او الطالحة . ومنها تبرير الانسان بالايمان دون الاعمال مع رذلهِ للاعمال المبرورة وجحودهِ لمنفعتها امام الله حتّى بلغ الى هذا القول الفظيع : « أخطئ ما شئت وليقوَ ايمانك على خطاياك »

هذا الى تعاليم أخرى عديدة مُضلّة قال بها واوغلتهُ في بيداء الاوهام كإبطالهِ للذبيحة الطاهرة ولمناولة القربان الاقدس وكنفيهِ لحقيقة المطهر ولمنفعة الصلوات لاجل الموتى ولشفاعة القديسين واكرامهم وكإلغائهِ الاسرار المقدّسة والرُتب الكنسيّة تحت رئاسة الاساقفة والحبر الروماني . وخلاصة القول انّهُ نقض كلّ العقائد التي علّمها ابن الله للعالم ودوّنها الرسل بعدهُ في اسفار العهد الجديد او سلّموها الى خلفائهم شفاهاً فبلغت الينا بتقليد متواصل لم تنفصم حلقاتهُ في توالي الاجيال

٣ اثمار اصلاح لوتاروس الموهوم

لمّا اراد السيد المسيح ان يحذّر تلاميذهُ من الانبياء الكذبة اعطاهم لذلك قاعدة ثابتة يميّزون بها بين الصدّيقين المحقّين والاشرار الماكرين حيث قال : « ومن اثمارهم تعرفونهم » . فلننظر بالنظر الى نتيجة الاصلاح البروتستاني فما هي يا تُرى الاثمار التي اتى بها لخير البشر ولسعادة الشعوب ؟

ما رفع لوتاروس عقيرتهُ ليدعو الى اصلاحهِ الموهوم حتّى انفجر السدّ الضابط للشهوات البشريّة واندفع ذاك السيل الجحاف بل الطوفان العرمرمي فحوّل اوربة الى ساحة قتال طبّقت شرورُها وجه الارض فثارت تلك الحروب الدينيّة التي فعلت ما لم تفعلهُ حربنا الكونيّة الاخيرة ودامت نحو مئتي سنة

فليقل لنا المنتمون الى المذهب اللوتراني ماذا اصلح زعيمهم لوتاروس ؟ هل اصلح المعتقدات ام اصلح الآداب ؟

امّا المعتقدات فهي باقية راسية رسوّ الصخر الاصمّ في الكنيسة الكاثوليكية لم يزعزعها الاعصار البروتستاني فالكنيسة وحدها يمكنها ان تثبت معتقدها عقلاً ونقلاً

وليس كلامنا هذا على بعض العبادات الاختيارية الجارية في الكنيسة وغايتها إنعاش روح التقى والعبادة . وانما نتكلم عن الحقائق الجوهرية وذات الاسرار الفائقة الطبيعة فان الكنيسة لا تصدق على واحد منها الا استناداً الى اقوى البراهين واثبت البيّنات

وترى على خلاف ذلك الشيع البروتستانية تنمو وتتعدد وتتشعب وتتفتت حتى لم يبقَ منها عقيدة واحدة يتفق عليها البروتستانت باجمعهم . فانَّ لوتاروس نفسهُ رأى قبل موته ٢٤ شيعةً خالفت تعاليمهُ فندم على ما فات ولات حين ندم . وهذا ما كتبهُ بيدهِ الى صديقهِ غليوم برافست :

« اني لأعلم يا اخي في المسيح انَّ شكوكاً عديدة تحدث على حجَّة الانجيل ينسبونها اليَّ . ولكن ما العمل ؟ ليس مبشّر الا ويدَّعي انهُ اعلمُ مني مئة ضعف واذا زجرتُهم لا يسمعون مني فانَّ بيني وبينهم حرباً عواناً اشدَّ من عداوتي للبابا وهم الذُّ عداوةً عليَّ منهُ »

ثمَّ يحاول تبرير نفسهِ ولكن هيهات ان يصغي احد الى دفاعهِ عن ذاتهِ . فانَّ مبادئهُ الفاسدة لا تزال كلَّ يوم تقتم البروتستانت حتى بلغ عددها في هذه السنين الاخيرة نيفاً وثلاثة آلاف شيعة تسبُّ الواحدة الأُخرى وتزيف تعاليمها ولا تتفق الا في محاربة الكنيسة الكاثوليكية مركز الايمان وعمود الحق

ولا ترى احداً من الكاثوليك يترك دينهُ ليدين بالبروتستانية الا لغاية بشرية (الفلوس او العروس !) واعترف لوتاروس عينهُ بذلك حيث قال : اذا اراد البابا ان ينظّف بستانهُ من اعشابها الفاسدة يقلعها فيلقيها في جنينتي . وترى على خلاف ذلك الوفاً من وجوه البروتستانت واكليروسهم وعلمائهم المبرّزين يجحدون كلَّ يوم مذهبهم ويضحُّون كلَّ ملاذ الحياة والغنى وشهوات العالم والمناصب المنيفة لينضووا الى الكنيسة الكاثوليكية ليجدوا راحةً لضميرهم

وما قولنا عن الآداب فان الاصلاح اللوترانيَّ كان لها آفةً وبيلة بوضعهِ ذاك المبدأ الفاسد الذي يردُّهُ كلُّ ذي عقلٍ صائب اعني بطلان الاعمال الصالحة امام الله وعدم فائدتها للخلاص بينما الانجيل يدعو اليها في كلِّ صفحة من صفحاتهِ لاسيَّما اذ يقول السيد المسيح لذاك الشاب الذي سألهُ ماذا يعمل من الصلاح ليرث الحياة الابدية فقال لهُ : ان شئت ان تخلص فاحفظ الوصايا . وحيث يقول الديَّان في اليوم الاخير للابرار انهم باعمال رحمتهم نحو العطشان والجوعان والعريان والسجين ينالون السعادة

الابديّة. والعكس بالعكس اذ يقضي بهلاك الاشرار لإهمالهم الاعمال المبرورة

هذا ولا ننكر انَّ بين البروتستانت يوجد ناس ادباء افاضل الّا انَّ فضلهم من حسن عنصرهم وتربيتهم وجريهم على التعاليم المطبوعة في قلب الانسان من الله ليس من تطبيق اعمالهم على المبادئ البروتستانيَّة . وكذلك لا ننكر انَّ بين الكاثوليك اشرارًا وانَّما شرُّهم لمخالفتهم تعاليم الكنيسة فقط . فلو جروا عليها لأصبحوا ابرارًا صالحين . والفرق بين الامرين ظاهر واضح

٣ ارتداد القديس اغناطيوس

هي الذكرى الثالثة التي اشرنا اليها في بدء هذه المقالة فحدثت في سنة وفاة لاون العاشر ونشر لوتاروس رايةَ عصيانهِ . فكأنَّ الله قصد ان يجمع بين هذه الامور الثلاثة ليبيّن لكنيستهِ انَّهُ بفقدها كبير احبارها وبما نالها من الاسف على تمرُّد احد ابنائها عليها وتمزيقهِ لثوب المسيح لم يهملها ويقيم لها حُماةً كُماةً بسلاء يردُّون اليها بالربى ما خسرتهُ في بعض البلاد

وُلد اغناطيوس دي لويلا من اسرة شريفة سنة ١٤٩١ وربّي احسن تربية مسيحيَّة كامراء ذلك الزمان ولم يحصّل من العلوم الّا ما يحتاج اليهِ في خدمة ملكهِ فدخل بلاط الملك فرديننذ بين اولاد الاشراف واستعدَّ ليخدم وطنهُ في معامع الحرب التي كانت نفسهُ الكريمة تتوق اليها ليحرز لهُ فيها مجدًا اثيلًا كاجدادهِ . فتجنَّد في مقتبل العمر في جيوش الدولة وتنقَّل بزمن قريب الى اعلى مناصبها

وكان اغناطيوس يتلهَّب غيرةً على وطنهِ يتمنَّى وقوع حربٍ يعلن فيها عن نخوتهِ وشهامتهِ . فجاءت الظروف موافقةً لرغائبهِ . فلمَّا كانت السنة ١٥٢١ نشبت الحرب بين كارلوس الخامس خلف الملك فرديننذ وامبراطور المانية وبين فرنسيس الاوَّل ملك فرنسة . فزحف الفرنسويُّون على شمالي اسبانية وحاصروا مدينة پمپيلونة التي كان وُكل اليهِ امرها ومع قلَّة ما كان لديهِ من الجنود اراد ان يدافع عنها الى آخر الانفاس الّا انَّ اهل المدينة أبوا الّا الاستسلام الى العدوّ لما رأوا من عدد جنودهم وعظم قوَّتهم وشدَّة اسلحتهم ففتحوا لهم المدينة . فلم يشاء اغناطيوس ان يوافق اهلها على فعلهم وتحصَّن في القلعة مع من رآهم من جنودهِ متحفّزين للدفاع عنها

فما عتّم الفرنسويون ان نصبوا على اسوارها السلالم وصوّبوا اليها كرات مدافعهم بينما كان اغناطيوس بصوته ومثله يستنهض همم جنوده ويستقتل لردّ غارات العدوّ الى ان فتح بقذائفه ثلمةً من الاسوار وأصلى الأسبانيّين نارًا حاميةً فأُصيب اغناطيوس بقذيفةٍ كسرت عظم ساقهِ اليمنى ووقعت على اليُسرى حجرةٌ ضخمة جرحتها جرحاً بليغاً فوقع صريعاً على الحضيض بعد ان ابلى احسن بلاء مدّة سبع ساعات متواصلة. فاستأمن جنودهُ على رغم منهُ اذ كان يرغب ان يموت موت الابطال في ساحة القتال . فدخل الفرنسويون القلعة ظافرين الّا انّهم أُعجبوا من بسالة قائد الاسبانيّين وعاملوهُ بكل لطف وإكرام وبعد ان ضمدوا جراحهُ حملوهُ في هودج واوصلوهُ الى قصرهِ. وكان يوم سقوطهِ جريحاً موافقاً لاحد العنصرة في ١٩ ايار كأنّ الروح القدس اراد بتلك الجروح المادّيّة يشفي نفسهُ ويعدّهُ لجهاد اعظم واشرف عن كنيستهِ في نفس اليوم الذي غيّر قلوب التلاميذ في علّيّة صهيون وسلّحهم بقوّته ليغلبوا العالم كسيّدهم المسيح. وفي نفس السنة التي هيّج ابليس فيها جنودهُ ليحملوا على الكنيسة مؤمّلًا بجملتهِ ان تقوى عليها هذه الدفعة ابوابُ الجحيم فتبطل مواعيد ابن الله

. ولا حاجة ان نتّسع في ما جرى لاغناطيوس في قصرهِ اذ كان طريح الفراش واشرف على الموت لولا أنّ هامة الرسل القديس بطرس تراءى لهُ في المنام ووعدهُ خيرًا وشفى جرحهُ بمعجزة لقصيدةٍ كان اغناطيوس نظمها لاكرامهِ. لكنّهُ رأى في قِصَر احدى ساقيهِ عارًا فطلب ان يستأنف الجرّاحون لهُ عمليّة مؤلمة جدًّا تحمّل مضضها بكل صبر. ثم لزم الفراش أيامًا ريثما تصحّ الساق واذ لم يجد اذ ذاك في قصرهِ ما يتسلّى به في ساعات الفراغ الّا كتاب سير القدّيسين عمل فيه مَثَل اولئك الابطال فقصد ان يحذو حذوهم. وما فتئ ان قام بوعدهِ وباشر تلك الاعمال العجيبة التي نقرأها في سيرة حياته ولاسيّما انشاؤهُ للرهبانيّة اليسوعيّة التي ردّ بواسطتها اقطارًا عديدة الى حجر الكنيسة وعلى الخصوص في المانية وسويسرة فضلًا عن امم الوثنيين في اقاصي العالم

فكان اذن جُرح اغناطيوس علّة لارتدادهِ وسببًا لما حصل بعدهُ من الخير العام في الكنيسة. وذلك ما حمل اهل اسبانية عمومًا واقاليمها الشماليّة خصوصًا ان يقيموا

في هذا العام اعيادًا حافلة تذكارًا لذاك الواقع العظيم تقاطر الى الاشتراك بها جماهير مجمهرة من انحاء اسبانية ووفود من فرنسة وايطالية والبرتغال . فجرت في قصر لويولا وفي كيبوزكوا وطن القديس اغناطيوس في اواسط ايار تظاهُرات دينيَّة ومدنيَّة قلَّما يُرى مثلها في حواضر الدول. وقد ارسل ملك اسبانية احد كبار حاشيته لينوب عنهُ بحضورها رسميًّا وكان هناك عددٌ لا يُحصى من رؤساء اساقفة واساقفة وكهنة ورهبان واشراف الدولة يتقدَّمهم الكردينال ألمارز

وزاد تلك الحفلات رونقًا انَّ رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام ارسل من رومية ذخيرةً سنيَّة من جثة القديس اغناطيوس لتُعرض في تلك المواسم . فما بلغت اسبانية حتَّى تقاطر الناس وازدحموا في كلّ مدينة مرَّت بها لينالوا بركتها فكان مرورها اشبه باستقبال ملكٍ عاد فائزًا بعد انتصاره على الاعداء

وقد وصفت الجرائد المحليَّة تلك المواسم الفخيمة التي احيت في قلوب جميع مشاهديها شواعر الايمان والحماس الديني والتشبُّث بتعاليم الكنيسة التي كان اغناطيوس ورهبانهُ اشدَّ انصارها . امَّا المانية البروتستانيَّة فقد مرَّ عليها تذكار لوتاروس المئوي دون ان يجد في قلوب ذويهِ وتَرًا يرنُّ . وكأنَّ المذهب البروتستاني بعد سقوط غليوم وفوضى الاشتراكيين في المانية أُصيب بضربة اليمة فتحت عيون كثيرين من اهلها وقرَّبتهم من الكنيسة الكاثوليكيَّة . نصر الله الحقّ واعاد الى الحظيرة البطرسيَّة كلّ الضالّين لتقوم بموجب قولهِ تعالى رعيَّةٌ واحدة وراعٍ واحد

عين الغوّاصات او البرِسْكوب

للاب رفائيل غله اليسوعي

لا يجهل احد في عهدنا الغوّاصات التي تخوض اعماق البحار خوض الطيّارات لاعالي الجوّ لا بل قد وقفت الخاصة والعامة على شدَّة اهميَّتها وغرابة مآثرها المتعدّدة في ايام الحرب الكونية حيث كانت على صغرها تروّع اضخم المدرّعات واذا ضربتها

بالطوربيل اغرقتها بلمحة عين في لجج المحيط . اجل كل ذلك من المعلومات المبتذلة لدى القاصي والداني

لكن هناك مشكلاً قلما يفطن له الناس : كيف تستطيع الغواصات النظر الى ما يحيط بها على سطح البحر وهي سابحة في كبده ؟ فلعمري انها لا تأتي بادنى فائدة ان ظلت تخبط في جوف الاوقيانوس وهي محرومة البصر لا تدري الى اي مرمى تصوب قذائفها الطوربيلية المهلكة . وعليه قد توخينا في هذه الصحائف القليلة حل ذاك المشكل على اسلوب شافٍ قريب المنال بعد تقديم المهدات التي لا ندحة عنها

قلنا انهُ يتحتَّم على الغواصة ان ترى ما يجول من السفن على سطح البحار بل نزيد هنا مسيس حاجتها الى ذلك وهي غير منظورة اي محجوبة في غمر المياه . والحال انه لا يمكنها التمتع بهذا النظر بدون آلة خاصة فان اشعة الشمس الناقلة لصور الاشياء الى شبكية عيننا لا تلبث ان تتلاشى تدريجاً في الماء فكأنَّ المياه تمتصها شيئاً فشيئاً . ففي عمق اثني عشر متراً يكاد البَصَر يعجز عن نظر الاشياء حتى الاجرام الضخمة التي تمار فوقهُ سبعة امتار ليس الا . واذا انحدرت بالغواصة الى عمق ثلاثين متراً فمن المحال ان تميز صخراً عظيماً يعترضك في جوف المياه على مسافة ثمانية امتار . فالقومندان نفسه المتسلط على حركات السفينة وسكناتها عاجز في هذه الظروف عن معرفة احوال طريقهِ المحفوفة بمخاطر اشدَّ اهوالاً من طرق البواخر المعتادة . اجل انه يستطيع الاهتداء بواسطة مصباح كهربائي ساطع مناط بمقدم غواصته وهو بمثابة مستبر من النور تُستبَر بهِ اعماق اليمّ المخيفة المظلمة . لكن هذه الوسيلة الناجعة تفيد السائحين على سطح المحيط ليس في بواطنهِ وفي ذلك ما فيه من المحاذير الماثلة المهددة لحياة الغواصة وكيانها وهي من جهة اخرى لا تجديه نفعاً في مرأى تلك السفن وتصويب الطوربيل الى جوانبها عند الاقتضاء . وهيهات ايضاً ان تؤدي له تلك الخدمة الجليلة حُقَّتُهُ او بوصلتهُ التي تدلُّ فقط بابرتها الى وجهة السير ليس الى ما يعترضهُ من العقبات في كبد المياه او ما يكتنفه من البوارج على وجهها

فنستنتج من الادلة الجلية السابقة ان عين الغواصة اشدّ لزوماً لحياتها والقيام بوظيفتها الجوهرية من عين الانسان لنفس هاتين الغايتين . فاولاها لما برزت الغواصة الى حيز الوجود او اقلّه الى ميدان العمل المفيد وكفى بذلك شاهداً على اهمية بحثنا

*

قد اطلقت اللغات الاوربيّة على عين الغواصات اسم برِسكوب (Périscope) وقد احسنت انتقاءه فهو مصوغ من لفظين يونانيين اوّلهما اداةٌ معناها حوْل والثاني اسم بمعنى النظر يراد بها الآلة الناظرة حول نفسها . وظرفُ المكان يشير الى ان عين الغوّاصة ترسل نظراتها الشاهية الى اقصى حدود الافق المحيط بها من كل جانب على شكل دائرة فسيحة

فلنبحث الآن عن هيئة البرِسكوب وتركيبهِ ومبادئ علم النور التي يستند اليها في القيام بوظيفته الحيويّة . هذه الآلة في الظاهر انبوبٌ يبلغ طوله نحو سبعة امتار ونصف ينقسم الى شطرَين موصولين على خطّ مستقيم قطرُ الاسفل زهاء ١٢ سنتيمترًا وقطر الاعلى من ٧ الى ٨ سنتيمترات . وهذا الشطر اضيق من الاول لانهُ يخترق المياه بالغاً بعض العلوّ مترين مثلاً فوق سطح البحر فتجعله دقّتهُ في حكم غير المنظور تقريباً اذ يكاد يستحيل على امهر المدفعيّين اصابته بقنبلةٍ ولو عن كثَب . والانبوب المركب من الشطرين الموصوفين مرتكز عمودياً على وسط ظهر الغواصة . وعند رأسهِ المشرف على سطح البحر موشورٌ من البلّور ومثلهُ عند كعبهِ وهو في باطن الغواصة . امّا في داخلهِ فقد أُدمجت من مسافة الى مسافة عدَسيّاتٌ قويّة كما في النظّارات الفلكيّة

فلنفرض مثلاً ان مُدرَّعة تمرُّ في دائرة نظر البرِسكوب وهي دائرة الافق كما سبقت الاشارة . فصورتُها تُدرك الموشورَ الاعلى وتنعكس منهُ على العدسية التابعة لهُ في داخل البرسكوب ومن هذه الى الثانية ومن الثانية الى الثالثة وهلمّ جرًّا الى ان تبلغ الموشور الاسفل فتنعكس منهُ على عين المراقب فيرى المدرَّعة مع كونها على وجه المياه بل عند اقصى حدود الافق . وانبوب البرِسكوب قابل الدوران حول محورهِ العموديّ فيديره قومندان الغواصة كل عشر ثوانٍ مثلاً دورة كاملة ومقلتاه ناظرتان الى الموشور الاسفل كانهُ مرآة صقيلة فيرى فيها كل السفن والاشياء الأُخر التي ضمن الدائرة الافقية

فاذا تدانت اليهِ مثلاً المدرَّعة المذكورة فهو يشاهد رسمها مكبَّرًا نصب عينيه والعكس بالعكس . بل يستطيع الاستدلال من موقع الموشور الاسفل في دورة

البرسكوب ومن الحارطة البحرية على وُجهة المدرعة وفي كثير من الظروف على الميناء التي تقصدها . فيسهل عليه بعد ذلك اتخاذ كل التدابير اللازمة لمطاردة تلك السفينة وضربها بالطوربيل على مسافة معقولة اي بضع عشرات من الامتار في الغالب

ذاك مبدأ البرسكوب وتلك طريقة استخدامه فكلاهما من السهل الممتنع كما يتضح من الشرح الآنف . فسبحان من قدر العقل البشري على صنع مثل هذه المعجزات المدهشة بواسطة جهاز هو غاية في البساطة

*

سمينا البرسكوب عين الغواصات ولسنا مخطئين بيد انهُ يُستعمل في غيرها ايضاً . وقد اشتهر استخدامه اثناء الحرب الكونية لمراقبة كل ما يحدث من الحركات والسكنات ضمن الدائرة الافقيَّة والمراقبُ جالس في داخل حصن منيع او دار مُغلقة الابواب والنوافذ حيث يصعب على العدو قتلهُ في مكمنهِ . وانما يطرأ في هذه الظروف بعض التغيير على شكل البرسكوب الموصوف آنفاً فيُصبح الانبوب البالغ نحو ثمانية امتار طولاً وزهاء عشرة سنتيمترات قُطراً على هيئة ساريةٍ ضخمة يبلغ ارتفاعها في بعض الاحيان ٢٥ متراً . وكثيراً ما تتركب من ستة او سبعة انابيب من النحاس تُخرَج من صناديقها ويُدمج منها الواحد فوق الآخر على اساس متين فيتكوَّن من مجموعها في وقت يسير البرسكوب البرّي المشرف على ظهر الحصن او الدار إشراف رصيفهِ البحري على ظهر الغواصات . ومن اسهل الامور نقل السارية البرسكوبية باجمعها من محل الى آخر على أشفاع دواليب متواصلة بحسب طول السارية

وقد استخدموا ابسط واخفَّ انواع البرسكوب في الخنادق التي كادت تنحصر فيها كل معارك الحرب الكونية . وذلك حادثٌ جديد في تاريخ الحروب كما لا يخفى . كان ذلك البرسكوب على شكل انبوب مربع من الخشب مفتوح في طرفيه مركوز في قعر الخندق منيف على مدخله اي قسمه الاعلى بارتفاع مترين او ثلاثة امتار مثلاً . وعند الطرف الاعلى مرآة جيدة الصقل مائلة على مدخل البرسكوب ميلان زاوية يبلغ انفراجها ٤٥ درجة . وعند الطرف الاسفل مرآة مثلها منحنية كذلك على مخرج الآلة . فبفرض كون المرآة العليا متجهةً الى العدو فمن البديهي ان كلَّ حركاتهِ الظاهرة ترتسم عليها ثم تنعكس منها الى داخل الانبوب على المرآة

السفلى حيث يشاهدها الراصد ما طاب له دون ان يفوتهُ شيء من احواله

ولو افترضنا انّ العدوّ مختبئ في جوف خنادقه فلا تزول فائدة استخدام هذا البرسكوب لأنه يوقف الراصد على هيئة الارض التي احتلّها العدوّ وما انطوت عليه من الوهاد والهضاب والاسلاك الشائكة الى غير ذلك مما تتيسّر به الحملة على الاعداء المجاورين

سبق لنا القول ان هذا البرسكوب البسيط يُركز في قعر الخندق وذلك صحيح اذا كان بين المتحاربين بَوْنٌ لا يُخشى به اصابة اعلى البرسكوب بكُلَل البنادق. والّا فلا يُركز البتة وانّما يرفعهُ الراصد بيده كلّما اراد استعماله. وكان ذلك جارياً في الجيش الفرنسوي منذ غرّة ١٩١٥ حيث لاحظ الجنود كثرة المخاطر الحافّة بمن يرفع رأسهُ فوق مدخل خندقه ليحسن تصويب الرصاص الى الالمان. فقد كاد لا يُحصى عدد الذين قُتلوا بقذائف العدوّ لقلّة فطنتهم عند رصدهم لهُ

*

يسرُّنا الآن إطلاع القارئ على ما يسوغ تسميتهُ جدّ البرسكوب نعني آلة سبقت اختراعهُ بكثير مع كونها قائمةً ببعض خدمهِ ومبنيةً على نفس مبدإهِ الاساسي. وهي مرآةٌ كبيرة تُعلّق في بعض المدن على مسافة معلومة من احدى نوافذ الطابق الثاني باعتبار الطابق الارضي اولًا. فيشاهد فيها من داخل الغرفة التي بها تلك النافذة كلُّ عابري الطريق ولاسيما الاشخاص القارعين باب الدار. وغنيٌّ عن الايضاح كون الفائدة الاخيرة شديدة الاهميّة في كثير من الظروف. فكم ضيف ثقيل الظل كنّا نجونا من زياراتهِ المزعجة المقوتة لو تذرّعنا بتلك الوسيلة السهلة!

فلنرجع الآن عودًا على بدء الى الغوّاصات التي اخترع البرسكوب لاجلها ولذلك جعلنا لها المقام الاول في هذه المقالة. وبياناً لفائدتها ها نحن نصف معركتين بحريتين يتضح منهما باتمّ الجلاء عظيم شأن «عين الغواصات» في ذلك الميدان الهائل من كل الاوجه. وكلتاهما من حوادث الحرب الكونية

كانت الباخرة روان (Rouen) المقلّة لركّاب فرنسويين متجهةً الى احدى موانئ فرنسة فرأى هؤلاء على اليمين سفينةً تغرق تدريجاً في جوف المياه. فصاح القومندان القابض على نظّارته: «الالمان هنا!» وامر البحّارة بالتهيؤ للقتال العنيف

فلم يمض دقيقتان حتى شاهدوا برسكوب العدوّ يرتفع فوق سطح البحر فتحققوا ان الغواصة تدنو الى الباخرة لضربها بالطوربيل . فصُوبت مدافع السفينة الفرنسوية الى ما تحت البرسكوب وانهالت قنابلها على تلك الجهة فغطست الغوّاصة الى عمق اعظم تفادياً من الدمار العاجل وغابَ برسكوبها . بيد انهُ لم يلبث ان برز ثانية من المياه فازداد رعد قنابل المدافع والقنابل اليدوية وانصبّت على الغواصة الخافية مدراراً على مسافة زهاء خمسين متراً ليس الّا — اخيراً غاب البرسكوب قطعياً وطفا بازائه بقعٌ فسيح من الزيت منبئ بان الغوّاصة أُصيبت فانحدرت الى مدفنها في اعماق البحر

امّا المعركة الثانية فقد خاض معمعتها الليوتنان أوبرن (O' Byrne) اذ اراد المرور بغوّاصته من المعبر الضيّق الفضي الى بولة وهي اكبر الموانئ الحربيّة النسوية على الادرياتيك وكانت اوانئذٍ تحت حماية خطوط عديدة من الطوربيل تدمّر بلمحة عين أيّة سفينة تمسّها . فتجاسر أوبرن وقصد العبور تحت هذه الخطوط الهائلة بانزال غواصته الى عمق ثلاثين او اربعين متراً لدى الاقتضاء فسار الى الامام هازئاً بالاخطار العديدة المحدقة بهِ من كل جانب . فانقطع السير فجأة واتضح لهُ ان السببَ يماسُ اعلى البرسكوب لاحدى شباك الطوربيل عقّته فاستحال إهباطه لاخفائه عن انظار العدو بل امتنع استخدامه بتاتاً . وحيث اصبحت الغوّاصة عمياء لا تهتدي تحتّم عليها الصعود الى وجه البحر مهما ترتب على ذلك من الاخطار الشديدة .. وحين طفت على سطح المياه أُمطر عليها وابلٌ من قنابل النسافات والمدفعيات النسوية فالتزمت بتسليم نفسها بين ايديهم حرصاً على حياة ركابها

ففي هذين الحادثين ولاسيما الاخير اجلى الشواهد على خطير شأن البرسكوب في تسيير الغواصات وصحة تسميتنا اياه عينها . واذا استطاع الضرير بصعوبة غير يسيرة وبعد الاعتياد الطويل ان يسلك على الارض فهيهات ان تقدر الغوّاصات العمياء على مثل ذلك في جوف البحار

قصة أفيقيا الحكيمة وسليمان الحكيم

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة مجموعان الواحد عربيّ كُتب منذ نحو مئة سنة والآخر كرشوني يرتقي عهدهُ الى القرن السابع عشر مكتوب بخط جميل على ورق صفيق قد اهدانا اياه مؤخرًا في حلب حضرة القس حبيب نصاني السرياني الكاثوليكي . وفي كليهما قصّة غريبة لم نجدها في غيرهما ولا ذكر لها في مخطوطات المكاتب الشرقيّة الاوربيّة عنوانها « خبر افيقيا الحكيمة امرأة يشوع بن سيراخ وما تمّ لها مع سليمان الملك ابن داود النبي » يُروى فيها وصف مناقب افيقيا المذكورة ورغبة الملك سليمان في مفاوضتها مؤملًا الاقتران بها الّا انّها بحكمتها ردّت عنها ذاك الملك يوم زارها في غيبة زوجها فزادت في عيْنهِ اعتبارًا . امّا زوجها يشوع بن سيراخ فانّهُ عرف دخول الملك الى بيتهِ في غيبتهِ ياقوتةٍ وقمت من تاجهِ فحفظ ذلك في نفسهِ وابتعد عن زوجتهِ غيرةً . فأصاب افيقيا لسبب نفورهِ منها مرضٌ كاد يُودي بحياتها لولا انّ أمّها عرفت بخبرها وبلّغت سليمان ما حلّ بها فبرّرها عند زوجها وأطرأ عفّتها

هذه خلاصة القصّة ولا شكّ انّها من الحكايات القديمة الجارية على ألسنة الشرقيين وعلى ظنّنا انّها من الروايات التي اشاعها اليهود ونسبوها الى الملك سليمان لِما يُخبر عنهُ من الميل الى النساء الحكيمات الشريفات لكنّنا لم نقف في كتبهم على ما يسند رأينا

وممّا استغربناهُ في هذه الرواية اسم « افيقيا » الذي لم نجد لهُ شبيهًا في المعاجم . أهو اسمٌ ساميّ او اسم يونانيّ فالله اعلم فان كان ساميًّا فيرجع الى مادّة افص بمعنى خرج او كان يونانيًّا فهو من (ἐπιεικία) بمعنى اللين والدّعة والتساهل

كذلك لم نجد في ما لدينا من المعلومات اسم قرينة ليشوع بن سيراخ وهو صاحب السفر الوارد في الاسفار المقدّسة الذي كان فُقد اصلهُ العبرانيّ فوُجد منذ نحو ثلاثين سنة والفرنج يدعون كتابهُ باسم (l'Ecclesiastique)

واعجب من ذلك في هذه القصّة وقوعها في ايّام سليمان وكلٌّ يعلم انّ سليمان الحكيم عاش في القرن العاشر قبل المسيح وابن سيراخ كان في القرن الرابع فبينهما نحو ٦٠٠ سنة فكيف امكنهُ ان يكون وزيرًا لسليمان . وقد سبق لنا في قصّة رحلتهِ إلى قصر عاد انّ وزيرهُ كان آصاف . فلعلّ الراوي خلط بين آصاف ويشوع بن سيراخ والله اعلم

وعلى كلّ حال انّ في نشر هذه الرواية لَفائدةً لدارسي الاقاصيص القديمة ومعرفة اصلها وتحوُّلاتها بين الشعوب وهي في مخطوطنا الكرشوني من الصفحة ١٣١ الى ١٤٣

(١٣١) نبتدئ بعون الله تعالى ونكتب خبر افيقيا الحكيمة امرأة يشوع بن سيراخ وما تمّ لها مع سليمان الحكيم ابن داود النبيّ

قال انهُ كان هذا الحكيم الفيلسوف يشوع ابن سيراخ صاحب الكتاب المعروف باسمهِ وزير سليمان الملك الحكيم الاكبر وكان كاتم سرّهِ ومدبّر دولتهِ وعساكرهِ وكان حكيماً عفيفاً بارًّا تقيًّا

وكان لهُ امرأة اسمها افيقيا وكانت جميلة جدًّا واحسن من كلّ اهل زمانها وكانت حكيمةً عفيفةً طاهرةً بارّةً مدبّرة حازمة في جميع الامور وكانت متقية الله في كلّ احوالها خائفة الله ذات صدقة وصوم وصلاة ومحبّة للفقراء والمساكين والغرباء وتُكرم الضيف واليتيم والارملة. فشاع ذكرها في بني اسرائيل بالجود والاحسان والحكمة والحسن والجمال (١٣٢) والطهارة. فبلغ خبرها الى الملك سليمان ابن داود فاشتهى ان يبصرها ويتكلّم معها حتّى يعلم منتهى امرها. ووقع في قلبهِ منها موقع عظيم

فلمّا كان في بعض الأيام أرسل اليها من عندهِ ستلابيًّا(١ اعني خصيًّا طواشيًّا وكان مكرّماً عندهُ صاحب سرّهِ قائلًا لها: اني مشتاق الى لقائكِ والحديث معكِ. فمضى الخصيُّ الى افيقيا واعلمها بما قالهُ الملك. فلمّا سمعت ذلك القول من الرسول تألّم قلبها وتنهّدت وافتكرت ساعةً طويلة ثمّ قالت للرسول: قُلْ لسيّدي الملك انّ حكمتهُ قد ملأت العالم كلّهُ وفاقت على الشرق والغرب فكيف عرض لك سبيل الى هذا الفكر ان تُكلّم امرأةً حقيرة مثلي. ولكن أيها الملك الجليل ان كانت ارادتك بهذا الامر فلا يتمّ ذلك وزوجي يشوع في هذه المدينة لئلّا يعيّرهُ (١٣٣)

فلمّا اتى الرسول الى الملك وقصّ عليهِ جوابها اخذهُ العجب من كلامها واشتاق اليها اكثر. ثمّ انهُ احضر وزيرهُ يشوع وقال لهُ: انّ لنا حاجةً داعية عند ملك الموصل ولم أرَ رجلًا يصلح للقائهِ مثلك فاني أريد ان تمضي الى قضاء حاجتنا. فقال لهُ يشوع: ليعش سيّدي الملك الى الابد كما تأمرني افعل

١) السقلابي او الصقلابي في الاصل رجل من الصقالبة (Slave) استعملهُ العرب للخصيّ لأنهم كانوا يتخذون الغلمان الصقالبة عبيدًا ويخصونهم لخدمة حريمهم

فكتب لهُ سليمانُ كتباً وارسلهُ باكرام كما يليق لهُ وارسل معهُ جندًا وهدايا فسافر نحو الموصل . ثمَّ امر سليمان رسولهُ ان يعود الى افيقيا ويقول لها : ان مولاي مقبل اليكِ في هذه الليلة . فذهب السقلابي واعلم افيقيا بذلك . فقالت لهُ : قل لسيّدي الملك ان كانت الجارية الحقيرة قد استحقَّت هذه الكرامة العظيمة حتَّى انَّ مولاها يأتي اليها (١٣٤) فانا اتضرَّع اليهِ ان لا يذوق شيئاً من الطعام الى ان يحضر ويأكل في منزل جاريتهِ

فمضى الرسول واعلم الملك بذلك . فدعت افيقيا طبَّاخها وقالت لهُ : أحضر جميع ما يُحتاج اليهِ من اللحوم والاسماك والغنم والخراف والدجاج واطبخ بهم اربعين لوناً بطعم واحد مع اختلاف الوانها . ففعل كما امرتهُ مولاتهُ . فلمَّا حان وقت مجيء الملك بسطت لهُ قيطون (١ يشوع زوجها حسب كرامة الملوك

فلمَّا كان الليل اتى سليمان الملك الى عندها فخرجت للقائهِ بالشموع والبخور كما يليق لكرامتهِ وأدخلتهُ الى المقصورة التي هيَّأتها لهُ . فلمَّا دخل سليمان الملك تعجَّب ممَّا رأى من الكرامة التي أعدَّتها . فصعد وجلس على السرير فاوقدت الشموع واطلقت النَّدّ (١٣٥) والعود والبخور الفائق حتَّى أضحى المكان كأنَّهُ رُقعة من الفردوس . فتعجَّب سليمان ممَّا رأى . ثمَّ تقدَّمت افيقيا وجواريها وسجدن لهُ وبسطن المائدة اللائقة لخدمتهِ وخرجنَ الى الخارج واغلقنَ الباب

فأمر سليمان لافيقيا ان تصعد وتجلس على المائدة . فصعدت وقبَّلت يدهُ وجلست مقابلهُ واخذت تمزج لهُ المُدام وتسقيهِ . فنظر سليمان الملك الى المائدة وكثرة الالوان وانواع اللحوم والاسماك المختلفة والاطعمة اللوَّنة فاعجبهُ ذلك . ومدَّ يدهُ ليأكل بشهوةٍ من تلك المآكل . فصار يأكل ويتفرَّس في انواعها ويتعجَّب من كثرة اشكالها وكلُّها مع ذلك بطعم واحد فاكل وشبع ورفع يدهُ . ثمَّ قدَّموا لهُ الواناً اخرى غير الاولى فصار يذوق منها فقط وهي مع اختلاف اشكالها ايضاً بطعم واحد (١٣٦) فعلم يقيناً ان هذا الامر حكمةٌ من افيقيا

حينئذٍ شكر الله تعالى وقال : نُعماكَ مقبولة أيُّها الربّ اله اسرائيل . والتفت

---

١) القيطون المخدع وغرفة النوم من اليونانيَّة (Κοιτών)

الى افيقيا وقال لها : اريد ان تعلميني ما هو الرمز الذي رمزتِ اليهِ بهذه الاطعمة ؟

فسجدت افيقيا قدّامهُ للوقت وقالت : يا مولاي كفتّك حكمتُك التي يشهد لها العالم كلّهُ . فما شأن السراج الموقد امام الشمس ؟ وما هي قوّة الأمة تتكلّم قدّام السيّد الملك ؟ وما هي الضعيفة الحقيرة المسكينة التي تتحرّك اليوم نفسُها من الله وتستر نتنها وزفراتها وفي الغد تُطرح في قبر مظلم فتصبح جيفةً عاريةً ملقاةً بعيدًا من البشر لا يطيق احدٌ من الناس ان يدنو اليها من نتنها ورائحتها الكريهة . لكنْ نفسها من الله (١٣٧) لا تموت

فلمّا سمع سليمان هذا الكلام من افيقيا تعجّب من حكمتها ومعرفتها وعلم انّها قالت هذا الكلام حتى تصدّهُ عن نفسها لئلّا يرغب فيها وعلم انّها فعلت هذا لاجل عفّتها وطهارتها . فقال لها : قد صدق الذين مدحوكِ واشادوا بفضلك حقًّا انّكِ ملأتِ العالم من الحكمة

قال هذا ونهض وهو متعجّب ممّا سمع منها وعاد راجعاً الى منزلهِ . فلمّا خرج من باب المقصورة طرق تاجهُ بين أسكفّتَي الباب من فوق فسقطت منهُ ياقوتةٌ وعلقت بذلك المكان بين الاسكفّتين . ومضى سليمان الى قصرهِ ممجّدًا لله وهو متعجب ممّا شاهدهُ من افيقيا وزادت ثقته بزوجها يشوع

ولمّا كان بعد أيام عاد يشوع من سفرهِ واتى الى عند الملك سليمان وقدّم لهُ الهدايا والمال من ملك الموصل (١٣٨) فاكرمهُ سليمان غاية الاكرام وصرفهُ الى منزلهِ بوقار عظيم .

فدخل يشوع الى قيطونهِ وجلس فأتت افيقيا وقبّلت يدهُ وفرحتْ بهِ وغسّلت اقدامهُ وقدّمت لهُ المائدة فأكل وشرب واستراح . وفيما هو كذلك لاحت منهُ التفاتة نحو الباب فنظر الياقوتة تلمع بين اسكفّتَي الباب فنهض واخذها وتأمّلها فعرف انّها من تاج سيّدهِ سليمان الملك وعلم انهُ دخل الى منزلهِ

فحزن بقلبهِ حزناً عظيماً ولم يتكلّم بما جال في فكرهِ ابدًا ولكنّهُ لم يعد يرقد في الفراش مع زوجتهِ افيقيا بل كان يرقد وحدهُ ولم يسألها عن شيءٍ البتّة وهي ايضاً لم تخاطبهُ عن ذلك .

فمضى على هذه الحال سنتان فتغيّر لون افيقيا ونحف جسمُها وضعفت جدًّا وهي

لم تتكلّم عن سبب حزنها . فلمّا كان بعض الأيام (١٣٩) نظرت أمّها الى بدنها وقد نحلَ فقالت لها : يا ابنتي العزيزة ما هذه الحال التي انتِ فيها وما هو وجعكِ لاني اراكِ قد ضعفتِ جدًّا . فامسكتها افيقيا بيدها واخذتها الى مكانٍ خالٍ واخبرتها بجميع ما جرى لها من اوّله الى اخرهِ وأنها حزينة القلب كاسفة البال من اجل زوجها يشوع

فعند ذلك نهضت أمّها ومضت الى سليمان الملك وكانت كريمةً عندهُ فدخلت اليهِ وحدهُ وقبّلت يدهُ فرحّب بها واكرمها . وقال لها : ما هو الداعي لدخولك الينا اليوم ؟ فقالت لهُ : لي حاجة اليك أيها الملك فلي الرجاء انك تقضيها لي . قال سليمان : حبًّا وكرامةً وما هي حاجتكِ . فقالت لهُ : ليعِشْ سيّدي الملك الى الابد . كان لي كرمٌ لطيف عزيز عليّ فسلّمتهُ الى كرّام يفلحهُ وكنتُ اتسلّى بالله اوّلًا (١٤٠) ثم بهذا الكرم . فكث الكرّام يقاسمني ثمر الكرم فوثقتُ بهِ انهُ لا يُضيع كرمي . وها قد مرَّ عليهِ سنتان وهو لم يفتقدهُ فمضيت اليوم لأنظرهُ فوجدتهُ قد خرب وتلف وبقي بورًا فارغًا . وها انا استجير بك يا سيّدي لتحكم بيني وبين هذا الكرّام الذي أفسد عليّ كرمي العزيز

فقال لها سليمان الملك : وما الذي دهاكِ حتى تهاونتِ بافتقاد الكرم الى الآن . ولماذا لم تفتقديهِ قبل اليوم . قالت لهُ : يا سيّدي امتنعتُ عن ذلك لعلمي انَّ الكرّام رجلٌ امين تقيّ فلم اشأ ان ازعجهُ

وكان سليمان قد ادرك معنى كلامها فارسل لساوقت واحضر وزيرهُ يشوع الى امامهِ . فلمّا دخل وجد حماتهُ جالسةً عند الملك سليمان فاجلسهُ بجانبهِ وقال لهُ : يا عزيزي وابني الحكيم كيف (١٤١) تترك لهذه المرأة حجّةً عليك مع كثرة عقلك ومعرفتك . ثمَّ التفت الى حماة يشوع وقال لها ان تُعيد كلامها قدّام وزيرهِ فسكتت ولم تنهُ بكلمةٍ واحدة

فقال سليمان ليشوع : ماذا تقول انت في غلّة هذه المرأة وكرْمها . فعلم يشوع ما الذي كان منها وما الذي قالت للملك فقال : نعم يا سيّدي كلُّ ما قالتهُ هذه المرأة هو حقٌّ وصدقٌ . غير اني أيها السيد العزيز لم أفتر ولم اتهاون في امر هذا الكرم بكل جميل وكلّ حُسْنى الى اليوم الذي ارسلني سيّدي الملك الى ملك الموصل . فلمّا

كان آن رجوعي اتيتُ لأفتقد الكرم اذ رأيتُ فيهِ آثار اسدٍ عظيم من داخل الباب فارتعدت فرائصي وفزعتُ فرجعتُ الى ورائي خوفاً من الاسد لئلا يهلكني فمن ذلك اليوم ما بقيتُ اجسر (١٤٢) ان ادخل الى الكرم غير اني لم أتهاون في كرامته كما يليق لهُ

فلمَّا سمع سليمان ما اتى بهِ يشوع من الخطاب علم انهُ رأى شيئاً من آثاره وانهُ لم يدخل هناك غيرهُ فالتفت اليهِ وقال له : بحقِّ تكلَّمتَ يا ابن سيراخ انَّ الاسد دخل الى الكرم ولكن اسمع حتى اكلمك يا يشوع . حيٌّ هو الربّ اله اسرائيل اله ابرهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون الرب العظيم وحدهُ الذي لا اله غيرهُ الذي يعلم الضمائر والاسرار المطّلع علينا هو الآن العالم بما كان وما يكون السامع بما أقسمُ بهِ انَّ الاسد ما فسد ولم يكن منهُ شيءٌ قبيح سوى كلامٍ منظَّم بالحكمة وربحٍ لنفس سامعيهِ . فالآن يا ابني قم بفرح عظيم وقلب نقيّ وسرور كامل وادخل الى كرمك (١٤٣) ووقّرهُ كما يليق لكرامتهِ لأنَّ كرامتهُ عظيمة عند الله والناس قدَّام الربّ الصباؤوت

فقام يشوع للوقت وقبَّل يد سليمان الملك واخذ حماتهُ ومضى الى بيتهِ وهو فرحان ودخل الى عند امرأتهِ . فأتت وقبَّلت يده فامرها ان تجلس بجانبهِ فجلست واخبرتهُ بالحكاية كلها من اوَّلها الى آخرها . فشكر الله تعالى الذي حرس نفس خائفيهِ الذي لهُ العظمة والوقار الى ابد الابدين ودهر الداهرين امين

تمَّت قصَّة افيقيا زوجة يشوع بن سيراخ والحمد لله دائماً وحدهُ امين

المذهب الدروينى واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تتمَّة)

الجواب على بعض اعتراضات الدروينيين

اولاً التشابه بين الانواع القريبة

﴿ اعتراض اوَّل ﴾ يقول الدروينيُّون انَّنا اذا نظمنا انواع الحيوانات الحاضرة

كان آن رجوعي اتيتُ لأفتقد الكرم اذ رأيتُ فيهِ آثار اسدٍ عظيم من داخل الباب فارتعدت فرائصي وفزعتُ فرجعتُ الى ورائي خوفاً من الاسد لئلا يهلكني فمن ذلك اليوم ما بقيتُ اجسر (١٤٢) ان ادخل الى الكرم غير اني لم أتهاون في كرامته كما يليق لهُ

فلمَّا سمع سليمان ما اتى بهِ يشوع من الخطاب علم انهُ رأى شيئاً من آثاره وانهُ لم يدخل هناك غيرهُ فالتفت اليهِ وقال له : بحقِّ تكلَّمتَ يا ابن سيراخ انَّ الاسد دخل الى الكرم ولكن اسمع حتى اكلمك يا يشوع . حيٌّ هو الربّ اله اسرائيل اله ابرهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون الرب العظيم وحدهُ الذي لا اله غيرهُ الذي يعلم الضمائر والاسرار المطّلع علينا هو الآن العالم بما كان وما يكون السامع بما أقسمُ بهِ انَّ الاسد ما فسد ولم يكن منهُ شيءٌ قبيح سوى كلامٍ منظَّم بالحكمة وربحٍ لنفس سامعيهِ . فالآن يا ابني قم بفرح عظيم وقلب نقيّ وسرور كامل وادخل الى كرمك (١٤٣) ووقّرهُ كما يليق لكرامتهِ لأنَّ كرامتهُ عظيمة عند الله والناس قدَّام الربّ الصباؤوت

فقام يشوع للوقت وقبَّل يد سليمان الملك واخذ حماتهُ ومضى الى بيتهِ وهو فرحان ودخل الى عند امرأتهِ . فأتت وقبَّلت يده فامرها ان تجلس بجانبهِ فجلست واخبرتهُ بالحكاية كلها من اوَّلها الى آخرها . فشكر الله تعالى الذي حرس نفس خائفيهِ الذي لهُ العظمة والوقار الى ابد الابدين ودهر الداهرين امين

تمَّت قصَّة افيقيا زوجة يشوع بن سيراخ والحمد لله دائماً وحدهُ امين

المذهب الدروينى واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تتمَّة)

الجواب على بعض اعتراضات الدروينيين

اولاً التشابه بين الانواع القريبة

﴿ اعتراض اوَّل ﴾ يقول الدروينيُّون انَّنا اذا نظمنا انواع الحيوانات الحاضرة

تدريجاً على حسب تشابه البعض منها بالبعض الآخر يتأثر النظر لقلة ما بينها من الفرق فيحكم الناظر بتحولها وترقيها من نوع الى آخر

﴿ الجواب ﴾ لسنا ننكر هذا التشابه الظاهر بين نوع وآخر في الجنس الواحد. لا بل لا تخلو الاجناس من التشابه بين بعضها في الرتبة الواحدة . ولو اقتصر الناظر الى هذا الشبه المادي لعلّهُ يحكم ببعض النشوء المعتدل كما يرضى به اليوم بعض العلماء مع منافاتهم للمذهب الدروينى وآرائه في الاختيار الطبيعي والتوافق الحيوي وتناسل الانسان من الحيوان

لكنَّ اكتشاف العاديات القديمة لم تثبت هذا النشوء مهما رقينا سلّم الاجيال . فانَّ علماء طبقات الارض القديمة وجدوا في التربة الواحدة هياكل الكلب والذئب وابن آوى مختلطةً وذلك منذ الاعصار الاولى التي ظهرت فيها تلك الحيوانات المتشابهة دون شيء يثبت اشتقاق بعضها من بعض او تحوُّل انواعها

ولا يكفي لإثبات مذهب النشوء الحكم بتشابه الانواع في صورتها الظاهرة او في اعضائها الباطنة المكشوفة بالتشريح . بل يلزم ايضاً اعتبار اخلاقها وعاداتها وغرائزها الخاصَّة . ومن ثمَّ قد خُدع الدروينيُّون اذ بنوا حكمهم لبيان رأيهم على هذه الاشكال المتناسقة التي تُنظَّم في المتاحف . فليس هذا برهان مقنع وكثيراً ما ينخدع الناس بهذه الاشباه فانَّ اهل الشرق يعدُّون مثلاً الارنب والخرز كنوع واحد وانَّما يجعلون الارنب حيواناً اهليًّا والخرز بريًّا . وليس الامر كما يزعمون لاختلاف غرائزهما فانَّ الارنب يمكن نقلهُ من الوحشيَّة الى الدجونة وليس الخرز كذلك — ثم ان اعتبرت الدِّيبة وجدت اكثر اصنافها تقتات باللحوم . ومنها نوع طعامهُ العشب — كذلك دوابّ الحقول الصغرى كالفئران والجرذان التي هي آفة على الغلّات فانَّ منها نوعاً لا يمسّ الحبوب يدعى موسارين (musaraigne) قوتهُ الحشرات فهو نافع لا بأس منهُ

ثمَّ لا بُدَّ للنواميس التي يدَّعي الدروينيُّون بصحَّتها في ذوي الفقرات ان تصحَّ ايضاً في الحشرات . وان اعتبرنا هذه الحشرات قامت في وجه الدروينيين عقباتٌ لا يمكنهم قطعها . فانَّ هناك اشكالاً مجنَّحة كالذباب والفراش وذوات الاربعة الأجنحة الجلديَّة الخ وكلُّها يصيبها على اختلاف انواعها تحوّلات شتَّى فالبيضة تخرج منها دودة

ثمّ تتحوّل الدودة الى جيز ثمّ بعد ازمنة محدودة لكل نوع الى حشرة تامّة البنية . فمن يستطيع ان يدلّ على ازمنة هذه التطوّرات التي منها تنتج على قول دروين الانواع الجديدة ؟ وهل يكون التأثير الحاصل في الدودة مؤثرًا ايضاً في فراشتها ؟ وهل يكون ذلك كلّهُ منعول الطبيعة العمياء جارياً على سبيل الصدفة . فهيهات ان ينتج عن كل ذلك كائنات منظّمة ما لم يتولّ عقلٌ سامٍ تدبيرها في تلك الاطوار لاسيّما ان كلّ تحوّل يحدث في كيانها كفراشة يجب ان يؤثر في غريزتها كدودةٍ . انّ من الواجب على مذهب النشوء والتحوّل ان يبيّن سبب الاختلاف الواقع في وهم هذه الدودة الغائصة في الزبل وتلك الذبابة ذات الاجنحة الملوّنة بازهى الالوان وكلاهما حيوان واحد في اطوار مختلفة من حياتهما . وكذلك يجب عليهِ ان يُعلّل وجود دودةٍ مُشعرة تسير في العشب ثمّ تصبح جيزةً في فيلجة ثم طائرًا تزين اجنحتهُ نقوشٌ هندسيّة كما تزين ذوي جنسهِ بأجمعهم والحيوان باقٍ في كيانه الوحيد رغماً عن اطوارهِ الثلثة افليس لهُ في كلّ حالةٍ من احوالهِ اوهام تؤثر في تطوّرهِ الثلث ؟

ان درس الحيوانات عالمٌ جديد لم يعن دروين فيهِ النظر لتطبيق احوالهِ مع مزاعمهِ فلو كان فعل لعرف انّ مذهبهُ لا يقوم لهُ قائم . والذي فتح للعلم هذا العالم الجديد منذ نحو خمسين سنة فقط هو عالم فرنسوي يُدعى فابر (Fabre) دعوهُ بهوميروس الحشرات فانّهُ بيّن ان بين الحشرات المتشابهة الصورة والبنية وذات الانواع المتقاربة في الجنس الواحد غرائز واوهاماً غاية في الاختلاف . فبعضها تتّخذ لها عشًّا من الشمع وبعضها من راتينج الشجر . هذه تجعل في عشّ لصغارها قطناً وتلك اوراقاً يابسة او معجوناً من النبات تحوّلهُ الى شبه الورق . وغيرها تعجن بلعابها تراباً فتجعلهُ عشًّا . ومنها من يكتفي بحفرةٍ في الارض او بثُخروبٍ في الشجر . وكذا تُلفى عن طرائق الحشرات في تغذية صغارها فالواحدة تهيّئ لنسلها غذاء من النبات العسليّ تجعلهُ في حُقّةٍ مختومة ملصقة بالبيضة . والاخرى كالنحلة الاهليّة تغذي صغارها يوماً بعد يوم . هذه تقدّم لها طعاماً من لحم الهوامّ المخدّرة وتجعلهُ داخل البيضة وتلك تصيد لها كلّ يوم طعامها وهلمّ جرًّا فليس نوع منها الّا يجري على منوالٍ خاصّ لبناء عشّهِ ولغذاء صغارهِ ولصيد فرائسه الخ

أفيستطيع الدروينيّون ان يبنوا رأيهم في وحدة اصل بعض هذه الحشرات على

ما يرونهُ من الشبه الظاهر في صورتها حتّى ولو كانت من جنس واحد كالنحل مثلاً ؟ فكيف يسهون عن هذه الاختلافات التي عدّدناها في كلّ صنفٍ منها وغيرها ايضاً سبق لنا وصفها ولاسيّما انَّ عدداً عديداً من صغار هذه الحشرات لا تخرج من بيضها الّا بعد موت الوالدين كما انَّ العلماء تحقّقوا انَّ تلك الطباع الموصوفة هي ثابتة في الحشرات لا يصيبها اختلاف البتّة . وكلّ ذلك لمّا ينسف مدّعيات الدورينيين نسفاً ويخالف ما يزعمونهُ من ترقي الانواع سابقاً حتّى بلغت الى حالتها اليوم من الكمال ثمّ حاضراً لتترقّى وتتحوّل الى ما هو افضل واكمل

وان اعترض الدروينيّون انَّ هذا التحوُّل يصير بعد اجيال عديدة . اجبناهم ان الحفريّات الجيولوجيّة لم تهدنا الى هذه التحوُّلات فالحيوان اليوم كما ظهرت هياكلهُ قبل الوف من السنين . وزد عليهِ انَّ الحشرات تتناسل مرّة واكثر في كلّ سنة فكيف لا نجد بعد الوفٍ من السنين في صورتها كمالاً جديداً يدّعيه الدروينيّون . بل ترى العنكبوت تنسج لُحمتها وسداها اليوم كما كانت تفعل في عهد ارسطاطاليس وتمجّ النحلة شمعها وعسلها كما كانت تفعل في زمن سليمان الملك . فيتّضح ان هذه الانواع كانت في ذاك العهد السحيق ثابتة لم يصبها اختلاف البتّة . قال العلّامة هير .O) (Heer : « انَّ الثبات العجيب الذي نجدهُ ليس في بنية الحيوانات فقط بل في أوهامها الغريزيّة لمن اوضح الادلّة المبطلة للمذهب الدروينى في النشوء والتحوُّل لأنَّ بهِ نعلم انَّ تلك الاوهام ليست نتيجة التقليد والاحتذاء بل هي مجبولة في طبيعتها بيد خالقها . فلو كانت تلك الاوهام ثمرة تربيتها على ما يزعم دروين لكانت قابلة للترقي والكمال ولاسيّما في الحشرات القصيرة العمر العجيبة الاوهام الكثيرة التطوُّرات في كيانها »

والحقّ يقال انَّ ثبات الاوهام في هذه الهوامّ اوضح وارسخ منهُ في ذوات الفقرات لأن تلك الاوهام متوفّرة فيها ومع وفرتها تجدها باقية على حالها دون ادنى ترقٍّ وتحوُّل

قد سبق لنا في مقالتنا «الحشرات الجرّاحة » (المشرق ١٨[١٩٢٠]: ٣٥٩—٣٦٦) وصف عدّة حشرات تظهر من الاعمال الغريزيّة العجيبة لإعداد غذاء صغارها ما يحيّر العقول وذكرنا هناك صيد الهامّة المدعوة سكولي (Scolie) لدود حشرة اخرى تدعى

يسوان (Cétoine) فاذا وجدتها في الارض وتحت نفايات الاعشاب انتزعتها وألصقت بيضةً من بيضها على دودةٍ واحدة بعد ان خدَّرتها دون قتلها حتَّى اذا حان وقت تفقيص البيضة خرج منها الصغير ووجد طعامهُ مهيَّأً فيأكلهُ طريناً ولئلَّا تموت الدودة سريعاً يبتدئ بالاعضاء الثانويَّة فيلتهمها تدريجاً ثم ينتهي بعد ايام باكل الاعصاب الحيويَّة. فكم في هذه الاوهام الغريزيَّة من الاعمال العجيبة التي تنفي كلَّ مدَّعيات الدروينيين :

١ً ترى اوَّلاً هذه الدودة في بدء حياتها حاصلةً على اوهام كاملة تستعين بها لاكل غذاء مخصوص ملائم لها

٢ً ترى ثانياً انَّ اوهام هذه الدودة اذا تحوَّلت الى فراشةٍ تتغيَّر وتختلف دون علم سابق فتنبش التراب وتستخرج من عمقهِ دوداً من جنس حشرات معلومة لتلصق بدودة منها بيضها وكأنها تعلم انَّ تلك الدودة تؤذي صغيرها عند نقفهِ بيضتهُ تخدِّرها وتبتجها دون ان تقتلها فلو قتلتها يبس لحمُها فلايستطيع الصغير ان يغتذي بها

٣ً ثم ترى الكمال في وهم الصغير منذ اوَّل حياتهِ بحيث يعلم من اين يباشر الأكل من صيدهِ لئلَّا تقضي الدودة سريعاً فيفقد غذاءهُ ويموت هو ايضاً لا محالة اذ ليس لهُ غذاء سواها

٤ً . ثم اعتبر الحشرة الأمَّ التي تمدُّ الطعام لصغيرهِ وهي تموت قبل ان تراهُ فتلقنهُ اعمالهُ لطريقة غذائهِ وترشدهُ الى بقيَّة التصرُّف في حياتهِ

فكل هذه الاعتبارات التي تفنّد المذهب الدروينى من اصلهِ ليست خاصَّة بهامَّةٍ واحدة بل بهوامَّ عديدة ولكلٍّ منها اوهامهُ النوعيَّة لا يحيد عنها مطلقاً وليس ادنى دليل على تحوُّلها وترقيها. لا وايمُ الحقِّ لا يستطيع الدروينيُّون ان يأتوا بشرح معقول لبيان هذه الاوهام المتعدِّدة في كلِّ نوع من الحشرات مع ثباتها عليها. ومن ثمَّ قام المسيو نابر مفنِّداً لآراء دروين ومثبتاً انها آراء سخيفة مضحكة. وكفى بحكم هذا النابغة برهاناً على بطلان مذهب النشوء والتحوُّل . ومن ثمَّ قد رمى دروين الكلام على مواهنهِ اذ خصَّص في كتابهِ عن اصل الانسان نيفاً و ٤٠٠ صفحة ليبيِّن ما يوجد من الاختلافات العرضيَّة نتيجة الاختيار النسلي في قرون ذوات الاثدي وفي لون ريش الطيور واجنحة الفراشات ليستدلَّ بذلك على أنهُ يمكن القول ايضاً بتناسل

الانسان من القرد . لأنَّ اختلاف الوان الاجنحة وصورة القرون او طولها وغير ذلك من التشابهات العرضيَّة ليست امورًا جوهريَّة في بيان استقلال انواعها . وانما الاصل في ذلك ان يبيِّن خواصّ اوهامها . فتلك طباعٌ ثابتة لا تتحوَّل على الاطلاق . واذا ثبتت هذه الاوهام بطلت ايضاً حجَّة الدروينيين المستندين في زعمهم على التشابه الظاهر

نائباً الحاجة تنتج الاعضاء

﴿ الاعتراض الثاني ﴾ يقول الدروينيُّون انهُ قد ثبت انَّ بعض اعضاء الحيوان قد ضعفت وشلَّت لعدم استعمالها كما انَّ اجهزةً اخرى على خلاف الامر تقوى وتشتدّ بالعمل والتمرين فيجوز اذن القول بانَّ الحاجة تُنتج الاجهزة والاعضاء

(الجواب) قد سبق لنا ايضاح هذا المبدأ الذي يتشبَّث بهِ الدروينيُّون اذ يزعمون انَّ الحيوانات من ذوات الاثدي والزحَّافات والطيور كانت عند مقتضى الحاجة تنتج لها اعضاء جديدة لتقوم بحاجات حياتها وقد ضربنا لهم في ذلك امثالًا شتَّى (اطلب الصفحات ٦٦١—٦٦٢) وكان يوسعنا ان نضيف اليها امثلةً اخرى مضحكة كسمة عيون البوم لترى في الظلمة وكسنام البعير ليستطيع حمل الاثقال وكالجلدة بين اصابع الطيور المائيَّة لتسبح في المياه وكطول مناقير طيور الهواء لتقب الشجر او صيد الفرائس وكلّ ذلك على قول الدروينيين انَّما نشأ في الحيوان عند احتياجهِ الى تلك الاعضاء بقوَّة عمياء كانت فيهِ في سالف الاعصار وهي اليوم قد بطلت

ونحن لا ننكر انَّ الاعضاء العاملة تقوى بالشغل والتمرين وانَّ الاعضاء الباطلة تضعف . ألا ترى مثلًا انَّ قوَّة السمع في الضرير الاعمى اشدُّ واقوى فتقوم لهُ مقام عيونهِ . وكذلك حاسَّة اللمس فيهِ ادقّ وألطف . ومثلهُ الموسيقي الذي يضرب بالبيانو والبهلوان الراقص على الحبال فكلاهما يبلغ الى حذاقة غريبة ذاك في تحريك اصابعهِ وهذا في توازن حركاتهِ . ونسلِّم ايضاً للدروينيين انَّ اجنحة الطيور تقوى بالطيران وانَّ الطيور الاهليَّة كالوزّ والدجاج وديك الحبش والنعامة لا تستطيع الطيران لعدم تمرُّنها عليه منذ اوَّل نشأتها . ولكن لا صحَّة لقول دروين انَّ هذه الطيور فقدت قوَّة الطيران لعدم استعمالها وكان استعمالها مفيدًا لها لكنَّها اذ وجدت في اعضائها ثقلًا واجهزةً غير مناسبة للطيران كفَّت عنهُ

ونوافق هكل على قوله انَّ حاسَّة البصر وغير ذلك من الحواسّ تزيد كمالًا في الطبقات الحيوانيَّة على قدر ما ترتقي من جنسٍ الى آخر ولكن أينتج عن ذلك كما يزعم هكل انَّ تلك الحاسَّة اللطيفة المركَّبة من اجزاء دقيقة الموجَّهة لنظر المرئيَّات الخارجة هي مفعول الصدفة او نتيجة سياق أعراض متعدِّدة وقعت اتفاقاً دون عقل ازليّ تولَّى صنعها ؟ لا لعمري

وقس عليهِ ما يزعمهُ الدرويديُّون عن أذناب الحيوانات وغير ذلك من أجهزتها فانَّ ما يأتون بهِ من التعليل لوجودها في الحيوان اي حاجتهُ اليها مع الانتخاب الطبيعي كلُّهُ حدسٌ باطل لا صحَّة لهُ اذ يجعلون الحيوان ادراكاً سابقاً وغاية بعيدة يرمي اليها منذ عدَّة اجيال . وفي كلّ هذه المزاعم من الغرابة والتخيُّلات ما لا يخفى

فيا لله ليس احد من الدرويديِّين يجسر ان يقول بانَّ آلةً ما بخاريَّة تتركَّب دون ان يعالجها هندسيّ صنائعيّ ماهر يحكم صُنع كلّ جزء منها ثمَّ يضمُّها الى بعضها ويجهِّزها للغاية التي يتوخَّاها . فكيف يستطيعون ان ينسبوا الى الصدفة والاتفاق أجهزةَ الحيوان مع انَّ كلّ جزء من اجزائها يستوجب نظراً خاصًّا لما فيهِ من دقَّة الصنع وتباين الاجزاء . وليس الكلام عن جهاز واحد لبعض الحيوانات بل عن أجهزة كلّ الحيوانات المنبثَّة على الارض . فلا نُدحة اذن لشايعي دروين ان يعترفوا بوجود كائن اسمى واعظم يتولَّى تدبير كلّ هذه الطوارئ . امَّا نسبة حدوثها الى الحاجة فلا يفي بالمرام . أفليس من حاجة يا ترى للانسان ان يرى في الظلمة كالبوم فما لهُ لم يحصل على هذه الحاجة ؟ . او ليس عدَّة دوابّ في حاجة الى سنام مثل الجمل لتحمل اثقالها فما السبب انَّها حُرمت ذلك الجهاز فأُعطي للجمل دونها ؟

وكذا قل عمَّا يخترعهُ الدرويديُّون لتعليل ما يجدونهُ في كلّ صنف من الاجهزة الخاصَّة للقيام بامور معاشهِ والدفاع عن نفسهِ فانَّ تلك التعليلات لا سند لها الَّا في دماغ القائلين بها . لأنَّ مبدأهم انَّ الحاجة تُنتج الآلة لا يصحّ الَّا بان يُفترض للحيوان علمٌ سابق بما يسدُّ حاجاتهِ ويرفع بهِ من حالةٍ ادنى الى حالة ارقى فانَّ علماً كهذا يفوق طور الحيوان غير الناطق . وغاية ما يتوق اليهِ هو ان يوافق نوعهُ واوهامهُ الخاصَّة بنوعهِ وما يخرج عن ذلك فلا يخطر لهُ على بال لأنهُ يجهل ما هو خارج عن كيانهِ ومن ثمَّ يسقط قول دروين بانَّ الحاجة تنتج الآلة

ثالثاً التنازع للبقاء

(الاعتراض الثالث) قد جعل دروين تنازع الحيوانات لحفظ بقائها كاحد عوامل مذهبه وكسبب اختلاف الانواع وتوفرها . فعلى قوله ان الافراد الحاصلة على افضل الخواص هي التي تثبت وتنمو فيترقى كلٌ منها مماثلاً للصفة الغالبة عليه

(الجواب) يعرض العلماء امر التنازع للبقاء على خلاف ما يرويه دروين فانهم ينكرون عليه ما يدّعيه بان هذا التنازع يُنتج انواعاً جديدة من السلالة الواحدة وانما يجعل تلك السلالة على سواء فقط بإلغاء الافراد الضعيفة الضئيلة وصيانة القويّة منها كما يجري في الانتخاب الصناعيّ اذ يختار الانسان المواليد القويّة ليحصل على افضل منها قوةً وشكلاً . امّا حصول الانواع الجديدة بهذا التنازع فمن اضغاث الاحلام

لا بل انّ من يعتبر الحفريّات الجيولوجيّة وما وُجد فيها من هياكل الحيوانات القديمة وقابلها مع الحيوانات الجديدة التي من جنسها وجد الانواع الحديثة ادنى جنساً واصغر حجماً واخفّ قوةً من الانواع الاصليّة التي ظهرت في اول العالم وذلك على عكس المذهب الدروينى . مثالهُ جنس الفيلة (Proboscidiens) التي فُقدت ولم يبقَ منها حاضراً الّا الفيل الهندي الحالي وهو دون الانواع السابقة كبراً وقوةً . وكذلك الطيور فان ما وُجد من هياكلها القديمة يدهش العقل بكبره واشكاله وصوره . والطيور الحاليّة بالنسبة اليها كالأقزام بازاء الجبابرة . وقس عليها الزحافات القديمة التي كانت كالتنانين يستر بطونها قشور عظميّة على خلاف الزحافات الحاضرة التي تخلو صدورها من ذاك الدرع فهي ادنى جنساً من السابقة . ومن الزحافات القديمة ما كان مجنّحاً يستطيع الطيران ولم يبقَ لنا منها اثرٌ حيّ بل آثار مستحجرة في اعماق الارض

وما نقولهُ عن الحيوان الكبير يصحُّ ايضاً في الهوامّ والحشرات التي كانت في اول ظهورها كاملة الصورة اكبر حجماً من الانواع المعروفة في عهدنا

ويجوز اطلاق هذا القياس على نباتات اطوار العالم الاولى فان ما وُجد من انواعها في اعماق الارض كالحشائش والنبات المخروط الشكل كلّها غاية في العظم والنموّ والتشعّب تفوق الانواع الحاليّة فوقاً كبيراً . فترى ان الآراء الدروينيّة من هذا القبيل ايضاً لا سند لها ينفيها علم طبقات الارض والعاديات الجيولوجيّة

رابعاً مفعول الوسط

(الاعتراض الرابع) يستند الدرويني‌ون لاثبات مذهبهم الى التأثير الحاصل في ألوان عدّة حيوانات بعامل الوسط

(الجواب) ان مفعول الوسط في تلوين بعض الحيوانات التي تعيش في اراضٍ كمدة اللون مغبرّة ربّما اثّر في لونها الرمادي الأغبر . كذلك الدبّة والارانب الساكنة في جهات القطب حيث الثلوج الغرّاء هي بيضاء اللون . ويشبه الاسد الافريقي لون الصحاري التي يعيش فيها والارنب لون الاسيجة التي يسكنها والسّلوى والحجل لون الصخور والصرائف اليابسة التي يأويان اليها . وبعض الحشرات تتلوّن بلون الاعشاب التي تألفها . ومن الفراشات ما تشبه اجنحتها في تقاطيعها المرمريّة قشر بعض الاشجار التي تألفها

فيصرخ الدرويني‌ون ان هذا من عجائب طباع الحيوان الذي يلتجئ الى هذه الالوان ليصون بها نفسهُ من عدوّهِ . وذلك من دلائل فهمهِ

قلنا ان هنا ايضاً يجب الانكار على دروين وإبطال ما يستنتجهُ من النتائج الباطلة التي لا تثبتها المقدّمات . فانّنا مع اقرارنا بمفعول الوسط في تلوين بعض الحيوانات لا نسلّم لهُ بالنتيجة التي يستنتجها من ذلك . لان هذا المفعول المذكور ليس بالمطلق فكم من الحيوانات التي تخالف الوانُها الوان الامكنة التي تعيش فيها . وكم نعرف من الحشرات والحيوانات التي تخالف الوانها الوان الوسط فتزدهي بألوان شتّى تعرّضها لسهام اعدائها . فاين فهمُها المزعوم اذا كان يجب عليها ان تحذو حذو رصفائها من الحيوان ؟ . فان كان الدبّ والارنب يتلوّنان بالبياض تشابهاً بالثلج في جهات القطب فانّ هناك حيوانات اخرى سوداء اللون وشهباء الخ . فتعميم دروين لهذا المبدأ يناقض مذهبهُ كما انهُ مخدوع برأيهِ اذ يزعم ان تلوُّن بعض الحيوانات على شبه الوسط انّما عمدت اليهِ قصداً لرغبتها في التستُّر من اعدائها . فان الحيوانات الصيّادة كالكلب وغيرهِ اذا حاولت صيد حيوانٍ لا تسعى الى اصطيادهِ بالنظر الى لونهِ بل باستنشاقها رائحتهُ لدقّة هذه الحاسّة في الحيوانات الصيّادة اذ تستنشق من بعيد رائحة عدوّها فتثب عليهِ مدفوعةً اليهِ بشمّها

خامساً التشابه بين الانسان والقرد

(الاعتراض الخامس) انَّ بين الانسان والقرد وجوهاً من التشابه لا يمكن انكارها

(الجواب) هذا التشابه انَّما هو في الشكل الخارجيّ ولا يدلُّ على شيء ممَّا يزعمهُ الدروينيُّون . فانَّ الله اذ ابدع انواعاً مختلفة من ذوات الفقرات خصَّ كلاً منها بخواصَّ شتَّى مع حفظهِ على وحدة الرسم الذي توخَّاهُ وقد اراد ان يجعل الانسان كخاتمة تلك الطبقات المتباينة

ثمَّ فليعتبر الدروينيون القرد والانسان من كثب فكم بينهما من الاختلافات تظهر ليس فقط في ادبيَّات الجنسين ولكن حتَّى في تركيبهما الظاهر . انَّ القرد كما هو معلوم قد طُبع على تسلُّق الاشجار وكل بنية جسدهِ موافقة لهذه الغاية . يخالف القرد الحيوانات ذوات الاربع والانسان معاً بجوارحهِ الاربعة التي هي اربع ايدٍ (quadrimane) لهُ اربع اذرُع بالغة الطول واربع ايادٍ الابهامُ فيها مقابلٌ لجميع الاصابع . هذا فضلاً عن ذنبهِ الطويل الذي يستطيع ان يقبض بهِ على الاغصان فهو لهُ بمثابة يدٍ خامسة . ثم لا ينتصب القرد في مشيهِ الَّا مرغوماً فان طبيعتهُ كطبيعة الكلب ان يدبَّ على اربع قوائمهِ ما لم يرُضْهُ صاحبهُ على نصب قامتهِ . فاذا أُهمل الى غريزتهِ أقعى في جلوسهِ

والانسان على خلاف ذلك فان بنيتهُ تستدعي انتصابهُ . وقد خصَّهُ الله بين كل حيوانات خليقتهِ بهذه المنحة اعني قيامهُ منتصباً وهذه الهيئة يحصل عليها ليس فقط من تركيب صورة رجليهِ ولكن من قوام كلّ هيكل جسمهِ . وما قولنا عن دماغهِ وعن زاوية وجههِ الخ

ولاجل هذه الاختلافات العديدة بين الانسان والقرد لم يشأ الدروينيون ان يقولوا بتناسل الانسان رأساً من القرد وانَّما وضعوا بينهما حلقات عديدة متوسطة لا يزالون يبحثون عنها كما روت مجلَّة الهلال في عددها الاخير في مقالة عنوانها «الحلقة المفقودة» ذكرت تألُّف لجنة اميريكيَّة سافرت الى جهات الصين لتبحث عنها (كذا والجنون فنون!)

وما قولنا الآن عن الاختلافات الادبيَّة بين الانسان والقرد التي يعجز عن

شرحها مشايعو مذهب النشوء والتحوُّل . انَّ الانسان يتكلَّم وينطق ويفتكر ويبرهن عن آرائهِ منطقيًّا ويعمل وفقًا لغاية يقصدها . الانسان متديّن مائل الى الآداب الحسنى قابل الكمال . نظرهُ تبسُّمهُ ضحكهُ كلُّ حركاتهِ تشهد على عقلهِ . امَّا القرد فلا نُطق لهُ ولا فهم ولا دين ولا ادب ولا ضمير . هل عرض لاحد من الناس ان ينسب خطيئة او اثمًا ما الى القرد ؟ وقد اثبتنا سابقًا ما رواهُ الاسقف السيد لوروا اذ كان مرسلًا عند برابرة الكنغو فأوقد معهم نارًا للاستدفاء . فرأى قردًا بعد ابتعادهم جاء ليستدفئ واذ تعجَّب من فعلهِ قال لهُ اولئك الهمج : يأتي القردة اذا رأوا نارًا موقدة فيتدفَّأون عندها لكنهم لم يستطيعوا ابدًا انَّ يوقدوا نارًا ولا ان يحثُّوها لئلَّا تنطفئ

وكذلك اخبر ما شاهد عند اولئك البرابرة من الافراح في اعراسهم كما تجري في كلّ اقطار العالم . فمن سمع يا ترى بمواسم فرح للقردة ؟

وكفى لتفنيد هذا المذهب الباطل انَّ هكل لم يَنضوِ اليهِ ولم يقل بالتحوُّل والنشوء الَّا ليتَّخذهُ كوسيلة لنكران وجود الله وخلقهِ للعالم . فلا عجب انهُ اعتبر الانسان متناسلًا من الحيوان خاليًا من نفس روحانيَّة . وعلى مثالهِ يكون من يرتأي رأي الماديّين فيزعم انَّ الانسان من القرد فانهُ بقولهِ هذا ينفي (اوَّلًا) وجود الله . ينكر (ثانيًا) روحانيَّة النفس وخلودها فتموت بعد الجسد . ومن ثمَّ يجب القول (ثالثًا) بعدم وجود ابديَّة وكل ثواب في السماء وعقاب في الجحيم . ثم ينتج (رابعًا) ان لا فائدة من الآداب ولا فرق بين الخير والشرّ ولا بأس ان يسرق الانسان ويقتل ويزني اذا امكنهُ الفرار من العدل البشري . واخيرًا (خامسًا) ينتج ان الحقّ في العالم لصاحب القوَّة فردًا كان او امَّةً . وانهُ ليس قاعدة في العالم سوى الصالح الشخصي عدلًا كان او جورًا

فكل هذه النتائج التي يجيء العقل الصائب فضلًا عن اهل الدين والتقى تتصل بقول هكل وانصاره اتصال الثمرة بشجرتها ونتيجة القياس بمقدَّماتهِ . وفي كتب الفلسفة يزيّفها العلماء بالادلَّة القاطعة فنحيل اليها القرَّاء . وانَّما نكتفي بالمقابلة بين الطفل الصغير وبين مواليد الحيوانات لترى ما بينهما من الفرق . فانَّ ابن الانسان يولد وينشأ ويكاد يبلغ الرشاد وهو لا يعرف شيئًا . على خلاف مواليد الحيوان فانها منذ اوَّل ولادتها حاصلة على كمال العلم الغريزي ورثتهُ من الابوين دون تلقين ولا عناء

فانَّ الطائر يعرف بناء عشهِ بكل اتقان. تعرف النحلة ان تجني الزهور وتعمل الشمع والعسل. لبعض الحشرات قوةُ الإنارة فتبعث من جسمها نوراً مشعاً بعضها في قعر البحر وبعضها في الهواء. تستطيع بعض الاسماك ان تطلق من جسمها طلقات كهربائية تقوى على قتل رأس خيل. وكلّ ذلك يعلم بهِ الحيوان دون علم سابق او تلقين من الابوَين. وانما هو كخلقة يرثها الابناء عن الجدود دون توسط. وهيهات ان نجد شيئاً من ذلك في الانسان فلا نرى نجاراً او بناء او مهندساً او حائكاً يورث ابنهُ عند مولدهِ علم النجارة او البناء او الهندسة او الحياكة مع ان مذهب دروين يستلزم هذه الوراثة لأن الانسان على رأيهِ يجمع في شخصهِ كلّ خواصّ الحيوانات اجدادهِ. وعلى عكس ذلك اذا كبر الولد تراهُ قادراً على ان يتعلّم كلّ العلوم بينما يبقى الحيوان على علمهِ الغريزي الموروث لا يزيد عليهِ ذرّة

بين النقوش التي تزيّن احد ابراج كنيسة بورج الكاتدرائيّة في فرنسة صورةُ امرأة تمثّل الجنون. امامها قردٌ تسعى بان تعلّمه القراءة فهي تصرخ بملء فيها وتظهر قنوطها من بلوغ أربها. فهذا الجنون الذي اخرج اولئك المهندسون صورتهُ على هذا المثال نجدهُ اليوم بعد ثلثمائة سنة في مشايعي دروين الذين يفرغون المجهود في رفع شان القرود ولولا كرامتهم لشبّهناهم بتلك المرأة المجنونة التي لم يُجدها عناؤها وصراخها نفعاً

خلاصة مقالاتنا السابقة

ان من تصفّح ما كتبناهُ حتّى الآن يمكنهُ ان يستخلص من كلامنا بعض النتائج الآتية: ان في مذهب التحوُّل والنشوء مزاعم شتّى منها ما هو مخالف تماماً للحقيقة ومنها ما هو حدسٌ وتخمين فلا شيء يقضي على العقل بقبولهِ لا من الايمان ولا من العقل

وقبل كلّ يجب رذل وذني آراء هكل المادّية وهو يدّعي بقدم العالم وبظهور الحياة على وجه الارض بقوّة الطبيعة وحدها ليتذرّع بذلك الى نفي وجود الله ونكران خلود النفس على خلاف ما يرويهِ الوحي ويؤيّدهُ اعتقاد الامم ويبيّنهُ العقل الذي لا يسلّم بوجود معلول لا علّة لهُ. وقد ثبت بطلان قولهِ بالتولُّد الذاتي لتعليل وجود الحياة

بعد ان بيّن باستور انّ الحيّ لا ينتج الّا من حيّ سابق . فلم يبقَ بعد ذلك لهكل سندٌ يسند اليه رأيهُ فان استمرّ عليه هو وتابعهُ فيه بعض الناس فما ذلك الّا ليتحرّروا من ربقة الدين ويستسلموا دون رادع الى اهواء قلوبهم . على خلاف اصحاب الدين والعقلاء فكلّهم يزيّفونهُ

امّا رأي الدروينيين المعتدلين المعتقدين وجود الخالق والقائلين بتطوّر الانواع في الحيوان والنبات لظنّهم ان ذلك يبيّن على وجه افضل ترقّي الكائنات وتسلسلها بعد خروجها الاول من يد الخالق فان ذلك ينفي اضاليل الماديّين لكنّهُ ايضاً زعمٌ وتخمين يردّ الاختبار معظمَ ما يتشبّث بهِ هؤلاء من الادلّة وهم يفترضون عدّة افتراضات ويعتبرونها كحقائق علميّة راهنة دون ان يثبتوها بالواقع . وهذا ينافي الاساليب العلميّة

يسلّم دروين بان الله خلق في اوّل العالم بعض الامثلة الحيوانيّة او النباتيّة ثمّ اهملها لقوّتها الغريزيّة التي تمكّنت دون وساطة الخالق او عقلٍ فهيم الى ان تنتج من تلقاء ذاتها انواعاً جديدة حصلت لها في تمادي الاجيال على يد عوامل عمياء اجتمعت صدفةً

وفي هذا القول مع اعتدالهِ نوعاً امورٌ بعيدة عن كلّ صواب اذ ينسب النظام والترتيب والغايات السابقة لقوّات عمياء تتآلف وتتوافق لتأتي بغايةٍ لا تستطيع ادراكها . قال العلّامة الانكليزي الدوق دارجيل (d'Argyll) : « انّ قول دروين هذا في اتّفاق القوى العمياء لتوليد الانواع يشبه قول من يزعم انّهُ يكفي لوضع قصيدة هوميروس (الالياذة) ان يؤخذ مجموعُ حروفها ويُلقى ميكانيكيًا فتتألف منهُ صدفةً تلك القصيدة بتمامها »

ثمّ التجأ الدروينيّون لاثبات رأيهم الى الانتخاب الطبيعي زاعمين انّ بهِ تألّفت في توالي الاجيال كائنات ذات خواصّ جديدة وأجهزة جديدة تترقّى كمالًا مع توالي الازمنة . وهذا ايضاً من التخيّلات التي لا تؤيدها صدقاً العوامل التي اضافوها اليها كالحاجة ونفوذ الوسط اذ لا يمكن تلك العوامل ان تؤلّف وتنظّم المفعولات التي يزعمونها

وكذلك رأينا انّ اكتشافات الجيولوجيين وحفريّات ارباب الطبقات الارضيّة والعاديّات الاثريّة تناقض مدّعيات المذهب الدروينى اذ يجعل الانواع المختلفة ناجمة

عن بعض الامثلة الاصليَّة فانَّ اقدم تلك الآثار جامعةٌ للأنواع المتعدّدة دون دلالة على اشتقاق بعضها من بعض وتحوُّلها من انقص الى اكمل سواء بقيت تلك الانواع الى عهدنا ام بادت او استحجرت ثمَّ قام بدلاً منها انواع غيرها ثابتة مثلها . وكذلك النباتات القديمة قد بقي منها مستودعات عظيمة تدلُّ على نموّها مدَّة اجيال متعدّدة وليس هناك اثرٌ للتحوُّل الدرويني المزعوم . وقد طلب الدروينيُّون المتدلون شرحاً معقولاً لتعليل وفرة الكائنات الآليَّة التي تُرى في جملة المستحجرات فزعموا انَّ الله عاد غير مرَّة وأبدع امثلةً جديدة لا اثر لها في الاطوار السابقة ومنها اشتقَّت الانواع المستحدثة . وهذا ايضاً قول لم نجد له اساساً في علم العاديَّات كما يقرُّ بهِ الدروينيُّون لا بل تنقضهُ تماماً ويشهد ما اكتُشف من تلك الكائنات في طبقات الارض المختلفة انَّ النبات والحيوان المعاصرين لتلك الطبقات كانت انواعهما في كمالها ولم يوجد منها نوعٌ واحد يمكن إثبات تحوُّلهِ من نوع الى آخر دون شبهة . امَّا الاختلافات العرضيَّة الموجودة بين الاشكال فليست برهاناً مقنعاً على صحَّة رأي دروين اذ يمكن الانسان بانتخابهِ الصناعيّ ان ينالها بيد أنَّها لا تثبت اذا كفَّ العامل الخارجيّ عن مواصلة تأثيرهِ فيها

ثمَّ انَّ ما يوجد من الاختلافات العظيمة في اوهام الحيوانات المتقاربة النوع سواء كانت من ذوات الفقرات او من الحشرات تؤدّي للمتمذهبين بمذهب دروين مشاكل جديدة لا يقوون على فكّها . ومثلها قولهم عن تناسل الانسان من الحيوان ولو افترضوا انَّ الله خوَّله نفساً روحانيَّة فانَّهم لم يثبتوهُ بحجَّة مقنعة وينفر عنهُ اليوم كلُّ ذي عقل صائب وذوق سليم اللهمَّ الَّا بعض الدهريين والماديين

فلا عجب بعد هذا ان نرى العلماء الموثوق بهم بعد ان انحازوا مدَّةً الى الرأي الدرويني عدلوا عنهُ واهملوهُ وقد شهد احد اساطين العلوم الجيولوجيَّة المأسوف عليهِ المسيو دي لاپاران (Mr de Lapparent) على انقلاب اولئك العلماء عن رأيهم بقوله : « انَّهُ من العجب العجاب كيف ارتدَّ العلماء الحاليُّون عن مذهب النشوء والتحوُّل بعد ان اصاب عندهم حظوةً . فتراهم اليوم يكادون يقرُّون بتكوين الانواع على التتابع وينكرون على دروين تحوُّل الانواع وترقيها وانَّما يجعلون تلك انواع متوازيةً مهما رقوا في سلَّم الدهور » وكذلك ورد في مجلَّة الابحاث العلميَّة - Revue des Questions Scientifiques, t. XVIII, Janvier) عدَّة شواهد من اقوال العلماء

تعلن سقوط المذهب الدروينيّ كقول الواحد : « ان المذهب الدروينيّ قد مات منذ زمن مديد في اعين العلماء المتنوّرين » . وكقول الآخر : « قد أفلس المذهب الدروينيّ فلم يَعُدْ يوثق بهِ كمذهب عموميّ نظريّ » ويقول ثالث : لا يمكن اعتبار مذهب دروين البتّة كمذهب علميّ » وهذه الاقوال يتّفق في اعلانها علماء كاثوليك وغير كاثوليك فلولا وقوفهم على بطلان ذلك المذهب لما صرّحوا بهِ في المجلّات العلميّة

على انّ المذهب الدروينيّ مع خمولهِ وتلاشيهِ قد زرع في قلوب كثيرين وهماً لا يزال يرعى فكرهم وهو مبدأ التحوّل (l'Evolutionisme) الذي لا ينفي وجود الله ولا إبداعهُ تعالى للمخلوقات حيناً بعد حين لكنّهُ يدّعي بإمكان تسلسل الانواع بعضها من بعض وذلك بقوّتها الغريزيّة التي نالوها من فضلهِ تعالى . وبقولهم هذا لا يبخسون الله مجدهُ لانّهم ينسبون اليهِ اول مثال خلقهُ عزّ وجلّ وخوّل ذلك المثال قوّة محدودة تؤدي بهِ الى انتاج انواع سبق علمهُ بها . فيبقى الله هو العلّة الاولى للنظام الموجود في العالم وعلّة وجود الكائنات وما يطرأ عليها من التنوّعات . فهذا المذهب يختلف عن المذهب الدروينيّ وقد انحاز اليهِ قوم من العلماء حتّى الكاثوليك والمؤمنين

على انّ الذين عدلوا الى هذا الرأي لم يتّفقوا في تعيين اتّساعهِ وحدودهِ فمنهم مَنْ يحصر ذاك التحوّل في حدود ضيّقة لتوليد بعض الانواع ومنهم من يوسع دائرة نطاقهِ فالاوّلون يقولون بان الله خلق اول حلقة من كلّ جنس فتفرّعت الانواع من الاجناس على مدى الاجيال . والآخرون يزعمون ان الله خلق فقط في اول العالم امثلةً من النبات والحيوان كمثال ذوات الفقرات ومثال الحشرات ومثال النبات ومن هذه الامثلة تألّفت رُتب الكائنات واجناسها وانواعها . وكأنهم مع هذا يستثنون خلقة الانسان الذي يجعلونهُ في رتبةٍ خاصّة مستقلّة عن الحيوانات التي سبقتهُ

هذا الرأي الذي ذاع بين بعض العلماء لم يرضَ بهِ كثيرون غيرهم ولا عجب اذ لا يتجاوز الحدس والتخمين ولا يؤيدهُ شيء من الاكتشافات . لا بل تنفيهِ الادلّة التي سبقنا فدوّنّاها في مقالتنا ولاسيّما ما قلناهُ عن اختلاف اوهام الحشرات وثبوتها العجيب حتّى في الانواع المتقاربة الاشكال كما تُبطلهُ ايضاً اكتشافات علماء العاديّات والجيولوجية حيث وجدوا في اقدم طبقات الارض القريبة من بدء تكوينها اصدافاً

حيوانيَّة من النجوميَّات الشكل والهُلاميَّات وذوات المفاصل وبعض ذوات الفقرات التي صبرت انواعها مذ ذاك العهد السحيق الى يومنا دون ان يطرأ عليها اختلاف يُذكر ولا تحوُّل البتَّة . فلو صحَّ قول هؤلاء العلماء المتدلين لوجدنا سنداً لقولهم في تحوُّلات هذه المبروزات الاوَّليَّة فثبوت انواعها يردُّ مزاعمهم

وعلى كل حال اننا لم نشأ ان نُنقي تماماً ببطلان هذا التحوُّل النوعي المحصور في نطاقٍ ضيّق وانما ننتظر وجود ادلَّة مقنعة توجب برَذْلهِ بتاتاً او بقبول بعض آرائهِ . فان هذه اقوالٌ علميَّة لا دَخل لها في حقائق الايمان التي وحدها تبقى ثابتةً الى الأبد لا يستطيع العلم البشري أن يزعزع اساسها المتين وهي مبنيَّة على الحقيقة الازليَّة التي لا يحجب نورها غمام (تمَّ)

ذكرى لوفاة نابوليون الاوَّل

لحضرة الخوري بطرس صنبر

جرت هذه السنة احتفالات عظيمة في فرنسة تذكاراً للمئة الاولى من وفاة نابوليون الاوَّل فكتبت الجرائد فصولاً شائقة أعادت فيها الى الاذهان ذكر ذاك الداهية الذي طبَّق اسمهُ المعمور . فرأينا بهذه النسبة ان نروي بتصرُّف قصَّة ظريفة قرأناها في المجلَّة الفرنسويَّة «المطالعات للجميع» تحت عنوان «بيغاء ملك رومية وغليوم امبراطور المانية الحليع» (١

بعد ما ناصب نابوليون العداء ملوك اوربَّة وامراءها وقد اجتمعوا عليهِ عشرين عاماً وبذلوا على حربه المُهَجات كان أن ظفروا اخيراً بهِ وغلبوهُ على امرهِ واكرهوهُ على عكس ما كانت تطمع اليهِ نفسه من الفتوحاتُ والغنائم فاقاموه في قصر فونتينبلو وفيهِ تمَّ امر خلعهِ وتخليه عن الملك لابنهِ وتسييرهِ الى جزيرة إلبَة محلّ منفاه

١) اطلب Lectures pour Tous. *Avril*. 1920, *pp* 937

حيوانيَّة من النجوميَّات الشكل والهُلاميَّات وذوات المفاصل وبعض ذوات الفقرات التي صبرت انواعها مذ ذاك العهد السحيق الى يومنا دون ان يطرأ عليها اختلاف يُذكر ولا تحوُّل البتَّة . فلو صحَّ قول هؤلاء العلماء المتدلين لوجدنا سنداً لقولهم في تحوُّلات هذه المبروزات الاوَّليَّة فثبوت انواعها يردُّ مزاعمهم

وعلى كل حال اننا لم نشأ ان نُنقي تماماً ببطلان هذا التحوُّل النوعي المحصور في نطاقٍ ضيّق وانما ننتظر وجود ادلَّة مقنعة توجب برَذْلهِ بتاتاً او بقبول بعض آرائهِ . فان هذه اقوالٌ علميَّة لا دَخل لها في حقائق الايمان التي وحدها تبقى ثابتةً الى الأبد لا يستطيع العلم البشري أن يزعزع اساسها المتين وهي مبنيَّة على الحقيقة الازليَّة التي لا يحجب نورها غمام (تمَّ)

ذكرى لوفاة نابوليون الاوَّل

لحضرة الخوري بطرس صنبر

جرت هذه السنة احتفالات عظيمة في فرنسة تذكاراً للمئة الاولى من وفاة نابوليون الاوَّل فكتبت الجرائد فصولاً شائقة أعادت فيها الى الاذهان ذكر ذاك الداهية الذي طبَّق اسمهُ المعمور . فرأينا بهذه النسبة ان نروي بتصرُّف قصَّة ظريفة قرأناها في المجلَّة الفرنسويَّة «المطالعات للجميع» تحت عنوان «بيغاء ملك رومية وغليوم امبراطور المانية الحليع» (١

بعد ما ناصب نابوليون العداء ملوك اوربَّة وامراءها وقد اجتمعوا عليهِ عشرين عاماً وبذلوا على حربه المُهَجات كان أن ظفروا اخيراً بهِ وغلبوهُ على امرهِ واكرهوهُ على عكس ما كانت تطمع اليهِ نفسه من الفتوحاتُ والغنائم فاقاموه في قصر فونتينبلو وفيهِ تمَّ امر خلعهِ وتخليه عن الملك لابنهِ وتسييرهِ الى جزيرة إلبَة محلّ منفاه

١) اطلب Lectures pour Tous. *Avril*. 1920, *pp* 937

فانصرف منهُ الانصار والاعوان وبقي في سجنه الفخيم ينتظر يوم إبعاده وقد أذن لمن ازاده من رجاله ان يظلّ في القصر في عداد من عُيّنوا لحفره . ومما تركوا لهُ من مشتهياتهِ بيضاء كانت زوجتهُ الاولى جوزفين احضرتها من جزائر اميركا فراضتها ولقّنتها كلمات كانت تثير في نفس نابوليون عند سماعها عواطف الابتهاج وهي : فريدلند ! ريفولي ! ڤكزام ! اوسترليتز ! ايلو . وهي اسماء مواقعه وانتصاراتهِ الشهيرة . ومثلها الفاظ اخرى عسكريّة يقولها الجند كانت البيضاء تلقّنتها

فلمّا كان مساء ذلك النهار المشئوم سكنت الضوضاء في القصر شيئاً فشيئاً وساد فيهِ الهدوء فجلس نابوليون قرب نافذة يسامر النجم ساهرَ الطرف مفكرًا حيران يتسمّع ضجيج العربات المتباعدة وهو عارف انها تقلّ آخر من انصرفوا عنه جبانةً وكم كانوا جاهروا لهُ بانّ روابط تعلّقهم بهِ واخلاصهم له لا تفصم عراها طوارئ الايام . عملٌ كان لهُ في نفسهِ وقع اشدّ من وقع النصال . وقد زاد في نفسهِ انقباضاً علمهُ بان اعداءهُ لا يسمحون ان يرى قبل سفره الى المنفى الامبراطورة زوجتهُ ولا ابنهُ الوحيد الذي ضحّى النفس والنفيس في سبيلهِ . وقد تحقّق ان ابنهُ سيسلّم الى احد اعدائهِ السياسيّين اعني جدّهُ امبراطور النمسة

واذ لم يهدأ لهُ بال ولم يغمض لهُ جفن عصاهُ تجلّده وخرج من غرفتهِ كأنهُ يريد الفرار من هواجس ضميرهِ المزعجة . فبلغ الى اسفل الرتاج واذ بالسكوت سائدٌ مالئ الديار والخلاء لا يسمع غير حفيف الاشجار ووقع الاوراق تتساقط من على الاغصان . فرأى احد الانفار واقفاً متّكئاً على بندقيّتهِ فتوجّه اليهِ ولعلّ هذا الجندي كان يعمل الفكر مليًا بما مرّ امامهُ في ذاك النهار فلم يشعر بدنوّ نابوليون . وهما كذلك اذ طرق أذني الجندي فجأةً صوتٌ يتهدّدهُ : « الحذر ! الحذر ! » وهي الكلمة التي ينبه بها الجنود قوادهم في حركاتهم العسكرية

فالتفت فاذا بالامبراطور بجانبهِ فرفع بعجلة بندقيّتهُ وحيّاه باكرام وهو خجلٌ من تغافلهِ . وقد اعترت نابوليونَ نفسهُ رجفةٌ لدى سماعهِ فجأة صوت الآمر « الحذر ! الحذر ! » غير انهُ لم يلبث ان تبسّم في فتور وانقباض عند ما عرف ان هذا هو صوت البيضاء العزيزة على مقربة منه في قفصها الذهبي فانها اذ أحست بدنوّ سيّدها ردّدت لهُ ما قد تعلّمت فمدّ الامبراطور اليها يدهُ يلاطفها وكأنهُ شعر بانكشاف بعض الهمّ

عنهُ عندما لاعبت اصابعهُ ريشَ الطير الناعم فصارت تلحسها بلسانها الخشن

ثمَّ رجع نابوليون الى الجندي ووضع يدهُ على كتفهِ بلطفه المعهود ولطالما كان هذا اللطف وسيلةً فعَّالة لدفع الجنود الى اقتحام المخاطر عن رضى وارتياح. وقال لهُ: ما اسمك؟ . قال: اسمي فلامبو (سراج). قال: كم شهدت واقعةً وانتصاراً؟ قال: كنت في كل انتصاراتك مولاي . قال: كم اصابك فيها من الجروح؟ قال: عشرون

فردَّد نابوليون: يا للوفاء! يا للشهامة! عشرون جرحاً وهو لا يزال ثابتاً على العهود في حين انَّ من غمرتُهم بالاحسان أعرضوا عنّي مسرعين .

قال الجندي وفي صوته ارتجافٌ: آه مولاي أشِرْ الينا اشارةً فقط ترَ منّا مئتي الف بطل مستعدين ان نهبَ ونفديك بارواحنا

قال نابوليون: كلّا يا صاح حسبُ فرنسا ما نالها من العناء بسبب الحروب لندَعها تضمد جراحاتها فعليكم الآن بالسكينة. أليس لك ولد ينتظرُك في بيتك؟

— لي ابنة مولاي

— عُد اليها شاكراً اذ انهم لم يسلبوك اياها كما فعلوا بي . . .

— لكنهم سيدي سيردُّون اليك ابنك ملك رومية ألم يتعهَّدوا . . .

— دع عنك هذا الكلام فانَّ الوفاء بالعهود لا يُعرف عند من يخالط الالمان كثيراً ام قليلاً . وكذلك النمسة فانها سترجع بالشمال ما اعطتهُ باليمين لانهُ اذا كانوا منعوا الامبراطورة وملك رومية من الحضور ههنا فليس ذلك ليسمحوا لهما ان يوافيا الى جزيرة مَنْفاي . . .

ثم كتَّف الامبراطور يديه وسرَّح نظره بعيداً وقال تخنقهُ الحسرات: ليت شعري هل من امرٍ افظع من هذا وهو ان يُنفى والد ولا يُسمح لهُ أنْ يدفع لابنهِ الصغير تذكاراً؟

فاقترب الجنديُّ وانحنى امام نابوليون وقال: مولاي هل من وديعة ام من تذكار انقلهُ الى وحيدك او الى امهِ فاني بحقك اسلمهُ الى من تريد ولو كان ذلك في اقاصي الارض

وكان الامبراطور رجع الى البنات ينظر اليها نظرة الحنان وهي تعضُّ قضبان

قفصها الذهبيّة وبعد ان تردّد هنيهةً دنا من الجندي وقال لهُ : قد رضيتُ بما طلبت مني لانَّ مثلك جنديًا أُصيب بعشرين جرحاً حيًّا لسيّده لمثن يؤتمن على كل نفيس عزيز. انظر هذا القفص ارغب اليك ان تحملهُ الى ملك رومية وتخبره بامر هذا الطير. قل له : «انه هديّة ممن اجمعتم على تسميتها جوزفين الحنون وهي علّمته ارضاء لخاطري كلمات الاوامر المألوفة واسماء انتصاراتي واذكر لهُ انَّ هذه البغاء رددت هذه الاصوات في احدى الليالي السالفة حين كان احد الخوّنة مستلًا خنجرًا ليفاجئني بطعنةٍ فذُعِرَ من صوتها فنجرتُ . . . قل له ان يتذكر ويكون دائمًا على حذر فان الذين قد رموا النَّسر لا يبعد ان يصوّبوا سهامهم على فرخه . . .»

فسالت الدموع من عيني الجندي متحدّرةً على خديهِ وقد لوّحتهما الشمس والاتعاب تلويحًا ثمَّ قال : سأُسلمُ القفص الى سيدي ابنك مهما كلفني الامر

. قال نابوليون : لله درُّ هذه الهمّة ! خذ هذه البدْرة فانت لاشكَّ محتاج الى بذل المال وسأُعطيك تذكرة مرور ولا غرو انهم سيعتبرونها اذ لم يعودوا يخشون مني اذيةً . ثم اسند يده على متكأ الدرابزون ووقّع التذكرة ثم تعانقا وهما ساكتان وعاد الامبراطور الى قصره يمشي الهوينا بينما كان الجندي واقفاً رافعاً بندقيته ليحيّي مليكهُ للمرّة الاخيرة والبغاء لا تزال تصيح بشدّةٍ وبغير انقطاع كلماتٍ تعيد الى الذهن امجادًا بائدة : « فريدلند ! ريفولي ! فكرام ! اوسترليز ! ايلو ! »

٢

مرت ستّة اعوام على هذا الوداع ولم يعد ابن نابوليون يُدعى بملك رومية بل لقب بدوك رِشتاد وقد بلغ التاسعة من عمرهِ وهو في قصر شونبرُون قصر امبراطور النمسة وعُيّنت لهُ الغرفة نفسها التي اختارها ابوه حين دخل هذا القصر ظافرًا واقام فيهِ مع اركان حربهِ في السنتين ١٨٠٤ و ١٨٠٩ حين وقّع على معاهدة الصلح مع النمسة. وكان الولد ذا منظرٍ بهيٍّ وطلعة وقّادة يزيد حسنهُ شعرهُ الاشقر المتجعّد المسترسل على كتفيه. غير انه كان ضامرًا قلق البال سريع الحركات غير ميّالٍ نظير الاولاد الى اللهو والضحك والالعاب . ولا غرو فان امّهُ لم تكن لتكترث بهِ اذ كانت في مدينة بارمة بين حاشيةٍ لها منصرفةً الى الملذات مع ذوات جنسها.

وكان أخفي عن الولد ان اباه كاد يقضي نحبهُ فريسة الاشجان في جزيرة القديسة هيلانة حيث نُفي . ولم يكن مصاذفاً في قصر شونبرون ما يستأنس بهِ او يرتاح اليه ممن كان يقربهُ . فان جدّه الامبراطور كان شيخاً طاعناً في السنّ عبوساً قليل التكلم كثير الظنون لا يلاطف حفيده الّا بتكلّفٍ وتحفّظٍ . فلا عجبَ اذ لم يَمِلْ قلب الفتى الى محبّتهِ كما انه لم يودّ مَن كان يخدمهُ ويهذّبهُ من الاوانس اذ لم يأنس فيهنّ ما تعوّده من اللطف واللين في المربيات الافرنسيات وزِدْ انه لم يجد في هواء شونبرون وسمائها شيئاً من النقاء والصفاء اللذين ألفهما في عاصمة فرنسة

فاتفق انه ذهب يوماً مع احدى مهذّباتهِ قصد ترويح النفس في حديقةٍ فجلست المعلّمة وصار هو يتجوّل في الحديقة الى ان ابتعد مسافةً وبلغ احدى مضايق البستان فرأى فيهِ فتاةً بالثانية عشرة من عمرها قائمة بين الاعشاب والازهار وقد ادهشهُ مرأى بيناء بالقرب منها غريبة الشكل تردّد بلا انقطاع كلماتٍ افرنسيةٍ . . . . فاسرع اذ ذاك نحوها وسألها : « من اين هذا الطير ؟ — قالت : من فونتنبلو — قال : من اعطاكِ اياه ؟ قالت : ابوكَ الامبراطور سلّمه لأبي وكلفه ان يقدّمهُ . . . (واضافت بكل احترام) « لجلالتك »

فقاطع هذا الحديثَ ظهورُ المعلمة وقدومُها اليهما فسارت الابنة ومعها البيناء واختفت بين الاشجار كي لا تقف المعلمة على مطاوي حديثها واضطرّ الولد ان يرجع مع مهذبته الى القصر . وحدّث ولا حرج ما ابقت هذه المقابلة في نفسهِ من القلق والاضطراب . . .

وفي اليوم التالي كان الفتى جالساً في غرفتهِ كئيباً نظير السجناء غير مبالٍ بالطيور التي كانت تغرد على نافذتهِ وقد سقط الكتاب من يدهِ على الارض وهو غائص في بحر التأمل والافكار . وكانت المعلمة النمساوية تشتغل في التخريم على مقربة من النافذة فرفعت اليهِ رأسها وقالت : هل حفظتَ امثولتك يا سيدي ؟ فتولت الاميرَ رجفةٌ واسترجع كتابه بالرغم عنه وقال : كلّا . فتركتَ شغلها ودنت منه وقالت : عليك ان تجتهد فيما بعد وتتعلمها وسأرجع اليك لتتلوها على مسامعي . فاجابها وهو يتكلّف البشاشة : نعم

ولما خرجت المعلمة وأقفلت الباب وقف الامير ورمى بكتابهِ مغضباً وقد علت

على محياه علائم الامتعاض وقال : لا لا . وذلك لانه لم يقف على استظهار اسماء حروب وجدها في كتابه لم يكن النصر فيها حليف فرنسة وقد شق عليه ان يسرح البصر في كتاب لم يرَ فيه بزات الحرس الامبراطوري الفرنساوي بل صوروا فيه اعداء فرنسة بملابسهم الصفراء والبيضاء . فلم يلبث ان وقف يتسمع فأرعبته قرعة غير منتظرة على باب غرفته واول ما خطر بباله ان المسيو مترنيخ داخل عليه بصلفه كما فعل سابقاً بجمية زوار ليسوا على شيء من الظرف والآداب يتلفتون في غرفته ذات اليمين وذات الشمال كانهم يحاذرون رجلاً مختبئاً في احدى الزوايا مضمراً لهم الشر

وكاد الغلام يصيح جزعاً اذ فُتح الباب على مهل فتثبت من القادم اليه واذا هي فتاة كسا بحياها التعب ثوباً من الاحمرار وقبل التحية اشارت عليه ان يلزم الصمت وابدت له هيئاها الفتانتان انها هي الابنة التي التقى بها صدفةً في احدى مضايق البستان وعرفته بنفسها انها ابنة احد الحفراء الفرنسويين . ثم تقدمت بكل لطف واظهرت له من بين ثنايا ثوبها قفصاً ذهبياً تتخطر ضمن قضبانه البيغاء بدلال وخيلاء فاستقبل الامير الطير الامين بذات الحفاوة التي ودّعه بها أبوه الامبراطور في تلك الليلة الظلماء فمدّ يده يلاطفه بانبساط فشرع الطير يردّد صدى الدروس العجيبة التي تلقنها من اجداد نابوليون الخالدة من فم الامبراطورة الاولى

وبين تغاريد البيغاء كانت الفتاة تواصل سرد تفاصيل اخبارها على مسامع الامير قائلةً : ان اباك الامبراطور قال لابي : عليك بايصال هذه البيغاء الى ابني ملك رومية مهما كلفك الامر فنقلها والدي الى باريس ومنها الى بلوا ثم الى ليون ثم الى ڤينة ولقد تكبد في سبيلها مشقات واخطاراً ولا تزال حياته معرّضة للهلاك كل يوم في هذه الانحاء اذ انه كاد اكثر من مرة يُرمى بالرصاص كجاسوس ولكن كل هذا لم يكن ليثنيه عن الوفاء بأيمانه وقد قمتُ انا ووالدتي نتبعه اينما سار للقيام بخدمة جلالتك عند ما تبلغ اشدك لان جلّ رغائبنا ان نساعدك في تخليص والدك

— وهل ابي باقٍ في جزيرة إلبة ؟

— كلا بل في جزيرة اخرى . . وهي ابعد من الاولى

ثم أخذت الفتاة تردد على مسامعه اخبار والده فوصفت فيها المعاكر الجرارة

الخافقة فوق رؤوسها أعلام النصر كيف دكّت الحصون الحصينة وأرهبت الملوك والسلاطين الى ان دخل الامبراطور ظافراً الى هذا القصر وما كان من أمره فيه

فكان الامير الصغير مقبلاً على الفتاة بشوق يردّد ما تقول بصوت منخفض قصدَ ان تعلق هذه التذكارات في قلبه فلا تقدر على نزعها منهُ الايام مهما تناهى الناس في الصلف فقال لها بعد هنيهة : زيديني من اخبار والدي لأزيد بها ابتهاجاً . واذا بالبغاء انتصبَتْ والتهبت عيناها التهاباً وانتفش ريشها وهتفت بصوتها الحادّ هتاف الاستنجاد المعروف : الحذر ! الحذر ! فخاف الولدان وابتعد الواحد عن الآخر واختفت الابنة القفص تحت ردائها واسرعت الى ستار هناك واختبأت خلفهُ . فعند ذاك فتح الامبراطور جوزف الثاني الباب بغتةً ودخل عابس الوجه كالحاً متحذراً وقال لحفيده : هل احسنتَ شغلكَ اليوم يا فرنتز ؟ فتردّد الامير الصغير هنيهةً غير ان ذكر لبيه نبّه منهُ حمية كانت راقدة وشعر بنشاطٍ جديد سرى في عروقهِ فافترّ عن ثغرهِ الدرّي بابتسامة لطيفة وقال بشدّة : نعم نعم يا جدّاه ! اتقنتُ الشغل اليوم . قال ولم يكذب لان اسماء جديدة علقت في ذهنهِ وهي لعمر الحق اسماء مجدٍ وافتخار . وبينما كان فرنسوا الثاني مبتعداً عن حفيدهِ في اروقة قصرهِ وقد خيّم فيها السكون والظلام بدت الفتاة من وراء الستار وشرعت البغاء تطرب آذان الامير بنغماتها : فريدلند ! ريفولي ! ڤكرام ! اوسترلتز ! ايلو ! .

٣

كرّت مائة سنة على ما جرى في قصر شونبرون وقد قضى كل مَن فيهِ وتبدّل ولم يبقَ ممّن حضر تلك الحوادث الّا البغاء . ولعمري هو انعام غريب في بابهِ خُصّت بهِ تلك الخلائق المتكلمة من غير فهم وعقل (وقد ثبت لدى علماء الحيوان ان معدل عمر البغاء والغراب مئتا سنة) ولم تزل معروفة باسم بغاء ملك رومية وكانت لا تفارق قضيباً ذهبياً في مدخل قاعة الاستقبال الكبرى متشبثةً بهِ مرتجفة الرأس محمرّة العينين منتفشة الريش لا تنفكّ عن لقطها

فلما كان مساء اليوم العشرين من تموز سنة ١٩١٤ على عهد الامبراطور فرنسوا جوزف ولهُ اذ ذاك من العمر تسعون عاماً حدث في قصر شونبرون حركة غير مألوفة وقد اشغل الخواطرَ وصولُ نقلة البريد الامبراطوري بكثرة لم يعهدوها وصدرت

الاوامر العليا بان يلازم كلٌّ مكانه ولا يحضر احد المقابلة السرّية المنتظرة الّا الامبراطور وحدهُ . واذا بسيّارة ضخمة تنهب الارض نهباً وقفت على مدخل القصر وقد أُسدلت الستارات على نوافذها فاسرع الامبراطور الى باب القصر ليتقبل زائره اذا رجل مفتول الشاربين في احدى ساعديهِ شوّهٌ احدهما اقصر من الآخر خرج من الستارة وكان هذا القادم غليوم الثاني امبراطور المانية

فتعانق الامبراطوران ولمّا صارا في مدخل البهو الكبير توقف غليوم لمحةً امام البغاء وقد أحدقت بهِ ناظريها ثم هزّ كتفيه وقال بدهشةٍ : « تُرى لم يمت بعدُ هذا الطير المجنون ! »

وكان فرنسوا جوزف على ما هو مشهور عنهُ يعتقد بالخرافات فلم يأذن بقتل تلك البغاء الغريبة مع انهم كانوا يهابونها ويبغضونها نظير سائر الاشباح التي يقال عنها انها تتردد الى منازل عائلة هَبسبورغ—فتح فرنسوا جوزف باب القاعة الكبرى لغليوم واشار الى غرفة قريبة جذبه اليها وقال : ليس في هذا البهو بل في غرفتهِ عينها (يريد الغرفة التي احتلّها نابوليون) لاننا مثلهُ نعدُّ الاستيلاء على كل العالم . وسار معهُ فرنسوا جوزف بالرغم منهُ حذراً من إحياء تذكارات ميتة

فدخلا الغرفة الصغيرة التي احتلّها نابوليون وسكنها ابنهُ دوك دي رشستاد الذي وعى سماعهِ اخبار ابنة الخفير فلامبو (سراج) شعر بالشرف الذي خوّلهُ ابوهُ بتسميتهِ ملك رومية . فتمّ اذ ذاك بين الامبراطورين الاتفاق على إشهار تلك الحرب الجهنّمية التي ذهب فيها عشرة ملايين من البشر في اراضي اوربة واسية وعلى سطح بحار العالم باسرهِ

لهُما في تلك المؤامرة واذا بصوتٍ قوي سُمع وسط ذلك الليل المدلهمّ : الحذر ! الحذر ! فتغير لهذا الصوت لون الامبراطورين وقد اخذهما الدهش فقال فرنسوا جوزف مسأ : ان فرنسة تسمعنا !

فتهكم غليوم وقال : هو الطير المجنون ببغاء ملك رومية ثم رفع خوذته يلوّح بها فوق رأسهِ وقال : الى باريس ! الى باريس ! عن قريب الى باريس ! . وبعد اعداد الجريمة افترقا . ولما مرّ غليوم امام البغاء توقّف وصار يتهدّدها ويداعبها بيدهِ السليمة وحاول ان يستعيدها اسماء انتصارات تطرب بسماعها الآذان الالمانيّة اي ڤاترلو !

سيدان ! فهزت البيغاء رأسها وصارت تردد اسماء مجيدة تلقنتها في الماضي فريدلند ! ريفولي ! فكرام ! اوسترليتز ! إيلو ! فكأنها بلسانها الرشيق انبأتهُ بما تضمر لهُ الايام من الانكسارات القريبة . فامتعض غليوم امتعاضاً وابتعد تحت اجنحة الظلام وللظلام يدٌ في ارتكاب المعاصي

٤

كانت نتيجة تلك المقابلة السرية اعلان حرب ضروس التهبت نيرانها خمس سنوات اقتتلت فيها الشعوب اقتتالاً وسالت الدماء فيها انهاراً ثم عقبها صلح اشرقت شموسهُ على المسكونة اذ دارت على غليوم الدوائر وبعد ان كان القيصرَ الباقي المهاب اضطرَّ ان يهرب من وجه الحلفاء ويلجأ طريداً شريداً الى بلاد هولندة باسم فردٍ مجهول من اسرة هوهنزولرن (وهي اسرة امراء بروسية) وهناك يقيم ضيفاً على الكونت بنتنك بمثابة اسير في قصر أميرونجن . وقد بات مستذلاً مهاناً باعين اعوانهِ الذين وعدهم بالاستيلاء على العالم باسرهِ وصارت تلتهب لهُ في قلوبهم نار البغضاء . واما المارشالية فقد انكروه الواحد بعد الآخر واولهم هيندنبورغ الذي كان غليوم سخط عليهِ وحطَّهُ من مقامهِ عن عتوٍ وكبرياء ثم لودندرف وفلكنهين الى البقية كلهم

فاتفق انهُ في صباح احد ايام الشتاء والسماء تنهمل انهمالاً كان غليوم يسير في حديقة القصر غير مبالٍ بالسيول الجارفة تحت قدميه وكانت الغربان تنعق على اشجارٍ نزعت منها العواصف كل اخضرار فاذا بصوت طيرٍ غريب علا نعيق الغربان فوقف لهُ الامير متسمعاً وخيّل اليهِ انهُ يعرف لهجتهُ غير انهُ عند انقطاع الصوت فجأةً جزم ان هذا وهمٌ وتخيُّل فارتفع الصوت ثانيةً بنوع جليّ رغماً عمَّا فيهِ من الخشونة والغلظ وهتف مكرّرًا : الحذَر الحذَر !

فتذكر غليوم البيغاء التي سمعها في قصر شونبرون ساعةَ وقع على اشهار الحرب الطاحنة وشتَّان بين تلك الساعة وهذه وشتان بين حالتي غليوم . فعجّل المسير ليستجلي امر البيغاء المشؤومة وعبثاً حاول مَن معه ارجاعهُ عن قصدهِ خوفاً من العاصفة فوصل الى طرف الحديقة فرأى على مقربة من جدار غرفة حقيرة من خشب تجري على اربعة دواليب كبيرة لها باب ونافذتان معلَّق عليها سلَّم صغير وكان فيها رجلان

لوّحت وجهيهما لفحات الحرّ فحدق غليوم بناظريه في داخل الغرفة وسألهما : من انتما ؟ اجابا : نحن من التشاك (جماعة من النور)

— من اين قدمتما ؟

— من شونبرون في النمسة هرباً من المجاعة فيها

فكادت لا تقلّ غليوم رجلاه فقال : من شونبرون ؟ لعلّ هذا الطير . . .

فقاطعهُ الغريب بقولهِ : صدق ظنُّك هذه ببغاء ملك رومية العريقة في القدم اشتريناها لندور بها في البلدان ونرتزق منها بعرضها على الناس في المواسم . ولعمري لا افصح منها وكلماتها غريبة . ادخل سيدي ترَ ما يعجبك

فولج غليوم الغرفة واخذ الرجل الطير على اصابعهِ يلاعبهُ وقال : ثمّ درّ هذا الطير فانهُ يردّد . . .

فقاطعه غليوم : أعرف انهُ يردّد اسماء حروب قديمة جدًّا اصبحت نسياً منسيًّا

— عفوًا يا سيدي واسماء حروب جديدة ايضاً فقد تلقّن اسماء انتصارات حديثة العهد اعظم من القديمة

وكأنَّ الببغاء مشتركة في حديث صاحبها فصوّبت نحو غليوم عينيها السوداوين وقد رنّتا وتأكّلتا على مرّ الايام وصاحت باعلى صوتها : لامارن ! ڤردون ! . . . لامارن ! . . . ڤردون ! . . . (وهما اسمان لوقعتين شهيرتين انتصر فيها الفرنسويون على الالمانيين)

فضحك اصحاب الببغاء . وأجفل غليوم مذعورًا ثمّ ولّى مدبرًا تحت وابل الامطار ولم تزل الببغاء تعقّب الصوت الآخر : الحذر ! الحذر ! لامارن ! ڤردون ! لامارن ! ڤردون ! وبلغ غليوم غرفته في قصرهِ وكأنه يحاول النجاة من هذا الصوت المشؤوم لكنّهُ لم يبرح يرنّ في اذنيهِ ولعلّهُ يصبح كنخاس في ضميرهِ الى ان تحكم العدالة الالهيّة حكمها في من جرّت كبرياؤهُ على البشرية ضروب الشقاء والدمار !

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٤ شعراء النصرانية

اذا ما تخطّينا الآن من هذه البيّنات والادلّة العموميّة عن الشعر النصراني ونفوذه بين عرب الجاهليّة واعتبرنا أفراد الشعراء الذين اثبتنا اسماءهم وقصائدهم في كتابنا «شعراء النصرانيّة» تمهّد لنا الطريق للحكم بنصرانيّتهم امّا بتاتاً وامّا ترجيحاً فها نحن نستقري ذكرهم على سياق قبائلهم التي انتسبوا اليها

اوّلاً قبائل ربيعة

قبائل ربيعة كثيرة العدد كانت تسكن في الجهات الممتدّة بين الفرات والخابور الى انحاء العراق. وبنو ربيعة على اختلاف قبائلهم يتصلون بربيعة بن نزار جدّهم الأعلى. وفي ربيعة خصوصاً انتشر الدين النصراني كما روى كثيرون من كتبة المسلمين كابن قتيبة وابن رسته والقاضي صاعد الاندلسي والفيروزابادي (راجع اقوالهم في الصفحة ١٣٠). ولا تجد في ما يُروى من شعرهم اثرًا للشرك وعبادة الاصنام وفيه على خلاف ذلك من الاقوال في التوحيد وتُقى الله ومدح الفضيلة ما يدلُّ على تأثير التعاليم النصرانيّة في قلوبهم اذ كانوا محاطين في انحائهم بالسيّاح واديرة الرهبان والكنائس. ويتردّد اكثرهم على ملوك الحيرة المتنصّرين ويمدحونهم. وثبتت النصرانيّة في ربيعة مدّة بعد الاسلام وقد ذكر في الاغاني (٢٠: ١٢٧): «نصارى بعض احياء ربيعة في عهد بني امية»

١ شعراء تغلب

لا نظنّ انّ احدًا ينكر علينا نصرانيّة تغلب مع اتّفاق الكتبة القدماء على اتصالها بالدين المسيحي وذلك قبل الهجرة بزمن طويل يمكن ترقيتهُ الى ما وراء

القرن الخامس للميلاد الى عهد السيَّاح والرهبان الذين ازهروا في الجزيرة في القرن الرابع للمسيح. وقد مرَّت لنا الشواهد على ذلك في القسم الاوَّل . ومن ثمَّ لا حاجة الى اثبات نصرانيَّة شعراء تغلب الذين نظمناهم في سلك كتابنا شعراء النصرانيَّة وهم ثمانية هذه اسمائهم على ترتيب ذكرهم في الكتاب مع الاشارة الى الصفحات التي وردت فيها اخبارهم :

١ كليب وائل	(شعراء النصرانيَّة ص ١٥١–١٥٩)
٢ المهلهل اخو كليب	« ١٦٠–١٨١
٣ السفَّاح التغلبي	« ١٨٢–١٨٣
٤ الاخنس بن شهاب	« ١٨٤–١٨٧
٥ جابر بن حُنَي	« ١٨٨–١٩١
٦ افنون صريم بن مَعْشر	« ١٩٢–١٩٤
٧ عُمَيْرَة بن جُعَيْل	« ١٩٥–١٩٦
٨ عمرو بن كلثوم	« ١٩٧–٢٠٤

فهؤلاء كلهم سواء صرَّحوا بدينهم النصراني كما ترى في ترجمة جابر بن حُني ام سكتوا عنها فلا شكَّ بنصرانيَّتهم

٢ شعراء بكر

انَّ نصرانيَّة بني بكر ثابتة كنصرانيَّة تغلب وكانت كلتا القبيلتين ساكنة في الجزيرة متجاورة في ديار بكر وديار ربيعة وهما ترتقيان الى اصل واحد الى وائل ومنهُ الى ربيعة بن نزار وتدينان بدين واحد وكلّ من ذكر نصرانيَّة تغلب اضاف اليها بكرًا كما روينا سابقًا . هذا مع ما حصل بين القبيلتين من النزاعات والحروب اخصُّها حرب البسوس كما يجري غالبًا من المنافسات والضغائن بين الاقارب . وبكر قبيلة كبيرة كتغلب تتفرَّع الى فروع عديدة كضُبَيْعَة وشيبان ومرَّة ويشكر وعجل وقد اتينا في باب القبائل المتنصِّرة بذكر هذه الفروع

١ ﴿ بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ﴾ ذكرنا منهم في شعراء النصرانيَّة هؤلاء الثمانية الآتين :

١ سعد بن مالك بن ضبيعة	(شعراء النصرانيَّة ص ٢٦٦–٢٦٧)
٢ جعدر بن ضبيعة	« ٢٦٨–٢٦٩

٣ عمرو بن سعد بن مالك (المرقش الاكبر)	«	٢٨٢–٢٩٢
٤ ربيعة بن سفيان بن سعد (المرقش الاصغر)	«	٣٢٨–٣٢٩
٥ طرفة بن العبد بن سفيان بن حرملة بن سعد	«	٢٩٨–٣٢٠
٦ الخرنق اخت طرفة	«	٣٢١–٣٢٧
٧ عمرو بن قيئة بن ذريح بن سعد	«	٢٩٣–٢٩٧
٨ المسيّب بن علس . . . بن مالك بن ضبيعة	«	٣٥٠–٣٥٦

فكل هؤلاء متقاربو العهد بينهم واشجةُ رحم من سلالة واحدة. وقد صرّح في كتاب الاغاني (٥ : ١٩١) تخرُّج المرقش الاكبر على نصارى الحيرة وذكرنا في شعراء النصرانيّة استشهادهُ بزبور داود:

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذلك في الزبو رِ الاوّليّات القدائمْ

وطَرَفة بن العَبْد كان ابن حفيد المرقش الاكبر وابن اخي المرقش الاصغر. ووردة امُّ طرفة كانت اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمّس فكفى بهذه القرابة دليلًا على نصرانيّة طرفة. وعيشة طرفة والمتلمّس في الحيرة بين النصارى ودخولهما على ملكها النصراني عمرو بن هند ممّا يزيد ذلك. وفي شعر طرفة تنويهٌ بخلود النفس والحساب كقوله:

فكيف يرجّي المرءُ دهرًا مخلّدًا واعمالهُ عبثًا قليلٍ تحاسبُهْ

وتصريحٌ بحكم الله المطلق على الانام:

انّ الله ليس لحكمهِ حكمُ

وبكمال اعماله تعالى:

وما قد بناهُ الله ثمّ تمامُهْ وما قد بناهُ الله فالله ماحقُهْ

وهو القائل في الحضّ على الخير والحياد عن الشرّ:

الخيرُ خيرٌ وان طال الزمان بهِ والشرُّ اخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

وله في مودّته لاهل الدين:

سأصرفُ نفسي عن هوى كلّ غادرٍ وأعرضُ عن أخلاقهِ وأخارقُهْ
واجعلُ اهل الدين اهلَ مودّتي ليعلمَ اهل الفضل مَن انا واثقُهْ

وكان عمرو بن قميئة من قرابة المرقّشين الاكبر والاصغر وطرفة وهو الذي رافق امرء القيس في سفره الى القيصر ملك القسطنطينيّة . وفي اخباره ما يدلّ على ابتعاده عن الدناءة والاثم كيوسف الحسن والتجائه الى نصارى الحيرة فرارًا من التهمة الباطلة . وهذا كلّهُ ممّا لا يدع شبهةً في نصرانيّته

وكذلك المسيّب بن علس من ندماء ملك الحيرة عمرو بن هند كطرفة والمتلمّس وكان خال الاعشى الكبير . وهو القائل يدعو بني عامر الى تُقى الله :

ألا تتقون الله يا آل عامرٍ وهل يتّقي اللهَ الأبلَدُ المصمَّمُ

٥ ﴿شعراء شيبان﴾ شيبان احد بطون بني ثعلبة بن عكابة المذكورين في تواريخ الروم والسريان كنصارى العرب يدعونهم (ܬܠܒܢܝܐ Thalabenses) ويذكرون لهم اساقفةً (راجع المكتبة الشرقيّة للسمعاني ١ : ٢٦٥ ومقدّمتهُ في الجزء الثاني CXI) وقد ذكرنا من شعرائهم اربعةً وهم :

١ جسّاس بن مرّة بن ذهل بن شيبان	شعراء النصرانية	٢٤٦–٢٥١
٢ جليلة اختهُ	«	٢٥٢–٢٥٣
٣ عبد المسيح بن علة	«	٢٥٤–٢٥٥
٤ بسطام بن قيس . . بن ذهل بن شيبان	«	٢٥٦–٢٦٣

جسّاس هو قاتل كُلَيب وانل صهره زوج اختهِ جليلة وكان طليعة قومهِ في حرب البسوس . ونصرانيّتهُ ثابتة من عدّة وجوه ١ً من انتسابهِ الى شيبان . ٢ً من قرابتهِ الى بني تغلب . ٣ً من اعترافهِ بالاله الحقّ وبالبعث في حلفهِ حيث يقول :

اني وربّ الشاعر المزورِ وباعثِ الموتى من القبورِ

ولهمّام اخي جسّاس شعر في المفضّليّات . ولا حاجة لبيان نصرانيّة عبد المسيح بن علة فانّ اسمهُ يشهد لهُ . وقصيدتهُ المرثيّة هنا قد طُبعت مؤخّرًا في جملة المفضّليات (ed. Lyall, p. ٥٥٦ ...) ولم يُذكر هناك عن نسب قائلها الّا كونهُ « اخا بني مرّة ابن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان »

امّا بسطام بن قيس بن مسعود فهو احد فرسان بني شيبان المعدودين في الجاهليّة . قال ابن قيم الجوزيّة في اخبار النساء (ص ٩٨) كان بسطام فارسًا جوادًا عفيفًا . وقال ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٦٧) : قد ربّع الذهليّين واللهازم اثني عشر مرباعًا .

امّا نصرانيّة بسطام بن قيس فقد جاهر بها ابن دريد في الكامل (ص١٣٠) وابن عبد ربّهِ ايضاً في العقد (٣: ٨٨) في اخبار يوم القبيط وقد ورد هنالك اسم الحنيف مع اسم النصراني حيث قال: «ونادى القوم نجّاداً اخا بسطام كُرَّ على اخيك وهم يرجون ان يأسروهُ فناداه بسطام: ان كررتَ فانا حنيف وكان بسطام نصرانيًّا فلحق نجاد بقومهِ» - وقد جاء في الاغاني (١٩: ١٨) ذكر زيق بن بسطام فقال عنهُ انهُ كان نصرانيًّا وذكر ابنتهُ حدراء (١٩: ١٢) قال «تزوّجها الفرزدق وكانت نصرانيّةً»

٣ ﴿قيس بن ثعلبة﴾ اخو شيبان بن ثعلبة. اليهِ ينتسب الحارث بن عبّاد بن ضبيعة رئيس بني بكر في حرب البسوس بعد اعتزالهِ الحرب مدّةً الى ان قُتل ابنهُ بجير. ونصرانيّتهُ تثبت بنصرانيّة شيبان لأن شيبان وقيساً كليهما ابنا ثعلبة بن عكابة

راجع اخبار الحارث في شعراء النصرانيّة (ص ٢٧٠-٢٨١)

٤ ﴿يشكر بن بكر﴾ حيّ كبير من بكر بن وائل يدين بدينها ذكرنا منهُ ثلثة شعراء مُجيدين:

١ الحارث بن حِلِّزة	(شعراء النصرانيّة	٤١٦-٤٢٠)
٢ المنخّل اليشكري	«	٤٢١-٤٢٤
٣ سويد بن ابي كاهل	«	٤٢٥-٤٣٦

الحارث بن حلّزة هو الذي دافع عن قومهِ عند عمرو بن هند ملك الحيرة بمعلّقتهِ الهمزيّة المشهورة مناقضاً لمعلّقة عمرو بن كلثوم. وبهما وقع الصلح بين بكر وتغلب

وكان المنخّل اليشكري من ندماء ملك الحيرة النصراني النعمان بن منذر. امّا سُوَيد بن ابي كاهل فادرك الاسلام ولم يذكر احد اسلامهُ ومن شعرهِ الدالّ على دينهِ قولهُ من عينيّتهِ الشهيرة

كتب الرَّحمانُ والحمدُ لهُ ... سمةَ الاخلاقِ فينا والضَّلَعْ
وإباءً للدنيّات اذا ... أُعطيَ المكثورُ ضيماً فكَنَعْ
وبناءً للمعالي انّما ... يرفعُ اللهُ ومن شاءَ وضعْ
نِعَمٌ للهِ فينا رَبُّها ... وصنيعُ اللهِ واللهُ صنعْ

٥ ﴿علي بن بكر﴾ ذكرنا شاعرين من بني عليّ بن بكر بن وائل وهما:

١ قند الزمّاني	(شعراء النصرانيّة	ص ٣٤١-٣٤٥)
٢ اعشى قيس بن ثعلبة	«	٣٥٧-٣٩٩

كان فِنْد الزِّمّاني سيّد بكر في زمانه وشهد حرب البسوس وحارب مع بني بكر ورئيسهم الحارث بن عبّاد وهو من نصارى اليمامة . وقد روينا شعره في تلك الأيام

واشهر منهُ ميمون بن قيس وهو الاعشى الكبير . وقد نظمناهُ بين الشعراء النصارى ليس فقط لانتمائهِ الى بني بكر النصارى بل لاسباب اخرى منها . ١ً تخرُّجهُ على العباديين ورأيهُ بآرائهم . قال في الاغاني (٨ : ٧٩) : «كان الأعشى قَدَرياً (اي يقول بحرّيّة الانسان في اعمالهِ) . . . اخذ مذهبهُ من قبل العباديين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوهُ ذلك » . ٢ً وكان راوية الاعشى يحيى بن متّى النصرانيّ العباديّ . ٣ً زيارة الاعشى لنجران وكنيستها المعروفة بكعبة نجران ولاساقفتها وامرائها النصارى . قال يكلم ناقتهُ :

وكعبةَ نجرانَ حتّ عليكِ م حتّى تُناخَيْ بأبوابها
تزورُ يزيداً وعبد المسيح وقيساً همُ خيرُ اربابها

٤ً تجوُّلهُ في البلاد النصرانيّة كحمص واورشليم قال :

وقد طُفت للمال آفاقهُ عُمانَ فحمصَ فاورشليمْ
فنجرانَ فالسَّرْو من حميرٍ فاني مُرامٍ لهُ لم ارمْ

٥ً ايمانهُ بالبعث والحساب كقوله :

اذا انتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التُّقى . ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قد تزوَّدا
ندمتَ على ان تكون كمثلهِ فتُرْصد للامر الذي كان ارصدا

٦ً اقتباساتهُ الشعريّة من العادات النصرانيّة كحلفهِ باسكيم الرهبان :

فاني وثوبَيْ راهب اللُّجّ والتي بناها قُصَيّ والمضاضُ بن جرهمِ

قال البكري في معجم ما استعجم (٤٨١) : اللجُّ غدير عند دير هند وقيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام . . ويروى : « وثوبي راهب الطور » . والتي بناها قُصَيّ يعني مكّة » . وهذا كما حلف عديّ بن زيد «برب مكّة والصليب» وحلف الاعشى ايضاً بمثل ذلك فقال :

واني وربّ الساجدين عشيّةً وما صكَّ ناقوسَ النصارى ايلُها

وللاعشى في وصف هياكل النصارى وصلبانها وصورها :

فما مُتلِ بي هل هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

٧ً ذكرهُ للانبياء واحداث الاسفار المقدّسة كقولهِ في نوح وفلكهِ :

جزى الالهُ اياساً خير نعمتهِ كما جزى المرء نوحاً بعد ما شابا
في فلكهِ اذ تبدّاها ليصنعها وظلّ يجمع ألواحاً وابوابا

وقد روينا لهُ ابياتاً في داود النبي وفي سليمان الحكيم وفي المنّ والسلوى وغير ذلك ممّا يدلُّ على معرفتهِ للاسفار الكريمة

٨ً ويؤيد ذلك ذكرهُ لفصح النصارى ومدحهُ لهوذة بن علي الذي فكّ اسرى تميم في ذلك العيد فقال :

هم يقرّبُ يوم الفصح ضاحيةً يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

وكلّ هذه الشواهد لا يمكن تعليلها الّا بان يقال انهُ كان يدين بالنصرانيّة . وقد ذهب الى هذا القول المستشرق ولهوزن حيث قال Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 233 « يظهر انّ احد شعراء الجاهليّة المدرسيّين الاعشى قد كان نصرانيًا » (Einer der klassischen Dichter der Gâhilija, al-A'cha, soll Christ gewesen sein)

٣ ربيعيّون آخرون

اربعة شعراء من ربيعة من غير قبائل بكر وتغلب روينا شعرهم وهم :

١ البرّاق بن روحان	(شعراء النصرانيّة	ص١٤١–١٤٧)
٢ ليلى العفيفة زوجتهُ	«	١٤٨–١٥٠
٣ جرير بن عبد المسيح (المتلمّس)	«	٣٢٠–٣٦٩
٤ المثقب العبدي	«	٤٠٠–٤١٥

هم من احياء مختلفة لا شكّ في نصرانيّتهم . فالبرّاق كما ورد في جمهرة انساب العرب للكلبيّ كان من قرابة المهلهل التغلبيّ وتخرّج على راهب فتعلّم منهُ تلاوة الانجيل ولعلّ دير ابن برّاق الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان اليه ينتسب . والمتلمّس ينتمي الى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار وكفى باسمهِ « جرير بن عبد المسيح » دليلًا على دينهِ . نادم مدّة عمرو بن الهند ثم هرب منهُ الى الشام واجتمع باهلها النصارى وفي ذلك يقول :

حنّت قلوصي جا والليلُ مطرقٌ بعد الهدوّ وشاقتها النواقيسُ

وهو القائل عن تقى الله :

وأعلمُ علمَ حقٍّ غير ظنٍّ وتقوى الله من خير العتادِ

امّا المثقّب العبدي فكان من اسد بن ربيعة يرتقي اليها بعبد القيس بن افصى التي سبق لنا ذكر شيوع النصرانيّة بينها. كان ابوه محصن بن ثعلبة سيّداً خطيراً واحد السعاة بالصلح بين بكر وتغلب كما قال المثقّب :

ابي أصلح الحيَّين بكراً وتغلباً وقد أرعشتْ بكرٌ وخفّ حلومُها

والمثقب دخل على ملوك الحيرة فمدح منهم عمرو بن هند والنعمان بن قابوس

ثانياً شعراء اياد

اياد بن نزار اخو ربيعة. تشعّبت منهُ احياء وفروع متعدّدة شاركوا ربيعة في نصرانيّتهم كما يشهد على ذلك كتبة مسلمون فضلاء كابي نصر الفارابيّ والبكري وابن دريد (اطلب نصوصهم في الصفحة ٢٤) وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان اديرةً بناها بنو اياد كدير السوا ودير قرّة . وفي اخبار البلد الحرام للفاسيّ (ص ١٣٧) انّ كاهناً من اياد اسمهُ وكيع بن سلمة ابتنى صرحاً ليناجي فيهِ الله. قال بشر بن الحجر (البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحنُ اياد عبادُ الالهِ ورهطُ مناجيهِ في السُّلَّمِ

واشهر من عُرف من شعرائهم شاعران ذكرناهما في كتابنا :

١ قس بن ساعدة	(شعراء النصرانيّة	ص ٢١١–٢١٨)
٢ اميّة بن ابي الصَّلْت	«	٢١٩–٢٣٧

قس بن ساعدة هو خطيب العرب الشهير واسقف نجران لا حاجة الى اثبات نصرانيّتهِ. وصفهُ الجارود النصراني العبقسيّ لمحمّد بما رويناهُ هناك (ص ٢١١). هذا مع ما دخل في اخبارهِ من الاقاصيص الغريبة التي رويناها على علّاتها

امّا اميّة بن ابي الصَّلْت وهو من ثقيف بها يرتقي الى اياد فيمكننا بيان نصرانيّتهِ بالادلّة الآتية : ١ كونهُ من اياد التي اثبتنا نصرانيّتها وافتخارهُ بمعارف قومهِ لاسيما

الكتابة وفنّ الكتابة كما سبق تعلّمهُ العرب من النصارى :

قومٌ اباد لو أنّهم أمَمٌ ولو اقاموا تُنهزَلَ النِّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

٢ً كان اميّة من الحنفاء وقد سبق (ص ١١٨—١١٩) انّ الحنيفيّة في الجاهليّة يُراد بها النصرانيّة او شيعة من شيعها واتينا على ذلك بشواهد اسلاميّة . ٣ً اطلاعهُ على الاسفار المقدّسة والانجيل ودرسهُ لها (الاغاني ٣ : ١٨٧) . ٤ً دخولهُ كنائس النصارى واجتماعهُ برهبانها (ص١٨٨) . ٥ً معرفتهُ للُغة السريانيّة لغة نصارى العراق . قال ابن دريد في تاج العروس (٣ : ٢٨٦) : « كان اميّة يستعمل السريانيّة كثيراً لأنهُ كان قد قرأ الكتب » . ٦ً في شعرهِ من مقتبسات الكتب المقدّسة ما تفرّد به كعدّي بن زيد . فانّ لهُ اوصافاً عديدة للاحداث الكتابيّة وللعقائد الدينيّة كوصفه الجليل للعزّة الالهيّة والملائكة والدينونة والجحيم والنعيم وبشارة العذراء ومولد المسيح العجيب ما يدلُّ صريحاً على تنصّرهِ . على انّنا نقرُّ بانّ في اخبارهِ اضطراباً لبُعد عهد الرواة عن زمانهِ

ثالثاً شعراء مضر

لم تنتشر النصرانيّة في مضر بن نزار وقبائلهِ انتشارها في قبائل اخويهِ ربيعة واياد على انّنا وجدنا ايضاً عدّة آثار تنبئ بدخول النصرانيّة في احياء كثيرة منها كبني عُقَيل الذين غلبت عليهم النصرانيّة وبني تميم وعبس وذبيان وقيس عيلان وناجية . وقد اوردنا على ذلك شواهد في ما سبق في باب القبائل المتنصّرة وذكرنا بعض الاديرة المشيّدة بينها

١ بنو تميم

روينا اخبار واشعار خمسة منهم اعني :

١ عدي بن زيد	(شعراء النصرانيّة	ص ٤٣٩—٤٧٤)
٢ الاسود بن يعفر	«	٤٧٥—٤٨٥
٣ سلامة بن جندل	«	٤٨٦—٤٩١
٤ اوس بن حجر	«	٤٩٢—٤٩٧
٥ علقمة الفحل	«	٤٩٨—٥٠٩

عديّ بن زيد باقرار كلّ الكتبة كان نصرانياً من اسرة نصرانيّة في خدمة ملك نصراني من ملوك الحيرة. وفي شعره من الآثار الدينيّة ما لم يُروَ عن غيره الّا عن اميّة بن ابي الصلت. ففيه روايات من الاسفار المقدّسة.. وقد حلف بالشبّر اي القربان وبالصليب. وفي اخباره ذكر دخوله الكنائس الى غير ذلك

وكان الاسود بن يعفر التميمي من سادة قومه ونادم النعمان كعدي بن زيد وعاش بين نصارى الحيرة وكانت بنو عجل النصارى اخواله

وكذلك سلامة بن جندل الذي نشرنا ديوانه سنة ١٩١٠ فانه كالاسود بن يعفر عاش في جهات الحيرة التي كانت عمّت النصرانيّة كلّ انحائها وعاشر قوماً من النصارى كتغلب والباديين وفي شعره تلميح اليهم. ولا اثر لكليهما في قصائدهما الى شيء من الشرك وعلى خلاف ذلك. وردت في شعر سلامة تشابيه واشارات نصرانيّة كذكره لداود النبي وتنويه بمخطوطات النصارى المنمّقة وبملابس الباديين

وقد جعلنا ايضاً اوس بن حجر في جملة النصارى وهو احد الذين اطلقهم من الاسر بسطام بن قيس رئيس شيبان النصراني بعد ظفره بتميم فمدحه اوس لكرمه. ومن تشابيه النصرانيّة قوله يشبّه لمع رمحه بمصباح رئيس النصارى يوم عيد الفصح :

عليه كمصباح العزيز يشبّه لفصح ويمشوه الذبال المفتّلا

وعلقمة بن عبدة التميمي كان مدّاحاً لملوك غسّان النصارى وله محاضرات مع امرئ القيس والزبرقان بن بدر الشاعرين النصرانيّين. وفي شعره اشارة الى كأس قربان النصارى ومفعولها الصالح دون الأذى بشاربها قال في وصفها :

كأس عزيز من الاعناب عتّقها لبعض احيانها حانيّة حوم
تشفي الصداع لا يؤذيك صالبها ولا يخالطها في الرأس تدوم

قال الشارح : « العزيز كبير النصارى وقوله « لبعض احيانها » اي اعدّها لفصح او لعيد »

٢ عبس وذبيان

عبس وذبيان ابوهما بغيض بن غطفان يتّصلان به الى الياس بن مضر بن نزار وقد

وقعت بينهما حروب كما جرت بين بكر وتغلب وقد نوّهنا بولوج النصرانيّة في احيائهما (ص ١٣٤) وقد ذكرنا من عبس اربعة شعراء :

١ الربيع بن زياد	(شعراء النصرانيّة ص	٧٨٧-٧٩٣)
٢ عنترة بن شدّاد	«	٧٩٤-٨٨٢
٣ عروة بن الورد	«	٨٨٣-٩١٦
٤ قيس بن زُهَير	«	٩١٧-٩٣٢

ومن ذبيان اوردنا ترجمتي وقصائد شاعرين وهما :

١ النابغة الذبياني	«	٦٤٠-٧٣٢
٢ الحصين بن الحمام	«	٧٣٣-٧٤٥

الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان من ندماء النعمان بن المنذر ملك الحيرة مع سرجون بن توفيل وغيره من النصارى كما روى صاحب الاغاني وفي ذلك دليل على انه يدين بدينهم وفي اخباره ادلّة على توحيده وكرم أخلاقه

امّا عنترة فكانت امّهُ حبشيّة والحبش نصارى كما هو معلوم . وفي شعره الصحيح والمصنوع آثار عديدة دالّة على توحيده وآدابه ودينه . وفي ذلك ما يدلُّ على نصرانيّته لأنّ التوحيد قبل محمّد لم يشع في جزيرة العرب الّا بفضل النصرانيّة . وزد على ذلك انهُ كان في خدمة الملك زهير وابنه قيس النصرانيّين

وكذلك عروة بن الورد موحّدٌ في شعره ولهُ في اخباره من اعمال الرحمة على الفقراء والمبؤوسين ما لا يُعهد مثلهُ الّا عند من ربوا على التعاليم النصرانيّة فدُعي لذلك عروة الصعاليك وشعرهُ ايضاً يخلو من كل شرك

امّا قيس بن زهير فكان ابوهُ حليف ملوك الحيرة صاهرهُ النعمان فتزوّج ابنتهُ لشرفه وسؤدده . وقد روى ابن الاثير في تاريخه (١ : ٢٤٢) : انهُ بعد حرب داحس والغبراء « تاب الى ربّه فتنصّر وساح في الارض حتّى انتهى الى عمان فترهّب »

وفي شعر النابغة عدّة آثار منبئة بتوحيده وتديّنه وتقاه . وقد مدح ملوك غسّان والمناذرة النصارى وفي ملوك غسّان يقول :

مجلّتهم ذات الالـه ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وهو مديحٌ لا يقولهُ شاعر ما لم يدِنْ بدينهم . وقد ذكر صليب الزوراء في مدحه للنعمان ملك الحيرة النصرانيّ :

ظلّت تقاطع أنعام مؤبّلة لدى صليب على الزوراء منصوب

وقال يذكر المصلّين من الرهبان الذين رافقوا جنازة الملك الغساني النعمان بن الحارث ابي شمر :

فآبَ مصلّوهُ بعَيْنٍ جليّةٍ وغودر بالجَوْلان حزمٌ ونائلُ

ومن آثار عنّته الشاهدة له على دينه النصراني وايمانه بالآخرة قوله :

حيّاكَ ربّي فانّا لا يَحِلُّ لنا لهْوُ النساء وانّ الدينَ قد عَزما
بمُشمَرين على خُوصٍ مُزمّلةٍ نرجو الاله ونرجو البرّ والطُّعُما

وفي اعتقاده لعزّة الله وجلاله يقول :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

وقد ذكر في شعره الانبياء كداود وسليمان . كقوله في داليّته التي مدح بها النعمان :

الا سليمان اذ قال الاله لهُ قُم في البريّة فاوْدِعْها عن الفَنَدِ
فمن أطاعك فانفعهُ بطاعته كما اطاعك وادلُلْهُ على الرشدِ

وكان الحصين بن الحمام ذبيانيًا ايضاً . وفي ترجمته انهُ كان يؤمن بالله ويقرّ بالبعث وبعواقب الانسان من نعيم وجحيم فقال من ابيات وهو نعم القول (اغاني ١٢ : ٦)

فلم يبق من ذاك الا التُّقى ونفسٌ تعالج آجالها
امورٌ من الله فوقَ السماء مقاديرُ تُنزَلُ إنزالها
اعوذُ بربّي من المخزيا ت يوم ترى النفسُ أعمالها
وخفّ الموازينُ بالكافرين وزُلزلت الارضُ زلزالها
ونادى منادٍ باهل القبور فهبّوا لبُعثرَ أثقالها
وسُعّرت النارُ فيها العذابُ فكان السلاسلُ اغلالها

ومن بني قيس عيلان من غير عبس . وذبيان ذو الاصبع العدواني ينتمي الى عدوان بن عمرو بن سعد بن عيلان . وقد أنسنا في شعره من الآداب والحكم ما يدل على الترجيح بنصرانيّته مع خلوّه من كل اثر للشرك . فهو يذكر الله وقدرته على كلّ ما يشاء . وفي قومه عدوان قد أحصى سبعون الف غلام أغرل . كما روى

صاحب الاغاني عن الاصمعي (٣:٢) وقد رأينا في اهمالهم للختانة اثرًا لنصرانيّتهم

٣ شعراء هوازن

هوازن يرتقي نسبُها الى خصفة بن قيس عيلان بن الياس بن مضر ادرجنا اثنين من شعرائها في جملة شعراء النصرانيّة وهما :

١ كعب بن سعد الغنوي	(شعراء النصرانيّة	ص٧٤٦-٧٥١)
٢ دريد بن الصمّة	"	٧٥٢-٧٨٣

في شعر كعب بن سعد من الحكم والعواطف اللّيّنة والحنان ما دفعنا الى ضمّه الى شعراء النصرانيّة . ثم انّ اخاهُ ابا المغوار قُتل في حرب ذي قار التي كان اكثر محاربيها من القبائل النصرانيّة

امّا دريد بن الصمّة فانهُ كان سيّد قومهِ بني جُشم وفارسهم ادرك الاسلام وحارب محمّدًا وانصارهُ يوم حنين . وفي شعرهِ من الايمان بالله وذكر الانبياء ما ينفي عنهُ الشرك ويدلُّ على انهُ اخذ ذلك عن النصارى . وكان اخوهُ يدعى عبدالله وفي اسمهِ شاهد على دينهِ . وقد مدح في شعرهِ بني الدّيّان نصارى نجران

٤ مضريّون آخرون

هم اربعة نظمناهم في سلك كتابنا يرتقي نسبهم الى الياس بن مضر بن نزار :

١ زهير بن ابي سلمى	(شعراء النصرانيّة	ص٥١٠-٥٩٥)
٢ عبيد بن الابرص	"	٥٩٦-٦١٥
٣ ورقة بن نوفل	"	٦١٦=٦١٨
٤ زيد بن عمرو بن نُفَيل	"	٦١٩-٦٢٢

زهير صاحب المعلّقة الميميّة الشهيرة ومادح السيّدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين سعيا باصلاح قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب داحس والغبراء . كان مؤمنًا بالله وبيوم الدين والحساب ومن اقوالهِ في ذلك قولهُ للمتحاربين ليتركوا كلّ ضغينة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليُخفى وما يُكتَم الله يَعلَمِ
يؤخَّرْ فيوضعْ في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقَمِ

وقال ايضاً :

بدا لي انَّ الله حقٌّ فزادني الى الحقّ تقوى الله ما كان باديا

وهو القائل :

تزوّد الى يوم الممات فانّه ولو كرهتْهُ النفسُ آخرُ موعدِ

وقدّمنا انّ الايمان بالله وبالحساب قبل الاسلام يُشعر بنصرانية قائلهِ . وهو ينسب الى الله في شعرهِ الحكيم في خلائقهِ مع وجودهِ الى الابد . وكذلك اشار في قصائدهِ الى امور من الكتاب المقدّس كذكرهِ لفرعون وداود

عبيد بن الابرص احد الشعراء الوافدين على ملوك غسّان وكندة النصارى وقد مدحهم بشعرهِ . وفي ديوانهِ ما ينبئ بتوحيدهِ وتقاهُ واعتقادهِ للآخرة . كقولهِ في بائيّتهِ الشهيرة : .

مَنْ يأتِ الناسَ يحرموهُ وسائلُ الله لا يخيبُ
بالله يُدرَكُ كلّ خيرٍ والنول في بعضِ تالبُ
والله ليس لهُ شريكٌ علّامُ ما اخفتِ القلوبُ

وكثيراً ما ينسب اليهِ تعالى القدرة والبقاء والعلم . فمن قولهِ :

وليَفْنَيَنْ هذا وذاك كلاهُما الّا الالهَ ووجهَهُ المعبودا

وذكر ايضاً في شعرهِ النبيّ داود

امّا ورقة بن نوفل فلا خلاف في نصرانيّتهِ فانّ عامّة الكتبة المسلمين يقرّون بذلك كابن قتيبة في المعارف وابن هشام في سيرة الرسول وقد روينا ما قالهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني . ومثلهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٥ : ٤٣٦) قال « انّ ورقة كان امرأ تنصّر في الجاهليّة يكتب الكتاب العبرانيّ ويكتب من الانجيل ما شاء الله ان يكتب » وكان ورقة ابن عمّ خديجة زوجة رسول الاسلام . وفي شعرهِ ما يثبت صحّة دينهِ

امّا زيد بن عمرو بن نُفَيل فيقال عنهُ انهُ خلع عبادة الاوثان واجتمع بالاحبار والرهبان وضرب في البلاد يطلب الحنيفيّة دين ابرهيم . وعندنا انّ هذه الحنيفيّة هي احدى شيع النصارى . ولو قابلتَ بين شعرهِ وشعر ورقة وجدت بينهما شبهاً تامّاً في كلّ معانيهما وزهدهما وايمانهما بالاله الواحد وبالبعث والخلود للابرار في دار النعيم وللكفّار في نار الجحيم

رابعاً شعراء اليمن من بني كهلان

في القسم الاوّل من كتابنا خصصنا عدّة صفحات لبيان نفوذ النصرانيّة في اليمن منذ القرون الاولى للنصرانيّة ولاسيّما بعد انفجار سدّ مأرب بين القبائل المتنقلة الى شمالي جزيرة العرب وغربيّها وجنوبها الشرقي فلا حاجة الى تكرار ما اثبتناهُ عن تنصُّر كندة وقضاعة وغسّان والمناذرة . وقد روينا اخبار بعض الشعراء من قبائل يمنيّة اعني كندة ومذحج وطيّ .

١ شعراء كندة

اشعر شعراء كندة بل رأسهم وزعيمهم امرؤ القيس الكندي . روينا اخباره بعد ان قدّمنا عليها اخبار اعمامهِ

١ اعمام امرئ القيس (شعراء النصرانيّة ص ١–٥)
٢ امرؤ القيس بن حجر « « ٦–٦٧

قد سبق لنا في المشرق مقالةٌ مطوّلة رددنا فيها على مزاعم الاب انستاس الكرملي الذي ادّعى ان امرؤ القيس كان مزدكيًّا فكتب عن ذلك فصلين اثبتناهما في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٨٨٦ و ٩٤٩) فابطلنا زعمهُ واثبتنا نصرانيّة امرئ القيس بعشرة براهين (٨ : ٩٩٨–١٠٠٦) : ١ً تفنيدنا لمن زعم انهُ كان وثنيًّا او مزدكيًّا (٩٩٩–١٠٠٢) . ٢ً خارَ شعرهِ من آثار الشرك وعبادة الاصنام . ٣ً عدّة ابيات من قصائدهِ تصرّح بتوحيدهِ واقرارهِ بالبعث والنشور . ٤ً اشارات واضحة الى شؤون النصارى وعاداتهم ورهبانهم وزبورهم سبق ذكرها . ٥ً انتشار النصرانيّة في كندة قبيلة امرئ القيس كما اعلن ذلك عبد المسيح الكنديّ في معارضتهِ للهاشميّ حيث يذكر شرف كندة ويفتخر بدينها المسيحيّ . ٦ً خروج امرئ القيس الى قيصر الروم يستنجدهُ على قتلة والدهِ حُجر . وما كان امرؤ القيس ليفكّر في ذلك اولا رابطة الدين بينهُ وبين ملك الروم الذي كان في ذلك الوقت يُدعى يوستنيان العريق في دينهِ النصرانيّ . ٧ً كانت عمّة امرئ القيس هندٌ بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى وهي زوجة المنذر بن ماء السماء ووالدة عمرو بن هند التي عمّرت الدير المنسوب اليها في الحيرة وعلّقت عليها كتابة تدعو فيها نفسها « أمّة المسيح وامّ عبدهِ

وبنت عبيدهِ » وبذلك تثبت ايضاً نصرانيّة اعمام امرئ القيس الذين ذكرناهم ٨ . وكذلك امّ امرئ القيس هي فاطمة اخت المهلهل وكليب من قبيلة تغلب النصارى . ٩ وقد روينا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٠٠٥) ما نقلهُ فوطيوس في مكتبتهِ عن الاصل اليوناني للمؤرخ تنُّوز الذي ارسلهُ يوستنيان الملك سفيراً الى الحبشة والى امرئ القيس الكندي ليولّيهُ على مقاطعات فلسطين (١ . وفيها من الشواهد على نصرانيّة امرئ القيس ما لا يُنكر . ١٠ وشفعنا اخبار تلك السفارة بذكر سفارة اخرى رواها المؤرخ بروكوب الشهير في كتابهِ عن الحرب الفارسيّة (Procope, B.P.,I..20) قال انها عُهدت الى يُليان من قبل ملك الروم الى الحبشة والحميريين ليجعلوا الملك على قبائل معدّ في يد امرئ القيس الذي كان في ذلك الوقت شارداً بين القبائل ويقول عنهُ بروكوب « انهُ كان احد رؤساء القبائل من نسل كريم وذا بطش في الحرب » وقد اثبتنا كلامهُ بالحرف في الاصل اليوناني

٢ شعراء مَذْحِج

مذحج قبيلة يمنيّة كبيرة كانت تسكن جنوبي العرب في جهات نجران وفيها انتشرت النصرانيّة على يد احد دُعاتها الذي يدعوهُ العرب فيمون . ومنها كان شهداء نجران في عهد ذي نوّاس . واليها ينتمي بنو الحارث بن كعب سادة نجران النصارى بُناة الكنائس وكعبة نجران (راجع الصفحة ١٣٩) . وقد اخترنا من شعراء مذحج ثلثة وهم :

١ الافوه الاودي	(شعراء النصرانيّة	ص٧٠–٧٤)
٢ عبد يغوث	«	٧٥–٧٩
٣ يزيد بن عبد المدان	«	٨٠–٨٨

كان الافوه الاودي سيّد قومهِ وفي شعرهِ من الحكم ما يدلُّ على حصافة رأيهِ وحسن نظرهِ وآدابهِ . ومثلهُ عبد يغوث كان فارساً مغواراً . امّا يزيد بن عبد المدان فكان من اشراف اليمن وسيّد مذحج من بني الدّيان الذين مدحهم الاعشى لجودهم وعزّهم . ولا حاجة لاثبات نصرانيّتهم مع شهرتها

١) اطلب اعمال الآباء اليونان (Migne, PP. GG., CIII, col. 46-48)

٣ شعراء بني طيْ

طيْ احدى القبائل اليمنيّة التي صرّح كتبة العرب بنصرانيّتها قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) : « تنصّر من احياء العرب من اليمن طيّ ومذحج » راجع ادلّة اخرى اثبتناها في ما سبق (ص١٣٢) وقد اخترنا من شعراء طيْ الاربعة الآتي ذكرهم :

١ حنظلة الطائي	(شعراء النصرانيّة	ص ٨٩–٩٢)
٢ قبيصة بن النصراني	«	٩٣–٩٧
٣ حاتم الطائي	«	٩٨–١٣٤
٤ اياس بن قبيصة	«	١٣٥–١٣٨

حنظلة الطائي هو ذاك الوافد على النعمان يوم بؤسهِ وفاء بوعدهِ اذ رجع ليُقتَل بعد غيبتهِ . وكان قيامهُ بوعدهِ لاجل دينهِ النصراني داعياً لتنصُّر النعمان . ومات بعد ان ترهّب في الدير الذي ابتناهُ على نفقتهِ

قبيصة بن النصراني احد بني جَرْم المشهورين بنصرانيّتهم في طيْ . ذكرهُ مرارًا ابو تمّام في حماستهِ . ويدلُّ اسمهُ على دينهِ

وكذلك حاتم الطائي نصرانيّ لا شكَّ فيهِ . فانَّ ايمانهُ بالالـه الواحد وبالبعث والنشور واشاراتهُ الى بعض امور النصرانيّة تثبت امر دينهِ . وفي سيرته من آثار العفّة والكرم ما هو موافق للروح النصراني ولعلّهُ اقتبس من الانجيل قولهُ :

كُلوا اليوم من رزق الاله وأيسروا وانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غـدا

وقد صرّح الكتبة بنصرانيّة ابنهِ عدي الذي وفد على محمّد وقيل انهُ أسلم . وذكر صاحب دائرة العلوم الاسلاميّة (Encyclopédie de l'Islam, p. 138) في ترجمة عديّ بن حاتم انَّ الأب والابن كانا نصرانيّين . وسبقهُ الى ذلك غانيار (Gagnier) في سيرة محمّد الافرنسيّة

امّا اياس بن قبيصة فهو ابن اخي حنظلة الذي كان وفاؤهُ داعياً لتنصُّر النعمان . وكانت امّهُ اخت هانئ بن مسعود رئيس بني شيبان النصارى . وكان اياس من اشراف الحيرة . ولم يعدلوا عن دينهم لمّا ظهر الاسلام فانَّ الطبريّ يخبر في تاريخهِ (١ : ٢٠١٨) انهم فضّلوا دفع الجزية مع البقاء على دينهم النصراني

٤ شعراء كلب

انّ نصرانيّة كلب المنتمية الى قضاعة ممّا لا يختلف فيه اثنان (راجع الصفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتابنا) ولم نذكر من هذه القبيلة غير زهير بن جناب الكلبي القضاعيّ. ولّاه ابرهة على بكر وتغلب كما روينا (ص ٢٠٦ من شعراء النصرانيّة) وذلك بسبب نصرانيّته ونصرانيّة بكر وتغلب. وكذا يقال عن دخوله على ملوك غسّان وبني لخم. وجاء في تذكرة ابن حمدون (نسخة برلين ص ٢١٥) «انّ زهير بن جناب كان سيّدًا مطاعًا شريفًا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم تجتمع في غيره من اهل زمانه كان سيّد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائدهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم (والطبّ في ذلك الزمان شرف) وجارى قومه الى كاهنهم وكان فارس قومه وله البيتُ فيهم والعدد منهم» ثم يورد وصاتهُ لبنيه يحرّضهم فيها على الثقة بالله

وبزهير بن جناب ختام فصلنا هذا الذي قدّمنا فيه الدلائل على نصرانيّة الشعراء المذكورين في كتابنا وبه ايضاً نجاز كتاب «تاريخ النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة». ونكرّر ما قلنا سابقاً انّنا (اوّلًا) ذكرنا من شعراء الجاهليّة الذين صرّح الكتبة بدينهم النصرانيّ. (ثانياً) حقّقنا نصرانيّة كثيرين منهم بنصرانيّة قبائلهم ومخلوّ شعرهم من آثار الشرك وبتوحيدهم لله واعتقادهم بخلود النفس والثواب والعقاب وباشاراتهم الى دين النصارى وكلّ ذلك لا يمكن تعليلهُ بين عرب الجاهليّة الّا بنفوذ النصرانيّة. (ثالثاً) اخذنا اسم النصرانيّة بمعناه الواسع سواء كان الشعراء من تبعته المستقيمي الايمان او من شيعه الضالّة كالاريوسيّة والنسطوريّة واليعقوبيّة. (رابعاً) لسنا لندّعي انّ هؤلاء النصارى جروا في سيرتهم بكل حرص على نواميس النصرانيّة لاسيّما في امر الطلاق وفي غزواتهم واخذهم بالثأر على خلاف التعاليم النصرانيّة. وانّما تبعوا في ذلك سُنن عرب البادية واقتفوا آثارهم. وتقلّدوا عاداتهم. والعادة كما يُعرف طبيعة ثانية يصعب استئصالها وقهرها. (خامساً) وان وجد احد في بعض اقوالنا شططاً فماذ الله ان نكابر الحقّ ان بيّنهُ لنا ارباب الفضل والعلم. وليس الكمال الّا لله

وسنلحق كتابنا هذا ببعض فوائد واصلاحات وفهارس نطبعها على حدة ان شاء الله

مطبوعات شرقية جديدة

W. Riedel : Untersuchengen zu den Tell-el-Amarna - Briefen . *Tübingen,* 1920, *p.* 31

ابحاث في رسالات تلّ العمارنة

هذه الكتابة جديرة بالاعتبار قد خصّها كاتبها في ابحاث مهمّة لتاريخ سوريّة كنّا خضنا فيها في المشرق في كتابنا المعنون بتسريح الابصار (١ : ٣١ و ٧٢—٨١) ومدار هذا التأليف الجديد اوّلاً على بيان بعض المعلومات المنوطة بتاريخ رسالات تلّ العمارنة ثم على تعريف بعض الامكنة المذكورة في تلك الآثار الجليلة . على انّ الامر لا يخلو من الصعوبات . مثال ذلك انّ المؤلف المسيو ريدل يجعل « كتا » شمالي سوريّة ويزعم انّ توئيب او ذونيب في حصن الاكراد وكنّا سبقنا قبلاً وعرضنا لتعيين هذين المحلّين نواحي دمشق اعني قطّنا قريباً منها وذنبة في انحائها . وقد ورد اسم ذنبة على صورة Dennaba في الرحلة المنسوبة الى القديسة سيلفيا . وفي لفظ الاسماء والدلالات الجغرافيّة ما يؤيّد رأينا . وعلى كلّ حال نثني على واضع هذه الابحاث التي نالت له امتيازات الملفنة فنهنئه

الاب ه . لامنس

DER PHILOSOPHISCHE UND RELIGIOESE SUBJECTIVISMUS GHAZALIS . Ein Beitrag zum Problem der Religion *von Dr J. Obermann*

شوريّة الغزّالي الفلسفيّة والدينيّة

قد كثرت في هذه الحقبة الاخيرة الكتابات والدروس على الإمام ابي حامد الغزّالي فكثيرون من المستشرقين في المانية (كغولدتسيهر) وفرنسة (كارا دي ڤو) واميركة (مكدونلد) واسبانية (آسين پلاسيوس) اتّسعوا في تعريف مذهبه وآرائه الدينيّة والفلسفيّة . وقد عُرف الغزّالي كاحد زعماء الصوفيّين واكبر السُّماة في الاسلام ببيان الاتّفاق بين العقل والدين . وقد تقلّب كثيراً في آرائه وبعد أن عدل مدّة الى الارتياب في كلّ المعارف الوضعيّة التجأ الى مذهب النسك والزهد ليحصل بهما على المقامات اللدنيّة ويرتقي منها الى التوحيد والمعرفة والحلول . وقد ردّ على فلاسفة الاسلام وعلماء علم الكلام والفقهاء في زمانه وأيّد الطريقة الصوفيّة وادخل فيها

كثيراً من نسكيّات النصارى والهنود . وتآليفهُ عديدة جدًّا اخصّها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة ومشكاة الانوار ومقاصد الفلاسفة والمنقذ من الضلال والقسطاس ورياضات النفس وضمّ الدنيا والفقر والزهد وكتاب التوحيد وقطب القلوب الخ . ودرسُ هذه التآليف يستدعي زمناً طويلاً لتعريف آراء الغزالي وادراك مقاصده المتنوّعة . وها هوذا كتاب جديد في ذلك للدكتور اوبرمان من اساتذة كليّة همبورغ دعاهُ بشموريّة (Subjectivismus) الغزالي يريد بهِ تشييد الغزالي لمذهبهِ الصوفيّ على اعتقاد الايمان الباطني (Fidéisme) ووحي الله نافياً العلم المبني على الفلسفة النظريّة التي لا يمكنها اثبات الحقائق الدينيّة دون التقرُّب الى الله بالزهد . وقد تتبّع صاحب الكتاب اخصّ مدّعيات الغزالي الفلسفيّة والدينيّة ليبيّن ما تؤدي اليهِ اخيراً من الركون الى النور الداخلي المكتسب بالتوحيد والحلول . فلا شكّ انّ هذا الكتاب من شأنه ان يكشف كثيراً من معتيات التصوُّف ومذهبهِ الملتبس الذي زيّفهُ كثيرون من الائمّة . وقد احسّ الغزالي بذلك اذ رأى تطرُّف بعض الصوفيين الذين جاهروا بدعوى الاتحاد مع الله سبحانهُ وتعالى كحسين الحلّاج ويزيد البسطاميّ وفيهم يقول الغزالي : « مَن نطق بشيءٍ من هذا فقتلهُ افضل في دين الله من إحياء عشرة » ل . ش

PAN-ISLAM by G. Wyman Bury, *Macmillan and Co*, 1910. *pp*. 212

الرابطة الاسلاميّة

وضع هذا الكتاب المتع احد قدماء المستعمرين من الانكليز الذين اختلطوا بالعالم العربي وعرفوا احوالهُ . بيد انّ المؤلف ربّما استطرد عن الموضوع فخاض في اطرافهِ اكثر منهُ في بواطنهِ . فتراهُ يفصّل حوادث مصر وجزيرة العرب وما جرى في الحرب الاخيرة من الانقلاب السياسي في الحجاز وهو يشعر في مطاوي كلامهِ باعتبارهِ للامير فيصل لكنّهُ يرى غلوّاً ظاهراً في ما كتبتهُ الصحائف الانكليزيّة عن مآثر اهل البادية في الحرب . وفيهم يقول (ص ١٣٢) « انهم مشوا الى الحرب تحت قيادة الضبّاط الاوربيّين على شبه بنات آوى التي تتبع الأسد لتغتذي بفضلات صيدهِ » وقال في محلّ آخر (ص ١٣١) : « انّ الحجاز لا تقوى مطلقاً على ان تبسط حكمها على أمم ارقى منها حضارةً » . وكذلك يقرّ (ص ١٥٣) بانّ كل مساعي المبشّرين البروتستانت

ولاسيّما الاميريكيين لتنصير المسلمين ذهبت سدًى . وخلاصة القول انّ الذي يطالع هذا الكتاب لا يستفيد منهُ ما اعلن بايضاحهِ في عنوان الكتاب اي بيان الرابطة الاسلاميّة في جهات المعمور لكنّهُ يجتني من مطالعتهِ عدّة معلومات مفيدة علاقتها مع الموضوع بعيدة او قريبة ليس ألّا ومن هذا القبيل يستحقّ الكتاب ان يطالعهُ القرّاء لاسيّما ان الكاتب خفيف الروح يحسن بسط الامور فيلتذّ القارئ بتسريح النظر في كتابتهِ دون سأم الاب هنري لامنس

Ad-Dahîrat as-Saniyya: CHRONIQUE ANONYME DES MÉRINIDES. Texte arabe publié par Mohammed Ben Cheneb, *Alger, Bastide-Jourdan*, 1921, *pp.* 232

الذخيرة السنيّة في تاريخ الدولة المرينيّة

هذا التاريخ نشرهُ الاديب محمّد بن شنب من اساتذة مدرسة الجزائر في جملة مطبوعات كليّتها في القسم الآداب منها وهو لكاتب مجهول الّا انهُ كما يظهر قريب العهد من الامور التي يذكرها . والكتاب يشتمل على اخبار احدى الدول التي احتلّت المغرب الاقصى واستولت على مرّاكش واتّصل ملكها مدّةً الى الجزائر نريد بها دولة بني مرين من قبائل زناتة الراقي اصلها الى ابي محمّد عبد الحقّ الذي انتصر على دولة الموحّدين في اوائل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح ثم خلفهُ اربعة من اولادهِ ثمّ حفدائهُ ولم يزل نجمهم في صعود الى ان تقلّص ظلّهم بعد ثلثة قرون فخلفتهم الدولة السعديّة . امّا التاريخ الذي نحن في صددهِ فانهُ يتناول سبعين سنة فقط من اخبار الدولة المرينيّة ويذكر كثيرًا من الامور التي قلما تجدها في غيرهِ عن تلك الانحاء البعيدة مع ذكر اهمّ الحوادث التي وقعت في غير انحاء الاسلام . وقد علّق ناشر الكتاب عليهِ بعض الحواشي ولاشكّ انهُ سيتبعهُ عمّا قليل بترجمتهِ الى الافرنسيّة ويقدّم عليهِ المقدّمات المفيدة لتعريف اصلهِ وفصله . وقد اكتفى بان يختم هذا الجزء بفهارس الاعلام للاشخاص والامكنة وجدول قوافي الابيات الواردة في الكتاب

Pierre Guilloux s j. : L'AME DE S'AUGUSTIN. J.de Gigord.éditeur. 15, rue Cassette. Paris, 1921. pp. 384

نفس القديس اوغسطينوس

قليلون هم الرجال العظام الذين طبّق ذكرهم المعمور وصبر اسمهم على تقلّبات

الدهر . ولا شكّ ان القديس اوغسطينوس اسقف مدينة بونة في افريقية احد هؤلاء النوابغ فانّ فضائلهُ السامية ومآثرهُ العديدة وخدمهُ المشكورة للدين والدنيا مما لا تزال موضوع الاعجاب والاندهاش لكل من يمعن فيها النظر . وقد كتب كثيرون في وصف سيرتهِ واعمالهِ . والكتاب الذي نحن بصددهِ يزيدنا بهِ معرفةً وهو لاحد الآباء اليسوعيين الاب كويليو الذي تمعّن في درس المجلّدات الضخمة المشتملة على تآليف القديس اوغسطينوس في كافة علوم زمانهِ الدينيّة والدنيويّة فاستخرج منها معلومات دقيقة مما عنها اصحاب السير القديمة ومن شأنها ان تمثّل لنا على احسن منوال نفس القديس اوغسطينوس وافكارهُ وعواطفهُ منذ اوّل حياتهِ قبل رجوعه الى الله حتى آخر انفاسهِ بعد ان اصبح كالسراج الموضوع فوق المنارة وصار العالم كلهُ يستضيء بانوارهِ الساطعة ويعتبرهُ كسند الكنيسة ومطرقة الهراطقة وافضل راعٍ لسياسة المؤمنين وادلّ دليل وأهدى مرشد للضالّين . ولعلّ اهل وطننا عرفوا شيئاً من ذلك بمطالعة ما عُرّب من كتاباتهِ كتأملاتهِ ومناجياتهِ لله واعترافاتهِ الّا انهم سوف يقتبسون ما يفوق على كل ذلك باستطلاع هذا السفر الجليل

الرحلة السوريّة في الحرب العموميّة سنة ١٩١٦

بقلم الخوري بطرس خويري

طبع في مصر بعناية يوسف توما البستاني سنة ١٩٢١ (ص ٩٦)

ذكرنا سابقاً (ص٧٢) قصّة الطبيب الطريد وما حدث لهُ من المصائب المتنوّعة اذ فرّ من ظلم الاتراك . ودونك كتاباً آخر ينبئنا بما دهم كاهناً شهماً قدّم نفسهُ في مصر ثاني سنة الحرب للمفوّضيّة الفرنسويّة البحريّة ليأتي لها بكل المعلومات عن احوال لبنان وسوريّة لتكون على أُهبة احتلال البلاد . فتمكّن من النزول الى سواحل الشام وطاف في لبنان وجهات دمشق وحمص والبقاع حتّى احسّ بهِ العدوّ وترصّدهُ وكاد يذيقهُ مرارًا سجال غضبهِ لولا ما اظهرهُ الكاهن من رباطة الجأش والصبر على البلايا حتّى تمكّن من ادراك غايتهِ وعاد سالماً الى مصر . ومع ثنائنا على نشاط هذا الكاهن وتفانيهِ في سبيل وطنهِ وجدنا في تعرّضهِ لهذه المخاطر ما لم يناسب كثيرًا دعوتهُ الكهنوتيّة لتداخلهِ في السياسة كما انّهُ كان الاحرى بهِ ان يتحاشى في روايتهِ بعض الاوصاف المخلّة بشرف الاكليروس

ل . ش

غليوم الثاني امبراطور المانية السابق

بقلم كريم خليل ثابت

طُبع في مصر بعناية يوسف توما البستاني سنة ١٩٢١ (ص ٧٢)

انَّ حياة الامبراطور الالماني السابق غليوم الثاني اشبه برواية مفجعة ذات خمسة فصول كان ختامُها في آخر الحرب الكونيَّة حيث سقط ذاك العاهل عن مرتبتهِ بعد العظمة والجاه واصبح نسياً منسيًّا خامل الذكر بعد سقوط ستار المسرح. فهذه الرواية التامَّة الادوار يحسن الآن تفصيل تقلُّباتها لما بين اوائلها واواخرها من الروابط . وهذا ما سعى بهِ كريم افندي خليل ثابت بهذا الكتاب الذي جمع فيهِ ما يُعرف عن ذاك الرجل العظيم منذ اوائل حياتهِ الى ان تبوَّأ دست السلطنة فكادت الارض تهتزُّ لاوامرهِ حتَّى اضطرَّ اخيراً بعد إشعارهِ نار الحرب وخوضهِ معامعها الى ان يتنازل عن عرشهِ ويفرَّ هارباً بنفسهِ الى هولندة حيث لايرى ولا يسمع الَّا من يُنحي اليهِ باللائمة لما اوقع في العالم من الشرور والآفات . فهذا الكتاب مع صغر حجمهِ من افضل ما تقرأهُ الناشئة لتقف على تدبير الخالق لامور العالم وملوكهِ ل . ش

كتاب الكتَّاب لابن دُرُستويهِ

نشرهُ واضاف اليهِ اللحوظات والفهارس الاب ل . شيخو

طُبع في المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيِّين في بيروت سنة ١٩٢١ (ص١١٤)

هذا اثر قديم يرقى الى القرن الرابع للهجرة وضعهُ احد مشاهير اللغويين كان صبر على آفات الدهر فسلمت منهُ نسخة مصونة في مكتبة اوكسفرد الشرقيَّة كان استنسخها الحلبيّ الشهير المرحوم رزق الله حسُّون فوقعت نسختهُ في يدنا فنشرناها تباعاً في المشرق ثم طبعناها على حدة واضفنا اليها اللحوظات والفهارس تقريباً لاجتناء فوائدها . وما رآهُ منها القرَّاء في هذه المجلَّة يغنيهم عن وصفها وبيان خواصها .

تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها الى الآن

تأليف حنَّا اسعد فهمي

نُشر بعناية يوسف توما البستاني في مصر سنة ١٩٢١ (ص٣٥٦)

مؤلف هذا الكتاب «حائز دبلوم الليسانس في الحقوق في جامعة باريس» وذلك مما يوثقنا بمعارفهِ الفقهيَّة . وكنَّا وددنا لوضع تأليفٍ مثل هذا ان يكون دكتوراً في

الفلسفة ليحسن انتقاد آراء الفلاسفة الذين يذكر تاريخهم ولولا ذلك لصار كتابهُ عثرةً للقرّاء وهم يرون كل ما خطر في عقول البشر من المزاعم الغريبة منها غثٌّ ومنهـا سمين بينها الباطل واليقين فلا يعرفون ان يميّزوا بين المتناقضات . وهذا اوّل ما نأخذهُ على هذا التأليف انَّ صاحبهُ لم ينبّه القرّاء على الاقلّ بكلمة انتقاديّة عن سخافة بعض آراء الاقدمين او سفاسف فلاسفة العصور المتأخرة المعادين لـلاديان كفولتير واصحابهِ وكالالمان البروتستانت والانكليز الماديّين . وقد ظهر لنا انَّ المؤلف قد ركن الى اقوال الفرنج دون ان يتحقّق صحّتها وقد نقل احكامهم حتّى في فلاسفة العرب ولم يطّلع هو عليها في مظانّها . وقد تأكّدنا مرارًا انّهُ لم يُحسن ادراك ما قرأهُ في الكتب الاوربيّة فعرّبها تعريبـاً لا يوافق لمراد الكتبة وروى كثيرًا من الالفاظ الاجنبيّة بالغلط . ولولا ضيق المجال لاتّسعنا في بيان كلّ ذلك لا في صفحة واحدة بل في مقالة مشبعة وان شاء الله نفعل في فرصة اخرى ل.ش

﴿ مجلّات سوريّا المرسلة الى المشرق بعد الحرب على حروف المعجم ﴾

— رسالة السلام — : مجلّة مارونيّة لبنانيّة نشرها في بيروت حضرة الخوري انطون عقل سنة ١٩١٩

— رسالة قلب يسوع — : ظهرت سنة ١٩٢٠ في مطبعتنا الكاثوليكية تحت ادارة احد الآباء اليسوعيين

— زهرة الجبل — : مجلّة ادبيّة روائيّة اخلاقيّة تاريخيّة فكاهيّة يصدرها صاحبها جميل افندي البحري في حيفا منذ شهر ايّار ١٩٢١ مرّتين في الشهر

— الشعلة — : كان ظهورها في حلب في آب من العام الماضي وهي مجلّة ادبيّة فنيّة اقتصاديّة لصاحب امتيازها فتح الله افندي قسطون

— الفجر — : مجلّة نسائيّة اصدرتها الآنسة نجلا ابي لمع في بيروت سنة ١٩١٩

— الفوائد — : مجلّة علميّة ادبيّة اقتصاديّة اخباريّة استأنف نشرها في نيسان الماضي صاحب جريدة الاحوال الفاضل في بيروت خليل افندي البدوي

— مجلّة الرابطة الادبيّة — : اصدرتها في ايلول الماضي جمعيّة الرابطة الادبيّة في دمشق

— مجلّة العرفان — : عادت الى الحياة بعد الحرب فدخلت في سنتها السادسة ثمّ السابعة ينشئها في صيداء حضرة الكاتب احمد افندي عارف الزين

— مجلّة العلوم — : ظهرت في تموز من العام المنصرم في دمشق لمنشئها ومديرها عبد اللطيف الفلاحي

— المجلّة القضائيّة — : لصاحبها ومديرها يوسف افندي ابرهيم صادر ظهر اوّل اعدادها في نيسان الماضي في مطبعتهِ العلميّة في بيروت

— مجلة المجمع العلمي العربي : تصدر في دمشق الشام وينشئها نخبة من الادباء تحت نظارة مدير المعارف ورئيس المجمع العلمي العالم الفاضل محمد افندي كرد علي

— المسرة : مجلة بطريركية الروم الكاثوليك يديرها حضرة الآباء المرسلين البولسيين. تطبع في حريصا (لبنان) . عادت الى الوجود بعد الحرب السنة ١٩٢٠

— المعارف : مجلة شهرية عامة لصاحبها وديع افندي نقولا حنا. تطبع في الشويفات دخلت في السنة الخامسة من عمرها

— النجاح : مجلة علمية ادبية مذهبية تاريخية عمرانية تصدر في دمشق الشام منذ اول السنة الحاضرة لصاحب امتيازها الياس خليل ترتر ورئيس تحريرها فؤاد الخياط

شذرات

— شهادة كاتب على زلازل صقلية سنة ١٧٨٣ — ذكر التاريخ انّ زلازل هائلة دهمت بلاد صقلية سنة ١٧٨٣ فاهلكت كثيراً من مدنها بالدقاء لاسيما حاضرتها مدينة مسّينة . وقد وجدنا في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية وصفاً لهذه الكارثة حرّرها كاتبها عند بلوغ الخبر الى مسامعه فاحببنا نشره لئلّا تأخذهُ يد الضياع :

« خبر الزلزلة التي جرت في كلابريه وفي جزيرة سيسيليا » يوم الاربعاء في ٥ شباط سنة ١٧٨٣ في الساعة ١٩ (اي ٧ بعد الظهر) والدقيقة الخامسة احتملت كلابرية الواطية زلزلة رهيبة كانت متّجهة من الشرق الى الغرب ودامت نحو ٥ دقائق . ومن تلك الساعة السابعة مساء توالت الزلازل حتّى بلغت عدد ٣٢ هزّةً ثمّ تعاظمت وازدادت . وفي اليومين التابعين اي الخميس والجمعة سُمعت اصوات مهولة وحدث في البحر والبرّ اضطراب عظيم مع سيول وامطار مخيفة وبروق ورعود عقبها ظلام مخيف

امّا ما حدث من الخراب بسبب هذه الزلازل فلم نعرفها كلّها وانّما بلغنا في ١٥ شباط بانّ كلابرية الواطئة المشتملة على ٣٧٥ مدينة او قرية قد تلاشى منها ٣٢٠ . وانّ الامير دي كارياتي قد خسر ١٧ مدينة محصّنة من املاكه بينها المدينتان العظيمتان شيميتاره ويالمي حيش (كذا) لم يبقَ منهما حجر على حجر . وامّا اميرة جيراكا الحاكمة على هذه المدينة فانّها اندفنت تحت الردم واستحالت مدينتها الى رماد بحريق اصابها بالزلزال وتلاشت كلّ املاك الاميرة . وكان الامير دي سليلا موجوداً في جيراكا لكنّهُ نجا بنفسه عند سقوطها فنزل في قارب في البحر . وقد خسر الملك

— مجلة المجمع العلمي العربي : تصدر في دمشق الشام وينشئها نخبة من الادباء تحت نظارة مدير المعارف ورئيس المجمع العلمي العالم الفاضل محمد افندي كرد علي

— المسرة : مجلة بطريركية الروم الكاثوليك يديرها حضرة الآباء المرسلين البولسيين. تطبع في حريصا (لبنان) . عادت الى الوجود بعد الحرب السنة ١٩٢٠

— المعارف : مجلة شهرية عامة لصاحبها وديع افندي نقولا حنا. تطبع في الشويفات دخلت في السنة الخامسة من عمرها

— النجاح : مجلة علمية ادبية مذهبية تاريخية عمرانية تصدر في دمشق الشام منذ اول السنة الحاضرة لصاحب امتيازها الياس خليل ترتر ورئيس تحريرها فؤاد الخياط

شذرات

— شهادة كاتب على زلازل صقلية سنة ١٧٨٣ — ذكر التاريخ انّ زلازل هائلة دهمت بلاد صقلية سنة ١٧٨٣ فاهلكت كثيراً من مدنها بالدقاء لاسيما حاضرتها مدينة مسّينة . وقد وجدنا في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية وصفاً لهذه الكارثة حرّرها كاتبها عند بلوغ الخبر الى مسامعه فاحببنا نشره لئلّا تأخذهُ يد الضياع :

« خبر الزلزلة التي جرت في كلابريه وفي جزيرة سيسيليا » يوم الاربعاء في ٥ شباط سنة ١٧٨٣ في الساعة ١٩ (اي ٧ بعد الظهر) والدقيقة الخامسة احتملت كلابرية الواطية زلزلة رهيبة كانت متّجهة من الشرق الى الغرب ودامت نحو ٥ دقائق . ومن تلك الساعة السابعة مساء توالت الزلازل حتّى بلغت عدد ٣٢ هزّةً ثمّ تعاظمت وازدادت . وفي اليومين التابعين اي الخميس والجمعة سُمعت اصوات مهولة وحدث في البحر والبرّ اضطراب عظيم مع سيول وامطار مخيفة وبروق ورعود عقبها ظلام مخيف

امّا ما حدث من الخراب بسبب هذه الزلازل فلم نعرفها كلّها وانّما بلغنا في ١٥ شباط بانّ كلابرية الواطئة المشتملة على ٣٧٥ مدينة او قرية قد تلاشى منها ٣٢٠ . وانّ الامير دي كارياتي قد خسر ١٧ مدينة محصّنة من املاكه بينها المدينتان العظيمتان شيميتاره ويالمي حيش (كذا) لم يبقَ منهما حجر على حجر . وامّا اميرة جيراكا الحاكمة على هذه المدينة فانّها اندفنت تحت الردم واستحالت مدينتها الى رماد بحريق اصابها بالزلزال وتلاشت كلّ املاك الاميرة . وكان الامير دي سليلا موجوداً في جيراكا لكنّهُ نجا بنفسه عند سقوطها فنزل في قارب في البحر . وقد خسر الملك

(فرديننذ) واكابر مملكته وتجار كلابرية كلّ املاكهم لأن وكلاءها هلكوا فبعضهم انطمُوا تحت التراب وبعضهم استحالوا الى رماد بما حدث في مدينة مسّينة من الحريق فخسروا كلّ اجناس الارزاق الموجودة في المخازن التي اخربها البحر . امّا حصون كلابرية فانّها تلفت وتلاشت . والجسر المشيّد عليه البرج المدعو نارُو غاص في البحر ولم يبق منهُ اثر . وكذلك مدينة ريجو (Reggio) الشهيرة اندثرت رسومها . وسقط قسمٌ من الجبل المسمّى ليوني مع المكان المسمّى بأنباره واماكن اخرى عظيمة الشأن والغنى كلها فنيت وتلاشت

وكان لكلابرية نهر يُدعى بتراجا يحيط بها فغار بالكلّية وكان لا يُقطع قبلًا الّا بالقوارب فيقطعهُ الناس حاضرًا بالاقدام ولا يُعرَف حتّى الآن اين تجري تلك المياه الطامية ولعلّ ينابيعهُ قد انقطعت

وتنبئنا المكاتيب الواردة من ايطالية عن كثرة الذين ماتوا بسبب هذه الزلازل وتخبر بان الباقين في الحياة متشتتون في البراري لا يجدون شيئاً يقتاتون بهِ ولا ثياباً يلبسونها ولا نارًا يصطلون بها . امّا جثث الموتى الذين نجوا من الحريق فقد دُفنت في البراري لعدم وجود كنائس وكهنة يصلّون عليهم

وقد وصل في ١٤ شباط مركب الملك الذي كان في مسّينة وقت الزلزال فأخبر انّ الجزء الاكبر من مدينة مسّينة قد اصبح خراباً وانّ الجزء الآخر قد انخسف فابتلعتهُ الارض بفعل الزلازل المتواصلة طول الليلة الاولى حتّى انهُ ما عاد بقي شيءٌ بالوجود الى حين سفر المركب الماركيّ المذكور سوى بيت الكبوشيين وكنيسة المطهر وقد بلغ الذين ماتوا فيها ١٢٠٠ شخص . فما استطاع احد منهم على الفرار والذين حاولوا على النجاة استحالوا الى الرماد بالحريق . وبخصوص البضائع والارزاق التي كانت مسّينة غنيّة بها فنُقدت تماماً . ومن التروبيا لم يسلم سوى اربعين رجلًا . والاشراف هربوا الى المراكب الموجودة في المينا فنجوا لكنّهم عُراة من غير ثياب وقد اخبروا انهُ في المينا وفي الحقول القريبة قد انفتحت عدّة لغوم في بطن الارض

﴿ مضحكات المقتطف ﴾ يرينا كتبة هذه المجلّة من تشبُّهم بالآراء الدروينيّة غرائب لا يمكننا اذا اطّلعنا عليها ان نتمالك عن الضحك فنتعجّب من عرضهم سخافات مثلها على قرّائهم . فمن ذلك جوابهم على من سألهم (ص ٥٠٤ — ٥٠٥ من عدد

نوفبر) لأيّ سبب الملكة ماري انطوانت التي عُرفت وقت عزّها بخفّة طباعها اصبحت في سجنها ووقت محاكمتها دمثة الاخلاق رصينة فاجابوا وفقاً لمبدأ دروين في الوراثة انّ هذا التغيير « تعليلهُ الطبيعي انّ اسلافها الاقدمين كانوا قليلي التبصّر مجازفين ثمّ تدمّثت اخلاقهم رويداً رويداً اما بتنصّرهم او بعامل آخر فورثت (اي ماري انطوانت) الميل الى الصفات الاولى والى الصفات الثانية وظهرت فيها اطوار الاوّلين والآخرين على التوالي لانها ورثت منهم الجراثيم التي تنوّعت بتغيير الاحوال مدّة سنين كثيرة فظهرت افعالها فيها متدرّجة » . فيا لله ألم يجد اصحاب المقتطف جواباً اقرب الى تعليل هذا التغيير او ليس تغيير الاحوال كافياً لذلك . ألسنا نرى كل يوم كيف تؤثر صروف الدهر في الطباع فتغيّرها بزمن قريب . وقُلْ مثل ذلك عن عوامل اخرى كتأثير الدين وزواجره وكأمثال عظماء الناس ورادع الضمير في قلب الانسان الخ الخ . وللمقتطف غير ذلك من الاجوبة على سؤالات يعرضها عليه بعض الادباء هيهات ان يقنع بها السائل كنسبتهِ (ص٥٠٦) الى ناموس الرجوع الى الاصل ما عرضهُ عليهِ احد ادباء الفيوم . وكنسبتهِ الى الخداع او الى العصبيّة ما رُوي لهُ (ص ٤٩٥) عن تحريك الوائد وطرقاتها على حروف المعجم وعن ظواهر اخرى غريبة كما ذكر سابقاً عجائب لورد التي ثبتت بشواهد مئين من الاطباء والعلماء وكلّ ذلك لأنها « لا تقطع عقلهُ » . فاين هذا كلّهُ من العلم الصحيح !

﴿ اوسمة ممنوحة لآباء رسالتنا السوريّة ﴾ كانت الحرب الاخيرة مدعاةً الى اقرار رؤساء الدولة الافرنسيّة بفضل الاكليروس عموماً وبشهامة آباء رهبانيّتنا اليسوعيّة خصوصاً فانّ الذين ذهبوا ضحايا الواجب في ساحة الشرف بلغوا نحو المئتين . وكذلك عُدّت بالمئات الاوسمة الشرفيّة المختلفة التي نالوها من اركان الحرب . وقد نالت رسالتنا السوريّة حصّتها الطيّبة من هذه الامتيازات فمنحت الدولة عشرة منهم اوسمةً تنطق بتفانيهم في سبيل الوطن . وكان آخر من نال وسام جوقة الشرف من رتبة شفاليه الاب كونستانتن مدير الدروس في كليّتنا وقد جوزي بالوسام الحربي الاب جانيار رئيس ديرنا في غزير منحها الوسامين فخامة الجنرال غورو بحفلة حافلة في ٥ من الشهر الماضي

أسئلة وأجوبة

س سأل من حلب احد كهنتها الافاضل . ١ً ما هي الصور التي ترسم بنوع احقّ وازيد تأثيرًا السيّد المسيح مصلوبًا ؟ . ٢ً ما هي صور درب الصليب التي ترسم لنا رسماً ادقّ حقيقة ذلك الواقع ؟ . ٣ً هل الصلب كان يجري بالربط او بالمسامير ؟ . ٤ً وكيف كان ذلك يجلب الموت ؟ . ٥ً هل كفى كسر ساقي اللصين لموتهما ؟

ج نجيب على (الاوّل) انّ صور المصاوب لا ترقى الى زمن السيد المسيح . وقد اثبتنا في المشرق (٧ [١٩٠٤]: ٢٩٣—٣٠٢) اصل تلك الصور في الشرق . فلتراجع . امّا صور المصلوب المؤثرة لحسن اتقانها فعديدة لا تُحصى . وقد رسمنا منها هناك صورة جميلة لاحد كبار المصوّرين . ومن الصور الاعظم تأثيرًا صورةٌ في دير الآباء الكبوشيين في رومية يقال عنها انّ الشيطان صوّرها سنة ١٦٩٥ لاحد عَبَدتهِ اقترح عليهِ ذلك هذا الرجل الاثيم فاجاب الشيطان الى طلبتهِ مرغوماً . فلمّا رآها الرجل اثّرت فيهِ تأثيرًا عظيماً حتّى تاب الى الله ولدينا منها نسخة . نجيب على (الثاني) انّ صور درب الصليب رسمها لاوّل مرّة راهب دومينيكي الطوباوي ألفار المتوفّى سنة ١٤٢٠ بعد عودتهِ من زيارة الاراضي المقدّسة . وقد اختلفوا في عددها واشكالها الى أن ثبتت على صورتها الحاليّة في اواخر القرن السابع عشر وصورُها المؤثرة عديدة جدًّا . نجيب على (الثالث) انّ الصَّلب كان عند الرومان يصير على الصورتين امّا بربط اطراف المصاوب واما بتسميرهِ على الصليب . والسيّد المسيح كما يشهد الانجيل سُمّر عليهِ . نجيب على (الرابع) الصلب وحدهُ ما كان كافياً لجلب الموت سريعاً . فمن المصلوبين من كان يعيش اياماً على صليبهِ الّا انّ المصاوب كان يُجلَد قبل صلبهِ وكان يفقد بالجلد والتسمير قسماً من دمهِ فيموت عاجلًا او آجلًا . وكان (خامساً) كسر الساقين يقرّب ساعة موت المصاوب لكثرة نزف الدم

س وسأل حليّ آخر ما رأينا في قول كتبة العرب عن تشييد ابراهيم لمدينة حلب بعد احتلالهِ في ربوعها وحَلَبهِ قطعانهُ عندها

ابرهيم الخليل وتشييدهُ لمدينة حلب

ج ليس لهذا التقليد صحّة فانّ حلب اقدم من عهد ابراهيم راجع ما ورد في ذلك في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ١٦—١٧)

ل . ش

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة التاسعة عشرة من مجلّة المشرق ١٩٢١

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرقيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) تواريخ العالم وروزناماتهُ للاب لويس شيخو اليسوعي (١ — ١٠) = خلاصة تاريخ العام المتصرم للاب جبرائيل لوفنك اليسوعيّ (١١—٢٠) = الذبيحة في شرقي الاردن للخوري بولس سلمان (٢١-٢٦) = وقفة بين الناصرة وبيت لحم قصيدة للخوري رفائيل البستاني (٢٩-٤٢) = أحدث الطرق لقياس بُعد النجوم عن الارض للاب رفائيل نخله اليسوعي (٤٤-٤٩) = العلائق الاولى بين فرنسة وسوريّة للاب متري لامنس اليسوعي (٤٩ — ٥٥) = النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة للاب ل . شيخو (٥٥-٦٤ ; ٢ : ١٤٦-١٥١ ; ٣ : ٢٢٦-٢٣٠ ; ٤ : ٢٠٢-٢٠٩ ; ٥ : ٢٨٥-٢٨٨ ; ٦ : ٤٦٠-٤٦٦ ; ٨ : ٦١٨-٦٢٤ ; ٩ : ٧٠٥-٧٠٩ ; ١٠ : ٧٧٨-٧٨٤ ; ١١ : ٨٤٩-٨٥٤ ; ١٢ : ٩٢٦-٩٥٠) = منظومات في الممدود والمقصور لابن دُرَيد نشرها الاب ل . شيخو (٦٤-٦٨) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٦٩) = شذرات : لبنان والمهاجرة (قصيدة) . عملة الورق ومبالغ النقود الذهبيّة الكافلة لها . الكتب المنشورة في السنة ١٩١٨ . اين تلك الازمان ؟ . سنة وفاة الشاعر نقولا الترك . اكتشافات زراعيّة . امّ حرام . تكذيب الكافر رينان (٧٤) = اسئلة واجوبة : العرب والابرة المغناطيسيّة (٨٠)

العدد ٢ (شباط) احوال الكنيسة في العام المتصرم للاب ل . شيخو (٨١-٩٧) = انشاء مكتبة كاثوليكية في بكسهيل للاب ر . نخله (٩٨-١٠٨) = اكرام كاتبة مسلمة القديسة جان درك . للسيّدة زينب فوّاز (١٠٨-١١٤) = الحيوانات الداجنة وتربيتها للاب اسكندر طوران اليسوعي (١١٤-١٢٤) = ترجمة يوسف الاوّل بطريرك الكلدان للتلميذ باسيليوس عبد الاحد مطران آمد نشرها الاب ل . شيخو (١٢٤-١٢٨) = الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر للاب ل . شيخو (١٢٨-١٤٦ ; ٤ : ٢٩٢-٣٠٢ ; ٨ : ٦٢٥-٦٣٠ ; ١٠ : ٧٥٨ — ٧٧٠ = مطبوعات شرقية جديدة (١٥٢) = شذرات : نشيد المدارس الدينيّة . برصليبي وكتاب الكهنوت . اليهود والبلشفيّة . ترقّي الكثلكة في الولايات المتحدة (١٥٧) = اسئلة واجوبة : تاريخ دير المخلّص . اسئلة كتابيّة . اللورد ماك سويني (١٦٠)

العدد ٣ (آذار) كتاب تدبير المنزل لغرسيس (؟) نشرهُ الاب ل . شيخو (١٦١ — ١٨١) = قوّة محرّكة جديدة : الفحم الاحمر للاب ر . نخله (١٨١-١٨٧) = التذكار الخمسيني لحماية القديس يوسف للاب ل . شيخو (١٨٧-١٩٢) = العلوم في السنة المنصرمة : لهُ (١٩٣ — ٢٠٥) = الرسالة الفرنسيّة وشهداؤها في الولاية الحلبيّة : لهُ (٢٠٦-٢١٤) = صفحة منيّة من تاريخ تونس للاب لويس شرل اليسوعي (٢١٥-٢٢٠) = سلطان يسوعي « المولى محمّد العباس » : لهُ (٢٢٠-٢٢٥) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٢٢١) = شذرات : رسالة العصر

الجديد . عقل صنين . رئيس الشرق الاعظم . المارشاليّة الجدد . فضل فرنسة على الجزائر . جامعتان اميريكيّتان (٢٢٨) = اسئلة واجوبة : ايات على مدينة الزهراء . غفرانات شتّى وشروطها (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) خطبة خميس الاسرار لابي البركات ابن كبر نشرها الاب ل . شيخو (٢٤١-٢٤٥) = سمر في عيد الفصح للقديس يوحنا فم الذهب تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكي نشره الاب ل . شيخو (٢٤٥-٢٥٠) = اعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين للاب رفائيل نخله (٢٥٠-٢٥٧) = رسالة تدبير المنزل لارسطو بقلم عيسى اسكندر المعلوف (٢٥٧-٢٦٢) = شهيدات المحبّة في ثورة فرنسة الكبرى للاب ل . شيخو (٢٦٢ - ٢٧١) = تصفّح الامير عبدالله اللمعيّ للخوري اسطفان فريحه البشعلاني (٢٧١-٢٧٧) = السيريتسم او مناجاة الارواح للابوين اليسوعيين يوسف ونجان ويوسف منذي (٢٧٨-٢٩٠ ; ٥ : ٢٥٢-٢٥٨) = التذكار الخمسيني لافتتاح قناة سويس للاب ر . نخله (٢٩٠-٢٩٢) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٣٠٩) = شذرات : سيادة المطران باسيليوس قطان . السنة الاربعانة لوفاة ماجلان . الماسونيّة في بيروت . معهد جديد لتربية الحشرات النافعة . كفر البولشفيين ومنكراتهم (٣١٦) = اسئلة واجوبة : اسئلة طقسيّة . تنظيف الزجاج . وقوع عيد البشارة في يوم جمعة الآلام (٣٢٠)

العدد ٥ (ايّار) تكريس لبنان الكبير والطائفة المارونيّة لقلب يسوع الاقدس للاب ل . شيخو (٣٢١-٣٢٨) = اثر قديم للملك يوستنيان في بيروت للابوين اليسوعيين ل . شيخو ورينه موترد (٣٢٩-٣٣٢) = الحب البتوي : رواية تاريخيّة معرّبة عن الاسبانيّة لاحد الآباء اليسوعيين (٣٣٣-٣٣٧) = العنكبوت : نظر طبيعي للاب اسكندر طوران (٣٣٨-٣٤٦) = الآلة الناسخة للاب ر . نخله (٣٤٧-٣٥٢) = المحاورة الدينيّة التي جرت بين الخليفة المهدي وطيماثاوس الجاثليق . نشرها الاب ل . شيخو (٣٥٩ - ٣٧٤ ; ٦ : ٤٠٨-٤١٨) = الطريد الارمني ونجاته من الاتراك لبدروس اراكليان (٣٧٥-٣٨٥) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٣٨٩) = شذرات : منشور بطريركي . دار الكتب الكبرى في بيروت . حرير الموز . الاصداء الشهيرة . متانة خيط العنكبوت . نابغة السباحة . مأثرة الليوتنان كازال الفرنسويّ . اعظم اكتشاف علمي من غرّة الجيل العشرين الى اليوم (٣٩٦) = اسئلة واجوبة : رأي الغزّالي في النفس . رحلة فولتير الى سوريّة (كذا) . الشيخ صالح النزّي وكتابة مونة المفتي والقاضي (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) شهيدا لبنان : فيليب وفريد الخازن للمطران عبدالله الخوري (٤٠١-٤٠٨) = قبر عزرا الكاتب ليوسف افندي غنيمة (٤١٨-٤٢٢) = نقل الصور الشمسيّة بالمجرى الكهربائي والتراثي عن بُعد للاب ر . نخله (٤٢٤-٤٣٥) = التعليم الاجباري للاب ل . شيخو (٤٣٥-٤٤٤) = المعارض والاسواق : لهُ (٤٤٤-٤٥٢) = مديح قديم لمار افرام وضعهُ القديس غريغوريوس نيسس نشره الاب . ل شيخو (٤٥٢-٤٥٩ ; ٧ : ٥٠٦-٥١٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٦٢) = شذرات : قلب يسوع في صدر لبنان قصيدة للخوري ر . البستاني . النباتات النيّرة . اطول قناة في العالم . الماسونيّة والحرب الكونيّة . اصلاحات وفوائد (٤٧٢) = اسئلة واجوبة : البدلة الشرقيّة في الطقس الماروني . تأخّر الفصح عند الروم في السنة الحاليّة (٤٧٦)

العدد ٧ (تموز) الوقائع الماسونيّة نظر انتقادي للاب ل. شيخو (٤٧٧-٤٨٦) = كشف الظنون من حال القرمسون لمحمّد علي عزّ الدين الشامي العاملي (٤٨٦-٤٩٤) = مسألة البترول نظر تاريخي واقتصادي للاب ر. نخله (٤٩٥-٥٠٦) = المذاهب المستحدثة لفلاسفة الاعصر المتاخرة للخوري يوسف العشيق (٥١٧-٥٢٧) = معرض بيروت: نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي للاب ل. شيخو (٥٢٧-٥٣٥) = نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط للاب ر. نخله (٥٣٥-٥٣٨) = المئة السابعة لانشاء رهبانيّة مار فرنسيس الثالثة للاديب نقولا باباتولا (٥٣٨-٥٤٥) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٥٤٥) = شذرات: الكليّات الكاثوليكيّة في الولايات المتّحدة. حامل كفنو. مدينة الزهراء في الاندلس. فقيدان عزيزان من تلامذة كليتنا. خدمة ماسونيّة. المتطف واليسوعيّون. ماديّات قدّس. المجمع العلميّ العربي في دمشق (٥٥٣) = اسئلة واجوبة: حرم المنتمين الى الشيعة الماسونيّة. تبشير القديس توما في الصين (٥٥٦)

العدد ٨ (آب) المئة الثالثة لوفاة يسوعيّين جليلين: القديس يوحنّا بركمنس والمكرّم الكردينال بلّرمين (٥٦١-٥٧٩): اثر عربي قديم للقديس يوحنا فم الذهب نشره الخوري لاونديوس كلري رئيس دير الشير (٥٨٠-٥٩١) = لترانٍ في المريخ للاب ر. نخله (٥٩١-٦٠١) = محاورة سريانيّة بين الخاطئة والشيطان عرّجا منظّمة عن بعض ميامر مار افرام القس مبارك مزروعة النهر (٦٠١-٦٠٦) = المذهب الدروزي واصل الانسان للاب اسكندر طوران اليسوعي (٦٠٦-٦١٨ ; ٩ : ٦٥٩-٦٧٠ ; ١٠ : ٧٢٩-٧٥٠ ; ١١ : ٨١٤-٨٢٨ ; ١٢ : ٩٠٨-٩١٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٢١) = شذرات: الحمّى الملاريّة وعلاجها عند العرب. الحمّى التيفوئيديّة. الجزء الثاني من الوقائع الماسونية. الحيوانات الممثلة وتفاوتها في الذكاء. البدلة اللاتينيّة عند الموارنة. اديب الشوير (٦٢٧) = اسئلة واجوبة: الكاهن المخدوع بتوزيع حسنات القداسات. الشوكولاتا واصلها (٦٤٠)

العدد ٩ (ايلول) ادوار حياة النجوم للاب ز. نخله (٦٤١-٦٥٢) = مثال العفاف في رواية جنفياف نظمها الاديب ميخائيل عبدالله الراسي (٦٥٢-٦٥٩) = الدعوات في مزامير داود للاب فردينان توتل اليسوعي (٦٧٠-٦٨٧) = المئة السابعة لوفاة القديس دومينيك للاب ل. شيخو (٦٨٨-٦٩٥) = قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد نشرها الاب ل. شيخو (٦٩٥-٧٠٤ ; ١٠ : ٧٢٢-٧٣٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٧١٠) = شذرات: الذباب. اكرام الماء في البصرة. تاريخ ضريح المرحوم جرجس همام. ترقّي الرسالات الكاثوليكيّة. وسام جوقة الشرف لمدير مرصد شنغهاي. بعثة علميّة في بلاد الصين. الحيّات المطلقة (٧١٦) = اسئلة واجوبة: سفر المستقيم. آية وقوف الشمس. النظر الى الشمس في طرفي النهار وفي الظهيرة. وجود النور والحرارة (٧٢٠)

العدد ١٠ (تشرين الاوّل) نقل المسافرين والبريد بالطيّارات للاب ر. نخله (٧٢١-٧٣٢) = رحلة حديثة الى الشهباء للاب ل. شيخو (٧٥٠-٧٥٩) = الاسقف الطريد. صفحة من تاريخ الكنيسة في الاستانة للقنصل فردينند ترقال (٧٧٠-٧٧٧) = الانتحار للاب ل. شيخو (٧٨٤-٧٨٩) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧٩٠) = شذرات: القلب الجريح فوق

الضريح. التصوير في الاسلام. اصل لعب الشطرنج. الهند الانكليزية في الحرب الكونية. المرصد الفاتيكاني. مزاعم غريبة للمتعاف. عماد العذراء مريم (٧٩٦) = اسئلة واجوبة: قطعة الصليب المقدس المهداة لقيصر روسية. لاي سبب تحظر الكنيسة قراءة الاناجيل البروتستانية. غفرانات الثوب الازرق (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) اثران عربيان للاحبار الرومانيين في الماسونية نشرها الاب ل. شيخو (٨٠١-٨٠٧) = التصوير الشمسي الملوّن للاب ر. غله (٨٠٨-٨١٤) = شهيد الاستانة الكاهن غويداس الارمني الكاثوليكي نظر تاريخي للاب ل. شيخو (٨٢٨-٨٣٤) = الشطرنج: فوائد في اصله وحكمته للقانوني جرجس بك صنا (٨٣٥-٨٤٣) = المشاريع الكاثوليكية في حلب للاب ل. شيخو (٨٤٣-٨٤٩) = خرافة البابا حنّة. فكاهة تاريخية: لهُ (٨٥٤-٨٥٩) = آثار قديمة في مراب للاب رينه موترد اليسوعي (٨٥٩-٨٦٣) = المركبة الهوائية الاولى في باريس لشاهد عياني الكونت لويس فيليب دي سيغور سنة ١٧٨٤ (٨٦٤-٨٦٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٦٧) = شذرات: ذكرى اليسة. وفاة تلميذين فاضلين. التحف الفنية الفرنسوية في روسية. سفر ايوب وقيامة الاجساد. رسالة القمر الى اهل بيروت. مضحكات المقتطف. شفاء داءي السلّ والزهري. الآثار القديمة في سورية ولبنان (٨٧٤) = اسئلة واجوبة: شجرة العنبة. المطران جرجس بنيامين (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاوّل): التذكار المئوي الرابع لوفاة لاون العاشر. لمناداة لوتاروس بالاصلاح ولارتداد اغناطيوس دي لويولا للاب ل. شيخو (٨٨١-٨٩٧) = عين النواصات او البرسكوب للاب رفائيل غله (٨٩٧-٩٠٣) = قصة افتيا الحكيمة وسليمان الحكيم نشرها الاب ل. شيخو (٩٠٣-٩٠٨) = ذكرى لوفاة نابوليون الاوّل للخوري بطرس صفير (٩١١-٩٢١) = مطبوعات شرقية جديدة (ص ٩٥١) = شذرات: خبر زلازل صقلية سنة ١٧٨٣ — مضحكات المقتطف. اوسمة ممنوحة لآباء رسالتنا السورية (ص ٩٥٧) = اسئلة واجوبة: اسئلة في الصليب والصلب — ابرهيم الخليل وتشييده لمدينة حلب (٩٦٠)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

اب يسوعي: رواية الحب البتولي ٢٢٢
ابن تنري بردي: نبذتان لهُ في حامل كنته وفي مدينة الزهراء ٥٥٣
ابن دريد: منظوماتهُ في الممدود والمقصور ٦٤
ابو البركات (ابن كبر) خطبة لخميس الاسرار ٢٤١
اديب: لبنان والمهاجرة (قصيدة) ٧٤
اراكليان (بدروس) الطريد الارمني ونجاتهُ من الاتراك ٢٧٥
ارسطو رسالتهُ في تدبير المنزل ٢٥٧
الانطاكي (عبدالله بن الفضل) تربيةُ ليس القديس يوحنا فم الذهب في عيد الفصح ٢٥٠

بابا نيقولا (الاديب نيقولا) المئة السابعة لانشاء رهبانيّة مار فرنسيس الثالثة ٥٢٨–٥٤٥
برلوتي (الاب بولس اوتورا اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٧٩٣
البستاني (الخوري رفائيل) وقفة بين الناصرة وبيت لحم (قصيدة) ٢٩ قلب يسوع في صدر لبنان (قصيدة) ٤٧٢ ذكرى اليمة (قصيدة) ٨٧٤
البشلاني (الخوري اسطفان فريجه) تنصُّر الامير عبدالله اللمعي ٢٧١
توتل (الاب فردينان) الدعوات في مزامير داود ٦٧٠–٦٨٧
تورنيز (الاب فرانسوا) لهُ وصف بعض مطبوعات ٢٣٦, ٥٤٩
جرداق (الاستاذ منصور) ملحوظات لهُ ٤٧٥
الخوري (المطران عبدالله النائب البطريركي) شهيدا لبنان فيليب وفريد الحارن ٤٠١
دي سينور (الكونت لويس فيليب) المركبة الهوائيّة الاولى في باريس سنة ١٧٨٤ ٨٦٤
ديلنسيغر (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٦٣, ٥٥٠, ٧٩١
الراسي (الاديب ميخائيل عبدالله) مثال العفاف في رواية جنفياف ٦٥٣–٦٥٦
رتزفال (الاب سبستيان) وصفهُ لبعض المطبوعات ٦٢٢
رتزفال (القنصل فردينند) الاسقف الطريد: صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة ٧٧٠–٧٧٧
سلمان (الخوري بولس الروم الملكيّ الكاثوليكي) الذبيحة في شرقي الاردن ٢١–٣٩
شرل (الاب لويس اليسوعي) صفحة منيّة من تاريخ تونس ٢١٥ سلطان يسوعي: المولى محمد العبّاس ٢٢٠
شيخو (الاب لويس اليسوعي) تواريخ العالم وروزناماتهُ ١—١٠ النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة: العلوم والصنائع ٥٥; ١٤٦; ٢٢٦ الملاحة والنقود ٢٠٣; ٢٨٥ التعليم ٢٨٦ العادات الدينيّة ٤٦٠; ٦١٨ العادات الشرعيّة والاجتماعيّة ٦٦٤; ٧٠٥ الشعر النصراني ٧٧٨; ٨٤٩ شعراء النصرانيّة ٩٢٦ نشرهُ لمنظومات ابن دُريد في الممدود والمقصور ٦٤ احوال الكنيسة في العام المنصرم ٨١ نشرهُ لترجمة بطريرك الكلدان يوسف الاوّل لتلميذهِ باسيليوس عبد الاحد ١٢٤ الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر: ختام سفارة الاب اليانو الثانية الى لبنان ١٢٨ مبادئ المدرسة المارونيّة في رومية ١٤١; ٢٩٣ قوانينها ٢٩٧ ترقّيها ٦٢٥ سفارة الاب ابرونيوس دنديني الى لبنان ٧٥٨ نشرهُ لكتاب تدبير المنزل لترسيس (؟) ١٦١ التذكار الخمسيني لحماية القديس يوسف ١٨٧ العلوم في السنة المنصرمة ١٩٣ الرسالة الفرنسيسيّة وشهداؤها في الولاية الحلبيّة ٢٠٦ نشرهُ لخطبة في خميس الاسرار لابي البركات ابن كبر ٢٤١ رليس القديس يوحنا فم الذهب في عيد الفصح ٢٤٥ شهيدات المحبّة في ثورة فرنسة الكبرى ٢٦٢ تكريس لبنان الكبير والطائفة المارونيّة لقلب يسوع الاقدس ٣٢١ اثر قدوم الملك بوستيان في بيروت ٣٢٩ نشرهُ لمحاورة دينيّة جرت بين أكليلة المهدي وطيماثاوس الجاثليق ٣٥٩; ٤٠٨ التعليم الاجباري ٤٢٥ المعارض والاسواق ٤٤٤ نشرهُ لمديح قديم لمار افرام وضعهُ القديس غريغوريوس نيسن

٤٥٣ ؛٥١٦ انتقادهُ لمجلّة الرقائع الاسوئيّة ٤٧٧ ؛٦٢٨ معرض بيروت ٥٢٧ المئة الثالثة لوفاة يوحنّا بركمنس والمكرّم الكردينال بلّرمين ٥٦١ المئة السابعة لوفاة القديس دومينيك ٦٨٨ نشرهُ لقصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد ٦٩٥؛ ٧٢٢ رحلة حديثة الى الشهباء ٧٥٠ الانتحار ٧٨٤ نشرهُ لاثرين عربيّين للاحبار الرومانيين في الماسونيّة ٨٠١ شهيد الاستانة الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكي ٨٢٨ المشاريع الكاثوليكيّة في حلب ٨٤٣ خرافة البابا حنّة ٨٥٤ التذكار المئوي الرابع لوفاة لاون العاشر . ولمناداة لوتاروس بالاصلاح ولارتداد اغناطيوس دي لويولا ٨٨١ نشرهُ لقصّة افيقيا الحكيمة وسليمان الحكيم ٩٠٣ ولهُ في كلّ اعداد المشرق تقريبات واوصاف كتب شتّى وشذرات واجوبة على سؤالات

صنا (القانوني جرجي بك) الشطرنج : فوائد في اصل هذا اللعب وحكمته ٨٣٥

صفير (الخوري بطرس) ذكرى لوفاة نابوليون الاوّل ٩١٩

طوران (الاب اسكندر اليسوعيّ) الحيوانات الداجنة وتربيتها ١١٤ المنكبوت : درس طبيعيّ ٢٣٨ المذهب الدروزي واصل الانسان ٦٠٦ ؛ ٦٥٩ ؛ ٧٢٩ ؛ ٨١٤ ؛ ٩٠٨

العاملي (محمّد علي عزّ الدين) كشف الظنون من حال الفرمسون ٤٨٦–٤٩٤

عبد الاحد (باسيليوس مطران آمد الكلداني) ترجمة يوسف الاوّل بطريرك الكلدان ١٢٤–١٢٨

عزّو (القس يوحنّا السرياني) افادتان لمار افرام عن عماد العذرا ٧٩٩ وعن قيامة الاجساد ٨٧٧

العمشيتي (الخوري يوسف) المذاهب المستحدثة لفلاسفة العصر المتأخرة ٥١٧–٥٢٧

عوّاد (حبيب افندي) القلب الجريح فوق الضريح ٧٩٦

غصن (الخوري مارون) نشيد المدارس الدينيّة ١٥٧

غنيمة (يوسف) قبر عزّرا الكاتب على ضفة نهر دجلة ٤١٨–٤٢٢

فوّاز (السيّدة زينب) اكرام كاتبة سلسة للقديسة جان دارك ١٠٨–١١٤

القبجاقي (بيلك) قولهُ في الابرة المغناطيسيّة (٨٠)

كستاكيس (الاب بطرس اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٧١١

كلزي (الخوري لاونديوس) اثر عربي قديم للقديس يوحنّا فم الذهب ٥٨٠–٥٩١

لامنس (الاب هنري اليسوعي) الملاتق الاولى بين فرنسة وسوريّة ٥٥ لهُ اوصاف بعض مطبوعات ٢١٠ ، ٢٩٢ ، ٦٢٢ ، ٩٥١ ، ٩٥٣

لاي (الاب ادمون اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٢٨٩

لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعيّ) خلاصة تاريخ العام المنصرم ١١ لهُ اوصاف لبعض المطبوعات في كلّ اعداد السنة

مزرعة النهر (القس مبارك) محاورة سريانيّة بين الخاطئة والشيطان معرّبة ومنظومة من بعض ميامر مار افرام ٦٠١–٦٠٦

المطوف (عيسى اسكندر) رسالة تدبير المنزل ٢٥٧–٢٦٢

المقريزي (الامام تقي الدين) قولهُ في الابرة المغناطيسيّة ٨٠ نبذتان من خططهِ في الحيّات

المطلقة ٧١٨ وفي التصوير في الاسلام ٧١٦
مُنْجان (الاب يوسف) السيريتم او مناجاة الارواح ٢٧٨ ; ٣٥٢ لهُ وصف بعض المطبوعات ٢٢٣, ٢٢٤ , ٨٧١ وجواب على اسئلة ٢٤٠ , ٦٤٠
منّى (الاب يوسف اليسوعي) السيريتم ٢٧٩ ; ٣٥٣
موترد (الاب رينهُ اليسوعي) اثر قديم للملك يوستنيان في بيروت ٢٢٩ آثار قديمة في مراب ٨٥٩
نخله (الاب رفائيل اليسوعي) احدث الطرق لقياس بُعد النجوم من الارض ٤٤ انشاء مكتبة كاثوليكيّة في بكسيل ٦٨ قوّة محرّكة جديدة بالفحم الاحمر ١٨١ اعظم اكتشاف جراحي في القرن العشرين ٢٥٠ التذكار الخمسيني لافتتاح قناة سويس ٢٩٠
الآلة الناسخة ٢٤٧ نقل الصور الشمسيّة بالمجرى الكهربائي والتراني من بُعد ٤٣٤ مسالة البترول ٤٩٥ نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط ٥٢٥ لغزان في المرّيخ ٥٩١ ادوار حياة النجوم ٦٤١ نقل المسافرين والبريد بالطيّارات ٧٢١ التصوير الشمسي الملوّن ٨٠٨ عين التوّاصات او البرسكوب ٨٩٧ ولهُ شذرات مختلفة ٧٦ , ١٥٩ , ٢١١ , ٢١٧ – ٣١١ , ٤٧٤ , ٥٥٣
ترسيس(؟) كتابهُ في تدبير المنزل ١٦١–١٨١
همّام (المرحوم جرجس) ما نظم ليرسم على ضريحهِ ٧١٧
يوحنّا فم الذهب : مبسرهُ في عيد الفصح ٢٥٠ اثر عربيّ قديم لهُ : رسالتهُ الى تاودوروس ٥٨٠–٥٩١

فهرس ثالث

للمطبوعات الشرقية التي ورد وصفها في السنة الثامنة عشرة من المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ الكتب العربية والسريانية والتركية والارمنيّة الخ

ابن شنب (محمّد) : الذخيرة السنيّة في تاريخ الدولة المرينيّة (١٥٣)
ابوناضر (الدكتور طانيوس) الطبيب الطريد (٧٢)
الاتحاد اللبناني في القطر المصري (٣٦٤)
الاحدب (الشيخ ابراهيم) : كشف المعاني والبيان من رسائل بديع الزمان (٣٦٥)
الباني (محمّد سعيد) تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر (٧٣)
البستاني (يوسف توما) الفخريّ لابن الطقطقي (١٥٦) – نوادر الحرب العظمى (٣٦٦)
بلاديوس (القس بواكيم) كتاب التعليم الرهباني ٨٧٢
التعليم الوطنيّ اللبناني (٥٥٠)
ثابت (كريم خليل) : غليوم الثاني (٩٥٤)
جباره (الاب الياس اليسوعي) : صلوات ورياضات واناشيد روحيّة ٣١٥ -
الخوري (الاديب شكري) : الدواء الشافي ٤٧١
(خويري الخوري بطرس) : الرحلة السوريّة في الحرب العموميّة (٩٥٤)
خير (الاديب عبدالله رزق الله) : انتقاد

قرار الديون (٥٥١)
خيرالله (امين ضاهر صليبا) رواية المسلّم الساوي — كتاب نغمات الملائكة (٤٧٠)
حرفوش (الخوري ابرهيم) : قدوة الصلاح في ترجمة الاب اسطفان قزاح (٧١)
داغر (الاب ليباوس) منية القلوب في سيرة حبيس حوب (٢١٥)
داغر (اسعد خليل) : رسبوتين الراهب المحتال (٢٩٦)
رحمة (الاديب ميخائيل) فرض العبادة الواضحة (٦٣٦)
زيدان (المرحوم جرجي) مختاراته (١٥٧؛ ٧١٥)
السوداء (الاديب يوسف) : في سبيل لبنان (٨٧١)
شلحت (المنسنيور جرجس) مار افرام كنّارة الروح القدس (٧١٦)
الشالي (السيّد بشاره) منثور رعائي (٤٧٠)
شهاب (وديع رشيد) تعريبه لكتاب فيلكس توما « التربية في العائلة » (٦٣٧ ; ٧١٥)
شيخو (الاب لويس اليسوعي) : كتاب الكتّاب لابن دريد (٦٥٥)
صادر (سليم ابراهيم) كتاب الحساب (٧٩٤)
صالحاني (الاب انطون اليسوعي) شهر قلب يسوع (طبعة ثانية) — الكنز الروحي — فرض الحبل بلا دنس (٤٦٩)
عبّود (القسّ بولس) تعريب تقاليد فرنسة في لبنان للمسيو ريستلهوبر (٧١٥)
عزيز (المحامي فيليب افندي) الموجز المنيف في علم المواريث (٧٩٤)
عسّاف (الارشيمندريت ميشل) الجمعيّة المنصوريّة الدمشقيّة (٢٩٥)
(عطيّة جرجي شاهين) : ردّ الشارد الى طريق القواعد (٨٧٣)
عوّاد (الخوري منصور) ماذا عمل الخوري ؟ ١٥٦
غصن (الخوري مارون) : انّ هذا لسرٌّ عظيم (٤٧٠)
فهمي (حنّا اسعد) : تاريخ الفلسفة من اقدم عصورها (٦٥٥)
قديد (الاب ميخائيل) ترجمة سيرة الكاهن الارمني الشهيد دير غوميداس (٨٣٨)
قزح (الخوري بطرس) : مقالة في الاعتقادات الباطلة (٤٧١)
كرم (القس واصاف) : خواطر روحيّة (٦٢٧)
الكرمي (محي الدين احمد شاكر) : الكرميّات (٤٧١)
لبيب (حسين افندي) : تاريخ المسألة الشرقية (٧١٥)
مبارك (القس ثابت الديراني) تتمّة دستور الرؤساء للاب قالوي (٧٣) — تعريب التأمّلات اليوميّة للاب شيفاني (٥٥٠)
مبارك (القس المتني) تعريب دستور الرؤساء للاب قالوي اليسوعي (٧٣)
مسلم : سوريا للسوريّين (٤٧١)
المعلوف (عيسى اسكندر) : معارضات قصيدة يا ليل الصبّ (٤٧٣)
موسى (المنسنيور باسيليوس) الدين والوطنيّة (٢٢٧)
مي (الآنسة) : غاية الحياة (٥٥١) — تعريبها لكتاب مكس مولّر الابتسامات والدموع (٨٧٣)
نجم (الخوري فرنسيس) رواية شهيد الدين (٤٧١)
نصره (جبرائيل المهندس) التعبية في لعب الشطرنج (٢٢٧ ; ٨٧٣)

٢ مطبوعات اوربيّة

Achard (F. L.): Le Coton en Syrie et en Cilicie (790)

Alma Mater. Collegium Urbanum de Propaganda Fide (869)

Almanach Catholique Français pour 1921 (232)

— — **Almanach des Familles Chrétiennes pour 1921** (232)

Antonelli (E.): La Russie Bolchéviste (793)

Aragon (Dr R.): Mon voyage au Restland (793)

Arrhénius (S.): Le destin des Etoiles (713)

Asin y Palacios (Miguel): Logia et Agrapha Domini Jesu apud Moslemicos (235) — Los precedentes Musulmanes del « Pari de Pascal » (467)

Axel Moberg: The Book of the Himyarites (795)

Axelrod (Alex.): L'œuvre économique des Soviets (311)

Barollles (R.): Un Turc à Paris (152)

Basset (Henri): Essai sur la Littérature des Berbères (236)

Ben Cherif: Ahmed ibn Mostafa Gommier (153)

Ben Cheneb (Mohammed). Ad-Dahirat-as-Sauiyya: Chronique anonyme des Mérinides (953)

Bernfeld (M.): Le Sionisme (393)

Boissy (G.): Pensées choisies des Rois de France (234)

Broedenbeck (A.F.): Die Betriebsfreiheit im Versicherungswesen (791)

Browne (E. G.): A History of Persian Litterature under Tartar Dominion (71)

Bruce-Millard: L'Arabe parlé (466)

Brunot (L.): La Mer... à Rabat et à Salé (468) — Notes lexicologiques (714)

Bureau (Paul): L'Indiscipline des mœurs (231)

Cazin (Paul): L'Humaniste à la guerre (154)

Charles (P. Louis s. j.): Les Jésuites dans les Etats Barbaresques (215)

Chavot (G.): Ce que doit savoir l'employé de bureau (868)

Clérissac (H. o. p.): Le Mystère de l'Eglise (464)

Cocart (l'abbé F.): Enfant, que feras-tu plus tard ? (549)

Delehaye (H.): St Jean Berchmans (612)

Desriben (P. R. s. j.): Industrie Paléolithique en Phénicie (393)

Drault (Ed.): La Question d'Orient (632)

Dubourg (Abbé Maurice): VIe et IXe commandements (234)

Du Mesnil du Buisson et le P. R. Monterde: Inscriptions grecques (546)

Duvillard (E.): Les tendances de l'enseignement primaire (389)

Fagnan (A): Abou Iousof Ya'koub, le livre de l'impôt foncier (868)

Fallex et Malroy: Géographie d'après-guerre (311)

Fliche (Mlle P.): Une française d'Alsace (713)

Fournol (E.): Les chemins qui mènent à Rome (390)

Gaillard (G.): Les Turcs et l'Europe (391)

Général Mangin: Comment finit la guerre (151)

Général Sarrail: Mon commandement en Orient (792)

Gibier (Mgr.): Les reconstructions nécessaires (466)

Gibbons (le Cal): La Foi de nos Pères (711)

Goldziher (I.): Le dogme et la loi de l'Islam (468)

Gorayeb (Jos. s. j.): The Maronite Liturgy (714)

Got (A.): La Contre-Révolution allemande — L'Allemagne à l'œuvre (233)

Guilloux (P. s. j.): L'esprit de Renan (465) — L'Ame de St Augustin (953)

Hitti (Ph. Khûri): The Origins of the Islamic State (309) — Education Guide (869)

Houdas (O.): El-Bokhari, Traditions Islamiques, T. IV (314)

Hubbard (G. B.): The Day of the Crescent (310)

Jacquier (l'abbé E.): Etudes de critique du N.-T. (462)

Jentzer (Kotty): Jeux de plein air

et d'intérieur (389)
Kautsky (Karl): Terrorisme et Communisme (313)
Krenkow (F.): The poetical remains of Muzâḥim al'Uqaili (394)
Labriolle (P. de): Hist. de la Littér. latine chrétienne (464)
La Chesnais (P. G.): Les peuples de la Transcaucasie (390)
Lambelin (R.): Le règne d'Israël (711) — Protocole des Sages d'Israël (795)
Lammens (H. s. j.): Le Califat de Yazid Ier (313)— La Syrie: précis historique, Ier vol. (790)
Landau-Aldanof (M. A); Lénine (636)
La Lavande... les simples (791)
Le Bec (Dr): Critique des guérisons surnaturelles (547)
Leclerc (C.): Hist. du Moyen-Age (547)
Ledos (E. G.): Joseph Denais (235)
Legendre (Dr A. F.): Tour d'Horizon mondial (70)
Lemeur (E.): La Franc-Maçonnerie Artésienne (389)
Loris-Mélicof (Dr): La Révolution russe (391)
Loti (P.): La mort de notre chère France en Orient (634)
Malinjoud (Abbé): Catéchisme des Tout Petits (870)
Massé (H.): Essai sur le Poète Saadi — Bibliographie de Saadi (153)
Mélanges de l'Université St Joseph, T. VIII (545)
Mermeix: Les négociations secrètes et les armistices (767)
Monniot (Al.): Le Crime rituel chez les Juifs (712)
Mourret (F.): Hist. Gén. de l'Eglise, T. IX (547)
Mylès (H.): La fin de Stamboul (710)
Obermann (Dr J.): Der Philosophische und Religiöse Subjectivismus Ghazalis (951)
Périer (Aug.): Yahia Ben Adi — Traités apologétiques (631)
Rabaud (E.): Eléments de Biologie (712)
Redan (H.): La Cilicie et le problème Ottoman (548)
Riedel (W.): Untersuchungen zu den Tell-el-Amarna Briefen (951)
Ross (E. d.). An arabic Hist. of Gujarat, vol. II (710)
Rouch (J.): Manuel pratique de Météorologie (231)
Rougé (Cte Em. de): Manifestations diaboliques (549)
Rouillon: Pour la Turquie (635)
Russell (B.): La pratique et la théorie du Bolchévisme (793)
Salooby (N. M.): Arabic transliteration (467)
Salotti (Mons. Carlo): Vita e Martirio del beato Oliv. Plinkot (870)
Samné (Dr G.): La Syrie (69)
Schostakovsky (Paul): Deux ans et demi au Pays des Bolchéviks (232)
Soualah Mohammad: Ibrahim ibn Sahl — Une élégie andalouse (152)
Sokolov (Dr B.): Le voyage de Cachin et de Frossard en Russie (635)
Sykes (Sir Percy). A Hist. of Persia (633)
Tedjini (B.): Manuel de conversation fr. — marocain (466)
Tixeront (l'abbé J.): Mélanges de Patrologie (463)
Tournebize (P. Fr. s. j.): Documents inédits, T. II, fasc. 3 (155)
Un Capitaine de Cavalerie: Jeanne d'Arc, la Sie de la Patrie (234)
Vanderverst (J.): Israël et l'ancien Orient (633)
Verbum Domini: Commentarii de re Biblica (312)
Vichniac (Marc): La protection des droits des Minorités (311)
Vie de la Mère M.—Magd. Ponnet (314)
Vivier (P.): Télépoptique des orages et des tremblements de terre (792)
Walcheren (P. v. d. Moer de): Journal d'un Converti (892)
Wyman Bury (G.): Pan-Islam (952)
Yvon de St Gouric: Une âme aimante (234)
Zanotti-Bianco e Lami: La Pace di Versailles (155)

فهرس رابع

لجميع موادّ المشرق على ترتيب حروف المعجم

* ا * الآثار القديمة في سوريّة ولبنان ٨٧٩
في سراب ٨٥٩ – ٨٦٢
آسية وترقي الكثلكة فيها ٩٥
الآلة الناسخة ٣٤٧–٣٥٢
آية وقوف الشمس في سفر يشوع ٧٣٠
الابرة المغناطيسيّة عند العرب ٨٠
ابرهيم الخليل وتشييدهُ لمدينة حلب ١٦٠
ابن دُريد : منظوماتهُ في الممدود والمقصور ٦٤
ابو البركات ابن كُبر خطبتهُ لعيد الفصح ٢٤١
اثر قديم للملك يوستنيان في بيروت ٣٢٩
اثران عربيان للاحبار الرومانيّين في الماسونيّة ٨٠١–٨٠٧
ادوار حياة النجوم ٦٤١ – ٦٥٢
الاردنّ والذبائح الجارية في شرقيّهِ ٢١–٢٩
ارسطو ورسالتهُ تدبير المنزل ٢٥٧
الارض : الاقيسة الحديثة لقياس بُعد النجوم عنها ٤٤–٤٦
الارمني الطريد ونجاتهُ من الاتراك ٢٧٥
الاسقف الطريد ٧٧٠–٧٧٧
الاسلام وفنّ التصوير ٧١٦
الاسواق والمعارض ٤٤٤ – ٤٥٢
الاصداء الشهيرة ٣٩٧
اصلاح لوتاروس المرحوم ٨٩٠–٨٩٥
اصفر (سليم) وفاتهُ ٥٥٤
اطول قناة في العالم ٤٧٤
اغناطيوس دي لويولا وتذكار ارتدادهِ ٨٩٥ – ٨٩٧
افرام (القديس) مديح القديس غريغوريوس نيسس فيهِ ٤٥٣ ; ٥٠٦
تعريب محاورتهِ السريانيّة بين الخاطئة والشيطان ٦٠١–٦٠٦
افريقية : الكثلكة فيها ٩٤
افريقيا الحكيمة وقصّتها مع سليمان الحكيم ٩٠٣–٩٠٨
اكتشافات زراعيّة ٧٨
المانية في السنة ١٩٢٠ ١٦
اليانو (الاب جوان باطشا) ختام سفرتهِ الثانية الى لبنان ١٢٨ وتبريرهُ من التهم (٧٦٥)
ام حرام : وفاتها في قبرس ٧٩
اميركة والكثلكة فيها ٩٢
الانتحار واثمهُ الفظيع ٧٨٤–٧٨٩
الانتخاب الطبيعي ورأي دروين فيهِ ٧٤٣–٧٥٠
الانجيل وتمرينهُ في الطبعات البروتستانيّة ٨٠٠
الانسان وتزييف مزاعم دروين في اصلهِ ٨١٤–٨٢٨ ; ٩٠٨ ; ٩١٨
انكلترّة في العراق وفلسطين ومصر ٣٠
اوربّة الشرقيّة في السنة ١٩٢٠ ١٧ اوربّة الكاثوليكيّة ٨٣ وغير الكاثوليكيّة ٨٩
اوقيانية والكثلكة ٩٤
ايطالية في السنة ١٩٢٠ ١٦
ابن تلك الازمان ٧٨
ايّوب : شهادة من سفرهِ على قيامة الموتى ٨٧٧
* ب * البابا حنّة وخرافتها ٨٥٤–٨٥٩
باخوس (خليل طنّوس) وفاتهُ ٨٧٦

باريس واول مركبة هوائية فيها ٨٦٤–٨٦٧
البترول ومسألته ٤٩٥–٥٠٦
البدلة الشرقية في العقس الماروني ٤٧٦ ؛ ٦٢٨
بيناء ملك رومية ٩١٩–٩٢٦
البرسكوب او عين النواصات ٨٩٧–٩٠٢
برصليبي وكتاب الكهنوت ١٥٨
بركمانس (القديس يوحنا اليسوعي) المئة الثالثة لوفاته ٥٦١–٥٧١
بريطانية العظمى في السنة ١٩٣٠ ١٢
البصرة وضيقة حال علمائها ٧١٧
بأرمين (المكرّم الكردينال روبرتس) المئة الثالثة لوفاته ٥٧١–٥٧٩
البصل دواء الحمّى التيفوئيدية ٦٢٨
بكسهل ومكتبتها الكاثوليكية ٩٨–١٠٨
البلشفية واليهود ١٥٩ كفر البلشفيين وشكراتهم ٢١٩
بنيامين (جرجس) اسقفان ماروتيان جذا الاسم ٨٨٠
بيروت : اثر قدم فيها الملك يوستنيان ٣٢٩
دار كتبها الكبرى ٢٩٧ معرض بيروت ٥٣٧ رسالة القس الى اهلها (فكاهة) ٨٧٧
* ت * التحف الفنية الفرنسوية في روسية ٨٧٦
التحوّل والترقي وانتقاد مذهبها ٧٣٩
تدبير المنزل (كتابة المنشور) ١٦١ – ١٨١
رسالة تدبير المنزل لاوسطار ٢٥٧
التذكار الحسيني لحماية القديس يوسف ١٨٧ لافتتاح قناة سويس ٢٩٠
التذكار المئوي الرابع لوفاة لاون العاشر ولمناداة لوتارنوس بالاصلاح ولارتداد اغناطيوس دي لويولا ٨٨١ – ٨٩٧ لوفاة ماجلان ٢١٦
الترائي عن بُعد وإمكانه ٤٣١
الترك (قولا) : سنة وفاته ٧٨
تركية في السنة ١٩٣٠ ١٨
التصوير الشمسي الملوّن ٨٠٨–٨١٤ التصوير في الاسلام ٧٩٦
التعليم الاجباري ٤٢٥–٤٤٤
تكريس لبنان الكبير لقلب يسوع ٢٢١ – ٢٢٨
تنصّر الامير عبدالله اللمعي ٢٧١–٢٧٨
تواريخ العالم وروز تاماته ١–١٠
التولّد الذاتي وبطلانه ٧٣٩
توما (الرسول) وتبشيره في الصين ٥٥٦
تونس : صفحة من تاريخها ٢١٥
* ج * جامستان اميريكيتان ٢٢٩
جان دارك (القديسة) واكرام كاتبة سلمة لها ١٠٨
الجراحة واعظم اكتشاف جراحي في الجيل العشرين ٢٥٠–٢٥٧
جنفياف دي برابان ونظم روايتها ٦٥٢–٦٥٩
الجوهر الفرد والماديون ٦٦٧
* ح * حامل كفنه (فكاهة) ٥٥٢
الحبّ البنوي (رواية) ٢٢٢ –٢٢٧
الحرارة والنور ٧٢٠
حرير الارز ٢٩٧
الحشرات النافعة : معهد جديد لتربيتها ٢١٩
حلب ورحلة حديثة اليها ٧٥٠ المشاريع الكاثوليكية فيها ٨٤٣
الحمّى التيفوئيدية وعلاجها بالبصل ٦٢٨ الحمّى الملارية وعلاجها عند العرب ٦٢٧
الحيوانات الداجنة وتربيتها ١١٤–١٢٤ ذكاء الحيوان ٦٢٨
الحيّات المطلقة ٧١٨ تحف الحيّات لابن خزاية الوزير ٧١٩
* خ * الخازن : الشقيقان فيليب وفريد

شهدا لبنان ٤٠١-٤٠٨
الخاطئة والشيطان : تعريب شعري لمحاورة سريانيَّة وضعها مار افرام ٦٠١-٦٠٦
خرافة البابا حنَّة ٨٥٤-٨٥٩
خلاصة تاريخ العام المنصرم ١١-٢٠
خميس الاسرار : خطبة ابي البركات ابن كبر فيه ٢٤١
* د * داود النبي والدعوات في مزاميره ٦٧٠
درب الصليب : اصل هذه العبادة ٦٦٠
دروين : تفنيد مذهبه في النشوء والتحوُّل واصل الانسان ٦٠٦ ; ٦٥٩ ; ٧٣٩ ; ٨١٤
تفنيد اعتراضاته ٩٠٨
الدعوات في مزامير داود ٦٧٠-٦٨٧
دنديني : (الاب ايرونيموس اليسوعي) وسفارته الى لبنان سنة ١٥٩٦ ٧٥٨
دومينيك (القديس) : المئة السابعة لوفاته ٦٨٨
دير المخلص وتاريخهُ ١٦٠
* ذ * الذباب وتناسلهُ العجيب ٧١٦
الذبائح عند العرب في شرقي الاردن ٢١-٢٦
ذكرى اليمة (قصيدة) ٨٧٤
ذكرى لوفاة نابوليون الاول ٩١٩-٩٢٦
* ر * راهبات المحبة الشهيدات سنة ١٧٩٦ ٢٦٢
رحلة حديثة الى الشهباء ٧٥٠ — ٧٥٨
الرزّي (سركيس البطريرك) وفاتهُ ٧٦٦
الرزي (يوسف البطريرك) انتخابهُ ٧٦٧
رسالة العصر الجديد ٢٣٨ الرسالة الفرنسيَّة وشهداؤها في الولاية الحلبيَّة ٢٠٦-٢١٤
الرسالات الكاثوليكيَّة في الصين ٧١٧
روزنامات العالم ٧-١٠
رومية والحبر الروماني سنة ١٩٢٠ ٨١-٨٣
ريان : بطلان مزاعمه ٧٩
* ز * الزجاج وتنظيفهُ ٣٢٠
الزراعة : اكتشافات زراعيَّة ٧٨
الزهراء في الاندلس وايات على باجا ٢٤٠ بناؤها ٥٥٣
* س * السبيريتم او مناجاة الارواح ٢٧٨ ; ٢٥٣
سفارة الاب دنديني اليسوعي الى لبنان سنة ١٥٩٦ ٧٥٨-٧٧٠
سفر المستقيم في الكتاب المقدَّس ٧٢٠
السل والزهري وشفاؤهما ٨٧٨
سلطان يسوعي : المولى محمَّد العبَّاس ٢٢٠-٢٢٥
سليمان الحكيم وقصتهُ في قصر عاد بن شدَّاد ٦٩٥ ; ٧٢٢ افيقيا الحكيمة وسليمان الحكيم ٩٠٤
سوريَّة وفرنسة في العام ١٩٢٠ ١٩ الملائق الاولى بينهما ٤٩-٥٥ آثار سوريَّة القديمة ٨٧٩ = السوريُّون ومآثرهم القديمة في فرنسة ٤٩
سويس : التذكار الخمسيني لانتاج قناطا ٢٩٠
* ش * شبلي (المثلَّث الرحمات المطران بطرس) قبل وفاته ٨٧٤
الشطرنج : اصل هذا اللعب ٧٩٧ فوائد في اصله وحكمته ٨٣٥-٨٤٢
الشعر النصراني وشعراء النصرانيَّة ٨٧٨ ; ٨٤٩ ; ٩٢٩
الشمس وآية وقوفها في سفر يشوع — النظر الى الشمس ٧٣٠
شهيد الاستانة الكاهن غوميداس الارمني ٨٢٤-٨٢٨
شهدا لبنان : الشيخان فيليب وفريد الخازن ٤٠١-٤٠٨
شهيدات المحبَّة في ثورة فرنسة الكبرى ٢٦٢-٢٧٤
الشوكولاتا واصلها ٦٤٠
* ص * صفحة من تاريخ الكثلكة في الاستانة ٧٧٠
صقليَّة : زلازلها الهائلة سنة ١٧٨٣ ٩٥٧
الصليب والمصلوب : ايضاحات عنهما ١٦٠

الصناعة والتجارة في العام ١٩٣٠ ٢٠٤
الصور الشمسيّة وتقلها بالمجرى الكهربائي ٤٢٤
الصين وتبشير القديس توما فيها ٥٥٦ ترقّي الرسالات الكاثوليكيّة في الصين ٧١٧ بعثة علميّة الى الصين ٧١٧–٧١٨
* ط * الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس والسابع عشر ١٢٨ ; ٢٩٣ ; ٦١٨ ; ٧٥٨
الطريد الارمني ونجاتهُ من الاتراك ٢٧٥
الطيّارات ونقل المسافرين والبريد عليها ٧٢١–٧٢٢
الطيران وترقّي فنّهِ ١٩٥ , ٢٩٨
طيماثاوس الجاثليق : المحاورة الدينيّة بينهُ وبين الخليفة المهدي ٢٥٩ ; ٤٠٨
* ع * عاد بن شدّاد وقصرهُ ٧٢٣ – ٧٢٨
العادات النصرانيّة بين عرب الجاهليّة ٤٦٠ ; ٦١٨ ; ٧٠٥
العالم : تواريخهُ وروزناماتهُ ١–١٠
العام المنصرم : خلاصة تاريخهِ السياسي ١١–٢٠
الديني ٨١–٩٧ العلميّ ١٩٣–٢٠٥
عبدالله اللمعي (الامير) وتنصّرهُ ٢٧١–٢٧٨
العرب والابرة المغناطيسيّة ٨٠
علاجهم للحمّى الملاريّة ٦٣٤ النصرانيّة بين عرب الجاهليّة (الطلب النصرانيّة)
عزرا الكاتب وقبرهُ ٤١٨–٤٢٢
العلوم وترقيها في السنة ١٩٣٠ ١٩٣ العلوم والصنائع بين نصارى العرب ٥٥ ; ١٤٦ ; ٢٢٦ ; ٢٠٢
عملة الورق وكفالتها الذهبيّة ٧٦
العنّبة وزرعها ٨٨٠
العنكبوت : درسٌ في انواعهِ وطباعهِ ٢٢٨–٢٤٦ متانة خيطهِ ٢٩٨
عيد البشارة في يوم جمعة الآلام ٢٢٠
عين الغوّاصات او البرسكوب ٨٩٧
* غ * غريغوريوس نيسس (القديس) مديحهُ في القديس افرام ٤٥٣ ; ٥٠٦
الغزّالي ورأيهُ في النفس ٤٠٠
الغزّي (الشيخ صالح) وكتابهُ سونة الحقّ والقلفي ٤٠٠
الفقارين وبعض الشروط لربحها ٢٤٠
غومبداس الكاهن الارمني الشهيد ٨٢٨
* ف * الفحم الاحمر ١٨١–١٨٧
الفرمسون : كشف الظنون عن حال الفرمسون ٤٨٦ (الطلب الماسونيّة)
فرنسة في السنة ١٩٣٠ ١٢ فرنسة وسوريّة ١٩ العلائق الاولى بينهما ٤٩–٥٥ فرنسة الكاثوليكيّة ٨٢ فضلها على الجزائر ٢٣٩
الفرنسويّون واوّل مآثرهم في سوريّة ٥١ فرنسيس (مار) المثّة السابعة لإنشاء رهبانيّتهِ الثالثة ٥٢٨
الفصح وتأخرهُ عند الروم في السنة ١٩٢٠ ٤٢٦
الفلاحة وترقّيها ٢٠٣
الفلسفة : المذاهب المستحدثة لاصحابها في الاعصر المتأخرة ٥١٧–٥٢٧
فولتير ورحلتهُ الى الشام ٤٠٠
* ق * قبر عزرا الكاتب ٤١٨–٤٢٢
القدّاسات وتوزيع حسناتها ٦٤٠
قدّس وعادياتها ٥٥٥ ; ٨٧٩
قصّة سليمان بن داود في قصر عاد بن شدّاد ٦٩٥ ; ٧٢٣ قصّتهُ مع افيقيا الحكيمة ٩٠٤
قطّان (كيرياسيلوس مطران بيروت) ٢١٦
قلب يسوع الاقدس وتكريس لبنان لهُ ٢٢١ تعبُّد الموارنة لهُ ٢٢٣–٢٢٥ قلب يسوع في صدر لبنان (قصيدة) ٤٧٣
القلب الجريح فوق الضريح ٧٦٦
القمر ورسالتهُ السلاسلكيّة الى اهل بيروت (فكاهة) ٨٧٧
قنوبين المجمع المعقود فيها سنة ١٥٩٦ ٧٦٤

قوّة محرّكة جديدة ٥ النجم الاحمر ١٨١
* ك * كاتبة مسلمة وأكرامها لجان درك ١٠٨
الكتب المنشورة سنة ١٩١٨ ٧٧
الكليّات الكاثوليكيّة في الولايات المتّحدة ٥٥٢
الكنيسة واحوالها في العام المنصرم ٨١-٩٧
لاون العاشر والمئة الرابعة لوفاته ٨٨١-٨٩٠
لبنان الكبير وتكريسهُ لقلب يسوع ٢٢١
سفارة الاب دندبني اليه سنة ١٥٩٦ ٧٥٨
آثارهُ القديمة ٨٥٩؛٨٧٩ لبنان والمهاجرة (قصيدة ٧٤)
لتران في المرّيخ ٥٩١-٦٠١
لوتاروس وتذكار مناداته بالاصلاح ٨٩٠-٨٩٥
الليوتشان كازال وتأثرهُ في الطيران ٢٩٨
م المئة الثالثة لوفاة يسوعيّين جليلين ٥٦١-٥٧٩
المئة السابعة لإنشاء رهبانيّة مار فرنسيس الثالثة ٧٥٢ ولوفاة القديس دومينيك ٦٨٨-٦٩٥
ماجلّان : المئة الرابعة لوفاته ٢١٦
الماديّون وعلم النجوم ٦٥١ مذهب الماديّين والجوهر الفرد ٦٦٧
الماسونيّة : عقل صنّين — رئيس الشرق الاعظم ٢٢٨ الماسونيّة في بيروت ٢١٨ الماسونيّة والحرب الكونيّة ٤٧٥ الوقائع الماسونيّة وانتقادها ٤٧٩؛ ٦٢٨ كشف الظنون عن حال الترسون ٤٨٦ خديعة ماسونيّة ٥٥٤ حرم اصحابها عن الاسرار ٥٥٦ اثران عربيّان للاحبار الرومانيّين في الماسونيّة ٨٠١-٨٠٧
مثال العفاف في رواية جنفياف (بالشعر) ٦٥٢
المجمع العلمي العربيّ في دمشق ٥٥٥
المحاورة الدينيّة بين الخليفة المهدي وطيماثاوس الجاثليق ٢٥٩؛ ٤٠٨
محاورة سريانيّة بين الخاطئة والشيطان ٦٠١
المحيط : نظرة الى بعض عجائب قعره ٥٢٥
المدرسة المارونيّة في رومية في القرن السادس عشر : مبادئها ١٤١ ؛ ٢٩٥ قوانينها ٢٩٧
المذاهب المستحدثة للفلاسفة الاصر المتأخرة ٥١٧-٥٢٧
المذهب الدرويني واصل الانسان ٦٠٦؛ ٦٥٩؛ ٧٣٩؛ ٨١٤؛ ٩٠٨
المرصد الفاتيكاني ٧٩٧
المركبة الهوائيّة الاولى في باريس سنة ١٧٩٤ ٨٦٤-٨٦٨
المرّيخ (السيّارة) حلّ لغزين فيها ٥٩١-٦٠١
مريم العذراء وعمادها ٧٩٩
مزامير داود وما فيها من الدعوات ٦٧٠-٦٨٧
مسألة البترول ٤٩٥-٥٠٦
مسابكي (الدكتور سمعان) وفاتهُ ٨٧٦
مسّينة : خرابها في زلازل سنة ١٧٨٣ ٩٥٧
مشاكل كنائيّة ولاهوتيّة ١٦٠ ؛ ٢٤٠؛ ٢٢٠؛ ٤٧٦؛ ٥٥٦؛ ٦٤٠؛ ٧٢٠؛ ٨٠٠؛ ٨٧٧
المعارض والاسواق ٤٤٤-٤٥٢ معرض بيروت ٥٢٧-٥٢٥
معراب وآثارها القديمة ٨٥٩-٨٦٢
معهد جديد لتربية الحشرات النافعة ٢١٩
المقتطف واليسوعيون ٥٥٥ مزاعم هذه المجلة الغريبة ٧٩٨
مضحكاتها ٨٧٨-٩٥٧
مكار (البطريرك كيرلّس) ٥٥٤
مكتبة كاثوليكيّة في بكسهل ٩٨-١٠٨
مناجاة الارواح او السبيريتيسم ٢٧٨؛ ٢٥٣
منشور بطريركي لتبعلة بطريرك السريان ٢٩٦
المهدي الخليفة والمحاورة الدينيّة بينهُ وبين طيماثاوس الجاثليق ٢٥٩؛ ٤٠٨
المهديّة وفتحها سنة ١٥٥٠ ٢١٥
الموارنة واليسوعيّون في القرنين السادس والسابع عشر ١٢٨؛ ٢٩٣؛ ٦١٨؛ ٧٥٨ المدرسة

المارونيّة في رومية ١٤١ ; ٢٩٢ تكريس الطائفة المارونيّة لقلب يسوع ٢٢١ البدلة اللاتينيّة عندهم ٦٢٨
الموز : استخراج الحرير منهُ ٢٩٧
المولى محمّد العبّاس السلطان اليسوعي ٢٢٠–٢٢٥
* ن * نابوليون الاوّل : ذكرى لوفاته ٩١٩–٩٢٧
الناموس الجاذب وتحويرهُ ٢٩٨–٢٩٩
النبانات النيّرة ٤٧٤
النجوم : احدث الطرق لقياس بُعدها عن الارض ٤٤–٤٩ ادوار حياة النجوم ٦٤٠–٦٥٢
النسخ : آلة جديدة للنسخ ٢٤٧
النشوء والتحوّل وادوارهُ ٦٥٩
نشيد المدارس الدينيّة ١٥٧
النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة : العلوم والصنائع بين نصارى العرب ٥٥ ; ١٤٦ ; ٢٢٦ ; ٢٠٢ ; ٢٨٥ التعليم ٢٨٦ العادات الدينيّة ٤٦٠ ; ٦١٨ العادات الشرعيّة والاجتماعيّة ٦١٢ ; ٧٠٥ الشعر النصراني وشعراء النصرانيّة ٧٧٨ ; ٨٤٩ ; ٩٢٩ نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط ٥٢٥ نقل السافرين والبريد بالطيّارات ٧٢١–٧٢٢
النقود النصرانيّة بين العرب ٢٠٤ ; ٢٨٥ النقود بالاوراق الماليّة ٧٦
النور والحرارة ٧٢٠
* ه * هكّل والجوهر الفرد ٦٦٧
الهلال : ردّ على هذه المجلّة ٦٢٨
همّام (المرحوم جرجس) ٦٢٩ ما نظم لضريحهِ ٧١٧
الهند الانكليزيّة في الحرب الكونيّة ٧٩٧
* و * وقفة بين الناصرة وبيت لحم (قصيدة) ٢٩١
الولايات المتّحدة وكلّياتها الكاثوليكية ٥٥٢ ترقّي الكثلكة فيها ٩٢ ; ١٥٩
اليسوعيّون : سلطان يسوعي المولى محمّد العبّاس ٢٢٠ اربعة مارشاليّة من تلامذتهم ٢٢٩ المتقطف واليسوعيّون ٥٥٥ مرصدهم في شنغاي ٧١٧ اوسمة للآباء اليسوعيين في سوريّة ٩٥٩
اليهود والبلشفيّة ١٥٩
يوحنّا فم الذهب : سيرهُ لبيد النصح ٢٤٥ رسالتهُ الى تاودوروس المرتدّ عن الرهبانيّة ٥٨٠
يوسف (القديس) التذكار الحسبتي لحاجتهِ ١٨٧
يوسف الاوّل بطريرك الكلدان وترجمتهُ لتلميذهِ باسيليوس ١٢٤–١٢٨

اصلاح بعض اغلاط وقعت في اعداد هذه السنة

الصفحة ٤٤ السطر ٧ (٣٠٠,٠٠٠) والصواب ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠=٦٤ ; ١٥ (بعدّ) ص «يُعدّ» = ١٥٤ : ٢٠ (Lazin) ص «Cazin» = ١٦٣ : ٢ (متقضياً) ص «منقضياً» = ١٦٥ : ٢١–٢٢ (مع الانام الموثقة) ص مع الآثام الموبقة=١٦٧ : ١٦ (بالسوء) ص «بالسواء»=١٦٨ : ٥ (الحاجة اليه) قد سقط هنا سطر من الاصل فيصلح هكذا «عرف اوقات الحاجة الى كلّ شيء قام يُقدم على اتخاذ شيء قبل وقت الحاجة اليهِ فيفسد» = ١٦٩ : ٢ (لشراهُ) ص «لشرائهِ» = ٢٠٨ : ١١ (سبعة كيلومترات) ص «سبع ساعات» = ٢٣٩ : ٢ (زوجين او اكثر) ص «لا اكثر» – ٩ (غانية ازواج من العيون) ص «غانية عيون» – ٢٦ (زوجان من المحاجن) ص «زوج» = ٤٧٥ : ٢٤ (توفيت في غضون الحرب) والصواب انّها «توفيت في ٣٠ صفر ١٣٣٢» (١٩ ك٢ ١٩١٤) اي قبل الحرب = ٦٦٨ : ٧ (زعم دروين) ص «زعم هكّل» = ٧١٧ : ٢٠ (فوصة شنغاي) ص «مرصد شنغاي» = ٨٨٤ : ١٤ (سنة ١٩١٣) = ص ١٥١٣ = ٨٨٥ : ١٢ (ابن اخيهِ) ص «ابن عمّهِ»

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Dix-Neuvième Année

1921

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1921

TABLES DES SOMMAIRES

XIXe ANNÉE 1921

JANVIER

Les Ères et les Calendriers du Monde (page 1) : *P. Louis Cheikho s. j.*

La revue de l'année 1920 (p. 11) : *P. Gabriel Leveng s. j.*

Les Sacrifices chez les Bédouins de la Transjordane (p. 21) : *L'abbé Paul Salman.*

Entre Betléhem et Nazareth (poésie) (p. 39) : *L'abbé Raphaël Bostani.*

Les mesures actuelles des distances entre la Terre et les Étoiles (p. 44) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

Les premières relations entre la France et la Syrie (p. 49) : *P. Henri Lammens s. j.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'Islam (suite) : Sciences et Arts (p. 55) : *P. L. Cheikho s. j.*

Poésies philologiques d'Ibn Doreid (p. 64) : *Le même.*

Bibliographie orientale (69) — Varia (74) — Questions et Réponses (80).

FÉVRIER

Bulletin religieux de l'année 1920 (p. 81) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Bibliothèque de Bexhill (p. 98) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

Hommage d'une dame musulmane à Jeanne d'Arc (p. 108) : *Mme Zaïnab Fawwaz.*

La domestication des Animaux (p. 114) : *P. Alex. Torrend s. j.*

La vie du Patriarche Chaldéen Joseph I († 1707) (p. 124) : *L'évêque Basile Abd-al-Ahad.*

La nation Maronite et la Cie de Jésus aux XVIe et XVIIe siècles (suite) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant
(suite): Sciences et Arts (suite) (p. 146): *Le même.*
Bibliographie orientale (152) — Varia (158) — Ques
Réponses (160).

MARS

Un traité inédit d'Économie domestique (p. 161): *P. I*
kho s. j.

Une nouvelle force motrice : le charbon rouge (p. 181) :
phaël Nakhlé s. j.

Le Cinquantenaire du Protectorat de St Joseph (p. 191)
Cheïkho s. j.

Bulletin scientifique de 1920 (p. 193): *Le même.*
Les derniers Martyrs Franciscains dans le Wilayet
(p. 206): *Le même.*

Une page de l'Histoire de Tunis : la conquête de Mahdia
(p. 215): *P. Louis Charles s. j.*

Un Sultan Jésuite : Mouley Muhammad 'Abbas Sultan
(p. 220) : *Le même.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l
(suite) : Sciences et Arts (suite) (p. 226): *P. L. Cheïkho s. j.*
Bibliographie orientale (231) — Varia (238) — Questi
Réponses (240).

AVRIL

Prône pour le Jeudi-Saint par Abu'l Barakât ibn Cobar (
P. L. Cheïkho s. j.

Homélie arabe de St Jean Chrysostôme pour la fête de P
(p. 246): *Le même.*

La greffe morte en Chirurgie (p. 250): *P. Raphaël Nakhl*
Les ŒCONOMICA d'Aristote en arabe (p. 257) : *M^r 'Iss*
Malouf.

Les B^ses Filles de la Charité d'Arras (p. 262) : *P. L. Ch*
s. j.

La conversion de l'émir 'Abdallah Bellama' (p. 271) : *I*
Stéphan F. Bach'aldni.

Le Spiritisme (p. 278): *PP. Joseph Monyin s. j. et Josep*
nassa s. j.

Le cinquantenaire du Canal de Suez (p. 290): *P. Ra*
Nakhlé s. j.

Les Maronites et la Cie de Jésus (suite) : Fondation du Collège Maronite à Rome (p. 293) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'Islam (suite) : Marine et Monnaies (p. 303) : *Le même.*

Bibliographie Orientale (309) — Varia (317) — Questions et Réponses (320).

MAI

Consécration du Grand Liban et de la Nation Maronite au Sacré Cœur (p. 321) : *P. L. Cheikho s. j.*

Un édifice construit par Justinien à Beyrouth (p. 329) : *PP. L. Cheikho s. j. et René Mouterde s. j.*

Un trait de piété filiale (p. 333) : *P. X. s. j.*

Les Araignées (p. 338) : *P. Alexandre Torrend s. j.*

L'Autocopiste (p. 347) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

Controverse religieuse entre le Calife al-Mahdi et Timothée le Grand (p. 359) : *P. L. Cheikho s. j.*

Comment j'ai échappé aux massacres des Turcs (p. 375) : *Mr Bedros Arakélian.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'Islam (suite) : L'Enseignement (p. 385) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie Orientale. (389) — Varia (396) — Questions et Réponses (400).

JUIN

Les deux martyrs du Liban: les Cheikhs Philippe et Farid Khazen (p. 401) : *Mgr. Abdallah Khoury.*

Controverse religieuse entre le Calife al-Mahdi et Timothée le Grand (fin) (p. 408) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le tombeau d'Esdras sur le Tigre (p. 419) : *Mr Jos. Ghanimeh.*

La photographie à distance par l'électricité (p. 424) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

L'Enseignement obligatoire (p. 435) : *P. L. Cheikho s. j.*

Les Foires et les Expositions en Orient et en Occident (p. 444) : *Le même.*

Le Panégyrique de St Ephrem par St Grégoire de Nysse (p. 452) : *Le même.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant
(suite) : Les usages chrétiens (p. 460) : *Le même.*

Bibliographie (462) — Varia (472) — Questions et R
(476).

JUILLET

Une Revue Maçonnique à Beyrouth (p. 477): *P. L.Chei*

Critique de la Franc-Maçonnerie (p. 486) : *Mr Mohamm*
'Izz ad Din.

La question du Pétrole (p. 495) : *P. Raphaël Nakhlé s. j*

Le Panégyrique de St Ephrem par St Grégoire de Nys
(p. 506) : *P. L. Cheikho s. j.*

La philosophie moderne depuis le XVIIIe siècle (p. 517):
Joseph Amchiti.

La récente Exposition de Beyrouth (p. 527) : *P. L. C*
s. j.

Les merveilles de l'Océanographie (p. 535) : *P. Raphaël*
lé s. j.

Le 7e Centenaire du Tiers-Ordre de St François (p. 538
Nicolas Papanicolas.

Bibliographie (545) — Varia (552) — Questions et Ré
(556).

AOUT

Le 3e Centenaire de St Jean Berchmans et du V. Cardina
larmin (p. 561): *P. L. Cheikho s. j.*

Une lettre arabe de St J. Chrysostôme (p. 580) : *P. L*
Kalzi o. s. B.

Deux énigmes : les habitants et les canaux de Mars (p. 5
P. Raphaël Nakhlé s. j.

Dialogue entre la pécheresse et le démon (traduit du Syri
(p. 601) : *P. Mobarak Mazra'at al Nahr.*

Le Darvinisme et l'origine de l'homme (p. 608) : *P. Alexa*
Torrend s. j.

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'I
(suite) : ~~les usages~~ chrétions (suite) (p. 618) : *P. L. Cheikho s.*

La nation Maronite et la Cie de Jésus (suite) : Débuts du Co
ge Maronite à Rome (p. 625): *Le même.*

Bibliographie (631) — Varia (637) — Questions et Répo
(640).

SEPTEMBRE

La périodicité de la vie des étoiles (p. 641) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

La Légende de Geneviève de Brabant (poésie) (p. 653) : *Mr Michel Ar-Ridsi.*

Le Darwinisme et l'origine de l'homme (suite) (p. 659) : *P. Alexandre Torrend s. j.*

Les Psaumes imprécatoires de David (p. 670) : *P. Ferdinand Taoutel s. j.*

Le 7mo Centenaire de la mort de S. Dominique (p. 688) : *P. L. Cheikho s. j.*

Salomon au palais de 'Ad ibn Chaddâd (Conte arabe) (p. 695) : *Le même.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'Islam (suite) : Les usages chrétiens (fin) (p. 705) : *Le même.*

Bibliographie (710) — Varia (719) — Questions et Réponses (720).

OCTOBRE

Le transport des Voyageurs et de la Poste en avion (p. 721) : *P. Raphaël Nakhlé s. j.*

Salomon au palais de 'Ad ibn Chaddâd (Conte arabe, fin) (p. 733) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le Darwinisme et l'origine de l'homme (suite) (p. 739) : *P. Al. Torrend s. j.*

Un récent voyage à Alep (p. 750) : *P. L. Cheikho s. j.*

La nation Maronite et la Cie de Jésus (suite) : Délégation du P. Dandini au Liban (1596) (p. 758) : *Le même.*

A la recherche d'un évêque exilé (p. 770) : *Mr Ferdinand Ronzevalle.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'Islam (suite) : la Poésie Chrétienne (p. 778) : *Le même.*

Le Suicide (réponse) (p. 784) : *Le même.*

Bibliographie (790) — Varia (796) — Questions et Réponses (800).

NOVEMBRE

Ancienne Version arabe des deux premières Bulles Pontifi
sur la Franc-Maçonnerie (p. 801) : *P. L. Cheikho s. j.*

La Photographie en couleurs (p. 808) : *P. Raphaël Nakhlé*

Le Darwinisme et l'origine de l'homme (suite) (p. 814
Alexandre Torrend s. j.

Le martyre du prêtre Goumidas (1707) (p. 828) : *P. L. C*
kho s. j.

Les Échecs : leur origine et leur tactique (p. 835) : *Mr Ge*
bey Safa.

Œuvres Catholiques à Alep (p. 843) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'I
(suite) : la Poésie Chrétienne (p. 849) : *Le même.*

La fable de la Papesse Jeanne (p. 854) : *Le même.*

Antiquités trouvées à Ma'ràb (p. 859) : *P. René Mouterde*

Le 1er aérostat lancé à Paris en 1784, par un témoin ocu
(p: 864) : *Cte L-Ph. de Ségur.*

Bibliographie (867) — Varia (874) — Questions et Répo
(880).

DÉCEMBRE

Le 4e Centenaire de Léon X, de la Réforme de Luther et
conversion de St Ignace (p. 881) : *P. L. Cheikho s. j.*

Le Périscope dans les sous-marins (p.897): *P.Raph. Nakhlé*

La légende de la vertueuse Aphiqia et du Roi Salomon (p.9
P. L. Cheikho s. j.

Le Darwinisme et l'origine de l'homme (fin) : Réponse aux
jections (p. 908) : *P. Alexandre Torrend s. j.*

A propos du Centenaire de Napoléon I (p.919): *L'abbé PierreS*

Le Christianisme et la Littérature Chrétienne avant l'Is
(fin) : Les Poètes Chrétiens (p. 929) : *P. L. Cheikho s. j.*

Bibliographie orientale (951) — Varia (957) — Question
Réponses (960).

المشرق

خواطر واحلام في راس العام

للاديب فريد مراد احد تلامذة كليتنا

عند ساحل بحر الحياة امام مدخل الابديّة وقف العامُ الماضي وقفة الحزين اليائس فألقى على العالم نظرة الوداع ثم تنهّد تنهُّدات عميقة صدرت من اعماق قلبهِ وسار ركضاً على طريق اسلافهِ فلم تزل حيناً نسمع وقع خطواته ونلحظ شبح خيالهِ حتى غاص في لجة الظلام وغاب في سواد الابدية

ذلك عام من العمر قد انقضى فابقى في القلوب حسرةً لآثمٍ حملها لمام الديّان وافراحٍ سلبها ومصائبَ انزلها وحياةٍ قرّب بها من ساعة الموت ووهدة القبر !

مضى العام واحسرتاه فكم اضعنا سدًى من اوقاته الثمينة ولم نُنفقها في سبيل خيرنا الآتي. مضى العام وكذلك تمضي الحياة ونحن لا ندري ومنجلُ الموت يحصد الاعمار ونحن عنه غافلون :

تمضي السنون وتنقضي الايام تفنى الحياة وتُمحا الاعوامُ
وتزول ايام الشباب وبهجةُ العيش الرغيد حكاها احلامُ
يا غافلاً قد كاد عيشك ينقضي نضياع عمرك في الحياة حرامُ
إغنم وجودَ الوقت قبل فراقهِ وحذار في يوم الحساب تلامُ

وقبتُ صباح اليوم قرب نافذتي فطرقت مسمعي نغماتُ الاجراس ترنُّ في الفضاء الهادي تدعو المؤمنين الى الصلاة فخُيّل لي ان ألحانها الشجيّة تخترق الفضاء وتتصاعد الى السماء فتمتزج بهبوات البخور وذبائح التقدمة ودعاء المؤمنين وصلوات الكهنة فما اجملها محرقةً ترفعها الخليقة الى عرش خالقها

رأيتُ الشوارع غاصّة بالجماهير العديدة. فهنا صديق يصافح صديقهُ وهناك رفيق

يعانق رفيقهُ وعلى وجوه الجميع لوائح البشر والسرور وعلى الشفاه تتردد كلمات الدعاء : « كل عام وانتم بخير . لا زلتم لسنين عديدة وايام مديدة » لعمري لو افتكر الناس بما يقولون لكفّوا عن الدعاء . وهيهات ان تجدي الادعية نفعاً والايام معدودة والدقائق محدودة والدهر لا يسمع ولا يشفق

لا شيء كالدهر لا يصغي الى احد امسُ اخرس قاسي القلب كالحجر

رأيت الاحداث يسيرون الى الكنيسة وعليهم افخر الثياب وبايديهم الشموع ووجوههم تطفح بشراً وقد ظهر على ثغورهم صفاء قلوبهم النقية البيضاء فاخذ المشهد بمجامع قلبي وعادت الى ذاكرتي أيام حداثتي الهنيئة حيث كنت اقاسم الاحداث افراح العيد واجثو امام مغارة الطفل الاله فانثر للمولود الزهور والرياحين واضفر الاكاليل لهامته الجليلة

أثرت تلك الخواطر في مخيلتي كل التأثير فغصتُ في بحار الاحلام وطارت نفسي مرفرفة في سماء الماضي فرأيت اشباح من مضوا بارزةً امام عيني تحيي ذكر الايام الماضية . رايت وجوهاً كنت اعرفها بالأمس واليوم قد تحولت الى تراب . رأيت اشخاصاً احببتهم كالحياة وقد اختطفتهم من بجواري المنون فتشاكينا لوعة الفراق وألم البعاد . رايت اطفالاً قطف الموت زهرة حياتهم قبل ان يبلغوا ربيع الحياة . وشباناً هصر الموت غصن أيامهم قبل الاوان . وشيوخاً حلّوا في عالم الارواح . رأيت آمالاً خيبها الدهر ورغائب افنتها الايام . رايت العالم يجدّ ويبلى والناس بين فرح وحزن . وسعادة وشقاء . ويأس ورجاء . وموت وحياة . رايت فقيراً رفعهُ الزمان وغنياً حطّ بهِ الدهر . رأيت العالي قد هبط الى الحضيض والخامل وقد ارتفع الى درجات العزّ والسعادة . رايت اماً تسير في عماد ابنها وارملةً تعول وراء نعشهِ . رايت الناس يستبارون ويودّعون . ويولدون ويموتون . يجمعون ثم يتركون . والموت ختم الاناء . رايت الحياة باجلى مناظرها . رايت كل ذلك فلم اتمالك من الدهشة وتأججت نيران الحزن بقلبي فانشدت :

لله عيش المرء : ما اشقاهُ يمضي فيصدع قلبنا ذكراه
أسفي على زمن يزول وينقضي وتسوء بعد جميلها عقباهُ
ويحرّنا نحو الممات وكلنا لاهون تقضي عمرنا جواهُ
يا دهرُ رفقاً بالشباب فلا تكن صلب الفؤاد فان فيك بلاهُ

فانتهرني الدهر وقال : سِرْ أيها البائس المغرور فلا يجديك كلامك نفعاً سِرْ فالوقت لا ينتظرك ولا يرحمك وكفاك التعلّق بالدنيا فهي دار الشقاء والهموم . أسرع الى إعداد الزاد ليوم المعاد . فقد آن زمن ارتحالك . وأفق من غفلتك والّا فانت هالك . ثم انشد :

سِرْ في طريقك يا جهولُ ولا تردْ شغفاً بعيش علقمٌ احلاهُ
قدّمْ لربّك عن ذنوبك توبةً واصنع جميلاً صالحاً يرضاهُ
يا أيها الساهي انتبه من غفلةٍ فغداً حسابُك كيف لا تخشاهُ
قد مرَّ عامٌ دون ان تدري به هيهات يا مغرورُ ان تلقاهُ

وقد اعجبني ما كتبهُ في هذا المعنى احد افاضل اساتذتنا الكرام (م.غ) حيث قال:

قد انتهى من حياتي عامٌ وما عاد ياتي
مضى إلى حيثُ يلقى أعوامي الماضياتِ
بكيتُهُ حينَ وَلّى بأسخنِ العَبَراتِ
وقلتُ يا عامُ مهلاً أودِعْكَ من حسراتي
هفوتُ فيكَ كثيراً وتهتُ عن واجباتي
فاصفحْ أيا عامُ واغسلْ بعدمعي هفواتي
أجابني وهو يعدو ثِقْ ثِقْ بربِّ المُفاةِ
أمضي أنا فيوافي عامٌ وها هُوَ آتِ
فانشطْ وسِرْ فيهِ سيراً يُنجيك قبلَ الفواتِ
جاهدْ فما العمرُ إلّا كالظلِّ في ذي الحياةِ
من رامَ موتاً سعيداً فليحذرِ الغفلاتِ
ثمّ اختفى مثلَ برقٍ وغاصَ في الظُّلماتِ
ما غابَ حتى تجلّى عامٌ بهي الصفاتِ
نادى وقالَ تعالوا يا خلقُ للصلواتِ
اللهُ ربّي حباكم من الزمانِ هباتِ
عامٌ جديدٌ أتاكم باليُمنِ والبركاتِ

عامٌ ستلقَوْن فيهِ من خالقِ الكائناتِ
فضلًا إذا صُمتموهُ بأشرفِ العاطفاتِ
يُنسيكمُ ما أتاكمْ من سابقِ النكباتِ

...

ربَّاهُ حقِّقْ رجانا واكشف دُجى النائباتِ
لبنانُ يا ربُّ أضحى بفضل اهلِ الثقاتِ
في روضةِ السِّلمِ حصناً لمنتدى المكرماتِ
يا عامُ يا عامُ حقِّقْ آمالنا الزهراتِ
واجعل جميع البرايا يرونَ قصرَ الحياةِ
حتَّى يسيروا جميعاً في جادةِ الصالحاتِ
ويثبتوا كلَّ حينٍ في أهبةِ للممماتِ

ذكرى ميلاد الرب

بقلم حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليتنا

اقطري ايتها السماوات من فوق ولتُمطر الغيومُ الصدّيق . لتنفتح الارضُ ولتنبتِ الخلاصَ ولتُنبت البرّ (اشعيا ٤٥ : ٨)

أجنَّةَ عدنٍ أينَ أرجاؤكِ الخُضرُ فلا ثمرٌ يُجنى ولا ورَقٌ نضرُ
كأنَّكِ لم تُروَيْ بفيّاضِ أنهرٍ ولا انهلَّ في مغناكِ غيثٌ ولا قطرُ
أجيلُ حزينَ الطرفِ فيكِ فلا أرى حياةً فلا عُشبٌ هناكَ ولا زهرُ
أما كنتِ للجدّينِ أبدعَ روضةٍ يقصّرُ في مضمارِ أوصافِها الشعرُ
فأينَ هما يا عدنُ إنَّ في غيابهما سرًّا يُحارُ بهِ الفكرُ
أجابَ لسانُ الحالِ منها وقال لي ألا لا تذكِّرْني فما عادَ لي ذُكرُ

عامٌ ستلقَوْن فيهِ من خالقِ الكائناتِ
فضلًا إذا صُمتموهُ بأشرفِ العاطفاتِ
يُنسيكمُ ما أتاكمْ من سابقِ النكباتِ

...

ربَّاهُ حقِّقْ رجانا واكشف دُجى النائباتِ
لبنانُ يا ربُّ أضحى بفضل اهلِ الثقاتِ
في روضةِ السِّلمِ حصناً لمنتدى المكرماتِ
يا عامُ يا عامُ حقِّقْ آمالنا الزهراتِ
واجعل جميع البرايا يرونَ قصرَ الحياةِ
حتَّى يسيروا جميعاً في جادةِ الصالحاتِ
ويثبتوا كلَّ حينٍ في أهبةِ للممماتِ

ذكرى ميلاد الرب

بقلم حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليتنا

اقطري ايتها السماوات من فوق ولتُمطر الغيومُ الصدّيق . لتنفتح الارضُ ولتنبتِ الخلاصَ ولتُنبت البرّ (اشعيا ٤٥ : ٨)

أجنَّةَ عدنٍ أينَ أرجاؤكِ الخُضرُ فلا ثمرٌ يُجنى ولا ورَقٌ نضرُ
كأنَّكِ لم تُروَيْ بفيّاضِ أنهرٍ ولا انهلَّ في مغناكِ غيثٌ ولا قطرُ
أجيلُ حزينَ الطرفِ فيكِ فلا أرى حياةً فلا عُشبٌ هناكَ ولا زهرُ
أما كنتِ للجدّينِ أبدعَ روضةٍ يقصّرُ في مضمارِ أوصافِها الشعرُ
فأينَ هما يا عدنُ إنَّ في غيابهما سرًّا يُحارُ بهِ الفكرُ
أجابَ لسانُ الحالِ منها وقال لي ألا لا تذكِّرْني فما عادَ لي ذُكرُ

نأى آدمٌ عني وحوّاء أدبرتْ ودمعُهما من هَجْرِ عَدْنِهما نهرُ
لقد خالفا أمر الالهِ فعُوقبا ولم يكُ في إتيانِ ذنبهما عُذرُ
فتاها بعَرْضِ الأرضِ للبؤسِ والشقا وخبزُهما حزنٌ وماؤهما ذُعْرُ
ولولا حنانُ الربِّ عاشا مؤبّدًا رهينَيْ عذابٍ لا يُخفِّفُهُ صبرُ
فأوحى إلى الجدّين أنّ شقاهما سيكشفهُ فادٍ لهُ النهيُ والامرُ
ويفتحُ أبوابَ السما بصليبهِ فيُرفعُ من كلِّ البرايا لهُ الشكرُ

*

مضتْ تلكمُ الأيامُ والشرُّ فائزٌ فكاد يعمُّ الناسَ من كُفرِهم غَمْرُ
وباتَ بنو الرحمانِ دهرًا وشرقُهم إلى طلعةِ الفادي يُماثلهُ البَحْرُ
وأرسلَ ربُّ الخلقِ في كلِّ برهةٍ نبيًّا بهِ تثرُ الخليقةِ يفترُّ
إلى أنْ دنا يومُ الخلاصِ وزفرفتْ على الارضِ راياتٌ يُحرِّكُها النصرُ
وتمّتْ نبوّاتُ الكتابِ وحُقّقتْ أماني جميعِ الانبيا وانتهى الامرُ

*

أتيتَ أيا ابنَ اللهِ كيْ تُنقذَ الورى فشكرًا أيا ربّاهُ ما مثلُهُ شكرُ
تركتَ عروشَ المجدِ واخترتَ مِذودًا وعانقتَ فقرًا لا يُعادلهُ فقرُ
فأفهمتَ أهلَ الارضِ أنّ حياتهم حياةُ جهادٍ ما لنا دونها أجرُ
عِلمتَ وعلّمتَ الانامَ فلم يعُدْ سبيلٌ لنا إلّا الإماتةُ والقهرُ
وغيّرَ وجهَ الارضِ انجيلُكَ الذي بهِ انهدَّ ركنُ البُطْلِ وانكسرَ الشرُّ
وساوَيتَ بينَ الناسِ في الحقِّ فانطوى خِلافٌ فلا عبدٌ هناكَ ولا حُرُّ
سننتَ لنا شرعَ المحبّةِ للعِدى فما عندنا للضِّدِّ حِقْدٌ ولا غِمْرُ
وتلكَ لعمري سُنّةٌ كلُّ ما بها دليلٌ على انّ المسيحَ هو الدّهرُ (١)

*

ألا يا مسيحَ اللهِ حسبُكَ حجّةً شرائعُكَ الغرّاء فهي لنا ذُخْرُ

(١) الدهر الله وهو من الاسماء الحُسنى

فلو فتحَ الجهالُ أعينَهم رأوا بهاءَ ضياها دونَهُ الشمسُ والبدرُ
فتحتَ أيا ربَّاهُ أعينَ أكمهٍ ألا افتحْ قلوباً سدَّ أبوابَها الكفرُ
وكم مُقعدٍ أنهضتَ بلْ كم منازعٍ شفيتَ وميتٍ في الثرى جاءهُ العمرُ
فداوِ أيا ربَّاهُ أدواءَ عصرِنا ونوِّرْ تُهى مَنْ بالضلالِ قد اغترّوا

*

فأمطرْ لنا الصدّيقَ يا غيمُ واقطري علينا أيا سُحبَ السما ينبتِ البرُّ
فإنا لفي عصرٍ غدا الحقُّ نادرًا بهِ غيرَ أنَّ الشرَّ أصحابُهُ كُثْرُ
ففاضتْ شرورٌ في الورى ما لها حصرُ وفاضتْ ينابيعُ المحبّةِ والتقى
فعجّلْ أيا ابنَ اللهِ واكشفْ كروبَنا بميلادِكَ الروحيِّ ينتعشُ الصدرُ
ففي كلِّ قلبٍ أنشأوا لكَ مِذوَدًا يُزيّنُهُ الايمانُ والحبُّ والطُّهرُ

نظر عام في وقائع العام

للاب لويس شيخو اليسوعي

نظر عمومي

لا يزال العالم بعد الحرب الكونيّة في قلق واضطراب فكأني بهِ مريضٌ دَنِفٌ رأى الموت على قاب قوسَين فنقَّهَ من دائهِ لكنْ عقابيل المرض عليهِ ظاهرة لا يكاد يستوي على ساقين. او هو اشبه بثمل سكران يتمايل ذات الشمال وذات اليمين لا يقرُّ لهُ قرار. او يشبهُ بيتاً متداعي الجدران لا يُصلَح منهُ جانب الّا تقلقل جانب آخر

فهذه اوربّة لم تَذُق حتّى اليوم بهجة السلام. فانَّ المانية مسعرةَ الحرب وضحيّتها لا تزال تغلي في صدرها مراجل الاباء والنفور فكأنها الاسد الجريح الذي يزيدهُ جرحهُ تنمُّرًا فيحاول الصولة والانتقام. والنسر النمسوي قد تكسّرت اجنحته وخُضدت مخالبهُ فلحق بالدقماء. وكانت الحرب لروسيّة اشبه بتلك الحصاة

فلو فتحَ الجهالُ أعينَهم رأوا بهاءَ ضياها دونَهُ الشمسُ والبدرُ
فتحتَ أيا ربَّاهُ أعينَ أكمهٍ ألا افتحْ قلوباً سدَّ أبوابَها الكفرُ
وكم مُقعدٍ أنهضتَ بلْ كم منازعٍ شفيتَ وميتٍ في الثرى جاءهُ العمرُ
فداوِ أيا ربَّاهُ أدواءَ عصرِنا ونوِّرْ تُهى مَنْ بالضلالِ قد اغترّوا

*

فأمطرْ لنا الصدّيقَ يا غيمُ واقطري علينا أيا سُحبَ السما ينبتِ البرُّ
فإنا لفي عصرٍ غدا الحقُّ نادرًا بهِ غيرَ أنَّ الشرَّ أصحابُهُ كُثْرُ
ففاضتْ شرورٌ في الورى ما لها حصرُ وفاضتْ ينابيعُ المحبّةِ والتقى
فعجّلْ أيا ابنَ اللهِ واكشفْ كروبَنا بميلادِكَ الروحيِّ ينتعشُ الصدرُ
ففي كلِّ قلبٍ أنشأوا لكَ مِذوَدًا يُزيّنُهُ الايمانُ والحبُّ والطُّهرُ

نظر عام في وقائع العام

للاب لويس شيخو اليسوعي

نظر عمومي

لا يزال العالم بعد الحرب الكونيّة في قلق واضطراب فكأني بهِ مريضٌ دَنِفٌ رأى الموت على قاب قوسَين فنقَّهَ من دائهِ لكنْ عقابيل المرض عليهِ ظاهرة لا يكاد يستوي على ساقين. او هو اشبه بثمل سكران يتمايل ذات الشمال وذات اليمين لا يقرُّ لهُ قرار. او يشبهُ بيتاً متداعي الجدران لا يُصلَح منهُ جانب الّا تقلقل جانب آخر

فهذه اوربّة لم تَذُق حتّى اليوم بهجة السلام. فانَّ المانية مسعرةَ الحرب وضحيّتها لا تزال تغلي في صدرها مراجل الاباء والنفور فكأنها الاسد الجريح الذي يزيدهُ جرحهُ تنمُّرًا فيحاول الصولة والانتقام. والنسر النمسوي قد تكسّرت اجنحته وخُضدت مخالبهُ فلحق بالدقماء. وكانت الحرب لروسيّة اشبه بتلك الحصاة

الصادمة لذلك التمثال الذي رآهُ نبوكدنصَّر في الحلم وهو يتألف من معادن متباينة وعناصر شتَّى كالذهب والفضَّة والنحاس والحديد حتَّى القدمين الخزفيَّتين فهبط بصدمة الحجر وصار خليطاً لا تُعرَف لهُ صورة ولا يقوم لهُ قائم

وليست الدول الظافرة احسن حالًا فانَّ نفقات الحرب الهائلة تبهظ كواهلها فتئوْ تحت ثقلها وتحتار في سدّ عَجز ميزانيَّتها . والغلاء يتناول كلَّ اسباب المعاش يعمُّ الفقيرَ والغنيَّ . فيتَّخذ العمَّال تلك الاحوال الحرجة ذريعةً للالحاح في طلب زيادة لأُجورهم ثم للاعتصاب والإضراب عن اشغالهم فيلحق بسببها الدول أزَمات ومشاكل يعتاص فكُّها . هذا الى طمع بعض الظافرين بتوسيع نطاق سلطتهم واهتضام حقوق القاصرين عن مناهضتهم

وهذه اميركة فانَّها مع رقيها وعظم شأنها ترى سيطرتها متهدِّدة في الباسفيك بازاء دولة يابان الجديدة التي تسير كلَّ يوم في سبيل الحضارة تقطعها بخطى الجبابرة فتعارض اكبر الدول طَوْلًا وقوَّة

وهذه آسية فانَّ تركيَّة واليونان تنازعتا في ملك بعض انحائها . والبولشفيك يتهدَّدون دولها المستحدثة في القوقاس وجورجية وارمينية . والصين في الشرق الاقصى سادت الفوضى على اقطارها مع الحروب الاهليَّة والمجاعات والاوبئة . ثمَّ منشورية ومنغولية وسيبريَّة لم تركز على حال ثابتة تطمح اليها الابصار وتتجاذبها المطامع

وهذه افريقية ترى فيها القطر المصري يحاول عبثاً النجاة من كلاليب البازي البريطاني . وفي المغرب الاقصى تسعى اسبانية بتمكين سلطتها على قبائل تناشبها القتال لا تطيق نيرًا اجنبيًّا . امَّا اواسط افريقية فانقلبت احوال كثير من مستعمراتها بعد سقوط المانية وتقاسمتها الحلفاء

١ اوربة

﴿ رومية ﴾ لقي المسيو كليمنسو قبل الحرب باشهر وصيفهُ بين زعماء المبعوثين الكاثوليك المرحوم دي مون فبعد السلام سأل هذا عن امور السياسة العموميَّة وما رأي المسيو كليمنسو في سيرها فكان جوابهُ : « كلُّ الدول على اسوإ حال ما خلا دولة الفاتيكان فانها دائمًا على ثبات ورقيّ » . لعمري انَّ هذا الجواب في يومنا

اصدقُ على الكنيسة منهُ قبل الحرب . فانَّ رومية اصبحت تلك المنارة التي توجّه اليها جميع الدول ابصارها وتتقرَّب منها لعلّها تهتدي الى سواء السبيل . كفى دليلًا على ذلك استئناف فرنسة علائقها مع الكرسيّ الرسولي . ولبثت الدول الكاثوليكيَّة وحدها تلتجئ الى رومية فانَّ للدول البروتستنتيَّة لدى الحبر الاعظم سفراءها ومعتمديها . الى بندكتوس الخامس عشر سار في هذا العام الوفد الفلسطيني المؤلف من مسلمين ونصارى . الى أعتابهِ خفَّ الوفد المصريّ الاسلاميّ والوفد العثماني . واياهُ زار المعتمد السنوسيّ وليّ عهد اليابان ومعتمد الصين والحبشة . ومنهُ طلب الانكليز ان يتوسّط في امور ارلندة . واليهِ رغب الاكليروس المسكوبيّ بان يُعلن للعالم فظائع البولشفيك . أفيا تُرى يوجد برهان اسطع على مقام الحبر الاعظم وسلطتهِ الادبيَّة التي لا مثيل لها في العالم

وما قولنا الآن بما أقدم عليهِ قداسة البابا في هذا العام لخير الشعوب . فهذه المناشير العديدة والخطب الرنَّانة والمساعي المتكرّرة سعى بها لدى الدول وجمعيَّة الامم لاسعاف الجائعين في روسية ولإنهاض النسمة من كبوتها ولمساعدة الايتام والاحداث في الدول المركزيَّة ولمنكوبي ارمينية . فانهُ بكل حقيقة يمكنهُ ان يقول مع الرسول المصطفى (٢ كور ١١ : ٢٨) : «يتفاقم عليَّ كلَّ يوم تدبيرُ الامور والاهتمام بجميع العالم فمن يضعف ولا اضعف انا ومن يُشكّك ولا احترق انا»

فهذه السلطة الادبيَّة هي شظًى في حلق دولة ايطالية المغتصبة لأملاك الحبر الاعظم وقذًى في عينها اذ ترى الامم كلّها ترنو بنظرها الى نائب المسيح سجين الفاتيكان وهي تحت عبء الحرم الذي يجدّدهُ كلَّ سنة امام الاحبار . وهذا ما حدا برجال الدولة في هذه الآونة الاخيرة الى ان يطلبوا حلًّا مرضياً لهذا المشكل فيعيدوا للكرسي الرسولي استقلالهُ دون ان يمسّوا الوحدة الايطاليَّة وعاصمة رومية . وفي ذلك من التناقض ما لا يُخفى

﴿ فرنسة ﴾ ان الشرف الذي نالتهُ فرنسة في الحرب الكونيَّة قد كلّفها ما عدا دماء اولادها نفقات تربي على المئة مليار اي ربع غناها فاصبحت ديونها باهظة لا يُطاق حملها . ومما يزيد هذا الحمل عبئاً انَّها في حاجة ماسَّة الى حفظ قسم كبير من جيوشها في الوطن وخارجاً عنهُ لتكون في استعداد لكلّ طارئ يطرأ على

املاكها ومستعمراتها وحلفائها لاسيما بازاء المانية المتسلحة . ويُضاف الى ذلك انّ المانية لا تزال تتردّد وتتلوّى وتناشز لتتملص من دفع غرامتها الحربيّة وكأنها نسيت باي جود وشرف نفس دفعت لها فرنسة غرامة الخمسة المليارات بعد الحرب السبعينيّة بسنةٍ فقط . ولفرنسة ديون تُعَدّ بالمليارات في روسيّة وتركيّة فأبى البولشفيك الاعتراف بها وعجز الاتراك عن ادائها . فهذه حالة فرنسة العموميّة

امّا حالتها الداخليّة فانّها تتراوح بين احوال متباينة تتنازعها الاحزاب المختلفة فكان افتتاح السنة بسقوط وزارة لايغ ورجوع المسيو ارستيد بريان الى ضبط سكّان السياسة بيدٍ دأبها الحزم والدراية فاكتسب ثقة معظم مجلس النوّاب بتصريحاته . وقد نال سوريّة سهمها من حسن نيّاته اذ عضد سياسة مفوّضنا الاعلى المحبوب فخامة الجنرال غورو واثبت الاعتمادات الماليّة التي تحتاج اليها

وقد بذلت الحكومة جهدها في كسر شوكة الاعتصابات التي تكرّرت في هذا العام وعرقلت التجارة واضرّت بالاحوال الاقتصاديّة . فلعمري اصبح هذا الداء مزمناً يعمّ معظم انحاء اوربّة واميركة واخذ يفشو في جهاتنا

وممّا ادهش العالم سرعةُ فرنسة الى اصلاح ما اخربهُ الالمان من ايالاتها ومعاملها وسعيها بتوسيع نطاق زراعتها وتنمية محصولاتها وزيادة صادراتها على وارداتها

وممّا سُرّ به الفرنسويّون عموماً ترقية الجنراليّة الثلثة الكبار ليوتي وفايول وفرنشه دسبري في ١٩ شباط الى منصب المارشاليّة معترفةً بسموّ فضلهم في الحرب الكونيّة كما فعلت سابقاً بجوفر وفوش وبيتان . والثلثة متشبّثون بالدين مجاهرون باتمام فرائضه

وكانت سياسة فرنسة الخارجيّة معتدلةً حكيمةً . وانّما وجدت في تصرّف حليفتها انكلترّة اموراً كادت تعكّر صفاء الوداد بينهما لاسيما في تسوية امور سيليزية العليا والاتّفاق مع برلونية وحوادث العراق وتركيّة لولا انّ حكماء الدولتين استدركوا الشرّ وازالوا سوء الفهم بينهما

وقد اثبتت فرنسة خاصّةً حقوقها على المانية سواء كان بامر نزع السلاح وتخفيف الجنديّة في انحائها ام بوسائل الضغط عليها لتؤدي الغرامة الحربيّة المقرّرة عليها فاحتلّت جنودها ثلثاً من مدنها . على انّها حتّى الآن لم تحصل من مطلوبها الاعلى قسم صغير لا يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً . والمانية قد اسرعت فنقلت معظم ماليّتها الى خارج

بلادها وعمدت الى المعاملة بالاوراق المالية الكاسدة السوق ولكن هيهات ان تنخدع فرنسة بهذا التمويه

وقد لبّت فرنسة دعوة اميركة لحضور مؤتمر واشنتون فكان لاستقبال مريشالها البطل فوش ولرئيس وزارتها المسيو بريان من الحفاوة ومزيد الاكرام ما زاد في عُرى الاتفاق بين الشعبين توثقاً ووداداً . وكان من نتائج هذا المؤتمر اقرار اميركة بحسن سياسة فرنسة تجاه المانية ثم تسوية مسألة الباسيفيك بمعاهدة عقدتها الدول الاربع اميركة وفرنسة وانكلترة واليابان وبها انقشعت تلك السحابة المنذرة بويلات حرب جديدة

ومما يقرّب الامل بحصول البلاد على السلام الاتفاق الذي عُقد في انقرة في ٢٠ ت ١ بين فرنكلين بويون ممثل الدولة الفرنسوية والمشير مصطفى كمال زعيم الجيوش التركية بموجبه أعيدت الى دولة الاتراك قيليقية مع كلس وعينتاب واورفة . وفي قرار الدولتين مراعاة احوال الاقلية لاسيما نصارى الارمن الذين أبوا الّا المهاجرة من اوطانهم خوفاً من صولة الاتراك على مألوف عادتهم سابقاً ومواعيدهم العرقوبية . وقد صرّح المسيو بريان لانكلترة سبب احتجاجات اللورد كرزون بانّ في هذا الاتفاق لبريطانية العظمى نفعاً لا ضرراً

واستبشرت فرنسة في هذه السنة بتعييد القديسة جان درك عيداً رسمياً اقامته الدولة كثاني اعيادها الوطنية فأقيمت لذلك حفلات باهرة جارى فيها الشعب الفرنسوي ارباب حكومته فباتت الافراح والمسرات الوطنية والدينية معاً نهاية عزّها وبهجتها

وكانت السنة المنصرمة موافقة للسنة المئة لوفاة نابوليون فلم تشأ فرنسة الجمهورية ان تضرب صفحاً عن ذكر ذلك العاهل الذي احرز لوطنه شهرة لا تمحوها الايام فاقيمت في ٧ ايار مواسم جليلة اتفق فيها ارباب الدولة ووجوه الجيش ورؤساء الكنيسة

وكان وقع في هذه السنة ايضاً تذكار المئة الثالثة لمولد احد مشاهير كتبة فرنسة نزيد به ذاك النابغة لافونتان (J. La Fontaine) مؤلف تلك الامثال العجيبة التي جعلها على السنة الحيوانات فكاد يصورها بصورة حية تأخذ بمجامع القلوب . فأقيمت لذكره حفلات عظيمة في وطنه شاتوتيارّي (Château-Thierry)

وممن اسفت فرنسة على فقدهم في هذه السنة الجنرال مودوي (Gal Maudhuy) احد ابطال الحرب الاخيرة الذي تعيّن كاوّل حاكم على مدينة مِتْس . توفي في تموز

﴿ بريطانية العظمى ﴾ أصيبت الصناعة الانكليزية وتجارتها بضربة اليمة من جرّاء الاضطرابات التي تشبّث بها المعدّنون بطلبهم زيادة الاجرة على اشغالهم وتقليل ساعات الشغل وقد تكبّدت انكلترة بسبب ذلك خسائر لا يفي بها احصاء

وكذلك تخوّفت من فقدانها رئاسة البحار لما رأته من ترقّي البحريّتين الاميركيّة واليابانيّة فانّ عدد سفن اساطيلها لا يزال اوفر من تينك الدولتين الّا انّ سفنهما من طراز احدث واكمل من السفن الانكليزيّة

ومن ثمّ تسعى انكلترة في حفظ مركزها بين الدول بعد ان اكسبتها الحرب الاخيرة بلاداً جديدة فبسطت سلطانها على قسم كبير من العمور . فهذه سكّة حديدها التي تمتدّ من جنوبي افريقية الى شمالها جاريةٌ حثيثاً . وهذه جزيرة العرب اصبحت تقريباً تحت حكمها بتخويلها السلطة على الحجاز وما وراء الاردن والعراق الى السلطان حسين وولديه فيصل وعبدالله . وهذه اليمن ونجد والعسير كلّها يديرها سلاطين وشيوخ يخضع معظمهم سرّاً او علناً لانكلترة ويعيشون من رواتبها

وممّا تقصده انكلترة تعزيز سلطتها في الهند وهذا الذي يحملها على حفظ مصر تحت سيطرتها شاءت ام ابت . وهي تنوي مدّ سكّة حديديّة بين فلسطين والعراق مارّةً بالصحراء ثمّ تواصلها الى العجم فافغانستان فالهند تأميناً لمستعمراتها

وقد رأت ايضاً بريطانية العظمى حاجتها الى استئناف معاملاتها التجاريّة مع المانية ترويجاً لمحصولاتها . وكذلك عقدت معاهدة تجاريّة في فصل الربيع مع الحكومة السوفيتيّة في موسكو لكنّها وجدت بعد قليل انّها تزرع في ارض سبخة حيث لا امل في الحصاد

وممّا شغل به الرأي العام في السنة المنصرمة المسألة الارلنديّة التي بلغت الى اقصى حدّها فتكرّرت المخابرات وتعدّدت الشكايات وسعى المصلحون ان يوافقوا بين مطاليب الفريقين دون جدوى حتى اتتنا آخراً أنباء برقيّة مؤذنة بالصلح بين ارلندة وانكلترة . فعسى ان يكون الامر قد تمّ برضى الدولتين وزال بينهما كل سبب نفور فكفى ارلندة عناء والّا مدّة سبعة اجيال وحان لها ان تذوق السلم والطمأنينة

﴿ المانية ﴾ لم تيأس من حالها وقد عُرف اهلها بالعزم والثبات فعادوا الى تضميد جراح وطنهم وتأليف قواه وتعزيز صنائعه وتصريف مصنوعاته التي تراكمت

في ايام الحرب دون مبيعها . وهاك اليوم البضائع الالمانيَّة منتشرة في كلّ اسواق المعمور باسعار متهاودة لا يقوى غيرها في مزاحمتها . ولا عجب فانّ المانية ثبتت في مدّة الحرب على نشاطها ولم تُصَب بلادهـا بالخراب كفرنسة وبلجكة وروسيَّة . وان كان انتصار الحلفاء قد نزع عنها بعض اقطارها فانّها لا تزال قويَّة مرهبةً لاعدائها لولا أنها منذ سقوط امبراطورها أصبحت تتنازعها الاحزاب المختلفة ولم يثبت حكمها الديمقراطيّ على اساس متين وجـاءت انتخابات مجلس النيابي مقوّية لحزب غـلاة الاشتراكيين . وانّما اكتسب ثقة زملائهِ الكنشلبار فِرْت باعتدالهِ وحسن سياستهِ بعد ان دعاهُ الى ذاك المنصب رئيس الجمهوريَّة إبرت خلفاً للكنشلبار فِلْسر نباخ في ١١ ايار . وقد ادّت تقلُّبات السياسة الالمانيَّة الى نفور باڤارية عن برلين وسقوط وزارة فون كاهر

امّا سياسة المانية بازاء دول الحلفاء فكانت متجهة الى تقسيم آرائهم لتنجو ممّا قُضي عليها من الاحكام الشاقّة المنكـة لعظمتها وابائها . لكنّ دسائسها لم تنطلِ على الدول المتحالفة التي وافقت فرنسة على عدل مطالباتها للتعويضات ولحصر قوّاتها العسكريَّة . وحدّدت لجنة التعويضات ان تدفع المانية في ١٥ كانون الثاني خمسمائة مليون مارك ذهباً ثم مئة مليون في ١٥ شباط . وممّا زاد في تحسين احوال المانية الاقتصاديَّة عقدها الصلح مع اميركة واتّفاق شركاتها البحريَّة لنقل صادرات البلاد الى الاقطار الاجنبيَّة وخصوصاً شركتيها الكبيرتين همبورغ اميركة ونورد دويتشر لويد

وقد توفّي في كانون الثاني الكنشلبار بيتمن هولويغ الذي كان من سعاة الحرب الكونيَّة وهو الذي نمّتَ المعاهدة الدوليَّة مع بلجكة بقطعة ورق لا قيمة لها

ومن وفيات البنة المتصرمة في المانية وفاة قرينة غيليوم الثاني الامبراطورة السابقة اوغسطا ڤكتوريا في ١١ نيسان وتوفي ايضاً ملك باڤارية السابق لويس في ت١

﴿ ايطالية ﴾ حصل في وزارتها ازمةٌ اولى في شباط أدّت الى استدعاء السنيور جيولتي لتشكيل وزارة جديدة . ثمّ وقعت الانتخـابات العموميَّة في أيار فخلفهُ في الوزارة المسيو بونومي في تموز . امّا نتيجة الانتخابات فكانت فيها الاكثريَّة للحزب الوطني (٢٧٣) ثم للاشتراكيين (١٢١) وبلغ عدد الحزب الكـاثوليكيّ ١٠٩ . وممن أيّد الحزب الوطني في وجه الاشتراكيين جماعة الفاسيين الذين عارضوهم بالشدّة

والعنف فحصلت لذلك اضطرابات شتّى في انحاء الدولة

ومن المعلوم ان ايطالية انتفعت من الحرب الكونية اكثر من سواها بالنسبة الى ما ادّتهُ من الخدم للامم المتحالفة سواء كان في جبرتها من املاك النمسة ام من الجزائر ولاسيما رودس ام في ساحل الادرياتيك. على انَّ مطامع البعض من اهلها تجاوزت الى ما وراء ذلك بخصوص شواطئ دلماسية فلم توافقهم دول الحلفاء على مطاليبهم فاظهروا لذلك استياءهم ونسبوا الى سفير فرنسة في رومية معاكسة سياستهم ولساءوا الى الفرنسويين الذين اجتازوا ميلانو وتورين والبندقيَّة وكان من جملتهم المرشال فايول. فاسرع الجنرال دياز وقدَّم لفرنسة المعذرة عمَّا جرى في حقّ مواطنيها

امَّا مالية ايطالية فهي في حالة تنذر بالقلق. فانَّ مصاريفها تزيد على مداخيلها زيادةً عظيمة تبلغ عدَّه مليارات سنوياً فلا تجد وسيلةً لسدّ هذا النقص. فانَّ برنامج السنة الحاليَّة يبلغ الى ٢٤ مليارًا ونصف بينما تقلّ مداخيلها عن ١٥ مليارًا فيُربي العجز عن ٩ مليارات ونصف

﴿اسبانية﴾ قد شغلتها في هذا العام الحرب المراكشيَّة فهجمت بعض القبائل على املاكها في مليلة وجوارها وفتكت بالوفٍ من جنودها. فاسرعت الدولة لاستدراك هذا الخطر وارسلت حملةً تبلغ مئة الف جندي فحدثت عدَّة وقائع كان فيها الانتصار حليف الاسبانيين والامل معقود بقرب نهاية هذه الحرب المشئومة بفوز اسبانية نهائيًّا واصلاح تلك الجهات ادبيًّا واقتصاديًّا

وقد مُنيت اسبانية ايضاً بآفة اخرى وهي الجمعيَّات السرّيَّة التي تعقد محافلها في الظلام وتسعى في دمار كل نظام وقانون. وقد وقفت الحكومة على دسائس بعضها المرتبطين مع البولشفيك في مدريد وبرشلونة وسان سبستيان وبلنسية. ومن مساوئها انها اردت قتيلًا بيد بعض اصحابها رئيس الوزارة ادولر داتو في ٨ آذار وكان رجلًا ديناً يحسن ضبط ازمَّة التدبير بكل حزم وعدالة كان وقع عليهِ الاختيار لرئاسة الوزارة بعد الانتخابات العموميَّة التي جرت في كانون الثاني. وقد مشى في جنازة ذاك الرجل الوطني جلالة الملك الفونس وسائر وجوه الدولة وكان موتهُ داعياً لاستعفاء الوزارة وتشكيل وزارة جديدة تحت رئاسة المنسنيور موريا السياسي الكاثوليكي الشهير. فبادر الى معاقبة الجناة ومصادرة الجمعيَّات السرّيَّة واوقف البعض من زعمائها

﴿البرتغال﴾ ما احرى الذين ينكرون دسائس الماسونيَّة واعمالها المستقبحة ان يلقوا نظرهم الى بلاد البرتغال التي منذ قلبت هيئة حكومتها الملكية في ٥ ت ١ ١٩١٠ ونادت بالجمهوريَّة لحقت بالدقماء واصبحت في اسوا حال ماديًّا وادبيًّا وتوالت فيها القلاقل والاضطرابات والفتن بأشكالها . كفى دليلًا على ذلك انهُ قام فيها في هذه المدة الوجيزة سبعة رؤساء مع ٣٨٠ وزيرًا . وقد جرت في هذا العام ثورة تفاقت شرورها واذاقت مرائرها عدَّة رجالٍ من مناقضيها . وقد حدثت هذه الثورة بين اهل الجمهوريَّة ذاتها بين احرارها ومتطرّفيها ومعظمهم من الشيع الماسونيَّة فقصد المتطرّفون ان ينتزعوا سلطة الاحرار ويتولَّوا الامر بدلًا منهم فحرَّشوا عليهم الجنود والبحريين واغروهم بهم وعيَّنوا لهم يوم انتقامهم منهم . فلمَّا كان صباح اليوم التاسع عشر من تشرين الاوَّل انفجر ذاك البركان المهول وانقلبت لسبون حاضرة البورتغال الى منقع من الدم ففي ذاك النهار قُتل اشنع قتلة رئيس الوزارة الدكتور انطونيو غرانجو والاميرال ماشادو دوس سانتوس من كبار الوزراء والرئيسان البحريَّان فريتاس دا سيلفا وكرلوس دي مايا والكولونل فاسكونسلوس . وكان هؤلاء جميعاً من اصحاب الثورة السابقة التي قلبت الملكيَّة وكلُّهم من اعيان الماسونيَّة الَّا انَّ احدهم كرلوس دي مايا كان اتاب الى الله ورجع الى الدين فمات تائباً . وكان ماشادو دوس سانتوس من الماسون العاملين وهو منشئ الجمهورية في البرتغال وقد اقرَّ مرارًا بانَّ الثورة السابقة كانت طبختها الماسونيَّة في محافلها السرية . وها هم قد دهموا ايضاً ضحايا الماسونيَّة . امَّا رئيس الجمهوريَّة الحالي انطونيو جوزه دليدا فان هذه الحوادث الاخيرة اضعفت سلطتهُ واضطرَّ الى ان يجعل رئيس وزارته الكولونيل ماتزيل كرهيلو احد زعماء الثورة فقدَّم استعفاءهُ لكنَّ اصحاب السلم والنظام خافوا شرورًا اعظم فبقي في منصبهِ . وحتى الآن لا تزال احوال البرتغال اشبه بالفوضى

﴿بلجيكة﴾ اسرعت الى اصلاح ما اصابها من احتلال الالمان في ربوعها . فترى اليوم اهلها يضاعفون النشاط في ترقية وطنهم وتعزيز صناعتهم . ومن مآثرهم المشكورة إعدادهم مرفأ ولسع امام حاضرتهم بروكسل وحفرهم القناة الواصلة بينها وبين نهريها الروبال (Rupel) والاسكو (Escaut) بحيث تستطيع السفن

الكبرى البالغ [illegible] من البحر [illegible] بلادها والبلاد [illegible]

وفي [illegible] فلم [illegible] كثيراً [illegible] بع [illegible] وقد تجددت الوزارة بهذه الفرصة

ومما امتازت به بلجيكة تأييدها السياسة فرنسة ومطاليبها [illegible] من المانية

﴿هولندة﴾ احوالها جارية على مبتناها ولا [illegible] تحت رعاية ملكتها المحبوبة وليلهمين . وقد استفادت من الحرب الاخيرة [illegible] واحوالها الاقتصادية

﴿النمسة والمجر﴾ اصبحت النمسة منذ نهاية الحرب دولة [illegible] فيها الحكم للجمهورية التي يرأسها منذ كانون الاول ١٩٢٠ [illegible] وهو اقتصادي شهير لكنه يتحايد عن الانضمام الى الاحزاب السياسية [illegible] البلاد ففي حكم مجلس وطني يختار العموم اعضاءه البالغ عددهم ١٧٥ عضواً ولهم شورى عليا في عهدة خمسة رجال . وقد حصلت في أيام ازمة وزارية

ومعلوم ان النمسة بلغت الى حالة من الشقاء حركت في القلوب الشفقة عليها . وكان اول من رفع صوته لإنقاذها من بلاياها الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في براءة وجهها الى الدول كان لها احسن تأثير . وقد بحث الحلفاء في بروكسل ولندرة وباريس عن افضل الطرائق لإفراج كربتها سواء كان بتأجيل ما فرض عليها من الغرامة الحربية ام بتسليفها مالاً يساعدها على اصلاح امورها او بإمدادها باسباب العاش لسد مجاعة اهلها

وليست احوال المجر اثبت وارضى من امور النمسة . فانّ ضابط سلطتها الجنرال هورتي (Gal Horty) المعروف بحسن التدبير والحزم الحاصل على ثقة الشعب بعد طردهم البولشفيك من البلاد كان يؤمل رجوع الملك المخلوع شرل الرابع فجاء هذا متنكراً في ٢٧ آذار ليعلن بتنصيبه ملكاً على المجر . لولا انّ الدول البلقانية احتجت وابت رجوعه تحت طائلة استئناف الحرب فاوعزت اليه الدول المتحالفة ان يخرج

من المجر واضطرت حكومتها الى أن تُطن بسقوط سلالة هبسبورغ نهائياً

﴿ بولونية ﴾ استأنفت حياتها الاستقلالية الجديدة بعد ١٤٠ سنة اذ اقتسمتها ظلماً روسية والمانية والنمسة . وهي ايضاً حكومة جمهورية يرئسها المرشال بيلسودسكي وحدودها بين المانية وروسية والمملكة البلقانية التشكوسلوفاك جعلها الله كحاجز بين دول عظيمة لتحفظ بينها السلام وتصدها من الاحتكاك بعضها ببعض كما انها صارت بعد الحرب عقبة في سبيل البولشفيك فردّدت عن اوربة الغربية نفوذهم المشئوم . وقد اتى رئيسها الى باريس في شهر شباط فاتفق مع فرنسة على تأييد سياسته وعلى مساعدة وطنه في حاجاتها

وقد حصل نزاع كبير بين بولونية والمانية بخصوص سيليزيا العليا التي كانت كلتا الدولتين تدّعي ملكها فجرت بسبب ذلك منازعات ومناوشات بين اهل البلادين وبعد استفتاء الاهلين اتفق المتحالفون على تقسيم ذلك الصقع بين الدولتين فرضيت بولونية مرغومةً أما المانية فلا تزال تحتج على هذا التقسيم وتُعلن باستيائها من الحكم به مع مراعاة الحلفاء لحقوقها

﴿ روسية ﴾ انّ الحالة التعيسة التي صارت اليها روسية منذ ضبطت السوفيات ازمّة الحكم فيها قد اظهرت للعالم باجمعه مصير الشعوب اذا كانت تحت قيادة الأئمة الخالين من الدين والادب والوجدان . فبعد ان كانت تلك البلاد في مقدّمة الدول العظام اصبحت اليوم في مؤخرها يسوسها اوباش اليهود واشقياء الماسونية والجمعيات السرّية وهي على وشك سقوطها في هاوية الدمار والعدم تتنازعها الاهواء الشنيعة وتتجاذبها المطامع الجشعة . تلفت زراعتها فقدت تجارتها فنيت صناعتها لم يبقَ لاهلها امن ولا سلام

وقد ضربت المجاعة اطنابها على روسية واذاقت اهلها الامرّين وبعد ان كان رؤساء الدولة يسمون باخفاء الكوارث الحالّة ببلادهم اضطروا الى ان يعترفوا بسوء الاحوال . وقد اقرّ احدهم كلسين في خطاب القاه آخراً في اوكسفرد بان عدد المصابين بالسغب والمجاعة بلغ الى ٣٧ مليوناً بينهم ثمانية ملايين من الاولاد . هذا مع الالوف ومئات الالوف الذين يموتون من الاوبئة كالطاعون والهواء الاصفر وفي شرودهم في الصحاري معرّضين لآفات الجوّ لا معين لهم ولا مغيث

وقد اضطرب العالم المتمدّن لهذه الاحوال وفي مقدّمتهم الحبر الاعظم الذي تصدّق لروسيّة بمليونين من الليرة (الفرنك) الايطاليّة ودعا الدول الى تلافي هذه الاضرار . فعُقدت لذلك الاجتماعات الدوليّة ورضي الجميع بمدّ يد المساعدة لاولئك البائسين . الّا انّهم لم يرضوا بتوزيع تلك الحسنات على يد الحكومة البلشفية بل بواسطة لجنات دوليّة لئلّا يحتكرها السوفيات لمنافعهم الخاصّة . فأبت الحكومة الروسيّة اقتراحهم وبسبب عنادها ذهبت المنون بحياة الالوف المؤلفة من الاهلين

وقد بلغ السّيل الزُّبى في جميع انحاء روسيّة ولا شكّ انهُ قرب الزمان حيث ينهض الشعب نهضة الاسد على هذه الحكومة وارباب يهودها فتسيل دماؤهم انهارًا وقد شعروا بذلك فتراهم يزدادون عنفاً وظلماً . الّا انّ للجائرين حدودًا اذا تجاوزوها عليهم تدور الدوائر وقد وردت عدّة انباء برقيّة تذكر عصيان فرق عسكريّة ومجّارة في كرونستاد وبعض المدن على الحكم البولشيفيكيّ فضلًا عمّا خسرتهُ الدولة من بعض املاكها كسيبيريّة وسواحل الصين وتركستان وغيرها .

﴿ الدول البلقانيّة ﴾ توفي في العام المنصرم الملك نقولا اوّل ملوك الجبل الاسود وُلد سنة ١٨٤١ وتولّى الامر على وطنهِ سنة ١٨٦٠ ثمّ صار ملكاً عليهِ سنة ١٩١٠ وقد دخلت بلادهُ في جملة الدولة اليوغوسلافيّة سنة ١٩١٨ . وهذه الدولة الجديدة التي معظم اهلها من العنصر الصقلبي تبسط اليوم حكمها على الصرب والكروات والسلوفان البالغ عددهم ١٤٫٠٠٠٫٠٠٠ . وقد توفي ملكها بطرس الاوّل في شهر آب فدُفن في بلغراد بغاية الأبهة والاكرام وكان محبوباً من شعبهِ . خلفهُ في الملك ابنهُ اسكندر المولود سنة ١٨٨٨ . وقد عقدت الدولة معاهدة دفاعيّة مع رومانية

﴿ البانية ﴾ اعلنت باستقلالها وطلبت ان يمثلها بعض مندوبيها في جمعيّة الامم فأعيدت لها حدودها السابقة لأيّام الحرب

﴿ رومانية ﴾ عقدت معاهدتين دفاعيّتين مع بولونية ومع يوغوسلافية . وقد زار ملكها مع الملكة مدينة باريس فتوثقت روابط الولاء بين الدولتين

﴿ دولة التشكوسلوفاك ﴾ هي جمهوريّة ثانية تركّبت ممّا اختزلتهُ الحلفاء من النمسة واخصّ بلادها سلوفيكية وموراڤية وبوهيمية وعاصمتها براغ . كان الحزب المتولّي فيها معادياً للدين ساعياً في تأليف كنيسة جديدة قائمة في وجه رومية الّا انّ

الاساقفة بخزمهم وغيرتهم عارضوا تلك الحركات وعضدهم الشعب الكاثوليكي. فادركت الدولة خطأها واحست بالحركة البولشفية وعادت الى تقرير حرية الدين لجميع مواطنيها تحت نظارة رئيسها الجديد مازاريك

﴿ اليونان ﴾ قوي فيها الحزب المضاد لفنيزيلوس حتى اضطر الى مغادرة البلاد وحاول ضابطان قتله في محطة ليون في ١٢ آب وأعيد الملك قسطنطين الى منصبه دون رضى الدول المتحالفة فاستلم تدبير ملكه واراد ان يسير الى ساحة القتال حيث كانت الجنود اليونانية تحارب الكماليين في الاناضول. لكنهم بعد فوز موقت فشلوا واضطروا الى طلب توسط الدول ليبرموا مع الاتراك معاهدة الصلح. وتغير رأي اليونان في ملكهم قسطنطين فهاج عليه الجيش. وقد جاء في الانباء الاخيرة انه جرت في كريت فتن ومشاغبات في كانون الاول وان اليونان فكروا في الخروج من الاناضول

٢ اميركة

١ اميركة الشمالية

كانت حكومة الولايات المتحدة قصدت الحياد عن السياسة الاوربية وما يجري في جمعية الامم والمجالس العليا والمؤتمرات الدولية من الابحاث عن الامور العمومية لتقصر نظرها على احوال بلادها. لكن اختلاط الشعوب منذ الحرب الكونية اضطر اميركة الى تحوير خطتها نوعاً وتأكد لارباب امرها انه لا بد لاميركة من الاهتمام بالعالم القديم لأن مصالحها اصبحت مشتركة معه فأخذت تستعيد مراكزها السياسية الاوربية وتشترك في مناقشات الحلفاء. وارسلت معتمدين من قبلها ليستطلعوا اراء الدول المتحالفة في المشاكل الحاضرة ويطلبوا لها حلاً قريباً. وكذلك اوربة قد رضيت بدعوة اميركة الى مؤتمرها في واشنطون. فلا شك ان تبادل الآراء بين العالمين هو من افضل الطرائق لتأييد السلام وتوثيق عرى الألفة والوئام

في ١٠ من شهر نيسان انتهت رئاسة رئيس الولايات المتحدة ولسون وباشر بالتدبير خلفه هاردنغ الذي كان وقع عليه الاختيار في العام الماضي. وقد ارسلت فرنسة المسيو ڤيڤياني ليمثلها في حفلات تنصيبه رئيساً فكان له استقبال بهيج حيثما مر استدل به على ما لفرنسة في قلوب الاميركيين من الاعتبار والتجلة

والرئيس الجديد أبى ان يجري في عدة امور على خطة سلفه وسياسته بيد انهُ وافقهُ في تعزيز الاسطول وانشاء دوارع جديدة على احدث الطرز فساعدهُ في ذلك وزير البحرية دانيال بنشاطه المعهود استعداداً لكل طارئ يطرأ على البلاد سواء كان من اليابان او من غيرها

وفي شهر آب وقعت اميركة منفردةً على عهدة الصلح مع المانية . فأخذت السفن التجارية الالمانية تنقل اليها بوفرة سلع بلادها

ومما شغل الافكار خصوصاً في هذا العام المؤتمر الذي دعت اليه اميركة كافة الدول في واشنطون . وكانت الغاية المقصودة علناً من عقدهِ نزع السلاح بين الامم وحصر التجنيد الدولي . اما الغاية المحجوبة فمسألة المحيط الهادي اي بحر الباسيفيك الذي اضحى بين اميركة واليابان كساحة قريبة للوغى فاذا اتقدت نيرانها تجددت كل اهوال الحرب الكونية السابقة

وكان افتتاح المؤتمر في ١١ تشرين الثاني وعُقدت جلساتهُ بكل ولاء واتفاق . حضرها من قبل فرنسة رئيس وزارتها المسيو بريان وخطب في اثنائها خطباً استحسنها كل المندوبين . بيّن ما لفرنسة من النيات السلمية ونفورها من الحرب لكنهُ صرّح ايضاً بحاجتها الى الاحتياط لنفسها من عدوتها المانية طالما هي باقية على اهبة الحرب ولم ترضَ باصلاح ما دمرتهُ من بلادها ودفع الغرامة المفروضة عليها من المؤتمر الدولي . وقد استحسن الجميع كلام الخطيب الذي كان في كل مدة اقامتهِ في اميركة موضوع اكرام اهلها ومظاهرهم الولائية . ومثلهُ المارشال فوش الذي لم يدخر الاميركيون وسعاً للتحفي بهِ وتبجيلهِ . وقد سرنا ان تلامذة الآباء اليسوعيين في كليات اميركة قدموا سيفاً ذهبياً فاخراً للمرشال الذي تخرج مثلهم في مدارس ابناء القديس اغناطيوس فشرف اساتذتهُ بانتصارهِ المبين وثباتهِ على مبادئ الدين

وقد اتفق المؤتمرون على عدة امور تختص بحصر التجنيد والاستعدادات الحربية . اما مهمة الباسفيك فقد زالت اخطارها كما انبأت البرقيات الاخيرة بمعاهدة جرت بين الدول الاربع الكبرى اعني اميركة واليابان وفرنسة وانكلترة

٢ اميركة الجنوبية والمركزية

يبلغ عدد الدول المركزية والجنوبية في اميركة نحو عشرين دولة وهي كلها

جمهوريات كاثوليكيَّة اصلها من عنصر اسباني يرقى الى أيام اكتشاف اميركة وبقيت تحت حكم اسبانية الى العشر الثاني من القرن التاسع عشر فتألفت احزاب وطنيَّة وحاربوا الدولة الى ان ظفروا بعمالها ونادوا بالاستقلال . وكانت السنة ١٩٢١ السنة المئة لتذكار استقلالهم فاقاموا لذلك حفلات عظيمة دعوا اليها الدول الاجنبيَّة مع ممثلي الكرسي الرسولي وقد امتازت بينها جمهوريَّة بيرو والارجنتين وسان سلفادور واشتركت اسبانية بهذه المواسم فارسلت وفودًا لحضورها كما اوفدت فرنسة الجنرال مانجان الى تمثيلها فتحفَّى بهِ الاهلون حيثما حلَّ

﴿ البرازيل ﴾ منذ انتصار الحزب الكاثوليكي في مجلسها صارت احوال البرازيل في نجاح وتحسُّن مستديم وان ثبتت بقايا من الهيئات الماسونيَّة السابقة . وفي مقالة حضرة الاب رفائيل نخله في هذا العدد ما يبيِّن ذلك اجلى بيان فعليك بها

وكانت نتيجة الانتخابات العموميَّة في كولومبية فوز الحزب الكاثوليكي في شهر تموز لمجلسي النوَّاب والاعيان

أُقيم على جمهوريَّة بوليفية السنيور جوان باطشتا سائيدرا كرئيسها . وهو من الرجال المرتقين بالدين . وقد جرى اتفاق بين بوليفية والارجنتين فاقامتا لجنةً مختلطة لحلّ ما يطرأ من المشاكل واسباب النزاع بين الدولتين

وقد تحالفت الثلث الجمهوريَّات الواقعة في اميركة المركزيَّة هوندوراس وغواتمالا وسان سلفادور . اما كوستاريكا وپاناما فقد وقعت بينهما منازعات لم يقوَ حتى الآن مُصلح على تسويتها

وممَّا طربت لهُ القلوب في سان دومنك انَّ جزيرتهم نالت استقلالًا تامًّا من الولايات المتَّحدة التي أخرجت جنودها المحتلَّة فيها

٣ آسية

﴿ تركيَّة ﴾ تسعى تركيَّة في إنهاض كبوتها واحياء مواتها على انَّ مقامها في الاستانة مقام الريب بازاء وليّ امرهِ طالما للدول المتحالفة الكلمة الراجحة فيها ومعظم اماها في انقرة وقوَّاتها العسكريَّة . وقد ارسلت وفودها الى باريس ولندن والى جمعيَّة الامم برأسها والي بيروت السابق سامي بكر لتنال مركزها الذي فقدتهُ

بمحاربتها مع ثمانية الدول المتحالفة

وفي ١٣ آذار اتفقت ايطالية مع تركيَّة في معاملاتها التجاريَّة

وقد حصلت في الاستانة ازمةٌ ماليَّة لمضاربة بعض اهلها بالليرة التركيَّة وبخس قيمتها فوقف لذلك دولاب تجارتها وكسدت اسواقها . وكان وزير ماليَّتها جناب حسين كاظم بك فأعطى بعض البيّنات عن ماليَّة تركيَّة وما كلَّفتها الحرب الاخيرة من المبالغ الفاحشة التي لا تقلّ عن ٤٠٠ مليون جينه يُضاف اليها قرضها ٤٠ مليوناً من البنوك الاوربيَّة

امَّا سياستها الداخليَّة فكانت قلقةً غير ثابتة القدم ووزارتها برئاسة توفيق باشا احتاجت الى بعض التعديل

ومن اخبار تركيَّة الاخيرة موت سعيد حليم باشا الصدر الاعظم السابق اطلق عليهِ رصاصةً احد اعدائهِ في كانون الاوَّل فارداهُ قتيلًا . وكذلك اخبرت الجرائد بوفاة طلعت باشا الذي كان قطب الحرب الكونيَّة وآلة في يد الالمان . مات قتلًا امَّا قاتلهُ الارمني تيروليان فبُرِّئت ساحتهُ في آذار بمساعدة الارمن الذين اخذوا على عهدتهم مصاريف الدعوى ثمَّ اتحفوهُ بعد تبرئتهِ بمليونين من الفرنكات

﴿ الاناضول وقيليقية ﴾ انَّ الحرب التي استعرت نيرانها فاحتدمت بين اليونان وتركيَّة كانت نتائجها الاولى موافقة لحكومة اثينة فبنى اليونان عليها آمالًا بعيدة أدَّت بهم الى البطر والمطامع الاشميَّة . على انَّ انتصاراتهم تحوَّلت بعد مدَّة الى الفشل فلزمهم الالتجاء الى الدول الكبرى لطلب الصلح كما سبق

امَّا الكماليُّون فثبتت قدمهم وانضمَّ اليهم كثيرون من المتطوعين المسلمين فصار المشير باشا مصطفى كمال الغازي صاحب الحلّ والعقد في انقرة بل في سائر تركيَّة . وقد استصوبت فرنسة قطع معاهدةٍ معهُ لذلك قيود اسراها من يدهِ ولتأمين حدودها في شمالي سوريَّة وكان من بنود المعاهدة تخلية فرنسة قيليقية من جنودها على شرط ان تُراعى حقوق النصارى ولاسيَّما الارمن فيها . تمَّ ذلك في تاريخ ٢٩ تشرين الاول فما كاد ينتشر الخبر في آطنة ونواحيها حتَّى خفَّ النصارى الى هجر تلك البلاد لما عرفوا من ظلم الاتراك وعدم الثقة بوعودهم . ولم تغشهم ظنونهم اذ استأنف

الاتراك معاملاتهم السيئة من اول يوم رجوعهم الى آطنة بعد خروج الجنرال دوفيو وجنوده منها فقلقت لذلك المقامات السياسية لاسيما في انكلترة

﴿الدول القفقاسية وارمينية﴾ اتحدت جمهوريات القفقاس اذربيجان والقفقاس الشمالي وداغستان وجيورجية للمدافعة عن استقلالها ودخلت جمهورية اريفان الارمنية في محالفتها الا ان قرب هذه الدول الصغرى من روسية جعلها هدفاً لسهام البولشفيك الذين دخلوها وبذروا فيها مبادئهم المستقبحة واستولوا على غلاتها فاصابتها المجاعة كروسية . وفي البرقيات الاخيرة ان البولشفيك الغوا جمهورية القفقاس واستولوا على بلادها

وهناك قسم آخر كان سابقاً لتركية موقعهُ في اقصى الشرق من الاناضول وراء ارزروم تبلغ مساحتهُ نحو ٢٢،٠٠٠ كيلومتر واهلهُ نحو مليون ومن مدنهِ قارص واردهان ونخجوان ولهُ ثغر على البحر الاسود . فهذا القسم قد أُعيد آخراً الى تركية وبهِ اصبحت مجاورةً لاذربيجان ولدولة البلشفيك

﴿سورية﴾ يعرف اهل الوطن ما نالتهُ سورية من فضل فرنسة في العام المنصرم . فان فخامة الجنرال غورو افرغ كنانة الجهد في تأليف القلوب وتنظيم الامور بعد قطعهِ دابر الثورة والفتن في دمشق وبلاد بشارة ومنطقة العلويين وفتحهِ عينتاب ودفاعهِ مدافعة الابطال عن مصالح سورية لدى دولته . وقد تجوَّل في مدة هذه السنة في كلّ انحاء مندوبيتهِ العليا فكان لهُ حيثما يحلّ اعظم حفاوة واجلّ اكرام ويكتسب ثقة الجميع بحسن سياستهِ ولطفهِ وافراغ جهدهِ لخدمة سائر العناصر وترقية كلّ البلاد المفوَّضة الى حكمتهِ . وقد حاول بعض الاثمة في ٢٣ من حزيران ان يدلوا على سورية ستر الحداد بقتل المفوَّض الاعلى في القنيطرة يوم ذهب لزيارة الامير فاعور لكنَّ الله نجَّاهُ من ذاك الخطر العظيم ورحم بلادنا بصيانتهِ سالماً من رصاصهم . لولا انَّ الضابط برانه رفيقهُ ذهب ضحيَّة الواجب

ومن مآثر فرنسة في بلادنا مدة هذه السنة تدشينها في اواسط ت ١ الخط طرابلس وحمص وفيهِ ما لا يخفى من المنافع لسورية . ومنها منحها لبيروت وطرابلس استقلالاً بلديًّا واسعاً في شؤونهما التجارية والادارية . ومنها تجفيف المستنقعات الواقعة قرب نهر بيروت وفي فرن الشباك فتحوَّلت مواقعها الى مزارع مخصبة . ومنها اصلاحات الطرق

في بيروت وخارجاً عنها ومدّ الجسورة على الانهر . وقد سبق لنا ما افادنا المعرض المقام لاوّل مرّة في بلدنا لترويج بضائعنا ولفتح موارد جديدة لتجارتنا وكان آخر ما بشّرنا به فخامة المفوّض الاعلى تفويض فرنسة لمكتبنا الطبيّ ان يباشر ببناء مستشفى واسع يلحق به . ولا تنسى سوريّة انّهُ بحزمه ودرايته أثبت لها في هذه السنة الاعتمادات المالية التي لم تزل في حاجة ماسّة اليها . والدليل عليه ان ميزانيّة سنة ١٩٢٠ دلّت على ان المصروفات بلغت ٢،٦٦٧،٠٠٠ ليرة سورية امّا الايرادات فلم تبلغ سوى ١،٤٣٧،٠٠٠ ليرة فكان العجز ١،٢٣٠،٠٠٠ ليرة

وممّا يُذكر فيشكر لفرنسة تعيينها لجنة ادارية تبحث في كلّ احوال لبنان الكبير وتطرح مسائلهُ على بساط المناقشة . وقد اتت هذه اللجنة بأعمال حميدة لمنافع الوطن تحت نظارة رئيسها الهمام داود بك عمون

فكل هذه التحسينات أطلقت ألسنة الجميع على شكر الانتداب الفرنسويّ الذي يحسدنا عليه اهل فلسطين وقيليقية والعراق . ولمّا وقع عيد استقلال سوريّة ولبنان الكبير في اوّل ايلول شملت الافراح بوقوعهِ جميع الاهلين فاحتفلوا بهِ احتفالاً شائقاً . ثمّ علموا ان اللجنة السوريّة الفلسطينيّة طلبت في جنيف الغاء الانتداب الفرنسوي فاحتجّوا عليها وصرّحوا بانهم لا يعرفونها كممثلة لسوريّة ولا كلسان حالها

على انّ صفاء اهل سوريّة الشمالية تعكّر نوعاً بدخول الاتراك الى قيليقية وباعادة عينتاب وكلس لحكمهم فاصبحت ثغورهم معرّضة للخطر التركي . وقد أسف العموم ايضاً لما اصاب الفرقة الفرنسويّة والسوريّة في دير الزور اذ بغت المدينة عربان تلك الاصقاع فقتلوا بعض الضبّاط والجنود لكنّ عقاب اولئك الصعاليك اثبت لهم بعد قليل انّ الزعانف لا يقوون على الكماة والابطال اذ جعلهم الجنرال دي لاموط والكولونل دي بيوفر عبرةً لسواهم . وممّن فقدتهُ سوريّة من اعيانها في هذه المدّة الاخيرة غير الذين سبق لنا ذكرهم الشيخ كنعان الضاهر الذي تقلّب في مناصب عالية زمناً طويلاً وعُرف بصفاتهِ الكريمة توفي يوم السبت ٢٦ ت ٢ في طرابلس . وسبقهُ الى الابديّة بيوم واحد الدكتور اسكندر بك بارودي احد رجال النهضة العلميّة في سوريّة . ولد في صيداء في ١٨ شباط ١٨٥٦ وتعلّم في مدرستي دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك وسوق الغرب للانكليز وفي الكليّة الاميركانية فنال شهاداتها

البكلوريّة والطبيّة ولهُ عدّة آثار اخصّها مجلّتهُ الطبيب التي تولّى نشرها نحو عشرين سنة (١٨٩٥—١٩١٤) ومنها تآليف عديدة طبيّة وادبيّة وشعريّة. وشغل مناصب جمّة تولّاها بكل دراية ونشاط . وانّما اخذنا عليهِ غير مرّة انضمامهُ الى الماسونيّة سامحهُ الله وعزّى آلهُ عن فقدهِ . وقد بلغ في هذا الشهر خبر وفاة اخيهِ الاب نيقولا بارودي اللعازري المرسل في الصين توفي في بكين حيث كان يشتغل بفلاحة كرم الربّ

﴿ فلسطين ﴾ منذ فتحت ابواب فلسطين للصهيونيين اصبح امرهم الشغل الشاغل لاهلها من نصارى ومسلمين ويهود وطنيين . فقد دخل من هؤلاء اليهود الاجانب الوف مؤلفة انحاء الاراضي المقدّسة فاحتلّوها احتلال الجيش الظافر في املاك عدوّهِ فقام الفلسطينيّون وقعدوا لما رأوهُ من ثقل ظلهم واحتكارهم لغنى البلاد ومعاملاتهم السيّئة فعقدوا المؤتمرات وارفدوا الوفود الى مراجع السياسة في مصر ولندرة وباريس وحتى الآن لم تتحقّق آمالهم . ومنّن التجأوا اليهِ قداسة الحبر الاعظم الذي شفق لحالهم واحتجّ هو ايضاً امام الدول على ما يتهدّد من الاخطار على الاراضي المقدّسة واملاك الكنيسة . ومثلهُ عمل البطريرك الاورشليميّ غبطة السيد برلاسينا في منشورٍ اذاعهُ في غرّة شهر آب . فعسى ان تسمع انكلترّة هذه الاصوات ولا تؤيد الصهيونيّة في مطامعها وفتح باباً واسعاً للمشاغب والقلاقل

ومنّن فُجعت بهِ الكثلكة عموماً وفلسطين خصوصاً وفاة المثلث الرحمات نيافة الكردينال فيليب كيساي بطريرك اورشليم سابقاً توفي في رومية في ٢٨ ك ٢ . وقد قاسى في ايّام الحرب النفي والاحزان بظلم جمال باشا

﴿ جزيرة العرب وما وراء الاردنّ ﴾ كان معظم همّ بريطانية العظمى في العام الماضي ان تجعل جزيرة العرب تحت سيطرتها فبعد ان سعت بتمليك السلطان حسين على مكّة وجّهت نظرها الى ولديهِ الامير فيصل والامير عبدالله فقدّمت فيصل سلطاناً على العراق وعبدالله متمدّاً على ما وراء الاردنّ وكلاهما موكول بحمايتها وقد عاهدت في اليمن وعسير الامام يحيى والادريسيّ وغمرتهما بألطافها وهكذا فعلت بسلطاني عمان ولحج . اما في اواسط الجزيرة فانّها عضدت ابن سعود على ابن الرشيد لما عرفت فيهِ من فضلهِ وقوّتهِ واقرّت بهِ سلطاناً على نجد وشرطت عليهِ ان يعترف بسلطة الامير فيصل على العراق . موعدها خيراً وبذلك اصبحت جزيرة العرب

رهينة امر انكلترة جارية بنفوذها . لكنَّ هذه السيطرة سطحيّة اكثر منها فعليّة صادقة لانَّ في العراق قبائل كثيرة لا ترضى بتمليك فيصل فانَّ لغيره من الوطنيين كطالب بك النقيب احزاباً قويّة ومثلها الشيعة في النجف وكربلا فكلّ هؤلاء معادون للامير وحماته . وابن سعود مع الوهابيين ينوي التملك على مكّة والحجاز . والقبائل في شرقي الاردن مستبدّة لا تنقاد لحكم وحالتها في شبه الفوضى

﴿ما بين النهرين﴾ تتنازع الحكم فيها الاكراد وقبائل العرب ما عدا الاتراك . فالحزب التركي يضبط المدن كديار بكر وماردين وجزيرة بني عمر . امّا البادية فهي تحت رحمة القبائل والاكراد في جهات الفرات والخابور الى الموصل . وقد وجّه الاتراك من انقرة السيد السنوسي محمّد الشريف ليحكم على انحاء الموصل ويعارض سلطنة العراق

﴿العجم والافغان﴾ كانت روسيّة وانكلترة تتجاريان في تنفيذ كلمتهما فيهما فلمّا هبطت روسيّة زاد النفوذ الانكليزي قوّةً الّا انَّ روسيّة البولشفيّة ارسلت دعاتها الى تلك الجهات ونفخت في اهلها روح الثورة . وفي شهر شباط الماضي قوي في العجم الحزب الوطني فقلب الهيئة الحاكمة في طهران واستولى على الدولة السرعسكر رجا خان . امّا الافغان فملكهُ الجديد امان الله ترشدهُ امّه سراج الخواتين

﴿الهند﴾ يرغب الهنود بالاستقلال من الحكم الانكليزي سواء كانوا من المسلمين او من المشركين . ولا تزال انكلترة في همٍّ متواصل لتخميد الفتن وكسر شوكة الثائرين . وقد ظهرت الثورة في هذه المدّة الاخيرة في ملبار فلم تقوَ انكلترة على اطفاء جمرتها الّا بعد منابزة اهلها القتال . وقد سافر آخرًا وليّ العهد الى الهند مؤمّلًا بزيارتهِ قصّ جناح الثورة

﴿اليابان﴾ قد بلغت اليابان الى درجة من الرقيّ في التدبير والسياسة والتجنيد والبحارة ما اقلق الدول القريبة منها كاميركة والصين . وقد مرَّ بك الاتفاق الذي وقع آخرًا بين الدول الاربع المجتمعة في واشنطون

وممّا جرى في اثناء هذا العام قتل رئيس الوزارة اليابانيّة . ثمَّ تصديق البرلمان على القانون الموجب استعمال القياس الغربي . ولا تزال الجنود اليابانيّة محتلّة ڤلاديڤوستك وقسم من سيبيرية ريثما يقوم فيها حكم قانوني معاكس للحركة البولشفيّة

﴿ الصين ﴾ جمهوريتها الحديثة لا تقوى على كبح الثوار في جهات ستشوان وكانتون حيث هاجت حرب اهلية وشغب الجند لعدم حصولهم على رواتبهم . ثمَّ انَّ المجاعة سائدة في عدَّة ولايات

٤ أفريقية

﴿ افريقية الشمالية ﴾ استتبت الراحة في البلاد الواقعة تحت حماية فرنسة لاسيَّما مراكش التي ابلغها المرشال ليوتي بحسن تدبيره الى درجة من الرقي والحضارة لم تعرفها سابقاً . أما القسم الاسباني في طنجة ومليلة وضواحيها فانَّ الوطنيين ابوا الَّا نشر راية العصيان وكبَّدوا الاسبانيين خسائر فادحة في ٢٢ تموز وقد نسب البعض هذه الكارثة لقلة فطنة الجنرال سلفستر . لكنَّ الحكومة الاسبانيَّة اسرعت الى استدراك الامر فتمكَّنت جنودها من رقاب العدوّ في بعض الامكنة

﴿ طرابلس الغرب ﴾ بعد ان ثبَّتت ايطالية مركزها في سواحل طرابلس حاولت تمكين سلطتها في داخليَّة البلاد بكسر شوكة العصابات التي تؤلفها الشيع السنوسيَّة المعروفة بالاخوان المنبثَّة في تلك الاصقاع

﴿ مصر ﴾ توتَّرت الاحوال بين المصريين والدولة الانكليزيَّة ولم تأتِ المخابرات والوفود بين الوطنيين وارباب السلطة البريطانيَّة بالنجاح المأمول . وبعد خيبة آمال وفد لسعد باشا زغلول لم ينل وفد عدلي باشا ما كاد ان يصيبهُ فعاد فارغ اليدين ولم تزل تغلي في قلوب اهل مصر مراجل الغيظ والشحناء فيسعون في كسر تيرهم طاقة جهدهم وقد اهتمَّ الجنرال اللنبي في تشكيل وزارة فلم ينجح

﴿ افريقية الفرنسويَّة الغربيَّة ﴾ تشتمل هذه المستعمرة على عدَّة بلاد كفيناي وكونغو ونيجر وداهوماي والسودان الفرنساوي التي بسطت عليها فرنسة حكمها واذاقتها اماناً لم تعهدهُ قبلها . وقد نشطت زراعتها وصنائعها . فبعد ان كانت محصولاتها لا تزيد قبل عشرين سنة على ٣٠ مليوناً من الفرنكات فهي بلغت اليوم نحو سبعة مليون . واهلها قد اظهروا في وقت الحرب خلوص مودَّتهم لفرنسة فحارب جنودهم ببسالة ونال كثيرون منهم اوسمة وامتيازات فرحوا بها اي فرح .

وقد ارادت الحكومة الفرنساوية ان تشكر لهم امانتهم فارسلت المسيو البر سارو (Al. Sarraut) يبلغهم سموّ رضاها عنهم

على انّ هؤلاء الزنج منذ اختلاطهم بالاوربيين في الحرب الاخيرة اخذوا يحلمون ايضاً بالاستقلال فعقدوا في هذه السنة مؤتمراً اعربوا فيه عن رغبتهم في تدبير شؤون بلادهم

﴿مدغسكار﴾ هذه الجزيرة ارسلت ايضاً الوفاً من جنودها الى ساحة الحرب في فرنسة فامتازوا بتفانيهم لخدمة اوطانها . وجزيرتهم اصبحت اليوم جنّة فيحاء كثيرة الخصب بعد ان جفّفت فرنسة اكثر من ١،٢٠٠،٠٠٠ هكتار من مستنقعاتها ومدّت فيها السكك الحديديّة فنما خصبها نمواً عجيباً

الحركة الكاثوليكية في البرازيل

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

لا يخفى على احد ان البرازيل من اعظم دول العالم بالنظر الى مساحته البالغة نحو ٨،٣٣٧،٠٠٠ كيلومتر مربع نعني ستة عشر ضعفاً لمساحة فرنسة . ثم ان هذه الجمهورية الاميركية العظيمة في ترقٍّ مادّي وادبيّ متواصل يضمن لها مستقبلاً مجيداً في تاريخ العالم . والحالة هذه لا يخلو من الفائدة القاء نظرة سريعة على الحركة الكاثوليكية في البرازيل ولاسيما ان الوفاً مؤلفة من ابناء الشرق قد حطّوا رحالهم في تلك البلاد الشاسعة طلباً للرزق . وقد قسمنا هذه العجالة الى ابواب موجزة تتبّعنا فيها بعض اهمّ المسائل الكاثوليكية او المتعلقة بالمصالح الكاثوليكية

١ . علاقات الكنيسة والدولة البرازيلية

ان الثورة العسكرية التي انفجرت سنة ١٨٩٩ وبها كان سقوط الامبراطور بطرس

وقد ارادت الحكومة الفرنساوية ان تشكر لهم امانتهم فارسلت المسيو البر سارو (Al. Sarraut) يبلغهم سموّ رضاها عنهم

على انّ هؤلاء الزنج منذ اختلاطهم بالاوربيين في الحرب الاخيرة اخذوا يحلمون ايضاً بالاستقلال فعقدوا في هذه السنة مؤتمراً اعربوا فيه عن رغبتهم في تدبير شؤون بلادهم

﴿مدغسكار﴾ هذه الجزيرة ارسلت ايضاً الوفاً من جنودها الى ساحة الحرب في فرنسة فامتازوا بتفانيهم لخدمة اوطانها . وجزيرتهم اصبحت اليوم جنّة فيحاء كثيرة الخصب بعد ان جفّفت فرنسة اكثر من ١،٢٠٠،٠٠٠ هكتار من مستنقعاتها ومدّت فيها السكك الحديديّة فنما خصبها نمواً عجيباً

الحركة الكاثوليكية في البرازيل

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

لا يخفى على احد ان البرازيل من اعظم دول العالم بالنظر الى مساحته البالغة نحو ٨،٣٣٧،٠٠٠ كيلومتر مربع نعني ستة عشر ضعفاً لمساحة فرنسة . ثم ان هذه الجمهورية الاميركية العظيمة في ترقٍّ مادّي وادبيّ متواصل يضمن لها مستقبلاً مجيداً في تاريخ العالم . والحالة هذه لا يخلو من الفائدة القاء نظرة سريعة على الحركة الكاثوليكية في البرازيل ولاسيما ان الوفاً مؤلفة من ابناء الشرق قد حطّوا رحالهم في تلك البلاد الشاسعة طلباً للرزق . وقد قسمنا هذه العجالة الى ابواب موجزة تتبّعنا فيها بعض اهمّ المسائل الكاثوليكية او المتعلقة بالمصالح الكاثوليكية

١ . علاقات الكنيسة والدولة البرازيلية

ان الثورة العسكرية التي انفجرت سنة ١٨٩٩ وبها كان سقوط الامبراطور بطرس

الثاني فُصلت الكنيسة من الدولة . فخشي حينئذ الكاثوليك اضطهاداً جائراً من قبل الحكومة المجاهرة بالزندقة . على انَّ حالتهم لم تزل في تحسن منذ ذلك العهد الى ايامنا هذه . يعترف الدستور البرازيلي بكون الكنيسة حرّةً في دولة حرّة ويصرّح بان الكنيسة شخص ادبي فلها حقّ التملّك والحرّية في ادارة املاكها . أجل ان الحكومة الغت الرواتب التي كانت تدفعها للاساقفة والخوارنة لكن اريحيّة المؤمنين اخذت على عاتقها ذلك الواجب المقدس كما نرى ذلك في فرنسة منذ سنة ١٩٠٥

ولم يخلُ فصل الكنيسة عن الدولة من كل فائدة للكاثوليك . ففي عهد اتحاد السلطتين الدينية والمدنية كان للحكومة حقّ تعيين المرشحين لمناصب الاساقفة والخوارنة وكثيراً ما كانت تُسيء استعمال حقّها باختيار اشخاص قليلي الفضيلة بل اشرار ولم يكن للكنيسة مندوحة من منحهم السلطة الكنائسية الملائمة لدرجتهم . فحدّث عن العواقب الوخيمة الناجمة عن ذلك ولا حرَج ! وقد انقلبت هذه الحال المشئومة منذ فصل الكنيسة عن الدولة سنة ١٨٩٩ فان الاساقفة وحدهم ينتخبون بموجب ذمّتهم وتحت شرط مصادقة البابا الاشخاص الجديرين بالجلوس على الكرسي الاسقفي وتعيين من هو اهل لوظيفة الخوري السامية . فيحق الآن للبرازيل بفضل ذلك الانقلاب ان يفتخر باساقفته البارعين بالقداسة والعلم

وزد على ذلك خيراً عظيماً اخرجته العناية الالهية من فصل السلطتين ان الكنيسة البرازيلية هي اليوم مُطلقة اليد في تعيين عدد الابرشيات والخورنيات وتحديد كل منها بخلاف ما كان للحكومة في العهد المنصرم من التصرّف المطلق او يكاد في كل هذه الشؤون . فكان تحكُّم اهل الربط والحل بمثابة عقبة كؤود في سبيل ترقّي الكثلكة البرازيلية . ولمّا زالت بعونه تعالى نما عدد الابرشيات فناف على الخمسين حاضراً بعد ان كان في السنة ١٨٩٩ عشرة فقط

ذاك ملخص العلائق بين الكنيسة البرازيلية والحكومة . امّا علاقات هذه مع البابوية فهي اليوم على اكمل ما يُرام . كان للبرازيل قبل المدّة الاخيرة ممثّل بسيط لدى الكرسي الرسولي فهاج الماسون وماجوا مراراً عديدة طالبين من الجمهورية عزل ذلك الممثّل بحجّة اقتصاد النفقات المترتبة على منصبه . فقام في وجه اولئك المرائين الكفار رئيس الجمهورية الدكتور ونسسلاو براس وترقّى الممثّل الى درجة سفير التي

لا متجاوز فوقها فذهبت بذلك مكايد الماسون ادراج الرياح بل اقتدت جمهوريتان أخريان في اميركة الجنوبية بنموذج البرازيل وعيّنت كل منهما سفيراً لدى قداسة البابا

٢ المدارس الكاثوليكية

يصرّح الدستور البرازيلي بحرية التعليم وانما لرئيس الجمهورية حقٌ في تحديد معنى هذه الحرية. فقام احد الرؤساء السابقين ومنع قطعياً القاء التعليم المسيحي بحجة صيانة تلك الحرية ثم عقبه آخر متدين اذاع شريعة سوّغ فيها التعليم المذكور في أية مدرسة كانت اذا طلبه معظم آباء التلامذة. ولا تزال هذه الفتوى معمولاً بها في ايامنا. ومما يوجب الاسف ان اكثر مدارس الحكومة البرازيلية محرومة من التعليم الديني مع ان اساتذتها غير معادين للديانة على وجه العموم. والحالة هذه فشرٌ اهون من شرين

امّا المدارس الكاثوليكية فانها مع كونها اقلّ من غيرها هي عديدة في حدّ ذاتها وكان مجموعها بالغاً حول سنة ١٩٠٣ عدد ٥٢٤ ذلك فضلاً عن عشرين مدرسة اكليريكية وكان عدد السكان اوانئذٍ اقلّ من عشرين مليوناً

وها قد تحقق في البرازيل بنوع غريب قول الشاعر: انّ « مصائب قوم عند قوم فوائد » بشأن المدارس الكاثوليكية. هاجرمئات من الرهبان والراهبات المضطهدين بفرنسة والبرتغال في اثناء العشرين السنة الاخيرة الى اقطار الجمهورية اللاتينية الاميركية فرحبت بهم اي ترحيب وخفّفت بوافر حفاوتها وطأة منفاهم القسري. ففتحوا هناك عشرات من المدارس الثانوية ضمّت بين جدرانها صفوة ابناء وبنات العائلات الكاثوليكية من الطبقة العليا والوسطى. وقد امتاز في تهذيب الفتيان اليسوعيون والدومينيكيون والفرنسيسيون واللعازريون والبالزيان والاخوة المرعيون واخوة المدارس المسيحية. وللجمعيتين الاخيرتين وحدهما فوق ثلاثين مدرسة ثانوية. ونال قصب السبق في تخريج الفتيات راهبات القلب الاقدس والفرنسيسيات والدومينيكيات وراهبات المحبة وراهبات صهيون وكثيرات غيرهن من اللواتي نفاهن من وطنهن الوزير الفرنساوي الكافر كومب المتوفى اخيراً. فكان لاولئك الراهبات المهذبات الايادي البيضاء في تخريج آلاف من العائلات الكاثوليكية البرازيلية على نواميس الدين الكافل وحده بخير الهيئة الاجتماعية. وقد نالت الراهبات حظوى عجيبة في عين

الحكومة وكفى شاهداً على ذلك ان احدى ولايات البرازيل المدعوة ميناس جرايس (Minas Geraes) خولت خمس عشرة ونيفاً من مدارسهن بحق منح نفس الشهادة التي تعطيها الحكومة مدرسة معلميها (école normale)

٣ العائلة البرازيلية

هي مصونة بفضل الرهبنات القائمة بتهذيب بنيها من الاخطار المهددة لكيان العائلة في بلاد كاثوليكية ثارت فيها عاصفة الاضطهاد الديني . اجل ان الجمهورية البرازيلية المؤسسة من نحو ٢٢ سنة اوجبت على كل الرعايا الزواج المدني الذي لم يكن له ادنى اثر في العهد السابق ولكنها عجزت حتى اليوم عن ادخال الطلاق المحض في شرائع البرازيل . فكلما حاول اعداء الله والناس تلك الجريمة العظيمة صادفوا اشد المقاومة من سواد نواب الامة . ولا بدع فان العائلة البرازيلية قائمة كما سبقت الاشارة على اساس الدين واجلى شاهد على ذلك ان معدل عدد ابناء كل منها يتراوح من خمسة الى سبعة وكثيراً ما تراه يسمو الى العشرة بل الاثني عشر فما فوق ! ففي مدينة سان بولو مثلاً يبلغ عدد المواليد ثلاثة اضعاف عدد الوفيات . وبه يتضح سر الزيادة العجيبة في عدد سكان البرازيل فقد غا من نحو سبعة عشر مليوناً في سنة ١٩٠٠ الى نحو ثلاثين مليوناً في الوقت الحاضر !

٤ الاعداء الكثلكة في البرازيل

هما كما في كثير من بلاد الله الماسونية والبروتستانية . من المعلوم الذي لا ينكره منكر ان الماسونية وضعت يدها على دفة الحكومة البرازيلية منذ عهد الامبراطور السابق لعهد الجمهورية نعني بطرس الثاني . وقد انتهزت اولئك سلطتها المطلقة لالغاء الرهبنات واضطهاد الاساقفة الذائدين بكل قواهم عن حقوق الكنيسة الكاثوليكية . ومن اشهر اولئك الابطال السيد غفلفس دي أوليفير الكبوشي المتوفى منفياً في باريس سنة ١٨٨٧ . ومع ان حالة الكثلكة البرازيلية لم تزل تتحسن في العشرين السنة الاخيرة فالماسونية لا تفتأ تصليها حرباً عواناً والآن يتنازع رئاسة الجمهورية رجلان احدهما كاثوليكي محض وهو الدكتور ارتور برنردس والآخر هو الاستاذ الاعظم للماسونية البرازيلية . الدكتور فيلو بكنيا

امّا البروتستانية فانها تتذرع بكل الوسائل لنشر تعاليمها الفاسدة خصوصاً على يد المرسلين المعروفين بالميثودست الوافدين من الولايات المتحدة واعظم قوة يستخدمونها لجذب الانفس هي الاصفر الرنّان ! وقد الحقوا اضراراً روحية عظيمة بالبلاد ولاسيما في اقطارها المتوسطة البعيدة عن السواحل المحرومة من طرق المواصلات السريعة التي قد ضرب فيها الجهل الديني اطنابه

٥ مقاومة الكاثوليك البرازيليين لهذه العدوى

١ قد سبق لنا ذكر المئات من المدارس الكاثوليكية حيث يتهذب آلاف من ابناء اشرف العائلات وفقاً لمبادئ الدين الكاثوليكي وقد بيّنّا تأثير ذلك التهذيب القويم على آداب العائلة البرازيلية فيتّضح ان في هذه تربية الناشئة مقاومة شديدة لنفوذ الماسونية والبروتستانية فلا حاجة لاسهاب الكلام في هذا الموضوع

٢ السلاح الثاني الذي يحارب به الكاثوليك اعداء دينهم هو الصحافة على اختلاف انواعها . وقد حثهم على ذلك بنظره البعيد وعقله السامي السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر في رسالته الموجهة بتاريخ ١٨ ايلول سنة ١٨٩٩ الى لفيف اساقفة البرازيل . فاحلّ البرازيليون هذه النصيحة الابويّة في صدورهم محلّ الاعتبار بل اخرجوها الى حيّز العمل رغماً من كل العقبات بتأسيس الجرائد والمجلات الكاثوليكية المحضة ونشر غير ذلك من المطبوعات الحسنة المرقية الاذهان والقلوب . ويجدر بنا في هذا المقام التنويه بمجلة الصدى (O Echo) التي يصدرها من سنين عديدة في البرازيل المرسلون اليسوعيون الالمان . وهي موجّهة الى تلامذة المدارس الثانوية ذكوراً واناثاً . حافلة بالمقالات العلمية والادبية الممتعة القريبة المنال . مزيّنة بصور عديدة بديعة الاتقان . فحازت بفضل تلك المناقب رواجاً عظيماً في كل مدارس البرازيل وجلّ همها توطيد اركان الدين في شخص كل من قرّائها البالغ عددهم الآن آلافاً مؤلفة . فقد طالعنا اعداداً كثيرة من تلك النشرة الجميلة فقضينا العجب من غزارة موادّها ورشاقة انشائها ومحض صبغتها الكاثوليكية

وما عدا كل هذه المآثر الصحافية قد انطوى عزم الكاثوليك البرازيليين على انشاء جريدة واسعة الانتشار لا يجاريها مجارٍ في طول الجمهورية وعرضها فتكون

على هذا النسق بعيدة النفوذ مسموعة الكلمة . وقد جمعوا حتى اليوم قناطير من الذهب لنشرها في العام المقبل بمناسبة مرور مائة سنة على استقلال البرازيل

٣ السلاح الثالث لناهضة الماسونية والبروتستانية هو الجمعيات الكاثوليكية من كل نوع . نخص بالذكر منها اثنتين : الاولى جمعية الشبيبة الكاثوليكية وقصدها مقاومة نفوذ الجمعية البروتستانية للشبان (Yung Men Christian Association) التي عاثت فساداً في شبيبة البرازيل . وقد استلفت قداسة البابا المالك سعيداً انظار كاثوليك العمور الى شرورها المتفاقمة . وقد نجحت رصيفتها الكاثوليكية السابق ذكرها اتم النجاح ولا تزال توسع دائرة نواديها واعمالها يوماً فيوماً

الثانية هي المحالفة لصيانة الآداب المؤسسة في العاصمة ريو دي جانيرو وغايتها السهر على اخطار المواسح والسينماتغراف فتوقف العائلات الكاثوليكية في نشرة لها على تلك الاخطار حتى يمكنهم الابتعاد عنها . وقد بلغت من النفوذ مبلغاً الجأ بعض اصحاب نوادي السينما الى عرض شرط العمور على انتقاد المحالفة قبل كشفها للجمهور وذلك لتضمن إقبال الناس على مشاهدة تلك الصور

٦ المظاهرات الكاثوليكية لسنة ١٩٢٢

ما عدا الجريدة العظيمة التي نشرنا اليها آنفاً قد عزم الكاثوليك البرازيليون على انتهاز العيد الوطني المقبل بمناسبة المائة الاولى لاستقلال البرازيل للمجاهرة بايمانهم الحار وشكرهم الوافر للعناية الالهية على ما اسبغته من النعم الجمة على البرازيل في العصر الاول من حياته القومية المستقلة

فمن افخر تلك المظاهرات المستقبلة ان رئيس اساقفة سان باولو عزم على تشييد كاتدرائية في غاية العظمة والجمال بمدينته وهي عاصمة ولاية كبيرة . وقد سبق من مدة طويلة الى جمع ملايين الفرنكات اللازمة لهذه العمارة الفخيمة فبذل اصحاب البنوك وغيرهم من الاغنياء المبالغ الطائلة بارجحية تذكر فتشكر . وقد وضع مجلس مندوبي ولاية سان باولو قانوناً اخذوا به على عواتقهم اكمال الاموال المجموعة على الوجه المذكور بحيث يتم مشروع رئيس الاساقفة دون ادنى عائق . وستكون الكاتدرائية الجديدة ابدع كل كنائس اميركة الجنوبية ولعلها تفوق كل الكنائس الاميركية دون استثناء

اما كاثوليك ريو دي جانيرو عاصمة الجمهورية فلم يرضوا بالتخلف عن اخوانهم في سان باولو فافتتحوا اكتتاباً قومياً ودعوا بواسطة الاساقفة والخوارنة كل الافراد رجالاً ونساء كباراً وصغاراً موسرين ومعسرين الى التصدق ببعض الدريهمات على الاقل لنصب تمثال جباري للسيد المسيح فادي العالم على رابية مدعوة قالب السكر (Pão de Assucar) بسبب شكلها وهي واقعة على حدود العاصمة الكبيرة عند شاطئ بحر الاطلنتيك. وعلو تلك الرابية المنيفة على كل انحاء ريو دي جانيرو نحو ثلاثمائة متر. اما ارتفاع تمثال فادينا الجليل فسيبلغ اربعين متراً ويصاغ من البرونز بنفقات تناهز ثلاثة ملايين من الفرنكات!

. . .

ذاك بعض ما اتصل بنا من مآثر الكاثوليك البرازيليين وهو على قلته شاهد فصيح على حرارة تدينهم ومضاء عزائمهم وكمال انقيادهم البنوي لارشادات نائب المسيح على الارض. نختم الآن هذه العجالة بالاحصاءات الآتية التي برت حول سنة ١٩١٣

كان اوانئذٍ في البرازيل ١٢٧٠٥ كنيسةً بين كبيرة وصغيرة و ٢٠٦٧ كاهناً عالياً و ٥٥٩ راهباً و٢٠٨٣ راهبة و ٥٢٤ مدرسة كاثوليكية و ٢٩ مدرسة اكليريكية. لعمري ان بلاداً هذه اعداد كنائسها ومدارسها واكليروسها يحق لها ان تؤمل مستقبلاً عالياً مجيداً في مجموعة التمدن الكاثوليكي

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد اثبتنا سابقاً في المشرق (٥ [١٩٠٢] :٢٣٧-٢٤٢) ترجمة ايليا مطران نصيبين المعروف بابن شينا او ابن سني المتوفى سنة ١٠٤٩ للميلاد. وسردنا هناك جدول تآليفه العربية

اما كاثوليك ريو دي جانيرو عاصمة الجمهورية فلم يرضوا بالتخلف عن اخوانهم في سان باولو فافتتحوا اكتتاباً قومياً ودعوا بواسطة الاساقفة والخوارنة كل الافراد رجالاً ونساء كباراً وصغاراً موسرين ومعسرين الى التصدق ببعض الدريهمات على الاقل لنصب تمثال جباري للسيد المسيح فادي العالم على رابية مدعوة قالب السكر (Pão de Assucar) بسبب شكلها وهي واقعة على حدود العاصمة الكبيرة عند شاطئ بحر الاطلنتيك. وعلو تلك الرابية المنيفة على كل انحاء ريو دي جانيرو نحو ثلاثمائة متر. اما ارتفاع تمثال فادينا الجليل فسيبلغ اربعين متراً ويصاغ من البرونز بنفقات تناهز ثلاثة ملايين من الفرنكات!

. . .

ذاك بعض ما اتصل بنا من مآثر الكاثوليك البرازيليين وهو على قلته شاهد فصيح على حرارة تدينهم ومضاء عزائمهم وكمال انقيادهم البنوي لارشادات نائب المسيح على الارض. نختم الآن هذه العجالة بالاحصاءات الآتية التي برت حول سنة ١٩١٣

كان اوانئذٍ في البرازيل ١٢٧٠٥ كنيسةً بين كبيرة وصغيرة و ٢٠٦٧ كاهناً عالياً و ٥٥٩ راهباً و٢٠٨٣ راهبة و ٥٢٤ مدرسة كاثوليكية و ٢٩ مدرسة اكليريكية. لعمري ان بلاداً هذه اعداد كنائسها ومدارسها واكليروسها يحق لها ان تؤمل مستقبلاً عالياً مجيداً في مجموعة التمدن الكاثوليكي

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

قد اثبتنا سابقاً في المشرق (٥ [١٩٠٢] :٢٣٧-٢٤٢) ترجمة ايليا مطران نصيبين المعروف بابن شينا او ابن سني المتوفى سنة ١٠٤٩ للميلاد. وسردنا هناك جدول تآليفه العربية

والسريانيَّة . ثمَّ روينا عنهُ رسالتين فريدتين قلهما حضرة الاب لويس معلوف من بعض مخطوطات مكتبة اوكسفرد الشرقيَّة وهما رسالتهُ في وحدانيَّة الخالق وتثليث اقانيمهِ ثم رسالتهُ المنوّنة بنعيم الآخرة تجدهما في مجموع المقالات الدينيَّة الندية لبعض مشاهير الكتبة النصارى في الطبعة الثانية منهُ (١٩٢٠ ص ١٢٤–١٣٢)

ومن التآليف التي توهَّمناها في ترجمتهِ الرسالة التي وجَّهها الى ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها سبعة مجالس جرت بينهُ وبين الوزير ابي القسم الحسين بن عليّ المغربي لمَّا قدم الى نصيبين سنة ٦١٧ (١٢٠٦ م) وسأل استفها ان يشرح لهُ المعتقدات النصرانيَّة ففعل وكانت هذه المجالس كمحاورات دينيَّة عاد ايليَّا بن شينا فكتبها وارسلها سنة ٦١٨ هـ الى ابي العلاء صاعد وكان ابو العلاء اخا الاسقف ايليَّا واحد اطبَّاء الوزير ابي القسم وكان الوزير توفي في تلك الاثناء

ومن هذه المجالس عدَّة نسخ ثلث منها في مكتبتنا سبق لنا وصفها (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٢٧٥–٢٧٦) . وقد وجدنا في حلب في مكتبة الموارنة نسخةً حسنة منها موسومة بالعدد ٢٥٨ تاريخها سنة ١٩٦٣ يونانيَّة الموافقة سنة ١٦٣٠ مسيحيَّة فقابلنا نسختنا بها فاستدنا من رواياتها . وها نحن نثبت هذه المجالس في مجلَّتنا الَّا المجلس الثاني فانَّنا لا نروي منهُ الَّا قسمًا فقط لاشتالهِ على البدعة النسطوريَّة في تجسُّد السيِّد المسيح وذلك ما يقتضي تفنيدًا مطوَّلًا . واستنادنا في روايتنا الى اقدم نسخنا الراقية الى القرن الثالث عشر . وعلى الله الاتكال

بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد

(١) رسالة

انشأها الاب انبا ايليَّا مطران نصيبين واعمالها المعروف بابن الشنّي وارسلها الى الاستاذ ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابي القسم الحسين بن علي المغربي رحمهُ الله في الشرع وغيرهِ . وعددها سبعة فصول

(٢) قال الانبا ايليَّا المطران في صدر رسالتهِ المخلص في امانة ديانتهِ والباذل دنياهُ في طلب آخرتهِ الى الاخ الجليل الكبير المؤتمن ابي العلاء صاعد بن سهل اطال الله بقاءهُ وادام لهُ العزَّ والتأييد والسعادة والتوفيق

من الخاطئ ايليَّا خادم سيِّدنا يسوع المسيح بنصيبين يهدي اليك السلام ويخصُّك بالدعاء والاكرام ويرغب الى الله سبحانهُ في حراستك ودفع الأسواء عنك . وكان كتابي تقدَّم اليك ادام الله توفيقك أذكر فيهِ حال المجالس التي جرت بحضرة الوزير ابي

القسم الحسين بن علي المغربي رحمهُ الله واني حلّقت جملةً كلَّ ما جرى في كلّ مجلس فيها لاشرحنَّ لك مفصّلًا ما وقع التمكّن من شرحهِ لتقف عليهِ لعلمي بشوقك الى معرفتهِ . وتأخّر ذلك الى هذه الغاية لعذر لا لاخفائهِ عنك وانا اشرح في هذه الرسالة ما جرى في مجلس مجلس لتقف عليهِ بمشيئة الله وعونهِ

الفصل الاول

يتضمّن ذكر ما جرى في المجلس الاوّل من الكلام والمسائل والجوابات في التوحيد والتثليث

(٣) اتّفق دخول الوزير رحمهُ الله الى نصيبين يوم الجمعة السادس والعشرين من جمادى الاولى من السنة الماضية وهي السنة سبع عشرة واربعمائة (حزيران ١٠٢٦م) ودخلتُ اليهِ يوم السبت بعدهُ وما كنتُ رأيتهُ قبل ذلك فقرّبني واكرمني واجلسني بالقرب منهُ . وبعد ان دعوتُ لهُ وهنّأتهُ بقدومهِ نهضتُ لأنصرف فاستوقفني وقال لي : اعلم انَّ لي مدّةً طويلة أُوثر الاجتماع بك والاستكثار منك واريد ان يكون حضورُك وانصرافك من عندي في كلّ وقت على ايثاري واختياري

فأجبتُهُ بالسمع والطاعة وجلستُ (٤) وبعد بسطهِ وتأنيسهِ لي واستعلامهِ اخباري وتجاري اموري وذكر العلماء واهل العلم قال لي : اعلمْ انَّ اعتقادي كان قديماً في النصارى اعتقاد من يحقّق انهم كفّار ومشركون وامّا الآن فانا اشكُّ في كفرهم وشركهم لآيةٍ عجيبة شاهدتُها من مذهبهم واشكُّ ايضاً في توحيدهم لأشياء فظيعة يعتقدونها تقتضي ان يُشكَّ فيها انهم غير موحّدين .

قلتُ : ما الذي شاهدهُ الوزير اطال الله بقاءه يقضي الشكَّ في كفرهم وما الذي يعتقدونهُ ممّا يوجب الشكَّ في توحيدهم

قال : امّا ما شاهدتُهُ ممّا يوجب الشكَّ في كفرهم فهو اني عند كوني في الدفعة الاولى في ديار بكر توجّهتُ الى بدليس في مهمّات عرضتْ لي فهجم لي عند وصولي اليها مرضٌ عظيم سقطتْ منهُ قوّتي وبطلت شهوتي وأيستُ من نفسي فخرجتُ منها راجعاً الى ميّافارقين حتّى اذا قضى الله سبحانهُ عليَّ بما لا بُدَّ منهُ كان بها او بالقرب

منها (٥) . وكانت نفسي لا تقبلُ شيئاً من الطعام ولا الشراب . فتكلّفتُ من تعب الطريق والركوب مشقّةً عظيمة . وكنتُ اسير في كلّ يوم مسافةً قريبة والضعفُ يتزايد والقوّة تنقصُ والمرضُ يشتدُّ ويصعب فوصلتُ الى دير في الطريق يُعرف بدير مار ماري وانا أضعفُ ممّا كنتُ والمرضُ اقوى ممّا كان

فساعة نزولي فيه وتأمّلي ما انا عليهِ من الضعف استدعيتُ شيئاً من الشراب وتناولتُهُ رجاء ان يمسك قوّتي فمع حصولهِ في معدتي ألقيتهُ فازدادت نفسي ضعفاً وأيستُ منها وقلق جميع مَن كان معي . فحضرني الراهب الموسوم بخدمة الدير ودعاني وأحضر معهُ شيئاً من الرمّان وسأل الغلمان ان يفتّوهُ ويعرضوا عليّ شيئاً منهُ . فعرّفوهُ اني لستُ استطيع ان اتكلّم ولا اسمع الكلام وانّ نفسي لا تقبل شيئاً من الطعام ومعدتي لا يثبتُ فيها شراب ولا غيرهُ . فألحّ عليهم وقال لهم : احبُّ ان تحملوهُ الى ان يستعمل ولو يسيراً من هذا الرمّان(٦) فانّهُ ينتفع منهُ ببركة هذا الدير المبارك . فاومأ اليّ بعض الغلمان بقبول قولهِ تشبُّثاً بالعافية وتناولتُ من الرمّان شيئاً يسيراً فثبتَ في معدتي فاشتدّت . فلم ازل استعمل منهُ شيئاً بعد شيءٍ حتى قويت نفسي ونهضت شهوتي . وكان الراهب قد طبخ للغلمان عدساً فاستدعيتُ منهُ فأكلتُ بشهوةٍ وقتُ في الحال وتمشّيتُ متفرّجاً على السطح ورجعتُ الى حال الصحّة . فتحيّرت وتعجّبت انا وكلّ من معي على ما جرى . وانا الآن اذا تذكّرتُ ذلك اعجبُ منهُ واعتقد انهُ آيةٌ عجيبة أعيدها في كلّ وقت وفي كلّ مكان على كلّ احد . فهذا ممّا اوجب لي الاعتقاد في النصارى أنهم ليسوا بكفّار ولا مشركين

وأمّا ما اوجب ان اعتقد فيهم أنهم مشركون فهو أنهم يعتقدون انّ الله تعالى جوهر ثلاثة اقانيم فيعتقدون ثلثة آلهة فيعبدون ثلثة ارباب ويعتقدون انّ عيسى المأخوذ من مريم هو ازلي خالق غير مخلوق

(٧) قلتُ : كلّا لا تعتقد النصارى ثلثة آلهة ولا ثلثة ارباب ولا يعتقدون انّ الناسوت المصطفى المأخوذ من مريم هو ازلي غير مخلوق

قال : ألستم تقولون انّ الله تعالى جوهر ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس ؟

قلتُ : نعم كذلك نقول

قال : أولستم تقبلون الامانة التي دوّنها وقرّرها الثلاثمائة والثمانية عشر ؟

قلتُ : نعم نقبلها ونعظّمها

قال : قولكم ان الله جوهر ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس كفرٌ وإشراك بالله والامانة التي قرّرها الثلثمائة والثمانية عشر ودوّنوها تتضمّن ان يسوع الذي هو عندكم البشري المولود من مريم هو ربٌّ ازلي خالق غير مخلوق

قلت ان كان غرض الوزير من هذا القول معرفة مذهبنا وبراءة ساحتنا مما نُسب الينا من الشناعة اوردتُ ما عندي وان كان غرضهُ المناظرة والمجادلة فانا اسالهُ ان يعفيني من ذلك وينعم عليَّ بالعدول عنهُ الى ما يتعلّق بالشرع والمذهب

قال: والله العظيم ما اقصدُ في ما اخاطبك بهِ (٨) الّا معرفة اعتقادكم وبراءة ساحتكم مما ينسب اليكم مما ظاهرهُ شنيع وربما كان باطنهُ جميلًا. وان سروري في ما تورده مما ينفي عنكم الشكّ مثل سروري بفائدة كثيرة انالها . فانني اعتقد انّ كلّ نصراني موحّدٍ محمودٌ فائزٌ وان كان لا يعترف بنبوّة محمّد بن عبدالله . وانّما من شرط الاستفهام التقصّي في السؤال والمعارضة فلا تنسب ما يردُ من ذلك مني الّا الى الاستقامة ولا الى حالٍ آخر

فشكرتُهُ وقلتُ : قد أجمع الشرعيّون العقليّون انّ للعالم علّةً أوجدتهُ وهي مدبّرة لهُ . وليس تخلو هذه العلّة من ان تكون امّا قائمةً بنفسها وامّا موجودة في غيرها اذ ليس شيءٌ موجود الّا وهو قائم بنفسهِ وامّا موجود في غيرهِ . ومن المحال ان يكون خالق كلّ شيءٍ موجودًا في شيءٍ آخر كما توجد الاعراض. فاذا بطلَ ان يكون موجودًا في غيرهِ ثبت انهُ قائم بنفسهِ (٩) . ونحن نسمّي القائم بنفسهِ جوهرًا

قال : فقولكم انّ لله جوهر يؤدّي الى القول بانّ الله متحيّز وقابل للأعراض لأنّنا لا نجد في المُشاهَد جوهرًا الّا متحيّزًا وقابلًا للاعراض

فقلتُ : وقول المسلمين اعزّهم الله انّ الله قائم بنفسهِ يؤدي الى القول بانّ الله متحيّز وقابل للاعراض لأنّنا لم نجد في المُشاهَد قائمًا بنفسهِ الّا متحيّزًا وقابلًا للاعراض. فان ألزمنا المسلمون القول بانّ الله متحيّز وقابل للاعراض لاجل قولنا انهُ جوهر اذ لم يجدوا في المُشاهَد جوهرًا الّا متحيّزًا قابلًا للاعراض ألزمناهم القول بانّ لله متحيّز وقابل للاعراض لاجل قولهم انّ لله موجود ليس بعرض اذ ليس يوجد في المُشاهَد موجود ليس بعرض الّا متحيّزًا وقابلًا للاعراض . فان كان ذلك لا

يلزمهم كذلك لا يلزمنا نحن القول بانّ الله متحيّز او قابل للاعراض لاجل قولنا(١٠) بانّ الله جوهر

قال: فاذا كان دليلكم على انّ الله جوهر كونهُ قائماً بنفسهِ اذ لم يجدوا في الشاهد قائماً بنفسهِ الّا جوهراً لزمكم القول بانّ الله تعالى جسمٌ اذ لا يوجد في الشاهد جوهر الّا جسماً

قلتُ: واذا كان دليل المسلمين على انّ الله مستغنٍ بوجودهِ عن كلّ محلّ يحلّ فيهِ كونهُ قائماً بنفسهِ اذ لم يوجد في المشاهد قائمٌ بنفسهِ الّا مستغنياً بوجودهِ عن محلّ يحلّ فيهِ لزمهم القول مثلنا بانّ الله جسمٌ لكونهِ قائماً بنفسهِ اذ لا يوجد قائم بنفسهِ الّا جسماً. وكذلك اذا لزمنا القول بانّ الله جسمٌ لاجل قولنا انهُ جوهر اذ لا يوجد في المشاهد جوهر الّا جسماً لزم ايضاً المسلمين القول بانّ الله تعالى جسم لاجل قولهم انهُ حيّ فاعل قادر عالم اذ لا يوجد في المشاهد حيٌّ فاعل قادر عالم الّا جسماً. واذا (١١) كان ذلك لا يلزمهم كذلك لا يلزمنا نحن ايضاً القول انّ لله جسم لاجل قولنا انهُ جوهر

قال: ان المسلمين لم يلزمهم القول بانّ الله تعالى جوهر لحالتين. احدهما انّ حقيقة الجوهر معناهُ عندهم هو ما شغل حيّزاً او قبل عرضاً. والباريء تعالى غير متحيّز وغير قابل عرضاً. والآخر انّ كتابهم ولغتهم لم يطلقا عليهِ اسم الجوهر فلذلك لم يلزمهم القول بان الله جوهر

قلتُ: وكذلك النصارى انّما يلزمهم القول بانّ الله جوهر لحالتين: احداهما لانّ حقيقة الجوهر ومعناهُ وحدهُ عندهم هو القائم بنفسهِ والباريء تعالى قائم بنفسهِ. والحالة الاخرى انّ كتابهم ولغتهم أطلقا عليهِ اسم الجوهر فلذلك لزمهم القول بانّ الله جوهر عبارةٌ عن القائم بنفسهِ. وانّما عبّروا عن القائم بنفسهِ بالجوهر لانهم لم يجدوا في لغة العرب لفظةً تصلح ان يعبّروا بها عن القائم (١٢) بنفسهِ غير اسم الجوهر ولذلك يسمّون كلّ موجود قائم بنفسهِ جوهراً. قديماً كان ذلك الموجود او محدثاً. بسيطاً او مركّباً. شاغلاً حيّزاً او غير شاغلٍ حيّزاً. قابلاً عرضاً او غير قابلٍ عرضاً. فان انكر المسلمون حفظهم لله تسميتنا الباريء سبحانهُ جوهراً عبارةٌ عن القائم بنفسهِ فليدلّونا على اسمٍ في لغتهم ينوب عن القائم بنفسهِ نيابةً أوقع من اسم

الجوهر لنستعملهُ بدلًا من الجوهر او يجيزوا لنا استعمال اسم الجوهر لمعنى القائم بنفسهِ إنْ علموا ان ليس في لغتهم لفظة تصلح ان يُعبَّر بها عن القائم بنفسهِ غير اسم الجوهر لنعتمدهُ . او يعترفوا لنا بانَّ ليس في لغتهم اسم يجوز ان يُعبَّر بهِ عن القائم بنفسهِ لنعلم ذلك ونعتمد بان نُسمّي كلَّ موجود قائم بنفسهِ قائمًا بنفسهِ حسبُ : وايّ قسمٍ اختاروا من هذه الاقسام الثلثة وافقناهم عليهِ

قال : نحن نجيز لكم القول بان (١٣) الله جوهر بمعنى القائم بنفسهِ . فما معنى قولكم انَّ الله ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس ؟

قلتُ : قد اتَّفقنا على ان الله جوهر بمعنى القائم بنفسهِ . وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ ان يكون حيًّا او غير حيّ لأنهُ ليس شيء قائم بنفسهِ الّا هو امّا حيّ وامّا غير حيّ . ومن المحال ان يكون خالق الحياة ومُحدِث كلّ شيء ميتًا غير حيّ فنقول انَّ البارئ تعالى قائم بنفسهِ حيّ

ثمَّ لا يخلو هذا القائم بنفسهِ الحيّ ان يكون ناطقًا او غير ناطق لأنهُ ليس حيّ الّا هو امّا ناطق وامّا غير ناطق ومن المحال ان يكون خالق الناطقين ومُحدِث النطق غير ناطق فنقول انَّ البارئ تعالى قائم بنفسهِ حيّ ناطق . ثمَّ ليس حيٌّ الّا بحياة ولا ناطق الّا بنطق (١٤) فنقول ان البارئ تعالى قائم بنفسهِ حيّ بحياةٍ ناطقٌ بنطقٍ . والذي نزيدهُ بقولنا «نُطق» غير ما يذهب اليهِ المسلمون بقولهم «النطق» وذلك انَّ حدَّ النطق عندهم هو حركة اللسان لكل حيوان بصوتٍ مسموع وهو عامّ فيما يعقل وفيما لا يعقل . وامّا النطق عندنا فهو يخصُّ ما يعقل دون ما لا يعقل . وهو على ضربين نُطق الصوت ونطق الفهم فنطق الصوت يكون باصطكاك الاجسام والهواء وهذا النطق لا يوجد الّا في الاجسام القابلة للموت . وامّا نُطق الفهم فهو القوّة النطقيّة الموجودة في النفس التي بوجودها يوجد العلم والحكمة والمعرفة وإدراك الاشياء . وبعدمها يعدم جميع ذلك . وهذا النطق يخصُّ كلّ موجودٍ لا يموت مثل النفس الناطقة والملائكة (١٥) والبارئ تعالى . ولمّا كان الانسان مركّبًا من جسد مائت ونفسٍ غير مائتة حصل لهُ النطقان اعني نطق الصوت ونطق الفهم . وعلى هذا الوجه نقول انَّ الله تعالى ناطق كما نسمّيهِ جوهرًا بمعنى انهُ قائم بنفسهِ لا لانهُ متحيّز ولا قابل للاعراض كسائر المخلوقات . ونسمّيهِ حيًّا بمعنى انهُ لهُ حياة وروح لا لأنهُ

حيوان كسائر الاحياء . وكذلك نسميه ناطقاً بمعنى انهُ ذو نطق لا لأنهُ كسائر الناطقين الذين أُعطوا النطق

قال: امَّا قولكم انَّ الله حيّ وانهُ ناطق بمعنى حكيم فسائغ . وامَّا قولكم انهُ حيٌّ بحياة وناطق بنطق فهو قول يؤدي الى الشرك لانكم تثبتون مع الله قديمَيْن آخرين وهما الحياة والنطق

قلتُ: فقول من يقول انَّ الله حيّ بلا حياة وناطق بلا نطق (١٦) يؤدي الى القول بانَّ الله غير حيّ وغير ناطق لأنهُ لا حيٌّ الَّا بحياة ولا ناطق الَّا بنُطق كما لا نحويَّ الَّا بنحو ولا مُهندس الَّا بهندسة . وذلك انَّ الاسماء المشتقَّة هي مأخوذة من معانٍ موجودة تسمَّى بها الاسماء المشتقَّة حسب مقتضى اللغات والقوانين المنطقيَّة . والحيّ مشتقّ من الحياة والناطق مشتقٌّ من النطق . فلزم من ذلك ان لا يكون حيٌّ الَّا بحياة ولا ناطق الَّا بنطق

وايضاً انَّ الوزير أيَّدهُ الله يعلم ان اهل السُّنَّة من المسلمين جرسهم لله يعتقدون انَّ الله حيٌّ بحياة عالم بعلم قادرٌ بقدرة مريدٌ بارادة متكلم بكلام سميعٌ بسَمع بصيرٌ ببصَر . فان كان النصارى مشركين لاجل قولهم ان لله حياةً ونطقاً فاهل السُّنَّة من المسلمين احقُّ منهم بالشرك لاعتقادهم انَّ لله حياةً وعلماً وقدرةً وكلاماً وارادةً وسمعاً وبصراً . وان كان اهل السُّنَّة موحّدين (١٧) مع إثباتهم لله ذلك فالنصارى ايضاً موحّدون مع اثباتهم لله حياةً ونطقاً

وممَّا يدلّ على ان الله حيٌّ بحياة وناطقٌ بنطق هو انَّ قولنا «قائمٌ بنفسه» يفيدنا معنًى غير المعنى الذي يفيدنا قولنا «ناطق» وغير المعنى الذي يفيدنا قولنا «حيّ» . فقولنا قائم بنفسه حيّ ناطق يفيدنا ثلثة معانٍ هي الذات والنطق والحياة . ونحن نسمّي النطق كلمةً اذ لا نطق الَّا بكلمة ولا كلمةَ الَّا بنطق ونسمّي الحياة روحاً لأن لا حياة الَّا بروح ولا روح الَّا بحياة

ولمَّا كانت ذات الباري تعالى غير قابلة الاعراض والتركيب بطَلَ ان يكون نطقهُ وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ عَرَضَيْن او قوَّتَيْن مركَّبتين مثل البياض (١٨) في الثلج والحرارة في النار . ولمَّا بطَل ان يكون نطقهُ وحياتهُ عرضَين او قوَّتين مركَّبتين ثبت انهما جوهران مساويان للذات في الجوهريَّة والقدم . ولمَّا ثبت ذلك بطل ان

يدخل عليهما الاعراض كما يدخل على نطق المخلوقين وعلى حياتهم

ولذلك حصلت الذات بمجرّدها غير عرض وغير قابلة الاعراض. والنطق الذي هو الكلمة غير عرض وغير قابلة الاعراض. والحياة التي هي الروح غير عرض وغير قابلة الاعراض. وكلّ موجود ليس بعَرَض فهو بقسم الضرورة اما جوهرٌ عامّ واما اقنومٌ خاصّ حسبما بيّنهُ ارسطاطاليس في كتاب القاطيغورياس حيث تكلّم على الجوهر والعَرَض

فلمّا بطلت ان تكون الذات والكلمة والروح ثلثة اعراض او ثلثة جواهر عامّة ثبت انّها ثلثة اقانيم خواصّ ولمّا كانت الذات علّة ولادة الكلمة وعلّة انبثاق الروح وكانت الكلمة (١٩) مولودة من الذات كولود النطق من النفس والضوء من الشمس وكانت الروح منبعثة من الذات كانبثاق الحياة من النفس والحرارة من الشمس سُمّيت الذات ابًا والكلمة ابنًا والحياة روحًا قدسًا. وكما انّ ذات النفس ونطقها وحياتها نفسٌ واحدة وذاتَ الشمس وضياءها وحرارتها شمسٌ واحدة كذلك الذات الالهيّة والكلمة والروح الهٌ واحد. ولذلك نقول انّ الله جوهرٌ واحد ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس

قال: قولكم انّ الله كلمةٌ وروح هما اقنومان قولٌ غير معقول

قلتُ: قولنا انّ الله ناطق حيّ قولٌ معقول. وقولنا انهُ ناطق بنطق وحيٌّ بحياة وانّ نطقهُ هو كلمتهُ وحياتهُ روحهُ وانّ كلمتهُ وروحهُ ليستا هرَنين ولا قوّتين مثل كلمة المخلوقين وحياتهم كلّ ذلك قول مفهوم معقول (٢٠). وقولنا انهُ اذا بطل ان تكون كلمتهُ وروحهُ هرَنين ولا قوّتين ثبت انهما اقنومان قولٌ معقول ضروري. فقولنا اذن انّ الكلمة والروح هما اقنومان هو قول معقول ضروري. ولو قيل انهُ غير معقول لوجب ان ننكر على المسلمين اقاويل كثيرة غير معقولة كقولهم انّ لله يدين خلق بهما آدم. وهما مبسوطتان لا مملوءتان. فانّ هذا منهم غير معقول ولذلك يعترفون انّ اليدين في الله ليستا بجارحتين. واذا سُئلوا عن ماهيّتهما لم يجيبوا بجواب معقول

قال الوزير: ان يدي الله تعالى هما نعمتهُ وقدرتهُ

قلتُ: لو كان يدا الله هما نعمتهُ وقدرتهُ لمّا كان لتخصيص آدم انهُ خُلق بيد الله معنًى اذ كلّ الاشياء (٢١) لم تُخلق الّا بنعمة الله وقدرته فبطل من هذا الوجه ان

تكون يدا الله نعمتهُ وقدرتهُ . وكذلك كلّ صفتين تذكران انهما يدا الله ينتقضان بآدم فيحصل قولهم انّ لله يدين هما عندهما صفتان مجهولتان . فلا يجب ان ينكروا على النصارى قولهم ان كلمة الله وروحه هما اقنومان معروفان لا مجهولان

قال : فلمّا كان اعتقاد النصارى في البارئ تعالى انهُ اله واحد على ما وصفت فما حملهم على ان يقولوا انهُ ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس فيوهمون السامعين انّ الله تعالى ثلثة اشخاص او ثلثة آلهة او ثلثة اجزاء . وبقولهم انّ لله ابناً يوهمون من لا يعرف اعتقادهم انهم يريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل فيُظهرون على انفسهم تهمةً هم بريئون منها

قلتُ : ولمّا كان اعتقاد المسلمين في البارئ تعالى انهُ غير ذي جسم وغير ذي جوارح واعضاء وغير محصور في مكان فاذا حملهم على القول (٢٢) انّ لله عينين يبصر بهما ويدين يبسطهما وساقين يكشفهما ووجهاً يوليهِ الى كلّ جهة وانهُ يأتي في ظلّ من الغمام فيوهمون السامعين انّ لله تعالى جسماً واعضاء وجوارح وانهُ ينتقل من مكان الى مكان في ظلّ من الغمام فيظن من لا يعرف اعتقادهم انهم يجسمون البارئ تعالى حتّى انّ قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوهُ مذهباً ومن لا يتحقّق اعتقادهم يُتهمهم بما هم منهُ بريئون

قال : العلّة في قول المسلمين انّ لله عينين ويدين ووجهاً وساقين يكشفهما وانهُ يأتي في ظلّ من الغمام هي انّ القرآن نطق بذلك والمراد فيهِ غير ظاهر اللفظ . فكلّ من يحمل ذلك على ظاهرهِ ويعتقد انّ لله عينين ويدين ووجهاً وساقين وجوارح واعضاء وانّ ذاتهُ تنتقل من مكان الى مكان وغير ذلك ممّا يقتضي التجسّم والتشبيه فهم يلعنونهُ ويكفّرونهُ

قلتُ : وكذلك العلّة في قول النصارى (٢٣) انّ الله واحد في ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس هي انّ الانجيل نطق بذلك والمراد بهِ الله تعالى وكلمته وروحه . وكلّ من يعتقد انّ الاقانيم الثلثة هي ثلثة آلهة او ثلثة اجسام او ثلثة اجزاء او ثلثة اعراض وثلث قوًى مركّبة او غير ذلك ممّا يقتضي الشرك والتشبيه والتجزّئ والتبعيض وانّ المراد بذكر الآب والابن ابوّة او بنوّة . نكاح او تناسل او مباضعة او جماع او ولادة من زوجة او من بعض الاجسام او من بعض الملائكة او من بعض المخلوقين

فهم يلعنونهُ ويحرمونهُ

قال : والله قد سُررتُ بما اوردتَ عن النصارى وان كان فيهِ ما يحتمل الجدال والمناقضة على رأي من يدفع إثبات الصفات لله من المسلمين . وهذا قريبٌ الى ما كنتُ اعتقدُ فيهم . وانما بقيت الشبهة الاخرى وهي قولهم ان يسوع البشري المولود من مريم هو ابنٌ ازلي خالقٌ (٢٤) غير مخلوق مولود من الله قبل كلّ الدهور فما قولك بذلك ؟

قلتُ : أيد الله الوزير ليست النصارى تعتقد ان البشري اي الناسوت المأخوذ من مريم هو ازليٌ خالق غير مخلوق ولا انهُ هو مولود من الله قبل كلّ الدهور بل نعتقد ان هذا الناسوت مخلوق محدث لا يتميز عن سائر الناس الّا بأنهُ لا يعرف الخطيئة

قال : افليس تقبلون الامانة التي قرّرها الثلثمائة والثمانية عشر (١) ؟

قلتُ : نقبلها كما نقبل الانجيل ونعظّمها كما نعظّمهُ

قال : أفليس يتضمّن ما هذه حكايتهُ : نؤمن بالاله الواحد الآب حاوي الكل خالق السماوات والارض ما يُرى منها وما لا يُرى وبالربّ الواحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد بكر الخلائق المولود من ابيهِ قبل كلّ الدهور نور من نورٍ اله حقّ من اله حقّ من جوهر ابيهِ مولود وليس بمخلوق ؟

قلتُ : هذا من لفظ الامانة ولا شكّ فيهِ ونحن نقبلهُ ولا ندفعهُ

قال : فقد لزمكم اذن القول بان يسوع البشري المولود من مريم اله ازليٌ حقّ مولود من ابيهِ (٢٥) قبل كلّ الدهور وليس بمخلوق حسبما يقتضيهِ القول

قلتُ أيّد الله الوزير : ما يلزمنا ذلك لأن المعنى الذي نشير اليهِ بقولنا يسوع وذلك الذي نريدهُ بقولنا الربّ في هذا الموضع هو الكلمة الازليّة . والذي نريدهُ بقولنا يسوع مطلقاً هو البشريّ المأخوذ من مريم وان كان اسم الربّ يقع على يسوع واسم يسوع يقع على الرب في عدّة مواضع لاجل الاتحاد والذي نريدهُ بقولنا المسيح هو المعنيان معاً فالربّ الذي هو الكلمة ازليٌ خالق ويسوع زمنيّ محدث . فقولنا الوحيد المولود من ابيهِ قبل كلّ الدهور هو عطف على الربّ الذي هو الكلمة لا على

(١) يريد بذلك دستور الايمان الذي قررهُ المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥

يسوع الذي هو البشريّ المأخوذ من مريم . فاذا كان الامر على هذا (٢٦) بطل ان يكون يسوع الذي هو البشريّ المأخوذ من مريم ازليًّا قديمًا خالقًا مولودًا من ابيه قبل كلّ الدهور وليس بمخلوق . وممّا يدلّ على ذلك دلالة واضحة هو انّنا نعتقد انّ يسوع الذي هو البشري مأخوذ من مريم (١ . تمّ الفصل الاول بعون الله وتأييده

(له تابع)

سرّ الامير

رواية عربيّة بتصرّف بقلم حضرة الخوري بطرس صنبر

١

في سفح جبل اللكّام المشرف على انطاكية قريبًا من مقام القديس سمعان العمودي كان يرتفع في اواسط القرن الرابع عشر قصرُ أُسرةٍ نصرانيّة تُعرف ببني سلّمة وهي أُسرة عريقة في الشرف من اقدم أُسر بني تغلب الراقي اصلها الى القرون السابقة للهجرة . اشتهر من ابنائها كثيرون ممّن أدّوا اجلّ الخدم للدين والوطن

وكان قصرُهم هذا يستوقف الابصار بفخامة ابراجه العالية وابنيته الشاهقة تحدق بها السهول الفسيحة والبساتين المخصبة وبقربها قرية عامرة وكلّها من املاك القصر يسمى بحراثة تربتها قوم من اهل تلك الناحية . امّا اليوم فقد حلّ بهذا الصرح الفخيم طوارئ الحدثان وتوالت عليه السنون فاصبح اثرًا بعد عين ساد عليه الخراب

---

١) في كلام ايليا هنا بعض الالتباس . فانّهُ يُشعر ببدعته النسطوريّة التي تجعل للسيّد المسيح اقنومين قائمين بذاتهما . والصواب انّ المسيح ذاتٌ واحدة واقنوم واحد وما يقولهُ هنا عن يسوع البشري ومن الكلمة الازليّة لا يصحّ الّا على الطبيعتين اي الناسوت واللاهوت في يسوع المسيح . فسواء قيل يسوع او قيل المسيح فكلاهما الربّ الواحد والاله الازليّ المولود من الآب قبل كلّ الدهور من حيث طبيعتهِ الالهيّة والمولود في الزمان من مريم العذراء من حيث الطبيعة البشريّة . فسواء قيل يسوع ام قيل المسيح فالمراد واحد اي ابن الله الازليّ المتّخذ في الزمان الطبيعة البشريّة القائمة باقنومهِ الالهي الوحيد والمتّحدة بطبيعتهِ الالهيّة . وهذا ايضًا يسقط ما ورد في بعض النسخ تأييدًا لمذهب النسطوريّة فضربنا عنهُ صفحًا

يسوع الذي هو البشريّ المأخوذ من مريم . فاذا كان الامر على هذا (٢٦) بطل ان يكون يسوع الذي هو البشريّ المأخوذ من مريم ازليًّا قديمًا خالقًا مولودًا من ابيه قبل كلّ الدهور وليس بمخلوق . وممّا يدلّ على ذلك دلالة واضحة هو انّنا نعتقد انّ يسوع الذي هو البشري مأخوذ من مريم (١ . تمّ الفصل الاول بعون الله وتأييده

(له تابع)

سرّ الامير

رواية عربيّة بتصرّف بقلم حضرة الخوري بطرس صنبر

١

في سفح جبل اللكّام المشرف على انطاكية قريبًا من مقام القديس سمعان العمودي كان يرتفع في اواسط القرن الرابع عشر قصرُ أُسرةٍ نصرانيّة تُعرف ببني سلّمة وهي أُسرة عريقة في الشرف من اقدم أُسر بني تغلب الراقي اصلها الى القرون السابقة للهجرة . اشتهر من ابنائها كثيرون ممّن أدّوا اجلّ الخدم للدين والوطن

وكان قصرُهم هذا يستوقف الابصار بفخامة ابراجه العالية وابنيته الشاهقة تحدق بها السهول الفسيحة والبساتين المخصبة وبقربها قرية عامرة وكلّها من املاك القصر يسمى بحراثة تربتها قوم من اهل تلك الناحية . امّا اليوم فقد حلّ بهذا الصرح الفخيم طوارئ الحدثان وتوالت عليه السنون فاصبح اثرًا بعد عين ساد عليه الخراب

---

١) في كلام ايليا هنا بعض الالتباس . فانّهُ يُشعر ببدعته النسطوريّة التي تجعل للسيّد المسيح اقنومين قائمين بذاتهما . والصواب انّ المسيح ذاتٌ واحدة واقنوم واحد وما يقولهُ هنا عن يسوع البشري ومن الكلمة الازليّة لا يصحّ الّا على الطبيعتين اي الناسوت واللاهوت في يسوع المسيح . فسواء قيل يسوع او قيل المسيح فكلاهما الربّ الواحد والاله الازليّ المولود من الآب قبل كلّ الدهور من حيث طبيعتهِ الالهيّة والمولود في الزمان من مريم العذراء من حيث الطبيعة البشريّة . فسواء قيل يسوع ام قيل المسيح فالمراد واحد اي ابن الله الازليّ المتّخذ في الزمان الطبيعة البشريّة القائمة باقنومهِ الالهي الوحيد والمتّحدة بطبيعتهِ الالهيّة . وهذا ايضًا يسقط ما ورد في بعض النسخ تأييدًا لمذهب النسطوريّة فضربنا عنهُ صفحًا

وأقفلت منهُ الابواب فخلا من سكّانهِ ونسجت العنكبوت خيوطها على جدرانهِ

وكان صاحب القصر في السنة ١٣٦٠ وهو تاريخ الحادثة الغريبة التي نرويها رجلًا في الثلثين من عمرهِ اسمهُ الحارث بن سلّمة وقد انقرضت هذه الاسرة في كلّ فروعها ولم يكن يُعرف بهذا الاسم غير الحارث هذا والاهلون يخلصون لهُ الحبّ لما عرفوا من مآثر اجدادهِ . وكانوا يعتبرون زوجتهُ السيدة ماوية ايَّ اعتبار وهي على جانب عظيم من الفضل والفضيلة والاريحيَّة والتقى تعيش مع زوجها في رفاهة ووفاق ولها من سعة الاملاك وطائل الثروة وكثرة الخلّان وطاعة اهل تلك المقاطعة ما يحبّب الى المرء حياتهُ ويسعدهُ في دنياه

وقد توالت عليهما اسباب الهناء يوم رُزقا ولدهما البكر ففي صباح ذاك النهار قبل ان تذاع البشرى خفقت الأعلام الزرقاء في اعالي الجدران خفقانها ايّام الانتصار وقُرع الجرس الكبير في قبته الشاهقة فبلغت رناته المبهجة كل الانحاء . وما علمت الناس بفيضان هذه النعمة الجزيلة على اميرهم حتى تهافتوا زرافاتٍ ووحداناً الى القصر يهزجون ويطربون باناشيد التهاني داعين لولي العهد بالرغد والسعادة ولابيهِ باطالة البقاء

وقد صُرفت بقيّة ذاك النهار في تهيئة حفلات العماد التي جرت صباح اليوم التالي فرفع القوم على ممرّ الموكب اقواس النصر من الغار والرياحين ونثروا ازهار الورود على الطريق من القصر الى الكنيسة حيث أُقيمت حفلة باهرة وأُطلق على الامير اسم نعمة

غير انهُ اثناء القدّاس الذي قُدّم بعدئذٍ شكرًا لله على منّتهُ العظمى ولحراسة الولد الكريم من غوائل الحدثان ليقضي حياةً تليق بالدم الشريف الذي يسري في عروقه حدث صدفة امرٌ اهمّ لهُ الحضور اهتماماً وهو ان الشموع انطفأت على حين فجأة بهبوب ريح شديدة فتحت نوافذ الكنيسة ممّا جعل الناس يتشاءمون بمصير الامير الصغير

ولمّا كان المساء ساد السكوت وأخلدت الجماهير الى الراحة وفُسح مجال للامير حارث ان يجلس على مقربة من سرير ولي عهدهِ يدرس ملامح وجههِ فيبني على مستقبله قصور آمالهِ البهية . غير ان ما اختبرهُ من تقلّبات الدهر المدهشة جعلتهُ الّا يأمن على ابنهِ من سهامهِ الحادّة فيتراءى لهُ ابنهُ تارةً في ذروة العزّ قابضاً على ناصية المجد والشرف رافلًا في مطارف الرغد والهناء ولا يهتم ان يشاهده في اقصى دركات

الذل والهوان محتسياً ثفالة كأس اوّلهُ حاوٍ وآخره مرّ المذاق وهذه سُنّة الزمان في ذويهِ

وبينما هو سابح في بحر هذه الهواجس واذا بطارق قرع باب القصر بشدة أيقظتهُ من سُباتهِ العميق فقيل لهُ ان فارساً متشحاً برداء اسود يجلببه من قمة رأسه الى اخمص قدميه ولهُ عينان وقّادتان تلمعان في سواد الليل الحالك كانهما شهابان ووراءهُ خمسة فرسان على شاكلته وهو يطلب بالحاح مقابلة الامير حارث على انفراد. وما هي برهة حتى اختلى والفارس في احدى غرف القصر يتحادثان واستغرقت المحادثة مدة خرج بعدها الفارس وتبعه ارفاقه وابتعدوا عن ظهور جيادهم دون ان يعرف احدٌ شيئاً من امر هذه المواجهة

٢

مضى على هذه المقابلة التي شغلت الافكار مدةٌ من الزمان . وكان الامير نعمة الصغير ينشأ في اثنائها على مهد الهناء والدلال مغتذياً بلبان الحنان الوالدي . ولم يكن ألطف من منظر ذاك الامير الجميل اذ كان يسند رأسهُ على صدر امهِ وهي تسير به الهوينا في البساتين النضرة ولم تكن تتأخر عن ارضاعه مع الحليب اشرف الخلال والمزايا . فكانت كلّما التقت بفقير تضع في يدِ ولدها قطعاً من النقود ليدفعها اليه والابتسامة تزين ثغره الدرّي . على خلاف والده الذي ما فتئ واجماً كسيف البال خاشع الطّرف تُقرأ آياتُ الكآبة على جبينهِ لا يقشع عنهُ غمامَ الهموم الّا رؤيةُ حركات ابنهِ المبهجة وسماع مناغاتهِ المطربة ثمّ لا يلبث ان يكفهرّ وجههُ فيزيد تجهُّماً وتقطباً مما حيّر امره اهل بيتهِ ومعارفهِ

فعيل صبرُ زوجتهِ وعزمت يوماً ان تستنفد كنانة جهدها لتقف على مخبآت ضميره . ففي احدى ليالي الشتاء وقد هبّت العواصف واشتدّ البرد كان الامير جالساً في احدى قاعات القصر ليصطلي قرب موقد وعلامات الكآبة بادية على وجهه اكثر من سائر الايام . وكانت الاميرة جالسة بقربه تنشد ابياتاً ارقّ من النسيم الى ان نام وليدُها على اتغامها الشجية نومةً هادئة ترفرف حواليه ملائك السلام فنقلتهُ الى غرفة ثانية ورجعت قرب زوجها وكان ابنُها نعمة بلغ الثالثة من عمره منذ يومين

فافرغت حديثها معهُ بالطف قالب الرقّة والرجاء وقالت : « قد خلا بنا المقام يا عزيزي الحارث فقل لي بحقك ما سبب كآبتك؟ الستُ انا اشدّ الناس حباً لك؟ أو لا

تعتقدني اني شريكة حياتك في السرّاء والضرّاء»

فلم تنل على كلامها هذا الرقيق جواباً : فاردفت باكثر حناناً :

« ترى ما الذي ينقص لسعادتك ؟ فهذا نعمة ثمرة حبنا ومطالع انسنا ومرضوع آمالنا أنستَ تجد فيه ما يُجلي عن قلبك الكروب ويجلي مرارة عيشك ؟»

ثمّ انتظرت جواباً لم يُجرهُ عليها الحارث فسألت بإلحاح :

« هل احزنك نقصان حاصلاتنا سنةً عن سنة ام انت آسفٌ على ما بعتهُ من املاكنا ؟ فلا كان مالٌ يذهب بذهابه الهناء ولا كانت حياة مبنية سعادتها على الاملاك !»

قال الحارث وقد زادت نفسهُ انقباضاً : « ان في خزانة الصدر سرّاً عائلاً يا ماوية اذا اطّلعتِ على حقيقته كان سبب هلاكك فكفّي عن اللجاج . فاني لستُ بسبب لكِ اذية . اشفقي ولا تلحّي »

ثم اخذ يدمدم كلمات متقطعة كمن يخاطب بها نفسهُ ويقول : « لعلّه قادم بعد قليل . . . قبّح الله وجهك ايها الفارس الاسود . . دَع الولد . . » ولم ينتهِ من دمدمته حتى ألقت الاميرة نفسها على الحشيش مستغيثةً وقد طار لبّها شعاعاً وقالت تخنقها العبرات :

« ماذا تقول . . هل حياة وحيدي على شفير الهاوية . يكاد هذا الكتمان يقتلني . اريد بلا مراجعة ان توقفني على الحقيقة ! فحياتي ونفسي فداء وحيدي وفداك !»

فقال الحارث : أهون ايتها العزيزة عليّ وعليكِ من ايقافكِ على هذا السرّ . ومع ذلك ان لم يكن من اخبارك بدٌّ فاسمعي وتجلّدي :

« دعا صوتُ الشرف احدَ الامراء للمدافعة عن المظلوم في حرب جرت بين الدولة وقبائل العربان فلبّى الامير هذا الصوت وسار بمقدّمة الجيوش متّخذاً معهُ ولدهُ الوحيد البالغ من العمر عشرين ربيعاً . فساء المنقلب وقُتل الامير تحت العجاج وبقي ابنهُ يدافع الى النهاية وكان برفقته جنديٌّ يناهزهُ سنّاً يقوم بخدمته ويحيط علماً بكل احواله

« ولما انتهت المعارك وكان الامير الفتى عائداً الى قصره قلب لهُ خادمهُ ظهر المجنّ بين الفيافي والقفار وقتلهُ شرّ قتلة ورمى بجثته بين الجنادل وتوجّه نحو قصره

يحمل اسمهُ واوراقهُ واموالهُ ووضع يدهُ على املاكه مدّعياً انهُ هو ابن الامير الذي شاع قتلهُ

«واذ كان بين الامير القتيل والخادم الخائن مشابهة بالهيئة والملامح والسنّ وكان هذا قد اطّلع على سرائر الامير ولهُ معرفة بركلانهِ واملاكهِ انطلت حيلته على الجميع وصار هو الآمر الناهي ولا معارض. وخدمهُ حسنُ البخت فاقترن بفتاة لاحد امراء تلك النواحي فرزق منها ولداً نجيباً وظنَّ الاثيم انهُ بين الرفاه والاقبال وبين الكأس والوتر ينسى ما جنت يداه غير انَّ نخز الضمير جعلهُ دائماً قلق البال في حبسه الذهبي

«ففي احدى ليالي الشتاء قرع بابَ قصره فارسٌ غريب وطلب مواجهتهُ ولما اختلى بالامير قال لهُ: «انا على طليعة من امرك وعارف انك قاتل سيدك مهما لبست من الازياء. ولديَّ على ذلك بيّنات قاطعة». وذكرها للامير بكلام لم يجد معهُ سبيلاً الى النكران. ثمَّ اردف: «وسأذهب نهار غدٍ ارفع امرك الى العدالة فيعلم القاصي والداني ان الذي يظنّه الناس اميراً شريفاً ما هو الّا قاتل سارق غدّار ... على اني أكلُ كتمانَ حقيقة حالك والعفو عن جريمتك لامرٍ ليس لهُ ثانٍ وهو ان تسلّمني ابنك بعد ثلاث سنوات». وكرّر لهُ: «خذ لنفسك احد الامرين ابنك ام المشنقة». وأبرز الفارس من جيبهِ ورقة تعهُّدٍ وطلب من الامير ان يوقع بذيلها امضاءه. ومن نكد الدنيا على الحتال الشقي اختار الامر الاول ورضي بالعقد... وبعد هذا وذاك... أمضيتُ التعهُّد للفارس ...»

فكانت كلمة «امضيتُ» سهاماً بقلب زوجتهِ وصاعقة انقضّت على رأسها فصعقت للحال من صميم فؤادها زفراتٍ مذيبة يتخللها اصوات نحيب مرعبة. ثم وقعت على الارض لا حراك لها ...

وقد غاب هدى الامير وطار صوابهُ من شدَّة الاضطراب فلم ينتبه لزوجتهِ من فداحة المصاب ووطأة التأثير وأخذ يذهب ويجيء في تلك القاعة كأن بهِ جنوناً ووجّبات قلبهِ الخفاقة بين حنايا صدرهِ يكاد يحصيها السامع

٣

اما الفارس الذي اتى على ذكره الامير حارث القاتلُ فكان عدوّهُ الألدّ لهُ عليهِ

ثأر وتغلي في صدره مراجل الحقد والبغضاء . فاستنفد الامير الكاذب كل الحيل لقتله او ارضائه . ولكن مضت سنوات ثلاث من غير جدوى وحاول الامير ان يهجر البلاد بيد ان عدوه كان واقفاً له بالمرصاد يتهدده بافشاء السرّ لاول حركة يُبديها . ولا غرو فقد كان ذلك الفارس اشبه بسيف انتضاهُ الله على رأسهِ ليقتصّ ممّن سفك دم البريء واستولى على املاكهِ ظلماً . غير ان حارثاً كان يعلّل النفس بأنه يجد مع توالي الايّام مخرجاً من هذا المأزق الحرج لكنّ عين الله لم تنم . . .

وبينما الامير يتمشى في القاعة اذا بطارق يطرق باب القصر تكراراً . وكان القادم ذاك الفارس نفسهُ الذي اختلى مع صاحب القصر من ثلاث سنوات في مثل هذا الليل المدلهمّ ومعهُ فرسان خمسة . فُتح لهم وأُدخل الفارس على الامير

فقال الفارس متهكماً : « ترى يا سموّ الامير اني لم أُخلف بوعدي فهل انت وافٍ بعهودك ؟ هاك توقيعك . اتعرف خطك ؟ اني اعتبر هذا التوقيع اكثر من كل ما لديك من اوراق الامارة ومستنداتها ومن كل شهادات النسب . فقد حان لك ان تسلّمني ابنك هذه الساعة . اين وريث مجدك الاثيل الذي نلتهُ باشرف الطرق ؟ فقد اصبحتُ احقّ بهِ منك »

فوضع الامير اصبعهُ على فم الفارس مشيرًا الى زوجته وقال : « صه كي لا تسمع » قال الفارس : عجّل عليّ بالغلام والّا سيطلو المشنقة غدًا رأسٌ شريف »

ودخل الغرفة المجاورة حيث نظر الوليد نائماً وهمّ بأخذهِ

فهبّ الحارث واقفاً بينهما صارخاً « بُنيّ بُنيّ : حياتي فدى عن ولدي » وكان جواب الفارس على هذا الصوت المذيب ضحكة امر . والسخريّة . واذ رأى الاميرَ يدافع عن ولده وكأنهُ أُصيب بشعورهِ امر جنودهُ ان يربطوهُ بالحبال ويركبوهُ احد الجياد فقطوا وولّوا مسرعين في ذاك الليل الحالك والعواصفُ يملأ صريرها الآفاق

وفي صباح اليوم التالي وصلت فرقة من رجال الدرك وقد عرفوا بما جرى في القصر فلم يجدوا فيهِ سوى الخدم قرب سيدتهم متسابقين الى خدمتها

لكنها بعد ان افاقت من غشيانها امقتها حمّى شديدة غيّبتها عن الرشد من جرّاء ما كان في تلك الليلة المشؤومة . وكانت في هذيانها تتكلّم ببعض كلمات متقطعة اطّلع منها اهل القصر على حقيقة امر اميرهم وسرّهِ الهائل . وامّا هذه

السيدة المسكينة وقد كانت سليلة الأمراء حقيقةً وانطلت عليها الحيلة مدة من الزمان فبلغ منها التأثير اقصى مبلغهِ وأودى بحياتهـا فقضت نحبها وابل العبرات وسلّمت روحها التقية بين يدي الملائكة امثالها

حدّث ولا حرج عمّا جرى في القصر حينئذٍ وقد اضحى كل ما فيه غنيمةً باردة تتناولـه ايدي الشارد والوارد وظلّ عقيب ذلك لا يأوي اليه الّا البوم والغربان . فانتشر الخبر في كل الأنحاء وعرف الجميع ان الامير المزعوم رُفع امره الى ديوان العدالة الاعلى وأُودع سجناً مظلماً الى ان يصدر الحكم في حقّهِ

٤

وامـا الامير الصغير نعمة اذ اصبح يتيماً اخذتهُ مربيتُه الى قريتها وربّتهُ بعرق جبينها ودموع حنانها متعلقة بهِ تعلقاً شديداً وكانت كل سنة تذهب بهِ الى ضريـح والدته فيركعان ثمّة للصلاة لاجل من كان يدعوها امهُ السماوية . وكان واحد من اقرباء امّه يمدّهُ احياناً ببعض المساعدة الى ان شبَّ على اكرم الخلال وعُدَّ من صفوة الشبّان

غير انهُ وقف اخيراً على خبر ابيه فكان هذا الخبر علقماً كدّر صفاء عيشه ونغّص كل ايامه . ولم يزل حديث ابيهِ في افواه الناس حتى كان يخيَّل لهُ ان القوم يشيرون اليهِ بالاصابع قائلين : « هذا ابن الامير المحتال »

فلمّا صار لهُ من العمر خمس وعشرون سنة وقد ماتت مربّيته الامينة رأى ان لا مناص لهُ من تلك الاكدار الّا باعتزالهِ الوطن وإقامته في بلاد بعيدة لم يبلغ اليها خبر ابيهِ . وكان يودّ ان يزهد بالدنيا ولباطيلها وينبذ كلّ ترّهاتها فعزم على الانضمام الى رهبان في جبال لبنان يتفانون في خدمة الغريب ويقاسون في سبيل الغرباء والمسافرين ضروب المشقات وذلك ليكفّر عن قسوة ابيه وطمعهِ الذي جرّهُ الى افظع الآثام

فنهض صباح احد الايام يؤمّ الدير وبعد ان مشى نحواً من ستة ايام كادت تغرب الشمس وهو في وسط احدى غابات الارز المطلّة على وادي نهر قاديشا . فعرّج عن الطريق منقّباً لعله يجد كوخاً او مغارة يبيت فيها ليلته واذا بعنزةٍ بانت على مقربة منهُ وما احسّت بـهِ حتى اجفلت وولت هاربة فتبع آثارهـا حتى وصل الى شجرة قديمة العهد بالقرب منها شيخ تسقط على صدره لحية بيضاء وقد تغضّن جبينه وتجعّد وجهه باسارير عميقة وكان منهوك القوى شاحب اللون ليس فيهِ من علامات الحياة

الّا باصرتان وقادتان تلمعان من خلال حاجبين طويلين منسدلين عليهما .

ولما دنا منهُ نعمة تكلف الشيخ التبسُّم وحيّاه بلطف قائلاً : « اهلاً بك يا بنيّ » . فعرف الشاب انهُ امام احد الحبساء وسألهُ المبيت عنده تلك الليلة ليتمكن من مواصلة طريقه صباح الغد . فقال الشيخ : يحلو لي يا بني ان اقاسمك تحت سقفي الحقير خبزاً جادت بهِ عليَّ يد المحسنين

وسار الناسك قدام الغلام الى ان بلغا اطلال بناء كبير فقال الشيخ : ان هذه خرائب دير فخيم قد اخنى عليهِ الدهر ترجع فيه آثاره الى عهد بعيد وقد هدمهُ المصريُّون يوم زحفوا على لبنان . فواصلا السير بين الانقاض الى ان وقف الناسك امام باب صغير في حلف رابيةٍ واشار الى الشاب أن : قِفْ فقد وصلنا . فاحنى الامير نعمة رأسهُ وولج الباب واذا بغرفة واسعة لمح على احد حيطانها صليباً كبيراً . وكان قرب النافذة الوحيدة منضدةٌ صغيرة ومقعد من خشب عليهِ حصيرة

ثمَّ همَّ الحبيس بتهيئة الطعام لضيفه فقدَّم لهُ على المنضدة من احسن ما عنده خبزاً من شعير ولبناً وعسلاً واثماراً من بستان كان هو القائم بحراثتهِ . فاستلذَّ الفتى طعام الناسك وجاهر انه لم يذق اطيب منه بأيامهِ السابقة واستهلَّ الشابُ الحديث بعد العشاء قائلاً : « ما الطف هذه المعيشة وما اسعد حظَّك ايها الناسك . انَّ نفسي في حالة يلذُّ لي معها المكوث بين هذه الاقفار »

ولم يلبث ان دعاه سياق الحديث الى سَرْد خبره وخبر ابيهِ وعلى رغبتهِ في اعتزال الدنيا ليكفّر عن مآثم والده

وبينما كان الشاب يمثّل فصول روايتهِ المفجعة كان الناسك مقبلاً اليهِ وعيناه شاخصتان الى محياه الوسيم وقد اخذ منهُ التأثر كل مأخذ وقال : أأنت حقًّا ابنُ من كان يُعرف بالامير الحارث بن سَلَمة؟ قال : نعم وهل لك معرفة بوالديَّ؟ اجاب : « لي بهما معرفة » واستتلى بتزيد اللهف : « اسفاً على تلك الاميرة المسكينة ويا لك يتيماً اهلاً بالشفقة والحنان . فلا ريب انك قذفت اباك باشنع اللعنات لانهُ المسبّب الوحيد لما حلَّ بك وبأمك المسكينة من اصناف الشقاء والتعاسة »

قال الشاب بحدَّة : معاذ الله ايها الشيخ لا يجوز لابن ان يلعن اباه فلا بدَّ ان ابي قد تاب واستغفر الله ونال من مراحمهِ تعالى العفو عن ذنوبهِ قبل مماتهِ ولعلهُ الآن في

السماء يشفع لي مع والدتي الحنون »

واغرورقت عيناه بالدموع فمسحهما واردف : بسطتُ لك ايها الناسك اني تركت الدنيا وما فيها لاعتزل في احد الاديار البعيدة . ويظهر ان ملاكاً سمويًا هدى خطواتي اليك فقد وجدت عندك جلّ ما تطلبهُ نفسي . فهل يثقل عليك ان اقضي حياتي هنا حيث يتوفر لي ادراك الغاية التي ارمي اليها ؟

قال الشيخ : لك ما تريد . فاننا نصرف وقتنا بالصلاة والعمل والتقشف فأكفر عن آثامي وتكفر عن آثام غيرك . وطعامنا على ما رأيت اثمار من هذا البستان وصدقة خصّصنا بها محسنو البلدة المجاورة نذهب ونطلبها كل سبت . وهذا لعمري كثير على من استحقّ بآثامهِ نيران الجحيم

ثم نزل به الناسك بين الانقاض على درج ضيق تآكلت حجارته على توالي الايام . فبلغا معبدًا صغيرًا لم تذهب السنون ببهجتهِ وحسن روائهِ ومتانتهِ وبقي جميع ما في داخلهِ آيةً في الفن والاتقان ولم تؤثر الرطوبة بشيء على صور الجدران الجميلة فبقيت بهجةً للناظر وموعظة للمتأمل . وكان كاهنٌ يأتي ثلاث مرات في الاسبوع من دير مجاور يقيم ذبيحة القداس على مذبح المعبد المزدان بزهور تفوح منها اطيب الروائح

وبعد ان تلا الناسك صلاة المساء رجعا الى الغرفة وقدّم الشيخ لضيفهِ سريرهُ الخاصّ . امّا هو فرقد على اوراق شجر يابسة جمعها في احدى الزوايا . وشرع الحبيس يهتمّ بأمر راحة رفيقهِ الجديد ويعتني بهِ عناية الامّ بأعزّ اولادها ومع مضاعفتهِ الصوم والسهر والنوم على الحجارة والمكوث في الكنيسة طول الليل جاثيًا لم يكن ليسمح للشاب ان يسترسل مثله في اعمال التقشف والاماتة خوفًا على جسمه النحيف ولعلمهِ انهُ رجل نقي الضمير طاهر الذيل لم يأتِ اثمًا يوجب عليه التكفير مع ما قاسى في شبابه من العذابات المرّة فلم يألُ جهدًا في توفير اسباب الراحة لزائرهِ ليحبّب اليهِ العيشة النسكيّة والثبات في هذه الحالة الجديدة . وكان اذا ما اخذ الشاب ليسرد تفاصيل ما جرى لهُ بعد موت والدته ذاكرًا ما قيل لهُ عنها يُقبل اليه الناسك مصغيًا بلذّة وارتياح مثنيًا على الاميرة وعلى ما عرف فيها من المحامد ومحاسن الاخلاق

وقد اذن للشاب ان يتصرّف بكل ما في الصومعة كيفما شاء ولم ينهاهُ الّا

عن فتح صندوق صغير كان الناسك أقفله ووضعهُ قرب سريره محتفظاً عليه كل الاحتفاظ موصياً رفيقه ان يفتحه بعد موته

وكان الناسك الشاب يصرف وقته بالعمل في البستان والصلاة مع الشيخ . وقد كان مغرماً بتسريح رائد الطرف في محاسن الطبيعة الفتّانة منتبهاً الى ما توحي اليه . ولا توحي مشاهدُ الطبيعة الى النفوس البارّة غير الطهر والصفاء . فكان الثلج في الشتاء يُلبس تلك الاطلال وما حولها من الاشجار الشاهقة ثوباً ناصع البياض تتدلّى من اطرافها اصابع من جليد يخالها الناظر حين تلقي عليها الشمس شعاعها الذهبية قطعاً من الياقوت والمرجان وكان يثير هذا المنظر فيه اشجى العواطف فينالهُ منهُ بعض الوحشة لا تلبث ان تنقشع غياهبُها ويعقبها سرور وابتهاج حين تشرق شمس الربيع وتتعطّر الانحاء وتكتسي الارض والاشجار ابهى الحلل واسناها مما يرفع العقل الى جنات الخلود حيث لا تذبل الزهور ولا يزول السرور

ففي ذات يوم استأذن الشاب الناسك في الذهاب الى جبل اللكّام ليزور قبر امه . فقام الناسك وهمّ بمرافقته غير انه ما سارا مسافةً وجيزة حتى شعر الشيخ بانحطاط في قواه منعهُ عن متابعة السير فعاد الى صومعته وذهب الشاب وحده . فنزل الشيخ الى المعبد يصلّي وكان هناك صليب كبير من الرخام الابيض اللامع معلقاً فوق المذبح ضمن اطار من حجر وقد اجادت فيه يد احد النقاشين المشهورين كل الاجادة فجاء غاية في الاتقان والدقّة والابداع حتى خيل للناظر الى محيّا المصلوب انه يقرأ عليه مع تمثيل الالم الشديد آيات المهابة والوقار والتسليم . وكان يزيد المشهد خشوعاً نافذة فتحت بكل إحكام في حائط المعبد لترسل الشمس منها نوراً خفيفاً على هامة المصلوب . ولم يكن هذا النور الضئيل الّا ليوليهُ بهاءً وخشوعاً . امّا نفس الناسك فكانت ترتوي من امعان النظر في ذاك الصليب الجميل . فكان يقضي الساعات الطوال على ركبتيه وعيناه شاخصتان الى تلك الهامة المقدسة وقلبهُ واعٍ لما يُنزل عليه منظرها الخشوعي من جليل المواعظ اذ لا دواء انجع للنفوس الحزينة من التأمل بصورة الاله المتألم

وعند ما كانت نفس الناسك تلتهب من شدّة التأثر كان فمهُ تتدفّق منهُ صلاةٌ حارّة تخرج من اعماق فؤاده الكليم قائلاً : « يا رمزاً لكل الاوجاع وضحيّة

زكيّة عن كل الآثام لقد دعوتُك يا ربّاه بقلب جريح اعواماً طوالاً سمّرتُ معك في اثنائها نفسي على صليب الاوجاع لتُدميها الاشواك والمسامير. فهل ارتضيتَ يا ربّاه بكفّارتي ؟ وهل كفّت الدموع التي ذُرفت لترحض اوساخ آثامي ؟ وهل اهّلتني توبتي وطول صبري وآلامي لأن ارى يوماً وجهك الكريم ؟ . . . »

٥

عاد نعمة بعد ايام من جبل اللكّام ونزل الى المعبد فرأى الحبيس جاثياً على مسجده فلاح للشاب انه غارق في بحر التأمل العميق فلم يلتفت الى ضجّة الداخل . فصلى نعمة برهة ثم دنا من الشيخ ومدّ يدهُ اليهِ فلم يلتفت . فقلق الشاب لهذا الجمود وهزّ بيده رأس الناسك محدقاً النظر في وجههِ فاذا هو جثّة هامدة لا حراك فيها فتأكد ان مرشدهُ قد مات . فبكاه بكاء مرًّا ووضعهُ على منصّةٍ في صحن الكنيسة ولم تكن يد المنيّة لتقوى على تغيير شيء من نعومة اعضائه . وقضى الليل في الصلاة لراحة نفسه

وفي اليوم الثاني حضر الكاهن على مألوف العادة ليقيم في الصومعة ذبيحة القداس فوجد الشاب جاثياً يصلي قرب جثة الناسك فاهتمّا بإعداد الحفلة اللائقة لدفنه . ثمّ تذكّر الشاب ان الناسك قال لهُ مراراً بان يفتح الصندوق بعد مماتهِ . فاسرع وحده الى الغرفة وفتح الصندوق فوقعت عينهُ على شيء اذهلهُ وهو علبة صغيرة من الشعر الاشقر الناعم وصليب من الذهب المرصّع بالجواهر موضوع على ورقة مطويّة كُتب فيها :

« انا قاتل الامير حارث بن سلمة . فررتُ من السجن وقاسيت اشدّ الاهوال الى ان لجأت الى هذه الصومعة اكفّر فيها عمّا مضى وآخرُ ما قدّمت كضحيّة لله ضبطُ سرّي عن ولدي فما عرّفتهُ بنفسي . اشكر الله على انه اعاده اليّ سالماً فليغفر لي الرب كما اني آمل ان والدته قد غفرت لي وارجو ان تُدفن جثتي قرب جثتها — الويل ثم الويل لمن تجرّهُ الشهوات الى الاستيلاء على مال القريب ظلماً واحتيالاً ويُشقي مَن عليه يتحتّم إسعادهم . فالله عادل صلّوا لاجلي »

فعلا نحيب الشاب عند هذه المفاجأة واسرع الى الكنيسة ووقع على وجه والده يقبّلهُ وقد بلّل جثمانه بأحرّ العبرات مستسلماً للكآبة والاسى الى ان وقف الكاهن على خبره فسكّن روعهُ واخذه الى الدير واهتموا في اليوم التالي بتنفيذ وصية الناسك

ولبس نعمة بعد ذلك اسكيم الرهبان واقام في صومعة قرب قبر والديه وعاش

عمرًا طويلًا وبلغ من التدلسة درجةً سامية فكرَّمه الناس واستشفعوه. وبعد موته بعدّة سنين ظلّوا سلفاً عن خلف يتحدثون بخبر الوالد وفضائل ابنه التي بقي ذكرُها حيًّا يعطر اريجها الانحاء ولسانُ حالهم يقول :

وربّتْ آكلةٍ منت اخاها بلذّةِ ساعةٍ آكلاتِ دهرِ
وكم من طالبٍ يسعى بشيءٍ وفيه هلاكه لو كان يدري

خطبة في رأس العام

للجاثليق اليا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي

المقدمة

بين المخطوطات التي دخلت في العام المنصرم في مكتبتنا الشرقيّة كتاب متوسّط الحجم عريض الجانبين مجلّد بجلد احمر قاتم ومخطوط على ورق صفيق وبقلم غليظ عدد صفحاته ٢٨٠ وتاريخهُ سنة ٧٠٤٣ لآدم (١٥٣٥ م) وهو يحتوي على خطب الجاثليق انطوري ايليا الثالث الشهير بابي حليم ابن الحديثي المتوفى سنة ١٥٠١ لليونان (١١٩٠ م) . وخُطبهُ هذه شهيرة طبعها في الموصل القس يعقوب الكلداني سنة ١٨٧٣ ثمَّ تجدّد طبعها تحت عنوان « التراجيم السنية للاعياد المارانية » سنة ١٩٠١ ومنها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . وفي كل منها بعض خطب لم تذكر في الطبعة الموصلية . وقد نشرنا منها قسماً في المشرق سابقاً . وكلّها تمتاز بلاغتها وطلاوة سجعها دون تكلّف . وفي هذه النسخة الجديدة التي عثرنا عليها صديقنا الكتبيّ يوسف افندي اليان مركيس في مصر خطبٌ لم نعثر عليها في غيرها . وما نحن نروي الاولى منها بمناسبة رأس العام الذي يُعرَف ايضاً بالنيروز وهي لفظة فارسية تدلّ على اوّل يوم السنة . واما اسم الترجام فلفظة سريانيّة بمعنى الموعظة . وهذه الخطبة يتلوها الاقباط في كنائسهم دون تعريف مؤلفها وقد دسّوا فيها مناداة الخطيب لرؤسائه كنيسهم ل . ش

ترجام لانيروز

الحمدُ لله معرّفِ الأعمار بالأعوام والأعوام بالشهور ، مميّزِ الشهور بالأيام والجُمَع والأهلّة والبدور ، مزيّن الحياة بالامن زينةَ الطروس بالسطور ، ومكمّلها بشريف المناقب وحميد العواقب والفرح والسرور ، نحمدهُ على ما وهَبَنا من البركات في الاولاد

عمرًا طويلًا وبلغ من التدلسة درجةً سامية فكرَّمه الناس واستشفعوه. وبعد موته بعدّة سنين ظلّوا سلفاً عن خلف يتحدثون بخبر الوالد وفضائل ابنه التي بقي ذكرُها حيًّا يعطر اريجها الانحاء ولسانُ حالهم يقول :

وربّتْ آكلةٍ منت اخاها بلذّةِ ساعةٍ آكلاتِ دهرِ
وكم من طالبٍ يسعى بشيءٍ وفيه هلاكه لو كان يدري

خطبة في رأس العام

للجاثليق اليا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي

المقدمة

بين المخطوطات التي دخلت في العام المنصرم في مكتبتنا الشرقيّة كتاب متوسّط الحجم عريض الجانبين مجلّد بجلد احمر قاتم ومخطوط على ورق صفيق وبقلم غليظ عدد صفحاته ٢٨٠ وتاريخهُ سنة ٧٠٤٣ لآدم (١٥٣٥ م) وهو يحتوي على خطب الجاثليق انطوري ايليا الثالث الشهير بابي حليم ابن الحديثي المتوفى سنة ١٥٠١ لليونان (١١٩٠ م) . وخُطبهُ هذه شهيرة طبعها في الموصل القس يعقوب الكلداني سنة ١٨٧٣ ثمَّ تجدّد طبعها تحت عنوان « التراجيم السنية للاعياد المارانية » سنة ١٩٠١ ومنها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . وفي كل منها بعض خطب لم تذكر في الطبعة الموصلية . وقد نشرنا منها قسماً في المشرق سابقاً . وكلّها تمتاز بلاغتها وطلاوة سجعها دون تكلّف . وفي هذه النسخة الجديدة التي عثرنا عليها صديقنا الكتبيّ يوسف افندي اليان مركيس في مصر خطبٌ لم نعثر عليها في غيرها . وما نحن نروي الاولى منها بمناسبة رأس العام الذي يُعرَف ايضاً بالنيروز وهي لفظة فارسية تدلّ على اوّل يوم السنة . واما اسم الترجام فلفظة سريانيّة بمعنى الموعظة . وهذه الخطبة يتلوها الاقباط في كنائسهم دون تعريف مؤلفها وقد دسّوا فيها مناداة الخطيب لرؤسائه كنيسهم ل . ش

ترجام لانيروز

الحمدُ لله معرّفِ الأعمار بالأعوام والأعوام بالشهور ، مميّزِ الشهور بالأيام والجُمَع والأهلّة والبدور ، مزيّن الحياة بالامن زينةَ الطروس بالسطور ، ومكمّلها بشريف المناقب وحميد العواقب والفرح والسرور ، نحمدهُ على ما وهَبَنا من البركات في الاولاد

والارزاق والاعمار ، نحمدهُ على ما منحنا بهِ من تعاقُب الاحقاب والاجيال والادوار ، ونستشفع اليهِ برُسلهِ المبشّرين بهِ في الرساتيق والمدن والامصار ، المنيرين القارب بالايمان استنارة الليالي بالأقمار

أيها السادة الهُداة رؤساء الاقباط ، واخابر الأراخنة ووجوه الاسباط ، حَوْلكم المتحوّل عنكم قد أودعكم نفائسهُ وودّعكم بالسلامة ، ونوروزكم القادم عليكم قد اتى يبشّركم بالامن والصحّة والاستقامة ، وعامكم المقبل عليكم قد اقبل يهنّئكم بطول اللّبث في هذه الدار والإقامة ، ويُشعركم بما سينعم الله بهِ عليكم في يوم القيامة ، فتبرّروا وتطهّروا في أيامهِ وجُمَعهِ وشهورهِ ، وانقلوا فيهِ ازوادكم الى أفنية ملكوت مسالكهِ وقصورهِ ، وتقرّبوا الى الله تعالى واحدًا فواحدًا بمُشورهِ وبكورهِ ونذورهِ ، وأرسلوها اليهِ صُحبةً من حالت احوالهُ واختلّت جميع امورهِ ، فانها تزيد في ارزاقكم للواحد مئة ضعف وتورثكم حياة الابد ، وتصرف عنكم اسباب الهمّ والغمّ والاكتئاب والنكد ، وتبارك لكم في المهنة والرزق والولد

فقابلوا هذه النعمة بما يَقرنُ سبوغها عليكم باستمرارها ، واشكروا الله شكرًا يقضي بازديادها لكم واستدرارها ، واعلموا انّ الشكر يُحتّم عنها وان كان لا ينهض ببعض مقدارها ، وانما يجب علينا ان نتقرّب اليهِ بما تحمل قدرتنا اليهِ من حمدهِ وشكرهِ ، ويتوجّه اليهِ الانسانُ منّا بسلامة صدرهِ وطهارة فكرهِ ، فالله تعالى لا يكلّف احدًا فوق طاقته وقدرهِ ، ولا يريد منهُ سوى العمل لآخرتهِ في جميع عمرهِ

فاعملوا اعمالًا مرضية توصل سُفُن ارواحكم الى بيوت بحار الفراديس ومياهها ، وتبلّغ نفوسكم فيها ابلغ مقاصدها واقصى مُناها ، ويُشرق عليكم كالأقمار في كمالها والشموس في سناها ، ويسكنكم منازل متنسّمة العُلى أُسُسها وهو الذي بناها . فتلقّوا هذا العام بأطهر الافكار والآمال . وقدّموا فيهِ اصدق الاقوال والأعمال ، وواصلوهُ بالابتهالات والصلوات والصيام ، وتجنّبوا كلّ ما يوجب التعنيف والملام ، فكما تحبّون انفسكم أحبّوا البعيد والقريب ، واجبروا قلب الارملة واليتيم والغريب ، اقبلوا اوامر كهنتكم في الله بالسمع والطاعة ، واخدموهم بنفوسكم وتفانسكم فخدمتهم اكسبُ الصناعة ، عاملوا الناس طرًّا بالحقّ والإنصاف ، واقتلوا معهم

الافعال الكاملة الاوصاف ، واسترزقوا من وجوه الحلال وتجنّبوا جهات الحرام ، فالرزق الحلال ينمي ويزري فيبلّغ به المرام ، والحرام يقطع ويفري وحبلهُ سريع الانصرام ، فلصاحبهِ نارٌ سعيرها شديد الاضطرام ، فيا لسعادة من استعدَّ لقبول هذه الوصايا الربّانية ذات النعم الغزار ، ويا لشقاوة من خلف وأعدنفسهُ حطباً لتلك النار ، ويا لنعيم من استحق بالعدل والزكاة الاجتماع بالابرار ، ويا لجحيم من باع نفسهُ بالدرهم الحرام والدينار ، فهنيئاً لمن اعدَّ مائدتهُ لإطعام الصائم الجائع وفطوره ، وويلًا لمن أخلَّ بالقيام بعهود الله ونذوره ، سحقاً لمن سحق نفسهُ في هاوُن الكبرياء والصَّلف ، وخنقاً لمن خنقها بحبل الحسد فلقد اشرف على التلف ، فايّ عذابٍ لمن لم يؤمن باقوال الله تعالى وكفر بهِ وجحدهُ ، وايّ عقاب لمن لا يحبّ قريبهُ ولا يصون من الاذى نفسهُ وجسدهُ ، وويلًا ثمّ ويلًا لمن سلّم نفسهُ للفجور ، وما انحس حظّ من شهد شهادة الزور ، ولقد اخزى الله من استخفَّ بحقّ والديهِ في يوم البعث والنشور ، ويا حسرة من تجرّأ على الأيمان الكاذبة في كلامهِ ، ويا بؤس من غفل عن نفسهِ بالتوبة فيقبضها بأدرانها ملاكُ حِمامهِ

اعاذكم الله من ان تكونوا من اولئك ، وحاشاكم من سلوك هذه المسالك ، المؤدّية الى اشدّ المهالك ، والله تعالى يوفّقكم للاعمال الصالحة في كلّ اعوامكم من مبدإ هذا العام ، ويزيّن حياتكم بالبرّ والتقوى والقداسة مدى الأيام ، ويمتّعكم من الاعمار الهنيئة بأطولها ، ويجعل اواخر اعمالكم متّصلة ببداءة اعماركم واوّلها ، ويريكم امثال هذه السنة السنيّة ويبلّغكم منها نهاية الأوطار ، ويفيض فيها عليكم البركات ويرخص لكم الاسعار ، ويحظيكم باعتدال الهواء وخصب الزرع والاثمار ، ويجمع شملكم بأخواتها الى ان تبلغوا اطول الاعمار ، وتنتقلوا الى ارحب منزل واسعد محلّ في تلك الدار ، ويُبقي ذكركم بعدكم مثلًا حسناً مشهوراً في الآفاق والاقطار ، وتاريخاً صالحاً يُعتبَر بهِ أحسن التواريخ واطيب الاخبار ، بشفاعة سيّدة نساء العالمين ، وجميع الشهداء والاطهار القديسين آمين

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

هذه اربعون سنة مرّت من عمرنا ونحن نبحث عن مآثر النصرانيّة بين العرب والممالك الاسلاميّة فنقلنا ما عثرنا عليه منها لعلّنا نفيد بها اهل وطننا . وكان معظم حرصنا تدوين المخطوطات المسيحيّة الموجودة في مكاتب اوربّة العموميّة وخزائن الكتب الشرقيّة في انحاء مصر وسوريّة وما بين النهرين لاسيما في اديرة الرهبان وكنائس الطوائف وبيوت الخاصّة . فاجتمع لنا منها عدد وافر مما صبر الى هذه المدّة على آفات الدهر مباشرةً بالقرون الاولى من الهجرة . فرأينا من نشر هذه المعلومات فائدةً للقرّاء عموماً ولاسيما للمستشرقين ولطالبي الآثار النصرانيّة . وقد اخترنا لذلك سَرْد اسماء المؤلفين على ترتيب حروف المعجم ولم نذكر غالباً من تآليفهم ما ضاع منها بل ما يوجد مصوناً حتى الآن مع الاشارة الى مكانهِ . امّا المطبوعات فلم نتعرّض لذكرها الّا استطراداً تتمّةً للفائدة . واذا ذكرنا موتًا الحقناهُ بتاريخ وفاتهِ ان وقفنا عليه . فيحصل بذلك شبه تاريخ للآداب النصرانيّة بعد الاسلام وعلى الله الاتكال

حرف الالف

١ ﴿آدم﴾ جرمانوس مطران حلب توفّي في لبنان في ١٠ ت ٢ ١٨٠٩ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٦٩٨ ؛ والآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ١ : ٤٠ Echos d'Orient, V, 332-343; Oriens christianus, IV: 915, 315-328)

١ اكبر واهمّ تآليفهِ كتابهُ المعنون بايضاح اعتقاد القديسين ضد إلحاد المنافقين (ويروى المشاقين) . وهو الذي دعاهُ ايضاً بايضاح البراهين اليقينيّة على حقيقة الأمانة الارثذكسيّة ردّ فيهِ على اضاليل الروم في القضايا الخمس اعني رئاسة الحبر الاعظم وانبثاق الروح القدس والمطهر وسعادة القديسين في السماء قبل الدينونة وصحّة التقديس على الفطير (منهُ نسخ متعدّدة في رومية ومكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب وفي دار اسقفيّة بيروت ومكتبة الصلاحيّة في القدس وفي دير الشرفة . ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٦٧) = ٢ كتاب المجامع ليوحنّا كباسوطيوس (Cabassut) عرّبهُ جرمانوس آدم واضاف اليهِ فوائد من تواريخ

الكنائس وحذف منهُ ما لم يحسبهُ ضرورياً للشرق (منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٨٠٥ . ومنهُ نسخة أخرى في مكتبة الوجيه ميشال افندي الخوري في حلب)= ٣ً كتاب شرح التعليم وقواعد الايمان القويم (طبع في الشوير سنة ١٨٠٢)= ٤ً كتاب منارة التعاليم النفيسة في شرح سلطة الكنيسة . وهو تأليف شطّ فيهِ آدم عن الايمان فحرمهُ المجمع المقدّس ثمّ نبذهُ المؤلف قبل وفاتهِ . (منهُ نسخة في مكتبتي الروم الكاثوليك في حلب وبيروت وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ ترجمة لاتينيّة مخطوطة)= ٥ً كتاب ردّ المطران جرمانوس آدم على التأليف المسمّى بصوت الآباء المرسلين . . . مع الكتابات التي حرّرها البطريرك يوسف التيان واجاب عليها آدم سنة ١٧٩٤ . وفي الكتاب آراء جنسينيّة باطلة (منهُ نسخة في دير مار سمعان للروم الكاثوليك وفي مكتبة الصلاحيّة في القدس . وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة ايضاً) = ٦ً مجموع مواعظ ومناشير ورسالات شتى وفتاوى قانونيّة لجرمانوس آدم في مكتبة اليعاقبة في القدس = ١ً ولهُ تنسيق للاناجيل الاربعة برواية واحدة كالقلادة الدرّيّة التي طُبعت في مطبعتنا الكاثوليكيّة . ولهُ في ذلك منشور في مكتبتنا الشرقيّة

٢ً ﴿ آصاف ﴾ الخوري انطون : ١ً هو معرّب عن الايطاليّة كتاب المكتبة الروحيّة لماري اغوسطينوس اسقف مدينة ايبونا في جزئين يتضمّن الاوّل تأملاتهِ والثاني مناجاتهِ وعواطفهُ (طبع سنة ١٨٦٧–١٨٦٨ في مطبعتنا الكاثوليكية) = ٢ً وقد عرّب ايضاً عن اللاتينيّة والايطالية كتاب روضة الواعظ (Seilva) للقديس الفونس ليغوري (طُبع الكتاب في المطبعة الكثلكيّة ١٨٦٧ و١٨٨٣)

٣ً ﴿ ابراهيم الطبراني ﴾ الربّان . اصلهُ من طبريّة وتخرّج في العراق في القرن الثامن للمسيح وكان نسطوريّاً . لهُ كتاب عنوانهُ مجادلة عبد الملك بن مروان (ويروى عبد الرحمان بن عبد الملك) الهاشمي مع ابرهيم الراهب الطبراني . منها عدّة نسخ خطّيّة في رومية وباريس وفلورنسة (اطلب Steinschneider : *Polemische Literatur in arab. Sprache*, n°.65, p.82) . وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسختان

٤ً ﴿ ابراهيم الكلداني ﴾ القس يوسف المتوفّى سنة ١٨٣٢ (اطلب المشرق ٤ [١٩٠١]: ٨٥٢) لهُ في مكتبة الكلدان في الموصل اغاني روحية ومداريش على القديسين وعلى الموتى ورسائل مختلفة . وكان متضلّعاً في اللغتين الارامية والتركية

نقل اليها من العربية عدّة تآليف تجد جدولها في المشرق

٥ ﴿ ابكاريوس ﴾ اسكندر بن يعقوب الفا الابهني البيروتي المتوفّى في ١٣ ك ١ سنة ١٨٨٥ . (اطلب ترجمتهُ وتآليفهُ المطبوعة في كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ٢ : ١١٤–١١٦) . ولهُ من المخطوطات كتاب نوادر الزمان في وقائع (ويروى ملاحم) جبل لبنان (منهُ نسخة في المكتبة الخديويّة في مصر ٥ : ٧١٧) وقد ذكر لنفسهِ في كتابهِ المناقب الابراهيمية والمآثر الخديويّة (ص ١٨٢–١٨٣) الكتب الآتية غير المطبوعة : التحفة الغرّاء في محاسن تونس الخضراء . وكتاب ديوان الدواوين في اجود اشعار المتقدّمين والمتأخرين . وكتاب كأس الدلامة في تركيب (لعبة) الدامه . ثم ديوان شعر بين نظم ونثر

٦ ﴿ ابكاريوس ﴾ يوحنا اخو اسكندر توفّي في سوق الغرب (لبنان) سنة ١٨٨٩ . لا نعرف لهُ غير مطبوعاتهِ المسرودة في كتابنا الآداب العربية المذكور (٢ : ١١٦)

٧ ﴿ ابن العبر ﴾ هذا نسبهُ بالكلدانيّة (ܒܪ ܥܒܪܐ) ويقال لهُ بالعربيّ ابن الاعرج وكلاهما بمعنى واسمهُ يوحنا بن عيسى الجناثليق . تولى البطريركية على النساطرة من السنة ٩٠٠ الى ٩٠٥م . لهُ في المكتبة الفاتيكانية بالسريانيّة والعربيّة : ١ كتاب التواميس البيعيّة . ٢ خطهُ في العربيّة ايضاً في رومية كتاب نقد اجاب فيهِ على ٢٨ سؤالاً طرحها عليهِ احد اهل ملّتهِ في اليمن . وقد نشرها السمعاني في مكتبتهِ الشرقيّة (٣ : ٢٤٨–٢٥٤)

٨ ﴿ ابن الاثردي ﴾ ابو الحسن سعيد بن هبة الله المتطبب المتوفّى سنة ١١٠٢م (اطلب عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٥٤) . لهُ في مكتبة باريس العموميّة في المجموعة الموسومة بالعدد ١٨٢ (De Slane: *Cat. des Mss Arabes*, Ms.82,[50] 9) ١ كتاب الهداية في المعتقدات والآداب المسيحيّة . ولهُ ٢ في مكتبتنا الشرقيّة كتاب المغني في الطبّ . ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ٦٥٣)

٩ ﴿ ابن بختيشوع ﴾ عبيد الله بن جبريل المتوفّى سنة ١٠٥٨م (اطلب المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١٠٩٧–١١٠٥ مقالة في بختيشوع واسرته) : لهُ ١٠ في مكتبة باريس العموميّة (Paris, *Ms.* 3028) وفي المتحف البريطاني (Br. Mus., *Cod.* 944)

كتاب الروضة الطيبة في الفنون الادبية في ٥٠ فصلاً . قال في مقدمته انهُ اختصرهُ من كتابهِ تذكرة الحاضر وزاد المسافر . ٢ً كتاب منافع الحيوان مصوَّر في مكتبة باريس (Paris, *Ms.* 2782) . ومن هذا الكتاب نسخة قديمة متقنة في مكتبة المرحوم مراد بك البارودي عنوانهُ هناك طبائع الحيوان وخواصُهُ . وفي نسخة باريس انَّ هذا الكتاب مختصر عن كتابهِ خواص مجرَّب الحيوان ومنافع اعضائهِ الفهُ للامير نصير الدولة . ٣ً ولهُ في مكتبة ليدن في هولاندة (Leiden, *Cod.* 1332) كتاب في الاحداث النفسانية وفي كون العشق مرضاً . ٤ً وقد ذكر لهُ جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء كتاب المطابقة بين قول الانبياء والفلاسفة على صحَّة الدين المسيحي . ٥ً ولهُ مقالة ردَّ فيها على اليهود . وذكر لهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ١٤٨) تآليف اخرى مفقودة

١٠ ﴿ابن بطريق﴾ سعيد الطبيب المعروف بافتيشيوس البطريرك الملكي الاسكندري المتوفَّى سنة ٩٤٠ م . لهُ ١ً تاريخ عامّ يُعرف بنظم الجوهر من عهد آدم الى زمانهِ وهو من اقدم التواريخ النصرانيَّة . منهُ نسخ متعدِّدة في مكاتب باريس ورومية وبتروغراد وفي مكتبتنا منهُ نسختان احداهما كاملة حسنة . ومنهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب . وكان طبعهُ سابقاً العلَّامة ادورد پوكوك في اوكسفورد سنة ١٦٥٨ مع ترجمته اللاتينيَّة . وقد جدَّدنا طبع نصهِ في مطبعتنا سنة ١٩٠٦ على نسختنا مع تكملتهِ ليحيى بن سعيد الانطاكي في جزئين . ولابن البطريق ٢ً ردود على النساطرة وعلى اليعاقبة منها نسخة حسنة في بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة . وفي المكتبة الفاتيكانيَّة نسخة اخرى منها . وهذه الردود منقولة عن تاريخهِ السابق ذكرهُ (اطلب طبعتنا البيروتيَّة ١ : ١٥٩—١٧٦) . وقد ذكر في تاريخهِ لنفسهِ (ص١٧٦) كتاباً دعاهُ بالجدال بين المخالف والنصراني اخذتهُ يد الضياع

١١ ﴿ابن بطريق﴾ يوحنَّا ويقال يحيى عاش في اوائل القرن التاسع للمسيح لهُ تعريب كتاب السياسة في تدبير الرئاسة تصنيف الحكيم الفاضل ارسطاطاليس . (منهُ نسخ خطيَّة مختلفة في باريس وبرلين ورومية ومونيخ وفي مكتبتنا الشرقيَّة ومكتبة القس بولس سباط (ROC: XVII,p.283) . ويروى اسم الكتاب في نسخة ثمينة وفي غيرها سرّ الاسرار لتأسيس السياسة وترتيب احوال الرئاسة . وهذا الكتاب

منسوب زوراً لارسطاطاليس وانّما هو لبعض اليونان المتأخرين: Brockelmann) *Gesch. d. arab. Litteratur*, I, 203)

١٢ ﴿ ابن بطلان ﴾ ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون تلميذ ابي الفرج بن الطيّب توفّي سنة ١٠٦٣ م. (Brockelmann, l.c., I. 483). له ١ً كتاب دعوة الاطبّاء. (منهُ نسخ شتى في برلين وغوتا ومصر ومنهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيّة. والكتاب طبع في مصر وفي مجلة الطبيب في بيروت ثم على حدة). ٢ً كتاب تقويم الصحة نسخهُ عديدة في مكاتب اوربّة في باريس ولندن واكسفرد ومونيخ طُبعت ترجمتهُ الى اللاتينيّة سنة ١٥٣١ طبعاً متقناً. منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة. ٣ً الامراض العارضة للرهبان (في مكاتب باريس وغوتا وغوتنجن). ٤ً في شراء الرقيق وتقليب العبيد (في مكتبة برلين ٤٩٧٩). ٥ً ولهُ رسالة ادبيّة كتبها الى هلال بن الحسن الصابي في السنة ٤٤٠هـ (١٠٤٩ م) وصف فيها رحلتهُ الى جهات الشام. نقل معظمها ياقوت في كتابهِ معجم البلدان وابن القفطي في تاريخ الحكماء. (٢٩٥—٢٩٨)

١٣ ﴿ ابن البهلول ﴾ الحسن الطيرهاني النسطوري ازهر في اواسط القرن العاشر لهُ لِقسيقون اي معجم سرياني عربيّ منهُ نسخ متعدّدة في مكاتب اوربّة وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي مكاتب الكلدان في الموصل وماردين وفي دير الشرفة. طبع في باريس (١٨٨٨—١٨٩٦) بهمّة الاستاذ العلّامة روبنس دوفال

١٤ ﴿ ابن تريك ﴾ هو البطريرك الاسكندري القبطي واسمهُ غبريال ابو العلاء صاعد ادار البطريركية من السنة ١١٣٦ الى ١١٥٠. له في المكتبة الواتيكانيّة كتاب علم الكنيسة

١٥ ﴿ ابن التلميذ ﴾ ابو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن المتطبّب النسطوري المتوفّى سنة ١١٠١ م (اطلب مجلة المشرق (٩[١٩٠٦]: ٧٦٢): وجدنا لهُ: ١ً في مكتبة الكلدان في دياربكر كتاباً في العقائد النصرانيّة وآدابها الشرعيّة في ٧٧ باباً مباشرةً باثبات التوحيد والتثليث ثمّ تكوين المخلوقات والاتحاد الخ. صفحاتهُ ٢٤٧ يرقى الى القرن الثالث عشر آخرهُ ناقص (اطلب ايضاً مجلة النعمة ١: ٢٣٩ و٢٧٠). ٢ً كتاب المغني في الطبّ. منهُ نسخ عديدة في كلّ عواصم اوربّة (Brockelmann: *Gesch. d. ar. Litter.* I: 485) وفي مكتبتنا الشرقية منهُ

نسخة قديمة حسنة بالحرف الكرشوني. ٣ً كتاب خلق الانسان. في مكتبة اوكسفرد البودلية (١ : ٦٠٩) وفي مكتبة دي روسي (العدد ٣٠-٤٠). ٤ً مقالة الحدود والفروق (في المتحف البريطاني عدد ٩٨٤ والقسم الثامن من المجموع)

١٦ً ﴿ابن التلميذ﴾ موفق الملك امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن ابي العلا صاعد المتطبب النسطوري (اطلب ترجمتهُ المطولة في المشرق (٩[١٩٠٦] : ٧٥٢ و٧٨١) توفي في بغداد سنة ١١٦٤. تآليفه مذكورة في المشرق (ص ٧٨٤). يُعرف منها اليوم : ١ً المقالة الامينيَّة في القصد (في المتحف البريطاني عدد ٩٨٤ واكسفرد ١ : ١٣٢). ٢ً اقراباذين اي مجموع طبي في غوتا (ع ١٩٩٦ وفي المكتبة الخديويَّة ٦ : ٣٥). ٣ً كتاب المجرّبات (غوتا ١٧٧٦). ٤ً كتاب الاقناع (مصر ٦ : ٥) ومنظومات من ديوانهِ روينا منها قسماً في المشرق

١٧ً ﴿ابن جزلة﴾ يحيى بن عيسى المتوفَّى سنة ١١٠٠ م. كان طبيباً نصرانيًّا بغداديًّا ثمَّ أسلم. لهُ كتابان شهيران: ١ً كتاب منهاج البيان في ما يستعملهُ الانسان في الادوية المفردة المركبة وقد طبع في مصر. ٢ً كتاب تقويم الابدان في تدبير الانسان. وفي سائر مكاتب اوربَّة منهما نسخٌ حسنة. وكذلك في المكتبة الخديويَّة في مصر (٦ : ٣٦، ١٤) وفي مكتبتنا الشرقيَّة

١٨ً ﴿ابن الجوهري﴾ الياس الدمشقي مطران القدس ثمَّ دمشق النسطوري توفي في اوائل القرن العاشر للمسيح. لهُ في المكتبة الفاتيكانية وفي مكتبة الكلدان في دياربكر (Cat. Addai Scher, N° 133). ١ً كتاب الناموس في قوانين الرسل والآباء والمجامع. ٢ً كتاب اجتماع الامانة بين السريان والملكيَّة والنساطرة. اتَّسع في وضعها السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (٣ : ٥١٣ و٥١٦)

١٩ً ﴿ابن الحديثي﴾ البطريرك النسطوري ابو الحليم ايليَّا الثالث (١١٧٦ — ١١٩٠) لهُ: ١ً كتاب جليل بليغ الانشاء يُدعى كتاب تراجيم الاعياد يحتوي على خطب مسجَّعة. منهُ نسخ عديدة في الشرق ثلث منها في مكتبتنا الشرقية ثم في مكتبتي الكلدان في ماردين والموصل. وفي مكتبة الرهبان الملكيين الحلبيين في صربا وفي المكتبة الواتيكانية (ع ٨٠) وفي مكتبة ليدن في هولاندة (٤ : ٢٣٩). طُبع في الموصل وقد نشرنا في المشرق عدَّة خطب منهُ لم تُطبع. ٢ً كتاب تعزيات

تقال على الموتى وهو ايضاً عبارة عن خطب تلقى في الجنازات . منهُ نسخة في الموصل وفي مكتبتنا الشرقيَّة

٢٠ ﴿ابن الخطَّاب﴾ هو ريَّان دانيال المارديني اليعقوبي أزهر في اواسط القرن الرابع عشر (اطلب مجلة الشرق المسيحي ROC, X, 314–318) . لهُ في مكتبة ليدن في هولندة (ع ٢٣٨٦) : ١ كتاب الاشراق في الاصول الدينيَّة والقواعد البيعيَّة . ٢ وفيها (ع ٢٣٨٧) شرح الامانة الارثذكسيَّة منهما نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ٣ وقد ذكر لهُ السمعاني في مكتبتهِ الشرقيَّة (٢ : ٤٦٣) : كتاب القوانين البيعيَّة في ١٧ فصلاً اختصرها من كتاب ابي الفرج بن العبري . ونقل عن داود بن الحصي ان للقس دانيال المذكور كتاب ايتيقون وكتاب كنز الاسرار واختصار كتاب الصمحي (لابن العبري) والايساغوجي وكتاب الهداية تعريب ابن الخطَّاب

٢١ ﴿ابن الراهب﴾ ابو شاكر بطرس بن ابي الكرم النشو بن المهذب الشمَّاس القبطي المصري ازهر في اواخر القرن الثالث عشر . ألَّف : ١ كتاب البرهان في القوانين المكتلة وانقراض المهملة في ٥٢ فصلاً في العقائد والآداب النصرانيَّة منهُ نسخ في المتحف البريطاني (Brit. Mus., *Suppl.* 104) وفي المكتبة الواتيكانية (Bibl. Or. II, 510) وفي مكتبة دير الشرفة . ٢ كتاب الشتاء في كشف ما استتر من لاهوت المسيح واختفى لاهوتيَّتهِ وانسانيَّتهِ منهُ نسخة بخط المؤلف سنة ١٨٤ للشهدا (١٢٦٥م) في مكتبة باريس (Paris, n° 197) . ٣ كتاب التواريخ في ٥١ فصلاً لتعريفهم الابقطي والاعياد السيديَّة في الكنيسة القبطيَّة . منهُ نسخة في لندن (Br. Mus., *Suppl.* 34) وفي برلين (Ahlwardt, V. n° 5782) . ٤ تاريخ ابن الراهب من اوَّل الخليقة الى زمانهِ منهُ نسخة في المكتبة الواتيكانيَّة (Mai, *Nova Collectio*, *n° 166*) وهو الكتاب الذي نشرناهُ في مطبعتنا سنة ١٩٠٣ مع ترجمتهِ اللاتينيَّة لابرهيم الحاقلاني والسمعاني . والتاريخ المذكور هو القسم الثاني من كتاب التواريخ الموصوفة آنفاً . ٥ كتاب المجامع السبعة منقول عن كتاب التواريخ نفسهِ ومن كلا الكتابين نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ٦ اصول مقدَّمة سُلَّم اللغة القبطيَّة . منهُ عدَّة نسخ في لندن (Br. Mus., 1472) وباريس وبرلين (اطلب وصفهُ في مجموع مكتبتنا الشرقي للاب الكسيس مالون (MFO, II, 230 - 260) (لهُ تابع)

فوز رسول السلام في عاصمة الاسلام

(اطلب الصورة في صدر هـذا العدد قد تفضَّل علينا بهـا سيادة كيرو كير باسيليوس قطّان مطران الروم الكاثوليك الجزيل الاحترام)

نظر اجتماعي تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

لايخفى ان السيد المسيح بانشائهِ لكنيستهِ جعل لها علاماتٍ تمتاز بها دون سواها اخصُّها انتشارها في كافَّة العمور مع وحدة ايمانها اذ وكَّلَ الى تلاميذهِ ان يبشروا في العالم اجمع بكلّ ما علَّمهم (متى ٢٨: ١٩—٢٠) ويكرزوا بالانجيل للخليقة كلها (مرقس ١٦: ٩٥) . وهي علامة أيست غيرها من الملل والنِحَل ان تثبتها لنفسها

على انَّ هذه العلامة اي كثلكة الكنيسة وانتشارها في الخافقَين كثيراً ما تظهر بالفعل اكثر منها بالتعليم وذلك خصوصاً بسعي اربابها في بثّ روح السلام في العالم ومعالجة كلّ ادواء البشر بالمحبَّة

وقد ظهر كلا الامرين ظهور الشمس في رائعة النهار منذ انتشاب الحرب الاخيرة الى اليوم فانَّ الحبر الاعظم بيوس العاشر سعى غاية جهدهِ في ايقاف تيَّار الحرب قبل طغيانها وما كانت وفاتهُ الّا لتأثير شجوبها في نفسهِ اللطيفة واشفاقاً على الدنيا من شرورها فكان اوَّل ضحيَّة مساوئها وبلاياها

فلمَّا قام خلفهُ من بعدهِ الحبر الاعظم الجالس سعيدًا على كرسي هامة الرُسل أدرك عظيم مسئوليَّتهِ ازاء العمور بأسرهِ مردِّدًا قول بولس الرسول (روم ١: ١٤): « انَّ عليَّ ديناً للجميع لليونانيين وللبرابرة للحكماء وللجهَّال »

فتحفَّز قداستهُ للقيام بهذهِ المهنة المثناة : نشر السلام بين سائر الشعوب وسدّ حاجات البائسين في كل انحاء الارض . فتحقَّق بهما اسمهُ البابا الكاثوليكي اي المسكونيّ لاشتمال غيرتهِ ومحبَّتهِ على كلّ اطراف المسكونة

١ بندكتوس الخامس عشر باشر لواء السلام

هذه سبع سنوات بتمامها منذ جلس الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر على السدَّة البابويَّة صرفها دون انقطاع في مناداة الدول الى الصلح ودعوتها الى الوفاق والتجاب بكل الوسائل التي امكنتهُ ان يتوسَّل بها لإدراك هذه الغاية الجلّى . تارةً

بخطبه الرسمية في نوادي الفاتيكان . وتارة بمناشيره وبراءاته الموجهة الى عموم الدول او الى ملوكها وروسائها او الى جمعيتها الدولية كعصبة الأمم والمجلس الاعلى والمؤتمرات العامة . حيناً برسمه الصلوات والادعية في كل كنائس المعمور لاسترحام رب الحنان واله المراحم ليكف عن بني البشر بلايا الحرب ويبسط على الارض رواق السلام . وحيناً بايفاده نوابه وقصاده الى من يستطيع ان يتوسط في امر الصلح من الامم المتحايدة . وطوراً باحتجاجه على ما يأتيه المتحاربون من الاعمال المنافية للتمدن او لآداب الحرب كضرب المدن غير المتحصنة والاعتداء على البلجيك الخ . فلو جمع كل ما فاه به إمام الاحبار في هذه المدة او قام بصنعه للخير العام لتألف منه كتاب ينطق بفضل رأس الكنيسة المنظور ويحقق له في تاريخ الامم الاسم الذي أطلق عليه حيث دُعي رائد الصلح ورسول السلام

ولم يكتف سجين الفاتيكان بتحريض الدول على الصلح بل كان كطبيب نطاسي يرشدها الى اقرب الوسائل والجمع الادوية لضمد جراحاتها وتلافي ما اصابها من الاضرار مع بيانه لعلل تلك المعاولات الوخيمة التي كانت سبب نكبات العالم . فأقر العقلاء بحكمة رئيس الكنيسة

ولما ارادت اللجنة الدولية المؤلفة لترويج افكار الصلح ان تقدم جائزة لاعظم الشماة في اخماد نيران الحرب بعد انفجار بركانها الهائل كان اول من خطر على بالهم الحبر الروماني بندكتوس الخامس عشر

ومثلها فعلت الجمعية القائمة لتخصيص جائزة نوبل الشهيرة باكبر مستحقيها فانها رأت ان البابا بندكتوس احق بها من غيره وقدمتها لقداسته مرتين بكل طيب قلب مقرة بفضله على كل من سواه

٢ بندكتوس الخامس عشر اكبر محسن الى البائسين

ان كانت مساعي الحبر الاعظم في إعلاء الوية السلام تستوجب كل شكر وثناء من سائر اهل العالم المتمدن فان آيات محبته وشفقته على المنكودين والبائسين لهي احق بمعرفة الجميل من قبلهم لما اظهر فيها من التفاني لو النزاهة باحسانه الى كل المحتاجين على اختلاف اوطانهم واديانهم منهم نصارى كاثوليك وغير كاثوليك ومنهم

مسلمون ويهود ومنهم وثنيون عطف قلبهُ الواسع على الجميع فكان مع فقره وسلب املاكه أكرم الناس واسرعهم الى اغاثة كل محتاج وملهوف

لعمري يضيق ذرعنا في تعداد الحسنات الوافرة التي تصدَّق بها الى المبتوسين . ومن اطَّلع في انحاء بلادنا على المقالة المعنونة «بأفعال لا أقوال» التي حرَّرها الاب اليسوعي يوسف كوريكو في مجلة التمدُّن الكاثوليكي الايطاليَّة في حزيران سنة ١٩١٨ وطُبعت معرَّبة على نفقة نيافة القاصد الرسولي في سوريَّة السيد الجليل فريدياتو جنيني في مطبعتنا الكاثوليكيَّة لا يسعهُ الَّا اطلاق صوت الاندهاش لاريحيَّة الحبر الروماني والهتاف بعظم كرمهِ الفائق على كل كرم حاتميّ . فهناك لائحة واسعة لكل مآثر الكرسيّ الرسولي نحو العالمين نُحيل القرَّاء الى مراجعتها

وانَّما يجدر بنا ذكر بعض ما خصَّهُ امام الاحبار ببلاد الشرق فانَّهُ لم يستثنِ منها بلدًا بلغتهُ عنهُ حاجتهُ الى الطافهِ ومبرَّاتهِ

فلو باشرنا بذكر تحطُّفات الحبر الاعظم نحو قطرنا السوري لوجدنا عليها شواهد متعدِّدة . فانَّ قداستهُ لمَّا بلغهُ ما يحدث في سوريَّة من الكوارث المتعدِّدة بسبب الحرب ومن جانب الاتراك ارسل الى معتمدهِ في الاستانة السيد دُلتشي ليستعطف ارباب الدولة لاجل المنكوبين في سوريَّة ولبنان

وقد كتب بيدهِ الكريمة لرؤساء تركيَّة ولحكَّام البلاد ينشدهم الله ان يخفِّفوا مصائب الحرب عن عواتق شعوبهم وكان يحضُّ نوابهُ الرسوليين وقصَّادهُ في اتخاذ كل الوسائل الممكنة لمساعدة ذوي الحاجات المتضرِّرين جوعًا المنهوكين من الامراض

وتوسَّط لدى الباب العالي برقيم وجَّههُ الى جلالة السلطان رشاد طالبًا تلطيف الاحكام التي برزت بحق بعض الاكليروس السوري والاعيان فخلَّصهم من الاعدام او النفي وزجهم سالمين الى الاوطان واستدرك الجرائم العظيمة التي كان يُخشى وقوعها

وبهمَّة قداستهِ أرسلت الى سوريَّة ولبنان بعض ضروريَّات المعيشة طالبًا لبلبلتها مساعدة حكَّام البلاد . وقد صرَّح في خطابهِ الى الكرادلة في ١٠ آذار ١٩١٩ انَّهُ لم يزل مستعدًّا ما امكن لمساعدة كل الشرقيين كلما الَّمت بهم المصائب سواء كان بسلطتهِ الادبيَّة او بمساعدتهِ المادِّيَّة

وقد اخبر حضرة الخوري منصور عوّاد في كتابه «ماذا صنع الخوري» (ص١٨) كيف انّ الحبر الاعظم كان اوّل من اشاروا اليه بتأليف لجنة لاسعاف المنكوبين من اللبنانيين متأثّرًا اشدّ تأثير لما بلغهُ من مصائبهم . وافتتح الاكتتابات بذاته دافعاً من ماله الخاصّ عشرة آلاف فرنك

وما قولنا بالارمن الذين توالت عليهم ضروب الآلام واصناف الاوجاع فانّ آيات محبّته نحوهم لا تكاد تحصى فدعا غير مرّة الاتراك الى الإنصاف والرحمة فوعدوهُ المواعيد الطائلة لكنّهم ما لبثوا ان حنثوا بأيمانهم واخلفوا وعودهم . فقرع ابوابًا اخرى ظنّها تنفتح لصوته الكريم فالتجأ الى الامبراطور غليوم الثاني وحلفائه فلم يجد صدًى لتوسّلاته لكنّهُ لم ييأس من رجائه بالله ولم يزل يحرّك كل ساكن الى ان وُضعت حدود للمجازر الارمنيّة . وكان في اثناء ذلك يسعى طاقة جهده في جمع المساعدات وضروب الحسنات لتخفيف ارزائهم ومعظمهم ليسوا بكاثوليك خاضعين لسلطانه . وما انتهت الحرب حتى اسرع وبلّغهم ما حصلت عليه يدهُ من المساعدات . وانشأ في دار السلام منشأً لأيتامهم

وما فعلهُ الحبر الروماني لاجل الارمن قام به ايضاً نحو روسيّة واليونان والدول البلقانيّة كالعرب والرومان . فنال قداستهُ الصفح عن الصحافيّ الروسي ديمتريوس دي يَنْتشتسكي المحكوم عليه بالاعدام مع سبعة آخرين نجوا بفضل توسّط الحبر الاعظم لدى امبراطور النمسة

واذ حلّت النكبات في الجبل الاسود باحتلال الدول المركزيّة وطبّقت المجاعة على اهله تمكّن الحبر الاعظم من تمهيد كل العقبات لدى النمسا لتموين الجبل على يد لجنة من لجن الصليب الاحمر . وكان قبل ذلك تكلّف المخابرات وضروب العناء لتموين بلاد بولونية التي فتكت بها آفات الحرب بكل وظائفها من مجاعات واوبئة ودمار . وكان في الوقت ذاته يمدّ بالاسعافات الماليّة ليتوانية والرونان وسربية والجبل الاسود

وما قولنا بروسيّة فانّهُ منذ دهمتها تلك الفتن الهائلة التي قلبت هيئتها السابقة ظهرًا لبطن استنفد ما لديه من الوسائل . ليضمّد جراحاتها ويمسح قواها بتخفيف بلاياها . فخطب وكتب واستغاث بكل الدول ليسرعوا الى انقاذ اهلها فرأس

الجرح وضحايا كل المصائب والشدائد. وهو يواصل مبرّاته الى اولئك المنكوبين الحظ سواء كان في وطنهم او في ديار مهجرهم فصرف في ذلك ملايين من الفرنكات وارسل عدّة ضروريات من ملبوس واسباب معاش وادوية. وفي الانباء البرقية الاخيرة انهُ ارسل خمسين قاطرة من قواطر السكك الحديدية حاملة ارزًا للمنكوبين واتخذ قداسته على عاتقه اعاشة مئين بل الوف من الاولاد جعلهم في مأمن في انحاء مختلفة. وكيف نعدّد ما اداهُ قداسة البابا من الخدم لاهل الشرق من المستشفيات والمآتم والملاجئ. فانك ميثما سرت وجدت شاهدًا حيًا على انعطاف بندكتوس الخامس عشر نحو الشرق لا يمكن تعدادها. هذا ما خلا ما سعى به لخير الشرقيين الروحي والادبي. فكفى لذلك شاهد صادق ألا وهو احتجاجهُ على ما حلّ بفلسطين من الكوارث بدخول الصهيونيين اليها. وليس ذلك بغضًا باليهود وهو الذي سعى لدى نوّابهِ في الاحسان اليهم واراحتهم في جهات كورسكا. ولكن صيانةً لحقوق النصارى والمسلمين في الاراضي المقدّسة ومنعًا لانتهاك حرمة كنائسها ومزاراتها

٣ فوز رسول السلام في عاصمة الاسلام

فكل هذه المآثر وكثير غيرها لم يسعهم ضيق المكان ان تعدّدها جعلت للبابا بندكتوس مقامًا في العالم لم يبلغهُ سواهُ. فلا عجب أن الدُّول باجمعها وعصبة الامم وشركات الصليب الاحمر ولجان الاحسانات مع عموم الصحافة اثنت على قداستهِ اطيب الثناء واعتبرتهُ رسول السلام الحقيقي والمحسن الكبير الى الانسانية باسرها

واعجب من كل ذلك انّ اعظم مجالي الاكرام والشكر لشخصهِ الكريم قد برزت في بُهرة الاسلام وعاصمة الدولة العثمانية وذلك في اليوم الاحد الواقع في ١١ كانون الاوّل الماضي حيث جرى تدشين تمثال كبير اقامهُ اهل الامانة لذكرى قداستهِ في الباحة التي تمتدّ امام باب كنيسة الروح القدس الكاتدرائية الواقعة في حي بنكالدي في شمال مدخلها

وكان لهذه الحفلة ميزة مخصوصة وذلك بان النفقات التي صُرفت على رسم هذا التمثال والمنبر ونقله كانت كلها بايدي اهالي الناصرة الرسولي النيّة والشيء المجموع الكتابات اراد الاختصاص بها اهل الطوائف غير الكاثوليكية بينهم المسلمون

والموسويون والروسيون والروم والغريغوريون واليعاقبة والكرج والبلغار اقراراً بفضل الحبر الاعظم نحو الجميع على اختلاف مللهم واديانهم وشكراً لهُ على رأفتهِ الابوية الشاملة عموم طوائف البشر. وكان اوَّل مكتب رئيس الجمهورية الارمنية

وفي صنع التمثال المذكور ما يُشعر بسموّ معناهُ فانهُ يمثل قداسة البابا بندكتوس اكبر من هيئتهِ الطبيعية واقفاً وهو متشح بثيابهِ الحبرية وعلى رأسهِ التاج المثلث الاكلة المشار بهِ الى سلطتهِ المثلثة الممنوحة لهُ من السيد المسيح. ويمناهُ مبسوطة نحو الدول المتحاربة يرمز اليها بيدهِ المفتوحة ان تكفَّ عن الحروب وتنتهي عن سفك الدماء فتعود الى المصافحة والولاء. أمَّا شمالهُ فهي تقدّم للعالم احد مناشير قداستهِ الداعية الشعوب الى الصلح والسلام. وقد تولَّى نحت هذا التمثال البديع مصوّر ايطالي بارع بالنَّحت ذا شهرة واسعة في مهنتهِ يُدعى كراتريني. فابدع ما شاء وجاء عملهُ آية في الحسن والشبه التامّ لصورة قداستهِ

وقد جُعل التمثال على قاعدةٍ من الطرز الشرقيّ البوزنطي لنحّات آخر يُدعى مديشي يزيد بها الاثر رواء وجلالاً. وقد حُفر على واجهة تلك القاعدة كتابة لاتينية فحواها كون الاثر تقدمة اهل الشرق للبابا بندكتوس: وهذا نصُّها وتعريبها :

BENEDICTO XV

SUMMO PONTIFICI ROMANO
EOIS OMNI EX NATIONE POPULIS
OB BONORUM IN SE CUMULUM
GLISCENTE PER ORBEM BELLO
ULLO SINE DISCRIMINE PARTIUM
LARGISSIME PROFUSUM
PERENNE GRATI ANIMI MONUMENTUM
CERTATIM ERIGENTIBUS
PACIS
JURE NON VI TUTIUS COMPONENDAE
SUPREMO VINDICI
PECULIARE HOC SUAE GENTIS OBSEQUIUM
D. D. D.

لبندكتوس الخامس عشر

يقيم لفيف طوائف الشرق للحبر الاعظم الروماني هذا الاثر الخاص كعنوان شكر أممهم المخلّد لشخصهِ الكريم الذي كان في مقدّمة المدافعين عن السلام الواجب عقدهُ عقداً اثبت بشرائع الحقّ منهُ بالقوّة والذي افاض عليهم بلا مراعاة الاحزاب سوابغ فضلهِ العميم

اما حفلة التدشين فقد بلغت منتهى الرونق وغاية الجمال كما وصفها لنا شاهد عياني حضرة الاب اليسوعي بسكال زوليكيان قال : أُقيمت تلك الحفلة بعد ظهر يوم التاريخ المذكور فنُصب التمثال على قاعدتهِ وبرز في حلّتهِ القشيبة بين المشاعل وطاقات الزهور

وكانت الكنيسة الكاتدرائية قد لبست لهذه الحفلة زيًّا خصوصيًّا فنُزع منها ما يُشعر برتبة دينيّة وحُجبت عن الانظار الهياكل والتصاوير لتُصبح الكنيسة نادياً عظيماً مهيباً ازدان بضروب الاقمشة والحلي تخفق على جوانبهِ ضروب الاعلام وكانت اكاليل الزهور المضفورة تحدق بصحن الكنيسة المُنارة بألوف من المصابيح الكهربائية

وكان أُقيم في صدر الكنيسة متخت عالٍ ذو مراقٍ على هيئة نصف دائرة . وفي اعلى المتخت دكّة مرتفعة نُصب عليها عرش مذهب لسمو وليّ عهد السلطان الامير عبد المجيد افندي

ووراء الدكّة حاجزٌ كبير ماوّن بألوان راية الكنيسة نُظمت عليهِ الانوار الكهربائيّة على اشكال تأخذ بالابصار وتُحدق بالشعار البابويّ الذي تتمارهُ مفاتيح مار بطرس الرمزيّة

فعلى ذلك العرش جلس وليّ العهد في الساعة الثامنة . وعن شمال سموهِ في الدائرة المدرّجة وزراء الدولة العثمانيّة ورئيس مجلس الشورى ورئيس التشريفات ورهط من المستشارين ومن اصهرة الحضرة السلطانيّة ونائب رئيس مجلس الاعيان ثمّ بطريرك الارمن الغريغوريين وبطريرك اليونان اليعاقبة ونائب بطريرك الغنار

والمتربوليتان الروسيّ والبلغاري ورئيس الحاخامين مع رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة الشرقيّة وبعض الاعيان والقائد فيلونيو

وعن يمين سموّ نيافة القاصد الرسولي السيّد دولتشي وعلى صدره اوسمتهُ المتعدّدة . ثمّ المفوّضون السامون مع عقيلاتهم ومفوّضو الدول في الاستانة وقائد جيش الاحتلال الافرنسيّ والاميرال الافرنسي دومتيل مع عدد لا يُحصى من كبار الضبّاط والعمّال فكان اجتماعاً مهيباً لا مثيل لهُ في تاريخ الاستانة

وكان في صحن الكنيسة وعلى جانبيها وفي مقصوراتها العليا الوف من الحضور نالوا الرخصة لمشاهدة تلك الحفلة

وكان قبال الهيكل من جهة باب الكنيسة دكّة مختصّة بالهيئة الموسيقيّة . وكان جلالة السلطان تلطّف وارسل نوبتهُ الخاصّة لتشنّف مسامع الحضور وعدد آلاتها الموسيقيّة يبلغ نيّفاً ومئة وخمسين يديرها احد نوابغ الموسيقيين السنيور زانوكولّي

وابتدأت الحفلة بدخول المندوب الاعلى الفرنسوي الجنرال بله فقام نيافة القاصد وفاهُ بخطاب وجيز سمعهُ الناس بكل اصغاء كأن على رؤوسهم الطير بيّن فيه المقصود من تلك الحفلة الباهرة وما سبقها في سالف الاجيال من شبهها قال :

« من نحو خمسة عشر قرناً قد مرّ تحت رواق الباب الذهبي في مدينة بوزنطية اوّل حبر اعظم جاء هذه العاصمة . وتبعهُ في خلال عشر سنوات اثنان آخران وقد جازوا كلهم هذا المدخل بين هتاف شعب غفير وخرج الى استقبالهم امبراطورة بوزنطية بكل ابّهة مُلكهم »

« جاء يوحنّا الاوّل في عهد الامبراطور يوستينوس ليتدارك ما كان يتهدّد سلطنتي الغرب والشرق من الاخطار والحروب الواشك وقوعها لسبب تنازع الاريوسيّة والكثلكة »

« وجاء الثاني البابا اغابيتوس بعدهُ بعشر سنوات ليستنجد الامبراطور يوستنيانوس ويخلص اهالي رومية واهلها من المذابح والمجازر التي كان ترى باجرائها ملك القوطيين .

امّا الثالث وهو ڤيجيليوس فقدم الى عاصمة الشرق سنة ٥٤٧ ليخمد هيجان الافكار من جرّاء المنازعات الدينيّة التي كانت تفرق بين الشعوب

ثمّ انتقل الى ذكر قداسة الحبر الاعظم فقال :

« ان كان البابا الحالي لم يأتِ الى الاستانة بشخصهِ انّما اتاها بروحهِ وبمحبتهِ الفائقة وبعطفهِ على كل المنكوبين . فانّ الجميع رأوا روحهُ الكبيرة ترفّ فوق ساحات القتال ومعسكرات الاسرى ومنازل الايتام والارامل ومدافن القتلى ومستشفيات الجرحى والمرضى . هو الذي هزّ القلوب وانعش النفوس ومسح الدموع » . . .

« وقد اجمع شعوب الشرق دون تمييز بين طوائفهم ومذاهبهم على الإعراب عن تقديرهم هذه الاعمال الجليلة فهبّوا من تلقاء انفسهم الى اقامة هذا الاثر الجميل. وانني اشعر الآن بدافع قويّ يدفعني الى ان اظهر لهم أحرّ عواطف الشكر باسم قداستهِ » . . .

ثمّ عدّد كل الذين شاءوا ان يساعدوا بتبرّعاتهم على اقامة الاثر للمحسن العظيم بندكتوس الخامس عشر مباشرةً بجلالة السلطان محمّد السادس واهل بلاطهِ الملوكي وسمو وليّ عهده

وبعد ختامهِ للخطاب بوشرت الحفلة الموسيقيّة التي لم يُسمع مثلها الّا في نوادي اكبر العواصم ومنازل الملوك سواء كان من النغمات الموسيقيّة الموقعة على آلات الطرب ام المنشدة باصوات مشاهير المغنين والمغنيات . وكلها تدودٌ دينيّة وادبيّة منتخبة من تأليف اساطين الفنّ وعظام الموسيقيين كيروزي وفردي وفرنك ومركدنتي. وبعضها من التآليف الحديثة لاكرام صاحب الاثر لشامينـاد ولزانو كولي. وقد اجادت كل الاجادة الآنسة دولمان والسيدة مركوفتش فكر السامعون بهذه الخمرة الحلال وخرجوا وكلهم مجمعون في الثناء وتعظيم رئيس الكنيسة وممثّلها في الاستانة صارخين بلسان حالهم «لقد نال الفوز رسول السلام في عاصمة الاسلام»

مطبوعات شرقية جديدة

R. Bazin : CHARLES DE FOUCAULD, explorateur du Maroc, ermite au Sahara, avec portrait, carte et fac-similé. 1 *vol. in*-16, *Paris*, *Plon*, 1921, *Prix* 10 *f*

ترجمة شرل دي فوكو الرحالة الى مراكش وحبيس الصحراء

للقديسين الذين ظهروا في أيامنا تأثير اعظم من سواهم في نفوسنا لما نراهُ عياناً من سيرتهم المبرورة. ومن جملة هؤلاء المحدثين رجل طبّق ذكرهُ المعمور في عهدنا فكتب ترجمتهُ احد مشاهير الكتبة الفرنسويين المسيو رينه بازن فتضاعف بقلمهِ الحرّ المجتنى من مطالعة هذا التأليف. أما صاحب الترجمة فهو شرل دي فوكو الذي لم يحسن السيرة

« وقد اجمع شعوب الشرق دون تمييز بين طوائفهم ومذاهبهم على الإعراب عن تقديرهم هذه الاعمال الجليلة فهبّوا من تلقاء انفسهم الى اقامة هذا الاثر الجميل. وانني اشعر الآن بدافع قويّ يدفعني الى ان اظهر لهم أحرّ عواطف الشكر باسم قداستهِ » . . .

ثمّ عدّد كل الذين شاءوا ان يساعدوا بتبرّعاتهم على اقامة الاثر للمحسن العظيم بندكتوس الخامس عشر مباشرةً بجلالة السلطان محمّد السادس واهل بلاطهِ الملوكي وسمو وليّ عهده

وبعد ختامهِ للخطاب بوشرت الحفلة الموسيقيّة التي لم يُسمع مثلها الّا في نوادي اكبر العواصم ومنازل الملوك سواء كان من النغمات الموسيقيّة الموقعة على آلات الطرب ام المنشدة باصوات مشاهير المغنين والمغنيات . وكلها تدودٌ دينيّة وادبيّة منتخبة من تأليف اساطين الفنّ وعظام الموسيقيين كيروزي وفردي وفرنك ومركدنتي. وبعضها من التآليف الحديثة لاكرام صاحب الاثر لشامينـاد ولزانو كولي. وقد اجادت كل الاجادة الآنسة دولمان والسيدة مركوفتش فكر السامعون بهذه الخمرة الحلال وخرجوا وكلهم مجمعون في الثناء وتعظيم رئيس الكنيسة وممثّلها في الاستانة صارخين بلسان حالهم «لقد نال الفوز رسول السلام في عاصمة الاسلام»

مطبوعات شرقية جديدة

R. Bazin : CHARLES DE FOUCAULD, explorateur du Maroc, ermite au Sahara, avec portrait, carte et fac-similé. 1 *vol. in*-16, *Paris*, *Plon*, 1921, *Prix* 10 *f*

ترجمة شرل دي فوكو الرحالة الى مراكش وحبيس الصحراء

للقديسين الذين ظهروا في أيامنا تأثير اعظم من سواهم في نفوسنا لما نراهُ عياناً من سيرتهم المبرورة. ومن جملة هؤلاء المحدثين رجل طبّق ذكرهُ المعمور في عهدنا فكتب ترجمتهُ احد مشاهير الكتبة الفرنسويين المسيو رينه بازن فتضاعف بقلمهِ الحرّ المجتنى من مطالعة هذا التأليف. أما صاحب الترجمة فهو شرل دي فوكو الذي لم يحسن السيرة

في شبابه لكنّهُ لم يلبث ان اناب الى الله بالتوبة فدخل في رهبانيّة الترابستين وسكن مدّة دير أكبس لكنّهُ رأى انّ تلك الحياة لا تنطبق على طباعه فاختبر اعمالًا اخرى ثمّ عاد الى فرنسة وطنه وتحقّق ان الله يدعوهُ الى العيشة النسكيّة بين المسلمين في افريقيّة فقبل الكهنوت وابحر الى المغرب ومنهُ الى نواحي الصحراء بين القبائل المتفرّقة في تلك الجهات. فابتنى لهُ كوخًا وانقطع الى الصلاة واجتهد في الاحسان الى القبائل الساكنة هناك فكان المسلمون يتردّدون اليهِ ويصغون الى تعاليمهِ ويعدّونهُ كاحد اولياء الله. وبقي على هذه العيشة الشظفة بضع سنين الى ان قُتل بتكيدة بعض العادين للفرنسويين في غرّة كانون الاوّل سنة ١٩١٦. لكنّ ذكرهُ لم يَمُت وهو الى اليوم موضوع اعجاب اهل الصحراء. وقد ذكر لهُ المسيو بازن عدّة رسالات يحرّض فيها مواطنيهِ على السعي ببثّ روح التمدّن والدين بين اهل تلك البلاد

الاب جبرائيل لوشك

M. Fallex : Nouvel Atlas Classique 1921, Un vol. in-8°. 76 cartes, 33 cartons., *Paris, Delagrave. Prix cartonné* 15 *f*° + *majoration* 25%

اطلس مدرسي لسنة ١٩٢١

ليس هذا الاطلس مجموع خارطات قديمة محوّرة بعض التحوير. لكنّهُ تأليف جديد من كل وجوههِ يحتوي ما عدا الخرائط الجغرافيّة عدّة فوائد لتعريف البلاد واختلاف الساعات والاقيسة البحريّة وسرعة سير السفن وكميّة محمولها. وقد لحظنا انّ للمؤلف ميلًا للعلوم الجيولوجيّة فربّما اتّسع في المعلومات عن طبقات الارض دون سبب كافٍ وكان الاولى ان يخصّ نظره بوجه الارض وهيئاتها الخارجة. وعلى كلّ حال نقرّ بانّ هذا الاطلس اجود ما طُبع بعد الحرب لا يستغني عنهُ المدرس في دروسهِ الجغرافيّة. ولسوريّة خارطة مفردة مصغّرة الى حد ٩٠٠٠٠٠٠ وبالنسبة الى الخارطة العموميّة يبلغ تصغيرها الى حدّ ٢٤٠٠٠٠٠٠ ج. ل

Berthe Georges-Gaulis : Le Nationalisme turc. 1 *vol. in*-16, *Paris, Plon, Prix* 5 *f*°.

العصبيّة التركيّة

هو كتاب ظهر مؤخرًا ويدخل في مجموع تآليف أخرى عنوانها « المشاكل

الحاضرة » . وكل يعرف ما في المسئلة التركية من المشكلات. فمؤلف هذا الكتاب يختصر بنظر عام ووصف حيّ ما طرأ على تركية من التقلبات منذ نهاية الحرب الى الساعة الحاضرة. وقد اتسع بالاخص في تعريف حركة مصطفى باشا كمال من اصلها حيث تحصّن في انقرة وجمع فيها قواته لمحاربة اليونان فخلّص تركية من مأزقها الحرج وخوّلها مقاماً جديداً تحسب الدول حسابهُ . على انهُ في حكم المؤلف عن عصبية الامم الاسيوية بعض المبالغة لا نظنّ انّ القرّاء يوافقونهُ عليهِ ج . ل

Gaudefroy-Demombynes : LES INSTITUTIONS MUSULMANES, Paris, E. Flammarion, in-16, pp. 192. Prix, 4 f. 50

وضائع الاسلام

كنّا ننتظر بعد التآليف الحسنة التي وضعها المستشرقون منذ خمسين سنة انّ المؤلف يأتينا بخلاصة ادقّ واضبط . فانّ اسانيدهُ التي اعتمد عليها ضيقة النطاق. وكأنهُ لم يطّلع على ما نشرهُ الدوق كاتاني وعلى ابحاثنا في مجموع مكتبنا الشرقي . وهو على خلاف ذلك يثني على مصنفات مهملة عتيقة كمعجم هيوس (Hughes) وتعريبات بربيه دي مينار . ومن نقائص الكتاب طريقتهُ المتذبذبة غير الثابتة في تمثيل الالفاظ العربية . ولذلك لم يوافق المستشرقين على طريقتهم في تنقيط الاحرف الاوربية لتصوير احرف الهجاء العربية مدّعياً انّ تلك الطريقة لا تنطبق على اصول العلم (ص١٢) . وكفى هذه الطريقة فائدةً انها راهنة مقرّرة . وقد استحسنّا في الكتاب ما رواهُ عن اخلاق اهل المغرب وعاداتهم الشرعية والدينية كصوم رمضان وحجاب النساء (ص٣٥) . وبالاجمال انّ المؤلف اعتبر خصوصاً الدين الاسلامي في اهل المغرب. ومما يجب اصلاحه قولهُ عن وجود النصيرية في لبنان (ص ٣٥) وعن سبب تسمية زعيم البهائيين بالباب اي الامام الخفي (ص٣٩) . وكذلك (ص ٨٠) ليس في مكّة جبل احمر . وليس (ص ٨١ و ١٠٠) المحمل المرسل سنوياً الى مكة صورة عظمة صاحب الدولة. وهذا لعمري تصوّر غريب . وقد فاتهُ انّ الملك حسين بعد تجارب شتّى لم يعد يفكر في نسبة الخلافة الى شخصهِ (ص١٠٢ و ١٣٧) . ومما احسن بقولهِ انّهُ ليس موافقة بين سلطة الخلفاء والسلطة البابوية لكنّهُ شطّ بزعمه انّ سلطان الاتراك نال الخلافة من ضابطها في القرن الخامس عشر . ومن المعلوم انّ ذلك

يكن وقوعه قبل فتح الاتراك لمصر اعني السنة ١٥١٧ . وقد اثبت غيرنا ان ما روي من تخلية تلك السلطة للاتراك لا صحة لها الاب ه . لامنس

Ed. G. Browne: ARABIAN MEDICINE, being the FitzPatrick Lectures delivered at the College of Physicians (1919-1920). *Cambridge, at the University Press*, 1921, *pp.* 138

الطب العربي

قد احسن جناب الاستاذ ادورد برون اذ اتخذ لمحاضراته في مدرسة كمبردج الملكية الطبية الكلام عن الطب العربي . والحق يقال ان العرب على اختلاف اديانهم وبلدانهم قد ادوا للطبابة خدماً مشكورة وصفها ابن النديم في الفهرست وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء وغيرهم فاجتنى المستر برون من تلك الحدائق كثيراً من جناها الطيب وعرضه على طالبي الطب في جامعة كمبردج . فلا نشك انها وقعت في قلوبهم احسن موقع مع ما اضاف اليه الخطيب من معلوماته الواسعة من تاريخ العجم . ولم يشأ ان يحرم من فوائد محاضراته الاربع من لم يسمعها فنقلها بالطبع وزاد عليها فهرساً على طريقة حروف المعجم يشتمل على سائر مضامينها ل . ش

Capitaine Pitance: Méthode pratique pour l'étude de l'arabe parlé. Vol. in-8° pp. 122, 1901. Prix cartonné 4f.

طريقة سهلة لتعليم اللغة العامية الدارجة

وضع هذا الكتاب لفائدة الفرنسويين في مراكش وانحاء المغرب . فجمع صاحبه الكبيتان بيتانس الجمل والعبارات التي يحتاج اليها المسافر الى تلك الجهات ومثل لفظها بحروف اوربية مع تفسيرها الحرفي والمعنوي . واضاف اليها قصصاً رواها على المنوال ذاته . على ان هذا التأليف لا يوافق العربية الدارجة في سورية والافضل لذلك ترجمان المرحوم يوسف حنوش ل . ش

وصف فرنسة

زراعتها وصناعتها وتجارتها ومستعمراتها المغاربة

بقلم يوسف ابي كرم الدرماني . مطبع في رباط سنة ١٩٣١ (ص ٢٩٢)

هذا تأليف احد بني اوطاننا المقيمين في مراكش في خدمة الدولة الفرنسوية

نشرهُ اوّلاً تباعاً في جريدة السعادة المغربيَّة فوقع لدى اربابها موقع الاستحسان فقرَّرت ادارة المعارف طبعهُ على نفقتها وتخصيصهُ بمدارسها . ولا غرو فان الكاتب اودعهُ اخصّ ما يحتاج الى معرفته المغاربة ليقدّروا قدْر دولتهم الحامية عنهم المتولّية ترقية بلادهم . فانَّ ثروة البلاد بزراعتها وصناعتها وتجارتها وفرنسة ممتازة في كلّ ذلك لوجودها في تربتها ما يغنيها ويسدّ حاجاتها . ولها من المستعمرات ما يحسدها عليه كثير من الدول . وقد وصف الكاتب كلّ ذلك بايضاح وحبّ زائد لفرنسة . ولعلّ القارئ يجد في وصفه بعض المغالاة لكنهُ يشفع فيه حبُّهُ للدولة الافرنسيَّة وشكره لها عمّا نال وطنهُ من سابغ نعمها . والكتاب متقن الطبع حروفهُ من مطبعتنا

اوراق منشورة

نشرة اسبوعيَّة بادارة الآباء المرسلين البولسيين . السنة الاولى

طُبعت بمطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢١

هذا اثر جديد من غيرة الآباء البولسيين ومحبّتهم لخير النفوس جعلوا مطبعتهم رسولاً يبثّون صوتهُ حيث لا تبلغ مواعظهم الخلاصيَّة فنشروا هذه الاوراق الاسبوعيَّة كالبذر الصالح يلقونهُ في كلّ تربة فلا بُدَّ ان يأتي بعضهُ بثمرة شهيَّة اذا وجد ارضاً جيّدة . فنوصي اصحاب الفضل والغيرة على خلاص القريب ان يوزّعوا هذه الاوراق طاقة جهدهم على كل المعارف لاسيَّما الذين يرونهم بعيدين عن الدين او المتهاملين في امر نفوسهم ل . ش

عبد البهاء عبَّاس والديانة البهائيَّة

بقلم جميل البحري صاحب المكتبة الوطنيَّة ومجلة زهرة الجميل

طبع في حيفا سنة ١٩٢١ (ص ١٢)

توفي في حيفا في ليلة ٢٧—٢٨ من ت ٢ زعيم الشيعة البهائيَّة عبد البهاء عبَّاس ثاني خلفاء علي محمَّد منشئ النحلة البابيَّة الذي قُتل بامر شاه العجم في ٨ تموز سنة ١٨٥٠ فخلفهُ مرزا حسين علي نوري المعروف ببهاء الله الذي مات منفيًّا في عكّا في

٢٩ أيار سنة ١٨٩٢ فقام في الدعوة البابيَّة ابنهُ عبَّاس الذي دعا نفسهُ بعبد البهاء وهو المتوفَّى آخرًا. فاختصر جميل افندي البحري منشئ مجلة زهرة الجميل سيرتهُ وذكر ما نال من الاكرام في جنازته. ثمَّ روى شيئاً عن مذهب البابيين الذين حاولوا اصلاح الدين الاسلاميّ واخذوا بعض تعاليم النصرانية وقصدوا الجمع بين كلّ الاديان لنشر السلم العام. ولهم مزاعم غريبة اتسع في شرحها كثيرون من الكتبة لاسيما الاستاذ الانكليزي ادورد ج. برون ل. ش

شذرات

﴿سفر نشيد الاناشيد﴾ نشرت جريدة الهدى فصلاً نقلتهُ عنها جريدة البرق في ما كتبهُ احد علماء البروتستانت المستر جسترو المتوفَّى حديثاً عن سفر نشيد الاناشيد فرونا عنهُ بعض اقواله عن مؤلف هذا السفر وعن محتوياته. فتعجَّبنا كيف يستند هؤلاء الكتبة الكاثوليك الى مزاعم بعض البروتستانت الذين جحدوا كلّ ايمان ونبذوا كلّ وحي فينقلونها على علاتها وهم لا يعرفون غثَّها من سمينها وباطلها من يقينها كأنَّهم اذا ارادوا ان يقفوا على حقائق الامور لا يمكنهم ان يجدوها عند علماء الكاثوليك الذين لم يدعوا كبيراً ولا صغيراً دون ان يبحثوا فيه بحثاً مدقَّقاً. وهذا السفر نشيد الاناشيد سواء كان لسليمان او لغيره من الانبياء هو من الاسفار المقدَّسة الرمزيَّة وهو احقّ من غيره ان لا تمسَّهُ الَّا يدٌ طاهرة وقلب عفيف لئلَّا تشوَّه معانيه السامية والغامضة معاً فتتحوَّل الى خلاف ما قصدهُ الله من فائدتها الروحيَّة. فلتراجع المقدِّمة التي وضعت في ترجمتنا لهذا السفر المقدَّس

﴿نيزك جديد﴾ في يوم السبت ختام السنة عند العصر نحو الساعة الثالثة بعد الظهر شاهد البعض فوق المدينة مظهراً جويّاً لم يلحظهُ الكثيرون لغلبة نور النهار عليه. فعاينوا نيزكاً ملتهباً انفجر باحتكاكه في الهواء فسُمع لهُ كصوت مدفع قويّ. وسقط النيزك متحطِّماً فوقعت منهُ قطعة كبيرة بحجم الابريق على جملون كليتنا جنوبي خزانة الثياب فكسرت القرميد والجسر الذي يسندهُ وسقطت على الخشب الذي تحتهُ فدخلت فيه وطار منها قطع صغرى حولها وذلك بدويّ عظيم ادهش السامعين فلمَّا اسرعوا الى معاينته وجدوهُ حامياً كالنار. أمَّا منا هي هذه النيازك

٢٩ أيار سنة ١٨٩٢ فقام في الدعوة البابيَّة ابنهُ عبَّاس الذي دعا نفسهُ بعبد البهاء وهو المتوفَّى آخرًا. فاختصر جميل افندي البحري منشئ مجلة زهرة الجميل سيرتهُ وذكر ما نال من الاكرام في جنازته. ثمَّ روى شيئاً عن مذهب البابيين الذين حاولوا اصلاح الدين الاسلاميّ واخذوا بعض تعاليم النصرانية وقصدوا الجمع بين كلّ الاديان لنشر السلم العام. ولهم مزاعم غريبة اتسع في شرحها كثيرون من الكتبة لاسيما الاستاذ الانكليزي ادورد ج. برون ل. ش

شذرات

﴿سفر نشيد الاناشيد﴾ نشرت جريدة الهدى فصلاً نقلتهُ عنها جريدة البرق في ما كتبهُ احد علماء البروتستانت المستر جسترو المتوفَّى حديثاً عن سفر نشيد الاناشيد فرونا عنهُ بعض اقواله عن مؤلف هذا السفر وعن محتوياته. فتعجَّبنا كيف يستند هؤلاء الكتبة الكاثوليك الى مزاعم بعض البروتستانت الذين جحدوا كلّ ايمان ونبذوا كلّ وحي فينقلونها على علاتها وهم لا يعرفون غثَّها من سمينها وباطلها من يقينها كأنَّهم اذا ارادوا ان يقفوا على حقائق الامور لا يمكنهم ان يجدوها عند علماء الكاثوليك الذين لم يدعوا كبيراً ولا صغيراً دون ان يبحثوا فيه بحثاً مدقَّقاً. وهذا السفر نشيد الاناشيد سواء كان لسليمان او لغيره من الانبياء هو من الاسفار المقدَّسة الرمزيَّة وهو احقّ من غيره ان لا تمسَّهُ الَّا يدٌ طاهرة وقلب عفيف لئلَّا تشوَّه معانيه السامية والغامضة معاً فتتحوَّل الى خلاف ما قصدهُ الله من فائدتها الروحيَّة. فلتراجع المقدِّمة التي وضعت في ترجمتنا لهذا السفر المقدَّس

﴿نيزك جديد﴾ في يوم السبت ختام السنة عند العصر نحو الساعة الثالثة بعد الظهر شاهد البعض فوق المدينة مظهراً جويّاً لم يلحظهُ الكثيرون لغلبة نور النهار عليه. فعاينوا نيزكاً ملتهباً انفجر باحتكاكه في الهواء فسُمع لهُ كصوت مدفع قويّ. وسقط النيزك متحطِّماً فوقعت منهُ قطعة كبيرة بحجم الابريق على جملون كليتنا جنوبي خزانة الثياب فكسرت القرميد والجسر الذي يسندهُ وسقطت على الخشب الذي تحتهُ فدخلت فيه وطار منها قطع صغرى حولها وذلك بدويّ عظيم ادهش السامعين فلمَّا اسرعوا الى معاينته وجدوهُ حامياً كالنار. أمَّا منا هي هذه النيازك

المركّبة غالباً من الحديد والكربون وما هو اصلها وكيفيّة سقوطها على ارضنا فكلّ ذلك قد بحث فيه حضرة الاب سبستيان رتزفال في السنة الاولى من المشرق (١٨٩٨ ص ٤٩—٥٣) فنحيل القرّاء الى ذلك الفصل اللطيف

﴿مدافن ملوك الحبشة﴾ قد توفّقت احدى الجمعيّات الاثريّة في السودان في موقع يُعرف بالكروه الى اكتشاف مدافن الحبشة من السلالة السليبيّة الراقي اصلها الى القرن الثامن قبل المسيح . فوجدوا قبورهم مع تاريخ وفاتهم وذلك منذ السنة ٧٥٠ الى ٢٥٠ قبل المسيح

﴿صيد كلب البحر﴾ كلاب البحر (Requins) آفة كبيرة على السابحين فانّهم ربّما اقتربوا الى السواحل ليطلبوا لهم قوتهم من نفايات المدن الساحليّة والمراكب الراسية فيها وان وجدوا سابحاً فتكوا به وافترسوه . وفي بحرنا الشامي افرادٌ منهُ فيحتذرهُ الصيّادون ولا يرغبون في اصطيادهِ لتفاهة لحمهِ وللخطر على قواربهم من هجومهِ عليها وقلبها . وقد وجد الاميريكيّون انّ جلدهُ المتين افضل من سواهُ للاحذية والنعال . وكانوا اختبروا متانتهُ سابقاً الّا انهم لم يتوفّقوا الى استحضارهِ وتليينهِ ودبْغهِ واليوم قد تمكّنوا من ذلك فتألّفت شركات لاصطياد هذه الكلاب في البحار الاميريكيّة وبذلك ادّوا خدماً مشكورة لركّاب البحر لمقابلة هذا الحيوان الضارّ وافادوا الصناعة باكتشاف جديد نافع . ومنهم من يستخرج من هذه الكلاب زيتاً لتنظيف الاوانل . ويتّخذ من اعصابها اوتاراً للموسيقى فترى انّ اشدّ الحيوان شراسة وعداء للمرء قد جعل الله فيهِ منافع للانسان

هدايا ارسلت

١ حزب العمّال في دولة لبنان الكبير : البروغرام والقانون الاساسي . بيروت سنة ١٩٢١

٢ برنامج جمعيّة تثقيف الفقير العموميّة بادارة اخويّة اهل سيدة البحري من السنة السنة الثامنة في حلب

٣ الموجز في علم الموائيق لفيليب افندي عزيز بالافرنسيّة Précis du Statut Successoral Musulman, *Le Caire, 1921*

٤ لائحة الاخاء الاسلامي بالافرنسيّة La Fraternité Musulmane, *Statuts de l'Association., Paris*

٥ لائحة مكتبة بكسهيل الكاثوليكيّة (راجع المشرق ص ٩٨ من السنة المنصرمة) بالانكليزيّة The Bexhill Library

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الكهنة الافاضل في الاثر ما هو سبب الاختلاف في تعريب الآية السابعة من الفصل ٣٤ من تثنية الاشتراع. ففي الترجمة اللاتينية وغيرها ورد عن موسى «إنّ عينيهِ لمّا مات لم تكلّا ولم تتحرّك لهُ سنّ» وفي ترجمتنا العربيّة ورد: «حين مات لم يكلّ بصرهُ ولم تذهب نضرتهُ»

الاختلاف في تعريب احدى آيات سفر تثنية الاشتراع

ج انّ هذا الاختلاف ناجم عن شكوكهم في معنى اللفظة العبرية «لح» (לח) فان القديس ايرونيموس اخذها بمعنى اللحي او الفكّ فظنها انها اشارة الى اسنانه. ففي طبعة رومية سنة ١٦٧١ التي تبعتها طبعة لندن سنة ١٨٤٨ : «كان موسى اذ مات ولم تثقل عيناه ولم تحترك اسنانهُ». وهكذا ايضاً بالترجمة السريانيّة البسيطة «ܦܟܝܗ» (فكّهُ). وفي الترجمة السبعينيّة χελύνα اي شفاههُ. والرأي الغالب اليوم هو ان للفظة לח معنى آخر وهو البهاء والقوّة والنضارة وعلى هذا المعنى جرت الترجمة الاميركانيّة «لم تكلّ عينهُ ولم تذهب نضارتهُ» ومثلها ترجمتنا «لم يكلّ بصرهُ ولم تذهب نضرتهُ». وتوافق الترجمة الكلدانيّة القديمة هذا المعنى

س وسأل احد الكتبيين ا. ك. ١ً ما رأينا في كرّاسة تدعى «مناجاة سيّدنا عيسى» مطبوعة في «مطبعة صادر» ٢ً ماذا نعرف عن الشيعة البابيّة او البهائيّة

مناجاة سيّدنا عيسى بالشيعة البابيّة او البهائيّة

ج مناجاة سيّدنا عيسى من المصنّفات الحديثة التي يتناقلها بعض عوامّ المسلمين ومثلها «مناجاة موسى» وغير ذلك ممّا يضعهُ بعض الدراويش المتصوّفين ولا صحّة لهُ. وعيسى هناك يُعتبر كاحد الانبياء الذي يلقنهُ الله تعالى بعض التعاليم الروحيّة والادبيّة. وفي الكريرسة ايضاً عدّة مواعظ منسوبة الى السيّد المسيح كثير منها منقول عن الاناجيل مع زيادات لا يعوّل عليها. امّا الشيعة البابيّة او البهائيّة فاطلب ما قيل عنها انفاً (ص ٧٧)

ل.ش

خطبٌ جسيم

فجأةً في صباح الاحد في ٢٢ كانون الثاني على بغتةٍ بل ألمَّ فورًا بالكنيسة جماء بل تضعضعت لهُ اركان المعمور. فصرخ الجميع عند ورود هذا النبإ الاليم : كيف تصرَّعت الجبابرة ؟ (٢ ملوك : ١ : ١٩) : كيف انطفأ نور العالم ؟ كيف توارى المبارك الآتي باسم الربّ

بندكتوس الخامس عشر

ما لك يا موتُ فجعتَنا بهذا المصاب الجلل ؟ فهبهات ان

تكون وجدت في زعيم احبارنا شائبةً تناقشُهُ عنها الحساب. فأراك حسدتنا على ما اتانا عن يدهِ من النعم البالغة والالطاف السابغة التي افاضها على لفيف المجتمع البشري مدَّة سبع سنوات بنيف فرأيتنا غير اهلٍ لمثلهِ حبرًا ورئيسًا ومحسنًا! او بالحري كاني بك تقول بلسان حالك: رأى الله ان يعجّل مكافأة نائبهِ على الارض عن وفرة حسناتهِ ويُجزل ثوابهُ لعبدهِ الامين الصالح عدادَ مبرّاتهِ بعد ان لطَّف على البشريَّة تلك النكبات القاصمة التي دهمتها في الحرب الكونيَّة ومهَّد لها السبيل لاعادة الصلح بين الامم. فأمكنهُ ان يُقرئ العالم الوداع كسمعان الشيخ قائلًا: أطلق يا ربّ عبدك بالسلام لأنَّ عينيَّ قد ابصرتا خلاصك

فاذهب بسلام أيها الحبر الجليل فليس اسفنا عليك وانت اليوم ساكن الجنان جالس في دار الخلود على عرش اجلّ واثبت من عرشك السامي على الارض مزين هامتك اكليل مثلَّث ابهى من التاج البابويّ ضفرَتهُ لك اعمالك المجيدة. فاهنأ بهِ الى مدى الدهور في مقرّ الابرار

وانَّما اسفُنا على نفوسنا اذ فقدنا بك ابًا حنونًا ودليلًا امينًا وراعيًا صالحًا ومحاميًا باسلًا ينتصر للمظلوم على الظالم وللصغير على الكبير ولكلّ حق على كل باطل

ولعمري يحقّ للجميع ان يفزعوا افقدهِ الصدور ويذرفوا عليهِ

الدموع وقد شملت الجميع عوارفهُ سواء كانوا من ابناء الكنيسة التي قلّد تدبيرها او كانوا من الاجانب خارجاً عنها كأنهُ رأى نفسهُ على سامي عرشهِ مديناً الجميع

نعم انَّ ملكهُ كان قصيراً بالنسبة الى اسلافهِ الاحبار الذين سبقوهُ وكان أملنا عظيماً ان نتمتَّع زمناً طويلاً بحسن رعايتهِ فزاد أسفنا على وفاتهِ لاسيما اذا اعتبرنا ما خلَّف من المآثر العديدة في تلك الاعوام القليلة . فلم يدع يوماً يمرُّ عليهِ دون ان تتدفَّق مبرَّاتهُ على بعض انحاء المسكونة دانيها وقاصيها

وان خصصنا بالذكر شرقنا العزيز وجدنا من آيات فضلهِ علينا ما يرطب لساننا حمداً ويفعم قلبنا شكراً لقداستهِ . فكم لهُ من الايادي البيضاء على كلّ طائفة من طوائفنا . فانهُ فتح في رومية ذاك المكتب الحبري الفخيم لدرس طقوس الشرق وتواريخهِ ولغاتهِ وآثارهِ الدينيَّة ودعا اليهِ الاخوة المنفصلين رجاء أن تزول الاوهام واسباب الشقاق بتقرُّب القلوب

شكَّل في قصر الواتيكان لجنةً خاصَّة تهتمُّ بشؤون الشرقيين وتسهِّل لهم المعاملات مع الكرسيّ الرسولي واراد ان يكون هو بنفسهِ رئيسها

واصلَ الصدقات المتواترة الى كل المبؤوسين في انحاء الشرق وخصوصاً الى المنكوبين من الارمن والموارنة والروسيين . انشأ المدارس الاكليريكيَّة في رومية العظمى لتهذيب

الاكليروس الشرقي وتكرّم ببعض المعاهد والكنائس لخدمة ارباب الشرق . اعلن بلفنة احد كبار علمائهم القديس افرام السرياني

دافع بكل جرأة وشهامة عن حقوق ابناء الشرق واحتجّ على ما نالهم من المصائب باللسان والقلم في مجمع الكرادلة ولدى الملوك وعصبة الأمم

وقد اوردنا في العدد السابق تأثير اعمال بندكتوس الخامس عشر في قلوب المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكيّة انفسهم حتى ارادوا ان يقيموا على نفقتهم في عاصمة الاتراك تمثالهُ الجليل ينطق على مدى الايّام عن شكرهم لذاك الذي دعوهُ برسول السلام والمحسن الى عموم الملل الشرقيّة . وايمُ الله ان تلك المأثرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ النصرانيّة

واليوم بعد ان رُزئنا بوفاتهِ فليوافِ الجميع الى ضريحهِ ويبلّوهُ بدموع الشكر والاسف . فليبكهِ الصغار والايتام الذين فتح لهم كنوز جودهِ وسخائهِ لتضميد جراحهم . فليبكهِ المتصوّرون بالمجاعة الذين وجدوا فيهِ عمّاً كريماً كيوسف في مجاعة مصر . فليبكهِ الالوف من الاسرى الذين فكّ اغلالهم وانقذهم من الموت الاحمر بتوسّطهِ لدى ذوي السلطان . فليبكهِ المظلومون الذين عهدوا فيهِ ناصراً همّاماً للدفاع عن بخس حقوقهم . فلتبكهِ الدول جمعاء التي اعدّتهُ كرائد السلام ورسول

الاتحاد بين الامم المتفرّقة . ولتجتمع كلّ القلوب ولترتفع سائر اكفّ الدعاء اليهِ تعالى ليقوم مقامهم في مجازاة ذاك الرجل الالهي والحبر المخلّد الذكر فيكون هو ايضاً لهم عند ربهِ شفيعاً مشفّعاً ويبقى اسمهُ مباركاً مدى الدوران

انّ المنيّةَ لـلانام رزيـنـةٌ وبها بدتْ لك في السماء ممالكُ
فادخل الى افراح ربّك ظافرًا وانعمْ بها ابدًا فانت مباركُ

الوقائع الدينيّة في السنة ١٩٢١

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي

ان كان المتأمل في احوال السنة المنصرمة لا يجد في عالم السياسة ما يقرّ اليهِ نظرهُ فانه والحمد لله يلقى في عالم الدين امورًا ينظر اليها بارتياح فيتحقّق ان الدين هو الركن المتين الذي لا تدحضهُ احوال الزمان

١ اوربة

رومية والكرسي الرسولي

﴿رومية﴾ هي مركز الدين ونقطة دائرتهِ فلا عجب ان يلوح فيها بكلّ عزّهِ ورونقهِ . فان نائب السيّد المسيح كرقيب جالس على السدّة البطرسيّة ينظر منها اجوال العالم ليتبع ويرشد ويحسم الفساد ويضمّد الجراح ويدعو الامم الى الصلاح . ومن يطّلع على اعمال الكرسيّ الرسولي التي نشرتها المجلّات الدينيّة الخاصّة يتأكد ان رئيس الكنيسة لا يفوتهُ شيءٌ من حاجات العصور تغلب سياستهُ الروحيّة على سياسة اهل العالم الغليطين لأزمّة تدبيرهِ . ولذلك ترى معظم الدول تجعل لها لدى الفاتيكان سفراء وممثلين لا غنى لها عنهم في تدبير شؤونها الداخليّة والخارجيّة . وقد بلغ عددهم في هذه السنة المنقضية ٣٢ يمثلون ٣٢ دولة كاثوليكيّة وغير كاثوليكية كلها في حاجة الى شيخ الفاتيكان لتفصل مشاكل هيئة تجعل كلّ يوم في بلادها لا يستطيع بتّها غيرهُ

الاتحاد بين الامم المتفرّقة . ولتجتمع كلّ القلوب ولترتفع سائر اكفّ الدعاء اليهِ تعالى ليقوم مقامهم في مجازاة ذاك الرجل الالهي والحبر المخلّد الذكر فيكون هو ايضاً لهم عند ربهِ شفيعاً مشفّعاً ويبقى اسمهُ مباركاً مدى الدوران

انّ المنيّةَ لـلانام رزيـنـةٌ وبها بدتْ لك في السماء ممالكُ
فادخل الى افراح ربّك ظافرًا وانعمْ بها ابدًا فانت مباركُ

الوقائع الدينيّة في السنة ١٩٢١

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي

ان كان المتأمل في احوال السنة المنصرمة لا يجد في عالم السياسة ما يقرّ اليهِ نظرهُ فانه والحمد لله يلقى في عالم الدين امورًا ينظر اليها بارتياح فيتحقّق ان الدين هو الركن المتين الذي لا تدحضهُ احوال الزمان

١ اوربة

رومية والكرسي الرسولي

﴿رومية﴾ هي مركز الدين ونقطة دائرتهِ فلا عجب ان يلوح فيها بكلّ عزّهِ ورونقهِ . فان نائب السيّد المسيح كرقيب جالس على السدّة البطرسيّة ينظر منها اجوال العالم ليتبع ويرشد ويحسم الفساد ويضمّد الجراح ويدعو الامم الى الصلاح . ومن يطّلع على اعمال الكرسيّ الرسولي التي نشرتها المجلّات الدينيّة الخاصّة يتأكد ان رئيس الكنيسة لا يفوتهُ شيءٌ من حاجات العصور تغلب سياستهُ الروحيّة على سياسة اهل العالم الغليطين لأزمّة تدبيرهِ . ولذلك ترى معظم الدول تجعل لها لدى الفاتيكان سفراء وممثلين لا غنى لها عنهم في تدبير شؤونها الداخليّة والخارجيّة . وقد بلغ عددهم في هذه السنة المنقضية ٣٢ يمثلون ٣٢ دولة كاثوليكيّة وغير كاثوليكية كلها في حاجة الى شيخ الفاتيكان لتفصل مشاكل هيئة تجعل كلّ يوم في بلادها لا يستطيع بتّها غيرهُ

والحقّ يقال انّهُ لا تجري في العالم مسألة حيويّة الّا وللحبر الاعظم فيها السهم الافوز . فهذه مناشيرهُ في العام الماضي كلّها تُعرب عن سموّ افكارهِ وارتفاع عقلهِ فوق الارضيّات وتوجيهِ نظر العالم الى الحقائق الدينيّة وتقديس النفوس ونشر الفضائل المسيحيّة والآداب الاجتماعيّة كمنشوريه عن الرهبانيّتين الثالثيّتين الفرنسيسيّة والدومنيكيّة ومنشورهِ في شركة الميتة الصالحة ونوال نعمتها بفضل الذبيحة المقدّسة ومناشيرهِ في اعلان قداسة بعض أولياء الله ورذل بعض التعاليم الفاسدة وبرآءاتهِ الى الاساقفة ورسالاتهِ الى ارباب الدول والى جمعيّة الامم والجمعيّات المختلفة لاسعاف المنكوبين واليتامى والضعفاء

وهذه خطبهُ الرسميّة التي فاه بها في بعض مواسم السنة الماضية وفي اجتماعات الكرادلة يُعلن بها سرورهُ لِما تلقاهُ الكنيسة في العالم من المساعدات لبلوغ غايتها من خلاص النفوس واسفهُ على خلاف ذلك لما تجدهُ من العقبات في سبيل مساعيها الشريفة لخير الشعوب . وربّما احتجّ على ما يراهُ مخالفاً للدين مخلّاً بالآداب ضارّاً بالهيئة الاجتماعيّة

وما تولنا بنفوذ الحبر الاعظم لدى المؤتمرات الكاثوليكيّة التي بلغت في هذه السنة تيفاً وثلثين كلّها تسترشد لاشارة الحبر الروماني وتستمدّ من انوارهِ

ومثل هذا النفوذ تنظيم الرسالات الكاثوليكيّة في كلّ انحاء المعمور وفي اقاصي الدول . فانّ لخليفة هامة الرسل بهذه الرسالات فعلاً عجيباً تظهر مفاعيلهُ الحسنة كلّ يوم لدى القاصي والداني . وقد سُررنا بما جُمع في العالم من الاكتتابات الاختياريّة لنشر الدين ولسعاف المرسلين فبلغ ذلك المجموع في السنة ١٩٢٠ نيفاً و ١٩ مليوناً من الفرنكات نالت فيهِ السبق الولايات المتّحدة التي انافت محصولات اكتتاباتها عشرة ملايين . ثمّ فرنسة التي تبرّعت باربعة ملايين من الفرنكات مع ما اصابها من النكبات لسبب الحرب

ولم يفُتْ نظر الحبر الاعظم ما يرقّي العلوم وينشّط المعارف . لنا على ذلك ادلّة مختلفة كمنشورهِ في تذكار المئة السادسة لوفاة الشاعر الايطالي دنتي الشهير . وكرسالتهِ الى اللجنة المهتمّة بنصب تمثال الموسيقي المايفة بالبترينا . وكاهتمامهِ في توسيع نطاق المعهد الحبري الشرقيّ لدرس العلوم الشرقيّة وتواريخ الكنائس الشرقيّة ولغاتها

وطقوسها وهو المهد الذي يبني عليه قداسته طيب الآمال لتقريب القلوب بين الملل الشرقيَّة والكنيسة الغربيَّة. ولا ينسى الارمن ما نسوا رسالة الحبر الاعظم الى مصطفى كمال ليستعطفهُ لاجل النصارى عموماً ولاجلهم خصوصاً

وقد رقَّى قداستهُ في شهري اذار وحزيران تسعة كرادلة جدد من دول مختلفة منهم اربعة ايطاليُّون واسبانيَّان واميركيّ واحد ورئيسا اساقفة كولونية الالماني ومونيخ البافاري

الدول الكاثوليكية

﴿ فرنسة ﴾ قد شمل الفرح بنت فرنسة البكر لاستئناف اربابها العلائق الرسميَّة مع الكرسي الرسولي فتوسَّم الجميع الخير والبركة للدولة التي طالما استمدَّت عزَّها وقوَّتها باتحادها مع الكنيسة وقد اظهر رئيس الجمهوريَّة المسيو ميلران ورئيس الندوة المسيو ارستيد بريان في تأييد سياستهما هذه السلميَّة من حسن النظر وصواب الرأي ما استجادهُ كلّ من لم تعمِ بصيرتهِ الاوهام

ومن عجيب الاتفاقات انَّ ذاك الذي كان سبب قطع هذه العلائق مع الفاتيكان الماسونيّ اميل كومب توفي في هذه السنة في ١٥ ايار بينما كان مجلس العموم يُعنى بالقاء تقاريرهِ المدانيَّة معلناً بسوء سياستهِ

وكان اوَّل من تعيَّن كسفير دولتهِ لدى الكرسيّ الرسوليّ المسيو جونار الذي رُحب بهِ امام الاحبار واستبشر باعتدال سياستهِ. وفي ١٦ تموز باشر المنسنيور سيربتي باتمام مهمتهِ في باريس كممثل الفاتيكان بعد ان قدَّم لرئيس الجمهوريَّة الاوراق المؤذنة بتعيينهِ لهذا المنصب وتلطَّف الرئيس مثنياً على سيدهِ قداسة البابا الذي اختارهُ لهذه المهمَّة

وقد شعرت الماسونيَّة ان عود فرنسة الى توثيق عُرى الوفاق مع رومية ضربة لازبة على سياستها الكفريَّة فأرغى اصحابها وازبدوا في مؤتمرهم السنوي الذي عقدوهُ في باريس في العشر الاخير من ايلول واظهروا بخطبهم انهم مستعدون لتضحية كلّ صوالح الوطن على مذبح بغضهم للكنيسة

ومما يُعدّ انتصاراً للدين في فرنسة اقامة الدولة عيداً رسمياً لعذراء اورليان

القديسة جان دارك مشى في حفلاته الباهرة لاوّل مرّة ارباب الدين والدنيا معاً ممتزجين امتزاج الماء بالراح . وقد شارك السوريّون الدولة المنتدبة في افراحها وحضر الجمّ الغفير الرتب الدينيّة والمظاهر المدنيّة التي جرت في ذلك النهار في ظهرانيّا وفي عدّة مدن وقرى بلادنا

وكان للدين الكاثوليكي في ايّام لتذكار السنة المئة لوفاة الامبراطور نابوليون اوفى نصيب بحفلات دينيّة غاية في الرونق أُقيمت في كنيسة نوتر دام في باريس بايعاز الكردينال دوبوا حضرها ارباب الحكومة وكبار عمدة الجيش من مارشاليّة وقوّاد وضبّاط . وكانت الاغاني الدينيّة والالحان الكنسيّة والنوبات الموسيقيّة تأخذ كلها بمجامع القلوب وقد خطب خطبة بليغة جدًّا في محامد نابوليون الاب هينوك احد رجال الدين المتازين في خدمة الجيوش

وكذلك احتفل الكاثوليك بالتذكار المئوي لوفاة ذاك الكاتب العظيم جوزف دي مستر الذي شرّف زمانهُ بتآليفهِ العديدة التي لا تزال حتّى يومنا هذا موضوع اعجاب اهل الدين وارباب الاقلام كاد يبلغ في بعضها مبلغ الوحي والالهام . منها كتابهُ في البابا وكتابهُ في فرنسة ومُسامراتهُ البطرسبورجيّة اصاب فيها جميعاً سويداء الحق

ومما دلّ في هذه السنة ايضاً على نموّ النهضة الدينيّة في فرنسة عدّة مؤتمرات عقدها الكاثوليك في ازمنة ومدن مختلفة لاسيّما باريس وليون كمؤتمر الشبيبة الفرنسويّة ومؤتمر العمّال ومؤتمر الصحافة الكاثوليكيّة ومؤتمر الكتبة الكاثوليك اقبل عليها المؤتمرون بكل غيرة وتداولوا اهمّ الابحاث الدينيّة والاجتماعيّة . وكان لهم مؤتمر لمحاكمة الماسونيّة فأتسعوا في اخطارها على الدين والوطن واثبتوا علاقاتها الخفيّة مع اليهود والبولشفيّة

وقد اعلنت الدولة بفضل كثيرين من الاساقفة والكهنة غير الذين سبق ذكرهم في السنين الماضية قاهدتهم اوسمة جوقة الشرف كالسيّد كيليار اسقف مدينة فريجوس والسيد بُدريليار رئيس كليّة باريس الكاثوليكيّة سابقاً ونيافة الكردينال كبريار رئيس اساقفة مونبليه الذي توفّي بعد ذلك في شهر كانون الاوّل فأسفت عليه فرنسة أسفها على احد كبار اساقفتها . وممّن فقدهُ الدين والوطن معاً رئيس اساقفة رين

الكردينال ديبورغ (٢١ ايلول) واسقف مو السيد مـاربو (٣١ أيار) والمنسنيور شرمتان مدير شركة المدارس الشرقيّة (في تموز)

وقد كرّف الدين بنصب تمثال جميل في مدينة ديجون ذكرًا لبوصويت خطيب فرنسة الشهير في القرن السابع عشر . تكلّفت نفقاته جمعيّةُ العلوم والفنون

﴿ اسبانية ﴾ لملكها الكاثوليكي الفونس الثالث عشر همّة قصاء في تعزيز شؤون مملكته وترقية امورها سواء كان من جهة العلوم والفنون ام من جهة الاداب والدين . وقد تأكد انّ روح الدين وحدهُ يمكنهُ ان يقهر روح الثورة واضاليل الاشتراكية والجمعيات السرّية التي تسعى بخراب كل نظام وتنقض اساس الهيئة الاجتماعية . ومن ثمّ تراهُ مجاهرًا بدينهِ حيثما حلّ في وطنهِ او في البلاد الاجنبية . وكان في العام المنصرم هو المترئس مع حاشيتهِ الحفلات الدينيّة التي جرت في امكنة شتى كتذكار المئة السابعة لتشييد الكنيسة الكاتدرائية الفاخرة في بورغوس وفي تذكار القديس الوطني دومينيك منشيء الرهبانيّة الدومنيكية . واذ بلغهُ انشاء الاباء اليسوعيين في توليدو اخوية لشبان العيال الشريفة المنتظمين في العسكرية طلب من مديرها ان ينظمهُ في سلك ابنائها كعضو بسيط وشرك بها الامير ابنهُ

وقد سبق لنا ذكر زيارتهِ لمصلوب لبياس العجيب فتبيّن صحّة ما رواهُ الالوف من الحضور من ظهور وجه السيد المسيح ممثلًا لكلّ التأثيرات التي تُرى في الاحياء كالحزن والوجع والنفور والرحمة والتخشع . وصرّح بان هذه المظاهر لا يمكن تعليلها بالعلل الطبيعية كما اقرّ غيرهُ من العلماء الاختصاصيين

وممّا شكرهُ لهُ العموم امرهُ بان يُنصب الصليب المقدّس في صدر كلّ مدارس الحكومة

وقد اراد الحبر الاعظم ان يمنح لاسبانية عربونًا عن انعطافهِ ومحبتهِ لها بان رقّى الى منصب الكرادلة ثلثةً من اساقفتها وهم رؤساء اساقفة توليدو وبورغوس وطرّاغونة . ثم ان الكاثوليك الاسبانيين بوجه العموم ذوو ايمان حيّ قد نشطوا في هذه السنين الاخيرة لكل اعمال التقى والغيرة والخير العمومي . وفي العام المنصرم عقدوا المؤتمرات الحافلة التي سعوا فيها لكل مسعى صالح مبرور . وقد اقبل الشعب ايّ اقبال على حضور المراسم الجليلة التي أُقيمت لتذكار المئة الرابعة لارتداد القديس

اغناطيوس . وبادرت كلّ المدن حيثما مرّت ذخيرة جمجمة الرسلة من رومية لتُعرض في وطنه الى ملاقاتها واكرامها

﴿ البورتغال ﴾ لا يبلغنا من احوالها الدينيّة شيء يُذكر منذ بسطت عليها الماسونيّة والثورة حكمهما الثقيل . وانما فقدت بطريركها الجليل الكردينال نيتو بطريرك لسبونة الذي طرده اهل الثورة لمّا قلبوا الهيئة المالكة سنة ١٩١٠ فأوى الى احد الاديرة قريباً من مدريد وهناك توفي في ٧ ك ١ ١٩٢٠ وكان الحبر الاعظم نصبهُ كردينالاً سنة ١٨٨٤

﴿ ايطالية ﴾ نال الكاثوليك فوزاً كبيراً في الانتخابات العموميّة التي جرت في العام المنصرم فبلغ عددهم ١٠٩ مندوبين في مجلس الأمة وقد ظهرت خدمتهم للدولة اذ ساعدوها على كبح اهواء الاشتراكيين وجماح اهل الثورة

وقد ازداد عدد الجمعيّات الكاثوليكيّة العاملة في انحاء ايطالية نخصّ منها بالذكر جماعة الشبيبة الكاثوليكيّة الايطاليّة التي احتفلت في ٣ — ٥ ايلول بعرسها الذهبيّ في ام المدائن . وكان عددهم بالغاً نحو ثلثين الفاً اظهروا شواعر دينهم بكل حماس في كنائس رومية الكبرى وفي شوارعها وقد استقبلهم الحبر الاعظم في جنائن الواتيكان ومنحهم البركة الرسوليّة . وقد حاول الشُرط ان يصدّوهم عن هذه المظاهر فازدادوا تحمّساً وكان الفوز حليف ثباتهم

قد شبّت في ليلة ٢٢—٢٣ النار في مقدس سيّدة لورت الشهيرة فأنتجت حريقاً التهم ما تحتويه من الآثار الجليلة والجواهر الكريمة ولاسيّما صورة السيّدة المكرّمة هناك منذ عدّة اجيال فتلفت كنوز ذلك المعبد الشريف من آنية مقدّسة وحلي ثمينة واعمال فنيّة عزيزة الوجود . فكان لهذا الخبر اسوأ تأثير في قلوب المؤمنين وقد اسرعوا فاكتتبوا ليتلافوا هذه الاضرار ورصد الحبر الاعظم ١٠٠،٠٠٠ فرنك لهذه الغاية

وقد اسفت ايطالية الكاثوليكيّة على فقد احد كبار رجالها ألا وهو الكردينال فرّاري رئيس اساقفة ميلانو الذي أبقى بعده بلديته الاستقنيّة اثرين يخلّدان ذكرهُ من بعده . الاوّل تشييدهُ لمدرسة كليّة جامعة . كان الميلانيّون في اشدّ حاجة اليها فأخذ الكردينال فرّاري على نفسه تحقيق امانيهم . فجاءت تلك الكليّة باهتها ومعاهدها وعلومها ومعلميها شبيهة باكبر كليّات ايطالية . وقد خوّلتها الحكومة

امتيازات جامعاتها الرسمية لتمنح الشهادات مستحقيها وقد تمّ بناء هذه الكلّية منذ عهد قريب فدُعيت كلّية قلب يسوع ودُشنت آخرًا بكل أُبهة بحضور ممثل الحبر الاعظم وعدّة كرادلة واساقفة وارباب الحكومة

أمّا الاثر الثاني فأعمُّ نفعاً وانّما هو بناء عظيم عُني بتشييده الكردينال فراري لايواء العملة والفقراء الذين لا يجدون مأوًى لبيتهم في ميلانو وربّما بلغ عددهم عدّة مئات فجهّز هذا البناء لاولئك المحتاجين وقد اعدّ لهم مناماً فيه الف فراش . واضاف الى ذلك البناء كلّ ما يلزم العملة لراحتهم من مطابخ وحمّامات واعدّ لاولادهم مكاتب يتهذّبون فيها بالدرس ومعامل شتّى يتعلّمون فيها بعض الصنائع . وقد دعا هذا البناء بيت الشعب فيبارك اسمهُ كلّ من اوى اليه منهم

وقد فقدت ايطالية ايضاً الكردينال غوسيني توفّي في ٢٣ آب وكان خلف الحبر الاعظم على كرسي بولونية بعد ان رقي الكردينال دلّا كيازا الى رئاسة الكنيسة العامّة . وكان حظي برتبة الكردينالّ منذ السنة ١٩١٥

وتوفّي في شهر نيسان الكاتب الروائي الشهير لويس هركول مُرسِلّي كان اصلهُ من فلورنسة وألّف روايات عديدة منها قصصيّة ومنها تمثيليّة ولم يكن مكترثاً لامور الدين غير انهُ لمّا شعر بقرب اجله استدعى كاهناً وتمّم كل فرائض الدين استعداداً لآخرته وقضى أيامهُ الاخيرة منيباً الى الله مستحرًا بالصلاة منقطعاً الى الكتب الروحيّة ولاسيّما كتاب الاقتداء بالمسيح

﴿ النسة ﴾ لم ييأس الكاثوليك من سقوط دولتهم فقام زعماؤهم من ارباب الدين والعالمين يسعون جهدهم في إحياء البلاد وتلافي ما حلّ بها من الآفات . وقد وجّه الاساقفة رسالة موقعة باسمائهم الى لفيف ابناء رعاياهم يُنهضون هممهم وينعشون آمالهم ويبيّنون لهم انّ الحرب وبلاياها لم تخلُ من بعض الفوائد لاسيّما لخير النفوس فكانت هذه المحن دواء ناجعاً شفي بهِ كثيرون كفرهم وخلّفهم وردّ الى الايمان الوفاً من الضالّين

واتّفق ارباب الدولة الجديدة على ان يرقّوا وكالة النمسة لدى الفاتيكان فيجعلوها معتمديّة ثابتة وعهدوا بذلك الى المؤرخ الشهير لويس باستور فأطلقوا عليهِ لقب وزير مفوّض

وقد تأثر اهل النمسة اي تأثير لحنان الحبر الاعظم وشفقته على بلادهم وشكروا له مساعيه لدى دول الحلفاء والحاحه عليهم ليمدوا يد المساعدة لمواطنهم وذلك برسالة وجهها قداسته الى عموم المتحالفين . وهذا الحنو الابوي قد ظهر ايضاً فعلاً بما ارسله البابا من المساعدات المتوالية لأحداث النمسة والمصابين بالمجاعة

﴿المجر﴾ قد ادرك الكاثوليك ما في الاتحاد من القوة فاجتمعوا باساقفتهم وشكلوا الجمعيات الاقتصادية والفنية والادبية لكل مدينة ثم جعلوا لها ادارة عمومية في بودابست فنتج عنها خير عظيم يرجون منه اعادة تلك الدولة المبؤوسة الى نظامها مع تحصينها في وجه البولشفيك

﴿بلجيكة﴾ ان الدين في بلجيكة بأمن ونجاح بفضل الاكليروس الذي له في تلك الدولة نفوذ عظيم اكتسبه بآدابه الراقية وبغيرته الرسولية وبرسوخ لدابه في العلم . كفى له فخراً ان يتقدمه ذاك الصنديد البطل الكردينال مرسيه الذي حفظ شرف وطنه بازاء الرعونة الالمانية القاهرة . وليس الاكليروس القانوني دون الاكليروس العالمي فضلاً ووقياً وفي يده القسم الاوفى من تهذيب الشبيبة في مدارسه الاولى والثانوية نخص منها بالذكر مدارس الآباء اليسوعيين التي خرج منها نخبة ارباب السياسة واهل السيف والقلم ومعظمهم مثابرون على واجبات الدين يختلون كل سنة في احد اديرة اساتذتهم لينقطعوا الى امور الروح

وقد استأنف بعد الحرب الآباء البولنديون نشر مجلدهم المعروفة بالمنتخبات البولندية (Analecta Bollandiana) وكتاباتهم في جميع القديسين التي ظهر منها منذ ٣٠٠ سنة ١٥ مجلداً ضخماً . ولما عرف احد الاميركيين من اغنياء البروتستانت ان هذا المشروع العظيم اوشك ان يبطل لحاجة متوليه الى مالية واسعة كتب الى اصحابه يقدم لهم المبالغ الكافية بسد نفقاته . وهي مأثرة تذكر فتشكر

وقد حضر البلجيكيون في ١٢ ايلول حفلة مهيبة تقاطروا اليها من كل انحاء البلاد نريد بها تتويج تمثال قديم للعذراء مريم يعرف بتمثال سيدة السلام يكرم في كنيسة مار نيقولا في بروكسل منذ ٧٠٠ سنة . وكان الكردينال مرسيه نذر في ايام الحرب ان يتوج هامة البتول بتاج كريم اذا عاد السلام الى وطنه بلجيكة وفاز على اعدائه الالمان . فاذ قد حظي بما طلب ونالت بلجيكة ظفراً باهراً قصد ان يتم

نذره وعيّن لهذه الغاية اليوم المذكور ولم يدّخر وسعاً ليكون ذلك العيد يوماً مشهوداً يبقى ذكره في الوطن الى آخر الدهر . والحق يقال انهُ لم ينقصهُ شيء من البهاء والعظمة

الصقالبة والبوغاز

﴿ بولونية واوكرانية ﴾ تعلم ان حكومة بولونية جاهرت بانها جارية بموجب تعاليم الايمان الكاثوليكي . فان رئيس جمهوريتها مع وزرائه لا يدعون فرصة للاعلان بايمانهم ويقرّون بان هذا الايمان سندهم في كل بلاياهم وبقوته ظفروا بعد الحرب من الجيوش البلشفية . فاذا صارت حفلة دينية حضروها ببزهم الرسمية . واذا طيف بالقربان الاقدس مشوا في طوافه رسمياً . وكذلك دستور الدولة مبني على قوانين الدين الكاثوليكي . وهذا الروح الكاثوليكي يظهر في تهذيب مدارسهم وكلياتهم وسن شرائعهم وكل معاملاتهم وانما ظهر هذه السنة خصوصاً بانشاء الجمعيات الكاثوليكية وعقد المؤتمرات لاسيما المؤتمر الذي عُقد في ايلول وقد تصدّر فيه الكردينال كاكوفسكي ورئيس الجمهورية وبحثوا فيه عن كل ما من شأنه ان ينمي الدين والآداب في قلوب الاهلين . وفي ٣١ ايار دُشنت في عاصمة الدولة فرسوفية كنيسة كبيرة لاكرام قلب يسوع الاقدس تكلّف نفقاتها عموم الاهلين بكل سخاء واريحية

اما اوكرانية التي يقسم اهلها بين الدين الكاثوليكي والدين الاورثذكسي فقد رأى ايضاً رؤساء حكومتها وعموم شعبها انّ ترقيها وصوالحها لا تقوم الا بتقربها من الكنيسة الرومانية . وقد غلبت هذه الحركة على الاكليروس الاورثذكسي عينه . ففي حزيران عُقد مؤتمر اكليريكي في كرسون للتداول في هذه المسائل وتقرير فصل الكنيسة الاوكرانية عن الكنيسة الروسية وطلب الاتحاد مع الكنيسة الرومانية بخضوعهم لطران غالية الكاثوليكي مع حفظ طقسهم الشرقي

وعُقد مؤتمر آخر في كياف مدينة روسية المقدسة اثبتوا فيها تلك القرارات وعيّنوا على كرسي هذه المدينة برتينيوس معلنين باستقلال كنيستهم ومستعدين للاتحاد مع الكنيسة الرومانية

﴿ يوغوسلوفاكية ﴾ الغالب فيها العنصر الصقلبي المعادي للكثلكة الا انّ رؤساءها رأوا من صالحهم فتح المخابرات مع الكرسي الرسولي وخصوصاً لسبب

دخول كرواتيا الكاثوليكيَّة في جمهوريَّتهم . وقلَّدوا الوزارة اثنين من الكاثوليك

واصابت الكثلكة في العام المنصرم شرفاً عظيماً في موراثيـة في المؤتمر الكاثوليكيّ الذي عُقد في بلغراد حيث يكرَّم قبر القديس مثوديوس رسول الصقالبة . وكان رهبان مار فرنسيس الثالثيون بنسبة تذكار المئة السابعة لانشائهم سعوا بعقد هذا المؤتمر ليوم عيد رسوليهم كيرلس ومثوديوس في ٥ تموز . فاجتمع هناك ما ينيف عن مئة الف كاثوليكيّ اقسموا على حفظ دينهم والدفاع عنهُ الى الممات واتخذوا الوسائل الفعَّالة لضد الصحافة الكاثوليكيَّة

وقد ترك للكرواتيين اسقفهم المتوفَّى السيّد انطون مانتش ذكراً مبجَّلاً في صميم قلوبهم لن تمحو آثاره الايام . فانَّهُ مدَّة نحو ٤٥ سنة جدَّد وانعش بين الشعبين السلوفان والكروات الحياة الكاثوليكيَّة بمواعظهِ وخطبهِ وكتاباتهِ ونشراتهِ المختلفة وانشائهِ للجمعيَّات العديدة للدفاع عن الدين وتنظيم احوال مواطنيهِ . وزاد غيرةً ونشاطاً منذ اقيم اسقفاً على قرق في كرواتيا سنة ١٨٨٧ فكان مثال الراعي الصالح الحيّ متوفّزاً لكافَّة امور مواطنيهِ وحولهُ التفَّ شعبهُ مدَّة الحرب الاخيرة فكان جزاء حبهِ وتفانيهِ في خدمتهم ان نُفي وزُجَّ في الحبس مدَّة سنين لم يخرج منهُ الَّا منهوك القوى فما لبث ان مات فكانت البلاد صوتاً واحداً للثناء عليهِ والاسف على فقدهِ

﴿تشيكوسلوفاكية﴾ انَّ للبدعة الهوسيَّة المنسوبة لجان هوس بقايا خبيثة في هذه الدولة لاسيَّما في بوهيمية . فسعى اصحابها أن يثيروا الفتن ويعدلوا بالشعب عن دينهِ الكاثوليكيّ وكان في مقدَّمتهم بعض الكهنة المتطرِّفين الَّا انَّ هذه الحركة المشئومة قد اوقفها عزم الاساقفة وطول أناة الكرسيّ الرسولي وثبات معظم الشعب على ايمانهِ . وقد جاء الى رومية رئيس الجمهوريَّة المسيو بينس ليعقد معاهدة مع الكرسي الرسولي

﴿روسيَّة﴾ اصبحت الكنيسة الاورثذكسيَّة فيها على جرف هار يتلاعب فيها البولشفيُّون تلاعب الهرّ بالفار . وكثيرون من اكليروس روسيَّة ومن المتنوّرين يرونون الخلاص بالتقرُّب من الكنيسة الرومانيَّة لاسيَّما الذين هاجروا من بلادهم الى الاستانة وبولونية واجتمعوا بالكاثوليك وتحقَّقوا صحَّة ايمانهم بالمحاضرات العموميَّة واطَّلعوا

على ما كتبهُ سولوفياف واصحابهُ الاورثدكسيُّون عن الكثلكة ورأسها المنظور . واختبروا شفقة الحبر الاعظم على بلادهم وكرمهُ في بلاياهم فانَّ عدداً منهم وافراً انضمَّ علانيةً الى الكنيسة البطرسيَّة

﴿ البانية ﴾ قد سوَّل استقلال البانية السياسي استقلالها الديني فظهرت فيها حركة انفصاليَّة كان مديرها السيد فان نولي احد مندوبي البانية في جمعية الامم فنجحت الحركة واعلنت الكنيسة الالبانيَّة استقلالها وقطع علائقها مع بطريركيَّة القسطنطينية في الاستانة . والامل معقود انَّ ما تخسرُ الاورثدكسيَّة ترجحهُ الكنيسة الرومانيَّة وخصوصاً بعد نظر الالبانيين نزاهة الحبر الاعظم ومحبَّتهُ نحو بلادهم اذ خصَّ في شهر ايلول ٢٠٠،٠٠٠ فرنك للمنكوبين من اولادهم

﴿اليونان﴾ قد أُصيبت البطريركيَّة اليونانيَّة في الفنار بازمة شديدة للانقسام الواقع بين الاحزاب المختلفة لاسيَّما حزب الملك قسطنطين وحزب فنزيلوس وحتى الآن لم يحصل الاتفاق بل يتفاقم الشقاق بين موافق ومخالف والله اعلم بمصير الكنيسة اليونانيَّة المنفصلة عن مركز الوحدة

والمسيو غوناريس يسعى حاضراً في رومية بعقد معاهدة بين دولته والفاتيكان وهو يؤمل من هذا التقرُّب فائدةً عظيمة لوطنهِ وللكنيسة الكاثوليكية معاً

الدول البروتستانية

﴿ انكلترَّة ﴾ نشرت جريدة البشير في شهر شباط ثلث مقالات اثبت فيها كاتبها عظم الحركة الكاثوليكية في بريطانية لا سيما بين الطبقة العليا من اهلها حتى انَّ معدَّل المرتدِّين الى الكثلكة في كلِّ سنة يبلغ فيها عشرة آلاف . وقد ذكر هناك كتاباً نشرهُ ٢٨ من زعماء البروتستانت عن الحرب دعوهُ « الجيش والدين » اعلنوا فيه بفشل البدع البروتستانيَّة في خدمة المحاربين واطرأوا بسالة الكاثوليك الذين لم يخلُّوا في إتمام تلك الواجبات المقدَّسة ذرَّةً فلا عجب انَّ الوفاً من الجند جحدوا البروتستانية وانحازوا الى الكثلكة التي لم يعرفوا قبل ذلك فضلها

وان استثنينا شيعة الريتواليست اي الطقسيِّين الذين كادوا لا يختلفون عن الكاثوليك بطقوسهم نجد الشيع البروتستانية في تفتُّت متواصل تنكر الواحدة ما

تؤيده الاخرى لا يجمع بينها الا الاسم دون الجسم . وقد كتب احد مندوبي مجلس الامة موراتيو بوتلي (M. Bottemley) مقالة كبيرة تحت هذا العنوان «هل يؤمن اساقفتنا» (do the Bishops believe) فيأتي على هذا السؤال بالانكار . وقد بلغ استهتار بعض هذه الشيع بالدين حتى نبذوا اصدق تعاليمه ونفوا كل وحيه ومما روته جرائد اميركة في هذه المدة الاخيرة استدعاء احد زعماء البروتستانت لحاخام يهودي ليقيم في كنيسته رتب دينه معلناً بمساواة الاديان

ومن سر الكاثوليك الانكليز باهتدائهم في العام المنصرم السر جون كوان (Sir John Cowan) الذي عهد اليه في وقت الحرب تموين الجيش البريطاني فقام بهذه المهمة احسن قيام فاستحق شكر دولته ولاسيما اركان الجيش . فهذا الرجل الشريف اهتدى الى الدين الكاثوليكي ثمانية ايام قبل وفاته وخولته الحكومة بعد وفاته في ٧ ايار اعظم امتيازاتها بان قبرته في كاتدرا وستنستر مع رجالها العظام وقامت بكل نفقات تجهيزه الفخم

وتوفي في هذه السنة احد المرتدين الاشراف سر ارنست كاسل (Sir Ernest Cassel) المالي الشهير واحد اصدقاء الملك ادورد السابع . هداه الى الايمان هو وامرأته احد الآباء اليسوعيين الاب فوستر فعمدهما سنة ١٨٨١ . وبعد وفاة قرينته اعلن بايمانه سنة ١٩٠١ واختاره الملك لشوراه الخاصة وقد صلى الآباء اليسوعيون على نفسه في كنيستهم ورافقوه الى مأواه الاخير

ومما يدل على تحسن احوال الكاثوليك في انكلترة فتح الرهبان اديرة في اوكسفرد ليحضر شبانهم دروس جامعاتها منهم الدومنيكان والفرنسيسكان وكان اليسوعيون سبقوا الجميع في ذلك بهمة الاب كلارك احد متخرجي اوكسفرد فلما ارتد الى الكثلكة لم يأل جهداً حتى شيد لاخوته داراً يأوي اليها الدارسون منهم لينالوا شهادات جامعة اوكسفرد . وقد احتفل اليسوعيون في هذه السنة بعرس هذا المشروع الفني وقد اتخذوا لهم منزلاً دعوه باسم اليسوعي الشهير ادمون كمبيان خريج مدرسة اوكسفرد في القرن السادس عشر الذي استشهد في سبيل الايمان الكاثوليكي بأمر الملكة اليصابات .

وقد أقيم في العام الماضي في اوكسفرد لاول مرة بعد ثلثمائة سنة مطلع كاثوليكي

للشريعة المدنيَّة وهو الاستاذ زوروكتا (Zuruckta) خلف الطوباويّ جون ستورى (B^eux John Storay) المستشهد مثل كامبيان بامر الملكة اليصابات لتشبُّهِ بايمان اجداده الكاثوليك

وقد رأت انكلترَّة في السنة المنصرمة اوَّل امرأة نالت شهادة الدروس الشرعيَّة فسُمح لها بان تتعاطى مهنة المحاماة وهي الآنسة اوليف كلوفان (Miss Clophan) وهي كاثوليكية

اما المسألة الارلندية فعلى ما يلوح من الانباء الواردة في هذه الاسابيع الاخيرة قد انحلَّت عقدتها بعد ان تأرَّبت فكادت لا تجد حلًّا. وما يُشعر بانفكاكها سرور معظم الارلنديين مباشرةً باكليروسهِ وتهنئة الملك للويد جورج عن ازالة هذه العقبة الكؤود. ولعلَّ انكلترَّة مهَّدت الطريق لذلك بتنصيبها لاوَّل مرَّة نائباً ملكيًّا كاثوليكيًّا على ارلندة السر ادورد تلبو (Sir Ed. Talbot)

ولا ينسى الارلنديون ما نسوا رسالة الكردينال برون في آذار الى لويد جورج ليرعى حقوق ارلندة ويمنح الاستقلال والسلام لاهلها. وبعد ذلك بشهر لبست ارلندة ثوب الحداد لوفاة رئيس اساقفة دوبلين وجاثليق بلادها السيِّد ولش (Mgr Walsh) الذي جاهد احسن جهاد في سبيل وطنهِ دينيًّا ومدنيًّا

﴿ المانية ﴾ ان نكبات المانية فتحت اعين كثيرين من اهلها الذين كانوا ينسبون نجاح امورها الى البروتستانيَّة فعرفوا ضلال رأيهم وكتبوا الفصول الشائقة في مديح الكرسي الرسولي واطراء خطَّتهِ السلميَّة في أيام الحرب بحفظ المحايدة مع المتحاربين وتحنُّناتهِ العديدة نحو كلّ المحتاجين دون مراعاة الامم والاديان. فارتدَّ الى الكثلكة من جرَّاء ذلك كثيرون من الالمان. وهذا ايضاً ما سهَّل استئناف العلائق بين المانية والكرسي الرسولي. وقد افاد السفير البابوي في المانية السيِّد باشلي انَّ المفاوضات التي جرت بينهُ وبين ارباب الامور في شؤون الكنيسة الكاثوليكية اتت بما يُرغب من الثمار الطيبة

﴿ سويسرة ﴾ يذوق فيها الكاثوليك في هذه السنين الاخيرة سلاماً لم يعهدوهُ سابقاً لتعصُّب البروتستانت. فان دستور الولايات السويسرية المتحالفة هو كاثوليكي النحلة. السويسريون أقيم عليها مذبحاً منذ ١١ ك ١ سنة ١٩٢٩ فأحرز ثقة العموم.

وفي السنة المنصرمة اعاد المغتصبون للكاثوليك في حي جنيفة المدعو بكاروج كنيستهم البديعة بعد ان نزعوها منهم ظلماً قبل ٤٨ سنة فاحتفل بها الاكليروس الكاثوليكي واقاموا فيها اعياداً شائقة تقاطرت اليها جماهير الشعب من الكاثوليك وغيرهم . وكان اهل زوريخ فقدوا ايضاً في ذاك الاضطهاد كنيستهم الكاتدرائية وها هم اليوم باشروا ببناء كنيستهم الخامسة لنموّ عددهم

وقد عرف زعماء البروتستانت في سويسرة انّ الكثلكة اقوى حاجز في وجه الاشتراكية والبولشفيكية حتى ان واحداً من كبار رجالهم قال في خطبة عمومية مؤخراً : « لم يبقَ لنا الّا ان نختار بين السيد المسيح ولينين !»

﴿ هولندة ﴾ للكثلكة في هولندة مقام رفيع . فانّ عدد الكاثوليك فيها يبلغ اليوم مليونين اعني ثلث اهلها . وهم بالاجمال ذوو ايمان وعمل كما تدلُّ عليه نقاباتهم المختلفة التي يقرّ بفضلها البروتستانت لكسر شوكة الحزب الاشتراكي . وقد رفعت الحكومة درجة ممثلها لدى الكرسي الرسولي فجعلتهُ سفيراً ثابتاً في رومية . وكذلك أرسل قاصد رسولي الى عاصمة هولندة لاهاي

﴿ نروج ﴾ ان نروج كبقية البلاد البروتستانية تشكو تعدُّد شيعها واختلاف تعاليمهم ومعتقداتهم فسعى في العام الماضي اسقف اوسلو من كرستيانيا ان يعقد مجمعاً للتوفيق بين اصحاب هذه البدع فانفصلوا دون ان يلقوا دواء لهذا الداء العضال . كيف لا والبروتستانية كلُّها مبنية على مبدأ حريّة الفكر والتفسير للكتاب المقدّس فكلٌّ يفهمهُ على حسب غايتهِ . ولا عجب ان تؤول هذه المبادئ الى الفوضى الدينية

اما الكثلكة التي كانت ابواب نروج موصدة في وجهها قبل خمسين سنة فهي اليوم تتقدَّم في معارج الفلاح . على انّ رسولها الاول السيد فلّيز الذي خدمها مدّة ٣٤ سنة بغيرة لا تعرف الملل قد اضطرَّ لسبب انتهاك قواه ان يعتزل اشغال الرسالة . لكنّ هناك عدداً من الرهبان والراهبات يسيرون على آثاره ويكسبون ثقة العموم . وللمسوعيين الالمان في نروج رسالة نامية

٢ . اميركة

﴿ اميركة الشمالية ﴾ . انّ ترقّي الكثلكة في اميركة الشمالية لمن الامور التي تستوقف ابصار كلّ المتبرين . فبينما تزيد الشيع البروتستانيّة عدداً واختلافاً ترى

الكنيسة الكاثوليكية تنمو بالعدد والوحدة والفضل معاً . وقد ظهر الامر ظهور الشمس في رائعة النهار بوفاة الكردينال جبُونس رئيس اساقفة بلتيمور في ٢٣ آذار فكانت حفلة جنازته اشبه بانتصار منها بحداد فانَّ رؤساء الحكومة والسفراء واركان الجيش وارباب الدين وعمدة المدارس وزعماء الجمعيات الوطنية المختلفة مع الجماهير المجمهرة من الشعب ارادت ان تعلن بتشييع جنازته شكرها لذاك الاميركي العظيم الذي ادَّى لوطنه خدماً لا تُحصى وشرَّفهُ بعلمه وعمله . وكان الكردينال في يوم يوبيله الكهنوتي قد قابل بين حالة الكثلكة يوم سيامته كاهناً سنة ١٨٦١ وحالتها بعد ٥٠ سنة في وطنه سنة ١٩١١ فوجد انَّ عدد الكاثوليك زاد في تلك المدّة ١٤ مليوناً والكهنة ١٨ الفاً والكنائس المشيَّدة ١٧ الفاً . وكلّ هذه الارقام قد زادت زيادة كبيرة في العشر السنين التابعة وكان للكردينال جبُونس في هذا النجاح السهم الافوز . ولمَّا تعيَّن مؤخرًا خلفهُ السيد ميشال كورلي (M^le Curley) صار لهُ استقبال فخيم وهو ارلندي الاصل ترشَّح لهذا المنصب الرفيع بمزاياه الفريدة

ومن المشاريع الحديثة الكاثوليكية التي اصابت مع حداثتها نجاحاً باهرًا جماعة سيدات كاثوليكيَّات (Council for Catholic Women) يسعين في كلّ صوالح جنسهنّ الدينية والادبية في عدّة ولايات من اميركة الشمالية وقد اطرأ اعمالهنّ الخيريَّة كثيرون من الكتبة حتى البروتستانت

ومما يدلّ على نفوذ الكثلكة في الولايات المتحدة احتجاج الدوكتور ونغ (Dr Wing) زعيم الشيعة الاستقية الذي فنَّد ما كتبه آخرًا احد مندوبي مجلس الشيوخ المستر توما واتسون في حقّ رهبان وراهبات الكاثوليك في ولاية جورجية فافحمهُ . ومثلهُ صنعت جامعة واشنطون البروتستانية فزيَّفت اكاذيب وتُهمَ واتسون فرُفعت دعواهُ الى رئيس الجمهوريَّة

انجز في السنة المنصرمة الكاهن الاميركي هولويك (Holweck) سنكسارًا للشهداء الكاثوليك الذين بشَّروا بالانجيل قبائل الولايات المتَّحدة بعد اكتشاف تلك البلاد فاستشهدوا في الولايات المتَّحدة . فاذا هو يشتمل على سيرة ١٠٨ شهداء بعضهم كهنة وبعضهم من بسطاء المؤمنين . من جملتهم ٦٨ راهباً فرنسيساً و٢٤ يسوعيًّا وراهبان دومنيكيان و٦ كهنة عاليون وبعض المؤمنين الاميركيين والهنود

بينهم امرأة قُتلت في سبيل الايمان سنة ١٦٩٢ في وانداغا التي بُنيت في مكانها نيويورك

﴿ اميركة الجنوبية ﴾ قد مرَّ في العدد السابق من المشرق ما كتبهُ حضرة الاب رفائيل نخله في الحركة الكاثوليكية في البرازيل فليراجع

وجَّه اساقفة المكسيك رسالة عمومية لاهل اوطانهم في نسبة التذكار المئوي لاستقلالها يستدعونهم الى توحيد قواهم في سبيل كلّ المشاريع الدينية والادبية ونبذ الفتن ومعارضة الجمعيات السرّية

جمهوريات الشيلي والبيرو والارجنتين تتمتَّع بالسلام لنفوذ الروح الكاثوليكي في حكوماتها واهلها ومنشآتها الكاثوليكية . وقد رقَّت حكومة الشيلي وكالتها لدى الفاتيكان الى مقام سفارة عهدت بها الى احد رجالها الممتازين السيّد رافائيل ارازوريو أورمتو

وكذلك جمهوريات اميركة الوسطى قد أُنشئت فيها الجمعيات الكاثوليكية العاملة الساعية بكلّ ما فيهِ خير الدين والوطن . وقد سُرَّ اهل غواتمالا لتنصيب احد ابناء وطنهم كرنيس اساقفة على حاضرتهم وهو الاب اليسوعي لويس مونياس

﴿ اوستراليا ﴾ احتفل رئيس اساقفة سيدني عاصمة اوستراليا الطران ميخائيل كِلّي باعياد نادرة المثال في تشرين الثاني تذكارًا لاوَّل كنيسة كاثوليكية اقيمت في اوستراليا وهي كنيسة القديسة مريم الكاتدرائيَّة . فحضر هذه الحفلات الدينيَّة التي دامت ثلثة ايام القاصد الرسولي ولفيف اساقفة البلاد . وقد رأوا جميعهم اصبع الله في ازدهار الكثلكة في تلك الاصقاع فبعد ان كانت كعبَّة الخردل خاملة مضطهدة يُعَدّ اصحابها على الاصابع اصبحت اليوم دوحةً يأوي تحت اغصانها الوارفة مليون وستمائة الف نسمة يدير شؤونهم سبعة مطارنة و ١٨ اسقفًا مع ما هناك من عدد لا يُحصى من الاكليروس العالمي والقانوني والرهبان والراهبات ومن الاديار والمدارس والمياتم والملاجئ والمستشفيات تذيع كلّها مجد الله ونشاط ابناء الكنيسة

٣ آسية

١ الشرق الادنى

﴿ فلسطين ﴾ انَّ اعين النصرانيَّة متَّجهة كلّها الى فلسطين مهبط الوحي ومهاءة

الاقداس . فلن يهدأ لها بال طالما يحتلها الصهيونيون ويقصدون تحويلها الى ارض يهودية معادية للدين المسيحي . وقد كرّر الحبر الاعظم احتجاجهُ في مجمع الكرادلة في تموز على هذه الجناية العظيمة وحذا حذوهُ في مؤتمر الكاثوليك في ليفربول رئيس اساقفة وستمنستر الكردينال بورن وكثيرون غيرهُ . ولا بدَّ ان يكون السر رومواله ستورس (Sir Romuald Stores) حاكم القدس سمع تشكيات البابا بندكتوس لما رضي قدلستهُ بمواجهته في ايلول

دمشق يؤيد الصهيونيَّة في فلسطين الفرمسون وكانت احدى غايات سياحة رئيس الشرق الاعظم في باريس المسيو ولهوف في زيارتهِ لمحافل مصر وسوريَّة وفلسطين ترثيق قوى الماسونيَّة واليهوديَّة لمعارضة الكنيسة . فلا عجب ان تتوالى الاضطرابات وتنفر النفوس من السياسة الجارية حاضراً في هذا القطر التعيس

وليست احوال ما وراء الاردن اسرّ وابهج فانَّ الفوضى غالبة عليها والآمال المعقودة على الامير عبدالله ابن السلطان حسين لم تتحقق فعلاً . وما سُررنا الَّا بنبأ واحد وهو اقامة الروم الكاثوليك في السلط اوَّل كنيسة بنوها هناك وقد جعلوها على اسم سيدة البشارة فعساها تبشر تلك الانحاء بالسلام القريب

﴿ سوريَّة ﴾ كان العام الماضي عاماً مشهوداً في نظر اهل الوطن لانتعاش روح الدين في انحاء القطر السوري ولاسيما بترقي عبادة قلب يسوع الاقدس . وقد كان اليوم ٢٩ من ايار موعد تكريس غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك للبنان الكبير فجرت لذلك حفلات شائقة في كل كنائس الجبل تقاطرت جماهير المؤمنين لحضورها ومذ ذاك الحين اقبل العموم بكل شوق على الاكتتاب لنصب اثر يخلد ذكرى تلك الحفلة المباركة سوف يكون رمزاً حياً عن ايمان اللبنانيين يخلفونهُ لابنائهم بعدهم

وقد ارادت عاصمة سورية ودمشق ان تجاري لبنان الكبير ايضاً في هذا الميدان الشريف . وقد سُررنا في اواخر حزيران اي سرور اذ عاينا جميع الطوائف الكاثوليكية مع اساقفتها واعيانها مجتمعين في حفلة مهيبة اعدَّها سيادة المطران نقولا دي قاضي لتكريس عمومي لقلب يسوع الاقدس في كنيسة الروم الكاثوليك الكاتدرائية . وقد وافقت تلك الحفلة ورود خبر نجاة فخامة المفوض الاعلى الجنرال

غوروا من رصاص اشرار الشيطرة فأسدى الجمهور الى القلب الالهي الشكر الجسيم على هذه النعمة العظيمة بل قل على هذه المعجزة الباهرة

وحدّث ولا حرج عما صار في هذه السنة المباركة من المظاهر الدينيّة البهيّة كالطواف بالقربان الاقدس في ساحات المدن مثل بيروت وجونية وحمص وحلب وكالاحتفالات التكريميّة في كنيستنا لاكرام القديسة جان دارك في ١٤–١٦ كانون الثاني . وفي كنيسة الآباء اللازاريين في ٤–٦ اذار لاكرام الشهيدات راهبات المحبة (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١]: ٢٦٢) . وفي كنيسة السريان في ١١–١٣ شباط لاكرام القديس افرام المُعلّن بملفته في العالم كله بامر قداسة الحبر الاعظم والمثبّتة اهليّتهُ بأقوال القديسين والعلماء. كما بيّن ذلك غبطة البطريرك الانطاكي على السريان السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني بمنشور بديع ابرزهُ قبل سفره الى رومية . وفي كنيسة الموارنة الكاتدرائية في ٢٦ تشرين الاول لدفن رفات الطيّب الذكر شهيد محبة وطنهِ رجل العلم والعمل السيد بطرس شبلي مطران بيروت المارونيّ بعد ما نُقلت تلك الرفات الكريمة على سفينة حربيّة خصّتها بذلك دولة فرنسة الفخيمة واستقبلتها بيروت جماء بما لا مزيد عليهِ من الاكرام والعزّ . وفي كنيسة الآباء الكبوشيين وديرهم في ٢٥ آب تذكاراً للسنة السابعة لانشاء الرهبانيّة الثالثة (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٥٣٨–٥٤٥) وتهنئةً لرئيسها الفاضل الدكتور امين الجميّل الذي منحتهُ فرنسة وسام جوقة الشرف . وفي كنيسة الروم الكاثوليك في ١١ آذار لقدوم سيادة مطرانهم الجديد كيرون كير باسيليوس قطّان متروبوليت جبيل وبيروت ونواحيهما خلفاً للمثلث الرحمات السيد اثناسيوس صوايا

ومما تعزّز بهِ الدين في السنة المنصرمة تألّف الحزب المعروف بحزب الترقّي يتركّب من نخبة الشبّان الكاثوليك من جميع الطوائف رئيسهُ المركيز جان دي فريج ، وكذلك عاد نادي الشبيبة الكاثوليكيّة الى اجتماعاتهِ القانونيّة كما كان سابقاً قبل الحرب يُعنى اعضاؤهُ بدرس اخصّ المسائل العصريّة العلميّة والاجتماعيّة ويلقون المحاضرات بالتداول تحت ادارة احد آباء كليّتنا

وقد تشرّفت رسالتنا الدوريّة بما منحتها الاكاديمية الفرنسويّة من جائزة الفضائل . فلعمري ان ذلك امتياز تُسرّ بهِ فوق سرورها من سواه اذ لا غاية لمرسليها

سوى السعي في تمجيده تعالى عزّ وجلّ بنشر الدين وتعزيز الفضائل فلا اقلّ من ان يتّصف ابناؤها بما يدعون اليه غيرهم

وكم عمّ هذا السرور جميع الاهلين لمّا اهدى نيافة القاصد الرسولي باسم الحبر الاعظم وسام القديس غريغوريوس الكبير من رتبة كومندور الجنرال غورو المفوّض الاعلى في حفلة فخيمة عُقدت في دار القصادة في ٦ ت ٢ وجمعت علية القوم من كلّ الرتب ورؤساء الطوائف الدينيّة والمدنيّة

وقد مزجت هذه السنة سرورنا باحزانٍ لبعض من فقدناهُ من ارباب الدين ممّن سبق لنا ذكرهم كغبطة بطريرك الاقباط السابق السيد كيرلس مكار والاب الفاضل مبارك سلامة المتنيّ وممّن لم تسمح لنا الظروف بذكرهم منهم المثلث الرحمات المطران اسطفانوس سكّرية النائب البطريركي للروم الكاثوليك في القطر المصري انتقل الى دار البقاء في ٢٦ ت ٢ والاب لويس ريشين رئيس حضرة الآباء اللازاريين وزائرهم الرسولي العام في سوريّة فاجأتهُ المنيّة في ٢٢ تموز ثمّ خلفهُ في منصبهِ حضرة الاب هودر فلطّف اسفهم على فقد رئيسين جليلين استأثر الله بهما بزمن قليل. وكان اوّل يوم العام الجديد يوم كدر واسف على حضرة الآباء البولسيّين الفاضلين لفقد رئيسهم العديد المآثر الخوري بولس سيّور احد الركنين الاوّلين لهذه الجمعيّة المقدّسة خدمها قريباً من عشرين سنة بغيرة لا تعرف الملل. اجزل الله ثوابهم جميعاً في جنّة ابرارهِ

وقد ساءنا ما لحظناهُ في السنة المدبرة من الحركة الماسونيّة ودسائسها المعتادة لمعاكسة الدين وبخس شؤون اربابهِ ونشر التُّهم الباطلة في حقّهِ في جرائد مجرّدة عن كل عدل ووجدان. فنشكر الله انّ قوماً من ذوي الشهامة فنّدوا تلك الاراجيف لاسيّما ما كُتب في حقّ البطريركيّة المارونيّة والسيّد المفضال المطران بولس عقل والقصادة الرسوليّة فعادت سهامهم الى نحرهم

﴿تركيّة﴾ قامت المنازعات على ساق وقدم بين الفنار في الاستانة والحكومة اليونانيّة فانّ اليونان لطمعهم في عاصمة الاتراك ارادوا ان يتداخلوا في تدبير الكنيسة الاورثذكسيّة هناك فلقوا معاكسة عنيفة لدى قسم كبير من اساقفة الفنار. وتفاقمت هذه المنازعات لما وقع اختيار السينودس على السيّد ملاطيوس متكاكيس كبطريرك مسكونيّ وكان هذا سابقاً رئيس اساقفة اثينا فطردهُ اليونان لكونهِ يناصر

ثنزيلوس . فقام اليونان وقعدوا لمناهضة المتعصب الجديد ويشاركهم في احتجاجهم سبعة من الاساقفة وحتى الآن لم يساوِ الخلاف . فيا ليت الاورثدكس يدركون اخيراً انَّ لا قوام لكنائسهم الملّيّة ما لم تنضمّ الى الكنيسة البطرسيّة التي وحدها لا تخضع لسلطة زمنيّة ولم تقوَ عليها ابواب الجحيم

وقد سبق لنا ما لقيهُ الحبر الاعظم في الاستانة من التبجيل والاكرام من قبل كل الطوائف غير الكاثوليكيّة فنصبوا لهُ بمالهم الخاصّ ذاك التمثال الجميل الذي يدعو بلسان حاله العالم الى السلام والاتحاد (اطلب العدد السابق)

﴿ما بين النهرين — العراق — العجم﴾ نُقل سيادة المطران ديونيسيوس جبرائيل تبوني من النيابة البطريركيّة على طائفة السريان في ماردين الى كرسي رئاسة اساقفة حلب . وأُقيم في مكانهِ حضرة القس بهنام قليان رئيس دير مار بهنام المجاور للموصل . وتعيّن خوري البصرة سيادة الخورفسقفوس يوسف جرجي لكرسي حمص وحماة الفارغ بوفاة الطيب الذكر السيد اوستاتيوس سركيس

وكذلك حظيت العراق بتنصيب حضرة الاب عبد الاحد بيره الدومنيكي وكاتب القصادة الرسوليّة سابقاً في بيروت كقاصد رسولي على الموصل وما بين النهرين في ٧ ايلول

انَّ النوضى التي حدثت في العام الماضي في العجم قد الحقت بنصارى الكلدان هناك خسائر فادحة ولاسيّما في شمالي البلاد حيث قُتل بعض المسيحيين ونُهبت اموالهم وأُحرقت كنائسهم وبعض مكاتبهم من جملتها مكتبة العلّامة المرحوم اللازري الاب بولس بيدجان وكان جمع كتباً سريانيّة وكلدانيّة عزيزة الوجود . غالية الثمن نشر منها بالطبع قسماً كبيراً وقد تلف الباقي

الشرق الاقصى

﴿الهند﴾ كانت الحرب الكونيّة الحقت ضرراً محسوساً بالرسالات الكاثوليكيّة في الهند بنفي الرهبان الالمانيين والنمسويين من بعض جهاتها . الّا انَّ عجيج انتشار الايمان اسرع فتلافى هذه الاضرار فخلف اليسوعيّون الاميركيّون اخوتهم الالمان في رسالة بومباي . وجُعلت رسالة الكبوشيين النمسويين في بتنا تحت تدبير اليسوعيين

الاسبانيين واقع كأسقف عليها الاب فان هوك (Mgr Van Hoeck) وقد اثبت احصاء الهند الاخير انّ عدد الكاثوليك في تلك الاصقاع نحو مليونين ونصف تجد فيهم بريطانية العظمى رعايا أمناء مخلصين لدولتها بفضل مرشديهم

﴿الهند الصينيّة﴾ تشمل اقطار التونسنيين وانام وتونكين هي من مستعمرات فرنسة يبشّرها بالايمان مرسلون من آباء الرسالات الاجنبيّة الذين سقوا سابقاً تلك البلاد بعرقهم ودمائهم وهي التي تسرّهم باثمارها الشهيّة واليوم قد اناف عدد الكاثوليك فيها على مليون من النفوس ١،٠٣٥،٠٠٠ ففي السنة ١٩٢٠ كان عدد المصطبغين بالمعموديّة ٨٢،٠٠٠ يدير شؤونهم الروحيّة ١١ اسقفاً و١٠٨١ كاهناً منهم كهنة وطنيّون في عدد ٦٦٠ . وكان عدد مدارسهم ٢٤٥٩ يحضرها من الاولاد ٩٤،٠٠٠ دارس ومعدّل المتنصرين هناك كل سنة عشرون الفاً بنيّف . وقد اعلن مؤخّراً خاي دين ملك انام بفضل المرسلين في بلاده ومنح لاوّل مرّة اكبر اوسمة دولته وهو وسام كيم خانه الى اسقف هوه السيد الير (Mgr Allyr)

﴿اليابان﴾ عُقد فيها لاوّل مرّة مؤتمر كاثوليكي في تموز الماضي فاظهر اصحابه من الغيرة الدينيّة ما سُرّ به رؤساؤهم الروحيّون . وعدد الكاثوليك في تلك الدولة الواسعة لا يزيد عن ١٧٠،٠٠٠ وهي خميرة صغيرة بين سبعين مليوناً لكن حرّيّة الدين لم تمنح في اليابان الا منذ اربعين سنة ولاشكّ انّ الدين الكاثوليكي سوف يرقى الى معارج النجاح . لنا في ذلك بوارق امل وطيد منها تقرير الدولة ان تضع علاقات رسميّة مع الفاتيكان . ومنها زيارة ولي العهد الاخيرة الى قداسة البابا . ومنها انشاء الكليّة الجامعة التي شيّدها الآباء اليسوعيّون في توكيو ، ولاسيّما تنظيم اكليروسها الكاثوليكي المؤلف حاضراً من ثلاثة اساقفة و ٢٨٢ كاهناً . فحقّق الله آمال كنيسته في هذا القسم من حقل الرب واخصب تلك التربة المرويّة بدماء الوفر من الشهداء في القرن السابع عشر

﴿الصين﴾ قد رفعت رتبة ممثلها لدى الكرسي الرسولي الى مقام سفير مفوّض . أمّا الرسالات الكاثوليكيّة في الصين فناميّة مزدهرة في كلّ انحائها تحت ادارة عشر من الرهبانيّات ولكلّ رسالة مشروعاتها من مدارس للذكور وللاناث ومياتم ومآوى ومستشفيات وجمعيّات مختلفة . وقد اناف في هذه المدّة الاخيرة عدد

الكاثوليك على مليونين . وعرف كثير من ارباب الامر فضل المرسلين

وقد زار وفد من البروتستان الاميركيين كان عددهم اربعين مؤسسات الآباء اليسوعيين في زيكاواي كمدرستهم الكلية المدعوة بالفجر ومطابعهم ومرصدهم الكبيرين وكذلك فحصوا مدارس الراهبات اللواتي يساعدنهم في رسالاتهم فأقروا بتفوق اعمال الكاثوليك على كل مشروعات البروتستانت

وقد سبق لنا ذكر ما نالهُ الآباء من الامتيازات الفخرية من الدولة الفرنسوية

ومما ألفت نظر الصينيين الى الكنيسة الكاثوليكية الجنازة الحافلة التي جرت لوزير فرنسة في باكين المسيو بوب (M' Bopp) فان هذا الرجل الفاضل مات ميتة صالحة بعد ان اقتبل كل اسرار الكنيسة وكان آخر ما فاه به قبل موته انهُ شكر الله الذي قدَّرهُ للدفاع عن حقوق نصارى الصين والمرسلين الكاثوليك

﴿سيبرية﴾ انَّ في سيبرية بين ١٥٠،٠٠٠ الى ٢٠٠،٠٠٠ من الكاثوليك من عناصر مختلفة لاسيما من البولونيين واهل ليتوانية كانوا يعيشون متفرقين فمنهم مهاجرون ومنهم منفيون او فارون من وجه الحكومة الظالمة . وكان قياصرة روسية يضايقون عليهم ولا يدعون المرسلين الكاثوليك يعتنون بشؤونهم الا نادرًا او خفية . فبعد قتل القيصر نقولا الثاني واهله صرف المجمع المقدس نظرهُ الى اولئك المنكوبين وارسل من الصين السيد كبريان لزيارتهم . وتدبير امورهم الروحية فلبَّى دعوتهُ لكنهُ وجد في طريقهِ قوماً من البولشفيين المتشرين هناك فلم يمكنهُ ان يزور سوى قسم من اولئك الكاثوليك في جهات بحر البيقال . ولا بُدَّ اذا رجع الهدوء ان يقيم الكرسي الرسولي لهؤلاء البائسين من يقوم بخدمتهم

٤ افريقية

﴿مصر﴾ قد اثنت الحكومة الانكليزية على موقف الكاثوليك في القطر المصري فانهم بالاجمال يخلدون الى الهدوء والسكينة بين المشاغب والاضطرابات الغالبة على المصريين

كان القاصد الرسولي على مصر وجزيرة العرب السيد اوريليو بريانتي قدَّم الى المجمع المقدس استعفاءهُ عن مقامهِ بسبب صحتهِ فأقيم بدلًا منهُ لسقف مدينة فابريانو السيد اندراوس كاسولو

ومما اثنى عليه ارباب الدين وذوو التقى ما قرّره في ٢٢ آب مجلس وزراء الحكومة ان تخصّص في كل المدارس يومياً ثلث ساعة للتعليم الديني كلاً حسب دينه

﴿الحبشة﴾ سبق ذكر الوفد الذي ارسلته ملكة الحبشة الى رومية لتوثيق العلائق بين بلادها والواتيكان

وكذلك اشرنا سابقاً الى احوال بلدان افريقية حيث يشتغل المرسلون بكل نشاط في فلاحة كرم الرب الذي يجازي عملهم ويخصب ثمار اتعابهم

الصليبيون ومكتبة طرابلس الشام

نبذة تاريخية انتقادية للاب هنري لامنس اليسوعي

كان دخول الصليبيين عنوةً في طرابلس في ١٢ تموز ١١٠٩ بعد حصار طال عشر سنين. وكانت العادة الجارية في ذلك الوقت شرقاً وغرباً ان تُنهب المدن المفتوحة قسراً وهي عادة لم يبطلها التمدُّن الا منذ نحو مئة سنة. فلا عجب انّ الصليبيين بعد ما قاسوهُ من المشقّة في حصار شبيه بحصار مدينة طروادة لشبهوا ايضاً اليونان في ابتزاز غنائم طرابلس. ولو قصد رؤساء الجند ان يمنعوهم لما وجدوا اذناً سامعة او يداً قاهرة تقوى على كبح جماحهم. وفي هذه الاثناء اضرم الجند النار في بعض احياء البلد فتلفت مكتبة المدينة اماً حرقاً واماً نهباً

واوّل من دوّن هذا الخبر في تاريخه احد المعاصرين للوقائع التي يرويها وهو ابن القلانسيّ المتوفّى سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) في تاريخه المعنون بذيل تاريخ دمشق في الصفحة ١٦٥ من الطبعة البارزة من مطبعتنا الكاثوليكيّة بهمّة المستشرق المسيو اميدروس قال في تاريخ سنة ٥٠٢ هـ :

شدّ الفرنج القتال على طرابلس وهجموها من الابراج فملكوها بالسيف في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وحصل في ايديهم من اعتها وذخائرها ودفائن دار علمها وما كان منها في خزاين ارباحها ما لا يُحدّ عددهُ ولا يُحصر فيُذكر

هذا ما رواهُ ابن القلانسيّ عن « واليها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فلمّا مُلكت أُطلقوا ووصلوا الى دمشق بعد ايّام من فتحها » وبه اظهر الفرنج حسن قيامهم بمواعيدهم

ومما اثنى عليه ارباب الدين وذوو التقى ما قرّره في ٢٢ آب مجلس وزراء الحكومة ان تخصّص في كل المدارس يومياً ثلث ساعة للتعليم الديني كلاً حسب دينه

﴿الحبشة﴾ سبق ذكر الوفد الذي ارسلته ملكة الحبشة الى رومية لتوثيق العلائق بين بلادها والواتيكان

وكذلك اشرنا سابقاً الى احوال بلدان افريقية حيث يشتغل المرسلون بكل نشاط في فلاحة كرم الرب الذي يجازي عملهم ويخصب ثمار اتعابهم

الصليبيون ومكتبة طرابلس الشام

نبذة تاريخية انتقادية للاب هنري لامنس اليسوعي

كان دخول الصليبيين عنوةً في طرابلس في ١٢ تموز ١١٠٩ بعد حصار طال عشر سنين. وكانت العادة الجارية في ذلك الوقت شرقاً وغرباً ان تُنهب المدن المفتوحة قسراً وهي عادة لم يبطلها التمدُّن الا منذ نحو مئة سنة. فلا عجب انّ الصليبيين بعد ما قاسوهُ من المشقّة في حصار شبيه بحصار مدينة طروادة لشبهوا ايضاً اليونان في ابتزاز غنائم طرابلس. ولو قصد رؤساء الجند ان يمنعوهم لما وجدوا اذناً سامعة او يداً قاهرة تقوى على كبح جماحهم. وفي هذه الاثناء اضرم الجند النار في بعض احياء البلد فتلفت مكتبة المدينة اماً حرقاً واماً نهباً

واوّل من دوّن هذا الخبر في تاريخه احد المعاصرين للوقائع التي يرويها وهو ابن القلانسيّ المتوفّى سنة ٥٥٥هـ (١١٦٠م) في تاريخه المعنون بذيل تاريخ دمشق في الصفحة ١٦٥ من الطبعة البارزة من مطبعتنا الكاثوليكيّة بهمّة المستشرق المسيو اميدروس قال في تاريخ سنة ٥٠٢ هـ :

شدّ الفرنج القتال على طرابلس وهجموها من الابراج فملكوها بالسيف في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وحصل في ايديهم من اعتها وذخائرها ودفائن دار علمها وما كان منها في خزاين ارباحها ما لا يُحدّ عددهُ ولا يُحصر فيُذكر

هذا ما رواهُ ابن القلانسيّ عن « واليها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فلمّا مُلكت أُطلقوا ووصلوا الى دمشق بعد ايّام من فتحها » وبه اظهر الفرنج حسن قيامهم بمواعيدهم

قد كثر القال والقيل في ضياع مكتبة طرابلس . وكل ما ذاع بصددها من تلفها مبني على رواية ابن القلانسي الوارد ذكرها . فجاء الخلف من بعده فنقلوا كلامه واضافوا اليه ما عن لهم شأن الاخبار التي يتسع نطاقها على قدر ابتعادها من مصدرها

وان سألنا القلانسي ما هي تلك المكتبة المفقودة بالنهب افادنا عنها بكلمات ثلث فدعاها « دفاتر دار علمها » وكانت دار العلم هذه مدرسة انشأها القاضي ابو طالب ابن عمار وهو الذي كان استولى على طرابلس سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠م) وكانت المكتبة متصلة بهذه المدرسة التي يوهم اسمها « دار العلم » بأنها كانت كلية جامعة تدرس فيها ضروب العلوم كما في عهدنا . كلا ثم كلا . فان المراد بالعلم في اصطلاح مؤرخي العرب انما هو درس القرآن وما يلحق به من التفسير والحديث واللغة . اما العلوم المدنية كالطب والهيئة والرياضيات الخ فكانت تعرف بعلوم الاوائل وكان لها مدارس خاصة يحضرها الدارسون كما اثبت ذلك المستشرق الكبير المرحوم اغناطيوس غولدسيهر (١ ولا شاهد لدينا يثبت تعليم المسلمين علوم الاوائل في طرابلس

وترى ماذا كانت الكتب المودعة في هذه دار العلم ؟ ماذا كان موضوعها ؟ وكم كان عدد ما تلف بالنهب منها ؟ فهذه كلها امور سكت عنها ابن القلانسي والمؤرخون الذين عاشوا في زمانه وتكهن عنها الذين اتوا بعده

فان ابن الاثير الذي كتب في القرن السابع للهجرة نقل في تاريخه الكامل ما رواه ابن القلانسي في تاريخ سنة ٥٠٣ بحرفه دون ذكر المنقول عنه وهو لا يخالفه الا في لفظة واحدة بقوله « كتب دور العلم » على صيغة الجمع لا « دار العلم » . وليس لدينا نسخ مخطوطة من تاريخ ابن الاثير للوقوف على روايته الاصلية فمن المحتمل ان النساخ قرأوا بالغلط « دور العلم » بدلا من دار العلم

والى هذه الرواية المشبوهة استند المستشرق المرحوم هرتويك ديرنبورغ في ابحاثه عن أسامة بن منقذ حيث ذكر نهب « مكاتب طرابلس تلك المدينة العريقة في العلم وصرح العلوم » فمن اطلع على كلامه لا يشك في ان تلك المدرسة القرآنية كانت كاحدى كليات اوربة الخطيرة في القرون الوسطى تجاريها في علومها العليا .

١) اطلب مجلة الاكادمية برلين Goldziher: Stellung der alten Islam. Orthodoxie zu den antiken Wissenschaften (Acad. de Berlin 1917)

وكان سبقهُ الالماني بروتس (Prutz) في كتابهِ عن تاريخ آداب الصليبيين الذي موّه فيهِ الحقائق التاريخيّة فزعم هناك انّ مكتبة طرابلس المذكورة كانت تحتوي الوفاً مؤلفة من الكتب. فخصّص ما رواهُ ابن القلانسي اجمالًا وورد في كامل ابن الاثير بالمقالة. وكلاهما يذكر نهب الكتب مع سواها من الذخائر والامتعة ولا يفوهُ بالحريق. ولو ثبت حرقُ الصليبيين لهذه المكتبة لوجدوا لهم عذرًا في حريق كثير غيرها في تلك الازمنة المضطربة المتواترة الحروب. فليُراجع ما كتبهُ ابن القلانسي (ص٩٦) عن حريق الجامع الاموي سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٩) وما تكرّر فيهِ بعد ذلك غير مرّة من لهيب النيران فلا شكّ أنها التهمت المكاتب المهمّة المودعة في هذا الجامع

وممّا ثبت اليوم بالانتقاد انّ المكاتب في القرون المتوسّطة قبل اكتشاف الطباعة لم تبلغ مبلغ مكاتبنا الكبرى في عهدنا مهما قيل جزافًا عن كبرها. ثمّ انّ هذه المكتبة الطرابلسيّة كان جمعها ابن عمّار القاضي الذي كانت ولايتهُ على طرابلس منذ زمن قليل فلم يسمح لهُ الوقت وكثرة النفقات ان يوفر عدد مخطوطاتها الى حدّ بليغ كما يرويهِ النُّلاة. ومن هؤلاء النُّلاة ناصر الدين محمّد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرات المتوفّى سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥م) فانهُ كتب تاريخهُ المعروف بتاريخ الدول والملوك نحو ثلثمائة سنة بعد الوقائع التي يرويها. فجعل عدد الكتب التي اتلفها الفرنج ثلثة آلاف الف اعني ثلثة ملايين ويصرّح هناك بما لم يقلهُ ابن القلانسي وابن الاثير قبلهُ فيقول انّ الفرنج احرقوها. وقد استند ابن الفرات الى كاتب شيعي يدعى يحيى بن حميدة بن ابي طيّ الحلبيّ الذي فُقدت كلّ تآليفهِ وتوفي سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢م) فاتّخذهُ ابن الفرات دليلًا

وقد ضرب ابن الفرات صفحًا عن مؤرّخ آخر سبقهُ بنحو مئة وسبعين سنة اعني بهِ شهاب الدين النويري الذي لم يعرف شيئًا من رواية ابن ابي طيّ ويذكر ان مكتبة طرابلس التي اتلفها الفرنج كانت تحتوي مئة الف مجلّد. فبين هذا العدد اعني مئة الف والعدد المذكور في تاريخ ابن الفرات المستند الى ابن طيّ اعني ثلاثة ملايين من الكتب بونٌ عظيم كنسبة الواحد الى الثلثين. ونحن نرى طرًا ظاهرًا في رواية النويري فكيف نسلّم بقول ابن الفرات الذي يُشعر باقاصيص الف ليلة وليلة وكأنّ ابن الفرات وابن ابي طيّ ارادا ان يعارضا بين حريق مكتبة الاسكندريّة في عهد عمر بن

الخلاب وحريق الصليبيين لمكتبة طرابلس فأتيا بما يقرب الصدق بقولهما على ما حسبا . قال ابن الفرات :

« وكان لطرابلس دار علم لا نظير لها في العالم . تحتوي على ثلثة آلاف الف كتاب في العقائد وتفسير القرآن الشريف والحديث والادب . وكان عدد المصاحف فيها يبلغ خمسين الفاً والتفاسير عشرين الفاً . وكان قضاة بني عمار يحتسبون بنجاح هذه دار العلوم ويصرفون الرواتب السنوية على مئة من الشيوخ وكان بينهم ٣٠ شيخاً لا يبرحون الدار نهاراً ولا ليلاً . وكان لهم عملاء في كل البلدان ليبتاعوا لهم افضل ما يجدون من الكتب . وكانت طرابلس في عهد بني عمار اصبحت مدينة زاهرة حافلة بالعلوم يتقاطر اليها العلماء من كل البلدان . فلما وقعت المدينة سنة ٥٠٣ في ايدي الفرنج بقودهم ريمون صنجيل دخل احد كهنتهم دار العلم فتعجب من وفرة كتبها . وكان اول خزانة رآها خزانة المصاحف فاخذ الواحد منها فعرف انه القرآن وهكذا استرى بقية الكتب واذا هي كلها مصاحف فاطن الامر لرفقته فاضرموا فيها النار وحولوا المكتبة رماداً ولم يبق منها الا عدد قليل من التآليف تشتت شملها في البلدان (١) »

فترى من هذه الرواية مع ما فيها من الأرقام المفرطة ان معظم محتويات مكتبة طرابلس كانت كتباً دينية موافقة لدار العلم اعني مقام التعليم الديني . ولا اثر هناك لما زعمه جرجي افندي يني في تاريخ سورية (ص ٣٨٣) « انه كان بين مجلداتها كثير من كتب الفرس والعرب واليونان » فان علوم الاوائل لم تزل في عهد الصليبيين راقية مزهرة (٢)

فمن تأمل كل هذه الروايات تحقق ما فيها من المزاعم الباطلة والخرافات . فان كتبة العرب في احصاءاتهم يأتون باعداد لا يمكن تصديقها . فهذا ابن الاثير مثلاً يزعم ان الصليبيين لما دخلوا معرة النعمان قتلوا مئة الف من اهلها اعني خمسة اضعاف اكثر مما كانت تحتويه تلك البلدة

وان عدنا بالنظر الى خزائن الكتب وجدت في اقوال القدماء ما يبعد عن الحقيقة بُعد الثريا عن الثرى . فاطلب مثلاً ما كتبه المقريزي في الخطط (١ : ٤٠٨) عن مكتبة القصر الفاطمي . تجد بين الروايات التي دونها هناك تبايناً عظيماً فبينما يذكر الواحد « ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري » يقول الآخر وهو ابن ابي طي « ومن عجائبها انه كان فيها الف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري » وبينما يؤكد ابن ابي واصل ان خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين الف مجلد يجعلها ابن الطوير زيادة على مائتي الف كتاب من المجلدات ويسيراً من المجردات » ويقول ابن

(١) تعريب ما رواه كاترمار Quatremère : Mémoires sur l'Egypte II,506

(٢) اطلب تاريخنا La Syrie, I, 245-246

الى طيّ على عادته بالمغالاة انها « كانت تشتمل على الف الف وستمائة الف كتاب » فقس على ذلك ارقام كثيرين من مؤرخي العرب التي لا يمكن قبولها

فأخطأ اذن جرجي افندي ينّي بنقل هذه الروايات الضعيفة على علّاتها دون ان يعمل فيها نظر النقد . وكذلك لم يُصب بقوله (ص٣٨٣) فيما نسبهُ الى الصليبيين من تقهقر طرابلس وسقوط تجارتها وزراعتها وصناعتها . واما كتب ما كتب في عهد الاتراك خوفاً من مراقبة المطبوعات او خدعتهُ اوهامهُ الباطلة . وما لا ريب فيهِ انّ سواحل الشام ومدنها البحريّة بلغت في عهد الفرنج مراقي العزّ والنجاح واخذت بهمّتهم تجارة عكّا وصور تزاحم تجارة القسطنطينيّة يشهد على ذلك ابن جبير في رحلتهِ (١

امّا خمود هذه الحركة التجاريّة وسقوط المدن الساحليّة عموماً كعكّا وصور وصيداء الخ فانّما حدث بفعل سلاطين مصر المعروفين بالمماليك فانهم خوفاً من حملات الفرنج على سواحل الشام التي كانت في ملكهم خربوا حصونها ودمّروا اسوارها واستأصلوا آثار طرابلس ونقلوا اهلها الى الداخليّة (٢ . فكانت تلك الضربات لازبةً اثّرت ايّ تأثير في حياتها الاقتصاديّة بل في حياتها الادبيّة فترى الشام وبقيّة البلاد المجاورة لها خاملةً عقيمة لا تجد من التآليف الّا ما لا يُعبأ بهِ من منقولات عن الكتب السابقة والمجاميع الثانويّة التي تُروى فيها الاخبار عن السلف دون انتقاد يخلط الكتبة الغثّ بالسمين . فاين اين التآليف المشعّة كالاغاني وتواريخ الطبري والبلاذري والمسعودي . فترى بدلًا منها كتباً تدور في دائرة ضيّقة تختلف صورةً وتتّفق معنًى بل ربّما تجد من السرقات الادبيّة ما يخجل لهُ وجه الادب . وكم هناك من التآليف السخيفة او المصنّفات الخياليّة كاقاصيص الف ليلة وليلة واسفار سندباد البحري وفتوحات شتّى كفتوح الشام المنسوب الى الواقدي وكلّها خالية من النقد الصحيح والتحقيق الواجب لاسيما فيما يروونهُ من الاحصاءات كما يجدونها في مخيلتهم او يسندونها الى مصادر ضعيفة ليس تحتها كبير أمر .

وفي ختام هذه الاسطر نتمنّى ان يوجّه كتبتنا المعاصرون نظرهم الى انتقاد ما يروونهُ عن السلف فيعرضونهُ على محكّ البصيرة . ولا يقبلون منهُ الّا ما وافق الحقيقة وينبذون كل ما سواه

(١) اطلب تاريخنا المذكور ١ : ٣٥٣ الخ و٣٦٥ الخ (٢) فيهِ ايضاً ٢ : ٢ الخ

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

المجلس الثاني

ذكر ما جرى من الكلام في حلول ابن الله واتحاده بالطبيعة البشرية

ولمّا كان يوم الاحد بعدهُ انفذ الوزير في طلبي فصرتُ اليهِ (٢٧) وبعد استعلامهِ اخباري واقاويل جميلة اوردها عليَّ دعوتُ لهُ لاجلها قال لي:

اعلم انّي فكَّرتُ في ما اوردتهُ في توحيد النصارى وانّما عرضتْ لي شبهة اخرى تقتضي الشكَّ فيهم

قلت: يذكرها الوزير ايَّدهُ الله لأقول ما عندي فيها

قال: أليس النصارى يقولون بالاتحاد؟

قلت: نعم

قال: وكيف يصحُّ لكم التوحيد مع قولكم أنَّ الله تعالى حلَّ في البشري المأخوذ من مريم وانتم تعلمون انَّهُ ليس يخلو ان يكون قد حلَّ فيهِ كمثل العرَض في الجوهر وهذا ممَّا يؤدي الى القول انَّ الله تعالى عرَض او كحلول الجسم في الجسم وهذا دليل بانَّ الله جسم والقولان كفر. ثمَّ ليس يخلو ايضاً ان يكون الجوهر الالهي كلَّهُ على الكمال حلَّ في البشري المأخوذ من مريم او بعضهُ فان كان كلَّهُ حلَّ فيهِ فقد انحصر (٢٨) وان كان حلَّ بعضهُ فقد تجزَّأ وتبعَّض والقولان كفر

قلتُ: ان حلول الباري سبحانهُ وتعالى في البشري المأخوذ من مريم لم يكن كحلول العرض في الجوهر لأنهُ تعالى ليس بعرض ولا كحلول الجسم في الجسم لانهُ ليس بجسم ولم يحلَّ الجوهر كلَّهُ على الكمال ولا بعضهُ لانهُ لا ينحصر في مكان دون مكان ولا يتجزَّأ ولا يتبعَّض فيحصل بعضهُ في مكان وبعضهُ في مكان آخر لكنَّ حلولهُ تبارك وتعالى كان بحلول الوقار والرضا والمشيئة لا بحلول الذات والجوهر لأنَّ ذاتهُ وجوهرهُ في كلِّ مكان بالسويَّة وانَّما يحلُّ في مكان دون مكان وفي شخص دون شخص حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلولهِ في السما دون

الارض وفي البيوت المتخذة لعبادته دون غيرها وفي الانبياء والمصطفين دون غيرهم من البشريين (١ — —

قال : ان كان حلول البارئ في البشري (٢٩) المأخوذ من مريم حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلوله في الانبياء والابرار الذين حلّ فيهم برضاه ومشيئته فلا فرق بينهُ وبينهم وان لم يكن بينهُ وبينهم فرق فما يجب ان تقضاوهُ عليهم (٢

قلتُ : انَّ اسم الحلول من الاسماء المشتركة التي يقع كل اسم منها على اشياء مختلفة مثل اسم الوجود الواقع على البارئ تعالى وعلى الانسان وعلى الارض والنار والحجر وغير ذلك من الموجودات ومثل اسم الحيوان الواقع على الانسان والثور والحمار وغير ذلك من الحيوانات . وكما لا يداني الانسان البارئ تعالى وان كان اسم الوجود يقع عليهما معاً كذلك الانبياء لا يداتون البشري المأخوذ من مريم لوقوع الحلول فيهِ وفيهم (٣٠) . لان الحلول فيهِ كان حلول الاتحاد الذي لا يلحقهُ افتراق وحلول الرضا والمشيئة الكاملة والحلول فيهم غير حلول الاتحاد وغير حلول الكمال (١ . ولو جاز ان يساوي بعضُ الانبياء البشريَّ المأخوذ من مريم لاجل وقوع اسم الحلول عليهما معاً لجاز ان يساوي تلاميذُ المسيح سيّدهم في البنوّة لوقوع اسم البنوّة عليهم وعليهِ من موجب قولهِ «أصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم» . فكما قال انَّ الله تعالى ابوهُ وابوهم وهم غير متساوين في البنوّة كذلك يقال انَّ الله حلّ فيهِ وفي الانبياء

---

١) هذه البدعة النسطوريَّة بينها فانها تجعل المسيح انساناً اتحد معهُ الله اتحاداً عرضياً . وليس حلول الوقار والرضا والمشيئة الّا اتحاداً عرضياً لا يختلف عن اتحاد الله مع الانبياء والابرار الّا في الدرجة فقط . وان كان الامر كذلك يبطل كلّ سرّ تجسُّد ابن الله وكلّ سرّ الفدى . والصواب انَّ اللاهوت كلَّهُ بجوهره واقنوم ابن الله قد حلّ في السيّد المسيح وان كان حلولهُ لم ينحصر في شخص السيّد المسيح لوجوده كإلهٍ في كلّ مكان . وقد قام لهُ جوهرهُ وذاتهُ الالهيَّان مقام الاقنوم البشري بحيث يجوز ان يُنسب الى الله كلّ فعل يفعلهُ المسيح سواء كان بطبيعتهِ الالهيَّة او بطبيعتهِ البشريَّة . فيجوز القول إنَّ الهاً ولد في بيت لحم من مريم العذراء التي يحقّ لها ان تُدعى امّ إلهٍ وإنَّ الهاً مات على الصليب كما يقال انَّ الهاً صنع المعجزات وشفى المرضى واقام الموتى . ولنا في ذلك مثال حسن في الانسان وتركيبهِ من جسد ونفس اذ يُعزى الى شخص واحد ما تصنعهُ النفس كالفكر والارادة وما يصنعهُ الجسد كالاكل والنوم

٢) هذا الاعتراض في موقعهِ وهو يبطل المزاعم النسطوريَّة . من اصلها ل . ش

من غير ان يساويهُ الانبياء في الحلول(١ فانَّ الحلول فيهِ يتميز من الحلول في الانبياء. والابرار لاسباب عدَّة: منها انَّ الابن الازلي الذي هو الكلمة اتَّحد معهُ فصار مسيحاً واحدًا (٢ فلذلك نسميه نحن المسيح وتسمُّونهُ انتم كلمة الله(٣١) وليس في الانبياء من يُسمَّى عندنا وعندكم كلمةَ الله الَّا المسيح من موجب الاتحاد. ومنها انهُ لم يكن من جماع ولا عرف الجماع. ومنها انَّ لهُ من الآيات ما ليس لغيرهِ من الانبياء والمصطفين. ومنها انَّ الله رفعهُ الى السماء وهو هناك حيٌّ وليس في الانبياء من رفعهُ الله اليه. ومنها انهُ لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولًا ولا فعلًا وليس في الانبياء من شهد لهُ الكتاب بمثل ذلك. واذا كانت هذه اوصافهُ وجب ان يكون الحلول فيهِ غير الحلول في غيرهِ (٣

قال: انَّ هذه الاوصاف كلها التي تنسبونها الى هذا البشري قد توجد جميعها في الانبياء. وذلك انَّ قولكم انَّ المسلمين يسمُّونهُ كلمة الله فذلك لانهُ خُلق بامر الله كما خُلق كلّ شيء (٣٢) من الاشياء بان قال لهُ كُنْ فكان. وقولكم انهُ من غير جماع فآدم ايضاً كان من غير جماع. وقولكم انهُ لم يعرف الجماع فيحيى بن زكريا لم يعرف الجماع. وقولكم انَّ لهُ آياتٍ ومعجزاتٍ تفرَّد بها فليس لهُ آية ولا معجزة الَّا ولموسى مثلها. وقولكم انهُ رفعهُ الله اليهِ الى السماء فادريس (٤ ايضاً رفعهُ الله اليهِ الى السماء. وقولكم انهُ لم يعرف الخطيئة فسائر الانبياء معصومون من الخطيئة (٥. واذا كان هؤلاء الانبياء قد ساوَوهُ في هذه الاوصاف وجب ايضاً

١) ليس هذا الجواب مقنعاً طالما يبقى هذا الحلول متفاوتاً بالدرجة فقط ويُعتبَر حلول الله في السيِّد المسيح حلول وقار ورضاً ومشيئة. ولا يفيدهُ استنادهُ الى كلام الانجيل «أصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم» فانَّ هناك اشارة الى طبيعتهِ الانسانيَّة التي تمَّ صعودها في ذلك اليوم الى السماء ورافقت الطبيعة الالهيَّة التي لم تبرح السماء. فدعا الله اباهُ والهُ بالنسبة الى طبيعتهِ البشريَّة وان صحَّ ذلك ايضاً بالنسبة الى بنوَّتهِ الازليَّة من الآب واشتقاق لاهوتهِ ازليًّا منهُ

٢) فهذا ينقض قولهُ السابق. لانهُ لا يمكن اتحاد الكلمة مع ناسوت المسيح بحيث يصير مسيحاً واحدًا الَّا بأن يكون الاتحاد جوهريًّا في ذات اقنوم ابن الله — ل. ش

٣) او بالحري وجب ان يكون ذلك الحلول اتحادًا ذاتيًّا جوهريًّا بابن الله.

٤) ادريس عند المسلمين هو على رأي البعض اخنوخ الذي ذكرهُ سفر التكوين (٥: ٢١-٢٢) وعلى رأي غيرهم النبيّ مار الياس الذي توارى في العلوّ على مركبة نارية (٤ ملوك ٢: ١١)

٥) انَّ الانبياء معصومون عن الضلال في وحيهم ولكن ليسوا معصومين عن الخطيئة. فانَّ الاسفار المقدَّسة تذكر خطايا لبعض الانبياء كداود وسليمان — ل. ش

ان يساووهُ في الحلول واذا كان الامر هكذا فلا فضيلة لهُ عليهم

قلتُ : لو كان الامر على ما يزعم المسلمون انهم انما يسمُّون المسيح كلمةَ الله لانهُ خُلق بأمر الله كالمخلوقات كلها فهذا ينتقض اذ لو كان ذلك ما كان بينهُ وبين سائر المخلوقات فرقٌ لانَّ كلًّا منهم حتى الدوابَّ وسائر الاجسام البديعة الحياة خُلق بامر الله . ولو كان ذلك كذلك لما كان لتخصيص المسيح بهذا الاسم معنًى ومن المُحال (٣٣) ان يختصَّ باسم لم يختصَّ بهِ غيرهُ دون معنًى . واذا ثبت انهُ لم يُسَمَّ كلمة الله لانهُ خُلق بامر الله ثبت انهُ انما سُمّي كلمة الله لاتحاد الكلمة الازليَّة معهُ كما يُسمَّى الجسد ناطقاً لاتحاد النفس الناطقة معهُ (١

واما قولكم انهُ لا فرق بينهُ وبين آدم في كونهما من غير جماع . فجوابهُ انَّ كون آدم من غير جماع ليس هو بفضيلة لآدم اذ خُلقت كلّ الحيوانات الاولى ايضاً من غير جماع . وذلك انَّ آدم كان من غير جماع في وقت لم يكن فيهِ ذكر وانثى يكون منهما . والبشريُّ المأخوذ من مريم تفرَّد في ذلك في وقتٍ كان فيهِ عدد الذكور لا يُحصى فيمكنهُ ان يكون من نسل احدهم . ولأن الله اظهرهُ في مثل ذلك الوقت من غير ذكر فقد شرَّفهُ (٣٤) بذلك على جميع البشر . ثمَّ انَّ المسيح قد فضل على آدم وعلى سائر البشريين لانَّ آدم خالف ربَّهُ وعصاهُ في الفردوس والناسوت المصطفى من مريم لم يعرف الخطيئة اصلًا . وآدم أُبعد من الجنَّة وقد رُفع المسيح الى السماء . ثمَّ ان آدم توعَّدهُ الله بالكدّ والشقاء والجوع والتعب والعودة الى الرميم والتراب . والمسيح شرَّفهُ الله وعظَّمهُ واعطاهُ اشرف الاسماء واجلَّ الالقاب ووعد تابعيهِ بالنعيم في الجنَّة . فاذا كان (٣٥) على هذا الحال فليس ينبغي ان يقاس البشري المأخوذ من مريم بآدم وان تساويا في الجوهريَّة والبشرية (٢

١) وهذا يقتضي ان يكون اتحاد كلمة الله بناسوت المسيح اتحاداً ذاتياً باقنوم ابن الله على خلاف ما زعم صاحب المجالس . ألا ترى في الانجيل انَّ السيِّد المسيح ينسب الى نفسهِ كلَّ صفات اللاهوت بل يؤكد انهُ هو والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) . وهذا كلّهُ يسقط لو كان الاتحاد بالوقار والرضا والمشيئة فقط كما يزعم النساطرة ل . ش

٢) قولهُ انَّ المسيح وآدم تساويا في الجوهريَّة والبشريَّة يُشعر ايضاً بالبدعة النسطوريَّة فانَّ جوهر المسيح هو ذات جوهر ابن الله وجوهر الاقنوم الثاني الالهي الذي اتحد الطبيعة البشريَّة بكل خواصها وتقاصها وعللها الا الخطيئة وضمَّها الى طبيعتهِ الالهيَّة ل . ش

وقولكم لا فرق بينهُ وبين يحيى بن زكريا في العفّة من الجماع وانهُ لم يختصّ بهذه الفضيلة وحدهُ . فانّنا انّما اردنا كون المسيح جمع في شخصهِ الفضيلتين معاً اي الكون من غير جماع والعفّة من الجماع . لانّ آدم لم يكن من جماع لكنهُ عرف الجماع ويحيى ابن زكريا لم يعرف الجماع لكنهُ ولد من جماع . والناسوت المأخوذ من مريم لم يكن من الجماع ولا عرف الجماع وهذه الفضيلة ليست لآدم ولا ليحيى

وقولكم انهُ لم يكن للمسيح شيءٌ من الآيات والمعجزات الّا (٣٦) ولموسى مثلها ينتقض لأنّ موسى لم يذكرهُ بعضُ مَن تقدّمهُ من المصطفين . ولمّا ارسلهُ الله الى فرعون لم يظهر الله على يدهِ معجزةً على الفور ولكن عن امرٍ من الله او بعد تضرُّع . وفي آخر عمرهِ غلط غلطاً منعهُ الله لاجلهِ من الدخول الى الارض المقدّسة . فتضرّع وسأل وابتهل ان يغفر لهُ ويسامحهُ بالدخول اليها فلم يُقبل سؤالهُ . وامّا السيّد المسيح فانّ الانبياء ذكروهُ وبشّروا بهِ قبل ظهورهِ باكثر من الفي سنة وقالوا فيهِ انهُ هو المنتظَر وصاحب الامر والمرتجى للامم . وكانت آياتهُ ومعجزاتهُ على الفور ولا على التراخي ومن غير تضرُّع الى الله مثل قولهِ للميت «قم» فيقوم وللمُقعَد «انتصب» فينتصب وللابرص «شئتُ فاطهرْ» فيطهر . وللمريض «قد برئتَ» فيبرأ . وللاعمى «قد أُعطيتَ البصر» فيبصر وللشيطان (٣٧) «اخرج من الانسان» فيخرج ولهيجان البحر «اسكن» فيسكن وغير ذلك ممّا نطق بهِ الانجيل المقدّس . وقد شهد القرآن انهُ تكلّم في المهد وانهُ كان يعمل من الطين كهيئة الطير وينفخ فيهِ فيكون طيراً (سورة آل عمران ع ٤١–٤٣) . وما سبيل من كان يعتقد ذلك من المسلمين ان يقيس امر موسى بالمسيح في امر الآيات والمعجزات التي جرت على ايديهما (١

وقولكم انهُ لا فرق بين المسيح وبين ادريس في وضعهما قردود من موجب الانجيل عند النصارى ومن موجب القرآن عند المسلمين لانّ الانجيل لا يدلّ على انّ ادريس في السماء والقرآن ايضاً وان كان يدلُّ على انهُ رُفع الى مكان عليّ (سورة مريم ع ٥٧–٥٨) الّا انهُ لم يذكر انهُ في السماء . فامّا المسيح فيدلّ الانجيل على انهُ رُفع

---

١) ويضاف الى قولهِ انّ موسى لم يمكنهُ ان يمنح لغيرهِ صنع المعجزات على خلاف السيد المسيح الذي اعطى لتلاميذهِ تلك النعمة فعلوا كما فعل المسيح بل اجترحوا باسمهِ معجزاتٍ لم يجترحها هو كما كان وعدهم بذلك ل . ش

الى اعلى السماوات ويدل القرآن ايضاً عليه (سورة آل عمران ع ٤٨) بقوله «يا عيسى اني متوفيك ورافعك (٣٨) اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة» . فبقوله «رافعك اليّ» يدل على رفعه الى غاية العلو والعظمة في المنزلة . فاذا كان الامر على هذا فليس يقاس امر المسيح في ارتفاعه الى السماء بامر ادريس

وقولكم انه لا فرق بينه وبين سائر الانبياء في العصمة من الخطيئة . فجوابه انّ الخطيئة تكون اما بالفكر واما بالقول واما بالفعل وليس في الانبياء من يشهد له الكتاب بالعصمة من السهو والغلط في فكره وقوله وفعله . والانجيل وكتب الانبياء الذين بشّروا بالمسيح تدلّ على انّه لم يعرف الخطيئة لا فكرًا ولا قولًا ولا فعلًا

فاذا كان الامر هكذا وكان البشري المأخوذ من مريم قد اتحد مع الابن الازلي الذي هو الكلمة وصار مسيحاً واحداً وليس كذلك سائر الانبياء والصالحين وجب القول (٣٩) ان تكون فضيلة الحلول متميّزة فيه من الحلول فيهم كتمييزه بينهم (١) . . . تمّ المجلس الثاني بعون الله وارشاده

المجلس الثالث

في اقامة الدليل على توحيد النصارى من القرآن

وفي يوم الثلثاء مستهلّ جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : تأملتُ ما اوردتَهُ في معنى توحيد النصارى فاستحسنتُهُ ثمّ رجعتُ الى القرآن الشريف فوجدتُهُ يدفعهُ بقولهِ (سورة المائدة ع ٧٧) : « لقد كفر الذين قالوا انّ الله ثالث ثلثة » وهو يصفهم في مواضع كثيرة بالشرك

قلتُ : ليس يلزمني أيّد الله الوزير ما ورد في القرآن ومع انهُ لا يلزمني ذلك فانا أقيم الدليل منهُ على انّ النصارى موحّدون . وذلك انّا نجدهُ تارةً يشهد لهم بالتوحيد

(١) ليست هي فقط متميّزة بل هي مختلفة جدًّا منهم لانّ حلول الله في الانبياء انما كان مرضيًّا موقتًا ادبيًّا بخلاف حلول الكلمة في ناسوت السيّد المسيح الذي كان ذاتيًّا جوهريًّا ازليًّا بحيث يقوم اقنومهُ الالهيّ فيه مقام الذات البشريّة جامعاً بين الطبيعتين الكاملتين الالهيّة والانسانيّة ل ش

وتارةً بالشرك. واذا كان الامر على هذا فليس يخلو ان يكون إمّا متناقضاً وامّا ان يشير بالتوحيد الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أخرى. وما اظنّ انّ في المسلمين حرسهم الله من يقول انّهُ متناقض فيلزم القول انّ المراد بوصفهِ النصارى بالتوحيد اشار الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أخرى. فامّا الموحّدون الذين يشهد القرآن بتوحيدهم (٣٩) ونعرف انّهم مقرّون بانّ الله واحد فنحن (اي الناطرة) واليعاقبة والملكيّة ومن يجري مجرانا من النصارى. وامّا المشركون منهم فقوم يتشبّهون بالنصرانيّة كالمرقيونيّة والديصانيّة والمانويّة والطريثونيّة(١ اي المثلّثة وغيرهم ممّن ينتسب الى النصرانيّة وهم برئيون منها ويعيدون عنها. فامّا المرقيونيّة فيعتقدون ثلثة آلهة الهاً عدلاً والهاً رحيماً والهاً شريرًا. وامّا الديصانيّة والمانويّة فيقولون بصانعَين والهين احدهما خالق الخير والنور والآخر خالق الشرّ والظلمة. وامّا الطريثونيّة اي المثلّثة فيقولون بثلثة آلهة وثلثة ارباب وثلثة معبودين وثلثة جواهر ونحن نعتقد فيهم وفي المرقيونيّة والديصانيّة والمانويّة انهم مُلحدون ومخالفون الشرع. وامّا الاقاويل الدالّة على توحيدنا من القرآن فمن ذلك ما ورد في سورة البقرة(٤٠) حيث يقول (ع ٥٩): «انّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرُهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فقد دلّت هذه الآية على انّ «من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهُ اجرهُ عند ربّهِ ولا خوف عليهِ ولا يحزن»

قال: قد اختلف المفسّرون في هذه الآية فقال بعضهم نُسخت بقولهِ (آل عمران ع٧٩): «ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبَل منهُ وهو في الآخرة من الخاسرين». وقال آخرون انّ المراد بها هو انّهُ انّما يستحقّ اليهود والنصارى والصابئون الاجر في الآخرة اذا أسلموا لا اذا كانوا على اديانهم

قلتُ: انّما قولُ من قال انّ صحّة هذه الآية منسوخة ينتقض بما اذكرهُ وهو (٤١) انّ الكلام ينقسم على اقسامٍ عدّة فمنهُ خبرٌ ومنهُ استخبارٌ ومنهُ طلبٌ ومنهُ إنذار ومنهُ أمرٌ. والنسخ لا يقع الّا في الامر لانهُ لو وقع في الخبر او غيرهِ من

١) المرقيونيّة شيعة مرقيون المبتدع الذي عاش في القرن الثاني للمسيح. والديصانيّة مذهب بردصان (الطب للشرق ١٨ (١٩٢٠): ٩٧٧-٩٩٣). والمانويّة بدعة حالي الذي ظهر في العجم في القرن الثالث للميلاد. امّا الطريثونيّة فبدعة لبعض الفراطقة في القرن الرابع مشتق اسمها من اللاتينيّة (Tritheismus) اي القائلون بثلاثة آلهة

اقسام الكلام غير الامر كان اختلافاً وتضاداً . وانما جاز وقوع النسخ في الامر لانهُ يَحسُن في الامر فيأمر الآمر بامرٍ ما في وقتٍ ما لمصلحةٍ يوجبها ذلك الوقت. ويأمر بعد ذلك الوقت بغير ذلك الامر لمصلحةٍ أُخرى . فاما من يُخبر بخبرٍ ما ثمَّ يُخبر بغير خبر ضدّهِ فقبيح ولذلك جاز وقوع النسخ في الاوامر دون غيرها من اقسام الكلام . والاوامر على ضربَيْن : فرائض وغير فرائض والنسخ لا يقع الّا في الفرائض . والفرائض على ضربين : منها عقليَّة مثل فرض التوحيد وفرض شكر النعم وطاعة الوالدين وصلة الرحم . ومنها سمعيَّة مثل تعظيم يوم (٤٢) بعد يوم وإجلال موضع دون موضع وتحريم طعام دون طعام وغير ذلك من الفرائض السمعيَّة فلا يقع النسخ الّا فيها دون العقليَّة لانهُ يستحيل ان يُنسَخ فرضُ التوحيد او فرضُ شكر النعم او فرض طاعة الوالدين او فرض صلة الرحم . واذا كان النسخ لا يقع الّا في الاوامر وكانت هذه الآية إخباراً لا امراً بطل ان تكون منسوخة . ومما يدلّ على انها لم تُنسخ انهُ ورد في القرآن قولهُ (سورة المائدة ع٥) : « اليوم اكملتُ لكم دينكم واتممتُ عليكم نعمتي » . وما بعد التام والكمال شيء آخر

واما قول من يقول انَّ المراد بآية البقرة انما هو « انَّ اليهود والنصارى والصابئين يستحقُّون الأجر في الآخرة اذا اسلموا لا اذا كانوا على اديانهم » فيبطل ايضاً لانهُ لو كان المراد فيها ذلك لما كان لذكر اليهود والنصارى والصابئين في الآية معنًى اذ لا فائدة (٤٣) في قوله « الذين آمنوا » الّا ان يستوعب كل من يدخل في الايمان من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم والّا لما بقي فرق بين قوله « الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين اذا آمنوا » وبين قوله « الذين آمنوا والذين آمنوا » وهذا تكرُّر لا يُفيد معنى وليس للمسلمين ان ينسبوا مثل هذا الى القرآن .

وايضاً فلو كان المبذول في هذه الآية من الأجر في الآخرة لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الاسلام اوجب ان تكون المجوس والهنود اذا اسلموا خارجين عن الشرط وممنوعين من البذل ولزم انهُ لو اسلم بعضهم وغيرهم من عبدة الاصنام لا يُقبَل إسلامهُ لتخصيص اليهود والنصارى والصابئين بذلك . فاذا كان هذا عندهم غير واجب بطل ان تكون هذه الآية منسوخة ويبطل (٤٤) ان يكون المبذول منها لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الاسلام

وثبت ان المراد بها هو انَّ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين لهم اجرهم عند الله ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون. واذا ثبت ذلك ثبت انَّ النصارى موحدون.

وقال الطبري في شرح هذه الآية: «انَّ الذين صدَّقوا الله ورسولهُ هم اهل الاسلام والذين هادوا هم اليهود. وانَّ من الصابئين من آمن بالله وقد بيَّنا امرهم والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وصدَّق بالبعث والنشور بعد الموت وعمل صالحاً لمعاده فلا خوف عليهم لما قدموا عليه من اهوال القيامة ولا هم يحزنون على ما خلَّفوهُ وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما اكرمهم الله به من جزيل ثوابه». فقد دلَّ هذا القول من الطبري رحمهُ الله على انهُ كان يعتقد انَّ من آمن بالله واليوم الآخر من اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحاً استحقوا النعيم في الآخرة

ومنها ايضاً قولهُ (سورة البقرة ع ٢٢٠): «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ» فلو كان النصارى مشركين لما جاز ان تُنكح بناتهم الا بعد أن يُسلمنَ» والآن هنَّ يُنكحن ولو بقين على مذهبهنَّ فعُلم بذلك انَّ النصارى غير مشركين(٤٥)

ويثبت ذلك بما ورد في سورة آل عمران (ع ١٩٠) ان: «ليسوا سواء من اهل الكتاب امةٌ قائمةٌ يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون الى الخيرات واولئك من الصالحين» فعلم انَّ الأمة القائمة المذكورة في هذه الآية هي بعض ملل اليهود او النصارى. والقرآن يشهد على اليهود بشدة العداوة وقساوة القلب والمكر ويشهد للنصارى بقرب المودة والسرعة الى الخيرات وعمل الصالحات وذلك مما يدلّ انهُ بقوله «امة قائمة» قد اراد النصارى لا اليهود. فاذا ثبت ذلك ثبت ان النصارى موحدون لا مشركون

وكذلك جاء في سورة الحج (ع ٤١): «ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهُدِّمت جوامع وبيَع وصلوات ومساجد يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً» فلو كان النصارى غير موحدين لما شهد انهم يذكرون اسم الله في بيَعهم كما يذكرهُ المسلمون في مساجدهم اذ لا يذكر اسمَ الله (٤٦) الا الموحدون ولا كان يساوي بين المساجد والبيَع

وفي السورة السابقة (ع ١٧): «انَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين

والنصارى والمجوس والذين اشركوا انَّ الله يَفصل بينهم يوم القيامة »ومعلوم انهُ لو كان النصارى مشركين لَما ميَّز في هذه الآية بينهم وبين الذين اشركوا

وفي سورة التوبة (ع ٥) : «فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم »فهذه الآية توجب قتل المشركين حيث وُجدوا سواء أعطوا الجزية ام لم يعطوها . ويوجب القرآن حقن دماء النصارى وأكل ذبائحهم ومخالطتهم وحراستهم اذا اعطوا الجزية كما يحرّس المسلمون . وذلك مما يدلّ على انهم موحّدون لا مشركون

وفي سورة المائدة (ع ٧٠) : «ولو أنهم اقاموا التوراة والانجيل وما أُنزل اليهم من ربّهم لأكلوا مِنْ فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مُقتصدة وكثيرًا منهم ساء ما يعملون » قال مجاهد (٤٧) : « انَّ الأمة المقتصدة هي مؤمنةُ اهل الكتاب وقال قتادة : اي من اهل الكتاب امّةٌ مقتصدة على كتاب الله واوامره . وقال السدي : هي المؤمنة . وقال ابن يزيد : المقتصدة هي اهل الطاعة لله من اهل الكتاب وهي ممَّن يقبل التوراة والانجيل » ولم يقبل التوراة والانجيل احدٌ سوى النصارى فهم اذن موحدون

وفي سورة المائدة (ع ٨٥) : « لتجدنَّ اشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنَّ اقربهم مودَّة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بانَّ منهم قسيسين ورهباناً وانَّهم لايستكبرون » (٤٨) فقد ميَّز النصارى من المشركين في هذه الآية تميزًا يدلّ على انَّ النصارى موحّدون غير مشركين . وقال ابو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية بعد ان اورد تأويلات المتقدمين واختلاف المفسرين فيها ما هذا شرحهُ : «ان الصواب في ذلك عندنا ان يقال انَّ الله تعالى اخبر عن النفر الذين اثنى عليهم من النصارى بقرب مودَّتهم لاهل الايمان بالله ورسوله وانَّ ذلك انما كان منهم لان منهم اهل دين واجتهاد في العبادة وترهّب في الاديرة والصوامع وانَّ منهم علماء بكتبهم واهل تلاوة لها فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق اذا عرفوهُ ولا يستكبرون قبوله اذا تثبّتوهُ وليس كاليهود الذين قد تبدَّوا بقتل الانبياء والرسل ومعاوضة الله في امره ونهيه وتحريف التنزيل الذي أُنزل في كتبه » . (٤٩) فقد دلَّت هذه الآية وتفسيرها على انَّ النصارى اقرب الناس مودَّة الى المسلمين وانَّهم مجتهدون في الطاعة لله وبالنتيجة انهم موحّدون لا مشركون . . . . . .

قال الوزير : انَّ النصارى المذكورين في القرآن غير نصارى هذا الزمان

قلت : لو كان النصارى المذكورون في القرآن غير نصارى هذا الزمان لَمَا وجب ان يُرضى منهم بالجزية المفروضة في القرآن والتي اخذوها من نصارى ذلك الزمان ولَا وجبَ ان تؤكل ذبائحهم وتُنكح بناتهم كما كانت تُنكح بنات اولئك وتؤكل ذبائحهم . واذ يجري المسلمون في هذا الزمان مع النصارى مجراهم مع النصارى المتقدمين في الجزية والذبائح فثبت انهم النصارى المذكورون في القرآن . وهكذا فهمه مفسّرو القرآن ولم يفرقوا بين نصارى زمانهم ونصارى غيرهم كانوا في عهد القرآن . قال ابو جعفر الطبري في تفسير قوله (سورة المائدة ع ٧) : « اليومَ أُحِلَّ لكم الطيّباتُ وطعام الذين أُوتوا الكتاب حِلٌّ لكم » فسَّرهُ الطبريّ بما نصُّهُ : « وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم وذبائح اهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم الذين أُوتوا الكتاب(٥٠) اي التوراة والانجيل أُوتوا بهما او باحدهما حلٌّ لكم دون ذبائح اهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعَبَدة الاصنام والاوثان ممَّن لم يُذكر توحيدُهم كما كان دين اهل الكتاب فهؤلاء حرام عليكم ذبائحهم » . فقد يدلّ هذا القول على انهُ قد حُرِّم على المسلمين ذبائح اهل الشرك وانهُ لم يحلّل لهم غير ذبائح الموحّدين من اليهود والنصارى . واذا كان الامر على هذا وكان المسلمون مجمعين على ان اكل ذبائحنا حلال وجب على ان يُجمعوا على انَّنا الموحدون المذكورون في القرآن . ولا يمنع توحيدنا اقرارُنا بالاقانيم الثلثة . قال القاضي ابو بكر محمّد بن الطيّب المعروف بابن الباقلاني في كتاب الطعن ما هذا شرحهُ : اعلم انَّ النصارى اذا حقَّقنا معهم الكلام في قولهم انَّ الله جوهر ذو ثلثة اقانيم (٥١) لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الّا في الاسم لانهم يقولون انَّ الله جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بذاتهِ والمعنى صحيح وانَّما العبارة فاسدة لان الاسماء يُرفع فيها الى اهل اللسان ولم يُطلق عليهِ تعالى احدٌ منهم اسم الجوهر . واما الكلام معهم في تثبيت النبوَّة كاليهود فان كان هذا القاضي يقول مثل ذلك فقد وجب على كلّ من يفضّلهُ ويقبل قولهُ الاعترافُ بان النصارى موحّدون .

قال الوزير : اما قول ابن الباقلاني فتقليدٌ لم نقبلهُ . واما الاقاويل الاخر التي ذكرتها فقد حسن موقعها في نفسي . ثم انفضَّ المجلس الثالث ولله المنة (لهُ تابع)

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٢ ﴿ابن الاثردي﴾ ابو الحسن علي بن هبة الله بن الاثردي الارشيدياكي اخو ابي الحسن سعيد . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة شرحُ مسائل كتاب دعوة الاطبَّاء لابن بطلان صنَّفهُ للشيخ ابي العلاء محفوظ المسيحيّ البيلي (اطلب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٢٩٧)

٢٣ ﴿ابن الدهيري﴾ الشيخ الثقة (ويروى التقا) المصري القبطي مطران دمياط كان في اواسط القرن الثالث عشر (اطلب مجموعة مكتبتنا الشرقي MFO, I, 128-129) . لهُ في العربيَّة كتاب في اصول اللغة القبطيَّة (منهُ نسخ عديدة في باريس ولندن (Ms. 1325) . ونسختان في رومية وفي مكتبة البطريركيَّة القبطيَّة في مصر

٢٤ ﴿ابن رجا﴾ يوحنَّا المتنصر كان في القرن العاشر للميلاد . ذكر لهُ ابو البركات بن كبر في فهرسهِ (Nachrichten ed. Riedel, kgl, Gesel. d. Wiss. 1902, p. 663) اربعة كتب : ١ً في الاعتراف وسمَّاهُ الواضح . ٢ً نوادر المفسرين وتحريف المخالفين . ٣ً هتك المحجوب . ٤ً سيرتهُ . وقد ورد اسم الكتابين الاوَّلين في كتاب الخريدة للراهب البراموسي

٢٥ ﴿ابن زرعة﴾ ابو علي عيسى بن اسحاق البغدادي اليعقوبي تلميذ يحيى بن عديّ (٩٤٣–١٠٠٨م) . (اطلب ترجمتهُ في عيون الانباء في طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٥ وفي تاريخ الحكماء لجمال الدين ابن القفطي (ص ٢٤٥) لهُ عدَّة تآليف فلسفيَّة وطبيَّة ونُقول عن اليونانيَّة (اطلب الفهرست لابن النديم (ed. Flügel, p. 264) ومن آثاره الباقية الى اليوم عدَّة مقالات دينيَّة وفلسفيَّة في مجاميع مكتبة باريس الوطنيَّة الموسومة بالاعداد ١٣٢، ١٧٣ و ١٧٤ هذه عناوينها : صحَّة مذهب النصارى وفساد مذهب اليهود . رسائل في التثليث والتوحيد . تبرئة اليعقوبيَّة من القول بحلول الآلام بذات الابن الازليّ ردًّا على كتاب ابي القاسم البلخي المسمَّى اوائل

الادلة . اجوبة عن مسائل سأله عنها ابو حكيم يوسف البُحَيْري . مقالة في اربعة مباحث عن الاتحاد الذي تقول به النصارى . رسالته الى اليهودي بشر بن نحمان (اطلب Steinschneider: *Polem. Literatur*, 146 - 149) . وله في مكتبة الفاتيكان (١٤٧) تفنيد مذهب المسلمين واليهود . . وفيها ايضاً (ع ١٣٥) ابحاث في الانجيل واجوبة على مسائل شتى . وله في كتاب اصول الدين لابن العسّال مقالة في اثبات النسخ من الانقص الى الاكمل . وقد نشرنا له في المشرق (٦ [١٩٠٣] ٣١٦–٣١٨) تعريبهُ لمقالة تامسطيوس في السياسة

٢٦ ﴿ابن الزعيم﴾ هو بولس الارشيدياكون ابن البطريرك مكاريوس الحلبي كان في اواسط القرن السابع عشر . ذكر له عيسى افندي اسكندر المعلوف في مجلة النعمة (١ : ٣٩٤) تاريخ الملك باسيليوس ملك البغدان وحروبه قال انهُ الفهُ لما استُودع في قلعة كالومنا هو ووالدهُ في جوار بلاد روسيَّة بسبب الطاعون . وقد ألَّف مع ابيه البطريرك تاريخاً لبطاركة الكرسي الانطاكي . ساعدهما في تعريب النصوص الواردة في اللغات الاجنبيَّة مرسلان يسوعي وكبوشي في دمشق (اطلب المجلة الاسيويَّة J. As., 1904, 10e Série, III, 351)

اطلب ايضاً مكاريوس البطريرك الانطاكي

٢٧ ﴿ابن ساويروس﴾ هو يوحنا الكاتب القبطي اليعقوبي . كان في القرن الثاني عشر . له في مكتبة الفاتيكان في رومية (ع ١٠٧ و١٢٦ و٤٠٥ Mai 40,29) كتاب العلم والعمل في كيفيَّة وجود البقاء وما يجب ان تتناوله ابناء البيعة من العلوم الاصطلاحيَّة والفلسفة الدنيانيَّة (كذا) . وقد طُبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٩١٣ بمطبعة عين شمس مع كتاب الفردوس العقلي وهو في عشرة ابواب

٢٨ ﴿ابن ساويروس﴾ ذكرهُ ابن العسّال في قائمته لكتبة النصارى التي قدَّمها على كتابه اصول الدين وسمَّاهُ هناك : الشيخ الاجل الرئيس الحكيم الفاضل مصطفى الملك ابو يوسف يعقوب بن جرجس بن سويرس الكاتب . ولا نعرف شيئاً من تآليفه

٢٩ ﴿ابن سبَّاع يوحنا بن زكريا القبطي﴾ كان في القرن الثالث عشر . له كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة (في ١٣) فصلاً منهُ نسخة في رومية في المكتبة الفاتيكانيَّة (اطلب المكتبة الشرقيَّة للسلفاني ٢ : ٥١٢) ونسخة ثانية في مكتبة

مجمع انتشار الايمان (ع٣٥) . وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسختان قديمتان . والكتاب قد طُبع في مصر سنة ١٨٩٨

٣٠ ﴿ ابن صليبي ﴾ هو يعقوب ثم ديونيسيوس برصليبي مطران آمد اليعقوبيّ توفي سنة ١١٧١ م لهُ في السريانيّة تآليف عديدة ذكرها السمعاني في مكتبته الشرقيّة (٢ : ٢١٠) وروبنس دوفال في تاريخ الآداب السريانيّة (R. Dival: *Littérature Syriaque p.399*) . ومما وجدنا لهُ في العربيّة : ١ً تفسير التوراة بالكرشوني في دير الزعفران . ٢ً تفسير الانجيل ترجمهُ من السرياني مار اغناطيوس البطرك اليعقوبي سنة ١٧٥٤ وعليهِ شروح واسعة مع مقدّمة . (منهُ نسختان في مكتبتي الشرفة والقدس لليعاقبة تاريخ هذه النسخة الثانية ١٥٨٢ لليونان ١٢٧١م) . ولهُ ٣ً في مكتبة الموارنة في حلب قوانين في التائبين (اطلب المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٥٩٩ — ٦٠١

٣١ ﴿ ابن العبري ﴾ هو ابو الفرج غريغوريوس بن هارون الطبيب الملطيّ (١٢٢٦—١٢٨٦) . نشرنا ترجمتهُ ووصفنا تآليفهُ في نبذة خاصّة بعد طبعها في المشرق سنة ١٨٩٨ . فعليك بها : وقد طُبع كثيرٌ من تآليفهِ السريانيّة . امّا تآليفهُ المعروفة باللغة العربيّة فهي : ١ً منارة الاقداس تعريب دانيال بن الخطّاب السابق ذكرهُ في اخصّ العقائد النصرانية . (منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة منقولة عن نسخة دير الشرفة . ومنها تعريب آخر لسركيس بن يوحنّا الدمشقي في اكسفرد) . ٢ً كتاب القوانين البيعيّة في ٤٠ باباً تعريب دانيال بن الخطّاب . منهُ نسخة في دير الزعفران وفي مكتبة آل مديشيس في رومية وفي القدس الشريف . ٣ً كتاب الآداب وتهذيب الاخلاق يُعرف بالاثيقيرن . عرّبهُ ابن الخطّاب ايضاً وقيل يوحنّا بن جرير الشامي . منهُ نسخة في مكتبتنا منقولة عن نسخة دير الشرفة المكتوبة سنة ٢٠١٠ للاسكندر (١٦٩٨م) . ٤ً كتاب الحمامة في العبادة والروحيّات معرّب ايضاً منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٥ً رسالة في النفس وخواصّها في ٦٢ باباً . نشرناها في المشرق سنة ١٨٦٨ وفي آخر ترجمتهِ ثمّ في مجموعنا «مقالات فلسفيّة قديمة» (الطبعة الثانية ١٩١١ ص ٧٦—١٠٢) عن نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٦ً كتاب مختصر تاريخ الدول عرّبهُ ابن العبري عن كتابهِ السرياني تاريخ الازمنة . (منهُ نسخٌ متعدّدة في اكسفرد وباريس ورومية . طُبع اوّلاً في اكسفرد مع ترجمتهِ اللاتينيّة في جزئين

تهمّة المستشرق ادوار بوكوك سنة ١٦٦٣ وجدّد طبعهُ متقناً حضرة الاب انطون صالحاني في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٨٩٠). ٧ً ولهُ في مكتبة حلب للموارنة كتاب في المنطق بالسرياني والعربي (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٣٥٨) . ٨ً وفي مكتبة بغداد العموميّة كتاب تقدمة المعرفة لابقراط مع شرحها . وفي عدّة مكاتب يُنسب الى ابن العبري كتاب دفع الهم والصواب انهُ لايليا النصيبيني

٣٢ ﴿ابن العسّال﴾ الرئيس المؤتمن ابو اسحاق ابن فخر الدولة ابي الفضل (ويروى المفضّل والفضائل) اسعد ابن المؤتمن ابي اسحاق ابرهيم بن ابي سهل جرجس ابن ابي البشر بن العسّال . هو اخو ابي الفرج هبة الله وابي الفضائل الصفيّ الوارد ذكرهما (اطلب مجموع المكتب الشرقي MFO, I, 122-124) والمجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ, As. 1905, VI, 509-529) وفي فهرس ابي البركات (Riedel, 660) عاش في اواسط القرن الثالث عشر . لهُ ١ً مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين من الكتب اللاهوتيّة المتّسعة . منهُ نسخة في مكتبة باريس (Ms.200) ولندن (Or.1020) ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة قديمة تاريخها سنة ١٥٢٠ م ٩٢٦ والاخرى كرشونية (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٧٥٧–٧٥٨ . وقد طبع في مصر سنة ١٩٠٠ كتاب سلك الفصول في مختصر الاصول لابن العسّال . ٢ً تفسير رسائل مار بولس الرسول منهُ في المكتبة الفاتيكانية نسختان تاريخ الواحدة سنة ١٢٧٠ م ٦٦٩ كُتبت برسم خزانة جرجس بن العميد . ٣ً تفسير الابوكالبسيس اي رؤيا مار يوحنا في مكتبة الموارنة في حلب (عدد ١٧ اطلب المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٩٦) . ٤ً التبصرة المختصرة في العقائد النصرانية في ١٦ باباً منه نسخة في مكتبتنا الشرقية وفي مكتبة القس بولس سباط . ٥ً تفسير الامانة المقدّسة في مكتبة باريس (198 et 214, n° 9) . ٦ً تفسير ما ورد في الانجيل عن آلام سيّدنا يسوع المسيح الى صعوده مع مقدّمة واسعة على اصول تفسير الكتاب المقدّس . منهُ نسخة قديمة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ونسخة اخرى لدى الخوري بولس سباط . في آخر نسختنا لا ايضاح تقسيم تدابير السيّد المسيح من حين الحبل به الى صعوده الى السماء . ٨ً وقد نشرنا لهُ في المشرق فصلاً عن مجموع الاصول شرح رسالة عيسى بن يحيى الجرجاني في اقسام الدين طبعت في مجموع المقالات الدينيّة القديمة (ص ١١٠–١٢٠)

= ٩ً ولهُ في اصول اللغة القبطية كتاب « السلّم المقفّى والذهب المصفّى » منهُ عدّة نسخ في المكاتب الاوربية (MFO, I, 122) . وربّما نسبت تآليف المؤتمن الى اخيهِ الصفي والعكس بالعكس

٣٣ ﴿ ابن العسّال ﴾ الاسعد ابو الفرج هبة الله اخو المؤتمن . من تاليفهِ ١ً الاناجيل المقابلة على القبطي والعربي والسرياني واليوناني من اجلّ التآليف وصفناهُ ونسخنا منهُ صفحةً في المشرق (٤ [١٩٠١] : ١٠٠—١٠٦) عن نسخة المرحوم بشاره الخوري . ومنهُ نسخ عديدة في مكاتب اوربّة في الفاتيكان وفي الكتبة الامبروسيّة في ميلانو وفي لندن (نسختان تاريخها ١٢٥٢ و ١٢٦٤) وفي اوكسفرد . ٢ً لهُ مقدّمة جليلة على رسائل مار بولس في مكتبة ليدن في هولندة (Ms. 2376) . ٣ً لهُ مقدّمة في اصول اللغة القبطيّة . منهُ نسخة في لندن وفي اوكسفرد

٣٤ ﴿ ابن العسّال ﴾ الصفيّ ابو الفضائل . اجد اخو الرئيس المؤتمن والاسعد ابي الفرج السابق ذكرهما . لهُ ١ً فصول مختصرة في التثليث والتوحيد صنّفها في القاهرة سنة ١٢٧٤ م منها نسخة في مكتبة باريس (Ms. ar. 199 (n°1) وفي مكتبة الفاتيكان . ٢ً كتاب الصحائح في الردّ على النصائح (ويروى الصحاح في جواب النصاح) . وهو ردّ على احد المسلمين نظّمهُ بهاء الدين ابا القاسم المعروف بابن سيّد الكل المتوفّى سنة ٦٩٧ هـ صاحب نصائح المفترضة في فضائح الرفضة (كشف الظنون للحاج خليفة ٦ : ٣٤٧) . منهُ نسخة في مكتبة اليعاقبة في القدس . وفي مكتبة بوغوس بك قابس في مصر . ٣ً كتاب الايضاح على كتاب الصحاح . وهو تابع للكتاب السابق في المكتبتين عينهما . ٤ً كتاب نهج السبيل في الردّ على من قدح في الانجيل . لعلّهُ اراد كتاب ابن تيميّة تحجيل من حرّف الانجيل . هو في المكتبتين السابق ذكرهما . وقد استنسخنا هذه الكتب الثلثة لمكتبتنا الشرقيّة (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٧٥٩—٧٦٠) . ٥ً كتاب قوانين آبائنا الرسل . الفهُ سنة ١٢٣٩ م . منهُ نسختان في الفاتيكان احداهما مخطوطة سنة ١٢٣١ وخمس نسخ في باريس (Mss ar. 245-249) ونسخة في لندن بمجلّدين . ونسخة في دير الشير . طُبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٨٩٤ . وقد اختصر الصفي كتابهُ هذا فسمّاهُ جامع اختصار القوانين ثمّ اختصر هذا المختصر ايضاً ودعاهُ كفاية المبتدئين

في علم القوانين. ٦ً كتاب في كلندار الكنيسة وتطبيقه مع العلوم الفلكية . في لندن والفاتيكان (اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني ج١ : ٦٢٣ وهو يروى هناك لاخيه المؤتمن ابي اسحاق) . وهذا الكتاب يدعى في مكتبة الاقباط في مصر مجموع التواريخ لعلماء القبط . ٧ً كتاب الفردوس في مكتبة باريس (Ms. 283) وقد طبع هذا الكتاب في مصر تحت عنوان الفردوس العقلي سنة ١٩١٢ . ٨ً وله كتاب خطب بيعيّة طبعهُ في مصر سنة ١٨٨٧ القس ميخائيل الشيلنجي

٣٥ ﴿ابن علي﴾ يشوع المطبّب النسطوري . عاش في اوائل القرن العاشر للميلاد . له قاموس سرياني عربيّ طبع قسماً منهُ المستشرق هوفمان (G. Hoffmann) في كيال سنة ١٨٧٤ . ومنهُ نسخ شتّى في المكاتب الاوربيّة

٣٦ ﴿ابن العميد﴾ جرجس ابن الياسر المكين بن ابي المكارم العميد القبطي المتوفّى في دمشق سنة ١٢٧٣ م له تاريخ مشهور يبتدئ بالخليقة وينتهي الى الهجرة دعاهُ المجموع المبارك . منهُ نسخ شتّى في رومية في مكتبتي الفاتيكان (ع ١٦٨ و ١٦٩) وانتشار الايمان (ع ١١) ومثلها في مكاتب باريس ولندن واوكسفرد وفي مكتبة الاورثدكس في حلب وفي مكتبة الاقباط في مصر . وفي مكتبة دير الشرفة (بالكرشوني) . وهذا التاريخ لم يُطبع الى الآن . ولابن العميد تاريخ آخر وهو مختصر تاريخ ابي جعفر الطبريّ ثمّ تتمّة اخباره الى زمانه اعني الى القرن الثالث عشر وهذا التاريخ نشرهُ بالطبع في لندن سنة ١٦٢٥ العلّامة المستشرق توما ارپنيوس ونقلهُ الى اللاتينيّة . وللمفضّل بن ابي الفضائل تاريخ الحقهُ بتاريخ ابن العميد دعاهُ النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد من ١٢٦٠ الى ١٣٤١ م ضمّنهُ تاريخ السلاطين المماليك الى السلطان الملك الناصر بن قلاوون . في مكتبة باريس (Paris. 4525)

٣٧ ﴿ابن عون﴾ هو ابراهيم بن عون الاسكافي النسطوري كان في القرن التاسع للميلاد في عهد الخليفة المتوكّل . له كتاب شهير في ثلثة اقسام عنوانهُ كتاب حلّ الشكوك والردّ على اليهوديّ المخالف . منهُ نسخة في باريس (Ms. 166) ونسختان في المكتبة الفاتيكانية . ونسخة غير كاملة قديمة في مكتبتنا الشرقيّة . وقد ذكرهُ ابو البركات في فهرسه (Riedel, p. 651) قال انّ تلك الشكوك اوردها بعض اليهود ..

على انّ كتب النصارى متناقضة فأبطل ما زعمهُ اولئك من ذلك. عدّة ابوابهِ ١٢٧ » (اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني ٣: ٥٠٩)

٣٨ ﴿ابن القفّ﴾ امين الدولة ابو الفرج بن يعقوب من نصارى الكرك (١٢٣٣ – ١٢٨٦م) توفّي في دمشق. اطلب ترجمتهُ في طبقات الاطبـاء لابن ابي اصيبعة (١: ٢٧٣). يُعرف اليوم لهُ من المصنّفات: ١ً كتـاب الاصول في شرح الفصول لبقراط كتاب ضخم في نحو ١٠٠٠ صفحة. منهُ نسخٌ في غوتا (Ms. 1894) وفي لندن في جزئين (Br. Mus. Suppl., 804) وفي مكتبة الجزائر (N° 1745) وقد وجدنا منهُ نسخةً في بيت المرحوم ميخائيل الطبيب. ومنهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة. ٢ً كتاب الشافي في الطبّ في ١٤ فصلاً منهُ في المتحف البريطاني نسخة تاريخها سنة ٦٧٠ هـ (١٢٧١م) ونسخة اخرى ايضاً قديمة في المكتبة الواتيكانيّة. ٣ً كتاب العمدة في صناعة الجرّاح. منهُ نسخ متعدّدة في خزائن اوربّة. ٤ً كتاب جامع الغرض في حفظ الصحّة ودفع المرض. في المتحف البريطاني (Or., 3690) منهُ فصل في المشرق (١٠: ٧١٨). ٥ً كتاب منافع الاعضـاء الانسانيّة ومؤذيهـا في المكتبة الخديويّة في مصر (٧: ٢٥٧)

٣٩ ﴿ابن التلاعي﴾ جبرائيـل بن بطرس السلعدي الراهب الفرنسيسي ومطران افقوسية الماروني المتوفّى سنة ١٥١٦ هو اوّل كتبة الموارنة الـذين ظهروا في الاجيال المتأخرة. وقد سرد الدويهيّ مصنّفاته بالتفصيل في تاريخ الموارنة (ص ١٥٣ – ١٥٤) وهي عبارة عن زجليات واغاني عاميّة ومواعـظ وتآليف لاهوتيّة وطقسيّة ورسالات وتراجم قديسين ولدبيّات شتّى ومعظمها بالشعر العامّي واللغة الركيكة. وبينها المقـاطيع التاريخيّة الوطنيّة يشوبهـا قلّة الانتقاد لخلوّ زمانهِ من المكاتب والمطبوعات. وممّا يعرف لهُ الى يومنا: ١ً مقـالات في التعاليم المسيحيّة في مكتبة الفاتيكان (ع ٤٢٥). ٢ً الحقّ القانوني الماروني فيها (ع ٦٣٩). تاريخهُ سنة ١٥٧٥. وفيها ايضاً ٣ً محاماتهُ عن الموارنة (ع ٦٤٠). ثم ٤ً كتابهُ عن اسرار البيعة (ع ٦٤٢). ثم ٥ً كتابهُ عن القدّاس والمرطقات (ع ٤٢٥ و ٦٤٤). ثم ٦ً مواعظهُ في عدد خمسين (ع ٦٤١) تاريخها سنة ١٦٣٧. ٧ً وقد عزّ لهُ في المشرق (٦: ٤٠٠–٤٠٥) ذكر كتابهِ المعنون بناموس كنيسة رومية. وفي مكتبتنـا الشرقيّة نسخة من ومجلياتهِ

التاريخيّة بالكرشوني والسلفة العاميّة تاريخها سنة ١٦٨٤ كُتبت في دير قزحيا بخط انطانيوس بن ابي منصور حنا من بيت فرجي من قرية كفردبيان وكان معلمهُ المطران يوحنا السمرجيلي (ص ٢١٢). يليها زجليّات عن القديسين كار بشواي ومار نهرا وتاريخ قبرس ومديحة طرابلس. ومنها نسخة اخرى بحرف عربي. ولهُ في مجموع آخر كرشوني مدائح وزجليّات غيرها عن عواقب الانسان وعن القديسين الخ. وقد وجدنا لهُ في جران في مكتبة فارس افندي طنّوس عبدالله نسخة من تاريخهِ ورسائلهِ ومواعظهِ

٤٠ ﴿ابن قنبر﴾ هو انس مرقس بن موهوب القبطيّ (اطلب اخبارهُ في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني ص ١٢—٢٢ ed. Evetts,). لهُ في مكتبة لندن كتاب في الكلندار السنوي وحساب الفصح كتبهُ سنة ٩١٣ للشهداء (١١٩٧م). وقد ذكر لهُ ابو صلح الارمني: كتاب المعلّم والتلميذ وكتاب المجموع في ما اليهِ المرجوع

٤١ ﴿ابن كاتب قيصر﴾ هو عَلَم الرئاسة ابو اسحاق ابرهيم بن ابي الثناء ابن صفي الدولة ابي الفضائل كاتب قيصر. عاش في اواسط القرن الثالث عشر لهُ مقدّمة في النحو القبطيّ دعاها كتاب التبصرة في اصول اللغة القبطيّة منهُ عدّة نسخ في رومية وباريس ولندن واوكسفرد وفي مكتبة الاقباط في مصر

٤٢ ﴿ابن كُلَيل﴾ هو المكين سمعان بن كُلَيل بن مقاره الراهب القبطيّ من قرية ميكائيل بشو. ذكرهُ ابن العميد في آخر تاريخهِ وكان من قرابتهِ وابو البركات في قانتهِ (Riedel, 661) ترهّب ببريّة الاسقيط بعد ان خدم في ديوان الجيش في أيام الناصر صلاح الدين يوسف. توفّي في اوائل القرن الثالث عشر. لهُ كتاب جليل في السيرة الفاضلة يُدعى روضة الفريد وسلوة الوحيد في ١٢ باباً: الاوّل في خلقة الانسان وغايتهِ. والثاني في الايمان بالله. والثالث في التقوى. ثمّ ابواب الصلاة والصوم والصبر والمحبّة والعفّة والتواضع والصفح والقناعة وآخرها الارتياض بالسُّنن العادلة. من هذا الكتاب نسخ عديدة. منهُ نسختان في رومية ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة وهي بالكرشوني سنة ١٧٤٥ ونسخة في دير الشرفة وفي مكتبة الاقباط في مصر. وقد طُبع الكتاب في القاهرة سنة ١٦٠٢ للشهداء (١٨٨٦ م) (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٧١٦)

٤٣ ﴿ابن لبّاد﴾ القسّ جبرائيل الماروني: كان في اواسط القرن الثامن عشر. لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع٣٧٣) تعريب اربعة اجزاء من نحو ٣٠٠ رسالة في الفضائل للقديس نيلوس تاريخ النسخة سنة ١٧٣١ م

٤٤ ﴿ابن ماري﴾ هو ابو العبّاس يحيى بن سعيد بن ماري الطبيب النصراني البصري المتوفّى سنة ١٢٢٥م ويروى في الحاج خليفة (٦:٦٥) سنة ٥٨٩هـ (١١٩٣ م). لهُ مقامات على شبه مقامات الحريري دعاها المقامات المسيحيّة. منها نسخة في مكتبة ڤينة في النمسة (Ms. 384) ومنها نسخة حسنة في مكتبة بغداد

٤٥ ﴿ابن ماسَوَيه﴾ هو ابو زكريّا يحيى او يوحنّا بن ماسويه النصراني البغدادي النسطوريّ طبيب اربعة من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل توفي في سامرّا سنة ٨٥٧ م. وكان اخوهُ ميخائيل طبيباً ذا خُبْر وتجربة - ذكر تآليفهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ١٧٥—١٨٣) وقد بقي منها اليوم: ١ً كتابهُ المعنون بنوادر الطب في ليدن (Ms. 1302) والاسكوريال في اسبانية (Ms. 888) وفي مكتبة غوتا (Ms. 99). ولهُ ٢ً كتاب في الحُميات نُقل الى اللاتينيّة وطُبع. ٣ً كتاب الكامل في الطبّ في مكتبة باريس منهُ بالحرف العبراني نسختان (Mss. 379 et 408). ٤ً كتاب ماء الشعير في مكتبة الجزائر (Ms. 1746). ٥ً في جواهر الطبّ (Ref. 62). ٦ً الادوية المسهلة في اوكسفرد (Bodl. 410) وستراسبورغ (765)

٤٦ ﴿ابن المجيد﴾ ابو الياس النصراني. لهُ تاريخ استشهد بهِ ونقل عنهُ بولس ابن الزعيم والبطريرك مكاريوس الحلبي في تاريخ بطاركة انطاكية وتاريخ حلب. كان في القرن السادس عشر كما يظهر

٤٧ ﴿ابن محرومة الماوردي﴾ ابو الحسن بن ابرهيم من كتبة القرن الرابع عشر. لهُ في مكتبة رومية المعروفة بانجليكا (B^ca Angelica) ردٌّ على سعيد بن كمُونة الاسرائيلي على ما ذكرهُ في كتابه التنقيح عن الديانات الثلاث. النصرانيّة واليهوديّة والاسلاميّة. فيورد ابن محرومة كلام ابن كمُونة ثمّ يفنّدهُ. وصحائف الكتاب ١٦٣ كُتب في ماردين سنة ٧٥٣ هـ (١٣٥٤—١٣٥٥ م).

٤٨. ﴿ابن مخلوف﴾ الخوري بطرس بن دومط القسطاوي الماروني هو احد

تلامذة مدرسة الموارنة في رومية صار مطراناً على قبرس وتوفي في اوائل القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة حلب للموارنة وفي مكتبتنا الشرقيَّة كتابهُ في حياة السيّد المسيح وفي آخره حياة العذراء مريم استخرجهُ من اللاتينيَّة الى العربيَّة سنة ١٦٧١ م وقد جعل هذا الكتاب في مقدّمة تأليفهِ المدعو ببستان القديسين الذي نقلهُ عن اللاتينيَّة ليُقرأ في كل ايام السنة . ولم نعثر على نسخة منهُ

٤٩ ﴿ابن المطران﴾ هو الشيخ موفّق الدين ابو نصر اسعد بن الياس بن جرجس المعروف بابن المطران الدمشقي توفّي سنة ٥٨٧ ﻫ (١١٩١ م) كان طبيباً نصرانيًّا ثمَّ اسلم . (اطلب ترجمتهُ في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ٢ : ١٧٥) لهُ كتاب بستان الاطبّاء وروضة الالبّاء . ذكرهُ الحاج خليفة (٢ : ٥٠) ونقل ابن ابي اصيبعة نُتفاً منهُ وهو مفقود

٥٠ ﴿ابن المعدني﴾ هو البطريرك اليعقوبي يوحنّا ابن المعدني المتوفّى سنة ١٢٦٣ اخبارهُ في الجزء الثاني من تاريخ ابن العبري الكنسي (Lamy : Chron. Eccl. II,744) . لهُ في المكتبة الواتيكانيَّة ميامر لاعياد السنة (Vat. 97 et 223) ومنها نسخة في مكتبة اليعاقبة في القدس الشريف

٥١ ﴿ابن المقفَّع﴾ ابو بشر ساويروس اسقف الأشمونَيْن الكاتب المصري القبطي . كان في اواخر القرن العاشر للمسيح . صنَّف عدَّة تآليف بقي منها : ١ً تاريخ بطاركة الاسكندريَّة من القديس مرقس الى زمانهِ . قد طُبع منهُ اقسام في باريس وبيروت (ed. Evetts, et Seybold) . منهُ نسخٌ قديمة الواحدة في برسلو (طبع قسماً منها المستشرقُ سيبولد) وفي رومية (عنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) وفي باريس . ٢ً كتاب الدرّ الثمين في ايضاح الاعتقاد في الدين في العقائد النصرانيَّة مع تأييد البدعة اليعقوبيَّة في الطبيعة الواحدة . منهُ في مكتبتنا الشرقيَّة اربع نسخ خطيَّة . ومنهُ نسخ اخرى في رومية وباريس وفي مكتبة الكلدان في دياربكر . ٣ً ولهُ في مكتبة اليعاقبة في القدس كتاب المجامع . ٤ً وفيها ايضاً كتابهُ طب النفس وشفاء الحزين . ولهُ ٥ً في مكتبة باريس (Ms. 171) تفسير الامانة وتأويل الفاظها مع اقوال ثاقبة في الدفاع عن الدين المسيحي . ولهُ فيها ايضاً ٦ً كتاب المرطقات (Ms. 72, n° 7) . ٧ً وفي مكتبة الواتيكان مخاماتهُ عن المذهب اليعقوبي

ردًّا على ابن البطريق . نشرهُ بالطبع السيد الطيب الذكر المطران بطرس شبلي في مجموعة الآباء الشرقيين للسيد غرافين (Patrolg. Or.) . ٨ً وفي مكتبة الاقباط في مصر كتاب آلام المسيح ترجمهُ من اللغة القبطيَّة الى العربيَّة ساويروس اسقف الاشمونين تاريخ النسخة سنة ١٧٨٢ . منهُ رسالة وجيزة باسمهِ في مكتبتنا الشرقيَّة . والظاهر انَّها مزوَّرة . وقد عدَّ لهُ ابو البركات بن كبر غير هذه الكتب في فهرسهِ (Riedel, p. 654) والغالب انَّها قد فُقدت

٥٢ ﴿ابن المناقي﴾ هو ابو المكارم اسعد بن الخطير بن المناقي المتوفَّى سنة ١٢٠٩م كان نصرانيًّا فاسلم . كان كاتباً في دواوين ملوك مصر ولهُ ديوان شعر ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (٣ : ٢٦١) . ٢ً كتاب قوانين الدواوين . منهُ نسخ مخطوطة في غوتا (Ms. 37) وفي ملحق مخطوطات لندن (Br. Mus., Suppl. 553) وقد طُبع في مصر سنة ١٢٩٩ . ٣ً النافوش في اخبار قراقوش . في مكتبة الخديويَّة (٧ : ٩٥) نُسب غلطاً الى السيوطي (cfr Mém. de la Miss. Arch. Fr. au Caire, VII)

﴿ابن ناعمة﴾ اسمهُ عبد المسيح بن عبدالله بن ناعمة كان في النصف الاوَّل من القرن التاسع . ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ٢٤٤) في جملة مشاهير النَّقلة من اللغات الى اللسان العربي وعدَّد بعض ما نقلهُ من كتب ارسطاطاليس . وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختمن ترجمتهِ لكتاب ثاولوجيا لارسطو (cfr. Brockelmann, I. 203-204) وجدناها في الهند

٥٤ ﴿ابن نون﴾ يشوع البطريرك النسطوري . توفي سنة ٨٢٠م وردذكرهُ في المكتبة الشرقيَّة للسمعاني مع ذكر تآليفهِ السريانيَّة (B. Or. III, 165) لهُ في مكتبة الفاتيكان بالعربيَّة اجوبة وفتاوى على مسائل دينيَّة (ib. II, 307) .

٥٥ ﴿ابن وهيب﴾ البطريرك اليعقوبي اغناطيوس بن وهيب المسيحي بدرزخا توفي سنة ١٣٣٣م . لهُ في مكتبة دير الزعفران قريباً من ماردين كتابان الواحد في تفسير حروف الهجاء السريانيَّة والعربيَّة والآخر في تعريف الصلوات والطقوس

(لهُ تابع)

كتابة الاسقف ابرقيوس

او ملكة الماديات النصرانية

للاديب الشماس يوسف عبد تلميذ المدرسة المارونية في رومية

تمهيد

كلّ عصرٍ كانت ولم تزل السفينةُ البطرسية تقاسي صدمات تيّار الاضطهاد والمحن لأنها منذ نشأتها في مهدها معدّة حتى انتهاء الدهر كي تخوض ببحر من دماء ابنائها. وتلك من علامات قداستها ان تكون كنيستها الالهي هدفاً لسهام العالم لانهُ لا يطيق ألّا اشباهَهُ ويُصلي حرباً عوانًا مقاوميه. وبالصواب يقول جوزف دي مستر عن الكنيسة (في كتابه عن البابا): «عبثاً كلُّهم يضربون لانهم يحاربون الله ولكن جميعهم يعرفون اين يضربون»

ومع ذلك تزول الاجيال المضطهدة وتزول معها العروش القاهرة متحطمةً على أقدام الصيّاد الالهي ولا تبقي لها اثرًا الّا آثار فنائها وفظائعها وعظمةَ الكنيسة وألوهيتها. ومن ثمّ فقد كذب ثوليد وزمرتهُ اذ قالوا «بان الكنيسة تُقضي او سوف يقضى عليها قريباً». فهي مبنية على صخرةٍ تعضدها كلمةُ مَنْ وعدها بانه يكون معها الى الابد (متى ٢٨: ٢٠) والسماء والارض تزولان وكلامهُ لا يزول فطبقاً لقولهِ تعالى اضحى ثبات الكنيسة ليس امرًا واقعياً فقط ولكن ضرورةً. وحقًّا لها اذ هي باب الخلاص الذي لا يُقفل طالما على الارض تخفق نفس عاقلة. هي عمود الحق ولباسهُ كما يدعوها الاناء المصطفى (١ تيموثاوس ٣: ١٥) فلن تتزعزع والروح القدس لا يزال يتولّى رعايتها وتعليمها

هذه الافكار كانت تتراوح في صدورنا بينما كنّا في جوف الارض والشمعة في يدنا تجول في دهاليز الديامين الرومانيّة ونحدق النظر بتلك الجدران التي تتزخرف حولها اشباح الاقدمين ونتمعّن فيما ابقته لنا يد الدهر من آثارها ونتبصّر قليلًا في تلك الرموز والخطوط التي كادت السنون تمحوها ولم تشوّه حقيقتها. فاجدادنا يجاهرون من

لحدهم والصخور نفسها تعلن بانهم كانوا يصلون كما نصلي ويبكون كما نبكي ويعتقدون كما نعتقد وهي تصرخ بنوع ما بأنّ تلك الحقائق التي تؤلف جسم ايماننا الآن ليست مختلقة حديثة كوضع مطروح مجهول الاصل يؤخذ الى مأوى فيُعطى ورقةَ جنسيةٍ. كلّا بل ان جراثيمها مغروسة في احشاء الانجيل. تلك الآثار الصامتة تبرهن بان المياه الحيوية التي تتدفق من عاصمة الكثلكة ويرتشف منها العالم الخلاص لا تزال تجري من فم من قال: «انا هو الطريق والحق والحياة»

وقد شغلت عقلنا مثل هذه الافكار اذ كنا جائلين في المتحف اللاتراني الغني بآثارهِ النصرانيّة ولاسيّما اذ وقعت ابصاري على قطعتين من الرخام مرقومة عليهما كتابة يونانيّة قديمة جدًّا بحروف كبيرة محفورة بإتقان وُجدت في جهات الاناضول قرأتُ تحتها

« هذه كتابة الاسقف ابرقيوس الضريحيّة »

فاهتزّ قلبي فرحاً لمّا نظرتها وقد كان بلغني ما قالهُ عنها العلّامة دي روسّي الاثري الشهير انّها «ملكة العاديّات النصرانيّة» اوّلاً لعريق قدميّتها وثانياً لما تحتويهِ من ذكر العقائد الدينيّة التي يعزّ وجودها مجموعةً في غيرها من الآثار. فذلك ما حدا بي الى ان أفرد لها مقالةً وجيزة لقرّاء مجلّة المشرق التي اشارت اليها سابقاً وروت بعض فقراتها (٤ [١٩٠١] : ٦٧٥)

وقبل ان نبيّن مضامين هذه الكتابة الجليلة لا بُدَّ أن نقدّم عليها تعريف صاحبها ثم ندوّن صورتها مع ترجمتها الى العربيّة ثم نبحث عن حقيقتها التاريخيّة ونثبت اخيراً تفسير رموزها لنستخلص منها اخصّ فوائدها المؤيّدة للمعتقدات النصرانيّة

١ من هو ابرقيوس ؟

ان قابلنا بين ما ورد عنه في السنكسار اليوناني وفي ترجمتهِ لسيمون ميتفرستس (Migne, PP. Gr., CXV., 1121) وفي اثرهِ الضريحيّ مع ما ذكرهُ اوسابيوس القيصريّ في تاريخهِ ثبت انهُ مرقلس ابرقيوس او أورقيوس (Ἀουρκιος) احد ساقفة القرن الثاني للمسيح كاد يقارب عهد رسلهِ الكرام. واشتهر خصوصاً في عهد

القيصر الروماني مرقس اوريليوس ولوقيوس ڤيروس باعماله وكتاباته ومقاومته لبدعة مونتانوس التي فشت في بلاد فريجيا في آسيا الصغرى (الاناضول) وكان هو اسقفاً على احدى مدنها تدعى هياروبوليس (Hiéropolis) وقد اشتبه الاسم على العلماء لوروده مصحّفاً في ترجمته حيث رُوي بصورة هيارابوليس (Hiérapolis) وهي ايضاً من مدن فريجية بل احدى قصباتها . واذ لم يجدوا له ذكراً في سلسلة اساقفة هذه المدينة نبذوا كافة اخبار سيرته نبذ النواة وعدّوها مصنوعةً لا حقيقة لها

٢ ما هي كتابة ابرقيوس

ومما كانت تحتويه السيرة المشار اليها كتابة ضريحيّة يقال هناك ان ابرقيوس انّها نظماً لتُحفَر على صفيحة قبره وضمّنها شيئاً من اعماله واسفاره ودينه كما سترى. وكانت هذه الابيات تشوّهت كباقي سيرته فلم يكترث لها المتقدمون كتلمون الشهير (Tillemon) في القرن السابع عشر وغيره من الكتبة لتباين لهجتها وتعابيرها عن سائر الآثار الكتابيّة المعروفة في ذاك العصر فبقيت في زوايا النسيان الى اواسط القرن السابق اذ تنبّه لها الكردينال پترا البندكتي († ١٨٨٩) وكان وجد في مدينة اوتون كتابة ضريحيّة قديمة من القرن الثالث للميلاد تشبه كتابة ابرقيوس بعض الشبه . فاعاد النظر في هذه الاخيرة وقابل بين نسخها المختلفة في مكاتب اوربّة فاصلح كثيراً من اغلاطها دون ان يتمكّن لهات صحّتها . ثم بيّن العلامة دي روسّي موافقة كتابة ابرقيوس مع آثار الديماميس الرومانيّة ورموزها . وانّما كان على كلّ حال ينقص الاثنين البرهان الحتي لبيان صحّتها

فلمّا كانت السنة ١٨٨٢ تجشّم الرحّالة الانكليزي رساي (Ramsay) سياحةً الى آسية الصغرى فوجد في مدينة قلندر قريباً من سنّادة في فريجية كتابة نصرانيّة يونانيّة تاريخها سنة ٢١٦ م على صفيحة ضريحيّة . فلمّا تصفّحوها وجدوا اولها وآخرها على مثال كتابة ابرقيوس السابق ذكرها تكاد تورد تعابيرها بحرفها الواحد . لكنّ الاثري دي روسّي والاب دوشان (Duchesné) صرّحا بانّ هذه الكتابة ليست هي الاصليّة بل هي منقولة من كتابة ابرقيوس والدليل عليه انّ الذي كتبها ابدل فيها اسم « ابرقيوس » باسم « كسكندر » فاختلّ بذلك وزن الشعر الاصليّ لكنّهما

استفادا من هذه الكتابة الجديدة عظم شأن كتابة ابرقيوس وتمنّيا لو امكن اكتشافها بحرفها الاصلي فيربح مكتشفها شكر العلماء وارباب الدين معاً

٣ اكتشاف كتابة ابرقيوس وحقيقتها

ومن ثمَّ عرض العلّامة دي روسّي على رماي ان يعود ثانيةً الى الاناضول ليبحث عن هذه الكتابة الاصليَّة لعلّهُ يجدها. فاجاب أملهُ فانَّ رماي لبّى دعوتهُ سنة ١٨٨٣ ولم يزل يبحث عن الاثر المنشود حتّى وقف على ضالّتهِ فوجد منهُ قطعتَيْن في جدار حمّام تركيّ ولكن لم يجدهما في هيراپوليس بل في هيروپوليس وبذلك زال مشكل المعترضين على انَّ اسم ابرقيوس ليس موجوداً في سلسلة اساقفة هيراپوليس . وكان تاريخ هذه الكتابة في السنة ١٧٠ م موافقاً لزمن مرقس اوريليوس قيصر (١٦١—١٨٠) الذي ورد في سيرة ابرقيوس انهُ كان عائشاً في زمانهِ

فهاتان القطعتان الثاليتا الثمن نُقلت الواحدة منهما الى متحف الاستانة واخذ الرحّالة رماي الثانية الى انكلترة. ففي يوبيل البابا لاون الثالث عشر الاسقفي سنة ١٨٩٢ تلطّف السلطان عبد الحميد بالقطعة المودعة في الاستانة فاهداها الحبر الاعظم. ثمَّ تكرَّم الانكليزي رماي بقطعتهِ على قداسة البابا فوُضعت كلتاهما في السنة ١٨٩٢ في المتحف اللاتراني

فباكتشاف هاتين القطعتين لم يبق ريب في صحّة كتابة ابرقيوس وقدم عهدها وارتباط معانيها من اوّلها الى آخرها وضبط وزنها الشعري مع ما عُرف منها سابقاً

واذ حاول بعض ذوي السفسطات او المتشدّقين بانكار صحّتها او بتأويلها تأويلاً كاذباً كفيكر (Ficker) وهرناك (Harnack) قام اكبر علماء العاديّات النصرانيَّة الاختصاصيين كدي روسّي ودوشان وكومون (Cumont) ولوكلارك (Lechercq) فنفّذوا مزاعمهم ببراهين قاطعة لا يردّها الّا المكابرون للحقّ وها نحن نورد هنا الشطرين المهنّئين من الاصل اليوناني ونتبعهما بتعريب الاثر على تمامهِ.

وقد وضعنا في النصّ اليوناني حروفاً كبيرة دلالةً على ما وجدهُ رماي من الاثر الاصلي المرقوم على قطعتَي المتحف اللاتراني . امّا الباقي الوارد في ترجمة ابرقيوس فرسمناه بحروف صغيرة :

كتابة ابرقيوس الضريحيّة في اصلها اليوناني

Ἐκλεκτὴς πόλεως ὁ πολείτης τοῦτ' ἐποίησα
ζῶν ἵν' ἔχω καιρῷ σώματος ἔνθα θέσιν.
Οὔνομ' Ἀβέρκιος ὤν, ὁ μαθητὴς ποιμένος ἁγνοῦ,
ὃς βόσκει προβάτων ἀγέλας ὄρεσιν πεδίοις τε,
ὀφθαλμοὺς ὃς ἔχει μεγάλους πάντη καθορῶντας.
Οὗτος γὰρ μ' ἐδίδαξε (τὰ ζωῆς') γράμματα πιστά.
ΕΙΣ ΡΩΜΗν ὃς ἔπεμψεν ΕΜΕΝ ΒΑΣΙΛείαν ἀθρῆσαι
ΚΑΙ ΒΑΣΙΛΙΣσαν ἰδεῖν χρυσόσΤΟΛΟΝ ΧΡυσοπέδιλον.
ΛΑΟΝ Δ ΕΙΔΟΝ ἐκεῖ λαμπρὰν ΣΦΡΑΓΕΙΔΑΝ Ἔχοντα.
ΚΑΙ ΣΥΡΙΗΣ ΠΕδον εἶδα ΚΑΙ ΑΣΤΕΑ ΠΑντα, Νίσιβιν
ΕΥΦΡΑΤΗΝ ΔΙΑβάς, πάνΤΗ Δ ΕΣΧΟΝ ΣΥΝΟμίλους
ΠΑΥΛΟΝ ΕΧΟΝ ΕΠΟ··· ΠΙΣΤΙΣ πάντη δὲ προῆγε
ΚΑΙ ΠΑΡΗΘΗΚΕ τροφὴν ΠΑΝΤΗ ΙΧΘΥΝ Ἀπὸ πηγῆς
ΠΑΝΜΕΓΕΘΗ ΚΑΘαρὸν ὃν ΕΔΡΑΞΑΤΟ ΠΑΡΘένος ἁγνή,
ΚΑΙ ΤΟΥΤΟΝ ΕΠΕδωκε φίΛΟΙΣ ΕΣΘίειν διὰ παντός,
οἶνον χρηστὸν ἔχουσα κέρασμα διδοῦσα μετ' ἄρτου....

تعريب الاثر الكتابي

الشطر الاول من الاثر (يدلّ كلّ عدد على بيت شعر)

١ انا وطنيٌّ مدينة شريفة قد اقمتُ
٢ لي وانا حيّ ضريحًا يضجع فيه جسدي اذ يحين الأجل
٣ فابرقيوس اسمي المتلمذ للراعي الطاهر
٤ الذي يرعى قطعان خرافه في الجبال والحقول
٥ وله عينان عظيمتان تحدقان بكل شيء
٦ فهو الذي ثقّفني باسفار الحياة الامينة

الشطر الثاني منه (الموجود الآن في المتحف اللاتراني)

٧ وهو الذي بعثني الى رومية المدينة المتسلطة
٨ لاعاين تلك الملكة المتشحة حلىً ذهبية وخفّي ذهب
٩ وهناك شاهدتُ شعبًا مزدانًا برسم حمل

١٠ ونظرتُ مروج سورية ومدنها ونصيبين لدى عبوري الفرات
١١ واينما اجتزت كنت ارى اخوة باشتراك . . وكنت مستصحباً بولس
١٢ وكان الايمان خيرَ هادٍ لي
١٣ وفي كل مكان كان يعطي من الينبوع تلك السمكة الكبيرة
١٤ والطاهرة التي حملتها العذراء النقية
١٥ وقدّمتها على الدوام مأكلاً للاصحاب
١٦ موزّعةً الخمرة الجيدة ممزوجة (بالماء) سويّةً مع الخبز

السطر الثالث منه

١٧ فانا ابرقيوس وقد اتيت تماماً على الاثنتين والسبعين من عمري
١٨ قد أمليتُ نصب اعيني تدوين هذه كلها
١٩ فمن يفقهها ويعتقد بها مثلي فليتضرع لاجل ابرقيوس .
٢٠ ولا يرفعنّ احد فوق لحدي لحداً
٢١ ومن اجترأ على ذلك فليغرَّم الفي دينار ذهب لخزانة الرومان
٢٢ والفاً منهُ لوطني الشريف هيارو بوليس

٤ تفسيرها

ملاحظة عمومية

قبل تفسير ما في هذه الكتابة من العبارات المبهمة يحسن بنا ان ننبه القرّاء على ما دفع ابرقيوس الى ان يضع كتابتهُ هذه على صورة ألغاز غامضة . انَّ السبب الذي دعاهُ الى ذلك حالةُ النصرانيَّة في ذلك العهد فان الاضطهادات التي أثارها القياصرة على الدين المسيحيّ كانت تقضي على المسيحيين بان يكتموا اسرار دينهم في الخفية بعيداً عن انظار الوثنيين واذا ارادوا الاشارة الى شيءٍ منها ابرزوهُ على صورة رسوم ما كان يفقهها الّا من تثقّفوا بالايمان وذلك بموجب قانون من رؤساء الكنيسة يعرف بقانون الاسرار (disciplina arcani) ومن ثمَّ ترى في دياميس رومية وغيرها كثيراً من هذه الرموز كأشكال الصليب المختلفة اشارةً الى سرّ الفدى وكالراعي اشارةً الى المسيح الراعي الصالح وكالسمكة اشارةً الى سرّ القربان . فجرى ابرقيوس في كتابته على هذا المنوال ولاسيّما لانَّ كتابتهُ هذه كانت معدَّةً لأن تُعرض للعيان على قبر يمرُّ به عابرو السبيل . وهذا ما يعنيه بقوله «فليصلِّ لأجلي من يفقه هذه

ويؤمن بها مثلي» . وبعد هذا التنبيه الاجمالي علينا ان نفحص مضامين الكتابة . وهي على ثلثة اقسام اهمّها القسم الثاني الذي هو كمحور يدور عليه الآخران: الاوّل كتمهيد والثالث كخاتمة

شرح مضامين الكتابة

القسم الاوّل (الابيات ٤-٦):

٤ (الراعي الطاهر الذي يرعى خرافهُ ..) اراد بلا شك الاشارة الى ما جاء في انجيل يوحنّا الحبيب (ف ١٠) : انا الراعي الصالح الذي يبذل نفسهُ عن خرافهِ . وهو رمز تكرَّرت صورتهُ في ديامِس رومية وغيرها يُرى فيها المسيح كراعٍ يحمل خروفاً على منكبيهِ او يُحاط بقطيع من الخراف.

٥ (لهُ عينان عظيمتان تحدقان بكل شيء) . هذه احدى صفاتهِ تعالى الذي يرى كلّ شيء . وبها اقرارٌ بالوهيَّة المسيح

٦ (الذي تغنّي بالاسفار الامينة) دلالة الى ما تلقَّنهُ ابرقيوس من الاسفار المقدَّسة فاستنار بها لنفسهِ ولارشاد غيرهِ بصفة اسقف ومعلّم

القسم الثاني (الابيات ٧-١٥)

لهذا القسم اعظم شأن وفيهِ اثبات صريح لأخصّ العقائد المسيحيَّة التي ادَّعى المبتدعون انها اختراعات حديثة في الكنيسة . اوّلها (٧-٩) رئاسة الكنيسة الرومانيَّة ثم (١٠-١١) انتشارها شرقاً وغرباً مع وحدة الشركة والايمان . وثانيها (١٠-١٥) سرّ القربان الاقدس . وثالثها بتولية العذراء مريم

١ : رئاسة الكنيسة الرومانيَّة

وَصَفَ ابرقيوس في هذه الابيات الثلثة (٧-٩) باجلى منوال الكنيسة الرومانيَّة التي « ارسلهُ الراعي الصالح ليعاين مملكتها العظيمة ومَلِكتها الرافلة بالحلى الثمينة » . من المحال ان يقال انَّ الراعي الصالح ارسل «تلميذهُ» الى رومية ليعاين مملكة دنيويَّة والقياصرة المضطهدين للنصرانيَّة فارسلهُ اذن الى مشاهدة مملكة روحيَّة تملك فيها ملكة جليلة هي سلطانة الهيَّة مفعمة بالبهاء . فانهُ منذ الرُّسل ظهرت تفوّق الكنيسة الرومانيَّة بجلوس القديس بطرس الهامة على كرسيها . وقد اشار بولس الرسول

في رسالته الى ايمان الرومانيين بقوله (رومية ١ : ٨) : انّ ايمانكم يُبشَّر به في العالم كلّه» . وقد ظهرت سلطة الكنيسة الرومانيّة على سائر الكنائس منذ القرن الاوّل كما ترى في رسالة البابا اكليمنضوس (٩٣—٩٧) التي وجّهها الى اهل كورنتوس يرشدهم فيها ويتهدّد المذنبين بينهم ويقرّر سلطانهُ عليهم . وكذلك في اوائل القرن الثاني ترى القديس اغناطيوس النوراني رئيس اساقفة انطاكية يجاهر بسيطرة الكنيسة الرومانية فيدعوها في رسالته الى الرومانيين « بجماعة المحبّة ... والكنيسة المنوّرة المحبوبة .. التي تترأس في انحاء الرومان» . ومثلها ايريناوس في اواسط القرن الثاني في كتابه ضد الهرطقات (ك٣ف٣) يعلن بذلك قائلاً : « انهُ يتحتّم على سائر الكنائس ان تتّحد بالكنيسة الرومانيّة نظرًا لسيطرتها واوّليتها على سواها» . وشواهد غيرها يضيق بنا المقام عن ايرادها . وجاء اقرار ابرقيوس مطابقاً لها كلّ المطابقة . لاسيّما اذ يعظّم ايمان الرومانيين « وامتيازهم بذاك الخاتم المنير » اعني سمة الصليب وشعار الايمان

٢ انتشار المسيحيّة شرقاً وغرباً بالاتحاد والايمان (اليتان ١٠ و ١١)

يذكر صاحب الاثر انهُ طاف في رومية وفي سوريّة وفي ما بين النهرين (نصيبين) وسائر الانحاء متفقّدًا لكنائسها ومقابلاً بين ايمان واحدة واخرى فكان حيثما يحلّ يجد «اخوةً متّحدين ايمانًا» فيحضر اجتماعاتهم الدينيّة بقيادة بولس الرسول الذي سبق قوله عن انتشار ايمان الرومانيين في كلّ محلّ

٣ سرّ القربان الاقدس (الآيات ١٢—١٦)

ليست «السمكة الكبيرة» المذكورة هنا كما في رسوم عديدة من الدياميس الرومانيّة وغيرها سوى المخلّص الالهي الذي جعل نفسهُ مأكلاً في سرّ القربان الاقدس . اشار بها المسيح بعد قيامته لمّا قدّم لتلاميذهِ على بحر جنّاسير سمكاً مشويًا وخبزًا (يوحنّا ٢١ : ١٣) . وقد تكرّر في العاديّات النصرانيّة ذكر السمكة السماويّة المعطاة للمؤمنين . قال ترتليانوس يذكر حياة النعمة : «اننا نحن اسماك صغار نولد في الماء على شبه سمكتنا الكبرى يسوع المسيح ولا خلاصَ الّا بثبوتنا في تلك المياه» . وقد ورد ايضاً ذكر «السمكة السماويّة» في الاثر النصرانيّ المكتشف في اوقرن الزاقي الى القرن الثالث

وممّا دعا الكنيسة منذ القدم أن تتّخذ السمكة كرمز عن السيّد المسيح تركيب اسمها اليوناني (ΙΧΘΥΣ) من خمسة حروف يشار بكل حرف منها الى احدى صفات المخلص هكذا Ἰησοῦς Χριστός Θεοῦ Υἱός Σωτήρ اعني «يسوع المسيح ابن الله المخلص» . وانّما غلب في الاستعمال القديم رمز السمكة على سرّ القربان الاقدس بنوع خاصّ لما لها من العلاقة مع معجزة تكثير الخبز والسمك المؤوّلة كإشارة وموعد الى المائدة المقدّسة . ولذلك فكثيراً ما ترى في الدياميس السمكة مصوّرة مع الخبز وبهما دلالة صريحة الى سرّ الافخارستيّا . ومن ثمّ يقال ان ابرقيوس في هذه الكتابة جرى على تقليد عموميّ شاع في النصرانيّة واراد بالسمكة ذاك الطعام السرّي اعني جسد المسيح ودمهُ المعدّين مأكلاً للنفوس تحت اعراض الخبز والخمر وهذا يزيد اتّضاحاً بالبيت السادس عشر حيث يقال « انّ الايمان لديهِ خمرٌ لذيذة وخبز يجود بهما دون انقطاع نحو الاصحاب» اعني المؤمنين المستعدين لقبولهِ الحاصلين على صداقة الله بالنعمة المبرّرة . والى ذلك اشار البابا داماسيوس (٣٦٦—٣٨٤) بما كتبهُ على ضريح الشهيد تريسيوس الذي كان حاملاً القربان الاقدس لمناولة المؤمنين ففاجأهُ الاشرار وارادوا ان ينتزعوا منهُ كنزهُ قال : « فآثر ان يجود بنفسهِ من ان يسلّم للكلاب الاعضاء السماويّة » (اطلب ايضاً المشرق ٤[١٩٠١] : ٦٧٤—٦٧٥)

٤ بتولية العذراء

ورد في البيت الرابع عشر ان «تلك السمكة الكبيرة حملتها العذراء النقيّة» وبقولهِ اشارة واضحة الى والدة الله الكليّة الطهارة التي حملت في احشائها ابن الله . ولا يُعبأ بقول فيكر (Ficker) الالماني الذي زعم انّ ابرقيوس كان كاهناً وثنيّاً للإلهة كيبيله (Cybèle) وكفى لتفنيدهِ ان عَدَنة كيبيلة كانوا يمتنعون عن اكل السمك وابرقيوس يُشيد بسمكتهِ الالهيّة . وقد دعا العلّامة دي روسّي كلام فيكر وامثالهِ ضغوث احلام لا تخطر على بال رجل عاقل . فبكل صواب إذن نقول « انّ العذراء النقيّة » يراد بها والدة الله مريم البتول عليها أشرف السلام

امّا قولهُ (في البيت ١٦) : « موزّعة الخمرة الجيدة الممزوجة بالماء سويّةً مع

الخبز ، ففيه اشارة الى مزج الكاهن في تقدمة القداس قليلاً من الماء بالخمر كما هو جارٍ في كلّ الطوائف . وبه يشار ايضاً الى الماء والدم اللذين خرجا بالحربة من جنب المسيح على الصليب

القسم الثالث (من البيت ١٧ الى الاخير)

في هذا القسم دلالة على عقيدة شركة القديسين بين الكنيسة المجاهدة والمنتصرة والمتألمة اذ يصرّح ابرقيوس بمنفعة الصلاة لاجل الموتى بقوله « وكلّ من ينفقه هذه فليصلِّ لاجل ابرقيوس » . وربّما نعتوا هذه الصلاة بلفظة لاتينيّة معناها الترطيب (refrigerium) يعتبرون الصلاة على الموتى كندى يبرّد لهيب النيران المطهريّة . وقد وردت هذه الكلمة في قداس الموتى في الكنيسة اللاتينيّة

امّا بقيّة هذا القسم الاخير فكختام الكتابة يزيدها اثباتاً وفيها تعريف سنّ كاتبها اي ٧٢ سنة وإخطار لمن يحاول انتهاك حرمة ضريحه بما يجب دفعهُ من المال . وذلك ممّا يفيدنا حرص الاقدمين على صيانة مدافنهم واكرام موتاهم . وفي هذا كفاية لتأييد عنوان مقالتنا اذ دعونا هذه الكتابة بملكة العاديّات النصرانيّة

(النتيجة) والآن حيث وجدنا ان روح الايمان ترفرف فوق هذا الاثر الاثير منذ ذلك العهد وحياة واحدة تنعشهُ فلا يسعنا الّا الاقرار بما نطقت به الصخور اعني ارتباط الشرق والغرب منذ تلك الازمنة القريبة من الرسل بوحدة الايمان والمحبّة . فيتّضح بانّ حقائق ديننا ليست بنت اليوم والبارحة بل هي في النفوس كما سلّمها المسيح لرسله لمّا ارسلهم ليتلمذوا العالم كلّهُ

وهذه نتيجةٌ يحقّقها الاختبار ايضاً كلّ يوم لانهُ مهما توغّلتْ اقدام الباحثين وراء الآثار في اعماق الارض وظلمات اسرابها ومطاميرها وكلّما قلّبت ايدي المدقّقين مخطوطات التواريخ القديمة او احدقت العيون النقّادة بخطوط الحجارة ورسوم الاطلال او قابل جهابذة العلم العصور حديثها بقديمها وَجدت العقولُ السليمة الخالية من الاغراض بان كلّ اكتشاف جديد يبعث نوراً ساطعاً لاثبات معتقدات الكنيسة ويبرهن بانّ تلك القبّة البطرسيّة التي تحلّق في الفضاء قرب رفات الدياميس وفوق الكرسيّ الرومانيّ تصون تحتها مع عظام هامة الرُسل ايمان عشرين جيلاً رُكز على صخرةٍ لم تتزعزع ولم تقوَ عليها ابواب الجحيم

نقائض جرير والأخطل

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ما ادراك ما النقائض ؟ سهامٌ يرشقها الشعراء خصومهم فيتلقّاها هؤلاء ويردّونها على الراشق . يحدُّ اللغويون النقيضة بقولهم « هي ان يقول شاعر شعرًا فينقض عليه شاعر آخر حتّى يجيء بغير ما قال » . فالشاعران اشبه بفارسَين في حلبة يهمُّ الواحد بطعنة قرنهِ فيتنمّر هذا غيظاً ويحاول ان يثأر لنفسهِ ويصرع مناوئهُ فيلقمهُ الحجر . وربّما كان سيف اللسان احدَّ واقطع من نصل الحسام

ومن تصفّح تاريخ العرب وقبائلهم وجد ما كان من الحزازات في قلوب البعض منهم على البعض وذلك لاسباب يعدُّها غيرُهم طفيفةً زهيدة ويعتبرها العربيّ العصاميّ كبيرةً جسيمةً يتناجزون القتال لاجلها اعواماً كما ترى في حرب البسوس وحرب الغبراء وداحس . واذا قام مُصلح واخمد سعير الحرب يُعقبهُ دور الشعراء فيفتخر كلٌّ منهم بقومهِ وينسب اليهِ من المآثر ما صغر وما كبر فيؤدي بهِ هوسهُ الى ابتخاس حقوق غيرهِ فيكلُ هؤلاء امرهم الى شاعر من قومهم ينتصرلهم بنقض مدّعيات خصومهم . فيصبح لقبيلتهِ كالمجنّ يسترها من ضربات عدوّها وكالسيف ينكيهِ ويرغم معاطسهُ . ولذلك كانوا اذا نبغ شاعر مُفلق في قبيلةٍ رفعوا قدرهُ والتفّوا حولهُ التفاف الرعايا بسيّدهم والجند بقائدهم

وممّن اشتهروا في هذه المناقضات في عهد بني اميّة في اواخر القرن الاوّل للهجرة ثلاثة شعراء يعدُّهم العارفون في الطبقة الاولى من شعراء الاسلام نريد بهم جريرًا والفرزدق والاخطل . ينتمي الاوّلان الى تميم : جرير الى يربوع والفرزدق الى دارم . امّا الاخطل فهو الشاعر التغلبيّ الشهير . وكلهم من المتقدّمين وقد اختلفوا في ايّهم المتقدّم وقابلوهم بشعراء الجاهليّة الثلثة فقالوا انّ جريرًا يُشبّه بالاعشى والفرزدق بزهير والاخطل بالنابغة . وما كان احراهم ان يجروا في الميدان جَرْيَ خيل الرهان دون ان يتبارزوا ويتقارعوا ويهتضم الواحد حقوق الآخر فيُزبلهُ وقومهُ العار ولعلّ جريرًا لهُ

السَّبق على قرنَيهِ بشتمهِ وسبابهِ وهُجر كلامهِ لا تكاد قصيدة من قصائدهِ تخلو من الهجو الفاحش والبذيء من الكلام

وهو هو جرير الذي دفعهُ سوء خلقهِ الى إذكاء تلك الحرب على الاخطل وكان ابنَ من جرير والفرزدق عُرض عليهِ شعرهما ليحكم بينهما دعاهُ الى ذلك الامير بشر بن مروان فاستعفاهُ بجُهدهِ فأبى الّا ان يقول فقال: هذا حكم مشئوم. ثم قال: انَّ الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر . فمال بحكمهِ هذا الى جرير وفضَّلهُ على الفرزدق لكنَّ جريرًا لم يرضَ بهِ وكان سببَ هجائهِ للاخطل فردَّ عليهِ الاخطل ثمَّ استطارا بالهجاء. ولم يلبث ان عدل الاخطل الى الفرزدق فناقض هو ايضاً جريرًا ثمَّ ناقضهُ غيرهما ايضاً دون الفرزدق والاخطل منزلةً ولم يفضل من تلك النقائض الّا نُتَف تروى في بعض كتب الادب او في دواوينهم . أمّا نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والاخطل فقد اهتمَّ الأدباء بجمعها فضلًا عمَّا ورد من بعض قصائدها في دواوين ثلاثتهم

وقد عُني المستشرق الاديب الانكليزي انطوني اشلي بيفن (Anthony Ashley Bevan) بنشر نقائض جرير والفرزدق في ثلثة مجلَّدات ضخمة تبلغ نيّفاً و١٧٠٠ صفحة بقطع كبير في مطبعة ليدن الشهيرة في هولندة بين السنتين ١٩٠٥ و ١٩٠٩ لم يدَّخر من محاسنها شيئاً لولا انَّ حروفهُ ضئيلة مستدقَّة كان الاولى ان تُبدل بغيرها أنضر وأشرق منها. وقد كتب حضرة الاب انطون صالحاني في المشرق (١٠[١٩٠٧]: ٦٣٥—٦٤١ و ١٣ [١٩١٠] :٩٦—٩٧) فصلين حسنين في انتقاد هذه الطبعة وبيان خواصّها المستجادة قبل تمام سائر اقسامها وفهارسها الرائعة العديدة الفوائد

امّا نقائض جرير والاخطل فكان منها نسخة واحدة فريدة ضائعة او راقدة بسُبات عميق بين مخطوطات المكتبة العموميَّة في الاستانة . وكان اوَّل انتباهنا لوجودها عندما نُشرت بالطبع قائمة مخطوطات تلك المكتبة في السنة ١٣٠٠ (١٨٨٢م) . وقد ورد ذكرها في الصفحة ٢٦٥ من هذا الفهرس بالفاظ قليلة لا تشفي غليلًا على هذه الصورة بالتركي: «نقائض جرير واخطل . عربي . تأليف ابي تمام . مسطور ١٣ . واقفهُ محمَّد اسعد دده . خطّ شبيه بالكوفي» . وللكتاب نمرتان عموميَّة ٥٤٧٠ وخصوصيَّة في المحاضرات ١٠٥

فلمّا باشر حضرة الاب انطون صالحاني بنشر ديوان الاخطل استناداً الى نسخة في مكتبتنا الشرقيّة نقلها المرحوم رزق‌الله حسّون عن نسخة بطرسبورج (بتروغراد) وذيّلها بالشروح المطوّلة ثمّ اضاف اليها قسماً خامساً ضمّنهُ ملحوظات عديدة على الاقسام السابقة ثمّ الحقهُ بنشر نسخة جديدة اكتُشفت في بغداد شفعها مع المستشرق الايطالي اوجسانيو غريفيني برسم نسخة ثالثة وُجدت في اليمن لم يهدأ لهُ بال حتّى يتمكّن من نشر ما بقي من آثار عشيقهِ الاخطل ولو كانت ضالّتهُ في اقاصي الممور

وكان الدخول سابقاً في مكاتب الاستانة من اشدّ الامور واعصاها يحتاج ذلك الى مداخلة سفراء الدول والمداولات الرسميّة . فلمّا كانت السنة ١٩٠٤ عهد الينا رئيس رسالتنا بان نسير في صحبة اولاد الوزير فرمان‌فرما صهر جلالة ملك‌العجم الذين كانوا درسوا في كليّتنا بضع سنين وكان دولة والدهم اوعز اليهم بان يذهبوا لإتمام دروسهم الى مكاتب بلجكة العسكريّة . وكان سفرنا مجرًا الى الاستانة . فطلب الينا حضرة الاب صالحاني ان نفحص نسخة نقائض جرير والاخطل فنفيدهُ علماً عن كلّ مزاياها

وقد وصفنا في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١٠٦٧ — ١٠٧٢) حلولنا في عاصمة الاتراك في العشر الاخير من شهر تموز ونحن مصمّمون العزم على مواصلة سفرنا بعد يومين الّا انّ الامور جرت على خلاف فكرنا فقضينا في دار السلام ثلثة اسابيع أمكننا في مدّتها ان نطّلع على كل محاسن تلك الحاضرة الجليلة ونزور معاهدها . وكان اكبر املنا ان نعاين مكاتبها المتفرّقة في الجوامع لولا ما لقينا في وجهنا من العوائق الجمّة في الدخول اليها فأيسنا من درس مآثرها اللهمّ الّا المكتبة العموميّة التي دخلناها فلم نجد فيها من المخطوطات النادرة الّا النزر القليل

على انّ الحظّ اسعدنا فوقفنا هناك على الضالّة المنشودة اعني نسخة نقائض جرير والاخطل الفريدة فصرفنا كلّ همّتنا الى فحص الكتاب فحصاً مدقّقاً . واذ وجدنا فرصةً سانحة باشرنا بنسخ ما امكنا من قصائده

ولم يكن الامر سهلًا لقدم الكتاب الراقي الى القرن الثالث او الرابع للهجرة يدلّ على تاريخهِ ورقهُ الصفيق وخطّهُ الشبيه بالكوفيّ . فكانت قراءتهُ تستدعي طول نظر لالتباس الحروف القديمة والحديثة ولِما طرأ على المخطوط من تأثير المداد في اطراف الكلمات حتّى كاد يطمسها مع وقوع الخلل في تشكيلهِ وتنقيطه . ولم

يكن لدينا ديوانا الاخطل وجرير لنقابل بينهما وبين النسخة الخطيّة . فرأينا ان الاولى ان ننقل منها ما يحضرنا مع تصوير الالفاظ الملتبسة ريثما تسنح الفرصة بإعمال النظر في ذلك المنقول على علله . وقد صرفنا خمسة عشر يوماً في نسخ نحو ٦٠ صفحة منهُ

فلمّا رجعنا الى بيروت بعد شهرين تهافت حضرة الاب صالحاني على هذا المنسوخ فزادت بطالعتهِ رغبتهُ في درس النسخة الاصليّة وإعدادها للطّبع . فسعى غير مرّة لدى الاصحاب في الاستانة ليأخذوا رسمها بالتصوير الشمسي لكنّ حالة النسخة من اصفرار ورقها وطمس حروفها لم تأتِ بالنتيجة المطلوبة كما ترى في المثال الذي ادرجهُ في طبعتهِ الحاضرة

وعليهِ لم يرَ بُدًّا من السفر الى الاستانة ليتولّى فيها درس تلك النسخة الفريدة وينقلها بتمامها . فلم يزل يتربّص فرصةً موافقة حتى وجدها في اوائل شهر تموز من السنة ١٩١٤ فأجر الى العاصمة وما لبث عند وصولهِ ان تربّع في المكتبة العموميّة وتفرّغ لفحص النسخة المنشودة أيّاماً متوالية مدّة شهر بنيّف لا يصرف عنها نظرهُ ويتفقّد كلّ معمّياتها ويقابلها مع القصائد المطبوعة سابقاً حتّى تمكّن من فكّ كلّ رموزها وحلّ كلّ اسرارها ونقلها نقلاً كاملاً كما رغبهُ

وما كاد ينتهي من عملهِ حتّى شامت الدولُ بوارق الحرب الكونيّة ولمعت رعود المدافع واخذت تركيّة في الاستعداد للانحياز الى الدول المركزيّة فاسرع الاب وركب الباخرة التجاريّة الاخيرة الخارجة من بحر مرمرا الى سواحل سوريّة

ثمّ حدثت تلك الوقائع المشئومة التي يعلم بها الجمهور فاستولت الحكومة التركيّة على كليّتنا ونهبت مطبعتنا حتّى ظننّا انّها لن تعود يوماً الى الحياة . فكان ما كان وحضرة الاب صالحاني يصون كنزهُ صيانة الحريص على علق مُهجتهِ يتفقّدهُ في تلك سنين الفراغ ويردّد فيهِ النظر ويتحقّق رواياتهِ ويُصلح اغلاطهُ رجاء ان يفيد يوماً بنشرهِ اهل العلم

فلم يخب املهُ وها هوذا الآن قد اخرجهُ الى حيّز الوجود رافلاً بثوبهِ الازرق ونقوشهِ البديعة واطارهِ الذهبيّ في قطع الثمن تبلغ صفحاتهُ ٢٥٠ عدًّا وفيهِ ثلاث صفحات من الاصل المخطوط مرسومة بالفوتغراف

وقد قدّم عليهِ بالافرنسيّة لافادة المستشرقين مقدّمةً في ١٦ صفحة شرح فيها كل

ما يختصّ بنقائض جرير والاخطل مع تعريف النسخة التي حاول نشرها وبيان دقائقها وخصائصها وحسناتها ونقائصها ثمّ بحث عن مضامينها وما فيها من القصائد مع تدوين سياقها سواء كانت لجرير والاخطل ام لغيرهما استطراداً . ونبّه الى ما وقع من الخلل في الاصل عند تجليده بنقل بعض صفحاته ووضعها في غير محلّها

امّا القسم العربيّ فيتناول اوّلاً نشر نسخة الاستانة برمّتها من قصائد وشروح كما هي في الاصل . وهي تبلغ بين طوالٍ وقصار ٥٤ قصيدةً او مُقطّعةً . وعلى الهامش بأعداد افرنجيّة بدء صفحات النسخة الاصليّة الخطّيّة وجهها وظهرها

ويحتوي ثانياً تعاليق وتذييلات واسعة وروايات مختلفة نقلها حضرة الاب بعد الشغل الطويل عن كل المعاجم العربيّة وكتب الادب المطبوعة والمخطوطة الزائدة على المائة مضيفاً اليها ملحوظات دقيقة واصلاحات انتقادية تدلُّ على حسن نظر واستقصاء بحث عظيمين

وقد الحقهُ ثالثاً بوصف بعض ايام العرب المنوّه بها في نقائض جرير والاخطل نقلاً عن نسخة خطّيّة من ديوان جرير في مكتبتنا الشرقيّة بها تتّضح عدّة تلميحات يعرّض بها الشاعران في قصائدهما

وفي آخره رابعاً ثلاثة فهارس تقرّب فوائد هذه الطبعة وتزيد صاحبها فضلاً وهي : ١ً فهرس واسع على طريقة حروف المعجم لكافّة اعلام الاشخاص والامكنة الواردة ذكرها في الكتاب . ٢ً فهرس لقوافي كلّ القصائد والمقطّعات والابيات المفردة المذكورة في الكتاب او المستشهد بها مع الدلالة على بحرها وعدد ابياتها وناظميها . ٣ً فهرس التآليف التي راجعها حضرة الاب لتعليق حواشيه للاستدلال على اصلها

فكفى بتعداد هذه المميّزات ليعرف الادباء بايّ اتقان واي مساعٍ قد نجز هذا الكتاب الفريد الذي يحسن بكل المستشرقين ان يتّخذوه كمثال لجودة مطبوعاتهم والذي يجب ان تزدان به مكاتب الخاصّة ونوادي الأدباء

فنرحّب بهذا المولود الجديد ونتمنّى ان يختم حضرة الاب كلّ ما نشرهُ عن الاخطل بتتمّة الجزء الخامس من ملحوظاته وبنشر فهرس واسع لما في كلّ الاجزاء من الاعلام والفوائد . جازاهُ الله عوداً وبدءاً على كل آثاره في خدمة الوطن والعلوم العربيّة

مطبوعات شرقية جديدة

ALMANACH CATHOLIQUE D'EGYPTE
pour 1922
1 vol. in-12, illustré, pp. 117, Le Caire, Kahla et Cie

تقويم مصر الكاثوليكي

نهنئ لجنة الشبان الذين تولوا نشر هذا الاثر الجميل الذي تردان به بيوت الخاصة ونوادي العموم. فقد ضمنوه من الافادات عن الشرق ولاسيما عن مصر ما يشوق القراء الى مطالعته والاستفادة من مضامينه ومعلوماته. وهذه السنة الاولى لبروزه وهو يفتن النظر برواء غلافه. وقد سررنا خصوصاً بمطالعة مقدمته لحضرة الاب غيبون رئيس مدرسة العائلة المقدسة في القاهرة مع ما ورد من الرسائل المنشطة للقائمين بهذا العمل مباشرة بتيافة الكردينال غسباري ودوبوا وبورن وغيرهم من الذوات. وفي صدر التقويم صورة بهية لقداسة الحبر الاعظم ثم تصاوير ونقوش مختلفة تحيي في القلوب محبة الوطن هذا فضلاً عن عدة مقالات وروايات واخبار تجمع بين اللذة والمنفعة. فنتمنى لهذا التقويم رواجاً كبيراً وتحسيناً متواصلاً للسنين التابعة الاب يوسف منسى

Das Gelände nach älterer arabischer Auffassung von Walter Gottschalk. *Berlin, Mayer u. Müller, in-12, 1919, pp.* 185

النذور في عرف قدماء العرب

ان في المناسك الدينية بين كل الشعوب مقاماً خصوصياً للنذور التي يرتبط بها الانسان نحو الهه. ومن تصفح تواريخ العرب وآثارهم وجد لنذورهم شأناً عظيماً يستدل بها على روحهم الدينية وعاداتهم التقوية. فهذا ما ساق الدكتور غوتشلك الى ان يستقصي البحث في نذور العرب سواء كان في اوائل الاسلام او في عهد الجاهلية. فراجع كل ما جاء عن ذلك في القرآن والحديث والشعر الجاهلي والآثار القديمة والتواريخ الشرقية والغربية وتآليف المستشرقين الحديثة فصنف كتاباً فريداً في جنسه بحث فيه عن حقيقة نذورهم وصورتها وانواعها وشروطها فجاء كتابه تأليفاً مستوفياً لم يدع منه صغيرة او كبيرة الا ودقق فيها النظر. وكان المؤلف قد اوشك ان ينجز عمله اذ

أُعلن بالحرب سنة ١٩١٤ فلم يتمكّن من نشره الّا بعد نهايتها. فنمحضهُ الشكر ونُثني على حُسْن تأليفهِ المشع ... ل.ش

Paul Cazin: DÉCADI OU LA PIEUSE ENFANCE. 1 vol. in-16, Paris, Plon, Prix 7f

الشبيبة الصالحة

للعيال المسيحيّة في الغرب طرائق عجيبة لتثقيف عقول اولادهم الصغار وتهذيب اخلاقهم ليبجّلوا في قلوبهم روح التقى ويرشدوهم شيئاً فشيئاً الى كرامة الدين والى الاعمال الشريفة الصالحة. وقد اتّخذ صاحب هذا الكتاب مثال ولدٍ سمّاهُ ديكادي ونسب اليهِ اخلاق فتًى ذي خفّة وطيش فبيّن كيف نال بالتربية الحسنة طباع الشاب الصالح حتّى اصبح في عنوان شبابهِ ثمّ في كهولتهِ منذ وطنهِ في الحرب والسلم واستوقف اليهِ ابصار الجميع فأثنوا على مبادئهِ ودينهِ وكرامة حياتهِ. فنشكر صاحب هذا التأليف ونوصي بهِ كلّ من يدعوهم الله الى ارشاد الاحداث وخدمة الوطن بتهيئة رجال الغد الاب ل. دي بلاس

Jacques Ancel: LES TRAVAUX ET LES JOURS DE L'ARMÉE D'ORIENT (1915-1918). 1 vol. In-16, pp. 233, 1921. Paris, éd. Bossard, avec 2 Cartes et 16 photogr. hors texte

اعمال الجيش الفرنساوي في الشرق

قرأنا بكل شوق ولذّة هذا الكتاب الذي وضعهُ احد ضبّاط الجيش الفرنساوي المرسل الى سالونيك وفيهِ اجلى بيان لسياق اعمال تلك البعثة العسكريّة التي تولّاها الحلفاء بعد كسرة الصرب ونزول البلغار في ساحة القتال. فيتبع الكاتب كلّ حركات الجنرال سرّاي ويخبر بتردُّد اليونان بين الملك قسطنطين ووزيرهِ ڤنيزيلوس ثم ببقيّة الوقائع التي لم تأتِ سريعاً بالنجاح المأمول لما كانت عليهِ سياسة الحلفاء من الحيرة والتقلّب. وفي الكتاب عدّة تصاوير وخارطتان حسنتان يسهل بهما على القارئ متابعة حركات الجيوش في تلك الاثناء. امّا الفصلان الاخيران ففيهما وصفٌ غاية في التأثير لخاتمة هذه البعثة بانتصار الحلفاء الباهر على القوّات المركزيّة من المان ونمسويين وبلغار الى يوم الاعلان بالهدنة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨. وقد أُتقن طبع هذا الكتاب المستند الى

اصدق الاسانيد وفي آخره فهرس لأعلام الرجال والامكنة . ولعلّ المؤلف مع ما يتوخّاه من النزاهة يُظهر بعض الميل الى الجنرال سرّاي لتبرئة ساحته والدفاع عن تصرّفه — الاب ه . لامنس

Dr E. Monin: Hygiène et Médecine des Vieillards. 1 *vol. in*-16, *pp.*480, *Paris, G. Doin, Prix* 10 *f*

تدبير صحة الشيوخ وعلاجها

هذا الكتاب فريد في جنسه كتبهُ احد الاطبّاء النطاسيّين في باريس خدمةً للشيوخ فقسمهُ الى ٣٨ فصلًا جمع فيها كلّ ما يختصّ بحالة الشيوخ اوّلًا لحفظ صحّتهم سليمةً قويّةً مدّة سنين طويلة ليتأخّر بذلك وقوع الشيخوخة والهرم . ثم يستقري احوال الشيخ في كلّ حركاته وسكناته وأكله وشربه وبقيّة اشغاله فيرشدهُ في كلّ منها الى اصوب التصرّف بها لئلّا تنهتك قواه . واخيرًا يفحص اخصّ الامراض والعلل التي تصيب الشيوخ في كلّ عضو من اعضاء ابدانهم كالمعدة والرئة والقلب والاجهزة الهضميّة والبوليّة والعصبيّة فيشخّصها تشخيصاً تامًّا ويدلّ على اسباب علاجها . فمن هذا النظر الاجمالي تظهر منافع هذا الكتاب الجُلّى — ل . ش

Willy Müller: Manuel de travaux pratiques pour accuper la jeunesse, 1 *vol.* 8°, *Strasbourg, E. Finck,* 1922, *Prix.* 8f,70

دليل الشبيبة على الاشغال اليدويّة

كم من الأمهات بل كم من المربّين والمربيات للناشئة يحتارون في تهدية الفتية والفتيات الناقهين من المرض او تشغيل الاولاد في أيّام العطلة وفصل الشتاء فلا يدرون كيف يمنعون عنهم البطالة الضارّة . فها هوذا كتاب مفيد صنّفهُ المسيو مولّر في ستراسبورج ضمّنهُ وصف عدّة اشغال يدويّة سهلة قريبة المنال يمكن الشبّان والاولاد والمبلّين من المرض ان يلتهوا بها ويصرفوا فكرهم اليها بلا عناء وبلذّة وينتفعوا منها . والمؤلف يصف كلّ عمل ويرسم صورتهُ ويدلّ على ما يُحتاج اليهِ لشغله فيقوم بها اولئك الشبّان والاولاد حتى اصغرهم سنًّا فيتعلّمون كيف ينتفعون من قطع الورق ومن ضروب الخيطان فيصطنعون عدّة مصنوعات : كأكياس ولفائف وقبعات

وجوارب وغير ذلك ممَّا يجديهم فائدة ويتنزَّه بهِ فكرهم فنوصي بهذا الكتاب الجميل ارباب المدارس ونظَّار التلامذة الاب اولف غليار

A. Mozziconacci: Le Ver à Soie du Mûrier. 1 vol. in-12 illustré, Paris, Hachette, Prix 12 f.

دودة القز وشجرة التوت

هذا الكتاب من جملة تآليف تنشرها جمعيَّة من الأدباء تحت عنوان دائرة المعارف الزراعيَّة » رأيناهُ يشمل صناعة الحرير من كلّ وجوهها فيحسن باهل لبنان الاستفادة من مضامينهِ والمؤلف يتقدَّم عليهِ نظرًا عموميًّا عن تاريخ تجارة الحرير في فرنسة وارباحها وسبب الازمة الاخيرة التي اصابتها لاجل النفقات الطائلة التي تكلَّفها المربون لدود القز باستئجار عملة من الاجانب. الَّا انَّها في ذاتها صناعة رابحة. وهذا يصحُّ في لبنان حيث يقوم بهذا العمل اهل العائلة دون الأُجراء فيقتصدون كثيرًا من المصاريف. ثم يلحق هذه المقدِّمة بثمانية فصول يستقري فيها ما تحتاج اليهِ هذه الصناعة كاختيار البزور وخواصّها وانواع الدود والقيام بأمرها في كلّ احوالها الى ان تنسج فيالجها مع تعريف عللها وعلاجها. وقد خصَّ باباً مطوَّلاً بشجرة التوت وزراعتها ج. لوقنك

S. M. Zwemer: 1°) Moslem Seeker after God. *New-York, Chicago,* 1920, *pp.* 202 = 2°) Childhood in the Moslem World, *Le Caire*, 1921, *pp.* 109

المُسلم الطالب ربَّهُ — صراخ المستنيئين من ابناء الشرقيين

هذان كتابان للدكتور صموئيل زويمر المستشرق الشهير ومحرِّر مجلَّة العالم الاسلاميّ الذي وقف حياتهُ على انارة المسلمين وتبشيرهم بالنصرانيَّة. فالكتاب الاوَّل بالانكليزيَّة خصَّهُ المؤلف بدرس حياة المتصوِّف الكبير ابي حامد الغزَّالي فبيَّن ما طُبع عليهِ من السجايا الفريدة وما اكتسبهُ من العلوم الدينيَّة والفلسفيَّة من علماء عصرهِ ثمَّ ارتيابهُ في هذه التعاليم وابحاثهُ عن طريقة الدين القويم بالتوفيق بين الدين والفلسفة العقليَّة. فكانت هذه الابحاث بعد ارتيابهِ ادلّ دليل على انَّ قلبهُ وعقلهُ كانا متعطِّشين الى معرفتهِ تعالى وذلك ما حدا بهِ الى ان يتقرَّب من زهد النصارى بالتصوُّف ولعلَّ تقرُّبهُ هذا كان ربطهُ بدينهم لو اطَّلع على حقائقهِ ونبذ اوهامهُ فيها. وهذا ما يُستخلص من هذا الكتاب الذي ضمَّنهُ مؤلفهُ بعض المزاعم في نصرانيَّة

القرن الحادي عشر استقاها من موارد بروتستانيّة عكرة . أمّا الكتاب الثاني الذي صنّفهُ بالانكليزيّة الدكتور زويمر فقد عرّبهُ الشيخ متري صليب الدويري ومداره على تربية الاولاد بين المسلمين فيصف المؤلف ما رآهُ بالعيان من خلل هذه التربية في انحاء الاسلام سواء كان من جهة التربية البدنية ام من جهة تهذيب اخلاق الاحداث وتثقيف عقولهم بالعلم والادب فحثّتهُ شفقته على الصغار ان يصنّف هذا الكتاب ليستدرك تلك الاضرار ويصون حياة من يعوّل عليهم الوطن لترقيته ونجاح مستقبله . وكفى بذلك دليلًا على فائدة هذا التأليف ل . ش

Henri Thuile :Littérature et Orient.1 *vol. in-16, Paris,Messein,* 1921, *Prix* 7·

الادب والشرق

نقلت الحرب الكونيّة مؤلف هذا الكتاب الى القطر المصري فرأى بلادًا جديدة لم يخطر على باله شيء من احوال اهلها ومن عاداتهم الغريبة فاحبَّ ان يحرّر ما سنح لهُ من الافكار في هذا الصدد لاسيّما عند زيارته لجوامع مصر ولكليّة الازهر وعند مطالعته بعض فقرات من القرآن وغير ذلك ممّا استطرفهُ فوصفهُ وصفًا سطحيًّا دون معرفة حقيقته . وكان في تلك الاثناء يكاتب اصحابهُ في فرنسة فيرسلون لهُ ما تجود بهِ قريحتهم من النثر والنظم في الاحوال الحاضرة فجمع كلّ ذلك في كتابه هذا الذي خدعنا باسمهِ وسرابهِ الاب ح . لوفنك

كلمات واشارات بقلم ميّ

طُبع في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٢٢ ص ١٤٤

كلمات درّيّة نثرتها ابنة وطننا من فمها البليغ واشارات عسجديّة سطّرها قلمها السيّال . ميّ فتاةٌ يحجبها اسمها المبهم ولكنّ كتاباتها الرائقة تُسفر عن محيّاها الكريم . وقد اطرأنا سابقًا طلاوة انشائها وانسجام معانيها ومقدرتها على التفنّن في الكتابة . ولعلّ هذا الكتاب الجديد ادلُّ على كلّ ذلك ممّا سبق لنا وصفهُ . فسواء قامت ميّ ترحّب بالوفود في حفلة الكرخ الاخضر وعلى رأسها مكفيًّا ام خطبت في نوادي مصر تدافع عن حقوق جنسها المهضومة وتدعو الى الاخاء وتشترك باكرام الادباء

او استرفت العبرات على سوريا الجائعة وعلى الايتام والبائسين فبكل هذه المقامات يستحق كلامها الثناء فانها تلبسهُ ثوباً قشيباً من اللفظ وتضمّنهُ معانيه تتجاوز الاذان الى ان تبلغ الجنان فيهتزّ السامع طرباً لحسنها ولرقتها . وكأني بها يدعوها الله الى ان تنهض ببنات جنسها من حضيض الذلّ الى منصّة الشرف والادب والدين ولا تحرير للمرأة بغير هذه الامور الثلثة

مذكّرات مدام اسكويث السيّدة مرغو

ترجمة لسعد افندي خليل داغر

عُني بنشره يوسف توما البستاني في مصر سنة ١٩٢٢ (ص٢٥٣)

ليس تحت هذه المذكّرات كبير امر فاستحقّت ان تُنقل الى لغتنا العربيّة ونحن في حاجة الى الوف من الكتب المفيدة من تاريخ وعلوم وفنون تخلو منها بلادنا وتتوفّر في البلاد الغربيّة . فان السيّدة مرغو شبيهة بكثير من ذوات جنسها لاسيما في انكلترة البروتستانيّة تتقلّب بين اهلها واقاربها ومعارفها فلا تدع واحداً منهم الّا تتّسع في وصف اخلاقه وما جرى لها معهُ كما انها تتّسع في تعريف ما حضرتهُ من الحفلات والاجتماعات الاهليّة والمدنيّة وذكر براعتها بركوب الخيل والرقص وجمع العاديّات وكيف كثر خطّابها الى ان اقترنت وعمرها ٣٠ سنة بالمستر اسكويث رئيس الوزارة البريطانيّة سابقاً فعاشت معهُ . فليت شعري اي فائدة من كلّ ذلك اليست نساؤنا في غنى عن هذه الامور التافهة البعيدة عن آداب النساء الصحيحة وترقية جنسهنّ الحقيقيّة ؟ فسامح الله المعرّب والساعي بنشر الكتاب ل . ش

ردّ الثلاثة واربعين سهم في نحر البراموسي العليل الجدال والوهم

تأليف المنسنيور فرنسيس قزمان

اربع نشرات طُبعت في مصر وفي دنهور (ص نحو ٣٠٠)

البراموسي احد السريان اليعاقبة الذي شذبتهُ طائفتهُ ثمّ الطائفة القبطيّة لعدولهِ الى التعاليم البروتستانية وهو معروف بقحتهِ ولغطهِ في كتاباتهِ . فاليهِ التجأ بعض

الاقباط الارثذكس ليرشق بسهامه القائد الكاثوليكية رجاء ان يعيدوا الى كنيستهم قوماً نبذوا البدعة الاوطيخيّة وانضمّوا الى الكنيسة الرومانيّة فقام المذكور يخبط خبط عشواء. فزعم انهُ يرميها بثلثة واربعين نبلاً وكلها طائشة كما بيّنهُ لهُ حضرة المنسنيور فرنسيس قزمان احد تلامذة مدرستنا الاكليريكيّة سابقاً ووكيل عام لاسقفية تيبا حاضراً فعمد الى تلك السهام واحداً بعد آخر وردّها في نحر راميها. والحقّ يقال اننا ما كنّا لنظنّ ان الاهواء تعمي بصيرة الانسان الى هذا الحد حتّى يرى الظلمة نوراً والنور ظلمة كما يقول الكتاب الكريم. فنشكر حضرة المنسنيور قزمان على ردوده السديدة فلا شكّ انّ من يطلب الحقيقة بلا غرض تقنعهُ براهينهُ الواضحة وتوجب الملام على من يهرف في ما لا يعرف ل.ش

التساعيّة العجائبيّة لسيّدة ورديّة بمباي

سعى بنشرها القس يوسف رباط الحلبي (طبعة رابعة)

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢١ (ص ١٢٨)

نوّهنا في مقالتنا عن المشاريع الكاثوليكيّة في حلب (١٩٢١ ص ٨٤٤—٨٤٥) ما اجتناهُ حضرة القس يوسف رباط من الثمار الروحيّة في الشهباء بنشر العبادة الى سيّدة الورديّة المنسوبة الى بومبي. وقد ساعدهُ على ذلك نشرهُ كريريسة ضمنها تساعيّة وفرائض دينيّة مختلفة طبعها سابقاً ثلث مرّات وها هو كرّر رابعةً طبعها وقرّب فوائدها للنفوس التقويّة التي اختبرت مفاعيلها العجيبة وطلبت ان تقتبس من نورها بممارسة عبادتها ل.ش

اللبنانيّة

رسالة في نكبات لبنان مدّة الحرب الى المهاجرين

للخوري يوسف الحدّاد. طبعت في ريو دي جانيرو (ص ٨٤)

هذه الرسالة اشبه بمأساة فاجعة ذات فصول متعدّدة يستقري فيها الكاتب احوال لبنان منذ اعلان تركية بالحرب الى خلاص الوطن من شرور بني عثمان بظفر

فرنسة ودخولها في سواحل الشام . وللمؤلف في اوصاف البلاد وما حلّ بها من النكبات كلامٌ مؤثر شعريّ يخرج من صدر كئيب وقلب كليم صاغتهُ شواعرهُ الصادقة وسبكتهُ عواطف حبّهِ للوطن اذ عاين الاتراك يمركونهُ عرك الرحى بثقالها . وقد سرّنا ما كتبهُ حضرتهُ عن اولئك الذين تفانوا في اسعاف الملهوفين واطعام الجائعين وفي مقدّمتهم غبطة الشيخ الجليل بطريرك الطائفة المارونيّة والسيّد المفضال بولس عقل . وهذا احسن جواب على تهم بعض المتشدّقين وذوي الغايات السافلة الذين اشاعوا الاراجيف وسوّدوا وجه الحقيقة ونسبوا الى اولئك المحسنين الطمع والتهافت على الدراهم بدلًا من ان يعلنوا بشكرهم لمعروفهم ويجاهروا بنزاهتهم وفضلهم العميم ل.ش

﴿اعياد البطريركيّة المارونيّة﴾ خطبة وقصيدة رفعها المنسنيور البرديوط بطرس حبيقة الى معالي غبطة السيّد ماري الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكية وسائر الشرق احتفاء وتهنئةً بالعيد الثالث والعشرين لتذكار ارتقائهِ الى السدّة البطريركيّة . طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة مع رسم غبطتهِ (١٩٢٢ ص ٨)

﴿قانون النادي الادبي﴾ المؤسس سنة ١٣٣٩ بطرابلس الغرب (ص ١٠) . نتمنّى لهذا الشروع ثباتاً ورقياً

شذرات

﴿السَّلَف والخلف﴾ بنسبة وفاة المثلّث الرحمات قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر وانتظار العالم لتعيين خلفهِ طلب الينا بعض القرّاء ان نصف لهم العادات الجارية في رومية العظمى عند وفاة الاحبار الرومانيين وتنصيب البابا الجديد . وقد سبق لنا في ذلك مقالتان مشبعتان تحت عنوان السَّلَف والخَلَف نشرناهما مع رسوم عند وفاة البابا لاون الثالث عشر في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٦٧٨–٦٨٥ و ٧٢٧–٧٣٩) ومنهما استمدّ الخوري شكرالله صفير الجلتوني الخلاصة التي نشرها اخيراً في جريدة الارز

فرنسة ودخولها في سواحل الشام . وللمؤلف في اوصاف البلاد وما حلّ بها من النكبات كلامٌ مؤثر شعريّ يخرج من صدر كئيب وقلب كليم صاغتهُ شواعرهُ الصادقة وسبكتهُ عواطف حبّهِ للوطن اذ عاين الاتراك يمركونهُ عرك الرحى بثقالها . وقد سرّنا ما كتبهُ حضرتهُ عن اولئك الذين تفانوا في اسعاف الملهوفين واطعام الجائعين وفي مقدّمتهم غبطة الشيخ الجليل بطريرك الطائفة المارونيّة والسيّد المفضال بولس عقل . وهذا احسن جواب على تهم بعض المتشدّقين وذوي الغايات السافلة الذين اشاعوا الاراجيف وسوّدوا وجه الحقيقة ونسبوا الى اولئك المحسنين الطمع والتهافت على الدراهم بدلًا من ان يعلنوا بشكرهم لمعروفهم ويجاهروا بنزاهتهم وفضلهم العميم ل.ش

﴿اعياد البطريركيّة المارونيّة﴾ خطبة وقصيدة رفعها المنسنيور البرديوط بطرس حبيقة الى معالي غبطة السيّد ماري الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكية وسائر الشرق احتفاء وتهنئةً بالعيد الثالث والعشرين لتذكار ارتقائهِ الى السدّة البطريركيّة . طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة مع رسم غبطتهِ (١٩٢٢ ص ٨)

﴿قانون النادي الادبي﴾ المؤسس سنة ١٣٣٩ بطرابلس الغرب (ص ١٠) . نتمنّى لهذا الشروع ثباتاً ورقياً

شذرات

﴿السَّلَف والخلف﴾ بنسبة وفاة المثلّث الرحمات قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر وانتظار العالم لتعيين خلفهِ طلب الينا بعض القرّاء ان نصف لهم العادات الجارية في رومية العظمى عند وفاة الاحبار الرومانيين وتنصيب البابا الجديد . وقد سبق لنا في ذلك مقالتان مشبعتان تحت عنوان السَّلَف والخَلَف نشرناهما مع رسوم عند وفاة البابا لاون الثالث عشر في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٦٧٨–٦٨٥ و ٧٢٧–٧٣٩) ومنهما استمدّ الخوري شكرالله صفير الجلتوني الخلاصة التي نشرها اخيراً في جريدة الارز

فنحيل القرّاء الى كتاباتنا السابقة وقد جرى في تلك العادات بعض التحويرات ببراءة الحبر الاعظم بيوس العاشر نبّه اليها مدير البشير الاغرّ في اعداد الجريدة ٢٤و٢٦ و٢٨ كانون الثاني فلتُراجع .

﴿ اكرام الكنيسة الكاثوليكيّة في رأسها ﴾ انّ الاصوات التي تصاعدت من كل انحاء المعمور وهي تُعلن عن اسفها لوفاة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر لمن ادلّ الادلّة على مقام البابويّة في العالم اجمع . وهي في الوقت ذاته شاهد حيّ على علوّ مرتبة الكنيسة الكاثوليكيّة . أفيمكن الملل غير الكاثوليكيّة ان تذكر بطريركاً او رئيساً مهما عَظُمت رتبتهُ واعتزّ شأنهُ نال من الاكرام ما ينالهُ احبارنا الرومانيّون فترى العالم يهتزّ لكلّ نبإٍ يختصّ بالبابا حتّى في ادقّ أعمالهِ . أفيقال انّ هذا يعود الى شخصهِ أوليس بالحري الى الكنيسة التي هو يمثلها . فمن كان الكردينال يعقوب دلّاكيازا ؟ ومن كان يعرفهُ الّا القليلون ؟ واليوم هل يوجد كثيرون في العالم يجهلون بندكتوس الخامس عشر ؟ نعم لا ننكر ما اتّصف بهِ البابا الفقيد من الصفات الفريدة التي حبّتهُ للجميع لكنّ تلك الصفات انّما كانت اشعّة تنبثق دوباً من كرسيّ رومية فتنير العالم كلّهُ . ولعلّ احوال عصرنا المضطربة جعلت تلك الاشعّة اسطع وانور وانّما النور والحرارة لم ينقطعا اصلًا في ذاك المتوقد الذي دونهُ يعود العالم الى جودهِ وظلمتهِ . وقد اقرّ هذه المرّة حتّى الغرباء والاجانب والاعداء بهذه الحقيقة فكان انضمام اصواتهم احسن شاهد على قوّة الكنيسة الكاثوليكيّة ونفوذها دون استنادها الى قوّة عالميّة . ورئيسها لا يزال سجيناً في قصر الفاتيكان ليتحقّق كل ذي بصر انّ تلك القوّة تأتيهِ من الله الذي وعد بها كنيستهُ

﴿ منشوران جديدان ﴾ وقفنا على منشورين حديثين وجدناهما جديرين بكل ثناء . الاوّل منشور بطريركي لغبطة السيّد الجليل مار الياس بطرس الحويك بطريرك الموارنة الكلّي الطوبى الى ابناء طائفتهِ في رأس العام الجديد ليحضّهم على العبادة لقلب يسوع الاقدس الذي سبق فكرّس لهُ لبنان الكبير . وفي منشورهِ هذا يبيّن غبطتهُ بافضل منوال وبالادلّة اللاهوتيّة والكتابيّة والتاريخيّة ضرورة هذه العبادة للمسيحيين وجوهرها ونتائجها الخلاصيّة ليحصلوا على تلك المواعيد التي وعد بها المخلّص مكرّمي قلبهُ الاقدس

والمنشور الثاني لسيادة المطران باسيليوس قطّان ميتروبوليت بيروت وجبيل وتوابعها ، وهو باكورة مناشيره الى ابناء ابرشيّته فأعربهم عن عواطفه الابويّة واستعداده للتفاني في خدمتهم . ثمّ بيّن لهم ما صارت اليه ابرشيّة طائفته العزيزة في بيروت من الانحطاط بسبب احوال الزمان التاعسة وسوء تصرّف بعض ذوي المطامع باوقاف الكنيسة في زمن سلفه في وقت الحرب حتى تثاقلت على كاهلها الديون وصرّح بعزمه على تلافي تلك الاضرار مهما تكلّفهُ في ذلك من العناء عاقداً الامل على ابناء ملّته الكريمة بان يساعدوهُ في تحقيق نيّاته الصالحة

﴿عدد اليهود في العالم﴾ قد بحث احد الاحصائيين الصهيوني داڤيس ترستش عن عدد اليهود في كافة المعمور فدوّن جدول احصائهم في احدى المجلات الانكليزيّة فننقلهُ هنا لفائدة القرّاء فيبلغ المجموع نحو ١٦،٠٠٠،٠٠٠

بولونية	٣،٣٠٠،٠٠٠	النمسة	٣٠٠،٠٠٠
اوكرانية	٣،٣٠٠،٠٠٠	يوغوسلوڤاكية	٢٠٠،٠٠٠
الولايات المتّحدة	٣،١٠٠،٠٠٠	افريقية دون المستعمرات الفرنسويّة	١٧٠،٩٠٠
روسيّة	٩٠٠،٠٠٠	فرنسة	١٥٠،٠٠٠
رومانية	٦٥٠،٠٠٠	الجزائر وتونس	١٥٩،٠٠٠
المانية	٥٤٠،٠٠٠	مراكش	١١٠،٠٠٠
المجر	٥٤٠،٠٠٠	جزيرة العرب	١٣٠،٠٠٠
تشيكوسلوڤاكية	٥٤٠،٠٠٠	اليونان	١٢٠،٠٠٠
بريطانية	٣٠٠،٠٠٠	هولندة	١١٠،٠٠٠

﴿النيزك الساقط فوق كليّتنا﴾ ذكرناهُ في عددنا السابق (ص٧٨) ثمّ علمنا انهُ كان لسقوطه تأثير خارجاً عن بيروت ايضاً . فسمعهُ في البقاع اصحاب مرصدنا في كسارة فظنّوهُ مدفعاً كبيراً . وقد ذكرت مجلّة العرفان في صيداء انّ توفيق افندي الجمال مأمور الديون العموميّة وغيرهُ كثيرين سمعوهُ في الوقت نفسه ونسبوا صوتهُ الى اطلاق مدفع . قالت العرفان (ص٢٤٥) : « وبعد البحث تبيّن انّ هذا الرجم ايضاً اصاب الزاوية الشماليّة الشرقيّة من قلعة البحر في صيداء وأسقطها الى البحر » . وبهذه النسبة نعيد القرّاء بانّ اكبر مجموع من حجارة النيازك موجود في متحف الڤاتيكان

﴿مستشفى البُرص في منغالور﴾ للاباء اليسوعيين في منغالور رسالة زاهرة ومن

جملة مشاريعهم الخيرية مستشفى للمصابين بالبرص يأوونهم فيه ويعالجون كثيرين من هؤلاء التعساء. وقد زاره منذ عهد قريب حاكم مدرس الانكليزي فأعجب بحسن ترتيبه وادارته وتفاني الرهبان القائمين بخدمته ولاسيما الاب مولر رئيسه فقدم له شاكراً نوطاً شرفياً من رتبة قيصري هند، قائلاً: ان الكنيسة التي تنتمي حضرتك اليها لم تزل في كل الاجيال رمزاً حياً ومثالاً صادقاً لتعاليم المسيح الداعي تلاميذه الى تضحية الذات والتفاني في سبيل القريب. وحضرتك كنت في مقدمة الذين مثلوا في شخصهم هذه الفضائل دون انقطاع

﴿حوران واهلها﴾ نشرت مجلة آسية الفرنساوية في عددها الاخير احصاء عدد اهل حوران وتوابعها فأحببنا نقله لقرائنا لفوائده. قالت ان جبل الدروز يحتوي على نحو ٨٠،٠٠٠ نفس بينهم ٤٠،٠٠٠ من الروم الكاثوليك والاورثدكس و ٢،٠٠٠ من المسلمين السنيين والباقون من الملة الدرزية. ومن قولها ان الدروز لم يستوطنوا تلك النواحي قبل مئة او مئة وخمسين سنة. ثم اللجا الذي موقعه في شمالي شرقي حوران وارضه بركانية يبلغ اهله من ١٥،٠٠٠ الى ٢٠،٠٠٠ نفس بينهم ٥،٠٠٠ من الروم الاورثدكس والباقون من قبائل عرب المدر اكبرها قبيلة السلوط. ثم عجلون في جنوبي غربي حوران المؤلف من جبال يفصل بينها اودية مخصبة يسكنه نحو ١٥٠،٠٠٠ نسمة ثلاثة ارباعهم مسلمون سنيون والربع الآخر روم كاثوليك واورثدكس. واخيراً جولان واجرة واهلها من قبائل البدو لم يعرف عددهم تماماً

﴿نبوة القديس ملاخيا﴾ القديس ملاخيا اصله من ارلندة تسقف على مدينتها كونور واشتهر بقداسته ومات سنة ١١٤٨م تنسب اليه نبوة في الباباوات وخواص كل واحد منهم بألفاظ رمزية. وهذه النبوة قد ثبت اليوم انها احدث عهداً من زمن القديس ملاخيا نسبت اليه زوراً في القرن السادس عشر. اما منطوق النبوة عن افراد الباباوات منهم ربما صح عن كل واحد منهم. فالنبوة المختصة بالبابا المنتظر انتخابه منطوقها «ايمان حي باسل» (Fides intrepida) وهذا يصح عن كل الاحبار الرومانيين ولم يبق على رأي هذه النبوة المزعومة الا اربعة باباوات الى آخر العالم

أسئلة وأجوبة

س سأل من مطولا حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب . م ما هي الرصافة المنسوبة الى القديس سرجيوس وهل هي رصافة بغداد ؟

الرصافة المنسوبة الى القديس سرجيوس (سركيس)

ج الرُّصافات عديدة جدًّا منها في العراق رُصافة البصرة والكوفة وبغداد ومنها في العجم رصافة نيسابور ومنها في الاندلس رصافة قرطبة . أما الرصافة المنسوبة الى القديس سرجيوس وتُعرف باسمه (Sergiopolis) فهي رصافة الشام المعروفة برصافة هشام بن عبد الملك لأنهُ رمّمها وسكنها وكانت قبلهُ مدينة اسقفيَّة من بلاد ما بين النهرين موقعها غربيّ الرقّة على بعد مرحلة منها

س وسأل قارئ : لماذا يدعى اوّل سرّ من اسرار الكنيسة بالعماد او المعموديَّة مع انَّ ما وُضع للتعبير عنهُ في الاصل اليوناني هو (Βαπτίζω, Βάπτισμα) اي غَسَل وغَسل

تسمية سرّ الغطاس بالعماد

ج خُدع السائل باللفظة العربيَّة التي لها ما خلا معناها الاصلي معنى ثانٍ اصطلاحي دخيل منقول عن السريانيَّة و«عمّد» في السريانيَّة ܥܡܕܐ معناها الغَسل والغطاس

س وسأل الأديب يوسف افندي صنا : ما الداعي لعدم دخول الطوائف الشرقيَّة في انتخاب الاحبار الرومانيين اذ ليس لهم من يمثلهم في مجمع الكرادلة ؟

دخول الطوائف الشرقيَّة في مصفّ الكرادلة

ج ليس من مانع ان يدخل الشرقيُّون في مصفّ الكرادلة وانتخابهم للاحبار الرومانيين كما جرى للكردينال بـّاريون اليوناني وللكردينال خسّون الارمني لا بل اوشك الكردينال بـّاريون ان يُختار للبابويَّة فلم ينقصهُ سوى اصوات قليلة لانتخابهِ حبرًا اعظم . وقد ترأس سابقاً على الكنيسة ١٨ حبرًا اعظم من السوريين والشرقيين . امَّا اليوم ففئة عدد الكاثوليك من الطوائف الشرقيَّة الى المؤمنين في العالم كنسبة واحد الى ٦٠٠ اذ لا يتجاوزن ٥٠٠،٠٠٠ . فان شاء الله ينمو هذا العدد فيُرقّوا الى رتبة الكردينالية بل والى منصب رئاسة الكنيسة العامّة ل . ش

انتَ الصخرة !

لمَّا دُعي الى رومية العظمى سنة ١٨٧٠ احد شيوخ الاساقفة من اليسوعيين المرسلين الى الصين السيد لَنفوبليا الفرنسوي ليحضر المجمع الفاتيكاني ودخل لاول مرَّة على السعيد الذكر بيوس التاسع ما كاد ينظر الى طالع امام الاحبار حتى خنقتهُ العبرات ولم يستطع ان يفوه بين اقدام نائب المسيح بغير هاتين الكلمتين « انت الصخرة » . فضمَّهُ بيوس بكل تأثير الى صدرهِ وباركهُ بمثل الحنوّ والتطُّف .

وها نحن اليوم امام بيوس آخر أقامهُ الله من بين إخوتهِ ليرعى كنيستهُ فلا يسعنا كذلك المرسل الجليل الّا ان نردّد آية الرب : انت الصخرة !

كان المسيح الصخرة (١ كور ١٠ : ٢٠) هو حجر الزاوية (افس ٢ : ٢٠) الذي يسند كل بناء الكنيسة وعليهِ تتحطَّم كلّ قوّات الجحيم . وانّما هذه الصخرة خفيَّة محجوبة عن النظر منذ ارتقائه الى السماء . لكنَّهُ عزَّ وجلَّ وعد تلاميذهُ بان يبقى معهم الى منتهى الدهر . فقياماً بوعدهِ اراد ان تظهر خواصّ تلك الصخرة العجيبة في صخرة منظورة تستمدُّ من الخفيَّة روحها وقوّتها . حتى اذا اختبر العالم صلاحها وثباتها واقرَّ بالروح الالهي الذي يحييها ويسندها يبدلها بصخرة أُخرى ليُظهر غناهُ بتعداد الصور المختلفة نظرًا وزمناً والثابتة معنًى وروحاً .

وكان تبارك اسمهُ استأثر بنائبهِ بندكتوس ليجزل ثوابهُ عن حسن وكالتهِ . فما مرَّ على وفاتهِ خمسةَ عشر يوماً حتَّى ظهرت الصخرة المحجوبة بجمالي قوّتها تحت صورة جديدة ندعوها بيوس الحادي عشر . وهي الدفعة المائتان والستّ والستّون المكرَّرة على استجدادها منذ بطرس هامة الرسل

فأمام شخصك الكريم ايها الاب الاقدس نقرُّ ونعترف بانك الصخرة البطرسيَّة بكل طمأنينة وارتياح نستطيع ان نوجّه نظرنا الى كنيسة المسيح التي عليها يثبت ايماننا

فيكتسب من اساسها ثباتهُ غير المتزعزع

انت الصخرة التي لا تقوى على بنائها انواء العالم وسيول الشهوات وتيّار الاضطهادات

انت الصخرة ! فمن تشبَّث بك معتصماً بركنك لا خوف عليهِ من الغرق في بحر الدنيا المتلاطم بالامواج

انت الصخرة ! من لاذ بك لاذ بعمود الحقّ وقاعدتهِ (تيم ٣ : ١٥) فلا يتقلَّب مائلًا مع كل ريح تعليم بخداع الناس ومكيدة الضلال (افس ٤ : ١٤)

انت الصخرة ! لست الصخرة الجامدة القاحلة بل انت تلك الصخرة الرمزيّة (عدد ٢٠ : ١١) التي بضربة عصا موسى جرت منها المياه فارتوى منها شعب اسرائيل. واليوم تتفجر منها مياه النعمة التي تسقي العالم كلّهُ وتحيي الارض بعد مواتها فتأتي باثمار الخلاص للحياة الابدية

انت الصخرة التي « يفيض منها لنهارٌ من زيت » (ايوب ٢٩ : ٦) تلين بهِ الاوجاع وتغتذي الارواح وتستنير العقول. بل من هذه الصخرة يُرضع الله شعبهُ عسلاً كما قال (تث ٣٢ : ١٣) . « وارضعهُ عسلاً من الصخر » وكما صرّح بهِ داوُد قائلًا (مز ٨٠ : ١٧) : « واشبعهُ من الصخرة عسلاً »

انت الصخرة التي الى ثقوبها تلتجئ الطيور الناطقة (نشيد ٢ : ١٠) اشعيا ٢ : ١٠) لتنجو من مخالب الباشق الجهنمي وتستتر من غضب الله كلما استحقته بخطيئتها

فالى هذه الصخرة الربانية نتقاطر اليوم وعلى صلابتها نبني رجاءنا ونركز آمالنا !

رُقيتُ عرشاً شاده ربُّ العُلى فاجلس عليه آمناً بيُوسُ
لا تخشَ سوءاً من عداك فبأسه يؤتيك عضداً ربك القدوسُ
واذا نوَوا ضرراً بصخرتك انثنوا بتهشُّم والمجتري منكوسُ

فها نحن عند اقدامك ايها الاب الجليل . على آثارك نسير . وبانوارك نستضيء . ولتعاليمك نسترشد . انت الراعي فالقطيع طوع بنانك . انت الدليل فوراءك لا نتيه في بيداء الضلال . منك نسمع لأننا باصغائنا الى صوتك نسمع من المسيح ذاته (متى ١٠ : ١٢)

ويا ليتنا نرى في ايامك الخراف الضالة تعود الى حظيرتك فترعاها في المروج المخصبة مع اغنامك الامينة وتقودها الى الاخدار السماوية بعد ان يتألف منها قطيع واحد تحت نظارة راعٍ واحد . آمين اللهم آمين!

دمعة فابتسامة

لحضرة الخوري رافائيل البناني

في بيعة الله ليس النور يستترُ ... فما هوى قمرٌ إلّا علا قمرُ
وما مضى أسدٌ إلّا اتى اسدٌ ... وما ذوت زهرة إلّا زهت زهرُ
ان غاض منها معينٌ في ثرى ابدٍ ... تدفقت بالفرات العذب تنفجرُ
تلك الحظيرة عينُ الله تكلأها ... لا ذئبَ يغشى ولا ينتابها نُبُرُ
فالله فيها وعيناهُ تؤيدها ... فلا تزعزعها الأرزاء والغِيَرُ
وما دهتها من الأيام كارثةٌ ... الّا أتيح لها الإعجاب والظفرُ
ترنّح اليوم عطفاها وقد مرحت ... وكان بالامس صوبُ الدمع ينهمرُ
والعين قرّت وكاد الشجوُ يسلبها ... والقلب سُرَّ وقبلاً كاد ينفطرُ
داوى الاله كلوماً ضرّجت كبداً ... وشدّ عزماً عراهُ الوهنُ والخَوَرُ

قضى فقيدُ العُلى نَحْباً فصرعهُ ... خطبٌ جليل به عمّ الورى الحَصَرُ
قضى الجوادُ الذي انهلت مكارمهُ ... كالسُّحب في كل اقطار لها أثرُ
سعت شآبيب كفّيه بوبل ندًى ... أيامَ هولٍ ونارُ الحرب تستعرُ
ابٌ رؤوف همى من مقلتيه دمٌ ... لمّا رأى زهرَ الشبّان تنتثرُ
طوى الليالي والافكارُ تقدمهُ ... حيث المآزقُ والاجنادُ تحتضرُ
كم قام متعصباً والحرم شيخٌ ... مؤنباً عاهلاً منه ورَى الشررُ
رسولُ سلمٍ ابى الّا مجاهدةً ... فيما تخفُّ به الويلات والضررُ
فما اتاهُ فقيدُ الفضل من كرمٍ ... وحسن فعلٍ بماء التبر يُستطرُ

كتيبة الله هذا النهجُ منهجها ... فالله يشهد والتاريخ والعصرُ
بنانها سُحبٌ آراؤها شُهبٌ ... اقوالها قضبٌ اعمالها غُرَرُ
فالفضل دَيدنها ولله مَوردها ... وما لها غير كنز البرّ مدّخرُ
كم من كواكبَ في طيّاتها سطعوا ... يطأطئ الكونُ رأساً كلّما ذُكروا
ما من محامدَ في الدنيا ومأثرةٍ ... الّا نراها بها تزهو وتزدهرُ

فهيَ السفينة تسري وهي آمنةٌ فالله ربانها ما راعها خطرُ
ترنو الى اللجّ والإعصار ساخرةً فالموجُ يُرغي فيَمضي وهو مندحرُ
معاذَ ربّك ان ينسى سفينتهُ واليمُّ ملتطمٌ والجوُّ معتكرُ

اخلى العرينةَ ليثٌ فانبرى اسدٌ لم يُقضَ للذئب من أشبالها وَطَرُ
بالفاتكان أُسودُ العدل قد ربضوا فالويلُ للبَغي والطغيان قد زأروا
فرومةٌ ملجأُ الدنيا ومَرجعها تنهي وتأمر والتيجانُ تأتمرُ
فانها كعبةُ الأقطاب قاطبةً والمورد العذب للظمآن والصَّدَرُ
تحني الملوك بها هاماتها وَرَعاً فالكبر فيها يُرى من طيّهِ الصِغَرُ
اذا الفضيلةُ ابدى النورُ بهجتها يعنو لرونقها الصَّمصامة الذكرُ
متى تجلّى الهدى والفضل يُوكبهُ لانَ القساةُ وجاء البُطل يعتذرُ
كأنما الفاتكان الفخمُ متّسعٌ فيهِ تبارى التقى والفضل والفكرُ
تأجلَ السادة الاحبارُ فيه بما به تعزُّ وتلقى النبطةَ الأُسرُ
والشاهد العدل مَن قد هزَّ مصرعهُ ارضاً وكلُّ جريح القلب منكسرُ
لكنما الله يأسو الجرحَ بلسمهُ فالقلب بعدَ صدوع الحزن منجبرُ
عما الهناء عزاء حلَّ فابتهجت منّا نفوس فزال الكرب والكدَرُ

دعوا التقيّ عمّن قد اتى خلفاً فلم يُقِمْهُ على كرسيّه بشرُ
من كان ربّك يدعوهُ لبيعته فالله في فمه والقلب مستترُ
فمن رأى عركيّاً ناسجاً شبكاً عنهُ القياصرُ في عليائهم قصروا
ثلَّ العروشَ عروشَ البغي من قِدَم وبأسهُ ضعفهُ والجهل والحَقَرُ
وكنزهُ قوله للمقعدين قفوا وامضوا وفوق ظهورٍ تُحمَلُ السرُرُ
بالفاتكان اسيرٌ حرّر الأسرا بل الشعوبَ من استرقاق مَن بَطِروا
أما يرى صنع ربّ العرش ذو بصر ام الاشعّة عنها ينثني البصرُ
انت الصفا وعليها بيعتي انتصبت فلا يزعزعها دهر ولا زُمَرُ
فالله يحسن عن كفّيَ ممثلهِ والله يرمي وذاك القوس والوَتَر
يا بيعة الله كفّي النوح وابتهجي فالله فيك الى ان ينقضي الدهر

تعزيز اللغة العربية

في

البلاد الفرنسوية

نوطة

أشاع المفسدون يوم احتلّ الفرنسيّون البلاد السوريّة ان هؤلاء سيعملون على قتل العاطفة الوطنيّة في قلوب الاهالي ويسعون وراء نشر لغتهم مُهملين أمر العربية مجتهدين في سبيل نسخها من على شفاه السكّان غير حافلين بما لها عندنا من الرفعة في المقام دون لغات الارض قاطبة. فاسترلت المخاوف على عقول بعض الوطنيين من الذين لم تكن سبقت لهم معرفة بابناء فرنسة وادركت الهواجس وؤوسهم من جرّاء ذلك وما زالت خواطرهم قلقة حتى بدت تباشير اعمال ضيوفنا الكرام في هذا الوطن المحبوب فاذا هي تؤذن بمستقبل لأمّتنا السورية باهر للغاية واذا الفرنسويون اشدّ غيرةً على مصلحتنا ولغتنا من انفسنا. وهما ان المتحف العربي الذي أُنشئ حديثاً في دمشق ومدرسة الترجمة التي تأسست في ذات المدينة المذكورة والمساعدة التي ابدتها المفوّضية العليا للجامعة العلمية العربية في دمشق والمكتبة العربية التي فتحت ابوابها للمطالعين في بيروت تشهد بما يبذله الفريق غورو مندوب الجمهورية الفرنسوية السامي في سوريا ولبنان ورجاله الأفاضل من المساعي الحميدة والجهود العديدة قصد إحياء الشعور الوطني في نفوس الاهلين وإنماء هذه العاطفة بجمع شتات آثار البلاد القديمة ولجمع شتات الكتب والمخطوطات العربية النفيسة وتعزيز مركز لغتنا. مشاريع جمّة نشطت اليها همم الفرنسويّين في بلادنا العزيزة مستمدّين قوّتهم من تشجيع رئيسهم الاكبر ذي الروح الشريف والقلب السامي فاستحقّ واستحقّوا معه شكران الوطنيين لهم

ولعمري ما كان هذا اوّل دليل يستدلّ به السوريون على اخلاص الفرنسويين لهم وغيرتهم على مصلحتهم الوطنية فقد سبق للمرسلين منهم فضلٌ على اهالي البلاد

يحسن الاعتراف به . وانّا لنكتفي اذا شئنا ذكر ما لهم من الايادي البيضاء على لغتنا بالاشارة الى العمل العظيم الذي قامت به مكتبة ومطبعة الاباء اليسوعيين الفضلاء في بيروت بما جمعتاه ونشرتاه من التآليف العربية القديمة العهد النادرة الوجود الجليلة القدر التي طالما تشوّفت اليها أبصار المنقبين وتشوّقت بصائر المجتهدين . ولم يكن اهتمام الفرنسويين مقتصراً على إنشاء الدروس العربية في البلاد السورية بل انصرف ايضاً الى تعزيز مركز هذه اللغة في فرنسا وادخال درسها في برامج التعليم الثانوي الباريسي مما لم يكن يحلم به ناطق بالضاد

وقد وقفنا على تاريخ هذا المسعى من قراءة فصل وجيز لاحد المستشرقين العالمين باللغة العربية هو السيّد موريس مرسيه رئيس الغرفة في البعثة الفرنسوية لدى دولة حلب حاليًا وضع هذا الموجز فضمّنه آراء عُلية القوم بين مواطنيه بهذا الخصوص مؤيّدًا فكرة نشر العربية في المدارس الفرنسوية بكل ما لديه من علم واسع واختبار طويل وحجّة في الاقناع راهنة . لذلك احببنا ان ننقله لقراء الشرق الاغرّ بحيث تعمّ الفائدة منه ويتحقّق الذين ظنّوا بالفرنسويين سوءًا انهم اخطأوا بظنهم ذلك وان هؤلاء الضيوف الذين أمّوا بلادنا ليأخذوا بيدنا في مطلع حياتنا الوطنية ما زالوا ينعشون في قلبنا عاطفة حبّ الديار ويعطفون على لغتنا بكل غيرة واخلاص . والسيد مرسيه هو احد الذين اتقنوا درس لغتنا فكشفت لهم عن محاسنها فشرعوا يحضّون على الإعجاب بها وقد نقل منها الى الفرنسوية شيئاً جميلاً وها نحن نعرض الفصل الذي كتبهُ على القرّاء معرّباً

عبدالله الناصري

درس اللغات الحيّة

واصلاح التعليم الثانوي

للسيّد موريس مرسيه رئيس غرفة البعثة الفرنسويّة في حلب

يبين لعين المتبصر ان بعض ارباب الامر في فرنسة نسوا تمامًا العبَر التي أفضت علينا الحرب وذلك بمناسبة اصلاح التعليم وتجديد البرامج المدرسية فرأينا من خير

المصلحة ان نعلم الجمهور برأي الذين خاضوا غمار هذه الحرب فيما يخصّ التعليم

ان ما انطوى عليه الاصلاح الذي جرى عام ١٩٠٢ من العيوب والخلل قد عدّده رجال من فضلاء القوم فلم يبق علينا الّا ان نستفيد عبرةً من هذا الاختبار الذي لم يكن كلّهُ سيئاً كما يظنّهُ كثيرون بوجه العموم . امّا تلك العبرة فهي ان التغييرات التي طرأت على التعليم الثانوي كانت تابعة لتفوّق نفوذ الاختصاصيّين فيحسب الاستاذ لقصر نظره انّ من الضرورة جعل الدروس المتخصّص لها محورَ التعليم جميعهِ فيعمل على استمالة رصفائهِ الى مذهبهِ حتى يتعدّى حدّ الدروس المقاربة لفرعه . وهكذا فان الاصلاحيين عام ١٩٠٢ كانوا من اللغويين ثمّ اصبحوا عام ١٩٢١ من محبّي الآداب وسيكونون عام ١٩٤٠ من ارباب العلم

فبعد بسط هذه المقدّمات نستأذن القرّاء في سرد تاريخ ما بُذل من المجهود في سبيل اللغات لنستلفت نظر اولياء الامر والجمهور الى الاهميّة المترتّبة على تعليم لغة حية هي اللغة العربية . ولا يدهشنّ القرّاء ذلك بل ليتفضلوا بالنظر الى المسئلة من حيث وجهتها العامّة فما يصحّ قولهُ عن لغة خاصّة يثبت ايضاً عن تعليم اللغات الحية اجمالاً ولا يُسقط قيمةَ هذا التعليم الاصلاح الذي جرى سنة ١٩٠٢ بقدر ما اسقطتها بعض الطرق المستعجلة التي تتبرّأ منها كلية باريس الجامعة وقد خلط الجمهور بينها وبين الطريقة المباشرة وهو معذور في خطاهِ . ان السيد موريس كاهين انتقد هذا الاسلوب الاخير في «المجلة الكلية» (عدد ت ١ و ت ٢ و ك ١ سنة ١٩١٩) وقد ردّ عليه السيد ريڤولان بحجج جديرة بالاعتبار في مجلّة اللغات العصرية (عدد ايلول و ت ١ سنة ١٩٢٠)

ولسنا نشاء ان نذكر البراهين التي يرتكز اليها تعليم اللغات لئلّا نُحيي الاختلافات المتقادمة العهد بين الاقدمين والمتأخرين وانّما نكتفي بان نجيب الى من يسمون حججنا بالضعف لانطباقها على موضوع إفرادي ان ما قيل في سبيل تعليم اللغات الاوربية يصحّ في اللغة العربية ويضاف اليه اعتبار جديد هو ان هذه اللغة يتكلّمها اكثر من عشرين مليوناً من الرعايا الفرنسويين

ودليلنا على صحّة قضيتنا مؤيّد باثبات الفريق غورو مفوّض الجمهورية الفرنسوية العالي في سوريّا ولبنان اذ عمل بذكائه المعتاد على انشاء منبر لالقاء الدروس العربية في بوردو وهي فكرة يحسن بالناطقين بالضاد ان يثنوا عليهِ لاجلها ثناء طيّباً

وقد شاء الفريق غورو ان يبدي اهتمامه بهذه المسئلة فقال :

« لست ارى ما هو أكثر اهمية للاسلام ولفرنسة التي هي نصيرته من إلقاء تعلم اللغة العربية في البلاد الفرنسوية . من البديهي انهُ يجري بين المتكلمين بلغة واحدة تقارب حثيث وتسارع الى التفاهم التام الضروري لكل عمل مشترك مبني على اسس الاخلاص . انكم اذاً سائرون في الطريق القويم الذي يرشد اليه القلب والعقل ولست أكف عن تنشيطكم وحضكم على المثابرة في هذا المنهج »

١ً النتائج التي حصلت قبل الحرب وحصلت بعده

وهاكم الآن نتائج مشورات أخذت قبل الحرب ان السيد هابيل فري (A. Ferry) المتوفى بعث الى غرفة تجارة باريس بكتاب (رقم ١٥ ك١ سنة ١٩١٣) يسألها فيه ان تتخذ قراراً مؤيداً لإدخال درس اللغة العربية في التعليم الثانوي الباريسي . وقد أدلى على طلبه بحجج راهنة مبيناً بنوع خاص كون العربية لغة المستعمرات الفرنسوية المثلى . على ان هذه الحقيقة فاتت نظر اعضاء الغرفة المذكورة فلم يصوبوها وارسل الرئيس الى السيد هابيل فري بتاريخ ٢٣ ايار سنة ١٩١٣ تقريراً وضعه السيد دارّاس مآله ردّ الطلب . وصار نشر هذا التقرير مع الردّ عليه في مجلة الشؤون الاستعمارية والبحرية في نفس السنة

وفي الوقت ذاته نشرت جريدة «العمل» في عددها الصادر بتاريخ ٤ حزيران سنة ١٩١٤ مقالة مشحونة بالادلة الصحيحة تحبذ تعليم العربية

ثم اتخذت جمعية الدروس الاستعمارية والبحرية القرار التالي في جلستها المنعقدة بتاريخ ٣ تموز سنة ١٩١٤ برئاسة الاميرال الثاني بسون :

بناء على اقتراح السيد كاميل فيدل (C. Fidel) كاتب الوقائع العام ونظراً لكون معرفة العربية التي يتكلمها أكثر من ١٥ مليوناً من الرعايا الفرنسويين والتي تؤهل لإشغال وظائف عديدة في البلاد الاسلامية التابعة لنا لا تقل فائدة عند مواطنينا عن معرفة اللغات الاجنبية الداخلة من عهد قديم في برامج التعليم

ونظراً لدخول العربية في برامج التعليم الثانوي في الجزائر وكلية ليون

يتمنى المجلس : ان يكون درس اللغة العربية داخلاً في التعليم الثانوي الباريسي وان يكون لهذه اللغة مقام سائر اللغات الحية لنوال الشهادة الثانوية (Baccalauréat)

هذا وقد رأى السيد فلاندان (M. Flandin) احد اعضاء مجلس الشيوخ ورئيس

اتحاد الدروس الجزائرية من الحكمة تجزئة المسئلة والسعي للحصول اولاً على إدخال العربية في لائحة الشهادة الثانوية في باريس فارسل طلباً بذلك الى وزير المعارف الذي اجابه عليه بالكتاب التالي :

وزارة المعارف والفنون الجميلة

التعليم العالي ادارة المكتب الاول باريس في ٨ تموز سنة ١٩١٣

سيدي عضو مجلس الشيوخ

«تفضلتم بإلفات نظري الى ما يترتب من الاهمية على تمكين طلاب الشهادة الثانوية للعلوم الثانوية في مجموعة معاهد باريس العلمية من تقديم الفحص في اللغة العربية عند الامتحانات الشفوية والكتابية بدلاً من احدى اللغات الحية المنصوص عنها في المادة ١٧ من المرسوم الصادر بتاريخ ٣١ ايار سنة ١٩٠٢

«وقد رجوتُ من مدير المعارف الثاني في باريس ان يعرض هذه المسئلة على الجامعة الادبية في كلية باريس فردّتْ هذه الجامعة الاقتراح باتفاق الاصوات لأنّ تعليم هذه اللغة حالياً غير جارٍ لا في مدرسة العلوم العالية ولا في معاهد التعليم الثانوي التابع للكلية . وقد وافق المدير الثاني على هذا الرأي . فلا يمكنني امام هذين الرأيين ان احقق طلبكم واني أعرب لكم عن شديد تأسفي لذلك

« وتأكدوا يا سيدي عضو مجلس الشيوخ اعتباري الفائق لكم »

رئيس المجلس وزير المعارف والفنون الجميلة

رئيس الفرقة الامضاء : (عيرجلي)

كان ذلك يوم كنّا على وشك الدخول في الحرب وهذه المساعي التي لم يكن بدا منها شيء من الفائدة أدّت فيما بعد الى بعض النتيجة فان العربية صار قبولها في امتحانات الشهادة الثانوية (Baccalauréat) في باريس كلغة رئيسية او متممة بموجب مرسوم صدر بتاريخ ٢٢ تموز سنة ١٩١٧ . وبقيت المسئلة عند هذا الحدّ الى يوم عقد الصلح . على انّ كل الدوائر كانت تلحّ في درس العربية التي تمّ قبولها في برامج الامتحانات لدخول المدارس الكبرى كمدرسة سان سير الحربية ومدرسة الاختصاصيات (Polytechnique) ودار المعلمين

وقد اتخذت غرفة تجارة بوردو قراراً تتمنّى فيه تعليم العربيّة جاء في مقدمته الاعتبارات التالية :

« قيل بحق وتكرّر القول ان كل لغة حيّة هي بمثابة مفتاح تنفتح به ابواب البلاد التي يتكلم بها السكّان . وها ان لنا الان الجزائر وتونس ونحن على وشك الفراغ من فتح مراكش وكل هذه البلاد لغتها العربية بصرف النظر عن ان هذه اللغة سائدة جدًّا في جميع القطر الافريقي وفي اسيا الجنوبية وفي جزُر مالزية الاوقيانيّة »

ومن جهة اخرى اضطرّ وزير الحربيّة سدًّا للعجز الحاصل في عدد المترجمين الى ان يكتب الى قوّاد فرق الجيش ما تعريبهُ :

« ان حاجة مراكش الآخذة بالازدياد تدريجيًا تضطرُّني منذ الآن الى ان لا اقتصر على استخدام المتخرطين في سلك الترجمة بل العسكريين ايضًا الذين لهم بعض الالمام باللغة العربية والذين يمكن توظيفهم كمترجمين مساعدين . فعليه يمكن استخدام بعض الشبان الداخلين في الفرق الجزائريّة والتونسيّة القائمين اليوم بالخدمة العسكريّة وان لم يكونوا قدموا امتحانًا لقبولهم مترجمين بشرط ان يكون من المستطاع الاستفادة منهم من هذه الوجهة »

وقد جاءت الحرب دليلًا ساطعًا على فائدة اللغات الحيّة لاسيما العربيّة اذ ان الجنود الجزائريّين والتونسيّين والمراكشيّين والسنغاليّين ما زالوا يَفِدون افواجًا على فرنسة وقد تألفت فرقة سوريّة صار توجيهها الى موناركا وقبرس ريثما يمكنُنا الانتصار من دخول سوريّة

٢ النتائج التي حصلت بعد الحرب

ان الحكيم گالوا (Dr Gallois) رئيس اتحاد جامعات اهالي الطلّاب اظهر سنة ١٩١٤ موافقته التامّة على الحملة التي نحن بصددها وقد كتب بتاريخ ٢٩ ت ١ سنة ١٩٢٠ التحرير التالي :

٨ باريس في ٢٩ ت ١ سنة ١٩٢٠ (١٧ شارع عمل الخير)

سيدي

« اني شخصيًا باتفاق تامّ معك على الاهميّة المترتّبة على تعليم اللغة العربية لكثرة العائقة من مركزيّتنا . ومقصدي من ذلك انّ مواطنينا يتهافتون دائمًا على ما يعملهُ بعضهم فاذا لم يشأ الجميع ان يدرسوا العربية لم يَعُد احد يتلقّن هذه اللغة وذلك هو الخطأ القادح

«منذ زمن بعيد خطرت لي فكرة بشأن اللغات الحية هي لو ان الطالب يمكنهُ عند الامتحانات تقديم عدد من اللغات غير محدّد تضاف الى ما يكون استحقه في سائر المواد . تلك هي افضل الوسائط لنشر اللغات الاجنبية

«من مدة عشر سنين بدا لي مثالٌ فاضح على خطإ الطريقة الحالية فان احد تلاميذ مدرسة العلوم التجارية العالية في باريس كان يتكلم الانكليزية جيداً ويجهل الالمانية . ولما كان في نيّته ان يكون الاول في صفه عمد الى تقديم الامتحان بالانكليزية ثقةً منهُ ان نقطهُ ستكون جيدة للغاية وهكذا اضاع وقته اذ لم ينصبّ على درس الالمانية بالرغم عن الفوائد الجليلة التي كان يمكنهُ جناها من معرفة هذه اللغة والسبب في ذلك استسلامهُ الى رغبته في ان يكون الاول في مدرسته . وقد باحثتُ مدير المعهد بالامر مبيّناً لهُ عدم صوابية التدابير المتخذة والتي من شأنها ان تُقعد بالطلبة عن درس لغةٍ حيّة جديدة . فكان جوابهُ ان الاسلوب الذي أقترحهُ يضمن فوائد عديدة لطلبة المدرسة الاجانب الذين يعرفون جميعهم كثيراً من اللغات الحية

«عندئذٍ الفتُّ انتباههُ الى ان هذا التفوّق انما هو وقتي وليس لدينا واسطة نضمن بها الفائدة للتلاميذ الفرنسويين الّا حثّهم على درس اللغات الاجنبية بقدر ما يمكنهم وان ذلك يقوم بتطبيق الاحوال التي اشرت اليها . ومن جهة اخرى يمكن تعيين نُقط قليلة للغات الحيّة بحيث لا يكون لها تأثير عظيم في ترتيب الفائزين بالامتحان

«ان اول اصلاح يجب تحقيقهُ على ما اظنّ هو ان يُطلب الطالب في بعض المدارس المعينة او المستعدّ لتقديم الفحص قصد نوال الشهادة الثانوية حقّ الامتحان في ما شاء من اللغات المعينة ضمن لائحةٍ تزاد تدريجاً ويضاف ما يستحقهُ عن معرفة هذه اللغات الى ما له من النقط في باقي المواد . اما الآن فيمكن ان تُضمَّن هذه اللائحة الانكليزية والالمانية والاسبانية والايطالية والعربية والروسية على ان يُلحق بها فيما بعد اليونانية الحديثة والرومانية والبرتونية الخ

«هذه هي افكاري العامّة فيما يتعلّق بتعليم اللغات الحية والتي تشيرون عليَّ بنشر مقالة في معناها في جريدة العائلة والمدرسة . فلننتظر الآن فيما يمكن عمله في الظروف الحالية . ان اوفق الاسلوب يمكن الجري عليه في اتحادنا هو ان تقرّر احدى الجامعات كجامعة الجزائر تمنياً بقبول العربية في امتحانات الشهادة الثانوية لدى جميع مجموعات

المعاهد العلمية مما يستوجب تعليم هذه اللغة في كل فرنسا

« ثمَّ يجب ان توافق الجامعات المتحدة على هذا التمني باتفاق الاصوات ونظراً لحبوط المسعى الاول ضعف الامل بنجاحه من جديد رغم البراهين التي قدمتها الحرب واتيتم على تعدادها . فهل يكون لكلامي نصيب من النجاح اوفر ؟ اشكّ في ذلك . لان اهالي الطلبة لا ينظرون الّا الى مصلحة اولادهم المستعجلة وهؤلاء الاولاد لم يدرسوا الّا لغةً او لغتين فلا يودّون ان يزاحمهم طلّاب يعرفون عدداً من اللغات اوفر . لكن هنالك دواء للداء اذ يمكن تعيين نُقَط قليلة للُغات الاجنبية يصير تكثيرها فيما بعد تدريجاً مدة عشر سنين او عشرين سنة . وعلى كل حال يقتضي ان يقوم اعواننا لحملة يُراد بها تغيير عقول الأمة من هذا القبيل . ورأيي لئلا يخشى الطلبة الفرنسويون امتياز الاجانب عليهم ان يُدرَج في الامتحانات انشاء باللغة الفرنسوية تُعيَّن لـه نقطةً عالية . فاذا شئتم سأذيع هـذه الفكرة الجديدة في المقالة التي كلّمتكم عنها

« امّا فيما يتعلق بالعربية خاصة فلستُ ادري ما يمكنني القيام به لان علاقاتي مع ارباب الصحف قليلة لا تسمح لي بطلب نشر مقالات بهذا الصدد في الجرائد . لكنكم انتم يمكنكم ان تكتبوا مقالاً لجريدة العائلة والمدرسة وتطلبوا من السيد كليلس عدداً من نسخها ترسلون بها الى أمهات الصحف . واسألكم ان تطلعوني على افكاركم ومشاريعكم بهذا الموضوع واني اجتهد لأناصركم . ومما تقدم تتأكدون ان المسألة تهمني واني اكون سعيداً اذا ادّت المساعي الى نتيجة حسنة . وتفضلوا يا سيدي بقبول عواطف الاعتبار الذي اشعر بها من نحوكم

التوقيع : كالوا

(حاشية) لكي لا يطلب التلميذ تقديم الامتحانات في لغات عديدة جداً لا يعرفها الّا قليلاً ارتأي ان تحسب النُقَط على المعدّل المنخفض تدريجاً بنسبة عدد هذه اللغات . مثال ذلك لو ان طالباً استحقّ :

٧	نقط	في	الانكليزية
١٥	«	«	الالمانية
٥	«	«	الاسبانية
٥	«	«	الايطالية

١٢	نقطة	في	العربية
١١	«	«	الروسية

يصير الترتيب على الصورة الآتية :

		نقط صافية
لغة اولى العربية		١٢
« ثانية الروسيَّة	١١ : ٢ =	٥,٥٠
« ثالثة الالمانية	١٠ : ٣ =	٣,٣٣
« رابعة الانكليزية	٧ : ٤ =	١,٧٥
« خامسة الاسبانية او الايطالية	٥ : ٥ =	١
« سادسة الايطاليَّة او الاسبانيَّة	٥ : ٦ =	٠,٨٣

فيكون المجموع ٢٤,٤١ بحيث لا تكون اللغات الاخيرة اتت بفائدة تُذكر

يتضح مما تقدَّم ان مسئلة اللغات لها اهميَّة كبيرة في عين رئيس اتحاد اهالي الطلاب وان الحلَّ الذي يقترحه الدكتور گالوا معقول جدًّا يجب ان يُنظَر اليه بعين الاعتبار سيَّما وانه يتكلم باسم الفئة المتعلمة التي انما نحن نسعى وراء نفعها

ان واجب التجرُّد عن الغاية وعدم التغرض يقضي علينا ببسط رأي الاقتصادي الكبير السيد شرل جيد (Ch. Gide) فيطَّلع عليه القارئ هنا وان يكن مخالفاً لإدخال تعليم العربية في المدارس مع اعترافه بفائدة معرفة هذه اللغة

باريس في ١ ت ٢ سنة ١٩٢٠ (شارع ديكان ٢ — ١٦)

سيدي ورصيفي العزيز

«وصلني تحريركم وقت العودة من عطلة الصيف فلم اتمكن من المجاوبة عليه في الحال

«لستم تجهلون اني منخرط في سلك جميع الجامعات الفرنسوية الاسلامية فعليه اكون موافقاً على كل ما من شأنه ان يسهل العلاقات بين الفرنسويين والعرب بل اعتبر ان معرفة العربيَّة عند الفرنسويين اولى من معرفة الفرنسويَّة عند العرب لكن هذا لا يحملني على الاشتراك بتمنٍّ يؤول الى قبول العربية في امتحانات الشهادة الثانويَّة. نعم يحسن ان تلقى دروس العربية في كبيرات المدارس الاختصاصيَّة كمعهد سانسير والمعهد الاستعماري والتجاري انما الشهادة الثانويَّة لا تنطوي على دروس معيَّنة لمقاصد عمليَّة بل هي على رأيي دلالة على اقتباس علوم عامَّة . وهذه المعارف العامَّة لا نجدها نحن الفرنسويين الَّا في تآليف اوروبَّة الادبية الكبيرة وفي الينابيع التي صدرت

عنها كاللاتينيّة والفرنسويّة والانكليزية والالمانية. واني آسف لإضافتهم الايطالية والاسبانية اليها اذ ان الفرنسوي لا يمكنهُ ان يكون مديناً بتربيته العقلية لقراءته تآليف سرفانتيس او دانتي او لتلاوة القرآن او كتاب الف ليلة وليلة .

« وما عدا هذه الاسباب العامّة يوجد ايضاً علّة اخرى هي ان قبول هذه اللغات المختلفة في الامتحانات تزيد قيمة الفحص ضعفاً على ضعفها الحالي فان الفاحصين في العربية يقلّ وجودهم اكثر من الفحّاص في الايطالية والاسبانية ولعلّ الفاحص لا يعرف من امور هذه اللغة قدر ما يعرف الطالب نفسه فيفوز هذا في كل الاحوال. وبالحقيقة ان في ذلك إبطالاً لقيمة ضمانة مدرسية يجب على الشهادة الثانوية ان تؤديها. وقد سنحت لي فرصة اختبرت فيها الامر بنفسي يوم دُعيت لفحص طلاب الحقوق في الشرع الاسلامي الذي كان صار إدخاله في عداد الموادّ المقبولة. هذا واني اكرر ما قلتهُ عن لزوم تفسيح المجال لتعليم العربية في كل المدارس العملية وكذلك للغة الانامية بنسبة اصغر قدراً.

وتفضّلوا ايا سيدي ورصيفي العزيز بقبول عاطفة اخلاصي »

التوقيع : شرل جيد

كان لا بدّ من تقريب هذه الاراء المتضادّة التي يراها رجال اعاظم لما في هذين التحريرين من خلاصة براهين كل من الحزبين المتنازعين بمناسبة الاصلاح الجديد

ان قضيّة الاحتفاظ بالتعليم اللاتيني دون ادخال شيء عليه لا تبدو لأعين الذين سافروا منأى الّا وقد تكسّرت عليه انوار جميع الآفاق الجديدة التي أطلّ فجرها على العالم. ويغلب على الظن كما قال الدكتور كالوّا ان المحافظين انما يقومون ضد تعليم اللغات محمولين على ذلك بدافع الاسف الذين يشعرون به عندما يرون غيرهم يتعلّمون ما لم يتلقّنوه وينظرون اليهم يهاجرون وهم قاعدون عن السفر وانّا لنخشى ان لا يكون بينهم فتيان ولا رحّالون وان التدابير التي سيصير اتخاذها انما القصد منها تقوية الفرنسويين على مقاومة الرغبة في الاسفار وابقاؤهم في بلادهم كما انهم ميّالون الى ذلك بفطرتهم

ان البعثات الماليّة الجزائريّة في جلستها المنعقدة بتاريخ ٥ ت ٢ سنة ١٩٢٠ قررت بناء على اقتراح المكلّف بضبط الميزانية وهو يومئذ السيد مرسيه تمنياً شبيهاً بتمني جمعيّة الدروس الاستعماريّة والبحرية مضافاً اليه الاعتبار التالي الموجب ادخال العربيّة

في التعليم : «ونظراً لكون هذا الدرس تعاظمت اهميتهُ في الآونة الحاضرة اكثر من ذي قبل اذ اصبحت فرنسة دولة شرقية عظيمة »

وقد أطلعت جمعيةُ الدروس الاستعمارية لجنة الوزارة للشؤون الاسلاميَّة على سياق المسئلة فقرَّرت في جلستها المنعقدة بتاريخ ٣ ت ٢ سنة ١٩٢٠ تمنياً موافقاً ما زال نصُّه مكتوماً

هنالك ايضاً تنازع الحزبان حزب الذين مكثوا في ديارهم ما برحوها قطّ وحزب الأُلى استفادوا من الاختبار اثناء الحرب من عام ١٩١٤ الى ١٩١٨ . أمّا ممثلو وزارة الحربيَّة المُطَّلعون اكثر من غيرهم على حقيقة الامر من حيث فائدة معرفة اللغات فانَّهم ناصروا قضيَّتنا مناصرة مبنية كما سيتحقَّق القراء ذلك فيما بعد

وتحسن الملاحظة منذ الان ان الحجج التي يستند اليها الحزب المعارض لتعليم اللغات ترتكز الى اسباب هي محض افتراضات ليس الَّا في حين ان البراهين المضادَّة لها قائمة على حوادث حقيقية واختبارات وملاحظات لها قيمتها لاسيما في عصرٍ عكف فيه اهلهُ على الوضعيات دون الخياليات . وقد كتب المشير ليوتي (M^al Leyautey) الذي اقرَّ له الجميع بسداد الرأي الكتاب التالي بتاريخ ١٣ك١ سنة ١٩٢٠ من رباط الفتح :

سيدي

« الفتُم نظري الى الفائدة التي تنشأ عن ايجاد منابر لالقاء الدروس العربية في بعض المدارس الثانوية في فرنسا . ان اهمية هذا الامر لم تفُتني وعندي من الضروري ان تُفسح دولة اسلامية كفرنسا مجالاً واسعاً لتعليم العربية . ان مدنيَّتين تتلامسان فوق ارض واحدة لا بدَّ لهما من التفاهم حفظاً للتوازن الاجتماعي . واقلُّ ما يمكن اقتباسُهُ من احدى المدنيَّات هي اللغة التي تعبّر عنها . وبما ان المجموع الاسلامي لن يُقبل عمَّا قريب على درس الفرنسوية وجب على التجار والضباط والموظفين الفرنسويين ان يعرفوا العربية

«اني متَّفق معكم بالرأي على أنَّهُ يحسن القاء الدروس العربية في احدى مدارس باريس الثانوية كما هي الحالة في مدرسة سان سير . واني احبّذ ايجاد منابر لتعليم هذه اللغة في مدارس ليون وبوردو وتولوز والمقاطعات التي يحدُّها بحر المتوسط . ولمَّا كانت الاشياء لا تتمُّ الَّا بنتائجها كان من الضروري قبول العربية في امتحانات الشهادة

النارية لدى بعض المكاتب العالية وترونني مستعداً لمناصرة كل عمل يُقصد منه نشر درس العربية لاعتقادي ان الدعوة الفرنسوية في شمالي افريقيا لا تقوم الا بواسطة موظفين وضباط عارفين بلغة البلاد

« انا أسأل مدير المعارف التابع لي ان يتفضل بالاهتمام للامر ولن ادع فرصة الا واغتنمها لأعضده بشخصي في مساعيه . واقبلوا يا سيدي عبارة عواطفي الخالصة »

الامضاء : ليوتي

لم تقف لطافة المشير عند حدّ هذا الكتاب بل انه ارسل من رباط الفتح بتاريخ ١ شباط سنة ١٩٢١ تحريراً ثانياً فاستحقّ شكران الجمهور له على اهتمامه بالمسئلة وهذا نصّ الكتاب :

مركز المقيم العام للجمهورية الفرنسوية في مراكش

الغرفة الملكية للمقيم العام (نمره ٥٥٥) رباط الفتح في ٥ شباط سنة ١٩٢١

سيدي

« جواباً على كتابكم الصادر بتاريخ ٢٧ ك ١ سنة ١٩٢٠ افيدكم اني ما زلت مستعداً لمباشرة كل عمل يؤول الى نشر تعليم العربية في فرنسا . لكن من الضروري ان تعلموني عن الطريق الذي يجب عليّ سلوكه في المداخلة المطلوبة مني حتى يكون لمداخلتي لدى نظارة المعارف او لجنة الامور الاسلامية نصيب من النجاح

« ان هنالك حركة يجب تدبيرها وأهدافاً من الضروري تعيينها بضبط واشتراكاً في العمل يلزم تأمينهُ بين الاقطار المختلفة التي يهمّها انتشار الدروس العربية . اما اذا قامت البلاد المراكشية تطالب وحدها بتحقيق المشروع فانّ صوتها لن يكون مسموعاً لانفرادهِ . وبعبارة اخرى يبين لي ان الحملة التي تتمنونها يجب ان يُبدأ بها اولاً ثم أُوافيها عن طيبة خاطر بكل مساعدة يمكن ابداؤها لها

« وثقوا يا سيدي بفائق عواطفي الخالصة »

قيم فرنسا العام في مراكش الامضاء : ليوتي

في تلك الاثناء بعث من باريس احد المبعوثين الى وزير المعارف بالتحرير التالي ضامّاً اليه كتاب المشير ليوتي :

لحضرة وزير المعارف (١٨ شارع القنون الجميلة . باريس)

سيدي الوزير

« بكتابكم رقم ١٣ ك ١ سنة ١٩٢٠ الصادر من المكتب الأول في ادارة

التعليم العالي تجيبونني ان العربية مقبولة في امتحانات الشهادة الثانوية لدى جميع المكاتب العالية بموجب المرسوم الصادر بتاريخ ٢٢ تموز سنة ١٩١٧ . أما الان فمن الضرورة اتخاذ تدابير أعم

• لم تفتكم يا حضرة الوزير الاهمية الكبرى التي كسبتها جميع المسائل المتعلقة بالعالم الاسلامي العربي من حيث الوجهة الفرنسوية وان دخول جيوشنا الى سورية عقب استتباب الامن في مراكش يحل فرنسا في ثاني مقام بين دول العالم الاسلامية اذا لم نقل في طليعتها . ثم ان الاقطار التابعة لنا حول البحر المتوسط وفي افريقية الغربية التي هي معظم املاكنا خارج بلادنا لا تتكلم الا العربية . وان مصراً وفلسطين وان كانتا غير تابعتين لنا فان تربيتهما العقلية فرنسوية وان اهاليهما المسلمين ما زالوا يتوددون الينا اكثر منهم الى الانكليز

• لفرنسا اليوم اكثر من ٢٥ مليوناً من الرعايا الفرنسويين لغتهم الاصلية العربية . فالمسئلة اذاً يا حضرة الوزير في مصلحة الامة جمعاء . وهي تهم الدعوة الفرنسوية . وان اللغة العربية كما يشهد كتاب المشير ليوتي المرسل طيًّا يحق لها ان تشغل مقاماً رفيعاً في مدارس فرنسا . وان لم يوجد مباشرةً طلاب عديدون لاتباع دروس العربية في مدارس باريس وليون وبوردو وتولوز ومرسيليا فلأن الدعوة التي يجب نشرها عند اهالي التلاميذ لتنويرهم لم يشرع بها حتى الساعة وهذه الدعوة سننشرها نحن

• ان في المسئلة يا حضرة الوزير تضحية لا بدّ للكلية من ان تقبل بها لتضمن توظيف وتنشئة السياسيين والتجاريين في البلاد الاسلامية والعربية تفوقاً على مزاحميهم الاجانب كما يقتضيه الاسم الفرنسوي . وهكذا تؤمنون للمستقبل العدد اللازم من طلاب التوظيف في المستعمرات وكاد عددهم يتلاشى تماماً . فعليه اتشرف يا حضرة الوزير بان اسألكم ادخال التعليم العربي في مدرسة واحدة او اكثر من مدارس باريس الثانوية وفي مدن فرنسا الكبرى . وتفضلوا يا حضرة الوزير بقبول عبارة احترامي الفائق

وقد أطردنا مطالعة آراء جامعات اهالي الطلاب عملاً بنصيحة الدكتور گالوا رئيس الاتحاد فجاءتنا من امير اللواء شاتوني (Cel Chatoney) رئيس جامعة اهالي الطلاب في «جانسون دي سايلي» الرسالة التالي نصها مؤرخة في ٧ شباط سنة ١٩٢١

باريس في ٧ شباط سنة ١٩٢١

سيدي

«اتشرف باعلامكم اني اخذت تحريركم رقم ٢٩ ك٢ سنة ١٩٢١ مع الاوراق المرسلة طيًا. انا نقدّر تماماً لاسيما الآن الاهمية المترتبة على مسئلة تعليم اللغة العربية لأن الشبان الذين هم بحاجة الى معرفتها لإشغال وظيفة في الجزائر وتونس ومراكش وافريقية الغربية وسوريّة عديدون وسيكونون اكثر عدًا فيما بعد

«واني عند استلامي تحريركم المذكور تخابرت مع رئيس اتحادنا الجامع لعامّة جامعات اهالي الطلّاب. وقد تمّ الاتفاق على ان تُعرض هذه المسئلة على مؤتمر جامعات الاهالي الذي سينعقد هذه السنة في باريس وقت العنصرة وتفضلوا ايا سيّدي بقبول تأكيد اعتباري»

الامضاء : شاتوني

وكان ان عُرضت المسئلة على المؤتمر بناء على اقتراح امير اللواء شاتوني فقرر المؤتمر التمني الآتي :

نظرًا لاهمية مستعمرات فرنسا الآخذة بالازدياد في الاقطار المتكلمة شوجا بالعربية يتمنى المؤتمر ان يصير ادخال تعليم هذه اللغة في برامج المدارس والمعاهد العلمية الثانوية»

ولمّا أُحيل الاقتراح الى رئيس مجلس السين العام ارتاح اليه جدًا وكتب بتاريخ ٩ شباط سنة ١٩٢١ تحريرًا يعلم فيه انّهُ أحال المشروع في الحال الى رصفائه اعضاء اللجنة ذات الصلاحية في مجلس المقاطعة راجياً ان يدرسوه بتدقيق واستعداد حسن

وها انّا ننشر الآن رسالة فيها القول الفصل ومنها يتضح للقراء ان لدرس اللغات لاسيما العربية مقاماً سامياً في مدرسة سان سير الحربية :

سان سير في ٢٥ شباط سنة ١٩٢١

من القائد تانان (Tanant) قائد المدرسة الحربية الخصوصية

المدرسة الحربية الخصوصية (نمرة ١٧٣)

سيدي

«وصلني تحريركم رقم ٢٨ ك٢ مع الاوراق الجزيلة الفائدة المضمومة اليه فما وسعني الّا ان اجيبكم باسطري هذه مؤكدًا لكم عظم تقديري للحملة التي باشرتم بها والتي سأعضدكم فيها عن طيبة خاطر

«في المدرسة الان معلمان يدرّسان اللغة العربيّة وهما يُلقّنان ١٤٩ تلميذًا حال كون عدد جميع الطلبة ٣٥٠ وترونني آسفًا لعدم تمكيني من اعطاء هؤلاء التلاميذ

وقتاً اطول وتسهيلات اكثر لدرس لغة الإسلام اذ اني واقف تمام الوقوف على اهمية معرفة هذه اللغة لضباطنا الفتيان

«ان هذا العائق الذي لا يمكنني ازالته سيزول من تلقاء نفسه اذا كان الطلبة يصلون مدرستنا ولهم بعض الالمام باللغة العربية وهذا يحصل اذا صار ادخال تعليم العربية في مدرسة لافلاش الحربية وفي اهم المعاهد الاعدادية لمدارس الحكومة . ان هذه التدابير ضرورية على ما أرى وضرورتها مستعجلة للغاية لان حاجتنا غير مقتصرة على ضباط عارفين بالعربية بل تتناول ايضاً مهندسين وتجاراً واطباء هم خير عاملين على امتزاجنا بسكان البلاد التي دخلناها . ولست ابالغ اذا قلت انه على المدارس الحربية الثانوية ان تنشئ ضباطاً صغاراً عديدين يستطيعون ان يقوموا بمعظم الخدم في الجيوش المؤلفة من جنود لغتهم العربية حيث اكثرهم يُدعون لحمل السلاح فيها . واقبلوا يا سيدي عاطفاتي الاحترامية »

الامضاء : تانان

ربَّ معترض يقول ان في هذا التحرير اثباتاً لمزاعم السيد جيد القائل بان درس اللغات الاجنبية يجب حصره في المدارس الاختصاصية . على ان هذا الاعتراض لا يحتاج الى تفنيد . فما قولُ المعترض في طالب يدخل مدرسة سان سير وهو لا يعرف شيئاً من الانكليزية او الالمانية التي يريد ان يتخصص لها . وقس عليها العربية وهي ابعد منالاً من غيرها

قد اهتمَّ كثيرون بنشر الدعوة التي نحن بصددها نذكر منهم بعد مَن ذكرنا مدير قلم افريقية في وزارة الحربية فانه كتب بتاريخ ٢ اذار سنة ١٩٢١ مفيداً انه اوصى السيد تاريه (M. Terrier) مدير مجلة افريقية الفرنسوية بان ينشر كل الاوراق والمقالات المتعلقة بتعليم العربية وانهُ ألفت انتباه وزير المعارف الى اهميته . وهاك ما جاء في تحرير بتاريخ ٥ اذار ١٩٢١ للقائد فيلونو (Gal Fillonneau) قائد مكتب الاختصاصيات :

«اني موافق كلَّ الموافقة على ان نشر درس العربية بين الشبان هو في غاية الاهمية»

واخيراً ننشر ما اجاب به المشير ليوتي من رباط الفتح بتاريخ ١٨ ايار سنة ١٩٢١ على تحرير أرسل لهُ بناء على طلبه وفيه مختصر سياق المسئلة :

« اشكر لكم تبيانكم لي افكاركم الصائبة بخصوص نشر تعليم اللغة العربية في المدارس الفرنسوية وان ما اطلعتموني عليه من حالة المسئلة الحاضرة والمساعي التي

بذلتموها الى الان كان له عندي احسن وقع . لستم تجهلون ان انتشار هذا التعليم لمّا ارغب فيه كل الرغبة فكونوا على ثقة من اني ساغتنم الفرص لأناصركم في مشروعكم كلّما تمكنت من بسط التدابير الاكثر موافقة لزيادة اتساع مستعمراتنا في افريقية الشمالية . واني احسب معرفة العربية من قبل المتوظفين الفرنسويين والموظفين والضباط احد هذه التدابير الاشد ملاءمة .

الامضاء : ليوتي

نضيف الى هذه التنشيطات موافقة الجامعة الفرنسوية الفتية الناهضة جامعة اصدقاء الشرق فانها عاضدت هذا المشروع بكل قوتها كما يتضح ذلك من قراءة العدد الصادر في شهر حزيران من نشرتها الجزيلة الفائدة

ها قد عرضنا بالمختصر البراهين الجوهرية والنتائج التي حصلت بهذا الشان . وان في هذه الوثائق المدرجة حجّةً ابلغ من كل ما يَرِد اثناء المناقشات مهما رهنت أدلّتها . واذا رفعنا بهذه المناقشة الى المقام الذي سما بها اليه الدكتور گالوا والاستاذ الاقتصادي جيد اي اذا نظرنا الى المسئلة من حيث تعليم كل اللغات الحية لا من وجهتها المقتصرة على تعليم احدى اللغات نجد ان البِرّ التي ألقتها علينا الحرب راسخة لا تقبل الردّ

ولنا في اختلاف الرأي بهذا الشان دليل واضح على صحة قضيتنا فانا نرى من جهة حزباً تؤلفه فئة المحافظين ينظر الى تربيته العلمية القديمة العهد بعين الاسف كاستاذ أفل نجمه اليوم يشير الى رسم معلق على جدار متحف اللوفر — ونحمد الله انه عُلّق عالياً — رفي الرسم شاب واقف عند شاطئ البحر يرى آماله الضائعة تتلاشى فوق زورق صغير . ومن جهة اخرى نرى حزباً مؤلفاً من الرجال الذين عرفوا البلاد البعيدة وخبروا بني الانسان فتعلموا واستفادوا . وعند هؤلاء لا تحتاج المسئلة الى طول امعان وتفكير فاللغات الحية سامية المقام وكفى بنعتها حيّةً ليقدّرها المعترضون حقّ قدرها ويعترفوا باهميتها وضرورة تعليمها . انها حيّة !

هذا آخر ما جاء في موجز السيد مرسيه وإنّا معاشر السوريين نضمّ صوتنا الضعيف الى تلك الاصوات العالية سائلين وزارة المعارف الفرنسوية ادخال لغتنا برامج التعليم الفرنسوي وقبولها في امتحانات الشهادة الثانويّة كما هو جارٍ في بلادنا فتضيف بذلك نعمةً جديدة الى ما عملت فرنسا الى الآن من الجميل نحونا . والله الموفق الى ما فيه الخير دائماً

صفحة تاريخيَّة من ايَّام الحرب

بقلم سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي الجزيل الاحترام

تناقلت الالسن في بيروت ولبنان رواية حادث جرى اثناء الحرب لغبطة بطريرك الموارنة مع احمد جمال باشا وذلك ان هذا اهتمَّ كثيراً في اوائل تشرين الاوَّل سنة ١٩١٦ وسعى السعي الحثيث لكي يأخذ من اصحاب المقامات العالية في لبنان وسوريَّة شهادات تصرّح بانهُ يُحسن الصنيع مع السكان جميعهم وخصوصاً المسيحيّين منهم. وان من بين الذين طُلبت منهم مثل تلك الشهادات فاعطاها غبطةَ البطريرك الماروني. وقد ذهب القوم في الامر مذهبين فمنهم من ذمَّ ومنهم من عذر

وبما انَّ المخابرات بهذا الشأن كانت بواسطتنا جئنا نبسط لقرَّاء المشرق تفاصيلها مأخوذةً عن مفكرتنا تاركين لهم الحكم في الامر

في الثلث الاول من شهر تشرين الاوَّل سنة ١٩١٦ تلقَّى غبطة السيد البطريرك من علي منيف بك برقيَّةً مفادها ان جمال باشا يطلب منهُ ايفاد ذي ثقة اليه لمخابرته بامر هامّ. فعهد غبطته الينا القيام بهذه المهمة وعليهِ برحنا الديمان صباح اليوم الثاني ويممنا بعبدا لمقابلة علي منيف بك في مركزه والاستعلام منهُ عن محلّ اقامة جمال باشا

ولدى وصولنا افادنا انهُ كان يومئذٍ في صوفر فواصلنا السير اليها وقابلنا جمال باشا في بيت المرحوم ميشال بك ابراهيم سرسق الذي كان باقياً هنالك مع بعض العائلات البيروتية رغماً عن زوال الحرّ. وما دخلنا على جمال باشا حتى تبيَّن من مجرَّد النظر اليهِ ما كان يعير الامر من الاهمية لانهُ قابلنا عابساً كالحاً وبادرنا بالكلام قائلاً: «قد طلبتُ معتمداً من البطريرك لأُخابره بامر هو من الاهمية بمكان بعيد. فان اخبار هذه البلاد تصل بسرعة الى بلاد العدو والصحافة هنالك تنشر في اعمدتها الاكاذيب والافتراءات عني وعن ادارتي في هذه الديار. وقد امتازت الصحافة الافرنسية بحملاتها العنيفة الشعواء على الاتراك وهي تقول انهم اي الاتراك قد وطَّنوا عزمهم على ان يبيدوا الشعب المسيحي جوعاً في لبنان وسورية وانهم لجأوا الى وسائل الارهاب فنصبوا المشانق وألفوا الديوان العرفي الذي لم يقف عند حدّ في جناياته الفظيعة وقد سئم المسيحيون عموماً والموارنة خصوصاً من تلك الحال وباتوا ينتظرون على جمر الغضا قدوم الافرنسيين

حتى ينضمّوا اليهم ويطردوا الاتراك ويحوّلوا بلادهم الى مستعمرة افرنسية» قال ذلك كلّه بلهجة المتأثر الناقم ثمّ أردف: «والآن اريد ان اعرف ما هي افكار البطريرك في هذه الامور كلّها. فان كان ينكرها عليه ان يرفع الى نظارة المذاهب والاديان عريضةً يحتجّ بها بلهجة شديدة على الصحافة الافرنسية وما تعزوهُ الى الموارنة من انهم يتحفزون لمقاتلة الاتراك ومناصرة الافرنسيين لدى قدومهم الى هذه البلاد»

وهنا سكت سكوت من ينتظر الجواب فقلت: «اني سابلغ غبطة السيد البطريرك حديث دولتكم وان سمحتم بابداء رأيي قلتُ: ان ليس للامر ما تعيرونهُ من الاهمية ولا ما يلقي التبعة والمسئولية على احد هنا اذ انهُ من المعلوم ان الصحافة لبأن الحرب خاصّةً تسعى في تسويد صحيفة العدوّ وتكبير ذنوبه لاكتساب الرأي العام وانتم اعلم الجميع اننا غير مسئولين بما تقوله الجرائد ولا يمكن نسبة ذلك الى احد من اللبنانيين المقيمين هنا لتعذّر المواصلات. غير ان هناك امرًا محزنًا للغاية وهو النقص العظيم في الشعب اللبناني لأنّ الذين توفّوا حتى الان لا ينقص عددهم عن الخمسين الفًا (كنّا في ت١ سنة ١٩١٦) ونحن الآن على ابواب الشتاء فيُخشى اذا دامت الحال ان لا ينقضي فصل الشتاء إلّا وقد فقدت البلاد نصف السكان. واما ما يُعزى الى المسيحيين عمومًا والموارنة خصوصًا فذلك لا يتخطّى حدود المحبّة الصادرة عن معرفة الجميل لفرنسة التي أغدقت حسناتها على البلاد. فانا مثلًا قد تربّيتُ في معهد افرنسي وقضيت في فرنسة نفسها اكثر من ست سنوات اقتبست في خلالها العلوم الكهنوتية فلا يسعني والحالة هذه الّا ان أحبّها. غير انه بين حبّي لفرنسة وبين ميلي لأن تكون بلادي مستعمرةً افرنسية بونٌ شاسع. وان حالتنا الممتازة في لبنان تجعلنا من اسعد شعوب الارض. وها هو رغمًا عن صغره من اعمر بلدان الدولة العليّة»

فابتسم جمال اذ ذاك ابتسامةً تشفّ عن رضاه وقال: «اذًا بلغ البطريرك ان يعمل الاحتجاج باول فرصة وتعود به اليّ لاراه قبل تبييضه وقل له انهُ لا بدّ من ارسال الاحتجاج عن يدي الى الاستانة» وبعد هذا استتلى قائلًا: «منذ ثلاثة ايام عرفت مع الاسف انهُ لم تصل للبطريرك الثلاث الشاحنات من الحنطة التي كنت قد وعدتهُ بها واصدرت اوامري بإرسالها لهُ وقد استأتُ جدًّا من الامر ومن عدم مراجعة البطريرك بهذا الخصوص»

فقلت: «ان ما بلغ دولتكم لم يكن كلهُ واقعياً لانهُ وصل لغبطة البطريرك شاحنة واحدة من الثلاث واما عدم مراجعة دولتكم بشأن الباقي فذلك خشيةً من ان يكون غبطته سبباً في ايقاع القصاص بالمأمورين الذين تقاعدوا عن اجراء اوامركم بالسرعة اللازمة» فقال: وهل انتم الان بحاجة الى الحنطة؟ قلت: لسنا بحاجة اليها لسكان الكرسي البطريركي انما نحن بحاجة ماسّة الى ما يساعدنا على سد العدد العديد من الفقراء والبائسين الذين يلتجئون الينا. قال: ايكفيكم خمسون الف كيلو؟ اجبت: ليس عليَّ ان احدّد الكمية بل ما تتكرّمون به سواء كان كثيراً او قليلاً يصير قبوله بالشكر الجزيل. قال: اذاً سأصدر اوامري ليُرسَل لكم مائة الف كيلو نصفها عن طريق حمص طرابلس والنصف الآخر عن طريق زحله بيروت جونيه

ثم قال قبل ان يمهلني للجواب: وهل البطريرك بحاجة الى الدراهم؟ فاجبته ان غبطته يأسف كل الاسف ان الظروف الحرجة الحاضرة تحول دونهُ ودون رغبته في مساعدة الحكومة مساعدة مالية ولهذا مهما كان من امر الضائقة المالية فانهُ يأبى التثقيل على الحكومة. قال: لا بدَّ من ان ارسل لهُ معك مبلغاً من المال. قلت: ارجوك ان لا تفعل لأني على ثقة من انهُ لا يكون راضياً عني في ما لو عدتُ اليه بدراهم. فان شاءت دولتكم أنبئتُ لهُ عن استعدادكم بهذا الشأن وأفيدكم عمّا يكون من جوابه لدى رجوعي اليكم قريباً. فاستحسن الجواب ثم قال وامارات الاضطراب وانشغال البال بادية على وجهه: «واني لا افهم كيف يسوغ للصحافة الافرنسية ان تنسب اليَّ اني أمتُّ السكان جوعاً فهل انا ارسلتُ الجراد سنة ١٩١٥؟ وهل انا مسكت المطر سنة ١٩١٦؟ وهل انا وضعتُ النطاق البحري الذي يحول دون استجلاب الاغلال ودون وصول التحاويل المالية من المهجر؟ الا ان الحلفاء هم الذين ضيقوا الخناق على البلاد واني لأستغرب كل الاستغراب كيف ان اولئك الكتبة يقبحون اعمالي وبعضهم من المسلمين كواحد يُدعى خيرالله». ورغماً عن كوني فهمتُ من هو خيرالله قلت: ومن هذا يتضح لدولتكم ان الحملة ليست بمسيحية حتى ولا لبنانية. قال: لا انكر ذلك. واراد الانصراف فقلت: وهل يمكن للسيد البطريرك ان يطالع اقوال الجرائد ليتمكن من الاحتجاج عليها بسهولة؟ قال: تعود اليَّ غداً فأصحبك باحد اركان حربي الى بيروت وهناك تقابل فؤاد بك رئيس اركان حربي المقيم في نزل بسول فيسلمك الجرائد

وبعد ان قضيتُ ليلتي تلك على الرحب والسعة في ضيافة جرج بك ثابت هبطت في اليوم الثاني الى بيروت برفقة احد الضباط ومكثت فيها ثلاثة ايام انقضت بالمخابرات المكتومة بين الشام والقدس للبحث عن الجراند . واخيراً عدتُ الى الديمان على ان فؤاد بك يرسل لي الجراند الى هناك فارسلها واذا فيها ما كان اخبرني به جمال باشا

وقد وضع غبطته الاحتجاج بلهجة معتدلة متنصلاً من تبعة ما تنشره الجراند ومظهراً إخلاصهُ واخلاص طائفته المارونيَّة للحكومة العثمانية ذات السلطة الشرعية على البلاد . ثم ما لبثتُ أن حملت مع صورة الاحتجاج كتاب شكرٍ للقائد العام على اعطائهِ البطريركية مائة الف كيلو حنطة . فوصلت الشام ليلاً وفي الصباح توجهت لمقابلة جمال باشا فأُدخلت عليه حال وصولي وبعد ان استلم مني الكتابين سألني ان اعود اليهِ في اليوم الثاني . ولمَّا حضرت في الموعد المضروب أبلغني الحاجب أن اعود في اليوم التالي فعدت فقيل لي ايضاً كالاوَّل وهكذا لم يتسنَّ لي مقابلة جمال باشا الَّا في اليوم الرابع وكان عندهُ علي منيف بك وميشال بك ابراهيم سرسق فبادرني حالًا وقال: «طالعتُ الاحتجاج وبما انهُ غير وافٍ بالمقصود عملنا هذه الصورة فخذها وطالعها وعُدْ اليَّ صباح غدٍ وأوضح لي عن رأيك فيها» . فطالعت الاحتجاج واذا بهِ ينسب المجاعة الى الجراد والقحط والنطاق البحري واما الذين أُعدموا فقد حكم عليهم الديوان العرفي لثبوت جرم الخيانة عليهم . وفي الغد استأذنت من القائد العام وبيَّنت لهُ ان البطريرك بصفته الدينية ولانهُ لم يكن من قضاة الديوان العرفي لا يمكنه ان يصرح بان الذين أُعدموا قد استحقُّوا هذا الحكم لثبوت الخيانة عليهم . ثم من جهة الوفيات انها كثيرة جداً ولا يسع غبطته ان ينكر ذلك كما انهُ لا يستطيع ان ينسبها الى دولتكم فاستصوب ما قلتهُ ونقَّح النسخة بخط يده وبينما هو يفعل قلت لهُ : وان سمحتم لي دولتكم زدتُ ان النص موضوع بعبارة تشفُّ عن فظاظة غير مألوفة في رجل ديني فتطَّب وقال: ليس من يبدي لي مثل هذه الملحوظات الَّا انتم الموارنة فها بطريركي الروم في القدس والشام لم يُبديا لي اقلَّ ملاحظة بل وضعا لي الاحتجاج كما شئت دون ان يضطرَّاني الى عمله بذاتي . فلو كان عندكم وطنية لكنتم تظهرونها تجاه تحامُل الاجانب دون ان تحرضكم الحكومة على الامر . وهاكم سكان طرابلس الغرب فقد تنازلت الدولة العثمانيَّة عن بلادهم لايطالية وهم لوطنيتهم لا يزالون يصلونها القتال

ثم استدعى احد الضباط ليرافقني الى الديوان ويعود بالاحتجاج مُوقَّعاً عليه من غبطة البطريرك ويستردّ صورته الاصلية. ولدى وصولنا الى بيروت استشرتُ بعض اصدقاء المقام البطريركي في شأن الاحتجاج فأشاروا بوجوب التوقيع عليه بعد ما اطّلعوا على كل الظروف لانهُ ما من احد الّا ويعلم ان البطريرك أُجبر على امضائه وانهُ اي الاحتجاج تكون نتيجته بعكس ما تقصدهُ الحكومة. ولدى وصولنا الى الديوان واطّلاع غبطته على كل ما جرى صار تبييض الاحتجاج وتسليمه الى الملازم فحمد وانصرف اليوم الثاني الى دمشق

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

المجلس الرابع

في تثبيت مذهب النصارى من موجب العقل والمُعجز

وفي اليوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة استدعاني الوزير الى مجلسهِ فصرتُ اليه. واوّل ما صرتُ اليهِ وجلستُ قال لي (٥٢):

ما العلّة في محبّة اكثر الناس لأديانهم اكثر من محبّتهم لاحوالهم واسبابهم ؟

قلتُ: انَّ الناس في ذلك على ضربَين فمنهم من يحبُّ دينهُ بالعادة والمتابعة لأسلافهِ ومنهم من يحبُّهُ لتحقُّقهِ وصحّتهِ

قال: فمن اين يتحقَّق الانسان صحّة دينهِ ؟

قلتُ: امّا من العقل الصحيح وامّا من المعجز الالهيّ

قال: فمحبّتك انت لمذهبك محبّة العادة والمتابعة لأسلافك او محبّة من يتحقّق صحّة مذهبهِ ؟

ثم استدعى احد الضباط ليرافقني الى الديوان ويعود بالاحتجاج مُوقَّعاً عليه من غبطة البطريرك ويستردّ صورته الاصلية. ولدى وصولنا الى بيروت استشرتُ بعض اصدقاء المقام البطريركي في شأن الاحتجاج فأشاروا بوجوب التوقيع عليه بعد ما اطّلعوا على كل الظروف لانهُ ما من احد الّا ويعلم ان البطريرك أُجبر على امضائه وانهُ اي الاحتجاج تكون نتيجته بعكس ما تقصدهُ الحكومة. ولدى وصولنا الى الديوان واطّلاع غبطته على كل ما جرى صار تبييض الاحتجاج وتسليمه الى الملازم فحمد وانصرف اليوم الثاني الى دمشق

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

المجلس الرابع

في تثبيت مذهب النصارى من موجب العقل والمُعجز

وفي اليوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة استدعاني الوزير الى مجلسهِ فصرتُ اليه. واوّل ما صرتُ اليهِ وجلستُ قال لي (٥٢):

ما العلّة في محبّة اكثر الناس لأديانهم اكثر من محبّتهم لاحوالهم واسبابهم ؟

قلتُ: انَّ الناس في ذلك على ضربَين فمنهم من يحبُّ دينهُ بالعادة والمتابعة لأسلافهِ ومنهم من يحبُّهُ لتحقُّقهِ وصحّتهِ

قال: فمن اين يتحقَّق الانسان صحّة دينهِ ؟

قلتُ: امّا من العقل الصحيح وامّا من المعجز الالهيّ

قال: فمحبّتك انت لمذهبك محبّة العادة والمتابعة لأسلافك او محبّة من يتحقّق صحّة مذهبهِ ؟

قلتُ: محبّة من يتحقّق صحّة مذهبه

قال: فتحقّقك صحّة مذهبك من اي وجهٍ هو أمن العقل او من المعجز الالهي؟

قلتُ: منهما معاً

قال: وكيف ذلك؟

قلتُ: «امّا من العقل فلأني رأيتُ انّهُ لا ينتقل احد من مذهب الى مذهب الّا لاحد امرين: امّا رغبةً وامّا رهبةً. فأمّا الرغبة فبمنزلة الصلة والاموال والعطايا والإباحة في اللذّات والتنقّل من امرٍ صعب الى امرٍ سهل وما شاكل ذلك(٥٣) من الامور التي تتوق النفس اليها. وامّا الرهبة فمثل الخوف من القتل واستباحة الحريم وما شاكل ذلك ممّا تكرههُ النفوس

«ووجدتُ المتنقّلين الى مذهب النصرانيّة فاذا هم لم ينتقلوا اليهِ لأحد هذين الامرين. وذلك لأنّ الداعين اليهِ كانوا السادة الرسل وكانوا ذوي فاقة ومسكنة لا أرباب اموال فيبذلونها لمن يتبعهم. لأنّهُ يستحيل ان يكونوا ذوي اموال والكتاب الذي معهم يحثّهم على اطّراح الاموال والقنى الدنيويّة. ثمّ لم يبيحوا ايضاً اللذّات لأنّ الكتاب الذي في ايديهم يأمرهم باطّراح لذّة الطعام والشراب وترك الدنيا وسائر نعيمها. ولا نقلوا من امر صعب الى امر سهل لأنّ كتابهم يأمرهم بضدّ ذلك

«ولا نقلوا المدعوّين الى النصرانيّة بالخوف والسيف والامور المفزعة لأنّ الكتاب الذي معهم يأمرهم بالتواضع واحتمال المكاره والإحسان الى الأعداء والدعاء لهم وعرض الدين على الناس بالقول مع الزهد (٥٤) في الدنيا وجميع لذّاتها. فمن قبل الدعوة ودخل في دين النصرانيّة ألزم بتفريق امواله واحتمال اعدائهِ وترك عزّة النفس والتفاخر بالدنيا. ومن لم يدخل فيه ناصبَ الداعي وقاومهُ وان رام قتلهُ بذل الداعي نفسهُ لهُ حتى يقتلهُ من غير الاستعانة عليهِ ببعض المخلوقين

«فلمّا رأيتُ ذلك ووجدتُ انهُ قد دخل دينَ النصرانيّة فلاسفةُ اليونان وحكماؤهم وامم كثيرة وملل مختلفة وممالك متباينة مثل الروم والافرنج والبُلغر والقبط والنوبة والارمن والسريان والفرس والترك (١ واهل الصين وغيرهم من الامم لا لرهبةٍ خافوها ولا لرغبةٍ رجوها علمتُ أنهم انّما لم يدخلوا فيهِ الّا لمعجزٍ الهيّ قادهم

١) راجع في المشرق (١٦[١٩١٣]: ٧٥٤-٧٧٢) مقالتنا في تنصّر قدماء الترك والمغول

اليه. وهذا مما استدللتُ به من العقل على صحّة مذهب النصرانيّة

• فأمّا ما استدللتُ به من المعجز على (٥٥) صحّة ذلك فهو انني شاهدتُ اشياء كثيرة عجيبة يجب على من شاهدها او بعضها ان يلزم نفسهُ للموت في محبّة دينه. فممّا شاهدتُهُ (١ انّهُ كان في عُمر مار ميخائيل في الموصل راهبٌ شيخ فاضل اسمهُ يوحنّا ويُعرَف بالاعرج وكنتُ من بعض تلاميذه المتخصصين به. ولمّا حصلتُ بالموصل وكانت لحُسام الدولة وجناح الدولة (٢ رحمهما الله أُقيم ناظرًا عليها من قبل احدهما ابو الحسن ابن سرور رحمهُ الله. فاستدعاني هذا الراهب في بعض الأيام وقال لي: اريد ان تمضي الى ابي الحسن ابن سرور وتقول لهُ عني ان يأخذ الحذر لنفسه بان يهرب او يستتر فانّ نيّة صاحبه قد تغيّرت عليه وانا خائف عليه. فقلتُ: السمعَ والطاعة وانا ادخل اليه اذا أمسى النهار وأبيت عندهُ واعرّفهُ ما رسمتَهُ. فانفصلتُ عنهُ على هذا. فلمّا اضحى النهار انفذ في طلبي دفعةً ثانية فمضيتُ اليه فقال لي: اعلم انّ امر (٥٦) ابي الحسن قد قوي وان انتصفَ النهار ولم يهرب خفتُ عليه والآن قم مُسرعاً فلعلّك تُنذره قبل ان يُؤخذ. فقمتُ في الحال من باب قلايته وتوجّهت الى الموصل مُسرعاً. فلمّا وصلتُ الى الدير الاعلى سمعتُ اذان صلاة الظهر فاسرعتُ في المشي ووصلتُ الى دار ابي الحسن فوجدتُهُ قد قُبض عليه في ذلك الوقت وهو مقيّد. فرجعتُ الى المُنر على حالي وعرّفتُ الراهب ما جرى. فاغتمّ ودعا لهُ بالخلاص ولمّا بكّرتُ اليه من الغد قال لي: اعلم انّ امر ابي الحسن يقرب ويخلص. وبعد أيام يسيرة قُرّر امرهُ على شيء قريب وأُفرج عنهُ وردّ الى نظره

• وشاهدتُ من هذا الراهب وغيره اشياء عجيبة ليس يحتمل الوقت شرحها. ولم اورد هذا الخبر وانا أسوم الوزيرَ حرسهُ الله قبولهُ (٥٧) ولا غيرهُ من المسلمين أيدهم الله لكنّي أستفتيه أستفتاء في ذلك فاقول: ماذا يقول الوزير فيمن شاهد هذا وحقّقهُ

---

١) من المحتمل ان الخبر الآتي ليس بالمعجزة اذ امكن الراهب ان يعرف الامر من احد الزبّاء. وفي النصرانيّة من المعجزات الصحيحة عدد لا يُحيط به احصاء ممّا لا يمكن نسبهُ الّا الى الله:

٢) حُسام الدولة هو المتغلّب من السيّد من بني عقيل اصحاب العراق والجزيرة تولّى الامر في الموصل السنة ٣٨٦هـ وقتلهُ الاتراك سنة ٣٩١ (٩٩٦-١٠٠٠م) وكان جناح الدولة وزيرهُ اما ابو الحسين بن السرور فلم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ

أليس هو حجّة الله عليهِ فيلزمهُ التمسُّك بالمذهب الذي شاهد ذلك منهُ

قال: اذا صحَّ الخبر لزم التمسُّك بذلك الاعتقاد

قلتُ: «انا اقنع بذلك وامثلهُ فاذا كان الامر على هذا ثبت انَّ محبَّتي لمذهبي ليست محبَّة العادة والمتابعة لأسلافي لكنها محبَّة مَن قد تحقَّق صحَّة مذهبهِ من العقل والمُعجز». ثم عدل الوزير الى المفاوضة فيما لا يتعلَّق بالدين. وانقضى المجلس. وكمل الفصل الرابع بمشيئة الله

المجلس الخامس

في براءة النصارى من كلّ مذهب يخالف الحقّ

وفي يوم السبت الخامس من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي: اعلم اني شرحتُ للقاضي ابي يعلي المتكلّم حالَ المجالس التي جرت بيني وبينك (٥٨) وما سمعتُهُ منك في التوحيد فأنكرَهُ وذكر انَّ النصارى لايعتقدون شيئاً من ذلك وانك اوردتَ ما اوردتَهُ رغبةً في ازالة الشبهة والنظاعة عن مذهب النصرانيَّة. وحكى ان النصارى لا يتمكنون من الاقرار بربٍّ واحد ولا من القول انَّ الله واحد وحدهُ لا شريك لهُ. فما عندك فيما ذكرهُ؟

قلتُ: انا اكتبُ فصلًا بخطّي واعرضهُ بحضرة الوزير أيدهُ الله فيعلم منهُ أننا لا نعتقد الّا الهاً واحداً لا اله غيرهُ وانَّ ما اوردتُهُ بالحضرة العالية اعتقدهُ انا واهل مذهبي

وبعد ما جرى بيني وبينهُ مذاكرة ومفاوضة فيما لا يتعلّق بالمذهب خرجتُ من عندهِ. وعند حصولي في قلّايتي كتبتُ فصلًا هذه نسختهُ:

يقول ايليّا مطران نصيبين:

«أننا معشر النصارى الموحّدين نؤمن بربٍّ واحد لا إله الّا هو وحدهُ. لا شريك لهُ في الازليَّة ولا مثلَ لهُ في الذاتيَّة (٥٩) ولا نظير لهُ في الربوبيَّة. ولا صاحب لهُ يعاونهُ ولا ضدَّ يقاومهُ ولا ندَّ ينازعهُ. وانهُ غير جسم وغير مركَّب وغير مؤلَّف وغير محسوس وغير متحيّز وغير متبعّض وغير مستحيل. فلا يشغل حيّزاً ولا يقبل عرَضاً ولا يحويهِ مكان ولا يحصرهُ زمان. قديمٌ بلا ابتداء باقٍ بلا انتهاء. خفيٌّ في ذاتهِ ظاهر

في افعاله منفرد بالقدرة والكمال متوحد بالعظمة والجلال . مُعْدِن النعم وينبوع الحكم . مُحدث كلّ شيء لا من شيء منشئ كلّ الموجودات من غير مادّة . وصانع الخلائق بامره ومكوّن البرايا بمشيئته . عالمٌ بالامور قبل كونها وعارف بالسرائر قبل إضمارها . حيٌّ لا يموت ثابتٌ لا يزول قويٌّ لا يحول قادرٌ لا يعجز . قريب لكل احد مجيب لمن يدعوهُ مغيثٌ لمن يرجوهُ . كافٍ لمن يتوكل عليه ملجأٌ لمن (٦٠) يلتجئ اليه . يديم النعم اذا قُوبلت بالشكر ويزيلها اذا قُوبلت بالكفر . يُعين الصالحين يجيب الطالبين . عدوّ العاندين قابل التائبين غياث المستغيثين . إله رحيم ربٌّ كريم خالقٌ حكيم . خلق الدنيا أنّا شاء وكما شاء . ويفنيها اذا شاء كما شاء . ثمّ يأذن بالبعث والنشور ويحيي مَن في القبور . ويجازي الاخيار بايصالهم الى النعيم والاشرار بتخليدهم في الجحيم . اله واحد خالقٌ واحد ربٌّ واحد معبود واحد . لا إله قبلهُ ولا بعدهُ ولا خالق الّا هو . ولا ربَّ غيرهُ ولا معبود سواه

« ونعتقد انَّ ذات هذا الربّ الذي هذه اوصافهُ تقدّست اسماؤهُ ونطقهُ وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ جوهرٌ واحد في ثلثة اقانيم آب وابن وروح القدس . ونتبرأ اليه جلَّ جلالهُ من كل من يعتقد انّ هذا الجوهر كالجواهر المخلوقة وانَّ هذه الاقانيم الثلثة (٦١) هي ثلثة جواهر او ثلثة آلهة مختلفة او متّفقة او ثلثة اجسام مؤلّفة او ثلثة اجزاء او ثلثة اعراض معترضة او ثلث قوًى مركّبة اوغير ذلك ممّا يقتضي الشرك والتجزّي والتبعّض . ونتبرأ من كل من يعتقد انَّ نطق الباري تعالى وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ عرضان او قوّتان مثل نطق المخلوقين وحياتهم . ومن كلّ من يعتقد انَّ لهذا الاله الواحد نظيرًا او ضدًّا او يعتقد انهُ جسم مؤلف او مركّب . ومن كلّ من يعتقد انهُ يشغل حيزًا او يقبل عرضًا . ومن كلّ من يعتقد انهُ ينتقل من مكان الى مكان او يكون في جهةٍ دون جهة او انهُ رُؤي او يُرى (٦٢) . ومن كلّ من يعتقد انهُ نكح او ينكح او نسل او ينسل او اتخذ زوجة . ومن كلّ من يعتقد انهُ يقدر ان يخلق الهًا مثلهُ او يعمل عملًا فيه فساد او قباحة . ومن كلّ من يعتقد انَّ لهُ ابتداء او انتهاء وانهُ خلق الخلائق من عنصرٍ او مادّة . ومن كلّ من يعتقد انهُ لا يعرف الاشياء قبل كونها او انهُ طبيعةٌ يدبّر العالم بطبعها . ومن كلّ من يجحد النبوّات وظهور الآيات على ايدي الانبياء والرسل الصالحين . ومن كلّ من يعتقد انَّ العالم

قديم غير حديث ويجحد القيامة والبعث والآخرة . فكلّ نصرانيّ يعتقد ان مذهبنا يجيز هذه المذاهب التي تبرأتُ منها او انّ لنا فسحةً في اعتقاد بعضها فليذكر ذلك عليّ » (٦٣)

ولمّا كان من الغد حملتُ هذا الفصل الى الوزير وعرضتُهُ عليهِ . فلمّا قرأهُ قلتُ لهُ : أيجوز ان يُطلق مثلي خطّهُ بما قد تضمّنهُ هذا الفصل وهو واهلُ بيتهِ يعتقدون غير ما يقتضيهِ مضمونهُ ؟

قال : لا

قلتُ : فقد بطل قول مَن حكى بحضرة الوزير أيّدهُ الله انّ النصارى غير موحّدين . وانّ الذي اوردتُهُ عنهم هو غير ما يقتضيهِ اعتقادهم وانني انّما قصدتُ بهِ فقط ازالةَ الشنعة عنهم

قال : الامرُ على ما ذكرتَ وانا اعتقد انّ كلّ من هو على هذا الرأي وهذا المذهب هو موحّد ولا خلف بينهُ وبين المسلمين الّا في نبوّة محمّد بن عبدالله

ثمّ قال : اريد اذا سرّنا من نصيبين ان تعمل رسالة في التوحيد تضمّنها جميع ما اوردتَهُ عليّ في هذه المجالس وتجعل اوّلها هذا الفصل وتختمها بآخرهِ وتضيف اليها ما تعلم انهُ مفيد ممّا لم يَجرِ في هذه المجالس

فاجبتهُ بالسمع والطاعة وامتثلتُ مرسومهُ بعد مسيرهِ فكتبتُ الرسالة على مقتضى مشورتهِ ورسمهِ وقد كنتُ انفذتُ اليكَ (١ ادام الله حراستك نسختها وهي آخر ما جرى معهُ في امر المذهب والسلام . تمّ الفصل الخامس ولله الشكر (لهُ بقيّة)

مسالمة الرومان لسوريّة ودفاعهم عنها

من محاضرة القاها حضرة الاب رينه موترد اليسوعيّ كشلبار مكتب المتحف الفرنسوي

احتلّ الرومان انطاكية حاضرة مملكة السلوقيين تحت قيادة بومبيوس سنة ٦٤

١) يريد ابا العلاء صاعد بن سهل المذكور في اوّل المجالس . امّا المقالة التي يشير اليها هنا فقد سبق حضرة الاب لويس معلوف بنشرها في المشرق (اطلب المقالات الدينيّة القديمة ص ١٢٩).

قديم غير حديث ويجحد القيامة والبعث والآخرة . فكلّ نصرانيّ يعتقد ان مذهبنا يجيز هذه المذاهب التي تبرأتُ منها او انّ لنا فسحةً في اعتقاد بعضها فليذكر ذلك عليّ » (٦٣)

ولمّا كان من الغد حملتُ هذا الفصل الى الوزير وعرضتُهُ عليهِ . فلمّا قرأهُ قلتُ لهُ : أيجوز ان يُطلق مثلي خطّهُ بما قد تضمّنهُ هذا الفصل وهو واهلُ بيتهِ يعتقدون غير ما يقتضيهِ مضمونهُ ؟

قال : لا

قلتُ : فقد بطل قول مَن حكى بحضرة الوزير أيّدهُ الله انّ النصارى غير موحّدين . وانّ الذي اوردتُهُ عنهم هو غير ما يقتضيهِ اعتقادهم وانني انّما قصدتُ بهِ فقط ازالةَ الشنعة عنهم

قال : الامرُ على ما ذكرتَ وانا اعتقد انّ كلّ من هو على هذا الرأي وهذا المذهب هو موحّد ولا خلف بينهُ وبين المسلمين الّا في نبوّة محمّد بن عبدالله

ثمّ قال : اريد اذا سرّنا من نصيبين ان تعمل رسالة في التوحيد تضمّنها جميع ما اوردتَهُ عليّ في هذه المجالس وتجعل اوّلها هذا الفصل وتختمها بآخرهِ وتضيف اليها ما تعلم انهُ مفيد ممّا لم يَجرِ في هذه المجالس

فاجبتهُ بالسمع والطاعة وامتثلتُ مرسومهُ بعد مسيرهِ فكتبتُ الرسالة على مقتضى مشورتهِ ورسمهِ وقد كنتُ انفذتُ اليكَ (١ ادام الله حراستك نسختها وهي آخر ما جرى معهُ في امر المذهب والسلام . تمّ الفصل الخامس ولله الشكر (لهُ بقيّة)

مسالمة الرومان لسوريّة ودفاعهم عنها

من محاضرة القاها حضرة الاب رينه موترد اليسوعيّ كشلبار مكتب المتحف الفرنسوي

احتلّ الرومان انطاكية حاضرة مملكة السلوقيين تحت قيادة بومبيوس سنة ٦٤

١) يريد ابا العلاء صاعد بن سهل المذكور في اوّل المجالس . امّا المقالة التي يشير اليها هنا فقد سبق حضرة الاب لويس معلوف بنشرها في المشرق (اطلب المقالات الدينيّة القديمة ص ١٢٩).

قبل المسيح. وبدخولهم اليها اصبحت سورية اقليماً رومانياً. فلمّا توغّلوا في البلاد الداخلية وجدوا في الطبقة المتنوّرة من اهلها نوعاً من المساواة والتشابه في الحضارة اكتسبوها بفضل تخرّجهم بالاداب اليونانية. لكنّهم ما لبثوا ان وقفوا على النزعات التي تقسم السكان لاختلاف عناصرهم وتضارب غاياتهم. وكان مرّ على سورية حروب شعواء توالت نحو مائتي سنة بين ملوكها ومماليك مصر الطامعين في فتحها فضرب السقم على انحائها. ولنا مثال على تلك الاحوال في ما جرى في القطر السوري من التنازع والخصام بعد الحرب الكونية. فانّ رومية كفرنسة حديثاً كانت في حاجة ماسّة الى قطع دابر الفتن وردّ السلام الى الاهلين وتأمين الثغور واستثمار خيرات البلاد. فالجيوش الرومانية ادّت لذلك خدماً مشكورة كما سترى

١ مسالة اليهود وتأمينها

وجد بومبيوس في المستعمرات اليونانية والمدن المنظّمة بنظام اليونان في سورية خير مساعدٍ لتحقيق غايته السياسية في جمع كلمة اهل البلاد. وكانت تلك المستعمرات والمدن ترغب في تسليم زمام السلطة الى ايدي امير اجنبي بدلاً من الامراء الوطنيين. فاجابة الى مرغوبهم اعلن بادئ بدء بتحرير انطاكية وسلوقية الواقعة عند مصب العاصي ثمّ حرّر مدن فلسطين العشر التي كان اليهود بسطوا عليها يدهم ثمّ امر بإعدام بعض الطغاة الذين كانوا قرّروا ملكهم على جبيل وطرابلس

على انّ الرومان لم يُلغوا كلّ الامارات وانّما اكتفوا بضرب الجزية على بعضها كالكُوَيْجان وجاضرتها سميساط لوقوفها بازاء الشعوب الارمنية شمالاً والفرس شرقاً وكحيص ونواحيها وكان اميرها سَمْسيجرام عربياً ثمّ اليهودية ثم مملكة النبط الممتدّة من دمشق الى البحر الاحمر. وقد اثبت الرومان هذه الامارات تحت سيطرتهم لتكون كحصون في وجوه الاعداء وتصون سورية من غاراتهم. وكان امراؤها كرؤساء شرطهم في البادية وكجباة جزيتهم

ولم يتمكّن الرومان من تأمين بعض البلاد الداخلية الّا بالقوّة وبعد العناء الطويل لاسيّما بسبب عصابات اللصوص التي كانت تأوي الى قفر البلاد القليلة السكن. فانّ الجغرافي استرابون يروي عن الايتوريين وعشائر البدو الساكنين في البقاع انّهم كانوا

اتخذوا لهم جبلَي صنّين وبرُّوما كحصنَين حرزين يأوون اليهما ثم يُغيرون منهما على الانحاء المجاورة ولاسيّما على جبيل مقدس الفينيقيين وربّما بلغوا الى بيروت فعاثوا فيها فساداً. وقد ادركنا ايضاً شبه هذه الغارات في أيامنا لمّا كانت عصابات المتاولة في الهرمل باغراء الامير فيصل تصعد من البقاع وتهجم على قرى الموارنة في كسروان. فحسماً لتلك الشرور واصلاحاً لذاك الفساد امر بومپيوس بتدمير الحصون المذكورة في لبنان. ولمّا قام بعدهُ في نظارة الشام اغريپا صهر اوغسطوس قيصر اقام في وجه اولئك الغزاة حاجزاً لا يُنتهك حماه فمنح لبيروت حقوق المستعمرات الرومانيّة فدُعيت باسم يوليا السعيدة (Colonia Julia Felix) وجعل فيها فرقة من الجنود الاستعماريّة القديمة

وفي الوقت ذاته تقريباً اعني في السنة ١٥ ق م أُعطيت بعلبك حقوقاً كبيروت وعُهد اليها مراقبة وادي مرسياس وهو البقاع وانقلب دين ذاك الهيكل العظيم الوطني الى هيئة الدين الروماني

وقد وقفنا حديثاً على حاجز ثالث أُقيم في كسروان لكسر شوكة غزاة صنّين استدللنا اليه بتلك الآثار التي اكتشفها حضرة الخوري بطرس باسيل الكاهن الماروني في معراب في موقع من كسروان يشرف على غسطا وحريصا(١). فوجد هناك عدّة نقود ورأس تمثال ومذبحاً وقطعة اجازة عسكريّة أُعطيت لجندي روماني قديم كان مقيماً كما يظهر مع فرقته في هذا المركز المنيع ليس بعيداً من المركز الذي اختارتهُ الدولة الفرنسويّة في ربيع سنة ١٩٢٠ في ريفون لردّ غارات المتاولة الذين ذكرناهم. فجندي معراب المذكور قد اتانا بدليل واضح على احتياط الرومان لتأمين الجبل. فعرفنا من كتابتي صفيحته انّهُ بعد خدمة ٣٥ سنة نال حقوق المدنيّة الرومانيّة بين السنة ١٥٢ و ١٦٠ ليس بعدها على عهد القيصر انطونينوس المعروف بالبارّ وانهُ كان احد افراد فرقة ريتيا القديمة المعروفة اليوم باقليم تيرول وبدولة باڤارية. وكان الرومان وقتئذٍ يستخدمون كتائب استعماريّة تتألف كلّ كتيبة من ١٥٠٠ فارس و٧٥٠٠ راجل او راكب وكلهم من الاقاليم الاجنبيّة الخاضعة لايطالية وحقوقهم دون حقوق اهلها. والمرجّح انّ الجندي المستعمر في معراب كان من فرقة ذات الف نفر متسلّحين

١) اطلب في المشرق (١٩٣١ ص ٨٥٩–٨٦٢) مقالتنا في وصف هذه الآثار

بالأقواس ممّن اكتتبوا في نواحي قنوات في حوران واسم الفرقة I Flavia Canathenorum miliaria Sagittariorum)

٢ الدفاع عن الثغور

الّا ان رومية لم تكتفِ بتهدئة حركات البلاد الداخليّة وتأمين اهلها لكنها في الوقت عينهِ كانت تهتمّ بالدفاع عن ثغورها ومحاربة الاعداء الاجانب . وقد سبق القول ان بومبيوس ابقى على عدّة امارات كانت تدفع الجزية لرومية وتذود عن تخوم سوريّة

فلمّا صارت الدولة في ايدي سلالة فلافيوس في اواخر القرن الاوّل للمسيح فضّل القياصرة الغاء تلك الامارات وتفويض تدبيرها الى عمّالهم . لكن هذا التغيير كان يستدعي نظاماً عسكريًا للدفاع عن ثغور سوريّة . وهذا النظام قد اوقفتنا عليهِ الآثار المكتشفة حديثاً (١ . وذلك انّ لجنةً من المهندسين كانت وضعت في عهد دوميطيانوس قيصر رسماً لإقامة استحكامات وتحصينات على حدود البلاد لتصونها من غارات اعدائها

والاكتشافات المذكورة قد اثبتت ان الرومان اختاروا لتلك الاستحكامات الحدود الطبيعيّة وخصوصاً مجاري الانهار . وهذا ما دفع الامبراطور ترايانوس الى ان يجعل حدود سوريّة شرقيّ الفرات لكنّ ادريانوس خفّض الحدود الى منتصفه . ثمّ رأى ارباب الامر انّ هذه الاستحكامات تحتاج الى تمكين وزيادة في العدد وربّما اقاموها في وسط القبائل الهمجيّة لمراقبتها بالحامية ولاقتضاء الحقوق الديوانيّة (الطلب الرسم)

فترى من ثمّ انّ تلك الحدود لم تكن وهميّةً بل كانت تشبه بسور حريز يتصدّى للعدو المهاجم . لنا مثال على ذلك في جرمانية على شواطئ نهر الرين على طول ٢٥٠ ميلًا رومانيًا (نحو ٤٢٥ كيلومترًا) فانّ الرومان حصّنوا تلك الثغور باستحكامات متّصلة حيثما لا يقوم النهر مقام التحصين . فترى على مسافة كل ثمانية الى عشرة كيلومترات قلعةً يليها برجٌ توقد عليهِ النيران ليلًا وحول القلعة خنادق

١) الطلب W. Strehl u. W. Soltau : *Grundriss d. alten Gesch. u. Quellenkunde* = *II* Mommsen: *Roem. Gesch. 1914, pp, 420, n.2, 460 seqq.* Kornemann,

وكان للرومان في انكلترة سوران احرز وأمنع يُعرفان بسور ادريانوس قيصر وسور انطونينوس (١ . كان السور الاول يمتد بين مصب النهرين تَيْن (Tyne) وسولواي (Solway) على مسافة ١١٠ كيلومترات واقيم الثاني في وجه البكت وهم الاسكتلنديون الوافدون بين الخليجين العميقين كلَيد (Clyde) وفورث (Forth). وكانوا حفروا شمالاً في طريق العدو خندقاً ذا عشرة امتار عرضاً في خمسة عمقاً واقاموا خلفهُ سوراً على هيئات شتى حيناً اهاضيب فوقها اوتاد مروسة وحيناً كُثبان مدمجة باللاط وتارة مصاطب عالية او اسوار متينة على علو نحو خمسة امتار تصونها البروج والحصون التي تبلغ في سور ادريانوس ٢٢٠ عدداً . واضافوا الى ذلك السور في طرفه الخارج هضاباً اخرى وخنادق لصيانة جوانبه . وابعدوا السكان من جهته الشمالية فجعلوا بينهم وبين السور منطقة قفرة خالية من المزدرعات والشجر والاهلين

ولا نظنّ انّ الرومان اقاموا الاسوار والخنادق في سورية كما فعلوا في انكلترة . وانما كان بالاحرى تحصينهم للثغور كما ترى التحصينات والاستحكامات الحديثة في بلاد الجزائر وفي طرابلس الغرب التي دقّق في رسم حدودها ضباطُ افرنسيون

ولنا شاهدان على قولنا نستفيد من الاول تحصين الرومان للاقليم الذي كانوا يدعونهُ اقليم عربية . ومن الثاني تحصينهم للفرات في وجه الفرس (انظر الرسم)

والشاهد الاول قد ورد في تأليف جليل ابرزهُ عالمٌ سويسري المسيو رودلف برونوف (R. Brünnow) وارثيٌ الذي برع في معرفة الآداب العربية القديمة المسيو الفرد فون دومازفسكي (A. von Domaszewski) وقد وسّما تأليفهما باسم اقليم عربية (Provincia Arabia). اما الشاهد الثاني فنقتطفهُ من كتاب عالم افرنسي فاضل اسمهُ ڤكتور شابو (V. Chapot) سماهُ ثغر الفرات (La Frontière de l'Euphrate)

انّ تحصين اقليم عربية الروماني كان يستدعي تأمين الطريق التجارية اللاحبة التي نهجها الامبراطور ترايانوس الممتدة شرقاً بين بصرى الى خليج عقبة (a finibus Syriæ usque ad Mare Rubrum) ولعلهم اكتفوا بادئ بدء بمركزين

Klio VII. 1907. pp. 79-88

١) اطلب Toutain: *La Bretagne romaine*, *Jnl des Savants*, 1903, pp 417 seqq

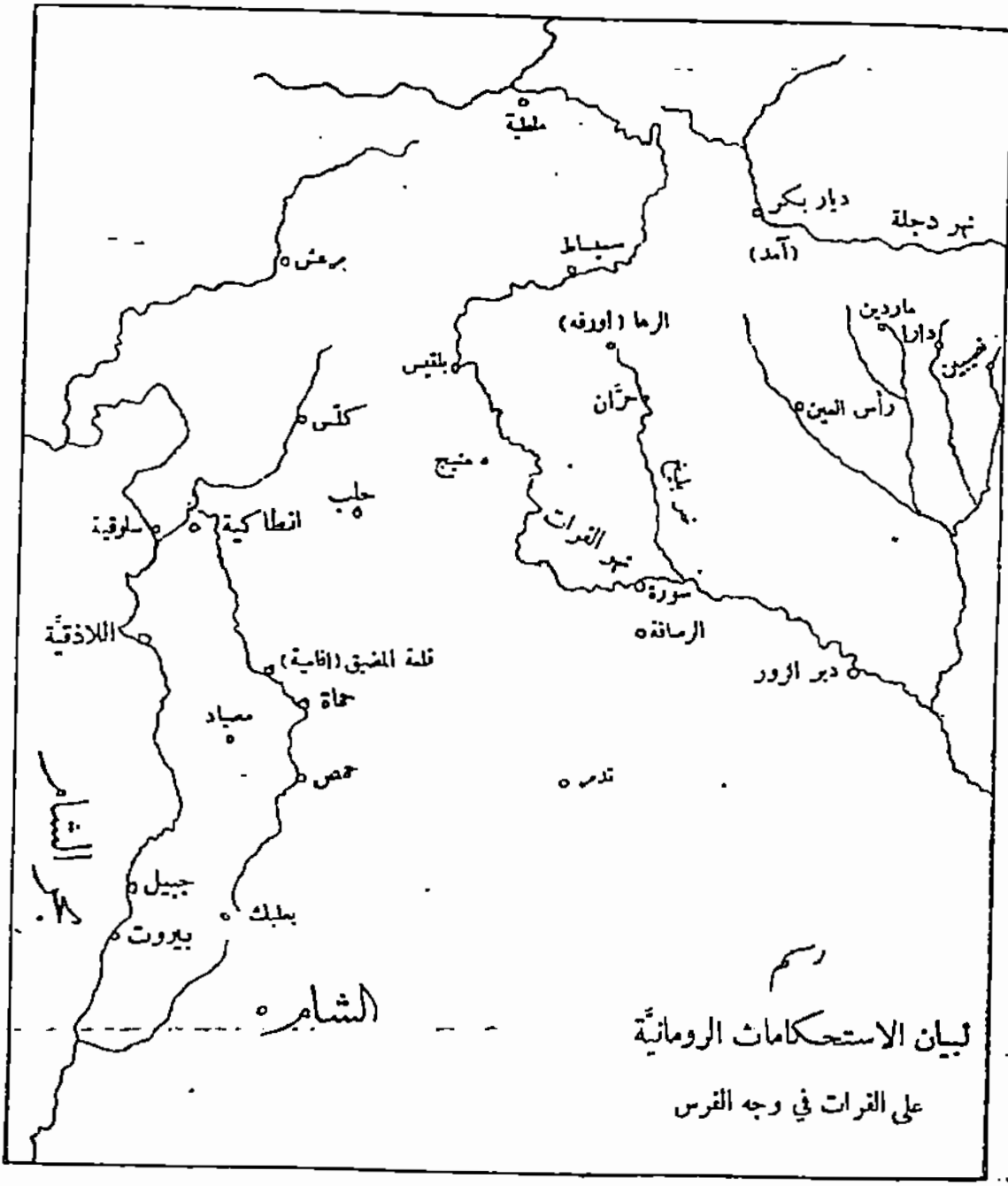

رسم

لبيان الاستحكامات الرومانيّة

على الفرات في وجه الفرس

عسكريين الواحد في اذرح والآخر في اللجُون يحميهما بضعة آلاف من الجند مع قلعة (Castellum) مربَّعة طولها ٦٧ متراً طولاً في مثلها عرضها جعلوا فيها ٥٠٠ جندي. وقد بقي اسم القلعة اللاتيني في اللغة العربيَّة الى اليوم يُدعى مكانها القَسطل

ثمَّ رأى الرومان انَّ هذه الاستحكامات تحتاج الى تضييق وتوثيق فزادوها عدداً. وكان عدد هذه التحصينات اوفر والمسافة بينها اقرب شرقيَّ بحر لوط ولاسيما عند وادي مجبّ (Arnon.) فبلَغوا عدد حصونهم هناك الى احد عشر في مسافة لا تزيد على ١٥ ميلاً رومانياً ثمَّ تجدها اقلَّ عدداً وابعد مسافةً بين مدينتَي بترا (سلع) وعقبة. اما سبب هذا الاختلاف فقد دلَّ عليهِ العلَّامة برونوف بقولهِ انَّ غزاة البادية لا يغيرون عادةً الَّا على الجهات القريبة من المياه وليس على طريق بصرى الى عقبة مياه كافية لاهل البادية الَّا عند نواحي وادي مجبّ. ثمَّ انَّهُ من المرجَّح انَّ اشدَّ قبائل البدو حدَّةً وحماساً كانت تسكن في جوار بحر لوط. وقد رأينا حديثاً هذه القبائل تتحامل على الامير عبدالله الذي اقامهُ الانكليز على بلاد ما وراء الاردنّ. فاضطرُّوا الى إمداده بالجند ولا تزال الامور هناك في حيص بيص. ولعلَّ الانكليز يقيمون لحراستها متارس وتحصينات (Blockhaus) كما فعلوا في جنوبيّ افريقية لردّ غارات البوير اذ لم يجدوا وسيلةً للدفاع عن املاكهم هناك

والظاهر انَّ الرومان قد فضَّلوا هذه التحصينات على تشييد الاسوار لسببين: الاول اقتصاديّ والثاني حربيّ. فالوجه الاقتصاديّ كان سببهُ قلَّة ما تحتاج تلك الحصون من الجنود الاهمية فكان يكفي للدفاع عنها مئة جندي بل اقلّ تحت نظارة قائد مئة (١). واذا دهمها خطر لقلَّة عددها كانت في أيام الفتن تُفرغ المراكز البعيدة وينضمّ جنودها الى المواقع العسكريَّة. اما أيام السلم فكان عددهم كافياً لردّ كيد اهل الحيم

اما المقام الثاني الذي عُني الرومان بتحصينهِ فكان اشدَّ خطورةً من اقليم عربيَّة تزيد بهِ ثغر الفرات حيث قُضي على رومية ان تقاتل عدوًّا لجوجاً متعنتاً ذا بأس وحُنكة في الآداب الحربيَّة اعني بهم الفرثيين ثم الفرس الساسانيين فما مرَّ على الرومان عشر سنين منذ فتوحهم لسوريَّة حتَّى اضطرُّوا الى مقاتلة اولئك الفرسان ذوي

(١) اطلب تاريخ الرومان لمرمسن Mommsen: *Roem. Gesch.*, V. pp. 142, n° 1 et 143

السرعة الغريبة في كرّهم وفرّهم المحسنين لرشق السهام المصيبة حتى في رجوعهم القهقرى كما روى الشاعر هوراس :

Sagittas et celerem fugam
Parthi *Hor. II,* 13,17-18

وقد اختبر كاسيوس احد ارباب الدولة الثلاثية شدّة ساعد الفرثيين لمّا توغّل في بلاد ما بين النهرين ففاجأهُ العدوّ عند حرّان وفقد الاعلام الرومانيّة وقُتل عند رجوعه . ثمّ زحف الفرثيون في السنة التابعة وهي السنة ٥١ قبل المسيح وتقدّموا الى انطاكية فادرك الرومان اضطرارهم الى تحصين الفرات في وجههم

ولم يحصّنوا ذلك الثغر بسور متواصل وخنادق وانما اكتفوا بضبط معابر النهر وتجهيز خطّ مضاعف من المراكز العسكريّة . وليس لدينا دليل على كونهم اقاموا عند حدود الفرس حصوناً متواصلة كما فعل ديوكلطيانوس شرقيّ الطريق الرومانيّة في اقليم عربيّة . وقد جاء في كتابة متأخرة ذكر بروج كانت بين السنتين ٤٢٠و٤٢٥ قائمةً على حدود فارس من مسافة عشرة اميال الى ٢٠ ميلاً . والمرجّح انّ الكلام هناك عن الطريق بين تدمر ومدينة سورة على الفرات . أمّا شواطئ النهر فلم يروا حاجة الى تحصينها وليس ذلك لأنّ الفرات بذاته كان يمكنهُ ان يُعتبر كحدود وافية بالمرام سواء كان لاتّساع ضفافه التي حملت بعض الكتبة الى تشبيهه بنيل مصر ام لارتفاع شواطيه . لا بل ليس كالفرات طريق عسكري افضل يساعد الشعوب الفاتحة على اقتحام البلاد فهو كمسلك لاحب يفصل بلاد ما بين النهرين عن بوادي العرب فيمكن للمحاربين ان يجهّزوا لقطعه قوارب خفيفة ينقلون عليها جنودهم واثقالهم (١

ولا شكّ انّ الرومان استخدموا الفرات لغاياتهم الحربيّة . وليس لدينا دليل على كونهم عمّروا لذلك اسطولاً (Classis Euphratensis) كما زعم مركارت (Marquardt) ولكنّهم اتّخذوا السفن النقّالة والقوارب فجعلوا عليها البحّارة والجند (٢ وبدلاً من تشييد الحصون والاسوار وحفر الخنادق ثبّتوا قدمهم وتحصّنوا عند معابر النهر كما فعل قبلهم الفرثيون والسلوقيّون . وكان السلوقيّون ابتنوا مدينة زوغما (Zeugma) ومعناها الموصل اي الموصل بين سوريّة وما بين النهرين وقد اثبت العلّامة فرنتس كومون (M. F. Cumont) انّها بلقيس الحالية على الفرات . واحتلّ

١) اطلب الكتاب السابق Chapot, pp. 255 ٢) id. pp. 145 sqq.

الرومان هذه المدينة كما نزلوا ايضاً في اوقات مختلفة في اوروبوس وسودة وفيتيفوريوم وزينوبية وقرقيسية وكلّها حصون على الفرات

وكان لا بُدَّ من توثيق هذه الحصون باستحكامات اماميّة فالرومان اتّخذوا لذلك مراكز عسكريّة محصّنة جعلوا فيها كتائب الجند . ولمّا اتّسعت فتوحاتهم شرقاً في ما بين النهرين كذلك قدّموا خطوطهم الدفاعيّة وتحصيناتهم الى الشرق حتّى ان الجبهة الدفاعيّة بلغت في بدء تملُّك الامبراطرة الى ملطية في ارمينية شمالي مرعش والى اورشليم جنوباً بعد فتحها على يد طيطس . وقد تُنبئ الآثار على مواقع عسكريّة اخرى ثانويّة بينهما في كورس واللاذقيّة وانطاكية ورفنية جنوبي مصياد مفتاح بلاد النصيريين الشرقي . وكان عدد الجنود المحتلّين في هذه المراكز كلها لا يزيد عن ٤٨،٠٠٠ من الرومان يؤلفون ثمانية طوابير هذا ما خلا الفرق الوطنيّة (١

ثم تقدّم الرومان الى الامام ففتحوا سيساط عند الفرات الاعلى وبصرى جنوبي حوران . ثمّ قام سپتيميوس سافيرس فتوغّل في ما بين النهرين وعزّز مُدنها بالتيرق المعروفة بالپرثيّة تأميناً لطرق نهر دجلة كسنجار ورأس العين وحرّان ودارا والرُّها . وشفع هذا الخطّ بخطّ رَجعي في البادية من الرصافة بين الفرات ودمشق ومن كورس بين انطاكية وسيساط ومن افامية على العاصي حيث تجتمع الدروب التي تربط جهات الجنوب بانطاكية

السوريون في خدمة الرومان

وكأني بالقارئ يسألنا هنا أترى بقيت سوريّة بازاء الرومان على جمودها دون ان يساعدهم اهلها على حماية وطنهم؟ كلّا عرفت سوريّة فضل الدولة الرومانيّة وقدّمت لها بسخاء جنودًا من مواطنيها ساعدوها على تأمين البلاد وبسط رواق السلام على اهلها . وكانت الفرق العسكريّة الوطنيّة المتطوّعة كثيرة العدد . يُستدلّ عليها بالارقام العسكريّة النظاميّة مع ذكر محلّ الاكتتاب . فتجد بينها اسماء مدن انطاكية وافامية ودمشق والسامرة وعسقلان وصور وعلى التخمين بعلبك . ثمّ نعرف ايضاً من رواية المؤرخين انّ المتطوّعين من امارة كوماجين ألفواستّ فرق من الرجّالة

(١ اطلب Chapot, l. c., pp. 74-75

واهل كليس خمساً والايتوريين ثماني واهل حمص في جبل الشيخ فرقتين والنبط ست فرق. وكان للسوريين امتياز في فرق الفرسان والمدرعين والمهاريين ولاسيما القواسين الراكبين . ومما تثبته الآثار انّ الكتائب السورية المتطوعة خدمت الرومان في عدة ولايات اجنبية فمنها فرقة كانت تحرس سور ادريانوس في بريطانية ومنها ما أقيم لحراسة نهري الرين والدانوب وبعضها بلغ الى ثغور مراكش. نعم انّ هذه الفرق لم تحصَ في جملة كماة الحروب الّا انها ادّت خدماً مشكورة

ولا نعلم أخرج من السوريين قوّاد في الجيوش الرومانيّة لكنّنا نعرف انّ احد كبار المهندسين العسكريين المدعو ابولودور كان سورياً من دمشق وهو الذي ابتنى على نهر الدانوب ذاك الجسر العظيم الذي سهّل للجيش الروماني الانتصار على قبائل الداس

وفي الختام لا يسعني الّا عقد الامل على شهامة السوريين حالاً ومعرفتهم الجميل لفرنسة . ويحملني حسن الظنّ بهم على انّ الدولة المنتدبة ستجد بينهم نفوساً ابيّة تتطوّع لخدمة وطنهم كما فعل اجدادهم في خدمة الدولة الرومانيّة

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥٦ ﴿ابو البركات﴾ الشيخ الرئيس شمس الرئاسة ابن الشيخ الاسعد المعروف بابن كبّر القبطي اليعقوبي كاتب السلطان بيبرس الداوداري والمتوفى سنة ١٣٦٣ م. له : ١ كتاب جلاء العقول في علم الاصول الملقّب بكشف الاسرار الخفيّة في اسباب المسيحيّة يتضمّن ١٨ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة كوحدانيّة الله وتثليث اقانيمه وتجسّد ابنه الالهي على رأي اليعاقبة الخ . منهُ نسخة مكتوبة سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٣م) مصونة في المكتبة الفاتيكانيّة نُقلت عنها نسخة مكتبتنا الشرقية . وهناك نسختان أخريان من عهد المؤلف كُتبت الواحدة (عدد ١١٨) في دمشق سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م)

واهل كليس خمساً والايتوريين ثماني واهل حمص في جبل الشيخ فرقتين والنبط ست فرق. وكان للسوريين امتياز في فرق الفرسان والمدرعين والمهاريين ولاسيما القواسين الراكبين . ومما تثبته الآثار انّ الكتائب السورية المتطوعة خدمت الرومان في عدة ولايات اجنبية فمنها فرقة كانت تحرس سور ادريانوس في بريطانية ومنها ما أقيم لحراسة نهري الرين والدانوب وبعضها بلغ الى ثغور مراكش. نعم انّ هذه الفرق لم تحصَ في جملة كماة الحروب الّا انها ادّت خدماً مشكورة

ولا نعلم أخرج من السوريين قوّاد في الجيوش الرومانيّة لكنّنا نعرف انّ احد كبار المهندسين العسكريين المدعو ابولودور كان سورياً من دمشق وهو الذي ابتنى على نهر الدانوب ذاك الجسر العظيم الذي سهّل للجيش الروماني الانتصار على قبائل الداس

وفي الختام لا يسعني الّا عقد الامل على شهامة السوريين حالاً ومعرفتهم الجميل لفرنسة . ويحملني حسن الظنّ بهم على انّ الدولة المنتدبة ستجد بينهم نفوساً ابيّة تتطوّع لخدمة وطنهم كما فعل اجدادهم في خدمة الدولة الرومانيّة

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥٦ ﴿ابو البركات﴾ الشيخ الرئيس شمس الرئاسة ابن الشيخ الاسعد المعروف بابن كبّر القبطي اليعقوبي كاتب السلطان بيبرس الداوداري والمتوفى سنة ١٣٦٣ م. له : ١ كتاب جلاء العقول في علم الاصول الملقّب بكشف الاسرار الخفيّة في اسباب المسيحيّة يتضمّن ١٨ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة كوحدانيّة الله وتثليث اقانيمه وتجسّد ابنه الالهي على رأي اليعاقبة الخ . منهُ نسخة مكتوبة سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٣م) مصونة في المكتبة الفاتيكانيّة نُقلت عنها نسخة مكتبتنا الشرقية . وهناك نسختان أخريان من عهد المؤلف كُتبت الواحدة (عدد ١١٨) في دمشق سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م)

والاخرى (عدد ١١٩) سنة ١٣٣٤ = ٢ً كتاب مصباح الظلمة وايضاح الخدمة في الفقه الكنسي في ثمانية ابواب وعدّة فصول عن العقائد النصرانيّة واخبار الرسل والتلاميذ (اطلب Oriens Christianus,II; 372-344) وقوانين البيعة والجامع . منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيّة تاريخها سنة ١٣٣٣م . وفي مكتبة برلين نسخة موصوفة وصفاً واسعاً (Ahlwardt,X, 184) وفي مكتبة باريس (Ms. ar. 203) . ٣ً لهُ ردود على اليهود والمسلمين . في مخطوطة رومية (عدد ١١٩) . ٤ً رسالة البيان الاظهر في الردّ على من يقول بالقضاء والقدر . فيها . وهذه التآليف الثلثة منقولة في مكتبتنا الشرقية . ٥ً لهُ عدّة مواعظ تقرأ في اعياد الكنيسة القبطيّة طُبعت في المطبعة القبطيّة في مصر . ٦ً معجم اللغة القبطيّة المعروف بالسلّم الكبير المقترح (اطلب مجموعة المكتب الشرقي P. A. Mallon, MFO, II, 260-263)

٥٧ ﴿ابو البركات﴾ الشيخ موهوب بن منصور بن مفرج الاسكندراني الشمّاس كان في القرن الثاني عشر (اطلب تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني ص ١٣٦ . ed. Evetts) هو متمّم تاريخ بطاركة الاسكندريّة الاقباط لساويرس بن المقفّع من سيرة الانبا اخرسطادولوس البطريرك السادس والستين (١٠٦٩م) وما بعدهُ الى آخر سيرة مرقس بن زرعة البطريرك الثالث والسبعين (سنة ١١٩٠ م)

٥٨ ﴿ابو بشر﴾ متّى بن يونس او يونان من دير قنّى الفيلسوف والطبيب النسطوري معلّم الفارابيّ والمتوفّى سنة ٩٤٠ م (اطلب الفهرست لابن النديم ص ٢٦٣ وطبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة ١ : ٢٣٥) احد كبار النَّقلة لكتب ارسطاطاليس المتقدّمين . ومما نجا لهُ من آفات الزمان : ١ً في مكتبة باريس كتاب ضخم يرقى الى القرن الثاني عشر فيهِ مجموع مقالات لارسطاطاليس منقولة الى العربيّة بكل دقّة واتقان . طُبع منها مقالة الشعر في لندن سنة ١٨٨٧ (ed. Margoliouth) . ٢ً مناظرة جرت بين متى بن يونس القنّائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي . طُبعت في المجلّة الاسيويّة الملكيّة الانكليزيّة (JRAS, 1905. pp, 79-129) مع ترجمتها الى الانكليزيّة بقلم الاستاذ مرغوليوث

٥٩ ﴿ابو الحسن بن المسيحي﴾ وقيل ابو نصر صاعد بن هبة الله بن المؤمل النصراني الحظيري المتطبّب خدم الخليفة الناصر وتوفي بعدهُ نحو السنة ٦٢٧ ه ١٢٣٠م

(اطلب تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص٢١٤ وطبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٠٣ ومختصر تاريخ الدول لابن العبري ٤١٦) . لهُ كتاب في الطبّ صغير الحجم سمّاهُ الصفوة في اجزاء الطبّ علميّها وعمليّها منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة المرحوم يوسف ميشال ابيلا في صيداء وفي مكتبة القس بولس سباط الحلبي (ROC., XVII, n° 16)

٦٠ ﴿ابو الخير بن المسيحي﴾ الاركيذياقون اخو ابي الحسن المذكور آنفاً وهما اخوا الجاثليق المعروف بابن المسيحي . وكان ابو الخير متطبياً ايضاً مات نحو السنة ٥٩٠هـ (١١٩٥م) . لهُ في الطبّ كتاب الاقتضاب في الطبّ وقد اختصرهُ وسماهُ انتخاب الاقتضاب . منهُ نسخة في مكتبة مونيخ (Ms. 836) وفي مكتبة اوكسفرد البوذليّة ١ : ٦٢٢ و ٢ : ١٩٥) وفي مكتبة بغداد العموميّة وفي مكتبتنا الشرقيّة وهو على طريقة السؤال والجواب

٦١ ﴿ابو الخير بن الطيّب﴾ القس الرشيد المتطبب اليعقوبيّ كان في القرن الحادي عشر . لهُ كتاب في اصول الدين دعاهُ درياق العقول في علم الاصول قسمهُ الى جملتين تحتوي الجملة الاولى ٢٤ فصلاً في المعتقدات النصرانيّة والثانية خمسة فصول في الفرائض . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة قديمة من القرن السادس عشر والاخرى حديثة منقولة عن نسخة دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير سنة ١٨٩٧ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٧٥٦) ومن الكتاب ثلث نسخ في مكتبة باريس (عدد ١٧٨—١٨٠) يقال في الاولى انّ المؤلف انتهى من تأليفها في حمص سنة ١٣٦٤ لليونان (١٠٥٢م) ونسختان في اوكسفرد (Marsh. 649 et Hunt. 362) . وقد ذكرهُ ابو البركات بن كبر في لائحة كتبهِ (Riedel, p. 661) وسمّاه ابا الخير المتطبّب ونسب اليهِ ما خلا الكتاب في اصول الدين مواعظ لم نقف عليها

٦٢ ﴿ابو رائطة التكريتي﴾ حبيب بن حُديثة (ويروى خدمة) اسقف تكريت اليعقوبيّ كان في القرن التاسع للميلاد . لهُ ١ مقالة في الثالوث الاقدس في مجموعة من مجاميع باريس (Paris, Ms, 169, n° 13) يليها اربع مقالات أُخر في تجسُّد المسيح ووحدة طبيعتهِ على رأي اليعاقبة والتقديس المثلث على رأي بطرس القصّار (n° 14-17) ٢ . ولهُ في مكتبة باريس ايضاً (Ms. 82) جدال بين ابي يحيى النسطوري

وابي رائطة اليعقوبي وابي قرّة الملكيّ . ٣ً وقد نشرنا لهُ نبذةً في الاستدلال على الدين المستقيم في كتابنا مقالات دينيّة قديمة لبعض مشاهير النصارى (ص ١٤٦)

٦٣ ﴿ابو سليمان المنطقيّ﴾ هو ابو سليمان بن طاهر المنطقي كان في القرن العاشر ذكر لهُ ابن العسّال في كتاب الاصول في الباب الخامس عشر منهُ (ص ٢٧٨ من نسختنا) نبذةً من كتابه « في مبادئ الموجودات ومراتب قوّاتها والاوصاف التي توصف بها الذات الاولى وعلى اي وجهٍ وصفتها النصارى بالتوحيد والكثرة والجوهريّة والاقنوميّة » منهُ نسخة في باريس (Ms. 173, n° 10) . وقد ورد ايضاً ذكرهُ في تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ٣٠٥—٣٠٦) حيث ذُكرت لهُ محاضرةٌ مع المدعوّ بغلام زُحل

٦٤ ﴿ابو سهل الجرجانيّ﴾ هو عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني الطبيب شيخ الرئيس ابن سينا ومعلّمهُ صناعة الطبّ المتوفّى سنة ٣٩٠ هـ ١٠٠٠ م (اطلب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٢٧-٣٢٨) . لهُ : ١ً كتاب ديوان الطبّ في مجلّدين ضخمين منهُ نسخة في بيت الحكيم جدّ في حلب تاريخها سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٧ م) ويدعى ايضاً الكتب المائة في الصناعة الطبّيّة يُعرف منهُ عدّة نُسخ في مكاتب اوربّة (Brockelmann, I. 238) . و٢ً في مكتب برلين (Ms. 6207) كتاب الطبّ الكلّي . ٣ً وكتاب اصول علم النبض في ليدن (٢٧٨٣) . ٤ً في مكتبة غوتا (Ms. 1988) كتاب حكمة الله تعالى في خلق الانسان ٥ً ولهُ عدّة مقالات فلسفيّة (Jong. 113) سمّاها اصناف العلوم الحكميّة واركان العلوم ومبادئ الموجودات الطبيعيّة وتلخيص كتاب ارسطو في السماء والعالم . وقد نشرنا لهُ في كتاب المقالات الدينيّة لقدماء كتبة النصارى فصلًا في أقسام الدين (ص ١٣٢)

٦٥ ﴿ابو الصلح الارمني﴾ ويقال ابو الصالح الشيخ . كان في القرن الثاني عشر للمسيح لهُ في مكتبة باريس (Ms. 307) تاريخ يعرف باسمه «تاريخ الشيخ ابي صلح الارمني» وصف فيهِ اخبار نصارى مصر في زمانهِ مع وصف اديرتهم وبيعهم وغير ذلك من الامور المفيدة . طُبع الكتاب في اوكسفرد سنة ١٨٩٥ بهمّة المستشرق افتس (B.T.A. Evetts) مع ترجمتهِ الى الانكليزية وتعليق حواشٍ وفهارس واسعة

٦٦ ﴿ابو عليّ بن يُمن﴾ هو القسّ المتطبّب من اهل القرن الثاني عشر من

طائفة الملكيّة ورد ذكرهُ في فهرست ابي البركات بن كبر (Riedel, p. 653) وذكر لهُ مقالة في ماهيّة اعتقاد النصارى . ولعلّها هي المذكورة في احد مخطوطات المكتبة الفاتيكانيّة (Ms. 135)

٦٧ ﴿ ابو الفرج بن الطيّب ﴾ القس عبد الله البغداديّ النسطوري كاتب طيماثاوس الجاثليق احد كبار الفلاسفة ومفسّري ارسطو وجالينوس المتوفى سنة ١٠٤٣ م (اطلب ترجمتهُ في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢١٣ وفي طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٩ وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٣٣٠ والمكتبة الشرقيّة للسمعاني ٣ : ٥٤٧) كان ممتازًا في المعارف الدينية وفي علوم الاوائل وترجمة كتب اليونان وشرحها . الّف كتباً عديدة لا يُعرف منها اليوم الّا الكتب الآتية : ١ً مجموع مقالات مهمّة في مكتبة الاسكوريال في اسبانية (Escur. Ms, 882) في الولادة والنبات والعطور والشعر والعطش على طريقة جالينوس وبقراط . ٢ً تفسير كتاب جالينوس لحيلة البُرء في مكتبة ليدن (Leid. 1298) . ٣ً تدبير الصحّة شرح كتاب جالينوس . فيها (1299) ثمّ في مكتبة باريس (Ms. 2858) . وفي المكتبة الديشيّة منهُ ثلث نسخ . ٤ً تفسير مقالات ارسطو . في المكتبة الخديويّة (٦ : ٨٩) . ولهُ عدّة كتب لاهوتيّة ودينيّة وكتابيّة منها : ١ً كتاب فردوس البيعة . وفيه شروح على العهدين القديم والجديد . جزءان في مكتبة الفاتيكان (Vat. ar. 36 et 37) . ٢ً مقدّمة على المزامير في ١١ باباً . في مكتبة باريس (Ms. 41) ولندن (Ms. 793) . ٣ً تفسير المزامير . في المتحف البريطاني (Ms. 793) وفي الفاتيكان (Vat, IV, 76) نسخة من القرن الرابع عشر . ٤ً تفسير تسابيح موسى واشعيا في نسخة المتحف البريطاني السابقة . ٥ً مقدّمة على الانجيل . في مكتبة ليدن في هولندة (ar. 2375) . ٦ً تفسير الاربعة الاناجيل . منهُ نسخة كاملة في لندن (Brit. Mus., Suppl. 15) وفي مكتبة الموارنة في رومية مع شرح اقسام منها في باريس (Mss. 85 et 86) . وقد عُني بطبع هذا التفسير يوسف منقريوس القبطي في مصر سنة ١٩٠٨ مهذّباً لعبارتهِ مع تصحيحهِ وتذييلهِ بالحواشي . وقد لحظنا انهُ صحّح ما لم يجب تصحيحهُ . ٧ً لهُ في الفاتيكان (١١٥) مقالات لاهوتية في التوحيد والتثليث والاقنوم والطبيعة في ١٤ باباً . ٨ً وكتاب في التوحيد . في باريس (Ms. 173) .

٩ً كتاب فقه النصرانيَّة الجامع للقوانين البيعيَّة والمجامع الشرقيَّة والغربيَّة . منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيَّة (ar. 153) وفي المكتبة الديشيَّة اللورنسية (Ms. 57).

١٠ وابو الفرج هو كما يظهر معرِّب الانجيل المنسوب الى طاطيانوس المدعوّ بديابطاسارون الذي نُشر بالطبع في رومية (سنة ١٨٨٩) ومنهُ قطعة في مكتبتنا وصفناها سابقاً في المشرق (٤[١٩٠١]: ١٠٠—١٠٢). وقد اتَّسع في تعريفها الكاهن الالمانيّ س. اورنفر (Bibl. Studien, XVII.1-71). ولابي الفرج بن الطيب مقالة ينكر فيها على مريم العذراء كونها ام الله على رأيهِ النسطوري وقد ردَّ عليهِ يحيى بن عدي. في مكتبة الشرفة نسخة من هذا الردّ الحسن. وقد نشرنا لهُ مقالة في شريعة العدل وفي شريعة الفضل رواها ابن العسال في كتاب اصول الدين

٦٨ ﴿ ابو قرَّة ﴾ تاودورس اسقف حرَّان الملكيّ (٧٤٠—٨٢٠). ١ً اول ما نشر لهُ في المشرق (سنة ١٩٠٣ ص ٦٣٣) حضرة الخوري قسطنطين الباشا ميمرهُ البديع في تحقيق ناموس موسى والانجيل الطاهر وتحقيق الارثوذكسيَّة وابطال كلّ ملَّة تنتحل النصرانيَّة سواها. ثم طبعهُ على حدة واضاف اليهِ ترجمة افرنسيَّة. ٢ً ثمَّ نشر في بيروت ميامرهُ في عدد تسعة نقلًا عن نسخة خطيَّة في مكتبة دير المخلّص وقد سعى حضرة الكاهن الدكتور جورج غراف (Dr G. Graf) في نقل هذه الميامر الى الالمانية مع مقدّمات وشروح وزيادات (Paderborn, 1910, pp. 336). ٣ً ولابي قرَّة في المتحف البريطاني (Or. 4940) نسخة خطيَّة قديمة راتبة الى القرن التاسع (٨٧٧م) تحتوي على بعض مقالاتهِ نشر منها سنة ١٨٩٧ العالم الالماني جان ارندزن (Arendzen) مقالة في عبادة الصور مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وحضرة الاب لويس معلوف في المقالات الدينيَّة القديمة خطبته في تأنس الله الكلمة (المشرق ٦ [١٩٠٣]: ١٠١١—١٠٢٣). ٤ً وقد نشرنا لهُ ايضاً في المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٧٥٧ و٨٢٥ ميمرًا جليلًا في وجود الخالق والدين القويم عن نسخة في دير الشير. ٥ً ويُروى لابي قرَّة مجادلات لاثبات الدين النصراني مع شيوخ مسلمين بحضور الخليفة المأمون في مكتبة باريس (Mss, 70[4], 71[3], 198[3], 251[5]) وفي مكتبة الفاتيكان (Vat. 136). ولابي قرَّة جدال مع عبد يشوع النسطوري وابي رائطة اليعقوبي. في مكتبة باريس (Ms. 215[4]) ولهُ ايضاً في مخطوطات مكتبتنا ميامر في التوبة وغيرها لم تطبع بعد

٦٩ ﴿ابو نوح﴾ عبد المسيح الانباري كان كاتباً للجاثليق النسطوري طيموثاوس الكبير في القرن التاسع . لهُ في قائمة ابي بركات بن كبر مجائل واجوبة في معنى الاعتقاد وقد ذكر لهُ عبد يشوع الصوباوي تاليف سريانيَّة (Bibl. Or. III¹, 212) منها تفنيد للقرآن

٧٠ ﴿ابوجي﴾ الاب لويس اليسوعيّ توفّي في ١٦تموز ١٨٩٦ . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة تعليم العصمة البابويَّة على طريقة السؤال والجواب تاريخهُ سنة ١٨٨١وقاعيَّة لعيد القديس لويس غونزاغا . وقد طُبع لهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة عشرة كتب دينيَّة وجدليَّة وتاريخيَّة ولغويَّة وجغرافيَّة .ولهُ مقالات تاريخيَّة ورسائل عديدة عن الشرق بالافرنسيَّة منها مطبوعة ومنها مخطوطة

٧١ ﴿ابيفانيوس﴾ اسقف قبرس القديس المتوفّى سنة ٤١٢ م . يوجد باسمهِ في العربيَّة دون ذكر اسم المعرّب : ١ً كتابهُ الاكساميرون (ἑξαήμερος) في شرح ستَّة أيام الخليقة .منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة في الكتابين الموسومين بالعددين ٤٢و٤٣ من القرن السابع عشر وقد ذكرهُ ابو البركات في قائمتهِ (Riedel, 648) . ٢ً ولهُ في عدَّة مجاميع من مكتبتي باريس والفاتيكان وفي مكتبتنا الشرقيَّة وغيرها ميامر شتَّى في احد الشعانين وفي دفن جسد الربّ وفي العذراء مريم . .وذكر لهُ ابو البركات كتاب الهوجل (قال انها بمعنى المرسى (Ἀγκυροβόλος)

٧٢ ﴿اثناسيوس الاسكندريّ﴾ القديس الرسولي بطريرك الاسكندريَّة المتوفّى سنة (٣٧٣م) : ١ً يُنسب لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة (ع ٣٨) كتاب البرهان في تحقيق الايمان في اخصّ المعتقدات النصرانيَّة لوحدانيَّتهِ تعالى وتثليث اقانيمهِ . وقد بيَّنا في المشرق (٧[١٩٠٤]: ٤٨٨) انّ الكتاب نفيس وانَّما نسبتهُ الى القديس اثناسيوس ليست بصحيحة . ومثلهُ مقالات ثلث تتبع هذا الكتاب الاوَّل في تجسُّد ابن الله ولاهوته وتفنيد اراجيف اليهود . تاريخ هذه النسخة سنة ١٦٨١م (Cfr. Or. Chr. 1914, p. 104) ٢ً . كتاب الردّ على اليهود في المكتبة الفاتيكانيَّة (Ms 100¹ et 645⁴) . ومن هذا الردّ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة في آخر كتاب الغصن الوريف في معنى القدّاس الشريف (ص ١٠٠—١١٢) . ٣ً وفي مكتبة الثلثة الاقمار (ع ٣٣١) عظات وميامر للجليل في القديسين اثناسيوس بطريرك الاسكندريَّة . ٤ً وكذلك

لهُ بعض الخطب في مجاميع مياصر للاعياد السنويَّة في مكتبتنا الشرقيَّة وغيرها سبق لنا وصفها . ومما ذكرهُ ابو البركات للقديس اثناسيوس الاسكندري ولم نجدهُ حاضراً كتابٌ في شرح المزامير ثم ٤٥ مسألة واجوبة بينهُ وبين انتيوخس العجمي في معنى التوحيد والتثليث والامانة . ورسالة الى قسطنطينوس الملك لما رُدَّ من المنفى الى كرسيه . ثم مقالتان في الإنباء بما يكون والتحريض على الثبوت في الايمان

٧٣ ﴿اثناسيوس الانطاكي﴾ هو البطريرك اثناسيوس الرابع دبَّاس الدمشقي المتردد بين الكثلكة والانشقاق توفي في حلب سنة ١٧٢٤ . نُعرف لهُ التآليف الآتية : ١ً مجموع مواعظ لآحاد واعياد السنة . منهُ نسخة في مكتبة انتشار الايمان في رومية . وفي مكتبة الكلدان في ماردين (ع ١٠٠) تاريخها سنة ١٧١٩ . ٢ً كتاب شرح القداس دعاهُ منهاج اللاهوت في خدام الكهنوت . منهُ نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٣ً كتاب التعليم المسيحي . ٤ً اخرج من اليونانيَّة الى العربيَّة خمسة كتب في صناعة الفصاحة منهُ نسخة في مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت تاريخها سنة ١٨٣٣ ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ احداهما سنة ١٨١٣ ٥ً تاريخ المجامع عرَّبهُ عن اليونانيَّة واللاتينيَّة . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب تاريخها سنة ١٧١٧ وفي مكتبة دير الشرفة . ٦ً تعريب تأليف مار باسيليوس كتاب صلاح الحكيم وفساد الذميم . في مكتبة القس بولس سباط (ROC, XIV. p. 352) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفيها يقال انَّ المطران جرمانوس فرحات اصلح تعريبهُ وكتبهُ القس عبد المسيح الحلبي الماروني سنة ١٧٣٠ . ٧ً وقد عرَّب ايضاً من اليونانيَّة اعمال المجامع المسكونيَّة الاولى الاربعة في نحو ٢٠٠٠ صفحة . منهُ نسخة في عدَّة مجلَّدات في مكتبة الموارنة في حلب تاريخها سنة ١٧٤٣ وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ مجمع نيقية والقسطنطينيَّة الاول ومجمع سرديكي . ٨ً كتاب توضيح كيفيَّة التوبة والاعتراف فيما يلزم المعترف والمعرِّف . في حلب في مكتبة الوجيه نقولا ايوب . وهذا الكتاب طبع في حلب سنة ١٧١١ . ٩ً وكتاب منهج الصلاح لبغية النجاح في مكتبة الروم في حلب (النعمة ٢ : ٤٠٨) . ١٠ً وطبع في بلاد الفلاخ التنداق والسراعيَّة عربيًّا ويونانيًّا . ١١ً ولهُ تعريب التريودي نقحهُ المطران فرحات منهُ نسخة عند الخورفسقفوس جرجس شلحت في حلب .

١٢ ومن كتبه الهرطوقيَّة تعريبهُ رسالة ضدّ الايمان الروماني في السبع القضايا. وقد ردّ عليهِ الشمّاس عبدالله زاخر. ١٣ وكذلك عرَّب كتاباً آخر ضدّ الايمان يعرف بصخرة الشكّ سعى بطبعهِ في انكلترة ثمَّ طُبع في روسيَّة. (اطلب ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات ص٩٩ من نسختنا الخطّيَّة)

٧٤ اثناسيوس الاورشليمي هو اثناسيوس الرابع بطريرك الروم على القدس الشريف (١١٥٢–١١٦٨): لهُ ١ كتاب مواعظ عددها ٦٦ عظة للاعياد والآحاد. منهُ نسخة في مكتبة برلين (Ahlwardt, IX, n° 10194) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة مدرسة الصلاحيَّة في القدس (Or. Chr. IV. 1914, p. 105, n° 35) وفي مكتبة القبر المقدَّس فيه. وهذه المواعظ طُبعت في حلب سنة ١٧١١. ٢ وقد نقل الى العربيَّة كتاب الدرّ المنتخب ليوحنَّا فم الذهب. منهُ نسخ خطّيَّة عديدة في حلب وبيروت وقد طبع الكتاب في حلب سنة ١٧٠٧. وهو الكتاب الذي نقَّحهُ سنة ١٨٧١ الشيخ ناصيف اليازجي وطبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ٣ ولهُ في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة اربع عظات في عيد التجلّي وفي دخول العذراء للهيكل وفي نياح العذراء وفي صعود الربّ

٧٥ اثناسيوس التوتنجي هو اثناسيوس الحلبي مطران طرابلس المتوفى في ٢٩ شباط ١٨٧٤ (اطلب المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٤٠٧). لهُ في مكتبة حضرة الآباء البيض في الصلاحيَّة في القدس الشريف مجموع مواعظ (Or. Chr. l. c., p. 112, n° 43)

٧٦ اثناسيوس مظلع مطران حمص ثمَّ مطران بيروت ولبنان الاورثذكسي سنة ١٨٠٤–١٨١٤ هو معرّب كتاب البرق الانجيلي للشمّاس مكاريوس مثنّى مدرسة بطمرس. في مكتبة الروم في دمشق. طُبع الكتاب في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت في مجلّدين ١٨٨٨–١٨٨٩. ٢ ولهُ في مكتبتنا الشرقيَّة مقالة مخطوطة في اليا النبي كتبها وهو مطران حمص سنة ١٧٩٠

٧٧ اثناسيوس مطروبوليت عكّا كان في اواسط القرن التاسع عشر عرَّب سنة ١٨٢٤ من اليونانيّ مقالات انبيوخوس المتوحّد في دير القديس سابا. منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدَّس للروم في القدس (ع ٨٣)

(لهُ تابع)

الاب شربل

حبيس عنّايا القديس

بقلم حضرة القس طانيوس شبلي الراهب الماروني

عنايا ودرها ومحبسها

على ابهى تلّ من تلال لبنان في جهتهِ الشمالية دير للرهبانية المارونية البلدية يُعرَف بمار مارون عنّايا موقعهُ شرقي حجُولا يبعد عن قرية اهمج زهاء نصف ساعة غربيًّا ويعلو فوق سطح البحر بنحو ١٢٠٠ متر . وعنّايا (١ هذه التي نُسب اليها الدير مزرعة من مزارع جبيل كان يسكنها قبل القرن التاسع عشر قومٌ من المتاولة اهل الشيعة فانتقل اسمها الى الدير لمّا ابتاع الرهبان بمالهم ارضهُ وشيّدوهُ فيها في السنة ١٨٣٩ حتّى انتهوا منهُ ومن بناء كنيستهِ في السنة ١٨٤١ إثر المصائب التي دهمتهم في السنة ١٨٤٠ بجلول العساكر المصرية في لبنان

وفوق هذا الدير على علو نحو مئة متر ربوةٌ يمتدُّ منها البصر الى افق فسيح الارجاء فيرى الناظر قسماً كبيراً من لبنان وتقرُّ عينهُ بمشاهد فتّانة تأخذ بمجامع قلبهِ من صرود وجرود وجبال ووهاد ومزارع واحراج . فعلى هذه الرابية قامت صومعةٌ صغيرة مؤلّفة من خمس غرف ضيّقة يسكنها الحبساء والنسّاك من رهبانيّتنا وبجنبها كنيسة على اسم القديس بطرس وبولس مكتنفة باشجار السنديان الكثيفة

وهذه المحبسة وكنيستها سبقتا بناء الدير ومحلّتها تُعرف بمحلّة الرُّوَيس كانت من املاك المشايخ بيت ملحم الشيعيين وهم يدعونها « بالنبيّ رأس » امّا المسيحيّون فكانوا يطلقون عليها اسم مقام التجلّي لمّا اشتراها في العشر الثاني من القرن التاسع

١) عنّايا لفظة سريانيّة فسّرها البعض بمعنى المتني (حُلُمُل) . وعندنا انها مشتقّة من (حُلُمُل) او من جمعها (حُلُمّل) ومعناها العبّاد والرهبان لعلّهم اشاروا باسمها الى الذين نسكوا فيها في سابق الاجيال فعادت بناء دير مار مارون الى ارباجا

عشر من الشيخ حسن ملحم رجلان فاضلان من اهمج اسمهما يوسف ابو رميا وداوُد موسى عيسى خليفة . وكانت غايتهما ان ينقطعا هناك الى عيشة النُّسك فزهدا بالعالم ولبسا اسكيم الرهبان المعروفين بالعبّاد من يد البطريرك يوحنّا الحلو . ثمّ عُنيا ببناء الكنيسة سنة ١٨١٢ . ودرس داوُد اللاهوت فصار كاهناً ودُعي باسم بطرس وانضمّ اليهما عدّة شبّان من اهمج وعاشوا على طريقة الرهبان العبّاد . الى ان طلبوا الانضمام الى الرهبانيّة اللبنانية البلديّة في عهد الطيّب الذكر الاب اغناطيوس بليبل الذي تولّى رئاسة الرهبنة العامّة مدّة سبعة مجامع متواصلة من السنة ١٨١١ الى ١٨٣٢ . فسلّم الاب بطرس كلّ ما في يده من الاملاك الى الرئيس العام تسليماً باتّاً شرعيّاً

ومن ذاك الحين دخل محبسة مار بطرس عنّايا رجالٌ من ذوي البرّ والفضل العظيم كالاب البشاع الحرديني الذي قضى ٤٤ سنة في تلك المحبسة (١٨٣٠—١٨٧٥) وكالاوين ليباوس الراماتي ومكاريوس المشمشاني ولكلّهم اخبار تدلُّ على قداسة سامية نرويها ان شاء الله عند سنوح الفرصة ليتحقّق اهل الوطن الكرام انّ يمين الله لم تقصر في كنيستهِ وانهُ تعالى عجيب في قدّيسيهِ . ونحن نكتفي الآن بذكر نبذة قصيرة عن احد المجاهدين في تلك المحبسة بنسبة تذكار السنة الخامسة والعشرين لوفاتهِ نزيد بهِ ذاك الحبيس الطاهر الشهرة في انحاء لبنان : الاب شربل الراهب اللبناني الماروني الصالح الذكر المعروف بالاب القديس . مستندين في كلّ ما نرويه الى شهادات مخطوطة وشفاهيّة نقلناها عن سجلّات اديرتنا في قزحيّا وكفيفان او سمعناها من رهبان وكهنة وعالميين موثوق بهم لا شبهة في شهادتهم المؤيّدة بالقسم والمديلة بختومهم وامضائهم

في صدائق الاب شربل ودخوله الرهبنة

ولد الاب شربل في قرية بقاع كفرا من والدين تقيَّين ربّياهُ على خوف الله من صغرهِ وعوّداهُ منذ نعومة اظفارهِ الصوم والصلاة وحضور القدّاس كلّ صباح فشبّ الولد على هذه الخلال الطيّبة والمزايا الحميدة التي رآها محسّةً في والديهِ فحذا حذوهما . وما كادت الدنيا تكشف لهُ عن زخرفها واباطيلها وتجلّى لباصرتهِ مصير الانسان وعاقبة الحياة حتّى كره العالم وزهد في شهواتهِ . واذ رأى الرهبان وعرف

طريقتهم النسكيّة احبَّ ان ينتظم في سلكهم . فانسلَّ من بيت والديهِ سرًّا لئلّا يصدَّهُ احدٌ من اقاربه عن بلوغ غايتهِ وتوجَّه الى دير مار مارون عنّايا راجياً الدخول في عداد الطالبين . وما لبث اهلهُ ان علموا بفرارهِ الى الدير فأتى عمّه ليثنيهُ عن عزمهِ واجتهد ليردَّهُ الى بيت والديهِ فوجدهُ مصمّماً على نيَّتهِ لا يقتنع بكلام بشر بازاء دعوة الله فرجع عنهُ خائب الامل

امّا رئيس الدير فلمّا رأى ثبات الشابّ توسَّم فيه الخير واستدلَّ من ملامحهِ على نجابتهِ ورصانتهِ فقبلهُ في جملة المبتدئين وكان ذلك في السنة ١٨٥١ ولهُ من العمر ١٨ سنة . فانقطع منذ اوَّل نسكهِ الى خدمة ربّهِ بكلّ نشاط وتُقى واكتسب بسلوكهِ الحسن وفضيلتهِ الراسخة قلوب اخوانهِ ورؤسائهِ واشتهر في زمن ابتدائهِ بطاعتهِ وسذاجتهِ وخلوص عبادتهِ

ولمّا اكمل سنتي التجربة البسهُ رئيسهُ الاب انطونيوس الباني الاسكيم الرهباني في غرّة ت ١ سنة ١٨٥٣ . وبعد ابرازهِ النذور الرهبانيّة اقام مدّة في الدير ثمَّ ارسلهُ الرؤساء الى مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان ليتلقّى فيها العلوم استعدادًا للكهنوت . فاجتمع هناك برهبان ذوي فضل وفضيلة نخصُّ منهم بالذكر رجل الله الاب نعمة الله الحرديني المعروف براهب كفيفان (١ الشهير بقداسة سيرتهِ فتعطّر الاخ شربل بشذى فضيلته وحضر وفاتهُ الصالحة في ١٤ ك ١ ١٨٥٨

ثم اخذ يثابر على الدرس مكبًّا عليهِ بغيرةٍ لاتعرف الملل دون ان يتهامل البتّة عن ممارسة الفضائل الرهبانيّة بل كان يتقدّم كال نفسهِ على كلّ شيء . وكان يدير شؤون مدرسة كفيفان رجل بالغ الصلاح المرحوم الاب نعمة الله الكفري الشهير بفضلهِ وعلمه فدرس عليهِ اللاهوت الادبيّ والنظري مع اصول اللغة السريانيّة . وبعد ستّ سنوات رقّاهُ المطران يوسف المريض مع عدّة من اخوانهِ التلاميذ الى الرتبة الكهنوتيّة بامر السيد البطريرك برلس مسعد وذلك في دير سيّدة بكركي في شهر نيسان من السنة ١٨٥٩

١) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٦٠٥) تحت عنوان «زهرة لبنان في راهب كفيفان»

قدوة الرهبان

استدعى الرؤساء الاب شربل بعد سيامته كاهناً الى دير عنّايا الذي كان ترهّب فيه فاقام هناك عدّة سنين بين اخوته الرهبان يصعد كلّ يوم سلّم الفضائل درجة فدرجة حتّى بلغ اسمى الكمال

وكان معظم همّه الابتعاد عن ضوضاء العالم وسدّ اذنيه عن جلبتها وحبس نفسه بين جدران الدير فاخذ يواظب على التقشفات والاماتات كبحاً لجماح الجسد وقهراً لبوادره واهوائه المنحرفة فما عتّم بلزومه الوحدة والاختلاء ان ذاق لذّة الحياة الروحيّة وشعر بسلام وفرح باطنيّ لا يأنس بهما الّا من تفرّغ لعبادة الله ومناجاته . ومن ثمّ كان يؤثر الموت على الخروج من الدير والمكث في خارجه ولو مدّة قليلة لئلّا تبرد حرارة تقواه المتأجّجة في قلبه . فيقضي معظم اوقاته في الكنيسة جاثياً امام القربان الاقدس غارقاً في بحر التأملات العقليّة لا يأخذه في صلاته ملل او سأم

وكان اذا امره رئيسه بالذهاب الى قرية لخدمة روحيّة او للصلاة على رأس مريض لبّى من وقته اوامر الطاعة ثمّ يعود في اليوم ذاته لئلّا يفقد ذرّة من نعمة العيشة الرهبانيّة . امّا اذا أمر بمساعدة الرهبان في شغل الحقل فكان يطيع فرحاً مسروراً ولم يُرَ قطّ بطّالاً ولو زمناً قليلاً

ولمّا كانت عادة رهبان ديره ان ينهضوا نصف الليل ليتلوا الفرض القانوني في الخورس ثمّ يعودوا بعده الى النوم ريثما يقرع جرس صلاة الصباح كان الاب شربل يقضي باقي ليله ساهداً يحييه كلّه بالتردّد مع الله منخطف الروح في مناجاته تعالى ولا يخرج من الكنيسة الّا بعد ان يتلو مع اخوته صلاة الصبح وفي آخر الجميع

وكان يحضر قداديس كل اخوته الكهنة ويستعدّ استعداداً طويلاً لتقدمة الذبيحة الالهيّة في اثرهم جميعاً فاذا باشره تلاه بكل خشوع وورع تلوح على كلّ شخصه سمات الرزانة والتواضع وربّما قضى في تلاوته ساعة او اكثر لاستغراقه في اثنائه بالتأمل ولحرصه على اتقان كل الفرائض الطقسيّة والرتب الكهنوتيّة

وكان الاب شربل مغرماً بتلاوة الكتب الروحيّة لاسيما كتاب الاقتداء بالمسيح فيقرأه بكلّ لذّة واصغاء ليغذي بقوته الروحي نفسه . ولشغفه بالله تعالى وتأمله

الدائم في السماويّات كان يذهل احياناً كثيرة عن كلّ امور الارض حتى لا يكاد يشعر بما يجري حولهُ واذا خاطبهُ احد وجدهُ لاهياً عن استماعهِ وفكرهُ في الامور العلويّة. وكان في غير وقت صلاتهِ قليل الكلام لا يجاوب الّا اذا سُئل تلوح على جبينهِ سمات البشر والوداعة والسكينة ممثّلاً في شخصهِ ما قيل عن سيّدهِ « لا يصيح ولا يماحك ولا يُسمع لهُ صوت » (اشعيا ٤٢: ١—٢) وقصارى الكلام كانت حياتهُ في الدير اشبه بحياة الارواح السماويّة

وبديهيّ ان الحياة الرهبانيّة متوقفة خصوصاً على حفظ النذور الثلثة اي الفقر والعفّة والطاعة. وفي هذه الفضائل الثلث قد بلغ الاب شربل مبلغ الكمال الرهباني

فانّ فقرهُ الاختياري لم يقتصر على نبذ مال العالم ومقتنياتهِ بل اراد ان يعيش كاذلّ الفقراء وأدقعهم سواء كان من جهة الملبس ام المأكل والمشرب او السكن. فمن جهة اللباس لم يختر لنفسهِ الّا ادناهُ فيفرح باعتق الثياب مع اعتنائهِ بنظافتها ويكتفي بالكسوة الخشنة صيفاً وشتاء لا يزيد عليها قطعةً واحدة في ايّام البرد القارس في قمم لبنان حيث ينتصب دير عنّايا. امّا اكلهُ فكان يرضى منهُ بما لا يرضى بهِ الفقراء عينهم فيقتات بكسر الخبز اليابسة او المحترقة والثمار الرديئة. ولم يذق اللحم في حياتهِ واذا قضى صُلب يومهِ مشتغلاً في الكرم كان لا يمدّ يدهُ الى حبّة من العنب ما لم يطعمهُ احد فيتناولهُ كصدقةٍ الى فقير

وكيف نصف عفّتهُ وطهارة قلبهُ فانّ نفسهُ كانت خدرًا لجلالهِ تعالى ومهبطاً لآلائهِ السنيّة. ولا غرو فانهُ كان سدّاً في وجه عدوّ الجنس البشري كلّ منفذ الى نفسهِ لئلّا يشوب ادنى فساد بياضها الناصع. فحفظاً لبهاء هذه الدرّة الكريمة كان يزيد في صومهِ ونسكهِ وتقشّفاتهِ حتّى امسى شاحب الوجه ناحل الجسم اشبه بملاك مُتقمّص بجسد انساني. وكان حريصاً على حفظ حواسّهِ لاسيما بصرهُ فانّهُ قضى حياته دون ان يرفع عينيهِ الى وجه انسان وخصوصاً الى وجه النساء فكان الاسكيم يغطّي ابدًا رأسهُ وجبهتهُ فلا ينظر الّا الى طريقهِ اذا خرج من قلّايتهِ الى الكنيسة او الحقل. وقلبهُ متّجه دون انقطاع الى التأمّل في كمالاتهِ تعالى. فاذا نظرهُ احد انجذب برؤيتهِ الى الافكار الصالحة والى محبة الله

امّا طاعتهُ فكانت طاعة الطفل لوالديه والتلميذ لمعلّمهِ. وقد امتاز بها بين كلّ

الرهبان اخوتهِ يرى في رؤسائهِ شخصهُ تعالى فيتمم اوامرهم كلّها كأنها أوحيت اليهِ من الله . ولم يقصر طاعتهُ على امر الرئيس فقط بل كان ينقاد إلى آخر راهب في الدير ولا يستنكف او يتبرّم اذا أُمر بمزاولة الاشغال الشاقّة في الحقل او بالقيام بخدم الدير الدنيئة كوظيفة الطبّاخ وما اشبه . لا بل كان يُسَرّ سروراً عظيماً بمثل هذه الاعمال التي تسهّل لهُ اقتباس التواضع ويربح بها اجر الراهب الصالح . وقد اضحى لسائر اخوتهِ الرهبان نموذجاً حيًّا في ممارسة الطاعة

سيرة الاب شربل في الحبسة وكراماته

للحبساء في رهبانيّتنا اللبنانيّة قوانين ينبغي مراعاتها لمن يشاء ان يعيش في الخلوة . فالاب شربل بعد ان قضى في الدير نحو خمس عشرة سنة بممارسة كلّ الفضائل الرهبانيّة الهمهُ الله ان يطلب من رؤسائهِ الرخصة في سكنى محبسة دير عنّايا الموصوفة سابقاً فاجابوا الى ملتمسهِ لعلمهم بسموّ فضلهِ . فما كاد يفوز بمرغوبهِ حتى اطلق العنان لكل رغائب قلبهِ الصالح . فضاعف اعمالهُ الزهديّة وزاد استحراراً بالصلاة ونشاطاً في خدمة خالقهِ على مثال الاب اليشاع الحرديني الذي سبقهُ الى الانفراد .

فكان لا يأكل بالنهار الّا اكلةً واحدة خفيفة يغتذي ببعض البقول المسلوقة او التينة واحياناً يبلّها بالزيت . وكان ينام قليلاً ويضطجع على فراش من ورق العنص والسنديان ولحاء الشجر يبسط عليهِ بَلاساً من جلد المعز وقطعةً عتيقة من اللبّاد ويسند رأسهُ الى جذوةٍ من الحطب ملفوفة بخرقة عباءة سوداء . وكان يدرس عيشة كبار الحبساء الزهّاد ليقتدي بهم . فيقضي الليل والنهار بالتأمل والصلاة يردّد في ذهنهِ الحقائق الدينيّة ويطبع في قلبهِ ذكر عواقب الانسان . وكان يُرى ساجداً امام القربان ساعات متواصلة لا يُبدي حراكاً . ومن تقشفاتهِ انهُ كان يركع في الكنيسة على قضبان جاسية محبوكة على شبه دائرة يسترها بقطعة عباءة سوداء

واراد في محبستهِ ان لا يفقد شيئاً من اجر الطاعة . فكان في كلّ مدّة اقامتهِ فيها مقيّداً باشارة رفيقهِ او خادمهِ يطيعهما اطاعة العصا للاعمى فلا يباشر عملاً الّا عن اذنهما فما لبث ان انتشر عرف هذه البنفسجة الخفية وذاع خبر رجل الله في انحاء لبنان الشمالي فاخذ الناس يقصدونهُ لينالوا بركتهُ ويطلبوا شفاعتهُ ويلتمسوا منهُ شفاء

امراضهم وكان الاب شربل يأبى أن يكلّمهم حتى تقدّم اليهِ رئيسهُ باستقبالهم فكان يفعل مرغوماً ويقلّل مواجهتهم طاقة جهدهِ مطرقاً الى الارض. امّا النساء فلم يشأ البتّة ان يقتربنَ من محبستهِ حتى اقربهنّ اليهِ

وقد ظهرت على يدهِ كرامات عديدة يتّفق الجميع على انها ثمرة قداستهِ وعظم حظوتهِ عند الله . نكتفي بذكر شيء منها ممّا شهد عليهِ الكثيرون

فمن ذلك انّ الجراد زحف في احدى السنين على لبنان فغطّى بطونهُ وحزونهُ وألحق ضررًا كبيرًا بالمزروعات فصلّى الاب شربل على الماء بأمر رئيسهِ فلمّا رُشّ على الزرع في مزارع دير عنّايا وجوارها لم يَعُد يقربها الجراد وسلمت من اذاها

ومنها انّ عارضاً من الجنون اصاب المدعو جبرائيل سابا من اهمج أدّى بهِ الى اسوإ الاعمال حتى نغّص عيشة والديه فشفاهُ الاب شربل تماماً بالصلاة على رأسهِ

وانقضّت الصاعقة يوماً على شابٍ آخر من اهمج اسمهُ سابا طنوس موسى فتقوّس ظهرهُ واشتدّ المهُ حتى بقي عدّة سنوات لا يستطيع ان يمشي ويقاسي منها الاوجاع دون ان ينجع فيهِ دواء فنقلوهُ الى زيارة الاب شربل وكانت جثّتهُ بعد وفاتهِ معروضة في الكنيسة فمسح الشابّ يدهُ عليها ثمّ امرّها على موضع الوجع فشفي تماماً كما قرّر ذلك بشهادته

ومن غريب ما حدث للاب شربل انهُ في مساء يوم وضع سراجهُ في المطبخ ليعمّرهُ وكيل الكلار بالزيت فاخذهُ بعض الخدم وصبّ فيهِ ماء واعطاهُ للاب شربل زاعماً انهُ مملوء زيتاً . فاشعلهُ الاب شربل واستضاء بهِ في ليلهِ كأنهُ زيت. فاحسّ بهِ رئيسهُ وكان امر في غيبة الاب شربل بان تُطفأ السرج ليلاً فلم يعلم بامرهِ فدخل عليهِ الرئيس ونبّهُ على ايقادهِ السراج فركع الاب شربل حالاً لرئيسهِ مستغفرًا دون ان يعتذر عن جهلهِ بامرهِ . ثمّ اطفأ السراج ورقد. لكن شمّاساً اعلم الرئيس بما فعل الخادم وكان رآهُ يصبّ الماء في السراج. فتعجب الرئيس من قولهِ واراد ان يمتحن السراج فوجدهُ مملوءًا بالماء فاضطرب وطلب المسامحة من مرؤوسهِ لتوبيخهِ اياه

وفاة الاب شربل ومعجزاته بعد وفاته

بقي الاب شربل مثابرًا على كلّ اعمال النسك بثبات عجيب يزيد كلّ يوم كمالاً

قدّام الله والناس . وهو مع كلّ شظف عيشهِ وتقشّفاتهِ متمتعاً بتمام الصحّة الى اواسط كانون الاوّل سنة ١٨٩٨ . فلمّا كان يوم الجمعة ١٦ من الشهر شرع الاب بتلاوة الذبيحة على مألوف عادتهِ وانتهى الى كلام التقديس فشعر اذ ذاك برجفة ووجع قلب فتقدّم اليهِ الاب مكاريوس رفيقهُ ونزع عنهُ البدلة وسار بهِ الى قلّايته وبعد ان استراح قليلاً عاد ليتمّم الذبيحة وبلغ الى رفعة الكأس والقربان حيث يتلو الكاهن الصلاة التي اوّلها ܐܒܐ ܕܩܘܫܬܐ (ايها الآب الحقّ) فرفع الكأس وعاودهُ العارض نفسهُ فاستمرّ دون حراك مدّة بضع دقائق والكأس في الملاء الى ان تمكّن رفيقهُ من فتح اصابعهِ واستلام القربان من يدهِ فوضعهُ على الهيكل وحمل الاب شربل الى غرفتهِ . فكان هذا آخر قدّاس تلاهُ ولم يتمّهُ

وكان الداء الذي حلّ بهِ هو الفالج فاسى اوجاعهُ المرّة مدّة ثمانية ايّام لم يعلُ لسانهُ في خلالها عن شكر الله والتسليم لارادتهِ تعالى . وكان لا يزال يستمين باسم يسوع ومريم ويوسف وبالقديسين بطرس وبولس . واذ اشتدّت عليهِ وطأة المرض غاب عن الهدى وهو يردّد الصلاة السريانيّة التي كان بلغ اليها في قدّاسهِ الاخير «ايها الآب الحقّ» وكان رفيقهُ الاب مكاريوس وحضرة الخوري مخائيل ابي رميا اهمج يتناوبان في خدمتهِ ويقرأان لهُ الكتب الروحيّة ومنحاهُ الاسرار الاخيرة فقبلها بكل ورع وخشوع . واذ قدّما لهُ حساء ليسند بهِ ضعفهُ لم يشأ ان يذوقهُ اذ عرف انّ فيهِ سمناً لأنّ تلك الايام كانت قطاعة الميلاد . وكانت الكلمة الاخيرة التي تفوّه بها في نزاعهِ صلاة الذبيحة السابق ذكرها . ثمّ اسلم روحهُ بكلّ هدوء مساء اليوم ٢٤ من كانون الاوّل وهو يعيّدون عيد الميلاد كأنّ الله اراد ان ينقلهُ الى جنان الخلود فيولد للسماء يوم ولادة ابن الله على الارض

كانت حفلة جناز الاب شربل بسيطة لكنّها مؤثّرة جدّاً قام بها اخوتهُ الرهبان وبعض الاهلين المجاورين لعنّايا وكلّهم يردّدون كلمة الاسفار المقدّسة : « فلتمت نفسي ميتة الابرار » . ودُفن في مقبرة الدير . وقد شاهد كثيرون من العوام ليلة دفنهِ نوراً يتلألأ فوق ضريحهِ كان كشعاع وهّاج يعلو حيناً ويهبط حيناً آخر . واخذ الزوّار منذ ذاك الوقت يتواردون الى قبرهِ . وهم يروون لهُ عدّة كرامات تتجدّد الى يومنا هذا

وبعد بضعة اعوام طلب رئيس دير عنّايا المرحوم القس انطونيوس المشمشاني من غبطة السيد البطريرك الحالي الاذن بفتح قبره ليكشف عن رفاته فاذن غبطته فوجدوا جسمهُ سالماً من الفساد رغماً عن المياه النازلة في القبرة الّا ان قشرةً سميكة من العفونة كانت تغطّي وجههُ ويديهِ وصدرهُ . فلمّا كُشطت بان جسمهُ محمّرًا وجرى من خاصرته دمٌ طري ممزوج بماء فنزعوا عنهُ ثيابهُ وبدلوها بغيرها ووضعوهُ في تابوت في غرفة خاصّة حيث تقام الذبيحة الالهيّة كلّ يوم ويأتي الزوّار ليتبرّكوا بنظرهِ وتنبعث من جسمهِ الى اليوم رائحة طيّبة وينضح منهُ مادّة كالعرَق مع انهُ قد مرَّ على وفاتهِ ٢٤ سنة . ويضطرّون الى ابدال ثيابهِ وغسلها من مدّة الى أخرى . وقدشاهد عدّة اطبّاء من اهل بيروت ومن لبنان جثّتهُ وفحصوا ذاك العرَق الذي يفرزهُ جسدهُ الطاهر كالاجسام الحيّة فلم يمكنهم تعليلهُ الّا باقرارهم انَّ ذلك معجزةٌ من الله لاكرام عبدهِ . وهذه شهادة للدكتور الياس العنيسي كتبها حديثاً نوردها بحرفها الواحد

« شاهدت في دير مار مارون عنّايا جثّة وليّ الله الاب شربل . فعند اقترابي من الصندوق الموضوعة به شممتُ رائحة جسيمة لا يمكن التعبير عنها فهي نظير كلّ رائحة تنبعث من الاجسام الحيّة . وبعد نظري الى الجثّة والتأمل ملياً وامعان النظر بها وجدتُ مادّة خارجة من مسام الجلد الامر المستغرب والغير الممكن تعليلهُ طبيعياً في جسم بلا حراك منذ سنين عديدة . وراجعتُ الكشف على هذه الجثّة مرارًا عديدة باوقات مختلفة ولم تزل هي هي . تحريرًا في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢١

كاتبهُ الدكتور الياس العنيسي

هذا ما كتبناه بكل اختصار وفي نيّتنا ان نرويهِ مفصّلًا ان شاء الله . ليتمجّد الربّ في قدّيسيه ويتحقّق اللبنانيّون ان جبلهم لايزال موتعاً بثمار القداسة وانهم ابناء القديسين فيجرون على آثار اجدادهم الابرار

نظر اجمالي في ترقّي العلوم سنة ١٩٢١

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد اودع الله في عالمنا هذا الصغير اسرارًا من العلم تتهافت العقول على اكتشافها

وبعد بضعة اعوام طلب رئيس دير عنّايا المرحوم القس انطونيوس المشمشاني من غبطة السيد البطريرك الحالي الاذن بفتح قبره ليكشف عن رفاته فاذن غبطته فوجدوا جسمهُ سالماً من الفساد رغماً عن المياه النازلة في القبرة الّا ان قشرةً سميكة من العفونة كانت تغطّي وجههُ ويديهِ وصدرهُ . فلمّا كُشطت بان جسمهُ محمّرًا وجرى من خاصرته دمٌ طري ممزوج بماء فنزعوا عنهُ ثيابهُ وبدلوها بغيرها ووضعوهُ في تابوت في غرفة خاصّة حيث تقام الذبيحة الالهيّة كلّ يوم ويأتي الزوّار ليتبرّكوا بنظرهِ وتنبعث من جسمهِ الى اليوم رائحة طيّبة وينضح منهُ مادّة كالعرَق مع انهُ قد مرَّ على وفاتهِ ٢٤ سنة . ويضطرّون الى ابدال ثيابهِ وغسلها من مدّة الى أخرى . وقدشاهد عدّة اطبّاء من اهل بيروت ومن لبنان جثّتهُ وفحصوا ذاك العرَق الذي يفرزهُ جسدهُ الطاهر كالاجسام الحيّة فلم يمكنهم تعليلهُ الّا باقرارهم انَّ ذلك معجزةٌ من الله لاكرام عبدهِ . وهذه شهادة للدكتور الياس العنيسي كتبها حديثاً نوردها بحرفها الواحد

« شاهدت في دير مار مارون عنّايا جثّة وليّ الله الاب شربل . فعند اقترابي من الصندوق الموضوعة به شممتُ رائحة جسيمة لا يمكن التعبير عنها فهي نظير كلّ رائحة تنبعث من الاجسام الحيّة . وبعد نظري الى الجثّة والتأمل ملياً وامعان النظر بها وجدتُ مادّة خارجة من مسام الجلد الامر المستغرب والغير الممكن تعليلهُ طبيعياً في جسم بلا حراك منذ سنين عديدة . وراجعتُ الكشف على هذه الجثّة مرارًا عديدة باوقات مختلفة ولم تزل هي هي . تحريرًا في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢١

كاتبهُ الدكتور الياس العنيسي

هذا ما كتبناه بكل اختصار وفي نيّتنا ان نرويهِ مفصّلًا ان شاء الله . ليتمجّد الربّ في قدّيسيه ويتحقّق اللبنانيّون ان جبلهم لايزال موتعاً بثمار القداسة وانهم ابناء القديسين فيجرون على آثار اجدادهم الابرار

نظر اجمالي في ترقّي العلوم سنة ١٩٢١

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد اودع الله في عالمنا هذا الصغير اسرارًا من العلم تتهافت العقول على اكتشافها

فتذخر لها بالوقوف عليها مجداً اثيلاً . وانما المجد قبل كلّ لذاك الذي حصر في ارضنا كل هذه العجائب التي لم يستنفدها العلماء منذ اوّل العالم الى يومنا بل لن يستنفدوها الى آخر الدهر

فهلمّ نذكر شيئاً ممّا توفق ارباب البحث على اكتشافهِ في العام المنصرم مباشرةً بالعلوم الفلكيّة

١ العلوم الفلكية

بقي الفلك الوفاً من السنين ككتاب مطويّ لا يستطيع الانسان فتحهُ فيبدُ ما يراهُ من القبّة الزرقاء جلداً من الزجاج مرصّعاً بمسامير من الذهب هي الكواكب . الى أن اتت الآلات الفلكيّة كالنظّارات والمجاهر فساوقتنا على حقيقة الامور . الّا انّ اكتشافات عصرنا قد فاقت على كلّ ما سبق اكتشافهُ في القرون السابقة

ولكن كم بقي هناك من الامور الغامضة والمشاكل العويصة التي يحيط العلماء كلّ يوم عن بعضها الستار . فهذه سيّارة ارضنا القمر فمع قربه من فلكنا تحير في احواله العقول . فمن ذلك انّ احد علماء اميركة الدكتور بكرنغ (Pickering) من اساتذة جامعة هرفرد زعم في العام الماضي انهُ وجد في القمر آثار الحياة قال انهُ تحقّق وجود مزارع واسعة بواسطة آلاتهِ الرصديّة . الّا انّ العلماء الفرنسويين اثبتوا لهُ انّ ما حسبهُ زرعاً انّما هي بُقَع مخضرّة تُرى بعد طلوع الشمس بزمن قليل حيث تضرب اشعّتها على رؤوس من القمر متبلورة فتُرى للعين خضراء . امّا النبات فلا اثر لهُ في القمر فانّ هذه السيّارة قد جمدت منذ الوفٍ من السنين لا حياة فيها البتّة ولا جوّ لها كارضنا

وممّا ساعد على تحقيق ذلك اطلس القمر الواسع الذي رسمهُ الفلكيّان لوفي وبوزو (Lœvy et Puiseux) من مرصد باريس . وكذلك انتهى مؤخّراً من رسم خارطة جميلة للقمر ولكل انحائهِ وجغرافيّتهِ الطبيعيّة المسيو دي مورفان (M, de Morvan) احد اعضاء المرصد المذكور

وفي هذه الخارطة دلالة على شقوق كبيرة شبه القموع زعمت احدى المجلّات الوطنيّة انّها حدثت بسقوط نيازك على القمر . والصحيح انّها آثار في القمر يوم كانت نيرانهُ متأججة وقشرتهُ الخارجة خفيفة فحدثت فيه نتوآت وانخفاضات شتّى تُرى آثارها في المراصد الكبرى . .

وقد حدث في العام الماضي كسوفان للشمس كان احدهما إكليلياً في ٨ نيسان والثاني كاملاً في ١ تشرين الاوّل. وخسوفان للقمر في ٢٢ نيسان و ١٦ تشرين الاوّل. لم نرَ من كلّ ذلك في بيروت سوى خسوف تشرين الذي انقذ فيهِ بعضُ المتنوّرين من اهل بيروت القمر من مخاليب التنين فاستحقّوا شكرهُ (اطلب المشرق ١٩٢١ ص٨٨٧). وفي السنة الحاضرة يُنتظر كسوفان للشمس يكون الواحد جزئياً في ٢٨ آذار والآخر كاملاً لا يُرى في سوريّة يقع في ١١ ايلول. امّا القمر فلا يُخسف ولا يتهدّده وحش ينبغي ردّ غارتهِ بالطرطقة

امّا النجوم فانّ العام الماضي كشف لنا شيئاً من اسرارها فمن ذلك ما اثبتهُ حضرة الاب رفائيل نخله عن قياس ابعاد النجوم عن ارضنا (اطلب المشرق ١٩٢١ ص٤٤—٤٩) ما تتحير لهُ الالباب وبهِ تعظم في عيننا قدرة الخالق الى حدّ اللانهاية

ومنهُ ما تحقّقوهُ عن التغيير الطارئ على بعض النجوم التي تظهر احياناً ساطعةً نيّرة تكاد تجاري في نورها الكواكب الزهراء ثم لا تلبث ان يضعف نورها حتى تتوارى فلا يقف عليها الناظر الّا باكبر الآلات الراصدة. امّا تعليل هذا التغيير فالبعض نسبوهُ الى دوران هذه الكواكب حول نجوم أخرى فتارةً تقرب منّا وتارةً تبتعد فيزيد او يخفّ نورها بذلك. ويزعم غيرهم انّ في تركيب هذه النجوم والتقلّبات الطارئة عليها ما يزيد نورها سطوعاً احياناً ويضعفهُ احياناً

وقد انتهى منذ امدٍ قريب اصطناع الفرنسويين لاكبر مرآة رصديّة تُعرف الى اليوم قطرها متران ونصف اصطنعوها لمرصد مُنت وِلسون في الولايات المتّحدة. تمكّن الفلكيّون الاميركيّون بواسطتها ان يقيسوا قطر اكبر النجوم وهو النجم المعروف بالغول في كوكبة بيت الجوزاء فوجدوا انّ قطرهُ ٣٠٠ مرّة ازيد من قطر الشمس فيساوي ٤١٥ مليوناً من الكيلومترات

وقد اخترع حديثاً الفلكيّ الاميركي ميشلسن آلةً تمكّن من افراز النجوم المزدوجة عن بعضها سواء ظهرت لبعدها كنجم واحد ام احتجب نجمٌ وراء نجم آخر

٢ الآثار الجويّة

اهتمّ حضرة الاب برلوتي باصلاح مرصد الآثار الجويّة في كساره بعد ما اخربهُ

منهُ الاتراك . لا بل اصبح هذا المرصد بهيئتهِ معهداً علمياً راقياً يدوّن معلوماتهِ ثلثة من آباء رهبانيتنا . وهو ينشر كلّ يوم نشيرةً يتشارك بنشرها رجال الاسطول الفرنسوي في سوريّة وهي تدلّ على ضغط الهواء وجهتهِ وسرعتهِ وعلى حالة السماء من غيم او صفاء وعلى اعلى درجة الحرارة واسفلها وعلى احوال البحر وذلك كلهُ في نقط معلومة اي في كسارة وفي بيروت وفي الاسكندرونة وصور . ومما يفيد عنهُ ايضاً وقوع الزلازل وبُعدها وجهتها . ولهُ كذلك محطّة للتلغراف اللاسلكي تربطهُ مع فرنسة والبلاد الاجنبيّة فانّها تلقّت منذ يوم الاثنين ٦ شباط خبر انتخاب الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر . فهذه الخدم المشكورة ادّت بالاكادميّة الفرنسويّة الى ان تنشّط هذا المعهد فخصّتهُ بهديّة ماليّة كما منحت الدولة الفرنسويّة اصحابهُ الوسامات الشرفيّة

وقد اشتدّت في العام الماضي الحرارة في انحاء اوربّة واميركة وتعدّدت الوفيات بضربات الشمس . وقد نسب العلماء ذلك الى الكلف الذي لحظوهُ في الشمس كما بان لهم سابقاً . وتُوفت في سواحلنا موارد المياه لقلّة ما سقط من الامطار في الشتاء وكأن الله اراد ان يعوّض لنا عنها بغزارة غيوث السنة الحاليّة

وقد مُنيت الصين بالقحط فذهب بالمجاعة الالوف المؤلّفة من سكّانها . فاتت هذه الآفة عبئاً ثقيلاً عليها مع الحرب الاهليّة في بعض ايالاتها . ثم اصيبت ولاية كتشونغ سي بكارثة الزلازل فقُتل ٢٥٠٠٠ من اهلها فكانت ثالثة الاثافي

وقد شعرنا في بيروت بهزّات ارضيّة في نيسان في صباح اليوم ١٢ منهُ وخصوصاً في اليوم العشرين حيث حدثت هزّة شديدة الساعة السادسة مساء سُمع لها دويّ قويّ

٣ الجيولوجيّة والجغرافيّة

دُشن في باريس معهد كبير اهداهُ اميز موناكو لفرنسة وخصّهُ بدرس الهياكل البشريّة المكتشفة في قلب الارض طبيعيّةً كانت او مستحجرةً ليُستدلّ بها بطريقة علميّة على تاريخ الانسان على الارض . وقد قلنا سابقاً انّ لا بأس على الايمان وعلى صحّة الكتاب الكريم مهما ثبت عن قدم بني البشر

ولاميز موناكو خدمٌ اخرى ادّاها لترقية العلوم نوّهنا بها قبلاً اخصّها المعهد

الاوقياني الـذي افرده لدرس اعماق البحار وما في غورهـا من المخلوقات العجيبة كالاصداف والنباتات والحيوانات فأوحى للعلم بعالم جديد لم يُعرَف منهُ الّا النزر القليل (اطلب المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٨٤ و ٢٠٤)

وربَّما كشفت الحفريَّات الارضيَّة عن حيوانات طُمست آثارها منذ قرون عديدة فمن ذلـك وَرَل غريب الشكل يشبه التمساح بعظم جسمهِ ذكرهُ آخرًا الطبيعيُّون وزعموا انهُ كان يسكن الصحاري والمياه معاً كالتمساح

امَّا الجغرافية فان ما حدث في هذه السنين الاخيرة من التقلُّبـات لم يسمح الى الآن بضبط حدود بلاد كثيرة. فهذه بلاد الاناضول وقيليقية قد أُعيدت الى تركية. وهذه ولايات عديدة كانت تُحصى في الامس من روسيَّة وهي تتحوَّل كلَّ يوم الى احكام جديدة . وهذه جزائر بحر سفيد ارشك اليونان ان يعدُّوا عليها سيطرتهم . وهذه جزائر الأنديمنحتها جمعيَّة الامم لانكلترة

٤ الآثار القديمة

منذ تحرَّرت سوريَّة وفلسطين من ربقة الاتراك وجدت الجمعيَّات العلميَّة تسهيلات جديدة للحفريَّات الاثريَّة. وكان في مقدَّمة اهتمامات الجنرال غورو والكولونل نورمان بعد دخول الفرنسويين في سوريَّة وقيليقية انشاء ادارة لجمع الآثار القديمة في متحفي بيروت وآطنة. وقـد خصَّ الاثريّ الشهير المسيو بوتيه (M. Pottier) مقالة ممتعة بوصف متحف آطنة وما أُودع فيه من الآثار المهملة او المتفرقة كالنواويس والتماثيل والخزفيَّات والمعدنيَّات منها اشوريَّة ومنها حثية او يونانيَّة او ارمنيَّة (١

وهناك ايضاً عدَّة كتابات يونانيَّة ولاتينيَّة منثورة في الرخام وُجدت في طرسوس وقره طاش واطنة بعضها نصرانيَّة وبعضها وثنيَّة بينها آثار مدافن او انصاب يشكر فيها الاهلون لبعض كبار المأمورين او الاعيان وبينها ايضاً اعمـدة لتعريف حدود البلاد . وقـد شرح حضرة الاب رينه موترد هذه النصوص وبيَّن فوائدها

امَّا متحف بيروت فقد عُهدت نظارتهُ الى الاثريّ المسيو فيرولو (M. Virolleaud) وقد جمع حتَّى الآن بعد سلفيهِ المسيو شامونار (M. J. Chamonard) والمسيو بروتي

(١) اطلب مجلة « Syria » ج ٢ سنة ١٩٢١ ص ٥٩١ — ٦٠٢

(M. Brossé) الوفاً من القطع الاثريّة من عهد الحثيين والفينيقيين واليونان والرومان لتُعرض في المتحف اذا ما تعيَّن لهُ معهدٌ واسع . وقد دخلت مجموعات كليتنا الاثريّة وعددُها لا يقلّ عن بضعة الوف من القطع في جملة آثار المتحف وسوف تُعرض مع الدلالة على جامعيها

ونلفتُ نظر اهل بيروت خصوصاً الى مقالة مستجادة للمسيو دومنيل دوبويسون (Du Mesnil du Buisson) نشرها في مجلة (Syria) وصف فيها استحكامات بيروت القديمة في اطوارها المختلفة قبل عهد الصليبيين ثمّ في ايام تملُّكهم عليها ثمّ ابنية الامراء الدروز وخصوصاً ما يُنسب منها للامير فخر الدين قرقماز واخيراً الابنية الحديثة في دولة الاتراك وعلى الاخص بنايات احمد باشا الجزّار في اواخر القرن الثامن عشر . وقد شفع هذه الاوصاف بعدّة رسوم وتصاوير متقنة تساعد على ادراك تاريخ بيروت وتحصيناتها . فنشكر حضرة الكاتب على احيائهِ دفائن مدينتنا وكفى بمقالتهِ دليلاً على همّة الفرنسويين في درس آثارنا التي اخنى عليها الزمان وإبرازها الى عالم الكون بعد فنائها

ومما يستحقّ الذكر في هذا الباب ما اكتُشف في الحقبة الاخيرة في جبيل من الآثار المصريّة وقف على ثلث قطع منها حضرة الاب سبستيان رنزفال فاخذ رسمها الشمسيّ اخصُّها قطعتان من نصبين اقام الواحد منهما رعمسيس الثاني وكان على الآخر اسم تحوتمس الثالث مع قطعة ثالثة تمثل تقدمة احد المصريين للالهة نبت «سيّدة جبيل» . وقد قرأ المسيو بياره مونته (P. Montet) هذه الكتابات الهيروغليفيّة التي وُجدت بين قلعة جبيل والبحر واستدلّ بها على وجود هيكل اقامهُ الفراعنة في تلك البلدة . ولم يخب ظنّهُ فانهُ باشر هناك حفريّات اثبتت رأيهُ وافادت عن نفوذ مصر وماوكها ودينها في سواحل فينيقية . ولعلّهُ يعود الى مواصلة حفريّاتهِ في فصل الخريف

ومما اكتُشفهُ في قصوبة في انحاء جبيل فصوّرهُ حضرة الاب رنزفال وفسّرهُ مذبح للزُّهرة باكيةً وبقربها الاله اوزيريس على شبه الاجسام المصريّة المحنّطة وعلى صدرهِ صولجانهُ . وكانت اسرار ادونيس تُقام قريباً من جبيل على تلّ يشرف على البلدة

وفي هذه الايام الاخيرة ظهرت في جبيل بانهيار قسم من الارض قريباً من الميا

غربيّ القلعة مغارة فيها ناووس كبير مع عدّة اواني خزفيّة . وكانوا وجدوا قبل ذلك ناووسين آخرين

وقد سبق لنا ذكر المسيو أنلار (Enlart) وابحاثهِ الاثريّة في كنيسة طرطوسة التي بناها الصليبيّون . وقد سرّنا انّ فرنسة حصلت على هذا الاثر الجليل مع قصدها بان تعيدهُ الى خدمة الدين وتسلّمهُ الى ارباب الطائفة اللاتينيّة

واما فلسطين فانّ عدّة جمعيات تتبارى فيها لاستخراج دفائنها الاثريّة وممّا وقفوا عليهِ في طبريّة جامع لليهود قديم يُنسب الى الربّان «ميت» وبقربهِ مقبرة . ووجدوا في كفرناحوم عند بحيرة طبريّة دارًا مثمّنة الزوايا مفروشة بالفسيفساء بجوار كنيس اليهود وقد توقّفوا في عسقلان الى اكتشاف آثار قصر لهيرودوس الكبير وجدوا كثيرًا من بقاياه الضخمة بينها الاروقة الفخيمة والسواري والتماثيل والنقوش الهندسية وقد وجدت الجمعيّة الانكليزية في عسقلان آثارًا اقدم عهدًا ترتقي الى زمن الكنعانيين والفلسطينيين ومنها ما يُنسب الى اليونان والرومان وغيرها اقرب الينا عهدًا من العرب والصليبيين .

ولحضرة الآباء الدومنيكيين اصحاب المدرسة الكتابيّة في القدس اهتمام عظيم بالعاديّات . وهذا ما دفع الحكومة الفرنسوية الى ان تعتبر رهبانهم كجمعيّة رسميّة تمثّل العلوم الاثريّة الفرنسوية في القدس الشريف وفي فلسطين . والحقّ يقال انهم لم يألوا جهدًا في تحقيق آمال دولتهم

ومما انجزوا من كشفهِ والاطلاع على آثارهِ في العام الماضي جامعٌ لليهود ذو ثلثة لسواق كان اليهود اقاموهُ بعد المسيح قريبًا من اريحا في بلدة يدعونها نعرام وتُعرف اليوم بعين دوق . وقد وجدوا في صحنهِ فسيفساء جميلة عليها نقوش وكتابات عبرانيّة مع عدّة رموز وتصاوير من جملتها صورة منطقة البروج ومركبة عليها صورة الشمس وفي جوانبها رموز فصول السنة الاربعة ولاسيما صورة النبي دانيال في جب الاسود وكذلك وجد الآباء عدّة آثار مدفنيّة وخزفيّات في نابلس .

وقد اتمّ حضرة الابوين جوسّن وساڤنياك في العام الماضي طبع الجزء الثالث من رحلتهما الاثرية الى جزيرة العرب (Voyage Archéologique en Arabie) فوصفا احسن وصف ما وجداهُ من الآثار في ثلث رحل تجشّماها الى العرب في مدائن صالح

وفي العُلى والخُرَيبة وفي تيماء فاخذا رسوماً فوتغرافية لنحو ٨٠٠ من الكتابات النبطيّة والحميريّة واللحيانيّة والثموديّة والعبرانيّة واليونانيّة والعربيّة بينها النقوش والصور المختلفة مما يأتي بفوائد عديدة لتاريخ قدماء العرب . وكثيراً ما خاطر الاخوان بحياتهما بين القبائل الشديدة التعصُّب فنجوا بعد الجهد الجهيد . ومن جملة ما يستفاد من كتاباتهما اسماء بعض ملوك لحيان قبل المسيح كلودان ومسعود وغيرهما ووجدا ايضاً تمثالاً لملك لحياني طولهُ متران وربع . وورد كذلك في اعلام تلك الكتائب اسم «مثيل ملك ددان» . وددان علَمٌ ورد ذكرهُ في الكتاب الكريم

ومن جملة الاكتشافات الاثرية النصرانيّة المعتبرة كنيسة العذراء في افسس حيث اجتمع الآباء للمجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ فحرموا نسطوريوس واثبتوا ان مريم العذراء هي حقيقة امّ الله . وكانت هذه الكنيسة مطمورة تحت ابنية كنيستين احدث منها عهداً

ومثلها شأناً واعتباراً آثار مسيحية وُجدت حديثاً في اعماق الارض في رومية تحت كنيسة سان سبستيان حيث اجرى الاثريون حفريّات منظّمة رجاء ان يلقوا شيئاً من آثار الرسولين بطرس وبولس اثباتاً للتقليد الشائع ان هناك قُبر هذان الرسولان . وقد اتت الحفريّات ببعض النتائج اذ وقفوا على عدّة كتابات قديمة ورد فيها ادعية للرسولين المومأ اليهما واكتشفوا ايضاً هناك ثلثة نواويس عليها نقوش رائعة تفتن بجمالها البصر . ووجدوا في مكان آخر صور اثني عشر رجلاً في ايدي البعض منهم كتبٌ منشورة والمظنون انهم الاثنا عشر رسولاً

وقد صرف فرنسويّ آخر نظرهُ الى مآثر دمشق العربيّة نريد بهِ المسيو دي لوره (M. E. de Lorey) فحرَّر في المجلّة المذكورة مقالةً عن قبر سيّدتين اشتهرت الواحدة في اوائل الاسلام اعني بها سُكينة بنت الحسين بن عليّ بن ابي طالب وتوفيت الثانية في اوائل القرن الخامس للهجرة اسمها فاطمة ابنة احمد بن الحسين بن السبطي وللسيّدتين ناووسان الواحد من خشب الجوز والاخر من حجر عليهما نقوش عربيّة بديعة وصفها المسيو دي لوره مع المسيو غستون ڤيات (M. G. Wiet) وبيّنا خواصّها وميزاتها في التصوير العربيّ .

٥ الكيميا والطبيعيات

انَّ الاختبارات التي أُجريت في المختبرات الكيمويَّة الكبرى في العناصر المشعَّة وبيان ما يطرأ عليها من التحوُّلات من عنصر الى آخر ادَّت باساطين علم الكيميا ان يغيِّروا رأيهم السابق في بسائط الاجسام وهم الآن يرتأون ان تلك الاجسام عينها مركَّبة من كُرَيَّات دقيقة يدعونها إلكترون تتركَّب منها كل الاجسام حسب اختلاف وضعها وعددها . وقد تأيد رأيهم بتحليل عنصر الاوكسيجين وكان سابقاً يُعَدُّ من الامهات البسيطة فثبت اليوم انَّهُ يتركب من دقائق أُخرى اخصُّها الهيدروجين الذي يُعتبر الآن كالعنصر الاصلي الداخل في تركيب كل الاجسام . ومن ثمَّ لم يعُد العلماء يستحيلون اصطناع ذهب صناعي . بل قام الكيموي هرتنغ فنشر الاميركي وبشَّر في بعض النوادي انَّ الامر تمَّ فعلًا وهو يعرف رجلًا (لم يصرح باسمه) توفَّق الى ذلك . وقيل انَّ الكيموي الاميركي اديسون وقف على هذا السرّ الذي كان سابقاً صرَّح باكتشافه فوُجد الخبر باطلًا (اطلب الشرق ١ [١٨٩٨] : ٥)

ومن المسائل التي تشغل اليوم افكار الدول مسألة البترول وتزاحم الدول في الحصول على ينابيعه . وقد طلبت الولايات المتحدة من انكلترة حصَّتها من ينابيع البترول العراقيَّة لتموين سفنها ومعاملها . ومن المعلوم انَّ الولايات المتَّحدة اغنى من سواها في استخراج البترول اذ انَّها تستحضر منهُ ما يساوي ٦٠ في المئة بالنسبة الى بقيَّة انحاء المعمور وهذه الكميَّة لا تكفيها لصناعتها وبحريَّتها فهي تبتاع من الخارج نحو الربع مما تنفقهُ

بلغ ترقي التلغراف والتلفون اللاسلكيَّين غاية ما كان يؤمَّل منهما فاصبح اليوم التلغراف اللاسلكي يضمُّ كلَّ اقطار العالم الى عواصم اوربَّة . فان لانكلترة محطَّات توقفها في لمحة عين عن كلّ اخبار مستعمراتها الدانية والقاصية دون اختلاف . وكذلك فرنسة قد وفَّرت محطَّاتها التلغرافيَّة اللاسلكيَّة ففي افريقية وحدها قد انشأت ١٣ محطَّة لتخابر سائر مستعمراتها .

اما التلفون اللاسلكي فالفضل في تحسينه خصوصاً لطبيعيَّين من دنيمرك بولسن (Poulsen) ثمَّ ديفورست (Deforest) فاستخدم الاوَّل ميكروفونا

مجهزًا بمحرك ذي تموجات هرتسيَّة متواترة ومتناوبة معاً . واخترع الثاني مصباحاً مثلث المجاري الكهربائيَّة تمرُّ تموجات كهربائيَّته في مشبك معدني فتقوى بها بحيث يُسمع الصوت الى مسافات بعيدة . فانَّ المندوبين الفرنسويين الى مؤتمر واشنطن امكنهم ان يسمعوا مخاطبيهم في باريس على بعد ١٢٠٠ كيلومتر . ولمَّا أُقيمت حفلةٌ عظيمة في عاصمة فرنسة تذكاراً للعلَّامة امپار تشنَّفت آذان المجتمعين بصوت رخيم تغنَّت به احدى السيِّدات كأنها حاضرة في وسطهم فسُمع غناؤها على مسافة بعيدة من باريس

وقد استحقَّ امپار في ذلك اليوم هذا الامتياز وهو الذي باكتشافه لنواميس الكهربائيَّة المغناطيسيَّة فتح للعلماء طرقاً جديدة مكَّنتهم من الاختراعات التي قلبت وجه العصور . والسنة المنصرمة كانت المنة الاولى لهذا الاكتشاف العجيب

وممَّا افاده ترقِّي التلفون اللاسلكي انَّ راكبي الطيَّارات يستطيعون الآن وهم في فضاء الجوّ ان يتحادثوا مع البرّ ويخابروا بعضهم بعضاً على مسافات بعيدة

وكذلك فنّ الطيران قد زاد ترقِّياً في هذه المدَّة الاخيرة سواء كان من جهة السرعة ام من جهة الارتفاع في الجوّ . فانَّ الطيَّار الفرنسويّ ليكوانت نال جائزة السرعة بقطعه في ساعةٍ ٣٣٠ كيلومترًا اعني خمسة كيلومترات بنيِّف في الدقيقة . وقطع آخر في نيم بدورةٍ كبيرة ٢،٩٠٠ كيلومتر في ظرف ٣٧ ساعة . أمَّا جائزة الارتفاع فقد نالها الطيار كيرش اذ حلَّق في الجوّ فبلغ الى علوّ ١٠،٦٠٠ متر وكان راكباً طيَّارة ذات محرِّك قوَّته ٣٠٠ حصان . وقد بلغ عدد المسافرين في الطيَّارات لغاياتهم التجاريَّة في العام المنتهي نحو ٥٠،٠٠٠ فلا تلبث ان تزاحم السكك الحديديَّة

٦ الطب وعلم الصحة

بقي الطبُّ قروناً عديدةً صناعةً مبنية على الاختبار والتجربة الَّا انَّ هذا الفنّ يتحوَّل من يوم الى آخر الى علم يستند الى علل راهنة ومبادئ ثابتة لاسيما منذ اكتشاف لويس پاستور للميكروبات والجراثيم المعدية . وممن افاد الطبُّ من هذا القبيل العلَّامة الفرنسويّ فرنان ڤيدال (F. Widal) الذي خصَّ نظرهُ بالسموم ومفاعيلها في الجسم بتأثيرها في الخلايا . وقد تحقَّق ان اغذية كثيرة وادوية متعدِّدة تصبح في بعض الاحيان سموماً قاتلة ان لم تُراعَ قوانين الصحَّة اذا تكرَّر

استعمالها . فكانت هذه الابحاث كدليل لتشخيص عدّة امراض مجهولة تنبّه اليها فكر الاطباء.

قد اصبح الراديوم من اكبر اسباب العلاج لم يكد يخلو معهد طبي في عواصم اوربّة من قسم خاصّ به . وقد افادنا حضرة الدكتور فيليب بركات عمّا شاهده بالعيان في باريس وبرلين من عجائبه في معالجة السرطان في كلّ مظاهره وفي مداواة الامراض الجلديّة والغُدد المنتيّة وتزيف الدم والتهاب الاعصاب وانواع الفالج . وقد دوّن ملحوظاته في عدّة فصول ممتعة في جريدة البشير الغرّاء . ويحسن بنا ان نزيد هنا ان مزاولة هذا العنصر مخطرة جدًّا ما لم يتّخذ الاطبّاء الاحتياطات اللازمة لدفع تأثيره في اجسامهم

والراديوم لا يزال اعزّ من بيض الديوك تساوي منهُ بعض الغرامات مبالغ طائلة لا تقلّ عن خمسة آلاف جنيه . ولمّا ارادت السيّدات الاميركيّات ان يودّعن مادام كوري بعد رحلتها الى اميركة لم يجدن هديّة اثمن من اتحافها ببعض مركّبات الراديوم في عُلَب محكمة . وكذلك ابتاعت بلديّة باريس بمشورة مادام كوري بمليونين من الفرنكات غرامات قليلة من الراديوم . وقد ارادت جمعيّة باريس العلميّة ان تنظم مادام كوري في جملة علمائها الكبار وهي اوّل سيّدة نالت هذا الامتياز

وممّا يُشكر لفنّ الطيران في هذا الباب نقل الجرحى والمرضى بكل سرعة من ساحة القتال الى مستشفى مدينة قريبة كما جرى قبل ستّة اشهر لمّا نُقل الى حلب على اجنحة الطيّارات بعض الضبّاط والجنود المصابين لمقاتل اهل البادية في دير الزور فتمّ ذلك بما يُرام من السرعة والراحة للجرحى

وقد تبشّرنا الصُحف بعقد مؤتمر صحّي في فرسوفية عاصمة بولونية دُعيت اليه كلّ الدول في ١٢ ايّار المقبل

٦ . الزراعة

قد اثبت المسيو اوغست لوميار (M Lumière) في المجمع الفرنسوي العلمي انّ التربة الزراعيّة تصلح للاستغلال في كلّ فصول السنة حتى في فصل الشتاء اذا سقاها الزارع بمياه معقّمة تلاشي ما فيها من الجراثيم الضارّة

وبيّن الدكتور ميزونفوف (Dr Maisonneuve) انّ البطاطا مثمرة سواء زُرعت الواحدة منها تامّة ام قطعاً مع وجود عين لكل قطعة

وضع المسيو پلاسي (M. Plessy) اداةً خاصة لرش أوكار الخلد وثقوب المالوش والحشرات القارضة للنبات بالحامض السولفوري فتُقتل بهِ لا محالة

وقفنا على احصاء غلّات فرنسة من القمح والشعير في السنة ١٩٢٠ فاذا بهما قد زادا زيادة عظيمة كما ترى:

		القمح		الشعير
السنة	١٩١٩	٤١،٦٥٣،٣١٠ قنطار		٢،٧٠٧،٣١٠ ق
«	١٩٢٠	٦٢،٧٠٦،٢٧٠ «		١،٩٩٩،٨٤٠ «

فتكون زيادة القمح ٢٦ بالمئة والشعير ٦٥ بالمئة. وكذلك السكّر بلغ مجموع ما استُحضر منهُ في السنة ١٩٢٠ ٥،٠٠٠ ٣،٦ طنّ بزيادة ١،٧٧٧،٠٠٠ على العام السابق ولالمانية السبق في اصطناعهِ (١،٣٠٠،٠٠٠ طنّ) ثم النمسة والمجر (٦٠٠،٠٠٠ ط) ثم فرنسة (٣٠٠،٠٠٠ ط)

٧ التجارة والصناعة

لا تزال احوال العالم مضطربة لأزمتهِ الاقتصاديّة. وما هذه الّا ثمرة الحرب التي زعزعت اركان الدول فلا عجب أن بلغت مفاعيلها السيّئة بلادنا. ونحنا من هذا القبيل افضل من غيرنا. وما لا ينكرهُ احد ان الدولة الفرنسويّة تسعى طاقة جهدها في تخفيف وطأتها الثقيلة بنقل اسباب المعاش من اوربّة واميركة واوستراليا وبتحسين طرق المواصلات بين انحاء البلاد بالسكك الحديديّة وبالاسفار المنظّمة بالسيّارات الى دمشق وطرابلس وبنقل البريد بالطيّارات في جهات البلاد كاللاذقيّة والاسكندرونة ودمشق وحمص وحلب ودير الزور. وما كانت الغاية من انشاء معرض بيروت الّا ترويج التجارة السوريّة (اطلب مقالتنا عن هذا المعرض في المشرق ١٩٢٠ ص٥٢٧—٥٣٧)

ومما يحقّ على السوريين ان يشكروا عنهُ فرنسة انّها دعت السوريين الى الدروس

التجاريَّة العليا في الفرع المختصّ بها في باريس فيتدرَّبوا على كلّ قوانينها وآدابها النظريَّة والعمليَّة. كما انَّها وكلت الى ادارة الزراعة بافادة العموم عن كلّ الوسائط الآئلة لتحسين التربة واستثمار الغلّات ونصب الاشجار

قد زادت التجارة البحريَّة ترقياً في العام الماضي وقد رجعت المانية الى حركتها السابقة بتنظيم شركاتها. وقد سعت بعض الدول بتعويم ما أُغرق من سفنها في الحرب فانَّ ايطالية عوَّمت في ١٢ ك٢ مدرَّعتها العظيمة «ليوناردو دي ڤنسي» التي غاصت في اعماق البحر بانفجار اصابها في ٢٣ ت١ ١٩١٦ وكذلك انكلترة تمكَّنت من تعويم بارجتها «ڤنديكاتيڤ» وكانت سدَّت بها الطريق عن السفن الالمانيَّة في مرفأ اوستند

امّا فرنسة فانَّها انزلت الى البحر في مرفا «هاڤر» ابدع سفنها التجاريَّة «باريس» في اواسط حزيران وهي طرفة من الصناعة العصريَّة فاقت بها على كلّ سواها اجتمع لتعميرها اساطين العلم فجاءت كمدينة جارية على سطح البحار وهي خاصَّة الشركة ترنسَتلنتيك طولها ٢٣٤ متراً في عرض ٢٦ في مثله علواً تبلغ ١١ طبقة يقوم بخدمتها ٦٦٤ بحرياً وتكفي لنقل ٣٢٠٠ راكب وتقطع في الساعة ٢٢ عقدة وقد أُعدَّت للتجارة بين فرنسة والولايات المتَّحدة. لها ادوات محرِّكة تبلغ قوَّتها ٤٦٫٠٠٠ حصان وهي تجري بوقود المازوت. وقد جُهِّزت بكل الاختراعات الحديثة من تلغراف لاسلكي وتلفون لاسلكي وكل معاهد اللهو والراحة. وفي وسط المركب معبد للصلاة يقدَّم فيه الذبيحة الالهيَّة كاهن خصوصي كل يوم. فبارك الله هذا العمل واصحابهُ

ومن هنا ترى انَّ الدول اخذت تعدل في وقود سفنها عن الفحم الحجري الى البترول والمازوت. وقد جاء في الاحصاء التجاري الاخير انَّ عدد السفن التي تستوقد المازوت بدلاً من الفحم كانت سنة ١٩١٩ في عدد ١٢٠٠ فبلغت في السنة التالية ٤٫٢٠٠ فالمازوت يفضَّل على الفحم من حيث ثمنهِ الارخص وسهولة نقلهِ وقلَّة المكان الذي يشغلهُ في السفينة

كنَّا رأينا سابقاً في مرفأ بيروت سفناً روسيَّة وايطاليَّة عُرضت فيها محصولات بلادهما لترويج بضائعهما. وقد قرأنا مؤخَّراً ان الفرنسويين في بلاد كندا اتَّخذوا قطارات من سكة حديدها ليعرضوا فيها مصنوعات فرنسة. فنجح هذا المعرض ايَّ نجاح

ومن افادات الاحصاءات الرسميَّة في فرنسة ان الدولة باحتكارها التبغ بأصنافهِ حصلت على ربح ٨١٦،٠٠٠،٠٠٠ فرنك ... ما أربح الدخان !

٨ التهذيب والعلوم الادبية

أحيا البولونيُّون كليتهم الجامعة الوطنيَّة في حاضرتهم الشهيرة ڤيلنا . وهي من اقدم المدارس الاوربيَّة المنشأة في القرون الوسطى كان يتخرَّج فيها الوف من الطَّلبة على عهد ملوكها . وكان الملك لادسلاس جاجلّان حبس عليها الاوقاف الوافرة سنة ١٣٨٢ وانشأ ملكُها اسطفان باطوري جمعيَّة علميَّة اضافها اليها سنة ١٥٧٨ فاصبحت مهدًا لرجالها الكبار . الَّا انَّ قياصرة روسيَّة لم يزالوا يعادونها حتَّى الحقوها بالدقماء بغضاً بتشبُّث اصحابها بالدين الكاثوليكي

وقد احتفلت كليَّة مونپليه في فرنسة بتذكار المئة السابعة لانشائها فأقيمت لذلك اعياد شائقة تصدَّر فيها رئيس الجمهوريَّة المسيو ميلران والكردينال المتوفَّى حديثاً ده كابريار اسقف المدينة . وهذه المدرسة من اقدم المدارس الطبيَّة في اوربَّة . لم ينتظم تعليمها الَّا السنة ١٢٢٠ بهمَّة الكردينال كونراد مندوب البابا هونوريوس الثالث الذي وضعها تحت حماية الكرسي الرسوليّ . وقد خصَّها الباباوات بانعامات شتَّى وجعلوا لها قوانين خاصَّة ضمنت نجاحها في تلك المدَّة الطويلة . فالى الكنيسة يعود معظم الفضل في ترقيتها وفي تهذيب عدد لا يُحصَى من اطبائها وجرَّاحيها

وفي ٢٨ تموز وُضع في لوڤان بحضور الملك والملكة والكردينال مرسيه الحجر الاول لمكتبة لوڤان التي أحرقها الالمان . وقد دُعي الى هذه الحفلة مندوبو الدُّول المتحالفة الذين اطرأوا على شهامة البلجكيين في مدَّة الحرب الكونيَّة واسفوا على ما اصاب بلادهم من الدواهي لمروءتهم ووفائهم

وفي ١١ شباط من السنة الفائتة احتفل علماء فرنسة والاثريُّون المصريُّون بتذكار السنة المئة لمولد ماريت بك الذي اكتشف كثيراً من العاديَّات المصريَّة ونهج طرقاً جديدة لترقية العلوم الاثريَّة في بلاد الفراعنة

وفي اوائل آب اقام الاميركيُّون في واشنطن تمثالاً عظيماً للشاعر الايطالي الشهير دانتي بمناسبة تذكار المئة السادسة لوفاتهِ وقد ترأس الحفلة الرئيس هاردنغ ووجوه البلاد

مطبوعات شرقية جديدة

THE DIWÂN OF DHU'R- RUMMAH, edited by C. H. H Macartney
Cambridge at the University Press., 1919, XXXIV-676

ديوان ذي الرمّة

هذه احدى تحف كلّية كمبريج انتهت من طبعها في مطبعتها الشهيرة السنة التابعة للحرب فاخرجتها على صورة مناسبة لمقامها فلم تدّخر وسعاً في اتقان طبعها . ولا غرو فان ذا الرمّة احد شعراء طور الاسلام الاوّل عاش في زمن بني امية يسكن البادية ويتردّد الى حواضر البلاد كالبصرة والكوفة ودمشق وينشد قصائده فيها . وشعره مطبوع اقرب الى شعر الجاهلية حتّى انّهم قاسوه بشعراء الاسلام الثلثة الكبار جرير والاخطل والفرزدق . قال ابو عمرو بن العلاء : انّ الشعر ابتدأ بامرئ القيس وانتهى بذي الرمّة . ولذلك ترى اهل اللغة واصحاب المعاجم يستشهدون بأبياته ويسندون اليه شروحهم . وقد اهتمّ قدماء الرواة كالاصمعي وابن السكيت والشيباني بجمع ديوانه الذي منه عدّة نسخ في لندن في المتحف البريطاني ومكتبة لندن الشهيرة والمكتبة الخديويّة والمكاتب الخاصّة . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة بديعة بخطّ المرحوم رزق الله حسّون . على انّ هذا الديوان مع عظم شأنه لم يُنشر حتّى الآن بالطبع . فقام احد المستشرقين الانكليز من علماء كلّية كمبريج الاستاذ ماكرتني فراجع كلّ النسخ المخطوطة السابق ذكرها ومنها ما يرتقي الى القرن الخامس للهجرة فقابل بينها ونشر ما وجده فيها من القصائد الطوال والمقاطيع الصغيرة والشروح اللغويّة على ابياتها . ونقل كذلك ما وجده من شعر ذي الرمّة متفرّقاً في كتب الادب والمعاجم المطبوعة والمخطوطة ما يربي عدده على مئة تأليف فألحقه بطبعته ودوّن الروايات المختلفة في ذيل الكتاب بالدلالة على مظانّها . وختم ذلك بفهرسين حسنين لأعلام الرجال والقبائل والامكنة مع عدّة اصلاحات وزيادات . فترى ما لناشر هذا الديوان من الفضل العظيم ونعمة القماء . وهذا ممّا يشفع ببعض الاغلاط التي وقعت فيه فأصلح بعضها ولم

يُصلح البعض الآخر. فانَّ البيت الحادي والعشرين في الصفحة ٣٢٨ مختلّ الوزن . وهي «السانحات» لا «السانجات» (ص٦٦٤) . وهي «لم أَنسَهُ» لا «لم أَنسِهِ» (ص٦٧٠) . وكذلك فيها «تُظهِرُ» لا «تُطهِرُ» . وممَّا كنَّا نتمنَّى ان نجدهُ في مقدَّمة هذه الطبعة خلاصة اخبار ذي الرُّمَّة عن الاغاني وكتب غيرها فانَّ كثيراً من مشاكل الديوان تنجلي بذكرها . وعلى كلّ حال نوصي كلّ محبّي الآداب العربيَّة ان يزينوا مكاتبهم بهذه الطرفة الادبيَّة ل . ش

Cruveilhier (P.): Les Principaux résultats des nouvelles fouilles de Suze. In-12, pp. IX-154, *Paris, Geuthner*

اخصّ نتائج الحفريَّات الجديدة في شوشن

كان حضرة الكاهن كروفيليه احد متخرجي مدرسة القدس الكتابية اختصر في مجلَّة الاكليروس الفرنسوي (١٩٠٩ – ١٩٢١) تاريخ حفريَّات البعثة الفرنسوية في شوشن الى السنة ١٩١٢ . وكان المتولي نظارة هذه الحفريَّات المسيو دي مورغان بمساعدة بعض الاثريين الذين كان في جملتهم المسيو بيزار (M. Pézard) المتقلّد حاضراً نظارة حفريَّات تلّ نبي مَند جنوبيّ حمص . فاضطرَّت تلك البعثة الى إهمال العمل حيث قدَّم الناظر المذكور استعفاءهُ . فما لبث الاب شيل الدومنيكي احد اعضاء جمعيَّة الكتابات نزيل باريس ومفتّر شريعة حمورابي المكتشفة في شوشن أن خلف المسيو دي مورغان وواصل الحفريَّات التي دُوِّنت نتائجها في المجلد الرابع عشر من مذكرات البعثة الاثريَّة في العجم . فعاد الكاهن كروفيليه واستلَّ خلاصة تلك الاكتشافات فنشرها اوَّلاً في المجلَّة السابق ذكرها ثم جمعها في كتاب على حدة تسهيلاً لمراجعتها . وقد صدَّر تأليفهُ بنظر عامّ في حالة الحفريَّات المذكورة الى سنة الحرب ١٩١٤ ثمّ استقرى معلوماتها فدوَّنها في فصول مختلفة كالتاريخ والدين والفقه والمجتمع الانساني واللغة وذلك بطريقة قريبة المنال توفر على الباحثين عن آثار الشرق زمناً ثميناً . ولهذه الآثار فائدة عظمى ليس فقط للوقوف على تاريخ الامم الشرقيَّة المدنيّ ولاسيَّما العيلاميين الذين سبقوا الفرس ولكن ايضاً على تاريخ الاديان في اقصى طبقاتهِ لأنَّ في شوشن أطلعوا على اقدم ما يُعرف من الآثار الدينيَّة السابقة لآثار ما بين النهرين . فنوصي القرَّاء العالميين والاكليروس بمطالعة هذا الكتاب فهو كمقدَّمة لحفريَّات

جديدة ستستأنف قريباً ومفيد جداً لحلّ عدّة مشاكل كتابيّة. ونقترح على بعض اهل الغيرة كحضرة الاب بولس سلامه خرّيج مدرسة الآباء الدومنيكان والمشغوف بمحبّة الآثار ولاسيّما شرائع حتوري ان يعربوا هذا الكتاب او ينشروا كتاباً في معناه يشمل كلّ حفريّات شوشن منذ اوّلها الاب سبستيان رنزقال

Comte de Gobineau : Souvenirs de Voyage. 1 *vol. in*-16. *Paris*, 1922. *Prix* 6f,75

ذكرى اسفار الكونت دي غوبينو

الكونت دي غوبينو احد رجال فرنسة السياسيين الذي مثّل وطنهُ في عدّة بلاد في اوربّة ثمّ في اثينة والعجم كانت وفاتهُ في تورينو سنة ١٨٨٢ . لهُ عدّة تآليف كتاريخ العجم ووصف بعض البلاد. وكتابهُ الذي نحن في صددهِ من اجود تآليفهِ اظهر فيهِ ما طُبع عليه من رشاقة الانشاء ودقّة النظر في تعريف عادات البلاد الاجنبيّة . وهو يحتوي ثلث روايات الأوليان منها في بلاد اليونان والثالثة في كاريبو في الارض الجديدة. وكلّها تدلّ على حسن ذوق وتفنّن في الوصف لاسيما الرواية الثانية التي دعاها «اكريثي فرونتوبولو» لولا انّ بعض هذه الاوصاف مخلّة نوعاً بالآداب

الاب ج . لوثنك

E. Prévost: 1°) L'ARMISTICE, *poème dit à la Comédie-Française. Une plaquette de luxe chez Jouve, rue Racine*, 15, *Paris*, *Prix* 1f,50 = 2°) L'AME INCLINÉE. *Un vol. in*-18, *ibidem*. 3f, 50

منظومات فرنسوية : الهدنة . النفس المنحرفة

المسيو بريفو شاعرٌ عصري يستحبُّ القرّاء قصائدهُ. وهذه المنظومات الجديدة من جيّد شعرهِ. فالمنظومة الاولى يصف بها الهُدنة بعد الحرب الكونيّة فضمّنها كلّ العواطف البهجة ووصف ما شمل الناس من الفرح بهذه البشرى حتى يكاد شعرهُ يستفزّ القلوب برقّتهِ وسلاستهِ. وامّا الثانية فمجموعة قصائد عن الحرب انشدها بنسبة بعض الحوادث التي جرت وقتئذٍ في ساحة الوغى منها مديح ومنها رثاء ومنها حماسة وكلّها موسومة بسمة الوطنيّة الصادقة ج . ل .

وجدان لا سياسة

للاستاذ حبيب اسطفان « الخوري يوسف اسطفان » سابقاً

طبع في مطبعة الهدى في نيويرك سنة ١٩٢١ (ص ٢٠٧)

اطّلعنا على هذا الكتاب وما تضمّن من الخطب المختلفة في الحوادث الجارية حالاً في العالم ولاسيما في سورية ولبنان فوجدنا الخطيب ذا عارضةٍ يحيط علماً بالسياسة العصريّة وبأمور بلادهِ فينتقدها بلهجة حرّة وان كان في بعض ارائهِ ما لا يوافقهُ عليهِ كثيرون لما فيهِ من التطرُّف . على أنّنا مع اقرارنا بما يحتويهِ الكتاب من الصفات الحسنة لا يسعنا الّا ان نأسف على حالة كاتبهِ فقد عرفنا « الخوري يوسف اسطفان » سابقاً كاهناً ورعاً ومرشداً للنفوس ورفيقاً للمعلّقين على مشانق الظلم وواعظاً مصقعاً فاين ذاك من « حبيب اسطفان » وتبذُّلهِ في دمشق ومصر واميركا وخطبهِ على المسارح في امور الدنيا وسياستها . أنيا تُرى الى هذا أدّت دروسهُ الاكليريكيّة في رومية وتهذيبهُ الكهنوتي وامل طائفتهِ فيهِ فندعو الى الله كي يرشدهُ الى ما فيهِ صلاح نفسهِ وخير وطنهِ

ل . ش

ترقّي الصغار في دروس الاستظهار

الجزء الاول . جمعهُ وعلّق حواشيه يوسف صغير

طُبع في بيروت بمطبعة الادب سنة ١٩٢٠ (ص ٤٦)

كرّاس صغير للمكاتب الابتدائيّة ضمّنهُ صاحب مكتبة المدارس الاديب يوسف افندي صغير نحو اربعين قطعة من النثر والنظم ليستظهرهُ الاحداث . فدلّ بانتخابهِ لهذه القطع على حسن ذوقهِ واطّلاعهِ على الآثار القديمة والحديثة . وألحق كلّ قطعةٍ منها بشرح الالفاظ الغامضة وبايضاح نتيجتها الادبيّة ليشحذ بذلك ذهن الصغار . وهذا المجموع مزيّن بالشكل الكامل الّا انهُ قد وقع في التشكيل عدّة اغلاط ينبغي اصلاحها في طبعة ثانية نذكر بعضها للافادة (٤٦) حافِظُوا (ص ٧٢) أدعى حليماً (ص ١٠١٦) هُما — تَحِلُ (ص ١١١) مِنها (١١٥) ورَجاً (ص ١١١٤) أنفِقُ

(ص ١٥[٣]) المُهاجرة (ص ١٧[١١]) وكُلُّ الخَلْق (١٧[١٣]) عديمُ الاصل (١٧[١٥]) يَشفي (١٧[١٧]) يُقيتُ الخ

﴿ نشرة الاحد ﴾ هذا أوّل اثر نعرفهُ صدر في رأس العام الجديد في بغداد من المطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة التي استقدمها سيادة المطران اثناسيوس جرجس دلّال لنشر المبادئ الصحيحة وخدمة ابناء الوطن العزيز. وقد باشر سيادتهُ بهذه النشرة التي عهد بادارتها الى حضرة الخوري عبدالاحد جرجي. وهي نعم الباكورة لخدمة الدين والادب نتمنّى ان يَنعم بقراءتها جميع الكاثوليك في بغداد ويقدّسوا بها يوم الربّ. وستنشر في كلّ اسبوع وتودع مواضيع شتّى دينيّة علميّة تاريخيّة اجتماعيّة. اخذ الله بيد منشئيها

﴿ ما لي جَلَد ﴾ خطاب اخلاقي القاهُ الاديب جرجي افندي نقولا باز في حفلة جمعيّة البرّ سنة ١٩٠٧ فنشرهُ على حدة في مطبعة القديس جاورجيوس تقريباً لفوائده وغايتهُ ان يستنهض همم كل من يتبرّم عن العمل سواء كان في خدمة الدين ام العلم ام الوطن. فعسى ذوي الخمول والغفلة يرتشدون بهذه النصائح فيقرنون العمل بالقول

﴿ الانوار ﴾ باشر يوسف افندي الحاج في العام الماضي بنشر الوقائع الماسونيّة فرأى ان سوقها قليلة الرواج وعدل عن ظلمة الماسونيّة الى « الأنوار » فجعلها لسان حال الاحرار » ونشرها في دمشق والشام. وقد احببنا الاستضاء بهذه الانوار الجديدة فتحقّقنا انّ الظلمة الماسونيّة لا تزال تخالطها وسمعنا جعجعة كبيرة ورأينا طحناً قليلاً الّا ما كُتب بقلم بعض الادباء. وكفى لكشف هذه الانوار فصل صاحبها المعنون بفيلسوف سوريّة اراد به امين الريحاني الذي رفعهُ فوق الثريّا وهو اخو ڤولتير ونصير الالحاد والزندقة كما بيّناهُ سابقاً (راجع المشرق ١٣ [١٩١٠]: ١٠٤٤ و ٣٨٩ و ٤٧٧ و ٧٠٣)

شذرات

﴿آخر ساعات رسول السلام﴾ كان السعيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر عظيماً في حياته ولعلهُ اعظم منهُ في مماته . كان وعد في الاسبوع السابق لموته ان يذهب باكراً في الساعة الخامسة صباحاً فيزور مأوى الكهنة العُجز الملاصق للفاتيكان ويقدّم الذبيحة في معبدهم . وكان ذاك النهار كثير الامطار شديد البرد فاراد البعض ان يثنوهُ عن عزمهِ فأبى الّا ان يقوم بوعدهِ فكان ذلك سبباً لما نالهُ من الاحتقان الدماغي الذي أودى بحياتهِ . وكان آخر ما فاه بهِ لسانهُ المبارك انهُ يقدّم حياتهُ ضحيّة لله ليلتمس من ربهِ السلام للعالم . فأكرم بهِ شهيد المحبّة وضحيّة الخير العمومي

﴿المناشير الرعويّة للصوم المبارك﴾ اطّلعنا على اربعة مناشير رعويّة اصدرها بنسبة الصوم الاربعيني نيافة القاصد الرسولي السيد الجليل فريديانو جاتيني والسادة رؤساء اساقفة بيروت وطرابلس ودمشق على الموارنة . وكلّها مملوءة من التعاليم الخلاصيّة والحكم الدينيّة الموافقة للاحوال الحاضرة فانّ نيافة القاصد الرسولي اوضح بأبلغ كلام واجلى برهان كلّ حسنات الدين الكاثوليكي للنظام البشري وللهيئة الاجتماعيّة وتخطّى من ايضاحها الى واجبات الكاثوليك في سوريا نحو وطنهم ولاسيّما في الانتخابات الموشك وقوعها ليختاروا مندوبين فضلاء ذوي دين ونزاهة لادارة امور الوطن . وقد اختار سيادة المطران اغناطيوس مبارك لارشاد رعيّته موضوعاً ذا شأن اي « الرقيّ الحقيقي بواسطة الحياة المسيحيّة » فبيّن لهم على اي شيء يتوقّف الرقيّ الحقيقي الذي يحصرهُ الملحدون والجهّال في الامور المادّية وجمع الخيرات الزمنيّة واحراز العلوم الطبيعيّة وهم يسهون عن الدين وسعادة الانسان بممارسة الفضائل المسيحيّة فتؤدي بهم مبادئهم الفاسدة الى كلّ المنكرات والى تقويض اركان الهيئة الاجتماعيّة . فشتّان بين هذه الآراء السيّئة وتعاليم الدين المسيحي الذي يولي صاحبهُ سعادة الدارين . ثمّ عدّد سيادتهُ كيف تقوم الحياة المسيحيّة في الافراد والعيال وتربية الاولاد والحياد عن كلّ اباطيل العالم وملاهيهِ القبيحة وازيائهِ الشنيعة وخدمة الوطن بتضحية المصلحة الشخصيّة للخير العمومي = وارشد سيادة مطران

طرابلس السيد انطون عريضة شعبهُ الى طريقة الخلاص والشروط الواجبة على من يريد الحصول عليهِ وذلك بالمعمودية والفضائل اللاهوتية الثلث وممارسة الفرائض التي اوقفنا عليها ديننا نحو الخالق ونحو القريب ونحو نفسنا — ورأى سيادة مطران دمشق السيد بشاره الشهالي ان يسدّ خللاً كبيراً في حياة المسيحيين حاضراً الذين يُقبلون على درس اللغات والمعارف البشريّة ويهملون اعظم واشرف التعاليم وهو التعليم الديني الذي ينير عقل الانسان ويسمو بهِ الى ما فوق طبيعتهِ ويشدّد ارادتهُ فيقوى على كبح الشهوات ويسند الانسان في جهاد الحياة. ومن ثمَّ حرّض الوالدين على افراغ وسعهم ليطبعوا في قلوب اولادهم الحقائق الدينيّة وخوف الله. فترى ان هذه الرسائل الرعويّة تؤول كلها الى توطيد اركان الروح المسيحيّ التي يتهدّدها التمدن العصري الموهوم

﴿الاتحاد الكاثوليكي لدرس المشاكل الدوليّة﴾ في السنة المنصرمة في ١٢ الى ١٤ نيسان عُقد لثاني مرّة مؤتمر الاتحاد الكاثوليكي لدرس المشاكل الدوليّة. والاتحاد المذكور عبارة عن جماعة مؤلفة من اعضاء كاثوليكيين من جميع البلاد انشأها بعض العلماء من كليّة فريبورغ الكاثوليكيّة في سويسرة. رئيسها المحامي البارون دي مُنتيناخ (Bon de Montenach) ينتظم في سلكها رجال من كبار العلماء من اثنتي عشرة دولة. وقد بحثوا في مؤتمرهم الاخير عن اخصّ المشاكل التي تفرق اليوم الدول وطلبوا لها حلًّا صوابيًّا مبنيًّا على الادلّة العقليّة الفلسفيّة والبراهين الدينيّة الصادقة. فكان لنشر اعمال هذا المؤتمر تأثير عظيم في عقول ارباب السياسة. ويحسن بكاثوليك الشرق ان ينضمّوا الى هذه الجمعيّة التي تفضل على كل عصابات الامم وتقلّباتها. وهذا عنوان كاتب سرّ الجمعيّة:

M. J. Gremaud, professeur au Collège St Michel
(*Fribourg*) Suisse

﴿البابا حنّة وجريدة لاسيري﴾ اثبتنا في العام الماضي (الشرق ١٩٢١ : ٨٥٤—٨٥٩) مقالة في خرافة البابا حنّة وبيّنا بشواهد اعداء الكنيسة نفسهم انّها احدى الاراجيف التي ليس لها ادنى نصيب من الصحّة فتعجّبنا كيف انّ جريدة لاسيري (la Syrie) عادت الى ذكرها في احد اعدادها بنسبة وفاة البابا بندكتوس الخامس عشر.

ألا يخجل محرّروها ان يجيوا مثل هذه الترّهات ويهرفوا فيما لا يعرفون . فليردّوا على براهيننا ان امكنهم

﴿وفاة سيّدين وكاهن فاضل﴾ نُعيت الطائفتان الكريمتان من الروم الكاثوليك والارمن بفقد سيّدين جليلين من افاضل اساقفتهما: المطران اغابيوس معلوف اسقف بعلبك وهوسيك كوليان رئيس اساقفة ماردين. انتقل الاوّل الى جوار ربهِ منتصف ليل الاحد ١١ شباط الماضي في زوق ميكائيل . ولد في ٤ ايّار سنة ١٨٤٧ ثمّ رُقّي الى كرسي بعلبك في ٢٩ آذار ١٨٩٦ فكان افضل راعٍ لابرشيّتهِ قاسى في سبيلها عدّة اوجاع لاسيّما في مدّة الحرب الكونيّة فكان لوفاتهِ صدى حُزن شديد في قلوب ابنائهِ بل في قلوب كلّ الذين عرفوهُ من الاخوة المتفصلين والمسلمين والمتاولة الذين حضروا جميعهم حفلة جنازتهِ وبكوا عليهِ بكاءهم على اعزّ الاقارب وأشادوا بعميم فضلهِ . وقد عرفت لهُ فرنسة خاوص محبّتهِ نحوها فجازتهُ بوسام جوقة الشرف — امّا السيد كوليان فكان مولدهُ في ماردين في ٥ ايّار سنة ١٨٤٠ وسيم رئيس اساقفة وطنهِ على طائفتهِ الارمنيّة في ٨ ايلول سنة ١٩٠٣ فرعاها سبع سنوات بنشاط وحكمة بعد ان خدمها سنين عديدة بصفة كاهن تقيّ غيور . الّا انّ انحراف صحّتهِ حملهُ على طلب الاستعفاء سنة ١٩١٠ فاعتزل في دير بزمّار منقطعاً فيهِ للعبادة ولكل الفضائل الكهنوتيّة مع ترجمة الكتب المفيدة من الايطاليّة والعربيّة الى اللغة الارمنيّة . وهو لم يَنسَ ابناء طائفتهِ المبؤوسين الذين قُتل منهم كثيرون شهداء ايمانهم ونُفي غيرهم الى اماكن شتّى فكان يرسل اليهم المساعدات على قدر استطاعتهِ . كانت وفاتهُ يوم السبت ١٨ شباط . = ومنّن استأثرتهم رحمة الله في اواسط شباط ايضاً مرسلٌ غيور ذو شهرة واسعة الخوري الاسقفي اسطفان الشمالي عن ٨٥ عاماً قضاها بممارسة كلّ اعمال الرسالة في سائر ابرشيّات الطائفة المارونيّة حيث لا يزال ذكرهُ حيًّا . وقد امتاز بمارضتهِ وبلاغتهِ في الوعظ وسرعة خاطره كما تشهد عليهِ الخطب التي نشرها بمساعدة الطيّب الذكر المطران جرمانوس الشمالي في جزئين فراجت سوقها اي رواج ونفدت نسخها بوقت قريب(١ .

(١) اطلب ترجمة حياة المطران جرمانوس الشمالي بقلم نسيبهِ الفضال الخوري بشاره الشمالي مطران دمشق حاضراً في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٨٥٠–٨٥٦) :

اجزل الله جزاء ذاك العالم العامل في رحيب جنانه

﴿احصاءات الجزائر وتونس والمغرب﴾ احصت فرنسة في العام الماضي اهل مستعمراتها في شمالي افريقية فكانت نتيجة احصائها اوّلاً للجزائر انّ عدد اهلها يبلغ ٤،٩٧١،٤٢٤ من الوطنيين ثم ٨٣١،٠٤٠ من الاوربيين اكبر مدنها الجزائر (اهلها ١٩٥،٦٥٥) ثمّ وهران (١٣٨،٢١٢) ثم قسنطينة (٧٣،١١٦) وبونة (٤١،٧٧٧) وتلمسان (١٠،٧٧٥). ويبلغ اهل تونس ٢،٠٩٣،٩٣٩ الاوربيّون بينهم ١٥٦،١١٥ اكبر مدنها تونس عاصمتها اهلها ١٧١،٦٧٧ الاوربيّون بينهم ٧٣،٤٧٢ ثمّ سفاقس سكّانها ٢٨،٠٣٣ ثمّ بيزرت (٢٠،٥٠٩) ثم سوسة (١٩،٧٩٩) ثم قيروان (١٩،٣٨٩) = امّا اهل مراكش التي بسطت عليها فرنسة حمايتها فيبلغ عددهم نحو ٤،٥٠٠،٠٠٠ يضاف اليهم خمسمائة الف في المنطقة الاسبانيّة. اكبر مدن ذلك القطر: مدينة مراكش اهلها ١٠٢،١٠٧ الاوربيّون بينهم ٢،١٠٧. ثمّ فاس ٧٠،٥٣٩ منهم ٢،٢١٨ اوربيون. ثم مكناس (٣٦،٥٩٨) ثمّ رباط الفتح (٢٩،٥٦٢). امّا المنطقة الاسبانيّة فاكبر مدنها الدار البيضاء (كازا بلنكا) ١٠١،٦٩٠

﴿اصحاب الفيل﴾ بين سُوَر القرآن سورة تُدعى بسورة الفيل وهي المائة والخامسة منها: اوّلها «ألم تَرَ كيف فَعَلَ ربُّكَ باصحاب الفيل» وفي هذه السورة اشارة الى محاربة الحبش لمكّة. ولمفسّري القرآن آراء غريبة في هذا الفيل الذي دعوهُ محمودًا ورووا عنهُ عجائب غرائب. وقد وقفنا على مقالة مستجادة نشرها السيو كنتي روسيني في عدد تموز الاخير من المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة حلّ فيها عدة مشاكل من تاريخ الحبش وغزواتهم لبلاد العرب. من جملتها (ص٢٨–٣٢) ذكر «الفيل» المشار اليه في السورة القرآنيّة فبيّن انّ الفيل لا يراد بهِ الحيوان المعروف وانّما هو اسم احد ملوك الحبش الذين غزوا بلاد العرب في القرن الثالث للمسيح وقد وجدوا له نقودًا ذهبيّة ونحاسيّة مكتوب عليها باليونانيّة «افيلاس ملك اكسوم» فسمّاهُ القرآن بالفيل وذكر اصحابهُ ثمّ اشتبه الاسم على العرب ومفسّري القرآن فظنّوهُ الحيوان. ومعلوم انّ الفيلة لم تستطع السكنى في جزيرة العرب. وممّا ورد في هذه المقالة انّ الملك النصرانيّ الذي خلف ذا نوّاس على نجران هو «كالب» لهُ نقود ماسمهِ بين مسكوكات اليمن القديمة ومثلها ايضاً للذين خلفوهُ

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الخوري يوسف العشيقي ما هي المؤلفات التي تبحث عن حقوق الاولاد الأبكار

حقوق الاولاد الابكار

ج لا نعرف كتاباً خاصاً يوضح حقوق البكارة الّا انّ في كتب الشرع والحق القانوني الشرقيّ والغربيّ والدستور العثماني والمجلّة وكتب المواريث فصولاً في ذلك. وهذه الحقوق تختلف في كلّ دولة كما اختلفت في غابر الازمنة والامكنة

س وسأل من بتلو حضرة الخوري ف . ش . ١ً متى أُطلق اسم البروتستانت على تبعة لوتاروس . ٢ً هل يعمّ هذا الاسم كلّ الشيع . ٣ً هل هو مثبت من التاريخ انّ لوتاروس قبل وفاته استدعى كاهناً كاثوليكياً فرفض مشايعوه اجابة طلبه

البروتستانت . اسمهم وزعيمهم

ج نجيب على (الاوّل والثاني) انّ اسم البروتستانت ومعناهُ المحتجّون دلّ اوّلاً على أنصار لوتاروس الذين احتجّوا على الامبراطور شرلكان وعلى الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٥٢٩ . ثمّ أُطلق بعد ذلك في فرنسة على تبعة كلوينوس وما لبث ان عمّ جميع شيع البروتستانت مع تعدُّد آرائهم واختلاف نزعاتهم وربّما اتّخذوا اسم المصلحين وذوي الاصلاح (الموهوم) . ومن البروتستانت من لا يرضى حالاً بهذا الاسم . نجيب على (الثالث) انّ ما يقال عن استدعاء لوتاروس لكاهن كاثوليكيّ عند وفاته ليس بصحيح وانّما هذا يُروَى عن ڤولتير الذي في مرضه الاخير طلب كاهناً كما كان طلبهُ في مرض سابق الّا انّ اصحابهُ في هذه الدفعة لم يسمحوا للكاهن بالدخول عليه

س وسأل الاديب ش . م من نيو يدفرد ماساس في الولايات المتحدة : ١ً هل يجمع الاعتراف بواسطة التلفون في حالة الضرورة . ٢ً هل يستطيع من أكل قبل نصف الليل بقليل ان يتناول القربان في اي ساعة كانت بعد منتصف الليل

اسئلة طقسيّة

ج نجيب على (الاوّل) انّ المرجّح انّ الاعتراف بالتليفون لا يجوز حتّى في حالة الضرورة ما لم يتحقّق الكاهن ان المريض المدنف على الموت يكلّمهُ رأساً . ولكن يستطيع الكاهن ان يحرّض المريض على ان يصدر فعل الندامة الكاملة فينال بها الغفران عن خطاياه . نجيب على الثاني انّ المناولة مسموح بها بعد نصف الليل ولو أكل المتقرب قبل نصف الليل بزمن قليل .

ل . ش

وكان اصل هؤلاء الفاضلات الاربع من جهات فرنسة المختلفة من أسر زهيدة بالأملاك الزمنيَّة غنيَّة بالفضائل المسيحيَّة تربين اصلح تربية على ايدي راهبات المحبة فعمل فيهنَّ مثال اولئك الملائكة المتجسدين فقصدن الاقتداء بهنَّ وهجرنَ العالم وملذاته ليعشن لله ولخدمة القريب . وبعد أن مكَّنَ في قلوبهنَّ الفضائل الرهبانيَّة وأدركن تماماً ما يطلبهُ الله منهنَّ من التجرُّد وتضحية الذات في سبيل المرضى والمنكوبين تردَّين بثوب خدمة المسيح في ممثليه التعساء على رؤسهنَّ ترفرف قرنيَّة البرارة وعلى وسطهنَّ نطاق سُبحة البتول مع الصليب المحيي . فبرزن مسرعات متطايرات حيثما وَجدنَ بؤساً يُصلحنهُ وجراحاً يضمِّدنهُ ودواء يداوينهُ

وكأنَّ الرب وجد في هذه النفوس الاربع ما سُرَّ بهِ قلبهُ الاقدس من سامي الفضل وجزيل البرّ فجمع بينهنَّ في دير واحد ليُعدهنَّ الى دعوة الاستشهاد الجليلة . فاخذن يتنافسن في كلّ عمل مبرور ويتسابقنَ في كلّ مشروع صالح في مدينة اراس لم يشاهدهنَّ احد في ذلك المضمار الّا حنى رأسهُ إجلالاً واعتباراً

قامت الثورة الكبرى واندفعت اندفاع السيل الجارف في كل انحاء فرنسة لم تخلُ في ثنائها مدينة اراس من بلاياها وفظائعها الّا انَّ الراهبات كنَّ في ديرهنَّ كفي مقدس لم تجرأ يدٌ أثيمة ان تمسَّهُ بأذًى بل طمَّنهنَّ ارباب الجمهوريَّة قائلين : لا بأس عليكنَّ طالما لا تنوين الّا خدمة الشعب واسعاف المبؤوسين والمرضى

فواصلت الراهبات اعمالهنَّ المقدَّسة مستورات محصنات يقدمنَ لله في السرّ اتعابهنَّ واوجاعهنَّ لخلاص فرنسة من المحن التي دهمتها ولو شاء الله تضحية حياتهنَّ يبذلنها بطيب القلب لسلام وطنهنَّ ونجاتهِ من الفتن والمشاغب

٢ شهيدات محبة الله

سمع الله صوت دعائهنَّ فاراد ان يضيف الى استشهاد محبَّة القريب استشهاد الدم في سبيل حبهِ تعالى فيضاعف جزاءهنَّ بقبولهِ حياتهنَّ تكفيراً عن آثام آل الوطن وقد شاركنهُ بشرب كأس ابنهِ الوحيد تدريجاً الى عكرهِ . فكان اوَّل ما ذُقن من مرارتهِ انَّهُ قضي عليهنَّ ان يخلفنَ ثوبهنَّ الرهباني فرضينَ بذلك مؤملات ان يداومنَ خدمتهنَّ للفقراء والمرضى

وبعد زمن قليل امر رؤساء مجلس الجمهوريّة بان يُكرَه الاكليروس والرهبان على قسَم ملتبس اللفظ غامض المعنى رأى فيهِ الجانب الاعظم من ارباب الكهنوت خرقاً بكرامة الدين ومن ثمَّ عوَّلت راهبات دير لرَّاس على نبذ ذلك الحلف. فحضَّ المأمورون طرفهم على إبائهنَّ فاستمررْن على اعمالهنَّ التقويَّة الخيريَّة الى خريف السنة ١٧٩٣ وهنَّ لا يزلْن مكرَّمات مشكورات من الجميع

ففي تشرين الاوَّل من السنة قدم يوسف لوبون السابق ذكرهُ متقلّدًا الحكم في ارَّاس فارتعدت فرائص الجميع لقدومهِ وكان بلغهم سابقاً ما هو عليهِ من فظاظة الطباع وشراسة الاخلاق. فما كادت تستقرُّ قدمهُ في المدينة حتى القى في السجن عددًا عديدًا من سكَّانها مدَّعياً بعدم اخلاصهم الحبَّ للجمهوريَّة. ثمَّ أرسل مأمورَين يسألان الراهبات أأدّيا القسم المفروض من الجمهوريَّة؟ فكان جواب الرئيسة كما اجابت سابقاً انَّ الضمير يمنعها واخواتها عن أدائهِ

فاتَّخذ لوبون وجماعتهُ هذا الجواب كحجَّةٍ للتشديد على الراهبات فأتوا مرَّةً ومرَّتين لتفتيش ديرهنَّ دون ان يجدوا شيئاً موجباً لمصادرتهنَّ. ثم أبدلوا اسم المأوى ودعوهُ «دار الانسانيَّة» واحلُّوا فيهِ في ٢٥ تشرين الثاني ناظرًا من قبلهم مع طبيب وجرَّاح واجزائي وفرضوا لهم راتباً من مداخيل مستوصف الراهبات اربعة آلاف ليرة فلم يبقَ للراهبات والفقراء من النفقة الَّا ما لا يُعبأ بهِ ولا يسدُّ رمَقاً

فلم تنفكَّ الراهبات مع كلّ ذلك عن العمل وكنَّ يستعطين في المدينة للقيام بمعاش المرضى والمحتاجين وقوتهنَّ اليومي محتملات تلك المعاملات السيئة باجمل الصبر. وبقين على ذلك نحو ثلثة اشهر اجتهدن في مطاويها ان يكتسبن بلطفهنَّ وخدمهنَّ الصادقة قلوب اولئك الوحوش الضارئة فلم يزدادوا الَّا شراسة. وفي ٥ شباط ١٧٩٤ اتى من قبل لوبون رجلٌ شبيهٌ بهِ قحةً وجفاء يُدعى موري (Mury) وسكن الدير واخذ يسلق الراهبات بالكلام والشتم وبعد ايَّام استخرج من لوبون وشركائهِ حكماً في حقهنَّ بانْ يكففن ايديهنَّ عن الادارة ويودَعن السجن

فحُبسنَ اوَّلًا في السجن العمومي الذي كان سابقاً مقاماً لرئيس الرهبان (Abbatiale) فبقين شهرًا بنيف ولمَّا أُحضرنَ امام المجلس للاستنطاق لم يجد المستنطقون ما يعلّلون بهِ معاملتهم الَّا امتناعهنَّ عن القسم المخالف لذمَّتهنَّ

فاعتُبر جوابهنَّ كجرم في حقّ الحكومة ونُقلن الى سجن اشدّ ظلمة واكره سكناً فضلاً عن حرَجهِ وقلّة سعتهِ يُدعى سجن « پروفيدانس » كانوا خصّوه سابقاً بالمومسات فاخرجوهنَّ ليُلقوا فيهِ سيّدات واوانس من أسر كريمة طمعوا في استصفاء اموالهنَّ مدّعين انهنَّ من اعداء الجمهوريّة . وكان عددهنَّ قريباً من الخمسانة والمكان يضيق على اكثر من مئة وخمسين اسيراً . ففي هذا الحبس دخلت الراهبات فرحاتٍ جذلات اذ أهّلنَ ان يشاركنَ ربّهنَّ بالامهِ

لكنهنَّ ما لبثنَ ان نسينَ اوجاعهنَّ ليفكّرن في خدمة رفيقاتهنَّ . والحقّ يقال ان اولئك التاعسات كنَّ في حالةٍ يُرثى لها وهنَّ غائصات في لجج الاكدار مذ فُصلن كرهاً عن اولادهنَّ واهلهنَّ وزُجّجنَ في السجن لا ينتظرنَ الّا الموت الاحمر . فكان مجيءُ الراهبات بينهنَّ كبلسم على جراحهنَّ فاخذنَ يُنهضنَ الهمم ويُنعشنَ القلوب ويُنفّسنَ عن الجميع كُربتهنَّ رافعات بنظرهنَّ الى صليب الربّ منبع كلّ تعزية وسلوان وحادياتٍ بهنَّ الى التسليم الى ارادة الله

قضت الراهبات نحو شهرين في هذا الحبس يقاسينَ ضُروب الآلام لا ينلن من القوت الّا ما لا يفي بحاجتهنَّ . وكان عمّال الحكومة يطلبون حجّةً ليحكموا عليهنَّ بالموت فلم يجدوا الى ان ادّعوا انّهن أخفين في دارهنَّ اعداداً من الجرائد المحظورة وانهنَّ كنَّ يخالطنَ اعداء الحكومة . فنفت الرئيسة الاخت فونتين هاتين الشكايتين واظهرت بكلّ جلاء انهما اوهى من نسيج العنكبوت وانَّ كلّ حياتها وحياة اخواتها مقصورة على خدمة المساكين لا يعاشرنَ غيرهم ولا يتعاطينَ شيئاً من امور السياسة . وكان جواب اخواتها كجوابها دون خلاف

غير انَّ موري واصحابهُ كانوا كالنمورة لا يرضون الّا بدماء فرائسهم فاخذوا يطلبون حججاً على اولئك العذارى القديسات تارةً يدّعون انّهم وجدوا خبايا في زوايا بيتهنَّ وطوراً انّهم وقفوا على اوراق سرّيّة الى غير ذلك من الترّهات والسفاسف التي لا يبتدعها غير اوباش القوم . وكانوا مذ شهر نيسان نقلوهنَّ الى سجن الدم المعروف بسجن « دي بودي » (des Baudets) فتولّين هناك اعمال الرحمة والحنان مع من وجدنهم من المبؤوسين الآنسين ولطّفن اوجاعهم كما فعلن بالسجن السابق

وفي تلك الاثناء دُفع الحكم المُطلق الى ايدي يوسف لوبون في حاضرة كبري

التي ارّاس من توابعها ورُخص لـهُ ان يتحكّم في رقاب الملأ كما شاء . . فكان وصولهُ الى مكان مأموريّتهِ في اوائـل شهر أيار وأعلن من ساعتهِ أنّـهُ سيُجري الحُكم الصارم في كلّ اعداء الثورة . وللحال أُلّف جماعات من الشُرَط والجواسيس فما عتّمت السجون أن ضاقت عن عدد الاسرى

ثمّ نصب المِقصلة لقطع الرؤوس في وسط ساحة المدينة فكان بشكاية بعض المدّعين العموميين يبتّ حكمهُ دون ابطاء فتتوالى عَرَبات المتهمين من دار المجلس البلدي الى منقـع الدم والجلّادون يتناوبون باعمالهم الهمجيّة بينما كان الهلع باسطاً رواقهُ على سائر الاهلين فيلزمون بيوتهم ويتوقّعون شرَّ العُقبى

ولم يَنْسَ ذاك الوحش الضاري فرانسهُ في مدينة ارّاس وبعد ان ولغ في دماء اهل كبراي ارسل الامر الى اصحابهِ الى ارّاس ان : « نحتـاج الى رؤوس نقطعها فأسرعوا لئلّا تبقى المقصلة فارغةً ولا تنسوا الراهبات » . فبلغ الامر في العشر الثاني من حزيران الى ارّاس وذاع الخبر بين الاسرى فعلا الصراخ وتصاعد العويل فكانت ساعة من الكآبة والجزع لا يستطيع القلم ان يصفها اذ كان يُدعى كلّ اسير باسمهِ

وكان اوّل المدعوّات ليركبن عربات الموت جملةٌ من شريفات المدينة فأجهشنَ بالبكاء وغشي عليهنّ لشدّة الخوف فتأثرت الراهبات من هذا المنظر وكأنّ وحياً من السماء حلّ على رئيستهنّ فتقرّبت منهنّ وقالت بصوت جهور : « اكففنَ الدموع وكنّ مطمئنّات فانّنا نحن نكون ختام الضحايا » . فسمعت النساء تلك الكلمة ولم يعلمن ما فيها من الصحّة ولاسيّما انهنّ السابقات الى كبراي فلا شكّ انهنّ يسبقن ايضاً الى القتل

ولما دُعيت الراهبات بعد ساعات ركبن العَجلة بكل هدوّ وتؤدة وعيونهنّ الى السماء وفي ايديهنّ سُبحة العذراء كنّ يتلونها في الطريق ويطلبن من الله ان يتقبّل ضحيّتهنّ ويفدي بدمهنّ رفيقاتهنّ ويحنّ على شعبهِ بردّ السلام للوطن . فلمّا بلغنَ نصف الطريق التقينَ بالعربة التي سبقتهنّ وكان احد دواليبها قد انكسر فاضطرّ السائق الى ان يصلحهُ فكرّرت الرئيسة قولها على مسامع السيّدات : « لا بأس عليكنّ فكنّ مطمئنات لأنّنا نحن خاتمة كلّ الضحايا »

ثمّ سرنَ وهنّ الآن في مقدّمة الجميع فبلغن كبراي في ضُحى اليوم السادس

والعشرين من حزيران ١٧٩٤ فقادهنّ السائق الى الحبس المختصّ بالأئمة الذين قرب فيهم نفوذ الإعدام وكان المدّعي العمومي المدعوّ كوبريار قد سبقهنّ اليه ليلقيهنّ فيه ريثما يأتي دورهنّ للمحاكمة لكن السجّان أبى قبولهنّ لضيق السجن عن الاسرى. فكان ذلك داعياً الى تعجيل محاكمتهن وموتهنّ وتتمّةً لنبوّة الطوبويّة فونتين بانهنّ خاتمة الضحايا

فحملوهنّ الى الدار الاكليريكيّة سابقاً لينتظرنَ اجتماع المجلس فدخلنَ ساعةً في معبد الدار المجرّد عن اقداسه وجدّدن تقدمتهنّ للربّ الذي كان قدّس ذاك المعبد بقربانه. وبعد هنيهة استأنفنَ السير الى المجلس الذي انعقد للنظر في امرهنّ وكان غوغاء الشعب حول نادي القضاء يشاركون القضاة بجلبتهم ويحبّذون حكمهم على المتّهمين. لكنّهم على خلاف العادة اذ رأوا اولئك الراهبات وعلى وجوههنّ سمة الحشمة والوقار والسكينة لزموا السكوت التامّ

تجدّد استنطاق الاخوات دون جدوى ولم يجد سُعاة لوبون واحزابهُ موجباً لحكم الإعدام لبطلان الشكايات السابقة القريّة الّا انّهم عادوا اخيراً الى القسم المطلوب منهنّ ولم يألوا وسعاً في اقناعهنّ بابرازه لكنهنّ بازاء الموت ثبتن على امانتهنّ لصوت الضمير وكرّرن لآخر مرّة انّ الذمّة لا تسمح لهنّ بقسم كهذا. فللحال صرخ قضاة السوء: «فلتحيَ الجمهوريّة وليمُت أعداؤها». وكانوا ينتظرون ان يجد هتافهم صدًى في الحضور فلم يتبعوا ببنت شفة وغلب على قلوبهم الأسف والحنان لكنّهم لم يجسروا على معارضة الحكّام

ولما نزلت الراهبات درجات المجلس أعدّوهنّ لقطع هامتهنّ. فأماطوا القناع عن رؤوسهنّ. وحاولوا ان يوثقوهنّ بالحبال فرأى احدهم في ايديهنّ سبحة العذراء فاراد ان ينتزعها من ايديهنّ امّا هنّ فتشبّثن بها ولم يسمحن ان يجرّدهنّ عنها. فاعتدّ المباشرون ذلك خرافةً واخذوا السابح ووضعوها على رؤوسهنّ سخريّةً وتهكّماً ولم يدروا ان ذلك الاكليل كان رمزاً عن التاج المعدّ لهنّ قريباً في السماء كما كانت في اوائل الكنيسة الفتيات الشهيدات يسرنَ الى منقع الدم واكاليل الزهور على رؤوسهنّ. فزاد تأثر الحضور لهذا المنظر

وصلت الشهيدات الى لحف الصقالة التي كانت المقصلة فوقها فجثونَ على الركب

مستحرات بالصلاة ثم صعدن بمل الثقة والشهامة فأنفذ الحكم اولاً في الاخوات الثلث قبل رئيستهن وهي تقويهن بنظرها وصلاتها . وقبل ان يُقطع رأسها التفتت الى الجمهور قائلةً : « أعيروني سمعكم ايها المسيحيون أننا نحن آخر ضحايا حكم الثورة وغداً ينتهي الاضطهاد وتخرب عمّا قليل هذه الصقالة وتزال المصقلة وتعود هياكل الربّ الى رونقها ومجدها »

وما مرّ على قولها بضع ثوانٍ حتّى انتقلت روحها البارّة الى الاخدار السماويّة . وأُلقيت جثث الشهيدات في الحفرة العموميّة من مقبرة المدينة . ولمّا بلغ كلام الرئيسة مسامع يوسف لوبون استغرب ضحكاً وقهقه معهُ كلُّ اصحابهِ ناسبين قولها الى الهذيان بل امر لوبون بان يعدُّوا حفرةً واسعة لاربع وستين شخصاً عوّل على إعدامهم . لكنّ عوائق شتى حالت دون رغبتهِ فلم يستطع ان يتمّ قصدهُ فعلاً . ثمّ وقع عيد الجمهوريّة فخرب الشعبُ صقالة المقصلة في ١٣ تموز وفي حساب لوبون انّهُ يعيدها بعد العيد فخاب ظنّهُ بل اقيم عليه دعوى شغلتهُ عن إسراهُ . وفي تلك الاثناء دارت الدورة على روبسپيار في باريس وظفر بهِ اعداؤه واعدموه مع اخيهِ في ٢٧ تموز من السنة والقوا القبض على انصارهِ

فبلغ الخبر الى كمبراي في غرّة آب وفي ثاني يوم اوقفوا يوسف لوبون وزجّوهُ في الحبس واذاقوهُ مرارتهُ كما فعل بغيره . ولم يزل يتنقّل من سجن الى آخر مدّة ١٤ شهراً ممقوتاً من الجميع مرعوباً بمنخاس ضميره الى أن حُكم عليهِ بالاعدام بنفس المصقلة التي أعدم بهِ المئين من المظلومين في ١٥ ت ١ سنة ١٧٩٥ وازدحم الناس حول جثّتهِ فرجموها بالحجارة تشفياً . ثمّ فُتحت بعد قليل الكنائس وأُعيدت المراسم الدينيّة وهكذا تمت بالحرف نبوّة الطوبويّة الاخت فونتين

وكما حلّ غضب الله بالمضطهدين كذلك اراد تعالى ان يمجّد ابرارهُ وبعد الفحص المدقّق عن حياة تلك الشهيدات وسموّ فضائلهنّ لاسيّما في موتهنّ وذلك في مدينتي ارّاس وكمبراي رفع اساقفة فرنسة الدعوى الى رومية التي اعادت فيها النظر وتصفّحت كلّ الكتابات التي حرّرها الشهود العيانيّون وغيرهم الى ان لم يبق ادنى ريب في صحّة ما روتهُ الدواوين الخاصّة فاثبت اخيراً الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر بارادتهِ السنيّة وحكمهِ السامي قداسة تلك النفوس المبرورة ونظمهن في سجلّ

اولياء الله في عداد الطوباويات وذلك في ٢ ك١ سنة ١٩١٩ وبعد ان أقيمت في رومية حفلات شائقة في السنة المنصرمة تكررت الاعياد في غيرها من المدن في السنة الحالية. وقد سُررنا نحن باقامتها بيننا في كنيسة حضرة الآباء اللعازاريين حيث أكرمت منشئة جمعية راهبات المحبة الطوبوية دي ماريلياك مع بناتها اللواتي جرين على آثارها فنلن ما نالته من الامتياز والشرف. فنهنئ من صميم القلب بنات القديس منصور دي بول بهذه الاعياد ونرفع الى الله شكرنا على ما احظى بلادنا من اعمالهن الخيرية ومساعيهن المبرورة زادهن الرب عددًا وفضلًا لمجد كنيسته ولخير عباده

تنصُّر الامير عبدالله اللمعي (١

لحضرة الخوري اسطفان فريحه البشعلاني

نشر المشرق الاغرّ في سنته الماضية (١٩٢٠ : ٥٤٣) مقالًا بشأن تنصُّر الامراء اللمعيين والشهابيين جاء فيه ان اول من اعتنق النصرانية هو الامير عبدالله ذكرهُ الرحالة الفرنساوي السيد بولس لوقاس في رحلته الى الشرق سنة ١٧١٤ بامر الملك لويس الرابع عشر ولم يصرّح بحقيقة نسبه ولا وطنه. ولمّا كنتُ قد تجرّدت للبحث عن هذه الحقائق المهمّة احببت ان اورد خلاصة ما وصلت اليه ابحاثي في هذا الشان خدمةً للتاريخ. وقبل ذلك انقل كلام الرحّالة بتمامه فانه بعد ان ذكر حادثة خلع البطرك يعقوب عواد واعادته الى كرسيه قال ما تعريبه بكل ضبط (٢ :

« من الحوادث الخطيرة التي كانت ضربةً أليمة على نصارى لبنان عزلُ الامير عبدالله الذي عُرف بجميله الى النصارى وامتاز بتعزيز الموارنة اكثر من سائر الحكام لانه كان يعاملهم بالحسنى ويستعين بهم على الولاة الاتراك محافظة على بقيّة سلطة طالما حاولوا نزعها من يده

١) قد اقتصرت الان على ذكر تنصُّر هذا الامير على ان اعود انشاء الله الى التبسُّط في تاريخ تنصُّر بقية اللمعيين ولاسيما الامير حيدر الشهير

٢) رحلة لوقاس المجلد ١ الجزء ٣ ص ٣١٩ طبعة روان

«وكان الحاكم المعروف بامير الدروز مطلق التصرُّف في بلاده لكنه يخضع لوالٍ تركي ويقدم لهُ عسكرًا عند الحاجة ولم يكن خضوعهُ هذا ليؤثر براحته لولا ما كان يلقاه كل يوم من الترك من التضييق والتحكُّم مما يُلجئهُ الى استرضائهم بالمال الكثير

«على ان الامير عبدالله لم يستطع ارضاء ولاة صيدا والشام مع كل ما ابداهُ من التحوُّطات لكثرة مطامعهم . وكان اشدّهم طمعاً والي الشام الذي عُرف بالقسوة والجبارة حتى تمكَّنت هيبتهُ من قلوب الناس وكاد يفوق الصدر الاعظم سطوةً ونفوذًا وزادهُ عُجبًا تغلُّبهُ على العصاة من عرب فلسطين وغزَّة ولذلك صمَّم الصدر على عزله غضبًا لشوكته

«ورأى الوالي المذكور انه اصبح الحاكم بامره في البلاد فاخذ يتفنَّن بإرهاق الدروز وحكامهم بانواع المظالم والمغارم حتى اذا لم يستطيعوا القيام بضرائبه الفاحشة اتفق مع والي صيدا على نزع الحكم من يد الامير عبدالله واسرتهِ الذي ورثوهُ كابرًا عن كابر وتسليمهِ الى أُسرة اشتهرت بالعداء والبغض لهم

«فجمع هذان الواليان العساكر واتتهما النجدات لقتال الامير واحلافهِ واضطُرَّ الاميرُ الحاكم حنيد فخرالدين ان يترك قصره ويتوارى مع امراء البلاد في المغاور والجبال . امَّا الامير عبدالله فانه وقع في ايدي اعدائه الذين دبَّروا المكائد ونصبوا لهُ الأشراك . فكان حزن النصارى شديدًا ولاسيما المرسلين الكبوشيين الذين اجلَّهم الامير وقرَّبهم اليه وبنى لهم ديرًا في إقطاعتهِ وكان يريد اعتناق الدين المسيحي بعد ان يتلقَّن مبادئ اسراره المقدسة ويصير اهلًا للعماد

«وبينما كان ذلك الامير والشيخ الوقور ملقًى في ظلمة السجن وقد اصبح محرومًا من ضروريَّات المعاش كان المرسلون يحتالون لإيصال المساعدات اللازمة لحياتهِ وخاف الامير ان يهلك جوعًا وتذهب ارشادات هولاء الاباء باطلًا فطلب المعموديَّة فعمَّدهُ احد خدَّامهِ الموارنة بارشاد المرسلين الأفاضل . وقد اقتبل السرَّ بحرارة وتقوى كما يليق بالمسيحيين الاولين وكانت يداهُ مضمومتين وعيناه شاخصتَيْن الى السماء وهما تهطلان الدموع

«واذ ذاك صرح لخادمه الامين بكل شجاعة انه لم يعد يخشى الموت بعد ان نال

الحظ وصار نصرانياً وطلب اليه ان يُبلغ خبر تنصره الى الاباء الكبوشيين. فلمّا علم المرسلون بذلك طابت نفوسهم ولم يقتصروا على الدعاء لهُ بجزيل النعمة والحياة العلوية بل بذلوا الجهد في سبيل العفو عنهُ فاتّفقوا مع احد التجار على ان يؤدي الفدية عن الامير. غير ان الباشا لم يكتفِ بها بل شدّد في طلب فدية اتباع الامير كلّهم واذ لم يقدروا على أدائها ظلّ الامير مسجوناً

«واثّرت هذه المعاملة القاسية بابناء الامير عبدالله حتى صار يهون عليهم ان تذهب بيوتهم وأملاكهم ويسلم ابوهم فاخذوا يسعون لتخليصهِ وكان ابنهُ البكر الامير حسين اشجع امير في الدروز فجمع هو واخوتهُ رجالهم ورجال احلافهم وذهب الى الامير الحاكم المختبي وحمله على ان يجمع اصحابه حتى اذا تمّ حشد الجيش ساروا الى اعدائهم مصمّمين على النصر او الموت وهكذا زحفوا اليهم وكانوا قد تحصّنوا في عين دارة .

«ولم تمضِ ساعتان من الزمان حتى انتصروا عليهم انتصاراً باهراً فقتلوا من ناوأهم وغنموا ما كان معهم لكنهم لم يتعرّضوا لرجال الدولة وعسكرها مخافةَ إغضابها . وبهذا استعادوا حرّيتهم المسلوبة وإقطاعاتهم المغصوبة ولم يبقَ غير الامير عبدالله الذي لم يكن في وسعهِ ان يؤدّي فدية المسجونين أتباعهِ الباهظة ولذلك ساقوه الى البصرة القريبة من العجم وكان والي صيدا قد نُقِلَ والياً عليها

«على ان الامير المظلوم كان يعتبر ان عزاءه من الدنيا الحصول على سرّ العماد فلم يرغب سوى الاجتماع بربه في السماء وكان اوّل عمل فعلهُ اولادهُ بعد استعادة إقطاعاتهم انهم بعثوا افأتوا بالمرسلين الذين لم يكفّوا عن عمل الخير في البلاد من ١٧١٠ ايام حدوث الفتنة المذكورة وبناء على اشارة الصدر الاعظم واوامره الشديدة لم يعد والي الشام ولا غيره يُقلقون النصارى والدروز من ذلك الحين» (تمّ المنقول عن رحلة لوقاس)

***

ان الامير عبدالله هذا هو ابن الامير قيدبَيه ابن الامير ابي اللمع جدّ الامراء اللمعيين وقد اجمع المؤرّخون على انهم ينتسبون الى بني فوارس التنوخيين من اشرف القبائل العربية المتنصّرة الذين يرتقي نسبهم الى النعمان بن المنذر ملك الحيرة. هاجرت هذه القبائل بلاد العرب عند ظهور الاسلام واقامت بجوار حلب ثم انتقلت الى لبنان

في اوائل القرن التاسع وكانت عشر طوائف

ولما جرى اقتسام البلاد وتفرّق الطوائف اصاب طائفةً من بني فوارس إقطاعةُ المتن فسكنوا اعاليهُ وقويت شوكتهم فيه الى ان نشأ منهم في اواخر القرن السادس عشر امير كبير يُعرف بابي اللمع مؤسس هذا البيت المشهور فاتخذ قرية كفر سلوان دارًا لاقامتهِ واقام ولده البكر قيدبيه في صليا حيث نشأ الامير عبدالله حفيد ابي اللمع وكان وحيدًا لابيهِ (١

ومن مراجعة رواية رحّالتنا يظهر ان الحوادث المذكورة فيها لا تختلف عما جاء في تواريخ الامير حيدر وطنوس الشدياق وغيرهما من التنازع والتطاحن بين الحزبين القيسي واليمني وتواري الامير حيدر الحاكم الكبير وقيام الامير حسين ابن الامير عبدالله زعيم القيسيين وكيف جمع احزابهُ ودهموا اليمنيّين في عين دارة حتى ابادوهم عن بكرة ابيهم (٢ الى غير ذلك ممّا يدل صريحًا على ان الامير عبدالله هو اميرنا اللمعيّ ليس غيره

اما مسئلة وقوعه في الأسر ونفيهِ الى البصرة فانها وان لم تَرِدْ في التواريخ الوطنية فليست بالامر الغريب وقد رأينا حفيدهُ الامير حسّن ابن الامير حسين في صليا يؤخذ اسيرًا ويصيبهُ ما اصاب جدّهُ من النفي الى البصرة حتى فُدي اخيرًا وعاد الى بلاده عن طريق دمشق بعد غيبة طويلة(٣ . هذا وان الرحالة المذكور كان معاصرًا للامير عبدالله فتقصّى اخبارهُ ووقف على تفاصيلها من الكبوشيين وغيرهم من الثقات ممّا فات غيره من المؤرخين المتأخرين

بقيت مسئلة تنصُّر الامير التي هي الغاية من مقالنا هذا فانهُ وان لم يذكرها غير لوقاس فقط فان لدينا من البراهين والادلّة ما يؤكد صحّتها ويثبت رواية هذا الرحالة الغريب وهذه هي:

١ً ان المؤرخين قد اجمعوا على ان اللمعيّين يعود اصلهم الى بني تنوخ من

---

١) طالع تواريخ الامير حيدر (ص ٣٥٠ و ٧٢٢ و ٧٣٣) وتاريخ الاعيان للشدياق (ص٦٧ و ٢٥٨–٣٠٤) وتاريخ البيطوريني (في المشرق ٤ : ٧٧٣) وشرشل بك (ج ٣ ص١٠٠) وغيرهم من المؤرخين ٢) طالع هذه الاحداث في التواريخ المذكورة لسنة ١٧١٠ م

٣) تاريخ طنوس الشدياق (ص ٦٨)

متنصرة العرب وان اجدادهم ملوك الحيرة اشتهروا بدينهم النصراني والإغراق فيه وكان لهم الايادي البيضاء في عمارة الاديرة وتشييد الكنائس (١ . ولما كانوا في الديار الحلبية ارغمهم المهدي (الخليفة العباسي) سنة ٧٧٩ م على الاسلام فاسلم الرجال وكانوا خمسة الاف ونجا النساء وبقين على نصرانيتهن واستشهد رجل فاضل منهم اسمه ليث (٢ ثم رحلوا الى لبنان حتى اذا ظهر مذهب الدروز عضده الامراء وعُرفوا به

وبقي فيهم نزوع الى النصرانية التي كانت تظهر كالنار الكامنة في بعض ادوار حياتهم حتى تنصّر الامير عبدالله ولم يلبث احفادُهُ ان اعتنقوا النصرانية باجمعهم في اواسط القرن الثامن عشر فيكون هذا الامير قد جاهر بميل عشيرته الموروث ونزعتهم المتسلسلة ولا عجب انهم كانوا يكتمون ميلهم هذا كما فعل الامير فخر الدين المعني فلانهم كانوا في وسط محمدي وحكومة اسلامية والاكثرية في إقطاعة المتن كانت من الدروز

٢ً ان لديَّ طائفةً كبيرة من الصكوك والمحرَّرات الموقَّعة بخط الامير عبدالله او الباقية من آثاره الكتابية وفيها ما يدلُّ على مبادئه النصرانية فلا نراه يذكر في كتاباته البسملة ولا نبي الاسلام مما جرى عليه الدروز وسائر بني محمّد . وسوف انشر شيئاً من هذه الكتابات . وكان شهيد الوطن الشيخ فريد الخازن رحمه الله يقول ان عنده صورة مكاتبات منقولة عن محرَّرات توسكانا بين الدوق والامير اللمعي تشير الى مبدإ الامير النصراني وتبرهن عن ذوقه الغربي كما اننا لم نسمع ولم نرَ في تاريخ اللمعيين ان اميرًا منهم جرى على قاعدة الطَّلاق المألوفة عند الدروز ولا تمشّى على شريعة تعدُّد الزوجات المرعيَّة عند المسلمين

٣ً ان كثيرًا من الحوادث التي وردت في رحلات الافرنج لم يذكرها المؤرخون عندنا إمَّا اختصارًا او إغفالًا لها لاشتهارها او لعدم اعتبارهم اهميتها وإما لانه لم تبلغهم اخبارها واذا بلغتهم فلا يجرؤون على ان يكتبوها . فهذه اخبار بعض المشايخ الخازنيين وبطاركة طائفتنا المارونية التي افاض بذكرها ده لاروك الرحالة الفرنساوي لم

---

١) طالع مؤرخي العرب وتاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص٧٣-٩٣) وتاريخ كلدو واثور (ص٢٠٧) والكولونل شرشل

٢) ابن العبري تاريخه السرياني سنة ١٠٩٠ يونانيَّة

يذكرها الكتبة المعاصرون. وهذه رواية استشهاد الشيخ ابي رزق البشملاني الذي قُطع راسهُ في قونية سنة ١٦٥٤ وإعدام ولده الشيخ يونس الذي مات في طرابلس شهيداً على الخازوق سنة ١٦٩٦ كما فصَّلها هذا الرحالة باسهاب لم يذكر منها العلامة الدويهي سوى النزر القليل للاسباب التي اوردناها . وهكذا فان المعاصرين ومَن بعدهم لم يذكروا تنصُّر الامير عبدالله لان تنصُّره بقي مكتوماً كما جرى للامير فخر الدين المعني الشهير على يد مرسل من الآباء الكبوشيين او لم تبلغهم أخباره وهو بعيد ولو عرفوا لما تجرَّأوا ان يذكروهُ في هاتيك الايام . . .

٤ ان التقاليد التي تتناقلها الاباء عن الاجداد في قريتنا صليا موطن الامير وفي غيرها من القرى المجاورة ان الامير عبدالله كان من الفضل على جانب عظيم وانه هو الذي قرَّب اليه النصارى وجعلهم من خاصَّتهِ ورجال دولتهِ . وهو الذي بنى لهم الكنائس والاديرة ووقف عليها الاملاك الواسعة . وعلى الجملة فقد كان حمًى للنصارى اللاذين به لجرّ مغنمٍ او دفع مغرمٍ يقطعهم الاراضي ويمدّ اليهم يد المساعدة حتى نما عددهم وطابت لهم الاقامة في قرى المتن ولاسيما في صليا التي رأت من العزّ والجاه في ايام اللمعيين ما جعلها تُباهي البلدان اللبنانية الكبرى حتى صاروا يقولون عنها في اغانيهم : صليا يا امّ البلادِ

٥ ان من الآثار الدالَّة على تديُّن الامير والناطقة بفضلهِ على النصرانية وحبّهِ لها الديرَ الكبير الذي انشأه في دير الحرف يوم كان مقيماً في قصره برأس المتن ووقف عليه الاراضي التي تُقدَّر اليوم بألوف الليرات وقد كتب فوق عتبة باب الكنيسة ما نصُّه :

« بسم الله الحي الازلي الدائم الابدي وبه استعين انشأ هذا الدير المبارك ان شاء الله برسم طاعة الله وعنايتهِ حضرة الجناب العالي المكرم الامير عبدالله ابن المرحوم الامير قيديه الشهير بابن ابي اللمع عفى الله عنهُ بتاريخ ذي الحجة من شهور اثنين ومائة والف» (١٦٩١م)

وقد كُتب تحته : « عمل المعلم جرجس والمعلم سمعان والمعلم جرجس الشامي » .

والاخبار المروية عن شيوخ بني ابي جوده في قرية دير الحرف ان الامير عبدالله شيَّد هذا الدير باعجوبة وهي : ان الوباء كان يفتك فتكاً ذريعاً في البلاد فخاف الامير على نفسهِ واهلهِ . فظهر القديس جرجس على جوادهِ للامير وليعض اهله وهم نيام وقال

لهم : «لا تخافوا انا مار جرجس النصراني صاحب كنيسة الوزّالة» وكان في قرية دير الحرف دير قديم على اسم القديس حلّ به الخراب ونبت في جوانبه الوزّال المعروف في بلادنا . فلما قام الامير واسرتهُ من نومهم حدَّث كل منهم الآخر بما رآه في الحلم واسرع الامير فرمّم الدير المذكور وجعل للكنيسة كاهناً يخدمها استقدمهُ من تولا البترون وهو الخوري جرجس الذي الى بنيه خيرالله الزعني من تولا جدّ أسرة ابي جوده الساكنة الى اليوم في دير الحرف وغيرها

٦ والأثر الذي كان في قرية صليا وقد اقيم اقراراً بفضل الامير عبدالله كُتب على رخامة ناصعة بخط مزركش جميل ووُضع فوق السبيل المعروف بعين احمد وهذا نصّه :

«انشأ هذا السبيل المبارك حضرة الجناب العالي والمقام السامي الامير عبدالله ابن بلمع المكرم بتاريخ نهار الثلثا من شهر رجب من شهور سنة سبع عشر ومائة والف والحمد لله» (١٧٠٥م)

وقد نُقلت الرخامةُ الى قصر ابناء الامير يوسف اسماعيل في بكفيا بعد ان هدم السبيل احد المخربين الناشئين في زمن الحرب الكبرى

٧ المعروف عندنا وعند الاباء الكبوشيين ان الامير عبدالله هو الذي انشأ دير الآباء الكبوشيين القائم الى اليوم في صليا وطن الامير حوالي سنة ١٧١٠م وكان يحب مرسلي الكبوشية فدعاهم اليه ووهبهم مكاناً جميل الموقع في اعلى صليا كان يُعرف يومئذٍ بعين بقحة فشيدوا فيه ديرهم على اسم القديس بطرس . واخذ عليهم عهداً ان يكون منهم طبيب يعالج الامراء والاهلين فضلاً عما يقومون به من الخدمة الدينية . وكان الامراء يقدمون للبادري جعلاً سنوياً من الحاجيات لمعاشه وبقي هذا العهد مرعياً زماناً طويلاً . وفي سجلات بكركي صورة صكّ شراء البادري مخايل الكبوشي الافرنجي رئيس دير صليا من مريم بنت ابي رزق سركيس بن فهد من قرية الشبانيه من بلاد المتن سنة ١١٢٠هـ قطعة ارض في الشبانيه باعها البادري لرهبان السريان الكاثوليك فشيدوا فيها دير مار افرام الرغم سنة ١٧١٠ بساعي الاب مخائيل الكبوشي الذي ترجّح انه صديق الامير عبدالله ومرشدهُ ومساعدهُ في سجنه والساعي في تنصّره . ومن ثمّ لا يبقى لنا ريب في انّ الامير عبدالله اللمعي هو اوّل امير تنصّر في لبنان وانّ رواية الرحّالة لوقاس مطابقة للحقّ وشهادتهُ مثبتة لشرف الاسرة اللمعية في سباقها الامراء المتنصرين

السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف موغبان ويوسف منسّى اليسوعيين

تمهيد

قد كثر القال والقيل في هذه الحقبة الاخيرة عن الارواح المنتقلة من هـذا العالم الى عالم آخر وما يُروى عنها من الاعمال الغريبة على يد بعض المتوسطين الذين يتعاطون مناجاتها . فتناقلت الالسنة ذكر هذه الرؤى وأشاعتها الجرائد والمجلّات فتباحث الكثيرون في صحّتها فمن ناكرٍ وجودها او ناسبها الى الشعوذة والمخرقات ومن مثبتٍ وقوعها . وربّما حكم الفريقان جزافاً دون انتقادٍ كافٍ وتروٍّ في الامور . فهذا ما حدا بنا ان نبحث في هذا الموضوع افادةً لقرّائنا ودفعاً للالتباس وكشفاً لوجه الحقّ

ولا بُدَّ في هذه التوطئة ان نعرّف السبيريتسم ونقرّر حدوده فنقول ان اسمهُ اللفظي مشتقٌّ من كلمة لاتينيّة معناها الروح موصولةٍ بصلةٍ دالّة على المعتقد او الرأي او التخصيص فيكون معنى السبيريتسم علم مناجاة الارواح او المذهب الروحاني كما دعاهُ البعض فيجوز تحديده «معرفة الوسائط للاتّصال بالارواح ومناجاتها للاستدلال على مكنونات الامور وخفايا المعلومات ولاسيّما اسرار العالم الآخر» . ومنهم من ينعتون هذه المعرفة باسم العلم بل يجعلونها مذهباً دينيًّا مبناهُ على ما يوحي بهِ الارواح . ولهذا العلم او هذا الدين خَدَمةٌ يُدعَون «سبيريت» (Spirites) وهم المتعاطون مع الارواح او المدّعون بمناجاتها او المتشيّعون لدين الارواح

وفي مقالتنا الحاضرة سنختصر اوّلاً بالاجمال تاريخ السبيريتسم ثمَّ نروي الحوادث المنسوبة الى الارواح وننتقد صحّتها ثمَّ نسعى بتفسير معانيها الغامضة . ومن بعد ذلك نبحث عن الدين المزعوم المبنيّ على المذهب الروحاني ونختم مقالتنا باثبات رأي الكنيسة الكاثوليكيّة وحكمها في السبيريتسم (١

---

١) دونك اخصّ التآليف الفرنساويّة التي وُضعت في هذا الشان

L. Roure: Le merveilleux spirite, *Paris, Beauchesne*, 3e *éd.*, 1919

Le Dr Surbled : Spirites et Médiums, 1901

١ نظر تاريخي في السبيريتسم

لقد طالما حاول الانسان ان يستشفّ اسرار الطبيعة الخفيّة وما يتّصل بالخلائق والارواح المحجوبة عن نظره . فانّ التاريخ يشهد على مساعي البشر في ذلك . وها هوذا الكتاب الكريم روى عن شاول في سفر الملوك الاوّل (٢٨ : ٧ – ٢٠) استقدامهُ للمرأة ذات التابعة في عين دور وكيف أصعدت لهُ روح صموئيل فأخبرهُ عمّا سيصيبهُ من البلايا . وكان تَبَعة افلاطون والاسكندرانيّون والأدريّون في قرون النصرانيّة الاولى يدّعون باصعاد الارواح . وقد تكرّرت هذه المدّعيات في القرون الوسطى مع ما كان يخالطها من السحريّات والشعوذة الى القرن السابع عشر مع ما تبعها من الظواهر الغريبة لمشايعي جنسنيوس في القرن الثامن عشر

على انّ السبيريتسم لم يبلغ سابقاً ما بلغهُ من الرواج والانتشار في القرن التاسع عشر حيث ثبتت هذه الكلمة لاحد مشاهير الكتبة «انّ الازمنة التي يغلب فيها الارتياب بحقائق الدين هي هي التي تغالي في المعتقدات الباطلة»

وكان مبدأ هذه نهضة السبيريتسم الجديدة في اميركة نحو السنة ١٨٤٨ . فانّ ثلاثاً من سيّدات أسرة «فوكس» بينا كنّ في بيتهنّ في قرية هيدسفيل (Hydes-vill) من ولاية نيويرك اذ سمعنَ طرقات سرّيّة لم يستطعنَ كشف معناها ونسبتها الى روح رجلٍ كان توفّي في تلك الدار فسعينَ بحادثتهِ بواسطة علامات اصطلاحيّة اتّفقنَ عليها وبها اطّلعنَ على بعض امور الروح المذكورة التي قالت لهنّ انّها روح رجل اسمهُ شرل رَين (Ch. Rayn) مات قتلاً ودُفن في تلك الدار قبل سنتين . فاستأنست النساء بتلك الروح وظلّت تتردّد عليهنّ بل تبعتهنّ الى روشستر والى نيويرك لمّا حللنَ فيهما

Le Dr Grasset : Le Spiritisme devant la Science, *Paris. Masson*, 1909 = Id. : Idées médicales, *ch. sur l'Occultisme*

Dr Pierre Janet : L'automatisme psychologique .*Paris, Alcan*, 1903

A. Arcellin :La dissociation psychologique: Etudes sur les phénomènes inconscients

Castelein : Psychologie, *Bruxelles, Devit*, 1904. *L'Appendice*

ثمَّ بعد مناجاتهنَّ للروح المذكورة وجُهنَ نظرهنَّ الى ارواح غيرها ظهرتْ لهنَّ على طرق شتَّى وربَّما حضر الغرباء هذه الجلَسات فكانوا يحدقون حول طاولة يرقبون الظواهر الروحانيَّة فيشعرون مسيساً على وجوههم واكتافهم ويشاهدون سحابةً من المانع رماديَّةً ويسمعون اصواتاً وجلبةً في مكان اجتماعهم . فكان لشيوع هذه الحوادث تأثير عظيم لم يشكَّ بوقوعها غير القليلين الذين نسبوا تلك الامور الى حركات طبيعيَّة وضربات صناعيَّة بالأقدام على الالواح او على الطاولة

وممَّا لحظوا ان بعض الحاضرين لتلك الحفلات كانوا يلعبون فيها ادواراً مختلفة فمنهم مَنْ لم يُكترَث لوجودهم او غيبتهم على خلاف غيرهم الذين كان حضورهم محتوماً واجباً لا تتمّ دونهم أعراض الارواح فدعوا هؤلاء الآخرين باسم الوسطاء (Médiums) لتوسطهم بين الارواح وعالم الكون لولاهم لا تُبدي الطاولات حركةً وتبقى الارواح جامدةً ساكنة . وما لبث هؤلاء الوسطاء ان زادوا عدداً وانتشروا في كلّ انحاء اميركة فتهافت عليهم العموم ليدرك بواسطتهم اسرار العالم الآخر ويناجوا الارواح . ثم زاد الهوَس وتفاقم الداء حتَّى بلغ اوربَّة وكان اوَّل نشوءِ في سكوتلندة سنة ١٨٥٢ ثمَّ في لندن في العام التالي ومنها خطا الى المانية ثمَّ فرنسة . وها هو منذ بضع سنين قد ظهر في مصر وانتقل منها الى اقطارنا السوريَّة

وقد وجد السبريتسم في فرنسة رجلاً يُدعى ألان كرديك (Allan Kardec) واسمهُ الصحيح لارون هيبوليت ريفايل (L. H. Rivail) تبطَّن كل اسرارهِ واقام نفسهُ داعياً لمذهبهِ وان شئتَ قلْ رسولهُ ونبيَّهُ . وُلد المذكور في ليون سنة ١٨٠٤ وتخرَّج في سويسرة بين البروتستانت . فلمَّا كانت السنة ١٨٥٥ جعل يتعاطى كلَّ ممارسات المذهب الروحانيّ بل ادَّعى انَّ الارواح سلَّمت اليهِ مقاليد اسرارها لينشرها بين الملأ فأخذ يدوّن ما تلقَّنهُ الارواح عن عالم الغيب ونشر تلك المعلومات سنة ١٨٥٧ في تأليف دعاهُ « كتاب الارواح » واردفهُ بكتاب الوسطاء ثم بانجيل السبريتسم وانشأ مجلَّة تبحث في المذهب المذكور . وكانت وفاتهُ في باريس سنة ١٨٦٩ . وفي اثناء ذلك كان الكونت اجينور دي غسبارين ألَّف كتابهُ في الطاولات الدائرة وهو يُلقي المحاضرات عن المذهب الروحاني . فيتحامل كثيرون الى ممارسة هذا الفنّ الجديد واتخذوه كلهاةٍ حتى أصبح كلعبةٍ متداولة

٢ المرويّات من اعمال السبريتسم

لا يسعنا ذكر كلّ ما يروى من اعمال الارواح واحصاؤها فردًا فردًا وانّما ندوّن اخصّ ما ينسبونهُ اليها

١ فمن ذلك وهو اكثرها شيوعاً تدوير طاولة او سكمنة او قبعة فرنجيّة او سلّة وما اشبه ذلك باجتماع عدّة اشخاص متسلسلين او بعمل احد الوسطاء منفردًا

٢ ومثلها انتشارًا طرقات تضربها الطاولة على الارض اصطلاحاً دلالةً على اجوبةٍ مقصودة. عند وجود حلقةٍ من الاشخاص حولها او وسيطٍ من الوسطاء

٣ واقلّ شيوعاً ممّا سبق كتابةُ الطاولة بقلم يعلّق في قائمتها على ورق يوضع تحت القلم. بشرط وجود الاشخاص او الوسيط السابق ذكرهم

٤ او يجعلون ايضاً قلماً في يد الوسيط في يقظتهِ او نومهِ فيجري القلم كاتباً على الورق ما يوحى اليهِ من قوّة اجنبيّة دون معرفتهِ ومشيئتهِ الشخصيّة

٥ ومثلها ندرةً ان يتكلّف الوسيط النائم او اليقظان الجواب شفاهاً او بالاشارة على ما يُلقى اليهِ من الاسئلة باسم الروح الساكن فيه

٦ واغربُ من ذلك واندر وضعُ ورقةٍ او لوحٍ بعيدَين قليلًا عن الوسيط وعليهما قلم وبعد قليل اذا كُشف عنهما يظهران وعليهما سطور مكتوبة

٧ ومثلها غرابةً وندرة ان ينتقل الاثاث من تلقاء نفسهِ من مكان الى آخر

٨ ان تُسمع صوت طرقاتٍ على جدران المحلّ حيثما توجد طاولة او بعض الاثاث

٩ واغرب من كلّ ما سبق ظواهر من النور وأشباح يُريها الوسيط او يرسم صورها بالفوتغراف او يأخذ بعض آثارها

٣ صحّة المرويّات المذكورة وانتقادها

قبل ان نبحث عن اسباب هذه المطولات والظواهر دعنا نفحص اولاً صحّة وقوعها وهل هي حقيقةً كما يزعم الوسطاء مسبّبة عن الارواح او هي بالحري مفاعيل طبيعيّة واعمال صناعيّة لئلّا نخوض في طلب امورٍ وهميّة خياليّة لا حقيقة لها ومن ثمّ لا نقبل ولا ننفي ما يرويهِ الرواة بحكمٍ سابق ريثما تلوح لنا الحقيقة بتمامها. فانّ العلماء الاثبات لا يُبدون حكمهم الّا على الامور الراهنة الثابتة بعد تقصّيها تماماً

وهذا ما جرى لاحد مشاهير الطبيعيين وليم كروكس (W. Crookes) مع الآنسة فلورنس كوك (Miss Florence Cook) التي كانت تدّعي بالعلاقات مع روح امرأة اسمها كاتي كنغ (Katie King) عاشت في عهد شرل الثاني وعُرفت باسم اني مورغان (Annie Morgan) . ففحص العلّامة كروكس تلك الرؤى المزعومة المتجسّمة ونشر ملحوظاته فيها دون ان يستنتج منها نتيجة مقرّرة ولم يشأ ان يبتّ حكماً في ذلك ثمّ لحظوا سنة ١٨٨٠ حيلاً تحايلت بها المس فلورنس كوك . وعليه لا يمكن الاعتماد على هذه الامتحانات وان كان اصحاب السبريتسم لا يزالون يشيرون اليها

ثمّ جرت في فرنسة امتحانات أخرى لم تأتِ بنتيجةٍ مقنعة واشهر تلك الامتحانات ما تولّاهُ بعضهم في مونفرت لاموري (Mónfort l' Amaury) بفحص مدّعيات امرأةٍ وسيطةٍ كانت تزاول الطبّ اسمها اوسابيا بلادينو (Eusapia Paladino) وذلك بحضور العالمَين الطبيعيين فلمتاريون ودي روشاس . وكذلك امتحن الدكتور ريشه (M. Richet) وسيطاً آخر في بستان كرمين (Villa Carmen) قريباً من مدينة الجزائر . ومثلها امتحانات أُخرى اجراها اعضاء المكتب السيخولوجي العامّ في السنين ١٩٠٥ و١٩٠٦ و١٩٠٧ بحضور بعض مشاهير الاساتذة كالعلماء يورفتش (Yourevitch) وبرانلي وكرتيه ودرسنفال وريشه فعاينوا ما ادّعته الوسيطة المذكورة اوسابيا بلادينو لكنّهم لم يتحقّقوا صحّة مزاعمها ولم يمكنهم الّا ثلث دفعات ان يمنعوها بقبول بعض الاحتياطات لتصحيح قولها بل باغتوها غير مرّة واكتشفوا بعض حيلها

هذا وانّ العلماء الذين عُهد اليهم فحص هذه الامور الغريبة وجدوا في مراقبتها مشاكل عديدة وليس كلامنا هنا عن العمليّات البسيطة كحركات الطاولة وطرقاتها لكن عن حوادث السبريتسم الغريبة . واوّل ما حال دون فحوصهم ان الوقائع المذكورة لا تجري طوع مشيئتهم اذ لابدّ من وسيط بينهم وبين الظواهر الواجب فحصها . وكثيراً ما يعيا الوسيط عن إبراز الاعمال المزعومة . واذا اتمّ فعلاً شيئاً منها يُقيّد العلماء في فحصها بشروط تخلّ بفحصهم . فمن ذلك ان تلك الظواهر لا تحدث الّا في ظلمة نصفيّة او ظلمة تامّة ممّا يمنعهم عن اثبات الامر كما يجب

وممّا يعوق العلماء عن الفحص المدقّق لهذه الرؤى الغريبة مَكْر الوسطاء وغشّهم فمنهم من يرتزق بالشعوذة وملاعيب السيمياء اي السحر الحلال . ومنهم من يُخدَعون

بالاستهواء ويخدعون النـاس دون مشيئتهم بسبب تأثراتهم . والاولون لا يُحصى عددهم فان في المُخرقين والنصّابين رجالاً بلغوا الغاية في اختراع اعمال الشعبذة . فكم يُخدَع الناس بأعمالهم وهم ينسبونها الى السحر وليست هي حقًّا سوى حيَل يجرونها بخفّة عجيبة وحذاقة غريبة يندهش بها الناس . وقد شاع في اميركة المحتال مُملير (Mumler) كان يُذهل العموم بحيلهِ . ومثلهُ الفرنسويّ بوغه (Buguet) فان هذا ادّعى ايضاً انّهُ يستطيع ان يصوّر بالشمس أرواحاً نيجتسها وما كانت تلك الارواح سوى مصنوعات من اللفائف او تقاطيع الكرتون كان يخفيها ويأخذ صورها دون ان يشعر بهِ احد . فهذا انكشف خبثهُ وحُكم عليهِ لمكرهِ لكنّ الذين عاينوهُ لم يزالوا موقنين بصحّة مرويّاتهِ

واعظم ضررًا من السابقين الخادعون المخدوعون فانّ مثل هؤلاء يغلب عليهم الشعور والحسّ حتّى يحملهم الوهم الى تأكيد امور لا حقيقة لها الّا في مخيلتهم . فمن جملة هؤلاء الفتاة المسمّاة حنّة روثا (Anna Rotha) في المانية . والمسمّى سلادا (Slada) من اشهر وسطاء القرن السابق بكتابتهِ على الواح السُّبورات فوجدوهُ ابدل لوحاً اسود بلوحٍ آخر مكتوب قبلًا . والمسمّى شرل إلدريد (C. Eldrid) الذي كان يصوّر اشباحاً روحيّة جعل صورها في علبةٍ دسّها في الكرسيّ الذي يجلس عليهِ . والوسيطة المذكورة اوسابيا في كمبريج ثبت خداعها في عشرين جلسةً حضرها الجمهور . وغير هؤلاء كثيرون تحقّق مكرهم وذلك ما دفع الدكتور غراسيه (D' Grasset) الى ان يُعلِن وقوع الحيل المتعدّدة في اعمال وسطاء السبيريتسم مع صعوبة مراقبتهم . والدليل على صحّة قولهِ انّ الاعمـال العجيبة التي يدّعي بها اصحـاب السبيريتسم تكاد تتلاشى عند اتخاذ المراقبين لهم الوسائلَ الفعّالة لكشفِ حيلهم . وربّما امتنع الوسطاء عن كلّ عمل اذا شُدِّدت عليهم المراقبة

وخلاصـة القول انّ ما ذكرناهُ تحت الاعداد الاربعة الاولى لا يُمكن نكرانهُ ولا شـكّ في وقوعهِ . وبقيّة الظواهر مشكوك في صحّتها لاسيّما الهبوات النوريّة والشهب المنيرة وكذلك ظهور الاشباح ورؤى ارواح هيوليّة سواء كانت صورتهـا تامّةً كشخص كامـل او جزئيّةً كظهور يدٍ او ذراع او عضو آخر . ومثلها تصوير الارواح المذكورة شمسيًّا او طبع رسومها في البرافين او الآجُرّ فهذه المرويّات وغيرها

من شكلها لم تثبت الى الآن بصفة علميّة وفي عدّة حوادث استطاع المراقبون ان يكتشفوا حيلاً لاذ بها هؤلاء المدّعون بالمذهب الروحاني . فهذا هو رأي الدكتور غراسه الذي درس كل هذه الظواهر الغريبة . ويرجح وقوع الدهاء والحيلة في انتقال بعض الاثاث من مكان الى آخر دون مسيسها ظاهراً . وكذلك طرقات الطاولة على الحضيض والصفعات على الجدران او بعض الآنية . وانما أشكل عليه امرُ الوسطاء ذوي الاستهواء اذ لم يتأكد فيهم الخداع ولعلّهم مخدوعون . ومثلهُ المسيو مكسويل (Maxwell) الذي انعم النظر في كلّ هذه الحوادث السبيريتيّة فانّهُ بعد استقرائها والبحث عن صحّتها نسبها الى الخداع فختم بعضهم قولهُ بهذا الحكم النهائي : «لقد يُحدق بكل هذه الحوادث الغريبة شبهةٌ يُنتَشف من ورائها الشعوذة والحيَل»

٤ تفسير الحوادث الغريبة المنسوبة الى السبيريتسم

١ لمّا اعتبر بعض الكتبة ما تحقّقهُ قومٌ من العلماء عن خُبث اصحاب السبيريتسم وتحايُلهم لم يعودوا يصدّقون من اعمالهم شيئاً بل نسبوها كلّها الى الحِيَل والتشعوذ والاوهام . على اننا نرى في حكمهم هذا مبالغةً بيّنة لأنّهُ لا يمكن جحود بعض الظواهر ونفي صحّتها

٢ ومنهم حزبٌ آخر على عكس الاوّلين وهم المنحازون الى جانب السبيريتسم وانصار مذهبهم الروحانيّ فانّهم يرون في الظواهر المذكورة اموراً عجيبة تأتي بها الارواح لتجعل بينها وبين البشر علائق ودّيّة باطنة مفيدة لحياتهم . هذا رأي لاون دنيس خَلَفُ ألّان كرديك وقال بعض تبعته :

«إن كانت الطاولات تدور او تطرق الارض بقوائمها . ان تحرّكت الاقلام فكتبت على الالواح . ان لاحت الايادي في الفضاء . ان ظهرت الاشباح للعيان . ان تكلّم الوسطاء اضطراراً فليس ذلك لإلهاء العموم وترويح الناس وانّما هو دليلٌ على انّ ارواحاً مجرّدة عن اجسامها تسعى بالاتّصال بعالم الاحياء وهي بهذه العلامات الحسّيّة تُعلن العموم بحضورها وباستعدادها لخدمتهم فلذلك تجيب على اسئلتهم . . وقد نشأ السبيريتسم من رغبة الاحياء في البلوغ الى موتاهم الاعزّاء والاجتماع بهم ليتحادثوا معهم ويقفوا على مصيرهم في عالمهم المجهول ويستفيدوا منهم احوالي ما وراء القبر . وقد لبّت الارواح الى مبتغى البشر وهي تظهر لهم لتفيدهم تعزيةً وسلواناً وتنشّط قلوبهم وتنير عقولهم»

وان سألت هؤلاء المنتمين الى المذهب الروحانيّ وكيف تستطيع ارواح مجرّدة

عن المادة ان تتصل بعالمنا هذا الهيولي وبالبشر المتجسمين ؟ يجيبونك بقولهم : انَّ للجسم البشري مانعاً يدعونهُ بالعُنصر الكوكبيّ (corps astral) او العنصر المحدق بالروح (périsprit) يستطيع الانسان ان يبعثهُ من جسمهِ اذا شاء ويمكن الوسطاء تهييجهُ بنفوذ الارواح . فهذا المانع هو الذي يدير الطاولات ويرفع بها عن الحضيض وينقلها من مكان الى آخر . فالوسطاء على زعمهم يجعلون هذا المانع في حوزة الارواح التي تستمدهُ لغاياتها تارةً وحدهُ وتارةً ممتزجاً بالمانع الكوني المنتشر في كلّ العالم وبهِ تتمكَّن الارواح من إبراز مفاعيلها العجيبة وصورها المختلفة . وربَّما اعار الوسطاء مانعَ جسمهم للارواح فيصيب الوسيطَ حينئذٍ انحطاطٌ قوًى وضَنكٌ عظيم يكاد ان يُتلفهُ

هذا ما يقولهُ انصار السبريتسم . امَّا العُقلاء والعلماء الثقة فيرون في تفسيرهم السابق تعليلاً بعيداً عن الصواب . وقبل كلٍّ لا يرضى عقلٌ صائب بما يزعمهُ اصحاب المذهب الروحاني عن استعداد الارواح لخدمة البشر ايًّا كانوا وكيفما شاؤوا . قال المسيو مورين (A. Morin) العالم الشهير : « لا اظنُّ انَّ ارواح البشر بعد تجرُّدها من اغلال جسدها تتوق الى ان تستبطن قطعةً من الخشب كالطاولات وغيرها وتُعلن حضورها بحركاتٍ هزليَّة دنيئة مستحيلة كحركات الطاولات » . وقال عالم آخر المسيو بابينه (Babinet) : « انَّ عدد الوسطاء في اميركة يبلغ ستين الفاً أفليس القول بانَّ ستين الفاً من مشاهير الاموات هم الآن طوع بنان الوسطاء من الاقوال المُضحكة التي توجب النفي والسُّخريَّة »

وزد على ذلك انَّ السبريتسم حتَّى الآن لم يثبت مدَّعياتهِ بالبيّناتِ الصادقة . فانَّ الارواح التي يزعمون انَّها لفلان الشاعر ولفلان الكاتب ولفلان السياسي لم تثبت هويّتها بالدلائل المقنعة والحجج الدامغة . فانَّ ما تفوه بهِ من الاقوال والآراء انَّما هو صدى افكار الوسطاء او الحضور وليس صورة افكار الاشخاص المزعومين . قال المسيو جانه (Mr Janet) : « ان كورنيل الشاعر الفرنسويّ الشهير اذا استحضرهُ الوسطاء وأنطقوهُ بالشعر لا يأتي الَّا بشعرٍ سخيف ركيك اللفظ مبتذل المعنى . واذا استحضروا بوسويه الخطيب المصقع يجعلون في فمهِ خطباً ينبذها أدنى الواعظين »

وقد ادَّعى احد الوسطاء الاميركيين انَّ روح ديكنس الروائي الانكليزيّ

الشهير قد حلّت فيهِ واوحت اليهِ بانجاز احدى رواياتهِ التي حال الموت دون اتمامها . فلما أنجزها أجمع المنتقدون انَّ تتمّة الرواية بعيدةٌ عن انشاء ديكنس وبلاغة كلامهِ وانسجام عبارتهِ . ثمَّ انَّ فصلًا من هـذه الرواية كان بقي بين اوراق ديكنس لم يُطبع فهذا الفصل لا يوجد في قسم الرواية التي تولّى كتابتها الوسيط المذكور وذلك دليل قـاطع على انَّ روح ديكنس لم تشئ خاتمـة الرواية كما زعم الوسيط الاميركي(١ . ولمّا حضر العلّامة وندتْ (Wundt) جلسةً من جلسات السبيريتسم حيث استحضروا بعض ارواح كبار الرجال وجدهم جميعاً من اهل الطبقات السافلة الدنيئة التي لا يجوز ان تُنعت بطبقة عظام الرجال

وما تحقّقهُ اهل النقد انَّ الارواح المزعومة تسلك في اقوالهـا وافعالها مسلك الوسيط عينهِ فتجري على افكارهِ وتمثّل اخلاقهُ وكلامهُ . وفي بعض الاحيان تظهر هذه الارواح مهتمّةً في تصوير افكـار الحضور واحوالهم . فاذا كان الحضور من العلماء تسمى الارواح بمجاراتهم في العلوم الرائجة واذا كان الحضور من رعاع الناس جرت الارواح على منوالهم وسفالة افكارهم . وتكون اجوبة الارواح موافقة لما ينتظرهُ القسم الاكبر من الحضور حتّى انَّ بعض المنتقدين زعموا انَّ تلك الاجوبة يستمدّها الوسيط من الحضور فيعيرها الارواح

ويؤيد هذا الرأي ما كتبهُ المسيو فلمّـاريون الطبيعي المعروف بعد ان كان هو عينهُ احد الوسطـاء في خدمة ألّان كرديك فانَّهُ لمّا استحضر روح غاليليوس الشهير وطلب منهُ رأيهُ في تكوين الافلاك وعلم الهيئة وذلك في خلال سنتي ١٨٦٢ و١٨٦٣ كان جواب الروح المزعومة صدى افكـار فلمّاريون وآرائهِ السابقة ليس الّا . وقد نشر صاحب الكتاب الروحاني المطبوع في مصر ما رُوي عن روح غاليليوس في الفصل الثاني (ص ٢٠٠ — ٢١٣) . وقـد أقرَّ بذلك فلمّاريون في ٩ تمّوز سنة ١٨٩٩ في منشورات السياسة والتواريخ الدولية وفي كلامهِ عبرةٌ للمعتبرين قال :

« اني كنت وسيطًا لألّان كرديك وقد نشر هذا في كتابهِ المعنون بسفر الخليقة الفصول العلميَّة التي كنتُ على زعمهِ التقتُها من روح غاليليوس وامضيتُها انـا باسمهِ . وليست هذه

---

١) اطلب ما كتبهُ في ذلك الدكتور سوزبلدْ (ص ٥٤) وسجلّات علم السيكولوجية في ١ حزيران سنة ١٨٩٢ ص ٤٠)

الفصول الا صورة خواطري الشخصية والافكار الشائعة وقتئذٍ بين العلماء بخصوص السيارات والنجوم وتكوين الخليقة واني لم استفد شيئاً البتّة من روح غاليليوس »

ومثل فلمّاريون احتجّ عالمٌ آخر المسيو ڤكتوريان سردو (V. Sardou) على ألآن كرديك الذي ادّعى انّ الروح اوحى بمعلومات فلسفيّة مستقلّة فقال المسيو سردو انّ تلك الآراء كان سبق هو نشرها وادرجها في كتب السبريت فانها آراؤهُ ليست تعاليم الارواح

وقد ثبت اليوم بعد الامتحانات العديدة انهُ لا يوجد مطلقاً حقيقةٌ واحدة من حقائق الفلسفة والدين والآداب قد ابتكرتها ارواح السبريتسم فانها كلّها متضمّنة في تآليف الفلاسفة او في كتب التعليم المسيحيّ . واذا عرضوا على تلك الارواح مسائل عويصة فلسفيّةً كانت او علميّةً تتملّص منها دون جواب واضح

واغربُ من ذلك انّ الارواح المزعومة التي يعوّلون عليها لمعرفة حقائق العالم الآخر لا تتّفق في اجوبتها بل في كلامها تناقض ظاهر حتّى في اعظم الامور شأناً فيما يخصّ مثلاً عَوْد الارواح الى اجسادها فانّ بين ارواح الشعوب السكسونيّة وارواح غيرها آراء مختلفة فهولاء ينكرون واولئك يثبتون

وربّما ظهرت اكاذيب هذه الارواح وتلفيقاتها . وهاك مثالاً يدلّ على قولنا : كانت المدعوّة تراڤرس سميث وسيطةً للارواح فأتاها يوماً نبأ روحاني بموت احد المسجّلين الايرلنديين اسمهُ بيتر روني (Peter Roony) قال الروح ان المذكور انتحر رامياً نفسهُ تحت عجلات السكّة الحديديّة . فما اشدّ ما كان انذهالها اذ تأكدت بعد اربع سنوات سنة ١٩١٤ انّ المذكور كان حيًّا يُرزَق . فعلمت ان الروح خدعها

ولنا امثلة عديدة على كذب الارواح روتها جريدة البشير في ردودها على المقتطف وخصوصاً في ما يختصّ بالحقائق الدينيّة التي كانت الارواح تنكر وجودها ثمّ تحققها بعد الإلحاح عليها وتبكيتها على كذبها

فلا يمكن اذن الإركان الى اجوبة هذه الارواح . قال الدكتور ف . داڤس (Ph. Davis) : « هاءنذا منذ عشرين سنةً ادرس مناجاة الارواح ففي هذه المدّة كلّها لم يمكنني ان احصل انا منها بذاتي او بواسطة غيري افادةً واحدة يجوز للعلماء او للفلاسفة الاعتماد عليها »

وما قولك الآن في هذا المانع الحيوي التي يزعم الوسطاء انّ الارواح تتّخذهُ وسيلةً لاندماجها مع البشر فكيف يثبت هؤلاء الوسطاء وجودهُ ولم يعرفهُ العلماء حتّى يومنا . وان صحّ وجود مثل هذا المانع افليس الأصوب ان يقال انّ الوسطاء ذاتهم يتوسّلون بهِ لتلك المفاعيل الخارجة . ومن ثمّ لا حاجة الى توسّط الارواح

هذا ما يحضرنا من الجواب على مزاعم المتمذهبين بالمذهب الروحاني الناسبين اليه تلك المعلولات الغريبة . وسنعود الى هذا الامر ونبيّن بطلانهُ في الفصل الاخير

٣ بقي فريق ثالث متوسّط بين الطرفين السابق ذكرهما اعني بين الناسبين كلّ ظواهر السبيريتسم الى الغش والخداع وبين الذين يعزون تلك المفاعيل كلها الى الارواح . وهذه الطريق الوسطى نوافقها نحن ايضاً في قولها انّ لتلك المفاعيل علّاً شتّى والعلّة الاولى (مكرُ الوسطاء) . فلا شكّ انّ امورًا كثيرة ينسبونها الى الارواح ليست الاّ اعمالًا يأتي بها الوسطاء بثقافةٍ ولقافةٍ ممّا اعتادهُ بعض الظرفاء والمشعوذين تفكهةً للناس ولستدرارًا لدراهمهم فيعزونها للارواح لتزيد بذلك ارباحهم . وقد اقرّ بذلك الدكتور بابوس الساحر (اسمهُ الصحيح الدكتور انكوس Dr Encausse) قال : « انّ بين عشرة من الوسطاء ثمانية نصّابون مخرقون يحترفون بالشعوذة والخزعبلات (١) » . وكثيرون من الوسطاء المذكورين اذا حرّجوهم والحّوا عليهم يجيبون قائلين : « لا عجب ان نلتجئ الى بعض الحيل لأنّ الحضور يحوجوننا الى ذلك وهم تائقون الى غرائب الامور لا يرضون الّا بها » فانّ المشعوذ الشهير المدعو كلّار (Kellar) قد اتّصل في اميركة سنة ١٨٩٥ الى تقليد الكتابات التي كان الوسيط الانكليزي اغلنتون (W. Eglinton) يدّعيها للارواح ثمّ جاهر بانهُ يستطيع ان يصوّر ايّ كتابةٍ كانت تنسب للارواح المزعومين . وقد اكتشف المراقبون للوسطاء المذكورين حركاتٍ خفيّة واصواتاً تصدر من كعوب ارجلهم كان السامعون يظنّونها خارجةً من الطاولة او من الواح الارضيّة كما تحقّقوا ان بعضهم كانوا يصوّرون الاشباح بوسائط طبيعيّة خفيّة

٢ (الاسباب الطبيعيّة) لا يمكن تعليل كلّ ظواهر السبيريتسم الى الشعوذة والخداع

---

(١) اطلب كتاب رامي (ص ٥٠) Remy : Spirites et Illusionistes

وانما يمكن نسبة بعضها الى علل طبيعيَّة . قال السيد توريناس (M^{sr} Turinaz) اسقف نانسي سنة ١٩١١ في احد مناشيره التي كتبها عن السبريتسم : « انّ بين الحوادث العجيبة التي يرويها تبعة السبريتسم قسماً كبيراً يمكن نسبتهُ الى القوى الطبيعيَّة ولا نشكّ انّ دارسي الحوادث المذكورة يطّلعون على اسبابها الحقيقيَّة » . والحقّ يقال انّ بعض العلماء انقطعوا الى التعمُّق في اكتشاف عللها فوجدوا انّ بعض الامراض كالهستريَّة والجولان في النوم (Somnanbulisme) والتنويم تشبه اعراضها حالة الوسطاء في السبريتسم ويلوح لمن درسها انّ في الانسان بعض القوى الخفيَّة التي لا يدركها بالشعور وانما هي نتيجة تصرُّفه وعاداته السابقة . فهذه القوى تُبرز اعمالها في بعض الظروف وبفعل بعض التأثيرات . وهكذا يجوز القول انّ ما ينسبهُ الوسطاء الى الارواح انما هو لائحة من هذه التأثيرات الشخصيَّة فيهم تبرز الى الوجود في حالة تهيُّجهم وتدفعهم الى امور غريبة وتخيُّلات كاذبة نتارةً يدّعون بوجودهم في امكنة سحيقة او في ازمنة مختلفة وحيناً يصفون احوال اشخاص بعيدين عنهم . وطوراً تعمل فيهم تاثيرات اولئك الاشخاص كأنهم امامهم . وقد جمع العلماء كثيراً من هذه الحوادث الطبيعيَّة المسبَّبة عن العلل السابق ذكرها وعارضوها باحوال وسطاء السبريتسم فوجدوها مجانسةً لها . منها ما رُوي عن فتاةٍ تدعى هيلينة سميث ابنة احد العمّال في جنيفة حاضرة سويسرة التي تزعم انّها عاشت سابقاً مرّتين على الارض المرّة الاولى قبل ٥٠٠ سنة وانّها كانت ابنة شيخ من العرب والمرّة الثانية كانت الملكة ماري انتوانيت ثمّ بسنّة التناسخ وُلدت الآن بصفة ابنة احد المأمورين لكنّها تتعزّى عمّا فقدتهُ من عزّها السابق بمناجاتها للارواح الساكنة في سيارة المرّيخ والسيّارة اورانوس وفي القمر وانّها تعلّمت هناك لغةً غريبة وضروباً من الكتابات السرّيَّة . فهذه الفتاة قد فحصها الدكتور فاورنسي فوجدها بعيدة عن كلّ مكر وخداع وقال عنها انها جبلتْ في مخيّلتها تذكارات قديمة وتأثيرات سابقة من مطالعاتها ومسموعاتها فترويها . كأنها حدثت فعلاً معها وليست هي الّا سفاسف وخزعبلات صبيانيَّة جسّمتها لها اوهامها ومخيّلتها

والدكتور غراسه في كتابهِ المعنون : «السبريتسم بازاء العلم» يميز في الافعال النفسانيَّة طبقتين طبقةً عليا من الافعال الاختياريَّة الحرّة التي يدركها صاحبها تماماً .

وطبقة سفلى وهي الافعال التي تنشأ من النفس عفواً دون ادراك كأنها حركة ادوات لا حس لها . وللطبقتين في الانسان جهازان خصوصيان يجتمعان عادة في الافعال البشرية . وانما يحدث في بعض الاحيان انهما يتفردان باعمالها دون ان تُدرِك الطبقة العليا ما يصدر عن السُفلى من الاعمال . فالدكتور غراسه يستند الى هذا الرأي في تفسيره للاحلام وبعض الرؤى الخيالية واعمال التنويم والاستهواء . وينسب اليها بعض حركات الطاولات الدائرة يحركها الوسيط دون انتباه وبعض الاجوبة التي يردّ فيها على ما يُسأل ويعلّل بها بعض اعمال المصابين بالهستيرية

وكان الدكتور جانه (Dr P. Janet) سبق واعتمد الى هذا الرأي عينه في كتابه المعنون (l'Automatisme psychologique) وانحاز الى رأيهما هذا غيرهما من الاطباء . نعم انّ هذا الشرح لا يُزيل كلّ الشبهات ولا يوضح كلّ الظواهر وانما يكشف السرّ عن عدّة خفايا . ويؤمل هؤلاء الحكماء انهم يميطون القناع عن اشياء غيرها اذا مكّنهم الوسطاء من التنقيب عن حركاتهم وسكناتهم بفحص مدقق علمي (الاسباب الخارجة عن الطبيعة) فيبقى في اعمال الوسطاء وارباب السبيريتسم اشياء لا يستطاع تعليلها طبيعياً فهذه لا بُدّ من نسبتها الى الارواح ولكن ليس الارواح البسيطة كما يزعم اهل السبيريتسم بل الى الارواح الشريرة اعني الابالسة والشياطين شاء الوسطاء والملاحدة او ابوا كما سنبيّن ذلك في عدد آخر (لهُ صلة)

التذكار الخمسيني

لافتتاح قناة سويس

نبذة تاريخية للاب رفائيل نخله

في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ تمت السنة الحادية والخمسون لذلك الافتتاح . فيليق بنا ان نتكلم عن هذه المأثرة البديعة التي يسوغ احصاؤها في العجائب الهندسية النادرة المثال

منذ نحو ٣٣٠٠ سنة فكّر ساتيل احد الفراعنة في حفر قناة على طول البرزخ القائم كحاجز منيع بين آسية وافريقية . فلم يُخرج مقصدهُ الى حيّز العمل . ثم حاول احد خلفائه انشاء قناة بين النيل والبحر الاحمر فلم ينجح . فبقوا هكذا نحو ثلاثة وثلاثين جيلاً لم يجسر فيها الملوك العظام ولا جهابذة المهندسين على مباشرة ذلك العمل الجبّاري الى ان اتمّه المهندس الفرنسوي فرنان دي لسبس . قدّم رسومه لخديوي مصر سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وبعد سنتين نال منه فرماناً لانجاز مشروعهِ الّا انهُ لم يبدأ الحفر قبل ٢٥ نيسان سنة ١٨٥٩ . ثمّ ما لبث ان دُهم بعرقلة لم يكن يتوقعها وهي عدم كفاية رأس المال الاصلي البالغ مئتي مليون فرنك . وما عدا ذلك صادف عقبات سياسية اوقفت عمله مدّة طويلة . اخيراً بعد المخابرات العديدة المجهدة حصل على تأسيس شركة رأس مالها ١٩ مليون ليرة انكليزيّة مكّنتهُ من ابدال الحفر اليدوي بالماكينات الحديثة . وعلى هذا المنوال أُنجز سنة ١٨٦٩ ذاك العمل الجبّاري الذي ادهش الخافقين بسرعة ختامه رغماً عن الصعوبات والنفقات العظيمة التي تخطت العزائم مدة ٣٣ جيلاً . وكان عيد افتتاح قناة سويس من ١٦ الى ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ فحضرته الامبراطورة اوجيني حليلة نابوليون الثالث المتوفاة اخيراً في اسبانية وامبراطور النمسة فرنسوا جوزف وولي عهد المانية وعدّة امراء وممثلين لكل الدول الاوربيّة

لقناة سويس ١٦٠ كيلومتراً طولاً و ٩ امتار عمقاً . امّا عرضها فهو ١٠٠ متر في سطح المياه و ٦٥ في قعرها . وهي تَصِل بورسعيد بسويس أي البحر المتوسّط بالبحر الاحمر . ولكي يقف القرّاء على الصعوبات العظيمة الحائلة دون حفر مثل هذه القناة نورد التفاصيل الآتية . كان معدّل عدد الفعلة في اشدّ حركة العمل خمسة وعشرين الفاً وبنوع معتاد خمسة عشر الفاً . وحيث لم يكن في جوارهم ماء للشرب كان ١،٦٠٠ جمل تجلب لهم المياه من بعيد بنفقات يومية تبلغ سبعة آلاف فرنك !

واذ كان النيل يُفرغ عند مصبّهِ في البحر المتوسّط كميّات عظيمة من الرمل المتّجه شيئاً فشيئاً الى القناة للرسوب في قرارها أضحى من الضروري تشييد أسداد طويلة عريضة وشديدة المتانة لاتّقاء ذلك المحذور بلغ طول بعضها كيلومترين : وكان بناؤها بكُتَل مصنوعة بزيج من للاط ورمل الشواطئ يزيد ثقلها احياناً على ٣٥٠

طُنًّا ا . امَّا مجموع نفقات حفر قناة سويس فقد بلغ نحو ٥٠٠ مليون فرنك فيكون معدّل النفقات عن حفر كلّ متر ١٢٥ ، ٣ فرنكاً

فلننتقل الآن الى شرح تفاصيل اجتياز القنـاة . من المعلوم ان كل باخرة تقصد عبورها يلزمها الوقوف في بورسعيد . فيُعلن قبطانها لإدارة القنـاة وصوله وجنسيَّة الباخرة ومرفأ خروجها ومرفأ منتهى سياحتها وحمولها ومقدار غوصها في الماء وعدد الركاب الخ . فبحسب تلك الافادات تعيّن الادارة القيمة اللازم دفعُها للاجتياز من المتوسط الى البحر الاحمر : كلّ طُنّ من البضائع عليه رسم ٧ فرنكات وثلاثة ارباع . وعلى كل شخص ١٠ فرنكات ما عدا الاطفال فهم يدفعون ٥ فرنكـات . وعلى ذلك يكون معدّل الرسوم المدفوعة من كل باخرة نحو عشرين الف فرنك . وان استكثر القراء هذا المبلغ العظيم ونسبوا شركة القنـاة الى الطمع في ارباح فاحشة ألفتنا انظارهم الى كثرة النفقات العظيمة التي تقوم بها الشركة لحفظ القناة في حالة صالحة للملاحة . واهمُّ تلك المصاريف هي التي تستلزمها البواخر المجهّزة بالات قديرة لجرف الرمل الذي يثيره الريح على توالي الايام ويهبطه الى قعر القنـاة حيث يتراكم ويُنقص عمقها . وهذا يكاد لا يزيد على مـا تقتضيه اضخم السفن . فمجرّد نفقة تلك البواخر الجارفة الرمل تبلغ سنوياً نحو اربعين مليون فرنك !

ومدّة اجتياز القناة تتراوح حسب سرعة البواخر بين ١٥ وعشرين ساعة وذلك لالتزام السفن ابطاء سرعتها المعتادة . ولولا ذلك الاحتياط لأثارت في القناة الضيقة القليلة العمق امواجاً عظيمة تُجحف بالضفّتين . وما عدا ذلك تُسام إعاقةً اخرى . لان ضيق القناة لا يسمح باجتياز سفينتين على طول المسافة بين بور سعيد وسويس . وحيث يتفق كثيرًا ان بعض البواخر لهـا وجهة البحر المتوسط وغيرها وجهة البحر الاحمر فيلزم وفقاً لنظامات شركة القناة التوقّف في محطّات خصوصيَّة ريثما تعبر الباخرة الاتية من الوجهة المعاكسة

امَّا اهميّة القناة للتجارة الدولية فتتّضح لكل ذي عينين . فان القناة قرّبت آسية وافريقية الشرقية ولاسيّما الشرقية الجنوبية الى اوربّة تقريباً لم يخطر على بال فالمسافة بين لندن وبمباي تُقطع في ٢٤ يوماً بدلًا من ٤٨ . وبفضل تلك السرعة توفّر البواخر وقتاً ثميناً وكميّات عظيمة من الفحم يُعوّض عنها بالبضائع

والحق يقال لا فائدة في اجتياز القناة الّا للسفن الحاملة لبضائع ذات قيمة متوسطة . وذلك لان رسم العبور ٧ فرنكات و٧٥ سنتيماً عن كل طن بغض النظر عن ماهية البضائع . ولذلك نرى السفن المشحونة بالاخشاب وجذوع الاشجار والحجارة والغلال لا تنتأ في ايامنا هذه تدور حول افريقية لتنجو من تلك الرسوم الغالية . على كل حال يفوق عدد البواخر العابرة سنوياً من القناة كل ما يتصوّرهُ الجمهور . ففي سنة ١٩١١ مثلاً اجتازها ٤،٩٦٩ باخرة ومنها ٣،٠٨٩ انكليزية . اعني معدّل ١٤ باخرة يومياً . فكان معدّل الرسوم المدفوعة يومياً نحو ٢٨٠،٠٠٠ فرنك

وقد نُصب عند مدخل ميناء بور سعيد الغربي — على حاجز للامواج مستطيل في داخل المياه — تمثالٌ عظيم بديع للمهندس الفرنسوي فرنان دي لسبس صاحب مشروع قناة سويس ومُخرجه الى حيّز الوجود بعد نحو عشرة اعوام من الاشغال الجبّارية . وللتمثال قاعدة مرتفعة يَرى عليها السائحُ الواصل من اوربّة ذاك النابغة فريد عصره منتصباً تُشير يمناه الى مولج القناة ولسان حاله يقول : «هذه مأثرتي المخلّدة لاسمي ومجدي !» وطول التمثال بصرف النظر عن قاعدته نحو سبعة امتار

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

في انشاء المدرسة المارونية الرسمي (١٥٨٤ — ١٥٩٢)

بلغ عدد احداث الموارنة المرسلين الى رومية ليخرّجوا فيها بالآداب الكهنوتيّة في ربيع السنة ١٥٨٤ عشرين تلميذاً كانوا يسكنون في دار بقربها كنيسة على اسم مار يوحنّا المعمدان كانت سابقاً كنيسة رعيّة فخصّصها الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر منزلاً لغرباء الموارنة الذين كانوا يأتون من الشرق الى امّ المدائن لقضايات

مختلفة دينيَّة او دنيويَّة بينهم عدَّة فقراء وذلك في السنة ١٥٨٢ بموجب براءة (١ تاريخها اواخر شهر كانون الاول سنة ١٥٨٢ افتتحها بهذه الالفاظ (Exigit incumbentis) وعيَّن لمعاشهم مبلغاً كافياً. ثم الحقها في السنة التالية في كانون الاول ١٥٨٣ ببراءة ثانية (٢ بدوها (Salvatoris Nostri) اثنى فيها على الطائفة المارونيَّة وطاعتها للكرسيّ الرسولي وحسن استقبالها لقصّاده اليسوعيين ثمَّ أعلن بجعله الدار السابق ذكرها مع كنيستها ملكاً للأمة المارونيَّة مستقلَّةً عن رعيَّة القديس اندراوس (S. André delle Frate) التي كانت قبلاً متوليَّةً عليها بحيث يتصرَّف بها الموارنة كما يشاؤون ويقيمون في كنيستها رتبهم وطقوسهم الشرقيَّة دون عائق.

ثمَّ رأى الحبر الاعظم نموّ التلامذة وما ينجم في اختلاطهم مع ابناء جنسهم من العوائق لتربيتهم الكهنوتيَّة ودروسهم فعاد في السنة ١٥٨٤ في ١٢ آذار منها وامر بان تُفرد الدار المذكورة للاحداث الدارسين مع كنيستها وما يلحق بها من الجنينة وبقيَّة توابعها فتُدعى بالمدرسة المارونيَّة لا يسكنها غيرهم مع الكهنة المتولّين نظارتهم والعناية بهم. وقد ورد ذكر الذين سكنوا تلك المدرسة في اليوم المومأ اليه في المخطوطة الواتيكانيَّة اللاتينيَّة الموسومة بالعدد ٥٥٢٨ (في الصفحة ٣١—٣٣) وهم التلامذة المذكورون آنفاً ثمَّ الكهنة والرهبان الآتون: ١ الخوري مارون اسطفان الكاهن العاليّ من جزيرة قبرس قدم الى رومية في ٢٧ شباط ١٥٨٢ مع أحداث قادهم اليها. ٢ الخوري يوحنَّا أيوب الحصروني الذي استدعاهُ الكردينال انطون كرافا محامي الطائفة من لبنان لسعة علمه باللغة السريانيَّة ليراقب مطبوعاتها. اتى رومية في ١٤ ك ١ سنة ١٥٨٣. ٣ القسّ يعقوب سركيس الحرديني من رهبان مار انطونيوس اتى رومية بامر الكردينال عينه لنظارة المأوى قبل تحويله الى مدرسة في ذات التاريخ. ٤ الاخ ابراهيم سمعان الادنيتي من الرهبان المذكورين اتى مع القس يعقوب. ويشير في آخر الكتابة الى ستة تلامذة آخرين لم يذكر اسماءهم ولعلهم كانوا منتظَرين (desiderantur) «اثنان من دمشق حيث يوجد كرسيّ اسقفيّ». واثنان من بيروت «ليقوما بخدمة ابناء جلدتهم الذين يهربون من ظلم الاتراك الى بلاد

١) اطلبها في مجموعة البراءات المارونيَّة للعلامة Bullarium Maronitarum, pp. 81-83

٢) في المجموعة ذاتها (ص ٨٤—٨٩)

الدروز حيث يعيش معهم الموارنة. ثم « واحد من بجدرفل ؟ (Becartela) وواحد من جبيل او الجنه (Gibbeir ?) وهما من اخصّ منازل الموارنة. وواحد من كورماتيكو (Cormatico) من قبرس. وواحد من غمبيلي (Gambili) من قبرس

فهؤلاء باشروا مذ ذاك عيشةً منتظمة كما تليق بالدارسين ولاسيّما بالمترشّحين للعيشة الكهنوتيّة. وقد أيّد الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بسلطانه السامي نظام تلك المدرسة ببراءة خاصّة (١ اصدرها في ٥ تمّوز سنة ١٥٨٤ تبتدئ بهذه الالفاظ (Humana sic ferunt) يبيّن في مقدّمتها ما حمله على تخصيص المنزل السابق العموميّ بتربية احداث الموارنة وجعله مدرسةً وما يتوقّع منها من الفوائد الجمّة للطائفة المارونيّة كلّها ثمّ يعدّد ما لتلك المدرسة من المداخيل وباي شروط يدخلها التلامذة وما سيكون نظامهم وميزاتهم وطقسهم الشرقي. ويجعل المدرسة تحت نظارة الكردينال كرافّا محامي الطائفة ويجعل في يده تدبيرها والاهتمام بسائر امورها مؤمّلاً من نجاحها خيراً كبيراً لموارنة لبنان

ثمّ اردف البابا هذه البراءة ببراءة رابعة في السنة والشهر عينهما اولها (Romanis Pontificis) حتم على مجمع التسجيل الروماني (Dataria) ان يدفع كلّ سنةٍ من مداخيله ١٢٠٠ دينار لمصروف المدرسة المارونيّة. فكانت هذه النعمة الممنوحة من ذاك الحبر الهمام كشهادة محبّته الاخيرة للطائفة المارونيّة حيث توفّي بعد قليل. فخلفهُ سكستوس الخامس الذي احبّ ان يبرهن عن انعطافه نحو الموارنة ومدرستهم فاضاف الى مداخيلها اوقاف كنيسة مريم العذراء والقديس كلوديوس المعروفة بغراسينوريو وكانت فرغت برفاة الكردينال الكسندر المتمتّع بها فابرز في ذلك براءة (٢ افتتحها بهذه الكلمات (Inter cœtera collegia) في تاريخ آب من السنة ١٥٨٥ وألحقها ببراءة ثانية بمعناها في ٧ شباط ١٥٨٦

وقد اشار الدويهي في تاريخه الى هذه الهبات البابويّة فقال عن البابا غريغوريوس انهُ « اجرى على تلامذة المدرسة المارونيّة وظائف من نفس طعامه » ثم قال (ص ١٨٠): « ولمّا قام بعدهُ كسوسطس الخامس رتّب لهم دخلاً يكفي ١٥ طالباً مع جميع من

١) اطلبها في مجموع البولّات المارونيّة ص ٩١–٩٧

٢) تجدها باللاتينيّة في مجموع البراءات المارونيّة (ص ١٠٠–١٠٣)

يقوم بخدمتهم» . وقال في محلّ آخر عنهُ : « ولمّا علم ان سالفهُ ادركتهُ الموت قبل ان ينهي المدرسة رتّب لها دخلًا سنويًا في فراسينوريو وفي السنة الثانية من رئاستهِ عيّن لها وقفاً في العامودية» (ص ٤٢٠)

وقد امتاز بكرمهِ الحاتميّ نحو هذه المدرسة الكردينال انطون كرافا الموما اليه فانهُ مدَّة حياته لم يزل ساعياً بترقيها ماديًّا وادبيًا الى سنة وفاتهِ (١٥٩٤) وهو الذي جدّد بناء كنيستها التي كانت في جملة تصاويرها صورةٌ لرفائيل المصوّر الذائع الشهرة ووقف على المدرسة قبل موتهِ جميع تركتهِ بمبلغ عشرة الاف سكودي (١ . وبهذه الارزاق الجارية على المدرسة المارونيَّة اصبحت مماثلةً لافضل المدارس المنشأة في رومية كمدرسة اليونان والمدرسة الانكليزية والمدرسة الايرلندية

امّا ادارة هذه المدرسة فجُعلت في ايدي الرهبانيَّة اليسوعيَّة فكان يسكن فيها الرهبان الموكولة اليهم العناية بالتلامذة ولاسيّما الرئيس ومدير المدارس والاب الروحيّ . وكان اوّل رئيس أُقيم عليهم الاب يوحنّا برونو رفيق الاب اليانو في قصادتهِ الثانية الى الموارنة بقي في رئاستهِ الى السنة ١٥٩٠

وكان التلامذة يذهبون كلّ يوم الى المدرسة الرومانيَّة ليتلقَّوا فيها دروسهم من الآباء اليسوعيين كتلامذة مدارس الانكليز واليونان والارلنديين مباشرةً من اصول اللغتين اللاتينية والطليانيَّة ثمّ العلوم الادبيَّة والرياضيَّة ثمّ الفلسفة واللاهوت فيدوم زمن دروسهم من عشر سنين الى ١٢ سنة

وكان لهؤلاء التلامذة ثيابهم الرسميَّة دُرّاعة سوداء (قنباز) وزنّار مثلها مع رداء طويل وقبعة اكليريكية وهم يحافظون على طقسهم السرياني فيقوم بتعليمهم اللغتين العربيَّة والسريانيَّة كهنة من ملّتهم يقطنون معهم . وكانوا يحتفلون كلّ سنة بعيد القديس يوحنّا المعمدان احتفالاً عظيماً وعلى اسمهِ كانت كنيستهم وكانوا في مساء النهار يعقدون جلسة ادبيَّة في صاحب العيد بلغات مختلفة يحضرها الكردينال محامي الطائفة وكثير من ارباب الاكليرس وذوات رومية . وفي ٩ شباط كان يعيّدون عيد القديس مارون بابهّة ورونق فيدعون اليهِ اصدقاء الطائفة ومحبّي الطقوس الشرقيَّة . وكذلك رُتَب الجمعة المقدسة ولاسيّما الشعانين كانوا يقيمونها بكل مجاليها فيتقاطر الرومانيُّون الى حضورها

(١ اطلب تاريخ الدويهي ص ١٨٠

وقد اهتمّ تلامذة رومية مع الكهنة الموارنة والرهبان الذين في مدرستهم بنشر الكتب الطقسية المارونيَّة بالسريانيَّة . واول ما ظهر من ذلك سنة ١٥٨٥ كتاب الجنازات طُبع على نفقة البابا غريغوريوس الثالث عشر في مطبعة دومنيك بازا (D. Basa) بحرف سرياني مع نقوش وتصاوير. وهو من اقدم الكتب التي طبعت بالسريانيَّة

قوانين المدرسة المارونيَّة

وقد وقفنا على قوانين المدرسة المارونيَّة في سجلّات رهبانيَّتنا اليسوعيَّة وهي باللغة اللاتينيَّة من انشاء مجمع انتشار الايمان وُضعت بعد تأسيس المدرسة في القرن السابع عشر وكان قبلها الكردينال انطون كرافا قد وضع لها بعض القوانين المختصرة جرى التلامذة عليها اوّلاً فنقَّحها المجمع المذكور واوضحها في احد عشر فصلاً

فالفصل الاوّل يتضمَّن خلاصة تاريخ انشاء المدرسة المارونيَّة بهمَّة البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة ١٥٨٣ (كذا) وما قصدهُ من انشائها اعني تهذيب بعض احداث الموارنة ذوي الآداب الحسنة والذكاء بالتقى والعلوم حتّى اذا تخرَّجوا في رومية بكل الآداب الكهنوتيَّة يعودوا الى وطنهم ويتولَّوا نشر الدين الكاثوليكي بين اهل ملّتهم ومواطنيهم . وفي هذا الفصل ذُكر الكردينال كرافا المحسن الكبير الى الطائفة المارونيَّة ومساعيه الطيّبة في انجاح هذه المدرسة مادياً وادبياً

الفصل الثاني مدارهُ على الصفات المطلوبة من اولئك الاحداث وكيف ينبغي انتخابهم قبل ان يُرسلوا الى المدرسة المارونيَّة ولذلك لا بدَّ ان يقضوا مدَّةً في المدارس المنشأة في وطنهم بفضل الكرسيّ الرسولي فيُمتَحنوا فيها ويتلقنوا المبادئ الغراماطيقيَّة فاذا وجدوهم اهلاً اوسلوهم الى المدرسة المارونيَّة . ولا يُقبَلوا في رومية الّا مصحوبين بكتاب من السيّد البطريرك او برخصة مجمع انتشار الايمان او الكردينال حامي الطائفة

الفصل الثالث يحتوي شروط دخول التلامذة في المدرسة المارونيَّة بأن يخلوا مدَّة عشرة ايَّام برياضة روحيَّة يتمرَّنون فيها على الواجبات الدينيَّة وبعد اعترافهم العام بذنوبهم وقبولهم القربان الاقدس يطَّلعون على قوانين المدرسة لينظروا

أيستطيعون حفظها فاذا حَسُنت لديهم تلَوْا صورة القَسَم الذي وضعهُ اوربانوس الثامن للشرقيين ووعدوا بتخصيص حياتهم لخدمة النفوس في العيشة الاكليريكيَّة وتأهبوا لقبول الدرجات الصغرى مباشرةً بالاكليل

الفصل الرابع خُصَّ بالرياضات الروحيَّة التي يجب على التلامذة ممارستها من صلوات لفظيَّة وتأمل يومي صباحاً نصف ساعة وحضور القداس الالهي وتلاوة الكتب الروحيَّة ومواظبة على سرّي التوبة والقربان على الاقلّ مرَّة في الشهر وفي الاعياد الحافلة . وتلاوة طلبة جميع القديسين يوميًّا مع ربع ساعة لفحص الضمير مساء . وفيهِ تحريض على درس الطقس الماروني واللغة السريانيَّة . وفيهِ ايضاً ذكر الرياضة السنويَّة وبعض الرياضات الروحيَّة في الاعياد وايَّام الآحاد . وكذلك يُذكر تعيين أبٍ روحيّ يعترف التلامذة لهُ بخطاياهم

الفصل الخامس يفصّل واجبات رئيس المدرسة وهو احد الآباء اليسوعيين وما يُفرض عليهِ لتثقيف الدارسين وتهذيبهم الروحي بحيث يوفّر لهم الوسائل ليتأصلوا في ممارسة الفرائض التقويَّة السابق ذكرها فيحسنوا القيام بها ويعيّن لهم اباً روحيًّا يقرُّون لهُ بخطاياهم دون سواه ويعدُّهم بالكتب التقويَّة وسير القديسين وكلّ ما من شأنهِ ان يزيدهم براءةً وقدساً

الفصل السادس عنوانهُ « ما يجب على التلامذة من الطاعة والاكرام للرؤساء » بيّن فيهِ ان نجاح المدرسة وحسن تدبيرها يتوقّفان خصوصاً على طاعة التلامذة لرؤسائهم وما ينتج من الاضرار بمخالفتها فيحضّ الجميع على اتمام اوامر الرؤساء واكرامهم ويتهدَّد العصاة بالعقوبات الصارمة بل بطردهم من المدرسة

الفصل السابع يبحث عن نظام المدرسة اليوميّ بحيث يحفظون بتدقيق الترتيب العام فيعيشون عيشةً متساوية في شغلهم وراحتهم وصلاتهم ونومهم وخروجهم من المدرسة ورجوعهم اليها دون امتيازات خاصَّة الّا اذا حكم الرئيس بخلافهِ . ويُحتّم عليهم ان يسلّموا ما عندهم من الدراهم لوكيل المصروف فينفقونها باذن الرئيس ولا يحفظوا كتاباً خارجاً عن نظام المدرسة دون رخصة الرئيس . وفي هذا الفصل عدَّة قوانين في تصرُّف التلامذة مع بعضهم ومع الغرباء وفي اوقات الدرس وفي ساعات الفراغ وفي الاصوام والقطاعات وفي امراضهم

الفصل الثامن يشتمل على واجبات الرؤساء في عنايتهم بحفظ النظام اليومي لترويض اخلاق التلامذة وتحسين سلوكهم لاسيّما في الخارج. وهنا كلام عن ملبوسهم وعن زياراتهم لمعابد رومية او لبعض الذوات وترويض اجسادهم بالالعاب المناسبة

الفصل التاسع يبيّن خصوصاً ما يجب على التلامذة من لزوم الحشمة والتقيّة والانس في كلّ اعمالهم ليكونوا قدوةً لكل من يراهم او يخالطهم ويحذروا من كلّ حديث يسيء الى القريب او يغيظ رفقتهم

الفصل العاشر موضوعهُ الدروس وتحريض التلامذة على ملازمتها بكل حرص واجتهاد مع حفظ نظامها سواء حضروا تعليم الاساتذة في المدارس او تباحثوا في أماثيلهم في ما بينهم او راجعوها وحدهم في غُرَفهم . مع ايضاح الطُرق المناسبة للاستفادة منها . وفيه كلام على الاعتناء بالكتب المدرسيّة والكتب المستعارة من المكتبة العموميّة

الفصل الحادي عشر يخصّ الرؤساء وفيه تعريف ما يقتضي عليهم في تخريج التلامذة بالعلوم وتثقيف عقولهم ليصبحوا يوماً انوارًا لاهل بلادهم . فيتّبع المجمع المقدّس سياق دروسهم مباشرةً بالعلوم اللغويّة والبيانيّة ثمّ الفلسفة باقسامها وفروعها ثمّ اللاهوت النظري والادبيّ وسائر العلوم الكتابيّة والشرعيّة الكنسيّة الى نهاية دروسهم وتقدمة الفحوص عنها والشهادات المؤذنة بنجاح التلامذة فيها . ولم يَنْسَ المجمع درس لغتيهم الوطنيّة والطقسيّة تحت نظارة الكهنة او الرهبان الذين عُهد اليهم ذلك . وهذا ما أهّل تلاميذ رومية لخدمة العلوم الشرقيّة في اوربّة كما سترى

وهذه القوانين المذكورة تجد خلاصتها في براءة البابا اوربانوس الثامن التي اصدرها في ٣٠ تموز سنة ١٦٢٥ لاثبات مدرسةٍ تأسست وقتئذ في جبل لبنان لتثقيف احداث وشبان الطائفة المارونيّة لاسيّما الذين يرشّحون للمدرسة المارونيّة في رومية ليتمموا فيها سياق دروس الفلسفة واللاهوت . وهذه البراءة قد نُشرت مُعرَّبةً في طبعة المجمع اللبناني الجديدة التي تولّى نشرها الطيّب الذكر الطران يوسف نجم في الفصل الثاني والاربعين من الذيل (ص ٢١٢٨–١٣) . وقد استفاد ايضاً آباء المجمع اللبناني من قوانين المدرسة المارونيّة في الباب السادس من القسم الرابع المعنون بالمدارس والدروس

وان عدنا الى ذكر تاريخ المدرسة المارونيَّة في سنيها الثاني الاولى (١٥٨٤–١٥٩٢) وجدناها ساعيةً في سبل النجاح تحت رعاية الاب يوحنا برونو الذي قام لديهم مقام احنّ الآباء بعد ان زار بلادهم فاختبر محامد اهل ملّتهم

ولم يكونوا ليذهلوا عن اكبر للمحسنين اليهم واعزّ اصدقاء طائفتهم واكبر السُّعاة في فتح مدرستهم الاب جوان باطشتا اليانو . وممَّا وقفنا عليهِ من رسائلهم التي حرَّروها للاب المذكور رسالة لجبرائيل الباني اوَّل تلاميذ المدرسة المارونيَّة كتبها كما يظهر بعد رجوع الاب اليانو من مصر الى البندقيَّة سنة ١٥٨٥ ومنها يظهر حبّ هؤلاء التلامذة للاب اليانو وعرفانهم جميلهُ :

بسم الآب والابن والروح القدس

أُقبّل الارض واحني بالهامة الخاطئة بين الايادي الطاهرات النقيَّات الركيَّات اي ايادي المحبّ الحنون وتاج رأسي وقرَّة عيني وبهجة فؤادي المحبّ المحبوب ابي القس باتيستا سلَّمهُ الله تعالى

سبب تسطيرها الاشواق الى نظرك البهيّ الله يرونا اياه بخير وعافية . ثم الذي نعرّف به الاب الحنون باني وقت سمعت انك جيت مثلما يكون اني قام من بين الاموات . فرحت جدًّا وشكرتُ الله على وصولك الطيّب الينا وعلى سلامتك ومجّدت الله القدوس الذي ردَّك الينا لانك وقت كنت غائب كنَّا مثل اليتامى بلا اب ولاسيما انك عملت عمل خير عظيم وجبتنا من بلادنا في كلّ جودة . وكنَّا مشتاقين جدًّا لاننا كنَّا دائمًا نصلي حتى الله يرونا وجهك قبل الموت . ونُعلم الاب الحنون بان البابا غريغوريوس عمل لنا مدرسة وطلبنا جماعتكم حتَّى يدبّرونا والحمد لله الجنرال انعم علينا واعطانا اياهم ليدبّرونا وكنَّا مستنظرينك زمان طويل لكي تجيء وتدبّرنا وان شاء الله وقت تجي تطلبك من الجنرال . واطلب من احسانك ان كان يجي الخوري حنَّا وانت في البندقيَّة انك تبيتهُ وتكون لنا معين في كل ضيقتنا وغربتنا . وما نتاز وصيَّة لانك دائم حريص علينا وانت جيتنا وانت ربّيتنا وادام الله بقاك

احقر الناس عبدك وابنك

جبرائيل الباني ابن القس يوسف

وقد وقفنا لتلاميذ رومية على مكتوب آخر كتبهُ جبرائيل المذكور للاب اليانو باسمه وباسم ثمانية من رفقتهِ هذا نصُّهُ :

اقبّل الارض وانحني بين اقدام السائر بخدمة العليّ الشريف ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي وعد بانجيلهِ المقدَّس ملكوت السماوات للمجتهدين بعملهِ . . . امين . وسبب تسطيري

هذه الكتابة انا الحقير جبرئيل شوقي لنظرك انت الذي بوساطتك اتيت الى هذا الموضع المقدّس ثمّ انّنا نعلم الآن ابوّتك نحن يعقوب ومرقس ونعمة وكبار ويوحنّا وانا الحقير سطّر هذه الاسطر انا معازين هؤلاء الكتب الذين اساميهم مكتوبين بورقة الاب يوحنّا (برونو) . فن كرّ بدّ وسبب يا ابونا نريد انك ترسلهم ولا تتهاون بالحبّ الروحاني الذي انت به مقيّد نحونا . ونعلمك ايضاً اننا نحن كلنا طيّبين بنظر الله ونظر سيّدنا البابا ونظر سيّدنا الكردينال انطونيوس (كرافنّا) وما يخصّنا غير نظرك ورؤياك البهي وهؤلاء الكتب والرب يجمع الشمل بيننا وبينك امين

انا الحقير مرقس القبرسيّ انا الحقير جبرائيل الهدناني انا الحقير موسى الساقوري انا الحقير جرجس الهدناني انا الحقير سركيس ابن اخو البطرك سركيس اقبّل اياديك كثير انا الحقير مخائيل ابن اخو المطران انا الحقير يوحنا الحلبي وبعد السلام كثير كثير امين امين . (وفي اخرها عبارة بالسريانيّة هذا تعريبها)

انّ التلميذ الذي وُضع من الاب يوحنّا باطيشتا اليوم يتعلّم اللاهوت وهو يسلك بمخافة الله ويطلب من ابيه الروحاني الاب باطيشطا ان يرسل لنا اعمال الشهداء والكتب التي تتنوّر بها

ولدينا مكتوب آخر كتبهُ تلميذه الخوري يوحنّا ايّوب الحصروني المار ذكرهُ بعد رجوع الاب اليانو من مصر الى البندقيّة :

بسم الربّ حافظ خائفيه وموصلهم الى درج الكمال

كما يتوق الايل الى ينبوع المياه كذلك تاقت نفسي الى حضرة الاب القديس الجوهر النفيس الذي ليس في قداسته شكّ علَم الاعلام ومصباح الظلام . . . فخر الماء وزين الكهنة ابي ومعلّمي وتاج رأسي التس باتشتا ادام الرب كهنوتهُ ويرحمني ببركة صلواته . وسبب تسطيرها كثرة الاشواق الى نظر ابوتكم البهيّة يتمّنا بها الرب قبل الموت . ثمّ نعلم ابوّتك بان وصل الينا خبر المحنة التي انت عليك فغمّنا كثيراً لكن نشكر الله على خلاصك بخير يا ابي قال داود النبي : كثيرة هي احزان الصدّيق ومن جميعها يخلصهُ الرب . وامرض على معرفتك الكريمة ابي انا الحقير تلميذك دخلتُ الى المدينة المعظّمة امّ المدن رومية وصار لي تكريم عظيم من السيد الكردينال انطونيوس كرافنّا ادام الله بقاه زمناً طويلاً . وكذلك الاب الاقدس سيدنا البابا انعم علينا بكل شيء طلبناهُ منهُ اخذ لنا كنيسة ولها بستان وعمّر لنا لرقها مدرسة عظيمة مثل مدرسة الملكيّة (اي اليونان) وأحسن . واولاد الموارنة انتقلوا جميعاً اليها وعمل لنا اسطنبا (اي مطبعة Stampa) بالحرف السرياني الكبير الربّ يجازيه في ملكوته السماويّ . وانا ومعلمي التس يوحنا برونا نقلنا الكتب من السرياني الى الافرنجي وهو يجتهد وساعي بكل اشغالنا وتعب كثيراً من اجلنا الرب يجازيه . . . ونعلم قدسك ان كان جوّن الله في شهر نيسان

اتوجّه الى البلاد ونرجوك ان تجعل طريقك علينا حتّى نتشمّك ونفرح فيك قبل الموت وحضر تطيرها تلاميذك اهل جبل لبنان يقبلون يديك

تلميذك الحقير في الكهنة يوحنّا الحصروني
من جبل لبنان

وقد اطّلعنا على رسالة حرّرها البطريرك سركيس الرزّي الى الاب الياتو في تاريخ ٢٥ آذار ١٥٨٥ يهنّيه فيها بالنجاة من محنته ويوصيه بالتلاميذ الوارنة :

ܫܠܡܐ ܘܒܪܟܬܐ ܕܫܠܝܚܐ ܢܗܘܢ ܥܠ ܪܫܝܬܐ ܕܚܒܪܝ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܐܒܐ ܕܝܠܝܢ ܘܥܠ ܟܠ ܡܢ ܕܡܚܒܒܝܢ ܠܗ ܒܫܘܪܝܐ ܕܡܪܝܢ ܢܝܚ ܢܦܫ ܐܒܐ ܡܪܝ ܫܡܥܘܢ ܪܙܝ ܐܦܣܩܘܦܐ ܕܛܘܪ ܣܝܢܝ ܘܛܘܪ ܣܝܢܝ ܕܒܝܬ ܡܪܝ ܡܪܝ ܐܠܝܐ ܐܒܐ ܕܝܠܝܢ ܘܥܠ ܟܠ ܡܢ ܕܡܚܒܒܝܢ ܠܗ ܒܫܘܪܝܐ ܕܡܪܝ

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

(الملاحة) كما اشتهر نصارى العرب بالتجارة البرّيّة كذلك اصابوا في التجارة البحريّة سهماً فائزاً. وقد بيّنا سابقاً انتشار النصرانيّة في سواحل جزيرة العرب في اليمن وعمان والبحرين فوجدوا في مجاورة البحار وسائل جديدة لتنمية ثروتهم وزيادة ارباحهم. فكان الحميريون واهل البحرين يحسنون اصطناع السفن وعمارتها فيقطعون بها خليج العرب الى الحبشة وبحر عمان الى الهند وخليج فارس الى جهات العجم. وقد اشاروا الى ذلك في شعرهم قال عمرو بن كلثوم التغلبيّ في معلّقته يفتخر بكثرة سفن قبيلته تغلب النصرانيّة :

ملأنا البرّ حتّى ضاق عنّا ونلهر البحر نملأه سفينا

وقد احسن طرفة في وصفه لسفن قومه في البحرين فذكر بعض سفنهم العظيمة وهي الخلايا والعَدَوليّة من سفن البحرين وذكر احد رؤساء البحر المدعو ابن يامن ومخر سفينته غمر المياه فقال :

كأنّ حدوجَ المالكيّة غُدوةً خلايا سفينٍ بالنواصف من دَدِ
عَدَوليّةٍ او من سفينِ ابن يامنٍ يجورُ بها الملّاحُ طوراً ويهتدي
يَشُقُّ حَبابَ الماء حيزومُها بها كما قسّمَ التربَ المفائلُ باليدِ

وذكر الأعشى النوتيّ السائر بسفنه على الفرات عند طغيانه

مثل الفُراتيّ اذا ما طما يقذفُ بالبوصيّ والماهرِ

واشار امرؤ القيس الى طلي السفن بالقير :

فشبّهتُهم في الآلِ حين تَهامُهُ عصائبَ دَوم او سفيناً مُقيَّرا

وقال الشمّاخ يذكر سفن البحرين وغواربها الكبيرة :

رماحُ رُدَيْنٍ ويحارٍ لجٍّ غَوارِبُها تُقاذِفُ بالسَّفينِ

وكانوا يُدعون النوتيَّ ملّاحاً وصرارياً جمعهُ صراريّ ايضاً وصُرّاء. قال ربيعة ابن مقروم:

واعرضَ واسطٌ فعدَلْنَ عنهُ كما عَدَلَ الصراريُّ السفينا

وقال المزرّق العبري:

الا ابنَ المُطَّى خِلْتَنَا وحَسِبْتَنا صراريَّ نُعطي الماكسينا مُكُوسا

على انَّ فنَّ الملاحة الذي كان يعرفهُ ويزاولهُ عرب الحضر في سواحل الجزيرة كان في الغالب مجهولًا لدى عرب الحجاز ونجد. بل كانوا يعدُّون ركوب البحر كالطامَّة العظمى فبعد انتشار الاسلام وثبوت قدمهِ اذ رأووا في سواحل الشام ومصر سفن الروم. ارادوا ان يعبروا البحر لينزوا الجزائر كقبرس او سواحل اليونان وآسية الصغرى فالتجأوا الى من كان في حوزتهم من الروم في الشام والاقباط في مصر ومن نصارى العرب في جهات البحرين فتعلّموا منهم صناعة السفن كما اخذوا صناعة التجارة لأنَّ انشاء السُّفن يحتاج اليها لما يدخلها من الالواح والدسر والصواري والمجاذيف مع هندسة اجزائها فعمّروا لهم السُّفن وجهّزوها لحروبهم في ايام معاوية ودولة بني امية

وفي اللغة ما يدلُّ على اصول فن الملاحة الاجنبيّ فترى فيها الفاظاً متعدّدة امّا رومية واما آراميَّة او حبشيَّة تثبت حدوث الملاحة في الحقبة الاولى من الاسلام وقد تقلّدوا في صنعها صورة مراكب الروم واليونان في هيئاتها المختلفة واجرامها المتباينة . فممّا استعاروه من اليونانيَّة : اسطول (σπόλος) أنجر (ἄγκυρα) نوتي (ναύτης) . ومن السريانيَّة او الآراميَّة : سفينة قارب قُرقور دَقل ربّان ملّاح سُكّان قِلع مجذاف صارٍ. ومن الحبشيَّة : بحرٌ شِراع مرسى

(النُّقود) انَّ التجارة والمفايضات في البيع والشراء لا تجري عادةً الّا بمسكوكات ونقود تُدفع بدلًا من السِّلع والبضائع. وكان للدول النبطيَّة وللملوك ميشان وخراسان في العراق وللملوك الجزيرة في جهات الرها وحضر وللملوك تدمر نقود ضربوها باسمهم ذهبيَّة وفضيَّة ونحاسيَّة منها امثال حسنة في متاحف اوربَّة وعند بعض الخاصّة

فوصفوها ورسموا صورها وفنّدوا بذلك ما كتبهُ المقريزيّ في كتابهِ النقود القديمة الاسلاميّة حيث قال :

« كانت نقود العرب في الجاهليّة التي تدور بينها الذهب والفضّة لا غير ترد اليها من الممالك دنانير الذهب قيصريّة من قبل الروم ودراهم فضّة على نوعين سوداء وافية وطبرية عتقًا وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهليّة مثل وزنها في الاسلام مرّتين ويسمّى المثقال من الفضّة درهمًا ومن الذهب دينارًا ولم يكن شيء من ذلك يتعامل بهِ اهل مكّة في الجاهليّة وكانوا يتعاملون باوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم »

فانّ علماء النقود العربيّة كالسير فكتور لنغلوا (V. Langlois) في كتابهِ عن نقود العرب قبل الاسلام (Numismatique des Arabes avant l'Islamisme) والسير هنري لافوا (H. Lavoix) في كتابهِ عن النقود الاسلاميّة المصونة في مكتبة باريس العموميّة والسيو دي تيسنهوزن (de Tiesenhausen) وغيرهم اثبتوا استعمال عرب الجاهليّة للنقود النحاسيّة واستغربوا قول المقريزي عن الدراهم السوداء والطبريّة واستنتجوا من كلامهِ جهلهُ بالنقود القديمة

وما لا يُنكر انّ العرب قبل الاسلام تداولوا في بلادهم ومع الامم المجاورة لهم النقود النصرانيّة فراجت بينهم ايّ رواج على اختلافها ذهبيّة كانت ام فضيّة او نحاسيّة واغلب ما عرفهُ العرب من النقود ما كانوا يتعاملون بهِ من النقود القيصريّة الروميّة مع رسومها الدينيّة . وقد اشتهرت بينهم نقود هِرَقل قال المسعودي في مروج الذهب (٢ : ٣٣٣) : « وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقليّة » وقال البلاذري في فتح البلدان (ص ٤٦٦) : « وكانت دنانير هرقل تَرِد على اهل مكّة في الجاهليّة » وروى في الاغاني (١١ : ٢٠) لكُثَيِّر عزّة قولهُ :

يروقُ عيونَ الناظرات كأنّهُ هِرَقليّ وزنٍ احمرُ التِبْر راجحُ

وروى الانباري في شرح معلّقة عنترة (éd. Rescher. 61) :

دنانيرُ ممّا شِفَّ في ارضِ قيصرِ

اراد الدنانير الجليّة المُعلَّمة الموسومة بالكتابة . وقد ذكر أُحيحة بن الجلاح دنانير مدينة أيلة التي كان صاحبها الامير النصراني يوحنّا بن روبة قال يرثي ابنهُ (ياقوت : معجم البلدان ١ : ٤٢٢) :

ألا انَّ عيني بالبكاء تقلّل جزوعٌ صبورٌ كلّ ذلك تفعلُ
فما هبرزيٌّ من دنانير أيلةٍ بأيدي الوشاةِ ناصعٌ يتأكّلُ
بأحسن منهُ يومَ اصبح غادياً وتغشى فيه الخمارُ المجدّلُ

(قال) يتأكّل اي يأكل بعضهُ بعضاً لحسنهِ . والوشاة الضرّابون . وقد وصفوا كذلك الدراهم الرومية . قال عنترة يصف روضةً اصابها المطر الجَوْد فأنعشها :

جادت عليهِ كلُّ بكرٍ ثرّةٍ فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

ومثلهُ الاسود بن يَعفُر (شعراء النصرانيَّة ص ٤٨٢) :

من خمرِ ذي نَطَفٍ اغنَّ مُنطَقٍ وافى بها كدراهم الأسجادِ

(قال) اراد بالاسجاد اليهود والنصارى . وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسيَّة نُتَيّاً وفلوساً قال اوس بن حَجَر (ديوانهُ éd. Haffner) :

وفارقتْ وهي لم تَجرَبْ وباع لها من الفصافص بالنُّتّي سفيرُ

وقال جرير يهجو الاخطل (الاغاني ٧ : ١٧٨) :

والتغلبيَّةُ مُهرها فلسانِ

ومن الادلَّة التي تشهد على رواج النقود الروميَّة بين عرب الجاهليَّة انَّ معظم الالفاظ الدالَّة عليها يونانيَّة او لاتينيَّة الاصل كدينار (δηνάριον) ودرهم (δραχμή) وقيراط (κεράτιον) ونُتّي (νοῦμμος) وفلس (φόλλις) وقنطار (centenarium)

ثمَّ ظهر الاسلام والمسلمون لم يعهدوا ضرب النقود فتعاملوا بمسكوكات الروم التي كانوا يربحونها بمتاجرتهم مع بلاد الشام ومصر والعراق او وجدوها في فتح البلدان فأخذوها غنيمةً واقتسمها جنودهم . ولجهلهم لغة البلاد التي استولوا عليها اقاموا لهم عمّالاً من نصارى الوطنيين ولّوهم على دواوينهم الماليَّة لجباية الخراج والضرائب المختلفة . وكان من جملتهم في دمشق سرجيوس او سرجون جدّ القديس يوحنّا الدمشقيّ المعروف بابن منصور

ففي ايَّام الخلفاء الراشدين ولاسيَّما عمر بن الخطَّاب وعثمان بن عفَّان وفي اوائل الدولة الامويَّة ضُربت نقود العرب على هيئتها النصرانيَّة السابقة . ففي متاحف اوربَّة عشرات من النقود التي ضُربت في دمشق وحمص وبعلبك وطبريَّة في ايَّام عمر في السنة ١٧ للهجرة وما بعدها وكلُّها عليها رسم هرقل ملك الروم مع صورتهِ وسائر

أشعرة النصرانيّة كاوّل حروف اسم السيّد المسيح وكصليبه المقدّس وصورة النسر . وعلى بعضها شعار قسطنطين الكبير : بهذه العلامة انتصر (ἐν τούτῳ νίκα) ثم سمة النقود M مع اسم المدينة باليونانيّة او بالعربيّة هكذا : «ضرب . دمشق (حمص . طبريّة . بعلبك . ايليا . انطاكية) . جايز» . ومعظم هذه النقود فلوس من نحاس . وقد وُجد على بعضها اسم عمر بالاختصار (عمر بن الخطّ) واسم خالد بن الوليد واسم يزيد بن ابي سفيان واسم ابي عبيدة (١

وقد وجدوا على عدّة نقود من ذلك العهد كلمة «باسم الله» وقال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٨٨١) انّ الحجّاج بن يوسف اوّل من ضرب درهماً عليه شعار الاسلام «لا اله الّا الله وحدّه رسول الله» . وليس قوله بسديد لانهُ تُعرف نقود لعليّ ابن ابي طالب ضُربت في البصرة سنة ٤٠ هـ عليها هذا الشعار «لا اله الّا الله وحده لا شريك لهُ» وعلى الوجه الآخر «محمّد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحقّ يظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون (٢»

ومن هذا ترى غلط معظم مؤرخي العرب الذين زعموا انّ اوّل من كتب على النقود الاسلاميّة بالعربيّة هو الخليفة عبد الملك بن مروان . قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (ص١٣) : «اوّل من نقش على الدراهم والدنانير بالعربيّة عبد الملك بن مروان فانهُ عُني بذلك وكتب الى الحجّاج في اقامة رسمه»

وقد اخبر المقريزي في كتاب النقود الاسلاميّة (ص٥ طبعة الجوانب) ان معاوية ابن ابي سفيان كان قبل ذلك ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلّداً سيفاً . ومثل هذه الدنانير لم يجدها بعد الاثريّون لكنّهم وجدوا فلوساً تمثّل معاوية واقفاً وشعرُ رأسه مفروق على جبهته وفي يمناهُ السيف وفي ظهر الفلس اسم ايليا وفلسطين مع صليب على هذه الهيئة ⊕ . فلمّا ملك الخليفة عبد الملك جرى اوّلاً على مثال اسلافه وابقى الصليب مع صورته واسمه في الدنانير والفلوس الى السنة العاشرة من ملكه ويوجد من هذه

---

١) اطلب مقالةً في نقود الاسلاميّة الاولى لبارون دي سلان في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (J. A., 1871², 199-211) .

٢) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. XVII, 39)

النقود بعض الامثلة في المتاحف وهي مضروبة في حمص ودمشق وعمان وقنّسرين ومنبج وسرمين وغيرها

ففي السنة العاشرة من خلافته عدل عن النقود السابقة واتّخذ نقوداً جديدة خالية من الرسوم النصرانيَّة ولذلك عدَّهُ كتبة العرب كأوَّل خليفة نقش الدنانير قال الطبري في تاريخه (٢ : ٩٣٩ – ٩٤٠) : اوَّل نقش الدنانير والدراهم على عهد عبد الملك ابن مروان سنة ٧٦ هـ . والصواب انهُ ضرب اوَّلاً النقود القديمة ونقش فيها صوراً انكرها عليهِ بقايا من الصحابة كما يقرّ بذلك المقريزي في كتاب النقود الاسلاميَّة (ص٦) . وفي السنة ٧٦هـ (٦٩٦م) ضرب نقوداً اسلاميَّة محضة وازال منها الصور والرسوم النصرانيَّة . لكنَّهُ بقي شيءٌ منها لعلَّهُ ضُرب بدون علمهِ ففي متحف باريس دينار ضُرب سنة ٧٧ هـ عليهِ صورة عبد الملك مع ساريةٍ نصرانيَّة . وفيهِ ايضاً نقود نحاسيَّة ضُربت في السنة ٨٠ عليها رسم صليب

امَّا سبب اتخاذه السكَّة الاسلاميَّة فنفوره مما كانت الروم ترسمهُ على سكَّتهم من تعظيم الصليب والاعلان بلاهوت المسيح . وهذا ايضاً ما دفعهُ الى ان يُحدث كتابات الطوامير والقراطيس التي كان في صدرها مثل هذه الأشعرة النصرانيَّة . وقد اخبر بذلك البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٠) :

«قالوا كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العربَ من قبَل الروم الدنانير فكان عبد الملك بن مروان اوَّل من أحدث الكتاب الذي يُكتَب في رؤوس الطوامير من «قُلْ هو الله احد» وغيرها من ذكر الله . فكتب اليهِ ملك الروم : انكم احدثتم في قراطيسكم كتاباً تكرهُ فان تركتموهُ والَّا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيّكم ما تكرهونهُ . (قال) فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنَّةً حسنة سنَّها فارسل الى خالد بن يزيد ابن معاوية فقال لهُ : «يا ابا هشام احدى بنات طبقي» واخبره الخبر فقال : أفرغ روعك يا امير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامل بها واضرب للناس سكّكاً ولا تُعنَ هؤلاء الكفرة بما كرهوا في الطوامير» . فقال عبد الملك : «فرَّجتَها عني فرَّج الله عنك» وضرب الدنانير . قال عوانة بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبهُ الى الربوبيَّة تعالى علوّاً كبيراً وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتدَّ عليهِ تغيير عبد الملك ما غيَّرهُ»

وقد اتى هذا الخبر مفصَّلاً في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (éd. Schwally, p.498-502) تقتطف منهُ ما يأتي :

قال الكسائي : دخلتُ على الرشيد ذات يومٍ وهو في ايوانهِ وبين يديهِ مال كثير قد شق

عنهُ البذرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في حدَم الخاصّة ويدهِ درهم تتلوّح كتابتُهُ وهو يتأمّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال: هل علمت مَنْ اوّل مَنْ سنَّ هذه الكتابة في الذهب والفضّة؟ قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلتُ: لا علمَ لي غير انهُ اوّل من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك. كانت القراطيس للروم وكان اكثرُ مَنْ بمصر نصرانيًا على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميّة وطرازها آبا وابنا وروحا قدّيشا (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) فلم يزل كذلك صدر الاسلام كلّهُ يمضي على ما كان عليهِ الى ان ملك عبد الملك فتنبّه عليهِ وكان فطينًا فبينا هو ذات يوم اذ مرَّ بهِ قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يُترجم بالعربيّة ففُعل ذلك فانكرهُ . . . فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بابطال ذلك الطراز . . . . وان يأخذ صنّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد . . .

ثم اخبر استياء ملك الروم من هذه الكتابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الاسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأُبطلت مذ ذاك السكك والطراز الروميّة (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

THE ORIGINS OF THE ISLAMIC STATE. Being a translation from the arabic accompanied with annotations, geographilic and historic notes of the KITAB FUTUH AL-BULDAN OF AL-BALADHURI by Ph. Khûri Hitti. *Ph. D., vol. I, New-York, Columbia University,* 1916. *pp.* 515

ترجمة الدكتور فيليب خوري حتى لكتاب فتوح البلدان للبلاذري

قال المسعودي في مروج الذهب يصف كتاب البلاذري المعنون بفتوح البلدان (١ : ١٤) : « لا نعلم في فتوح البلدان احسن منهُ » . فاستحقّ الدكتور دي خوي (de Goeje) شكر العموم بنشره في ليدن . بيد انَّ منافعهُ كانت محصورة في المستشرقين فاحبَّ وطنيُّنا الهمام الدكتور فيليب خوري حتّى نقلهُ الى الانكليزيّة

تعميماً لفائدته فباشر بذلك سنة ١٩١٦ وفي السنة التالية تولّى الدكتور ريشر (O. Rescher) ترجمتهُ الى الالمانية وقد أدّى كلاهما خدمةً مشكورة للآداب كان احجم عنها قبلهما العلماء لحصر معاني الكتاب في وجيز اللفظ اذ لم يبقَ من الاصل الّا خلاصتهُ . على انَّ جناب استاذ الجامعة الاميركانية لم يكتفِ بنقلهِ الى اللغة الانكليزيَّة بل اضاف اليهِ من الافادات ما لم نجدهُ في الترجمة الالمانية ومن ذلك مقدّمتهُ في تعريف البلاذري والاصول التي اخذ عنها ومن استند اليهِ من الكتبة بعدهُ . وقد اشار جنابهُ (ص ٧٠٦) الى كتاب آخر للبلاذري « انساب الاشراف » وليس هو سوى نسخة غير محكمة من نسخة الاستانة التي عوّل البعض على نشرها قبل الحرب . ومما زاد فوائد الترجمة الانكليزيَّة ما ذيّلها بهِ من الملحوظات الدالّة على سعة معارفه بالآداب الشرقية ومنشوراتها الحديثة في اللغات المختلفة . وقد وجدنا الترجمة عموماً متقنة مضبوطة . وانَّما كان الافضل (في الصفحة ١٨٠) ترجمة « صناعة » بلفظة (arsenal) من (industrie) كما تبيَّنَ لهُ ذلك في الصفحة التالية . وكذلك هي (ص ٢٦٣) Dhû Kalâ' وليست Kila' . ومما نُقل عن الاصل بغلطهِ (ص٣٦٧) اسم كلثوم بن عياض « القسري » وليس القشيري كما ورد هناك (اطلب الطبري والاغاني) . وكذلك اسم ارواد (ص٣٩٦) وليس الكلام هناك عن جزيرة سواحلنا . والصواب ارداد اسم بلدة قريبة من الاستانة تدعى اليوم ارداك . وفي الختام نتمنَّى ان ينجز المترجم عملهُ هذا الجليل قريباً فيربح شكرنا المتضاعف الاب ه . لامنس

The Day of the Crescent, Glimpses of Old Turkey, by G. E. HUBBARD, *Cambridge, University Press, in-12, 1920, VI-242 pp.*

تركيا في عهد رونق هلالها

المستر هوبرد كان سابقاً قنصل بريطانية العظمى في الموصل فاراد في أيام الفراغ ان يعود بالنظر الى تركيَّة في ايام عزّها في القرنين السادس والسابع عشر قبل انحطاطها الذي ظهرت لوائحهُ في اواخر ذلك العهد . فراجع لهذه الغاية ما كتبهُ قدماء السيَّاح واستعار بعض التصاوير التي نشروها في رحلهم . ومما اوردهُ في كتابهِ تركيب الكتائب الينكشريَّة ودخول كبار الدول والسفراء على السلاطين ووصف الاساطيل التركيَّة مع من يتولّى تدبيرها من عمّال النصارى كالنوتيَّة ورؤساء المراكب لجهل

الاتراك بفنّ الملاحة . ومن الفصول المؤثرة ما خصّهُ باسرى الحرب والعبيد النصارى الذين كانوا يُلقون في لومانات الاستانة واعماق حبوسها ويقضون السنين في الاعمال الشاقّة . فهذا الكتاب مما يلذّ القرّاء باوصافهِ وحسن طبعهِ وتصاويرهِ ه . ل

Fallex et Mairey. GÉOGRAPHIE D'APRÈS-GUERRE. L'Europe Nouvelle. *In*-16, 348 *pp. Cartes et figures, Paris, Delagrave,* 1920

جغرافية اوربّة بعد الحرب

قد اسرع محلّ «ديلاغراف» الى خدمة العموم بوضعهِ كتاباً جغرافيًّا يوافق احوال اوربّة بعدما حدث فيها من الانقلاب في اثر الحرب الاخيرة . فجاء التأليف في وقتهِ يجمع في قطعهِ وهيئتهِ وانشائهِ كلّ صفات الكتب المدرسيّة فلا شكّ انّ احداث المدارس يقبلون عليهِ لاحراز فوائدهِ الجمّة الاب ج . لوفنك

Axelrod (Alexandre) : L'œuvre économique des Soviets. *Paris. J. Povolozky et Cie in*-16, 147 *pp. Prix* 6 *f^cs*

عمل السوفيات الاقتصادي

قد تعدّدت التآليف الباحثة عن السوفيات وانّما هذا الكتاب يستحقّ نظرًا خاصًّا لانّ كاتبهُ احد الاشتراكيين المسيو اكسلرود الذي عاش مدّةً في روسيّة بين البولشفيين وامعن النظر في معاملاتهم الاقتصاديّة فألّف هذا الكتاب باعتدال وهو مع اقراره بالفوضى الواقعة في روسيّة يستشفّ من وراء هذه الحركة نهضةً جديدة يؤمّل منها تحسّناً في احوال تلك البلاد الواسعة ويبني رجاءهُ على ثبات البولشفيين في الحكم وارتدادهم عن مساوئهم . حقّق الله تلك الآمال ج . ل

Vichniac (Marc) : La protection des droits des Minorités dans les traités internationaux de 1919-20. *Paris, J. Povolozky et Cie ,s.d., in*-16, *pp.* 70

الدفاع عن حقوق الاقليّات في المعاهدات الدوليّة

بين الابحاث التي دارت في جمعيّة الامم بعد الحرب الاهتمام بحقوق الاقليّات في الدول . وهذا الكتيب قد خصّ فيهِ صاحبهُ النظر بتلك المسئلة فلقي تأليفهُ استقبالًا حسناً في جمعيّة الامم التي قدّمتهُ للشركة الروسيّة فصدّقت عليهِ تماماً . وكفى بذلك دليلًا على اهميّتهِ . والحقّ يقال انّ كاتبهُ لم يدع وجهاً من هذا الامر الّا نظر فيهِ .

وذلك في ستة فصول جامعة مانعة تاريخيًا وشرعيًا فبعد ان فحص مساعي الدول سابقاً لحماية الاقليات وعقدها المعاهدات في ذلك مدة القرن التاسع عشر وجدها تتناول غالباً حماية الافراد اكثر منها حماية لفوف الناس وعناصرهم القليلة والامم الصغرى الناشئة بين العناصر الكبرى التي تضبط في كل دولة زمام الاحكام ومن ثمَّ لا تزال هذه الاقليات مضحاة بغلبة العناصر المالكة . وعليه قد بيَّن الوسائل الكافلة بحفظ هذه الاقليات وغرها والذب عن حوزتها لئلا ينتهك القوي حرمة الضعيف ويستبيح ذماره . فنشكر المسيو ڤيشنياك على كشفه القناع عن وجه هذه المسألة الدولية المعتبرة ج . ل

Karl Kautsky: TERRORISME ET COMMUNISME. Contribution à l'histoire des révolutions. traduit de l'allemand par Mme N. Stchoupak. *Paris, J. Povolozky et Cie. s. d., pp.* 244. *Prix* 8 *f^rs^*

دولة الاموال الاشتراكية

كوتسكي احد الاشتراكيين العاملين في المانية لكنهُ يأبى على قوله المبادئ البولشفية وقد وضع هذا الكتاب ليتنصَّل من تبعتها . وبياناً لغرضه يسرد في كتابه تاريخ الثورة الفرنسوية وفتن الكومونة سنة ١٨٧١ ويسعى بتبييض وجه الاشتراكيين ويحاول الدفاع عن آرائهم . ثم ينتقل في القسم الاخير من كتابه الى تسطير اعمال البولشفيين في روسية التي اصاب في وصفها لعلمه بتفاصيلها وفظائعها وهو لا يرى انَّ اصحاب هذه الثورة ما فازوا الَّا بإخراجهم الى حيز الوجود مذهب الاشتراكيين . على انَّهم اذ ظفروا بمرامهم وصارت السلطة في يدهم اهملوا المبادئ الاشتراكية وتركوا الشعب على حالته من البؤس ليتمتَّعوا هم بمنافع الولاية دون غيرهم ج . ل

VERBUM DOMINI: Commentarii de re Biblica omnibus Sacerdotibus accommodata a Pontificio Instituto Biblico singulis mensibus editi. *Romæ, Vol. I. fasc.* 1 *Janu.*, 1921, *in*-8, *p.* 32

كلمة الرب

هذه مجلة ثالثة يتولَّى نشرها المكتب الكتابي البابوي في رومية تبحث الاولى في مباحث كتابية (Biblica) والثانية في الشرقيات (Orientalia) وهذه الثالثة (Verbum Domini) التي ظهرت في غرة السنة الحاضرة غايتها خدمة الكهنة فانها عوَّلت على نشر المواد الخاصة بالتعليم والارشاد والادبيات المسيحية فيستقي من

موارد ارباب الكهنوت لتدبير رعاياهم . وهي منشأة باللغة اللاتينية تعميماً لانتشارها بين اكليروس جميع الدول. وهذه قائمة الكرّاس الاوّل: ١ً اثار الكتاب المقدّس العديدة. ٢ً الكتاب الكهنوتي. ٣ً تجربة السيّد المسيح في البريّة. ٤ً الكمال الادبيّ بنظر القديس بولس . ٥ً المزمور ارحمني يا الله . ٦ً الراعي والرعيّة في ارض فلسطين. ٧ً قول الرب لابراهيم: اني سأكون ثوابك العظيم. ثمّ شذرات غيرها ج. ل

H. Lammens s. j: Le Califat de Yazid Ier. Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale de Beyrouth. *Imprimerie Catholique. Beyrouth (Syrie). in-8. pp.* 531, 1921

خلافة يزيد بن معاوية

انّ بعض كبار الرجال قد عاشوا في ازمنةٍ مضطربة كانت سبباً لتناقض الآراء في نقد اعمالهم وفضلهم. ولا غرو انّ يزيد بن معاوية احد هؤلاء الرجال فانّ ذكرهُ لا يزال ممقوتاً بين المسلمين ولاسيّما بين اهل الشيعة الذين يرجمون قبرهُ المزعوم في دمشق (والصحيح انّهُ قُبر في حوارين في البادية شمالي دمشق). ونفورهم هذا لثلثة وقائع مهمّة حدثت في ايّامهِ ونُسبت اليهِ اعني: قتل الحسين في معركة كربلاء. ثم فتح المدينة وحصار مكّة مع حريق الكعبة . فحملت هذه الوقائع كتبة العرب على التشنيع بذكر يزيد ووصفهِ بالبطر والخلاعة والتعطّش الى اهراق الدماء. على انّ من يعتبر اخلاق هذا الامير خلواً من الغرض ويتصفّح ما كتبهُ عنهُ اقدم الكتبة يرَ ما في الحكم من التطرُّف وقلّة الإنصاف. وهذا كتابٌ واسع لحضرة الاب لامنس خصَّهُ بذاك الخليفة الاموي الثاني وألحقهُ بكتاب اوّل درس فيهِ تاريخ معاوية وكشف عن عظم فضلهِ وفريد مقامهِ بين الخلفاء. وها هوذا قد دعا ابنهُ يزيد الى محكمة التاريخ مصحوباً بكل الشواهد التي لهُ وعليهِ فنحصها فرداً فرداً بعين العدل وسبرها بمعيار الانتقاد فأثبت انّ يزيد اشبهُ اباهُ بفضلهِ في امور كثيرة وفاقهُ في امور أخرى . جرى على سياسة معوية في ترقية بلاد الشام وعُرف بكرمهِ وتساهلهِ مع نصارى دولتهِ وحبّهِ للآداب وجودة قريحتهِ في الشعر وحثّهِ للشعراء منهم الاخطل النصرانيّ . امّا الامور الثلثة المفجعة التي حصلت في عهدهِ فانّ حضرة الاب ينسبها الى الظروف والحزازات بين الاحزاب التي كانت بلغت الى حدّتها وغاية حرَجها. وقد اراد يزيد ان يخمد تلك

النيران لولا انّ الموت حال دون رغبته . ومن آثاره الباقية في دمشق القناة المعروفة بنهر يزيد . ومن اراد ان يعرف ما يتضمّنهُ هذا الكتاب الذي لا يقلّ عن ٥٣٠ صفحة من كنوز المعلومات فليراجع فهارسهُ الوسّعة في آخره وينظر في ذيل صفحاته عدد التآليف المخطوطة والمطبوعة التي راجعها لتأليفه ل . ش

Vie de la Mère Marie-Madeleine Ponnet, 1re **Supérieure de la Visitation de Lyon-Vassieux. D. S. B.,** *Paris, P. Tequi,* 1921

ترجمة حياة رئيسة دير الزيارة في ليون الام ماري مادلين بونه

انّ لله في هذا العالم مختاريه لا يكاد البشر يعرفونهم وانّما حياتهم كعرف ذكيّ يتصاعد الى السماء فيسرّ قلب العليّ او كمحرقة مقدّسة يتنسّمها الله بالرضى والقبول . وها نحن قد اطّلعنا على ترجمة حياة مثل هذه قد حوّلت انظارنا عن اباطيل عالم البوار الى طبقات عالم القدس والبرارة التي لا تشعر بها النفس حتّى تفوز بذاك السلام الذي يفوق كلّ حسّ وادراك . فنحضّ كلّ محبّي الحياة الروحيّة من رهبان وراهبات وذوي تقى وصلاح على قراءة هذا الكتاب فانّهُ من أنعش الكتب للعيشة الصالحة وأبعثها الى محبّة الخالق على مثال فتاة اختصّها الله منذ حداثتها بنعمه وجازاها لامانتها وثباتها في خدمته بترقيتها الى اوج الكمال في رهبانيّة الزيارة

El-Bokhâri: LES TRADITIONS ISLAMIQUES traduites de L'arabe avec Notes et Index par O. Houdas, *T.* IV. *Paris. E. Leroux,* 1914, *in-8°, pp.* 673

حديث البخاري وترجمتهُ الى الافرنسيّة

قد اجاد مكتب تعليم اللغات الشرقيّة الحيّة لعهده الى احد اساتذته الافاضل المسيو هوداس بنشر طبعة حسنة من حديث البخاري مع ترجمتها الى اللغة الفرنسويّة وتعليق الحواشي عليها واضافة الفهارس اليها . وهذا الجزء هو الرابع من الترجمة وبه نجاز العمل وما نجد الّا تقدمة الشكر الى كلّ من سعى بهذا العمل الكبير متمنّين لهُ كلّ رواج . وهو بعد القرآن اجدرُ كتاب بالدرس لمعرفة الدين الاسلاميّ بين اهل السنّة . على انّنا كنّا نتمنّى ان يجعل للكتاب فهرس آخر على طريقة حروف المعجم فان فهرس الفصول لا يفي بالمرام ونعلم انّ حالة صحّة المسيو هوداس ما سمحت له بذلك فان شاء الله ينوب عنهُ آخر في هذا العمل المفيد ل . ش

منية القلوب في سيرة حبيس حوب

بقلم الاب لياوس داغر التنوري اللبناني

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٠ (ص٢٩)

انَّ عين الله لم تقصر وعجائبهُ في خلائقهِ لم تنقص. فهذا راهب بارّ لم يكتفِ بأن يزهد بالدنيا ويلبس الاسكيم الرهباني بل اراد ان يتجرَّد تماماً عن العالم ويعيش في محبتهِ تعالى عيشة ملائكيَّة منقطعاً الى كلّ فرائض النسّاك وفضائلهم السامية فقضى في عزلتهِ ٥٥ سنة ممارساً لكل الاعمال القدسيَّة الى ان مات في رائحة القداسة في ١ آب سنة ١٩١٦. فنشكر حضرة الاب لياوس داغر الذي لم يشأ ان يبقى ذلك النور تحت المكيال فجمع من مآثرهِ ما يحمل القرّاء على تمجيد الله في قديسيهِ ولاسيَّما الذين عاشوا بيننا وعطَّروا ارجاءنا بأريج قداستهم مثل رجل الله الاب مرقس التنوري كثَّر الله امثالهم

ل.ش

روضة العابد

صلوات ورياضات واناشيد روحيَّة منتخبة

جمعها الاب الياس جباره اليسوعي (طُبع بالاسكندريَّة)

قد رقيت اخويَّة الجبل بلا دنس المنشأة في الاسكندريَّة رقياً عظيماً بهمَّة حضرة

الاب الياس جباره اليسوعي مرشدها الغيور . ومن مآثره المشكورة لخدمتها هذا الكتاب الذي جمع فيه اخصّ ما يحتاج اليهُ ذوو التقى والعبادة في اجتماعاتهم الدينيَّة من صلوات مختلفة ورياضات روحيَّة واناشيد تقويَّة وطلبات وغير ذلك مما يوجد مفرَّقاً في كتب شتَّى فصحَّت تسميتهُ بالروضة المطابق للمسمَّى فنحضُّ اهل العبادة ان يستنشقوا اريج زهورها وعرف انوارها ل . ش

شذرات

﴿ سيادة المطران كير باسيليوس قطَّان ﴾ نهنئ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك الجليلة بقدوم حبرهم الجديد الذي تضاعفت بورودهِ افراح الاعياد الفصحيَّة . وقد صار لهُ من الاستقبال الدينيّ والمدنيّ ما لم يُعهد لهُ مثيلٌ سابقاً واتَّسمت في وصفهِ الجرائد المحليَّة . ولا غرو فانَّ قلوب اهل بيروت عشقتهُ قبل وصولهِ لما بلغها من فضلهِ وفضيلتهِ وسعة معارفهِ مع سرور قداسة الحبر الاعظم . باختيارهِ الى كرسي اساقفة بيروت على ملَّتهِ وثقة غبطة السيّد البطريرك دمتريوس القاضي بحسن تدبيرهِ وقد رأى جمهور الملاقين بالعين قرب تحقيق آمالهم اذ دخل كنيستهُ وفاه بذاك الخطاب البليغ الانيق الذي اوضح فيهِ نواياه المستطابة لرعاية ابرشيَّتهِ وقصدهُ لتضحية النفس والنفيس في سبيل نجاحها ورقيها فصارنا نشاهد قريباً في شخصهِ الكريم تحقيق ما كتبهُ سيدُهُ المعظم القديس باسيليوس في الاسقف الكامل واثبتهُ فعلاً كما صوَّرهُ قولاً

﴿ السنة الاربعمائة لوفاة ماجلَّان ﴾ في ٢٧ نيسان من السنة ١٥٢١ فقد العالم احد نوابغهِ الرحَّالة فرنان دي ماجلَّان الذي يحقّ لهُ ان يُعَدّ بعد كرستوف كولمب اكبر محسن الى العالم القديم باكتشافهِ البوغاز الجامع بين البحرين اعني الاتلنتيكي والاوقيانوس الباسيفيكيّ او الهادئ فعرف العالم بواسطتهِ استطاعتهُ من الدوران حول الكرة الارضيَّة ووقف على طريق جديد للسفر الى اليابان والصين والشرق الاقصى . كان مولد مجلَّان في بورتو من اعمال البرتغال في ١٧ نيسان ١٤٧٠ من اسرة شريفة ونشأ

في بلاط الملكة اليونورا عقيلة الملك يوحنا الثاني ثم في قصر الملك دون مانويل وكان مغرماً بالاسفار . فلمّا بلغ العشرين من عمره سافر الى بلاد الهند وتنقّل في انحائها وتفقّد بعض جزائرها ودخل على ملوكها وسافر ايضاً الى افريقية . وكان في تلك الاثناء يجتمع بمشاهير النوتيين ويأخذ عنهم معلوماتهم ويدوّن اخبار رحلهم ويرسم خوارط تلك البلاد حتّى ثبت لهُ من بعض الدلائل وجود ممرّ او بوغاز يوصل الاوقيانوس الاتلنتيكي ببحار أخرى دعاها بعد ذلك بالاوقيانوس الهادي . وكان مدّة اقامتهِ في الهند تخرّج في كلّ آداب الملاحة وتدبير السُفن . فلمّا عاد الى وطنهِ لم يجد لدى الملك مانويل ما كان يؤملهُ من الجزاء عن اتعابهِ فقاطعهُ هذا العمل ولحق باسبانية سنة ١٥١٧ حيث عرض خدمتهُ على ملكها العظيم كرلوس الخامس (شرلكان) ليكتشف لهُ بلاداً جديدة ويفتح لسفنهِ طريقاً يمكنها من التجوّل في البحار بدورةٍ تامّة . فوقع الامر موقعاً حسناً لدى ذلك الملك البعيد المدارك فامدّهُ باسطول ذي خمس مراكب متوسّطة الحجم وكان على كلّ منها رجالٌ مختّكون بفنّ الملاحة مع عددٍ من النوتيين يبلغ نحو ٥٠٠ كان بينهم عشرة من الفرنسويين وبعض البلجكيين فخرج الاسطول من مرفأ سان لوكار في ٢٠ ايلول ١٥١٩ ثمّ ابحر متّجهاً الى اميركة الجنوبيّة تبلغ سواحل البرازيل ودخل ريو دي جانيرو المكتشفة حديثاً في ١٣ ك ١ سنة ١٥١٩ ثم توجّه الى الجنوب حتّى بلاد باتاغونية فلقي في طريقهِ عدّة مشقّات بسبب المجاعة والامراض وانواء البحر أنقمت عليهِ رؤساء المراكب الذين هيّجوا البحّارة على مجلّان وكاد يفشل في بعثهِ لولا حزمهُ وكبحهُ معرّة الثوار وحكمهِ بإعدام بعضهم . وبعد اشهر قضاها يبحث عن الممرّ المقصود بين عدّة جزائر هناك ظفر اخيراً بمرامهِ فنفذ بسفنهِ الباقية بين طرف باتاغونية والجزيرة المعروفة بارض النار وذلك في ٢٧ تشرين الثاني ١٥٢٠ ثم اكتشف عدّة جزائر واطلق عليها اسماءها وواصل مسيرهُ الى ان بلغ جزائر فيليبين في اواسط آذار ١٥٢١ فنزل احدى جزائرها المدعوّة سبو فأحسن ملكها المدعو همدار استقبالهُ ورضي بمشورتهِ ان ينتصر هو وشعبهُ فشيّد لهُ مجلّان كنيسةً واقامهُ ملكاً على كلّ امراء تلك الانحاء فاعلن بعضهم الحرب على ملك سبو فانتصر لهُ مجلّان وسار لمحاربتهم بستين من بحّارتهِ والاعداء الوفٌ مؤلّفة فنصبوا لهُ مكيدةً ورموهُ بسهم ثم قتلوهُ في ٢٧ نيسان ١٥٢١ . ولم يرجع الى اوربّة من تلك البعثة الّا

١٨ رجلاً . لكنَّ مجلّان خلّد اسمهُ بين مشاهير نوابغ العصور وأغنى لسانية بمالك واسعة وشرَّف الكنيسة بروح دينهِ ونشرهِ النصرانيّة لاوّل مرَّة في جزائر اوقيانية

﴿ الماسونيّة في بيروت ﴾ قد حظيت الماسونيّة في بيروت في الشهرين السابقين بنعمتين باهرتين الاولى بانشاء محفلٍ ماسوني جديد لأبناء الارملة افادتنا عنهُ المجلّة الماسونيّة لصاحبها سيد علي الحريري بمصر بما حرفهُ (السنة الاولى عدد ٤ ص ٩٧) :

تثبيت محفل بيروت

تمَّ تثبيت المحترم رئيس محفل بيروت في حفلة شائقة جامعة للبهجة والصفاء الاخويّ وقد حضرها حضرات الزوّار يتقدَّمهم الاخوان الدكتور اسكندر بك باردودي والدكتور اسعد عفيش وموسى صاي ارواس وغيرهم وبعد اتمام تثبيت الاخ المحترم فضل الله ابو سلقة وباقي انوار المحفل (نعم الثريا !) وموظفيهِ وقف الاخ يوسف الحاج والقى كلمةً هنّأ بها الرئيس وتلاهُ بعض الخطباء والشعراء وهم الاخوان الدكتور اسعد عفيش والدكتور اسكندر بك باردودي والمحترم موسى ارواس والاخوان الشيخ ابرهيم منذر وعزيز توما وعليّ ناصر الدين وغيرهم وقد اعرب جميعهم عن ثناء جميل على حضرة الاستاذ الاعظم ورجال المحفل الاكبر واعضاء موظفي محفل بيروت الى غير ذلك من المباحث الجليلة العائدة على الهيئة الاجتماعيّة بالنفع الجزيل (كذا . فما بالهم يخفون تلك المباحث وراء جدران المحفل أيستحون منها)

امّا النعمة الثانية التي احرزها الماسون البيروتيّون فهي زيارة « الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الفرنسويّ الاخ الكلي الاحترام برنرد ولهوف » فبعد ان زار محافل مصر الماسونيّة في ١٦ فبراير شرَّف بيروت مارًّا فيها مرور البرق فاسرع الماسون الى استطلاع انواره في ١٢ آذار ودونك الاعلان الذي نشرتهُ جريدة لسان الحال في ذلك اليوم

اعلان

ان محفل بيروت رقم ٢٢٦ التابع للمحفل الاكبر الوطني الفرنسيّ يدعو جميع الاخوان الماسون لحضور الحفلة التي سيقيمها في الدار الماسونيّة عند الساعة الرابعة في مساء اليوم ١٢ آذار سنة ٩٢١ ترحيباً بالاخ الكلي الاحترام برنرد ولهوف الاستاذ الأعظم للمحفل الاكبر الفرنسوي

سكرتير محفل بيروت سليم يوسف نكري

فترى انَّ البنّائين الاحرار لا يزالون مغرمين بفنّ البناء السياسي واللادينيّ الذي نحن ندعوهُ باسمه خراباً ودمارًا . ها قد مرَّ على الماسونيّة في بلادنا نحو ٨٠ سنة فليدلّنا اصحابها على مشروع واحد خيري او علميّ او ادبي قاموا بهِ

﴿معهد جديد لتربية الحشرات النافعة﴾ لما اطّلع قرّاؤنا على المقالات المفيدة التي نشرها حضرة الاب اسكندر طوران العام الماضي في المشرق (١٨ : ٩٤١ و١٩٨) عن الحشرات النافعة المقاتلة للحشرات الضارّة تمنّوا لو يُنشأ معهدٌ يلتجئون اليهِ لطلب تلك الحشرات عند فشوّ الادواء في مزروعاتهم . وها قد تمّ ذلك فعلًا ليس في اميركة فقط في انحاء كاليفورنية لكن في سواحل فرنسة الجنوبيّة في مدينة مَنتون (Menton) وقد أنشئ هذا المعهد بعد الحرب في العامَين الماضيَين . ومن جملة ما ربّوا هنالك فاصاب نجاحاً تامًّا الحشرةُ المعاكسة للدود الابيض المعدود بين اكبر آفات البساتين واسم هذه الحشرة العلميّ (Cryptolœmus Montrouzieri) فهذه الهامّة ما كادت تتناسل فتنمو حتّى اخذت تلتهم بالمئات والالوف الدود الابيض . والامل معقود انّهُ لن يبقى منهُ اثر قريباً في جنوبيّ فرنسة

﴿كفر البولشفيين ومنكراتهم﴾ البولشفيون كبقيّة اعداء الهيئة الاجتماعيّة وجّهوا اشدّ ضرباتهم على الدين وارباب حيثما فاز سهمهم . فقد اطّلعنا على ما نشرهُ احد رؤساء الكنيسة الروسيّة في المجلّة العموميّة الفرنسويّة في اواسط كانون الاوّل المنصرم وهو سرجيوس دي شسين فذكر هناك الشرائع التي سنّوها بحقّ الكنيسة فصرّحوا عن رغبتهم في قتل كلّ روح دين في الشعب فانهم وضعوا يدهم على كلّ مقتنياتها وانكروا عليها كلّ سلطة في اقتناء الاملاك والوراثة والتعليم وعقد الزواج . دخلوا الكنائس ونهبوها ومزّقوا صورها وكسّروا صلبانها وحوّلوها الى مسارح وعنابر ثمّ طردوا الكهنة واضطرّوا البعض منهم على كناسة الطرق والاشغال الشاقّة حبسوا كثيرين منهم ومثّلوا بهم وقتلوهم قتلًا ذريعاً يستنكف القلم من وصفهِ حتّى بلغ في سنة ١٩١٨ فقط عدد المطارنة والاساقفة الذين شنّعوا بقتلهم اربعة عشر ما عدا الكهنة وبقية الاكليريكيّين . وقد سبق انّ معظم زعماء البولشفيين يهود والباقون فرمسون . ومن هذا نرى انّ زعماء الثورة واصحاب المشاغب والفتن واهل الفساد يجعلون اوّل هدفٍ لسهامهم حيثما حلّوا الدين ورؤساءهُ

﴿اصلاح غلط﴾ قد وقع في الصفحة ٢٠٨ س ١١ غلط في تعيين المساحة بين مرعش ومحوك درهسي فكتبنا هناك «سبعة كيلومترات» والصواب «سبع ساعات»

أسئلة وأجوبة

س سأل من القاهرة يوسف افندي مدوَّر : ١ً هل تجوز الإحتفالات الدينيَّة وكالقداس والرياحات على نور الكهرباء فقط دون الشمع ؟ . ٢ً لماذا تستر الكنيسة اللاتينيَّة الصور مدَّة الاسبوعين السابقين لعيد الفصح ؟ . ٣ً وما المقصود من تغطيتها بالالوان القاتمة ؟ . ٤ً لماذا تزيَّن الهياكل في ذلك الوقت بوقوع عيد كبير

اسئلة طقسيَّة

ج نجيب على الاوَّل انَّ الجمع المقدَّس لا يعدّ النور الكهربائي بين الانوار الطقسيَّة كالشمع والزيت وانَّما يُسمح بهِ للزينة فقط ومن ثمَّ لا يجوز استعمالهُ على الهيكل في الرتب الكنسيَّة . ونجيب على الثلثة الاسئلة الاخيرة انَّ ستر الصور من شارات الحزن اللائق بالجمعتين المخصَّصتين لذكر آلام السيِّد المسيح . وكذلك الالوان القاتمة كالبنفسجيّ والاسود يوم جمعة الآلام . واما الاعياد الواقعة في تلك المدَّة فيجوز فيها تزيين الهيكل فقط بالزهور ويوم الثمانين باغصان الزيتون او النخل ويوم خميس الاسرار يُبدل حجاب الصليب باللون الابيض تذكاراً لرسم سرّ القربان الأقدس

س سألت ربَّة بيت ما هي اقرب وسيلة لتنظيف الزجاج

تنظيف الزجاج

ج هذه طريقة سهلة لتنظيف الزجاج تُسكب ملعقة خلّ في ليتر من الماء ثمَّ يُمسح الزجاج بورق الجرائد ثمَّ ينشف بورق آخر نظيف فيصبح الزجاج شفَّافاً نظيفاً لان وسخ الزجاج عادةً من دقائق الاجسام الكلسيَّة فيستحيلها الخلّ

س سُئلنا اذا وقع عيد بشارة العذراء في يوم جمعة الآلام هل يلزم البطالة فيهِ ؟

وقوع عيد البشارة في يوم جمعة الآلام

ج معلوم انَّ الكنيسة اللاتينيَّة تنقل الاعياد الكبيرة الواقعة في كلّ اسبوع الآلام الى ما بعد الفصح . اما الكنائس الشرقيَّة فانَّ العادة الجارية سابقاً كانت عدم نقل الاعياد حتى في يوم جمعة الآلام على انَّ بعض رؤساء هذه الكنائس وجدوا بين الاحتفال بعيد البشارة واحزان يوم جمعة الآلام بعض التناقض فرأوا نقل هذا العيد واشار الى ذلك الطيب الذكر السيد جرمانوس معقّد في الميناون . لكنَّ الامر حتى الآن لم يقرَّر نهائياً بتقرير رسميّ

ل . ش

بات ملكونك

تذكار

تكريس لبنان الكبير

لقلب يسوع الاقدس

يوم الاحد ٢٩ ايار سنة ١٩٢١

السنة التاسعة عشرة العدد ٥ ايار ١٩٢١

المشرق

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد اعلن غبطة الشيخ الجليل ورأس الطائفة المارونيّة السامي الشرف والكلّي الطوبى مار الياس بطرس الحويّك بطريرك انطاكية وسائر المشرق في منشوره الصادر في ٨ كانون الاوّل ١٩٢٠ بانّهُ عوّل على تكريس طائفتهِ الكريمة لقلب يسوع الاقدس وان يجعل لبنان واهلهُ تحت كنفهِ الالهي وحماهُ الخاصّ . وذلك من باب معرفة الجميل لما نالهُ لبنان من الاستقلال واتّساع الحدود تحت نظارة الدولة الفرنسويّة المحبوبة

ولا غرو فانَّ غبطتهُ لما عوَّل على السفر الى فرنسة في اواسط تموز سنة ١٩١٩ ليدافع عن حقوق لبنان ، شعر بعبء المهمَّة الخطيرة التي القاها اهلهُ على عاتقهِ لما كان من تعاكس النيَّات وتشاكس السياسة حول تلك المسألة فلكي يستنهض غبطتهُ همَّتهُ رفع بنظرهِ الى القلب الالهي الحنون قلب يسوع الاقدس ملجأ البؤسين وملاذ الملهوفين وابتهل اليهِ بكل حرارة قلبهِ ان يسهِّل طرقهُ ويحظيهُ لدى عظماء الارض بما حاول التماسهُ باسم اهل وطنهِ . فلم يشأ القلبُ الالهي ان يكون التجاؤهُ اليهِ عبثاً بل اراد رحمةً بهِ ومكافأة لتقوى الاجداد أن يحقِّق امانيهُ وينيلهُ بغيتهُ »

فقياماً بهذا المشروع الاثير قد عيَّن غبطتهُ موعداً لتكريس لبنان القلب الاقدس نهار الاحد الواقع بعد عيد الجسد الالهيّ وهو التاسع والعشرون من شهر ايار الحاليّ . وقد ارتأى غبطتهُ ونعم الرأي تخليداً لذكر هذا العمل التقوي ان يُنصَب فوق احدى روابي لبنان تمثال القلب الالهي وهو اثرٌ جليل دعا جميع اللبنانيين الى الاشتراك في نفقاتهِ ليكون ذكرًا مخلَّداً لهم ولابنائهم من بعدهم

*

وليس واجبُ الشكر هو الداعي الوحيد الذي دفع رئيس الطائفة المارونيَّة الكلي الطوبى لتكريس لبنان لقلب يسوع الاقدس بل حدَّتهُ اليهِ احوال الجيل وما لحق باهلهِ من الضربات الاليمة فانَّهُ بعد الحرب العوان التي كادت تضعضع اركانهُ وتبيد سكَّانهُ لم يجد غبطتهُ آسياً يضمد جراحهم ومؤاسياً يجبر وَهْيهم كقلب ذاك الاله الذي وحدهُ امكنهُ يوماً ان يُسمع بني البشر تلك الكلمة العجيبة التي لا يستطيع انسان ان يفوه بها صادقاً فقال (متّى ١١ : ٢٩) : « تعالَوا اليَّ يا جميع المتعبين والمثقلين وانا أريحكم » . ولعمري لقد طالما اختبر لبنان صحَّة هذا الوعد الثابت وليس تاريخهُ غير سلسلة نعم الربّ اليهِ وآيات حنان قلبهِ عليهِ في النكبات التي مُني بها في سيال الاجيال المنصرمة . فاذا رفع بطرفهِ الى عرشهِ السامي وعزّ جلالهِ عرف انَّ بصرهُ لا ينقلب خاسئاً ولا يعود رجاؤهُ خائباً اذ ليس بأحدٍ غيرهِ الخلاص (اعمال ٤ : ١٢)

ثمَّ انَّ لبنان دخل اليوم في طورٍ جديد فانقشعت عنهُ تلك الظلمات الكثيفة التي كانت تركيَّة ركمتها فوق قممهِ الغرَّاء . وانكسر ذاك النير الذي ايهظ عاتقهُ مدَّة مئين

من الاعوام فلاح لاوّل مرّة رافلاً بثوب الحرّية التامّة يميس بين تخومهِ الواسعة يضمّ سواحل البحر غرباً وسهول البقاع شرقاً يبشّره كلاهما برافقهِ وخيراتهِ العميمة . فيا حبّذا البشرى لولا ما هناك من المشاكل الصعبة وعراقيل الامور التي ليس حلّها سهلاً مع ما نعهد في لبنان من اختلاف الاهواء وتباين المصالح وانقسام الكلمة والمنازعات الدينيّة والتحزّبات الملّيّة . فمن يا تُرى يستطيع ان يزيل هذه العقبات ويؤلّف بين القلوب ويجرّدها عن الغايات الشخصيّة لتسعى وراء الخير العامّ ؟ أليس ذاك الذي بشّر بهِ الانبياء كرئيس السلام (اشعيا ٩ : ٦) واعلن الملائكة بملك سلامهِ في مهدهِ (لوقا ٢ : ١٤) ولم يزل يكرّر على تلاميذهِ رغبتهُ الحميمة في محبّتهم بعضهم لبعض بل في محبّة اعدائهم وظالميهم وكان آخر ما طلبهُ من ابيهِ عند وداعهم (يوحنّا ١٧ : ٢٣) « ان يكونوا مكمّلين في الوحدة » . وما قلبهُ الاقدس سوى مثال لذلك الحب الخالص والالفة السامية التي تبعث في الانسان العواطف الشريفة لتضحية نفسهِ لصالح العموم وخدمة الوطن

وما قولنا بالمواعيد العجيبة التي تنازل الربّ وردّدها على مسامع أمتهِ القديسة مرغريتا مريم ألاكوك وهي تشمل الجماعات كما تعمّ الافراد تُسعد الشعوب كما تؤانس العيال . فهي التي حملت ارباب دول عديدة على ان يطلبوا تكريس بلادهم الى قلب يسوع فهذه اسبانية وبلجكة ومعظم جمهوريّات اميركة الوسطى والجنوبيّة ثمّ اوستراليّة التجأت كلّها الى حمى هذا القلب لتنال منهُ السلام الوطيد . وها فرنسة التائبة الشاكرة بعد انتصارها الاخير ووفاء بنذرها الذي نذرتهُ بعد الحرب السبعينيّة قد دشّنت في ١٦ ت ١ سنة ١٩١٩ ذاك الهيكل الفخيم الذي اقامتهُ على رابية مونمرتر المشرفة على باريس كعنوان حبّها واخلاصها لقلب الاله وتكفيرها عن آثامها . فما اجدرُ باللبنانيين ان يلوذوا بذاك القلب الذي خفق على سواحل بلادهم وابدى في تخوم جبلهم آيات حبّهِ ورحمتهِ وأسمعهم صوت حنانهِ بقولهِ (مرقس ٨ : ٢) : «اني اتحنّن على الجمع» وكشف لهم بمحبة الجنديّ كنوز قلبهِ . فلا جرم انّهم بحقّ الوطنيّة اولى بنعم ذاك الاله فاذا تقرّبوا منهُ نالوا من مراحمهِ سهماً أفوز ومن سوابغ بركاتهِ حظّاً اوفى

هذا الى دالّة للطائفة المارونيّة على قلب المخلّص وذلك لسبقها الى التصدّق في

المشرق قبل انتشار تلك العبادة في العالم وبينما كان كثيرون يتصدّون لها ويناهضونها . ومعلوم انّ السيّد المسيح اوحى بالعبادة نحو قلبهِ الى القديسة مرغريتا مريم المتوفاة سنة ١٦٩٠ وانّهُ اختار لنشرها الرهبانيّة اليسوعيّة وكان المرسلون اليسوعيّون قد احتلّوا لبنان ومدن سوريّة منذ السنة ١٦٢٥ فما بلغهم في رسالتهم السوريّة رغبة السيّد المسيح في نشر العبادة الى قلبهِ حتّى اسرعوا الى اتمام وصيّتهِ . وقد وجدوا في الشرقيين عموماً وفي الموارنة خصوصاً آذاناً صاغية وقلوباً واعية . ومنّن دعوهم الى ذلك الآباء يوسف بسّون (١٦٩١ †) مؤلّف كتاب سوريّة المقدّسة . والاب اغناطيوس كليسّون (١٦٩٢ †) . ولاسيما الاب بطرس فروماج الذي استوطن الشهباء مدّة سنين عديدة فانشأ في حلب اخويّة على اسم القلب الاقدس جعل مركزها في كنيسة الموارنة التي على اسم النبي الياس . فوجدت هذه الشركة التقويّة اقبالاً عظيماً واشترك فيها جمهور من المؤمنين وكان من جملتهم الطيّب الذكر جبرائيل فرحات الذي سُقِف بعد ذلك على حلب وعُرف بجرمانوس فقال يتغزّل بجمال قلب يسوع معرّضاً بشرف تلك الاخويّة المقدّسة ولعلّهُ اوّل شعر قيل في مديح القلب الالهي استهلّهُ بقوله :

يا قلبُ طرزمن وكُنّة الاحشاء ... نحو الحبيب الفاخر الأزْباء
وردِ المنازل حيثُ وردُ حبّهِ ... تجدِ الحياةَ بتلكمُ الاحياء

ثمّ قال :

قلب الالهِ يسوعَ أسنى بهجتي ... او بُغيتي او مُنيتي وهناني
يا قلبَ ربّي انت غايةُ مأربي ... يا ربَّ قلبي انتَ كنزُ غناني
يا لجّةَ الجود الالهيّ الذي ... اغنى الورى بسوابغ الآلاء

الى ان اشاد بمديح الاخويّة مقتبساً كلامهُ من سفر نشيد الاناشيد فقال :

من شاء فوزاً فليجئ اخويّتي ... سَعْداً لآتٍ حلَّ تحت لواني
وَلْيكتسِ الثوبَ الذي ألبستُهُ ... لعروستي اخويّتي بحجاني
وليشتهِ بعبادتي متمسكاً ... قانونيَ المرسوم من تلقاني
اخويّتي بستانُ زهرٍ مبهجٍ ... يحوي طيوب البرّ والنفواء
فلأنزلنَّ الى بُستينِ حوى ... احواضَ طيبٍ انَّ فيهِ عزاني
كي احتوي مُرّي وأرْيي اغتذي ... بل استقي لبّي وخمري الباني
يا اخوتي واحبّتي فتجرّعوا ... من خمرتي ثمّ اسكروا بهواني
كي تنشروا اخويّتي فلأنها ... بجدي وفيها احتوي نسماني

وقد ازدهرت تلك الاخوية في حلب طول مدة القرن الثامن عشر فأتت بأثمار شهية

وما لبثت تلك العبادة ان انتشرت في سائر لبنان بل في انحاء الشام وعلى الاخص بين الموارنة . وقد ذكرنا سابقاً (المشرق ٢ [١٨٩٩] : ٥٨٤) تشييد هيكل على اسم القلب الاقدس في دمشق في اواسط القرن الثامن عشر كان يتوارد اليه الزوّار كما ان صورتهُ كانت تُكرم في بعض الكنائس منها كنيسة مار يوسف غوسطا المشيَّدة على نفقة الملك لويس الخامس عشر حيث عُرضت صورة قلب يسوع وقلب مريم الاقدسين لاكرام العموم . وقد رأينا قبل عشرين سنة في كنيسة دير النبي الياس شويّاً للروم صورةً قديمة لقلب يسوع لعلّها ترتقي الى ذلك الزمان

ولم يكتفِ الموارنة بالتعبُّد للقلب الالهي بل اجابوا الى ملتمسهِ واقاموا لهُ عيداً في يوم الجمعة الواقعة بعد الاسبوع المخصَّص لاكرام جسد الرب فاحتفلوا بهِ احتفالهم للاعياد الممتازة حتى انَّ البعض منهم كانوا يمتنعون عن الاشغال العاليَّة . ولدينا نسخة قديمة من سنكسار الطائفة المارونيَّة للمطران جرمانوس فرحات بالقلم الكرشوني وفيها (ص٥٢٥–٥٢٧) ذكر عيد قلب يسوع وملخَّص تاريخهِ مع ذكر براءتَي الحبرين الاعظمين اينوشنسيوس الثاني عشر واقليمنضوس الحادي عشر المثبِّتين لتلك العبادة . وممَّن شهد على قدم هذه العبادة بين الموارنة السيّد البطريرك يوسف اسطفان (١ في رسالتهِ الى الكرسيّ الرسولي سنة ١٧٧٣ حيث يقول :

«عيد قلب يسوع الاقدس وعبادتهُ في كلّ طائفتنا الممتدَّة بهذه الاصقاع الشرقيَّة امتداداً متّصلاً (كذا) ليس هما حديثان (كذا) ولا خاصّان بأنفار مفردين . . . بل انما عيد وعبادة عامَّة مشاعة منادى بها في كلّ الطائفة منذ ابتدي (كذا) هذا الجيل الثامن عشر . وهذا الامر يتّضح جليّاً من سنكساري المطران جرمانوس فرحات الذي درج في كلّ كنائس الطائفة كما هو واضح لكلّ احد»

وممَّا زاد انتشار عبادة قلب يسوع في لبنان انشاء دير راهبات الزيارة في عينطورا الذي همَّ بتشييدهِ مشايخ بيت الخازن فتمَّ بناؤهُ ودُشّن في رأس السنة ١٧٤٦

---

١) (اطلب ترجمة حياتهِ للقس بولس عبُّود الغوسطاوي ج ٢ ص ٨١)

وتولى ادارتهُ الآباء اليسوعيُّون المقيمون قريباً منهُ (١ . ولمَّا كانت رهبانيَّة الزيارة قد دعاها الربّ بواسطة راهبتها القديسة مرغريتا مريم الى نشر عبادة قلب يسوع فكان وجود احد اديرتها في لبنان باعثاً عظيماً لنموّ هذه العبادة

على أنهُ لا يسعنا السكوت عمَّا ابتُخست بهِ تلك العبادة مدَّةً بسبب الراهبة هنديَّة عجيميّ الحلبيَّة التي استفزَّتها الهستريَّة والاهواء الباطلة فادَّعت بالرؤى والعجائب ونسبت الى القلب الاقدس عواجس مخيلتها واضغاث احلامها فأقلقت لبنان وشوَّشت العُقول وبلغ خبرها الكرسيّ الرسوليّ الذي بعد الفحص المتواتر امر بالغاء رهبانيَّتها وهكذا انقشعت تلك السحابة وتميَّز الغثّ من السمين وصرَّح الحق عن محضهِ

وقد ساعد كثيراً ما وُضع وقتئذٍ من التآليف الحسنة لتعريف عبادة قلب يسوع وجدنا بينها ما تولَّى نشرهُ الموارنة مع المرسلين اليسوعيّين فمن ذلك تساعيَّة مخطوطة تتضمَّن تقادم يوميَّة لقلب يسوع الاقدس مع مواضيع للتأمل صباحاً ومساء في مناقبهِ واعتبارات ونتائج ومقاصد لكل يوم مع طلبة قلب يسوع القديمة . وهي من مخطوطات القرن الثامن عشر . منها نسخة ثانية تاريخها سنة ١٨١٥ يقال في اوَّلها « نكتب الاستعداد لعيد قلب يسوع الاقدس الذي هو عيد جمعيَّتنا المقدَّسة »

ومنها الرسالة الجليلة التي كتبها في حلب الاب بطرس فروماج اليسوعيّ سنة ١٧٢٤ وضعها في ١٣ فصلاً وجعلها كدستور شركة قلب يسوع التي انشأها في كنيسة الموارنة هناك فاوضح فيها ماهيَّة تلك العبادة وتاريخها وخواصها ومنافعها مع ذكر قوانينها . وفي السنة ١٧٣٥ نال تثبيتها من الكرسيّ الرسوليّ مع عدَّة غفارين يمكن المشتركين بها ممَّا تكرَّم بمنحهِ الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر للاخويَّة الحلبيَّة

ومنها تأمُّلات لشهر قلب يسوع عددها ٣١ تأمُّلاً اوَّلها « عذوبة قلب يسوع الاقدس » ثم رحمتهُ ثمَّ دعة قلبهِ الرؤوف ثم جمالهُ الخ . وبعد كلّ تأمل ابتهالات خشوعيَّة . ونسخة مكتبتنا الشرقيَّة مخطوطة منذ نحو ٨٠ سنة ولا يُذكر اسم مؤلفها . وقد استفدنا من عدد آذار الاخير من مجلَّة رسالة السلام الغرّاء (ص ٩٣ — ١٠٠) انّ مؤلَّف هذا الكتاب هو « الاب يواكيم بلاديون بليط الارمني الحلبيّ الكاثوليكي فالراهب الماروني اللبنانيّ المولود في حلب سنة ١٧١٦ والمترهب سنة

١) اطلب في المشرق (٦ : ٧٠٤) تاريخ هذا الدير بقلم احد الآباء اللازريين

١٧٣٦ الفهُ اجابةً لطلب راهبات رهبانيَّة قلب يسوع الاقدس المؤسَّسة في دير سيِّدة بكركي من الراهبة هنديَّة المشهورة * . وهذه النسخة توافق تماماً نسخة مكتبتنا في تأملاتها وصلواتها الخمس عشر الاخيرة الَّا المقدِّمة التي هي في نسختنا اطول ولا ذكر فيها للمؤلف ولا للراهبة هنديَّة ورهبانيَّتها غير انَّ الابتهالات كلَّها عن لسان عابدة او راهبة تقيَّة . وعلى كلِّ حال نوافق حضرة القسّ لويس بليبل على نفاسة هذا الكتاب ومحتوياته التقويَّة لا شيء فيه من سفاسف هنديَّة وقد الَّفهُ صاحبهُ قبل شرودها لأنَّ تاريخ نسخة حضرته السنة ١٧٥٣

ومنها ايضاً كتاب الكنز الانفس في عبادة القلب الأقدس الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج في صيداء السنة ١٧٣٥ يحتوي سيرة القديسة مرغريتا مريم ألاكوك للمطران لانكه اسقف سواسون . وهذا الكتاب نُشر طبعاً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨٦ على نفقة راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين

ومنها ايضاً في مكتبتنا الشرقيَّة رياضة تأملات وقراءات وافعال تقويَّة اكراماً لقلب يسوع للاب اسكندر درويل (Al. de Rouville) اليسوعيّ وضعها في اواسط القرن الثامن عشر ثمَّ استخرجها من اللغة الايطاليَّة الى اللغة العربيَّة بطرس جرمانوس صادر الماروني الحلبي سنة ١٨٤٢

هذا دون ما نُشر بالطبع بعد ذلك في بيروت وغيرها وما عدا كتباً أُخرى وُضعت عن سرّ القربان الاقدس ومحبَّة السيد المسيح مثل كتاب محبَّة يسوع الذي استخرجهُ الخوري اندراوس القبرسيّ الماروني تلميذ المدرسة المارونيَّة في رومية ومعلِّم اللغتين السريانيَّة والعربيَّة في مدرسة الحكمة في رومية وترجمان المجمع المقدَّس وذلك سنة ١٧٣٧ وكتاب يسوع الحبيب ومريم المحبوبة للاب نيرمبرج اليسوعي الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج وكتاب اتحاد يسوع مع الانسان في سرّ الافخارستيَّا المقدَّس . ومنها كلها نسخ مختلفة في مكتبتنا الشرقيَّة وبعض اديرة لبنان كانت تبعث في القلوب محبَّة ابن الله والعبادة الصادقة لقلبهِ الاقدس حتَّى اصبح هذا التعبُّد كاحد مميِّزات الطوائف الكاثوليكيَّة في لبنان والشام . ولو اردنا بسط الكلام في مجاليهِ بين كلّ طائفةٍ فرداً فرداً مذ ذاك الحين الى يومنا لأدَّى بنا الى الطول الملّ . فكم شُيِّد على اسمهِ من كنائس وبيع وكم اقيم لذكرهِ من الاحتفالات من عبادة شهرية

في حزيران وتساعيات وطوافات وزيارات وفروض تعويض . وكم أنشئت من جماعات رهبانية وشركات ومدارس تحت شفاعته نخص منها بالذكر جمعية راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين المنشأة في لبنان في اواسط القرن السابق

وما قولنا بالنعم والعجائب التي جرت في عدة امكنة بشفاعة القلب الالهي منها نجاة مدينة زحلة من الطاعون بعد نذر اسقفها بتعييد عيده سنوياً والتطواف بالقربان الاقدس . ومنها صيانة كل اهل حمص من الوباء حينما عُرضت في البيوت صورة القلب الاقدس وغير ذلك مما أثبت لكل ذي عين عظم شأن هذه السيادة وبركاتها العميمة

وذاك ما دفع الحبر الاعظم بيوس التاسع في منشور وجهه الى الشرقيين في تاريخ ٨ ك ١ سنة ١٨٦٤ الى ان يحضهم على التعبد الصادق لقلب يسوع المملوء عذوبة وحلاوة فيلوذوا به في كل حاجاتهم . ولما كانت السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر تقدم قداسة امام الأحبار البابا لاون الثالث عشر بان يحتفل بعيد قلب يسوع بغاية ما يمكن من الابهة والرونق مدة ثلثة ايام في الكنيسة باجمعها فكان ذلك الاحتفال مهيباً جداً حضره نحو عشرة آلاف شخص في باحات كليتنا . ثم كرس في ختام ذلك القرن في نصف ليلة ٣١ كانون الاول ومفتتح القرن العشرين العالم كله لذلك القلب الالهي

فتكريس لبنان الكبير الى قلب يسوع انما هو تصريح عمومي واعلان رسمي بتشبث اهله باهداب حمايته وباعتصامهم غير المنفصم بركنه الازلي فبحق هذا التكريس تتولد وشيجة جديدة بين اللبنانيين وقلب ربهم عليها تترتب حقوق متبادلة بموجبها يجعل ابن الله جبلنا العزيز وكافة سكانه تحت حماه فيدرأ عنهم الآفات والبلايا الروحية والزمنية ويفيض عليهم اغزر نعمه كما انه يقضي على اللبنانيين ان يثبتوا في خدمته وامانته ويكرموه اكرامهم لولي نعمتهم ويجعلوا عليه اتكالهم في كل احوالهم . فطوبى للبنان ان بقي اميناً في وفاء وعده فانه سيكون موطن السلام ومرتع الرغد والهناء على مدى الدهر حقق الله الاماني بأيده وكرمه

اثر قديم

للملك يوستنيان في بيروت

للاوبن لويس شيخو وريئه موترد اليسوعيين

١ تاريخ الحفريات

بينما كانت بلديَّة بيروت ساعيةً في سنة الحرب الثانية في اتمام اوامر الوالي عزمي بك فتنسف الاحياء العتيقة التي كانت عشّشت فيها جراثيم الاوبئة لتفتح فيها شوارع جديدة اذ وقف العمَلة على آثار بناء قديم موقعهُ غربيَّ جامع النبي يحيى على مسافة نحو ٥٠ مترًا منهُ عند مدخل سوق البزركان . فاستدعى الوالي الاب لويس شيخو والمرحوم مراد بك البارودي ورغب اليهما ان يفحصا تلك البناية ويقدّما لهُ تقريرًا في وصفها وتاريخها

فكان اوَّل ما طلبهُ المندوبان بعد معاينة تلك الآثار الجليلة ان يأمر الوالي مهندسًا برسم صورة البناء على طريقة علميَّة مدقَّقة تمكّنهما من درسهِ وابداء رأيهما في اصلهِ وماهيَّتهِ وغايتهِ لكن الوالي لم يُجب الى ملتمسهما فجاء فحصهما للآثار غير وافٍ بالمقصود

ودونك ما تقرأهُ وتتنبَّأ عن البناء المكتشف والآثار التي وُجدت معهُ : البناء المذكور على شكل مستطيل طولهُ نحو ثلثين مترًا في عرض اثني عشر مترًا امَّا علوهُ فلم تسمح أطلالهُ المتراكمة من معرفته . وكانت ارضهُ مبلَّطة بالرخام على عمق نحو خمسة امتار من سطح شوارع المدينة وكان اكثر الرخام مكسَّرًا محطَّمًا بسقوط اعالي البناء عليهِ . وقد وُجد امام الباب القبليّ عمودٌ من الرخام قطرهُ نحو ٥٠ سنتيمترًا وطولهُ ثلاثة امتار بنيف من الحجر المنيع الذي يدلّ على متانة البناء نظرًا لجسامة حجارتهِ التي يبلغ طول بعضها نحو ذراعين مع مراعاة نسبة عرضها وسمكها

وقد بلغ عدد ما وجد في تلك الحفريَّات من الحجارة المنحوتة الضخمة الألوف المؤلفة قدَّرها بعضُ العمَّال بنحو ثلثين الى اربعين الفًا نُقلت بامر الوالي الى غابة

الصنوبر لبناء حائطه الكبير والى ساحل البحر لتهيئة رصيف جديد

وكان في وسط البناء جدارٌ عموديٌ في وسطهِ حنيَّةٌ او محراب عرضهُ نحو خمسة اذرع معقود بالحجارة الكبيرة وعلى جانبَيهِ بابان كل منهما معقود بحجارة على شكل قوس الّا انَّ قوس الباب الاسفل كاد ان يكون مسطَّحاً . وكان الداخل الى هذا البناء من الجهة الشرقيَّة يصل اوَّلًا الى رواق على شكل قبو معقود بالحجارة يمتدّ الى البابين المذكورين المسدودين بالردوم

وتحت هذا البناء طبقة اخرى من الاقبية الواسعة الارجاء المعقودة بالحجارة الرمليَّة لم يمكن معرفة عددها وامتدادها . ومنها يُستدل على انَّ ارض المدينة كانت سابقاً اوطأ جدًّا ممَّا هي عليهِ الآن وربَّما كانت تقريباً على سواء شاطئ البحر المواجه لها . وفي تلك الابنية آثار ظاهرة لحريق لعلَّهُ كان سبب سقوطها

وقد وُجد على خلاف ذلك جملة من العاديَّات المحطَّمة كالحرفيَّات وقطع الزجاج الملوَّن والنقوش ورؤوس الاكلَّة والسواري المختلفة الحجم بينها سارية منقوش عليها صورة رأس كرأس الجنيَّة مدوزة (Méduse) وكان على سارية اخرى صليبٌ ناتئٌ من الشكل البوزنطي المربَّع

وممَّا وُجد قريباً من تلك الاطلال الكتابة اليونانيَّة الآتي وصفها

٢ وصف الكتابة اليونانية

هذه الكتابة مصونة اليوم في مكتب البنات الواقع بجوار حوض (حاووز) الوالي وهناك بعض قطع غيرها ستدخل في متحف الآثار البيروتي وهي محفورة في حجر من الرخام الابيض ذي عروق كمدة عرضهُ متر وسنتمتران وعلوُّهُ ٥٩ س في سمك ٤٣ س . وهذه صورة ما بقي منها

ΜΑΡΘΑΝΙΟΥ
CΤΡΑΤΗΛΑΤΟΥ
. . . ΛΑΤΑΕΤΙΙ
. . . ΤΙCΜΑΤΑ
. . . . . .

والكتابة واضحة لا مشكل في قراءتها تحتوي دعاء بطول العمر لاحد القوَّاد

المدعو مرثانيوس مع ذكر تاريخ البناء ودونك تمامها

Μαρθανίου στρατηλάτου[πολ.λὰ τὰ ἔτη. [Τὰ κ]τίσματα ! [ἐγένετο ! ἔτους !]

تعريبها : « سنين عديدة لمرثانيوس القائد. البناء. (؟) [قد شُيِّد ؟ في السنة ؟]

اخصُّ ما في هذه الكتابة اسمُ العلم المذكور فيها ثم ذكر البناء المشار اليهِ

امَّا العَلَم «مرثانيوس القائد» فهو المعروف ايضاً باسم مرثانيس (Μαρθάνης) كان احد كبار الدولة على عهد يوستنيانوس القيصر واليهِ وُجِّه هذا الملك سنة ٥٥٨ م احد مراسيمهِ الموسوم بالعدد ١١٢ والمعنون هكذا باسمهِ Μαρθάνης κόμης πριβάτων[1] اي «مرثانيس وكيل الاملاك الخاصَّة» وكان الحرف η والحرفان ου يلفظان في ذلك العهد كحرف ، فمرثانيوس اذن ومرثانيس اسم واحد مع اختلاف صورتهما

وقد اثبت العلَّامة الياني (Alemanni) حارس المكتبة الواتيكانيَّة انَّ مرثانيوس المذكور هو الذي ورد اسمهُ في تاريخ بروكوبيوس السرّي (٢ بصورة مَلْثانيس (Μαλθάνης) وجاء في اعمال مجمع مضيحة المعقود سنة ٥٥٠ بلفظهِ اللاتيني والقابهِ هكذا :

Marthanius, vir magnificus, comes domesticorum

وقد حضر ذلك المجمع باسم الملك يوستنيان (٣. ومن هذا يظهر انَّ مرثانيوس المذكور في الكتابة البيروتيَّة كان رجلاً معتبراً بحيث دُعي «بالرجل الشريف» (Vir magnificus) وجعلهُ الملك رئيساً على حرسهِ الخاص (Comes domesticorum). والحقُّ يقال انَّ مرثانيوس هذا كان جندياً رابط الجأش مخلصاً في خدمة سيّدهِ لا يأخذهُ في تتميم اوامره لومة لائم ولو تجاوز فيها الحدود

وقد اخبر المؤرخ بروكوبيوس انَّ الملك ارسلهُ في السنة ٥٥٠ م الى وطنهِ قيليقية ليخمد ما حدث فيها من الفتن. وكان للمدن في ذلك الزمان احزاب تتألَّف من فرق فرسان الميادين يشبهون في عهدنا احزاب الفرق السياسيَّة وربَّما اثاروا المشاغب وهيَّجوا الشعب. فلمَّا وصل مرثانيوس الى طرسوس شغب حزبُ الميدان المعروف

---

١) اطلب Justin. NOV. CXLII وهذا العنوان يونانيُّ الصورة لاتينيُّ الحقيقة Comes [rerum] privatarum

٢) اطلب Procope : Hist. Arc., *XXIX*, *Dindorf*. *pp*. 159-160.

٣) اطلب دستور المجامع للاني (Mansi, IX, col. 274 seqq.)

بحزب الزُرق ولم يرض ببعض التدابير التي اتخذتها الحكومة فامر مرثانيوس جنودهُ في سحر اليوم التالي ان يسيروا في انحاء المدينة وينهبوها فأخلد الناس الى السكون

فهذا هو مرثانيوس الذي ورد اسمهُ في كتابة بيروت المكتشفة حديثاً . وكان قد نال منذ سنة ٥٥٠ رتبةً جديدةً دوَّنتها كتابتنا فدُعي بالقائد (στρατηλάτης) وعُرف بذلك مدَّةً وتراهُ في السنة ٥٥٨ قد اصاب اشرف مناصب الدولة فيُدعى رئيساً على املاك القيصر الخاصة (Comes rerum privatarum) . ومنهُ يُستدلّ على تاريخ الكتابة البيروتيَّة اعني بين السنتين ٥٥٠ و ٥٥٨

فبقي تعريف البناء (κτίσματα) المشار اليهِ في هذه الكتابة فكان لمرثانيوس فيهِ حصَّة هو وجيشهُ كما يظهر فخُفرت الكتابة دلالةً على شكر المدينة لهُ . ولكن ليس هنا لنا دليل كافٍ لنبتّ حكماً في ذلك . لانَّ البناية التي اكتُشفت غربيَّ جامع النبيّ يحيي قد طُمرت دون ان يؤخذ رسمها كما سبق والمرجَّح مما قدَّمنا في اوَّل هذه النبذة انها كانت كنيسةً ملكيَّة (basilique) أُقيمت بعدئذٍ بقربها كنيسة مار يوحنَّا المعمدان بهمَّة الفرسان المعروفين بالاسبتاريين او فرسان مار يوحنَّا الاورشليميّ وهي التي حوَّلها المسلمون بعد ذلك الى جامعهم الحالي . ولعلَّ تلك الكنيسة الاولى كانت سقطت بفعل الزلزلة الهائلة (١ التي الحقت بيروت بالدقعاء في ١٦ تمُّوز من السنة ٥٥١ وقد انسحب وقتئذٍ البحر عن المدينة واحترق جانبٌ منها وخربت مدرسة حقوقها الشهيرة فجاءت الاوامر باصلاح الخراب وتشييد الابنية المهدومة فكان لمرثانيوس فضلٌ امَّا في بنائها الاصلي وامَّا في ترميمها بعد خرابها اوجب على بلديَّة بيروت شكرهُ فخلَّدوا ذلك بحفره على حجر الرخام ليُعرض في واجهة تلك الابنية فجاءت بعد ذلك زلازل غيرها وشبَّ سنة ٥٦٠ حريق التهم معظم البلدة فلم يبق من تلك الآثار الَّا بعض الدفائن التي استخرجتْ منها شيئاً حفريَّاتُ سنة ١٩١٦ ولعلَّ اعظمها فائدةً الحجر الذي حاولنا نشر مضامينهِ

---

١) اطلب مجموعة الآباء اليونان لمين Fragm. Tusc., P. G., LXXXV, 1822 seqq - وتاريخ ميخائيل الكبير Chronique de Michel le Syrien, II, 245.

الحبُّ البنويّ

رواية تاريخيّة عرّبها عن الاسبانيّة احد الآباء اليسوعيين

١ الاسر

كان على تخوم الاندلس على سيف نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) حصنٌ حصينٌ شُيّد في القرن الاوّل او الثاني من القرون المتوسّطة . حصنٌ تُنبئك مناعتُهُ عن تاريخ اسبانية في تلك الاحقاب . احقاب الحروب الهائلة والوقائع المخيفة التي دارت رحاها بين الاسبان والمغاربة . فلو كان في استطاعة تلك الاطلال ان تهبَّ من رقدتها وتصحو من سُباتها لأماطت القناع عن غرائب عجائب وردّدت على الاسماع مآثر كماة الابطال وجرأة فحول الحرب وقرومها . واوقفت على حسرات وزفرات وغصص وكآبات تنثّت الاكباد كانت تتصاعد من صدور اولئك الفرسان . وأنبأت كم من اسير عاش حزيناً ومات كئيباً دون ان يرجو حلَّ عقاله ويأمل فكَّ اغلاله وراء اسوار ذلك الحرز الحريز

هذا وما كاد العرب يفتحون بلاد المغرب (موريتانيا القديمة) الّا وطمحوا ببصرهم نحو اسبانية ولم تَبِل بهم عنها مخيلةُ امل . فاخذوا يفكرون في طريقة تبلّغهم الى مبتغاهم ولبثوا عدة سنين يثاون لنواظرهم تلك البلاد الخصبة التي تفتن الالباب بحسنها وجمالها . الى ان وطّأ لهم هذه العقبة الكونت يوليان فخان وطنه وأنالهم تلك البغية

فهذا كان امتعض من تبوّؤ مولاه الملك رودريك او رذريق سدّة الملك فأضمر الشرّ لسيده وشفاء لغليله منهُ دعا المغاربة الى الاندلس ودلّهم على عورة البلاد

ولما كانت سنة ٧١١ زحف طارق بن زياد مولى موسى بن نصير قائد المغاربة بخيله ورجله على اسبانية . فجاز بسرعة مضيق قادس المعروف بباب الزقاق واستولى على الجبل الذي اشتهر مذ ذاك باسمه جبل طارق (Gibraltar) او جبل الفتوح وما لبث ان التقى برودريك ملك اسبانية فناشبهُ القتال فاشتبك الفريقان وتلاحم

الابطال وتبارز الفرسان فكانت حرب عبوس دُعيت بوقعة شريش جرَّت ذيول الدمار على الاسبان وفرَّقت شملهم شذر مذر. فيها قُتل الملك وعددٌ من ابطاله. وكُبّل عدد آخر من صناديده بقيود الاسر — ثم فتح العرب اشبيلية وقرطبة وسائر الاندلس — وكان بين الاسرى الكماة بطلٌ مغامر وامير مُعمَّم يُدعى «انطونيو راميراس». فهذا الفارس المغوار برز في القتال وصرع وحده عشرين مغربيًّا حتى سقط جريحًا في حومة الوغى وحسامهُ الابتر في يده. ولما رأى ان الاعداء احدقوا به من كل جانب كما يحدق السوار بالمعصم وانَّ لا منقذ له ولا مناص من هذا المأزق استسلم

اما القائد طارق فدُهش من بسالة راميراس وبُهت من ثبات جنانه في معركة الوغى فأبقى عليه. لكنهُ جعل لفدائه من الأسر مبلغاً عظيماً من المال موازياً لشجاعته. امَّا الاسباني الاسير فلمَّا رأى ان ما يطلبه القائد يذهب بثروته كلها ويؤول الى خراب بيته آثر الاسر المؤبد ورضي بنصيبه. فامر اذ ذاك طارق ان يقاد راميراس ويُحصى بين عداد اسرى حصن الوادي الكبير

٢ المروءة

كان لراميراس ثلاثة بنين تتلألأ على محيَّاهم مخائل النجابة وتلوح سمات الشجاعة. بل كانوا اشبه بابيهم من حيث البسالة والجرأة «ومَنْ اشبه اباهُ فما ظلم»

كان ابنه البكر يُدعى دياغو وكان له من العمر سبع عشرة سنة. فهذا لمَّا بلغهُ ان اباهُ أُخذ اسيرًا وعرف المكان الذي حُبسَ فيه لم يصبر على تجرُّع هذه الغصَّة بل جمع فئةً من اصحابه الأمناء الابطال الذين كانوا شهدوا وقعة «شريش» الشهيرة وسار بهم الى حيث كان ابوه معتقلًا. فمرَّ هؤلاء الصناديد مرَّ السحاب بين صفوف الاعداء المتفرِّقين في الاندلس مختلسين فرصة غفلتهم ولم يزالوا يواصلون سيرهم الى ان انتهوا الى الحصن او كادوا. وكان راميراس قد صعد على سطح الصرح يسرِّح النظر تفريجًا لكربته واذا به قد ابصر عن بعدٍ غبارًا علا وعجاجًا قد ملأ الجوَّ والفلا وما لبث ان سمع عَدْوَ خيل. فحدَّثتهُ نفسهُ ان الوافدين هم من ابناء جلدته فاخذ يفكر فيما حدا بهم الى هذا المكان وفيما يقصدون. ثم قال: «ما ادراني ان يكون ولدي في صحبتهم» — اما الشاب دياغو ومن معه فما عتموا ان انتهوا الى اسفل متاريس

الدرج الى الباب السري . فوثبوا عليه وثبة الاسود وفي ايديهم الفؤوس الحربية يريدون كسره بل تحطيمهُ . فذهب سعيهم ادراج الرياح وراح تعبهم سدى اذ ان ذلك الباب كان مصفَّحاً بالحديد . امَّا المغاربة الذين كانوا يربون على المائة فاذ احسُّوا بعدوهم من داخل القلعة بادروا الى مقاتلتهم فاخذوا يرمونهم بالحجارة ويصوّبون عليهم سهامهم ثم حملوا عليهم من كل صوب وناحية واحاطوا بهم احاطة الهالة بالقمر . واستمرت وقتئذٍ بين الطرفين معركة هائلة انجلت عن كسرة هؤلاء الصناديد . اما دياغو البطل فكان قد أُصيب بضربة حسام صرعتهُ فافقدتهُ الرشد ولمَّا افاق من غشيته قبضوا عليه واعتقلوه في القلعة مع ابيه

٣ الحيلة

قبل ان يستفيض الخبر عن اعتقال دياغو كان فرنسيسكو اخوه البالغ الخامسة عشرة من عمره . احسَّ في نفسهِ عن اخلاق مسعى اخيهِ . بل كأنَّ مناجياً كان يناجيهِ ان الاعداء قد انزلت الوبال في دياغو ومن معه من الابطال . فهذه النكبة لم تكن تثبط عزيمته وتقصر من نشاطه . بل كان يُمثِّل لناظريه ان من الواجب عليهِ ان يفكَّ اغلال الاسيرين ويخلّص فريستين من اهوال رق العبودية . ولما كان فتاً سنّهِ لا يسمح لهُ ان يبدي شجاعةً كبيرة ولا كان مستوثقاً من شدة ذراعيهِ ركن الى الحيلة ضارباً اخماساً لاسداس . فتزيَّا بزي مغربي وملأ حزمهُ ذهباً وسار توًّا الى القلعة — ولم يكد فرنسيسكو يقرب من اسوار القلعة الَّا واخذ ينغِّم لحن بلاد الاندلس بصوت شجي يشنّف الآذان وانغام مطربة تُسكر الالباب فللحال صرخ راميراس وابنهُ دياغو : لا شك ان فرنسيسكو مقبلٌ ولا مِريَةَ ان هذا الصوت هو صوته . ثم جعلا يستجيران الله سبحانه من اعدائه الالداء لكي يسدل عليه ستر رحمتهِ ويُسبل دونه الحجاب ويحفظهُ سالماً من كل ضرّ ويصونهُ بعنايتهِ القديرة من كل آفة وشرّ — ثم اخذا يفكّران فيما اغراهُ على القدوم الى هذا المكان الخطر وفيما يرمي اليهِ ويعلّق امله عليه

فبفضل هذا الزي أُتيح لفرنسيسكو الولوج الى داخل القلعة فحاول آنئذٍ ان يخدع الحارس ويستميلهُ بواسطة الذهب فذهب امله هدرًا وسعيهُ طلًا . ولمَّا كان هذا

الحارس داهية في الخبث اخذ مال فرنسيسكو وقتل دونه باب القلعة وجعله في عداد الاسرى فصار مع ابيهِ وشقيقهِ ثالثة الأثافي

٤ عود الله

بقي للبطل الاسير راميراس ولدٌ ثالث يُدعى مثل ابيهِ انطونيو لكنه حديث السن لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره . تُرى ماذا يستطيع ان يفعل ولدٌ في هذا السن ! لكن ما لا تقدر عليهِ القوى البشرية تقدر عليه المحبة البنويَّة المقرونة بالتقوى وخوف الله فانها تُريك عجائب غرائب

واذا طلبتَ من الموانح حاجةً فادعُ الالهَ وأحسِنِ الاعمالا

كان قد مضى على ذهاب فرنسيسكو شهر ولم يكن انطونيو يعلم ما حلَّ باخيهِ بل دار في ذهنهِ ان اخاه اصبح اسيرًا ونال حظَّ والده واخيهِ البكر . فحدَّثتهُ نفسهُ انَّ دَوْره قد حان وان نجاة والدهِ منوطٌ بما يؤتيهِ من حسن التدبير واتقان العمل . فتروَّى في الامر مليًا الى ان ادَّت بهِ فكرتهُ الوقَّادة الى استنباط حيلة هي في بابها نادرة المثال

وذلك انهُ كان على جانب من التقى والتدين فارتأى قبل الإقدام على العمل واقتحام الاهوال ان يذهب اولًا الى المقبرة الى ضريح والدتهِ فهناك جثا راكعاً يستجير الله بإخبات وخشوع طالباً منهُ عزَّ اسمهُ العون والقدرة والنجاح في امر خطير يتطلب جرأة غير عادية . ولما اتمَّ صلاته رفع رأسهُ فاذا بجُعَل يصعد على جانب صليب القبر ساحباً وراءهُ لُعاباً طويلًا . فلما نظر انطونيو هذا اللعاب تحقق ان صلاته قد استُجيبت فقام على الفور وتزيَّا بزيّ راعٍ وتوجَّهَ توًا الى القلعة حيث كان ابوه واخواه

فلما انتهى الى اسفل الحصن اذا بالحرَسة واقفون لكنهم لم يكترثوا بهِ ولا همَّهم حضورهُ . بل تركوهُ وشأنهُ ينام في حمارَّة القيظ بكل راحة وسكون — اما انطونيو فكان يتناوم حتى رأى نفسهُ بأمن من نظر الحرسة فأخرج اذ ذاك من جيبهِ كبَّة غزل ملفوفاً عليها خيط كتَّان رقيق للغاية ثم انتقى جُعلًا كبيرًا — وهذا النوع يكثر في البلدان الحارَّة — ثم مكَّن جناحي الجُعل بقليل من القطران وربط حول جسم الحشرة احد اطراف خيط كبَّتهِ

كان راميراس وولداه لاحظوا ذاك الراعي وهو يقترب من اسفل القلعة . فاخذوا يتتبعونهُ ويراقبون حركاتهِ الى ان وضع الجُعَل على صدر الحائط لكنَّهم لم يعرفوهُ تماماً حتى رفع رأسهُ الى فوق فحينئذٍ ارتعدت فرائصهم فرَقاً وهتفوا ! ابني : اخونا ! وودُّوا لو لم يكن طوَّح بنفسهِ في المخاطر

وكانت الدويبة في اثناء ذلك تصعد ساحبةً الخيط وراءها وربَّما حاولت المرَّة بعد الاخرى التملُّص من وثاقها — اما انطونيو فاستأنف نومهُ المتظاهر وهو مضطرب البال قلق الافكار . تتبع عيناهُ خفيةً الخيط الذي كان علَّق عليهِ كل آماله . فكان يخاطب نفسهُ قائلاً : . . أيصل هذا الجعل الى فوق الى حيث ابي راميراس واخواي . . . أيفقهُ الحرسُ حيلتي المنزَّهة عن كل شر ؟ . . . ربي عليك توكَّلت خذ بيدي . انشل عبدك المسكين من هذا المأزق : انت السميع المجيب ؛

وفي اثناء ذلك كان العَسس يطوفون على مألوف عادتهم حول القلعة لكنَّهم لم يروا احداً سوى هذا الولد الراعي المسكين فما اعاروهُ بالاً ولا اكترثوا بهِ بل عدلوا ايضاً الى ظلّ شجرةٍ ليتَّقوا من حرارة القيظ

ان هذا المشهد الغريب قد ادهش راميراس اي اندهاش . فاخذ يتبع برغبةٍ سير الجعل حتى اذا وصل الى فوق جذبه اليه فرأى خيطاً دقيقاً فربطهُ . وأدرك ما قصدهُ ابنهُ انطونيو . فلمَّا كان المساء وغاب الحرس سحب الخيط فما لبث ان رأى خيطاً آخر اضخم يتبع الاول فسحبهُ فحبلاً وفي طرفهِ النطاق الذي كان انطونيو متمنطقاً به على زي محزم

ولما ارخى الليل رواقه اخذ راميراس الحبل وأحكم ربطهُ في قمة القلعة فنزل فرنسيسكو الاول . ثم تبعه دياغو ثم راميراس وكان انطونيو يرقب حركاتهم وقلبهُ يتنازعهُ عاملا الخوف والرجاء الى ان بلغوا الحضيض فاسرع الاب السعيد مع اولاده الثلاثة وقبَّلوا مخلِّصهم وعيونهم تذرف الدموع فرحاً ثمَّ لاذوا بالفرار وكان انطونيو قد اعدَّ لهم في مزرعة قريبة جياداً مطهَّمة — فما مضى على الاب واولادهِ ثلاثة ايام الَّا وكانوا في المقبرة جاثين على ضريح امهم قرينتهِ بازاء الصليب الذي كان انطونيو قبَّل اقدامهُ قبل ان يحاول نجاة والدهِ واخويه طالباً العون والقدرة والنجاح — فهناك قدَّموا الشكر للعزة الالهية على نجاتهم من وثاق الاسر وعادوا الى دارهم سالمين

العنكبوت

نظر طبيعيّ لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ

لا يعرف معظم الناس من الحشرات الّا مضارّها كأنّ الشهرة منوطة بأذى الهوامّ كما يشتهر في البلاد اصحاب السوابق وقطّاع الطرق . ولسنا لننكر انّ في جملة الهوامّ المنتشرة في ارضنا انواعاً ينظمها العموم بين الحيوانات الضارّة ولكن كم بينها ايضاً من الحشاش التي تخلو من كلّ أذى فضلًا عمّا بينها من الدوابّ التي تستحقّ شكر الانسان لصلاحها واحسانها اليهِ

وربّما جهل الانسان فضل الهوامّ لخمولها وصغر حجمها مع ما خصّها بهِ الخالق من العجائب ما عدا ما تؤدّيهِ لهُ من الخدم العديدة المجهولة منهُ . فما أعجب تركيبها وخواصّ اعضائها . وما اعجب سَعْيها في الارتزاق وفي ابتنائها مآويها واعشاشها . بل ما اعجب ما تقوم بهِ من الاعمال وتنتج من المحاصيل . وأعجبْ بها في اوهامها الغريزيّة . لعمري لا يستطيع ذوو الاعتبار ان يتأملوا كلّ هذه العجائب دون ان يمجّدوا الله فيها ؟

وبين الحشرات التي جمع فيها الخالق كثيرًا من هذه الميزات المدهشة جنس قائمٌ بذاتهِ يدعوهُ الطبيعيُّون بجنس الرُّتَيلاء (arachnides) وادخلوا فيهِ العناكب والعقارب ونحن نكتفي اليوم بالنوع الاوّل اي ضروب العنكبوت

وصف العنكبوت واشكاله وعوائده

لا مراء ان القارئ لدى استماعهِ اسم العنكبوت يتأفّف ويتقزّز لما تصوّرهُ لهُ مخيّلتهُ من تلك الأنسجة التي تمدُّ اشراكها في زوايا الجدران وتبسطها في سقوف البيوت وعليها ما عليها من الغبرة ودقائق الجير . على انّها لا تخلو من الفائدة اذ تلتقط بها طعامها من الذباب والبعوض والبقّ فتخفّف وطأتها عن صاحب الدار فضلًا عن كونها تدلّهُ على كسل خدّامهِ وتغافل ربّة البيت عن تنظيفهِ من الاوساخ

وليس العنكبوت البيتي هو الوحيد من جنسهِ فانّ العناكب انواع متعدّدة منتشرة في الحقول تجدي معرفتها نفعاً ولذلك خصصنا بها درسنا هذا

ومما تمتاز بهِ العناكب عن اصناف الهوامّ التي في ارضنا كونها خالية من الاجنحة على خلاف معظم الحشرات التي تنبت اجنحتها عند بلوغها اشدّها كالذباب والجراد والفراش. فمنها ذات زوج من الاجنحة ومنهـا ذات زوجين او اكثر. وهذا لا يعوق العنكبوت عن الطيران اذا شاء كما سترى

وتمتاز العناكب ايضاً بقوائمها التي تبلغ اربعة ازواج بينما تقتصر بقيّة الهوامّ على ثلاثة ازواج فقط. وليس هناك دليل على الترقّي الدرويني وانما هو احد اعمـال الخالق الذي ابدع الحيوان وخصّ كلًّا منهُ بصفاتهِ كما شاء.

وكذلك العيون فانَّ للهوامّ عموماً زوج عيون فقط وان كان تركيبها من عدَّة عُيَنات صغرى ملتحمة ببعضها . امَّا العناكب فان لاكثر انواعها ثمـانية ازواج من العيون مركَّبة في اقسام بدنها المختلفة في جهات الرأس وفي الصدر . ومَنْ للبشر ان يحظوا بحواسّ باصرة وراء الرأس مثلها ! وكيف دروين بفضل مذهبهِ لم يمتّعنا بذلك ؟ فاين ترقّيهِ المزعوم ؟

وزد على ذلك انَّ الهوامّ التي تنسج لنفسها شرنقةً لتبيت فيها في فتاء سنّها تمجُّ نسيجها من فيها امَّا العنكبوت فيفرز خيوطهُ الحريريَّة من وراء. فلهُ في مؤخّر بطنهِ ثقوب دقيقة يُلقي منها خيوطهُ متى شاء. ويتشبَّث فيها ليطير في الفضاء.

والعنكبة وهي انثى العنكبوت رؤوم لنسلها تُظهر حنانها على صغارها بما تُعدّ لهم من الفراش الوثير وفي معظم انواعها تعاين الامّ نشأة بنيها وتجعل ظهرها مركباً لهم يعلونهُ مدَّة عدَّة اشهر بعـد مولدهم بعكس اغلب الهوامّ التي تموت بعـد وضعها بقليل الَّا البعض منها

وان دقَّقنا النظر في قبائلها المختلفة وجدنا بعض اشكالها ذات قوائم غاية في الدقَّة وطويلة جدًّا يكفي احياناً صدمةٌ خفيفة لخلعها. وفي مركز هذه القوائم ترى جسماً نحيفاً يختلف عنها بصغر حجمه. ومنها ما يضخم جسمُها في وسط قوائمها الثماني. والبعض منها قصيرة القوائم الَّا انَّها خفيفة الحركة تطفر في سيرها طفراً

ومن العناكب ما جُهّزت شفرتُها العليا بكلَّابتين مرهبتَيْن تحتويان احياناً مادَّة سمّية لاعدائها بل للانسان عينهِ . ومنها شكل ذو سنَّتين منعطفتين لا بأس بهما . ولغيرها زوجان من المخالب في شفرتَيها العليا والسُّفلى بهما تحسن الدفاع والهجوم معاً

كأنها مدَّججة بالسلاح . ومن هذا الصنف شكلٌ معروف في هذه البلاد

دعنا الآن نصف الصنائع التي تزاولها العناكب وتبدي بمزاولتها حذقاً مدهشاً لا يبلغهُ أنطس الصَّنعة واحذقهم

واول ما تصطنعهُ ابريسمُها تتخذهُ من ٤ الى ٦ حلَمات تُرى في طرف بطنها وكلُّ حلَمةٍ تتألَّف من مَسَامّ عديدة يسيل منها ذاك اللُّعاب اللزج ثمَّ تسحبهُ بقوائمها فيصح خيطاً غاية في الدقَّة تنصبهُ لصيد الهوامّ او تجعلهُ كيساً تصون فيهِ بيضها او تمدُّهُ في الهواء كجسر تسير عليهِ او كعمودٍ ترتفع فوقهُ على اختلاف اجناسها

ولا يُعرف خيطٌ ادق من خيط العنكبوت ولذلك يتَّخذهُ العلماء كمشبَّك لبعض الآلات الفلكيَّة البالغة الدقَّة والضبط . وقد حسب العلَّامة الفرنسوي مِلْن ادوردس في كتابهِ عن الحيوان انَّ عشرة الاف خيطٍ من خيوط بعض العناكب هي اذا جُمعت ادقّ من احدى شعرات رأسنا

ومع دقَّة هذا النسيج يقدر العنكبوت ان يفرز من جسمهِ خيوطاً يبلغ ثقلها من عشرة غرامات الى ١٥ غراماً اعني ما يوازي نحو مئة مرَّة ثقل الحشرة عينها . ولمَّا عاين العلَّامة الطبيعيّ الشهير لاسيباد (Lacépède) عنكبوتاً ينسج شبكتهُ على باطن زجاجةٍ صقيلة الجدار بعث فيهِ هذا النظرُ الرغبة في درس عجائب الطبيعة فصار احد علمائها المبرّزين وصِنوًا لكوفيه معاصرهِ النابغة

وتختلف طُرُق صيد العنكبوت لغذائهِ فانواع كثيرة تنسج خيوطها على صور هندسيَّة عجيبة لا يفلت منها الذباب والفراش والبعوض اذا وقع في أشراكها . ومنها انواع تلطأ في ثقب من الارض تراقب فريستها فاذا اقتربت منها هامَّة ألقت عليها حبالها اللزجة فتكبّلها بها ثمَّ تمتصُّ لحمها على فراغ . ويعيش غيرها في شقوق الحيطان او في وسط الحشيش لا تحتاج الى نسيج لصيد غذائها

ومن أعجب مصنوعات العنكبوت تلك الاكياس الناعمة التي تودع فيها بيضها رجاء نسلها . وهذه الاكياس تكون تارةً على شكل قبَّة هوائيَّة مركَّبة من أطلس متموّج ذي نسيج لزيز الحلقات متين لا ينفذ فيهِ الماء . وتارة يشتغلها العناكب على صورة جُلَل مستديرة كحبوب من الحرير ليّنة المسّ ناعمة . وحيناً تصطنعها كاللبّاد الكمد اللون تلصق في وسطها دقائق الورق والرمل والحشيش . وهذه الاكياس

تحيكها حتى العناكب التي لا تتصيّد بنسيجها وانما تجعلها مهداً لصغارها

وقد سعى اهل بعض البلدان باتخاذ نسيج العناكب لحاجاتهم . فقد اخبر المرسلون والسيّاح انّ اهل بلاد باراغواي في جنوبيّ اميركة كانوا ينسجون في القرن السابع عشر ثياباً من خيوط صنفٍ من العنكبوت يُدعى بلسان العلم Epeira socialis) . وقد ورد مثل ذلك في تواريخ الصين والهند وافريقية الغربيّة حيث ذُكرت في الاجيال السالفة انسجة مصنوعة من حرير العنكبوت . وجاء في تاريخ فرنسة أن رئيس دفاتر الحسابات في مدينة مونبليه استخرج في سنة ١٧٠٨ من انسجة صنفٍ من العنكبوت يدعوهُ العلماء (Epeira diadema) كيّةً وافرة اصطنع بها بعض ازواج من القفافيز والجوارب

وأقرب منّا عهداً ما اخبرهُ احد الآباء اليسوعيين وهو الاب كمبوه (P. Camboué) المرسل في جزيرة مدغسكر فوجد هناك شكلاً من العناكب عُني بتربيتهِ وتنميتهِ فكان يستخرج في تحليل نسيج عنكبة واحدة من ثلثمائة الى اربعمائة متر من الحرير المتين ثمّ يكرّر ذلك اربع وخمس مرّات كلّ عشرة ايام . فكان الحرير المجموع من هذه العناكب ذا لون ذهبيّ جميل وغاية في المتانة

وكان الاب اتّخذ لهذه العناكب صندوقاً نظّمها فيهِ ثم جعل وراء ظهرها مكيّة (حلّالة) ميكانيكيّة تسحب الخيط من ظهر العناكب فكانت كلّ أنثى تفرز من ١٦ الى ٤٠ متراً من الحرير الاصفر الضارب الى الحمرة وكان اذا انتهت الدرّيبة من افرازها يقطع خيطها ويطلق سبيلها فتذهب الى قرنة معدّة لها حيث تجد كيّة وافرة من الذباب والبعوض فتفترسها بنهَم . وقد ورد كلّ هذا الوصف في مجلّة الكوسموس العلميّة (Cosmos, 17 Avril 1913) . وقد يُتّخذ هذا النسيج الذي هو اخفّ من الحرير كعنوان للمناطيد والمراكب الهوائيّة لحراسة غلافها الخارجي

فلا مراء بانّ العنكبوت نسّاج ماهر وليست هذه صفتهُ الفريدة فانّ لهُ في المزايا الحسنة ما يشفع بقبح صيتهِ وها نحن نعدّد مناقبهُ

١ العنكبوت المهندس

قل لي رعاك الله أما شاهدت مراراً في مسيرك في الحقول او في جنينة دارك

تلك الاسلاك المتدة بين الاعشاب والمحيكة على صورة شبكات دقيقة . فافحصها عن كثب تخلب لبك بحسن هندستها . فهناك نقطة مركزية تخرج منها عدة خيوط كالاسهم وهذه الخيوط تثبتها خيوط اخرى على شكل الدوائر بغاية الضبط . فليت شعري اي مهندس يستطيع عملاً كهذا لا يخل ذرة عن القواعد الهندسية في استدارته حول مركزه وضبط سعة دوائره وزواياه الحادة المتساوية ولو كرر شغله مراراً ما لم يستعن بالقاعدة والبيكار . اما العنكبوت فدون علم سابق وبلا آلة البتة يباشر عمله بوضع مركز ينسجه بخيط أغلظ ثم يمد خيوطه بنظام عجيب ويقسم الدائرة اقساماً معدودة حسب اجناس العناكب . فلكل جنس زوايا لا تختلف درجاتها فمنها ٢١ درجة ومنها ٣٢ ومنها ٤٦ دون زيادة ولا نقصان . ثم يعود الى المركز فيعلق خيطاً جديداً يديره حول المركز وينيطه بالخيوط المسهمة ويزيد سعة الدوائر كلما ابتعد عن المركز على قياس الدائرة المعروفة عند العلماء بالدائرة اللوغرثمية او هي بالحري كما قال العلامة فابر خط متعدد الزوايا (لأنها قائمة شعاع الى آخر) مرسوم في وسط دائرة يقطع في وسط دائرة لوغرثمية كل الاشعة بزوايا شبيهة الاقيسة

فكل هذه العجائب الهندسية يقوم بها العنكبوت لاول وهلة بلا دليل ولا معلم منذ اول إفرازه لنسيجه . ومن العناكب اجناس تردد كل مساء ما بقي من نسيجها وتعود في اليوم التالي الى تنسيقه جديداً . فيا حبذا المهندس !

٢ العنكبوت التلغرافي

بين قبائل العنكبوت المهندس والنساج عشائر تستخدم التلغراف السلكي . وليس كلامنا هنا عن العناكب التي تلطأ في وسط نسيجها فتقف لفريستها بالمرصاد طول نهارها فان هذه تشعر بادنى حركة في نسيجها وتخطف صيدها كالبرق . وانما يوجد اصناف أخر تحيك شبكتها وتبتعد عنها اما احتجاباً من النور الباهر واما خوفاً من حرارة الشمس وهي اعلم بسرها . ويبتعد بعضها عن اشراكها الى مسافة متر ومترين وثلاثة امتار فتلبد في الظل دون حراك كأنها نائمة . فكيف تعلم يا ترى أوقعت في فخاخها حشرة ام لا ؟ فدونك صنيعها فانها اذا نسجت شبكتها الهندسية علقت رجلها بخيط تربطه بمركز الشبكة وتسحبه الى مكان استظلالها فاذا مس ذباب او

هامّةٌ ما شبكتها شعرت بذلك حالاً وركضت الى فريستها الناشبة في النسيج وافترستها . فهذا سلكها التلغرافيّ الذي يوقفها على نشوب صيدها في الفخ ولو قطعتهُ لَما علمت بهِ مطلقاً مهما هزَّ الصيدُ الشبكة

٣ العنكبوت صانع الفراء

هذه مزيَّة ثالثة خُصَّ بها العنكبوت فانَّهُ لا يصطنع فقط شبكةً ذات لُحمةٍ وسَدًى بل يطليها بفراء لزج اذا احتكَّ بهِ ذبابٌ في طيرانهِ لصق بدِبقهِ ومهما سعى في النجاة منهُ زاد ارتباكه فيأتي العنكبوت فيلفُّهُ بنسيجهِ لينجو من شرّهِ بدفاعهِ عن نفسهِ ويسحبهُ الى ثقبهِ حيًّا فيمتصُّهُ ويغتذي بهِ هنيئاً مريئاً

قال السيو فابر نابغة علم الحشرات انَّ خيط العنكبوت احد اسرار الطبيعة فانَّهُ مع دقَّتهِ الغريبة هو مثقوب اسطوانيًّا فترشح من وسطهِ مادَّة لزجة غرويَّة تلتصق بها فريستهُ كما ترى العصافير المصيدة بالدبق التي يزيد تغرّيها على قدر حركتها . فالعنكبوت يصيد ايضاً بالدبق . وان سألت وكيف لا يلصق العنكبوت بدبقهِ ؟ هنا سرٌّ آخر . أفما رأيت الغلمان الذين يصيدون بالدبق فانَّهم لا يعالجون الدبق الَّا بعد ان يمسحوا ايديهم بقليل من الزيت . ففي قوائم العنكبوت زيتٌ طبيعيّ يصونهُ من لزوجة نسيجهِ . ولعلَّ هذا الزيت هو الذي يمكّن بعض العناكب من الصيد على البِرك فتسير على الماء بسرعةٍ كسيرها على الارض

٤ العنكبوت البهلوان

هذا فنٌّ آخر تفقهُهُ بعض العناكب ليس جنسها الاسود الذي يلطأ بثقوب الارض ولا الجنس الذي يعدّ خيوطهُ في زوايا البيوت . لكنَّ جنساً آخر نحيفاً خالياً من كل أذى ذا الوان لطيفة يعيش فوق الاعشاب او يعلو فوق اغصان الشجر . ولعلَّك سرتَ بين النبات او اوراق الشجر فلحظتَ عنكبوتاً يثب على ثيابك فتنفضهُ فيسقط واذ تظنُّهُ صريعاً على الارض فاذا بهِ قد تعلَّق بردن ثوبك فانَّهُ في حال سقوطهِ أنفذ خيطهُ الى ذراعك بلمحة عين وتشبَّث بهِ طائرًا في الهواء . فتعمد الى قطع خيطهِ باصبعك فيلصق الخيط بالاصبع ويمتدّ الى الارض فيجري العنكبوت عليه ثمَّ يطفر من الارض ثانية الى

ردنك . وان طلبت خيطهُ لم تجد لهُ اثرًا فان العنكبوت ابتلعهُ بذات سرعتهِ في افرازهِ . فللّه درُّهُ من بهلوان يرقص على حبالٍ هو ينتجها ويمدُّها ويطفر فوقها ثمَّ يلتهمها ليفرزها ثانية عند الحاجة فلا تُفقَد ضائعةً

ثمَّ انظر الشجر فربَّما تعاين بين اغصانها خيوطاً من نسيج العناكب فتراها تسير فوقها مسرعةً وتتناقل عليها بكل طمأنينة كما نسير نحن على أمكن الطرق وأرحبها . وكيف نصبت تلك الأخياط ؟ أنزلتْ من شجرةٍ فسحبت خيطها ثمَّ رقيتْ الى شجرةٍ اخرى لتمدَّهُ بينهما ؟ كلَّا ثمَّ كلَّا . بل هي تُلقي نفسها من علٍ وتمدُّ خيطها في هبوطها ثم تصعد عليها وتمكنهُ بخيطٍ ثانٍ ويبقى الخيطُ المبرم في الفضاء من طرفه الاسفل فاذا هبَّ الهواء نقلهُ الى شجرةٍ اخرى وعلَّقهُ باغصانها فأصبح جسرًا ممدودًا تجري عليهِ العناكب او تتخذهُ كدماكٍ اوَّل لبناء نسيجها

٥ العنكبوت الطيار

أصحيح انَّ العنكبوت يطير وهو خالٍ من الاجنحة ؟ ولِمَ لا يطير كالانسان وهو ايضاً لا اجنحة لهُ . على انَّ الانسان يتصاعد في الجوّ بقوَّة المحرّكات امَّا العنكبوت فلا حاجة لهُ الى محرّكٍ بل يحلّق في الهواء ويتجوَّل فيهِ ويكفيهِ لذلك خيطهُ فهذا الخيط لدقَّتهِ وخفَّتهِ يرتفع بفعل الهواء ويطير العنكبوت معهُ محمولاً عليهِ كمركبةٍ هوائيَّة

ومن غريب ما يُعرف عن بعض اجناس العنكبوت في اوَّل حياتها انَّ الاناث تلدها بيضاً ثمَّ تودعها في اكياس تحيكها او تركبها على ظهرها على حسب اجناسها وربَّما بلغ عددها المئات فيبقى ذلك النسل اشهرًا في اكياسهِ او على مركبتهِ الى ان يبلغ اشدَّهُ ويحتاج الى سعةٍ في مبيتهِ ومعاشهِ . فيفرز الصغارُ اذا ترعرعوا لاوَّل مرَّة خيطاً نهاية في الدقَّة لا يكاد يكشفهُ مجرَّد النظر وهذا الخيط يمتدُّ في الفضاء لأدنى حركة من الهواء بل لأخفّ تموُّجات الجرة الارض عند طلوع الشمس فصغار العنكبوت ترتفع مع ذاك الخيط فتراها تتجوَّل في الفضاء كأنَّها طائرة لا سند لها فتتبع هَبَوات الجوّ وتتفرَّق ايدي سبا الى حيثما تسير بكلٍّ منها عناية الخالق ليرتزق ويعيش . ولعلَّ ارتفاع اولئك العناكب في الهواء انَّما هو حرارةٌ في جسمها تعلو بها الى

الفضاء او ينفذ في ثقب خيطهـا الدقيق شيء من الحرارة يمكنها من الطيران . وكل هذا من اسرار الطبيعة وما لاخلاف فيه ان العناكب الصغار تتجوّل في الهواء وتبلغ الى مسافات بعيدة عن مولدها

٦ العنكبوت الجامع للقوى الحيوية

لا يسعنا ان نختم كلامنا عن العنكبوت دون ان نفحص مـا خوّلتهُ الطبيعة من خاصّة لا يزال الطبيعيّون ساعين في البحث عن سرّها نريد بذلك ما خُصّ به صغارهُ من اكتناز القوى الحيويّة وحفظها دون طعام . فكم من الناس يودّون لو استطاعوا ان يكتنزوا فيهم قوًى مثل هـذه فيستغنون عن الغذاء اليومي . وقد رُوي عن بعض الكيميويين انهم يهتمّون لوضع اقراص يودعونها لباب اطعمة تكفل بحفظ القوّة في آكليها زمناً طويلاً . وما لم يكتشفهُ البشر الى يومنا قد اعتادهُ العنكبوت منذ مولدهِ وهو يستطيع ان يعيش لشهرًا دون طعام

قلنا انّ انثى العنكبوت تودعُ نسلها في اكياس حريريّة من نسيجها . وذلك نحو شهر ايلول وربّما احتوى الكيس من مئة الى ٥٠٠ بيضة على حسب انواعها . ومـا يلبث هذا البيض ان ينقف بعد اسابيع قليلة فماذا يصيبها أيا تُرى؟ أتخرج من مشيمتها بعد تمزيقها ؟ ولكن كيف يمكنهـا ان تقاسي تقلّبات جوّ الخريف وبرد الشتاء ؟ وكيف تُصيب معاشها في ذلك الفصل الذي به تموت الهوامّ ؟

فاستدراكاً لهذه الاخطار انظر ما اعدّتهُ الطبيعة لحفظ تلـك المواليد فانّ نسل بعض اجناس العنكبوت بعد نقفهِ يلزم مشيمةَ مولدهِ ويبقى فيها مع حَرَجها الى اواخر الشتاء واوائل الصيف في ايّار وحزيران فحينئذ تنفتح المشيمة ويفلت الصغار

وفي اجناس أُخرى يخرج الصغـار من مشيمتهم في الخريف لكنّ الامّ تبسط ظهرها لهم وتحملهم الى الشمس ليستدفئوا بحرارتها وربّما تزاحموا على ظهرها فيسقطون على الحضيض لكنّهم يتشبّثون بقوائم امّهم فيعودون الى منصّتهم

على انّ هنا مشكلاً آخر . كيف يعيش هؤلاء الصغار سواء بقوا في كيسهم الحريري ام ركبوا متن والدتهم ليتشمّسوا اذ لا عيشة للحيوان الّا بالاغتذاء ؟ نعم انّ هذا الغذاء يختلف كميّة في وقت راحة الحيوان او في شغلهِ كما ترى في الدبّ وبعض

الحيوانات التي تعرف فصل الشتاء في نوع من السُّبات تستطيع ان تحيا زمناً طويلاً دون طعام الّا انها تصرف في تلك المدّة ما اكتنزهُ بدنها من الدهن . امّا هذه العناكب فليس لها في جسمها ما تغتذي بهِ مدّة السبعة او الثمانية اشهر التي تقضيها في اكياسها او فوق ظهر امها فمن اين لها تلك القوّة الحيويّة ؟ قد فحص المسيو فابر هذا السرّ بكلّ تدقيق ولم يجد لهُ حلًّا الّا بقولهِ انّ هذه الحيوانات تستمدُّ قوّتها الحيويّة من حرارة الشمس سواء تعرّضت لاشعّتها رأساً فوق ظهر الام او نفذت تلك الاشعّة في اكياسها وقوّت اجسامها

ثمَّ أثبتَ قولهُ بمثل مواليد الطبيعة من النبات او الحيوان وبيَّن فعل حرارة الشمس فيها . ألاَ ترى كيف ينتعش الشيخ الطاعن في السنّ والشابّ المنهوك القوى اذا تعرّضا للشمس ومثلهما الحيوانات المتجمّدة بالبرد وبيضها اللاصق بالارض وكذلك حبوب النبات الدفونة في التربة فانّها كلها تقتبس حياةً من الشمس . وقد اثبت العلماء انّ الشمس هي مورد كلّ حياةٍ في ارضنا . والقوّة الحيويّة التي تصدر منها تتراكم وتكتنز في نبات الحقل وفي اشجار الغابات وفي مياه البحار وفي التربة وفضاء الجوّ حتى في الجليد عينهِ . وهذه القوّة الحيويّة تلوح للانسان من حيث لم ينتظر فانّ الفحم المعدني الذي يستخرجهُ اليوم من اعماق الارض قد تكوّن بفعل هذه الحرارة . ومثلهُ تلك الانهار التي يحرّك بقوّة مياهها معاملهُ وتسمّى بالفحم الابيض هي ايضاً من مفاعيل الحرارة المستبطنة فيها فيستعين بها الانسان لسائر اشغالهِ فتلوح هنا على صورة حرارة وهناك على صورة نور وفي موطن آخر على صورة كهرباء

فلا عجب اذن ان يُقال انّ العناكب ايضاً تستمدّ قوّتها الحيويّة من الشمس فتحيا وتتنفّس وتتحرّك بفضل حرارتها دون ان تحتاج الى التعويض عمّا تفقدهُ من القوّة الى غذاء آخر

فما اعجب اعمال الله الذي يظهر حكمتهُ في جميع كائناته ليس الكبيرة فقط بل في هذه الالوف المؤلفة من الحشرات التي تقطن في كلّ نقطة من عالمنا

الآلة الناسخة

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

لقد اخترع الانسان في القرن السابق وفي اوائل جيلنا الحاضر مئاتٍ من الآلات المتنوّعة التماساً لترويج اعمالهِ ولزيادة اتقانها فضلاً عن كونهِ يستغني في تشغيلها كلّياً او جزئيًّا عمَّا كان يحتاج اليهِ سابقاً من العَمَلة . وهذهِ لعمري نعمةٌ عظيمة نال بها تخفيفاً لعنائهِ في ما لا يُحصى من ضروب الاشغال والمصنوعات . فكم من هذه الاختراعات العجيبة التي فتنت عقول الناس في اوَّل ظهورها ثم زال عجبها بعد انتشارها لشيوعها وابتذالها . فهذا التلغراف الناقل بسرعة البرق حتى بلا سلك ما جرى في احد البلاد الى اقاصي المعمور . وهذا التلفون الباعث الصوت الحيّ بكل نبراتهِ ونغماتهِ الى مسامع اهل البلاد السحيقة . وهذه السيَّارات تسبق اسرع الجياد وتنهب المسافات نهباً في المدن والارياف والجبال والوديان طوع بنان راكبها . وهذه الطيَّارات فتح بها الانسان مملكة الهواء المنيعة فطار في كلّ ارجائها شرقاً وغرباً معلناً بسلطانهِ المطلق عليها

ودونك آلةً مستحدثة تأتي بعملٍ دقيق يقتضي بذل القوى العقليَّة فكأنَّ مخترعها نفخ فيها شيئاً من إدراكهِ وفهمه . وهي لا تزال محصورة في نطاقٍ ضيّق لكنَّها لن تلبث ان تُصبح أُحدوثة الخاصَّة والعامَّة نريد بها الآلة الناسخة من تلقاء نفسها وهو تعريب اسمها الاصلي بالانكليزيَّة (the autocopist) . والغاية المقصودة من استنباطها هي وفقاً لاسمها نسخ الكتابات ايَّةً كانت بشرط ان تكون مطبوعةً او مكتوبةً على الاقلّ بالة الكتابة الشائع استعمالها اليوم في كل البلاد شرقاً وغرباً حتَّى اوشكت ان تُعَدّ من جملة الحاجيَّات التي لا غنى عنها

نشأ اختراع الآلة الناسخة في اميركة بلاد العجائب منذ سنين قليلة لكنَّنا لم يمكنَّا ان نقف على اسم مخترعها الذي يستحقّ كل ثناء على ما ابتدعهُ . ولا شكَّ انَّ القارئ اذا سمع بوجود آلةٍ كهذه يتصوَّرها معقَّدةَ التركيب كثيرة الادوات كبعض الساعات الميكانيكيَّة . ولو صدق ذلك الوهم الطبيعيّ لما وجب ابتخاسُنا لقدر آلةٍ

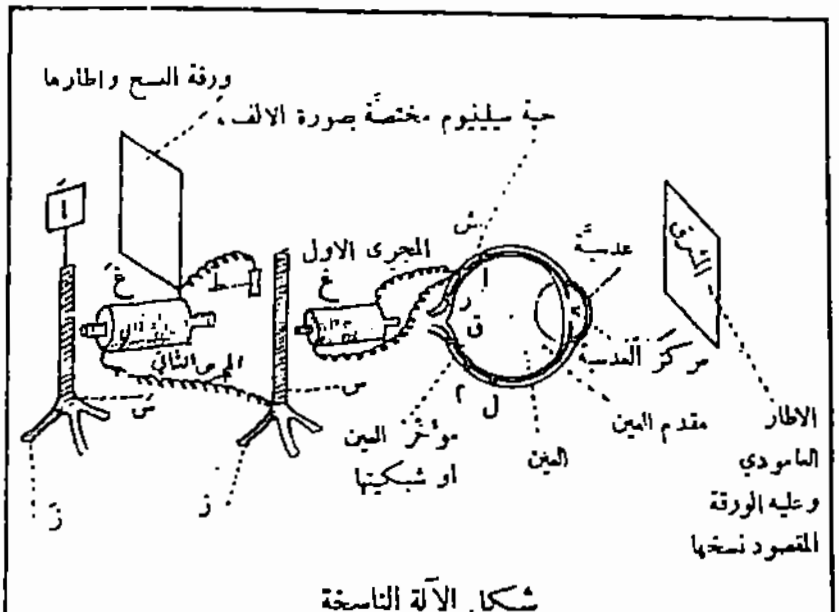

شكل الآلة الناسخة

تقوم بعمل كالنسخ دون ان تمسها يد الانسان ولو تعددت واشتبكت ادواتها . على انَّ الامر في الحقيقة ليس كذلك وانما هذه الآلة مبنيَّة على مبدإ بسيط وليس في تركيبها اشتباك كبير كما سترى . فليتفضَّل القارئ ويُعرني مدَّة بضع دقائق اذناً صاغية فأوقفهُ على كنه هذه الآلة الناسخة بحيث يحيط بتجهيزها علماً ويجني من ادراك سرّها لذَّةً عقليَّة وافرة

تصوَّر إطاراً عموديًا تُركز عليه ورقةٌ مطبوعة او مكتوبة بالآلة يُراد نسخها (انظر الشكل) . وعلى مسافة معلومة من الإطار عَيْناً معدنيَّة في وسطِ مُقدَّمها المحاذي لهُ عَدَسيَّةٌ . وللاطار حركتان ذاتيَّتان الاولى عموديَّة من اسفل الى اعلى لترفع كل سطر الى علوّ مُستوى مركز العدسيَّة . والثانيَّة افقيَّة تتجه من اليمين الى اليسار في نسخ الكتابات الاوربيَّة ومن اليسار الى اليمين للكتابات الساميَّة كالعربيَّة وما شاكلها . فيمرّ السطر بتمامهِ امام العدسيَّة ويجعل كل حرفٍ من حروفهِ بازاء مركز العدسيَّة فترسمهُ الآلة الناسخة

امَّا كيف يتمُّ ذلك فبتحديد البَوْن الفاصل بين الاطار والعدسيَّة ثمَّ البون

الحائل بين العدسيَّة ومؤخر العين او شبكيتها . فقد حُدد كلاهما بأدقّ ضبطٍ بحيث ترتسم صورة كلّ حرف مكبَّرةً على الشبكيَّة لدى مثوله تجاه العدسيَّة . وقد لحظ المخترع التحرير انَّ حروف الهجاء اللاتينيَّة المستعملة في معظم لغات الشعوب المتمدّنة اذا صُفَّ الواحد منها فوق الآخر كان لكل منها على الاقلّ نقطةٌ واحدة لا تغطّيها بقيَّةُ الاحرف . ويسهل على من شاء من قرّائنا ان يحقّق ذلك بالاختبار في احرف الهجاء الفرنسويَّة او الانكليزيَّة اذا رَسم الواحدَ منها فوق الآخر تماماً على شرط ان يُتقن كتابتها ويجعلها كلها على حجم واحد كبير ليسهل تمييز كل حرف عن سواه . فمن اجرى هذه العمليَّة السهلة وجد انَّ لكلّ حرفٍ على الاقلّ نقطةً مختصَّة به دون غيره

ومن البديهيّ ان ذلك يتحقّق ايضاً في صور تلك الاحرف التي تتصوَّر مكبَّرةً على شبكيَّة الآلة الناسخة اعني انَّ كلَّ حرف تمتاز صورتهُ بنقطةٍ على الاقلّ لا تغطّيها بل لا تمسُّها قطعاً صورُ بقيَّة الاحرف . فلنفرض مثلاً انَّ لفظة «المشرق» مُثلت تجاه العدسيَّة فيرسم كلُّ حرفٍ من حروفها صورتَهُ بالتناوب مكبَّرةً على الشبكيَّة ويبرز الالف مثلاً بنقطةٍ معلومة «أ» خاصَّة بهِ (انظر الشكل) ومثلهُ الاحرف الاخرى «ل» «م» «ش» «ر» «ق» التي لكل منها نُقط مميّزة لها . وهذا احد اركان الآلة الناسخة لولاهُ لعجزت الآلة عن القيام بوظيفتها الصعبة

وهاك رُكنها الآخر . في النقطة المختصّة بصورة حرف الالف حبَّةٌ من معدن السيلينيوم قد رُكبت في الشبكيَّة واندمجت بها اندماجَ فصٍّ من الماس في دائرة خاتمٍ ذهبيّ معدَّة لهُ . وكذا قل عن حروف ل م ش وبقيَّة حروف الهجاء فانَّ في النقطة الخاصَّة بكل منها في الشبكيَّة حبَّةً من السيلينيوم . والسيلينيوم هذا معدنٌ مكتشف من عهدٍ قريب لهُ مزيَّة غريبة وهي تأثيرهُ في قوَّة المجرى الكهربائي . فاذا وُجد في احد اجزاء دائرة ذلك المجرى زاد او أنقص قوَّةَ ذلك المجرى بنسبة زيادة او نقصان النور الوارد اليهِ . وذلك هو المبدأ الثاني المبني عليه اختراع الآلة الناسخة الاميركيَّة

فلنفرض الآن انَّ اوَّل حرف من لفظة «المشرق» المائل تجاه العدسيَّة رسم صورتهُ السوداء على الشبكيَّة . فسوادهُ غطّى حبَّة السيلينيوم «أ» دون سواها وبسبب نقصان النور الوارد الى هذه الحبَّة نقص المجرى الاول الذي هي مُدرجة في دائرته . فبناء على ذلك تضعف قوَّة المَلَف المغناطيسي (électro-aimant) (غ) الذي

كان من برهة جاذباً للساق الحديدية (س) فتميل عنه الآن الى اليسار (على رسمنا) بقوة الزنبرك (ز) فتلتصق بقطعة معدنية (ط) مندمجة في دائرة مجرى كهربائي ثانٍ تمرّ بالساق (س) . تلك الدائرة التي كانت مانعة بانقطاعها لمرور المجرى كما يتضح من معاينة الرسم تمكنهُ الآن من سيره حيث اتصلت بالتصاق القطعة (ط) والساق (س) . وبقوة هذا المجرى الثاني يتمغنط الملفّ المغناطيسي (غ) فيجذب طرفهُ الايسر الساقَ الحديدية (سَ) التي كانت حائدة عنه قبلاً بفعل الزنبرك (زَ) . وفي اثناء حركة تلك الساق المجذوبة ينطبع حرف الالف الذي في اعلاها على ورقة النسخ المركوزة على اطار معدني والمتحرّكة كالاطار الاول بحركتين ذاتيتين عمودية من تحت الى فوق وافقية من اليمين الى اليسار او من اليسار الى اليمين . والآن اذا تصوّر القراء ان لكل من حبّات السيلينيوم المندمجة في شبكية العين مجريَين كهربائيَين كالسابق وصفها وان الاحرف المختلفة المركوزة في طرف السيقان المجانسة للساق (سَ) تتجه في حركة كل ساق الى نقطة واحدة وهي نقطة ورقة النسخ المعدّة بحركة اطارها لطبع الحرف المتحرك فقد وقفوا وقوفاً كافياً على سر الآلة الناسخة . فهل بالغنا بقولنا انها بسيطة المبدأ والتركيب نظرًا الى صعوبة العمل المطلوب منها ؟

بقي علينا الان لئلا ننسب الى المغالاة واخفاء بعض الحقيقة ان نشير الى العوائق التي وجدها المخترع الاميركيّ في طريقهِ وحالت دون رغبتهِ في جعل آلتهِ الناسخة كاملة الأهبة سريعة السير جزيلة الفوائد . واهمها فتورٌ خفيف في حبّات السيلينيوم المندمجة بشبكية العين عند القيام بوظيفتها المرصوفة آنفاً . وذلك لسببين الاول لان الصورة السوداء المارّة بها لا تؤثر عليها فجأةً بل تقتضي وقتاً يسيرًا لإحداث مفعولها في السيلينيوم وبواسطتهِ في المجريَين التابعين لكل حبة . ومن الواضح ان ذلك يقلّل سرعة سير الآلة حيث يلزم لنسخ كل حرف ايقافُ الاطار الاول مدةً كافية ليست لمحة عين كما يُرجى . والسبب الثاني ان تأثير الظلّ على حبّات السيلينيوم كما يحدث تدريجاً كذلك يتلاشى بالتدريج . فينتج عن هذا ان الحرف ا مثلاً (أنظر الشكل) يميل الى الوضع المناسب من ورقة النسخ ويبقى ملتصقاً به برهةً تُذكر وذلك سبب آخر لبطء سير الآلة — على كل حال فبغضّ النظر عن سرعة حركتها يسوغ التصريح بانها تامة الجهاز قادرة ولو بتمهّل على اتمام عمل صعب كالنسخ لم يخطر على بال العلماء

والخبراء انفسهم إمكان تفويضه الى آلة صمّاء فتقوم به خير قيام وإن بطيئاً

هـذا ولاننا سمعنا اول مرّة بهذا الاختراع المدهش حول السنة ١٩١٦ فـلا يُستبعَد بل يُرجَح ان يكون صاحبهُ الحاذق اللوذعي كرّر تجاربهُ وابتكاراتهِ المتنوعة فتوصّل بها الى غاية مناه . وان صحّ حدسُنا هذا فانّ الآلة الناسخة مزمعة ان تؤدي متى عمّ انتشارها وقلّ ثمنها بنسبة تعمُّم استعمالها خدماً لا تحصى في كل فروع السعي البشري . اجل انها عاجزة عن نسخ المخطوطات ولكن مَن يجهل في جيلنا ان ملايين من الرسائل التجارية والمؤلفات المرسلة للمطابع وكتابات كثيرة غيرها تكتب يومياً ليس بالاقـلام بل بالآلات المعروفة . وكم تمسّ الحاجة الى نسخها كلّيًا او جزئيًا فيستغرق ذلك وقتاً طويلاً ويستلزم خصوصاً في التجارة زيادة نفقات يُعتدّ بها . وكل هذه المحاذير تخفّ كثيرًا اذا انتشر استعمال الآلة الناسخة فهي تشتغل بدون اجرة بل لهـا على شغل الانسان مزيّتان غريبتان اخريان الاولى انهـا تقرأ المتن المراد نسخهُ وتنسخهُ في آنٍ واحد وذلك ما يفوق اقتدار امهر النسّاخ . والثـانية انَّ نَسْخها خالٍ من الغلط لا يشوبهُ ادنى خطـأ ومن منهم يتجاسر على مفاخرتها في ذلـك الكمال المتنع ؟

ثم اننا نزيد قبل ختم هذه المقالة ان نوضح الفائدة العظمى الناجمة للعلماء والعلم من استخدام الآلة الناسخة . لا يخفى على كل مطّـلع ان العلم العميق لا يُكتسب بمجرد استخدام العين في قراءة الكتب المفيدة بل ايضاً باستخدام اليد في تقييد بعض فوائدها انلا تزول سريعاً من ذاكرتنا القاصرة . واجلى شاهـد على سداد هذه الخطّة العادةُ الجارية عند كل علماء الحافظين فمـا منهم واحد الّا وفي مكتبه اكداس من المقيّدات المنقولة من مصادر شتى . فكم يقتضي ذلك النسخ المتواتر من الوقت الطويل وبذل القوى العقليّة الثمينة لعمل مادي اكثر ممـا هو عقلي . فبانتشار الآلة الناسخة يكسب العلماء ليس ايامـاً بل شهورًا وسنوات من حياتهم الجزيلة الفوائد للنوع البشري اجمع فتزداد العلوم ترقّياً بازدياد الاشغال الآلية مباشرةً الى ذلك الترقي

وقائل يقول معترضاً : «لو كان شأن الآلة الناسخة جليلاً كذلك لطار صيتها في الآفاق والحال انها حتّى الآن خاملة الذكر» . نجيب على هـذا أوّلاً انها ربما كانت حتى الوقت الحاضر في حاجة الى بعض التحسينات التي لا يزال المخترع دائبـاً على

ايجادهـا قبل عرض آلتهِ للبيع في مخازن بلادهِ وغيرها . ثانيـاً ان اهمَّ واشهر الاختراعات حاضراً كالتلغراف والتلفون والفونغراف والسيارات والطيّارات واخيراً لة الكتابة المجانسة نوعاً للآلة الناسخة بقيت في اول نشأتها نسياً منسيـاً ولم تخرج آمن عميق خمولها لتصعد الى عالم الشهرة والانتشار الّا بعد سنين عديدة . فـلا بد ان يكون ذلك السير التدريجي نصيب الآلة الناسخة ان قيّض الباري لمبتدعها ان يُبلغ اختراعهُ الى غاية الكمال

والآن بعد استيفاء الكـلام عن تركيب تلك الآلة وما كانت تقتضيهِ من التحسينات الجوهرية منذ نحو خمس سنوات وما يؤمل بشيوع استعمالها من عظيم الفوائد ولاسيّما في عالمَي العلم والتجارة فلنُصعد ثناء عاطراً الى الخالق سبحانه تعـالى الذي خوَّل الانسان قدرةً تشبه بعض الشبه البعيد قدرته الخـالقة بحيث يستطيع بعجيب حذقهِ ان يمكّن الجماد الاصمّ من اتيان اعمال مختصّة بعقله السامي

السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف موغبان ويوسف منسّى اليسوعيين (تتمّة)

٥ الديانة السبيريتية

ما اكتفى انصار السبيريتسم بنسبة بعض الظواهر السابق ذكرها الى الارواح بل حاولوا إنشاء ديانة جديدة مؤسّسة على مذهبهم . فانَّ «الان كرديك» زعيم هذه البدعة أعلن في مُصنَّفَيهِ المنوّنَين «بكتاب الارواح والانجيل السبيريتسم» انَّ الدين المبنيّ على نِحلتهِ هو كمال الاديان " وكما انَّ المسيح تمّم شريعة موسى فهو اي الان كرديك يكمّل شريعة المسيح دون مساعدة الكنيسة او بالحري على خرابها » لأنهُ على زعمهِ لم تعُد الكنيسة تصلح لروح العصر وتقدُّم العلوم فالواجب عليهـا ان تلغي عقائدها وتتخلّى عن سلطتها وتكتفي بالآداب الانجيليّة . وذلك ممـا لا ترضى بهِ

ايجادهـا قبل عرض آلتهِ للبيع في مخازن بلادهِ وغيرها . ثانيـاً ان اهمَّ واشهر الاختراعات حاضراً كالتلغراف والتلفون والفونغراف والسيارات والطيّارات واخيراً لة الكتابة المجانسة نوعاً للآلة الناسخة بقيت في اول نشأتها نسياً منسيـاً ولم تخرج آمن عميق خمولها لتصعد الى عالم الشهرة والانتشار الّا بعد سنين عديدة . فـلا بد ان يكون ذلك السير التدريجي نصيب الآلة الناسخة ان قيّض الباري لمبتدعها ان يُبلغ اختراعهُ الى غاية الكمال

والآن بعد استيفاء الكـلام عن تركيب تلك الآلة وما كانت تقتضيهِ من التحسينات الجوهرية منذ نحو خمس سنوات وما يؤمل بشيوع استعمالها من عظيم الفوائد ولاسيّما في عالمَي العلم والتجارة فلنُصعد ثناء عاطراً الى الخالق سبحانه تعـالى الذي خوَّل الانسان قدرةً تشبه بعض الشبه البعيد قدرته الخـالقة بحيث يستطيع بعجيب حذقهِ ان يمكّن الجماد الاصمّ من اتيان اعمال مختصّة بعقله السامي

السبيريتسم او مناجاة الارواح

للابوين يوسف موغبان ويوسف منسّى اليسوعيين (تتمّة)

٥ الديانة السبيريتية

ما اكتفى انصار السبيريتسم بنسبة بعض الظواهر السابق ذكرها الى الارواح بل حاولوا إنشاء ديانة جديدة مؤسّسة على مذهبهم . فانَّ «الان كرديك» زعيم هذه البدعة أعلن في مُصنَّفَيهِ المنوّنَين «بكتاب الارواح والانجيل السبيريتسم» انَّ الدين المبنيّ على نِحلتهِ هو كمال الاديان " وكما انَّ المسيح تمّم شريعة موسى فهو اي الان كرديك يكمّل شريعة المسيح دون مساعدة الكنيسة او بالحري على خرابها » لأنهُ على زعمهِ لم تعُد الكنيسة تصلح لروح العصر وتقدُّم العلوم فالواجب عليهـا ان تلغي عقائدها وتتخلّى عن سلطتها وتكتفي بالآداب الانجيليّة . وذلك ممـا لا ترضى بهِ

الكنيسة فلا بُدَّ اذاً من مناهضتها وإلغاء تعاليمها وملاشاتها (١

هذا هو الانجيل الجديد الذي يدعو اليه نبيّ السپيريتسم وقد برح عن بالهِ انَّ الكنيسة كانت في كلّ الازمنة في مقدّمة انصار العلوم وانَّ اكبر العلماء كانوا من ابنائها مسترشدين بروحها كما اثبت ذلك كثيرون بالبراهين الساطعة . امَّا سلطة الكنيسة الزمنيَّة التي اشار اليها كرديك فها هي ذي خمسون سنةً قد فقدتها ولم تفقد شيئاً من سلطتها الروحيَّة التي يقرُّ اعداؤها نفسهم انَّها اعظم قوَّة ادبيَّة في العالم

ولكن دَعْنا ننظر ما أَوحتهُ الارواح الى نبيّها . قد لخَّص كرديك دينهُ الروحاني بما يأتي من المعتقدات والآداب :

اوَّلاً (المعتقدات) يعترف كرديك بوجود الله وهو العقل الاسمى والعلَّة الاولى لكلّ الموجودات يلوح للبشر بمخلوقاتهِ وهو الربّ الاعظم الباسط سلطانهِ على كلّ الارواح وعلى الهيولىّ . ويقول عن الارواح انَّها سبقت العالم المنظور وانَّها منبثَّة في كلّ انحاء الفضاء . ويزعم انَّها تتَّحد بالاجساد وانَّ نفوس البشر انَّما هي ارواح حلَّت في الاجسام وقد كانت غير كاملة قبل حلولها فاذا تجسَّدت طهرَتْ وبلغت كمالها . امَّا القائم بجمعها مع الجسد انَّما هو وسيط بين الروح والجسد وجوهرٌ مائع يدعوهُ صوانَ الروح (Périsprit) . وبالموت تعودُ النفس الى عالم الارواح ريثما تتناسخ من جديد ولا تزال تتنقَّل هكذا من جسم الى آخر حتَّى تحظى اخيراً بالاتحاد مع الله

ثانياً (الآداب) خلاصة الادب عند اصحاب المذهب الروحاني في هذه الوصيَّة الوحيدة «حبّ القريب والتضامن والرحمة »

فان أَعملنا في هذه المزاعم نظر الانتقاد وجدنا قولهُ في الله عزّ وجلّ مشتبهاً لا يفي البتَّة بما وعدهُ بقولهِ انهُ يكتمل الوحي . فانَّ الاله كما وصفهُ كاد لا يختلف عن علم الكائنات ولم يصرّح بصفتهِ العظمى اعني قيامهُ بذاتهِ . وان اقرَّ بان الله روح فانَّهُ لم يَفِدْنا شيئاً عن عقلهِ ومشيئتهِ . ذكَرَ عنايتهُ وانَّما جعلها جامدةً لا فِعْلَ لها سوى حضورها في الكائنات واذ انكر وقوع العجائب حصر تلك العناية والقدرة الالهيَّة وليس قولهُ عن الارواح اصدق واثبت . فانَّهُ يجعل لنفوس البشر حياةً سابقة

(١) قد عرَّب صاحب كتاب المذهب الروحاني هذه السفاسف وصدَّقها وهو لم ينظر أنَّها تدكُّ اساس دينهِ الاسلاميّ الذي خصَّ فصلاً من كتابه بمديحهِ كما تنافي النصرانيَّة

لاتحادها مع الاجساد ولكن ما لنا لا نتذكر شيئاً من هذا الوجود السابق؟ وقد جعل تناسخ الارواح تطهيراً لما اقترفته من الآثام. فمن يا ترى من البشر يعقل شيئاً من تلك الآثام المزعومة ؟. ثمَّ يزعم انَّ النفوس ينتقلها من جسم الى آخر تريد كمالاً فما لاصحاب السبيريتسم اذا اصعدوا روحاً من ارواح مشاهير الرجال يبرزونهُ اذلَّ واخسَّ ممَّا كان سابقاً على الارض كبوسويت ودانتي والقديس اوغسطينوس فهيهات ان نشاهد فيهم شيئاً من نبوغهم السابق وسموّ فضلهم

وما قولنا بالآداب السبيريتية فانَّها عقيمة لا تقوى على شيء من المحاسن . يزعم كرديك انَّ الطبيعة جُبلت من اصلها على الشرّ وهو لا يرضى بمقاومة اهوائها الباطلة . فيكفي المرء ان يعيش مستسلماً للهدوء والرحمة فلا حاجة لتوبة او تقشُّف ولا لقهر أميال النفس الامَّارة . ثمَّ انهُ يعتبر أمانة الزواج وعدم انفساخهِ كناموس مضادّ للطبيعة . وقد ضرب صفحاً عن الفجور والزنى كما انهُ نفى الخوف من خلود العقاب . ومهما ارتكب الانسان من المحرَّمات والكبائر فلا بُدَّ لهُ ان يبلغ يوماً الى السعادة الخالدة . فيا لها من تعاليم سيئة تنقض اسَّ الآداب وتميتها

وفي تعاليم ريفايل اعني كرديك غير ذلك من الاضاليل . فانَّ تعريفهُ لحقائق راهنة غاية في الاشتباه يجيب عنها سلباً او ايجاباً دون ايضاح . وهو ينكر تقريباً كل العقائد الدينيَّة كالثالوث الاقدس ولاهوت السيِّد المسيح ولا يسلِّم بوقوع العجائب . ومع كونهِ يجحد كلَّ تعاليم الكنيسة يريد من تبعتهِ ان يؤمنوا ايماناً اعمى بما يلقِّنهم من تعاليمهِ الفلسفيَّة استناداً الى وحي الارواح

ثمَّ انَّ تعاليم احبار المذهب الروحاني تستند الى وحي الارواح وقد علمنا بطلان ذلك الوحي لأنَّ التعاليم المذكورة توحي بها الارواح عن يد الوسطاء وقد سبق القول انَّ الوسطاء كثيراً ما يتوسَّلون بوسائل الخداع والمكر كما اقرَّ بذلك ألان كرديك بل لم يأنف من الاقرار بانَّ الارواح نفسها تقدر ان تخدعنا ومن ثمَّ يجب الاحتراز منها لأنَّ بينها ارواحاً صادقة وارواحاً كاذبة . فان كان الامر كذلك فكيف يا تُرى يمكننا التمييز بينها ؟ ولعلَّ الارواح التي نعدُّها صالحة صادقة قد تزيَّت بزيّ الصلاح لتخدعنا فأنَّى لنا ان نأمن من مكرها ؟

ولنا عبرة في رؤساء المذهب نفسهم فانَّهم لا يتَّفقون في التعاليم التي ينسبونها

الى الارواح وربما أنكرت الارواح الاميريكيّة ما اثبتتهُ الارواح الاوربيّة . منها ما قرّرهُ ألان كرديك عن تناسخ الارواح واشياء كثيرة غيرها . فزه ازه ا من ديانة روحانيّة يخبط زعماؤها خبط عشواء ويهيمون في كل وادٍ

وان سرّحتَ النظر في ما كتبهُ احد اساطين السبريتسم لاون دانيس المولود في مدينة طور (Tours) وجدتَهُ يكرّر الكلام تكراراً ممـلًا في المجلّدات الستّة التي ألّفها في ذلك . وهو يكاد يتبرّأ من نفوذ الارواح فلا يبالي بها . وانّما يزعم انهُ يكتب بمساعدتها . والحقّ يقال انّ ابحاثهُ لا تخرج عن دائرة العلوم الفلسفيّة يمزجها بترّهات مذهب الحلول ويدخل فيها كثيراً من مزاعم الودّ (Védas) والبوذيّة ويصوّب خصوصاً سهامهُ الى الديانة النصرانيّة وهو يبشّر ذويهِ بفناء كل الاديان الوضعيّة المنسوبة الى الوحي

وكفى بهذا بياناً لاوهام المتمذهبين بالدين الروحاني . ومن اطّلع على كتاباتهم وخطبهم في مؤتمراتهم وجدها متباينة متضاربة بل أقرب الى اضغاث الاحلام

٦ موقف الكنيسة الكاثوليكية بازاء السبريتسم

كان موقف الكنيسة الكاثوليكيّة في اوّل ظهور حركة السبريتسم دالاً على حكمتها وتصوّنها . واذ عُرضت عليها السؤالات لتُفتي في صحّتها او كذبها اجابت بفتاوى موجزة ايجابيّة ثابتة في بعض الامور وببعض التحفّظ والفطنة في غيرها . وكانت تلك الفتاوى تشمل اوّلًا المغنطيسيّة والتنويم والسبريتسم لما من الارتباط بينها ولأن الاوّلَيْن يمتزجان عادةً باعمال السبريتسم . والفتاوى المذكورة لم تحرم المغنطيسيّةَ والتنويمَ في ذاتهما وانّما حظّرت سوء استعمالها كاتّخاذهما لغايات اثيمة او بذيئة فاحشة والتوسّل بهما الى ادراك امور غير طبيعيّة . امّا السبريتسم فلكون اصحابهِ يلتجئون الى الارواح فالكنيسة حرّمتهُ لدخولهِ في حيز الممارسات الباطلة والخرافات والسحر

ودونك آخرَ قرار اصدرهُ في هذا الشأن ديوان المجمع المقدّس تاريخهُ ٢٩ نيسان ١٩١٧ جواباً على من سألهُ السؤال الآتي :

« هل يجوز حضور محادثات او رؤى لاصحاب السبريتسم سواء اتّخذوا لذلك وسطاء او

دون وسطاء او استعانوا التنويم او دون تنويم او اذا كانت تلك المحاضرات بمراعاة الادب والتقى سواء ألتبت الاسئلة على النفوس والارواح او اكتُفي باستماع اجوبتها بل بمجرَّد معاينة ما يحدث في تلك المحاضرات مع تجريد الفكر صريحاً او ضمناً عن اي مشاركة كانت مع الارواح الشرّيرة ؟ »:

فكان جواب الكرسيّ الرسولي على هذا السؤال وعلى كلّ قسم منهُ سلبيًّا اي انّ كلّ ذلك لا يجوز مطلقاً (١ وبهِ تقرَّر عدم جواز مزاولة اعمال المذهب الروحاني وتصعيد ارواح الموتى الذي هو كُنه السبيريتسم

٧ الدواعي التي حملت الكنيسة على تحظير السبيريتسم

اجل انّ الكنيسة لم تنكر بتحظيرها للمذهب الروحاني استطاعةَ الارواح لمناجاة الاحياء. وفي تاريخ الكنيسة وتراجم القديسين عدَّة حوادث ثابتة تقرّر ظهور الارواح لبعض البشر ولا تصدّ الكنيسة احداً من تصديق هذه الوقائع الجارية من تلقاء الارواح باختيارها وباذن الله لكنّها تحظّر من تصعيد هذه الارواح وبقهرها على ذلك . لأنّ العقل الصائب وتعاليم الكنيسة يتّفقان كلاهما على رَذْل استحضار الارواح لتصبح طوع اوامر الاحياء وعلى مناجاتها لتُلقى عليها اسئلة باطلة وفضوليّة وعلى عرضها بطرائق صبيانيّة او مستقبحة

وقد أثبتت الكنيسة في معتقداتها انّ نفوس الابرار بعد انحلال اجسادها تكون عند الله وتحت ملكهِ الخاصّ اذ هي حينئذٍ مجرَّدة عن الحواسّ وعن الاميال المنحرفة . فمن المحال ان يدع لله هذه الارواح المقدَّسة ألعوبةً في ايدي البشر ولا ترضى حكمتهُ تعالى بان يشارك اصحابَ السبيريتسم مظاهرهم المضحكة بل قُلْ وفي مشاهدهم الخلاعيّة . فبكل صواب انكرت الكنيسة اختلاط الارواح العلويّة بمخزعبلات المذهب الروحاني بعد ان دخلت في دار الخلود واشرق عليها نور الخالق واصبحت ثابتةً في الصلاح معصومةً عن كلّ شائبة ونقص

فان كان اذاً من المستحيل امتزاج الارواح القدسيّة بترّهات السبيريتسم وان صحّت رواية مشايعيهِ بتداخل عمّلةٍ روحيين في محاضراتهم يتحتّم القول بان هاتيك الارواح

١) اطلب مجلّة اعمال الكرسي الرسولي Acta S^a Sedis, *Junii*, 1917, p. 268

ارواح شرّيرة وانّها هي التي ندعوها بالشياطين . والحق يقال ان ما يرويهِ انصار السبيريتسم من اعمال الارواح في مجتمعاتهم يوافق ما تنسبهُ الكنيسة للابالسة فانَّ الكاثوليك يعتقدون كون الشياطين ارفع طبيعةً من البشر لكنهم مُلجَمون مقيَّدون بقوّة الله . يعترفون بأنّهم خلائق غنيّة بالمواهب الطبيعيّة لكنّهم افسدوا طبيعتهم وخسروا مقامهم . فلا شكّ ان ترويج المذهب الروحاني احد مكايد تلك الارواح التي تزوّر اعمال الله وتتقلّدها لتُغوي البشر وتضلّهم بشبه العجائب والمظاهر الخالبة للعقول والمواعيد العرقوبيّة لتعاكس بذلك كلّهِ سلطة الكنيسة وتعاليمها الخلاصيّة

وما لا يُنكر ان السبيريتسم لا يختلف الّا بالصورة عمّا اشتهر في القرون السالفة باستدعاء الموتى (nécromancie) . والحال قد ثبت لدى العلماء انَّ استدعاء الموتى كان تصعيد الارواح الشرّيرة والالتجاء اليها في امور عالمنا . وذلك ممّا تنفيهِ العقول الراجحة فضلًا عن الكنيسة المقدّسة . فاحسنت اذن الكنيسة برَدْها المذهب الروحاني كما ناهضت استدعاء الموتى

وان اعترض القارئ بقوله وما ادرانا انَّ السبيريتسم هو كلّهُ مكرٌ وخداع من اعمال النصّابين المشعوذين ومن ثمَّ كان اولى بالكنيسة ان تضرب عنهُ صفحاً . نجيب عن ذلك بقولنا ان للكنيسة حقًّا في مناهضة ذاك الكيد والخداع لما ينجم عنهُ من الاخطار الادبيّة كما سترى مع الخطر بتداخل الارواح الشرّيرة

٨ الاخطار الناجمة عن السبيريتسم

عديدة هي الاخطار التي يوقع بها السبيريتسم اصحابهُ . واوّلها فقد عافية الجسم وسلامة العقل فانَّ الذين يواظبون على مناجاة الارواح يصيبهم غالباً نوعٌ من الهوس يُغريهم فضولهم بتكرار تلك المشاهد الغريبة واستفتاء الارواح بالامور المجهولة فلا يلبثون ان يشعروا بميس في عقلهم فيشردون عن الصواب ويقادون الى بيوت المجانين . ومن اراد الوقوف على صحّة قولنا عليهِ بكتاب المسيو ارسلين (Arcelin) المعنون باسم (La dissociation psychologique) في الصفحة ٢١٢ وما يليها . وفيهِ تفاصيل عن الوسطاء الذين فقدوا الشعور . وفي الصفحة ٢١٥ منهُ ذكر ثلثة فتيان أُصيبوا بنوبات هستريّة غاية في الشدّة بعد حضورهم حفلة سبيريتيّة

والخطر الثاني تضليل العقول كما سبق القول فانَّ في تعاليم الآن كرديك ودنيس وپاپوس وغيرهم عدَّة اقوال مضادَّة للعلوم الصادقة من فلسفة ولاهوت الخ

ويضاف الى الخطرين السابقين فساد الآداب وانتهاك حرمة الفضيلة فكم صدر من افواه الوسطاء من بذيّ الكلام والاقوال المجونيَّة وكم عرضت الارواح على الحضور من الاعمال المستهجنة فانَّ في مشاهد اصحاب المذهب الروحاني من روائح الاثم ما تشمئزّ منهُ النفوس الابيَّة ويأنف منهُ الفضلاء والعقلاء

ومن ثم ينبغي القول بان الاشتراك مع اصحاب السبريتسم خطيئة ثقيلة لارهاق الانسان نفسهُ بهذه الاخطار الباهظة . لا بل لا يجوز مطلقاً تحت طائلة الخطإ الكبير ان يحضر الانسان حفلات المذهب الروحاني كتدوير الطاولات واستفتائها ولو جرَّد فكرهُ عن اي مشاركة كانت وعلى سبيل التفكُّه والفضول الَّا في بعض الظروف النادرة التي تخلو من كلّ تداخل الاعمال السبريتيَّة وهي مجرَّد ظواهر طبيعيَّة

امَّا المغنطيسيَّة والتنويم فقد سبق لفقيد العلوم الاب لويس رنزفال مقال خطير في التنويم الصناعي (الهبنوتزم) والادب (المشرق ٧ [١٩٠٤] : ١١٣١—١١٣٨) فنحيل اليهِ القرَّاء وقد ختمهُ بهذه الالفاظ المسجديَّة : «ان كان التنويم في بعض الاحيان يُعَدّ من الوسائط العلاجيَّة فانَّ في مزاولتهِ اخطاراً جسيمة للنفس والجسد فلا يجوز لاحد من النصارى استعمالهُ للعلاج الَّا عند الضرورة مع اتخاذ الوسائل لدفع كلّ اذًى يلحق بدين المرء او بنفسهِ او جسدهِ واياهُ ان يحضر نوادي المنوّمين والحذر كل الحذر من ان يقود اليها اولادهُ »

ونحن نختم كلامنا عن السبريتسم بان مزاولتهُ اشدُّ خطراً واعظم اثماً من المغنطيسيَّة والتنويم وانهُ ليس موجب البتَّة من تطويح الانسان بنفسهِ في شرورهِ الجمَّة . ولا يتنصَّل احد من تبعاتهِ محتجًّا بمثل الاوربيين فانَّهُ بئس المثل اذ لا يباشرهُ الَّا المهوَّسون منهم او المنخدعون بالظواهر وسوف يندمون ولات ساعة ندم . والاحرى بالشرقيين ان يقتدوا بمزايا الاجانب الحسنة ومناقبهم الطيِّبة « فانَّ التمثُّل بالكرام فلاحٌ »

المحاورة الدينيَّة

التي جرت بين الخليفة المهدي وطيماثاوس الجاثليق

توطئة

هذه المحاورة شهيرة في تاريخ النساطرة منها عدَّة نسخ في مكاتب اوربَّة كباريس ورومية وفي مكتبتنا الشرقيَّة منها نسختان فأحببنا نشرها وهي من أقدم الآثار النصرانيَّة في ايَّام الخلفاء العبَّاسيين. والمهدي المذكور هنا هو الخليفة ابو عبدالله محمَّد بن عبدالله المنصور وثالث خلفاء بني عبَّاس الذي تولَّى الامر في بغداد بعد المنصور من السنة ١٥٨ الى ١٦٩ هـ (٧٧٥-٧٨٥م).

امَّا طيماثاوس فهو طيماثاوس الاوَّل من اعظم جاثلقة الكلدان النساطرة الذي دبَّر ملَّتهُ مدَّة ٣٤ سنة في ايَّام الخلفاء المهدي ثمَّ الهادي ثمَّ الرشيد الى ايَّام المأمون وتوفِّي سنة ٨٢٣م ولهُ عدَّة آثار باللغة الكلدانيَّة نُشر منها بعضها بالطبع. ولعلَّ المحاورة التي ننشرها هنا اصلها بالكلدانيَّة ثمَّ عُرِّبت بعد وفاتهِ بزمن. وترى في شروطها ومضامينها من المعاني البليغة والاجوبة السديدة ما يدلُّ على سعة علوم صاحبها ورسوخ قدمهِ في امور الدين رغماً عن مذهبهِ النسطوري

ل . ش

وهذه المحاورة في الاصل رسالة وجهها طيماثاوس الى احد اصدقائهِ يقول فيها هكذا :

اننا قد دخلنا قبل هذه الايام الى حضرة ملكنا المظفَّر وعندما تكلَّمنا عن الطبيعة الالهيَّة وأزليَّتها قال لنا الملك ما لم نسمعهُ منهُ قط وهو : ايها الجاثليق لا يليق برجل مثلك عالم وذي خبرة ان يقول عن الله تعالى انَّهُ اتخذ امرأةً وولَدَ منها ابناً

فجاوبناهُ قائلين: يا ايها الملك محبَّ الله من هو ذاك الذي أتى بكذا تجديف عن الله عزَّ وجلَّ ؟

فحينئذٍ الملك المظفَّر قال لي: فماذا تقول اذاً عن المسيح مَن هو ؟

فجاوبنا الملك قائلين: انَّ المسيح هو كلمة الله الذي ظهر بالجسد لاجل خلاص العالم

ثم سألني ملكنا المظفَّر: أمَا تعتقد ان المسيح هو ابن الله ؟

فقلتُ: اننا نعتقد ذلك دون شك لان هكذا تعلَّمنا من المسيح نفسهِ اذ هو مسطور عنهُ في الانجيل والتوراة والانبياء انَّهُ ابن الله لكنَّ ولادتَهُ ليست كالولادة الجسديَّة

نية بل هي ولادة عجيبة تفوق ادراك العقل ووصف اللسان كما يليق بالولادة الالهية فسأل ملكنا المظفّر : وكيف ذلك ؟

فقلنا ان المسيح هو ابن الله ومولود قبل الدهور فلا نستطيع ان نفحص عن هذه الولادة ولا ان ندركها لان الله غير مُدرَك في جميع صفاته . ولكن نأتي بتشبيه ما مأخوذ من الطبيعة فكما تتّلد الاشعّة من الشمس والكلمة من النفس هكذا المسيح بما انه كلمة الله ولد من الاب قبل الدهور

فقال لي ملكنا المظفّر : أمّا تقولون ان المسيح وُلد من مريم البتول ؟

فجاوبنا قائلين : اننا نقول ونعتقد بان المسيح مولود من الآب بما انّه كلمتهُ ومولود من مريم العذراء بما انهُ انسان وولادتهُ من الآب هي ازلية قبل كل الدهور . وولادتهُ من مريم هي زمنيّة دون أب ومن غير زواج وبدون انثلام بتولية امّهِ

فملكنا محبّ الله قال لي : ان ولادة المسيح من مريم بغير زواج هي مكتوبة ومقرَّرة : ولكن كيف يمكن ان تكون هذه الولادة دون انثلام بتولية الوالدة ؟

فجاوبنا الملك وقلنا : ان هذا الامر نظرًا الى الطبيعة هو محال وغير ممكن ان يصير دون انثلام البتولية . ولا يمكن ان يتّلد انسان ولا ان يُحبَل بهِ اصلًا بغير اشتراك رجل مع امرأة . واما نظرًا الى قدرة خالق الطبيعة فستطاع ذلك اي ان البتول تلد بدون انثلام بتوليتها لان الله سبحانهُ قادر على كلّ شيء وليس عندهُ امر عسير

ولنا برهان على ذلك في الكتاب وفي الطبيعة اللّذين يُوضحان لنا انّهُ تمكن ولادة انسان دون انثلام بتولية الوالدة . (اوّلًا) من الكتاب قد سُطّر ان حوّاء قد أُخرجت من ضِلعَة آدم دون ان تنشقّ تلك الضلعة . والمسيح عليهِ السّلام قد صعد الى السماء دون ان يشقّ الجَلَد(١ . فهكذا مريم البتول ولدت ابنها دون ان تنثلم بتوليتها ويعتريها ضرر . (ثانيًا) من الطبيعة فان الاثمار تولد من الاشجار والنظر من العين والروائح من الزهور دون انشقاق وانفصال بعضها من بعض . وكذا تتّلد الاشعة من الشمس . فعلى هذا المنوال قد ولد المسيح من مريم دون ان تنثلم بتوليتها . وكما انّ ولادتهُ الازليّة فائقة عن العقل هكذا ولادتهُ الزمنية هي عجيبة

١) هذا محمول على اعتقاد القدماء بأنّ السماء شبه الزجاج الهيولي . وكان الاولى به ان يذكر خروج المسيح من قبرهِ والقبر مختوم ودخولهُ العلّيّة والابواب مقفلة

فقال لي ملكنا : كيف ذلك؟ أأزليٌ ولد زمنياً ؟

فجاوبنا قائلين : ان المسيح ليس بما انه ازليٌ مولوداً من مريم بل بما انه زمنيٌ وبشريٌ

فحينئذٍ قال لي ملكنا المظفر : فالمسيح اذاً هو اثنان الواحد زمنيٌ والآخر ازليٌ . فالازلي هو إله من إله حسب قولك والزمني هو انسان من مريم

فجاوبنا قائلين : أيها الملك ان المسيح ليس باثنين ولا بأبنين بل مسيحٌ واحد وابنٌ واحد ذو طبيعتين إلهية وانسانية من حيث هو كلمة الله واتخذ جسداً بشرياً وصار انساناً

وعندها قال الملك : بل المسيح هو اثنان الواحد مخلوق ومصنوع والاخر ليس بذلك

فقلتُ لهُ : اننا نقرّ بان المسيح ذو طبيعتين مميَّزتين احداهما من الاخرى ولكن نعتقد ايضاً ونقرُّ انهُ من هاتين الطبيعتين مسيح واحد وابن واحد يُعرَف

وملكنا جاوبنا قائلاً : فان كان المسيح واحداً فليس باثنين وان كان اثنين فليس بواحد

امَّا نحن جاوبناهُ على ذلك بهذا البرهان وهو : كما ان الانسان هو واحد من جهة التركيب والاتحاد وهو اثنان ايضاً من جهة النفس والجسد اللذين هما طبيعتان مميَّزتان احداهما مركَّبة ومنظورة والاخرى بسيطة غير منظورة . هكذا كلمة الله بتجسّده صار ذا طبيعتين مميَّزتين احداهما إلهيَّة والاخرى انسانيَّة كما قلنا . ومع ذلك لا يزال ان يكون مسيحاً واحداً وابناً واحداً من أجل وحدانيَّة شخصه

فملكنا المظفَّر قال لي : اما قال عيسى عليه السلام انني سانطلق الى إلهي وإلهكم؟

ونحن جاوبنا قائلين ان مخلّصنا اتى بهذه الآية حقيقةً ولكن توجد آية اخرى مسطورة قبلها التي تستحقُّ الذكر وهي (يوحنا ٢٠ : ١٧) : « انني سامضي الى ابي وابيكم والى إلهي وإلهكم »

فقال ملكنا : انهُ يوجد تناقض ههنا كيف يمكن ذلك فان كان اباهُ فليس بإلهه . وان كان إلهُهُ فليس بابيه

فنحن جاوبناهُ قائلين : أيها الملك محبَّ الله لا يوجد هنا تناقض البتَّة لانهُ بما انهُ ابوهُ طبيعياً فليس هو إلهُهُ بالطبيعة . وبما انهُ إلهُهُ بالطبيعة فليس هو اباهُ طبيعياً . بل هو

ابوهُ بالطبيعة الالهية اذ هو وَلدَهُ ازليًا كاتلاد الاشعة من الشمس والكلمة من النفس وهو ايضاً إلهٌ نظرًا الى الطبيعة البشريّة اذ هو مولود من مريم زمنيًا . فواحد هو المسيح ولهُ والدان احدهما ازليٌ والآخر زمنيٌ

– فلكنا المظفر قال لي : كيف يمكن ان الرّوح يَلِد اذ ليس لهُ اعضاء الولادة ؟

جاوبناهُ : كيف يمكن ان الرّوح يخلق اذ ليس لهُ اعضا فاعلية ؟ فكما انهُ خلق البرايا بدون هذه الاعضاء هكذا ولد الكلمة دون اعضاء الولادة . ومثلما ان الشمس تلد الاشعة من النور دون اعضاء فاعلية هكذا الله عزّ وجلّ قادر ان يلـد ويَخلُق ولو انهُ روح بسيط محض وغير مركّب فيلد الابنَ ويُصدر الروحَ من جوهرهِ كما ان الشمس تُصدر النور والحرارة

ثم قال لي ملكنا : أتؤمن بالآب والابن والروح القدس ؟

فجاوبتهُ : نعم

فقال لي : فانّك اذًا تؤمن وتعتقد بثلثة آلهة ؟

فجاوبناهُ قائلين : ايها الملك ان الاعتقاد بهذهِ الاسماء الثلاثة هو الاعتقاد بثلثة اقانيم اعني الآب والابن والروح القدس الذين هم إله واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد كذا نؤمن ونعتقد على ما علّمنا صريحاً عيسى عليهِ السلام . وتعلّمنا ذلك ايضاً من الانبياء ولنا برهان على ذلك في المخلوقات . فكما أنَّ ملكنا محبّ الله هو واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلثة ملوك ولا يمكن ان ينفصل منهُ كلمتهُ وروحهُ ولا ان يسمّى ملكاً دون الكلمة والروح هكذا الله تعالى انهُ واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلاثة آلهة اذ لا يمكن ان ينفصل منهُ الكلمة والرُّوح . كذا الشمس مع اشعتها وحرارتها هي واحدةٌ وليس بثلاث شموس

حينئذٍ قال لي الملك : هل ينفصل الكلمة والروح من الله ؟

فجاوبناهُ : حاشا وكلّا فكما ان الاشعة والحرارة لا تنفصلان من الشمس قطعاً هكذا كلمة الله وروحهُ لا ينفصلان منهُ ابدًا . وكما انهُ اذا انفصلت اشعة الشمس وحرارتها منها يزول نورها وحرارتها ولا يمكن ان تُدعى شمساً هكذا الله سبحانهُ اذا انفصل منهُ الكلمة والروح يكون لا ناطقاً ولا حيًا . وامّا الناطق فلا يقال عنهُ انهُ معدوم الحياة والروح . فان تجاسر احدٌ وقال عن الله انهُ كان موجودًا في زمانٍ ما دون

الكلمة والروح فقد جدّف لان الله سبحانهُ منذ الازل كان لهُ الكلمة مولوداً كينبوع النطق وكان ينبثق منهُ الروح سرمدياً كينبوع الحياة

وملكنا قال لي: هل الك بيّنات كتابيّة على ان الكلمة والروح كانا في الله منذ الازل؟

فجاوبناهُ قائلين: لنا على ذلك بيّنات شتى: (اوّلاً) من كُتُب الانبياء قد قال داود النبي (مزمور ٣٢: ٤): «بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فيهِ كل جنودها». وقال ايضاً (في مزمور ٥٦): «أُسبّح لكلمة الله». ثم اذ يعلِّم عن قيامة الاموات يقول (مز ١٠٣: ٣٠): «تُرسِل روحك فتُخلَق وتجدّد وجه الارض» فهنا لم يكن داود النبي ليمجّد ويسبّح للخليقة ولا يُسمّي المخلوق والمجبول خالقاً ومجدّداً. وفي مكان آخر يتكلّم عن كلمة الله انهُ ليس لهُ بداية ولا نهاية اذ يقول (مز ١١٨: ٨٩): «الى الابد يا رب كلمتُك مثبتة في السموات». وهكذا ايضاً اشعيا النبي مثل داود يتكلم عن كلمة الله اذ يقول (اش ٤٠: ٨): «يبس الحشيش وذبل الزهر واما كلمة الهنا فتدوم الى الأبد».

(ثانياً) من الانجيل المقدس (يوحنا ١: ١): «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله». ثم عن الروح يقول هكذا (يو ١: ٤): «فيهِ كانت الحياة والحياة كانت نور البشر». اعني في الله الكلمة والحياة يريد بها الروح. واما قولهُ «كان الكلمة» لا يشير بذلك أنّ لهُ بداية بل يعني انهُ كان قبل الدهور. ثم بالكلمة لا يدلّ على خلقتهِ بل على ازليته على انهُ غير مخلوق. واذا كان الروح هو الحياة فالحياة موجودة في الله منذ الازل فالروح اذاً موجود في الله ازلياً وروح الله فهو حياة ونور للبشر

ثم عيسى عليهِ السلام لما كان يخاطب اباهُ قال (يوحنا ١٧: ٥): «الآن مجّدني يا ابتاه بذاك المجد الذي كان لي عندك من قبل انشاء العالم». فبهذا يثبت انهُ كان لهُ مجدٌ قبل كل الخلائق وليس لمجده بداية من حيث يقول «بذاك المجد الذي كان لي عندك قبل انشاء العالم». وحينما عرّج الى السماء أمر الحواريين قائلاً (متّى ٢٨: ١٩): «اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس». فعيسى عليهِ السلام لم يكن ليُحصي المخلوقات مع الخالق ولا الذي هو زمنيّ مع الذي

ليس له بداية ولا نهاية. وكما ان الاشياء المختلفة بالطبيعة كالشمس والحجر والفرس واللؤلؤ والنحاس الخ لا يحصيها المتطقيون بعضها مع بعض بل يعدّون مثلاً ثلثة لآلئ مع بعضها او ثلثة نجوم مساوية لبعضها بالطبيعة وتشبهُ بعضها بعضاً في كل شيء هكذا المسيح لم يقدر ان يعدّ الكلمة والروح مع الله لو لم يعرف انهما متساويان بالطبيعة والّا كيف يمكن ان يساوي اللهَ بالاكرام والسلطان الملكي ذاك الذي ليس هو إله بالطبيعة. وهل يشترك بالجوهر من هو زمنيّ مع الازليّ اذ ليس للعبيد ان يشتركوا بالاكرام الملكي بل للبنين

ثم قال لي ملكنا: ايُّ تمييز يوجد بين الابن والروح وكيف إنّ الابن ليس بالروح والروح ليس بالابن اذ لا يوجد فرق عند الله بان يكون مُولِدًا او مُصدِرًا لانك قلتَ « انهُ بسيط وغير مركَّب »

فجاوبناهُ قائلين: ايها الملك إنّ الاقانيم نظرًا الى الجوهر لا يوجد بينهم تمييز البتّة ولكن نظرًا الى بعضهم بعض يوجد هذا التمييز وهو إنّ الواحد لهُ خاصّة ان لا يولد والآخر أن يولد والاخر ان ينبثق فالآب هو مبدأ للابن والروح القدس معاً فيلد ذاك ويُصدر هذا منذ الازل وذلك ليس بانفصال وانقسام جسميّ ولا بواسطة الاعضاء المولّدة والمُصدرة على ان الله ليس بمركَّب ولا بجسم. والانفصال والاعضاء تُقال عن الاجسام وكل جسم هو مركَّب فاذًا الانفصال والاعضاء هي مختصة ايضاً بالاشياء المركَّبة والاجسام. والله ليس بذلك فاذًا لا يمكن ان يعتريهُ تعالى شيءٌ من الانفصال والانقسام المذكورَين. ولنا تشبيه آخر في الطبيعة وهو إنّ من النفس تتّلد الكلمة وتصدر المحبّة دون انفصال وبلا واسطة الاعضاء والمحبة مميَّزة عن الكلمة والكلمة ليست بالمحبة. وكذا الشمس فانها تُصدر النور والحرارة وليس ذلك بانفصال او باعضاء مخصصة فالنور يتّلد كلهُ من الشمس كلّها والحرارة تصدر من دائرة الشمس كلّها. ثمّ انّ الكلمة والمحبة باسرهما موجودتان عند النفس. والنور والحرارة كذلك هما عند الشمس ولا يختلط النور بالحرارة ولا الحرارة تختلط بالنور. كذا الكلمة والروح الواحد يتّلد والاخر يصدر من الله الآب ليس بانفصال ولا بواسطة اعضاء مخصصة بل بنوع غير مدرك وغير محدّد والابن لا يكون الروح والروح لا يكون الابن نظرًا الى خاصّتهما. ثم كما ان الرائحة والذوق يصدران من التفّاحة فليس الرائحة

تصدر من جزء والذوق من جزء آخر بل كلاهما يصدران من التفاحة كلها فالذوق لا يكون الرائحة ولا الرائحة تكون الذوق. هكذا يتلد الابن من الآب ويصدر منهُ الروح بنوع غير محدَّد اعني الازلي يخرج من الازلي وغير المصنوع يصدر من غير المصنوع فالآب والابن والروح القدس لا ينفصلون من بعضهم بعض ولا يمتزجون ولا يختلطون ويتميَّزون بالاقانيم ويتساوون بالطبيعة لان الله تعالى هو واحد بالجوهر والطبيعة ومثلَّث بالاقانيم

ثم قال لي ملكنا: ان كان الاقانيم لا ينفصلون ولا يفترقون من بعضهم بعض فاذاً الآب والروح القدس تجسَّدا مع الكلمة ؟

فجاوبنا قائلين: كما ان كلمة الملك اذا اتحدت اي سُطرت في القرطاس ليس يقال عن نفسهِ وذهنهِ انهما اتحدا اي رُسما في القرطاس مع ان نفسهُ وذهنهُ لا ينفصلان من كلمتهِ. هكذا كلمة الله اتخذ جسداً من دون ان ينفصل ويفترق من الآب والروح القدس ولا يقال عن الاب والروح القدس انهما اتخذا جسداً. وكما ايضاً ان الكلمة التي تتلد من النفس تلبس الصَّوت بواسطة مفعولات الهواء من دون ان تنفصل من النفس والذهن. ولا يقال عن النفس وعن الذهن انهما لبسا الصوت اذ لا واحد يقول قط «انني سمعتُ نفس فلان او ذهن فلان» بل يقول «سمعت كلمة فلان التي ليست بعيدة عن النفس والذهن ولا تنفصل وتفترق منهما». كذا كلمة الله اتخذ جسدنا ولا انفصل ولا ابتعد عن الآب والروح ولا يقال قط عن الآب والروح انهما لبسا بجسد مع الكلمة

وبعد ما شرحنا ذلك قال لنا ملكنا: من هو رأسك ومرشدك ؟

جاوبتهُ: انهُ يسوع المسيح عليهِ السلام

ثم سألني الملك: هل ان المسيح كان مختتناً ام لا ؟

فجاوبتهُ: نعم

فقال لي الملك لماذا اذاً انت لا تختتن اذا كان رأسك ومرشدك يسوع المسيح قد اختتن فيلزمك من الضرورة ان تختتن انت ايضاً

فجاوبتهُ قائلاً: أيها الملك ان يسوع المسيح قد اختتن واعتمد ايضاً وختانتهُ كانت بعد ثمانية ايام حسب امر الناموس وعمادهُ صار بعد ثلاثين سنة تقريباً وابطل

الختانة بعماده فالمسيح حفظ الناموس كلهُ ليجذب اليهود الى الخلاص وانا لستُ ملتزماً بان أحفظ الناموس الّا الانجيل. فلأجل ذلك ولو كان المسيح قد اختتن فانا لا اختتن بل اعتمد بالماء والروح مثلهُ واعتقد به لأن المسيح اعتمد فالضرورة تلزمني بالعماد وبذلك اترك الظلمة والرمز واتبع الاصل والحقيقة

ثم سألني الملك : كيف ابطل يسوع عليهِ السلام الختان وما هو الرمز الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبناهُ : ايها الملك انَّ التوراة باسرها كانت رمزاً للانجيل . والذبائح التي كانت مسطورة في الناموس كانت رمزاً لذبح المسيح. ثم الكهنوت وحبريّة الناموس كانتا رمزاً لكهنوت المسيح وحبريّتهِ والختانة الجسديّة كانت رمزاً لختانتهِ الروحيّة . وكما ابطل بانجيلهِ التوراة وبذبحهِ الذبائح وبحبريّتهِ الحبريّة الناموسيّة هكذا قد ابطل الختانة التي كانت تكمل بفعل الايادي البشريّة بختانتهِ (اي بعمادهِ) التي لم تصر بفعل ايادي البشر بل بقوّة الروح القدس وهي سرٌّ من أسرار ملكوت السماء ورمزٌ عن القيامة من بين الاموات

فقال لي ملكنا : اذا كان عيسى عليهِ السلام أبطل الناموس وجميع اوامرهِ فاذاً كان عدوّاً لهُ ومضاداً لان المضادة تقال عن الاشياء التي تنقض بعضها بعضاً ؟

فجاوبناهُ قائلين : كما انَّ ضياء النجوم يبطل بنور الشمس والافعال الطفوليّة بافعال الرجوليّة والكمال والملكوت الارضي بالملكوت السماوي فلا يقال انَّ الشمس هي مضادة للنجوم او الانسان لذاتهِ او ملكوت الله لملكوت البشر هكذا لمّا ابطل عيسى عليهِ السلام الناموس الموسوي بانجيلهِ ليس هو مضاداً لهُ ولا عدوّاً

فلكنا قال لي : من حين ولادة عيسى عليهِ السلام الى صعودهِ الى السماء اين كان يصلّي ويسجد أليس في البيت المقدس وفي اورشليم ؟

فجاوبناهُ : نعم

فقال لي الملك : فلماذا انت تسجد وتصلّي لله في المشرق ؟

فجاوبناهُ : ايها الملك إنَّ السجدة الحقيقية هي التي تصير من البشر لله في ملكوت السماء وان الفردوس الارضي كان رمزاً عن الجنة السموية والحال ان الفردوس كان

في المشرق فاذاً بالصواب نحن نسجد ونصلّي في المشرق حيث كان الفردوس الارضي الذي كان رمزاً عن الجنّة كما قلنا (١

حينئذٍ قال لي ملكنا : ماذا تقول عن عيسى عليهِ السلام هل صلّى هو ايضاً وسجد ؟

فجاوبناهُ : نعم هو ايضاً صلّى وسجد

ثم قال لي ملكنا : انك بهذا القول تنكر لاهوت المسيح . ان كان قد صلّى وسجد فليس بإله وان كان إلهاً فلم يصلِّ ولم يسجد؟

فجاوبناهُ : بما انهُ اله لم يسجد ولم يصلِّ بل لهُ يُسجدَ ويُصلّى . وبما انه انسان سجد وصلّى وقد بيّنّا آنفاً انهُ اله وانسان معاً

بعد ذلك ملكنا انتقل من هذا البحث الى موضوع آخر وقال لي : ما هو السبب انك تقبل المسيح والانجيل من شهادة التوراة والانبياء ولست تقبل شهادة المسيح والانجيل عن محمّد عليهِ السلام؟

فجاوبتهُ قائلاً : ايها الملك اننا اقتبلنا عن المسيح شهاداتٍ كثيرة من التوراة والانبياء جميعهم يشهدون اتّفاقاً على ذلك تارةً يشهدون عن امّهِ قائلين (اشعيا ٧ : ١٤) : «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً» . ومن ذلك نعلم انهُ قد حُبل بهِ ووُلد من دون اقتران رجلٍ مع امرأة كذا كان يليق بكلمة الله الذي وُلد من الآب دون امّ أن يولد من امّ دون ابٍ لتكون ولادتهُ الثانية شهادة عن ولادتهِ الاولى . وتارةً يصرّحون لنا فيقولون أنهُ (اش٧ : ١٤و٩ : ٦) «يُدعى اسمهُ عمانويل وعجيباً ومشيراً وإلهاً قديراً رئيس العالم» . وتارةً يتكلمون عن عجائبهِ ومعجزاته هكذا (اش ٣٥ : ٤—٦) : «ها ان إلهكم يأتي منتقماً وجزاء الله نفسه يأتي ويخلصكم حينئذٍ تتفتح عيون العميان وتتفتح آذان الصُمّ حينئذٍ يقفز الاعرج مثل الغزال ويترنّم لسان الابكم» . وتارةً يعلّمونا عن آلامهِ قائلين (اشعيا ٥٣ : ٥) : «هو يُذبح لاجل خطايانا ويتضع لاجل آثامنا» . ثم عن قيامتهِ يقولون (مز ١٥ : ١٠) : «لانك لم تترك

١) كانت عادة المؤمنين لاسيّما الشرقيين ان يتّجهوا في صلاتهم الى الشرق لظهور السيّد المسيح في الشرق ولأن النبي زكريا (٦ : ١٢) دعاهُ باسم المشرق وانما هذا من باب اللياقة ليس من باب الفرائض

نفسي في الجحيم ولم تعطِ لصفيك ان يرى الفساد» وقال (مز ٢ : ٧) : «والرب قال لي انت ابني وانا اليوم ولدتك» . ثم عن صعوده الى السماء قيل (في مز ٦٧ : ١٩) : «صعدتَ الى العلاء وسبيت سبياً وقبلت مواهب لبني البشر» : وايضاً : (مز ٤٦ : ٦) «صعد الله بالمجد والرب بصوت البوق» . وفي محل آخر قيل عن مجيئهِ الثاني من السماء (دانيال ٧ : ١٣—١٤) : «وكنتُ ارى في رؤيا الليل واذا مع سحاب السماء مثلُ ابن بشر جاء ووصل الى القديم الايام وقدَّموهُ الى قدامه فأُعطيَ سلطاناً وكرامةً وملكوتاً لتتعبد لهُ كل الشعوب والامم والالسنة ان سلطانهُ سلطان ابدي لن ينزع وملكوتهُ لن ينقضي» . فهذه الآيات وغيرها كثيرة تشهد جليًّا عن يسوع المسيح . ولكن لم أرَ البتة آية واحدة في الانجيل او في الانبياء وغيرهم تشهد عن محمد وعن اعمالهِ واسمهِ

حينئذٍ ملكنا الحليم الوديع اشار اليَّ ان لا اقول اكثر من هذا . ثم سالني تكرارًا الم ترَ شهادةً عن محمد عليهِ السلام ؟

فجاوبتهُ : كلَّا ايها الملك محب الله

فسالني : ومن هو الفارقليط (١ ؟

فجاوبتهُ : ان الفارقليط هو روح الله

فسألني الملك : وما هو روح الله ؟

فجاوبتهُ : ان روح الله هو الله ذو الطبيعة الالهية ولهُ خاصة ان ينبثق كما علمنا عنهُ يسوع المسيح

وملكنا المعظم قال لي : ومن هو الذي تكلم عنهُ عيسى عليهِ السلام ؟

فجاوبتهُ : ان المسيح قال لتلاميذهِ لمَّا صعد الى السماء « أرسل لكم الروح الفارقليط الذي ينبثق من الآب الذي العالم لم يقدر ان يقبلهُ وهو عندكم وفي وسطكم الذي يعرف كل شيء ويفحص كل شيء حتى اعماق الله وهو يذكركم بجميع الحق الذي قلتهُ لكم . ذاك يمجدني لانه ياخذ مما لي ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١٤)

فملكنا قال لي : هذه جميعها تدل عن مجيء محمَّد عليهِ السلام

فجاوبتهُ قائلًا : ان كان محمد هو الفارقليط فالفارقليط هو روح الله فاذًا محمد

---

١) فارقليط لفظة يونانيَّة (Παράκλητος) وردت مرارًا في الانجيل ومعناها المحامي والمعزّي وقد زعم بعض المسلمين انها تصحيف (περικλυτός) بمعنى الشهير اي محمَّد

هو روح الله . وروح الله ليس بمحدود كآدم فاذاً محمّد هو غير محدود . والذي هو غير محدود لا يُدرك بالنظر فاذاً محمد لا يُدرك بالنظر . والذي هو غير مدرك بالنظر هو غير مجتم فاذاً محمّد هو غير مجتم . والذي هو غير مجتم هو غير مركب فاذاً محمّد هو غير مركب . وان كان محمّد هو مركب ومجتم ومنظور ومحدود فليس هو بروح الله والذي ليس هو بروح الله ليس هو الفارقليط فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط . ثم ان الفارقليط هو من السماء ومن طبيعة الآب ومحمّد هو من الارض من طبيعة آدم فاذاً محمّد ليس بالفارقليط . والفارقليط ايضاً يعرف أعماق الله (١ كور ٢ : ١٠) ولكن محمّد يعترف بانهُ يجهل ايضاً الامور التي تُصنع بهِ وبالذين يؤمنون بهِ فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط . ثم ان الفارقليط كان مع الحواريين وفي وسطهم كما قال المسيح اذ كان يخاطبهم (يو١٤ : ٥٧) ومحمد لم يكن مع الحواريين ولا في وسطهم . فاذاً ليس هو بالفارقليط . وايضاً ان الفارقليط بعد عشرة ايام لصعود عيسى عليهِ السلام الى السماء تظاهر للحواريين (اعمال٢ : ١—٤) ومحمّد ظهر بعد ستمائة سنة ونيّف فاذاً محمّد ليس بالفارقليط . وايضاً ان الفارقليط علّم الحواريّين عن الله انهُ بثلثة اقانيم (يو١٦ : ١٣) ومحمّد لا يعتقد بذلك فاذاً ليس هو بالفارقليط . ثم ان الفارقليط قد صنع على ايادي الحواريين معجزات كثيرة وآيات متعدّدة ومحمّد لم يصنع آية واحدة على ايدي اصحابهِ وتابعيهِ فاذاً ليس هو بالفارقليط . ثم ان الفارقليط هو مساوٍ للآب والابن بالطبيعة ومن ذلك يُعرف انهُ ايضاً خالق القوّات السماوية مثلما قال داود النبي عن روح الله (مزمور ٣٢ : ٦) : « وبروحهِ خُلقت جميع القوات السموية والارضيّة » والحال ان محمداً ليس هو بخالق فاذاً ليس هو بالفارقليط . فلو كان صار لهُ ذكرٌ في الانجيل لكان ينبغي ان يصرّح عن مجيئهِ واسمهِ وذكر امّتهِ وشعبهِ في الكتب كما يوجد محرّرًا عن مجيء عيسى عليه السلام في التوراة والانبياء بنوع واضح فلا شيء من ذلك مذكور عنهُ البتة وليس لهُ ذكرٌ في الانجيل قط

وملكنا محب الله قال لي : كما صنع اليهود في عيسى عليهِ السلام وما قبلوهُ هكذا فعل النصارى ايضاً في محمّد عليهِ السلام ولم يقبلوهُ

فجاوبتهُ قائلًا : ان اليهود اذ لم يقبلوا المسيح استحقّوا الجزاء والقصاص لان التوراة والانبياء مشحونة من البراهين والشهادات عنهُ ولكن نحن لم نقبل محمّداً من

حيث ليس لنا برهان واحد عنهُ في كتبنا فلذلك ليس لنا ذنب في هذا

فالملك قال لي: كانت موجودة في كتبكم براهين وشواهد كثيرة عن محمد عليهِ السلام ولكنكم أفسدتم الكتب وحرّفتموها

فجاوبتهُ قائلاً: أيها الملك من أين لكم معلومات بأننا حرّفنا الكتب واين يوجد ذاك الكتاب الخالي من التحريف الذي علمتم منهُ أننا قد حرّفنا كتابنا؟ ائتوا بهِ لنراهُ ونتمسّك بهِ ونترك الكتاب المحرّف. فمن اين اذاً تعرفون بان الانجيل هو محرّف وأيّة فائدة كانت لنا من تحريفهِ؟ فلو وُجد ذكرُ محمد في الانجيل لما كنّا نرفع اسمهُ منهُ بل كنّا نقول: انهُ لم يأتِ بعدُ وليس هو هذا الذي تقولون انتم عنهُ بل نزمع ان يأتي كما ان اليهود لم يستطيعوا ان يحذفوا اسم عيسى عليهِ السلام من التوراة والانبياء. بل يخاصمونا قائلين: ان المسيح لم يأتِ بعد الى العالم بل سوف يأتي وبذلك يشبهون العميان الذين ليس لهم عيون وينكرون ظهور الشمس في نصف الظهر. هكذا نحن ايضاً لم نكن نستطيع ان نرفع اسم محمد من الكتاب بل كنّا نحاجّكم عن الزمان وعن الشخص كاليهود. ولكن اقول الحق لو رأيتُ نبوّة واحدة في الانجيل عن مجيء محمد لتركتُ الانجيل وتبعتُ القرآن وكنت انتقل من هذا الى هذا كما انتقلتُ من التوراة والانبياء الى الانجيل

ثم ملكنا قال لي: ماذا تقول عن كتابنا اليس هو منزل من الله؟

فجاوبتهُ قائلاً: ان كان منزلاً من الله لا استطيع ان احكم بذلك ولكن اقول ان كلام الله المسطور في التوراة والانبياء والانجيل والحواريين قد تثبّت كلهُ بآيات ومعجزات كما لا يخفى ايضاً عن رويّتكم ولكن اقوال هذا الكتاب لم تُثبت بآيةٍ واحدة قط. وكان ينبغي ان تظهر بحقّهِ آيات ومعجزات اخرى كما ان الله عزّ وجلّ لمّا اراد ان يُبطل العهد العتيق الذي كان قد اثبتهُ بآيات ومعجزات كثيرة ويجعل عوضهُ الانجيل صنع آياتٍ اخرى وعجائب على يد عيسى عليهِ السلام والحواريين فثبّت الانجيل وابطل العهد العتيق. هكذا كان يقتضي ان يصنع معجزات وآيات جديدة لاجل اثبات القرآن وتبطيل الانجيل وذلك لان الآيات والعجائب هي برهان قاطع عن ارادتهِ تعالى ومن ذلك تعلم رويّتكم النتيجة

وملكنا المظفّر قال لي: من هو ذاك الذي قيل عنهُ انهُ شوهد وهو راكبٌ جملاً؟

فجاوبناهُ قائلين : ان هذه الآية أتى بها اشعيا النبي (٢١ : ٧) حيث يقول «فأبصر ركّاباً ازواج فوارس من راكب حمار ومن راكب جمل»

فلكنا سألني : من هو الراكب حمارًا والراكب جملًا ؟ . فجاوبتهُ ان الراكب حمارًا هو داريوش بن احشورش الماديّ والراكب جملًا هو كورش الفارسيّ الذي هو من عيلام وهو ضبط مملكة الماديّين واضافها الى مملكة الفرس . وداريوش المادي قد ضبط مملكة البابليّين واضافها الى مملكة الماديين

وملكنا سالني كيف تثبت ذلك ؟ فجاوبتهُ انني اثبت هذا من سياق الكلام لان النبي اشعيا قد قال سابقاً في ذات الاصحاح المذكور (عد : ٢) : «إصعدي يا عيلام وحاصري يا ماداي» . فبعيلام اشار الى كورش الفارسي الراكب جملًا . وبماداي اشار الى داريوش الراكب حمارًا . ثمَّ يقول (في العدد ٩) : النبي المشار اليه : «واذا بركب من الرجال وأزواج من الفرسان أتوا . فاجاب وقال : سقطت سقطت بابل» فيشير جليًا بهذه الآية الى داريوش وكورش لانهما قرضا مملكة البابليين

ثم سألني ملكنا قائلًا : «لماذا شُبهت هذه الممالك براكب جمل وراكب حمار ؟

فجاوبتهُ قائلًا : «لان في ناحية الماديّين توجد على الاكثر حمير . وفي ناحية فارس وعيلام توجد جمال . فبدوابّ الحمير والجمال يشير النبي بالاستعارة الى النواحي . وبالنواحي الى الممالك التي كان عتيدًا ان يخرج منها الملكان المشار اليهما . ثم ان مملكة الماديّين كانت مُزمعة ان تصير رخوةً وضعيفة ومملكة الفرس او عيلام كانت عتيدة ان تصير قوية ونشيطة فلذلك شبَّه الله مملكة الماديّين بالحمار الرخو والفُرسَ اوعيلام بالجمل القويّ والنشيط . وايضاً دانيال النبي (في الاصحاح ٧ والعددين ٥و٦) شبَّه مملكة الماديّين بالدبّ الرخو ومملكة العيلاميين والفُرس بالنمر السريع الحركة حيث يقول : «واذا بالحيوان الآخر الثاني كشبه الدبّ وقف ناحيةً وفي فمهِ بين اسنانهِ ثلاث أضلع . . . ثمَّ كنتُ أنظر واذا الآخر مثل النمر ولهُ اربعة اجنحة مثل الطائر على ظهرهِ» . ثم في دانيال (٢ : ٣٢—٣٣) قد شبَّه الله تعالى مملكة الماديّين بالفضّة لانها لينة والفُرس والعيلاميين بالنحاس لانهُ صلب . فاذًا يريد النبي اشعيا بالحمار مملكة الماديّين وبالجمل مملكة الفرس والعيلاميين

وملكنا قال لي: ان راكب الحمار هو عيسى عليهِ السلام . وراكب الجمل هو محمّد عليهِ السلام

فجاوبتهُ قائلًا : ان ترتيب الازمنة والامور ينفي نسبة هـذا المعنى الى يسوع ومحمّد في هذا الموضع وتُعلّم الحقيقة من ملاحظة الأزمنة ورؤيات الانبياء فيُستدَلّ بها ان لفظة الحمار تشير الى الماديين ولفظة جمل الى العيلاميّين ولا الى اشخاص آخرين . فربّما عبارة الحمار أطلقها اناسٌ اضطرارًا على يسوع اذ يوجد في موضع آخر مسطور عنهُ في زكريا (ص ٩ عد ٩) : « ابتهجي يا بنت صهيون ها هوذا مَلِكُكِ يأتيكِ وهو عادلٌ ومنصورٌ وديعٌ وراكبٌ حمارًا وجحشًا ابن اتان» . واما عبارة الجمل فلا يمكن ان تُطلَق على محمد البتة

فملكنا قال لي : ولايّ سبب؟

جاوبتهُ لان يعقوب النبي قـال في سفر التكوين (ص ٤٩ عد : ١٠) : «لا يزول القضيب من يهوذا (اي قضيب الحكم) والمدبّر من بين رجليهِ (اي ذو النبوّة) حتى يجيءَ الذي لهُ (اي ليسوع المسيح الملك والحكم) ولهُ يكون خضوع الشعوب » . فبذلك يبيّن يعقوب المذكور ان بعد مجيء عيسى تنتهي الانبياء والنبوّات . وايضـاً دانيال النبي قـال (ص ٩ عد : ٢٥) : « فـاعلم وأدرِ انّهُ من خروج الكـلام لتُبنىَ ايضاً اورشليم الى المسيح القائد سبعة اسابيع واثنـان وستون اسبوعاً . ويبنى ايضـاً السُوق والسُور في ضيقة الاوقات» وكذا (عد : ٢٦) « وبعد الاثنين والستّين اسبوعـاً يُقتَل المسيح ولا يكون لهُ وشعبُ الرئيس الآتي يخرب المدينة والقدس » فبذلك بيّن دانيال النبي ان في المسيح تتمّ الانبياء والرؤيات . ويسوع نفسهُ قـال ايضاً (متّى ١١ : ١٣) : «ان جميع الانبياء والتوراة تنبأوا الى يوحنا المعمدان» فاذًا جميع النبوّات التي صارت انتهت بالمسيح ومن بعد المسيح لا تكون نبوّة ولا نبي فالانبياء جميعهم تنبأوا عن يسوع المسيح . والمسيح علّمنا عن ملكوت السماء فلم يَعُد يفيدنا ان نكتسب معرفة اخرى دائر الامور البشرية والارضية بعد اكتسابنا المعرفة عن سرّ اللاهوت وملكوت السماء . لان الانبياء تنبأوا تارةً عن امور هذا العالم وعن ممالكهِ وتارةً عن ظهور كلمة الله بالجسد . واما المسيح فانّهُ لم يعلّمنا عن الامور البشرية بل عن الامور الالهية وعن ملكوت السماء كما قلنا . فاذًا ان كانت النبوّات قد انتهت بالمسيح

كما رأينا ومن عهد المسيح فيما بعد يبشر بملكوت الله كقوة يسوع فباطلاً اذاً وعبثاً يكون اعتقادنا في نبوّة اخرى بعد تجسّد كلمة الله المسجود لهُ لان الترتيب الحسن والجيّد هو ذاك الذي يُصعدنا من اسفل الى فوق اي من الأمور البشرية الى الأمور الالهية ومن الارضيّات الى السماويات . واما النزول من فوق الى أسفل ومن الأمور الالهيّة الى الأمور البشريّة ومن السماويّات الى الارضيّات فهو ترتيب معكوس ومرذول

وملكنا الحليم الملوّ حكمةً قال لي: ماذا تقول عن محمّد ؟

فجاوبتهُ قائلاً: ان محمّداً يستحقّ المدح من جميع العرب وذلك لاجل سلوكهِ معهم في طريق الانبياء. وعبّي الله لان سائر الانبياء قد علّموا عن وحدانيّة الله ومحمّد علّم عن ذلك فاذاً هو ايضاً سلك بطريق الانبياء. ثم كما ان جميع الانبياء أبعدوا الناس عن الشرّ والسيّئات وجذبوهم الى الصلاح والفضيلة هكذا محمّد أبعد بني أمّتهِ من الشرّ وجذبهم الى الصّلاح والفضائل فاذاً هو ايضاً قد سلك معهم في طريق الانبياء. ثم ان جميع الانبياء منعوا بني البشر من سجدة الشياطين وعبادة الاوثان وحرّضوهم الى عبادة الله عزّ وجلّ والسجود لجلالتهِ هكذا محمّد منع بني أمّتهِ من عبادة الشياطين والسجدة للاوثان وحرّضهم على معرفة الله والسجود لهُ تعالى الذي هو وحدهُ وليس بإلهٍ آخر سواهُ . فقد اتّضح اذاً ان محمّداً سلك معهم في طريق الانبياء. ثم ان كان محمّد قد علّم عن الله وكلمتهِ وروحهِ فجميع الانبياء تنبأوا عن ذلك فمحمّد اذاً قد سلك في طريق الانبياء. فمن لا يمدح ويكرّم ويبجّل ذاك الذي حارب من اجل الله ليس بالكلام فقط بل بالسيف ايضاً أظهر الغيرة لاجل الباريء تعالى. وكما فعل موسى النبيّ في بني اسرائيل الذين صنعوا عجلاً من الذهب وسجدوا لهُ فقتل بالسيف واباد جميع الذين سجدوا للعجل هكذا محمّد ايضاً صنع لمّا أظهر الغيرة لاجل الباريء سبحانهُ تعالى فالذين كانوا يتبعونهُ في اكرام الله ومخافتهِ كان يمجّدهم ويكرّمهم ويمدحهم ويعدهم ايضاً بالخير والمجد والاكرام من لدن الله في هذا العالم وفي الآخرة بالجنّة والذين كانوا يعبدون الاصنام ويسجدون لها كان يحاربهم وينذرهم بعذابٍ أليم في نار الجحيم التي بها يحترق المنافقون وهم فيها خالدون. وكما فعل ابرهيم خليل الله الذي ترك الاوثان وابناء جنسهِ وتبع الله وسجد لهُ فصار يعلّم وحدانيّة الله للأمم هكذا صنع ايضاً

محمّد لمّا ترك سجدة الاوثان والذين كانوا يسجدون لها من بني جنسهِ وغيرهم من الغرباء. فـاكم فقط ذاك الذي هو وحدهُ إله الحق وسجد لهُ . لاجل ذلك عظّمهُ الله تعالى جدًّا واخضع تحت مواطئ قدميهِ الدولتين القويّتين اللتين كانتا تزأران كالاسد وكالرّعد فكان يُسمع في العالم صوت كليهما أعني دولة الفُرس ودولة الرومانيّين فالأولى كانت تسجد للمخلوقات عوض خالقها والاخرى كانت تنسب آلاماً وموتاً لذاك الذي لا يتـألم ولا يموت (١ مطلقاً فوسّع الله تعالى سعة مملكته بيد أمير المؤمنين واولادهِ من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى الجنوب فمن لا يمدح أيها الملك المظفر ذاك الذي مجّدهُ الله وبجّلهُ ؟ فذلك ما نقولهُ عن محمّد أيها الملك المظفر

وملكنا قال لي: فاذاً ينبغي لك ان تقبل كلام النبي

فجاوبتهُ: عن ايّ كلام يقول ملكنا ؟

فقال لي الملك: الكلام الذي يقولهُ عن الله انهُ واحد وليس آخر دونهُ

فجاوبتهُ قائلًا ان الاعتقاد بإله واحد قد تعلّمتهُ ايها الملك من التوراة والانبياء والانجيل وبهِ انا متمسك ومن اجلهِ أموت

وملكنا المظفر قال لي : انّك تؤمن وتعتقد باله واحد كما قلت ولكن تقول ان هذا الإله هو مثلّث وواحد

فجاوبتهُ : لا أنكر ذلك ايها الملك بل اعترف باله واحد وهو مثلّث ولكن ليس مثلث بالألوهيّة بل باقانيم حكمتهِ وروحهِ وانه ايضاً مثلّث وواحد ولكن ليس واحداً بالاقانيم بل بالالوهيّة كما ثبتنا ذلك أنفاً

فملكنا المظفر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب؟

فجاوبتهُ قائلًا : أنّنا نسجد للصليب لانّهُ علّة الحياة

(لهُ صلة)

---

١) اشار بذلك الى الشيعة المتوفيسيّة او اليعقوبيّة القائلة بوحدة الطبيعة في السيّد المسيح. فكان اصحابها ينسبون آلامهُ وموتهُ الى الطبيعة اللاهوتيّة . وتبعهم في ذلك بعض ملوك الروم

الطريد الارمني ونجاتهُ من الاتراك

كتبها الفتى الطريد بدروس اراكليان

كان مولدي يوم عيد الميلاد عند الارمن سنة ١٩٠١ في مدينة من ولاية قونية جميلة المنظر مشرفة على بطحاء تسيل فيها الينابيع الصافية تدعى بالتركية نوشهر اي المدينة الجديدة لحداثة نشأتها وهي احدى قائمقاميات سنجق نكدى يبلغ عدد اهلها نحو ٢٥،٠٠٠ منهم ١٥،٠٠ تركيّ والباقون من اليونان ثمّ الارمن الغريغوريين وقليل من الكاثوليك. وكان اهلي من طائفة الارمن الغريغوريين فاصبحتُ يتيماً بوفاة والديّ وانا صغير السنّ

فلمّا بلغتُ من العمر عشر سنين كان المرسل الغيور الاب حنّا غرنسو (J. Grannsault) اليسوعي يتردّد على مدينتنا ويسعى بشؤون طائفة الارمن الكاثوليك حتّى باشر لهم بتشييد كنيسة مع راعيهم الفاضل الخوري جان اطمنيان . وكان هذا يعرف قرابتي فعرض على اعمامي ان يرسلني الى مدرسة الآباء اليسوعيين في قيصريّة لأتخرّج هناك في مدرستهم الرسوليّة فرضوا بذلك ورضيتُ بهِ فرحاً وقضيت سنتين في قيصريّة ارضع فيها افاويق التقوى والعلوم مع نخبة من اولاد الارمن

فلمّا كانت سنة الحرب ١٩١٤ عدتُ الى وطني لأقضي فيهِ وقت العطلة السنويّة ثمّ عدتُ الى قيصريّة في اواخر تشرين فرّ بنا الاب لوبون اليسوعي (P. Lebon) واختار منّا خمسة لينقلهم الى مدرسة اكليريكيّة جديدة أُنشئت في اماسية وكنت انا احد الخمسة . وكان موعد سفرنا في اوائل تشرين الثاني فقضينا نحو شهرين في دنديل المجاورة لقيصريّة حيث كان حضرة الاب غرنسو ردّ قوماً من الارمن الى الكثلكة واقام لهم كنيسة

فلمّا حان وقت سفرنا ونحن ننتظرهُ بفروغ الصبر اذ اتانا من قيصريّة الاب غرنسو وانبأنا بدخول الدولة العثمانيّة في الحرب وبسفر الآباء المرسلين الى فرنسة وامرنا بالرجوع الى قيصريّة . فكان لهذا الخبر اسوأ وقع في قلوبنا . وكان معنا الاخ اليسوعي بالبان الذي قتلهُ الاتراك بعد حين مع كاهنَين ارمنيَّين كاثوليكيين بين سيواس

وقيصرية [illegible] فاتجهنا الى قيصرية حيث ودّع الآباء قبل سفرهم الى فرنسة . لكنّ الاب الرئيس اوصى بنا السيّد انطون بهامنيان اسقف قيصرية الارمني ورغب اليه ان يبلّغ كلًّا منّا الى وطنه . فبقيت في الدار الاسقفيّة نحو شهرين ثم قفلتُ راجعاً الى مسقط رأسي في نوشهر وذلك في فصل الشتاء . وسكنت عند اهلي الى شهر آذار من السنة ١٩١٥

ونحن لكذلك اذ سمعنا في سحر احد ايّام الشهر المذكور منادياً يجول في البلد صارخاً : « أيها الارمن استعدّوا للخروج من المدينة » . وبعد قليل نحو الساعة الخامسة صباحاً تهافت مأمورو الحكومة الى بيوت الارمن مع الشرط المسلّحين بالبنادق فاوقفوا الرجال من سنّ الخامسة عشرة الى الستين فأوثقوهم وسلّموهم الى الشرط الذين ساقوهم الى الحبس بالشتم والضرب . فاستمرّ ذلك نحو اربع ساعات حتّى لم يبقَ اثرٌ لرجال الارمن وشبّانهم . وبقيت النساء والصغار وكلّهم يبكون

ومع كوني لم ابلغ من العمر ثلث عشرة سنة ساقوني الى الحبس مع بقيّة الاسرى . وبعد ثلث ساعات جاء مفوّض الشرط مع خمسة من مأموري الحكومة وعشرين شرطيًّا وكلّهم شاكون في الاسلحة واخذوا يفتّشونا لعلّهم يجدون معنا فرودًا او سكاكين . ثم أفرز المفوّض من بين الاسرى الذين لم يبلغ عمرهم التاسعة عشرة وردّوهم الى اهلهم ليسافروا الى المنفى مع النساء

فخرجتُ من الحبس وتأهّبت للسفر مع اختي وابناء اعمامي وخالاتي . وكان والديّ قد توفّيا كما سبق ولم يبقَ لي غير اخٍ واحد واختي هذه واسمها وَرْد . اما اخي فكانت الحكومة اخذته كجندي وارسلتهُ الى الاستانة وكان هناك زوجُ اختي ايضاً . وكان اخي لمّا خرج من البيت اودع كلّ اثاثهِ في غرفةٍ أقفلها وسلّم مفتاحها الى عمّي . فطلبت منهُ المفتاح لأبيع ذاك الاثاث وننتفع بثمنهِ . فلمّا وصلتُ الى بيتنا وجدت الباب محطّماً وبعض شبّانٍ من الاتراك ينهبون ما فيهِ من الاثاث ويقتسمونها بينهم . فخفتُ على نفسي وعدتُ مسرعاً الى اختي لكي اخبرها بما عاينت . ولم يكن معي شيءٌ من الدراهم الّا ان اختي كانت اخذت معها عشرين ليرة تركيّة . امّا اثاث البيت فقطعتُ منهُ الامل ولو كنتُ عرضتهُ للبيع لمَا كان اشتراهُ مني احد لأن اهل البلد الاتراك كانوا عارفين انّ سفرنا سيكون مشياً ولا يمكننا ان نحمل اثاثنا

ففي تلك الليلة استحضرنا شيئاً من الزاد ما يكفينا لبضعة ايام مع ثلثة ألحفة وبعض الثياب . وفي الصباح أعطت الحكومة لكل عائلة حماراً الى اورلو قشله حيث توجد محطة للسكة الحديدية . وكنا نحن اربعة انا واختي وَرْد مع ولديها اغوب واراكل وعمرُ الاول ثماني سنين والثاني خمس سنوات . فاكفنا الحمار وجعلنا عليه حوائجنا واركبنا الولدين فوقها وسرنا انا واختي ماشيين بجانبيهما لنسندهما

ولما كانت الساعة التاسعة كنت ترى كلّ هذه عيال نوشهر الارمنية سائرةً على طريق بوزنتي . فيا لهُ من منظر ينفث الاكباد فلا يُسمَع الا عويل النساء اللواتي يبكين على ازواجهنَّ والاطفال على والديهم وليس لهم من يسهر عليهم وكلهم يجهلون ما سيكون نصيبهم وما سيحلُّ بالاسرى المحبوسين

وصلنا عند المساء قريباً من جدول ماء بجوار نكدى فنزلنا هناك في حقل وفرائصنا ترتعد خوفاً من عصابات اللصوص الذين تجمعوا لمطاردتنا وليس يخفرنا سوى شُرَطيَّين لا يهمُّهما امرُنا فانَّهما قالا لنا : « إن دفعتم لنا المبلغ كذا حميناكم والّا تركناهم وشأنكم لا بل نخبر اللصوص فيأتون ويسلبون كل مالكم ويقتلونكم » فكان كلامهما كسيف في قلوبنا كاد يخرجنا عن صوابنا . امّا النساء فاخذنَ يبكينَ ويولولن . الّا ان ذلك لم يؤثر فيهما الى ان قام احد الشبّان فجمع خمسة ريالات من كلّ عائلة واعطاهما اياها

فبتنا تلك الليلة بالهدوء . وفي الصباح الساعة السادسة رحلنا سائرين الى بلدة « اورلو قشله » التي بلغناها في اصيل النهار . وكانت البعض من عجائز النساء والبنات يتخلّفن عن القافلة لضعفهنَّ عن المشي فكان اشقياء اللصوص والشركس يسلبون ما عليهنَّ ويخطفون البنات

مكثنا في اورلو قشله خمسة ايام قضيناها تحت الخيام ننتظر مسير قطار السكة الحديدية . الّا انَّ البعض ركبوا عربات فسبقونا الى بوزنتي . امّا انا فواجهتُ رئيس المحطة في اورلو قشله وكان من اليونان فأحسن معاملتي وآنسني وسهّل لنا السفر عند ورود القطار ولولاهُ لاضطررنا ان نسير مشاةً ثلاثة ايام في وسط جبال شاهقة وغابات الشجر الكثيفة . فليت شعري ماذا كان حلّ بنا فلا شكَّ انَّ قوانا كانت خارت فنضطرّ الى ان نلقي قسماً من امتعتنا ! وكيف العمل مع الولدَين والصغيرُ يصيح مُعولاً اذا

ابتعدت امهُ عنهُ قليلاً ؟ فشكرنا الله على عنايته بنا

وفي الغد الساعة الثامنة من يوم الثلاثاء ٢٥ آذار سار بنا القطار فنقلنا الى بوزنتي التي اليها كان منتهى خطّ السكة الحديدية . وبوزنتي هذه قرية صغيرة الّا انها حريزة موقعها في مدخل جبال طورس وهي من حدود ولاية آطنة وصلنا اليها في مساء النهار وكان يلزمنا ان نسير منها الى طرسوس مدة يومين . فلم ندرِ ما نصنع اذ لا نستطيع المشي مع الصغار وكان الحوذيون يطلبون عشر ليرات اجرة عربة . فاتفقنا اخيراً مع عائلة أخرى وتقاسمنا نفقة العربة . وكم وجدنا في طريقنا من فقراء ومبؤوسين بل من النساء الرخائص والمترّفات وهنّ لم يعتدنَ المشي كنّ يدلفنَ ويسقطن مراراً لعجزهنّ ومعهنّ اطفالهنّ في اسوإ حالة لا يشأنَ ان يتركنهم او يمشينَ معهم . وكنّ يصرخنَ الى السابلة : «ألا من يُحسن يسعفنا وينظر الى شقائنا» ولكن «لا سماعَ لمن تنادي »

قضينا سبعة ايام في طرسوس وساقونا منها الى آطنة حيث مكثنا شهراً ثمّ اخذونا الى عثمانية فنزلنا هناك في سهل فنصبتُ للحال خيمتنا الصغيرة ليستظلّ تحتها صغارنا وهناك تفاقمت اوجاعنا . فانّا كنّا صرفنا كلّ دراهمنا ونحن نتوقّع اسفاراً بعيدة . وكانت اختي تهطل الدموع السخينة بسبب هذا فكنتُ اعزّيها بقولي : «لا تأسفي يا وَرْد فانّ الله رحوم قدير واذا وصلنا الى حلب فاني سأجد شغلاً ولن نموت جوعاً »

وبعد خمسة ايام قدم بعض من الارمن معروضاً لقائمقام العثمانية يقولون فيه : «لا نستطيع ان نبقى هنا اذ ليس معنا دراهم لنشتري لنا طعاماً ولا نلقى شغلاً نكسب به معاشنا فأرسلونا الى محل آخر او أعطونا طعاماً» فاستدعانا القائمقام وقال لنا : «ان شئتم ان تسافروا فهنا اربعون عربة تجرّها الجواميس اجرةُ الواحدة سبع ليرات ذهباً من هنا الى قطمة فاركبوها والّا فلا يهمّني امركم» . فقلنا : «كيف نسافر ونحن فقراء لا مال عندنا» . فاجاب : «فليسافر الذين يمكنهم دفع اجرة العربات . وليتنظر الباقون وصول عربات الحكومة بعد عشرين يوماً »

فأقنعتُ اختي الرحيل مع غيرنا ودفعنا الثلث ليرات الباقية معنا . وكانت المسافة بين «العثمانية» وقطمة ستة ايام فنالنا في هذا السفر مشقّات عظيمة واتعابٌ

جسيمة . فقطعنا طرقاً صعبة بين الاحراج وبلغنا بعد ثلثة ايام الى قمّة جبلٍ عالٍ فاراد الحوذيّون ان يُفلتوا منّا ويدعونا في وسط الطريق . فناشدناهم الله ألا يهملونا في تلك القفار بعد ان دفعنا لهم اجرة العربة . فاجابوا : انّ الجواميس قد كلّت فلم تعُد تستطيع ان تسير بنا لتعبها . فلم يبقَ لنا الّا ان نتحوّل عن العربة انا واختي وراكبان آخران فسرنا على الاقدام مدّة ثلثة ايام حتّى بلغنا قطمة بعد الجهد الجهيد . وكان لا يزال الشتاء شديداً فقضينا قسماً منهُ هناك فاصابنا أذى البرد والامطار وكنّا مع ذلك نشتغل على قدر طاقتنا فنكسب معاشنا اليومي . ثمّ دخل الربيع والصيف ونحن في قطمة فلمّا كان شهر تشرين الثاني ركبنا القطار الى حلب فوصلنا اليها بعد ساعتين .

*

كان كيسنا قد فرغ تماماً عند دخولنا الى حلب وكنّا قضينا مدّة طويلة بلا اكل البتّة . فلمّا نزلنا الى المحطة اتى الشرط وقادونا الى احد خانات المدينة وظلّوا يراقبوننا لئلا نفرّ هاربين ريثما يؤلّفون قفلاً فيضمّونا اليهِ ويسوقونا الى داخل البلاد . فنزلنا في احد اطراف الخان وشرع ولدا اختي يبكيان ويطلبان طعاماً ولا طعام عندنا فصارت اختي تذرف الدموع مثلهما . فقلت لها : « كفكفي دموعكِ فها انا اذهب وآتي بطعام » . فاخذتُ كيساً صغيراً وطفتُ في احياء المدينة استعطي . فبعد ساعتين وجدتُ كيسي قد امتلأ فرجعتُ فرحاً الى الخان

وانا في الطريق اذ مررتُ ببيتٍ كان واقفاً على بابهِ الدكتور اوغست كوسا مع قرينتهِ . فدعاني اليهِ وكلّمني بالعربيّة ولجهلي هذه اللغة لم أُجبْ . ثمّ لحظتُ انّهُ يحادث زوجتهُ بالفرنسويّة فكلّمتهُ انا ايضاً بها . فسُرَّ من كلامي وسألني عن اصلي وعن سبب وجودي في حلب . فلمّا سمع خبرنا وكيف نُفينا من بلدنا نوشهر واتينا حلب فأخذتهُ الشفقة علينا فتكرّم عليّ بعشرين غرشاً واهداني زوج كلسات واحذية ورداء واوصاني ان اعود اليهِ لأطلب منهُ طعاماً . فاقتبلت كلّ ذلك شاكراً وانا في امسّ الحاجة اليهِ وحملتهُ الى اختي التي لقيت فيهِ فرجاً

وذهبت الى كنيسة الارمن الكاثوليك فواجهت الكهنة واخبرتهم بحالنا فقالوا لنا : ان أمكنكم ان تهربوا من الخان فنحن نجد لكم مأوى اميناً وقد اظهر لنا الخوري جبرائيل الارمني كلّ شفقة وحنان واحسن الينا كثيراً . فبعد ايام قليلة

رحتُ لأتسوّل في المدينة فلمّا رجعتُ وجدتُ اختي تذرف الدموع وتعانق ولديها . فسألتها ما الخبر ؟ . قالت - اتى شرطي وامرنا ان نسافر الى كلس . فذهبت لاستعطفهُ قلتُ : سيّدي ترحّم علينا ليس عندنا شروى نقير وهاك ما جمعتهُ متسوّلاً في انحاء البلد فماذا يحلّ بنا ان خرجنا من حلب ؟ — فكان جوابهُ ضربتين بسوطهِ ثمّ قال : ان لم تخرجوا بعد ربع ساعة من الخان قتلتكم . فلم تر بُدّاً من الخروج فلمسنا امتعتنا في صُرّة جعلتها على ظهري وامسكتُ الطفل اراكل بيدي وحملتْ اختي اللحاف واخذت ابنها اغوب وسرنا مع الشرط الى المحطّة الجديدة واذا هناك عدد كبير من الارمن يزاحم بعضهم بعضاً وهم يزفرون وينوحون . وكان الجميع موقنين بالموت العاجل لقرب حلول الشتاء .

*

لا تبلغ السكّة الحديديّة الى كلس فقضي علينا ان نعود الى قطمة . فانتظرنا هناك شهراً قبل ان يستحضروا عربات تقلّنا الى كلس فنقلونا اليها في كانون الثاني سنة ١٩١٦ وانزلونا في بيوت اهلها الارمن الذين كانوا نفوهم الى الداخليّة . وكان الشتاء شديد الوطأة ونزل الثلج بعد وصولنا بقليل فبقينا محتارين في امرنا ونحن لا نملك دراهم وليس لنا ثياب دافئة ولا وقود لنستدفئ . فقمتُ ثانيةً اجول في البلد لالتمس الصدقة فما كان احد يحسن اليّ بشيء ولم يكن في البلد نصارى اذهب اليهم وغاية ما كانت الحكومة توزّع على كلّ منّا رغيفان صغيران من الخبز لا يتجاوز وزنهما نصف كيلو (١٥٦ درهماً) . فمات حينئذٍ ابن اختي اراكيل الصغير جوعاً وبرداً

وقد قاسينا نحن في كلس من البرد ما يطول شرحهُ وكنّا نتلهّب جوعاً الّا انّ الحكومة خفّفت نوعاً من ظلمها ونفحتنا بشيء من الدراهم . بقينا في كلس نحو شهرين وعيّدنا فيها عيد الفصح لكنّ حالتنا التعيسة لم تسمح لنا بأن نذوق شيئاً من افراح العالم النصراني . وفي اوائل شهر ايّار اتت اوامر جديدة بان نخرج من كلس ونتوغّل في الجهات الداخليّة وكان البرد لا يزال شديداً . واذا بالشرط وافونا يوماً تهطل فيه الامطار مدراراً وهم مدجّجون بالاسلحة فقالوا : «قوموا لنقودكم الى احدى القرى» . فيا لله كيف نسير والامطار متوالية والبرد قارس . لا شكّ انّ الحكومة تريد ان تهلك برداً وجوعاً . فبعنا لحافنا بخمسة ارغفة من الخبز لئلّا نموت من الجوع

في الطريق ولكن ماذا تفيد خمسة ارغفة لمن يتضوَّر جوعاً فلا تسدّ عوزهُ ساعةً . فاخذتُ ابن اخي اغوب وحملتُ اختي معطفَيْن عتيقَيْن لتتَّقي بهما البرد

فكان خروجنا من كلس والمطر يهطل سيولًا ولم ينقطع طول طريقنا فصارت ثيابنا غُضرةً وسرنا على هذا المنوال ساعاتٍ حتَّى وصلنا الى عزيزيَّة . وكان هناك سهلٌ نُصبت فيهِ نحو مائتي خيمة يبيت فيها الارمن المنفيُّون مثلنا فانطرحنا على الحضيض قريباً من بيت خراب وثيابنا مبلولة فكنَّا نقفقف ونرتعد من شدَّة البرد ولا نار لنصطلي بها فأنسانا البرد جوعنا وكدنا نيأس من الحياة فتوسَّلنا الى الله لكي ينقذنا من تلك التهالك امَّا أنا فتلوت فعل الندامة وظننتُ انَّا لا نعيش الى الصباح . وكيف نعيش بعد ان مشينا الساعات الطوال مع البرد القارس ودون غذاء ثمَّ نرقد بثيابنا المبلولة . فلولا رحمة الله لمَا بقينا في الحياة

فلمَّا اصبح الصباح نظرت الى الخيام واذا ستُّون منها قد مات اصحابها ولا عجب بعد ما خارت قواهم من الجوع وجُلدت اجسامهم من القرّ . فتركوهم وشأنهم دون ان يدفنوهم فأصبحوا طعمةً للكلاب وللضواري . وقد عاينت كلباً نتر ذراع احدهم وذهب بها ليغتذي بلحمها . ورأيت رجلًا جمَّدهُ البرد كان على آخر رمق فكان يَعد بليرتَين من يطمرهُ في زبل الخيل ليدفأ

بقينا في العزيزيَّة ثلثة ايَّام ساكنين في القفر ثمَّ اتت اوامر اخرى لينقلونا الى « الباب » سائرين على الاقدام فكان اكثر الارمن اعلَّاء لا يستطيعون الحركة الَّا انَّ المأمورين لم يرحموا احدًا وكانوا يضربون بالعصيّ كلَّ من يتأخر عن المسير وقد رأيتُ شرطيًّا يضرب ضرباً مبرّحاً اثنين من الارمن حتَّى سقطا بلا حراك فامر بدفنهما قبل ان يموتا

فقلتُ حينئذٍ لأختي : « لا سبيل الى الخلاص فلنسِر متكلين على الله . وان خارت قوانا فنموت على الطريق » . ولكن ماذا نصنع بأغوب ابنها وكان مريضاً ؟ فحملتُهُ على ظهري لكنَّهُ ما كان يمكنهُ ان يتمسَّك بي . فاخذتهُ بين ذراعيّ وانا اعلم اني لا استطيع ان احملهُ طويلًا وبعد قليل اضطررتُ الى وضعهِ على الارض . وكانت اختي تسحفُ سحفاً لضعفها . فرأينا موكب الارمن يبتعد عنَّا وكدنا نبقى وحدنا مع خطر اللصوص المترصِّدين لكل من يتخلَّف عن الجمع . ولكن أيمكنُنا ان نمشي

والولد ملقى على الحضيض وقلب امه يتفطر عليه حزناً

وبينما نحن نفكر في امرنا واذا بقوم من العرب خرجوا علينا فصرختُ لاختي : «الويلُ لنا ان لم نسرع فها هوذا العدو يدركنا». قالت : «دعني اموت هنا وانج بنفسك». قلتُ : «كيف ادعكِ وهؤلاء اذا ادركوكِ خطفوكِ . فهلمّي وانا اسندكِ وبعد ساعة نصل الى قرية قريبة ... امّا اغوب فانّهُ كاد يُسلم الروح فنُودعهُ لرحمة الله». ثم جذبتُها وسندتها على كتفي وعينها متّجهة الى ولدها ومشينا هكذا حتى وصلنا بقوّة الله الى بلدة الباب وهي مدينة صغيرة الساحة على مسافة ٤٠ كيلو متراً شرقيّ حلب تحفّها البساتين واهلها نحو ٨،٠٠٠ وفيها قائمقام

فما وصلنا اليها حتّى خرجتُ الى سوقها لأتسوّل وانعش قواي وقوى اختي المنهوكة . لكني لم أجد محسناً وليس عندي ما ابتاع طعاماً فتغلّب عليّ القنوط وساومتُ امرأةً رغيفين من الخبز طلبتْ فيهما عشر غروش فاخذتُهما كأني أريد معاينتهما ثمّ تسلّلتُ بين الناس راكضاً فقامت وراءي لكنّها لم تدركني في تلك الزحمة

ورحمنا الله في «الباب» فانا وجدنا هناك امرأة عمّي وولديها وكلّهم مثلنا في حالةٍ يُرثى لها لكنّنا جمعنا القوى مذ ذاك الحين واخذنا نتعاطى معاً بعض الاشغال فحصلنا على كفاف معاشنا . ثمّ ان الله رزقنا بوجهٍ آخر . خرجتُ اختي وخالتي معاً الى حيث كان نزل الارمن فوجدتا هنالك اسالاً ملقاةً من ثياب المائتين فاخذتاها واذا في جيب ثوبٍ منها ستّ ليرات ذهباً كانت لنا بمثابة كنزٍ ثمين ولولا ذلك لهلكنا كنا من ذوي جنسنا كانوا يموتون كلّ يوم

كان مقامنا في الباب خمسة عشر يوماً . ثم امرونا بأن نتوجّه الى دير الزور فاكترينا جملاً بليرتين وسرنا بأمان الله وقد وجدنا في طريقنا شذّاذ العرب المتلصّصين لكنّ الله نجّانا من يدهم

*

كان وصولنا الى دير الزور في اواخر حزيران سنة ١٩١٦ فقصدنا ان ننزل في داخل المدينة لكنّ الحرّاس لم يسمحوا لنا بذلك فقطعنا نهر الفرات وانزلونا في البرّية . وكان عدد الارمن المتجمّعين هناك نحو ١٥،٠٠٠ كانوا يسكنون المضارب وكان يزيد عدد القادمين منهم كلّ يوم نحو الف . فاخذوا ينقلونهم فرقاً فرقاً الى

جهات مختلفة ليقتلوهم فمنهم من ساروا بهم الى رأس العين ومنهم الى ابي كمال وغيرهم الى عانة

وكنّا نعلم ما ينتظرنا فأصابنا من الشدائد والهموم ما انسانا اوجاعنا السابقة اذ كنّا نؤمل في طريقنا ان نفلت من ايدي اعدائنا امّا هنا فلم يَعُد لنا بارقةُ أمل في النجاة فغُصنا في بحر الاكدار

واوّل من دُعوهم الى الإعدام الرجالُ والشبان فكانوا يربطون ايديهم ثمّ يسوقونهم امامهم كالنعاج ويقتلونهم اشنع قتل امام نسائهم واهلهم . ثم كانوا يقتلون النساء ويسبون البنات فيأتي الشركس ويخطفونهنّ . وكان بلغهم انّ بعض نساء الارمن كنّ ابتلعن نقودًا لئلا يأخذها الاتراك فكان هؤلاء يبقرونهنّ لاستلابها

ثمّ وصل الدور الينا فدعوا اختي وخالتي وأبعدوني عنهما فتفتّت كبدي لهذا الفراق وكانتا تعلمان انهما سائرتان الى الموت اذ انّنا كنّا نسمع صوت البنادق وصياح المائتين . وكانوا يرمون الرجال بالرصاص امّا النساء فكانوا يزربونهنّ كالغنم في مغارة هناك محفورة في الرمل ويجعلون على مداخلها اعشاباً يضرمونها فيُثنَ خنقًا او حرقًا

وقد دامت تلك المجازر في دير الزور ثلثة اشهر لكثرة من جلبوهم الى تلك الانحاء من الارمن ما عدا الذين قُتلوا في رأس العين وابي كمال وعانة وفي ضياع اخرى

وكان الاتراك في دير الزور لا يمسّون الصغار فجمعوا الاطفال والاحداث بعد قتل اهلهم وفرّقوهم في الخانات . فاخذني احد الشرطيّين مع ولدَي عمي وجعلنا في خان كبير دعوهُ بالمأوى وكانوا لا يعطونا كلّ يوم سوى الماء ونصف رغيف من الخبز فكان الاولاد يموتون كلّ يوم بالعدد العديد وكان نومنا على الحصر . فما لبث ابنا عمي ان هلكا من الجوع وكنت انا في حالة من الضنك اتوقّع الموت قريباً وبلغ الجوع ببعض الفتيان الى ان اكلوا العظام ولحوم الحيوانات الميتة بعد نتنها

فقصدت يوماً ان افوز بنفسي واهرب عند احد اهل المدينة فتلوتُ فعل الندامة والتمستُ من الله ان يخلّصني من كربتي ونذرتُ اذا نجوت ان اخصّص نفسي لخدمته تعالى في الكهنوت فخرجتُ من الخان هائمًا في وجهي الّا اني سقطتُ بعد قليل اضعف قواي وكان اصحاب الخان لحظوا فراري فجاء الحارس مسرعاً وضربني بعصاهُ ضربًا اليمًا فغُشي عليّ فظنّ اني قضيتُ فذهب ورجع بعد ساعة فرآني بين حي

وميت فرحمني واعطاني ماء فشربتُ واطعمني رغيفين فعادت اليَّ قواي شيئاً فشيئاً فرجعتُ معهُ الى المأوى

*

على انَّ الاتراك بعد شهرين عزموا على قتلنا . وكان متصرّف دير الزور زكي باشا علجاً شرس الاخلاق ظالماً . ومن اعماله الهمجيَّة انهُ صوَّب يوماً غدَّارتهُ على أمةٍ ارمنيَّة كانت في خدمتهِ فقتلها . وكان يخاف من ان يسمّم احد طعامهُ فكان كلَّ شهر يستبدلُ خدَّامهُ واذا اتوهُ بطعام ألقى منهُ لقمةً لكلبهِ ليختبر خلوَّهُ من السم . ويوم سار الى مضارب الارمن ليأمر بقتلهم كان يسوق عربتهُ خوذيٌّ ارمني فما قطع الفرات حتَّى رماهُ بالرصاص والقى جسمهُ في النهر . وكان اذا تلهَّى يجعل بازانهِ بعض الارمن او غيرهم فيقتلهم بيدهِ . فزكي باشا المذكور اراد ايضاً ان يقتل الاولاد كما قتل اهلهم . لكنَّ الله انقذني من جورهِ

ففي مساء احد الايَّام ارسل عربات الى مأوانا فقال المأمورون للجنبية : اركبوا لتأخذكم الى احدى الضياع . فركبوا هؤلاء المساكين على بعضهم . فادركتُ غايتهم في قتلنا وكانت رجعت اليَّ بعض قواي فعوَّلت على الهرب بعون الله . فاسعدني الحظ على تحقيق نيَّتي . فما خرجنا من المأوى حتَّى اعتزلتُ عن رفقتي وسرتُ متَّجهاً الى الجبال المجاورة لكني بعد نصف ساعة افنكني السير فرميت نفسي في خندقٍ ومن هناك كنتُ اسمع صياح الاولاد الذين كانوا يرمونهم في الفرات . وقد اخبرني بعد ذلك واحد منهم انهُ تمكَّن من الخلاص بالسباحة مع بعض الاحداث ثمَّ هربوا الى بعض منازل العربان

وفي صباح اليوم التالي رجعتُ الى البلد مستخفياً وذهبت الى بيت احد النصارى من اعيان طائفة الموارنة يُدعى يوسف تَوْتل . فهذا الرجل الكريم اخفاني في دارهِ مدَّة شهرين ولم يدعني اخرج لأنَّ الشُّرط كانوا يدورون البلد ويفتّشون البيوت لعلَّهم يجدون ارمنيًّا ليقتلوهُ . فبقيت عندهُ وتعلَّمتُ قليلاً من اللغة العربيَّة . وكان الخواجا يوسف يعاملني معاملة الاب الحنون وقد خلَّص من الموت غيري ايضاً من نساء واولاد . ومثلهُ الخواجا يوسف سكَّر فانهُ طاف في احياء العرب حول دير الزور وجمع في بيتهِ من وجدهُ من اولاد الارمن واحسن اليهم . جازى الله خيراً هذين الرجلين

فبعد اشهر لمَّا هدأت الامور وانتهى عمَّال الدولة من قتل الارمن أَلبسني معلمي لباساً لائقاً واخذني الى مخزنهِ وادَّعى اني اصغر اخوتهِ ودعاني كامل توتل . فاحس بي الشُّرط وارادوا القبض عليَّ لكن المسيو توتل كان يدافع عني ويكسبهم ببعض الدراهم وهكذا نجوت من يدهم

صرفتُ سنتين في خدمة هذا رجل الخير حتى دخل الانكليز في تشرين ١٩١٨ دير الزور فسلَّمني بضائع من مالهِ لأبيعها في بغداد ففعلتُ ثمَّ عدتُ راجعاً اليه . ولمَّا بلغني دخول الانكليز الى حلب طلبت من المسيو توتل ان يسمح لي بالسفر فرضي بذلك واعطاني كل ما احتاج لسفري

فلمَّا وصلتُ الى الشهبا . واجهتُ كاهناً ارمنياً فافادني عن رجوع الآباء اليسوعيين الى آطنه ومن جملتهم الاب غرَنسو فكتبتُ لهُ حالاً كتاباً أعلمهُ بأمري . وبعد ثلاثة ايام قبل ورود جوابهِ سافرت الى آطنه فنالني من الفرح اشاهدتي الآباء ما لا يصفهُ لسان وقبلني الاب الرئيس في جملة تلامذة المدرسة فقضيتُ هناك سنةً بنيَّف . ثمَّ كتبت لحضرة الاب لوبون وبيَّنت لهُ امر دعوتي للكهنوت وبواسطتهِ تيسَّر لي الدخول في مدرسة بيروت الاكليريكيَّة في السنة ١٩١٩ فوصلتُ اليها في ١٠ تشرين الاوَّل وفي اليوم عينهِ لبست ثوب الاكليريكيين ولم ازل منذ ذاك الى الآن اقدِّم آيات الشكر لله على نعمهِ اليَّ طالباً من مراحمهِ ان يؤهلني لبلوغ سرّ الكهنوت

النصرانيَّة وآدابها
بين
عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وها نحن ننقل هنا صور ثلثة نقود عربيَّة ترتقي الى اوائل الاسلام وعليها صور ملوك الروم ورموزهم المسيحيَّة

فبعد اشهر لمَّا هدأت الامور وانتهى عمَّال الدولة من قتل الارمن أَلبسني معلمي لباساً لائقاً واخذني الى مخزنهِ وادَّعى اني اصغر اخوتهِ ودعاني كامل توتل . فاحس بي الشُّرط وارادوا القبض عليَّ لكن المسيو توتل كان يدافع عني ويكسبهم ببعض الدراهم وهكذا نجوت من يدهم

صرفتُ سنتين في خدمة هذا رجل الخير حتى دخل الانكليز في تشرين ١٩١٨ دير الزور فسلَّمني بضائع من مالهِ لأبيعها في بغداد ففعلتُ ثمَّ عدتُ راجعاً اليه . ولمَّا بلغني دخول الانكليز الى حلب طلبت من المسيو توتل ان يسمح لي بالسفر فرضي بذلك واعطاني كل ما احتاج لسفري

فلمَّا وصلتُ الى الشهبا . واجهتُ كاهناً ارمنياً فافادني عن رجوع الآباء اليسوعيين الى آطنه ومن جملتهم الاب غرَنسو فكتبتُ لهُ حالاً كتاباً أعلمهُ بأمري . وبعد ثلاثة ايام قبل ورود جوابهِ سافرت الى آطنه فنالني من الفرح اشاهدتي الآباء ما لا يصفهُ لسان وقبلني الاب الرئيس في جملة تلامذة المدرسة فقضيتُ هناك سنةً بنيَّف . ثمَّ كتبت لحضرة الاب لوبون وبيَّنت لهُ امر دعوتي للكهنوت وبواسطتهِ تيسَّر لي الدخول في مدرسة بيروت الاكليريكيَّة في السنة ١٩١٩ فوصلتُ اليها في ١٠ تشرين الاوَّل وفي اليوم عينهِ لبست ثوب الاكليريكيين ولم ازل منذ ذاك الى الآن اقدِّم آيات الشكر لله على نعمهِ اليَّ طالباً من مراحمهِ ان يؤهلني لبلوغ سرّ الكهنوت

النصرانيَّة وآدابها
بين
عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

وها نحن ننقل هنا صور ثلثة نقود عربيَّة ترتقي الى اوائل الاسلام وعليها صور ملوك الروم ورموزهم المسيحيَّة

A دينار عربيّ على وجهه صورة هرقل ملك الروم وفي يمناهُ الصليب وفي يسراهُ كرة يعلوها صليب صغير . مع اسم طبريّة باليونانيّة . وعلى ظهر الدينار سنة النقود M مع اسم خالد (بن الوليد) باليونانيّة

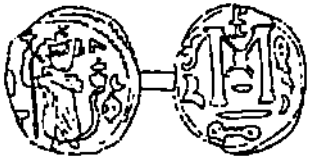

B فلس عربيّ على وجهه صورة هرقل الموصوفة . وعلى ظهره مع سنة النقود هذه الالفاظ العربيّة : صدر . دمشق . جائز

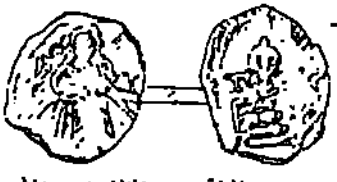

C فلس عربي على وجهه صورة الخليفة «عبد الملك امير المؤمنين» وعلى ظهره صورة الصليب المرتكز على سارية مع اسم سيرين حيث ضُرب . وهذا الفلس ممسوح اكثرهُ واغلبُ وُجدت منهُ نقود اخرى اجلى صورة مع كتابته العربيّة

وهذه النقود في متحف باريس

وقد ضرب امراء المسلمين في افريقية والاندلس بعد فتحها نقودًا عليها ايضاً شارات النصرانيّة كالصليب واسم السيّد المسيح باللاتينيّة مع اسماء الامراء المسلمين

وقد سبق لنا القول انّ السلجوقيين في بلاد الروم والارتقيين في ما بين النهرين ضربوا ايضاً نقودًا عليها صور ملوك النصارى مع علامات النصرانيّة بينها صورة السيّد المسيح والبتول مريم والدتهِ الطاهرة

﴿ التعليم ﴾ ومن الصنائع الشريفة التي دخلت بين العرب بفضل النصرانيّة صناعة التعليم . وكان شيوع المدارس اوّلًا بين الامم المجاورة العرب كالكلدان والسريان في العراق وما بين النهرين وكالروم في جهات الشام وفلسطين فلمّا تنصَّر العرب اخذ احداثهم يتردّدون على المعلّمين المنصوبين للتعليم في الجهات المجاورة لمساكن قبائلهم في مدارس كانوا يدعونها بالاسكولات وهي كلمة دخيلة استعارها السريان من اليونانيّة (σχολή) اشتهر منها مدارس الرها ونصيبين والمدائن والحيرة

ودمشق. ومع انّ التعليم في هذه المدارس كان في السريانيّة او اليونانيّة لم يعدم العرب فيها وسائل لدرس لغتهم

وممّا يؤيّد الامر اخبار بعض شعراء العرب . فمن ذلك ما ورد في كتاب الاغاني (٥ : ١٩١) عن المرقّش الاكبر حيث قال: « وكان مرقّش يكتب وكان ابوهُ دفعهُ واخاهُ حرملة وكانا احبّ ولدهِ اليهِ الى نصراني من اهل الحيرة فعلّمهما الخطّ » . ورُوي عن عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٠) انّ اباهُ زيد طرحهُ في الكتّاب مُذ نشأ ثمّ ارسلهُ مع شاهان مُرْد الى كتّاب الفارسيّة حيث « تعلّم الكتابة والكلام بالفارسيّة حتّى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربيّة » الى ان صار كاتباً للملك النعمان. وجاء ايضاً في اخبار طرفة والمتلمّس (الاغاني ٢١ : ١٩٣—١٩٥) انّ المتلمّس لمّا اراد ان يطّلع على ما كتبهُ في حقّهما عمرو بن هند الى المُكعّبر عاملهِ في البحرين عدل الى غلام عباديّ من غلمان الحيرة فاعطاهُ الصحيفة ليقرأها لهُ ففعل ووقف على مضمونها اذ اوصى بقتلهما فألقى المتلمّس الصحيفة في النهر وفرّ سالماً بنفسهِ وقُتل طرفة . فيتّضح من ذلك انّ العباديين وكانوا من نصارى العرب كانوا يواظبون على المدارس . وقد ذُكر في محلّ آخر (اغاني ١٨ : ٧٨) فضل معلّم نصرانيّ على سراهُ في البصرة في عهد بني اميّة وولاية الحجّاج وفي طبقات ابن سعد (٣ : ٢٥٨) انّ في عهد عمر بن الخطّاب كان جُعَيْنة النصرانيّ من اهل الحيرة يعلّم الكتاب في المدينة وذلك بعد أن امر عمر بخروج النصارى من جزيرة العرب . وفيهِ دليل على حاجة المسلمين في اوائل الاسلام الى المعلّمين. وفي قائمة المعلّمين التي سردها قدماء الكتبة كالجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٠١) وابن قتيبة في كتاب المعارف (ص ١٨٥) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ٢١٦) اسماء ذمّيين وموالٍ من نصارى ويهود كانوا يتعاطون مهنة التعليم

هذا فضلاً عمّن كانوا يختلفون الى الرهبان والكهنة النصارى في صوامعهم واديرتهم ليتعلّموا القراءة والكتابة . كما ذُكر عن ابي نصر البرّاق بن رَوْحان (شعراء النصرانيّة ص ١٤١) انّهُ كان يتردّد الى راهب فيتعلّم منهُ تلاوة الانجيل . وكما قال في الاغاني (٣ : ١٤) عن ورقة بن نوفل انهُ « كان يكتب بالعبرانيّة (يريد السريانيّة) من الانجيل ما شاء ان يكتب » . ولعلّ الراهب الذي اشار القرشيّون اليهِ بقولهم عن محمّد (سورة النحل) « انّما يعلّمهُ بَشَرٌ » كان احد معلّمي النصارى في مكّة . كما تعلّم

اهلها الكتابة من بشر بن عبد الملك النصراني اخي اكيدر الكندي صاحب دومة الجندل (السيوطي في المزهر ١ : ٣٩٠) وكانوا يسمّون هذه الكتابة بالجزم اي الفصل سواء فصلوها عن خطّ حمير المعروف بالمُسند كما ارتأى ابو حاتم (التاج ٨: ٢٢٨) او بالحري لفصلها عن الحروف الكلدانيّة وهي اقرب اليها . وفي فضل بشر على قريش قال احد شعراء كندة منشداً :

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمُ فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخطّ الجزم حتى حفظتمُ من المال ما قد كان شتّى مبعثرا
وأبقيتمُ ما كان بالمال مهملا وطأمنتمُ ما كان منهُ مبقّرا
فأجريتمُ الاقلامَ عوداً وبدأةً وضاهيتمُ كتّاب كسرى وقيصرا
وأغنيتمُ عن مُسند الحيّ حميرا وما زبرت في الصحف اقلامُ حميرا

وممّا نسبوهُ الى قسّ بن ساعدة اسقف نجران في كتاباته انهُ اوّل من كتب في رسائله «من فلان الى فلان بن فلان» ونسبوا اليهِ فصل الخطاب بأن قال بعد حمد الله والدعاء «اما بعد» افتتاحاً للخطاب . ومثلها قولهم « باسمك اللهمّ » زعموا انّ اوّل من كتبها الشاعر النصراني امية بن ابي الصلت الثقفي

فكل هذه الشواهد تدلُّ على شيوع صناعة التعليم بين نصارى العرب واجتهادهم في تعميمها . وقد سبق لنا بين القبائل المتنصّرة (ص ١٢٤) ذكر قبيلة اياد وقد روينا انّهم اشتهروا بمعرفة الكتابة فقال فيهم امية شاعرهم (سيرة بن هشام ص ٣٢) :

قومي اياد أنعم أمَمُ لو اقاموا فهزّلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

ومثلهم الحميريّون ولاسيّما نصارى نجران وانّما كانوا يكتبون الخطّ المعروف بالمُسند . قال ابن خلدون في مقدّمته : « ومن حمير تعلّمت مُضر الكتابةَ العربيّة » . والى حذاقة حمير في الكتابة يشير ابو ذؤيب بقوله (لسان العرب ١٨ : ٣٠٦) :

عرفتُ الديار كخطّ الدُويـ ـر حبّرهُ الكاتبُ الحميريّ

وممّن سعى في نشر التعليم من اساقفة النصارى في عهد بني امية فيشون احد جاثلقة الكلدان قال عنهُ ابن ماري في تاريخ بطاركة كرسي المشرق من كتابهِ المجدل (ص٦٦) انهُ « نصب في كرسيهِ اسكولاً فتشبّه بهِ الاساقفة في عمارة البيع والاسكولات »

وبهِ نختم فصلنا عن العلوم والصنائع النصرانيّة بين عرب الجاهليّة واوائل الاسلام

مطبوعات شرقية جديدة

E. Duvillard: Les Tendances actuelles de l'enseignement primaire. *In*-16, 163 *pp.*, 5 *frs*. *Delachaux et Niestlé. Neuchatel* (*Suisse*)

Ketty Jentzer. Jeux de plein air et d'intérieur. *In*-16, 200 *pp*., 3 *frs* 50. *Mêmes éditeurs*

التعليم الابتدائي ووجهته الحالية – الالعاب في الخارج وداخل البيت

١ ينحو اليوم ارباب المدارس الى تهذيب الدروس على اسلوب متعقل . فللدروس الابتدائية حظها في هذه الابحاث كما يليق لأن العلوم الثانوية تبنى على هذا الاساس الاوّل فان ساء الاساس لم يحسُن البناء والعكس بالعكس . وممن كتبوا فاجادوا في هذا الموضوع المسيو دوڤيليار . فقد اطلعنا على كتابهِ هذا الصغير الحجم الكثير المعنى حيث اوضح ما يحتاج اليهِ عقل الولد من العناية والتدبير فلا تُكبَس المعلومات في عقلهِ كبساً بل يُنفذها المعلم في ذهنهِ بكل هدوء وتؤدة فيتلقّنها برغبة ويُقبل عليها بشوق . وللمؤلف فصول يذكر فيها ما يرتئيهِ في ذلك جمهور العقلاء كتوجيه الدروس الى المعارف الصناعية وتخفيف موادّ التعليم بتقليلها وتوجيهها الى العمل اكثر منها الى النظر . واخيرًا حفظ النظام التعليمي مع تليين شدّتهِ وثبات حزمهِ . وفي اواخر الكتاب تعليمات مفيدة واوصاف مبهجة لألعاب الاولاد الصغار من السابعة الى العاشرة من عمرهم

٢ قد جمعت الآنسة جنتسر في كتاب لطيف عددًا عديدًا من الالعاب التي يمكن تعليمها للاحداث ليتلهّوا بها في الاحواش او داخل الدار وهو غاية في الافادة للطلبة ولارباب المدارس معاً لترويض ابدان الاولاد وتهذيب عقولهم الاب ا . لاي

Emile Lesueur: La Franc-Maçonnerie Artésienne au XVIII° siècle- 2 Livres d'Architecture de la Loge « La Fidélité » à l' O.·. d'Hesdin, *Paris, Leroux*, 1916, *in*-8, *pp.* 388 *et* 461

الشيعة الماسونية في مقاطعة أرتوا في القرن الثامن عشر

انّ الحركة الماسونية في زماننا انهضت همم الذين عرفوا دسائسها واختبروا اعمالها السيئة في اطراف العالم ولاسيّما في اوربّة فتألفت عدّة جمعيات لمناهضتها

وكشف دفائنها المستورة ووضعوا لذلك مجلات خصوصية وعقدوا المؤتمرات . واعجب من ذلك ما صنعهُ المسيو ليسيور اذ قدَّم لكليَّة الجزائر كتابين ضخمين في ماسونيَّة مقاطعة ارتوا الفرنسويَّة مدَّة القرن الثامن عشر عموماً وتاريخ محفل «الامانة» خصوصاً لينال بهما شهادة الدكتوريَّة في الآداب وكلاهما محشوٌّ بالفوائد والآثار المستخرجة من بطون المكاتب ومن القماطير المنسيَّة . ومنها يظهر ما كانت عليهِ تلك الشيعة منذ ذلك الحين تختلف لوائحها عن خباياها وظواهرها عن بواطنها وهي تسعى لثلّ عروش الملوك ودكِّ كلّ سلطة روحيَّة وزمنيَّة وقلَّما يتَّفق اصحابها بينهم الَّا في مناهضة روح الدين . فجاء كتابا المسيو ليسيور مؤيِّدين لكل ما كتبناهُ سابقاً في تأليفنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون ل . ش

Fournol (Etienne): LES CHEMINS QUI MÈNENT à ROME. Remarques sur le rétablissement de l'Ambassade du Vatican. *Un Vol. in-16. Edition. Bossard. Paris VI. Prix 4fs 80*

استئناف السفارة الفرنسويَّة لدى الفاتيكان

بنسبة المباحثات التي جرت في العام الماضي واوائل السنة الحاضرة في مجلس العموم في فرنسة لاستئناف السفارة لدى الفاتيكان قد ألَّف المسيو فورنول هذا الكتاب ليبيِّن فيهِ الدواعي التي من شأنها ان تدفع الحكومة الفرنسويَّة الى تلافي الاضرار التي نجمت عن قطع العلاقات مع الكرسيّ الرسوليّ وفنَّد اعتراضات الحزب المعادي لهذا القانون ونحن نشكر المسيو فورنول لدفاعهِ عن هذه السياسة المعتدلة وانَّما نأخذ عليهِ جهلهُ بالتعاليم الكاثوليكيَّة وسياسة الكرسيّ الرسوليّ فان الكنيسة كما اثبت ذلك لاون الثالث عشر لا تقصد ملكاً زمنيًّا لكنها لا يسعها ان تهمل شيئاً من الامور الروحيَّة التي لها بعض العلاقة بالدين وخلاص النفوس . فهذه سياستها الجليلة لا تستطيع أن تتخلَّى عنها ابد الدهر ج . لوفنك

La Chesnais (P. G.): LES PEUPLES DE LA TRANSCAUCASIE PENDANT LA GUERRE ET DEVANT LA PAIX. 1 Vol. in-16, 3 Cartes, 1921, Paris VI., Editions Bossard. 1921. Prix 9fs

موقف الامم التي ما وراء القفقاز في الحرب والسلم

اخصّ هذه الامم الارمن والكرج يتنازعهم البلشفيون غرباً والاتراك شرقاً . ولا شكَّ أنَّهم لو خيَّروهم بين الجهتين لفضَّلوا الغرب على الاتراك وهمجيَّتهم الَّا

انهم يجدون اليوم في البولشفيين وتصرفهم الغريب ما يملأهم رعباً فيتمنون لو امكنهم الحصول على الاستقلال. فمؤلف الكتاب الذي نحن بصدده قد اخذ على نفسه تعريف احوال تلك البلاد واهلها واميالها وموقفها قبل الحرب وبعد اعلان السلام وما لحقها من قبل اعدائها من الاذى والغارات في العامين الاخيرين. ويعرض على الدول المتحالفة الوسائل لخلاصها مبكتاً للمتحالفين على قلة اكتراثهم لنكبات تلك الامم. ويؤمل خيراً من اتحاد الارمن مع الكرج ليقووا على اعدائهم. وهذا الكتاب يميط الستار عن احوال تلك البلاد المجهولة التي عرفها حق المعرفة ج. ل

Dr Jean Loris-Mélicof: La Révolution Russe et les nouvelles Républiques Transcaucasiennes. *Paris, Librairie F. Alcan. in—8, XVI-211. 1920*

الثورة المسكوبية والجمهوريات الجديدة في ما وراء القفقاز

هذا الكتاب اوسع نطاقاً واوفر معلومات من الكتاب السابق اذ يشمل مجموع الامم القاطنة في ما وراء جبال القفقاز من كرج وارمن وتتر ويتتبع اخبارها وما طرأ عليها من التقلبات في الاجيال السابقة وما صارت اليه احوالها بعد ظهور الحركة البولشفية. وبعد استقرائه لنظامها وتاريخها وجغرافيتها واحوالها الاقتصادية واخلاق اهلها واديانهم يستنتج من نظره ان تلك البلاد لا تستطيع ان تنال سلاماً ثابتاً فترقى في سلم الحضارة الا بتوحيد كلمتها وضم قواها والا اضحت طعمة للدول المجاورة لها لاسيما الجمهورية الارمنية التي تتهددها الاعداء من كل ناحية. اما كيف يخمد بركان تلك الاصقاع وتنطفئ نيرانه المتأججة فالله وحده يعلم به لانشغال الحلفاء عنها بما لديهم من المشاكل في مواطنهم ل. ش

Gaillard (Gaston): Les Turcs et l'Europe. 1 vol. in-16. pp. 384. 1920 Paris, Librairie Chapelot

الاتراك واوربة

هذا الكتاب دفاع عن الاتراك لتحوير معاهدة سيفر صنفه رجل يجهل كثيراً من المسائل الاسلامية. فالمسيو غليار يجعل الوهابيين مقاربين لاهل الشيعة (ص ٣٢٧) يزعم ان الخلافة لا تقوم الا بموافقة العلويين واشراف مكة (ص٣٠٣) ولو درس

التاريخ لرأى بني اميَّة ثمَّ بني عبَّاس تولَّوا الخلافة دون ان يكترثوا للامامة العلويَّة او الشريفيَّة . ولعلم ايضاً انَّ الشرافة المكيَّة لم تسبق القرن العاشر . وليست معرفة المسيو غليار بالجغرافيَّة الشرقيَّة اثبت من علمهِ بالتاريخ فيكتب (ص ٣١٩) اسم حماة Harma واسم حمص Horms واسم العلويين Alamites — وظنَّ انَّ قرية صافيتا اسم عام شخص بذاتهِ (ص٣١٩) وقد نقل جبل عكَّار الى جهات انطاكية (ص٣٣٣) وهو يريد جبل اقرع المجاور لمصبّ نهر العاصي . وللمؤلف آراء غريبة في الاتراك وسياستهم . فبعد ان نقل تقرير اللجنة الهنديَّة في الخلافة التركيَّة واتَّسع في ترجمة حياة مصطفى كمال صاحب النهضة التركيَّة في الاناضول يساوي بين التمدُّن التركي والحضارة الانكليزيَّة والاميريكيَّة (ص ١٢٦ — ١٢٧) ويزعم انَّ الاتراك بفتحهم جزيرة العرب سنة ١٥١٣ (والصواب ١٥١٧) انهضوها من كبوتها . كما انَّهم أولوا بلاد الشام عوناً وفضلاً (ص١٢٨) فيستنتج من ذلك وجوب مساعدة تركيَّة وصيانة مقامها لأنَّها على رأيهِ مؤيِّدة للتمدُّن الاوروبي محافظة على الآداب القديمة (ص٣٧٥) «كاسرة لشوكة رومية التي تسعى بعد سلطتها على كل العالم باستنادها الى البروتستانت والى اليسوعيين في المجر» (ص١٣٣) فترى من هذه السفاسف مبلغ علم المسيو غليار وتعمقهُ في البحث . فتأمل !

الاب ه . لامنس

JOURNAL D'UN CONVERTI par Pierre van der Meer de Walcheren, 2de éd., Paris. P. Téqui 1914, XVI-285

جريدة اخبار احد المرتدين الى الكثلكة

نوصي بمطالعة هذا الكتاب جميع الذين خارجاً عن الكنيسة الكاثوليكيَّة يبحثون عن الدين الصحيح لاسيَّما البروتستانت . فانَّ مؤلفهُ احد افاضل الكتبة في هولندة واعيانها المسيو ڤان دير ميركان احد تبعة الشيع اللوترانية اذ هداهُ الله الى الدين المستقيم وقد دوَّن في مفكرةٍ خصوصيَّة سياقَ خواطر حياتهِ منذ استولى عليهِ الشك في صحَّة البروتستانيَّة الى ان حصل على معرفة الديانة الكاثوليكيَّة فزالت بها كلُّ شكوكهِ ونبذ اضاليل شيعتهِ وترهَّب في الرهبانيَّة البندكتيَّة وبنشره هذا الكتاب يتمنَّى لكل الضالِّين مثلهُ ان يحصلوا على ما نالهُ من فرح القلب وسلامة الضمير ل . ش

M. Bernfeld. Le Sionisme. Un vol. 8°, 477 pp.. Paris. Jouve et Cie. 1920. Prix. 12fr. 50

الصهيونيَّة

المسيو برنفلد من اكبر انصار الصهيونيَّة في فرنسة فاتَّخذ البحث عن شؤونها كموضوع تأليفٍ واسع قدَّمهُ للجنة المقامة لمنح امتيازات الدكتوريَّة . وكتابهُ هذا هو الآن في يدنا قد تصفَّحناهُ برغبة لِما ضمَّنهُ صاحبهُ من الآراء الموافقة لأميال اليهود في عهدنا . فاذا هو قد بنى كلامهُ على اربعة اصول حقوقيَّة وهي: اوَّلاً كون اليهود في العالم امَّةً واحدةً رغماً عن تشتُّتها . ثانياً ما لهذه الأمَّة من الرغبة في جمع شتاتها لتثبت وحدتها الادبيَّة . ثالثاً قيام هذه الوحدة بانشاء دولة يهوديَّة في فلسطين . رابعاً ثبات هذه الدولة بضمانة الحقوق الدوليَّة . وهذه المبتغيات قد يسعى اليوم في تحقيقها الصهيونيُّون . ولكن في اتمامها عوائق كثيرة ولا ندري كيف يغلبونها . منها صغر مساحة بلاد فلسطين التي لا تكفي لإعاشة ربع اليهود وعددهم كما قال المؤلف يبلغ من ١٤ الى ١٥ مليوناً من النفوس . ومنها تملُّك المسلمين والنصارى على معظم املاك فلسطين فلا يرضى اكثرهم بالتخلي عنها . الى غير ذلك من العوائق التي يتغاضى عنها الصهيونيُّون مؤمِّلين اتمام نبوَّة اشعيا (ص ٤٣) حيث يعد الربّ بني اسرائيل بان يجمع شتاتهم من اقاصي العالم ج . ل

P. R. Desribes S.J: Industrie Paléolithique en Phénicie. Quelques ateliers paléolithiques aux environs de Beyrouth. *Beyrouth, Impr. Catholique*, 1921. *pp.* 22. *in*-8, 18 *Planches* (*Extrait des Mélanges de la Faculté Orientale.*)

معامل ظرانيَّة حوالي بيروت

سبق في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٩٧ و٣٥٣) مقالة ممتعة لحضرة الاب زموفن في الظرَّان في فينيقية . وقد عُني مذ ذاك الحين بهذه الابحاث عدَّة آباء من كليَّة القديس يوسف فجمعوا آثاراً حسنة من الطور الحجري في سواحل الشام ولاسيَّما في جوار بيروت . وقد امتاز بينهم حضرة الاب راول ديريب من اساتذة المكتب الطبي الفرنساوي . فأنشأ منها متحفاً ذا شأن جمع فيهِ عدداً عديداً من الادوات الصوَّانيَّة

كالقاطع والمخارز والمدى من طور الظرّان الاقدم وجدها في رأس بيروت ومينا الدالية وسنّ الفيل والدكوانة وفرن الشبّاك وها هوذا قد وصفها في مقالة فريدة نشرها في مكتبنا الشرقيّ والحقها بتسع عشرة صورة جميلة تمثّل تلك المآثر الظرّانيّة التي تكشف لنا شيئاً من اسرار تاريخ بلادنا في الازمنة السابقة للتاريخ

The Poetical Remains of Muzāḥim al'Uqaili. edited and translated by F. Krenkow. *Late E. J. Brill, Leiden, in*-12. 1920. *pp.*22+٦٠

قصيدتان لمزاحم بن الحارث العقيلي مع ابيات منسوبة اليه

مزاحم العقيلي على ما ورد في كتاب الاغاني (١٧ : ١٥٠) «بدويّ شاعر فصيح اسلامي صاحب قصيد ورجز كان في زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفهُ ويقرّظهُ ويقدّمهُ» فبيّن بهذا الثناء علوّ مقامهِ في الشعر وسموّ طبقتهِ في اللغة. فذلك ما حدا بجناب المستشرق الانكليزي فرتز كرنكوف الى نشر قصيدتين طويلتين استدلّ اليهما في خزانة المخطوطات المصونة في جامع السلطان الفاتح في الاستانة: الاولى لاميّة كاملة عدد ابياتها ١١٠. والثانية ناقصة لم يبق منها سوى ٦٣ بيتاً. وقد نشرهما مع ما عليهما من الشروح ثمّ اضاف اليهما ٢٥ قطعةً مما وجدهُ متفرّقاً في كتاب الاغاني وغيرهِ من تآليف الأدباء مع الدلالة الى الروايات المختلفة على كلّ بيت هذا فضلاً عن نقلهِ كلّ هذه القطاطيع الى اللغة الانكليزيّة وتعزيزها بفهرسين لأعلام الاشخاص والاماكن. فترى عناية المستشرقين بإحياء آثار لغتنا العربية وكم يقتضينا من الهمّة لنبلغ شأوهم

ل. ش

الاتحاد اللبناني

في القطر المصري والمسألة اللبنانيّة

مطبعة المعارف بشارع النجالة بمصر (ص ٣٣)

لا يجهل القرّاء انّ مواطنينا نزلاء القطر المصري كانوا ألّفوا منذ احدى عشرة سنة جمعيّة دعوها بالاتحاد اللبناني لم تدّخر وسعاً في مساعيها الطيّبة وراء صوالح وطنهم ومستقبلهِ. ولا جرم انّ لاعضائها في ما نالهُ لبنان مؤخّراً من الامتيازات قسماً صالحاً استحقّوا لهُ شكر السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً. وهذا ما دعاهم الى

ان يخلدوا ذكر تلك الاعمال في هذا الكراس ويودعوه لائحة آمالهم ومطاليبهم ليبلغ اهل الجبل غاية ما ينتظرونه من الرقي بانتداب الدولة الفرنسوية الى ان يصبح الجبل قادرًا على تدبير اموره بالاستقلال التام. فعسى اللبنانيون يصرفون همهم ليؤلفوا أمةً تغض النظر عن كل الغايات الشخصية ولا ترمي الا الى رقي الوطن وخيره العمومي

كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان

للشيخ ابرهيم الاحدب الطرابلسي (طبعة ثانية)

المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٥٧٢)

ان اقبال الادباء على مطالعة رسائل بديع الزمان التي تولى شرحها صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ ابرهيم الاحدب وكشف النقاب عن كثير من مُعَمَّياتها كان أنفد نسخها قبل الحرب. فلم تشأ المطبعة الكاثوليكية أن يُحرَم العلماء من فوائدها رغمًا عن غلاء اسعار الورق وزيادة اجور العمّلة وانتدبت الى الوقوف على طبعها الاستاذ يوسف افندي الفاخوري مدرّس البيان سابقًا في كلية القديس يوسف. فجاءت هذه الطبعة الثانية تباري شقيقتها في محاسنها وزيادة اتقانها

نبذة تاريخية

في حياة الجمعية المنصورية الدمشقية (١٨٦٥—١٩٢٠)

بقلم الارشمندريت ميشل عساف (مطبعة حريصا ١٩٢١ ص ٧٦)

كل يعلم ما لجمعيات مسار منصور دي بول من الفضل العميم في كل معارض الخير. وقد امتازت بذلك الجمعية المنشأة في دمشق قبل ٥٥ سنة على عهد الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف بهمة بعض افاضل الروم الكاثوليك وتثبيت رئيس الجمعية البيروتية رجل الخير المرحوم بطرس ديشان. فكانت شركة دمشق الثانية بعد بيروت (راجع مقالتنا في تاريخ شركة مسار منصور دي بول في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٤٨١—٤٩٣) فنشكر حضرة الارشمندريت ميشل عساف المحترم الذي اوقفنا على مآثر جمعية الفيحاء في هذه الحقبة من الدهر ليمجد الناسُ الله في اعمال ارباب الخير ويجري الخلف على امثال السلف فيستحقوا اجرهم ولا يضيع عند الله اجر المحسنين

ل. ش

رسبوتين الراهب المحتال

للكاتب الانكليزي وليم لوكو تعريب اسعد خليل داغر

عُني بنشره يوسف توما البستاني بمطبعة التوفيق بمصر سنة ١٩٢١ (ص١٧١)

الراهب رسبوتين احد النصابين من فلاحي روسيَّة توصَّل بخبثهِ ومراءاتهِ ومدَّعياتهِ الباطلة الى ان خدع كثيرين من مواطنيهِ حتى بلغ بدسائسهِ وحيلهِ الى العرش الامبراطوري وتقرَّب من القيصر نيقولا الثاني ولاسيَّما قرينته الامبراطورة الكسندرة فكان هو احد اسباب سقوط القيصر وهلاك الاسرة الامبراطوريَّة . وقد لقي هو ايضاً حتفهُ بظلفهِ وهذه الاخبار مع صحَّتها غالباً قد رُويت هنا على صورة خياليَّة اكثر منها تاريخيَّة وهي لروائي انكليزي شهير بتفننهِ وقد اخرجها معرِّبها اسعد افندي خليل داغر على صورة شائقة فصيحة العبارة

نوادر الحرب العظمى

عُني بجمعها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب

طُبع في مصر بالمطبعة اليوسفيَّة سنة ١٩٢١ (ص٢٥٦)

هذه ٣٨٧ نادرة من «قصص رسميَّة واقعيَّة فكاهيَّة مؤثرة» انتزعها جامعها الاديب من الجرائد والتآليف المختلفة التي نُشرت في زمن الحرب العظمى وبعدها فنظم سلكها في هذا الكتاب اللطيف . بحيث يتنقَّل القارئ من نادرة الى اخرى بلذَّة وبهجة دون ان يلقى بقراءتها عناء حتى يأتي الى آخرها بل تتجدَّد في قلبهِ شواعر ساعات الحرب اذ كان يتوقَّع اخبارها ويتوق الى معرفة تفاصيلها . وقد شبَّهنا الكتاب بمعرض الصور المتحرِّكة التي تقرُّ لها الابصار وتثلج بمحاسنها الصدر ل . ش

شذرات

﴿منشور بطريركي﴾ قد وجَّه غبطة بطريرك السريان الانطاكي مار اغناطيوس افرام الثاني الى لفيف اكليروس وشعب كنيستهِ الكرام رسالة غاية في الحسن لفظاً

رسبوتين الراهب المحتال

للكاتب الانكليزي وليم لوكو تعريب اسعد خليل داغر

عُني بنشره يوسف توما البستاني بمطبعة التوفيق بمصر سنة ١٩٢١ (ص١٧١)

الراهب رسبوتين احد النصابين من فلاحي روسيَّة توصَّل بخبثهِ ومراءاتهِ ومدَّعياتهِ الباطلة الى ان خدع كثيرين من مواطنيهِ حتى بلغ بدسائسهِ وحيلهِ الى العرش الامبراطوري وتقرَّب من القيصر نيقولا الثاني ولاسيَّما قرينته الامبراطورة الكسندرة فكان هو احد اسباب سقوط القيصر وهلاك الاسرة الامبراطوريَّة . وقد لقي هو ايضاً حتفهُ بظلفهِ وهذه الاخبار مع صحَّتها غالباً قد رُويت هنا على صورة خياليَّة اكثر منها تاريخيَّة وهي لروائي انكليزي شهير بتفننهِ وقد اخرجها معرِّبها اسعد افندي خليل داغر على صورة شائقة فصيحة العبارة

نوادر الحرب العظمى

عُني بجمعها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب

طُبع في مصر بالمطبعة اليوسفيَّة سنة ١٩٢١ (ص٢٥٦)

هذه ٣٨٧ نادرة من «قصص رسميَّة واقعيَّة فكاهيَّة مؤثرة» انتزعها جامعها الاديب من الجرائد والتآليف المختلفة التي نُشرت في زمن الحرب العظمى وبعدها فنظم سلكها في هذا الكتاب اللطيف . بحيث يتنقَّل القارئ من نادرة الى اخرى بلذَّة وبهجة دون ان يلقى بقراءتها عناء حتى يأتي الى آخرها بل تتجدَّد في قلبهِ شواعر ساعات الحرب اذ كان يتوقَّع اخبارها ويتوق الى معرفة تفاصيلها . وقد شبَّهنا الكتاب بمعرض الصور المتحرِّكة التي تقرُّ لها الابصار وتثلج بمحاسنها الصدر ل . ش

شذرات

﴿منشور بطريركي﴾ قد وجَّه غبطة بطريرك السريان الانطاكي مار اغناطيوس افرام الثاني الى لفيف اكليروس وشعب كنيستهِ الكرام رسالة غاية في الحسن لفظاً

ومعنى كتبها بنسبة إعلان القديس افرام كلفان الكنيسة جمعاء وضمنها خلاصة تعاليم ذاك الرجل العظيم وسيرته الصالحة فاجتنى من تآليفه شهادات ساطعة في إثبات اخص المعتقدات الكاثوليكيَّة ومن حياته أمثلةً جليلة في اسمى الفضائل المسيحيَّة التي يحتاج اهل العصر الى ممارستها - فنشكر غبطتهُ على هذا الاثر البديع ونطلب الى شفيعهِ المشفَّع ان يبارك اعمالهُ ويحقّق امانيهُ في ارتداد الضالّين الى حجر الكنيسة المقدَّسة

﴿ دار الكتب الكبرى في بيروت ﴾ من جملة نعم الدولة الفرنسويَّة منذ احتلالها في اصقاعنا توجيهُ عنايتها الى انشاء مكتبة كبرى في بيروت يقصدها الادباء للدرس والمطالعة والتأليف. وهي امنيَّةٌ طالما رغبنا في تحقيقها في عهد الدولة التركيَّة وبيَّنَّا لعمَّالها حاجتنا الماسَّة اليها. فكان كلامنا كالكتابة على صفيحة الماء او كضربة في الفضاء. وها قد باشرت بالعمل فعيَّنت موقتاً طابقاً من مدرسة الدياكونيس الالمانيَّات فخصَّتهُ لانشاء المكتبة وانتدبت لتنظيمها وادارتها أعلم ابناء الوطن بالكتب والمطبوعات جناب الكونت فيليب دي طرَّازي وبعض المساعدين الاختصاصيين. فما لبثوا ان شمَّروا عن ساعد الجدّ واعدُّوا الخزائن فجمعوا فيها قريباً من ٥٠،٠٠٠ كتاب والامل معقود على ترقّي هذا المشروع الجليل. وقد نشرت الادارة اعلاناً بذلك وتدعو كل محبي الآداب الى معاضدتهِ. وقد بلغنا ان بعض ذوي المروءة وارباب العلم أتحفوا هذا المعهد الكتابي بعدَّة مطبوعات وتآليف مختلفة فرجوا بذلك شكر العموم. فعسانا نشاهد قريباً في بيروت مكتبة وطنيَّة حافلة بالاسفار الجليلة لاسيَّما الشرقيَّة فتضاهي دور الكتب الكبرى التي لا تخلو منها في اوربَّة مدينة راقية

﴿ حرير الموز ﴾ قد توفَّق احد البرتغاليين الى اصطناع انسجة حريريَّة استحضرها من ليف اوراق الموز أُعجب بها كل من نظرها. وقد اخترع ذلك في اوان الحرب اذ تصاعدت اسعار الاقمشة والملبوسات. والبرتغاليُّون يبنون على هذا الاكتشاف اطيب الآمال لغنى بلادهم ومستعمراتهم بالموز

﴿ الاصداء الشهيرة ﴾ في بلدة بَلِيس من اعمال سويسرة صدًى اشتهر بدويّهِ وانعكاساتهِ المتعدّدة فاذا أُطلق هناك مدفع أصدت لهُ الأودية المجاورة مدَّة نحو خمس دقائق فيخيَّل لك انَّ ثمَّت ساحةً وغىً هائلة وهناك رجلٌ يكسب معاشهُ باطلاق مدفعين امام الزوَّار المتقاطرين الى تلك الجهة. ومن اغرب الامكنة المُصدية بعد

بلمس قبة العماد في كاتدرائية مدينة بيزا في ايطالية فانها تحوّل الصوت بل اي دويّ او جلبة كانت الى اصداء موسيقية رخيمة

﴿متانة خيط العنكبوت﴾ بيّن حضرة الاب طوران في مقالته عن العنكبوت العجائب التي خصّ بها تعالى هذه الهامّة الغريبة . ولولا ضيق المكان لذكر ما يُعزى لنسيج العنكبوت من الفوائد الطبيّة كضماد للجراح وعلاج للامراض العصبيّة ومداواة للحُمّيات . وممّا روتهُ احدى المجلّات العلميّة انّ خيط العنكبوت مع دقّته امتن من الفولاذ عينهِ الذي هو معروف كأمتن جميع المعادن . وبيّنت ذلك بالمقابلة بين ما يحملهُ قضيب من الفولاذ اسطواني قطرهُ سنتيمتران ونصف وما يحملهُ خيط العنكبوت فان القضيب لا يقوى على حمل اكثر من ١٠٠ طنّ . امّا خيط العنكبوت فانهُ بحملهِ عنكبتهُ يحمل دون انقطاع ١٠ غرامات فلو كان قطرهُ كقطر قضيب الفولاذ لحمل ١٤٨ طنًّا . وزادت المجلّة بهذه المناسبة انّ طول خيط العنكبوت البالغ ثقل نصف كيلوغرام يوازي دائرة كرتنا الارضيّة عند خطّ الاستواء اعني اربعين الف كيلومتر

﴿نابغة السباحة﴾ في بدء هذا العام سبح الايطالي تيرابسكي مدة ٢٤ ساعة متواصلة من جمهورية اورغواي الى بوانس أيرس . مجتازًا مسافة ٥٠ كيلومترًا ولم يسبقه احد في مثل هذا الشرط

﴿مأثرة الليوتنان كازال الفرنسوي﴾ فاق كل الطيّارين اقرانهُ في بدء هذا العام حيث صعد الى علوّ ١٠،١٠٠ متر . اعني انهُ ارتفع نحو كيلومترين فوق اعلى جبال الارض كجملايا ومن عجيب امر هذا الطيّار انّهُ لم يستغرق اكثر من ساعتين صعودًا وانحدارًا . ومن ١٣ سنة كان معظم الارتفاع الذي ادركهُ سانتوس دومون ستة امتار فقط ! . والحقّ يقال قلّما ورد في تاريخ ترقّي الاختراعات البشرية العديدة ما يضاهي اختراع الطيارات في سرعة رقيّها وانتشارها

﴿اعظم اكتشاف علمي من غرّة الجيل العشرين حتى اليوم﴾ بتوفّق العقل البشري كل يوم الى اختراعات جديدة والمجلّات العلميّة مشحونة بما يبتكرهُ اذكياء الناس من ادوات ومصنوعات لا تُحصى . ولكن هيهات ان يُكتشف في كلّ جيل مبدأ علمي يغدو ركنًا لعدّة اختراعات في الاعصر اللاحقة . ولنا مثال جليل في احد

تلك المبادئ الغزيرة النتائج ألا وهو مبدأ تجاذب كل الاجرام بنسبة حجمها وعكس مربع المسافة الفاصلة بينها . اكتشفه الرياضي الشهير نيوتن استناداً الى أرصاد الفلكيين النوابغ كوبرنيك وكبلر وغليلاي . فعلى ذلك ناموس التجاذب العام تأسس كل علم الفلك منذ نيوتن حتى ايامنا هذه حيث توصل العلماء بواسطته الى ادراك مكنونات حركة كل سيارات المجموع الشمسي ما عدا عطارد وحركات المذنبات المارة كالسهم تخرق الفضاء ومئات من النجوم الدائرة واحدة حول اخرى

امّا دوران سيارة عطارد حول الشمس فلم يتبع تماماً ناموس التجاذب وقد عيَّ جهابذة الرياضيين الفلكيين عن تفسير تلك الاحجيّة الغامضة وذلك الشذوذ الفريد في نوعه حتى قام منذ نحو اثنتي عشرة سنة العلّامة الالماني ألبر أينشتين (A. Einstein) وهو اصغر اعضاء اكاديميّة العلوم البروسيانيّة سنًّا — فهذا عرض على علماء الخافقين ناموساً اكمل من الذي اكتشفه نيوتن لتفسير حركات الاجرام السماوية . والدليل على ذلك انهُ يفسّر تلك الحركات وفي جملتها حركات عطارد . وكان اجلى تأييد لصحة ناموس أينشتين انّ صاحبهُ سبق فوصف بعض النتائج للخسوف الشمسي الذي شوهد في البرازيل في ايار سنة ١٩١٩ . قال : «ان اشعّة نجمٍ معلومٍ لا تصل الى الارض بعد مماسة طرف القرص الشمسي الّا تحيد عن خطّها المستقيم بمقدارٍ معيّن مختلف بالكليّة عن الذي يقتضيهِ ناموسُ نيوتن » . فحقّقت الرصودات العديدة الحادثة اوانئذٍ ناموس العلّامة الالماني وأكسبت صاحبه شهرةً عظيمة في كل المعاهد ولاسيّما الاكاديميات العلمية . الحق يقال لم يغيّر اينشتين ناموس نيوتن قطعاً من قبيل محتوياته لكنهُ زاد عليه زيادة ضرورية لتفسير كل الحركات الفلكية . وتلك الزيادة مبنيّةٌ على امرٍ كان يجهله ليس فقط نيوتن ومعاصروه بل لفيف الفلكيين حتى اواخر الجيل التاسع عشر . وهو الآن من الحقائق الراهنة التي لا يختلف فيها اثنان . اعني حركة كل المجموع الشمسي المتّجهة الى نقطة من الفضاء لم يستطع العلماء تحديدها بكل دقّة ولكنهم يجعلونها في حدودٍ معلومة من القبة الزرقاء . ومن البديهي ان منظر حركات الاجرام السماوية من الارض يختلف ضرورة مع وجود حركة المجموع الشمسي عمّا يكون بفرض عدم وجودها

الاب رفائيل نخله

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد ما نوكم بما كتبهُ احد المستشرقين في مقدّمتهِ على ترجمة كتاب الحمامة لابن العبري (Wensieck : The Book of the Dove, p. LXIII) انَّ الامام ابا حامد الغزّالي قال بمادّية النفس ؟

الغزّالي ورأيهُ في النفس

لا شكَّ في انَّ الامام الغزّالي كان يقول بروحانيَّة النفس وتجرُّد جوهرها عن المادَّة . والظاهر انَّ المستر فنسيك لم يُدرك ما اراد بهِ ابو حامد في كلامهِ عن الروح والنفس في احياء علوم الدين (ج ٣ ص ٤) فنسب اليه هذا الرأي الشنيع زورًا

س وسأل احد قرّاء مجلة العرفان الغرّاء أصحيح ما روي في عدد هذه المجلة الاخير أن فولتير جاء من اوربَّة في عهد الجزّار وزار قلعة شقيف تيرون ووصفها في كتاب رحلتهِ

فولتير ورحلتهُ الى سوريَّة

ج انَّ فولتير امام الزندقة في زمانهِ لم يخرج قطّ من اوربَّة وكان قد مات في عهد الجزّار ولعل الاسم التبس على الكاتب وهو يريد فولنه (Volney) ورحلتهُ الى بلاد الشام مشهورة

س وسأل الكتبيّ يوسف افندي صنبر متى عاش الشيخ صالح بن محمّد الغزّي التمرتاشي صاحب كتاب «معونة المفتي والقاضي وسعفة الداني والقاصي» الذي حصل على نسخة منهُ

الشيخ صالح الغزّي وكتابهُ معونة المفتي والقاضي

ج الشيخ صالح الغزّي هو ابن محمّد بن عبدالله الغزّي التمرتاشي ترجمهُ المحبي في تاريخ خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (٢ : ٢٣٩) وذكر ولادتهُ في سنة ٩٨٠ ووفاتهُ ١٠٥٥ هـ (١٥٧٢—١٦٤٥م) نبغ في العلوم الفقهيَّة في مصر . وعدَّد لهُ بعض التآليف لكنَّهُ لم يذكر كتابهُ معونة المفتي والقاضي . ويُعرَف لوالدهِ ابي صالح محمّد بن عبدالله كتاب ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون وهو معين المفتي في الجواب على المستفتي وقد تصحَّف هناك (٥ : ٦٤٥) اسم «الغزّي» بالعربيّ وكذلك في كتاب بروكلمان Brockelmann : Gesch. d. arab. Litter., II, 311 منهُ نسختان في مصر في المكتبة الخديوية وفي الاستانة

ل . ش

المشرق

من القصر الملكي الى دير الكرمل

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

كل الصفات الجميلة تزيد رونقاً متى زانت الملوك والامراء لكنَّ اجمّها فيهم كما في رعاياهم هي القداسة . والقداسة عبارة عن مجموع كل الفضائل بدرجة سامية تخور دون الارتقاء اليها القوى البشرية المعتادة

هذا وان كانت قداسة الملوك والامراء قبل مجيء السيد المسيح على الارض من النوادر فقد اصبحت بفضل الدين الكاثوليكي من الامور الكثيرة الوقوع على توالي الاجيال . فمن قلّب صفحات تاريخ اوربّة مثلاً ولاسيما في القرون الوسطى قضى العجب من كثرة القديسين والقديسات الذين شرّفوا عروش بلادهم . فلو اردنا سَرْد اسمائهم لطال بنا البحث فنكتفي بذكر اثنين من اشهرهم وهما القديس اسطفان الاوّل ملك المجر من سنة ١٠٠٠ الى سنة ١٠٣٨ وهو الذي هدى شعبهُ الى النصرانيّة . وملك فرنسة لويس التاسع المتوفّى في تونس سنة ١٢٧٠ اثناء الحرب الصليبيّة الثامنة التي كان حامل لوائها الشريف

واذا احصينا في عداد الملوك والامراء القديسين ليس فقط الذين صرّحت الكنيسة بقداستهم امام العالم الكاثوليكي اجمع بل ايضاً الذين امتازوا في عين معاصريهم وخلّفهم بسموّ الفضائل اتّسع بنا المجال اتساعاً عجيباً وزاد عدد القديسين المتوّجين زيادة بالغة جداً . وهل ذهل القرّاء عن ملخّص سيرة السلطان اليسوعي المولى محمد العباس ابن سلطان فاس المولى عبد الملك وولي عهده ؟ (المشرق ١٩٢١ ص

٢٢٠—٢٢٥) أفليست حياة هـذا الامير المترهب المتوفى سنة ١٦٦٧ مزدانةً باجل التاقب المسيحية بل موسومة بسمة القداسة المحضة ؟

ولدينا مثالٌ بديع كهذا وله مزيّة حداثة العهد ألا وهو مثال اميرة دوقيـة لوكسمبرغ فقد تنازلت بطلق اختيارها عن العرش ورذلت حطام العالم مع انها في ريعان الشباب ودفنت جاهها السامي في احد اديار ايطالية . وقد شاهدت اوربة بل العمور بمنتهى الاعجاب هذا المشهد الرائع في العام الاخير

قصدنا في هذه المقالة ان نقدم للقرّاء نموذجاً كالسابقين احتبكت فيه اشعة السناء الملكي وانوار القداسة العليا . وذلك بتلخيص سيرة الاميرة لويزة دي فرنس (Louise de France) كريمة ملك فرنسة لويس الخامس عشر التي كانت مثال المرأة الباسلة في كل ادوار حياتها المتقسة بين قصر ابيها ودير الكرمليات في سان دني (S' Denis) من ضواحي باريس

١ الاميرة لويزة في القصر الملكي بفرسايل

من حقائق التاريخ الراهنة التي اجمع عليها الكتبة ان بلاط فرسايل اثناء مُلك لويس الخامس عشر كان مسرحاً لانواع الفجور والفواحش بل كان العاهل نفسهُ مستسلماً للشهوات مشكّكاً شعبه النبيل واوروبة جماء بسوء سيرته وانهماكه في الملذات . على انَّ الله قد متّع انظار الناس في تلك الردغة الخبيثة وبين تلك الاشواك باجمل الزهور المشرقة الاكمام الفائحة العبير اذ سطعت انوار القداسة وتمّ عرفها الشهي في ذلك القصر عينهِ ما بين القبائح والرذائل . فانهُ تعالى كان اصطفى لخدمتهِ وحبّهِ من بين مئات من الامراء المخالفين لاوامره المقدّسة نفرًا من الانفس الشريفة النقيّة في مقدمتها الملكة المهلة من بعلها نعني ماري لَشِنسكا (Marie Leczinska) وبناتها واحداهنّ الاميرة لويزة دي فرنسة التي عليها مدار كلامنا

*

وُلدت هذه الاميرة في ١٨ تموز ١٧٣٧ وقد حباها المولى جمالًا طبيعيًّا يُبهج الانظار ويشعّ ضياء على وجهها . ومن نعومة اظفارها بانت فيها مخائل النجابة والمروءة . وقد اثرت فيها نموذجات اسمى الفضائل المسيحية الساطعة في شخص والدتها الحارّة التقوى

فانطبعت على صفحات قلبها الرقيق كالاحرف المنحوتة على الرخام تكرُّ عليها الاعوام ولا تُنقص شيئاً من جلائها . وقد كتبت الاميرة بعدئذ في مذكراتها التي سنروي بعضها في هذه المقالة بالترجمة الحرفية ما يلي : « وكثيراً ما دُهشتُ من ان الملكة استطاعت التحرّر من تأثير أترابها ومُحيطها وسلوك خطّة القداسة في وسط القصر الملكي وتتميم واجبات مقامها السامي بأمانة كاملة »

فتلك الفضيلة رضعتها الاميرة مع الحليب فحادت منذ صباها عن طريق والدها الماهر وقفت على آثار امها القديسة في مهيَع الطهارة والبرّ . لنا شاهد على قولنا بعض المقاصد التي جعلتها دستوراً لحياتها في بلاط فرسايل الحافل بانواع الاخطار الادبيّة :

« سأتقي تقي من المُعجب فهو سمّ المراتب العالية — ومن الكسل والتفخّل . . . ومن العيش الذي ربّما ساقتني اليه مخيّلتي القلقة — ومن جملة اعمالٍ وقاني الله منها حتى اليوم . ينبغي ان أظهر في سلوكي لمن يحيطون بي روح الترتيب على الدوام سواء كان في رياضات التقوى المتادة او في الواجبات والاعمال العالمة المناسبة لحالتي . اريد ان اكون دائماً ليّنة العود صبورة في المحن مستعدّة لتضحية ارادتي الشخصيّة بشوشة متواضعة قولاً وسلوكاً . . . اريد ان اجعل مركزي بين اهل التقوى وان اتمم واجباتي الدينية دائماً بغاية الورع . . . اريد ان اجعل كل فرضٍ يعرضُ لي الفرضَ الجوهري وعلى هذه القاعدة اكون دائمةً لسيّدي نحو الله آناء الليل واطراف النهار ! »

لصوي ما اعجب واسمى تلك المقاصد في اميرة يزيّن لها عنفوان الشباب اتباع الاهواء ويمهّد لها سبل الشهوات ما تجدهُ حولها من النموذجات الباطلة ولكنها رأت قلب والدها وقلوب بطانته حائدةً عن جادّة الفضيلة فحدا بها ذلك المشهد المحزن الى تضحية نفسها في محبّته تعالى تكفيراً عن ذنوبهم وارضاء لجلاله . قالت في مفكراتها : « وا لهفاه . اني انوح امام الله اذ لا ارى حولي سوى اشخاص لا تعبأ قلوبهم بالنعم الالهية فلا يطلبون غير الخيرات الارضية »

وان سألتَ من اي المناهل كانت تستقي الفتاة القديسة تلك الشهامة النادرة المثال في جنسها وسنّها ومُحيطها ؟ اجيب : من المناهل المسيحية المعروفة لدى الخاصّة والعامة الّا ان القليلين والسفاه يردونها بتواتر وثبات للارتواء بزُلالها المحيي للانفس

كانت الاميرة تتناول خبز الملائكة مراراً عديدة في كنيسة القصر . وفي بعض الاعياد كانت تتقدّم الى مائدة الخلاص امام جمهور الامراء والاشراف لينالهم البنيان

الصالح . وكثيراً ما كانت تُعدّ قلبها لاستقبال الضيف الالهي بواسطة الاعتراف والندامة الشديدة على اخفّ الشوائب والنقائص . ومن المؤكّد انها كانت مضطرمة العبادة لقلب يسوع الاقدس مع ان هذه العبادة المنتشرة اليوم في كل الاصقاع لم تكد تتعدّى حينئذ دائرة نشأتها . قالت الاميرة في مذكّراتها »

« من قلب يسوع الجدير بالسجود نستقي كل النعم . ولو انّنا طمّنّا هذا القلب الالهي فعلينا ان نرمقهُ بالثقة والندامة . فلنلجأ الى خباياه الباطنة من الجرح الذي اثخنهُ به ابدينا القاسية . لعمري ان هذا القلب لا يخفق خفقات الغضب والانتقام بل خفقات الحنو نحونا والرأفة بضعفنا والرغبة في خلاصنا . خفقات الجودة والمسامحة والرحمة »

امّا عبادة لويزة دي فرنس للعذراء المجيدة عليها السلام فكانت تضاهي السابقة باخلاصها وحرارتها . ولا غرو فان الاميرة كانت حفيدة الملك لويس الثالث عشر الذي كرّس مملكته تكريساً رسمياً علنيّاً دائماً لسلطانة السماء والارض . واليك بعض نفثات قلم الاميرة التقيّة في مخاطبة امها السماوية :

« يا امي الحنون ليت لي نصيباً في هبات ابنك الالهي وبركاته بمشاركة كل رعايا هذه المملكة الموكولة بنوع خاص اليك ومقاسمة أسرة جُلّ مجدها انها ملكٌ لك . كوني دائماً ايتها العذراء القديسة حاميتي وقدوتي في التصرّف بحالي مقامي . كوني سندي وملجاي في الاخطار كوني املي وعوني في سعي لنيل السماء »

كانت الاميرة متعبّدة ايضاً للقديس ميخائيل رئيس الملائكة وشفيع فرنسة الرسمي ولأحد اعظم اجدادها القديس لويس التاسع ملك فرنسة وللقديس فرنسيس كسافاريوس مبشّر الهند واليابان بالانجيل الشريف وللقديسة ترازية ام الراهبات الكرمليات اللواتي كانت تنوي الانتظام في سلكهنّ كما سترى

ولم تكن تلك العبادات الشتّى نحو القلب الاقدس وسيدتنا العذراء ونفر من القديسين قائمةً في مجرّد العواطف الرقيقة الخشوعية التي تلوح وتتوارى كنور الشمس في الشتاء او كالسحاب الجهام في سماء الصيف بل كانت مؤسسة على التأملات العميقة والروابط المتينة والاعتقادات الدينية الراسخة التي هيهات ان تمحّيها طوارئ الزمان . كفى شاهداً عليه ما خطّته يد الاميرة الفتاة بشأن الموت وهي لم تزل في ربيع الحياة وبحبوحة العزّ . قالت ونعم القول الرائع :

« ان شرف المجد وسموّ المقام والعزّ والفخار والامتيازات . كل ذلك سوف يتبدد عني في ساعتي الاخيرة . ولن يبقى لي غير يسوع المصلوب فأجد كلّ ثروتي في جروحه المقدسة . سأرنو اليها رنوّ الثقة وأقبّلها الف مرّة بل سأختفي فيها لأحمي نفسي ضدّ العدل الالهي واقرأ فيها كل ما عليّ ان ارجوه من رحمة الباري »

ولم تكن تلك القداسة السامية لتدل على محيّا الاميرة نقاباً كثيفاً من السأم او الحزن او الجهومة وتميل بها الى حب الخلوة المفرط . فبعكس ذلك كانت الفتاة التقيّة تأخذ بطيبة خاطر نصيبها من كل اعياد قصر ڤرسايل واحتفالاته بل وذات ملاهيه . كانت تشارك ابويها واخاها واخواتها وسائر الامراء والمقرّبين في المآدب الفاخرة وملاذّ الصيد والالعاب الرياضيّة فتحضر كلّاً منها بالملابس اللائقة للمقام وتفتن جلساءها بطلاقة محيّاها وفكاهة حديثها . فقد عرفت بعقلها المتوقد ذكاء ان كل هذه الامور عاريةٌ في حدّ ذاتها عن ادنى خطيئة بل انه يمكن تقديسها وتقديمها لله بمجرّد توجيهها الى خدمته وإنعاشها بحبّه عزّ وجلّ . وبعبارة موجزة كانت قد ادركت غزارة المعنى المكنون في آية مار بولس المروقة : « التقوى مفيدة لكل شيء »

ولم تمنع ابّهة القصر الملكي وكثرة ملاهيه تلك الفتاة الهائمة في حبّ يسوع المصلوب من ممارسة التقشفات الصارمة تحت ستر الخفاء . فكان من عوائدها تناول ما لا تحبّه من المآكل اكثر من غيره وعدم ايقاد النار في حجرتها في أوان البرد القارس والتسلّط على نفورها من رائحة شموع ذلك العهد المصنوعة من شحم الغنم وكانت اوانئذ الواسطة المعتادة للاستنارة حتى في بلاط اعظم الملوك . ولم تكتفِ الاميرة القديسة بكل تلك الآلام الاختيارية بل كانت افترضت على نفسها تلاوة الفرض الكنسي برمّته كل يوم كشأن الكهنة والرهبان . وكانت تلبس على جسمها مباشرةً تحت الثياب الفاخرة الناعمة قميصاً خشناً من الصوف الغليظ . بل كثيراً ما كانت تلبس المسح نفسهُ وتجلد جسدها لقهر جماحه وإخضاعه بالكلية للروح

فلا بدع ان قد عطف السيد المسيح من اعالي سمائه نحو تلك الفتاة المحلّاة على ضعف جنسها وفساد محيطها بقوّة الأبطال وطهارة الملائكة . فأحبها حبّاً خاصاً واختارها عروساً لنفسه طالباً منها تضحية المال والجاه وكل الافراح العالمية وتكريس حياتها لمجرّد حبّه وخدمته في رهبنة تُعدّ اشدّ الرهبنات شظفاً

٢ الدعوة الرهبانية ودخول الاميرة في دير الكرمل

سمعت الاميرة لويزة دعوة السيد المسيح الاولى الى التجرُّد الكامل في ٧ تشرين الاول ١٧٥١ وهي ابنة اربع عشرة سنة لا غير . وكان ذلك يومَ رافقت والدتها الملكة الى دير الكرمليات في باريس لحضور ترهب الكونتاس دي رُوبلموند (de Rupelmonde) وهي احدى السيدات الشريفات في قصر ڤرسايل . فكان لهذا المشهد شديد الوقع في نفس الفتاة الورعة . بل نوَت مذ ذاك الحين ان تتبع الكونتاس في الدير باقرب وقت قصدها عن ذلك العزم رئيسُ الاساقفة دي بومون المشهور بقداسته وحكمته اشار عليها بتأجيل ترهبها لئلا يشق هذا الفراق على العائلة الملكية وقد خطفت منها يدُ المنية في السنين الاخيرة اعضاء كثيرين كاخيها ولي العهد وجدها استانسلاس ملك پولونية

فانقادت لويزة لنصيحة الحبر الجليل ومع انها شديدة النفور من الحياة العالمية صبرت عليها فوق ثماني عشرة سنة الى ان يسَّرت لها العناية الالهية تتميم مقصدها الشريف . واذا اعتبر القارئ شدَّة هيامها بسيدها يسوع المسيح واضطرام رغبتها في الانقطاع الكلي الى خدمته لاح له كالشمس في الضحى ان ذلك الانتظار الطويل كان من اثقل المحن لها وانه اجلى شاهد على قوة ارادتها وثبات عزمها مع ما لقيتهُ من ضروب العوائق . وما سطعت فيها تلك المناقب النادرة المثال الَّا لكونها وزنت دعوتها الرهبانية بميزان الفطنة والتروّي وتيقَّنت ان هذا المشروع جديرٌ باهتمامها وقد اوردت الاميرة في مذكراتها دواعي ترهبها فقالت :

« انَّ ما يحثني على الترهب – فضلًا عن الوفاء عن خطاياي وذكر ما قاساهُ السيد المسيح لخلاصنا – التكفيرُ عن الخطايا ، لا مناص منهُ في العاجلة او الآجلة . والحال ان هذا التكفير اوعرُ مسلكًا في الرفاهية ولاسيما لمن هو مولع بالنعيم مثلي – ويدفعني عليه ايضًا تذكار مثل المسيح عن الجمل الذي يعبر من خرم الابرة على غط اسهل من ان يدخل الغنيُّ في ملكوت السموات – ثم فريضة التصدُّق على الفقراء التي يأمرنا بها الله لنبذل لهم كل فضالتنا . وفضالتي واسعة للغاية – واخيرًا رغبتي في اقتناء الله عز وجلَّ الى ابد الابدين والتمتُّع بالتاج الذي اخذهُ لي في سمائهِ »

تزيد على هذه الغايات السامية ان كريمة الملك لويس الخامس عشر نوَت ايضاً وبنوع خاص في ترهبها التكفير عن آثام والدها العزيز المنهمك او المنشغل في ملاذ

الشهوات وتضحية نفسها في سبيل خلاصهِ الابدي . ولنا برهان اكيد على ذلك في مذكراتها حيث قالت :

« أن أكونَ راهبةً كرمليَّة وان يُصبح والدي منقطعاً بكليته الى الله هذا ما يقدر المولى على انجازه بل هذا ما سوف ينجزه بنعمتهِ . آه يا ليتني اموت كرمليَّةً فاترك عائلتي جمعاء على طريق السماء ! ولي الرجاء انَّ الملك اذا وقف على مقصدي سيرضى به . وهل يستطيع مشاهدة تنفيذه بدون ان يُجذَب الى الله فيتَّجه اليه بنوع كامل ؟ »

ولا غرو ان الاميرة التقيّة قد وقفت حياتها على خلاص والدها وضحّت عزّها وصباها لانهاضه من وهدة النكرات . ولمَّا حانت وفاة امها البارّة في تلك الاثناء خاطبتها هي واخواتها قبل تسليم الروح بهذه الكلمات الجميلة المؤثرة : « يا بُنَيَّاتي احببنَ الملك والدكنَّ . ولأني مفارقةٌ له استودعه اياكن . فأحببتهُ كما ثبتُّ انا على حبهِ بل احببتهُ في الضرّاء اكثر مما في السرّاء »

توالت على لويزة ثماني عشر سنة في الانتظار المؤلم بدون ان يفشل عزمها او تحيد عنهُ البتّة وقد ظهر الامر خصوصاً لمَّا نافت امبراطورة النمسة ماري تيرازية الشهيرة ان تعقد قِراناً بين ابنها الرابع الأرشيدوق مكسيمليان والاميرة لويزة فأوفدت الاميرَ فون كونِتس (von Kaunitz) الى قصر ڤرسايل للسعي في هذه المهمّة فرفضت الاميرة هذا الاقتراح رفضاً باتاً . ثمَّ بلغ بعد ذلك الارشيدوق المذكور اعتزال لويزة بالوهبانيَّة فجرى هو ايضاً على مثالها وصار فيما بعد رئيس اساقفة كولونية في المانية

ولمَّا كانت السنة ١٧٧٠ رأى السيّد دي برمون السابق الذكر انهُ لم يَعُد من مانع لاتمام لويزة قصدها وانَّ السيّد المسيح مهَّد لعروسهِ الطرق المؤدّية الى دير الكرمل المحبوب . ففي ٢ شباط مثَلَ بين يدي الملك وأطلعهُ على عزم ابنتهِ لويزة التي لم تفاتح بشأنه شخصاً سواهُ مدّة الثماني عشرة سنة وذلك من الغرابة بمكان في تلك الفتاة المبتلاة بانواع البلايا . فلمَّا طرق هذا الخبر مسامع لويس الخامس عشر سكب الدموع السخينة مدراراً وأجَّلَ جوابه على طلب ابنته العزيزة اسبوعين . ولمَّا انقضيا خطَّ لها هذه الاسطر البديعة التي يليق بكل والد ان يكتب مثلها في مثل تلك الظروف :

« ان كان ترهُّبك يا بنيَّتي الحبيبة لوجه الله فقط فلا استطيع مقاومة ارادتهِ وعزمكِ ولا ريب انكِ امعنتِ الفكر في امرك اثناء ثماني عشرة سنة مرَّت على انتظاركِ . والحالة هذه فلا

اطلب منك شيئاً غير ذلك . . . ضحيتي ثورية أما ضحيتك فاختيارية والمولى سيخولك القوة اللازمة لحياتك الجديدة حيث لا سبيل الى التقهقر بعد دخولك فيها . أعانتك يا ابنتي العزيزة بحب صادر من صميم الفؤاد وامنحك بركتي » من قصر فرسايل ١٦ شباط ١٧٧٠

والدك لويس

فاهتز فؤاد الاميرة تهللاً عند قراءة هذه الرسالة الطافحة بأرق العواطف الوالدية المقرونة بالاستسلام المطلق لارادة الله وبادرت الى تتميم تلك الارادة المقدسة فدخلت دير الكرمليات في سان دني من ضواحي باريس في تاريخ ١١ نيسان ١٧٧٠

حدث عن دهشة اولئك الراهبات ارتنتذ ولا حرج فانهُ لم يدُر على خلدهن ان ابنة ملك فرنسة التي قُدرت نفقاتها الشخصية السنوية بمليون فرنك تتنازل وتعيش بينهن حتى الممات عيشة الضنك والشظف بالعفة والطاعة والفقر في رهبانية شهيرة بتقشفاتها فلم ترض رئيسة الدير بقبولها الى أن تأكدت ان دعوتها من الله وانها ثبتت على عزمها الصالح ثماني عشرة سنة مع ما احاق بها من الاخطار واخيراً انَّ الملك اذن لها في الترهب

كان لدخول الاميرة لويزة في دير الكرمل رنة إعجاب وأسف في كل اصقاع فرنسة بل في كل الممالك الاوربية . وفي غد ذلك اليوم العظيم انبأ لويس الخامس عشر سفراءه لدى الدول الاجنبية بهذا الحادث الجلل كما جرت العادة عند مولد او زواج او وفاة احد اعضاء العائلة الملكية . وبقي ترهب الاميرة مدة طويلة احدوثة العامة والخاصة وكل من سمع به قضى العجب من شهامة الاميرة وطوّ نفسها وماضي عزمها وشديد زهدها في خيرات الفانية بعد ان رتعت نحو ثلاثة وثلاثين عاماً في بحبوحة العز والرفاهية

وحين بلغ هذا الخبر المفرح مسمعي الحبر الاعظم كليمنضس الرابع عشر ارسل رسمهُ وبركتهُ الخاصة الى الاميرة المترهبة على يد سفيره في باريس وتقدم اليه ان يحضر إبرازَ نذورها . ثم طلب صورتها من الملك والدها وكتب اليها ما يلي : « اننا أمرنا بتكثير نسخ صورتك الكريمة لكي تُعلق لكل الملإ سامي فضيلتك فيُعجبوا بهذا النموذج الجدير بالاقتفاء »

الحق يقال لم تكن لويزة اول من ترهب من نساء العائلة الملكية الفرنسوية بل

قد سبقها في هذا الميدان الملكة رادغُندة المتوفّاة سنة ٥٨٧ وقد اعلنت الكنيسة قداستها — والقديسة بإتلدة زوجة كارلوس الثاني († ٦٨٥) وبرتروده حفيدة العاهل العظيم شرلمان — والقديسة ايزابلة اخت القديس لويس التاسع († ١٢٧٠) — والقديسة جان دفرنس كريمة لويس الحادي عشر منشئة راهبات البشارة († ١٤٠٥) — وحنة اخت لويس الثاني عشر . كل اولئك الملكات والاميرات زهدن في ابهة الملك او الامارة وانقطعن لخدمة الله في الاديار . بيد ان بنت لويس الخامس عشر هي الاولى التي ترهّبت عند الكرمليات وهذه الرهبنة في غاية الصرامة والتقشف كما لا يخفى (١

في ١٠ ايلول ١٧٧٠ جرى احتفال باهر بمناسبة اتشاح الاميرة لويزة بالثوب الرهباني بعد ستة اشهر قضتها بالامتحان في الدير بملابسها العاليّة . وكان قد التأم اوانئذ في باريس مجمع اساقفة فرنسة فارادوا كلهم حضور هذه الحفلة المؤثرة . امّا الملك فانه امر بتزيين كنيسة الراهبات بافخر الزينة كما في قصره وارسل ثلاثين من ضاربي الآلات الموسيقية في ترسايل ليعزفوا هناك باجمل الاناشيد الدينية . وكان احد اديرة الكرمليات يحفظ كذخيرة ثمينة رداء للقديسة ترازية مُصلحة رهبنتهنّ فارسلتهُ الى سان دني لتتزر به بنت لويس الخامس عشر في ذلك اليوم الجليل . امّا الاميرة فقد لبست احد ثيابها الملكية الفاخرة المزركش بأزهار من الفضة وبعض اجزائه منسوج بخيط من الذهب . وكان شعرها وعنقها وذراعاها محلّاة بابدع الجواهر وقد احاط بها كل سيّدات بطانتها الشريفات وهي في قصر أبيها . وكنيسة دير الكرمل غصّت بجمهور الحاضرين من اساقفة واشراف وفي مقدّمتهم اعضاء العائلة الملكيّة . فالقى السيد دي لاريفيار اسقف طروى خطاباً في موضوع هذا الاحتفال المهيب . ثم تلا سفير البابا في باريس الصلوات الاحتفاليّة وطرح على الاميرة الاسئلة المعتادة بخصوص

---

١) ستين سنة قبل ترهّب الاميرة لويزة تُوفيت راهبة كرملية اخرى طاهرة الصيت تعني بها تلك التي كانت في العالم الدوقة دي لا ڤليار (de la Vallière) ومشوقة لويس الرابع عشر. فبعد ان كانت حجر عثرة لفرنسة بتهتّكها ادهشت المافقين حيث كفّرت ستاً وثلاثين سنة من آثام صباها في دير الكرمليات بلبس المسح وجلد نفسها وممارسة غير ذلك من انواع التقشفات

دعوتها والواجبات الثقيلة المترتبة عليها في رهبنة الكرمل فاجابت راضية بإتمامها

وبعد ذلك خرجت الكرملية الحديثة قُصّ شعرها الطويل الجميل وخلعت ثوبها الفاخر وكلّ حُلاها الرائعة فدخلت ثانيةً الى الكنيسة في الملبس الرهباني المنسوج من صوف غليظ والحاضرون في صمت وخشوع يأخذان بمجامع القلوب . اما شديد تأثيرهم حين شاهدوا التغيير الكلي في ازياء ابنة الملك فانهُ بلغ المنتهى ولم يتمالك الذين كانوا حبسوا دموعهم الى تلك الساعة من ذرفها مدرارًا فكان البكاء شاملًا لكل معاييني هذا المشهد العجيب . ثم تناولت الاميرة من احدى الراهبات وهي في الكنيسة زنّارًا من النحاس وثوب العذراء والرداء الابيض واللثام الابيض المنحدر الى منتصف وجهها . ولما تمت ازياؤها الجديدة الفقيرة استلقت على صدرها فوق الحضيض ومدّت ذراعيها على شكل صليب وبقيتْ هكذا اثناء تلاوة بعض الصلوات . ثم نضحتها رئيسة الدير بالماء المقدس فانتصبتْ وودّعت اقاربها الوداع الاخير

في ذلك اليوم الجليل قطعت بنت لويس الخامس عشر كل علائقها غير الضرورية مع القصر الملكي والعالم قطعًا كاملًا نهائيًا وخطتْ في سبيل التجرّد الكلي ووقف النفس على خدمة الله تلك الخطوة الرائعة التي لا رجوع الى الوراء من بعدها . ولا شك انها ترنمت في مساء ذلك النهار السعيد بالنشيد الروحي الذي غنته قبل بضعة اشهر في اوائل توجها واليك بعض فقراته الفتّانة :

« ايُّ شكرٍ أسديك اياه يا الهي لكونك اتيتَ بي الى دارك المقدسة وامام مذابحك ! هنا سأقضي ايامي من الآن فصاعدًا . هنا ساسكن الى الساعة الاخيرة من حياتي . فما اعظم سعادتي ! وهيهات ان يبلغ شكري ما تستحقهُ يا مولاي اذا قدمتُ لك حياتي كلها وانا تحت نير القانون المقدس الذي اعتنقتهُ ؟ لماذا الاسف على ما هجرتهُ ؟ انهُ لا شيء نسبةً الى ما اقتنيتُه يا الهي ويا كل شيء لي . من الآن سيصبح الفقر ثروتي التي انال بها ملكوتك الابدي . وهل من مقايسة بين ايام قليلة مقضيّة في التقشف وجهد لا غاية له ؟ اجل يا يسوعي اني اعتنق صليبك من صميم الفؤاد . ليتني لا انفصل عنه ابدًا ! هبني نعمتك يا مولاي لاكون ضحيتك . يا يسوع ما احلى هذا اللقب ! ارى نفسي مشرّفةً بكوني هجرت اباطيل العالم حتى أدعى ضحيتك »

وليست هذه اقوالًا منمّقة وعواطف حارّة ليس الّا فانّ الاميرة لويزة اخرجتها الى حيّز العمل بعزم لا يني طول السبع عشرة سنة التي قضتها في دير سان دني . وقد بقي علينا القاء نظرة سريعة على هذا الدور الهامّ والاخير من تلك الحياة المزدانة باسمى الفضائل

٣ . الاميرة الراهبة في دير الكرمليات

ان اردنا امعان النظر في قداسة تلك الحياة الرهبانية فلا مندوحة من الاحاطة باطرافها واستقراء بعض اوجهها العديدة ولذلك قسمنا هذا الفصل الى ابواب موجزة

﴿اقلّاية الاميرة في الدير﴾ لم تختلف البتّة عمّا لأخواتها الكرمليّات . كان اثاثها كرسيًا ومقعدًا صغيرًا من الخشب ينوب مناب رفّ للكتب التقويّة ثمّ ظرفًا للماء المقدّس وصليبًا وثلاث صور على ورق وشمعدانًا وقُلّة ماء ومكنسة وساعةً رمليّة وفراش الفقراء . تلك كانت امتعة الاخت تريزه — وهو اسمها الجديد في الرهبانيّة — بعد ان عاشت ثلاثة وثلاثين عامًا في قصر ملكي يغلب قصور الملوك رونقًا وتنعُّمًا وجمالًا ! كانت بنت لويس الخامس عشر لا ترقد قبل الساعة الحادية عشرة مساء فتضطجع على فراش من القش ممدودٍ فوق ثلاثة الواح خشبية ولا غطاء لها سوى مِقرمة من الصوف الغليظ . فكثيرًا ما كانت عيناها لا تكتحل غمضًا على ذلك المضجع الخشن وربّما صدم رأسها الحائطَ بعُنف في ليالي الارق . ثمّ تنهض من رقادها في الساعة الخامسة سحرًا بعد ست ساعات راحة فقط . وكانت اختارت لنفسها احقر قلالي الدير واقلّها نورًا ودفئًا فكأنها في الشتاء مثلجة وفي الصيف اتون . وكفى شاهدًا على ذلك ما كتبته الاميرة في زمهرير الشتاء :

« ان الصَّقَع يصيبني في الشتاء فيخيَّل لي في بعض الاحيان ان اصابعي اقطعت من يديّ . . . كنت على وشك الموت لشدّة الزمهرير فلعمري أني لم اتألم ابدًا اكثر مما تألمت هذا الشتاء . . . لكن هل انوح على ذلك كشأن الاطفال ؟ ألا يجب علينا ان نقدّم دائمًا من التضحيات للمولى ؟ »

اما الثياب الرهبانية فكانت خشنة كغطاء الفراش الآنف الذكر . وحيث عرفت الاميرة ذلك قبل ترهّبها تذرّعت بحيلة ظريفة لاقتناء قميص غليظ لاحدى الكرمليّات مدّعيةً انها تريد حفظها عندها كذخيرة مقدسة . فكانت تلبسه آونة بعد اخرى تحت الثياب الفاخرة الناعمة في قصر ڤرسايل وذلك لتعتاد خشونته قبل الترهّب ! ومع احتياطها هذا الغريب فانها تألمت كثيرًا بادئ بدء من خشونة ملابس الكرمليات وحيث نسبت ذلك لتواضعها الى جماح طبعها المولع بالترف ارادت كبحهُ بلبس المسح مدّةً فلما عاودت بعده الى لبس الصوف الاخشب ألفته ناعمًا كالحرير !

لا يُتاح للكرملية ان يكون لها في وقت ما اكثر من ثوب واحد . وبناء على ذلك لم تلبس الاميرة سوى ثلاثة ثياب طول السنين السبع عشرة التي قضتها في الدير . فكانت تداوم على لبس الواحد وتبالغ في ترقيعه الى ان يصير خلقاً فتحول اللياقة دون لبسه

﴿٢ مأكلها في الدير﴾ في الغداء والعشاء كان يوضع امامها وامام كل من اخواتها الراهبات قصعةٌ ليس فيها غير مأكولات ايام القطاعة من بقول وأرز وأطعمة مصنوعة من الحليب وفي بعض الاحيان قليلٌ من السمك وذلك لانه اغلى من غيره . امّا الفطور فكان من النوادر حيث يفرض قانون الرهبنة الصوم من ١٤ ايلول الى عيد الفصح بدون ادنى انقطاع ويتضح ان تلك المدة هي نحو ثلثي العام . اما الثلث الباقي فكان يسوغ فيه تناول كسرة خبز ليس الّا من فضلات الامس . فليتأمل القارئ كم شقّ هذا التقتير الشديد على ابنة ملك فرنسة المعتادة منذ تَرَف بنانها على افخر الموائد . زد على ذلك انها حين ترهبها كانت ضعيفة البنية مُصابة بنزيف الدم تكرهُ نفسُها كثيراً من تلك المآكل كالبيض واللبنيات والسمك فتعافها كأمرّ الادوية . لكنّ محبّة التألم من اجل يسوع غلبت على كراهيتها الشديدة فنصبت نفسها على اكل كل الاطعمة المقدَّمة لها بدون اظهار ادنى اشمئزاز وبدون التذرع باعتلال صحتها للحصول على المآكل المناسبة لذوقها

ولمّا علمت الراهبات بعد سنين عديدة بفرط نفورها من البيض أردن اعفاءها منهُ وابدالهُ بغيره مما يلذُّ لها فاجابتهنّ على الفور : « كلّا ثم كلّا . فاني حاربتُ ذوقي في هذا الامر مدّة سبع سنين واؤمل اني اكتسبت بعض الفوز من هذا الكفاح . فاذا مشيت الآن القهقرى فلا شك اني مغلوبة » . وقد ظهر تجرّدها وامانتها بمظهر اجمل من ذلك حين وجّه اليها الحبر الاعظم على أثر ترهبها رسالةً ليعافيها من كل قوانين الرهبنة المعاكسة لصحتها فرفضت بكل الاحترام الواجب التمتّع بهذه النعمة دون اكتراث لتوعك مزاجها . وقد افضى بها فتور معيشتها على توالي السنين الى داء النقرس فهو ينتج عن فرط التنور كما يتولّد من فرط المآكل الفاخرة وقد كان هذا السبب الاخير بدعاةً الى تسميته داء الملوك في ايّامنا . ومما كتبتهُ في هذا الصدد الى الكردينال دي برنيس ما لفظهُ : « أجل ان النقرس كثيراً ما يصيب الكرمليّات

ويتسلط عليهن بسبب شظف عيشتهن فانه يؤثر في اجسامهن الضئيلة تأثير القصف على اهل العالم »

﴿ ٣ تواضعها وفرط نفورها من كل الامتيازات ﴾ من يوم هجرت بنت لويس الخامس عشر اباطيل العالم وضعت مقامها الملكي فيه ننضت عن نفسها ادنى غبار الكبرياء . فكانت تنفر اشدّ النفور مما يبديه نحوها اخواتها الكرمليات من مظاهر التعظيم والتبجيل نظراً الى شرف محتدها وهي من سلالة ملكية تعاقب اعضاؤها على عرش من اعظم عروش العالم مدة ثلاثة اجيال ونيف وتربع غيرهم على ثلاثة عروش اوربيّة أخرى في الجيل السابع عشر . وقد افرغت ما لديها من الوسائل ليعدلن عن كل شارات اكرامهن الخاصّ لها

ومما كتبت في هذا الصدد : « ان الاخت ترازية لا تمتاز عن اية كرمليّة اخرى بسوى كونها ادنى الكل فضيلةً »

ومن الامور التي ما كانت تطيق احتمالها تسمية الراهبات لها باسم مادام (Madame) الذي كانت تُلقَّب به في قصر ابيها وكان وقتئذٍ من اسمى القاب الشرف مختصاً في سلالة البوربون ببنات الملك وقرينة اخيه وبنات وليّ العهد . فاستفدت وسعها لتنفي عنها تلك التسمية الشرفيّة . فلم تنل بغيتها الّا بعد شقّ النفس اذ لم تزل تُلحّ على رئيسة الدير في ضرورة مساواتها بسائر الكرمليّات حتى صدر الامر بذلك فنالت ظفراً مبيناً بعد طول الكفاح . ومن فكيه عتابها لبعض الواعظين على مدحهم لها شخصياً في مطلع العظات وفي خاتمتها قولها لهم : « ان عظاتكم تذكرني بالسمك الذي لا يصلح منه للاكل سوى ما بين الرأس والذنب »

وقد ظهر ايضاً تواضع الاميرة المترهبة في احوال اخرى . منها انّ من مقتضيات قوانين الكرمليات ان لا يجلسن على الكراسي الّا في الكنيسة وغرفة الاكل . اما سائر الامكنة ولاسيما القلّاية فلا يسوغ لهن الجلوس فيها الّا على الحضيض . فرضيت بتلك الاماتة الشديدة بنت ملك فرنسة . ثم ان الراهبات كنّ يحثون في الكنيسة ساعات طويلة في كثير من الايام وليس لهنّ سند تُسند اليه اليدان او المرفقان وفي ذلك ما فيه من العناء الباهظ خصوصاً للاميرة المعتادة على رفاهية قصر فرسايل . ومع ذلك فقد جارت اخواتها الكرمليات في هذا التقشف رغماً من ممانعتهنّ لها لكنها كانت

تشعر في هذه الحالة بخوَر قواهـا فكان يُغمى عليهـا حتى اضطرّت الى استخدام مركع . وحيث لم يوجد في الدير أرسل اليها من قصر ابيهـا مركعٌ من خشب السنديان الثمين وعليه شعار العائلة الملكيّة . بيد ان الاختَ ترازية لم تستعمله طويلاً حيث خجلت من ضعفهـا وترفها فاستعانت بنعمة الله وحاولت شيئـاً فشيئاً كبح جسمها فعوّدتهُ الركوع بدون سَنَد حتى فازت برغوبها . وقد حُفظ ذلك المركع بصفة ذخيرة نفيسة حتى يومنا هذا وكثيراً ما يتقاطر الناس لمشاهدته

﴿ ٤ صلوات الاخت ترازية ﴾ كانت تقضي كبقية راهبات الدير سبع ساعات كل يوم في انواع الصلاة من حضور الذبيحة الالهية وتلاوة الفرض وممارسة التأمل ومناجاة الله وزيارات القربان الاقدس وتلاوة الصلوات اللفظيّـة . وقد سطعت في شخصها منذ صباها العبادة الحارّة لسر القربان الجليل . وقـد روى الدوق دي لُوين (de Luynes) انها في اوائل حداثتها مرّت في عربتها الملكية بكنيسة القـديس روكس ورأت كاهناً خارجاً منها وحاملاً القربان ذاهباً به الى احد المحتضرين . فنزلت في الفور من عربتها وجثت على ركبتيها غير مبالية بوحل الطريق ساجدةً للاله المتلاشي في سرّ حبّه العجيب . فلا بدع ان قد وجدت بعدئذ في الدير سعادتها بالاعتراف مرّتين في الاسبوع والتناول يومياً وقضاء الساعات الطوال راكعةً امام بيت القربان . وقد خطّت في مذكراتها قولها :

«كل قوّة عروس السيد المسيح ناجمة عن التناول . فانه اقرب وآمن الطرق لها بل اقدر مُساوتها في وجه اعدائها . لعمري ان حضور الختن الالهي ينير ويطهّر الضمير ويشرح الصدر وينفي منهُ عَدْوى الحزن والوساوس الباطلة فيمهّد الطريق لتسلّط الحب والثقة وحدهما عليه »

ومعلوم انَّ الله كثيراً ما يغمر عبيدهُ ذلك الوقت الطويل بالتعزيات الروحية اللذيذة ويمتّعها بسعادة الاختطافات التي تفوق على كل افراح العالم وسروره الباطل . لكن الباري عزَّ وجلَّ لم يُرد ان ينعم على الاخت ترزة بتلك النعم التي لا يقوم فيها جوهر القداسة المتوقفة على حبه تعالى فوق كل شيء وبذل النفس والنفيس في سبيل الخضوع لاوامره ونواهيه . فقـد اقرّت هي نفسها بكونهـا محرومةً في الرياضات التقوية من عـذوبة التسليات السماوية فلا تصادف هناك سوى الجفاف الروحي في غالب الاحيان . ولا بدع في ذلك فهي تجربة طالما جرّب الله بها اعظم اوليائه بل

هو مأزق حرج ولج سيدنا يسوع المسيح ضيقهُ وظلمته اثناء صلاتهِ في بستان الزيتون

﴿ ٥ بقية اعمال الاخت ترازية ﴾ خارجاً عن مواعيد الصلاة كانت الاميرة لا تكفّ عن العمل في ما يؤول الى مصلحة الدير وهي القائلة : «دعوتي قائمة في الصلاة والعمل فلو أخلدتُ الى البطالة ولو هنيهةً لعدمتُ جوهر الراهبة الكرمليّة» . والحالة هذه كانت دائبةً على الشغل آناء الليل واطراف النهار لا تستنكف من اشقّ الاعمال وادناها كالخياطة البسيطة وخدمة المائدة وتهيئة المصابيح وتكنيس الدير والعناية بجُنَيْنته وحراسة البقرات ومَخض لبنها لاستخراج زبدتهِ وغسل الثياب ونشرها للتجفيف وقطف الكرم في اوانه والمساعدة في المطبخ والقيام بالوفاهة الى غير ذلك مما اعتادتهُ راهبات الاديرة

وقد امتازت الاخت تريزة بعنايتها الخاصّة بالمريضات من اخواتها الراهبات فكانت تَعُودهنَّ بتواتر وترتّب مضاجعهن وتقدّم لهن بطيبة خاطر أوضع الخدم . وقد اتفق ان احدى الطيلات عافت دواء كريهاً وأبت شربهُ فعند ذلك تناولت الاخت تريزة كاس المرارة ورشفت نصفه فاحمرّ وجه المريضة خجلاً من جُبْنها وجرعت الباقي . وعالجت الاميرة القديسة قروح احدى رفيقاتها وضمّدتها مدة عامين كاملين ولم يعلم احد بذلك التفاني العجيب سوى العالم باسرار القلوب . ثم استأثرَتْ بخدمة راهبة عمياء مثقلة بالعاهات بالغة من العمر احدى وتسعين سنة فكانت تغسل وجهها وتُلبسها ثيابها وتُطعمها الطعام بل تطيّب قروحها الكريهة وتقبّلها برأفة الام الرؤوم على اعزّ اولادها . تلك بعض الامثلة على ما انكبّت عليه مدة سبع عشرة سنة من اعمال الرحمة

وقد عُهدت اليها عدّة اعمال ذات شأن كالوكالة على املاك الدير وضبط مدخولهِ ونفقاتهِ وتثقيف الراهبات المبتدئات ووقع عليها الاختيار لرئاسة الدير مرّتين المرّة الاولى ثلاثة اعوام بعد ترهبها من ١٧٧٣ الى ١٧٧٦ والثانية من ١٧٨٦ الى وفاتها الواقعة في ١٧٨٧ . وقد قامت بكل هذه الاعباء الخطيرة بنشاط واهليّة يُقضى منهما العجب وذلك مع توعُّك صحتها وثقل وطأة بعض امراضها كالنقرس المذكور آنفاً . فأدّت لديرها خدماً خلّدت ذكرها وصيت فضائلها حتى يومنا هذا

﴿ ٦ اهتداء ابيها الملك لويس الخامس عشر بفضل صلواتها وتضحياتها ﴾ قد سبق لنا القول انّ من اخصّ الدواعي التي حملت الاميرة لويزة على الترهّب التماسَ اهتداء

ابيها العزيز وعودتهُ الى سبيل الفضيلة والدين. وكان قد طفح كيل آثام والدها التعيس في السنة السابقة لدخولها الدير حيث استدعى الى قصر ڤرسايل احدى معشوقاتهِ مادام دو باري وقدّمها رسمياً لبطانتهِ وعلية اهل بلاطهِ

على انّ هذا الاب الحزون مع عيشتهِ الخلاعيّة كان يزور ابنتهُ العزيزة في ديرها من وقت الى آخر. وكان يأخذهُ العجب من سرورها وانشراح صدرها فقال لها يوماً: «لا ادري كيف انتِ سعيدة الى هذا الحدّ مع شظف معيشتكِ» فاجابته بسذاجة: «حقًّا يا ابتاه ان سعدي لا مزيد عليه. حياتي شاقّة بدون مراء لكنّ سلوتي عظيمة حين اذكر اني انا هنا لخلاص نفس الذين احبهم» فكان جوابها اوفر برهان على حب ابنتهِ لهُ وفهم انّ إقدامها على احتمال كل تقشفات الرهبنة الكرملية كان كفّارةً عن جرائمهِ واستمطارًا لرحمة الله عليه

وكانت تجيب مَن عاتبها على فرط إماتاتها الاختياريّة بقولها والدموع مترقرقة على وجنتيها: «تأملي يا عزيزتي مصير والدي الملك ان ادركتهُ المنيّة في سوء حالتهِ وتذكري اني جئت الى هنا من اجل خلاصه وخلاصي على وجه المساواة واحكمي بعد ذلك هل تستطيع ان اتعدّى حدود الاعتدال في سعيي وراء صالح نفس احبها بهذا المقدار» فلله من محرقةٍ نفيسة صعد الى عرش العزّة الصمدانية عرفُ قتارها وحظي عند الله بتمام القبول واليك بيان ذلك ببعض التفاصيل

بقي لويس الخامس عشر مبدًا لشهواتهِ مُعرضاً عن خدمتهِ تعالى وحفظ وصاياه الى اواخر حياته بحيث كادت ابنته الحزينة تقطع الامل من اهتدائه. وكان سابقاً قبل ترهبها اذ حاول داميان الاثيم قتلهُ سنة ١٧٥٧ فكاد يودي بحياته استدعى الكاهن من فوره تائباً لكنّ مقاصد العالمة زالت قليلًا بعد ذلك بزوال خطر الموت فعاد الى حياته الذميمة السابقة

فلمّا كانت السنة ١٧٧٤ نحو اربعة اعوام بعد ترهب ابنته أُصيب الملك بالجدري اصابةً شديدة ابعدت عنهُ كلّ اهل بطانته وفي مقدمتهم معشوقته مادام دو باري الآنفة الذكر فرارًا من العدوى. فلم يبق لخدمتهِ وتلطيف بَلواه سوى بناتهِ الثلاث فلازمن فراشهُ صباحَ مساء دون ان يلتفتنَ الى مخافة بنيتهن واشارة الاطباء وشدة سريان هذا الداء. وقد توفي احدهم المسمى دي ليتوريار لانه فتح باب غرفة الملك

قليلًا للنظر الى العليل مدة دقيقتين ليس الّا

امّا بنت الملك الرابعة المترهّبة فانها بقيت حينذاك ساجدةً في ديرها امام القربان الاقدس تذرف الدموع الحارّة وتفيض الصلوات الخاشعة من اجل خلاص ابيها الابدي. وكان سُعاة قصر ڤرسايل يأتونها كل ساعتين بالاخبار عن المريض في الليل والنهار وهي مُدمنة على التضرع والاسترحام عند مذبح حمل الله الحامل خطايا العالم. وقد ارسلت الى والدها المدنف صليب نذورها الرهبانيّة بَيد ان ذلك الخاطئ العظيم لم يفكّر في امر الابديّة وكان المقرّبون اليه لا يكترثون لهذا الامر مطلقاً بل توعّد الدوق دي ريشليو خوري ڤرسايل بالقائه من احدى نوافذ القصر على الحضيض ان تجاسر ونبّه الملك على قبول الاسرار الاخيرة

على ان رئيس اساقفة باريس دي بومون والكردينال روش أيمون حظيا بمقابلة الملك في ٤ ايار أي شهرًا ويومين بعد اعتلاله فوفّقهما الباريّ الى اقناعه بضرورة إبعاد معشوقتهِ مادام دو باري ان اراد نيل الصفح عن آثامهِ قبل المثول امام الديّان الرهيب. فامر باخراج الزانية من القصر في اليوم التالي وباحضار الكاهن فاعترف له بخطاياه. وفي يوم الجمعة الموافق ٦ ايار تناول الزاد الاخير وبناته جاثيات حول فراشهِ. ولمّا رأى حُقّة القربان أزاح عن جسمهِ اللحاف وهمّ بالسجود على مضجعه للاله المختفي تحت الاعراض السرّية واذ حاول الحضور مَنعهُ هتف قائلًا: «حين يشرّف الاله العظيم خليقةً حقيرة مثلي فأقلُّ ما ينبغي عليَّ ان استقبلهُ بالتبجيل». وبعد مناولة الملك تلا الكردينال الذي ناوله جسد الرب التصريح الآتي بالنيابة عن المريض: «انّ جلالة الملك ولو انه غير ملتزم بتأدية الحساب عن سلوكه لسوى ربّه فانه يجاهر بكونهِ نادماً على تشكيك رعاياه بسوء سيرته وعازماً على ان يقضي ما بقي من حياته لخير الديانة ورفاهية شعبه». ولمّا تلفظ الكردينال بلفظة «نادم» رفع لويس رأسهُ عن وسادتهِ هاتفاً: «أعِدْ سيّدي قراءة هذه الكلمة بصوت جهور» ويذكرنا هذا الحادث المؤثّر آخر قول فاه به ابو جدّه المغفور له لويس الرابع عشر الباذخ المجد والمنيب الى ربّه بين آلام احتضارهِ البالغة: «أوَدّ لو اني اقاسي اكثر من ذلك... فأقبل توبتي ايها الاله العظيم!» فكانت ندامة خلفه نصوحاً ايضاً حتى الرمق الاخير فلم يزل يبتهل الى المولى ويطلب الماء المقدّس ويلثم صليب ابنتهِ الكرمليّة في نزاعهِ

الهائل . الى ان لقي ربّهُ تائباً في ١٠ أيار ١٧٧٤

وفي غد وفاته كتب حفيدهُ ووريث تاجهِ لويس السادس عشر الى الاخت ترازية : « نلنا وافر التعزية لما اسبغهُ الله من النعم على والدكِ فقد فاضت روحهُ وهو قابض على الصليب يتلو بنفسهِ الصلوات » . فحدّث عن فرح تلك الابنة النبيلة التي ضحّت نفسها من اجل خلاص ابيها المصرّ على خطاياه فقضت السنين العديدة في الصلوات الحارّة والتقشفات الصارمة لنيل تلك النعم النفيسة حتى استجاب الله صلاتها

﴿ ٧ وفاة الاخت ترازية ﴾ عاشت بنت لويس الخامس عشر ثلاث عشرة سنة في سان دني بعد موت ابيها العزيز . ويُؤخذ عن اوثق المصادر انها قضت نحبها تسمُّماً . وهاك بياناً موجزاً لذلك الامر الغريب . كان اعداء النظام الملكي في ذلك العهد ينسبون على غير صواب نفوذاً شديداً للراهبات الكرمليّات في ادارة شؤون المملكة ولاسيما من بعد ترهّب الاميرة لويزة وارتقائها الى رئاسة ديرها . فهمّوا بقتلها غيلةً وانفذوا اليها احد مشايعيهم ليسلّمها حزمةً كُتب عليها « ذخائر مقدّسة » فوجدت في داخلها خصلة شعر نُثر عليها مسحوق ابيض . فتنشّقتهُ لتقف على ماهيتهِ وهي لا تدري انها تتنشق السمّ الزعاف وبقيت مرتابةً بامرهِ بضع ساعات حتّى رجحت انه سمٌّ ناقع اذ احسّت برهةً بعد استنشاقه ببعض الاضطراب في جسمها . ولم يمضِ قليلٌ حتى انتفخ بدنها بنوع هائل وشعرت بأحدّ الاوجاع فاستُدعي طبيب الدير الدكتور أورايي (O'Reilly) ووصف لها علاج الفصاد لاخراج الدم المتسمم . ففُصدت ثم عاودت حياتها النشيطة البائسة التنشف لكنّ السمّ لم يزل يؤثر فيها فقطعت املها من الحياة كما اشعرت بذلك في كتاب ارسلتهُ في ٢١ ك ١ ١٧٨٧ الى الملك لويس السادس عشر كتبت على غلافه : « الى مولاي وابن اخي كي يُعطى له بعد موتي » وبعد رسالتها بيومين انتقلت الى رحمة مولاها في صباح ٢٣ كانون الاول ١٧٨٧ . وقد اقتبلت مشحة المرضى والزاد الاخير في عشية ذلك اليوم ثم قالت للكاهن بتواضعها العجيب : « ارجوك ان تستغفر باسمي جماعة الراهبات من كل غمٍّ سببتُهُ لهنّ بعدم ترتيب سلوكي وبجُبني وسائر عيوبي . » ومن آخر اقوالها ما حرفه : « كنت اظنّ ان الرحمان قد ابقى لي صلباناً عديدة فانظرنّ يا اخواتي كيف انتهت من فيض رحمته . اني واثقة بانه سيمنحني فردوسهُ ! فيا لعظم سعادتي ! لا لعمري ما كان في وسعي الاعتقاد ان الموت سعيدٌ جذا المقدار ! »

وتوّاً بعد وفاتها ظهر مفعول السم ظهوراً جلياً فقد اسودّ وجهها سريعاً وتشوّه تشوّهاً عظيماً الجأ الراهبات الى عدم عرضها في كنيستهنّ مكشوفة الوجه وفقاً لجاري عادتهن عند موت احدى الرئيسات. فالتزمن وضع جثتها في التابوت مباشرةً وكأنّ الربّ لبّى دعوتها وحقّق دعاءها اذ وجدوا في مفكراتها ما حرفهُ :

«وحين افكر في ان جسمي سيُعرض للانظار بعد وفاتي اتوسل الى الله ان يشوّهه بحيث لا يميل احد الى النظر اليه او يدعو الغير الى نظره»

وكانت قُبيل انتقالها من الفانية الى الباقية قد أسرّت الى نفر من الكرمليات اخواتها امر السمّ الماصر لمصن حياتها في لمحة عين بيد انها الزمتهن ان يُقسمن بحفظ ذلك السرّ في طي الكتمان فبقي مكتوماً الى السنة ١٨٧٠ حيث صرّحن بواقعيّة الامر في نشرة لهنّ نشرتها بمصادقة كثير من الاساقفة

ثمّ دُفنت الفقيدة الموقّرة القديسة في نفس ديرها وحُفر على قبرها التأبين الجميل الآتي :

«هنا مرقد جثة امّنا المحترمة ترازية وهي لويزة ماري دي فرنس بنت الملك المسيحي للغاية لويس الخامس عشر ورئيسة هذا الدير — ان تضحيتها تُشرّف الدين وشجاعتها تبرهن على ايمانها وشرف عنصرها يزيد سمو تواضعها وغيرتها على حفظ القوانين . . . »

ولا يسعنا ختم سيرة الاخت ترازية بدون ذكر مدح رئيس اساقفة باريس لها في احدى عظاته اثناء الصوم الاربعيني بضعة اشهر بعد موتها . قال ذلك الخطيب المفوّه :

« ما بين الشرور المنهالة علينا من كل صوب يظهر ان الجودة الالهية هيأت لنا تعزيةً في فضائل تلك العذراء الجليلة التي عرضت للعالم باسره نموذج تضحيتها الفائقة الصحاء وقد ثبتت عليها حتى الرمق الاخير بعزيمة وشهامة نفس عجيبتين بينما كانت اخواتها الجليلات يثبتن بمثالهن إمكان ممارسة الفضائل المسيحية حتى في بحبوحة ملاهي القصور وضوضائها . يا لله يا اخوتي الاعزاء، ما اجمل مشهد سليلة ملوك كثيرين بنت لويس الخامس عشر عمّة لويس السادس عشر الاميرة التي نشأت بين افخر الملاذّ في اسنى قصور العالم فاعتنقت بعد ذلك بمزيد الفرح عار المسيح المقدّس ومارست باشدّ التدقيق كل واجبات احدى الرهبانيات الاشدّ صرامةً في الكنيسة الكاثوليكية ! يا له مشهداً فتّاناً اوقفنا على لويزة دي فرنس اذ كانت لا تمتاز عن رفيقاتها الّا بتواضع اشدّ فادركت بالتجرّد الكمال الانجيلي بقدر ما تستطيع البلوغ اليه نفسٌ في حالة التمسنه»

حاشا لنا ان نزيد شيئاً على هذا التأبين الفصيح الصادر من رئيس اساقفة باريس قليلاً بعد وفاة الاخت ترازية . على انّ رائحة قداستها التي دعاها القديس بولس رائحة

المسيح الطيبة قد تمدّت حدود دير سان دني بل تخوم فرنسة على اتساع هذا القُطر . فانتشر نسيم سمعتها الحسنة في كل انحاء العالم ولاسيما في كل اقطار الكنيسة الكاثوليكية والدة القديسين ومهذّبتهم على توالي الاجيال . فعمداً ذلك الصيت العجيب أولي الامر في رومة العظمى الى اجراء التحقيقات الدقيقة الطويلة بشأن سيرة خادمة الله . ولما اتضح بعد فحص المستندات العديدة واستنطاق الشهود الثقات سمو فضائلها واحدةً فواحدة أعلن قداسة البابا بيوس التاسع هذه النتيجة في ١٤ حزيران سنة ١٨٧٣ ومنح الاخت ترازية الكرملية لقب مكرَّمةٍ وفقاً لعوائد الكنيسة في هذا الصدد

وقد استؤنفت التحقيقات في عاصمة الكثلكة وقاعدة فرنسة بقصد ادراج بنت لويس الخامس عشر في سجلّ القديسين . قرّب الله هذا اليوم السعيد ونفعنا بشفاعة أمّه القديسة وكثر من امثالها في العائلات الملكية والأُسر الشريفة بجيلنا هذا الشديد الاحتياج ليس فقط الى تعلم طرق الكمال المسيحي على يد المثقفين والمرّفين والوعّاظ بل خصوصاً الى مشاهدتها متجسّمةً حيّة فائقةً في شخص القديسين .

الموافقة بين متى ولوقا

في روايتهما

نسب يسوع المسيح

لحضرة الاب انطون صالحاني

انّ من يطالع نسب السيّد المسيح كما ورد في انجيل القديس متى (١ : ١—١٦) متسلسلاً من ابرهيم الى داود الملك ومنهُ الى يوسف البتول رجل مريم العذراء المولود منها يسوع المسيح . ثم يُقابلهُ بانجيل القديس لوقا (٣ : ٢٣—٣٨) حيث يرتقي نسب المسيح من يوسف البتول الى داود ومنهُ الى ابراهيم ثمّ الآباء الى آدم ثمّ الله خالقهِ يأخذه العجب لما يجده من الفرق بين النسبَين كليهما وهذا الفرق لا يوجد فقط في عدد الاجداد المذكورين فيهما لكن ايضاً في اختلاف اسماء كثير منهم

المسيح الطيبة قد تمدّت حدود دير سان دني بل تخوم فرنسة على اتساع هذا القُطر . فانتشر نسيم سمعتها الحسنة في كل انحاء العالم ولاسيما في كل اقطار الكنيسة الكاثوليكية والدة القديسين ومهذّبتهم على توالي الاجيال . فعمداً ذلك الصيت العجيب أولي الامر في رومة العظمى الى اجراء التحقيقات الدقيقة الطويلة بشأن سيرة خادمة الله . ولما اتضح بعد فحص المستندات العديدة واستنطاق الشهود الثقات سمو فضائلها واحدةً فواحدة أعلن قداسة البابا بيوس التاسع هذه النتيجة في ١٤ حزيران سنة ١٨٧٣ ومنح الاخت ترازية الكرملية لقب مكرَّمةٍ وفقاً لعوائد الكنيسة في هذا الصدد

وقد استؤنفت التحقيقات في عاصمة الكثلكة وقاعدة فرنسة بقصد ادراج بنت لويس الخامس عشر في سجلّ القديسين . قرّب الله هذا اليوم السعيد ونفعنا بشفاعة أمّه القديسة وكثر من امثالها في العائلات الملكية والأُسر الشريفة بجيلنا هذا الشديد الاحتياج ليس فقط الى تعلم طرق الكمال المسيحي على يد المثقفين والمرّفين والوعّاظ بل خصوصاً الى مشاهدتها متجسّمةً حيّة فائقةً في شخص القديسين .

الموافقة بين متى ولوقا

في روايتهما

نسب يسوع المسيح

لحضرة الاب انطون صالحاني

انّ من يطالع نسب السيّد المسيح كما ورد في انجيل القديس متى (١ : ١—١٦) متسلسلاً من ابرهيم الى داود الملك ومنهُ الى يوسف البتول رجل مريم العذراء المولود منها يسوع المسيح . ثم يُقابلهُ بانجيل القديس لوقا (٣ : ٢٣—٣٨) حيث يرتقي نسب المسيح من يوسف البتول الى داود ومنهُ الى ابراهيم ثمّ الآباء الى آدم ثمّ الله خالقهِ يأخذه العجب لما يجده من الفرق بين النسبَين كليهما وهذا الفرق لا يوجد فقط في عدد الاجداد المذكورين فيهما لكن ايضاً في اختلاف اسماء كثير منهم

ان نسب المسيح من ابراهيم الى داود الملك لايختلف في انجيل متى وانجيل لوقا . امّا في ما يلي من داود الملك الى المسيح فلا يتّفق النسبان الّا في ثلاثة اسماء فقط هي شألتئيل وزَرُبّابل ويوسف خطيب مريم العذراء . ثم من داود الملك الى المسيح لا يذكر متى الّا ٢٦ جيلًا بينما يذكر لوقا ٤١ جيلًا

فما هو سبب هذا الفرق في الكتب المنزلة وكيف يعلّل هذا الاختلاف في نسب شخص واحد ذائع الشهرة وثابت الاصل في كلّ اسرائيل اعني السيّد المسيح مخلّص العالم ومنتظَر الشعوب

نجيب بادئ بدء ونقول لا يُمكن الظنّ بان متى ولوقا اخطأا في ما كتبا عن نسب المسيح او انّهما اختلقاه . فالانساب لا تُختلق بل تُقتبس من مصادرها ولو وُجد هناك في النسبين اختلاف جوهري لمّا سكت عنهُ اليهود لمّا وقفوا على انجيلي متى ولوقا ولا اثر لاعتراضهم عليهما . فلا شكّ في انّ متى ولوقا عند كتابة انجيلهما استندا في ايراد نسب المسيح الى السجلات الرسمية والخصوصية المحفوظة في العيال . اذ ان الشعوب السامية والعبرانيين خاصةً كانوا يهتمون اهتماماً عظيماً بحفظ انساب عيالهم لِما يترتّب على ذلك من صيانة حقوق املاكهم ولِما كانت تأملهُ العيال الاسرائيلية من الشرف بولادة المسيح من نسلها

نجيب ثانياً ان نسب المسيح مقتبس كلّهُ من الاسفار المقدسة أعني اولًا من الانجيل اي من المصادر التي كانت بين ايدي الانجيليين ثمّ من اسفار العهد القديم اي من سفر أخبار الأيام وسفر الملوك وسفر راعوث وسفر العدد وسفر التكوين . الّا ان هذا النسب في اي جزء كان من اجزائهِ هو غير كامل ولا يستوفي كل السَّلف . والسبب في ذلك ان كتبة الاسفار المقدسة في نسب اي شخص كان لم تكن غايتهم ان يوردوه تامًّا بتعداد جميع الاجداد الذين سبقوه بل كان مرادهم فقط ان يربطوه بأحد أسلافه الاماجد ويُرقوه الى اصل مشهور . فيضربون صفحاً عند ذكر سلسلة آبائه عن كثير من الحلقات التي تربطه بهذا الاصل ويكتفون بايراد بعض الحلقات الاكثر شهرةً وذلك طبقاً لمرادهم وكثيرًا ما يتصرّف هكذا مؤرّخو العرب

نقول ثالثاً انه بمقتضى وعد الله كان من اللازم ان يولد للمسيح من نسل داود الملك ومن نسل ابرهيم خليل الله . وهذا كان اعتقاد اليهود عموماً ورجاءهم الوطيد .

يتضح ذلك من آيات الاناجيل العديدة . فلمّا شفى مثلاً يسوع الاعمى الاخرس "دَهش الجموع كلُّهم وقالوا: "لعلّ هذا هو المسيح ابن داود" (متى ١٢: ٢٣) . ويظهر ايضاً من جواب الفرّيسيين فانهم اذ "سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح ابن مَن هو؟ قالوا له: ابن داود" (متى ٢٢: ٤٢) . ومن هُتاف الشعب عند دخول يسوع الى اورشليم فانهم صرخوا قائلين "مباركة مملكة ابينا داود الآتية" (مرقس ١١: ١٠) . وقد بيّن هذه الحقيقة القديس متى اذ قال في بدء انجيله (١: ١): "كتاب ميلاد يسوع ابن داود ابن ابرهيم" . وكذلك صنع القديس لوقا في انجيله

ولكن ما سبب الفرق الموجود بين الجدولين في ايراد أسلاف المسيح

قد ذهب العلماء ومفسّرو الكتاب المقدس الى ثلاثة آراء ليعلّلوا هذا الفرق ويبيّنوا سبب هذا الاختلاف فها نحن نوردها حسماً لهذا المشكل

﴿ الرأي الاول ﴾ هو ان يوسف البتول كان له نسبان الواحد طبيعي والآخر شرعي . وذلك ان يعقوب الذي ولد يوسف خطيب مريم العذراء كان بعد ما توفّي اخوه إيلي او هالي(١ تزوّج امرأتهُ عملاً بما أمر الله به في الناموس "اذا اقام أخوان معاً ثم مات احدهما وليس له عَقِبٌ فلا تَصِرْ زوجةُ الميتِ الى خارجٍ لرجل اجنبيّ بل اخوه يدخل عليها ويتخذها زوجةً له ويُقيم عقباً لأخيه . ويكون البكر الذي تلدهُ منه هو الذي يخلف اسم اخيه الميت فلا يندرس اسمه من اسرائيل" (تثنية الاشتراع ٢٥: ٥ و ٦ ومتى ٢٢: ٢٥ و ٢٦) . وعليه فقد كان ليوسف نسبان احدهما طبيعي والآخر شرعي لانه كان ابنَ إيلي بحسب الناموس وابنَ يعقوب بحسب الطبيعة . فذكر متى نسبه الطبيعي ولوقا نسبه الشرعي

﴿ الرأي الثاني ﴾ الذي فضّلهُ بعض المفسّرين للكتاب المقدّس لتعليل الفرق الموجود بين متى ولوقا في نسب المسيح يتوقّف على قولهم ان متى اورد نسبه بواسطة يوسف فيرتقي الى داود في الخطّ المستقيم بواسطة سليمان بن داود . امّا لوقا فقد اوردهُ بواسطة مريم العذراء فيرتقي الى داود في الخط المنحرف بواسطة ناثان بن

(١ اسم إيلي المذكور هنا تختلف صورتهُ في نسخ الاناجيل فمنها ما يرويه هالي كما ورد في طبعتنا البيروتية ومنها ما يدعوهُ هالي بالهاء كما ذُكر في الطبعة الاميركانية ونسخ كثيرة غيرها والمقصود واحد طبقاً للفظ اليوناني (Ἡλεί) فالهاء عبارة عن التبرة الموافقة لحرف الاول H

داود. ويؤيد هؤلاء العلماء رأيهم هذا بقولهم اولاً: بعد ان كسر لوقا الحلقة الاولى من السلسلة التي تربط يسوع بيوسف ونفى كون يوسف اباً طبيعياً ليسوع بهذه الآية « وهو على ما كان يُظنّ ابن يوسف » (لوقا ٣:٢٣) أيُصدَّق انه عاد فسلسلهُ من داود بواسطة يوسف الذي لم يكن أباه. فينكرون ذلك. ويستنتجون ان لوقا سلسل يسوع من داود بواسطة امه مريم العذراء (١

يقولون ثانياً: لا مانع من ان يكون لوقا اورد نسب يسوع بواسطة مريم امه وخالف عادة اليهود في عدم ذكر نسب النساء. ويؤيدون قولهم بأمثلة من الكتاب المقدس. فان متى الانجيلي ذكر في نسب المسيح اربع نساء هنّ تامار ورحاب وراعوت. ولوقا نفسه ذكر نسب اليصابات بقوله (١:٥) انها « من بنات هرون » ونسب « حنة النبية ابنة فنوئيل من سبط اشير » (لوقا ٢:٣٦). وكذلك ورد نسب يهوديت مسلسلاً الى راوبين (٢. فلا مانع اذاً من ان يكون لوقا سلسل يسوع المسيح من الملك داود بواسطة العذراء

يقولون ثالثاً: ان كثيراً من نُسخ الجيل لوقا الخطّية وأقدمها عهداً كالنسخة الواتيكانية ونسخة طورسينا اوردت آية لوقا (٣:٢٣) هكذا « وهو [اي يسوع] اذ كان يُظنّ ابن يوسف كان ابن إيلي » . ولا يُفهم بالعبارة « ابن إيلي » انّ إيلي ولدهُ بل ان يسوع كان من نسل إيلي اي ابن ابنته مريم العذراء. كما ان العبارة « آدم ابن الله » (٣:٣٨) لا يُراد بها ان الله ولدَ آدم من جوهره تعالى مع كون التعبير اليوناني واحداً في الجميع بل ان آدم ابن الله لانّ الله خلقهُ من العدم . والرأي ان إيلي كان اباً لمريم العذراء هو رأي مقبول. لانه بمقتضى تقليد مدوّن في تلمود اورشليم كان اسم والد مريم العذراء إيلي . ولا يخفى ان ايلي مجتزأ من إلياقيم . والاسم إلياقيم هو ذات الاسم يوياقيم بدليل ما ورد في سفر يهوديت حيث اسم الكاهن العظيم

---

١) فعلى هذا نجيب: يكفي ان يكون يوسف أباً شرعياً ليسوع لكي يجوز ان يسلسله لوقا من داود بواسطة يوسف. خاصةً لانه لم يكن من عادة اليهود ان يذكروا نسب النساء

٢) ثم ان سفر يهوديت عند ايراد نسب هذه المرأة الباسلة اغفل ذكر كثير من آبائها واكتفى بذكر البعض. لانه بين يهوديت وراوبين مضى نحو الف ومائة سنة وفي هذه الحقبة من الزمان لم يذكر الكتاب من الاجداد ليهوديت الا اربعة عشر. بينما في مثل هذه المدّة جلس على عرش مملكة فرنسة ٦٤ ملكاً. فتأمل!

يوياقيم يرد تارةً بلفظ يوياقيم (يهوديت ١٥ : ٩) وتارة إلياقيم (يهوديت ٤ : ٥ و٧ و١١)(١ ولا عجب في ذلك لانّ الهجاء الاول في كلا الاسمين «ايل» او «يو» (عوض يهوه) هو اسم الله . فالاسم يوياقيم معناه عطاء الله . وكذلك معنى الاثم ايلياقيم . فالاسم هو ذاته وان اختلف بدوءُ . ثم ان الانجيل المصنوع المنسوب الى يعقوب يذكر ان مريم العذراء كانت ابنة يوياقيم . ومن ثم ينتج احد الامرين امّا ان التلمود والانجيل المصنوع استندا الى انجيل لوقا فيكونان قد أيّدا معلوماته . واما انهما كتبا ما كتبا دون معرفة بما كتبهُ لوقا فيكون ما اورداه مثبتاً لصحّة الاصل الذي اخذوا عنه جميعهم

﴿الرأي الثالث﴾ وهو اكثر قبولاً اليوم عند العلماء والمحقّقين . فيقولون ان متى ولوقا اوردا نسب المسيح بواسطة يوسف ابيه الشرعي . الّا ان لوقا اورد نسبه العائليّ طبيعيًّا كان او شرعيًّا . امّا متى فأورد نسبهُ الملوكيّ اي المُثبت حقوق المسيح في وراثة عرش داود ابيه . لان غاية متى كانت ان يبيّن ان يسوع هو المسيح من نسل ابراهيم ووريث داود في الملك حسب مواعيد الله . وقد ذكر ذلك الملاك جبرائيل بقوله (لوقا ١ : ٣٢ و٣٣) «وسيعطيه الرب الاله عرش داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء» . بيد ان مملكة يسوع كانت مملكة روحية . فقد صرّح المسيح امام بيلاطس انه ملك وانّ مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ : ٣٦ و٣٧) . ومن ثم نرى متى في تسلسل اسلاف المسيح من ابراهيم الى داود لا يذكر الّا اولئك الاشخاص الذين كانوا آباء العيال اي الذين لهم حقّ الوراثة سواء كانوا أبناء وحيدين او الأبكار بين الاخوة او مَن أُبدلوا بهم وقاموا مقامهم . وفي هذا الجزء من السلسلة يتفق لوقا ومتى . امّا في تسلسل سلف المسيح من داود الى آخر الملوك المعروفين وقت جلاء بابل لا يذكر متى في سلسلته الّا من كانوا ملوكاً . وفي باقي نسب المسيح بما اننا نجهل كيف كان حقّ الوراثة الملوكية بعد جلاء بابل يجب

(١) وكذلك الاسم عزّريا هو ذات الاسم عُزّيًا . فقد ورد في سفر اخبار الايام الاول (٣ : ١٢) «امصيا وابنه عَزَريا» . وفي سفر الاخبار الثاني (٢٦ : ١) «واخذ جميع شعب يهوذا عُزّيًا . . . فاقاموه ملكاً مكان ابيه امصيا» فترى ان ابن امصيا يسمّى تارةً عزريا وتارة عُزّيا . وذلك لانّ الاسمين بمعنى واحد اي قدرة الله او عزّ الله . وفي اللغة العربية العزّ بمعنى القوّة وهكذا معنى عزّره اي قوّاه

علينا ان نفترض ان متى اتبع الطريقة ذاتها اي انه اورد اسامي مَن كانت لهم الحقوق في وراثة الملك حتى ربط السلسلة بيسوع لانه كانت له معرفة بذلك . وبما انه كتب انجيله لاجل اليهود كان يهمّهُ ان يبيّن لهم ان يسوع من نسل داود الذي وعدهُ الله بالملك المؤبد . امّا لوقا فانه كتب انجيله لاجل اليونانيين فلم يذكر في سلسلته احدًا من الملوك بل اكتفى بأن يبيّن نسب المسيح العائلي طبيعيًا كان ام شرعيًا . ومن هنا اتى الفرق الموجود في نسب المسيح بين انجيل متى وانجيل لوقا . فهذه ثلثة آراء يمكن الاستناد اليها للتوفيق بين روايتي الانجيليّين

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

وفي يوم الخميس العاشر من جمادى الآخر حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : ما الذي تعتقدهُ في احكام النجوم ؟

اعتقاد النصارى في احكام النجوم

قلتُ : الذي اعتقدهُ فيها هو انها تصحُّ في الكليّات لا في الجزئيّات

قال : وما معنى قولك انها تصحُّ في الكليّات لا في الجزئيّات ؟

قلتُ : معنى ذلك انها تصحُّ فيما يعمُّ كلَّ احدٍ ويتساوى فيهِ اهلُ كلّ بلدٍ مثل الكسوفات (٩١) وتغيير الازمنة والاهوية والحرّ والبرد ونحو ذلك ممّا يتعلّق بالشمس وفعلها وباتصال القمر والكواكب بها . وامّا فيما يخصُّ زيدًا او عمرًا فليس يصحُّ حكمُها لانَّ ذلك ممّا يؤدي الى الإجبار ويمنع ان يكون الانسان مخيَّرًا في اعماله

« والدليل على انَّ الانسان مخيَّر غير مُجبَر هو انَّ الامور على ثلثة ضروب : ضروري وممكن وممتنع . فالضروري نحو قولنا : « الناطق حيٌّ » . فهذا قول صادق بقسم الضرورة لانهُ ليس ناطق الّا حيًّا . والممكن كقولنا : « زيد جالسٌ » فهذا ممّا يجوز ان يكون صدقًا ويجوز ان يكون كذبًا . لانهُ يجوز ان يكون زيد جالسًا ويجوز ان يكون قائمًا او نائمًا . والممتنع نحو قولنا : « زيد يطير » فهذا قول

علينا ان نفترض ان متى اتبع الطريقة ذاتها اي انه اورد اسامي مَن كانت لهم الحقوق في وراثة الملك حتى ربط السلسلة بيسوع لانه كانت له معرفة بذلك . وبما انه كتب انجيله لاجل اليهود كان يهمّهُ ان يبيّن لهم ان يسوع من نسل داود الذي وعدهُ الله بالملك المؤبد . امّا لوقا فانه كتب انجيله لاجل اليونانيين فلم يذكر في سلسلته احدًا من الملوك بل اكتفى بأن يبيّن نسب المسيح العائلي طبيعيًا كان ام شرعيًا . ومن هنا اتى الفرق الموجود في نسب المسيح بين انجيل متى وانجيل لوقا . فهذه ثلثة آراء يمكن الاستناد اليها للتوفيق بين روايتي الانجيليّين

مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

وفي يوم الخميس العاشر من جمادى الآخر حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : ما الذي تعتقدهُ في احكام النجوم ؟

اعتقاد النصارى في احكام النجوم

قلتُ : الذي اعتقدهُ فيها هو انها تصحُّ في الكليّات لا في الجزئيّات

قال : وما معنى قولك انها تصحُّ في الكليّات لا في الجزئيّات ؟

قلتُ : معنى ذلك انها تصحُّ فيما يعمُّ كلَّ احدٍ ويتساوى فيهِ اهلُ كلّ بلدٍ مثل الكسوفات (٩١) وتغيير الازمنة والاهوية والحرّ والبرد ونحو ذلك ممّا يتعلّق بالشمس وفعلها وباتصال القمر والكواكب بها . وامّا فيما يخصُّ زيدًا او عمرًا فليس يصحُّ حكمُها لانَّ ذلك ممّا يؤدي الى الإجبار ويمنع ان يكون الانسان مخيَّرًا في اعماله

« والدليل على انَّ الانسان مخيَّر غير مُجبَر هو انَّ الامور على ثلثة ضروب : ضروري وممكن وممتنع . فالضروري نحو قولنا : « الناطق حيٌّ » . فهذا قول صادق بقسم الضرورة لانهُ ليس ناطق الّا حيًّا . والممكن كقولنا : « زيد جالسٌ » فهذا ممّا يجوز ان يكون صدقًا ويجوز ان يكون كذبًا . لانهُ يجوز ان يكون زيد جالسًا ويجوز ان يكون قائمًا او نائمًا . والممتنع نحو قولنا : « زيد يطير » فهذا قول

كاذب اذ لم يُسمَع انَّ الانسان يطير (١ . واذا كان الامر على هذا وثبتت الامور الثلثة بطَلَ ان تكون احكام النجوم صحيحةً . وذلك لأنها مبنيَّةٌ على انَّ جميع ما يجري في العالم توجبهُ حركة (٩٢) الكواكب. فما اوجبتهُ لا بُدَّ من كونهِ وما لم توجبهُ لا يمكن وقوعهُ وليس قسمٌ ثالث

• ولو كان الامر على هذا بطَلَ ان يكون الانسان مخيَّرًا ولزم ان يكون مُجبَرًا مكرهاً . ولو كان هذا الامر صحيحاً لَما وجب ان يرتأي الانسان في امورهِ ولا ان يشاور احدًا فيما يعملهُ ولا ان يُحمَد على الخير او يُذمَّ على الشرّ لأنَّ كلًّا منهما حُتمٌ لازمٌ لا بُدَّ من وقوعهِ سواء اختارهُ الفاعل ام لم يَختَرهُ . وهذا باطل من موجب العقل وقوانين المنطق . والدليل عليهِ انهُ اذا امتحن الانسان علم احكام النجوم وجدهُ علماً اصطلاحيًّا لا طبيعيًّا وانهُ يجري مجرى الزَّجر (٢ والفأل (٣ والكاف (٤ والكهانة (٥ وما شاكل ذلك من الامور التي لا حقيقة لها ولا بُرهان يدلُّ على صحَّتها كاحكام علم الحساب وعلم الهيئة المنسوبَين الى الفضلاء (٩٣)

ثمَّ انَّ احكام النجوم متى عدل الانسان في امورهِ اليها انفسدت احوالهُ وذلك انَّ اكثر موهبةٍ وهبها اللهُ الانسان موهبة العقل . فربَّما اقتضى رأيَ الانسان فِعل امرٍ من الامور واوجب حكمُ النجوم التوقُّف عن ذلك الفعل فيخالف رأيهُ وعقلهُ ويتبع حكم النجوم فيشطّ ويغلط . وقد رأينا خلقاً كثيرًا من الناس عرضتْ لهم حوائج عند السلطان وغيرهِ واقتضى الرأي والحزم تقديم الحركة في ذلك واقتضى بخلاف ذلك حكمُ النجوم التوقُّفَ فاعتمدوا على مُوجب حكم النجوم ففاتهم مطلوبهم

• ويلزم ايضاً مَن يفعل بهذه الاحكام ويعتقد صحَّتها احدُ امرين امَّا ان يفضّلها على عقلهِ وامَّا ان يفضِّل عقلهُ عليها فانْ فضَّلها على عقلهِ لزمهُ متى حدث لهُ امرٌ يقتضي رأيهُ وعقلهُ فِعلهُ او العدول عنهُ ويقتضي حكمُ النجوم ضدَّ ما اوجبهُ عقلهُ (٩٤) ان يعدل عن موجب عقلهِ الذي هو اكبر مواهب الله تعالى عندهُ الى احكام النجوم.

١) يريد الطيران الطبيعي لا الطيران الصناعي بالادوات كما نرى في عهدنا
٢) يريد بالزَّجر التفاؤل بطيران الطائر ميامنةً او مياسرة ٣) الفأل التيمُّن بالخبر
٤) علم الكاف هو علم الكيميا القديمة المبنيَّة على الاوهام غالبًا (l'Alchimie)
٥) الكهانة السحر

ومتى فعل ذلك فقد تجاهل وغرّ بنفسهِ وربّما عطَبَ كما قد رأينا كثيرين عطبوا عند سلوكهم هذه الطريقة . وانْ فضَّل عقلَهُ عليها فلا حاجة لهُ اليها

قال الوزير : فقد رأينا لاصحاب النجوم إصاباتٍ عجيبة تدلُّ على صحَّة هذا العلم

قلتُ : وقد رأينا لاصحاب الزَّجر والفال والكاف والكهانة اصاباتٍ بالاتفاق اعجب من إصابات احكام النجوم حتَّى رأينا وسمعنا عن الزرّافين (١ انهم يأتون بامور تجري مجرى المعجز . ورأينا ايضاً عجائز يطرحنَ بالشعير والحصى فيُصِبْنَ بالاتفاق اصابات ظريفة . وليس نسلّم مع ذلك انَّ هذه علوم صحيحة . فاذا كان الامر على هذا فليس يجب ان نجعل اصابات المنجّمين دليلاً على صحَّة الاحكام . ومن الصحيح الذي لا شكَّ فيهِ انْ من تمسَّك(٩٥) باحكام النجوم عَدِمَ من التوفيق بمقدار تمسُّكهِ بها والعلَّة في ذلك انهُ يخالف الشرعَ الذي قد فُرض عليهِ اعتقادهُ والعقلَ الذي هو اكبر مواهب الله عندهُ . ومن خالف عقلَهُ فقد جحد نعمة الله عليهِ

قال الوزير : والله قد زهَّدتني كلَّ التزهيد في هذا العلم

اعتقاد النصارى في المسلمين

ثمَّ سألني وقال : وكيف اعتقادكم في المسلمين وفي غيرهم من مخالفيكم ؟

قلتُ : «انَّ الذي نعتقدهُ في المسلمين حرسهم الله هو انهُ تلزمنا طاعتُهم ومحبَّتهم اكثر ممَّا تلزمنا طاعة جميع اهل الملك والممالك المخالفة لنا سواء كنَّا في بلادهم ام خارجين عنها سواء احسنوا الينا ام لم يُحسنوا . وذلك لانَّ المسلمين يرون صيانتَنا وإعزازَنا والاحسان الينا ديانةً وفرضاً . ومَن تعدَّى علينا منهم كان صاحبُهم اي نبيُّهم خصمَهُ يوم القيامة . وشرعُهم يحمدنا ويميّزنا من بين (٩٦) سائر اهل الملل وأمَّا المجوس والهند والصابئون (٢ وسائر المخالفين لنا فليس يرون إجمال مقالتنا والاتقاء علينا اذا حصلنا ذمَّة لديهم ديانةً لكن سياسةً وليس يُبقُون علينا ان ابقوا ولا يُجملون معاملتنا ان أجملوا الَّا سياسةً . واذا كان المسلمون حرسهم الله يرون تركَ اذيَّتنا واجمال معاملتنا والاحسان الينا ديانةً وغيرهم انَّما يفعل ذلك سياسةً فتلزمنا طاعة المسلمين ومحبَّتهم اكثر ممَّا يلزمنا لغيرهم من مخالفينا

١) الزرّاف السريع الحركة كالشموذ ٢) يريد بالمجوس عبَدة الشمس والنار وبالهند اهل الهند الوثنيين وبالصابئين عبدة السيَّارات والكواكب

• ومما يوجب علينا ايضاً ذلك انَّ المسلمين يعترفون بالمسيح ويعتقدون انهُ كلمة الله وانَّهُ حيٌّ في السماء والملل الاخرى تجحدهُ وتعتقد فيهِ انهُ ساحر كذَّاب قد مات وبليَ في الارض وليس يجوز ان يكون عندنا اهلُ ملَّةٍ يعتقدون في المسيح الاعتقاد الاوَّل ولو اساءوا الينا وتعدَّوا علينا مثل اهل الملل الأُخر التي تعتقد في المسيح الاعتقاد الثاني ولو احسنَ اهلُها الينا وانعموا علينا

(ثمَّ انَّ المسلمين ايضاً حرسهم الله (٩٧) اذا ظلمونا وآذونا ثمَّ رجعوا الى شرعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على اذيَّتنا وظلمنا واهلُ الملل الاخر اذا اكرمونا واحسنوا الينا ورجعوا الى شرعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على ذلك. فاذيَّة المسلمين لنا وتعدّيهم علينا وهم يعتقدون انهم مخالفون لشرعهم فيما يفعلونهُ معنا من ذلك احبُّ الينا من إحسان غيرهم ممَّن يعتقد انهُ مخالف لشرعهِ في احسانهِ الينا

• وايضاً ليس ملَّة من الملل المخالفة للاسلام اقرب مَوَدَّةً للمسلمين من ملَّة النصارى لأنَّ جميع الملل المخالفة للمسلمين تخالفهم فيما لا تخالفهم فيهِ ملَّة النصارى. فان المجوس والهنود والصابئين يخالفون المسلمين في موسى والمسيح ومحمَّد بن عبدالله واليهود يخالفونهم في المسيح ومحمَّد بن عبدالله امَّا النصارى فما يخالفونهم الَّا في نبوَّة محمَّد بن عبدالله. ومع مخالفتهم لهم في ذلك فهم يدعون لدولتهم ويسألون الله تعالى دوامها وان يسبغ عليهم رحمتهُ في الآخرة ويوفقهم لطاعتهِ ويغفر ذنوبهم ويورثهم النعيم في الآخرة (٩٨)

• وامَّا الملل الأُخر مع بُعدها من المسلمين اكثر من بُعد النصارى فليس فيها ملَّة تستجيز بان يدعوا لهم بما يدعو لهم بهِ النصارى. واذا كان الامر على هذا فقد وجب على النصرانيّ ان لا يخالف المسلم اذا سامهُ ما لا يخالف شرع احدهما اعني شرع الاسلام او شرع النصارى ومتى خالفهُ فقد خالف الله تعالى الذي فرض علينا الطاعة للسلطان بعد طاعة الله. وشرعنا يتضمَّن انَّ من خالف امر السلطان فقد خالف امر الله تعالى. فكلُّ نصراني يخالف المسلم اذا سامهُ ما يخالف شرع الاسلام او شرع النصرانيَّة فقد اطاع ذلك النصرانيّ الله تعالى في تلك المخالفة واحسنَ الى ذلك المسلم واستحقَّ الشكر منهُ اذ نزَّههُ من مخالفة دينهِ وشرعهِ. وذلك انهُ قد فُرض على المسلم ألَّا يُكرِهَ النصرانيَّ على دينهِ وفروضهِ ولا يغصبهُ شيئاً من حقوقهِ

ولا يقصد اذيّتهُ والتحامل عليهِ

فتى حفظ المسلم هذه الفروض لزم النصرانيَّ أن لا يخالفهُ في سواها (٩٩) . وذلك مثلُ مستورٍ يلتمس من نصراني ميسر ما يدفع بهِ ضيقتهُ . ومثلُ مسلم يقع في شدَّة ويلتمس من نصراني ان يساعدهُ مساعدةً يقدرُ عليها . ومثلُ مسلم يسوم نصرانيًا ان يُعيرهُ جاهَهُ في حاجةٍ تعرضُ لهُ او يدفع عنهُ اذيَّةً يتمكَّن من دفعها بالحيلة او بالقوَّة . ومثلُ مسلم مظلوم يهربُ من ظالمهِ ويلتجئ الى النصراني وما شاكل ذلك من المؤاسيات التي ينتفعُ بها المسلم وليس فيها مخالفة للشرع فانهُ يلزم النصراني المسارعة اليها والمساعدة عليها اذ ليس فيها عليهِ مضرَّة في دينهِ

فهذا ما يلزم النصارى للمسلمين وكذلك يلزم المسلمين للنصارى ان يقرّبوهم ويُحسنوا اليهم ويبرّوهم اكثر من سائر الملل وان يعتمدوا صيانتهم وتجنُّب ظلمهم وكفَّ الاذيَّة عنهم وعن بيَعهم وبيوت صلواتهم وإكرام متقدّميهم (١٠٠) وألَّا يُعارض حكّامُ المسلمين حرسهم الله حكّامهم في احكامهم . واذا جاء بعض النصارى الى حاكم المسلمين يلتمس ان يحكم بينهُ وبين نصراني آخر مثلهِ يردُّهُ الى اهل دينهِ وحكّامهِ

قال الوزير : انَّ القرآن الشريف يوجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين النصارى وغيرهم

قلتُ : انَّ القرآن انَّما يوجب ذلك على حاكم المسلمين اذا رضي الذمّيّان من اهل الكتاب بحكمهِ امَّا اذا رضي احدهما وامتنع الآخر فليس لحاكم المسلمين ان يُكره الممتنع الى الرضا بحكمهِ . واذا تراضى النصرانيّان بحكمهِ فهما مخيَّران ان يحكم فيهما او لا يحكم لقول القرآن (سورة المائدة ع ٤٦) : « فان جاءوك فاحكُم بينهم او أعرض عنهم وإن تُعرض عنهم فلن يضرُّوك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط » فقولهُ « ان جاءوك فاحكم بينهم » يستوعب الخصمين وقولهُ « او أعرض عنهم » يدلُّ على التخيير اذا حضر الخصمان . والفقهاء المفسّرون مُجمعون على ذلك (١٠١)

قال الوزير : والله لقد قرَّرتَ في نفسي وجوب حقّ النصارى على المسلمين الَّا الاشرارَ منهم فانَّهم لا يستطيعون على مذهبك الَّا القتل

قلتُ : والاشرار من المسلمين ايضاً ما يستحقُّون على مذهبك الّا القتل

قال : الامر على ما ذكرت

اعتقاد النصارى في النفس

ثم قال الوزير: أيعتقد النصارى انَّ النفس جوهر كما تعتقد الفلاسفة او انَّها عَرَض كما يعتقد المسلمون ؟

قلتُ: الذي تعتقدهُ النصارى انَّ النفس جوهرٌ لا عَرَض

قال الوزير: وما الدليل على ذلك ؟

قلتُ : الدليل على ذلك هو انَّ العَرَض لا تحلُّ فيهِ الاعراض ولا تتعاقبُهُ الاشياء المتضادَّة . ونرى النفس تدخل عليها الاعراض وتتعاقبها المتضادَّات مثل العلم والجهل والتقوى والفسق (١٠٢) والخير والشرّ . فلو كانت عرضاً لما تعاقبت هذه المتضادَّات عليها

« وممَّا يدلُّ ايضاً على ذلك المنامات التي يراها الانسان في الحلم فانَّ الانسان يرى في حال نومهِ امورًا غائبة او بعيدة او مستقبَلة وحواسُّهُ ساكنة باطلة وجسدُهُ كالميت لا يحسُّ فيدلُّ ذلك على انَّ النفس ترى تلك الرؤيا وتحفظها ثمَّ اذا استيقظ الجسد تتذكرها وتعرّفهُ اياها . فلو كانت النفس عرضاً لما جاز ان ترى الغيب وتتصوَّرهُ وتحفظهُ وتذكرهُ بعد وقتٍ اذ ليس ذلك من صفات العرض (١ فاذا كان الامر على هذا عُلم انَّ النفس جوهر لا عَرَض . ولمَّا كان هذا الجوهر يرى عند سكون الحواس وبطلانها ما هو (١٠٣) افضل ممَّا يراهُ الجسد وهو مستيقظ وحواسُّهُ متَّصفة بافعالها عُلم ان هذا الجوهر افضل من جوهر الجسد اذ الجسد لا يرى الشيء الغائب والنفس ترى ذلك

قال الوزير : انَّ الكلام في النفس كثير وليس هذا وقتهُ

ثم قال : « اريد ان تكلّف الرهبان الفضلاء في الأعمار والاديرة التي تحت يدك وبالقرب منك ان يدعوا لي ويسألوا الله مساعدتي على امري »

---

١) انَّ في الاحلام قسطاً كبيرًا للمخيّلة التي هي من القوى المشتركة بين النفس والجسد كالذاكرة

قلتُ : « انَّ الرهبان ليس يدعون للانسان بان يطيل الله عمرهُ ولا ان يزيد مالهُ ولا ان يُكثر نسلَهُ (١ وانَّما يسألون الله ان يصنع به ما لهُ فيهِ الخيرة وَقَعَ ذلك بموافقتهِ ام لم يقع وأن يُصلح نيَّتهُ ويوفّقهُ الى طاعتهِ . فانَّ بصلاح النيَّة والتوفيق يكون صلاح الشأن وبلوغ الامل لأنَّ الانسان اذا كان موفَّقاً جيّد النيَّة لا يؤمّل ولا يتمنَّى الّا ما يبلغهُ ويصل اليهِ ولم يتأسّف عليهِ اذا فاتهُ تأسُّفاً يؤلم قلبهُ . فان كان الوزير اطال الله بقاءهُ يقتنع مني بذلك (١٠٤) تقدَّمتُ الى رهباننا بمواصلة الدعاء لهُ فان رام الاشياء الاخرى فلا يسوم القوم ما ليس بشائع عندهم

قال الوزير : انَّ الذي اريدهُ واتمنَّاهُ ليس احد امرين اما عزّ في الغاية واما زهد في الغاية . فاني لا اطمع في الزهد لانَّ عادتي قد جرت بكثرة مَنْ يخدمني والزاهد يحتاج الى ان يخدم نفسهُ وهذا ممَّا لا سبيل اليهِ . وامَّا العزّ فنفسي تهواهُ وتتمنَّاهُ ومع قلَّة طمعي فيه فاني لست مؤيساً منهُ . واذا كان الرهبان لا يدعون للانسان بما يتمنَّاهُ من امور الدنيا فأريد ان يدعوا لي بما فيهِ الخيرة وان كانت الخيرة مقرونة بضدّ ما اتمنَّاهُ

فأجبتُهُ الى ملتمسهِ وكان ذلك قبل مسيرهِ من نصيبين بثلثة ايام وكان قد جرى لي معهُ في هذه الثلثة ايام كلام في مسائل تتعلَّق باخلاق النفس وآداب الرهبان والزهّاد (١٠٥) وبالعلوم العقليَّة ممَّا تجنَّبتُ ذكرهُ لطوله . وبعد مسيرهِ اجتمعتُ مع الرهبان في الاعمار المحروسة وخاطبتهم في ما كان التمسهُ الوزير فتواردوا جميعهم بالدعاء بان يصنع الله اليهِ ما لهُ وللناس فيهِ المصلحة الشاملة

ثمَّ عاد الى نصيبين بعَوْد الحضرة النَّصريَّة(٢ حرس الله عزَّها يوم الخميس الثامن من ذي القعدة واقام بها خمسة وعشرين يوماً وجرى لي معهُ فيها مذاكرات ومسائل عدَّة في اعتقاد اليهود وتاريخ آدم وغيرهِ من التواريخ القديمة وتغيير اليهود لها وفي الآثار العلويَّة وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

١) ليس من مانع يمنع الرهبان ان يطلبوا ايضاً هذه الخيرات الزمنيَّة بشرط الرضى بمشيئتهِ تعالى وانَّما يفضّلون التماس الخيرات الروحيَّة

٢) اراد بهِ ابا نصر احمد بن مَرْوان الكردي صاحب ديار بكر وميّافارقين لقَّبهُ القادر بالله الخليفة العبَّاسي نصر الدولة وملك بلاد ديار بكر اثنتين وخمسين وكانت وفاتهُ سنة ٥٠٥هـ وقد قارب الثمانين من عمره وكان موفَّقاً في امورهِ عادلاً كبير الثروة .

وعاد ايضاً الى نصيبين دفعة ثالثة ودخلها يوم الاحد السابع عشر من جمادى الاولى من هذه السنة وهي سنة ثانية عشرة واربعمائة واجتمعتُ معهُ فقال لي: «اعلم اني احسُّ برجع في احشائي. والشيخ ابو سعد اخوك (١ كان قديماً يراعي امري ثمَّ أهملني فأريد ان تعاتبهُ على فعله. ولمَّا اجتمعتُ مع الاخ حرسهُ الله عرَّفتهُ ذلك فقال (١٠٦) لي: «اعلم انني كنتُ أُراعي امر هذا الرجل ثمَّ انني رأيتُ في منامي في بعض الليالي كأني دخلتُ اليهِ على الرسم ووصفتُ لهُ ما يستعملهُ وخرجتُ من عندهِ. واذا في صحن دارهِ ستَّة اشخاص او سبعة من لابسي الصوف بزي الاساقفة. فقال لي احدهم وهو رجلٌ شيخ: أتعرفني؟ قلتُ: لا. قال: انا شمعون (٢ وانَّ الله لا يريد ان يشفي هذا الرجل أفتريد ان تشفيهُ بشدَّة؟ قلتُ: لا يا مار شمعون. وانتبهتُ ومن ذلك اليوم لم اتجاسر على ملازمتهِ لعلمي انهُ لا تطول مدَّتهُ»

وقد تمَّ الامر ايها الاخ الجليل كما ذكر فانَّ الوزير بعد أن اقام بنصيبين عشرة ايَّام عاد الى ميَّافارقين وبعد مدَّةٍ قريبة قوي مرضهُ وتوفي يوم الاحد الحادي عشر من شهر رمضان أدنى الله في أجلكَ وجعل لك اطول الاعمار مع احسن الاحوال واكمل الافعال (١٠٧)

ولولا تجنبي التطويل لضمَّنتُ هذه الرسالة جميع ما جرى لي معهُ من الكلام في المسائل المقدَّم ذكرها. وان آثرتَ ادام الله حراستك ذكر ذلك ذكرتهُ في رسالةٍ أخرى واصدرتُها اليك

ولمَّا كانت هذه الرسالة تتضمَّن في امر المذهب وغيرهِ ما ربَّما شكَّ فيهِ احدٌ من بين المسلمين لقلَّة بصيرتهِ في العلوم اليمنية رأيتُ ان اجمع في كتاب آخر شواهد من الكتب المقدَّسة في التوحيد والتثليث والاتحاد والحلول والرؤيا وغير ذلك من المعاني المقدَّم ذكرها وان اجعل ذلك سريانيًّا وعربيًّا لتحقَّق صحَّتهُ ويقرب فهمهُ. وعند الفراغ منهُ بمشيئة الله أبادر بهِ اليك فانهُ يزيدك في جميع متصرَّفاتك ويجعل سعادتك (١٠٨) متزايدةً جزيلة مع الساعات تزايدًا لا يقف عندهُ نهاية ويبلغك في دينك

١) يظهر انهُ اخٌ ثانٍ لمطران نصيبين غير الذي وجَّه اليهِ رسالتهُ وانهُ كان متغلبًا

٢) قد عُرف كثيرون من الاساقفة باسم شمعون ولا نعلم اهم اراد هنا

ودنياك غاية الآمال والامنيّة ويستجيب منك صالح الادعية بصلوات الطاهرة ام النور وجميع القديسين آمين

وبعد اتمامي هذه الرسالة أيها الاخ الجليل ادام الله حراستك رأيتُ انفاذها قبل وقوفك عليها الى الشيخ الجليل القسيس الملفان الفيلسوف ابي الفرج عبدالله بن الطيّب (١ كاتب قلاية الجاثلقة ادام الله تأييدهُ ليتأملها ويذكر ما عندهُ فيها . فعند وصولها اليه وبعد تأمله مضمونها كتب بخطه في آخرها ما هذه حكايتهُ :

«قرأتُها ودعوت لبقاء قدس واضعها ابينا المعظّم صلواتهُ على العالم وهو على الحسن والصحّة والموافقة للكتب اليعيّة ولا يمكن من يحبّ الحقّ ان يرفع لفظةً منها (١٠٩) . وكتب عبدالله بن الطيب بخطه»

وأجاب عن الكتاب الصادر اليه في معناه بما نُسختهُ بعد السلام والدعاء والثناء :

« . . . قبل الخادم والتلميذ الاصغر خطّ اليدين المقدّستين المطهّرتين اطال الله بقاء سيدنا وابينا الاب المعظّم في السماء والارض الكاهن الحقيقيّ الناطق بالقدس والطهارة الذي اذا قال أنخرس واذا فعل أبصر المطران الاجلّ ادام لهُ الله العلوّ والبسطة وحفظ العالم بصلواته وصانَ به زمانهُ واستولت البركات عليه نفسيّة وجسميّة . ونشكر الله الكريم حيث خصّهُ بهذه الموهبة ومنحهُ هذه المنحة . ثمّ يعلن انهُ امتثل بقراءة الجدلل الذي سُرَّ بقراءته فتترّه في تلك الرياض الشرعيّة والعقليّة المبهرة وعلم انّ الروح نطق على ذلك اللسان كما نطق بزمار الروح القدس على سواه . وقد وجدهُ من الصحّة بحيث يُذعن اليهِ المعاند فضلًا من ان يطرب لهُ الموافق للحضرة المتقدّسة المطهّرة المؤيّدة بالنعم الالهيّة والمواهب السماويّة الحاوية العلوم والفضائل . . . ليبعد في دنياهُ وأخراهُ ان شاء الله (١١٠)

وقد جاء في آخر النسخة المحفوظة في الفاتيكان تحت العدد ١٠٠ :

تمّت رسالة الاب الفاضل ايليا مطران نصيبين واعمالها النسطوريّ الى ابي العلاء صاعد بن سهل في ذكر المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابن عليّ المغربيّ . وكُتب عن نقل السيّد المطران انبا ثاوفيلوس مطران دمشق واعمالها نيّح الله روحهُ ونوّر ضريحهُ وجعل لنا معهُ حظًّا ونصيبًا يوم الدين بشفاعة السيّدة ام النور مريم الطاهرة البتول وجميع القديسين . يا رب سامح الناسخ المسكين بخطاياهُ «كلمتني كراجلي» وقع الفراغ من نسخها يوم الثلاثاء المبارك في اواخر شهر تشرين الاوّل سنة ١٧١٤ . وقد نُسخ في مدينة رومية عن نسخة عتيقة فيها مكتوبة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر آب سنة الف ومائتين واثنتين واربعين للتجسّد الالهي لذكره السجود والاكرام

---

١) العلّامة البغداديّ النسطوري ابو الفرج المعروف بابن الطيّب الذي ذكرنا سابقًا تآليفهُ (راجع العدد الثالث من السنة الحاليّة ص ٢٨٤)

وهذا ختام النسخة المصونة في المكتبة المارونيَّة الحلبيَّة : « تمَّت الرسالة وذلك يوم الجمعة اثني عشر تشرين الآخر سنة ١٩٤٢ يونانيَّة (١٦٣١ مسيحيَّة) »

خلاصة ترجمة ابي القاسم الحسين بن علي المغربي

انَّ الوزير ابن المغربي المذكور في هذه المجالس كان من مشاهير زمانهِ وقد خصَّهُ ابن خلكان في كتابهِ وفيات الاعيان بترجمة واسعة ويرقي هناك نسبهُ الى ملوك العجم الساسانيَّة . كان اوَّلاً مقيماً في مصر في دولة الفاطميين فقتل الملكُ الحاكم بامر الله اباهُ وعمَّهُ واخويه سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠م) فهرب هو الى الرملة ثمَّ الى الحجاز وأثار اصحابها على الحاكم حتَّى خاف الحاكم على ملكهِ . ثمَّ قصد العراق هارباً من الحاكم ولاذ بفخر الملك ابي غالب الوزير وتولَّى في العراق والموصل عدَّة اعمال وقُلِّد وزارة الملك مشرف الدولة البويهي وكان آخر ما انتهى اليهِ امرهُ أن قصد ابا نصر ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين فوزر لهُ الى وفاتهِ في ١٣ رمضان سنة ٤١٨ في ميافارقين ونُقلت جثَّتهُ الى الكوفة فدفن في تربة مجاورة لمشهد الامام عليّ . وكان بلغ من العمر ٦٤ سنة . وكان اديباً شاعراً لهُ ديوان شعر . ومن تآليفهِ كتاب الايناس صغير الحجم كثير الفائدة وكتاب ادب الخواصّ وكتاب المأثور في مُلَح الحدور وغير ذلك

البابا ورومية

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة الارديوط الخوري داود السعد

لما كانت الابصار في سائر انحاء المعمور متَّجهة في هذه الايام الى البابوية والمدينة الازلية بمناسبة وفاة الحبر العظيم المحسن للبشرية البابا بندكتوس الخامس عشر ذي الذكر السعيد وارتقاء خلفه قدلسة سيدنا الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر الى العرش الروماني رأيت وانا ممَّن أنعم عليهم الرب بان اتلقَّى دروسي الكهنوتية في ظل الفاتيكان ان أتحف قرَّاء المشرق ببعض كلمات عن البابا ورومية راجياً غضّ

وهذا ختام النسخة المصونة في المكتبة المارونيَّة الحلبيَّة : « تمَّت الرسالة وذلك يوم الجمعة اثني عشر تشرين الآخر سنة ١٩٤٢ يونانيَّة (١٦٣١ مسيحيَّة) »

خلاصة ترجمة ابي القاسم الحسين بن علي المغربي

انَّ الوزير ابن المغربي المذكور في هذه المجالس كان من مشاهير زمانهِ وقد خصَّهُ ابن خلكان في كتابهِ وفيات الاعيان بترجمة واسعة ويرقي هناك نسبهُ الى ملوك العجم الساسانيَّة . كان اوَّلاً مقيماً في مصر في دولة الفاطميين فقتل الملكُ الحاكم بامر الله اباهُ وعمَّهُ واخويه سنة ٤٠٠ هـ (١٠١٠م) فهرب هو الى الرملة ثمَّ الى الحجاز وأثار اصحابها على الحاكم حتَّى خاف الحاكم على ملكهِ . ثمَّ قصد العراق هارباً من الحاكم ولاذ بفخر الملك ابي غالب الوزير وتولَّى في العراق والموصل عدَّة اعمال وقُلِّد وزارة الملك مشرف الدولة البويهي وكان آخر ما انتهى اليهِ امرهُ أن قصد ابا نصر ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين فوزر لهُ الى وفاتهِ في ١٣ رمضان سنة ٤١٨ في ميافارقين ونُقلت جثَّتهُ الى الكوفة فدفن في تربة مجاورة لمشهد الامام عليّ . وكان بلغ من العمر ٦٤ سنة . وكان اديباً شاعراً لهُ ديوان شعر . ومن تآليفهِ كتاب الايناس صغير الحجم كثير الفائدة وكتاب ادب الخواصّ وكتاب المأثور في مُلَح الحدور وغير ذلك

البابا ورومية

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة الارديوط الخوري داود السعد

لما كانت الابصار في سائر انحاء المعمور متَّجهة في هذه الايام الى البابوية والمدينة الازلية بمناسبة وفاة الحبر العظيم المحسن للبشرية البابا بندكتوس الخامس عشر ذي الذكر السعيد وارتقاء خلفه قدلسة سيدنا الحبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر الى العرش الروماني رأيت وانا ممَّن أنعم عليهم الرب بان اتلقَّى دروسي الكهنوتية في ظل الفاتيكان ان أتحف قرَّاء المشرق ببعض كلمات عن البابا ورومية راجياً غضّ

الطرف عما يبدو مني من القصور في معالجة هذا الموضوع الخطير

﴿البابا﴾ ان البابا نائب للمسيح على الارض لانه يمثل شخص المسيح في كنيسته بسلطان كلمته المعصومة عن الغلط في امور الدين والآداب وبحق الولاية التي منحهُ اياها السيد المسيح بان يرعى قطيع المؤمنين وبالانعامات الفريدة المختصة بملكة الروحي. فعلى مثال يسوع وبسلطان يسوع هو اساس الكنيسة وملقان الملافنة واسقف الاساقفة وهو الاخ الاكبر والاب العمومي للعائلة المسيحية ضابط بيده مفاتيح السماء. يربطُ وكلُّ شيءٍ يصبح مربوطاً ويحلّ وكل شيءٍ يصبح محلولاً. هو يتكلّم وكلامهُ الحدّ الفاصل يحكم وحكمهُ لا يُردّ. من هو معه هو مع المسيح لانه هو الصخرة الراكز عليها البنيان الالهي الذي هو الكنيسة الجامعة. وله خصوصاً قيلت تلك الكلمات الالهية: «من يسمع منكم يسمع مني ومن يحتقركم يحتقرني»

فالبابا اذاً هو اعظم ممثّل للدين على الارض واسمى شخص ادبيّ بازاء الدول العالميّة والقوّات البشريّة. والبابا هو الوحيد في الدنيا لانه يوجد اقوياء كثيرون وملوك ورؤساء شعوب ولكن لا يوجد الّا بابا واحد. فلا عظمة ولا قوة في الارض تعادل قوّتهُ وعظمتهُ وهو أب الجنس البشري ولا يوجد في البلاد المتمدنة لا عظيم ولا حقير لا كبير ولا صغير لا رئيس ولا مرؤوس الّا ويدعوه باسم الاب الاقدس. لان القداسة هي صفة ملازمة لهذه الابوة. ان للبابا من البنين بقدر ما يوجد في العالم من الانفس التي قبلت سرّ العماد المقدس. حتى المنفصلون عنه انفسهم يخصّونه شاءوا ام أبوا لانه بحق الهي أُقيم راعياً على كل الشعوب التي تخص المسيح وتُدعى مسيحية

﴿رومية﴾ واما رومية فهي المدينة الازلية لانها مدينة البابا ومعدّة منذ تأسيسها لأن تكون عاصمة الحقيقة وكرسي معلّم الشعوب وسيدة الجنس البشري الذي ارتدّ الى ديانة المسيح. وكأني بالعناية الالهية الفائقة طور العقول قد اعدّتها لهذه الغاية السامية لان موقعها الطبيعي وتاريخها المجيد قد جذب الشعوب جميعها الى يسوع مخلّص العالم الذي ملك فيها بقدرته العظيمة وبدمه ودم الملايين من شهدائه المزيّنة عظامُهم دياميس رومية. وكما ان رومية الوثنية كانت عاصمة العالم قديماً هكذا لما اقتبلت سر العماد المقدس اصبحت هذه المدينة عاصمة العالم الكاثوليكي وقبلت في حضنها جميع الشعوب بعواطف المحبة المسيحية

ان بطرس صيّاد بحيرة جنّاسر اتى رومية فوجد نيرون الظالم متولياً تخت القياصرة ورغماً عمّا لاقاه من صنوف العذابات قد نصب فيها صليب المسيح وطرح في ارضها بذار الاستشهاد ثم مات مصلوباً . وهذا البذار العجيب قد اورث الكنيسة ذخائر خمسة عشر مليوناً من الشهداء لم تزل عظامهم موضوع التكريم والعبادة في كنائس رومية العظمى . وقد واصل خلفاء مار بطرس على مدة ثلاثمائة سنة القاء هذا البذار الالهي وماتوا نظيره الى ان استفاقت رومية الوثنية من سكرتها الدموية فرأت ذاتها مسيحية وجعل قسطنطين الملك وديث نيرون الصليب شعار المملكة وعلامة الظفر . ولما رأى ان العظمة الامبراطورية لا توافق بقرب العظمة الحبريّة ترك رومية لنائب المسيح ومن ذاك الحين قد صار البابا فعلاً رئيس المدينة الرومانية الى ان تقررت له هذه السيادة بحق شرعي

وهذا الحق قد اثبته وسجلته الاجيال . فرومية ستكون دائماً مدينة البابا ورئيسة العالم الكاثوليكي وكرسي القديس بطرس وبالنتيجة كرسي خليفة بطرس ممثل الله على الارض . ورومية هي مدينة البابوات لانها جُعلت لاجلهم وهم جدّدوها وصانوا حماها . وكما ان العسل هو عمل النحل هكذا رومية هي عمل البابوات لانهم حفظوها من الدمار عند هجوم البرابرة عليها . فلولا القديس لاون البابا لما توقّف اتيلا وجنوده على ابواب رومية ولولا مساعدة الرسولين بطرس وبولس لما بقي من رومية حجر على حجر ولكان اصابها ما اصاب اورشليم . فرومية قد نجت بواسطة البابوات من نكبات ورزايا كثيرة وتجددت وتزينت منهم بانواع شتى وهم كثيراً ما حوّلوا بناياتها الفخيمة الى معابد مكرسة لخدمة الاله الحقيقي كالبانتيون (Panthéon) الذي كان هيكلاً لجميع الاصنام فجعلوه هيكلاً لجميع القديسين وسلطانتهم مريم العذراء . والابنية التي لم يمكنهم حفظها فقد سهروا على آثارها ومنعوا الاجيال والعوامل الطبيعية من ملاشاة بقاياها كالكولوسيو (le Colysée) وغيره من الآثار العجيبة

وقد اضاف البابوات الى البنايات القديمة بنايات حديثة وكنائس ومتاحف على ممرّ الاجيال عدا عما جرّوه اليها من الينابيع الغزيرة والقنيات ذات القناطر الفخيمة التي لا مثيل لها في العالم . ومن بين العجائب العظيمة التي اوجدها البابوات في رومية

نخص منها بالذكر كنيسة مار بطرس اعجوبة الدنيا بقياسها الهائل وهندستها الفائقة وبنائها الذي لا يوصف في كل صنوف المآثر وخاصة لاحتوائها على ذخائر الرسول العظيم التي هي داكرة عليها كاساس لا يُنقض ولمجاورتها لقصر الفاتيكان مقر الحبر الروماني الحاوي بين جدرانه العظمة الاولى في العالم والمآثر والصناعة الاكثر جمالاً بين البشر تلك التي خرجت من يد ذاك النابغة الفريد رافائيل المصور الشهير

ان البابا ولو كان بمعزل عن كل عظمة بشرية فهو اشرف ما يوجد في العالم لانه خليفة مار بطرس وإمام الاحبار ونائب الله وسلطته الحية على الارض . ولكن عندما تضاف الى هذه الصفات الممتازة الفضائل السامية والشهامة العجيبة والثبات الراسخ وعظمة الاب الجالس على العرش الروماني فلا يمكن وصف ما يشعر به قلب المسيحي عندما ينال شرف المثول امامه لاول مرة كما جرى لمحرّر هذه الاسطر عند تتميم دروسه في مدرسة انتشار الايمان في رومية وحصوله على هذه النعمة من لدن السيد الذكر البابا لاون الثالث عشر العظيم

فاول ما يرغبه المسيحي عند ما يضع قدمه في رومية هو ان يشاهد البابا وكنيسة مار بطرس وقصر الفاتيكان وعجائب التاريخ والطبيعة والصناعة . ومن يمكنه ان يصف الشواعر التي تخطر على قلب المسيحي عندما يدخل كنيسة مار بطرس ويشاهد عظمتها ويقبل قدم التمثال النحاسي الذي يمثل بطرس الرسول عامة الرسل وقد اوشكت ان تذيبه قُبلات المؤمنين . وكلما يعاينهُ في الكنيسة هو عظيم وفخيم موسوم بسمة الجلال ويكفي القول بان الذي وضع هندستها هو ميكل انج الشهير فلا شيء من عجائب الدنيا يماثلها . فالمسيحي داخل هذه الكنيسة هو في بيته كابن الملك في قصر ابيه . وهذه العظمة الفائقة هي بمعزل عن الفخفخة والكبرياء لان هذه الكاتدرائية البابوية هي تسبحة الكنيسة المقدسة مسطّرة بالذهب والفضة والرخام وهي تذكرنا بلسان حالها بتسبحة العذراء المجيدة «تعظم نفسي الرب»

اي نعم ان كنيسة مار بطرس هي تسبحة الكنيسة لانها هي ابنة الله وعروسته وامه . فهنا يستنشق المؤمن رائحة الأمان والفرح والحب والاختيار الذي تمّ بوقته في الاجيال الغابرة والذي نرجوه في المستقبل . ولقد تحققت في هذه الكنيسة كلمات بطرس الطوباوي على جبل طابور . فهي هي المظلة الفخيمة التي شاء ان يشيدها لمخلصه مظلة

غاية في الرحب متسعة الارجاء يحيط بها النور والحياة الالهية . وقد بُنيت على ضريح الصيّاد ولم يُسمح له ان يستريح فيها الّا بعد ان قدّم لمعلمه الصالح عرق جبينه ودموعهُ ودمهُ الذي هرقه على الصليب متلاشياً من الاتعاب والحب . وكما ان رومية هي مدينة البابا الخاصة هكذا بيعة مار بطرس هي كنيستهُ البابويّة لانها مشيدة على ضريح الرسول الذي جعله المسيح اساس الكنيسة الجامعة . وتحت هذه القبة التي رفعتها الى العلاء يد الايمان والعقل السامي يستريح ذاك الذي سلّمه المسيح سلطته الالهية

وكأني بهذه الكنيسة تمثل بفخامتها عظمة المسيح مشخّصاً بالصخرة وبكل حق يقال عنها انها هي القُطب الذي يدور حوله العالم الكاثوليكي ولذلك قد جملها الرب بكل الامجاد الالهية والبشرية واحاطها بالبهاء . وتوّج هامتها بثلثة أكلّة اعني بها الصناعة والقداسة والتذكارات الجليلة . اما الصناعة فانّ اللسان قاصرٌ عن استيعاب بدائعها بعد ان اسهب اعظم الكتبة في عظائم هذه الكنيسة التي قام بهندستها ميكل انج اشهر مهندسي العالم الـذي رفض كل مكافأة مالية لقاء عمله هذا قائلاً بانه لا يرغب ان يشتغل الّا حباً بالله وبالعذراء القديسة ومار بطرس

ان العقل البشري يقف متحيراً مندهشاً امام النقوش والتماثيل والصور التي تمثل هناك حقائق ايماننا المقدس كصورة التجلي من عمل رافائيل الشهير وغيرها كثير حتى يخال للناظر بان المواد الثمينة وضروب الرخام البديع النادر المثيل قد اجتمعت كلها في هذا المكان لتخدم مجد الخالق وتعظّم كلمته المتأنس وصيّاد الجليل الذي صار صياد البشر والراعي العمومي لجميع الناس . فكل هذه العظائم تتلألأ هنا بنور باهر وتتغنى بلسان حالها مردّدةً تلك الآية العظيمة المؤسسة عليها الكنيسة : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي

اما كنيسة مار بطرس فليست هي فقط الكنيسة الفائقة باتساعها وارتفاعها وعظمتها على كنائس العالم بل هي ايضاً اكثر قداسةً منهنّ جميعاً لان اجساد عدد غفير من الشهداء والقديسين يرقدون فيها حول الرب الحيّ في الاوخاريستيا . وذخائر رئيس الرسل مع اجساد كثيرين من الرسل والباباوات ومن قديسي الطوائف المسيحية جميعها تستريح هناك كحرّاس وخفراء شرّفيين لرئيس الكنيسة . واما الكرسي الرسولي فهو ذاك الكرسي الذي كان جلس عليه بودنسيوس (Flavius Pudens)

الروماني احد اعضاء مجلس الشيوخ الذي كان بعد تنصُّره يضيف القديس بطرس في بيته . فهذا الكرسي هو موضوع في صدر الكنيسة وقد اصبح كرسيَّ الحقيقة وكرسي الرئاسة العموميَّة بعد جلوس هامة الرسل وخلفائهِ عليهِ . ولهُ سنويًّا عيد خاصٌ يُحتفل بهِ في ١٨ كانون الثاني

وفي هذه الكنيسة من الذخائر الثمينة ما لا يوجد في سواها . منها ذخائر آلام المسيح الاكثر اهميةً كالحربة التي طعنت قلبهُ الالهي ومنديل القديسة فيرونيكا الذي تُشاهد فيه صورة الوجه الالهي الدموية . ومركز هذه الذخائر هو على جانبي ضريح مار بطرس لتجمع ما بين تذكارات الجلجلة وبهاء طور طابور فتذكِّر خلفاء مار بطرس ما لا يمكنهم نسيانه انه من الواجب عليهم المرور في درب الصليب قبل البلوغ الى مجد القيامة . وكلّ ما نراه في هذه الكنيسة يشعر بقداسة المسيح وتنبعث منه رائحة الفردوس السماوي فيمتلئ القلب فرحاً وتعزية ورجاء . لان هذه المذابح والمدافن تذكرنا بعجائب الحب المنتصرة على الموت

هذا وناهيك عما هنالك من الآثار والتذكارات التاريخية التي تجعل هذه الكنيسة كتاريخ مختصر للدين المسيحي وللعالم بعد يسوع المسيح . وهذه التذكارات هي سابقة للكنيسة الحالية التي شيدها البابا يوليوس الثاني وهندسها ميكل انج الشهير وتتصل بعهد الرسل وبدء الدين المسيحي . ففي اسفل جنائن نيرون توجد المغاور الفاتيكانية التي صارت مدفناً للمسيحيين الاولين الذين ذاقوا مرارة الموت القاسية فأحرقهم ليكونوا مصابيح حيَّة لتسلية القيصر الظالم في ملاهيه الليلية . وبعد استشهاد القديسين بطرس وبولس وُضعت اجسادهما في هذا المكان الذي كان يعرف بحل لستشهاد مار بطرس حتى وفي ايام البابا أنكليت الخليفة الثاني لزعيم الرسل ومنذ ذاك الحين قد خُصَّ هذا المكان بتكريم رئيس الكنيسة الاوَّل

وفوق هذه السراديب المقدسة قد بنى قسطنطين الملك بعد تنصُّره الكنيسة السفلى حيث يوجد جسد الرسول فأصبحت مزار العبادة لجميع المسيحيين في العالم . واذ رأى يوليوس الثاني عدم كفاءتها للقيام بالحفلات الحبرية بدلها بالكاتدرائية الحالية

ولنعُدْ لسرد تاريخ الكنيسة الاولى الى ذاك اليوم المجيد والتذكار الشريف يوم تأسيس هذه الكنيسة عندما حضر قسطنطين الكبير وحفر بيده اساسها وساعد على

بنيانها حاملاً على كتفه اثنتي عشرة قفة من التراب تذكاراً للرسل الاثني عشر . وهكذا تحوّل كبرياء القياصرة وعجرفتهم الى تواضع المسيح لان خليفة نيرون صار خادماً متطوعاً لخليفة بطرس وهذه لعمري من اعظم العجائب التي يذكرها التاريخ . وهذا الامبراطور لم يبنِ فقط الكنيسة ذات المائة عامود لتكون مدفناً لصياد الجليل بل اراد ايضاً ان يجعلها مقرّاً للبابوية فبهجرهِ المدينة الازلية قد ترك رومية للبابا والبابا لرومية مباشراً ذاك العمل العجيب الذي كان مزمعاً ان يتممه كارلوس الكبير بعد خمسمائة سنة . ولذلك قد وُضع على جانبي هذه الكنيسة العظيمة تمثال هذين الامبراطورين العظيمين قسطنطين وكارلوس فترى كلًّا منهما ممتطياً جواده كحامي الكنيسة وروسائها

وكارلوس الكبير وحده يمكنه ان يحاكي قسطنطين في تاريخ الفاتيكان لانه زار رومية اربع مرات بمدة ربع قرن . ويا ما اجمل وابهى تفصيل زيارته الاولى لضريح مار بطرس فانه كان ذلك في يوم السبت العظيم سنة ٧٧٤ وقد نزل عن جواده على ابواب رومية لانه لم يشأ ان يدخلها بمركب ملوكي بل دخلها ماشياً على قدميه يتبعه جمهور حاشيته الشريفة . ولدى وصوله الى درج الكنيسة صعده على ركبتيه مقبلاً كل درجاته ماسكاً بيد البابا . ولا تسل عن شديد عبادته نحو زعيم الرسل فان المؤرخين معاصريه يذكرون لنا بانه كاد يذيب صفيحة ضريحه من تكرار قبلاته . واما عن زيارته الاخيرة فيذكر لنا التاريخ امرين هما على جانب من الاهمية : الاول تتويجهُ من يد البابا لاون الثالث القديس سنة ٨٠٠ فعند قبوله الاكليل بين هتاف الشعب ومجلس الشيوخ ابرز يمين الامانة نحو الكنيسة على هذه الصورة : انا كارلوس باسم السيد المسيح اتعهد امام الله ورسوله بطرس بالمحافظة والمحاماة عن هذه الكنيسة الرومانية بمعونة الله بقدر معرفتي واستطاعتي . فهذه اليمين البارزة من قلبه وشفتيه كانت برهان ايمانه المجاهد وعبادته الحارّة وامانته المستقيمة المخلصة . والامر الثاني هو الشهادة المنقوشة على صفيحة من الرخام الاسود بجانب باب مار بطرس وهي ابيات لاتينية من نظمه ارسلها الى رومية بعد موت البابا أدريان الذي كان كارلوس يحبُّه محبة بنوية وهذه ترجمتها :

« انا كارلوس اكتب هذه الاشعار باكياً على ابي : اي تعم يا ابي يا موضوع حبي العذب هذه الاشعار هي نوحي على خسارتك ؛ فاذكرني انت دائماً لان نفسي دائماً تتبعك فاجلس مع المسيح

في ملك السماوات السعيد. ان الاكليروس والشعب قد احبوك كثيراً لانك الراعي الصالح وحبك كان شاملاً قلوب الجميع. ايها الصديق الشريف اني اقدم اسمي الى اسمك سوية أدريان وكارلوس انا الملك وانت الاب. فيا من تقرأ هذه الاشعار أياً كنت اضرع الى الرب بقلب نقي لكي يرحمني ويرحمهُ »

فيا لها من عبارات سامية وعواطف نفس شريفة عرفت ان تحب كما عرفت ان تنتصر وهي منذ احد عشر جيلاً تستنزف الدموع من عين الزائر المحب للمسيح وكنيسته ومار بطرس رسوله . ويا لها من تذكارات مجيدة جرت في كنيسة مار بطرس عندما تتوج فيها من يد الباباوات اربع وعشرون امبراطوراً وزارها الملوك والعظماء الذين بعد شارلمان أتوا رومية على ممر الاجيال ليتطهروا بواسطة الصلوة ويتعلموا كيف يحكمون بقرب راعي الشعوب السامي

وكم من قوّاد الشعوب ومستلمي زمام الامم أتوا ليتعزّوا من مرارة فكران جميل شعوبهم وليموتوا بسلام الرب بقرب هذا الضريح . فاليه التجأ ملك اسكوسيا لينجو من عذاب يخس ضميره ويكفر عن جريمة قتله ابنَ عمه بتوبة صادقة بالاماتات والصدقات . وتلك الادناس التي لم تقوَ امواج الاوقيانوس على تطهيرها قد محتها مفاعيل بركة الذي يحلّ ويربط والضابط بيده مفاتيح ملكوت السماء . اليه اتت كريستينا ملكة السوج بعد ان تنازلت عن الملك وتركت ضغائن المرأة الهرطوقية طالبةً مدفناً في مار بطرس فشادوه لها جميلاً وفخيماً بقرب مدافن عائلة استوارت الاخيرة . الى هذا الضريح تراكض اصحاب العقول الرفيعة من كل قطر وصوب ومن سائر ممالك اوربا لاجل التأمل والصلوة والاعجاب كالكتبة والفلاسفة سرفنتس وموت وشيلر واللورد بيرون وموزار وشاتوريان ولامرتين وغيرهم كثيرين وجميعهم كتبوا عن رومية ومار بطرس اموراً عجيبة . وماذا اقول عن اوكونل محامي ايرلندا الشهير الذي اهدى مار بطرس قلبه لانه مات على الطريق

كثيرون بجاذب الايمان والحب أنهوا حياتهم في ظل الفاتيكان وقد غذوا نفوسهم بالتعاليم الحقة وباسرار الصناعة العجيبة الماثلة هذه الكنيسة . وترنموا بتقريظ واطراء رومية وجمالها وامجادها الصناعية وكنائسها وملتوسها واجبارها وكراداتها ونقوشها وتصاوير رافائيل وقبة مار بطرس الناطحة السحاب . ولقد زار هذه الكنيسة

عدا الملوك والعظماء والعلماء واصحاب الفنون البارعين عدد عديد من القديسين الذين تناهوا بتكريم واجلال هذا المكان المقدس وكم اكثروا من الصلوات وذرفوا من الدموع على هذا الضريح المجيد وكم من الاساقفة والباباوات وضعوا تيجانهم على هذا الضريح معفرين الخدود في الثرى حوله

لقد زار هذا المقام مار اغناطيوس دي لويولا ومار فرنسيس كسفاريوس ومنه استقيا ينابيع النعمة على خلاص النفوس . على هذا الضريح كرّس القديسان لويس غونزاغا ولسطانسلاوس كوستكا بتوليتهما لله واحييا اعتاق انفسهما لنير رهبانية يسوع الجليلة . هناك مار فرنسيس دي سال قد تهيأ لعجائب رسالته . هناك القديس يوسف لابر اعتنق الفقر الاختياري فوُجدت تحت اسماله البالية النفسُ الاكثر اماتةً المشغوفة بحب الفقر المقدس حتى ان الملائكة لم تشاهد على الارض بعد الاسيزي نفساً خطبت الفقر نظيره . على هذا الضريح بالاختصار التقى القديسان المظفّران مار فرنسيس ومار عبد الاحد فعرفا بعضهما ولم يكونا تعارفا قبلاً فساعدا على اصلاح العالم بالفقر والاماتة . فهذا الضريح المقدس كان شاهداً على مصافحتهما لبعضهما فامام ذخائر الرسول العظيم وتحت ابراج كنيسته تمازجت قلوبهما فصارا كإناين معدّين لنشر رائحة المسيح الطيّبة بفضائلها

وهكذا اصبح هذا المكان اقدس الامكنة المقدسة فلا شيء في الدنيا اكثر مجداً من ضريح مار بطرس وكاتدرائيته العظيمة التي قد فاقت مجد قبر السيد المسيح وفقاً لما قاله في انجيله الشريف : اذا كان فيكم ايمان الله فاعظم من هذه الاعمال تعملون . وهذه لعمري اعجوبة تذهل العالم على مر الاجيال . فسبحان من هو عظيم في قديسيه الذي له المجد الى ابد الابدين امين

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٠٤ ﴿اغناطيوس دي لويولا﴾ القديس منشئ الرهبانية اليسوعيّة المتوفّى في

عدا الملوك والعظماء والعلماء واصحاب الفنون البارعين عدد عديد من القديسين الذين تناهوا بتكريم واجلال هذا المكان المقدس وكم اكثروا من الصلوات وذرفوا من الدموع على هذا الضريح المجيد وكم من الاساقفة والباباوات وضعوا تيجانهم على هذا الضريح معفرين الخدود في الثرى حوله

لقد زار هذا المقام مار اغناطيوس دي لويولا ومار فرنسيس كسفاريوس ومنه استقيا ينابيع النعمة على خلاص النفوس . على هذا الضريح كرّس القديسان لويس غونزاغا ولسطانسلاوس كوستكا بتوليتهما لله واحييا اعتاق انفسهما لنير رهبانية يسوع الجليلة . هناك مار فرنسيس دي سال قد تهيأ لعجائب رسالته . هناك القديس يوسف لابر اعتنق الفقر الاختياري فوُجدت تحت اسماله البالية النفسُ الاكثر اماتةً المشغوفة بحب الفقر المقدس حتى ان الملائكة لم تشاهد على الارض بعد الاسيزي نفساً خطبت الفقر نظيره . على هذا الضريح بالاختصار التقى القديسان المظفّران مار فرنسيس ومار عبد الاحد فعرفا بعضهما ولم يكونا تعارفا قبلاً فساعدا على اصلاح العالم بالفقر والاماتة . فهذا الضريح المقدس كان شاهداً على مصافحتهما لبعضهما فامام ذخائر الرسول العظيم وتحت ابراج كنيسته تمازجت قلوبهما فصارا كإناين معدّين لنشر رائحة المسيح الطيّبة بفضائلها

وهكذا اصبح هذا المكان اقدس الامكنة المقدسة فلا شيء في الدنيا اكثر مجداً من ضريح مار بطرس وكاتدرائيته العظيمة التي قد فاقت مجد قبر السيد المسيح وفقاً لما قاله في انجيله الشريف : اذا كان فيكم ايمان الله فاعظم من هذه الاعمال تعملون . وهذه لعمري اعجوبة تذهل العالم على مر الاجيال . فسبحان من هو عظيم في قديسيه الذي له المجد الى ابد الابدين امين

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٠٤ ﴿اغناطيوس دي لويولا﴾ القديس منشئ الرهبانية اليسوعيّة المتوفّى في

٣١ تموز سنة ١٥٥٦ . في مكتبتنا الشرقيّة نسخة خطّية من اواسط القرن الثامن عشر من كتاب رياضاته المعرّبة عن اللاتينيّة بهمّة البادري بطرس فروماج اليسوعي في صيدا، سنة ١٧٣١ مع مقدّمات وايضاحات واعتبارات وقراءات من الكتاب المقدّس والاقتداء بالمسيح وكتاب الكمال المسيحيّ لوودريكوس لرياضة عشرة ايّام (صفحاته ٤٥٨) . وقد طُبع مختصر هذا الكتاب في رومية (سنة ١٨٤٦) ثمّ في مطبعتنا (١٨٥٨ و١٨٦٨) ثمّ طُبعت شروح الاب جانسو على هذه الرياضات بتعريب المرحوم سعيد الشرتوني (١٨٩٥) . وكذلك طُبعت قوانين مار اغناطيوس ورسالته في الطاعة

١٠٥ ﴿اغناطيوس الاورليانى﴾ هو الاب فرنسيس الكبوشي . كان مرسلاً في حلب في اواسط القرن السابع عشر . له ١ً . كتاب اسرار البيعة المقدّسة تأليف الحقير اغناطيوس الفرنساوي من مدينة اورليان من جماعة الكبوشيين . في ٦٨ فصلاً . اطّلعنا على نسخة منهُ قبل الحرب عند الآباء الكبوشيين في بيروت . ٢ً له في مكتبة باريس (Paris, *Mss. ar.*, 228) تعريب كتاب الاقتداء بالمسيح . ويقال انّ هذه الترجمة هي التي نشرها بعد ذلك باسمهِ الاب سلستينوس الكرملي (cfr. Schnurrer, n° 225 et Steinschneider. *Polem. Literatur*, n°.175, p. 212-214)

١٠٦ ﴿اغناطيوس دي يسوع الكرملي﴾ توفّي سنة ١٦٦٧م . ذكر لهُ حضرة الاب انستاس الكرمليّ في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٨٣٨) كتاباً في النحو العربي (قال) «ابدع فيهِ واغرب» وكتباً اخرى عربيّة مخطوطة لم يصرّح بذكرها وقال انها موجودة في دير رئيسهم العام في رومية

١٠٧ ﴿افتيميوس الحموي﴾ هو ملاتيوس اسقف حلب ثم افتيميوس البطريرك الروميّ الملكي المعروف بافتيميوس كرمه المشترك مع الكنيسة الرومانيّة توفّي في دمشق سنة ١٦٣٧ (اطلب ترجمتهُ مع تعريباتهِ وتعريبات اخيهِ ثلجه في مجلّة النعمة ٣ : ٧-٢٢ و ٩٩-١١٢) . عرّب من اليونانيّة والسريانيّة عدّة كتب طقسيّة لمّا كان في حلب منها : ١ً الاورولوجيون اي السواعي . منهُ نسخ عديدة في مكاتب حلب ودمشق وصيدنايا وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة (تاريخها سنة ٧٢٣٧ للعالم الموافقة لسنة ١٧٢٩) وفي مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVII, 284) راجع ايضاً مجلّة الشرق المسيحي (Or. Chr., 1914, p. 14) وفي آخر بعض هذه المخطوطات كلندار سنوي لتقويم

الاعيـاد والاصوام وغير ذلك . طُبع الكتاب في بكرش (بخارست) في رومانية سنة ١٧٠٢ . ٢ً الافخولوجيون اي الصلوات الكهنوتيَّة عرَّبهُ سنة ١٦١٢ . نسخهُ ايضاً عديدة جدًّا في خزائن كنائس طائفتي الروم الملكيين والاورثذكس في حلب ودمشق واورشليم (عدد ١٢٧) وبيروت وزحلة . ٣ً خدمة القداس للقـديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس الكبير نقلهُ الى العربيَّة سنة ١٦٠٢ . منهُ نسختان في مكتبة القبر المقدَّس كما جاء في برنامجها . ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة الواحدة بالعربيَّة والسريانيَّة معاً بالخط السرياني الملكي . عرَّبها من السريانيَّة وفيهِ دليل واضح على شيوع الكتب الطقسيَّة السريانيَّـة بين الروم تاريخها سنة ٧١٦٠ لآدم (١٦٥٢م) والاخرى عربيَّة ويونانيَّة متقنة للكتابة ترقى الى القرن الثامن عشر . ٤ً التيبيكون اي الطقوس الكنسيَّة على اختلاف اعياد السنة عرَّبهُ المطران ملاتيوس مطران حلب سنة ١٦١٢ وهو ٥٧ رأساً مع شرح الطقوس وبيان الصلوات لكل السنة . منهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان تاريخهما في سنتي (١٧٧٧ و١٨١٩) ونسخة في مكتبة الرهبانيَّة الشويريَّة تاريخها سنة ١٦٣٧ . ٥ً القنداق اي خدمة الشمَّاس عرَّبها سنة ١٦١٢ . منهُ نسخة في جبل آثوس (مجلة النعمة ٢: ١٥٣) . ٦ً وله عظة لاجل تعزية اهل حلب في نكبة الطاعون سنة ١٦٣٠ (ROC, XVII, p. 280) . وللبطريرك افتيميوس الحموي في عهد استفنيه مقابلة كتب اخرى طقسيَّة على اليونانيَّة وكان سبق تعريبها كالسنكسار اي تراجم القديسين والاستشراري اي الالحان والاناشيد الكنسيَّة

١٠٨ ﴿افتيميوس صيفي﴾ اسقف صيداء على الروم الكاثوليك المتوفى في صيداء في ٢٧ ت ١ سنة ١٧٢٣ . (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٦٤١ – ٦٥٦) . في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة حسنة من كتابهِ الدلالة اللامعة بين قطبي الكنيسة الجامعة كانت سابقاً في مكتبة المرحوم جبران دلَّال في حلب . وهذا الكتاب قد طبـع اوَّلاً في مطبعة انتشار الايمان في رومية سنة ١٧١٠ ثمَّ في مطبعة الآباء الفرنسسكان في اورشليم سنة ١٨٦٢

١٠٩ ﴿افتيميوس رئيس اساقفة البلغار﴾ المولود في جزيرة كورفو سنة ١٧١٦ والمتوفى في بطرسبورج سنة ١٨٠٦ صنَّف عدَّة تآليف في اللغة البلغاريَّة والروسيَّة . له في العربيَّة تاريخ المائة السنة الاولى من تجسُّد المسيح المخلص قد تدوَّنت بالاختصار

طي حسب دور السنين من انجانيوس رئيس اساقفة البلغار باللغة اليونانيَّة الفصيحة ، وترجمها الى العربيَّة القس عيسى بيترو الاورشليمي في ك ٢ سنة ١٨١٧ . من هذا الكتاب نسخ شتَّى الواحدة في مكتبتنا الشرقيَّة . وفي مكتبة مدرسة الثلثة الاقمار نسخها هو ذات كاتب نسختنا جبرائيل موسى ميداني في تاريخ سنة ١٨٢٥ ثمَّ في مكتبة غبطة بطريرك الروم الحالي غريغوريوس حدَّاد (النعمة ٣ : ٥٥٥)

١١٠ ﴿افرام﴾ القديس الملفان والراهب السرياني المتوفى سنة ٣٧٨ م انَّ تآليف مار افرام كلَّها بالسريانيَّة وهي عبارة عن عدَّة مجلَّدات ضخمة يغلب عليها النظم . وبينها المواعظ والتسابيح والميامر وشروح الاسفار المقدَّسة . وقد نُقل كثير منها الى اللغات المختلفة كاليونانيَّة واللاتينيَّة والارمنيَّة والقبطيَّة . امَّا العربيَّة فقد عُرِّب من تآليفهِ : ١٠٥ ميامرهُ الوعظيَّة في عدد ٥٢ ميمرًا ذكرها ابو البركات بن كبر في قانتهِ (Riedel, p. 647) ومنها نسخة في المكتبة الفاتيكانيَّة (ع ٦٧) تاريخها سنة ١٣٢٩ وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة اقدم تاريخها سنة ٦٧٢٤ للعالم الموافقة للسنة ١٢١٦م في آخرها مديح القديس غريغوريوس نيس لمار افرام نشرناهُ في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٤٥٣ و ٥٠٦) . ولمار افرام ٦٨ ميمرًا آخر في احد مخطوطات الفاتيكان (ع ٦٨) تاريخهُ سنة ١٣٢٥ . ولهُ ميامر أُخرى معرَّبة في مكتبة ديار بكر للكلدان ومكتبة دير البلمند للروم مع ترجمة حياتهِ وفي مكتبة دير الشرفة للسريان الكاثوليك . وفي بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقية ١٦ ميمرًا في آلام السيِّد المسيح . وميامر متفرقة في الدينونة وفي مار الياس النبي . ٢ تفسير سفر الخليقة بالكرشوني في مكتبة المولونة في حلب (ع ٤٧) . ٣ كتاب مغارة الكنوز المنسوب الى مار افرام وهو قصَّة آدم وحوَّاء بعد ان طُردا من الجنَّة . وهذا الكتاب قد نشرهُ سنة ١٨٨٣ في السريانيَّة والعربيَّة المستشرق الالماني كرل بتسولد (C. Bezold. *Die Schatz-boele* مع وصف النسخ التي وقف عليها في مكاتب اوربَّة . منهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة سريانيَّة ونسخة عربيَّة فالسريانيَّة توافق ما نُشر بالطبع امَّا العربيَّة فانَّها تختلف عنهُ اختلافًا كبيرًا وهي اوسع منهُ تتناول كلَّ أخبار آدم وذريَّتهِ الى السيِّد المسيح مع تفاصيل متعدِّدة عن احوال آدم وحوَّاء بعد خروجهما من الفردوس ودخولهما في مغارة تُدعى مغارة الكنوز . وتاريخ هذه النسخة سنة ١٦٧٦م

١١١ ﴿افرام﴾ البطريرك القبطي الثاني والخمسون دير الكرمي البطريرك من السنة ٩٧٥ الى ٩٧٨م (راجع كتاب الشرق المسيحي Lequien: *Or. Chr.*, II, 479) وتاريخ البطاركة اليعاقبة (Renaudot: *Hist. Patr. Alex. Jacob.*, 366-373) ذكره ابن عسّال في كتاب الاصول في قائمة مصنّفي النصارى. وافرام هذا مؤلف تاريخ بطاركة الاسكندرية الذي استفاد منهُ ساويروس بن المقفّع في تأليفهِ. وهو اليوم مفقود

١١٢ ﴿افرام الشمّاس﴾ عاش في اواخر القرن السادس عشر واوائل السابع عشر. لهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان من كتابهِ وصف طورسينا ولبنيتهِ الذي نشرناه في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٧٣٦و٧٩٤)

١١٣ ﴿اثيلا﴾ هو الطوباوي جان الاسباني من اثيلا او ابيلة المتوفّى سنة ١٥٦٥م لهُ في العربيّة تذكار الرياضة الذي طُبع في مطبعتنا

١١٤ ﴿اقليمس ويقال اكليمنضوس﴾ هو تلميذ بطرس الرسول وخلفهُ الثالث على كرسي رومية (٨٨– ٩٧م) كتب باليونانيّة رسالتيهِ البديعتين الى اهل قورنتوس ومقالتهُ في البتوليّة. ويُعزى لهُ عدّة تآليف يشكّ المتقدون في صحّة نسبتها اليهِ وقد عرّبوا كثيراً منها تجدها في عدّة مكاتب. من ذلك: ١ً كتاب رؤيا بطرس لتلميذه اقليمس. وما ارحاهُ اليهِ السيّد المسيح من احوال المستقبل. في مكتبة باريس منهُ اربع نسخ (Paris, *Mss. ar.*, 76 - 79) وكذلك في مكتبة الفاتيكان (Assemani, *Bibl. Or. II.* 508) وعند بعض اهل دمشق وهو في ١٥ فصلاً. ٢ً القوانين الكنائسيّة التي املأها بطرس الرسول على تلميذهِ اقليمس (في باريس ع ٢٣٤و٢٣٥) وفي المتحف البريطاني (Brit. Mus. *Cod.* 1545) ومكتبة سقرلسبورج (ع٣٠). ٣ً في مكتبتنا الشرقيّة كتاب المصحف الناموسي يحتوي على قوانين التلاميذ الاطهار التي اخبر بها اكليمنضوس في تطلّسات (les Titres) التي اجتمعت عليها رسل سيّدنا المسيح وعددها احد وثمانين قانوناً. منها ايضاً نسخ في باريس ورومية وفي مكتبتنا الشرقيّة. ٤ً ذكر الابسطليين وما فعلوا بعد صعود المسيح وما وضعوهُ من القوانين. في باريس (ع٢٤٢ و٢٤٥و٢٥١). وفي مكتبتنا الشرقيّة

٥ في مكتبة اليعاقبة في القدس كتاب المعلم والتلميذ لاقليمس . ولم يُذكر معرّب هذه الكتب لعلّهُ عبدالله بن فضل الانطاكي

١١٥ ﴿اكورسيوس دي شاتونوف﴾ (Accursius de Châteauneuf) عاش في القسم الثاني من القرن السابع عشر نحو سنة ١٦٨٠ . كان راهباً كبوشياً مرسلاً في الشام. يُذكر له في تاريخ الآباء الكبوشيين معجم فرنسوي عربي.

١١٦ ﴿القتيريوس﴾ هو ايضاً راهب كبوشي كان مرسلاً رسولياً في حلب في القرن الثامن عشر . له في مكتبة الموارنة في حلب تعريب مخاطبات الاب لويس دي أرجنتان في علم اللاهوت في جزئين عرّبهُ في حلب سنة ١٧٨٤ (راجع العدد ٨٠) ولعلّ اسمهُ القتيريوس تصحيف التيريوس او الوتيريوس

١١٧ ﴿الكسندروس اليسوعي﴾ لم نجد له ذكراً في قائمة تآليف اليسوعيين وله في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من كتابهِ المعنون بالشذور الذهبيّة في التوبة المرضية تاريخها سنة ١٧٨٤ وهو شرح المزمور « ارحمني يا الله » . منهُ نسخة في مكتبة الارمن في حلب وفي مكتبة دير الشير . وهذا الكتاب نُقل اوّلاً من اللاتينيّة الى الارمنيّة بساعي السيد ابرهم الارمني مطران حلب الذي صار بطريركاً بعد ذلك ويروى انّ الناقل الى الارمنية اسمهُ بطرس ثمّ عرّبهُ عن الارمنيّة سنة ١٧٣٨ دير اكوب وهو السيد يعقوب مطران حلب ثمّ بطريرك الارمن الكاثوليك المتوفّى سنة ١٧٥٣ راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٦١

١١٨ ﴿الياس الاهدني﴾ له في احد مخطوطات مكتبة باريس السريانية (Paris, *Mss. Syr.*, n° 275) زجليّات بالكرشوني في يوسف البار وفي تاريخ الموارنة كتبها سنة ١٦٠٦ الياس بن حنّا الاهدني

١١٩ ﴿الياس الغزيري﴾ كان من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية . ولهُ في المكتبة الفاتيكانيّة بين المخطوطات الكرشونيّة (Assemani: *Bibl. Or.*, 577 *Cod.* XXI) مجموعة زجليّات في وصف رومية وتلامذة المدرسة المارونيّة وفي البطريرك اسطفان الصفراوي كتبها سنة ١٦٦٩ . وقد حصلنا على نسخة زجليّتهِ في تلامذة الموارنة تلطّف سيادة المطران عبدالله الخوري فارسلها لنا . وعمّا قليل ننشرها ان شاء الله

١٢٠ ﴿الياس الموصلي﴾ هو الخوري البغدادي ابن القس حنّا الكلداني من عائلة بيت عشّون واوّل رحّالة شرقيّ الى اميركة من السنة ١٦٦٨ الى ١٦٨٣ . وقد نشر المرحوم الاب انطون رباط اليسوعيّ رحلتهُ هذه الجزيلة الفائدة في السنة الثامنة من المشرق سنة ١٩٠٥ عن نسخة فريدة في مكتبة مطرانيّة السريان الكاثوليك في حلب ثمّ طبعها على حدةٍ واضاف اليها شروحاً وفهارس سنة ١٩٠٦ في مطبعتنا الكاثوليكيّة . ولالياس مذكور في النسخة المخطوطة ذاتها مختصر تاريخ افتتاح امركة واخبار ولاتها وشعوبها طبع الاب المذكور منهُ نبذةً في بدرو الاقريطشي . ثمّ وجد لهُ اثرًا جديدًا عربيًا وهو مجموع صلوات لفائدة الشرقيين طُبع في رومية سنة ١٦٩٢ . ثمّ كرّر طبعهُ سنة ١٧٢٦ احد الموارنة دون ذكر جامعهِ [اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٤٠٧–٤٧٤ وفهرس المطبوعات العربيّة لشنورر Schnurrer, *Bibl. arab.*, n° 264)

١٢١ ﴿الياس بن جبرائيل الطرابلسي﴾ كان في القرن الثامن عشر . في مكتبتنا الشرقيّة كتاب تحفة البيان في حقائق الايمان وهو شرح على كتاب لساويروس بن المقفّع في قضايا الايمان في ثمانية ابواب . واسم الشارح الياس بن جبرائيل عيسى الياس الارثدكسي مذهبًا والطرابلسي وطنًا في نحو ١٧٠ صفحة . نسخهُ حبيب مطر سنة ١٨٦٣

١٢٢ ﴿الياس بن فخر﴾ هو الكاتب الشهير بابن فخر الطرابلسيّ الارثدكسيّ المتردّد بين الكثلكة وبين الآراء الفوتيوسية . مات في حلب نحو السنة ١٧٤٠ . صنّف وعرّب من اليونانيّة عدّة كتب : ١ً عرّب سنة ١٧١٥ كتاب الجواهر النفيسة في لوازم الكنيسة يحتوي اربعة كتب من فصول عديدة عن اسرار الكنيسة ووصايا الله والخطايا والفرائض الكنسيّة والتهذيبات تأليف الراهب كير ناوفيطوس رودينوس القبرصيّ السيناوي . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٢٤ . ونسخ اخرى في مكتبة بطريركيّة الروم في دمشق وفي مكتبة الخوري جرجس منش في حلب . ٢ً تعريب كتاب الذمّة في علم الفقه المسيحي لكير ناوفيطوس المذكور . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٣ً تعريب مجموع قوانين الرُسل والمجامع المقدّسة المسكونيّة والمكانيّة وقوانين الآباء عربيّة عن اليونانيّة مع كير سلبسطروس البطريرك الارثدكسي عن مجاميع ناودورس بلسمون ويوحنّا زوناراس . منهُ نسخة في مكتبتنا

الشرقيّة . ٤ مرّب مع القس انطون طعّان تاريخ اخبار الروس عن الايطاليّة المنقول اليها عن اليونانيّة (التحفة ١ : ٣٠٨) . ٥ في مكتبة الثلثة الاقمار كتاب عن كلام التقدمة (Epiclèse) ينسب فيه الاستحالة الى صلاة الروح القدس - وقد ردّ عليه الشمّاس عبدالله زاخر والاب بطرس فروماج اليسوعي . ٦ موعظة لعيد الميلاد ألّفها الكاهن الراهب كير ياكوس سنة ١٧٢٨ وعرّبها الياس فخر في مكتبة الموارنة في حلب . ٧ كتاب عقد الاتحاد وتفسير الخمسة الموادّ التي بين الروم واللاتينيين استخرجهُ من الروميّة الى العربيّة اذ كان في طرابلس متحدًا بالكنيسة الكاثوليكيّة موجود في مكتبة السريان في حلب . ٨ الفرائد اللطاف المستخرج من خلاص الخطأة عرّبهُ سنة ١٦٩٧ . في مكتبة الموارنة في حلب

١٢٣ ﴿الياس﴾ الراهب الكرملتاني الحافي كان مرسلًا في حلب في القرن السابع عشر . نقل الى العربيّة من اللغة الطليانيّة كتاب رسوم جهنم في ٢٦ فصلًا في كل فصل وصفُ صنفٍ من الخطايا والعذاب الموافق لهُ . منهُ نسخ مختلفة في بيروت في مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة الآباء الكبوشيين وفي مكاتب حلب العامّة والخاصّة . ونسخة في مكتبة القس بولس سباط تاريخها سنة ١٧٢١ (ROC., XVIII, p. 244, n° 74) - وقد طُبع في الشوير سنة ١٧٦٩ كتاب آخر غير هذا من جنسهِ اسمهُ تأمّلات جهنّم المريعة وحماقة الخطأة العظيمة عرّبهُ المعلّم يوسف الابوديا كن الشهير بابن جرجس الحلبي تلميذ مدرسة الموارنة في رومية

١٢٤ ﴿الياس بن مسرّة﴾ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة جميلة من « التريودي مع الاستشراريات والكاتسمات والسنكسارات والاوديّة (في ٧٥٦ صفحة) كُتب في شباط من السنة ١٨٦٧ لآدم (١٦٥٩ م) في رئاسة المطران كير يواكيم في قلاية بيروت معرّبهُ الياس بن مسرّة بن الحاج سعادة »

١٢٥ ﴿اليان﴾ جرجس - لهُ في المكتبة الاورثذكسيّة في دمشق كتاب المصاعد العقليّة ذكرهُ الاديب عيسى افندي المعلوف في مجلّة التحفة (١ : ٢٤٢) ولم يزد عنهُ وعن صاحبهِ تعريفًا

١٢٦ ﴿اليانو﴾ الاب يوحنّا او جوان باطشتا اليسوعي سفير البابا غريغوريوس الثالث عشر الى الموارنة سنة ١٥٧٨ و ١٥٨٠ (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٦٨ الخ

و١٩[١٩٢١]: ١٣٨ الخ) . لهُ ١ً في مكتبة ڤكتور عمانويل في رومية : Guidi) *B^ca Vittorio Emanuele*, p. 16, n° 28) اعتقاد الامانة الارثذكسيّة للباتره (الاب) بادسطا اليسوعي نقلهُ من اللاتينيّة الى العربيّة سنة ١٨٨٨ يونانيّة الواقفة لسنة ١٥٧٧ م. ٢ً «مصاحبة روحانيّة بين عالمين اسم الواحد الشيخ سنان والآخر احمد في رجوعهما من الكعبة نافعة لكلّ مسلم ومسلمة» . هذا الكتاب طُبع في رومية في السنة ١٥٧٩ Steinschneider : *Polem. Literatur*, n° 72[1] . ٣ً كتاب التعليم المسيحيّ (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٦٦) . ٤ً كتاب تفنيد اضاليل اليعاقبة والنساطرة (المشرق ص٦٧) . ولهُ عدّة رسائل مخطوطة في اللاتينيّة والايطاليّة ضمّنها اخبار رحلتيهِ الى الموارنة وسفارتهِ الى الاقباط روينا قسماً منها في مجلّتنا

١٢٧ ﴿أمبرتس﴾ بطرس هويرت الكاهن الفرنساوي المتوفّى سنة ١٧٧٩ . لهُ كتاب رواشق الافكار في اخصّ العقائد والآداب المسيحيّة نقلهُ الى العربيّة جرجس زوين . طُبع غير مرّة في مطبعتنا

١٢٨ ﴿امبروسيوس الفراندينيغو البندقيّ﴾ لم نقف لهُ على تاريخ . وانّما وجدنا لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٢١) «كتاب زهر الفضائل الملتقط من بين شوك الرذائل في ٤١ فصلاً للانبا امبروسيوس الفراندينيغو البندقيّ»

١٢٩ ﴿اميو﴾ الاب يوحنّا (حبيب) اليسوعي رئيس الرسالة اليسوعيّة المتوفّى في ٦ت٢ سنة ١٦٥٣ . يُذكر لهُ في قائمة مصنّفات الآباء اليسوعيين (Sommervogel: *Bibl. de la Cie de Jésus*) التآليف الآتية : ١ً كتاب التعليم المسيحي . ٢ً تفنيد القرآن . ٣ً رسالة الى احد المسلمين جواباً على اعتراضاته عن الدين المسيحي . ٤ً معجم تركيّ لاتيني . ٥ً تعريب كتاب المرشد المسيحي . ٦ً كتاب في العبادة للعذراء مريم . ٧ً تعريب كتاب الاب بولس دي برّي اليسوعيّ عن العبادة للقديس يوسف . ٨ً الكمال المسيحي للكردينال ريشليو منهُ نسخة مخطوطة في دير مار شليطا بخطّ جرجس بن افرام الباني تاريخها سنة ١٦٥١ (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٥٥٤) . ٩ً كتاب في التقويم الغريغوري . ١٠ً قوانين الاخويّات

١٣٠ ﴿انتيوخس﴾ القديس المترهّب في سيق القديس سابا توفّي نحو السنة ٦٢٠م . لهُ في مكتبة برلين (Ahlwardt. IX, 552-4, n° 10185) كتاب

الحاوي لتعاليم الاسفار المقدسة في ١٣٠ رأساً عدد صحائفه ٢٠٠ وهو منقول عن اليونانية تجده في مجموعة الآباء اليونان لمين (Migne, *PP. GG.* t, 89, col. 1415-1850)

١٣١ ﴿ انتيوخوس الغلطي ﴾ ويقال انطياخوس. كان هذا راهباً في جبل الاسود الآثوس في القرن الحادي عشر. صنّف على مثال سميه مجموعاً آخر دعاه ايضاً بالحاوي الكبير وقسمه الى ثلثة اجزاء و ٦٣ مقالة ضمّنها تعاليم الكتاب المقدس والآباء والمجامع. منه نسخة في مكتبة باريس (Paris, *Ms.ar.*, 181) وفي مكتبتنا الشرقية منه نسختان احداهما راقية الى السنة ٦٩٨٤ للعالم (١٤٧٦ للمسيح)

١٣٢ ﴿ انثيموس ﴾ مطران سكيثوبوليس (بيسان) ثم بطريرك اورشليم على الروم الاورثذكس المتوفى سنة ١٨٠٨. ذُكر له في مخطوطات مكتبة القبر المقدس للروم في اورشليم (ص ٩٢): ١ً « كتاب لاهوت للبطريرك انثيموس الفه في اليوناني وترجمه بالعربي عندما كان مطران بيسان». ٢ً كتاب الهداية القويمة الى الامانة المستقيمة في المكتبة عينها. وهذا الكتاب طُبع طبعاً جميلاً في ڤينّة سنة ١٧٩٢ وفي اوله صورة انثيموس مؤلفه. ٣ً وكذلك طُبع له في ڤينّة كتاب شرح مزامير داود. سنة ١٧٩١. من كليهما نسخة في مكتبتنا الشرقية. ٤ً وله في مكتبة القبر المقدس في اورشليم تعريب كتاب المسيحي الحسن العبادة (ص ٩٣)

١٣٣ ﴿ انثيموس ﴾ الراهب كاتب الدير الكبير في القدس الشريف. عاش في اواسط القرن الثامن عشر. له في مكتبة القبر المقدس للروم في القدس الشريف ستة ميامر مخطوطة (ع ٨٩). وانثيموس هذا هو الذي عرّب عن اليونانية كتاب البوق الانجيلي تأليف مكاريوس الشماس معلم مدرسة بطمس وذلك سنة ١٧٥٦. وهذا الكتاب قد اعاد ترجمته كما سبق (ع ٧٦) المطران اثناسيوس مخلّع الدمشقي اذ كان قساً في الاستانة سنة ١٧٨٠ ثم طُبع في جزئين في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٨٨٨

١٣٤ ﴿ انثيموس الصاقزلي ﴾ مطران صور وصيدا الارثوذكسي له في دار البطريركية في دمشق تعريب سير الآباء القديسين في تاريخ سنة ١٧٩٣ (التتمة ١ : ٢٨٠)

١٣٥ ﴿انج دي سان جوزف﴾ (Ange de St Joseph) راهب كرملي كان مرسلاً في العراق والعجم توفي سنة ١٦٩٧ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٨٣٥–٨٣٧) كان يُحسن العربيَّة الّا انَّ تآليفهُ العديدة المذكورة هناك الخطّيَّة والمطبوعة هي امَّا منقولة الى اللغة الفارسيَّة كالخلاصة اللاهوتيَّة لمار توما وفصول بقراط واما باللغات الاوربيَّة كتاريخ لبلاد فارس ومعجمه الفارسيّ اللاتينيّ

١٣٦ ﴿انسطاسيوس السيناوي﴾ القديس رئيس طورسينا . توفي نحو السنة ٧٠٠ م . لهُ في اللغة العربيَّة : ١ً مواعظ ومواعظ مختلفة في مجاميع عربيَّة للآباء في مكتبتنا الشرقيَّة . نشرنا منها ميمرهُ في الجمعة العظيمة (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٢٦٤–٢٨٠) وفي مكاتب باريس والفاتيكان ودير الشير والقبر المقدَّس (ص ١٤١–١٤٢) . ٢ً وفي مكتبة القبر المقدَّس ايضاً (ع ١٣٣) كتاب لابينا الجليل في القديسين انسطاسيوس السيناتيتي يحتوي على ٨٢ مسألة عن مباحث دينيَّة شتَّى اجاب عليها جواباً مقنعاً . تاريخ النسخة سنة ١٨٤١ في دير البلمند . ٣ً وفي دير البلمند المذكور (ع ٢١١) رسائل انسطاسيوس السيناتي . ٤ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة في كتاب البستان في احاديث الرهبان عدَّة احاديث منسوبة الى القديس انسطاسيوس (راجع ايضاً العدد ٢٨١ من مخطوطات مكتبة باريس)

١٣٧ ﴿انسطاسيوس الانطاكي﴾ هو البطريرك الانطاكي انسطاسيوس الاوَّل المتوفَّى سنة ٥٩٨ او ٥٩٩ م . يوجد في مكتبة البلمند نسخة معرَّبة من كتابه تختكون الطاكية تاريخها ٢٦ ايلول سنة ٧١٣٠ للعالم الموافقة للسنة ١٦٢٢ مسيحيَّة نقلاً عن نسخة خطّيَّة بيد البطريرك دوروثاوس الصابوني ١١٩٨–١٥٢١ (التحفة ١ : ١٤٤–١٤٥)

١٣٨ ﴿انسطاسيوس الرمنيتي﴾ مطران طرابلس وصور وصيداء وبيروت الارثوذكسي كان في اواخر القرن السادس عشر . لهُ في مكتبة اوبسالا (Tornberg, *Mss. d'Upsala*, n° 489) ردّ جواب على بابا رومية الذي ارسلهُ مع باطشتا (J. B. Eliahe S. j) تلميذهِ الى البطريرك يواكيم بمدينة دمشق وصنَّفهُ تلميذهُ الاب السيد المطران كير انسطاسيوس الرمنيتي (لهُ صلة)

تَوْبة الآبق

معرَّبة بتصرُّف بقلم الاديب جوزيف وحيد غريبه

لتهي فرنسا ! ليسقط البروسيان ! على برلين !

هكذا كان اولئك الجنود الشجعان يهتفون وكانت الحماسة تزدادُ في صدورهم كلّما زادَ عددهم وهم يسيرون في شوارع طروى في شمپانية ليلة ١٨ تموز سنة ١٨٧٠

امّا لويس بَرْس فكان داخل غرفته واقفاً واجماً بينما كانت لوسي زوجتهُ واقفة على قدميه تتوسل اليه بان لا يترك وطنهُ في تلك الساعة الخطرة وهو محتاجٌ فيها اليه . وكان لويس يصمّ اذنيه عن توسلاتها ويغمض عينيهِ عن دموعها ويقنعها بان لا بُدَّ لهُ من الهرب في تلك الليلة . «انّ الحرب واقعة لا محالة يا لوسي وانا لا يسعني الانضمام تحت العَلَم . فلقد خدمتُ الجندية سبع سنوات وهذا حسبي . والان خليني غيري نفسه عن الوطن . وانا في هذه الليلة ساذهب الى سويسرة واشتغل وارسل لك كفايتكِ من الدراهم . ومتى تمَّ زمان وضعكِ ابعث فآخذكِ الى عندي مع المولود الجديد وطفلنا روجيه» . اخيراً افلتَ نفسهُ من بين يديها ثمَّ انحنى فوق سرير الطفل فطبع قبلةً فوق جبينه والدموع ملء عينيه ثم عانق امرأته للمرّة الاخيرة وهرول نحو الباب . . .

بعد مضي نحو ساعتين من الزمان كنت تشاهد الظلام حالكاً في ذلك البيت . . هنا امرأة منطرحة على الحضيض تبكي وتنتحب وتصلي الى الله وعن يمينها تلك سريرٌ يهتزّ والطفل فيه راقد لم يعِ لما جرى . هنالك بالقرب من النافذة وقف يومٌ يشب فزاد في هول ذلك الموقف المريع

١

مرّت ستة شهور بعد تلك الليلة ونحن في اواخر كانون الثاني سنة ١٨٧١ . فتجلى صباح احد ايامهِ وقف سائرٌ مطلوك لدى مخفرٍ خفيرٍ في احدى قرى سويسرة التي على الحدود الفرنسوية وكانت يد التعيس في جيبه وبها قطعة من الشيكل

استطاعها على الطريق . ولمّا لم يكن لديه غير تلك العشرة السنتيمات وما كان ان يسدّ بها رمقه وطّنَ نفسهُ على الصيام بقية النهار . . ما كان ذاك المسكين غير صاحبنا لويس الذي بقي شريداً كل ذلك الزمن . وقد بلغ برن وزوريخ ولكن لم يستطع ان يحصّل لا شغلاً ولا دراهم . وكان السويسريون مع ما اشتهروا به من حبّ الاحسان واكرام الغريب ينظرون بعين الاحتقار نحو ذلك الطريد الآبق . وبعد ما حلّ بفرنسة من المصائب والفشل تحوّل احتقارهم الى بغض وكراهية وجعلوا يرمونه بالحجارة كلّما تجاسر وقرع احد الابواب . نعم انهم كانوا يفتحون صدورهم للجنود المكسورين في الحرب ولكنهم لا يريدون بين ظهرانيهم خوَنةً آبقين !

وقد حدث في تلك الليلة ان احد المزارعين بالقرب من الحدود الفرنسوية كان بحاجة الى مساعدٍ فاستأجر الآبق لدَرْس حنطته . ولكن المسكين لم تكد تستقرّ قدماه بين العملة حتى ثارت من نحوه الظنون . وقد سألوه كثيراً عمّا دعاه الى الوجود بينهم بينما مواطنوه يستبسلون دفاعاً عن وطنهم فادّعى الرجل انّ فقرهُ وعوزه منعاه عن السفر والالتحاق بفرقتهِ . فصدّقهُ كثيرون وتحنّن قلبهم عليه ولمّا كانوا يحبّون فرنسة جمعوا كلّ ما كان في جيوبهم حينذاك من الدراهم وقدّموها له وحثّوه على السفر للحال

صعب على لويس في بادئ الامر ان يصدّق ما رآهُ من إحسانهم اليهِ وما كاد يضع الدراهم في جيبه حتّى عوّل على السفر . والى اين ؟ الى فرنسة وطنه المحبوب !

انقبض قلبه لمّا سمع بما حلّ ببلادهِ من الدمار وبعد ان كان ليلة هربهِ يفتكر بان الوطن يمكنه الانتصار بدونهِ اصبح الآن يَوَدّ لو كان له جناحان فيطير الى هناك بين المدافع وتحت النار . . . كان يتخبّط في الظلام بينما كانت الهواجس تتقاذفهُ والهموم تتنازعهُ . ما الذي حلّ بلوسي زوجته وروجير ولده ! يا ترى هل يراهما فيما بعد ! كيف يعيشان الان وحدهما بلا سند ولا معين بين الالمان الهَمَج !

وكانت قواه تخور شيئاً فشيئاً من الجوع واذا به امام بائع خبز . فسأله كسرة خبزٍ بعشرة سنتيمات وبينما البائع يقطع له جزءاً من رغيف اسمر اللون وقعت عيناه على جريدة الكوريه دُه ليون (بريد ليون) القادمة من وطنهِ الآبي فاختطفها من

على المائدة ليتلقّف منهـا الاخبار المطمئنة وما اشدَّ ما كان حزنه لمّا وقعت عيناه على هذه الاسطر :

« يتقدم البروسيان بتواصل ردَّ البرنس فريدريك شارلس في ١٢ كانون الثاني شاتريَ الى ما وراء سيان . وقعت خسائر فادحة بالجنرال فِدْهِرْب الذي كان هجم على سن كنتن في ١٦ الشهر . كان بورباكي قد قام بهجوم على بوتارليه ففشل والان يريد ان يبلغ سويسرة . الشائع ان جيش باريس سُحق في بوترفال وهو موشك ان يُسلِّم للعدو . يرتكب البروسيان فظائع بربرية في كل موضع وطئوه . يسيئون معاملة النساء والشيوخ . . . »

ترك برس الجريدة مكانها ولم يسأل عن كسرة الخبز بعد ان دفع ثمنها ولم يعد يشعر بتعب ولا بجوع بل جعل يعدو نحو . . . الوطن ! . . .

اجتاز تخوم سويسرة فصادف عند منحدر فيريار بقايا جيش بورباكي الذين كانوا مرتدّين الى الوراء فتحرّكت المروءة في رأسه وانتعشت في صدره روحه الجندية القديمة وقد شاهد في مؤخر الجيش فصيلة فرنسوية تقاتل أخرى من الخيّالة البروسيان وكان الجناحان يريدان ان يصدّا العدو عن الهجوم . واذا بقائدٍ خرَّ على الحضيض يتخبَّط بدمهِ من رصاصةٍ اصابته في جبهته فهجم الجندي الآبق وقد شاهد جنديًا بروسيًا يخطف علمًا مثلث الالوان فضربه في رأسه فالقاه صريعًا واسترجع منهُ الراية وجعلها تخفق في الهواء ثم كرّ نحو القائد الساقط فانتشل مسدَّسه من على الارض ووقف الى جانبه يصدُّ عنه الطوارئ

لم يتمكن العدو مع كثرة عدده من الثبات امام تلك الفصيلة الافرنسية فارتدَّ الى الوراء وهكذا أمن جنود فرنسا في سيرهم . فنقل لويس القائدَ الصريع الى كوخ بالقرب من هناك واخذ يعتني بامره الى ان صحا من ألمه فاخبره انه القائد ده مارسلي وشكره عن صنيعه معه وتخليصه اياه . واذ راهُ بثياب مدنية اوصاه بان يختفي عن العيان لئلّا يُشتبَه بامره . ثم سلّمه العلَم المخرَّق وسأله ان يحفظهُ بأمنٍ لئلّا يسلبه الاعداء . فودَّع الرجلُ القائدَ وذهب في سبيله . ولمّا بَعُد قليلًا حفر في الارض وطمر العلَم وقبل ان يهمَّ بالانصراف اذا به رأى صرّة بقرب من شجرة . ففتحها وشدَّ ما كان دهشه اذ رأى ضمنها بدلةً عسكرية عرف ان صاحبها آبق نظيره . فتصوَّر اذ ذاك فظاعة جرمهِ فقال في نفسهِ : لقد كفَّرتُ بعض التكفير فقط عن اثمي فلأقومنَّ بالواجب حتى النهاية ولاموتنَّ في سبيل الوطن ولكن ليس بثياب مدَني بل بثياب

جندي حقيقي. فلبس البدلة وسار في طريقه . لكنّه حينذاك اخذ يشعر بشدة التعب وقد اثّر فيه الجوع والعطش مع البرد فسقط فوق الثلج مغشيًا عليه . . .

مرّ من هناك زرّاع مسافر فرآه على تلك الحالة فحمله في عجلته وذهب به الى بزانسون ومن هناك نقلته عجلة الى المستشفى العسكري في ديجون . وكانت هذه المدينة بين يدي العدو منذ غادرها كريبلدي لكنّ محافظها الافرنسي كان باقيًا في وظيفته مستلمًا ادارتهُ تحت المراقبة البروسية . فلما صحا برس من غشيانه اخذوه الى غرفة الاستنطاق . ولم يعرفوا كيف يؤوّلون وجود ذلك الجندي ببزّته الرسمية في ذلك المحل بعيدًا عن فرقته : العسكرية . فصرخ البروسيان : جاسوس! . وقد ادرك هو حراجة موقفهِ فلم يُجب على ما القوه عليه من الاسئلة وعليه زُجّوه في سجن مظلم

٢

أما ما كان من لوسي وروجير فقد كانا في شقاء عظيم . اذ توالت الايام وتعاقبت الاسابيع وانقضت الشهور والدراهم التي وعد لويس بارسالها لم تصل بل انّ اخبارهُ كانت مقطوعة بالمرّة . وقد التزمت المرأة لتعول طفلها ونفسها ان تشتغل مدةً في احد المعامل . ولكن لم يمضِ الّا زمن وجيز حتى أقفلت كافّة المصانع لوقوف دواليب الاشغال ولقرب وصول العدو . فاشتدت وطأة الحزن على المسكينة واخذت قواها بالانحطاط مما اشار الى دنوّ اجلها . فنقلتها راهبات المحبّة الى مستشفاهنّ واعتنينَ بامرها وقد تمّت ايام وضعها فولدت ابنةً عندرها في ساعة ميلادها ودعوها مادلين . ولم تستطع الام المسكينة ان تضمّها الى صدرها اكثر من مرّة واحدة لأنّ داعي ربها ناداها في تلك الليلة ولم تر بدًا من اجابته . . .

كان الآتم خارجًا من المستشفى بغاية البساطة لا اكاليل زهور تغطي النعش ولا احد الاقارب يرافقه فعاين ذلك رجلٌ من نافذةٍ في المستشفى نفسه فتأسّف لحالة تلك الزاحلة وقد سأل الراهبة عن اسم الميتة فقالت له : هي امرأة مسكينة في ربيع عمرها تُدعى لوسي برس ماتت غمًّا وقهرًا لان زوجها كان من آبقي الوطن . فلطم الرجل على رأسهِ وقال : أماتت اذًا وا أسفاه ! . . وانقلب فوق سريره مغشيًا عليه . .

كان صاحبنا لويس نفسه الذي هرب في ليلة مظلمة من سجن ديجون . وكان يختفي نهارًا ويزحف على بطنه ليلًا الى ان بلغ ظرزوي موطنهُ فقصد بيتهُ فرآهُ قاعًا صفصفًا

تنعب فيه الغربان .. وقد اقتل هو وأحد الجنود البروسيان وسيق الى المحاكمة فجُلد خمسة وعشرين جلدة بسياط من الفولاذ على كتفيه العريانتين الامر الذي كاد يقضي على حياته واستلزم تطبيبه في مستشفى . وهكذا ساقته التقادير الى غرفة ملاصقة للغرفة التي كانت تتقلب فيها زوجته المسكينة على سرير النزاع فعاين جنازتها

٣

عن ستروغ ، سويسرة في ١ اذار سنة ١٨٩٢

الى الكولونيل ده مارسلي ، كولونيل الفرقة الاجنبية

سيدي . . . اريد الانضمام في سلك جيشكم لاخدم فرنسة . انا طويل القامة ، قوي البنية ، لي من العمر ثلثة وعشرون عاماً . . .

روجير ابن لويس

عن ستروغ ، سويسرا في ١ اذار سنة ١٨٩٢

الى الكولونيل ده مارسلي ، كولونيل الفرقة الاجنبية

سيدي . . أتذكر هضبة بوراك وقائداً من جيش بورباكي سلّم لاحد المارة علمهُ المثلث الالوان ؟ لقد سمعتُ باسمك ، سيدي الكولونيل ، فافتكرت انك انت نفسك ذلك القائد . وعليه اقول : كان ذلك الرجل الذي خلّصك وخلّص العلم آبقاً من جيشهِ ثم عائداً الى وطنهِ نادماً . وقد قضى هذه العشرين سنة عائشاً منفياً كئيباً تعيساً . واليوم يكتب لك ابنه للانضمام في فرقتك لخدمة الجيش الفرنسوي فاقبله صنك ايها الكولونيل وفاء بالعهد القديم

وان اردت ان تعرف ما الذي حلّ بي من يوم تركتُك في ذلك الكوخ . فقد عدتُ الى فرنسا وبلغتُ مدينتي بالرغم من كل ما اعترضني من المخاطر . فشاهدتُ وفاة امرأتي بعد خمسة اشهر في الديوان الحربي فعدتُ ولجأتُ الى الفرار مع ابني ذاته وقد جئتُ فاقمتُ في هذه المدينة . انما سهتي تمكنتُ دليلاً للسيّاح في اسفارهم بين الصخور وجبال سويسرة

ادخلتُ ابني مدرسة فتعلّم الالمانية والافرنسية والانكليزية ولكنهُ يفضّل فرنسة على الجميع ولا غرو ففي عروقه يسيل الدم الفرنسوي . وعلى حليب فرنسوي غذا وعاش . وكان ولا يزال يتوق الى الذهاب الى فرنسة ولكني انا لا استطيع ، لاني اخشى العار الذي يتهددني فيما لو وضعتُ قدميَّ هناك

اما علمُك فقد اصحبتُه في اسفاري وعلّقته كذخيرة مقدّسة في غرفتي واخفيتُ قصتهُ عن ابني وهو هو نفسه الذي أولد في قلبهِ هذا الحب الشديد نحو الوطن وشوّقهُ الى الاستبسال في سبيل فرنسة لارجاع مجدها الغابر . انا يؤنّبني ضميري ويُبكتني على خيانتي . وهو يريد ان يعلم

اسمي لكني خفيتُه عنهُ حتى الان لئلّا يعرف احد عنهُ شيئاً فيتلطّخ اسمهُ بالعار ويفقد مستقبَلهُ بسببي

ولما كانت الفرقة الاجنبية لا تسألُ المتطوعين فيها عن اصلهم ام اسمهم بل كل ما تطلب منهم ان يكونوا جنوداً بُسلاء فلهذا رضيتُ ان ينخرط ابني في سلك المتطوعين وتحت قيادتكم

كنتُ أفضّل الموت على فراق وحيدي ولكن في الوقت الذي يحتاج وطني المحبوب الى مساعدته تركتهُ يذهب بكل طيبة خاطر واضعاً اياه تحت رحمة الله ومؤمّلاً ان ينال بسالته وشرفه اسماً مجيداً يمحو العار الذي لصقَ باسمي ويكفّر عن ذنبي وينالُ لي العفو والغفران . . .

لويس بَرْس

٤

في صباح ١٣ شباط ١٨٩٥ كنتَ ترى حركةً غير اعتيادية في مينا مدينة الجزائر الافريقية : مراكب حربية ومدمّرات وجنود وأعلام ومدافع وبنادق الى غير ذلك من آلات التدمير والخراب . وكانت فرقة الجنود منظّمة لدى الشاطئ بثيابها الرسمية والكولونيل ده مارسلي يستعرض جيشه والملازم روجير يدعو جنودهُ باسمائهم . وكان روجير قد ارتقى في مدة سنتين بشجاعته وحميد اخلاقه الى رتبة ملازم تحت قيادة الكولونيل ده مارسلي .

اعلن الملازم بعدّة اسماء لم يعبأ بها اذ كانت من لغات مختلفة لكنَّ اسماً واحداً استوقفهُ ونفذ صوتهُ الى اعماق فؤاده . قال : « لويس ابو روجيره » . واذا برجل متقدم في السنّ صرخ من بين الجموع وقال : حاضر ! . فوقف الاب وابنه برهةً صهرتين ينظر احدهما الى الآخر لا ينطقان بكلمة . اخيراً استظهر الابن على عواطفه وصرخَ : ابتِ ما الذي اتى بك الى هنا ؟

ولدي ، من يوم انضممتَ انتَ الى هذه الفرقة كنتُ انا اتخبّط بين تيّارين عظيمين : لم اقوَ على فراقك انت وحيدي ولم أرد ان اصدّك عن خدمة وطني المحبوب وانتَ تبذُل نفسك في سبيله فقضّلت ان انضمّ انا بذاتي الى الجيش نفسه فإمّا نموت كلانا معاً وإمّا نعيش حينئذٍ سعيدين . . .

(لها بقية)

مئة سنة

في خدمة الرسالات الكاثوليكية

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي

سبق لنا في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٦٧٣–٦٨٨) وصف شركة انتشار الايمان وترجمة حياة منشئتها المكرَّمة پولين جاريكو الفتاة الشهمة المولودة في ليون سنة ١٧٩٩ والمنتقلة الى جوار ربّها في ٨ ك ٢ ١٧٦٢

وفي ٣ أيار من السنة الحاضرة تحتفل هذه الشركة بتذكار يوبيلها المئوي فلا يسعنا ان نسكت عن خدمها العديدة نحو العالم باجمعه وخصوصاً نحو شرقنا العزيز

لا حاجة الى تفصيل انشاء الشركة المذكورة وبيان نظامها ونموّها بعد مقالتنا السابقة . وانما نذكر هنا بالاجمال الاعمال العجيبة التي تمّت بفضلها

كانت الرسالات الكاثوليكيّة قد أُصيبت بضربة كادت تكون القاضية عليها بعد الثورة الفرنسويّة العظمى وانقلاب الدول بسببها ولاسيّما بعد الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة التي كانت تخصّ نحو اربعة آلاف من ابنائها لتبشير الامم المنكمة في ظلام الوثنيّة . فكان هبط عدد المرسلين في غرّة القرن التاسع عشر الى ٣٠٠ مرسل فقط في انحاء البلاد الاجنبيّة

فلمّا عاد السلام الى العالم في العشر الثاني من القرن التاسع عشر واحيا البابا بيوس السابع رهبانيّة مار اغناطيوس سنة ١٨١٤ وانشئت عدّة جمعيّات رهبانيّة على مثالها متّقدة بنار غيرتها لم يرَ اصحابها بدّاً من تلبية دعوة تعالى حيث يقول «اذهبوا وتلمذوا الامم كلّها»

على انّ تلك الرسالات تقتضي نفقات طائلة لمعاش المرسلين واسفارهم وسكناهم ولبناء كنائسهم ومستشفياتهم ومدارسهم ولمساعدة فقرائهم . فمن اين لها المبالغ العظيمة التي تحتاج اليها لتقوم بواجباتها؟

كان الملوك الكاثوليك يمدّون سابقاً تلك الرسالات بالمساعدات الماليّة للقيام باعمالها

الّا انّ الجمهوريّات التي قامت بعدهم قطعت عن المرسلين تلك الارزاق فلم يبقَ لسدّ تلك النفقات الّا تبرّعات المؤمنين فألهم الله حينئذٍ الفتاة پولينه جاريكو بان تجمع من عمّلة مصنع ابيها عشر بارات في الاسبوع اعني فرنكين و ٦٠ سنتيماً في السنة فاسرعت الى اخراج هذا الفكر الى حيز العمل فامكنها في آخر سنة ١٨١٩ ان تجمع ٢٠٠٠ فرنك ارسلتها الى جماعة الرسالات الاجنبيّة لتُنفق في مشاريعهم الرسوليّة

فكانت تلك حبّة الخردل الصغيرة اوّل بذار لشركة انتشار الايمان ورأى فيها رؤساء الكنيسة شاهداً على إصبع الله وعنايته الصمدانيّة . وفي يوم عيد اكتشاف الصليب المقدّس ٣ ايّار سنة ١٩٢٢ تنظّمت هذه الشركة بمساعي اثني عشر شخصاً من كاثوليك ليون كأنّ الله اراد في ذلك الموسم ان تفيض بركة صليبه المحيي على العالم فتنبجس ينابيع جديدة من النعم لخلاصه

والحقّ يقال انّ هذه الشركة التي قطعت اليوم هذا الشوط النوي البعيد قد انهضت الرسالات الكاثوليكيّة من حضيضها واغنت العالم بكنوز التمدّن الانجيلي ونشر انوار الحقائق المسيحيّة التي اتى بها على الارض ابن الله ليثير بها سائر المخلوقات

وهذا فصل وجيز يوضح لكل ذي بصر ترقي الشركة المذكورة في ختام قرنها الاوّل . كان مجموع مدخولها كما سبق في سنتها الاولى الفي فرنك ثم لم يزل يترقّى متواصل حتّى بلغ سنة ١٩١١ كما رويناه ٧،٢٧٤،٢٦٤ فرنكاً ثمّ جاءت الحرب الكونيّة فهبط المجموع الى ٥،٥٩٢،٦٤٢ ف لكن ذلك الهبوط لم يلبث ان عاد الى الرقي فكان مدخول سنة ١٩١٨ ٨،٠٠٥،٧٠٥ ف ثم ٢٥،٢٥٣،٧٥٢ في السنة ١٩١٩ وكان لدى الشركة في السنة ١٩٢٠ ٢٠،٥١٦،٥٨٩ فرنكاً وكفى بهذه الارقام دليلاً على نجاح هذا المشروع الذي اشبه اعمال الله الخفيرة في مبادئها العظيمة في اطوارها المتوالية

امّا مجموع ما حصلت عليه الشركة في هذه السنة المئة لانشائها فيبلغ خمسمئة مليون فرنك انفقت في كل اعمال المرسلين الخيريّة . ولفرنسة في هذا المجموع السهم الافوز فانّ بنيها كالوف طاعتهم بذلوا مالهم بسخاء في هذا المسعى الجليل وكاد يبلغ ما صرفوه دون سواهم من الدول ثلثمئة مليون فرنك

وما تحولنا الآن بالمآثر العجيبة التي اثمرتها تلك الملايين . واوّل ما يجب اعتباره

العدد العديد من المرسلين الذين هجروا بلادهم لينشروا في كلّ اقطار المسكونة ايمان المسيح وتعاليمهُ الخلاصيَّة وقد قلنا انَّ عددهم كان سنة ١٨٠٠ هبط لسوء احوال الزمان الى نحو ثلثمائة وهم اليوم خمسون الفاً من الرجال ما بين كهنة ورهبان . ولم يوجد راهبات في ذلك الوقت في الرسالات وهنَّ اليوم نحن خمسين الفاً ايضاً . امَّا مجموع الذين اصطبغوا بمياه المعموديَّة ومجّدوا الله وابهجوا الكنيسة باعمالهم الصالحة فيفيف على عشرين مليوناً اكتسبهم المرسلون بعرق جبينهم بل بسفك دمائهم فانَّ النشرات الاسبوعيَّة التي تنشرها شركة انتشار الايمان في ٢٥ لغةً هي حافلة بأخبار جهادهم واتعابهم ووفياتهم بين اصناف العذابات بين الامم الهمجيَّة ومجاهل آسية وافريقية وجزائر اوقيانية يرحلون الى تلك البلاد القاصية لا سَنَدَ لهم من قِبَل دول العالم ولا رجاء لهم الّا في الله حاملين صليب المسيح كلوائهم مؤملين بهِ الانتصار على كلّ اعدائهم يعضدهم شعار صليب قسطنطين: « بهذه العلامة تنتصر »

وان شئت ان تقف على بعض اعمالهم فدونك مثالاً منها يثبت ما لهؤلاء الابطال من الفضل في تمجيد الله وخدمة الدين المستقيم . كانت الصين في السنة ١٨٢٢ لا يرى في كل نحوها الّا بعض الشرات من المرسلين وبضعة الوف من النصارى مشتّتين مضطهدين في اسوإ الحال . وفي الصين حاضراً ٥٢ نيابة رسوليَّة و ١٤١٧ كاهناً من الجمعيَّات الاوربيَّة ثم ٩٨٣ كاهناً وطنيًّا وعدد المؤمنين يُربي على المليونين ما خلا ٥٠٠،٠٠٠ من طالبي العماد المستعدّين لقبوله

كان عدد المتكثلكين في كورية واليابان في اوائل القرن التاسع عشر لا يزيد عن عشرة آلاف وهو اليوم لا يقلّ عن ١٧٠،٠٠٠ مع انَّ حرّية الدين لم تُمنح للاهلين الّا منذ ٣٠ سنة

كان الكاثوليك في الهند قبل مئة سنة نحو نصف مليون ليس لهم الّا وئيس اساقفة وثلثة اساقفة ونائبان رسوليَّان يبشّرهم ٢٢ من المرسلين الاوربيين مع ٤٠٠ كاهن من ابرشيَّة غوا واليوم يبلغ عدد الكاثوليك ٢،٣٠٤،٨٠٦ وهناك ٣٦ ابرشيَّة و ٢،٣٠٠ كاهن من رهبانيَّات شتَّى

وكذلك الهند الصينيَّة كان عدد الكاثوليك ٤٠٠،٠٠٠ ترهقهم انواع المصادرات والعذابات والموت . وبعد مائة سنة قد نما عددهم حتَّى بلغ اربعة اضعافهِ فهم اليوم

١،٢٠٠،٠٠٠ نفس لا تأخذهم في تأدية فرائضهم الدينيَّة لومة لائم

كانت افريقية المركزيَّة والجنوبيَّة في اوائل القرن التاسع عشر مجاهلَ لا يُسمع فيها اسم الدين النصرانيّ ويبشر اليوم في انحائها مرسلون من ٢٩ رهبانيَّة من الرجال تساعدهم في اعمالهم ٢٥ رهبانيَّة نسائيَّة تحت ادارة ٨٥ نيابة رسوليَّة وينيف عدد المتنصرين على مليون من المؤمنين الراسخين في تعاليم الدين والممارسين لواجباته

وقس عليها جزيرة مدغسكر التي كان اهلها يجهلون تماماً الكنيسة الكاثوليكيَّة قبل ثمانين سنة وهي الآن من ازهر الرسالات وارقاها بهمَّة الآباء اليسوعيين واللعازريين وغيرهم من المرسلين

وما قولنا باوقيانية وجزائرها وباوسترالية وزيلندة الجديدة. فانَّ اوسترالية لم تحتوِ على غير كاهنٍ واحد الى سنة ١٨٣٠ مستخفياً لمساعدة المنفيين من الارلنديين ولم يكن في كل اوسترالية ولا كنيسة واحدة . واليوم في اوسترالية وزيلندة تسعة رؤساء اساقفة و ١٩ اسقفاً و ١،٥٠٠ كاهن من الوطنيين والمرسلين يخدمون ٢،٢٠٠ كنيسة او معبد والكاثوليك يزيدون عن ١،٢٠٠،٠٠٠ مؤمن. امَّا الجزائر الاوقيانيَّة فيبشر فيها المسيح من اهلها ٦٠٠ مرسل تحت ولاية ٢٨ نيابة او وكالة رسوليَّة. وقد بلغ عدد المتنصرين ٢٧٠،٠٠٠

وليست الكنيسة الكاثوليكيَّة في اميركة الشماليَّة وولاياتها المتحدة اقلَّ نموًّا وازدهاراً ان لم نقل انَّها اصابت قصب السبق على غيرها. فانَّها في السنة ١٨٢٢ كان عدد ابرشيَّاتها تسعة لكل ابرشيَّة نحو ١٢ كاهناً وعدد الكاثوليك لا يتجاوز ٤٠٠،٠٠٠ . وفي الولايات المتحدة اليوم ١٦ رئيس اساقفة و ٩٣ اسقفاً و ٢١،٦٥٠ كاهناً و ١٨،٠٠٠،٠٠٠ من الكاثوليك . يُضاف اليهم في جهات كندا ثلثة ملايين غيرهم (ولم يكونوا قبل مئة سنة الَّا ٥٠٠،٠٠٠) يرعاهم ٣٨ اسقفاً وبضعة آلاف من الكهنة

واوربَّة نفسها تمتَّعت بثمار الرسالات الكاثوليكيَّة في ممالكها البروتستانيَّة . فانَّ في انكلترَّة مع بلاد الغال واسكوتلندة كان الكاثوليك ١٢٠،٠٠٠ فقط سنة ١٨٢٢ وهم يُحصون حاضراً في عدد ٢،٦٠٠،٠٠٠ اعني نحو ٢٢ ضعفاً على عددهم السابق

وكذلك هولندة ازداد فيها عدد الكاثوليك تسعة اضعاف فكانوا في السنة ١٨٢٢ ٢٥٠،٠٠٠ وهم اليوم ١،٩٥٠،٠٠٠ . وترقى عدد الكاثوليك في المانية الشمالية البروتستانية من ٦٠،٠٠٠ الى ٤٠٩،٠٠٠ . وكان الكاثوليك في اسرج وزوج مئة ليس الا وهم اليوم ٥،١٤٧ ومثلهم كاثوليك الدانيمرك كانوا ايضاً مئة فقط وعددهم الحاضر ٨،٧٨٠

على انَّ هذا النموّ العجيب في كافة اقطار المسكونة لا بُدَّ ان تُعتبرَ معهُ المنشآت المتعدّدة التي ترفقهُ كالالوف المؤلفة من الكنائس الكبرى والصغرى والمعابد والمصلّيات وكالعدد غير المحصى من المدارس الجامعة والكلّيات المختلفة والمكاتب الثانويّة والابتدائيّة فيها الملايين من الاحداث الصبية والفتيات وكالمشروعات العلميّة والفنيّة والصناعيّة من مراصد ومطابع وغير ذلك . ولاسيّما المشروعات الخيريّة كالمستشفيات والمستوصفات والمياتم والملاجئ . فانَّ لشركة الرسالات الكاثوليكيّة الايادي البيض في انشاء كلّ تلك الاعمال الجليلة التي يظهر فضلها على الرسالات البروتستانيّة كفضل الشمس على نور السراج مع انَّ مجموع ما ينفقهُ البروتستانت سنويّاً على رسالاتهم ينيف على مئة مليون من الفرنكات فلا تأتي من الثمار بعُشر ما تبلغهُ الكنيسة الكاثوليكيّة

فبارك الله في تلك الفتاة التي ألهمها الروح القدس بانشاء هذه الشركة وجازاها كل خير وامتعنا الرب بنظرها قريباً مكرّمةً على هياكلنا بانتظام اسمها بين اولياء الله خاتمين هذه النبذة بتقدمة تهانئنا في هذا الموسم الجليل لرئيس شركة الرسالات الكاثوليكيّة وكلّ اعضاء لجنتهِ الكرام ومحرّضين كاثوليك الطوائف الشرقيّة بان يساعدوا هذه الشركة طاقة جهدهم فينالوا حظهم من نعم ابي الانوار الذي لا يسهو عن مجازاة قلس الارملة وقدح الماء البارد المعطى باسمهِ

مستشرق اميركي يسوعي

الاب ولتر درام

للاب يوسف الغريّب اليسوعي
معرّبة بقلم شقيقه الاديب امين افندي الغريب صاحب جريدة الحارس

قال الاب ولتر درام لما زار الاستانة :

« مباركة هي الطيعة البوزنطية . بل مباركون هم المتّصلون بها العائشون فيها . فما افخم القبة الجليلة فوق بناية ايّا صوفيا (كنيسة صوفيا القديمة) في القسطنطينية . قبة باسقة على قباب تعلو قباباً مضروبة على كراريس تشبه الالماس في صلابتها ولمعانها . وتحتق بسرعة البرق في الاذهان المبهوتة ما تخيله من عظمة وجلال وبدعة في كنيسة المسيح ! هذه بعض مزاياها : عظيمة سامية ممثلة ناعمة قوية كريمة موحية . ان الجمال ينسكب انسكاباً على الخدمة البوزنطية . ومن تشريف هذه الصفات الشريفة بالمبدإ الذي جُبلت وتمّا عليه ينتج ما نراهُ من رحابة الصدر المتسعة وكبر القلب المحبي في خدمة الله »

فبدون ان نتوغّل في التشبيه الى ابعد من هذا القدر نقول ان كلّ من عرف الاب ولتر درام يكاد يرى اخلاقهُ موصوفة في ذلك الكلام . فقد كانت شمائلهُ عظيمة سامية ممثلة ناعمة قوية كريمة موحية — كواعظ ولاهوتي وخطيب ولغويّ وكتابيّ ومستشرق . وشديدة ومحزنة كانت خسارة الكنيسة في اميركا لما انتزع الموت من بين صفوفها في كانون الاوّل الماضي هذا البطل العظيم بين ابطالها المغاوير

ولد في محيط عسكري في لوزفيل كنتكي في ٢١ ايلول سنة ١٨٧٠ وكان ابوهُ الضابط جان درام قد جاء في سنّ الرابعة عشرة من ارلندة ايام مجاعتها . ولما نشبت الحرب الاهلية في الولايات المتحدة انخرط في سلك المتطوعين من ولاية كاليفورنية ورقي في الجيش النظامي الى رتبة ملازم ثانٍ . اما امّهُ مرغريت فلا تزال حية مع اخوتهِ الاربعة واختهِ الوحيدة . وقد قضى ولتر ايام صباهُ في محيط عسكري متنقلاً من ميدان الى آخر . ولعلّ هذا ما انشأ فيه روح النضال الذي امتاز به في كل

حياته . وتمكنت في مخايله الباكرة تأثيرات الاماكن والجماعات المتنوعة التي عاينها . لان عائلة الضابط درام تبعتهُ من كنتكي الى تكنس فشيفن فنيومكسكو فوسكنسن فنيويورك فاستشوزتس . وبعض المراكز العسكرية التي كان يحلّها كانت متباعدة مترامية حتى ان الكاهن لم يكن يطرقها الّا مرة في كل سنتين . وكان ولتر في سنّ السابعة اذ رأى لاوّل مرّة كاهناً في بعض بطاح تكسس السحيقة . وقد عزا الى تلك المقابلة اول ميلٍ قام في نفسهِ الى اتباع هذه الدعوة . وقد لاحظ الضابط درام ان واحداً آخر فقط من ابنائهِ الخمسة مال الى الجندية وهو هيوك الذي بلغ الآن رتبة كولونل وقد كان في فرنسة اثناء الحرب الكبرى رئيس اركان الحرب للجيش الاول تحت قيادة الجنرال برشن

امّا وسائل التعليم فكانت بالطبع ناقصة في تلك الايام المقضيّة بين صعوبات الاسفار المتواصلة والحياة على الحدود المعادية . لكنّ ولتر كان يختلف الى اية مدرسةٍ مكنتهُ الاحوال منها . فكان من ذلك أن عدة مدارس الآن تفاخر باسمهِ بين تلامذتها النجباء من كلية لاس فيجاس الى جامعة ماركيت الى كلية كانيزيوس في بُفَلو الى كلية بوسطن . وكل هذه يديرها الآباء اليسوعيون وقد اكمل دروسهُ في بوسطن سنة ١٨٩٠ حائزاً على شهادة بكلوريوس فنون وفي ٧ ايلول من ذلك العام دخل الرهبنة اليسوعية في فريدريك من اعمال ولاية ماريلند

فقضى ثلاثة اعوام مبتدئاً يضع في دروسهِ العميقة اساساً للعلوم الواسعة التي كان في مستقبل الايام سيتحلى بها . وجرى على السياق الذي الفهُ اليسوعيون في اعداد رجالهم فأُرسل الى كلية وودستاك ماريلند لدرس الفلسفة . وبعد ان اتقنها عُهد اليهِ التعليم في كلية القديس فرنسيس كسفاريوس اليسوعية في نيويورك . ومما اتفق لهُ من النوادر ان اباهُ الضابط درام كان المعلم العسكري في تلك الكلية وقتئذٍ وكثيراً ما كان الضابط يضطرّ الى إحالة مُسيئي التصرُّف من التلامذة الى نجلهِ كي يؤدبهم . فالثوب الاكليريكي كان اشدَّ سطوةً عليهم من الثوب العسكري . ولما نشبت الحرب الاسبانية الاميركية سنة ١٨٩٨ غادر الضابط المدرسة ملتحقاً بفرقتهِ التي ذهبت حالاً الى كوبا وفي شهر تموز حملت الانباء خبر سقوطهِ المجيد في ساحة الشرف في معركة سان جوان هِلّ

وبعد تدريس عام كامل في كلية جورجتون اليسوعية أُعيد مستر درام الى كلية القديس فرنسيس كسفاريوس حيث امتاز بالمقدرة التمثيلية في تعليم التلامذة كيفية الالقاء والايماء اثناء تمثيلهم روايات شكسبير. ومنها انتقل الى كلية غزاغا اليسوعية في واشنطون العاصمة ثم عاد الى وودستاك ليدرس اللاهوت. وفي ٢٨ حزيران من عام ١٩٠٤ سيم كاهناً فيها مع احد عشر يسوعياً آخرين بوضع يد نيافة الكردينال جيونس رئيس اساقفة بلتيمور واحد كواكب الكثلكة اللامعين في الولايات المتحدة

وقد انصبَّ الكاهن الجديد على درس رسائل القديس بولس والآباء الذين احسنوا في شروحهم بيان الشهامة والحنان في كتابات هذا الناشر الخلم للحقائق المسيحية. واخصهم القديس ايرونيموس ومار يوحنا فم الذهب. وكان انصبابهُ على هذه الدروس العميقة ممهداً لاحاطتهِ المدهشة بعدئذٍ باسرار العقيدة الكاثوليكية وتمسكهِ الشديد المبني على يقين ثابت بوديعة الايمان وحياتهِ الطاهرة النقية

وبعد سنتين من الدرس والتدريس في كليتي وودستاك وسنت اندره اون هدسن اليسوعيتين اشار الى الاب درام رؤساؤهُ بان يستعد لتعليم الكتاب المقدس كعملهِ الخاص في هذه الرهبنة طول حياتهِ. وكان عليه ان يبتدئ ذلك برحلةٍ مفيدة جداً الى الشرق الادنى والاراضي المقدسة لاجل درس اللغات الشرقية

فمضى الى بيروت حيث قضى عامي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ دارساً في كلية القديس يوسف اليسوعية. فتعلم العربية والسريانية والعبرانية. وقام برحلات عديدة في جبل لبنان حتى الارز والى دمشق وخرائب تدمر والى بعلبك وحمص وحلب وتوغل في الشمال حتى طرطوس مسقط رأس القديس بولس

وقد كانت ملحوظاتهُ في تلك الرحلات عميقةً ودقيقةً بدليل تكرارهِ في كتاباتهِ وخطبه التالية من الاشارة اليها بشكل يبين سعة اطلاعه على عادات اللبنانيين والسوريين ودقة اختبارهِ لايمانهم البسيط الحيّ ولغتهم العميقة. وقبل مغادرتهِ سوريا قضى نحو شهرين في فلسطين وذهب الى مصر فزار الاهرام وغيرها من اماكن معتنياً في كل هذه الاقطار بجمع كل شاردة وواردة من الفوائد المتعلقة بعلم الاسفار المقدسة. وقد كتب مرة يذكر القداس الذي تسنى لهُ ان يتلوهُ على الجلجلة في كنيسة القبر المقدس في اورشليم يوم الاربعاء من اسبوع الآلام ويصف التأثر العظيم الذي حدث لهُ عشية

خميس الاسرار التي قضاها تحت الزيتون في بستان جتسماني

ولاجل التعمق الزائد في شؤون الكتاب المقدس ارسلهُ رؤساؤهُ الى ازمير واثينا وقورنثية وقسطنطينية ومن هناك الى ايطالية . وفي رومية انعم الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر عليه بمقابلة خصوصية اهتمّ فيها إمام الاحبار بما كان الاب درامّ ينوي القيام بهِ ويستمدُّ لهُ من شرح الكتب المنزلة . وباركهُ وبارك ذويهِ وكلّفهُ ان يحمل شكرًا خصوصياً من لدنهِ الى امهِ التي وهبتهُ للكنيسة وللرهبنة اليسوعية . وعند انصرافهِ ودّعهُ الاب الاقدس بهذه الكلمات : « اذكر دائماً وجوب الوقوف بجانب عقائد الكنيسة » وقد كانت حياة الاب درامّ برهاناً على الوحي الذي انزلتهُ عليهِ هذه الوصية . ومن رومية ذهب الى إنسبروك في النمسة حيث قضى عامين يكمل دروسه في التوراة . وهناك أبرز في سنة ١٩٠٨ نذورهُ الاخيرة الرهبنية وبهذه المناسبة كتب الى احد اصدقائه يقول : « ما زلتُ منذ ١٧ عاماً ونصف انتظر بفارغ الصبر هذا اليوم يوم التضحية النهائية . ان محض افتكاري برُقْتي النفس والجسد لمجد الصليب ينعم قلبي سروراً لا اقدر ولا اريد ان اصفهُ بالكلام المألوف . ان مجد الصليب هو لليسوعي عنوان الاتّفاق المُبرم الذي يعقدهُ يوم نذره الاخير مع الكنيسة الكاثوليكية »

ثم ذهب الى سويسرة ترويحاً للنفس في العطلة السنويّة ومنها عاد الى اميركا لتدريس الكتاب المقدس واللغات الشرقية في وودستاك

ولنذكر هنا بعض الادلّة على مقدرته الغريبة في إحراز اللغات . كانت ذاكرتهُ مدهشة . ففي سوريا تمكن بعد ستة اشهر من السفر من مكان الى آخر متكلماً من العربية بما اغناهُ عن ترجمان . وفي وودستاك وجد عدداً من التلامذة الشرقيين فانتهز الفرصة لمتابعة ممارسة اللغات بواسطتهم فالّف عصبةً لغوية تتكلم كل يوم بلسان . وقد كتب مرةً يقول : « ان احسن اسلوب وجدتهُ للتعليم هو الاسلوب القديم القائم بالمحادثة فقد نجحتُ باستعماله في ٢٧ لغة مختلفة »

ولعلّهُ عنى بهذا القول الغراماطيق والإعراب في كثير من هذه اللغات السبع والعشرين . او انهُ كان يشمل في عددها فروعاً متنوّعة للغةٍ واحدة . لكنهُ على كل حال كان متمكناً من اللغات الكتابيّة كالعبرانية والسريانية واللاتينية واليونانية القديمة والحديثة والعربية والآرامية والرابينية والبابلية والقبطية والسامرية . اما من

اللغات الاوربية فكان يحسن ويتقن الالمانية والفرنسوية والايطالية والاسبانية ويقرأ التالية (الارلندية)

لكنَّ محاولة الاب درامّ أن يحتفظ بسلطتهِ على كل هذا الجهاز اللغوي الواسع فوق ما كان عليه من واجبات متبرّي التعليم والوعظ أجهدت قواهُ الجسدية فضاق بها ذرعاً حتى بدا عليه الوهن في التعليم ولم يبلغ قطُّ مبلغهُ السابق الذي اشتهر بهِ في المدارس. ولما حلَّ شتاء ١٩١٠ اصيب بذات الرئة لكنهُ شفي منها وأُرسل الى السواحل الغربيَّة لاستعادة نشاطهِ وبعد ذلك انصرف عن اللغات الى الاهتمام في شرح الكتب المنزلة والتعليم في وودسطاك

هذا مجمل ما قام بهِ في حياتهِ اتينا عليه ببعض التفصيل لارشاد القراء الى كيفية التأسيس والبنيان في حياة الراهب اليسوعي بالاجمال. اما الاب درامّ فاذا صرفنا النظر عن نفوذهِ كواعظ وكاهن في خلال الثلاث عشرة سنة التي قضاها عاملاً في كرم الرب — وهو نفوذ كان يتزايد ويتسع سنةً عن سنة — نقول انهُ كان حتى عام ١٩١٤ معلماً يأتي بما تبرزهُ قريحتهُ الوقَّادة بقطع النظر عن المبتدعين. وبعد ذلك بدا فيه تغيرٌ ظاهر فصار بحصر القول جنديًّا اخذ على نفسهِ محاربة المبتدعين وتفنيد مزاعمهم وتزييف آرائهم الباطلة أقدم عليه كقسم معيَّن من خطةٍ عامة مرسومة لحياتهِ منعتهُ معاجلة المنون من اظهارهِ وايضاحهِ. ومما نلحظهُ على الاقل انهُ في العهد الاخير من حياتهِ عهد المحاربة والنضال كان يكثر من تكرار ما كتب وقال في العهد الاول عهد التدريس والبنيان. كان في واقع الحال عاملاً مدهشاً يتمم عظائم الامور في اقصر الاوقات. فقد ادَّى نحو خمسين مقالة الى دائرة المعارف الكاثوليكية. وخمس عشرة الى دائرة المعارف الاميركية. وكتب فصولاً طويلة الى المجلات اكثرها دروس متسلسلة في التوراة. وكثيراً جداً ما كان يُدعى الى القاء الخطب والوعظ والمحاضرات وادارة الرياضات الروحية. ومن عام ١٩١٢ الى ١٩٢٠ كان محرراً معاوناً في مباحث التوراة للمجلة الاكليركية الاميركية. وفي كل هذا العهد لم يُؤثر عن الاب درامّ انهُ تخلى يوماً واحداً عن تدريس تلامذتهِ في وودسطاك

امَّا شهرته الحقيقية فلا بدَّ من اقامتها على نتائج عهدهِ الاول. في سنة ١٩١٤ القى اول محاضراتهِ الشهيرة في مجمع الفنون والعلوم في بروكلن عن « شاعرية

اسرائيل» وقد طُلبت منهُ اعادتها مرتين في كليف هافن وفي بوسطن. ثم دُعي ايضاً لالقاء محاضرات متتابعة مدّة عامين في مجمع بروكلن الآنف الذكر في موضوع «مسيح القرن العشرين» وفي «كتب موسى الخمسة» فكانت هذه المحاضرات سبب انتشار شهرتهِ بين الشعب الاميركي كشارح عظيم للتوراة. وابتدأ من ذلك الحين جهادهُ مع عناصر التساهل غير الكاثوليكية وما يُدعى «الانتقاد العالي». وكان تعمُّقهُ في علم التوراة التامّ وبراعتهُ في بيان حقائقها دحضاً صريحاً للتهمة القائلة ان التوراة كتابٌ مغلق للكاثوليك. فاصبح اسمهُ معروفاً ومذكوراً في دوائر الكليات ومحافلها والجمعيات العلمية العالية. أمّا شهرتهُ بين كاثوليك الولايات الشرقية فبلغت الاوج. وقلّما كان يظهر على منبر الوعظ او الخطابة ما لم تكثر الملحوظات والتعليقات على اقوالهِ حتى في الجرائد العالمية. ولذلك كانت المحافل تستدعيه للخطابة قبل عام كامل من موعد الالقاء

اما سبب تسلُّطهِ العظيم في خطابتهِ على سامعيهِ فنأخذهُ من كلامهِ مرّةً عن كرازة القديس بولس: «لم يكن في كلامهِ شحذٌ للعبارات. ولا تنسيقٌ باطل للحقائق الدينيّة. ولا سعيٌ الى تزويق الالفاظ في بيانها. ولا اهتمامٌ في القيل والقال. بل كان كل شيء فيهِ صريحاً قوياً خلوصاً من القلب الى القلب»

وكان قاموس الاب درام واسعاً فتسلط بهِ على اسرار الكلام والبراعة الخطابية وكان صوتهُ جهورياً طنّاناً. على انهُ لم يكن يمتنع احياناً عن بعض التصنع في الالقاء ولكن لم يكن يُخفى عن سامعيهِ اضطرارهُ الى ذلك ولم يشكّ احد هنيهةً في اخلاصهِ وبساطة مقاصدهِ

بيد انّ مناضلتهُ لغير الكاثوليك المتساهلين في العقائد الجوهرية ساقتهُ الى توجيه سلاحهِ احياناً الى معسكرنا عينهِ معارضاً لسهولة القياد التي تحدو ببعض الكاثوليك الى قبول نتائج الانتقادات بدون تدقيق والميل الى التحول عن بعض التقاليد الثابتة المقرّرة في كتب النصرانيّة. فهو كان شديد المحافظة والتحفُّظ الى حدّ اننا بدون ان نبدي رأياً في خطتهِ نضطرّ الى التسليم بان سلوكهُ كان جدليّاً حتى القى غشاء قاتماً على بعض مدّعيات العلماء ونكّر فائدة ابحاثهم بعزلةٍ عن روح الايمان

وقد اتفق معاشروهُ عموماً على انهُ عاش العيشة التي كان يعظ بها بكل اخلاص

وسلامة ضمير . فكان يشتغل بلا ملل يسهر طويلاً وينهض باكراً ويبالغ في الاهتمام حتى باصغر الواجبات الدينية غير مكترث لاموره الشخصية ومبادراً الى خدمة الناس اياً وجد الى ذلك سبيلاً . وقد تجلت مواهبهُ الخطابية الواسعة حتى في معاملاته البسيطة مع اصدقائه فقد كان لطيف المعشر جداً وكريم الاخلاق حتى كان مقصداً لعارفيه وضالةً منشودة لخلانه

ولم يطبع الاب درام كتباً . لكنَّ شروحاته والحواشي التي علقها على التوراة والانجيل والرسائل البولسية كانت بعدُ في سبيل الاعداد والتهيئة . وكل من عرفوه من البداية الى النهاية ولحظوا حركاته وسكناته يجمعون معنا على ان حياتهُ كانت كما قال في الكاتدرائية البوزنطية «قباباً تعلو قباباً» والقبَّة العليا التي تمثل مبناهُ العام انما كانت لنشر البرهان الثابت العلمي القوي بين الناس على الوهيَّة المسيح

هذا كان عمل الاب درام في حياته . وقد صدر الامر للجندي بالوقوف نهار عيد الشكر الوطني السابق . فترنَّمت مزاجهُ بعد القاء موعظة جليلة في كنيسة مار اغناطيوس في بلتيمور مظهراً فيها الوجهة الكاثوليكية في عيد الشكر . وقد توفاه الله بما يكاد يكون فجأة في مستشفى مار يوسف في تلك المدينة وذلك في ١٠ كانون الاول عام ١٩٢١ وهو الثاني والخمسون من حياته والثاني والثلاثون في الرهبنة اليسوعية

وودستاك . ماريلند . في ١٦ اذار ١٩٢٢

مطبوعات شرقية جديدة

The Mufaḍḍaliyāt an Anthology of ancient arabian Odes compiled by al-Mufaḍḍal son of Muḥammad edited by CHARLES JAMES LYALL. Vol. I, Arabic Text (pp.XXXV-٨٩٢).- Vol. II. Translation and Notes (pp. XXXI - 381). *Oxford, at the Clarendon Press*, 1918-1919.

ديوان المفضليات مع شروحها للانباري وترجمتها الى الانكليزية

هذا تأليف جليل كنَّا منذ ثلثين سنة نرغب في نشره فجمعنا ما امكننا من

وسلامة ضمير . فكان يشتغل بلا ملل يسهر طويلاً وينهض باكراً ويبالغ في الاهتمام حتى باصغر الواجبات الدينية غير مكترث لاموره الشخصية ومبادراً الى خدمة الناس اياً وجد الى ذلك سبيلاً . وقد تجلت مواهبهُ الخطابية الواسعة حتى في معاملاته البسيطة مع اصدقائه فقد كان لطيف المعشر جداً وكريم الاخلاق حتى كان مقصداً لعارفيه وضالةً منشودة لخلانه

ولم يطبع الاب درام كتباً . لكنَّ شروحاته والحواشي التي علقها على التوراة والانجيل والرسائل البولسية كانت بعدُ في سبيل الاعداد والتهيئة . وكل من عرفوه من البداية الى النهاية ولحظوا حركاته وسكناته يجمعون معنا على ان حياتهُ كانت كما قال في الكاتدرائية البوزنطية «قباباً تعلو قباباً» والقبَّة العليا التي تمثل مبناهُ العام انما كانت لنشر البرهان الثابت العلمي القوي بين الناس على الوهيَّة المسيح

هذا كان عمل الاب درام في حياته . وقد صدر الامر للجندي بالوقوف نهار عيد الشكر الوطني السابق . فترنَّمت مزاجهُ بعد القاء موعظة جليلة في كنيسة مار اغناطيوس في بلتيمور مظهراً فيها الوجهة الكاثوليكية في عيد الشكر . وقد توفاه الله بما يكاد يكون فجأة في مستشفى مار يوسف في تلك المدينة وذلك في ١٠ كانون الاول عام ١٩٢١ وهو الثاني والخمسون من حياته والثاني والثلاثون في الرهبنة اليسوعية

وودستاك . ماريلند . في ١٦ اذار ١٩٢٢

مطبوعات شرقية جديدة

The Mufaḍḍaliyāt an Anthology of ancient arabian Odes compiled by al-Mufaḍḍal son of Muḥammad edited by CHARLES JAMES LYALL. Vol. I, Arabic Text (pp.XXXV-٨٩٢).- Vol. II. Translation and Notes (pp. XXXI - 381). *Oxford, at the Clarendon Press*, 1918-1919.

ديوان المفضليات مع شروحها للانباري وترجمتها الى الانكليزية

هذا تأليف جليل كنَّا منذ ثلثين سنة نرغب في نشره فجمعنا ما امكننا من

نسخهِ في لندن وڤينّة وليدن ومصر . وابرزنا منهُ نُتَفاً في كتابنا شعراء النصرانيّة لولا انَّ الاشغال تنازعتنا فصرفت فكرنا عن طبعهِ لكنَّ الله حقَّق آمالنا بما لم نحلم بهِ . فبعث لهذا العمل الخطير رجلاً ذا همّة قعساء وعلم واسع بآداب العرب السير كارلوس يعقوب لايل من كبار المستشرقين الانكليز المعروف سابقاً بتآليفهِ المعتبرة عن تاريخ العرب وآدابهم فجمع عشر نُسخ خطّية من المفضّليات وهي عبارة عن مائة وثلثين قصيدة ممَّا انتقاهُ فضلهُ من الشعر القديم ابو العبَّاس المفضَّل بن محمَّد الضبيّ باغراء الخليفة ابي جعفر المنصور لتهذيب ابنهِ المهديّ فعُرفت بالمفضّليات منسوبةً الى اسمهِ المفضَّل . وقد تهافت عليها الادباء وعُنوا بدرسها وشرَحها بعضهم كأحمد بن محمد المرزوقي وابي محمَّد القاسم بن محمَّد بن بشّار الانباري . فقابل السير لايل بين هذه النُّسخ واشار الى رواياتها المختلفة واضاف اليها شرح الانباري وذيَّلها بما وجدهُ في كتب الشعراء والادباء ومعاجم اللغويين المطبوعة والخطّية من الافادات اللغويّة . ونقل القصائد في جزء ثانٍ الى الانكليزيّة وألحق بها الفهارس المتمّة وصدَّر الجزئين بمقدّمات مفيدة لكل ما يرغب ان يعرفهُ عن هذه القصائد أولو البحث والتنقيب كما انهُ اشار الى ما يُعرف عن ناظميها . فجاء هذا التأليف تحفةً في بابهِ . وزادهُ حسناً اتقان طبعهِ في مطبعتنا الكاثوليكيّة التي أفرغت كفاية الجهد في حُسن تمثيلهِ كما انَّ البعض من آباء كليّتنا وقفوا على مسوّداتهِ فشكرهم جناب السير لايل في مقدّمتهِ . وقد طال عليهِ امر نجازهِ حتّى خاف ان يودّع الحياة قبل نهايتهِ ولاسيما اذ جاءت الحرب الكونيّة فقطعت المواصلات بين بيروت ولندن وأُصيبت مطبعتنا بالخراب . لكنَّ الله اتاح لهُ الوقت الكافي لينتهي من عملهِ هذا الكبير وان اخترمتهُ المنون قبل ان يراهُ منشوراً بين الأدباء . فان مات هو فمأثرهُ هذا سيخلّد لهُ ذكراً لن يقوى على طمسهِ الدهر

ل . ش

Abou Yousof Ya'koub : LE LIVRE DE L'IMPÔT FONCIER, traduit et annoté par E. Fagnan *Paris, P. Geuthner,* 1921, *in* -12, *pp.* XV - 352. *Prix* 40 *frs.*

كتاب الخراج لابي يوسف يعقوب

هذا دليل جديد على همّة الدولة الفرنسويّة المنتدبة لتدبير شؤون بلاد الشام .

فانّها بعد ان شكّلت لجنةً لنظارة العاديّات ومباشرة الحفريّات الاثريّة وقد وقفت على عدد وافر منها ارادت ايضاً ان تصرف نظرها الى نشر الآثر الادبيّة والتاريخيّة المفيدة لتعريف احوال هذه البلاد . وهذا اوّل أثر من هذا القبيل تولّى نشره احد علماء المستشرقين المسيو فانيان . وذلك ترجمة فرنسويّة لكتاب الخراج لابي يعقوب يوسف قاضي بغداد على عهد الخليفة هارون الرشيد وهو من أقدم ما صنّفهُ علماء الاسلام في الخراج وما يلحق بهِ من الابحاث والمشاكل المختلفة . وقد استحسنا بالاجمال ترجمتهُ وان كنّا في بعض الامكنة نؤثر عليها ترجمة اقرب الى الاصل . ومن المعلوم انّ كتاب ابي يوسف لقدمهِ يصعب الوقوف على صحيح معانيهِ في عدّة تعابير . ومما يستحقّ الثناء ما اضافهُ جناب الناقل من الحواشي الى ترجمتهِ مما يكشف عن كثير عن معمّيات الاصل الاب ه . لامنس

W. A. Mason: A history of the art of Writing, *Macmillan C°*, 1920, 8°, 502, *pp.* 134 *illustr.*

تاريخ فنّ الكتابة

انّ عنوان هذا الكتاب لا ينطبق على مضامينهِ اذ ليس هو حقيقةً تاريخاً للكتابة ولا خلاصةً لما شاع في العالم من اصناف الكتابات . فانّ تاريخاً كهذا لا تحصرهُ عدّة مجلّدات . والحقّ يقال انّ المؤلف ضاق ذرعاً عن ايراد ما قصدهُ فهو يخصّ ربع كتابهِ لكتابات امم اميركة والمكسيك ثمّ يُفرد الربع الثاني منهُ لكتابات الصين ومصر والبابيلين والحثيين وكلٌّ يعلمها فهذه الكتابات من عظيم الشأن . وتراهُ كذلك سكت عن كتابات جزيرة العرب الجنوبيّة كالصابئيّة والحميريّة مع كونها فرعاً معتبراً من الكتابة الفينيقيّة وهو خللٌ عظيم لأنّ بتلك الكتابات يقف الباحث على تطوّرات الكتابات الفينيقيّة . وكذلك لا نعلم كيف سها المؤلف عن ذكر الكتابة المكتشفة حديثاً في شبه جزيرة سينا (cfr. Journal of Egyptian archæology. Vol. III) ومنها يستفاد اشتقاق الكتابة الفينيقيّة من الكتابة المصريّة لا من كتابة اقريطش . على أنّنا لا ننكر ما يحتويه الكتاب من الفوائد عن كتابات الاميركيّة ونشير اليهِ باعادة النظر في اصلاح ما وقع فيهِ من الاغلاط الطبعيّة[1] س . ر .

---

(١) مثلاً ص ٤٩٤ Aperçue de l'Origine des Diverse Ecritures (sic) وص ٤٩٦ Griechsichke I بريد Grieschische

Ign. Guidi. L'Arabie antéislamique, *Paris. Geuthner*, 88 *pp. in-18*, 1921

جزيرة العرب قبل الاسلام

حبّذا الكتاب صغير الحجم كبير المعنى وضعهُ في الافرنسيَّة احد كبار المستشرقين الدكتور اغناطيوس غويدي . وهو يحتوي اربع محاضرات القاها هذا الاستاذ الشهير في نادي الجامعة المصريَّة الحديثة النشأة وعرض فيها خلاصة احوال جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام ادبيًا وسياسيًا وبيّن استعداد اهلها لقبول الدين الجديد . فدار المحاضرة الاولى على دول العرب في الجنوب والحجاز . والثانية على نهضتهم الادبيَّة والثالثة على ترقيهم المادّي والرابعة على رقي الحبشة والحميريين وهو يشعر في كلامهِ ما كان للنصرانيَّة من النصيب في هذه الاطوار كما بيّن ذلك مدير المشرق في كتابهِ المعنون بتاريخ النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة . وقد أُعجبنا بكلام الدكتور غويدي الرائق وانشائهِ البليغ في لغةٍ ليست هي لغتهُ الوالديَّة بحيث يرى القارئ بنظر واحد مجمل احوال العرب في الجاهليَّة . ولا شكَّ انَّ هذا الكتاب لو حاول احد الكتبة تعريبهُ او استند اليهِ لتوسيع موادّهِ يصيب نجاحاً كبيرًا بين اهل الشرق س . ر .

Baron Carra de Vaux : Les Penseurs de l'Islam. I Les Souverains, l'Histoire et la Philosophie Politique — II Les Géographes, les Sciences Mathématiques et Naturelles. *Paris, P. Geuthner*, 1921, *in*-12, 385 *et* 400

المفكّرون في الاسلام

انَّ في كلّ امَّةٍ نوابغ يتقدّمونها ويبعثون فيها نفخةً من روحهم . فعليهم المعوَّل في قيادة بني جلدتهم ونهج طرق الحضارة والعمران لمواطنيهم . فأحبَّ البارون كارا دي ڤو احد مشاهير المستشرقين في فرنسة ان يعرّف اهل دولته بمن نالوا في الاسلام قصبة السبق في السياسة والآداب . وقد وقفنا اليوم على الجزئين الاوَّلين من هذا التأليف خصَّ الاوَّل منهما بكبار ملوك الاسلام ومؤرخيه وفلاسفتهِ وضمَّن الثاني تاريخ الجغرافيين والرياضيين والطبيعيين والفلكيين والاطباء . فترى من مجرَّد اسماء هذه الفصول ما حاول الكاتب وصفهُ وشرحهُ . فلعمري انَّ مواضيع متعدّدة كهذه يصعب على العالم ان يوفيها حقَّها من الشروح ليحيط بها القرّاء علماً من كل وجوهها

ولو شئنا لأخذنا على جناب المؤلف مآخذ شتّى لولا علمنا بأنّهُ لم يطلب من عملهِ الّا ان يقرّب اليهم هذه المعلومات ليلمّوا بها بعض الالمام وتتحرّك فيهم الرغبة الى التعمّق في هذه الدروس التاريخيّة التي لا تزال في مهدها واوّل نشأتها ل.ش

Dawson (V. H. W.) : AGRICULTURAL DIRECTORATE OF MESOPOTAMIA. Dates and Date Cultivation of the 'Iraq. *Part I and II, Price* 10 + 5 *s. net. Cambridge, Heffer and Sons*, 1921

زراعة النخيل في العراق

يقتضي زراعة النخل ماء كثير وحرارة بالغة والعراق غنيٌّ بكليهما ومن ثمَّ زراعتهُ هناك متّسعة الارجاء لاسيما قريباً من شطّ العرب فترى شجرهُ الباسقة تمتدُّ على طول ١٠٨ اميال وعرض ميل على ضفّتي النهر منها ٥٢ ميلاً على ضفّة النهر الشماليّة في ملك العجم. وامّا مركز هذه الزراعة الحافلة فالبصرة. وقد وجّهت ادارة الفلاحة في العراق المنوطة بوزارة الداخليّة نظرها بعد نهاية الحرب لاسيما السنة ١٩١٩ الى التفتيش عن زراعة النخيل فدوّنت نتيجة ابحاثها في الكتاب الفريد الذي نحن بصددهِ فضمّنهُ مؤلفهُ المستر داوسن كلّ ما له علاقة مع النخل من حيث زراعتهِ وفوائدهِ ورُطَبهِ وتمرهِ وآفاتهِ وتجارتهِ. مع بيان معدّل محصول الاشجار وانواعها لتعريف ما يجب دفعهُ من الرسوم للحكومة عنها. فنشكر ج.ل

M. Paléologue. LE CHICE, roman. *Bibliothèque Plon, n° 36, Prix* 3 fr.

رواية المسخ

هذه احدى الروايات العديدة الشائعة في زماننا المثلة للغرام بين امرأة تعيسة في عيشتها الزواجيّة وشابٍ تؤمّل السعادة باقترانها بهِ وهو لاينوي الّا خدمة شهواتهِ فيجتذبها الى حبّهِ دون ان يقوى على تحقيق نواياهُ الباطلة. وقد يعدُّ الكاتب امتناع المرأة عنهُ فضيلةً عظيمة وهيهات ان يُدعى فعلها فضيلةً بعد عدولها عن زوجها الى حبّ الغريب. ومن ثمَّ استغربنا فعل الاكاديمية الفرنسويّة التي خصّت المؤلف باحدى جوائزها ج.ل

L.Hémon. MARIA CHAPDELAINE. récit du Canada Français. *Paris, Grasset.* 1921, *Prix.* 6 f^r 50

قصّة ماريا شابدلين الكنديّة

قد بلغ هذا الكتاب في زمن قليل طبعتهُ الاربعمائة لعظم رغبة الناس في مطالعتهِ وامّا علّة هذا الرواج فلأنَّ مؤلفهُ اخرجهُ في صورةٍ حيّة غاية في التأثير بما اودعهُ في وصف عائلة افرنسيّة من اهل كندا من طبقات شعبها الممتاز بالنشاط وسذاجة الحياة فتتبّع افرادها وأحيا بوصفهِ مزايا كلّ واحد منها وقناعتهم بشغل الفلاحة مع ما يحول دونهُ من الصعوبة لاشتداد الزمهرير في فصل شتائها الطويل . وقد استنفد جهدهُ خاصّة في وصف شمائل فتاة تلك العائلة ماريا شابدلين التي تفانت في خدمة اهلها وسبَتْ بسجاياها الطيّبة قلب احد كبار الاغنياء فخطبها لعلّها ترضى بان تبدل كوخها بدارٍ فخيمة في احدى عواصم اميركة . فالفتاة شعرت بميلها اليهِ الّا انّها سمعت يوم وفاة والدتها بصوتٍ في قلبها يدعوها الى الثبات على اخلاق اجدادها وحبّ وطنها كندا والمحافظة على التقاليد الفرنسويّة فنبذت اذ ذاك طلب خاطبها وفضّلت بشهامةٍ البقاء في وطنها مهما تجدهُ فيهِ من المشقّات الاب ل . دي پلاس

١ً كتاب تعليم التقوى للأولاد : تأليف السيّد دي سيفور (ص ٢١٧) = ٢ً كتاب التأملات اليوميّة في الحقائق المسيحيّة والاكليريكيّة تأليف الاب شيفاسي خوري اسقفيّة سان كلود (المجلّد الثاني ص ٣٠٩) . وكلاهما تعريب القسّ مبارك ثابت الديراني اللبناني

طُبعا في مطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢١ و ١٩٢٢

انّ حضرة القس مبارك ثابت رئيس دير المخلّص في بجنين لا يزال يتاجر بوزناتهِ الخمس متاجرة العبد الامين الصالح . فانهُ وقف قلمهُ السيّال على خدمة الدين ونشر تعاليمهِ الخلاصيّة والدفاع عن حقائقهِ . وها هوذا اتحفنا باثرين جديدين من تعريبهِ وقد احسن في انتخابهما . فالاوّل كتاب شهير للطيّب الذكر الاسقف دي سيفور وضعهُ لارشاد الاحداث الى التقوى منذ نعومة اظفارهم لتنطبع في قلوبهم انطباع

النقش في الحجر. وقد عهدناهُ افضل كتاب للقراءة الروحيَّة في المدارس الكاثوليكيَّة اذ اتخذ المؤلف يسوع الطفل كمثال للناشئة يتقدَّمها كدليل امين الى ممارسة اجلّ الفضائل في كافَّة احوالها وتصرُّفها مع الله والقريب ونفسها. امَّا الكتاب الثاني فقد سبق لنا وصف مجلَّدهِ الاوَّل (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٥٥٠) وبيَّنا ما لهذا التأليف من عظم الشأن للحياة المسيحيَّة. فانَّ التأمُّلات اليوميَّة للاب شيفاسي هي كخلاصة الانجيل تحتوي لكل يوم من ايَّام السنة بعض اعمال او اقوال او امثال السيِّد المسيح تغذي النفس وتسمو بها الى اعلى مراقي السيرة الفُضلى. وهذا المجلَّد الثاني يحتوي ٩٨ تأمُّلا لاشهُر الربيع الثلاثة من اوَّل اسبوع الصوم الى ختام الزمن الفصحي وجمعة العنصرة فكنَّا نودّ لو يتَّخذهُ كلّ مسيحي ولاسيما كلّ كاهن وراهب كدستور حياتهِ الروحيَّة وتأمُّلهِ اليومي ل. ش

كتاب المحاورات الرهبانيَّة للمطران جرمانوس فرحات

عُني بطبعهِ وتعليق حواشيهِ القس طانيوس شبلي

بمطبعة القديس بولس حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٢ (ص ١٨٥)

هذا احد آثار ذاك الجهبذ المفضال الذي شرف وطنهُ وملَّتهُ ورهبانيَّتهُ بآثاره العديدة المطران جرمانوس فرحات. ضمَّنهُ مؤلفهُ الشهير ثلاث عشرة محاورة في كلّ واجبات الرهبان على طريق السؤال والجواب. وقد قصد بها خصوصاً رهبانيَّتهُ البلديَّة وهو كان احد اركانها ومنشئيها الاوَّلين فأدرك دون سواه رسومها وغايتها فأحبَّ ان يدوّن معلوماتهِ في هذا الكتاب الجليل الفائدة. وقد أحسن كلّ الاحسان حضرة القس طانيوس شبلي اذ استخرج هذا الاثر في مدفنهِ فأبرزهُ الى النور واضاف اليهِ الحواشي لشرح بعض آرائهِ. وقد تعجَّبنا لترك صفحة بيضاء في محاورتهِ الثامنة (ص ٨٠) عن الرؤساء. فرجعنا الى نسخة خطيَّة لنعلم ما الموجب الى حذفها فاذا فيها سؤال عن العلاقات بين رؤساء الرهبانيَّة ورؤساء الكهنة وكان الاولى اثبات الاصل كما وضعهُ مؤلفهُ الطيِّب الذكر. ومما لحظناهُ في هذه المحاورات انَّها وُضعت قبل اثبات الكرسي الرسولي لقوانين الرهبانيَّة اللبنانيَّة وفرائضها باربع سنوات ففي

كلام السيّد جرمانوس فرحات ما لا ينطبق معها . وقد اشار حضرة ناشر الكتاب الى بعضها . وهناك ايضاً اجوبة شتّى يحكم فيها المؤلف بالخطإ الميت على فاعلها وهي لا تتجاوز الخطأ العرضي او تحتاج الى بعض التمييز . وكذلك ينسب المؤلف الى منذري الفقر والطاعة ما يختصّ فقط بفضيلتيهما وكمالها . فهذه واشياء غيرها كانت تحتاج الى بعض تعليقات . ويا حبّذا لو عُرض هذا الكتاب قبل طبعه على زوّار الكرسي الرسوليّ . وقد اضاف حضرة القس شبلي الى هذه المحاورات اوّلاً صورة الراهب الكامل ولم يُفدنا أهي للسيّد فرحات او لغيره وقد أسف على انهُ لم يجد منها نسخة كاملة . وثانياً رسالة للسيّد المذكور في رسوم وعوائد الرهبانيّة في عشرة فصول مفيدة جدًّا وهذه الرسالة كان سبق حضرة الاب شرل ابيلا ونشرها في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٧٢٢ — ٧٣٠) فنثني على همّة القس شبلي ونحضّهُ على مواصلة تفتيشه عن آثار رهبانيّته الفاضلة وقد سرّنا انهُ عزم على نشر تراجم بعض مشاهيرها في كتاب عنوانهُ الكواكب ل . ش

شذرات

﴿اثران في رئاسة القديس بطرس﴾ صدرا في شهر نيسان الاول لغبطة السيد كيروكير ديمتريوس القاضي بطريرك انطاكية والاسكندريّة واورشليم وسائر المشرق . والثاني نشرهُ في هذه المجلّة حضرة الاب انطون صالحاني في عددها السابق . فمنشور غبطة البطريرك يتناول الموضوع من حيث وجهته الكتابيّة والمنطقيّة والتاريخيّة على نمط مؤثر في العقول والقلوب . امّا مقالة الاب انطون صالحاني فكتابيّة محضة مبنيّة على آيات الانجيل الشريف ونصوص سفر الاعمال بحيث لا يستطيع ان ينكر براهينهُ القاطعة الّا العنيد المكابر للحقّ . وقد طبعها على حدة لافادة العموم تُباع في مطبعتنا بثلثة قروش

﴿سوء تأثير مناجاة الارواح﴾ نشر المشرق في العام الماضي (١٩٢١ ٢٧٨ و٣٥٢)

كلام السيّد جرمانوس فرحات ما لا ينطبق معها . وقد اشار حضرة ناشر الكتاب الى بعضها . وهناك ايضاً اجوبة شتّى يحكم فيها المؤلف بالخطإ الميت على فاعلها وهي لا تتجاوز الخطأ العرضي او تحتاج الى بعض التمييز . وكذلك ينسب المؤلف الى منذري الفقر والطاعة ما يختصّ فقط بفضيلتيهما وكمالها . فهذه واشياء غيرها كانت تحتاج الى بعض تعليقات . ويا حبّذا لو عُرض هذا الكتاب قبل طبعه على زوّار الكرسي الرسوليّ . وقد اضاف حضرة القس شبلي الى هذه المحاورات اوّلاً صورة الراهب الكامل ولم يُفدنا أهي للسيّد فرحات او لغيره وقد أسف على انهُ لم يجد منها نسخة كاملة . وثانياً رسالة للسيّد المذكور في رسوم وعوائد الرهبانيّة في عشرة فصول مفيدة جدًّا وهذه الرسالة كان سبق حضرة الاب شرل ابيلا ونشرها في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٧٢٢ — ٧٣٠) فنثني على همّة القس شبلي ونحضّهُ على مواصلة تفتيشه عن آثار رهبانيّته الفاضلة وقد سرّنا انهُ عزم على نشر تراجم بعض مشاهيرها في كتاب عنوانهُ الكواكب ل . ش

شذرات

﴿اثران في رئاسة القديس بطرس﴾ صدرا في شهر نيسان الاول لغبطة السيد كيروكير ديمتريوس القاضي بطريرك انطاكية والاسكندريّة واورشليم وسائر المشرق . والثاني نشرهُ في هذه المجلّة حضرة الاب انطون صالحاني في عددها السابق . فمنشور غبطة البطريرك يتناول الموضوع من حيث وجهته الكتابيّة والمنطقيّة والتاريخيّة على نمط مؤثر في العقول والقلوب . امّا مقالة الاب انطون صالحاني فكتابيّة محضة مبنيّة على آيات الانجيل الشريف ونصوص سفر الاعمال بحيث لا يستطيع ان ينكر براهينهُ القاطعة الّا العنيد المكابر للحقّ . وقد طبعها على حدة لافادة العموم تُباع في مطبعتنا بثلثة قروش

﴿سوء تأثير مناجاة الارواح﴾ نشر المشرق في العام الماضي (١٩٢١ ٢٧٨ و٣٥٢)

مقالتين اثبت فيهما كاتباها الابوان يوسف مونجان ويوسف منسّى الاخطار الناتجة عن السبيريتسم. وقد نقلت الجرائد الاجنبيّة والوطنيّة آخرًا خبر أُسرة باثاريّة مؤلفة من احد عشر شخصاً كانوا يتعاطون مناجاة الارواح فأُصيبوا جميعهم بالجنون . وبهِ تحقّق ما حذّرنا عنهُ غير مرّة بعض المتهوّسين بهذه الصناعة الخطرة اي التقرّب من الارواح الشرّيرة لئلّا يختبروا مساوئها المختلفة فيندموا ولات ساعة ندم

﴿الحبر الاعظم واللغات الشرقيّة﴾ البابا بيوس الحادي عشر امتاز عن اسلافهِ بمعرفتهِ للُغات الشرقيّة ولا غرو فانّهُ خلف في ادارة المكتبة الامبروسيّة في ميلانو للعلّامة تشرياني الذي اشتهر بنشر الآثار السريانيّة فتقفّى آثارهُ . وممّا ينبئ بمعرفتهِ للغتنا العربيّة ما قرأناهُ حديثاً عن مساعدتهِ للمستشرق الايطالي غريفيني في نشر تأليف بعض عرب اليمن في الفقه

﴿كسوف الشمس الاخير في رأي العرفان﴾ كتبت المجلّات العلميّة فصولًا في الكسوف الاخير الذي حدث في ٢٨ آذار فظهر في بعض البلدان اكليليًّا وفي غيرها كسوفاً تامًّا رصدهُ الفلكيُّون ونشروا عليهِ ملحوظاتهم وكذلك ورد ذكرهُ في مجلّة « الكلّيّة » الاميركيّة وفي مجلّة العرفان الصيداويّة ومن غريب ما روتهُ هذه (ص٤٤٥) قولها « واسباب الكسوف كما لا يخفى حيلولة الزهرة بين الشمس والارض » فنسبت تلك الظاهرة الفلكيّة الى الزهرة باخسّة حقوق القمر وهو من الغرابة بمكان!

﴿الجائزة الماسونيّة﴾ ذكرنا في عدد ماضٍ اقسام محفل رشيد الماسوني البيروتي جائزتهُ بين اثنين ممّن قدّموا لهُ المقالة التي اقترحها على العموم بخصوص ضيقة الاحوال . وقد غلب على ظنّنا انّ نائلَي الجائزة من الجماعة الماسونيّة فكتب لنا احدهما من دمشق جناب الاديب توفيق ابن الياس مسعود متبرّئاً من الماسونيّة ناكرًا انتماءهُ الى جمعيّتها . فسُررنا بايضاحهِ الحقيقة وكنّا وددنا لو لم يُرسل لمحفل ماسوني مقالتهُ فيُعرّض بنفسهِ للتهمة بدخولهِ في شيعة محرومة من الكنيسة ويقول الكتاب ابن سيراخ (١٣ : ١) : « من لَمسَ القير توسّخ » وكان الاولى بهِ ان ينشر ما كتب في احدى الجرائد العموميّة لاسيما انهُ كما قال لم يحرّر مقالتهُ طمعاً بالجائزة التي فرّقها على الفقراء . امّا حكمنا لعبدالله بك رزق الله خير فثابت يقرّ بهِ كلّ من اطّلع على مقالتهِ المنشورة في الوطن

﴿الخزعبلات الماسونيّة﴾ انّ القحة التي عُرف بها الفرمسون تحملهم على ابتداع

ضروب الخزعبلات والاراجيف لترويج بضاعتهم الكاسدة . فمن ذلك ما نشرتهُ « سوريَّة الشمالية » ونقلتهُ : « الجامعة السوريَّة » عن حضور عليّ افندي ناصر الدين افتتاح محفل ماسوني في حماة «موفداً بالوكالة عن المندوب السامي» فكذَّبت المفوَّضيَّة العليا هذا الخبر وانكرت كلَّ علاقة لها مع المحافل الماسونيَّة — ومن اكبر مشيّعي هذه الخزعبلات مدير « جريدة الانوار » المظلمة يوسف افندي الحاج المدّعي بالمارونيَّة وينكر قومهُ انهُ منهـا . ولا غرو فانَّ الموارنة كاثوليك والمنتمي الى الماسونيَّة محروم من الكثلكة . ولو تتبَّعنا ما ينشرهُ في كل عدد من أعداد جريدتهِ في وصف الماسونيَّة وتاريخها وغايتها مما هو والحقيقة على طرفي نقيض لضاق عنهُ «جراب الكردي» مع سعتهِ . وليس في كلامهِ شيء عن مديح الماسونيَّة الَّا وقد رددنا عليه في كراريسنا بشواهد من زعماء الماسونيَّة في كتاباتهم الرسميَّة . فما لهُ يسكت عنها فليفند حججنا ان امكنهُ والَّا نسبناهُ الى الإفك والبهتان . وفي هذه النسبة نبشّر الكاثوليك بجحود « بعض الاحرار » الماسونيَّة في الاعياد الفصحيَّة الاخيرة . ثلثة منهم جحدوا الشيعة جهاراً في قرية الشيَّاح وسلَّموا لسيادة مطران طائفتهم اوراقهم الرسميَّة واوسمتهم

﴿مبلغ الماسون من التاريخ﴾ وردت نبذة في «الانوار» الماسونيَّة تنبئ بسعة معارف الماسون (ص ٨ من عددها ٩) تحت هذا العنوان «فوائد الرموز» قال فيها محرّرها يوسف افندي الحاج « عند قيامة المسيح تمثلت مريم المجدليَّة امام طيباريوس وقدَّمت لهُ بيضة مصبوغة » مشيرة بها « الى حياتنا على الارض وقيامنا في السماء » الخ . فليت شعري بأيَّة طيَّارة انتقلت مريم المجدليَّة الى رومية لتقدّم بيضتها المصبوغة لطيباريوس قيصر . ولعلَّهُ اراد بيلاطوس القريب منهـا . ولا عجب ان يجهل ابناء الارملة تاريخ غيرهم وهم يجهلون تاريخ عشيرتهم

ومثل ذلك ما نشرتهُ اللطائف المصوَّرة المصريَّة الماسونيَّة للماسوني نقولا افندي حدَّاد في عددها الـ ٣٦٨ عن « راهب جزويتي » دعاه الاب امبروسيوس ده لاكلوش برنس ستورات » ادَّعى على قولهِ انهُ وليّ عهد ملك انكلترَّة « تشرلس الثاني » وطالب اباهُ بالملك . وهي رواية مختلقة من اوَّلها الى آخرها لا اصل لهـا ولا فصل . ولكن كيف يمكن الماسون ترويج بضاعتهم بغير الكذب واختلاق التاريخ الوهمي ؟

أسئلة وأجوبة

س مأل مستفيد أصحيح ما يدّعيه بعض الاشخاص من اقتدارهم على اكتشاف المياه في قلب الارض وكيف يحصلون على هذه المعرفة ؟

اكتشاف المياه في قلب الارض

ج نعم انّ ذلك مقرّر فاننا عرفنا اشخاصاً لاسيما من المزاج العصبي كانوا اذا مرّوا في مكان تجري مياهٌ في باطن ارضهِ شعروا بها للحال ودلّوا عليها . وكثير منهم يتّخذون لذلك عوداً ملتوياً يمسكونهُ باليدين فيدور عند مرورهم فوق مياه باطنة . وقد عرف العرب مثل هؤلاء في قومهم وهم يدعونهم بالمُناقن والتنقن اي البصير بالماء في حفر القنيّ . على انّ هؤلاء لا يمكنهم تعريف قدر عمق الماء وكميتهِ . ولاستنباط المياه بالنظر وسائط اخرى تجدها في مقالة حسنة للدمتهوري نشرناها في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٢٤—٣٢) عنوانها «مقالة في علم استنباط المياه» فلتُراجع

س مأل احد القرّاء ما معنى اسم البابا ومتى خُصَّ بالحبر الروماني

اسم البابا اصلهُ ومعناهُ

ج البابا لفظة يونانيّة (πάππας) او (πάπας) و (πάππας) ومعناها الاب كان النصارى يطلقونها في اجيال الكنيسة الاولى على الاساقفة والكهنة . ومنها الباباس عند الاتراك بهذا المعنى . ثمّ خصّوها بعد ذلك برؤساء الاساقفة في الاسكندريّة ورومية الى ان شاعت بمعنى كبار الاحبار الرومانيين منذ القرن الرابع للمسيح . وقيل انّ أصلها (πάππος) بمعنى الجدّ او ابي الآباء فرقاً بين رئيس الكنيسة الجامعة الاسمى ورؤسائها الذين دونهُ . وجاء في تاريخ ابن بطريق وتاريخ ابن العميد انّ الشعب كان يسمّي الاسقف ابّاً وكان الاسقف يدعو البطريرك اباً فقالوا يجب علينا ان نسمّي البطريرك بابا اي الجد وابا الآباء اذ كان هو اباً لابينا

ل . ش

المشرق

العيد القرني الثالث

لانشاء

مجمع انتشار الايمان

نبذة تاريخيَّة اجتماعيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

« اذهبوا وتلمذوا كلَّ الامم اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » هي الكلمة الالهيَّة التي فاه بها ابن الله قبل صعوده الى السماء. فغطت من العجائب في تقرُّب الامم ومؤاخاة الشعوب ما لم تغطِّ الجرد المجنَّدة وفشل عنهُ الفراعنة والقياصرة والاسكندر. تلك البذرة السماويَّة القاها المسيح بيد كنيستهِ في الارض وببركتهِ ما لبثت ان ذكت

وغت واضحت دوحةً عظيمة تُظلّ باغصانها اربعة اطراف المعمور فهي هي التي نقضت ما كان من الحواجز بين الامم وألّفت القلوب المتنافرة فصار «لجمهور المؤمنين قلبٌ واحد ونفس واحدة» (اعمال ٤: ٣٢) «ليس بينهم يهوديّ ولا يونانيّ ولا ختان ولا قلف ولا اعجميّ ولا اسكوتي ولا عبدٌ ولا حرّ بل المسيح كان كلّ شيء وفي الجميع» (كولسي ٣: ١١)

لعمري لو تتبّعنا سلسلة الاجيال وتفقّدنا مفاعيل تلك الكلمة لرأيناها كما قال الرسول (عبر ٤: ١٢) «حيّةً عاملةً امضى من كلّ سيفٍ ذي حدّين نافذةً حتّى سويداء القلب». كانت الكنيسة الرومانيّة في مهدها ورُسل المسيح في قيد الحياة ونرى بولس الرسول يشكر الله على «انّ ايمان الرومانيين يُبشّر به في العالم كلّه» (رومية ١: ٨). لم يمرّ على الكنيسة ثلاثة اجيال الّا وتحطّمت امامها اصنام الامم وزانت بصليب المسيح تيجان الملوك. قامت في وجهها البدع فكسرت شوكتها. تقاطرت اليها همج البرابرة من كلّ أوب وصقع فأحنت رؤوسهم تحت نير المسيح. خرج رُسلها الى الاقطار السحيقة فحوّلوا ذئابها الى حملان وأدخلوها حظيرة الراعي الصالح في تلك القرون التي دعاها البعض بقرون الظلمة والجهل وكان الاحرى ان تُدعى اجيال البعث والنشور. ثمّ قامت في خدمة الكنيسة تلك الرهبانيّات المشبعة بروح المسيح من بندكتيين وفرنسيسيين ودومنيكان وكرمليين ويسوعيين «ففي كلّ الارض خرج منطقهم وفي اقاصي المسكونة ذاع كلامهم» (رومية ١٠: ١٨) فكانوا اذا انتدبهم نائب المسيح لمهمّةٍ ما تسارعوا اليه في سرعة البَرْق قائلين: ها نحن امامك وطوع بنانك ما لك الّا ان تأمر فحياتنا ودماؤنا موقوفة لخدمة الكنيسة ومجد الله. فيرمون بقوله شبكتهم فيصطادون البشر للخلاص (متّى ٤: ١٩)

انشاء مجمع انتشار الايمان

تلك كانت حال الكنيسة في تبشير الايمان الى اوائل القرن السابع عشر لم تتّخذ لها نظاماً رسميّاً لتدبير رسالاتها الاجنبيّة. الّا انّ في ذلك العصر كان اتّسع نطاق الرسالات. بعد ان انفتحت للكنيسة بلاد مجهولة وظهر لها عالم جديد توفّق الى اكتشافه كولومبوس احد ابنائها المخلصين. فتيسّرت لها سُبل البحار وأميطت من اليابان

والصين وجزائر الفيليبين الاستار الحاجبة لها مع توفُّر المرسلين . فلم ترَ الكنيسة بُدًّا من اقامة مجمع خاصّ في امّ المدائن تحت انظار الاحبار الرومانيين تُناط بهِ كلّ امور الارساليّات الاجنبيّة ويرجع اليهِ المرسلون في شؤونهم لتُعطى كلُّ فئةٍ منهم قسماً من كَرْم ربّ البيت لتفلحهُ وتستثمرهُ للحياة الابديّة

وقد شغل هذا الامر فكرَ الاحبار الرومانيين منذ اواخر القرن السادس عشر فانَّ البابا غريغوريوس الثالث عشر ثمَّ اقليمنضوس الثامن وبولس الخامس وجّهوا انظارهم لتحقيق هذه الغاية وسعوا لها بعض المساعي التي لم يسمح لهم الزمان بتقريرها وتحديدها . الى ان جلس على كرسي الخلافة البطرسيّة البابا غريغوريوس الخامس عشر فعزم منذ بدء رئاستهِ على تحقيق آمال اسلافهِ . فعيَّن لذلك احد عشر كردينالًا وبعض الكهنة كان من جملتهم الاب دومنيك الرئيس العام على رهبانيّة الكرمليين لسعيه المتواتر لدى الكرسي الرسوليّ بتنظيم مجمع كهذا

وكان اوّل اجتماع عقدهُ آباء المجمع المذكور الذي عُرف مذ ذاك الحين بمجمع انتشار الايمان او البروبغندة (Congregatio de Propaganda Fide) وقع في ١٤ كانون الثاني من السنة ١٦٢٢ فاتّفقوا على وجوب وَضع الرسالات الاجنبيّة كلّها تحت نظارة وتدبير المجمع المومأ اليهِ وخصّوا يومين في الشهر للبحث في امور الرسالات وانشائها وتدبيرها وحاجاتها ويوماً ثالثاً يُطلعون فيهِ الحبر الاعظم على مفاوضاتهم وتقاريرهم ليصدّق قداستهُ على ما يراهُ منها موافقاً . وفي اليوم التالي اي ١٥ ك ٢ وجّه المجمع الى الاساقفة وكافّة رؤساء الرسالات منشوراً يفيدهم ما قرّرهُ الكرسي الرسولي من ذلك لتكون مخابراتهم مع المجمع رأساً . فسُرَّ المرسلون بهذا التدبير الذي ذلّل امامهم عدّة مصاعب كان يعتاصُ عليهم حلّها

ومضى على ذلك خمسة اشهر ريثما تمَّ انتظام المجمع الجديد ووُضعت لهُ القوانين اللائقة وتعيَّن لهُ نادٍ كبير وكتبة وعمّال ومالية لمعاش اصحابهِ ولمساعدة الرسالات المنشأة او المنويّ انشاؤها . فنشر حينئذٍ البابا غريغوريوس براءةً رسوليّة اوّلها Inscrutabili اثبت فيها المجمع المذكور وشرح كلّ ما يختصّ بهِ من تركيب ونظام وادارة امور وتعميم . وعقدَ الأمل على انَّ هذا المشروع الجليل يبعث في الرسالات الكاثوليكيّة حياةً جديدة وينهض بها الى ارج الفلاح

وكان اوّل ما رأى المجمع حاجةً ماسّةً اليهِ دَرْس المرسلين للغات الأمم التي يُرْسَلون اليهـا ليبشروها بالايمان اذ لولاها لا يستطيعون ان يتباحثوا في امور الله ويشرحوا لغير المؤمنين اصول الدين المسيحيّ . وكان البابا بولس الخامس سبق ووجّه في ذلك براءةً الى رؤساء الرهبانيّات المنكبّة على اذاعة الايمان بين الشعوب الاجنبيّة فجدّد المجمع المقدّس هذه الاوامر وألحّ في ١٦ ت ١ ١٦٢٣ في تنفيذها وخصّ بين تلك اللغات العبرانيّة والكلدانيّة والعربيّة كما كان تقدّم على تدريسها في الكليّات الاوربيّة مجمعُ ڤينّة المسكوني سنة ١٣١١

ولم تمرّ على مجمع انتشار الايمان سنون قليلة حتّى اتّسعت دائرة اعماله وتواردت اليهِ الوف الكتابات من كلّ الاصقاع وعُرضت عليهِ المشاكل المختلفـة وأُنيطت بهِ اجلّ الامور واعظمها شأناً . فاسبغ عليهِ النعم البابا غريغوريوس مُنشئهُ ثمّ جرى على مثالهِ خلفاؤهُ اوربانوس الثامنُ ثم اسكندر السابع الى الاحبار القريبين من عهدنا حتّى اصبح في مقدّمة المجامع الرومانيّة لوفرة مآثرهِ وخدمهِ المتعدّدة التي شرّف بها الكنيسة الكاثوليكيّة في كلّ انحاء المعمور

وممّا اهتمّ لهُ ائمّة الاحبار توفير ماليّة المجمع لكثرة ما يحتاج اليهِ من النفقات في انشاء الرسالات ومعاشات مرسليها ومساعدتهم في ابنيتهم من كنائس ومدارس ومستشفيات وملاجئ ومياتم . فانّهم سبقوا الجميع بكرمهم ولمدّوا مجمع انتشار الايمان بمالهم الخاص وفرضوا على الكرادلة والمنصّبين في الدولـة البابويّة بمساعدات مئنية يؤدّونها سنويًا . وما لبث الملوك والشرفاء واغنياء الكاثوليك ان اقتفوا بمثالهم واسرعوا الى مشاركة المرسلين في اعمالهم ونشر العمران المسيحي بين الامم المتّسكة في ظلمات الوثنيّة بما أجروهُ عليهم من الهبات الماليّة الطائلة

وقد أُقيم في المجمع ديوان خاصّ لنظارة الماليّة وتخصيص كلّ رسالـة بنصيبها من هذه النفقات . وهي مع وفرتها لم تَفُ على سدّ قسم صغير من حاجات المرسلين . وقد بيّنّا في عدد سابق كيف اوحى الله الى فتاة افرنسيّة قبل مئة سنة بطريقة جديدة لمساعدة المرسلين فأُنشئت في ليون شركة الرسالات الكاثوليكيّة التي يبلغ حاضرًا مجموع حسناتها عشرين مليونًا من الفرنكات .

وكان معظم اهتمام مجمع انتشار الايمان ان يختار للرسالات الاجنبيّة رجالًا ذوي

غيرة وتقى يكونون حيثما حلوا كنور العالم وملح الارض اللذين ذكرهما السيد المسيح فيجذبون الشعوب الى الدين الحق بأمثالهم اكثر منهم بأقوالهم . وكثيراً ما حظر عليهم الاختلاط بأمور السياسة او السعي بتنفيذ سلطة دولهم وشؤونها الزمنية ليقصروا همهم على نشر الدين بكل فطنة وكل تؤدة ويحتملوا بصبر ما يلقونهُ في سبيل الله من النكبات بل ضروب العذابات والموت .

ولو تتبعنا تاريخ هذه الرسالات في الثلثة القرون الاخيرة لقضينا العجب مما اتاهُ رجالها من الاعمال الاثيرة لخير الشعوب وترقيها الديني والادبي والاجتماعي . ولكل رسالة منها تاريخ مطول لمشاريعها وجهادها ونجاحها مع إقرار الوطنيين من كل البلاد بسمو فضل مبشريهم . فكم افتتحوا من دول فتحاً سلمياً وكم حطموا من اصنام وازالوا من اوهام وكم قاسوا من مشقات وأثقلوا بالاغلال وكم ذاق منهم مرارة الموت بألوانهِ . وكان كلامهم قد نفذ في قلوب المتنصرين فبلغ بهم ايمانهم الى ان يشاركوا معلميهم في ضنكهم وبلائهم واستشهادهم . وكان كل ذلك بفضل مجمع انتشار الايمان الذي فتح تلك الرسالات وآزرها بعنايتهِ دون مَلَل ما عدا تلك الحقبة المشئومة التي جمع فيها الجحيم قواهُ ليزحف بخيلهِ ورجلهِ على الكنيسة جماء مؤملاً خربها فأصيبت الرسالات الكاثوليكية في ختام القرن الثامن عشر بضربة أليمة كادت تقضي عليها . الا انها كانت سحابة صيف ما لبث الرب ان كشفها واخمد تلك الانواء واعاد للكنيسة مزهاها ورونقها واستأنف المجمع المقدس عملهُ حتى بلغت الرسالات الكاثوليكية بعد رَدْح من الدهر مبلغاً لم تعرفهُ القرون السابقة

ولو شئنا ان نُعدد فرداً فرداً الرسالات التي يتولى تدبيرها المجمع المقدس حاضراً لاتسع بنا الكلام . وقد ذكرنا في عددٍ سابق (ص ٤٦٠—٤٦٢) لمحةً من ترقي الدين الكاثوليكي في القرن الاخير ولم نستوفِ ذاك الاحصاء . فانَّ لمجمع انتشار الايمان اليوم خمسمائة مركز بنيف تراها بالاجمال زاهرة نامية بين مراطقة اوربية ومشركي آسية وهمج افريقية واميركة واوقيانية وله في كل سنة مجموع كبير يُعدد فيهِ تلك المراكز واعمالها ونجاحها يتصفحهُ الكاثوليكي بكل افتخار

ولا ننسى ما ننسى فضل مجمع البروبغندة على شرقنا العزيز فان قسماً كبيراً من رسالاتهِ اللاتينية في سورية وفلسطين والاناضول واليونان والعراق والعجم واليمن

منوطة بجبله. واليه يرجع قصّادنا الرسوليّون . وكذلك امور الطوائف الشرقيّة بقيت تحت تدبيره الى ان افرد لها الحبر الاعظم بيوس التاسع سنة ١٨٦٢ فرعاً خصوصيًّا في المجمع المذكور يُعنى بشؤونها. وهو الفرع الذي حوّلهُ المثلث الرحمات البابا بندكتوس الخامس عشر الى مجمع قائم بذاتهِ دعاهُ مجمع الكنيسة الشرقيّة تلطّف فاقام نفسهُ عليهِ رئيساً اعلى

وقد سُررنا ايّ سرور اذ رأينا غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة مار الياس بطرس الحويك الكلي الطوبى وجّه في ٨ آذار من السنة الجارية منشورًا لابناء طائفتهِ الكريمة يدعوهم الى الاشتراك بحفلات اليوبيل المئوي الثالث لانشاء مجمع انتشار الايمان التي تُقام في رومية ثلاثة ايّام قبل عيد المنصرة مذكّرًا لهم « ما نالهُ الموارنة من الايادي البيضاء والمساعدات المادّيّة والادبيّة من فضل المجمع المذكور حتّى انهُ يجوز القول «بانّ تاريخهم» مرتبط بنوع ما بتاريخ المجمع نفسهِ وكلّ ما عندهم من مدنيّة ورقي ومن مجد وفخر في العالمَين الدينيّ والادبيّ انّما معظم الفضل فيهِ عائد الى مجمع نشر الايمان المقدّس »

فلعمري هذا قول جديرٌ بالاعتبار ويصحّ ليس فقط عن الطائفة المارونيّة بل عن الطوائف الشرقيّة كلّها دون استثناء. فانّها كلها مَدينةٌ لمجمع نشر الايمان من وجوه شتّى كما يعلم اربابُها . ولهذا قد دعا الحبر الاعظم الطيب الذكر بندكتوس الخامس عشر كل العالم الكاثوليكي الى اقامة فرائض دينيّة على نيّة ذاك المجمع في الثلاثة الايّام الاولى من حزيران ونبّه عليهِ نيافة القاصد الرسولي في الثغر في منشورهِ الذي اصدرهُ في بدء الصوم الاربعيني

مدرسة انتشار الايمان

لم يقصر الاحبار الرومانيّون نظرهم على انشاء مجمع يتولّى تدبير الرسالات المختصّة بنشر الايمان. وانّما ارادوا ايضاً ان يهيّئوا لتلك الرسالات الاجنبيّة رجالًا ذوي مقدرة وعلم واسع ونفوذ . ولعلمهم بصحّة المَثَل انّ الحديد بالحديد يُفلَح لم يروا وسيلةً احقّ بتحقيق امانيهم ونشر الايمان في نواحي الارض من أن يقيموا مدرسةً كبيرة يتخرّج فيها في ظلّ الكرسي الرسوليّ وتحت نظارتهِ نخبةٌ من الشبّان

يستدعونهم من اوطانهم السحيقة ويثقفونهم بكل الآداب الدينيّة والرسوليّة وفقاً لدعوتهم حتى اذا انتهوا من دروسهم يعودون الى بلادهم فيبذرون بين مواطنيهم معتقدات الدين المسيحي

فهذه الفكرة السامية والغاية الجليلة قد اخرجها الى طور العمل البابا اوربانوس الثامن خلف غريغوريوس الخامس عشر مع ما كان في تحقيقها في ذلك الزمان من المشاكل والصعوبات . وكان مهّد لهُ الطريق الى هذا المشروع رجلٌ سامي الفضل اسبانيّ الاصل جوان باطشتا ڤيڤس (MGR G.-B. Vivès) الذي كان تقلّب في وطنهِ ثم في رومية في عدّة وظائف كنسيّة وشعر في قلبهِ بغيرة ملتهبة لدعوة غير المؤمنين الى دين المسيح فطلب لتحقيق نيّتهِ عدّة وسائط وصرف جانباً من مالهِ الى أن استقرّ فكرهُ على انشاء مدرسةٍ كبرى في رومية يترشّح فيها شبّان من البلاد المنويّ تبشيرها لهذه الدعوة السامية واقتنى في عاصمة الكثلكة قصراً قديماً لسُكنى اولئك الاحداث حيث جمعَ نفراً منهم

وكان البابا اوربانوس الثامن جلس في تلك الاثناء على السدّة البطرسيّة فعرف الكاهن ڤيڤس وقدّر صفاتهِ الفريدة وقداسة حياتهِ . فمثل يوماً عند اقدام الحبر الجديد وأطلعهُ على ما ألهمهُ الله لنشر الايمان المقدّس وقدّم القصر الذي اقتناهُ للكرسيّ الرسولي مع عدّة املاك كافية لمعاش ١٢ شابًا وطلب ان يكون الكل في عهدتهِ تحت نظارة مجمع البروپغندة ويخصّص لتخريج مرسَلين من كافّة الامم الاجنبيّة يقومون بعد دروسهم الكهنوتيّة بأعباء الرسالة في اوطانهم . وكان ذلك في غرّة حزيران سنة ١٦٢٦

رأى الحبر الاعظم في هذه الموهبة اصبع الله وشكر المتبرّع بها ثمّ اخذ يهتمّ لهذا الامر مع كادلة مجمع انتشار الايمان فأثنوا على الكاهن ڤيڤس ووجدوا في عملهِ وسيلةً جديدة لتنظيم الرسالات الاجنبية وترقيتها فقضوا مع إمام الاحبار اشهراً في ترتيب المدرسة ووضع قوانينها وتذليل كلّ العقبات المعترضة لها وكان البابا اوربانوس في مقدّمة الذين يسعون في انشاء هذا المشروع يستنفد لهُ كلّ قواهُ الى ان تمّ لهم على ما يرغبونهُ

فكان تدشين تلك المدرسة التي عُرفت بالمدرسة الاوربانيّة في غرّة آب من

السنة ١٦٢٧ حيث اصدر إمام الاحبار براءتهُ التي بدؤها «Immortalis Dei Filius» ضمَّنها الغاية من انشاء تلك المدرسة الرسوليَّة وأحاط بكل نظامها وترتيبها وجعل رئيسها الاوَّل المنسنيور ڤيڤس مُطرناً غيرتهُ وفضائله السامية

كان لإنشاء مدرسة البروپغندة أحسن وقع في قلوب الكاثوليك إجمالاً والمرسلين خصوصاً . فاخذوا ينتقون لها من يرونهم اهلاً لهذه المهمَّة . وكان البابا اوربانوس حيناً بعد آخر يدرّ عليها الانعامات الجديدة ويتعهَّدها بالهبات الواسعة ويتفقَّد كل امورها الى سنة وفاتهِ في ٢٩ تموز ١٦٤٤ . وهكذا فعل بعدهُ الاحبار الرومانيُّون خلفاؤهُ فاضافوا الى ذلك القصر املاكاً جديدة وشيَّدوا لهُ كنيسة بديعة على اسم ملوك المجوس فصار عيدهم موسماً يحتفلون بهِ احتفالاً عظيماً . واذ كان عدد التلامذة يزداد سنةً بعد سنة يقصدون المدرسة من كلّ فجّ وصقع اصبح بعد زمن قليل ذلك القصر مع رحبهِ حرجاً ضيقاً . وكان البابا اوربانوس اقام على المدرسة كحامٍ لها اخاهُ الكردينال انطون بربريني فلم يرَ بُدّاً من ترميمها وتوسيع ارجائها ثمَّ دعا اليها تلامذةً من الكُرج والعجم والسريان والارمن والاقباط والهنود والحبش حتى تضاعف عددهم وجرى الاحبار الرومانيُّون على مثال البابا اوربانوس فخصُّوا مدرسة البروپغندة بكل عنايتهم . واختاروا لتعليم تلامذتها اساتذة ماهرين يلقّنونهم العلوم الدينيَّة وعلم الفلسفة واللاهوت والحقّ القانونيّ والتاريخ الكنسيّ والخطابة بل اختاروا لهم معلمين لدرس لغاتهم كالعبرانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة والارمنيَّة والبلغاريَّة والقبطيَّة والحبشيَّة والكرديَّة والفارسيَّة اتخذوا بعضهم من تلامذة المدرسة المارونيَّة التي كانت أُنشئت في رومية قبل المدرسة الاوربانيَّة . فهناك علَّم اللغات الساميَّة ابرهيم الحاقلاني ومرهج النيروني ويوسف لويس السمعاني . وظلَّت المدرسة راقية في معارج الفلاح الى ان دخل الفرنسويُّون رومة في عهد نابوليون الاوَّل فأصيبت كغيرها بمصاب عظيم وأُبطلت عدَّة سنين الى ان عاد بيوس السابع ظافراً الى عاصمتهِ سنة ١٨١٤ فأحيا الرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمَّ اقام مدرسة انتشار الايمان من كبوتها فسلَّم لذةً تدبيرها الى الآباء اليسوعيين وتقدَّم الى تلامذتها ان يدرسوا في مدرستهم الرومانيَّة ريثما تتمّ للمدرسة الاوربانيَّة أُهبتها . ثم ما لبث ان عادت الى رونقها القديم في عهد البابا غريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع حتى اناف تلامذتُها على المئة وهم

اليوم ١١٢ من نحو ٦٠ الى ٧٠ دولـة او قطرًا يرئسهم السيد باولو جيُوبه (Mgr Paolo Giobe) بكل حكمة

وقد ميَّز نوَّاب المسيح شرقنا فخصُّوهُ بفضلهم وما اكتفوا بان يدخلوا في مدرسة انتشار الايمان اولادًا من اوطاننا الشرقيَّة ومن جميع الطوائف بل انشأوا في رومية مدارس خاصَّة افردوهـا لهذه الطوائف كالمدرسة المـارونيَّة المستحدثة والمدرسة اليونانيَّة والمدرسة الارمنيَّة والمدرسة الحبشيَّة ومعظم طلبة هـذه المدارس يذهبون صباحَ مساء الى نوادي البروبغندة فيحضرون دروسها

وكان الواجب علينا لبيان فضل مدرسة انتشار الايمان ان نعدّد أماثل الرجال الذين خرجوا منها فشرَّفوا اوطانهم بمآثرهم المتعـدّدة . ولكن كيف يمكن تعداد اولئك المشاهير مع وفرتهم وتفرُّقهم في كلّ انحاء المعمور . ولو اقتصرنا فقط على من عرفت بلادنا الشرقيَّة بعظم فضلهم لاتَّسع بنا الكلام . فانَّهُ ليست طائفة الَّا تذكر بالافتخار كثيرًا من ابنائها الذين تخرَّجوا في ذاك الصرح العلميّ الشهير

فللارمن ثلاثة بطـاركة اجلَّاء تثقَّفوا في مـدرسة البروبغندة هم البطريرك ثم الكردينال انطون حسُّون والبطريرك لسطفان عزاريان وغبطة البطريرك الحالي بولس ترزيان . وكذلك خرج منها بعد نهاية دروسهم نيّف وخمسون مطرانًا او كاهنًا نخصّ منهم بالذكر شهيد ايمانهِ ورسول طائفتهِ في مـاردين الطيّب الـذكر السيّد ملكون طاز باز المتوفَّى في لومان الاستانة سنة ١٧١٦ وقـد خلفهُ على كرسي ماردين خمسة اساقفة كلهم تلامذة المدرسة الاوربانيَّة ومنهم من جلس على كراسي رؤساء اساقفة حلب وخربوط وارضروم وطرابزون وموش . ومن افاضل كهنتهم القس انطون قبّة الحلبي شهيد محبّتهِ في خدمة المطعونين سنة ١٧٦٤ (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٦٤)

وكان لليونان ولجميع الطوائف التـابعة للطقس البوزنطي في رومية مدرسة خاصَّة أُنشئت منذ الجيل السادس عشر ثمَّ تبعتها بعد ذلك مدرسة القديس اثناسيوس تربَّى فيهما العددُ الجم من اكليروس الملكيين . الَّا انَّ كثيرين ايضًا من طائفة الروم الكاثوليك استقوا من منأهل البروبغندة كجرمانوس آدم رئيس اساقفة حلب (+ ١٨٠٩) وامبروسيوس عبده رئيس اساقفة الفرزل وزحله (+ ١٨٧٦) وباسيليوس حجّار مطران حوران (+ ١٩١٦) . ومنهم كهنة علماء افاضل كالخوارنة المخلصين

يوحنا العجيمي († ١٧٨٥) وعمانويل شمّاع († ١٧٩٨) وسابا الكاتب († ١٨٢٧)

ويفتخر السريان بثلاثة من بطاركتهم تلقّنوا العلوم في مدرسة انتشار الايمان اندراوس اخيجان († ١٦٧٧) وقورلس بهنام بني († ١٨٩٧) وغبطة البطريرك الحالي السيّد المفضال افرام الثاني الرحماني. ويتباهون كذلك بستّة من اساقفتهم رضعوا في رومية افاويق العلوم اوسعهم شهرةً اسحاق بن جبير († ١٧٢١) واقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق († ١٨٩٠) وخلفهُ الحالي السيّد اقليميس ميخائيل مجّاش وديونيسيوس افرام نقّاشة رئيس اساقفة حلب († ١٩٢١) وبعدّة كهنة ينيف عددهم على الاربعين

وقد اشتهر بين القبط الانبا رفائيل طوخي رئيس اساقفة ارسينوة (مدينة الفيّوم) ممّن تخرّجوا في رومية في القرن الثامن عشر وهو الذي عُني فيها بطبع كتب طائفتهِ في القبطية والعربيّة توفي في نيسان من السنة ١٧٧٢

وكان للكلدان حصّة كبيرة من افضال مدرسة بروبغندة. فيها درس الطيّبا الذكر البطريركان اليّا عبو اليونان († ١٨٩٤) وعبد يشوع خيّاط († ١٨٩٩) وزهاء عشرين من الاساقفة جلس خمسةٌ منهم على كرسي سلماس آخرهم رئيس اساقفتها الحالي السيّد بطرس عزيز نزيل مصر حاضرًا. وقد اشتهر منهم السيّد طيموثاوس عطّار رئيس اساقفة ماردين († ١٨٩١) وبطرس برتّتار رئيس اساقفة سعرت († ١٨٨٤) وجرجس نتالي رئيس اساقفة آمد († ١٨٦٨) وتوما اودو رئيس اساقفة اورمية († ١٩١٨) ويوسف اودو مطران كركوك († ١٨٩٩) وخلفهُ الحالي تيودور مسيّح. ومطران زاخو الحالي طيموثاوس مقدسي هذا ما خلا عددًا عديدًا من الكهنة

كان للموارنة مدرستهم الشهيرة في رومية تحت نظارة الرهبنة اليسوعيّة فلم يدخلوا مدرسة البروبغندة الّا بعد الغاء الرهبنة وسقوط المدرسة لاسيّما في القرن التاسع عشر. ففيها تخرّج بطريركهم الجليل بولس مسعد († ١٨٩٠) وغبطة البطريرك الحالي الكلي الطوبى الياس الحويك بعد درسهِ مدّةً في غزير. ومنها ايضًا خرج الاساقفة انطون الخازن رئيس اساقفة بعلبك († ١٨٥٨) وبطرس مسعد رئيس اساقفة حماة

(† ١٨٨٠) ونعمة الله الدحداح رئيس اساقفة دمشق († ١٨٩٠) مع عدد وافر من الكهنة والرهبان الافاضل

فترى من هذا النظر الوجيز ما يُقضَى من الشكر وعرفان الجميل على طوائفنا الشرقيَّة للمدرسة الاوربانيَّة . وقد جازاها الله بما رأتهُ في تلامذتها من الغيرة والاعمال الرسوليَّة واحتمال النكبات في سبيل الكنيسة فمات كثيرون منهم شهداء ايمانهم وغيرتهم خصوصاً في الحرب الكونيَّة الاخيرة فتشرَّفت المدرسة البروپغندة بشباتهم وجهادهم حتى الموت كما تشرَّفت سابقاً باستشهاد رسوليها الاوَّلين القديس فيدال السِغمرنجي والطوباوي بتريك پلونكت

مطبعة البروپغندة

انَّ لمجمع انتشار الايمان فضلاً آخر استحقَّ فيهِ شكر العالم كلِّهِ فضلاً عن الكاثوليك نريد بهِ انشاء تلك المطبعة التي احرزت لها اسماً مخلَّداً لدى كلّ العلماء.

وكان الداعي لتحمها مساعدة المرسلين وتلامذة مدرسة البروپغندة الذين يبشِّرون بالايمان في الاقطار الاجنبيَّة اذ طلبوا من المجمع الكتب اللازمة لتثقيف الناشئة في تلك البلاد فشمر رؤساء المجمع ما يحول دون هذا المشروع من المصاعب الجمَّة لكنَّ ذلك لم يثبط عزيمتهم حبًّا بخلاص النفوس وخدمةً للعلم . فوكَّل الاحبار الرومانيُّون امر هذه المطبعة الى الكردينال فرنسيس إنغولي الذي اتَّخذ لهُ مساعداً رجلاً ماهراً بحفر الحروف اسمهُ فرنسيس كاپولين فاشتغل بذلك عدَّة سنين فنجح بعملهِ ايّ نجاح . وتبعهُ في العمل غيرهُ من العَمَلة ذوي الحذق وحسن الذوق منهم اكليريكيُّون ومنهم عالميُّون اشتهر بينهم بعد مدَّة اليونانيّ لاون ألاسيوس (Léon Allatius) . ثمَّ جهَّزوا المطبعة باحسن الادوات فما لبثت بعد زمن قليل أن أتت بأثارها الطيِّبة

وكان باكورة مطبعة البروپغندة بالعربيَّة تفسير التعليم المسيحيّ الواسع للكردينال بلرمينوس اليسوعي عرَّبهُ الخوري حنَّا الحصروني من تلامذة المدرسة المارونيَّة . طُبع في سنة انشاء مدرسة البروپغندة اعني ١٦٢٧ . تبعتهُ بعد حين تآليف أخرى كاجابة الراهب كواداتولوس على احمد ابن زين العابدين (١٦٣٧) ثمَّ غراماطيق لاتينيّ

عربيّ للاب دومنيك دي سيلازية (١٦٣٨) ثمّ تعريب الاب الكبوشي بريسيوس لتاريخ الكردينال باروفيوس (١٦٥٣) وتعريب كتاب الاقتداء بالمسيح للاب سلستينوس الكرملي (١٦٦٣) ثمّ ترجمة الاسفار المقدّسة في العربيّة والسلاتينيّة لسركيس الرزّي وتلامذة الموارنة في رومية في ثلثة مجلدات (١٦٧١) وهلمّ جرّا

وكانت المطبعة في الوقت عينهِ تنشر التآليف الدينيّة والتهذيبيّة في عدّة لغات أخرى حتّى انّها امكنها سنة ١٦٥٦ لمّا دخلت الى رومية ملكة لسوج كريستينا ان تقدّم لها مجموعاً من القصائد في ٢٢ لغة . ولم تزل تلك المطبعة في تحسّن وازدياد حتى بلغت بوفرة مطبوعاتها واختلاف اشكالها ما لم تبلغهُ غيرها من المطابع الملكيّة . وفي مكتبتنا الشرقيّة امثلة من مطبوعاتها في العبرانيّة والسامريّة والسريانيّة والكلدانيّة والعربيّة والفارسيّة والكرديّة والبرمانيّة والسنسكريتيّة والهندستانيّة والتيبيتيّة والارمنيّة والقبطيّة والحبشيّة . وكلّها بحروف جميلة . ولمّا عُقد المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ قدّم الحبر الاعظم لآباء المجمع كتاباً من مطبعة بروبغندة يحتوي الصلاة الربيّة في ٢٥٠ لغة فكفى بهذا دليلًا عن عظم هذا العمل ومنافعهِ . وفي هذه السنين الاخيرة قد جمع الاحبار الرومانيّون بين مطبعتي الفاتيكان ومطبعة مجمع انتشار الايمان تحت اسم واحد « المطبعة الفاتيكانيّة المتعدّدة اللغات » (Typographia Vaticana Polyglotta) تجاري بحُسن طبعها ووفرة مطبوعاتها اعظم المطابع الدوليّة في عواصم اوربّة

متحف مجمع البروبغندة ومكتبتهُ

ويلحق بمدرسة البروبغندة بنايتان عظيمتان خُصّت الواحدة بمكتبة المجمع والثانية بمتحفه والفضل في انشائهما كلتيهما يعود الى الكردينال اسطفان بورجيا الذي ترأس المجمع المذكور سنين طويلة في اواسط القرن الثامن عشر . فصرف عليهما كثيراً من مالهِ الخاصّ واهداهما مجمع البروبغندة

فالمكتبة غنيّة جدًّا بالمطبوعات الاجنبيّة النادرة في سائر اللغات الشائعة في انحاء المعمور وفيها عدد وافر من مطبوعات الصين القديمة ومن المطبوعات العبرانيّة الاولى ومن المجاميع العزيزة الوجود وقد تولّى ادارة هذه المكتبة احد مشاهير اليهود المرتدّين

الى النصرانيَّة الفارس بولس دراخ (Drach) وكان من اعلم زمانهِ بالتآليف والمطبوعات

امَّا المتحف فهو فريد في بابهِ يتألَّف من تُحف البلاد العديدة التي يشتغل فيها المرسلون من مواليد الطبيعة والمعادن والانسجة ومصنوعات البلاد وصورها ونقودها ممَّا لا يوجد كثير منهُ في المتاحف الدوليَّة الأُخرى. وهناك عدد كبير من مخطوطات البلاد الاجنبيَّة الجامعة بين غرابة الشكل وحُسن النقوش. وقد اهدى ملوك الدول كثيراً من تلك النوادر الى الاحبار الرومانيين فاودعوها ذلك المتحف. وهناك خصوصاً شيء كثير من مآثر المرسلين الدينيَّة كالرسوم والخوارط والازياء. بينها ايضاً عدد وافر من آثار اديان الشعوب واصنامهم وخرافاتهم. يُضاف اليها كثير من السلاسل وادوات العذاب المرهبة التي استشهد بها المرسلون

فمن هذا النظر الاجمالي يستطيع القرَّاء ان يدركوا ما كان لمجمع انتشار الايمان من الفضل العميم بازاء عالم الدنيا والدين. لعمري قلَّما نجد مشروعاً تواصلت هكذا مساعيهِ دون انقطاع مدَّة ثلثمائة سنة. ولذلك قد امر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر باقامة هذا العيد القرنيّ شكراً لله تعالى عمَّا اسبغ من نعمهِ على المجمع المنوَّه بهِ ثمَّ ما افاضهُ على المرسلين من بركاتهِ فأمكنهم بمعونتهِ عزَّ وجلَّ ان يُقدموا على اعمالهم الخطيرة في تعزيز الديانة وتهذيب الافكار البشريَّة

وقد قصد الحبر الاعظم من ذلك ايضاً ان يبعث في نفوس كثيرين من الشبَّان الرغبة في مساعدة المرسلين والانتظام في سلكهم للتبشير في اقاصي البلاد فيكونوا من جملة اولئك الذين امر المسيح ان نطلبهم من ربّ الحصاد ليرسلهم الى حصادهِ وما من احد يجهل كم هذا الحصاد وافر بليغ وكم قليلون هم الحصَدة

نعم ان مجمع انتشار الايمان قد قام في مدَّة القرون الثلثة المنصرمة باعمالٍ شريفة لم يكن للكاثوليك ان يؤمّلوها باهتداء الملايين من البشر ودخولهم في حجر الكنيسة ولكن هذا قليل بالنسبة الى المليار من الوثنيين وغير المؤمنين الذين تتوق هذه الامُّ الحنون الى خلاصهم من براثن اعداء نفوسهم ولا همَّ لها الَّا ان تميط عن عقولهم حجاب الاضاليل التي تغويهم وترمي بهم في بيداء الجهل والغباوة

فعلى المؤمنين اذن في مدَّة هذه الأيام التي عيَّنها الكرسيّ الرسولي لجفلات

اليوبيل ان يرفعوا اكفّ الدعاء الى ابي الانوار ويكرّروا بايمان حيّ ما علّمنا اياهُ السيّد المسيح في صلاته الربيّة طالبين منهُ ان «يأتي ملكوتهُ» فيملك على قلوب البشر اجمعين

ولا بُدّ ان يضيفوا الى الصلاة اعمال الغيرة ليسموا إمّا بنفسهم وامّا بمساعدة المشروعات الرسوليّة وراء تلك الغاية الجليلة اعني اهتداء غير المؤمنين وارشاد الضالّين «لان الله اوصى كلّ انسان بحقّ قريبهِ» (ابن سيراخ ١٧ : ١٢) . فما احراهم ان ينتظموا في شركة انتشار الايمان (la Propagation de la Foi) ويطّلعوا على نشرة الرسالات الكاثوليكيّة (les Missions Catholiques) التي تروي كلّ اسبوع اخبارهم الرسوليّة

وستقام في الثغر وفي كنائس لبنان احتفالات شائقة على هذه النيّة فنحضّ القرّاء على حضورها وربح الغفران الممنوحة للمشتركين بها ولاسيما نوال البركة البابويّة التي ستعطى في ختامها يوم عيد المنصرة . وبمناسبة هذه الاحتفالات قد رغب قداسة الحبر الاعظم ان يتلو المؤمنون الصلاة الآتية التي نشرتها جريدة البشير في عددها الصادر في ١٦ أيار

«يا يسوع انك لا يزال يطرق مسامعنا كلامك الالهي الذي به قابلت قلّة العمّلة مع عظم الحصاد إذ قلتَ : «انّ الحصاد كثير واماّ العملة فقليلون»

«ها قد مضت ثلاثة اجيال مذ رتّب الكرسي الرسولي عمل تبشير غير المؤمنين على طريقة منظمة وثابتة . فغزيرةٌ هي ثمار غيرة المرسلين الذين بعثهم مجمع انتشار الايمان المقدّس الى اقطار العالم . لقد كان بذاراً للمسيحيين الدم الذي سفكهُ منذ ثلاثة اجيال ذلك البطل الباسل باكورة شهداء هذا المجمع المقدّس . ولكن كم من الشعوب لا تزال متكمة في ظلمات الجهل وكم من الامم نراها حتى الان جالسة في ظلال الموت . آه انها لمؤثرة جداً المقابلة بين عدد المؤمنين والعدد الاوفر من غير المؤمنين

«ان نتيجة هذه المقابلة ليس من شأنها فقط ان تزيدنا اعتباراً لنور الايمان العجيب الذي يقودنا في سفرنا على الارض ولكن ايضاً ان تحيي فينا ذكر تلك الآية الالهية : «سألوا ربّ الحصاد ان يُرسل عملةً الى حصاده» .

«ايها السيّد انت هو ربّ ذاك الحصاد المعبّر بهِ عن عموم سكان الارض . فنتوسّل اليك ان تُنمي عدد المرسلين وتزيدهم غيرةً وتبارك اتعابهم لكي يُثمر

بذار الكلمة الالهية الصالح ثماراً وافرة تُجمع في الاهراء السماوية

«استجب يا رب هذه الصلاة التي تلهمنا اياها رغبتنا في ان نرى ملكوتك يمتد ويتسع

«وبما انَّ هذه الطلبة «ليأت ملكوتك» تتصاعد كل يوم من قلوبنا اكثر مما تلفظها افواهنا امنحنا القوة والثبات في القصد الذي نقدمه لك وهو ان نسعى باحسن طريقة ممكنة وبقدر ما تسمح لنا قدرتنا في مساعدة عمل انتشار الايمان المقدس آمين

الرأي العام في عثرات الاقلام

بقلم جناب الشيخ امين الجميّل

سيّدي الشيخ الاستاذ (١

قرأتُ بسرور كتابك اليّ بشأن مباحثك اللغويّة تحت عنوان «عثرات الاقلام» (٢ فسألتني عن رأيي في ما كتبتهُ. فرأيتُ في سؤال مثلك لمثلي شبهاً لما يُذكر عن الروائي الشهير الشاعر موليار اذ كان يسأل أمّتهُ رأيها عن بعض مصنَّفاتهِ وعن وقع اقواله في أذنها

اعلم أيها العزيز ان «مواطنك» يغتبط بك اذ يراك عاملاً في اللغة عملَهُ في الطبّ فتنادي بالوقاية قياماً بالواجب تاركاً لغيرك ان يقوم بواجبهِ. فيقينٌ بأنَّ اصلاح كلّ غلطةٍ تشير اليها يوليك علينا منّةً جديدة

وما احقّ بصحافتنا ان تعتاد الكلام الفصيح والقول الصحيح وتنبذ كلّ وطانة

١) ابرهيم منذر من شيوخ بكفيا ٢) نشرها في جريدة الوطن

بذار الكلمة الالهية الصالح ثماراً وافرة تُجمع في الاهراء السماوية

«استجب يا رب هذه الصلاة التي تلهمنا اياها رغبتنا في ان نرى ملكوتك يمتد ويتسع

«وبما انَّ هذه الطلبة «ليأت ملكوتك» تتصاعد كل يوم من قلوبنا اكثر مما تلفظها افواهنا امنحنا القوة والثبات في القصد الذي نقدمه لك وهو ان نسعى باحسن طريقة ممكنة وبقدر ما تسمح لنا قدرتنا في مساعدة عمل انتشار الايمان المقدس آمين

الرأي العام في عثرات الاقلام

بقلم جناب الشيخ امين الجميّل

سيّدي الشيخ الاستاذ (١

قرأتُ بسرور كتابك اليّ بشأن مباحثك اللغويّة تحت عنوان «عثرات الاقلام» (٢ فسألتني عن رأيي في ما كتبتهُ. فرأيتُ في سؤال مثلك لمثلي شبهاً لما يُذكر عن الروائي الشهير الشاعر موليار اذ كان يسأل أمّتهُ رأيها عن بعض مصنَّفاتهِ وعن وقع اقواله في أذنها

اعلم أيها العزيز ان «مواطنك» يغتبط بك اذ يراك عاملاً في اللغة عملَهُ في الطبّ فتنادي بالوقاية قياماً بالواجب تاركاً لغيرك ان يقوم بواجبهِ. فيقينٌ بأنَّ اصلاح كلّ غلطةٍ تشير اليها يوليك علينا منّةً جديدة

وما احقّ بصحافتنا ان تعتاد الكلام الفصيح والقول الصحيح وتنبذ كلّ وطانة

١) ابرهيم منذر من شيوخ بكفيا ٢) نشرها في جريدة الوطن

وركاكة . فلعمري انَّ خطأ الناطقين بالضاد لقد بلغ مبلغاً كاد يكون كفراً . فقد قرأنا في بعض المطبوعات قول السيد المسيح على الصليب بهذه الصورة «وأبتاه اغفر لهم» كأنهُ يندب اباهُ وانما يريد فقط مناداة ابيهِ «يا ابتِ» . وكم سمعنا خادماً في القداس يقول في الصلاة الربيَّة : « لا يأتِ ملكوتك . لا تكن مشيئتك » فيبدل الدعاء بالنهي

على أنَّنا مع حرصنا على كرامة اللغة وفصاحتها رُبَّما رأينا تجاوزاً في الحدود ومضايقةً على حاملي الاقلام . تعدَّد الكتَّاب من الحريري الى جهابذة لغتنا العصريين اليازجي وشقير والبستاني والشرتونيَّين وعطيَّة وعبد الاحد وجَنّ والمغربيّ وغيرهم ممَّن أشهروا السلاح دفاعاً عن لغتهم . لكنَّ هذه اللغة واحسرتاهُ كادت تُخنق وتُقتل لشدَّة عطفهم وحنانهم عليها . فمن ذا الذي يقرأ انتقادهم المرَّ الشديد لأشهر الكتَّاب وانفس الكتب وألطف الالفاظ واشيعها ومعارضة بعضهم لبعض ولا يصرخ هاتفاً : « لا كانت لغةٌ لا يكاد يكفيها دماغُ سيبويه وتجرُّد اليازجيّ ومكتبة شيخو ومقدرة البستاني

إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطرُ !»

فيا فهمكم نرى من الكتبة يميلون الى التعصُّب والتشبُّث بالعتيق ولم نسمع للتساهل صوتاً ولا للتفنُّن صدًى . حكَّموا في منشئاتنا التقليدَ والهجور فتصدَّى لهم السائرُ والمأنوس ولم يقم احد من علمائنا يمدُّ للفريق يداً ينشلهُ من هذا البحر العميق بل توالت عليهِ اللجج فطمرتهُ . منها وفرة الالفاظ وتعدُّد المترادفات لغير جدوى ولا نفع ممَّا يصدق فيهِ قول ذاك الاعرابيّ عن هرّهِ : « ما اكثر اسماءهُ واقلَّ نفعهُ » . وزد عليهِ تشعُّب القواعد الصرفيَّة والنحويَّة وكثرة الشواذّ بحيث ينبغي علينا ان نصرف او بالحري ان نفقد ونقتل وقتاً ثميناً حقُّهُ ان يُصرف في احراز العلوم العالية والدروس الضروريَّة للرقي العقليّ ولوازم الصلات التجاريَّة والنهضة العصريَّة فرفقاً بنا يا علماءنا لا تكونوا كغنيّ لا يتصوَّر الفقر ولا وجود الفقراء او كمشيق مالٍ يظلُّ ابداً قلق الخاطر

انتم يا سادتي الاساتذة اعرفُ الناس بلوائح المدارس الحاليَّة الموجبة على الطالب معرفة الفرنساويَّة والانكليزيَّة والحساب والجغرافية والتاريخ والعلوم بأنواعها من طبيعيَّات وكيمياء ورياضيَّات وفلكيَّات ونباتات الخ فهل تريدون فوق ذلك ان نبلغ في معرفة العربيَّة مبلغ الامام الحريريّ او علَّامتنا البستاني ؟ أفلا تُضحي اللغة اذ ذاك

غايةً لا واسطة ؟ كما شعر بهذا الخطر الخطير الفيلسوف ابن خلدون في عصره فقال في مقدّمته «... الظاهر انّ المتعلم ولو قطع عمرهُ في هذا كلّهِ فلا يفي له بتحصيل علم العربيّة مثلًا الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة . لكنّ الله يهدي من يشاء » (ص ٥٣٢ من الطبعة المشكّلة)

مسكين ولد اليوم يُطلب منهُ املاء ذهنهِ من جميع ما تقدّم بخمس او سبع سنين مع انّ الشرات لا تكفي للقمم منها ما لم نصرف ريموند او جوزف (هذا اسم يوسف المستحدث) او فريدًا عن الحساب واصول النسبة والكسور العشريّة والدارجة والطريقة المتريّة ونواميس الكهرباء والمحرّكات البخاريّة والعلوم العمليّة حتى تحشو دماغهُ بشات من الالفاظ التي قالها العرب في الابل والاسد والخمر والسيف والداهية» ممّا لا يتحرّك لنا به لسان (الشيخ ابرهيم) » والولد بخمسانة لفظة يقدر ان يتكلّم بالالمانيّة او الانكليزيّة

وما لي اقول الولد او التلميذ ولا اقول التاجر والصانع والطبيب . وأنّى لنا الوقت المتّسع للاحاطة بهذه الاوضاع والاحتفاظ بها ونحن مدفوعون الى العمل لا بعدْو الابل لكنْ بصفير البخار واهتزاز الكهرباء والجهاد في سبيل البقاء . انّ ناموس الزمان والمكان يصرع من يحاول نقضهُ . لقد مضى ولن يعود الزمن الذي كان ممكنًا فيهِ ضبط دقائق اللغة والانتصار للكوفيين على البصريين ومشاكل الحروف والحركات ثمّ أشكال عرش «جلالة الملكة المبزة» وقد قال فيها شيخنا اليازجي نفسهُ : «قد مات علماؤنا ولم يفرغوا من تحرير رسمها» فهذا يكتب رآسة وذاك رئاسة والآخر رياسة وهلم جرًّا

أما كفتْ لغتنا مصائبها بأننا نتكلّم باللهجة العاميّة ونكتب الفصيحة ونخطّ بلا شكل ولا فواصل كأنّنا نسطّر الاحاجي والاختزال بالذات . قال احد كبارنا : «بغير لغات نقرأ لنفهم وأما بالعربيّة فيجب ان نفهم لنستطيع ان نقرأ فخذ ايّ لفظة شئت مركّبة من ثلثة احرف سالمة يمكنك ان تقرأها على نحو ثلثين صورة على مقتضى الحال . وقد قرأتُ آخرًا للهمام جرجي افندي باز كاتم اسرار المجمع العلمي الشرقيّ عنوان خطاب «ما لي جلد» فطار بالي الى صديقي اللطيف الشمرد واشفقتُ عليهِ لِما تصوّرتُهُ من ألم السلخ اذ قرأتُ لاوّل وهلة «لا جلد لي» الى ان اطمئنّ بالي

لما ادركت انهُ اراد « لا جَلَد لي » . وكم يخلطُ القرّاء بين الحِمام والحَمام وهلمَّ جرًّا

انَّ اللغات الحيَّة تعمد كلَّ يوم الى تحطيم قيودها ونحن نزيد لغتنا تكبيلًا وتشديدًا. بالامس قضت الاكادمية الفرنسويَّة تأييدًا لرأي الكتبة على شذوذ الجمع في بعض الالفاظ من نحو genou, hibou, فألحقتها بالقاعدة العموميَّة وحذفت مشاكل خط الوصل (trait d'union) بل محته من اصله وسهَّلت قواعد لسمّي الفاعل والمفعول وحكمت بكتابة الفاظ عديدة وفقًا لاصلها . ونحن لم نزل نكتب حيوة وصلوة ومائة مع لفظنا أياها « حياة وصلاة ومئة » . تراهم يُدخلون في معاجمهم الالفاظ الجديدة المستعارة وينبذون ما أهمل لاستعماله ونحن لا يُجاز لنا ان نستخدم لفظة « قاش » مع كونها اللفظة الوحيدة التي نعبّر بها عن الانسجة بانواعها . ومثلها « الصُّدفة » بمعنى الاتفاق والمصادفة . و« صَرَف » بمعنى انفق . و« المكتوب » للرسالة . فهذا التقييد سوسةٌ تقرض جسم اللغة وتعدل بنا الى لغة معدودة المباني قليلة القواعد خالية من الشواذّ كاللغة الدوليَّة المعروفة بالاسبرنتو وربَّما تكون لغة المستقبل

انَّ التمسّك بالقديم حسن لكنَّ للجديد ايضاً حقوقاً يجب مراعاتها . ولِمَ لا يكونُ كذلك أفأنزلت اللغة وحيًا على البدويّ . وكم تختلف لغات اهل البادية في عهدنا . او ليس لمثل هذه الطوارئ اضطُرّت بعض اللغات كاللاتينيَّة واليونانيَّة والارمنيَّة ان تكتسي صورة جديدة فنرى اليوم اللغتين الحديثتين اليونانيَّة والارمنيَّة . ومن اللاتينيَّة اشتقَّت اللغات الفرنسويَّة والايطاليَّة والاسبانيَّة وكلُّها بنات اللاتينيَّة

هيهات ان تنسى ما للعربيَّة من الحسنات العديدة منها لفظ كلّ حروفها المكتوبة واذا شُكلت الحروف كان اللفظ ابدًا على صورة واحدة فيجيد الطالب قراءة العربيَّة بزمن قصير على خلاف الانكليزيَّة والفرنسويَّة وفيهما ما فيهما من مشاكل القراءة . ومنها تميزنا السهل بين المؤنث والمذكّر في الاسماء وهو احدى عقبات اللغة الفرنسويَّة . وما أجمل وادلّ اوزان افعالنا المزيدة كفعَّل وأفعل وفاعل مع سهولة تصريف هذه المزيدات على مثال المجرّد واطّراد القاعدة فيها . وما أوجز وألطف وزن أفعل التفضيل فكما انَّ اللاتينيَّة تؤدي هذا المعنى بصيغة معلومة وقياس ثابت فكذلك لا تحتاج العربيَّة الى لفظتين . وترى لقدماء الكتبة في هذا الباب صحّة نظر لا تنطبق على ما يسمح به ارباب النحو . ومن ثمَّ لا نرى بأساً في استعمال بعض

الكتبة «أنسب وأرفق» وامثالها فضلاً عن انّ الغلط المألوف خير من الصواب المهجور وعلامَ لا يتوسّع اساتذتنا في الجمع السالم ما امكن. أفليس «كرمون وجريحون وبائسون وحاجات» حسنة التركيب مثل كرماء وجرحى وبؤساء (ولا وجه لبؤساء في اللغة) وحاج وحوائج. فليُطلَق على المذكّر ما اطلقوهُ على المؤنّث لأنّهم اجازوا استعمال المؤنث السالم على ما لم يوضع لهُ جمع. وقد سمعتُ بالامس ولدًا صغيرًا يأتي بالجموع كلها على هذه الصورة فقلت: يا ليت فعل مثل ذلك سيبويهِ ونفطويهِ!

وما قولنا بجمع الاناث في الافعال وما لا يجري على لسان من صيغتهِ حتّى يأنف من استعمالهِ لخشونتهِ لشدّ الناس تعصّبًا للغة ومثلهُ المثنّى في بعض الاحوال. أفلا يأتي زمنٌ يحلّنا من قيودها الثقيلة كما يجري عليهِ العامّة

وكان الاحرى باللغويين ان يتّفقوا على ازالة ما في بعض التراكيب العربيّة من الالتباس كما عدّد ذلك اليًا مطران نصيبين في احد مجالسهِ التي نشرها الشرق مؤخّرًا. وكم في كلام العرب من الالتباس في استعمال الضمائر ايمكنك مثلًا ان تميّز في هذه العبارة «دخل ابو نواس على هارون الرشيد فقال لهُ: أيهما القائل أهارون او ابو نوّاس. ومثل هذا كثير في كتب العرب

وعلى رأيي انهُ من الواجب التقليل من الشواذّ ما امكن فنقول مثلًا: «الواجبات الإبنيّة والصنائع اليديّة» بدلًا من البنويّة واليدويّة

وما يضرّ لغتنا استعمال الناظر جرت اليوم على السنة العموم مع حسن مدلولها كالشتّات والحرّية والشمسيّة فبدلها بالفاظ غريبة قضى بازجيّنا بتسميتها «النسج المصلّدة والشاري والطلة»!

وكم كنّا نودّ لو اتّفق اللغويّون العصريّون على وضع اصطلاحات قريبة المنال لتأدية معانٍ جديدة او اختراعات حديثة بدلًا من أن يتّسموا بتعداد المرادفات فتقتصر على استعمال «الشهر الماضي» دون المنصرم والدابر والمنسلخ والغابر. ولا خوف على اللغة لو آنسها بعض الدخيل «كالليرة والفرنك والكالرش والتلفون والتّبغ» ولنا أسوة في القدماء الذين قالوا «الدينار والدرهم والقميص والافيون والتفتيح والفلسفة والكنيسة والموسيقى وجهنّم» ولا يأنف الفرنج ان يأخذوا من لغتنا الفاظًا عديدة كمخزن (magasin) وتعريفة (tarif) وجبر (algèbre) وصقر (sacre) وغزو

(razia) ومولّد (mulâtre) وسَمْت (zenith) . فايُّ عجب لو استعرنا من لغاتهم الفاظاً لا نجد لها شبيهاً في لغتنا

على انّ العجب العجاب في ذلك ان نعمد الى الفاظ نقلوها من لغتنا الى لغتهم مع تغيير صورتها فننسى اصلها ونأخذها منهم مصحّفة كقولنا موسّلين تعريب (mousseline) وهي من اسم « الموصلي » لنسيج معروف اصلهُ من الموصل . وما لنا وللدفتيريا والدوسنطاريا وعندنا ما هو اقدم وادلّ اي الخُناق والزُّحار

وقد عرف كتبة العرب استعمال «لا» النفي فضمّوها الى الاسماء وقالوا اللاشي واللاأدريّة أفنتجاوز طورنا لو قلنا على مثالهم « اللاسلكي واللانهاية واللامناعة » . وايُّ مانع يمنعنا من استعمال صيغ قديمة لمعانٍ حديثة كاستعمال القهوة (caféine) والكينيّة (quinine) لجوهر القهوة والكينا كما يعبّر الفرنج عن ذلك باضافة (ine)

وما احرانا بالتوسّع في نحت الالفاظ كما فعل القدماء فقالوا « الحمدلة والبسملة والحَبْقَرَة » أفنأثم لو قلنا « فَقْدَم » اي فقر الدّم والانيميا كما شاع اليوم . والانكليز والفرنسيس ربّما اختصروا عدّة الفاظ واكتفوا بحروفها فيقولون TLSF بدلاً من Télégraphie sans fil وPLM اي خط باريس وليون والبحر المتوسّط . وبعض اقوال العامّة تُشعر بهذا الاختزال فيقولون «هلّق» اي هذا الوقت و«إمّه» اي هذه الساعة

بارك الله في يوم يقولون لاولادنا انْ « مِلح وطريق وحمّام و . . . و . . . » من المذكّر لا من المخنّث . وبساعة يقرّ بها رأي ائمّة اللغة على كتابة الهمزة بشكل واحد مع كلّ حركاتها أ أُ إ فتستريح المطابع وادوات الكتابة من همها . لعمري لقد ثلّث العروش وألقى الرقّ فعلامَ الخضوع لهذا الاسترقاق

فعسى ان يقوم بيننا افراد او جماعة يحملون على هذه التقيدات والتعبيرات كاللام الجبريّة وما الزائدة في قولهم « لغير ما علّة » واللام الزائدة ويجعلون نصيبها نصيب الزائدة الدوديّة التي يقطعها الجرّاح حيثما يصادفها . ومن ابى الّا الاحتفاظ على القديم المُمات فليضمّهُ مع النوادر اللغويّة وشوارد اللسان والنزل في الشعر في خزانة مع اساطير الاوّلين او يودعها في المتاحف مع اوراق البرديّ المصريّة واجسامهم المحنّطة

عجّلوا بالدواء يا سادتي قبل تفاقم الداء . وأملي فيك يا سيّدي الشيخ ان تكون مع مجمع علميّ في مقدّمة هذه النهضة اللغويّة الجديدة . حقّق الله بك امانينا

تَوْبة الآبق

مرّبة بتصرّف بقلم الاديب جوزيف وحيد غريبه (تتمّة)

انتهى الملازم من تفقد الاسماء ثم صرّح بصوت هائل تردّد صداه بين الامواج: والآن فالانتباه !

وقفةٌ جنود ! انتظام ! الاسلحةُ على الاكتاف ! الى الامام !

وحينئذٍ كنت ترى الجنود تسير بعُجبٍ وافتخار بخطوات منتظمة نحو البحر والملازمين والقوّاد يُلقون الحماس في الصدور بما كانوا يبدونهُ من سيماء الشجاعة ويوجّهون اليهم من القاب التفخيم

كانت المراكب الحربية تطفو فوق المياه وضمنها تعجُّ الجيوش كالامواج بينما كانت الموسيقى العسكرية تصدح بالحان شجية ومحزنة معاً فتقبضُ قلوباً في صدور وتستنزل دموعاً من عيون

حينئذٍ أرسلت المراكب نحو الفضاء غيوماً كثيفة من الدخان حجبت نور الشمس. ثم تموّجت الاعلام في العلاء بينما كانت المناديل تتراوح بين ايدي المودّعين فوق اليابسة وجنود فرنسة الابطال يشقّون عباب المياه . . نحو الصين ! الى حيثما يستدعيهم مجد فرنسة لقمع شوكة الثوّار المعروفين بالرايات السود الذين كانوا يرتكبون كل انواع الشرور على حدود تونكين الفرنسوية . . .

كادت أنجمُ تغيب عن العيان بينما كانت السفن تمخر غمر البحار. وهناك من داخل المركب كانت تتصاعد نحو السماء الوف من اصوات الحماس صادرة من اعماق قلوب تهتفُ بسرور :

الى الحرب ! الى الحرب ! النصر يفترُّ لنا من ثغره البسّام !

في تلك الساعة كان الملازم روجيه يحلم بالارتقاء الى رتبة قائد عام الحملة ولويس

برس بالقتال بشجاعة والاخت ماري مادلين الراهبة الممرضة بتخليص نفوس وشفاء اجسام الجرحى الساقطين ..

كان الجميع يتوقون للنصر ولم يكن لشبح الموت مدخل بين اولئك الابطال !

٥

كانت الفرقة الاجنبية تُقاتل في مقدّمة الجيوش وكان النصر حليفها في كل مكان. وبعد مواقع عنيفة فني فيها كثير من حَمَلة ده مارسلي زاح الثوار عن مراكزهم ولجأوا الى الفرار وهكذا اصبحت الحدود الفرنسوية لوقتٍ ما في مأمن من الطوارئ. فاستُدعي الجيش باجمعه اذ لم يعُد له من لزوم هناك . وتُركت بضع فصائل من الجنود فقط تحرس الحدود وتقيم في مراكز فاسدة الهواء

ولم يمضِ الّا زمن وجيز حتى اعاد الثوّار الكرّة ولكنّهم كانوا هذه المرّة اكثر عددًا مما مضى . وكان الكولونيل ده مارسلي وجنوده في مدخل الصين في دونغ دُنغ التي اشتهرت بحملة نِكريّه سنة ١٨٨٥ في منطقة تحوط بها الثوّار. امّا جيشهِ الصغير الذي اودت الاوبئة بحياة جزء عظيم من عدده وذهبت نيران المدافع بمئات من أبطالهِ فكان باقيًا منه يومئذٍ نحو المئة من الرجال.. وقد تُرك قائدهم لديهم ليتأكدوا بان الدولة لم تهملهم وشأنهم

ظلّت تلك البقايا معسكرة نحو شهرين من الزمان في دونغ دنغ في اكواخ حقيرة يفترشون الارض المتوحلة ويلتحفون السماء. وبعد ان تكبّدوا من المرائر الوانًا تارةً يهجمون وتارةً يدافعون فشت بينهم اخيرًا الحمّى الصفراء فلم تُبقِ ولم تذَر. امّا المراكز البعيدة التي مات جنودها فتُركت وشأنها اذ لم يعد يوجد من يُرسَل اليها

وكان من تلك المراكز واحد بقي فيه عشرة رجال لا غير. ومعهم الجندي لويس برس والملازم روجير ابنه وراهبة ممرضة الاخت ماري مادلين التي كانت تنتمي الى رهبنة الرسالات الافريقية وقد تطوّعت باذن رؤسائها سنة ١٨٩٢ لخدمة الفرقة الاجنبية فأُرسلت الى بليداه في سويسرة مركز القيادة يومئذٍ مزوّدة بشهادة من رئيستها سيّئت قراءتُها للكولونيل ده مارسلي في ذلك اليوم انشغالَ بالٍ واهتمامًا زائدين . فبينما كان الكولونيل يومئذٍ في مركزهِ يتفقّد شؤون جنودهِ وصلت اليه تلك الراهبة وسلّمتهُ شهادتها فقرأ فيها ما يلي :

«مادلين برس» اسمها في الرهبنة الاخت ماري مادلين طلبت اشدّ المراكز خطرًا في الفرقة الاجنبية فأُعطيَتْه . وهي لا تخشى الاتعاب ولا تهاب الاخطار ويُمكن الاتكال عليها . قدّمت ذاتها ضحيةً للتكفير من ذنب ابٍ لها آبق من اخيها في حرب السبعين . عمرُها ٢٢ سنة . اصلها من طروى في شمبانية

شعر الكولونيل حينئذٍ باقشعرار سرى في عروقه عندما قرأ تلك الشهادة . وقد غلب على ظنّهِ لاوّل لحظة ان الراهبة ابنة صديقهِ لويس الآبق ولكنّهُ لم يستطع ان يجزم بصحة الامر لانّ لويس لم يكن اخبره قط ان له ابنةً ما . فالقى على الراهبة عدّة اسئلة لعلّه يتمكّن من معرفة الحقيقة لكنّه لم يستطع لان الاخت ماري مادلين لم تكن تعرفُ شيئاً عن ابيها واخيها . ولما الحّ عليها بالسؤال قالت لهُ : «ارجو من سيدي الكولونيل ان يغيّر الموضوع . فطالما وددت ان اسبرَ غور هذا السر الذي يكدّر حياتي لكني لم اجنِ غير الحزن والتنوط وعليهِ عدتُ نذرتُ بان لا افكر فيهِ الّا بأمرٍ او باذن رئيساتي وهكذا عاد السلام الى نفسي فلا اريد ان افقده ثانية» . فاحترمَ الكولونيل عواطفها واكتفى يومئذٍ بتطمين نفسهِ بان الصدفة تكشف هذا السرّ الغامض يوماً ما . وفي المساء عينهِ كتب الى طروى ليستطلع جليّة الامر

٦

عسكر اولئك الابطال الثلاثة عشر في ذلك اليوم عند نبع «كوا . ترا . هو» . وقد نصبوا مركزًا من الاخشاب رفعوه عن سطح الوحول ببضع خشبات من الخيزران على علو قامة الانسان . ولم يكن لا سقفٌ ولا حواجز ولا حيطان . واقاموا هناك ينتظرون موتاً ام فرَجاً . وكانوا في وسط النهار ينزلون الى الارض فيتفقّدون الجهات وعند المساء يلجأون اليه ليقضوا بضع ساعات من الراحة . ولكن اين الراحة لمن كان الآن شبحُ الموت منصباً بين عينيه !

كان المحلّ قفرًا يابساً وكان مركبٌ صغير يخرج من «لنغ سون» كلّ اسبوع فيأتي اولئك المساكين بشيءٍ من القوت ويأخذ ما لديهم من جثث الاموات

ففي آخر مرّة القى ذلك المركب مراسيه جذاء مركز «كواتراهو» كان الملازم وابوه فقط من بين الجنود يستطيعان الانتصاب على اقدامهما . فطلب الملازم من القبطان ان يسأل الكولونيل بتجنيبهم من تلك الجهة مهما كلّف الامر لانه عاد من المحال الثبات اكثر من ذلك . فقد كان جنوده بالرغم من مرضهم يتناوبون ساعات الحفر

ذهب المركب وبقي اولئك المنهوكون ينتظرون على احرّ من الجمر . فانقضى اليوم بعد اليوم وما من نجدة اتتهم لا من البرّ ولا على سطح المياه . فاخذوا يتأهبون للموت اخيراً في ذات يوم وقفَ فارسٌ عند مدخل حصنهم فجاء روجير لمقابلته فسألهُ : كم عندكم من المرضى وكم من الاصحاء القادرين على الثبات ؟ . فاجاب الملازم : مرضانا تسعة واصحاؤنا اثنان ولدينا راهبة ممرّضة . فالبَدار البدار أسرعوا فخذونا من هنا وإمّا ان نموت . فاجاب الرسول : انتظروا ثمانية ايام اخرى والفرج يفتح لكم ابوابه

— ثمانية ايام ؟ يا لله ! وهل في ثمانية ايام يبقى منّا أحد ؟

— ولكن ما العمل وجنود دونغ دنغ مثلكم . اما انت فاوصاني الكولونيل ان اقول لك هكذا : ولئن بقيتم رجلين تستطيعان الانتصاب على الاقدام فهذا كافٍ . فاثبتوا فقط وعن قريب نَصِلكم بالمدَد فنأخذكم من هنا احياء ام امواتاً . .

وكان الجنود المرضى مستندين حينئذٍ الى ايديهم ينصتون الى قول الرسول وما كاد ينهي كلامه حتى تصاعدت من افئدتهم زفرات ألم وسقطوا الواحد بعد الآخر فوق الحشيش اليابس لا يَعُون لشيء . فكانت الممرّضة المسكينة تعتني بالجميع . فاسندت رؤوسهم الى اكياسهم واتتهم بشروب قوي اعاد اليهم الروح لمدّةٍ ما

أمّا الملازم روجير فردَّ على الرسول بسلام عسكري واجاب : « حسناً فلنعرف اذاً كيف يجب ان نموت ! »

فاجاب الرسول : كلّا لا يجب ان تموتوا بل الكولونيل يقول انه يجب ان تحيوا . نعم يجب ان تحيوا لاجل شرف فرنسة . ولنه لن يدع مركز كواترلهو وشأنهُ طالما هو في قيد الحياة . ولئن قُتلتم انتم فسيدافع هو بنفسه عن هذا المركز حتى يلقى النصر ام الحِمام . امّا غايته القصوى فهي ان تبقوا احياء . . . هذا والكولونيل يبلّغ كلًّا منكم اخلص تحيّاته ويعدكم بجائزة . أوَ ما أنتَ الملازم روجير ؟

— نعم

— وهذا هو ابوك الجندي لويس ؟

— نعم

— فاين هي الاخت ماري مادلين . فانّ معي رسالة اوصاني الكولونيل ان اقرأها على مسامع كل الثلاثة منكم .

— الراهبة هي فوق تعتني بالجرحى . اتريد ان اوعز اليها بالنزول ؟

— اريـد فقط ان تصغي اليَّ

فمدّت الراهبة رأسها نحوه من اعلى الرابية الخشبية . فقال لهـا : «يا اختِ يرغب الكولونيل اليكِ ان تصلي في هذا الاسبوع اكثر من العادة لاجل ابيـكِ واخيك المجهولين . هذا ولـدى الكولونيل اخبارٌ مبهجة عن عائلتكِ يُعلمكِ بها بعد ثمانية ايام اذا حفظتهُ صلواتُك في قيد الحياة

«اما الجندي لويس فامرني الكولونيل ان اسلّمهُ هذه الامانة واقرأ لهُ هذه الاسطر الاربعة من الرسالة » . ونشر الرجـل علماً مخرقاً لم يكد يراهُ لويس حتى سقط على ركبتيهِ فضمّهُ الى صدره وقبّله باحترام . وكان ذلك علَمَ بورباكي نفسه الذي ارجعه لويس للكولونيل يوم كتب له الرسالة من ستروغ . وكانت في تلـك البرهة تنظر عيون الجميع اليه فقرأ الرسول من مكتوب الكولونيل ما يأتي :

صديقي انا مُرجع اليك رأيتي فلتلو فوق مركز كواتراهو . دافع عنها وخلّصها . ايّاك ان تدَعها في يد العدوّ طمعاً في حياةٍ اهنأ ! الثبات ثمانية ايام فقط ! . .

ثمّ امتطى الرسول جواده ودار بوجهه للرحيل لكنهُ رجع فوراً نحو الملازم فقال له : لقد نسيت ان اقرأ لك بقية الرسالة

فالكولونيل يقول لك بأنك يوم وصوله الى هنا ستعرف اسمك الحقيقي ، واسم ابيك وعائلتك ويُبشرك منذ الان بانك ابنٌ من عائلة ابطال ومن والدٍ يفتخر بان يحييهُ التحية العسكرية قبل ان يموت . ففي ثمانية ايام تعلم الباقي ، والان فالوداع ! . . .

بعد دقائق قليلة كان علَم جيش بورباكي يتموّج في الفضاء فوق مركز كواتراهو وجنديٌ طاعن في السن يحييهِ والدموع ملء عينيهِ وملازم ينظر اليه بافتخار بينما كانت راهبة راكعة بالقرب من الصاري تتلو سُبحتها وتسعة من الجنود الجرحى يدُّون نحوه سواعدهم ويهتفون

لنعش ! لنعش ! ولتحيي فرنسة

٧

مرّت ثلاثة ايام ! هل من شيءٍ جديد ؟

في المساء الاوّل حمل لويس وروجير جندياً وكان على آخر رمق لاتستطيع ركبتاه

على حمله فاجلساه على صخرة هناك واوصياه بالسَّهَر اذ عليه تتوقف حياة بقية رفاقه واوعزا اليه بان يُطلق عيارًا ناريًا فقط اذا ما رأى طلائع من الثوّار ليُسلحوا مرضاهم ويحاربوا قدر المستطاع

ثبت الجندي في مركزه حتى نصف الليل . ولم يكد لويس وروجير يسمعان طلقتهُ النارية حتى اسرعا لمساعدته فوجدا الثائرين يحوطون به وقد أُصيب برصاصتين . فقاتل الاثنان قتال السباع حتى أجليا العدوّ عن النقطة ورجعا ليغمضا عيني الباسل الاول

دفناهُ عند الصبح لدى رابيتهم وفي المساء الثاني تطوّع واحد آخر من الجرحى ليقضي ساعات الخفر . فلم يمضِ الجميع الاول من الليل حتى سُمعت طلقته النارية فردًا على اشارته باصوات بنادقها واسرعا الى مساعدته . ولكنَّ الباسل الثاني كان يتضرّج بدمائهِ لا روح فيه وكان الثوّار يتقدّمون نحو المركز . فاخذ كل من الجنود سلاحه وتأهبوا لاطلاق النار . وكانت الممرّضة تعدو من الواحد الى الآخر فتسندُ هذا وتضمّد جرح ذاك وتسقي الآخر منعشاً وكان مثلها الصالح يلقي الحماس في قلوب الجميع ويحبّب اليهم الاستقتال . فأصلوا العدو نيراناً حامية مع ضعف ايديهم فردّوهم ايضاً على اعقابهم خاسرين . ومن ينكر ان الفضل عائد الى ذلك البطل الذي انذرهم قبل حلول الخطر فمات شهيد الواجب !

في صباح اليوم الثالث كان روجير في حيرة ولوتباك ظليين . سبعة جنود يحتاجون الى من يحرّك لهم ايديهم وهو ولبوه وحدهما يستطيعان الانتصاب على اقدامهما فمن يخفر المركز في تلك الليلة ولديهم ستة ليالٍ اخرى . فانتصب لويس وقال لابنهِ بانه سوف يقوم بالحراسة فاجابه هذا : كلّا ذلك محال فمن يدافع عن العلم وعن هولاء الجرحى ومن يؤهبهم لاطلاق النار . وفضلًا عن ذلك فيجب ان تبقى انت عائشاً مدة ستة ايام فلا تقتل قبل ان تعرف ما هو سرُّ الكولونيل

فقاطعه لويس قائلًا : ولدي روجير اترك الحبَّ البنوي جانباً وانظر الى ما يقتضيهِ واجبك العسكري فيجب ان اقوم انا بالحراسة هذه الليلة وانت تقود حركات الجنود في القتال . وبينما هما كذلك هتف احد الجنود نحو الملازم فأسرع اليه ظانًّا انه في حاجة الى مساعدة فتوسّل اليه الجندي بحقّ شرفه العسكري ولمجد فرنسة ان يدعه

يُقضي هو نفسه خفيراً في تلك الليلة. فضحك روجير وقال له : ولكنَّك يا عزيزي لا تستطيع الانتصاب على قدميك. فاجاب: «ولكن لا بأس فليس غيري بين الجنود مَن يمكنه ان يطلق عيارًا نارياً.. فاربطوني انتم الى شجرةٍ ودعوني اقوم بوظيفتي ولئن متُّ فاكون ضحية الواجب!..»

لم يُرد روجير ان يسمح بذلك في اوّل الامر لكنَّهُ لما شاهد من لجاجة الجندي قال له : ليكن لك ما تشاء.

وما كادت الشمس تميل نحو الغروب حتى كنت ترى الملازم وأباهُ يحملان جنديًا ضعيف الجسم شاحب اللون غائر العينين مجوَّف الخدَّين فيصافح كلًّا من ارفاقه الجنود وقد جاءا به الى امام شجرة فشدَّا وثاقه وسلَّماه سلاحهُ بينما كانت الممرضة تضع في عنقه سبحةً وتوصيه بالالتجاء الى قلب يسوع الاقدس ووالدته المجيدة. ثم ركعت امام قدميه تبكي وتُصلّي. وبحقٍّ فعلت. أو لم تكن وَقفته حينئذٍ وقفة شهيد يتوقَّع نوال الاكليل ؟

أُغمي على الرجل مرتين ومرَّتين سُقي مقوّياً حتى استطاع سبيلًا الى فتح عينيه. ولما ان استأنس من نفسه قوة على الثبات قال لهم : اتركوني الان وحدي وانصرفوا الى مراكزكم فعززوا موقفكم وتأهبوا للدفاع . . .

لم يُغمَض لروجير جفنٌ في تلك الليلة وكانت عيناهُ تحدقان بالافق من الجهات الاربع. وكانت كل افكاره عند ذلك الباسل الثالث وهو يقول في نفسه ! واعجبي أهَل من تضحية ذات في سبيل المصلحة العمومية اكبر من تضحية ذلك الجندي المشدود الوثاق الى الشجرة ؟

وقد حامَتْ مخيّلته في التصورات فتخيّل الرجلَ ساقطاً على الارض مضرّجاً بدمه والثوار يفرغون فوق رأسه جامات غضبهم . فانتبه حينئذٍ مذعوراً وقد حسب نفسهُ سامعاً صوتاً غير صوت الطلق الناري ثمَّ استوقف فكر روجير جلبة غير اعتيادية من بعيد ولمح هامات سودًا في وسط الظلام تتحرك وتتقدم نحوهم وبينما هو لكذلك اذا بوجهٍ اصفر ينسلُّ كالافعى عند مطلع السُّلَّم وقد ارسل القمر حينئذٍ اشعته الفضيَّة فانارت تلك الجهات فتأكد الملازم انهم اصبحوا في قبضة الثوار الذين احاطوا بهم احاطة السوار بالمعصم. فصرخ بصوتٍ متقطع : الى السلاح ايها الجنود اهجوم!..

واطلق من غدّارته — وكانت بيده — عياراً نارياً ألقى بالصيني نحو المياه. وما هي الا برهات معدودة حتى كانت النيران من البنادق الفرنسوية تنصب كالمطر فوق الاعداء. فظنّ هولاء ان عدداً كبيراً من الجند مُعسكر فوق تلك الرابية وان لا قِبَل لهم على أخذها على غرّة بل الموت امامهم فيما لو لبثوا طويلاً فلجأوا الى الفرار..

٨

اشرقت شمس اليوم الرابع فكان لويس وحدهُ الرجل السالم من جنود تلك الفرقة الكبيرة. كان روجير مخلوع الكتف وجندي ميتاً وثلاثة ساقطين بين الوحول واثنان يهذيان من شدة الحمى

نحو الظهر اقبل المركب كعادته فاقلّ المرضى والموتى ثمّ اوعز القبطان الى الرجلين العائشين ان يمكثا ايضاً واشار على الراهبة بأن ترحل اذا احبّت فرفضت قائلةً: مركزي هو هنا طالما يوجد جندي واحد جريح

كانت القلوب حينئذٍ تقطر دماً من الحزن والالم. امّا علَم الكولونيل ده مارسلّي فكان وحده لا يزال ينطوي وينتشر في الفضاء فرحاً مسروراً. كصورة حيّة لوطنه المجيد

اربعة ايام اخرى مضت والثوار لم يبدُ لهم أثر فقد كانوا خسروا عدداً كبيراً من رجالهم حوالي المركز الافرنسي ولكنهم كانوا يجهلون حقيقة حاله

وكان الاب من الصبح الى المساء ومن اول الليل الى بزوغ الفجر يخفر المركز واقفاً. وكان يستند الى سلاحه لينام. وكان الملازم يرتجف من تأثير الحمى فوق الرابية والممرّضة تعتني به كأمّ شفوق. وكانت نظراتها تخترق اعماق فؤاده وهو لم يعرف لذلك سبباً. وكان يشعر نحوها بحبّ شديد حبّ شكر واحترام. وكانت هي ايضاً كلّما اختلت بنفسها تسأل ذاتها عن سبب تعلّقها الزائد بذلك الملازم وهي لم تفتكر قط بحبّ رجل بعد ان كرّست نفسها لخدمة الله. وكثيراً ما كانت تصادف بإزائها الجنديّ لويس فما تقع ابصارهما بعض على بعض حتى تغرورق عينا الجندي بالدموع. ولما سألته يوماً عن سبب ذلك قال لها: «لقد كان لي امرأة صالحة على جانب كبير من الجمال والتقوى وقد سببتُ لها موتها باثم فظيع ارتكبتهُ نحو وطني وقد اغلقتُ اذنيّ عن سماع صوتها العذب الذي كان يدعوني الى الارعواء. والآن فكلّما

نظرت اليك تنتصب امام عيني صورتها نفسها. فعيناك تشبهان عينيها وصوتك هو صوتها ذاته . . . »

٩

كان اليوم السابع والملازم روجير يشعر بشيء من الراحة. فأخذ يفكر بما يصنع فيما لو هجم الثوار مرة اخرى قبل فجر الغد. فسأل الممرضة ان تأتيه بسيفه ومسدسه. فجربهما بين ايديه فقال: « حسن فبمسدسي اقتل البعيدين وبسيفي اردّ غارات الهاجمين. فساعدي قوي ولو كان كتفي مخلوعاً . . . »

فلألأ القمر عند الافق وكانت النجوم تسطع في كبد السماء. وكان لويس الجندي في اسفل السلم يحدق بابصاره نحو الفضاء والملازم روجير مستند الى كوعه الايمن وبجانبه الراهبة راكعة تسقيه دواء. وعندئذ بدت طلائع الثوار. فاطلق لويس عياراً نارياً وتسلق السلم فصار الملازم الى جنبه. فلم يمهلا العدو ريثما يتقدم بل رشقاه بنيرانهما مدة ساعتين من الزمان. فتظاهر الصقر بالهرب. لكنهم اعادوا الكرة نحو نصف الليل وكانوا هذه المرة يزحفون على صدورهم كالافاعي. ولما ان صاروا تحت الرابية جمعوا خشباً يابساً وتبناً واضرموا النار واحاطوا بالمركز من جهاته الاربعة. فما كان الا القليل حتى اندلع لسان اللهيب. فالتهمت النيران دعائم المحمل فهوى في النهر. فاحاط الثوار بالرجلين شبه الكواسر ومنهم من دخل الى المراكز ليقضي على من فيه ولكن شد ما كان دهشهم عندما رأوه فارغاً. وكان لويس وروجير في تلك الساعة يقاتلان قتال الليوث. وقد تكدست جثث القتلى حواليهما حتى اصبحا كأنهما في واد. وقد انقطع خط المواصلة بين الراهبة والجنديين. فركعت على الارض تتلو سبحتها وتصلي الى الله بصوت عالٍ لنصر اصحابها! ومجد وطنها! وهداية اعدائها! ثم للتكفير عن ذنب ابيها الآبق ولراحة نفس لوسي امها! . .

بلغ صوتها حينذاك اذني الجنديين فكاد الدم يقف في عروق لويس عند سماع كلمتي آبق ولوسي وقد اخذ سر الراهبة ينكشف له شيئاً فشيئاً. وفي تلك الساعة الهائلة افتكر بطلم الكولونيل فاضطرم قلبه شجاعة اعظم فهجم في وجه الاعداء. ففتح في صدرهم ثغراً كبيراً وشق الطريق نحو المركز واسرع نحو العلم. وكانت النيران قد اخذت تلتهم صاريه وهو يهتز وهو يخفق في الفضاء كأنه يريد ان يهرب من

الحريق . فقطع لويس الحبل الذي كان يرفعهُ وشدَّهُ نحوه فلفَّهُ على ساعده وكرَّ نحو حومة الوغى

كان روجير في اثناء ذلك قد حوَّل العدو عن مكانه واسرع لمساعدة الراهبة واتى ابوه الى جانبه . فاحتاط بهم الثوَّار من جديد واشتبك القتال للمرَّة الثانية . . .

وما لبثت ان نفذت ذخيرة الرجلين ! ! ! . . .

خرَّ روجير على الحضيض صريعاً يتخبَّط بدمائهِ . فاسرعت الراهبة لتضميده . فاستطاع ان يفتح عينيه ولكنَّ جرحه كان خطراً وكان الدم يسيل بغزارة . فانحنى ابوه نحوه ليقبله قُبلة الوداع وكان رصاص العدو ينهمل كالمطر . فقال له روجير بصوتٍ خافت : «رُحماكَ ابي قُل لي قبل ان اموت اسم عائلتي . ما هو الاسم الذي وعد ان يُعلمني به الكولونيل ، الاسم الذي سيُحفَر على صليب قبري . . هذه دقائقي الاخيرة . . »

وللحال سقط لويس فوق جسم ابنه وقد اخترقت رصاصة صدرهُ . . . فقال له والدم يسيل من جرحه : «اسمك ! اسمك روجير بَرْس . والدتك لوسي توفيت غمًّا لاني أبقتُ فارًّا من وطني وهذه الراهبة هي اختك» . فصرخ الولد : «رباهُ . . . يا لتعسي . . انا ابنُ لرجل آبق . . . وسقط كلاهما بلا حراك»

فانفجرت الدموع من عيني الراهبة . وكانت تنظر من الاب الى الابن بحيرة وهي لا تدري ماذا تقول : برس ! لويس ! روجير ! لوسي ! لقد حزرت ! لقد فهمت ارباه هما هما بنفسهما . . ابي واخي ! . . أخذ الفجر يلوح وقد سُمع من بعد صوت النشيد الافرنسي فلجأ من بقي من الثوَّار الى الفرار . . .

نزل قائدٌ عن جواده يسنده اربعة من الرجال . فوجدوا رجلاً مخضَّباً بدمائه محصوباً رأسه مربوطاً كتفهُ . وكان هناك على الحضيض امرأة مضرَّجة بالدم ايضاً راكعة بين رجلين لا حراك فيهما وكان الدخان لا يزال ينبعث من بقايا حصن او مركز كواتراهو

كان مجيء الكولونيل ده مارسلي قياماً بوعده ولكي ينشر على رؤوس الملأ شهامة ومروءة وبسالة آل برس ويخلصهم من الخطر عند اشتداده ويكشف لهم السر الغامض الذي كان يدمي افئدتهم . وقد سبَّر غوره بما بذله من العناء والتدقيق مدة ثلاث سنين . ولكنَّ وصولهُ هناك ليكشفهُ كان متأخراً

فاصطفَّ جنود الكولونيل حوالي المتازعَين اللذين كانا الى جانبي ابنة المصبَّة . ثم

اقترب الكولونيل فكشف عن رأسه امامها. وكان من لويس حينئذٍ ان صحا قليلاً. فما شاهد امامهُ قائدهُ حتّى اهتزّ طرباً ثم مدّ نحوه بابتسام وافتخار علماً كان ملفوفاً على يده. فقلّع الكولونيل من على صدرهِ وسامهُ العسكري وركع فعلّقهُ على صدر لويس ثم نهض وصرخ بجنوده: «ايها الجنود اعرضوا السلاح امام فقيد الوطن» ثم عدّد مناقب لويس وختم قائلاً: «الجندي لويس برس منذ اليوم كابورال الفرقة الاجنبية لانه كان في حرب السبعين قد خلّص من بين ايدي البروسيان قائداً وعلماً من جيش بورباكي...» فتح الملازم روجير عينيه عند سماع كلمات حرب السبعين وبورباكي. وقد تلألأ وجههُ سروراً فأجهد بنفسه حتى وصل نحو ابيه فعانقه وهو يقول: «حرب السبعين.. بورباكي.. فأبي اذاً لم يكن آبقاً!..» وسقط رأسهُ بثقله فلصقت شفتاه بالوسام العسكري الذي تعلق على صدر ابيه. ثم صرخ: «أماه لرمي!..» وأسلم كلاهما الروح... لم يستطع الكولونيل ولا جنوده ان يصدوا دموعهم عن جريها لدى ذلك المشهد المؤثر. على انّ القائد استظهر على عواطفهِ وكمّل مهمّتهُ قائلاً: «لويس برس سقط في ساحة الشرف. فنكّسوا له سلاحكم ولفّوهُ بهذا العلَم المجيد الذي قذف بنفسه الى الموت مرّتين في سبيله، ومرّتين خلّصهُ من بين ايدي الاعداء». ثم اشار الى البطل الثاني قائلاً: «والقائد روجير بطل مجهول الكنية حتى اليوم. ولكنّكم ستدفنونه في حفرةٍ واحدةٍ مع ابيه وتنقشون على صليب تضمونه فوق الضريح: لويس وروجير برس بطلان افرنسيان»

اجتثّت النجدةُ في ذلك اليوم نفسه دابرَ الثوّار فطهّرت البقعة من آثارهم وأمنت الحدود الفرنسوية...

خيّم الفسقُ في تلك الارجاء وكنتَ ترى راهبةً راكعةً امام صليبٍ بالقرب من ضريحٍ جديد تتلو سبحتها وتستمطر الرحمة من السماء للراقدَين. بينما كان النسيم يُحرّك رؤوس الاشجار والطيور تُغرّد فوق الافنان. وهناك على بُعد بضع خطوات كان العلَم المثلّث الالوان يتموّج من جديد في الفضاء كواعظٍ ينبئ بلسان حالهِ اهل الارض بأن مَن بذل نفسهُ في سبيل الله والوطن حيّ في لحدهِ لا يموت!

المدافع البعيدة المرمى

حضرة صاحب اجتماعي للاب رفائيل نخله

قد أحدثت الحرب الكونية الضروس من العجائب والغرائب ما يشيب لهوله الاطفال. فكأنها استدعت كل العلوم والفنون العصرية المُقتنية باختبار عشرات من الاجيال فسخّرتها لابتداع اقوى الذرائع لإزهاق الارواح وتدمير البلاد العامرة. والحقُّ يقال انَّ تلك الغاية الجهنَّمية قد تحققت على وجهٍ لم يُعهد لروعهِ من مثيل على مرّ العصور الخوالي

ومن اعجب واقدر وسائط التخريب المبتكرة اوانئذ المدافع الالمانية البعيدة المَرمى فرأينا ان نجمع كل ما توفَّر لدينا من المعلومات الموثوق بها لنسج بردة هذه المقالة التي قسمناها لزيادة الايضاح ابواباً ثلاثة وهي : اولاً ضرب باريس بالمدافع البعيدة المرمى سنة ١٩١٨ — ثانياً المبادئ العلمية التي تستند اليها تلك المدافع — ثالثاً تطبيق هذه المبادئ في الدفع الجاري « برتا ». والله المسؤول ان يساعدنا على ايضاح محتويات هذا الموضوع الكثير المشاكل على نمط يروق للقرّاء ويلذّ لهم

١ ضرب باريس بالمدافع البعيدة المرمى سنة ١٩١٨

نهضت باريس في صباح ٢٣ آذار ١٩١٨ بشرّ حالة من الهلع واليأس ومئات الآلاف من سكانها في هرج ومرج كأنهم بُوغتوا بالدمار العاجل الذي لا مناص من اهواله. على انهم كانوا قد اعتادوا طويلاً قبل ذلك اليوم على تحليق الطيارات الالمانية في جوّ عاصمتهم وهي تلقي من علُ القنابل القتّالة ولا يخشون ما يتهدّد كيانهم من الاخطار. فليت شعري ما كان داعي ارتعاد فرائص الباريسيين في ذلك اليوم المشؤوم الذي صحّ فيه قول شاعرنا خليل بك مطران في وصف معركة يانة الشهيرة التي انتصر فيها نابليون على جيش بروسية الجرّار انتصاراً مبيناً سنة ١٨٠٦ :

فه يوم قد تقادم عهده فيها وظلّ يروع كل فؤاد !

وكان السبب الذي جعل اهل باريس يقومون ويقعدون يُرغون ويزبدون ضربَ الالمان عاصمتهم المرة الاولى بقنابل اطلقها مدفعهم من مسافة نحو مائة وعشرين كيلومترًا وكانت جبهة جيش العدو في ذلك العهد على بعد مائة كيلومتر ونيف من باريس . ولم يَحُم ادنى شكّ على البعد العظيم لموقع المدفع الالماني الشهير باسم برتا (Bertha) اذ تحقق الاختصاصيون العلماء بفحص امكنة سقوط القنابل في العاصمة وخطّ كلّ منها في الجوّ الباريسي . فبعد ان رسموا تلك الخطوط على الخارطة تأكدوا انّ مصدرها — وهي غير متحاذية طبعاً — في ضواحي سان غوبان (St Gobain) على مسافة ١٢٢ كيلومترًا من العاصمة بخط مستقيم (١ . ثم أثبت رأيهم بعد أيام قليلة اكتشافُ بعض الطيارين الفرنسويين لموقع المدفع الجبّاري برتا رغماً من محاولة الالمان اخفاءه عنهم باصعاد غيم اصطناعي فوقهُ وفي ذلك من الدهاء والغرابة ما فيه !

قال العالم نُردمَن في مقالة نشرها بمجلّة العالَمين على اثر ضرب باريس بتلك القنابل المريعة : ان اهل العاصمة لم يتأثروا لحادث مفاجئ ذي علاقة بالعلوم مثل تأثرهم في ٢٣ آذار ١٩١٨ ، اللهمّ الّا ما اصابهم من الروع قبل ذلك بثماني سنين ، نعني لما شاهدوا مذنّب هالهْ (Halley) ينهب الفضاء في سمائهم

١) القنبلة الاولى التي صوّبها المدفع برتا على باريس سقطت في العاصمة الفرنسوية على شاطئ نهر السين في ٢٣ آذار الساعة السابعة وربع صباحاً . وفي هذا النهار تساقبت القذائف كل ربع ساعة تقريباً وقد انحدرت في ١٨ بقعة مختلفة . واستمرّ الضرب في الايام التالية وما لبث ان قلّ تواتره . وفي يوم جمعة الآلام الواقع في ٢٩ آذار لم يرموا غير قنبلة واحدة الّا انها اصابت كنيسة القديس جرفاسيوس فسبّبت انهيار جانب من عَقْدها فقُتل تحت الحجارة والردم ٧٩ شخصاً وجرح ٩٠ . وبعد ٣٠ آذار قلّت القنابل بل زالت في بعض الايام ثم احتجبت شهرًا كاملًا من ٢٧ نيسان الى ٢٧ ايار . ومن هذا اليوم الاخير حتى ١٠ حزيران انحدرت على باريس آونة بعد اخرى قليلة العدد . وغابت ثانيةً من ١٠ حزيران الى ١٥ تموز وكان ٩ آب اليوم الاخير لضرب باريس بقنابل المدفع الجبّاري . امّا عدد ايام الضرب فاربعة واربعون بين ٢٣ آذار و ٩ آب ١٩١٨ . وقد سقط في تلك المدة ٣٠٣ قذائف منها ١٨٣ على باريس و ١٢٠ على ضواحيها . وقد ذهبت بحياة ٢٥٦ شخصاً وجرحت ٦٢٠ . امّا مجموع القذائف التي رماها راكبو الطيّارات والمناطيد الالمانية من طُرز زبلين فبلغ طول الحرب ٧٤٩ قذيفة قتلت ٢٦٦ شخصاً وجرحت ٦٠٣

كان الالمان سنتين قبل ضرب باريس قد ضربوا دُنْكرك من بعد ٣٨ كيلومترًا فأنكر سوادُ الفرنسويين صحّة الخبر وكذّبوا الامر كلَّ التكذيب حتى أُلجئوا الى الاعتراف بحقيقتهِ على رغم انوفهم . فحدّث ولا حرج عن دهشهم وانقطاع قلوبهم خوفاً يومَ اكّد لهم انّهُ علماؤهم ان المدفع الجباري المصوّب قنابلهُ الى باريس واقعٌ على مسافة ١٢٠ كيلومترًا فأتى تحقيق الطيّارين مُثبتاً لحكمهم . وقد بلغ سيل هلعهم الزُبى حين سقطت احدى قنابل برتا على كنيسة كبرى يوم جمعة الآلام والشعب مجتمع لحضور الرتب الدينية

على إن اجماع العلماء في تحديد بُعد المدفع الالماني لم يمنع التضارُب الشديد في آرائهم حتى ضمن الدوائر العلميّة بخصوص تركيب ذلك المدفع وشكل قنبلتهِ والمبادئ النظرية والعملية التي يستند عليها كلاهما . ولولا ضيق المقام لسردنا كل النظريّات الغريبة التي اولدتها عقول جهابذة باريس على اثر حوادث ٢٣ آذار الهائلة المؤلمة . فحسبُنا ايراد بعضها بصفة امثلة يُقاس عليها بل يُرجَم ما كتمناهُ منها حرصاً على الايجاز المفيد

فمن قائل ان قنابل ذلك النهار المشؤوم لم يُطلقها مدفعٌ واقع في جيش الالمان بل القتها طيّارة مُحلّقة فوق باريس وقد حجبها عن الانظار (أو كادَ) ارتفاعُها العظيم ولونها المحاكي زرقة السماء . ومن قائل ان تلك القنابل هي في الواقع مصوّبة الى العاصمة من مدفع شديد البعد انما سرُّ قطعها المسافة المنيفة على مائة كيلومتر ان كلًّا منها بمثابة مدفع صغير يطلقه المدفع الكبير فمتى بلغ الاول النقطة المتوسطة بين طرفي الشقّة الطويلة التهبَ سهمٌ ناريٌ مناط به فترتّب على ذلك اطلاق قنبلة أُخرى تطوي ما بقي من المسافة حتى باريس . ومن قائل ان في مؤخّر كل قنبلة مستودع بارود لا منفذ له الّا في طرفها الخلفي وهو يلتهب شيئاً فشيئاً طول مدة السير فينتج من سرعتهِ وقوّة بروزه عكسُ فعلٍ يعني ضغطاً شديدًا متجهاً من الوراء الى الامام . وهو الذي على رأي اصحاب هذه النظرية يزيد بسرعة القنبلة فيمكنها من الوصول الى مرمى هيهات ان تدركه على الطريقة المعتادة . ومن قائل ان كل قنبلة مَصُوغة على شكل طوربيل هوائي يماثل رصيفهُ البحريّ الصادر من الغوّاصات بحركة ذاتية تدوم ما دام سيرُهُ وتنمي سرعته اثناء يُمتدُّ به

تلك ايها القارئ اللبيب حفنةٌ من كثيب النظريّات الغريبة التي تمخّضت بها عقول علماء باريس المعدودين في ذلك العهد فتداولتها الالسن ونسجت عليها الجرائد والمجلّات مقالات ضافية الذيول ثبت بعدئذٍ انها لغطٌ وهذيان من ألفها الى يائها

على ان الانصاف يقضي علينا في هذا المقام باستثناء نفر بين جهابذة العاصمة الفرنسوية الذين لم ينخدعوا بمثل النظريّات الواهنة الفاسدة السابق ذكرها . وفي مقدّمة هؤلاء العلماء ذوي النظر البعيد الثاقب الذين لم ينقادوا كالغنم الى الاضاليل الشائعة اوانئذ بين العامّة والخاصّة المسيو جورج كلود (G. Claude) الشهير باختراع طريقة سهلة لاصطناع الهواء المائع ، والفلكي الالمعي شرل نُزدمن الذي نوّهنا به غير مرة في مقالاتنا السابقة ولاسيما المتعلقة بعلم الهيئة . ان هذا العلّامة قد فند بالادلة النيّرة الدامغة لشهر النظريّات الكاذبة في عدد مجلة العالمين الصادر بتاريخ ١٥ نيسان ١٩١٨ نعني بعد فترة يسيرة من سقوط القنابل الجهنمية التي طارت لها شعاعاً افئدة مئات الآلاف من الباريسيين ثم ختم احتجاجهُ على الاوهام المصطنعة بصبغة العلم قائلاً ما ترجمته الحرفيّة :

« لم يبق اذاً في آخر الامر سوى كون القنابل الساقطة على باريس وضواحيها هي صادرة حقيقةً من مدفع واقع في جيش العدو ذي عيار ساوٍ لعيارها »

ثم أبطل دهشة المدهوشين المتغربين لفعل قنابل آتية من بُعد نحو ١٢٠ كيلومترًا كيف لا تخطئ مرماها فقال لا فُضَّ فوهُ :

« ينبغي علينا ألا نسهو عن كون سدل قُطر الدائرة الباريسية عشرة كيلومترات . أجل ان ادراك مرمى عرضهُ عشرة امتار من مسافة مائة وعشرين مترًا لأيسر من ادراك مرمى عرضهُ عشرة كيلومترات من مسافة مائة وعشرين كيلومترًا . بيد ان صعوبة الامر الاخير لا تزيد على الاخرى زيادة جسيمة »

فهلُمَّ بنا بعد هذه المهّدات التاريخيّة التي فيها عِبرٌ للمعتبر وتفكهة للمطالع نحاول الولوج الى كُنه موضوعنا بكشف طرَف الحجاب عن المبادئ العلمية للمدافع البعيدة المرمى باذلين القصارى في عرضها على القرب متوالين دون لفقاص شيئاً يستوجبه البحث العلمي المحض .

٢ المبادئ العلمية للمدافع البعيدة المرمى

كل هذه المبادئ متعلقة باحد الامور الاربعة التالية وهي : نوع البارود وشكل

المدفع وكيفية القنبلة ثم درجة مَيلان انبوب المدفع على السطح الأُفقي عند اطلاقه

﴿ ١ نوع البارود ﴾ من البديهي انَّ نوع البارود من جوهريات المدافع البعيدة المرمى حيث ان القوة المحركة للقنبلة ناجمةٌ عن ضغط الابخرة المتكونة على اثر التهاب البارود. فبنسبة زيادة هذا الضغط تزيد سرعة القنبلة عند خروجها من فوهة المدفع فتمكنها من ادراك مرمًى أقصى. على اننا نؤثر عدم التوغل في شأن بارود الجبَّار برتا وذلك نظرًا لوعورة هذا المبحث الكيماوي وتفادياً من سأم القرَّاء بتفاصيل عويصة يستطيلونها كشهر الصيام فنكتفي بالاشارة الى ان البارود النيتروسلُولوزي (nitrocellulosique) او النيتروغليسريني (nitroglycérinée) الذي جرى استعماله اثناء الحرب الكونيَّة كانت الجرثة بانفجاره يمكنها ان تحدث ضغطاً يتراوح مقداره بين ٣٠،٠٠٠ و ٣٠،٠٠٠ كيلوغرام على كل سنتيمتر مربَّع من القذيفة. وفي ذلك ما يكفي لاطلاق قنبلة وزنها مائتا كيلوغرام بسرعة متراوحة بين ١،٢٥٠ و ١،٣٠٠ متر في الثانية. فيتَّضح ان مثل هذا الضغط الهائل يقتضي في المدافع البعيدة المرمى ضخامةً شديدة لجوانب انبوبها لئلا تنفجر وتتحطَّم كالزجاج اثناء الاطلاق. ويستنتج من ذلك ضرورة ثقل رائع في المدافع المذكورة لقيامها بوظيفتها دون التعرُّض لخطر دائم

﴿ ٢ شكل المدفع ﴾ سبق لنا القول — والامر لا شبهة فيه — ان القوة المحركة للقنبلة هي ضغط ابخرة البارود المخزون في مؤخر القذيفة. ويلزم حساب مدة التهاب البارود بحيث تساوي دون نقص ولا زيادة مدَّة انتقال القنبلة من مؤخر انبوب المدفع الى فوهته. وتعليل ذلك الاحتياط واضح للمتروِّي. فعلى فرض التهاب البارود بعد خروج القذيفة من فوهة المدفع لا يبقى فائدة ترجى من ذلك الالتهاب. وعلى فرض انقطاعه قبل خروجها لا جدوى في إطالة انبوب المدفع والغاية الوحيدة المقصودة منها هي اطالة مدة ضغط الابخرة البارودية على القنبلة لتزيد سرعة هذه القنبلة عند انطلاقها من الفوهة. فيترتب على الملحوظات السابقة انَّ بُعد المرمى يزيد بنسبة طول انبوب المدفع. بيد ان في الامر حدًّا لا مُتجاوَز وراءهُ لئلَّا يزيد ثقل المدفع زيادة تحول دون سهولة نقله الى ساحات الوغى وسهولة تركيزه على اساس راسخ الى غير ذلك من المحاذير الذاهبة بكل فائدته

وقد زاد طول الانابيب من اواسط الجيل المتصرم الى ايامنا زيادة لم تدُرْ على خلد فانه كثيراً ما يبلغ في المدافع البحرية — وكانت اعظم المدافع حتى الحرب الكونية — ستين ضعف عيار القنبلة . مثال ذلك ان طول أضخمها بفرنسة يناهز ثلاثة وعشرين متراً وعيارها ٣٨٠ ميلمتراً

﴿٣ كيفية القنابل﴾ أبنّا فيما سبق خطير شأن طول الانبوب في المدافع البعيدة المرمى وليس حجمُ القذيفة وشكلها اقلّ اهميّةً كما سيتضح من الاعتبارات الآتية

من البديهي ان القنبلة الخارجة من فوهة مدفع بسرعة معلومة قادرة على ادراك مرمى بعيد على قدر محافظتها على تلك السرعة الاصلية التي لا يزال الهواء بمقاومته عاملاً على إنقاصها ، كما نرى في الاجهزة المؤمِّنة للسقوط (parachute) الجاري استعمالها في ايامنا . والحالة هذه فالعلمُ النظري والتجارب المتعددة صوتٌ واحد في اثبات الحقيقة التالية وهي : ان أُطلقت قذيفتان متساويتان شكلاً وسرعةً من فوهة مدفع واحد فأثقلها تُدرك المرمى الابعد . ولابدع فان القوة الميكانيكية المخزونة في القذيفة اثناء سيرها — وبنوع أعمّ في كل جرم متحرك اثناء حركته — تزيد بنسبة الحاصل الناتج من ضرب الثِقَل بمربَّع السرعة كما يؤيّدهُ الحساب والاختبار . ومن ثمّ لو طرحنا من نافذة عالية على الارض بقوة واحدة كتلتين متساويتين شكلاً احداهما من ورق مضغوط والاخرى من حديد ، رأينا هذه ادركت الحضيض قبل رصيفتها بثوانٍ . ولذلك ايضاً نرى القُطَيرات المائيّة التي تتكوّن منها السُّحُب — فليست هذه بمجموع ابخرة متلبدة كما يتوهم سواد الناس — تنحدر نحو الارض بغاية البطوء فنحسبها لا تتحرك بسوى فعل الارياح . بيد انها اذا كبرت وثقلت بانضمام بعضها الى بعض هبطت على وجه البسيطة بسرعة محسوسة في الامطار

قد لاحظ من بضعة اجيال صانعو المدافع زيادة بُعد مرمى القذائف بنسبة ثقلها فاخرجوا ذلك المبدأ الى حيز العمل بصوغ تلك المدافع الهائلة الضخامة التي نشاهدها بعين الدهشة في كثير من المتاحف ولا سيّما الاوربية . فمنذ الجيل الخامس عشر بلغ وزن القذائف نحو مائتي كيلوغرام . وقد صيغ حول السنة ١٤٥٠ بمدينة غان (Gand) الواقعة في بلجكة حاضراً مدفع تزن كتلته ٣٦٠ كيلوغراماً . وكان احد مدافع دوق بورغندية (١٦٨٢—١٧١٢) حفيد ملك فرنسة المجيد لويس

الرابع عشر يُطلق كُتلاً وزن كلٍّ منها ٤٥٠ كيلوغراماً . وقد تيسَّر للمدفعيّين منذ الجيل السادس عشر ان يرموا قذائفهم الى بعد ١٥٠٠ متر بوسيلة زيادة ثقلها . والمسافة المشار اليها كانت اعجوبة في بابها نظرًا الى حالة العلوم الطبيعية في ذلك العهد العهيد . واذا آثر القرّاء امثلة من هذا القبيل مُتنبَّسة من جيلنا الحاضر فهاك برضاً من عدّها . ان المدفع الالماني من عيار ٢٨٠ ميلمترًا ذو قنبلة وزنها ٣٤٠ كيلوغراماً ، وهي تقطع نحو عشرة كيلومترات حتى بلوغ مرماها مع ان سرعتها الاصلية دون ٣٥٠ مترًا في الثانية ، وذلك يسيرٌ في ايامنا . اما قنبلة المدفع الفرنسوي ذي عيار ٧٥ فمع كون سرعتها الاصلية نحو ٥٠٠ متر فانها لا تجتاز سوى نصف المسافة السابقة اعني خمسة كيلومترات ليس الّا ، وذلك لكون وزنها لا يبلغ سوى بضعة كيلوغرامات عوضاً عن ٣٤٠ في المدفع الالماني

وهذا اختبار بسيط يوقفك من اول وهلة على عظم تأثير ثقل القذيفة في بُعد مرماها . خذ حجرًا مستديرًا وارمهِ على خط مستقيم امامك بكل قوّة زندك ثم أعِد الرَّمي بقطعة خشب منحوتة بحجم الحجر وعلى ذات شكلهِ فتلاحظ انها تُقصِّر تقصيرًا يُذكر عن مرمى رصيفتها

على ان زيادة وزن القذائف تزيد ايضاً مقاومة الهواء لسير القنبلة فيُضيع المدفعي بشمالهِ ما كسبهُ بيمينه . الّا انَّ لهذا الخلل علاجاً شافياً هو غاية في البساطة والفاعليّة وذلك باطالة القنبلة بدون زيادة قُطرها . فيترتب على ذلك ان مقاومة الهواء المتجهة كلها تقريباً الى رأس القذيفة لا تنمو نموًّا يُذكر . فبناء على هذا المبدأ الواضح قد عدل صانعو المدافع عن الكتل الكُرَوية المستخدمة وحدها في الاجيال الغابرة الى القنابل المستطيلة الاسطوانيّة الغالب استعمالها في ايامنا وهي الموسومة في فرنسة باسم أوبوس (obus) لتمييزها عن الكتل (boulets) . فقنبلة المدفع الفرنسوي من عيار ٧٥ ميلمترًا يبلغ وزنها اربعة اضعاف وزن كتلة من نفس ذلك العيار ومع ذلك فمقاومة الهواء لسير الاولى تكاد لا تزيد عمَّا تصادفهُ الكتلة

وقد فهمتْ شركات الملاحة المبدأ الذي نحن في صدده . فلمّا همّت بتعمير اضخم بواخرها وارادت الجمع والتوفيق بين الضخامة الجارية ومعظم السرعة زادت طول السفن زيادةً شديدة ولم تزد عَرضها الّا يسيرًا . وعلى هذا المنوال أدركت غايتين

متناقضتين في عين الناظر الى قشر المنات دون لبابها . ولك مثال عن صدق قولنا في الطراد هود الانكليزي الذي محموله ٤١،٢٠٠ طنّ وطوله نحو ٢٦٢ متراً فهو مع ضخامته هذه البالغة يقطع في الساعة ٣١ عقدة نعني اكثر من ٥٧ كيلومتراً

﴿ ٤ درجة مَيلان انبوب المدفع عند الاطلاق ﴾ . كشفنا في الصحائف السابقة اهمية شكل المدفع وصفات قذائفه فلم يبق الآن سوى البحث في العامل الجوهري الاخير للمدافع البعيدة المرمى وهو الذي صدّرنا به هذا الفصل من مقالتنا

من المعلوم ان بُعد مرمى قذيفة معلومة يزيد او ينقص وفقاً لدرجة مَيلان الانبوب المدفعي على السطح الافقي وتسمى تلك الزاوية في لسان الفنيين زاوية الاطلاق (angle de tir) . واذا ضربنا صفحاً عن وجود الهواء ومقاومته لسير القنبلة فمعظم بُعد المرمى يُنال بجعل زاوية الاطلاق بمقدار ٤٥ درجة اي نصف الزاوية القائمة . فعلى افتراض تحقق ذلك الشرط يبلغ معظم بعد المرمى (١ :

٢٨	كيلومتراً	في المدفع	المُطلق قنبلته بسرعة ٥٠٠ متر في الثانية	
٣٦	〃	〃	〃	٦٠٠ 〃
٦٤	〃	〃	〃	٨٠٠ 〃
٨١	〃	〃	〃	٩٠٠ 〃
١١٤	〃	〃	〃	١٢٠٠ 〃
٢٥٦	〃	〃	〃	١٦٠٠ 〃

نضيف الى الجدول السابق ملحوظات وجيزة وهي ان سرعة ١٢٠٠ متر في الثانية قد بلغتها من سنين عديدة قنابل اكبر المدافع البحرية وان سرعة قنبلة المدفع الجباري الالماني برتا تُقدَّر بنحو ١٤٦٠ متراً . اما سرعة ١٦٠٠ متر في الثانية التي ختمنا بها الجدول فلم يتحقق لدينا وجودها وان أشاعت بعض الجرائد والمجلات خبر مخترع اميريكي توصل الى اطلاق قنبلة بسرعة ٢٢٠٠ متر في الثانية ومُعظم بعد مرماها

١) ترفَّ الى القراء طريقة سهلة لحساب معظم بُعد مرمى مدفع معلوم بفرض معرفة سرعة قنبلته عند خروجها من الفوهة : عدد الكيلومترات في معظم بعد المرمى يساوي تقريباً مربع عدد مئات الامتار في سرعة القذيفة . ويتضح ذلك من اول وهلة لمن يعاين الجدول السابق بعض الانتباه

ثلاثمائة ميل انكليزي اي نحو ٤٨٣ كيلومترًا ، نعني لربعة اضعاف ما بلغ اليه المدفع برتا الضارب باريس من مسافة زهاء ١٢٠ كيلومترًا. فلننتظر ريثما يُطلعنا المستقبل على نصيب تلك الاشاعة الغريبة لئلا تكون « فكاهة اميريكيّة »

مدار كلامنا حتى الآن على النسبة الحسابية الواقعة بين سرعة القذيفة ومعظم بُعد مرماها على فرض عدم مقاومة الهواء لسيرها ، او بتعبير آخر على فرض عدم وجوده . ولمّا كان ذلك الافتراض خيالي مستحيل فلا بدع ان تُنقِص مقاومةُ الهواء مُعظم بعد المرمى انقاصاً تابعاً لعوامل شتى اهمّها سرعة القذيفة وعيارها وثقلها وشكلها . وعلى ذلك المبدأ أستدنا كثيرًا من اعتباراتنا السابقة لتلك العوامل . فالمدفع الفرنسوي من عيار ٧٥ ميلمترًا المطلق قنبلته بسرعة ٥٤٠ مترًا في الثانية يبلغ معظم بُعد مرماه ليس ٢٨ كيلومترًا كما في الجدول السابق بل زهاء ٩ كيلومترات فتأمل !

ولكن هل من وسيلة تقلّل مقاومة الهواء بدرجة تجعلها في حكم ما لا يُعتدّ به ؟ أجل فان الباريء سبحانه وتعالى قدّر العقل البشري على استنباط دواء لكل داء وعلاج لكل مشكل . والوسيلة المرغوبة هي نفس التي تذرّع بها الالمان في ٢٣ آذار ١٩١٨ حين ضربوا باريس من بعد نحو ١٢٠ كيلومترًا . وهي قائمة في جعل انفراج زاوية الاطلاق — اي درجة ميلان انبوب المدفع على السطح الافقي — فوق ٤٥ درجة . وهذا قياس الزاوية المطلوبة لإدراك معظم بُعد المرمى بفرض عدم وجود الهواء . اما تعليل هذه الزيادة فلا اسهل منه فانها تمكّن القذيفة من اختراق كثافة الجوّ على طريق اقصر لانه اقرب الى الوجهة العامودية . وان صحّ ما ارتاه بعض ائمة العلماء مثل بيو (Biot) وبوسنغو (Boussingault) وهمبلت (Humboldt) الذين يقدّرون كثافة جونا بزهاء ٤٥ كيلومترًا (١ فانّ القذيفة المطلقة من المدفع بوجهة ادنى الى العامودية منها الى الافقية تجتاز هذه المسافة كالبرق الخاطف في نحو نصف دقيقة (بجعل سرعتها ١٥٠٠ متر في الثانية) ثم تواصل سيرها في فضاء خالٍ

١) وفقًا لحسابات العالم الفرنسوي لبلاس (Laplace) بشأن ثقل الهواء النوعي في طبقات الجو المختلفة ، نرى ان مقاومة الهواء في علوّ ٤٨ كيلومترًا توازي نحو $\frac{1}{100}$ من مقدارها على سطح الارض . امّا في علوّ ٣٠ كيلومترًا فلا تزيد على $\frac{1}{1500}$

تقريباً من الهواء تتصبح المقاومةُ هنالك عدماً او في حكم العدم. فيترتب على ذلك زيادة عظيمة في بعد المرمى

٣ تطبيق المبادئ السابقة في المدفع الجباري برتا

كل المبادئ السابق شرحها التي تُمكّن من رمي القذائف الى مسافات بعيدة للغاية كانت معروفة إجمالًا او تفصيلًا قبل ضرب الالمان لباريس بمدفعهم الجباري برتا . وانما فضلهم في تجهيز ذلك المدفع الرائع بكونهم درسوا كلَّ واحد من تلك المبادئ درساً عميقاً قدّرهم على إخراجه الى حيز العمل باقصى درجات الكمال اذ ادّى بهم تطبيقُها كلها الى نتيجة باهرة لم تكن في الحسبان ، حتى قضى منها العجب ذات اساطين فنّ رمي القذائف في فرنسة بل في كل الامصار . وها نحن نورد بعض الايضاحات على كيفية تطبيق الالمان لكل من المبادئ التي سردناها في الصحائف السابقة على النسق المتّبع آنفاً

﴿ ١ نوع البارود وشكل المدفع ﴾ يقدّر الفنّيون الفرنسويون طول المدفع برتا بنحو ثلاثين متراً ولا يتعدّى ذلك حدود المعقول فقد سبق لنا القول ان اضخم المدافع البحرية الفرنسوية يبلغ طولها نحو ثلاثة وعشرين متراً وشتّان ما بينها وبين الجبّار الالماني بخصوص بُعد المرمى . امّا نوع البارود المستعمل في برتا فهو مجهول على الارجح في فرنسة ويزعم الإختصاصيون انه ربّما كان جوهره النيتروغليسرين وهي ركنٌ لكثيرٍ من اشدّ الموادّ المنفجرة . وان كانت نظراً الى خواصّها الكيماوية تقرض شيئاً فشيئاً معدن انبوب المدفع فهي اذا مُزجت بالفازلين او البلومباجين تُدهن داخل الانبوب وتُنقص درجة حرارة انجرة البارود انقاصاً يُعتدّ به وهي مع ذلك تكاد لا تُزيل شيئاً من قوّة ضغطها . وتنقيص الحرارة المذكورة شديد الخطورة حيث يقي المدفع من محاذير الانفجار او على الاقل من آفات التلف العاجل

وما ادراك يا صاح مقدار ضغط انجرة هذا البارود الهائل في المدفع برتا ؟ قد ذهب نفر من الخبراء الفرنسويين الى انّ ضغطها يبلغ ٣٥،٠٠٠ كيلوغرام على كل سنتيمتر مربع من القنبلة ، ومن انبوب المدفع طبعاً ! ومعظم ما ادركه الضغط في المدافع الفرنسوية زهاء ثلاثة آلاف كيلوغرام . ولعمري ان تعليل الفرق العظيم بين

المدفعين انَّ برتا كانت ترمي قذائفها — ووزن الواحدة قُدِّر بنحو مائة كيلوغرام — الى بعد زهاء مائة وعشرين كيلومترًا على خطّة متقوّسة يبلغ طولها نحو ١٥٠ كيلومترًا !

﴿ ٢ كيفية القنبلة ﴾ بيّنا في احد الفصول السابقة انه لا بد من تذنيبة ثقيلة جدًّا لابلاغ بُعد المرمى الى اقصى درجاته . وقد احسن الالمان تطبيق هذا المبدأ حيث جعلوا وزن قنبلة برتا يناهز — على رأي الخبراء — مائة كيلوغرام

شرحنا ايضًا اهمية اطالة القذيفة بدون زيادة قطرها فوق حدٍّ معلوم ، وكلا الامرين يفضي الى تخفيف مقاومة الهواء لسيرها . والحال ان طول القنبلة الجارية نحو خمسين سنتيمترًا ويكسوها في مقدّمها شبه طرطور مذرّب من الحديد المصفّح له مثل الطول السابق ، وغايته تسهيل خرق القنبلة للهواء . وعلى ذلك يكون مجموع طول القذيفة وطرطورها زهاء متر . امّا قطرها او عيارها فيقدَّر بنحو ٢١٠ ميلمترات اي نحو خُمس طول القنبلة الكاملة . ومن المرجّح ان معدن القنبلة هو الفولاذ الممزوج بالفاناديوم وهو معدن ابيض بلّوري يبلغ ثقلهُ النوعي ٥،٥ اضعاف ثقل الماء وهو يمتزج على الاخص بالاوكسيجين والهيدروجين والازوت وقد اكتُشف سنة ١٨٠١

ومُعدَّل سَمْك جوانب القنبلة ٤ سنتيمترات وفي داخلها بيتان للبارود بينهما حاجز فيه عدّة ثقوب . والغرض من الفصل بينهما منع التهاب كل كمّية البارود البالغة نحو ٩ كيلوغرامات فجأةً اذ قد اثبتَ الاختبار ان الاصوبَ جعل الالتهاب تدريجيًّا فيزيد بذلك ضغط ابخرة البارود زيادة محسوسة . وحول القنبلة درعان من النحاس وفي مؤخّرها سهمان ناريّان لإيقاد البارود قُبَيل انفجاره . امّا اتخاذهم لسهمين فذلك استدراكًا لتلف احدهما لسبب ما . وفي الواقع لم يوجد ، بين الثلاثمائة والثلاث القذائف المصوَّبة على باريس وضواحيها من المدفع برتا ، قذيفةٌ واحدة لم يلتهب سهماها الناريّان فبلغت مرماها بدون انفجار

ثم انَّ على درع النحاس الخارجي المحيط بقنبلة برتا اخاديدَ متحاذية لولبيَّة الشكل توافق كل الموافقة خطوطًا لولبية ناتئة تدور على سطح داخل انبوب المدفع بحيث يندمج كلّ خطّ ناتئ في احد اخاديد القذائف . امّا فوائد تلك الاخاديد فهي :

اولًا ان انجرة البارود الضاغطة على القنبلة عند الاطلاق تحرّكها فضلًا عن حركة الانتقال على خط مستقيم بحركة دوران حول محورها الوهمي وهذه ناجمة عن الاخاديد كما يتضح للمتروّي . وهي خطيرة الشأن لانها تثبّت طول مدة سير القذيفة فتثبت مركز ثقلها كما يقول الفنيون ، او بعبارة ابسط واوضح انها اقوى عامل — مع السرعة الشديدة — لمنع القنبلة من الحياد عن خطتها . وفي ذلك ما فيه من الاهمية الجوهرية ، ولاسيما اذا كان المرمى على بعد نحو مائة وعشرين كيلومترًا كما هو في واقع امر المدفع برتا . ثمّ للاخاديد فائدة اخرى جليلة الشأن وهي منع انجرة البارود عند الاطلاق من التملّص بين جوانب القنبلة وما يحيط بها من جوانب انبوب المدفع وعلى هذا المنوال لا تضيع سدًى ذرّة واحدة من قوّة ضغط الانجرة . وكان الفرنسيون منذ خمسين سنة على الاقل قد درسوا قبل الالمان مفاعيل القنابل المخدّدة . ﴿ ٣ درجة مَيلان انبوب المدفع عند الاطلاق ﴾ . اوردنا في احد الابواب الآنفة ان شدّة بعد المرمى تقتضي جعل زاوية الاطلاق (اي مقدار ميلان انبوب المدفع على السطح الافقي) فوق ٤٥ درجة ، وذلك لاصعاد القذيفة على اقصر ما يمكن من الخطوط الى طبقات الجو المرتفعة فوق عشرين كيلومترًا إذ يتخلّل الهواء الى درجة تجعل مقاومته لسير القنبلة في حكم ما لا يُحسب له حساب . وقد عمل الالمان بمقتضى هذا المبدأ الجوهري في استخدام مدفعهم الجبّاري . وكفى شاهدًا على ذلك ما فاه به اثناء ضرب باريس الجنرال رونه (Rohne) — وهو من اشهر كتّابهم الحربيين — في مقالة له بالمجلة «فوسيشه تايتُنغ» (Vossische Zeitung) . قال في معرض كلامه عن المدفع برتا « ان زاوية الاطلاق مقدارها خمس وخمسون درجة وان السرعة الاصلية للقذيفة ١٫٤٦٠ مترًا ومعظم ارتفاعها في الجوّ ٢٩ كيلومترًا . وهي تقطع على خطتها المقوّسة شوطًا يزيد طوله على مائة وخمسين كيلومترًا في مدّة تتراوح حسب الظروف بين دقيقتين ونصف وثلاث دقائق فيكون معدّل السرعة ثلاثمائة متر في الثانية !»

***

فيرى القرّاء ان الالمان درسوا كلّ مبادئ المدافع البعيدة المرمى ادقّ الدرس ثم جمعوها بعد الحسابات والتجارب المتعدّدة واخرجوها كلّها الى حيّز العمل بالتعيين

بكل منها الى اقصى حدود الكمال (١ . وفي ذلك سرّ مدفعهم العجيب الذي راع دويُّهُ المُرعد ليس فقط قلوب مئات آلاف الباريسيين حتى كادت تتقطع من الخوف، بل وآلاف عقول نوابغ فرنسة النبيلة فحاروا كل الحيرة بازاء تلك القذائف الجهنميَّة عاجزين عن ادراك جميع اسرار بُعد مرماها . ولا غرو فان مخترعي برتا أنفسهم ما كانوا ليتوقَّعوا مقدار ذلك البعد الهائل . ولمَّا أجرَوا تجاربهم الاولى فتشوا عن مسقط القذائف على بعد نحو ٥٠ كيلومترًا ليس الَّا. فلم يجدوا لها اثرًا ثم واصلوا التنقيب والتنقير وما اشدّ ما كانت دهشتهم اذ عثروا على قنبلة بلغَ بعدُ مرماها زهاء مائة كيلومتر

الحق يُقال اننا لا نتمالك ان نُعجب بطول باع الالمان في صنع ذلك المدفع المُرهب فقد برهنوا بذلك على عميق علمهم وبُعد نظرهم وطول اختبارهم . على اننا لا نتمالك ايضاً — اذا لازَمنا خطة الانصاف — ان نقبّح استخدامهم للمدفع الجباري برتا سنة ١٩١٨ لضرب باريس ، فان هذا العمل والحقوق الدولية الحربية على طرفي نقيض . فمن مقتضيات هذه الحقوق انهُ لا يسوغ مطلقاً للمتحاربين تصويب قذائفهم الى غير الابنية الحربيَّة كالاسوار والقلاع والحصون ومخازن الذخائر، او التي لها علاقة وثيقة بنجاح الحرب من مثل معامل الذخائر ومستودعات المِيَر وبعض محطات السكك الحديدية المهمَّة . امَّا ضرب الكنائس والمدارس والمستشفيات والبيوت التي يسكنها النساء والاطفال والشيوخ فلا يسوغ لهم البتَّة بل هو جريمة فظيعة في عين الله والناس . والحال ان من يضرب مدينة كباريس — بل أيَّة مدينة كانت — من بُعد ١٢٠ كيلومترًا ونيف لا يستطيع ان يصوّب قذائفه الى الابنية السائغ ضربُها ويميّزها عن سواها . وعلى ذلك فقد ارتكب الالمان ظلماً فاحشاً في هذا التعدّي

وبسبب الصعوبة الشديدة في تدمير الابنية الحربيَّة عن بعد يفوق نحو ثلاثين كيلومترًا قد اعرض اساطين فنّ المدفعية في فرنسة وانكلترة وغيرهما عن حل مشكل رمي القذائف الى ما يفوق البُعد المذكور . وايم الحق حقاً فعلوا بعدم التصدّي لما لا

(١) انبأت الجرائد الانكليزية في اواخر ١٩٢١ ان الالمان اخترعوا رشاشاً كهربائياً يُطلق ألفَي قذيفة في الدقيقة ويكفي لاستخدامه رجل واحد . والله اعلم بحقيقة الامر

يمكن استعماله بدون احتضام الحقوق الدولية . فما اجمل إحجام العالم من تطبيق علمه وضابط القوى المادية عن تسخيرها في غير ميدان الحق والعدالة والشرف وهي اسمى العواطف البشرية !

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣٩ ﴿ اندراوس اخيجان ﴾ هو اوّل بطاركة السريان الكاثوليك في القرن السابع عشر توفّي في ١٤ تموز سنة ١٦٧٧ . لهُ في مكتبة دير الشرفة في لبنان كتاب دحض المرطقات ورسائل انتقاديّة على الطقوس مع بعض المخطوطات السريانيّة

١٤٠ ﴿ انطونيوس الكبير ﴾ هو ابو الرهبان المتوفّى سنة ٣٥٦ م . ١ً ذكر لهُ ابو البركات بن كبر في لائحة كتبهِ (Riedel, p. 647) «نيفاً وعشرين رسالة في ديره بالبرّيّة (اي الصعيد) قبطيًّا لم تعرَّب . ومن هذه الرسائل نسخة عربيّة في المكتبة الفاتيكانيّة (ع ٣٩٨) قال ابو البركات : « وفيها فوائد جليلة ووصايا جميلة نافعة » . ٢ً ثم ذكر لهُ ابو البركات وصايا في قوانين الرهبنة وتدبير الرهبان . ٣ً وفي بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١٢٥) مقالات نافعة من قول القديس العظيم انطونيوس وغيرهِ من الآباء (ص٢٥٣ — ٢٩٦) . ٤ً وفي مكتبتنا الشرقيّة ايضاً كتاب نسكيّات مار باسيليوس يليها « قصّة الاب العظيم في القديسين مار انطونيوس كوكب البرّيّة (ص ٢٨١—٣٩١) قريبة من ترجمة حياتهِ للقديس اثناسيوس (Migne, PP. GG. XXVI, 235) ويلي الترجمة «تعاليم وقوانين القديس انطونيوس» (ص ٣٩١—٤٠٨) . وفي مكتبة الاسقفيّة الارثوذكسيّة في حلب سيرة القديس انطونيوس ضبطها معتمداً على الطباء القديسين مطران حلب الارثوذكسيّ اغناطيوس كرس . تاريخ النسخة ٢٣ شباط ١٧٩٥ (اطلب النمة ١ : ٣٦٦) . ويُذكر للقديس انطونيوس في السريانيّة (ROC, XIV, 282-297) رسالتهُ الاولى الى الاخوة

يمكن استعماله بدون احتضام الحقوق الدولية . فما اجمل إحجام العالم من تطبيق علمه وضابط القوى المادية عن تسخيرها في غير ميدان الحق والعدالة والشرف وهي اسمى العواطف البشرية !

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣٩ ﴿ اندراوس اخيجان ﴾ هو اوّل بطاركة السريان الكاثوليك في القرن السابع عشر توفّي في ١٤ تموز سنة ١٦٧٧ . لهُ في مكتبة دير الشرفة في لبنان كتاب دحض المرطقات ورسائل انتقاديّة على الطقوس مع بعض المخطوطات السريانيّة

١٤٠ ﴿ انطونيوس الكبير ﴾ هو ابو الرهبان المتوفّى سنة ٣٥٦ م . ١ً ذكر لهُ ابو البركات بن كبر في لائحة كتبهِ (Riedel, p. 647) «نيفاً وعشرين رسالة في ديره بالبرّيّة (اي الصعيد) قبطيًّا لم تعرَّب . ومن هذه الرسائل نسخة عربيّة في المكتبة الفاتيكانيّة (ع ٣٩٨) قال ابو البركات : « وفيها فوائد جليلة ووصايا جميلة نافعة » . ٢ً ثم ذكر لهُ ابو البركات وصايا في قوانين الرهبنة وتدبير الرهبان . ٣ً وفي بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١٢٥) مقالات نافعة من قول القديس العظيم انطونيوس وغيرهِ من الآباء (ص٢٥٣ — ٢٩٦) . ٤ً وفي مكتبتنا الشرقيّة ايضاً كتاب نسكيّات مار باسيليوس يليها « قصّة الاب العظيم في القديسين مار انطونيوس كوكب البرّيّة (ص ٢٨١—٣٩١) قريبة من ترجمة حياتهِ للقديس اثناسيوس (Migne, PP. GG. XXVI, 235) ويلي الترجمة «تعاليم وقوانين القديس انطونيوس» (ص ٣٩١—٤٠٨) . وفي مكتبة الاسقفيّة الارثوذكسيّة في حلب سيرة القديس انطونيوس ضبطها معتمداً على الطباء القديسين مطران حلب الارثوذكسيّ اغناطيوس كرس . تاريخ النسخة ٢٣ شباط ١٧٩٥ (اطلب النمة ١ : ٣٦٦) . ويُذكر للقديس انطونيوس في السريانيّة (ROC, XIV, 282-297) رسالتهُ الاولى الى الاخوة

١٤١ ﴿انطونيوس الراهب﴾ كان ترهّب في سيق القديس سابا في فلسطين ثمّ صار رئيساً على دير القديس سمعان العمودي القريب من انطاكية في القرن الثاني عشر . ١ً قد عرّب ١٥ ميمراً من ميامر القديس غريغوريوس الثاولوغوس . منهُ نسخة في مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت . كُتبت سنة ١٨٢٠ بيد نقولا ولد يوسف مخائيل جباره . ٢ً ولهُ في مكتبة باريس (Mss. ar., Cod. 276. n° 1) محادثات مار غريغوريوس المذكور . ٣ً لهُ في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الموارنة في حلب تعريب مقالات القديس يوحنّا الدمشقي مع بعض رسائلهِ وترجمة حياتهِ . وهذه الترجمة قد نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب .م . ٤ً وفي المكتبة الفاتيكانيّة لهُ تعريب ميامر القديس يوحنّا فم الذهب على تفسير انجيل مار يوحنّا تاريخ النسخة سنة ٦٧٥٩ للعالم الموافقة لسنة ١٢٥١ للمسيح اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني (BO., II, 517, n° 67)

انطونيوس (الاب اليسوعي) اطلب غريغار
(انطونيوس بن مبارك الجبيلي) اطلب الجبيلي

١٤٢ ﴿انطون ابن القس دقّور﴾ كان في القرن الثامن عشر . في مكتبتنا الشرقيّة كتاب طريق الملكوت يحتوي على ٣٠ تأمّلاً في امور الخلاص وحياة السيد المسيح استخرجهُ من الايطاليّة سنة ١٧٩٣ انطون ابن القس دقور الرومي الملكي الحلبي بمدينة رومية (صفحاتهُ ٢٥٨)

١٤٣ ﴿أنطوين﴾ الاب بولس غبريال انطوين اليسوعي المتوفّى ٢٢ ك ٢ سنة ١٧٤٣ . كتابهُ اللاتيني في اللاهوت الادبي ذو شهرة واسعة كان فرض البابا بندكتوس الرابع عشر تعليمهُ في مدارس رومية . قد عرّبهُ القس يوسف العجلوني الراهب الباسيلي الشويري في رومية وطبعهُ في مطبعة مجمع انتشار الايمان سنة ١٧٩٥ في خمسة مجلّدات . منهُ نسخة خطيّة في المكتبة الفاتيكانيّة . ثمّ اعاد طبعهُ في مجلّدين في المطبعة نفسها القس متّى شهوان سنة ١٨٣٤ مع اضافة بعض الحواشي على الاصل . وقد ترجم القس اندراوس شاشاتي الارمني هذا الكتاب الى الارمنيّة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٦٦)

١٤٤ ﴿اوبيشيني﴾ هو الاب الفرنسيسي المعروف بتوما دي نوڤارا (Thomas

(de Novare رئيس الاراضي المقدّسة وسفير البابا الى الكلدان في آمد سنة ١٦١٦ ومعلّم اللغات الشرقيّة في رومية . توفي سنة ١٦٣٦ . في مكتبتنا الشرقيّة نسخة خطّيّة من القرن السابع عشر من الكتاب المسمّى بالكنز العربي (Thesaurus arabicus) الجامع لمفردات شتّى في عدّة فصول في العربيّة والسريانيّة وهو على ما نظنّ لايليّاً النصيبيني . فهذا الكتاب قد نقلهُ الاب اوبيشيني الى اللاتينيّة . ثمّ طبع في رومية سنة ١٦٣٦ منسوباً الى الاب توما دي نوثارا . وطبع لهُ ايضاً في مطبعة البروبغندة كتاب الاجروميّة بالعربيّة واللاتينيّة سنة ١٦٣١

١٤٥ ﴿اوتفاج﴾ الاب يوسف اليسوعيّ المرسل الشرقيّ توفي في القاهرة سنة ١٩٠١ . لهُ عدّة كتابات مخطوطة عن مصر واللغة الهيروغليفيّة . نشرنا لهُ في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٨٨٠) مقالة مستحسنة في التوراة والفراعنة

١٤٦ ﴿ اورسي ﴾ هو الراهب الدومنيكيّ ثمّ الكردينال يوسف اوغست اورسي توفّي في رومية سنة ١٧٦١ (اطلب مجموعة مكتبتنا الشرقي MFO, VI,) (223-224 لهُ تاريخ موسّع في عدّة مجلّدات لأعمال الكنيسة منذ انشائها الى القرن السادس للمسيح . وقد عرّب هذا التاريخ الخوري انطون صبّاغ الروميّ الملكيّ في اواخر القرن الثامن عشر . منهُ ثلث نسخ في مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب . ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة ستّة مجلّدات تاريخ اولها سنة ١٧٦٩

١٤٧ ﴿ اوسابيوس المؤرّخ﴾ اسقف قيصريّة وزعيم المؤرخين الكنسيين توفّي سنة ٣٤٠ م . لهُ في العربيّة في مكتبة باريس (Ms 147, n° 15) ترجمة القديس سلوستروس بابا رومية . وقد ذكر لهُ ابو البركات في لائحتهِ (Riedel, 648) شروحاً على فصول الاناجيل المقدّسة ومقالات دينيّة متفرّقة

١٤٨ ﴿ اوغسطينوس ﴾ القديس اوريليوس اسقف بونة في افريقية واحد كبار الآباء اللاتينيين توفي سنة ٤٣٠ م . لهُ في العربيّة : ١ً تأملات مار اوغسطينوس في عدد ٢١ تأملاً عرّبها القس لاونديوس سالم الحلبي . منهُ نسخة خطّيّة في مكتبة البروبغندا (ع ١٨) ونسخة اخرى في بيت نقولا افندي ايوب في حلب . وقد عرّب ايضاً هذه التأملات القس انطون آصاف (راجع العدد ٢) مع مناجيات القديس اوغسطينوس وعواطفهِ . وكلاهما طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٦٧—١٨٦٨ .

٢ اعترافات القديس اوغسطينوس . عرّبها ايضاً القس لاونديوس سالم من الايطالية سنة ١٧٥٥ منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع٤٢٧) . وقد عرّب هذا الكتاب ثانيةً تبعاً لرواية المونسنيور لويس سبيراكو المرحوم الخوري يوسف العلم وطبعهُ في مطبعة جسر نهر بيروت سنة ١٩٠٩ تحت العنوان «تمزة الخاطين في اعترافات مار اوغسطين» ٣٠ وفي مكتبة المنسنيور جرجس شلهت في حلب رسائل القديس اوغسطينوس الى لورنتيوس مع ردّ الجواب والى وولوسيانوس مع رسالته في الامانة والقانون وفي الامانة والاعمال (في ١٤٢ صفحة) من القرن الثامن عشر . ٤٠ ولهُ في مكتبتنا الشرقيّة مجلّدان ضخمان يحتويان مئة وثلثين مقالة في شرح مشاكل اسفار الكتاب المقدّس من العهدين العتيق والجديد . وفي آخرها انّ هذه المقالات قد عرّبها السيد ايرميا كرامة الحمصيّ مطران دمشق . وتاريخها ايلول ١٧٨١ وتموز ١٧٨٢

١٤٩ ﴿اومنيا﴾ الاب لويس الفرنسيسي (Al. Omegna) عرّب وطبع في مطبعة الآباء الفرنسكان في القدس سنة ١٨٥٧—١٨٥٩ مختصر اللاهوت الادبيّ للقديس الفونس ليغوري ملخّصاً بيد الاب نيرافيت (D. Neyraguet) . ثمّ طُبع في مطبعة طاميش (١٨٥٧—١٨٦٢) معرّباً بقلم القسّ يوسف فطّية المرسل اللبناني الآن ترجمتهُ منقولة تقريباً بالحرف عن ترجمة اومينيا

١٥٠ ﴿ايرودس﴾ المعلّم انطونيوس . لم نطّلع على تاريخهِ . لهُ في مكتبتنا في آخر كتاب حوادث الاعتراف لخريستوفورس ويغا اليسوعي تأملاتٌ عرّبها القس ابرهيم جلوان من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية في القرن الثامن عشر

١٥١ ﴿ايرونيموس﴾ الراهب الدومنيكي . لم نعثر لهُ على تاريخ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة تفسير مزمور النبيّ داود «ارحمني يا الله» في ٢٠ فصلاً وهو مكتوب بخط الطيّب الذكر جرمانوس فرحات سنة ١٧٣١ في ٤٩ صفحة . ومنهُ نسخة اخرى في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٢٣) ويقال هناك ان معرّبهُ الخوري ابرهيم جلوان السابق ذكرهُ

١٥٢ ﴿ايرونيموس﴾ البادري رئيس الكرمليين في حلب في القرن السابع عشر (اطلب مجموعة الآثار النصرانيّة للاب انطون رباط Rabbath: *Documents*, I. 467) . لهُ في مكتبة الموارنة في حلب سيرة القديسة ترازيا عرّبها من اللاتينيّة

الخوري بطرس التولاوي في ١٦ حزيران ١٧٠٥ وتاريخ النسخة ١٧٢٠ ويقال هناك انَّ القس جبرائيل فرحات (وهو الطيّب الذكر المطران جرمانوس الشهير) قابل النسخة على اصلها ونقَّحها

١٥٣ ﴿الايزنبالي﴾ الاب صموئيل اليسوعيّ . لم نقف له على تاريخ . في مكتبة المرارنة في حلب كتاب في مجلَّدين في ٥٠٠و٦٠٠ صفحة (ع ٣٠٥) عنوانهُ « ارشاد الخلاص من القصاص للاب صموئيل الايزنبالي اليسوعيّ . عرَّبهُ القس باسيليوس بن باسيل الشبابيّ »

١٥٤ ﴿ ايشوعياب بن ملكون ﴾ هو مطران نصيبين الذَّنيري النسطوري كان اسمهُ قبل ان يتسقَّف يوسف توفي سنة ١٢٥٦ م . ذكرهُ السمعانيّ في مكتبته الشرقيَّة في القسم الاوَّل من الجزء الثالث (BO. III¹, 295-306) لهُ في العربيَّة ما خلا عدَّة كتب سريانيَّة : ١ً الامانة التي يعتقدها النصارى السريانيّون المشارقة . رواها السمعاني ومنها نسخة خطيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة (المشرق ٩[١٩٠٦] : ٢٧٧) . ٢ً تفسير الامانة الكبيرة التي اجمع على عقدها الثلثمائة والثمانية عشر اباً . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . وكذلك في مكتبة الكلدان في ماردين (ع٩٤) . ٣ً كتاب فرائد الفوائد في اصول الدين والقواعد . منهُ ايضاً نسخة في مكتبتنا (اطلب المشرق المذكور آنفاً) . ٤ً كتاب البرهان على صحيح الايمان يردّ فيه على اليهود والملحدين واليعاقبة ويدافع عن اراء النساطرة . منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ٤٩) قد نقل هذا الكتاب الى الالمانيَّة المستشرق هورست (Horst ـلـ) وطبعهُ في كولونيا سنة ١٨٨٦ وهو ينسبهُ الى ايليا مطران نصيبين . وصفهُ السمعاني في مكتبته الشرقيَّة وصفاً موسَّعاً (BO, III¹, 303-306) . ٥ً ومن تآليفه ردُّهُ على رسالة بطريرك اليعاقبة اغناطيوس (١٢٢٢—١٢٥٣) المدَّعي بان السريان المشارقة محدثون وانهم هم الاقدمون كتبهُ الى سعيد الشمّاس النسطوري . منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ١٨٠) وفي دير الزعفران . ٦ً لهُ بعض تراجيم مسجَّعة للاعياد طبع منها ترجامان في جملة تراجيم ايليا الثالث ابن الحديثيّ (ص ١١٥—١٧٠) . ٧ً ولايشوعياب ترجمة عربيَّة للاناجيل الطاهرة منها نسخة في دير الشرفة في جبل كسروان وصحها في المشرق جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس (١١ [١٩٠٨] : ٩٠٢—٩٠٣)

١٥٥ ﴿ايثاغريوس﴾ الراهب البُنطيّ (٣٤٥—٣٩٩م) كان معاصراً للقديس باسيليوس. في المكتبة الفاتيكانيَّة (ع ٦٣) ترجمة فصيحة من بنسكيَّاته في نحو ١٠٠ صفحة اطلب مجموع آباء اليونان لمين (Migne PP. GG. XL, 1251)

١٥٦ ﴿ايفو دي تراغيار﴾ الاب الكبوشي (Yves de Tréguier O. C.) كان مرسلاً في الشرق في القرن السابع عشر ألَّف كتاباً لهداية غير المؤمنين والهراطقة ورد ذكرهُ في تاريخ الكبوشيين

١٥٧ ﴿ايلاريوس﴾ تلميذ القديس باسيليوس. في مكتبتنا الشرقيَّة مجموع حسن من القرن السابع عشر فيهِ سير لبعض مشاهير القديسين. فالسيرة الثانية منهُ سيرة القديس باسيليوس الكبير، كتبها البار ايلاريوس تلميذهُ، وقدَّمها لاخي القديس وهو بطرس اسقف سبسطية يقول فيها انهُ يخبر بما عاين وشهد. والسيرة هذه في ١٤ فصلاً من الصفحة ١١٢ الى ٢٠٧

١٥٨ ﴿ايلاريون﴾ من رهبان مار فرنسيس. لم نجد لهُ تاريخاً. في مكتبتنا الشرقيَّة ثلاث نسخ من كتابهِ درب الصليب جعلهُ ١٤ تأمُّلاً عن آلام السيد المسيح منذ دخولهِ الى دار بيلاطس حتى وفاتهِ عرَّبهُ البادري ايلاريون من الاسبانية. وفي احدى النسخ الثلاث يزعم الناسخ زوراً انَّ ساويروس بن المقفَّع نقل الكتاب من القبطيَّة. ومنهُ نسخة عند الخوري بولس سباط (ROC, XVIII, n° 63, p. 243)

١٥٩ ﴿ايليا الثاني﴾ الجاثليق البطريرك النسطوري المتوفَّى سنة ١٠٤٩ وقد ورد في المجدل لابن ماري وفي المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (BO., III¹, 265) غلطاً «ايليا الاول» (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٣٧٧). له في مكتبة ماردين (A. Scher, Cod. 93) وفي مكتبة سعرد (id. Cod. 131-132) كتاب اصول الدين في ٢٢ باباً يبحث فيه المؤلف عن توحيد الله عزَّوجلَّ وكمالاتهِ وعن الثالوث الاقدس والتجسُّد وسرّ الفداء وصحَّة الكتب المقدَّسة والصوم والصلاة الخ. في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة بالكرشوني منقولة عن نسخة ماردين

(ايليا الثالث) اطلب العدد ٢٠ ابن الحديثي أبو الحلم

(ايليا اسقف دمشق) اطلب العدد ١٩ ابن الجوهري. ويظنّ البعض انَّ ايليا اسقف دمشق وايليا ابن الجوهري مختلفان (G. Graf : Christl.-arab. Literatur, 38-39)

١٦٠ ﴿ايليا الصوباوي﴾ هو ايليا برشينا اسقف نصيبين النسطوري احد مشاهير ملته توفي سنة ١٠٤٩ م . له في الكلدانية عدة تآليف نضرب من ذكرها صفحاً فنكتفي بذكر ما يُعرف له من الآثار العربية . ١ً له كتاب الالفاظ اللهكسيكون بالسريانية والعربية في ٣٠ فصلاً . منه نسختان في مكتبة الكلدان في ماردين ونسخة في مكتبتنا الشرقية . وهو الذي طُبع في رومية تحت عنوان الكنز العربي منسوباً الى الاب توما اوبيشيني دي نوڤارا زيادته على السريانية والعربية الترجمة اللاتينية . ٢ً المجالس السبعة التي جرت بين ايليا مطران نصيبين والوزير ابي القسم حسين بن يحيى المغربي سنة (١٠١٨ م) . قد نشرنا هذه المجالس في الخمسة الاعداد الاولى من سنة المشرق الحالية (١٩٢٢) عن ثلاث نسخ من مكتبتنا الشرقية . ومن هذا الكتاب نُسخ متعددة في المكتبة الفاتيكانية وفي مكتبتي باريس وبرلين وفي مكتبة ديار بكر الكلدانية وفي مكتبة الموارنة في حلب الخ . ٣ً رسالة في فضيلة العفة عن الجماع ارسلها الى اخيه الشيخ ابي سعيد المنصور بن عيسى . منها اربع نُسخ في المكتبة الفاتيكانية (Graf : *l. c.*, 60) ونسخة في مكتبة المرحوم القس توما الحلبي . ونسخة حديثة في مكتبتنا الشرقية (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٧٦) . ٤ً له في احد مجاميع مكتبتنا الشرقية (ص١٠٤ — ١٠٩) رسالة في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه نشرها في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ١١٢) عن نسخة او كسفرد حضرة الاب لويس معلوف (اطلب كتابنا مقالات دينية قديمة الطبعة الثانية ص١٢٤—١٢٩) . ٥ً مقالة في نعيم الآخرة . نشرها ايضاً حضرته (المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٤٤٦) عن النسخة ذاتها (مقالات دينية ص ١٢٩—١٣٢) . ٦ً له في المكتبة الفاتيكانية رسالة في خلق العالم ووحدانية الخالق وتثليث اقانيمه . ٧ً كتاب دفع الهم (اطلب ما قيل في هذا الكتاب وصحة نسبته الى ايليا مطران نصيبين في المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٣٧ ; ٧٣٧ ; ٩٤٠) تُعرف منه نُسخ متعددة (Graf : *l. c.*, 64-66) . ٨ً له في مكتبة باريس (Ms. Paris, 204) مقدمات على الاناجيل . ٩ً وفيها ايضاً (ib. 166) حل بعض المسائل الانجيلية . ١٠ً له في مكتبتنا الشرقية رسالة في الصلاة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٧٧) . ١١ً وفي المكتبة الفاتيكانية رسالة في المواريث كُتبت سنة ١٢٢٠ (Vat. 160²)

١٦١ ﴿أيوب البشرّاني﴾ كان في القرن السابع عشر. وجدنا لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٥٤٧) قاموساً سريانياً وعربياً ولاتينياً ، مؤلفهُ أيوب الشمّاس ابن جبرائيل البشرّاني الاصل من بيت أيوب القاطن حلب تلميذ مدرسة رافئا (لهُ صلة)

(انتهى باب الالف)

حوادث دير الزور في زمن الحرب

لشاهد عياني الاديب جوزيف افندي توتل

نشر المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٣٨ — ٤٥) لُمعةً مستحسنة عن تاريخ دير الزور ووصف احوال هذه المدينة الحديثة وترقّيها في عهد متصرّفها احمد رشيد باشا . ثم زادت امورها تحسُّناً الى زمن اعلان الحرب حيث كان يتولّى امرها المتصرّف جلال بك المعروف ببشّتهِ وانصافهِ . وكان النصارى في دير الزور بين ٣٠٠ و ٤٠٠ نفس معظمهم من التجار الكاثوليك الارمن والسريان والكلدان والروم ولكلّ طائفة كاهن يرعاهم وللطائفتين الاوليين كنيستان

بقيت دير الزور بفضل متصرّفها جلال بك في هدوء وسكينة بعد دخول تركية في الحرب ولمّا اتّفق ضابطو دفّة الحكم التركي في الاستانة على تضحية الشعب الارمني واستئصال شأفتهِ في تركية لم يكترث لهذا القضاء الجائر متصرّف دير الزور وثبت على خطّتهِ العادلة مع نصارى ولايتهِ

ثمّ لم تلبث الحكومة ان وجّهت الوفاً من المهاجرين من انحاء تركية الى دير الزور فكان المتصرّف النبيل ينزلهم في ضواحي المدينة وخاناتها ويأمر باسعافهم على قدر استطاعتهِ مع انّ عددهم بلغ في خريف السنة ١٩١٥ نيّفاً و ١٦٠،٠٠٠ ثمّ زاد الى ٣٠٠،٠٠٠ من كلّ الولايات العثمانيّة . وكثيراً ما اثنى المهاجرون على لطفهِ وحسن تصرّفهِ

على انّ الذئاب الكاسرة الجالسة على منصّة الدولة في الاستانة من اهل الاتّحاد

١٦١ ﴿أيوب البشرّاني﴾ كان في القرن السابع عشر. وجدنا لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٥٤٧) قاموساً سريانياً وعربياً ولاتينياً ، مؤلفهُ أيوب الشمّاس ابن جبرائيل البشرّاني الاصل من بيت أيوب القاطن حلب تلميذ مدرسة رافئا (لهُ صلة)

(انتهى باب الالف)

حوادث دير الزور في زمن الحرب

لشاهد عياني الاديب جوزيف افندي توتل

نشر المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٣٨ — ٤٥) لُمعةً مستحسنة عن تاريخ دير الزور ووصف احوال هذه المدينة الحديثة وترقّيها في عهد متصرّفها احمد رشيد باشا . ثم زادت امورها تحسُّناً الى زمن اعلان الحرب حيث كان يتولّى امرها المتصرّف جلال بك المعروف ببشّتهِ وانصافهِ . وكان النصارى في دير الزور بين ٣٠٠ و ٤٠٠ نفس معظمهم من التجار الكاثوليك الارمن والسريان والكلدان والروم ولكلّ طائفة كاهن يرعاهم وللطائفتين الاوليين كنيستان

بقيت دير الزور بفضل متصرّفها جلال بك في هدوء وسكينة بعد دخول تركية في الحرب ولمّا اتّفق ضابطو دفّة الحكم التركي في الاستانة على تضحية الشعب الارمني واستئصال شأفتهِ في تركية لم يكترث لهذا القضاء الجائر متصرّف دير الزور وثبت على خطّتهِ العادلة مع نصارى ولايتهِ

ثمّ لم تلبث الحكومة ان وجّهت الوفاً من المهاجرين من انحاء تركية الى دير الزور فكان المتصرّف النبيل ينزلهم في ضواحي المدينة وخاناتها ويأمر باسعافهم على قدر استطاعتهِ مع انّ عددهم بلغ في خريف السنة ١٩١٥ نيّفاً و ١٦٠،٠٠٠ ثمّ زاد الى ٣٠٠،٠٠٠ من كلّ الولايات العثمانيّة . وكثيراً ما اثنى المهاجرون على لطفهِ وحسن تصرّفهِ

على انّ الذئاب الكاسرة الجالسة على منصّة الدولة في الاستانة من اهل الاتّحاد

والترقي كطلعت وانور ولمثالهما لم يرضوا بحنان جلال بك نحو اولئك المنكوبين الذين كانوا يذرقون الموت ألواناً في طريقهم قبل بلوغهم الى دير الزور ثمَّ يُنقلون منها الى حيث ينتظرهم الجزّارون من اتراك واكراد وجركس واجلاف العرب فيذبحونهم ذبح الحملان. وانما ارادوا ان تختضب ايضاً دير الزور بدمائهم ومن ثمَّ عزلوا جلال بك [illegible] الدينة مأسوفاً عليه مذكوراً بالشكر من جميع اهلها

وما عتم ان وصل الدير ليخلفهُ في منصبه وحشٌ ضارٍ متقمص بجسد بشري يُدعى زكي بك حلَّ الدير في اوائل حزيران من السنة ١٩١٦. وكنتُ قبل وصوله ببضعة اشهر قدمتُ الى دير الزور بدعوة البعثة الالمانيَّة التي كانت محتاجة هناك لمن يسعى بمادّيات ذويها وتجهيز لوازمهم وكان بلغهم اني عارف بلغتهم الالمانية فأحسن خدمتهم كترجمان بينهم وبين الاتراك. وقد رضيتُ بهذه المهنة مع نزعتي الشديدة الى فرنسة وامورها فراراً من ظلم الحلفاء ثم املاً بخدمة النصارى في تلك الجهات. فما مرَّ عليَّ زمن قليل حتى عاينتُ من الفظائع ما لا يستطيع ان يصفهُ لسان

جاء زكي بك حاملاً اوامر زعماء الاستانة بذبح الارمن. فكانت تلك الاوامر مطابقة لاميالهِ الدمويَّة فاستعدَّ لهذا العمل الشريف بحيث لا يفوتهُ منهُ ادنى فضل

كان اولئك البائسون يساقون كالنعم من ارمينية والولايات الشمالية عراةً حفاةً مشاة الى حلب ومنها الى صحراء دير الزور. دون طعام يقتلهم العطش ومع انَّ طريقهم كان في جوار ضفة الفرات الشرقيَّة كان الجنود قوّادهم لا يسمحون لهم بان ينقعوا غليلهم بماء النهر فيموتون عطشاً

وكانت قوافلهم تجري الواحدة تلو الاخرى واذا طُرد اهل بلد من وطنهم يُفصَل الرجال عن النساء فيُذبحون وتترك النساء مع اولادهن يواصلن الطريق وحدهنَّ فاذا حللن في مكان كان يتهافت عليهن الاكراد فيسلبون منهنَّ من الحلي والدراهم ما امكنهم. واذا دخلن مقاطعة للاعراب ولم يبقَ معهنَّ ما يبتّعن لهنَّ طعاماً ياتي العرب افواجاً ويختارون البنات والنساء فيسبونهنَّ الى منازلهم ويقتلون اللواتي يمتنعنَ عن مرافقتهم او يحاولن الدفاع عنهنَّ. فكانت طريق القوافل تُعرف من وفرة جثث الموتى الملقاة على قارعتها. فكم هلك من تلك السيَّارات جوعاً وعطشاً وضرباً وخنقاً.

بل كم من اولئك المنكودات الحظ اصابهن نوع من الجنون فانتحرن او القين نفوسهن في النهر او الآبار لينجون من ايدي الظالمين. وكان بعض هذه القوافل قد قضت سبعة اشهر سيراً على الطرق. فلم يسلم منها الا بعض الأفراد. خرج من مدينة ارزنكان في ولاية ارضروم ثلثة آلاف عائلة فما وصل منهم الى دير الزور الا ثلثة عشر شخصاً وتلف الباقون او تاهوا في البراري

فلمّا صار الامر في ايدي زكي بك كان عدد المهاجرين من الارمن في دير الزور وضواحيها ١٢٦،٠٠٠ وكان احضر معهُ اربعمائة من الجركس اقامهم على ضفّة نهر خابور احد سواعد الفرات ثمّ قضى ثلثة اشهر ينقل هو نفسه فئات من المهاجرين ويسلّمهم للجركس فيذبحونهم امامهُ كيفما شاؤوا رمياً بالرصاص وضرباً بالسيف وخنقاً ثمّ يلقونهم في النهر فقُتل على هذا المنوال ١٢٠،٠٠٠. وبقي من النساء بضعة آلاف اختفى منهن نحو الف في بيوت دير الزور عند اهلها المسلمين اذ حُظر على النصارى تحت عقاب الموت ان يُؤوا المهاجرات في بيوتهم. على انّ حالة هؤلاء المنكودات الحظ كانت اشنع من الموت اذ كنّ كالبهائم لا ينلنَ كسرة الخبز الا بتسليم نفوسهنّ للفحشاء ثم يسأمونهنّ ويطردونهنّ

وهرب منهنّ نحو اربعة آلاف تفرّقن ايدي سبا بين قبائل العربان ونجا البعض منهنّ بعد نهاية الحرب فأخبرن عمّا اصابهنّ من البلايا ما تتفتّت له الاكباد الجلمودية

استشهاد الاب بطرس اغاجانيان

كان بين المهاجرين من الارمن عدّة قسوس لاسيما من الغريغوريين ساقوهم من بلادهم مع رعاياهم. وكان من جملتهم كاهن يسوعي من مرسليهم في بلاد الارمن يُدعى الاب بطرس اغاجانيان. وهو ارمني الاصل ولد في قيصرية من ابوين غير كاثوليكيين تربّى في مدارس الكاثوليك ثمّ ذهب الى بيروت حيث درس مدّة في كلية القديس يوسف بصفة اكليريكي (١٨٩٣—١٨٩٧) وتعاطى مدّة فنّ الصيدلية الى ان دعاهُ الآباء اليسوعيون في آطنه الى التعليم في مدارسهم فعلّم نحو خمس سنين لكنّهُ شعر في اثناء تعليمهِ بدعوة الله يتندبهُ الى الترهب في الرهبانية اليسوعية فلبّى صوتهُ تعالى في ١٣ شباط ١٩٠٤ ولهُ من العمر ٢٩ سنة. وكان بعد دروسهِ اللاهوتية ارتسم كاهناً وعاد الى وطنهِ لأعمال الرسالة في اواسط السنة ١٩١٤ في

مرسيقان. فما كاد يمرُّ عليهِ بضعة اشهر حتّى قامت الحرب على ساقها وأُلقي عليهِ القبض فنُظم في سلك المهاجرين وأُرسل الى قونية ومنها الى حلب حيث اودعوهُ السجن

فسعى الآباء اليسوعيُّون في الشهباء بان ينالوا اطلاق سراحهِ فجاء الامر بتأجيل سفرهِ الى دير الزور فبقي في سجنهِ الى ان حضر المأمورون واخرجوا القسوس الارمن ليرحلوا بهم الى منفاهم دون الاب بطرس الذي ابقوهُ في سجنهِ وتوطّد بذلك الامل في نجاتهِ. على أنَّ احد قسوس الارمن غير الكاثوليك احتجَّ لدى الاتراك وأبى ان يسافر ما لم يَسِرْ معهم الاب بطرس وهو مثلهم ارمنيّ الاصل. فعاد احد رجال الشحنة وهو يجهل الامر بابقاء الاب في حلب فاخرجهُ وساقهُ مع بقيَّة القسوس دون أن يبالي بما بلَّغهُ الاب عن امر تأجيل سفرهِ

لمَّا وصل الاب بطرس الى دير الزور دُوعي فيها جانبهُ وأُطلق سراحهُ فابتدأ يتولّى شؤون وظيفتهِ الرسوليَّة في خدمة النفوس ويقدّم الذبيحة كلَّ صباح في كنيسة السريان الكاثوليك ثمَّ يصرف اوقات الفراغ قسماً في الصلاة والمطالعة وقسماً في تفقُّد الفقراء المهاجرين المنكوبين دون ان يفرق بين الكاثوليك وسواهم فيعزي الجميع على اختلاف مذاهبهم ويلهمهم الصبر الجميل ويذكّرهم بآلام سيّدهم وعذابات شهدائهم. فاكتسب ثقة رفقائهِ لاسيما الارمن غير الكاثوليك الذين لم يعهدوا في كهنتهم مثل هذه الغيرة على خلاصهم فشاع اسمهُ بينهم فكانوا يلتجئون اليهِ في ضيقاتهم لاسيما النساء والبنات ليصون شرفهنَّ فكان الاب يسعى جهدهُ في ذلك فاستطاع ان يجد لبعضهنَّ أماكن يأمنَّ فيها على عرضهنَّ وكان يحضّ الجميع على حفظ براءتهنَّ مهما تكلَّفن من المشقَّات بل يفضّلن الموت على فقد طهارتهنَّ

وممَّا يوجب الاسف انهُ فيما كان الاب اغاجانيان يستنفد قواه في صيانة اولئك النساء والعذارى تصدَّى لهُ شيخ شرير من كهنة غير الارمن الكاثوليك من فورنوز من لواء مرعش سوَّل لهُ الشيطان ان يتَّخذ لهُ مهنةً بين المهاجرات بان يبيع اعراضهنَّ لذوي العهارة والفحش. فتصدَّى لهُ الاب بطرس بما امكنهُ من الوسائل ليخلّص من حبائلهِ الفتيات ولم يأخذهُ في عملهِ لومة لائم وقد بارك الله غيرتهُ مرارًا فمن جملتهنَّ خادمة عرفتُها اسمها رايوهي صرافيان هي اليوم في بغداد كانت تبارك اسم الاب اغاجنيان وتنسب اليهِ حفظ شرفها

وبالاجمال انَّ الاب المذكور احسن القيام بسائر واجباتهِ متفانياً باتمامها على مثال اخوتهِ الآباء اليسوعيين . وقد شهدتُ ذلك واختبرت اعمالهم من قريب فرأيت من واجباتي ان اعلن بها بعد موتهِ تخليداً لذكرهِ لانهُ قد مات قديساً كما سترى

ما كان زكي بك ليجهل ما يأتيهِ الاب اغاجانيان من اعمال الغيرة والرحمة نحو الارمن فـامر بأن يلقى في السجن مع كثير منهم وذلـك في ٢٨ تموز ١٩١٦ . فكان لرفاقهِ كملاك من السماء يلطّف اوجاعهم بكلامهِ وامثالهِ . وفي تلك الاثناء وردني من قبل الآباء اليسوعيين في حلب مبلغ خمس ليرات باسمهِ فدفعتها لهُ . وبقي في حبسهِ الى القسم الثاني من شهر آب حيث ساقوهُ الى مكان يُدعى الصُوَر وهناك استشهد على ما تبيَّن لي في تاريخ ٦ ايلول ١٩١٦ . وقـد فتشتُ لأعرف شيئاً عن صفة موتهِ لأستطيع ان أُخبر عنهـا الآباء اليسوعيين اخوتهُ فتيسَّر لي الامر بمواجهة رجل مسلم من اهل دير الزور يُدعى صالحاً الكويدر شهد قتلهُ قال :

رأيتُ قبل غروب الشمس بنحو نصف ساعـة فئة من الارمن يبلغ عـددهم زهاء المئة وحولهم الجركس وكان بينهم الاب بطرس مرتدياً بقميص وسروال فقط وهو واقف وبيدهِ كتابٌ يقرأهُ . وكان الجركس يربطون الارمن بالاكتاف ويجعلونهم كسلسلة واحدة . فلمَّا اقتربوا من الاب اغاجانيان دعاني فدنوتُ منهُ فسلَّمني الكتاب قائلاً : « خذ هـذا الكتاب وأعطِ القسيس الكاثوليكي الباقي في دير الزور » وكانت دلائـل الصبر والجلَد ظاهرة على محيَّاهُ وهو يُتمتم مصلياً فاوثقوهُ مع رفاقهِ . فلمَّا تمت السلسلة ساقوهم وراء تل يبعد نحو عشر دقائق من مكاننا وانا انظر اليهم حتى توارَوا عنَّا . وبعد دقـائق قليلة سمعتُ صوت طلقات عديدة متوالية من الرصاص . وما مضى على اطلاقهـا نصف ثانية حتى رجع قسم من الجركس ثم وردت جماعة من العربان اعتادوا ذبح الاجسام وسلبها ما عن طيها من الاثمة . فـلا شكَّ ان الاب بطرس رُمي بالرصاص وذُبح في جملة رفاقهِ »

ومن غريب ما شاهـدناهُ نحن في مساء ذلك النهـار اي ٦ ايلول بعد مغيب الشمس بخمس دقـائق سهمٌ ناريٌ ظهر في الافق الغربيّ من مدينة الدير كان اوَّلاً منتصباً طولـهُ نحو متر ونصف الى مترين على هـذه الصورة ↑ وكانت السماء حمراء صافية من كلّ غيم او ضباب كما تُرى عموماً في اواخر الصيف في هذه الانحاء والسهم يجتذب اليهِ النظر كشيء خارق العـادة . وبقي ذلك بضع دقائق ثمَّ اخذ رأسهُ يميل شيئاً فشيئاً الى الشمال على هذه الصورة ↖ ثمَّ انحدر بطيئاً حتى صار محاذياً للافق ← بل غاص رأسهُ تحت الافق متقوساً حتى انقلب تماماً ثمَّ غاب . فدلم ما بين ظهورهِ الى

غيابهِ عشر دقائق . وقد شاهدهُ اهل دير الزور واهل التبنة التي تبعد عنها ٤٨ كيلومترًا واهل السبخة الواقعة على بُعد مئة كيلومتر منها

ومما لهُ علاقة بهذا الحادث وبالمذبحة المذكورة انَّ رجلًا ارمنيًا كان عمرهُ ٢٨ سنة قصد بيتي في دير الزور واختفى عندي مدَّة ١٥ يوماً ثمَّ ساعدتهُ في هربهِ الى حلب . فهذا كان قد رُبط في تلك السلسلة البشريَّة التي أُطلق عليها الرصاص ليلة قتل الاب بطرس ورفقائهِ لكنَّهُ قبل ان تصيبهُ الرصاصة تمكَّن من قطع حبلهِ وانساب بين جثث الصرعى واختفى في حفرةٍ قريبة خرج منها عند هجوم الليل وتاهَ شهرين في البرّيَّة ثمَّ رجع متنكرًا واوى الى بيتي فسألتهُ عن تلك المذبحة وتاريخها فقال لي : «كان ذلك في الليلة التي ظهرت علامة نارية في السماء فشاهدتُها وانا في حفرتي» فثبت لي انهُ اشار الى مذبحة ٦ ايلول

صلة اخباري الى نهاية الحرب

امَّا انا فكان مركزي في تلك الحوادث حرجاً للغاية . فكانت المساعدات الماليَّة تأتي من الجمعيَّات الخيريَّة الاميريكيَّة والاوربيَّة الى حلب الى قنصل اميركا فهو يبلّغني اياها فأسلمها الى المهاجرين . فارسل المتصرف يوماً شُرَطاً قبضوا عليَّ فبقيتُ موقوفاً نصف نهار والتحقيقات جارية في حقّي وكاد زكي بك يضمُّني الى عداد المنفيين الهالكين وهو مُطلَق الحكم مفوَّض بقتل كلّ من يشاء . الَّا انَّ الله انقذني من يدهِ لحاجة الاتراك اليَّ وكنتُ حينئذٍ وكيلًا للجنة المتعهدة لتقديم السمن الى الجيش العثماني الرابع وكان جمال باشا السفَّاح يشدّد الاوامر في ترويج اشغال السمن فكان ذلك سبباً لنجاتي

وكان في دير الزور ما خلا المهاجرين من الارمن عدد وافر من الاسرى الانكليز والفرنسويين والروس فوكلَتْ اليَّ قنصليَّة اميركا توزيع معاشاتهم فنهى المتصرّف عن تتميم وكالتي . فلمَّا علم بذلك القنصل عيَّنني بصفة رسميَّة لانجاز تلك المهمَّة فأبى زكي بك استعرافي لكوني مشبوهاً على قولهِ بعلاقاتي مع الارمن . فاستاء اذ ذاك القنصل وطلب من جمال باشا تحويل الاسرى الى غير جهة فحوَّلوهم . . .

وكان عدَّة اشخاص من اولاد ونساء يأتون فيستخفون في بيتي فينجون من الموت (اطلب في المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣٨٤ قصَّة الطريد الارمني) . كان من جملتهم

ثلث نساء عفيفات جميلات مع فتاة وصبيّ وهنّ من ارباب بيوت الارمن كان اهل الفساد يحاولون سبيهنّ . فلمّا دخلن بيتنا أمنّ على عرضهنّ بيد انّ اصحاب السوء ارادوا ان يوقعوا بي فيتهموني بالفحشاء لدى الحكومة . فحرّكوا الادارة المسئولة عن المهاجرين لتأمر بكبس بيتي حتى اذا وجدوا نساء صبايا يأخذونهنّ

فبلغني الخبر قبل وصول البوليس الى بيتي فألهمني الضمير حيلةً استبحتُها في نظر الواجب والذمّة فذهبت من ساعتي الى القس الكلداني وهو راهب بسيط وتقي فقصصت عليه الخبر وطلبت منهُ شهادة زواج باحدى النساء الثلث مؤرخة من شهرين سابقاً . ففعل رحمةً باولئك المهاجرات . فعدتُ مسرعاً الى بيتي انتظر الشرطة فبعد ساعتين أتى الترميسير مع بعض انفار وطلبوا ان يروا النساء اللواتي في بيتي فامتنعتُ من كشفهنّ مدّعياً انّ الواحدة قرينتي والثانية اختها والثالثة صانعة في بيتي واظهرتُ لهم شهادة زواجي بختم الرئيس الديني فاقتنعوا بقولي وشاع لدى الحكومة وعند المسلمين اني مقترن بالزواج وان لم يكن اسمي مقيّداً في الدفاتر الرسمية . فما زالت زوجتي المزعومة مع رفيقتيها في بيتي يشتركن بالخدمة الى ان انفتح الطريق فانطلقت الى بلغارية عند اهلٍ لها هناك فمزّقتُ الشهادة

وفي ١٠ شباط سنة ١٩١٧ طلبتني الحكومة للخدمة العسكريّة ولم يقبلوا منّي البدل النقدي . لكنّ المنزل الالماني العسكري اتخذني لخدمته في دير الزور بصفة ترجمان فركبتُ في ١ آذار مع قومندان المنزل المذكور ورافقتهُ خارج المدينة لافتقاد الامكنة التي تصلح لمرعى دوابهم وكان القومندان يسير مسرعاً وانا راكبٌ بغلةً في اثره فسقطتُ وانكسرت ذراعي اليمنى فرجعت الى البيت ودعوتُ مجبّراً من العرب لعدم وجود طبيب فجبر لي الكسر وتأجل طلبي للعسكريّة فبقيتُ اتداوى في بيتي ولقيتُ من جماعة الارمن الموجودين عندي مداراةً لم اعهدها من افضل خدمة المرضى

وعلى اثر هذا الحادث انسحبتُ من المنزل الالماني وعدتُ الى اشغالي . وكان الالمان اتخذوا عوضاً عني بصفة ترجمان شاباً ارمنياً كاثوليكياً من عينتاب فارسلتهُ الحكومة الى صحراء بعيدة وقطعت عنهُ كلّ معاش فأيس من الحياة وانتحر . فاضطرّ المنزل الالماني الى طلب مساعدتي وانا الوحيد في دير الزور العارف باللغة الالمانية فجعلوا جميع امور المنزل في يدي وصرتُ الوسيط بينهم وبين الحكومة في ما يطرأ

عليهم من الخلاف فاصبح مركزي في المنزل وفي عين الحكومة كبيراً جداً وامكنني بذلك ان ازيد سعيي في مساعدة المهاجرين الارمن وكنت امثل النصارى المقيمين في دير الزور فاهتمّ بشؤونهم وادافع عن حقوقهم . وقد اراد المنزل الالماني ان يجازيني عن خدمي لهُ فطلبوا لي وساماً ملكياً لكنّ طلبهم بقي دون جواب فعرضوا عليّ رتبة ضابط الماني وملازم اوّل فلم اكترث لذلك الامتياز

وكان الاتراك خوفاً من احتجاج الدول كفّوا وقتئذٍ عن ذبح الارمن واعادوا الى الاستانة بعد خمسة اشهر ذاك الجزّار الاثيم زكيّ بك وعيّنوا مكانهُ متصرّفاً آخر لم يقتل الارمن علانيةً وانّما ابقاهم تحت رقّ عبوديّة شاقّة اسوإ من عبوديّة بني اسرائيل في مصر . فكان مقامي في المنزل الالماني واسطة لخدمة هؤلاء البؤس المساكين

وفي شهر آب ١٩١٧ استفزّت النخوة الاتراك وحلفاءهم وقصدوا استرجاع بغداد من الانكليز فجهّزوا جيشاً كبيراً دعوهُ بالصاعقة (يلدرم اوردو) وألّف الالمان هيئتين فنيّة وادارية لدرس الطريق واعداد الزاد والاطعمة فدعوني لتهيئة لوازم الجيش واشترطت عليهم شروطاً رضوا بها منها ان تُعطى لاخويّ وليم ورأفت الرخصة لمساعدتي . فلم يتمّ الامر الّا بعد أن عرقلهُ الاتراك مدّة فارسلتُ اخي وليم الى حلب وتوجّه رأفت الى عانة بصحبة اللجنة الفنيّة وابتدأنا بتحضير اللوازم لحين ورود الجيش وحصلت لنا ارباحٌ عظيمة من شغلنا

على انّ هذه الحملة لم تخرج الى حيز العمل وذلك اوّلاً لانّ النار شبّت في محطة حيدر باشا في الاستانة فالتهمت سائر التجهيزات الحربيّة التي كان الالمان اعدّوها وجمعوها هناك . وثانياً لأنّ الانكليز وحلفاءهم باشروا بالهجوم في جهة فلسطين فاضطرّ الاتراك والالمان والنمساويون ان يعدلوا عن العراق للدفاع عن بلاد الشام فاسرعوا الى حيث اصابتهم كسرةٌ شنيعة ودُفنت شهرة المارشال فلكنهيم العسكريّة مع صاعقته الواهية . وبقيت التجهيزات التي اعددناها للعراق بلافائدة فسلّمنا للحكومة ما استحضرناهُ منها .

وفي شتاء تلك السنة ١٩١٧ و١٩١٨ حصل في دير الزور مجاعةٌ تقشعرّ لها الابدان قلّت الغلّات الى حدّ ان اقّة الحنطة بيعت بجيديّ ونصف ذهباً وسقطت مع ذلك

قيمة الاوراق التركية حتى هبط سعر الليرة الى ١٨ غرشاً . فاشتد الجوع وذُبحت المواشي والحيوانات فلم يبقَ منها اثر في القرى والضياع ثم فشت الامراض وكان عدد الموتى يزداد يوماً بعد يوم . فبلغ الجوع بالناس الى ان أكلت الأمهات اولادهن وربّما تزاحموا حول جيف الحيوانات المائتة والملقاة على المزابل . وقد رأيتُ مراراً بعيني قوماً يتنازعون لحوم الكلاب والحمير والجمال وينهشون بشراهة ما يصيبون منها . وكان كثيرون من الرجال والنساء يجتمعون حول المنزل الالماني فينبشون روث الدواب ليلتقطوا منهُ حبّات الشعير والذُرة التي افرزها الخيل والبغال او سقطت من المعالف . ومات من الاعراب الذين اشتركوا بذبح الارمن نحو الستين بالمئة . وتاه كثيرون بالبراري يلتمسون لهم شيئاً من الحشائش البرّية

امّا انا فكنتُ ادّخرت بعدَ عدول الاتراك والالمان عن حملة العراق كثيراً من الحنطة والبرغل والسمن لمؤونة بيتي وفيه تسعة نفوس ثمَّ للمتاجرة بالباقي . فلمّا فشت المجاعة صرفتُ النظر عن الاتجار بالزاد والطعام وخصصتُ موجودي للتوزيع على المحتاجين بيد انَّ كثرة عددهم ونقصان المؤونة اضطرّاني الى حصر حسناتي الّا في اوقات الحاجة القصوى فصرتُ اوزّع بعض المتاليكات بدلاً من الزاد فكان الفقراء يرفضونها ويقفون على الباب ساعات يطلبون لقمة من الخبز فكان قلبي ينفطر الّا عليهم وربّما جعلتُ اتّكالي على الله فسددتُ رمق اولئك المساكين فانقذتُ بعض النساء والاولاد من مخاليب المنون . والحقّ يقال ان الله لم يهملنا حتّى بلغنا المواسم الجديدة . وبفضل ما بقي لدينا من الدراهم ابتدأت اشغالنا ان تتّسع واقتنيتُ املاكاً واراضي زراعيّة في دير الزور واطرافها املاً في مستقبل تلك البلاد

وكلّ يعلم كيف انتهت الحرب وانسحاب الاتراك من سوريّة في اوائل تشرين الثاني بعدَ فشل جيوشهم وخساراتهم الفادحة . امّا دير الزور فغلبت عليها الفوضى مدّة نحو شهر لاحكومة عليها الى ان اجاب الامير فيصل دعوة الديريين فارسل اليها قائداً مع بعض الجنود العربية وولّى عليها متصرّفاً عربياً فبقيت المدينة تحت حكمهم من ٨ كانون الاوّل ١٩١٨ الى ٦ كانون الثاني ١٩١٩ حيث حضرت فرقة عسكريّة انكليزيّة وتولّوا تدبير الامور ورفعوا العلم الانكليزي . وخطب قائدهم في الناس بالانكليزيّة فأجيتهُ بالفرنسويّة مرحّباً بالاحتلال الانكليزي ومهنّئاً بظفر الحلفاء

حبيس فرنسوي في لبنان

المسيو فرنسوا دي شَسْطويل (١٦٣٣—١٦٣٤)

لحضرة القس بطرس ساره الراهب اللبناني

انَّ الترجمة اللطيفة التي نشرها في العام الماضي ذاك الكاتب البارع رينه بازين (R. Bazin) لتعريف حبيس فرنسويّ تنسَّك في الصحراء وهو الضابط ثمَّ الكاهن شَرْل فوكو (راجع العدد الاوّل من هذه سنة المشرق ص ٧٣) ذكَّرتنا بحبيس آخر فرنسويّ الاصل شرَّف جبلنا لبنان في القرن السابع عشر وعطَّر اهلهُ بفضائله فلم يزالوا حتى اليوم يذكرونهُ بالخير. نريد به رجل الله المسيو فرنسوا دي شَسْطويل (Fr. de Chasteuil). على انَّ تفاصيل اخباره العجيبة كادت تطمس من اذهان اهل الوطن فاحببنا ان نُحييها بهذه الخلاصة التي اقتطفناها من كتاب عزيز الوجود منهُ نسخة في المكتبة الشرقيَّة للآباء اليسوعيين تحتوي ترجمة الحبيس المذكور (La vie de Monsieur de Chasteuil solitaire du Mont-Liban) وضعها كاتب من معاصريه المسيو مركيتي (Mr Marchety) احد كهنة مرسيلية بعد وفاته بزمن قليل وطبعها في باريس سنة ١٦٦٦ وقد حرَّرها كذلك بعدهُ المدعو غسبار اوجيري تحت عنوان الحبيس البروفنسالي في جبل لبنان (Gaspard Augéri : *Le Solitaire provençal du Mont-Liban*, Aix, 1671). وقد اطَّلعنا ايضاً على معلومات متفرِّقة عنهُ في سياحة المسيو دي لاروك وفي المعاجم الفرنسويَّة المطوَّلة. امَّا الكتبة الوطنيُّون فلم نجد بينهم احداً ذكرهُ الَّا العلَّامة البطريرك الدويهي في تاريخهِ قال ما حرفهُ الواحد في تاريخ سنة ١٦٩٤:

في هذه السنة في الخامس عشر من أيار ليلة العنصرة كانت وفاة الحبيس فرنسيس الفرنساوي الاصل من بيت جلياق من مدينة آكوينة (كذا). فهذا حبَّاً لخلاص نفسهِ زهد في الدنيا وترك اسقفيَّة قسطول. وفي سنة ١٦٣٣ قدم الى جبل لبنان فحبس نفسهُ اوَّلاً في سيِّدة حوقا ثمَّ انتقل الى اهدن الى دير مار يعقوب الاحباش ثمَّ سار الى دير مار مركيس في راس النهر. وكان ذلك في رئاسة ابن حُميرة والاسقف الياس. ولمَّا خرج هذا من الدير وسكن في اهدن

انتقل الحبيس الى دير مار اليشاع بشرّاي . وكان قبل ذلك قد انتقل اليه الاب شيلستين الكرملي فلبث عنده مدّةً يسيرة من الزمان ومضى الى الراحة التي لا زوال لها بعد ان صار قدوة صالحة لاهل البلاد وبلغ اجلّ المراتب في الورع والصوم والسهر وتلاوة الكتب وقهر الجسد والتفكّر في الالهيّات »

اصل فرنسوا دي شطويل وتاريخ حداثته

اصل فرنسوا دي شطويل من اسرة شريفة من اقليم بروفنسة جنوبيّ فرنسة اشتهرت باسم غالوب (Galaup) ثم اقطعهم الملك هنريكس الرابع سنة ١٥٧٤ ارض شَطويل (Chasteuil) فعُرفوا باسم غالوب دي شطويل فمنهم من امتاز بالآداب والتاريخ ونظم الشعر ومنهم من خدم وطنهُ في ساحات الحرب وتعاطى بعضهم الفنون الجميلة

وكان ابو فرنسوا يُدعى لويس غالوب دي شَطويل وامُّهُ فرنسواز كادنه (Fr. Cadenet) وكلاهما شهير بفضله وفضيلته خلّفا ثمانية اولاد حصل كلّ منهم على حسن السمعة وامتاز باعماله . لكنّ فرنسوا صاحب الترجمة فاق على الجميع بسعة مداركه وقداسة حياته

وُلد المذكور في مدينة إكس من اعمال بروفنسة في ١٩ آب سنة ١٥٨٨ واصطبغ بعد ايّام بمياه الصموديّة في الكنيسة الكاتدرائيّة فدعي فرنسيس . واذ كان الله يمدّهُ لمستقبل مجيد انشأ في قلبه منذ نعومة اظفاره محبّة عظيمة لذوي البأساء وعطفاً غريباً عليهم فما كان ليرضى ان يردّ عنهم واليد فارغة وربّما صرخ مُعوّلاً باكياً الى ان يرى اهلهُ يتصدّقون عليهم . وثبت على محبّته للبائسين سائر حياته يرى في شخصهم السيّد المسيح عينهُ .

ولمّا ترمرع جذبهُ الله الى محبّته فبغّض اليه اللعب واللهو مع اترابه فكان يعتزل عنهم لينقطع للصلاة . وكان قبل ان يبلغ العاشرة من عمره يمارس اعمال التقشّفات والاماتة كالصوم ولبس المسوح والنوم على الحضيض وربط اعضائه بالامراس الرفيعة حتى غاصت في لحمه . لكنّ مرشدهُ امرهُ بتخفيف تلك الاماتات فانقاد الى امره . وكان متعبّداً للبتول يصوم لاكرامها كلّ سبت وفي بيرمون اعيادها . ومجمل القول انّهُ كان بالملاك اشبه منهُ بالبشر يجذب الى الفضيلة كلّ من يعاشرهُ .

وكان فرنسيس ذكياً متوقد الذهن فلمّا ترعرع اخذ ينصبّ على الدرس بكلّ نشاط ورغبة . فما عتّم ان فاق اقرانهُ بإحرازهِ اسرار اللغتين اللاتينيّة واليونانيّة . ثمّ انقطع الى درس الفلسفة واذ رغب اليهِ ابوهُ ان يصرف نظرهُ الى التعاليم الفقهيّة اجاب الى طلبتهِ فأتقن درسها ونال شهادة الملفنة

وانّما كان ميل فرنسيس يدفعهُ الى درس الرياضيّات والعلوم الفلكيّة فبرز فيها كما برز في الادب والشرع . على انّهُ خُدع مدّة بزاعم المنجّمين فتعاطى التنجيم لكنّهُ ارعوى عنهُ بمشورة احد الآباء الكبوشيين الذي بيّن لهُ بطلانهُ فنبذهُ نبذ النواة

ثمّ أنِس بمطالعة الاسفار المقدّسة فاراد ان يتمتّق بدرسها في اصلها العبرانيّ فاجتمع باحد الرهبان الفرنسيسيين المدعو جبرائيل دي ڤلّا (Gab. de Villa) من مشاهير عصرهِ ولم يزل يتردّد عليهِ حتى برع في معرفة تلك اللغة فزاد هيامهُ بقراءة التوراة فكان لا ينقطع عن مطالعتها حتى كاد يستظهرها . واضاف اليها درس اللغة السامريّة فانتقد على نسخة منها اتوا بها الى فرنسة وادّعى اصحابها وبعض العلماء انها سبقت النصّ العبرانيّ فبيّن بادلّة قاطعة ضلال الذاهبين الى هذا الزعم الباطل وكتب عدّة ملحوظات لغويّة على كليهما فقدّمهُ لجبرئيل الصهيوني الماروني الذي كان يشتغل اذ ذاك في باريس بطبع التوراة المتعدّدة اللغات (Biblia Polyglotta) فأعجب بها وشاع بذلك اسم كاتبها حتى عُدّ في جملة كبار المستشرقين . امّا هو فلم يطلب من هذه الدروس سوى خير التريب واغذاء نفسهِ بكلام الله ليزداد تُقى وبرارة وطهارة قلب . وممّا استفاد منها انها ادّت بهِ الى السأم من روح العالم والى الزهد والانقطاع الى الله ففكّر مذ ذاك في هجران وطنهِ ليعيش سائحاً في النسك والخلوة

سياحة فرنسيس دي شطوبل الى الشرق

وفي تلك الاثناء قدم الى مرسيلية الكونت دي مرشڤيل (de Marcheville) كان الملك لويس الثالث عشر اختارهُ كسفيرهِ لدى سلطان الاتراك في الاستانة . فرأى المسيو دي شطوبل فرصةً سانحة للسفر بصحبتهِ الى الشرق ليجتمع بعلماء الرهبانيين هناك فيستفيد من انوارهم في حلّ بعض المشاكل اللغويّة التي عرضت لهُ في

درس التوراة العبرانية . فالكونت الذي كان بلغهُ فضل المسيو دي شطوبل رضي بان يرافقهُ وعدَّ صحبتهُ نعمةً من الله

فتأهب فرنسيس لهذا السفر البعيد وانتدب راهباً فرنسيسياً اسمهُ الاب تاوفيل مينوتي كان رحل سابقاً الى الشرق ليكون لهُ كدليل في سياحتهِ . ثمَّ أعدَّ مأدبة فاخرة دعا اليها السفير وجماعةً من العلماء فتفاوضوا في مطاويها عن الفوائد التي يمكن اجتناؤها من معرفة بلاد الشرق ثمَّ قرأ عليهم الوداع

ابحر السفير الى الاستانة في ٢٠ تموز ١٦٣١ وكان سفرهم ميموناً على طريق ارخبيل اليونان مارّين بساريفو ثمَّ بيسارنوس وزاروا آثار ديلوس الشهيرة ثمَّ وصلوا الى شيو المعروفة بصاقس حيث كان الاسطول التركي رابطاً فتبادلوا مع اميره المتولي قيادتهُ عبارات الولاء والوداد . وكان دخولهم في عاصمة بني عثمان في ٢٧ ايلول

لم يشأ المسيو دي شطوبل ان يتلهى بما تحتويهِ الاستانة من الغرائب والآثار لاسيما في عين الاوربيين الذين لم يعتادوا اخلاق الشرقيين واحوالهم المختلفة والى ان يقيم ضيفاً في دار السفير وانما استأجر لهُ بيتاً في بعض احياء المدينة القليلة الضوضاء ليتفرَّغ فيهِ لدروسهِ المحبوبة . فكان هناك يعيش مع الاب تاوفيل عيشة الرهبان يقضي زمانهُ بين الصلاة والدرس دون ان يكفَّ عن اصوامهِ وتقشفاتهِ

على انَّ السفير الفرنسوي وجماعتهُ نشروا في الاستانة اخبار حياته العجيبة وسمو فضلهِ وعلومهِ الكتابية فخفَّ الناس لزيارتهِ وكان في جملتهم كثير من علماء اليهود الذين بلغهم ولوعهُ بلغتهم العبرانية فدارت بينهم المحاضرات فوجدوهُ متضلعاً من معارفهم بل جاول مراراً ان يقنعهم بآيات التوراة عن مجيء السيد المسيح فكان يفحمهم . واسعده الحظ بأن يردَّ واحداً من ربانيهم الى النصرانية فارسلهُ الى فرنسة واوصى بهِ اخاهُ لكي يُعنى بأمر ارشادهِ حتى اذا اتقن معرفة الحقائق الدينية يُعمَّد فيكون هو واختهما شاهدَي عمادهِ

وكان ادباء المسلمين والاتراك يحبُّون ايضاً مواجهتهُ لما رأوا من لطفهِ وانعكافهِ على الآداب الشرقية ونالوا لهُ رخصةً لم يسمحوا بها لغيرهِ الا نادراً بان يدخل مكتبة سراية السلطان المعدودة في ذلك الوقت من اغنى المكاتب بكنوزها الثمينة

أمّا علماء النصارى واكليرسهم كالروم والارمن والعرب فكانوا احرص من سواهم على زيارتهِ ولم يكلّ لسانهم عن مديحهِ واطراء فضيلتهِ

سفر المسيو دي شطوبل الى لبنان واستعداده للعبئة النكبة

على انَّ هذه الاشغال لم تكن لتصرف فكرهُ عن رغبتهِ في العزلة والاختلاء فاستحرَّ بالصلاة ليوحي الله اليهِ بمشيئتهِ ليتمّمها فشعر بانَّهُ تعالى يدعوهُ الى التنسّك في جبل لبنان ليعتزل معاشرة الناس ويتفرَّغ لعبادة خالقهِ . فكاشف الاب تاوفيل بما في نفسهِ فتحقَّق انَّ دعوتهُ من الله . ثمَّ اوقف الكونت دي مرشفيل على نيَّتهِ وبعد نيلهِ رضاهُ ودَّع كلَّ معارفهِ واخصّهم الآباء اليسوعيين المرسلين في الاستانة الذين أبدوا لهُ كلَّ لطف وولاء مدَّة اقامتهِ في تلك الحاضرة فترك لهم كذكر وداد وعرفان الجميل ثوبين من اثمن ما كان لديهِ من الثياب الواحد من الديباج والآخر من المخمل قدَّمهما زينةً لكنيستهم

وفي ٢٦ تموز سنة ١٦٣٢ ركب السفينة مع الاب تاوفيل قاصدَين سواحل سوريَّة . وفي ٣ آب بلغا رودس واقاما فيها ٢٣ يوماً من دون ان يسمح لهما حاكمها بان يتجوَّلا في أحيائها

ثم استأنفا سيرهما الى صيداء وبلغاها في السادس من ايلول واقاما فيها مدة اربعة ايام كانا فيها موضوع احتفاء واكرام تركيت (Tarquet) قنصل الدولة الافرنسية والتجار الافرنسيين المقيمين هناك الذين اكرموا ضيافته وقدَّموا لهُ كل معدَّات السفر الى جبل لبنان

فسافر من صيداء في ١١ ايلول بعد ان لبس زي الموارنة ووصل بيروت في اليوم نفسهِ . وفي مساء الغد واصل المسير حتى نهر الكلب حيث بات ليلة في مغارة هناك . وفي ١٥ من الشهر بعد سفر اربعة ايام وصل حصرون فألفى اهلها يتكلمون السريانية لكنه لم يلبث فيها طويلاً رغم رغبتهِ في درس السريانية على خوري القرية الذي كان ماهراً بهذه اللغة وكان يلحّ على الضيف بالبقاء عندهم فآثر هو الذهاب في الغد الى اهدن ليسترشد باسقفها المطران جرجس عميرة الذي كان اعلم اهل زمانهِ ويقرأ عليهِ اصول اللغة العربية فاحتفى بهِ الاسقف ايَّما احتفاء وقبله على الرحب والسعة فاقام عنده اربعين

يوماً اغترف فيها من مناهل معارفه كل ما كان يحتاج اليه ويرغب فيه وكان الاسقف معجباً به واراد ان يمسكه عنده لولا انه نذر ان يعيش في العزلة . وكان يصحبهُ في هذه الزيارة الاب تاوفيل الذي اكرمه الحبر الماروني وباركهُ وهنّأهُ بكونه دليلاً ومرشداً لذلك البار رجل الله

وكان هذا الاب يودّ البقاء قرب صديقه الحبيب وان يكون لهُ كاتباً لكل ما يصنفهُ من التآليف الكتابية لو لم يكن فرنسيس خصص حياته للصمت والخلوة وعزم ان لا ينشر كتاباته خشية من المجد الباطل . وعندئذٍ اعرض عن الدنيا وعاش نسياً منسياً . فلما رأى الاب تاوفيل ان لاشغل له عند صديقه . تركه في وحدته وقفل راجعاً الى بلاده بعد ان زار القدس مرة ثانية وعثر في طريقهِ على كتب عبرانية ثمينة ارسلها الى دي شطويل فقبلها كاثمن الهدايا

ولما فارقه رفيق سفره حتى طابت له الوحدة في بلاد طالما اشتاق اليها فما بلغ هذه الامنية حتى هتف هتاف الفرح: «ها هنا راحتي لانني رضيتها . هنا اغتذي على التقوى ولبن السماء الذي اغتذى به الاباء القديسون من قبلي (لهُ تتبع)

مطبوعات شرقية جديدة

A. Brassac : Manuel Biblique, T. III, « Les Sts Evangiles.. 15me *éd. du Manuel Vigouroux-Bacuez. pp. IX-733, Paris, Roger et Phernovitz*, 1920

الجزء الثالث من الدستور الكتابي : الاناجيل

بلغ هذا الدستور الكتابي من الرواج ما لم يكن في الحسبان . فهذه طبعتهُ الخامسة عشرة وهي الرابعة بعد الحرب . ولا عجب فان الدروس الكتابيَّة لا يزال نطاقها في اتساع لاسيَّما الاناجيل المقدَّسة التي خُصَّ بها هذا الجزء الثالث وزادهُ حسناً ان صاحبهُ الكاهن براساك اخرج تأليفهُ على صورة مستجدَّة فضمَّنهُ خلاصة الابحاث

يوماً اغترف فيها من مناهل معارفه كل ما كان يحتاج اليه ويرغب فيه وكان الاسقف معجباً به واراد ان يمسكه عنده لولا انه نذر ان يعيش في العزلة . وكان يصحبهُ في هذه الزيارة الاب تاوفيل الذي اكرمه الحبر الماروني وباركهُ وهنّأهُ بكونه دليلاً ومرشداً لذلك البار رجل الله

وكان هذا الاب يودّ البقاء قرب صديقه الحبيب وان يكون لهُ كاتباً لكل ما يصنفهُ من التآليف الكتابية لو لم يكن فرنسيس خصص حياته للصمت والخلوة وعزم ان لا ينشر كتاباته خشية من المجد الباطل . وعندئذٍ اعرض عن الدنيا وعاش نسياً منسياً . فلما رأى الاب تاوفيل ان لاشغل له عند صديقه . تركه في وحدته وقفل راجعاً الى بلاده بعد ان زار القدس مرة ثانية وعثر في طريقهِ على كتب عبرانية ثمينة ارسلها الى دي شطويل فقبلها كاثمن الهدايا

ولما فارقه رفيق سفره حتى طابت له الوحدة في بلاد طالما اشتاق اليها فما بلغ هذه الامنية حتى هتف هتاف الفرح: «ها هنا راحتي لانني رضيتها . هنا اغتذي على التقوى ولبن السماء الذي اغتذى به الاباء القديسون من قبلي (لهُ تتبع)

مطبوعات شرقية جديدة

A. Brassac : Manuel Biblique, T. III, « Les Sts Evangiles.. 15me *éd. du Manuel Vigouroux-Bacuez. pp. IX-733, Paris, Roger et Phernovitz*, 1920

الجزء الثالث من الدستور الكتابي : الاناجيل

بلغ هذا الدستور الكتابي من الرواج ما لم يكن في الحسبان . فهذه طبعتهُ الخامسة عشرة وهي الرابعة بعد الحرب . ولا عجب فان الدروس الكتابيَّة لا يزال نطاقها في اتساع لاسيَّما الاناجيل المقدَّسة التي خُصَّ بها هذا الجزء الثالث وزادهُ حسناً ان صاحبهُ الكاهن براساك اخرج تأليفهُ على صورة مستجدَّة فضمَّنهُ خلاصة الابحاث

المنوطة بالانجيل من تاريخ وجغرافية واخلاق وآثار مع حلّ المشاكل التي اثارتها في زماننا الملحدون او الاباحيّون . وغاية تأليفهِ ان يتّخذهُ طلبة الكهنوت كدستور دروسهم وهو يفيد جدًّا الاساتذة عينهم اذ ينهج لهم طريقاً لاحباً لتعليمهم . كما انَّ الكهنة بعد دروسهم يمكنهم ان يرجعوا اليهِ في ارشاداتهم . وخلاصة القول أننا نتمنَّى ان يكون هذا الكتاب في ايدي كل محبّي الاناجيل ليكون دليلهم الامين . وقد لحظنا انَّ المؤلف مع تحسينهِ لطبعتهِ السابقة قد حذف منها نحو مئة صفحة في الطبعة الجديدة رآها نافلة ولعلّ بعض القرّاء يأسفون على اسقاطها مثلنا لمنافعها وان لم تكن جوهريّة الاب ي . ديلّنسيغر

G.Schlumberger : Récits de Byzance et des Croisades. *N^elle édit.*, *Paris, Librairie Plon, Prix* 6f, 50

طرائف من بوزنطية والصليبيين

هذا مجموع لطيف لاحد علماء عصرنا الكبار واحد الاختصاصيين بتاريخ بوزنطية والقرون الوسطى لهُ في كليهما مآثر معدودة . امّا المجموع الحاضر فيشتمل على عدّة مقالات نشرها المسيو شلومبرجر في المجلّات والجرائد الفرنسويّة الكبرى فكان لها احسن وقع في قلوب القرّاء لتفنّن كاتبها في تصوير احوال الشرق في مواقع مختلفة تارة مبهجة وتارة مفجعة منها روايات حربيّة بالغة الجلس ومنها حوادث طلية رقيقة تبعث في القلوب الحنان والانعطاف ج . ل

R. Dufour de la Tuillerie : De Salonique à Constantinople. Souvenirs de la division navale d'Orient 1916-1919. *Un vol.*, *in*-16, *Paris, de Gigord*

من سالونيك الى الاستانة

حضر صاحب هذا الكتاب مع الحملة الفرنسويّة الى سالونيك في اواسط الحرب الكونيّة فانتهز تلك الفرصة ليدوّن في رسائلهِ الى اصحابهِ ما كان يلحظهُ كلّ يوم من الامور الجزئيّة بالذكر متحاشياً وجهها العسكري . فتراهُ يصف بكل دقّة البلاد التي رآها واخلاق اهلها في دينهم ودنياهم وسائر امورهم فيخرجها بوصفهِ حيّة قريبة من مرأى القارئ وسماعهِ فهو اشبه بالمصوّر منهُ بالكاتب . وممّا استحسنّاهُ وصفهُ

للاستانة يوم دخلها الحلفاء بعد نهاية الحرب فاجتمع الغالب والمغلوب مع ذكر المؤلف لما كانت تلهج به الالسن في تلك الظروف التي قلما يرى التاريخ شبيهاً بها . وكذلك اجاد في تعريف جبل اثوس واحوال رهبانه الذين غالباً ليس يعرفون من الرهبانية الا الثوب والاسكيم . وقد اثنينا على اعتداله في حكمه عن اهل مقدونية المسلمين منهم والنصارى (ص ١١٠) . وعلى ظننا انّ هذا الكتاب احد التآليف التي ستصبر على آفات الدهر فيستند اليها الكتبة في المستقبل ج . ل

M. Abadie : OPÉRATIONS AU LEVANT. Les quatre sièges d'Aïn-Tab. *Vol. in-8, 150 pp., Paris, Charles-Lavauzelle, Prix 5f.*

الحركات العسكريّة في عينتاب وحصاراتها الاربع

يعرف القرّاء ما جرى للجنود الفرنسويّة من المناهضات بعد احتلالهم عينتاب في تشرين الاوّل ١٩١٩ الى يوم تسليمهم المدينة سلماً في شباط ١٩٢١ . فهذه الحوادث الخطيرة التي وقعت في تلك الاثناء قلّما بلغت تفاصيلها مسامع العموم في فرنسة وفي بلادنا معاً . وقد احبّ احد شهودها العيانيين أن يدوّنها في هذا الكتاب وهو الكولونل اللازم المسيو أبادي الذي كان متولّياً تدبير السريّة المدافعة عن ذلك المركز الصعب . فبعد ان وصف المدينة وموقعها الحريز واخلاق اهلها المسلمين والنصارى تتبّع كلّ الحركات العسكريّة التي قام بها الفرنسويّون للدفاع عن احتلالهم في وجه الاتراك والعرب والكماليين وما أتوهُ من الاعمال الشريفة في عدّة مواقع حرجة مع ذكر الذين وقعوا في ساحة الشرف . فجاء الكتاب شاهداً جديداً على ما عُرف به الفرنسويّون من النخوة والشهامة ل . ش

Ed. Le Danois: LE MERLU, résumé pratique de nos connaissances sur ce poisson. *Office scientifique et technique des pêches maritimes, notes et mamoires, n° 2*

سمكة المرلوش

المرلوش من اسماك بحرنا المتوسّط وهي كثيرة في سواحل اسبانية يصطادون منها في السنة نحو مئة الف طنّ . وقد يأتي منهُ الى بحر اليونان فيصطادهُ اهل جزائرهم وهم يدعونهُ «انيا كالاروس» . وهذا السمك كثير النهم يقتات بالارنك والاسماك

الصغيرة حتّى من نسلهِ . ولحمهُ لـذيذ الطعم فيربح منهُ الصيّادون مبالغ عظيمة . والمرلوش يعيش في البحار المعتدلة الحرارة في عمق متوسط . ولا نعلم أيعرفهُ اهل سواحل سوريّة ولعلّهم يستطيعون اذا وجدوهُ ان يُنموا نسلهُ فيكسبوا من تجارتهِ ج . ل

P. Léon Dauchez: Le Dr Henry Dauchez. Un vol., in-8°: 158 pp., Paris, Gabr. Beauchesne. Prix 4fr

ترجمة الدكتور هنري دوشه

لله فرنسة ظئر ارباب الخير والرجال العظام لاسيّما الذين رضعوا منذ حداثتهم افاويق التقى في الاسر العريقة بالدين . فمن جملة هؤلاء الكبار طبيب نطاسيّ أسف على فقدانهِ الدين والوطن السنة ١٩١٩ نريد به الدكتور هنري دوشه ربيب مدرسة الآباء اليسوعيين العليا في باريس الذي جمع في حياته بين ارقّ عواطف الدين وارقى المعارف الطبيّة فأنشأ عدّة ملاجئ ومستوصفات وتفانى في خدمة البؤوسين والفقراء ونشر التآليف المفيدة ذكر منها المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٩٥٣) دليلهُ الطبّي . ولم يكن فضلهُ في خدمة الدين والمشروعات الخيريّة دون فضله في العلم . فكان كمحور لكل مسعًى حسن وكلّ عمل صالح يكفيهِ شرفاً انهُ كان انشط اعضاء جمعيّة مار منصور دي بول مدّة ٤٥ سنة . ومن مساعيهِ المشكورة مناصبتهُ للشبّين استعمال الزواج في تقليل النسل فانشأ لذلك جمعيّة طبيّة تحت شفاعة القديسين الاطباء لوقا وقزما ودميانوس هي اليوم منتشرة في كلّ انحاء فرنسة وفي البلاد الاجنبيّة . وقد اسعدهُ الله بعائلة وافرة منها ثلثة اولاد انضووا الى الرهبانيّة اليسوعيّة اراد احدهم لاون ان يكتب سيرة ابيهِ هذه ليكون احسن قدوة لاطباء عصرهِ ل . ش

Alma Mater: Collegium de Propaganda Fide. *Roma*. 1919-1922

نشرة المدرسة الاوربانيّة المعروفة بالبروبندة

ذكرنا في اوّل مقالة هذا العدد تاريخ هذه المدرسة ومآثرها الجليلة في الثلثمائة السنة التي كادت تمرّ عليها . وقد احسن رؤساؤها منذ اربع سنوات اذ اخذوا يدوّنون اعمالها قديماً وحديثاً في نشرة سنويّة ايطاليّة جامعة لكل محاسن الطبع مع فوائد لا تُحصى من كلّ امور المدرسة وتاريخها وما يتوط بها من تعليم وتهذيب وآداب اضافوا اليها معلومات شتى من رومية وآثارها وما يجري فيها من الحركة الدينيّة والعلميّة .

وقد أطلعنا على اعداد هذه النشرة فوجدناها طرفة تردان بها كلّ نوادي العلم والادب ل.ش

Antoine Yammine : QUATRE ANS DE MISÈRE. Le Liban et la Syrie pendant la guerre. *Librairie E. Hindié. Le Caire.* 1922. *in*-12, *pp.* 211. *Prix.* 20 *P. E.*

تاريخ لبنان وسوريّة في اربعة اعوام الحرب

وصفنا سابقاً في المشرق الجزئين المثمنين اللذين خصّهما حضرة الخوري انطون يمين اللبناني لذكرى الحوادث والمظالم التي حدثت في لبنان مدّة الحرب العموميّة فكان لهما تأثير عظيم في كلّ من أطلع عليهما . وقد طلب من حضرته بحبّ وطننا الاجانب ان ينشر هذا التاريخ باللغة الفرنسويّة فاعاد النظر في عمله وحسّنهُ من عدّة وجوه واضاف اليهِ خارطة لبنان مع عدّة تصاوير فجاء اثرًا حيًّا لتلك الأيام المشئومة التي عبرت على سوريّة ولبنان لا اعادها الله عليهما أبد الدهر ل.ش

L' ISLAM par Ed. Montet. Collection Payot. *Paris*, 1921, *in*- 16. *pp.* 159

الاسلام

حاول المسيو ادولر مونته احد اساتذة جامعة جنيفة ان يصف احوال الاسلام التاريخيّة والدينيّة والعلميّة والفنيّة سانحًا وحاضرًا في صفحات قليلة غاية في الوضوح . وكان بودّنا ان نصدّق على ما كنّا نكنّ دروسنا الخاصّة وما استنتجهُ المستشرقون الموثوق بهم من ابحاثهم العميقة لا تسمح لنا بذلك مع ما في الكتاب من الاغلاط التاريخيّة العديدة فضلًا عن سوء رسم الحروف العربيّة فيكتب مثلًا اسم زيد «Seid» وقريش « Koreich » . وربّما حذف من الاعلام اسم الابن فيكتب Nadîm و «Mokaffa» بدلًا من Ibn an-Nadîm و Ibn al-Moqaffa . ومن اوهامهِ (ص ٢٦ و٢٧) انهُ نسب الى الوليد الثاني ويزيد الثاني ما لا يصحّ الّا عن الوليد الاوّل ويزيد الاوّل . وقد كرّر دون انتقاد (ص٩) ما قالهُ البعض عن الـ٣٦٠ صنمًا في الكعبة مع ضيق الكعبة عن احراز قسم صغير من هذا العدد . وزعم (ص٢٨) انّ ابا العبّاس السفّاح حارب الامويين في الخراسان وليس في التاريخ ما يؤيّد قولهُ . وجعل هناك

عبدالله بن علي اخاً للسفّاح وهو عمّهُ . وكذلك ليس بصحيح (ص ٣٢) ان آخر الخلفاء في مصر بعد واقعة مرج دابق (Merdj Dabit) تنزّل لسلطان الاتراك سليم الاوّل عن حقوقهِ . ولا صحّة كذلك لقولهِ (ص ٦٢) بانَّ الخليفة في الاسلام يفصل فصلاً نهائيًا في المعتقدات . وليس الوهابيّون من الاباحيين كما ذكر (ص ٦٢) . ولا يزيد عدد المسلمين في الصين (ص ٩٣) عن عشرة ملايين . ليس كبير امر في الفصل الذي خصّهُ بالآداب العربيّة . ومما يقال اجمالاً انَّ المسيو مونته لم يعرف الاسلام الّا ما بلغهُ عنهُ في بلاد المغرب فيطلق الحكم على بقيّة المسلمين كما وجدهُ في المغرب . فلا بدَّ من اصلاح الكتاب وتحسينهِ الاب ه . لامنس

Paul Parmentier. MANUEL D'AGRICULTURE. à l'usage des Cultivateurs Syriens. *Lyon, Audin et* Cie 1922, *in*-16, *pp.* 166

دستور الزراعة

عرف المسيو هوفلين (M. Paul Huvelin) احد اصدقاء سوريّة ورئيس البعثة الفرنسويّة اليها انَّ مستقبل سوريّة بنجاح زراعتها واستغلال تربتها فتقدّم الى احد الاختصاصيين الذين رافقوهُ في بعثتهِ المسيو برمنتيهِ ان يؤلّف كتاباً فنيًا وعمليًا يساعد اهل بلاد الشام في استثمار املاكهم وتحسين الفلاحة والزراعة في اراضيهم . فلبّى دعوتهُ بطيب خاطر ووضع هذا الكتاب على طريقة سهلة مدرسيّة بالسؤال والجواب فاستقرى كل لوازم الزراعة عموميًا وخصوصيًا في اثني عشر باباً . وبيّن ما يستطيع اهل سوريّة ان يجتنوهُ من هذه الثروة الطبيعيّة . فنحضّ كلّ من يهمّهُ رقي وطننا العزيز على مطالعة هذا الكتاب ونتمنّى ان يُسرع بعض اهل الهمّة فيعرّبوهُ لئلّا تفوتَ احدًا فوائدهُ ونشكر الشكر العميم الذين سعوا بهذا التأليف ل . ش

L'INDICATEUR SYRIEN COMMERCIAL, ADMINISTRATIF, INUSTRIEL, *édité par la* Société Syrienne de Publicité E.G, GÉDÉON, *Beyrouth*, 1re *année*, 1922, in-4, pp. 317 + ٢٢٦

الدليل السوري

قد احسنت ادارة شركة الاعلانات السوريّة لصاحبها الاديب الياس افندي جرجي جدعون بنشر هذا الدليل الذي كنّا لهُ في حاجة ماسّة . والحقّ يقال انَّ الساعين بطبعهِ جمعوا فيهِ من الافادات ما دلّ على نشاطهم وحسن ذوقهم وذلك في قسميهِ الفرنسوي والعربي ولولا ضيق المكان لاثبتنا فهرس مضامينهِ الخاصّة بالانتداب الفرنسوي وادارة

لبنان الكبير وولايتي دمشق وحلب واراضي العلويين وترجمة كبار المتوظفين فيها مع كل المعلومات الخاصّة بالتجارة والصناعة ونُبَذ مختصرة عن مصر والدول الاوربيّة كفرنسة وانكلترة والمانية. ولا عجب ان يكون وقع بهذا المجموع بعض الاغلاط والخلل فأملنا ان يزيده اصحابُهُ ضبطاً وإحكاماً في طبعة ثانية. فمما فاتهم تعريف مدرسة الحقوق الفرنسويّة ومدرسة الهندسة مع جدول اساتذتها. ليس للاتين سوى كنيسة واحدة وهي كنيسة الآباء الكبوشيين (ص٧٦). الراهبات اللواتي دعاهن (ص ٧٨) بالمريميّات وبالفرنسويّة (ص 80) «Sœurs de Miriamètre» (كذا!) يُدعون حقيقةً «براهبات قلبي يسوع ومريم». ما هو هذا المكان الذي دعاهُ (ص 179) lieu Zouhal يريد dieu Zouhal وادّعى انّ منهُ اشتقّ اسم زحلة. زُحل هو الاله المعروف عند الرومان باسم (Saturne) واشتقاق اسم زحلة منهُ بعيد. لم يبنِ العرب قلعةً (p. 137) في بعلبك وانّما حصّنوا بعض جهات هيكلها الشهير. وهناك اشياء كثيرة تحتاج الى تمحيص ل.ش

كتاب الشمس الساطعة في تاريخ الكنيسة الجامعة

تأليف الخوري يوسف حنا عطاالله البيت لحميّ الكاثوليكي

بمطبعة القديس بولس حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ٥٠٣)

لا تزال مطبعة الآباء البولسيين الافاضل تتحفنا بمنشوراتها الدينيّة والادبيّة المفيدة. وهذا اثرٌ جديد من همّتها القعساء ضمّنهُ مؤلفهُ الفاضل الخوري يوسف حنا عطاالله احد المرتدّين عن اوهام الروم الى ساطع انوار الكنيسة الكاثوليكيّة افادةً لابناء جنسهِ ليطلعهم على حقيقة البيعة البطرسيّة وتعاليمها الصادقة ويزيل من اذهانهم ما تخيلوهُ من المشاكل في حقّها. ومن ثمّ قد بيّن في كتابهِ هذا علامات الكنيسة الجامعة التي لا تصدق الّا عن الكنيسة الرومانيّة. ثمّ انتقل الى ذكر تاريخ الشقاق بين الكنيستين الشرقيّة والغربيّة واسبابه. وختم بذكر اخصّ القضايا التي يتشبّث بها الروم للثبات في انفصالهم. وكل ذلك بالادلّة الواضحة والبيّنات السديدة. جازى الله كاتبهُ واسرّهُ بتقريب القلوب وجمع قطيع المسيح في حظيرة واحدة تحت راعٍ واحد.

يُطلب الكتاب من صاحبه ومن المطبعة البولسيّة وثمنهُ لا يتجاوز ٣٠ غرشاً مصرياً ما خلا اجرة البريد

حسناء بيروت

لصاحب الكلام الحيّ

في مطبعة الآباء البولسيين حريصا لبنان (المطبعة الثانية ١٩٢٢ ص ٢٤٤)

هذا اثر آخر لمطبعة الآباء البولسيين مما حرّرهُ قلم الطيب الذكر منشئ جماعتهم السيّد جرمانوس معقّد فجدّدوا طبعهُ بعد رواج طبعتهِ الاولى. ولا يجهل قرّاؤنا محاسن هذه الرواية التي لم يأنف مؤلفها صرف زمانهِ في تحريرها . فانها وان كانت خياليّة الّا انها تمثل واقعاً تاريخيًّا اخرجهُ السيّد جرمانوس على هذه الصورة لتزيد رغبة القرّاء في مطالعتها . والحقّ يقال انهُ لم يخطئ الرمى وما هذه الطبعة الجديدة الّا دليلاً على استحسان العموم لمضامينها المعزّزة للفضيلة والمقبّحة للاثم ل.ش

مطبوعات اخرى أُرسلت الى ادارة المشرق

﴿تاجر البندقية﴾ رواية تمثيليّة للروائي الانكليزيّ الشهير شكسبير تُعدّ من ألطف رواياتهِ فكساها جناب شاعرنا خليل المطران ثوباً قشيباً من قلمهِ بنقلها الى العربيّة فطبعتها ادارة الهلال واهدتها الى مشتركيها

﴿الطائفة المارونية﴾ خطابان تاريخيّان اجتماعيّان القاهما صديقنا الشيخ انطون الجميّل في جمعيّة المساعي الخيريّة المارونية بمصر فاجاد وافاد

﴿خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت﴾ للسنين التي مضت عليها منذ الاعلان بالحرب الى اليوم (١٩١٤—١٩٢١) وهذه السنة هي الواحدة والستون لعهد تأسيسها في بيروت . فنشكر لها هديّتها وبها سدّت الخلل الواقع بانحجابها في تلك المدّة . على انّ الله لم ينسَ شيئاً مما خفي وقتئذٍ من الانظار

﴿الزهرة﴾ مجلّة ادبيّة روائيّة اخلاقيّة لصاحبها جميل افندي البحري اصدرت عدداً ممتازاً في اوّل سنتها الثانية دبّج موادّهُ بعض حملة الاقلام في فلسطين

شذرات

رثاء على قبر الشهداء — روت المشرق ما اصاب اهل عينبل المسيحيين في اوائل شهر ايار من السنة ١٩٢٠ بوثوب الشيعيين على قريتهم فنهبوا وسلبوا وقتلوا وحرقوا دون سوابق اوجبت تلك المظالم . فلما عاد السلام وكفّت ايدي الظالمين جمع النصارى رفات شهدائهم ووضعوها في قبر عمومي يقيمون عنده كل سنة تذكاراً لاولئك الضحايا الاشراف . فلما عُقدت هذه الحفلة في الشهر المنصرم انشد المعلم ملحم بركات هذه القصيدة يرثي مواطنيه :

الثوا على قبر الشهادة في الحبرِ ... وجُودوا بدمع العين مع زفرة القلبِ
على أعظُم ضمن الضريح تكفّنت ... بقايا جسومٍ غالها الموتُ في الحربِ
ثوت في البلى حُباً بخدمة شعبها ... لكيما تصون بعرض من فتكة الذئبِ
بقلب جريء في القتال تقدّمت ... لدحر الاعادي من مُشاةٍ ومن ركبِ
فلا السيفُ والبارود أوهن عزمها ... ولا كثرة الاعدا ولا طعنة العَضْبِ
وقد رغبت ألّا تعيشَ ذليلةً ... ففضّلتِ الموت الشريف على السَّلْبِ
عليها يحقُّ النوح والحق واجبٌ ... على معشر السكّان بالقول والندبِ
فلا تبخلوا بالدمع حتى تبلّلوا ... به كل أجناب الضريح من التربِ
سقتك النوادي ايها القبر قُبلةً ... وشرقاً ومن عطف الشمال ومن غربِ
حويت الذين استشهدوا فيك انهم ... قضوا في سبيل المجد قتلى بلا ذنبِ
ضحايا ضوارٍ قد جمعنا رفاتهم ... وقد أودعت في الرمس جنباً الى جنبِ
كأنا وفي ذكراهمُ اليوم كلنا ... نُقاسي المنى والبين يغال بالنبِ
تُرى اي خطبٍ حل في الناس مثلما ... أصيبت به عينبلُ من حادث النكبِ
هجوم بإطلاق الرصاص فلوعةٌ ... فذبحٌ فاحراق تُقارَنُ بالنهبِ
وتشتيتُ شمل الاهل والجوع مُضنك ... تجوب لراضي الناس في السهل والصعبِ
مصاب عظيم احرق القلب في الحشا ... كصاعقة اهوت على ضفة العشبِ
فللّه من هذي الرزيئة اننا ... لدى ذكرها نزداد خطباً على خطبِ
نظل وجفن العين قرّحه البكا ... نئنُّ أنين الحزن من وطأة الضربِ

الى الله امر العالمين فانه يعاقب اشياع المسيئين بالشجب

***

فيا انفس أودى الزمان بعزها فذاقت مرار الموت في طاعة الربّ
صعدتِ الى دار النعيم بغبطة فمن منزلٍ ضنكٍ الى منزلٍ رحبِ
وسرتِ الى نبع الحياة لتستقي فمن موردٍ مرّ الى موردٍ عذبِ
هناك ولا قتل هناك ولا شقا ولا شيعةٌ تحتال بالإفك والكذبِ
تضيئين بالانوار في جنة البها لعمري فما نور المجرّة والشهبِ
وذكراكِ بين الناس كالنخل زاهر وكالارز في لبنان ينمو مدى الحقبِ
عليكِ سلام الله ما ناح طائر عليك سلام الله في البعد والقربِ

﴿وضع الحجر الاوّل لمستشفى الطبي الفرنسوي﴾ في ثاني يوم من شهر ايار الماضي جرت حفلة فخيمة قلّما تشاهد بيروت مثلها رونقاً وبهاء . حضرها علية القوم واشراف المدينة ورؤساء جيش الاحتلال البرّي والبحري في مقدّمتهم فخامة مفوّض جمهوريّة فرنسة الاعلى الذي وضع ذلك الحجر بعد ان باركهُ نيافة القاصد الرسولي . وبهِ احرزت فرنسة فضلًا جديدًا على بلادنا . امّا المكتب الطبي الفرنسويّ الذي خدم الوطن العزيز مع البلاد الشرقيّة القريبة والبعيدة مدّة ٣٣ سنة بمن تخرّجوا في معاهدهِ من الاطبّاء النطاسيين والصيادلة البارعين وكاد وقت الحرب يدخل في خبر كان فانّهُ رأى ما انعش آمالهُ وحقّق امانيهُ بوضع الحجر الاوّل لمستشفى سوف يضاهي بسعتهِ وتجهيز أنديتهِ وكمال اهبتهِ لتوفير عدد مرضاه ومعالجة اصناف الأدواء اكبرَ المستشفيات الاوربيّة ويكون افضل مساعد لتخريج طلبة المكتب الطبّي . أثاب الله كلّ الساعين بهذا المشروع الجليل

﴿التذكار القرني لجمعيّة راهبات الناصرة﴾ وقع في اليوم الثالث من شهر أيار تذكار السنة المائة الاولى لانشاء جمعيّة راهبات الناصرة اللواتي يتفانين بيننا منذ ٦٧ سنة في تهذيب اوانس البيوتات الشريفة وتربية فتيات العامّة . فغرسن في قلوب مئين بل الوف منهنّ اصول الدين والتقى . فأضحين خير ربّات للعيال المسيحيّة وافضل قدوةٍ لبنات جنسهنّ . ففي ختام هذا القرن الاوّل اقامت الراهبات في ديرهنّ حفلات دينيّة وادبيّة شائقة تصدّر فيها نيافة القاصد الرسولي الذي شكرهنّ على ما بذلنَ

للدين والوطن من الخدم العديدة مع محبتنا للتواضع والاختفاء وتفردهن من كل مجد عالمي لا يطلبن سوى مجد الله وخير القريب على موجب ما ورثن من تعاليم منشئتهن الساميتي القداسة الام رولا والدرقة ده دودتيل ومرشدهما الاب روجه اليسوعي فاتخذوا لهن اسم راهبات الناصرة ليشاركن في سلوكهن كل فضائل عائلة يسوع ومريم ويوسف . نختم صوتنا الى هذا التمالي ونطلب الى الله ان يجزل ثوابهن في الدارين

﴿المجلس النيابي﴾ دخل لبنان الكبير في طور جديد من حياته السياسية منذ تمت في ٢١ ايلول معاملات انتخاب ممثليه . وقد صار ذلك بنظام وهدوء عظيمين قضى منهما العجب اصحاب الانتداب الفرنسوي وبهما استدلوا على رقي اهل الوطن الذين عرفوا ما لهم من الواجبات والحقوق فجروا بموجبها دون ارتياب . وقد بلغ عدد المنتخبين ثلثين مندوباً : ١٠ موارنة و ٦ مسلمون سنيون و ٥ شيعيون و ٤ روم اورثذكس و ٢ روم كاثوليك و ٢ دروز و ١ عن الاقليات . وقد خطب فيهم فخامة المفوض السامي منبئاً عن ارتياحه لاختيارهم ومنبهاً ما لهم من السلطة في تدبير الامور وما تؤمله الدولة الفرنسوية من حسن نظرهم . وكان اجتماعهم للمرة الاولى يوم عيد الصعود في ٢٥ من الشهر فاختاروا رئيساً للمجلس عطوفة حبيب باشا السعد . وفي ٣٠ منه عقدت الجلسة الاولى لمباشرة اشغالهم . فنتمنى للوطن رقياً ونجاحاً في مدة نيابتهم

﴿احصاء الهند الاخير﴾ تم هذا الاحصاء في اواسط شهر حزيران من السنة الماضية فبلغ مجموع سكان الهند نيفاً وثلثمائة وتسعة عشر مليوناً . الوثنيون منهم نحو ٢١٠،٠٠٠،٠٠٠ يقسمون الى عدة اقسام اخصهم البرهمانيون ثم البوذيون ثم الجينيون ثم عبدة النار والمجوس الفرس . ويبلغ المسلمون في الهند بين ٦٠ الى ٧٠ مليوناً معظمهم في ولايات بنغال وبنجاب وبمباي قسم منهم من اهل الشيعة . اما النصارى فثلثة ملايين مليونان منهم كاثوليك والباقون من الشيع البروتستانية . ومن غريب ما تحققوه في الاحصاء الاخير ان عدد الاناث في الهند يزيد على الذكور بأزيد من تسعة ملايين نفوس . واللغات الشائعة في الهند تبلغ نحو ١٥٠٠ لغة واكثرها شيوعاً اللغات الهندو اوربية وهي ٢٢ لغة يتكلم بها ٢٣٠ مليوناً من اهل الهند . ويدخل في هذا القسم

اللغات الشائعة في شمالي الهند اخصُّها الهندستانيَّة والمراطيَّة والبنغاليَّة والغوجراتيَّة والبنجابيَّة تشتقّ من لغات ثلث كانت اقدم لغات الهند وسبقت تاريخ الميلاد بعدَّة اجيال وأبقت للبراهمة آثارًا متعدّدة وهي السنسكريتيَّة والباليَّة والبراكريتيَّة وكأنها ترتقي الى اصل واحد تقدَّم على زمن التاريخ. امَّا الهند الجنوبيَّة فالشائع عندها قسم اللغات المعروفة بالدراڤيديَّة التي يتكلَّم بها ٦٢ مليونًا من اهل الهند وهي تشمل اربع عشرة لغة اخصُّها التامول والتلوغو والملايالام والكناريز. فالحكومة البريطانيَّة فتحت في لندن مكاتب لدرس هذه اللغات يتردَّد اليها المترشحون لادارتها في الهند

﴿ الحقوق الاسلاميَّة والفرنج ﴾ قرأنا في الجزء الرابع من المجلَّد الثاني من مجلَّة المجمع العلمي العربيّ (نيسان ١٩٢٢) مقالة مطوَّلة للشيخ سعيد مراد النزّي ورد في فصلها الاخير عدَّة اقاويل عن نقل الفرنج للشرائع الاسلاميَّة وترويجها بينهم تحت اسم الشرائع الرومانيَّة او القانون المدني وقد استند في اثبات قولهِ الى بعض المحدثين الذين رموا الكلام على عواهنهِ كالاسفرنكاني والمؤرخ موسهم. وذكر هناك اسماء كهربرت والبرت ممَّا لم يذكر شيئًا من تاريخهم لنتحقق صحة قولهِ. فيا ليت الشيخ يأتينا بنصّ قديم صريح يفيدنا عمَّا بحثنا عنهُ زمنًا طويلًا دون الوقوف على اثر منهُ. امَّا الحبر الروماني سلفستر الثاني فقد بيَّنا في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٣٩١) انَّ علاقاته مع العرب احدى الخرافات التي اشاعها بعض المحدثين بلا سند. وغاية ما نعلم عمَّا استفادهُ الفرنج من العرب بضعة تآليف طبيَّة وفلسفيَّة وعلميَّة نقلها الى اللاتينيَّة بعض اليهود والفرنج الذين برعوا في العربيَّة ولعلَّنا نكتب في ذلك مقالة واسعة. امَّا الفقه الاسلاميّ فلم نجد احدًا من القدماء نقل شيئًا منهُ

﴿الانوار الماسونيَّة﴾ لا يزال الاخ ه يوسف الحاج يتصر للشيعة فتراهُ يلعب بسيفهِ الماسونيّ لعب الوليد الذي يجرح نفسهُ وهو يظنّ انَّ ضرباتهِ قاضية على من يناطحهُ. وقد قرأنا ما نشرهُ آخرًا عن استنطاق ماسوني فهو افضل فصلٍ للروايات الهزليَّة على المسارح فان اراد ارباب المدارس ان يفكِّهوا تلامذتهم فما لهم الَّا ان يتلوا هذه الطُّرَف المضحكة الغالبة على روايات موليار وسخافات جحى. فياليت الترمسون يكتفون في اجتماعاتهم السرّيَّة بمثل هذه الهرجلات ونعلم ان وراء الكلمة ما يعرفون

أسئلة وأجوبة

س سأل من النبك اسعد افندي نصرالله : ١ً ما معنى آية سفر التكوين (٣ : ٢٢) : « قال الرب الاله هوذا آدم قد صار كواحد منا يعرف الخير والشرّ » اترى كان يجهل ذلك قبل خطيئته ؟ . ٢ً كيف يُعلَّل طول حياة الآباء الاوّلين الذين بلغ بعضهم ٩٠٠ سنة أكان ذلك معجزةً ؟ . ٣ً ما معنى قوله تعالى لنوح (تك ٩ : ٥) : « انّما دماؤكم فاطلبها من يد كلّ وحش طلبها » ومعلوم انّ الوحش لا يقترف ذنباً بافتراس الانسان وهو يصنع على حسب غريزته . ٤ً كيف التوفيق بين سفر التكوين (ف ١٢) حيث يقال انّ الله دعا ابرهيم « بعد ما سكن حرّان » وسفر الاعمال (٧ : ٢) القائل انّ الله دعاهُ وهو في ما بين النهرين « من قبل ان اقام بحرّان » . ٥ً هل تحسب النفس اقنوماً كاملاً بعد انفصالها من الجسد . وان امكنها ان تقوم بذاتها فما الحاجة الى قيامة الجسد . وقد قرأت في بعض تآليف الكاثوليك انهم لم يتّفقوا على اثبات صحّة القيامة

شرح آيات كتابيّة

ج نجيب على (الاوّل) : ان كلام الله في هذا المكان تهكُّم . كأنهُ يقول لآدم وحوّاء ها قد صحّ فيكما وعد الحيّة اي الشيطان لمّا انخدعتما بقوله لكما (تك ٣ : ٤—٥) : « لن تموتا لأنّ الله عالم انكما يوم تأكلان منهُ تنفتح اعينكما وتصيران كآلهة عارفين الخير والشرّ » . فنعمَ المعرفة معرفتكما اذ عرفتما الشرّ فعملاً وما كفاكما معرفتهُ نظرياً . ٢ً نجيب عن (الثاني) انّ هذا المشكل قد بحث فيهِ الطيّب الذكر الخوري يوسف العلم في المشرق (٤ [١٩٠١] : ١٥١—١٥٤) في مقالتهِ عن أعمار الآباء الاوّلين . فلتراجع . ٣ً نجيب عن (الثالث) انّ الله تحذيرًا للبشر من سفك دماء ذوي جنسهم اراد ايضاً ان الحيوانات العُجم اذا قتلت انساناً تُقتَل هي ايضاً . كما ورد في سفر الخروج (٢١ : ٢٨) عن الثور الذي ينطح انساناً فيقتلهُ فان الله امر موسى بان يُرجَم الثور ولا يؤكَل من لحمهِ . نجيب على (الرابع) انّ الله دعا ابراهيم دعوتين دعوةً اولى في اور الكلدانيين فاخرجهُ مع اسرتهِ فسار الى حرّان . ثمّ دعاهُ في حرّان دعوةً ثانية الى ارض فلسطين . وبذلك يظهر التوفيق بين سفر التكوين وسفر الاعمال . نجيب على (الخامس) انّ النفس وحدها لا تُدعى اقنوماً اذ خُلقت لتعيش في الجسد وتأخذ معلوماتها من الحواسّ طالما هي على الارض . لكنّها قادرة لبساطتها وخلودها ان تقوم بذاتها فتستقي معلوماتها بالفكر والصور العقليّة . لكنّ تلك الحالة موقّتة الى يوم القيامة .

حيث تجتمع بجسدها . وامّا ما قرأهُ السائل في بعض كتب الفلسفة عن اختلاف الآراء في قيامة الاجساد فذلك محمول على نظريّات الفلاسفة لا على الوحي والايمان . فانّ بعث الاجساد يوم القيامة لا شكّ فيهِ وهو من العقائد الدينيّة الراهنة . امّا اثبات هذه القضيّة بالادلّة الفلسفيّة دون الوحي فوقع فيهِ الاختلاف بين الكتبة فمنهم من يزعم انهُ يمكن اثبات القيامة بالبراهين الفلسفيّة وهو الارجح ومنهم من ينكر . وعلى كلّ حال ليس تناقض بين العقل والايمان

س سأل من قبرس مراسل جريدتنا البشير ما معنى ما يحدث في الماغوسة في اوّل ايّار الشرقي حيث يجتمع الاحداث من فتية وفتيات فيطوفون البلد باكاليل الزهور وانشاد الاغاني العاميّة باليونانيّة ثمّ اذا انتهوا من طوافهم يعلّقون الاكاليل على باب يوحنا فتبقى الى العام المقبل

تطواف احداث قبرس بالاكاليل في اوّل ايّار الشرقي

ج هذا التطواف كان جارياً عند امم وثنيّة عديدة قبل المسيح وبعدهُ وكان الاحداث يقصدون بهِ الاحتفال بقدوم الربيع واكرام إلهة الزهور «ماء» التي من اسمها اشتقّ اللاتين اسم شهر ايّار بلغتهم « Maius » . وكانت قبرس جزيرة الالهة الزهرة المعروفة بأفروديت وهي إلهة البسط واللذّات فحاولوا اكرامها بتلك الحفلة . ثمّ نسي القبرسيّون اصل تلك العادة فجروا عليها بالتقليد وامّا وضع الاكاليل فوق ابواب البيوت فتفاؤلاً بخصب السنة وافراحها . وكذلك اناشيدهم هي تحيّة بالربيع ومباهجهِ

س وسأل احد الرهبان من هو القديس ابون الذي ذُكر في مقدّمة قوانين الرهبان انّ رسومهم ترتقي الى القديس انطونيوس الكبير والى القديس ابون ؟

القديس ابون

القديس ابون هو القديس الشهير وتلميذ مار انطونيوس الكبير المعروف عند السريان باسم اوكين (ܐܘܟܝܢ) وهو الذي نشر الحياة النسكيّة في بلاد بين النهرين وعمّر الاديرة فيها . امّا اسمهُ «ابون» فامّا هو اسم اكرام وتجلّة كان يُدعى بهِ بالسريانيّة بمعنى «يا ابانا» وامّا هو تصحيف اسمهِ اوكين الوارد في تاريخ معاصرهِ سوزومان بصورة Aonès فقالوا « اوون» و«ابون» (راجع كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة ص٩٧) وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان(٢ : ٦٤) ديرًا على اسم أبون قريباً من جزيرة ابن عُمر في ما بين النهرين ل . ش

١) اطلب D' Max Ohnefalsch-Richter : Kypros, die Bibel u. Homer. 124-125

المشرق

ديوان

الشاعرين الكبيرين

عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن الحلزة اليشكري

توطئة

في جامع الاستانة المعروف بجامع السلطان الفاتح مخطوطات عربية وجد بها العلامة المستشرق فريتس كرنكو تحت الرقم ٥٣٣ نسخة حسنة من ديوانَي الشاعرين الجاهليين عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن الحلزة اليشكري وهما صاحبا المعلقتين الشهيرتين اللذان تحاكما الى عمرو ابن هند ملك الحيرة في آخر حرب البسوس. وكنا رويناهما مع ترجمتهما قسماً من شعرهما في كتابنا شعراء النصرانية. وقد عرض علينا جناب المستشرق المذكور أن ننشر هذين الديوانين في مجلة المشرق فلبينا طلبهُ بسرور لعظم شأن هذه الآثار السابقة للهجرة وهي كشذور ذهبية عبرت على آفات الزمان. ولم ينشر جنابهُ المعلقتين لشيوعهما. وقد علّق على الديوانين بعض الملحوظات في ذيلها مع عدّة حواشٍ في آخرها. وأما الشروح الواردة في الاصل فانهُ اثبتها في موضعها. وكان لعمرو بن كلثوم ولدٌ اسمهُ الأسود ورد لهُ بعد ديوان ابيهِ ثلثة مقاطيع من الشعر الحقناها به كما في الاصل ثم يليها ثلاث عشرة قطعة أخرى لشعراء مختلفين قيلت في رثاء عمرو بن كلثوم او في مديحهِ او مديح ذويهِ او بعض امورهِ وجاء بعضها بمجموع ديوانهِ ل. ش

شعر

عَمْرو بن كُلْثُوم

(ما خلا قصيدتهُ المشهورة)

العدد ١

قال عَمْرُو بن كُلْثُوم (من الرمل) :

١ إنَّ لِلّهِ عَلَيْنَا نِعَماً وَلِأَيْدِينَا عَلَى النَّاسِ نِعَمْ
٢ فَلَنَا الفَضْلُ عَلَيْهِمْ بِالَّذِي صَنَعَ اللّهُ فَمَنْ شَاءَ رَغِمْ
٣ دُونَنَا فِي النَّاسِ مَسْعًى وَاسِعٌ لَا يُدَانِينَا وَفِي النَّاسِ كَرَمْ
٤ فَضَلْنَاهُمْ بِعِزٍّ بَاذِخٍ ثَابِتِ الأَصْلِ عَزِيزِ المُدَّعَمْ

العدد ٢

أَغَارَ عَمْرو بن كُلْثُوم على بني تميم ثمّ سرّ من فوره ذلك على حيّ من قيس بن ثعلبة فلأ يده منهم وأصاب أسارى وسبايا . وكان فيمن أصاب أحمرُ بن جَنْدلٍ السَّعْدِيّ . ثمّ انتهى الى بني حَنِيفَةَ باليمامة وفيهم أناس من بني عِجْلٍ فسمع به أهل هَجَر . فكان أوّل مَنْ أتاهُ من بني حَنيفة بنو سُحَيْم عليهم يزيد بن عمرو بن شُرَيْح فلمّا رآهم عَمْرو بن كلثوم قال (من الرجز) :

١ مَنْ عَالَ مِنَّا بَعْدَهَا فَلَا أَجْبَرْ
٢ ولا سُقِيَ مَاءً ولا رَعَى شَجَرْ
٣ بنو لُجَيْمٍ وحَمَاسِيسُ مُضَرْ
٣ بِجَانِبِ الدَّوِّ يُدَهْدُونَ المَكَرْ

الجُشُوسُ الدون من كُلِّ شيء . ويُروَى: مَنْ عَالَ يَوْماً بَعْدَهَا . فانتهى اليه يزيد بن عَمْرو فطعنهُ فصرعَهُ عن فرسهِ ولم يَخْلُصْ الى مقتلهِ فأسرهُ وكان يزيد شديداً فشدّه كِتافاً ثمّ قال: انت الذي تقول:

متى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ نَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ نَقِصِ القَرِينَا

أَمَا انّي سأعقِدُكَ بناقتي ثمّ أَطْرُدُكما جميعاً . فنادى عَمْرٌو: يَالَ رَبِيعَةَ أَمْثِلَةً . فاجتمعت اليهم لُجَيْمٌ فنهَوه ولم يكن يريد ذاك فسار حتى أنزله قصور حَجْر فضرب عليه قُبَّةً ونحر له جَزوراً وسقاه حتّى انتشى وكساه حُلّةً وحملهُ على نَجِيبةٍ

العدد ٣

فقال عَمْرو حين أَخذت فيه الخَمْرُ (١ (من الوافر):

١ أَأَجْمَعَ صُحْبَتِي سَحَرَ ارْتِحَالاَ وَلَمْ أَزْمِعْ بِبَيْنٍ مِنْكِ هَالاَ

أراد يا هالة فرخّم والهالة الضوء الذي حول القمر شبّه المرأة بذلك

٢ وَلَمْ أَرَ مِثْلَ هَالَةَ فِي مَعَدٍّ تُشَبِّهُ حُسْنَهَا إِلاَّ الهِلاَلاَ

٣ أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ كُلَّهَا نَبَأً جِلاَلاَ

٤ بِأَنَّ العَاجِلَ البَطَلَ ابْنَ عَمْرٍو غَدَاةَ نَطَاعٍ قَدْ صَدَقَ القِتَالاَ

نَطاعٍ اسم ارض باليمامة

٥ كَتِيبَتُهُ مُلَمْلَمَةٌ رَدَاحٌ إِذَا يَرْمُونَهَا تُنْبِي النِّبَالاَ

٦ جَزَى اللهُ الأَجَلَّ يَزِيدَ خَيْرًا وَلَقَّاهُ المَسَرَّةَ وَالجَمَالاَ

٧ بِمَأْخَذِهِ ابْنَ كُلْثُومِ بْنِ سَعْدٍ يَزِيدُ الخَيْرِ نَازَلَهُ نِزَالاَ

٨ بِجَمْعٍ مِنْ بَنِي قُرَّانَ صِيدٍ يُجِيلُونَ الطِّعَانَ إِذَا (٢ أَجَالاَ

٩ يَزِيدُ يُقَدِّمُ الشُّقْرَاءَ حَتَّى يُرَوِّيَ صَدْرَهَا الأَسَلَ النِّهَالاَ

١) [انظر كتاب الأغاني ج ٩ ص ١٨٣–١٨٤] ٢) إذ مط

العدد ٤

وقال يهجو عَمْرَو بن هِند المَلِكَ (من الكامل):

١ لَا يَسْتَوِي الأَخْوَانِ أَمَّا بَكْرُنَا فَيَدِينُ لِلْمَلِكِ اللِّئَامِ الْمُنْصِرُ

٢ وَوَجَدْتُ تَغْلِبَ لَا يُرَامُ قَدِيمُهَا عِزًّا يَحِقُّ لَهُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ

٣ أَخْمَاعَ لَوْ أَصْبَحْتِ[1] وَسْطَ رِحَالِهِمْ عَرَفَتْ خُمَاعَةُ أَنَّهَا لَا تُخْفَرُ

خُمَاعَةُ بنت عَوف بن مُحَلِّم الشَّيْبانيّ وقيل خُمَاعَةُ بطن من بني ضُبَيْعَةَ بن رَبيعة

العدد ٥

وقال (من الطويل):

١ أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي سُلَيْمًا وَرَبَّهُ فَزِيدَا عَلَيَّ مِثْرَةً وَتَغَضُّبَا

المِثْرَةُ الحِقْدُ والجمع مِثَرٌ

٢ فَإِنْ كَانَ جِدٌّ فَاسْمَيَا مَا وَسِعْتُمَا وَإِنْ كَانَ لَعْبٌ آخِرَ الدَّهْرِ فَالْعَبَا

ويُرْوَى: ما قَدَرْتُمَا أي الْعَبَا ما قَدَرْتُمَا

٣ وَمِنْ بَعْدِكَ اللَّيْثُ الْمُجَرَّبُ وَقْعُهُ بِحِلَّيْنِ لَمَّا يَعْدُوَا أَنْ تَضَبَّبَا

تَضَبَّبَا صارا ضَبَّيْنِ

٤ لَحَى اللهُ أَدْنَانَا إِلَى اللُّؤْمِ زُلْفَةً وَأَعْجَزَنَا خَالًا وَأَلْأَمَنَا أَبَا[2]

٥ وَأَجْدَرَنَا أَنْ يَنْفُخَ الكِيرَ خَالُهُ يَصُوغُ الْقُرُوطَ وَالشُّنُوفَ بِيَثْرِبَا[3]

العدد ٦

وقال عَمْرو بن كُلْثُوم (من الوافر):

---

١) أصبحت Ms

٢) وألأمنا خالا وأعجزنا أبا Agh IX 184

٣) يثربا Ms

١ أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ فَمَا رُعِيَتْ ذِمَامَةُ مَنْ رَعَيْنَا

٢ أَتَنْفَضِبُ[1] مَالِكًا بِذُنُوبِ تَيْمٍ لَقَدْ جِئْتَ المَحَارِمَ وَاعْتَدَيْنَا

ويُرْوَى: أَتَأْخُذُ مالِكًا بذنوب تَيْمٍ لَقَدْ خُنْتَ الأَمَانَةَ واعْتَدَيْنَا

٣ فَلَوْلا نِعْمَةٌ لِأَبِيكَ فِينَا لَقَدْ فُضَّتْ[2] قَنَاتُكَ أَوْ ثَوَيْنَا

٤ أَتَنْسَى رِفْدَنَا بِعُوَيْرِضَاتٍ غَدَاةَ الخَيْلُ تَخْفِرُ[3] مَا حَوَيْنَا

٥ وَكُنَّا طَوْعَ كَفِّكَ يَا ابْنَ هِنْدٍ بِنَا تَرْمِي مَحَارِمَ مَنْ رَمَيْنَا

٦ سَتَعْلَمُ حِينَ تَخْتَلِفُ العَوَالِي مَنِ الحَامُونَ ثَغْرَكَ إِنْ هَوَيْنَا

٧ وَمَنْ يَغْشَى الحُرُوبَ بِمُلْهِبَاتٍ تُهَدِّمُ كُلَّ[4] بُنْيَانٍ بَنَيْنَا

٨ إِذَا جَاءَتْ لَهُمْ تِسْعُونَ أَلْفًا عَوَابِسُهُنَّ وَرْدًا أَوْ كُمَيْتَا

العدد ٧

وقال (من البسيط):

١ حَلَّتْ سُلَيْمَى بِخَبْتِ أَوْبِفِرْ تَاجٍ[5] وَقَدْ تُجَاوِرُ أَحْيَانًا[6] بَنِي نَاجِ

يريد بني ناج بن عذران[7]

٢ إِذْ لا تُرَجِّي سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَ لَهَا مَنْ بِالخَوَرْنَقِ مِنْ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ

٣ وَلا يَكُونُ عَلَى أَبْوَابِهَا حَرَسٌ وَلا تُكَفِّفُ قُبْطِيًّا بِدِيبَاجِ[8]

القُبْطِيُّ ثَوْبٌ أَبْيَضُ. تُكَفِّفُ من الكِفَافِ يُجْعَلُ كِفَافًا

---

١) أَتُغْضِبُ Ms ولعلها أَتُنْضِب ٢) فُضَّت Ms ٣) تخفر Ms

٤) تُهَدِّمُ كُلَّ Ms

٥) Bakri 184 فِرْتَاجُ موضع بين التباج والكوفة

٦) وقد تكون قديماً في Agh IX 184 ٧) ناجر بن عدنان Ms

٨) كما تلتف قبطيّ Agh

٤ تَمْشِي بِمِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصَةٍ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْيَنْبُوتِ[1] وَالْحَاجِ

الْيَنْبُوتُ والحاج ضربان من الشوك

العدد ٨

وقال (من الوافر) :

١ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ جَنْبَيْ أَرِيكٍ إِلَى الْقَلَمَاتِ مِنْ أَكْنَافِ بَعْرِ

٢ ضَوَامِرَ كَالْقِدَاحِ تَرَى عَلَيْهَا يَبِيسَ الْمَاءِ مِنْ حُوٍّ وَشُقْرِ

٣ نَؤُمُّ بِهَا بِلَادَ بَنِي أَبِينَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَسَبٍ وَصِهْرِ

٤ تُجَاوِبُ فِي جَوَانِبِ مُكْفَهِرٍّ شَدِيدٍ رِزُّهُ كَاللَّيْلِ مَجْرِ

يريد أن الخيل تَعْدُو وتُجَاوِبُها خيل أخرى. والمَجْرُ الكثير. الرِّزُّ الصَّوْتُ

٥ صَبَحْنَاهُنَّ حَرَّابَ بْنَ قَيْسٍ وَجَعْدَةَ مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ عَمْرِو

٦ كَأَنَّ الْخَيْلَ أَيْمَنَ مِنْ أُبَاضٍ[2] بِجَنْبِ عُوَيْرِضٍ أَسْرَابُ دَبْرِ

الدَّبْرُ النَّحْلُ

٧ إِذَا سَطَعَ الْغُبَارُ خَرَجْنَ مِنْهُ سَوَاكِنَ بَعْدَ إِبْسَاسٍ وَنَقْرِ

الإِبْسَاسُ التَّسْكِينُ والنَّقْرُ بالفم. ويروى : بَعْدَ تَأْبِيَةٍ وَنَقْرِ

٨ مُجَرَّبَةً عَلَيْهَا كُلُّ مَاضٍ إِلَى الْغَمَرَاتِ مِنْ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ

العدد ٩

وقال (من الوافر) :

١ تَعَلَّمْ أَنَّ حَرَّابَ بْنَ قَيْسٍ وَجَعْدًا فِي دِيَارِكَ مِنْ هُبَالَهْ

---

١) في اليابوت Agh. IX,184

٢) أُبَاضَ Bakri 16 reading but according to Ḫalid as text

٢ أَلَا يا حَيِّ ما خَيْلٌ بِعَيْبٍ تُجَوِّلُ في دِيارِكَ مِنْ إِجالَهْ
ويُرْوَى: في دِيارِكُمُ إِجالَهْ

العدد ١٠

وقال (من الكامل) :

١ ما بأمْرِئٍ مِنْ ضُؤْلَةٍ في وائِلٍ وَرِثَ الثُّوَيْرَ وَمالِكاً ومُهَلْهِلا
ضُؤْلَةٌ ضَعْفٌ

٢ خالِي بِذِي بَقَرٍ حَمَى أَصحابَهُ وَشَرَى بِحُسْنِ حَدِيثِهِ أَنْ يُقْتَلا
يقول اشترى حسن الحديث بالقتل فبقي له الذِكْرُ

٣ ذاكَ الثُّوَيْرُ فَما أُحِبُّ بِفَضْلِهِ عِنْدَ التَّفاضُلِ فَضْلَ قَوْمٍ أَفْضَلا
الثُّوَيْرُ هو عمرو بن هِلالٍ النَّمِرِيّ [وفي الهامش هو الثُّوَيْر بن عَمْرو بن هلال]

٤ عَمِّي الَّذِي طَلَبَ المُداةَ فَنالَها بَكْرًا[1] فَجَلَّلَها الجِيادَ بِكِنْهِلا
كِنْهِل اسم موضع

٥ وأَبِي الَّذِي حَمَلَ السِّنِينَ وَناطِقُ المَعْرُوفِ إِذْ عَيَّ الخَطِيبُ المِفْصَلا

العدد ١١

وقال ايضاً (من الكامل) :

١ زَعَمَتْ قُتَيْبَةُ أَنَّها مِنْ وائِلٍ نَسَبٌ بَعِيدٌ يا قُتَيْبَ فَأَصْمِدِي
اي اذهبي الى قومك. وقُتَيْبَة من باهلة

العدد ١٢

وقال (من الطويل) :

١ أَلا هَلْ أَتى بِنْتَ الثُّوَيْرِ مُغارُنا عَلى حَيِّ كَلْبٍ والضُّحَى لَمْ تَرَحَّلِ

١) الأصل: بكرًا

لم ترحل اي لم ترتفع ترحلت الشمس انبسطت

٢ صَبَحْنَاهُمْ مِنَّا فَوَارِسَ نَجْدَةٍ وَشُهْبَاءَ تَرْدِي بِالسِّهَامِ الْمُثَمَّلِ

٣ تَرَكْنَاهُمُ صَرْعَى لَدَى كُلِّ مَزْحَفٍ تَجُرُّهُمُ عُرْجُ الضِّبَاعِ بِمَحْفَلِ

العدد ١٣

وقال (من الطويل) :

١ لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا رَبِيعَةَ أَنَّنَا ذُرَاهَا وَأَنَّا حِينَ تُنْسَبُ جِيدُهَا [1]

٢ وَمَا أَنْفَكَّ مِنَّا مُنْذُ كُنَّا عِمَارَةٌ إِذَا الْحَرْبُ شَالَتْ لَاقِحًا مَنْ يَقُودُهَا

عمارة اي عددًا كثيرًا . ويُروى : فَتَكْفِي جَلِيلَاتِ الأُمُورِ نُسُودُهَا

٣ إِنْ تَسْأَلِي تُنْبَيْ بِأَنَّا خِيَارُهَا وَأَنَّا الذُّرَى مِنْهَا وَأَنَّا وُقُودُهَا

العدد ١٤

وقال (من الوافر) :

١ بَكَرَتْ تَعْذُلُنِي وَسْطَ الْجِلَالِ سَفَهًا بِنْتُ ثُوَيْرِ بْنِ هِلَالِ [2]

٢ بَكَرَتْ تَعْذُلُنِي فِي أَنْ رَأَتْ إِبِلِي نَهْبًا لِشَرْبٍ وَفِصَالِ

ويُروى : فِصالٍ من المفاصلة

٣ لَا تَلُومِينِي فَإِنِّي مُتْلِفٌ كُلَّ مَا تَحْوِي يَمِينِي وَشِمَالِي

٤ لَسْتُ إِنْ أَطْرَفْتُ مَالًا فَرِحًا وَإِذَا أَتْلَفْتُهُ لَسْتُ أُبَالِي

٥ يُخْلِفُ الْمَالَ فَلَا تَسْتَيْئِسِي كَرَيِّ الْمُهْرِ عَلَى الْحَيِّ الْحِلَالِ

كَرَي فاعل يُخْلِفُ

١) حيدها Ms ٢) الاصل بنت ثوّر

٦ وَأَبْتَذِلي النَّفْسَ في يَوْمِ الوَغَى وَطِرَادِي فَوْقَ مُهْرِي وَنِزَالي
٧ وَسُمُوِّي بِخَمِيسٍ جَحْفَلٍ نَحْوَ أَعْدَائي بِحَلِّي وَارْتِحَالي

العدد ١٥

وقال (من الوافر) :

١ جَلَبْنا الخَيْلَ مِنْ جَنْبَيْ أَرِيكٍ سَوَاهِمَ يَعْتَزِمْنَ عَلَى الخَبَارِ
٢ نَزَائِعَ لِلتُّرَابِ بِنَا تُبَارِي خَوَارِجَ كَالسَّمَامِ مِنَ الغُبَارِ

التُّرابُ معروف من الخيل . والسَّمام نوع من الطير

٣ صَبَحْنَاهُنَّ يَوْمَ الأَتْمِ شَعْثاً فِرَاساً وَالقَبَائِلَ مِنْ غِفَارِ (١)

الأَتْمُ موضع لبني سُلَيم . وفِراس من كِنانة وغِفار أيضاً

٤ تَرَكْتُ نِسَاءَ سَاعِدَةَ بْنِ عَمْرٍو عَلَيْهِ حَوَاسِرًا وَسْطَ الدِّيَارِ
٥ تَرَكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ كَمَا عَكَفَ النِّسَاءُ عَلَى الدُّوَارِ
٦ فَجَعْتُهُمْ بِخَيْرِهِمِ نَدِيماً وَأَطْعَمَهُمْ لَدَى قَحْطِ القِطَارِ

العدد ١٦

وقال (من المنسرح) :

١ إِنْ تَسْأَلِي تَغْلِباً وَإِخْوَتَهُمْ يُنْبِئْكِ (٢) أَنِّي مِنْ خَيْرِهِمْ نَسَبَا
٢ أَنِّي إِلَى الصِّيدِ مِنْ رَبِيعَةَ وَالـ أَخْيَارِ مِنْهُمْ إِنْ حُصِّلُوا نَسَبَا

العدد ١٧

وقال (من الكامل) :

١ تَاللهِ إِمَّا كُنْتِ جَاهِلَةً مِنْ سَعْيِنَا فَسَلِي بِنَا كَلَبَا (٣)

١) [روى البكري في المعجم هذا البيت مع شرحه عن أبي عمرو الشيباني]
٢) تنبك Ms ٣) [وفي الأصل تاسألي وهو بكسر التاء]

٢ أَيَّامَ نَطْعَنُهُمْ وَتَصْدُقُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْبَا

العدد ١٨

وقال (من الطويل):

١ حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً إِذَا مَخْرِمٌ خَلَّفْتُهُ لَاحَ مَخْرِمُ

٢ يَقُومُ وَرَائِي نَاشِدٌ لِي بِغَدْرَةٍ طِوَالَ اللَّيَالِي أَوْ تَزُولَ يَلَمْلَمُ

٣ وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ لِمَالٍ أُفِيدُهُ وَلَسْتُ عَلَى مَا فَاتَنِي أَتَنَدَّمُ

العدد ١٩

وقال (من الطويل):

١ رَدَدْتُ عَلَى عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ قِلَادَةً ثَمَانِينَ سُودًا مِنْ ذُرَى جَبَلِ الْهَضْبِ

٢ فَلَوْ أَنَّ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي لَحَلَّقَتْ بِهَا الْمُغْرِبُ الْعَنْقَاءُ عِنْدَ أَخِي كَلْبِ

٣ أَبَيْتُ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ اخْتِيَارُهُ عَطَاءَ الْمَوَالِي مِنْ أَفِيلٍ وَمِنْ سَقْبِ

٤ وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ مُرَّةَ فَارِسًا غَدَاةَ دَعَا السَّفَّاحُ يَالَ بَنِي الشَّجْبِ

مُرَّةُ بن كلثوم. والسفاحُ تغلبيٌّ. كانوا انهزموا فناداهم السفاح: يا بني الشَّجْبِ أَيْنَ تفرون. يعيّرهم بذلك وهم مِن كَلْب

٥ وَمَا كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ تَيْمٍ أَرُومَةً وَلَا عَبْدِ وُدٍّ فِي النِّصَابِ وَلَا الصُّلْبِ

٦ وَزَلَّ ابْنُ كُلْثُومٍ عَنِ الْمَجْدِ بَعْدَمَا تَبَرَّأَ[1] لَهُ مِنْ خَالِدٍ وَبَنِي كَعْبِ

العدد ٢٠

وقال (من الوافر):

١ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ كَنَفَيْ أَرِيكٍ عَوَابِسَ يَطْلُعْنَ مِنَ النِّقَابِ

١) تبرأ ط

٢ كَأَنَّ إِنَاثَهَا عِقْبَانُ دَجْنٍ إِذَا طُوِطِنَ فِي بَلَدٍ يَبَابِ
٣ صَبَحْنَاهُنَّ عَنْ عُرُضٍ تَمِيماً وَأَتْلَفَ رَكْضُنَا جَمْعَ الرِّبَابِ
٤ فَأَفْنَيْنَا جُمُوعَهُمُ بِشَاجٍ وَكَرَّتْ بِالغَنَائِمِ وَالنِّهَابِ
٥ فَكَمْ عَفَرْنَ مِنْ وَجْهٍ كَرِيمٍ غَدَاةَ لَقِيتُهُمْ وَالنَّقْعُ كَابِ

العدد ٢١

وقال (من الطويل):

١ أَعَمْرَو بْنَ قَيْسٍ إِنَّ نَسْرَكُمُ غَدَا وَآبَ إِلَى أَهْلِ الأَصَارِمِ مِنْ جُشَمْ
٢ أَقَيْسَ بْنَ عَمْرٍو غَارَةً بَعْدَ غَارَةٍ وَصُبَّةُ خَيْلٍ تُحْرِبُ المَالَ وَالنَّعَمْ
٣ إِذَا أَسْهَلَتْ خَبَّتْ وَإِنْ أَحْزَنَتْ وَجَتْ وَتَحْسِبُهَا جِنًّا إِذَا شَالَتِ الجِذَمْ

أَسْهَلَتْ أَخَذَتْ فِي السهل. وأحزنت أخذت في الحَزْن. والجِذَمُ السِّياط. وَجَتْ من الوَجى

٤ إِذَا مَا وَهَى غَيْثٌ وَأَمْرَعَ جَانِبٌ صَبَبْتَ عَلَيْهِ جَحْفَلاً غَائِظاً لَهُمْ

غَيْظَهُ غَمَّهُ

٥ فَإِنْ أَنَا لَمْ أُصْبِحْ سَوَامَكَ غَارَةً كَرِيعِ الجَرَادِ شَلَّهُ الرِّيحُ وَالرَّهَمْ
٦ فَلَا وَضَعَتْ أُنْثَى إِلَيَّ قِنَاعَهَا وَلَا فَازَ سَهْمِي حِينَ تَجْتَمِعُ السُّهُمْ

العدد ٢٢

وقال (من الوافر):

١ أَلَا يَا مُرَّ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي عَلَامَ تَرَى صَنَائِعَنَا تَصِيرُ

أراد مُرَّة بن كلثوم

٢ أَلَمْ تَشْكُرْ لَنَا أَبْنَاءُ تَيْمٍ وَإِخْوَتُهَا اللَّهَازِمُ وَالقُعُورُ

اللهازمُ قوم من بكرٍ والقُعُورُ حيٌّ من تَغْلِبَ

٣ بِأَنَّا نَحْنُ أَحْمَيْنَا حِمَاهُمْ وَأَنْكَرْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ نَكِيرُ

٤ وَنَحْنُ لَيَالِيَ الأَفْهَارِ فِيهِمْ يُشَدُّ بِهَا الأَقِدَّةُ وَالحُصُورُ

الأَفهارُ أحياءٌ

٥ كَشَفْنَا الخَوْفَ وَالسَّعَيَاتِ عَنْهُمْ فَكَيْفَ يَغُرُّهُمْ مِنَّا الغُرُورُ

٦ وَعَبْدُ اللهِ ثَانِيَةً دَعَاهُمْ إِلَى أَرْضٍ يَعِيشُ بِهَا الصَّبِيرُ

ويُروَى : يَعِيشُ بِها الفَقِيرُ

٧ إِلَى أَرْضِ الشَّآمِ حِمًى وَحَبٌّ وَثَمٌّ [(١)] فَشَا العَصِيرُ

العدد ٢٣

وقال عمرو بن كلثوم (من الكامل) :

١ هَلَّا عَطَفْتَ عَلَى أَخِيكَ إِذْ دَعَا بِالشَّكْلِ وَيْلَ أَبِيكَ يَا ابْنَ أَبِي شَمِرْ

ذكر الكلبيّ أن عمرًا رأى مُحرز بن بني شمر الغساني غزا في تغلب بعد منصرفه من عندهم إلى غسان قومه فلقيه عمرو بن كلثوم في خيل بني تغلب فهزمه وقتل اخاه وابن عم له يقال له عامر بن أبي حجر فقال عمرو بن كلثوم هذه الابيات

٢ غَادَرْتَهُ مِزَعَ الرِّمَاحِ وَأَسْهَلَتْ لَكَ وَرْدَةٌ كَالسِّيدِ طَامِيَةُ الحَضَرْ

مِزَعٌ قِطَعٌ . أَسْهَلَتْ جاء منها جزئيٌّ لا تحتاج ان تُضرب بالسَّوط . طامية جامّة . الحَضَرُ العَدْوُ . والسِّيدُ الذئب . ووَرْدَةُ فرس أنثى

٣ فَذُقِ الَّذِي جَشَّمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَسِبْ رِمْحًا أَخَاكَ وَعَامِرَ بْنَ أَبِي حُجْرْ

(١) [قد نقص في هذا البيت كلمة أو كلمتان في الاصل]

الصدر ٢٤ [1]

كانَ النُّعمانُ بن المُنذِر يبعث الى عمرو بن كلثوم يجيئه في كلّ سنة فلمّا أسنّ جعل يبعث الى الأسوَد ابنه بمثله فقال عمرو : مُتُّ حتى ساواني بُولي . وحلفَ لا يذوق طعاماً ولا شراباً الّا الخمر فجعل يشربه صِرفاً وجعلت امرأته تعتزله لكي يأكل فأبى واشتدّ عليها وهو يقول (من الوافر) :

١ مَعاذَ اللهِ تَدعُوني لِحَنثٍ وَلَو أَقفَرتُ أَيّاماً قُتارُ

ثم جعل يشرب الخمرَ حتى ماتَ :

[تمّ شعر عمرو بن كلثوم والحمد لله ربّ العالمين]

شِعرُ وَلَدِهِ الأَسوَدِ

الصدر ٢٥

قال الأسودُ بن عمرو بن كلثوم يرثي أباه عمرًا (من الطويل) :

١ لِيَبكِ ابنَ كُلثومٍ فَقَد حانَ يَومُهُ يَتامى وَأَضيافٌ وَكُلُّ مُضَيَّعُ

٢ وَحَيٌّ إِذا ما أَصبَحوا في دِيارِهِم بِشَهباءَ فيها حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

٣ وَكانَ إِذا لاقاهُم صَدَّ جَمعَهُم مَهابَتُهُ وَخَوفُهُ فَتَصَدَّعوا

٤ لَعَمري لَقَد ضاعَت أُمورٌ كَثيرَةٌ وَذَلَّ مِنَ الأَوداةِ ما كُنتَ تَمنَعُ

الأَوداةُ ارض معروفة من بلادهم ويقال للأودية أَوداةٌ

الصدر ٢٦

وقالَ أيضاً (من الكامل) :

١ إِنَّ امرَءًا وَرِثَ الثَّوءَ وَمالِكاً وَالمَرءَ كُلثوماً لَعالٍ فاضِلُ

١) [انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٩٩و]

٢ وَنَمَاهُ عَمْرٌو لِلْعُلَى وَمُهَلْهِلٌ لِمَنْزِلٍ مَا نَالَهُ مُتَاوِلُ

وَيُرْوَى: مَا رَامَهُ مُتَاوِلُ

العدد ٢٧

وقال أيضاً (من الكامل):

١ وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ تَحْمِلُ شِكَّتِي عَتَدٌ أُمِرَّ مِنَ السَّوَابِحِ هَيْكَلُ

عَتَدٌ فَرَسٌ. أُمِرَّ فُتِلَ اي كأنه فُتِلَ من صلابته

٢ أَمَّا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَمُلَزَّزٌ وَيَزِيغُهُ تَصْدِيرُهُ إِذْ يُقْبِلُ

٣ وَكَأَنَّمَا تَهْوِي بِبَزِّي كُلَّمَا حَرَّكْتُهُ فَهَوَى حَثِيثاً أَجْدَلُ

بَزِّي سِلاحِي

٤ وَلَقَدْ تَرَكْتُ الْقِرْنَ فِي يَوْمِ الْوَغَى وَالنَّحْرُ مِنْهُ بِالدِّمَاءِ مُرَمَّلُ

٥ وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى النِّزَالِ فَإِنَّنِي فِي الْقَوْمِ أَوَّلُ مَنْ يُجِيبُ وَيَنْزِلُ

[تَمَّ شِعْرُ الأَسْوَدِ بن عمرو بن كُلْثُومٍ]

العدد ٢٨

وقال رجل من بني مالك بن حُبَيْبٍ يرثي عَمْرًا (من الوافر):

١ أَلَا هَلَكَ ابْنُ كُلْثُومٍ فَبَكُّوا سَنَامَكُمُ وَخَيْرَكُمُ نِفَالَا

٢ وَفَارِسَكُمْ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّتْ وَمُطْعِمَكُمْ إِذَا هَبَّتْ شِمَالَا

٣ غِيَاثَ الْمُقْتِرِينَ وَكَانَ حِصْناً وَكَانَ لِمَنْ تَضَيَّفَهُ ثِمَالَا

العدد ٢٩

وقال رجلٌ من بني أَسَدٍ يرثيه حين رأى قُبَّتَهُ تَهَدَّمَتْ (من الطويل):

١ أَحَقٌّ لَهُمْ أَنْ يَهْدِمُوا كُلَّ قُبَّةٍ وَكُلَّ رَحِيبِ الجَانِبَيْنِ مُمَدَّدِ
٢ وَأَنْ يَعْقِرُوا كُمْتَ الجِيَادِ وَوَرْدَهَا[1] عَلَى فَاجِعٍ هَدِّ العَشِيرَةِ سَيِّدِ

الصدر ٣٠

وقال الفِتْيَةُ الجُشَمِيُّ أبو دُرَيْدٍ وكانَ أَسَرَهُ فَمَنَّ عليهِ (من البسيط) :

١ إِنِّي لَمُثْنٍ عَلَى عَمْرٍو بِنِعْمَتِهِ مَا دُمْتُ فِي أَسْرَتِي أَوْ عِنْدَ أَحْبَابِي
٢ فَكُّوا إِسَارِيَ مِنْ غُلٍّ وَقَدْ أَسَرُوا مِنِّي أَخَا نَجْدَةٍ إِذْ فَرَّ أَصْحَابِي
٣ إِنَّ المَكَارِمَ وَالأَحْسَابَ قَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا مَعَدٍّ إِذَا عُدَّتْ لِعُتَّابِ

وكان هذا الأَسَدِيُّ لَمَّا مَرَّ بقُبَّةِ عمرو مَرَّ معها على بيوت بني مالك بن عَتَّاب وهم رهط عمرو بن كلثوم

الصدر ٣١

وقال رجل يرثي حُنَيًّا التَّغْلِبيَّ لَمَّا قتل عمرُو بن كلثوم عَمْرَو بن هِندٍ [وهو أَفْنُونُ التَّغْلِبيّ] (من الطويل) :

١ لَسْنَا كَأَقْوَامٍ قَرِيبٍ مَحَلُّهُمْ وَلَسْنَا كَمَنْ يُرْضُونَكُمْ بِالتَّمَلُّقِ
٢ فَسَائِلْ شُرَاحِيلًا بِنَا وَمُحَلِّمًا غَدَاةَ تَكُرُّ الخَيْلُ فِي كُلِّ خَنْدَقِ
٣ لَعَمْرُكَ مَا عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ وَقَدْ دَعَا لِتَخْدُمَ لَيْلَى أُمَّهُ بِمُوَفَّقِ[2]
٤ فَعَمَّمَهُ عَمْدًا عَلَى الرَّأْسِ ضَرْبَةً بِذِي شُطَبٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مُخْفِقِ[3]

---

١) وفي أصلنا ووِرْدَها

٢) قد نسب ابن قتيبة هذا البيت لأفنون (انظر كتاب الشعراء ص ١١٩ و ٣٦٩) : انظر أيضاً كتاب الأغاني ج٩ ص ١٨٣ وشعراء النصرانية ص١٩٩) روى ابن قتيبة والاصبهاني : اذا دعا ٣) الحديد Ma وروى صاحب الاغاني : رَجَّلَتْهُ ضَرُّ . ورَوْنَقِ مكان مُخْفِقِ :

العدد ٣٢

وقال أبو أَجَأٍ التَّغْلِبيُّ (من الرجز) :

١ قَدْ عَمَّتِ النَّعْمَاءُ سَعْدًا وَعِكَبْ
٢ وَالخَالِدَيْنِ قَدْ قَذَفْنَا بِالنَّشَبْ
٣ وَقَدْ وَصَلْنَا تَغْلِبَيْهِمْ بِالنَّسَبْ
٤ أَخْوَالُنَا مِنْ خَيْرِ أَخْوَالِ العَرَبْ
٥ قَدْ كَانَ ذَا مِنْكُمْ قَدِيمًا لا كَذِبْ

العدد ٣٣

وقال عَبَّادُ بن عَمْرو بن كُلْثوم يَذْكُرُ صنيعَ بني السَّفَّاحِ التَّغْلِبيِّينَ (من البسيط) :

١ هَلَّا سَأَلْتَ بَنِي السَّفَّاحِ هَلْ شَعَرُوا بِأَمْرِهِمْ أَنَّ غِبَّ البَغْيِ خَوَّانُ
٢ ما أَوْرَثَ البَغْيُ قَوْماً قَبْلَهُمْ رَشَدَا بَلْ يَهْلِكُونَ بِهِ فِي كُلِّ أَزْمَانِ
٣ يا مُوعِدِيَّ بِأَسْمَانِ الخُيُولِ وَمَا يَرْثِي المُصَابُ لِمَهْزُولٍ وَلَا وَانِ
٤ إِنَّا لَفِي مَنْزِلٍ مَا إِنْ نَخَافُ بِهِ أَمْثَالَكُمْ يا بَنِي غَنْمِ بْنِ دُودَانِ

العدد ٣٤

وقال بِشْرُ بن سَوَادَةَ بن سَلْوَةَ التَّغْلِبيُّ يمدح بني عَتَّابٍ رهط عمرو بن كلثوم وكان له حق على بني زُهَيْر بن تَيْم فمنعوه اياه فاستغاث بني عتاب فأتوهم فلم تَبْرَحْ لبني زُهَيْر بن تَيْم سارحة حتى اخذوا له حقَّهُ فقال في ذلك بِشْرُ بن سَوَادَةَ لبني زُهَيْر ابن تيم (من البسيط :

١ إِذَا أَخُوكَ لَوَاكَ الحَقَّ مُعْتَرِضًا فَأَرْدُفْ أَخَاكَ بِمِثْلِ عَتَّابِهِ

المِرْدَاسُ الفِهْرُ الذي يُدَقّ به (١

٣٥ عمرو

وقال المَرَّجُ بن زَمَانَ التَّغْلَبيُّ ويقال أنها لعمرو بن كُلْثُوم (مجزوء الكامل) :

١ أَنْذَرْتُ أَعْدَائِي غَـدَا ... ةَ فَتاً حُـدَيَّا النَّاسِ طُرًّا

٢ لَا مُرْعِياً مَرْعَى [لهم] ... ماً فَأَتَـنِي أَمْسَيْتُ حُرًّا

يقول لا أُبقي على اعدائي من قولك ما لك رَعْوَى ولا تَقْوَى

٣ حُلْوًا إِذَا ٱبْتُغِيَ الحَـلَا ... وَةُ وَٱسْتُحِبَّ الجَهْدُ مُرًّا

٤ كَمْ مِنْ عَدُوٍّ جَاهِدٍ ... بِالشَّرِّ لَوْ يَسْطِيعُ شَرًّا

٥ يَنْتَابُ عِرْضِي غَائِباً ... فَإِذَا تَلَاقَيْنَا ٱقْشَعَرًّا

٦ يُبْـدِي كَلَاماً لَيِّناً ... عِنْـدِي وَيَحْقِرُ مُسْتَسِرًّا

٧ إِنِّي ٱمْرُؤٌ أُبْدِي مُخَا ... لَفَتِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُسِرًّا

يقول أُبدي العداوة ولا اكون كَمَنْ يظاهر المودّة ويُسِرُّ العداوة

٨ مِنْ عُصْبَةٍ شُمِّ الأُنُو ... فِ تَرَى عَـدُوَّهُمْ مُعِـرًّا

يقول ترى عدوّهم مُصِرًّا على ما في نفسه من العداوة ولا يقدر أن يُبْدِيَه

٩ أَفْنَـاءُ تَغْلِبَ وَالِدِي ... وَيَدِي إِذَا مَا البَأْسُ ضَرًّا

١٠ وَالرَّافِعِينَ بِنَاءَهُمْ ... فَـتَرَاهُ أَشْمَـخَ مُشْمَخِرًّا

١١ وَالمَانِعِينَ بَنَـاتِهِمْ ... عِنْـدَ الوَغَا حَـدَبًا وَبَرًّا

١٢ وَالمُطْعِمِينَ لَدَى الشِّتَا ... ءِ سَدَائِفاً مِلْنِيبِ (٢ غُرًّا

---

(١) انظر اللسان ج ٢ ص ٤٠٠

(٢) مِلْ نِيبِ اي من النيب

١٣ وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ تَحْتَ الدَّارِعِينَ تَرُدُّ زَرَّا
١٤ نَازَعْتُ أَوْلَاهَا الكَتِيبَةِ مُعْجِماً طِرْفاً طِمِرَّا

العدد ٣٦

فقال أبو اللَّحام التَّغلبيُّ يمدح عبدالله بن عمرو بن كلثوم (من الكامل):

١ أَبَيْنَتَ مِنْ أَسْمَاءَ أَمْ لَمْ تَيْأَسِ وَصَرَمْتَ شَبْكَ حِبَالِهَا المُتَلَبِّسِ
٢ لَا تَحْزُنَنْكَ فَإِنَّهَا كَلِبَيَّةٌ كَالرِّئْمِ يَبْرُقُ وَجْهُهَا فِي المَكْنِسِ

ويُروَى: يَبْرُقُ وَجْهُهُ

٣ وَبَدَا سَلَاسِلُ مُزْبِدٍ مُتَوَقِّدٍ كَالجَمْرِ تُذْكِيهِ الصَّبَا وَمُكَرَّسِ

سلاسل مُزْبِد أراد الحُلِيَّ. ومُزْبِد هو البحر لأنَّ الحُلِيَّ منهُ تخرج. ومُكَرَّسٌ يعني الحلي أي أنه طرائف بعضه فوق بعض مثل الكُرَّاسة

٤ وَكَأَنَّ طَعْمَ مُدَامَةٍ جَبَلِيَّةٍ قَدْ عُتِّقَتْ سَنَتَيْنِ لَمَّا تُنْكَسِ
٥ وَالزَّنْجَبِيلَ وَطَعْمَ عَذْبٍ بَارِدٍ يَعْلُو ثَنَايَاهَا مِنَ المُتَنَفَّسِ
٦ دَعْهَا وَسَلِّ طِلَابَهَا بِجُلَالَةٍ عَيْرَانَةٍ كَالفَحْلِ حَرْفٍ عِرْمِسِ
٧ لِلصَّيْعَرِيَّةِ فَوْقَ حَاجِبِ عَيْنِهَا أَثَرٌ يُبَيِّنُهُ وَلَمَّا يَدْرُسِ
٨ تَسْتَنُّ فِي ثِنْيِ الجَدِيلِ وَتَنْتَحِي كَالثَّوْرِ رِيعَ مِنَ الحِلَابِ الأَخْنَسِ

جديل زِمام من أَدَم. وتنتحي لا تكون الَّا في اعتراض والانتحاء القَصْدُ. والأَخْنَسُ نعت للثور.

٩ وَكَأَنَّ جَادِيَّاً بِهِ وَأَرَنْدَجاً وَبِوَجْهِهِ سُفْعٌ كَلَوْنِ السُّنْدُسِ
١٠ جُلْذِيَّةٌ تَطِسُ الإِكَامَ نَجِيحَةٌ كَالجَأْبِ يَنْفُضُ طَلَّهُ المُتَشَمِّسِ

الجُلْذِيَّة الصُّلبة شُبِّهت بالجُلذاة وهي صَخرة. متشمس من نعت الحمار

١١ أَنَضَّيْتُهَا بَعْدَ الْمِرَاحِ إِلَى امْرِئٍ جَلْدِ الْقُوَى فِي كُلِّ سَاعَةِ مَحْبِسِ

١٢ طَلْقٍ يَرَاحُ إِلَى النَّدَى مُتَبَلِّجٍ كَالْبَدْرِ لَا فَهِهٍ وَلَا مُتَمَكِّسِ

الفَهَهُ العَيُّ

١٣ إِلَى ابْنِ هِنْدٍ خَذْرَفَتْ أَخْفَافُهَا تَهْوِي لِمُعْتَمِدٍ بَعِيدِ الْمَحْدِسِ

خَذْرَفَتْ أسرعت وهي مأخوذة من الخُذروف التي يلعب بها الصبيان. والمَحْدِسُ المذهب والمَطْرَح

١٤ الْمُشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَإِذَا تَوَجَّهَ مُعْطِياً لَمْ يَحْبِسِ

١٥ وَلَأَنْتَ أَجْوَدُ مِنْ خَلِيجٍ مُرْسَلٍ مُتَتَابِعِ التَّيَّارِ غَيْرِ مُسَجَّسِ

المُتَجَّسُ المُكَدَّرُ

١٦ حِيبَتْ لَهُ جَبَلَاهُ مِنْ فَوْقِ الصَّفَا مَجْرٍ يَمُرُّ عَلَى الْخَلِيجِ الْأَخْرَسِ

حاتَ له حلانَ من [كذا في أصلنا]

١٧ لُقْمَانُ مُنْتَصِرًا وَقُسٌّ نَاطِقاً وَلَأَنْتَ أَجْرَأُ صَوْلَةً مِنْ بَيْهَسِ

لُقمانُ بن عاديا، وقسّ بن ساعدة. وبَيْهَس أَسَدٌ

١٨ يَقِصُ السِّبَاعَ كَأَنَّ حَلْقَ فَوْقَهُ ضَخْمٌ مُذَمَّرُهُ شَدِيدُ الْأَنْحُسِ

يَقِصُ يدقّ أعناقها. والمُذَمَّرُ أسفلُ من الذِّفْرَى. والأنحس عصب في الذراع وهو باطن قوائمه

العدد ٣٧

وقال المَرَّجُ الثَّعْلَبِيُّ وهو إسلاميّ من مازِنِ أخي مالك بن بكر بن حُبَيب يهجو بني جُشَم رهط عمرو بن كلثوم وافتخروا بكلمة عمرو بن كلثوم : أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا : [وفي الهامش: هو المَرَّجُ بن الزَّمَّانِ بن قيس بن مَعْدِي كَرِب الثَّعْلَبِيّ وهو ابن أخت القطاميّ الشاعر وهو جَزَرِيٌّ أعمى قال في بني جُشَم بن بكر

ابن حُبَيب التغلبيين، ألهى بني جُشَم ، من معجم الشعراء للمرزباني]

١ أَلْهَى بَنِي جُشَمٍ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصِيدَةٌ قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومِ
٢ يُفَاخِرُونَ بِهَا مُذْ كَانَ أَوَّلُهُمْ يَا لَلرِّجَالِ لِشِعْرٍ غَيْرِ مَسْئُومِ
٣ كَمْ كَانَ فِي مَالِكٍ مِنْ شَاعِرٍ أُنُفٍ وَسَادَةٍ خُطُلٍ صِيدٍ لَهَامِيمِ
٤ فَلَمْ يُكَلِّمْ عَنِ الأَدْنَى قَدِيمُهُمُ لَا بَلْ يَقُولُ لِأَعْلَى سَوْرَةٍ دُومِي
٥ إِنَّ القَدِيمَ إِذَا مَا ضَاعَ آخِرُهُ كَسَاعِدٍ فَلَّهُ الأَيَّامُ مَجْذُومِ

فله جدّه. مجذوم مقطوع

٦ جَاءَتْ بَنُو جُشَمٍ لَمَّا نَصَبْتُ لَهَا بِأَجْنَبِيٍّ عَنِ الغَايَاتِ مَلْطُومِ
٧ وَلَنْ يَرُدَّ عِنَانِي مُقْرِفٌ حَطِمٌ غُمْرٌ وَلَا ضَرِعٌ مِنَ القَرَازِيمِ

القرازيم الضعاف

٨ وَكُنْتُ فِي الجَرْيِ خَرَّاجًا إِذَا عَثَرَتْ أَيْدِي المَقَارِيفِ مِنْ غَمِّ الأَضَامِيمِ

الأضاميم اذا ضمّ بعضها الى بعض في الجري

٩ غَمْرَ البَدِيهَةِ إِنْ كَانَتْ مُجَافِلَةً يِرْدَى مُقَاذِفَةٍ صُلْبِ الحَيَازِيمِ

مجافلة مجامعة . الحيزوم الصدر

١٠ تَاللهِ مَا جُشَمٌ قِدْمًا وَإِنْ زَعَمَتْ مِنَ النَّوَاصِي وَلَا الشُّمِّ الخَرَاطِيمِ
١١ ذَرُوا الرِّهَانَ وَدُوخُوا إِنَّ إِخْوَتَكُمْ جُرْثُومَةٌ أَشْرَفَتْ فَوْقَ الجَرَاثِيمِ

دوخوا لينوا . الجرثومة [الاصل]

الصدر ٣٨

وقال عبدالله بن عمرو بن كلثوم (من الطويل):

١ لَقَدْ عَلِمَتْ أَفْنَاءُ تَغْلِبَ كُلُّهَا إِذَا نُسِبَتْ بِأَنَّنَا مِنْ خِيَارِهَا

٢ وأنا أساةُ الأمرِ منها وأننا إذا قيلَ مَن يَحمي حُماةُ ذِمارِها
٣ وأنا إذا نابَتْ عليهم عظيمةٌ ذَوُو العَقْدِ مِن بَكْرٍ وعَقْدُ جِوارِها

الشعر ٣٩

وقال مُعاوِيَةُ بن خالد بن كَعْبِ بن زُهَيْر يمدح عَبّاد بن عمرو بن كلثوم (من الطويل):

١ جَزَى اللهُ عَبّادَ بنَ عَمْرٍو ورَهْطَهُ سُرُورًا فَنِعْمَ القَوْمُ عِندَ المَزاهِرِ
٢ هُمُ قَتَلوا بِشْرًا ورَدُّوا خُيولَهُ بِطَعْنٍ كإيزاغِ المَخاضِ الحَوامِرِ

الشعر ٤٠

وقال الثَّعْلَبِيُّ (من الطويل):

١ ما ضَرَّنا خِذْلانُ عَمْرِو بنِ مالِكٍ وعَمْرِو بنِ كُلْثومٍ ورَهْطِ أبي شِمْرِ
٢ قَبائِلُ لا يُجْزَوْنَ مُجْزَى قَبيلَةٍ وإنْ فَزِعوا كانوا أفَرَّ مِنَ الجُزْرِ

[نَجَزَ ديوان عَمْرو بن كلثوم وشعر وَلَده وما يتبعه]

الشعر ٤١

وروى قُدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر لعمرو بن كلثوم (من الطويل):

١ ألا أبلغِ النُّعْمانَ عَنّي رِسالَةً فَمَجْدُكَ حَوْلِيٌّ ولُؤْمُكَ قارِحُ

(يليه ديوان الحارث بن الحِلِّزَة)

التذكار المئوي للجمعيَّة الاسيوية الفرنسوية

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

للدين روابط وثيقة ربَّما بقيت على متانتها اجيالًا متعدّدة لا يقوى الزمان على حلّها . وليست اواصر الآداب المدنيَّة مثلها صبرًا على كوارث الدهر فقلَّما تجد جماعة علميَّة لا ينتقض الزمان حبلها ويدكّ اركانها بعد سنين لِما يغلب على اصحابها من النَّزعات وتباين الآراء . وهذا في الشرق اظهر واعمّ اما الغربيُّون فانهم اثبت على مواصلة اعمالهم في خدمة المساعي النبيلة والمقاصد الشريفة . ولو استقرينا بلاد اوربَّة لرأينا عدَّة شركات علميَّة او ادبيَّة او فنيَّة عاشت السنين الطويلة لم تعرف الهرم وليس بنادر ان نجد بينها ما بلغ المئة السنة

فمن هذه الجماعات التي تستوقف الابصار بازدهار شبابها مع طول عمرها جمعيَّة ادبيَّة فرنسويَّة بلغت في هذا العام السنة المئة الاولى لانشائها تُدعى بالجمعيَّة الاسيوية الباريسيَّة قطعت هذا الشوط من حياتها دون ان يهدّ الزمان بنيتها او يضعضع قواها

ومن ثمَّ اجمع رئيسها المفضال المسيو اميل سِنار (M. Emile Senart) مع عمدة مديريها على ان يحتفلوا بهذا التذكار احتفالًا باهرًا دعوا اليه العلماء وعتي الآداب وقد تلطَّفوا وارسلوا الى كلّيتنا دعوة خاصَّة لحضور ما ينوون عقدهُ من المواسم الشائقة

وللشرق خصوصاً في هذه المظاهرات واجباتٌ وفرائض لا ندحة له من أدائها لتلك الجمعيَّة التي أفرغت قواها لخدمته مدَّة مئة سنة اذ لم يقصد اصحابها الَّا كشف مفاخر بلادنا واستخراج كنوزها الخفيَّة واعلاء منارها فنوَّهوا بفضلها وعظَّمتها في اعين ذويها بل في اعين اصحابه الذين كادوا يجهلون امجادهُ . وهذا ما حدا بنا ان نفرد هذه الاسطر لذكر تلك الجمعيَّة لنشكر لها معروفها نحو اقطارنا ونأتي بمثلها الحيّ

اوائل الجمعية الاسيوية

دخل القرن التاسع عشر وكأنَّ اوربَّة عموماً وفرنسة خصوصاً بعد الثورة العظمى وحروب الجمهوريَّة أُنِسَت بحياة جديدة وانفتحت امامها عوالم مجهولة كانت سابقاً في عُرفها كألغاز واسرار مكنونة . فلمَّا ذهب نابوليون الى مصر شكَّل لجنةً من العلماء

البحث عن علوم الشرق القديمة وآثاره المنسيَّة فعادوا الى الوطن والسنتهم تتعطَّر بالمديح على عجائب الشرق يتوقون الى نشر ما وقفوا عليهِ منها

وكانت الهند منذ استيلاء الانكليز عليها اخرجت من خبايا هياكلها ومطامير سدَنتها عدداً لا يُحصى من الآثار السنسكريتيَّة التي لم تُحلَّ رموزها

وكذلك الصين الغنيَّة بالآثار التاريخيَّة والادبيَّة كان المرسلون اليسوعيُّون قبل الغاء رهبانيَّتهم سنة ١٧٧٣ ارسلوا منها الى باريس اضابير عديدة كانت تنتظر مَن يفكُّ طلاسمها

وما قولنا بالآثار العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة فانَّ معظمها كان مكدَّساً في المكاتب الاوربيَّة لم يُستخرَج منهُ غير شذور قليلة ونُتَف معدودة

والحقّ يقال انَّ الكنيسة الرومانيَّة سبقت الجميع في سدّ هذا الخَلَل وخصوصاً بساعي الحبرين الاعظمين غريغوريوس الثالث عشر وبولس الخامس وبمساعدة تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية وتلامذة مدرسة مجمع انتشار الايمان التي تقدَّم ذكرها في العدد السابق فنشرت عدداً كبيراً من التآليف الجليلة التي أقبل عليها العلماء اقبال الجياع على القصاع والعطاش على ينابيع المياه لوفرة موادّها وحسن طبعها

ومثلها فرنسة جارت رومية وهولندة في نشر كثير من مكنونات الشرق منذ عهد لويس الثالث عشر حيث طُبعت سنة ١٦٤٥ توراة لوجاي بلغات مختلفة (Bible Polyglotte de Lejay) وفي أيَّام لويس الرابع عشر ولاسيَّما في القسم الثاني من القرن الثامن عشر حيث تعدَّدت المطبوعات في العربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة. وفي السنة ١٧٨٧ تألَّفت جمعيَّة من علماء فرنسة لنشر مخطوطات مكتبة باريس افتتحها رئيس الجمعيَّة دي غيني (M. de Guignes) بنشر وترجمة قسم كبير من مروج الذهب للمسعوديّ. ونشرتُهم هذه لا تزال في قيد الوجود الى عهدنا ظهر منها الى يومنا اربعون مجلَّداً ضخماً للشرقيَّات فيها السهمُ الافوز بفضل علماء مبرّزين كدي غيني المذكور ولَنغلاى (L. Langlès) ودي برسفال (C. de Perceval) وانكتيل دوبرون (Anquetil-Duperrón) وعلى الاخصّ البارون سلفستر دي ساسي (S. de Sacy)

وممَّا ساعد على هذه النهضة في فرنسة المدرسة التي أُنشئت في باريس سنة ١٧٩٥ لتدريس اللغات الشرقيَّة الحيَّة اعني العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والارمنيَّة وقد دخلت

في هذا العام في السنة ١٢٧ من عمرها وفي بقائها مثال آخر على ثبات الفرنسويين في حفظ مشروعاتهم الادبيَّة وهي اليوم تحت ادارة الاستاذ الهمام المسيو بول بويه (M. P. Boyer) ومن فضل هذه المدرسة ان اساتذتها نشروا على نفقتها نيفاً وثمانين تأليفاً من المخطوطات الشرقيَّة العزيزة الوجود في ١٢ لغة

لكن هذه المساعي مع ما اتت به من الخدم المشكورة لم تكن لتفي بمرغوب المستشرقين فقصدوا ان يضمُّوا قواهم لما في الاتحاد من القدرة على العمل ويؤلفوا جمعيَّة مستقلَّة يصرف اعضاؤها ما لديهم من الهمم لدرس تواريخ الشرق وآدابه وفنونه واديانه ونشر ما يجدونه منها في مجلَّة خاصَّة تظهر في اثني عشر كرَّاساً على عدد شهور السنة

البارون سلفستر دي ساسي منشئ الجمعيَّة الاسيويَّة
(١٧٥٨—١٨٣٨)

فما لبثوا ان قرَّروا ذلك في اجتماعات متوالية عقدوها في اثناء السنة ١٨٢١ وكان اكبر السعاة في الامر ذلك الجهبذ والنابغة الكبير البارون سلفستر دي ساسي الذي لم يدع من العلوم الشرقيَّة علماً الَّا نظر فيه فاستخرج لبابهُ وشاركهُ في العمل استاذ اللغات الهنديَّة لويس لنغلاي. فأدركا غايتهما. وتشكَّلت للحال شورى الجمعيَّة في عدد ٣٦ عضواً من دول مختلفة تحت حماية الدوق دي اورليان وهو الذي تملَّك بعد عشرين سنة فعُرف بالملك لويس فيليب. فاختارته الشورى كرئيس شرف وانتخبت كرئيسها العامل البارون سلفستر وعيَّنت نائبين عن الرئيس مع كاتب اسرار وامناء

صندوق وجعلت غرّة كانون الثاني من السنة ١٨٢٢ موعد اجتماعها الرسمي وظهور مجلتها الاسيويّة

وقد تمّ ذلك على حسب ما قرّرتهُ عمدة الجمعيّة فكانت المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة اوّل نشرةٍ من جنسها في اوربّة وانّما كان سبقها في باتافيا في الهند الهولندّية سنة ١٧٨٠ وفي مدرس في الهند الانكليزيّة سنة ١٧٨٤ نشرتان من جنسها لكنّ ابحاثهما كانت تتناول خصوصاً اللغات الماليزيّة والهندّية . اما المجلّة الاسيويّة الملكيّة الانكليزيّة فكان ظهورها سنةً بعد مجلّة باريس اعني سنة ١٨٢٣ فشتان مذ ذاك الحين كفرسي رهان في هذه الحلبة الشريفة لولا انّ ابحاث النشرة الفرنسويّة كانت اعمّ واوسع بينما كانت النشرة الانكليزيّة اخصّ بمستعمرات بريطانية العظمى

اعمال الجمعية الاسيوية

وقد نال كتبة المجلّة الفرنسويّة من الشهرة ما لم يبلغهُ غيرهم فانّ اسماءهم الى اليوم شائعة بين كلّ المستشرقين ومنشوراتهم تشهد لهم بالتقدّم . فكان دي ساسي يمشي في مقدّمتهم كإمامهم يأنسون به ويسترشدون بانواره . وكان الاجانب من المان كفريتاغ (Freytag) وفليشر (Fleischer) وفلوغل (Flügel) وايطاليين كبيرون (Peyron) وسويسريين كهمبرت (Humbert) واسبانيين كغايانغوس (Gayangos) ودنيركيين كتورنبرغ (Tornberg) يقدمون الى باريس ليحضروا دروسهُ في كليّة فرنسة فيتتلمذون لهُ

وممّن ساعد البارون دي ساسي في نشر المجلّة الاسيويّة رجالٌ اختصاصيّون كهابيل ريموزا (Abel-Rémusat) المتضلّع بالآداب الصينيّة واللغة المغوليّة وجومار (Jaubert) احد القديرين بالفارسيّة والتركيّة وغرسين دي تاسي (Garcin de Tassy) من علماء اللغة الهندستانيّة وسان مارتان (St Martin) المتقن للغة الارمنيّة وبورنوف (Burnouf) الضليع بالسنسكريتيّة ولغات الهند القديمة وكلابروت (Klaproth) نسيج وحده باللغات التتريّة والكرجيّة وشمبوليون الصغير (Champollion le Jeune) نابغة العلوم المصريّة ومن غريب الاتفاق ان شمبليون حلّ رموز الكتابة الهيروغليفية في تلك السنة الاولى لظهور المجلّة الاسيويّة فارادت

الجمعيَّة الاسيويَّة ان تجعل هذا الموسم المئوي كتذكار خاص باحد اعضائها وتعظيم ذاك الاكتشاف العجيب الذي فتح للعلم عالماً مجهولاً

وكان للغتنا العربيَّة مقامها الرفيع في منشورات المجلَّة الاسيويَّة امتاز من علمائها كوسين دي پرسفال صاحب اوَّل تاريخ لعرب الجاهليَّة في ثلثة اجزاء ضخمة . ومنهم جوزف رينو (J. Reinaud) الذي نقل الى الفرنسويَّة كتاب تقويم البلدان لابي الفداء واخبار الصليبيين عن مؤرخي العرب وغير ذلك . واشهر منهُ اتيان كاترمار (E. Quatremère) الذي بلغ في معرفة اللغات الشرقيَّة مبلغاً كاد يشبه فيها استاذهُ دي ساسي ولهُ من التآليف المتعدِّدة ما يُقضَى منهُ العجب لكثرة فوائدهِ

فكلّ هؤلاء وكثيرون غيرهم الذين ترجمناهم بالاختصار في تاريخنا للآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر شحنوا المجلَّة الاسيويَّة بالمقالات الفريدة والمنشورات المشعة في سائر ابواب المعارف من لغة وتاريخ وفلسفة وفقه وأدب فأُشير اليهم بالبنان واضحى لفرنسة بسببهم سمعة طيِّبة في كلّ انحاء المعمور

وكان بودّنا ان نلخِّص شيئاً ممَّا اذاعهُ هؤلاء المستشرقون في المجلَّة الاسيويَّة ليقف قرَّاؤنا على ما ادَّوهُ من الخدمات الجلّى للعلوم الشرقيَّة ولكن كيف يمكن اختصار ما تحتويهِ المئتان من المجلَّدات التي تتألف منها تلك المجلَّة في كلّ سنة مجلَّدان ينيفان على الف صفحة فيكون مجموع المئة سنة مئة الف صفحة بنيف فتقوم مقام اكبر الدوائر العلميَّة بل تنوب عن مكتبة واسعة

فترى هناك نصوصاً شائقة من كلّ لغات الشرق بحروفها الاصليَّة الجميلة التي ترك الطبعة الملكيَّة ثمَّ الامبراطوريَّة ثمَّ الجمهوريَّة بصنع ابياتها وحفر امياتها على احسن هيئة بينها الحروف الصينيَّة والصور الهيروغليفيَّة والمسامير الاشوريَّة والدوائر الكرجيَّة وجميع اصناف الحروف الساميَّة والهنديَّة التي تزين المجلَّة بأشكالها

أمَّا مضامين هذه النصوص فتتناول جميع المعارف البشريَّة من ادناها واجلّها كاللاهوت والفلسفة الى ادقّها وابذلها كالعادات والاخلاق . وممَّا امتازت بهِ المجلَّة الفصول التاريخيَّة والجغرافيَّة والادبيَّة والاثريَّة والرحل والسياحات مع نقلها الى الفرنسويَّة وتذييلها بالحواشي الضافية

ولو اقتصرنا فقط على ما تحتويهِ المجلَّة الاسيويَّة من الآثار العربيَّة لوجدنا فيها من

المقالات الممتعة ما ينشرح لها الصدر ويقرّ بها النظر فكم نُشر فيها من المعلومات عن جزيرة العرب وسائر انحائها كاليمن والحجاز ونجد مع ذكر اخبارها وملوكها . وكم رووا من الدواوين الشعريّة لاهل الجاهليّة وغيرهم . وكم شرحوا من الكتابات الحجريّة الحميريّة والعربيّة . وكم اثبتوا من المسائل الفقهيّة الاسلاميّة وعرضوها على مسنّ الانتقاد . وكم خاضوا في درس الاديان والملل والنحل كالدرزيّة والنصيريّة والاسماعيليّة والوهابيّة والبابيّة وشيع الهند وافريقية . فلو قلّبتَ مجموعة تلك المجلّة لاستوقف نظرك كلّ عدد من اعدادها وتمنّيت ان تقضي الساعات في مطالعتها . فحيناً ترى فصولاً شائقة في الموسيقى العربيّة وحيناً آخر في الفلكيّات وفي الجبر والمقابلة . ينبئك الواحد عن أيام العرب وآدابهم الحربيّة وامثالهم ويتوغّل الآخر في درس لغتهم وعلاقاتها مع اللغات المجاورة لها . هذا ينقّب في اسرار الطبيعة وكيميا العرب وذاك يدرس الابنية الاسلاميّة . فلو نشرنا فقط عناوين الفصول العربيّة التي ظهرت في المجلّة الاسيويّة لاستغرقت نيّفاً ومئة صفحة . وقد كنّا في ساعات الفراغ في أيام الحرب قد دوّنّا لافادتنا اسماء ما رأيناهُ حريّاً بالذكر لبلادنا وهو الآن تحت نظرنا فلا يقل عن ١١٠ صفحات

ولا عجب فانّ الذين تتابعوا في رئاسة هذه الجمعيّة من رئيسها الاوّل البارون دي ساسي الى رئيسها الحالي المسيو جناب اميل سينار المنتظم في سلك الاكاديميّة الفرنسويّة لم يزالوا يفرغون كنانة الجهد في تحسين المجلّة ونشر المقالات المنتخبة لاكبر العلماء المستشرقين فثبتت في طول هذه المدّة على حسن خطّتها وطبقتها الراقية . فان الذين خلفوا الجيل الاوّل من ائمّة العلماء المذكورين سابقاً اجتهدوا في تقفي آثار السلف . فكفانا بذكر البعض منهم ممّن برزوا بمعرفة اللغة العربيّة ونشر فرائدها فانّ للمرحوم بربيه دي مينار (Barbier de Meynard) مقالات مختلفة واصلها مدّة اربعين سنة في تاريخ العرب وجغرافيّة جزيرتهم وآدابهم ولغتهم . وللعلّامة كليان موله (Cl.-Mullet) ابحاث دقيقة في مواليد الطبيعة عند العرب من حجارة كريمة ونبات . نشر البارون كارا دي ڤو (Bon Cara de Vaux) عدّة آثار في العلوم الميكانيكيّة وتحريك الاثقال والفلسفة عند العرب . تخصّص المسيو لوكلار (Leclerc) بتاريخ الطب العربيّ . استخرج سيديليو (Sédillot) وڤوپوك (Woepecke)

كثيراً من مآثر العرب في الهيئة والرياضيات من دفائنها . نشر ديرنبورغ (H. Déren-bourg) في المجلة الاسيوية ديوان النابغة ومقالات عديدة في شعراء العرب وعلومهم اللغوية ومثله المسيو بوشه (R. Boucher) ناشر ديوان الفرزدق . اتسع ديفرمري (Defrémery) ومثله المسيو باسه (Basset) وكليمان هوار (Cl. Huart) في تعريف بعض الممالك الاسلامية الصغرى في العراق والعجم والهند والمغرب والاندلس . وصف المركيز دي سلان (G. de Slane) وزوتنبرغ عدداً من مخطوطات العرب . وجه المسيو درون (Drouin) والمسيو سوفار (Sauvaire) نظرهما الى مسكوكات العرب ونقودهم وموازينهم واقيستهم . اجاد العلامة لونرمان (Fr. Lenormant) ورينان (E. Renan) وبرجه (Ph. Berger) وكلرمون غانو (Cl.- Ganneau) ودي فوغوي (M. de Vogüé) ودي سوسي (de Saulcy) ودوسو (R. Dussaud) ودي مورغان (de Morgan) في شرح كتابات حجرية وآثار قديمة للعرب في اليمن والشام . وهناك منشورات عديدة اخرى لاعضاء الجمعية الاجانب كهامر برغشتال (Hammer - Purgstall) وفون كريمر (Von Kremer) ودي غوي (de Goeje) وفان برخم (Van Berchem) وغويدي (Ign. Guidi) وحضرة الاب لامنس والمسيو كاتناغو من صيدا .

ومما يقرب فوائد المجلة الاسيوية الفهارس الواسعة التي يضيفونها كل عشر سنين لجميع المواد التي يحتويها العشرون المجلد التي طبعت في تلك المدة . ويبلغ كل فهرس نحو مئتي صفحة

وللجمعية الاسيوية فضل آخر لا يجوز ان نسكت عنه نزيد به ما نشرته من التآليف المفيدة على نفقتها خارجاً عن المجلة مثل رحلة ابن بطوطة مع ترجمتها الفرنسوية للمسيو دفرمري في اربعة مجلدات . ومروج الذهب للمسعودي مع ترجمتها ايضاً للمسيو بربيه دي مينار في تسعة مجلدات . وترجمة كتاب التنبيه والاشراف للمسيو كارا دي فو وغير ذلك من التآليف المعتبرة

فمن هذا النظر الاجمالي الذي كنا نود الاتساع فيه وتعريف كثيرين ممن ضربنا عن ذكرهم اختصاراً يستطيع القراء ان يعرفوا ما للجمعية الاسيوية الفرنسوية من الفضل على العلوم الشرقية عموماً وعلى بلادنا الشامية خصوصاً . فلولا اعضاؤها وكتبها

لبقيت آثار وطننا مجهولة مثوية في زوايا المكاتب او مفقودة بغباوة العامة . فلا يسعنا في ختام هذه النبذة الموجزة الا ان نقدم واجبات التهاني لكافة اعضاء الجمعية الاسيوية ملتمسين من مراحم رب العالم ان يمد في أجلها ويزيدها رقياً ونجاحاً . فانهُ السميع المجيب ان شاء الله

درس الانجيل وفوائده

أثر مفقود للمطران جرمانوس آدم

توطئة

كان بلغ السيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر انّ نيافة قاصدنا الرسولي السيد فريديانو جنيني الجزيل الشرف عوّل على طبع الاناجيل الطاهرة مع اعمال الرسل ليسهّل على المؤمنين من السوريين مطالعتها والحصول عليها بثمن زهيد فسُرّ قداستهُ بذلك وشكر مساهُ ولرغبتهِ في زيادة انتشار سيرة السيد المسيح واعمالهِ واقوالهِ في اصقاع هاتين الطوائف الشرقية امدّهُ بمساعدة حقّقت آمالهُ

وما قد انتهت هذه الطبعة الجديدة فبرزت على شكل انيق بقطع صغير وتجليد حسن يروق النظر . وفي اولها مقدّمة مستجادة تبيّن ما نالته الاناجيل المقدّسة من عظم الشأن منذ اوائل النصرانية وما احرزتهُ خصوصاً من النصر المبين على الاعتراضات التي كان الملحدون في القرن الماضي ركموها لينفوا صحّة هذه الاسفار المنزلة واصلها الالهي فاقرّ العلماء المحدثون حتى الملحدون منهم الكنيسة بصحتها الاصلية في نظر التاريخ والانتقاد العلمي معترفين جهاراً بانّ تعاليم الكنيسة الرومانية في وقتنا الحاضر تنطبق على مضامين تلك الاسفار اتمّ الانطباق

وكانت مطبعتنا الكاثوليكية طبعت سابقاً هذه الاناجيل وفي ذيلها بعض الشروح . الا ان نيافة السيد القاصد احبّ ان تلحق هذه الطبعة الجديدة بملحوظات اوسع وأتمّ فلبّى دعوتهُ احد المرسلين الكرام

وبينا كنّا نسرّح الابصار في هذه الطبعة وفوائدها اذ وقع في يدنا كتاب مخطوط كان عند بعض الاهلين من جونية يحتوي على الاناجيل المقدّسة المروّية مندمجة برواية واحدة من الاربعة المبشرين على شكل كتاب الدياطسّارون الذي كان تاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس

لبقيت آثار وطننا مجهولة مثوية في زوايا المكاتب او مفقودة بغباوة العامة . فلا يسعنا في ختام هذه النبذة الموجزة الا ان نقدم واجبات التهاني لكافة اعضاء الجمعية الاسيوية ملتمسين من مراحم رب العالم ان يمد في أجلها ويزيدها رقياً ونجاحاً . فانهُ السميع المجيب ان شاء الله

درس الانجيل وفوائده

أثر مفقود للمطران جرمانوس آدم

توطئة

كان بلغ السيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر انّ نيافة قاصدنا الرسولي السيد فريديانو جنيني الجزيل الشرف عوّل على طبع الاناجيل الطاهرة مع اعمال الرسل ليسهّل على المؤمنين من السوريين مطالعتها والحصول عليها بثمن زهيد فسُرّ قداستهُ بذلك وشكر مساهُ ولرغبتهِ في زيادة انتشار سيرة السيد المسيح واعمالهِ واقوالهِ في اصقاع هاتين الطوائف الشرقية امدّهُ بمساعدة حقّقت آمالهُ

وما قد انتهت هذه الطبعة الجديدة فبرزت على شكل انيق بقطع صغير وتجليد حسن يروق النظر . وفي اولها مقدّمة مستجادة تبيّن ما نالته الاناجيل المقدّسة من عظم الشأن منذ اوائل النصرانية وما احرزتهُ خصوصاً من النصر المبين على الاعتراضات التي كان الملحدون في القرن الماضي ركموها لينفوا صحّة هذه الاسفار المنزلة واصلها الالهي فاقرّ العلماء المحدثون حتى الملحدون منهم الكنيسة بصحتها الاصلية في نظر التاريخ والانتقاد العلمي معترفين جهاراً بانّ تعاليم الكنيسة الرومانية في وقتنا الحاضر تنطبق على مضامين تلك الاسفار اتمّ الانطباق

وكانت مطبعتنا الكاثوليكية طبعت سابقاً هذه الاناجيل وفي ذيلها بعض الشروح . الا ان نيافة السيد القاصد احبّ ان تلحق هذه الطبعة الجديدة بملحوظات اوسع وأتمّ فلبّى دعوتهُ احد المرسلين الكرام

وبينا كنّا نسرّح الابصار في هذه الطبعة وفوائدها اذ وقع في يدنا كتاب مخطوط كان عند بعض الاهلين من جونية يحتوي على الاناجيل المقدّسة المروّية مندمجة برواية واحدة من الاربعة المبشرين على شكل كتاب الدياطسّارون الذي كان تاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس

سبق منذ القرن الثاني للمسيح فسرده لنصارى زمانه وطُبع في مطبعة انتشار الايمان في سنة بوبيل البابا لاون الثالث عشر الكهنوتي سنة ١٨٨٨ جمعه الكردينال شياسكا

وكان قبل ذلك سنة ١٨٨١ سعى الطيّب الذكر الاب يوحنا بلو اليسوعي فطبع كتاباً من جنسه في مطبعتنا الكاثوليكيّة تحت عنوان القلادة الدرّيّة فراج رواجاً عظيماً حتّى تكرر طبعهُ اربع مرّات

اما الرواية الخطيّة التي وقعت لدينا فقام بتنظيمها احد مشاهير اساقفة الروم الكاثوليك السيّد جرمانوس آدم رئيس اساقفة حلب المتوفى سنة ١٨٠٩ اهتم بنظمها على هذه الطريقة لافادة رعيّته في السنة ١٨٠٠ وهو اذ ذاك في لبنان . لكنّها بقيت مخطوطةً لم تُنشر بالطبع

وكان الحبر المذكور قدّم عليها منشوراً جميلاً بيّن فيه الداعي لعمله هذا ثمّ اتبع بوصف الفوائد التي لا تُحصى والمكن اجتناؤها من مطالعة اسفار العهد الجديد واخصّها الاناجيل المقدّسة . فرأينا ان ننشر هذا الاثر لانطباقه مع افكار نيافة القاصد الرسوليّ تعريضاً للمؤمنين ليواظبوا على قراءة كلام الله والاسترشاد بأقوال الربّ واعماله في كافّة امور حياتهم ل . ش

المجد لله دائماً

الحقير في رؤساء الكهنة

جرمانوس آدم مطران مدينة حلب وما يليها

النعمة الالهية والبركة السموية الحالّة على الزمرة الابوسطولية الاطهار في الفرقة الصهيونية هي تحلّ وتستقرّ على حضرة اولادنا الاعزاء الاكليروس الحلبي الموقّر والارخندس المبجّل وكامل رعيّتنا المحبوبة سبب بارك الرب عليهم وعلى عيالهم وسائر تصرفاتهم بأتم البركات العلوية امين

ان الكنيسة الجامعة المدبّرة من الروح الكلي قدسهُ قد رتّبت شرقاً وغرباً ان يوضع الانجيل المقدس مفتوحاً على هامة وعنق وكاهلي الكاهن الذي يكون عتيداً ان يرتسم اسقفاً . وان يستمرّ على هذه الصفة من ابتداء تلاوة افاشين (١ الرسامة الى انتهائها . ولا ريب ان هذا الطقس يشير صريحاً بان كلّ من يرتسم اسقفاً يلتزم بان يحمل ثقل الانجيل المقدس . اي انهُ يكرمهُ ويحترمهُ بغاية الاحترام ويوفق بموجبه كل اقواله وافعاله . وان يوجه كل سعيه لانتشاره وامتداده وارشاد المؤمنين بكل حقائقه وتعاليمه الدينيّة والادبية . متذكراً قول بولس الرسول : « الويل لي ان لم ابشّر »

(١ جمع افشين وهو من اليونانيّة ἀφίωσις اي صلاة

(١ قور ٩: ١٧). فاذ كنت الفقير قد ارتقيتُ من دون استحقاق الى سموّ درجة الكهنوت فقد اضحيت ملتزماً تحت طائلة الهلاك الابدي بان أبذل كل جهدي وجدّي في تتميم وظيفة المبشر التي اخصُّها هي قائمة بان تُعرف حقائق الانجيل من المؤمنين وتتبجّن في عقولهم لكي يتصرّفوا بموجبها في كافّة افعالهم . ومن حيث انه باحكام الله الغامضة المسجود لها لم يُبَحْ لي الاستمرار عند رعيّتي لاتمّم الانذار بالانجيل بالصوت الحي كما ينوط بي . فرأيت امراً مفيداً جداً ان اجمع روايات الاربعة الانجيليين بنسق خطاب واحد كانها بشارة واحدة . وسميتُ هذه الكتاب « حياة سيدنا يسوع المسيح حسب ايراد الاربعة الانجيلية واتفاقهم » . فاذا تلوتموهُ بتأنٍّ وراجعتم قراءته باصغاء ايها الابناء الاعزاء المحبوبون بالرب تشاهدون به ترتيباً منتظماً للكلام والحقائق التي ينبغي ان يكون مرتشداً بها كل مسيحي . لأنَّ بهِ توجد افعال سيدنا يسوع المسيح واقوالهُ موضوعة في محلّها وبسهولة تفهمون ما الذي اورده كلٌّ من الانجيليين بمفردهِ وما الذي اورده اثنان منهم او ثلثة او اربعتهم جميعاً . وفي ماذا يتفقون وفي اي شيء يختلفون اختلافاً باللفظ فقط . ولاجل ذلك فقد حرّرت في اخر كل فصل الاصحاحات والاعداد المأخوذ منها الفصل نفسه لفظياً لاجل نفع اولئك الذين يريدون ان يراجعوها . ثم انّنا قد أضفنا بعض الفاظ لاجل مجرّد ارتباط الجمل ومفهوميتها . ولاجل تمييزها وُضع في اعلاها خطّ لكي تُعرف انها ليست باصلية . واما بقية الالفاظ فقد اتخذناها من نسخة الاناجيل المطبوعة عربياً نظير انجيل التيترا(١) وغيره وخصوصاً من الانجيل المطبوع بكل ضبط في دير مار يوحنا الشوير سنة ١٧٧٦ . ولم نحد عن هذه النسخة الّا نادراً جداً اتباعاً للنسخة اليونانيّة الاصلية التي راجعناها ايضاً في بعض اماكن

ثم انهُ لكي تُفهم فوائد هذا الكتاب فهماً جيداً ينبغي لكم ايها الابناء الاعزاء ان تقابلوها مع الاناجيل فانكم لو اردتم ان تعرفوا حياة ربنا يسوع المسيح بحسبما هي محررة في العهد الجديد ينبغي لكم ان تقرأوها في كلّ من الاناجيل الاربعة اذ كانت بعض اقواله تعالى وافعاله توجد في الواحد منها وتُهمل في الآخر . اما في هذا الكتاب فتوجد جميعها منتظمةً معاً في سياق خبر واحد

(١) يريد بانجيل التيترا ما يصرّح في رأس فصوله بعناوينها

ثم انكم في تلاوتكم تلك الاربعة تعيدون مرات كثيرة ما تكونون قد قرأتوه . واما في هذا الكتاب فتتلون كل شيء مرة واحدة فقط من دون اعادة او نقصان ما . وتشاهدون كلّ شيء تامًا ومنتظمًا ومرتبًا بحيث يظهر اتفاق كلي فيما بين الاربعة الانجيليين . ولاجل اتمام مفهومية سيرة سيدنا يسوع المسيح قد أُضيفت بعض كلمات وجيزة مأخوذة من اعمال الرسل ومن رسالة مار بولس الاولى الى اهل قورنتية

فاذ تقرَّر هذا كلهُ يلزم ان نوضح لكم باختصار كلي شرف هذا السفر الالهي وضرورة تلاوته وفوائده العظيمة . فلا ريب انَّ لمعرفة ذلك يكفي ان تعتبروا ان هذا الكتاب هو كتاب المسيحيين بوجهٍ خاصٍّ وكتاب ابناء الله . لانهم منه يعرفون انهم بنو الله بالوضع وانهم اتَّلدوا اتلادًا جديدًا بيسوع المسيح . وانهم حظوا بالحق الالهي على نوال النعم والارث السموي . ومنه يفهمون شرف دعوتهم وقداستها والتزاماتها والشرائع التي بموجبها ينبغي ان يراقبوا سيرتهم وتصرفاتهم لكي يستحقوا ان يُدعوا مسيحيين حقيقيين وابناء الله بالوضع . فالقديس بولس الرسول يدعو هذا الكتاب «انجيل الخلاص» لاننا منه تعلَّمنا ان الله انتخبنا بواسطة يسوع المسيح الى الحياة الغير الفانية . وانه اعطانا ابنه الحبيب وان هذا الابن الالهي قد صنع خلاصنا في وسط الارض بقوة اسراره وموته . وانه مسحنا وختمنا بالروح القدس الذي وضعه في قلوبنا لكي يحرّر بها شريعته القدوسة . ويصيّرنا ان نُحبَّها ونتممها بنشاط . وانه اخيرًا اعطانا ذاتهُ عربونًا للمجد المعدّ لنا في السماء

ثم ان هذا الرسول الالهي يوق الحق في بدء رسالتهِ الى العبرانيين يوضح لنا ايضاً شرف الانجيل بالفاظٍ سامية قائلًا : « بعدَ كثير الاصناف وبحال متلوّن الانواع خاطب الله الاباء بالانبياء قديمًا وفي آخر الايام هذه كلَّمنا بابنه الذي جعله وارث الكل الذي به خلق الدهور » ولعمري انه لم يكن ممكنًا ان تُورد الفاظ اكثر جلالة من قولهِ بانَّ الله كلَّمنا بابنهِ اي انه لم يبشرنا بالخلاص بواسطة ملاك او نبيٍّ ما بل بابنهِ الوحيد الذي هو نبي الكنيسة العظيم ومعطي الشريعة الجديدة وملاك العهد الازلي ومعلّم العدل الذي اتى بذاتهِ ليعلم الكنيسة طرقهُ وتوليهُ ليس بواسطة إلهامات باطنة او برموز سرّيّة او باشارات معنوية . لكن بالفاظ جلية كما يخاطب الصاحبُ

صاحبه والاخ اخاه والاب بنيه والمعلم تلاميذه

ثم ان هذا الاحسان العظيم والتنازل الكلي لم ينحصر باولئك فقط الذين قد نظروا السيد المسيح وسمعوا اقواله . بل قد امتد الينا ايضاً لان الحكمة الالهية قد وجدت الطريقة التي بواسطتها قد اتصل الينا هذا الانعام ذاته لكوننا نحن ايضاً حاصلين على اقنوم السيد المسيح الالهي نفسه بواسطة سر الافخارستيا وعلى كلامه وتعليمه بواسطة الانجيل المقدس . فنعم انهم لسعيدون هم اولئك الذين نظروا مخلصنا يسوع المسيح وترددوا معه وشاهدوا عجائبه الكثيرة واشتركوا باحساناته ونعمه وسمعوا من فمه الاقدس الحقائق التي كان يبشر بها . الا اننا نحن اكثر سعادة من اولئك على نوع ما لاننا نقتبل انجيل يسوع المسيح مختوماً بدمه الاقدس ومثبتاً بواسطة قيامته المجيدة وصعوده الى السماء وارسال روحه الكلي قدسه على تلاميذه الاطهار . وقد نظرنا كمال النبوات بخراب هيكل سليمان وتبديد الشعب اليهودي وتفرقه سبياً الى كل اقطار العالم . وهدم مدينة اورشليم ودمارها وتدنيسها . ثم اننا قد شاهدنا تتميم المواعيد بارتداد الامم الى الديانة المسيحية . وعاينا انتشار الانجيل في كل العالم وتثبيته بدم شهداء لا يحصى عددهم الذين قدموا حياتهم بكل بسالة ونشاط حباً بهذا الانجيل وبرهاناً على حقيقته

وقد اتصل الينا هذا السفر الالهي بتسلسل لا يشوبه ريب فلهذا باطل هو التشكي من كوننا لم نوجد في عصر السيد المسيح . بل بالحري ينبغي لنا ان نشكر افضال عنايته الغير المدركة التي اوجدتنا في هذا العصر حيث الانجيل هو ممتد في اقطار العالم ومثبت ببراهين اكيدة وكلية الوضوح اكثر مما كان في حياة السيد المسيح

فلنفرح ولنعتز بالرب لكوننا حصلنا على ذاك الشفيع الكلي الاقتدار الذي من دونه لم يكن ممكناً لنا الاتحاد مع الله . وعلى الطريق الوحيد الموصل اليه تعالى . وعلى القائد الامين الذي بمفرده هو قادر ان يبلغنا الى بلدتنا السماوية التي هي مقر راحتنا وسعادتنا الوحيدة

وقد فزنا بذبيحة قادرة ان تطهرنا من خطايانا وبكاهن ازلي الذي لم يزل حياً ممثلاً امام العرش الالهي مقدماً ذاته اعظم ذبيحة حية شأنها ان تستميح لنا كل الموهبات والغفران والخيرات . وهذا جميعه نفهمه ونتعلمه بتلاوتنا هذا السفر الالهي . فلتلاوته

اذاً جميعنا باحترام وورع سواء كنا ابراراً او خطأة من حيث ان تلاوته هي مفيدة للجميع لان البارّ يجد فيه ما يزيده تمكيناً في البرّ . والخاطىء يحظى بالادوية الملائمة لشفائه من امراضه الروحية لانهُ من ذا عرف ان كان الله لم يحتم بأن يفتح عيني ذاك الخاطئ الذي يتلو الانجيل بعبادة فيردهُ اليه بتوبة صادقة . وذلك بواسطة آية من تلك الآيات الالهية . كما انهُ حرّك تعالى سابقاً القديس انطونيوس الكبير وغيره من القديسين لاتباع الكمال باستماعهم ذاك النصّ الانجيلي : « ان شئت ان تكون كاملاً فاذهب وبع كل ما لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني » (متى ١٩ : ٣١) . وكذلك قد ردّ الله تعالى القديس اوغسطينوس من الضلال والرذائل الى التوبة بواسطة تلاوة فصل واحد من رسالة القديس بولس وصيّره بعد ذلك معلماً عظيماً وعمداً خاصاً للكنيسة

ثم ان تلاوة هذا السفر هي مفيدة وضرورية جداً ليس للعلماء فقط بل للجهلة والبسيطين ايضاً لانهُ يقدم للبسيطين والاطفال في المعرفة طعاماً روحياً سهلاً . ويُضيء عقولهم ويبهج افئدتهم . واما العلماء فيقدم لهم اسراراً سامية توعبهم تعجباً وحيرةً واندهالاً . ولهذا فقد شُبه هذا السفر من بعض الآباء المتنورين بنهر عجيب يقطعه الحروف بسهولة ويعوم فيه الفيل العظيم . وذلك لان المسيحي البسيط يشاهد فيه ما يكفيه لتثقيف اخلاقه وخلاص نفسه ويطلع على ذلك بغاية السهولة خلواً من عناء . واما المتفقه بالعلوم فيبحث عن عمق غوامض اسراره الالهية ويحدق بناظر عقله ملتمساً ان يدركها فيعجز عن ذلك فيعوم كالفيل في بحره ولا يجد لعمقه حداً

ومن ثم فهذا السفر الالهي يوضح لكل احد ما يفتقر اليه ليرث ملكوت الله . لانهُ يفرح القلب النقي مبهجاً . ويحزن القلب الدنس مرهباً . يعد التائب بالرحمة والصفح . يعزّي الحزانى . يريح المتعوبين الثقيلي الحمل . يحلي مرارة الضيقات العالمية . وبالاختصار يرعب القلب من كل عذوبة وبهجة وسلامة

فلنطهّرنّ اذاً ذواتنا ايها الابناء الاعزاء المحبوبون بالرب لتلاوة الانجيل المقدس المحتوي بكماله في هذا الكتاب وهذه التلاوة نفسها ستنقي قلوبنا بالاكثر . ولتقدس افعالنا وتصرفاتنا بواسطة الاحترام الواجب لهذا السفر الالهي وهو نفسه سيكون ينبوع قداستنا . ولنضطرمنّ بقراءة هذه النصوص الالهية وهي نفسها ستضرم نفوسنا

فيمكننا ان نهتف مع ذينك التلميذين الذاهبين الى عمواس: «أما كانت قلوبنا ملتهبة حينما كان يخاطبنا في الطريق ويفسر لنا الكتب» (لوقا ٢٤: ٣٢). ولتكن كل لذتنا وتعزيتنا في تلك العذوبة التي اخفاها الله في كلام الانجيل. وحينئذٍ تضحي لدينا مُرّة ومكروهة كل لذات العالم واباطيله. اذ اننا نجد في هذا الكنز الذي اودعه الله في كنيسته لتوزعه على بنيها ارشادنا وتعزيتنا وحمايتنا وكمالنا

فمتى ثابرنا على تلاوة سيرة السيد المسيح وتأملها. فحينئذٍ نفهم مقدار محبة يسوع نحونا. وكم ينبغي ان تكون محبتنا نحوه تعالى ونستطيع ان نقول انها اتقنا كل الخيرات بواسطة فيضان الحكمة الالهية في قلوبنا التي تصدر من اتصال تلاوة هذا السفر الالهي بالاستعداد الواجب والاصغاء التام. وكلُّ ما تقدَّم تقريره من ايضاح شرف كتاب الانجيل المقدس وفوائده العظيمة قد سبق القديس يوحنا الذهبي الفم واوضحه بعبارات ذهبية حسب مقتضى فصاحته الغريبة وذلك في مقالته الثالثة على لمازر ثمَّ في مقالته ال ٣٢ ايضاً على تفسير بشارة يوحنا حيث يحقق لنا ان مجرَّد لمس كتاب الانجيل او النظر اليه هو كافٍ ليهذب النفس وينقل الفكر من الاشياء الارضية الى الاشياء السموية. ويورد لاثبات ذلك هذا التشبيه قائلاً:

كما ان الاسلحة الملوكية الموضوعة في مكان ما تقدم طمأنينة عظيمة لاولئك الذين يكونون قاطنين في تلك المخادع الملوكية حيث تكون هي مودعة. فهكذا حيث تكون الكتب المقدسة موجودة فتطرد من هناك كل قوة شيطانية. على ان مجرَّد النظر الى الكتاب المقدس يعدُّنا من ارتكاب اشنع من نوع ما. واذا ارتكبناها ورجعنا الى بيوتنا امسنا النظر بها يبكتنا ضميرنا تبكيتاً مراً ويصيرنا الى نادم الرجوع اليها. واذا تلوناها باصغاء فالنفس تطهر وتصطلح بتأملها الاشياء الالهية ضمن هذا المقدس الالهي اذ كان الله نفسه يخاطبنا بواسطة السفر المقدس

فهذا الايراد الذهبي يوضح لنا ليس تعليم هذا القديس فقط بخصوص ما نحن في صدده. بل يحقق لنا ايضاً عادة المسيحيين الذين كانوا في ذلك العصر. وذلك ان كلاً منهم كان حافظاً في بيته بكل احترام ووقار نسخة من الانجيل المقدس. وكان يتلو منه يومياً بعض فصول ويتأملها باصغاء ويحصل منها على الفوائد الغريبة اعني تطهير النفس وتقديسها واتحادها مع الله بواسطة الكلام المحرَّر في السفر الالهي الذي يخاطبها به تعالى

فاقتدوا اذاً انتم ايها الابناء الاعزاء بعادة اولئك المسيحيين اي فليقتنِ كلٌ منكم هذا السفر المقدس الذي هو بشارة الملكوت . وبشارة نعمة الله . وبشارة مجده . وبشارة السلامة . وقوة الله لخلاص كل مؤمن . كما يعلّمنا بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين (ص ١ع١٦) . واتلوا منه كل يوم اقله فصلاً واحداً على سبيل الصلاة والتأمل قاصدين اجتناء الفوائد المار ذكرها

ثم اننا نناشدكم بالرب باحشاء مراحم مخلصنا يسوع المسيح ان تتمموا هذا الامر الخلاصي بكل نشاط . وتبذلوا الجهد في اولادكم المحروسين ليدرسوهُ في المكاتب من بعد قراءتهم للمزامير . لاننا نؤمل ان الحقائق الخلاصية بهذه الواسطة تتبجن في عقولهم ويجتنون منها الفوائد العظيمة الضرورية لتثقيف سيرتهم وضبطهم بمخافة الله والسلوك بموجب ناموسه وشرائعه الانجيلية

فهذا ما رأينا ملائماً ان نوضحه لمحبتكم ايها الابناء الاعزاء المحبوبين بالرب لاجل خلاص ذمتنا وتكميل التزامنا الثقيل في السعي بخلاص انفسكم الابدي وبكل حب نمنحكم البركة الرسولية ثانياً وثالثاً

حرّر في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايلول لسنة ثمانمائة والف مسيحية (١٨٠٠م) في دير مار يوحنا الشرير من معاملة كسروان

المانية الفتاة

او جمعية الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا الالمانية

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

من يوم اضرمت المانية نيران الحرب الكونية — وهي بمثابة حريق هائل امتدّ على انحاء اوربة يرافقه الموت والدمار — ما فتئت اللعنات تنهال من كل صوب على شعب غليوم الثاني الناتق منذ انتصاره الباهر في الحرب البيمنية الى كسر سيطرته

فاقتدوا اذاً انتم ايها الابناء الاعزاء بعادة اولئك المسيحيين اي فليقتنِ كلٌ منكم هذا السفر المقدس الذي هو بشارة الملكوت . وبشارة نعمة الله . وبشارة مجده . وبشارة السلامة . وقوة الله لخلاص كل مؤمن . كما يعلّمنا بولس الرسول في رسالته الى العبرانيين (ص ١ع١٦) . واتلوا منه كل يوم اقله فصلاً واحداً على سبيل الصلاة والتأمل قاصدين اجتناء الفوائد المار ذكرها

ثم اننا نناشدكم بالرب باحشاء مراحم مخلصنا يسوع المسيح ان تتمموا هذا الامر الخلاصي بكل نشاط . وتبذلوا الجهد في اولادكم المحروسين ليدرسوهُ في المكاتب من بعد قراءتهم للمزامير . لاننا نؤمل ان الحقائق الخلاصية بهذه الواسطة تتبجن في عقولهم ويجتنون منها الفوائد العظيمة الضرورية لتثقيف سيرتهم وضبطهم بمخافة الله والسلوك بموجب ناموسه وشرائعه الانجيلية

فهذا ما رأينا ملائماً ان نوضحه لمحبتكم ايها الابناء الاعزاء المحبوبين بالرب لاجل خلاص ذمتنا وتكميل التزامنا الثقيل في السعي بخلاص انفسكم الابدي وبكل حب نمنحكم البركة الرسولية ثانياً وثالثاً

حرّر في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايلول لسنة ثمانمائة والف مسيحية (١٨٠٠م) في دير مار يوحنا الشرير من معاملة كسروان

المانية الفتاة

او جمعية الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا الالمانية

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

من يوم اضرمت المانية نيران الحرب الكونية — وهي بمثابة حريق هائل امتدّ على انحاء اوربة يرافقه الموت والدمار — ما فتئت اللعنات تنهال من كل صوب على شعب غليوم الثاني الناتق منذ انتصاره الباهر في الحرب البيمنية الى كسر سيطرته

على اوربة جماء من البحر الشمالي الى المتوسط ومن الاطلنتيك الى جبال اورال. وقد بالغ البعض في الحمل على المانية معلنين بان تمدنها هو برمته تمدن مادي محض لايستخدم القوى العقلية ولا يستفيد من ترقي العلوم والفنون الا لاغاء الرفاهية المادية وتوسيع البلاد باهتضام حقوق الامم المجاورة لدى الاقتضاء ، وعلى وجه اعم بصرف النظر عن اسمى عوامل التمدن الازلي الحقيقي نعني به العدل والرحمة

ليس الغرض من بحثنا هذا تقدير مسؤولية الالمان وحكامهم في آثار الحريق الرائع الذي اندلعت نيرانه فالتهم اوربة طولاً وعرضاً مدة اربع سنوات ونيف. نترك بت الحكم الذي لا مرد عليه في هذه القضية لسلطان السلاطين ومالك رقاب العباد. انما جل غايتنا تفنيد ادعاء المدعين بان كل التمدن الالماني العصري تمدن مادي بحت غير مبني ولو جزئياً على اساس الدين والعدل والرحمة. وقد وقع اختيارنا تفنيداً لهذه التهمة على احدى المآثر الكاثوليكية الالمانية الحديثة الذي يعدها كل منصف من اعظم واجمل مشاريعهم ، ولعلها الآن ولسطة عقدهم ، نعني جمعية الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا (١ وقد وسمت نفسها منذ نشأتها باسم المانية الجديدة (Neu-Deutschland) الذي عربناه في هذا المقال بالمانية الفتاة. ونلتمس من القارئ مباشرة ان يبعد عن ذهنه وقلبه ولو برهة ما علق بهما من البغض او النفور الشديد نحو المانية ويعير قولنا اذناً صاغية وعقلاً خالياً من الاحكام السابقة وروحاً مجردة عن الضغائن . فاذا اصغى الينا بذلك الهدوء والحلم الحميد تركنا له الحكم في هل كل التمدن الالماني دون استثناء تمدن مادي لا ديني وانه لا محل فيه للفضيلة والعدل والرحمة. وقد رأينا ان نلج موضوعنا من احد ابوابه الطبيعية بسرد موجز اعمال الكاثوليك الالمان منذ الحرب السبعينية حتى ١٩١٤ ، وذلك لما نراه بينها وبين منشأ المانية الفتاة من الروابط الوثيقة

١ اعمال الكاثوليك الالمان من ١٨٧٠ الى ١٩١٤

ان الكاثوليك الالمان قد اشتهروا في الخافقين بتوحيد كلمتهم وتنظيم قواهم ولاسيما بعد تأسيس الامبراطورية الالمانية في سنة ١٨٧١. حينئذ اراد بسمرك

١) يطلق الالمان هذا الاسم على مدارسهم الثانوية فما فوق

داهيةُ السياسة الذي وسمه التاريخ بلقب الكنشلبار الحديدي اشارةً الى شدّة عزيمته وصرامة تحكمه ، ان يسخّر وحدة العنصر الالماني القائمة بفضل حنكته العجيبة لمصالح البروتستانية دون سواها بحيث يكون لها وحدها الأمر والنهي في كل انحاء الدولة الالمانيّة . فنادى بحرب عوان على كاثوليك المانية وصمّم النية على سحقهم سحقاً ذريعاً كاملاً لا يُبقي منهم اثرًا بعد عين . وقد سمّى البروتستان هذا القتال البربري النضال عن المدنيّة (Kulturkampf) ، لعمري ما ابعد الاسم عن المسمّى ! وكانت فاتحة مظالم بسمرك الجوريّة ضد الكاثوليك الالمان انه الغى الادارة الكاثوليكية في وزارة الاديان ووضع يده بقحة المغتصب على كل المدارس الكاثوليكية مُدخلاً اياها في املاك الحكومة . ثم اصدر في سنة ١٨٧٢ امر النفي الدائم على الرهبان وفي مقدمتهم اليسوعيون واللعازريون الى غير ذلك من ضروب القساوة الهمجية . فلم يرضَ الكاثوليك الالمان بحمل نير الضيم والاضطهاد ومن ثمّ وحّدوا كلمتهم وقواهم المادية والادبية واصطفّوا جيشاً جرّارًا تحت قيادة الزعيم الشهير فنطرست (Win-thorst) وكان لهم منذ سنة ١٨٧٤ واحد وتسعون مندوباً في مجلس الرَيشتاغ وهم المعروفون حتى يومنا هذا باسم الحزب المتوسط الكاثوليكي . فزاد نفوذهم في ندوة الدولة يوماً فيوماً الى ان تمكنوا من سَحق عتوّ مضطهدهم الجائر وعدوّهم الالدّ الرجل الحديدي كما لقّبه البابا العظيم لاون الثالث عشر . ومنذ انتصارهم هذا الباهر ما زال الكاثوليك الالمان يعزّزون صفوفهم لردّ كل غارة ظالمة والذود عن حقوق دينهم المقدس وعقدوا لهم كل عام مؤتمرًا يجتمع فيه المئات من زعمائهم للتفاوض والتباحث في خير الطرق لصيانة مركزهم وتحسينه في الامبراطورية وضمن نطاق شرائعها

لكنّ اعوام السلم انقضت كاضغاث احلام وفاض سيل الحرب الكونية العرمرم على كل الاصقاع الاوربيّة فحتم واجب حبّ الاوطان على الكاثوليك الالمان ضمّ قواهم الى مواطنيهم البروتستان لمقاتلة جيوش الاعداء المحدقة من كل جانب بقُطرهم إحداق السوار بالمعصم . ولا اظنّ احدًا يلومهم على ذلك ، فليس عليهم سوى الخضوع لاوامر حكامهم وعلى هؤلاء مسؤولية الحرب الطاحنة اذ قصدوا بها ما ينافي العدل والرحمة

٢ منشأ المانية الفتاة

لما وضعت الحرب اوزارها كان الدمار المادي والادبي قد ضرب اطنابهُ في طول المانية وعرضها. فحين شاهد الكاثوليك العائدون من الساحات الدموية تلك المشاهد المحزنة تفتت اكبادهم حزناً. الّا انهم خضعوا لاحكام العناية الالهية البعيدة الغور واستمدُّوا من مراحم الاله القدير ومن رجائهم الثابت بعونه القوي اللازمة لانهاض وطنهم الشقي من حضيض ذلهِ واعادة بنيان صروح المدنيّة الحقّة على اخربتهِ. وفي مقدمة اولئك الابطال جمعية المانية الفتاة الضامّة تحت لوائها خيرة الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا. وقد آن الاوان لسرد تاريخها على وجه الايجاز

كانت حكومة الجمهورية الجديدة قد خوّلت طلبة تلك المدارس ايّاً كان دينهم حق الاتحاد في جمعيات يُنشئونها وفق ارادتهم ضمن حدود الشرائع. وكان الطلبة غير الكاثوليك سبقوا الرخصة الرسميَّة فأنشأوا من مدة مديدة تحت ستر الخفاء نواديهم السياسية وغيرها. فلما صدر القرار المشار اليه كانوا منتظمين في جمعياتهم بنظام تامّ فألقوا عن انفسهم قناع التستُّر وشرعوا في جذب الشبان الى انديتهم بكل وسائل الترغيب والارهاب. فأدرك قادةُ الكاثوليك الالمان ما في تلك الحالة من الاخطار العظيمة المهدّدة لايمان الطلبة الكاثوليك وآدابهم ان لم يُستدرَك الامر بتأسيس جمعية كبيرة تضمُّ آلافاً من هؤلاء الطلبة المتفرقين في كل انحاء الجمهورية الحديثة

وكان للشبيبة الكاثوليكية في ذلك العهد ناديان: الاول جامعٌ لنحو ثمانية آلاف من الاعضاء. لكن قوانينه الصارمة تحظر عليهم قطعاً التدخين وشرب المسكرات ولو يسيراً. امّا الثاني فقد انضوى اليه مئات من الشبان غير انهم لا يخوّلون العضويّة لكلّ من يطلبها من ابناء وطنهم وديتهم فيمنحونها فقط من توسموا فيه الصفات اللازمة للزعامة على الجماهير. فيتضح ممّا سبق ان الناديين المذكورين لم يفيا بالغرض المطلوب من قادة الكاثوليك الالمان في غد الحرب الكونيَّة وهو استئناف حركة كاثوليكية شديدةٌ منتشرة في كل اصقاع بلادهم ضامنة بقدر الامكان لإزالة الدمار المادي والادبي تدريجاً. فشعروا حينئذٍ بمسيس الحاجة الى انشاء جمعية اوسع واقدر من السابقتين يصطفُّ تحت لوائها نخبة طلبة المدارس العليا الكاثوليك ومن

يجهل ان شبّان اليوم رجالُ الغد يكتزون في صدورهم خير آمال الوطن العزيز ، بل ما أدراك ما يقدرون عليه من المآثر والمعجزات في خدمة بلادهم ان استضاءوا بنبراس الدين القويم وان اضطرمت نيران اشرف العواطف البشرية في صميم افئدتهم؟

يُعزى الفضل في تأسيس « المانية الفتاة » للطيب الذكر نيافة الكردينال فون هرتمن (von Hartmann) تغمده الله برحمته ، وكان ذلك في حزيران ١٩١٩ . وخيرُ شاهد على عظم شأن الجمعية الجديدة في ترويج المصالح الكاثوليكية ونشر النفوذ الادبي الكاثوليكي انَّ جيش الطلبة البروتستان هاج وماج منذ نشأتها فرشقها بقذائف تهكُّمه وشتائمه . ولا بدع فانه ادرك فوراً ان هنالك جيشاً نظامياً من التلامذة الكاثوليك لا يلبث ان يناجزهُ القتال واي قتال ! امّا المانية الفتاة فلم تبالِ بهتاف الهاتفين ونعق الناعقين ومعاداة المعادين بل رفعت بجسارة الابطال رايتها راية السيد المسيح وكنيسته المقدسة ونادت بلسان صوتها تدعو طلبة المدارس العليا الكاثوليك الى التجنّد تحت ذاك العَلَم الشريف الحقيق بان تُبذَل المهج فداء له

ولم تكن بعونه تعالى كالصارخ في البيداء بل رنَّ صدى ندائها من مشارق المانية الى مغاربها . ففي عيد الميلاد من السنة ١٩١٩ كان لها فوق مئة نادٍ في كل انحاء البلاد ويناهز عدد اعضائها عشرة آلاف . وقد بلغت هذه النتيجة العجيبة ستة اشهر ليس الّا بعد نشأتها . وفي اواخر ١٩٢١ اي نحو عامين ونصف بعد تأسيسها كان لها ٣٢٥ نادياً في ٢١ اقليماً وعدد الاعضاء نحو خمسة وعشرين الفاً ! ويزاد على العدد الاخير نحو الف طالب الماني في نشأة كوشدفكية . وكل هذه الارقام ومعظم المعلومات التي ادرجناها في مقالتنا مقتبسة من المستندات الواردة الينا من المركز الاداري لالمانية الفتاة الواقع بمدينة كولونية المعروفة . وما كنّا لنُقدم على الخوض في هذا البحث الخطير وزفّه الى قرّاء الشرق قبل اقتباس كلّياته وجزئياته من اوثق المصادر نعني من مركز الجمعية التي نحن في صددها

وبعد ان قلّبنا سريعاً صفحات تاريخ المانية الفتاة المجيد رغماً من قصره هلمَّ بنا الآن ننظر الى دستورها ثم الى مآثرها العظيمة في خدمة الدين والوطن

٣ دستور المانية الفتاة

ان دستور كل جمعية هو بمثابة مرآة صقيلة ترتسم فيها بغاية الدقة غايات

تلك الجمعيَّة ومبادئها وآدابها وكل ما تنطوي عليه من المحاسن والمساوئ . ولكون جلّ مقصدنا ان نعرض المانية الفتاة لانظار قرائنا كما هي في الحقيقة بدون تحسين ولا تشويه فلم نجد طريقاً اقرب الى غايتنا من ترجمة دستورها بالحرف الواحد من الالمانيَّة . وقد صادق عليه بنداً بنداً الاساقفة الالمان فان الجمعية المشار اليه قد جعلت الخضوع للرؤساء الروحيين والانقياد الكامل الى اوامرهم ونواهيهم في مقدمة واجباتها المقدسة وسنسهب الكلام فيما بعد على هذا الموضوع الهامّ

١ غايات الجمعية

البند الاول . ان جمعية المانية الفتاة هي اتحاد الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا الذين يريدون بالاتفاق الامين مع السلطة العائلية والمدرسية تأهيل ذواتهم للتعمّق بالعقل والقلب على قدر الامكان في معرفة العالَم والحياة معرفةً كاثوليكية وللعمل في كل سلوكهم بمقتضيات الكثلكة المحضة

البند الثاني . انّ القيام حسب الذمة بمبادئ دينهم المقدس يوجب عليهم بذل القوى وتضحية النفس بلْ السرور في خدمة الوطن الالماني

البند الثالث . حبّ الوطن يقتضي المشاركة الشديدة لكل المواطنين في جميع امور الحياة القوميَّة . لذلك يسعى اعضاء الجمعية في معرفة المشاكل المتعلقة بها ولاسيما واجبات الكنيسة والدولة والمشروعات الاجتماعية والخيريَّة، وفي اتمام فروضهم بصفة كاثوليك ورعايا المان بممارسة الحب الشريف للمصالح العمومية

البند الرابع . كل اعضاء المانية الفتاة بصفة شبان كاثوليك يجعلون ديدنهم المؤانسة الشريفة والبشاشة المحضة، ويجتهدون للاغتناء بالكنوز العقلية المكنوزة في ادبيات اللغة والموسيقى والفنون التصويرية ، غير انهم يتحاشون في ذلك التعدّي على حقوق المدارس

البند الخامس . بناء على شغفهم بكل محاسن الطبيعة انهم ينظّمون في اثناء العطلة المدرسية سياحاتٍ كبيرة وصغيرة . ويجعلون الترنّم بالأغاني الشعبية الالمانية في عداد مبادئهم . امّا الرياضة الجسميَّة فينبغي مزاولتها حيثما اقتضتها الظروف ولم تُعْنَ بها المدرسة المحلية عنايةً كافية

البند السادس. لا محلّ قطعاً لمساعي الاحزاب السياسية في اجتماعاتنا

٢ نظام الجمعية

الجمعية مؤلفة من اقاليم ونوادٍ محلية. فالنوادي تكوّن الاقاليمَ التي تتألف منها الجمعية

اولاً: النوادي المحلية وادارتها. نظراً الى اختلاف الظروف المحلية تُطلق يد النوادي في وضع دستور خاص بها تراه الاشدَّ مناسبةً — نظراً الى حالتها — لبلوغ مأرب الجمعية. وينبغي في ذلك الدستور تخويل مدرّسي التعليم المسيحي نفوذاً لائقاً بوظيفتهم. ولمركز الجمعية الاداري حقّ عَرْض اقتراحاتها على النوادي ان هي طلبتها. ثم يجب ارسال كل دستور محلي الى المركز، ويلزم ألّا يمسّ ذلك الدستور مصالح الكنيسة والعائلة والمدرسة فضلاً عن مصالح الجمعية نفسها

ثانياً: الاقاليم وادارتها. ان تقسيم الجمعية الى اقاليم ينطبق على التنوّعات القومية في وطننا بمراعاة حدود الابرشيات على قدر الامكان الخ

ثالثاً: الجمعية وادارتها. ادارة الجمعية موكولة لمجلس الرئاسة والمؤتمر. مجلس الرئاسة مؤلف من رئيس الجمعيّة وكاتم اسرارها العامّ ومديري مجلّاتها وثلاثة من مُدرّسي التعليم المسيحي وثلاثة من الكاثوليك العلمانيين بسنّ الكهولة وخمسة عشر طالباً تنتخبهم الاندية المحلية لتمثيل الاقاليم في المجلس. يُخوَّل اسقف الابرشيّة الواقع فيها مركز الجمعية حقّ تعيين رئيس المانية الفتاة وكاتم اسرارها العام بالاتفاق مع لفيف السادة الاساقفة الالمان — امّا المؤتمر فانه يلتئم كل سنة وعلى مجلس الرئاسة تحضيرهُ ودعوة نوّاب النوادي اليه... وللمؤتمر حقّ بتّ المسائل المتعلقة بكل الجمعية

لسان حال الجمعية ثلاث مجلات وهي «منارة الطلبة» لتلامذة الصفوف العليا و«الحصن» للصفوف السفلى و«الركن» المنطوي على اخبار الجمعية

هنا ختام ترجمتنا الدقيقة لدستور المانية الفتاة ومَنْ ارسل بولقد النظر الى بنوده واحداً فواحداً أيقن انها كلها قد أفرغت في قوالب الحكمة المستنيرة بضياء الايمان.

لكن بين مقاصد المرء واعماله بوناً عظيماً في اكثر الاحوال فلا متدوحة لنا من تعداد بعض مآثر المانية الفتاة في خدمة الدين والوطن . فهي هي الحجة الواضحة الدامغة على كون تلك الجمعية الشريفة جعلت اعمالها المجيدة وقوانينها الحميدة في مرتقى سام قلما تبلغ اليه عزائم الشبيبة العصرية

٤ بعض مآثر المانية الفتاة في خدمة الدين والوطن

من استطلع احوال الثلثمائة والخمسة والعشرين نادياً التابعة في اواخر ١٩٢١ لالمانية الفتاة لم يتمالك ان يقضي العجب من سمو الفضائل المارسة فيها وعظم الاعمال التي قام بها اعضاؤها . فلبيان شيء يسير من تلك المساعي الجليلة رأينا ان نقسم هذا المبحث الى عدة ابواب زيادةً للايضاح والتدقيق

﴿ ١ خضوع نوادي المانية الفتاة للسلطة الكنائسية ﴾ . من عاشر الشبان وسبر غورهم عرف ان سَوْرة العواطف والشهوات النابضة في عروقهم — سيان كانت نبيلةً او خسيسةً — ولاسيما ولوعها بالحرّية والاستقلال . هي بمثابة السيل الجحاف المنحدر بسرعة هائلة من اعلى القنن الى اوطإ الوديان فلا يعترض انهماره الشديد معترضٌ ايًا كان الا وسحقه سحقاً ذريعاً ، والحالة هذه فانى تستطيع جمعية عظيمة كالمانية الفتاة ، المنتشرة في كل انحاء بلاد واسعة ، الجامعة لنحو خمسة وعشرين الف عضو ، ان تواصل سيرها الحثيث في الخطة القويمة خطة الدين والوطنية الحقة بدون الحياد عنها قيد شعرة ، إن ارخت العنان لشغفها بالاستقلال المطلق والعمل بمجرد آرائها الخاصة ؟ اليس الشباب بين كل مراحل حياة الانسان اقربها الى سبل الغواية والضلال؟ لذلك نرى الكنيسة الكاثوليكية ولله درُّ حكمتها لا تزال في كل الاقطار توعز الى جمعيات الشبان الكاثوليك الانقياد التام لاوامر ونواهي اساقفتهم تداركاً لاعظم المخاطر . ولذلك جعلت المانية الفتاة منذ نشأتها الخضوع المطلق للسلطة الكنائسية في مقدمة مبادئها الجوهرية الحيوية . وكفى شاهداً على ذلك انها طلبت ونالت مصادقة الاساقفة الالمان على دستورها ثم انها خولت لسقف الابرشية الواقع فيها مركزها الاداري حقّ تعيين رئيسها وكاتم اسرارها العام ، وذلك بالاتفاق مع سائر السادة الاساقفة . تزيد على ذلك ان المانية الفتاة تستضيء بانوار السلطة الدينية في

كل المشاريع التي تُقدم عليها لئلا تخبط خبط عشواء اذا انفردت برأيها . وفي كلٍّ من نواديها كاهن يعاون الرئيس المحلي بصفة مستشار

ثم انها تُحلُّ — بعد السلطة الكنسية — السلطتين العائلية والمدرسية محلاً يليق بهما ويضمن لهما التوفيق بالتوحيد بين مساعيها ومساعيهما في خدمة الدين والوطن . مثال ذلك انها تبذل اعاناتها المادية والادبية للعائلات والمدارس المحتاجة اليها . (راجع البند الاول من دستور الجمعية)

على ان خضوع المانية الفتاة لكل سلطة شرعية مقدسة — لا يحولُ البتة دون تمتُّعها التام بما تتوق اليه الشبيبة من الحرية المعقولة والاستقلال المعتدل . فقد رأينا مثالاً ان النوادي المحلية مطلقة اليد في وضع دستورها الخاص على شرط عدم مناقضته للدستور العام . وكل نادٍ يُدير ذاته رأساً وفي اغلب الاحيان تُوكل رئاسته الى احد الشبان . فيكون المعوَّل على نشاط جميع الاعضاء واريحيتهم في كل مشاريع النادي . فعليهم ان يهتدوا الى اشدّ الاعمال مناسبةً لقرائن الاحوال والاشخاص . ويلوح لاول وهلة ما يقتضيه كل ذلك من الهمّة واعمال الفكرة ومضاء العزائم . وما سنذكرهُ بعد هنيهة من مآثر الجمعيّة يؤيدُ الحكم السابق تأييداً جلياً . والحق يقال ان المانية الفتاة سلكت الخطّة المتوسطة بين طرفَيْن ذميمين احدهما عدم الانقياد للسلطة الشرعيّة ولاسيما الكنائسية والثاني احتكار السلطة في الادارة المركزية بحيث لا تترك للنوادي المحلية واعضائها مجالاً واسعاً لشحذ قرائحهم وتمرين ارادتهم . وخير الامور اوسطها على حد قول المثل السائر . فغنيٌّ عن القول بانّ فقيدَ الكنيسة الجامعة قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر غمرَ المانية الفتاة بالطافه وعبّرلها عن سامي رضاه برسالة مطوّلة بعثها اليها على يد نيافة الكردينال غسبري بمناسبة مؤتمرها الثاني الملتئم في فُلده (Fulda) سنة ١٩٢٠ . ثم تنازل ومنح بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩٢١ البركة الرسولية لكل الاعضاء ولكل المحسنين اليهم

﴿ ٢ مظاهر الحياة الدينية ﴾ ان المانية الفتاة هي اوّلاً جمعية كاثوليكية فغايتها الجوهرية نشر المبادئ والعادات الكاثوليكية المحضة ولا غرو انها أنجع دواء لادواء المانية التي الصقتها الحرب الضروس بالدقعاء مادياً وادبياً . ولذلك ترى اعضاء النوادي ينتهزون كلَّ فرصة سانحة لحضور الرتب الكنسية ولاسيما الذبيحة المقدسة

والتقرّب المتواتر الى مائدة الخلاص. ولا يفعل ذلك كل عضو بمفرده بل يجتمعون زرافاتٍ لقضاء واجباتهم الدينية والمجاهرة على مرأى الناس بإيمانهم المقدس الذي يفتخرون بهِ الافتخار الاعظم. وعلاوةً على ذلك ترى صفوة اولئك الطلبة الشبان ينضوون الى الاخويات المرعية والشركات القربانيّة. وفي اغلب النوادي ينكبُّ الاعضاء تحت قيادة نفرٍ من العارفين والخبراء على دراسة ما استطاعوا من المسائل الدينية والادبية المهمة. ثم انه من الواجب المتحتم على كل نادٍ ان يقيم اقلهُ مرّةً في الشهر مظاهرةً كاثوليكية لإنعاش روح التقي في جواره. وقد زاد بفضل مساعيهم الحميدة ونموذجاتهم السامية عدد المتقربين وحضور القداس يوم الاحد زيادةً كبيرة

ولعلَّ افصح شاهد على حرارة تديّن اولئك الشبان الاماثل كثرة انعكافهم على الرياضة الروحية مدة بضعة ايام كل سنة حيث يختلون بعيداً عن ضوضاء العالم للاستحرار في الصلاة والانكباب على تأمل الحقائق الدينية التي يستمدُّون منها القوى اللازمة للكفاح في سبيل الدين والوطن العزيزين. وكان عدد المتروضين من اعضائها من ١٩١٩ الى ١٩٢٠ في السنة الاولى للجمعيَّة الفين. وفي سنتها الثانية المنتهية في الصيف المنصرم ادراك اربعة آلاف! وقد اعلمنا المركز الاداري ان السنة الثالثة ستفوق السابقتين في هذا الصدد

فأيمُ الحقّ ان ذلك الامر وحده لدليلٌ بليغ على ان الكثلكة ليست اسماً بلا مسمّى في المانية الفتاة بل روحها الحيّة التي تبثّ الحياة في كل مشاريعها الآئلة الى تعزيز الدين والوطن! على اننا لا نجتزئ بذلك الدليل المقنع وبما سبقهُ من امثاله بل نضيف الى كل ذلك شاهدين فصيحين: الاول هو ان المانية الفتاة اقترحت في المدة الاخيرة على اعظم قادة الشبيبة نفوذاً وخبرةً تلقين رؤساء النوادي ومَن شاكلهم فنّ الزعامة السير. فلبّوا تلك الدعوة وباشروا تعليمهم النفيس في اواخر كانون الاول ١٩٢٠ باثنتي عشرة من المدن الالمانية. والحال ان جميعهم ألحّوا في محاضراتهم كل الالحاح بشأن ضرورة التشرّب بمبادئ الدين الكاثوليكي وعلومه وآدابه مصرحين ان ذلك هو الشرط الاول والجوهري لقيادة الشبّان في سبيل الهدى

والشاهد الثاني هو شغف كل ابناء المانية الفتاة بفضيلة العفّة رغماً من وجوده مسلكها خصوصاً في جيلنا المتهتك. وقد نصب اولئك الفتيان الابطال في نواديهم

بل وفي طبقات الشعب المختلفة الخاضعة لنفوذهم حرباً عواناً للحضارة كيفما ظهرت للعيان في المحادثات والخطب ، في الكتب والجرائد والمجلات ، في المراسح ودور السينما ، في المتاحف والتصاوير والتماثيل في الملابس والازياء . الحق يقال انهم طاردوا ذلك العدو الجهنمي في كل حصونه ومكامنه وضربوه في عدة مآزق الضربة القاضية

ولم يفت هؤلاء الكاثوليك المتنورين الاتقياء ان العذراء مريم عليها السلام هي سلطانة العذارى والشفيعة المشفعة لكل المناضلين عن طهارتهم فجعلوا اكرامها الخاص والحب البنوي لتلك الام الحنون والتعبد الحار لها في مقدمة فروضهم الدينية . ولما انعقد مؤتمر المانية الفتاة لسنة ١٩٢١ كرست الجمعية نفسها تكريساً احتفالياً لوالدة الله المجيدة باعتبار كونها ام فادينا الالهي واسمى نموذج للعفة ونصيرة الشبيبة . ولا نتمالك ان نترجم لقرائنا الاعزاء صورة ذلك التكريس البديع لما انطوت عليه من سامي العواطف والمقاصد :

« ايتها العذراء البريئة من كل دنس ، يا والدة الله مريم انظريني جالياً هنا عند قدميك كي اكرس ذاتي لك بصفة كونك مولاتي . اني انذر لك بقلب ملؤه الحب والتحمس التفاني امانة لا يميل بها ميل من خدمتك . وحيث اني مزدان بسمة ابنك الالهي اريد بصفة شاب كاثوليكي في هذا العصر المتمرد روحياً ، ان أناضل بمعزل عن الخوف والضلال من اجل سلطة الكنيسة المقدسة وسلطة نائبها المعين من قبل الله ، وذلك وفقاً لمآرب جمعيتنا السامية

« اليك يا كرسي الحكمة اكرس دروسي . اعلميني تحت كنف حمايتك لأن اتبحر في معرفة عجائب الخلق واسرار الايمان . تحت رايتك الزنبقية اريد في عالم موج الآداب ان اقاتل قتال الشجعان لحفظ الطهارة والبراءة في فؤادي وفي الحياة السومية . ليت النموذج النسائي الساطع في شخصك بدرجة لا متجاوز وراءها ، بازاء شبابي ، لينه يفعم روحي احتراماً لشرف المرأة ورفيع منزلتها »

« يا مريم يا سلطانة جمعيتنا ومولاتنا باركي على إقسامي بالثبات على خدمتك خدمة الابطال ، ملهميني لمقاومة ضروب الإغواء ، قوديني الى النصر المبين . بصفة عبدك الامين اريد ان احيا وبهذه الصفة اريد ان اكافح وان اموت . آمين »

هذا وان تكن العبادة الحارة نحو العذراء المجيدة اعظم سلاح بيد اعضاء المانية الفتاة لحفظ عفتهم ونشر تلك الفضيلة في محيطهم فانهم مع ذلك لا يهملون الاسلحة الثانوية الأخر . وأخصها نشر المطبوعات الكاثوليكية الحسنة وتمتيع الروح بانفس ما اولدته من آيات الجمال ادبيات اللغات الاوربية والفنون الجميلة على اختلاف انواعها . ثم ممارسة الرياضات البدنية التي لا بد منها لتقوية بنية الطلبة الشبان ولراحتهم من

عناء الدراسة وايجاد منفذ صحي لفيضان الحياة في اجسامهم

﴿ ٣ مظاهر الحياة العقلية ﴾ انّ رفع منارة الدين الكاثوليكي في كل اصقاع الجمهورية الالمانية كما سبقت الاشارة الغاية الاولى لابناء المانية الفتاة . على ان الدين والعلم شقيقان لا يفترقان وبالخصوص لمن يريد في ايامنا هذه قيادة الجماهير ونشر النفوذ الكاثوليكي عليها قصد ترقيتها وإسعادها . وبما انّ اعضاء المانية الفتاة قد انتشوا بهذا المبدإ القويم عقدوا نيتهم على تذليل كل العقبات في معرفة حقائق دينهم الشريف وفي حلّ اهمّ المشاكل الادبية والاجتماعية المعترضة لهم بموجب البند الاول من دستور الجمعية الذي يوجب على الاعضاء التعشّق بالعقل والقلب على قدر الامكان في معرفة العالم والحياة معرفة كاثوليكية . وبمقتضى البند الثالث الذي يدعوهم الى السعي في ادراك المشاكل المتعلقة بالحياة القومية ولاسيما واجبات الكنيسة والدولة ، والمشاريع الاجتماعية والخيريّة . وبناء على البند الرابع الذي يحضّهم « على الاعتناء بالكنوز العقلية المكنوزة في ادبيات اللغة والموسيقى والفنون التصويرية »

فيتضح من كل ذلك شدة اهتمام المانية الفتاة بتثقيف عقول ذويها لجعلهم اهلاً للذود عن حياض الكثلكة والمدنية الحقّة وهما لعمري اسمان لمسمّى واحد . وليست البنود المذكورة آنفاً حبراً على ورق بل هي سنّة ادخلتها النوادي منذ نشأتها في حيز العمل . فانّ لكل نادٍ من نوادي المانية الفتاة ، على وجه الاطلاق عدّة فروع مختصة بالعلوم والفنون التي لا بدّ للشبيبة المتنورة من الاحاطة باطرافها كالعلوم الدينية والفلسفية والاجتماعية وآداب اللغة وبعض الفنون الجميلة . وقد عُنيت النوادي عناية خاصّة بتخريج اعضائها في الخطابة فلا يجهل احد في عصرنا جليل شأنها لنشر المبادئ الدينية وغيرها بين اظهُر العامّة . وممّا اقترحهُ مندوبو اقليم غورّس (Görres) التابع لالمانية الفتاة في احد مؤتمراتهم الاخيرة ان ينشئ كل نادٍ مدرسةَ خطابةٍ للشبان على « نموذج التي بمدينة بُنّ (Bonn) شحذاً لقريحة الخطابة واتقانها »

وقد انشأت المانية الفتاة مجلّة عنوانها « فن الخطابة » لنشر ابلغ ما يفوه به خطباؤها المفوّهون وحثّ غيرهم على الاقتداء بهم قدر الامكان

وليس مدار تمارين الخطابة الآنفة الذكر مواضيع تافهة لا يُقصد منها سوى شقشقة اللسان وتنميق العبارة وسرد الجمل الرنّانة الفارغة . بل هي المواضيع العصرية

الحيوية التي لو أعرضت عنها الشبيبة الكاثوليكية لبات منها نشر النفوذ الديني مناط الثريا. وهاك شاهداً بين الف على صحة قولنا

منذ اوائل ١٩٢١ اجتمع اعضاء جميع نوادي مدينة برسلاو كل يوم سبت لممارسة الخطابة والبراعة فيها. وكانوا يُعيّنون لكل جلسة مَن يرأسها وكان الخطيب يصعد تلو الخطيب الى المنبر فهذا يعترض على ما قاله ذاك والاجوبة تلي الاسئلة الى ان يُمحَض موضوع الجلسة تمحيضاً تطمئن اليه الخواطر. ومن المسائل الجوهرية التي دارت حولها تلك المجادلات المشكلان الآتيان: اولاً ما موقف ابناء المانية الفتاة تجاه الحقيقة؟ ثانياً كيف يلزمهم تنظيم علائقهم مع السلطة العائلية؟

ثمَّ انَّ من البديهي ان كل الفروع العلمية والفنية الملحقة بنوادي المانية الفتاة لا غنى لها عن مكاتب غنية بالمؤلفات الشهيرة. ولذلك قد بذلت النوادي رغماً من قلة ذات اليد والازمة المالية الشديدة في بلادهم غاية الجهد في جمع عدد يُذكر من الكتب المفيدة. والبرهان على كون تلك المساعي لم تذهب ادراج الرياح ان احدى مكاتبهم جمعت نحو اربعة آلاف وخمسمائة مجلد! نذكر بهذه المناسبة حادثاً ظريفاً يروق للقراء ويؤيد المثل القائل ان الحاجة امُّ الاختراع. كان نادي بلدة ريس (Rees) الصغيرة مشتملاً في اواسط ١٩٢١ على ثمانية وثلاثين عضواً وليس في صندوقهم من النقود ما يمكنهم من اقتناء بضع مئات من الكتب النفيسة. فاوجدوا رتقاً بسيطاً لذلك الفتق بتواطئهم على ان كلاً منهم يودع في المكتبة العمومية كلَّ ما عنده من المؤلفات الحسنة. وقد تمَّ الامر على هذا النمط

﴿٤ مظاهر حبّ القريب وحب الوطن﴾ عرف اعضاء المانية الفتاة وصيَّة السيّد المسيح لتلاميذه بان يحبُّوا بعضهم بعضاً ويبذلوا نفوسهم دون قريبهم فوزنوا تلك الآية البديعة بميزان التأمل الدقيق وأدركوا جميع ما تكنُّ من الاسرار الغامضة. فلم يهدأ لهم بالٌ قبل تطبيق تلك الوصية السامية والعمل بها دون انقطاع في كل حركاتهم وسكناتهم. ولهم في خدمة القريب مآثر كثيرة نجتزئ بذكر قليل منها: في كل النوادي تقريباً ترى الاعضاء يجمعون الكتب المدرسية غير الجديدة لتوزيعها مجاناً او بأثمان بخسة على رفقائهم المعوزين. وفي كثير من النوادي اخذ الطلبة البارعون على عاتقهم مساعدة اخوانهم الاقل ذكاء على فهم مواد التعليم. امّا عدد الاعضاء الفقراء

الذين يقضون كل سنة بضعة اسابيع في الارياف او على شاطئ البحر ، وذلك على نفقة الاعضاء الموسرين ، فهو لعمري اعجوبةٌ في بابه اذ كان قد بلغ الالفين في شهر تشرين الثاني ١٩٢١ . زد على كل ذلك ضروباً لا تحصى من الاحسان كتمثيل الروايات او اقامة الجلسات الموسيقية في المياتم والمستشفيات مجاناً وتقديم الهدايا للاطفال الفقراء بمناسبة عيد الميلاد ، وممارسة الالعاب الرياضيَّة مع شبان من طبقة العمّال الى غير ذلك من عجائب محبة القريب الفائقة الطبيعة الآخذة بمجامع القلوب

اما حبّ الوطن فنيرانه مضطرمة في افئدة اولئك الابطال الكاثوليك متقبسة من لهيب محبّتهم للسيد المسيح المهيم ومخلصهم الجليل . وقد مرَّ بالقراء ان البند الثاني في دستور المانية الفتاة مخصَّص برمَّته لحب الوطن . ولعمري ان كل ما اوردناه آنفاً من جميل مآثرهم في ميادين الديانة والعلوم والفنون ومحبة القريب لشاهد بليغ على اخلاص وطنيتهم اذ يفنون زهرة شبابهم في تعزيز قوى مواطنيهم ؟ ومن جهة اخرى أليس مجرَّد اسم «المانية الجديدة» الذي عرَّبناه بالمانية الفتاة ترجماناً فصيحاً لما انطوت عليه صدور اعضائها من عواطف هوى الوطن العزيز والرغبة الشديدة في تجديد مجده الباذخ برفع صروح المدنيَّة الكاثوليكية على الانقاض المتراكمة في كلّ اصقاعه ؟

وفي منطوق البند السادس من دستور جمعيَّتهم المنافي للاحزاب السياسيَّة في اجتماعاتهم شاهد آخر على خشية اولئك الشبان الافاضل من ان تضعف غيرتهم على مصالح الوطن الكبرى بداعي الانشقاقات السياسية التي لا بدَّ ان تفرّق شملهم وتلاشي قواهم ان لم يتداركوا شرورها المتفاقمة بارتاج ابواب نواديهم في وجه السياسة ؟

على ان وطنية المانية الفتاة هي وطنية كاثوليكية بعيدة النظر حائدة عن خطة التطرّف والتعصب الذميمة . فتراها في علاقات وديّة متواترة مع امثالها في اكبر البلاد الاوربية فضلاً عن صلتها بالرصيفات الالمانية طلباً لتوحيد الآراء والمساعي بقدر الامكان ولإبلاغ النفوذ الكاثوليكي الى اعلى درجاته في الحياة القومية على اختلاف مظاهرها المتعددة

﴿ ٥ الرياضة الجسميَّة في نوادي المانية الفتاة ﴾ شاهدنا من مآثر المانية الفتاة في ميادين الديانة والعلوم والفنون وحب القريب والوطنية المحضة ما هزّ نياط قلوبنا افتخاراً وسروراً . ولربَّما وهَمَ الواهمون ان اولئك الطلبة الكاثوليك ضربوا صفحاً

عن الرياضة الجسمية في حياتهم المشتركة. ولم يحسبوا لها حساباً، زعماً منهم انها انجس قدراً من ان يخصصوا لها حصّة وان يسيرة من وقتهم الثمين المكرّس برمّته لخدمة الله والقريب والوطن. كلّا فانّ دأب ابناء المانية الاعتدال في كل امورهم فيخلّون لكلّ منها المحلّ المناسب له. أجل ان المانية الفتاة ليست كعشرات من جمعيات الشبان الالمانية والانكليزية نادياً للالعاب الرياضية وما شاكلها. على انها تستخدم الرياضة البدنية بصفة احدى الوسائط الفعّالة لانماء القوى الجسميّة وبالتالي القوى العقلية والروحية. فهي تعتقد، على حدّ قول المثل الروماني، ان كمال الانسان بالعقل الصحيح في الجسم الصحيح. ولذلك فرض البند الخامس من دستورها على كل الاعضاء من مزاولة الرياضة الجسمية بقدر الحاجة اليها حيث انها واسطة لا غاية

ومن أفيد واظرف ضروب تلك الرياضة بل من اشدّها موافقةً للمزاج الالماني والعوائد المتأصلة من عصور عديدة في الشعب الجرماني السياحاتُ التي يباشرها الاعضاء مترجّلين ولاسيما في مدة العطلة المدرسية الصيفية جرياً على ايعاز فقرة اخرى من البند الخامس. فتراهم سائرين على اجمل سكك بلادهم يصعدون الى ذروة جبالها ثم ينحدرون الى اعماق وديانها. وهم مجتمعون على شكل قوافل لزيادة لذّة السياحة بالتآنس وتبادل الافكار والعواطف والترنم سويّة باحلى الاغاني القومية الراقي بعضها الى القرون الوسطى. فكأنّ روح اجدادهم الاقدمين بقيت فيهم حيّةً تناجي نفوسهم المشغوفة بكل العظائم والمحاسن فتُذكي فيها لهيب تلك الاشواق السامية

وبياناً لرواج هذه الاسفار المتعبة في حدّ ذاتها بين اعضاء المانية الفتاة نعرّب للقرّاء ما جاء في لائحةٍ ارسلها كاتم الاسرار العامّ الى كل النوادي من مدينة كولونية مركز الجمعية بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٢١ :

«ايها الاخوان الاعزاء — من كل اوب وصوب ترد الينا الطلبات المشدّدة بشأن ترويج السياحات ترجّلاً. ولذلك نرى من الضرورة الماسّة ان يستأنس كل الاعضاء ببعض اغاني التجوّل (١ التي تكفي معرفة نحو عشرين منها باستظهار ما فوق ذلك ... ولتسهيل السياحات سعى المركز الاداري في شراء عُدد السفر باثمان رخيصة. فقد ابتعنا الف جراب جديد في غاية الجودة وبيور جلديّة نبيع منها كل واحد بعشرين مركاً واشترينا ايضاً الف مزاد للخبز نبيع كلّاً منها باربعة مركات. وفي امكاننا اشتراء غير ذلك ... افرغوا كنانة الجهد في سبيل ايجاد

١) وهي اغاني خاصّة لدى الالمان تستنزم في سيرهم

مآوٍ للسائحين ، وذلك بان ترسلوا الينا عناوين العائلات المستعدّة لاضافة اخوتنا المتجوّلين . وسيُطبع جدول تلك المآوي في غرّة الربيع القادم »

آن الاوان لختم هذا المبحث الجميل وفيهِ من المواعظ والعِبَر ما يرفع عنّا تهمة الاطالة المملّة . قد رأى الآن كاثوليك الشرق المطالعون هذه الصفحات ان المانية الفتاة لمن اجلّ واشرف الجمعيّات التي اولدها في عصرنا الايمان الكاثوليكي الحارّ . فاصبحت بمثابة حديقة غنّاء مزدانة بالاف من اجمل ازهار الفضائل المسيحيّة . والعجب العجاب في عين كل متبصر ان المانية الفتاة لم تعِشْ حتى الآن ثلاث سنوات كاملة ومع ذلك فقد صنعت من كل ضروب الخير والاحسان في جميع انحاء المانية ما اطلق كل الالسنة بالثناء العاطر على اعمالها المجيدة . واذا استثنانا القراء في ما عسى ان يكون سرّ نموّها العجيب بعد نحو سنتين ونصف من تأسيسها أجبناه دون اقلّ تردّد : « ان السرّ كل السر في كون اولئك الطلبة الكاثوليك شُغفوا بحب السيّد المسيح الهنا وفادينا العظيم فجعلوا جلّ غايتهم الاقتداء بفضائله السامية ولاسيما بعميم احسانه نحو كل افراد البشر وعجيب تفانيه في خدمة مصالحهم الزمنيّة وبالاخصّ الابدية » كما ورد ذلك في منشور لالمانية الفتاة تُبيّن فيه لجمهور الطلبة الكاثوليك مبادئها ومراميها . اقوالٌ لها رنّة البوق العسكري حين يدعو الجنود الابطال الى إلقاء ذواتهم في معامع الوغى وسفك دمائهم لدى الاقتضاء فداء عن الوطن العزيز . واليك ترجمتها الحرفية :

« ان المانية الفتاة هي نهضةٌ للشبان الكاثوليك . انا نحمل حب المسيح في كنيسته المحل الاول في اشواقنا . انا نشعر بانهُ يجب علينا السعي في نشر مُلك المسيح ، وذلك بمثلنا الصالح وباقوالنا الجاذبة الانفس الى غايتنا السامية ، وباعانتنا وخدمتنا للاصدقاء . ما نريده هو ان نكون على ناشئة وطننا رُسُلاً للمسيح . أنا نحيا للمسيح والكنيسة . بدون ضغط بل من تلقاء ذواتنا وبملء الحرية نسعى وراءهُ ذروة التقوى الخالصة والآداب الحميدة . . أما الحياة البشري فهو في نظرنا تُرّهة تفزأ بها . أجل ان افتخارنا باسم كاثوليك لا يضاهيهُ افتخار ! . . وحاشا لنا ان نعتبر من ذوينا كلَّ شابٍ لا يلتفت الى المسيح والكنيسة والايمان والى فروض الدينية ! جُلُّ مُنانا ان نسعى للحصول على الكمال الذي يتحتّم علينا كشبان كاثوليك ! وخلاصة القول ان قلب المانية الفتاة لمُتيّم في حب من هو ابنُ الله وابن الانسان معاً وفي حب مملكته العالية »

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف الباء

١٦٢ ﴿بانسيوس الساقزي﴾ ويروى باسيوس اسقف غزّة المتوفّى في روسيّة سنة ١٦٧٨ لهُ كتاب الرموز الذي جمع فيهِ عدّة فوائد تاريخيّة جعلها رؤوساً مختلفة فاستخرج منها البطريرك مكاريوس المعروف بابن زعيم كتابهُ المسمّى بالنحلة في ٢٧ رأساً منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة. امّا الرموز فمنها نسخة في كليّة الاميركان في الثغر (ع ١٨١)

١٦٣ ﴿بابيلا﴾ الخوري يوسف من الرهبانيّة المخلصيّة واحد المتخرّجين في مدرسة البروبغندة في رومية. توفّي في اواخر القرن الثامن عشر. اطّلعنا لهُ على: ١ً كتاب اللاهوت. في مكتبة الدار الاسقفيّة في بعلبك. ٢ً كتاب باقة الزهور المنثّة في علم الذمّة. وهو كتاب ضخم لبنطاس اللاهوتي عرّبهُ الخوري بابيلا. منهُ نسخة في دير الشير. ٣ً كتاب نخبة التُحف السنيّة بتنبيهات الرهبان والكهنة عرّبهُ عن طبعتهِ اللاتينيّة سنة ١٦٧٢ مع عظة في واجبات الكهنوت للمسمّى برتلماوس انطونيوس بسيوس الكاهن (ص١٢٢) منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة ونسخة في حلب في بيت الشمّاس نقولا ايوب. ٤ً تحريض الاحياء على اسعاف الموتى كتبهُ سنة ١٧٥٤ موجود في مكتبة بعلبك ومكتبة طاميش. ٥ً وذكر لهُ السيّد غريغوريوس صطا في كتاب تاريخ الطائفة الملكيّة (ص٣٣) كتاب الرياضة اليوميّة على مدار ايّام السنة

١٦٤ ﴿باخوميوس﴾ القديس الناسك المصريّ الشهير توفّي سنة ٣٤٨ م. في مكتبتنا الشرقيّة «قوانين القديس باخوميوس» بعد نسكيّات القديس باسيليوس الآتي ذكرها (ص٤٣٨—٤٤٤)

١٦٥ ﴿باخوس﴾ يوسف حبيب الكاتب (١٨٤٥—١٨٨٢) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٤٥٢و٤٩٧) لهُ كتابات لغويّة وادبيّة وسياسيّة شتّى مع

قصائد عديدة . نُشر معظمها بالطبع في جريدة الروضة وفي المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٣٢٢، ٣٤٨، ٤٦٢)

١٦٦ ﴿باخوس﴾ خليل طنُّوس المتوفّى في ٢٥ ت ١ ١٩٢١ (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : انشأ جريدة الروضة مدّة سنين عديدة ولهُ روايات شتّى وكتابات البعض منها لا يزال مخطوطاً

١٦٧ ﴿باذنجانه﴾ الخوري يوحنّا الحلبي احد تلاميذ المدرسة المارونيّة في رومية في القرن الثامن عشر . لم نقف على سنة وفاتهِ . وجدنا لهُ ١ كتاب المصباح المُرضي لمن يشاء ان يستضيء في ١٨٥ فصلاً في عقائد الايمان . في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٦٠) . ٢ رسالة مرآة الحقّ الوضيّة في شرف الملّة المارونيّة . منها نسخة بالكرشوني في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيّة وهي المقالة الثانية منهُ . ولعلّهُ هو ايضاً مؤلف مقالته الثالثة في شرف اللغة السريانيّة

١٦٨ ﴿بارودي﴾ الدكتور اسكندر (١٨٥٦–١٩٢١) (اطلب المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٢٣–٢٤) تولّى نشر مجلّة الطبيب نحو عشرين سنة . لهُ عدّة تآليف طبّيّة وكتابات شتّى منها ما لم يُطبع

١٦٩ ﴿بارودي﴾ مراد بك الاجزائيّ الصيدلانيّ المتوفّى في ١٥ شباط ١٩١٨ (اطلب المشرق ١٨ [١٩١٩] : ٤٥١) ألّف مقالات مختلفة فنّيّة واثريّة وتاريخيّة قسمٌ منها ظهر طبعاً

١٧٠ ﴿بارونيوس﴾ الكردينال المتوفّى سنة ١٦٠٧ . لهُ في اللاتينيّة تاريخ مطوّل للكنيسة في عدّة مجلّدات . قد عرّبهُ مختصراً ٥ الاب بريسيوس ده رانس من جماعة الرهبان الكبوشيين المقيم يومئذٍ بمدينة دمشق المحروسة وذلك في تاريخ سنة ١٦٤٤ وطبعهُ في ثلثة مجلّدات سنة ١٦٥٣–١٦٧١ في مطبعة انتشار الايمان في رومية على نفقة المجمع المقدّس وانتهى فيهِ الى السنة ١٦٤٦

١٧١ ﴿باز﴾ سليم بك المتوفّى في ٣١ ايّار سنة ١٩٢٠ لهُ التآليف القانونيّة المتعدّدة كشرح مجلّة الاحكام العدليّة وشرح قانون المحاكمات الجزائيّة وشرح قانون الجزاء ومرقاة الحقوق لمتعلّم علم الحقوق وتعريب قانون الاجراء الموقّت وكلّها منشورة بالطبع . وقد خلّف آثاراً فقهيّة لا تزال مخطوطة

١٧٢ ﴿ باسيليوس الكبير ﴾ هو القديس اسقف قيصريّة المتوفّى سنة ٣٧٩ تُطلب سيرتهُ واعمالهُ في مجموعة الآباء اليونان (Migne, P. G., vols 29-32) نعرف لهُ بالعربيّة: ١ً كتاب الاكساميرون اي تفسير ستّة ايّام الخليقة. منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة وهو في تسع مقالات و ١٢١ فصلاً عرّبهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي في سنة ٦٥٦٠ للعالم (١٠٥٢م) وعلى احدى النسختين شروح لعبدالله المذكور. ومن هذا الكتاب نسخ اخرى في مكتبة الفاتيكان وفي مكتبة باريس (Ms, ar. 134) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفي دير الناعمة للرهبان البلديين وعند المنسنيور جرجس شلحت في حلب. ٢ً قوانين مار باسيليوس. منها عدّة نسخ مخطوطة في مكتبة باريس (Mss. Paris, 234[10], 235[10], 238[10], 251[13]). وفي مكتبة الروم في القدس (ع ٥٦). وهذه القوانين على صنفين: القوانين المنتشرة اي الواسعة في عدد خمسة وخمسين قانوناً. والقوانين المختصرة وهي ٣١٣ على طريق السؤال والجواب. وقد طُبع القسمان في رومية سنة ١٧٤٥ وقرأنا في تاريخ قسطنطين طرابلسي انّ معرّب هذه القوانين هو القس ناوفيلس فارس الراهب الحلبيّ الرومي الكاثوليكي. ولعلّهُ نقّح ما سبق تعريبهُ لابي الفضل الانطاكي. ٣ً نسكيّات مار باسيليوس هي ٣٢ رأساً في الآداب الرهبانيّة وتصرُّف النسّاك. منهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان. ٤ً كتاب ترتيب وقوانين الرهبان النسّاك وهو اسئلة واجوبة. في مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة مكتوبة بالكرشوني تاريخها سنة ١٦٩٦م تبلغ ٢٣٩ صفحة بحجمين. ٥ً كتاب صلاح الحكيم وفساد الذميم الذي عرّبهُ البطريرك اثناسيوس دبّاس. سبق ذكر نسخهِ في العدد ٧٣ ويضاف اليها نسخة في دير الشرفة. ٦ً مسائل باسيليوس وغريغوريوس. وهي نحو مائة مسألة في امور روحيّة يلقي بعضها القديس غريغوريوس النزينزي على القديس باسيليوس فيجيب عنها وكذلك يسأل باسيليوس عن غيرها فيجيب غريغوريوس. منهُ نسخة في مكتبة الكلدان في ماردين بالكرشوني. ومنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيّة سنة ١٨٩٧. وفي مكتبة باريس (Ms 213[3]) نسخة اخرى. ٧ً ميامر القديس باسيليوس. وفي جملتها مقالتهُ في قراءة الكتب الوثنيّة. في المكتبة الفاتيكانية (ع ١٤٨). وفي مكتبتنا الشرقيّة ميامر متفرّقة لهُ. ٨ً ليتورجيّة القديس باسيليوس منها نسخ مختلفة في مكتبتي الموارنة

والروم الكاثوليك في حلب وفي المكتبة البطريركيَّة الاورثذكسيَّة في دمشق وفي القدس في مكتبة القبر المقدَّس وهي تابعة لليتورجيَّة القديس يوحنَّا فم الذهب. (اطلب ايضاً لائحة الكتبة لابي البركات Riedel, p. 645-646) . وفي مكتبتنا الشرقيَّة في بعض مجاميعها عجائب مار باسيليوس وسيرتهُ المنسوبة الى تلميذهِ القديس امفيلوشيوس

١٧٣ ﴿باسيليوس الملك﴾ هو ملك الروم باسيليوس الثاني المعروف بالصغير المتوفَّى سنة ١٠٢٥ م . في مكتبة القبر المقدَّس للروم في القدس كتاب الناموس الذي وضعهُ باسيليوس ولاون وقسطنطين الملوك المستقيمو الايمان (المجلدان ١ و١٢)

١٧٤ ﴿باسيليوس الطوراني﴾ هو المفريان شمعون السرياني السيعقوبي في طور عابدين المتوفَّى سنة ١٤٤٥ . ١ً لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة شرح الصلاة الربيَّة (المشرق ١٩ [١٩٠٦] : ٦٥٠—٦٥١) . ٢ً لهُ في مكتبة باريس العموميَّة (J. As., 1896 p.274) كتاب سلاح الدين وترس اليقين وهو كتاب على مذهب اليعاقبة بالكرشوني. ومنهُ نسخة في المتحف البريطاني (Or. 4427) . ٣ً كتاب مركبة الاسرار العقليَّة في ثماني مقالات بالكرشوني في مكتبة لندن (Or. 2325 et 4426) . ٤ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة للمفريان شمعون تفسير لآية الانجيل « كن مثفقاً مع خصمك ما دمتَ معهُ في الطريق لئلَّا يسلمك الى الحاكم الخ »

١٧٥ ﴿ماسيليوس اسقف آمد﴾ الكلدانيّ المتوفى سنة ١٧٢٧ . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ترجمة البطريرك يوسف الاوَّل . وهي التي نشرناها في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ١٢٤—١٣٨)

١٧٦ ﴿الباني﴾ هو الخوري يوسف بن القسّ جرجس الحلبيّ الماروني وكان اصل عائلتهِ من بان . درس العلوم في المدرسة المارونيَّة في رومية في القرن السابع عشر وتوفي في حلب نحو السنة ١٧٢٥ . ١ً عرَّب سنة ١٧١٣ كتاب تفسير رؤيا مار يوحنَّا الحبيب للانبا كرنيليوس الحجري اليسوعي . وهذا الكتاب قد طبع في بيروت سنة ١٨٧٠ . ٢ً عرَّب مقدَّمات تفسير كرنيليوس الحجري على الكتاب المقدَّس . منهُ نسخ في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبتنا الشرقيَّة . ٣ً تفسير الاربعة الاناجيل في مكتبة الموارنة في حلب . ومنهُ في مكتبتنا الشرقيَّة تفسير انجيلي متَّى ولوقا.

٤ً ونظنّ انهُ هو معرّب تفسير نبوّة اشعيا النبي التي منها نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٥ً ومن تعريبهِ كتاب علم الذمّة وحلّ حوادثها في ١٥مقالة في مكتبة الموارنة في حلب . ٦ً وفيها (ع ٤١٨) ترجمة ميزان الزمان للاب نيرامبرج اليسوعيّ وهي غير ترجمة الاب بطرس فروماج . ٧ً وفيها ايضاً (ع ٤٥٦) تعريبهُ لكتاب الراهب المشتاق عرّبهُ سنة ١٧٠٩ . ٨ً عرّب عن الايطاليّة كتاب قامة النفس للقديسة ترازيا سنة ١٧١٩ منهُ نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٩ً ولهُ في مكتبة دير الشرفة كتاب كنز الاسرار

١٧٧ ﴿بترو﴾ الخوري عيسى الاورشليمي الرومي الاورثذكسي (اطلب ترجمتهُ في مجلّة النعمة ٣ : ٥٥١—٥٥٧) . ١ً عرّب من اليونانيّة كتاب تاريخ المائة السنة الاولى من تجسُّد المسيح لافجانيوس رئيس اساقفة البلغار . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٨١٥ وفي مكتبة غبطة البطريرك غريغوريوس حدّاد في دمشق وفي مكتبة الثلثة الاقمار في الثغر . ٢ً لهُ في مكتبة باريس (Ms. 3922) تعريب تاريخ ڤاليزاريوس (Hist. de Bélisaire) كُتبت النسخة سنة ١٨١٢ . ٣ً كتاب قطف ازهار روضة الكائنات وما قاساهُ آدم من الامتحانات . فيهِ اخبار الهدين القديم والحديث مع عدّة تصاوير . وقفنا على نسخة منهُ عند احد أدباء حمص . ومنهُ نسخة ثانية في القدس وصفها في النعمة (٣ : ٥٥٤) الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف . ٤ً وذكر لهُ ايضاً في مخطوطات مكتبتهِ كتاب زبد الطبيعيّات وهو مختصر في العلوم الطبيعيّة . ٥ً ووجدنا لهُ في مكتبة المرحوم مراد بك البارودي كتاب تحرير صرف العلوم الفلسفيّة . واصل هذا الكتاب بالانكليزيّة للمعلم بنيامين مرتينوس على سبيل السؤال والجواب ثمّ نُقل الى اليونانيّة العاميّة لكير انتيموس غازي فعرّبهُ القس عيسى للارخون لوغوثاتي الكرسي الانطاكي باسيل فخر . هذا الى تعريبات اخرى كمواعظ وارشادات ذكرها في النعمة

١٧٨ ﴿البجّاني﴾ الخوري الياس سعد من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية في القرن الثامن عشر واحد الذين حضروا المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ بصفة كاتب اعمالهِ . لهُ في مكتبة الموارنة في حلب كتاب الاستعداد الربح للموت الصالح الفهُ سنة ١٧٥٦

١٧٩ ﴿ بَجْع ﴾ الخوري ميخائيل الايكونوموس في مدينة حلب كان في القرن الثامن عشر. الف : ١ً «كتاب العلم النحرير في تعريف كيفيَّة التوبة وضرورة فحص الضمير» في ست مقالات منهُ نسخة حسنة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب في نحو ٣٠٠ صفحة تاريخها سنة ١٧٧٣ . ٢ً الروض الروحي المتنوّع العميم اليانع بازهار الكرز والتعليم» وهو مواعظ في الحقائق الدينيَّة والاعياد السنويَّة في عدد ٧٧ موعظة منهُ نسخة في مجلّدين في مكتبة المرانية في حلب . ٣ً العظات الادبيَّة المرشدة والتعاليم الروحيَّة المنتقدة وهي ٣٢ عظة ولعلّها القسم الاوّل من الكتاب السابق. تاريخها سنة ١٧٧٤ في مكتبة الآباء البيض في الصلاحيَّة في القدس الشريف (Or. Chr., 1914, p. 114)

١٨٠ ﴿البحتري﴾ هو يوسف بن البحتري المكنّى بابي حليم المتوفّى سنة ٩٩٣م لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (ع ١٢٧ و١٣٥) رسائل الفها سنة ٣٨٣ه ردًّا على كتاب ابي القاسم عبدالله بن احمد الباغي . منهُ نسختان ويروى اسمهُ في احدى النسختين يوسف بن البحري

١٨٢ ﴿بختيشوع﴾ ابو سعيد عبدالله بن جبرائيل المتوفّى سنة ١٠٣٢ . لهُ في مكتبة باريس (Paris, Ms, 3028) كتاب الروضة الطبيَّة في خمسين باباً . منهُ نسخة اخرى لدى القس بولس سباط (ROC, XVII, n° 21, p. 283) . ولهُ في مكتبة باريس ايضاً (Ms, 2782) كتاب منافع الحيوان مع عدَّة تصاوير ملوّنة

١٨٣ ﴿البرامكي﴾ هو الشمّاس ميخائيل بن مقراكي البرامكي القدسي المتوفّى سنة ١٨٧٣ (اطلب ترجمتهُ في النعمة ٣ : ٣٦٦) وذكر لهُ هناك تاريخاً في العهدين القديم والحديث وفي القدس ومزاراتها . منهُ نسخة في مكتبة الروم في القدس

١٨٤ ﴿بَرّي﴾ الاب بولس دي بَرّي اليسوعي (P. de Barry) (١٥٨٧ — ١٦٦١) هو مؤلّف كتاب المنبذ الثاقب في الاربع العواقب الذي عرَّبهُ الخوري بولس سعاده فطُبع سنة ١٨٦٧ . وعرَّب لهُ الاب يوحنّا اميّو اليسوعي كتابهُ في العبادة للقديس يوسف سنة ١٦٥١

١٨٥ ﴿بَرْشوشن﴾ هو يوشع البطريرك اليعقوبي المتوفّى سنة ١٠٧٣ وعُرف ايضاً بلم حنّا برسوسان . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (ع ٧٤٩) رسالة وجّهها الى

خرسطودولس البطريرك القبطي في مزج القربان بالملح والزيت . وكذلك خلّف عدّة رسائل في مواضيع دينيّة (اطلب السمعاني BO. II, 2i 1, 382 وتاريخ الآداب السريانيّة لدوفال (R. Duval: *Litter. Syr.*, 396)

١٨٦ ﴿بَرْصليبي﴾ هو يعقوب ثم ديونيسيوس برصليبي اسقف آمد اليعقوبي واحد مشاهير كتبة السريان توفي سنة ١١٧١ . لهُ تآليف عديدة بالسريانيّة وصفها السمعاني . وممّا نُقل الى العربيّة بهمة بطريرك السريان الكاثوليك بطرس جروه كتابهُ شرح القدّاس نسختهُ في مكتبة الشرفة (الزهرة الذكية لقس اسحاق ارملة ص١٠٢) وقد نشر اصلهُ السرياني الخوري الفرنسوي لابور (H. Labourt) سنة ١٩٠٣ عن اربع نسخ وهو يقول في مقدّمتهِ عن كتاب شرح الليتورجيّة الذي نقلهُ لويس السمعاني الى اللاتينيّة (Cod. Liturgicus, V. 177-207) وعرّبهُ آخرًا القس يوسف حبيقة منسوباً الى القديس يوحنّا مارون «ليس هو سوى شرح القدّاس الذي ألّفهُ بَرْصليبي مع تزييفات لا يحصى عددها» وهذا قولهُ بالحرف (ص ٣) «Maronitarum Expositio Liturgiæ quam latine vertit Aloysius Assemani, tomo V *Codicis liturgici*, nihil aliud est quam ipsa Expositio Dionysii innumeris interpolationibus, et, quod putant, emendationibus vitiata, etsi inscribitur : *S. Joannis Maronis Theophori, civitatis Dei Antiochiæ patriarchæ, Expositio ministerii oblationis*» وكفى بهذا تقييدًا لا كتبهُ المنسيور البرديوط بطرس حبيقة بالفرنسويّة والعربيّة على انتقادنا المجرّد من كلّ غرض وعندنا عدّة ملحوظات على ما كتبهُ الثقيقان الكريمان . ولبرصليبي في مكتبة باريس بالكرشوني (Cod. Syr., 111) قوانين بيعيّة ومكاتبات وطقوس شتّى

١٨٧ ﴿بَرْكيفا﴾ هو موسى ثم ساويروس بركيفا (ابن الحَجَر) اسقف بيت رمّان ثمّ الموصل توفي سنة ١٠٠٣م . هو من اعظم كتبة السريان اليعاقبة وتآليفهُ عديدة وانّما هي بالسريانيّة (R. Duval: *Litt. Syr.*, 391-394) . امّا في العربيّة فانّ لهُ في مكتبة كمبردج (W. Wright: *Syr. Mss.* Add. 3295) ترجمة مقالتهِ في النفس في ٦٥ فصلًا ثمّ في القيامة (٣٤ فصلًا) ثمّ في تكوين الملائكة (٥٤ فصلًا) وفي ترتيب الملائكة (١١ فصلًا) واخيرًا في الفردوس (٢٨ فصلًا) وكذلك في

مكتبة دير الزعفران كتاب بركيفا في تفسير الاسرار عرّبهُ اصلان الآمدي

١٨٨ ﴿برصنوفيوس﴾ هو القديس الناسك من نسّاك الصيد في القرن الرابع للمسيح . في كتاب مكتبتنا الشرقيّة المعنون «بالبستان في احاديث الرهبان» يوجد «اقوال للقديس برصنوفيوس» . وكذلك في كتاب نسكيّات مار باسيليوس في آخره (ص ٤٣٥—٤٣٨) «تعليم القديس برصنوفيوس»

١٨٩ ﴿بركو﴾ الاب كرلس اليسوعيّ المتوفى سنة ١٧٩٤ لهُ في مكتبتنا تساعيّة تأملات استعداداً لعيد قلب يسوع الاقدس . وقد طبعت سنة ١٨٨٧ في كتاب الكنزين الانفسين في العبادة لقلبي يسوع ومريم الاقدسين

١٩٠ ﴿برلام ويواصف﴾ ذكر هذا الكتاب ابو البركات بن الكبر في فهرسه (Riedel. p. 663) قال: هو كتاب ينير العقل بنور لا يضوّ للشيخ برلام وابن الملك يواصف داخل بلاد الحبشة الى بلاد القدس نقلهُ راهب قديس وهو يوحنّا الدمشقي الذي نسك في دير مار سابا . من هذا الكتاب عدّة نسخ في مكاتب باريس ورومية وحلب وفي مكتبة الآباء الكبوشيين في الثغر ومكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الصلاحيّة للآباء البيض (Or. Chr. 1914², 213) . وليس هذا الكتاب للقديس يوحنا الدمشقي وانّما هو في الاصل قصّة هنديّة تصرّف بها بعض الرهبان . ويعرف اليوم اصلها في السنسكريتيّة وقد طُبع معرّباً في بمباي سنة ١٣٠٦هـ باسم كتاب بلوهر وبرذلسف ومنهُ نسخة خطية في مكتبتنا موافقة لهذا الاصل الهندي (لها صلة)

حبيس فرنسوي في لبنان

المسيو فرنسوا دي شَطويل (١٦٣٣—١٦٤٤)

لحضرة القس بطرس ساره الراهب اللبناني (تتمّة)

وداع فرنسوا للعالم واستعداده لعيشة الحياة

لم يستطع فرنسوا ان يحقّق امنيّتهُ بالاعتزال التام عن البشر في اوّل احتلاله في

مكتبة دير الزعفران كتاب بركيفا في تفسير الاسرار عرّبهُ اصلان الآمدي

١٨٨ ﴿برصنوفيوس﴾ هو القديس الناسك من نسّاك الصيد في القرن الرابع للمسيح . في كتاب مكتبتنا الشرقيّة المعنون «بالبستان في احاديث الرهبان» يوجد «اقوال للقديس برصنوفيوس» . وكذلك في كتاب نسكيّات مار باسيليوس في آخره (ص ٤٣٥—٤٣٨) «تعليم القديس برصنوفيوس»

١٨٩ ﴿بركو﴾ الاب كرلس اليسوعيّ المتوفى سنة ١٧٩٤ لهُ في مكتبتنا تساعيّة تأملات استعداداً لعيد قلب يسوع الاقدس . وقد طبعت سنة ١٨٨٧ في كتاب الكنزين الانفسين في العبادة لقلبي يسوع ومريم الاقدسين

١٩٠ ﴿برلام ويواصف﴾ ذكر هذا الكتاب ابو البركات بن الكبر في فهرسه (Riedel. p. 663) قال: هو كتاب ينير العقل بنور لا يضوّ للشيخ برلام وابن الملك يواصف داخل بلاد الحبشة الى بلاد القدس نقلهُ راهب قديس وهو يوحنّا الدمشقي الذي نسك في دير مار سابا . من هذا الكتاب عدّة نسخ في مكاتب باريس ورومية وحلب وفي مكتبة الآباء الكبوشيين في الثغر ومكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الصلاحيّة للآباء البيض (Or. Chr. 1914², 213) . وليس هذا الكتاب للقديس يوحنا الدمشقي وانّما هو في الاصل قصّة هنديّة تصرّف بها بعض الرهبان . ويعرف اليوم اصلها في السنسكريتيّة وقد طُبع معرّباً في بمباي سنة ١٣٠٦هـ باسم كتاب بلوهر وبرذلسف ومنهُ نسخة خطية في مكتبتنا موافقة لهذا الاصل الهندي (لها صلة)

حبيس فرنسوي في لبنان

المسيو فرنسوا دي شَطويل (١٦٣٣—١٦٤٤)

لحضرة القس بطرس ساره الراهب اللبناني (تتمّة)

وداع فرنسوا للعالم واستعداده لعيشة الحياة

لم يستطع فرنسوا ان يحقّق امنيّتهُ بالاعتزال التام عن البشر في اوّل احتلاله في

لبنان لاحتياجهِ لدرس السريانيَّة لغة الموارنة الكنسيَّة والعربيَّة لغتهم الدارجة . فبقي في دير مار يعقوب باهدن في رفقة الرهبان الفرنسيسيين المعروفين بالسيكولتيَّة (Scolastiques) الذين كانوا في تلك الأيام ساكنين فيهِ كما سكن الرهبان الكبوشيُّون دير مار قبريان القريب منهُ

فانقطع دي شطوريل الى درس تينك اللغتين فنال منهما بعد قليل ما مكَّنهُ من قراءتهما وفهم نصوصهما بمساعدة المطران جرجس عميرة

وكان خبر هذا العابد الاجنبيّ قد انتشر بسُرعة في انحاء الجبل لاسيَّما في جبَّة بشرَّاي وبلاد طرابلس والبترون فارسل السيّد البطريرك يوحنَّا مخلوف وكثير من الاساقفة وفودًا من قبلهم ليسألوا عليهِ . ثم اقبل كثير من وجوه الشعب وشيوخ لبنان لزيارتهِ والترحيب بهِ مبتهجين برؤيتهِ في جبلهم وعارضين عليهِ خدماتهم . فكان دي شطوريل يشكرهم على لطفهم ويحملهم بمثالهِ وكلامهِ الى الافكار العاليَّة وعالم الروح

ولعلمهِ بانَّ العادة في البلاد أن الغريب اذا زار الاعيان يقدّم لهم بعض الالطاف والهدايا انتظر مدَّةً قبل ان يردّ الزيارات ريثما تأتيهِ من اوربَّة ما كان اوصى بهِ اهلهُ من تلك الهبات . فلمَّا وصلت قام بذلك الواجب فزار اوَّلًا حاكم البلاد الامير فخر الدين المعنيّ والشيخين ابي نوفل وابي نادر الخازنيين اللذين كانا في خدمتهِ وخدمة آل معن . ثم سار الى دير قنوبين حيث استقبلهُ بكل سرور البطريرك يوحنَّا مخلوف واضطرَّهُ الى قبول ضيافته بضعة أيام

فسُرَّ بما وجدهُ في ضيفه نبيل لبنان من العلم الواسع والتقى العظيم وتباحثا طويلًا بالامور الروحيَّة والعيشة النسكيَّة وهنَّأهُ البطريرك بدعوتهِ ليتخلَّى عن كلّ هموم العالم وينقطع لخدمة الله وحدهُ ثمَّ باركهُ بكل حنان وانعطاف والتمس منهُ ان يذكرهُ امام الله

خرج فرنسوا وقلبهُ مفعم برغبة الكمال واراد ان يقدّم على تحقيق نيَّتهِ زيارة ارز لبنان لما ورد مرارًا من وصفهِ في الكتاب المقدَّس ثمَّ عاد الى اهدن وباشر هناك رياضةً روحيَّة ليعرف بالتمام ارادة الله منهُ ليقوم بها بكل حرص ونشاط لا يحيد عنها البتَّة

فخرج من تلك الرياضة كالجندي الباسل المستعدّ لنزال اعداء نفسهِ وكسر شوكتهم . ولئلّا يبقى لهُ ادنى علاقة بالعالم اطلق سراح خادمٍ كان تبعهُ قائماً بحاجاتهِ ليخدم هو نفسهُ بيدهِ ثمّ فرّق على الفقراء ما كان ابقاهُ من دراهم وكسوة وأثاث ولبس لبس السيّاح الخشن مستترًا برداء بسيط وعباءة حقيرة مزرّرًا بحبل ومعتمًا بعمامة قطنيّة زرقاء وبيضاء كأفقر اهل الجبل واراد ان يتمّ ذلك بين يدي احد رهبان مار انطونيوس الكاهن ايليّا خادم رعيّة اهدن بعد ان جدّد امامهُ مواعيد معموديّتهِ ووعد ان يعيش بالحارة والانفراد مردّدًا قول النبي : ها انا ذا يا ربّ فان عبدك مستعدّ لتتميم مشيئتك

اوائل نسك فرنسوا دي شطوبن

قلّما يوجد في لبنان وادٍ بعيد النور خالٍ من السكن وضوضاء العالم كوادي قنّوبين حيث كانت محبسة قديمة للرهبان فاحتلّها بطاركة الموارنة في اواسط القرن الخامس عشر فرارًا من جور الولاة . وبقرب هذا الدير دير آخر يدعى بدير سيدة حوقة ليس اقلّ منهُ وحشةً وكلاهما منقور في صخر الجبل . ففي هذا الدير سكن اوّلًا الحبيس الفرنسوي فاختار لهُ فيهِ كهفاً صغيرًا مظلماً لا ينفذ اليهِ النور والهواء الّا من كوّة ضيّقة تطلّ على اعماق الوادي

ففي هذه الحجرة الصخريّة جعل فرنسيس سكناه ولم يتّخذ من الاثاث الّا صندوقاً عتيقاً كان يجعل ضمنهُ كتبهُ ويستند الى طبقتهِ اذا حاول الكتابة . امّا فراشهُ فكان الحضيض يبسط عليهِ قطعةً من اللبّاد ويتوسّد جزءة من الخشب . فكان يقضي هناك ساعات نهارهِ بين الصلاة والتأمل وقراءة الكتاب المقدّس فيبقى الساعات الطوال راكعاً مكشوف الرأس قائماً لاستحضارهِ وجود الله امامهُ . ثمّ اخذ يعتاد الخشية فلم يأكل في النهار الّا وقعةً واحدة ويصوم ثلاث مرّات في الاسبوع ممتنعاً عن اكل اللحم وراضياً بما يعطى لهُ من الحسنات

وكان يلزم السكوت طول يومهِ الّا اذا اتاهُ زائرًا القس الياس السابق ذكرهُ . فان هذا الراهب الفاضل الذي دعاهُ الدويهي في تاريخ الموارنة (ص٢١٣) « القس الياس بن الحاج حنّا من عائلة الصراصرة » . فكان فرنسوا يسترشدهُ في حياتهِ الروحيّة ويُسَرّ بمناجاتهِ . لكن بُعدهُ منهُ كان يحرمهُ التمتّع بحديثهِ المتواتر

وفي تلك الاثناء خرج الرهبان الفرنسيسيّون من دير مار يعقوب في اهدن وسكنوا دير مار توما في حصرون ثمَّ نزلوا بعد سنتين الى طرابلس فبقي الدير خالياً في ملك رهبان مار انطونيوس . فدعا الاب الياس تلميذهُ الى السكنى فيهِ ليكون في جوارهِ . فرضي فرنسوا بدعوتهِ وانتقل الى دير مار يعقوب واختار لهُ كما في سيدة حوقا غرفةً منقورة في الصخر مشرفة على الوادي نورها ضئيل وبردها في الشتاء قارس فحبس نفسهُ فيها دون ان يخرج منها الّا بامر مرشدهِ او لضرورة قاسية

واعتاد لبس المسح وتشدّد على نفسهِ في الصوم حتّى انهُ ابى بعد مدّة ان يذوق اللحم ثمَّ امتنع عن شرب الخمر تماماً وكذلك احتمى عن اكل السمك فاكتفى في السنين الاخيرة من عمرهِ بأكل البياض والبقول وكثيراً ما اقتصر على اكل الخبز الحاف مع قليل من الزيتون وبعض الاثمار اليابسة لاسيّما في ايّام الصوم الكبير التي كان يقضيها في كلّ ضروب الاماتات والتقشفات

على انَّ هذه العيشة الصارمة اثّرت في صحّتهِ فانتهكت قواهُ ومرض مرضاً عُضالًا كاد يُودي بحياتهِ واذ عُرض عليهِ ان يعودهُ الاطبّاء لم يرضَ بذلك مفوّضاً امرهُ الى الله الذي لم يُخيب املهُ . وكان التجّار الفرنسويّون من طرابلس يأتون لزيارتهِ ويقدّمون لهُ مهما شاء من الالطاف امّا هو فكان لا يقبل منها شيئاً او يفرّقهُ على الفقراء اذا خاف ان يكدّرهم برفضهِ لها

وكان عرفُ قداستهِ قد انتشر في لبنان فكان الاهلون يأتون اليهِ ويدعونهُ الحبيس القدّيس فكان فرنسوا اذا الحَّ عليهِ الاب الياس يخرج اليهم ويحضّهم على خدمة الله وتربية اولادهم ويصلّي على مرضاهم فيُشفون ببركة صلاتهِ

امّا شغلهُ فكان الاستحرار بالصلاة ثمَّ درس الاسفار المقدّسة واعمال الآباء وكان يطالع التوراة في اصلها العبراني امّا العهد الجديد فكان يقرأهُ بالسريانيّة وكان مرشدهُ الاب الياس اهداهُ نسخةً منهُ نقلها عن مخطوط على رقّ يرتقي الى القرن السادس للمسيح . فكان يقابل بين هذه النصوص ويحرّر عليها ملحوظاتهِ

ما جرى في لبنان من الحوادث في عهد دي شطويل

لما وصل فرنسوا دي شطويل الى لبنان كان الجبل يتمتّع بالامان والخصب بفضل فخر الدين بن قرقماز المعنيّ المعروف بالكبير الذي كان مدّ حكمهُ على جميع

مقاطعات لبنان بعد ان اخضع لسلطانهِ آل سيفا في شمالي لبنان وكان فخر الدين يحبُ النصارى ويطلق لهم الحرّيّة في دينهم وامور دنياهم ويتّخذهم عمّالًا لدولته لاسيما شيوخ آل الخازن الذين كانوا في صغرهِ انقذوهُ من اعدائهِ بعد وفاة والدهِ

فما مرَّ على ضيف لبنان سنةٌ حتّى انقلبت الامور ظهرًا لبطن فانَّ السلطان مراد الرابع كان يتربّص الفرصة ليوقع ببني معن الذين كانوا غير مرَّة كسروا عساكر الدولة واذلّوا ولاتها. ففي ايلول من السنة ١٦٣٣ ارسل السلطان اسطولًا لمحاربتهم يقودهُ جعفر باشا فنزلت جنودهم البرّ وخرجت عساكر الشام تحت قيادة كوجك احمد باشا في الوقت عينهِ حتى ضاقت السبل على المعنيين واصحابهم وتفرّقوا ايدي سبا واختفى فخر الدين في قلعة نيحا المعروفة بشقيف تيرون

وصارت حينئذٍ امور الجبل على اسوأ حال وانتشبت الحروب بين القيسيين واليمنيين وبين الامراء والولاة فنفذت العساكر الى لبنان وشملت الرعبة اهلهُ حتّى خرجوا من قراهم وتفرّقوا في انحائهِ الحريزة ومشارفهِ

فبلغ الخبر مسامع فرنسوا دي شطويل والحَّ عليه الناس ليفوز بنفسهِ ويهرب معهم فأبى ان يخرج من محبستهِ. وكان القس الياس مرشدهُ اراد ايضاً ان يلزم دير مار يعقوب لكنَّهُ رأى في انفرادهِ عن رعيَّتهِ خطرًا فأقنع الحبيس بان يسير في رفقتهِ الى اعالي الجبل ليكونا في مأمن على حياتهما. فتوغّلا في الجبل ووصلا الى اماكن وعرة صعبة المرتقى ذات مغاور لا يهتدي اليها احد فباتا فيها يقتاتان من الاعشاب لكنهما لم يجدا فيها ماء فأنهكهما العطش. فتقدَّم القس الياس الى رفيقهِ بان يطلب من الله الفرج من كربتهما فصلّى الحبيس واذا بنبع انبجس بقرب المغارة باعجوبة ظاهرة شهد عليها القسّ الياس واخبر بها الرهبان الكرمليين. وبقي ذاك النبع جاريًا فعُرف بنبع الحبيس

على انَّ الامور ما لبثت ان هدأت نوعًا باستيلاء عساكر الدولة على سواحل الشام واملاك بني معن فيها فعاد كوجك احمد باشا الى دمشق واخذ اللبنانيّون بالرجوع الى قراهم قبل الشتاء. وعاد ايضاً الى مار يعقوب القسّ الياس مع رفيقهِ بعد ان خرج من محبستهِ موغومًا

وفي تلك الاثناء توفّي البطريرك يوحنا مخلوف في ١٥ كانون الاوّل وتأخّر

انتخاب خلفهِ الشهير جرجس عميرة مطران اهدن الى ٢٧ من الشهر . فسُرَّ دي شسطويل بارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة كما كان تنبَّأ لهُ بذلك

لكنَّ الاحوال السياسيَّة كانت بعد انسحاب فخر الدين تحوَّلت الى شبه فوضى في جنوبيّ لبنان وجهات طرابلس فقضى اللبنانيُّون السنة ١٦٣٤ في اضطراب والعمَّال يتقاضونهم بالضرائب الباهظة ويضايقونهم في معاملاتهم . وزاد خوفهم اذ بلغ حصار والي دمشق لقلعة نيحا وقبضهِ على الامير فخر الدين في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٦٩٤ الذي أُرسل مع اولادهِ موثقاً الى اسلامبول حيث قُتل في السنة المقبلة

فبلغت هذه الاخبار مسامع اهل لبنان فاقشعرَّت لها فرائصهم وصمَّموا العزم على الهرب من مساكنهم كما فعلوا في العام السابق . لكنَّ الحبيس القديس رأى في هربهم آفةً قاضية على وطنهم فصرف كلَّ جهدهِ في تهدئة روعهم ومَنْعهم من هجر ديارهم فبعد ان التجأ الى الله بالصلاة واتَّخذ مشورة مرشدهِ خرج مسرعاً من محبستهِ ونزل الى قنُّوبين ونشد الله السيِّد البطريرك والاساقفة الَّا يسمحوا لاهل الجبل مغادرة منازلهم فلبَّوا دعوتهُ وصار هو يطوف في القرى ويطمئن الاهلين ويعدهم خيراً ان ثبتوا في مساكنهم فكان لكلامهِ احسن وقع وحقَّق لله مواعيدهُ فلم يُصَب الجبل بأذًى

استئناف فرنسوا عبئه النكبة

شكر الحبيس القديس الله على صيانة لبنان من بلايا المهاجرة وعاد هو مسرعاً الى قلَّايتهِ ليواصل فيها عباداتهِ وإماتاتهِ مرتشداً بتدبير ابيهِ الروحي القس الياس

وكان تجوُّل فرنسوا في جهات لبنان لتأمين اهلهِ ألفت اليهِ انظار العموم فكان الناس يقصدونهُ تبرُّكاً وتقرُّباً الى الله لكن الحبيس القديس كان يبالغ في التخلِّي والتحصُّن في محبستهِ لايرضى بغير مناجاة الله والتفرُّغ لدرس الاسفار المقدَّسة . فكان يجد في مطالعتها واستنساخها بيدهِ لذَّةً غريبة تشغلهُ عن كلِّ ما سواه . وكأن الله منحهُ في ذلك نعمةً خاصَّة فتحت لهُ مكنونات تلك الكتب المنزلة فيتلقَّاها بمزيد الوَرَع مكشوف الراس جاثياً على ركبتيهِ

فلمَّا رأى عدوُّ الجنس البشري ما صار اليهِ فرنسوا من عظم القداسة حاول ان يصطادهُ بفخاخهِ او يناجزهُ القتال فيقهرهُ فكان تارةً يعمي بأن يجتب اليهِ

الاختلاط باهل العالم وحيناً يجرّبهُ بالمجيد الباطل واذ كان القديس لا يكترث لتسويلاته ومكايده صار يظهر لهُ ويزجهُ بمناظر مخيفة وبضجيج مهول. وبلغت قحتهُ الى أن اوسعهُ ضرباً ولكماً وملأ قلايتهُ من البراغيث لكنَّ الحبيس صبر على تلك المشقّات وثبت في عباداتهِ وتقشّفاتهِ فارتدّ عنهُ ابليس مخزياً مقهوراً

وكان الاحداث يحاولون التقرّب منهُ لتقبيل يدهِ فكان فرنسوا يُسَرّ ببساطتهم وطهارة قلوبهم فكان يعلّمهم الصلاة ويرشدهم الى الفضيلة . فلمّا رأى اهلهم ما يجنيهِ اولادهم من تعاليمهِ الصالحة طلبوا اليهِ ان يجمعهم كلّ يوم فيعلّمهم مبادئ الدين تعليماً منظماً . فرضي بذلك باغراء الاب الياس املاً منهُ بان تنشأ تلك الاغراس النضرة على ناموس التقى والصلاح. فكان كلّ يوم يقودهم تحت سنديانة كبيرة وهناك يلقّنهم الصلوات الدينيّة ويشرح لهم العقائد المسيحيّة . وكثيراً ما كان اهل الاولاد ينضمّون اليهم ليسمعوا تعاليم الحبيس ويستشيروهُ في امر خلاصهم فيجدون في مشورتهِ نوراً وسلواناً

وكان القنصل الفرنساوي المسيو فور (Sr Faure) ممّن يترددون اليهِ ويكرمونهُ . فيأتي باصحابهِ الى زيارتهِ فيعودون كلّهم مطرنين قداستهُ وتجرّدهُ التام عن حطام العالم .

انتقال الحبيس الى دير مار سركيس

في ١٣ تشرين الاوّل من السنة ١٦٣٨ توفي في قنّوبين مطران اهدن عبدالله الاهدني فوقع الاختيار ليخلفهُ على كرسيّهِ على القسّ الياس بن حنّا مرشد فرنسوا دي شطوبل فترك دير مار يعقوب ليسكن في دير مار سركيس في رأس النهر على تلّ هناك قريب من الارز يطلّ على اهدن فعرض على الحبيس صديقهُ ان يبرح دير مار يعقوب ويسكن معهُ في مار سركيس وهناك قلاية حقيرة فقيرة كقلايتهِ في مار يعقوب والمحلّ ابعد من ضوضاء الناس لانفرادهِ . فوافقهُ على فكرهِ وانتقل اليهِ مسروراً وثبت في هذا الدير على كلّ ممارساتهِ التقويّة ونسكيّاتهِ يحيي ليلهُ بالصلاة ويقضي نهارهُ بدرس الروحيّات او مفاوضة المطران الياس في الامور العلويّة

وبعد سنتين اضطرّ المطران ان يرجع ويسكن في اهدن فدعا الناسك الى مرافقتهِ فلم يشأ بعد ان استطاب سكنى دير مار سركيس. ووجد فيهِ من النعم ما حبّبهُ اليهِ فبقي منفرداً الّا انّ مرشدهُ كان يأتي اليهِ حيناً بعد حين فيصرفان الساعات

الشائقة في الهذيذ بالله والشؤون الدينيَّة

وفي غضون ذلك ارسلت الدولة محمد باشا المعروف بالارناؤط فولّتهُ على طرابلس وكان هذا رجلًا فظًّا ظالمًا عدوًّا للنصارى فقتل شيخَ الجبَّة ابا كرم الحدثي بعد ان عرض عليه جحود دينهِ فأبى. وجرى ضيق عظيم على اهل الجبل فاضطرُّوا الى الفرار من اوطانهم ولم يشأ الحبيس القديس ان يتبعهم فبقي في قلاية مار سركيس وما عتَّم ان انقطعت عنهُ الحسنات الزهيدة التي كان يعيش منها اي كِسَر الخبز وبعض الاثمار اليابسة كان يأتي بها اليهِ راهب شيخ من الجوار. فاكتفى مدَّة ايام بالماء وبعض الاعشاب البرّيَّة

فلمَّا قضى الله بالفرج وعاد الاهلون الى منازلهم وعرفوا ما قاساهُ ضيفُهم البارّ ازدادوا لهُ اكرامًا وكانوا يحجُّون الى محبستهِ لطلب بركتهِ ولثم اطراف ثوبهِ وغاصَ خبرهُ الى الاجانب من مسلمين واتراك ودروز فصاروا كالنصارى يقصدونهُ لينالوا بركتهُ. امَّا القديس فكان يستقبلهم بلطف ولا يكلّمهم سوى بامور الله وخلاص نفسهم فيحيك كلامهُ في صدورهم ويعودون بالثناء على قداستهِ وكان البعض منهم يلتمسون منهُ ان يبارك على الماء ليشربهُ مرضاهم فيشفون. وقد نجا احد اللبنانيين من داء الكلب بشربهِ من الماء المذكور

وقد ورد هنا في سيرة المترجم لمركيني (ص ٢٤٢—٢٦٣) رواية في الغرابة بمكان ومثلهُ رواها الرحّالة دي لاروك (٢: ٢٢٨—٢٣٢) يزعم كلاهما انَّ البطريرك جرجس عميره انتقل الى جوار ربّه فاجتمع الاكليروس الماروني مع الاعيان واتَّفقوا على اختيار الحبيس دي شسطويل كخلفٍ لهُ على كرسيهِ. ولا نعلم الى اي سندٍ يعتمدان في هذه الرواية ومما لا يُنكر انَّ البطريرك جرجس عميره مات في ٢٩ تموز ١٦٤٤ في قنُّوبين شهرين ونصف بعد وفاة فرنسوا دي شسطويل فكيف امكن ان تُعرَض البطريركيَّة عليهِ وهو المتوفى قبلهُ. فننبذ اذن هذه القصَّة نبذ النواة ونعدُّها في جملة الاوهام الباطلة التي اشاعها البعض تعظيمًا لفضل حبيسنا وهو في غنًى عنها

انتقال فرنسوا الى دير مار الشاع ووفاته

كان مرَّ على فرنسوا نحو عشر سنوات في التنسُّك دون ان ينقطع عن حبستهِ

الشظفة الّا انّ جسمهُ كان حصل على ضنك وضعف ليس لديهِ من يهتمّ بامورهِ . وكان الآباء الكرمليتان قد احتلّوا منذ السنة ١٦٣٣ دير مار اليشاع فوق بشرّاي المطلّ على وادي قاديشا العميق . فلمّا صارت رئاستهُ في عهدة الاب شلستين المنتمي الى القديسة لودفين وهو معرّب كتاب الاقتداء بالمسيح فكّر في نقل فرنسوا دي شسطويل من دير مار سركيس الى دير رهبانيّتهِ فيكون لاخوتهِ مثال الفضائل باجمعها

وكأنّ الاب شلستين تلقّى هذا الفكر من الله فذهب مع اثنين من شيوخ الجبل ليعرضهُ على حبيسنا وهو ينتظر منهُ معاكسةً . فما اشدّ ما كان دهشهم اذ انقاد اليهم فرنسوا دون صعوبة واخبرهم انّهُ رأى في الحلم راهباً كرمليًّا يشبهُ الاب شلستين وهو يقول لهُ : ما بالك ساكتاً هنا . هلمّ اتبعني . فعرف بعجيّ الاب الكرملي انّ قدومهُ حصل بمشيئة الله ورضاهُ . فخرج معهم وذلك في اواخر شهر تشرين الثاني ١٦٤٣ وستّة اشهر قبل وفاتهِ كأنّ الله اراد ان يقضي ايّامهُ الاخيرة بقرب اولئك الرهبان الافاضل فيستعدّ عندهم لآخرتهِ . وكان عند خروجهِ يريد ان يسير ماشياً الى ديرهم لكنّهم لضعفهِ اضطرّوهُ الى ان يركب فرساً

وسمع اهل بشرّاي بقدوم القديس الى قرب قريتهم فخرجوا لملاقاتهِ بأبهة ورونق عظيم ينشدون الاناشيد ويتزاحمون حولهُ لطلب بركتهِ

ولمّا دخل مار اليشاع ورآهُ الرهبان منهوك القوى ارادوا ان يقوموا بخدمتهِ فلم يشأ البتّة بل اراد المواظبة على كلّ رياضاتهِ الروحيّة وتقشّفاتهِ المفرطة كالصوم والسهر الليليّ والعبادات المضنكة ولبس المسوح والمجالد ولم يرضَ الّا بعد الحاح الرئيس بتلطيف شيء منها على مدّة قليلة . ولقربهِ في دير مار اليشاع من الكنيسة استمرّ في العبادة الى القربان الاقدس فكان يحضر ما يقدّم هناك من الذبائح ويتقرّب الى جسد الرب ايّام الاعياد اذ لم يعدّ ذاتهُ اهلاً للمناولة اليوميّة

وكان رهبان مار اليشاع يشخصون الى رجل الله لعلّهم يلحظون فيهِ ما يستوجب الانتقاد والملامة لكنّهم رأوهُ في كل تصرّفهِ لا يرتشد الّا بروح الله كما شهد على ذلك الاب شلستين السابق ذكرهُ والاب توما المنتمي الى القديس يوسف والاب فيليب المنتمي الى الثالوث الاقدس . وكانوا يصرفون المجهود ليريح جسدهُ من تلك المشاقّ الاختياريّة والاماتات المضنكة امّا هو فكان يريد ان يقدّم نفسهُ لله محرقةً كاملة

فيعوّض للربّ عن زلّاته وعن خطايا القريب ولاسيّما عند دخول الصوم الكبير للسنة ١٦٤٤ فانّهُ قضاهُ على مثال اشدّ النسّاك زهدًا وتقشّفًا ليتشبّه بآلام المسيح. فما بلغ عيد الفصح حتّى انحلّت قواهُ وثقل عليهِ المرض وهو يرى ذلك نعمةً من الله الذي يشركهُ بصليب ابنهِ ولا يريد علاجاً سوى ان ينقلوهُ الى سطح الدير عند المساء ليستنشق الهواء البارد وهو ممدود على حصيرةٍ كالفقراء.

وانتشر خبر مرضهِ فكان الاساقفة والذوات من الفرنج والاهلين يأتون لعيادتهِ فيرونهُ لا ينقطع عن الصلاة غائصاً في الامور السمويّة مشتاقاً الى رؤية إلههِ بانفكاك اغلال جسده فيحضّهم على السيرة المسيحيّة ومباشرة الاعمال الصالحة

ولمّا قرب عيد العنصرة ظهر في حالة المريض بعض التحسّن فأمّلوا منهُ خيرًا وانتهز الرهبان تلك الفرصة ليتفرّقوا في القرى المجاورة للوعظ ولفرائض رسالتهم وتركوا لخدمة العليل بعض الرهبان الموارنة وخصوصاً القس آدم

فبعد خروجهم بثلث ساعات عند غروب الشمس قويت عليهِ بغتةً نوبة المرض وانحلّت قواهُ فقال لمن كانوا حولهُ: اني مستقل الى رحمة الله. ثمّ اراد ان يودّع الآباء فأُعلم بتفرّقهم ولم يشأ ان يرسلوا وراءهم وانّما طلب ورقة فكتب عليها وصيّتهُ الاخيرة وترك كلّ ما كان لهُ من الكتب للمرسلين الّا كتاب الانجيل السرياني فاهداهُ الى القسّ آدم

ثمّ انطرح على حصيرتهِ مسندًا رأسهُ الى حجر كعادتهِ وجعل الصليب على صدرهِ وطلب من الحضور ان يتركوهُ وحدهُ ويذهبوا الى قلاليهم ليستريحوا وكانت غايتهُ ان يبرح من هذا العالم سهلًا من الجميع فيزيد شبهاً بربّهِ على الصليب. فعند نصف الليل قام القس آدم ليقوم بخدمتهِ فوجدهُ جثّةً هامدة وذراعاهُ يضمّان الصليب على صدرهِ وشفتيهِ فظنّ طويلًا انّهُ راقد يصلّي وعلى وجهه سمة التخشع ثمّ تحقّق وفاتهُ وكان ذلك في اواسط ليلة عيد العنصرة في ١٥ ايار من السنة ١٦٤٤

طار منعى الحبيس الفرنسويّ القديس الى اطراف لبنان بسرعة البرق فرجع الآباء المرسلون حالًا الى دير مار اليشاع فزرجوا دموعهم بدموع الحضور ثمّ البسوا الميت اطهارهُ بزاناةً حلّة الفقر ولكنّهم جعلوا فوقها درع الشماسة دلالةً على طهارتهِ ومرضوهُ في كنيستهم لاكرام المؤمنين فتواردت الجموع لتشمّ يديهِ والتماس شفاعتهِ

في مقدّمتهم الاكليروس الماروني وقد ظهرت منذ ذاك اليوم عدّة كرامات على يدهِ اراد الله ان يثبت بها ما لعبدهِ عندهُ من الحظوة . وبعد الصلوات المألوفة بالطقسين الغربي والشرقي طلب الجمهور ان يُدفن في مدفنٍ كان هناك مختصاً بالاساقفة فدفنوهُ مثلهم جالساً على كرسيّ وراء المذبح الكبير

وفي اليوم الثامن لوفاتهِ أُقيم جنازٌ حافل حضرهُ كثير من الاساقفة واعيان الفرنسويين من طرابلس وشيوخ لبنان والوف من الاهلين فخطب الاب شلستين في فضائل رجل الله واستدرّ الدموع من كلّ المآقي . وقد وقفنا على الكتابة الضريحيّة التي علّقها على قبرهِ الآباء الكرمليّون باللاتينيّة وقد اخذها اليوم الضياع وانّما نشرها الرحّالة دي لاروك في رحلتهِ (De la Roque : I, 74-76) وهي طويلة اختصر فيها كاتبها حياة جنديّ المسيح وزهدهُ في العالم ومجدهِ ليعيش لله عيشة اشبه بعيشة الملئكة منها بعيشة البشر وختمها بقوله : انّ الطريق التي نهجها فرنسيس هي الطريق المؤدية الى الحياة

ونحن اللبنانيين نشكرهُ تعالى على ما منحهُ لجبلنا العزيز من الفخر بحلول رجل الله فيهِ فانّ حياتهُ الصالحة بيننا مدّة عشر سنوات وثّقت ما بيننا وبين الأمّة الفرنسويّة الجليلة من اواصر العصبيّة الدينيّة وروابط الحبّ المتبادل

مطبوعات شرقيّة جديدة

H. Busson, Jos. Fèvre, H. Hauser : Les principales Puissances d'aujourd'hui, 4e éd. mise à jour avec 82 gravures et 118 cartes dans le texte, Paris, librairie Alcan, in-18, 192, Prix 12f.

اخصّ الدول الحالية

كان التمييز بين الدول الكبرى والصغرى سهلاً قبل الحرب الكونيّة وليس الامر كذلك حاضراً . فان كان الجميع يعرفون انّ انكلترة وفرنسة والولايات

في مقدّمتهم الاكليروس الماروني وقد ظهرت منذ ذاك اليوم عدّة كرامات على يدهِ اراد الله ان يثبت بها ما لعبدهِ عندهُ من الحظوة . وبعد الصلوات المألوفة بالطقسين الغربي والشرقي طلب الجمهور ان يُدفن في مدفنٍ كان هناك مختصاً بالاساقفة فدفنوهُ مثلهم جالساً على كرسيّ وراء المذبح الكبير

وفي اليوم الثامن لوفاتهِ أُقيم جنازٌ حافل حضرهُ كثير من الاساقفة واعيان الفرنسويين من طرابلس وشيوخ لبنان والوف من الاهلين فخطب الاب شلستين في فضائل رجل الله واستدرّ الدموع من كلّ المآقي . وقد وقفنا على الكتابة الضريحيّة التي علّقها على قبرهِ الآباء الكرمليّون باللاتينيّة وقد اخذها اليوم الضياع وانّما نشرها الرحّالة دي لاروك في رحلتهِ (De la Roque : I, 74-76) وهي طويلة اختصر فيها كاتبها حياة جنديّ المسيح وزهدهُ في العالم ومجدهِ ليعيش لله عيشة اشبه بعيشة الملئكة منها بعيشة البشر وختمها بقوله : انّ الطريق التي نهجها فرنسيس هي الطريق المؤدية الى الحياة

ونحن اللبنانيين نشكرهُ تعالى على ما منحهُ لجبلنا العزيز من الفخر بحلول رجل الله فيهِ فانّ حياتهُ الصالحة بيننا مدّة عشر سنوات وثّقت ما بيننا وبين الأمّة الفرنسويّة الجليلة من اواصر العصبيّة الدينيّة وروابط الحبّ المتبادل

مطبوعات شرقيّة جديدة

H. Busson, Jos. Fèvre, H. Hauser : Les principales Puissances d'aujourd'hui, 4e éd. mise à jour avec 82 gravures et 118 cartes dans le texte, Paris, librairie Alcan, in-18, 192, Prix 12f.

اخصّ الدول الحالية

كان التمييز بين الدول الكبرى والصغرى سهلاً قبل الحرب الكونيّة وليس الامر كذلك حاضراً . فان كان الجميع يعرفون انّ انكلترة وفرنسة والولايات

المتحدة واليابان هي من الدول الكبرى فانّ الدول الباقية مع ما اصابها من النكبات كالمانية وروسيّة والنمسة والمجر لا تزال تسعى في حفظ كيانها. ولذلك اراد مؤلّف هذا الكتاب الثلثة ان يوقفوا القرّاء على احوال تلك الدول كلّها في حالتها الحاليّة ريثما تنال حدودًا ثابتة. فكتابهم اذن موقّت لاغنى عنهُ في الساعة الحاضرة ولذلك يحرّرونهُ في كلّ طبعة جديدة ويوفّقون بين تقارير السياسة والتغييرات الطارئة على كل دولةٍ. وهذه الطبعة الرابعة هي حقيقة مرآةٌ تمثّل الدول كلّها في هيئتها الحاضرة بكل تدقيق

الاب ج لوقنك

K. Ships-Ochsenhausen. Die Wanderungen der mittelamerikanischer Urrassen nach der Mondwerdung-Sintflut. — 2 *tirés à part du Journal «Rottenburger Zeitung und Neckarbote»*, 1922, 27 *pp.* 8°.

سياحات القبائل الاميركانية الاصلية

لصاحب هذه المقالات رأي غريب في بابهِ يزعم انّ القبائل الاميركانيّة الاولى باشرت سياحاتها قبل ان تشرق الشمس على ارضنا فيبني هذا المزعم على حجّةٍ يظنّها راهنةً اعني على اسم «سيبو» الذي هو اسم الله عند قبائل اميركة الوسطى. ثم يزعم انّ «سيبو» متّصلة باسم السّبت وهي لفظة راقية الى تكوين السّبة الاسبوعيّة في بدء الخليقة. وانّ اصلها «ساب» ومنها اسم زعيم البشريّة الاولى «سوفت» واسم الحكمة «سوفيا» في اليونانيّة و«سبهيه» اي القاضي في الهنديّة فيؤدي ذلك اخيرًا الى اسم الاله الوحيد المالك على البشريّة الاولى المدعو «سابازيوس» في آسية الصغرى و«زوس» عند اليونان و«يهوه» عند الساميّين و«يانوس ويونون» عند الرومان و«سافون» عند العبرانيين والاله «شو» عند المصريين و«شمش» و«تموز» الخ. وقد عدّدنا هذه السلسلة الغريبة لكي نفيد المؤلف عن امرٍ لمأهُ يجهلهُ وهو انّ اسلوبهُ هذا في شرح المشتقات قد سبقهُ اليهِ كاهن فرنسوي وهو القانوني فوريار (E. Fourrière) منشئ مجلّة التفسير الميثولوجي (Revue d'Exégèse Mythologique) التي بلغت سنة ١٩١٣ سنتها الثانية والعشرين. وما احرى كاتبنا بان يستقي معلوماتهِ من تلك الموارد الزاخرة لاسيّما انّ ثمنها زهيد جدًّا حتى بعد الحرب. وهذا عنوانها (M. V. Courtin-Hacquet, 32, rue Delambre, *Amiens*)

الاب س. ونّقال

ՍԱՂՄՈՍԱՐԱՆ

ԹՈՂԹԱՑՈՒ ԼԵՌՆԱՅԻ ԹՈՒԳԱՎՈՐԻ ՀԱՅՈՑ

(ՌԼԸ = 1283)

ԹՐԲԵՍ

ՀԱՅԿԱԶՈՒՆ ՀԱՅԿԱՀԱՆՈՒՆ

وصف زبور مخطوط للملك الارمني لاون الثالث

عرفنا بعد الحرب العلامة الاثري ايغزن حبشيان الذي اشتغل مدّةً في مكتبتنا الشرقيّة ثمّ رحل الى جهات قيليقية ليبحث عن المخطوطات الارمنيّة ويبتاعها لبوغوس باشا احد كرماء طائفته المشغوف بجمع آثارها. فرجع من رحلته وفي يده عدّة مخطوطات فريدة من جملتها زبور داود النبي بالارمنيّة كُتب للملك قيليقية لاون الثالث الذي ملك من السنة ١٢٧٠ الى ١٢٨٩. وهذا الاثر يمتاز ليس بقدمه فقط بل خصوصاً بتصاويره البديعة فخصّهُ مكتشفهُ بوصف واسع نشرهُ في مجلّة « Հանդէս ամսօրեայ » المطبوعة في ڤينة ورسم بعض تصاويره ثمّ نقل ما كُتب على هوامشه من الافادات التاريخيّة ومن جملتها ما وقع بين الارمن من الشقاق في القرن الثالث عشر فانتهز اعداؤهم المسلمون التتر والمصريون تلك الفرصة ليوقعوا بهم ونصبوا المكايد لفئة من فرسانهم عند عين زَرْبة فتغلبوهم عن بكرة ابيهم. فهذه القطعة تثبت ما رويناهُ في كتابنا المعنون بتاريخ الارمن السياسي والديني (ص ٢٢٦—٢٢٨) عن معاداة بعض الارمن للملكين لاون الرابع ولعمّه هيتون الثاني اللذين سعيا في التقرّب من الكنيسة اللاتينيّة الاب ف. تورنبيز

Michel Paillarès : Le Kémalisme devant les alliés. Edition du Bosphore. Constantinople, Péra, 5 rue des Petits,- Champs ; Paris, rue du Boulai, 1er, in - 12. pp. XI-494, Prix 10 fr

الحركة الكماليّة بازاء الحلفاء

قد تطوّرت حركة مصطفى كمال وتبعته في هذه السنين الثلث تطوّرات مختلفة وبعد ان كان صاحبها يُعَدّ كأحد زعماء العُصاة أصبح معتبرًا كقطب دولة الاتراك وممثّل الوطنيّة العثمانيّة يخابر دول الحلفاء كأحد الملوك وتسير اليه بعثاتهم لتطلع

المعاهدات معهُ . ومن أراد ان يتتبع سير هذه التقلبات يكاد يضيع في شعبها . فسدًّا لهذا الخلل حاول احد العارفين باحوال الاتراك الذي قضى بينهم السنين الطوال المسيو ميشال باليارس ان يسطر تاريخ الكماليين ويبيّن اصل حركتهم ويعرّف ضابط زمامهم فوصف اطوار حياته وكيف اتصل الى ان يستبدّ بقواه ويجنّد الجنود ويبسط سلطانهُ على قسم كبير من تركيّة . وقد اتسع في بيان معاهدات الدول المتحالفة في ايام الحرب وبعدهُ بخصوص الدولة العثمانيّة ثمّ ما طرأ على تلك المعاهدات من التقلبات والمناقضات التي زادت الحركة الكماليّة جرأةً فأضحت اليوم شغلًا شاغلًا للحلفاء وأزمةً يصعب عليهم حلّها . على انّ المؤلف بحسن نظره وطول عجمه للامور في تركيّة يكشف لدولته كثيرًا من الاغلاط التي ارتكبتها ويعرض عليها الخطّة المثلى التي يجب نهجها لفكّ هذا المشكل بلزوم سياسة العزم والثبات في كسر الشوكة الكماليّة التي هي خطر كبير على السلام في الشرق ل . ش

I. Le Musée D'Adana par MM. R. Normand, R. Mouterde. E. Michon. *Librairie Orientaliste P. Geuthner, Paris* 1922, *in-4, pp.* 47 = II Inscriptions Grecques et Latines de Syrie par P. René Mouterde S. J. *Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1922, *in-4, pp.* 38

متحف آطنة – كتابات يونانيّة ولاتينيّة في سوريّة

ممّا افادتنا فرنسة بقبولها الانتداب على اطرافنا ما تيسّر للعلماء من التنقيب عن العاديّات الشرقيّة . فمن ذلك متحف انشأهُ الكولنل نورمان في آطنة في مدّة احتلال الفرنسويين في ربوعها سنة ١٩١٩ فجمع فيهِ عدّة آثار كانت متفرّقة منها نواويس وتماثيل ونقوش حجر وكتابات اثريّة يونانيّة ولاتينيّة نقلها من المدينة او الانحاء المجاورة لها . ثمّ سعى مع الاثري موسيو ميشون وحضرة الاب موترد بوصف تلك العاديّات وبيان فوائدها التاريخيّة وها هم قد نشروا نتيجة ابحاثهم في كرّاس متقن الطبع جميل الصور واضح الشروح . فنثني على همّة الثلاثة الاثريين كما نذكر بالخير المرحوم الاب يوحنّا غرانسو المتوفّى آخرًا الذي كان اخذ رسم ٢٣ كتابة حجريّة فاستفادوا منها – وممّا تفرّد بكتابتهِ حضرة الاب موترد رئيس مكتب الحقوق الفرنسوي ونشرهُ في مطبعتنا الكاثوليكيّة وصفهُ وتفسيرهُ لست كتابات أخرى جديدة

يونانيّة ولاتينيّة وُجدت في جهات سوريّة منها الكتابة اليونانيّة التي اكتشفناها في ايّام الحرب قريباً من باب ادريس لمرثانيوس القائد (راجع المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣٢٩) وكتابة معراب الموصوفة ايضاً هناك (ص٨٥٩—٨٦٣) . وقد رسم حضرتهُ بالفوتغراف قسماً من تلك الكتابات وبعض تصاويرها ل.ش

L'UNIVERSITÉ St JOSEPH à Beyrouth (GRAND LIBAN), *pp.* 38

لائحة كليّة القديس يوسف في بيروت (لبنان الكبير)

هذه الكرّاسة تحتوي نظرًا اجماليًّا في تاريخ واعمال كليّة القديس يوسف في بيروت من تعليم وتهذيب ومشروعات دينيّة واجتماعيّة شتّى . فالتعليم يشمل الطبقات الثلث اي العلوم العليا من لاهوت وفلسفة وطبّ وحقوق وهندسة ومرصد فلكي ملحق بالكليّة في البقاع مع بيان شروط الدروس وموادّها . ثمّ العلوم الوسطى على مثال المدارس الثانويّة في فرنسة لتهذيب الناشئة الوطنيّة بالآداب العصريّة مباشرةً بمبادئها الى ختامها ونوال الاجازة الرسميّة عنها ويُقدَّم طلبتُها الى داخليين وخارجيين واكليريكيين . هذا فضلًا عن مدرسة اعداديّة للعلوم العليا . ثم العلوم البدائيّة في مدارس مختلفة للصبيان وللبنات . امّا المشروعات الدينيّة والاجتماعيّة فالاخويّات والشركات الخيريّة والمطبعة الكاثوليكيّة والمكتبة الشرقيّة ودوائر مختلفة للشبّان واولاد الصنائع الخ . وفي ختام هذه اللائحة خطاب القاهُ رئيس الكليّة في افتتاح المدارس سنة ١٩٢١ . ويزين اللائحة المذكورة عشر رسوم فوتغرافيّة ل.ش

P. M. Bouyges S. J. : NOTES SUR LES PHILOSOPHES ARABES CONNUS DES LATINS AU MOYEN AGE. Inventaire des textes arabes d' Averroès. *Imprimerie Catholique, Beyrouth*. 1922. *in*-4, *pp*. 53

لائحة مصنّفات ابن رشد العربيّة

لا يزال كتبتنا الشرقيّون يطرئون الفلسفة العربيّة ومشاهيرها وذلك كلّهُ بالتقليد او استنادًا الى ما يقرأونهُ في كتب الغربيّين وكان الاحرى بهم ان يثبتوا تقريظهم لاولئك الفلاسفة بدرس مصنّفاتهم او على الاقلّ بتعريف ما صير منها على آفات الزمان . وها هوذا احد اساتذة كليّتنا حضرة الاب بويج اليسوعي قد نهج لهم الطريق في ذلك بوصفهِ لكلّ ما يُعرف في عهدنا من تاليف ابي الوليد المالكي الشهير بابن رشد الحفيد فاستقرى فهارس كل المخطوطات والمطبوعات شرقًا وغربًا فكدّ ذهنهُ

واسهر جفنهُ وتجشّم الاسفار لتحقيق امنيّته حتى وضع هذه اللائحة التي تحتوي وصف ٨٤ كتاباً لذاك الفيلسوف النطاسيّ وشحن تأليفهُ بالفوائد التي لا تُحصى وصحّح اقوال من سبقهُ . فيا ليت حضرتهُ او احداً من رجال الفضل في الشرق يتحرّى درس هذه التآليف ويوقفنا على آراء ابن رشد الصحيحة ويزيدنا علماً بهِ بعد ما كتبهُ عنهُ ارنست رينان ونقلهُ فرح انطون دون تروّ ل . ش

Georges Blondel: Le Désarroi de l'Europe et le Devoir de la France: *Comité des Relations internationales. Chambre de Commerce de Marseille.*

فوضى اوربّة والواجب على فرنسة

هذه محاضرة ألقاها السياسي جورج بلوندل في غرفة مرسيلية التجاريّة في نيسان من السنة الحاضرة فبيّن فيها ما صارت اليهِ الدول الاوربيّة من الهرج والمرج بعد الحرب الكونيّة حتى اصبحت اشبه بالثمل السكران تمايل يميناً وشمالاً لا تثبت على حالة لاسيما في امورها الاقتصاديّة بعد سقوط روسيّة في ايدي البولشفيّة . ثمّ انتقل الى بيان ما تقتضيهِ الاحوال على فرنسة لتعود اوربّة الى قرارها . فمن تلك الوسائط التي يجب التوسّل بها الاتحاد بين الوطنيين ثمّ توثيق الروابط مع الحلفاء ثمّ لزوم الاقتصاد في المعاش والقيام في وجه المانية برصانة وعزم ل . ش

الامتيازات الاجنبية

بقلم عبدالله مشنوق

بيروت المطبعة الادبيّة سنة ١٩٢٢ (ص ٣٦)

هي المقالة التي نشرها الاديب عبدالله رئيف مشنوق اوّلاً في مجلّة « الكلّيّة » فاعاد طبعها على حدة . وكلّ يعلم ما لهذه الامتيازات من عظم الشأن ولولاها لكانت السكنى والمعاملات بين الشرق والغرب ولاسيما في العهد التركي غير محتملة . فتتبّع الكاتب تاريخ هذه الامتيازات في الدول المختلفة وقد فاتهُ منها بعضها . امّا العهدة النبويّة التي اثبتها في مقالهِ فقد بيّنّا في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٦٠٩–٦١٨) انّها مصنوعة كفى شاهداً على بطلانها اختلاف صورها بل مجرّد منطوقها ل . ش

من اعماق السجون

للكاتب الشاعر اوسكار وايلد تعريب نقولا يوسف

عني بنشره يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر (ص٨٦)

نعمَ السجن لصاحب الجنايات مأوًى في الخلوة والاعتزال ليعود الى نفسهِ ويتنيب الى الله بالتوبة عن آثامهِ لولا انَّ كثيرين لسوء اخلاقهم واباء نفسهم يزيدهم السجن مرارةً ونفورًا. وممَّن عرف فضلَ السجن كاتبٌ شاعر ايرلندي شهير يُدعى « اوسكار اوفلاهرتي وايلد » ألقي في السجن فعاش في ظلمتهِ سنتين قضى قسماً منهما بالفكرة بعد السكرة. ومما كتبهُ وقتئذٍ كتاب عنوانهُ « من اعماق السجون » (de Profundis) اثبت فيهِ افكارهُ وعواطفهُ التي كانت تنتابهُ في تلك المدة فادَّت بهِ الى معرفة الحياة وقيمتها وما يجب على الانسان الحكيم فعلهُ ليصرفها في سبيل البرّ ومنفعة الهيئة الاجتماعيَّة ويحيد عن الملذَّات الباطلة التي ينخدع بمظاهرها. وكان امكن المعرّب ان يقابل بين هذا التأليف وتأليف يشبههُ اصاب شهرة كبيرة عنوانهُ «حبوسي» لسلفيو بلكو الايطاليّ (S. Pellico) ل.ش

شذرات

﴿غلبة الطَّبع على التطبُّع﴾ وقفنا لاحد ادباء الفرنسويين عمانويل كوسكين (Em. Cosquin) على كتاب ظريف جمع فيهِ ما يُعرف عن اصل مثَل قديم مثَل السنَّور والشمع (Le Conte du-Chat et de la Chandelle) بياناً لغلبة الطبع على التطبُّع فروى ما ورد من ذلك في انحاء الشرق والغرب ليبيّن تسلسل المثل المذكور والصور المختلفة التي ذُكر فيها ولم ينسَ العربيَّة الَّا انهُ ما ذكر منها اكثرهُ حديث. وقد فاتهُ ما روينا من ذلك في كتابنا مجاني الادب (الجزء الثاني ص ٢٠٨—٢٠٩) نقلاً عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه المتوفَّى سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠م). فيكون

من اعماق السجون

للكاتب الشاعر اوسكار وايلد تعريب نقولا يوسف

عني بنشره يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر (ص٨٦)

نعمَ السجن لصاحب الجنايات مأوًى في الخلوة والاعتزال ليعود الى نفسهِ ويتنيب الى الله بالتوبة عن آثامهِ لولا انَّ كثيرين لسوء اخلاقهم واباء نفسهم يزيدهم السجن مرارةً ونفورًا. وممَّن عرف فضلَ السجن كاتبٌ شاعر ايرلندي شهير يُدعى « اوسكار اوفلاهرتي وايلد » ألقي في السجن فعاش في ظلمتهِ سنتين قضى قسماً منهما بالفكرة بعد السكرة. ومما كتبهُ وقتئذٍ كتاب عنوانهُ « من اعماق السجون » (de Profundis) اثبت فيهِ افكارهُ وعواطفهُ التي كانت تنتابهُ في تلك المدة فادَّت بهِ الى معرفة الحياة وقيمتها وما يجب على الانسان الحكيم فعلهُ ليصرفها في سبيل البرّ ومنفعة الهيئة الاجتماعيَّة ويحيد عن الملذَّات الباطلة التي ينخدع بمظاهرها. وكان امكن المعرّب ان يقابل بين هذا التأليف وتأليف يشبههُ اصاب شهرة كبيرة عنوانهُ «حبوسي» لسلفيو بلكو الايطاليّ (S. Pellico) ل.ش

شذرات

﴿غلبة الطَّبع على التطبُّع﴾ وقفنا لاحد ادباء الفرنسويين عمانويل كوسكين (Em. Cosquin) على كتاب ظريف جمع فيهِ ما يُعرف عن اصل مثَل قديم مثَل السنَّور والشمع (Le Conte du-Chat et de la Chandelle) بياناً لغلبة الطبع على التطبُّع فروى ما ورد من ذلك في انحاء الشرق والغرب ليبيّن تسلسل المثل المذكور والصور المختلفة التي ذُكر فيها ولم ينسَ العربيَّة الَّا انهُ ما ذكر منها اكثرهُ حديث. وقد فاتهُ ما روينا من ذلك في كتابنا مجاني الادب (الجزء الثاني ص ٢٠٨—٢٠٩) نقلاً عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه المتوفَّى سنة ٣٢٨ هـ (٩٤٠م). فيكون

هذا المثل اذن راقياً الى القرن العاشر للمسيح عند العرب ولعلّهم اخذوهُ من امثال الهند

﴿المؤتمر الفلكي في رومية﴾ عُقد هذا المؤتمر في ايّار المنصرم فحضرهُ ١٥٠ من مندوبي الدول المختلفة الذين قصدوهُ من كلّ انحاء المعمور كان بينهم عدّة فلكيين يسوعيين الذين يديرون حاضرًا في جهات العالم نيفًا وثلثين مرصدًا فلكيًّا . وستُنشر اعمال هذا المؤتمر قريباً كما هو المأمول . وممّا امتاز بهِ المؤتمر المذكور انّ الذين حضروه رغبوا في مواجهة الحبر الاعظم مع وفود قدمت رومية لهذه الغاية . فدخلوا قاعة الفاتيكان المختصّة بتلك المواجهات الرسميّة واتمّوا كغيرهم من الزوّار ما يُفرض على الجميع من التحيّات وعلائم الاكرام . لكنّ الحبر الاعظم اذ عرفهم من مندوبي المؤتمر الفلكي امر بأن يُدخلوهم الى ديوانهِ الخاص حيث استقبلهم بكل لطف ووجّه الى كلّ منهم كلمةً من الثناء والترحاب . ثمّ خطب اليهم في شرف علم الفلك وتوجيه مدارك اصحابهِ الى الله بما يكشفهُ لهم من عجائب المخلوقات وخفايا الكائنات حتى اقاصي السماوات . فكان لكلام امام الاحبار في قلوب اولئك السامعين احسن وقع وخصوصاً في الوثنيين منهم والبروتستانت فالتمسوا منهُ ان يوزع عليهم خطابهُ ليأخذوهُ كتذكار زيارتهم للبلاط البابوي . ثمّ طلبوا بركة قداستهِ وخرجوا وكلهم لسان واحد في الثناء على لطفهِ متعجبين ممّا رأوا وما سمعوا وصرخ احدهم وكان بروتستانيًّا : « ان سمعتُ احدًا يذكر البابا بسوء اعرف الآن كيف أفحمهُ »

﴿عدل احد ملوك المغرب﴾ هو السلطان الشهير ابو يوسف يعقوب المنصور من دولة الموحدين الذي تولّى الامر من السنة ٥٨٠ الى ٥٩٥ هـ (١١٨٤—١١٩٩م) فممّا قرأنا لهُ في احد المجاميع القديمة من مخطوطات مكتبة الوجيه جرجس بك صفا الحكاية الآتية (في الصفحة ٦٥—٦٦) قال : « كان لسلطان المغرب يعقوب المنصور ابن يُخ لم يكن بمدينة مراكش احسن صورةً منهُ ولهُ من العمر ثمانية عشرة سنة . فقدم الى مدينة مراكش رجلٌ يُرقص الدِّبّة ولهُ زوجةٌ كانت جميلة فرآها ابن اخي يعقوب فاعجبتهُ فارسل اليها واخذها عنّاً . فوقف زوجها ليعقوب المنصور وقال : يا امير المؤمنين اني رجل غريب وقد غصبني ابن اخيك واخذ زوجتي . فقال لهُ : اتبعني

أيها الرجل . وجاء به الى قصر ابن اخيه وقال للرجل : قِفْ ها هنا . ودخل يعقوب الى القصر فاستدعى ابن اخيه وقال لهُ : لِمَ اخذتَ زوجة الرجل . فانكر ذلك فدعا بالرجل وقال لهُ : قد انكر . فقال : « يا امير المؤمنين لي كلبة قد ربَّتها زوجتي وهي تعرفها من بين الف امرأة . فمُرْ بإحضار كلّ امرأة في القصر وأُحضرُ الكلبة وهي تعرفها وتقف عندها وان لم تفعل ذلك فاقتلني يا امير المؤمنين » . فقال لابن اخيه : لا تبقَ امرأةً الّا وتُخرَج . فأُخرج النساء . وخرجت المرأة بينهنَّ وقد غيَّر لباسها وألبسها الحليَّ والحُلَل والجواهر والثياب الفاخرة . فعند ذلك اطلق الكلبة فوقفت عندها فاستدعى الرجل وقال لهُ : خذ زوجتك بما عليها . ثمَّ التفت الى ابن اخيه وقال لهُ : قصرُكَ مملوءٌ بالجواري الحسان وانت تمدُّ عينك الى زوجة رجل غريب من بلاد بعيدة تأخذها غصباً . ثمَّ قال لغلمانه : اعطوهُ الرماح (وهذه قِتْلَةُ المغاربة) فخرجت امُّهُ حاسرةً وبكت بين يديهِ وقالت : ما لي غيرهُ فلا تفجعني فيهِ . فقال : لا والله لأهذّبنَّ بهِ ملوك المغرب وغيرهم . وقتلهُ وقيل انهُ سجنهُ الى ان مات

﴿ ملك الصحافة في انكلترّة ﴾ اسمهُ الحاليّ شهير باللورد نورثكليف (Northcliffe) وهو يتولى حاضراً ادارة نحو ٦٠ مجلّة او جريدة كبرى من جملتها الديلي ميل (Daily Mail) والتيمس (Times) والديلي ميرور (Daily Miror) المجلّة المصوَّرة . ومعظم هذه الصحف يُطبَع منها كل يوم مئات الوف من النسخ بل يتجاوز بعضها المليون . أمّا صاحبها فكان اسمهُ في صغره الفرد هرمسورث (Alf. Harmsworth) ولد في دوبلين سنة ١٨٦٥ من ابٍ انكليزي محامي دعاوى وام ارلنديَّة . ولها ١٣ ولداً . فشُغف الفرد بالصحافة منذ حداثته فكان يحرّر المقالات في الجرائد وعمرهُ لا يتجاوز ١٦ سنة ثمَّ انشأ على حسابهِ جريدةً وعمرهُ ٢٠ سنة جريدة ثمَّ الحقها بمجلّة فراجا رواجاً كبيراً حتى انَّهُ صار يربح بعد خمس سنوات من منشوراته اكثر من مليون فرنك واقترن بفتاة عاقلة قليلة المال وزاد نشاطاً ثم اشترى على حسابه سنة ١٨٩٤ جريدة اخبار المسا (Evening News) ثم الديلي ميل ثمَّ التيمس وكان اذا اشترى جريدة يخفض اسعارها فتزيد رواجاً . وبذلك صار اليوم من اكبر اشراف انكلترّة واعظم ارباب ثروتها . وقد دفع في الحرب الاخيرة مبالغ عظيمة لخدمة وطنه

﴿قصّة سليمان الحكيم وافيقية امرأة يشوع بن سيراخ﴾ نشرنا في العام الماضي (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٩٠٣–٩٠٨) هذه القصّة عن كتاب كرشوني مخطوط دخل في مكتبتنا الشرقيّة ولم نقف وقتئذٍ على نسخة اخرى منها تستجد هذه الحكاية الى سليمان او الى أفيقية المذكورة امرأة يشوع بن سيراخ مع بُعد تاريخها. وقد افادنا احد الادباء انَّ هذه الرواية واردة في قصص الف ليلة وليلة وهي الحكاية الاولى في كيد النساء من حكاية الملك وولده والوزراء والجارية (اطلب الجزء الثالث من طبعة مطبعتنا الكاثوليكيّة ص ٣٥٨–٣٦٠) الّا انَّ هناك لا ذكر لسليمان ولا لافيقية وفي روايتنا تفاصيل عديدة تخلو منها الحكاية الواردة في الف ليلة وليلة. اطلب ايضاً كتاب العلامة شوفين (V. CHAUVIN: Bibliographie des Ouvrages arabes, VII, 120-123) وما اورده تحت عنوان اثر الاسد (La trace du Lion)

﴿رؤساء الدين في اسبانية وحرق كتب الاسلام﴾ قرأنا بسرور في عدد أيار من السنة الحاليّة تفاصيل رحلة صديقنا رئيس المجمع العلميّ في دمشق السيّد محمد كرد علي الى اوربّة وما لقيهُ هناك من الحفو والاكرام لدى المستشرقين واطلاعهُ على خزائن كتبهم واستنساخ بعض تآليفهم النادرة بالتصوير الشمسيّ. ولم نأخذ على جنابهِ سوى ما كتبهُ هناك (ص١٥٦) عن زيارتهِ لاسبانية قال سامحهُ الله:

وزرتُ القسم العربي من خزانة مكتبة الامّة وفيهِ مجموعة لا بأس بها كما زرتُ خزانة كتب الاسكوريال من ادبار القرون الوسطى والقسم العربي منها حديث أُخذ غنيمةً من احدى سفن ملك المغرب الاقصى على خرقهِ من اسبانيا وذلك في القرن السابع عشر. ولا تقلّ هذه المجموعة من الفي مجلّد وليس في بلاد اسبانيا مجموعات مهمّة من المخطوطات العربيّة لانَّ رؤساء الدين فيها كما تعلمون يوم فتح صاحب قشتالة الاندلس واستخلصها في القرن التاسع للهجرة من ايدي العرب ظلّوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وُجدت ليقضوا بها عليهم وعلى مدنيّتهم (كذا) »

اخذنا العجب من عود السيّد محمّد كرد علي الى هذه التهمة وكنّا سابقاً فنّدنا في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٩٥٨–٩٦٠) ما نشرهُ في مجلّة المقتبس حيث روى انَّ الكردينال كسينس « احرق في يوم واحد الف الف كتاب » . وها هوذا اليوم يدّعي « ان رؤساء الدين ظلّوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وُجدت » كما يزعم انَّ خزانة الكتب الشرقيّة في الاسكوريال حديثة وانّها غنيمة احدى سفن المغرب في القرن السابع عشر كأنّهُ بادت قبلها آثار الكتب العربيّة من اسبانية

فيسوغنا أن نقول لجنابهِ انَّ في هذه الاقوال اغلاطاً عديدة . فلو قرأ مقدّمة وصف مخطوطات الاسكوريال للماروني ميخائيل الغزيري في مجلّدين ضخمين طُبعا في اللاتينيّة في القرن الثامن عشر لعرفَ انَّهُ كان يوجد في مدريد قبل غنيمة ملك مرّاكش في القرن السادس عشر مكتبة واسعة كان وكيلها مستشرق شهير وهو راهب بندكتي اسمهُ ارياس منتانوس الذي توفّي سنة ١٥٩٨ وخلفهُ عليها تلميذهُ يوسف دي سيغونزا وقد بقي قسمٌ من قائمتها يحتوي على وصف ٩٩٧ مخطوطاً وكذلك وصف منها سنة ١٥٨٣ العلّامة البروتستاني هرتنفر ٢٦١ مخطوطاً . ويمكنهُ ان يقرأ هناك ايضاً انَّهُ في السنة ١٦٧١ سقطت صاعقة على قصر الاسكوريال فالتهمت نحو الفين من كتب خزانتها العربيّة . امّا ما نسبهُ سابقاً الى حريق كسينس في يوم واحد وحاضراً الى رؤساء الدين مدّة خمسين سنة فليتفضّل جنابهُ ويذكر لنا نصّاً تاريخيّاً قديماً يثبت قولهُ ونحن نعلم أنَّ ذلك كلّهُ من الاوهام التي اشاعها بعض ذوي الاغراض فيعزّ علينا أنَّ رئيس المجمع العلميّ الدمشقي الذي نظمّنا في سلكهِ بلا استحقاق يروي مثل هذه الاخبار الواهية . ولا ينسَ جناب الكاتب ما فعل بعض الخلفاء الامويين في الاندلس كهشام المؤيد بالله وحاجبهِ ابي عامر المنصور اللذين احرقا كلّ ما وقفا عليهِ من علوم الاوائل (راجع كتاب طبقات الامم للقاضي ابن صاعد الاندلسي ص٦٦ وطبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٦٩)

﴿الحبر الاعظم وجريدة الهدّية﴾ ساءنا تهافت جريدة الهدّية على نشر ما شاع من الاخبار الكاذبة في بعض الصُحف المتطرّفة او المعادية للكنيسة الكاثوليكيّة بخصوص مفاوضات مزعومة بين الكرسي الرسولي وحكومة السوفيت لفتح ابواب روسيّة لنشر الدين الكاثوليكيّ في اقطارها . وهذه الاشاعات الباطلة التي كذّبها رسميّاً الرقيب الرومانيّ لسان حال الفاتيكان قد وجدت لها صدًى في الهدّية فاستظلع سيادة المطران جراسيوس مسرّة الامر وعلّق عليهِ تعليقات كان هو في غنًى عنها لاسيما بعد ما فعلهُ الحبران الاعظمان بندكتوس الخامس عشر وبيوس الحادي عشر لانقاذ روسيّة من مخاليب المجاعة وتوسّطهما للدفاع عن ارباب الدين فيها وعن حقوقهم المقدّسة وحفظ اوقافهم من مطامع البولشفيك وخلاص بطريركهم من حبسهِ وكلّ ذلك بنزاهةٍ عجيبة . فاين ذلك من معرفة الجميل !!

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الكهنة من حلب ماذا يُعرف عن استشهاد الروم الكاثوليك في الشهباء سنة ١٨١٨

تاريخ شهداء الروم الكاثوليك في حلب

ج ورد ذكر هذا الحادث : ١ً في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليكيين (للمطران غريغوريوس عطا) ص ٧٥ . ٢ً في كتاب يوسف جرجس ورده المطبوع في مصر سنة ١٩٠١ تحت عنوان « الشهب الصحيّة في الكنيسة المسيحيّة (ص ١٣٨—١٤٢) . ٣ً في مجلّة اصداء الشرق الفرنسويّة (Echos d'Orient) مقالة للخوري كيرلس شارون سنة ١٩٠٣ (ص ١١٣—١١٨) . ٤ً في نشرة انتشار الايمان (Annales de la Propagation de la Foi, t. VIII, ص 66-68)

س وسأل من النبك اسعد افندي نصرالله : ١ً أيجوز القول انّ اقانيم الله الثلثة هي ثلثة جواهر بناء على تحديد الفلاسفة للاقنوم انهُ جوهر فردي ؟ . ٢ً ما هو مذهب أينشتين (Einstein) وما رأيكم فيه ؟ . ٣ً هل للجواهر الفردة التي تتركّب منها الاجسام وجود حقيقي؟

الجوهر والاقنوم . مذهب انشتين . الجواهر الفردة

ج نجيب على (الاوّل) انّ تحديد الاقنوم انهُ جوهر فرديّ انّما يجوز في الخلائق التي تتألف من طبيعة مفردة قائمة بذاتها المفرد امّا في الله سبحانهُ تعالى فانّ جوهره الواحد اي طبيعتهُ الالهيّة المفردة تقوم بثلثة اقانيم تتساوى في كل الكمالات الالهيّة الّا في الصفات النسبيّة الذاتيّة كنسبة الآب الى الابن ونسبة كليهما الى الروح القدس (راجع المقالات الدينيّة القديمة التي نشرناها سابقاً) . نجيب على (الثاني) انّ مذهب أينشتين مذهب طبيعيّ خالف فيهِ علماء الطبيعة من حيث اعتبار الزمان واقيسته والفضاء واقيسة الاجرام الثلثة والحركة الميكانيكيّة والجاذبيّة العموميّة وبعض الآراء الفلسفيّة . وفي مذهبهِ هذا اشياء صحيحة يوافقهُ عليها العلماء وانّما ينكرون عليهِ مزاعمهُ الفلسفيّة . وفي اقوالهِ قضايا قليلة الوضوح لم يتّفق على بيانها الطبيعيّون . نجيب على (الثالث) انّهُ ليس بممتنع ان الاجساد المحدودة سابقاً من الاركان البسيطة تتركّب من جواهر فردة قليلة تعود اليها كلّ المركّبات من الجماد بعوامل قديرة تحللها فيستطاع تحويلها من جسم الى آخر

ل . ش

المشرق

اصول التاريخ البشريّ وسوابقهُ

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

توطئة

انَّ تواريخنا المقدَّسة المختصرة عن الاسفار الالهيَّة تجعل تكوين الانسان في السنة ٤٠٠٤ قبل المسيح. وفي السنكسار الروماني المستند ايضاً الى الاسفار المقدَّسة يُروى خلقُ الانسان في السنة ٥١٩٩ قم وحدوثُ الطوفان في السنة ٢٩٥٧ق م. وقد وقع اختلاف عظيم بين الكتبة الكنسيّين الذين درسوا هذه المسئلة على تبايُن استنادهم الى نصوص التوراة القديمة وهي ثلثة العبرانيَّة والسامريَّة والسبعينيَّة فذهبوا مذاهب شتَّى حتى أتاف عدد تواريخهم من بدء الخليقة الى ميلاد السيّد المسيح على المائتين تتراوح بين عددين اصغرهما ٣٥٠٠ واعظمهما ٧٠٠٠ سنة

وان سأل السائل أنّى هذا الاختلاف. يجيب العلماء انَّ ذلك سببُهُ مَسْخُ النسّاخ للأرقام التي نقلوها لجهلهم ولتشابُه الاحرف في حساب الجُمّل الذي كان جارياً في الازمنة القديمة فانَّ الباء مثلاً (ب) السارية لعدد اثنين تشبه الكاف (ك) التي تساوي العدد عشرين وقس عليه احرفاً غيرها كالدال (د) لعدد اربعة والراء (ر) لعدد مئة

لكنَّ هذا الاختلاف ليس هو الوحيد اذ يوجد اسباب غيرها تحتمل على الظنّ بان الآباء المذكورين في سفر التوراة لم يُذكر منهم الّا بعضهم فقط فاذا قيل: فلانٌ

ابن فلان» يحتمل ان يكون حفيدهُ او احد اعقابهِ الذين ولدوا بعدهُ بزمان . لنا على ذلك شاهد في سلسلة الآباء المذكورة في انجيل لوقا (٣ : ٣٦) حيث ذُكر اسم احدهم وهو قينان بن ارفكشاد الذي ضربت التوراة عنه صفحاً . ومما لا شكَّ فيهِ انهُ لا يوجد تاريخ صريح يثبت الاجيال التي بين الخليقة وميلاد السيّد المسيح

وقد زادت هذه الاختلافات في اصل الجنس البشري وتاريخهِ الاوَّل في القرن التاسع عشر حيث ارتقت دروس العلوم الطبيعيَّة واتسعت دائرتها فاضطرَّ العلماء الى البحث عن زمن ظهور الانسان في الارض . فان علماء طبقات الارض بحثوا عن تاريخ تكوينها . ومثلهم علماء العاديَّات الاثريَّة الذين وقفوا في جوف الارض على هياكل الحيوانات وبقايا الجسم البشري فتساءلوا عن قِدمها . أما آراؤهم فتعدَّدت على عدد الدارسين لهذه الآثار فحسب كلٌّ منهم حساباً مختلفاً وفقاً لنظرهِ الخاصّ فمنهم من حمل ذلك على العلم البَحت ومنهم من تأثَّر في حسابهِ بدوافع اخرى شخصيَّة او مذهبيَّة مشايعاً لبعض المذاهب الفاسدة في القرن التاسع عشر كمذهب الماديّين ومذهب الاباحيين ثم مذهب دروين . فانَّ انصار المذهبين الماديّ والاباحيّ كان جُلّ قصدهم ان يناقضوا معلومات الاسفار المنزلة في تاريخ الانسان والآباء الاوَّلين ويتَّخذوا ذلك وسيلةً لابطال صحَّتها في كلّ الامور التاريخيَّة والعلميَّة ومن ثمَّ ان ينكروا وحي الله بها . وذلك ما حدا بهم الى زيادة عدد الاجيال التي نشأ قبلها الانسان على زعمهم لتزيد مناقضتهم للاسفار المقدَّسة

ثم ظهرت الدروينيَّة وضربت على طنبورهم بزعمها انَّ الانسان اصلهُ من القرد او من حيوان آخر فاحتاجوا ليصيب قولهم بعض الاعتقاد الى إطالة الازمنة وتوفير الاجيال ليستطيع الحيوان غير الناطق بالتحوُّل المزمن وسياق القرون ان يبلغ الى حالة حيوان ناطق كالانسان . وبما انَّ تواريخ كلّ الشعوب تشهد بانَّ اجدادها الاوَّلين كانوا ذوي حضارة راقية وتمدُّن بليغ اضطرَّ الماديُّون والدرويينيُّون ان يقدّموا على تلك التواريخ الوفاً بل عشرات الوف ومئات الوف من السنين ليقرّبوا الى العقول صحَّة مدَّعاهم

وقبل انتقادنا لهذه المزاعم نورد هنا ما كتبهُ احد الاختصاصيين الموثوق بقولهم

العلامة جوزف ديشيليت (J. Décheletre) في كتابهِ دستور العلوم الاثريَّة السابقة للتاريخ (Manuel d'Archéologie préhistorique)

« كان علماء طبقات الارض نحو السنة ١٨٦٠ اعتادوا ان يبالغوا في قِدَم الانسان على الارض الذي تأكَّد ظهورهُ في الطور الجليديّ اي اوائل الطور الرابع . فجعلوا ذلك الطور بين ٢٤٠،٠٠٠ الى ٨٥٠،٠٠٠ سنة فكان جبرئيل دي مورتيله (G. de Mortillet) يزعم انَّ الانسان ظهر في تلك الازمنة السابقة للتاريخ . لكنَّ تلك الحسابات ينكرها اليوم اصحاب العلم الذين درسوا حديثاً درساً مدقَّقاً اطوار الجليد في بعض البلاد . فانَّ الجيولوجيّ الشهير المسيو دي لا بارانت (M' de Lapparent) قد اختصر دروس رصفائهِ المحدثين فبيَّن انَّ آخر طور جليدي الذي فيهِ ظهر اجدادنا الاوَّلون اصحاب الظرَّان واختبروا تقلُّباتهِ انَّما يستطاع اثبات مدَّتهِ وهي لا تتجاوز كما يُرجَّح الوفاً قليلة من السنين . . . »

وقد ظهرت بعد ذلك تآليف حديثة بيَّنت انَّ الانسان الاوَّل في القارَّة الاوربيَّة لم يدرك الَّا اواخر الطور الجليديّ . ومن ثمَّ يقرُّ العلماء المحدثون انَّهُ من المستحيل تحديد اوَّل ظهور الانسان وانَّ الرقوم البالغة التي كان بعض علماء القرن السابق يرونها عن اصل البشر كلُّها فريَّة وهميَّة لا يجوز الاركان اليها »

دعنا الآن نبحث عمَّا يفيدنا التاريخ الصحيح عن اصول الامم بعد الاكتشافات الحديثة التي جاءت في عهدنا مؤيِّدة للحقيقة والمزيلة للاوهام

والحق يقال انَّ القرن التاسع عشر جدَّد العلوم التاريخيَّة بما استخرجهُ من الآثار من بطن الارض بالحفريات العديدة التي أُجريت في مصر وفي بابل والعراق وفي اقريطش . فكم ظهر هناك من الآثار المفيدة للتاريخ كالدُّمى والتماثيل والنقودات والكتابات على الحجر والبرديّ والمكاتب المنقورة في الآجرّ المشويّ . وزادت قيمة هذه الآثار بأن وفَّقهُ العلماء على حلّ الغازها وكشف اسرارها المغلقة . فكم احرز التاريخ من تلك الاكتشافات من المعلومات الراهنة التي أتت كلّها مثبتةً لصحَّة الأسفار الالهيَّة مخيِّبة لما كان يرجوهُ اعداء الوحي من مناقضتها

ثمَّ قام بعد ذلك علم العاديَّات الطبيعيَّة والآثار المكنونة في بطن الارض من بقايا الحيوانات والانسان . فظهر منها المفذ العديد . والعلماء مع اقرارهم بأنَّهُ يصعب

تحديد تاريخها يقرُّون بأنها سبقت بزمن مديد عهد الآثار الكتابيَّة المكتشفة في مصر وبابل

فعلى هذين الركنين اعني آثار الشعوب وآثار الحيوان والانسان المادِّيَّة يُبنى كلّ علمنا باصول الانسان

١ اصول تواريخ الامم

فلنستقرِ تواريخ الدول العظيمة التي ظهرت على الارض لاسيَّما التي اشتهرت بعمرانها وحضارتها لنطَّلع على ما يُعرف من اصولها التاريخيَّة بل ما سبق تاريخها على قدر الامكان. فلنباشر باقربها عهدًا الينا ونرقى الى ما وراء زمانها

رومية

منشأ رومية المقرَّر كان في السنة ٧٥٣ قبل المسيح. ولا يُعبأ بما اشاعهُ بعد ذلك شعراء اللاتين عن روابط رومية ومدينة طروية. فان اقوالهم لاتتجاوز اساطير الاوَّلين المصنوعة. وكان سبق الرومانيين في سكنى ايطالية شعوب نعرف اسماءها منهم الاوترسكيُّون والأمبريُّون واللاتين. وقد خلَّف الاوترسكيُّون آثارًا معتبرة وكتابات حجريَّة عديدة لم يَقرَ العلماء حتى يومنا هذا على قراءتها ومعرفة لغتها. فلم يزل معظم تاريخ تلك الامم مجهولًا. وكان يسكن قبلهم شعبٌ آخر يُدعى بالپيلاسجيين اقاموا بنايات حجاريَّة تدلُّ على سطوتهم. على انَّنا نجهل اصول تلك الشعوب كلها فليس لدينا علم ثابت عن اصولها وقدمها

اليونان

سبقوا الرومانيين في سُلَّم الاجيال. واتَّفق المؤرخون على انَّ اوَّل حادث تاريخيّ تغنَّى في ذكره شعراؤهم انَّما هو محاربة مدينة طروية. ان اليونان من العنصر المعروف باللهلِّيني (Hellènes). امَّا اهل طروية فالمرجَّح انَّهم كانوا من العنصر البيلاسجيّ الذين قسمٌ منهم سكن ايطالية قبل الاوترسكيين كما رأيت وقسم آخر سبق في ارض اليونان السلالة الهلينيَّة. امَّا البيلاسجيُّون فالمظنون انَّهم كانوا شعبًا ساميًّا وفينيقيًّا. ولعلَّ اسمهم هو عينه اسم الفلسطينيين الوارد ذكرهم في التوراة. ولا يستبعد كونهم

عاصروا مملكة مينوس البحريَّة التي استخرج آثارها العجيبة العلّامة الالماني شنيمان (Dr Schneemann) بحفرياتهِ في جزيرة قريطش حيث كانت عاصمة ذلك الملك وقصورهُ الملكيَّة .

وقد سبق في اليونان البيلاسجيين قبائل معاصرة لعهد الظرّان الذي وُجدت منهُ مصانع شتَّى . امَّا حلول الهلينيّين هناك فليس عليهِ دليل ثابت

أنفق المسيو شنيمان المذكور مبالغ من مالهِ لاكتشاف موقع مدينة طروية وساحة الحرب الاولى التي اسعرها الهلينيُّون ولاستخراج خزائن بريام آخر ملوكها التي اخبر الشاعر هوميروس انَّها تلفت في خراب المدينة ودُفنت في اطلالها لمَّا اضرم الهلينيُّون فيها النار لحريقها . فجاءت حفرياتهُ محقّقة لآمالهِ واكتشف بحفرياتهِ بعد سنين طويلة الخزائن المذكورة وتحقَّق ان مدينة ايليون التي دمَّرها الهلينيُّون كانت بُنيت فوق مدينتين أُخريين اقدم منها عهداً كان اهلها يحاربون باسلحة حجريَّة من الظرّان مع انهم لم يجهلوا استعمال المعادن . ومما وقف عليهِ شنيمان انَّ تحت اقدم المدينتين المشار اليهما كانت ربوة من الاخربة القديمة بالغ عمقها بالقياس ١٦ متراً . ثمَّ تحقَّق ايضاً انَّهُ بُني فوق مدينة ايليون اربع مدن اخرى توالى عهدها الى زمن الرومان فبلغ مجموع تلك المدن الراكبة على بعضها منذ طور الظرّان الى القرن الثاني من المملكة الرومانيَّة سبع مدنٍ مختلفة الحضارة والعناصر

اليهود

انَّ تاريخ الشعب الاسرائيلي يرقينا الى ازمنةٍ سبقت العهد اليوناني . فانَّ ابراهيم الخليل هجر بامر الله بلاد ما بين النهرين نحو الفي سنة قبل المسيح فاحتلَّ ارض كنعان . فلمَّا عاد نسلهُ بعد العبوديَّة المصريَّة من ارض النيل فتحوا عنوةً تلك البلاد التي عُرفت بارض الميعاد وذلك نحو السنة ١٦٠٠ ق م . على انَّ تلك الاقطار التي أُطلق عليها بعد حلول الاسرائيليين في ربوعها اسم اليهوديَّة او اسم فلسطين او اسم سوريَّة ايضاً كانت قبلهم وقبل ابراهيم ابيهم موطناً لبني كنعان ومنهم الفنيقيون والحثيون واليبوسيُّون والفلسطينيُّون وغيرهم ممَّن دوَّن الكتابُ الكريم اسماءهم لوقوعهم بجوار بني اسرائيل الَّا انَّ اخبارهم لا تزال مجهولةً والأمل معقود بان الكتابات الحقيَّة تمنحنا شيئاً من ذلك اذا ما تمكَّن العلماء من قراءتها قريباً انشاء الله

مصر

كان الفراعنة باسطين على مصر سيطرتهم منذ عشرين قرناً بنيّف بعد ان بنوا الاهرام ونحتوا تمثال ابي الهول في ربوعهم لمّا نزل يعقوب حفيد ابراهيم الى ارض النيل واستوطنها مع اسرتهِ . أمّا الفراعنة فكانوا من سلالات مختلفة تتابعت بعد منيس منشئ السلالة الاولى . وقد اختلفوا في طول مدّة مُلكهم فالعلماء الفرنسويون يزعمون انَّ الزمان الفاصل بين مَنيس والسيد المسيح يتراوح بين ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ سنة . ويرتأي الالمان انَّ هذه المدّة زائدة يجب تقصيرها ٢٨٠٠ سنة . امّا الانكليز فتتردد حساباتهم بين ٣٥٠٠ و ٤٥٠٠ سنة . والمرجّح انَّ تلك المدّة لا تزيد على ٤٠٠٠ سنة

ألا انَّ مصر كانت عند قيام منيس قطراً عامراً ومملكةً منظَّمة ذات حضارة بالغة بفضل أمّة سابقة تقدَّمت عهدهُ وتلك أمّةٌ زنجيّةٌ كما يظهر من الآثار الباقية الى يومنا . ومما لا مرية فيهِ انَّ العلماء اكتشفوا مدافن سبقت زمن الفراعنة يرتقي عهدها الى طور الظّران يمكن ترقيتها الى ٧٠٠٠ سنة ق م وازيد

بلاد الكلدان وعيلام

كان موقع هاتين الدولتين في جوار خليج العجم في القسم الاسفل من وادي دجلة والفرات وكانت كلتاهما مزدهرة نامية حوالي السنة ٤٠٠٠ ق م وذلك في زمن ابتناء الفراعنة لاهرامهم . وكانت مملكة الكلدان على ضفّة الفرات اليمنى وفي جهة الشمال بينهُ وبين دجلة وعاصمتها بابل . امّا عيلام فكانت تمتدّ بين دجلة ومشارف بلاد ماداي وكانت عاصمتها شوشن التي أطلق اسمها على بلادها ايضاً . .

اعتاصت لغة عيلام على المستشرقين الى عهدنا فلم يستطيعوا فكّ رموزها بخلاف لغة بابل المعروفة باللغة المسماريّة لشبه حروفها بالمسامير فانَّ العلماء تمكّنوا من قراءة آثار الكلدان وهم لا يزالون ينشرون منها كلّ يوم ما لا يُحصى عددًا . .

ولقدم ما عُرف من آثار هاتين المملكتين يصفها وصف الممالك الراقية العمران في السنة ٤٠٠٠ ق م . ولو ركنّا الى ما ورد في نصوص مكتبة الملك اسوربنيبال لوجب علينا القول انَّ تلك الممالك كانت زاهية ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد . ومن المؤكّد انَّ الحفريات التي انجزتها البعثة الفرنسويّة في شوشن . كشفت للعيان آثاراً تنبئ بقدم

وجود بني البشر قبل ذلك الزمان بعهد مديد

فانَّ العلّامة الاسوجي مونتيليوس في محاضرة القاها في مؤتمر آثار البشر والعاديّات السابقة للتاريخ زعم انَّ المدَّة بين زماننا واوائل مملكة عيلام تبلغ الى ٨٠،٠٠٠ سنة وقد بنى حسابهُ على ما هناك من اطلال مدينة شوشن التي ترتفع الى علوّ ٣٤ مترًا فحسب الفي سنة لكل خمسة امتار من الأنقاض والاطلال المتكاومة . لكن حسابهُ هذا قليل الضبط لأن كثافة الاطلال تختلف بموجب كثرة السكان وقلّتها فمن ثمَّ يقال ان في قياسهِ هذا غلوًّا والاقرب الى الصواب ان يقال ان تلك الاطلال تدلُّ على مدَّة نحو عشرة آلاف سنة الى زمن السيّد المسيح (١

ففي ربوة شوشن المذكورة المتكاومة بعد ان بلغ ارباب الحفريّات خمسة امتار لم يعودوا يجدون ادوات من حديد بل ادوات من النحاس والشَّبه (البرونز) وذلك الى عمق ١٢ مترًا . وما تحت هذا العمق لم يجدوا من الادوات سوى الظِّران

الصين

لم تُفدنا الآثار الصينيَّة التاريخيَّة الراهنة حتَّى اليوم ما يرقي دول الصين الى ما وراء الفي سنة قبل المسيح

الهند

جاء في اساطير الهنود انَّ اصلهم يرتقي الى الوف الالوف من السنين امَّا كتبهم التاريخيَّة التي دُقّق في دراستها العلماء فانَّها تبيّن انَّ تنظيم تلك الاقطار وعمرانها لا يتجاوزان الالف والخمسمائة سنة الى الالفي سنة قبل المسيح . واقدم ما يُعرف من آثار الهنود يتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد . وما يروى فوق ذلك العهد فهو من اضغاث احلامهم وخرافاتهم (٢

فيحصل من استقرائنا للدول القديمة انَّ مملكتي الكلدان وشوشن ثم بعدهما مصر هي الممالك التي يحقّ لها بالقدمة على سواها . وهذا ممَّا تؤيّدهُ شهادة الاسفار

(١ راجع معجم الآثار D'Alès :Dictionnaire apologétique, *art.* Homme

(٢ راجع Moulard et Vincent : Apologétique Chrétienne

الالهيَّة التي تجعل مهد البشريَّة في الشرق بين دجلة والفرات. ومن مآثر تلك البلاد يستفاد انَّ اقلَّ ما يجب اثباتهُ من الزمان لوجود البشر ٧٠٠٠ سنة الى عهد المسيح. وذلك بقطع النظر عن عهد الظرَّان السابق للتاريخ

وفي وجود الظرَّان دليل واضح على وجود الانسان اذ بهِ يثبت استعمال البشر الاوَّلين للحجارة كادوات سلاحهم ومعاشهم بنحتهم للصوَّان على شكل المقاطع والسهام والمناشير كما سنبيِّن ذلك فلا بُدَّ اذن من اعتبار تلك الاحقاب التي جهل فيها الانسان استعمال المعادن واليها يشير سفر التكوين(٤ : ٢٢) بقولهِ عن تُوبَل قاين انهُ «كان اوَّل صَيقَل للنحاس والحديد» مصرِّحاً بذلك انَّ البشر لم يعهدوا قبلهُ استعمالها

ومما تبيَّن من الحفريَّات المحدثة انَّ اوَّل معدن صاغهُ بنو البشر النحاس ولاسيَّما البرونز او الشَّبَه وهو مركَّب من النحاس والقصدير. امَّا الحديد فما أَلِفوا استعمالهُ الَّا بعد ذلك بزمان. وعلى هذه الادوات المختلفة بنى القدماء كلامهم فتراهم يذكرون طور الظرَّان ثمَّ طور البرونز ثمَّ الحديد حسبما بلغهم من علمائهم. وهذه الاطوار الثلثة اي الظرَّان والبرونز والحديد متوالية في معظم الدول لم تُستعمَل سَواء في زمن واحد فانَّ لاستعمال البرونز في اوربَّة الغربيَّة خلف طور الظرَّان بعد الفي سنة تقريباً للعالم. فذلك الزمن السابق للتاريخ لم يكن خاوياً من العمارة بل لدينا منهُ آثار عجيبة تنبئ برقي اهلهِ منها تلك القرى المبنيَّة على اخشاب راكبة فوق البُحيرات. ومنها تلك المغاور والكهوف التي وجدت في جهات جبال البيريناي وضمنها تصاوير مختلفة ملوَّنة تمثل الحيوانات التي كان يصطادها اهل ذلك الجيل قد فُقد بعضها بمدى الزمان كالبقر الوحشي وغيرهِ يرقى عهد تصويرها الى ١٦٠٠ بل الى ٢٠٠٠ سنة قم. وتفيدنا شيئاً من احوال اولئك القوم. ولا ننكر انَّهُ كان في ايَّامهم قبائل همجيَّة تعيش في البوادي كما نرى البعض منها في ايَّامنا في مجاهل افريقية واميركا

ولو تصفَّحتَ التواريخ القديمة لرأيت انهُ في كل اطوار التاريخ البشري قد وُجدت امم تُرقَّت في مراقي الحضارة حتَّى بلغت اوج العمران ورفعت منار المدنيَّة كالرومان واليونان والفينيقيين والمصريين والكلدان واهل اقريطش. وبقرب مكانهم وزمانهم تجد امماً أُخرى دنيئة ذليلة همجيَّة تعيش عيشة الحيوان

٢ عهد الظرّان واحوال الشعوب الاولى

وان سأل السائل ما السبب لهذا الاختلاف بين تلك القبائل القديمة وانتشار المعادن بين بعضها دون البعض . اجبنا انَّ البشر الاوّلين كانوا اذا كثر عددهم يتشعّبون شعباً مختلفة ويبتعدون عن المراكز الاوليَّة التي كانوا معدودين في جملتها . وبابتعادهم فقدوا شيئاً وشيئاً تلك الصنائع المدنيَّة لعدم وجود صَنعة بينهم يختصّون باستحضارها فبقوا في خمولهم وفي بربريَّتهم

وما لا شكَّ فيهِ انَّ الامم باجمعها اجتازت الطور الحجري المعروف بالظرّان . وليس ذلك دليلًا على انَّها كلّها مرَّت بطور الهمجيَّة على شبه البهائم خالية من كلّ دين وادب . فانَّ هذا الزعم باطل تنقضهُ الاكتشافات الحديثة وانَّما يشيعهُ الماديّون والدرويتيّون تأييداً لمذهبهم الكاذب زاعمين انَّ البشريَّة سارت على نمط واحد فنشأت في الطور الهمجيّ ثمَّ رقيت الى التمدُّن التامّ

وبياناً لهذه القضيَّة فلنعتبر نواميس العمران مدنيَّةً كانت او دينيَّة وكلّها عائد الى خير المجتمع البشري . ومما لا شبهة فيهِ انَّ ذاك المجتمع الانساني كان في اوَّل امرهِ منحصراً في العشيرة والعيلة فكان يرئسها الجدّ او الاب يجمع فيهِ السلطة المدنيَّة والدينيَّة ويقوم كلامهُ مقام الشريعة الحيَّة . ولا نرى من هذا القبيل موجباً للقول بان تلك الهيئة البشريَّة الاولى كانت قليلة الادراك وادنى من العشائر التي اتت بعدها وان لم يكن لها دستور كتابيّ

ثمَّ ان العمران يتوقَّف على عدَّة مبتدعات واكتشافات يحظى بها البشر بتوالي السنين والاجيال فيورثها السَّالف للخلف وينتفع الابناء مما توقَّف اليهِ الاجداد تباعاً بثاقب فهمهم وبهذا المعنى يجوز القول انَّ الانسانيَّة في ترقٍّ متواصل . على انَّ للآباء الاوّلين فضلًا في ذلك اذ مهَّدوا الطريق لأخلافهم بينما كانت الوسائل لديهم قليلة فاكتشفوا عدَّة اشياء كانوا اليها في حاجة ماسَّة لمعاشهم وسكناهم وصنائعهم وكتابُ التوراة قد اشار الى بعضها فقيل مثلًا عن يابَل (تك ٤ : ٢٠) انَّهُ «هو ابو سكاكني الخيام ومتَّخذي المواشي» . وقيل عن اخيهِ يوبل (٤ : ٢١) انهُ كان «أبا كلّ عازفٍ بالكنَّارة والمزمار» ومن هذه النصوص يتَّضح اكتشاف اولئك الاوّلين للفنون الجميلة

فضلًا عن الصنائع والحرف وقد اوقفنا سفر التكوين سابقاً عن احتراف قاين بالحراثة (تك ٤ : ٢) وهذا مما يقتضي استعمال بعض الادوات . وكذلك كان هابيل راعياً . وهذا مما يشير الى معرفته بتدجين الشاء والمواشي . ويستفاد من السفر عينهِ انَّ قاين اعتزل عشرة بني آدم ليعيش في شرقي عدن حيث بنى مدينةً (تك ٤ : ١٨) . وكل ذلك لا يقوم الَّا بمعارف جمَّة صناعيَّة . وكذلك لم يخلُ الاوَّلون من الشعور الادبيّ . فترى الابوين الاولين (تك ٣ : ٧) يخيطان لهما مآزر ليسترا جسمهما من عُريهِ

فلا شيء اذن يؤيد مزاعم الدروينيين والماديين بانَّ البشر الاوَّلين كانوا دوننا عقلًا فاننا لو وُلدنا في عهدنا مثلهم في ذات الظروف التي نشأوا فيها لكنَّا مثلهم . وانَّما الاختلاف اليوم هو كون الولد في زمننا ينشأ في عائلةٍ متمدنة فيحرز لهُ عدَّة معلومات من صغرهِ تفتح ذهنهُ وتجعلهُ ارقى من اترابهِ المولودين في عهد الظرَّان . فان طبيعتهما واحدة وانَّما اختلفت الظروف فينشأ ابن العصر متفقهاً قديرًا على توسيع نطاق العلوم وترقيتها

وفي اعتباراتنا هذه قد قطعنا النظر عمَّا غرسهُ الله في عقل الابوين الاوَّلين من المعارف الغريزيَّة بنعمةٍ فائقة للطبيعة لداعي كونهما رأسَي النسل البشري كما اننا لم نذكر ما بقي من آثار تلك العلوم في اذهانهما بعد خطيئتهما وسقوطهما من مرتبتهما الاولى . ولسنا ننكر ان بعض القبائل تهوَّرت الى حالةٍ هي دون مقامهما الاصلي وسنبيِّن سبب ذلك ويكفينا الآن ان نثبت بعض اكتشافات الانسان في طور الظرَّان استنادًا الى العلوم الحديثة .

ومما يدلُّ على حضارة البشر الاوَّلين معرفتهم للنار . فحيثما وُجدت آثار الانسان وُجدت ايضاً آثار مستوقدهِ . وهذه لعمري فائدة كبيرة لمعاشهِ : ومن مآثرهِ الحسنة نحتهُ للحجارة والصوَّان فاتخذ من الظرَّان ادوات مختلفة كالفؤوس والمراوي والمقاطع والمدى والمناشير . وكذلك انتفع من عظام الحيوانات التي كان يقتنصها فاتخذ منها السلات والامشاط وضروب الحلي . وقد استفاد من علم الحراثة لاستغلال القمح والشعير . وعمل لنفسهِ ادوات شتَّى من خشب الشجر . فكل هذه الاكتشافات الاولى لا تدع شبهةً في سعة عقل البشر الاوَّلين وهي تثبت شواهد الكتاب الكريم التي سبقت اليها الاشارة

ثم توفّق البشر الى اكتشاف المعادن فكان اوّل معدن باشروا معالجتهُ النحاس والقصدير لسهولة تذويبها فتمكّنوا بمزجهما من تركيب الشبَه ذي الصلابة القوية . وكفى باكتشافهم هذا دليلًا على ثقوب عقلهم . . ثم عقب ذلك اكتشافهم للحديد وتذويبهُ وتجريدهُ من كل خُبث يمتزج بهِ

واذ خشي اولئك القوم هجوم السباع اقاموا لهم فوق البُحيرات عرائش كانوا يسكنون فيها ليلًا وجعلوا بينها وبين البرّ جسورًا كانوا يجتازون فوقها في النهار ثمَّ يقطعونها ليلًا . وقد وجدوا من هذه المساكن المركوزة فوق المياه امثلةً عديدة في بلاد شتى كسويسرة وغير جهات من اوربّة بل في جهات اميركة الجنوبيّة بين قبائلها القديمة . وقد دعا مكتشفو اميركة بلاد فنازويلة بهذا الاسم اذ وجدوا قرًى مائيَّة كلُّها منصوبة فوق البحيرات مشيرين باسمها الى البندقيَّة الواقعة بين خلجان المياه . فوجود مثل هذه الابنيَّة الخشبيَّة في انحاء متباينة احسن دليل على ما طُبع عليهِ قدماء البشر من جودة الفهم وذكاء العقل

ومن دلائل العقل البشري في اطوارهِ الاولى ما وقفوا عليهِ من تصاويرهم ونقوشهم ونحتهم فمن ذلك ما اكتشفوهُ في اعماق الكهوف والمغاور من صور الحيوانات كالمُوث والدبّ والوعول (rennes) والخيل فرسموا صورها على جدران تلك الكهوف تحت اسراب الارض بمدى الظرّان التي كانوا نحتوها وذلك بدقّة عجيبة تُفرز صورة كل حيوان عن سواه . وبعض هذه التصاوير قد وجدوها محفورة على العاج وعظام الحيوانات وعلى اصداف البحر . افيُنكر انَّ مثل هذه الاعمال تشهد على توقّد اذهان اولئك البشر في تلك الازمنة الماديَّة

وكما يجب القول انَّ ذوي المجتمع البشري الاوّلين كانوا متّصفين بنجابة العقل يجب ايضاً القول انَّهم كانوا عارفين بالدين يتمسّون فرائضهُ . ذلك ما يمكن اثباتهُ من النظر الى مدافنهم القديمة واكرامهم لموتاهم فكثيرًا ما جعلوا مع الميت اسلحتهُ واقاموا ضريحاً فوق جثّتهِ . وهذا ممَّا يُستنتج منهُ اعتقادهم لحياة اخرى غير الحياة الحاضرة . ولولا ذلك لما عُنوا بتلك الرمم البالية . والاعتقاد بحياة أُخرى يستلزم الاعتقاد باللاهوت وانَّ شطّوا بصفات اللاهوت ولم يُحكموا معرفة جوهرهِ الخاصّ . قال العالمان مرلار وفنسان (Apologétique, 82) : «انَّ الاكتشافات الحديثة قد

استخرجت من باطن الارض عدة مدافن كانت تحتوي عُوَذًا وتمائم وحمائل شتى اشار بها القدماء الى تدينهم وقد ذهب البعض انَّ الكهوف التي وُجدت فيها النقوش السابق ذكرها انما كانت معابد يجتمع فيها قدماء البشر لإكرام المعبود غير المنظور

ومما يحمل على الدهش انك لو فحصت تلك البقايا من الازمنة السابقة للتاريخ كمنحوتات الحجر ومصنوعات العاج والقرون والتصاوير الدقيقة على صخور الكهوف لرأيت انَّ اولئك القبائل تسبق القبائل الهمجيَّة التي بقيت الى يومنا وتفوق عليها فوقاً عظيماً . لسنا نرضى ان يقال عن عرب البادية انهم من الهمج لما لهم من الشرائع والعادات الدينيَّة المألوفة والنظام الاجتماعي ومع ذلك لا نراهم يأتون شيئاً من اعمال الصناعة والفنون كاولئك الاقوام . ولا جرم انَّ القليل مما اكتُشف من مصنوعات الاقدمين يدلُّ على كثير غيرها مما أخفى عليه الدهر (١

فاين كلّ ذلك من مزاعم دروين وذويه ومن اكاذيب المادّيين بانَّ البشر الاوّلين كانوا بالحيوان الاعجم اشبه منهم بالانسان وأنهم كانوا متكمين في ظلام الجهل يعيشون في الصحارى والغابات يقضون الحياة من مولدهم الى موتهم كالبهائم

وهذه خلاصة الدروس الاثريَّة التي قرَّرها احد الاختصاصيين جوزف ديشلت (Manuel d'Archéologie préhistorique, 1914) فنقلتها مجلة الابحاث في عددها الصادر في ٢٠ آذار سنة ١٩١٦ قال :

« اذا قابلنا بين ابحاث العلماء الذين درسوا العاديَّات البشريَّة في كل الاقطار المعمورة في اسبانية والبرتغال وفرنسة وسكنديناڤية وايطالية والمجر واليونان ومصر والبرازيل الخ نجد أنهم توصلوا الى النتائج الآتية المدهشة :

١ً انَّ آثار البشريَّة الاولى قد ظهرت في مختلف البلدان في زمن واحد تقريباً وذلك تباعاً على التوالي الآتي : الظرّان المنحوت ثمَّ الظرّان المصقول ثمَّ البرونز ثمَّ الحديد الخ

٢ً ومن تتبع هذه الآثار في نواحي المعمور يمكنهُ ان يستدلَّ على ميز بني البشر وتنقلهم في البلاد

(١) . راجع مجلة كوسموس Gilbert-Durand, Cosmos, 11 Avril, 1896

٣ والظاهر انَّ مبدأ انتشار البشر شرقاً كان او غرباً انَّما نشأ من مركز اوَّل موقعهُ في بلاد الكلدان ومصر .

٤ وممَّا أثَّر في مَسير القبائل والسلالات البشريَّة الاولى حرصهم على اقتناء الموادّ الثمينة كالعنبر والملح المعدني والقصدير والحديد . وجلاؤهم المذكور يمكن تدوينهُ على خريطة اوربيَّة بكل ضبط

٥ قد وجدوا في سائر البلاد آثارًا بيِّنة عن معتقدات اولئك الشعوب الدينيَّة منها صور بعض الحيوانات راقية الى عهد الظرَّان متَّخذة على ما يظهر كحرز للقبائل (totems) كما يُرى بعضها اليوم بين قبائل افريقية واوستراليا الهمجيَّة او كانوا يلوذون بشفاعتها كما نرى اليوم في بعض العشائر غير المتمدِّنة . ومثلها التصاوير الجداريَّة السابق ذكرها في كهوف فرنسة الجنوبيَّة وفي جبال كاليفورنية وفي اوستراليا . ثمَّ اقاموا في آخر عهد الظرَّان تلك الانصاب الحجاريَّة (dolmens, menhirs) فوق قبور زعمائهم وهي بلا شكّ آثار دينيَّة كتذكار لموتاهم

٦ ولو رُسمت خارطةٌ للتنقلات البشريَّة الاوَّليَّة . لظهر انَّ مسير بني البشر كان خصوصاً على شواطئ البحار لا يكاد يعرِّج الى باطن البلاد . ففي اوربَّة ترى انَّ المجتمع البشري الذي ظهر اولًا في نواحي الكلدان او في مصر قد تقدَّم الى جهات الاناضول وجزائر بحر السفيد واليونان ومنها الى ايطالية ثمَّ اسبانية ثمَّ غالية ثمَّ بريطانية العظمى الغنيَّة بالقصدير ثمَّ إسلندة حيث معادن الذهب

وقد رسم العلَّامة ج . البوت سميت (G. Elliot Smith) الكرَة الارضية وفقاً للاكتشافات الحديثة وهو ايضاً يجعل لمسير البشر خطًّا متواصلًا على سواحل البحار يبتدى من بلاد الكلدان ومصر ثمَّ متَّجهاً الى اليونان وايطالية . وميناً نواحي اليابان ولميركة الشماليَّة مارًّا بشواطئ سواحل آسية والجزائر . ثمَّ سائرًا على طريق ارخبيل الاوقيانوس في ازمنة مواسم خطّ الاستواء الى جهات بيرو والمكسيك حيث وُجدت آثار الحضارة السابقة للتاريخ بتمام الشبه مع ما وُجد في اوربَّة ثمَّ بلغ الى زيلندة الجديدة على طريق جزيرة الفصح . وعلى هذا المنوال قد أتت كلّ الاكتشافات للآثار السابقة للتاريخ مثبتة قول الكتاب بان السلالات البشريَّة الاولى كان بدء جلائها من بلادنا الشرقيَّة

وقد ضربنا الصفح في كلامنا السابق عن مسألة الطوفان فانَّ المهاجرة البشريَّة سواء كان الطوفان عمومياً شاملاً لسائر العمور او كان محلياً فقط لم يختلف سيرها الّا ان يقال انّها بدأت قبل حدوث الطوفان في بعض البلدان او انّها تبعت وقوعهُ بانتشار بني نوح بعدهُ (لهُ صلة)

عجائب التلفون اللاسلكي في الولايات المتحدة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

الولايات المتحدة، منبت العجائب والغرائب وذات البيوت الناطحة عنان السماء . بلادٌ اصبحت فيها السيارات في عداد الحاجيات حتى بين اصاغر القوم، وراجت فيها قبل سواها سوق «البريد الطائر» اي زواج بلاد لا تطلع شمسها في الصباح الّا على آلاف من آيات الاختراع طالعةً معها فوق أفق المدنيّة العصريّة، ولا تغيب في المساء الّا وقد ذرّت مع نجوم السماء كواكب اجمل واكثر منها سطوعاً في جلد المعارف البشريّة مُزيلةً بالتدريج ظلمتهِ الحالكة . أجل هي الولايات المتحدة التي تناصرت في اقطارها الفسيحة ارقى الشعوب حضارةً فلا بدع أن بلغت بفضلهم في الرقي المادّي والعلمي شأوًا قصرت عنه في يومنا هذا اعظم الامم الاوربيّة!

من اغرب غرائب الولايات في الآونة الاخيرة ترقي التلفون اللاسلكي وقد أُطلق عليه اسم رَدْيُوفون (radiophone) وهو اخف لفظاً ولذلك آثرناه في هذه العجالة وان لم يكن شائعاً في الشرق . والغرض من الصحائف التالية إطلاع قرّاء المشرق على بعض ما نعرفه من عجائب الرديوفون في بلاد «العم سام» . ونلتمس من باب هذا الموضوع عذرهم لعدم مقدرتنا على الإحاطة بكل اطرافهِ

منذ ارسل مخترع التلغراف اللاسلكي المهندس الايطالي مركوني البرقيّة الاولى بين اوربة واميركة في السنة ١٩٠٢ انقضت خمسة اعوام قبل ان يستطيع مواطنهُ

وقد ضربنا الصفح في كلامنا السابق عن مسألة الطوفان فانَّ المهاجرة البشريَّة سواء كان الطوفان عمومياً شاملاً لسائر العمور او كان محلياً فقط لم يختلف سيرها الّا ان يقال انّها بدأت قبل حدوث الطوفان في بعض البلدان او انّها تبعت وقوعهُ بانتشار بني نوح بعدهُ (لهُ صلة)

عجائب التلفون اللاسلكي في الولايات المتحدة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

الولايات المتحدة، منبت العجائب والغرائب وذات البيوت الناطحة عنان السماء . بلادٌ اصبحت فيها السيارات في عداد الحاجيات حتى بين اصاغر القوم، وراجت فيها قبل سواها سوق «البريد الطائر» اي زواج بلاد لا تطلع شمسها في الصباح الّا على آلاف من آيات الاختراع طالعةً معها فوق أفق المدنيّة العصريّة، ولا تغيب في المساء الّا وقد ذرّت مع نجوم السماء كواكب اجمل واكثر منها سطوعاً في جلد المعارف البشريّة مُزيلةً بالتدريج ظلمتهِ الحالكة . أجل هي الولايات المتحدة التي تناصرت في اقطارها الفسيحة ارقى الشعوب حضارةً فلا بدع أن بلغت بفضلهم في الرقي المادّي والعلمي شأوًا قصرت عنه في يومنا هذا اعظم الامم الاوربيّة!

من اغرب غرائب الولايات في الآونة الاخيرة ترقي التلفون اللاسلكي وقد أُطلق عليه اسم رَدْيُوفون (radiophone) وهو اخف لفظاً ولذلك آثرناه في هذه العجالة وان لم يكن شائعاً في الشرق . والغرض من الصحائف التالية إطلاع قرّاء المشرق على بعض ما نعرفه من عجائب الرديوفون في بلاد «العم سام» . ونلتمس من باب هذا الموضوع عذرهم لعدم مقدرتنا على الإحاطة بكل اطرافهِ

منذ ارسل مخترع التلغراف اللاسلكي المهندس الايطالي مركوني البرقيّة الاولى بين اوربة واميركة في السنة ١٩٠٢ انقضت خمسة اعوام قبل ان يستطيع مواطنهُ

مايوراما (Majorama) استخدام الرديوفون في محادثة شخص يبعد عنه ستين كيلومتراً ليس الا . فمن المقايسة بين هاتين المسافتين تلوح لاول وهلة الصعوبة الشديدة التي اعترضت مساعي العلماء والباحثين في ترقية الرديوفونية(radiophonie) نعني المواصلات التلفونية اللاسلكية . والحالة هذه فمن ابدع آيات العلم العصري انه ذلّل كل تلك العقبات الكؤود في ظرف نحو خمسة عشر عاماً فاصبحت الرديوفونية من الامور المبتذلة في بعض جهات اوربة ولاسيما في الولايات المتحدة . وهاك بعض الشواهد على عجيب ترقي هذا الفن الجديد في اكبر الجمهوريات الاميركية

١ المحطات الرديوفونية

نعني بهذا التعبير المراكز الكبرى التي هي ملك الحكومة او الشركات والمعاهد الخطيرة الشأن . لكل من هذه المحطات مواعيد معلومة لبثّ التموّجات الرديوفونية على جناح الاثير (١ في طول البلاد وعرضها . وان عسر على نفر من القرّاء ادراك ماهية تلك التموجات المدهشة فلا نرى وسيلة انجع لتقريبها الى اذهانهم من التشبيه الجاري في كل الكتب العلمية المدرسية وهو الآتي : كما ان الحصاة الساقطة من علُ على ماء راكد تُحدث فيه تموّجات مستديرة متتابعة متكاثرة مركزُها العامّ مسقط الحصاة هكذا تُحدث الكهرباء في الاثير تموجات شبيهة بالسابقة تنتشر في كل الجهات حول المركز الباعث بسرعة النور نعني ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية ، فتستطيع في ذلك الوقت اليسير المضاهي لطرفة العين ان تدور نحو سبعة دورات ونصف حول الكرة الارضية على خط الاستواء

فلنعُد بعد هذا الشرح التمهيدي الى المحطات الرديوفونية . قلنا ان لكل واحدة اوقات معلومة لبثّ التموجات الكهربائية في الجهات الاربع الى مسافة يزيد بعدها بنسبة قوة المحطة الباعثة . وهي تتراوح في محطات الولايات المتحدة من نحو مائة كيلومتر الى

١) الاثير مادة لا تقع تحت الحواسّ ولا وزن لها يقول العلماء بانتشارها بين ذرّات (atomes) كل الاجرام الارضية والسماوية بل في البون الفاصل بين هذه وتلك . في ذلك المحيط الاثيري الهائل الاتساع تنتشر التموجات الكهربائية والنور المتبر في نظر الطبيعيين كاحد انواعها بدليل كون سرعة الانتشار واحدة في الحالين

زهاء الف وستمائة . لتموجات كل محطة طولٌ معلوم يختلف عادةً عن طول تموجات كل المحطات الاخرى ولاسيما المجاورة . وذلك الطول في اصطلاح الفنيين عبارة عن المسافة التي تجتازها التموجات في انتشارها اثناء اهتزاز كهربائي واحد في المحطة الباعثة . فان التموجات الاثيرية ناتجة عن الاهتزازات الكهربائية كما ان تموجات الماء ناتجة عن اهتزاز احد اجزائه ارتفاعاً فانخفاضاً بتأثير الحصاة الساقطة في مركز التموجات

اما الجهاز القابل للتموجات الراديوفونية الصادرة من محطة معلومة فلا بدَّ له من استيفاء شرطين : الاول ان يقع في دائرة تأثير تلك المحطة وقد اسلفنا ان شعاع تلك الدوائر — نعني نصف قطرها — يتراوح في الولايات المتحدة من مائة كيلومتر الى الف وستمائة . والثاني ان يكون مستعداً لقبول تلك التموجات بطولها الخاص والا لمرَّت به دون ادنى تأثير عليه كما لو هطل المطر على الحديد بدلاً من التربة

ولجهاز كلّ قابلٍ ادواتٌ تحرّك التحريك المناسب فتمكنه من قبول التموجات المرغوبة ذات الطول المعلوم دون سواها . وقد اطلق الفرنسيون على تلك العملية اسم syntonisation التي لا نرى لها تعريباً انسب من «دوزنة» . فان هذه اللفظة تدل في اصطلاح الموسيقى الشرقية على شد اوتار الآلة او ارخائها بالقدر اللازم لحدوث الصوت المطلوب . اما طول التموجات الراديوفونية فانه يتراوح في محطات الولايات بين ٣٣٠ و ٢٦٥٠ متراً وبين هذين القياسين بون شاسع يسمح بتكثير عدد المحطات مع محافظة كل منها على طول تموجاتها الخاص

اليك الآن جدول بعض اهمّ المحطات مع يسير من المعلومات على كل منها . نفيد القرّاء بانّ انتشار التموجات ابعد في المساء منه اثناء النهار وفي الشتاء منه في الصيف

١ً محطة روزل برك (Roselle Park) هي ملك الشركة اللاسلكية الاميركية . وتبعث تموجاتها الى بعد ١٦٠٠ كيلومتر

٢ً محطة لوس انجلس (Los Angeles) تساوي السابقة في دائرة نفوذها

٣ً محطة سان جوزه (San José) يمتدّ تأثيرها الى مسافة ٨٠٠ كيلومتر

٤ً محطة نيوارك (Newark) . طول تموجاتها ٣٦٠ متراً . تبعث اخباراً وقطعاً وسيقية كل مساء الساعة ٨ وخمس دقائق . ولها بعثة للاطفال كل يوم جمعة الساعة

السابعة وربع مساء — وهي قادرة على ايصال تموجاتها الى نحو عشر سكان الولايات تعني نحو احد عشر مليون نسمة

٥ً محطة بتسبرغ (Pittsburgh) طول تموجاتها ٣٣٠ متراً. تبعث كل مساء الساعة الثامنة الوقت المدلول عليه في ساعة مرصد واشنطن. ولا تُبعَث في ايام الآحاد لهذا الغرض. وفي الساعة ٨ و ٥ دقائق مساء تبعث اسعار بورصة نويورك وسوق الحكومة. ومن الساعة ٨ ونصف الى التاسعة ونصف تبعث قطعاً موسيقية وكل يوم احد الساعة الرابعة بعد الظهر تبعث قطعة موسيقية مضروبة على الأرغن

٦ً محطة هرتفرد طول تموجاتها ٤٢٥ متراً. تبعث الموسيقى في مساء الثلاثاء والخميس والسبت

٧ً محطة دلاس طول تموجاتها ٤٥٠ متراً. تبعث الاخبار والمعلومات الجوية الساعة السابعة ونصف مساء ثم الموسيقى من الساعة الثامنة ونصف الى التاسعة

٨ً محطة شيكاغو طول تموجاتها ٣٧٥ متراً. تبعث في مساء كل يوم جمعة وأحد قطع «أوبرا» (Opéra) طول موسم «الاوبرا»

٩ً محطة سنسنتي طول تموجاتها ٣٧٥ متراً. تبعث في مساء الاثنين والاربعاء والسبت اخبار الالعاب الرياضية فضلاً عن الموسيقى

ادرجنا الجدول السابق في هذه المقالة تفكهةً للقرّاء وبياناً للفوائد المتنوعة الناجمة عن الرديوفونية. وعلى كل حال فلم نذكر سوى بعض اقدر واشهر المحطات فان غيرها المتدّ نفوذها من بضع كيلومترات الى نحو ثمانين تحصى بالآلاف المؤلفة وهي منتشرة في طول الولايات وعرضها

وقد رسموا تعميماً لفائدة الفن الجديد خارطاتٍ اثبتوا فيها مواقع المحطات الكبرى ودائرةَ تأثير كل منها فيسهل على كل صاحب جهازٍ قابل مُدَوزَن بحيث يستطيع التقاط التموجات الصادرة من المحطات المجاورة

٢ بعض خدم الفن الجديد

وكفى شاهداً على رواج سوق الرديوفونية في الولايات ان زهاء ستمائة الف شخص من سكانها (١ هم اصحاب اجهزة قابلة وهيهات ان نرى مثل ذلك الرواج في ارقى

(١) ويقدّرهم البعض بنحو مليون.

البلاد الاوربية . امّا اسبابه فواضحة لكل ذي عينين نظرًا لرخص تلك الاجهزة البالغ ثمنها نحو ٢٥ دولارًا لالتقاط التموجات الصادرة عن بعد ٢٥ ميلًا انكليزياً نعني نحو ٤٠ كيلومترًا . وهو يزيد على وجه التقريب زيادة دولارٍ لكل ميلٍ مضاف الى المسافة السابق ذكرها . ومتى انفق صاحب الجهاز هذه النفقة اليسيرة فانّه لا يصرف بارةً في التقاط كل التموجات الآتية من مئات المحطات المجاورة فيقف على احدث الاخبار وافيد المعلومات ويشنف أُذنيه باطرب النغمات بل يثقف عقلهُ ونفسه في بعض الاحايين باستماع اجمل العظات وقد افردنا لذلك الامر الاخير باباً وجيزًا نظرًا الى غرابته وجليل فائدته

اوضح دليل على رضى اهل الولايات عن لذّة الرديوفونيّة ان رسائل التشكر لا تزال هاطلةً كالوَبلة منهم على مُديري المحطّات الكبرى والصغرى التي تخدمهم خدمة مجانيّة مع كونها عظيمة . فهذا شيخ عاجزٌ يعبّر عن شديد سروره لدى استماع العظات والقطع الموسيقية من سرير عاهاته وآلامه . وذاك فلّاحٌ مرتاح الى معرفة احدث الاسعار باعظم السرعة واقلّ النفقة . هنا تلميذٌ رَخص البنان يُبدي كبير لذته في المواصلات الرديوفونيّة المشعة . وهناك ضباط بحريّون تخنق افئدتهم فرحاً حيث تمكنوا بفضل الاختراع الجديد من استماع صوت ام محبوبة وهم خائضون في كبد الأقيانوس تائهون بين زرقتي البحر والسماء . دونك على سبيل المثال بعض التطبيقات المستملحة للفنّ المصري في حياة ارقى الشعوب الاميركية نعني اهل الولايات

﴿ ١ خدمة الفلّاحين ﴾ للحكومة عنايةٌ شديدة بمصالحهم الآئلة الى ذات مصلحتها . فهي تُطلعهم بواسطة محطاتها العديدة على المعلومات المفيدة بشأن الصواعق المتوقّعة واحوال الطقس المتحسّبة ، وتوقفهم على احدث الاسعار الزراعية وعلى الوقت المضبوط ليطبقّوا ساعاتهم عليه الى غير ذلك من الفوائد الجديرة بان تحصى في آيات تبادل المنافع بين الحكومة ورعاياها

﴿ ٢ خدمة ركّاب القطارات والبواخر والطيّارات ﴾ شرعت بعض شركات السكك الحديدية في تجهيز عربات المسافرين باجهزة رديوفونيّة يستقصرون بها الاسفار الطويلة

هكذا راجت سوق هذا الفن الحديث في البواخر ، ولا بدع فان لذة المواصلات

تزيد بازدياد المسافة الفاصلة بين المرء ومواطنيه او أحبائه (١ . ومن اعجب آيات هذه المواصلات ان مدير شركة التلفون والتلغراف الاميركية حادث في اوائل هذا العام من داره الواقعة في ولاية كُنَكتيكُت (Connecticut) قبطان الباخرة « اميركة » وهي على مسافة نحو ستمائة كيلومتر من نويرك . ويقدّر عدد « الفضوليين » الذين سمعوا تلك المحادثة بدون استئذان بنحو مائتي الف ! الحق يقال ان الرديوفونية لا تمتاز عن بقية الامور البشرية بخلوّها من كل شائبة فانّها وحفظ الاسرار على طرفي نقيض . وذلك ما ينعش آمال التلغراف والتلفون السلكيين في طول الحياة وبُعد الاجل ! والله اعلم بمصير كل الاشياء . امّا الطيّارات فان الرديوفونية تجعل ركّابها في تماس متواصل مع اخوتهم الباقين في البرّ وفي ذلك ما فيه من الفائدة والتمتّع

﴿٣ زوارق النجاة من الغرق﴾ المعروفة هناك باسم زوارق الحياة (life-boats) نالت هي ايضاً نصيبها من ترقي الرديوفونية . كان المانع الجوهري عن استفادتها من ذلك الفن مع احتياجها اليه اكثر من سواها ثقل الاجهزة المستعملة فيها حتى الآونة الاخيرة وكثرة الاسلاك والقضبان الداخلة في تلك الاجهزة فوق الزوارق وتحتها وفي باطنها . فكانت تُعرقل حركات البحّارة المكلّفين بادارة الزوارق . فبعد الابحاث والتجارب المتوالية ادرك الفنيون بغيتهم بل ضالّتهم المنشودة بإلقاء صارية الجهاز الباعث والاسلاك الكثيرة المتشبكة . فابدلوا كل ذلك بادوات خفيفة بسيطة عملية اتت عند الاختبار باجمل النتائج . وبناء على ذلك قد شُرع في نصب الاجهزة الجديدة في مخافر سواحل الولايات لتمكينها من مداومة المواصلات مع السفن المنوط بها تخليص المُبحرين من اخطار الغرق والحريق وما شاكلها

٣ آياته من آيات الرديوفونية

ان فنّاً عجيباً كهذا من المحال الّا يكون ابا العجائب والغرائب وفيما سبق ادلّة عديدة على صحة رأينا . انما افردنا هذا الباب لآيتين من آياته الساحرات لما فيهما

١) في النيّة نصب الاجهزة الرديوفونيّة على ظهر كل البواخر المترددة الى الولايات . وقد أطمت الجمهور شركة التلفون والتلغراف الاميركية باتخاذ مستعدة لوصل تلفون مشتركيها المتاذ بالبواخر السائرة على الاطلنتيك او الباسفيك . ويُنتظر دخول تلك المواصلات في حيّز الامور المبتذلة بعد سنين قلائل

من الغرابة المقرونة بالحسن الرائع

﴿ ١ الآية الاولى : المحادثة بين بريطانية العظمى والولايات ﴾ . حدثت هذه المعجزة مرة اولى في ١٢ كانون الاول ١٩٢١ بين محطة أندرُسَّن (Androssan) في اسكتلنده ومحطة غرينتش (Greenwich) في داخل الولايات . قلنا «مرةً اولى» وفي هذا القول مغالاة ان لم نزد عليه للايضاح ان الاجهزة المستخدمة في المحطتين هي من النوع الذي يستعمله الاشخاص المولعون بالفن الجديد . ومن البديهي انها ابسط واضعف كثيراً من اجهزة المحطات الكبرى السابق ذكرها بل هي دونها بمراحل في الاتقان والكمال . ومع ذلك فقد صُنعت بها مرةً اولى معجزة التحادث من احد شاطئي الاطلنتيك الى الآخر . فقد سمع المستر غُدلـه (Godley) من المحطة التي انشأها هو نفسه في اسكتلندة كلمتين واضحتين طارتا اليه على جناح الاثير من الولايات وهما « تهانئ قلبية ! » وقد وَلِيتهما اسماء الاشخاص الخمسة المعبرين عن تلك العاطفة

فحدّث ولا حرج عن الاستقبال الفخم الذي صادفهُ المستر غدله عند وصوله الى العاصمة الانكليزية بعد صنع آيته الراديوفونية ولاسيما بعد ان اتضح كون خمسة انكليز من المولعين بالاختراع ومولع هولندي قاطن في امستردام واميركيّ على ظهر باخرة في ميناء همبرغ بالمانية قد التقطوا باجهزتهم بعض الاشارات الصادرة من الولايات . وقد أكّد الزائر الشهير انه سمع في اسكتلندة الاشارات الوافدة من نحو ثلاثين محطة اغلبها بجوار ساحل الاطلنتيك لكن بعضها متوغلٌ في داخل الولايات مثلاً في بتسبرغ (Pittsburgh) وأوهايو وانديانوبليس (Indianopolis) . وقد كان لمعجزة المستر غدله المصنوعة في ١٢ كانون الاوّل المنصرم رنّة اعجاب في كل الصحافة الاوربية وبالاخص في جرائد بريطانية العظمى وفرنسة وبلجكة . والحق يقال ان آيتهُ لَنسيجُ وحدها حيث ضاقت ذُرعاً بها اكمل اجهزة المولعين بالراديوفونية حتى اواخر العام الماضي

﴿ ٢ الآية الثانية موعظة سمعها مليون شخص تقريباً بواسطة الراديوفونية ﴾ يحسن بنا تنبيه القراء الكرام الى ان كل التفاصيل التي سنوردها من تلك الاعجوبة الفريدة في بابها مقتبسةٌ من المجلة الكاثوليكية المعروفة في طول الولايات وعرضها

باسم « العالم الكاثوليكي » فقد نُشرت فيها مقالة مطولة في هذا الموضوع بامضاء المستر كوكلي (Coakley) الملقان في اللاهوت . والغرض من اشارتنا الى مصدر المعلومات الآتية قطع دابر شكٍّ ربما حام على اذهان القراء بشأن صدق روايتنا

فبعد هذا التمهيد نذكر قول القديس بولس «التقوى مفيدة لكل شيء» ونلاحظ انها لا تضيع ذرّة من صحّتها لو عكسنا طرفيها إذ يُقال «كل شيء مفيد للتقوى» . وبناء على ذلك فالكنيسة الكاثوليكية وكهنتها ورجالها المعدودون لم يألوا جهداً على توالي الاجيال في تسخير كل الوسائل المادّية والعلمية والادبية لخدمة الدين الآئل الى خلاص الانفس الابدي . فلا بدع أن دار في خلد بعض الكهنة الاميركيين الغيورين استخدام الراديوفونية العجيبة الرواج في الولايات لالقاء المواعظ الخلاصية على آلاف مؤلفة من الذين لا يريدون او لا يستطيعون سماعها في الكنائس . وكان اوّل حدوث تلك المعجزة في اثناء تبشير دامت مدّته من ٢٧ تشرين الثاني الى ١١ كانون الاول من العام الاخير في مدينة بتسبرغ (Pittsburgh) وهي مركز احدى اعظم المحطات الراديوفونيّة (راجع جدول تلك المحطات) . فكانت كل اقوال الواعظ تطير بسرعة البرق الى الجهات الاربع وقد قُدّر عدد الذين سمعوها حرفاً حرفاً بمليون شخص على وجه التقريب(١ . اما الادلّة المبرهنة على نجاح هذا المشروع الرسولي الجديد فهي اكثر من ان تحصى واجلّ من ان يُستخف بها . في غد العظة الاولى الراديوفونية تواردت رسائل الاستيضاح تترى موجّهةً الى الواعظ من كل اصقاع الولايات حتى من اقصى اطرافها . بل ان بعض السامعين قطعوا بالقطار مسافة نحو سبعين كيلومتراً لمواجهة الكاهن في ذات مدينة بتسبرغ طالبين منه تعليمهم وتثقيفهم ليستطيعوا الاهتداء من البروتستانية الى الكثلكة . وسمع بعض الكاثوليك الفاتري التقوى من بُعدٍ موعظة على حسنات سرّ التوبة فحثّهم على العودة اليه بعد اهماله زمناً طويلاً . وطلب غيرهم من مسافة نحو سبعمائة كيلومتر بعض المعلومات على غير الكتب

١) ذلك العدد غير مستحيل فان مدينة بتسبرغ وحدها تحتوي على نحو ستمائة الف نسمة . وقد اشرنا فيما سبق الى ان عدد اصحاب الاجهزة الراديوفونية في الولايات يُقدَّر بنفس ذلك العدد على الاقل . ومن الواضح ان اشخاصاً كثيرين يستخدمون جهازاً واحداً في اكثر الاحوال

الدينية بقصد اقتنائها لانماش تدينهم . امّا التقاريظ لمشروع الوعظ الرديوفوني فقد هطلت كالوابل المثّان من عشرين ولاية على الكاهن الغيور الجسور . وكان الواعظ يجيب على الاستفهامات العديدة الواردة اليه بالبريد او التلغراف او التلفون في عظة بديهيّة يلحقها بلمحة عين فيستفيد منها ليس فقط مراسلوه بل كل « الحضور الرديوفوني » نعني كل سامعي العظات عن بُعد

ذاك وصفٌ موجز للمعجزة الرديوفونية الثانية التي نرى فيها الدين والعلم العصري اخوين متآلفين اجمل التآلف لمجد الله تعالى وخلاص الانفس المخلوقة على مثال جلاله والمفديّة بدم ابنه سيدنا يسوع المسيح له السجود

يسوغ لنا الآن ختم عجالتنا بيد اننا لا نتمالك من ان نورد للقراء اقتراح الدكتور كوكله الذي اقتبسنا المعلومات السابقة من مقالته . قال حضرته — لأُفضْ فوهُ ما معناه : « ستروج الرديوفونية في كل اقطار الولايات رواج السيّارات او آلات الكتابة وذلك في ظرف بضع سنوات . ولما كان ذلك الفن العجيب من اقدر الوسائل لنشر اعلام الدين فيليق بالكنيسة الكاثوليكية ان تنشئ محطة كبرى تبث في كل مساء (١ موعظة او محاضرة دينية الى مشارق الارض ومغاربها (٢ . وعلى هذا النمط يستطيع كاهن واحد ان يبلغ كلمة الله المنعشة للانفس الى ملايين من سكان القرى بدون ادنى عناء له ولهم . لعمري ما اسرع ما يكون على هذا المنوال تكذيب الغلام التي ينشرها اعداء المسيح فتلم صيت امّنا الكنيسة ! وما اسهل ارشاد آلاف من الضالين الى جادّة السماء بواسطة تلك المحطة الرديوفونية الكبرى ! وما ايسر ارتباط كل المؤمنين ولاسيما الكهنة والمرسلين الى الاقطار النائية براعيهم وابيهم الحنون ونائب المسيح على الارض ! على هذا النمط العجيب سوف تظهر وحدة الكنيسة المقدسة بمظهر جديد غريب لم يسبق له مثيل في العصور الخوالي . وهكذا يُستطاع باقرب الوسائل تحقيق وصيّة مخلصنا الالهي الى رسله حيث قال لهم : « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل الى الخليقة كلها » حقّق الله قريباً هذه الاماني ان شاء الله

---

١) سبق لنا القول ان هذا الوقت هو الانسب

٢) هذه الامنيّة غير مستحيلة فان الدكتور تيلور (Taylor) الاميركي قد تمكن من التقاط الرسائل الرديوفونية الواردة اليه من اوربة شرقاً ومن اليابان غرباً

ديوان شعر

الحارث بن حِلِزَة اليَشْكُرِيّ

ما خلا معلّقتهُ المشهورة

العدد ١

قال الحارث بن حِلِزَة (من الكامل) :

١ يا آلَ زَيْدِ مَناةَ هَلْ مِنْ زَاجِرٍ لَكُمْ فَيَنْهَى الجَهْلَ عَنْ هَمَّامِ

ويروى : هل من زَاجِرٍ حَكَمٍ

٢ مَا إنْ يُسَافِهُنَا أُنَاسٌ سُوقَةٌ إلّا سَنَشْعَبُ هَامَهُمْ فِي الهَامِ

٣ مِنَّا سَلَامَةُ إذْ أَتَانَا ثَائِرًا يَعْدُو بِأَبْيَضَ كَالغَدِيرِ حُسَامِ

٤ فَمَلَا بِهِ شَعَرَ القَذَالِ وَيَدْعِي فِعْلَ المُخَايِلِ مُقْعَدَ الإِعْصَامِ

المُخَايِلُ المُخَايِزُ الذي يعقر الابل . والإعصام من صنع العُصمة حيث تُقعَدُ الجِمالُ

٥ وَثَنَى لَهُ تَحْتَ الغُبَارِ يَجُرُّهُ جَرَّ المُفَاشِغِ هَمٌّ بِالإِرْآمِ

المُفاشِغ الذي يطرح البُهم على أمهاتها

٦ وَسَمَا فَيَمَّمَهَا المَفَازَةَ قَائِظًا يَتْلُو المَهَامِهَ فِي سَبِيلٍ حَامِ

العدد ٢

وقال (من الكامل) :

١ أَهْلِي فِدَاءُ بَنِي شَيْمٍ كُلِّهِمْ وَبَنِي لَحْرَامٍ وَجَمْعِ آلِ مُطَيَّعِ

٢ والعَامِرِينَ شَبَابِهَا وَكُهُولِهَا وَبَنِي المُسَيَّبِ يَوْمَ دَعْوَةِ لَعْلَعِ

ويُرْوَى: الحارثينَ وهما قبيلتانِ. ويُروَى: وَقْعَةِ نُعْمٍ وهي أرض أو رَجُلٌ

بَنُو عَمْرٍو فَإِنَّ مَقِيلَهُمْ مِنْ ذَاتِ أَصْدَاءٍ كَسَيْلِ الأَدْرَعِ

رَى: من ذات أثناء. والأَدْرَعُ وادٍ. يقول قربهم من ذلك الموضع كأنَّ
دي من لَعْلَعِ

وبَنُو صُبَاحٍ أَفْلَتُونَا عَنْوَةً وَالكَيْسُ أَيْنَ مَا تَنَلْهُ يَنْفَعِ

العدد ٣

وقالَ (من مجزوء الكامل):

١ لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالحَبْسِ آيَاتُهَا كَمَهَارِقِ الفُرْسِ
٢ لَا شَيْءَ فِيهَا غَيْرُ أَصْوِرَةٍ سُفْعِ الخُدُودِ يَلُحْنَ فِي الشَّمْسِ
٣ وَغَيْرُ آثَارِ الجِيَادِ بِأَعْـ ـرَاضِ الجِمَامِ وَآيَةِ النُّعْسِ
٤ فَحَبَسْتُ فِيهَا الرَّكْبَ أَحْدِسُ فِي جُلِّ الأُمُورِ وَكُنْتُ ذَا حَدْسِ
٥ حَتَّى إِذَا أَلْتَفَّ الظِّبَاءُ بِأَطْـ ـرَافِ الظِّلَالِ وَقِلْنَ فِي الكُنْسِ
٦ وَيَئِسْتُ مِمَّا كَانَ يُطْمِعُنِي فِيهَا وَلَا يُنْلِيكَ كَالْيَأْسِ
٧ أَنِمِي إِلَى حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ تَهِصُ الحَصَا بِمَوَاقِعِ خُنْسِ
٨ خَذِمٍ نَقَائِلُهَا يَطِرْنَ كَأَقْـ ـطَاعِ الفِرَاءِ بِصَحْصَحٍ شَأْسِ
٩ أَفَلَا تُعَدِّيهَا إِلَى مَلِكٍ شَهْمِ المَقَادَةِ حَازِمِ النَّفْسِ
١٠ فَإِلَى ابْنِ مَارِيَةَ الجَوَادِ وَهَلْ شَرْوَى أَبِي حَسَّانَ فِي الإِنْسِ
١١ يَحْبُوكَ بِالزُّغْفِ الفُيُوضِ عَلَى هِمْيَانِهَا وَالدُّهْمِ كَالفَرْسِ

١٢ وَبِالسَّبِيكِ الصُّفْرِ يُعْقِبُهَا بِالآنِسَاتِ البِيضِ وَالْلُّمْسِ
١٣ لَا مُمْسِكٌ لِلْمَالِ يُهْلِكُهُ طَلْقُ النُّجُومِ لَدَيْهِ كَالنَّحْسِ

يقول هو اذا حارب لا يستقسم ولا ينظر نحسَ القسمِ من سعدهِ وله الظفرُ على مَنْ حاربَهُ

١٤ فَلَهُ هُنَالِكَ لَا عَلَيْهِ إِذَا رَغِمَتْ أُنُوفُ القَوْمِ لِلْتَّمْسِ

العدد ٤

وقال وهي منحولة (من المنسرح):

١ نَحْنُ مِنْ عَامِرِ بْنِ ذُبْيَانَ وَالنَّا سُ كَهَامٍ مَحَارُهُمْ لِلْقُبُورِ
٢ إِنَّمَا العَجْزُ أَنْ تَهُمَّ وَلَا تَفْـ ـعَلَ وَالهَمُّ نَاشِبٌ فِي الضَّمِيرِ
٣ أَرِقَا بِتُّ مَا أَلَذُّ رُقَادًا تَعْتَرِينِي مُبَرِّحَاتُ الأُمُورِ
٤ وَارِدَاتٍ وَضَاحِرَاتٍ إِلَى أَنْ حَسَرَ المُدْلَهِمُّ ضَوْءَ البَشِيرِ
٥ قَدْ فَنِكَ الأَيَّامُ بِالحَدَثِ الأَكْـ ـبَرِ مِنْهَا وَشَابَ رَأْسُ الصَّغِيرِ

ويروى: وَشَابَ كُلُّ صَغِيرِ

٦ وَتَفَانَى بَنُو أَبِيكَ فَأَصْبَحْـ ـتَ عَقِيرًا لِلدَّهْرِ أَوْ كَالعَقِيرِ
٧ لَيْسَ مِنْ حَادِثِ الزَّمَانِ إِذَا حَلَّ عَلَى أَهْلِ غِبْطَةٍ مِنْ مُجِيرِ

العدد ٥

وقال وهي منحولة (من البسيط):

١ لَمَّا جَفَانِي أَخِلَّائِي وَأَسْلَمَنِي دَهْرِي وَلَحْمُ عِظَامِي اليَوْمَ يُمْتَرَقُ
٢ أَقْبَلْتُ نَحْوَ أَبِي قَابُوسَ أَمْدَحُهُ إِنَّ الثَّنَاءَ لَهُ وَالحَمْدُ يَتَّفِقُ

٣ سَهْلَ المَبَاءَةِ محضراً مَحَلُّهُ[1] مَا يُصْبِحُ الدَّهْرُ إلَّا حَوْلَهُ حَلَقُ
٤ لِلْمُنْذِرِينَ وَلِلْمَعْصُوبِ لِمَّتُهُ أَنْتَ الضِّيَاءُ الَّذِي يُجْلَى بِهِ الأُفُقُ

العدد ٦

وقال الحارثُ بن حِلِّزَةَ (مجزوء الكامل) :

١ وَلَوَ انَّ ما يَأْوِي إِلَيَّ م أَصَابَ مِنْ ثَهْلَانَ فِنْدَا
٢ أَوْ رَأْسَ رَهْوَةَ أَوْ رُؤُو سَ شَوَامِخٍ لَهُدِدْنَ هَدَّا
٣ خَيْلِي وَفَارِسُهَا لَعَمْـ ـرُ أَبِيكَ كَانَ أَجَلَّ فَقْدَا
٤ فَضَعِي قِنَاعَكِ إِنَّ رَيْـ ـبَ مُخَيِّلٍ أَفْنَى مَعَدَّا
٥ مَنْ حَاكِمٌ بَيْنِي وَبَيْـ ـنَ الدَّهْرِ مَالَ عَلَيَّ عَمْدَا
٦ أَوْدَى بِسَادَتِنَا وَقَدْ تَرَكُوا لَنَا حَلَقاً وَجُرْدَا
٧ وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِراً قَدْ جَمَّعُوا مَالاً وَوُلْدَا
٨ وَهُمُ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا يَسْمَعُ الآذَانُ رَعْدَا
٩ فَأَنْعَمْ بِجَدٍّ لَا يَضِرْ كَ النُّوكُ مَا أُعْطِيتَ جَدَّا
١٠ فَالنُّوكُ خَيْرٌ فِي ظِلا لِ العَيْشِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا
١١ هَلْ يُحْرَمُ المَرْءُ القَوِيُّ م وَقَدْ تَرَى لِلنُّوكِ رُشْدَا

العدد ٧

وقال ويُرْوَى لِصُرَيْمِ بن مَعْشَرٍ التَّغْلِبِيِّ [وهو أفنونٌ] (من السريع) :

١ يَا أَيُّهَا المُزْمِعُ ثُمَّ انْثَنَى لَا يَشْتِكَ الحَازِي وَلَا الشَّاحِجُ

---

[1] كذا في الاصل والشعر مختل الوزن

٢ وَلَا قَيدُ أَعضَبُ قَرْنُهُ هَاجَ لَهُ مِنْ مَرْتَعٍ هَائِجُ
٣ قُلتُ لِعَمْرٍو حِينَ أَرْسَلْتُهُ وَقَدْ حَبَا مِنْ دُونِهِ عَالِجُ

حبا ارتفع . وعالج رمل بين الشام والكوفة

٤ لَا تَكْتَمِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ
٥ قَدْ كُنْتَ يَوْماً تَرْتَجِي رِسْلَهَا فَأُطْرِدَ الحَائِلُ والدَّالِجُ

الدالج التي في بطنها ولد تدلج به

٦ رُبَّ عِشَارٍ سَوْفَ يَغْتَالُهَا لَا مُبْطِئُ السَّيْرِ وَلَا عَائِجُ
٧ يُطِيرُهَا شَلًّا إِلَى أَهْلِهِ كَمَا يُطِيرُ البَكْرَةَ القَالِجُ
٨ بَيْنَا الفَتَى يَسْعَى وَيُسْعَى لَهُ تِيحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجُ

ويُروَى: تاحَ وهو أجود أي عرض له خالجٌ من أمره يريد الموت

٩ يَتْرُكُ ما رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعِيثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجُ
١٠ فَاصْبُبْ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الوَالِجُ
١١ وَاعْلَمْ بِأَنَّ النَّفْسَ إِنْ عُمِّرَتْ يَوْماً لَهَا مِنْ سَنَةٍ لَاعِجُ
١٢ كَذَاكَ لِلإِنْسَانِ فِي عَيْشِهِ غَالِيَةٌ قَامَ لَهَا نَاشِجُ

ناشجٌ من بُكاء وحُزن

العمرو ٨

وقال الحارثُ لعمرو بن هند في ملك امرئ القيس بن المُنذِرِ الغَسَّانيّ (من الطويل):

١ أَلَا بَانَ بِالرَّهْنِ الغَدَاةَ الحَبَائِبُ كَأَنَّكَ مَغْبُونٌ عَلَيْكَ وَعَاتِبُ

٢ لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرِ لَوْ ذَا أَطَاعَنِي لَنُدِّيَ مِنْهُ بِالرَّحِيلِ الرَّكَائِبُ
٣ تَعَلَّمْ بِأَنَّ الحَيَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ هُمُ العِزُّ لا يَكْذِبْكَ عَنْ ذَاكَ كَاذِبُ
٤ فَإِنَّكَ إِنْ تَعْرِضْ لَهُمْ أَوْ تَسُوءُهُمْ تَعَرَّضْ لِأَقْوَامٍ سِوَاكَ المَذَاهِبُ

اي تتعرّض لأقوام يهربون عنك ويدعونك

٥ فَنَحْنُ غَدَاةَ العَيْنِ يَوْمَ دَعَوْتَنَا أَتَيْنَاكَ إِذْ نَابَتْ عَلَيْكَ الحَلَائِبُ

حلائبُ الرجل أنصارُهُ من بني عمّه خاصّةً

٦ فَجِئْنَاهُمُ قَسْرًا نَقُودُ سَرَاتَهَا كَمَا ذُبِّبَتْ مِنَ الجِمَالِ المَصَاعِبُ
٧ بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهَا كَمَا ذِيدَ عَنْ مَاءِ الحِيَاضِ الغَرَائِبُ

العدد ٩

وقال أيضاً :

١ طَرَقَ الخَيَالُ وَلَا كَلَيْلَةَ مُدْلِجِ سَدِكًا بِأَرْحُلِنَا وَلَمْ يَتَعَرَّجِ

يقول لم أر كليلة أدلجها الينا من هولها وبُعدها منّا . لم يتعرّج لم يُقم

٢ أَنَّى اهْتَدَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ رَحِيلَةٍ وَالقَوْمُ قَدْ قَطَعُوا مِتَانَ السَّجْسَجِ
٣ [وَالقَوْمُ قَدْ آنُوا وَكُلُّ مَطِيِّهِمْ إِلَّا مُوَاشِكَةَ النَّجَا بِالمَوْدَجِ]
٤ وَمُدَامَةٍ قَرَّعْتُهَا بِمُدَامَةٍ وَظِبَاءِ مَحْنِيَةٍ ذَعَرْتُ بِسَمْسَجِ

قرّعتها أسريتُ قدحاً بعد قدح يقال قرّعَ قلبَهُ بكأسٍ اذا سقاه . وقوله بمُدامةٍ اي ما بعتُ ذلك . ومَحْنِيَةٌ رمل مستدير . وسَمْسَج طويلة

٥ فَكَأَنَّهُنَّ لَآلِئٌ وَكَأَنَّهُ صَقْرٌ يَلُوذُ حَمَامَةً لَمْ تَنْوَجِ
٦ صَقْرٌ يَصِيدُ بِظُفْرِهِ وَجَنَاحِهِ فَإِذَا أَصَابَ حَمَامَةً بِالوَسْجِ

٧ وَلَئِنْ سَأَلْتِ إِذَا الكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وَتَبَيَّنَتْ رُعْبَ الجَبَانِ الأَهْوَجِ
٨ وَسَمِعْتِ وَقْعَ سُيُوفِنَا بِرُؤُوسِهِمْ وَقَعَ السَّحَابَةِ بِالطِّرَافِ المُسْرَجِ
٩ وَإِذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِمَشِيَّةٍ رَتْكَ النَّعَامِ إِلَى كَنِيفِ العَوْسَجِ
١٠ أَلْفَيْتَنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المُدْمَجِ

وزيد في كتاب شعراء النصرانية بيتان لا وجود لهما في هذا الديوان ولا أدري من اين أخذهما ناشرهما

١١ [وَبَعَثْتَ مِنْ وُلْدِ الأَغَرِّ مُعَتِّبًا صَقْرًا يَلُوذُ حَمَامُهُ بِالعَوْسَجِ
١٢ فَإِذَا طَبَخْتَ بِنَارِهِ نَضَّجْتَهُ وَإِذَا طَبَخْتَ بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْضَجِ]

العدد ١٠

وقال ايضاً لعمرو بن قيس شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان وهو الذي قام بالصلح بين ابني وائل بعد وقعة الأقطانتين (من المتقارب):

١ أَعَمْرَو ابْنَ فَرَّاشَةِ الأَشْيَمِ صَرَمْتَ الحِبَالَ وَلَمْ تُصْرَمِ
٢ وَأَفْسَدْتَ قَوْمَكَ بَعْدَ الصَّلَاحِ بَنِي يَشْكُرَ الصِّيدَ بِالمُلْهَمِ
٣ دَعَوْتَ أَبَاكَ إِلَى غَيْرِهِ وَذَاكَ العُقُوقُ مِنَ المَأْثَمِ
٤ كَفَى شَاهِدًا بِمُبَاحِ الصَّفَا إِلَى مُلْتَقَى الحَجِّ بِالمَوْسِمِ
٥ فَهَلَّا سَعَيْتَ لِصُلْحِ الصَّدِيقِ كَسَعْيِ ابْنِ مَارِيَةَ الأَقْصَمِ

مارية أم شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان

٦ وَقَيْسٌ تَدَارَكَ بَكْرَ العِرَاقِ وَتَغْلِبَ مِنْ شَرِّهَا الأَعْظَمِ
٧ وَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدُوا بَيْنَهُمْ وَذَلِكَ فِعْلُ الفَتَى الأَكْرَمِ

٨ وَبَيْتُ شَرَاحِيلَ مِنْ وَائِلٍ مَكَانَ الثُّرَيَّا مِنَ الأَنْجُمِ

انقضى شعر الحارث بن حِلِزَّةَ والحمد لله وحده

العدد ١١

ومن منحول الشعر الى الحارث بن حِلِزَّةَ ما رواهُ لهُ الجاحظ في كتاب البيان (ج ١ ص ١٨٩) ونسبه ابن الشجري في حماسته (ورقة ٣٨ من نسخة خط في خزانة الكتب في باريس) للحارث بن كَلَدَةَ (من البسيط):

١ لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ أَرْسَلْتَ قَافِيَةً تُلْقِي المَعَاذِيرَ إِنْ لَمْ تَنْفَعِ العِذَرُ

٢ إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ فِي غَيْرِهِ عِظَةٌ وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرُ

العدد ١٢

وقال الحارث بن حِلِزَّةَ [مجموعة المعاني ص ١٣٨] (من الكامل):

١ وَتَنُوءُ تُثْقِلُهَا رَوَادِفُهَا فِعْلَ الضَّعِيفِ يَنُوءُ بِالوَسَقِ

العدد ١٣

وقال الحارث بن حِلِزَّةَ [اللسان ج١٥ ص ٢١٠ في الهامش] (من الوافر):

١ فَمَا يُنْجِيكُمُ مِنَّا شِبَامٌ ولا قَطَنٌ وَلَا أَهْلُ الحُجُونِ

العدد ١٤

وقال الحارث بن حِلِزَّةَ [اللسان ج١٢ ص ٣٧٨] (من الوافر):

١ وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ سَرَاةَ قَوْمِي مَسَاكِي لَا يَشُوبُ لَهُمْ زَعِيمُ

العدد ١٥

وقال الحارث بن حِلِزَّةَ [اللسان ج ١٦ ص ٣٧] (من البسيط):

١ يا لَلرِّجالِ لِيَوْمِ الأَرْبِعاءِ أَما يَنْفَكُّ يُحْدِثُ لي بَعْدَ النُّهى طَرَبا

هذا البيت ورد في شعر عبدالله بن مُسْلِم الهُذَلِيّ (٣٤٧ ق ١) وهو الصواب

العدد ١٦

وَقالَ الحارثُ بن حِلِّزَةَ [معجم البَكْرِيّ ٧١٦] (من الخفيف):

١ أَسَنا ضَوْءِ نارِ صَخْرَةَ بِالقُفْرَةِ أَبْصَرْتَ أَمْ تَنَصَّبَ بَرْقُ

العدد ١٧

وروى الأَصْمَعِيُّ بَيْتاً لا وجود له في مُعَلَّقَتِهِ [ابن قُتَيْبَةَ كتاب الشعر ص ٩٦] (من الخفيف):

١ فَمَلَكْنا بِذَلِكَ النّاسَ إِذْ ما مَلَكَ المُنْذِرُ بْنُ ماءِ السَّماءِ

وروى صاحب اللسان (ج ٣٠ ص ٧١): حَتَّى مَلَكَ

حواشٍ على شعر عمرو بن كلثوم

العدد ٢ : الشطر ١ في الأغاني (٩ : ١٨٣) : مَنْ عاذَ مِنّي بَعْدَها

" ٢ في اللسان (٥ : ١٨٤) : وَلا سَقَى الماءَ وَلا رَأَى الشَّجَرْ - وفي الأغاني: ولا أَرْعَى الشَّجَرْ

" ٣ نُسب للحارث بن حلزة في اللسان (٨ : ١٦٣) فروى: بنو لُجَيْمٍ وَجَماشِيشُ مُضَرْ

روى صاحب كتاب الأغاني هذا الخبر قريباً من حديث الديوان عن ابن الاعرابيّ. وبنو سُحَيْم رهط من بني حنيفة وهم بنو سُحَيْم بن مُرَّةَ بن الدُّؤَل بن حَنِيفَةَ. وأَمّا يزيد بن عمرو بن شَمْر فلم أجد من خبره غير ما ورد هاهنا ولكن تجد في كتاب المفضليات (ص ٥٤٩) مرثيّة لامرأة من بني حنيفة فيه

١ يا لَلرِّجالِ لِيَوْمِ الأَرْبِعاءِ أَما يَنْفَكُّ يُحْدِثُ لي بَعْدَ النُّهى طَرَبا

هذا البيت ورد في شعر عبدالله بن مُسْلِم الهُذَلِيّ (٣٤٧ ق ١) وهو الصواب

العدد ١٦

وَقالَ الحارثُ بن حِلِّزَةَ [معجم البَكْرِيّ ٧١٦] (من الخفيف):

١ أَسَنا ضَوْءِ نارِ صَخْرَةَ بِالقُفْرَةِ أَبْصَرْتَ أَمْ تَنَصَّبَ بَرْقُ

العدد ١٧

وروى الأَصْمَعِيُّ بَيْتاً لا وجود له في مُعَلَّقَتِهِ [ابن قُتَيْبَةَ كتاب الشعر ص ٩٦] (من الخفيف):

١ فَمَلَكْنا بِذَلِكَ النّاسَ إِذْ ما مَلَكَ المُنْذِرُ بْنُ ماءِ السَّماءِ

وروى صاحب اللسان (ج ٣٠ ص ٧١): حَتَّى مَلَكَ

حواشٍ على شعر عمرو بن كلثوم

العدد ٢ : الشطر ١ في الأغاني (٩ : ١٨٣) : مَنْ عاذَ مِنّي بَعْدَها

" ٢ في اللسان (٥ : ١٨٤) : وَلا سَقَى الماءَ وَلا رَأَى الشَّجَرْ - وفي الأغاني: ولا أَرْعَى الشَّجَرْ

" ٣ نُسب للحارث بن حلزة في اللسان (٨ : ١٦٣) فروى: بنو لُجَيْمٍ وَجَماشِيشُ مُضَرْ

روى صاحب كتاب الأغاني هذا الخبر قريباً من حديث الديوان عن ابن الاعرابيّ. وبنو سُحَيْم رهط من بني حنيفة وهم بنو سُحَيْم بن مُرَّةَ بن الدُّؤَل بن حَنِيفَةَ. وأَمّا يزيد بن عمرو بن شَمْر فلم أجد من خبره غير ما ورد هاهنا ولكن تجد في كتاب المفضليات (ص ٥٤٩) مرثيّة لامرأة من بني حنيفة فيه

العدد ٣ : البيت ٣ بنو جُشَم بن بكر رهط عمرو بن كلثوم

" ٤ نَطاع قرية من قُرى اليمامة (ياقوت طبعة مصر ٨ ص ٢٩٦)

" ٨ بنو قُرّانَ رهط يزيد بن عمرو بن شَمَّر

العدد ٤ عمرو بن هند ملك الحيرة من السنة ٥٥٤ الى ٥٦٩ مسيحية تقريباً

" ٣ خُثاعَةُ بطن من بني ضُبَيعَةَ بن رَبيعَةَ

العدد ٥ : ١ سُلَيْمَ أظنه احد خواصّ الملك النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنّ صاحب كتاب الأغاني زعم انّ عمرًا قال هذا الشعر في النعمان فهو ربّ سُلَيْم.

العدد ٦ : ١ عمرو بن هند هو المذكور آنفاً

" ٣ بنو مالك بن بكر بن حُبَيب رهط من بني تغلب وبنو تَيْم اللاتِ بن ثعلبة رهط من بكر بن وائل وهم من اللهازم

" ٤ عُوَيرِضاتٌ موضع في ديار بَكْرٍ (المعجم للبكري ص ٦٨٥) ولم أجد شيئاً من خبر هذا اليوم

العدد ٧ : ١ قال الأزهري: فِرْتاج موضع في بلاد طيّ وقال غيره: فِرْتاج ماء لبني أَسَدٍ (ياقوت في مادّة فرتاج). وخَبْتٌ اسم لعدّة من المواضع. وامّا بنو ناجر ابن عدنان فلم اجد لهم ذكرًا في الكتب التي بأيدينا

" ٢ الخَوَرْنَقُ قصر بظهر الحيرة كان للملوك تلك الناحية

العدد ٨ : ١ أُرِيكٌ أظنه موضعاً في ديار تغلب. ويدلّك على أنّ أريكاً جبل مشرف قولُ جابر بن حُنَيّ التغلبيّ يصف ناقة:

تَصَعَّدُ في بَطْحاءِ عِرْقٍ كأنّها ... تَرَقّى الى أعلى أُرِيكٍ بِسُلَّمِ

وقال البكري (ص ٨٦): أُرِيكٌ موضع في ديار بني غَنْيِ بن يَعْصُرَ. وقد انشد هذا البيت (ص ٨٥٨) وروى في العجز: «الى القَنَعاتِ مِنْ أَكَنافِ يَعْمِرِ» بالياء وقال «يَعْمِرُ جبلٌ بالحجاز في ديار بني خُثَيْم من هُذَيْلٍ». وقال ياقوت في معجمه: يَعْمِرُ (بالياء) ماء لبني ربيعة بن عبدالله بن كلاب (طبعة مصر ج ٢ ص ٢٢٥)

" ٦ روى البكري (ص ٦١) هذا البيت: «أَسْفَلَ مِن أُبَاضَى» وقال أُبَاضَى بجنب عُوَيرِضاتٍ. وقال خالد: ويروى أَسْفَلَ مِنْ لُبَاضَى وهو موضع باليمامة. قال

ياقوت : في معجمه لُبَاضٌ قرية بالعِرْض عِرْضِ اليمامة لها نخلٌ . . (معجم طبعة مصر ج١ص٦٧)

العدد ٩ : ١ حَرَّابُ بن قَيْس وجَمْدَةُ رَهْطانِ من بني كعب بن مالك . هُبَالَةُ ماء من مياه بني نُمَيْر (ياقوت طبعة مصر ج ٧ ص٤٩١)

العدد ١٠ : ١ الثُّوَيْر بن عمرو بن هِلال هو خال عمرو بن كلثوم فيما أظنّ . ومُهَلْهِلٌ هو الفارس المشهور في حرب بكر وتغلب

" ٢ ذو بَقَرٍ وادٍ بين أخيلة حتى الرَّبَذَة (ياقوت طبعة مصر ٢ : ٢٥٠) . وقال البكري (ص١٧٦) : قرية في ديار بني أسد . وقال ابو حاتم عن الاصمعيّ : قاع يقري الماء . وبهذا الموضع كانت وقعة مشهورة (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٩٤ ونقائض جرير والأخطل ص ١٩١)

" ٤ يَوْمُ كِنْهِل هو مشهور بيوم نَوْل (أنظر نقائض جرير والاخطل ص١٠٠٠ و غيرها)

العدد ١١ : ١ قال في نقائض جرير والفرزدق (ص٣٠٥) : الأحمال من بني يربوع وهم سَليط وعمرو وصُبَيْر وثعلبة وأمهم السَّفْعاء بنت غَنْم من بني قُتَيْبَة بن معن بن باهلة وولدها في بني سعد يُسَمُّونَ الجذاعَ

العدد ١٢ : ١ بنت الثُّوَيْر أظنها امرأة عمرو بن كلثوم وأبوها هو الثُّوَيْر بن عمرو بن هلال التَّمِيميّ (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ١٩٩ في الحاشية)

العدد ١٥ : ١ أريك موضع في ديار بني تغلب كما مرّ

" ٣ بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كِنانة . وبنو غفار بن مُلَيْك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة

العدد ١٩ : ٢ المُغْرِبُ التَّقَّاء اسم من اسماء الداهية (أنظر شعر التُّحَيْف ٢١ب٣)

" ٤ مُرَّةُ بن كلثوم أخو عمرو . والسَّفَّاحُ هو سَلَمَةُ بن خالد بن زُهَيْر بن كعب ابن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبَيْب التغلبيّ وكان رئيس تغلب في يوم الكُلاب الاوّل (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٤٥٤) . وبنو الشَّجْب قبيلة من كلب وهم الشَّجْبُ بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفَيْدَةَ بن تَزَيْنة بن كلب (انظر نقائض جرير والأخطل

ص ١٠٢) وكان في أصلنا الشَّعب بالحاء المهملة .

العدد ٢٠ : ٤ ثَأْجُ عين من البَحْرَيْن على ليالٍ . وقال محمّد بن إدريس : اليامي ثأج قرية بالبحرين (ياقوت ٧ : ٢) . وقال في نقائض جرير والفرزدق : ثَأْجُ اطراف البحرين وخراجها الى اليامة كانت لبني قيس بن ثعلبة ولعَنَزَة بن أسد . فكانوا متعادين فيها بعضهم من بعض الخ

العدد ٢١ : ١ عمرو بن قَيس العِجْلي من بني ربيعة بن عجل ثم أحد بني زِلَّة العجلي بارَز في يوم الوَقيط (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٣٠٧)

٢ كذا في الاصل «أقيسَ بن عَمرو» وأظنه غلطاً والصواب «أعمرو ابن قَيس» كما في البيت الاول

العدد ٢٢ : ٢ ابناء تَيْم وهم بنو تيم اللات بن ثعلبة رهط من بكر بن وائل وهم من اللهازم . واللهازم هم قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة بن عُكابة وعَنَزَة ابن أسد بن ربيعة بن نزار وعِجْل بن لُجَيْم بن صعب بن عَلي بن بكر بن وائل (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٤٧ و٣٠٥) وأما القُمُورُ فهم حيٌّ من تغلب

٤ الأَفهارُ لعلَّ الشاعر أراد بهذا الاسم بني فِهْرٍ من قُرَيْش . ولكن الافهار . وضع في شعر طفيل بن عليّ الحنفي (انظر ياقوت ج ١ ص ٣٠٧)

العدد ٢٣ : ١ أظنُّ أن لا علم لابن الكلبيّ ولا لغيره بخبر ابن ابي شَيْر ولكنه استند في ذكره الى هذا الشعر ولا نقدر على كشف خبره

العدد ٢٦ : ١ التُّوَيْر خال عمرو بن كلثوم كما مرَّ وهو التُّوَيْر بن عمرو ابن هلال التَّغْري وكذلك سبق انَّ مالك بن بكر بن حُبَيْب رهطٌ من تغلب

العدد ٣٠ : ٣ بنو مثاب هم رهط عمرو بن كلثوم

العدد ٣٢ : ١ عِكبٌ حي من تغلب (انظر كتاب الاشتقاق لابن دُرَيد ص ٢٠٣)

العدد ٣٣ : ١ النَّقاحُ هذا هو سَلَمَة بن خالد بن زهير بن كعب بن أسامة ابن مالك بن بكر بن حُبَيْب : كان رئيس تغلب في يوم الكُلاب الأوّل (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٤٥٤)

العدد ٣٤ بنو زهير بن تيم اظنّهم وعطاً من بني تيم اللات بن ثعلبة من بكر بن وائل .

العدد ٣٥ : ٢ في أصلنا «فانني» معنى هذا البيت غير بيّن

العدد ٣٧ هذه الابيات مشهورة (انظر كتاب الأغاني ٩ : ٨٣) والكامل للمبرّد (ص ٩٣) وابن قُتَيبة كتاب الشعر والشعراء (ص ١٢٠) وكتاب البيان للجاحظ ٢ : ١٧٠) ولكن لم يصرّح احد منهم باسم شاعرنا ويظنّ صديقنا العلّامة نولدكه انّ اسمه المرج ليس بصحيح . انظر ايضاً القطعة ال ٣٥ من هذا الديوان

" ٥ مَجْذُومٌ روى في الكامل : مَحْطُومٌ

" ٧ في أصلنا « الفَرَازِيمُ » وهو تصحيف وكذا في شرح البيت

حواشٍ على شعر الحارث بن حلّزة

العدد ١ : ١ . همّام هو ابن مرّة بن ذُهل الشيباني قاد بكرًا ما خلا بني حنيفة وذلك أيّام حرب بكر وتغلب حتى قتلوه يوم القُصَيبات وهو يوم قِضّة (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٢٦٦)

" ٣ سَلَامة هو ابن ظَرِيب بن نمر الحساني غزا مع قيس بن عاصم المِنقَري بكرَ بن وائل (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ١٠٢٣)

" ٥ في اللسان (١٠ : ٣٣١) : بَطَلٌ يُجَرِّرُهُ وَلَا يَرْثِي له

العدد ٢ : ١ لم اجد ذكرًا لبني شبيح ولا لآل مطيع في الكتب التي بأيدينا لعلّهم بنو شُيَيْم بن ثعلبة ولكن قد ضُبط اللفظ بالشكل التامّ في نسخة الأصل . امّا بنو الحرام فبنو الحَرّام بن يربوع وقد سُمّي يزيد الحرام بأمّه الحرام بنت الصبر بن عمرو بن تميم (انظر النقائض ص ٤٩٠)

" ٢ لَعلع موضع مذكور في رسم المُذَيب وفي رسم صَلِيلَع ما يدلّ على أنّه جبلٌ . وقال ابن ولّاد : لَعلعٌ من آخر السواد إلى البرّ ما بين البصرة والكوفة . وقال غيره : لعلع بطن فَلج وهي لبكر بن وائل وقيل هي من الجزيرة الخ (انظر

العدد ٣٤ بنو زهير بن تيم اظنّهم وعطاً من بني تيم اللات بن ثعلبة من بكر بن وائل .

العدد ٣٥ : ٢ في أصلنا «فانني» معنى هذا البيت غير بيّن

العدد ٣٧ هذه الابيات مشهورة (انظر كتاب الأغاني ٩ : ٨٣) والكامل للمبرّد (ص ٩٣) وابن قُتَيبة كتاب الشعر والشعراء (ص ١٢٠) وكتاب البيان للجاحظ ٢ : ١٧٠) ولكن لم يصرّح احد منهم باسم شاعرنا ويظنّ صديقنا العلّامة نولدكه انّ اسمه المرج ليس بصحيح . انظر ايضاً القطعة ال ٣٥ من هذا الديوان

" ٥ مَجْذُومٌ روى في الكامل : مَحْطُومٌ

" ٧ في أصلنا « الفَرَازِيمُ » وهو تصحيف وكذا في شرح البيت

حواشٍ على شعر الحارث بن حلّزة

العدد ١ : ١ . همّام هو ابن مرّة بن ذُهل الشيباني قاد بكرًا ما خلا بني حنيفة وذلك أيّام حرب بكر وتغلب حتى قتلوه يوم القُصَيبات وهو يوم قِضّة (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٢٦٦)

" ٣ سَلَامة هو ابن ظَرِيب بن نمر الحساني غزا مع قيس بن عاصم المِنقَري بكرَ بن وائل (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ١٠٢٣)

" ٥ في اللسان (١٠ : ٣٣١) : بَطَلٌ يُجَرِّرُهُ وَلَا يَرْثِي له

العدد ٢ : ١ لم اجد ذكرًا لبني شبيح ولا لآل مطيع في الكتب التي بأيدينا لعلّهم بنو شُيَيْم بن ثعلبة ولكن قد ضُبط اللفظ بالشكل التامّ في نسخة الأصل . امّا بنو الحرام فبنو الحَرّام بن يربوع وقد سُمّي يزيد الحرام بأمّه الحرام بنت الصبر بن عمرو بن تميم (انظر النقائض ص ٤٩٠)

" ٢ لَعلع موضع مذكور في رسم المُذَيب وفي رسم صَلِيلَع ما يدلّ على أنّه جبلٌ . وقال ابن ولّاد : لَعلعٌ من آخر السواد إلى البرّ ما بين البصرة والكوفة . وقال غيره : لعلع بطن فَلج وهي لبكر بن وائل وقيل هي من الجزيرة الخ (انظر

المعجم للبكري ص ١٩٣ وياقوت معجم البلدان طبعة مصر ٧ : ٣٣٢) . ولا وجود لخبر يوم نُضْع

العدد ٣ قد طُبعت هذه القصيدة في كتاب المفضليات (العدد ٢٥) وفي الروايتين بعض الاختلاف

العدد ٤ : ١ عامر بن ذبيان رهط الحارث بن حِلِّزَة

العدد ٥ : ٢ ابو قابوس هو المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة قتله عمرو بن هند الغساني في وقعة عين أباغ في شهر يونيو سنة ٥٥٤ مسيحية

العدد ٦ هذه القصيدة مشهورة قد ورد ذكر أبيات منها في كتب مختلفة انظر حماسة البُحتري (العدد ٨٢٢ الأبيات ٧، ٨، ٩) وكتاب الأغاني (٩ : ١٨١ الابيات ٥، ٦، ٣، ١، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠) والبكري (ص ٢٢٢ البيتين ١، ٢) وشعراء النصرانية (ص ٤١٧ الأبيات ٥، ٦، ٣، ١، ٢، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠) وابن قُتَيبة كتاب الشعر والشعراء (ص ٩٧ البيتين ٩، ١٠) . وقد رويت منها ابيات مفردة : البيت ٤ (اللسان ١٣ : ٢١١) . البيت ٧ (الاقتضاب ص ٣٥٠) . البيت ٨ (كتاب عيون الاخبار لابن قُتَيبة ص ٤٨) وكتاب الحيوان للجاحظ ٥ : ٨١ وكتاب الاقتضاب ص ٣٥٥ ولسان العرب ١ : ٤٢٩ وخزانة الادب ٢ : ٣٣٣) . البيت ١٠ (رسالة الغفران (ص ٩٦) وكتاب الصناعتين ص ٢٦ و ١٤٠ وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٨٥ ومعاهد التنصيص (١ : ١٣)

" : ١ ثهلان جبل ضخم بالعالية ويقال جبل في بلاد بني نمير طوله في ليلتين وقد ورد ذكرهُ في اشعارهم اذا ارادوا تعظيم شيء . وروى في كتاب الاغاني : فَلَوْ

" ٢ قال الاصمعي : رهْوَة في ارض بني جشم و نَصْر ابني معاوية بن بكر بن هوازن (انظر ياقوت طبعة مصر ٤ : ٣٤٣) وروى البكري : « شَمَارِخ لَهُدِدْنَ » وروى في الاغاني : وَرَبِّ أَبِيكَ . . . أَعِزَّ . . .

" ٤ رواية الاغاني : « إِنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ قد أَفْنى » ورواية لسان العرب ١٣ : ٢١١ : رَيْبَ مُخْتَلِ

" ٧ رواية البحتري : تُبِرُوا

" ٨ روي في كتاب العيون لابن قتيبة (ص ٤٨٠) وكتاب معاني الشعر له

(نسخة خطّية ص٥٠) وكتاب الاقتضاب (ص ٣٥٥) ولسان العرب (١ : ٤٣٩) وخزانة الادب ٢ : ٣٢٣ « تسمع » . وقد كثر التصحيف في ضبط زَبَابٌ وهو جنس من الفأر قصير الأذنين ورد ذكره في بيت لجبيهاء والأشجعي (اللسان ٦ : ٤٢٠) حيث يصف لقمة اكلها ضيفه : « بِجَرْعٍ كأَثْبَاجِ الزَّبَابِ الزَّنَاوِرِ »

العدد ٦ : ٩ رواية كتاب الشعر : فَعِشْ بِجَدٍّ . ورواية كتاب الاغاني : نَعِشْتَ

« ١٠ رواية كتاب الصناعتين (ص ١٤٠) ونقد الشعر ومعاهد التنصيص « والعَيْشُ ... التوكِ مِمَّن عاش كدًّا » . وكذلك في كتاب الصناعتين (ص ٢٦) الا انه روى : « مِمَّنْ رَامَ كَدًّا »

العدد ٧ صُرَيْم بن مَعْشَر التغلبي هو الشاعر الملقب بأُقْنُونٍ انظر أخباره في كتاب شعراء نصرانية (ص ٤١٨) وقد طبعت هذه القصيدة في كتاب المفضليات (ص٨٨٥) مع اختلاف في ترتيب الأبياتِ والالفاظ وهذه القصيدة مشهورة ورد ذكر ابيات منها في عدة من كُتُب الأدب وقد زِدْتُ البيتين الأوَّلَيْن من كتابي البيان والحيوان للجاحظ . وهذا ما وجدت من أبيات هذه القصيدة : المفضّليات (ص ٨٨٥ الابيات ٣، ٤، ٦، ٧، ٨، ٩) . وكتاب البيان للجاحظ (٢ : ١٣٢ الأبيات ١، ٢، ٨، ٩، ٣، ٤، ١٥) عن ابن عُبَيْدة معمر بن المثنّى . والمرزوقي كتاب الازمنة (٢ : ٢٠٧ الأبيات ١، ٢، ٨، ٩، ٤، ٥) . وكتاب الحيوان (٣ : ١٣٩ الأبيات ١، ٢، ٨، ٩) . وقد كثر ذكر البيت الرابع في كتب اللغة والادب مثل لسان العرب (٣ : ١٩٦، ١٥١ و ٦ : ٣٠٦ و ١٠ : ١٨٥ و ١٣ : ٣٩٨) . وكتاب العين للخليل ابن احمد (ص ١٠٥) . وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٧٩) فلا فائدة في ذكرهم كلّهم

« : ٣ عالج رمالٌ بالبادية بين فَيْد والثُّريات ينزلها بنو بُحْتُر من طَيِّ « وهي مشعلة بالثَّعْلِبِيَّة على طريق مكة لا ماء بها ولا يقدر احدٌ عليهم فيه وهو مسيرة أربع ليالٍ : وروى في البيان واللسان (٣ : ١٨) : مِنْ دُونِنَا

العدد ٨ : ١ عمرو بن هند الملك مرَّ ذكره

« ٥ روى صاحب لسان العرب (١ : ٣٢٣) هذا البيت قال في شرحه : حَلائِبُ الرجل أنصارهُ من بني عمه خاصّةً . وأمّا امرؤ القيس بن المُنذِر

هو اللَّخمي أسره عمرو بن هند الغساني في وقعة عين أُباغ التي قُتل فيها ابوهُ المنذر بن ماء السماء وكان ذلك في شهر يونيو سنة ٥٥٤ مسيحيّة قبل انشاء الاسلام

العدد ٩ قد طبعت هذه القصيدة في كتاب المفضليّات الذي نشره سر شارلس ليال الّا ان البيت الثالث لا وجود له في نسخة الاصل من هذا الديوان

" ١ رواه القالي في أماليه (ج ١ : ٢٠٩) وصاحب لسان العرب (٣ : ١٢٠)

" ٢ اطلب اللسان ايضاً ٣ : ١٢٠ و ١٣ : ٢٨٧ و ١٧ : ٢٨٤)

" ١٠ لسان العرب (٣ : ١٠١)

العدد ١٠ الأَقطانَتانِ موضع كان فيه يوم من أيام العرب . كذا في كتاب البلدان لياقوت فانظر بيانه في نقائض جرير والأخطل (ص ٤٣)

" ١ اشكّ في اسم عمرو بن فرّاشة لأن اسم ابيه في نسخة الاصل وفراشةَ (كذا) لعلّه عمرو بن قيس بن شراحيل الذي قال له هذا الشعر

" ٢ مَلْهَمُ قرية باليمامة لبني يَشكُرَ واخلاط من بني بكر وهي موصوفة بكثرة ويوم ملهم من أيامهم (ياقوت طبعة مصر ج ٧ ص ١٥٥) . وكان المَلْهانُ وهو عبدالله بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع يُقتَلُ بني غُبَرَ من تَغلِبَ بمَلْهَمَ فقيل : اقتلوه فانّه رجلٌ عَلْهانٌ لا يعقل وذلك لأنهم قتلوا اخاه فطلّبهم بثِرَته (انظر نقائض جرير والفرزدق ص ٨١٦)

" ١٠ قد وردت الابيات ٥، ٦، ٧، ٨ في كتاب الاغاني (٩ : ١٧٨–١٧٩) وكتاب شعراء النصرانيّة (ص ٤١٨) وقال البكريّ (ص ١١٨) في خبر هذا اليوم : ان الزّبان الذّهليّ قتل بالأَقطانَتَينِ اهل ٤٥ بيتاً من بني تغلب في ثأر ابنه عمرو . وكان كَشيف بن عمرو التغلبيّ قتله لانه كان لطمهُ .

الاحاديث المطربة لابن العبري

سعى بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

من جملة التآليف الادبيّة التي ذكرناها لابن العبري في ترجمتي المطوّلة المنشورة في السنة الاولى للمشرق (١ [١٨٩٨] : ٥٦٠) كتابهُ الموسوم بالسريانيّة بالقصص المضحكة (ܣܝܡܬܐ ܕܡܫܚܩܢܐ) وقلنا هناك انّ هذا الكتاب قد نشرهُ احد علماء الانكليز المستشرق واليس بودج (E. A. Wallis Budge) في اصله السرياني في لندن سنة ١٨٩٧ ونقلهُ الى الانكليزيّة تحت عنوان «The Laughable Stories» ولم نهتد لهذا الكتاب ترجمةً عربيّةً حتّى وقع في يدنا مؤخّرًا مجموع قديم يرتقي عهد نسخه الى ثلاثة سنة بيّف يحتوي اوّلًا اقوالًا لقدماء فلاسفة اليونان (ص ١–٧٩) ثم كتاب ابن العبري الذي نحن بصدده منقولًا الى العربيّة دون ذكر معرّبه. وعندنا انّ المعرّب هو ابن العبري نفسهُ الذي كان متقنًا للعربيّة كما كان يعرف السريانيّة واليونانيّة. ولعلّ هذا الكتاب هو كتاب دفع الهمّ الذي نسبهُ البعض لابن العبريّ وخلطوا بينهُ وبين كتاب آخر جعلوا الاسم ألّفهُ ايليا الصوباوي راجع ما كتبناهُ عن ذلك في المشرق (٥ [١٩٠٣] : ٢٣٧–٢٤٣) ثم اردفهُ بملحوظاتٍ حضرة الاب لويس معلوف (٥ : ٧٣٧–٧٤٠) وحضرة المنسيور جرجي منش (٥ : ٩٤٠–٩٤٥). ويؤيد رأينا الجديد ما قالهُ ناشر النسخة السريانيّة في كتابه آداب اللغة السريانيّة : (Wright *Syriac Literature*, 281) انّ ابن العبري قد نقل كتابهُ الى العربيّة وهو الكتاب المسمّى دفع الهمّ. ولعلّهُ ابدل هذا الاسم بعد ذلك لئلّا يقع التباس مع كتاب ايليا الصوباوي عنوانه «بالاحاديث المطربة» كما يُرى في نسختنا هذه

والكتاب يقسم في السريانيّة الى عشرين فصلًا وانّما في نسختنا العربيّة فقد اختصرهُ بستة عشر فصلًا فذكر فيها ابن العبري احاديث: ١ً للفلاسفة اليونان. ثم ٢ً لحكماء الفرس. ثم ٣ً لحكماء الهند. ثم ٤ً لحكماء العبرانيين. ثم ٥ً لبعض الملوك. ثم ٦ً للمتنبين. ثم ٧ً للزهّاد. ثم ٨ً للاطباء. ثم ٩ً حديث على لسان الحيوانات. ثم ١٠ً حديث للاغنياء الكرام. ثم ١١ً للبخلاء. ثم ١٢ً لارباب الصنائع الدنيئة. ثم ١٣ً لبعض الظرفاء. ثم ١٤ً لبعض الجهّال. ثم ١٥ً للمجانين. ثم ١٦ً للصوص. وكما اختصر المؤلف عدد الفصول كذلك اختار من هذه الاحاديث ما يستطيبهُ قرّاء العرب كما فعل في تاريخهِ مختصر الدول فانّهُ لمّا عرّبهُ من تاريخهِ السرياني تصرّف فيه تصرّفًا واسعًا وقد ضربه عن ايضًا صفحًا عن بعض الاحاديث الواردة في نسختنا اذ لم نجد طائلًا تحتها. وهذه الاحاديث هي في السريانيّة في عدد

٧٧٢وقد دللنا في اوّل كل حديث الى العدد الموافق لطبعة العلّامة رَيْت السريانيّة ليُقابَل بينها وقد يوجد بعض اختلاف بين السريانيّ والعربي يسلوح لمن يقابل بين نصوصهما . والظاهر ان نسختنا هذه فريدة في جنسها اذ لم نجد في فهارس مكاتب اوربّة ذكرَ نسخةٍ ثانية من تعريب احاديث ابن العبريّ نشكر لجناب الاديب يوسف افندي سركيس الذي حصّلها لمكتبتنا الشرقية

١ كلام مفيد لفلاسفة اليونان

٣ قالت امرأة لسقراط : ما اقبحَ وجهَكَ . فأجابها : لو كنتِ مرآةً صقيلةً نقيّةً لاعتبرتُ كلامَكِ لكنّكِ ذات صدأ فليس يظهر فيكِ جمالي ولهذا لستُ الومُكِ

٤ ورأى امرأةً شنَقَت نفسها في شجرةٍ فقال : ليت كلَّ الشجر يحمل مثل هذا الثمر

٥ ورأتهُ امرأةٌ اخذوهُ ليصلبوهُ فبكتْ وقالت : وا أسفاه يقتلونك بغير ذنبٍ . فقال لها : يا جاهلة أتريدين اني أذنِب وأدان وأُقتل كمذنب ؟

٧ سُئل فيلسوفٌ ما : ما هو العمل الذي يهواهُ كلُّ البشر وينفعهم ؟ فقال : هو موت الرئيس الشرّير

٩ سُئل افلاطون : بماذا يتعزّى الانسان وقت محنتهِ ؟ فقال : بتأمّلهِ انهُ قد عرَض لغيرهِ مثلُهُ

١٠ اوصى ارسطو للاسكندر قائلًا : احذر من كشف سرّك لاثنين لانهُ اذا أفشى لا تعلم مَن أفشاهُ وان عذّبتَ الاثنين معاً تكن ظالماً للبريّ

١١ قيل لآخر : من هو العاقل ؟ فقال : هو الذي تصحّ ظنونهُ بالاكثر

١٢ قيل لديوجنيس : لماذا تأكلُ في السوق ؟ فقال : لأني جُعتُ في السوق

١٧ رأى آخر امرأة تتفرّج في الميدان فقال لها : ما خرجتِ لتنظري بل لتُنظَري

١٨ قيل لآخر : ما بالك لا يحبُّكَ الملك ؟ فقال انّ من عادة الملوك ان لا يُحبّوا مَن هو اعظم منهم

٢٢ رأى آخر مدينةً مشيّدة الاركان عالية الاسوار والقلاع شاهقة الصياصي محكمة البناء ولسعة الغنى ذات حصن منيع كادت تُعيي كلَّ من اراد ان يفتحها فقال : انّ هذا مسكنٌ للنساء ولا يليق بالرجال . . .

٢٤ سُئل ارسطو : ما بال الحسّاد يحزنون دائماً ؟ فقال : لأنهم لا يحزنون على

شرورهم فقط بل على خيرات غيرهم ايضاً

٢٥ سُئل آخر: ما هو عملُ الشعراء؟ فقال: تصغير الاكابر وتكبير الاصاغر

٢٧ قال افلاطون: من شيئين يُعرف الجاهل بكثرة كلامهِ فيما لا ينفعهُ وبإخبارهِ عمَّا لا يُسأل عنهُ

٣١ قال بعضهم لا يوجد شيء عجيب في الانسان مثل ان يُسرَق مالهُ فيحزن وتتصرَّم أيامهُ فلا يحزن

٣٢ رأى انسان سقراطَ يأكل اصول الشجر فقال لهُ: انَّك خدمت الملك لماذا احتجتَ الى هذا المأكل الدنيّ؟ فقال لهُ: لو اكلتَ انتَ مثل هذا المأكل لما احتجتَ ان تخدم الملك

٣٣ قيل انهُ لمَّا سُقي اسكندر السمّ وقرُبَ أجلهُ كتب الى امّهِ يقول لها: اذا قرأتِ هذه الرسالة اصنعي مأكلاً كثيرًا وأطعمي مَنْ لم يَمُت لهُ احدٌ اصلاً من اقاربهِ. اعني اذا رأيتِ ان ليس انسان واحد نجا من هذا العارض تتعزَّين في حزنكِ

٣٤ قيل لآخر: ما بالك تتنازل لتعلَّم من كلّ احد؟ فقال: لاني عرفتُ ان العلم مُفيد من ايّ رجلٍ كان

٣٦ قيل لديوجنيس: ألا تتخذ بيتاً تستريح بهِ؟ فقال: انَّ بيتي حيث تكون راحتي

٣٩ وصعد يوماً الى مكان عالٍ فصرخ: ليأتِ الناس اليَّ. فالتأم اليهِ قوم كثيرون فقال لهم: اني لم ادعُكم بل دعيتُ الناس. واراد بالناس الفلاسفة

٤٠ وسُئل: ايُّ فعلٍ يعسُرُ على الانسان؟ فقال: ان يعرف نفسهُ ويخفي سرَّهُ

٤١ واستشار سقراطَ بعضُ اصحابهِ في امتلاك امرأةٍ. فاجابهُ: احرص لئلَّا يعرض لك ما يعرض للسمك في الشبكة فالداخلون يرومون الخروج والخارجون يرومون الدخول

٤٥ سُئل ديوجنيس عن رجل مُوسر أهو غنيّ. فاجاب: اني اعلم انهُ ذو مالٍ كثيرٍ لكن لا اعلم أهو غنيّ ام لا. اشار بهذا الى ان الغنيّ هو الذي لا يتوق الى

زيادة مالهِ لان من تاق الى ذلك كان فقيرًا بالنسبة الى ما يطلبُ مقتناه

٤٦ وسألهُ ملك: اين غناك ومقتناك؟ فأومأ الى تلاميذهِ وقال: عند هؤلاء. يريد بذلك الحكمة

٤٧ قيل لآخر: انهُ يعسر على الانسان ان يصل الى ما لا يريد. فقال: بل اعسر من هذا ان يطلب الانسان ما لا يصل اليهِ

٤٩ اهدى بعضهم الاسكندر اواني زجاج. فاستحسنها جدًّا ثمَّ امر بكسرها فقيل لهُ: لاي سبب فعلت هذا؟ فاجاب: اني اعلم انها ستنكسر الواحدة بعد الاخرى في ايدي الخدَّام ويحصل لي حنق في كلّ وقت بسببها فلهذا عمدتُ الى حنق واحد فنمتُ حنقاً كثيرًا

٥١ قال ارسطو: انَّ الجاهل ليس يحسُّ بمرض عقلهِ فهو كالسكران الذي لا يحسّ بالشرك الذي يدخل بيدهِ

٥٥ سافر سقراط مع غنيّ ما فأُخبر انَّ في الطريق لصوصاً. فقال الغنيّ: ويلًا لي لو عرفوني. فقال سقراط: امَّا انا فالويل لي ان لم يعرفوني

٥٦ كتب احد الاغنياء على بابهِ: يا بابُ لا يُدخلك سوء. فلمَّا قرأهُ ديوجنيس قال: وامرأتُك من اين تدخل؟

٦٣ سُئل بعضهم: ايُّ العلوم افضل؟ فاجاب: هو الذي يشنأهُ الجهَّال

٦٤ اجتاز فيلسوف في مدينةٍ ما فرأى زعيم اجنادها لم ينزَ بجرب ابدًا ورأى طبيبها يذهب بارواح المرضى فقال لاهل تلك المدينة: يا ليت طبيبكم كان زعيم اجنادكم لانهُ خبير في قتل الناس وليت زعيم اجنادكم يكون طبيباً فيحرص على حياة الناس

٦٥ قال افلاطون: انهُ لعارٌ عظيم انَّ الانسان لايتعلم ولايسأل ان يتعلَّم فيوجد بذلك فيهِ شرَّان

٦٧ قيل لسقراط: انَّ القول الذي قلتهُ لم يُقبَل. فقال: لا احزن لكونهِ لا يُقبل ولكنتُ حزنتُ لو لم يكن حسناً

٦٦ وقال لهُ رجلٌ: اني حزنت عليك لانك فقير هكذا. فقال لهُ: لو ادركت لذَّة الفقر لحزنتَ على نفسك لانك معدوم منهُ ولم تحزن عليَّ لاني فقير.

= قيل لسقراط : لماذا تحب ان تعلّم الصغار اكثر من الكبار ؟فقال : لانّ الفرسة الجديدة سهل تعديلها أمّا اليابسة فبالعكس (ليس هذا القول في الاصل السرياني)

٢ كلام مفيد لحكماء الفرس

٧٠ سئل بُزُرْجِمِهْر : ما هو الغنى الذي لا يفرغ اذا طُرح؟فاجاب : هو التواضع

٧١ وقال : ما احسن الصبر لولا الحياة القصيرة

٧٥ قال آخر : من يصنع خيرًا لجاهل هو كمثل من يطوّق خنزيرًا بعقدٍ كريم ويُطعم الارقم عسلًا

٧٨ امر الملك انوشروان أن لا يأكل احد كما يأكل هو ولا يشرب كشربهِ . فعمل احد اكابر المدينة مأكولًا ملوكيًّا ودعا اليهِ واحدًا من العظماء ليتعشّى عندهُ . فلمّا خرج كتب الى الملك : انّ فلانًا يستعمل من مأكلك وانا رأيتهُ ولا اقدر ان اخفي عنك . فكتب الملك على ظهر الكتاب : امّا نحن فنثني على امانتك وحفظك عهدنا . وامّا ذاك فقد وبّخناهُ لأنهُ لم يعرف ان يخفي سرّهُ فكشفهُ لمثلك

٧٩ سُئل الملك كسرى : أيّما هو الاحبّ اليك من بنيك؟ فاجاب هو الذي يحبّ الادب ويحذر العار ويَختار على درجة ارفع منهُ

٨٣ سُئل بُزُرْجِمِهْر لماذا يصير المحبّون بسهولةٍ مبغضين ويصير الاعداء بصعوبةٍ محبّين . فاجاب لانّ هدم البيت اسهل جدًّا من بنائهِ وكسرُ الاناء من جبرهِ وصرفُ المال من اقتنائهِ

٩٠ سُئل كسرى : لمَن من البشر تريد ان يكونوا حكماء ؟ فاجاب : لأعدائي لان الحكماء لا يسهل عليهم الانقيادُ للشرّ بخلاف الجهلاء فانهم لا يحذرونهُ ابدًا

٩١ لمّا حبسَ الملكُ بُزُرْجِمِهْر سألهُ احبابهُ : بماذا تتعزّى ؟ فقال باربع كلمات : الاولى بقولي : ان كلّ شيء يجري بقضاء الله وحكمهِ . الثانية بقولي : ان لم أحتمل ماذا اصنع . الثالثة بقولي : انهُ ممكن ان اقع بشرّ اعظم من هذا . الرابعة بقولي : لعلّ الفرج قريب وانا لستُ اعلم

٩٢ ولمّا غضب الملك عليهِ وصلبهُ سمعت ابنتهُ فاسرعت برأس مكشوف وسعت بين الرجال ولمّا انتهت الى خشبتهِ غطّت رأسها . فلمّا سألها الملك عن فعلها

اجابتهُ : اني رأيتهُ وحدهُ انساناً اهلاً ان يُستحيَ منهُ

٩٦ قال بُزرجمهر : من أحبَّك منعك مَن شهوتك ومن أبغضك حرَّضك عليها

٩٩ قال اسفنديار : الفرَس وان كان عَزوماً جدًّا يحتاج الى مهماز . والمرأة ولو كانت عفيفة تحتاج الى رجل . والرجل مهما كان حكيماً يحتاج الى مستشار

١٠١ لمَّا مات قيكباذ الملك قال احد العلماء : انَّ الملك كان بالامس ناطقاً . وأمَّا اليوم فهو واعظٌ وان كان صامتاً

١٠٢ وقال : انَّ القلوب تحتاج الى التربية بالحكمة كما تحتاج الاجساد الى القوت لتحيا

١٠٤ قال ازدشير : اشغلْ نفسك في كلّ ما يجب لكي تمتنعْ ممَّا لا يجب

١٠٥ قال بزُرجمهر : ان كنتَ لا تعرف ايَّ امرٍ يليق لك فعلهُ من نوعين فاستشر امرأتك وافعل بضدّ قولها لأنَّها لا تشير الَّا بما يضرّ

١٠٦ سُئل مردوخ : بماذا تفرق الهمّ من الحَنَق فاجاب : انَّ الانسان اذا اضرَّهُ من هو اكبر منهُ نالهُ الهمّ . واذا اصابهُ الأذى ممَّن هو اصغر منهُ نالهُ الحَنَق

٣ كلام مفيد لحكماء الهند

١٠٨ قيل انهُ كان اذا مات رجل من الهند كان اصدقاؤهُ يتسلَّحون ويذهبون الى منزلهِ قائلين لاهلهِ : أخبرونا من قتَل حبيبكم لنقتلهُ . فاذا جاوبوهم انَّ قاتلهُ غير مقهور ولا منظور قالوا : « فلا يكثرنَّ اذن غمُّكم على شيء لا يمكنكم ولا يمكننا ردُّهُ » . وهكذا كان يتعزَّى المحزونون

١١٠ قال بعضهم : انَّ شهوات هذا العالم تُشبه ماء البحر الذي كلَّما اكثر الناس منهُ شرباً زادوا بهِ عطشاً

١١١ قال آخر : انَّ العلم يزيد الحكيم حكمةً والجاهل جهلاً كما انَّ الشمس تزيد الاعين القويَّة قوَّةً والضعيفة ضعفاً

١١٢ قال آخر : لا تصدّق عدوَّكَ ولو اكثر اليك الاحسان . كما انَّ النار تسخّن الماء واذا دُفِقَ الماء عليها اطفأها

١١٥ سُئل بعضهم : اي بلدةٍ هي شرُّ البلاد ؟ فاجاب : تلك التي ليس فيها شبع ولا امان .

١١٧ قال آخر : ستّة افعال ليس لها ثبات : ظلّ الشمس ومحبّة الجهّال وعشق النساء والغنى الحرام والملك الظالم والمديح الكاذب

١٢٢ سُئل آخر : أيّما هو الخسران الذي ليس يلحقهُ ربحٌ ابدًا ؟ فاجاب : هو كفنُ الميت في القبر

١٢٤ سُئل آخر : لماذا شبّهوا الجاهل بالاعمى ؟ فاجاب : لان الاعمى لا يفرق بين النور والظلام فكذلك الجاهل لا يفرق ما بين الحكمة والجهل

١٢٥ سُئل آخر : من هو اقوى الناس ؟ فاجاب : هو الذي يحفظ نفسهُ من النظر الشهواني

٤ كلام مفيد لحكماء العبرانيين

١٢٧ سُئل بعضهم : لماذا تجوع وانت لا ينقصك قوت ؟ فاجاب : افعلُ هذا لئلّا انسى الجياع والصعاليك

١٢٨ كتب آخر على باب الحبس : انّ هذا بيت الهموم وقبر الاحياء واختبار الاعداء والاحبّاء

١٢٩ قال آخر : ان وجدت عدوّك ضعيفاً فاحسبهُ عندك قويًّا لئلّا تهمل الحرص منهُ . وحبّك القويّ عدّهُ ضعيفاً لديك لئلّا تتّكل على قوّتهِ وتصير حقيرًا ذليلًا عند امتحانك

١٣٤ قال آخر : انّ كثرة الاكل تُعمي القلب كما انّ كثرة الماء تُفسد الزرع

١٥١ قال آخر : لا تُفاتِش مَن قد تنحّى عنهُ اقاربُهُ لانهم اعرفُ منك بهِ

١٥٦ قال آخر : لا تُهِنْ صغيرًا يكونُ اهلًا لأن يصير كبيرًا

١٦١ قال آخر : انّ الرجل الذي يريد ان يصنع خيرًا ينبغي لهُ ان يمتحن حالة المقصود خيرهُ ومثلهُ في ذلك كمثل الانسان الذي يريد ان يزرع ارضاً ليلقي فيها البذار فانّهُ يلزمهُ ان يمتحنها لعلّها لا تنبت

١٦٧ قال آخر : انّ الكلام ما دام مكتوماً هو في سجن من يريد النطق بهِ فاذا تكلّم بهِ صار المتكلّم بهِ حينئذٍ في سجنهِ

— قال آخر : ينبغي لرئيس الشعب ان يقوّم ذاتهُ اوّلًا ثم يسعى بعد ذلك في

تقويم من هم تحت يده والّا اشبَهَ رجلًا يروم تقويم الظلّ المعوجّ قبل ان يقوّم الجسم الذي يتكوّن منهُ الظلّ

٥ كلام مفيد لبعض الملوك الحكماء

٢١٨ اوصى بعض الملوك ابنهُ قائلًا : حصّنْ مملكتك بالعدل لانهُ السور الغير المغلوب

٢٢٣ كان بعض الملوك لا يترك احدًا ان يقبّل يدهُ فسُئل عن هذا فاجاب : انّ قُبلة اليد من المحبّ تنازُل ومن العدوّ تمليق

٢٢٤ طلب رجلٌ كان يتظاهر بالزهد من بعض الملوك ان يولّيهُ على بلاد فقال لهُ : ان كان زهدُك الذي تعتني بهِ هو فهُ فلا ينبغي لنا ان نُبطله بتقليدك الرئاسة ونربح خطيئتك . وان كان زهدك رياء ونفاقاً فلا يسوغ لنا ان نُرئس على قومنا مرائياً ومنافقاً . وهكذا صرفهُ خائباً

٢٢٥ قال بعضهم : انّ عدم الامكان يُبطل الشهوة كما انّ الماء يطفئ النار وعدم الوَقود يطفئها ايضاً

٢٢٨ كان لبعض الملوك ابنان(١ احدهما من الملكة والآخر من جارية وكان يروم الملك ان يملك ابن الجارية بعدهُ وكانت الملكة تلومهُ على ذلك فقال لها : فلنجرّب عقل كليهما ونقلّد الملك اعقلهما ثمّ ارسل واحدًا من اهل سرّهِ الى ولد الملكة وآخر الى ولد الجارية ليسئلاهما ماذا يفعلان بها اذا استوليا على الملك . فكان جواب ابن الملكة للامين : اني اصيّرك مشيري واولّيك على البلاد . امّا ابن الجارية فلمّا سألهُ الرسول ذلك رفع بيت دواتهِ التي قدّامهُ وضربهُ على رأسهِ قائلًا : يا جاهل اتريد مني عطيّة في موت الملك اني اودّ ان نموت كلّنا ويعيش الملك فكيف نستطيع ان نجد مثلهُ . فلمّا سمعت الملكة هذا طابقت على رأي الملك في تمليك ابن الجارية

٢٣٠ ماتت لاحد الملوك جارية فحزن عليها حزناً شديدًا حتّى انهُ كان يخرج ليلًا الى ضريحها ويبكي عليها . فلمّا سمع ابوهُ هذا كتب اليهِ يقول : كيف تريد مني ان اعطيك السيادة على أمّةٍ وانتَ تجزع هكذا على فقد أمةٍ

١) يُخبر هذا عن هارون الرشيد وزوجتهِ زبيدة ومن ابنيهما الامين والمأمون (راجع مجاني الادب وكان المأمون ابن جارية نصرانيّة)

٢٣٨ قال بعض الملوك : لو علم الناس كيف لذّتي بالصفح عن الجهالات لما بقي أحد بغير ذنب

٢٤٢ قال آخر : انّ اللذّة الحاصلة من الصفح هي اكثر من اللذّة الحاصلة من الانتقام لان الصفحَ يلحقهُ المديح والانتقامَ يلحقهُ الندَم

٢٤٤ مات بعض الملوك فسأل رجلٌ اصغر بنيهِ قائلاً : ان اوصى الملك ان يهتم بك ؟ فاجابهُ : انّ الملك اوصاني ان اهتمّ بالجميع

٢٤٨ سُئل بعض الملوك : ما بالُ احبّائك كثيرين ؟ فاجاب : لاني ما حنقتُ قطّ على احد الّا وتركتُ مكاناً للصلح

٦ كلام مفيد لبعض المعلمين

٢٥٢ قال بعض المعلمين : انّ جزءاً كبيراً من العلم ذهب مني وهو الذي استحييتُ ان اتعلّمهُ من الناس الذين هم ادنى مني . أيّاكم يا تلاميذي ان تعدُّوا احتقاراً سؤال من هو احقر منكم فبهذا تكونون كاملين في علمكم

٢٥٤ قال آخر : انّ الذي اعرفهُ قليل ولكنّهُ صحيح

٢٦٢ قال آخر : انّ المرأة الصالحة هي شبه الغراب الابيض . اعني عديمة الوجود

٢٦٥ سُئل بعضهم : من هو الحكيم الذي قيل عنهُ « أرسل حكيماً ولا توصِ » ؟ فاجاب : هو الدينار

٢٦٩ سأل بعض المعلمين احد تلامذتهِ شيئاً كمستعلم . فقيل لهُ : أيسوغ لك ان تأخذ العلم عن بعض متعلّميك ؟ فاجاب : انني اعرفُ منهُ بالجواب عن سؤالي لكنّي اردتُ ان يذوق طعم لذّة التعليم ليحرص كثيراً على اقتباس العلم

٢٧٠ قال بعضهم : اربعة هم الذين تجب عليك لهم الكرامة والخدمة : الذي تؤمّل منهُ عطيّتهُ . والذي تؤمّل منهُ علماً . والذي ترجو منهُ بركةً او صلاةً . والذي يقدر ان يسبّب لك ضرراً (لهُ صلة)

المخطوطات العربيَّة لكتَبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع حرف الباء)

١٩٢ ﴿برنردس الباريسي الكبوشي﴾ كان مرسلًا في الشرق في اواسط القرن السابع عشر . طُبع لهُ في مجمع انتشار الايمان في ثلثة مجلّدات معجم ايطاليّ تركيّ سنة ١٦٦١—١٦٦٢ ولا نعلم ألهُ غير ذلك

١٩٣ ﴿برنردس الخوري الفرنساوي﴾ (١٥٨٨ — ١٦٤١) كان واعظًا شهيرًا في انحاء فرنسة . لهُ في مكتبة الموارنة في حلب مجموعة مواعظ عرّبها الخوري عبد المسيح الماروني الحلبي ١٧١١ (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٦٩٢) . ولهُ هناك (ع٨٥) عظات عن صلب السيّد المسيح وآلامهِ في نحو ٣٠٠ صفحة يقال في آخرها انّها كملت على يد احقر الكهنة القسّ عبد المسيح الماروني الحلبيّ سنة ١٧٢٠

١٩٤ ﴿برنردس الكرمليتاني﴾ كان مرسلًا في الشرق في القرن الثامن عشر لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة كتاب درب الصليب الملوكيّ عرّبهُ راهب لبناني

١٥٥ ﴿برخورس﴾ هو احد الشمامسة السبعة الذين اقامهم الرسل في خدمة المؤمنين الاوّلين (اعمال ٦ : ٥) وتلميذ مار يوحنّا الحبيب . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة من « كتاب ما قاساهُ القديس يوحنّا الانجيلي الثاولوغوس من بعد صعود يسوع المسيح الى منتهى حياتهِ مما اخبر بهِ تلميذهُ برخورس احد السبعون (كذا) رسولًا » في ١٢٠ صفحة حسن الكتابة . نُسخ سنة ١٧١٩ . وهو كتاب مصنوع طبعهُ الالماني تسان (Zahn : Acta Joannis, *Erlangæ*, 1880)

١٩١ ﴿بركلسوس الجرماني﴾ هو فيلبوس الطبيب المعروف باسم بَرَاكلسوس (Paracelsus) (١٤٩٣ — ١٥٤١) لهُ في العربيَّة في مكتبة برلين (Ablwardt, n°s 6352 et 6353) وكذلك في مكتبتنا الشرقيَّة كتابهُ المنون « بالطب الجديد الكيماوي الذي اخترعهُ بركلسوس والكتاب موصوف وصفًا واسعًا في مخطوطات برلين ويُعدّ صاحبهُ من جملة المشعوذين وفي آخر نسختنا كتاب آخر يُدعى كيميا باسيليكا يعني الكيميا الملكيَّة لترولوس سنذكرهُ في محلّهِ

١٩٥ ﴿بروكلوس او ابرقلس﴾ القديس كان بطريركاً على القسطنطينية (٤٣١—٤٤٦) تجد اعماله في مجموعة الآباء لمين (Migne, P. G., LXV, 679-888) ورد له في العربية في كتاب اعتراف الآباء (في نسخة المكتبة الفاتيكانية ونسخة مخطوطات كمبردج السريانية والكرشونية (١ : ٩١٩—٩٢٠) عدة اقاويل في اقنوم السيد المسيح وطبيعته. من الكتاب نسخة في مكتبتنا الشرقية منقولة عن نسخة الفاتيكان. وللقديس بروكلوس في مخطوطات متحف البريطاني (Codices Arabici, XXV, n° 20) ميمر على جمعة الصلبوت وعلى الثالوث الاقدس

١٩٦ ﴿برونو الكرملي﴾ هو الاب برونو دي سنت ايفون (Bruno de St Yves) الكرملي الحافي المرسل في حلب والمتوفى شهيد محبته في خدمة المطعونين (١٦٠٠—١٦٦١) له في مكتبة الفاتيكان (ع ١٤٢) مختصر تأليف القديس يوحنا الدمشقي عن الايمان المستقيم (BO. I, 756) وله ايضاً كتاب فرض الموتى وفرض السيدة العذراء وبعض مجادلات دينية (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨٣٧)

١٩٧ ﴿برونو اليسوعي﴾ الاب يوحنا الايطالي كان رفيقاً للاب اليانو في سفارته الثانية الى الموارنة سنة ١٥٨٠. ذكر له الاب دنديني في رحلته الى لبنان تعليماً مسيحياً فنّد فيه اضاليل البدع الشائعة في الشرق نقله الى العربية الاب جوان باطشتا اليانو (اطلب شنورر Schnurrer : *Bibl. Arabica*, p. 237)

١٩٨ ﴿برونيار﴾ الاب هنري اليسوعي (H. de Prunières) المتوفى في ٢٣ نيسان سنة ١٨٧٢ له في مكتبتنا الشرقية بعض التعريبات. قد عُني بنشر كتاب مرشد الخاطئ وبتعريب المجادلات الدينية للاب شيفلمر وقدّم بعض الملحوظات على كتاب البطريرك مكسيموس مظلوم في اكرام الصور

١٩٩ ﴿بريسيوس الكبوشي﴾ (Brice de Rennes) احد المرسلين الكبوشيين في سورية في اواسط القرن السابع عشر (Mémoires du Chevalier d'Arvieux, I, 322) من تآليفه الباقية: ١ رسالة في سرّي الاعتراف والمناولة وجدناها سابقاً في بيت المرحوم الدكتور يوسف ابيلا في صيداء. ٢ له في مكتبة باريس (Mss Arabes, 315) كتابان في الحساب الترينوري والصلاة المقلية. ٣ له في حلب في مكتبة الموارنة (ع ٤٦٥) تاريخ البيعة وهو مختصر تاريخ باروفيوس في ٧٢

فصلًا ويقال في هذه النسخة ان المطران جرمانوس فرحات عُني بتنقيحها . وكان هذا التاريخ طُبع قبلًا في رومية في مطبعة البروبغندة في ثلثة مجلّدات من السنة ١٦٥٣ الى ١٦٦٩ تحت عنوان كتاب الدرّ المختار في تواريخ الآباء الابرار . ٤ً وقد طُبع لهُ في رومية في مطبعة يوسف لونا (يوسف قرّ) الماروني سنة ١٦٥٥ مختصر التواريخ المقدّسة منذ الخليقة الى عهد السيّد المسيح . ٥ً ويذكر لهُ ايضاً كتاب شرح على الاناجيل صادق عليهِ مطران طرابلس

٢٠٠ ﴿برّيك﴾ الخوري ميخائيل الرومي الارثذكسي . عاش في القرن الثامن عشر . من تآليفهِ: ١ً كتاب تواريخ الزمان وزهرة اعاجيب الكون والاوان يبتدئ باوّل الخليقة الى ميلاد المسيح . في مكتبة الروم في حلب . ٢ً كتاب الخلاصة الوفيّة في تاريخ بطاركة الكنيسة الانطاكية من السنة ١٥٣٢ الى ١٧٦٧ . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة (MFO, VI, 220, n° 14) وقد طُبع الكتاب بتصرُّف في مصر تحت عنوان الحقائق الوطنيّة في تاريخ الكنيسة الانطاكيّة الارثذكسيّة . ٣ً وفي نسختنا مقالة في شرطونيات الذين تمذهبوا اوّلًا بمذهب اللاتينيين (ibid, p. 221) ٤ً ولهُ في مكتبة برلين (Ahlwardt, IX, n° 9786) كتاب حوادث زمانهِ في مدينة دمشق من السنة ١٧٢٠ الى ١٧٨٠

٢٠١ ﴿البستاني﴾ الاب منصور الماروني اليسوعي توفي في حلب في ١٧ ك ٢ ١٩١٦ لهُ في مكتبتنا الشرقيّة مواعظ ثمّ تعريب كتاب في حلّ المشاكل والاعتراضات الدينيّة الشائعة في أيامنا

٢٠٢ ﴿البستاني﴾ الخوري يوسف جرجس المتوفّى سنة ١٩٠٦ (اطلب كتابنا الادب العربيّة في القرن التاسع عشر ٢ : ١٦٢) . خلّف خطباً وقصائد ومخطوطات شتّى لم تُطبع

٢٠٣ ﴿البستاني﴾ الخوري يوسف ضاهر عدّدنا مطبوعاتهِ في كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (٢ : ١١٢) يضاف اليها تعريبهُ تعليم المجمع التريدنتيني الذي طُبع في المطبعة العمومية الكاثوليكيّة سنة ١٨٩٠ وتعريب تحفة الاخبار ونزهة الافكار للسيّد دي سلفو (١٨٨٠) ولهُ من المخطوطات في مكتبتنا الشرقيّة تعريب كتاب حوادث الاعراف للاب يوحنّا غوري اليسوعي في مجلّدين

راجع ايضاً ما رويناهُ في كتاب الآداب العربيّة من البستانيين (ص ١١٠-١١٣) حيث ذكرنا مطبوعاتهم ولا نعرف لهم شيئاً من المخطوطات

٢٠٤ ﴿ بسيوس ﴾ برتلماوس انطونيوس الكاهن من كتبة القرن الثامن عشر عرّب الخوري يوسف بابيلا من اللاتينيّة كتابهُ «نخبة التُحَف الحسنة بتنبيهات الرهبان والكهنة» في واجبات الكهنوت منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة

٢٠٥ ﴿ بشير بن سرّى ﴾ اسقف صيداء لم نعرف زمانهُ . لهُ في المكتبة الفاتيكانيّة (ع ١٨١٣) رسالة في التوحيد والتثليث

٢٠٦ ﴿ بطرس ﴾ القديس عامة الرسل . يروى لهُ في المكتبة الفاتيكانيّة (BO, II, 508, n° 39) وفي مكتبة باريس (ع ٥٤) وفي دمشق مكتبة الخواجه نديم كتاب مصنوع (ابوكريفا) عنوانهُ «كتاب تعاليم القديس بطرس لتلميذهِ اقليمس عن الخليقة واعمال شعب الله (Apocalypse de St Pierre) في ٨٩ فصلاً وفي آخر النسخة الدمشقيّة انّها كُتبت سنة ٧٠٠٠ (١٤٩٢ م) وذلك على يد ابرهيم ابن المرحوم الحاج بركات ابن ابرهيم الترجمان . ويليها اعتقادات فرَق دين النصرانيّة وما انفردت بهِ كل طائفة

٢٠٧ ﴿ بطرس اسقف سبسطية ﴾ هو اخو القديس باسيليوس الكبير واسقف سبسطية اي سيواس لزهر في القرن الرابع . نسب اليهِ زورًا ابرهيم الحاقلاني Eutychius vindicatus في المكتبة الفاتيكانيّة كتاب البرهان في حقيقة الايمان (اطلب المشرق ٧ [١٩٠٤] : ١٨١-١٨٢) . راجع ايضاً ما قلناهُ سابقاً عن نسبة هذا الكتاب للقديس اثناسيوس الاسكندري

٢٠٨ ﴿ بطرس اسقف مليح ﴾ يدعى بطرس الجميل وكان قبطيًّا من اهل القرن الرابع عشر . لهُ ١° كتاب البيان في خمسة فصول يردُّ فيهِ على جمال الدين بن عبد المصري اثباتاً للدين النصراني (Steinschneider: *Polem. Literatur*, n° 115) ٢° كتاب في بدع الطوائف ذكرهُ البراموسي في الخريدة النفيسة يدافع فيهِ عن اضاليل اليعاقبة الاقباط . منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيّة (BO., I, 626, n° 30) ٣° ولهُ ردّ على الارمن دعاهُ بكتاب الاشراق (العدد ٧٤ من المكتبة الفاتيكانيّة)

٢٠٩ ﴿ بطرس الدمنتي ﴾ الراهب الارمني القبطيّ عاش في اواسط القرن

الحادي عشر. قد وقفنا ١ً لهُ في مكتبة الاديب جرجس بك صفا على مجموع في اوّله ٥ رسالة للمعلّم المدقّق بطرس السدمنتي المصري القبطي في تفسير الانجيل ما هو وكيف هو واقسامهُ والبراهين الدالّة عليهِ واي الضرورة ادّت اليهِ . يليها مقالة في تقسيم تدابير المسيح من حين حُبل بهِ الى حين صعودهِ الى السماء قسمهُ الى سبعة اقسام: ١ً الاقتداري (آيات المسيح). ٢ً الطبيعيّ (موته). ٣ً الناموسي (ختانتهُ). ٤ً السياسي (نزولهُ الى مصر). ثم ٥—٧ التدبيري والتعليمي والنسخي. لهُ ٢ً مقالات لاهوتية كُتبت سنة ١٧٦ للشهدا (١٢٦٠م) في المكتبة الفاتيكانيّة . ٣ً مقالات في العمليّات وتراجم القديسين والدفاع عن الدين في مكتبة البروبغندة وفي المكتبة الفاتيكانيّة (Steinschneider, n° 116, p. 135)

٢١٠ ﴿بطرس السرياني﴾ هو بطرس بن يوحنّا تلميذ مدرسة انتشار الايمان كان في القرن الثامن عشر لهُ في مكتبة لندن (Supplement, n° 17) تعريب كتاب الاب مينوكيوس اليسوعي لكتابهِ في تفسير رؤيا مار يوحنّا تاريخ النسخة ١٨٢٤. ولعلّهُ هو ايضاً الذي عرّب شروح الاب مينوكيوس على اسفار العهد الجديد وجدنا قديماً منهُ نسخة في مكتبة اللوبزة

٢١١ ﴿بطرس الكبوشي﴾ كان مرسلاً في حلب في اواسط القرن الثامن عشر لهُ في مخطوطات مكتبة باريس السريانيّة والكرشونيّة (Fonds Syriaque n° 78) كتاب الفلسفة الرياضيّة يشتمل على سبعة اقوال. نسخهُ في ماردين سنة ١٧٤٦ الشماس يوسف من تلكيف تلميذ البطريرك يوسف الثالث

٢١٢ ﴿بطرس الكرملتاني﴾ هو يوحنّا بطرس المتسمي الى امّ لله كان رفيقاً للاب برونو السابق ذكرهُ ومرسلاً في الشرق في القرن السابع عشر. لهُ كتاب المناقشات الدينيّة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨٣٩). ثمّ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من كتاب رسوم جهنّم الذي يُنسب عادةً الى الراهب الياس الكرملتاني (اطلب العدد ١٢٣) وهو منسوب الى "بطرس" الكرملتاني. والله اعلم بالصواب

٢١٣ ﴿بطرس الراهب اللاتيني﴾ من مرسلي الفرنسيسكان في القدس لهُ هناك كتابٌ يُدعى بالترس (طرقا) ردّ فيهِ على اضاليل الروم وقد حاول تقديمهُ للبطريرك الاورشليمي نكتاريوس في كتابهِ جلاء الابصار من غشاء الاكدار

٢١٤ ﴿بطق﴾ اميل فتح الله الحلبيّ من اهل القرن التاسع عشر . لهُ في مكتبة سيادة المطران ميخائيل اخرس في حلب ترجمة كتاب الاب بولس كولان (P. Colin) عن عبادة قلب يسوع وترجمة التعليم المسيحي لغوم (Mgr Gaume) ومقالات القديس اغوسطينوس في غبطة القديسين

٢١٥ ﴿بُنتاس﴾ يوحنا الكاهن الفرنسوي (J. Pontas) (١٦٣٨—١٧٢٨) كان لاهوتيًا بارعاً . عرَّب الخوري يوسف بابيلا كتابهُ في علم الذمَّة ووسمهُ باسم « باقة الزهور المنثَّة في علم الذمَّة »

٢١٦ ﴿بلاديوس﴾ الراهب الغلاطي المتنسك في الصعيد ثم الاسقف في القرن الرابع للمسيح . لهُ تأليفهُ الشهير في اخبار الرهبان (Historia Lausiaca) وقد نُقل هذا الكتاب الى السريانيَّة منهُ نسخة في دير الزعفران والى العربيَّة وقد عرفهُ ابو البركات (Riedel, 666) فوصفهُ هكذا : « كتاب البراديسوس فيهِ اخبار الرهبان وآثار العبَّاد وتدبيرهم وجهادهم وتأويلهُ البستان »

٢١٧ ﴿بلاديوس الراهب اللبناني﴾ هو القس يواكيم بليط الارمنيّ ثمَّ الراهب اللبناني ولد في حلب سنة ١٧١٦ ثمَّ ترهَّب سنة ١٧٣٦ في الرهبانيَّة اللبنانيَّة . وتوجَّه الى رومية حيث درس في المدرسة الاوربانيَّة ورجع الى لبنان . واقام في دير مار بطرس الكرم . ألَّف : ١ً الروضة الروحانيَّة في السيرة الرهبانيَّة (ويروى الروضة الشهيَّة في السيرة الروحيَّة) في ٤٠ فصلاً منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب ورأينا نسخة اخرى منهُ عند المرحوم القس ديونيسيوس مسرَّة . ٢ً كتاب المرشد الامين للرؤساء والمرؤوسين طبعهُ الخوري ميخائيل غبريل سنة ١٩٠٢ . ٣ً كتاب المنهج الامين للرهبان المبتدئين . ولعلَّهُ هو كتاب التعليم الرهباني الذي طبعهُ حضرة القس طانيوس شبلي عن نسختين في مطبعة حريصا سنة ١٩٢١ . ٤ً تأملات في عبادة قلب يسوع مرَّ لنا ذكرهُ

٢١٨ ﴿بلرمينوس﴾ الكردينال روبرتوس اليسوعيّ المتوفَّى سنة ١٦٢٢ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٥٧١—٥٧٩) عُرِّبت من تآليفهِ العديدة . ١ً كتابهُ في شرح المزامير الذي اختصرهُ الاب ارنودي اليسوعي المرسل في حلب . ثمَّ طُبع في بيروت بالمطبعة المخلصيَّة (سنة ١٨٦٨) . ٢ً تفسيرهُ للتعليم المسيحي عرَّبهُ

الخوري يوحنّا بن قرياقوس الحصروني من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية الذي اقيم بعد ذلك اسقفاً فطبعهُ في رومية سنة ١٦٢٧ . ٣ً وقد عرّب لهُ السيّد باسيليوس حجّار رئيس اساقفة صيداء كتابهُ وصيّة السيّد المسيح الاخيرة على الصليب فطبعهُ في بيروت سنة ١٩١١ . وجدنا من تعريب هذا الكتاب نسخة اخرى قديمة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٩١) تحت عنوان « تأمل في كلمات المسيح على الصليب . ٤ً وعرّب ايضاً المطران حجّار كتابهُ سُلّم السعادتين فطبعهُ سنة ١٩١٠

٢١٩ ﴿بلصمون﴾ هو ثاودورس بلصمون الكاتب اليوناني في القرن الثاني عشر . لهُ كتاب مجموع قوانين الرسل والمجامع المقدّسة المسكونيّة والمكانيّة وقوانين الآباء عرّبهُ من اليونانيّة كير سلبستروس البطريرك والياس فخر الطرابلسي . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ولهُ هناك تفسير لبعض القوانين

٢٢٠ ﴿بَلِس﴾ القس يعقوب الكاتب الاسباني الشهير (١٨١٠—١٨٤٨) ١ً عرّب الخوري يوحنّا ابي مارون معتوق كتابهُ « منهج المعرفة في علم الفلسفة » في مجلّدين فطبعهُ في المطبعة الانطونيّة في بعبدا (١٩١٢—١٩١٣) . وعرّب لهُ الخوري بطرس مراد كتابهُ في مبادئ الديانة فنشرهُ في مطبعتنا سنة ١٩١٢ (لها صلة)

مديحة تلاميذ رومية

للقس الياس القزيري راهب دير مار شليطا سنة ١٦٦٩

توطئة

بين مخطوطات المكتبة الفاتيكانيّة التي وصفها العلّامة السمعاني في آخر الجزء الاوّل من المكتبة الشرقيّة كتاب موسوم بالعدد ٣٤ (Bibl. Or. I, 577. Codex XXI, n°. 4) من قطع الثمن يتألف من ٦٦ صفحة كتبهُ سنة ١٦٦٩ بالكرشوني القس الياس القزيري راهب دير مار شليطا وضمّنهُ بعض القصائد العاميّة للمطران جبرائيل ابن القلاعي في المجامع والمرطقات وفي ايمان الموارنة المستقيم وحروب لبنان . يليها ثلث زجليّات لناسخ الكتاب القس

الخوري يوحنّا بن قرياقوس الحصروني من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية الذي اقيم بعد ذلك اسقفاً فطبعهُ في رومية سنة ١٦٢٧ . ٣ً وقد عرّب لهُ السيّد باسيليوس حجّار رئيس اساقفة صيداء كتابهُ وصيّة السيّد المسيح الاخيرة على الصليب فطبعهُ في بيروت سنة ١٩١١ . وجدنا من تعريب هذا الكتاب نسخة اخرى قديمة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٩١) تحت عنوان « تأمل في كلمات المسيح على الصليب . ٤ً وعرّب ايضاً المطران حجّار كتابهُ سُلّم السعادتين فطبعهُ سنة ١٩١٠

٢١٩ ﴿بلصمون﴾ هو ثاودورس بلصمون الكاتب اليوناني في القرن الثاني عشر . لهُ كتاب مجموع قوانين الرسل والمجامع المقدّسة المسكونيّة والمكانيّة وقوانين الآباء عرّبهُ من اليونانيّة كير سلبستروس البطريرك والياس فخر الطرابلسي . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ولهُ هناك تفسير لبعض القوانين

٢٢٠ ﴿بَلِس﴾ القس يعقوب الكاتب الاسباني الشهير (١٨١٠—١٨٤٨) ١ً عرّب الخوري يوحنّا ابي مارون معتوق كتابهُ « منهج المعرفة في علم الفلسفة » في مجلّدين فطبعهُ في المطبعة الانطونيّة في بعبدا (١٩١٢—١٩١٣) . وعرّب لهُ الخوري بطرس مراد كتابهُ في مبادئ الديانة فنشرهُ في مطبعتنا سنة ١٩١٢ (لها صلة)

مديحة تلاميذ رومية

للقس الياس القزيري راهب دير مار شليطا سنة ١٦٦٩

توطئة

بين مخطوطات المكتبة الفاتيكانيّة التي وصفها العلّامة السمعاني في آخر الجزء الاوّل من المكتبة الشرقيّة كتاب موسوم بالعدد ٣٤ (Bibl. Or. I, 577. Codex XXI, n°. 4) من قطع الثمن يتألف من ٦٦ صفحة كتبهُ سنة ١٦٦٩ بالكرشوني القس الياس القزيري راهب دير مار شليطا وضمّنهُ بعض القصائد العاميّة للمطران جبرائيل ابن القلاعي في المجامع والمرطقات وفي ايمان الموارنة المستقيم وحروب لبنان . يليها ثلث زجليّات لناسخ الكتاب القس

الياس الغزيري : الاولى في وصف رومية العظمى . والثانية في مديح تلاميذ المدرسة المارونيّة القديمة في رومية التي كانت تحت تدبير الآباء اليسوعيين من السنة ١٥٨٤ الى ١٧٧٣ . والثالثة في رثاء البطريرك يوحنا الصفراوي من بيت البوّاب الذي خلف البطريرك يوسف حليب سنة ١٦٤٨ ودبّر الكرسي الانطاكي الى سنة وفاته في ٢٣ كانون الاوّل سنة ١٦٥٦

وقد تلطّف سيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي وارسل لنا نسخة من مديحة تلاميذ رومية للقس الياس الغزيري لننشرها في جملة كتاباتنا عن المدرسة المارونيّة القديمة . ولا نعلم أهذه النسخة منقولة عن النسخة الفاتيكانيّة ام عن اصل آخر . وعلى كلّ حال أنّنا نقدّم لسيادته خالص شكرنا

ولا بُدَّ لهذه الرجليّة من شروح وتذييلات فتولّينا ذلك لتعريف التلامذة الذين تخرّجوا في تلك المدرسة الشهيرة في الثانين السنة الاولى لفتحها اعني من السنة ١٥٨٤ الى سنة تاريخ الرجليّة ١٦٦٩ . وقد ورد في هذه القصيدة اسماء كثيرة لا يمكن الاستدلال على اصحابها لجواز اطلاقها على غير واحد . والظاهر انّ المؤلف لم يذكر كلّ التلامذة وقد فاتهُ كثير منهم اماً سهوًا واماً اختصارًا . وقد روى منها اياتًا الطيب الذكر المطران بطرس شبلي في ترجمة البطريرك اسطفان الدويهي . اماً المؤلف القس الياس الغزيري الراهب الماروني الحلبي فلم نقف على شيء من تاريخه ل . ش

١ . على اسم الآب الابويّهْ وفي كلمته الازليّهْ وروح قدسه في السويّهْ
ارتّب لبيات افراميّهْ (١

٢ انبا وابيّن بالاخبارْ في جملة الاخوة الاطهارْ المجتمعين من كلّ الاقطارْ
بمدرسة المارونيّهْ

٣ نبدي من الحبيس سركيس (٢ مطران طاهر وكان قدّيسْ وزّي اصلهُ على التأسيسْ
تابع امانة رومية

٤ حافظ وساعي بالقوانينْ رتبة واعتقاد المؤمنينْ ومن اخيه لسنا مفترقينْ
عن طوائف الشرقيّهْ

---

١) الابيات الافراميّة تتألف من اربعة شطور ثلثة منها على رويّ واحد والرابع على روي يعود في ختام كلّ الابيات ٢) هذا الحبيس سركيس الزّي من باقوفا قد مرّ لنا ذكرهُ كان من اوّل تلامذة رومية وابن اخي البطريركين ميخائيل وسركيس الزّي واخا البطريرك يوسف الزّي ترهّب بعد دروسه وسُقف على دمشق ثم ارسلهُ اخوه البطريرك الى رومية لتقدمة الطاعة باسمه وهناك اشتغل بطبع الكتب الطقسيّة لطائفته وعُني خصوصاً بطبع التوراة البيلاتينيّة العربيّة في ثلثة مجلّدات . توفّي في رومية سنة ١٦٣٨

٥ عنه كان بطرك مخايل والآخر سركيس طايل كانوا بطاركه بالقبايل
اثنينهم كانوا اخويه

٦ وبطرك يوسف ابن خيهم دبّر الرعيه من بعدهم ثلاثتهم زايد عزهم
تابعين درب البابيه (١

٧ بطرك يوسف راد يعمل رتبة مارون(٢ ويكمل تتكون صالحه ولا تبدل
على رتبة الرسوليه

٨ افرام مارون حقاني تابعين كرسي الروماني (٣ اخوه سركيس البقوفاني
مطران مدينة سوريه (٤

٩ تلميذ رومية كان ياناس وطبع شحيم وكتاب قداس وتوراة وخدمة الشماس
ومات برومية بهنيه

١٠ وموسى كان من عاقوره(٥ مطران وسمته مشهوره تلميذ المدرسة المذكوره
في العلوم اللاهوتيه

١١ ومطران حنّا الحصروني(٦ فسّر ناموس كرشوني راهب حافظ قانوني
داير يكرز بالرعيه

١٢ وبطرك جرجس هدناني(٧ مشهور بعلم السرياني ومطران اسحاق شدراني(٨
يكرز كلامه بجليه(٩

---

١) يريد انهم ثبتوا في ايمان البابا خليفة مار بطرس. وقد مرّ لنا ذكر هؤلاء البطاركة الثلثة في المشرق ٢) يريد برتبة مارون اي الطقس الماروني

٣) يريد انّ مار مارون كبار افرام على ايمان واحد

٤) مدينة سوريّة هي دمشق التي سُقّف عليها الراهب سركيس الرزّي

٥) هو القس موسى بن سعاده العنيسي العاقوري من اوّل تلامذة رومية الذي طُبع القداس الماروني في مطبعة المادبيين سنة ١٥٩٤ مع جرجس عميره رقّاه البطريرك يوسف الرزّي مطرانًا على قبرس سنة ١٥٩٨ وتوفّي سنة ١٦١٤ ٦) هو يوحنّا الحصروني الحوشي سقّفهُ البطريرك يوسف الرزّي على دير قنّوبين وكان قبلًا ترهّب برهبانيّة مار عبد الاحد الدومنيكان توفّي سنة ١٦٣٢ ٧) هو البطرك جرجس عميرة الذي جلس على السدّة البطريركيّة من ٢٧ ك ١ ١٦٣٣ الى ٢٩ تموز ١٦٤٤ ٨) هو اسحاق الشدراوي مطران طرابلس المتوفّى سنة ١٦٦٥ . الطب في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٩٣٩–٩٤٥) اخبار رحلته الى فرنسة سنة ١٦٦٠

٩) يريد انهُ كان حاذقًا بليغًا في الوعظ

١٣ وبطرك اندراوس يعقوبي (١ من التلاميذ محسوبي صار ماروني مكتوبي
تبع امانة البطرسيّة

١٤ ومطران مخايل حصروني (٢ . رتّب حساب بالكرشوني وبيّن فرق الماروني
من طوائف الشرقيّة (٣

١٥ ومطران سركيس الجمري (٤ ومطران اسطفان ياجبري (٥ الله يزيد له العمري
من اهدن المنيه

١٦ وخوري جرجس بن عنّاب (٦ كان معلّم وصاحب جواب حيث رتّب من علمه كتاب
مناره السريانيه

١٧ والاب نصرالله خوري هو ابن شلّق العاقوري (٧ كان فهيماً وصاحب شوري
خلّف المدرسة بكليّة

١٨ قسيس ابرهيم الحلبي تبع الشهداء بدربي من رهبان يسوع ربّي
تشهّد ببلاد هنديّه (٨

١٩ طالب منه الشفاعه لضعفي وايضاً للجماعه الذين يمشون بالطاعه
بحبّ العذراء النقيّه

٢٠ وقسيس سمعان تولاني (٩ كان قديس بالرهبان اريده يطلب من شاني

---

١) هو اوّل بطاركة السريان الكاثوليك اندراوس اخيجان كان ارتدّ عن اليعقوبيّة ثم درس في المدرسة المارونيّة في رومية وتوفي سنة ١٦٧٧

٢) هو ميخائيل بن سعاده الحصروني سقّفه البطرك يوسف حلب على دير مار جرجس بقورقافا ومعاوناً للكرسيّ . طبع في رومية سنة ١٦٣٧ بالكرشوني كتابه في الحساب النزي المعروف بالنزيوري . كانت وفاته السنة ١٦٦٩ ٣) اي بيّن امتيازهم من بقيّة الطوائف بخضوعهم للحساب النزيوري ٤) كان من اهدن ومُسقّف على كرسي دمشق ثم على قبرس . ومات في مسيلية سنة ١٦٦٨ ٥) بريد اسطفان الدوجي ولم يكن بعد ارتقى الى السدّة البطريركيّة وانما كان تسقّف سنة ١٦٦٨ على اسقفيّة قبرس توفي سنة ١٧٠٩

٦) لا نعرف جرجس المذكور ٧) نصرالله بن شلق العاقوري احد مشاهير الطائفة المارونيّة انشأ مدرسة رافقاً لابناء ملّته واقام باوربا الى حين وفاته سنة ١٦٣٥

٨) هو ابرهيم جرجس الحلبيّ الذي دخل في الرهبانيّة اليسوعيّة وأرسل للتبشير في الهند ومات شهيد ايمانه في مصوّع سنة ١٥٩٥ ٩) هو القس سمعان بن هارون التولاوي ذهب الى المدرسة المارونيّة سنة ١٦٦١ مع اسطفان الدوجي ثم رجع الى لبنان سنة ١٦٥٥ وصار راهباً من رهبان القديس انطونيوس وتوفي بعد سنين قليلة برائحة القداسة

حتى انجو من الخطيّهْ

٢١ قبرُه في بشطة موجودْ بلزق الحايط هو ممدودْ كنيسة العذرا امّ الجودْ
يشفي وجع البرديّهْ

٢٢ قبرُه يقصده الاعوامْ الموجوع فوق منه ينامْ بيوم واحد من الأيامْ
يشفيه من كلّ وجيعهْ

٢٣ قبل موته بيوم واحدْ انباه الله العلي واكّدْ كهنة بشعلي فيه تشهدْ
ومعهم اكابر مسيّبهْ

٢٤ وهو كان معروف من سيرتُه من الطاعة ومن غيرتُه حافظ قانون رهبانيّته
في الطهاره والعفّيهْ

٢٥ خوري يوسف عبد المسيح (١ الحدثي على التصحيحْ كان في شغله دوم فصيحْ
في البرّ والبحريّهْ

٢٦ كهنهْ من جزيرة قبرسْ لوقا ويعقوب مع بطرس (٢ في كتابهم الناس تدرسْ
كرشوني وسريانيّهْ

٢٧ كهنهْ من قرية حصرونْ حنّا رزق الله وآخرونْ مخايل وفرحات بغيرفتونْ
ويوسف معهم جليّهْ (٣

١) هو القس عبد المسيح ابن الياس الحدثي خدم طائفته في بلاد بشاره وارسلهُ البطريرك يوسف العاقوري الى رومية لطلب التثبيت سنة ١٦٦٨ واشتغل هناك عدّة سنين طبع كتب القدّاس الماروني. لم تقف على سنة وفاته ٢) لوقا القبرسي من قريماسيا سقّفهُ البطريرك الدويهي على قبرس سنة ١٦٧١ وتوفي سنة ١٦٢٣ . ويعقوب هو ابن ميخائيل من الاضبيّة الذي ذكرناهُ في جملة التلامذة المرسلين الى رومية سنة ١٥٨٣ . اما بطرس فهو بطرس بن جبرائيل الطوشي اليسوعي المتوفّى سنة ١٦٢٥ لهُ قراطيق سرياني باللاتينية طُبع في رومية سنة ١٦٢٥ ٣) انّ الحصرونيين الذين تخرّجوا في المدرسة المارونيّة متعدّدون . امّا المذكورون هنا فيصعب تعريفهم بمجرّد اسمائهم ولعلّهم غيّروا هذه الاسماء لمّا صاروا كهنة . فمن المحتمل انه اراد « بحنا » يوحنّا بن قرياقس الحصروني المعروف من بيت صندوق الذي اشتغل في باريس بالتوراة مع ابراهيم الحاقلاني ثمّ سامهُ البطرك يوحنا مخلوف اسقفاً توفي سنة ١٦٣٦ . ولعلّهُ اراد بمخايل مخايل الحصروني المعروف بابن صايون الذي ارسلهُ البطريرك يوحنّا الصفراوي الى رومية سنة ١٦٦٨ ليطلب لهُ التثبيت . امّا يوسف فهو يوسف بن شحرون الحصروني الذي درس في رومية من السنة ١٦٥٤ الى ١٦٦٨ ثمّ سقّفهُ الدويهي على طرابلس فتوفي سنة ١٦٩٥ . امّا رزق الله وفرحات الكاهنان فلم نجد لهما ذكرًا

٢٨ وخوري حنّا الحوراني وخوري بطرس غوسطاني وخوري يوسف تولاني
وقسيس انطون رزّيه (١

٢٩ خوري بطرس هدتاني وخوري جرجس حقلاني وقسيس جرجس عرباني
وقسيس جرجس وغيريه (٢

٣٠ خوري حنّا من غزير وخوري صافي من شنتير اخوه صادق قسيس كبير
في قانون الرهبانيه (٣

٣١ والكاهنين الحقيقيه مرهج ومتى البانيه (٤ وكلاء كرسي البطركيه
برومية ضد البابيه

٣٢ قسيس فليفل الراهب من شرّ الناس كان هارب والبدري عليه نجاوب
قسيس جرجس معوشيه (٥

٣٣ ومن عيتورين قسيس يوسف معلم بغير تقيس راهب ثابت على التأسيس
من رهبنة اليسوعيه (٦

---

١) لا نعرف من هؤلاء الاربعة الا القسيس انطون رزّيه يريد به انطونيوس بن سركيس الرزي من بان الذي كان سافر الى رومية مع اندراوس اخيجان وموسى البشراني سنة ١٦٤٦ ثم ترهّب بعد رجوعه الى لبنان في قنّوبين وتوكّل على املاك ديره ثمّ أصيب بالوباء سنة ١٦٧٠

٢) نعرف اثنين من هؤلاء الاربعة ١ً الخوري بطرس الاهدني ابن ابرهيم ابن عمّ اسطفان الدويهي سافر الى رومية معهُ سنة ١٦٦٤ وسكن دير مار قبريانوس باهدن بعد رجوعه ثم رقّاهُ سنة ١٦٨٠ البطريرك الدويهي الى اسقفيّة صيدا. توفي في أيار سنة ١٦٨٣ ٢ً جرجس الحاقلي الذي دخل المدرسة المارونيّة سنة ١٦٣٩ واتخذهُ الى رومية البطريرك يوسف الحاقوري لقضاء بعض الامور وخدم طائفتهُ مدّةً في القدس الشريف. توفي سنة ١٦٦٩ ٣) يريد حنّا بن عويضه الغزيري الذي ارسلهُ البطريرك يوسف حليب الى رومية سنة ١٦٤٦ مع اندراوس اخيجان بعد ارتداده. واراد بصافي بن القديسي من شنتير الذي دخل المدرسة المارونيّة مع حنّا بن عويضة وعند عودتهِ الى لبنان خدم وطنهُ شنتير ثم عجلتون وصار ترجمانًا بين الشيخ ابي نوفل الخازن والفرنج المقيمين في سوريّة. اما اخوه القسيس صادق فلم نقف لهُ على ذكر

٤) مرهج الباني هو احد مشاهير تلاميذ رومية يدعى ايضًا مرهج النيروني وباللاتينيّة Faustus Bannecius Naironus بعد درسهِ في المدرسة المارونيّة علم اللغات الشرقيّة في الكليّة الرومانيّة. ووضع عدّة تآليف. توفي في اواخر سنة ١٧١١. اما متّى الباني فلم يجد لهُ ذكرًا. واراد بالبابيه اي الكرسي الرسولي ٥) لم نعرف القس فليفل ولا جرجس المعوشي. ولا نفهم قولهُ «والبدري عليه نجاوب» ٦) هو الاب يوسف العينطوريني الحلبيّ والمارونيّ اليسوعيّ دخل الرهبنة اليسوعيّة واشتهر في ايطالية بصفة واعظ وتوفّي في ٢٤ ك ١ سنة ١٦٨٦

٣٤ وشماس ابرهيم الحقلاني(١ مشهور بعلم الكلداني حمل غراماطيق سرياني
يورث الحياة الابديه

٣٥ علمه مشهور بين الناس عند البابا والجلاس دائم كان مرفوع الرأس
لبواب الكردينالية

٣٦ وشدياق موسى بن أيوب(٢ خادم العذراء محبوب نقي طاهر من جميع العيوب
ممتلي من القدوسيه

٣٧ بيوم انتقاله بالقدره حضرته مريم العذرا تكلمت معه بالحضره
تنال ملكوت السماويه

٣٨ قبل موته بخمسة أيام جاءته السيده بالمنام وقالت له مابقي لك مقام
بين الناس البشريه

٣٩ ويوم الخامس تنيح بدير قنوبين تريح ونفسه بالملكوت تفرح
شهوده ثلاثة حقيقيه

٤٠ بطرك اندراوس محبوب ومن حضرون خوري يعقوب والمرتب خاطي معيوب
المعروف بكل رزيه

٤١ الثلاثة فيه تشهد وقدام العذراء تسجد التي لها الناس تعبد
قط ما عملت ولا سيه

٤٢ يا شدياق يا بشراني يا موسى نور اعياني اريدك تطلب من شأني
بخدمتك الروحانيه

٤٣ لأنك شرّفت التلاميذ مدرسة مارون على التوكيد حق لك علينا التعبيد
لأنك حفظت البتوليه

---

١) ابرهيم الحاقلاني من الموارنة الذين عظمت في اوربة سمعتهم علّم في الكلّية الرومانية واشتغل في باريس بطبع التوراة المتعدّدة اللغات (البوليغلوتا). توفّي في رومية سنة ١٦٦٣

٢) موسى بن أيوب البشراني كان سافر الى رومية مع اندراوس اخيجان وصافي الشتيري. وقد أتمّ صاحب الرجلية بذكر قداسته وموته الصالح فخصّهُ بثمانية ابيات منها. ولم نعرف من اخباره سوى ما ذُكر هنا وكذلك نجهل تاريخ وفاته.

٤٤ وغير ذلك نبيّن الآن شمّاس يوسف بن فتيان(١ وايضاً يوسف الذي من بان(٢
بدرجة . الشمّاسيّه

٤٥ ناس اطهار بخدمتهم . حافظين قانون رتبتهم العذرا هي عبادتهم
من الشرّ دوم اجنبيّه (٣

٤٦ واولاد المطران اسحاق يعقوب ويوحنّا شدياق (٤ اثنينهم كانوا ارفاق
وتعلّموا ايضاً سريّه

٤٧ ومخايل الكرمدّاني ويوحنّا البطماني والماقوري ترجماني
انطون عند الخواجكيّه (٥

٤٨ وشمّاس بطرس غبلاني الراهب الحقّاني شهادتنا فيه طرباني
يثبتوها المالطيّه (٦

٤٩ وشمّاس بطرس تولاني ويوسف حطيطا غوسطاني اثنينهم تبعوا الجداني
ومشيو بالسداجيّه (٧

٥٠ وشمّاس يوسف من الفتوح من غدراس لتحوم نزوح وبجس فشه دوم مفتوح
يطلب خلاص من الحميديه (٨

---

١) هو الشمّاس يوسف فتيان الحصروني الذي كان أرسل الى المدرسة المارونية سنة ١٦٦٤ مع اسطفان الدويهي . توفّي في رومية في ٢٦ نيسان سنة ١٦٧٣ بعد ان اوقف جميع ماله للطائفة

٢) هو يوسف البياوي البناني الذي بعد دروسه في المدرسة المارونيّة علّم في رومية اللغتين السريانيّة والعربيّة في مدرسة انتشار الايمان وعُني مع مرهج النيروني بتنقيح طبعة العهد الجديد في السريانيّة والكرشونيّة التي طُبعت في رومية سنة ١٧٠٣ ٣) اي كانوا متجنبين دائماً الشرّ ٤) المطران اسحاق هو الشدراوي الماو ذكره الذي كان متزوجاً قبل كهنوته . أمّا ولداه يعقوب ويوحنّا فلم نجد احداً اورد ذكرهما

٥) لا ذكر لهؤلاء الثلثة في التاريخ . يريد بالخواجكيّة الاشراف ٦) لا نعلم من هو الشمّاس بطرس غبلاني الراهب ولاي سبب تشهد له المالطيّة

٧) الشمّاس بطرس تولاني هو غير بطرس التولوي الحلبي الذي اتى بعد ذلك على انّا لم نقف على اخباره واخبار يوسف حطيطا الغوسطاني . ويؤخذ من قوله «تبعوا الجداني» انهما بقيا بين الطائفتين ولم يتكهّنا ومشيا بهيئة المسيحيين البسطاء ٨) كذلك نجهل اخبار الشمّاس يوسف الفتوحي . وقوله «من غدراس لتحوم نزوح» يريد انّ ناحية الفتوح واقعة بين غدراس وتحوم قرية من بحيرون البقلي . وقوله «يطلب الخلاص من الحميديه» يشير الى ظلم بني حماده المتاولة

٥١ ومن حدشيت ايضاً اثنين موسى وجبير سنتيتين ابرهيم قبرسي من الجملتين
فيه كملت العدّيه (١

٥٢ وشمّاس برلس عنيده وجرجس ايضاً بتوكيده قراياهم ليس بعيده
تقارب جبل المسقيه (٢

٥٣ وشمّاس نعمه تابعهم رفيقهم وكان من جملتهم وفي العلم لشطر منهم
مجتهداً وكان لمجيه (٣

٥٤ واليّا الكسرواني ويوحنّا ابن الباني لمّا بيقروا يا اخواني(٤
بمدرسة الرومانيه

٥٥ وجميع الذين ذكرناهم المتأهلين شكرناهم والغشيين حقرناهم
والله عالم بالنيه

٥٦ لاجل التلاميذ اللاتينيين حتى يكونوا محترصين ولا يضيّعوا ايام وسنين
في لعب المسكرتيه (٥

٥٧ ايها التلاميذ تعلّموا وفيما ذكرنا ان تفهموا وان تكاسلتوا استندموا
وايش تنفع الندميه

٥٨ الكاسب دوم هو فرحان راضي عليه الرحمان والخاسر يوجد حزنان
جداني وروحانيه

٥٩ عند الناس دائم مرذول وعند الله ليس له قبول وعقله من همّه مشغول
وما يوجد له حنيه

٦٠ ترتّبت هذه الاسطار اوّل يوم من شهر ايار نطلب منكم التذكار
يا سامعين المديحيه

---

١) حدشيت في بلاد البترون. ولم تتحقق منها موسى وجبير سنتيتين (كذا) ولا ابرهيم القبرسي اما العدّية فيريد بها زحليته ٢) لم يفدنا مؤرخو الموارنة شيئاً من كلّ هؤلاء. وكذلك لم نجد ذكراً لجبل المسقيه ٣) لا نعرف الشمّاس نعمه. وقوله «كان لمجيه» اي كان فصيحاً

٤) اليّا الكسرواني ويوحنّا الباني كانا كما يقول من الدارسين كتب المؤلف زحليته ولا نعلم ماذا صار بهما بعد ذلك. ولمّا بمعنى الى هذه الساعة اي الى الآن

٥) المسكرتية اي المخالطون السكر

٦١ بأيام البابا اقليمس التاسع وكيل مار بطرس وسيدنا البطرك جرجس على ملة الماروتية (١

٦٢ سايلا عبدكم المكتوب (٢. اقرأوا اسمهُ بالقلوب والعذرا طاهره من العيوب تحرسكم من البلية

هل يحتمل

ان يغيّر الروس ارثوذكسيتهم ؟

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

نشرت المدّة في اعدادها ١٦٥–١٦٧ الصادرة في اواخر أيار شرقي واوسط حزيران غربي لسيادة صاحب امتيازها جرلسيموس مسرّة مطران بيروت على الروم الاورثذكس مقالة مطوّلة تحت العنوان المذكور اعني « هل يُحتمل ان يغيّر الروس ارثوذكسيتهم ؟ » وكان الداعي لكتابة المقالة المذكورة إشاعات كاذبة كررتها بعض الجرائد مزوّرةً لساعي الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر المستحقّة كلّ ثناء لذ توسّل بالوسائل الممكنة لتخفيف بلايا الروس وإعانتهم في المجاعة الهائلة التي تحصد النفوس كلّ يوم بالالوف المؤلّفة ولردّ مظالم البولشفيك عن زعماء الكنيسة الروسيّة ولصيانة اوقافها واوانيها المقدّسة عن مطامع اولئك الاشرار . فحمل ذلك بعض الكتبة المعادين للكنيسة على نيّات سيئة لم تخطر على بال الكرسيّ الرسوليّ وكان لسيادة المطران جرلسيموس صدًى لهذه الاشاعات التي كذّبها الفاتيكان رسميًا وتنطّف من تبعتها فاقتنع بقوله ذات المتخرّصين

١) جلس البابا اقليمس التاسع على كرسي البابويّة من حزيران ١٦٦٧ الى ك ١ ١٦٦٩ . والبطرك جرجس هو جرجس السبلاني (١٦٥٧–١٦٧٠)

٢) سايلا بالقلوب هي « الياس » مؤلف هذه الرجليّة

٦١ بأيام البابا اقليمس التاسع وكيل مار بطرس وسيدنا البطرك جرجس على ملة الماروتية (١

٦٢ سايلا عبدكم المكتوب (٢. اقرأوا اسمهُ بالقلوب والعذرا طاهره من العيوب تحرسكم من البلية

هل يحتمل

ان يغيّر الروس ارثوذكسيتهم ؟

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

نشرت المدّة في اعدادها ١٦٥–١٦٧ الصادرة في اواخر أيار شرقي واوسط حزيران غربي لسيادة صاحب امتيازها جرلسيموس مسرّة مطران بيروت على الروم الاورثذكس مقالة مطوّلة تحت العنوان المذكور اعني « هل يُحتمل ان يغيّر الروس ارثوذكسيتهم ؟ » وكان الداعي لكتابة المقالة المذكورة إشاعات كاذبة كررتها بعض الجرائد مزوّرةً لساعي الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر المستحقّة كلّ ثناء لذ توسّل بالوسائل الممكنة لتخفيف بلايا الروس وإعانتهم في المجاعة الهائلة التي تحصد النفوس كلّ يوم بالالوف المؤلّفة ولردّ مظالم البولشفيك عن زعماء الكنيسة الروسيّة ولصيانة اوقافها واوانيها المقدّسة عن مطامع اولئك الاشرار . فحمل ذلك بعض الكتبة المعادين للكنيسة على نيّات سيئة لم تخطر على بال الكرسيّ الرسوليّ وكان لسيادة المطران جرلسيموس صدًى لهذه الاشاعات التي كذّبها الفاتيكان رسميًا وتنطّف من تبعتها فاقتنع بقوله ذات المتخرّصين

١) جلس البابا اقليمس التاسع على كرسي البابويّة من حزيران ١٦٦٧ الى ك ١ ١٦٦٩ . والبطرك جرجس هو جرجس السبلاني (١٦٥٧–١٦٧٠)

٢) سايلا بالقلوب هي « الياس » مؤلف هذه الرجليّة

وليست غايتنا في هذه النبذة ان نبرّر الكرسيّ الرسولي وتزكيهُ من هذه التهم الباطلة الّا انّ في مقالة السيّد جرلسيموس ما يخالف تماماً تاريخ الكنيسة الروسيّة اذ اجاب على سؤاله بالنكران لا بل جعل ارتداد الروس الى الكنيسة الرومانيّة امّ الكنائس امرًا مستحيلًا فحاول ان يثبت ذلك بروايات ملفّقة اخذها عن تآليف لاعداء الكنيسة البطرسيّة . لاسيّما ما رواهُ عن دسائس الرهبانيّة اليسوعيّة في ردّ الروس الى الكثلكة

فاقتضى علينا ان نورد الامر بكل نزاهة ودون تعصّب لما يخالف الحقيقة . وسنستند غالباً في مقالتنا الى شواهد الروس نفسهم

١ انّ الكنيسة الروسيّة كاثوليكيّةٌ في معتقدها

١ً معلوم انّ الكنيسة الروسيّة تعتقد بوحي الاناجيل الطاهرة واسفار العهد الجديد مثل الكنيسة اليونانيّة والكنيسة الرومانيّة . والحال انّ في تلك الاسفار من الآيات المتعدّدة التي تشهد باصرح الكلام عن رئاسة القديس بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين ليس الشرفيّة فقط لكنّ الفعليّة ايضاً . فطالما لا يستطيع الروس ان يمحوا من الانجيل قول السيّد المسيح لبطرس هامة الرسل (متى ١٦ : ١٨—١٩) : «انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات الخ » وقوله لهُ (يوحنّا ٢١ : ١٥—١٧) : «ارعَ خرافي . . . ارعَ غنمي» وقولهُ (لوقا ٢٢ : ٣٢) : «صلّيتُ من اجلك لئلا ينقص ايمانك . . . متى اخوتك» فلا بُدّ لهم وللروم جميعاً ان يقرّوا بانّ ابن الله اقام كنائسهِ على الارض بطرس وخلفاءه (راجع مقالة حضرة الاب انطون صالحاني في رئاسة القديس بطرس في المشرق في عدد نيسان ص ٣٣٢—٣٤٧)

٢ً للكنيسة الروسيّة كما للكنيسة اليونانيّة كتبها الطقسيّة التي تعتمد عليها في معتقداتها وآدابها . والحال انّ تلك الكتب تشهد بشهادات اضوأ من النور برئاسة القديس بطرس وخلفائهِ . امّا شواهد الكتب اليونانيّة فلا نظنّ انّ سيادة المطران جرلسيموس نسي ما اوردت لهُ جريدة البشير اذ كان شمّاساً من جبرائيل بل مثبات النصوص المثبتة لرئاسة القديس بطرس على الكنيسة جمعاء . امّا الشواهد الروسيّة

فيمكننا ان نجمع منها ايضاً عدداً عديداً لا يستطيع احد انكارها او تحويلها عن معناها وكنّا لولا نقص حروفها الروسيّة في مطبعتنا اثبتناها في اصلها . ففي الميناون المطبوع في كياف سنة ١٨١١ وفي موسكو سنة ١٨٣٢ وفي البندقيّة سنة ١٨٤٣ يُدعى بطرس مراراً بالصخرة والصفاة مع آل التعريف . ويُدعى بالصخرة الغير المتزعزعة . وبصخرة الكنيسة . وبصخرة الايمان . وبالأساس الاصلي . وبأساس الايمان . وباساس الكنيسة . وباساس الرسل . وباساس الرسل الأسمى . وباساس المعتقدات الثابت . وبمركز الايمان . وباوّل الرسل . وبالهامة . ورأس التلامذة الاعلى . وبقائد الرسل . وبرأس الرسل الفائق على كلّ الرؤوس (ὁ Κορυφαιότατος τῶν Ἀποστόλων) . وبالاوّل البالغ السموّ . وبالجالس على اوّل العروش بين الرسل . وبالمتولّي على رئاسة الرسل . وبالمتقدّم (اكسرخوس) على مجمع الرسل . وبرأس المتكلمين باللاهوت . وبراعي المسيح المقلّد منهُ الرعاية العليا على جميع الرسل . وبهيكل الله وبكنز ملكوتهِ . وبحامل مقاليد النعمة . وبحامل مفاتيح السماء الخ »

أفيمكن ان يبقى بعد هذا شكّ في اعتقاد الكنيسة الروسيّة برئاسة القديس بطرس على بيعة الله . وليست هذه الالقاب محصورةً في عامة الرسل بل تجدها ايضاً في التسابيح التي تتلوها الكنيسة الروسيّة في اعياد الاحبار الرومانيين القديسين كالقديس اقليميس تلميذ ماري بطرس (١٥ ك ٢) والقديس سلفستروس (٢٩ ت ١) والقديس لاون الكبير (١٨ شباط) والقديس مرتينوس (١٤ نيسان) الخ

٣ً تقبل الكنيسة الروسيّة كالكنيسة اليونانيّة والكنيسة الرومانيّة السبعة المجامع المسكونيّة الاولى وقوانينها . والحال ان آباء هذه المجامع يعلنون على رؤوس الاشهاد برئاسة الحبر الروماني وينقادون الى احكامهِ ويتقدّم عليهم نوّابهُ المرسلون منهُ ولا قوّة لما أجروا البحث فيهِ حتى يثبتهُ الحبر الاعظم . فترى آباء المجمع الخلقيدوني يصرخون « انّ بطرس قد تكلّم بفم لاون » كما صرخ بعدهم آباء المجمع السادس : « قد تكلّم بطرس بفم اغاثون » وكما نسب آباء المجمع الافسي فصلَ الخطاب والحكم النهائي الى القديس سلستينوس وهلمّ جرّاً

٤ً ان الكنيسة الروسيّة تجلّ آباء الكنيسة اليونانيّة الظام كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس والقديس كيرلّس والقديس

اثناسيوس الاسكندري وغيرهم كثيرين . وكل هؤلاء الرجال العظام يشهدون بلسان واحد على سلطان الحبر الاعظم . وقد نشرنا في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٧٦ و ١٣٣) سابقاً مقالة لحضرة الاب اميل رينو بيّن فيها خصوصاً اقوال القديس يوحنا فم الذهب في رئاسة القديس بطرس وخلفائه وكيف رَفَعَ الى الكرسيّ الرسولي احتجاجهُ لما قضى عليهِ اعداؤهُ ظلماً فزكّاهُ الحبر الاعظم اينوشنسيوس الثالث وزيّف حكم اعدائهِ . وكذلك نشر الاب يوحنا راي (J - B. Rey) عدّة مقالات اثبت فيها رئاسة الكرسيّ الرسولي على كنائس الشرق في القرون الاولى الثلاثة (المشرق ٣ [١٩٠٠] ٢و٤٤٢ ثمّ ٤ [١٩٠١] : ٨٠٧) . ومثل هذه الشواهد لا تكاد تحصى عدّاً منذ القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل الى زمن القديس اغناطيوس سلف فوطيوس بسلسلة غير منفصمة مدّة تسعة اجيال

وممّن يُشيد الروس بتآليفهم ثاوفيلكتوس البلغاري وهو يقول في شرح آية لوقا «ثبّت اخوتك» ما تعريبهُ . « يجب ان نعلم انّ المخلص لم يقصد بقولهِ «اخوتك» الرسل وحدهم لكن المؤمنين باجمعهم ذلك الى منتهى الدهور » . وقال في شرح قول الربّ لبطرس : « ارعَ خرافي» : انّ السيّد المسيح لم يسلّم خرافهِ لراعٍ آخر سوى بطرس فجعلهُ راعياً على كل العالم . . . قد نال يعقوب رئاسة كرسيّ اورشليم أمّا بطرس فنال رئاسة المسكونة كلها»

كذلك يعتبر الروس اعتباراً خاصاً تآليف القديس تودوروس رئيس ستوديون المعاصر لفوطيوس فانّ كتاباتهِ مملوءة من الشواهد المصرّحة برئاسة القديس بطرس وخلفائهِ على سائر المعمور كقولهِ مثلاً في رسالتهِ الثامنة والثلثين الموجّهة الى البابا لاون الثالث : «اننا نأتي اليك مكرّرين ما قاله عامة الرسل الى المسيح مع رفقتهِ : « يا ربّ نجّنا قد هلكنا » . فيا مَن اقامهُ السيّد المسيح راعياً أسمى على كلّ كنيستهِ في الارض ابسط يدك الى كنيستنا كما بسط الربّ يدهُ الى بطرس ولا فرق بين حالتنا وحالة اولئك المؤمنين سوى انهم كانوا على وشك الغرق ونحن قد سقطنا في هوّة الهرطقة العميقة فترجوك ان تقتدي بذاك البابا سميك (الاون الكبير) الذي عند ظهور البدعة الاوطيخية جاريها ببسالة الاسد في كتاباتهِ الاعتقاديّة وانت كذلك أنسمنا صوتك ذا الوحي من الله فيبدّد صداهُ البدعة المستحدثة »

ومثلها التجأ القديس اغناطيوس البطريرك القسطنطيني الى الحبر الروماني القديس نيقولا لينصره على عدوه فوطيوس الذي اغتصب كرسيه فيدعوه هناك « بالبابا المسكوني » ثم يشكره على انتصاره لحقوقه قائلاً : « انك بمقتضى السلطان الذي قبلته من المسيح قد ناصبت اعداء الحقيقة وحرمت فوطيوس من عداد المؤمنين — ان قداستك وحدك انت طبيب الدنيا كلها . . . »

بل لنا في كتابات فوطيوس عينه شواهد نيرة على سلطان الكرسي الرسولي اذ كتب سنة ٨٥٩ الى البابا القديس نقولا ليؤيد تقليده البطريركية القسطنطينية بدلاً من القديس اغناطيوس فلم ينخدع برنانه فحرمه . ولما مات اغناطيوس عاد فاوفد الى يوحنا الثامن خلف القديس نقولا طالباً منه ان يرضى بتقليده البطريركية ثانية

فكل هذه الشواهد وغيرها كثير يمكننا ان نؤلف منها مجلداً ضخماً لا تبقي ريباً في الوجوب على الروس باعتقاد رئاسة الاحبار الرومانيين العمومية

الكنيسة الروسية كاثوليكية بموجب تاريخها

١ سواء قيل انّ الكنيسة الروسية اخذت ايمانها من بوزنطية المتحدة مع رومية او المنفصلة عنها لا تُدحة لذويها من الاعتراف بوحدة الكنيسة وبمركزها الوحيد الذي قلّده السيد المسيح لبطرس كما يؤخذ من اقوال الآباء . ومعلوم انّ هذا المركز هو رومية وحدها . لان بوزنطية كانت قبل قسطنطين الكبير مدينة خاملة الذكر ولا يُعرَف لها اسقف قبل القرن الرابع . فليست اذن هي كنيسة رسولية كاورشليم وانطاكية والاسكندرية . ولو ثبت أنها رسولية وانّ القديس اندراوس انشأها كما يزعم البعض خلافاً للتاريخ الصحيح فهذا لا يكفي لتقليدها السلطة العظمى التي ادّعتهُ لنفسها زوراً

٢ على اننا نستطيع ان نثبت كون الكنيسة الروسية كاثوليكية في اصلها . فانّ حضرة الاب جبرئيل لوثنك نشر في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٧٥٥ و٧٩١) مقالتين تحت عنوان روسية سابقاً وحاضراً اثبت فيهما انّ تنصّر الروس اوّلاً قد تمّ على يد المتقدّس سفنة البطريرك الكاثوليكي القديس اغناطيوس وذلك استناداً الى اقدم مؤرخ ثقة اكتشفوا تاريخهُ من عهد قريب وهو المؤرخ نسطور وروايتهُ يؤيدها

قدريتوس والملك قسطنطين برفيروجنات على خلاف فوطيوس الذي نسب الامر الى نفسهِ زوراً كمألوف عادتهِ في تزويرات اخرى عديدة ؟

وكذلك بيّن حضرتهُ ان تنصُّر روسيَّة العام الذي حدث في أيام ملكهم ڤلاديمير في اواخر القرن العاشر واوائل الحادي عشر (٩٨٠–١٠١٤) تمَّ فعلاً في زمن اتحاد الروم مع الكرسي الرسولي وخضوعهم لهُ قبل ميخائيل كرولاريوس (١٠٤٣–١٠٥٨) الذي ألقى الكنيسة البوزنطيَّة في لجَّة الضلال بغطرستهِ ومطامعهِ الاشبيليَّة

على انَّ الكنيسة الروسيَّة بقيت بعد فوطيوس وكرولاريوس متَّحدةً مع رومية. لنا على ذلك شواهد مختلفة فان ڤلاديمير لمَّا اتاهُ الراهب برنيفاسيوس سفير الحبر الاعظم سنة ١٠٠٧ ليبشِّر بالايمان بين بعض قبائل الروس رضي بملتمسهِ وساعدهُ على تبشيرهِ واعطاهُ لذلك مبلغاً من المال ورافقهُ في طريقهِ يومين

وكان الروس يذهبون الى رومية لزيارة قبر القديس كيرلس رسول الصقالبة المتوفَّى في رومية. وارسل البابا نيقولا الاوَّل لامراء كياف ذخائر ثمينة شكروا الحبر الاعظم عليها

وفي السنة ١٠٤٨ اقترنت حنَّة ابنة جاروسلاف امير كياف بهنري الاوَّل ملك فرنسة. ولمَّا حارب ملكُ بولونية بولسلاس اميرَ كياف المدعو ارياسلاف وطردهُ من امارتهِ التجأ هذا الى الحبر الاعظم القديس غريغوريوس السابع فكتب الحبر الاعظم الى الملك وتقدَّم اليهِ بان يردَّ للملك الروس ما امتلكهُ بالحرب فخضع بولسلاس لحكمهِ وعاد ارياسلاف الى امارتهِ

ولمَّا احتدم الجدال بين رومية والقسطنطينيَّة بدسائس كيرولاريوس بقيت روسيَّة متحايدةً لا تُبدي خلافاً للكرسي الروماني لا بل اليها التجأ سفراء الحبر الاعظم لينجوا من ظلم كيرولاريوس بعد ان حرمهُ البابا

ومن الدلائل على ثبات الروس على الاتحاد مع رومية انَّهم ادخلوا في كلندارهم اعياداً لا تجدها في كلندار الكنيسة اليونانيَّة كانتقال بيت العذراء من الناصرة الى لورت وعيد انتقال ذخائر القديسين نقولا الى باري (Bari) في ايطالية سنة ١٠٩٣ وذلك بمساعي المتروليت افريم

وفي القرن الثاني عشر شيَّد عند الروس في نفوغورود راهبٌ لاتيني لسمهُ انطون

ديراً كبيراً حفل بالرهبان والى اليوم يكرمهُ الروس تحت اسم القديس لنطون الروماني. وكذلك الكنيسة الرومانيَّة اكرمت بعض القديسين الروس كالاميرين الشهيدين « جلاب وبوريس » ابني القديس ڤلاديمير بعد اثبات قداستهما سنة ١٠٧٢ . وهو اعظم دليل على اتحاد الكنيستين

على انَّ غزوات المغول والتتار في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عرضت روسيَّة لاخطار عظيمة كادت تقضي عليها فصرفت افكارها الى امورها السياسيَّة فانتهز بطاركة القسطنطينيَّة تلك الفرص ليقوّوا نفوذهم بين الروس ويُشربوهم البغض لكنيسة رومية . وكانت المعاملات بين رومية وروسيَّة صعبة جدًّا لبعدهما عن بعضهما فكانت نتيجة تلك الدسائس انَّ الروس تحزّبوا لبوزنطيَّة ونسوا الكنيسة الرومانيَّة

لكنَّ المجمع الفلورنتيني في اواسط القرن الخامس عشر كاد يجدّد العلاقات بين الكرسي الرسولي وروسيَّة لولا عناد مرقس الافسسي والاساقفة الذين هيَّجهم على الكنيسة اللاتينيَّة فانَّ ايزيدوروس متروبوليت كياف مع الوفد الروسي الذي اتى الى فلورنسة لحضور مجمعها كان من اعظم انصار الاتحاد بين الكنيستين مثل بسّاريون . فانتهى المجمع باتفاق آباء الكنيستين في ٦ تموز سنة ١٤٣٩ وقرئت براءة الاتحاد التي امضاها الجميع فلا بُدَّ ان يقال احد امرَين اما انَّ الكنيسة برمَّتها الغربيَّة والشرقيَّة شطَّت بالضلال وقويت عليها ابواب الجحيم خلافاً لوعد السيّد المسيح واما ان يقال انَّ الكنيسة الرومانيَّة هي وحدها كنيسة المسيح

وما لا ينكر انَّ ايزيدوروس لم يألُ جهداً في سعيه وراء الاتحاد الذي انحاز اليه الارمن واليعاقبة وبطاركة الشرق مباشرةً بيوسف ومتروفانس بطريركي القسطنطينيَّة (اطلب كتاب كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم ص ٧٦—٢) الا على انَّ بعض الاساقفة عادوا وغيَّروا رأيهم خوفاً من الحزب المعاكس ورجع الروم الى عنادهم فما لبث غضب الله ان حلَّ على القسطنطينيَّة وكلّ يعلم الى اي درجة من الانحطاط قد بلغت كنيسة الفنار . وقد أصاب الكنيسة الروسيَّة بسبب انقيادها الى بوزنطيَّة قسمٌ من ذاك الهبوط كما هو معروف

والحقّ يقال انَّ الكنيسة الروسيَّة منذ انفصالها عن الكنيسة الرومانيَّة صارت

ألوبةً في ايدي الحكومة والقياصرة يتصرفون فيها كيفما شاؤوا كما صارت الكنيسة اليونانيةُ ألوبةً في ايدي المجمع الطائفي في الاستانة حتى وُجد في وقت واحد اربعة بطاركة عُزلوا من رتبتهم ونُفوا الى برنكيبو . وقياصرة روسيةٌ بعد ان عيَّنوا للكنيسة بطاركةً ومطارنة يسوسونها اقاموا لجنةً يتصدَّر فيها احد اعيان الدولة باسم القيصر ويأمر وينهي باسمهِ كما يشاء. ففقدت الكنيسة كلَّ استقلالها ويرى العلماء كسلوفياف واصحابهِ أنهُ لا دواء لذلك الداء العياء الَّا برجوع الكنيسة الروسيَّة الى مركز الوحدة في رومية

يُحتمل رجوع الروس الى الكثلكة

امَّا الذين ينكرون احتمال ذلك كسيادة المطران مسرَّة فحججهم اوهى من خيط العنكبوت كما سترى في الاسطر التالية :

١ يقول الفلاسفة انَّ ما كانَ محتملٌ ان يكون . والحال انَّ روسيَّة كانت سابقاً كاثوليكيَّة مرتبطة بكنيسة رومية فلا يستحيل اذن ان تعود الى الاتحاد معها

٢ لا بل يشهد دستور الايمان الذي يقولهُ الروس على وجوب دخولهم في الكثلكة فانهم لا يقولون «اؤمن بكنيسة واحدة اورثدكسيَّة» ولكن «اؤمن بكنيسة واحدة جامعة» . وليست كنيسة جامعة الَّا الكنيسة الكاثوليكيَّة ومعنى هذا الاسم باليونانيَّة «الجامعة» فيقال في الدستور النيقوي: «أؤمن بكنيسة كاثوليكيَّة»

٣ انَّ روسيَّة باتحادها مع الكنيسة الرومانيَّة لا تفقد اورثدكسيَّتها بل تثبتها فانَّ معنى الاورثدكس المستقيم الرأي وهو اسم شاع في الكنيسة الرومانيَّة قبل ان تنتحلهُ الكنيسة الشرقيَّة فتراهُ في نافورها منذ القرن الرابع . ويمكن الروسي اذن ان يحافظ على اسم الارثدكسي ولو صار كاثوليكيًّا بل يصير ارثوذكسياً اسماً وفعلاً

٤ ليس بصحيح ما زعم المطران مسرَّة انَّ الروسي اذا تكثلك يفقد شيئاً من طقوسهِ . فانَّ في الكنيسة الكاثوليكيَّة طوائف شرقيَّة مختلفة يونان وارمن وكلدان وسريان واقباط وروثان وصقالبة وكلُّ هؤلاء يحفظون طقوسهم بامر الاحبار الرومانيين الذين لم يسمحوا لاي كان ان يمسَّها بشيء او يغيِّر امتيازاتهم

٥ انَّ التاريخ الروسي يثبت رجوع الروس الى الكثلكة كلَّ مرَّة سمح القياصرة بحريَّة رعاياهم وذلك بمجرَّد المفاوضات التي كانت تجري بينهم وبين

الكاثوليك لابل بمجرّد نظر الروس الى حسن سلوك الكاثوليك واستقلال اكليرسهم بازاء السلطة المدنيّة والامثال على ذلك عديدة جدًّا

٦ انّ الامور الخمسة التي تفرق الكنيسة الرومانيّة والكنيسة الروسيّة يسهل اثباتها للروس اذا شاؤوا البحث فيها دون تعصّب وذلك استنادًا الى تقاليدهم القديمة

٧ امّا ما نسبهُ المطران جراسيموس الى اليسوعيين من الدسائس في اجتذاب الروس الى الكثلكة فلا يسعنا هنا تفنيدهُ الّا انّ الابوين اليسوعيين الروسيّين غارين (Gagarin) وبيارلنغ (Pierling) قد بيّنا حقيقتهُ في تآليفهما فليراجع سيادتهُ مثلًا كتاب هذا الاخير الموسوم بالباباوات والقياصرة (Papes et Tsars) يقف على تفاصيل سفارات اليسوعيين الى قياصرة روسيّة بحيث لا يبقى لهُ شكّ في اعتدال اليسوعيين وحسن خطّتهم في ما عهد اليهم الاحبار الرومانيّون .

وبالختام ندعو الى الله ان يزيل عن كنيستهِ كلّ شقاق ويحقّق امنيّة السيّد المسيح بقيام راعٍ واحد ورعيّة واحدة

مطبوعات شرقيّة جديدة

GESCHICHTE DER SYRISCHEN LITERATUR mit Ausschluss der christlich-palästinensischen Texte, von Dr Anton Baumstark, *Bonn* 1922. *Marcus u. Webers Verlag, in-4, pp.* 378

تاريخ الآداب السريانيّة

انّ للسريانيّة في انحاء اوربّة مقامًا ارفع من بلادنا . فحين ترى هذه اللغة خاملةً في اغلب انحاء الشرق تجد دروسها على خلاف ذلك تترقّى في كليّات الغرب وقد نشروا من كنوز السريان تآليف متعدّدة بيّنت فضلهم في القرون الاولى والمتوسّطة للنصرانيّة . وكان الفاضلان الدكتور رَيت الانكليزي ثم المستشرق روبنس دوفال

الكاثوليك لابل بمجرّد نظر الروس الى حسن سلوك الكاثوليك واستقلال اكليرسهم بازاء السلطة المدنيّة والامثال على ذلك عديدة جدًّا

٦ انّ الامور الخمسة التي تفرق الكنيسة الرومانيّة والكنيسة الروسيّة يسهل اثباتها للروس اذا شاؤوا البحث فيها دون تعصّب وذلك استنادًا الى تقاليدهم القديمة

٧ امّا ما نسبهُ المطران جراسيموس الى اليسوعيين من الدسائس في اجتذاب الروس الى الكثلكة فلا يسعنا هنا تفنيدهُ الّا انّ الابوين اليسوعيين الروسيّين غارين (Gagarin) وبيارلنغ (Pierling) قد بيّنا حقيقتهُ في تآليفهما فليراجع سيادتهُ مثلًا كتاب هذا الاخير الموسوم بالباباوات والقياصرة (Papes et Tsars) يقف على تفاصيل سفارات اليسوعيين الى قياصرة روسيّة بحيث لا يبقى لهُ شكّ في اعتدال اليسوعيين وحسن خطّتهم في ما عهد اليهم الاحبار الرومانيّون .

وبالختام ندعو الى الله ان يزيل عن كنيستهِ كلّ شقاق ويحقّق امنيّة السيّد المسيح بقيام راعٍ واحد ورعيّة واحدة

مطبوعات شرقيّة جديدة

GESCHICHTE DER SYRISCHEN LITERATUR mit Ausschluss der christlich-palästinensischen Texte, von Dr Anton Baumstark, *Bonn* 1922. *Marcus u. Webers Verlag, in-4, pp.* 378

تاريخ الآداب السريانيّة

انّ للسريانيّة في انحاء اوربّة مقامًا ارفع من بلادنا . فحين ترى هذه اللغة خاملةً في اغلب انحاء الشرق تجد دروسها على خلاف ذلك تترقّى في كليّات الغرب وقد نشروا من كنوز السريان تآليف متعدّدة بيّنت فضلهم في القرون الاولى والمتوسّطة للنصرانيّة . وكان الفاضلان الدكتور رَيت الانكليزي ثم المستشرق روبنس دوفال

الفرنسوي قد نشرا دستوراً جمعا فيه مجمل تآليف السريان المعروفة سواء كانت مخطوطة او منشورة بالطبع مع لمحة قصيرة عن مؤلفيها . وقد احبّ الدكتور انطون بومشترك منشئ مجلّة «الشرق المسيحيّ» في الالمانيّة واحد اساتذة جامعة بُنّ ان يتحف دارسي هذه اللغة الشريفة بتاريخ اوسع وامتع لآدابها فسرّحنا النظر في كتابه فوجدناهُ كاملاً شاملاً لتلك المآثر الجليلة . وقد قسم كتابهُ الى قسمين يتناول الاوّل منهما آداب السريان قبل الاسلام والثاني ما بعدهُ . ولكل قسم فصول مختلفة لم يكد يفوتهُ شيء من شتات تلك اللغة وآثارها المتفرّقة يشهد على ذلك ما زيّن به ذيل كل صفحة من كتابه فانّ هناك حواشيَ وافادات تدلّ على عناء وشغل طويل لولا قلّة ايضاح في بعضها لتراكم فوائدها المرصوصة . فنثني على همّة الدكتور بومشترك ونحثّ محبّي السريانيّة والشرق النصرانيّ على اقتناء هذا السفر المشع ل.ش

F.H. Weinsbach. Die Denkmaeler und Inschriften an der Mündung des Nahr el-Kelb. (Heft 6 d. Wissensch. Veröffentlich. des Deutsch - Türkischen Denkmalschutz - Kommandos, herausg. v. Theod. Wiegand). *Berl. u. Leipz., W. de Gruyter et C°*, 1922; 4°, 56 *pp.*, 16 *fig. et* 14 *planches.*

الآثار والكتابات الموجودة عند مصبّ نهر الكلب

كان بودّنا ان نفيد قرّاءنا قبل اشهر عن طبع هذا الكتاب الجديد لولا كلّ في النظر اضطرّنا الى تأجيل العمل وانّنا سنكتفي بهذه العجالة وأملنا ان نكتب في هذا الصدد مقالة مطوّلة . امّا موضوع الكتاب فتفسير ما يزين صخور نهر الكلب من الآثار والكتابات المصريّة والاشوريّة والبابليّة واليونانيّة والرومانيّة في ذلك المضيق الذي كان يتحتّم على كلّ الدول قطعهُ . وكان العلّامة ڤيباخ من مشاهير علماء اللغة الاشوريّة قد تفقّد هذه الكتابات منذ ١٨ سنة رجاء ان يقارن بين كتابات الملك نبوكدنزّر المنقورة هناك على ضفّة النهر اليمنى تحت القناة الصغيرة الحديثة بجوار ابعد التهاوي عن شاطئ البحر . وبين نصوصها التي وجدها قنصل فرنسة المسيو بونيزون في وادي بريسا في منعطف لبنان الشرقي قريباً من قرية الهرمل (ليس الحرمل كما كتب المؤلف) فوضع تأليفاً خاصاً بتلك الكتابات . الّا انّ المسيو ڤيباخ كان يودّ ان يسعى بعض العلماء بنشر بقيّة كتابات نهر الكلب التي رآها في تلك الرحلة

السابقة واذ خاب املهُ وسكت عنها الاثريون احبَّ ان يخوض في هذا الموضوع مستنداً الى ما حصل عليهِ من الرسوم الفوتغرافية لبعض رصفائهِ الالمان. فشمَّر عن ساعد الجدّ وابرز كتابهُ هذا الجديد في تلك الآثار. والحقّ يقال انّ تأليفهُ حسنٌ اجمالاً الّا انهُ كان ينبغي عليهِ ان يعود ويمعن النظر في تلك الكتابات بعينهِ فانَّ دقائق كثيرة لا تلوح منها الّا بعد تكرار الفحص كما تحقَّقنا ذلك بنفسنا مراراً. وعلى كل حال نقر بوفرة معلومات هذا الكتاب الذي صدَّره المؤلف بوصفٍ جغرافي لموقع الكتابات ثمَّ الحقهُ بتاريخ النهر واسمهِ والروايات العاميَّة المرويَّة عنهُ الخ ثمَّ تاريخ كتاباتهِ واكتشافها منذ السنة ١٤٣١ الى يومنا. يليها وصف الكتابات المذكورة وهي: ١ً ثلث مصريَّة لرعمسيس الثاني. ٢ً وستٌّ اشوريَّة يصعب تعريفها الّا الواحدة التي هي لأسرحدُّون نحو السنة ٦٧١ ق م. ٣ً وكتابة بابلية لنبوكدنزر المذكور آنفاً بين السنة ٥٨٧ و٥٦٨ ق م. ٤ً وكتابات يونانيَّة مطموسة. ٥ً وكتابات لاتينيَّة الواحدة حسنة للقيصر كركلّا (ايس مرقس اورليوس كما ورد في دليل بديكر) تاريخها نحو السنة ٢١٥ ب م. ٦ً كتابات عربيَّة نشر معظمها فقيد الاثار المرحوم فان برشم في مجموعة الآثار الساميَّة. ٧ً وصف قصير لبقيَّة الآثار. وفي اثر ذلك لائحة للتآليف التي اعتمد عليها المؤلف وهي غير كاملة ثمَّ رسوم فوتغرافيَّة منها مفردة ومنها في المتن. أمَّا انتقاد تفسير الكتابات فسنعود اليهِ ان شاء الله في مقالة خاصَّة. وثمن الكتاب ١٨ شلناً يحسن بالسوريين ان يقتنوهُ ليتحقَّقوا «ان الغريب ادرى بالبيت من صاحبهِ»

الاب سبستيان رنزفال

J. Thoulot: L'Océanographie, *Un vol. in -16, Paris, Gauthier-Villars*, 1922. *pp.* 287

وصف الاوقيانوس علمياً

قد باشرت مكتبة غوتيه ڤيلار نشر مجموعة جديدة تحت عنوان «علم وتمدُّن» وهذا الكتاب هو الثالث من مجموعها. لعمري انَّ علم الاوقيانوس ومحتوياتهِ احد العلوم المستحدثة وقليلون هم الذين يعرفون شيئاً منهُ. وها هوذا كتاب وضعهُ احد الاختصاصيين ليسدَّ هذه الثلمة فضمَّن تأليفهُ كلَّ ما يحبُّ الجمهور ان يطلع عليهِ من هذا القبيل فهو يبين حدودهُ وموقعهُ ومركَّباتهِ واعماقهُ وما يدخل فيهِ من المواد الكيموية وما يستفاد منهُ لمرقة الطبيعيَّات. وقد خصَّ الاربعة الفصول الاخيرة منهُ

لوصف جليده ولمواجه ومدّه وجزره وسيوله . فقرأنا بكلّ لذّة هذه التفاصيل ولا نشكّ انّ المطّلعين على الكتاب ينضمّون الى رأينا . فنتمنّى ان يروج بينهم رواجاً عظيماً

Fr. Charles-Roux. Autour d'une route. L'Angleterre, l'Isthme de Suez et l'Egypte au XVIIIe siècle. *Un vol. in-8, Paris, Plon* 1922, *Prix* 15 *fr*

الجهاد حول طريق

اي طريق ؟ اراد به المؤلف طريق مصر الى الهند . وكلّ يعلم باي نشاط واي ثبات وتفانٍ تسعى انكلترة اليوم بسلامة هذا الطريق واحتكاره لمنافعها الخاصّة . ولاسيّما لتبلغ منه الى املاكها الهنديّة . على انّ انكلترة بقيت زمناً طويلاً قبل ان توجّه مطامعها الى الطريق المذكور . وكانت شركتها الشهيرة المعروفة بشركة الهند الشرقيّة تكتفي بسيرها حول افريقية ولا تطلب من جزيرة العرب الّا ان تتاجر بالبنّ في مُخا وجدّة وكل ذلك فراراً من تحويل تجارتها الى البحر المتوسّط الذي كان محظوراً عليها . الّا انّ الامور انقلبت بعد مدّة بجيادة فرنسة المغلوبة عن الهند وثبات قدم بريطانية وسيادتها مع هبوط الدولة العثمانيّة وضعف سلطتها في مصر على عهد علي بك وخصوصاً بعد بعثة نابوليون الى مصر فادركت وقتئذٍ انكلترة حاجتها الى وادي النيل لتؤمّن طريقها الى الشرق ولم تزل مذ ذاك الحين تنفذ ما لديها من الوسائط لادراك غايتها . فهذا ما بيّنه صاحب هذا الكتاب الممتع فتتبّع تلك الاطوار المختلفة ووصفها وصفاً شائقاً مستنداً في روايته الى اوثق الكتابات السرّية التي وجدها في المكاتب البريطانيّة وسبق الانكليز في نشرها الاب ج . لوفنك

MISSIONES CATHOLICÆ cura S. Congregationis de Propaganda Fide descriptæ ANNO 1922, *Florentiæ ex Typogr. Barbéra Alfani et Venturi prop.* 1922, *pp.* 553.

تعريف الرسالات الكاثوليكيّة

لمجمع انتشار الايمان في رومية نشرة سنويّة يصف فيها الرسالات الكاثوليكيّة المنتشرة في كافّة انحاء المعمور . وقد وقفنا على طبعته الاخيرة الصادرة في اوّل هذا العام فوجدنا فيها كل المعلومات التي كنّا نشتاق الى معرفتها . فترى هناك بالتفصيل كل مراكز الرسالات ووصف مرسليها الرهبان والراهبات والكهنة العاملين واعمالهم

المختلفة بين الوثنيين وغير المؤمنين مع بيان عدد الكاثوليك والمترشحين للكثلكة ومعلومات اخرى عديدة لا تجدها في غير هذا الكتاب الذي ينطق بلسان حالهِ عن عظمة الكنيسة الكاثوليكيَّة وتفوُّقها على سائر الاديان ل.ش

Aly bon-Abdorrahman-ben Hodeil El Andalousy : La Parure des Cavaliers et l'Insigne des Preux. Texte arabe édité par L. Mercier, Paris, P. Geuthner, 1922

حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل

علي بن عبد الرحمان بن هُذَيل الفزاري احد أدباء الاندلس في القرن الثامن للهجرة لهُ عدَّة مصنَّفات لا يُعرَف الَّا القليل منها. والكتاب الذي نحن بصددهِ هو القسم الثاني لتأليف اوسع عنوانهُ « تحفة الانفس وشعار سكَّان الاندلس » وجد منهُ المستشرق الفاضل لوى مرسي نسخة في مراكش قابلها على نسخة الاسكوريال وطبعها بالرسم الفوتغرافي طبعاً حسناً. ومدار هذا القسم على الخيل والاسلحة في ٢١ باباً امَّا القسم الاوَّل فاودعهُ ابن هذيل كلاماً مطوَّلاً على الجهاد وقد وعد المتولِّي نشر القسم الاخير بنشر القسم الاوَّل الذي توفَّق الى اكتشافهِ وكذلك وعد بنقل القسم الثاني الى الافرنسيَّة وبتذييلهِ بالحواشي فنؤجل الكلام عنهُ الى حين وقوفنا على كل ذلك ل.ش

ديوان حافظ (لناظم عقدهِ محمَّد حافظ ابرهيم)

عني بشرحهِ محمَّد ابرهيم هلال. والتزم طبعهُ عبد العال احمد

الطبعة الثالثة سنة ١٣٤٠-١٩٢٢ ثلثة اجزاء في مطبعة الهلال بمصر

حافظ بك ابرهيم احد الافراد الذين كسوا شعرنا العربي بعد خمولهِ بُرداً قشيباً فانهضهُ من كبوتهِ وأعلى منارهُ لجمعهِ بين متانة البدو وانسجام الحضَر ولتفننهِ في اختيار المواضيع العصريَّة ووصف الحوادث الطارئة وتصرُّفهِ في ضروب القوافي عفواً دون تكلُّف فلا عجب اذ ذاك أن كثر الاقبال على مطالعتهِ فتجدَّد طبعهُ غير مرَّة. وهذه الطبعة الجديدة اوسع من الطبعتين السابقتين مادَّةً واعظم فائدةً لما أُضيف اليها من الشروح. فنثني على كل من عُني بنشرها وهي الطبعة الجديدة التي تُباع في مكتبة صاحب الهلال بثمن ١٥ فرنكاً خالص البريد ل.ش

امين الريحاني ناشر فلسفة الشرق في بلاد الغرب

بقلم توفيق الرافعي . طُبع على نفقة مكتبة الهلال ١٩٢٢

اهدانا صاحب مكتبة الهلال في مصر — ويا ليتهُ لم يفعل — هذا الكتاب الذي اودعهُ توفيق افندي الرفاعي تاريخ حياة الريحاني والحفلات المقامة لاكرامهِ بمصر . ونحن مع تقديرنا العلم قدرهُ لا يمكننا ان ننسى ما ينفثهُ « فيلسوف الفريكه » في كتاباتهِ من سمّ الزندقة والالحاد . فانَّ كلّ حسناتهِ لا تشفع بتلك السيئات التي ذكرنا شيئاً منها في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٦٣٩و٧١٦ ثم ١٣ [١٩١٠] : ١٤٤و٤٧٧) فلسنا لننخدع لبهرجة كلامهِ فانك لا تكاد تجد منهُ صفحة خالية من بعض الاضاليل فيشوّه الدرّة بالبعرة ويموّه الصُّفر بالذهب . وقد اخذنا العجب من حضور بعض الموارنة تلك الحفلات لاستقبالهِ في مصر وهو الذي شتم سيّدة لبنان وجرح احساسات مواطنيهِ ودعا الحكومة الى انشاء المدارس اللادينيَّة ولم يستحي ان يهدّد كرسي بطريركهم الجليل بالرصاص والبارود وحرّض الكهنة على خلع الطاعة لرؤسائهم وانتصر لفيصل على فرنسة المحسنة الى وطنهِ . فكفى بهذا تركيةً لنا لرذل هذا الكتاب وتقبيح اعمال صاحبهِ ل . ش

ما وراء البحار او النبوغ العربي في العالم الجديد

عُني بجمعهِ ونشرهِ توفيق الرافعي . طبع في مطبعة الهلال

هذا مجموع من مقالات شتّى لبعض كتبة السوريين في العالم الجديد وهو يُشبه الكتاب السابق في مضامينهِ الجامعة بين الغث والسمين . ومعظمها لكتبة يناصبون الدين مباشرةً بامين الريحاني وجبران خليل جبران . اقرأ مثلاً المقالة الاولى « الحرّية وحدها لا توحدنا » تجد فيها بين الصحيح والقبيح ولو تتبعنا كلّ صفحة منها لوجدنا ما يستحق التسفيه والتشنيع ففي الصفحة ١٠ تحريض على الثورة . وفي الصفحة ١٢ يندّد كاتبها « بالعلوم اللغويّة والفقهيّة واللاهوتيّة والخنفشاريّة » (كذا) وقس على ذلك مقالات اخرى كمقالة الكنيسة والجامع . ولا ننكر انَّ في الكتاب فصولاً حسنة « كوخطّتني نفسي » وغير ذلك ممّا لا يتعرّض لهُ . ونتمنّى ان المتنجبين لاقوال النوابغ يحسنون الاختيار فلا يعرضون على القرّاء الّا ما يستحقّ الثناء لفظاً ومعنى

التعليم المسيحي الصغير

لحضرة الخوري بطرس فرج صفير

هذه طبعة جديدة لذاك التعليم الـذي وصفناهُ سابقاً (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٧١٠) واثنينا على واضعهِ . وقد نقَّحهُ مؤلفهُ وزاد عليهِ بعض الايضاحات والشروح الوجيزة لتعميم انتشارهِ . ويزيدنا بضامينهِ ثقةً مصادَقة غبطة السيّد البطريرك الماروني الكلي الطوبى عليهِ ل . ش

فتاة مصر : رواية فكاهيَّة اجتماعيَّة تهذيبيَّة

تأليف الدكتور يعقوب صرُّوف (ملحق المقتطف)

طُبعت في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٢٢ : الطبعة الرابعة

لم يسمح لنا الوقت بمطالعة ما يُرسل الينا من الروايات . على انَّ اسم مصنّف رواية فتاة مصر الدكتور صرّوف محرّر المقتطف واستحسان الأُدباء لاسلوبها الجامع بين الفكاهة والحقائق التاريخيَّة والتعاليم العمرانيَّة والسياسيَّة يحملاننا على الظنّ بأنَّها من الروايات التي تفيد شبَّان العصر وترشدهم الى الفضيلة وخدمة البلاد مع تنفيرهم من المضاربات وكلّ ما من شأنهِ ان يرمي بهم في مَفْواة الضلال ل . ش

شذرات

— اختراع عجيب — نشرنا في « المشرق » في عدد حزيران ١٩٢١ (ص ١٢٤—١٣٥) مقالةً علمية عنوانها « نقل الصور الشمسيَّة الى المجرى الكهربائي ومشكل الترائي عن بعد » . وبعد ان بيَّنا طرق نقل الصور تطرَّقنا الى إمكان الترائي عن بعد استناداً الى فتوحات العلم العصريّة فقلنا ما حرفهُ :

« ان التحادث اللاسلكي امرٌ متحقق منذ نحو خمسة اعوام وان الترائي بحصر المعنى ، اي بدون تحادُث لكن برأى كل شخص لحركات الآخر وسكناتهِ ، امرٌ لا يقتضي ايجاده سوى زيادة سرعة الارسال الحاضرة (يعني ارسال الصور الشمسية) نحو مائة وخمسين ضعفاً بل يحتمل تحققه بالطريقة اللاسلكية »

وقد انبأتنا احدى المجلات دخول الترائي عن بعد في حيز الوجود بفضل

التعليم المسيحي الصغير

لحضرة الخوري بطرس فرج صفير

هذه طبعة جديدة لذاك التعليم الـذي وصفناهُ سابقاً (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٧١٠) واثنينا على واضعهِ . وقد نقَّحهُ مؤلفهُ وزاد عليهِ بعض الايضاحات والشروح الوجيزة لتعميم انتشارهِ . ويزيدنا بضامينهِ ثقةً مصادَقة غبطة السيّد البطريرك الماروني الكلي الطوبى عليهِ ل . ش

فتاة مصر : رواية فكاهيَّة اجتماعيَّة تهذيبيَّة

تأليف الدكتور يعقوب صرُّوف (ملحق المقتطف)

طُبعت في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٢٢ : الطبعة الرابعة

لم يسمح لنا الوقت بمطالعة ما يُرسل الينا من الروايات . على انَّ اسم مصنّف رواية فتاة مصر الدكتور صرّوف محرّر المقتطف واستحسان الأُدباء لاسلوبها الجامع بين الفكاهة والحقائق التاريخيَّة والتعاليم العمرانيَّة والسياسيَّة يحملاننا على الظنّ بأنَّها من الروايات التي تفيد شبَّان العصر وترشدهم الى الفضيلة وخدمة البلاد مع تنفيرهم من المضاربات وكلّ ما من شأنهِ ان يرمي بهم في مَفْواة الضلال ل . ش

شذرات

— اختراع عجيب — نشرنا في « المشرق » في عدد حزيران ١٩٢١ (ص ١٢٤—١٣٥) مقالةً علمية عنوانها « نقل الصور الشمسيَّة الى المجرى الكهربائي ومشكل الترائي عن بعد » . وبعد ان بيَّنا طرق نقل الصور تطرَّقنا الى إمكان الترائي عن بعد استناداً الى فتوحات العلم العصريّة فقلنا ما حرفهُ :

« ان التحادث اللاسلكي امرٌ متحقق منذ نحو خمسة اعوام وان الترائي بحصر المعنى ، اي بدون تحادُث لكن برأى كل شخص لحركات الآخر وسكناتهِ ، امرٌ لا يقتضي ايجاده سوى زيادة سرعة الارسال الحاضرة (يعني ارسال الصور الشمسية) نحو مائة وخمسين ضعفاً بل يحتمل تحققه بالطريقة اللاسلكية »

وقد انبأتنا احدى المجلات دخول الترائي عن بعد في حيز الوجود بفضل

المهندس المَجَريّ ديونيس ميغالي فقد حلّ ذلك المشكل العويص الذي قصر عنه جهابذة العلماء والباحثين فاخترع جهازاً سماه «تلاهور» (téléhore) وهو اسم مصوغ من لفظتين يونانيتين على شبه تلغراف وتلفون، ومعناه «الناظر عن بُعد» . وقد جرّب المبتكر الالمعي ذلك الجهاز فاستطاع بواسطته ليس فقط ان يرى الاشياء من بعد شديد بل ان يصوّرها تصويراً شمسياً كانها ماثلة امام عينيه . وقيل ان شركة مركوني للمواصلات اللاسلكية التي مركزها لندرة قد باشرت المخابرات مع المخترع المَجَريّ بقصد استثمار ابتكاره الرائع . فمن المستطاع الان بفضل التلفون اللاسلكي و« التلاهور » مجموعين ان يتراءى شخصان ويتحادثا في آن واحد من بيروت الى القاهرة مثلاً ! فسبحان من قدّر عقول النوابغ على صنع مثل هذه المعجزات التي لا تدري الى اي حد من الغرابة ستبلغ في اثناء هذا الجيل الاب ر . نخله

﴿الشيعة والشرق﴾ كتبت مجلّة العرفان الصيداويّة تحت هذا العنوان نبذةً في عددها الاخير (ذو القعدة ص ٦٣٧) اخذت علينا ثلاثة امور : الاوّل كوننا اثرنا الضغائن بنشرنا رثاء اهل عين ابل لشهدائهم . الثاني تحاملنا على الماسونيّة . والثالث تخطئتنا للعرفان في نسبة كسوف الشمس للزهرة بدلاً من القمر . نقول لا بل اخذنا العجب من افتئات صاحب العرفان علينا في هذه الامور . يا لله هؤلاء قومٌ جمعوا رفات اقاربهم واقاموا لهم مدفناً يذكرون به شهداءهم الذين ذهبوا ضحيّة الظلم والتعصّب الاعمى دون ذنب سوى كونهم نصارى ولا يُسمح لهم ان يبكوا موتاهم ولنا ان ننشر رثاءهم فنُنسب كلانا الى التعصّب ان فعلنا . فماذا نقول لاهل الشيعة وهم يقيمون منذ ١٣٠٠ سنة الى اليوم المناحات المطنطنة على الحسن والحسين يوم عاشوراء ويثيرون الضغائن بين الطوائف الاسلاميّة وهم يعدّون ذلك ديناً . وهل يريد صاحب العرفان ان ينسى المظلوم جور ظالمه بعد ان اختبر ظلمهُ غير مرّة فكفى باهل عين ابل أنهم غفروا لقاتليهم على موجب شريعتهم ولكن يحسن بهم ان يتّخذوا حذرهم ممّن عرفوا غير مرّة سوء نيّاتهم — واعجب من ذلك انّ صاحب العرفان يؤاخذنا على نشرنا مساوئ الماسونيّة فدلّ بقوله على انه لا يعرف من الماسونيّة الّا قشرتها . فان اراد ان يعرف ما وراء الاكمة فليراجع كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون فيسلّم بصحّة اقوالنا او يردّ عليها — امّا قولهُ عن غلط العرفان للطبعيّ في نسبته الكسوف للزهرة

بدلًا من القمر فكان من الواجب ان تنبّه عليهِ المجلّة المعروفة بسعة علمها لئلّا يضلّ بقولها القرّاء، وقد قيل « زلّة العالِم يزلُّ بها عالَم »

﴿تدشين دار الكتب الكبرى ومتحف الآثار﴾ رأينا بعدَ الفرح ما كنّا نتمنّاهُ سابقاً بخصوص مكتبة واسعة ومتحف اثري لبنان الكبير وقد حضرنا تدشينهما في عصر يوم الثلثاء الواقع في ٢٥ تموز برئاسة فخامة الجنرال غورو وعدد عديد من ارباب الامر والادباء. فتمّت الحفلة بغاية ما يُشتهى من النظام والترتيب . وتحقّق الجميع ما لفرنسة من الفضل في تعزيز الآداب والعلوم الاثريّة كما اقرّوا بهمّة المتولّين ادارة المكتبين ولاسيّما الفيكونت فيليب دي طرّازي الذي لم يدّخر وسعاً في انشاء دار الكتب الكبرى وتبليغ عدد كتبها ستّة عشر الفاً وتزيين ناديها بصور مشاهير الكتّاب الوطنيين . فاجزل الله ثوابهُ ومتّعهُ بتحقيق امانيهِ لمستقبل المكتبة ورقيها

﴿المختبر الراديولوجي الكهربائي﴾ هذا اثر آخر من آثار بعض تلامذة كليّتنا الدكتور فيليب بركات اراد ان يُنشئهُ بتمام اهبتهِ على مثال المختبرات المستحدثة في عواصم اوربّة ومن ثم لم يألُ جهدًا في الوقوف على دقائق هذا العلم الحديث في باريس وبرلين وها هو اليوم مستعدّ لخدمة العموم بموجب اصولهِ ومبادئهِ الجليلة بارك الله عملهُ وأفازهُ بكل نجاح

﴿تبرير الكردينال كسيمنيس من حرق كتب العلوم العربيّة﴾ قد قرأنا في تأريخ الدكتور فرنسسكو سيمونت الاسباني احد اساتذة غرناطة عن المستعربين في اسبانية (Fr. Simonet: *Historia de los Mozarabes*) وهو تأليف اجمع العلماء على دقّة معلوماته ما كتبهُ في حاشية الصفحة ٧٢٤ منهُ قال ما تعريبهُ :

وهنا لا ارى بُدًّا من تبرير ذاك الرجل العظيم فريد عصره الكردينال سنتيروس (كسيمنيس) من تهمة فظيعة اشاعها بعض المتشدقين حيث قالوا انهُ احرق جميع كتب العرب العلميّة. والحقيقة التي لا يستطاع نكرانها أنّه امر فقط باحراق الكتب الاسلاميّة الدينيّة والفقهيّة لئلا تكون عثرةً لاهل وطنهِ أمّا الكتب العلميّة كالتاريخ والجغرافية والادب وبقيّة العلوم فانّهُ نقلها الى كنيسة غرناطة الملوكيّة فبقيت هناك الى عهد فيليبوس الثاني الذي امر بنقلها الى الاسكوريال كما تشهد عليهِ اللوائح التي سلمت من آفات الدهر »

فنرجو بعد هذا ان يكفّ ادباء المسلمين عن تكرار ما نُسب زورًا الى احد ارباب الكنيسة الكاثوليكيّة

أسئلة واجوبة

س سأل من حلب احد الشمامسة . ١ ما هي النعم الممنوحة للكاهن الجديد ولحضور قدّاسهِ الاوّل وقابلي بركتهِ . ٢ هل البركة بالصور خاصّة بالكنيسة الشرقيّة دون الغربيّة ؟

النعم الممنوحة للكاهن الجديد — البركة بالصور

ج نجيب على (الاوّل) انَّ الحفاوة الجارية عند سيامة الكاهن الجديد من استماع قدّاسهِ وقبول بركتهِ وما شاكل ذلك كان معدودًا من جملة الاعمال التقويّة ليس الّا قبل البابا لاون الثالث عشر . وانّما كان البابا بولس الخامس منح غفراناً كاملًا للرهبان يوم ذبيحتهم الاولى وكذلك لاخوتهم المترهّبين الذين يحضرون قدّاسهم . وقد اراد الطيّب الذكر لاون الثالث عشر ان تشمل هذه النعم كلّ الكهنة عالميين كانوا او رهباناً فمنحهم يوم قدّاسهم الاوّل غفراناً كاملًا ثم منح غفراناً كاملًا ايضاً اقاربهم الى الدرجة الثالثة . ويُكسب هذا الغفران بالشروط المعتادة اي الاعتراف والتناول والصلاة على نيّات الحبر الاعظم . وانعم كذلك على سائر الحضور بغفران جزئيّ ٧ سنوات و ٧ اربعينيّات . ولا يُعرَف غير ذلك راجع كتاب الغفرانات لبرنغر (Béringer: *Indulgences*. I. 366) ونجيب على (الثاني) انَّ البركة بالصور لا تُحسب من جملة الرتب الطقسيّة ولذلك يجوز للمرسلين اللاتينيين ان يباركوا بها كبقيّة الشرقيين وهي ايضاً معدودة من العبادات التقويّة التي لم تنصّ عليها الكنيسة نصاً صريحاً

س وسأل احد المستفيدين : لماذا يُدعى الثلاثة والخمسون شهيدًا الواقع عيدهم في ٣١ تموز بتلامذة مار مارون ؟

ج معلوم انَّ هؤلاء الرهبان عاشوا بعد القديس مارون بنحو مئة وخمسين سنة فلم يكونوا تلامذة مار مارون بحصر الكلام وانّما كانوا مترهّبين في دير تشيّد على اسم القديس مارون الناسك واحتوى على بعض ذخائره . وكان رهبان الدير من بلاد واجناس مختلفة منهم سريان ومنهم يونان كما يظهر من تاريخ استشهادهم

س وسأل آخر ما رأينا في اصل لفظة فسقيّة التي زعم صاحب الهلال في عدده الاخير (يوليو ص ٩٦٩) انَّ اصلها من اللاتينيّة (fons)

ج هذا الاشتقاق بعيد والصواب ان الفسقيّة مشتقّة من (piscina) ومعناها البركة والحوض . ومثلها السريانيّة ܦܣܩܝܢܐ

ل . ش

المشرق

استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة

لجناب الكونت دومنيل دو بوسون

وهي مقالة ضافية نشرها المؤلف اوّلاً في مجلّة سوريّة (SYRIA) ثم تلطّف واخرجها على صورة جديدة مختصرة لنعرّبها لقرّاء المشرق فأجبنا بطيب الخاطر الى دعوته ل . ش

توطئة

لئن من يسرّح النظر في ما خلّفهُ سيّاح القرن السابق من تصاوير بيروت يأخذهُ الاندهاش مما يعاينهُ فيها من الابنية العسكريّة المتعدّدة . فانّ المدينة كانت في غضون القرن التاسع عشر باقيةً على شبه بلدة محصّنة

فكان الناظر اذا حدّق البصر الى المدينة من مشارفها في جنوبها الغربي او من رأس السنطيّة يراها محدقة بنطاق من الاسوار القديمة على شكل مربّع مستطيل يمتدّ من الشمال الى الجنوب في وسطهِ مساكن اهلها بموقع جميل الّا انها غير متقنة البناء . وهذا ما كانوا يدعونهُ ببيروت المربّعة . فكانت الابنية اشبه بأكواخ ترتفع في وسطها الى عنان السماء ثلث مناور كبيرة على شكل شوكة مثلّثة الاسنّة . وكان قياس تلك المدينة من الجهة من فمها القديم الى باب الدركة الجنوبي يبلغ ٥٧٠ متراً فقط . امّا قياس امتدادها من بابها الشرقي اي باب السراية الى بابها الغربي باب اجدبس فما كان يزيد عن ٣٧٠ متراً . وكان الغالب عليها اسواقها التي في النهار كانت تموج في وسطها

وعند ابوابها بحركة البائعين والتجار ثم تعود الى هدوئها ليلاً بعد ان تُقفل ابوابها وتودع مفاتيحها عند واليها

اما في خارج المدينة فكنت ترى بعض البساتين والمقابر غير المنتظمة ولاسيّما كثبان الرمل تخترقها منابت الصنّبر . هذا ما يلوح من صورة بيروت التي رسمها المسيو مونفور (Montfort) في ٢ ت ١ سنة ١٨٣٧ . وفي تلك السنة عينها كتب احد زوّارها لاون دي لابورد (L. de Laborde) انّ نصف اهل بيروت يسكنون في البساتين . على انهم في الازمنة المضطربة كان يغلب عليهم الخوف فيبيتون ليلاً داخل المدينة ولا يبقى خارجاً عن الاسوار الّا الذين يثقون ببساتينهم ولا يبالون بالمخاطر

وكان لبيروت على جانبيها من جهة البحر حصنان مغربيّان على طرز الابنية القديمة في عهد الامراء المستقلين فيزينان نوعاً تلك المدينة التي لولاهما اصبحت شبيهة بسجن . هذا ما كتبهُ السائح جون كرن (J. Carne) سنة ١٨٣٦ . أمّا الشاعر لامرتين فانّهُ سبقهُ الى وصف تحصينات بيروت القديمة سنة ١٨٣٢ فعدّها «من ابدع الابنية التركيّة» . وقد كرّر غير مرّةٍ ارتياحهُ الى نظر الحصون المشرفة على المدينة لكنّهُ كان يأخذهُ العجب من إهمال الترك لترميمها فان النباتات المتطفلة والحشائش المتنوعة واشجار التين البرّي كانت بارزةً من شقوقها تغطّي جدرانها . وممّا خصّهُ بوصفه شرفات اسوار المدينة البيضويّة الشكل

وكان للمدينة كذلك خارجاً عنها بناية عالية مربّعة باستطالة غير مستقيمة وبرج ضخم اشتقّوا منهُ حاضراً اسم ساحة البرج وكان موقعهُ على مسافة ١٥٠ متراً شرقي زاوية الاسوار بميلة الى جنوبها الشرقي وكان البرج المذكور لحسن موقعهِ يُدعى بالبرج الكشّاف ودعتهُ الخارطة الانكليزيّة البحريّة المرسومة سنة ١٨٣١ ببرج الحشيش وافادت عنهُ انّهُ كان سابقاً معزّزاً بخمسة مدافع وكان المظنون انّهُ من ابنية الصليبيين . وفي السنة ١٨٤٠ ضربهُ الانكليز فظهرت فيهِ آثار مدافعهم . وعلى رأي لامرتين انّ البرج المذكور من ابنية فخر الدين امير الدروز وكانت طليعة ابراهيم باشا ترقب منهُ الجهات المجاورة . وفي مكانهِ بُني حاضراً مسرح ساحة البرج المعروف بزهرة سوريّة وفي شرقيهِ خانٌ ترى فيهِ بعض آثار البرج القديم

وكان بازاء البرج المذكور برجٌ آخر يقابلهُ يُعرف بالبرج الجديد ولهُ تحصينات

مثلهُ . وفي الخارطة الانكليزيَّة السابق ذكرها دليل عليهِ

ثمَّ كان للمدينة شرقاً وغرباً على بعض المسافة من اسوارها حصنان آخران اقلّ منهما شأناً موقع الواحد غرباً يُدعى في خارطتي الانكليز سنة ١٨٣١ و١٨٤١ ببُرج الحصن شمالي الحيّ والمينا المعروفين اليوم بعينا الحصن . امَّا البرج الشرقيّ فكان موقعهُ على ما افاد السائح كَرْن قريباً من مقام الخُضر حيث يروي التقليد المكان الذي يزعم الجمهور ان فيهِ قتل القديس جرجس التنين . وخوارط الانكليز تدعو البرج المذكور برج الخُضر

وكان لبيروت تحصينات أخرى تحميها عن غارات اعدائها . منها ما درست آثارهُ وبقي ذكرهُ شائعاً بين العموم كبرج ابي حيدر وبرج دندن

وكان فتح المصريين لسوريَّة (١٨٣٢—١٨٣٩) على يد ابراهيم باشا ابن الخديوي محمَّد علي منعرَجاً لاهل بيروت فان المدينة مذ ذا الحين اخذت تمتدّ وتتَّسع وتلوح على هيئة جديدة . وقد باشر ابرهيم بتدمير سورها . ثمَّ جاء تجهيز مرفاها وفتح شوارعها المستحدثة فكان كلّ ذلك مدعاةً لإبادة التحصينات العسكريَّة السابقة التي لم يسلم منها سوى آثار قليلة . وترى اليوم بيروت رافلةً بحلَّة جديدة فهي مدينة كبيرة يعلو بيوتها الآجرّ الورديّ وتزينها الجنائن والاشجار

١ نظر تاريخي في تحصينات بيروت

يجوز تقسيم الاستحكامات التي امتازت بها بيروت في سابق الزمان الى اربعة اقسام : ١ً التحصينات العربيَّة قبل الصليبيين . ٢ً تحصينات الصليبيين . ٣ً استحكامات امراء الدروز المنسوبة عموماً الى فخر الدين . ٤ً الاستحكامات التركيَّة الحديثة معظمها لاحمد الجزَّار والي عكَّا في اواخر القرن الثامن عشر

﴿ ١ً التحصينات العربيَّة قبل الصليبيين ﴾ لا نعلم من امرها شيئاً يُذكر وانَّما وصفها الكتبة كابن حوقل والمقدسي كمدينة محصَّنة منيعة السور دون زيادة في الافادة

﴿ ٢ً تحصينات الصليبيين ﴾ يمتدّ طور الصليبيين من السنة ١١١٠ الى ١٢٩٤ ولنا من المعلومات عن تحصينات بيروت في تلك الحقبة ما يفي بالمرام .

فتح الملك بودوين ثغر بيروت الحريز المحصَّن بعد مقاومة عنيفة في ١٣ أيار

١١١٠ . وفي السنة ١١٥١ مرَّ ببيروت اسطول مصري فنزلوا اليها وقتلوا واسروا واحرقوا كما فعلوا في كلّ مدن الساحل على ما ورد في كتاب الروضتين . ثمّ تكرّرت غارات المسلمين على بيروت من السنة ١١٧٧ الى ١١٨٧ فلم تزل رايتهم الصفراء في تقدُّم الى ان فتح صلاح الدين المدينة بالامان بعد ان ضايقها زمناً طويلاً ولعلمهِ برجوع الفرنج اليها وبنيّتهم في تعزيز جانبها امر بهدم اسوارها وحصونها

ثمّ عاد ملك اورشليم سنة ١١٩٧ وقصد محاصرة بيروت وكان يحكم فيها أُسامة بن منقذ ففرَّ هارباً عند قدومهِ وفتحَ بعض اسرى الفرنج ابواب الحصن للملك فدخل الصليبيُّون المدينة ظافرين . وتولّى جان ديبلين (Jean d'Ibelin) اعادة تحصين بيروت فشيَّد قصرها وعُني ببناء اسوارها على نمط محكم بحيث لا يستطاع الى فتحها سبيل . وقد وصفها احد الكتبة سنة ١٢١٢ وهو السائح وِلبرند دي اولدنبرغ فقال : يمنع البحرُ ثغرَ بيروت من جهتها السُّفلى مع ما هناك من الصخور العالية وتحميها من الجهة الاخرى خنادق مبلّطة تحت حراسة سورَين متينين فيهما عدّة ابراج غاية في الشدّة تُبطل كلّ ضربات العدوّ . وكانت كلّ هذه الاستحكامات استوجبت اشغالاً طويلة ولاسيّما ان نقوشها الداخليّة بلغت النهاية في الحسن والاتقان . ثمّ وصف احدى غرفاتها فقال : انّها كانت مرصوفة بالفسيفساء المثلة مياهاً تتجعّد بنسيم الريح فيتعجّب الماشي كيف لا تغوص رجلهُ في الرمل المصوَّر في اعماقها . وكانت جدران الغرفة مزدانة بقطع من الرخام المنقوش على هيئة تأخذ بالابصار . وقد دُهنت قبّتها بالصبغ الازرق على شكل السما . . وفي وسط الغرفة بركة من الرخام الملوّن الصقيل الخ . . وينفذ الى داخل الغرفة نسيم عليل من نوافذها المتعدّدة فيرطّب حرارتها »

وبعد مدّة وقعت مشاحنات بين فريدريك الثاني و(بين) جان ديبلين صاحب بيروت مع اهل قبرس عرَّضت بيروت الى مخاطر جديدة . فكان الامبراطور يدّعي بحقوق موهومة على بيروت ويطلب ملكها سنة ١٢٢٨ واذ انكر عليهِ جان ديبلين مدّعاهُ اوفد الامبراطور سنة ١٢٣١ جنوداً نزلوا ليلاً الى المدينة واستولوا عليها الّا انّ جان ديبلين تحصّن في قلعتها فحاربهُ عسكر الامبراطور وحاصروهُ وكادوا يفتحون القلعة عنوةً لولا انّ ملك قبرس قدم لمعاضدة الحامية واضطرّ جنود الامبراطور الى الفرار

وبقيت بيروت في حوزة الصليبيين مع صيداء الى ان فتحها الملك المنصور قلاوون (١٢٩١) وبها انتهت دولة الفرنج في الشام. وحدث ولا حرج بما حل ببيروت من الخراب باغراء اصحاب مصر المماليك. فشرع سنجر الشجاعي بامر الملك قلاوون في هدم سورها وقلعتها بل قلبوا المدينة ظهراً لبطن كما روى احد قدماء المؤرخين وذلك بغية ان يقطع الفرنج أملهم منها. على انَّ امراء بيروت ما لبثوا ان ادركوا ما من الخطر على المدينة لو بقيت خاليةً من التحصين. فحصَّنوها نوعاً كما سترى. الَّا انَّ تحصينهم بقي غير كامل قليل الاهبة ولذلك ترى السيَّاح المجتازين في بيروت يصفونها كمدينة غير محصَّنة منهم في اواسط القرن الخامس عشر برتراندون (Bertrandon de la Broquière) سنة ١٤٢٢ ومعاصره دي لانوا (Ghillebert de Lannoy) الَّا ان لودفيكو دي ڤرتيا (L. di Varthema) سنة ١٥٠٢ يقول ان بيروت محميَّة بسور من جهة البحر ومن الغرب فقط

﴿ ٣ تحصينات فخر الدين ﴾ ومن الروايات الشائعة في عهدنا انَّ الامير فخر الدين كان اوَّل من جدَّد استحكامات بيروت. فانْ صحَّت الاشاعة فلا بُدَّ من القول انَّ عملهُ كان ناقصاً غير ثابت. وما لا يُنكر انَّهُ لم يشيِّد اسوار المدينة. لنا على ذلك نصوصٌ لشهداء عيانيين منهم كرامسيوس في كتابهِ عن الاراضي المقدَّسة والراهب جاك كوجون (سنة ١٦٧١) والانكليزي مرفدرل (١٦٩٧) فانَّهم يشهدون على انَّ المدينة خالية من الاسوار الَّا من جهة البحر ومن الغرب. ولمَّا ضرب الروس بيروت سنة ١٧٧٢ كانت المدينة معتبرة كمدينة غير محصَّنة

﴿ ٤ التحصينات التركيَّة ﴾ ففي اواخر القرن الثامن عشر عمد احمد الجزَّار الى تجديد استحكامات بيروت. فاقام حصناً جديداً في مكان الحصن القديم واتمَّ اسوار المدينة ليحميها من غارات الدروز والمتاولة وكانت غايتهُ ان يجعل المدينة مستقلَّة من حكم لبنان ليملك عليها. لكنَّ اسوار الجزَّار عموماً كانت ضعيفة غير ثابتة.

فلمَّا فتح ابرهيم باشا بيروت وجد استحكاماتها أخلاطاً من اعصار مختلفة فلم يكترث لاصلاحها ومن ذلك الحين اخذت المدينة تترقَّى ترقياً متواصلاً بينما كانت التحصينات تزيد خراباً وتتزلزل شيئاً فشيئاً. في السنة ١٨٤٠ كانت الاسوار غير متواصلة والمدينة معتبرة كثغر مفتوح. وفي السنة ١٨٨٧ كانت آثار المدينة القديمة

والاسوار المشيَّدة قرب البحر. ولمَّا كانت السنة ١٩١٦ امر جمال باشا والوالي عزمي بك بفتح شوارع جديدة وسط المدينة ازالةً لأقذارها فبادت بفعلها هذا عدَّة آثار قديمة.

٢ استحكامات بيروت من جهة البحر

انَّ حماية بيروت من جهة البحر كانت مقرَّرة منذ عهد الصليبيين بالحصن الوارد ذكرهُ وببعض الاستحكامات التي حاول العلَّامة راي (Rey: *Architecture militaire*, p. 173) وصفها ودوَّن رسمها. وهي بالاجمال من ابنيتهم التحصينيَّة فترى مدخل مرفإها الايمن المتَّجه نحو الشرق محصَّناً ببرجين مربَّعين كانوا يسدغونهما برجي الجنويَّة. وكانت جهتهُ الشماليَّة مصونةً برصيف وقف المنيو راي على اهمّ اقسامهِ جنوبي الحوض وينسبهُ الى الزمن عينهِ

وعلى كلّ حال لا بُدَّ من القول انَّ استحكامات الصليبيين قد تلف معظمها عند الفتح الاسلاميّ الاخير ومن المقرَّر ان امراء المدينة استخدموا بقاياها لحماية البلد من غارات الفرنج البحريَّة. وقد ذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت تلك الابنية (ص ٦١ و١٤٥) احدها البرج الصغير الذي سمي بتعميرهِ الامير تنكز نائب الشام وهو المعروف ببرج البعلبكيَّة نسبةً الى مهندسهِ ابي بكر بن البصيص البعلبكيّ. والآخر هو السور الذي جدَّدهُ الامير بيدمر نائب الشام على جانب البحر جعل رأسهُ من عند حارة السباطيَّة او السنطيَّة الخاصَّة امراء الغرب ووصلهُ بالبرج الصغير وجعل بينهُ وبين البرج المذكور باباً وركَّب عليهِ سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسُمّي باب السلسلة

وممَّا افادنا صالح بن يحيى ايضاً (ص٦٣) انَّهُ «في أيام السلطان الملك الظاهر برقوق عُمّر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الخربة»

فمن كلامهِ هذا ومن رواية السائح دي لونرا سنة ١٤٢٢ يُستنتج انَّ استحكامات بيروت كانت تتألف في القرن الخامس عشر ما عدا سور البحر اوَّلاً من القلعة ثمَّ من جهة الغرب من الحصن المعروف بالبرج الصغير او البعلبكيّ المشيَّد لمراقبة المرفإ ومدخل البحر واخيراً من حصن تجاوز المدينة لحمايتها من جهة البرّ

ولم يصلنا الَّا القليل من هذه الاستحكامات الى القرن التاسع عشر فان السور القائم عند الساحل بين القلعة والمرفإ كانت آثارهُ قد طُمست. وانَّما كان السور المشيَّد

شمالي المدينة وغربيها لم يزل ممتدًا على الشاطئ الى المرفإ كما يُرى في الصورة التي رسمها اوجان فلاندين E. Flandin: *l'Orient*. Pl. I في كتابه للمنون بالشرق فيظهر هناك قسم من السور المذكور المشيَّد على الصخور والمشرف على البحر وهو سور قديم تعاوهُ ابراج مربَّعة احدث منهُ عهدًا الَّا البرج الواقع عند زاويتهِ الذي هو من اصل البناء

أمَّا باقي السور الممتدّ الى الشرق فانَّهُ تلف كما خرب الرصيف الذي كان يحمي باطن المرفإ شمالًا ومن ثمَّ اصبح المرفأ مفتوحًا من هذه الجهة ولم يبق لحماية النسحة الواقعة بين هذا السور الغربي والقلعة الشرقيَّة سوى البرج الصغير الذي أُقيم بدلًا من ابراج القرون الوسطى كما يلوح من تصاوير السيَّاح

وكان البرج البحريّ مبنيًّا على الصخور يبعد عن الشاطئ من خمسة وعشرين الى ٣٠ مترًا وقد سبق انهُ كان أُقيم على اخربة برجين مربَّعين يدعوهما العلَّامة راي بُرجي الجنوبيَّة وكان بين البرج البحري والساحل جسرٌ جميل تسندهُ كما يظهر قنطرتان مقوَّستان الَّا انهما مختلفتا الكبر. ففي السنة ١٨٤٩ حصل نزٌ شديد اباد تلك البناية. وبقي البرج زمانًا بعد ان ضربهُ الانكليز سنة ١٨٤٠ ولم تدثر آثارهُ الَّا عند ابتناء المرفإ الجديد

أمَّا الحصن المبنيّ في البرّ عند زاوية المدينة في شمالها الشرقي على رابية صخريَّة تعلو نحو ثمانية الى عشرة امتار فانَّهُ كان اعظم شأنًا وكانت تُرى بقاياهُ في القرن التاسع عشر وهو يتركب من بُرج مربع تحدق باسفلهِ ابنيةٌ تبرز بينها ابراج اخرى مربَّعة ايضًا. وكان مجمل تلك البناية مثبتًا فوق دكَّة متقنة البناء. قديمة العهد تتصل من احد جانبيها بالصخور الساحليَّة ومن الآخر بالمقبرة الاسلاميَّة وتُطلّ من الجهة الشماليَّة الغربيَّة على كافَّة البلدة وكان سور المدينة مدعومًا بها من الجهة الجنوبيَّة الغربيَّة

وقد أطلق الانكليز قنابلهم سنة ١٨٤٠ على هذا الحصن فبقيت أخربتهُ الى زمن تعمير المرفإ الجديد فأُبيدت آثارهُ وآثار الصخر الذي كان مبنيًّا عليهِ. ولعلَّ بعض التصويبات التي ترى في شارع مرسيلياز الجديد جنوبيًّا كانت داخلةً في جملة ابنيتهِ القديمة. والثالث على ظننا انَّ موندرل سنة ١٦٩٧ اراد هذا الحصن عينهُ حيث وصفهُ بكونهِ قريبًا من قصر فخر الدين وممَّا قال عنهُ «انهُ كان برجًا ذا ٦٠ قدمًا طولًا وكان

بُناتُهُ ارادوا ان يزيدوا علوّهُ ليجعلوهُ مرقباً للرينة وكان سمك جدرانهِ ١٢ قدماً (قال) ومن اعلاهُ قد سرّحنا النظر على المدينة»

وقد ذكر السائح برَوْن (W. G. Brown) سنة ١٧٩٩ البرج بقولهِ : انَّ البرج الشاهق الذي يُرى شمالي شرقيّ المدينة هو غير البرج الذي نظرهُ موندرل. فان البرج الذي وصفهُ قد اخربهُ الجزّار خوفهِ من عدوّ يظفر بهِ بسهولة ويطلق منهُ القذائف على البلد ومن ثمَّ اقام في مكانهِ برجاً آخر بناهُ بحجارة صغيرة وهو دون البرج السابق مئانةً وقد جعل فيهِ حامية . ومما ارتأى العلّامة راي انَّ هذا البرج الحديث اقيم مكان حصن للصليبيين وانهُ كان مجهّزاً بباب سرّي فتحهُ امير بيروت الفرنجي جان ديبلين لجنود قبرس فساعدوهُ على محاربة عسكر فردريك الثاني المحاصر لهُ

٣ استحكامات بيروت الشرقيَّة

السور الذي نتكلّم عنهُ في هذا الفصل وفي الفصل التالي هو السور الذي اقامهُ الجزّار في اواخر القرن الثامن عشر واستفاد لبنائهِ من اخربة الاسوار المختلفة الازمنة . وقد بقي منهُ آثار قليلة ترشدنا مع التقاليد المحليَّة الى تعريف خطوطهِ . كان السور المذكور يستند في شمالي المدينة الشرقيّ الى دكّة القصر السابق ذكرها . وعلى رأينا ان رأس هذا السور كان جنوبي غربي شارع المرسلياز كما يظهر من آثار في رتج هناك وكان السور يمتدّ من ثمَّ على خطّ مستقيم الى باب الدبّاغة حيث يمكن مشاهدة هذا القسم الاوّل منهُ

وباب الدبّاغة قد فتح في نفس البدنة عرضهُ نحو مترين و ٦٠ سنتي كان يعلوهُ قوس محدَّب من حجر وبقرب القوس المذكور من باطنهِ خشبة ضخمة تعترضهُ لها في طرفيها ثقبان لجاروري الباب الاعلين وعلى هذا المثال بقيَّة الابواب كباب السراية وباب يعقوب وباب قلعة المعزّ في صيدا .

وقد اقيم فوق الباب لحراستهِ بناية مستندة الى ثلاث دعائم كان الجنود يرمون منها القذائف على العدوّ . وكان باب السراية مجهّزاً بمثلهِ . وليست هندسة الباب على شكل واحد في جانبيهِ شرقاً وغرباً فانَّ بناءهُ اوسع من جهة الشرق واذقّ صنعاً ما يدلّ على عهدٍ اقدم . وبقرب الباب مسجد صغير يرتفع مستنداً الى مضادة الباب

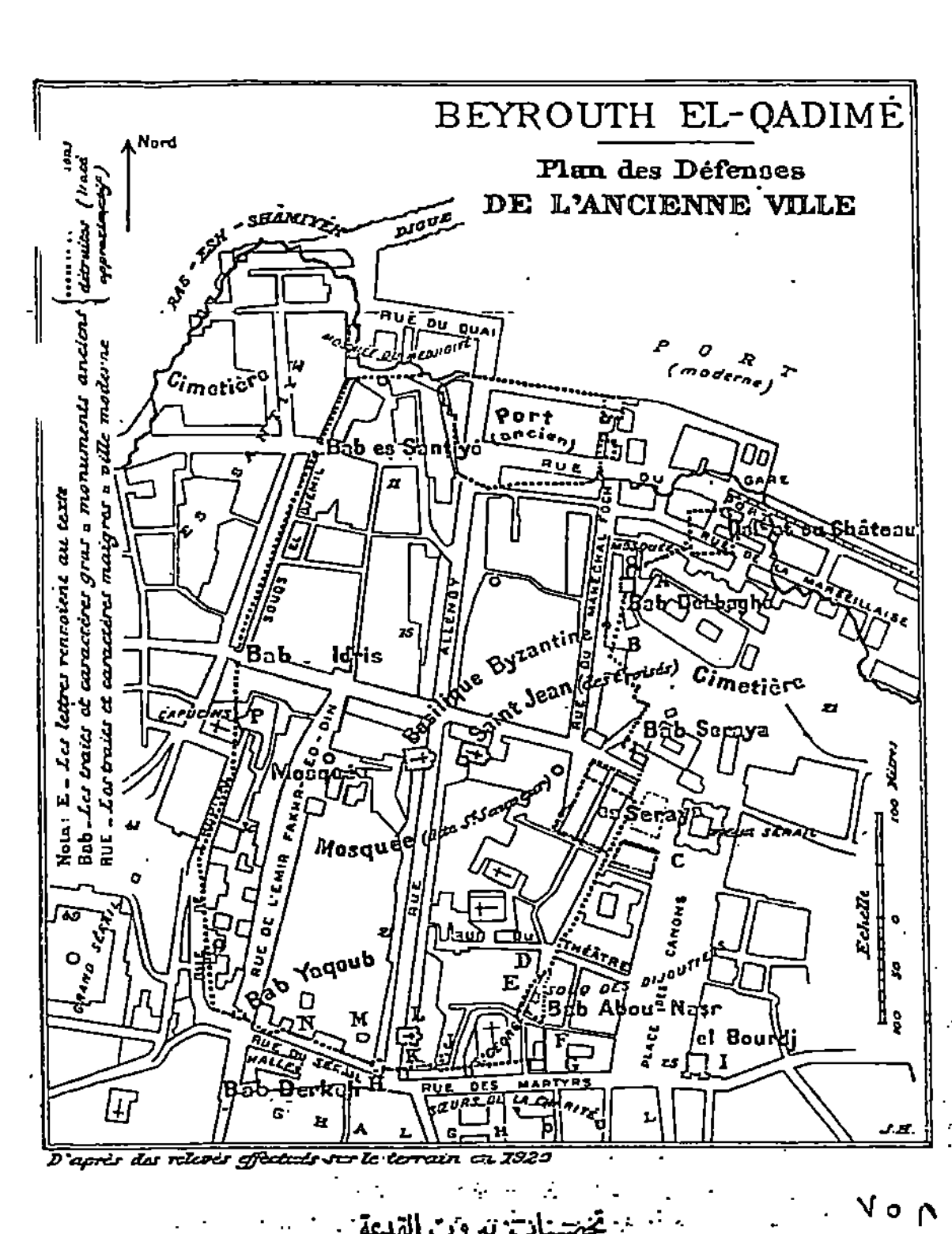

D'après des relevés effectués sur le terrain en 1920

٧٥٢

تحصينات بيروت القديمة

في برسمو بعد البحث المدقّق في انحاء المدينة جناب الكونت دومنيل دوبريسون

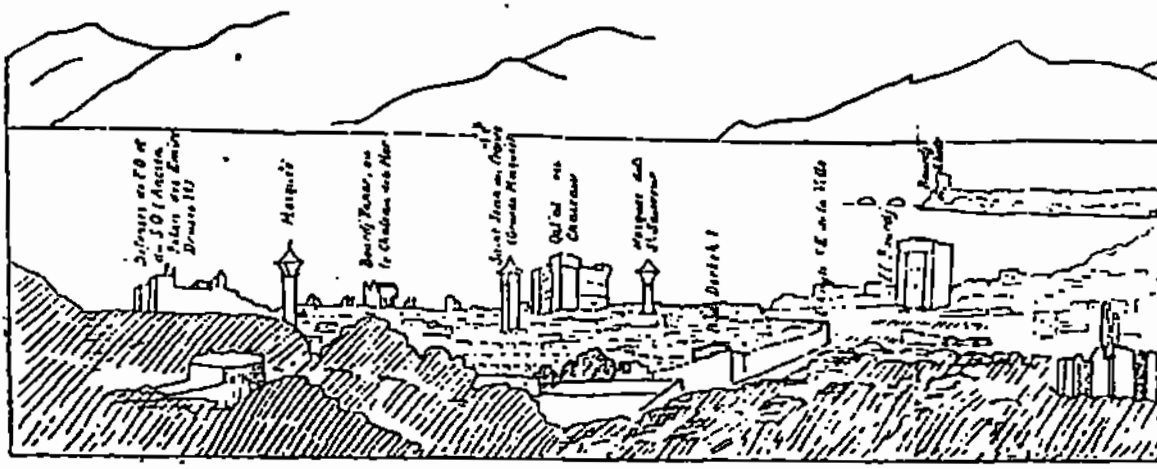

نظر عمومي لبيروت

من صورة رسمها المسيو برتليت سنة ١٨٣٥

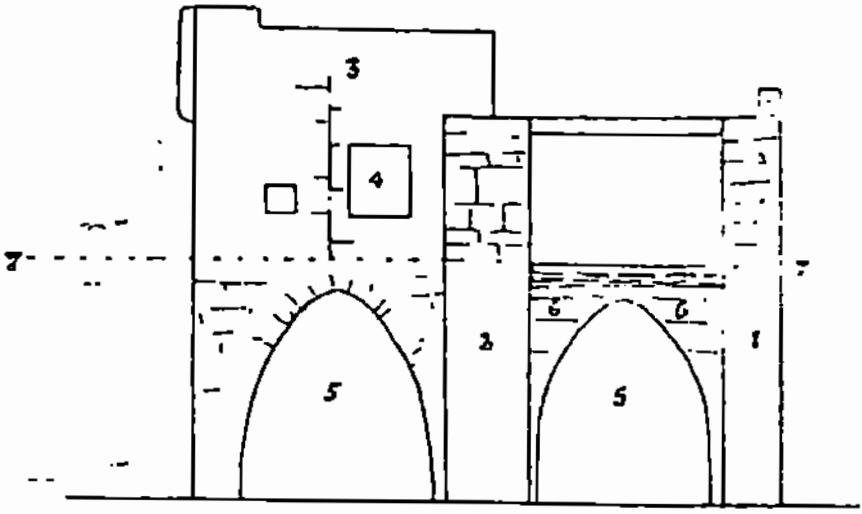

تحصينات باب السراية القديمة من الجهة الجنوبيَّة الشرقيَّة

١ً حائط السور الخارجي – ٢ً حائط السور من جهة المدينة . ٣ً البرج الصغير المستند الى السور . ٤ً نافذة الحجرة المقدَّة في الطابق الاوَّل من البرج . ٥ً حجرة مقدَّة من الطابق الاسفل من البرج والسور . ٦ً قطعة من السور مهدومة حاضرًا . ٧ً سطح حديث يحيط بالبناية

الغربيّة . وقد دُعي باب الدبّاغة بهذا الاسم لأنّهُ كان ينفذ الى سوق الدبّاغين وكان الذي يمرُّ فيهِ يمشي على جلود الحيوانات المفروشة في وسطهِ فتلين تحت أرجل المارّة. وعند هذا الباب كانت تجري المبايعات بين المرفإ وداخل المدينة . وكانت القوافل اذا اجتازت باب الدبّاغة تُدرك المرفأ القريب منهُ وبذلك يتوفّر عليها المرور في وسط المدينة وطرقها الضيّقة المتلوّية . وكان اصحاب الكمرك مقيمين خصوصاً عند باب الدبّاغة

وعلى بُعد بعض الخطوات غربيّ الباب يُرى حتى اليوم السور القديم وهو يستند الى بناية ضخمة مربّعة الشكل استولى عليها الخراب فكانت دعامةً حسنة للباب. وفي هذه القطعة من السور ست كوًى ثلاث للجنوب وثلاث للشرق كانوا يقذفون منها القذائف على العدو

وكان السور يمتدّ من هناك الى باب السراية على طول المقبرة الاسلاميّة فيبرز على شكل زاوية منثنية . وكانت المقبرة تمنع المدينة من ان تمتدّ من تلك الجهة كما كانت مقبرة السنطيّة من الجهة الاخرى لا تدع فسحةً للبناء

واليوم قد خرب قسم السور الذي نتكلم عنهُ كما خربت الابنية الضيّقة المجاورة لهُ وقد فُتح في مكانهِ شارع واسع . وفي اثناء تدميرها ظهرت آثار مذبح روماني وبقايا تمثال لاحد الفرسان نُقل الى متحف البلد

وكلّ هذه الابنية القديمة بين بابي الدبّاغة والسراية لم يبقَ اليوم على وجودها سوى شاهد واحد وهو مرقب صغير تُرى بقاياهُ عند شارع المارشال فوش فيهِ كوّتان مزدوجتان للقذائف في حائط سمكهُ ٨٠ سنتمترًا . وتحتهُ مشكاة من الطرز العربيّ

وعلى خلاف ذلك باب السراية فانّهُ قد بلغ الى عهدنا على تمامهِ تقريباً مع ما كان يستند اليهِ من الابنية الجنوبيّة الشرقيّة . فترى هناك اوّلاً بناية الباب المربّعة ثمّ مقدّمة السور القديم ثمّ برجاً مربّعاً مستطيلاً يدعمهُ السور

فواجهة الباب من خارجهِ تتألف من حائط بسيط تطوّقهُ شرفات صغيرة وتحميهِ كوًى للتبليغ غير منتظمة بعضها فوق بعض كما فوق باب الدبّاغة بناية مع دعائمها الثلاث لحماية الباب . وقد فُتح في هذه البناية القديمة شبّاك يشوّه منظرها ويعرّضها الى الخراب. والباب على شبه باب الدبّاغة يسندهُ قوس محدّب يُنزَل الى عتبتهِ بأربع درجات

منعطفة عند احد اطرافها . والعتبة اسطوانة لعمود قديم . وعلى يمينه هنشأ سور المدينة الذي يؤلف بالنسبة الى باب السراية زاوية مستقيمة فيفيده بمتانة من تلك الجهة . وكان توجيه الباب نحو الزاوية الشمالية الشرقية وكذلك الكوى لرمي القذائف ليست على خط مستو لكنها مائلة الى الزاوية عينها التي تتألف في قسمها الاعلى من بسطة سوية تعضدها قنطرة صغيرة

وكان السائر ينفذ الى داخل السور ماراً تحت قبة مقرنة . وللباب من هذه الجهة منظر بديع فان قوسه الكبير يشبه حنية في تقويمها شيء من العوج وفوقها سطح صغير على علو طابقها الاول الذي يرقى اليه بدرج باطني بني على قوس خفيف يستند الى القوس الكبير . وكان الراقي الى السطح المذكور يمكنه ان يبلغ الى اعلى الاسوار ويصعد الى السطح الاعلى الذي فوق الباب . وقد نشر الدكتور لورته في الصفحة ٧٣ من كتابه المعنون « سورية اليوم » La Syrie d'aujourd'hui صورة حسنة لباب السراية من داخله رسمها تيلور (Taylor) سنة ١٨٨٠ . وهذه بدنة السور المستندة الى الزاوية الجنوبية الشرقية من البناية قد أقيمت اليوم حولها دور مستحدثة شمالاً وجنوباً واذ كان يصعب على الحامية ان تحمي الباب من تلك النقط اقتضى الامر فتح الكوتين المذكورتين فكان الجند يقيمون في الطابق الاول من السور الذي اصبح اليوم حوشاً

ومن هناك ينفذ الداخل الى حجرة مربعة مستطيلة تعتبر كالطابق الاول للبرج الصغير المستطيل المدعوم الى السور . وهي اليوم مسكن لاحدى العيال سقفها محدب وينفذ اليها الضوء من اربع منافذ غير منتظمة مفتوحة الى جهات الجنوب والشرق والغرب . وفوق عتبة الباب ترى قوساً حجرياً تخفيفاً لثقل البناية

أما الطابق الاسفل ففيه ايضاً منفذ بين البرج والسور على شكل قبب غير متقنة العمل . وكانت هذه القبب تمتد الى الشرق بقبب مثلها استولى عليها الخراب . وفي تقليد الاهل ان تلك الحجر القبية كانت تحولت في القرن التاسع عشر الى حمامات . والسور هناك يتابع امتداده العلوي الى الجنوب . وكان في اعلاه شرفات مربعة كالشرفات التي تعلو الباب

وقد دعي هذا الباب باب السراية لقربه من سراية قديمة كان موقعها في مكان

سوق سرسق وكانت منسوبة الى فخر الدين . ويُقتضى ان يُفرَق بين هذه الابنية القديمة العربيّة التي هُدمت سنة ١٨٨٢ وبين السراية العتيقة الواقعة شمالي ساحة الحرّية والحديقة البلديّة التي تولّى هندستها جناب بشاره افنـدي سر مهندس ولاية بيروت سنة ١٨٨٣—١٨٨٤ . ويوجد بقرب سراية فخر الدين في غربيّها جامعٌ قديم يقال انهُ كان سابقاً كنيسة على اسم المخلّص وانّ فيها حدثت اعجوبة الدم الذي سال من صليبٍ ضربهُ احد اليهود (اطلب تاريخ صالح بن يحيي ص ١٧) كما ورد في اعمال المجمع النيقوي الثاني والمسكوني السابع . وقد روى كارسميوس وغيرهُ في القرن السابع عشر انّ في تلك الكنيسة التي حوّلها امراء الترب الى جامع كانت صورة العذراء مريم مصوّرة على احد جدرانها وكان الاتراك يجلّونها . وغربي هذه الكنيسة كان دير يعرف بدير المخلّص . وقد وجد الاثري الشهير المسيو شلومبرجر (M. G. Schlumberger) خاتماً لاحد رهبان الموارنة عاش في هذا الدير في القرن الرابع عشر

ثم ان لسوار المدينة كانت تتّجه من باب السراية على طريق مستقيم الى كنيسة مار جرجس المارونية في وسط الاسواق الحاليّة . مُسامتةً لابنيةٍ تحوّلت اليوم الى غرفة التجارة وكانت تُدعى آخور السراية . ويُرى منها الى اليوم حُجرة واسعة تتألف من خمسة عقود وثمانية عوارض والعقود المذكورة بيضويّة الشكل تسندها سوارٍ ضخمة مربّعة مختلفة الاقيسة كالعوارض

امّا نكتة ساحة البرج وسوق الجوهريين الحالي فكانا خارجاً عن الاسوار وبخلاف ذلك الساحة الصغرى الموجودة في شارع المسرح مع زقاقٍ هناك وممرٍ مقبّب يتّجه الى الجنوب الغربي نحو كنيسة مار جرجس الكاتدرائيّة فانها كانت داخل الاسوار . وآخرُ دارٍ تراها في هذا الممر عن شمالك قبل دخولك تحت البناء المقبّب هي دار الامير عبد القادر سكنها أمّا مرّ ببيروت وكانت وقتئذٍ من اجمل دور المدينة

ويُدعى ذلك الممر المقبّب الذي بقرب هذه الدار باب ابي النصر ينفذ منهُ الانسان الى سوق ابي النصر . ومن دقّق النظر في هذا الباب لا يسعهُ ان يسلّم بكونهِ من ابواب المدينة رغماً عمّا يُبنى على جدارهِ الخارجي من آثار التحصين لانّهُ يجب اذ ذاك القول بانّ السور الوارد من باب السراية كان يمتدّ الى زاوية هذا البناء في شماله الغربي وذلك ممّا ينكرهُ التقليد المحلّي

وقد بقي قطعة صالحة من السور في هذا الحي موقعها بين ساحة البرج وكنيسة مار جرجس وجهتها من الشمال الى الجنوب تفصل بين حوش وجنينة هناك . فتلك بدنة طولها نحو ٣٠ متراً لا تزال بتمامها ودكتها السفلى تقيس متراً ونصف سمكاً . وانما هذا الاساس يتألف كما يظهر من حائطين متلاصقين علوه لا يزيد عن متر ونصف يستند اليه حائط غربي عالٍ سمكه ٣٠ سنتمتراً بني على الطرف الخارجي وفي هذا الحائط ١١ كوة لرمي القذائف وفي اعلاه شرفات مسننة . والمرجح ان الجزار هو الذي اقام هذه البناية القليلة المتانة

ويلاصق الحائط المذكور جنوباً دار عظيمة شيدها في القرن الماضي جد الشيخ عبد الكريم ابي النصر نقيب الاشراف حالاً وهي اليوم معبد يصلي فيه الناس . وموقعها في زاوية السور الجنوبية الشرقية وكان الحائط في هذه النقطة على شكل زاوية قائمة

وكانت الثلمة التي فتحها الروس لما ضربوا بيروت سنة ١٧٧٣ بين باب السراية وباب ابي النصر . فانهم بعد ان اطلقوا مدافعهم على المدينة من المرفأ دون جدوى انزلوا الى البر احد مدافعهم الضخمة وسحبوه حتى ركزوه عند سور المدينة ففتحوا لهم طريقاً الى داخل المدينة وانما حصل بينهم وبين حلفائهم الدروز الذين كانوا يحاصرون المدينة برّاً خلاف نجت المدينة بسببه . لكن الجزار الذي اعتاد خيانة اصحابه ما لبث ان حالف اعداءه الروس (كانون الاول ١٧٧٣) . ومذ ذاك الحين عُرف مكان ضرب الروس للاسوار بمكان المدافع (place des Canons) كما هو مرقوم في الخرائط

٤ تحصينات بيروت الجنوبية

كان السور يمتد من هذه الجهة على طول ساحة الشهداء حتى السراية على شكل زاوية ولمحة الانفراج . الا ان بقية هذا السور الكبير قد بادت آثارها حتى انه لا يمكن بيان وجهها من الزاوية الجنوبية الشرقية الى باب الدركة . ولا نكاد نعلم ان السور كان ماراً تحت سوق كنيسة مار جرجس للاونية

اما باب الدركة فكان موقعه على شارع اللنبي غربي الطريق وعلى حافة بضعة

لمتار من شارع الشهداء . وقد بقي منهُ غربيًّا آثار قبّة يعبر الناس تحتها طولها نحو سبعة امتار

وكان باب الدركة متقن العمل والناس يعجبونهُ كاجمل ابواب المدينة وكان في اعلاه كتابة يونانيّة بالشعر اليوناني نقلتها دائرة العاديات في بيروت الى حديقة ساحة البرج تجدها مع شرحها في ذيل تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ٢٧٧)

ولدينا ثلثة تصاوير مرسومة من داخل الاسوار تبيّن هندسة هذا الباب وجوارهُ . اثنان منها للمصوّر مونفور (Montfort) والثالث للمصوّر لوهو (Lehoux)

ويلوح من هذه التصاوير التي رُسم منها اثنان شمالي شرقي باب الدركة والثالث شماليهُ الغربيّ انَّ البناية كانت مربّعة تقريبًا وتُقسم الى قسمين يختلف زمانهما . فالقسم الخارجي يعلوهُ برجان مربّعان كان يجمع بينهما حائط كما يظهر على شبه واجهة . ويؤخذ من اساس البناء وأغلاقهِ المختلفة اللون متاوبةً أنَّهُ من بناء العرب . امَّا القسم الداخلي فخالٍ من النقوش لواجهتهِ اربعة نوافذ بيضوية الشكل غير متساوية العلوّ . امَّا السور فهو على علوّ الباب في زاويتهِ الشماليَّة الشرقيَّة ويبلغ الى وسطهِ في الجهة الغربيَّة . وبناؤهُ من جهتَيه على خطّ مستقيم لهُ في اعلاهُ موقفٌ للدفاع مع صفَّين من الكوى لرمي القذائف وكانت شرفات مروَّسة تدريجيًّا تعلو السور

ويُستدَلّ ايضًا من تلك التصاوير انَّهُ كانت على مدى السور ارزاقٌ مُهملة تراكم عليها الرمل . على انَّ مدخل باب الدركة قد تغيَّرت هيئتهُ في اواسط القرن التاسع عشر . فكان الداخل يرى من عن يمينهِ مسجدًا صغيرًا مبنيًّا بين الباب والحمَّام التي هناك وموقعها اليوم في وسط شارع اللنبي وكان يرى من جهة الشرق السواري الثلث المدعوَّة بسواري الاربعين التي يشير اليها السيَّاح . وبقربها العين الجارية من راس النبع ولعلَّها كانت عين بيروت الوحيدة ومنها كانت الحمَّام تستمدُّ مياهها :

وعلى مقربة الحمَّام تُرى اليوم اخربة الكنيسة المسكوبيَّة التي بُنيت منذ نحو ٦٠ سنة بنسبة الشقاق الذي حصل بين الروم الكاثوليك عند تغيير الحساب الشرقي بالحساب الغربي . وبازاء هذه الابنية كان دير الكبوشيين القديم الذي اخلاهُ الرهبان سنة ١٨٧٠ . ولا يزال بعض الآثار والنقوش البنائيَّة تدلّ على كنيستهم وبها كان مدفن رهبانهم وفي هذه الكنيسة كان مقام القنصل الفرنسويّ الرسمي .

وكانت بَدَنات توصل بين باب الـدركة وباب يعقوب لم يبق منهـا الّا بعض جدران داخلة في ابنية حديثة. يظهر بينها خصوصاً قطعة طولها نحو ١٥ قـدماً بازاء عين يعقوب وهناك موضع كان يجلس فيهِ الحرس لضرب العـدوّ وهو على علو ثلثة امتار فوق الارض وكانت سبع كُوًى لرمي القذائف تحت خدمتهِ. امّا الجهة الخارجة الموازية للمدينة فقد تراكم عليها الرمل فبلغ علوّهُ الى علوّ الكوى المذكورة

وكان الرمل قد غمر باب يعقوب وهو اليوم مَعبَر مبني تحت شارع السراية ينفذ الى غربيّ شارع فخر الدين . ويقيس هذا الباب حالًا مترين و ٧٠ سنتمترًا في العلو ومثلهُ قياساً في عرضهِ. وهو يشبه في صورتهِ وتنظيمهِ بابي السراية والدبّاغة وسمك الحائط ٧٥ سنتمترًا ولا تزال دفّتاهُ في مكانهـا. وهما تتألفان من اخشاب ذات تقاطيع منقوشة من داخلها وهما مصفّحتان من الخارج بالحديد والمسامير البارزة الرؤوس وفي احدى الدفّتين خادعةٌ . وهناك بقايا عقود تبيّن انّ البنـاء كان متواصلًا الى جهة الشمال ينتهي الى سوق مسقّف. هذه الآثار كلها تُرى تحت الطريق الحاليّة

وعلى رأي جناب الكونت فيليب دي طرّازي انّ باب يعقوب المذكور اقامهُ الجزّار بدلًا من باب آخر كان موقعهُ على مسافة عشرين مترًا في شمالهِ لأنّ الجزّار لمّا حاول ترميم اسوار بيروت سعى بتوسيع نطاقها وادخل في وسطها مساحات بائرة . امّا اسم الباب فنسوب الى يعقوب الكسرواني الذي كانت دارهُ فوق هذا الباب . ويزعم البعض غلطاً انهُ دُعي بيعقوب نسبةً الى طبيب صيداوي اسمهُ يعقوب ابيـلا سكن هذه الدار في اواسط القرن التاسع عشر وكان يعالج المرضى في فضاء الدار. ويعقوب هذا قد اشتهر بعد ذلك بصفة قنصل انكلترّة في مدينتهِ صيـداء وتوفي سنة ١٨٧٣ وكان ابن طبيب مالطي دخل في خدمة جيش نابوليون بونبارت لمّا كان محاصرًا لعكّا

٥ تحصينات بيروت من جهة الغرب

هذه النقطة كانت اضعف مواقع بيروت اذ كان العـدوّ يستطيع ان يقتحمها زاحفاً اليها من اعالي السراية الكبيرة حيث كان يشرف على كلّ المدينة قريباً منها وهو على علو ١٢٥ مترًا من زاوية السور الجنوبيّة الغربيّة التي لا تعلو فوق سطح البحر الّا ٣١ مترًا وهذا ما كان يستدعي تحصين المدينة من هذه الجهة بكل اتقـان. فكان

السور مدعوماً هناك بسوار مربعة ضخمة وابراج قوية يبلغ عددها ثمانية على ما يلوح من خارطة ديليون الانكليزية سنة ١٨٤٢ . وكانت اقيستها ومسافاتها مختلفة . امّا خارطة الجيش الانكليزي المرسومة سنة ١٨٣١ فانها تدلّ على ثلثة ابنية مربعة مستطيلة وعلى برج من شكلها وكأنها تُدعى هناك بقصور قديمة

امّا العلّامة راي فانهُ يشير الى تحصينات هذه الجهة الغربيّة حيث يقول « انّ الصليبيين كانوا حصّنوا بيروت وقد بقي من اسوارهم بقايا ترى حتى اليوم في جهتها الغربيّة وكانت مدعومة ببروج منها مستديرة ومنها مربعة مستطيلة ولمامها خندق عميق منقور في الصخر » . وقد صوّر لوهو هذه الجهة من بيروت سنة ١٨٣٧

وهذا السور الغربيّ اقدم ما بقي من تحصينات بيروت الّا انّ آثاره باندة لا يستطاع الوقوف عليها بعد ان قُلبت هذه الجهة من المدينة وتحوّلت الى احياء جديدة . وقد أدخل البنّاؤون في الابنية الحديثة قطعتين من ذلك السور لا يكاد يمرّ بهما النظر . فالقطعة الواحدة في دكان رجل يشحذ السكاكين في شارع المستشفى . والسور هناك ذو ثلمة ضيّقة تؤدي الى بئر في داخل البلد . والقطعة الثانية هي داخلة في دير الآباء الكبوشيين وهي اعظم شأناً سمكها بين متر و٢٥ ستمترًا الى متر و٩٥ س والبنّاؤون المحدثون قد خفّفوا ذلك السمك لمّا اتخذوهُ لبناء جديد . وقد فتح احد الباعة باباً سريًّا في هذا السور ليمرّ به من داره الى جنينته وقد رُفع امرهُ الى الحكومة آخرًا ولعلّ الدرهم الرنّان ينهي هذه الدعوى

ولمّا أُخرب هذا السور في مكان خورس كنيسة مار لويس اللاتينيّة ووُضعت اساس بنائه اكتشف الفعلة على قطعة من الفسيفساء تمثل ديكاً هي اليوم في دير الآباء الكبوشيين

ثمّ انّ مفرق شارعي البوسطة وجورج بيكو يُدعى باب ادريس ويشير الى احد ابواب المدينة الذي كان مشيّدًا على امتداد حائط الآباء الكبوشيين أُطلق عليه هذا الاسم لأن احدى العيالى المدعوّة بادريس كانت تسكن فوقهُ . ولمّا قدم الفرنسويون الى سوريّة سنة ١٨٦٠ ولنشأوا طريق الشام ارادوا ان يهدموا ذلك الباب وقسماً من السور ليلغوا الطريق الى البحر . الّا انّ ابا صالح لادريس صاحب الدار لم يشأ ان يتخلّى من ملكهِ قطعيًّا فقال له حينئذ والي بيروت كلاماً اصبح اليوم شبيهاً بالنبوّة :

«انك ستذكرني يوماً بالخير وتتمنّى لنفسي الرحمة اذا ما رأيت ما سيحصل من المنافع بفتح هذه الطريق »

وكان السور يمتدّ من باب ادريس الى شارع سوق الجميّل حيث كان باب المدينة الاخير المدعو باب السنطيّة قريباً من البحر وأمامهُ مقبرة السنطيّة التي تُرى آثارها شمال شارع الفرنسويين . وفي خرائط الانكليز في اواسط القرن التاسع عشر ترى بازاء الباب من داخل المدينة حقلًا من اشجار التوت كان يمتدّ على طول السور من البحر الى باب ادريس . وكان السور يمتدّ من باب السنطيّة توًّا الى صخرة الساحل وهناك كان ينعطف على خطّ مستقيم نحو الشرق ويبلغ الى الرصيف الذي كان يقفل المرفأ في القرون الوسطى . وللمصوّر مونفور صورة حسنة تدلّ على ذلك

فمن هذا النظر الاجمالي يمكن القارئ ان يتخيّل ما كانت عليهِ بيروت الى القرن السابق . فان حاضرة لبنان الكبير لوقوعها بين الشرق والغرب كانت معرّضة لغارات الشعوب من عرب ودروز ومتاولة برًّا ولضربات الاساطيل الاوربيّة ومراكب قرصان الجزائر بحرًا فكان بعضهم يكتفون بغزوات موقتة وكان غيرهم يقصدون السلب والنهب . ولذلك ترى معظم تحصيناتها مجهّزة لردّ تلك الغارات لاسيّما بعد عهد الصليبيين وليست غايتها النجاة من حصار طويل ومن ثمّ تجد تلك التحصينات ضعيفة لكنها كافية لتأمين اهل البلد وصيانة حياتهم الاقتصاديّة . امّا غايتنا نحن من انشاء هذه المقالة فانّما كانت بيان حدود المدينة القديمة في عهد العرب مع تعريف ما بقي حاضرًا من اخرتها التي نتمنّى حفظها وصيانة بقاياها الاثريّة

الاحاديث المطربة لابن العبري

سمى بشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

٧ احاديث زهاء

٢٧١ اتفق حضور بعضهم في بيت الصلاة مع والي البلدة فقال لهُ الوالي : اطلب ما هي حاجتك . فقال : انَّ في بيت الله لا ينبغي الطلب الَّا من الله وحدهُ

٢٧٢ قال بعضهم : أخمدوا نار غضبكم وشهواتكم بتذكُّركم نار جهنَّم

٢٧٤ قال بعضهم : ليس يوجد على الارض انسان الَّا يريد ان يكون اصلح حالًا ممَّا هو عليهِ وبهذا تعرف انَّ هذا العالَم هو عالم الهموم والشرور

٢٧٥ قال آخر : انَّ شهوات هذا العالم التي ذهبت هي كاضغاث الاحلام وامَّا المنتظرة فهي في شكٍّ وريب عن حصولها

٢٧٦ قال آخر : انَّ الذين يخدمون الله فالله يخدمهم والذين لا يخدمونهُ فيؤدون خدمتهم للعالم بلا جدوى (١

٢٧٨ رأى بعضهم رجلًا يتصدَّق بمالهِ قدَّام الناس فقال لهُ : ان اردتَ ان تذخر لنفسك كنزًا فليكن بالخفية لئلَّا يراهُ الناس فيسلبوهُ

٢٧٩ وعظ بعضهم ملكًا فقال : انَّ هذه الكنوز المذخورة في خزانتك لو بقيت في يد مَن سبقك لما وصلت الى يدك فتاجر اذن لنفسك بمالٍ ليس هو لك ولا يثبت لديك بعد ان صار اليك

٢٨٢ سُئل بعضهم كيف امكنك ان تترك شهوات هذا العالم ؟ فاجاب : لمَّا رأيتُ انَّ الموت يخطفها مني غصبًا جحدتُها طوعًا

٢٨٤ سُئل بعضهم : كيف يكون البشر في يوم القيامة فاجاب : انَّ الصدِّيق يكون كالخروف الذي خرج للمرعى . والتائب مثل الخروف الضائع وقد وُجد . امَّا المنافق فيكون كالخروف الذي عضَّهُ الكلب الكَلِب اعني بهِ الشيطان فلماذا يُربط بالسلاسل

١) في البيزنطية بحلت المتن فركاكة وقع من الاصل السرياني بعض الالتباس فشوَّه المعنى

٢٨٥ رأى بعضهم ملكاً يحتفُّ حولهُ الجند والشاكرية ليخفروهُ فقال : لو لم يكن هذا مذنباً الى الناس لما خاف منهم على نفسهِ

٢٨٩ قال رجل لناسك : ما أعظمَ نُسُكَك . فقال : انت اعظمُ مني نسكاً لاني انا زهدتُ في العالم الغير الثابت الذي ستزهد بهِ مثلي عند موتك اما انت فقد زهدت في العالم الذي لا يزول وبغضتهُ فانت اذن زاهدٌ في كليهما وانا بواحد منهما

٢٩١ عُنِف احدهم لكثرة صدقاتهِ فقال : ليت شعري كيف تجهلون انَّ الذي يريد ان يرحل من بيت الى آخر ينبغي لهُ ان لا يترك شيئاً في بيتهِ القديم

٢٩٢ قال ملك لبعضهم : ما لك لا تسجد لي وانت من عبيدي ؟ فقال لهُ : لو علمتَ انك عبدٌ لعبدي لما قلتَ هذا لاني انا متسلط على الشهوات العالية وقد قهرتُها واما انت فقد تسلَّطتْ عليك وقهرتْك فصرتَ لها عبداً

٢٩٣ قال احد الاغنياء لناسك : كيف نرى وجهك باشاً وانت فرح دائماً كأنك عائش ارغدَ عيش وبأطيب هناء فقال : يجب لي ان افرح ولك ان تحزن لانَّ احزاني تذهب وافراحك انت تنتهي

٢٩٨ سُئل آخر : ما هو هذا العالم ؟ فاجاب : ضحكةٌ لمن جرَّبهُ

٣٠٣ دخل لصٌّ لبيت ناسك في الليل فلمَّا لم يجد عندهُ شيئاً قال لهُ : اين هو مقتناك ؟ فاجاب : اني وضعتهُ حيث لا يمكنك ان تدركهُ . ولوماً الى السماء

٣٠٤ قيل لآخر : لا نراك تلوم احداً قطّ فقال : لاني لا اكفّ عن لوم ذاتي ولا دقيقةً واحدة

٣٠٥ قال احد الولاة لزاهد : ما لك لا تأتي الينا اصلاً ؟ فقال : لاني لا أجد عندك ما أريد الحصول عليهِ ولا تجد انت عندي شيئاً اخاف ان تخطفهُ مني

٣٠٦ كان آخر يقول : تأملوا ماذا يفيد الغنى لمن يقتنيهِ : اوَّلاً الخوف من الوالي ثمَّ الحرصُ من اللصّ والحسد من المحبّ والبغض من الولد اذ يؤمّل موت ابيهِ ليرثهُ

٣٠٨ قال آخر : ليكثرنَّ خوفك من الله كأنك لم تعمل براً قطّ وليكثرنَّ رجاؤك فيهِ كأنك لم تخطئ قطّ اليهِ

٣١١ قال آخر : انَّ الفردوس هو مكاننا الاوَّل فلمَّا طُردنا منهُ صرنا نتوق العَوْد اليهِ . فنحن الآن نشتهي الرجوع الى مقرّ مَوْلدنا والنجاة من غربتنا

٣١٤ سُئل سائح: لماذا تستند دائماً على عصاً ولبثتَ انت مريضاً ولا شيخاً عاجزاً ؟ فاجاب: لاني مسافر وعابر طريق وانتظر زماناً يليق بالرحيل - ومن المعلوم انَّ العصا هي علامة مَن يروم السفر

٣١٧ راى بعضهم انساناً قائماً بين مقبرة ومزبلة فقال لهُ: تأمل يا هذا اين انتَ واقف فانك بين خزانتين عجيبتين الواحدة يخزنون فيها الناس والاخرى يجمعون فيها شهواتهم

٣١٩ قال ملكٌ لآخر: أطلب ما تريد أعطيكَهُ فقال: أريد حياةً بغير موت وعمراً بغير شيخوخة وغنًى لا ينقص وسروراً لا يخالطهُ حزنٌ. فقال الملك: لا أقدر ان أعطيك ما طلبت. فقال: دعني اذن ان اطلب ممن يقدر ان يمنح هذا كلَّهُ. اومأ بهِ الى الله سبحانهُ وتعالى في العالم الآخر

٣٢٠ قال آخر: الشيء الذي لا تريد ان تقتنيهُ غداً اتركهُ اليوم وما تريد ان تجدهُ غداً احرص اليوم على جمعهِ

٨ احاديث بعض الاطباء

٣٢٩ قال طبيب: انَّ الاكل الذي لا يُهضَم يأكُلُ آكِلَهُ فلا تأكل اذن الا ما يمكنك ان تهضمهُ

٣٤٧ سُئل بعضهم: ما هو الطبّ؟ اجاب: هو حفظ الصحة بالمشابهات ودحض المرض بالمضادات(١)

٣٥٨ دخل طبيب الى مريض أبله فسأله: كيف ترى نفسك اليوم وما الذي تشتهي ؟ قال لهُ: انا اليوم بخير واشتهي كثيراً ان آكل ثلجاً. فقال لهُ الطبيب: انَّ الثلج لا يوافقك لانهُ يسبب لك سعالاً. اجاب المريض: انا امصُّ ماءهُ فقط. وارمي الثقل كما افعل بالتفاح

٣٦٢ دخل رجلٌ من العظماء على الملك وعندهُ طبيبهُ فسأله الملك: كيف هو ولدُك الجديد وكم بلغ من العمر ؟ فقال لهُ: يا سيدي الولد بخير وعمرهُ سبعة أيام. قال الطبيب: كيف هو من حيث عقلهِ ؟ فقال الرجل: ألم تسمع اني قلت للملك انهُ ابن

(١) هذه النكتة لم يذكرها الشارح بالانكليزية فتنزمها بقولهِ انَّ الطبَّ يتوقف على حفظ الصحة في الاصحاب وإيقاع المرض في الاعداء

سبعة أيام فما لكَ تسألني عن عقلهِ؟ اجاب الطبيب: انَّ المولود الحادّ النظر القليل البكاء يدلُّ على انهُ عاقل

٣٦٣ اشتغل رجل بالتصوير ثم تركهُ وصار طبيباً فسُئل عن ذلك فاجاب انَّ خطأ التصوير ترمقهُ الالحاظ وتميّزه الاعين امّا خطأ الطب فتغطّيه الارض ويستره القبر

٩ احاديث موضوعة على لسان الحيوانات

٣٦٩ قيل انَّ الثعلب استهزأ يوماً باللبوة لانها لا تلد في السنة طول عمرها الّا جروًا واحدًا. فقالت لهُ: حقًّا ولكنَّهُ اسدٌ

٣٧١ وقيل انَّ ذئباً وثعلباً وارنباً وجدوا خروفاً فقال بعضهم لبعض: انَّ الشيخ فينا يأكلهُ. فقال الارنب: انا ولدتُ قبل آدم. فقال الثعلب: حقًّا ولكن انا كنتُ هناك حين ولدتَ. فنهض الذئب وخطف الخروف وقال: انَّ قيامي ومقامي يشهدان على اني اقدم منكما. واكلهُ

٣٧٨ اجتاز ملك مع فيلسوف بقرب خربة واذا فيها بومتان فقال الملك للفيلسوف: يا ليت شعري من يستطيع ان يخبرني بماذا تتحدثان؟ فقال الفيلسوف: انا أخبرك ان حلفتَ لي أن لا تفعل بي مكروهاً اذا صدقتُك. فحلف لهُ فقال: لاحدى البومتين ولدٌ طلب الزواج بابنة الاخرى واعطتها كمهر ابنتها مائة ضيعة خراب فلم ترضَ امّ الفتاة وطلبت اكثر من ذلك فاجابت البومة: امهليني سنةً ولنا اعطيكِ الف ضيعة خربة بفضل هذا الملك الذي يسوس المملكة. فلمّا سمع الملك ذلك اتّعظ وصار يسلك بالعدل

٣٨٠ قالت الخنفساء لأمّها: لماذا يبصق الناس عليّ حيثما توجّهتُ؟ قالت أمها: انهم يفعلون ذلك لاجل جمالكِ وسوادكِ الحالك وطيب رائحتكِ

٣٨١ صاد كلبٌ ارنباً فقال لهُ: انك لستَ بقوّتك غلبتني بل لضعفي وان لم تصدّق قولي فاذهب وجرّب روحك مع الذئب

٣٨٤–٣٨٥ قال الثعلب: لو كان حب الثعلب حلوًا لَما تركهُ الناس بغير قاطور في البرّيّة. وقال يعلّم اولادهُ: اذا رأيتم الكرْم حاملًا والقاطور قائماً والنهر دافقاً فأبشروا بالغنيمة والشبع

١٠ احاديث اغنياء كرماء

٤١٤ قالت امرأة رجلٍ كريم لزوجها: لم أرَ قطّ شرًّا من اصدقائك الذين في زمن يسارك يلازمون صحبتك وفي زمن فقرك يبعدون عنك. فاجابها: انّ هذا من حسن نيّتهم لانهم لا يريدون ان يثقلوا علينا في زمن ضيق يدنا واعوازنا

٤١٥ تقدّم رجل الى بعض الكرماء وسألهُ منحةً ووضع اسفل عكّازهِ المستند عليها على رِجل الكريم فضغطها سهوًا. فلمّا اصاب برغوبهِ وذهب قال لهُ الحضور: كيف احتملت الالم ولم توبّخ هذا السائل عند وضعه عكّازهُ على رجلك؟ فقال لهم: انني خشيتُ ان اقول لهُ شيئًا فيستحي ويكفّ عن سؤالي

٤١٧ مرض احد الكرماء الاغنياء مدّة أيام فلم يدخل اليهِ احد ليعودهُ فقال للذين حولهُ: لماذا لم يأتِ الينا احد؟ فقالوا: لعلّهم يخافون ان تطالبهم بما لك عليهم من الديون. فلمّا سمع هذا امر منادياً ان يخرج الى الشوارع فيصرخ انّ الذين عليهم دين لفلان هم في حلٍّ منهُ. فغصّت دارهُ الماء من كثرة الزوّار

٤١٨ كان احد الاغنياء اذا طلب منهُ فقير شيئًا ولم يعطهِ يدفع لهُ صكًّا بخطّ يدهِ انهُ مديون لهُ

٤٢٦ سُئل بعضهم ما هو الكرَم؟ فقال: هو اعطاء الحاجة للمحتاج في وقت حاجتهِ

٤٢٧ قدم احد الشعراء على امير فاستقبلهُ الخدَم بكل كرامة وادخلوهُ على الامير فمدحهُ واجزل الامير صلتهُ. فلمّا اراد الخروج لم يشيّعهُ احد من خدَم الامير فاخذ يلومهم على تقصيرهم فقالوا لهُ: انّنا لا نقوم بخدمة من يخرج من عندنا بل نرحب بمن يأتي الينا لأنّنا نفرح باستقبال الضيف ولا نرى كرامةً في تشييعهم. فتعجّب الشاعر من عقلهم وسعة صدورهم فأثنى عليهم بقولهِ انكم احقّ بالمديح من مولاكم

١١ احاديث بوفر ام بخل

٤٢٩ قال بعض الشعراء لرجل بخيل لم لا تدعوني لآكل عندك؟ فاجابهُ لانك تأكل كثيرًا وتبلع سريعًا وما تأكل اللقمة حتى تبتلع الاخرى. فقال الشاعر:

وما تطلب مني أتريد اني اذا اكلتُ لقمة اقوم. فاسجد لك ثم أرجع لآخذ الأُخرى

٤٣٤ قال ندماء احد الملوك لمولاهم : مُرْ بان تُعطى لنا جلامةٌ حتى اذا رايناها نخرج من عندك فنستريح لان هكذا كانت عادة والدك الملك . فاجابهم : هذه علامتي اذا سألتُ الطباخين «ماذا هيأتم» فلا يعُد احد منكم يطيل الجلوس عندي

٤٣٨ اشرَفَ بخيل على الموت فاوصى ابنهُ قائلا : كُن مع الناس في تصرُّفك كاللاعب بالنرد الذي يسعى بان يحفظ الذي لهُ ويأخذ الذي لغيرهِ بالصنعة او الحيلة

٤٤١ نظر بخيلٌ ابنهُ يأخذ خبزًا ويضعهُ في طاقة كان يخرج منها دخان ثمَّ يأكل الخبز فسألهُ ابوهُ عن ذلك فقال لهُ : يا ابي انني اشمّ رائحة طعام يخرج من هذه الكوّة فاضع فيها خبزي ليصيبهُ شيءٌ من رائحة الطبيخ فآكلهُ . فلمَّا سمع ذلك ابوهُ ضربَهُ قائلًا : ويحك أتريد منذ الان ان تعتاد التلذُّذ في الأكل ؟

٤٤٣ جاءت ابنة امرأة بخيلة الى حانوتيّ فقالت لهُ : تقول لك امي خذ هذا الرغيف وأعطنا اصغر منهُ واعطنا بالباقي جوزًا

٤٤٨ خاصم بخيل جارهُ وشتمهُ . فسألهُ رجلٌ : لماذا تخاصمهُ ؟ فقال : اني اكلتُ رأسًا مسلوقًا ورميتُ العظام على بابي لكي أُفرح احبابي وأُحزن اعدائي اذا رأوني اتلذَّذ فقام هذا واخذ العظام فألقاها على بابهِ

٤٥٠ قيل انَّ ثلاثة بخلاء استأجروا بيتًا واحدًا وسكنوهُ جملةً وكانوا يشترون زيتًا للسراج لكنَّهم كانوا اذا أبى احدهم دَفعَ حصتهِ من ثمن الزيت يعصبون عينيهِ بمنديل الى ان يناموا ويطفئوا السراج

٤٥١ طلب ملكٌ من احد الادباء ان يكتب كتابًا في مدح البخل فكتبهُ وقدَّمهُ للملك وكان الملك بخيلًا . فلمَّا قرأهُ سُرَّ بهِ ثمَّ كتب لمؤلفهِ : انَّا لم نشأ ان نعطيك شيئًا لئلَّا نُبطل مشورتك الصالحة الرابحة . وهكذا ذهب تعبهُ سدًى

٤٥٥ قيل لبعض البخلاء : ما احسن الايدي على المائدة . فاجاب : لو كُنَّ مقطوعات

٤٥٩ كان بعض البخلاء لا يأكل الَّا في نصف الليل فسُئل عن ذلك فاجاب : انَّ في هذا الوقت يهدأ الذباب ولا همَّ لنا في من يدقّ الباب

٤٦٠ قال فيلسوف لغنيّ : انك تظنّ انك تحرص على مالك من سواك

وانا اراك اسخى به من خيرك لانك بعد قليل تموت ويتبذّر غناك على ورثتك سواء كانوا ممّن اراحوك ام ممّن اتعبوك

٤٦١ مرض بخيل وجاء يوم البحران ولم يعرق فخاف عليه خدّامهُ واخبروا الطبيب بالامر فقال لهم : اذهبوا وكلوا امامهُ من الخبز الذي يأكلهُ عادةً فاذا رأى ذلك يسرع العرق الى جسمه

٤٦٢–٤٦٣ كان آخر اذا حصل على درهم يقبّلهُ ويعانقهُ قائلًا : « انت ابي وامي واخي وحبيبي كم من مدينةٍ دُرتَ ومن بحرٍ قطعت ومن غنيٍّ افقرت ومن صعلوكٍ اغنيت » ثم كان يلقيه في كيسهِ قائلًا : ادخل الى بلدةٍ لا يمكنك الخروج منها فتعود تتعذّب فاسترح الآن فلن يقلق لاجلك الجنود في الحروب ويتجشّم التجّار لاجلك الاسفار وتسقط بسببك في العار بنات الاحرار

٤٦٥ قال بخيل لعبدهِ : قدّم المائدة واغلق الباب . فقال لهُ العبد : يا سيّدي بل اغلق الباب اوّلًا ثم أقدّم المائدة لئلّا يدخل احد قبل ان اغلق الباب . فقال لهُ سيّده : نعمَ الرأي وانت حرٌّ لاجل عقلك الثاقب فلا تعُدْ عبدًا لحسن تدبيرك

٤٦٧ اخبر بعضهم قال : كنتُ في بعض الأيام آكل عند رجل غنيّ شديد الامساك فتقدّمتُ الى المائدة قطّ فاردتُ ان آخذ قطعة من الخبز وارمي لها فقال لي : اتركها لانها ليست لنا بل لبعض الجيران

١٢ احاديث لارباب الصنائع

٤٦٩ تقدّم رجلٌ الى حلّاق وقال لهُ : احلق رأسي وأجزْ عليه الموسى حسنًا واحذر ان تجرح اذني ولا تدع شيئًا من الشعر في مكانٍ ما . فقال الحلّاق : كن مطمئنًّا فاني سانظّف رأسك حتّى انّ كلّ من يرى منقك يشتهي ان يصفعهُ بيدهِ

٤٧٦ ذهب آخر الى حكيم اسنان ليقلع لهُ سنًّا يوجعهُ فطلب منهُ درهمًا فقال : لا بل نصف درهم . قال : لا ارضى باقلّ من درهم ولكن إكرامًا لك ان شئت اقلع لك سنًّا آخر ايضًا ولا آخذ اكثر من درهم

٤٧٨ جاءت امرأة الى نحّاس برجلٍ مثقوب ليصلحهُ فطلى الثقب بقليل من الطين وسوّدهُ بشجّار ودفعهُ لها فلمّا اخذتهُ المرأة ووضعت فيه ماء ترطّب ذلك

الطين وبدأ الرجل يرشح فرجعت الى النظام وقالت له : ماذا صنعت فان الرجل لم يزل كما كان سابقاً . فقال : لعلكِ صببتِ فيهِ ماء . وانا ظننتُ انك تجعلين فيهِ حنطة او صوفاً فان قصدتِ ان تجعلي فيهِ ماء فخذيهِ الى من هو احذق مني ليصلحهُ لكِ

جاء مفسّر احلام من تكريت الى بغداد فسُئل لماذا تركتَ بلدك واتيت الى ها هنا ؟ فاجاب انَّ البقّ في تكريت لا يدع اهلها ينامون ولهذا لا يرون احلاماً ولا يحتاجون الى مفسّر (ليست هذه النكتة في الاصل السرياني)

٤٨٠ اضاء حانوتيٌّ سراجاً في النهار ووضعهُ قدّامهُ فسألوهُ عن هذا فقال : اني ارى كلّ الذين حولي يبيعون ويشترون وانا لا يقربني احد فظننتُ انهم لا يرونني فاوقدتُ السراج ليروني

٤٨٢ كان آخر يبيع فجلاً فجعل ينادي : خذوا كلوا من هذا المسكر ! احلى من العسل ! فتقدَّم اليهِ رجل وقال : عندنا مريض اشتهى الفجل الحامض هل عندك منهُ ؟ . قال لهُ : دونك هذا الفجل الذي قدّامي فهو مطاربك ولا تصدّق قولي لانَّ كل ما عندي لشدّ حموضةً من الخلّ والليمون .

١٣ احاديث بعض الظرفاء

٤٩٠ كان رجلٌ يقول انَّ الخير والشرّ من الله وليس للانسان فيهما إمكان فقال لهُ بعضهم : وانا ازيف معتقدك بفعل صغير فاني لوضع يدي على عنقك بهذا السيف واسألك : هل يمكنني ان اضرب عنقك ؟ فان قلت «نعم» خرجتَ عن رأيك واثبتَّ العمل للانسان . وان قلتَ «لا» قطعتُ رأسك وبيّنت لك اني قادر

٤٩٢ قال آخر : انا ولبني توأمان فهو صار تاجراً كبيراً وانا صعلوكٌ فقير فكيف اذن يصحّ رأي المنجّمين فهذا دليل على كذبهم

٥١٠ قيل لآخر وكان يأكل سمكاً وحليباً ألا تخاف ان تجمع في معدتك بين السمك والحليب ؟ فاجاب : وكيف يحسُّ السمك بالحليب وهو قد مات

٥١٣ دخل آخر على قوم سكارى فضربوهُ بقيل له : لم تشتمهم ؟ اجاب انهم سكارى ولا يفهمون فيضيع شتمي لهم حينئذٍ

٥١٨ [illegible] رجلاً يقول لوقت [illegible] سرت في الليل وأرتجت ان الكلاب لا تؤذيك فاقرأ في وجهها المرسوم [illegible] في الآية [illegible] يا وجه من هم الكلاب

واحدتي ، فقال السامع : بل دَنَهُ يأخذ في يدهِ ايضاً عصاً لانه ليس الكلاب كلها تفهم المزامير الّا القارئين منها فقط

٥٢٢ وقعت تهمةٌ على رجل فحكم عليهِ القاضي بان يُضرَب خمسين سوطاً . ثم عُرف بعد ذلك انهُ مظلوم فقال لهُ : قد اخطأنا في جَلدك وانت بريء . فقال القاضي : اكتب في سجلّك ما وقع عليّ ظلماً حتى اذا عملتُ زلّةً تحسب لي هذه الجلدات ولا تعود تضربني ثانيةً

٥٢٤ كان آخر يبغض الباذنجان ويأنف من أكله فدعاهُ يوماً احد الرؤساء الى الغداء فوجد كلّ طعامهِ مصنوعاً بالباذنجان . فقال للخادم : هاتِ لي كوز ماء لأشرب لعلّي لا اجد فيهِ باذنجانةً

٥٢٧ دُعي آخر الى الطعام عند رجل من الرؤساء بخيل فتدفّق على ثوبهِ شيء من الطعام فقال الرئيس للخدام : اغسلوا لهُ ثوبهُ . فقال الرجل : كلّا يا سيّدي انّ ثوبي لا يحتاج الى غسيل لان طعامك لا يوسّخ (اراد انّهُ لا دَسَم فيهِ)

٥٢٩ قيل لآخر : انّ القمح اليوم غالٍ في السوق فقال : انا لا أُبالي لهذا لاني اشتري خبزاً مخبوزاً

٥٣٠ رأى رجلٌ صديقاً لهُ مبتلًى بوجع العينين فسألهُ بماذا تطبّب عينيك ؟ اجاب : بمزامير داود وصلوات امّي الراهبة . فقال لهُ : ولا بأس لو اضفتَ الى ذلك قليلًا من الكحل

١٤ احاديث قوم جهال

٥٣٣ سمع رجلٌ عن انسان انهُ مات فلما رآى اخاهُ سألهُ قائلًا : انت الذي متّ ام اخوك ؟

٥٣٤ مات ابنُ لآخر فحزن عليهِ جدًّا واراد ان يقتل نفسهُ ثم استشار واحدًا من اصحابهِ قائلًا : لعلّي ان قتلت نفسي يلحقني ضررٌ من الوالي (١)

٥٣٨ افتقد آخر ابن جاره المريض فقال لابيهِ : ان مات هذا فلا تصنع كما صنعت مع ابنك الاكبر فلم تطلبني لامشي في جنازتهِ

(١) لم يُحسن الناقل نقله للنكتة من السريانيّة الى الانكليزيّة فبيّنها نحن جهد الامكان « if I kill myself the prince will suffer sorrow on my account »

٥٤٦ كان آخر غنياً ابلد فاذا سألهُ فقير حمنةً يقول : اذا كان الله لم يُعطهِ فأنا كيف اعطيهِ ؟

٥٤٧ ولد لبعضهم ولد فدعا المنجم ليُصر طالعهُ وقال لهُ : اريد منك ان تُبدي نجمهُ في عطارد لاني سمعتُ ان المولود بهذا النجم يصير كاتباً

٥٤٩ تأمل آخر القمر في الرابعة عشرة من الشهر فقال : شهر مبارك . فقيل لهُ : كيف لم ترَ الشهر حتى اليوم . فقال : اني لم اكن في المدينة فكيف اراه

٥٥١ اجتاز آخر بصيادي سمك فقال لهم : هذا الذي تصطادونهُ طريٌ ام مالح ؟

٥٥٢ سأل بعضهم تلميذهُ في ايّ يوم من الاسبوع وقع خميس الاسرار في العام الماضي . فقال التلميذ : على ظني انهُ وقع يوم الثلثاء

٥٥٣ خرج احد الولاة ليزور القدس وكان مسرعاً ليصل قبل عيد الفصح فقال لهُ احد عبيدهِ : لماذا تقتل الخيل وتُجهد الناس الذين معك . اكتب لاهل القدس ان يؤخروا العيد الى ان تصل

٥٥٦ سُئل آخر لمّا ماتت امرأتهُ كم سنةٍ عمرها ؟ فاجاب : لا اعرف على التحقيق الا اني اعلم انها ولدت في الزمن الذي تكثر فيهِ البراغيث (١

٥٥٧ كان آخر راكباً حماراً فلم يعثر تحتهُ فحلف انهُ لا يطعمهُ شعيراً تلك الليلة . فلما صار المساء قال لاجيرهِ : ضع لهُ نخالة شعير ولا تُعلمهُ اني قلتُ لك كي يعود يخاف مني

٥٥٨ قال بعضهم : كنتُ اليوم في جنازة ابن فلان فسألوهُ : ايٌّ من اولادهِ مات ؟ فاجاب : كانوا اثنين فمات الاوسط

٥٥٩ قال آخر لجارهِ : رأيتُ هذه الليلة في حلمي والي مدينتنا يحادثك وينظر اليَّ فأخبرني : ماذا قال لك عني ؟

٥٦٤ اخبر بعضهم فقال : ذهب ابي ليزور القدس مرّتين ومات فيها لكن لا ادري أمات للمرّة الاولى او الثانية

---

(١) العجب انّ المستر بودج ترجم « البراغيث » وفي السريانية «ملحا» بالليمون يكتب (ص 143) « She was born at the time when oranges were plentiful »

٥٧٢ عادت عجوز مريضاً فقالت لاهلهِ: «صدّقوني اني ضعفتُ كثيرًا ولم يَعُد يمكنني ان أروح وأجيء في كل وقت . فاذا مات مريضكم اسأل الله ان يرحمهُ ويبقي حياتكم ولا تلوموني ان لم آتِ فاحضر دفنهُ

٥٧٣ طار لاحد الامراء صقر فقال: اقفلوا ابواب المدينة حتى اقبض عليهِ

٥٧٧ مدح شاعرٌ احد الولاة فقال لهُ: اني لا اقدر ان امنحك شيئاً من عندي ولكن اذا أذنبتَ صفحتُ عن وزرك

٥٨٦ نظر آخر الفراريج التي في بيتهِ فقال: متى غرض فنأكلكِ ونستريح من وجع رأسك

٥٨٨ طلب بعضهم من احد اصحابهِ سَرجاً يستعيرهُ لفرسهِ فقال لهُ: صدّقني اني في هذه الساعة نزلتُ عنهُ فاصبر حتّى يستريح

٥٩٠ دخل رجلٌ على بائع ثلج واخذ قطعةً منهُ فذاقها وقال لهُ: أما عندك أبرد من هذه؟ فأعطاهُ قطعةً اخرى فلمّا ذاقها قال: بكم تبيع من هذا. فاجاب القطعة من الاوّل بدانق ومن الثاني بدانق ونصف. فقال: اذن انا اخذ من هذه يسيرًا لاجلي ومن الاولى لاهل بيتي

٥٩٤ سألوا آخر: كم سنةٍ عمرُكَ؟ فاجاب: لست اعرف ولكني سمعتُ امّي تقول: ولدتَ قبل نضج الخرم واخوك اكبر منك بشهرين ونصف سنة

٥٩٥ كان لآخر دارٌ يشترك فيها مع رجل آخر فقال: اريد ان ابيع النصف الذي لي واشتري النصف الآخر لتصير الدار كلها لي

٥٩٧ وقعت ابنةٌ لآخر في الجب فقال لها: لا تبرحي في مكانك حتى آتي بمن يُصعدكِ

٥٩٨ سألوا آخر عن يوم مولدهِ فاجاب: انا ولدتُ يوم احد الثمانين بعد عيد القيامة بسنتين

٥٩٩ كان آخر يُصلي فيقول: ربّي والهي اغفر لي ولامّي ولاختي ولامرأتي . فسألوهُ: ولِمَ لم تذكر اباك؟ فاجاب: لاني كنتُ صغيرًا لمّا مات فلم اعرفهُ

٦٠٠ قال آخر في صلاتهِ: يا ربّ أعطني خمسة آلاف دينار ولا ادفع من مالي الفاً للمساكين. وان كنت لا تصدّقني اعطني اربعة آلاف والالف الآخر أعطهم اياها

انت من يدك الى يدهم

٦٠٥ مرَّ بعضهم بأذنة للمسلمين فقال لرفيقهِ : ما اطولَ ما كان الناس الذين بنوا هذه المنارة ! فاجابهُ رفيقهُ : يا ابله كيف يكون انسان بهذا الطول ولكن بنوها على الارض ثمَّ اقاموها

٦١٥ كان آخر يكسّر لوزاً فطارت لوزةٌ من يدهِ فقال : سبحان الله انَّ اللوز ايضاً يهرب من الموت

٦١٣ كان احد الرؤساء راكباً في الطريق مع قوم فقال لهم : ابعدوا عني ساعةً فانَّ لي كلاماً اريد ان اقولهُ مع نفسي

١٥ احاديث بعض المجانين

٦٢٣ دخل بعض المجانين الى احد الرؤساء فقدَّم لهُ خبزاً لا غير فقال : اني آتيكم في يوم عيد لعلّي اجد عندكم لحماً

٦٢٤ قال آخر : اني دخلت يوماً الى البيمارستان فوجدتُ هناك مجنوناً مقيَّداً بسلاسل حديد فأخرجت لسانهُ لساني وحلقتُ عيني عينهُ فلما رآني فعلت هكذا نظر الى السماء وقال : سبحان الله تعالوا انظروا لمن تركهُ الاطبَّاء بلا قيود ولمن قيَّدوا بالسلاسل

٦٣٠ قيل لآخر : اعدد لنا المجانين الذين في حمص فاجاب : هذا يصعب لكثرتهم فان اردتم اني اعدُّ لكم العقلاء الذين فيها وهم قليلون

٦٣١ لبس احدهم فروةً وقلب ريشها الى خارج فسُئل عن ذلك فاجاب : لو كان ريش الفروة الى داخل أصلحَ لمَا خلقهُ الله الى خارج في الغنم

٦٣٤ قال رجل لمتوه : خذ لك دينار فضَّة وامضِ احصد حوضي في زرع الملك . فقال لهُ : انا لا يمكنني ان اعمل عملَين وحدي بل انا آخذ الدينار وانت امضِ واحصد ليكون العمل سهلاً عليَّ وعليك

٦٤٧ كان آخر يأكل تمراً بنواهُ فسُئل عن ذلك فاجاب : هكذا وزنهُ عليَّ بانهُ

٦٤٨ كان مجنون اذا حضر دفن ميت يتصدَّق عليه بدرهم فاتت احد الاغنياء فاعطاهُ الله درهمين فاخذهما وقال لاهل الميت : لا تتشاءلوا لكم عليَّ حقاً ما حسبتهُ لكم اذا فاتَ منكم واحد آخر

٦٢٨ وقف آخر عند عامود طويل أملس وقال : من يعطيني درهماً واحداً لأصعد الى رأسهِ . فلمّا اعطوهُ الدرهم اخذهُ وقال : هاتوا سلّماً . قالوا لهُ : لم نشارطك على سُلّم . قال لهم ولا شارطتوني بغير سلّم سوى ان اصعد فقط

٦٤٤ اجتاز آخر في سوق البزّازين فنظر جمعاً كبيراً من الناس امام حانوتٍ قد نُقب في الليل فتقدّم هو وتأمل الثقب وهزّ رأسهُ وقال : انكم كلكم لا تعرفون من فعل هذا أمّا انا فاعرفهُ لكني لا اقول لكم حتّى تشبعوني بثلث أقق خبز ورأسين مسلوقين فاذا شبعتُ اخبرتكم . فقال القوم بعضهم لبعض : لا عجب ان كان هو يعرفهُ لأنّهُ طول الليل يدور في الاسواق ولا يختفي عنهُ اللصوص اذا رأوهُ وهم يعرفونه انهُ مجنون . فلمّا اتوا اليهِ بما طلب واكل وشبع قام قدّام الثقب وقال : كلكم صبيان ولا تعرفون من عمل هذا ان هذا عملُ اللصوص . قال هذا ومضى راكضاً

١٦ احاديث اللصوص

٦٥٤ سُرقت لبعضهم امتعة فقالوا لهُ اتّكل على الله وعلى الانجيل المجيد فهو يكشف لك اللص فاجاب : لو سمع اللصوص الانجيل لما نهبوني فقط بل قتلوني واهلكوني لانهُ جاء في الانجيل انّ السارق ليس يأتي الّا ليسرق ويقتل ويُهلك

٦٥٦ كان آخر يسرق الاولاد وبيعهم ولمّا سُئل عن ذلك اجاب : اني اسرق اولاد الناس لانهم سيقومون جميعهم يوم القيامة ولذا طالبني بهم والدوهم اقول لهم : ها هوذا اولادكم خذوهم ولكن ان سرقت ذهباً او متاعاً من اين لي ان اردّهُ لهم اذا طالبوني بهِ يوم القيامة

٦٥٨ دخل اللصوص بيتاً في الليل وابتدأوا يفتشون على شيء يأخذونهُ فلم يجدوا فقال لهم صاحب البيت : يا شباب لا تتعبوا انّ الذي تطلبونهُ في الليل انا اطلبهُ في النهار فلا اجدهُ

٦٦٤ سرق آخر حماراً واخذهُ للسوق ليبيعهُ فسُرق منهُ فلمّا سألوهُ بكم بعت الحمار اجابهم : برأس مالهِ

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

علائق الموارنة واليسوعيين في اوائل القرن السابع عشر (١)

كانت سفارة الاب دنديني خاتمة الصلات الرسميَّة بين الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة في آخر القرن السابع عشر . الَّا ان الصلات الوديَّة زادت توثُّقاً بينهما بواسطة المدرسة المارونيَّة في رومية

فانَّ تلك المدرسة بعد انشائها بعشرسنين اخذت تؤدّي للموارنة خدماً مشكورة . وقد سبق ذكر تسقيف ثلثة من تلامذتها اعني موسى المنيني من الماقورة على قبرس وجرجس عميرة على اهدن ويوحنَّا الحوشبي على دير قنُّوبين . وكان موسى اقدمهم بين تلامذة رومية تولَّى تدبير كرسي الافقوسيَّة الى وفاته سنة ١٦١٤ . امَّا يوحنَّا فهو ابن حاتم بن شمعون بن فهد الحوشبيّ الحصروني فانه بعد دروسه في رومية كان دخل في الرهبانيَّة الدومنيكانيَّة وهو احد الناحتين للفرلماطيق السرياني اللاتيني الذي الَّفهُ جرجس عميرة سنة ١٥٩٦ وقد امضى اسمهُ باللاتينيَّة على هذه الصورة Ego Fr. Joannes Baptista Leopardus (ابن فهد) Maronita e Libano Ord. Prædicatorum ثمَّ سمَّتهُ البطريرك يوسف الرزّي سنة ١٦٠٣ واوفدهُ الى الكرسي الرسولي لبعض شؤون الطائفة وكانت وفاتهُ سنة ١٦٣٢ في رومية . وامَّا جرجس عميرة فهو الذي بعد اسقفيَّتهِ على اهدن أُقيم بطريركاً على طائفتهِ فدبَّرها عشر سنوات وتوفّي سنة ١٦٤٤ وفي ايَّامهِ كان الحبر الفرنسوي فرنسوا دي شطويل الذي كُسرت في الشرق ترجمتهُ

ومبدأ شرف طائفتهُ المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة المكرَّم ابرهيم بن جرجس البشرّاني المولود في حلب سنة ١٥٦٣ وكان والدهُ من بشرّي وهو من جملة التلامذة

(١) راجع المشرق (١٩) [١٩٢١] : ٢٥٨-٢٧٠ .

الموارنة الاولين الذين أُرسلوا من حلب الى المدرسة المارونيَّة في رومية فما لبث ان طلب الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ٢٨ ك ١ سنة ١٥٨٢ فكان احد رفقاء القديس لويس غنزاغا في درس اللاهوت. وبعد كهنوته أُرسل الى الهند لمعرفته اللغة السريانيَّة فبشَّر هناك في الملبار نصارى السريان المعروفين بنصارى مار توما. ثمَّ وأى الرؤساء ما صارت اليهِ رسالة اليسوعيين في الحبشة من الضيق باستشهاد بعض لبنانها فأوعزوا الى الاب ابرهيم بان يذهب لمساعدة المرسلين هناك. الَّا انَّ حاكم مصوَّع المسلم اوقفهُ عند نزولهِ من السفينة الى البرّ وعرف انهُ من المرسلين الكاثوليك فعرض عليهِ الاسلام فأبى متكرّهاً فأمر بسجنهِ وتعذيبه ثمَّ بقطع رأسهِ فمات شهيد ايمانهِ والامل معقود بتثبيتهِ طوبويًّا عمَّا قريب (اطلب تفاصيل استشهادهِ في كتاب المرحوم الاب رباط (RABBATH, Documents I, 315-320) وفي تاريخ الحبشة لعمَّنويل ألميدا (Hist. d'Ethiopie par le P. EM. ALMEIDA, p. 174-179)

وقد مرَّ لنا ذكر نيقولا جرجي ويوسف جرجي ورجَّحنا كونهما اخوين للاب ابرهيم الشهيد وذكرنا دخولهما في الرهبانيَّة اليسوعيَّة. وفي عهدهما كان مارونيَّان اصلهما من قبرس يُدعى الواحد لويس مبارك (Luigi Benedetto di Nicosia in Cypro) والاخر كورنيليوس (Cornelio Sozomeno) اسمهما مدوَّن بين المبتدئين في الرهبنة اليسوعيَّة في ٢٦ ك ١ وفي ٤ تشرين الاوَّل من السنة سنة ١٥٧٩ في رومية ولم نعرف من امرهما شيئاً

وقد انضمَّ الى الرهبنة ذاتها تلميذان آخران من اوَّل تلامذة الموارنة في مدرسة طائفتهما وكلاهما من قبرس وهما الطوشيَّان مرقس بن اسطفان وبطرس بن جبرئيل. فمرقس بن اسطفان الطوشي مات شابًّا بعد ان ابرز نذورهُ الرهبانيَّة (١. أمَّا بطرس فانَّهُ كان ولد سنة ١٥٦٩ ودخل المدرسة المارونيَّة سنة ١٥٨٢ ثمَّ طلب بعد دروسهِ الانضواء الى ابناء القديس اغناطيوس فاجاب الرؤساء الى طلبهِ في ١٧ ك ٢ سنة ١٥٩٧ وبعد كهنوتهِ انكبَّ على التأليف والتعليم وخدمة الكرسيّ الرسولي وكانت وفاتهُ سنة ١٦٢٥. وفيها دخل الرهبانيَّة في رومية في ١٨ آب ١٦٢٥ شابٌّ آخر ماروني من تلامذة المدرسة المارونيَّة يُدعى يعقوب جبران اللبناني . . .

١) اطلب تاريخ الاب سكيني Sacchini Hist. Soc. Jesu I, v, 34

ومن تلامذة المدرسة المارونيّة الاوّلين الـذي عُرفوا بهمّتهم يوسف اليا الحلبي وهو الذي اشتهر بعد ذلك باسم يوسف إليان او إلياني وقد دُعي ايضاً باسم يوسف كاثري انهى دروسهُ سنة ١٥٩٥ فعاد الى وطنهِ مع موسى الحتيني وقد سلّمهما الحبر الاعظم اقليمس الثامن درع الرياسة للبطريرك سركيس الرزّي . وفي براءتهِ المؤذنة بذلك يثني قداستهُ عليهما . ثمّ عاد يوسف اليان الى رومية بايعـاز البطريرك يوسف الرزّي لتقدمة الطاعة باسمهِ والتماس درع الرئاسة سنة ١٥٩٩ . وكان الاب دندينى في رحلتهِ الى لبنان اتّخذ يوسف اليان كترجمانهِ . ولم نقف على سنة وفاتهِ

وممّن اشتهروا بين تلامذة رومية الاوّلين سركيس الرزّي ابن موسى الرزي اخي البطريرك سركيس فالبطريرك سركيس عمّهُ والبطريرك يوسف الرزي شقيقهُ . بعد دروسهِ في رومية عاد الى لبنان وترهّب في محبسة قزحيّا ثمّ سقّفهُ اخوهُ على دمشق وجعلهُ نائبهُ . فلمّا جاء الاب دندينى الى لبنان سنة ١٥٩٦ وجدهُ اسقفاً في قزحيّا وفي السنة ١٦٠٧ اوفدهُ اخوهُ البطريرك مع القسّ الياس ابن الحاج يوحنّا والقسّ جرجس ابن مارون من اهدن الى بولس الخامس لتهنئتهِ بارتقائهِ الى رئاسة الكنيسة . وفي تلك الاثناء توفي البطريرك يوسف واقيم لهُ خلفاً البطريرك يوحنا بن مخلوف . فلمّا عاد الوفد الماروني الى لبنان بقي المطران سركيس في رومية لمراقبة المطبوعات الشرقيّة فيها وبقي في رومية الى سنة ١٦٢٢ فرجع الى وطنهِ لزمن قصير ثم عاد الى رومية وفيها توفي سنة ١٦٣٨

وقد اشتهر ايضاً بين تلامذة المدرسة المارونيّة الاوّلين الصهيونيّان انطونيوس وجبرائيل فانطونيوس هو ابن اوفيسياني الصهيوني تلقّى العلوم في مدرسة الموارنة في رومية ثمّ سلك على الطريقة الرهبانيّة في اهدن ورُقّي الى درجة الكهنوت وصار برذيوطاً . واشتهر منهُ جبرائيل الصهيوني الاهدني من عائلة كرم التي ولد في لبنان سنة ١٥٧٧ ثمّ أرسل الى رومية وعمرهُ سبع سنوات فقط وبعد نهاية دروسهِ نال بشهادة الملفنة وكُهّن سنة ١٦٢٠ وقد اشتهر بالتعليم والتأليف في البندقيّة وباريس وكترجمان للامراء الى سنة وفاتهِ ١٦٤٥

ومثلهُ شهرة ابرهيم الحاقلاني كان ايضاً من تلامذة المدرسة المارونيّة الاوّلين ثمّ نال لهُ اسماً طيّباً بآثاره المتعدّدة كمعلّم ومراقب المطبوعات وكترجمان وكمؤلف وناقل

كتب عديدة الى اللغات الاوربيّة . كانت وفاتهُ سنة ١٦٦٤ وهو طاعن بالسنّ

ولا يسعنا ان نضرب الصفح عن تلميذ اخر لمدرسة الموارنة في رومية من اقدمهم وهو كسبر الغريب القبرسي فهذا بعد دروسهِ عاد الى وطنهِ واشتهر في قبرس بعلمهِ وقداستهِ وغيرتهِ على الدين بين جميع طوائف الجزيرة . ولمّا جلس يوحنّا مخلوف على السدّة البطريركيّة سنة ١٦٠٨ بعد يوسف الرزّي اختارهُ ليذهب الى رومية ويطلب لهُ التثبيت من بولس الخامس فسلّمهُ البابا درع الرئاسة وفوّض اليهِ ان يوشّح بهِ السيّد البطريرك ويتلقّى منهُ اليمين . ولم نعلم في اي سنة توفّي

ومن هؤلاء يواكير المدرسة المارونيّة في رومية ميخائيل عبيد الاهدني ابن اخت المطران يوحنّا لمّا عاد الى الشرق سكن في دير مُرت مورا سنة ١٦٠٠ ثمّ أُقيم مطراناً سنة ١٦٠٢ واراد ان يمكث في دير مار سركيس عند خالهِ فلم ترضَ بذلك العائلة الدويهيّة . قال المطران شبلي في ترجمة الدويهي (ص٨) : « فحرّق صكّ الدير الذي كان عند خالهِ فنزلوا الى طرابلس الى المفتي ابن جاموس وكتبوا صكّاً آخر عن رزنامة المدينة »

وكانت المدرسة المارونيّة في رومية قد قلّ عدد تلامذتها في اوائل القرن السابع عشر فكتب الرؤساء الى البطريرك يوسف الرزّي في ذلك فلمّا كانت السنة ١٦٠٣ ذهب المطران يوحنّا الحوشبي الى رومية واخذ معهُ اربعة شبّان . ولنا بعض التفاصيل عن رحلتهم في مقدّمة الكتاب الكرشوني الذي وضعهُ ميخائيل الحصروني في الحساب التريغوري سنة ١٦٣٧ قال ما نصّهُ :

« لمّا كانت سنة ١٦٠٣ مسيحيّة التي تقابل السنة ١٠١٤ هجريّة بعث البطريرك يوسف من بيت الرزّ من جبل لبنان المطران يوحنّا الراهب الدوميكاني الملقّب الحوشبي ابن شدياق حاتم ابن الشدياق شمعون من قرية حصرون الى عند ابي الآباء ورئيس الرؤساء بابا رومية المتكنّى اقليموس الثامن لاجل مصالح طائفتنا . فاخذ معهُ اربعة شمامسة ليتعلّموا في مدرستنا اثنين من شدرا واسمهما الشماس اسحاق واخوهُ سركيس واثنين من قرية حصرون الشماس يوحنّا ابن الشدياق قرياقوس وانا لله عبد الشمّاس مخائيل بن سعاده بن انطونيوس ابن الشدياق شمعون ابن الشيخ فويد ابن عمّ المطران المذكور الذي اجتهد وتعب في الرمظ وتعليم الكهنة وللطائفة عشرين سنة واتيح في رومية في جبل كنيسة صلبوت ماري بطرس كما وصّى وشاء . ولمّا وصلنا جميعنا بالسلامة الى مدينة المدائن رومية كلّ واحد منّا تعلّم على ما سهّل لهُ الله تعالى . . . »

وفي السنة ١٦٠٨ لمّا ارسل البطريرك يوحنّا مخلوف القس كسبر ليطلب لهُ التثبيت ارسل معهُ الى رومية القس جرجس بن مارون وبصحبتهِ ١٣ شابًا فاكرم البابا مثواهم واظهر لهم كلّ تعطُّف. ذكر الدويهي ذلك في تاريخهِ (ص ٤٥٣)

ثمَّ عاد البطريرك يوحنّا سنة ١٦٢٤ وارسل الى رومية اثني عشر ولدًا ليتلقوا فيها الدروس وكان يرافقهم الخوري يوحنّا بن قرياقوس الحصروني الموفد من السيّد البطريرك ليهنئ البابا اوربانوس الثامن المقام حديثاً حبرًا اعظم وبمعيّتهِ الاب عبدالاحد مغري (Dominique. Magri) اليسوعي

خدم تلامذة رومية الاوّلين لطائفتهم وللكرسي الرسولي وللعلم

انَّ تلامذة رومية اصبحوا بعد نهاية دروسهم سندًا يُعتمد اليهِ في تهذيب ابناء ملّتهم وقد رأيتَ انَّ عددًا منهم ترقّوا الى الرتبة الاسقفيَّة فكانوا رعاةً صالحين يتولّون سياسة رعاياهم الروحيَّة بالوعظ وتوزيع الاسرار واصلاح ما يرونهُ من الخلل في الطقوس والعادات

ولأنَّ المدارس كانت وقتئذٍ قليلة جدًّا سعى بعضهم بتعليم الاحداث. ولمّا علم البابا اوربانوس الثامن حاجة لبنان الى مدارس لتهذيب الشبيبة اراد ان تُفتح لهم مدرسة في الجبل اخذ على الكرسيّ الرسوليّ تجهيزها وكلفة نفقاتها وانتدب تلامذة رومية للتعليم فيها عند رجوعهم الى لبنان سنتين او ثلاث سنين. وهذه هي مدرسة دير سيّدة حوقا التي انشأها الحبر الاعظم بقوَّة براءة حرَّرها في ٢٤ تموز سنة ١٦٢٥ تجدها بنصّها الشائق في مجموع البولّات المارونيَّة الذي نشرهُ طوبيا العنيسي (Bullarium Maronitarum, p. 132-134) وشفعها قداستهُ بعد اسبوع فقط بقانون مفصَّل ذي ٢٢ بندًا لترتيب تلك المدرسة وحسن نظامها وهذا الفصل الجليل قد نُشر في ذيل الطبعة الجديدة من المجمع اللبناني ويفتتحهـا إمام الاحبار بقولهِ «لمّا كنّا من امدٍ قريب قد انشأنا وأسّسنا مدرسةً في جبل لبنان بسلطاننا الرسولي...» ومن قولهِ هذا يلوح انَّ الفضل الاعظم في انشاء تلك المدرسة انّما كان لرئيس الكنيسة على خلاف ما ورد في التواريخ الشائعة التي تنسبها خصوصاً الى البطريرك يوحنّا مخلوف

على انّنا لا نعلم شيئاً من اخبار المدرسة المذكورة ونجاحها ولا عن بقيَّة المدارس

التي عُني بتدبيرها تلامذة رومية في لبنان ولعلّ احوال الجبل في القرن السابع عشر وما حدث فيه من الاضطرابات وجور الحكّام لم تسمح باتقانها واجتناء اثارها الى ان احتلّ بعد مدّة المرسلون في لبنان فصرفوا المجهود في تثقيف الشبيبة . وكان البطريرك جرجس عميرة في ايّام اسقفيّته على اهدن كتب الى رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يطلب اليه بان يسعى في فتح رسالة لرهبانه في لبنان لحاجة البلاد اليهم . ومكتوبهُ هذا في سجلّات الرهبانيّة اليسوعيّة في رومية تاريخهُ ٢٥ كانون الاوّل سنة ١٥٩٦ يفتتحهُ بالثناء على زوّار الكرسي الرسولي الابوين يوحنّا باطشتا اليانو ودندينى لما خلّفا من آثار الحكمة والبنيان الصالح في سفارتهما . ثمّ يفيض الكلام في فقر ابرشيّته وكنائسها ويلتمس من الرئيس العام المساعدات ليُحسن القيام بواجبات اسقفيّته وخلاص الانفس ويختم رسالتهُ بقوله : « اني استمدُّ من ابوّتكم نعمةً أخرى كنت ذكرتها سابقاً لحضرتكم وهي أن ترسلوا اربعةً او خمسة من آباء رهبانيّتكم فيسكنوا عندنا حيثما شاؤوا في لبنان . ولا شكّ انهم سيعملون هنا خيراً عظيماً بعد ما رأينا اعمالهم في الزمن القليل الذي صرفوهُ بيننا » .

وقد ادّى تلامذة رومية الاوّلون خدماً اخرى لوطنهم ولارباب العلم بما سعوا في نشره من التآليف الدينيّة والعلميّة . وكان اوّل ما ابرزوا من ذلك كتب طائفتهم الطقسيّة وقد مرّ لنا ذكر النواقير التي طبعوها في المطبعة المديشيّة سنة ١٥٩١ وفي آخرها اسماء بعض تلامذة رومية الذين عُنوا بنشرها وهم جرجس الكرمبي (Carmeniensis) وميخائيل الادنيي وجبرائيل الصهيوني . ولعلّ جرجس الكرميني هو جرجس الكزمندائي او هو جرجس عميرة الذي تولّى مدّةً في رومية نظارة مطبوعات ملّته الطقسيّة قبل رجوعه الى وطنه . وفي السنة ١٥٩٦ طبعوا هناك خدمة القدّاس بالسرياني والكرشوني وكتاب الشحيم اي الفرض الماروني . ومن مطبوعات تلامذة رومية الدينيّة المزامير بالسرياني والكرشوني الذي طُبع في قزحيا سنة ١٦١٠ وقد وصفناه في المقتطف شباط وآذار سنة ١٩٠٥ (٣١ : ٥٥١ — ٥٥٦) والظاهر ان الذي تولّى الطبعة هو سركيس الرزي مطران دمشق الذي وُسم على صفحته الاولى شعاره مع اسمه . وقد اطّلع على هذا الكتاب جرجس عميرة اذ كان مطراناً على اهدن

والمطران سركيس المذكور دُعي بعد ذلك الى رومية ليهتمّ بالمطبوعات الشرقيّة واليه عهد سنة ١٦٢٥ البابا اوربانوس الثامن إعداد ترجمة منقّحة للاسفار المقدّسة ففعل وانما تأخر طبعها في ثلثة اجزاء بالعربيّة واللاتينيّة الى السنة ١٦٧١

- ومن مطبوعاتهم الدينيّة كتاب التعليم المسيحي للكردينال بلرمين اليسوعيّ عرّبهُ يوحنّا الحصروني وطبعهُ سنة ١٦١٣ في رومية في مطبعة ساڤاري دي براڤ (Savary de Brèves) ثمّ جدّد طبعهُ في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٦٢٧ . وفي السنة ١٦١٤ طُبعت هناك المزامير بالعربيّة واللاتينيّة بعناية تلميذي مدرسة الموارنة جبرائيل الصهيوني ومنصور شلّق الماقوري

أمّا الكتب العلميّة التي يعود الفضل بتأليفها ونشرها الى تلامذة رومية فهي اوّلًا الغرماطيق السرياني اللاتينيّ الذي ألّفهُ جرجس عميرة سنة ١٥٩٦ بعد نهاية دروسهِ وهو في سبعة اجزاء صفحاتهُ ٤٨٠

وفي السنة ١٦١١ نشر في باريس ٥ القس جبرائيل الصهيوني الهدناني والشمّاس يوحنّا الحصروني المارونيّان كتاب صناعة النحويّة (كذا) يشتمل على خمسة اجزاء ٥٠ وفي السنة ١٦١٩ نقلا الى اللاتينيّة كتاب نزهة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق للشريف الادرسي ونشراهُ في باريس تحت اسم الجغرافيّة النوبيّة وهذا الكتاب كان طُبع سابقًا باختصار في رومية بالعربيّة سنة ١٥٩٢

وفي السنة ١٦٢٢ طبع منصور شلّق في رومية مبادئ اللغة العربيّة . ثم طبع الاب بطرس المطوشي اليسوعيّ الماروني نحو اللغة العربيّة سنة ١٦٢٤ . وفي السنة ١٦٢٧ عاد منصور شلّق فطبع مدخلًا للغة العربيّة . وفي السنة ١٦٢٨ نشر ابرهيم الحاقلاني خلاصة اللغة العربيّة وغراماطيق اللغة السريانيّة باللاتينيّة وعارضهُ الشدراوي سنة ١٦٣٥ فطبع غراماطيقًا آخر للغة السريانيّة . وكلّهم من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية . وكان العلماء يُقبلون على مطالعة تآليفهم بكل شوق

ومن الخدم التي استحقّ عليها تلامذة رومية الاوّلون شكر الكرسيّ الرسولي سعيهم في ادخال الحساب الغريغوري المعروف بالعربي في طائفتهم والدفاع عنهُ . وقد تمّ ذلك سنة ١٦٠٦ في عيد القديسين بطرس وبولس الذي احتفل بهِ الموارنة عشرة ايام قبل بقيّة الطوائف الشرقيّة في سواحل الشام ولبنان . ثمّ جرت عليهِ الطائفة في

مدن الداخليّة كالشام وحلب الّا جزيرة قبرس التي تأخرت من ذلك بضع سنوات . وكان بين الذين اشتهروا في المناداة بهذا الحساب المطران يوحنّا الحوشي الدومنيكاني وكاد يذهب ضحيّة غيرته في هذا الجهاد اذ كان في حلب . فرفع المنفصلون عن الكنيسة امرهُ الى واليها طالبين منهُ ان يحكم عليهِ بالاعدام لتقرّبهِ من الفرنج . فلمّا دُعي الى المحكمة اثبت امام الحاكم صحّة هذا الحساب وغلط الحساب الشرقي فافحم خصومهُ وخرج من المحكمة ظافرًا

ولمّا كانت السنة ١٦٣٥ أقيم البطريرك جرجس عميرة بطريركاً على الطائفة خلفاً ليوحنّا مخلوف فارسل الخوري ميخائيل سعادة الحصروني الى رومية لتأدية فروض الطاعة والتماس درع الرئاسة . واذ طالت الامور هناك رأى الخوري ميخائيل فرصة مناسبة لتهذيب كتابٍ اوعز اليهِ مجمع الكرادلة بتأليفهِ في قاعدة الحساب الغربيّ الجديد واختلافها عن الحساب القديم وبيان صحّة تلك وغلط هذه . فقام بهذا العمل وشرح اصولهُ وفصولهُ ولمّا انجزهُ امر المجمع المقدّس بطبعهِ فطُبع بالحرف الكرشوني سنة ١٦٣٧ على نفقة المجمع المذكور وقد الحقهُ بجدول للاعياد المتنقلة من السنة ١٦٣٧ الى السنة ١٨٥٦ في ٦٨ صفحة فكان لتأليفهِ هذا فائدة عظيمة سهّلت ادخال هذا الحساب بعد مدّة في طوائف اخرى

وقد أدّى تلامذة رومية الاوّلون خدمةً غيرها للكرسي الرسوليّ فانهُ انتدب افرادًا منهم لقضاء بعض حاجات الكنيسة فمنهم الاب بطرس المطوشي القبرسي اليسوعيّ المار ذكرهُ فانّ البابا بولس الخامس وكّلَ اليهِ والى الاب حنا انطون ماريتّي (G. A. Marietti) اليسوعيّ بان يرافقا الانبا آدم سفير بطريرك الكلدان ايليّا السادس الى آمد ويوثّقا هناك العلائق بين الكلدان والكرسيّ الرسوليّ . وفي مجموع البولّات المارونيّة (ص ١٢٦—١٢٧) رسالةٌ للحبر الاعظم في تاريخ ٨ نيسان ١٦١٤ وجّهها الى بطريرك الموارنة يوحنا مخلوف يوصيهِ فيها بالابوين ليسهّل لهما على قدر طاقتهِ سفارتهما . على انّ هذه السفارة لم تأتِ بفائدة لسبب تقلّب بطريرك الكلدان ايليا بين النسطوريّة والكثلكة فطلب ان يُنهد حضور مجمع ملّتهِ الى الآباء الفرنسيسيين بدلًا من الآباء اليسوعيين فحضرهُ في آمد الاب توما دي نوتاره اوبينشيني فخدع بزراءة الناطرة . ومنهُ ترى أن لا سند الى ما رواهُ السيّد مطران يوسف السدبس في تاريخ

سوريَّة (٧: ٣٢٧) حيث يقول انَّ الابوين اليسوعيين « ذهبا الى آمد وجمع البطريرك اساقفتهُ بحضرتهما وجحدوا ضلال نسطور » وقد ترك لنا الاب ماريتي (لا ماريتوس كما ورد في تواريخ الموارنة) رسالةً موسَّعة في هذه السفارة نشرَها فقيد الآداب الشرقيَّة الاب انطون رباط (Rabbath: *Documents* II, 421-422)

وكان تلاميذ رومية غير الاب بطرس المطوشي استحقوا شكر قداسة البابا بولس الخامس بما نقلوهُ من اللاتينيَّة الى الكلدانيَّة ومن الكلدانيَّة الى اللاتينيَّة بخصوص هذه السفارة وقد خصَّ منهم بالذكر في رسالة وجَّهها الى بطريرك الكلدان « اسحاقَ الشدراوي العالم باللاهوت المقدَّس ويوحنَّا الحصروني »

ونضيف الى هذه الخدم المشكورة التي ادَّاها تلامذة الموارنة للكنيسة ترشيحهم لتعليم اللغات الشرقيَّة اي العربيَّة والسريانيَّة في رومية اوَّلاً ثمَّ في بعض حواضر البلاد الاوربيَّة. وقد امتاز في ذلك بين التلامذة الاوَّلين بطرس مطوشي الذي علَّم في المدرسة الرومانيَّة وجبرائيل الصهيوني الذي علَّم مدَّةً العربيَّة والسريانيَّة في مدرسة الحكمة في رومية ثم دُعي الى باريس فعلَّم في كليَّتها وشرَّفهُ الملك لويس الثالث عشر بلقب ترجمان ملكي. واشتهر ايضاً في تلك الحقبة بالتعليم في رومية ابرهيم الحاقلاني قبل ان ينقطع الى التأليف في باريس مع الصهيوني

فكل هذه المآثر لتلامذة مدرسة الموارنة الاولين في رومية ألفتت اليهم الانظار ومذ ذاك الحين شاع في اوربَّة اسم الموارنة

وكان الآباء اليسوعيُّون معلموهم لا يألون جهدهم في تدبير المدرسة وإرشاد الذين انهوا دروسهم ليحسنوا المتاجرة بوزناتهم . وفي سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة رسائل كتبها بعضهم الى معلميهم ينوِّهون فيها بفضلهم ويشكرون جميلهم لاسيَّما رؤساء المدرسة الذين تولَّوا ادارتها وهذه اسماؤهم: خلفَ الابَ يوحنَّا برونو في رئاسة مدرسة الموارنة الابُ ايرونيموس فوروقانتوس الروماني (١٥٩٠—١٦٠٦) ثمَّ الاب انطون لونغوس النيرنسي (١٦٠٦ — ١٦١٠) ثم الاب يعقوب كبيوتاس (١٦١٠—١٦٢٢) ثمَّ الاب انيبال كاتاليوس (١٦٢٢—١٦٢٥) ثمَّ الاب فابيوس برونو (١٦٢٥—١٦٣٢) وهو الذي باغرائهِ ألَّف الحاقلاني غراماطيقهُ السرياني كما يصرِّح بذلك في مقدِّمتهِ اللاتينيَّة

وكان رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يرمي تلك المدرسة بعين ساهرة ويكاتب الذين عادوا الى وطنهم . وفي تاريخ الموارنة للدويهي (ص٤٥٣) « انّ البابا بولس الخامس امر سنة ١٦١٢ الاب كلوديوس اكواريوا رئيس شركة اليسوعيّة ان يُخرج جسد القديس اميريطن (كذا) من بيت الشهداء ويرسلهُ مع قوم امناء الى البطريرك يوحنّا (مخلوف) على موجب طلبهِ . ورأس هذا القديس هو الى هذا اليوم مصون بكل كرامة داخل بيت مذبح كنيسة الكرسي » (لهُ بقيّة)

فنّ تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل غله اليسوعي

يقول احد الامثال السائرة على السنة الفرنسويين : «يتشكّى كثيرون من ضعف ذاكرتهم بيد ان كلّ امرئ راضٍ عن مقدرته العقليّة » . ولا مراء انّ من عرف نفسه واختبر الناس لا يتمالك ان يعترف بان المثل المذكور صائب كل الاصابة وإن انطوى على انتقادٍ لاذع . على كل حال لا سبيل لانكار خطورة شأن الذاكرة في حياتنا العقليّة سواء اعتبرناها من الوجهة الافراديّة ام من الاجتماعيّة . أجل ان حواسّنا كالبصر والسمع واللمس تُحسّ بالكثير من محتويات هذا العالم الهيولي . ومن جهة اخرى عقلنا يستخرج بقوته الغريبة من مخزونات الحواسّ افكارهُ المجرّدة عن الهيولي الشاهدة على كونه جوهرًا روحيًا يصوغ منها ما يسميه المنطقيون قضايا ايجابية او سلبية . وما الكلام بل العلوم كلها — وهي حلى العقل التي تُزري بالجمان — اذا سبرتَ غورها سوى تناسق مئات بل آلاف من القضايا المبنيّة على مجرّد التعقّل او عليهِ وعلى الاختبار . ولكن انّى للعقل وان كان احدٌ من السنان ان يكتنز كنوز الافكار والقضايا المتفرقة او المتناسقة اذا ضاقت خزانة ذاكرتهِ عن استيعاب كل تلك الجواهر الثمينة ؟ فانّ عاشق العلوم وان ذلّل كل صعبٍ في تحصيلها لا يلبث ان

وكان رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام الاب كلوديوس اكواڤيڤا يرمي تلك المدرسة بعين ساهرة ويكاتب الذين عادوا الى وطنهم . وفي تاريخ الموارنة للدويهي (ص٤٥٣) « انّ البابا بولس الخامس امر سنة ١٦١٢ الاب كلوديوس اكواريوا رئيس شركة اليسوعيّة ان يُخرج جسد القديس اميريطن (كذا) من بيت الشهداء ويرسلهُ مع قوم امناء الى البطريرك يوحنّا (مخلوف) على موجب طلبهِ . ورأس هذا القديس هو الى هذا اليوم مصون بكل كرامة داخل بيت مذبح كنيسة الكرسي » (لهُ بقيّة)

فنّ تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل غله اليسوعي

يقول احد الامثال السائرة على السنة الفرنسويين : «يتشكّى كثيرون من ضعف ذاكرتهم بيد ان كلّ امرئ راضٍ عن مقدرته العقليّة » . ولا مراء انّ من عرف نفسه واختبر الناس لا يتمالك ان يعترف بان المثل المذكور صائب كل الاصابة وإن انطوى على انتقادٍ لاذع . على كل حال لا سبيل لانكار خطورة شأن الذاكرة في حياتنا العقليّة سواء اعتبرناها من الوجهة الافراديّة ام من الاجتماعيّة . أجل ان حواسّنا كالبصر والسمع واللمس تُحسّ بالكثير من محتويات هذا العالم الهيولي . ومن جهة اخرى عقلنا يستخرج بقوته الغريبة من مخزونات الحواسّ افكارهُ المجرّدة عن الهيولي الشاهدة على كونه جوهرًا روحيًا يصوغ منها ما يسميه المنطقيون قضايا ايجابية او سلبية . وما الكلام بل العلوم كلها — وهي حلى العقل التي تُزري بالجمان — اذا سبرتَ غورها سوى تناسق مئات بل آلاف من القضايا المبنيّة على مجرّد التعقّل او عليهِ وعلى الاختبار . ولكن انّى للعقل وان كان احدٌ من السنان ان يكتنز كنوز الافكار والقضايا المتفرقة او المتناسقة اذا ضاقت خزانة ذاكرتهِ عن استيعاب كل تلك الجواهر الثمينة ؟ فانّ عاشق العلوم وان ذلّل كل صعبٍ في تحصيلها لا يلبث ان

يضيع في برهة يسيرة الحصّة الكبرى من معارفه المُقتناة بشقّ النفس ان لم يستطع ادّخارها في ذاكرته . فكثرة وقوع هذا المحذور الوخيم هي التي حدتْ من قديم العصور طائفةً من المفكرين والبحّاثين الى ايجاد العلاج الشافي لداء ضعف الذاكرة . والحق يقال ان ابحاثهم وتجاربهم المتعددة ، ولاسيما في الجيل الاخير ، قد فازت بالضالّة المنشودة فادّت للمجتمع البشري خدمةً تذكر فتشكر

هذا ولمّا كان جلّ مبتغانا خدمة ابناء الشرق الكرام باطّلاعهم على خير ما تصل اليه يدنا من المعلومات المفيدة رأينا اليوم ان نطرق موضوع فنّ ترويض الذاكرة وفقاً لاحدث الطرق العصرية . ولا مراء في كون مطالعي المشرق يرتاحون كل الارتياح الى خوضنا في هذا البحث الجليل الفوائد رغماً من وعورة مسلكه . ولم نجترئ في تحبير هذه المقالة بتدوين معلوماتنا وتجاربنا الشخصيّة بل وسّعنا دائرتها بمطالعة مقالات ومؤلّفات ضافية الذيول فنزفّ الآن الى بني الشرق خلاصة ما استخرجناهُ من كل هذه المصادر . واهمّها في نظرنا — ولا محيص عن التنويه به — طريقة مؤسّسة بَلمن(١ (The Pelman Institute) التي مركزها في لندن ولها عدّة فروع في اشهر مدن العالم ولاسيما في البلاد الانكليزية . غايتها تثقيف وترويض القوى العقليّة من عقل وارادة ومخيّلة وذاكرة وفقاً للمبادئ الفسيولوجيّة وخصوصاً مبادئ علم النفس . قد انشأها منذ نحو ٢٦ سنة المستر إنّفر (Ennever) وهي تلقي الدروس على طريق المراسلة كما جرت العادة في كثير من مدارس جيلنا الحاضر . وقد حازت شُهرةً عجيبة في كل اصقاع العالم الانكليزيّ اللسان بل جاوزت حدوده المترامية الاطراف منتشرةً في فرنسة واسوج وغيرهما . ومن ثمّ لم نرَ بُدّاً من مخابرتها بل طلبنا منها إطلاعنا على تفاصيل ذلك الفن الذي نالت فيه قصب السبق ففعلت بطيبة خاطر . فيلوح اذاً لكل ذي عينين اننا لم ندّخر وسعاً في افراغ مقالتنا هذه بأكمل القوالب رغماً من ضرورة الايجاز فمادّتنا اوسع من ان نستطيع حصرها في صحائف قليلة

امّا سياق مقالتنا فبسيط للغاية حيث اننا سنورد اوّلاً على جناح السرعة النواميس الجوهرية للذاكرة ثم نستند اليها للتوسع في فن ترويض هذه القوّة الثمينة

١) هذا عنوانها لمن يريد مخابرتها : 4, Bloomsbury Street, London, W. C. 1

١ نواميس الذاكرة

ان للذاكرة كما لسائر قوى النفس نواميس معلومة ارشدتنا اليها الملاحظة والاختبار وهي القواعد التي ينبغي مراعاتها لحفظ المعلومات ايةً كانت في ذاكرتنا

من البديهي ان قيام الذاكرة بوظيفتها يقتضي ثلاثة امور : الاول هو التأثير الفاعلي الوارد اليها عن طريق الحواسّ او العقل — الثاني هو تأثيرها الانفعالي اي انطباع التأثير الفاعلي فيها — والثالث هو استعادتُها التأثير الانفعالي بعد فترة من الزمن وهو ذات فعل التذكّر . ومن الجدير بالانتباه اليه ان ثاني هذه الامور اي التأثير الانفعالي غير خاضع لارادتنا خضوعاً مباشراً كما يتضح للمتروي . فلا نقدر على زيادته وتشديده الّا بمعالجة الامرين الآخرين نعني التأثير الفاعلي وفعل التذكّر واليك بعض الايضاحات على كيفية هذا العلاج

﴿ ١ تشديد التأثير الفاعلي ﴾ ان ذات حدوث هذا التأثير يقتضي بعض الانتباه الى الشيء المراد تذكّرُهُ فبحجّة أوّلى يُقتضى الانتباه لتشديد التأثير الفاعلي . معلومةٌ لدى القاصي والداني سهوات بعض كبار العلماء الغائصين في بحر تأملاتهم السامية الخارجين عن عالم الماديات المحسوسة . ولعمري ليس السهو سوى عدم ذكرى بعض الامور مع لزوم تلك الذكرى في ظروف معلومة . مَن لم يقرأ قصة ذلك العلّامة الذي اراد ان يسلق بيضة فقبض عليها في راحته زاعماً انها ساعته وقد القى الساعة نفسها في الماء الغالي . واغرب من ذلك سهو احد امثاله الذي عاد الى داره فرأى على الباب رقعةً كان كتب هو ذاته عليها قبل انطلاقه « فلان متغيب » فتوهم انه لا يستطيع الدخول الى بيته وادار ظهرهُ راجعاً عوده على بدئه !

كلّ هذه النكات التي تضحك الثكلى شاهدة على ضرورة الانتباه الى الامور للتوصّل الى ايداعها في خزينة الذاكرة . فكم وكم من الاشياء نشاهدها صباح مساء ومع ذلك لا نعرفها ولا نذكرها لمجرّد كوننا مررنا بها الف مرّة بدون الانتباه والالتفات اللازم اليها

وبعكس ذلك يرشدنا الاختبار اليومي الى ان قوّة الذاكرة وكثرة مخزوناتها تزيد بنسبة شدّة الانتباه الى الامور المقصود تذكرها . فمن الناس من اذا رأى شخصاً مرّة واحدة وزمناً يسيراً يعرفه في الحال اذا قابله بعد اعوام عديدة . فمن البديهي ان

اولئك الاشخاص ينظرون الى النـاس والاشياء نظرة الانتباه الشديـدة فكأنهم يطبعونها طبعاً مؤبّداً على صفحات صدورهم

مهما يكن نصيبنا الغريزي من ملكة الانتباه فبوسعنا اقتناؤها ولو يسيراً على طريق الممارسة المتواترة . من المعروف لدى الخاصة والعامة ان المشعوذين ذوو انتباه شديد سريع كالبرق الخاطف وهو من اهمّ العوامل في الآيات التي يسحرون بهـا الالباب . بيد انهم لا يحصلون على هذه الملكة الّا بشقّ النفس والتمرّن المتواصل . روى المشعوذ الفرنسي الشهير روبر هودان (Houdin) ما مؤداه : « كنتُ امرّ انا وابني مروراً سريعاً باحد الدكاكين الملقب « للاطفال » او دكان آخر كثير البضائع متنوّعها فنرشقه بنظرة الانتباه . وبعد بضع خطوات نسحب كلانا قلم الرصاص من جيبنا ونتسابق في وصف اكثر ما يمكن مما شاهدناه لدى مرورنا وكان عدد تلـك الاشياء يتراوح بين ثلاثين واربعين ! »

في طريقة بلمن قـد أُحِلّ التمرّن على الانتباه المحـل اللائق به . ومن اظرف التمارين وافيدها الآتي : أطلب من احد اقربائك او اصدقائك ان يجمع اثني عشر شيئاً مما يصغر حجمهُ كالدواة والمشط والقلم وما شاكلها ثم يخفيها تحت غطاء كثيف فيستدعيك ويرفع الغطاء طرفة عين ليس الّا . وعليك ان تصرّح بعد الانتباه السريع بكل ما رأيته . التجربة تدلّك على انك لا تستطيع الّا بعد طول الممارسة ذكر كل الاشياء المغطاة . ثم ان مقدرتك على مشاهـدة عدد منها يتزايد على توالي التمرّنات . فتكون لك بمثابة مقياس لتقدّمك ومشجّع لثباتك

﴿ ٢ تكرير التأثير الفاعلي ﴾ الانتباه ضروري للتأثير على الـذاكرة . هذا التأثير يشبه في كثير من الاحوال اسطراً موسومة على رمل السواحل فاذا هبّت الريح محت آثارها تمـاماً . فلا وسيلة لمعالجـة ذلك الداء سوى تكرير التـأثير بتكرار الانتباه الى الشيء المراد تذكّره . بناء على ذلك ضرب الرومان المشهورون بحكمتهم المثل القائل : « المراجعة أمّ العلم » . اما نذكر جميعنا اعوامنا المدرسيّة وما كنّا نقاسيه يومياً من العناء في اعادة اشعار المتنبي او ابي العتاهية عشر مرات على الاقل قبل طبعها على صفحات ذاكرتنا ؟ مثل ذلك العناء يحمله ضارب البيانو او العود لاتقان ضرب قطعة موسيقية معلومة من ظهر القلب . فانه يلزمهُ التمرن عليها مراراً

عديدة قبل نيل بغيته . وما حنكة الطبيب في تشخيص الامراض ووصف العلاج الملائم لها ، او مهارة المحامي في الاحاطة باطراف قضية كثيرة الاشتباك وتطبيق الشرائع عليها ذوداً عن مصالح المحامَى عنه ، او حذاقة المهندس في رسم البنايات العظيمة الشاهقة ثم في تشييدها وفقاً لكل مقتضيات الفنون العصرية ، ما كل هذه الملكات المميزة لاهل الخبرة والمقدرة سوى ثمرة اعادة الاختبارات آلاف مرار بحيث يتدرّج الحديث العهد بمهنته تدرُّجاً بطيئاً يفضي به الى قوة الكمال في تلك المهنة . ولذلك قال المثل الجاري في مصر وسورية « اسأل مجرّب ولا تسأل حكيم » . ومعناه واضح وهو ان تكرار التجارب يرسخ المعلومات في الذاكرة اكثر من تناول العلم في الكتب بمدارس الطب . على اننا لا ننكر ان ذلك المثل ينوه ايضاً بمزية الاختبار على العلم النظري ليس الّا

اجل ان التكرار او المراجعة شرط جوهري لتقوية الذاكرة وهو مع الانتباه بمثابة ركنين وطيدين يشاد عليهما صرح كل معلوماتنا الراسخة . غير انهما لا يكفيان لحفظ بعض الاشياء العسيرة او على الاقل لا يقدران على حفظها الّا بالجهد الجهيد والعناء الذي تخور دونه اكثر العزائم . وان شئت فدونك مثلَين من ذلك :

اولاً أودع في ذاكرتك اذا استطعت ولو بالتكرار الطويل الرقم الآتي :

٦١٦،٦٨٢،٢٣٢،٤١١،٦١٧،١٧٣

ثانياً احفظ عن ظهر القلب تواريخ جلوس كل اعضاء الاريكة المحمدية العلوية على العرش المصري وهي الآتية :

محمد علي باشا : ١٨٠٥ — عباس باشا الاول : ١٨٤٩
سعيد باشا : ١٨٥٤ — اسماعيل باشا : ١٨٦٣ — توفيق باشا : ١٨٧٩
عباس باشا الثاني : ١٨٩٢ — السلطان حسين : ١٩١٤ — الملك فؤاد الاول : ١٩١٧

وايم الحق لا اراني مغالياً لو قلتُ ان العمليَّة الاولى تكاد تتعدّى قوى ذاكرتك ولاسيما لو طلبتُ منك حفظ العدد المذكور ليس ليوم او يومين بل لسنوات عديدة . امّا العمليَّة الثانية فانك لا تتقنها الّا بغاية جهدك وفي الارجح تنسى غداً او بعد اسبوع ما اجهدت الآن ذاكرتك لحفظه . فبهذين المثلين البسيطين تدرك تمام الادراك عجز

طريقتي الانتباه الشديد والتكرار الطويل عن تمكيننا من حفظ بعض المعلومات بنوع ثابت دائم . والحال ان فن تثقيف الذاكرة المعروف عند الفرنسيين وغيرهم من الامم الراقية باسم «mnémonique» او بما يضارعهُ هو الفنّ الجامع لكلّ وسائل تقوية الذاكرة لتستطيع الحفظ الطويل بل الدائم لكثير من المعلومات التي يعتاص حفظها . وقد آن الاوان لايقافك على بعض اسراره واهمّ تطبيقاته المفيدة

٢ فن تثقيف الذاكرة : مبدأه الاساسي

ان دعامة هذا الفن الغريب هو ناموس علم النفس المشهور في كل اللغات الراقية باسم ناموس ارتباط الافكار (Loi de l'association des idées) الذي يُعبّر عنهُ على الوجه الآتي : ان ترافقَ او تلاحق مرارًا عديدة في حياتنا النفسيّة حالتان معلومتان نجمت عن ذلك التكرار ملكةٌ يؤدّي حدوث احداهما — سواء كان ارادياً او عرضياً — الى ذكر الحالة الاخرى . اليك مثالًا يوضح لك صحة هذا الناموس . فلنفرض انك استظهرت هذه الابيات البديعة لاحمد بك شوقي في وصف العزة الالهية :

انت أُنسٌ لنا اذا بَعُد الانس ... م وانت الحياة والإحياء
يتولى البحارَ بها ادلجتْ منك في كل جانبٍ لألاء
واذا ما طغتْ فلك قيامٌ ... واذا ما رغت فذاك دعاء
فاذا راعها جلالك خرّتْ ... هيبةً فهي والبساطُ سواء
والعريض الطويل منها كتاب ... لك فيه تحيةٌ وثناء !

فاذا توقفت في آخر البيت الثاني وانت لا تذكر ما يليه أفلستَ تعيد ذلك البيت آملًا انه يجرّ اللاحق وكثيرًا ما تكلّل حيلتك بالنجاح . فاذا فحصت عمليتك الفيتَ انها تطبيقٌ لناموس الارتباط

وهاك تطبيقاً آخر هو من الغرابة بمكان . قيل عن مستر بكستون (Buckstone) الممثل الانكليزي انه اذا قصد تمثيل دورٍ مضت على حفظه اعوامٌ عديدة كان لا يستطيع في دوره وبملابسه المعتادة ان يعيد من ظهر القلب ذلك الدور القديم . لكنه متى ظهر على المسرح بالملابس القديمة وبين الممثلين زملائه كانت ذاكرته تنتعش فجأةً فتسرد كل اقوال دوره بدون ان تكسر واحدًا منها . هلمّ الآن نعيد النظر

في العمليتين اللتين اقترحناهما على ذاكرتك آنفاً وهما حفظ عدد ذي ثمانية عشر رقماً وحفظ تواريخ جلوس امراء مصر على عرشهم . قل لي يا رعاك الله ما سرُّ صعوبة حفظ هذين الامرين ؟ اليس انه لا يوجد ادنى علاقة عقلية بين ارقام العدد الطويل و (بين) تواريخ الجلوس الثمانية ؟

فأية وسيلة يعرضها علينا فنُّ تثقيف الذاكرة لازالة تلك الصعوبة ؟ وسيلة غاية في البساطة . ألا وهي عبارة عن إبدال كل رقم بلفظ مناسب وايجاد علاقة سهلة بين الارقام والالفاظ بحيث نستغني عن حفظ تلك بحفظ هذه ثم تنتقل فوراً من هذه الى تلك بواسطة ناموس الارتباط . وسيزول في الصحائف التالية ما في الشرح السابق من الغموض باذنه تعالى

٣ فنّ تثقيف الذاكرة : بعض اهمّ تطبيقاته

قبل الخوض في الطريقة المشار اليها آنفاً نعني ابدال الارقام بالالفاظ نرى عرض طريقة اسهل لحلّ مشكل اسهل ايضاً وهو حفظ لفظتين او اكثر لاعلاقة بينهما بتاتاً

﴿١ المشكل الاول : حفظ لفظتين او اكثر لا علاقة بينهما﴾ قد اشتهر وراج حتى العصر الاخير حلّ الفيلسوف والشاعر اليوناني سيمونيدس (٥٥٨–٤٤٨ ق م) لهذا المشكل وقد كمّله الباحثون المتأخرون وطريقة الحل هي ان تودع في ذاكرتك بترتيب لا يطرأ عليه ادنى تغيير خمسين شيئاً موجوداً في غرفة معلومة او غيرها من الامكنة التي تُكثر التردُّد اليها . فلحفظ اللفظة الاولى تحاول ايجاد علاقة لفظية (١ او معنوية بينها والشيء الاول ، ثم تجعل علاقة مثلها بين اللفظة الثانية والشيء الثاني وهلم جرّاً . فيكون لكل لفظة تُريد حفظها علاقةٌ تربطها باحد الاشياء الخمسين . ومتى أردتَ تذكُّر كل الالفاظ اعدتَ في ذهنك جدول الخمسين شيئاً . فالشيء الاول يُذكّرك اللفظة الاولى بواسطة العلاقة الواصلة بينهما ، والثاني يعيد ذكرى الثانية وهلم جرّاً . ويتضح لك من ذلك ان هنا تطبيقاً جديداً لناموس الارتباط الذي سميناه دعامة فنّ تثقيف الذاكرة . فلو افترضنا انّ الالفاظ المراد حفظها متتابعةً هي : كاتب – زنجي – ابيض – صديق – تعب الخ وقدّرنا كون الاشياء الخمسة الاولى

١) هي عبارة عن تشابه كلمتين لفظاً وإن تباينتا معنًى . فتلك العلاقة موجودة مثلاً بين رأس ورأس

في جدول الخمسين هي : قلم — دواة — كتاب — صورة — سرير الخ يسهل ايجاد العلاقات المعنوية الآتية للربط بين كل لفظة من السطر الاول ومقابلها في السطر الثاني : القلم ضروري للكاتب — الدواة فيها حبر اسود كالزنجي — الكتاب ذو ورق ابيض — الصورة تمثل الصديق — السرير يريح من التعب الخ

تلك طريقة الفيلسوف سيمونيدس على شكلها الحديث المكمل بفضل الباحثين . فان ذلك اليوناني الشهير كان يجتزئ بمقارنة كل من الالفاظ المراد حفظها باحد اشياء الجدول وذلك بدون ايجاد علاقة لفظية او معنوية بينهما . ويلوح من اول وهلة بعد الامثلة الموردة سابقاً ان طريقة سيمونيدس كانت في مسيس الحاجة الى من يبلغها لاوج الكمال . ويُعترف بذلك الفضل الوسيم للدكتور بيك (Pick) وقد درّس طريقته في المانية السنة ١٨٥٣ ثم قدم الى باريس وعلّم مبتكراته بمدرسة المعلمين العليا واخيراً القى محاضرات للجمهور في لندره حيث نشر سنة ١٨٦١ مؤلفهُ الشهير المعنون هكذا « الذاكرة والطرق المعقولة لتكميلها » امّا اساس طريقته فهو ان لفظةً ما تجرّ اخرى متى وُجد بينهما علاقة لفظية او معنوية مباشرةً او غير مباشرة . فلفظة «قطار» تجرّ لفظة «سفر» مباشرةً . وكلمة «شمس» تجرّ كلمة «فنّ» بتوسط كلمة «تصوير شمسي» بينهما . وفي هذين المثالين علاقتان معنويتان . امّا «رأس» و «بأس» فبينهما علاقة لفظية تجعل الاول يجرّ الآخر جرًّا

وحيث أدرك النهامةُ الدكتور بيك عظيم شأن تلك العلاقات لحفظ عدة الفاظ لا علاقة بينها حسّن كثيراً طريقة سيمونيدس العتيقة ليس فقط بادخال مبدأ العلاقات فيها كما اسلفنا بل ايضاً بحذف جدول الاشياء الذي نحن في غنى عن حمله . بفضل الارتباط المكين الذي توجده العلاقات المعنوية واللفظية بين كل كلمة يُراد حفظها والكلمة التالية

وربما أوقفنا القارئ هنا وقد فرغت مؤنةُ صبره فاعترض علينا قائلاً : فهمت كل ما تقوله . ولكن قل لي يا صاح ما الفائدة من حفظ جدول كلمات لا علاقة بينها ؟ أيليق نسبة مثل ذلك العمل الى رجل عاقل حريص على وقته وقواه العقلية ؟ نعم الاعتراض لهذا القارئ اللبيب فاننا كنا ننتظر منه حسن ظنه وقد اعددنا له الجواب الشافي بالاسطر اللاحقة (للكلام صلة) .

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع حرف الباء)

١٢١ ﴿بيلو﴾ الاب يوحنا اليسوعيّ (P. J- B. Belot) المتوفى في ١٤ آب ١٩٠٤ اطلب ترجمتهُ في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١١٤٤–١١٥١) . وقد سردنا هناك جدول مطبوعاته الدينيّة واللغويّة كالقلادة الدرّية ومروج الاخيار والفرائد الدرّية في اللغتين العربيّة والفرنسويّة والقاموس الفرنسوي العربي الكبير ثم المدرسيّ الصغير والفراماطيق الفرنسوي العربيّ وغير ذلك مما اكسبهُ شكر الادباء والدارسين . ولهُ من المخطوطات في مكتبتنا الشرقيّة تساعية للروح القدس استعدادًا لعيد العنصرة في ٥٠ صفحة

١٢٢ ﴿بلوكا﴾ هو الكردينال لودوفيكو بلوكا (L. Bellugа) المتوفّى سنة ١٧٤٣ . ألف كتاباً مفيداً للشرقيين عنوانهُ كتاب الارشاد لسائر الملل والعباد عرّبهُ القس ثاوفيلوس فارس الحلبيّ الشويري عن اللغة الايطاليّة فطبعهُ في رومية سنة ١٧٤٠ طبعاً حسناً في قطع صغير صفحاتهُ ٣١٥

١٢٣ ﴿بليط﴾ الورتبيت بولس الارمنيّ الحلبيّ المتوفى في ١٢ ت ٢ ١٩١٠ تجد ترجمتهُ في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٨١ ٨٩) انتقل منذ السنة ١٨٥٩ فنشر في مطبعة الموارنة في حلب تعريب رياضة شهر تشرين الثاني لاسقف الموتى الذي الفهُ فرنسيس ڤيتالي ثمّ نشر نسخة سبعة افراح مريم العذراء . ثمّ نشر في بيروت كتاب الدعامة سنة ١٨٩٥ ضمّنهُ خمس محاورات في وجود الله وخلود النفس . وفي السنة ١٩٠٧ طبع الجزء الأوّل من النبراس المشتمل على محاورات دينيّة في الكنيسة والمطهر وانبثاق الروح القدس وسعادة القديسين . أما المخطوطات الباقية لهُ فهي ١ – ٢ الجزءان الثاني والثالث من النبراس . ٣ اسئلة واجوبة في مشاكل لاهوتيّة وكتابيّة وسواها تاريخ النسخة سنة ١٨٦٣ . ٤ لهُ مجموعة في اسرار الماسونيّة عرّبها عن تأليف لاحد المرتدّين منها . ٥ مجموعة في اسرار الكنيسة . ٦ عظات في شرح وصايا الله والصلاة الربيّة وغيرها . ٧ مواعظ للشهر المريميّ . ٨ كتاب اليوميّة الروحيّة عرّبهُ

عن الايطاليَّة قبل كهنوتهِ . ٩ً مياومة تاريخيَّة كان يدوّن فيها اخبارهُ وحوادث وطنهِ حلب . ١٠ً كتاب رحلتهِ الى الاستانة والى رومية لحضور المجمع الفاتيكاني

١٢٤ ﴿بلين﴾ الاب جول اليسوعيّ المتوفى في القاهرة في ٨ حزيران ١٨٩١ . لهُ كتاب مبادئ اللغة العربيَّة في اللغة الفرنساويَّة على طريقة مستحدثة في جزئين طُبع مرارًا في بيروت ثمَّ في القاهرة . ولهُ كتاب في موسيقى الطائفة القبطيَّة حاضرًا ومتفرّقات خطيَّة

١٢٥ ﴿ بُنفون ﴾ الاب امابل اليسوعيّ (P. Amable Bonnefonds) المتوفَّى سنة ١٦٥٣ . طُبع لهُ في مطبعتنا سنة ١٨٧٦ و ١٨٨٥ معرَّباً تأملات سنويَّة في حياة السيد المسيح على عدد ايَّام السنة عرَّبهُ المرحوم جرجس زوين

١٢٦ ﴿بترارنست﴾ الراهب الدومنيكاني . لم نعلم من تاريخهِ شيئاً لهُ في مكتبة الشرفة كتاب في اخبار الاراطقة والارطقات عرَّبهُ المطران القبطي رافائيل طوخي في القرن الثامن عشر

١٢٧ ﴿بنيامين﴾ البطريرك القبطي الثامن والثلثون كان في القرن السابع للمسيح . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (Cod. 23) كتاب حلّ المشاكل الانجيليَّة

١٢٨ ﴿بنيين﴾ هو المطران جرجس الماروني والراهب اليسوعي المتوفَّى سنة ١٧٧٥ (الطلب الجامع المفصَّل للمطران يوسف الدبس ص ٤٦٨ — ٤٦٩) لهُ من التآليف المخطوطة : ١ً كتاب ردّ على المراطقة منهُ نسخة في دير مار يوحنا جرش . ٢ً كتاب الصعوبات لحلّ المشكلات . ٥ وفيهِ تفاسير مختصرة لبعض صعوبات في الانجيل المقدَّس وسائر الاسفار الالهيَّة من شرح الآباء القديسين والعلماء الماهرين قد استخرجهُ من اللاتينيَّة الى العربيَّة البادري بنيامين الايسوعي ٥ منهُ نسخة في مكتبة برلين (Ahlwardt, n° 10 179) ثمَّ في مكتبة الكلدان في الموصل وفي مكتبة سيّدة الحلة وعند حضرة الخوري بطرس غالب في بيت شباب وصاحبهُ يدعى هناك ٥ معلم اسكول اولاد الموارنة في مدينة رومية الكبرى ويدعى الناسخ يواقيم الحاقلاني الراهب اللبناني سنة ١٧٣٤ . ويلي هذا الكتاب : ٣ً كتاب علم النيَّة بالسؤال والجواب تاريخ نسخهِ سنة ١٧٣٥ ٤ً ولهُ في السريانيَّة بالمكتبة الباريسيَّة (Cod. 182) كتاب في الادبيَّات لعلَّهُ الكتاب السابق ذكرهُ نقلهُ الى الكلدانيَّة

القس خدر بن هرمز الكلداني الموصلي

١٢٩ ﴿بوازو﴾ الاب يوسف اليسوعي (P. Jos. Boisot) مرسل في سوريّة توفي في ١٦ ك ٢ سنة ١٦٨٧ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة دير بزمّار للارمن تعريب سيرة القديس فرنسيس كسفاريوس للاب بوهور وذلك في تاريخ سنة ١٧٥٣ . وهو الكتاب الذي بعد تصحيحهِ وتكميلهِ للاب دي كوبيه سنة ١٨٨٥ وتنقيح عربيّتهِ للمعلم رشيد الشرتوني طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية تحت عنوان "نفح الرند في سيرة رسول اليابون والهند" . وقد روى لهُ الشفاليه درڤيو في مذكّراتهِ (Mémoires du Chevalier d'Arvieux) بعض الرسائل

١٣٠ ﴿بو اليف﴾ الاب مارين دي بواليف اليسوعي (Marin de Boylesve) المتوفّى في ٢٢ شباط ١٨٩٢ . عرّب المرحوم اسكندر زيادة سنة ١٨٧٣ كتاب الاب دي بواليف المعنون بالتذكرة الرفيعة في الديانة الفائقة الطبيعة فطبعهُ في المطبعة العمومية . وفي السنة ١٨٨٨ عرّب لهُ الخوري فيلبّوس ملّوك كتابهُ في الفلسفة في اربعة اقسام وطبعهُ تحت عنوان "كتاب ميزان الحقّ" في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٨٨ (ص ٣٦٦)

١٣١ ﴿بودران﴾ الاب برتلماوس اليسوعي (P. B. Baudrant) المتوفى سنة ١٧٨٧ . في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من كتابهِ المفيد الثاقب في الاربع المواقب عرّبهُ الخوري بولس سعاده وطبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٧٤

١٣٢ ﴿البودي﴾ القس توما رئيس الرهبان اللبناني توفّي في رومية في شباط سنة ١٧٦٨ . لهُ في مكتبنا الشرقيّة نسخة من السيرة التي وضعها لمؤسس الرهبانيّة اللبنانيّة الطيب الذكر عبدالله قراعلي مطران بيروت . وهذه السيرة قد نشرها المرحوم الاب انطون رباط في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٦٢٥ و٩٩٥ الخ) وذيّلها ببعض الملحوظات واضاف اليها (ص ٨٠٣) رسالة كتبها سنة ١٧٣٨ وارسلها الى الملك لويس الخامس عشر

١٣٣ ﴿بوردالو﴾ الاب اليسوعي الخطيب الفرنسوي الشهير (P. L. Bourdaloue) المتوفّى في باريس سنة ١٧٠٤ . عرّب الاب انطون كينار المرسل اليسوعي في سوريّة كتاب الاب بوردالو الذي عنوانهُ الرياضات الروحيّة . منهُ نسخة في دير

راهبات الزيارة في عينطورا

١٣٤ ﴿بورغاد﴾ الخوري الفرنساوي (Abbé Bourgade) . ألَّف في الجزائر كتابهُ المعنون بمسامرة قرطجنَّة في الفرنسويَّة ونقلهُ الى العربيَّة (راجع كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ٢ : ٥٦٠

١٣٥ ﴿بورْكنو﴾ الاب اسكندر المرسل اليسوعي (P. Al. Bourque-noud) توفي في غزير في ٢٥ ت ١ سنة ١٨٦٨ . كان من الاثريين المعدودين لهُ عدَّة كتابات عن آثار لبنان وديانات الفينيقيين والكنعانيين نشرها في مجلَّة المباحث الافرنسيَّة ومجلَّات علميَّة اخرى ولهُ في مكتبتنا اوراق منثورة

١٣٦ ﴿بوزنباون﴾ الاب هرمان اليسوعي (P. H. Busenbaum) من كبار اللاهوتيين الادبيين توفي سنة ١٧٦٨ . لهُ ١ً كتاب اللاهوت الادبيّ او علم الذمَّة عرَّبهُ الاب ميخائيل نو (P. Michel Nau) المرسل اليسوعيّ . منهُ نسخ متعدّدة في مكتبة البروبغندا في رومية وفي حلب في مكتبة الموارنة وفي مكتبة دير طاميش ومكتبة دير الشير ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . ٢ً كتاب لُبّ علم الذمَّة وهو خلاصة كتابهِ السابق . منهُ نسخة في بيت الشمَّاس شكري أيُّوب في حلب . يقال فيها انَّ ناقلها هو الاب ميخائيل (نو) رئيس رهبان اليسوعيين في حلب

١٣٧ ﴿بوسي﴾ الاب مكسيم دي بوسي اليسوعي (P. M. de Bussy) المتوفى سنة ١٨٥٢ . في مكتبتنا الشرقية تعريب رياضاته الروحيَّة لقرويض الاكليريكيين

١٣٨ ﴿بوسويت﴾ هو امير الخطباء الفرنسويين جاك بنين بوسويت (J. B. Bossuet) مطران مو المتوفى سنة ١٧٠٤ . عرَّب الاديبان المارونيَّان شاكر افندي عون وعبدالله بك البستاني خطابهُ في التاريخ العام فطُبع في المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨٢ — وعرَّب في دمشق الشمَّاس توما ديبو المعلوف مقالتهُ «ظفر الصليب» فنشرها هناك سنة ١٩١٠

١٣٩ ﴿البوشي﴾ الانبا بولس القبطي مطران مصر . اشتهر في اواسط القرن الثالث عشر على عهد البطريرك كيرلس بن لقلق وحضر مجادلتهُ عند الملك الكامل ابن العادل بن أيُّوب . كان خطيباً بليغاً . لهُ من المخطوطات : ١ً سبعة ميامر على الاعياد

السيدة. ذكرها ابو البركات بن كبر في قانته Riedel : p.659 . ٢ً له ميامر متفرقة في عيد البشارة في ميلاد المسيح وفي معرفة الاله المتجسد من القياس العقلي وفي معمودية الرب وفي قيامته وفي صعوده وفي حلول الروح القدس تجدها في احد مجاميع مكتبتنا الشرقية (العدد ٥٩) . وفي بعض نسخ مكتبة باريس .Paris, Mss (ar.,69, 141, 212)

١٤٠ ﴿بوفيه﴾ الاب فردريك اليسوعي (P. Fred. Bouvier) الذي قُتل في الحرب الكونية سنة ١٩١٦ في خدمة الجرحى . له عدة آثار شرقية طبع على الحجر بالفرنسوية تاريخاً لسورية منذ العهد الروماني الى ايامنا (سنة ١٩٠٣) . له في المشرق وفي مجلة الشرق المسيحي مقالات تاريخية عن حوادث الشام الدينية والسياسية

١٤١ ﴿بولس الرسول﴾ له في الآثار العربية : ١ً قصة معراجه في مكتبة باريس السريانية (Cod. Syr., 34 n° 6) . ٢ً في مكتبتنا الشرقية ثلث نسخ من رؤيا القديس بولس للجحيم والنعيم . اطلب تيشندورف (TISCHENDORF: Apocalypses, p. 34 et seqq) . وللقديس بولس ايضاً ٣ً وصايا في احد كتب المجامع المخطوطة في مكتبتنا الشرقية تحت عنوان «وصايا متفرقة للقديسين الاطهار» ومن جملتهم بولس الرسول (ص ٩١—١١٣)

١٤٣ ﴿بولس الراهب﴾ هو اسقف صيداء الانطاكي الروميّ الملكي من اهل القرن الثالث عشر . له عشر مقالات جليلة الفائدة حسنة الانشاء بليغة المعنى سديدة البرهان : ١ً شرح العقيدة النصرانية . ٢ً خلاصة معتقد النصارى في التوحيد والاتحاد . ٣ً رسالة الى بعض المسلمين من صيداء . ٤ً رسالة في الفرق المتعارفة من النصارى . ٥ً رسالة في الردّ على الاراسيس . ٦—٨ً ثلاث مقالات فلسفية جواباً على بعض مشايخ مصره في الخير والشرّ ثمّ في معجزات المسيح ثمّ في اختيار الله للابرار وحرّية الانسان . ٩ً رسالة عقلية في وجود الباري تعالى وكمالاته واقانيمه في ٢٢ باباً . ١٠ً مسألة واحدة في نسخ شريعة اليهود من التوراة والانبياء . وهذه المقالات نشرنا معظمها في سنين مختلفة من مجلة المشرق ثمّ جمعناها مع غيرها من المقالات الدينية فطبعناها على حدة . وقد صدرت منها الطبعة الثانية بعد الحرب سنة ١٩٢٠ في ١٥٤ صفحة . ومن هذه المقالات نسخ عديدة ثلث منها في مكتبتنا

الشرقيّة ثمّ نسخ اخرى في مكتبة الفاتيكان (BO. II, 511, n° 50) وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٩٢) وفي مكتبة (١ باريس (Paris. Mss, 165, 258) وفي مكتبة لندن (Suppl. n° 22) وفي مكتبة الخوري قسطنطين الباشا وفي دير رهبان الكلدان في الموصل وفي بيت المرحوم حنا عورا

١٤٤ ﴿ بولس اللمازريّ ﴾ المرسل في حلب في اواسط القرن التاسع عشر لهُ في مكتبتنا الشرقيّة مجادلات جرت بينهُ وبين كيرلُس اسقف الروم الاورثذكس في حلب بخصوص سلطان الكنيسة واجبارها وتعليمها في انبثاق الروح القدس وذلك سنة ١٨٤٧ بنسبة فرار الشمّاس برثانيوس الى الآباء اللمازريين

١٤٥ ﴿ بولس بن راجية المعروف بالواضح ﴾ لهُ في المكتبة الفاتيكانية ١ (ع ١٠١) كتاب عنوانهُ «كتاب ايمان الآباء وشواهدهم على الثالوث وسرّ الفداء» صفحاتهُ ٣١٦ كُتب سنة ١٦٨٩ . ولهُ ٢ (ع ١٢١و١٣٧) ردود على اليعاقبة وعلى القائلين بالمشيئة الواحدة

١٤٦ ﴿بوليغ﴾ الاب يوحنّا اليسوعي (P. J. Bollig) المتوفّى في ٩ آذار ١٨٩٥ . احد المستشرقين الالمان المتضلّعين باللغات الساميّة نشر في رومية منتخبات مدرسيّة عربيّة سنة ١٨٨٢ وفي مطبعتنا الكاثوليكيّة ترجمة سريانيّة لقصائد القديس غريغوريوس الناولوغوس سنة ١٨٩٥ . ولهُ في مكتبتنا الشرقيّة دفاتر شتّى في مواضيع طقسيّة شرقيّة عربيّة وسريانيّة مع ترجمتها الى اللاتينيّة

١٤٧ ﴿بوناتي﴾ الاب فيلبُس اليسوعي عاش في اواسط القرن الثامن عشر - عثرنا لهُ في مكتبة دير طاميش على كتاب « في السندروس الكيناريّ » قدّمهُ للمركيز دي البرتوس وزير يوحنّا الخامس ملك البورتغال

١٤٨ ﴿بوناونتورا﴾ القديس الفرنسيسي المتوفّى في ليون في ١٤ تموز ١٢٧٤ . في مكتبة حلب تعريب مزاميره لخدمة العذراء . وقد عرّب لهُ الاب لاوزدوس النحو الطرابلسيّ الفرنسيسي كتابهُ في سيرة القديس فرنسيس الاسيزيّ فطبعهُ في القدس سنة ١٨٨٢

---

١) في نسخة باريس الموسومة بالعدد ٢٥٨ فصل لابن الراهب « في سيامات البشر التي يعدّها الناس مرضيّة لله وهي تثير غضبهُ » لم تقف عليهِ

١٤٩ ﴿بوناونتورا﴾ الاب اماديوس من الرهبان الاصغرين. لا نعرف زمانهُ. في مكتبة الشرفة تعريب حياة مريم العذراء للاب بوناونتورا اماديوس عرّبهُ البطريرك اغناطيوس بطرس جروه. ولعلهُ هو كتاب «حياة مريم» المنسوب غلطاً في السلاسل التاريخيّة للفيكونت فيليب دي طرازي الى «مار اوغسطينوس»

١٥٠ ﴿بوناونتورا دي ترود﴾ الاب الكبوشي (P. Bon. de Trude) كان في الشطر الثاني من القرن الثامن عشر. ١ً اطّلعنا لهُ في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت قبل الحرب على كتاب «قواعد الامانة المسيحيّة» وهو ردّ على اضاليل الروم. ٢ً في مكتبتنا الشرقيّة «سؤالات مفيدة للكاهن لمساعدة الذين يتقدّمون لسرّ التوبة» في ٦٢ صفحة نجز في صيداء سنة ١٧٨٩ «بعمل الخوري بوناونتوره القبوشي»

١٥١ ﴿بوناونتورا اللودي﴾ الاب الكبوشي (P. Bon. de Lude) كان رئيساً في حلب على دير الآباء الكبوشيين من السنة ١٦٢٩ الى ١٦٤٠ ولا نعرف سنة وفاتهِ. لهُ عدّة تآليف مخطوطة يُدعى فيها «اللوديني» و«اللوضوني» و«اللودانيّ».
١ً اصول الايمان وايضاح عقائد البيعة الرومانيّة. منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيّة (Bibl, Vat. n° 132) وفي مكتبة الشمّاس شكري أيوب في حلب تاريخ النسخة ١٦٥١. وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة حديثة عنوانها «شرح بعض قواعد الامانة المسيحيّة». ولعلهُ هو الكتاب المنسوب سابقاً للاب بوناونتورا دي ترود.
٢ً سيرة وعجائب القديس فرنسيس ووصيّتهُ وقانونهُ. ٣ً كتاب في سرّي الاعتراف والمناولة. ٤ً كتاب تجسّد ابن الله. وهذه الكتب الثلثة مذكورة في قائمة تآليف الآباء الكبوشيين (P. Hilaire de Barenton : *La France Catholique en Orient*, p. 122-123). ٥ً كتاب «هدى الخطاة الى طريق النجاة» للاب لويس دي غرناطة عرّبهُ البادري بوناونتورا اللوضوني رئيس الكبوشيين في حلب منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة. ٦ً سبب اختلاف الطوائف الشرقيّة وإعراضها عن البيعة الرومانيّة منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة غير كاملة. ٧ً سلسلة الباباوات من القديس بطرس الى لينوفنت العاشر في المكتبة الفاتيكانيّة (ع٥٧٤) منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة بلّغها المؤلف الى مرقوس الثامن. ٨ً كتاب حوادث الجوّ وهو كتاب في الظواهر الجويّة والطيميّات منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة؛

ونسخة في دار المنسيور جرجس شلحت في حلب

١٥٢ ﴿بوناونتورا ملڤاسيا﴾ الراهب الفرنسيسي (Bonav. Molvasia di Bolonia) كان في القرن السابع عشر له كتاب جلاء المرآة ردًا على زين العابدين طبعهُ في رومية سنة ١٦٢٦ بالعربيَّة واللاتينيَّة (Dilucidatio Speculi, *Cfr.* Schnurrer, 244)

١٥٣ ﴿بوهور﴾ الاب دومينيك اليسوعي (P. D. Bouhours) المتوفى في ٢٧ أيار سنة ١٧٠٢ . ١ طُبع له في رومية سنة ١٨٤٦ تأملات شهريَّة في عبد ٣١ تأملًا . ٢ ونشرت له مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٠ و ١٨٧٤ كتاب قوت الحياة الروحيَّة للحياة المسيحيَّة . ٣ وقد سبق انَّ كتاب سيرة القديس فرنسيس كسفاريوس منقولة عنهُ

١٥٤ ﴿بيجيني﴾ الكبوشي (P. Onuphre Piccini) لا نعرف زمانهُ له في مكتبة باريس (Ms de Paris, 129) كتاب رياضات روحيَّة لعشرة أيام عرَّبها القس يواصف الراهب الماروني سنة ١٧٢١ ونسخها القس خدر الكلداني سنة ١٧٣١

١٥٥ ﴿بيرُوس﴾ كان بطريركًا على القسطنطينيَّة وزعيمًا للبدعة المنوثليَّة توفي سنة ٦٥٥ . في المكتبة الڤاتيكانيَّة (ع ١٠٥) مباحثة بين مكسيموس الراهب القديس وبيروس البطريرك القسطنطيني في المشيئة الواحدة . منها في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان . وهي تعريب عبدالله بن الفضل الشمَّاس الانطاكي

١٥٦ ﴿بيرون﴾ الاب يوحنا اليسوعي المتوفي سنة ١٨٩٢ (P. J-B. Biron) عرَّب له الخوري نقولا صفير من عجلتون كتاب فرض اخويَّة الميتة الصالحة فطبعهُ في مطبعة الارز سنة ١٩٠٠

١٥٧ ﴿بيرُوني﴾ الاب يوحنَّا اليسوعي واللاهوتي الشهير (P. J. Perrone) المتوفى في ٢٨ آب سنة ١٨٧٦ . في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة حسنة من كتابهِ مختصر المقالات اللاهوتيَّة مخطوطة سنة ١٨٧٢ من تعريب الخوري يوسف الدبس (ص ٤٧١) . ثمَّ عُني بطبعها في ثلثة مجلَّدات في المطبعة العموميَّة (١٨٧٧—١٨٨١)

١٥٨ ﴿بيكان﴾ الاب مرتينوس اليسوعي (P. M. Becan) المتوفى في ڤينة سنة ١٦٢٤ . قد عرَّب الاب بطرس فروماج مجادلاتهِ في دحض الشيع

البروتستانيَّة تحت عنوان «الصبح المبين لضلال لوتاروس وكلوين» في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ اربع نسخ. وفي حلب نسختان في مكتبة الموارنة ومكتبة الارمن

١٥٩ ﴿بيمين الراهب﴾ قال عيسى افندي اسكندر المعلوف في مجلة النعمة (١ : ١٤٣—١٤٤) . « انَّ الراهب بيمين كتب في دمشق في ١٨ نيسان سنة ٦٧١٤ للعالم (١٢٠٦م) الموافق لآخر ذي الحجة سنة ٦٠٤ كتاب المحيط وجدهُ الارشيدياقون بولس زعيم في قارة » ولم يزد افادةً عن موضوع الكتاب وصاحبه

١٦٠ ﴿بينامُنتي﴾ الاب يوحنَّا بطرس اليسوعي (P. J. P. Pinamonti) المتوفَّى في ٢٩ حزيران ١٧٠٣ . من آثارهِ المخطوطة : ١ً كتاب في التقسيم والسحر عرَّبهُ السيد اغناطيوس شرابيه مطران صور وتلميذ المدرسة الرومانيَّة منهُ نسخة في دير الشرفة . ٢ً—٥ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة ترجمة اربعة كتب للاب يوحنَّا بطرس بينامونتي اليسوعي نقلها من الايطاليَّة الى العربيَّة سنة ١٧٨١ القس دافانيل زخُّور الراهب المخلصي في دير المخلص : ١ً القلب المتخشِّع يبدل الخاطئ بتائب متورِّع (تأملات لأيام الاسبوع) . ٢ً المرآة التي لا تغشّ او نظريَّة وعمليَّة معرفة الانسان ذاته . سبع تأملات (ص ٣٦—٧٥) . ٣ً الصليب الحقيق او اسباب التخشُّع في الشدائد . سبع تأملات (٧٦—١١٤) . ٤ً الحكمة الحقيقيَّة . تسع تأملات في الخطيَّة وعقابها (١١٤—١٦٠) . وكتابهُ القلب المنسحق قد عرَّبهُ ايضاً الخوري عبدالله الشبابي منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٣٦) وقد طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٨ القس لياوس المتيني وهناك تنسب ترجمتهُ الى المطران فرحات (لهُ صلة)

اصول التاريخ البشريّ وسوابقهُ

لحضرة الاب اسكندر طوبان اليسوعي (تتمَّة)

تأويلات اصحاب النشوء والتحوُّل على سوابق التاريخ

انَّ انصار مذهب النشوء والتحوُّل على اختلاف طبقاتهم من ماديين ولاهوتيين ودروينيين وحديثين يلتجئون لتأييد رأيهم الى حجج مختلفة يستندونها الى

البروتستانيَّة تحت عنوان «الصبح المبين لضلال لوتاروس وكلوين» في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ اربع نسخ. وفي حلب نسختان في مكتبة الموارنة ومكتبة الارمن

١٥٩ ﴿بيمين الراهب﴾ قال عيسى افندي اسكندر المعلوف في مجلة النعمة (١ : ١٤٣—١٤٤) . « انَّ الراهب بيمين كتب في دمشق في ١٨ نيسان سنة ٦٧١٤ للعالم (١٢٠٦م) الموافق لآخر ذي الحجة سنة ٦٠٤ كتاب المحيط وجدهُ الارشيدياقون بولس زعيم في قارة » ولم يزد افادةً عن موضوع الكتاب وصاحبه

١٦٠ ﴿بينامُنتي﴾ الاب يوحنَّا بطرس اليسوعي (P. J. P. Pinamonti) المتوفَّى في ٢٩ حزيران ١٧٠٣ . من آثارهِ المخطوطة : ١ً كتاب في التقسيم والسحر عرَّبهُ السيد اغناطيوس شرابيه مطران صور وتلميذ المدرسة الرومانيَّة منهُ نسخة في دير الشرفة . ٢ً—٥ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة ترجمة اربعة كتب للاب يوحنَّا بطرس بينامونتي اليسوعي نقلها من الايطاليَّة الى العربيَّة سنة ١٧٨١ القس دافانيل زخُّور الراهب المخلصي في دير المخلص : ١ً القلب المتخشِّع يبدل الخاطئ بتائب متورِّع (تأملات لأيام الاسبوع) . ٢ً المرآة التي لا تغشّ او نظريَّة وعمليَّة معرفة الانسان ذاته . سبع تأملات (ص ٣٦—٧٥) . ٣ً الصليب الحقيق او اسباب التخشُّع في الشدائد . سبع تأملات (٧٦—١١٤) . ٤ً الحكمة الحقيقيَّة . تسع تأملات في الخطيَّة وعقابها (١١٤—١٦٠) . وكتابهُ القلب المنسحق قد عرَّبهُ ايضاً الخوري عبدالله الشبابي منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٣٦) وقد طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٨ القس لياوس المتيني وهناك تنسب ترجمتهُ الى المطران فرحات (لهُ صلة)

اصول التاريخ البشريّ وسوابقهُ

لحضرة الاب اسكندر طوبان اليسوعي (تتمَّة)

تأويلات اصحاب النشوء والتحوُّل على سوابق التاريخ

انَّ انصار مذهب النشوء والتحوُّل على اختلاف طبقاتهم من ماديين ولاهوتيين ودروينيين وحديثين يلتجئون لتأييد رأيهم الى حجج مختلفة يستندونها الى

الاكتشافات المستحدثة اعني الى الآثار البشريَّة من عهد الظرّان والى جماجم قوم سبقوا زمن التاريخ . ويزعمون ايضاً انَّ الامم الهمجيَّة الباقية الى اليوم في جزائر اوقيانية تمثل بوراثةٍ بعيدة حالة الانسان الاوَّل

والغاية من هذه الحجج اطالة الاعصار التي ظهر قبلها الانسان وهم في حاجة الى ذاك تمديد الازمنة فيبلغونها الوفاً من الاجيال ليقنعوا بصحَّة مذهبهم اي تناسل الانسان من الحيوان . فان كان اصلهُ من القرد او من احد اجدادهِ كان يُقتضى لهُ عدد عديد من القرون لكي يتحوَّل بنوع غير محسوس من حالة القرد المربع الايدي الى هيئة الانسان الجديد

وكان اكتشاف الظرّان وهي الحجارة المنحوتة التي وجدوها في بلاد مختلفة احد الادلَّة التي تشبَّثوا بها لاثبات رأيهم . على انَّ خصومهم نكروا في اوَّل الامر انَّ تلك الحجارة من اعمال البشر فكانوا ينسبون اشكالها لعوامل طبيعيَّة كالحرارة والبرد وضغط الطبقات الارضيَّة الخ لكنهم تحقَّقوا بعد ذلك كونها من شغل الانسان اذ وجدوها مختلطةً بعظام الحيوان عند بقايا مستوقدات فعرفوا انَّ بشراً اقدمين توسَّلوا بتلك الحجارة ونحتوها نحتاً مطوعاً ليستخرجوا نقيَّ العظام ومخَّها . ثمَّ وقفوا على بعضٍ منها وعليها رسوم ونقوش وقابلوا ما وجدوا منها في بلاد شتَّى فلم يبق لاحدٍ ريب في نسبتها لبني البشر

على انَّ تلك الحجارة المنحوتة كان شغل البعض منها خشناً غير متقن بخلاف البعض الاخر المحكم الصنع والصقيل كأنَّ الذين استحضروهُ قوم دون عقل ارقى واثقب . ومن ثمَّ قسم العلماء الازمنة التي استخدم الانسان لحاجاتهِ الحجارة المنحوتة دون سواها الى طورين مختلفين متواليين دعوا اوَّلها عهد الظرّان القديم (paléolithique) والثاني عهد الظرّان المستحدث (néolithique) . وكان في اثناء اكتشاف علماء الجيولوجية للظرّان قد احتدم الجدال عن مذهب النشوء فما كان من امر اصحابهِ الَّا ان تسارعوا وزعموا انَّ الظرّان القليل الاتقان هو لقومٍ من الهمج سلفَ عهدهم كانوا في اوَّل نشوء عقلهم البشري امَّا الظرّان الصقيل ذو العمل المحكم فهو لقومٍ ترقَّوا نوعاً في الحضارة لنموّ عقلهم

وكذلك قد لحظوا في آثار الهياكل البشريَّة وعظامها بعض الاختلاف فان

جماجم بعضهم كان يظهر فيها حجاج حواجبها ناتئاً مستديرًا امّا الجبين والذقن فكانا خفيفين وكان الثلث بارزًا على شبه الامم الهمجيّة التي تُرى اليوم في مجاهل اوستراليا او ارض النار ومنها بعض البقايا في قوم متمدّنين. وكانت جماجم أُخرى ذات جبين اعرض وذقن مستو وفكّين قليلي البروز كأنها اقرب الى صورة الامم المتمدّنة

على انّ هذه التقاسيم التي استند اليها المتمذهبون بمذهب النشوء والتحوُّل انما كانت تقاسيم اصطناعيّة مبنيّة على التخيُّل اكثر منها على صحّة الامور حيث قسموا الازمنة بموجب رأيهم وجعلوا الظرّان الخشيب والجماجم الشبيهة نوعاً بجماجم بعض الحيوان في طور اقدم والظرّان المتقن العمل والجماجم السويّة في طور احدث وجعلوا بين الطورين درجات مختلفة على حسب ما كانوا يرون في تلك الآثار من تقرُّبها الى احد الطرفين لكي يستنتجوا من ذلك ان الانسان تحوَّل من صورة الحيوان الى صورة الانسان وان كانوا لا يستطيعون ان يعيّنوا الزمن الذي حصل فيهِ هذا الانقلاب

وقد علم اصحاب المذهب انَّ تحوُّلًا كهذا لا يتمّ الّا اذا اطالوا الاجيال لأن الانواع على قولهم لا يُمكن تحقيق تنوُّعها الّا بعد القرون الطويلة . وهذا ما حملهم على القول انَّ الجنس البشري ظهر على الارض قبل مئتي الف بل خمسمائة الف سنة وازيد . وقد سبقت بلوغَ الانسان الى حدّ النطق اجيالٌ اخرى يعدُّونها بالالوف ترقّى فيها من البهيميّة الى الانسانيّة وهو في تلك الحقبة خالٍ من اثر التميز لا يستطيع ان يخترع شيئاً دالًّا على عقلهِ

ومن حججهم ذكرهم للقبائل الهمجيّة التي بقيت الى اليوم فعلى زعمهم انَّ هذه القبائل قد توقّفت في سيرها الى الكمال لاسباب طرأت عليها فثبتت في همجيّتها الى يومنا . ويدلّ على ذلك شبه جماجمها بجماجم البهائم التي كانت عائشة قبل ثلثمائة الف سنة ومنها نشأ الانسان الحالي وكانت في تلك الازمنة القاصية تستعمل الظرّان كما يستعملهُ الى عهدنا برابرة اوقيانية حاضرًا

انتقاد حجج اصحاب مذهب التحوُّل والنشوء

تلك هي تأويلات اصحاب مذهب التحوُّل والنشوء ولعلّ القارئ لدى لسماعهِ

احتجاجهم الذي لا يتردّدون في تأكيده وقد اجتهدوا في نشره طاقة جهدهم في تآليفهم العلميّة والمدرسيّة التي شحنوها بتصاوير الجماجم المنظّمة تنظيماً يُقنع القرّاء ولاسيّما الشيعة برأيهم كون الانسان حقيقةً تطوّرَ متحوّلاً بتمادي الاجيال من الحيوان المعجم الى الحيوان الناطق وانّ القرد ابوهُ او على الاقل ابن عمّهِ وانّ لكليهما جدّاً واحداً

فما قولنا نحن أمن الحقيقة انّ اجدادنا الاوّلين كما تصرّح بهِ الكتب المدرسيّة اللادينيّة كانوا من الهمج في حالة من التوحّش ادنى من توحّش قبائل البرابرة المعروفين اليوم ؟ وانّهم كانوا يسرحون في الاقفار لا يعرفون ادباً ولا ديناً خالين تقريباً من نور العقل لا يكادون يقتاتون الّا من الاثمار البرّيّة الى ان تمكّنوا من استحضار بعض الاسلحة فعاشوا من صيدهم ؟

كيف يمكننا يا رعاك الله ان نوفّق بين هذه المزاعم وما تعلّمناهُ في صغر سنّنا من الاسفار المقدّسة عن الابوين الاوّلين اللذين خلقهما الله في حالة النعمة والقداسة وخوّلهما عقلاً تامّاً وفهماً ثابتاً

فها نحن نجيب على الدليلين اللذين يستند اليهما ذوو مذهب التحوّل والنشوء

دحض الحجّة الاولى المستند اليها اصحاب التحوّل والنشوء

ولنفحص اوّلاً الحجّة الاولى التي بنوها على حالة الامم الهمجيّة الباقية الى عهدنا وعلى التشابه بين جماجمهم وجماجم الامم البائدة واصطناعهم الظرّان

ان هؤلاء الهمج على قولهم بقايا من البشر الاوّلين المتوحشين ثبتوا على همجيّتهم دون ان يواصلوا سيرهم الى اوج الكمال

يا له من دليل واهٍ وبرهانهم هذا من الوجه الفلسفي نوع من السفسطة اذ يؤكدون امراً دون ان يثبتوهُ بالبرهان . فكما انّهم يؤكدون جزافاً كذلك نحن ننفي قولهم قطعياً . وسنجيب على احتجاجهم عن شبه جماجم هؤلاء البرابرة والبشر الاوّلين عند جوابنا على مزعمهم الثاني

وما يمكننا ان نؤكدهُ لهم ببراهين صحيحة لا وهميّة كبراهين اصحاب التحوّل والنشوء انّ البرابرة المعروفين اليوم ليسوا كما يزعمون همجاً توقّفوا في ترقيهم في المدنيّة بل انّهم قوم كانوا في مقام ارفع من التمدّن والعمران ثم سقطوا عنهُ متقهقرين

لسمع ما كتبهُ احد اساطين العلم منذ عهد قريب المسيو هنري جولي (١ قال :

« قد امتاز بين الذين كتبوا عن تاريخ الانسانيَّة القديم العلَّامة الانكليزي لنغ (Lang) فأحرز لهُ ذكرًا طيبًا بأصالة رأيهِ وصائب فكرتهِ فهو يقول : انَّ معظم علماء الدروس الانثروبولوجيَّة يرتأون اليوم فيما يخصّ الامم الهمجيَّة انَّ بعض القبائل كما يترجَّح كانت سابقًا على حالة افضل منها اليوم . فانَّ قبائل الفوجيَّة من برابرة اميركة الوسطى وقبائل البوشيجان من همج افريقية الجنوبيَّة وقبائل الهنود المعروفين بديجر كانت تسكن في بلاد مخصبة فزحفت عليها قبائل اخرى اشدّ بأسًا وطردتها من الاقطار التي تسكنها اليوم وبعد ان كانت تسكن البيوت اضطرَّت الى العيشة البدويَّة . ومما انتجهُ علماء بعثة اثريَّة أرسلت حديثًا الى السودان ان هناك كميَّات من الطرَّان الصقيل وآثارًا من حضارة ارقى واعظم ابادها الَّا القليل منها قوم عُداة فتكوا باصحابها واستولوا على بلادهم . وقد لحظ ذلك مبشّرون من البروتستانت في بشاعم الى افريقية الجنوبيَّة

« ويؤيّد شهاداتهم انَّ تلك القبائل تجهل اليوم الكتابة مع انَّ لفظة الكتابة لا تزال في لغتهم . وهذا دليل على انَّ اجدادهم عرفوا الكتابة فعلًا وهم لم يعرفوا الآن غير اسمها . وكذلك تجد في مدافنهم خزفيَّات وهم اليوم يجهلون صنعها »

وقال آخر (٢ :

« انَّ لبعض هذه القبائل الهمجيَّة كبرابرة اوستراليا والفوجيين في طرف اميركة المتوسّطة لغةً فقيرة جدًّا قاصرة في يومنا الحاضر لكنَّ فيها سنةً تدلُّ على غناها سابقًا حتَّى انَّها كانت تفوق بخواصّها عدَّة لغات شائعة كتصريفات اسماء وافعال غاية في الدقَّة . وترى في مساكنهم آثار نقش وتصوير تشهد على رقيهم في الحضارة سابقًا وعلى بطلانها حاضرًا . ومنها يستدل على كون هذه القبائل سقطت عن مقامها القديم لوجودها في ظروف غير موافقة وليست هي بقايا امم همجيَّة توقَّفت في صعودها الى مدارج التمدُّن

وهذا التقهقر من الامور السهلة لاسيَّما في الازمنة السالفة حيث كانت القبائل تسكن وهي قليلة في اقطار واسعة او كانت المواصلات بين الشعوب عسرة فكانت القبيلة اذا ابتعدت عن شقائقها لتعيش بالاستقلال في قطر بعيد لا تستطيع ان تنقل معها كثيرًا من الادوات التي تحتاج اليها . او كانت تفقد تلك المعلومات باهمال مزاولتها لما طرأ على اصحابها من الضيقات وصعوبة المعاش والحروب وغير ذلك مما افرد تلك القبائل وفصلها عن المجتمع البشري فهبطت الى دركات الذلّ بعد هنائها وحسن احوالها

١) اطلب كتابهُ Henry Joly : *Histoire de la Civilisation*, p. 9

٢) اطلب Moulard et Vincent: *Apologétique Chrétienne*

فلنفترض انَّ قوماً من اهل تمدُّننا العصري الذين يعرفون اسرار العلوم من طباعة وصحافة وكهرباء يُخفي عليهم الدهر فيسوقهم الى جزيرة من جزائر البحر البعيدة عن المجتمع الانساني حيث يحتاجون الى كلّ اسباب المعاش ولوازم السكن وليس لديهم كثير من الموادّ والادوات التي لا بُدَّ منها للزراعة والفلاحة والبناء الخ. ثم تفقُّدهم بعد ثمانين او مئة سنة من هذه العيشة الفرديَّة المنزلية تجد نسلهم قد صاروا اشبه بالشعوب الهمجيَّة. وما لنا نطلب امثالاً بعيدة ألسنا نرى في نفس البلاد المتمدّنة وحواضر الدول إمَّا قرًى منفردة في الجبال وامَّا أحياء لا يسكنها غير الفقراء فانَّ بين هؤلاء والذين يعيشون في بحبوحة العزّ ورغد التمدُّن بوناً عظيماً

وقد سبق لنا القول في جودة عقل الامم الهمجيَّة وآدابها الدينيَّة. ويحسن بنا ان نزيد هنا ما يختصّ بشواعرهم الدينيَّة. كان الشائع في العالم المتمدّن في اواخر القرن التاسع عشر ان معظم الامم الهمجيَّة في افريقية واوقيانية واميركة كانت خالية من كلّ دين وانَّ الذين سافروا الى مواطنهم لم يعثروا عندهم لأدنى اثر من الدين بل كانوا يؤكدون ان لغاتهم لا تحتوي على الفاظ تُشعر بمعبودٍ سامٍ او إله. امَّا اليوم فرأي العلماء من هذا الصدد قد اختلف اختلافاً قاطعاً بعد ان حاول المرسلون الكاثوليك والمبشِّرون البروتستانت ان يرشدوا تلك القبائل فانَّهم تحقَّقوا ان كلّ تلك الامم تقريباً تعتقد وجود معبود اسمى يميِّزونهُ بكل تدقيق عن اجدادهم الذين يكرمونهم وعن الارواح الشرِّيرة التي يرهبونها. وتبيَّنوا في لغاتهم المفردات والتعابير الدالَّة على ذاك المعبود (١. وفي ذلك دليل آخر على هبوط تلك القبائل التي عرفت في حال عزّها السابق وجود الاله ثمَّ تحوَّلت شواعرها الدينيَّة الى تأليه الطبيعة وقواتها

ولله درّ المسفار الانكليزي الشهير السر ستانلي (Stanley) الذي طاف في مجاهل افريقية في اواسط القرن التاسع عشر حيث يقول :

« الغالبُ على رأيي ان القبائل والشعوب تخضع لذات العوامل المؤثرة في البيال. فكما انَّ البيلة التي تبقى متروكةً دون علاقة مع الخارج لا تلبث ان تتوحش كذلك الامم. فان في آسية وافريقية فروعاً بشريَّة تفرَّدت من قبائل زاهية نامية ومن أمم وافرة العدد. فمن يعتبر هذه اللغوف بعد اعتزالها عن جذورها بنحو ثلثة الاف سنة يتحقَّق ما ألمَّ بها من التقهقر

١) راجع Recherches de Science religieuse, *Août-Septembre 1917*

والهبوط لاسباب ظاهرة كالزواج بين الاقارب وكالاغتذاء بالفطر والاثمار البرّيّة او باللحوم الضئيلة او الدويبات الميتة ثمّ سكنى تلك القبائل في بطن الارض دون النور وقلّة العناصر المغذية والسكّريّة. فكلّ هذه الاسباب تحول دون نموّ هؤلاء الناس وتمنع بلوغهم الى الشدّة الكاملة فيبقون زمانف قصيري القامة قليلي القوّة. وحيثما لا يوجد رقيّ فلا بدّ من التقهقر »

وهناك عامل آخر غير العوامل الطبيعيّة لهُ تأثير عظيم في انحطاط تلك الشعوب البربريّة ألا وهو العامل الادبيّ. كلّ يعلم انّ في الانسان قوّة التمييز بين الخير والشرّ وانّ لهُ مع ذلك حرّيّة ربّما دفعتهُ الى تفضيل الشرّ على الخير. فان تبع صوت شهواتهِ لا تلبث ان تستعبدهُ وتهبط بهِ الى ان يصير شبيهاً بالحيوان. والى هذا اشار الكتاب الكريم لمّا وصف لنا قايين شارداً طريداً على وجه الارض بعد قتلهِ أخاهُ

وقد بحث احد الكتبة العصريين (١ عن هذا الامر ليتبيّن هل الامم الهمجيّة هي متأخرة في طريق الكمال كما يزعم اصحاب التحوّل والنشوء او هي بالحري ساقطة عنهُ فاقدة لخيراتهِ قال : « انّ الجواب على ذلك في طبيعة الانسان فانّهُ وان يرى الخير ويعرف فضلهُ يرخي العنان لشهواتهِ فتؤدي بهِ الى الهمجيّة. وعلى خلاف ذلك اذا قهر تلك الشهوات ارتفع وتسامى الى الكمال الادبيّ والتمدّن » . ثمّ اردف قولهُ بهذا الملحوظ : « اعلم انّ في قلب كلّ انسان همجيّاً لاطئاً يستطيع ان ينتفض من بنتهِ فيؤدي بصاحبهِ. ألا ترى كيف انّ الآباء اليسوعيين لمّا حلّوا بين برابرة اميركة المعروفين بالقوارانيين في بلاد باراغواي حوّلوهم بوقت قريب الى رجال فضل وتمدّن راقٍ. ورأيت على خلاف ذلك في الحرب الاخيرة زعماء الجرمانيين بمبادئهم الفاسدة نفخوا في قلوب جنودهم روحاً همجيّة لقتلة اعدائهم جعلتهم اذلّ وادنى شأناً من البرابرة المعروفين بالسيو (Sioux) والكومانش (Comanches) »

دحض الحجّة الثانية التي يستند اليها اصحاب التحوّل والنشوء زعمهم

فلنتخطّ الآن الى الفحص عن السند الثاني الذي يعتصم بهِ المتذهبون بمذهب التحوّل والنشوء اعني تنظيم جماجم البشر الاوّلين وتقسيمهم لاطوار الظرّان الى القديم العهد والحديث العهد. فان بين هذين الامرين علاقة في رأيهم كما سيلوح ايضاً من جوابنا. فانهم يزعمون ان تحوّل الجماجم البشريّة والترقّي في نحت الحجارة دليلان لامحان على تحوّل الجسم البشري وترقّي عقلهِ المتواصل

(١ الطب Maurice Hauriou, *Correspondant*, 25 Sept. 1918

لسنا ننكر انَّ بين هذه الجماجم ما يرقى الى عهد الظرّان وان بعضها خفيفة الجبهة والذقن بارزة الفكين وغيرها عريضة الجبين ذات ذقن وفكين شبيهين بصورة اهل عصرنا وانَّ بين الطرفين وسطاً يتقرَّب البعض الى الجنس الاوَّل والبعض الى الثاني. فيمكن اذن ان تُتَّخذ هذه الجماجم وتنظَّم على طريقة تدريجيَّة بياناً لتحوُّلها من هيئة الى أُخرى كما يصنع لرباب التحوُّل والنشوء

وانَّما ننكر قطعيًّا انَّ النظام الصناعي المذكور يوافق حقيقة الامور والازمنة المزعومة التي ينسبها اليها اصحاب هذا المذهب

كذلك لسنا ننكر انَّ بين الظرّان وبين التصاوير الراقية الى الزمن السابق للتاريخ ما هو احكم صنعاً وأجود عملاً من سواهُ لكنَّنا ننكر ما يزعمهُ ذوو مذهب التحوُّل والنشوء انَّ حُسن العمل يدلُّ على ترقٍّ في عقل البشر الاوَّلين وانَّ الظرّان الخشيب النحت هو عمل اولئك الذين في تركيب جماجمهم بعض الشبه بتركيب جماجم القرود وانَّ الظرّان المحكم العمل الصقيل هو على خلاف ذلك عمل اولئك البشر ذوي الجماجم السويَّة الشبيهة بجماجم اهل زماننا. فهَبْ انَّ نحتهم هذا صار افضل واحكم من قرن الى آخر أفيدلُّ ذلك على تحوُّل في عقل الانسان؟ كلَّا

كان اجدادنا قبل مئتين او ثلثمائة سنة يسافرون بحرًا على مراكب قلاعيَّة او ركوباً على الخيل او في العربات ولا يعرفون تلغرافاً آخر سوى النيران على رؤوس الجبال ونحن اليوم متشعون بالبخار وسكك الحديد والكهرباء وعجائبها هل يمكن القول بان اهل زماننا ارقى عقلاً من اهل ذلك الزمان؟ وكم نرى اليوم من اعمال الاقدمين ومآثرهم التي نودُّ معرفة اسرارها فنجهلها

انَّ البشريَّة سلسلة متواصلة فما يكشفهُ اهل زمانٍ يورثونهُ خلفهم. وهكذا حدث في القرون الاولى للبشريَّة فانهم سبقوا الى اكتشاف بعض المعلومات استفاد منها خلفهم. وليس ذلك دليلاً على عقل اوسع وانقب وانَّما هو فقط دليل على استثمارهم لما ورثوهُ من السلف واضافوا اليهِ من اختبارهم الخاصّ ما خلَّفوهُ لمن اتى بعدهم من البشر

وزد على ذلك ان تقسيم الظرّان الى قسم قديم وقسم حديث وتنظيم الجماجم بياناً لتحوُّل البشريَّة اصبحا اليوم من الامور المهملة التي لا سند لها بعد الاكتشافات

الحديثة للهياكل البشريَّة ولم يَعُد العلماء يعيرونها بالًا اذ لا تنطبق على سياق الازمنة

ثم انَّ الهياكل البشريَّة المختلفة التي وجدت الى اليوم قد اكتُشفت في انحاء شتَّى منفردةً فلو وجدوها مجتمعة في طبقة سُفلى وفوقها هياكل اخرى ذات جماجم سويَّة لأمكنهم ان يتَّخذوا ذلك حجَّةً على قِدَم ازمنتها وتنظيمها في سلسلة رسميَّة. امَّا وجودها متفرِّقةً في اقطار مختلفة متباعدة عن بعضها فيحول دون تنظيمها كما فعلوا واستنتجوا النتائج الواهنة من مقدِّمات خالية الصحَّة وبذلك عرَّضوا الناس الى الوهم والضلال

ولو الطالع تجد كلَّ متاحف اوربَّة المختصَّة بالعاديَّات البشريَّة قد نُظمت على هذا الترتيب الباطل المؤيِّد لمزاعم اصحاب التحوُّل والنشوء ومنها استعارت الكتب المدرسيَّة الشائعة في ايدي الناشئة . فلو شاؤوا ان يقنعوا الناس بصحَّة هذا المذهب لوجب ان يذكروا في اي مكان وُجد كلَّ هيكل بشري واي طبقةٍ من الارض ويدلُّوا على اكتشافهِ منفردًا او مع غيرهِ من هياكل بشريَّة

وقد جاءت حديثًا اكتشافات اخرى اقلقت افكار اولئك المنظِّمين وأبطلت مزاعمهم . فان الباحثين عن العاديَّات البشريَّة توفَّقوا الى اكتشاف مدافن بشريَّة وجدت فيها سواء وفي الطبقة عينها عدَّة هياكل انسانيَّة لقوم عاشوا في زمن واحد . واذا بينها جماجم من الشكلين اللذين زعموا انهما مختلفا الازمنة

فكان هذا الاكتشاف ضربةً لازبة للقائلين بالتحوُّل والنشوء اذ تحقَّقوا انَّ اختلاف الجماجم ليس هو دليلًا على انَّ قوم بعضها سبقوا البعض الآخر بقرون متعدِّدة كما اراد انصار دروين والمدافعون عن مذهب التحوُّل والنشوء . والدليل على بطلان رأيهم وجود جماجم ذات جبين خفيف وفكَّين بارزين وذقن صغير مختلطة مع جماجم أخرى شبيهة بجماجم الناس حالًا

فلمَّا شاع خبر هذه الاكتشافات وبحثت عنها المجلَّات العلميَّة وقع مذهب التحوُّل والنشوء في حيص بيص وخلَّف بينهم صوتَ الانتصار صوتُ الخيبة . فمنهم من أنكر صحَّة تلك الاكتشافات ولم يُرد الاذعان الى الحقيقة امَّا العلماء منهم فارادوا ان يفحصوا المدافن التي وجدوا فيها الجماجم المختلفة الهيئة واذ كانوا ذوي نيَّة مستقيمة اعلنوا في مجلَّات علميَّة بغلطهم السابق . وانا على اقرارهم بالحقيقة شاهد

جليل بما صرَّح بهِ احد زعمائهم وهو الدكتور ڤيرشوف (D' Wirchow) رئيس جامعة برلين الذي كان دافع عن مذهب التحوُّل والنشوء وتسلسُل الانسان من القرد بتآليف متعددة فانهُ اعلن في مؤتمر العلوم السابقة للتاريخ المنعقد في موسكو سنة ١٩١٢ ما تعريبهُ :

«اننا في مسألة تحوُّل القرد الى انسان قد ذهبت كلّ مساعينا ادراج الرياح . وكل ابحاثنا التي واصلناها لتبيّن ترقّي الحيوان الى كيان الانسان لم يحصل منها نتيجة . لا يوجد سلفٌ للانسان الاوَّل . لم يتسلسل الانسان من القرد . والملَقات الرابطة بين هذين الطرفين خيال محضٌ لا نصيب لها من الصحة . . . »

فيتضح مما سبق انَّ كبار العلماء لم يعودوا يعوّلون على ترّهات القائلين بالتحوُّل والنشوء اذ وجدوا خلوَّ مذهبهم من كلّ اساس ببطلان اقوى براهينهم المبني على تطوُّر الجماجم من حالة شبيهة بالحيوان الى صورة بشريَّة وقد وُجد كلا الصنفين في المدافن عينها . وبسقوط زعمهم عن التشابه الطبيعي بين الحيوان والانسان سقط كذلك بالاحرى رأيهم في تطوُّر النفس البشريَّة وتناسلها من الحيوان

ويترتَّب في الوقت عينهِ على هذا الاكتشاف الحكم الصائب في الاعمال البشريَّة القديمة من ظرَّان وتصاوير ومنحوتات انَّها ليست متطوّرة على موجب ازمنة شتَّى تتوسَّط بين خشيها ومحكمها القرون العديدة على حسب ترقّي العقل البشري من الاصل البهيمي وانَّما هي اعمال قبائل مختلفة او عملة مختلفين بينهم الحاذق الماهر والجاهل الاخرق نحتوا الظرَّان في وقت واحد على اختلاف حسنهِ وهيئاتهِ وعلى موجب ذوقهم وغايتهم ولا دليل انَّ بعضهم كانوا أحطَّ عقلًا من البعض

وعلى خلاف ذلك يجب القول انَّ البشر الاوَّلين لقلَّة الوسائط التي كانت لديهم دلُّوا بما صنعوهُ على ذكاء عجيب وعقل ثاقب . قال غويبرت (Güibert) احد الكتبة المحدثين :

« انَّ البشر الاوَّلين كانوا من نوابغ المكتشفين فانَّهم سبقوا الى نحت الحجر والخشب . قد اصطنعوا لخدمتهم ادوات واسلحة توسَّلوا بها الى تذليل الحيوان . قد بنوا لهم مأوًى للسكنى وجهَّزوا ثيابًا للكسوة . قد اوقدوا النار . وزاولوا صناعة الرسم والتصوير . حوَّلوا بعض الكهوف الى مساكن او قل الى معابد . اكرموا موتاهم واودعوهم اللحد مقرّنين بذلك على اعتقادهم بالحياة . . . وليس لكل ذلك اثرٌ عند البهائم العجماء »

والذين يفحصون في متاحف اوربَّة ومتحف مكتبنا الطبي في بيروت مجموعات

الظرّان واختلاف هيئاتهِ ولستحضارهِ يأخذهُ العجب من ذكاء اولئك القوم الذين امكنهم نحتهُ . وقد بهرت هذه العجائب حتى بصَر انصار المذهب الدرويني كروتو (Rutot) فقال: « قد بلغ البشر الاوّلون الى دقّة شعور من قبيل الذوق والهندسة فنحتوا ادوات عجيبة الصنع تفتخر بها اليوم متاحفنا »

فلم يَعد اذن يسوغ لايّ كان من انصار التحوُّل والنشوء ان يدافعوا عن مدّعاهم الباطل بتسلسل الانسان من القرد . وكانوا يؤملون وجود كائنات متوسطة بين الحيوان والانسان الاوّل بما دعوهُ سلف الانسان (Pro-Anthropos) او الانسان القرديّ (Pithécoïde) فخاب املهم ولم يظهر شيء من ذلك في طبقات الارض يؤيد ظنّهم . والتجأوا الى التقسيم بين جماجم قديمة العهد وحديثة وبين ظرّان خشيب النحت وظرّان محكم النحت حسن الصقل رجاء ان يثبتوا ذاك الترقي المزعوم فجاءت الاكتشافات الجديدة وهدمت ذاك الصرح المبني على الوهميّات اذ حقّقت انّ الجماجم المزعومة كلّها من زمن واحد وانّ الظرّان على اختلاف صنعهِ من عمَلة طور واحد

وخلاصة القول انّ كلّ هذه الاكتشافات تناصرت واظهرت لنا الاجداد الاولين ذوي فهم وحذاقة واصحاب دين ليس في مكتشفات بقاياهم ما يدلُّ على تلك الاعصار البديدة الموهومة ليترقّوا في سلّم الحضارة . وان كان لا يجوز لنا تحديد السنين التي ظهر فيها الانسان الاوّل لا من الكتاب الكريم ولا من التاريخ بحيث نقول انّ الانسان خُلق اربعة آلاف او خمسة آلاف سنة قبل المسيح كما زعم بذلك بعض الآباء فكذلك لا يجوز المغالاة في ذكر الاجيال التي ظهر قبلها الانسان كما يبالغ بذلك اصحاب التحوُّل والترقي

ومن ثم يجب ان نفرق بين حقائق الايمان التي يجب علينا التشبُّث بها ولا طريقة الى الضلال باعتقادها وبين حقائق التاريخ التي يبحث عنها العلماء وكثيرًا ما يشطُّ الناس في اثباتها ويتيهون في الدفاع عنها في بيداء الضلال

خلاصة الكلام

انّ التوراة تصوّر لنا الانسان الاوّل بعد تكوينهِ بيد الخالق كملك الخليقة الحيوليّة . خلقهُ الله بعد مخلوقاتهِ الاخرى فجعلهُ كختامها وكمالها وسيدها الذي لاجلهِ

قد سبق وهيّأها . ونادى بملكهِ حيث قال لهُ ولنسلهِ : « أثمروا واكثروا واملأوا الارض وأخضعوها » نعم انهُ قال ذلك للانسان اذ كان في حالة البراءة لكنهُ تعالى بعد خطيئة آدم وطردهِ من الفردوس وحكمهِ عليهِ بفلاحة الارض لم يحرمهُ السيادة على المخلوقات وان جعل تلك السيادة اشقّ واصعب

لا ننكر انَّ حالة الانسان بعد هذا كانت ذات عناء ونَصَب . كانت الارضُ ملكهُ لكنَّ تلك الارض ملعونة بسبب خطيئتهِ لا تنبت لهُ الّا حسكاً وقرطاً فليس موطأ لقدميهِ الّا ويجرحها الشوك دون ان يقيهما نعلٌ . ليس لديهِ ابرة ليخيط ثوبهُ ويستر جسمهُ بورق الشجر . ليس لديهِ اسلحة ليصطاد الحيوان وينتفع بجلدهِ ولحمهِ . هذه الارض تستطيع بتربتها ان تغذيهُ بغلّاتها ولكن لا بدَّ لحراثتها من ادوات وليس اداةٌ في يدهِ . لهُ الملك على حيوانات البرّ وطيور السماء وحيتان البحر ولكن تنقصهُ الوسائل ليُخضعها لامرهِ

لا بل يظهر الحيوان في حالتهِ افضل من الانسان فانَّ للبهائم على اختلاف انواعها غرائز عجيبة ترشدها الى طعامها وقضاء حاجاتها . قد اغناها الله عن اللباس وجاد عليها بأسلحة للدفاع عن نفسها فكلُّها مستعدّ للجهاد في سبيل البقاء من اكبرها حجماً من ذوات الاربع الى اصغرها كياناً كالحشرات الدقيقة

فالانسان بازاء الحيوان يظهر دونها أهبةً فليس لهُ نواجذ الاسد وانيابهُ ولا براثن النمر ولا قرون البقر لا يباري الفرس والنزالة عَدْوًا ولا يعلو الى الفضاء بجناح الطير ليدفع عنهُ خطرًا او يهاجم عدوًّا او يصون نفسهُ من اذاه

وانَّما اعطاهُ الله العقل وبعقلهِ يسدُّ ما يجد في نفسهِ من النقص والخلل بالنسبة الى الحيوان ويثبت ملكهُ على الحيوان . فرغماً عن عجزه الظاهر يبلغ الى بسط ملكهِ على الارض كلها . فهو يتحكم على النبات كما يشاء ليستخرج منهُ طعاماً وافراً ومختلفاً ونسيجاً لاصطناع ثيابهِ وخشباً لادواتهِ وابنيتهِ . يروّض بعقلهِ الفرس والفيل . وبهِ يجعل الحيوانات البرّية كالثور والجمل والشاء اهليَّةً داجنةً . يستمدُّ من سمك البحر ومن طيور السماء وحيوانات البرّ ضروباً من الخدم لغاياتهِ الخاصّة يحفر اعماق الارض ليستخرج ما فيها من النحاس والحديد . وضروب المعادن لآنيتهِ وسلاحهِ واصناف الحجارة لمبانيهِ . يفتح لهُ طرقاً على وجه البسيطة وفي قلب الجبال وعلى سطح

الاوقيانوس وفي اعماق البحر وفي اعالي الفضاء . يصطنع الدواليب والجلات فنها ما يدور ومنها ما يعوم ومنها ما يطير . يكتشف ما لا يُحصى من الادوات ويسخّر العناصر كالنار والبخار والكهربا . لطاعته . يحلل العناصر الى اقصى دقائقها ليلتمس منها فكّ اسرارها . وكلّ ذلك بفضل عقلهِ الذي اسبغ الله عليهِ بهِ ليسهّل لهُ بسط ملكهِ على الخلائق كما وعدهُ وان كان يسوق بهِ الجهل الى جحود فضل الهِ فيأبى لهُ الطاعة بغباوتهِ هداهُ الله الى سواء السبيل

مطبوعات شرقية جديدة

DMITRI MÉREJKOWSKY : Le Règne de l'Anté-Christ = Z. HIPPIUS. Mon journal sous la Terreur = D. PHILOSOPHOFF : Notre évasion. *Traduit du Russe, 2e éd., éditions Bossard, Paris,* 1921

ملك المسيح الدجّال – يوميّتي في عهد الإرهاب – نجاتنا

هؤلاء ثلثة كتبة روسيين كانوا من حزب الاشتراكيين واعداء الملكية . فلمّا سقط القيصر وأُعلن بالحكم البولشفيكي أمّلوا منهُ خيراً لكنّهم ما لبثوا ان وجدوهُ ثالثة الاثافي ومنتهى الشرور لا يرعى ذمّةً ولا يفي بعهدٍ كلُّ سياسة اصحابهِ مكرٌ وخداع وظلم . وقد عاش هؤلاء الكتبة سنتين ونصف تحت هذه الدولة فذاقوا فيها الامرّين الى ان امكنهم النجاة بنفسهم والفرار من ايدي اولئك الذئاب الخاطفة . وقد اسرعوا الى نشر ما عرفوهُ من فظائع البولشفيك ليوقفوا العالم المتمدّن على احوالهم الصحيحة فلا ينخدعوا بما ينشرونهُ من الاكاذيب او يدسّونهُ في تقارير بعض الذين ترسلهم الدول لاستكشاف امورهم . فهم لا يملكون الّا بالارهاب والتهديد باقصى العذابات ويبثّون دُعاتهم في انحاء البلاد ليقبلوا نظامهم وقد استولوا على كلّ المدارس فصارت في ايديهم مشتليات للثورة والخلاعة فيخرج منها الاحداث على صورتهم لا يعرفون ديناً ولا ادباً . والعجب ان محرّري هذه الاسطر كانوا من زلوعي

الاوقيانوس وفي اعماق البحر وفي اعالي الفضاء . يصطنع الدواليب والجلات فنها ما يدور ومنها ما يعوم ومنها ما يطير . يكتشف ما لا يُحصى من الادوات ويسخّر العناصر كالنار والبخار والكهربا . لطاعته . يحلل العناصر الى اقصى دقائقها ليلتمس منها فكّ اسرارها . وكلّ ذلك بفضل عقلهِ الذي اسبغ الله عليهِ بهِ ليسهّل لهُ بسط ملكهِ على الخلائق كما وعدهُ وان كان يسوق بهِ الجهل الى جحود فضل الهِ فيأبى لهُ الطاعة بغباوتهِ هداهُ الله الى سواء السبيل

مطبوعات شرقية جديدة

DMITRI MÉREJKOWSKY : Le Règne de l'Anté-Christ = Z. HIPPIUS. Mon journal sous la Terreur = D. PHILOSOPHOFF : Notre évasion. *Traduit du Russe, 2e éd., éditions Bossard, Paris,* 1921

ملك المسيح الدجّال – يوميّتي في عهد الإرهاب – نجاتنا

هؤلاء ثلثة كتبة روسيين كانوا من حزب الاشتراكيين واعداء الملكية . فلمّا سقط القيصر وأُعلن بالحكم البولشفيكي أمّلوا منهُ خيراً لكنّهم ما لبثوا ان وجدوهُ ثالثة الاثافي ومنتهى الشرور لا يرعى ذمّةً ولا يفي بعهدٍ كلُّ سياسة اصحابهِ مكرٌ وخداع وظلم . وقد عاش هؤلاء الكتبة سنتين ونصف تحت هذه الدولة فذاقوا فيها الامرّين الى ان امكنهم النجاة بنفسهم والفرار من ايدي اولئك الذئاب الخاطفة . وقد اسرعوا الى نشر ما عرفوهُ من فظائع البولشفيك ليوقفوا العالم المتمدّن على احوالهم الصحيحة فلا ينخدعوا بما ينشرونهُ من الاكاذيب او يدسّونهُ في تقارير بعض الذين ترسلهم الدول لاستكشاف امورهم . فهم لا يملكون الّا بالارهاب والتهديد باقصى العذابات ويبثّون دُعاتهم في انحاء البلاد ليقبلوا نظامهم وقد استولوا على كلّ المدارس فصارت في ايديهم مشتليات للثورة والخلاعة فيخرج منها الاحداث على صورتهم لا يعرفون ديناً ولا ادباً . والعجب ان محرّري هذه الاسطر كانوا من زلوعي

الربح سابقاً فيحصدون اليوم الزوبعة . وكان احدهم وهو فيلوزوفوف من انصار تولستوي واحد الذين يحبّذون الثورة الفرنسويّة الكبرى ويدّعي معهُ انها الوحيُ العظيم الذي ظهر بعد السيّد المسيح الاب بطرس كستاكيس

Meggle (Armand) : Le domaine colonial de la France, ses ressources et ses besoins. Guide pratique de l'Algérie, des Colonies, des pays de protectorat et des territoires à mandat. *In-col. in-16, 10 Cartes hors-texte, Paris, F. Alcan*, 1922. *Prix 12 f.*

ملك فرنسة الاستعماري

يشتمل هذا الكتاب ليس فقط على مستعمرات فرنسة بل على كلّ البلاد التي مدّت اليها حمايتها او عُهد اليها الانتداب الموقّت لتدبير امورها . قد شحنهُ مؤلفهُ فوائد ليوقف اهل جلدتهِ اجمالاً على محصولات كل قطر وتجارتهِ وصناعتهِ ومعاملاتهِ من وارد وصادر وغير ذلك من المعلومات التي يحتاج اليها خصوصاً الفرنسويّون لترويج امورهم . وقد خصّ سوريّة بالذكر (ص ١٠٣—١٣٠) وانّما شطّ في وصف مرافئها (١٠٨) ولم يُحسن تعريف النُصَيريّة (ص ١١٠) . وقد ختم المؤلف نظرهُ هذا بافادات عامّة ومشورات عمليّة حسنة مع نظر في مستقبل سوريّة الاب ج. لوفنك

E. Lévi-Provençal : Les Historiens des Chorfa. Essai sur la Littérature Historique et Biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle, *Paris, E. Larose*, 1922, *in-12, pp.465*

تاريخ الشرفاء في مراكش منذ القرن السادس عشر الى عهدنا

منذ دعت الظروف فرنسة الى الدخول في مراكش بعثت كعادتها المحمودة هيئة علمائها على درس البلاد وآثارها وتاريخها فظهرت عدّة تآليف يتألف منها اليوم مكتبة واسعة في كلّ امور مراكش . وهذا كتاب جديد يشهد على هذه الهمّة انتفاء وضعهُ احد اساتذة مكتبة العلوم العليا المراكشيّة في رباط ليُطلع المستشرقين على اوثق المصادر التاريخيّة لآخر الدول التي ملكت على مراكش وهي دولة الشرفاء من حسنيّين وفلاليّين الذي جلسوا على تخت دولتهم منذ اواسط القرن السادس عشر الى عهدنا . والحقّ يقال انّ ما كُتب من تاريخهم اليوم سواء كان باللغة العربيّة ام باللغات الاوربيّة كان كثير الخلل قليل الضبط لا يمكن ان يُركَن اليهِ في

عدّة امور . فأعاد صاحب هذا التأليف النظر في المطبوعات السابقة وراجع المخطوطات التي كان يصعب التوصّل اليها قبلهُ عند الخاصّة واجال في كلّ ذلك نظر الانتقاد وفقًا لنواميس التاريخ الصحيح المنزّه من كلّ الاغراض فأتى بعمل يُعَدّ اليوم امتن اساس واضوأ نبراس لتاريخ دولة الشرفاء وما حدث في عهدهم من الامور ولمن اشتهر في ايّامهم من الأئمة والاولياء والعلماء استنادًا الى الثقات وزيّن عملهُ بالملحوظات والتذييلات والفهارس فلم يَفُتهُ شيءٌ من التحسينات التي يرغبها القرّاء . وقد تمنّينا في اثناء مطالعتنا لهذا التأليف ان ينقلهُ احد الادباء الى لغتنا ليتعلّم الشرقيّون الطريقة المثلى لكتابة التاريخ ل . ش

Charles-F. Jean Lazariste diplômé de l'Ecole des Hautes-Etudes. MA MISSION SCIENTIFIQUE EN ORIENT. Journal de Voyage. *Paris. J. Gabalda*, 1921, *in*-16. *pp*. 221

بعثي العلميّة الى الشرق

صاحب هذه البعثة احد الآباء اللازاريين النائل شهادة مدرسة الدروس العليا في باريس وتلميذ الاب شيل الدومنيكي في درس الآثار الاشوريّة التي توفّق الى تفسير وشرح كثير منها . واذ علم ان في الاستانة العليّة وبعض متاحف الشرق آثارًا من جنسها لم ينشرها الاختصاصيّون طلب من الحكومة الفرنسويّة ان تعهد اليهِ ببعثةٍ الى الشرق للبحث عنها . فسُرَّ مدير المعارف لطلبهِ واجازهُ على مباشرة بعثتهِ واوصى بهِ عمّال دولتهِ في الشرق ليساعدوهُ في عملهِ . فاتمّ حضرتهُ هذا السفر في العام المنصرم وها هوذا قد متّعنا بأخبار رحلتهِ وما استفاد منها لخدمة العلم بما اكتشفهُ في متحف اسطنبول من صفائح الآجرّ المكتوبة باللغة السومريّة في الالف الثاني والثالث قبل المسيح بل عدّة اجيال قبل ابرهيم الخليل . وقد زاد كتابهُ فائدةً بما اودعهُ من الملحوظات في آثار البلاد التي مرّ بها كقيليقية وسوريّة ومصر مع وصف عادات الشعب والاخلاق . ولم ينسَ حضرة الكاتب انهُ مرسل كاثوليكي فتراهُ مدّة سفرهِ يتقرّب الى نفوس رفقتهِ فيرشدها الى الصلاح ويبذر فيها الزرع الجيد . فلله العلم المقرون بالدين ل . ش

Chuichiro Gomyo : The Oneness of Humanity. *London*, 1922

وحدة الانسانيّة

هذه كلمة لاحد اليابانيين الذي ارتدّ الى الشيعة البروتستانيّة وتحزّب لحزب

الاشتراكيين النصارى فهو يستنشد الله كلّ الناس الرجال والنساء ليسعوا بابطال الحروب فيعيش البشر بالوفاق والمحبّة ويجاهدوا بشغلهم في سبيل المعاش! س.ر

L'EDUCATION PHYSIQUE. Revue scientifique, et critique. *Paris, Bard des Italiens*, 8, *mensuelle* 10 nos. *France et Syrie*, 15 *Francs*

التهذيب الطبيعيّ: مجلّة علميّة وانتقاديّة

كانت الحرب اوقفت هذه المجلّة المفيدة لاهل المدارس خصوصاً: وكان لها من العمر سابقاً ١٤ سنة وها هي اليوم انبأت العموم انها تعود الى مواصلة نشرتها فأهدتنا العدد الاوّل منها فوجدناها جارية على نمطها السابق ترشد الشبان الى تقوية ابدانهم في زمن دروسهم خاصّة ليتم فيهم تعريف الرجل الكامل "عقل سليم في جسم سليم" ج.ل

كتاب كليلة ودمنة

طبعة جديدة مدرسيّة. عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٢ (ص٣٢٠)

هذه الطبعة المدرسيّة الجديدة مبنيّة على اقدم نسخة مخطوطة تُعرف لهذا الكتاب تاريخها سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٩ م) وهي تختلف عن كل النسخ المطبوعة الى عهدنا كنّا نشرناها سابقاً لافادة العلماء وقدّمنا عليها افادات وشروحاً وانتقادات واسعة فعرف المستشرقون فضلها على سواها. وها نحن اليوم ابرزنا هذه النسخة القديمة على صورة مدرسيّة لإفادة الطلبة بعد تجريدها من أهميتها العلميّة وتنقيح ما وقع في تلك النسخة من الاغلاط وإزالة ما فيها من الشبهات وحذف ما يشينها من الروايات المخلّة بالاداب. وقد طبعناها بحرف كبير مُشرق ولم نضبطها بغير الشكل النافي للارتياب ليعتاد الطلبة قراءة النصوص الخالية من الشكل. وفي آخر الكتاب مُعجم للالفاظ اللغوية الواردة فيه ل.ش

ديوان الشاعرين عمرو بن كلثوم والحارث بن الحلّزة

نشرهما لاوّل مرّة فرتس كرنكو عن نسخة الاستانة الفريدة

طبع في المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٢ (ص ٦٨)

نُشر هذان الديوانان لاوّل مرّة في مجلّتنا المشرق مع حواش لجناب ناشرهما ثمّ

طبعها على حدة. وقد اضفنا على هذه الطبعة الفردية ثماني صفحات فيها ملحوظات شتى وانتقادات وزيادات على الديوانين لتتم بها الفائدة. لا حاجة لتبيان ما في نشر هذه الآثار القديمة من الخدمة الجلى للآداب العربية قبل ان يخفي عليها الدهر فنشكر للمستشرق كرنكو الذي استخرج هذا الكنز من دفائنه وهو يطلب من مطبعتنا

علم الصحة

تأليف الدكتور امين الجميّل

طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت مع عدة صور ورسوم (ص ٧٦١)

كثيراً ما كنا نتمنى ان ينقل الى لغتنا احد الكتب العديدة التي نشرها علماء الاطباء في اوربة عن علم الصحة لقلة ما نجد منها في العربية: فها هوذا الدكتور امين الجميّل قد حقّق امانينا بل أتى بما لم يخطر لنا على بال فانه رأى الكتب الاجنبية مع وفرة علمها تذهل غالباً عن احوال بلادنا ويفوتها كثير من عادات اهلها. ومن ثمّ آثر وضع كتاب مستقل جمع فيه احدث ما توفق اليه العلم العصري بالنظر والاختبار من قوانين الصحة وطبّقه على ما يمتاز به اهل الشرق في معاشهم وحركاتهم وسكناتهم فجعله كتاباً حياً يلوح من كل صفحاته ما اتصل اليه بخبرته الخاصة من المعلومات اللائقة لبلادنا ولاهلها على اختلاف طبقاتهم. فلا يسعنا الا الثناء على عمل الدكتور والتحريض لكل من يهمّه امر صحته على اقتناء كتابه فيجعله كدستوره اليومي لادارة نفسه وصحة اهل بيته. ومع ضخم هذا الكتاب البالغ ٧٦٠ صفحة وحسن طبعه وكثرة ما يزينه من التصاوير والرسوم قد جُعل ثمنه زهيداً لتعميم فوائده

ل. ش

كتاب جغرافية العراق

تأليف رزق الله عيسى

طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد سنة ١٩٢٢ (ص ٢٩٩)

هذا الكتاب احد بواكير المطبعة السريانية الكاثوليكية المنشأة حديثاً في

بغداد . وحُسن طبعهِ يشهد لاصحابها بجودة الذوق ومعرفة الفنّ زادها الله رقياً ونجاحاً . أمّا الكتاب فهو ايضاً من مبتكرات الاعمال فلسنا نعرف غيرهُ لجغرافية العراق وقد تتبّعنا بشوق اجزاءهُ المختلفة ووصف أَلويتهِ واقضيته ونواحيهِ مع مدنها وقراها وما يمتاز كلّ لواء من مزارع وسهول وجبال وانهر وتجارة وصناعة وآثار قديمة . فلا شكّ انّ طلبة المدارس في العراق يقبلون على درس هذه الجغرافية بكل رغبة وغيرة ليقفوا على معرفة وطنهم . ويا ليت المؤلف كان اضاف الى كتابهِ خارطةً ليستدلّوا بها على موقع الامكنة . ولعلّهُ يفعل في طبعة ثانية ومما يجب اصلاحهُ قولهُ عن النجوم (ص٥) انّ منها ما يقتبس ضوءهُ من الشمس فهذا لا يصحّ في غير النجوم السيارة . وكذلك يحتاج تعريفه للاديان (ص ١٨) الى زيادة في التدقيق . ومثلهُ قولهُ في لغات البشر (ص ١٧) فليس القبطيّ من اللغات الساميّة وليست اللغات الساميّة والاراميّة مترادفة وانما الآراميّة قسم من الساميّة

سلّم القراءة الحديث

لجرجس عبد الملك (الدرجة الرابعة)

في مطبعة عبد الملك ببيروت (ص١١٠)

قد تعدّدت كتب القراءة العربيّة بحيث لا تخلو منها مطبعة في بيروت واكثرها محلّى بالضبط التام ومزيّن بالصور . وهذا كتاب جديد من شكلها يدّعي صاحبهُ كأسلافهِ انهُ «احدث الاساليب وافضلها لتعليم القراءة والكتابة معاً» وهذه الدرجة الرابعة التي لم يطلعنا المؤلف على غيرها تحقّق مدّعاهُ لما اودعها من الفوائد اللغويّة والجغرافيّة والتاريخيّة ومن التمارين . على انّنا رأينا الكتاب موجّهاً خصوصاً لمدارس الاميركان يتوخّى طريقتهم في التعليم بل يمثّل افكارهم الخاصّة ل . ش

كتاب تحقيق المقال في انّ الخلاص بالايمان والاعمال

تأليف الشيخ ظاهر خيرالله الشويري

طُبع في مطبعة الاتحاد في بيروت سنة ١٩١٣ (ص ٤٠ + ٣٤٠)

هذا اثرٌ آخر لذاك الجهبذ الصنديد الذي خدم العلم والدين معاً مدّة سنين طويلة

فاسفنا على فقده في أيام الحرب الكونية . كان آخر ما اثنينا عليه من اعماله كتابه البديع « الادلة الغرّاء على سموّ شأن مريم العذراء » دافع فيه دفاع الابطال عن سموّ قداسة ملكة السماء بلهجة حماسية استغربها بعض الذين لم يعرفوا شيئاً من دسائس الشيع البروتستانية وحملاتها على كلّ تعاليم الكنيسة . واليوم قد اوقفنا ابنه الكريم ووريث فضله على كتاب آخر ليس اقلّ شأناً من السابق ردّ فيه على احد مبادئ البروتستانية الوخيمة وذلك حصرهم خلاص الانسان بالايمان فقط دون الاعمال الصالحة فوجّه الشيخ نظر الانتقاد الى هذا المبدأ وبيّن فساده من كلّ وجه من العقل والنقل من العهدين القديم والحديث من معتقد الكنيسة في كلّ زمان ومكان من اقوال آباء الشرق والغرب وهو في كلّ اقواله يتقفى آثار اخصامه لا يدع لهم سبيلاً للنجاة من ضرباته المؤلمة وبراهينه القاطعة . وقد استطرد الى مسائل أخرى عديدة وجدها في كتب البروتستانت فدحضها دحضاً تاماً وكشف خبث كاتبيها وتزييفهم لآيات الاسفار المقدسة . فنتمنى ان ينتشر هذا الكتاب في كلّ مكان يزرع فيه البروتستانت اضاليلهم في شرقنا العزيز . وثمنه ٢٥ غرشاً سورياً . يُطلب من ابن المؤلف امين افندي ظاهر خيرالله في قلم جريدة الهدية في بيروت

كاترين الثانية

قصة تاريخية تُرجمت لمجلة الهلال

طُبعت في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٢ (ص٥٩)

لكاترين الثانية في تاريخ روسية مقام فريد فانها بعد بطرس الكبير اعظم من تولّى الحكم في روسية وبفضلها قد دخلت تلك البلاد المنفردة في اقاصي اوربة في حيز الدول المتمدنة ولم تألُ جهدها في نوال غايتها بتعزيز الآداب والصناعة والتجارة . وقد جمعت هذه الملكة في شخصها صفات متضاربة جعلتها كاحد الغاز التاريخ ولا تنسى الرهبانية اليسوعية حمايتها لجماعتها في حين تآمرت عليها كل الدول الاوربية باغراء الماسونية واعداء الدين . وليست غاية صاحب هذه القصة ان يكتب تاريخ تلك الملكة وانما اراد ان يحك القناع عن حياتها الفردية التي جعلتها كما كتب في صدر تآليفه « اشهر الخاطئات من صاحبات التيجان » ونحن نجلّ نفسنا من الخوض في هذه الحمأة المنتنة فندع المسئولية على من يرضى بحملها

ل . ش

لودندورف القائد الالماني المظيم

بقلم خليل كريم ثابت

عُني بنشره وطبعه يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر (ص ٩١)

لودندورف رئيس هيئة اركان الحرب العامّة الالمانيّة اظهر في تلك الحرب من الحنكة ومعرفة الآداب العسكريّة ما لم يبلغهُ الّا القليلون من زملائهِ ولاسيّما هندنبورغ. وقد اتّسع كثيرون في ذكر هذا النابغة وسيرتهِ واعمالهِ وثباتهِ العجيب حتّى اضطرّ الى تقدمة استعفائهِ اذ رأى الامبراطور والشعب معوّلين على طلب الهدنة وهو يريد الحرب الى المنتهى . فاحبّ يوسف افندي توما البستاني ان يعرّف ابناء الشرق بذاك القائد الكبير مثال الجدّ والثبات ومحبّة الوطن فعهد الى احد ادباء مصر كريم افندي خليل ثابت بأن يحرّر ترجمتهُ مستندًا الى اوثق المؤرخين المصريين. فافاد واجاد

ل . ش

هدايا ارسلت الى الشرق

← ١ً فاتنة الامبراطور فرنسوا جوزيف ← رواية خلاعيّة كان الاولى بمؤلفها وناشرها ان يأتيا من فتح مثل هذه البواليع فتبعث روائحها السائمة فتفسد القرّاء والله اعلم ما فيها من الصحة

← ٢ً الحقّ يعلو بقلم يوسف سعد نصر ← طبع في سان باولو برازيل سنة ١٩٢٢ (ص ٦٢) . انّ في هذه الكرّاسة امورًا تشعر بخيبة كاتبها اكثر منها بحقيقة الواقع

← ٣ً تقدّم اليابان ← بقلم جرجي نقولا باز . خطاب قديم القاهُ جنابهُ في ايّام الحرب الروسيّة اليابانيّة فنشرهُ آخرًا في مطبعة القديس جاورجيوس وهو يتضمّن نظرًا اجماليًا في جغرافية اليابان وتاريخها ودياناتها وآدابها وترقّيها في سُلّم الحضارة الى ان صارت من جملة كبار الدول الحاليّة. وقد وصفت الجرائد مؤخرًا زيارة وليّ عهد ملك اليابان لقداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر

شذرات

الالقاب في الاسلام كتبت الجرائد بعد الحرب فصولًا ألفتت فيها نظر العموم الى إلغاء الالقاب الشريفيّة والاوصاف التفخيميّة التي يعنونون بها رسالاتهم

لودندورف القائد الالماني المظيم

بقلم خليل كريم ثابت

عُني بنشره وطبعه يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر (ص ٩١)

لودندورف رئيس هيئة اركان الحرب العامّة الالمانيّة اظهر في تلك الحرب من الحنكة ومعرفة الآداب العسكريّة ما لم يبلغهُ الّا القليلون من زملائهِ ولاسيّما هندنبورغ. وقد اتّسع كثيرون في ذكر هذا النابغة وسيرتهِ واعمالهِ وثباتهِ العجيب حتّى اضطرّ الى تقدمة استعفائهِ اذ رأى الامبراطور والشعب معوّلين على طلب الهدنة وهو يريد الحرب الى المنتهى . فاحبّ يوسف افندي توما البستاني ان يعرّف ابناء الشرق بذاك القائد الكبير مثال الجدّ والثبات ومحبّة الوطن فعهد الى احد ادباء مصر كريم افندي خليل ثابت بأن يحرّر ترجمتهُ مستندًا الى اوثق المؤرخين المصريين. فافاد واجاد

ل . ش

هدايا ارسلت الى الشرق

← ١ً فاتنة الامبراطور فرنسوا جوزيف ← رواية خلاعيّة كان الاولى بمؤلفها وناشرها ان يأتيا من فتح مثل هذه البواليع فتبعث روائحها السائمة فتفسد القرّاء والله اعلم ما فيها من الصحة

← ٢ً الحقّ يعلو بقلم يوسف سعد نصر ← طبع في سان باولو برازيل سنة ١٩٢٢ (ص ٦٢) . انّ في هذه الكرّاسة امورًا تشعر بخيبة كاتبها اكثر منها بحقيقة الواقع

← ٣ً تقدّم اليابان ← بقلم جرجي نقولا باز . خطاب قديم القاهُ جنابهُ في ايّام الحرب الروسيّة اليابانيّة فنشرهُ آخرًا في مطبعة القديس جاورجيوس وهو يتضمّن نظرًا اجماليًا في جغرافية اليابان وتاريخها ودياناتها وآدابها وترقّيها في سُلّم الحضارة الى ان صارت من جملة كبار الدول الحاليّة. وقد وصفت الجرائد مؤخرًا زيارة وليّ عهد ملك اليابان لقداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر

شذرات

الالقاب في الاسلام كتبت الجرائد بعد الحرب فصولًا ألفتت فيها نظر العموم الى إلغاء الالقاب الشريفيّة والاوصاف التفخيميّة التي يعنونون بها رسالاتهم

فتراهم ينعتون العامّة نفسهم بنعوت بعيدة عن مقام المكتوب اليهم . فاصبح كلّ واحد منهم « الاعزّ الاجل الاكرم الافخم العالي الشيم » الى القاب اخرى لا معنى لها فحرّضوا على نبذ تلك العادات الباطلة والعود الى السذاجة القديمة

وفي هذه النسبة يحسن بنا ان نذكر هنا فصلين قرأناهما في بعض التواريخ القديمة يقبح صاحباهما تلك العادة التمليقيّة ويستهجنان انتشارها بين الناس . فالفصل الاوّل قرأناهُ في تاريخ ابن تغري بردي المعنون بالنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الذي عُني بطبعهِ المستشرق وليم بوبر (Popper) (ص ١٤٤) قال بعد ذكرهِ تولية جلال الدولة سنة ٤١٦ه وخلعهِ على وزيرهِ قال: « ولقّبهُ عَلَم الدين سعد الدولة امين الشرف الملك (قلتُ) وهذا ثاني لقب سمعناهُ من اسم مضاف الى الدين . واوّل ما سمعناهُ من هذه الالقاب لقب بهاء الدولة بن بويه ركن الدين (قلنا) لعلّ ذلك كان تعظيماً في حقهِ لكونهِ سلطاناً فيكون هذا على هذا الحكم وهو اوّل لقب لُقّب بهِ في الاسلام والله اعلم . ومن يومئذٍ ظهرت الالقاب وتغالب فيها الاعاجم حتّى انهم لم يدعوا شيئاً الّا واضافوا الدين لهُ حتّى اشتهر ذلك وشاع وسُمّي بهِ كلّ احدٍ حتى الاسالة فانهم من يُسمّى « جلال الدين وسعد الدين وجمال الدين » فلا قوّة الّا بالله وحتّى المغاربة في حذقهم ممّن يلقّب بهذه الالقاب وانا والله احلف لو ملكتُ امري ما لُقّبت بجمال الدين وغيرهِ واكره من يسميني بذلك ولا اقدر على تغيير الاصطلاح وهذا لا يكون الّا من وليّ امر او حاكم بلدة »

امّا الفصل الثاني فاقدم واوسع كتبهُ هلال الصابي في تاريخ الوزراء الذي نشرهُ في مطبعتنا المرحوم اميدروس (H. F. Amedroz) فاثبت الكاتب هناك (ص ١٥٢ — ١٥٩) جدول الالقاب التي كان الوزير ابو الحسن بن الفرات قرّرها لمخاطبة الامراء واولاد الخلفاء والولاة والكبراء واصحاب الاطراف وعُمّال العُمّال وسائر الطبقات توقيعاً بهِ اليهم وقد قدّم على هذا الجدول كلاماً طويلاً نقتطف منهُ ما يأتي :

وقد تغيّرت الرسوم ورعت الامور ووقع التسمّح منهُ فيما كان من قبل يضايق فيهِ فاوردتهُ متعجّباً ومعجباً من التفاوت الشديد بين ما كان وما نحن عليهِ الآن . فامّا اليوم في العراق قد زاد وأسرف وتمادى وما وقف حتّى ان الملوك ومَن بعدهم من الوزراء قد أنفوا من ذكرهم « بسيّدنا » واستقلّوا خطابهم « بمولانا » فعدل الناس باولئك الى « الحضرة الشريفة والحضرة

العالية السامية . . . الى ما بعد ذلك من المغالاة والمبالغة وانتهت هذه الحال الى ان شاركهم فيها الاكابر من اصحاب الاطراف . . . واتّسع هذا الباب فدخل فيه كلّ من اراد من غير احتشام ولا ارتقاب . وقد خرجت في عصرنا الالقاب عمّا يُعاقَب به ويوصف او يأتي عليه حصرٌ وصار لقب الاصغر اعظم من لقب الاكبر . . . ومضى من يعرف الاصول ونشأ من لم يسمع الّا بهذه الفروع فخالها الصحيح وتمدّى الامر من حالٍ الى حال في الباطل والانتقال حتّى افضى هذا الى الاختلال والانحلال »

﴿ الحساب الغربيّ في روسية ﴾ كنّا اخبرنا سابقاً في المشرق انّ حكومة البولشفيك في روسيّة عدلت الى اتّخاذ الحساب الغربيّ في معاملاتها . فكان لهذا التغيير تأثيرٌ عظيم في انحاء روسيّة لكنّ الشعب لم يكترث كثيراً لهذا الامر بخلاف الاكليروس الذي يعدّهُ من امورهِ الجوهريّة التي يتشبّث بها بازاء الكنيسة الغربيّة ليمنع نفوذها . على انّ العقلاء منهم ارادوا ان يوافقوا الحكومة في ذلك ويطبّقوا الاعياد والمواسم على نظام الحكومة فيقدّموها ثلثة عشر يوماً فحدث بسبب ذلك خلافٌ في روسيّة اعلنت بهِ جريدة « الف باء » وروتهُ عنها جريدة البشير كمايلي :

« احدث ابداع الروزنامة السوفياتيّة انشقاقاً جديداً بين الاكليروس السلافي واحتاروا في اقامة حفلات الاعياد الكنائسيّة اذ لا يعلمون اذا كان يجب عليهم اقامتها حسب التاريخ الشرقي او التاريخ الغربي الذي اعتنقتهُ مؤخّراً حكومة السوفيات . والفرق بينهما كما لا يخفى ١٣ يوماً فهرعوا اذ ذاك الى استفتاء البطريرك تيخون فابى ان يقول كلمةً في الامر . لهذا عَدّ مؤخّرُ اساقفة فنلاندا اوامر العزم على اعتناق الحساب الغربي واطاعوا ذلك للشعب فوردت اذ ذاك رسالة من البطريرك تيخون يطلب منهم ابقاء على الحساب الشرقي فانقسم الاساقفة والكهنة الى قسمين يصرّ القسم الاوّل على اتباع الحساب الغربي والثاني على اتباع الحساب الشرقي . وهكذا وقع الاكليروس الروسي في فوضى ادارية عجيبة »

نحن نرى انّ هذا الحاجز الذي يمنع اتحاد « كنائس الله » لا بُدّ ان يزول قريباً كما نؤمّل ان ستسقط مثلهُ بقيّة الاوهام التي تحول دون تحقيق رغبة السيّد المسيح ان يكون راعٍ واحد لرعيّة واحدة

﴿ المكتشفات الحديثة وهي عربيّة قديمة ﴾ هذا عنوان محاضرة القاها الشيخ جوهري طنطاوي في نقابة المعلمين بمصر واثبتت قسماً منها مجلة المقتطف بعددها الاخير (اوغسطوس ٢٤٢—٢٤٧) . تقول ان العصبيّة العربيّة قد فتنت بقول بعض الشرقيين الذين ينقلون كلاماً لسيديو (Sédillot) ولمثاله ليثبتوا كثيراً من اختراعات العلماء

الاوربيين الى العرب وينقلوا كلامهم على علاته . فلو ارادوا ان يقتعونا بهذه المكتشفات وجب عليهم ان يأتونا بكلامهم وينقلوهُ عن تآليفهم ليعمل فيهِ العلماء نظر الانتقاد فانَّ ما قالهُ سيديو قد فنَّدهُ العلماء الاثبات وبيَّنوا فيهِ غلطهُ . وعلى كلّ حال ان كان علماء العرب قد سبقوا الى هذه الاختراعات فما لهم لم ينشروها في مدارسهم وبين تلامذتهم ليستفيد منها العالم . دخل بعض السيَّاح الافراد اميركة قبل كولمبس فاذا افاد دخولهم لو لم ينهج كولمبوس طريقاً للعالم الجديد . كذلك قال فيثاغورس وبعدهُ بنحو الفي سنة عضدُ الدين ثم الشريف الجرجاني بدوران الارض حول الشمس فلم يثبت لهم هذا الاكتشاف حتى أيدهُ غليليو بالبرهان

﴿ كوبرنيكوس وغليليو في زعم جوهري طنطاوي ﴾ في المقالة التي اشرنا اليها آنفاً (ص٢٤٤) زعم الشيخ جوهري طنطاوي «انَّ الاوربيين كادوا يقتلون كوبرنيكوس وغليليو الذي اتبعهُ لكفرهما في نظر العلماء كما هو معلوم » فردَّد كالببغاء ما طالما فنَّدهُ العلماء الاثبات . فامَّا قولهُ عن كوبرنيك فهو محضُ افتراء . وقد بيَّنا في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ١٧٩) انَّ كوبرنيك كان كاهناً كاثوليكيًّا وانهُ لمَّا علم على خلاف رأي بطلميوس وارسطو انَّ الارض تدور حول الشمس وليس بالعكس « وجد في الكنيسة الرومانيَّة اقوى انصاره » وكان سبقهُ اليهِ الكردينال نيقولا دي كوزا كما تدلُّ عليهِ بعض تآليفهِ . ثم دافع عن هذا المذهب العلَّامة الفلكي جان ڤدمنستاد « امام البابا اقليميس السابع والكرادلة حاشيته فسُرَّ الحبر الاعظم بخطابهِ واثنى عليهِ واجازه بنسخة ثمينة من مخطوطات مكتبته » امَّا كوبرنيك فان الكردينال شبرغ من الرهبانيَّة الدومنيكيَّة كان يحلُّهُ وينشطهُ وقد اقنعهُ بنشر كتابهِ المعنون « في حركات الافلاك العلويَّة » ففعل وقدَّم كتابهُ للبابا بولس الثالث فقدَّر البابا عملهُ وشملهُ بالطافهِ الى موتهِ . ولعلَّ الذي خُدع بهِ الشيخ طنطاوي ما كتبهُ زورًا كڤيليوس ڤان ديك في اصول الهيئة (ص١٧) وزيَّفناهُ في مقالتنا هناك (حاشية ص١٨٠) . . .

امَّا غليليو فافردنا لهُ فصلًا مطوَّلًا تحت عنوان صواب الرأي في دعوى غليلاي (ص١٧٨ — ١٨٥) واثبتنا هناك استنادًا الى اوراق دعوى هذا العالم في ديوان التفتيش انهُ لم يعترضهُ احد في دفاعهِ عن رأيهِ العلمي وانَّما حظروا عليهِ تفسير الكتاب المقدَّس وهو ليس من فرسان هذا الميدان واذ رأوهُ مصرًّا على التعرُّض

للاسفار المقدسة على خلاف ما كان وعد به فاضطرّ مجمع الكرادلة ان يحكم عليه لعناده ولا تنكر انهم شطّوا في حكمهم كما تشطّ المحاكم لكن غليلاي بعد رضوخه لحكمهم لم ينلهُ شيء من العقاب بسبب تعليمه لا بل لم يطلب منهُ المجمع المقدّس جحود رأيه وانما طلبوا منهُ ان يدافع عن قوله كعالم خصوصي دون ان يمس الكتب المنزلة . وقد فصّلنا في مقالتنا كلّ احوال غليلاي بعد حكم المجمع عليه وكيف أُفرج عنهُ بعد قليل بل عُومل بكل تجلّة واعزاز باقرار اصحاب غليليو نفسهم . فحتّى متى يردّد العموم هذه الاكاذيب التاريخيّة التي يعدّونها كأحد الاوّليات التي لا شبهة فيها؟

﴿ اقدم انسان في اميركا ﴾ افتتحت مجلّة المقتطف عددها الاخير بمقالة « اقدم انسان في اميركا » وزيّنتها بصورته المزعومة لتوهم القرّاء بصحّة مذهب التحوّل والنشوء الذي انتصرت له مرارًا . وفي مقالة حضرة الاب اسكندر طوران في العدد الحاضر والعدد السابق ما يدحض مزاعم القائلين بهذا المذهب ويُبطل اعظم حججهم باستنادهم الى الهياكل البشريّة القديمة والى الظرّان فليراجع

﴿ الصليبيّة والعالم الاسرائيلي ﴾ تنشّط الاسرائيليّون في بيروت لنفوذ الحركة الصهيونيّة في جوارهم فأنشأ « سليم الياهو منّ » جريدة اسبوعيّة تحت اسم « العالم الاسرائيلي » وجعلها لسان حال امّته . وذلك من حقوقه . على انّ صاحبها ظنّ انّ رواجها يزيد بتعرّضه الى النصرانيّة كمألوف عادة قومه فنشر فيها ما كان الاولى به السكوت عنهُ لئلا يفتح باباً واسعاً لإفحامه لا بالاكاذيب والسفاسف لكن بأدلّة اضرّ من الشمس . تحامل على الصليبيين وزعم « انّ الاسرائيليين ذهبوا ضحايا تلك الحملة » ونسي انّ ثروة اليهود في اوربّة كانت خصوصاً في عهد الصليبيين اذ كانوا يشترون املاكهم بابخس الاثمان ويعيرونهم النقود بالربا الفاحش فحزّكوا بظلمهم غضب العالم المتمدّن وثارت عليهم ثورات المظلومين ولولا رحمة الاحبار الرومانيين وحنوّ ابائهم الكنيسة لاتّسع الخرق وتفاقم الشرّ . وما قولنا بدسائسهم وضحايا بغضهم سرًّا وعلانيةً وكتب التاريخ وتقارير المحاكم مشحونة بتفصيلها . وما هو ذا « تلمودهم » يُنزل المسيحيين بنصوص عديدة منزلة البهائم ويجيز اختلاس اموالهم وقتلهم . ولو لم يكن للشاهد على ذلك غير الحركة البولشفيّة في روسيّة لكفى بها

حجّة قاطعة على فظائعهم وكلّ يعلم انّ هذه الحركة هي في معظمها حركة يهوديّة غاية ما تسعى به قتل الدين المسيحي في قلوب البشر . اسمع ما كتبتهُ احدى السيّدات الفرنسويّات اميلي ڤرنو (Emilie Verneaux) في العدد الاخير من مجلّة العالمين (Revue des Deux-Mondes, 1er Août 1922, p.676) بعد خروجها من روسيّة حيث كانت تعلّم الفرنسويّة في مدارس بتروغراد «Les chefs du mouvement bolchéviste sont presque tous juifs ; aussi la haine religieuse se mêle à toutes leurs actions ; Ils se sont attqués à la religion chrétienne, afin de pouvoir plus aisément façonner la jeunesse à leur gré ... Il en résulte que, parmi cette jeunesse bolchéviste tout sentiment honnête a disparu» . هذه احدى ثمرات العالم الاسرائيلي . ومع قتلهم للنفوس كم قتلوا من الاجساد . لسنا بمبالغين لو قلنا ان اصحاب الحركة البولشفيّة اليهود ضحّوا من البشر في هذه السنين الخمس الاخيرة اكثر ممّا ضحّاهُ النصارى المظلومون من اليهود مدّة الف وتسعمائة سنة . فليخز « العالم الاسرائيلي » ويوفّر بسكوتهِ على نفسهِ وقومهِ ما يستحقّونهُ من الانتقاد

﴿خمول الماسونيّة المصريّة﴾ كنّا اثبتنا في الكرّاس الخامس من كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» حالة الماسونيّة المصريّة التي كان ابناء الارملة عهدوا بتدبيرها الى « الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري ادريس بك راغب » وكان الكتبة الناصرون للماسونيّة يذمّرون ويضجّون من الشيعة وازدهارها فما لبث اولئك الاخوة ان انقسموا وتشاتموا حتى بلغ صخبهم آذان الجمهور واقاموا الدعوى على رئيسهم وقد وصفنا سابقاً الكتاب الاسود الذي اصدروهُ في حقّهِ (راجع المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٥٠٣) . وكنّا ظننّا انّ الحرب العموميّة ابطلت هذه الحرب الداخليّة واذا بعدد جريدة المقطّم الصادر في ٣٠ تموز وكاتبهُ من اهل البيت يفيدنا انهُ شاع الخبر بترشيح احد امراء العائلة الملكيّة لرئاسة المحافل الماسونيّة بدلاً من ادريس بك لكنّ الخبر لا صحّة لهُ فخاب امل الذين كانوا ينتظرون من رئيس جديد ؟ جهداً جديداً من الاصلاح والرقي والاعمال النافعة للانسانيّة فحسبها (اي الماسونيّة) نوماً عميقاً وجموداً طويلاً لا همّ لابنائها سوى التمتّع والاتّكال» (كذا)

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الموارنة في البلد من هو القديس زخيا وفي اي يوم واقع عيدهُ؟

القديس زخيا وعيدهُ

ج ذكرنا في كتابنا « ابطال الايمان في اولياء الله في لبنان » (ص ٣٥) آراء الناس في القديس زخيا فظنَّ البعض انهُ زكّى المذكور في الانجيل ورأى غيرهم انهُ تعريب اسم البابا اينوقنت (S. Innocent) وقد رجّحنا ان هذا الاسم سرياني ܐܝܢܘܩܢܛ اي منصور وانهُ بالسريانيَّة ترجمة اسم نيقولا اليوناني القديس الشهير الذي عيدهُ عند اليونان في ٦ كانون الاوَّل. واما الموارنة فيعيّدونهُ في ٣١ آب

س وسأل من حلب حضرة الاب جبرائيل رباط ان نفيدهُ شيئاً عن التآليف التي تتضمَّن بعض المعلومات عن دير الزور ومنجقها

دير الزور ومنجقها

ج في السنة العاشرة من المشرق (١٩٠٧ : ٣٨–٤٥) مقالة حسنة لعبد الكريم افندي نوري في تاريخ دير الزور ووصف اجوالها. وفيه ايضاً (ص ٤٨٨–٤٩٢) بحثان عن اسمها القديم والحديث. ولمتصرفيَّة دير الزور في التركيَّة سالنامة خصوصيَّة طُبعت في الاستانة. ومن كتبوا عنها في الفرنسويَّة كوينه في كتابهِ تركيَّة آسية (Cuinet: *Turquie d'Asie, II*, 275-285) وفون اوبنهيم في كتابهِ الالماني «من البحر المتوسط الى بحر العجم» (Von Mittelmeer zum Persischen Golf, I, 329 et suiv.)

ل. ش

س وسأل مستفيد متى عاش بوذا منشئ الشيعة البوذيَّة في الهند؟

بوذا منشئ الشيعة الهنديَّة

ج قصَّة بوذا من اساطير الهنود ورواياتهم المختلقة التي لا يمكن الوثوق بها. وقد اختلف العلماء في زمانهِ كما اختلفوا في كافَّة اعمالهِ. والمرجَّح انهُ عاش في القرن الخامس او السادس قبل المسيح

ل. ش

المشرق

رحلة حربية

الى الشيخ عادي والربان هرمزد

بقلم حضرة القس سليمان صائغ الكلداني الموصلي

في شمالي شرقي الموصل عدة جبال متتالية يفصلها عن بعضها وديان او انهار صغيرة يدعوها كتبة الكلدان جبال قردو ويسميها العرب جبال الهكارية وهي سلسلة جبال تمتد الى وان. وفي مشارف هذه الجبال وسفوحها آثار اديار وقرى عديدة كان يستوطنها قديماً الكلدان النساطرة ورهبانهم. وهي اليوم اراض بائرة واخربة مهيبة ينطق لسان حالها عن انتشار الدين المسيحي وعظمته في الاعصر الخالية. أما القسم المعمور منها فيسكنه حاضراً الاكراد واليزيديون وبعض المسيحيين المتفرقين بين قرى الاكراد وهم يرزحون تحت ثقل العبودية فيتصرف بهم اغاوات الاكراد تصرف المالك بملكه والسيد بعبده

ومن فروع جبال قردو جبل يُدعى بيت عذرا او باعسدرا يبدأ من سهل رهكان قرية صغيرة شمالي الموصل فيمتد من الغرب الى الشرق فيشرف على القوش قرية تاحوم النبي المبنية في لحفه ثم يسير تاركاً في جنوبه قرية بيت عذرا على مسافة ثلاث ساعات تقريباً ويتصل بجبل العقر لا يفصله عنه سوى نهر الخازر. ففي هذا الجبل اثران نفيسان تحرينا وصفهما في الاسطر التالية اعني الشيخ عادي ودير ربان هرمزد

وبيت عذرا هذه التي بها دعي الجبل المذكور قرية شهيرة في تاريخ الكلدان واقعة على مسافة نحو عشر ساعات شمالي شرقي الموصل وكانت سابقاً من اكبر قرى

لسقفيَّة بيت نوهدرا من مطرنيَّة حَدْياب (الموصل) . احتلَّها في القرن الخامس الجاثليق آقاق وشخص اليها برصوما اسقف نصيبين ليقدّم خضوعهُ لجاثليقهِ . وهذه القرية هي اليوم مركز الامارة اليزيديَّة واليزيديُّون يطلقون عليها وعلى ما يجاورها من القرى اسم الشيخان وموقعها في ارض فسيحة يكتنفها تلال كثيرة متَّصلة بجبل صغير يمتدُّ مسافة اربع ساعات وينتهي شرقيَّ عين سفني قرية مشايخ اليزيديَّة . ويسيح حول بيت عذرا نهر صغير يروي اراضيها ويشرف عليها قصرُ الامارة المبني فوق تلّ كبير شماليَّ القرية وهو قصر فخم واسع الارجاء تلتمق بهِ جنينة غنَّاء حافلة بانواع الاشجار والاثمار الجنيَّة

وفي شمالي القصر طريق وعرة كثيرة الصخور ذات حزون وبطون اذا اقتصَّ السائح آثارها تنتهي به الى لحف جبل بيت عذرا فيرتقي متوقّلًا الى اعاليهِ حتى اذا كاد ان يبلغ قمّتهُ يرى وادياً عميقاً في قعرهِ ابنيةُ الشيخ عادي . فينزل اليهِ منحدرًا بين اشجار مخضلَّة مشتبكة الاغصان الدانية الى الارض فيصل الى اعماق الوادي بعد ربع الساعة فيشاهد هناك منظرًا يأخذ بالابصار فيرى مباني الشيخ عادي في موقع جميل تشغل منفسح ذلك الوادي . وفي اطرافهِ من جوانب الجبل غرفٌ وحُجَر يأوي اليها حجَّاج اليزيديَّة عند قدومهم الى هذا المقام . ويرى الداخل اليه عند الباب صخرةً عظيمة ناتئة من الجبل يتدفَّق من جرفها ماء زُلال يسيل الى ثلثة احواض واسعة يفيض منها في اقنية ومسارب فيتشعَّب الى جميع دور هذا البناء الفخم وهي عشرة ونيّف (انظر صور ابنيتهِ ومدخلهِ)

١ الشيخ عادي وآثارهُ

زرتُ هذا الاثر في مساء يوم من أيام القيظ الشديد وبلغتُ اليهِ عند مغيب الشمس اذ كان الفقير — وهو عندهم احد خدَمة دينهم — يعطِّر الدور بالبخور ويوقد المصابيح في الكهوف اكراماً للملك طاوس الذي هو عندهم ملك الظلمة اعني ابليس خزاهُ الله يعبدونهُ رجاء ان ينجوا من شرورهِ . فألفيت هذا المحل طيّب الهواء معتدل الحرّ مع وفرة مياههِ والتفاف اشجارهِ المتلبّدة وموقعهِ في وَهْدةٍ من الجبل

واوَّل ما يتبادر لذهن الناظر الى ذاك البناء انَّهُ لا يَصلح الَّا لقومٍ من النسَّاك الذين يفرُّون من ضوضاء العالم فيحكم عند نظره انهُ دير قديم لسكنى الرهبان

فتلك الكهوف العديدة والقلالي المنقورة في الصخر حول الجبل وحول المعبد المشيد في وسط البنيان تمثل غيره من الاديرة التي اقامها النصارى في الجبال المجاورة المنزلة عن الاماكن المأهولة . وكذلك المعبد فانَّ بناءهُ وهندامهُ على نسق كنائس النصارى في الاعصر الخالية . زد عليه ما يُرى على جدرانه في الداخل من الخطوط الكلدانيَّة بالقلم الاسطرنجلي وقد طُليت عمدًا او جهلًا فمع توالي السنين قد انقشع قسمٌ من هذا الطلاء وبرزت من تحته بعض الحروف . وقد رأينا كتابات اخرى بالقلم العربي ورسوماً على جدرانه من الخارج وعلى بعض الجنادل ويظهر انها حديثة . قال الاب مرتان (Abbé P. Martin: *La Chaldée*. p. 38) « ان معبد الشيخ عادي كان قديماً ديرًا آهلًا على اسم مار ادّي رسول الكلدان واحد الاثنين والسبعين تلميذًا »

ومما ثبت عندنا استنادًا الى بعض منظومات يشوعياب مطران اربيل المعروف بابن القدّم ان موسّسي هذا الدير راهبان من رفقاء ربّان هرمز الفارسيّ في القرن السابع للمسيح . وكان ربّان هرمزد المذكور ترهّب في دير برعدتا (ܒܪܥܕܬܐ) شرقي كرمليس على مسافة ساعة ونصف منها تقريباً وبعض ابنيته باقية الى يومنا . ثمّ خرج وبرفقته ستّة آخرون وهم ابراهيم ويوصاداق وشمعون وادّونا ويشوعبران ويوحنا فشخصوا الى جبل بيت عذرا فوجدوا هذا الموقع العجيب البعيد عن العمران وبقربه عين ماء جارية فمكثوا هناك بضعة ايام ثمّ افترقوا فسار ربّان هرمزد الى القوش حيث اقام ديرهُ المعروف باسمه الى اليوم . وذهب يوصاداق وشمعون وادّونا الى شمالي بيت عذرا فشادوا ديرًا في حيز تردو شمالي زاخو ترى الى يومنا آثار كنيسته مع بعض قلاليه المنقورة في الصخر . وتخلف عنهم يشوعبران ويوحنا فثبتا في مكانهما وشيّدا ديرًا فخم البناء وانضوى اليهما عدد عديد من الرهبان وكان المرضى من القرى المجاورة يقصدون هذا الدير فينالون الشفاء من عاهاتهم . ويستند الناظم في ذكر هذه المعجزات الى كتاب اخذتهُ يد الضياع يدعوهُ بكتاب الاخبار واستمرّ هذا الدير عامرًا آهلًا بالرهبان حتى ظهر الشيخ عادي في اواسط القرن الثاني عشر فطرد رهبانهُ واغتصبهُ منهم . وهذا نص عبارته بحرفها :

ܟܬܒܐ ܕܐܚܒܪܘܬܐ ܕܥܕܝ : ܕܒܗܘ ܡܢܗ ܡܕܡܟܢܝܢ
ܥܕܝ ܟܠܗ ܕܝܪܐ ܕܡܪܝܡ : ܡܢ ܩܕܡܝܐ ܕܪܘܚ ܕܡܫܝܚ

ܘܒܝܬ ܡܪܝܐ ܕܗܢܐ ܕܝܪܐ ܥܡܢ ܝܘܡܐ ܗܢܐ ܕܐܬܐ ܫܝܟ ܥܕܝ
ܘܐܬܚܝܠܘ ܒܗ ܣܓܝܐܐ ܡܢ ܐܪܡܝܐ ܘܡܢ ܫܘܪܝܐ ܘܫܠܛܘ ܥܠ ܢܟܣܝܢ
ܘܐܦܩܘ ܠܢ ܡܪܝܐ ܕܗܢܐ ܕܝܪܐ ܥܡ ܫܝܟ ܥܕܝ ܠܥܠܡ ܗܢܐ ܕܝܘܡܐ

ما معناه : « ولبث هذا الدير بيدنا حتى كان اليوم الذي اقبل فيه الشيخ عادي وقد تبعهُ كثيرون من الاشياع والموالين وخضعوا لهُ فابتزَّ اموالنا واغتصب ديرنا وما زال هذا الدير يُعرف باسم الشيخ عادي في كل مكان الى هذا اليوم »

ومن هذا يستفاد انَّ الشاعر كان عائشاً بعد زمن قليل من هذه الحادثة اي في حوالي القرن الثالث عشر

أمّا من هو هذا الشيخ عادي او عديّ فقد بحث في جنسهِ واصلهِ حضرة الاب انستاس الكرملي في مقالتهِ عن اليزيدية (اطلب المشرق ٣ [١٨٩٩]: ٣٣-٣٦ الخ). ولابن خلكان عن الشيخ عدي كلام يوافق لما نقلناه عن ابن القدّم حيث يقول (في وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٩٧) :

«سار ذكر الشيخ عدي (او عادي) في الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحدّ حتى جعلوه قُبلتهم التي يصلُّون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها. وكان قد صحب جماعة كثيرة من اعيان المشايخ الصلحاء المشاهير مثل عقيل المنجي وحماد الدباس وابي النجيب عبد القادر السهروردي وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل المكاريّة من اعمال الموصل وابتنى هناك زاوية ومال اليهِ اهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لارباب الزوايا مثله وقيل انَّ مولدهُ في قرية بنال لها بيت فار من اعمال بعلبك وتوفي الشيخ عدي سنة ٥٥٥ (هجرية اي ١١٦٠ ميلادية) ودفن بزاويته وقبره عند اشياعه من الزيارات المعدودة والمشاهد المقصودة»

فترى ان ابن خلكان يؤيد ما اورده ابن القدّم عن احوال الشيخ عادي كاجتماع الناس عليه وتجاوز اعتقادهم به الحدّ اذ ان اليزيديين يعتبرون الشيخ عادي الاهاً يسجدون له ثم ذكر ابن خلكان شخوصه الى جبل بيت عذرا ويسميهِ جبل المكاريّة لاتصال جبل بيت عذرا بجبل المكاريّة (١ ثم اتخاذه زاوية فيه وهي دير يشوعتبزان ويوحنا حيث اجتمع عليه الاشياع العديدون وفي تلك الزاوية توفي سنة

١) البلاد المكارية او المكاريّة هي قطعة من كردستان تتصل بحدود العجم وكانت قديماً تخضع لامراء الموصل وملوكها . ولما آل امرها الى الحكومة العثمانية جعلتها ولاية مستقلة من غيرها ثمَّ ألحقوها بولاية وان . ويحدُّها شرقاً بلاد العجم وشمالاً وان وغرباً سعرد وماردين وجنوباً الموصل المتصلة بجبالها

١١٦٠ ميلادية ويُقال ان قبره موجود في المعبد المعروف باسمه اي الشيخ عادي وهو الدير المذكور الا ان اليزيديين لا يكشفونهُ لغيرهم وهو قبلتهم في صلواتهم واليه يحجُّون من البلاد القاصية

وبعد موت الشيخ عادي اقام حفدَتهُ شعارَهُ واقتفوا آثاره وما زال الناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من الاعتقاد والتعظيم المفرط حتى قُضي عليهم . وقد ذكر ابو الفرج ان شرف الدين محمد سبط الشيخ عادي الكردي من بلاد الموصل قتلهُ مع اصحابه انكورك نوين التتري سنة ١٢٥٧ ميلادية (مختصر الدول لابن العبري ص ٤٦٦)

٢ دير ربّان هرمزد

دعنا الآن ايها القارئ اللبيب نبرح هذا المحلّ الذي اضحى اليوم معبدًا لارواح الظلمة ونسير غرباً بمحاذاة جبل بيت عذرا ونقطع مسافة خمس ساعات تقريباً . فقبل ان نصل الى قرية القوش نرى في صدر الجبل بناء شبيهاً بشرفةٍ يطلّ على وادٍ تخمد عند صخورهِ جلبة العالم فذاك دير ربّان هرمزد الفارسيّ . قال الاب مرتان في كتابهِ عن الكلدان يصفهُ بما تعريبهُ : « انَّ موقع دير ربّان هرمزد لمن اجمل مواقع الطبيعة بل هو احد الآثار النفيسة الفريدة اذ لا تجد لهُ نظيرًا لا شرقاً ولا غرباً وقد يضارعهُ موقعاً دير القديس سابا الواقع قريباً من اورشليم »

ويتألف الدير المذكور اولًا من كنيسة مبنيّة فوق صخرة عظيمة ناتئة من الجبل تُشرف على الوادي فيراها الناس من فرجتهِ كأنها موطن الراحة ومربع الأمن تدعوهم اليها ليذوقوا فيها عذوبة السلام . ثمَّ بقربها اربع غُرَف وقلالي عديدة يتجاوز عددها الستين وكلها منقورة في الصخر ومعلّقة في ذلك الجبل الشاهق تلوح كأنها اوكار لانواع الاطيار التي تطرب الاسماع بتغريدها في تلك الآكام والوديان . وبين تلك الغرف والقلالي مراقٍ عجيبة تصلها ببعضها ثم تنفذ الى الكنيسة حيث كان الرهبان يجتمعون لتأدية الفرائض الدينيّة . واعجبُ ما يُرى هناك مائدة الرهبان وهي حجرة واسعة فسيحة مربّعة الشكل تبلغ مساحتها نحو خمسين متراً مربّعاً منقورة في صخرة واحدة في وسطها ثلاثة عواميد عظيمة ضخمة من الصخرة عينها .

ومنها ايضاً المقاعد والرفوف والكُوى . وفي هذا الجبل عدّة صهاريج منقورة ايضاً في الصخر بصناعة محكمة تجتمع فيها مياه الشتاء . على انَّ هـذا الاثر الفريد قد اصبح لطول العهد هدفاً للخراب ما لم يُسرع بعض المحسنين فيمدُّوا الى اهله يد المساعدة ليتلافوا امرهُ ويرمّموا خرابهُ

نُسب هذا الدير الى مؤسسه ربّان هرمزد الفارسي الاصل الكلداني النسطوري النحلة . وقد بلغتنا اخبارهُ واخبار ديره على يد كتبة مختلفين أقدمهم على ما يُقال شمعون الراهب احد تلاميذ يوصاداق الذي كان معاصراً لهُ . وقد نظم سيرة ربّان هرمز كاتب اسمهُ سرجيس احد رهبان هذا الدير في حوالي القرن السابع عشر على نمط موشح ادوارهُ على عدد حروف الهجا . فيبتدئ كلّ دور باحد الحروف . والسيرتان قد نشرهما المستشرق الانكليزي وِلِس بودج (E. A. Wallis Budge) منهما نسخة في دير السيّدة للرهبان الكلدان قرب القوش وصفهما ضعيفُ اللهجة التركيّة السيّد اوّي شير في المجلّة الاسيويّة (J. As . 1906³,p. 63-64) . وممّن ذكروا ربّان هرمزد واطرأوا اعمالهُ يشوعدناح احد كتبة القرن الثاني عشر في كتابهِ العفّة .B - J.) Chabot : Le Livre de la Chasteté. p. 48 n° 88) ويشوعياب ابن المقدّم السابق ذكرهُ وعمنويل الباجرمي (الكنز الثمين للقرداحي ص ١٤٢—١٤٤) وآدم العقراوي (فيه ص ١٠١—١٠٤)

فكل هؤلاء اطلقوا العنان لبراعهم ليشيدوا بذكر ربّان هرمزد ويطرنوا اعمالهُ نظماً ونثراً ما يدلُّ على عظم موقعهِ في نفوسهم . على انَّ في تاريخهم اقوالاً متضاربة وروايات ضعيفة يردُّها الانتقاد الصحيح نسبها اليهِ اهلُ ملّته دون تروٍّ فنروي منها هنا ما نراهُ اقرب الى الصواب

خلاصة سيرة ربان هرمزد

ولد هذا الرجل البار في مدينة شيراز في القسم الثاني من القرن السادس من عائلة مسيحيّة عريقة في الشرف واليسار شهيرة بالاحسان الى الفقراء ثمَّ انكبَّ في وطنهِ على درس العلوم . ولمّا بلغ العشرين من عمرهِ هجر بيت ابيهِ واقبل الى بقعة آثور المشتهرة يومئذٍ بازدهار دينها وانتظام اديرتها العديدة . . وفكّر اوّلاً في السفر الى

اورشليم لزيارة الامكنة المقدسة . الّا انهُ لقي في طريقهِ اذ كان في مدينة الموصل ثلثة رهبان من دير عدتا الشهير اشاروا اليهِ بالترهب في ديرهم فرضخ الى مشورتهم ورافقهم الى دير عدتا . فقبلهُ رئيسهُ ربّان سبريشوع وبعد الامتحانات المألوفة البسهُ الاسكيم الرهباني وضمّهُ الى مرؤوسيهِ وكان عدد الرهبان لا يقل عن ٢٦٤ راهباً

اخذ هرمزد يثابر بكل نشاط على سائر الاعمال التقويّة والفضائل المسيحية حتّى برّز في القداسة على كلّ اقرانهِ ونال بين اخوتهِ التبجيل المعلّى في السيرة الرهبانيّة . وقد روى لهُ مؤرخو حياتهِ عدّة معجزات جرت على يدهِ من طرد شياطين وشفاء مرضى وآيات اخرى يرويها اهل القرى المجاورة لديرهِ الى يومنا هذا

وبعد ٣٢ سنة قضاها في العيشة النسكيّة . عاش منفرداً في محبسةٍ قريبة من دير عدتا بمشورة سلوانس اسقف كردو ومارس كل التقشّفات من صوم وصلاة وسهر ممّا يُروى عن كبار المتنسكين فشاع ذكرهُ في كلّ تلك الانحاء وتضاعفت كراماتهُ

وبعد سبع سنوات صرفها في محبستهِ اوحى اليهِ الله ان يذهب الى دير آخر يُعرف بدير الرئيس قريباً من قرية «تناء» في قضاء العماديّة . وصحبهُ الى الدير المذكور ستة رهبان سبق لنا ذكرهم فاقاموا معهُ في دير الرئيس ستّ سنوات بممارسة الآداب الرهبانيّة وبعد ذلك دعاهُ الله الى ان يبارحهُ ويتّجه الى جبل بيت عذرا فأوى هناك مدّةً في مغارة تُرى الى اليوم فما لبث ان انتشر عرف فضلهِ فقصدهُ الناس ليتبرّكوا بهِ ويطلبوا منهُ شفاء عاهاتهم فلبّى دعاءهم . وبلغ خبرهُ امير الموصل المسلم وكان ابنهُ مريضاً فأبرأهُ وقيل انهُ مات فأحياهُ فأتت من جرّاء ذلك الحسنات لربّان هرمزد واقطعهُ الامير ارضاً باشر فيها بتشييد ديرهِ الى أن انجز عملهُ وذلك نحو السنة ٦٤٠ للميلاد

وقد جرت لهُ في اثناء ذلك مناصبات جمّة من قبل اليعاقبة الساكنين في تلك الانحاء فاضمروا لهُ الشرّ وحاولوا قتلهُ لكنّهُ انتصر منهم وسكن آمناً في ديرهِ فاقبل اليهِ الرهبان ليقتدوا بآثارهِ حتّى اناف عددهم على المئة . وعاش هرمزد في هذا الدير الجديد ٢٢ سنة فمات في شيخوخة صالحة وبلغ من العمر ٨٥ عاماً

دير ربان هرمز بعد عهده

بقي دير ربّان هرمزد عدّة قرون عامراً مزهراً مركزاً للسيرة الفضلى حافلاً بالرهبان

ومشاهير الرجال نبغ منهم علماء عاملون اشتهروا بفضلهم وتاليفهم وردَ في كتاب يوحنّا برخلدون احد رهبان هذا الدير في القرن العاشر ذكرُ نحو ثلثمائة منهم (١ . وممن احرز لهُ بينهم اسماً طيباً لاسيّما بسعيهِ لتجديد رابطة الولاء بين طائفة الكلدان والكرسيّ الرسولي يوحنا سولاقا احد رهبان دير مار هرمزد في اواسط القرن السادس عشر . وقع عليهِ الاختيار لتدبير البطريركيّة البابليّة بعد وفاة شمعون الخامس سنة ١٥٥١ فسار الى رومية حيث قدّم الطاعة للكرسي الرسولي واقتبل السيامة من البابا يوليوس الثالث فكان ذلك السببَ لقتلهِ اذ كادهُ النساطرة في ديار بكر عند عودتهِ فمات شهيد الايمان الكاثوليكي

وقد تقلّبت احوال هذا الدير بآفات الزمان وحيف السلطان لاسيّما في عهد تيمور لنك ثمَّ في زمن الدول التركمانيّة اذ أُصيبت اقطار الموصل بضربة معضلة فكانت الاديرة اوّل ما يحتلّهُ الاعداء وينهبونهُ ويضربون رهبانهُ . لكنَّ رهبان دير ربّان هرمزد بعد هدوء الامور كانوا يسرعون فيعودون الى عيشتهم الصالحة . لنا على ذلك بعض الشواهد في مخطوطات الدير فانَّ ربّان ايشوع احد كهنتهِ استنسخ كتاب الايثيقون سنة ١٧٢٢ برسم اخوتهِ . ومنهُ يستدلُّ على انَّ الدير المذكور في ذلك العهد لم يزل مأوًى للنسّاك والزهّاد

وعندنا انَّ خرابهُ تمَّ بعد ذلك بقليل في عهد طهماسب كولي خان ملك العجم المعروف بنادرشاه اذ اغار بخيلهِ ورجلهِ دفعتين اي السنة ١٧٣٢ والسنة ١٧٤٣ على الموصل وبلادها الى جزيرة بني عُمر فقتل النصارى وسبى النساء والصبيان ودمّر المدن والقرى وحوّل بقعة اثور العامرة الى اراضٍ قفرة يتعق البوم فوق اطلالها . ووضع يدهُ على الاديرة واخذ رهبانها بحدّ السيف ونهبها واخربها . من ذلك دير مار اوراهام المادي (٢ ولا يبعد عنهُ دير ربّان هرمزد فاصابهُ ما اصاب دير مار اوراهام وظلَّ هذا الدير خراباً نحو ٦٥ سنة

١) اطلب كتابهُ المنشور في مجلّة المشرق المسيحيّ J. B. Chabot: Vie du moine Rabban Bousnaya, *ROC.* 1897-1898

٢) هذا الدير واقع قريباً من قرية بطنايا وبقي مهجوراً خراباً الى ان عاد غبطة السيّد الجليل مار يوسف عمّانويل توما بطريرك الكلدان الكلّي الطوبى فجدّد ابنيتهُ وتكلّف عليهِ النفقات الباهظة ليجعلهُ مركزاً للكهنة لكافة القرى المجاورة ثمَّ مدرسة داخلية راقية للعلوم والصنائع مع مطبعة لخدمة ملّتهِ

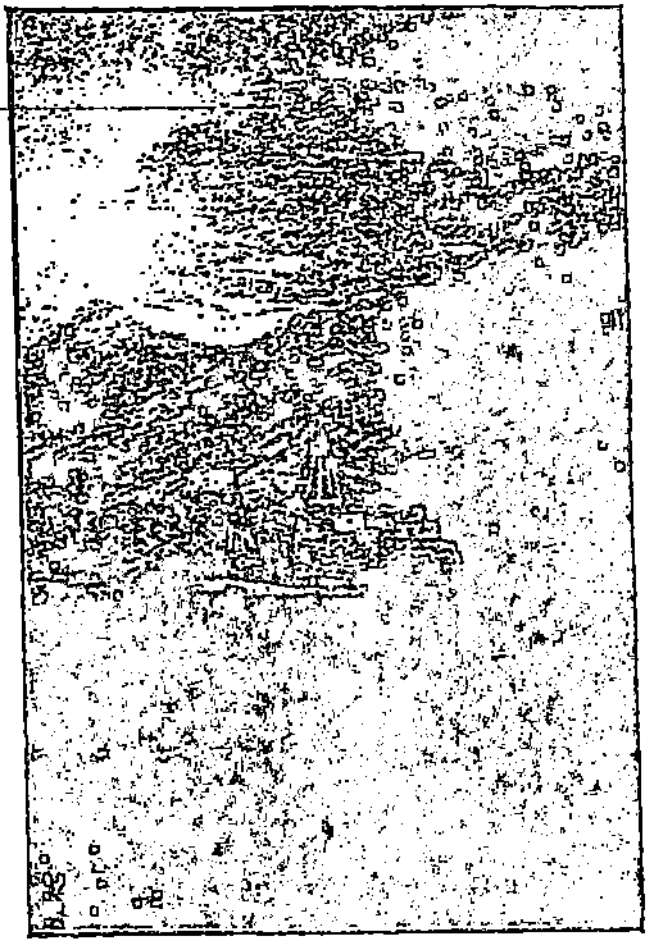

وادي الشيخ عادي ومنظر ابنيته

(عن صورة للرحالة ليأر)

مدخل معبد الشيخ عادي (عن صورة للرحّالة بودج)

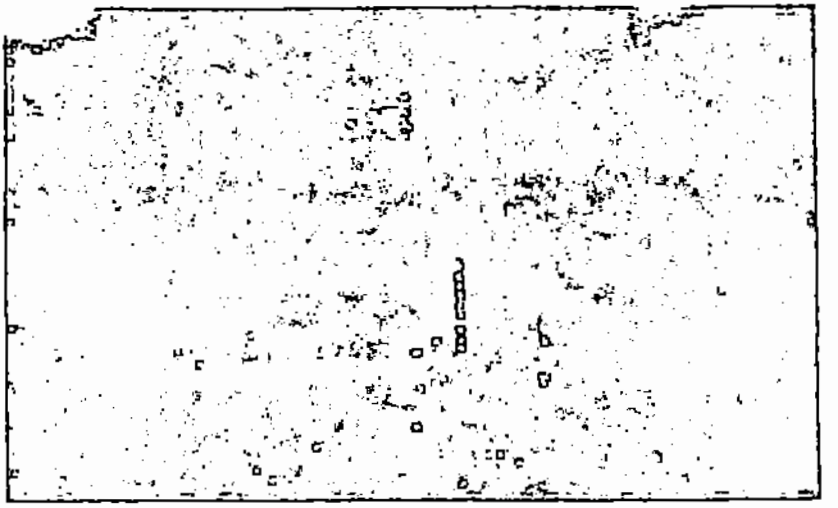

معبد الشيخ عادي في داخلهِ (عن صورة للرحّالة بودج)

تجديد دير ربان هرمزد

كان تجديد دير ربّان هرمزد في اوائل القرن الماضي سنة ١٨٠٨ على يد رجل كلداني كاثوليكي من تجار ماردين واشرافها اسمهُ جبرائيل دنبو فهذا اذ كان يزاول في حلب امور التجارة اجتمع فيها برهبان الدير فشعر بدعوة من الله الى ان يقتفي بآثارهم فطلب الترهب بينهم الّا ان احدهم اشار اليه بان ينهض في وطنه العيشة الرهبانيّة ويدعو اليها اهل جلدته . فكانت تلك المشورة له كصوت الله لكنهُ لم يدرِ كيف يتمّمها . ثمّ واصل اشغالهُ التجاريّة الى أن ادّت به الى البصرة وهناك اصيب بمرض عضال كاد يودي بحياته فنذر نفسهُ لخدمته تعالى وآل على ذاته ان شفي لمزيتهِ رهبنةً لخلاص النفوس . فخفّت عنهُ وطأة المرض وعوفي تماماً بعد ايام قليلة فودّع العالم وحطامهُ وشخص الى لبنان حيث قضى بضع سنوات في دير القديس انطونيوس قزحيًا حتى اتقن قوانين الرهبنة ثمّ عاد الى الموصل ليخرج فكرهُ الى حيّز الوجود تحت راية القديس انطونيوس وقانونهِ الذي ثبّتهُ الكرسيّ الرسولي بعد ذلك لرهبان دير ربّان هرمزد سنة ١٨٤٤

فلمّا وافى جبرائيل دنبو الى الموصل انضمّ اليهِ بعض الاتقياء ليجروا على مثالهِ . ثم حظي بملاقاة مار يوحنّا هرمز مطران الموصل وطلب منهُ ان يعطيهم دير ربّان هرمزد ليجدّدوا فيهِ الحياة الرهبانيّة وعضدهم في طلبهم الابوان الدومنيكيان رافائيل ويوسف الّا ان السيد المطران تمنّع من ذلك لئلّا يخرج الدير من ملك العائلة الابويّة التي منها وحدها كان يقوم البطاركة والمطارين وكان صحبهم قد ضبطوا املاك الدير واستخفّوا لنفسهم ريعها

فالتجأ جبرائيل اذ ذاك مع رفقتهِ الى حنانيشوع مطران العمادية الذي كان دير ربّان هرمزد واقعاً في ابرشيّتهِ وهو ايضاً من العائلة الابويّة فاعطاهم مفاتيح الدير . فملأ الفرح قلوبهم وشكروهُ تعالى على هذه النعمة

ولمّا كان يوم الثمانين سنة ١٨٠٨ خرج دير ربّان هرمزد من سباتهِ العميق وتجدّدت فيهِ حياة رهبانهِ الاقدمين بشخص الفاضل جبرائيل دنبو ورفقتهِ واخذ الطلبة يتواردون اليهِ من القرى المجاورة ليتضووا الى نسّاكه . وكانت حياتهم

الصالحة تحببهم الى قلوب الجميع وهم يعيشون في الفقر والشظف من حسنات المؤمنين لا يكترثون لامور العالم الّا لخلاص القريب بامثالهم وارشاداتهم . فقضوا هناك ثلث سنين بممارسة كلّ الفضائل المسيحيّة . وكانوا في ايام الآحاد والاعياد ينزلون الى ألقوش لحضور الرُّتب الكنائسيّة . وكان جبرائيل رئيسهم لم يزل شمّاساً فاضطرّوهُ الى ان يقبل الكهنوت ويصير مرشدهم فسامهُ المطران سمعان كاهناً سنة ١٨١١ فما لبث ان غا عدد رهبانه حتى تجاوز الخمسين بينهم الكهنة والاخوة الشمامسة

غير انّ الاعمال الخيريّة التي تنشأ بدافع ربّاني كثيراً ما تعارضها الصعوبات وتعتورها العقبات ليُظهر الله قوّتهُ بظفرها على كلّ اعدائها ويزيد اصحابهُ ثقةً به تعالى . وهكذا جرى لهذا المشروع الجليل فان بعضاً من ذوي الاغراض والمطامع ادركوا ان املاك الدير واوقافهُ اوشكت ان تخرج من ايديهم لازدياد عدد الرهبان وميل عامّة الشعب اليهم واخذهِ بناصرهم فحاولوا غير مرّة ان يُخرجوا الرهبان من الدير بالمكر والخداع والتهديد فلم يبلغوا غايةً . فعمدوا حينئذ الى استعمال العنف والشدّة فالتجأوا الى حاكم العمادية وشكوا اليهِ الرهبان كمغتصبين لمال غيرهم فارسل الحاكم بعض رجالهِ الى الدير فارسعوا الرهبان سبّاً وضرباً ثمّ انزلوهم منهُ وألقوا الاب جبرائيل في السجن . امّا الرهبان فلبثوا في كنيسة القوش مثابرين على دعوتهم وعلى سائر فرائضهم التقويّة

وفي تلك الغضون اصاب مطرانَ العماديّة حنا ينشوع مرضٌ شديد حسبهُ عقاباً من الله لنفي الرهبان من ديرهم فلمّا احتضر اوصى ذويهِ بهم وامرهم ان يسلّموا مفاتيح الدير الى الاب جبرائيل فأنفذوا وصيّتهُ بعد موتهِ

الّا انّ عدوّ الخير لم يدعهم في خلوتهم السعيدة يمجدون الله مع الملائكة فان المصائب ما زالت تنتابهم الواحدة تلو الاخرى . منها ان محمد بك امير راوندوز المعروف بيركور قدم الى الموصل سنة ١٨٣٢ قاصداً ان يستولي عليها ولما خاب مسعاه في ذلك اخذ يطوف بعساكره بين القرى المجاورة وينهب ويقتل حتى اقبل الى القوش قرية ناحوم النبي فنهبها نهباً فاحشاً ثم اعمل فيها السيف وقتل كبارها وصغارها ولم ينجو من سيفه الا النزر من الذين لاذوا بالهزيمة الى الجبل المجاور ثم قصد رجالهُ دير ربان هرمزد فنهبوه نهباً ذريعاً وثاوروا رهبانه بالخناجر . وفي هذه الغائلة قُتل مؤسس

الرهبنة او مجدّدها الاب جبرائيل دنبو فاختضبت تلك الاراضي بدم الابرياء . ونظم دميانوس الاقوشي قصيدة ضافية الابيات في اللغة الكلدانية يصف ويلات تلك الكارثة ومظالم الطاغية ميركور (١

رهبان دير ربان هرمزد بعد وفاة مطرانهم

وبعد هدوء هذه الزوبعة الهائلة عاد الرهبان الى ديرهم فألفوه منهوباً مهدوماً فشرعوا يرممون الاخربة التي سببها اولئك الغشمة واخذوا يزاولون الاشغال الشاقة ملاقاةً لمعيشتهم وآملوا ان غيوم الاضطهادات انقشعت لكنّ امتحانهم لم يكن قد انتهى بعدُ فان اولئك الارباش كالذئاب الضارية لم يشبعوا من التنكيل بهم وقد يسمح الله تعالى للاشرار ان يكونوا آلة لامتحان الابرار لتظهر فضيلتهم كالبدر في الليلة الظلماء فتزداد مجداً وبهاء

كان رهبان هذا الدير متقدين بغيرة رسولية على الايمان الكاثوليكي وكانوا يسعون سعياً لا يعرف ملالاً في سبيل نشره وتركيز اعلامه بين ظهراني قومهم . فقاسوا في جهادهم مشقّات شتى ولاقوا اهوالاً تشيب لها الاطفال

ان اعداء الكثلكة الألدّاء اصحاب الخزازات كان يسوءهم تقدم الدير ونجاحه وقد رمدت اعينهم الحاسدة بما رأوه من هولاء الرهبان القائمين برجه الشرّ فحملوا عليهم بجيش من الاكاذيب والاراجيف وشكوهم الى الحكّام ورشقوهم بنبال الافتراءات واطمعوهم بغناهم وثروتهم الطائلة مع ما هم عليه من الفقر اذ لم يكن لهم الّا القوت الضروري فقاسوا من حكام العمادية الاكراد الظلمة انواع العذابات المبرّحة من حبس وضرب واغتصاب الى غير ذلك مما يطول شرحه

وفي سنة ١٨٤٢ عصى اسماعيل باشا احد امراء الجبل على محمد باشا اينجه

١) قد كتب بالكلدانية الاب البشاع احد رؤساء رهبان ربان هرمزد اخبار الدير منذ دخلهُ الاب جبرائيل دنبو ورفقتهُ سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨٣٢ اي قتلهُ محمد باشا والي راوندوز . ومن تاريخهِ هذا نسخةٌ في مكتبة ذلك الدير وعنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقية التي ترجمها الى الفرنسوية المسيو موريس بريار (Maurice Brière) ونشرها في مجلة الشرق المسيحي في بعض اعداد السنين ١٩١٠ و ١٩١١ (ROC, XV, 1910, p. 410-424, et XVI, 1911 115-128, 249-255, 345-356)

ل . ش

بيرقدار والي الموصل مستقلاً بحكم العادية فانتشبت بينهما حرب عوان دارت دوائرها على اسماعيل باشا فتفرقت جموعه شذر مذر. ثم عاد فلمّ شعث رجاله واقبل بهم قاصداً الموصل فلمّا وصل الى قرية القوش هاج عليها كالاسد الزائر ونهبها وقتل من اهلها نفراً غير يسير ثم انفذ رجالاً فكبسوا الدير والقوا القبض على الرئيس الاب حنا الذي خلف المؤسس الاب جبرائيل دنبو واوثقوه مع بعض رهبانه ولاذ غيرهم بالمزعة الى الجبل. وبعد ما فرغ اسماعيل باشا من نهب القوش صعد الى الدير بصحبة احد العادين لاهله ليدلّه على الخبايا المزعومة والخزائن الموهومة فامر اسماعيل باشا باحضار الرهبان الموثقين ومثّل بهم من تباريح العذاب ضرباً وكيّاً بالنار الى غير ذلك

ثمّ سمع بقدوم عساكر الموصل فخاف ان تحتاط به وتمسكه فنهب ما وجده في الدير من اثاث وآنية كنائسية واستاق معه الرئيس والرهبان مكبّلين بالاغلال الحديدية الثقيلة وسار بهم الى العادية حيث توفي في السجن الاب حنا الرئيس لشيخوخته ولما اصابه من التعب واللغوب والضرب العنيف اثناء الطريق والبقية لبثوا في السجن حتى هدأت الغائلة بانكسار اسماعيل باشا فأفرج عنهم. ولم تكن هذه الضربة الهائلة قادرةً على تشتيت شمل الرهبان وزعزعة اركان امالهم الوثيقة بالله تعالى فانهم بعد انقشاع هذه الغيوم وبزوغ شمس الامن عادوا الى ديرهم فانفسح لهم المجال الواسع للشغل في كرم الرب فاشتغلوا وافلحوا واحرزوا للكنيسة من اتعابهم ثماراً جنيّة

فضل رهبانة دير ربان هرمزد على الدين والوطن

ان الفوائد التي اتت من رهبان هذا الدير بعد تجديده هي جمّة منها :

اولاً اصلاح حالة الاقليروس الذي كان ثمّ قد انحطّ انحطاطاً محسوساً فكان الكاهن المتزوّج ينشغل في امر معيشته وتدبير بيته صارفاً وقته في مهنة او صناعة طلباً للمعاش وقلّما كان ينصرف الى القيام باعباء وظيفته الكهنوتية فنتج من ذلك ان الجهل لم يشمل فقط الشعب من العلمانيين بل تعدّى الى القسم الاعظم من الاقليروس نفسه. نقول هذا عن زمن البطاركة الايرتيين اي قبل ان يتخرج الكهنة في المدارس الكهنوتية فكان الكاهن لا يعرف من علم الدين النظري والادبي الا

بعض المبادئ الاوّلية مع تلاوة القرض والقداس الالهي ولهذا كان الشعب مهملاً في التهذيب الديني . فلما نشأ رهبان هذا الدير انصبّوا على مطالعة الكتب والدروس وعكفوا على ممارسة الفضائل ثم خرجوا وتفرّقوا في البلدان وبثّوا مبادئ الدين القويم وافتتحوا المدارس لتعليم الاحداث وهذا ثابت مما يُذكر عن بعض كهنة هذا الدير وما كان لهم من التأثير الجميل في نفس الشعب الى اليوم كالقس رومانوس والقس دميانوس والقس باسيليوس وغيرهم كثيرين

ثانياً ان رهبان هذا الدير سعوا في الغاء قاعدة تقليد المنصب البطريركي لافراد العائلة الابوية اذ كان رجال هذه العائلة يتسنّمون السدة البطريركية تراثاً خلفاً عن سلف بصرف النظر عن كفاءتهم واهليتهم لها في ادارة الشؤون . وليس ذلك فقط بل كان البطريرك الابوي يقيم المطارين من المقرّبين اليه من عائلته ويسلّمهم الابرشيات المهمة واذ كان اكثرهم من الذين لا كفاءة لهم نتج انهم تركوا الامور على عواهنها حتى فسد حال الطائفة وتولّدت فيها النزاعات التي ساقت الشعب الى القلق واختلاق الاحزاب. فلمّا نبغ رجال هذا الدير وامتازوا بعلوماتهم وفضائلهم وعُرفوا بسياسة الشعب وتدبيره على اصلح مبادئ الدين الكاثوليكي مال الناس اليهم كل الميل وشخوصهم الى المطرنة حتى اشتهر من مطارينهم في وقت واحد تقريباً المطران لورنسيوس شوعا والمطران يوسف اودو والمطران باسيليوس اسمر والمطران اغناطيوس دشتو والمطران بولس شمينا والمطران يوحنا تمرز ومار يعقوب ابراهام فخدموا الطائفة خدماً جليلة في حين ازمتها الشديدة ثم قبضوا على ناصية الامور ومالأ اتفاقهم ووحدة رأيهم ارادة الكرسي الرسولي المقدس على الغاء قاعدة التراث وجعل المنصب البطريركي انتخابياً بتصويت مطارين الطائفة كما هي القاعدة فنجح هذا المسعى الاساسي في الاصلاح وأُلغيت تلك القاعدة التي كانت ضربة مهولة اوشكت ان تقضي على حياة هذه الطائفة المجيدة في تاريخها . وكان آخر البطاركة التراثيين البطريرك يوحنا هرمز واول البطاركة الانتخابيين البطريرك نيقولاوس زيّا سنة ١٨٣٩

ثالثاً ان كهنة هذا الدير بذلوا قصارى جهدهم في نشر مبادئ الكثلكة وتأييد تعاليمها المقدّسة وهم من خيرة الذين تمسكوا بعراها اشدّ التمسك وعضدوا روحها وتفادوا في سبيلها حينما كانت روح التعاليم والتعصّب الذميم حيّة في القلوب عاملة في

العقول . فلما قام رجال هذه الرهبنة وظهروا متسلحين بالعلم والفضيلة اذعنت لهم عقول اخوانهم فساروا يعظون ويعلمون المبادئ الكاثوليكية القويمة بين ظهراني شعبهم في العراق واثور وفي جبال الهكارية الشدة الى وان وفي سائر القرى المجاورة وما زالوا على ذلك حتى اختمرت هذه الفكرة ورسخت الكلدكة في العقول وانتشرت بسائر مبادئها الدقيقة وتعاليمها الصحيحة . فاثنى القصاد الرسوليون في تلك الآونة على الهمة التي بذلها هولاء الرهبان في نشر الايمان الكاثوليكي ويُرى من هذه التقارير في مجلة « السنة الدومنيكية » اورد بعضها الاب مارتان في كتابه تاريخ كلدو . والى اليوم ما زال الكهنة الرهبان اخلاف اولئك الافاضل يشغلون رسالات قرى الجبل المتقطعة الصعبة على انَّ لهم في قلوب الاكراد المسلمين حرمةً جزيلة تقليديَّة بحيث لا يجسر احدهم ان يعدّ عاديةً الى الرهبان ولا الى ما ينتمي اليهم

يكتفي اولاد ربان هرمزد المعروفون اليوم برهبان دير السيدة بمعرفة أهمّ الدروس الدينيَّة وحفظ الكتاب المقدس حفظاً تامًّا والتضلع في اللغة الكلدانية والعربية ويقضون قسماً مهمًّا من نهارهم في الصلاة الحارّة ثم يهتمّون في الاشغال المتعلقة في ادارة املاك الدير من اراضٍ ومزارع وارحاء وغيرها ويبلغ وارداهم السنوي مبلغاً كافياً لا يصرفون منه لمعيشتهم الا النزر اليسير اذ ان حياتهم قشفةٌ شظفة وباقي الوارد يُصرف بسخاء حاتمي على الفقراء من عطلة وارامل واطفال يتجمهرون كل صباح امام باب الدير فيخرج اليهم راهب بأكلهم اليومي وبلبسهم عند الحاجة . وقد امتاز الرهبان باكرام الضيوف الذين يقصدونهم جماعات من مسافرين عابرين ومن زائرين فيطرونهم على السعة والرحب ويُحسنون قراهم ويقومون بحق الضيافة احسن قيام . وهم لا يعطون لقاء ذلك شروى نقير . وما تنتهي سنتهم الادارية الّا ويكونون قد صرفوا في سبيل ذلك واردهم السنوي

امّا مزاياهم التي عُرفوا بها فسلامة القلب ونزاهة النفس وبساطة المعيشة وهم يتفانون في عمل الخير وينتهزون كل فرصة بمكنة لنشل المنكوبين ومساعدة المحتاجين . واليوم تؤمّل طائفة الكلدان نجاح هذا الدير وما يتعلق به من الاديرة الصغيرة بهمة الرئيس العام على لجيرة الكلدان الاب الجليل القس يوسف داديشوع الجزيل الاحترام المتخرج في المدرسة الكهنوتية البطريركية في الموصل ويؤملون بمساعيه نهضة علمية

واقتصادية توافق رغبة واهتمام السيد النبيل والراعي الاثيل مار عمانوئيل توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبى في تقدم هذه الاديرة ورقيها وهو يمدُّ ولاء الرهبان كابطال الأمة ودعامة بنائها الراسخ المكين

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف الثاء

١٦١ ﴿تاودورس﴾ الاسكندري . لم نقف على زمانهِ . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (ع ٤١٢) كتاب آداب دينيَّة في ٣٥ فصلاً وجَّههُ الى ابنهِ فرجالله غربال تاودورس اسقف حرَّان (اطلب ابو قرَّة)

١٦٢ ﴿تاوفيلوس﴾ البطريرك الاسكندري المتوفَّى سنة ٤١٢ م . لهُ في مخطوطات مكتبة باريس عدَّة ميامر في خميس الاسرار (Paris, 48' et 143') وعن هرب السيد المسيح الى مصر (n° 135 II) وفي مديح الرسولين بطرس وبولس وفي التوبة وفي القديس اثناسيوس (ROC. XIV, 1909, pp. 150, n° 4771) وفي مديح الملاك ميخائيل (ib. p. 342 n° 488)

١٦٣ ﴿تاوفيلوس﴾ اسقف قسطاط مصر . لم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ . ورد في احد مجاميع مواعظ وميامر في مكتبتنا الشرقيَّة (ع ٦١) ميمر في فضيلة الصوم ليوم الثلثاء للسنة الاولى منهُ . لابينا البارّ تاوفيلوس اسقف قسطاط مصر .

١٦٤ ﴿تردي﴾ الاب اوغسطينوس المرسل اليسوعي (Aug. Tardy) المتوفَّى في بيروت سنة ١٩٠٨ . لهُ في مكتبتنا اوراق منشورة شتَّى منها دينيَّة ومنها علميَّة . وقد نشر في مطبعتنا الكاثوليكيَّة كتاب جداول الافعال العربيَّة وكتابين في الحساب مختصر (سنة ١٨٨٥) ومطوَّل (١٨٩٥) مع حلّ مسائل حاليَّة الطلاب

الايطاليَّة سنة ١٧١٩ . منهُ نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٣ً كتاب تأمُّلاتها السبعة على سبع طلبات الصلاة الربيَّة لسبعة ايَّام الاسبوع وبعد كلّ تأمل مناجاة مع الله . لم يُذكر اسم معرّبهِ . منهُ نسخة عند الخوري بطرس فرج صفير تاريخها سنة ١٧٣٨ . ونسخة اخرى في بيت الاديب نقولا أيوب مخطوطة سنة ١٧٤٩ . ونسخة ثالثة عند الشماس شكري أيوب في حلب كتبها يوسف فرنسيس مشعور الماروني سنة ١٨٢٨ . ٤ً كتاب الجمل المفيدة في النفس السعيدة اقتطفها احد الرهبان الكرمليين من اعمال القديسة تريزيا في ١٣ فصلاً من سيرة حياتها لنفسها ومن كتابها منهج الكمال ومن قلعة النفس ومن كتابها تأسيس الاديار وكتابها في محبَّة الله الخ . من هذا الكتاب النفيس نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيَّة صفحاتها ٢٨٢ كتبت في حلب سنة ١٨٣٧ . ومنهُ نسخة عند المنسنيور الخورفسقف جرجس شلحت تاريخها سنة ١٨٤٨ . ٥ً كتاب تأملات النفس الى الله من تآليف القديسة تريزيا منهُ نسخة في مكتبة المرونة في حلب (ع ٤٣٦)

١٦٧ ﴿ التكريتي ﴾ ابو النصر يحيى بن جرير (ويُروى جرير وجريز) الطبيب اليعقوبي من كتبة القرن الحادي عشر للميلاد وتلميذ يحيى بن عدي ويحيى بن زرعة (اطلب طبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٤٣) . لهُ : ١ً كتاب جليل يُدعى « كتاب المصباح المرشد الى الفلاح والنجاح للهادي من التيه الى سبيل النجاة » في ٥٤ فصلاً ذكر فيها معتقدات النصرانيَّة واسرارها وآدابها . منهُ نسخ مختلفة في مكتبة الفاتيكان (بالكرشوني ع ٢٠٥) . وفي مكتبة اوكسفرد (Nicoll, n° 21) وفي مكتبة الكلدان في ديار بكر وفي مكتبتهم في سعرد (Cod. 135) وفي مكتبة المتحف البريطاني (British Mus., *Ellis.*, Or. 6817) وفي مكتبة دير الشرفة ومن نُسختها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة . ثم انَّ في مكتبة انتشار الايمان في رومية لابن جرير « كتاب علم الفقه واعتقاد ائمة النصارى » ناسخهُ ميخائيل بن نعمة الملقَّب بابن جروه . وهو كما يظهر كتاب المرشد . نُشرت من هذا الكتاب مقالتهُ في الكهنوت طبعها العلامة كردتوت في لندن وذكرها ابو البركات (Riedel, p. 651) . ونشرنا في المشرق ١٦ [١٩١٣] ٢٤١ مقالتهُ في صلب السيد المسيح ذكر ابن جرير لنفسهِ في كتاب المرشد في الفصول ٣١ و٣٢ و٣٧ كتابين اخذتهما ايدي الضياع

اسم الواحد «زيج التواريخ» والآخر «الفائق» . ٤ً وفي دير الزعفران كتاب قوانين بيعيّة منسوبة اليه . ٥ً كتاب المختار من كتب الاختيارات الفلكيّة في علم النجوم. منهُ نسخة في مكتبة لندن (Ellis. Or. 5708) ذكرهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣) وذكر لهُ كتاب منافع الجماع ومضارهِ ورسالة في منافع الرياضة وجهة استعمالها كتبها لكافي الكفاة ابي نصر محمّد بن محمّد بن جهير

١٦٨ ﴿ التكريتي ﴾ ابو سعد الفضل بن جرير هو اخو ابي نصر يحيى المذكور آنفاً . وصفهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣) بكثير الاطّلاع في العلوم وفاضل في صناعة الطب ويقول انهُ خدم الامير نصير الدولة بن مروان . وقد ذكر لهُ مقالة في اسماء الامراض واشتقاقاتها كتبها الى بعض اخوانهِ وهو يوحنا بن عبد المسيح . وكتابهُ هذا مفقود . وكذلك فُقد لهُ كتاب آخر في النبائح روى عنهُ اخوهُ يحيى

١٦٩ ﴿ تورنيلي ﴾ الكاهن الفرنسوي هونوره (H. Tournely) المتوفّى سنة ١٧٢٩ . لهُ كتاب واسع في سائر ابواب اللاهوت النظري في ١٦ مجلّداً نقلهُ الى العربيّة الخوري انطون صبّاغ الملكي سنة ١٧٦٨ . منهُ عدّة نسخ في حلب في مكتبة السريان وفي مكتبة الروم الكاثوليك ومنهُ نسخة كاملة في مكتبتنا الشرقيّة

١٧٠ ﴿ التولوي ﴾ الخوري بطرس ايكونومس كهنة الموارنة في حلب وأحد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية المتوفّى سنة ١٧٤٥ . نشر حضرة المنسنيور جرجس منش في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٧٦٩–٧٧٧) ترجمتهُ وما يعرف لهُ من التآليف . نذكر هنا ما اطّلعنا عليهِ . منها : ١ً كتاب اللاهوت في خمسة مجلّدات منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب . ٢ً لاهوت سكوتوس يوحنّا يفحص فيهِ آراء سكوتوس اللاهوتيّة في الله تعالى والسيد المسيح منهُ نسخة في مجلّد ضخم في مكتبة دير الشير . ٣ً كتاب الفلسفة . منهُ نسخة في اربعة مجلّدات في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٩٩–٧٠٣) . ٤ً كتاب المنطق وهو الثاني من الفلسفة . في مكتبتنا الشرقيّة منهُ ثلاث نسخ وكذلك في مكتبة الموارنة بحلب . ٥ً كتاب الايساغوجي اي مدخل المنطق منهُ نسخة في بيت الشمّاس شكري أيّوب (ع ٧٢) . ٦ً كتابهُ في الطبيعيّات . منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة الروم الكاثوليك وفي بطبك وفي مكتبة الآباء البيض في الصلاحيّة (Or.Chr.1914,p.118) وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٧ً كتابهُ

في العلم الالهيّ في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة لندن (Suppl. 41) . ٨ً ترجمة اعمال المجمع التريدنتينيّ منه ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة احداهما مكتوبة في رومية سنة ١٧٦٠ بقلم القسّ اثناسيوس دبّاس . وفي مكتبة الموارنة في حلب . وكذلك منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع٦٢٨) ويدعى هناك صاحبها (Petrus Oliva) . وفي هذه النسخة اعمال المجمع الذي عُقد في قنّوبين بحضور الاب دنديني سنة ١٥٩٦ بقلم بطرس المذكور . ٩ً كتاب السيرة الرهبانيّة في خمسة اقسام يحتوي القسم الاوّل تأملات روحيّة لأيام الشهر والقسم الثاني ١١ تأملًا في الرهبانيّة وشرفها ونذورها . والثالث ١٢ تأملًا في الكهنوت وواجباته . والرابع عشرة تأملات في الفضائل . والخامس الاخير سبعة تأملات في الخطايا الرئيسيّة . من الكتاب نسخة في مكتبة الموارنة في حلب ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة احداهما اكمل واقدم صفحاتها ٢٨٨ (اطلب المشرق ٦ [١٩٠٣] : ١٠٠٦) . ١٠ً كتاب في الصلاة العقليّة وتعريفها مع ١٥ تأملًا في الحقائق الابديّة وثلثة فصول ونصائح . منهُ نسخة ايضاً في مكتبتنا (ص ٢١٨) . ١١ كتاب مرآة النفوس في الرياضة الروحيّة . منهُ نسخة في المكتبة المارونيّة بحلب ونسخة اخرى في مكتبة دير الشرفة . ١٢ً سيرة توما الكمبيسي الّفها سنة ١٧٠٥ . منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع٣٨٦) . ١٣ً فولماطيق سرياني . في المكتبة المذكورة وفي بيت شباب عند الاديب ميخائيل حانك . ١٤ً ثلثة مجامع مارونيّة نشرها المنسنيور جرجس منش في جونية سنة ١٩٠٤ . وذكر لهُ حضرتهُ كتباً أخرى لم نطّلع عليها كمجموعة دعوى السيّد حوًا وتأملات لمدار ايّام الاسبوع ورسالة في عبادة الورديّة وردّ على قضايا الروم الخمسة وتأملات توما الكبيسيّ ومختصر في الكمال الروحاني دعاهُ النهج القويم لبغية النعيم . ولعلّ له كتباً أخرى مفقودة وكفى بما ذكرنا منها دليلًا على طول باعهِ وسعة علومهِ

١٧١ ﴿توما الاكويني﴾ القديس الدومنيكاني شمس المدارس المتوفى سنة ١٢٧٤ . ١ً عرّب كتابهُ الشهير الخلاصة اللاهوتيّة المفريانُ الموصليّ اسحاق بن جُبَير المتوفّى في رومية سنة ١٧٢١ (راجع العدد ٩٢ وفيهِ ذكر تآليفهِ وراجع في المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٢٨٦—٢٩١ ترجمة حياتهِ) . وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٨٣٤) ترجمة اخرى لاحد الآباء الكرمليين ولم يزد ايضاحاً .

وكلّ يعرف فضل السيّد الجليل المطران بولس عوّاد بما تولّى تعريبهُ من هذه الخلاصة في خمسة اجزاء . ٢ ومما عُرّب حديثاً من اعمال القديس توما كتابهُ « الخلاصة الفلسفيّة » ضدّ الامم عُني بتعريبهِ الخوري العلّامة الفاضل جرجس فرج صفير (راجع ما كتبنا في ذلك في المشرق ١٧ [١٩١٤] : ١٤٤–١٤٩)

١٧٢ ﴿توما الكمبيدي﴾ الراهب المتوفّى سنة ١٤٧١ مصنّف عدّة تآليف روحيّة اشهرها كتابهُ الاقتداء بالمسيح قد عرّب هذا الكتاب كثيرون واوّل ما طُبع من تعريبهِ ترجمة الاب الكرمليتاني شلستينوس دي ستا لودوبنا طُبع في رومية سنة ١٦٦٣ . وقد ذكرنا بقيّة تعريباتهِ في المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٦٣٤–٦٣٦) يُضاف اليها ترجمة للاب اليسوعي جبرائيل ديزرك في القرن الثامن عشر منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . امّا تآليف توما الكمبيدي الروحيّة غير الاقتداء بالمسيح فقد عُني بتعريبها حضرة الخوري السرياني الفاضل عبد الاحد برجي وطبعها في الموصل في مطبعة الآباء الدومنيكان في خمسة اجزاء صغيرة . وقد سبق انّ الخوري بطرس التولوي كتب سيرة حياة هذا الراهب الشهير

١٧٣ ﴿توما بن سليمان الارشدكيّ﴾ من كتبة القرن السابع عشر . في مكتبة باريس (Paris, *Supplément arabe*, 1683) تاريخ حلب جمعهُ توما بن سليمان الارشدكيّ من ملّة الروم روى عن تواريخ ابن بطريق والشيخ ابي ياسر واختصر خصوصاً تاريخ زين الدين احمد بن علي المعروف بالشموني (؟) الذي اختصر تاريخ ابن شحنة كُتب سنة ١٠٨٢ هـ في شهر صفر (١٦٧١م)

١٧٤ ﴿توما دي شرمز﴾ الراهب الكبوشي الفرنسويّ (Thomas de Charmes O. C.) المتوفّى سنة ١٧٦٥ الّف في اللاتينيّة مختصراً في اللاهوت النظري والعمليّ شاع في زمانهِ فعرّبهُ السيّد انطاطيوس بطرس جروه بطريرك السريان في رومية سنة ١٨٢٦ . منهُ نسخة في مجلّدين في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب . تاريخها سنة ١٨٤٦ . ومنهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان تاريخ الواحدة سنة ١٨٢٦ كُتبت في دير الشرفة

توما دي نوتارا (اطلب لوبيشيني)

١٧٥ ﴿تونيّ﴾ الكاهن لويس الايطالي (L. Togni) من كتبة القرن

التاسع عشر. نقل كتابهُ مرشد المستفحصين الى العربيَّة المرحوم الخوري بولس الدبس فطبعهُ في المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٢ ونقلهُ الى الكلدانيَّة المطران توما اودو فطبعهُ في الموصل سنة ١٨٩٥

١٧٦ ﴿تيرزاغو﴾ السيّد نيقولاوس اسقف تارني من كتبة القرن الثامن عشر. له: ١ً كتاب واسع في علم اللاهوت عرَّبهُ الخوري انطون المصبّاغ ليكونوموس اكليروس الروم في حلب. وهو في عدَّة مجلّدات. منهُ نسخة كاملة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الموارنة والروم الكاثوليك في حلب واجزاء متفرّقة في بعض مكاتب الاديرة. ٢ً كتاب ارشاد عملي بخصوص مباشرة سرّ التوبة حسب الطقس الروماني طُبع في روميه سنة ١٧٥٧ وهذا الكتاب قد طُبع ايضاً بالكرشوني في مطبعة قزحيا ١٨٢٩

١٧٧ ﴿تيرينوس﴾ الاب يعقوب اليسوعي (J. Tirinus S. J.) المتوفَّى سنة ١٧٣٦ له في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب كتاب شرح الابركسيس ورسائل مار بولس في مجلّدين. تعريب الخوري انطون صبّاغ. منهُ نسخة في مكتبة نقولا افندي أيوب — وفي مكتبة الروم ايضاً شرحهُ للرسائل المعروفة بالكاثوليكيَّة

١٧٨ ﴿التيّان﴾ السيّد يوسف البطريرك الماروني المتوفَّى سنة ١٨٢٠. في احد كتب مكتبتنا الشرقيَّة في إثر كتابات المطران جرمانوس آدم كتابان للبطريرك يوسف التيان الى جرمانوس آدم ردًّا عليهِ في مزاعمهِ على الكنيسة وسلطان الحبر الاعظم تاريخهما سنة ١٧٩٩. من هذا المردود نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي دير ريفون وفي مكتبة مدرسة الصلاحيَّة في القدس (Or. Chr. 1914[3], p. 326-328) وفي مكتبة الشمّاس شكري أيوب في حلب

حرف الثاء

١٧٩ ﴿ثاودوسيوس﴾ اسقف جنجر. لم نقف على اخباره. في مكتبة باريس نسخة من كتابهِ في سيرة وعجائب مار جرجس (ROC, XIV. 1909, p. 280, Cod. Paris 4876)

١٨٠ ﴿ثاودوسيوس﴾ الديدسكالوس . ترجم سنة ١٧٦٥ من الرومية الى العربيّة مع مساعدة كير مكاريوس صدقة مطران صور وصيدا عظات كير ايليا منياتي للصوم الكبير واعياد السنة . منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة خُطّت سنة ١٨٦٩

١٨١ ﴿ثاوكتيسطوس﴾ مطران حلب على الروم الاورثدكس . كتب في السنتين ١٨٣٨ و ١٨٣٩ عدّة رسائل وفصول ارسلها الى الاب نيقولاوس المازاري المرسل بحلب محاولًا فيها الردّ على الكاثوليك بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . من مجادلته هذه ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة من زمن المؤلف والثانية تاريخها ١٨٥٣

١٨٢ ﴿ثلجة﴾ في مكتبتنا الشرقيّة في احد مجاميع سير القديسين مع مقالات دينيّة رسالةٌ طويلةٌ حسنة (ص ٨٥ الى ١٢٧) لكاتب عالم يُدعى ثلجه وجّهها الى «ميلاتيوس مطران حماة» يصف فيها فضائل رؤساء البيعة اي الاساقفة وما يتحتّم على رئاسة الكهنوت من الواجبات لتدبير الرعيّة . والكتاب من مخطوطات القرن الثامن عشر . امّا ثلجة فلم نقف له على اثر (له تابع)

الطيب الاثر

الاب مبارك المتيني اللبناني

نشرها بمناسبة تذكار وفاته السنوي

حضرة الخوري بطرس ساره الراهب اللبناني

١ الفتى

هو انطونيوس بن بطرس بن ابراهيم سلامه ابصر النور في قرية المتين احدى قرى مقاطعة المتن في ١٥ نيسان سنة ١٨٥٢ ورضع حليب التقى والفضيلة من والدين تقيّين غرسا في قلبه محبة الله والقريب وربياه احسن تربية وهما من عائلة

١٨٠ ﴿ثاودوسيوس﴾ الديدسكالوس . ترجم سنة ١٧٦٥ من الرومية الى العربيّة مع مساعدة كير مكاريوس صدقة مطران صور وصيدا عظات كير ايليا منياتي للصوم الكبير واعياد السنة . منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة خُطّت سنة ١٨٦٩

١٨١ ﴿ثاوكتيسطوس﴾ مطران حلب على الروم الاورثدكس . كتب في السنتين ١٨٣٨ و ١٨٣٩ عدّة رسائل وفصول ارسلها الى الاب نيقولاوس المازاري المرسل بحلب محاولًا فيها الردّ على الكاثوليك بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن . من مجادلته هذه ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة من زمن المؤلف والثانية تاريخها ١٨٥٣

١٨٢ ﴿ثلجة﴾ في مكتبتنا الشرقيّة في احد مجاميع سير القديسين مع مقالات دينيّة رسالةٌ طويلةٌ حسنة (ص ٨٥ الى ١٢٧) لكاتب عالم يُدعى ثلجه وجّهها الى «ميلاتيوس مطران حماة» يصف فيها فضائل رؤساء البيعة اي الاساقفة وما يتحتّم على رئاسة الكهنوت من الواجبات لتدبير الرعيّة . والكتاب من مخطوطات القرن الثامن عشر . امّا ثلجة فلم نقف له على اثر (له تابع)

الطيب الاثر

الاب مبارك المتيني اللبناني

نشرها بمناسبة تذكار وفاته السنوي

حضرة الخوري بطرس ساره الراهب اللبناني

١ الفتى

هو انطونيوس بن بطرس بن ابراهيم سلامه ابصر النور في قرية المتين احدى قرى مقاطعة المتن في ١٥ نيسان سنة ١٨٥٢ ورضع حليب التقى والفضيلة من والدين تقيّين غرسا في قلبه محبة الله والقريب وربياه احسن تربية وهما من عائلة

سلامه (١) وكان منذ صغره مولعاً بالقراءة والتعليم فانصبَّ على درس مبادئ اللغة العربية في مدرسة قريته التي كانت تقتصر كباقي مدارس الجبل من مشاكلتها على تعليم القراءة البسيطة ومبادئ الديانة وكان استاذه يتوسم فيه نجابة وميولاً الى التقوى اكثر من سواه

٢ الطالب والراهب

وما بلغ الرابعة عشرة من عمره حتى احسَّ بان الله يدعوه الى اعتناق الحالة الرهبانية فلبَّى لساعة الدعوة وانضمَّ في سنة ١٨٦٦ الى سلك المبتدئين في الرهبانية البلدية في دير مار الياس الكطونية حيث صرف سنتي التجربة دائباً في اكتساب الفضيلة والتمرين على الكفران بالذات واللحاق بيسوع المسيح في طريق الصليب بحفظ

(١) ان عائلة بيت سلامه المعروفة اليوم في قرية المتين ومزرعة كفرديان والبادية والعربانية وغيرها هي نازلة من الجد الشهير في الدين والدنيا المقدَّم ابي كرم يعقوب بن الياس موسى من حدث الجبة. فانَّ هذا المقدم تولى سنة ١٦٣٥ الحكم على جبة بشراي من والي طرابلس محمد باشا المعروف بالارناووط وبعد سياسته هذه الولاية مدة خمس سنوات بالعدل والحكمة ثار عليه قوم من الناطرة والروم مدفوعين من الوالي محمد باشا تسوءلان المقدم ابا كرم لم يحضر لاجل السلام عليه. فتأهب المقدم لمقاتلة الثائرين وكانت ساحة القتال في قرية كرسبا وكان لديه من الحدث وحدها نحو الفي فارس واراض واسعة تقدَّر بثمانية فدّان. فلما علم الوالي بقوة المقدم وحسن عدّته للقتال عدل عن محاربته واراد اخذه بالحيلة فآتاه اولاً ثم وعده نهدئة الثورة وكان في السرّ يدبّر على الايقاع به بواسطة رجل يدعى ابن صبيحا من قرية بان. فشار هذا الخائن على الباشا ان يرسل العساكر سرًّا الى كوسبا وان يهاجم اهل الحدث اولاً يوم الجمعة الكتيبة بما يكون الشعب كله رجالاً ونساء واطفالاً في الكنيسة في حفلة دفن الصليب. وهكذا صار فان العساكر دخلت يوم جمعة الصلوت كنيسة النبي دانيال وفتكت بالشعب الحاضر وشتَّت شمل جميع من كان في القرية. لكن عناية الله رفقت بالقوم وارسلت اليهم نجدةً من اخوانهم الموارنة المشهورين بتخوتهم وبأسهم فردُّوا العساكر الى طرابلس وعاد المقدم ابو كرم الى حكمه بالامن والسلام نحواً من عشرسنين. وبعد هذا عاد محمد باشا يراسل المقدم المشار اليه ويؤمنه على شرط ان يدفع المال المرتب عليه فرفض ولما طلبه الوالي الى طرابلس لم يتأخر من الذهاب . واذ مثل بين يديه اخذ محمد باشا يتملقه بان يدين بالاسلام فيرجعه الى بيته وولايته معزَّزاً فلم يذعن له فطرحه مكتوفاً على « كلاليب » القلعة حيث بقي معلقاً ثلاثة ايام ومات شهيداً

(هذه الحاشية مأخوذة عما رواه السيد الذكر العلامة البطريرك بولس مسعد وعن شيوخ عائلة سلامة المتوفَّين جميعاً)

المشورات الانجيلية فاقبل بتمام رغبته ومسرة قلبه الى ابراز نذوره الرهبانية وتخصيص نفسه لخدمة الله ولبس الاسكيم الملائكي في ١٨ ايار سنة ١٨٦٨ من يد المرحوم الاب اجناديوس المتيني الذي كان وقتئذٍ رئيساً على المبتدئين وكان بين اخوته الرهبان مثالاً بطاعته وعفته وفقره وتواضعه ووداعته وصبره فاذا أُمر بعمل كان يسمع صوت الآمر كمن يسمع صوت الله تعالى فيلبّي الآمر بتمام الطواعية مستسلماً للارادة الالهية الآمرة بشخص الرئيس

وقد عُرف عند الجميع بنقاوة السيرة وصفاء السريرة يجاهد مجاهدة الابطال ليصون زنبقة طهارته من كل ما يكدّر بهاءها ويُذوي جمالها. وكانت فضيلة الملائكة هذه قد ملكت فؤاده وظهرت متلألئة على جبينه فلا يراه الناظر حتى يتوسّم فيه بهاء تلك الفضيلة فيبتدره بعاطفة التكريم والاعتبار

اما الفقر فانه كان خدينه وسيره كل حياته الرهبانية يكتفي من كل خيور الدنيا بما هو ضروري فقط من قوته مستغنياً عن كل ما سوى ذلك فيصحّ فيه قول رسول الامم : « لسنا نملك شيئاً ونحن نملك كل شيء » وتعزيزاً لهذا النذر الشريف استقبل بملء الارتياح والرغبة تعليم الكرسي الرسولي الصادر في ٤ شباط سنة ١٨٩٥ بخصوص نذر الفقر والعيشة المشتركة يوم كان رئيساً عاماً على الرهبانية واعتنى كل العناية بتنفيذه بالقول والمثل واذ كان يسير امام الجماهير بروح التجرد والمساواة ضاناً بالزمان الثمين فلا يُلفى الا مشتغلاً وموجهاً كل تعبه الى فائدة اخوته كما تفرض القوانين

اما التواضع والوداعة فانهما كانا متجسمين في شخصه فتشفّ احاديثه وحركاته منهما فانه لما استدعاه القاصد الرسولي لودفيكيوس بيافي بطريقة سرّية ليبلغه امر الكرسيّ الرسولي بتعيينه رئيساً عاماً على الرهبانية على غير علم منه . سأله مختبراً اياه : أية وظيفة تريد تخدم فيها رهبانيتك ؟ فقال مبغوتاً من هذا السؤال : « اني لا اراني اهلاً لوظيفة من الوظائف واذا خُيّرت في ذلك بامر الطاعة فاني مفضّل تعليم المبتدئين او تدريس اخوتي الرهبان وهما من اشقّ واهمّ وظائف الرهبانية » . فاكبر القاصد فضيلته وهنأه بثقة الكرسي الرسولي به

ثمّ أبرز النذور الاحتفالية فرأى الرؤساء بعد ان خبروه وعرفوا حسن قابليته واستعداده ان يضموه الى سلك الاخوة الدارسين في مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان

الطيب الاثر

الاب مبارك المتيني الراهب اللبناني (١٨٥٣-١٩٣٣)

فبقي فيها مدة . ثم انتقلت المدرسة الى دير القطاره فدير مار جرجس الناعمة وكان من جملة اساتذتها المرحوم المنسيور بطرس ارسانيوس . فانكبَّ الراهب الطالب على درس اللغتين العربية والسريانية وبعض مبادئ الافرنسية واللاتينية وكان في مدرسته من المتازين بفضيلتهم واجتهادهم وتقواهم فاستحقَّ الثقات رؤسائه فميَّزوه الى درس العلوم السامية وارسلوه الى مدرسة الآباء اليسوعيين الاكليريكية في غزير ثمَّ الى كليتهم في مدينة بيروت يوم نُقلت المدرسة الاكليريكية اليها وفيها انهى دروسه الفلسفية واللاهوتية وكان من الناجحين فارتقى في ١٥ آب سنة ١٨٨٢ درجة الكهنوت المقدسة بوضع يد المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت

وعلى اثر ارتقائه الدرجة كانت الكلية قد نالت من لدن الكرسي الرسولي الانعام باعطاء شهادة الملفنة في العلوم العالية فاشار اليه الآباء اساتذته لعلمهم بكفاءته ان يتقدَّم للامتحان في علمي الفلسفة واللاهوت فلم يسعه الَّا تلبية الاشارة والاستعداد على القضايا المعينة في لائحة خاصَّة ثم جاز الامتحان امام لجنة الفاحصين ونال استحسانهم وجميع اصواتهم وكان بكر من حازوا لقب ملفان في المدرسة الاكليريكية الشرقية وتسلم الشهادة سنة ١٨٨٣ في حفلة حافلة حضرها سيادة القاصد الرسولي في سورية

٣ الاستاذ والرسول

ولم يكن له من همّ بعد استلامه الوزنة الَّا بالاتجار بها واوَّل ما كان يرمي اليه امران شغلا معظم حياته هما التدريس والرسالة : فتخصَّص اولًا بتعليم المبتدئين بعد ان ورد امر المجمع المقدس سنة ١٨٨٢ الى الرهبانية بتعيين دير للابتداء (١) ومعلم للمبتدئين يكون ممتازًا بفضيلته وعلمه فوكل اليه الرؤساء هذه الوظيفة المعتبرة في الرهبانية باذلًا لهم الارشادات الابوية والتعاليم الصحيحة وبقي في هذه الوظيفة نحوًا من اربع سنوات وقلبه يتلهَّب بنار الغيرة على ان يقدم للرهبانية وللوطن رهبانًا صالحين ورجالًا اشداء يعرفون ان يتفانوا في خدمة الله تعالى والمصلحة العمومية .

---

(١) كان قد أُقل الابتداء في الرهبانية من مدة لبعض ظروف موجبة والدير الذي تعين للابتداء بعد ورود امر المجمع المقدس كان دير مار جرجس الناعمة قرب قبة الناعور وهو الى اليوم مخصَّص لهذه الغاية مع دير كفيفان في قضاء البترون

ثم انتدب الى مهنة التدريس فكنت تراه رغم ما كان يلاقيه من المصاعب في هذا السبيل متفانياً في تلقين تلاميذه الاخوة الرهبان العلوم اللازمة لترقية عقولهم وتهذيب اخلاقهم وكان يسهر عليهم ولا سهر الأم على وحيدها يدير شؤونهم الروحية ويدرسهم هو وحده العربية والسريانية والافرنسية واللاتينية . وكثيراً ما كان يسأل اولياء الامر في الرهبانيّة تعزيز شأن المدرسة وتوفير الوسائل اللازمة لها وكان يذوب غيرةً على توسيع نطاق العلم وبثّ روح النهضة العلمية فيها موافقةً للعصر الحالي ولم يدع وسيلة الّا اتخذهـا تحقيقاً لأمنيتهِ هذه معتقدًا ان بالعلم المقرون بالتقوى تخطو الرهبانية خطوة كبيرة في طريق الكمال والفلاح . وكان يوصي الجميع بالاقبال على العلم ولاسيما من يرى فيهم الاهلية لذلك وكنا نراه رغم مرضه وشيخوختهِ يُعنى بتدريس الاخوة الناذرين على اثر خروجهم من الابتداء ويشربهم روح الفضيلة والعلم . وكان له في التدريس والتعليم لذّة وساوى كما اظهره مرارًا بالقول والعمل . فاذا نظرنا الى ما ابداه من ضروب الغيرة والتفاني في هذه السبيـل لا نكون مبالغين في قولنا ان مرجع الفضل اليه في بثّ روح النهضة العلمية في الرهبانية كما يتبيّن في هذه الترجمة المختصرة . وكثيراً ما رأيناه وهو مستلم زمام الرئاسة جالساً على منابر التعليم لدى تغيُّب احد الاساتذة يشرح المسائل اللغوية واللاهوتية بكل دقّة ونشاط

اما غيرته على خلاص النفوس ورغبتهُ في عمل الرسالة الشريف فحدّث عنهما ولا حرج . فانه لدى ارتقائه الدرجة الكهنوتية اخذ على نفسه بعد استئذان رؤسائه الّا يتقدّس الآحاد والاعياد الّا في القرى والمزارع المجاورة الاديار حيث يتسنّى له القاء الارشادات على الشعب وسماع الاعترافات والتحريض على التوبة والتقدم من مائدة الخلاص . وقد تمكن من القيام بقصده هذا حتى وهو حامل عبء الرئاسة ولم تكن تقف بوجه غيرتهِ صعوبـة في عمـل الخير . وكثيراً ما انتدبه السيـد البطريرك والاساقفة الى عمل الرسالات في انحاء الجبل فكان يذهب وملءُ قلبهِ غيرة ومسرّة جائلًا في المدن والقرى مبشّرًا بكلمة الله ناشرًا بمثال وداعته وانضاعه رائحة المسيح الطيبة . وكان يتحرى بمواعظهِ التعابير البسيطة القريبة المأخذ فيتلقاها الشعب من دون عناء . وقيل له مرةً : « إنك ملقان فلِمَ هذه البساطة في كلامك ولمثالك ؟ » فقال : « اني تعلمت ذلـك من ربّ الواعظين في الانجيل الشريف الـذي بصدق عبارته

وبساطتها وتوقيع امثاله وجمالها كان وما زال نقطة الدائرة للمرسلين ولناس المدنية والعمران فحسبي ألا أحيد عنه قيد شعرة . وكان مسموع الكلمة مهاباً يحترمه الناس ويجلون فضيلته وكثيراً ما كانوا يقيمونه حكماً لحل مشاكلهم وفصل دعاويهم وازالة خصوماتهم

ولما حاقت المجاعة والضيق بالجبل مدة الحرب الكونية قام رغم وقر الشيخوخة يعظ الناس ويعزيهم بالكلمة ويحثهم على التوبة والصبر ويقدم لهم مع الاحسان الروحي ما كانت تصل اليه يده من الحسنات المادية ويحض بصفة كونه رئيس معاملة رؤساء اديار معاملته على الاستزادة من عمل الخير والرفق بالفقير اخي المسيح . وبما انه كان مقيماً في دير مار موسى الدوار جعل هذا الدير ملجأ للبائسين الجائعين وقد وزع رئيسه من الحسنات فوق ما استطاع فاكتسب الاجر عند الله والثناء من الناس

٤ الرئيس

وبينما كان صارفاً عنايته في ما تقدم من الاعمال الخيرية تشرف بواسطة القصادة الرسولية في سورية برسوم كرم من المجمع المقدس يؤذن بتعيينه رئيساً عاماً على الرهبانية وذلك في ١٥ نيسان سنة ١٨٩١ فاستلم ذلك الرسوم مبغوتاً معتبراً نفسه غير اهل لهذه الوظيفة كما سبقت الاشارة عالماً ان الرئاسة عبء ثقيل ولاسيما اذا حفت بظروف صعبة . لكنه امتثل الامر معتقداً ان يمين الله تعضد ضعفه وتذلل امامه المصاعب فشمر عن ساعد الجد والنشاط واخذ يتفانى وراء خير رهبانيته وتعزيز شأنها وبث روح الاتحاد والألفة بين اعضائها والمدافعة عن حقوقها مما اكسبه ثناء وثقة اخوته الرهبان فاتفقوا على تجديد انتخابه رئيساً عاماً ثانية اي بعد مرور سنة ونصف على تعيينه من لدن الكرسي الرسولي . فعقدوا مجمعهم برئاسة السعيد الذكر البطريرك يوحنا الحاج في دير سيدة نسبه في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٩٢ وقر انتخابهم عليه فساس الرهبانية بغيرة لا تعرف الملل ونهض بها نهضة محسوسة من حيث الوجهة الروحية والادبية والمادية . فانه كان دائباً في تعزيز جانب القانون في جميع الاديار بغاية التجرد والاخلاص حاثاً الرؤساء والمرؤسين على التقيد بواجباتهم تكميلاً لنفوسهم وقياماً بالمصلحة العامة لاجل خير الرهبانية وصون كرامتها وسمعتها عند الناس

ولما رأى ان العلم المقرون بالفضيلة هو من اجل الوسائل واصلحها لتكميل

الراهب وترقيته وتهذيب ارادته واخلاقه ليكون اقدر على العمل في سبيل تمجيده تعالى ونفع القريب وعرف ان مقتضيات العصر الحالي تستلزم الا يكتفي الرهبان بالتنسك والتحصن في الصوامع بل ان يتخرجوا بالعلوم اللازمة لعمل الرسالات وتعليم الشعب كما ينص القانون فيخدمون بذلك الدين والوطن لهذه الغاية كان اول مشاريع رئاسته أن انشأ سنة ١٨٩٢ في مدينة بيروت مدرسة مجاورة لكلية القديس يوسف جمع فيها الطلاب الرهبان بعد ان اتفق مع حضرة آباء الكلية على ان يحضر تلاميذ الرهبانية صفوف الدروس فيها ولاسيما الدروس العليا كالفلسفة واللاهوت على الطريقة التي يتبعها تلاميذ الطائفة المارونية في مدرسة البروبغندة في رومية. وقد نالت تلك المدرسة التفات المجمع المقدس الخاص الذي لحبتها ولوصي الرؤساء بتعزيزها وتوجيه العناية الخاصة اليها. ففيها يتخرج منذ ثلاثين سنة ابناء الرهبانية على حضرة الآباء اليسوعيين الافاضل ويلاقون منهم كل غيرة ورعاية . وقد خرج منها عدد وافر من الرهبان المدارسين لايقل مجموعهم عن الخمسين فيهم من نالوا شهادة الاستاذ في الفلسفة واللاهوت وعرفوا باجتهادهم وغيرتهم على نجاح رهبانيتهم وتقدمها وخير طائفتهم ووطنهم واكثرهم اليوم يتعاطون عمل الرسالة والتعليم او يستلمون ادارة بعض الشؤون العامة في الرهبانية فأدوا لها خدماً مشكورة منهم حضرة المديرين الحاليين : الآباء سليمان المتديني وانطونيوس عارج الفوسطاوي وعبدالله عواد الحصروني ويوسف غصوب الشبابي وحضرة الوكيل العام الاب مرتينوس طربيه التنوري الاستاذ في علمي الفلسفة واللاهوت والاب اجناطيوس سركيس الرئيس للمعلم السابق ومعلم المبتدئين حالياً والاب انطونيوس جرفوش المدير الاول والنائب العام سابقاً واستاذ اللاهوت وكاتب اسرار الرئاسة العامة الاب لمياوس التنوري ورئيس دير قزحيا الاب جبرائيل نادر كفرزينا والابوان الياس بكيفا ويوحنا الشدراوي رئيسا ديري الابتداء في الناعمة وكفيفان (١) وغيرهم من رؤساء الاديار وممن اختصوا بالتعليم وعمل الرسالة . اما حضرة رئيس الرهبانية العام الحالي اغناطيوس داغر التنوري المشهور بتنسكه وتقواه والذي عمل امثالاً لامر المجمع المقدس عن الرئاسة في المشيخة

(١) ومنهم ايضاً حضرة مدير مدرسة الرهبانية في بيروت الاب : بطرس عاره البتدفي واضع هذه الترجمة (المشرق)

الظروف حراجةً مدة الحرب الكونية فساس الرهبانية بما عُرف به من الحلم والغيرة والحكمة وكان اب الفقراء البـانيين وحاز ثقة الكرسي الرسولي فجـدد انتخابهُ مؤخرًا فانه غرسةُ يمين صاحب هذه الترجمـة رحمه الله اذ كان استاذه مدة ابتدائه وتلمذته وقد عهد اليه ادارة مدرسة بيروت المشار اليهـا يوم كان اي المترجم رئيساً عامًا . وغير هولاء الاحياء قد شمل فضله كثيرين ممَّن رقدوا كالاب اغناطيوس لبوس البتديني والاب ميخائيل شاهين الجزيني والاب جرجس عبود الجاجي او ممَّن تربوا وتعلموا في الرهبانية ثم نزعوا الى العيشة الكهنوتيَّة في العالم كالاب بولس عبود الفوسطاوي والاب جبرائيل العضيمي والاب مبارك الرشماوي . وكم لهُ من الايادي البيضاء على كثير من الذين سعى لهم فأدخلهم احدى المدارس او حرضهم بارشاده ومثلـه على اعتناق الدعوة الرهبانية او الاكليركية حيث تلقنوا العلوم الكافيـة واصبحوا من مزاولي مهنـة التعليم في مدارس الجبل او من الكهنة الغيورين على خلاص الانفس

وتعميماً لروح العلم والمعارف في الرهبانية قد عيَّن ما عدا مدرسة بيروت المنوَّه بها مدرستين اخريين الواحـدة في دير مار جرجس النـاعمة لتدريس اللغتين العربية والسريانية والاخرى في دير كفيفان لتكملة اللغتين المذكورتين ودرس اللغة الافرنسية استعدادًا للدخول في مدرسة بيروت التابعة كلية القديس يوسف

ولمَّا رأى ما في تهذيب ناشئة الرهبانية من النتائج الحسنة وحَّد الابتداء بحسب امر المجمع المقدس ليتربَّى فيه المبتدئون على روح واحدة وينشأوا على حسب الصلاح والاداب والمحافظة على الفرائض القانونية المقدسة وقد عين لتهذيبهم وتدريبهم نخبةً من الرهبان المعروفين بفضيلتهم ودرايتهم في طرق التهذيب والتربية

تلك كانت عنايته بترقية ابناء الرهبانية في روحياتهم ومعارفهم ولم يكن مع ذلك يغفل تحسين الحالة الاقتصادية في الرهبنة والنظر في ماديَّاتها وتكثير اليد العاملة فيها وبث روح الشغل والعمل في ابنائها فأصلح عدَّة اديار وعُني بتجديد بعضها كدير سيدة ميفوق ودير مار مارون برسنين ودير مار انطونيوس حوب وسيدة طـاميش ومار مخائيل بتابيل . وقد نظر في المالية فسعى في ايفاء الديون عن الاديار ورفع عن عاتقها فوائض المبالغ الباهظة وشدَّد في ضبط حسابات الاديار وكان يراقبها هو بنفسه

وكان رحمه الله قدوةً وموعظة لمرؤوسيه ليس فقط مدة رئاسته العامّة بل في كل الوظائف التي تقلّب فيها فيما بعد كادارة المدارس والترؤس على الاديار فانه ترأس على ادارة مدرسة دير مار اشعيا للرهبانية الانطونية وكان فيها يدرّس اللاهوت الادبي والنظري ثم انتدبه سنة ١٩٠٤ غبطة السيد البطريرك الى السهر على المبتدئين الدارسين في رهبانيته معيناً اياه زائراً خارق العادة لاجل المحافظة على التهذيب الرهباني في اديرة المدارس والابتداء فقام بجميع واجباته هذه بما عُرف به من التفاني والحنكة

ولما أوفد الكرسي الرسولي الزيارة الى الرهبانيات الثلاث المارونية في غرّة كانون الاوّل سنة ١٩٠٧ كان هو من اكبر مناصريها ومساعديها الى ما نوّتهُ من الخير والنجاح للرهبنة بحسب رغائب المجمع المقدس وبعد ان خبرَتْه الزيارة وعرفت ما فيه من الغيرة والقدرة على ترقية الشبيبة عيّنته سنة ١٩١٠ رئيساً على مدرسة الرهبانية في دير سيدة نسبيه في غوسطا فاخلص فيها الخدمة كعادته وكان بين جمهوره المؤلف من سبعين راهباً بين استاذ وطالب ومساعد كالاب في عيلته محبوباً ومكرماً فسارت المدرسة على محورها القانوني وحازت رضى الرؤساء وقدمت للرهبانية وللطائفة عدداً وافراً من الكهنة الاتقياء والعملة النشيطين في كرم الرب

ثم ندبه في ت ١ سنة ١٩١٢ المجمع المقدس بواسطة الزيارة الرسولية الى رئاسة مدرسة الرهبانية في مدينة بيروت فامتثل امر الطاعة مرتاحاً وكان راغباً رغم وقر الشيخوخة وخطر المرض ان يتولى ادارة تلك المدرسة التي انشأها وجعلها محطّ آماله ومرجع افكاره غير ان مرضهُ منعه من تحقيق كل امانيه. فما لبث طويلاً حتى اقامه حضرة الرئيس العام الاب اغناطيوس التتوري بعد استشارة سيادة القاصد الرسولي رئيس معاملة على اديار المتن والقاطع ليكون مثالاً حياً بتقواه وغيرته امام الرهبان فظهر في هذا الدور الاخير من رئاسته ايضاً غيوراً على اديار معاملته وجماهيرها محرضاً رهبانهُ على التقيّد بواجباتهم القانونية ومزاولة العمل روحياً كان او زمنياً. وكان في ايام الحرب يوصي الرؤساء كما سبقت الاشارة بالّا يتنكّروا من التصدّق على الفقراء بالاحسان اللازم للروح والجسد

ومن مساعي غيرته المشكورة استدعاؤه راهبات القلبين الاقدسين لانشاء

مدرسة في قرية المتين لاجل تعليم بنات القرية ولم يكن يلويه عن الاقدام على هذا المشروع بعض ما لاقاه من المصاعب في البداية بل توفق الى اثباته وتعزيزه وكتب الى شقيقه المثري التاجر المعروف في بونس ايرس . الى غيره من المهاجرين يستنهض همتهم لمساعدته في انشاء تلك المدرسة مثبتاً لهم لزومها وعظم الفائدة منها فلبوا طلبه وكان له بذلك اكبر تعزية قبل ان باغتته المنية ولم تمهله ليرى مشروعه هذا نامياً زاهراً اليوم بفضل الراهبات المشار اليهن المتمانيات في تعليم الابنة وتهذيبها . وكان من اكبر العاضدين لتعزيز مدرسة الصبيان التي يديرها الشاب الاديب سليم ابو رزق وتعد من مدارس الوطن الراقية الزاهرة

ومن مآثر المترجم العلمية ترجمة كتب افرنسية عديدة وحيدة في بابها منها ما ظهر بالطبع ككتاب « دستور الرؤساء » وكتاب « دستور الحياة الروحية » ومنها باقٍ مخطوطاً وهو كتاب لاهوت اعتقادي مختصر وكتاب الفضائل الرهبانية وهو خلاصة كتاب الكمال المسيحي وكان شارعاً بغيرها يوم وافته المنية

ولم يكن رحمات الله عليه في جميع هذه المهام يغفل ذلك العمل الذي جعله قبلة اعماله كلها اعني به الرسالة فانه لم ينفك من التبشير بكلمة الله والقاء الرياضات الروحية في الاديار وفي الرعايا حتى توفاه الله شهيد هذا العمل الشريف الذي شغل قسماً كبيراً من حياته وكان ما عجّل منيّته قيامهُ ساعات طويلة يوم عيد قطع رأس مار يوحنا المعمدان في كنيسة الرعية في بحرصاف حيث احتفل بالذبيحة الالهية ووعظ الشعب مرات وسمع اعترافاتهم وما خرج من الكنيسة حتى اخذ يهتم بحل بعض المشاكل ومصلحة بعض المتخاصمين . فصرف معظم نهاره في مثل تلك الاعمال الشاقة ولم تكن صحته المعتلة وشيخوخته تحتملان مثل هذا العناء فجازت قواه وسقط مريضاً فنُقل الى دير مار ميخائيل بحرصاف حيث ثقل عليه المرض واستعصى على امهر الاطباء وكان وهو على سرير الاوجاع معتصماً بفضيلة الصبر شاكاً آلامه بالالم القادي له المجد . وما عرف بدنو اجله حتى اخذ يستعد لملاقاة ربه مستقبلاً الموت بتمام التسليم لارادته تعالى متغنياً بآيات الكتاب : « اني اهوى ان انحل من هذا الجسد واكون مع المسيح . متى اطير واستريح فيك يا الله اله قلبي ونصيبي » وقد اوعز الى حضرة الاب واضع هذه الترجمة الذي كان مشاهداً احتضاره ان يقرأ عليه صلاة

المنازعين وبعض فقرات من كتاب الاقتداء بالمسيح فكان يصغي اليها بكامل وعيه وما زال يتلفظ باسم يسوع ومريم حتى لفظ معها روحه الطاهرة مساء الخميس الواقع في عيد مولد العذراء ٨ ايلول سنة ١٩٢١ متوردًا الاسرار مانحًا ميتة الابرار بعد حياة جهاد صرف منها في الرهبانية اربعًا وخمسين سنة مملوءة بالفضائل والاعمال الصالحة

وكانت لوفاته رنّة حزن وزفرة اسف شارك فيها رهبانيّته وذوي قرباه جميع من عرفه من اعيان ووجوه المتن والقاطع وغيرهما ثم نقلت جثته الى دير مار موسى الدوار حيث كان مقرّه وقد ترأس حفلة الصلاة عليه سيادة المطران بولس مراد وكانت الكنيسة غاصّة بجماهير الوافدين للتبرك منه وقد أبّنه حضرة رئيس الرهبانية العام الاب اغناطيوس التنوري مبينًا عظيم فضله وجسيم الخسارة بفقده . وودعه على الضريح بكلام بليغ مؤثر حضرة الخطيب نعوم افندي لبكي احد اعضاء مجلس لبنان النيابي . ثم واروا جسمانه الثرى وذهبت نفسه الى دار البقاء تنال ثواب من عاش الحياة كلها لله تعالى راهبًا قانونيًا عالمًا عاملًا ترك من بعده للرهبانية وللطائفة آثار جليلة تخلد له الذكر الحسن بين اخوته ومواطنيه وتضمن له سعادة الابد . نفعنا الله بصلاته واثابه عداد حسناته

آثار عربيّة في دمشق

لجناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس

حضرة مدير مجلّة المشرق الغرّاء

تحيّة واكرام . امّا بعد فلمّا جاء الصيف وضرب الحرّ اطنابه تاقت النفس الى التجوّل في ربوع لبنان فاستنشقت هواءه الرطب . وارتشفت ماءه البارد العذب . ثم سرتُ الى بعلبك وتفقّدت آثارها . بعد ان اعادت لها البعثة الالمانيّة شيئًا من محاسنها في سياق الطوارئ . وكانت دمشق غاية سياحتي ومرمى تنقلاتي وبهجة حداثتي . فجلت في اسواقها الناضرة وبساتينها الخطرة وزرت بعض معاهدها العلميّة والصناعيّة لاسيّما

المنازعين وبعض فقرات من كتاب الاقتداء بالمسيح فكان يصغي اليها بكامل وعيه وما زال يتلفظ باسم يسوع ومريم حتى لفظ معها روحه الطاهرة مساء الخميس الواقع في عيد مولد العذراء ٨ ايلول سنة ١٩٢١ متوردًا الاسرار مانحًا ميتة الابرار بعد حياة جهاد صرف منها في الرهبانية اربعًا وخمسين سنة مملوءة بالفضائل والاعمال الصالحة

وكانت لوفاته رنّة حزن وزفرة اسف شارك فيها رهبانيّته وذوي قرباه جميع من عرفه من اعيان ووجوه المتن والقاطع وغيرهما ثم نقلت جثته الى دير مار موسى الدوار حيث كان مقرّه وقد ترأس حفلة الصلاة عليه سيادة المطران بولس مراد وكانت الكنيسة غاصّة بجماهير الوافدين للتبرك منه وقد أبّنه حضرة رئيس الرهبانية العام الاب اغناطيوس التنوري مبينًا عظيم فضله وجسيم الخسارة بفقده . وودعه على الضريح بكلام بليغ مؤثر حضرة الخطيب نعوم افندي لبكي احد اعضاء مجلس لبنان النيابي . ثم واروا جسمانه الثرى وذهبت نفسه الى دار البقاء تنال ثواب من عاش الحياة كلها لله تعالى راهبًا قانونيًا عالمًا عاملًا ترك من بعده للرهبانية وللطائفة آثار جليلة تخلد له الذكر الحسن بين اخوته ومواطنيه وتضمن له سعادة الابد . نفعنا الله بصلاته واثابه عداد حسناته

آثار عربيّة في دمشق

لجناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس

حضرة مدير مجلّة المشرق الغرّاء

تحيّة واكرام . امّا بعد فلمّا جاء الصيف وضرب الحرّ اطنابه تاقت النفس الى التجوّل في ربوع لبنان فاستنشقت هواءه الرطب . وارتشفت ماءه البارد العذب . ثم سرتُ الى بعلبك وتفقّدت آثارها . بعد ان اعادت لها البعثة الالمانيّة شيئًا من محاسنها في سياق الطوارئ . وكانت دمشق غاية سياحتي ومرمى تنقلاتي وبهجة حداثتي . فجلت في اسواقها الناضرة وبساتينها الخطرة وزرت بعض معاهدها العلميّة والصناعيّة لاسيّما

مجمعها العلميّ الحديث النشأة الذي يتولّى تدبيره الاديب العالم محمّد افندي كردعلي صاحب الهمّة والنشاط. ودخلتُ ميتمها العامر الذي يتولّى تدبيره آل شاميَّة حيث وجدتُ الفتيات واوانس المسلمين والمسيحيين يتربّين معاً ويدرسن العلوم ويتعاطين صناعة السجّاد على افضل منوال. وذلك كلهُ ممّا يدلُّ على نهضةٍ ادبيَّة واجتماعيَّة تشرح الصدور وتثلج القلوب. ومع ما توالى على الفيحاء من النكبات لا يزال السائح يشاهد في انحائها آثاراً قديمة ينطق لسان حالها بعظم شأنها في الاعصر الخالية. ومنها ما يشهد على انكباب اهلها على إحراز المعارف كما يُثبت غيرة حكّامها وسلاطينها في تعزيز التعليم وانشاء نوادي العلوم

وممّا يدلُّ على تهافت الدمشقيّين سابقاً على طلب العلوم كثرة الكتب التي نُسخت فيها واجتمعت في خزائنها. ومع ما تلف منها بكوارث الزمان او بيع للاجانب لا يزال قسمٌ كبير منها عند الخاصّة وبعض الوراقين. وقد اسعدني الحظّ على اقتناء شيء منها ممّا يدلُّ تاريخها او ورقها على قدم عهدها. فمن ذلك نسخة من كتاب مصابيح السُّنّة في الحديث للعالم الفاضل حسين بن مسعود البغوي نُصَّ في آخره على طائفةٍ غير يسيرة من الذين قرأوا الكتاب واستفادوا من مضامينه. ومن جملتهم احد الملوك الأيوبيّين ابن صلاح الدين الكبير وبعض آله الكرام كما يأتي:

سمع بعض هذا الكتاب وهو المصابيح للبغوي والجزئين الذين (كذا) بعدهُ من الكتاب المولى الملك المفضَّل قطب الدين ابو الفتح موسى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب نصره الله ورحم اسلافهُ والامير فارس الدولة عَرَفة بن اسمعيل والامير نادر الدين يونس وولدهُ شمس الدين محمّد والامير افتخار الدين والفقيه برهان الدين حسن(؟) الرسالي والحكم الاجلّ زين الدين ابو محمّد عبدالله بن الحكيم . . . الخ وذلك في الاوّل من ذي القعدة سنة خمس وستمائة بقلعة صيصاط

وفي دمشق آثار كثيرة ما عدا المخطوطات العربيَّة القديمة احببتُ ان اذكر لكم منها اثراً وقع تحت نظري في دار حضرة نسيبي القس المفضال يوسف جبور حيث نزلتُ ضيفاً مكرَّماً. والاثر المذكور صفيحة من رخام مصونة بغاية الاتقان منقوشة نقشاً جليّاً ومكتوبة بالخطّ العربيّ العادي تاريخها يرتقي الى أيام السلطان سليمان شاه القانوني في اوائل العشر الرابع من القرن العاشر للهجرة والسادس عشر للميلاد. وموضوع الكتابة كما سترى تعيين التعرفة اي الرسوم التي يجب على اهل الشام

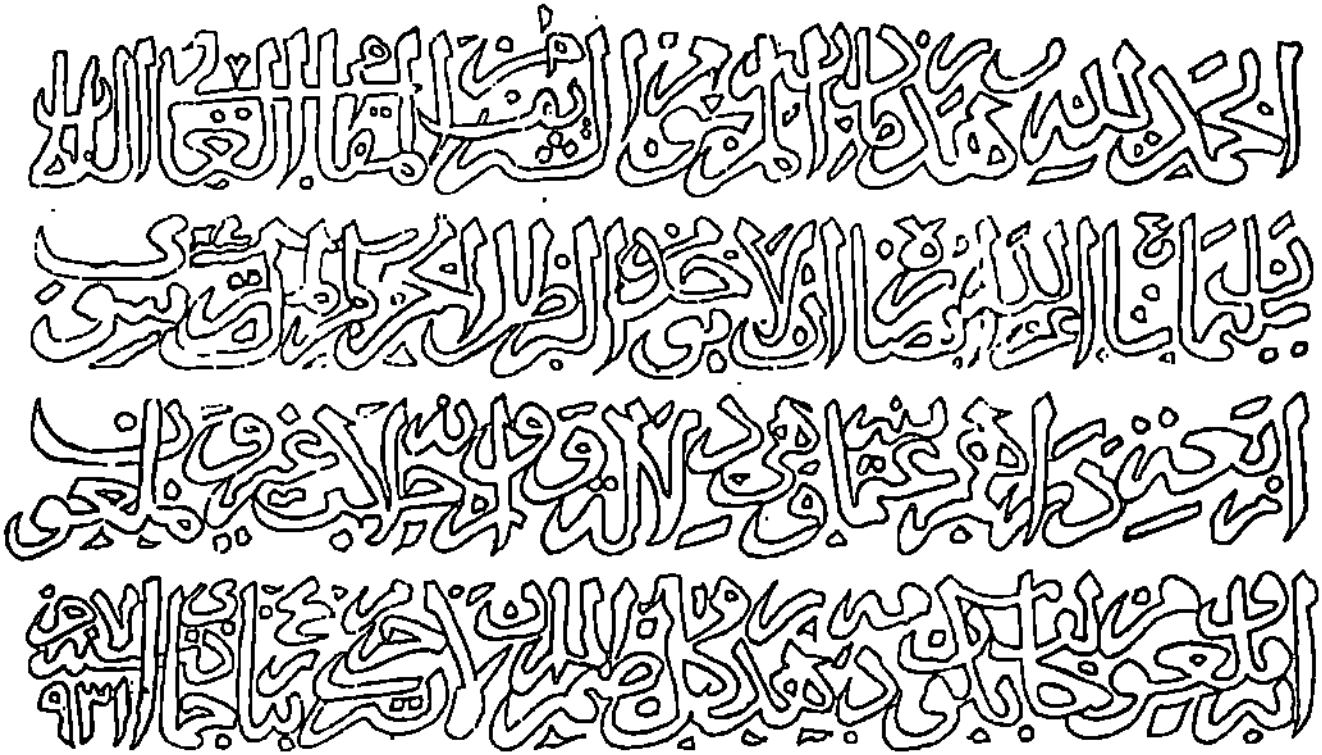

صورة الكتابة العربيّة المكتشفة في دمشق

من عهد سليمان شاه القانوني

دفعها على الحرير وفيه دليل واضح على مزاولتهم صناعة الحرير والاقمشة من قديم الزمان ولا يخفى ما للدمشقيين من طول الباع بشغل الاقمشة الحريريّة ابًا عن جدّ . وقد نقلنا بالطبع هذه الصحيفة ثمّ رسمناها صورةً شمسيّةً كما ترى وهذا نصّها :

الحمدُ لله هذا ما ورد به المرسوم الشريف من المقام العالي السلطان سليمان شاه اعزّ الله انصاره ان لا يؤخذ من الرطل الحرّ كمرك الميري سوى اربعة دراهم عثمانيّة وهي دلالة وازنة واجبة لا غير وملعون ابن ملعون من خالف يكون دمهُ هدر وكلّ ضيم للآن لا يُرى ؟ حرّر بتاريخ جمادى الآخر سنة ٩٣١ (١٥٢٥ م)

وقد لاح لي ان هذه الصفيحة كانت ملصوقة على احد جدران الباب الشرقي لكي يراها الداخل الى المدينة ويدفع الرسم الواجب عليه ان كان ناقلًا شيئاً من الحرّ اي الحرير الخام المُعدّ لصناعة الحياكة . ويحملني على هذا الحكم موقعُ بيت القس يوسف جبور الذي لا يبعد اكثر من مائة خطوة من الباب الشرقي . ويؤخذ من هذا الاعلان الرسمي ان صناعة الحرير كانت رائجة بدمشق في عهد السلطان سليمان القانوني وأنّ بعض المحترفين كانوا يؤدّون دراهم زائفة فاضطرّوهم ان يدفعوا مسكوكات خالصة الوزن

ولعلّ احدًا يعترض على دفع رسم الجمرك كيف كانت تتعاطاهُ الحكومة في داخل المملكة فالجواب على ذلك انّ هذا الرسم الداخليّ ثبت زمناً طويلًا ولم يبطل الّا من عهدٍ قريب . وانا اذكر انّ المرحوم والدي الذي كان يتعاطى صناعة الحرير في بيروت في حدود سنة ١٨٦٤ كان اذا ادخل قماشاً الى المدينة من باب سوق ابي نصر او من باب الدبّاغة يدفع للجمرك رسماً على الحرير الخام وعلى القماش المصنوع

فالرجاء من حضرة مدير المشرق ان يذكر لنا شيئاً من صناعة الحرّ ومصنوعات الحرير بدمشق فنكون لهُ من الشاكرين

جواب المشرق

كلّ يعلم انّ بلاد الشام عموماً وفينيقية خصوصاً كانت مورد الانسجة الثمينة والاقمشة البديعة عدة اجيال قبل المسيح كفى شاهدًا على ذلك ما ورد في سفر حزقيال النبي في فصليه السابع والعشرين والثامن العشرين حيث يصف تجارة صور واسواقها وغناها وقد خصّ بالذكر ارجوانها ووشيها وانسجتها الفاخرة ومن جملتها الحرير

وقد صرّح بذكر دمشق من جملة عمّال صور

لكنّهم اختلفوا في لسم «الحرير» المذكور هناك وهو في العبرانيّة رلموت (רלמות) لزعمهم انّ الحرير لم يُعرف في ذلك الوقت في بلاد الشام وانّ المراد به نسيجٌ كانوا يصطنعونهُ في بلاد الكلدان وجزائر اليونان من مفرزات بعض الحشرات البرّيّة من غير دود القزّ

وما لا يُنكر ان الفينيقيين عرفوا الحرير الصينيّ في القرن الاول قبل المسيح كانوا يبتاعونهُ على صورة الخزّ الخام فيقصرونهُ وينسجونهُ ويصبغونهُ الوانـاً ثم يبيعونهُ لارباب الدولبأغلى الاثمان في رومية وبقيّة البلاد وشاع عنهم ذلك حتى عُرف الحرير عند الرومان بالنسيج الفينيقيّ او الصوريّ

ثمّ راج سوق الحرير وكثرت المعامل لاصطناعهِ في برّ الشام لولا انّ قيـاصرة رومية ثم ملوك الروم بعدهم في القسطنطينيّة احتكروا كل انسجة الحرير واختصّوا نفوسهم بشرائها وبيعها فكانوا يحصلون منها المبالغ الطائلة

وبقي الحرير الصيني مجهول الاصل حتى ان كثيرين من الكتبـة كانوا يزعمون انّهُ يُجنى على شجرة صينيّة الى ان تمكّن سنة ٥٢٢ راهبان ارسلهما الملك يوستنيان الى الصين فأتيا ببزر دود القزّ خفيةً عن اهلها وكشفا سرّهُ للروم فاسرع السوريّون الى تربيتهِ والى غرس اشجار التوت لطعامهِ. لكنّ احتكارهُ بايدي الـدولة كان عقبةً كؤوداً في مزاولة تلك الصناعة

ودامت الحال على ذلك الى ان دخل العرب بلاد الشام وجعل الامويّون دمشق حاضرة ملكهم فانّ صناعة الحرير انتعشت بعد خمولها. وكانت دمشق اوّل مدينـة نالت منها نصيبها فان معاوية لمّا ابتنى قصرهُ المعروف بالخضراء افرز فيهِ قسماً لنساجة الحرير ووشي الثياب الملوكيّة وهو ما عُرف بدار الطراز استدعى لاستحضارها صَنَعة السوريين النصارى فخرجت من معاملـهِ اثواب من الحرير والديباج او الابريسم كان يفتخر الملوك والاعيان بلبسها ينسجون بخيوطهـا الذهبيّة الملوّنة نقوشاً مختلفة وكتابات شتى مزركشة . قال ابن خلدون في مقدّمته :

«وكان القائم على النظر فيها يسمّى صاحب الطراز ينظر في امور الصنّاع والآلات والحاكة فيها واجراء ارزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة اعمالهم وكانوا يقلّدون ذلك لخواصّ دولتهم وثقات مواليهم. وكذلك كانت الحال في دولة بني اميّة في الاندلس »

ثم سعى اهل حلب وصور في مزاحمة دمشق فأنشأوا المعامل الشهيرة التي راجت مصنوعاتها في اقاصي بلاد الغرب وكان السوريون النصارى منهم واليهود ينقلون الى تلك الاقطار منسوجات الشام فيربحون ببيعها المبالغ الوافرة

ولما احتلّ الصليبيون بلاد الشام كثيراً لما يذكر كتبتهم حواضر دمشق وبيروت وطرابلس وحمص وحلب . وفي القرن الثالث عشر زار الشريف الادريسي دمشق فوصفها بما حرفهُ :

« ومدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات وانواع من الثياب الحرير كالمتزّ والديباج النفيس الثمين العجيب الصنعة والمديح المثال الذي يُحمل منها الى كل بلدة ويتجهز به منها الى كلّ الآفاق والامصار المصاقبة لها والمباعدة عنها . ومصانعها في كلّ ذلك عجيبة تضاهي ديباجتها بديع ديباجة الروم وتُقارب ثياب دستر وتنافس اعمال اصفهان وتشفّ على اعمال طُرز نيسابور من جليل ثياب الحرير المُصمتة وبدائع ثياب تنّيس وقد احتوى طُرزها على افانين من اعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمّة فلا يعادلها جنس ولا يقابلها مثال »

وقد اصاب دمشق بعض الخمول في صناعتها لما دخلها تيمورلنك في اوائل القرن الخامس عشر ونقل صنّاعها الى العجم لكنّها عادت بعد حين فجدّدت معاملها . لنا على ذلك شاهد في ما كتبهُ مرسلان كاثوليكيان مرّا بها في القرن السادس عشر وهو عصر السلطان سليمان القانونيّ الذي ورد ذكرهُ في الكتابة المرسومة في هذه المقالة قالا : « ليست دمشق اقلّ شهرةً بمنسوجاتها الجميلة وحرائرها الرائج سوقها في كلّ البلاد منها بجدائلها وضروب اثمارها الطيّبة وخمورها » . ويقال انّ الرايتين اللتين تزينان قبر صلاح الدين قد نُسجتا في ذلك العهد

على أن نشاط مدن السواحل ونصارى لبنان في تربية القزّ واستحضار حرائره وبيعها لتجار الفرنج في صيداء وطرابلس وبيروت وعكّة وحمص اخمد همّة الدمشقيين . وزد على ذلك ظلم ولاة العثمانيين وضرائبهم الفاحشة التي كانت تشلّ عزائمهم في العمل . كتب احد سيّاح الفرنج المدعو فرمانل (Fermanel) انّ ولاية حلب في القرن السادس عشر كانت تدفع للباب العالي كلّ سنة ثلاثة ملايين ليرة . ولعلّ دمشق كانت تتكلّف مثل ذلك وموقعها التجاري دون حلب . فلمّا رأت كساد سوق الحرائر عدل اهلها الى اصناف تجاريّة غيرها وانما تهمل حياكة الحرائر ومعدّل ما كان فيها من الانوال في العصر الاخير بين خمسة آلاف الى ستّة آلاف نول

الاورثذكسيَّة والانكليكانيَّة

نظر تاريخي كنائسي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كان دخول بطريرك الفنار الجديد غبطة السيّد ملاتيوس الرابع ميتاكساكيس الى الاستانة العليَّة وجلوسهُ على كرسيّ بطريركيَّتهِ في ٦ شباط من السنة الجارية يوماً مشهوداً فصار لهُ مع مساعدة الانكليز استقبال شائق رغماً عن اثينة وملكها قسطنطين والوزارة اليونانيَّة وبعض الاساقفة العادين لتنيزيلوس

استبشرت الكنيسة البوزنطيَّة بقدومهِ وأمّلت برئاستهِ الحصول على نهضة جديدة في الاورثذكسيَّة . وقد أيّد السيّد ملاتيوس اماني شعبهِ بخطابهِ الاوَّل الذي القاهُ امام الجماهير المجتمعة يوم قدومهِ اذ عدَّد ما ينويهِ من الاصلاحات المتعدّدة لتعزيز شؤون كنيستهِ الروحيَّة والماديَّة وقد ابدى اسفهُ على ما يراهُ « من مناوأة ابنة الكرسي البطريركي البكر (اي اليونان) التي عقَّت أمّها ورفعت يدها عليها »

ومما أعلن بهِ البطريرك رغبتهُ الشديدة في السعي وراء الاتحاد مع الكنائس الغربيَّة ولاسيما الكنيسة الانكليكانيَّة التي تجاهر بأنها نحو العنصر اليوناني فتعضدهُ طاقة جهدها

وليس كلام السيّد ملاتيوس هذا في اتحاد الكنيسة الروميَّة والكنيسة الانكليكانيَّة شقشقة لسانٍ او كلاماً فارغاً تسقطهُ الريح وتنسفهُ . فانَّ لغبطتهِ سوابق تشهد على ميلهِ الى البروتستانيَّة فانَّهُ في مدَّة تطوافهِ في جهات اميركة صرَّح لدى اربابها الدينيين والمدنيين بشوقهِ العظيم لاتحاد كنيستهِ الشرقيَّة بالكنيسة الاميركيَّة الرسميَّة اي الانكليكانيَّة . ولمَّا وقع عليهِ الاختيار للكرسي البطريركيّ قفل راجعاً الى الاستانة لكنهُ في طريقهِ مرَّ بلندن واجتمع برئيس اساقفة كنتربري الانكليكاني وباحثهُ في امر اتحاد الكنيستين ووعدهُ بان سيرسل الى عاصمة الانكليز رجلاً ثقةً ينشىء فيها كنيسةً يونانيَّة ويسعى وراء الاتحاد المرغوب

وهكذا تمَّ بعد لشهر قليلة فان السيّد ملاطيوس في مجمع ملّي عقدهُ بعد مجيئهِ بزمن قليل عزم على اقامة كرسيّ مطروبوليتيّ في لندن . وفي ٦ نيسان الماضي عيّن

لهذه المهنة مدير المدرسة اللاهوتيّة في خلكي سابقاً وهو السيّد جرمانوس وهو ايضاً ممّن يترعون الى الشيعة البروتستانيّة وقد تشرّب تعاليمها اذ درس في ليبسيك ونال فيها شهادة للفنة في الفلسفة. ولمّا عُقد في انكلترة قبل سنتين مؤتمر الاديان كان هو ممثلاً لبطريركيّة الفنار

فيتحتّم علينا لدى هذه الظواهر ان نبحث عن الاتّحاد المنويّ بين الكنيستين الشرقيّة الاورثذكسيّة والانكليكانيّة هل هو ممكن وما هي العوائق الحائلة دون إتمامه فعلاً

***

ما احلى على اللسان لفظ الاتّحاد! وما احبّ وَقْعَهُ في النفوس! فمنهُ القوّة وبهِ الطمأنينة وإيّاهُ طلب السيّد المسيح لتلاميذهِ «ليكونوا مكمّلين في الوحدة»

على انّ هذه الوحدة المرغوبة التي يجب على كلّ ابناء الله ان يلتمسوها من مراحم الاب السماويّ لا يُحصل عليها الّا بشروط معلومة اوّلها ائتلاف القلوب واتّفاق العقول في الايمان الواحد وقبول الحقائق الجوهريّة في الدين. وعلى هذا بنينا مقالتنا السابقة في احتمال رجوع روسيّة الى الكثلكة (ص ٧٣٥) كما يمكننا ان نبنيها ايضاً لاثبات رجوع الكنيسة الاورثذكسيّة الى حظيرة البيعة الكاثوليكية اذا شاء اربابها ان يتجرّدوا عن اوهامهم بحقّها وينصتوا الى صوت آبائهم القديسين الذين ماتوا على ايمانها فانّ الحواجز التي اقاموها بين الكنيستين قليلة الثبات سريعة الانحطام تسقط بادنى ترفّ اذا عرضوها على محكّ الانتقاد وسبروها بميار الحقّ ونظروا اليها بنور الله الساطع في الاسفار المقدّسة وتآليف الآباء الاوّلين وكتبهم الطقسيّة الجليلة

وهل يا تُرى الامرُ على هذا المنوال بين الكنيسة الاورثذكسيّة والكنائس البروتستانيّة بايّ اسم دُعيت وايّ نعتٍ نعتت بهِ نفسها؟ فدَعْنا نعمل في ذلك نظر العقل الصواب متجرّدين عن كلّ غرض شخصيّ

مساعي البروتستانت المتعدّدة للتقرّب من الكنيسة الاورثذكسية

وقبل ان نبحث في إمكان الاتّحاد بين الكنيستين الانكليكانيّة والاورثذكسيّة يحسن بنا ان نذكر بالاختصار مساعي البروتستانت المتعدّدة للتقرّب من الكنيسة الشرقيّة

ما كاد لوتارس ينشر راية العصيان على الكنيسة الرومانيَّة التي رمتهُ ومشايعيهِ بالحرم حتى سعى اصحابهُ بتوفير انصارهِ وكان من جملتهم ذانكتون فهذا أدرك ما ينقص المجتمعات البروتستانيَّة من علامات كنيسة المسيح « الواحدة الجامعة المقدَّسة الرسوليَّة » فاراد ان يتلافى كلَّ هذه النقائص بالتقرُّب من الكنيسة الشرقيَّة . ففي السنة ١٥٥٩ ارسل الى يواصف الثاني بطريرك القسطنطينيَّة دستور ايمان البروتستانت في مدينة اوسبرغ وشفعهُ بكتاب يحاول فيهِ الدفاع عن مذهبهِ الذي يقرب على قولهِ من مذهب الكنيسة البوزنطيَّة الَّا انَّ البطريرك لم ينخدع بهذه التمويهات فلم يجب عليهِ بحلوةٍ لا مُرَّة

ثمَّ عاد البروتستانت اساتذة مدرسة توبنغن سنة ١٥٧٣ فسعوا بواسطة سفير المانية في القسطنطينيَّة ان يشتركوا بالايمان مع البطريرك ارميا الثاني وطالت المخابرات بين ارباب البروتستانت وزعيم الكنيسة اليونانيَّة الى السنة ١٥٨٢ فلم تأتِ بنتيجة فان ارميا فنَّد كلَّ مزاعم الشيعة اللوترانيَّة بادلَّة قاطعة لم تدع لهم املًا بالاتحاد المرغوب

وما مرَّ على ذلك خمسون سنة حتى تمنَّى اشياع كلوين بالظفر بجلوس كيرلُّس لوكاريس على كرسي القسطنطينيَّة . فان كيرلُّس هذا كان تلقَّن العلوم في مدارس البروتستانت وتشرَّب روحهم وتوصَّل بدسائسهِ الى ان يتولَّى تدبير الكنيسة الشرقيَّة على الروم سنة ١٦٢١ فكان معظم اهتمامهِ ان ينفث في مرؤوسيهِ من ارباب الدين واعيان الرعايا سمَّ التعاليم الكلوينيَّة بعضدهُ في ذلك سفراء انكلترَّة وهولندة واسرج بيتَ المطبوعات البروتستانية الَّا انهُ لم يفز بغايتهِ وبعد ان خُلع مرارًا من رئاستهِ وعاد اليها خمس مرَّات مات اخيرًا المنفى سنة ١٦٣٨ ثمَّ اجتمع بعد موتهِ مجمع ملبي رماهُ بالحرم ونبذ تعاليمهُ الكاذبة . ثمَّ تكرَّر حرمهُ بعد ذلك في الاستانة سنة ١٦٤٢ في عهد البطريرك برثانيوس وفي المجمع الاورشليمي في زمن البطريرك دوسيثاوس سنة ١٦٧٢

وفي اواخر القرن السابع عشر ضُربت ايضًا في الاستانة وفي بقيَّة الكنائس الشرقيَّة بدعةُ كلودين بضربة لازبة اذ نشر بطاركة الشرق مناشيرهم مصرِّحين باعتقادهم لاسرار الكنيسة ولاسيَّما سرَّ القربان الاقدس وراذلين تعاليم البروتستانت

(راجع مقالات المشرق في ذلك ٦ [١٩٠٣] : ٥٠١ و ٩٧١ ثم ٧ [١٩٠٤] : ٧٦٦ و ٧٩٥)

على انَّ الانكليز كانوا يدَّعون انَّهم ليسوا بروتستانت ولا يوافقون اللوترانيين والكلوينيين في مذهبهم فظنُّوا انهم يستطيعون ان يبرموا الاتحاد مع الكنيسة الاورثذكسيَّة . ولبلوغ هذه الغاية بنى اسقف لندن الانكليكاني هنري كومبتون (H. Compton) كنيسةً للروم في عاصمة انكلترَّة سنة ١٦٧٧ وخصَّ اساتذة اوكسفرد سنة ١٦٩٤ احدى مدارسهم ثوريستر (Worcester College) لخدمة اليونان . ولمَّا ارسل صموئيل كپازولس بطريرك الاسكندريَّة الاورثذكسي سنة ١٧١٤ اثنين من اساقفته لجمع الحسنات لكرسيِّه من انكلترَّة عرض عليهما زعماء البروتستانت دستور ايمانهم مع شروط شتَّى لتوحيد الكنيستين طلبوا المصادقة عليها فذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وفي السنة ١٧١٦ عزم قوم من الانكليز والسكوتلنديين على عقد محالفة دينيَّة مع الكنيسة الاورثذكسيَّة فكان نعيبهم الخيبة . ثمَّ تكرَّرت هذه المخابرات دون جدوى في غضون القرن الثامن عشر ثمَّ في التاسع عشر فكان رؤساء الكنيسة الشرقيَّة مع تساهلهم لا يزالون يرون في اقاويل الاكليروس الانكليزي ومعتقداته عدَّة امور منافية لايمانهم لا تنطبق مع تعاليم الآباء الشرقيين

وفي السنة ١٨٤٥ ارسل ملك بروسية فردريك غليوم الرابع بعد اتفاقه مع رئيس اساقفة كنتربري اسقفاً بروتستانتياً الى اورشليم ليقيم فيها ويمهِّد السبيل للاتحاد مع الروم فكان لتنصيبه اسوأ وقع في قلوب الروم وقسم من الانكليز وكانت نتيجة ذلك على خلاف ما ظنَّ البروتستانت وزاد نفور الاورثذكس من المذهب الانجيلي

فالتفت رؤساء الكنيسة الانكليزيَّة الى رئيس اساقفة الرب السيد ميشال مطروبوليت بلغراد فأظهر لهم بعض الانس لكنَّه رأى استنكاف شعبه من المذهب الانكليكاني فقطع العلاقات معهم وحرم احد كهنته يوسف قاسيلياف لمشاركته الانكليكان في الدينيَّات

وفي تلك الاثناء طرأت على الكنيسة الانكليكانيَّة طوارئ جديدة بما يدعونهُ حركة اوكسفرد سنة ١٨٤١ اذ قام عدَّة علماء منها ورأوا ان معتقدات كنيستهم

لا تنطبق مع تعاليم الآباء الاولين فنبذوا كثيراً منها وتقربوا من الكنيسة الكاثوليكية في امور عديدة فدُعوا بالطقسيين (ritualistes) وظنوا اذ ذاك انهُ لم يبقَ عائق في سبيل الاتحاد مع الكنيسة الشرقية فاوفدوا واحداً منهم وليم بلمر (W. Palmer) الى موسكو والى الاستانة لتحقيق آمالهم من الاتحاد فرجع بخفَّي حنين ولم يقبل الاورثذكس ان يشاركوه بالدين بل انكر عليه بطريرك القسطنطينية صحة معموديته . فلمَّا أيس من اقناعهم مرَّ برومة حيث اجتمع بأحد الآباء اليسوعيين فهداهُ الله على يدهِ ونبذ الشيعة البروتستانتية وصار كاثوليكياً . وحذا حذوهُ غيرهُ من اصحاب الحركة المذكورة ذوي الشهرة الواسعة كوليم جورج وَرْد (W. G. Ward) والكردينال نيومن (Newman) ثمَّ الكردينال مانغ (Manning)

على انَّ الأنكليكان في الحقبة الاخيرة اعني منذ اوائل القرن العشرين جدَّدوا آمالهم في عقد الاخاء مع الكنيسة اليونانية لما انتشر في هذا القرن من الولاء وروح التساهل بين العناصر المختلفة ولدخول قسمٍ كبير من المطبوعات الدينية البروتستانتية في مدارس اللاهوت في اليونان وفي مدرسة خلكي وفي مدرسة بتروغراد . فجرت بين رئيس اساقفة كنتربري والبطريرك قسطنطين الخامس مراسلات ودية تتابعت بعدهُ في السنين التالية الى عهدنا هذا ولكن هذه المكاتبات لم تتجاوز المواصلات الانسية ولا نظنّ انها تبلغ الى المشاركة التامة بالدينيات . ودونك اثبات قولنا :

ليس من المحتمل الاتحاد بين الارثذكسية والانكليكانية

(اولاً) لعدم وجود قاعدة ايمان صريحة في الكنيسة الانكليكانية . لو طلبنا من الاكليروس الانكليكاني ان يُعلن لنا بايمانهِ ويحرّر دستور معتقداتهِ لاختلف كلٌّ منهم عن صاحبهِ فينبذ الواحد ما يقبلهُ الآخر ويبارك زيد ما يلعنهُ عمرو . والدليل على قولنا الاطلاع على تاريخ انكلترة الديني فانَّ المعتقدات الدينية قد تلوَّنت عندهم

كابي براقش كلَّ لو ن لونهُ يتخيَّلُ .

أفيمكن الاورثذكسي أن يقبلها مع ما فيها من الاختلاف والتناقض؟

(ثانياً) وهَبْ ان الانكليكان يقدمون للاورثذكس دستوراً موافقاً لتعليمهم

فن يضمن لهم انهم يثبتون عليه مع مبدأ الحرّية الشخصيّة في التعليم والاعتقاد الشائع عند الانكليكان كما عند بقيّة الشيع البروتستانيّة . أفيرضى الاورثذكسيّ بمثل هذه الفوضى الدينيّة ؟

(ثالثاً) يقول ارسطو في حكمه الفلسفيّة انّ صديق صديقي هو صديقي . فالانكليكان اصدقاء لمعظم الشيع البروتستانيّة ولاسيّما الشيع المعروفة رسميّاً من الدولة والمعدودة من كنيسة انكلترّة العليا او السفلى كما ورد في دستور ايمانهم الرسميّ (البند الثامن) . وبين هذه الشيع ما ينكر تعاليم الاورثذكس نكراناً صريحاً او ضمنيّاً . فان صادق الاورثذكس فئةً منهم لا مناص لهم من مصادقة الجميع لما بينهم من الروابط . فما قول الكنيسة البوزنطيّة الكبرى بمثل هذه المصادقة أفليست تجعل فعلاً كلّ تعاليمها ان وافقت الانكليكان في الشركة الدينيّة ؟

(رابعاً) من المعلوم انّ ليس من احد يستطيع الانتظام في سلك الكنيسة الانكليكانيّة الّا ويقسم علانيةً بطاعته للتسع والثلاثين عقيدة التي قرّرتها الحكومة الانكليزيّة في القرن السادس عشر وفرضتها على ذويها الذين يتعهّدون بالمحافظة عليها كتابةً وشفاهاً . والحال انّ بين هذه العقائد المزعومة ما يخالف صريحاً معتقد الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الاورثذكسيّة معاً . واوّل هذه العقائد تجعل كلّ السلطة الدينيّة في عهدة ملك انكلترّة . ومنها ما يعزو الضلال للمجامع المسكونيّة وينبذ غيرها الخمسة الاسرار المقدّسة وينكر الاستحالة . وبعضها يجيز الزواج للكاهن وللمطران . وممّا يضادّ تعليم الكنيسة الاورثذكسيّة ويوافق التعليم الكاثوليكي انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فليت شعري لو حالفت الاورثذكسيّة شقيقتها الانكليكانيّة أفلا يجب عليها ان تقبل كلّ هذه المعتقدات فتُبطل اورثوذكسيّتها من اصلها ؟ (راجع مقالة المرحوم الاب انطون رباط في التسع والثلاثين عقيدة في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٩٣٥—٩٣٨)

(خامساً) قد ثبت اليوم تاريخيّاً ان سرّ الكهنوت قد بطل في الكنيسة الانكليكانيّة لانقطاع سلسلته المتواصلة في الكنيستين الكاثوليكيّة والاورثذكسيّة بعهد الرسل . وقد حكم بذلك حكماً نهائيّاً السيد الذكر البابا لاون الثالث عشر بعد ان شكّل لجنةً خاصّة في فحص هذا الامر الجوهريّ وكذلك رفضت الكنيسة

الاورثذكسيَّة ان تعتبر صحَّة السيامة الكهنوتيَّة عند الانكليكان وذلك في مجمع عقدهُ في رومية سنة ١٨٧٤ المنفصلون عن الكنيسة الرومانيَّة منهم الالمان المدعوون بالكاثوليك العتق انصار دِلِنجر وكان بينهم ممثِّلو كنيسة روسيَّة وكنيسة الفنار . فلمَّا طلب الانكليكان ان يعترف اعضاء المجمع بصحَّة السيامات في انكلترَّة والكنائس المشتقَّة منها وبأنها حفظت دون انثلام السلسلة الاسقفيَّة ، أَبى الجميع ولاسيما المندوبون الاورثذكس ان يوافقوهم على ذلك واتوا لاثبات نفيهم بشواهد من كبار علمائهم كمطروبوليت موسكو فيلاريتوس وكالاستاذ الكسيس مَلْتزاف

(سادساً) ان الكنيسة اليونانيَّة عموماً منذ عهد الرسل الى هذه القرون الاخيرة قد اعتبرت ترجمة الكتب المقدَّسة اليونانيَّة المعروفة بالسبعينيَّة كالترجمة الرسميَّة دون ان تفرق بين الاسفار القانونيَّة الاولى (protocanoniques) المكتوبة بالعبرانيَّة والثانويَّة (deutérocanoniques) الموحى بها بالكلدانيَّة او اليونانيَّة . (راجع مقالة حضرة الاب رباط المنونة « الكتاب المقدَّس والكنيسة الارثوذكسيَّة في الشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٨٠١—٨٣٠) . والحال انَّ الكنيسة الانكليكانيَّة تنفي من توراتها الاسفار الثانويَّة وتنكر صحَّتها ولذلك قد نهى البطريرك القسطنطيني غريغوريوس السادس في المجمع المنعقد سنة ١٨٣٦ عن مطالعة التوراة البروتستانيَّة وحرَّمَ الذين يحضرون اجتماعاتهم الدينيَّة . فيا تُرى ايحقِّق اليوم الاورثذكس ما فنَّدوهُ سابقاً باتحادهم مع الكنيسة الانكليكانيَّة ؟

هذه ملحوظات نعرضها على كافَّة ابناء الكنيسة الاورثذكسيَّة في اقطارها ليقيسوها بمعيار الحكمة ويعرضوها على محكّ الانتقاد الخالي من كلّ غرض . فليحكموا ايمكن لبطريرك الفنار الجديد ان يؤمِّل خيراً من تقرّبه الى الكنيسة الانكليكانيَّة ؟ او يجوز لسيادة المطران مسرَّة ان يحضر كما يقال مؤتمر الاديان الذي نووا عقدهُ في نيويرك فيصافح من يناصبون تعاليم كنيسته بل ينقضون اساس كلّ دين باعتبارهم كلّ الاديان متساويةً ناجمة عن اختراع البشر . ولا نظنّ ان سيادتهُ نسي كلام يوحنا الرسول في رسالته الثانية : « كلّ من تعدَّى ولم يثبت على تعليم المسيح فليس الله له . . . فمن أتاكم ولم يأتِ بهذا التعليم فلا تقبلوهُ في البيت ولا تقولوا له سلام » . وهنا تظهر حكمة الحبر الاعظم الطيب الذكر بندكتوس الخامس عشر وخلفه الجالس

سعيداً على الكرسيّ الرسولي بيوس الحادي عشر وقد ابى كلاهما تعيين مندوبين يحضرون باسمها ذاك المؤتمر لا أنهما يأبيان الاتحاد والائتلاف لكن لعلمهما بانهُ ليس سلام وألفة الّا في كنيسة المسيح المبنيَّة على الصخرة البطرسيّة التي لا تقوى عليها ابواب الجحيم وانَّ من لا يجمع مع المسيح ونائبه فهو يفرّق. أنار الله ابصار الخراف الضالّة ومتّعها بخيرات الراعي الذي اقامهُ تعالى لهداها وسلامتها في سعادة الدارين

فنّ تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعيّ (تتمّة)

تطبيقات المشكل الاوّل في الحياة العمليَّة

نجيب على سؤال المعترض بذكر بعض تطبيقات المشكل الاوّل في الحياة العمليَّة ومنها تظهر فوائد هذه الطريقة لحفظ عدَّة الفاظ بينها علاقة معنويَّة ولفظيَّة

﴿ الاول : حفظ قطعة شعر او نثر بالحرف الواحد ﴾ افترض ايها القارئ العزيز انك تريد استظهار ابيات احمد بك شوقي المذكورة سابقاً . أعِدْ قراءتها فتُوقن ان اسهل وسيلة لحفظها هي حفظ سلسلة الفاظها الآتية : « أنس . حياة . ادهشت . لألأ . علت . رنّت . خرّت . بساط . عريض . كتاب . تحيّة » . ويسهل حفظ هذه السلسلة بايجاد علاقات تربط كلًّا من حلقاتها بالحلقة التالية وفقاً لشروحنا السابقة

﴿ الثاني : حفظ سلسلة الافكار الجوهريّة في خطاب براد الناؤه ﴾

من البديهي انه يسهل بلوغ هذه الغاية بحفظ الالفاظ المعبّرة عن تلك الافكار . فكم وكم من الوعّاظ والمحامين والخطباء السياسيّين وغيرهم كانوا يأمنون محاذير النسيان الشائن لو ونق خطبهم باتباع هذه الطريقة السهلة !

سعيداً على الكرسيّ الرسولي بيوس الحادي عشر وقد ابى كلاهما تعيين مندوبين يحضرون باسمها ذاك المؤتمر لا أنهما يأبيان الاتحاد والائتلاف لكن لعلمهما بانهُ ليس سلام وألفة الّا في كنيسة المسيح المبنيَّة على الصخرة البطرسيّة التي لا تقوى عليها ابواب الجحيم وانَّ من لا يجمع مع المسيح ونائبه فهو يفرّق. أنار الله ابصار الخراف الضالّة ومتّعها بخيرات الراعي الذي اقامهُ تعالى لهداها وسلامتها في سعادة الدارين

فنّ تهذيب الذاكرة

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعيّ (تتمّة)

تطبيقات المشكل الاوّل في الحياة العمليَّة

نجيب على سؤال المعترض بذكر بعض تطبيقات المشكل الاوّل في الحياة العمليَّة ومنها تظهر فوائد هذه الطريقة لحفظ عدَّة الفاظ بينها علاقة معنويَّة ولفظيَّة

﴿ الاول : حفظ قطعة شعر او نثر بالحرف الواحد ﴾ افترض ايها القارئ العزيز انك تريد استظهار ابيات احمد بك شوقي المذكورة سابقاً . أعِدْ قراءتها فتُوقن ان اسهل وسيلة لحفظها هي حفظ سلسلة الفاظها الآتية : « أنس . حياة . ادهشت . لألأ . علت . رنّت . خرّت . بساط . عريض . كتاب . تحيّة » . ويسهل حفظ هذه السلسلة بايجاد علاقات تربط كلًّا من حلقاتها بالحلقة التالية وفقاً لشروحنا السابقة

﴿ الثاني : حفظ سلسلة الافكار الجوهريّة في خطاب براد الناؤه ﴾

من البديهي انه يسهل بلوغ هذه الغاية بحفظ الالفاظ المعبّرة عن تلك الافكار . فكم وكم من الوعّاظ والمحامين والخطباء السياسيّين وغيرهم كانوا يأمنون محاذير النسيان الشائن لو ونق خطبهم باتباع هذه الطريقة السهلة !

﴿ الثالث : حفظ اعمال عديدة ينبغي اجراؤها على ترتيب معلوم ﴾

ولا يخفى على احد ضرورة ذلك الحفظ على آلاف من الاشخاص الذين يقضون سحابة كلّ نهار في اشغال عديدة تختلف اليوم عمّا ستكون غدًا . نورد مثالًا عليهم المستخدَمين الذين يقضون صباح مساء مئة حاجة لاسيادهم متجولين من جهة الى اخرى وذاهبين من شخص الى آخر . فبدلًا من ان يذكروا عشرين عملًا يلزمهم القيام بها تتابعًا يسهل عليهم حفظ عشرين كلمة دالة على تلك الاعمال

﴿ الرابع : حفظ جدول الفاظ مفردة لا علاقة بينها ﴾ قد يتفق الاحتياج الى ذلك الامر في درس اللغات مثلًا كما لو اردتَ حفظ الالفاظ الآتية المؤنثة معنى المذكرة لفظًا . « رجل . ارض . ريح . سقر . سنّ . ساق الخ » . يتيسر عليك ربطها وفقًا لطريقة بيك بمثل العلائق التالية » :

الرجل تسير على الارض . الارض تبردُ بالريح . الريح لا تطفئ سقرَ — في سقر كم قرعَ النادمون سنّهم — سنّ الوحش عضت ساقي الخ . وان استطال القارئ هذه الطريقة اجبناهُ ان الاختبار — اختبار نحو جيل — قد بيّن انها اسرعُ من سواها لبلوغ الغاية المنشورة نعني حفظ عدّة الفاظ بترتيبها . ومن حسنات طريقة بيك في التطبيق السابق الذكر انك إنْ شككتَ في وجود او عدم وجود كلمة معلومة « ريح » مثلًا في عدد الالفاظ المذكرة لفظًا والمؤنثة معنى فانك تحسم ذلك الشك بدون مراجعة كل جدول تلك المفردات في ذاكرتك كما لو تطلّعتَ على الطريقة المعتادة بمجرّد تذكّرك العلاقة الرابطة بينها وبين اللفظة التالية نعني « سقر » . والعلاقة التي اوجدناها على سبيل المثال كانت : « الريح لا تطفئ سقر »

في ما سبق كفاية لبيان بعض اهم تطبيقات حلّ المشكل الاول القائم في حفظ سلسلة الفاظ لا علاقة بينها

﴿ ٢ المشكل الثاني : حفظ معلومات لا تلاحُم معنوي بين اجزائها ﴾ تزيد المعلومات التي ليس بين مفرداتها علاقة تساعد الذاكرة على حفظها دون المفردات والارقام . هاك مثالين على ذلك : الاول ان تحفظ اسماء كل اقطار العالم وعواصمها — والثاني حفظ اخص قواعد النحو او الجبر

ان اسهل طريقة عمومية لحفظ تلك المعلومات هي ان تنظمها شعرًا قبل ان

ودعها في خزائن الذاكرة . أفلم تلاحظ ان الشعر بوزنه وقافيته ورنّته ألوَطُ بالقلب واقرب الى الاذن من النثر ؟ وبناء على ذلك نرى عدداً لا يحصى من المؤلفين قد نظموا لافاً من الابيات ادرجوا فيها هذا علمَ النحو وذاك علمَ الجبر والثالث مبادئ الفلسفة الى غير ذلك من المعارف البشرية . فكان عملهم مع وعورة مسلكه خدمةً جليلة لآلاف من الطلبة اذ يخفف عنهم عبْء الاستظهار المملّ ولاسيما في استعدادهم للامتحانات الرسمية

وقد جرى على هذه الخطة احد مشاهير كتّابنا في العصر المنصرم نعني الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي في مؤلفه « مجمع البحرين » . ففي احدى مقاماته من ذلك الكتاب ارجوزته المختصرة في علم النحو وهاك اولها :

بسائط الكلام حين يُبنى اسمٌ وفعلٌ ثم حرفٌ معنى
والحرفَ واسماً مثلهُ والفعلا كلم بنَوا وأعربوا ما فضلا الخ

وله ايضاً هذه الابيات المنطوية على ابراج السماء :

من البروج في السماء الحَمَلُ تنزل فيه الشمس اذ تعتدلُ
والثور والجوزاء ثم المنزلة وسرطانٌ اسدٌ وسُنبلة
كذلك الميزان ثم العقربُ قوسٌ وجدي دَلوُحوت يشربُ

وقد سبق اليازجيّ كثيرون من كتّاب العرب فلم يدعوا علماً الّا نظموهُ ارجوزةً . وللفرنج امتياز في هذه الطريقة الشعرية . فالاباتي الفرنسي فلاش (Flèche) مؤلف جغرافية فرنسة المنظومة شعراً وفيها لكل مقاطعة بيتان ينطويان على اسمها واشهر مدنها مباشرةً بقاعدتها مثال ذلك :

Seine-et-Oise a Versailles, au château sans pareil,
Pontoise, Rambouillet, Mante, Etampes, Corbeil.

ومن اعظم الكتب المدرسية شيوعاً بفرنسة في الجيل الاخير كتاب يُدعى « بستان جذور اللغة اليونانية » وكانت الجذور مندمجة في ابيات تسهّل حفظها للطلبة . اخيراً لا يخفى على كثير من قرّائنا ان وصايا الله تعالى قد أُدرجت نظماً في كتب التعليم المسيحي الفرنسية . فلا حاجة الى ذكر امثلة أُخرى لبيان فائدة الطريقة التي نحن في صددها .

﴿ ٣ المشكل الثالث : حفظ الارقام ﴾ هذا ضروري او مفيد على الاقلّ في كثير من الظروف مثلاً في درس الرياضيات والتاريخ بل في العلاقات الاجتماعية المتادة كما لو دلّك شخص قابلتهُ في الطريق على عدد بيتهِ في الشارع الفلاني ولم يكن في جيبك قلمٌ لتقييد ذلك العدد

قد سبقتْ لنا الاشارة الموجزة الى طريقة حلّ هذا المشكل . فقلنا انها عبارة عن ابدال الارقام بالفاظ — فان هذه اسهل حفظاً من تلك — وايجاد علاقة عقلية او اصطلاحية بين الطرفين لكي يسهل الانتقال من لفظة معلومة الى الرقم الذي تنوب منابهُ . ومن اشهر الطرق المستخدمة لهذه الغاية الطريقتان الآتيتان :

﴿ الطريقة الاولى ﴾ اوعر مسلكاً . قوامُها ان تبدل كلّ رقم بلفظة تُساويهِ بعدد احرف نحو أن تجعل «ولد» بدلًا من «٣» و«طيب» بدلًا من «٤» و«مدينة» بدلًا من «٥» و«مستعمرات» بدلًا من «٨»

هذا اذا اردتَ حفظ رقمٍ واحد . امّا اذا أُلجئت الى حفظ عدد مركب من رقمين فاكثر فعليك ان تجعل علاقةً معنوية بين الالفاظ النائبة عن الارقام فتكوّن من مجموعها جملة سهلة الحفظ . مثال ذلك قولك «سافر صديقي العزيز» دلالة على العدد ٦٥٤

ومن اجمل تطبيقات هذه الطريقة مضمومةً الى السابقة على يد احد الفرنسيين انه نظم عدة ابيات يدل تتابع الفاظها على سلسلة ارقام الحرف اليوناني π وهو كما لا يخفى مستخدَم في الرياضيات للدلالة على النسبة العددية بين محيط الدائرة وقطرها . ومطلع تلك القصيدة الغريبة كما يأتي :

Que j'aime à faire apprendre un nombre utile aux Sages!

وهذا البيت السهل الحفظ يشير الى العدد الآتي : ٣ ، ١٤١٥٩٢٦٥٣٥

فاذا فرضنا ان احد الرياضيين المحتاجين كثيراً الى العدد π في حساباتهم قد استظهر الابيات العشرة الاولى من هذه القصيدة فانه يحفظ بدون عناء يُذكر نحو تسعين رقماً من ذلك العدد غير القابل التحديد

﴿ الطريقة الثانية ﴾ اسهل من الاولى لانها لا تبدل كل رقم بكلمة مساوية له بعدد الحروف بل باحد حروف الهجاء الساكنة الواقع في بدء كلمة او في بدء مقطع

كلمة . وهي الطريقة الشديدة الرواج حاضراً في عدّة بلاد يُعزى اختراعها الى الفرنسي إيمه باري (Aimé Paris) وقد نشر ابتكاره سنة ١٨٢٠ فعني من نحو جيل

وهاك وفقاً لطريقة باري جدول الارقام العشرة وما يقابلها من الاحرف الساكنة الفرنسيّة

s , z , c = 0	l = 5
t , d = 1	ch, j = 6
n = 2	k, g^dur , c^dur = 7
m = 3	v, f = 8
r = 4	p, b = 9

فترى ان الحروف الساكنة المتقاربة مخرجاً تنوب مناب رقم واحد وعلى هذا النمط يتيسر استخدام كل الابجدية . وقد جمع احد الفرنسيين الجدول السابق الصعب الحفظ في الجملة الآتية التي تلج الذاكرة بسهولة :

Sot tu nous mens, rends les champs qu'a faits Pan (١

فالحروف الساكنة في اوائل كلمات هذه الجملة تتلاحق كما في الجدول السابق . قلنا فيما مرّ بك ان طريقة ابدال الارقام بالحروف الساكنة على المنوال الآنف شرحهُ قد راجت سوقها من نحو جيل عجيبَ الرواج في كلّ البلاد الاوربية وفي ارقى الجمهوريات الاميركية . والحال اننا لم نسمع قط بشيوعها في الشرق على شكلها السابق او ببعض التغيير . أجل ان حساب الجمّل رائج البضاعة في بلادنا من اجيال عديدة . وهو مبنيّ على نفس مبدأ الطريقة السابقة لكنه وُضع لغير ما وُضعت لهُ . وعلى رأينا الضعيف انه على حالته الحاضرة لا يؤدي خدماً تُذكر بل هو بمثابة ملهاة يتلاهى بها الشعراء حين تطول بهم اوقات الفراغ . ثم انه لايقدر بشكله الحالي على القيام الكامل بوظيفة الجدول الغربي لابدال الارقام بالحروف الساكنة . والحالة هذه نلتمس من القراء عذرهم لتجاسرنا رغماً من قصر الباع على عرض الجدول الشرقي الآتي على محكّ انتقادهم :

(١ بان (Pan) عند الاقدمين اسم اله الرُّعاة والقطعان

١ = أ : ر . ل	٦ = و : ف . ص
٢ = ب : ق . ك	٧ = ز : ظ . ذ
٣ = ج : ش . غ	٨ = ح : خ . ث
٤ = د : ض . ن	٩ = ط : ت
٥ = هـ : ع . م	الصفر = ي : س

لقد لاحظتَ ايها القارئ الفطن اولًا اننا اتخذنا الاحرف العشرة الاولى في حساب الجمل بصفة ركن وطيد لجدولنا وذلك طبعاً لتسهيل حفظه (١ . ثانياً حيث لاحاجة في ابدال الارقام بالحروف الساكنة الى غير عشرة ارقام قد زدنا على كل من احرف الجمل العشرة حرفاً او حرفين بمراعاة تشابه المخرج على قدر الامكان مقتدين في ذلك بطريقة إمه باري السابق ذكرهُ

ثم اننا جمعنا كل الاحرف المعبّرة عن رقم واحد في كلمة عربيّة بقدر الاستطاعة وذلك تسهيلًا لحفظ جدولنا على من يريد استخدامهُ وتحصيل بعض فوائده المذكورة في آخر مقالتنا . وهاك الكلمات التي احرف كل منها تنوب مناب الرقم الذي يعلوها :

١	٢	٣	٤	٥
رَأْلٌ (٢	قَبْكِ (٣	شَجْغ	نَضَدَ	عَمِهَ
٦	٧	٨	٩	صفر
وَصَفَ	زذظ	حثخ	طت	يِسِيٌّ

بقي علينا الآن بيان كيفية استعمال هذا الجدول لتسهيل حفظ الاعداد قصيرةً كانت او طويلة . امامك ايها القارئ طريقتان رحبتان لبلوغ تلك الغاية فاختر منهما ما

١) يحسن بالمتودين على حساب الجمّل ان ينبذوا جدولنا ظهريًّا ويحلوا كلّ حرف يدلّ في ذلك الحساب على عدد معيَّن من العشرات والحرف الدالّ على نفس ذلك العدد من المئات بقيمة الحرف الدالّ على ذلك العدد من الآحاد . بناء على ذلك تكون الالف والياء والكاف والراء بمعنى اثنين وعلم جرًّا

٢) الرأل هو فرخ النعامة ٣) قبَّ يدَ فلان بمعنى قطعها

يروق لك: الاولى ان تنيب عن الارقام احرفاً ساكنة واقعة في اول مقاطع(١ كلمة او كلمتين او اكثر حسب طول العدد المراد حفظه . مثال ذلك ان الجملة « لبنان بلدٌ جميل » تنوب مناب العدد ١٥٣٤١٢٤٤١

الثانية ان تنيب عن الأرقام احرفاً ساكنة واقعة في اوائل بضع كلمات . مثلاً: « اهلاً وسهلاً يا عزيزي » تنوب مناب العدد ٥٠٠٧١

وبما انه يحسن في الطريقتين اختيار كلمات مرتبطةً بالمعنى على قدر الامكان فانه يلوح لاول وهلة ان الاولى مع صعوبتها انسب للتعبير عن عدد كثير الارقام

الآن قد وفينا الشرح النظري حقَّهُ ولا ننكر ان فيه بعض الوعورة . على ان القارئ سيجني ثمرة انتباهه الى الايضاحات السابقة في لذيذ التطبيقات اللاحقة

تطبيقات المشكل الثالث في الحياة العملية على الطريقة العربية السابقة الذكر

(اولاً: في حفظ التواريخ الشهيرة) كل من له المام متوسط بالتاريخ يتذكر في كثير من الاحوال الجيلَ الواقعَ فيه حادثٌ ما من الحوادث الكبيرة الشأن مثل استيلاء الاتراك على القسطنطينية في ١٤٥٣ . والحالة هذه فهو لا يحتاج الى سوى تذكر رقمَي الآحاد والعشرات وذلك بان يُنيب عنهما كلمتين متلاحمتين معنًى ملحتين بقدر الامكان ولو عن بُعد الى الحادث المراد حفظ تاريخه . مثلاً « غارةٌ هائلة » تنوب هنا خير مناب عن تاريخ فتح القسطنطينية . فان الغين تدلّ على ٣ والهاء على ٥

ليتأمل القارئ في عظم الفرق بين صعوبة حفظ التاريخ ١٤٥٣ الذي لا رابطة تربطهُ بالفتح المذكور وبين سهولة حفظ الكلمتين « غارة هائلة » الدالتين دلالة كافية على الحادث وعلى تاريخهِ . وقس عليهِ مئات من التواريخ . فدونك مثالاً يساعدك على حفظ تواريخ جلوس امراء العيلة الخديوية على هذا النمط :

محمد علي باشا : ١٨٠٥ = « مجدُ السَّدَة »(٢

عباس باشا الاول: ١٨٤٩ = « تسلَّط دقيقةً » (٣

---

١) تقسيم الكلمات الى مقاطع محدَّدة يجري هنا كما في قواعد العروض . مثلاً « متفاطن » مركبة من خمسة مقاطع وهي مُ تَ فا عِ لُن

٢) لا حسابَ لاداة التعريف فاول حرف ساكن في السدّة هو السين

٣) في هذه الجملة اشارة الى ان عباس الاول اقصر امراء مصر مُلكاً في الجيل الاخير

سعيد باشا : ١٨٥٤ = « دام عزّه » (١
اسماعيل باشا : ١٨٦٣ = « جاش صدره » (٢
توفيق باشا : ١٨٧٩ = « تمّ ظنّه » (٣
عباس باشا الثاني : ١٨٩٢ = « باد تاجه »
السلطان حسين : ١٩١٤ = « ضاء أفقه » (٤
الملك فؤاد : ١٩١٧ = « ذلّل الاعداء » (٥

ترى من هذا المثل كم يسهل عليك تعلّم مئات من التواريخ على منوال سهل ومعقول يجمع بين السهولة واللذة . وقد جرّبنا هذه الطريقة غير مرّة في درس التاريخ فجنينا منها فائدة عظيمة

﴿ ثانياً : في درس الرياضيات والطبيعيات وما شاكلهما ﴾ كل من له بعض الاحاطة بمبادئ تلك العلوم يفقه ضرورة حفظ اعداد كثيرة جوهرية . مثال العدد ٣ السابق ذكره . ولا اسهل من تطبيق طريقتنا العربية في هذا العدد كما في التواريخ الشهيرة . خذ مثلاً العدد الذي اقترحنا عليك قبلاً حفظه ١٧٣، ٦١٧، ٤١١، ٢٣٢، ٦٨٢، ٦١٦ . فلعلّك تظنّ انّ ذلك اعزّ من بيضة الديك مع انهُ اقرب اليك من راحتك على شرط ان تحفظ هذا البيت البسيط :

غزالٌ ظريفٌ رآني بنابٍ كثيفٍ فأجفلْ

فيكفيك ان تبدل كل الحروف الساكنة الواقعة في اوّل مقاطع الكلمات بالارقام المقابلة لها . فتستطيع بعد عشرين سنة ونيّف ان تكتب العدد السابق بارقامه الثابتة عشر دون كلفة . وقد راجت هذه الطريقة لحفظ الاعداد الكثيرة الارقام في درس التاريخ والرياضيات في ارقى البلاد . وتفيد القرّاء ان احد المؤلفين واسمه كَسْتِلْيو (Castillio) وضع قاموساً نظم فيه الاعداد المهمة مرتّبةً وبازاء كل عدد كلمات فرنسية تصلح للتعبير عنه . فيسهل على المرء ان يجد بدون إجهاد فكره كلمتين او اكثر متلاحمة المعنى لحفظ عدد معلوم كثير الارقام

١) اشارة الى بورسعيد المخلّدة لذكره ٢) الماح الى خلعه وبلاياه في اواخر ايّامه
٣) اشارة الى تحقّق ما كان يتوقعه من تداخل الانكليز في ادارة بلده
٤) اشارة الى ارتقائه غير المتوقّع الى السدّة المصرية وتحرّر بلاده من النير التركي
٥) الماح واضح الى الغاء الحماية البريطانية على مصر واعلان الاستقلال المصري

﴿ ثالثاً : العاب شبيهة بالمعجزات ﴾ يسوغ لنا بعد الايضاحات الطويلة السابقة ان نترك اليراع فقد طال بنا هزّه لتسطير هذه المقالة . على اننا لا نريد ان نحرم القرّاء عمّا في هذا الفصل الاخير من الالعاب العجيبة المستظرفة التي يستطيع بعضهم استخدامها لترويح الخواطر ولاسيما اثناء السّهرات العائلية الطويلة فنذكر منها لعبتين فقط

﴿ اللعب الاول ﴾ اقترحْ على احد الحضور انك تُملي عليه عدداً ذا مائتي او ثلاثمائة رقم وفقاً لارادته وانك تستطيع متى شاء ولو بعد شهر كامل ان تعيد له ذلك العدد بترتيبهِ عن ظهر القلب . لا اظنُّ جليسك الّا زاعماً انك تهزأ به او تريد ممازحتهُ . على ان التجربة تؤكد له ان قولك جدٌّ لا مزاح . ولسهل طريقة لاجراء هذا اللعب ان تُملي عليه الارقام المقابلة لكل الحروف الموجودة في قصيدةٍ قد رسخت بذاكرتك . فهذا مثلاً بيتٌ لنجيب الحداد :

وغابت مصابيحُ النجوم كأنما طفاها نسيم الفجر من فيه الوردي

يُقابلها العدد : ٩٢١٣٦ ٨٠٢١٦٥ ٥٦٣٤١١ ١٥٤١٢ الخ

ومن البديهي ان بعض التمرّن يجعلك تنتقل فوراً من الارقام الى الحروف وبالعكس

﴿اللعب الثاني﴾ إقترحْ على جليسك ان يريك عشرة اوراق متتابعة من ورق اللعب المعروف بالشدّة وذلك بعد اسقاط الاوراق المصوّرة وعددها اثنا عشر كما هو معلوم . وعِدْه انك بعد التأمل اليسير في كل من هذه الاوراق العشرة تستطيع بعد يوم بل بعد اسبوع ان تذكر له نوع تلك الاوراق مع المحافظة على تتابعها الاصلي . دونك الطريقة السهلة لصنع هذه المعجزة : اجعل لكلٍّ من الالوان الاربعة الداخلة في ورق اللعب حرفاً اصطلاحياً تبدأ به الكلمات الدالّة على كل الاوراق التي من لون واحد . ثم اجعل آخر كل كلمة حرفاً ساكناً يشير الى العدد المرتسم على كل ورقة بغضّ النظر عن لونها . فيتضح لك ان حفظ عشر كلمات ليس الّا يكفيك للاتيان بالآية التي وعدت صديقك بها

ولدينا العاب اخرى ظريفة مبنيّة على الافادات السابقة يقتضي شرحها بعض الاطالة نؤجلها الى فرصة اخرى . وما ذكرنا منها هنا يظهر كالمعجزات في عين من

يجهل فنّ تثقيف الذاكرة مع انها في واقع الحال بسيطة سهلة لارباب ذلك الفنّ وفرسان ميدانه

وخلاصة القول ان الفن المذكور قد بلغ في عصرنا هذا اوج كماله او يكاد. وهو على اختلاف انواعه جليل الفوائد لمن يريد تزيين ذهنه بقصائد عظماء الشعراء ، او تسلسل الافكار في خطبة عزم على القائها ، او درس التواريخ الشهيرة او اتقان الرياضيّات والطبيعيات على تنوُّع فروعها الى غير ذلك ممّا يصعب حصرهُ في حدود معلومة ، بل ان في ذلك الفن الحديث اسرارًا وكنوزًا عجيبة لمجرَّد ترويح الخاطر من عناء الدروس والاشغال. فالحمد لله الذي كشف لنا كل هذه المنافع والملاذّ الكبيرة على يد العلماء والباحثين الذين هم من اعظم العوامل في ترقية البشر وإسعادهم

رسالة قديمة منسوبة الى افلاطون

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

وصفنا غير مرَّة في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ١٧٣-١٧٨) مجموعةً فلسفيَّة قديمة نقلنا عنها خمس مقالات نفيسة نشرناها في المجلّة في اوقاتها . والمجموعة هذه كانت اوّلًا في ملك جناب القانوني الشهير جرجس بك صفا وهي اليوم في مكتبة السيّد الجليل احمد باشا تيمور . فالعدد الرابع من محتويات المجموعة المذكورة هذا عنوانهُ « رسالة افلاطون الحكيم في حقيقة نفي الغمّ والهم واثبات الزهد جوابًا عن سؤال كان سبق منهُ اليه » يتناول من الكتاب ١٢ صفحةً من الصفحة ١١٢ الى ١٢٣

ومن تصفّح هذه الرسالة وجدها اهلًا بقدماء الفلاسفة من حيث صورتها ومعانيها ومسحتها اليونانيَّة امَّا نسبتها الى افلاطون فغريبة اذ ليس بين اعمال هذا الفيلسوف الشهير التي نعرفها باليونانيَّة . ما يدلُّ على مثل هذه الرسالة اللهمَّ الّا رسالتهُ المعنونة بشفاء ادواء النفس de curandis animæ morbis) التي لها بعض الشبه بالرسالة التي نحن بصددها . واغرب من ذلك توجيه افلاطون رسالتهُ الى فرفيريوس وبينهما ستّة قرون اذ عاش افلاطون في القرن الرابع

يجهل فنّ تثقيف الذاكرة مع انها في واقع الحال بسيطة سهلة لارباب ذلك الفنّ وفرسان ميدانه

وخلاصة القول ان الفن المذكور قد بلغ في عصرنا هذا اوج كماله او يكاد. وهو على اختلاف انواعه جليل الفوائد لمن يريد تزيين ذهنه بقصائد عظماء الشعراء ، او تسلسل الافكار في خطبة عزم على القائها ، او درس التواريخ الشهيرة او اتقان الرياضيّات والطبيعيات على تنوُّع فروعها الى غير ذلك ممّا يصعب حصرهُ في حدود معلومة ، بل ان في ذلك الفن الحديث اسرارًا وكنوزًا عجيبة لمجرَّد ترويح الخاطر من عناء الدروس والاشغال. فالحمد لله الذي كشف لنا كل هذه المنافع والملاذّ الكبيرة على يد العلماء والباحثين الذين هم من اعظم العوامل في ترقية البشر وإسعادهم

رسالة قديمة منسوبة الى افلاطون

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

وصفنا غير مرَّة في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ١٧٣-١٧٨) مجموعةً فلسفيَّة قديمة نقلنا عنها خمس مقالات نفيسة نشرناها في المجلّة في اوقاتها . والمجموعة هذه كانت اوّلًا في ملك جناب القانوني الشهير جرجس بك صفا وهي اليوم في مكتبة السيّد الجليل احمد باشا تيمور . فالعدد الرابع من محتويات المجموعة المذكورة هذا عنوانهُ « رسالة افلاطون الحكيم في حقيقة نفي الغمّ والهم واثبات الزهد جوابًا عن سؤال كان سبق منهُ اليه » يتناول من الكتاب ١٢ صفحةً من الصفحة ١١٢ الى ١٢٣

ومن تصفّح هذه الرسالة وجدها اهلًا بقدماء الفلاسفة من حيث صورتها ومعانيها ومسحتها اليونانيَّة امَّا نسبتها الى افلاطون فغريبة اذ ليس بين اعمال هذا الفيلسوف الشهير التي نعرفها باليونانيَّة . ما يدلُّ على مثل هذه الرسالة اللهمَّ الّا رسالتهُ المعنونة بشفاء ادواء النفس de curandis animæ morbis) التي لها بعض الشبه بالرسالة التي نحن بصددها . واغرب من ذلك توجيه افلاطون رسالتهُ الى فرفيريوس وبينهما ستّة قرون اذ عاش افلاطون في القرن الرابع

قبل الميلاد وفرفيريوس في الثالث بعدهُ. والغالب على رأينا ان الرسالة لاحد المنتسبين الى افلاطون المتمذهبين بمذهبهِ العلميّ وكان عددهم كثيرًا. وعلى كلّ حال انّ الرسالة هذه من الآثار الحريّة بالذكر. وقد اسعدنا الحظّ بوجود نسخة ثانية منها احدث عهدًا دخلت منذ زمن قريب في مكتبتنا الشرقيّة فامكنّا بالمقابلة بين النسختين ان نصلح عدّة اغلاط او تصحيفات وقعت فيهما فدللنا على القديمة بحرف ق وعلى الحديثة بحرف ح . امّا معرّب هذه الرسالة فلم يُذكر ولعلّهُ حنين بن اسحاق المذكور في مقالة اخرى من هذا المجموع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

رسالة افلاطون الحكيم الى فرفيريوس

في حقيقة نفي الغمّ والهمّ واثبات الزهد

جوابًا عن سؤال كان سبق منهُ اليهِ

بسم الله الملك الحقّ والاله الصادق (الصفحة ١١٢) المسمّى بلغات الافتراق (كنا) المقصود بالاتفاق. القديم الذي لم يزل منشئ مبادئ الحركات الاولى . خالق الاضداد من الإصلاح والإفساد. اظهر بذلك قوّتهُ وابان قدرتهُ. تجاوز حدّ العقول والأفهام والخواطر والاوهام. غير منعوت الذات ولا مُدرَك الصفات . سبحانهُ منحر العناصر وقويّ القوّات ومحرّك الحركات . تقدّس اسمهُ وعلا قدرهُ . نور الانوار وزمان الازمان والدهر الداهر سبحانهُ وتقدّس سبحانًا يتّصل بدوامهِ الذي لا تغيّر لهُ ولا فصوم (١ لمدّتهِ ابدًا ابدًا قدّوسًا قدّوسًا اياهُ اسأل واليهِ أضرع ان يجعلني واياك ممّن خصّهم بصفاء العقل وتسديد الفعل (٢ [بما هو منهُ ولهُ وانّهُ وليّ الخير وذاتهُ ٣] وهو (٤ على كل شيء قدير

١) في النسخة الحديثة (ح) : ولا تصرّم
٢) روى ح : وترشيد الفهم
٣) ما ترويهِ بين مكعّبين ناقص في ح
٤) في ح : وهو الازليّ

وردَ كتابُك ايدك الله بكرامة (١ التوفيق تسأل ان ابيّن لك ما الغمّ والهمّ العارضان لكثير من العالم وقلّ الناجي والمتخلص منهما وكيف استحواذهما عليهم مع ما فضّلهم به الربّ (١١٣) جلّ اسمهُ من العقل والتمييز اذ كان تعالى لم يخلق في مصنوعاته خلوًا في مصلحته بل كلُّ ما خلقهُ من خلقه مكتفٍ غنيٌّ فلا يُرى شيءٌ من الحيوانات محتاجاً الى غيره . ثمّ فضّل الانسان بالنطق والبيان ومعرفة الدلائل والبرهان . ثمّ انهُ يعرض لهُ مع ما هو عليه من شريف الخلق وسنيّ العقل الهمُّ والغمُّ فهل ذلك بحقيقة (٢ موجودة في الحقيقة ام عرَضٍ داخل وفكرٍ فاسد بفساد ذاته ونقص آلاته الشفافة بالعقل (٣ المؤدية للفهم

فرأيتُ ان أجيبك اكرمكَ الله بما أعلمهُ وبما قُسِم لي من تدبيره (٤ اذ كان ما نُبادي اليه وان تناهينا فغير واجدين نهاية من العلم حتى نبلغ الى نهايته . فتبارك نهاية النهايات وغاية الغايات وفّقك الله للخير وجعلك له اهلًا ان تعلم ان كلّ ألم غير منعوت الاسباب غير موجود الشفاء فيجب ان نبيّن لك ما الغمّ والهمّ وما سببهما ليكون شفاؤهما ظاهر الوجود ان شاء الله

فالهمُّ تقسيم الافكار وحيرة النفس وخوفها وهو سريع الزوال والانتقال . وامّا الغمّ فخطرٌ كبير وامرٌ عظيم [يذيب القوّة ويقهر الحرارة ويهدم الجسم ويكدّر الاوقات] ويقصّر مادّة العمر . وهو ألمٌ نفسانيّ يعرضُ لفقد محبوب او فوت مطلوب (١١٤) . ولو فكّر اهل هذا العالم الدنيّ التالف بما هم وفيما هم لعلموا انهم اعراض زائلة واشباه حائلة تتصرّف بهم الأيام وتقلّبهم الاحكام . فالواجب ان يبدأوا بالغم على نفوسهم فهي اولى من الغم على محبوباتهم ومطلوباتهم اذ هم يعلمون انهم سيعدمون ما عدموهُ ويفقدون ما فقدوهُ وتقدّمت معرفتهم بذلك وتيقّنوا ان نفوسهم واغراضهم غير باقية لانّ كل ما في عالم الكون والفساد مضمحلّ زائل فكان معنى مرادهم أن طلبوا الثبات والدوام من الفانية المضمحلّة الفاسدة . وانّما الدوام والثبات موجودان في عالم العقل . فكأنّ من طلب من الزمان ما ليس فيه اراد منهُ ما ليس في طبعه . ومن اراد من الطبع ما ليس في الطبع اراد ما ليس بموجود ومن اراد غير

١) ح : ببركة ٢) ح : لحقيقة ٣) ح : في الحقيقة
٤) ح : من تدبيره

الموجود عُدم طلبتهُ والعادمُ طلبتهِ مُعنًى شقيّ فينبغي للعاقل ان يطلب ما يُسعده دون ما يُشقيه ويحترس (١ من سلوك طريق الشقاء والجهل

واقول انّ من لم يعرف الزمان ويختبر اصول الاحوال متى زالت عنهُ عادةً وجوهُ الدنيا فارق معها الشهوات الحسيّة من لذيذ الطعام وطيّب الشراب وملبس الملبوس والمنكوح وما شاكل ذلك وقد تقرّرت معرفتهُ انها (١١٥) اعراض لا تملك الّا من جهتين: امّا اكتساب مغالبة او اكتساب بضرب من الحيل التي تسميها الناس تجارةً او صناعةً. وتيقّن انهُ لا بدّ ان تضمحلّ محبوباتهُ ومن لم يدرك ذلك فكأنّهُ اراد ما قدّمنا ذكرهُ من الفاسد ان لايكون فاسدًا ومن الزائل ان لايكون زائلًا. فاذا اردنا ان لا نُصاب بمصيبةٍ فكأنّا اردنا ان لا نكون (٢ البتّة لأن المصائب لا تكون الّا بفساد الفاسد فان لم يكن فاسدٌ لم يكن كائنٌ (٣ ولو قصد بمحبوباته الثبات والبقاء لقصد طبع البقاء للظاعنة (٤ والزم نفسهُ (٥ في العاجلة القناعة ولم يستقبل ما يأتيه بحرص ولا يُتعب نفسهُ بما زال عنهُ وفاتهُ بندمٍ واسف بل يؤدّب نفسهُ تأديب الملوك الاجلّاء الآخذين نفوسهم بحقيقة (٦ الادب فهم لا يستقبلون آتيًا ولا يودّعون ظاعنًا. فامّا حشو الناس وهمّتهم فشيّعو كلّ غائب ومستقبلو (٧ كل آتٍ فاذا ادّب الانسان نفسهُ بأدب الحقّ وألزمها دلائل الصدق استعمل (٨ نفي الغم وزوال الهم كما قد بيّنا قبلًا واستمتع بالمدّة اليسيرة من عمره

ثمّ رأينا العادات في الناس تجري مع الطبع بمجاراته (٩ وتنقّله ويستحوذ (١٠ عليها فيألفها الطبع ويلزمها بالهمّ (١١ وينصرف اليها (١١٦) ولو الزم نفسهُ لذيذ الطعام فاكل من دونه لأشبعهُ وأجزاهُ اذ كانا يتساويان بعد ساعةٍ ويبينان القصد اطرادًا من الشبع وانّما تحصل لهُ لذّة ساعة حتى لو دام لهُ ما قد استطابهُ لرفضهُ لذا شبع منهُ ولتلاهُ

وكذلك الملبوسات يحرص الانسان على ما قد الزمهُ نفسهُ وألفتهُ عادتهُ من جليلها ومستحسنها ولو لبس دون ذلك اقنعهُ وكلّ يتساوى في سَتْر العورة وشرعة

---

١) ح : ويتحرص ٢) ق : يكون ٣) الاصل فاسدًا . . كائنًا
٤) ق : بالظاعنة ٥) ح : النفس ٦) ح : الآخذين بنفوسهم حقيقة
٧) الاصل : مشيعي . . . مستقبلي ٨) ق : واستعجل
٩) ق : مجاراهُ ١٠) ق : ويستحق ١١) ق : بالهمّة

البقاء. ولو تدثّر بالحكمة وتزيّن بزينة العلم الذي هو افضل مذخور وملبوس وتزيّن لم يغتمّ لفقد الملبوس وكان كما حُكي عن ديوجانس الحكيم لمّا مرّ به انطياخوس (١ الملك فلم يقم له. فركّله الحاجب برجلهِ فقال له الحكيم: أخُلقُ انسانٍ او خلقُ بهيمة. ما حملك على ما صنعتَ بي؟ قال: اذ لم تقُم للملك إجلالًا. فاجابهُ الحكيم: ما لأقوم لعبد عَبْدتي. فادركها (٢ الملك وسمع المقالة ثمّ قال له: من اين لك انّني عبدُ عَبْدتك؟ قال الحكيم: لانك عبدُ الدنيا وخادمُها ومن ترك شيئاً فقد اقتدر عليهِ فلمّا تركتُها انا اختياراً وخدمتَها انت اضطراراً وجب ان تكون لها عبداً. فعلم الملك مُرادهُ وانهُ حكيم. ثمّ عطفَ عليهِ بالقول فقال: هل لكَ في صحبتي فانّي مفوّض اليك خزائن الذهب والفضّة. فقال لهُ الحكيم: لو يكون (١١٧) لهما قدرٌ (٣ لما اشتُري بهما خسيس الاشياء. فقال لهُ الملك: فأطعمك الطيّبات. قال له: ما فضلُ شبعِ الملوك على غيرهم؟ قال لهُ الملك فازيّنك بافخر الثياب (٤. فاجابهُ الحكيم: انّ الوصيّة سبقت لنا من الحكماء ان نزيّن اجسادنا بزينة العلم والتُّقى. فبكى الملك وانصرف آنساً منهُ

ثمّ رأينا في عادات كثيرة من الناس شدّة حرصهم على المكسب وجمع ما يجمعونهُ حتّى اذا تكامل معهم ما فيهِ وضوٌ عمدوا اليهِ فأتلفوهُ بالسياث (٥ ورأوهُ غمّاً ولو مُنعوا من ذلك لرأوهُ غمّاً ومصيبةً. وهذا المخنّث (٦ بالشهوة الفاضحة [من نتف لحيتهِ وحلقها (٧] وحرصهِ على الاخلاق الدنيئة (٨ لو مُنع منها وأُكره على الدخول في زيّ اكابر الناس واخلاقهم لاغتمّ لذلك ورآهُ مصيبةً. وترى الشاطر مع هو عليهِ من قبح السياسة وكثرة الخطر بالحركات وقطع الاعضاء وأليم العقوبات وربّما آل امرهُ الى القتل والصلب والشهرة والتنكيل فلو اكرهَ مكروه على لزوم السلامة لرآهُ نقصاً وغمّاً. فنقول الآن: هل (٩ غمّهُ واجب في العقل أوليس ذلك عرضاً فاسداً (١٠ مازجَ حسّاً فاسداً. وانّ العادات المقدّم ذكرها جرت مجرى الطبع وألزم نفسهُ طلبها

١) ح: تيتوخوس؟ ٢) الاصل: ادركهم ٣) في الاصل: قدراً
٤) الملبوس ٥) في الاصل: السان. ولعلّهُ التيان
٦) ح: ومكفنا المحبّة (؟) ٧) ينقص في ح ٨) ح: والزينة
٩) ق: ان ١٠) ق: عرضاً فاسداً

فاذا قد بيّنّا (١١٨) انّ العادة تجري مجرى الطبع فتصلحه وتُفسده وتقمّعه وتمرّنه فيلزم النفوس طبعُ القناعة والخير وإزالة الغمّ فيما يدخله (١ عليها بسوء الطبع والاختيار. لانّ المحبوبَ والمكروه في الحسّين ليسا بشيء لازم في الطبع بل بالعادات فسبيلنا ان نعوّد نفوسنا السلوة والرياضة وإنْ تعبت فلنصبر على التعب (٢ والمنازعة منها لِما نرجوه (٣ لها من الراحة في العاجلة والآجلة. ألا ترى انّ كثيرًا ممّن تعارضهم العلل فيؤول امرهم الى قطع لُرَب وكيّ عضوٍ يتكلفون (٤ مضضَه وربّما استعملوا البطّ والضماد ومضض الادوية مع ما يتعجّل من النفقة والغرامات والصبر على ما ذكرناه لِما يُرجى من عُقبى الراحة فكيف لا نصبر على مضض النفس في المنازعة الى الباطل واكراهها على المعاودة الى طرق الحقّ والسلامة اذ علاج النفس اقلّ خطرًا واخفّ مؤونة واعظم قدرًا واذ هي ملكة البدن وبفساد المَلِك يفسد امرُ الرعيّة. والشهوات (٥ ملكةٌ على النفس مسلّطة عليها والعقلُ ملكٌ على الكلّ ومادّة من الاصل. فمن كان لهُ عقل اثر مصلحة نفسه على فسادها وبرّءها على سقامها وليعالجها بادوية الحقّ ومرارة الصبر وأخذ اليقين والكلفة حتى تسلم لهُ وتصبو الى الشهوات الباقية وسكنى دار البقاء من بعد استعجالهِ إسقاط الغمّ والهمّ اذ كنّا (١١٩) قد بيّنّا انهما كما رُوي عن هرمس الحكيم انهُ قال: أولى الناس بالرحمة من وقع في سوء المَلَكة. قيل لهُ: ومن ذلك؟ قال: مَن كثرت شهواتُه فأُدّيت حسراتهُ فهو مبتوت بتصاريف كُلَفها فانْ نفاها عقلُه وقهرها فهمهُ فهو عتيقُ العقل والعقلُ مادّة من الاصل ومن اعتقهُ الله ورحمهُ من شقاء الدنيا كان اولى برحمته وعتقه من شقاء الاخرى (٦. فمن (٧ اراد طريق الحقّ وهو الواضح لمن سلكهُ فليفكّ نفسهُ من وثاق الغمّ حتى يخلصَ لطلب ما هو احوج اليهِ وليقلّ قُنيتهُ من اثقال ما في هذا العالم الدنيّ التالف. فقد رُوي عن سقراط انهُ كان يأوي الى كُرجبٍ قد طُوي ووطي فيهِ بتراب وقال لمن حضرهُ: من اراد قلّة الغمّ فليقلّ القُنية. فقال بعضهم: يا معلم وان انكسر بقيّة الجبّ. قال: ان انكسر لم ينكسر المكان ولم اعدم التراب وقد حُكي عن الزر (كذا) ملك رومية انهُ أُهدي اليهِ قبّة ثمينة عجيبة خطيرة

١) ح: يدخلها ٢) ح: على مُضَض التعب ٣) ق: يرجوهُ
٤) الاصل: يتكلفوا ٥) ح: والشهوة ٦) ح: الآخرة ٧) ق: ان

فرح بها وزادت بهجتُهُ [ومَن حضرهُ بجسنها (١] وكان في جملة الحاضرين حكيمٌ فقال لهُ الملك: ما تقول انت في هذه القبّة(٢ اذ انت مُنبئك من الكلام؟ فقال لهُ الحكيم: أقول انّها اظهرتْ منك فاقةً وفقراً ودلّت منك على عظيم مصيبة متى لحقها (١٢٠) خطرٌ عارض. فحُكي انّ الملك اراد التنزّه في بعض الجزائر (٣ من بعد حين من مجلسه (٤ هذا فامر بحمل القبّة لتُنصَب لهُ في متنزهه فكُسِرت بها (٥ المركب وغرقت فدخل على الملك عظيم المصيبة ولم يقبض (٦ منها بسلوة الى ان مات فكان من امره ما رآهُ الحكيم بعين الحكمة

وينبغي ان تعلم انّ كلّ مصيبةٍ ومحزنةٍ من تالفٍ او نائبة مما قدّمنا ذكرهُ اذا تأملناها وجدناها نقضت همومنا واشتغال قلوبنا . واذا تيقّنّا ذلك زال الهمّ عن طبع المصائب [الى طبع النعم ومن هاهنا يتيقّن اصحاب العقل انّ المصائب نِعَمٌ (٧] يجب عليها الشكر فالحمد لوليّها

فتأمل أيها الاخ هذه القضايا تأملاً ثابتاً في نفسك فتنجو بها من آفات الحزن وتبلغ بها درجات اهل الزهادة(٨ غير مُتلِكٍ اعراض الشهوات على نفسك ولا سالكٍ بها مسالك التمّ لا سيّما على ما ليس بواجب في العقل لانّا قد بيّنّا ما فيه مُقنع لمن تدبّرهُ ان شاء الله . مع انّ الذي نحزن عليه لا يخلو من ان يكون فِعلَنا او فعلَ غيرنا فان كان فعلَنا فينبغي ان لا نفعل ما يُحزننا فانّا ان فعلنا ما يحزننا ولا نمسك عن فعله اتينا نحن ما لا نريد (٩ وهذا هو الحال. وان كان المحزن لنا فعلَ غيرنا فلا نحزن على ما ليس لنا وما عارية معنا ولصاحبه استرجاعُهُ(١٢١) ان شاء. (١٠ . فمن رُزق التدبير لما قد بيّناهُ فلْتُقبِلْ منافستُهُ في الاعراض (١١ الثانية وليتأمل حقائق دلائل الآخرة وليتنافس في طلب اللذّات التي لا يمازجها الكدر ولا يعارضها الفساد ان كانت المصائب تنفعُهُ(١٢

وكثيراً ما يقدّر الناس مصيبة الموت ويكرهونهُ ولنا اقول انّما يكرهُ المقتضي

---

١) ح : بهجتهُ فيها
٢) ق : انت فيها ٣) الاصل : الجزائر ٤) ق : مجلسه
٥) ق : فكسرتها ٦) ق : يبيض ٧) ق : نعم. وما وُضع بين مكتجب وقع من اصل ح ٨) في الاصل : الزيادة ٩) في الاصل: يريد
١٠) في الاصل: اني اساء ١١) ح: الاغراض ١٢) في الاصل: اذ كانت المصائب تضر

من لم يُعِدّ وفاء الدَّين فأمّا من اعدّهُ فهو اشهى(١ الى مقتضيه من مقتضيه . ولو تدبَّر الناس امرَ الموت لعلموا انهُ محمود غير مذموم لأنَّ الموت تمامُ طبيعتنا ولو لم يكن موت لم يكن انسان . لأنَّ حدَّ الانسان وصفتَهُ هو الحيّ الناطق الميّت فان لم يكن بميّت فليس انسان . ومع ذلك فهو البريد الى دار الآخرة وان كانوا يكرهون ذلك ومثالهُ في الحقيقة . ولو عَقَل الانسان وهو نطفة ممازج للقوة ثمَّ خُيّر نقلهُ من نفس الطبائع الممازجة لهُ لم يكن يختار غير ما هو عليهِ . ثمَّ اذا سبقت المشيّة من بارئهِ والارادة من خالقهِ فنقلهُ الى ان صار في الانثيين فلو خُيّر الانتقال لم يختر ذلك . ثمَّ ينتقل الى الرحم وهو اوسع مجالًا من الانثيين لو خُيّر لاختار الثبات . ثمَّ يُنقَل كرهاً بعد كرهٍ الى الاحشاء والمشيمة لتمام الكمال والكون فلو خُيّر نقلهُ الى فسحة العالم لكره ذلك (١٢٢) ولاختار مقامَهُ . ثمَّ انهُ لو سيمَ الرجوع الى ما كان يضيق عليهِ من الرحم من قبل اختياره ما سواه لما كان يؤثر العودة . ثمَّ اذا قصدَتْ الارادة ازعاجهُ من جوف امّهِ وخروجهُ الى نسيم هذا العالم انّما ذلك على الكره منهُ . ثمَّ لو قيل لهُ من بعد مشاهدة فسحة العالم : ترجع الى جوف امّك وما كنتَ عليهِ شحيحاً لَرَدَّ(٢ ذلك وأباهُ . فكذلك اقول مَن نُقل الى عالم البقاء وفسحتهِ وانْ كرهَهُ لكلفة النقلة وقلّة المعرفة بما هو اليهِ صائر من الاغتباط (٣ بدوام البقاء الروحاني لو خُيّر من بعد مشاهدتهِ عالم البقاء الرجوع الى الدنيا فتكون لهُ بجميعها كان كمن قيل لهُ ترجع الى جوف امّك من بعد مشاهدتهِ هذا العالم . وليس الموت مكروهاً لمن قدم وعقَلَ وتبيَّن اذ نحن في عالم محدود وفلك محصور ودار زوال وسكنى انتقال

وقد بيّنّا الآن ما هو الهمّ والغمّ على جميع ما في هذا العالم غير ثابتَيْن في الحقيقة . وبيّنّا ما يألفهُ الطبع الى ان يصير سلّماً للهمّ وسبباً للغم وانَّ كلّ ما كثر من الناس طالبيهِ فغير طالبي حقيقةٍ بل باطلٍ ومحالةٍ . وبيّنّا انَّ الموت غير مكروه ورأسُ السياسة العقليّة هو ترك اتباع الشهوات والهوى وقمع النفس عن باطل الاماني وكاذب المواعيد ولا بُدَّ من قطع المدّة وبلوغ الغاية فمن سامح هواهُ ونفسَهُ ندم ومن تدبَّر بتدبير العقل (١٢٣) رَشَدَ . ومن سمع الوعظ والحكمة ثمَّ لم يعمل بهما

---

١) ح : اقضى ٢) غ : لكره ٣) ح : من قبل الاغتباط

كانا شاهدين عليهِ وهو محجوج بهما والسلام

تمَّت الرسالة والحمد لله جلَّ الحمد

وجاء في آخر الرسالة السابقة قول لفيثاغورس نلحقهُ بها كما في الاصل :

قال فيثاغورس : اذا ألقيت شهوة الاستغناء فقد استغنيت . وما اكثر من ظنَّ انَّ الفقير هو الذي لا يملك شيئاً وانَّ الغنيَّ الذي يملك الشيء الكثير وهذا فقرٌ وغنًى بالمَرَض . فامَّا الفقير الطبيعي فهو الذي شهواتهُ كثيرة وامَّا الغنيّ الطبيعي فهو الذي لا يحتاج الى احد اعني الذي قد ملك شهوتَهُ وضبط نفسَهُ . لانَّك اذا ملكت شهوتك فذاك هو الغنى الاكبر لانَّ من ملك شهوتَهُ فقد استغنى عن العالم باسره .

« تمَّ والحمدُ لله »

السبحة وكبار الرجال

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد خصَّت الكنيسة الكاثوليكيَّة شهر تشرين الاوَّل بعبادة الورديَّة وليست الورديَّة سوى طريقةٍ من الصلاة يكرِّر فيها المتعبِّد الصلاة الربيَّة خمس عشرة مرَّة يُلحقها كلَّ مرَّة بعشر مرَّات السلام الملائكي ذكرًا للاسرار الخمسة عشر الجامعة لحياة السيِّد المسيح ووالدته الطاهرة اي اسرار الفرح واسرار الحزن واسرار المجد يتألف من كلِّ قسم من هذه الاقسام الثلثة ما ندعوهُ بالسُّبحة او المسبحة

وهذه العبادة البسيطة التي اوحت بها البتول العذراء الى عبدها القديس دومنيك منشئ الرهبانيَّة الدومنيكيَّة في القرن الثاني عشر قد شاعت في انحاء البلاد حيثما تبسط الكنيسة الكاثوليكيَّة رواقها فأتت بثمار روحيَّة لا يفي بها احصاء وانعشت روح الايمان في كثير من الاقطار وكبحت مرَّة البدَع وخمدت شوكة الاهواء .

كانا شاهدين عليهِ وهو محجوج بهما والسلام

تمَّت الرسالة والحمد لله جلَّ الحمد

وجاء في آخر الرسالة السابقة قول لفيثاغورس نلحقهُ بها كما في الاصل :

قال فيثاغورس : اذا ألقيت شهوة الاستغناء فقد استغنيت . وما اكثر من ظنَّ انَّ الفقير هو الذي لا يملك شيئاً وانَّ الغنيَّ الذي يملك الشيء الكثير وهذا فقرٌ وغنًى بالمَرَض . فامَّا الفقير الطبيعي فهو الذي شهواتهُ كثيرة وامَّا الغنيّ الطبيعي فهو الذي لا يحتاج الى احد اعني الذي قد ملك شهوتَهُ وضبط نفسَهُ . لانَّك اذا ملكت شهوتك فذاك هو الغنى الاكبر لانَّ من ملك شهوتَهُ فقد استغنى عن العالم باسره .

« تمَّ والحمدُ لله »

السبحة وكبار الرجال

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد خصَّت الكنيسة الكاثوليكيَّة شهر تشرين الاوَّل بعبادة الورديَّة وليست الورديَّة سوى طريقةٍ من الصلاة يكرِّر فيها المتعبِّد الصلاة الربيَّة خمس عشرة مرَّة يُلحقها كلَّ مرَّة بعشر مرَّات السلام الملائكي ذكرًا للاسرار الخمسة عشر الجامعة لحياة السيِّد المسيح ووالدته الطاهرة اي اسرار الفرح واسرار الحزن واسرار المجد يتألف من كلِّ قسم من هذه الاقسام الثلثة ما ندعوهُ بالسُّبحة او المسبحة

وهذه العبادة البسيطة التي اوحت بها البتول العذراء الى عبدها القديس دومنيك منشئ الرهبانيَّة الدومنيكيَّة في القرن الثاني عشر قد شاعت في انحاء البلاد حيثما تبسط الكنيسة الكاثوليكيَّة رواقها فأتت بثمار روحيَّة لا يفي بها احصاء وانعشت روح الايمان في كثير من الاقطار وكبحت مرَّة البدَع وخمدت شوكة الاهواء .

وكأنَّ البتول العذراء مريم ارادت ان تؤيّد هذه العبادة بمثلها في زماننا لما ظهرت في لورد للفتاة برنديت سنة ١٨٥٨ فكانت سبحة ناصعة البياض على ذراعها تتحدَّر على ثوبها البهيّ . وقد بيَّن الطيّب الذكر البابا لاون الثالث عشر ببراءات متعدّدة كان ينشرها كلَّ سنةٍ ما لعبادة الورديَّة من الخواصّ العجيبة لاحياء الايمان وتوطيد الفضائل في القلوب بتأمل اسرار حياة السيّد المسيح ووالدته المباركة

وهذه العبادة التي توافق خصوصاً النفوس الساذجة وادنياء هذا العالم قد وجد فيها ايضاً كبارُ رجال النصرانيّة سلواناً وقوّة . كيف لا وفي تلاوتها ذكرى اخصّ حقائق الدين النصراني مشفوعةً باكرم واسنى مثال من شأنه ان يبعث في القلوب همّةً قعساء لطلب عظائم الامور

١ الملوك وعبادة الورديّة

شاعت عبادة الورديّة في بلاط ملوك فرنسة فسبقوا غيرهم في ممارستها . ومما يُذكر من ذلك انَّ اكبر ملوك تلك الدولة واعظمهم فضلاً وفضيلة القديس لويس التاسع كان مولدهُ نتيجة صلاة الورديّة . فان والدتهُ الجزيلة التقوى بلانش دي كستيل اجتمعت برسول الورديّة القديس دومنيك وطلبت اليه ان يدلّها على اقرب وسيلةٍ لتنال من الله ابناً يكون مجد فرنسة بفضائله الدينيّة والملكيّة فاكّد لها القديس انَّ الله يستجيب دعاءها اذا واظبت على عبادة الورديّة . فرضيت بوصيّته ولم تمرّ عليها سنة حتّى دُقّت لها الافراح وتباشرت فرنسة بمولد القديس لويس التاسع المخلّد الذكر (١٢١٥) فجرى على مثال والدته في عبادتها الورديّة وصار في كلّ اعماله قدوةً لملوك الارض واعيان الدول

وكذلك جاهر فرنسيس الاوّل ولويس الثالث عشر بعبادتها لورديّة البتول وتلاوة صلواتها . ولمّا اهتدى هنريكس الرابع الى الايمان الكاثوليكيّ بعد تشيّعهِ للبروتستانيّة لم يكتفِ بممارسة فرائض هذا الدين بل اراد ايضاً ان يتقيّد بنوافلهِ فكان كلَّ سبتٍ يتلو الورديّة بتمامها ويوم الاحد ثلثها اي السبحة

امّا لويس الرابع عشر المعروف بالكبير فانهُ لم يدع يوماً يفوتهُ دون تلاوة السبحة . دخل عليهِ يوماً احد امراء دولتهِ على بغتةٍ فرآهُ وفي يدهِ سبحة ذات حبوبٍ

كبيرة وهو يردّد صلاتها . فلم يتمالك الامير من إظهار اندهاشه . فالتفت اليه الملك قائلاً : قد اخذك الانذهال اذ رأيتني اتلو السُّبحة . وانا أعدُّ ذلك فخرًا وهي نِعمَ العادة تعلّمتُها من والدتي التقيّة ولو اهملتُها يوماً لخامرني الكدرُ لإهمالي تلك الفريضة

وقد اشتهر في انكلترّة ادورد الثالث (١٣١٢—١٣٧٧) بحروبه وانتصاراته . وكان اعتاد ايضاً تلاوة وردّية العذراء فينسب اليها مآثرهُ . ومثلهُ ملك اسبانية العظيم كرلس الخامس اتّخذ تلاوة الورديّة ديدناً

ولمّا حُكم بالاعدام على ماري ستوارت ملكة اسكوتلندة بظلم الملكة اليصابات الانكليزيّة سارت ماري الى منقع الدم بكل رباطة جأش والسبحة في منطقتها

واشتهر ايضاً بملازمة هذه العبادة ملكان آخران في بولونية وهما كزيمير الكبير (١٥٠٩—١٥٧٠) وسجسمند الثالث (١٥٦٦—١٦٣٢) وقد عُرف كلاهما بمآثر جمّة واعمال عظيمة الشأن فضلاً عن تقاهما

٢ كماة الحروب وعبادة الورديّة

وان قصدنا رجالاً كبارًا غير الملوك ممّن تفاخروا بأداء عبادة الورديّة لملكة السماء لتوفّر عددهم وضاقت المجلّة عن حصر اسمائهم . فكلّ من لهُ إلمام بتاريخ فرنسة لا يجهل اسم ذلك الفارس « الذي لم يعرف الخوف ولم يأخذهُ لوم » اعني به الفارس بيّار (Bayyad) فاصبح ذكرهُ مرادفاً للبسالة والكمال . فانّهُ لم يدَع يوماً يمضي عليه دون ان يُحيي البتول بصلاة الورديّة ويطلب من مريم بركتها جاثياً في صدوره وورودهِ وذهابهِ وايابهِ

وليس دونهُ شهرةً وحماسةً وتقًى الكندسطبل حنّة دي مونمورنسي (Aune de Monmorency) (١٤٩٣—١٥٦٧) البطل الصنديد المكلّل بتيجان الظفر في عدّة مواقع كان يحمل على العدوّ حملات شعواء وهو يتغنّى بصلوات السبحة فاذا هزم العدوّ عاد الى غنائهِ التقويّ

وما من احد من اهل تيرول الّا وهو يثني على اندراوس هوفر الفارس العظيم الذي خلّص وطنهُ مع فئات من الثلاحين وهو يردّد صلوات الورديّة وكان قبل ان يزحف على العدوّ يصرخ الى ذويهِ قائلاً : اجثوا على الركب واهتفوا بصلاة الورديّة . فان

صوتها الشهي اليّ من صوت الميدان واذا سمعها الربّ يُسرع الى اغاثتنا

ومثلهم ابطال فندية المتطوّعون لمّا قاموا في اواخر القرن الثامن عشر في وجه الثورة الكبيرة ليدافعوا عن دينهم واستقلالهم فانهم كانوا ينقضّون على اعدائهم والسيف في يمناهم والسبحة في شمالهم فكانوا اشدّ من الاسود وأرهب من العقبان

٣ نوابغ الرجال وعبادة الورديّة

وكما كان كماة الحرب يجدون في ورديّتهم قوّة جديدة في ساحات الوغى كذلك كثير من كبار العلماء كانوا يلتجئون الى الورديّة لينالوا بواسطتها نورًا يرشدهم الى اكتشاف معلومات جديدة او يفكّ لهم مُعضلات المشاكل. فمنهم كريستوف كولمبوس الذي كان يلتجئ الى مريم العذراء في كلّ اسفاره واكتشافاته وقد دعا سفينته التي مخرت به الى اميركا باسم البتول مريم وكثيرًا ما حجّ الى مزاراتها وقد اطلق اسم العذراء مريم على عدّة جزائر اكتشفها واسمها باقٍ الى اليوم. وكان يعلّم نوتيّته سلام الورديّة

نبغ في صناعتي النحت والتصوير في القرن السادس عشر ميكال انجلو والى اليوم تُرى سبحة الورديّة التي كان يتلوها في حياته معلّقةً على جدران داره في فلورنسة. وكان ميكال انجلو لا يتجشّم سفرًا الّا قدّم عليه تلاوة الورديّة. ومن مخترعاته الظريفة في صورة « الدينونة الاخيرة » التي تزين بلاط الباباوات ومعبدهم السكستي انّه رسم صورة نفسين بلغت احداهما جنان الفردوس فتمدّ الى رفيقتها سبحة لتتشبّث بها فتصعد هي ايضًا الى الاخدار السماويّة

اشتهر بين نوابغ الموسيقيين رجلان عظيمان هَيدِن (Haydn) (١٧٣٢—١٨٠٩) وموزار (Mozart) (١٧٥٦—١٧٩١). فكان الاوّل اذا اعتاص عليه ابتكار نغمة موسيقيّة لسبب ما يعمد الى الورديّة ثمّ يعود الى قلمه فيجده سيّالًا تتسارع الى فكره لشجي الانغام وارق القدود. امّا موزار فكانت السبحة في يده احبّ جليس واطرب انيس فيندفع بوحيها الى ارخم الاصوات ويبعث في قلوب سامعيه اشرف العواطف

وكان معاصرًا لهذين الموسيقيين نابغة آخر يدعى كريستوف غلوك (Ch. Gluck)

(١٧١٤—١٧٨٧) كان وهو غلام فقير يفتن القلوب بصوته الرخيم في كنيسة فيتة عاصمة النمسة فمن يصغي اليه تتحدر الدموع على وجنتيه . فجاءه يوماً راهب بعد الصلاة وضمّه الى صدره شاكراً له على ما اثار في جنانه من عوامل التقى ثم اهداه سبحة وقال : اتلها يا ابني كلّ يوم فانها تفتح لك باب السعد . فجرى الغلام على هذه النصيحة ولم يزل يترقى في المناصب حتى صار كبير رؤساء الموسيقيين في بلاط ملوك النمسة . على انه كان اذا انتهى من عمله يحيد عن ضوضاء العالم ويطلب لنفسه زاوية منفردة فيتلو سبحته جاثياً على الركب . ولما وافته المنية كانت سبحة الراهب في يده تقويه على اوجاعه وتملأ نفسه تعزية

يبارك الارلنديون ذكر اوكونل خطيبهم المصقع والمدافع عن استقلالهم بازاء الانكليز ظالمي وطنه منذ ثلثمائة سنة . فهذا الرجل العظيم كان بتقواه اعظم منه ببلاغته . فكان اذا سار الى مجلس النواب وهو مندوب ارلندة يمسك بيده سبحة الورديّة فيتلوها علانية فاذا رقي منبر الخطابة استفزّ ببلاغته انكلترة كلها

نبغ في فرنسة احد اطبائها النطاسيين الدكتور يوسف ريكاميه (J. Récamier) (١٧٧٤—١٨٥٢) الذي طبّقت شهرته الخاء اوربة لاسيما بما اخترعه من الادوات لفحص بواطن البدن (le spéculum) فهذا الرجل العظيم الذي كان يشار اليه بالبنان حيثما سار كان اذا دُعي الى علاج مريض أعيا على غيره شفاؤه يلتجئ الى تلك المدمرة شفاء المرضى بتلاوة سبحتها فينسب اليها العلاجات العجيبة التي جرت على يده . فكان رصفاؤه اذا اثنوا عليه لعلمه وعمله يُخرج من جيبه سبحته فيقول : «انّ الادوية البشرية كثيراً ما تعجز عن شفاء العاهات . اما انا فاني التمس انوار الطبيب الاعظم مستشفعاً بانبتول الطاهرة فاتلو بيتاً او بيتين من السبحة ريثما ابلغ بيت المريض . فهذا سرّ ما يُنسب اليّ من العمليات والشفاءات الغريبة »

في هذه السنة احتفلت جمعيات العلوم في فرنسة وسواها بذكر احد نوابغ المعارف الطبيعية في العصر المنصرم وهو اندره ماري أمپار (A. M. Ampère) (١٧٧٥—١٨٣٦) فأقيمت الاعياد الشائقة والجلسات الرائقة لذكر السنة المئة منذ توفّق ذلك الطبيعيّ العظيم لمعرفة سرّ المجاري الكهربائية والمغناطيسية التي فتحت طالاً جديداً للاكتشافات العصرية مباشرةً بالتلغراف . فهذا النابغة أدّى به علمه الى

الايمان الحيّ . وقد اخبر فريدريك اوزانام ذاك رجل الخير العظيم ، ثنى شركات مار منصور دي بول كيف انه لما اتى الى باريس وهو في سن الشباب دخل كنيسة من كنائسها فلمح قريباً من هيكلها رجلاً باثياً على ركبتيه مستحيًا بالصلاة وفي يده سبحة العذراء فتقدم اليه ليستوضحه فاذا هو « امام الكبير » الذي طبّق ذكره الآفاق . فأثر هذا المنظر في اوزانام ايّ تأثير فخرّ ساجداً وراءه الى ان أنهى صلاته والدموع تجري على خديه . وكان من دأبه ان يقول بعد ذلك : « ان مسبحة امام حاكت في نفسي واثرت فيها اكثر من جميع كتب العالم وخطب الواعظين »

وكان حقنا ان نضيف الى ما سبق فصلاً آخر فندعوه « اولياء الله والوردية » الا ان باباً كهذا لا تكفيه الصفحات القليلة بل المجلدات الضخمة فنفضل الاضراب عنه . وانما نذكر فقط حادثاً جرى لاحد حجّاب نابوليون الاول وهو الدوقة اوغست روهان شابو (Due de Rohan-Chabot) (١٧٨٨—١٨٢٣) هذا كان من اسرة عريقة في الشرف جامعاً لكل السجايا الحميدة فعرف نابوليون فضله ولقّبه بامير لاون فكان يسير في خدمة سيده حيثما يذهب . فاذ كان الامبراطور يوماً جالساً في مسرح باريس المعروف بالاوبيرا وحوله كثير من الملوك الذين غلبهم وعن يمينه حاجبه وكلهم آذان وعيون ليتمتعوا بالرواية المعروفة « بطلها » لحظ نابوليون ان حاجبه يستر ركبتيه بفرو ويداه محجوبتان تحت الفرو دون حراك فمدّ الامبراطور يمينه الى الدوقة ودسّ يده تحت الفرو فامسك يد حاجبه واذا بها سبحة الوردية . فاحمرّ وجه الدوقة وظنّ ان الامبراطور يسمعه كلاماً مرًّا ويوسعه شتماً لكنه قال له بلطف : « يسرني يا اوغست ان أراك متكئاً من العاب المرسح وخزعبلات المثلين فاني اعدك ذا قلب شهم ولا بدّ ان تكون يوماً رجلاً ممتازاً » . ثم ردّ له سبحته قائلاً : واصل صلاتك فاني لا اشغلك عنها فلم يجسر احد من السامعين ان يسخر من الدوقة بعد استماعهم لكلام الامبراطور . اما الحاجب المذكور فبعد وفاة زوجته زهد في العالم وصار كاهناً ثم كبير اساقفة بزنسون ثم كردينالاً فطرد كنيسة فرنسة باسمى الفضائل ولاسيما بمحبته نحو الفقراء واليائسين

ويسرنا ان نختم هذه النبذة بما حرّره احد نوابغ الكتبة في اسبانية دونوزو كورتز (Donoso Cortès) سفير دولته في باريس :

« اني واثق اعظم ثقة بانّ الذي يصلّون يخدمون العالم خدمةً اجلّ من الذين يحاربون . وعلى رأيي انّ العالم في تقهقر وانحطاط لانّ الحروب فيه اوفر من الصلوات . فلو امكننا ان نستطلع اسرار الله ومكنونات التاريخ لأخذنا الدهش من عظم مفاعيل الصلاة حتى في الامور البشريّة . لا تستطيع الهيئة الاجتماعيّة ان تكون في التوازن الواجب وتنال الراحة المرغوبة الّا اذا رافقت الصلاة عمل البشر وامتزجت الهيئة الروحيّة بالهيئة العمليّة . واني لمتأكّد انهُ لو خلا العالم في يوم واحد وساعة واحدة من صلاةٍ تتصاعد الى السماء سيكون ذلك اليوم وتلك الساعة اخر أيام العالم وآخر ساعة الكون »

القضاء في الاسلام

نظر انتقادي للشاب الاديب لويس دي برون

وقفنا على نصّ محاضرة القاها في نادي المجمع العلميّ العربي جناب عارف بك النكدي مفتّش العدليّة العام واستاذ علم الاجتماع في مكتب الحقوق بدمشق في ٢٩ تموز من العام المنصرم فنشرها بالطبع في هذا العام في مطبعة الترقّي . فاقبلنا عليها بكل شوق لحرصنا على الدروس الشرعيّة ولاسيّما الاسلاميّة التي نخوض عبابها منذ زمن ليس بقصير

وزادنا شغفاً بمطالعة المحاضرة مدارُها على مسألةٍ كنا بحثنا فيها سابقاً اعني اصول الفقه الاسلاميّ الذي كنّا وجدنا بينهُ وبين الفقه الروماني توافقاً عظيماً في امور كثيرة . فأخذنا العجب اذ رأينا صاحب المحاضرة الاديب ينكر ذلك ويخالف نتائج ابحاثنا فأحببنا أن نطّلع على ما لديهِ من البراهين . لعلّنا نُصلح بها ما غلب على ظنّنا وهماً . فوجدنا المؤلف يحصر مقالتهُ في خمسة ادلّة نعرضها تباعاً بحرفها الواحد ونبدي ما وجدنا فيها من غثّ القول وسمينهِ

يقول عارف بك :

« انّ القانون الروماني لم يتم وضعهُ الّا في بضعة عشر قرناً . . . امّا القضاء في الاسلام فانّهُ وان كان نضج في فترة قصيرة لم تبلغ القرنين . . . فليس يصحّ ان يقال فيهِ انهُ كل تملّا او استمدّ استمداداً وهو قد غا على الأيام ومع الحاجة وكانت لهُ مصادر معروفة . أخذت من

« اني واثق اعظم ثقة بانّ الذي يصلّون يخدمون العالم خدمةً اجلّ من الذين يحاربون . وعلى رأيي انّ العالم في تقهقر وانحطاط لانّ الحروب فيه اوفر من الصلوات . فلو امكننا ان نستطلع اسرار الله ومكنونات التاريخ لأخذنا الدهش من عظم مفاعيل الصلاة حتى في الامور البشريّة . لا تستطيع الهيئة الاجتماعيّة ان تكون في التوازن الواجب وتنال الراحة المرغوبة الّا اذا رافقت الصلاة عمل البشر وامتزجت الهيئة الروحيّة بالهيئة العمليّة . واني لمتأكّد انهُ لو خلا العالم في يوم واحد وساعة واحدة من صلاةٍ تتصاعد الى السماء سيكون ذلك اليوم وتلك الساعة اخر أيام العالم وآخر ساعة الكون »

القضاء في الاسلام

نظر انتقادي للشاب الاديب لويس دي برون

وقفنا على نصّ محاضرة القاها في نادي المجمع العلميّ العربي جناب عارف بك النكدي مفتّش العدليّة العام واستاذ علم الاجتماع في مكتب الحقوق بدمشق في ٢٩ تموز من العام المنصرم فنشرها بالطبع في هذا العام في مطبعة الترقّي . فاقبلنا عليها بكل شوق لحرصنا على الدروس الشرعيّة ولاسيّما الاسلاميّة التي نخوض عبابها منذ زمن ليس بقصير

وزادنا شغفاً بمطالعة المحاضرة مدارُها على مسألةٍ كنا بحثنا فيها سابقاً اعني اصول الفقه الاسلاميّ الذي كنّا وجدنا بينهُ وبين الفقه الروماني توافقاً عظيماً في امور كثيرة . فأخذنا العجب اذ رأينا صاحب المحاضرة الاديب ينكر ذلك ويخالف نتائج ابحاثنا فأحببنا أن نطّلع على ما لديهِ من البراهين . لعلّنا نُصلح بها ما غلب على ظنّنا وهماً . فوجدنا المؤلف يحصر مقالتهُ في خمسة ادلّة نعرضها تباعاً بحرفها الواحد ونبدي ما وجدنا فيها من غثّ القول وسمينهِ

يقول عارف بك :

« انّ القانون الروماني لم يتم وضعهُ الّا في بضعة عشر قرناً . . . امّا القضاء في الاسلام فانّهُ وان كان نضج في فترة قصيرة لم تبلغ القرنين . . . فليس يصحّ ان يقال فيهِ انهُ كل تملّا او استمدّ استمداداً وهو قد غا على الأيام ومع الحاجة وكانت لهُ مصادر معروفة . أخذت من

الكتاب. والسنّة. صراحةً او استنتاجاً او قياساً. وأُضيف اليها الاجماع وقد بُني كثير منها على العادات في الامم التي دخلت تحت لواء الاسلام

٢ً انّ التاريخ ذكر لنا ما اخذهُ العرب في النهضة العبّاسيّة من غيرهم من الامم من العلوم بعضها او كلها كالفلسفة والطب والفلك . . . فعرفنا اسماء المترجمين والمعرّبين في كلّ فنّ وعلم وعرفنا المصادر التي اخذوا منها واللغات التي نقلوا عنها ولم يذكروا انهُ حصل شيءٌ من مثل ذلك في القضاء.

٣ً انّ العلوم المنقولة بقيت عليها في لغتها مسحة من العجمة وفي مفرداتها الفاظ غريبة عن العربيّة خلا هذا القضاء. فقد جاء عربياً صحيحاً مفرداً ومركّباً . . .

٤ً اذا كان بين الشريعتين تشابه في بعض الاحكام فذاك انّ الشريعة في كلّ أمّة تعتمد في مصادرها ايضاً على العرف والعادات والحالات الطبيعيّة . . . ثمّ لو صحّ ان تكون الشريعة الاسلاميّة استقت من القانون الروماني لما كانت سلمت من ان يتسرّب اليها والى عقول اصحابها شيءٌ من الترهيبات التي كانت تجري في مواطن هذا القانون كمثل محاكمة الحيوان والقضاء عليها بنفي او بتعذيب او بصلب وكتبش الموتى ومحاكمتها واصدار الاحكام عليها وهذا ما تعالت منهُ هذه الشريعة علوّاً كبيراً

٥ً لو صحّ ان يكون القانون الروماني من مصادر الشريعة الاسلاميّة لحقّ ان يكون موطن هذا التشريع او احد مواطنهِ في اقلّ ما يكون بلداً من البلاد التي كانت خاضعة لسلطان روما نازلةً على احكام قانونها وهذا ما لم يكن شيءٌ منهُ

وثمّة وجه آخر لا يصدر السكوت عنهُ وهو انّ القانون الروماني كان من قبل مشوّشاً معقّداً لم يظهر بشكلهِ الاخير الّا بعد ان لابست الفرنجةُ العرب في الاندلس واخذت العلم عنهم . . . واذا نحن وازنّا بين هذين الرأيين رأي القائلين بان الشريعة الاسلاميّة استقت من القانون الروماني—وهو رأي قد تكشّفت مقاتلهُ—ورأي القائلين بانّ الشريعة الاسلاميّة هي التي امدّت هذا القانون فصيّرتهُ ما هو كانت كفّة هذا الرأي هي الراجحة وحجّة القائلين بهِ اقرب للنقل واوزن في النقل

هذه هي حجج عارف بك لذلك حقيقةٍ اثبتها اكبر المستشرقين في زماننا اللهمّ الّا بعض المتهوّسين الذين لا يعدل احد الى اقوالهم الباطلة كسيديليو وغوستاف لوبون وامثالهما المدّعين باكتشاف ما لم يعلمهُ غيرهم . وفي ذيل هذه الصفحة اسماء الذين درسوا هذه المسئلة واستوفوا حقوقها ورأوا الامر على خلاف ما رآهُ عارف بك (١

1) Von Kremer: Kulturgeschichte d. Orients unter d. Chalifen I,532 *sq.* = H. Hughes: Les origines du Droit Musulman (*La France judiciaire,* 1880, *p.* 252-256) = Goldzihor: Muham. Studien, *II.* 75—Le dogme et la Loi de l'Islam (*trad. Arin,* 1920), *p.* 39-art. Fitih (*dans l'Encyclop. de l'Islam*) = Dareste: Etudes d'Hist. du Droit = E. Lambert: Fonction du droit civil comparé I, 282-3;263,

وقبل ان نفحص الادلة السابق ذكرها يجب ان ننبه صاحب المحاضرة على امر لم يخطر له على بال وهو انَّ جزيرة العرب قبل الاسلام كان نفذت اليها النصرانيَّة من كل جهاتها كما ترى في كتاب مدير هذه المجلة المعنون بتاريخ النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة . وكانت الشرائع الرومانيَّة قد نفذت الى العرب مع النصارى حتى دخلت في معاملاتهم اليوميَّة وحياتهم الاجتماعيَّة . ولنا على ذلك دليل جليل في جرجنسيوس رسول الحميريين وكان رومانيًا وسُقف على بلاد اليمن نحو مئة سنة قبل الاسلام . فلجرجنسيوس هذا دستور شرائع تُعرف بشرائع حِمْير في ٦٤ فصلًا كلها مشربة بالفقه الروماني لو شاء عارف بك ان يراجعها في اصلها اليوناني عليه بها في مجموعة الآباء اليونان (Migne. PP. GG. vol. *86*, p. 566-620) . وما يقال عن اليمن يمكن اثباته لبادية الشام والعربيَّة الرومانيَّة وللجهات التي كانت فيها القبائل النصرانيَّة كغسَّان وكندة وتنوخ وغيرها . وبهذا يسقط كلّ احتجاج عارف بك عن القضاء بين العرب قبل الاسلام ولمَّا قام الاسلام على انقاض الجاهليَّة لا بُدَّ من القول انَّهُ اخذ اشياء كثيرة من عرب الجاهليَّة في القضاء كما في غيره من العلوم

دعنا الآن ننظر مليًا في ادلة عارف بك . قال في (دليله الاول) انَّ القانون الروماني «وُضع في بضعة عشر قرنًا» (بل قُلْ ١٣ الى ١٤ قرنًا مع ما تقدَّم الاثني عشر لوحًا وهي خلاصة شرائع سابقة) وان القضاء في الاسلام «نضج في فترة قصيرة لم تبلغ القرنين» . فهذه القابا لا تفيد عارفًا بك شيئًا بل هي عليه لا له اذ يقال انَّ الشريعة الاسلاميَّة وجدت في ما روى قبلها القانونُ الروماني سندًا وقاعدةً سهُل عليها نقل ما سبقت اليه حكمة رومية وكبار فقهائها فتمَّ ذلك للعرب بوقت قريب

n. 1; 342. *n.* 2=S. Hurgronje: Le Droit Musulman(*RHR*, *XXXVII*, 1898, *p*, 189-203) = F. F. Schmidt: Die occupatio in islamische Recht (*Der Islam*, *I*, 300-383 *et ZDM(r,LI)*=V. Chauvin: La Constit. du Code Théodosien sur les Agri Deserti et les Mewât(الموات) des Arabes = E. Carusi: Sui rapporti fra diritto romano e diritto musulmano =Nallino: Gli studi di E. Carusi sui diritti orientali(*RSO*, *IX*, 1921, *p*.125-128) *et la Bibliographie citée par lui*—Santillana: Av. Proj.de Code de Droit Tunisien,(*surtout pp. XII—XIII*. *RSO*, *VII*, 709; *VIII*. 768—776) — Préface de la trad.de Sidi Khalil par Guidi et Santillana *XII-XIII* : *vol. II notes* et nombreux rapprochements entre le Droit Malékite et le Droit de Justinien.

لم يستثنوا في نقلهم سوى عقائدهم الدينيَّة (١

وكذلك في ذكر عارف بك في دليلهِ الاوَّل لمصادر القضاء الاسلاميّ ما ينقض براهينهُ . ذكر هناك « الكتاب » ومعلوم انَّ القرآن لا يحتوي كثيرًا من المسائل الفقهيَّة . ثمَّ ذكر السُّنَّة . وكلّ اصحاب النقد من المسلمين وغيرهم يعلمون كيف تألَّفت السنَّة وما دخلها من المنقولات المختلفة والمرويَّات المصنوعة وتأثير الشرائع الرومانيَّة فيها ظاهر فانَّ مدير هذه المجلَّة روى في فصل طويل عددًا عديدًا من الاحاديث منقولة بحرفها عن اسفار التوراة من العهدين القديم والحديث ولو شئنا لأمكننا ان نروي مثل ذلك عن القانون الروماني . امَّا القياس والاستنتاج والاجماع والاجتهاد ففي كلّ ذلك سبيلٌ مهيَّع لتداخل القانون الروماني في اصول القضاء الاسلاميّ (٢

وليس (الدليل الثاني) اقوى واثبت من السابق . فان كان التاريخ لا يذكر احدًا نقل الى العربيَّة القانون الروماني كما روى اسماء نَقَلة بقيَّة العلوم فلأن هذه العلوم لم يُباشر نقلها الى العربيَّة الَّا في اواخر القرن الثاني للهجرة . امَّا القانون الروماني فانَّهُ اندمج في حياة العرب المسلمين في اوَّل فتحهم لبلاد الروم اذ خرجوا من اقطارهم وعاينوا امَمًا راقية المدنيَّة فوجدوا بينهم ذاك القانون الكامل الاهبة الذي كانوا يجرون عليهِ منذ عهد طويل فلم يسع العرب الَّا موافقتهُ شاءوا ام أبوا . واذ اقاموا قُضاةً من العرب في تلك البلاد ما امكنهم الَّا الاستقاء من موارد القانون الروماني للقضاء في امور عديدة ما كانت تخطر لهم على بال وهم في جزيرتهم . وهذا ما يقرُّ بهِ عارف بك نفسهُ بقولهِ في دليلهِ الاوَّل « وقد بُني كثيرٌ منهُ (اي القضاء الاسلاميّ) على العادات في الامم التي دخلت تحت لواء الاسلام » فما هي تلك العادات الَّا ما انفذتهُ الشرائع الرومانيَّة في سياسة بلادها فلمَّا عاينها العرب وعرفوا صلاحيَّتها جروا عليها وقاسوا على قياسها بما يدعونهُ الاجتهاد

(الدليل الثالث) يسقط بما قدَّمنا . فانَّ القانون الروماني لم يُنقَل الى العربيَّة لتظهر فيها مسحة عجمتهِ كما ترى في بقيَّة العلوم وانَّ نفوذهُ كان عمليًّا ومعنويًّا اكثر

١) راجع مقالة غولدسيهر من الفقه في دائرة العلوم الاسلاميَّة

٢) الطب و Lambert, 342, n° 9

منهُ لفظياً كما اظهر ذلك علماء الفقه بالمقابلة اذ وجدوا في بعض الشرائع الاسلاميّة وتفاصيلها مطابقةً تامّة لا يمكن نسبتها الى طبيعة الشعوب كما يزعم عارف بك في (دليله الرابع) اذ تفرّد بها القانون الروماني . امّا قولهُ ليس في القضاء الاسلامي لفظٌ غريب فيردُّهُ اسم «القانون» نفسهُ وهو يوناني رومانيّ

وقد ذكر عارف بك في (دليله الرابع) المشار اليه ما دعاهُ بالخزعبلات كمحاكمة الحيوان والقضاء عليها بالنفي او بالتعذيب وهو زعم غريب في بابهِ . ولعلّ الكاتب اشار الى ما ورد في الفصل المعنون (de pauperie et de pastu) حيث يُحكم على « اصحاب المواشي» بالعقاب لأضرار سبّبتها بعيثها . فيا للعجب اهكذا نسب عارف بك الى الحيوان ما لا يصحّ الّا عن صاحبهِ . وبهِ يظهر مبلغ عارف بك من التحقيق في مزاعمهِ

امّا (دليلهُ الخامس) والاخير فبحثٌ سَفسطة حيث اراد « ان يكون موطن التشريع الروماني او احد مواطنهِ بلداً من البلاد التي كانت خاضعة لسلطان روما نازلة على احكام قانونها » ألا يعلم جنابهُ انّ القوانين في حركة متداومة تظهر على صور جديدة مع اشتقاق بعضها عن بعض . فمن يا ترى ينكر انّ القانون الفرنسوي لم يستعر شيئاً من القانون الروماني لأنهُ يجري على صورة جديدة بعد الغاء القانون الرومانيّ . ثمّ انهُ من المعلوم انّ القانون الروماني عند ظهور العرب كان يتطوّر باطوار تختلف على حسب الظروف والامكنة . ففي سوريّة مثلاً كان القانون الرومانيّ على صورة خاصّة بهذا القطر فكان يُدعى لهذا السبب بالقانون السوريّ الروماني

ومن هذا ترى ما يجب الحكم بهِ على قول عارف بك في آخر هذا الدليل الخامس « بان القانون الروماني بلغ شكلهُ الاخير بعد ان لابست الفرنجةُ العرب في الاندلس واخذت العلم عنهم » فانّ كلاماً مثل هذا لا يفوه بهِ الّا من يجهل مبادئ التاريخ الصحيح ويقيس الامور على مقتضى اوهامهِ الباطلة ما لم ينوِ عارف بك ملابسة الفرنجة للعرب في ساحة بواتيه سنة ٧٣٢ للميلاد !

وفي هذه المحاضرة اشياء غيرها لا يسعنا ان نفنّدها كقولهِ مثلاً (ص ٧) :

«لمّا جاء الاسلام . . . لم يكن حكم في ايّام الرسول غيرهُ وكذلك كان الامر ايّام خليفتهِ ابي بكر والسبب في ذلك انّ الاسلام كان لذلك العهد قلّا منحصراً في جنوبي الجزيرة وكان

قد نفث في روع الناس آداباً سامية وبث فيهم اخلاقاً عالية خلبت لب من دخل فيه اعجاباً وافتتاناً » (كذا!)

فكيف يُثبت عارف بك قولهُ هذا والطبري اوّل واكبر مؤرخي الاسلام يقول في تاريخهِ (١ : ٢٠١٥) :

« وفي هذه السنة سنة ١١ انصرف معاذ بن جبل من اليمن واستقضى ابو بكر فيها عُمَر ابن الخطّاب فكان على القضاء أيام خلافتهِ كلّها »

فما قول عارف بك بهذه الشهادة المخالفة لقولهِ . فعلى رأينا انَّ « استاذ علم الاجتماع في مكتب الحقوق بدمشق » لم تسمح لهُ ابحاث تعليمهِ الخاصّ بان يتبحّر في ابحاث علم آخر ليس هو من فرسانهِ اعني «تاريخ الحقوق»

مطبوعات شرقية جديدة

George Guy-Grand, Gaëtan Bernoville, Albert Vincent : SUR LA PAIX RELIGIEUSE, Paris, Bernard Grasset, Prix 6f 75

السلام الديني

كانت الحرب الاخيرة اخمدت ثورة المعادين للدين واطفأت نائرة حزبهم . على انَّ المتطرّفين لم يعتبروا ذلك الّا كهدنة موقتة وهم يحاولون إسعار تلك الفتن . أمّا العقلاء من كلّ الاحزاب فيرون انَّ هذه المنازعات تضعف فرنسة في وقت حاجتها الى توحيد الكلمة بازاء اعدائها . وها هوذا كتاب وضعهُ ثلثة رجال مختلفي الآراء السياسية وهم يبحثون باستقامة عن الطرق المؤدّية الى هذا الاتّحاد الوطني فيرون ان ذلك يتمّ خصوصاً بالتربية المدرسيّة . أمّا هذه التربية فيريدها احد هؤلاء المؤلفين الثلثة وهو المسيو كي كران في مدارس حائدة عن الدين على مقتضى الشرائع الباطلة التي سنّها اعداء الكنيسة . وهو يبني الحلّ لهذا المشكل لما يُعرف من سوء عقبى المدارس اللادينيّة . أمّا المؤلف الثاني المسيو غايتان برنوفيل الذي هو من الكاثوليك العاملين فيبيّن انَّ الحياد عن الدين وتعليم الكنيسة الكاثوليكية على طرفي نقيض وهو يثبت انَّ اولى طريقة لذلك ان تُعطى الكنيسة حقوقاً شبيهة بحقوق عموم المدارس

قد نفث في روع الناس آداباً سامية وبث فيهم اخلاقاً عالية خلبت لب من دخل فيه اعجاباً وافتتاناً » (كذا!)

فكيف يُثبت عارف بك قولهُ هذا والطبري اوّل واكبر مؤرخي الاسلام يقول في تاريخهِ (١ : ٢٠١٥) :

« وفي هذه السنة سنة ١١ انصرف معاذ بن جبل من اليمن واستقضى ابو بكر فيها عُمَر ابن الخطّاب فكان على القضاء أيام خلافتهِ كلّها »

فما قول عارف بك بهذه الشهادة المخالفة لقولهِ . فعلى رأينا انَّ « استاذ علم الاجتماع في مكتب الحقوق بدمشق » لم تسمح لهُ ابحاث تعليمهِ الخاصّ بان يتبحّر في ابحاث علم آخر ليس هو من فرسانهِ اعني «تاريخ الحقوق»

مطبوعات شرقية جديدة

George Guy-Grand, Gaëtan Bernoville, Albert Vincent : SUR LA PAIX RELIGIEUSE, Paris, Bernard Grasset, Prix 6f 75

السلام الديني

كانت الحرب الاخيرة اخمدت ثورة المعادين للدين واطفأت نائرة حزبهم . على انَّ المتطرّفين لم يعتبروا ذلك الّا كهدنة موقتة وهم يحاولون إسعار تلك الفتن . أمّا العقلاء من كلّ الاحزاب فيرون انَّ هذه المنازعات تضعف فرنسة في وقت حاجتها الى توحيد الكلمة بازاء اعدائها . وها هوذا كتاب وضعهُ ثلثة رجال مختلفي الآراء السياسية وهم يبحثون باستقامة عن الطرق المؤدّية الى هذا الاتّحاد الوطني فيرون ان ذلك يتمّ خصوصاً بالتربية المدرسيّة . أمّا هذه التربية فيريدها احد هؤلاء المؤلفين الثلثة وهو المسيو كي كران في مدارس حائدة عن الدين على مقتضى الشرائع الباطلة التي سنّها اعداء الكنيسة . وهو يبني الحلّ لهذا المشكل لما يُعرف من سوء عقبى المدارس اللادينيّة . أمّا المؤلف الثاني المسيو غايتان برنوفيل الذي هو من الكاثوليك العاملين فيبيّن انَّ الحياد عن الدين وتعليم الكنيسة الكاثوليكية على طرفي نقيض وهو يثبت انَّ اولى طريقة لذلك ان تُعطى الكنيسة حقوقاً شبيهة بحقوق عموم المدارس

الرسميّة ولولا ذلك تبقى الحرب مستمرةً بين الكنيسة والدولة . امّا المؤلف الثالث وهو من كبار اساتذة المدارس المسيو البار فنسان المعروف باصالة الرأي واعتدال الحكم فيريد انّ كل فرقة في الدولة تنال حقّها . فالحكومة تسمي نُقبة رجال يقومون بمهمّات الدولة . والحزب الديني يهتمّ بتثقيف عقول الشبيبة بالآداب والدين . وتُترك كذلك الحرّيّة لبقيّة الاحزاب ليهذّبوا ناشئتهم على مقتضى آرائهم . وهذا الكتاب كثير الفوائد يمكن القارئ ان يطّلع بهِ على هذه المسئلة من كل وجوهها فيحكم فيها حكماً صائباً ج . لوفنك

Missale Romanum a Pio X reformatum et SSMI D. N. Benedicti XV auctoritate vulgatum. *Turonibus, typis Alf. Mame et Filiorum, MCMXXII*

النافور الروماني

انّ مطبعة مام في مدينة طور بلغت مبلغاً فريداً بحسن مطبوعاتها حتى انّ الكرسيّ الرسولي آثرها مرارًا لنشر كتبهِ الرسميّة . وهذا مثال جديد من تلك المطبعة جامع لكل محاسن الطباعة يحتوي نافور الكنيسة الرومانيّة مع كافّة صلوات الاعياد الثابتة والمتنقلة كما اصلحها بيوس العاشر واثبتها خلفهُ بندكتوس الخامس عشر بقطع صغير يصلح للأسفار وتقرّ بهِ كلّ الابصار ل . ش

Albert Thibaudet : La Campagne avec Thucydide. *Paris, N^lle Revue française, 3 Rue de Gresselle, 1922, Prix 8f, 50*

السير الى الحرب مع ثوقيديدس

قليلون هم المؤرخون بين القدماء حتى اليونان والرومان الذين بلغوا في وصف حروبهم ما بلغهُ ثوقيديدس . فانّ هذا الكاتب البارع جمع في التاريخ الذي كتبهُ عن حروب اليونان في القرن الخامس قبل المسيح كلّ صفات الكتبة الكبار من صدق ودقّة وبلاغة وتجرّد عن الاغراض . فان تاريخهُ لحرب البيلوبونازيّة في بابهِ لا يتصفّحهُ القارئ الّا يذهل عن وجدانهِ ليتبع قائدهُ في معمعان الحرب وحركات الجيوش . وقد ساعدهُ في حسن وصفهِ حضورهُ المواقع التي جرت في زمانهِ فيحيها بقلمهِ بحيث يراها القارئ رأي العيان . قد شُغف احد اساتذة فرنسة وكتبها للمدودين للمسيو تيبوده بحبّ ذاك المؤرخ فخصّص لهُ كتاباً كبيراً بيّن فيهِ ما له من

الفضل في وضع تاريخهِ وما ازدان بهِ ذاك التاريخ من المحاسن الجمّة . وقد جاء هذا الكتاب في وقتهِ بعد الحرب الكونيّة وما سطّرهُ الالوف من الكتبة عنها فتعين المقابلة على إظهار فضل ذاك الكاتب القديم الاب ب . كستاكيس

LE PRINCIPE DES NATIONALITÉS ET LES GUERRES. par B. Lavergne. Paris, les Questions actuelles, Félix Alcan, in-16, pp. 210, Prix 8f

مبدأ القوميّات والحروب

قامت الدول وقعدت بعد الحرب الكونيّة لتجد وسيلة كافلة بالسلام الثابت وإلغاء الحروب فشكّلوا لذلك جمعيّة الامم وعدّدوا المؤتمرات وعرضوا التطبيقات المختلفة فما يكادون يجرّبون طريقةً الّا ينظرون بعد قليل خللها ونقصانها . وصاحب هذا الكتاب احد اعضاء مكتب الحقوق المسيو لافرني اراد ان يرمي دلوهُ في جملة الدلاء لعلّهُ يجد الطريق لهذه الغاية المرغوبة فهو يرى انّ الحروب لا يمكن النجاة منها ما لم تتّفق الدول على تشكيل عصبة مستقلّة تعرفها كل الدول وتخضع لها مع تجهيزها بالوسائل الكافلة بتنفيذ احكامها وهذه العصبة يدعوها الكاتب « السائدة على الدول » (Sur-Etat) تفوق على جمعيّة الامم الحاضرة بسلطتها الفعليّة وقهرها لكل مُعارض . ولكن هيهات ان ترضى الدول باقامة عصبة كهذه فتتقيّد باوامرها وترضخ لأحكامها فتفقد بذلك استقلالها . على انّ هذا الكتاب لا يخلو من نظريّات صائبة في احوال زماننا وبيان المشاكل المتعدّدة التي يخوض العالم في عُبابها ل . ش

COLONEL RÉZANOF : La troisième internationale. *Paris, Editions Bossard*, 1922, *Prix* 3f, 90

الاشتراكيّة الدوليّة الثالثة

نشر هذا الكتاب الكولونل ريزانوف قبل مؤتمر جنوة بزمن قليل وهو وكيل العدليّة الحربيّة في الجيش الروسيّ القيصري وكانت غايتهُ بنشرهِ ان يبيّن الخطر العظيم الناجم من الاعتراف بجمهوريّة السوفيات لان حكومتها ساعية بالنهضة الثوروية المرتبطة بكل انحاء المعمور . وهناك احدى عشرة صورة لزعمائها ج . ل

Jean Maxo : Les Cahiers de l'Anti-France, le Bolchévisme littéraire. *Paris, éditions Bossard, N° 1, Prix* 2f,70

تعريف المادين لوطنهم فرنسة

انّ المتولّي لنشر هذه المجموعة التي تصف العدد الاوّل منها قد اراد ان يخدم

وطنهُ فرنسة بتعريف بعض رجالها الذين بكتاباتهم ومساعيهم الخبيثة يمدُّون لاعداء دولتهم الطريق لنشر مبادئهم الوخيمة مبادئ البولشفيَّة والثورة العموميَّة. وقد باشر بالكاتب الفوضوي المسمَّى «Romain Rolland» فنقل كثيرًا من اقاويله المؤذنة بنيَّاته السيئة. فنتمنَّى لهذه النشرة التي ستبلغ عشرة اعداد رواجاً كبيرًا ج. ل

﴿ انارة الالباب ﴾ هو عنوان كتاب ألَّفهُ القس ف. ج سمث وعرَّبتهُ ادال جريديني واتَّخذتهُ كدستورها ارساليَّةٌ بروتستانيَّة حلَّت حديثاً في بيروت فاختارت حيَّ مار مارون لتنفث فيهِ سمَّ تعاليمها ضدَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة. فلو راجعتَ الكتاب لوجدتَ صاحبهُ في صفحاته الـ١٠١ لا يجد في العالم نورًا الَّا في الشيع البروتستانيَّة حتى ملَّ انصارها من مناقضاتها وتقسُّماتها حتى لم يعد بينها اثنان يتَّفقان على رأي دينيّ واحد ولذلك ينمو كلَّ يوم عدد المرتدِّين من ضلالها الى الدين الكاثوليكي. والعجب من مؤلف هذا الكتاب انَّهُ اذ يسطع في عينهِ الرمداء نور البروتستانيَّة المظلم لا يرى شمس الكثلكة التي تبهر اعين العميان نفسهم فضلًا عن ابصار الباصرين فلا يخجل ان يدعو الحبر الاعظم (ص ٢٦٣) «ابن الهلاك الجالس في هيكل الله مدَّعياً انهُ إله» وانَّ الكنيسة البابويَّة (ص ٣٦٦) هي «امّ الزواني ورجاسات الارض والسكرى من دم القديسين» وانها «قتلت ستين مليوناً ذهبوا ضحيَّة جورها» وانَّها «هي الوحش والتنين المرموز بهِ في سفر رؤيا مار يوحنَّا». فتلك واشياء كثيرة مثلها هي الانوار التي اتى اصحاب هذه الشيمة ليبثُّوها في حيّ مار مارون بكلّ قحة. فلا نعلم كيف يسكت عن هؤلاء الاشقياء جمهور المسيحيين في ذلك الحيّ ولم يحتجُّوا عليهم عند اصحاب الدولة وبين قوانينها وجوب احترام الاديان

شذرات

﴿وفاة ملك الصحافة﴾ لما ذكرنا في عدد تموز الاخير (ص ٦٦٧) ذلك الرجل

وطنهُ فرنسة بتعريف بعض رجالها الذين بكتاباتهم ومساعيهم الخبيثة يمدُّون لاعداء دولتهم الطريق لنشر مبادئهم الوخيمة مبادئ البولشفيَّة والثورة العموميَّة. وقد باشر بالكاتب الفوضوي المسمَّى «Romain Rolland» فنقل كثيرًا من اقاويله المؤذنة بنيَّاته السيئة. فنتمنَّى لهذه النشرة التي ستبلغ عشرة اعداد رواجاً كبيرًا ج. ل

﴿ انارة الالباب ﴾ هو عنوان كتاب ألَّفهُ القس ف. ج سمث وعرَّبتهُ ادال جريديني واتَّخذتهُ كدستورها ارساليَّةٌ بروتستانيَّة حلَّت حديثاً في بيروت فاختارت حيَّ مار مارون لتنفث فيهِ سمَّ تعاليمها ضدَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة. فلو راجعتَ الكتاب لوجدتَ صاحبهُ في صفحاته الـ١٠١ لا يجد في العالم نورًا الَّا في الشيع البروتستانيَّة حتى ملَّ انصارها من مناقضاتها وتقسُّماتها حتى لم يعد بينها اثنان يتَّفقان على رأي دينيّ واحد ولذلك ينمو كلَّ يوم عدد المرتدِّين من ضلالها الى الدين الكاثوليكي. والعجب من مؤلف هذا الكتاب انَّهُ اذ يسطع في عينهِ الرمداء نور البروتستانيَّة المظلم لا يرى شمس الكثلكة التي تبهر اعين العميان نفسهم فضلًا عن ابصار الباصرين فلا يخجل ان يدعو الحبر الاعظم (ص ٢٦٣) «ابن الهلاك الجالس في هيكل الله مدَّعياً انهُ إله» وانَّ الكنيسة البابويَّة (ص ٣٦٦) هي «امّ الزواني ورجاسات الارض والسكرى من دم القديسين» وانها «قتلت ستين مليوناً ذهبوا ضحيَّة جورها» وانَّها «هي الوحش والتنين المرموز بهِ في سفر رؤيا مار يوحنَّا». فتلك واشياء كثيرة مثلها هي الانوار التي اتى اصحاب هذه الشيمة ليبثُّوها في حيّ مار مارون بكلّ قحة. فلا نعلم كيف يسكت عن هؤلاء الاشقياء جمهور المسيحيين في ذلك الحيّ ولم يحتجُّوا عليهم عند اصحاب الدولة وبين قوانينها وجوب احترام الاديان

شذرات

﴿وفاة ملك الصحافة﴾ لما ذكرنا في عدد تموز الاخير (ص ٦٦٧) ذلك الرجل

الطبيب اللورد نورثكليف الذي بجدّه وعرق جبينه بلغ الى ضبط ازمّة الصحافة في وطنه بل في اوربّة جمعاء. ما كنّا لنظنّ انّ المنيّة تترصّدهُ في منتصف ذاك الشهر. وقد أُصيب بمرضه الاخير في مدّة سياحته في المانية اذ كان يطوف فيها ليُطرف صحفهُ بمقالات ضمّنها ما وقف عليه من امور تلك البلاد بعد انكسارها فنُقل الى وطنه ليعالجهُ نطس اطبّائها فلم ينجع فيه دواء. ومات مأسوفاً عليه تاركاً للعالم مثالاً نادراً للجدّ والنشاط والبلوغ بهما الى اشرف الغايات واعظم المشروعات

﴿القس نعمة الله ابو ناضر﴾ فُجعت الرهبانيّة اللبنانيّة باحد ابنائها الافاضل القس نعمة الله ابو ناضر في ٢٠ من الشهر الماضي لستأثر به الله في دير الكسليك وهو في الستين من عمره. وكان الفقيد احد تلامذة كليّتنا النشيطين قضى ستّ سنين في مصاف الاكليريكيين ثمّ تقلّبت به الامور فتعاطى محاماة الدعاوى والكتابة في صحف الاستانة وبيروت وخالط رجال النهضة الجديدة الى ان اقرأ الوداع على العالم وزهد في الدنيا في الرهبانيّة فجرى على كلّ قوانينها بتدقيق وأدّى لها خدماً متعدّدة في ما قُلّده من الوظائف بين اخوته. وقد خلّف مآثر كتابيّة شتّى تشهد له بالذكاء وجودة القريحة

﴿العرب مكتشفو فنّ الطباعة في الاندلس﴾ للسيّد محمد كرد علي في مجلّة المجمع العلمي في دمشق مقالة ضافية في حاضر الاندلس وغابرها جمع فيها عدّة معلومات متفرّقة في كتب العرب كنّا نودّ لو دلّ اليها الكاتب البارع تسهيلاً لمراجعتها في مظانّها. فانّ في ما رواهُ اموراً كثيرة يصعب علينا تصديقها ما لم نمحصها بنظر الانتقاد ونقف على رواتها ولعلّنا نعود اليها غير مرّة. ونكتفي هذه الدفعة بنقل ما اورده عن فنّ الطباعة قال (ص٢٢٩):

« وفي الاندلس عُرف الطبع فكان احد ابنائها هو السابق في مضمار هذا الاختراع الذي لم تنتفع الانسانيّة بأفيد منهُ. فكانت لهم فيه طريقة لم ينتهِ الينا خبرها بالتفصيل بل عُرف اجمالاً انّ عبد الرحمان بن بدر من وزراء الناصر من اهل المئة الرابعة « كان ينفرد بالولايات فتكتب السجلّات في داره ثمّ يبثّها للطبع فتُطبع وتخرج اليه فتُبعث في العمال وينفذون على يديه » فاذا كان هذا هو الطبع المعروف ولا نظنّهُ الّا هو فيكون ابن بدر العربي قد سبق غوتنبرغ الالماني مخترع الطباعة بنحو اربعة قرون »

ونحن ما نظنّ « الّا انهُ ليس هو ». كيف فات على جنابه انّ اهل الصين كانوا

منذ القرن السادس للمسيح يطبعون الكتب بعد حفر صورها على الخشب فاتنة . ولعلّهُ رأى امثلةً عديدة منها في المتحف البريطاني في لندن . وكذلك الطبع على الحجر هو قديمٌ في الصين وذكرنا في المشرق اصولهُ ومعرفة العرب بهِ (٣ [١٩٠٠] : ٧٨—٧٩) وذكرنا النصّ الذي رواهُ عن بَدْر مولى الامير عبدالله . ولكن هيهات بين هذا الفن وفنّ الطباعة المعروفة اليوم على الحروف المصبوبة المتنقّلة . فيرى جنابهُ انَّ فضل غوتنبرغ لا يزال تامًّا دون شائبة

﴿ماسونيّ قح﴾ تشرّفت الماسونيّة في هذا الصيف الاخير بانضمام احد «الاعيان» اليها . نريد بهِ « حنّا ابا راشد الماروني احد الرهبان الثلاثين سابقاً » صاحب جريدة دعاها بالنادي (ولا حياة لمن تنادي) فهذا البطل الماسوني اراد ان يثبت مبادئهُ الحرّة (اوّلاً) بفسخ زواجهِ الشرعيّ على خلاف كلّ نواميس كنيستهِ ليعيش بالفجور مع امرأة ليست هي زوجتهُ . (ثانياً) بانضوائهِ الى البروتستانيّة وجحود دينهِ مثبتاً قول المثل الدارج انَّ كاثوليكيًّا اذا انتمى الى الشيع البروتستانيّة لا يفعل ذلك عن اعتقاد بل لسبب «الناوس او العروس » . (ثالثاً) باختلاسهِ مال عُمّال الترامواي كما روت الرسالة المصوّرة في تاريخ ٢٨ ايلول اذ جمع منهم نيّفاً ومائتي ليرة بحجّة الدفاع عن دعواهم ثم اخذ يجمع دراهم من البلدة بحجّة مساعدتهم فطلبوا من الحكومة محاسبتهُ فاضاف الى الزنى السرقة ولسنا نعجب من سرقاتهِ هذه الجديدة وهي « شنشنة نعرفها من اخزم » فانّه اختلس في ايّام الحرب من مكتبتنا الشرقيّة خمسين كتاباً من نوادر المخطوطات وكان عرض نفسهُ لحفظها فانخدعنا بقولهِ وسلّمناهُ ايّاها . فما احرى بيوسف افندي الحاج ان يفرح بنموّ الماسونيّة على يدهِ بمثل حنّا ابي راشد ونتمنّى لهُ حيثما سار ان يشرّف ابناء الارملة بأخوة مثله فيعرف الجميع الشجرة من ثمرتها

﴿ تمثال غليليو في بيزة ﴾ بنسبة الاعياد الفخيمة التي أُقيمت في بادوة لتذكار غليليو في اواسط شهر ايار عزم الكردينال ماسّي رئيس اساقفة بيزة على اقامة تمثال لهذا النابغة في مدينتهِ بيزة التي علّم في كليّتها زمناً طويلاً الرياضيّات . والتمثال دُعي الى نحتهِ احد مشاهير هذا الفنّ وسيدفع الكردينال من مالهِ الخاص كلّ نفقات العمل . وفي هذا شاهد جديد على اجلال الكنيسة لذلك العلّامة واعتبارها لاكتشافاتهِ

﴿منشورات زراعيّة لدولة العراق﴾ اهدتنا الآنسة الانكليزيّة مسّ بلّ ذات المآثر الجمّة نسخةً من مطبوعات دائرة الفلاحة والزراعة الانكليزيّة في العراق. وهي عبارة عن كراريس مختلفة طُبعت في بغداد والبصرة وعياي تحتوي مقالات مفيدة ودروساً متقنة في نبات العراق وشجاره ومزروعاته لاسيّما النخل والاشجار المثمرة والقطن وغيرها مع ما يتعلّق بتحسينها وتجويد تربتها وعلاج عللها . فوجدنا في هذه المنشورات شاهداً حيًّا عمّا يؤدّيه الانتداب الانكليزي لتلك البلاد من الخدم الجليلة. والزراعة كما هو معلوم ثروة ذاك القطر العظمى

﴿التعليم الاجباري﴾ كتبنا في العام الماضي مقالاً واسعاً في المشرق (١٩[١٩٢١]: ٤٣٥–٤٤٤) نقلتهُ جريدة البشير وبيّنّا فيه ما هو هذا التعليم مع لمحة في تاريخه والدواعي اليه ونتائجه واستحالة تنفيذه بحيث لم يبقَ في الامر شبهة . ومن العجب أننا نرى بعض الجرائد لا تزال تعود الى هذه المسألة فيدّعي كتبتها انّ هذا التعليم الاجباريّ هو الدواء لكلّ الادواء وعليه يتوقّف كلّ رقيّ ونجاح . وهذا احد تمويهات العصر الجديد الذي ينخدع ويخدع ببهرجة الكلام وطنطنة الالفاظ . وقد احسنت جريدة البشير في ردّها على هذه المدّعيات الباطلة اذ كتبت في عددها الصادر في ٢١ ايلول ما بعض فقراته :

« نحن مع اقرارنا بحسنات التعليم لا نقاسم هؤلاء الكتّاب آراءهم لانهُ لو صحّ ما يترجّونه لهذه البلاد من وراء التعليم الاجباري لكانت الدول العاملة به جنّة عدن ! على أننا نعلم انّها لم تزل سجون تلك البلدان خاصّة بالمجرمين والمُجرم العالم شرٌّ من المجرم الغبيّ او الاميّ بل انّ افظع الجرائم قد يقترفها اعلمُ البشر . وأكثر البشر ضررًا للبشر قد يكونون اولئك الذين تفقّهوا بالعلوم »

ثمّ عدّدت الجريدة ما يقتضي هذا العلم الاجباري من الملايين من الليرات في حين يئنّ الناس من الضرائب الحاليّة . وهذه النفقات لا تُصرف فقط على المعلّمين لكن على تشييد المدارس في كلّ قرية وعلى تأثيثها ومراقبة دروسها وتنفيذ اوامر الحكومة بزيادة عدد البوليس . الى ان قالت :

« من المصائب في بلادنا انّ كثيرين يطمحون الى ما لا يتّفق مع حالتهم ولا مع مصلحتهم او مصلحة البلاد . من ذلك انّ السواد الاعظم منّا دون فرق بين الفقير والموسر يتطلّب العلوم الادبيّة والنظريّة الثانويّة بل العالية . فمتى خرج الطالب من معهد العلم ينظر في بلاده فلا يجد فيها شغلاً لهُ ويأبى ، وهو الدارس ، ان يرجع الى الزراعة والصناعة فيصبح وقرًا على امّته وعبئًا »

أسئلة واجوبة

س سأل مستفيد ما معنى اسم « سنّ الفيل » القرية المجاورة لبيروت وهل وُجدت سابقاً فيلة في سوريّة لتُنسب القرية الى احدها ؟

سنّ الفيل والفيلة في سوريّة

ج قد بحث في ذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (٢ : ٢٠٠—٢٠١) حيث بيّن وجود الفيلة في لبنان وفي جهات حمص قديماً . وممّا ورد مؤخّراً في ذلك فصلٌ للاثري الاميركي بيشوف C. W. Bishof في المجلّة الاميركيّة الشرقيّة (JAOS., XLI, 1921, p. 290 su) انّ الفيل الاسيوي كان احد الحيوانات الشائعة في سوريّة وما بين النهرين في عهد السلالة المصريّة الثامنة عشرة وفي زمن ملك اشور سلمناصر الثالث . فمن المحتمل أنّ الذين جدّدوا السكنى في قرية سنّ الفيل وجدوا هناك بقايا من العاج وهو سنّ الفيل

س وسأل آخر : ما هو « حمل الله » الذي نرى بعض الكاثوليك يتبرّكون به ويحملونهُ كحرز او تميمة ؟

حَمَل الله

ج لا يجوز للكاثوليك حَمل التمائم والأحراز والعُوَذ فانها كلها معتبرة كمعتقدات باطلة . وانّما يحمل الكاثوليك باجازة الكنيسة بعض الاشياء التقويّة كالايقونات والصلبان وثوب العذراء ممّا يُساعد المؤمنين على اكرام القديسين والبتول العذراء والتماس شفاعتهم والاقتداء بفضائلهم وربّما يطلقه عليها الحبر الاعظم من الغفارين . وما حَمَلُ الله الّا احد هذه الموادّ التقويّة وهو عبارة عن قطع مستديرة من الشمع تُرسم عليها صورة الحَمَل تذكاراً للسيّد المسيح المدعوّ في الانجيل « بحَمَل الله الحامل خطايا العالم » فيباركها الحبر الاعظم بتلاوة صلوات معلومة في حفلة حافلة في اوّل جلوسهِ على الكرسيّ الخلافة البطرسيّة ثمّ كلّ سبع سنين من رئاستهِ على الكنيسة وتوزّع على المؤمنين فيتّخذونها كوسيلة لطلب النعم من الله ل . ش

السنة العشرون العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٢٢

المشرق

رسالة لاهوتية تاريخية على مذاهب النصارى

للشيخ عفيف بن موصل

عُني بنشرها لاوّل مرة وتعليق حواشيها

القس ايلياس بطارخ الرومي الملكي

توطئة

انّ ما طرأ على علم العربيّة في هذا الزمان من خصة كتّابها ونشاط أربابها وسعي الكثيرين لاقتباس أساليبها لأمرٌ يستحقّ المدح لاسيّما ما باشرهُ بعضهم من نشر مؤلفات الاقدمين الكرام الكنسيّين والعامّيين. فان المشرق اخرج من طي خزانة المكتبة الشرقية بعض مقالات ثمينة لبولس الراهب اسقف صيدا على الملكية (١ وحضرة المنوري الفاضل قسطنطين الباشا نشر مياس المؤلف الرفيع الشأن ثاودورس أبي قرّة اسقف حرّان. وعلاوة على ذلك فان سيادة الاب غرافن في باريس (٢ يتمّ في نشر مؤلفات الكتبة المسيحيين الشرقيين العربية والسريانية كما نشر سابقاً الطيب الذكر مين مجموع الاباء اليونانيين واللاتينيين. ويلحقه في هذا الميدان

١) وظهرت ايضاً في بيروت مقالة بولس الراهب في الفرق المتفارقة من النصارى في زمانه صدّرها ناشرها بهذا العنوان: «رسالة لاهوتية تاريخية لبولس الراهب اسقف صيدا على الملكية». وبعد ذلك نشر المشرق الاخرّ المقالة بقسمها وقد قابلنا بين الطبعتين فوجدنا طبعة المشرق اتمّ رواية الّا في مواضع يسيرة

2) R.Graffin, F.Nau: PATROLOGIA ORIENTALIS, *M.M.Firmin Didot 56, rue Jacob, Paris.*

حضرة الاب شابو (١ العالي الهمّة ونحن نتمنى للجميع كل توفيق ونجاح

فاحتذاء بغيرة هولاء الإخوان أحببنا اليوم ان نُتحف قرّاء المشرق برسالة «الشيخ الرئيس الفاضل الفيلسوف والعالم المحرّر المحقق عفيف بن الشيخ المكين بن مؤمل» وقد نسخنا هذا المؤلف النفيس من مكتبة دير القبر المقدس في اورشليم وذلك بإذن حافظ مخطوطاتها الارخدياكونوس كلاوديا كيكيليدس الجزيل الاحترام الذي يطيب لنا ان نقوم بشكره ههنا لما له علينا من الايادي البيضاء لكونهِ سوّغ لنا نسخ المخطوطات العربية واليونانية ورسم بعض صفحاتها عند الحاجة بالتصوير الشمسي

اما المخطوط الذي نحن بصدده فهو العدد المئة والواحد من المخطوطات العربية (٢ عددُ صفحاته ٢٨٩ وقياسها (0m, 225×0m, 155) وهو مجموع مقالات لاهوتيّة وميامر دينية نخصّ بالذكر منها مؤلفات بولس الراهب اسقف صيدا وسليمان مطران غزّة وعفيف بن مؤمّل وجراسيموس رئيس دير مار سمعان العمودي الواضع كتاب الكافي في المعنى الشافي

غير ان تاريخ المخطوط لم يذكر والمُرجّح ان اوّل الكتاب (وجه ١-٨٢) وآخرهُ (١٦٠-٢٧٥) نُسخا في الجيل السابع عشر ونصف الكتاب (١٢٥-١٣٩) نُسخ سنة ١٧٧٥ مسيحية. على انه يصعب علينا تعريف المؤلف ولم نجد له ذكرًا في مخطوطات المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين الافاضل في بيروت. ولم يذكره البارون دي سلان في قائمته للمخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الوطنية الباريزية

وربّما عاش عفيف بن مؤمل في اواخر الجيل الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر. لأنهُ يذكر في رسالته مطران نصيبين دون تعريف آخر كأنّ معاصريه يعرفون هذا الاسقف الشهير. ومطران نصيبين هذا ما هو الّا ايليّا الثالث ابن الحديثي المعروف بابي الحلم والشهور بموضوعاته اللاهوتية والحكمية. وعاش في الجيل الثاني عشر (١١٢٨-١١٩٠) (٣ وكان عفيف من الملكيين اذ يقول في مُفتتح الفصل الثالث: «اعلم أنّا نحنُ الملكيّة» . . . ويستبان من كلامهِ انه كان له إلمام بالفلسفة المعروفة بالفلسفة المدرسيّة. بيد انه اخطأ في قوله ان النفس قديمة. وتعبيرهُ عن سرّ الثالوث الاقدس يحتاج الى شروحات في بعض الأحيان كما سنبيّن ذلك فيما بعد

(f. 70v) بسم الله الخالق الحي الناطق

قال الشيخ الرئيس الفاضل الفيلسوف والعالم المحرّر المحقّق عفيف ابن الشيخ المكين ابن مؤمّل رضي الله عنه

1) Chabot: I. Guidi etc. CORPUS SCRIPTORUM CHRISTIANORUM ORIENTALIUM, *Poussielgue*, 15 *rue Cassette*, *Paris*

2) Κατάλογος ἀραβικῶν χειρογράφων τῆς Ἱεροσολυμιτικῆς βιβλιοθήκης, ὑπὸ τοῦ Ἀρχιδ. Κλεόπα Κικυλλίου

٣) بل الاحرى ان المؤلف يريد اسقف نصيبين ايليا ابن شنّيا المتوفّى سنة ١٠٤٩م ويشير الى مجالسهِ التي نشرناها في الاعداد السابقة من المشرق ل.ش

فاتحة القول

الحمد لله الذي هدانا الى العلم بوحدانيته واطلعنا على تصوُّر وجوده وجوهريته واظهر لنا سرَّ تثليث صفاته وأقانيمه . وأخفى عن الخلق حقيقتهُ وماهيَّتهُ وخصّنا بالدخول تحت نيره لعبادته وعبوديته . نحمده على ما أولانا من الانعام ونشكره دائماً على مرّ الايام

وبعد فقد امر من لا يخالف بانشاء رسالةٍ مختصرة مشتملة على مذاهب النصارى وما ذهب اليه كل فريق منهم والابانة عن الحق الأبلج واستواء المنهج والردّ على مخالفي الحقّ بما يسوّغه العقل السليم والنظر المستقيم . فأجبتُ الى ذلك امتثالاً لاوامره مع علمي بتقصيري واني غير كفوء لهُ اذ كانت إقامةُ البرهان العقلي على ذلك شاقّةً لبُعده عن الأذهان العامية ونفور طباعهم عنه . وكان المبرهَن عليه يحتاج الى ضرب الامثلة . وليس لنا شيء من الامثلة في الخارج الّا وهو مخلوق مركَّب واقلّهُ من المادّة والصورة . امّا جوهر الباريء تعالى اسمهُ واقانيمهُ فبسيطة غير مخلوقة . ومن البيّن ان المخلوق لا يقاس به البسيط والّا وقع الالتباس وانما نذكر ذلك تقريباً للاذهان . فاستعنتُ بالله الرحمن الرحيم واعتصمتُ (f. 71a) به من الشيطان الرجيم . ورتبتُ الرسالة خمسة عشر فصلاً (كما سترى)

الفصل الاول

في الكلام على مذهب النصارى بوجهٍ كلي

اعلم ان النصارى اتّفقوا على ان الباريء تعالى جوهرٌ واحد ذو ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس . ويؤيده العقل والنطق . امّا العقل (f. 71b) فان كان عاقلاً يعلم ان الباريء تعالى موجود لأن العالم مخلوق ولهُ موثّر ولا بدّ من الانتهاء الى موجود ليس له موثّر والّا لزم الدَّور والتسلسل وهما مُحالان

وهذا الموجود امّا ان يكون قائماً بنفسه وامّا الى غيره مفتقرًا . والاوّل هو الجوهر والثاني هو العرَض . والثاني باطل لانهُ يستحيل ان يكون للباريء تعالى عرض قائم بغيرهِ والّا لكان ممكناً وكلُّ ممكن فهو حادث والباريء قديم . ولذا

بطل الثاني وهو العرض ثبت الاول وهو الجوهر

ثم هذا الجوهر لا كالجواهر المخلوقة البسيطة لانهُ خالق لها وما كان خالقاً لها فهو غيرها والّا لزم احد الامرين امّا ان يكون الشي. فاعلًا لنفسهِ وهو باطل . وامّا ان يكون فاعلهُ وفاعلها شيئاً آخر. والكلام في الآخر كالكلام فيه ويلزم منهُ التسلسل والتسلسلُ مُحال . والفلاسفة وافقوا النصارى في ذلك وهو جعلهم الباريَ تعالى جوهرًا. امّا أنهُ عرض فيتعالى على ذلك

وهذا الجوهر اما ان يكون حيًّا او غير حي. والحيّ اشرف من الغير حيّ والباريَ تعالى اشرف الموجودات فخصّصناهُ باشرف الاقسام . ثم هذا الحيّ امّا يكون ناطقاً او غير ناطق. (اي النطق المتولّد من العقل لا ما يعتقدهُ العامة اذ النطق اللساني مستحيل) . فحاشى ان يكون الباريَ غير ناطق لان الغير الناطق أبكم وحاشى (f. 72r) لجلالتهِ من ذلك . وهذا الوجه في اثبات الاقانيم اجود ممّا قاله مطران نصيبين (١ فان ما قاله يستحيل . حاشى ان يكون النطق غير ناطق . ويلزم على هذا التقدير ان يكون الباريَ تعالى جسماً لانهُ خالق الاجسام ويستحيل ان يكون خالق الاجسام ذا جسم

واذ دلّنا البرهان على ان الباري تعالى قائم بنفسهِ حيّ ناطق فسمّينا ذات الباريَ ابًا . ونطقهُ اي حكمتهُ ابنًا . اي انهُ متولد من الذات كما يتولد النطق من العقل من غير انفصال لا من مباضعة وجماع كما سبق الى الاوهام العاميّة . وحياتهُ روح قدس . فالنطق متولد من الذات وروح القدس منبعث من الذات وسمّينا الاب والابن وروح القدس اقانيم

ومعنى الاقنوم الصفة الجوهرية التي لا يفتقر وجودها الى وجود جوهر اخر كالحيّيّة والناطقية . فانهما لا يجرّان معهما شيئاً آخر بخلاف القادريّة فانها تستدعي مقدورًا عليهِ والّا لما كان قادرية اذ لا يقال قادرٌ الّا بالاضافة الى مقدور عليهِ ولا مقدور عليهِ الّا بالاضافة الى قادر . واعلم ان هذا التعريف للاقنوم أجود ما عُرّف بهِ ولم أطّلع عليهِ الّا بعد جهد شديد والّا فبعضهم قال « يدلّ على الوجود بالذات . الذي قوامه خاصي لهُ اعني الشخص » وهو باطل لان كل شخص مشار اليهِ متميّزٌ في الخارج

١) راجع الحاشية على التوطئة

والاقنوم ليس كذلك. وبعضهم قال « الاقنوم يدلّ (f. 72a) على الوجود المطلق اعني الجوهر ». وهذا التعريف ليس مقسوم على القنوم (لأن الجوهر واحد والاقانيم ثلثة) فثبت ان ما ذكرناهُ في تعريف الاقنوم اولى مما عرّفوهُ به.

وانما قلنا انَّ هذه صفات جوهرية . والّا لزم ان تكون صفاتٍ عرَضيةً وكان نطق الباريْ وحياتُهُ داخلًا عليهما الاعراض وهو محال . وهذه الثلاثة الاقانيم جوهرها واحد اي ذاتها. فلهذا نقول للباريْ إله واحد ونُصفهُ بثلاث صفات جوهرية آب وابن وروح قدس ولا يلزم ان يكون ثلثة آلهة. وليس لنا مثال يمثّل به في الخارج لِما علمتَ فيما تقدّم بان جوهره غير جوهر المخلوقات وانما نذكر من ذلك مثال مقارنة ليتأسى بها المبتدئ. إنّا نقول عقل الانسان ونُطق الانسان وحياة الانسان ونشير الى إنسانٍ واحد لا ثلثة أناسيَ . فهذا ما تهيأ ذكره من جهة العقل

وامّا النقل فان الانجيل الطاهر والكتب الالهية مصحوبةً (١ تذكر الصفات الثلاثة . وان الكلمة والروح كل واحد منهما إله. لكن آثرنا الاختصار هرباً من التطويل . ونحن نذكر مبدأً من ذلك لتعلم انّا لم نقتصر على العقل دون النقل ولا على النقل دون العقل . فنقول امّا الانجيل الطاهر فجاء فيه ان السيد المسيح قال لتلاميذه: أعمدُوا الامم باسم الآب والابن والروح القدس (متّى ٢٨ : ١٩) . وايضاً قال: « في البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وإلهاً لم يزل الكلمة ». هو في (f. 73a) (البدء) كان عند الله وخلوًا منه لم يكن شيْ ممّا كان من المخلوقات (يوحنّا ١ : ١—٣). وقال: « أنا والآب واحد وانا في الآب والآب فيّ » (يو ١٠ : ٣٠و٣٨). « ومن رآني فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩). « وليس يقدر يأتي الى الآب الّا بي » (يو ١٤ : ٦) ومن لا يؤمن بالابن ولا بالآب يؤمن. وقال ايضاً للرسل: « إقبلوا الروح القدس. ومن حللتم لقوم خطاياهم فقد حُلّت » (يو ٢٠ : ٢٢) . وقال ايضاً: « من لم يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت السماء » (يو ٣ : ٥). وامّا كتب الانبياء فقال داود النبي: « بكلمة الله خُلقت السموات والارض » (مز ٣٢ : ٦) . وقال ايضاً: « أرسلَ كلمتهُ فشفاهم ونجاهم من الهلاك » (مز ١٠٦ : ٢٠) اعني ذرّية آدم . وقال ايضاً: « لكلمة الله أمجّده » (مز ٥٥ : ١١). وقال سليمان بن داود: « من قبل ان تكون التلال كلّها خلقني »

١) وجاء في المخطوط : مصحوبة

(امثال ٨: ٢٥) . وقال ايضاً: «قُل لي من صعد الى السماء ونزل . من أمسك الريح بقبضته ومن صرّ الماء في منديل ومن اقام أقطار الارض . ما اسمه ولمن ابيه ان كنتَ تدري» (امثال ٣٠: ٤) . وجاء في التتمة ذكر الثالوث : «انا إله آبائك إله ابراهيم إله اسحاق إله يعقوب» (خروج ٣: ٦) . وقال داود النبي : «ترسل روحك فيُخلقون» (مز ١٠٣: ٣٠) . وقال ايوب الصديق (٣٣: ٤) : «روحُ الله خلقني» . وقال يوحنا المعمدان : «انا اعمدكم بالماء للتوبة والذي يأتي بعدي هو قبلي يعمدكم بروح القدس والنار» (متى ٣: ١١) . وفي هذا كفاية

الفصل الثاني

في الاشكالات الواردة على هذا الكلام

(احدُها) : ان قولكُم للباريْ تعالى جوهرًا باطلٌ لان الجواهر متحيّزة . فلو كان الباريْ تعالى جوهر لكان القول بان الباريْ تعالى (f. 73ᵃ) جوهر متحيّز وهو مستحيل . فالقول بانهُ جوهر باطل . (وثانيها) : انَّ الجواهر متماثلة فاختصاص جوهر الباريْ تعالى بالالهية إن كان لفاعلٍ رجّحه على باقي الجواهر فلا يكون إلهًا . وإن لم يكن لفاعلٍ رجّحهُ فقد لزم الترجيح لا لمرجّحٍ وهو محال . (وثالثها) : إن الجوهر محدود لاننا نقول ان الجوهر موجود لا في موضوع . فلو كان الباري تعالى جوهرًا كان محدودًا وكُنهُ حقيقة الباري تعالى لا يُحَدّ . (ورابعُها) : لقائلٍ يقول : الجوهر القديم إمّا ان يكون مختلفاً او غيرَ مختلف . والاوّل باطل والّا لزم ان يكون حقيقة الباري تعالى مختلفة . فاذا ثبت هذا فنقول الاقانيم الثلثة التي هي الاب والابن والروح القدس مختلفة ام لا . فان كان الاول لزم ان يكون ما هو مختلف غير مختلف . وبينهما تناقض . وان كان الثاني فمحال لان الحيثية غير الناطقيّة . فثبت ان الجوهر هو الموصوف وان الاقانيم هي الصفات . وحقيقة الموصوف غير حقيقة الصفة

﴿الجواب عن الاوّل﴾ : انّا لا نريد بالجوهر الجوهر المشهور بل الجوهر الذي وجودهُ من ذاتهِ . ولهذا قالت النصارى : جوهر لا كالجواهر وبهذا تندفع الاشكالات الاربعة — فان (قيل) الشكّ بعدُ باقٍ لان قولك جوهرٌ لا كالجواهر يلزم منهُ ان يكون الباريْ تعالى محدودًا لان قولك جوهرٌ يشترك فيهِ ذات الباريْ

وباقي الجواهر . وقولك لا كالجواهر فصلٌ يميزهُ (f. 74ᵃ) ولا معنى الحدّ عند الفلاسفة الّا هذا . (قلنا) لا شك ان قولنا كالجواهر قيد سلبي . وللقيد السلبي لا يوجد في الذات فلا يلزم ما ذكرت .

﴿ والجواب على الثاني ﴾ لا نسلّم ان الجواهر متماثلة لان بعضها يدخل في مقولة الكمّ وبعضها في مقولة الكيف ونحوها . فلو كانت متماثلة لاتفقت تحت مقولة واحدة

﴿ والجواب عن الثالث ﴾ قد تقدّم وهو ان «لا» حرف سلب . وللقيد السلبي لا يُوجد تميزٌ هكذا

﴿ والجواب عن الرابع ﴾ هذا الاشكال غير لازم لانا نقول ان الجوهر هو الاقانيم ولا الاقانيم هي الجوهر . وما مثل هذا الّا مثل من قال: يوحنا فيلسوف ويوحنا طبيب ويوحنا نحوي . ولا يلزم ان حقيقة حنّا مختلفة لاجل اختلاف صفاته . وبتقدير تسليمه فانهُ يجوز ان يقال للشيء انهُ مختلف وانهُ غير مختلف باعتبار كما تقول «الخمر مسكر» ان اردتَ وقت شربهِ و«الخمر ليس مسكرًا» اذا اردتَ بهِ كونهُ في الحابية

الفصل الثالث

فيما ذهبَ اليهِ الملكيّة

اعلم أنّا نحن الملكية نعتقد ان السيد المسيح مولود من مريم اقنوم واحد إلهي . ذو طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة بشرية . ومشيئتين مشيئة الهية ومشيئة بشرية . وفعلين فعل الهي وفعل بشري . وانهُ حلّ بدن العذراء مرتريم (١ واتخذ طبيعة ناسوتية ومشيئة ناسوتية وفعلًا (ناسوتيًا) ولم يؤخذ اقنوم لانهُ اتخذ طبيعة عامة مجردة عن الاقانيم (74ᵃ) لان الطبيعة الالهية والبشرية اتحدا باقنوم واحد . وان الابن اي الكلمة اتحد اتحادًا ظهوريًا كاتحاد النار بالحديد . فندير البرهان على واحدٍ واحدٍ من هذه الصفات

اما الدليل على انهُ اقنوم واحد لا غير فمن وجوه كثيرة . (أحدها) لو لم يكن

١) اي سيدتي مريم من السريانية ܡܪܝܡ ܬܪܝܡܪ

السيد المسيح اقنوماً واحداً لما كان الاتحاد وقت بشارة ملاك الله مريم . والتقدير خلافهُ . (وثانيها) ان السيد المسيح قال لتلاميذه (متى ٢٨ : ١٩) : «أمضوا جميع الامم بسم الاب والابن والروح القدس» فعلمنا من هذا الكلام ان ليس لهُ غير اقنوم واحد واننا إن جعلنا لهُ اقنومين كما ذهب اليهِ مَن نذكرهُ لزم ان يكون لا ثلاثة اقانيم بل أربعة : اقنوم الآب واقنوم روح القدس واقنوما الابن فتكون مخالفين الانجيل الطاهر . (وثالثها) لو لم يكن اقنوماً واحداً وكان اقنومين لكان يكون اتحاده بطبيعةٍ مُشخَّصة . والسيد المسيح انما اتحد بطبيعة عامَّة اي طبيعة الانسان مطلقاً (١ ليُخلِّص جنسَ الانسان من عبودية الشيطان . ولو كان اتحاده بطبيعةٍ مُشخَّصةٍ لما خلَّص الا شخصاً واحداً . والكتب الالهية قد شهدت لخلاص جنس البشر

واما الدليلُ على كونه طبيعتين فمن وجوه . (أحدها) ما يُقال الينا بالتواتُر انهُ أكل وشرب . وانه حُبل بهِ وولد وخُتن لثمانية أيام وكان جسماً ذا طولٍ وعرضٍ وعمق (f. 75[2]) مصلوب مدفون . وهذا من لوازم الطبيعة البشرية . ثم نظرنا فوجدنا الحَبَلَ من غير مباضعة وانهُ وُلد من غير (أن) يُدخَلَ على عُذرَةِ والدته . وانهُ تكلم في المهد في اوَّل مدَّةٍ (٢ . وأن آياتهِ كانت تظهر على النَّور وان عند صلبه اظلمت الشمس والقمر وتساقطت النجوم وتشقَّقت الصخور وانفتحت القبور وقامت الموتى وانشق ستر الهيكل . ثم رأيناه يذكر عن نفسه في الانجيل الطاهر تارةً انهُ انسان وتارةً انهُ إله . فعلمنا من هذا ان لهُ طبيعتين

ولمَّا الدليل على كونهِ ذا مشيئتين فانَّا رأيناه قد خلَّص آدم وذريته من الموت وجعل للصِّ اليمين حظاً معهُ وكان كل ما شاء يكون وهذا صار على مشيئةٍ إلهية . ثم رأيناه عند الصليب (في صلاتهِ في بستان الزيتون) يقول (لوقا ٢٢ : ٤٢) : «يا أبتاه ان شئت أن تُجيز عني هذه الكأس لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك» . ومن المعلوم ان

١) ليس هذا القول سديداً فان السيِّد المسيح لم يتَّحد بطبيعة عامَّة لانَّ الطبيعة العامَّة لا وجود لها الَّا نظرياً وانما اتحد بطبيعة مفردة خاصَّة شبيهة بطبيعتنا ذات نفس وجسد كاملين الَّا انَّ تلك الطبيعة لم تتَّحد باقنوم بشري بل باقنوم ابن الله ولا يمنع اتحادهُ مع طبيعة مفردة ان يخلِّص جنس الانسان من عبوديَّة الشيطان بفعل اقنومهِ الوحيد (المشرق)

٢) كلام السيِّد المسيح في المهد لم يروَ في الاناجيل الصادقة بل في الاناجيل المصنوعة كانجيل الطفولية وقد رواه القرآن في سورة آل عمران (المشرق)

هذا صادر عن المشيئة الناسوتيّة

واما الدليل على كونهِ لهُ فعلان فهو انّا رأيناه اذا أراد فَعَلَ ما فعلهُ من ابتهالٍ وطلبةٍ لا كما فعل باقي الانبياء. بل كان يقول للشيء كُن فيكون مثل تنقية الابرص وفَتْح أعين العميان وانهاض المخلّعين واقامة الموتى . وكل عاقل يعلم ان هذه صادرة عن فعل الهي . ثم رأيناه يصوم ويصلّي ويأكل . فهذه افعال بشرية

فان (قيل) هذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها كيف يجوز اتحاد القديم بالمُحدَث وكيف يجوز حلول اللاهوت بالناسوت ولو جاز ذلك لكان اللاهوت مُتحيزاً . وكان يَلزم محذورٌ آخر وهو ان الصلب والألم دخلا على اللاهوت مع الناسوت المتحد به

(والجواب) انما اتحاد القديم بالمُحدث جائز كما جاز حلولُ النفس الناطقة بالبدن والنفس قديمة (١ والبدن محدث . وأما قول المعترض « يلزم من اتحاد اللاهوت بالناسوت تحيّز اللاهوت » فباطل . لانهُ لا يقول ان اللاهوت اي الكلمة فارقت للوالد لما وحلّت وانما كان حلولها ووصلها بالناسوت كما تُوصلُ النفس بالبدن وهي ليس في داخل البدن ولا في خارجهِ . واما قولهُ « لو شئت هذا لزم ان يكون الصلب والآلام داخلة على اللاهوت » فباطلٌ ايضاً . لان الاعراض لا تدخل ولا تؤثر الّا فيما هو قابل للأعراض وانما القابل لها الناسوت فان الانسان تركيب من نفسٍ ناطقة وجسمٍ حيواني . ثم المرض الذي ينال الجسم لا ينال النفس ولا ينادى اليهِ بالعكس . فكما جاز ذلك في حق النفس التي هي أقل بساطةً من اللاهوت بل ليس بها تقايس فكم بالأولى ان يكون اللاهوت

١) ان نفس كلّ انسان تخلَقُ وقت تركيب الجسد وقول المؤلف ان النفس قديمة هو زعم فاسد مذهب اليه افلاطون الفيلسوف واوريجانس الشهير « لان النفس ليست روحاً محضاً كالملائكة بل خُلقت لتتحد بجسد ومن ثمَّ هي عاجزة من اصدار افعال عديدة عند تجردها من الجسد فلذلك قال القديس توما الاكويني ان مفارقة النفس للجسد امر مضاد لاقتضاء طبيعتها

Sed esse separatam a corpore est praeter rationem suae naturae et similiter sine conversione ad phantasmata est ei praeter naturam et ideo ad hoc unitur corpori, ut sic operetur secundum naturam suam. *S. Thomas · Sum: theol. I, q. 89, art. I — I q. 118, art. 3. I², q. 6 art. 4.*

فان قيل كيف يقولون: المسيح صُلب والمسيح مُركَّب من طبيعة الهية وطبيعة ناسوتية . ثم يقولون اللاهوت لا تؤثر فيه الآلام . فان لم يكن اللاهوت صُلب لا يصحّ ان يقال المسيح صُلب بل بعضُ المسيح

والجواب (f. 76b) ان الصلب والآلام نالت ناسوتَ السيّد المسيح واللاهوتُ متّحد به لم يفارقه وانما لم يؤثر فيه لانه غير قابل ذلك

(وثانيها) ان المسيح مركب من اله وانسان فكيف جاز لكم السجود له . (والجواب) ان الاشرف اذا اتحد بالأدنى تغلّب الاشرف على الادنى فانك تقبّل الكتب الالهية وان ضمّها خشب وجلد وكلام الله والتقبيل للمجموع فلا يُمتنع من تقبيله لأجل الخشب والجلد لانّ ما فيه من كلام الله شرّف المجموع

(وثالثها) : لم قلتم ان المسيح اله تامّ وانهُ مساوٍ للآب في الجوهر ومعنى المساواة ان كلما صُدّق للآب صُدّق له والله تعالى ثلثة اقانيم فان كان المسيح إلهاً فلزم ان يكون له ثلثة اقانيم وحيث ليس له الا اقنوم واحد فلا يُدعى إلهاً . (والجواب) ان كلما هو لكل واحد من الآب والابن والروح القدس هو للآخر في اللاهوت من غير انفصال الّا في رتب نِسَبها فقط (١ . لاننا اذا قلنا ابناً او كلمةً يستحيل ان تكون بلا والدها . ثم هذه الكلمة تستحيل ان تكون صادرةً من غير حيّ وكذا اذا قلنا الآب والروح القدس . فقد ظهر مما ذكرناه ان كلما ذكرت واحدة من هذه الصفات

---

١) ان الاقانيم الالهية لا تفرق شيئاً من جوهر الّا في النسب الاصلية وفقاً لتعليم اللاهوتيين وهذا ما يتضح جليّاً من قانون ايمان منسوب لقديس اثناسيوس : ان الاب لم يصنعهُ أحدٌ لم يُخلَق ولم يُولَدْ . والابن من الاب وحده لم يُصنَعْ ولم يُخلَقْ بل وُلد . والروح القدس من الاب لم يصنع ولم يُخلَق بل ينبثق :

Ὁ Πατὴρ ἀπ' οὐδενὸς ἐστι πεποιημένος, οὔτε δεδημιουργημένος, οὔτε γεγεννημένος. ὁ Υἱὸς ἀπὸ μόνου τοῦ Πατρός ἐστιν, οὐ πεποιημένος, οὐδὲ δεδημιουργημένος ἀλλὰ γεγεννημένος. τὸ Πνεῦμα τὸ ἅγιον ἀπὸ τοῦ Πατρός, οὐ πεποιημένον, ἀλλ' ἐκπορευτόν.

واعلم ان القديس اثناسيوس قال ان الابن هو من الاب وحده لكنه لم يَقُل ان الروح القدس من الاب وحده بل من الاب . وهذا ردٌّ على من يعترض ان الروح القدس لا ينبثق الّا من الاب مستدلاً الى هذا النصّ . فيكون برهانهُ كبرهان من يقول ان الايمان وحده يخلص الانسان طبقاً لقول الكتاب المقدس «من آمن يخلص» . ومن البين ان هذه حجةٌ باطلة لان الرسول لم يقل الايمان وحده يخلص الانسان

الجوهرية دُلّ على الثلاثة وبه يندفع الشك . فان قال قائل أما قلتم ان الابن اي الكلمة مساوٍ للآب والروح . (والجواب) ان الفرق بين الآب والروح القدس وبين الابن في امتناع الاتحاد بين الآب والروح وغير امتناعه في الابن (f. 76v) كالفرق بين العقل المجرَّد والمعقول عقلًا مجرَّدًا والعاقل عقلًا مجرَّدًا . وذلك بعقل الباري عزَّ وجلَّ . فلذلك جاز ان يتحد الابن وهو الذي منزلتهُ منزلة العقل المجرَّد . فقد ظهر الفرق بين امتناع الحلول في الاب والروح وامكانهُ في الابن (١

ورابعها : المسيح اختار الصلب ام لا والاول باطل لانه قال في الصلب : «ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس فافعل» . فهذا دليل على انه لم يحبّ الصلب ولو صحَّ ذلك لكان اليهود غير مخطئين فيما فعلوا . لانهم فعلوا ارادتَه . فما بالكم تنسبون اليهم قُبحَ الفعل وتُوبّخونهم . والثاني ايضاً باطل والّا لما استحق ان يُدعى الهًا لانهُ قد فُعل بهِ ما لا يختار

(والجواب) ان للمسيح طبيعتين الهية وبشرية . فالذي لم يختر الصلب وقال : «ابتاه ان شئت تجيز عني هذه الكاس فافعل» هو الناسوت لانه قابل النزع والتأثير . واللاهوت لم يكره ذلك لانه غير قابل النزع ولا لتيره . فاما اليهود وان كانوا لم

١) هذه عبارات مبهمة مضطربة لعلَّهُ وقع في نسخها غلط وهي تقتضي شروحات لان الاب والابن والروح القدس ثلاثة اقانيم غير مختلطة بل متميزة بعضها عن بعض . والاقنوم في هذا السر الفائق الادراك هو نسبةٌ جوهرية الى الاقنوم الآخر اذ انهُ تعالى جلَّ جلالُه خالٍ من الاعراض . فالنسبة الجوهرية في الاب هي انهُ يلد الابن ازليًّا ولادةً روحيةً لا يدرك كُنهها عقلُ الخليقة الانسانية ولا الملائكية . والنسبة الجوهرية في الابن هي انهُ مولود من الاب قبل كل الدهور . والنسبة الجوهرية في الروح القدس هي انهُ ينبثق من الاب بواسطة الابن كمن مصدر واحد

ἐκ τοῦ Πατρὸς διὰ τοῦ Υἱοῦ ἐκπορεύεται τὸ Ἅγιον Πνεῦμα ὡς ἐκ μιᾶς ἀρχῆς

فالغاية المقصودة من المؤلف ان الاب لا يختلط مع الروح القدس بل يمتاز عنهُ اعتبارًا لاقنومه لكن الابن يتحد مع الاب كاتحاد المعقول مع العقل وان كان متحدًا بالطبيعة الالهية مع الاب كالروح القدس فهو يمتاز عنهُ اعتبارًا لاقنومه بيدَ ان الثلاثة الاقانيم موجودة بعضها في البعض فالابُ موجودٌ في الابن والابنُ في الآب وكلاهما في الروح القدس وكذلك الروح القدس موجود في الاب والابن هذا ما يسميه آباء الكنيسة اليونانيون Περιχώρησις وما يعبّر عنهُ آباء الكنيسة اللاتينيون بلفظة Circuminsessio

يفطوا ما كرهه لكنهم لم يقصدوا به خيراً بل شراً . والخير انما كان بطريق العرض . ألا ترى انك لو أطيت لبعض اخوتك سماً قاتلاً وايقنتَ بتلفه جزماً واعتقبهُ نفعٌ عظيم ثم علم انَّ غرضك كان تلفهُ أترى تكون عنده مخطئاً أم لا . فكما هو جوابه في هذا المقام هو (f. 77r) جواب النصارى

(وخامسها) انتم قلتم ان الكلمة انما اتحدت بجسد المسيح ليُرَى ويخاطب للفوائد المشهورة لان اللاهوت لم يُرَ كما أتى به الكتاب بعد صعوده الى السماء . أما ان يكون صعد اللاهوت فقط ولا يُقال ان المسيح صعد الى السماء بلاهوته لان المسيح عبارة عن اللاهوت والناسوت كما تقدم . وأما ان يكون صعد الناسوت فقط وهو خلاف ما تعتقده النصارى . وان كان صعد اللاهوت بالناسوت فما الفائدة بصعود الناسوت لان الحاجة الداعية هي مخاطبة الناس . فقد ارتفعت مع ان الانجيل الطاهر يقول : « ما صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء »

(والجواب) الصاعد الى السماء الهٌ بالناسوت وليس فيه تناقض للانجيل المقدس . لان الكتب الالهية أخبرت ان ملاك الرب كان يأتي الى مريم من حين البشارة في كل يوم بغذاء من السماء . فكان تكوينه واغتذاؤهُ في جوف امه من الغذاء الآتي مع ملاك الله من السماء . فيكون ناسوتهُ ايضاً من السماء (١ . (والامر) جيد لا تناقض (فيه) واما قول المعترض ان الحاجة الى ذلك قد ارتفعت لان السيد المسيح لا بدَّ ان ياتي في الدهر العتيد ولا ياتي الّا متجسداً والامم تنتظر واذا عُلم ان لا بدَّ له من جسد يحل فيه فبالاجتماع ان هذا الجسد أولى بالحلول لانه افضل من جميع الاجساد

الفصل الرابع

فيما ذهب اليهِ النساطرة والكلام معهم

قالوا ان السيد المسيح اقنومان اقنوم الهيّ واقنوم بشريّ (f. 77r) وطبيعتان

١) هذه الاقوال لا اصل لها في الكتب الالهية القانونية الموحاة من الله بل وردت في المؤلفات الغير الشرعيَّة (Apocryphes) التي تنكر الكنيسة المقدَّسة صحَّة نسبتها للرُسل الاطهار او للآباء القديسين لانها مُزوَّرة والكلام في الآية المذكورة من الطبيعة الالهيَّة لا من البشريَّة

طبيعة الهية وطبيعة بشرية ومشيئةٌ واحدة الهية وفعلٌ واحد الهيّ وان السيدة مرتمريم لم تلد الهاً بل انساناً وان اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاد مجاورةٍ كمجاورة الزيت والماء في الاناء وان المسيح اله تامّ وانسان تامّ . وهذا المذهب فاسد من وجوه (احدها) قولهم ان المسيح اقنومان وهذا باطل لان الابن لم يتّخذ من مريم اقنوماً ولم يأخذ طبيعة خاصة كما ذكرنا بل طبيعة عامة ليخلص الجنس العام (١ . وايضاً فيه تناقضٌ ما للانجيل الطاهر وفساد نظام للتثليث اذ يقول : « عمدوهم بسم الآب والابن والروح القدس» . فيلزم على زعمهِ ان للابن اقنومين وللاب اقنوماً وللروح القدس اقنوماً فتكون اربعة لا ثلاثة

(وثانيها) قولهُ بمشيئة واحدة الهية يلزم ان قوله تعالى على الصليب (٢ : «ابتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس فافعل لكن لا كمشيئتي بل كمشيئتك» . وكرهه للصليب وفزعهُ منه ومن اليهود عائدٌ الى المشيئة الالهية وهذا فساد وغير خفي عن من لهُ عقل . ومع هذا فهو مناقض لمذهبهِ ايضاً لانه يرى ان المسيح اله تامّ وانسان تام . والانسان التام لا يكون بلا مشيئة

(وثالثها) قوله بفعل واحد الهي يلزم ان يكون اكله وشربه وصلاتهُ وفزعهُ وموتهُ على الصليب عائد الى الفعل الالهي ويتعالى على ذلك

(ورابعها) (f.78b) قوله ان السيدة مرتمريم لم تلد الهاً بل انساناً مخالف لما قالتهُ الآباء الثلاثة وثمانية عشر «وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد الذي من اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء » وهو يعتقد الامانة وانما كفر هذا الرجل وذهب الى المذهب الخسيف على ما لاح لظني . إما قياماً لهواه والتزاماً لما تفوّه به وإما ان حواسهُ عميت عن ادراك الصواب فكفر ولم يشعر

(وخامسها) انهُ يرى ان المسيح اتحد اتحادَ مجاورةٍ كاتحاد الزيت والماء في الاناء وهذا في نفس الامر ليس اتحاداً بل حيزاً ومكاناً

---

(١) بل اخذ طبيعة خاصةً كطبيعتنا مؤلفة من نفس وجسد وانما قوام هذه الطبيعة باقنوم لاهوت المسيح (راجع ما قيل سابقاً صه ٩١٨)

(٢) ليس على الصليب بل في بستان الزيتون

الفصل الخامس

فيما ذهبت اليه اليعاقبة

اعتقدت اليعاقبة ان المسيح اقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعل واحد وان المسيح اتحد بان امتزج اللاهوت بالناسوت فصارا شيئاً واحداً

وهذا كلام فاسد من وجوه: (احدها) قولهم اقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وفعل واحد نقول لهم: ما هو مرادكم بالطبيعة والاقنوم والمشيئة والفعل أهو الالهي او الانساني والثاني باطل والا فما استحق العبادة واذا بطل الثاني ثبت الاول. ثمَّ نقول: أتوافقونا على انَّ المسيح قبل الاتحاد طبيعة ناسوتية ام لا - فان كان الثاني فتخالفون الآباء الثلثمائة والثمانية عشر الذين قالوا عنهُ انهُ من اجلنا (f.78v) نزل من السماء وتجسَّد من روح القدس ومن مريم العذراء. وان كان الاول فلا بُدَّ بعد الاتحاد ان يبقى من الطبيعة البشرية شيء. ويلزمه القول بها. ثمَّ في قولهم تناقض للانجيل الطاهر بقوله (يو ٢٠: ١٧) اني صاعد الى أبي وابيكم والهي والاهكم» وقوله (متى ٢٧: ٤٦): «الهي لماذا تركتني». وايضاً يلزم منهُ ان كل الاعراض التي نالت المسيح واقعة باللاهوت لان ليس لهُ طبيعة ناسوتية بل طبيعة لاهوتية. ويناقض قول داود النبي اذ يقول (مز ١٦: ١٢): «واحدةً نطق الرب وهاتان اثنتان سُمعت». اي انَّ اقنومهُ الواحد له طبيعتان وهما طبيعة الهيَّة نطق بها الرب وطبيعة ناسوتية كذلك له مشيئتان وفعلان. ويلزمه في المشيئة والفعل ما ألزمنا الناطرة فلا حاجة لذكره اذ كان الغرض بهذه الرسالة الاختصار وتقليل الكلام ما أمكن. (وثانيها) ان هذا الاتحاد اعني الامتزاجي لا يصدق الا في حق الكائنين كالخل والعسل وأما في الله تعالى فلا. ويلزمهم ان يكون المسيح لا الهاً ولا انساناً لأن المتكون من شيئين ليس هو احد الشيئين فان المتكوّن من الخل والعسل لا يطلق عليه بعد التركيب انهُ خل ولا انهُ سكَّر فيكون للمسيح (حسب) زعمهم طبيعة ثالثة

الفصل السادس

فيما ذهب اليهِ المارون والردّ عليهم(١

اعتقد المارون ان للمسيح اقنوماً واحداً (f. 79r) وطبيعتين طبيعةً إلهيّة وطبيعةً بشرية ومشيئةً واحدة وفعلاً واحداً . وهو فاسد وكان يلزم ان يقولوا بطبيعة واحدة ويلزمهم ما لزم اليعاقبة والنساطرة في نفيهم المشيئة والفعل البشريّين

الفصل السابع

فيما ذهبت اليهِ الارمن

اعتقدت الارمن ان طبيعتهُ واحدة وناسوته استحال الى لاهوته وان جسم السيد المسيح قديم لا يقبل ألماً ولا تغيراً . وهذا فاسد من وجهين (احدهما) قولهم : «استحال ناسوته الى لاهوته » محالٌ ويلزم ان يكون الصلب والآلام داخل على اللاهوت . (وثانيهما) ان فيه انكاراً لصلبه بقولهم « لم يكن جسمه قابل التأثير» والصلب لا يلزم الّا الجسم الناسوتي لا اللاهوت وسيبين فساده في اثباتنا صلبهُ

الفصل الثامن

فيما ذهب اليهِ اريوس والردّ عليهِ

هو اعتقد ان الابن مخلوق محدث ثم فوّض اليهِ الآب الالوهيّة فخلق بهِ السموات مع الارض وما بينهما . وانه اخذ من مريم جسماً ليس لهُ نفس وهذا رأي فاسد . وبيانه ان الابن لو كان مخلوقاً وهو نطق الباري تعالى لزم ان يكون الباري تعالى غير ناطق ثم صار ناطقاً وكان قابل التغير والانجيل الطاهر يكذبه بقوله «في البدء كان الكلمة» . وايضاً لو كان النطق مخلوقاً لكان نُطق الباري تعالى لهُ ابتداء وما كان لهُ ابتداء لهُ انتهاء ويلزمهُ ان يكون نطق الباري مضمحلاً واثراً (f. 79v)

١) قد اطلع المثلث الرحمات البطريرك يوسف دريان على هذا الفصل وفنّدهُ بقولهِ انّ قول المارونيّة بمشيئة واحدة ارادوا بهِ عدم التناقض بين مشيئتي السيّد المسيح (المشرق)

اعاذنا الله من هذا الاعتقاد الردي . واما قوله انهُ اخذ من مريم جسماً غير متنفس وحلّ فيهِ مقام النفس فباطل والّا لزم ان يكون المسيح غير تام في ناسوته . والتقديرُ خلافه

الفصل التاسع

فيما ذهب اليهِ مكدونيوس والردّ عليه

هو اعتقد ان الابن وروح القدس مخلوقان وان الرب لم يتخذ عقلًا انسانيًا لكن نفساً فقط . وهذا الكلام ردي جدًّا . امّا قوله «ان الابن مخلوق» . فقد تقدَّم بطلانه في الردّ على اريوس . واما روح القدس فلو كان مخلوقاً لكان البارئ تعالى غير حيّ . ثم صار حيًّا وغيرَ ميت . وحاشى لعلوه من هـذا الكلام الدنس . وفيه تناقض للانجيل المقدس اذ قال للتلاميذ (لوقا ٢٥ : ٧) : « اقبلوا الروح القدس . ان غفرتم لقوم خطاياهم فقد غُفرت لهم وان امسكتم على احد خطاياه فقد امسكت عليه » ومن كان بهذه المثابة ليس مخلوقاً . واما قوله «ان الرب اخذ جسماً بلا عقل» فمذهب فاسد لان جسد المسيح تامّ والجسد التامّ لا يكون بلا عقل وان كانت اجسامنا التي لا تُقاس الى جسد المسيح تُنسب ان لها عقلًا فكم بالحري ان يكون جسد المسيح اذ هو اشرفُ الاجسام واجلّها واتمها

الفصل العاشر

فيما ذهب اليهِ اوغاليوس(١ صاحب منبج والرد عليه

اعتقد هو ان جسد المسيح خيال لا حقيقة له وهذا مخالف للانجيل الطاهر اذ قال (يوحنا ١ : ١٤) : «والكلمة صار لحماً وحلّ فينا» . وفيه انكار موته . ومن يقرأ اثباتنا صلبه يعرف فساد هذا الرأي

الفصل الحادي عشر

في مذهب بطرس وايلاريوس(٢

اعتقدا ان اللاهوت تعالى عن قول الكافرين صلب واتّضع وهذا ظاهر الفساد

---

١) هذا الاسم مصحَّف لم يُعرف مبتدع هذا الاسم

٢) ايلاريوس والارجح أيلُوريس (معناها القط مشتق من اليونانية Αἴλουρος) وكان اسمهُ تيموثاوس ايلوريس . عاش سنة ٤٥٧ . امّا بطرس فلعلّهُ اراد به بطرس القصّار المبتدع

لا يحتاج بطلانه الى دليل

الفصل الثاني عشر

فيما ذهب اليه بولس المصيصي (١

قال ان المسيح انسانٌ محض وهذا فاسد وسيأتي بيان فساده في اثبات الهيّة السيد المسيح

الفصل الثالث عشر

في ان السيد المسيح اله

فنقول ان السيد المسيح اله لا ينكره من له ذوق . وذلك انهُ تكلم في المهد في مدة لم تكن في قوة احد من الانبياء ان يتكلم فيها اصلًا (٢ وذلك انهُ سُمّي حكمة الله ونطقهُ . ولم يشهد كتاب ولا نقل الينا ان احدًا من الانبياء سُمّي بذلك . وكلمة الله اي جوهر مساوٍ له في الجوهرية قديم خالق . وايضاً انه لم يُخلق من الجماع ولم يعرف الجماع . وآياته كانت تأتي على الفور ومعجزاتهُ قُوّيّة من غير طلب ولا تضرُّع كباقي الانبياء بل كان يقول للشيء «كن» فيكون . وانه لم يعرف الخطيئة لا قولًا ولا فكرًا ولم يكن احد من الانبياء بهذه المثابة . وايضاً انه صعد الى السماء وواحد من الانبياء لم يصعد . وايضاً قام من الموت بعد ثلاثة ايام وواحد من الانبياء لم يقم من الموت . ولذا ثبت بهذه الحجج التي لا يرتاب فيها عاقل انه اعظم من الانبياء كثيرًا واعظم فضلًا فليس بعد درجة البنوة الّا الالهيّة مع ان الانبياء التي قد حصلت المقايسة (f. 80[٢]) بهم شهدوا بما قلناه على ما سنبينه . فثبت انهُ الاه

وقائل يقول ان بعض هذه المعجزات حصلت للانبياء . (قلنا) انّ كل واحد منهم اختصّ بمعجزة او معجزتين من هذه المعجزات لكن مجموعها ما اجتمع فيه لواحد منهم ولنذكر بندًا من الانجيل الطاهر ومن كتب الانبياء ليقوى به احتجاجنا على اثبات

١) اطلب ترجمتهُ في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٩٩١-٩٩٥

٢) سبق القول ان كلام السيد المسيح في المهد منقول عن روايات مصنوعة

الالهية. امّا الانجيل الطاهر فقولهُ (يوحنّا ١٤ : ٩—١٠) : «انا في الآب والاب فيّ. ومَن رآني فقد رأى الآب» وايضاً (يوحنّا ١٠ : ٣٠) «انا والآب واحدٌ» ولما قالت اليهود : انت قلت انك ابن الله ما أنكر ذلك وقال لقيافا (متى ٢٦ : ٦٤) : «انت قلت». ولما قال له بطرس (متى ١٦ : ١٦—١٧) : انت ابن الله ما انكر ذلك عليه بل مدحه وقال : «ان هذا اعلان من الله». وامّا الانبياء فقال داوود النبي (مز ٨٦ : ٥) «رجل اتخذ صهيون أمّاً والرجل وُلد فيها وهو العلي الذي أسسها». وقال (اشعيا ٧ : ١٤) : «ان العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» وقال (اشعيا ٢ : ٣) : «ان من صهيون يخرج الناموس وكلمة الله من اورشليم». وفي هذا الكتاب كفاية لمن اراد الاختصار وكان لهُ انصاف

الفصل الرابع عشر

في انهُ صُلب تحقيقاً

امّا صلبه فلا شك فيه لانه نُقل بالتواتر ونَقْلُ التواتر حجة والانجيل وكُتُب الانبياء شهدت بذلك. اما الانجيل فقال ان السيد المسيح قال لتلاميذه (٢٦ : ٤٥) : «ان ابن البشر سيُسلم الى ناس خطأة ويُصلب» وانذرهم (f. 81a) بذلك. واما الانبياء فقال داوود النبي (مز ٢١ : ١٧) : «ثقبوا يدي ورجلي واحصوا كل عظامي وعلى لباسي اقترعوا». وايضاً يقول (٦٨ : ٢٢) : «جعلوا في طعامي مرارة وفي عطشي سقوني خلّاً». وقال (زكريا ١٢ : ١٠) : «سينظرون الى مَن طعنوه» وقال آخر (مز ١٠٦ : ١٦) : «كسر ابواباً واقفال حديد حطمها واخرجهم من الظلمة وظلال الموت» وقال آخر (اشعيا ٥٠ : ٦) : «اعطيت خدي للطم وظهري للجلد» وقال زكريا النبي (١) : «تعالوا نفسد بالخشبة للشريف ست ساعات وللذي لا يجب ان يقبر يقبر اي بالناسوت ويقطر من اللحم دم وماء». وقال (اشعيا ٥٣ : ٥) : «هو تألم من اجلنا»

الفصل الخامس عشر

في قيامته وصعوده الى السماء

كان قيامه وصعوده الى السماء حقاً لا يحتاج الى برهان عقلي. ولو لم يقم ويصعد

(١) هذه الآية ليست في نبوة زكريا

الى السماء. لما صح قول عزرا النبي(١ : «متى يقوم وفي الاصوات تظهر الحياة ومن الارض الى السماء يصعد ومن ميامن العلي يقيناً يوجد. لانه كان من قبل القبل ولد» وقال يوئيل النبي(٢ : «تعالوا نمضي الى الرب الذي ضربنا وهو يشفينا. وفي اليوم الثالث يقوم ونحيا معه» وقال داود النبي (مز ٢٣ : ٧) : «ارتفعي ايتها الابواب الدهرية ليدخل ملك المجد» وقال (مز ٦٧ : ٢) : «يقوم الله وتتبدد جميع اعدائه» وقال (مز ٤٣ : ٢٦) : «قم يا رب وخلصنا» وقال : «قم يا رب ولا تنم»

واذ قد اثبتنا بما وعدنا من انبيائه ببراهين عقلية واجوبة منطقية فتمت الرسالة بعون الله وحمد ذي الجلالة ونسأل (f. 81[٣]) قارئها ان يتجاوز عما يجده من ضعف العبارة وعدم النظام والتقصير في الكلام والحمد لله ذي الكمال والتمام والسبح لله دائماً : تمت الفصول الخمسة عشر والحمد لله على ما انعم به

اللهم بشفاعة قديسيك وشفاعة مريم والدتك اغفر واصفح واترك واعفُ عن مآثم وهفوات الناسخ المسكين وخطايا والديه آمين

اثر جديد لقدماء النصارى في الصين

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

كتبنا سابقاً فصولاً طويلة عن الصين. واحوالها الدينيَّة والمدنيَّة (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٧٤٣ و٨٤٥). وذكرنا خصوصاً ما يتعلق بتاريخ النصرانيَّة فيها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٨٠٠–٨٠٣ و ١٦ [١٩١٣] : ٧٦١–٧٦٨)

١ - اقدم الآثار النصرانيَّة في الصين

فقد اثبتنا هناك شواهد راقية الى القرن الرابع والخامس للميلاد تصرّح ببلوغ

١) ليس هذا في سفري عزرا القانونيَّين وقد ورد في جملة اسفاره المصنوعة (المشرق)

٢) ليس هذا من نبوَّة يوئيل بل من نبوَّة هوشع (٦ : ١–٣)

الى السماء. لما صح قول عزرا النبي(١ : «متى يقوم وفي الاصوات تظهر الحياة ومن الارض الى السماء يصعد ومن ميامن العلي يقيناً يوجد. لانه كان من قبل القبل ولد» وقال يوئيل النبي(٢ : «تعالوا نمضي الى الرب الذي ضربنا وهو يشفينا. وفي اليوم الثالث يقوم ونحيا معه» وقال داود النبي (مز ٢٣ : ٧) : «ارتفعي ايتها الابواب الدهرية ليدخل ملك المجد» وقال (مز ٦٧ : ٢) : «يقوم الله وتتبدد جميع اعدائه» وقال (مز ٤٣ : ٢٦) : «قم يا رب وخلصنا» وقال : «قم يا رب ولا تنم»

واذ قد اثبتنا بما وعدنا من انبيائه ببراهين عقلية واجوبة منطقية فتمت الرسالة بعون الله وحمد ذي الجلالة ونسأل (f. 81[٣]) قارئها ان يتجاوز عما يجده من ضعف العبارة وعدم النظام والتقصير في الكلام والحمد لله ذي الكمال والتمام والسبح لله دائماً : تمت الفصول الخمسة عشر والحمد لله على ما انعم به

اللهم بشفاعة قديسيك وشفاعة مريم والدتك اغفر واصفح واترك واعفُ عن مآثم وهفوات الناسخ المسكين وخطايا والديه آمين

اثر جديد لقدماء النصارى في الصين

نبذة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

كتبنا سابقاً فصولاً طويلة عن الصين. واحوالها الدينيَّة والمدنيَّة (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٧٤٣ و٨٤٥). وذكرنا خصوصاً ما يتعلق بتاريخ النصرانيَّة فيها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٨٠٠–٨٠٣ و ١٦ [١٩١٣] : ٧٦١–٧٦٨)

١ - اقدم الآثار النصرانيَّة في الصين

فقد اثبتنا هناك شواهد راقية الى القرن الرابع والخامس للميلاد تصرّح ببلوغ

١) ليس هذا في سفري عزرا القانونيَّين وقد ورد في جملة اسفاره المصنوعة (المشرق)

٢) ليس هذا من نبوَّة يوئيل بل من نبوَّة هوشع (٦ : ١–٣)

ايمان المسيح الى جهات الصين. فانَّ في تقليد الكلدان انَّ القديس توما الرسول بعد تبشيره بالمسيح ابحر الى الصين ونشر هناك تعاليم سيّده ثمّ عاد الى الهند وفيها استشهد. وقد دوّنوا ذلك في كتبهم الطقسيَّة الراقية الى ما وراء القرن الرابع للميلاد جاء في كتاب فرائضهم الكهنوتيَّة (Bedjan: *Brev. Chald.* III, 476) : « على يد مار توما بطل طغيان الشرك في الهند . وكذلك بين اهل الصين والقوشيين الذين ارتدُّوا الى الايمان واقتبلوا المعموديَّة سطعت بواسطته اشعَّة الايمان في الهند وارتفعت الصين الى ملكوت المجد » وهذا نصُّهُ بالحرف:

ܕܒܝܕ ܡܪܝ ܬܘܡܐ ܫܠܝܚܐ ܒܗܢܘܢ ܕܐܬܪܝܢ ܕܗܢܕ ܘܩܕܝܢܐ.
ܕܒܝܕ ܡܪܝ ܬܘܡܐ ܐܝܟ ܡܬܩܠܐ ܟܡܐ ܕܡܫܝܚܐ ܕܗܘ ܠܥܡܡܐ ܕܒܝܕ
ܡܪܝ ܬܘܡܐ ܡܫܚܐ ܐܬܐ ܕܡܫܟܚܕܢܐ ܕܫܪܟܐ ܬܩܠܐ...
ܕܒܝܕ ܡܪܝ ܬܘܡܐ ܕܢܚܐ ܘܡܬܩܠܐ ܕܡܠܟܘܬ ܫܡܝܐ ܡܫܚܐ ܕܗܘ
ܕܒܝܕ ܡܪܝ ܬܘܡܐ ܕܩܢܝܐ ܗܠܝܢ ܡܠܟܐ ܕܙܝܢܐ ܕܗܘ ܡܬܩܠܐ

وقد ذكر ارنوبيوس (١ من كتبة القرن الثالث للمسيح اهلَ الهند والصين في جملة الامم التي نفذت اليها الدعوة الانجيليَّة وهو يدعوهم باسم لاتيني عُرفوا بهِ وهو السير (Seræ) ومنهُ اشتقُّوا اسم الحرير (sera) لزراولتهم تربيتهُ دون غيرهم. واليهم اشار القديس يوحنَّا فم الذهب بقولهِ في شرحه على رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس « انَّ الشعوب التي ما وراء الهند عند الاوقيانوس تنصَّرت » واصرحُ منهُ قول تودوريطس في القرن الخامس حيث ذكر بين الامم المتنصرة الساجدة للمصلوب المتمتعة بصحَّة دينهِ بقوَّة البرهان « اهل الهند والحبش والعجم والصين (٢ »

ولا عجب انَّ بشارة الخلاص بلغت الى الشرق الاقصى وكانت مواصلات العالم

---

١) وهذا نصُّهُ بالحرف Enumerari enim possunt ... quæ in India gesta sunt apud Seras, Persas et Medas ... non distulerunt... veritati coalescere christianæ (*Arnobius adv. Gentes*, II, 12, Migne PP. LL. V, col. 828)

٢) قال ما حرفهُ وفي كتابهِ «Piscatores nostri et publicani . . . non solum Romanos . . sed . . et Indos et Aethiopes et Persas et Seras... Induxerunt ut Crucifixi leges acciperent» (*Græc. affect. curatio*, Migne P.G., 83, col 1037-8)

الروماني مع تلك الانحاء قد توفّرت سواء كان من جهات الهند والهند الصينيّة ام من جهات المغول والتتار فانّ القوافل كانت تجري بين تلك البلاد مع بُعد حدودها . وكان الصينيّون يأتون كلّ سنةٍ الى الرُّها ليحضروا سوقها الشهيرة وينقلوا اليها محصولات اقطارهم فيستبدلونها بسلع كانوا هم اليها في حاجة

وكان اهل الهند يتردّدون الى الصين ويعاملون اهلها معاملات شتّى تجاريّة وصناعيّة ودينيّة . ففي القرون الاولى من النصرانيّة دخلت الديانة البوذيّة الى الصين وكان قوم من النصارى يرافقون دُعاة البوذيّة في رحلهم الى التُّبت والى تركستان والى الصين وكان بين النصارى دعاة المانويين . وفي الاكتشافات الحديثة التي وقف عليها قبل عشرين سنة الاوربّيون الرحّالون الى تلك الاصقاع وجدوا عدّة آثار كتابيّة كان بينها للمانويّين ولقدماء النصارى قسمٌ وافر . وبهِ تأكّدوا انّ كثيراً من العادات دخلت في بلاد تُبت وانحاء التتر اصلها من نصارى قدماء رحلوا الى تلك البلاد في القرون الاولى للنصرانيّة

وما لا شبهة فيه انّ نصارى الكلدان من البدعة النسطوريّة منذ القرن السابع للميلاد توغّلوا في انحاء المغول وبلغوا الى شمالي الصين فبثّوا بين اهلها الدعوة النصرانيّة في أيّام دولة تانغ الشهيرة بفتوحاتها وعزّها وشيّدوا الكنائس وردّوا كثيرين من الصينيين الى الدين المسيحيّ . وكان لهم مطران يرسلهُ اليهم جاثليق المدائن . وقد ورد ذكر هؤلاء النصارى في تواريخ السريان ولشارحيهم الرحّالة مركو باولو (Marco Paolo) في سفره الى الصين في اواسط القرن الثالث عشر

وممّا رويناهُ سابقاً بعثة الرهبان الفرنسيسكان ثمّ الدومنيكان الى مملكة ابن السماء في أيّام الدولة التتريّة « منغ » فنجحت بعض النجاح مدّةً نحو مئة سنة الى ان تمكّن الاب اليسوعي متّى ريتشي بعد اللتيّا والّتي ففتح كذلك البلاد للنصرانيّة سنة ١٥٨١ . اطلب ترجمته في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٨٠١–٨١٤ و ٩١٥–١٢٢)

٢ اثر سي قاله فو وصليبه

على ان اليسوعيين لمّا دخلوا الى الصين واخذوا يدعون اهلها الى ديانة المسيح وجدوا كثيرين من اعيانهم مع اقرارهم بفضلها لا يذعنون الى تعاليمها محتجّين بانها

ديانة جديدة لم يعرفها اجدادهم فكان المرسلون يبحثون في تآليف قدماء الصينيين لعلهم يصيبون فيها آثاراً للرسالات السابقة عهدهم فيقنعوهم بقدم دينهم وانتشاره بين اجدادهم فكاد يخيب رجاؤهم من وجودها حتى احظاهم الله بمبتغاهم سنة ١٦٢٥

وذلك انَّ عمّالاً من الصينيين اذ كانوا يحفرون لوضع اساس بناء جديد قريباً من مدينة "سي نغان فو" في معاملة "كن سي" في شهر شباط من السنة المذكورة واذا بصحيفة كبيرة كان في اعلاها صليب وتحت الصليب كتابة صينيَّة بحرف كبير ثمَّ كتابة ثانية بحرف اصغر ومضمون الكتابة خلاصة العقائد النصرانيَّة وتاريخها وعلى طرفي الحجر وبين حروفها الصينيَّة كتابة أخرى بالسريانيَّة بالحرف السطرنجلي يصرّح فيها كاتبها انَّ في السنة ٦٣٥ مسيحيَّة دخل الصين المدعو اولوبن مع عدَّة كهنة في عدد سبعين اورد هناك اسماءهم وانَّهم نشروا الدين المسيحي الى عهد إقامة تلك الصحيفة سنة ٧٨١ م اعني مدَّة نحو ١٥٠ سنة

وما شاع خبر هذا الاكتشاف حتى بلغ مسامع ملك الصين واعيانها واسرع طلاؤهم الى نظرها وشرح مضامينها. ولم يتَّضح لهم معناها حتى الى اليسوعيُّون المرسلون فدرسوها مع تلامذتهم المتضلعين من اهل الصين درساً مدقَّقاً فكشفوا كلَّ اسرارها واخذوا منها رسوماً عديدة مثلوها بالطبع واذاعوا الالوف المؤلَّفة منها . فكان اكتشافها اعظم مساعد لنشر الديانة المسيحيَّة في انحاء الصين حتى انَّ عدد المتنصّرين الذي كان نحو خمسة آلاف بلغ سنتين بعد اكتشاف اثر سي نغان فو ١٣،٠٠٠ ثمَّ بلغ سنة ١٦٣٦ ٤٠،٠٠٠ وفي السنة ١٦٥١ ١٥٠،٠٠٠ كانوا منبثّين في ثلاث عشرة معاملة من معاملات الصين. وكان عدد المرسلين اليسوعيين لايتجاوز ثمانية عشر

وقد بقيت تلك الصفيحة الى يومنا كشاهد يستند اليه المرسلون ليقنعوا الوثنيين في الصين على قِدَم النصرانيَّة في بلادهم وتأثير تعاليمها في اجدادهم

٣ صلبان أخرى مكتشفة في الصين

وليس صليب سي نغان فو الاثر الوحيد من جنسه فان الله اراد ان يقوّي المؤمنين باكتشاف صلبان أخرى في بلادهم واقية الى الاعصار السابقة. فمنها صليب وُجد سنة ١٦١٩ في معاملة فوكيان قبل اثر سي نغان فو بستّ سنين الّا ان اكتشافهُ

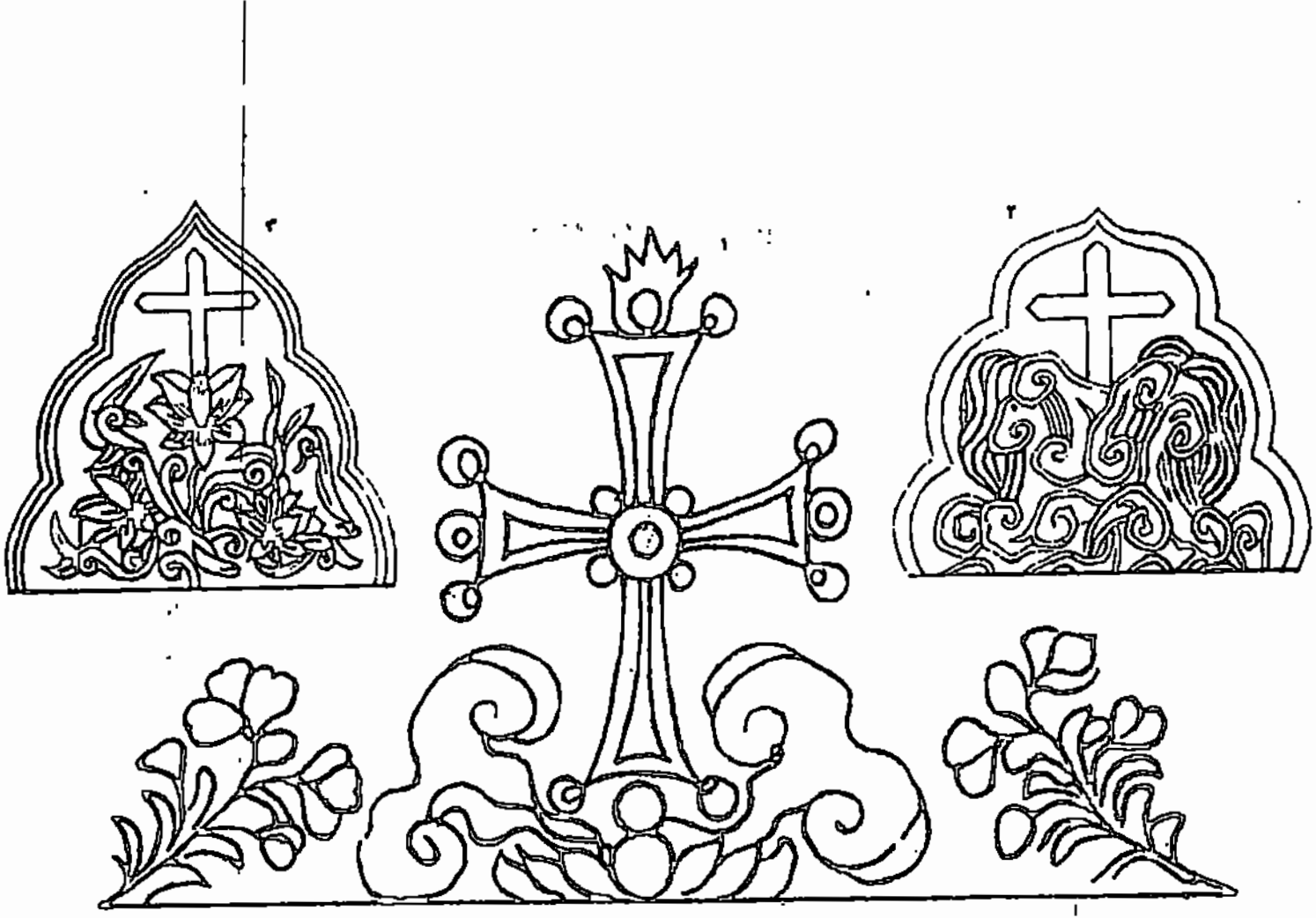

ثلثة صلبان قديمة مكتشفة في انحاء الصين

١ صليب من نحاس من الرابع الى القرن الثامن للمسيح المكتشف سنة ١٩٢٥ ٢-٣ صليبان آخران اكتشفا سنة ١٦٣٥ في معاملة فوكيان

لم يؤثر في الصينيين وذلك لخلوه من كتابة تفسر رموزه . والمرجح انّ الصليب المذكور اقامهُ المرسلون الفرنسيسيّون في زمن رسالتهم في الصين في القرن الرابع عشر وهو مربّع الشكل اطرافهُ متّسعة مع تقعير خفيف وهو قائم على قاعدة منقوشة بزهور

ولما كانت السنة ١٦٣٨ ثلاث عشرة سنة بعد صفيحة سي نغان فو وجد الصينيّون في معاملة فوكيان المذكورة صليبين آخرين من عهد البعثة الفرنسيسيّة وقفوا على الاوّل في ١ نيسان سنة ١٦٣٨ في يوم خميس العهد بين اخربة احد معابدهم القديمة المشيّد سنة ٧١٨ م واكتشفوا الثاني في ٧ من الشهر يوم الاربعاء بعد عيد الفصح من السنة خارجاً عن المدينة . وقد اثبتنا رسمها مع صورة الصليب الذي يطو كتابة سي نغان فو

فكانت هذه الاكتشافات المتوالية مدعاةً لتنبيه افكار النصارى لمراجعة اخبار الصين القديمة لعلّهم يجدون فيها آثاراً كتابيّة من النصرانيّة فكلّل النجاح املهم فوجدوا في جملة مرويّات للمؤرخين الاقدمين اشارات صريحة الى دُعاة مختلفين قدموا في عهد سلالات ملوكهم القدماء الى الصين فبشّروا بدين يخالف دينهم عرفوا من وصفهِ انهُ الدين المسيحي بلا مراء . ولا يسعنا هنا ان ندوّن شيئاً من تلك الكتابات التي نشرها الابوان اليسوعيّان المرسلان في الصين لوئس غليار (L. Gaillard) وهنري هفره (H. Havret) في مجموعة علميّة تُطبع في مطبعتهم في شنغ هاي تحت اسم متفرّقات صينيّة (Variétés Sinologiques)

٣ اثرٌ الجديد المكتشف حديثاً

ورد في النشرة الكاثوليكيّة الفرنسويّة التي ينشرها في پاكين حضرة الاباء المرسلين اللعازريين (١ في عددها الصادر في آب ١٩٢٢ (ص ٢٩١–٢٩٧) انّ الانكليزي مستر جونستون (M. Johnston) مهذّب سوانتنغ ابن امبراطور الصين بينما كان يطوف سائحاً في الروابي والاودية المقفرة الواقعة على مسافة مئة لي (اي نحو ٦٠ كيلومترًا) من پاكين واذا بمعبد وثني قديم للبوذيين مهمل ومتداعي الجدران يحرسهُ احد اهل المدينة المجاورة مع ثلثة كلاب مضرّاة . واسم المعبد المذكور بالصينيّة « معبد الصليب » فحرّك هذا الاسم في قلب السائح الرغبة في زيارته فدخلهُ

1) Le Bulletin Catholique de Pékin, *Août*, 1922, p 291-297

ووجد بين تصاويره ورموزه الوثنية نصباً من الرخام الابيض مشيداً على طرف المعبد الايمن طوله ٦٨ سنتمتراً في عرض ٥٨ س عليه نقوش مختلفة وبازائه من جهة الشمال نصب ثانٍ يمثل صليباً مربعاً من الشكل المعروف بصليب مالطة متساوي الاطراف طول كل عارضة ١٥ سنتمتراً وحول مركز الصليب شبه الاكليل وفي زوايا الصليب اربعة الفاظ من لغة مجهولة . وهناك ايضاً صفيحتان عليهما كتابات صينية طويلة ورد في احداها ذكر هذا الصليب يقال فيها انَّ احد الصينيين المختص بخدمة دينهم حظي في سالف الازمان برؤيا صليب منير فنذر ان يقيم هناك معبداً للصليب وذلك في السنة ١٣٦٦ مسيحية

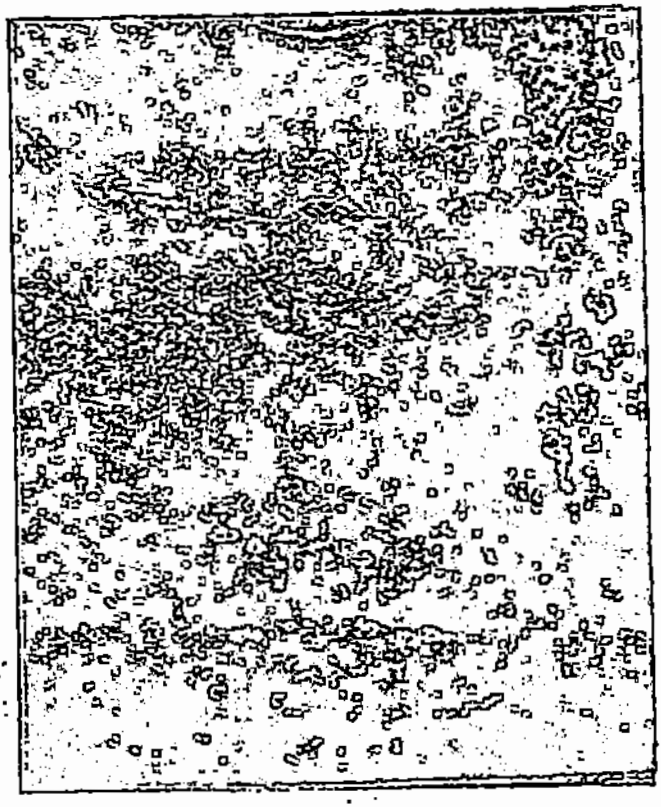

صورة الصليب القديم المكتشف حديثاً في جوار بكين
مع كتابة السطرنجيلية

فكتب جونستون في شانغ هاي خبر اكتشافهِ هـذا في السنة ١٩١٩ في مجلة انكليزيّة تطبع هنـاك فبلغ الخبر حضرة الاب فيليب كليمان اللازاري (M^r Ph. Clément) فاراد ان يفحص ذلك الاثر فانتقل الى المعبد المذكور وكتب في النشرة الكاثوليكيـة فصلًا ضمّنهُ ملحوظـاتهِ . ونشر صورة الصليب التي كان سبق الى رسمها بالفوتغراف احد الفرنسويين وفيها ترى الالفاظ الاربعة المجهولة التي على زوايا الصليب فارسل لنا عـدد النشرة المذكورة وطلب الينا ان نبدي لهُ رأينا في هذه الكتابة ومضمونها . وقد رسمنا الصليب مع كتابتهِ

لا شكَّ انَّ الصليب المذكور احد آثار نصارى الكلدان النساطرة الذين بشَّروا في الصين مدَّة قرون طويلة واقاموا اثر «سي نغان فو» الذي سبق الكلام عنهُ ورسموا فيهِ الصليب كما تراهُ في هذه المجلة

وكذلك كتابة الصليب المكتشف حديثاً تشبهُ الكتابة التي تتخلل اثر «سي نغان فو» في اطرافهِ وفي خلال كتابتهِ الصينيَّة

وهذه الكتابة هي سريانيَّة او كلدانيَّة بالقلم السطرنجلي الّا انَّ بعض حروفها اشبه بالحرف الكلدانيّ فهي اقرب منـا عهدًا من كتابة سي نغان فو ولعلّهـا من القرن الثاني عشر او الثالث عشر

امّا نحواها فشعارٌ اعتاد نصارى الكلدان ان يزينوا بهِ صلبانهم وهذه صورتهُ

ܫܡܘܢ | ܠܡܫܝܚܐ
ܡܫܚܢܐ | ܕܡ

ومعناها : « اشخصوا اليهِ (اي الى الصليب) وثقوا بهِ »

وقد رسمنا هنـا صليباً غيره عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة وجدناهُ في جهات الموصـل وفيه شعار آخر كثيرًا ما يرسمونهُ ايضاً في تصـاوير صلبانهم وهو بالسريانيَّة

ܡܘܠ ܐܘܠ ܡܘܠ ܐܘܠ

ومعناهُ « هذا (اي الصليب) انتصر وهو ينتصر »

وبالحرف الاسطرنجلي :

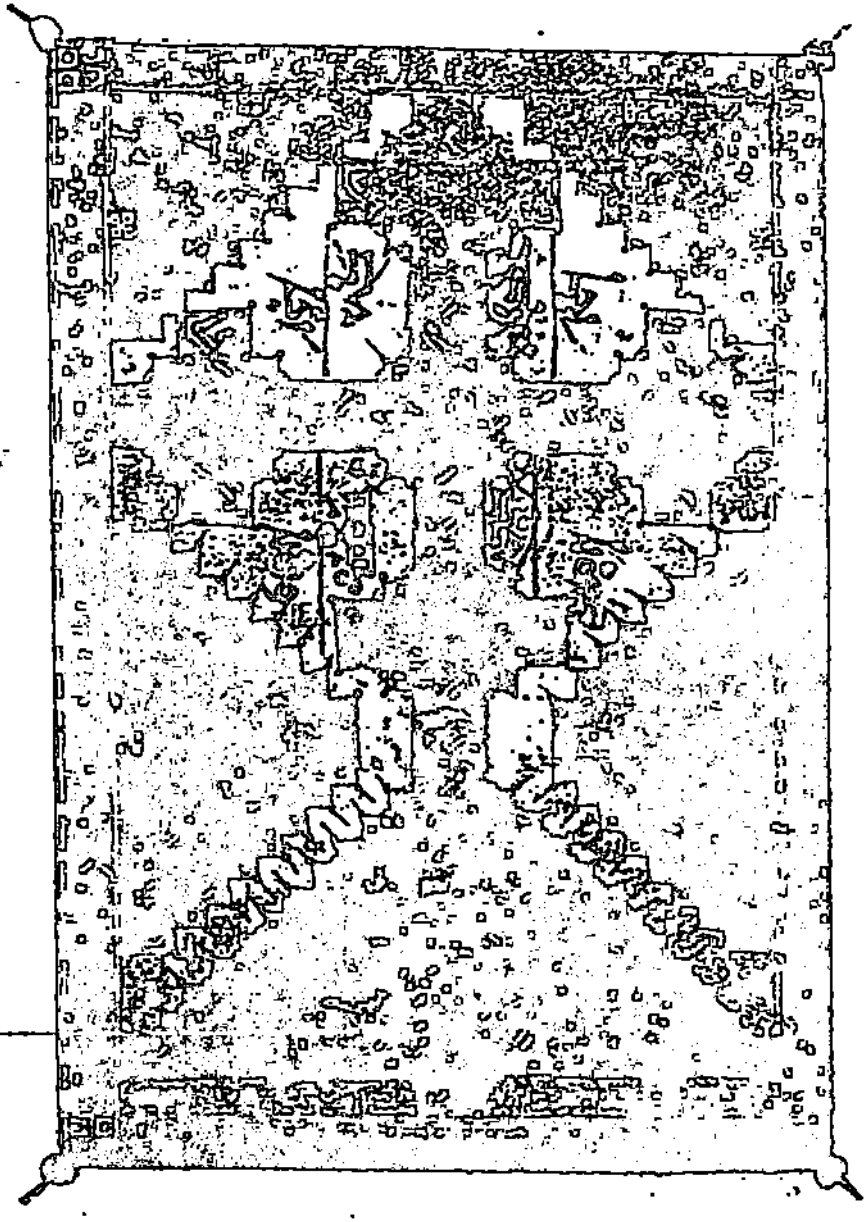

صورة صليب منقول عن احد مخطوطات مكتبتا الشرقية مع كتابات سريانية وسطرنجيلية

اي بك نسحق اعداءنا . فتثبت هذه المقارنة العلاقة بين الصليب الصيني والصليب العراقي . وكان المرسلون من الناطرة الى الصين اصلهم من العراق فلا عجب من الشبه بين تصاويرهم للصليب المقدس في وطنهم وغربتهم

الشيخ سليم باز

الفقيه المشترع الكبير

(١٨٥٩—١٩٢٠)

بقلم جناب شقيقه الدكتور جرجس باز

هو سليم بن رستم بن الياس بن طنوس بن باز ابي بشاكرم من سراة جبل لبنان صاحب المؤلفات الفقهية وركن اركان العدلية في المملكة العثمانية

نشؤه واخوته وصفاته

وُلد رحمه الله بمدينة بيروت في اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٨٥٩ للمسيح من ابوين فاضلين عريقين في الحسب والنسب . لأجداده الكرام شهرة عريضة وصفحة بيضاء في تاريخ جبل لبنان (١ تشهد لهم بوسع الجاه اثارهم (٢ فهو

---

١) انظر تواريخ الامير حيدر شهاب وميخائيل الدمشقي وطنوس الشدياق والأثير (من زوق مكايل بكسروان) وغيرها ٢) لأجداد صاحب الترجمة ثلاثة قصور فخمة في لبنان وهي قصر الشيخ جرجس باز بدير القمر لم يزل قائماً على نكبات الزمان . وقصران بمدينة جبيل احدهما لاخيه الاكبر الشيخ طنوس باز موقعه شمالي المرسى (المينا) والآخر لاخيه الاصغر الشيخ عبدالاحد باز موقعه شمالي كنيسة القديس يوحنا الشهيرة لم يُبقِ منها الدهر الا أطلالاً بالية :

اي بك نسحق اعداءنا . فتثبت هذه المقارنة العلاقة بين الصليب الصيني والصليب العراقي . وكان المرسلون من الناطرة الى الصين اصلهم من العراق فلا عجب من الشبه بين تصاويرهم للصليب المقدس في وطنهم وغربتهم

الشيخ سليم باز

الفقيه المشترع الكبير

(١٨٥٩—١٩٢٠)

بقلم جناب شقيقه الدكتور جرجس باز

هو سليم بن رستم بن الياس بن طنوس بن باز ابي بشاكرم من سراة جبل لبنان صاحب المؤلفات الفقهية وركن اركان العدلية في المملكة العثمانية

نشؤه واخوته وصفاته

وُلد رحمه الله بمدينة بيروت في اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٨٥٩ للمسيح من ابوين فاضلين عريقين في الحسب والنسب . لأجداده الكرام شهرة عريضة وصفحة بيضاء في تاريخ جبل لبنان (١ تشهد لهم بوسع الجاه اثارهم (٢ فهو

---

١) انظر تواريخ الامير حيدر شهاب وميخائيل الدمشقي وطنوس الشدياق والأثير (من زوق مكايل بكسروان) وغيرها ٢) لأجداد صاحب الترجمة ثلاثة قصور فخمة في لبنان وهي قصر الشيخ جرجس باز بدير القمر لم يزل قائماً على نكبات الزمان . وقصران بمدينة جبيل احدهما لاخيه الاكبر الشيخ طنوس باز موقعه شمالي المرسى (المينا) والآخر لاخيه الاصغر الشيخ عبدالاحد باز موقعه شمالي كنيسة القديس يوحنا الشهيرة لم يُبقِ منها الدهر الا أطلالاً بالية :

عصامي نظامي كريم العرق زكي المنبت ظهرت عليه مخايل النجابة وملامح الفطنة والذكاء منذ نعومة اظفاره . فلما ناهز التاسعة من عمره ادخله ابواه سنة ١٨٦٨ مدرسة المرسلين اليسوعيين في غزير وكانت في ذلك العهد من اشهر مدارس سورية . فقرأ على اساتذتها اللغتين الفرنسية والعربية والعلوم العصرية الرياضية والتاريخية والمنطقية والفلسفية والطبيعية والنظم في اللغتين المذكورتين وفي كل ذلك كان المجلي في حلبة الرهان يُشار اليه بالبنان فضلاً عما كان عليه من حسن الادب ولين العريكة ولطف المعاشرة وخفة الروح حتى كان رفاقه يستبقون الى الالتفاف عليه في ساعات اللهو طلباً للاستفادة عنه . ولما أتمّ دروسه العالية بمدرسة غزير سنة ١٨٧٥ ودّعها بقصيدة فرنسية عامرة الابيات سمّاها «الوداع» اصابت لدى سامعيها حظاً وافراً من الاستحسان . وفاز بقصب السبق فنال جائزة الفخر ولم يكن سواها بميدان السباق

ولما لم يكن ممن يستنيمون الى الفوز وكانت رغبته في العلم تشتدّ يوماً فيوماً شمّر عن ساعد الجدّ في طلب المزيد فادخله والداه سنة ١٨٧٥ مدرسة عين ورقة بكسروان (جبل لبنان) لتخريجه في الآداب العربية . فكان فيها عنوان الاجتهاد ومشكاة الذكاء ومثال الرزانة فغادرها في آخر السنة المذكورة فائزاً بالقِدح المعلّى من آداب لغته العربية

ان آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

تاريخ بناء الاول من هذه القصور سنة ١١٦٩ ه كما تؤيده كتابة على عتبة احدى غرف القصر . والثاني سنة ١٢١٠ ه والثالث سنة ١٢١٧ ه كما يستدلّ ببيتين من الشعر كانا على عتبة قصر الشيخ عبدالاحد تلوهما صورة اسد مكبّل بالحديد وهما :

بُشراك انّ السعد باليُمن وفدْ ينابة دامت بعزّ للأبدْ
والبازي في تاريخه أسر الأسدْ في دار سعدٍ شادها عبد الاحدْ

والعتبة المشار اليها خلعها من عليها الامير بشير عمر شهاب لما ان نكب البازات سنة ١٨٠٧ م كما هو مشهور وعتب بها مدخل ميدان قصره في بيت الدين (بقرب دير القمر) بعد ان بَنَى منها البيتين المذكورين وبقيت هنالك الى ان شبّت النار في ١٨ تموز سنة ١٩١٢ م في مخزن «البارود» الملاصق للمدخل فطارت العتبة في جملة ما اطارت النار من الابنية المجاورة فتشطرت شطرين ولم تزل على هذه الحالة في قصر بيت الدين . اما السعد المذكور في البيت الثاني فهو الشيخ سعد الخوري مدير الامير يوسف شهاب احد ولاة لبنان لمّح اليه الشاعر لان اصل الدار له وهبها عبد الاحد ابن شقيقته فشاد قصره مكانها

وفي سنة ١٨٧٦ قرأ الفقه الحنفي على المرحوم الاسقف يوحنا حبيب الماروني مؤسس الجمعية الكرعية مدة لا تزيد عن اربعة اوخمسة اشهر فقدّره الاستاذ قدره وأعجب بفهمه وذكائه فتعوّطه بالعناية التي هو اهلٌ لها وكان يقول عنه «ان ثبت الباز في المطالعة — ولست اراه الّا ثابتاً — كان نابغة العصر ودرّةً في جبين الدهر». فقبس من علمه في بضعة اشهر ما لا سبيل لغيره الى مثله في بضع سنين وكان لا يشذّ عنه شيء من دقائق هذا الفنّ الموضوعة الى ذلك العهد فاجازهُ استاذهُ بشهادة تاريخها ٢٥ حزيران سنة ١٨٧٦ نكتفي بالإلماع اليها لانها على نمط ما سبق من امثالها. ومن ذلك الحين عكف على المطالعة والدراسة بهمّةٍ شمّاء تصغر عندها الهمم حتى فاق اهلَ وطنه علماً وادباً وسبق من تقدمه من اساتذة القضاء. فهو الرجل الذي لم يعوّل على حسبه ونسبه بل انشأ لنفسهِ على عماد الفخر داراً عزّ في زمانها مثلها

ومما امتاز به (ذاكرته) وغضاضة ذهنه فانه قلما قرأ شيئاً ولو مرّةً واحدةً ونسيهُ فانهُ كان يروي الرواية من تواريخ الغربيين والشرقيين بتواريخها واسماء اصحابها واسماء بلدانها. وقد رأيته اذا اشار الى مادّةٍ من موادّ المجلّة او القوانين ذكر غالباً عدد الصفحة التي فيها تلك المادة. ومما رأيتُ منه انه عرّب مرّةً عن التركية لاحد وجهاء عشيت رسالةً برقيةً مطوّلة وردت اليه من وكيله في الاستانة فبعد سنتين من الزمن اضاعها صاحبها وكان على سبيس الحاجة اليها فكتب له رحمه الله من ظهر قلبهِ الرسالة التركيّة وتعريبها. ومضت الايام ثم وُجدت الرسالة الاصلية فجاء ما كتب الباز مطبق ما فيها حرفاً بحرف. وكان الى آخر يوم من حياتهِ يؤدّي ما استظهرهُ من دروس المدرسة بتمامهِ لا يخرم منه حرفاً

ومن مميزاتهِ (خطّه) في اللغتين العربية والفرنسية فانه كان جميلاً جداً ترى سطورهُ وحروفهُ متماثلة تجمع بينها ثخانة واحدة بحيث لو خطّ كتاباً برمّتهِ لظننته مخطوطاً ببريةٍ قلمٍ واحدةٍ من اوله الى آخره

ومنها ايضاً (سرعة خاطره وثبات عبارته في الانشاء) فاني لم أرَ احضرَ منه جناناً ولا اربط منه جأشاً فقلما كان ينسف عبارة عما كتب ويقيم غيرها. ومن نظر الى «مسوّدات» تآليفه التي لم تزل في خزانة كتبهِ شاهدةً بمقدرته في التأليف يكاد لا يرى فيها عبارةً ممحوّة او لفظةً محكوكةً ويُعجب من جمال خطّهِ وتنسيقهِ ونظافتهِ.

ولا ريبة في ان تلك النسخ الخطية هي باكورة دمعة اقلامه لانه كان رحمه الله عداداً حروفها يؤلف امام تلامذته واصحابه فكلما فرغ من تأليف «كراس» دفعه اليهم ليطالعوه وبدأ «بكراس» آخر. ولنثره من البساطة والرونق والطلاوة ما لا تجده عند كثيرين من صفوة الكتّاب

اما (بلاغة ايجازه) في الكتابة فحدّث عنها ولا حرج ولاسيما في اللغة الفرنجية فكلٌ من عرفهُ من الكتبة المجيدين يشهد لهُ بانه كان يكتب في صفحة ما لا يكتبه غيره في صفحات. وكان لهُ جَلَد عظيم على المطالعة والتأليف فعزَّ ان يكون مثله بين رجال عصره فانه كان يشتغل لا اقلَّ من اربع عشرة ساعة في اليوم ولم يدع الناس يكحل عينيه في العشيَّة الّا بعد المطالعة في مضجعه ساعةً زمانية وكان اذا طرق موضوعاً وفّاه حقه من البحث والوضوح

أمّا (لغته) فكانت عاميَّة بسيطة وكان يكره التصنُّع وبهرجة الكلام وتنميقهُ وعلى بساطته في التعبير كان اذا تكلّم صاخت الاسماع اليه لسلاسةٍ في حديثهِ وسهولةٍ في تعبيره وبساطةٍ في لهجتهِ كأنه فردٌ من عامّة الناس

قال عنه بعض الادباء وكان قد سمع به وقرأ تآليفه قبل ان يجمعه به مجلس: «زرتُ الباز وقد بلغني عنه مكانٌ جليل من الادب فوجدت العلم يتفجّر من جوانبه وعنده من المعرفة والعقل ما خُيّل لي انَّ الفقه حشوُ ثيابه ورأيته على جانب عظيم من الدعة ودماثة الخلق وهو بمكانه من علو المنزلة ووفرة العلم والادب. وكل ذلك لم يخالطه زهوٌ ولا عُجبٌ». والحق يقال انه ما تباهى قط بعلمه أو نسبه ولا قال قولاً تشمُّ منه رائحة الكبرياء

جاءهُ مرّةً رجلان يستشيرانهِ في امرٍ بينهما فلما خرجا سمعتُ احدهما يقول للآخر: «ويحك أهذا سليم باز. لعلّنا في ضلالٍ عنه. فقال له رفيقه: هذا هو سليم باز بعينه. ما الذي حملك على الشك به. قال: يتكلم مثلنا كلاماً بسيطاً عاميّاً وهو قريب من القلب ليس عنده كبرياء. فضحك رفيقه وقال: هذه صفة العالم الكبير»

اما (مروءته) فيذكرها كل من جاءهُ في حاجة ولم يكن قط ليردَّ قاصداً مترفّعاً عن قبول اجر ام مكافأةٍ على مكانه من الحاجة الى المال

وكان المرحوم على جانبٍ عظيم من الصدق فيكره الكذّاب ويقول منه:

هذا أجبن الناس . وكثيراً ما كان يردّد على اولاده واصحابه كما كان يردّد عليه ابوه قوله : «من يكذب الصبحَ يسودّ وجهُه العصر»

اما (نزاهتُه وعدله) فاشهر من نار على علم . اليك الحادث الآتي فتعلم مكانه منهما : تغيّر يوماً قائمقام الشوف في عهد المتصرف مظفّر باشا على احد عضوَي المحكمة لاسباب شخصية فحمل عليه حملةً شعواء ودفع المتصرفَ الى عزله واسناد المنصب الى واحدٍ من انسباء صاحب الترجمة — ذلك ليأمن معارضته لانه كان مفتش العدلية في ذلك العهد وله القول والرأي في القضائيات — فشاوره المتصرف في الامر على مألوف عادته . فنفر نفور الأيل وتقطّبت سحنته وقال : «ما ذنب الرجل ليُعزل . قال : القائمقامُ يشكو منه . قال : عليه رفع الشكوى فننظر فيها . قال : وهل فلان نسيبك . قال : هو ابن عمي واخو زوجتي . ولكن أفي هذا حجّة للسكوت عن تضحية الرجل . قال : لا اقصد ذلك . فلما اوعز المتصرف الى القائمقام ان «ارفع الشكوى رسميةً» سكت وكان له في سكوته دليلٌ قاطعٌ على افترائه وظلمه فأُعجب بنزاهة الباز النادرة المثال . ومن ذلك الوقت اخذ النقيد يسعى في نزع استبداد الولاة بموظفي العدلية فكتب الى وزيرها في الاستانة وكان لهُ منزلةٌ سامية عنده وهاج روح النخوة في صدور اعضاء المجلس النيابي فنشطوا الى موازرته وأجمعوا على أن لا يُعزل رجال العدليّة الّا بعد التحقيق عمّا يُتّهمون به والمحاكمة في المحاكم العدلية ان رأى المجلس داعياً اليها . وأيّدت ذلك عدلية العاصمة فجاء الامر طبق المراد . ودام الحال على هذا المنوال الى يوم الاحتلال الاجنبي في البلاد

ومما لا يجوز ضرب الصفح عنه (حبُّهُ لاساتذته) فكان يجلّهم ويرعى ذمامهم وينتهز الفرص لمكافأتهم او للدفاع عنهم وقصارى القول انه كان يبرّ بهم برّه بوالديه . دونك ما رأيتهُ رأي العين وكنتُ بمعيته فتعلم مقدار كرم اخلاقه : بينما كان مسوقاً الى الاناضول في الحرب الاخير كما سيجيءُ بك لقيَ بمدينة حلب احد اساتذته اليسوعيين وهو ارمني الاصل عثماني التبعة فاخبره ان الوالي ينوي ابعادهُ الى سيواس باعتبار كونه اجنبياً لانتمائه الى الرهبانية اليسوعية الكريمة وقد صدر اليه الامر وأُمهل ثلاثة ايام للرحيل . فاسرع رحمه الله الى الوالي وسأله الرفق باستاذه واستبقاءهُ عنده في حلب وقال «هذا كوالدي يا مولاي فأنا مكانه في قيد الاسر فافعل بي ما بدا لك

القانوني الفقيه

المرحوم الشيخ سليم باز

(١٨٥٩—١٩٢٠)

واعنُ عنه» . وما زال به حتى فاز بمراده وبقي الاستاذ في حلب الى المدنة راتعاً في بحبوحة الأمن والسكينة معجباً بمروءة تلميذه وشهامته في ظروفٍ كان انهماكه فيها بعيالهِ وحالهِ يشغلهُ عن انهماكه في امور الناس

وليس هذا كلُّ حظ الانسانيـة منه . فانَّ حفظه للمعروف لم يكن فيه زيادة لمستزيد سواء صدرت النعمة من الاقارب ام من الاباعد . فدونك ما جرى لهُ مع شقيقهِ في مدينة قيرشهر (الاناضول) محلّ منفاهما : نزلت به النزلة الوافدة و كانت وطأتهـا عليهِ ثقيـلةً فخارت قوة قلبهِ وكان عليلاً منذ سنين فخاف عليه شقيقه غدرَ الـداء خوفاً شديداً فلزمهُ ليلاً نهاراً وقام يكافح العلّة بنشاطٍ وثبات فشفـاه الله بعد ان كان اليأس قد وقع في قلوب الجميع . وبينما كان في طور النقه تذكّر ما بذله شقيقه من العناية به والعطف عليه فقال له : «بمَ اكافئك يا أخي» وطفرت الدمعة من عينيه . قال « وعلى مَ المكافأة » فشهق وقال : « بالغتَ في العناية بي كالأم الحنون فشفيتني باذن الله ولم تدعني اموت في هذه الارض »

وكان المترجم ضليعاً (بالمعارف التاريخيَّة) . فكان في حافظته من اخبار السلف ما لم يكن اغزر منه عند غيره من علماء العصر ولاسيما من اخبـار بلاده . فكان اذا روى خبراً لشبع الرواية واغنى السامع بدقّة سردهـا عن طلب المزيد . زاره يوماً صاحب الفضيلة الاسقف بولس ابي عضل واتفق في مجـاري الحديث انه استوضحه خبراً تاريخياً من اخبـار لبنان وتطرّقا من ذلك الى اخبـار شتّى من تواريخ الامم الشرقية والغربية فطال جلوسهما ساعات وهو يسرد الحوادث بتواريخها وأسماء رجالها بدقةٍ نادرة المثال وحضرة الزائر الكريم يقول له : « اسكرتنا يا غالبنا باتساع مداركك فزدنا من نثر هاتهِ اللآلئ »

وكان يعرف من اللغات العربية والفرنسية والتركيَّة . اما معرفته اللغة العربية فمن طالع مؤلفاته يعلم مكانتهُ منها . اما اللغة الفرنسيَّة فكان من نخبة الكتبة فيهـا حتى ظنهُ مستشار عدلية بيروت فرنسيَّ الاصل لما رأى من بلاغة تقاريره وكتبه اليه . ولما ان عرف انه لبناني لم يطأ ارض فرنسا زاد اعجاباً به وطلب ان يراه . اما التركية فقرأ قليلاً منها بمدرسة غزير ثم أكبَّ على التضلع منها بالدراسة والمطالعة بعد هجره المدرسة فنال منها حظاً وافراً تشهد لـه بذلك مؤلفاته التي كثير منها معرب عنها

وانشاؤه فيها لا يقل فصاحةً وبلاغةً من انشاء كتبة الاتراك المجيدين الا انه كان يتكلمها ببعض الصعوبة لعدم المران وقلة الاختلاط باهلها ولكن عبارته في التكلم كانت فصيحةً لذلك كان يتمهّل فيه تجنُّباً للسافل والعاميّ من الكلام . ولم يكن ليلوي عنان العزم عن طلب المعرفة في كل شيء

ومما نبغ به نبوغاً باهراً (العلوم الفقهيّة والقانونيّة) حتى ملأ اسمه المملكة وقد تنبّأت عن نبوغهِ أُمهُ وهو صبيٌّ لم يترعرع . وهاك تحرير الخبر . جلست يوماً رحمات الله عليها في بيت ابيها فالتفّ عليها بعض نسيباتها وأخذنَ يسألنها عن ولديها سليم وجرجي (١ وكانا اذ ذاك بمدرسة غزير للمرسلين اليسوعيين . فقالَ لها : « جُهدًا لكِ كيف تصبرين على فراق ولديكِ وليس عندكِ من الوُلد غيرهما . كيف ترضينَ العيشة بين اربعة حيطان دونهما » . قالت : « ليس لي اجرٌ عند الله غير هذا » . قلنَ : أصحيحٌ أنّكِ تنفقين على تعليمهما خمسة آلاف غرش كل سنة . قالت : وربّما اكثر منها . قلنَ : « ويحكِ حرامٌ عليكِ هذا التبذير وانتِ قليلة الثروة . فتصبحينَ صفر اليدين وبم تعيشينَ . اشتري لهما بهذا المال توتةً وزيتونةً » . فضحكت وقالت : « التوتة والزيتونة يبيعانهما . اما علمهما وصناعتهما فلا يقدران على بيعهما وسوف ترَينَ ما سيكون من ولديَّ . أما سليم فساعلمهُ الشريعة وسيكون بحول الله « قاضي القضاة وشيخ الفقهاء » . اما جرجي فساعلمه الطبَّ وسيكون ان شاء الله « ابقراط زمانه » وعندئذٍ هما يشتريان بجناهما التوتة والزيتونة » . فبلغ قولها هذا ولديها وهما في المدرسة فاشتعلا تحمُّساً واخذ منهما التأثر كل مأخذ لثقة والدتهما وشدة عنايتها بهما فقال صاحب الترجمة وهو الاكبر لاخيه : « هيّا بنا يا أخيَّ نعقد العزيمة على مضاعفة الاجتهاد لنبلغ الشأوَ الذي يصوّرهُ الخيال لامّنا فنبيّض وجهها وندرأ عنها شبهات نسيباتها »

ومن ذلك الحين شمّرا عن ساعد العزم وشدّا ركاب الحزم فنبغ السليم . كما تنبأت والدته وقد فسح لله في اجلهما (٢ فرأت بعينها «قاضي القضاة وشيخ الفقهاء»

١) منشئ هذه الترجمة

٢) عاش أبواه حتى رأياه مفتشاً لعدلية لبنان وعمّرت أُمهُ حتى رأتهُ عضواً لامعاً في مجلس الشورى وفي لجنة الاشتراع وعاش كلٌّ منهما ثلاثاً وثمانين سنة متمتعاً بكامل عقلهِ وادراكهِ

وكانت كلما ذكر ولداها امامها تقول: «اردُّ من صميم فؤادي ان لا تلد لبنانيةٌ الا مثلهما» وكانت كلما رأت مؤلفاً جديداً «لقاضي القضاة» تضمّهُ الى صدرها وتقبّله وتقول: «هذه ثمرة التوتة التي سقيتُها حليب ثديي». ولما وضع اخوه كتاب «الروضة البديعة في تاريخ الطبيعة» وهو دون الثامنة عشرة من عمره اخذت منه نسخةً فضمّتها الى صدرها وبالغت في تقبيلها وقالت: «وهذه ثمرة الزيتونة. فالحمد لله الذي دفع عني الشماتة وملأ قلبي فرحاً الى الممات». ومضت رحمها الله عداد حسناتها وهي تقول لولديها: «علّموا اولادكم الادب كما علمتكم فالعلم كنز لا يصل اليه لص والعالِم زهرةٌ لا تلحقها ريح السموم والاديب نبراسٌ نوره لا ينطفئ»

اما والده فكان على جانب عظيم من الذكاء واتساع الرأي وحب العلم على كونه لم يحسن الا القراءة والكتابة وكان اشدّ من امه ميلاً الى تخريج ولديه بالعلم والادب واوسع منها ثقةً بنبوغهما. نشأ في الاستانة وعاشر فيها كبار القوم فأخذ عنهم حسن المبادئ وقاد اخلاقه الى المحامد ومما يُعجَب به انه استظهر وهو في الخامسة والسبعين من عمره المعلّقات السبع وقصيدة بشر وكثيراً غيرها من قصائد الشعراء بتفاسيرها. وكان لتوقّد ذهنه وكثرة مطالعته عالماً بتواريخ كثير من الامم ولاسيما تاريخ لبنان وسوريا والامة العربية وقد وعى في ذاكرته كثيراً من الامثال والحكم. وله تاريخ صغير غير مطبوع عن حوادث لبنان ونفي الامير بشير عمر شهاب من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦٠ سلس العبارة عامر النبيه على ما فيه من الاغلاط اللغوية لعدم المامه بقواعد اللغة

حياته القضائية

كان فيها مثال الجدّ والاستقامة وعفّة الذيل وكان اينما حلّ اخلص الخدمة لوطنه وحكومته. اشتغل في بدء الامر بالمحاماة ولم يطل عليه الزمن حتى بزغت شهرته واخذت تنمو وتسير في فلك القضاء سيراً حثيثاً وبعد ان خبَر احوال القضاء والحكومة الادارية في لبنان رأى فيها من الخلل والنقص ما دفعه الى وضع تقرير صعب بذلك استفرغ في مهمته جهده وابان فيه مواضع العيب والضعف والسبيل الى الاصلاح مستعيناً بتاريخ البلاد والتقاليد التي يحسن بواليها ان يجري مجراها للوصول

الى الغاية المنشودة ورفع هذا التقرير باللغة الفرنسيّة في ربيع سنة ١٨٧٧ الى والي البلاد رستم باشا فدُهش الوالي لما جاء فيه من بيان غوامضٍ خفيت عليه مع تحرّيه الدقيق للمسائل الادارية ومن الخطة السديدة التي جعلها الكاتب سبيلًا الى الاصلاح ومن بلاغة الانشاء ومن الجرأة التي كتبه بها. فاستقدمهُ اليه وكان يظنّه كهلًا لِما رأى في التقرير من روح الرزانة وسديد الرأي وقوة الحجّة ونُضج الخبرة. فلما دخل عليه تفرّس فيه فرآه لا يزاحم العشرين من العمر فزاد اعجاباً به وبالغ في تكرمته وقرّبه اليه وحادثه طويلًا ثم قال لهُ: «وجدتك يا باز في غير موضع ظنّي بك. فانت اصغر سنًّا واكبر عقلًا واوسع علماً وادباً مما سبق وهمي اليه ولم يطلعني احد من مواطنيك على ما اطلعتني عليه بتقريرك النفيس من الخفايا وما ارشدتني اليه من طُرُق الهداية فسأسترشدك في اصلاح حالة القضاء والحكومة الادارية»

وفي اواخر تلك السنة (١٨٧٧ م) شكا قائمقام جزين الى المتصرف قاضي المحكمة وسأله نزعه ونَصْبَ صاحب الترجمة محلّه فقال له: «هذا غاية ما اريد الّا انه يحول دون ذلك سنّهُ فأرى ان افتح له باب الجزين بوظيفة نائب ثم ارفعه الى مرتبة القضاة». واتفق ان دخل على المتصرف في تلك الساعة قائمقام الشوف وسأله عزل النائب من محكمته ونَصْبَ غيره من ذوي الاهلية فاجابه في الحال الى سؤاله ونصب الباز نائباً لقاضي محكمة الشوف في ٧ كانون الاول سنة ١٢١٥ (١٨٧٧م) (١

ولما سقطت ولاية رستم باشا عن لبنان وجاء خلفه واصه باشا دفع اليه تذكرةً فيها ما يسترشد به الى تدبير الشؤون بالخطة التي وأطلعه على تقرير الباز ليتمّ هو ما لم يتيسّر له استتمامه من الاصلاح المحكيّ عنه فيه ووصّاه بصاحبه وسأله ان يرقّيهُ في القريب العاجل ووصفه له بالمعرفة والذكاء. فاستقدمه اليه واصه باشا ونصبه قاضياً على جزين في ١٧ اوغستوس سنة ١٢٩٩ (١٨٨١م) ثمّ نقلهُ في ٦ اوغسطوس ١٣٠١ (١٨٨٣م) الى محكمة دير القمر وفي ٢٢ مايس ١٣٠٣ (١٨٨٥م) الى محكمة البترون وفي ٨ اغستوس ١٣٠٥ (١٨٨٧م) الى محكمة المتن وفي ٢١ حزيران سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨م) الى محكمة كسروان واستقال منها في ٤ ك ١ سنة ١٣٠٨ (١٨٩٠م) فانقطع الى المحاماة والتأليف واقام بمدينة بيروت وكان اسمه فيها ملءَ جوانبها

(١) كانت محاكم لبنان في ذلك العهد مؤلفة من قاضٍ ونائبٍ وكتبة

فرأى فقهاؤها نوره عن كثب فمالوا اليه والتفوا عليه فبهرتهم معارفه وتوارد اليه اصحاب الحاجات وطلبة الفقه من كل صوب فزها مجلسه بالفضلاء والادباء وصار يشار اليه بالبنان . امّا اصحاب الدعاوي فاخذوا يتهافتون عليه تهافت الفراش على السراج فكان يبذل العناية في التوفيق بين الخصمين دون المحاكم ولم يكن ليُحجم قط عن قبول التحكيم بينهما . وبقي على هذه الحال يصل الليل بالنهار منكبًا على التأليف والدراسة الى ان جاء مظفر باشا والي لبنان السادس وفي نيته ان يُحدث وظيفةً جديدةً لاصلاح العدلية . فسأل مَن اكفأ فقيهٍ في البلاد فدُلّ عليه وذُكِرَت له مؤلفاته ومقدرتهُ ونزاهتهُ فضمّه اليه . ولمّا ان جالسهُ وسبر غورَهُ رأى من مبلغ فهمهِ وعلمه وادبهِ ورزانته فوق ما سمعه عنه فأسند اليه « منقّشية » العدلية ولم يكن لها رسمٌ في لبنان الى ذلك العهد فتقلدها في ٧ تشرين الثاني سنة ١٣١٨ (١٩٠٠م) فأدّاها الواجب من الاخلاص

ولمّا شاع خبرها توسّم الناس فيها خيرًا ولاسيما لمّا ان عرفوا أنها أُسندت الى الباز فقالوا « أُعطيت القوسُ باريها » فأخذ عنا الله عنه يرتّب المحاكم وينظّمها ويقوّم ما اعوجّ منها ويرشدها بمُحكم إرشاده وصحيح تعاليمه وسديد نصائحه . وصار رجال العدلية يحسبون له حسابًا . ويكبّون على العمل أضعاف ما كانوا عليه من قبلُ فأصبحت العدلية في قصير من الزمن كأنها الروضة الغنّاء حُلّت من أشواك « الرشوة » وطحالب « المراعاة » وبذور « الكسل » ودواء « المطل » . فصارت الحقوق تُقضى سريعًا . وزِدْ على ذلك أنه أمات من المحاكم روح التعصّب الديني الذميم وجعل فيها روح العدل الصحيح المجرّد . وكفّ يد القائمقامين عن التدخّل في شؤونها وقد كانت من قبل مَلعب أهوائهم تصدر الاحكام بحسب ما يشاؤون ولاسيما في الدعاوي الجزائية

أجل . وفي تلك الغضون قامت على مظفّر باشا بعض الاحزاب تندّد بما احدث وتُقرّع بما أصلح لغاياتٍ شخصية لم يظفر بها اصحابها فكدّروا صفاء الراحة وعكّروا مجاري الامور بما جرّكوا فيها من أوحال الدسائس وأقذار المقاصد الى ان اتّسع الخرق عليه بما خلق له اعداء الإصلاح والصلاح من المشاغب والمشاكل فرأى الإحجام عن كل اصلاح في لبنان أولى من العراك . فهدم ما كان قد بنى وفي جملته « منقّشية » العدلية وذلك في ١٥ ايلول سنة ١٣١٩ (١٩٠١م) فتأمل

ولما ان هدأ بال مظفر باشا من تلك الهزة السياسية عاد فاستقدم الباز اليه في غرة كانون الاول من تلك السنة ونصبه مدعياً عاماً لحكومة جبل لبنان فكان في منصبه الجديد كما كان في غيره مثال الرجل الكامل بعلمه وفضائله وكانت قد عظمت شهرته وعلت منزلته عند رجال العدلية فطلبوا نصبه عضواً في مجلس الشورى فنُصب بارادة سلطانية في ٥ اغستوس سنة ١٣٢٩ (١٩١١م) في دائرة التنظيمات منه . الا انه لاسباب صحية مهمة ولدتها برودة المناخ في الاستانة اضطر الى الاستقالة من هذا المنصب الرفيع بعد عشرة اشهر من توليه فعاد الى لبنان وأخلد الى الراحة الى ان أبلّ من سقمه بحول الله فاعاده والي البلاد الى منصبه — الادعاء العام — وجعله مستشاراً قضائياً لكل دوائر الحكومة

اما منزلته في مجلس شورى الدولة وعند رجال عدليتها واركان حكومتها فكانت ارفع منزلة يشتهيها . فانه كاد لا يستقر به المقام حتى اخذت تتوارد اليه ارباب المقامات الرفيعة لخطب ودّه والاعجاب به . ولما ان زار وزراء الدولة وصدرها الاعظم ورئيس محكمة التمييز العليا ادهشهم بواسع علمه ودقة فهمه وسديد رأيه فسماه رئيس الشورى « دائرة المعارف » اشارةً الى اتساع معلوماته . وفي تلك الاثناء عزمت الحكومة العثمانية على تنقيح قانون الجزاء وقانون المحاكمات الجزائية فعرضت عليه لائحة وسألته تنقيحها فنقّح منها مئة مادة رفعها الى وزير العدلية فوافقه على تنقيحها اعضاء اللجنة تمام الموافقة واثنوا عليه مع الوزير اطيب الثناء وكان لعمله هذا رنّة في مراكز العدلية رجع صداها الى كل دوائر الحكومة فسمت مكانته في عالم القضاء ونصبته الحكومة عضواً عاملاً في لجنة تنقيح المجلة وكان لم يزل عضواً في مجلس الشورى . وقد استدعاه يوماً اليه وزير العدلية وسأله التمسك برأيه اذا عارضته اللجنة ورفع ذلك اليه . فانفرد في تنقيح بعض المواد وكان الصواب في جانبه فأيدتها العدلية بتمامها

وبقي مدعياً عاماً لحكومة لبنان ومستشاراً لعدليتها ومجالسها الادارية والتنفيذية والعسكرية يُرجع اليه بمعضلات امورها الى ان وقعت الحرب الكونية واخذ جمال باشا قائد الحملة السورية يُجلي رجال لبنان ولاسيما الطائفة الراقية منهم فكان هو وعائلته في جملة المجلَين الى مدينة قيرشهر من ولاية انقره كما سيأتي.

ولما ان أتيحت له الأوبة الى الوطن شدّ بعائلته الى العاصمة حيث احتفى به رجال الدولة وكرّموه تكريماً بليغاً وبينما كان فيها موضوع احاديث العلماء والفقهاء كان المندوب السامي للحلفاء في بيروت يسأل عنه باهتمام فقيل له : «لم يَعُدْ بعد من الجلاء» فلما عاد وتقابلا ابلغه المندوب وكان السيد بيكو ان مركزه في حكومة لبنان لم يزل محفوظاً له الى ان تستقيم حال الحكومة فيكون له المنصب الاول في عدليتها . فعاد الى منصبه في حكومة لبنان — منصب المدعي العام — في اول شباط سنة ١٩١٩م وبقي فيه الى الوفاة . وقد كان رحمه الله أبان وجوده في الحكومة اللبنانية مستشاراً لقضاتها وولاتها وكل دوائرها . يقف الجميع عند قوله ورأيه ولا يقطع الولاة امراً دونه . وكانت ثقة الناس في صدقه واخلاصه لوطنه وحكومته تامّة ثابتة وقد كتب عنه مجلس النواب اجابةً الى طلب والي البلاد بمناسبة نصبه عضواً في شورى الدولة ما يأتي :

« لدى الاستعلام من قلم المحاسبة تبيّن ان مدة خدمة سليم افندي باز احدى وعشرون سنة وستة اشهر واربعة ايام وانه تدرّج في وظائف العدلية من معاون رئيس محكمة في قضاء الشوف البدائية الى رئيس محكمة جزين فمدير الفمر فالبترون فالمتن فكسروان ثم عُيّن مفتشاً للعدلية ثم مدعياً عاماً الى ان استقال مؤخراً من هذه الوظيفة وقد كان في جميع هذه الوظائف مثالاً للجد والاجتهاد معروفاً بالامانة والنزاهة مشهوراً بمعارفه الشرعية والقانونية وفضلاً عما له من الخدمات الجلّى في جانب حكومة جبل لبنان فان له عدة شروح وتراجم ومؤلفات فقهية وقانونية الامر الذي اناله شهرة واسعة واكسبه رضى اولياء الامور وعليه فالمجلس تقديراً لحسن خدماته قد اصدر مضبطةً هذه لتسلم اليه نسخة عنها مصدق عليها تبقى بيده الى وقت الحاجة اليها وبكل حال الامر والفرمان لحضرة من له الامر في ٢٧ رمضان سنة ١٣٣١ و ١٧ اوغسطوس ١٣٢٩ (سنة ١٩١١م)

(رئيس المجلس)
حبيب السعد

اعضاء المجلس الياس شويري محمد صبرا فؤاد عبد الملك محمود جنبلاط داود عمون سليمان كنعان نعوم جبرائيل باخوس خليل عقل معداقه الماريك حسين الحجار محمود الحاج حسن يوسف بريدي نقولا غصن

وكان القضاء بلبنان في اسوإ حال من الضعف والخلل وجهل القوانين لصدورها اليه باللغة التركية وهي غير لغة البلاد فشمّر عن ساعد الجدّ وانكبّ على تأليف

الكتب وتعريب القوانين والاحكام العدلية وشروحها على نمط متسع المجال غزير المادة لم يسبقه اليه احد من رجال هذا العلم . ولما كان مفتشاً للعدلية ومدعياً عاماً نظّم المحاكم فقوّمها وهذّبها بتعاليمه وارشاداته فرقّاها ورفع منارها وسهّل لها العمل بما وضعه من المؤلفات والشروح حتى سار مسيرها سائرُ المحاكم في السلطنة العثمانيّة . فكنتَ ترى مصنّفاته في محاكم الاناضول واقصى البلدان كما تراها في محاكم الاستانة ولبنان . وكادت لا تنشأ الحكومة الوطنيّة في الشام والقدس وحلب وسائر البلاد العربية حتى اقبل رجال القضاء وطلبة الفقه على مؤلفاته إقبال الظمآن على ورود الماء . وقد بيعت مؤخرًا النسخة الواحدة من شرحه للمجلة باثنتي عشرة ليرة مصرية لندرة وجودها . فيا حبّذا لو ساعدت الحكومة ورثتهُ في استئناف طبعها احياء لهذا الاثر النفيس

وكادت لا تطير شهرتهُ في علم الفقه حتى اقبل عليه الطلبة من كل صوب فتخرّج عليه كثيرون من شبان الوطن فترى كثيرين من تلامذته طائري الشهرة اليوم في عالم القضاء وكثيرون منهم يُشغلون بفضل استاذهم وتآليفه مناصب عالية في البلاد وكلهم ألسنة ناطقة بسموه وادبه

ومن حميد اثاره في عدلية لبنان انشاؤه : اولاً وظيفة كتبة العدل (النوته ريّة) في مراكز « القائمقاميات » ومعاونيهم في مراكز « المديريات » تسهيلاً لقضاء الحاجات وقد كان يحول دونه بُعد الشقّة ووفر النفقة . ثانياً وظيفتا المستنطق والمدعي العام في المحاكم البدائية – ولم تكن لهما من قبل صفةٌ رسمية – ثالثاً محكمة الصلح السيّارة في كل « قائمقامية » تتناوب الاقامة في نواحٍ مختلفة ليسهل على الناس الوصول اليها في دعاويهم بلا مشقة ولا نفقة

ومن مشكور اعماله ايضاً حلّ مشاكل بعض الحوادث التي كان يعجز عنها قضاة التحقيق وكثيرًا ما وقع لهم ذلك في عهده اذ لم تكن تخفى عليه خافية او تغيب عنه غائبة . والحق يقال انه هو الذي نهض بالقضاء من خموله وبعثه من سُباته فنشر القوانين بلغة البلاد وشرحها وعزّز الحكام ورفع منار العدلية وسهّل للناس قضاء حاجاتهم ولطلبة علم الفقه سُبل الوصول اليه من طريق الايجاز الوافي دون التطويل الممل الخافي وحقق آمال والدته القائلة انهُ سيكون « قاضي القضاة وشيخ الشهداء »

ولما ان تشكلت عدلية بيروت الجديدة بعد الاحتلال الاجنبي اهتمت الحكومة بنقله من وظيفة الادّعاء العام بلبنان الى منصب عالٍ في عدليـة الدولة الجديدة الّا ان والي لبنان السيد لابرو استبقاه ريثما يحلّ بعض المشاكل وينظم بعض القوانين وفي جملتها القانون الاساسي للدولة الجديدة — دولة لبنان الكبير — ومما قال لهـا مشيراً الى خدّم المترجم: «أفي مثل هذه الآونة تقطعين يدي اليمنى ؟»

وكانت الدولة العثمانية سبقت وقدّرت قدره فأحلّته المحل الرفيع من الكرامة وزانت صدره بالاوسمة العالية منها المجيدي الثالث والثاني والعثماني الرابع والثالث واضافت الى ذلك دولة فرنسا وسام المعارف. وكانت حكومة الانتداب قد طلبت له من حكومة باريس وسام جوقـة الشرف (اللجيون دونور) اعترافاً بما اخلص من عظيم الخدمة لوطنه الّا ان المنية باغتتهُ قبل ان ترى عيناه اكليل المجد الذي ضفره له جهاده الطويل في خدمة المصلحة العامة فمضى رحمه الله والوسام في الطريق. ولما صافح السيد لابرو والي الجبل اخاه معزّياً اعرب له عن شديد اسفه وقال: «وددتُ لو فسح الله في اجله ريثما يصل الوسام الّا ان لا بدّ من وصولـه ولئن كان الفقيد خالداً من دونه بعلمه وعمله» ولكن لسوء الحظ الى اليوم لم يصل ذلك الوسام.

وكان برّد الله ثراه متّسع الرأي والتدبير في الامور الادارية والسياسية ولاسيما سياسة البلاد ولذلـك كان الولاة والنوّاب يعوّلون عليه في فضّ المشاكل وتـدبير الشؤون. من ذلك ان متصرف لبنان مظفر باشا وواحد من قناصل الدول في بيروت اختلفا يوماً لامرٍ سياسي وكاد يتسع الخرق بينهما لولا ان الباز ارتأى لها حلّاً كان فيه فصل الخطاب. ولم يكن اقلّ اتساعاً في معرفـة تواريخ الشرق والغرب. كتب اليه مرةً مؤلف فرنسي كان آخذاً بوضع ترجمة استير استنهوب (١ الانكليزية المشهورة يستوضحه بعض امورٍ متعلقة بها ويسأله ما عنده من الاخبار والقصص عنها ولا تعارُف سابق بينهما فكتب له مقالاتٍ كثيرةً عنها الّا ان المؤلف لم ينسب الّا القليل منها اليه ومن المحتمل ان يكون قد عرف الباقي من مصدر آخر

١) هي بنت اخت «بيت» وزير انكلترة الشهير الذي كان من ألـدّ اعداء نابوليون الاوّل. خرجت من بيتٍ عظيم الثروة وهي حذواء فأمّت الشرق على سفينةٍ بخارية خاصة ملؤها من التحف والهدايا ما يعجز القلم عن وصفهِ وذلك في اواخر الجيل الثامن عشر فساحت فيه وسمّت تسهلاملكة تدمر» وقضت ايامها الاخيرة في قرية جون فوق صيدا وماتت ودفنت فيها

مؤلفاته

باكورة مؤلفاته « مناجاة البلغاء في مسامرة البيغاء » رواية غرامية لطيفة عربها بتصرف من التركية حوالي سنة ١٨٨٢ ثم حام خاطره على التأليف وهو في السادسة والعشرين من عمره فمال اليه بكليته على مكانه من الحاجة الى انتحال المعاش تارة بالمحاماة وتارة بالوظيفة . فراض الصعاب حتى اذلها وانعكف على التأليف لا يألو جهداً في متابعته ليلاً ونهاراً . أما مؤلفاته الفقهية فاشهر من نار على علم نعيد ذكرها هنا تعميماً للفائدة فنقول :

شرع في شرح المجلة سنة ١٨٨٥ فاتمه وطبعه سنة ١٨٨٩ على انهماكه بشؤون المحاكم التي كانت تتوالى عليها رئاسته . وما هو الا ان ظهر هذا التأليف الجليل الى الوجود حتى انهالت على صاحبه التقاريظ من علماء الفقه (١ معجبين بدقة شرحه وبلاغة بحثه وسلاسة عبارته حتى ظنه احد اساتذتهم شيخاً مسلماً طاعناً في السن . وتحرير الخبر ان ذاك العالم كان يلقي على تلامذته في مكتب الحقوق بالاستانة بحثاً تضاربت فيه الاقوال فقال لهم بعد ما جال في ميدان البحث جولة العالم الخبير والمدقق التحرير : « لم أر قولاً اصح ولا رأياً اسد من رأي الشيخ باز فخر الاسلام والقضاء في شرحه المجلة . مثل هذا ينبغي ان يعول عليه » . وكان في جملة النجباء الموما اليهم سعيد بك زين الدين المدعي العام بمحكمة التمييز في حكومة لبنان الكبير فضحك . ثم خلا بالاستاذ وقال له : « ليس الباز شيخاً طاعناً في السن كما خيل لجنابك ولا هو مسلم بل هو نصراني من جبل لبنان دون الاربعين من العمر » فقال والدهشة ملء عينيه : « وهل يبلغ المسيحيون في بلادكم هذا المبلغ من العلوم الفقهية والمعارف الشرعية » قال : « نعم والباز الدليل » واشرق محيا سعيد بك افتخاراً بابن بلاده حتى ود لو أن له جناحاً كالباز فيطير اليه بالخبر

ولما أن نفدت الطبعة الاولى من المجلة لبى سؤال كثيرين فاستأنف طبعها سنة ١٨٩٩ بعد ان نقحها وزاد عليها من الشروح والتعاليم ما احلها المحل الاول بين كتب الفقه . وقد نفدت هذه الطبعة الثانية من نحو ثلاث سنوات فأعد الطبعة الثالثة وزينها

(١) = انظر اول الطبعة الثانية من المجلة

تفضل به سالفتيها ففاجأته المنية قبل طبعها

ثم شرح قانون المحاكمات الحقوقية وطبعه سنة ١٨٩٥ وثنّى طبعه سنة ١٩١١ بعد ان هذّبه وزاد عليه وقد صارت الطبعة الثانية على وشك النفاد . اما هذا التأليف فأحله علماء الاستانة كشقيقه السالف الذكر محلاً رفيعاً ايضاً واخذ عنه كثيرون منهم بل نقلوا قسماً واسعاً منهُ بحرفه الواحد . وكاد لا يُتمّ هذا التأليف حتى شرح قانون المحاكمات الجزائيـة شرحاً بديعاً منقطع القرين عدّهُ جمهور علماء القوانين من اسمى التصانيف في نوعه وطبعهُ سنة ١٩٠٥

ثم ألف وطبع سنة ١٩٠٩ كتاباً مختصراً في علم الفقه غزير المادّة جزيل الفائدة سماه «مرقاة الحقوق» فهو والحقّ يقال كتاب جليل يحتاج اليه كلُّ من يريد ان يعرف ما له وما عليه من الحقوق . فيا حبذا لو جعلته المدارس العالية في نطاق تعليمها

وقبل الحرب الاخيرة عرّب عن التركية قانون الجزاء وشرحه شرحاً وافياً وذيّله بتعريب القوانين والانظمة التي سُنّت لبعض العقوبات لعلاقتها به وطبعه سنة ١٩١٦ . وعرّب ايضاً جميع الانظمة والقوانين الخصوصية وكتباً عديدةً غيرها لم تطبع وهي لم تزل محفوظة في خزائن كتبه

وله فضلاً عن ذلك في جريدة العدلية فصول فقهية وقانونية رائعة المباني ضافية الذيول كتبها اجابةً لاقتراح وزارة العدليـة في الاستانة في تاريخ ٢٢ كانون الاوّل سنة ١٣٢٥ (سنة ١٩٠٥م) . وعرضت عليه الوزارة المذكورة لائحةً في بعض الموادّ من قانوني الجزاء والتجارة تسأله رأيه فيها فجاءها سديداً فاحلّته محل الاعتبار ووضعتهُ موضع الاجراء . ولو عدّدنا ما للفقيد من التآليف والتعريبات العديدة المطوّلة والقصيرة لبلغت الاربعين عدّاً طبع البعض منها في ذيل كتابه قانون الجزاء والبعض على حدةٍ والبعض الآخر لم يزل غير مطبوع

لما جلا جمال باشا قائد الحملة السورية بعض الأسر اللبنانيـة الى بلاد الاناضول وجّهه في جملتها بعياله لمثال المجرمين . ولما ان قرُب يوم الرحيـل وكان القوم في نزل عاليه فرّقت فيهم الحكومة مالاً لنفقة الطريق فترفّع هو واخوهُ عن قبول شيء منه

على مكانتهما من الحاجة اليه . ولم يبعد القطار كثيراً عن « عاليه » حتى أفاقت الحكومة من غفلتها وتذكرت ان مؤلفاته بين ايدي قضاتها يُطلقون الاحكام من محاكمها مُستندةً الى شروحه واقواله وآرائه فطيّرت على اجنحة البرق الى ولاة المدن التي في طريقه أن : « كرّموا الباز عالم المملكة الكبير فان احوالاً سياسية ليس الا قضت بابعاده موقتاً » (١ فكان اينما حلّ طوّقه والي البلد بالتكرمة التي هو اهل لها وقرّبهُ اليه واوسع له في مجلسه . وكثُر ما نفع بتلك المنزلة من الكرامة غيرهُ من الرفاق فكانت لهم غُنماً في ارض الغربة . اما في منفاه فلقي من متصرف قيرشهر حيث كانت اقامته مع اخيه ورفاقه ومن اكابر موظفي الحكومة واعيان المدينة من الحفاوة والاحترام ما لم يزده الا تواضعاً وزهداً

ولما استقر به المقام عاد الى بَذل مهجته في المطالعة والتأليف لانه كان يأنف الفراغ الا ان إبعاده عن وطنه حطّ كثيراً من همّته لتألم نفسه . وعرفتْ حكومة قيرشهر واعيان موظفيها وسكانها مكانته من الفضل فانصرفت وجوههم اليه . ولما ان زارهُ لاول مرة رجال عدليتها قالوا له : « نحن نعرفك يا استاذنا من زمن طويل » فقال : « لا اذكر انه جمعنا مجلسٌ قبل اليوم » فاستدرك المدعي العام « علي نظمي بك » وكان اوسعهم علماً واعلاهم مقاماً وقال : « نحن نعرفك بتآليفك النفيسة التي بين ايدينا » . فتبسّم رحمات الله عليه وقال : « وهل تعرفونني بها من زمن بعيد » قالوا : « من يوم ولادتها وكنا ننظر الى مؤلفها الفاضل بعين الوهم فما لسعدنا اليوم ان نراه بعين الحقيقة » . اما علي نظمي بك فكان اقرب الناس مكاناً الى المتصرف وكان نافذ الكلمة ذكي الفؤاد يرأس فرعاً من جمعية الاتحاد والترقي فعلى مكانته هذه كان كلما رأى صاحب الترجمة تحفّز للثم يده ولم يكن يدعوه الا « بالاستاذ الاكبر »

ولما ان مرّ طلعت باشا رئيس الوزارة العثمانية بمدينة قيرشهر سنة ١٩١٨ وكان ينقّب عن احوال الاناضول استأذن عليه اللبنانيون فاذن لهم . فلما دخلوا عليه وكان يحيط به متصرف البلاد وكبراء العمّال احتفى بالباز غاية الاحتفاء وقرّبه منه

(١ هذا ما قال امر جمال باشا ذكرهُ ولاة حلب واقره وغيرهما لصاحب الترجمة يوم مروره بها

وصرف اليه وجهه بالحديث ودعاه مراراً « بفخر القضاء » ثم التفت الى المتصرف وقال: « هل انتم عارفون قدر الباز وهل مؤلفاته الجليلة كلها في محاكمكم . هل اسكنتَه بيتاً مليحاً وهل اوسعتَ له في الاثاث والرياش ويسّرت له اسباب الراحة التامّة . وهل زرته . . . » فاشرأبّت اليه الاعناق وحدّق اليه القوم وملأ عيونهم الإعجاب بما رأوا من مكانته عند رجال السلطنة العظام . وفي تالي الايام جلس الوزير الاعظم للناس في رواق القصر وكان يحفّ به المتصرف وكبار رجال الحكومة بعضهم جاوس وبعضهم قيام فلاحت منه التفاتة الى شماله فرأى الباز واقفاً فصاح بخادمه على مسمع من الجميع أن: « عجّل بكرسيٍّ الى باز افندي » . وهذا ايضاً ألفتَ الانظار اليه . وكانت الحكومة العثمانية بناء على طلب اصدقائه في العاصمة قد فسحت له دون غيره في الانتقال من قيرشهر الى آطه او الاستانة فآثر البقاء في مكانه لكي لا ينفصل عن اخيه ورفاقه وفي اواخر سنة ١٩١٧ نصبته عدلية الاستانة عضواً في محكمة التمييز العليا وسألت جمال باشا ارساله اليها فأبى بحجة انه مجلّى عن بلاده لاسباب سياسية الا انه صوّب نصبه ووافق الحكومة على انهُ واقعٌ في اهله واستمهلها في تحقيقه الى ما بعد الحرب . وقد ابلغه ذلك وزير العدلية الى قيرشهر بقلم الاستاذ الشهير الياس افندي رسّام

موقفه لدى الانتداب الفرنسي — وفاته

سبق الالماع فيما مرّ من الكلام الى ان صاحب الترجمة أعيد الى منصبه بلبنان حال عودته من الجلاء فلم يمد به العهد طويلاً حتى قدّره قدره والي البلاد وكان في ذلك الوقت السيد لابرو الفرنسي فادناه منه ومال اليه وجعله مستشاراً له ولكل دوائر حكومة لبنان (قبل اعلان الاستقلال) . وقبل وفاته بيومين رحمه الله سألهُ الوالي المذكور ان يضع القانون الاساسي للمملكة الجديدة (لبنان الكبير) وان ينجزه في شهر من الزمن فضحك وقال: « أمع شواغل الوظيفة تؤمل يا حضرة الوالي انجازه في شهر من الزمن ؟ كأنك تجهل ما هو القانون الاساسي . فلو تجردتُ عن الوظيفة اليه لما أتيت عليه في اقل من شهرين » قال: « تدبّر اذاً الامر كما تريد » وكان ذلك صباح السبت في ٢٩ نوار سنة ١٩٢٠ فبدأ بالقانون الاساسي مساء ذلك اليوم—

الى الهجعة الثانية من الليـل واستمرّ على التحرير والتحبير يوم الاحد الى قبل الظهر بنحو من ثلاث ساعات. فدخل عليه صديقه صاحب السيادة الإسقف بولس الي عَضَل كما سبقت الاشارة اليه فاخذا يتجاذبان اطراف الحديث الى الهاجرة ولم يُتَحْ لهُ استئناف التأليف الّا في الساعـة الثانية بعدها فأكبَّ عليه الى الهجعـة الثانية ايضاً ونام. وكانت جملة ما كتب منه في بضع وخمس عشرة ساعة ثلاثاً واربعين مادة. ولما ان اصبح كجري عادته دخل مخدعه واسرج للكتابة ففاجأته المنيّة على غرّة. فمات كالجندي الباسل شهيد الواجب في خدمة الوطن والقلم في يده وكان ذلك في حدث بيروت نحو الساعة الرابعة من صباح الاثنين في ٣١ ايار سنة ١٩٢٠

ولما انتشر منعاه في البلاد شمل الاسف رفيعها ووضيعها وتزاحم القوم على بابه يأسون عائلته ويعزّون والكآبة ملء صدورهم ووجوههم. ثم نُقلت جثته الى دير القمر موطن اجداده ودُفنت في الضريح الفخم الذي ابتناه لزوجته الاولى رحمات الله ورضوانهُ عليهما. وهناك ايضاً توارد الناس افواجاً افواجاً الى قصر الشيخ جرجس باز احد اجداد الفقيد لمشاطرة اسرته الكريمة الحزن والاسف. وبينهم حضرة الاستاذ الشيخ سليم علم الـدين. فروى ان الاسف عليه في بعقلين يعجز عنه الوصف وان جمهوراً كثيفاً من رجالها اقاموا له مناحةً مؤثرةً فحملوا نعشاً مزداناً بالازهار واخذوا يطوفون الشوارع بالندب والنواح حتى استناحوا كل اهل البلدة قال: «وخرجتُ من بعقلين والدمعة في عيني ولم أرَ قط مناحةً مؤثرة مثلها» وكان صراخ هذه المنـاحة والحالة هذه مسموعاً الى قاعات القصر حيث كانت الجثة: ورثاه الخطباء والشعراء وبكته المطابع والمعابر والجرائد على اختلاف نزوعها. وقالت الأمهات لاولادهنّ: «كدّوا وجدّوا كما جدَّ الباز لتصلوا الى ما وصل اليه من الفخر». وتسابق تلامذته الى طلب اقـلامهِ تيمّناً وتفاؤلاً... وأبنهُ شقيقه بمقـال يبكي الجماد وينثّ الاكباد

وكانت مدة توليه المنـاصب في العدلية احدى وعشرين سنة وستة اشهر وكان برّد الله ثراه فوق الرّيعة من الرجال معتدل القـامة ابيض اللون عريض الجبهة اشقر الشاربين وديع للنظر انيس الطلعة ذكياً كريماً جليداً على الشغل أبيّ النفس سليم القلب

صادق المقال عفيف المئزر جريئاً في الحق قاضياً للحاجات واسع المعارف لا يملّ سامعهُ من كلامهِ لليّنة سَداته وبساطة لُحمته . وكان فوق كلّ ذلك عريقاً في الدين مواظباً على فرائضهِ مكرّماً لأربابهِ

تزوج في قومه فاقترن في ٦ ايلول سنة ١٨٨٤ بدميانة ابنة قريبهِ سعيد باز حفيد الشيخ جرجس باز الشهير في تاريخ جبل لبنان فرُزق منها غلامين وبنتاً هم يوسف المدعي العام في محكمة كسروان — ورشيد ومريم زوجة يوسف بن سليمان ثابت من دير القمر وتوفّاها الله في السابعة والعشرين من عمرها في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ وكانت رحمها الله بارعة الجمال دمثة الاخلاق طاهرة الذيل . ثم اقترن الفقيد بعد وفاة قرينتهِ بشقيقتها املي في ١٦ شباط سنة ١٩٠١ فولدت له رستم وعبد الاحد وأسما ولوسيا وسعدا . اما هذا الاخير فكان عمره يوم وفاة ابيه سبعة اشهر فقط

وكان حقّنا ان نورد هنا اقوال عظماء الرجال في فقيدنا ومكاتباتهم اليهِ في حياتهِ وما نشرتهُ الجرائد في اطرائهِ عند وفاتهِ وما قيل في تأبينهِ اجزل الله ثوابهُ الّا انّ مجموع هذه الاقوال يقتضي الصفحات المطوّلة ولعلّنا ننشر هذه الآثار في كرّاس خاصّ فترى هناك رسالات للوزراء كالفقيه نجم الدين باك وزير عدليّة السلطنة العثمانيّة وكاحمد جودت باشا وزير العدليّة والمذاهب فضلاً عن تقاريظ لاصحاب الكرامة والسيادة كاستاذه الفاضل المغفور له الاسقف الجليل يوحنّا الحبيب وكالشيخ محمّد عبده الشهير مفتي الديار المصريّة والشيخ ابرهيم الاحدب والشيخ ابرهيم القتّال والسيّد عبدالحميد الرافعي والشيخ عبد الغني البارودي والشيخ نوفل قنصوه الخازن ويا حبّذا لو تكرّم علينا الخطباء والكتبة والشعراء والصحافيون بما كتبوا من الفقيد لنضمّهُ الى ترجمة حياته الكاملة التي سنطبعها على حدة ان شاء الله

هذه هو الرجل الذي بكيناه وبكاه القضاء بكاءً الثكلى . فلا ننسى ما نسينا ما ألمّ بنا من فرط الحزن عليه يوم نزلت في ساحة الفقه الملثّة الكبرى . ما نسينا وأيم الحق حزناً انخلعت لشدة لوعته قلوبنا . ولا فاجعةً منا خمدت الى اليوم نارُها في صدورنا . بكينا الشقيق العزيز بمحمر الدموع . وتقوّضت لهول تلك الرزيّة فينا حنايا الضلوع . وانطلق لسان الأدب يقول :

فوا أسفي لو يقبل الموت فديةً فديناك بالنفس العزيزة يا « سليم »

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

٢٨٣ ﴿جاكيه﴾ الاب فرنسيس (Fr. Jacquier) المعرَّب ايضاً «بياكوير» من الرهبنة الفرنسيسيَّة المتوفَّى سنة ١٧٨٨ . عرَّب الخوري انطون صائغ الكاهن الملكي الحلبيّ سنة ١٧٦٦ كتابهُ المعنون «بالرسومات الفلسفيَّة» مع مقتطفات من كتاب يوحنَّا دوهامل الفرنسيسي . منهُ نسخة في المتحف البريطاني في لندن (Suppl. n°43) تاريخها سنة ١٧٦٦ . وفي حلب في مكتبة الروم الكاثوليك نسخة اخرى في خمسة اجزاء.

٢٨٤ ﴿جانسو﴾ الاب يوسف اليسوعيّ (P. J. Jeannesseaux) المتوفى سنة ١٨٨٤ طُبع لهُ في مطبعتنا كتابهُ في رياضات مار اغناطيوس مع شروحها وتذييلاتها سنة ١٨٩٥ عرَّبها المرحوم سعيد الشرتوني

٢٨٥ ﴿جبرائيل دي رومورانتان﴾ الكبوشي (Gabr. de Romorantin) كان مرسلاً في القرن السابع عشر في سوريَّة . ذكرهُ الاب هيلار دي برانطون في تاريخ الرهبنة الكبوشيَّة في الشرق (١ اوَّلاً تفنيدهُ للقرآن صنَّفهُ سنة ١٦٦٩ وثانياً كتابهُ في التعليم المسيحي

٢٨٦ ﴿الجبيلي﴾ انطونيوس بن مبارك . دخل في مكتبتنا الشرقيَّة في ايلول سنة ١٩١٨ كتابٌ مخطوط بالكرشوني عنوانهُ «بعض وعظات وكرازات مصنَّفهم انطونيوس بن مبارك الجبيلي تلميذ مدرسة الموارنة في مدينة رومية الكبرى» كتبهُ سنة ١٨٤٧ صفحاتهُ ٣٠٨ ولا نعرف شيئاً من امر المؤلف

٢٨٧ ﴿جرجيس﴾ رئيس دير مار سمعان العمودي . من كتبة القرن الثاني عشر او الثالث عشر . لهُ «كتاب الكافي في المعنى الشافي جمع فيهِ شواهد من العتيقة والجديدة ومن سائر الاديان على تثبيت الدين الحقّ ومن كتب الحكماء والوثنيين وكتاب المسلمين» . من هذا الكتاب نسخة قديمة في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة (العدد ٥٥) . وفي مجموع آخر لحضرة الخوري قسطنطين الباشا . ثمَّ في بيت الدكتور

١) اطلب كتابهُ P. Hilaire de Barnathon : *La France Cath. en Orient. p. 123*

سمعان في حمص تاريخها سنة ٧٢٠٩ للعالم وسنة ١١١٣ هجريّة (١٧٠١ م) كاتبها يوسف بن عبدالله بن يوسف الملقّب بالشدياق في قرية كفرحلدا في ناحية البترون من اعمال طرابلس القاطن وقتئذٍ حمص

٢٨٨ ﴿جروع﴾ اغناطيوس مطران حلب الرومي الكاثوليكيّ المتوفّى في ك ١ سنة ١٧٧٦ (اطلب المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٥٤٢) . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة : ١ مجموعة مواعظ في ثمانية مجلّدات بينها جزء يحتوي شروحاً على قوانين الرهبان المخلّصين عددها ٣٣ قانوناً . امّا المواعظ فألّفها وهو خوري ورئيس المخلّصين ثم مطران في كلّ مواضيع الخطابة الدينيّة النظريّة والادبيّة وفي الاسرار والاعياد وتفسير الاناجيل . مخطوطة في زمانهِ . ٢ رسالة عنوانها البحث الراهن في فحص الكاهن تاريخها سنة ١٧٧٤ (ص ٦٩)

٢٨٩ ﴿جرجس البطريرك الاسكندري﴾ ويقال جاورجيوس الملكي المتوفى سنة ٦٣٠ م هذا ألّف في اليونانية «سيرة ابينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب رئيس اساقفة القسطنطينيّة» . فنُقلت الى العربيّة دون ذكر معرّبها . منه ثلاث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة منها متقنة الكتابة بنقوش وفهارس شتّى كانت سابقاً في مكتبة جبران دلّال يرتقي تاريخها الى القرن السابع عشر . الثانية حديثة منسوخة عنها . والثالثة بين مخطوطات البطريرك مكاريوس ابن زعيم الحلبيّ . وفي آخر النسخة ترجمة خطابين للقديس يوحنا فم الذهب عرّبهما البطريرك اثناسيوس الانطاكي الاولى خطابة لاجل اوطروبيوس الحمصيّ والوالي والثانية في افادة قراءة الكتب المقدّسة . ولهُ هو ايضاً معرّب سيرة القديس السابق ذكرها وفي اخرها فهرس مصنّفات القديس يوحنا فم الذهب على موجب النسخة اليونانيّة المطبوعة في ثمانية مجلّدات سنة ١٦١٢ م منهُ نسخة في مكتبة الكلدان في ديار بكر

٢٩٠ ﴿جرجس الرابع﴾ ابن شمعون عبد الكريم البطريرك اليعقوبي المرتدّ والمتوفّى في ٢١ تموز ١٧٨١ (اطلب ترجمتهُ في كتاب الفيكونت دي طرازي البلابل التاريخيّة ص ٣٩-٤١) . ألّف كتاب الاعتقاد الصحيح في تجسّد السيّد المسيح ومنهُ نسخة في مكتبة الياقبة في القدس . ولهُ في مكتبة السريان في ماردين وفي مكتبتنا الشرقيّة صورة ايمانهِ التي ارسلها الى البابا بيوس السادس سنة ١٧٧٦ بخطّهِ وختمهِ

٢٩١ ﴿جرجس الراهب﴾ من سيق مار سمعان العموديّ قرب انطاكية . له مباحثة مع ثلثة من علماء المسلمين ، امام السيّد مشتر اخي الخليفة الظاهر الغازي ابن يوسف بن ايّوب الصلاحيّ الملك على الاسلام بمدينة حلب والشام وفي تملّك لاون الارمني بن اصطفان في السنة ٦٦١٥ للخليقة (١١٦٨م) . منهُ ثلث نسخ في المكتبة الفاتيكانيّة ع ١٨و١٢٨و١٤٦) . وثلث نسخ ايضاً في مكتبتنا الشرقيّة . ونسخة في مكتبة دير الروم في القدس (ع ١٢٠) ونسخ اخرى متفرّقة

٢٩٢ ﴿جرجس مارون﴾ القسّ اللبناني الاهدنيّ . ذكرهُ الدويهيّ في تاريخ الموارنة في سنتي ١٦٠٩و١٦١٠ (ص ١٨٨و١٨٩) . لهُ كتاب خطّ في انساب بعض الأسر اللبنانيّة (راجع تاريخ بطل لبنان ابي سمراء غانم ص ٣١٥)

٢٩٣ ﴿جروه﴾ البطريرك اغناطيوس بطرس السرياني الكاثوليكيّ من ٣ اذار ١٨٢٠ الى وفاته ١٦ ت ١ سنة ١٨٥١ . (اطلب ترجمتهُ في كتاب الزهرة الزكيّة في البطريركيّة السريانيّة الانطاكية للقس اسحاق ازملة ص ١٠١—١٠٣ والسلاسل التاريخيّة للفيكونت دي طرّازي ٩١—١٢٠) . من اثاره : ١ً ارشاد الذين يتقدّمون للفحص كي يقتبلوا الدرجات الاكليريكيّة . هو الكتاب الذي ألّفهُ لويس طوني احد كهنة جمعيّة الاكليريكيين فطُبع لاتينيًّا سنة ١٨١٩ فعرّبهُ البطريرك بطرس جروه ثمّ سعى بطبعهِ بعد تعريبهِ ثانيةً المطران بولس مسعد . منهُ نسخة في مكتبة السريان في حلب . ٢ً تعريب حياة مريم العذراء للاب بوناونتورا اماديوس من الرهبان الاصغرين منهُ نسخة في مكتبة الشرفة . ٣ً تعريبهُ لكتاب الحياة الالهيّة والطريق المختصرة السلطانيّة لربح الكمال تأليف الاب نيرمبرج اليسوعي في مكتبة دير الشرفة ايضاً ومنهُ نسخة لدى المنسنيور الخورفسقف جرجس شلحت في حلب . ٤ً تعريب مختصر اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرنز الكبوشي عرّبهُ في رومية سنة ١٨٢٦ . منهُ نسخة في مكتبة لندن (Suppl. n° 41) ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة احداهما تاريخها سنة ١٨٢٦ . ونسخة في مكتبة السريان في حلب وفي مكتبة دير المخلّص قريباً من صيداء . ٥ً سيرة مار الطيّب الاثر البطريرك ميخائيل جروه . في مكتبة الشرفة . ٦ً وكتاب الخطب النفيسة من الله والكنيسة في مكتبة السريان في حلب في ثلثة مجلّدات (راجع السلاسل التاريخيّة ص ١٠٩)

٢٩٤ ﴿جروه﴾ البطريرك ديونيسيوس ميخائيل السرياني الكاثوليكي المتوفّى في ١٦ ايلول ١٨٠٠ (راجع مقالتنا في التذكار المئوي لوفاته في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٩١٣–٩٢٦ والسلاسل التاريخيّة ٢١٢–٢٢٨ والزهرة الزكيّة ٩٥–٩٨) . هو جامع مكتبة دير الشرفة . ومن تاليفه الخاصّة هناك : ١ً ترجمة حياته واخبار رحلته من الموصل الى بغداد . روينا قسمها الاكبر في المشرق (٩ [١٩٠٧] : ٩١٣–٩٢٦) . ٢ً له تعريب الكتاب الروحي المعنون «مخاطبة العريس مع العروس» كتبه في ماردين . منهُ نسخة في مكتبة دير الشرفة وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٣ً تعريب مقالات مفيدة لدحض آراء اليعاقبة في سرّ التجسّد وفي التقديسات مع نبذة سمّاها «الحقّ المظهر في انبثاق الروح القدس والمطهر» . ٤ً له في مكتبة الشرفة رسائل ارشاديّة ومناشير راعويّة ومواعظ شتّى نشر بعضها السيّد ديونيسيوس نقاشه في كتابه «عناية الرحمان في هداية السريان» . ٥ً صنّف ورتّب كثيراً من كتب الكنيسة السريانيّة الطقسيّة وترجم بعضها الى العربيّة (راجع السلاسل التاريخيّة ص ٢٢٦)

٢٩٥ ﴿جستو دي لابواز﴾ (Juste de la Boise) ويروى (Juste de Beauvais) كان في اواسط القرن السابع عشر رئيساً على الرهبان الكبوشيين المقيمين في بغداد . ١ً له في مكتبتنا الشرقيّة نسخة حسنة من تعريبه كتاب التطلع المسيحيّ الذي صنّفهُ الكردينال ده ريشليو (C^al de Richelieu) مطران مدينة لوصون في فرنسة . وهذا الكتاب قد ظهر بالطبع في باريس سنة ١٦٤٠ على نفقة الكردينال المذكور . ٢ً وقد ذكر له الاب هيلار دي برانتون (La France Cath. en Orient, p. 123) كتاباً في المطهر في العربيّة . لعلّهُ الكتاب المصون في مكتبتنا الشرقيّة وهو غفل من اسمه . وذكر ايضاً له ترجمة سفر طوبيا بالتركيّ

٢٩٦ ﴿الجسري﴾ الاب لويس اليسوعي (P. Louis Dupont) المتوفّى سنة ١٦٢٤ له : ١ً في مكتبتنا الشرقيّة نسختان من كتاب تأملاته الموسّع كلّ نسخة في ثلثة مجلّدات تاريخها سنة ١٧٤١ و١٧٥٨ . منهُ نسخة ايضاً في مكتبة السريان في حلب . وفي مكتبة الشمّاس شكري أيوب تاريخها سنة ١٧٢٩ وهذا الكتاب النفيس قد طُبع في حلب في ثلثة مجلّدات سنة ١٨٦٦ وقد طبع قسماً من مختصره حضرة الاب اغناطيوس جسجع . أمّا معرّب هذه التأملات فهو الاب بطرس قرومباج

اليسوعي. ٢ً وفي مكتبتنا الشرقيّة نسختان خطيّتان من كتاب الاب لويس الجسري « قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت » من افضل الكتب لارشاد الاكليروس عرّبهُ الاب فروماج ايضاً. طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٥

٢٩٧ ﴿جسمندي﴾ الاب هنري اليسوعي (P. H. Gismondi) المتوفى سنة ١٩١٤. لهُ في مكتبتنا الشرقيّة جوابٌ على ١٩ سؤالًا لاهوتيًا عن النصرانيّة ومعتقداتها عرضها عليهِ احد علماء المسلمين. وتعريب الجواب « للراهب يوسف دريان الحابي » تلميذ الاب جسمندي. وللاب المذكور عدّة تآليف سريانيّة لاتينيّة منها غراماطيق ومنتخبات ومنها نشرهُ لقسم من اشعار القديس غريغوريوس النزينزي المنقولة الى السريانيّة تتمّةً لما نشرهُ الاب بوليغ ثمّ نخبة من مقامات عبد يشوع التوبادي المعروفة بفردوس عدن. ومن مطبوعاتهِ في العربيّة تاريخ بطاركة الكلدان لماري بن سليمان وتاريخ عمرو بن متّى الطيرهاني مع ترجمتهما الى اللاتينيّة وملحقات شتى طبع الاوّل سنة ١٨٩٩ والثاني سنة ١٨٩٤

٢٩٨ ﴿جلوان﴾ الكاهن ابرهيم السمرّاني الابوديا كن الماروني تلميذ المدرسة الرومانيّة ازهر في القرن الثامن عشر عرّب عدّة تآليف: ١ً كتاب خطب للراهب الفرنسيسي تاودوروس جنّاديوس اسقف ويليا منهُ نسخة في مكتبة حلب للموارنة تاريخها سنة ١٧٣٠. ٢ً ارشاد المعترف والمعرّف للاب بولس سنيري اليسوعي سنة ١٧١٨ في المكتبة المذكورة. ٣ً كتاب حوادث الاعتراف للاب خرستوفورس ونيفا اليسوعي. منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة. ونسخة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن (Suppl., n° 28) تاريخها سنة ١٧٢٣ ونسخة لدى الخوري بولس سباط (ROC. XVIII, n° 61 p. 243) وقد طُبع هذا الكتاب في دير طاميش سنة ١٨٥٨. ٤ً تفسير المزمور ارحمني يا الله لايرونيموس الراهب الدومنيكي منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب. ٥ً وتأملات المعلّم انطونيوس ايرودوس سنة ١٧٢٣. ٦ً عرّب عن الايطالية سنة ١٧٣٠ خطابات ادبيّة في ايضاح اربعين خديعة وكشفها. في المكتبة المذكورة

٢٩٩ ﴿الجسري﴾ القس سركيس بن بطرس من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية. لهُ في حلب في مكتبة الموارنة: ١ً مجموعة مواعظ قالها من السنة ١٧٠٨

الى ١٧٢١ . ٢ً ولهُ فيها كتاب ظهور الايمان في معتقدات الكنيسة الكاثوليكيّة يقال في مؤلفهِ انهُ « القس سركيس ابن الشدياق بطرس ابن اخو (كذا) المطران سركيس الجمري وابن اخت الخوري جبرائيل الياس الهدناني وابن بنت الخوري جبرائيل الذي استقام رئيساً على كهنة حلب ما ينوف عن ٢٥ سنة وابن عمّ البطريرك مار يوحنّا مخلوف » . ٣ً مختصر علم الذمّة . نسخة بخطّهِ في مكتبة الموارنة في حلب استخرجهُ من اللغة اللاتينيّة تاريخهُ سنة ١٧٤١ . ٤ً عرّب ١٣ عظة من عظات بولس السنيري (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ١٠٠) . ٥ً وفي المكتبة المذكورة لهُ ترجمة غراماطيق اللغة الطليانيّة الى اللغة العربيّة اوقفهُ عليها سنة ١٧٤٥

٣٠٠ ﴿جنّاديوس﴾ البطريرك القسطنطينيّ المدعوّ سابقاً جورج سكولاريوس المتوفّى نحو السنة ١٤٦٨ . في مكتبة الموارنة في حلب (ع٢٣٥) كتاب عقد الاتحاد في شرح وتفسير الخمس الموادّ منقول من اللغة اليونانيّة على اسم جنّاديوس البطريرك أعطي هديّة الى طائفة الروم من المجمع المقدّس الموكّل في انتشار الايمان » ولم يُذكر اسم المعرّب وفي آخرهِ كشف الاسرار في تقديس الاسرار (ص٣٨٤) كُتب في القرن السابع عشر . وقد نشرهُ العلّامة حامر في مجلّة معادن الشرق (Mines de l'Orient, I, 461 et II, 105, 164, 316, 470) مباحثاتهِ مع محمّد الثاني الفاتح في شؤون النصرانيّة وذلك في ثلاث لغات اليونانيّة واللاتينيّة والتركيّة

٣٠١ ﴿جنّاديوس﴾ ثاودورس الاسقف الفرنسيسكاني مطران ويليا . لا نعرف زمانهُ . لهُ : ١ً في مكتبة الرهبان البلديين في كفيفان مواعظ نسخها سنة ١٨٦١ الاب نعمة الله الكفري في مجلّد ضخم . ٢ً وفي مكتبة حلب للموارنة كتاب خطابات ادبيّة في ايضاح اربعين خديعة وكشفها عرّبها عن الايطاليّة سنة ١٧٣٠ الخوري ابرهيم بن جلوان اذ كان في مدينة طرابلس وهو كتاب مفيد لمدّعي الاعتراف

٣٠٢ ﴿جوستنيان﴾ الاب الكبوشي من مدينة طور (P. Justinien de Tours) كان مرسلاً في سوريّة في اواسط القرن السابع عشر . يُذكر لهُ : ١ً في مكتبة الرهبان الكبوشيّين (Bibl. Script. Ordinis Capucinorum) نقلهُ لمجمع اورتي الى العربيّة والارمنيّة والتركيّة والكرديّة . ٢ً تعريب التعليم المسيحي . ٣ً تعريب كتاب الاب ميخائيل فابوري المشتمل على اجوبة اهل الكنيسة الكاثوليكيّة

على اعتراضات المراطقة . طُبع في رومية سنة ١٦٨٠

٣٠٣ ﴿جوليان﴾ الاب ميشال اليسوعي (P. Michel Julien) المتوفّى في غرّة كانون الثاني سنة ١٩١١ . عُرّب لهُ وطُبع سنة ١٨٨٤ كتابهُ المعنون «سياحة حديثة في بلاد صيد الشلى» . ونشر في جريدة البشير ومجلة المشرق عدّة مقالات اثريّة وعلميّة واخلاقيّة . وتآليفهُ في اللغة الفرنسويّة متعدّدة مدار معظمها عن الشرق مثل كتابهِ عن وصف بعلبك وكتابهِ عن تاريخ رسالة الآباء اليسوعيين الحديثة في سوريّة وغير ذلك لاسيّما كتبهُ الرياضيّة الشهيرة وخلّف آثارًا تاريخيّة وعلميّة مخطوطة

٣٠٤ ﴿جوهر﴾ الياس من كتبة القرن العاشر . لهُ في مكتبة الفاتيكانيّة (ع ١٥٧) كتاب «وافقة الايمان بين اليعاقبة والنساطرة والملكيين» . وفي مكتبتنا الشرقيّة في بعض مجاميعها تسبحة لله تعالى قالها «ايليا الجوهري الكلداني» يذكر فيها كمالاتهِ عزّ وجلّ ويبرز عن عواطف مختلفة من التواضع والاتكال على الله وطلب معونتهِ الخ

٣٠٥ ﴿جيرودو﴾ الاب برنارنتورا اليسوعيّ (P. Bonav. Giraudeau) المتوفّى في ١٤ ايلول سنة ١٧٧٤ نشرت مطبعتنا الكاثوليكيّة كتابهُ المعنون بالامثال الروحيّة معرّباً بقلم المرحوم جرجس زوين سنة ١٨٦٧

٣٠٦ ﴿جيزو ماريا﴾ الاب الكرمليّ من مرسلي الكرمليين في القرن السابع عشر . عرّب كتابهُ منخز الضمير السيّدُ ابرهام البطريرك الارمنيّ (لما بقية)

الانتقاد والدروس التاريخيّة في سوريّة

نظر للاب هنري لامنس اليسوعيّ

تجوّل حديثاً رئيس المجمع العلميّ العربي في دمشق جناب السيّد محمّد كرد علي في نواحي اوربّة فساقهُ القدر الى اسبانية حيث سُرّ باكتشاف الاندلس العربيّة .

على اعتراضات المراطقة . طُبع في رومية سنة ١٦٨٠

٣٠٣ ﴿جوليان﴾ الاب ميشال اليسوعي (P. Michel Julien) المتوفّى في غرّة كانون الثاني سنة ١٩١١ . عُرّب لهُ وطُبع سنة ١٨٨٤ كتابهُ المعنون «سياحة حديثة في بلاد صيد الشلى» . ونشر في جريدة البشير ومجلة المشرق عدّة مقالات اثريّة وعلميّة واخلاقيّة . وتآليفهُ في اللغة الفرنسويّة متعدّدة مدار معظمها عن الشرق مثل كتابهِ عن وصف بعلبك وكتابهِ عن تاريخ رسالة الآباء اليسوعيين الحديثة في سوريّة وغير ذلك لاسيّما كتبهُ الرياضيّة الشهيرة وخلّف آثارًا تاريخيّة وعلميّة مخطوطة

٣٠٤ ﴿جوهر﴾ الياس من كتبة القرن العاشر . لهُ في مكتبة الفاتيكانيّة (ع ١٥٧) كتاب «وافقة الايمان بين اليعاقبة والنساطرة والملكيين» . وفي مكتبتنا الشرقيّة في بعض مجاميعها تسبحة لله تعالى قالها «ايليا الجوهري الكلداني» يذكر فيها كمالاتهِ عزّ وجلّ ويبرز عن عواطف مختلفة من التواضع والاتكال على الله وطلب معونتهِ الخ

٣٠٥ ﴿جيرودو﴾ الاب برنارنتورا اليسوعيّ (P. Bonav. Giraudeau) المتوفّى في ١٤ ايلول سنة ١٧٧٤ نشرت مطبعتنا الكاثوليكيّة كتابهُ المعنون بالامثال الروحيّة معرّباً بقلم المرحوم جرجس زوين سنة ١٨٦٧

٣٠٦ ﴿جيزو ماريا﴾ الاب الكرمليّ من مرسلي الكرمليين في القرن السابع عشر . عرّب كتابهُ منخز الضمير السيّدُ ابرهام البطريرك الارمنيّ (لما بقية)

الانتقاد والدروس التاريخيّة في سوريّة

نظر للاب هنري لامنس اليسوعيّ

تجوّل حديثاً رئيس المجمع العلميّ العربي في دمشق جناب السيّد محمّد كرد علي في نواحي اوربّة فساقهُ القدر الى اسبانية حيث سُرّ باكتشاف الاندلس العربيّة .

فلما عاد الى النيحاء أسرع فنشر في مجلة المجمع العلمي العربي نتيجة ابحاثه في عدة مقالات تحت عنوان «غابر الاندلس وحاضرها» توالت في المجلة من أيار الى ايلول. فمن سرّح فيها البصر لا يسعهُ الّا أن يأسف على كونهِ لم يتمتع بهناء ورغد الاندلس في أيام العرب بل يشعر ببُعد القرن العشرين عن كمال ذاك العهد السعيد فيتنهد خافتاً

كيف لا ويوقفنا كولمبس الاندلس على ما لم يدُرْ بخلدنا فانّهُ يكاد لا يجد في عصرنا اكتشافاً علمياً او اقتصادياً الّا ينسب اختراعهُ الى عرب الاندلس قبل ان يخطر على بال اساطين العلم في اوربة. مثالهُ فنّ الطيران. فانّ اليونان نسبوهُ في خوالي العصور الى «ايكار» الذي حلّق في الجوّ لكنّهُ لسوء حظّهِ بتقرّبهِ من الشمس ذاب الشمع اللاحم بين جسمهِ واجنحتهِ فسقط ميتاً على الحضيض. امّا السيد كرد علي فيحرم ايكار من فضل سبقهِ فينسب اختراع فنّ الطيران الى ابي قاسم بن فرناس فيقول «انهُ اوّل من حاول الطيران من بني الانسان» ولعلّهُ وجد في الاندلس آثار طيّارتهِ فتهلّل فرحاً لهذا الاكتشاف ولو راجع كتابنا «مدارج الترجمة الفرنسويّة العربيّة» (ج. ١ ص٨٩) لرأى انّنا سبقناهُ الى ذكر هذا الطيّار قبل ثلثين سنة اذ نقلنا خبرهُ عن نفح الطيّب المقّري فوسمنا القطعة بعنوان «طيّار عربي»

وممّا رواهُ هناك من الاختراع لاهل قرطبة «انهم اوّل من عُني بتبليط المدن وكذلك إنارة الطرق في الليل عُرفت لاوّل مرّة في قرطبة» ولو حدّق جناب السيد نظرهُ بدمشق وطنهِ لرأى الى اليوم آثار التبليط الروماني. ومثلها انطاكية كما روى يوسيفوس المؤرخ. امّا انارة الطرق فيها فانهُ كان شائعاً في عهد الرومان. ولكن اين الرومان من عرب الاسلام في عين كاتبنا العصري!

وكم هناك ايضاً من المزاعم التي لم يأنف السيد كرد علي من نسبتها الى اهل الاندلس كصناعة الزجاجة وعمل البارود والطباعة على الحروف (راجع المشرق السابق ص٩٦٧). فيا لله كيف جهل انطاء هذا الفضل العميم بل أعموا ابصارهم عن هذه الشموس الساطعة! فليحيَ كولمبس الاندلس ومكتشف عجائبهِ المجهولة

***

ولعلّ السيد كرد علي احقّ واصدق في انتقادهِ المطوّل الذي خصّهُ بكتابنا الحديث عن تاريخ سوريّة (الطلب عدد مجلّة المجمع العلمي العربي ايلول ١٩٢٢ ص

٢٧١—٢٨٢) فشرّفنا بملحوظاته على ما كتبناهُ . ولأنهُ ينتهز الفرصة في مطاوي كتابته ليشعر القرّاء بأفكاره في تسطير التاريخ فلا بأس ان نعرض نحن ايضاً بعض الخواطر في الانتقاد التاريخي (١)

واوّل ما يلزم المنتقدَ علمهُ انَّ التاريخ لا يبلغ مداهُ بزمن محدود فهو احد العلوم التي لا تكمل نهائياً فيدخل في بنائهِ كلَّ يوم عناصر جديدة تزيدهُ كمالاً فلا عجب اذن ان يُصيب رقياً متواصلاً . وانما ينبغي على المنتقد اذا وقف على اثر تاريخي جديد ان يسبرهُ بمعيار العقل ويحكم فيهِ حكماً مجرّداً عن رأيهِ الخاصّ برزانة شأن العقلاء

وقد وجدنا السيّد كرد علي يغلّب غير مرّة مشاعرهُ على الحقيقة الوضعيّة . فلو لم يفتخر باصله من دمشق ولم يتولَّ ادارة المجمع العلميّ الدمشقي لعذرناهُ في نفوره من معاوية ومن بني اميّة فكاد يلومني (ص ٢٧٣) على ما صرفتهُ من السنين الطوال لاثبات مفاخر تلك الدولة التي مدينةٌ لها دمشق باعظم آثارها كما انَّ سوريّة كلها اضحت بفضلها مدّة مئة سنة مركزاً للخلافة . فهو معاوية الذي رفع شأن الفيحاء فجعلها عاصمةً لدولتهِ بعد ان كانت كاحدى شقيقاتها السوريّة وقد حفظت رتبتها هذه الرفيعة حتى في عهد الدولة العبّاسيّة المعادية لاهل الشام والتي يفضّلها السيد كرد علي على دولتهِ الوطنيّة ولقد يسوءني اذ اراني مدفوعاً بحكم الضرورة الى ان اذكر جنابهُ بهذه الاحداث التاريخيّة

وقد لحظنا في مطالعة انتقاد السيّد كرد عليّ انهُ كثيراً ما يستند في مزاعمهِ الى سيديليو كأنهُ اتخذهُ لهُ دليلاً ومرشداً ولو درى لعرف انَّ سيديليو هو اليوم احد الكتبة المُتق الذي لا يتنازل احد المستشرقين لذكرهِ او لتفنيدهِ . ومثلهُ في سعة معارفهِ الشرقيّة الدكتور لوبون الذي زعمت مجلّة المنار المصريّة (١٩ : ٣٤١) «انهُ في مقدّمة المستشرقين الموثوق بهم» وهي على خلاف ذلك (١٩ : ١٦٢) بخست قدر الدوق كايتاني احد ائمة العلوم الشرقيّة في عهدنا . فكفى بالاستناد الى مثل هؤلاء دليلاً على

١) وجذه النسبة نشكر هنا الكتبة الذين تلطّفوا وانتقدوا تاريخنا بكل نزاهة نخصّ منهم بالذكر الكاتبين الاديبين والاستاذين في الجامعة الاميركيّة الدكتور فيليب حتي والسيد افندي رستم فانّا وجدنا انتقادهما كمثالٍ يُقتدى بهِ في وصف المطبوعات

قلّة بضاعة المنتقدين فانّ سيديليو جاهل متعنت ولوبون طبيب شهير وجّه نظره الى الشرقيّات فلم يُصب منها نصيباً وافياً . امّا ميشو فانّ ما كتبهُ سابقاً عن الحروب الصليبيّة كسدت اليوم تجارتهُ بعد نشر المؤلفات الضخمة التي قام بها العلماء الاثبات

امّا كتبة العرب الذين يبالغ السيّد كرد علي في تعظيمهم فكلّ يعلم ان رواياتهم لا يمكن الركون اليها الّا بعد مقارنتها بكتابات المؤرخين المعاصرين من اللاتينيين واليونان والارمن . فلو راجع مجموعة تآليفهم التي تولّى نشرها مجمع العلوم في باريس لأخذ حذرهُ من اقوال بثّ بها حكمهُ جزافاً

ولسنا لنجهل انّ ذلك يستدعي معلومات خاصّة وابحاثاً طويلة الّا انّ الانتقاد لا يقوم الّا بمثل ذلك لمن شاء تزييف آراء غيره وتقويم عوجها . ولولا ذلك لضاعت فائدة المجامع العلميّة فيبقى اصحابها مقيّدين باوهامهم السابقة بدلاً من ان ينفخوا روحاً جديدة في تبعتهم بتوسيع نظرهم وطلب الحقيقة في مظانّها

نعم انّ السيد كرد علي في كلامهِ عن الاندلس يشير الى نيّف وثلثين تأليفاً (بينهم صديقهُ سيديليو) وعدّة مؤلفين اسبانيين لكنّي في شكّ عن اطّلاعهِ عليها او ادراكهِ لمضمونها وقد وجدتهُ في تفسيرهِ للنصوص الافرنسيّة مخطئاً

ومن جملة ما اخذهُ عليّ ذكري في تاريخي (١ : ٢٢٤) «لمطامع صلاح الدين» فوجد اني تجاوزتُ حدود الانصاف بهذه الكلمة ومسّتُ شرف ذاك الرجل العظيم الذي بلغ على زعمهِ كالّا هيات ان يتزوج بهِ شائبةٌ ما . فناشدتك الله أيها السيد انصف بني وصنّ يجوز ان تُنعت ما صنعهُ صلاح الدين لمّا جرّد ابناء نور الدين الايتام من وراثة والدهم وليّه وسيدهِ فاستبدّ بها ؟ وما قولك بخادمٍ تأتمنهُ على مالك فيخونك فيهِ ويخصّهُ بنفسهِ أفلا تدعو عملهُ هذا مطمعاً ؟

كذلك لم تَرُقْ في عين المنتقد كلمتي عن الحروب الصليبيّة اذ دعوتها بوقائع البسالة (héroïques aventures) (١ . كما انهُ لم يَرضَ بقولي (١ : ١٦٦) عن تأثير الفقه الروماني بالفقه الاسلامي فقال «انها دعوى ادّعى بها البعض ولم يأتوا عليها

١) وقد نسب شيخ الاسلام احمد زيني دحلان في كتابهِ الفتوحات الاسلاميّة (٢ : ٢) الى الله عزّ وجلّ الحروب الصليبيّة وعيّنهُ اسباباً وذكر هناك الآيات التي دفعت النصارى الى مباشرتها فليراجع

بحجة ، واحالنا الى ما كتبهُ المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني في المقتطف وهو الذي لم يشتهر بغير معارفهِ اللغويَّة ولم يُحسن معرفة لغة اوربيَّة ونسي شهادة الاختصاصيين كغولدتسير وغويدي ونلّينو ولعلّهُ لم يطّلع على تآليفهم المثبتة لهذا التأثير(١ . ولا نظنُّهُ يردُّ شهادتهم وهو الذي قد ضمَّهم الى مجمعهِ العلميّ واثنى على غولدتسير بعد وفاتهِ . لكني لشكر جناب السيد كرد عليّ على ما كتبهُ عن ابن بطوطة (ص٢٧٤) في اثناء كلامهِ عن ابن تيميَّة . فان هذا السائح لا يستحقّ ما ينسبهُ اليهِ البعض من القَدْر (٢ وقد ادهشني صنيع لجنة بيروت الموكول اليها تعيين اسماء الشوارع اذ اطلقت اسم ابن بطوطة على بعض شوارعها . وعلى كلّ حال لا يُنكر ان علماء دمشق وفقهاءها هم الذين حكموا على ابن تيميَّة واضطرُّوهُ الى ان يقضي حياتهُ في الحبس . وعلى ما أرى انّ ابن تيميَّة كان مدفوعاً الى طلب الاصلاح بغيرةٍ خالية من الغرض . لكنَّهُ كان مخطئاً اذ كان يحكم بالموت على كلّ من كان يخالفهُ في رأيهِ

وقد عرف لبنان تعصُّب ابن تيميَّة يوم أفتى بمحاربة جبل كسروان فدخلتهُ عساكر الدولة المصريَّة سنة ٧٠٥ هـ فقتلوا ونهبوا واسروا (راجع تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ٤٩—٥٠) . وقد حذا حذو ابن تيميَّة تلميذهُ ابن قيّم الجوزيَّة في تعصُّبهِ فنالهُ مثلهُ محنٌ كثيرة في دمشق . ومن عجيب امرهما انَّ الوهابيين اليوم والمسلمين الارتجاعيين يتنازعون نسبتهما اليهم . فندع للسيّد كرد عليّ ان يقضي بينهم ويبيّن اي حزب كان الارتجاعيّ أهو ابنُ تيميَّة وتلميذهُ او علماء دمشق الذين طرحوهما في السجن

***

وقد حان الوقت لتعريف خطَّة العرب التاريخيَّة وبيان مبلغهم من النقد الصحيح حتى اكبرهم شأناً كالطبري والبلاذري وابن سعد وصاحب كتاب الاغاني وغيرهم . فانّ المستشرقين قد حكموا في ذلك حكماً فصلاً منذ زمن مديد على خلاف

١) الطب في المشرق السابق (ص ٨٩٨—٩٠٣) مقالة الاديب لويس دي برون ردًّا على عارف بك النكدي في هذا الصدد

٢) راجع محاضرتنا المنشورة La Vie Universitaire à Beyrouth sous les Romains et le Bas-Empire, *Le Caire*, 1921

الشرقيين. فانَّ علماء اوربَّة الأثبات قد صرَّحوا — والامر اضوأ من الشمس — بانَّ كتبة التاريخ عند العرب كالطبريّ وغيره ليسوا بحصر الكلام مؤرخين وانَّما هم فقط اخباريُّون يروون كاصحاب الحديث البخاري ومسلم وغيرهما ما سمعوهُ وبلغهم من الاخبار على علّاته واختلاف المرويَّات المتباينة بل المتضادَّة دون ان يحكموا في صحيحها او فاسدها

هذه مثلًا واقعة اليرموك فان راجعتَ ما كتبهُ فيها مؤرخو العرب توالت امام عينك صُحفهم واحاديث رواتهم على طريقة مملَّة مزعجة فلا ترى سوى قولهم "حدَّث فلان عن فلان" وكلّ حديث يخالف ما سبقهُ وربَّما نفاهُ من اصلهِ . فيُصبح القارئ في آخر الامر متحيّرًا مشوَّشًا لا يدري شيئًا من حقيقة الامر. ولا ننكر انَّ في ذلك نفعًا اذ بهِ يتمكَّن الخلف من الوقوف على اختلاف آراء السَّلف وانَّما كان الواجب على المؤرخ ان يعمل هو في تلك المرويَّات نظر الانتقاد فيفرز بين الغثّ والسمين وبين الباطل واليقين. فانَّ هذه هي اوَّل صفات المؤرخ لاسيما اذا كان معاصرًا للوقائع. وغاية ما يقال عن اولئك الكتبة الاقدمين انَّهم اعدُّوا لنا موادَّ البناية وعلينا ينبغي ان نشيد البناء .

وان قيل هذا ما فعلهُ المؤرخون من بعدهم كابن الاثير وابي الفداء وابن خلدون. قُلنا انَّ هؤلاء الكتبة لم يذكروا الامور كما وقعت وانَّما حرَّروها كما تصوَّروها وشاعت في زمانهم بعد وقوعها بقرون عديدة واصبحت كرواية رسميَّة تشوَّهت بتنقُّلها من راوٍ الى آخر بحيث يصعب الحكم في صحَّتها

وممَّا يجب الاشارة اليهِ حتى في روايات الطبري وامثالهِ انَّهم كتبوا تاريخهم نحو ٣٠٠ سنة بعد حدوث الوقائع فرووا احاديثَ لاخلاطِ الناس بينهم العالم والأمي والصادق والمتحزّب. ومن ثمَّ يجب على الكاتب العصري ان يُعارض اقاويل كتبة العرب بما رواهُ غيرهم من الاجانب كاليونان والسريان والفرنج . فمَن اراد في زماننا ان يكتب تاريخ الحرب الكونيَّة فانَّهُ لا يكتفي بما روتهُ الدول المتحالفة بل يقتضي عليهِ مراجعة ما يرويهِ الخصوم. وهذا ما توخَّيناهُ في كتابنا تاريخ سوريَّة

ومن ثمَّ لا نرى السيّد كرد علي مصيبًا اذ يعارض ما اثبتناهُ من الارقام (١ : ٥٦) عن واقعة اليرموك بارقام الطبريّ . وهي لعمري مسئلة تستدعي بعض

الايضاحات . فانَّ للارقام في التاريخ العربيّ سراباً ربّما انخدع به النظار فأدّى بهم الى اضلّ الضلال

***

وليست اوهام الارقام حديثةً . فان يوسيفوس اليهودي في تاريخه زعم ان معاملة الجليل وحدها في فلسطين بلغت في عهد السيد المسيح عدّة ملايين من البشر . وعلى زعمه هذا قاس الصهيونيّون المحدثون زعمهم بان قسماً كبيراً من اليهود يمكنهم ان يستوطنوا فلسطين . والى رأيهم هذا جنح السير هربرت صموئيل المفوّض السامي البريطاني هناك . وكذلك زعم بعض السوريين انَّ عشرين مليوناً من النفوس بل ثلثين ايضاً كانوا يسكنون في بلاد الشام على عهد الرومان

ولسنا لننكر انَّ سوريّة في ذلك الوقت كانت اخصب منها اليوم بكثير وانّها لم تُصَبْ بما استولى بعد ذلك من الخراب على كثير من انحائها المخصبة فكان فيها المدن العامرة كالتيسريّة واقامية (١ ولاسيما انطاكية التي كان يبلغ عدد سكانها الى ٣٠٠،٠٠٠ وهي اليوم لا تزيد عن ٢٥،٠٠٠ الى ٣٠،٠٠٠ . وعلى خلاف ذلك كم من مدينة بدت اليوم ضعفي وثلاثة اضعاف نفوسها سابقاً كدمشق وبيروت . فهذه جبال العلويين ولبنان التي كادت تكون قديماً خلواً من السكان يبلغ اليوم عددهم نحو ٦٠٠،٠٠٠ ولا نظنّ انَّ العالم الالماني بلوك (Block) تجاوز حدود الحقّ بقوله انَّ سوريّة في اوج رقيها على عهد الرومان لم يزد عدد اهلها على سبعة ملايين من النفوس . لا شكّ ان الوسائل الاقتصاديّة التي أُتصل اليها لعصرنا تعين على توفير السكان وإعالتهم ولكن لسنا على يقين بتسرّ هذا العدد الى ان يبلغ ضعفه . وسيرينا المستقبل الخبر الصحيح

امّا النتيجة من كلّ ذلك انه من الواجب اللازب على المتقدمين ألّا ينخدعوا بالارقام . فان علم الاحصاءات من ادقّ الامور التي يستدعي التصرّف بها حذقاً عظيماً . وكلّ يعلم ان غليوم الثاني الامبراطور الالماني السابق في التغنّب الذي شربه

١) امّا مدينة النعمان التي زعم السيد كرد علي أنّها كانت من أمهات المدن فانَّ مؤرخي العرب تقسم بدعوتها حرت لا تخالف ما دعوناها به اي مدينة غير مهمة (une bicoque) وانما يطرقون خصبها فقط

بدمشق بلغ عدد المسلمين في العالم ٣٠٠ مليون وكان السيد كرد علي في ذلك الوقت في عنفوان الشباب فعلقت تلك الكلمة في قلبه حتى كررها في العدد الاخير من مجلة المجمع العلمي (ص ٢٧٥) وابى ان يجري في هذا الاحصاء على آثار صاحب المنار الذي جعل عدد المسلمين ٣٦٠ مليوناً وبلغه غيره الى ٤٠٠ مليون . غير انَّ ذوي الانتقاد من محبي الاسلام نفسهم قد اثبتوا انَّ عدد المسلمين لا يتجاوز ستين مليون . فبيَّنوا ان تبعة الشريعة المحمديَّة في الصين يتراوح بين سبعة الى ثمانية ملايين ليس ٣٠ الى ٤٠ مليوناً . وكانوا يحصون سابقاً في مراكش ١٢ مليوناً فثبت بالاحصاء الاخير انهم ثلاثة ملايين فقط وكذلك المسلمون في الدرفور فانَّ العدد الشائع سابقاً هبط من ثلاثة ملايين الى ٥٠٠،٠٠٠ نسمة ومثلها واداي (افريقية) كانوا يزعمون انَّ المسلمين فيها ثلاثة ملايين ونصف وتحقَّقوا اليوم انهم مليونٌ فقط . ومن اراد الوقوف على هذه الاحصاءات عليه بمجلة العالم الاسلامي الانكليزيَّة (The Moslem World) في عددها نيسان ١٩١٤ ص ١٤٥ الخ والمجلَّة الاسلاميَّة الالمانية (Die Welt des Islams, 1914, p. 277) ومنها احصاء الاختصاصي الالماني وسترمان . وكان المستشرق مرتين هرتمان احد المُعجبين بالاسلام بلغ الى النتيجة ذاتها بعد الابحاث المدقَّقة . أمَّا سبب هذا الاختلاف الكبير في الاحصاءات فثقة ناشريها بمعلومات حدسيَّة وتخمينيَّة لبعض السيَّاح الذين كانوا يزعمون ان معظم الامم في افريقية الغربيَّة والوسطى يدينون بالاسلام . فجاءت الابحاث الجديدة تُبطل هذه المزاعم الفارغة (Revue du Monde Musulman, XLIX, 124 sq) بل تثبت هبوط عدد المسلمين في بعض الانحاء . أمَّا البلاد التي هي واقعة تحت حكم الدول الاجنبيَّة كالهند فانَّ عددهم في نموّ لتوفُّر الاسباب الاقتصاديَّة والصحيَّة فيها

ومن مبالغات السيد كرد علي الظاهرة في كتابه عن الاندلس (ص ٢٢٨) انَّها على عهد الحضارة العربيَّة كانت تحتوي "اربعين مليون نسمة من ارباب الصنائع والعمل" (كذا) ويقابل بين عددهم هذا وعدد اهل اسبانية اليوم البالغين ٢١ مليوناً . ثمَّ ألحق قولهُ "بالخمسة الالاف الف الف الف" (كذا) من الدنانير ٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ التي خلَّفها عبد الرحمان الناصر في بيوت دواليه وهو مبلغ لم يحلم به اصحاب قصص الف ليلة وليلة وهذا كلهُ على زعمهِ من النقود الذهبيَّة (حجر) ومن المعلوم انَّ مجموع نقود

الدول كلها في زماننا لا تبلغ الى عُشر هذا القدر وخزائن جميع الملوك لا يمكنها ان تحويهُ . فما قول السيّد كرد عليّ بهذه الارقام السحريّة !!

وقد أنف جنابهُ من قولي عن جيش الروم في واقعة اليرموك (١ : ٥٦) أنهُ لم يزد كثيراً عن جيش العرب فدعنا نذكر بعض الارقام الخرافيّة التي يرويها مؤرخو الاسلام لينظر جنابهُ ايمكننا ان نستند الى اقوالهم في احصاءاتهم . قال الواقدي من مشاهير المؤرخين واقدمهم وعنهُ روى البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٤١) انَّ معاوية لمَّا فتح قيسارية « وجد فيها من المرتزقة سبعمائة الف ومن السامرة ثلثين الفاً ومن اليهود مائتي الف وكان يحرسها في كلّ ليلة على سورها مائة الف » ولم يذكر عدد النصارى الذين كانوا جلّ سكان قيسارية في ذلك الزمان ومن ثمَّ يجب القول ان اهل قيسارية كانوا اوفر عدداً من عاصمة الانكليز حاضراً

فكل هذه ارقامٌ صبيانيّة لا يستطيع العاقل ان يركن اليها . ولذلك لم نسلم للسيّد كرد علي بقوله ان الصليبيين قتلوا مئة الف من اهل معرّة النعمان فانَّ المعرّة وما يلحق بها لم يبلغ سكانها هذا العدد لاسيّما ان اليعقوبي في كتاب البلدان (ص ١١١) ذكرها في القرن الثالث للهجرة وقال عنها « معرّة النعمان مدينة قديمة خراب واهلها تنوخ » . أمّا اليرموك فلو راجع جناب السيّد كرد علي تاريخ الروم في ذلك العهد لرأى في اي حالة كانت دولتهم بعد حروب دامت ١٥ سنة وانهكت قواهم حتى انَّ هرقل الملك لمَّا اراد محاربة الفرس لم يمكنهُ ان يجند اكثر من عشرة آلاف رجل وبهم فاز بالغلبة . أفيمكننا ان نوافق كتبة العرب بعد هذا ونسلم لهم بان جيش الروم كان يبلغ في واقعة اليرموك مائتي الف جنديّ ؟ فتأمّل

اني اقف عند هذا الحدّ وأحيل جناب رئيس المجمع العلمي الى كتب ائمة المستشرقين كولموزن وكايتاني لعلّهما يقنعانهِ بما كتباهُ عن احصاءات العرب . وان أسمتُ في الكلام عن ذلك فنعلتُ تحذيراً للكتبة من هذه الروايات الفريّة التي ينخدع بها رجال من نخبة وطننا وارقاهم علماً وذكاء كالسيّد كرد علي . هذا واصون نفسي في الختام عن تكرار كلمة قالها متهكماً (ص ٢٨٠) : « انَّ الغاية تبرّر الواسطة (١) » وانّما اقول : « لا عصمة الّا لله »

١) راجع مقالة المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٤٢٣-٤٣٠) تفنيداً لهذا المبدأ المنسوب زوراً الى اليسوعيين فظنّ السيّد كرد علي انهُ يمكننا بذكره !!

تذكار الموتى في الكنائس الشرقيّة

نظر تاريخي لاهوتيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كنيسة المسيح وفروعها الثلثة

يعلم المؤمنون ان كنيسة المسيح الواحدة الجامعة تُقسم على ثلثة فروع اي الكنيسة المجاهدة وهي المتألفة من ابنائها المجاهدين على الارض لخلاص نفوسهم ضدّ اعدائهم الثلثة اي الارواح الشريرة خزاها الله والعالم والشهوات . ثمّ الكنيسة المظفَّرة وهي مجموع النفوس الصالحة التي بعد عمادها وجهادها فازت باكليل الظفر فتتمتَّع برؤيا الله وبالافراح السرمديَّة . امَّا الفرع الثالث فتؤلفهُ الكنيسة المتطهِّرة اي النفوس التي تفي لعدل الله ببقيَّة دَيْن عليها لآثام سابقة غُفرت لها او لخطايا خفيفة مات الانسان ونفسهُ مدنَّسة بها . فاذا سدَّدت حسابها ووفت دينها تحظى بنعيم الابرار

وقد سبق لنا قبل عامين (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٩٢٧–٩٣١) نشر مقالة عن الكنيسة الظافرة التي تقيم لها البيعة موسماً حافلاً في غرَّة تشرين الثاني وهو عيد جميع القديسين . على انَّ لهذا العيد ملحقاً ضربنا عنهُ الصفح اذ ذاك وفي فكرنا ان نعود اليهِ في فرصة سانحة نزيد بهِ تذكار الموتى الذي تخصُّ بهِ الكنيسة الرومانيَّة اليوم التالي اي ٢ تشرين الثاني تفرده لذكرى ابنائها المتطهِّرين . فاياهُ قصدنا في هذه العجالة بمناسبة وقوعهِ قريباً من صدور هذا العدد من مجلَّتنا

***

لو لحظنا حالة البشر عند انتقالهم من هذه الحياة الفانية لوجدناهم من حيث آداب سلوكهم على صور متباينة . فترى بينهم الرجل الصالح الصدّيق الذي قضى عمرهُ باعمال البرّ والرحمة واضحى قدوةً حيَّة لاهل زمانهِ بممارسة الفضائل السامية طول حياتهِ فرحل والكلّ لسان واحد في اطراء قداستهِ والتمنّي بان تكون آخرتهم كآخرتهِ يردّدون مع القائل (عدد ٢٣ : ١٠) : « فلتمُت نفسي موت الابرار » . فذلك

احد اولياء الله الذين يسكنون جنانهُ ويخلّدون في سمائهِ وبهم يستشفع الناس لكرامتهم عند خالقهم

ومنهم على خلاف ذلك الاشقياء الاشرار الذين عاشوا في اقتراف الآثام غمطوا نعمة خالقهم واوسعوا القريب ظلماً واستسلموا الى شهوات قلوبهم فاذا حصدهم الموت بمنجلهِ لا ترى احداً يرحمهم بل يشكر الله على نجاة العالم من شرورهم . فهؤلاء الأئمة الكفرة ينتظرهم دينانهم لينالوا جزاء ما جنت ايديهم فيلقيهم مع الابالسة في عذابات الجحيم وجهنّم النار حيث لا امل للنجاة على مدى الادهار

ومنهم قوم وَسَط عاشوا عيشةً مرضيّة واستكفوا من اعمال الاشرار وانما نالهم شيء من شوائب عالمهم وإنْ سَلِموا من الكبائر لم يسلموا من اللّمم والصغائر . ولعلّهم اجترحوا شيئاً من الذنوب لكنّهم تابوا عنها متيبين الى خالقهم وانما بقي عليهم شيء من تبعتها . فان ادرك الموت هؤلاء لا يرضى عدلُ الله بان يكون نصيبهم مع الاشرار الطالحين . كما انهُ لا يضمّهم الى زمرة اوليائهِ القديسين وفي نفوسهم ما فيها من الادناس وان خفيفة لأن دار الخُلد « لا يشوبها شيء دنس » (الحكمة ٧ : ٢٥)

فتقتضي حكمة الله ان يطهّر هؤلاء من آثار خطيئتهم ويُرَحضوا من تبعة آثامهم بعقاب زمني حتى اذا وفوا ما عليهم من الدين لعدلهِ تعالى تُكسر اغلالهم وتصعد نفوسهم الى الاخدار السماويّة . وهذا ما اتّفق عليهِ كلّ ذوي العقول الصائبة من كلّ الاديان فجعلوا لتلك النفوس حبساً موقّتاً تفي بهِ عن جرائرها . وقد دعت الكنيسة الكاثوليكيّة هذا السجن الموقّت باسم الطهر ونعمّ الاسم المطابق للمسمّى . ولا بأس بان يُدعى باسم آخر على شرط بقاء المعنى كدار الوفاء وسجن الموتى ومقام التكفير وغير ذلك . وقد شاع عند المسلمين اسم عذاب القبر

اثبات حقيقة المطهر بالنقل وآيات الاسفار المقدسة

وما يدلُّ عليهِ العقل السليم يؤيّده النقل وتقليد الكنيسة . فانّ طوبيّا الشيخ اوصى ابنهُ (٤ : ١٨) « ان يضع خبزهُ وخمرهُ على مدفن البار » وذلك تزكيةً لنفسهِ من شوائبها . وكذلك ارسل يهوذا المكابي اثني درهم فضّة الى اورشليم لتقدمة

ذبيحة عن النفس الذين سقطوا في ساحة الحرب بعد اختلاسهم شيئاً من الغنائم . فاستحسن الكتاب صنيعهُ وختمهُ بقولهِ (٢ مكابيين ١٢ : ٤٦) : « هو رأي مقدَّس تقوي تقدمة الكفارة عن الموتى ليُحَلُّوا من الخطيئة » فصرَّح بانَّ في الحياة الآخرة مكاناً تُغفر فيهِ الذنوب ويكفَّر عنها بتقادم المؤمنين

والى هذا السجن المطهري اشار السيّد المسيح بقولهِ كما فسَّرهُ الآباء (متى ١٢ : ٣٢) : « من قال كلمةً على ابن البشر يُغفَر لهُ واما من قال على الروح القدس فلا يُغفر لهُ لا في هذا الدهر ولا في الآتي » فاستدلُّوا بهِ على وجود مكان تقضي فيهِ النفوس في الدهر الآتي ما عليها من العقاب لزوال المغفرة

وكذلك فسَّر الآباء كبريانوس واوريجانس وايرونيموس قول الربّ (متى ٥ : ٢٥) عن « موافقة الانسان لخصمهِ ما دام معهُ في الطريق » لئلَّا يُسلمهُ الخصم الى القاضي والقاضي الى الشرطي فيُلقى في السجن ولا يخرج منهُ حتى يوفيَ آخر فلس » قالوا انَّ هذا السجن الذي يمكن الخروج منهُ بعد وفاء الدين هو محلّ تطهير النفوس

وفي رسالة القديس بولس الاولى الى اهل قورنتس (٣ : ١١—١٥) يذكر انتقاد اعمال الانسان يوم ظهور الربّ فتمتحن النار عملَ كل واحد ما هو أذهب او فضَّة او حجارة ثمينة او خشب او حشيش او تبن . فمن احترق عملهُ فسيخسر لا انهُ سيخلص كما يخلص من يمرّ بالنار » . فالنار التي يمكن الانسان ان ينجو بها ليست نار جهنَّم وهي ابديَّة كما قال الرب (متى ٢٥ : ٤١) وانما هي نار مؤقتة لتنقية الزلات التي يمكن النجاة منها اذ قال عن الممتحن بها « انهُ سيخلص كما يخلص من يمرّ في النار »

واوَّل من سبق من آباء الكنيسة اللاتينية فذكر صلوات البيعة وتقادمها لاجل الموتى ترتليانوس المعلّم في القرن الثالث للمسيح . فانهُ في كتابهِ عن وحدة الزواج (de Monogamia) « يذكر صلاة الزوجة لاجل راحة نفس زوجها المتنيح » (refrigerium adpostulat ei) وتقادمها السنويَّة يوم وفاتهِ (Migne, P. L., II col. 992) . ويكرّر مثل هذا في كتابهِ المنون بالاكليل (pro Corona, ib. II,99) فيقول عن لسان الكنيسة : « انَّنا نقدّم القرابين عن نفوس الموتى كلَّ سنة يوم انتقالهم » (Oblationes pro defunctis pro natalitiis annua die facimus) وينسب ذلك الى تقليد سابق (traditio ibi prætenditur auctrix)

ومثلهُ معاصرهُ رئيس اساقفة قرطجنّة القديس قبريانوس في رسالته الثانية والخمسين (Migne, P. L. III, col. 810-811) فانهُ يميّز ثلاث حالات بعد الموت كما قلنا اي حال القديسين الذين يكللون حالاً بعد موتهم (Statim a Deo coronari) وحال الاشرار في عذابات الجحيم الابديّة. وحال المطهر حيث يتطهّر الانسان بالنار (purgari diu igne) قبل ان يفوز بالمجد السماوي . ويقول هناك انّ الكنيسة يمكنها ان تسعف هذه النفوس المتطهرة بما تقدّمهُ لاجلها من الصلوات وبتقدمة الذبيحة المقدّسة على نيّتها

ومثلهما في القرن الخامس معلّما الكنيسة الكبيران القديس امبروسيوس رئيس اساقفة ميلانو والقديس اوغسطينوس اسقف بونة فانهما يصرّحان بوجود عذاب موقّت وهو النار لرحض النفوس من بقيّة آثامها قبل حظوتها بالفردوس. وذلك في شرحهما لآية بولس الرسول السابق ذكرها فقال امبروسيوس (Migne, P. L., XVII,col 112) «بين الرسول في هذه الآية انّ ذلك الميت سينال الخلاص لكنّهُ يُعذّب بالنار التي ستطهّرهُ» «ostendit quidem salvum illum futurum, sed pœnas ignis passurum, ut per ignem purgatus, salvus fiat» . وقال اوغسطينوس في تفسيره المزمور السابع والثلثين : «طهّرني يا ربّ في هذه الحياة فلا احتاج الى تلك النار المنظّفة المعدّة لاولئك الذين يخلصون كمن يخلص بالنار

ولا يخالف الآباء الشرقيّون معلمي الكنيسة الغربيّة فانهم يذكرون منهم حالةً وسطى بين السماء والجحيم تجتاز بها النفوس المحتاجة الى تكفير وتطهير. منهم القديس ديونيس الاريوباجي في كتابهِ عن سرّ الرئاسة الكنسيّة . يذكر صلاة الكاهن الى الجودة الالهيّة لتغفر للمتنيّح خطاياهُ التي اجترحها من قِبَل الضعف البشريّ فينتقل الى الضياء ومكان الحياة الخالي من كلّ حزن وألم . ويقول في محل آخر «انّ تلك التقادم والصلوات لا تفيد نفوس الاشرار شيئاً» دلالة على الهالكين الى الابد

وقد افادنا اوسابيوس ابو التاريخ الكنسيّ في حياة قسطنطين (ك ٤ ف ٧١) «انّ الكهنة والمؤمنين تقاطروا عند المذبح حيث عُرضت جثّةُ الصلاة التي لهُ عن نفسهِ»

ومن أقدم آباء الكنيسة الشرقيّة في اواسط القرن الرابع القديس كيرلس الاورشليميّ في شروحهِ للمعتقدات المسيحيّة (Cyrillus Hieros., *Migne*, P. G. XXXIII, col. 1116) يقول انّ الكنيسة بعد ذكرها للقديسين «تقدّم الذبيحة لاجل الآباء والاساقفة وكلّ المؤمنين الراقدين بيننا لعلمنا انّ صلاتنا لاجلهم تفيد نفوسهم افادةً عظيمةً»

وفي ميامر القديسين الثلاثة الاقدار عدّة نصوص تؤيّد هذه الحقيقة. فان القديس يوحنّا فم الذهب وغريغوريوس الناولوغوس في شرحهما لآية بولس السابق ذكرها يصرّحان باجلى بيان عن وجود نار مطهّرة ينجومنها بعد حين الذين لم يتمّ تكفيرهم عن خطاياهم. وقد ذكر يوحنّا فم الذهب في شرحهِ هناك محرقات أيوب البارّ (سفره ١: ٥) عن ابنائهِ ليقدّسهم فاردف قائلًا: «ايمكننا بعد ذلك ان نرتاب في مفعول صلواتنا وتقادمنا لاجل الموتى. فلا نحرم اذن من هذا الاسعاف اولئك الذين فارقونا» (Migne, P. G., LXI, col. 361). وقد اعاد قوله هذا في شرحهِ على رسالة القديس بولس الى اهل فيلبي حيث يقول «انّ الرسل وضعوا الصلوات لاجل الموتى لانهم يأتيهم باسعاف عظيم وفائدة كبيرة» (Migne, LXII, col, 197)

لا بل افادنا معاصرهُ القديس ابيفانيوس انّها كانت عادة مألوفة في زمانهِ ان تُذكر في الكنيسة اسماء الموتى الذين تقدّم الذبيحة لاجلهم (Epiphane, *Panarion* III, II, 21)

ولنا في الكنيسة السريانيّة شهادة ملفانها العظيم القديس افرام الذي في ميمره الثالث على سحق الكبرياء يقول: «أمّا يخطر ببالك تلك النار التي ستمرّ فيها جميعنا فاذا اجتزنا فيها دون معاينعرف ذواتنا فان ذلك اليوم سيوضح حالة كل واحد كما جاء في الكتاب «انهُ بالنار يُختبر». وقد طلب من اخوتهِ في وصيّتهِ الاخيرة «ان يشيّعوا جسدهُ بتلاوة الصلوات وترتيل المزامير»

المطهر في الآثار النصرانيّة القديمة

انّ الاثريين في هذه القرون الاخيرة قد استخرجوا من باطن الارض آثارًا عديدة تنطق باعتقاد النصارى الاوّلين للمطهر وفائدة الصلوات والقرابين لاجل راحة نفوسهم

فمن ذلك عدّة تماثيل وصور ونقوش على نواويس الموتى تبيّن لاوّل وهلة غاية مصوّريها ليذكرهم الاحياء ويصلّوا لاجلهم فترى هناك ما يدلّ على محن النفوس ونجاتها منها كنوح في الطوفان ويوسف في السجن والاسرائيليين في اجتياز بحر القلزم ويونان في فم الحوت ودانيال في جبّ الاسود وسوسنّة في ايدي المفترين. فما اختار المصوّرون تلك الرسوم الّا للدلالة على ضيقة النفوس في العالم الآخر وتحريك الناظرين اليها للصلاة عن اجلهم

وكثيراً ما ترى في دياميس رومية كتابات على قبور الموتى تستمدّ الصلاة عن لسانهم لراحة نفوسهم وتبريد اوجاعهم والسلام لارواحهم والغفران عن آثامهم . وليست الادعية المرقومة هناك سوى دليل صريح على هذا المعتقد. فعلى كلّ قبر تجد اقوالاً كهذه : « فليرقدْ الميت بالسلام. فليحيَ بالسلام. فليترح بسلام الربّ. فلينَلْ الراحة الابديّة. فليحظَ بتبريد النفس والنور الابديّ . فليقاسم الملائكة نعيمهم . فليسكن مع الله. ارحم يا ربّ عبدك فلان . بشفاعة امّ الله او الشهيد فلان اصفح يا ربّ عن آثام فلان المتنيّح »

ومثل هذه الكتابات ألوف مؤلفة وُجدت حيثما كانت النصرانيّة قد انتشرت في رومية وايطالية في جنوبي وشرقي فرنسة في انحاء مصر في اصقاع افريقية في سواحل الشام في بلاد الاناضول واليونان يتألّف من مجموعها مجلّدات ضخمة وهذا لعمري من اعظم البراهين لاثبات معتقد الكنيسة الجامعة بالمطهر

الليترجيات الكنسيّة

هذا دليل آخر يرتقي الى اوائل النصرانيّة . معلوم انّ تقدمة الذبائح والصلوات الطقسيّة شاعت في الكنيسة منذ عهد الرُسل وان اختلفت بعدهم صورةً وهيأة لم تختلف جوهراً ومعنًى . والحال لو استقريتَ هذه الليترجيّات الغربيّة والشرقيّة معاً وجدتها كلّها متّفقة في معتقد حالةً متوسّطة بين السماء والجحيم تقضي فيها النفوس زمناً معلوماً ريثما ترحض ما عليها من الذنوب فتصلّي الكنيسة الى الله وتستشفع بالقديسين لتنجوا من عذابها وتحظى بالنور والراحة الابديّة

وللكنيسة الرومانيّة صلوات يوميّة لاجل الموتى يردّدها الكاهن في القدّاس في وقت التقدمة للآب الازلي ثمّ بعد كلام التقديس اذ يقول : « اذكر يا ربّ عبيدك

واماءك الذين سبقونا بسمة الايمان وهم راقدون رقاد السلام. نسألك يا رب ان تجرد على هؤلاء وعلى جميع الراقدين بالمسيح وتمنحهم متطلّفاً مقرّ الراحة والنور بالمسيح ربنا ».

امّا الكنيسة اليونانيّة فانّها بصلواتها لاجل الموتى تُعلن بمعتقدها في المطهر وفي فاعليّة الصلاة والذبيحة في تليين اوجاعهم وخلاصهم . فقد جاء في ليتورجيا القديس يوحنّا فم الذهب : « ايضاً نقرّب لك هذه الذبيحة النطقيّة من اجل المتنيّحين بامانة الاجداد والآباء . . . وروح كلّ صدّيق توفّي على الامانة » ثمّ تتبعها بقولها : « من اجل مسامحة نفس عبدك (فلان) وراحتها في مكان نيّر حيث عدم الوجع والتنهّد فنيّحها يا رب وأرحها حيث يُشرق نور وجهك ».

وفي ليتورجيا القديس باسيليوس مثل هذه الصلاة تقدّم عليها قولها : « اذكر يا رب جميع المتوفين على رجاء قيامة الحياة الابديّة ».

وان اعتبرنا صلوات التجنيزات في الافخولوجيون الكبير وجدنا من الشواهد ما تقصر عن ذكره صفحاتنا سواء قيلت الصلوات من نفوس العلمانيين او الكهنة او الرهبان فانّها لا تختلف في اعتقاد وجود الموتى في محلّ التطهير وفي قوّة الصلوات لنجاتهم كفى بذلك الصلاة الآتية :

« يا إله الارواح والاجساد كلّها . يا من وطئت الموت بالموت وابطلت قوّة الشيطان ومنحت الحياة للعالم انت يا ربّ نيّح نفس عبدك هذا الراقد في مكان نيّر في موضع خضرة في مقرّ راحة حيث زوال الشدّة والحزن والتنهّد وبما انك صالح ومحب البشر اغفر لهُ كلّ خطيئة فعلها بالقول او بالفعل او بالفكر لان ليس انسان يحيا ولا يخطئ الّا انت وحدك بريء من الخطإ وعدلك عدل الى الابد وقولك حق وانت انت هو القيامة والحياة والراحة والنياح لعبدك الراقد أيّها المسيح الهنا »

وتتّفق الكنيسة الارمنيّة مع الكنيسة اللاتينيّة واليونانيّة في ايمانها بحالة النفوس المتطهّرة وبالصلاة وتقدمة القرابين لاجل خلاصها . وهي تخصص لذكرها بعض الأيام كسحر سبت المرفع وسحر سبت المنصرة . فما يقوله الكاهن هناك :

« أيّها السيّد المسيح نيّح نفوس شعبك المؤمن الذين بالامانة قضوا الحياة على انواع شتّى وفي كلّ مكان وبلاد واقذهم من العقوبات المرّة التي في الجحيم . . . نيّح ايضاً الرب من آلامهم الذين انتقلوا منّا يا انك محب البشر ونزّق صكّ خطاياهم يا من طعن جنبك بحربة فأحقتنا واهلهم لمياه قديسيك وأسكنهم في النعيم الابديّ . . . نيّحهم يا الله عند ما تنيّح كلّ احد بالناره

ولا تشذّ عن الكنائس السابقة الكنائس السريانيّة اي السريان والكلدان والموارنة فانّ كتبهم الطقسيّة مشحونة بذكر الموتى والصلاة لاجل نفوسهم ليفوزوا بالراحة الابديّة. فما تنشده الكنيسة السريانيّة في طقوسها قولُ مار افرام نقلًا عن مداريشه :

انّ الايمان يضطرّنا ان نذكر موتى البيعة في الصلاة والقرابين والصدقات وقد اوصى المسيح كنيستهُ ان لا تُهمل ذكرهم بل تزوّدهم زادًا صالحًا هو النفران والصلوات وتبتهل الى رب الكل ان يورثهم الملكوت

وهي تترنّم بقولهِ ايضاً :

ان كان القضيب المقطوع ينتعش برائحة الماء والتربة ثمّ يفرّخ ويثمر فكم بالحري يورد الموتى الراقدون بالمسيح الحياة ويبتهجون برائحة جسدهِ ودمهِ

وكذلك نقلت الكنيسة السريانيّة في صباح جمعة الموتى وجمعة الفرباء هذه التسبحة من صلاتها الكبير يعقوب السروجيّ الملفان :

من امتازت نفسهُ بحبّه تعالى عليهِ ان يُبدي محبّتهُ للميت ولا ينساهُ ويورد ذكرهُ امام الله في الهيكل المقدّس بواسطة القرابين والتذكارات والصلوات . وفي من البرهان انّ الموتى ينتفعون من القرابين التي يقدّمها الاحياء كما ورد في سفر المكابيين . . . ان جميع الموتى يستنشقون الحياة من الانبعاث الصادر من جسد ابن الله وينالون الخيرة

ومثل هذه التذكارات والصلوات لراحة الموتى كثير في طقوس الكنيسة المارونيّة فانّها تكرّر في قدّاسها وفرائضها وجنّازاتها مرارًا ذكر المتنيحين وتستعطف مراحمهُ تعالى لاجلهم لينقذ نفوسهم من اوجاعها ويشركها بافراح القديسين

وممّا تتلوهُ الكنيسة القبطيّة في ليتورجيّتها قولها :

« اذكر يا ربّ انفس عبيدك ابائنا واخوتنا الراقدين . . تفضّل يا ربّ نيّح انفسهم اجمعين في حضن آبائنا القديسين. أحلّهم في موضع خضرة على ماء الراحة في فردوس النعيم حيث يزول كلّ وجع وكآبة وتنهّد في نور قديسيك وانعم عليهم بالخيرات التي لم ترها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلب بشر . . . فان كان لحقهم توانٍ او كسل بما اتمّ بشريّون لابسون الجسد فاغفر لهم ايّها الصالح ومحبّ البشر فانّهُ ليس احد طاهر من دنس ولو كانت حياتهُ يومًا واحدًا على الارض . فاذ قبضتَ انفسهم نيّحهم وليستحقّوا ملكوت السماوات »

وعلى هذا المنوال تجري الكنيسة الكلدانيّة فكفانا ان نروي بعض الشذرات من كتاب التعزيات لمار ايليّا الثالث المعروف بابن الحديثي ابي الحليم جاثليق الكلدان قال :

ليتغمّد الرب المتوفّى قلان برحمته ورضوانه ، ويشمل عليه بعفوه وغفرانه ، ويتلقّاه بالصفح الجميل ، والغفر الجزيل ، وضي الله عنهُ وزكّاه ، وطيّب تربتهُ وثراه ، واكرم مثقلهُ ومثواه ، واقالهُ من رحمته اوسعها وافضلها ، ومن مغفرته اجلّها واكملها ، ورحمهُ رحمةً تقرّبهُ منزلة الابرار ، ورضي عنهُ برضاة تملأهُ مع المصطفين الاخيار ، فاذكروهُ بالرحمة والمغفرة عقيب صلواتكم ، فقد كان في حياته يطلب من الله سبحانهُ من اجلكم وهو الآن يغتنم صالح ادعيتكم وطلباتكم ، فادمنوا تقديم القرابين عنهُ ومن اموالكم ، واذكروهُ في كلّ حين في صلواتكم ، فما اعظم فضيلة القربان ، فانهُ تعالى بجوده يتقبّلهُ منكم كما تقبّل رائحة البخور ورحم الانسان ، حين قرّب لهُ نوح قربانهُ بعد الطوفان . . .

فكفى بهذه الشواهد دليلًا لامعاً على اتفاق كل الكنائس في عقيدة وجود مكان للتطهير في العالم الآخر تمرُّ به النفوس لتتنقّى من بقايا آثامها . وهي تفنّد في الوقت ذاته ضلال الذين ينكرون هذه العقيدة كالشيع البروتستانيّة وغيرها وتفحم الزاعمين زوراً انّ الكنيسة الرومانيّة هي التي اخترعت وجود المطهر

ويتّضح من هذه النصوص ليس فقط وجود مكان تُمتَحن فيه نفوس الراقدين ولكن قدرة الكنيسة والمؤمنين الاحياء في مساعدة تلك النفوس بما يُقدّم على نيّتها من الاعمال الصالحة كالصلوات والصدقات ولاسيّما القرابين والذبائح المقدّسة . فان في يد الكنيسة كنزاً لا ينفد من استحقاقات آلام السيّد المسيح والعذراء الطاهرة وجميع الشهداء والقديسين يمكنها ان تقدّمهُ لله تكفيراً عن ذنوب ابنائها المتنيحين . وما النفوائت سوى قسم من هذا الكنز الثمين وبرض من الينبوع الغزير الذي تستقي منهُ لتنال من مراحمهِ تعالى تخفيف اوجاع ابنائها ونجاتهم من عذابات المطهر

أمّا انواع هذه العذابات ومدّتها فهي مسائل لم نتعرّض لها . وما لا ينكر ويظهر من الشواهد السابقة انّ تلك العذابات أليمةٌ جداً بعضها روحيّة كخلوّ النفوس من النظر الى الله ومنها مادّيّة في جملتها يترجّح عذاب النار وان لم يكن ذلك من الايمان

فما احرانا اذن نحن اخوتهم وابناء كنيستهم ان نمدّ اليهم يد المساعدة ولعلّ بينهم الاقارب والاصحاب والذين كنّا نحن سبب خطيئتهم فانّنا بالكيل الذي نكيل لهم يُكال لنا وكما نذكرهم عند الله سوف يذكروننا بازاء عرشهِ تعالى يوم محنتنا (١

(١) اطلب رواية مؤثرة وقعت في القرن الماضي سنة ١٨٥٩ تثبت وجود المطهر والأئمة وطلباته وطريقة إسعاف النفوس المعذّبة فيه (رسالة قلب يسوع ص ٣٣٨).

فلا نصمّنّ اذن سمعنا عن ندائهم ولاسيما في هـذا اليوم المعيّن لتذكارهم وفي كلّ الشهر تشرين الثاني اذ نزور قبورهم ونسمعهم يردّدون من بطنها بلسان حالهم كلمة أيوب البار (١٩ : ٢١) «ارحمونا ارحمونا انتم اخلاءنا فانّ يد الربّ قد مسّتناه»

مطبوعات جديدة

LES LETTRES fondées en 1913, 1er *Oct.* 1922 *Paris, 4 Brd des Italiens*

مجلّة الاداب

هذا المجلّة الفرنسويّة كان انشأها بعض علماء الكاثوليك سنة ١٩١٣ للبحث في كلّ المسائل العصريّة يديرها الكاتب المُجيد كايتان برنوفيل (Gaëtan Bernoville) وقد اطلعنا على بعض اعدادها فوجدنا فيهـا مقالات ممتعـة في عدّة امور يبادر الى درسهـا ادباء عصرنا منها الفصول الاجتماعيّة والمقالات الادبيّة والابحاث التاريخيّـة والكتابات الانتقاديّة والروايات اللطيفة وكلّ ذلك بقلم بعض العلمانيين من مشاهير الكتبة العريقين بالعلم والدين معاً. فلا يسعنا الّا ان نثني على هذه النشرة وكتبتهـا ونتمنّى نشرها في اصقاعنا ل. ش

EANHCTBO BO XPNCT

الوحدة بالمسيح للاب دربيني (d'Herbigny) اليسوعي

طبع في مدينة براغ سنة ١٩٢٢ (ص ٢٦)

الغاية من هذه الكتيّب الروسي الموجّه الى الصقالبة المنفصلين عموماً والى الروس خصوصاً استلفاتُ انظارهم الى وحدة الكنيسة التي أسسها السيد المسيح وضرورة السعي الشديـد في التفيّؤ بفيئها والانقياد الى تعاليمها الخلاصية. ففي الصحائف الاولى يصرّح المؤلف بلزوم التحابّ والتفاهم وقد ضربت الحرب الكبرى مثلاً هائلاً

فلا نصمّنّ اذن سمعنا عن ندائهم ولاسيما في هـذا اليوم المعيّن لتذكارهم وفي كلّ الشهر تشرين الثاني اذ نزور قبورهم ونسمعهم يردّدون من بطنها بلسان حالهم كلمة أيوب البار (١٩ : ٢١) «ارحمونا ارحمونا انتم اخلاءنا فانّ يد الربّ قد مسّتناه»

مطبوعات جديدة

LES LETTRES fondées en 1913, 1er *Oct.* 1922 *Paris, 4 Brd des Italiens*

مجلّة الاداب

هذا المجلّة الفرنسويّة كان انشأها بعض علماء الكاثوليك سنة ١٩١٣ للبحث في كلّ المسائل العصريّة يديرها الكاتب المُجيد كايتان برنوفيل (Gaëtan Bernoville) وقد اطلعنا على بعض اعدادها فوجدنا فيهـا مقالات ممتعـة في عدّة امور يبادر الى درسهـا ادباء عصرنا منها الفصول الاجتماعيّة والمقالات الادبيّة والابحاث التاريخيّـة والكتابات الانتقاديّة والروايات اللطيفة وكلّ ذلك بقلم بعض العلمانيين من مشاهير الكتبة العريقين بالعلم والدين معاً. فلا يسعنا الّا ان نثني على هذه النشرة وكتبتهـا ونتمنّى نشرها في اصقاعنا ل. ش

EANHCTBO BO XPNCT

الوحدة بالمسيح للاب دربيني (d'Herbigny) اليسوعي

طبع في مدينة براغ سنة ١٩٢٢ (ص ٢٦)

الغاية من هذه الكتيّب الروسي الموجّه الى الصقالبة المنفصلين عموماً والى الروس خصوصاً استلفاتُ انظارهم الى وحدة الكنيسة التي أسسها السيد المسيح وضرورة السعي الشديـد في التفيّؤ بفيئها والانقياد الى تعاليمها الخلاصية. ففي الصحائف الاولى يصرّح المؤلف بلزوم التحابّ والتفاهم وقد ضربت الحرب الكبرى مثلاً هائلاً

لما يولده التباغض وسوء التفاهم من شر الويلات ثم يتطرق الى بيان كون فادينا الالهي اراد توحيد كل الشعوب وضم شتاتها في عائلة كبرى هي الكنيسة المسيحية . ويشرح كيف افضى حب السيادة السياسية بكنيسة القسطنطينية الى شق عصا الطاعة للحبر الروماني واعلان استقلالها عنه . ويبرهن على ان هرطقات لوثيروس وهنري الثامن وغيرهما قد حدثت وانتشرت على نفس المنوال المذكور . وذلك ايضاً ما مهد السبيل الى نشأة كنائس قومية عديدة استقلت عن كرسي القسطنطينية في الجيل التاسع عشر . اخيراً يصف العلاجات الشافية للانشقاقات المحزنة بين اعضاء العائلة المسيحية . وهي اولاً الابتهال الحار الى السيد المسيح ، ثانياً البحث عن الحقيقة ومشيئة الله مع نبذ المطامع الشعبية والاغراض الشخصية ، ثالثاً درس التاريخ الكنسي الشاهد اجلى شهادة على اعتراف الشرق المسيحي وعلمائه واساقفته وبطاركته ومجامعه طول الاجيال العشرة الاولى حتى انشقاق فوطيوس ، بسيادة الحبر الروماني المطلقة على الكنيسة جمعاء دون تمييز بين الشرق والغرب

اما الادلة التاريخية الكثيرة في هذا الكتيب فهي واضحة قريبة الى الافهام مسوقة الى القارئ بعبارة سهلة خالية من شوائب التعقيد الاب رفائيل نخله

لماذا صرت كاثوليكياً

تأليف حنا افندي مينا

طبع في المطبعة المصرية بمصر القاهرة سنة ١٩٣٠ ص ٣

مؤلف هذا الكتاب النفيس هو القمص القبطي الارثوذكسي حنا مينا المهتدي من عهد قريب الى الايمان الكاثوليكي القويم . وقد توخى بوضع هذه الصحائف ارشاد اخوته الاقباط المنشقين الى جادة الخلاص الوحيدة التي من عليه الرحمان بالاهتداء اليها . قال بادئ بدء ان التشابه العظيم بين طقوس الاقباط الكاثوليك والاقباط الارثوذكس حثه على البحث عن جدارة كل منهما بالتصديق والانضواء اليها . ثم اكتشف في صلوات القداس الارثوذكسي فقراً لا تنطبق الا على الكنيسة الكاثوليكية . ورأى كثيراً من هذا القبيل في بقية طقوس كنيسته الاصلية وسنكسارها وقوانين مجمع نيقية التي هي دستورها حتى اليوم . فاستدل بكل ذلك

على ان كنيسة القبط الارثوذكس ليست سوى فرع سقط في الجيل الخامس من دوحة الكنيسة الحقيقية الكاثوليكية. ثم خاض في تاريخ هذا الانشقاق الذي جرى على يد اوطيخا والبطرك ديوسقوروس المجاهرين بوحدة الطبيعة في المسيح، تلك العقيدة الكاذبة التي لفّت بهم الى الانفصال عن الكثلكة. فبيّن بالبراهين اللاهوتية والفلسفية المتينة الواضحة وغماً عن ايجازها، بطلان تلك البدعة اللاشية لسر الفداء كل اللاشاة. اخيراً اشار في خاتمته الى اهتداءات عدد عديد من اعاظم الرجال من الكنائس المنشقة الى الكثلكة. ونفى بالادلة الدامغة إمكان تسرّب اي ضلال في عقائد الكنيسة الكاثوليكية ودحض اعتراضات الارثوذكس على الغفرانات وعصمة البابا من الخطأ

وبالاجمال ان هذا الكتيب على صغر حجمه غزير المادة قوي الحجة فصيح العبارة بل رشيقها. ولذلك يليق اقتناؤه ولاسيما بالكهنة الكاثوليك الذين بينهم وبين اخوتهم المنفصلين علاقات وثيقة القربى ر. ن

تاريخ حيفا

تأليف جميل البحري صاحب المكتبة الوطنية ومجلة الزهرة في حيفا

طُبع في حيفا في المطبعة الوطنية سنة ١٩٢٢ (ص ٥٨)

احسن جميل افندي البحري بنشر تاريخ حيفا ويا ليت الكتبة الوطنيون يحذون حذوه فيتحفونا بتاريخ بقية مدن فينيقية ومدن الـ . ومما يزيد فضل هذا التاريخ ان حيفا احدى المدن الخامدة الذكر التي قلّما لعبت في سالف الازمنة دوراً مهماً فجمع صاحبه ما تيسّر له من اخبارها وآثارها. ولعلّه كان استفاد من مقالة عنوانها «حيفا ماضيها ومستقبلها» نشرها في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٦٨—٧٣) حضرة الاب الكرملي ماري جوزف وفيها عدّة معلومات لم يقف عليها صاحب التاريخ الجديد. ومما لا يوافقه عليه علماء الاسفار المقدسة ان «حيفا» هي «اكشاف» المذكورة في سفر يشوع. والرأي الموجه في عهدنا انّ اكشاف هي تل ياسف شمالي شرقي عكا. وقد احسن الكاتب خصوصاً في وصف حيفا الحاضرة فاشتمل وصفه كلّ احوالها المادّية والادبية والدينية. وقد ختمه ببعض صفحات من تاريخ جبل الكرمل المشرف على حيفا. ولنا الامل انه سيطبعه

ويزيده كثيراً في طبعة ثانية. ومن بعض اغلاطه اسم «ابو دهاب» يريد ابا الذهب قائد الجيوش المصريّة ل.ش

بطل لبنان يوسف بك كرم

رواية تاريخية ذات خمسة فصول بقلم ميشال يوسف الحايك

طُبع في بيروت بمطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٢ (ص٩٦)

للروايات التمثيلية تأثير عظيم في نفوس الذين يحضرون تشخيصها وهذا ما يقتضي حُسن انتخابها والحياد عن كلّ ما يثير في النفوس الشهوات الباطلة. وافضل ما يُختار لذلك الروايات التاريخيّة التي تمثّل مآثر الاجداد وفضائلهم الدينيّة والمدنيّة. وهذا ما دفع جناب الاديب ميشال يوسف الحايك الى وضع رواية ضمّنها شهامة احد اللبنانيين في الدفاع عن حقوق وطنه يوسف بك كرم فصوّر مروّته تصويراً شائقاً يرتاح اليه اهل لبنان ويبعث فيهم النخوة للدفاع عن حمى جبلهم بعد ان فازوا بما كانوا يتمنّونه من انتداب فرنسة على سوريّة ل.ش

سواغ الفكر في ما يسامي العشق من عبر

تأليف الدكتور سليمان غزاله

طُبع بمطبعة المروى بطهران سنة ١٩١٥ (ص١٢٣)

جناب الدكتور سليمان غزاله احد مشاهير العراقيين والنائب الثاني بمجلس صحّة ايران حكيمٌ نطاسيّ واديب وفيلسوف معاً فاراد ان يخصّ نظرهُ بالعشق من وجوهه هذه الثلثة فهو يبيّن خواصّهُ وميزتهُ ويعلن شرورهُ وآفتهُ ويحذّر من تبعته وعاقبته فنشر في ذلك حكميّات اخلاقيّة ادبيّة فلسفيّة بعضها نثريّة وبعضها شعريّة وكلّها مفيدة لارشاد الشبيبة وتهذيب الناشئة التي كثيراً ما تنخدع بظواهر العشق فتندفع اليه اندفاع الجياع على القصاع. فعليهم ان يعملوا النظر في مضامين هذا الكتاب ليسترشدوا بحكمه ل.ش

ترقي الصغار في دروس الاستظهار

جزءان جمعها وعلق حواشيها يوسف صفير

طُبعا في بيروت سنتي ١٩٢١ و١٩٢٢ ص ٦٤ و٩٥

ليس الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة المدارس ورّاقاً وكتبيًّا فقط بل يُحسن ايضاً انتقاد المُلَح التي يجدها في كتبٍ لينشرها ويفيد بها ناشئة المدارس . وكتابهُ هذا ترقي الصغار في دروس الاستظهار شاهد جديد على جودة ذوقهِ فانهُ ضمَّنهُ كثيراً من المقاطيع النثريَّة والشعريَّة المنتطفة من كتبة العصر مما يُسَرّ بهِ الاحداث فيستظهرونهُ بكل لذَّة . وزاد على ذلك فضلًا بما علَّقهُ على كلّ قطعة من تفسير الالفاظ الغامضة ومن النتائج الادبيَّة التي تُستفاد منها لترويض اخلاق الناشئة . والجزءان مضبوطان بالشكل الكامل الذي يحتاج في طبعة ثانية الى بعض التنقيح .

تذكرة ابن ارمانيوس

وسع عازار ارمانيوس

طُبع بالمطبعة المصريَّة الاهليَّة بالقاهرة سنة ١٩٢٢ (ص ٣٦٠)

ذكرنا سابقاً في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٩٥٦) كتابهُ المذكرة اللغويَّة في اللغات العربيَّة والفرنسيَّة والانجليزيَّة . وهذا كتابٌ اعظم نفعاً واعمّ فائدةً عمد فيهِ المؤلف الى اسماء المواليد الثلثة من جماد ونبات وحيوان فذكر اسماءها وشرحها شرحاً مرضياً من الوجه العلمي والطبي والاقراباذيني . وقد ترجم الاسماء العربيَّة الى اللغتين الانكليزيَّة والفرنسويَّة مع ذكر الاسماء العلميَّة في اللاتينيَّة واضاف الى ذلك فهارس مختلفة تسهيلًا لمراجعة المفردات في مظانّها . والكتاب مفيد خصوصاً للاطباء واصحاب الصيدليَّات يُباع في مكتبة جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس وثمنهُ ٧٠ غرشاً سوريًّا

ل . ش

شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون

طُبع بمصر على نفقة الشيخ محي الدين صبري الكردي سنة ١٣٦٠ (ص ٣٢٠)

هذا الكتاب كان عُني بنشرهِ في لَيدن سنة ١٨٤٦ العلامة الهولندي دوزي

(R. P. A. Dozy) فراجعهُ على عدّة نسخ وذيّلهُ برواياتها وقدّم عليهِ المقدّمات المفيدة الواسعة وختمهُ بالفهارس الممتّعة . واذ رأى جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس انَّ الكتاب قد نفد ولم يزل الادباء يطلبونهُ احبَّ ان يجدّد طبعهُ الّا انَّ الاشغال حالت دون رغبتهِ فناب عنهُ الشيخ محيي الدين صبري الكردي فاهتمَّ بتجديد طبعه وقابلهُ على نسخة خطّية قديمة وقف عليها في تونس في آخرها تذييل على قصيدة ابن عبدون وهي قصيدة من البحر والروي لاسمعيل بن احمد بن الاثير الحلبي . والكتاب يباع في مكتبة الاديب يوسف افندي اليان سركيس في بيروت بعشرة فرنكات او ٥٠ غرشاً سورياً ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — النشرة الخامسة من ردّ الثلثة واربعين سهم في نحر البراموسي البليل بالجدال والوهم — قد سبق لنا وصف النشرات الاولى من هذا الردّ (ص ١٥٤) الذي ألّفهُ المسيو فرنسيس قزمان وكيل عام لاسقفيّة تيبا للاقباط الكاثوليك . وهذا الكرّاس اشبه باخوتهِ السابقين من حيث الايضاح وسداد البراهين التي تنسف كل اعتراضات البراموسي على الكنيسة الكاثوليكيّة . طُبع في مصر سنة ١٩٢١ (ص ٦٢)

٢ — اخويّة الميتة الصالحة — هو ابتهال الى يسوع المتألم وامّهِ المحزونة وصلوات لنيل الميتة الصالحة . طُبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢١ (ص ١٦)

٣ — ما هي شركة رسالة الصلاة — لاحد الآباء اليسوعيين . اوضح فيها انتشارها الحاضر ومنزلتها لدى الكنيسة ثمَّ غايتها وماهيّتها ثمَّ واجبات اعضائها ثمَّ كيفيّة الدخول فيها وترتيبها في الرعايا والمدارس ثمَّ منافعها الروحيّة . طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٢ (ص ١٢)

٤ — برنامج المدرسة السوريّة الاهليّة — ١٩٢١—١٩٢٢ . طُبع في بيروت في المطبعة الاهليّة سنة ١٩٢١ (ص ٣٠)

٥ — بيان مدرسة الفنون في صيداء — طُبع في صيداء في مطبعة البرقان سنة ١٩٢٢ (ص ٣٩)

٦ — قانون الجمعيّة الخيريّة العاملية — المؤسسة في صيداء في آذار سنة ١٩٢٢ (ص ١٥) طُبع فيها ايضاً

شذرات

﴿شكر﴾ ارسل الينا من الماغوسة (قبرس) حضرة القس الياس الخوري ترجمة حياة الطيب الاثر الاب مبارك المتيني . فنشكر لحضرته همّتهُ ونستميح منهُ عذراً لعدم نشرها بعد ان نُشرت ترجمة الفقيد الواسعة بقلم حضرة القس بطرس ساره

﴿القديس اغناطيوس شفيع الرياضات الروحيَّة﴾ قد جرت العادة في كلّ انحاء المعمور الكاثوليكي ان يعتزل ذوو التُّقى من كهنة واكليروس وعالميين مدَّة بضعة أيام عن اشغالهم كلّ سنة فيقضون تلك المدَّة في تأمُّل الحقائق الابديَّة وينعشوا قواهم الادبيَّة ليُحسنوا خدمة الله والقريب ويقوموا بكلّ واجباتهم الدينيَّة والمدنيَّة . ودليلهم في تلك الخلوة الروحيَّة كتاب رياضات القديس اغناطيوس "الذي ردّ الى الله من النفوس فوق ما يحتويهِ من الحروف" كما شهد عليهِ القديس فرنسيس دي سال . وهذا ما دعا الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الى ان يجعل القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة شفيعاً خاصاً لكلّ الرياضات التي يمارسها الكاثوليك في العالم وذلك بموجب براءة كتبها في ٢٥ تموز من السنة الحاضرة

﴿حزب العمّال﴾ احتجَّ حزب العمّال على ما كُتب في حقّ رئيسهِ حنّا ابي راشد في الرسالة المصوّرة والبشير والشرق عن سرقاتهِ المختلفة فاردنا ان نعرف ماهو حزب العمّال المشار اليهِ فاجاب محاسب هذا الحزب سابقاً الياس افندي رعد في كتاب الى الرسالة المصوّرة نشرتهُ في عددها الخامس "انَّ حنّا ابا راشد منذ زمن طويل اخذ يستقلُّ بالحزب وباعمالهِ واصبح الحزب هو الخواجا حنا ابو راشد كما انَّ الخواجا حنّا هو الحزب" فاستغرقنا بالضحك من احتجاج حزبٍ يتألف من "واحد" ألا وهو صاحبنا الماسونيّ القحّ الذي وصفناهُ سابقاً فاختصَّ بنفسهِ ما كان يجمعهُ من المال باسم حزبهِ ويستبدُّ بهِ ولا عجب اذ كان هو "كلّ الحزب"

﴿المجمع الابيسكوبالي العام﴾ هو المجمع البروتستانيّ الذي عُقد في بورتلند في الولايات المتّحدة في ٦ ايلول الماضي . ومن غريب امرهِ انَّ عدَّة اساقفة من الروم الاورثدكس حضروهُ رسميًّا ومشوا في موكبهِ بحللهم الاسقفيَّة واشتركوا فيهِ

بالدينيّات مع الكنيسة البروتستانيّة وكان في جملتهم مطران بيروت السيد جراسيموس مسرّة كما اخبرت به الهدّية وهي اوّل مرّة يُذكر مثل ذلك للكنيسة الروم الاورثذكسيّة التي صرّحت سابقاً انّها لا تعتبر ثبات السلسلة الرسوليّة في الكنيسة الانكليكانيّة ومن ثمّ لا صحّة لسيامة اساقفتها . وسننتظر نتيجة المؤتمر المذكور لنرى ما ضحّتهُ الكنيسة الاورثذكسيّة من مبادئها بحضورها ذاك المجمع الهراطيقيّ كما بيّنا ذلك في مقالتنا عن الاورثذكسيّة والانكليكانيّة

﴿ معهد علميّ جديد ﴾ سرّنا ما انبأنا بهِ جناب العلّامة الاثري المسيو دي لوره (E. de Lorcy) انّ فخامة المفوّض الاعظم الجنرال غورو اعلن رسميّاً بانشاء معهد جديد للآثار الشرقيّة والصناعة القديمة في دمشق وعهد اليهِ برئاستهِ . فنمحض التهانيَ للرئيس الجديد ونشكر المفوّضية العليا على هذه النعمة الجزيلة التي اضافتها الى نعمها السابقة في سبيل آثار بلادنا واستخراج عادياتها الشرقيّة بعد ان بقيت مطمورة في بطن الارض مدّة قرون متعدّدة

﴿ متحف الشرق الاسلاميّ في باريس ﴾ كانت مجموعة الآثار الشرقيّة الاسلاميّة في باريس الى هذه السنة محصورة في بعض زوايا متحف اللوفر فلا تستلفت اليها الانظار بالنسبة الى عاديات الشرق القديم كبابل ونينوى ومصر واليونان . الّا انّ عدد الآثار الشرقيّة الاسلاميّة قد نما في هذه السنين الاخيرة نموًّا عظيماً لما اهداهُ الكرام الى ادارة المتحف من مبالغ عظيمة وهدايا اثريّة جميلة فأُفردت حديثاً قاعة كبيرة مقسّمة الى عدّة اقسام لتودع فيها تلك الآثار على حسب بلادها وفنونها فهناك المنسوجات الشهيرة والطنافس العجيبة والاشغال الخشبيّة والنحاسيّة والصحيّة والسُرج المحلّاة بالمينا والآنية الفخيمة من القاشاني والعاج والخزفيّات النادرة والرسوم والكتابات العجيبة واشياء أُخرى كثيرة تأخذ بالابصار ومنها ما يرقى الى الدول الاسلاميّة القديمة من العبّاسيّين والفاطميّين والأيوبيين وغيرهم . وتلك الآثار تبلغ اليوم الوفاً مؤلفة يتناظر الى درسها محبّو الفنون الجميلة . فهذه مأثرة جديدة لفرنسة أتتها لتُعرب عن عطفها نحو الشعوب الاسلاميّة التي هي تحت حكمها

أسئلة وأجوبة

س قرأنا في بعض التعريبات اسم فيلسوف عربي يدعى ابن سبرون فنرجو من حضرتكم ان تفيدونا شيئاً عنهُ وعن زمانهِ (مستفيد)

ابن سبرون

ج ليس بين فلاسفة العرب احد يُدعى بهذا الاسم وانما هو تصحيف ابن جبرول ويقال ابن جبرون واسمهُ سليمان اصلهُ من مالقة في الاندلس وكان موسوياً ازهر في القرن الحادي وتوفي سنة ١٠٦٩ او ١٠٧٠م لهُ في العبرانيَّة بعض تآليف فلسفيَّة اشهرها كتابهُ ينبوع الحياة . والظاهر انَّ الكاتب وجد اسمهُ بالفرنسويَّة Avencebron فعرَّبهُ ابن سبرون كما عرَّب الآخر Saladin سلادينوس يريد صلاح الدين

س وسأل في عكاً جناب المعلم جبرائيل الخوري أيوب ماذا نعرف عن ابن سباط الذي نقلنا قسماً من تاريخهِ في كتاب تاريخ بيروت (ص ٣٦٠-٣٦٧)

ابن سباط واخباره

ج قد أطلنا البحث عن هذا المؤرخ لنعرف شيئاً من اخبارهِ فكاد يذهب تعبنا سدًى وغاية ما كُتب عنهُ في احد مخطوطات تاريخهِ ما يأتي (ZDMG. XLIX, P. 122)

« في هذه السنة اي ٩٣٦ هـ (١٥٣٠م) انها (كذا) تاريخ حمزة ابن احمد سباط خادم السيّد عبدالله التوخي وكانت وفاتهُ في هذه السنة وكان شاعراً فصيحاً ذي (كذا) خطّ مليح ولسان فصيح ولهُ مصنفات كثيرة وقيل لم كان (كذا) يعرف ابن مَنْ هو وانما وجدهُ السيّد ولداً صغيراً فربَّاهُ عندهُ

امَّا تاريخهُ فلم يُطبع على حدة وانما طُبع مُعظم ما يعرف منهُ في تاريخ الامير حيدر وفي كتابنا تاريخ بيروت

س وعرض علينا من مجلس حضرة الخوري متوني خادم القرية سؤالاً في تسديد ديون عُقدت قبل الحرب واختلف الدائن والمديون بعد الحرب بوفائها

تسديد الديون

ج هذا المشكل قد عُرض سابقاً على المشرق فاجبنا عليهِ جواباً واضحاً فليراجع في سنتنا الثامنة عشرة (١٩٢٠) الصفحة ٧٢٠ ل.ش

المشرق

رسول الصحراء

الاب شرل دي فوكو

لحضرة الاب فردينان توتل اليسوعيّ

المقدمة

انّ بين السوريين والافرنسيين صداقةً يرقى عهدها الى العصور الوسطى فوشجت بين العنصرين منذ شرلمان في القرن التاسع للميلاد الى لويس الرابع عشر اواصرُ لم تزل تزيد توثّقاً الى ايام نابوليون الاوّل والثالث حتى يومنا هذا حيث بلغت غايتها بما عُهد الى مرسة من الانتداب على سوريّة واهلها. والحقّ يقال انّ فرنسة اصابت في كلّ آن المقام الممتاز بين سائر الامم في حبّها لبلادنا حتى شاع على ألسنة اهل مواطنينا انّ الافرنسيين لأقرب الاجانب منّا بل كدنا لا نعدّهم غرباء في اقطارنا لاسيما منذ رأينا في قوّادهم وكبار موظّفيهم من الاستقامة والعدل والدفاع عن حقوقنا ما استأسر قلوبنا وسبى عقولنا. وليس كلامنا هنا عن بعض الافراد الذين شذّوا عن سُنَن الكرامة ولستسلموا الى اهوائهم اذ لا تخلو امّةٌ في الكون الّا وبينها بعض ذوي الغايات السافلة والاخلاق الرديئة فما علينا الّا ان نتعرّف بالافرنسي الحقيقي ونفرق بحسن نظرنا بين الغثّ والسمين وبين الخرز والدرّ فلا نكتفي بالاحتكاك الخارجي السطحي بل نسعى بالولوج الى بواطنهم حتى اذا ادركنا كرم شيمهم وشرف

نفوسهم زاد اعجابنا بها(١ فتتقرّب القلوب وتتّحد النيات وتتضافر المساعي في سبيل الخير العام

وهذا ما حدا بنا الى ان نعرض على قرّاء المشرق مثالًا حديثاً من حياة رجل شريف يُدعى شرل دي فوكو استغواهُ الشيطان في ميعة شبابهِ بالاماني الكاذبة فما لبث ان اهتدى الى الصلاح فاحبَّ اوّلًا ان يبذل ذاتهُ في خدمة وطنهِ بصفة ضابط فحلّت في عينهِ تضحيــة نفسهِ فلم يزل يطلب مــا هو ارفع واسمى حتى بلغ قمّة الكمال المسيحي وتاق الى الاستشهاد في خدمة النفوس . ومعظم استنــادنا في هذه النبذة التاريخية الى ترجمة حياة ذاك البطل بقلم احد مشاهير الكتبة رينه بازن من اعضاء الاكادمية الفرنسويّة الذي يتهافت الناس على كتاباتهِ لما يرون فيها من حسن الذوق وبلاغة الانشاء وصدق اللهجة معاً (٢

على انَّ من درس اخلاق الافرنسيين وتقاليدهم وامعن النظر في تاريخهم وآدابهم يرى لاوّل وهلةٍ في دي فوكو مثالًا حيًّا يمثّل طباع امّتهِ الكريمة ومزاياهــا الفريدة فيحبّبها الينا ولاسيما انهُ عاش بضع سنوات في بلادنا وفي بلاد تشبهُ بلادنا بلغتهــا وعوائدها ودين السواد الاعظم من اهلهــا وهو يستنفــد القوى في دعوتهم الى الله وكسر اغلال النفوس اسيرة شهواتها واوهامها الباطلة ليمهّد الطريق لمن يأتي بعــدهُ من المبشرين . فكان «كالصوت الصارخ في البرّيّة أعدّوا طريق الربّ واجعلوا سبلــهُ قويمة» (متى ٣ : ٣) فيا ليت ذكرى حياتهِ وتعاليمهِ تضرم الغيرة في قلوب المرسلين في البلاد العربيّة ليجروا على آثارهِ ويحصدوا مع ما زرعهُ في الدموع

١ سن الصبا والجهالات

ولد شرل دي فوكو من اسرةٍ شريفــة في ستراسبورغ سنة ١٨٥٨ ورضع مع الحليب روح الدين والتقى لكنّهُ لم يبلغ السادسة من عمرهِ اذ اختطفت يد المنون حياة والديهِ وامسى رهينة وصاية جدّهِ المسيو دي موزلِه الكولونيل في فرقة مهندسي الجيش وكان هذا رجلًا صالحاً حيَّ الايمان لولا انَّ واجبات مهنتهِ ادّت بهِ الى التساهل

(١ اطلب ترجمة لويزة دي فرنس في عدد أيار من المشرق بقلم الاب رفائيل نخله

(٢ هذا عنوان الكتاب René Bazin de l'Académie Française: Charles de Foucauld, explorateur du Maroc, Ermite du Sahara

في تربية حفيده وغضّ النظر عن نقائصه التي قويت وتأصلت في قلبه فاصبحت رذائل وخيمة العقبى

وكان اوّل تهذيبه في مدرسة نانسي العلمانيّة فنالهُ شيءٌ من روح اساتذتها وتعليمها اللادينيّ ثمّ انتقل الى مدرسة الآباء اليسوعيين الشهيرة في باريس التي يستعدُّ فيها نخبة شبّان فرنسة ليدخلوا في المكاتب العليا فيترشحوا للمناصب العسكرية البرّية والبحريّة والمدنيّة في سان سير وبوليتكنيك وسانترال لكنّ معلّميه استاءوا من سلوكه فاغتنموا فرصة بعض انحرافٍ في صحّته ليصرفوهُ سرًّا من المدرسة حفظاً على آدابها وكرامتها معاً . وكان شرل يتذكّر بعدئذٍ سنين شبابه وينسب تهوّرهُ في المآثم الى ما وجدهُ في نانسي من الحرّية السيّئة في مطالعة الكتب المعادية للدين والآداب فيحذّر الناشئة من اخطارها وسوء عقباها كما انّهُ كان يشكو من تعاليم اساتذته العلمانيين الذين افقدوهُ راحة قلبه بما نثروهُ في نفسه من الاعتراضات على الدين باسم العلم الكاذب . وكان لو أراد يمكنهُ ان يحلّ تلك المشاكل بمطالعة تفنيدها وتزييف سفسطتها في كتب جهابذة الدين واساطين العلم الصحيح لكنّ اهواء قلبه أغشت على بصره فاطلق العنان الى شهواته

على انّ السنين القليلة التي صرفها في مدرسة القديسة جنفياف للآباء اليسوعيين في باريس لم تذهب ضياعاً حيث اثّر فيه مثل اولئك الرهبان الجامعين بين الفضل والفضيلة والعلم والدين وبقي طول حياته حتى في ايّام جهالاته مدمناً على اكرامهم . لا بل كان يحسب ما طرق مسامعهُ هناك من المبادئ الصحيحة كاحد العوامل التي انهضتهُ من كبوته واقالت عثرته

لكنّ شرل لم يستهدِ الّا بعد عدّة سنين وكان مع تهاونه في الدروس امكنهُ ان ينجح في الامتحان المؤذن بالدخول الى سان سير وهو اوسع معاهد فرنسة العليا لكنّهُ زاد هناك صلفاً واستهتاراً لم يهبهُ الّا ارتشاف كاس الملاذ وانتهاك حرمة الآداب حتى اضطرّ احد اقربائه ووصيُّهُ المسيو مواتسيه (Moitessier) ان يقيم عليه مراقباً شرعياً يمنعهُ عن تبذير ماله بالاسراف

٢ الضابط

تعيّن دي فوكو بعد خروجه من سان سير ملازماً اوّل في فرقة الفرسان الرابعة

(Hussard °ﻫ) وأُمر ان يسافر مع رجالهِ الى سَتيف احدى مدن الجزائر في افريقية فانتقل اليهـا لكنَّهُ بقي مثابراً على سوء سيرتهِ وكان رؤساؤهُ يؤنبونـهُ بلطفٍ عن تصرُّفهِ فلم يُصغِ الى كلامهم حتى خشوا ان يسري داؤهُ الى الجنود فخيَّروهُ أمَّا ان يُطلق سراح المومسة التي استصحبها من فرنسة وامَّا ان يقـدِّم استعفاءهُ من الجيش ففضَّل الاستعفاء موقتاً وغادر افريقية وسكن في ايفان من اعمال سافوا

فامضى عليهِ هناك اشهر حتى بلغهُ الخبر انَّ فرقة فرسانهِ عُهد اليها ان تسير الى بلاد وهران الجنوبيَّة لردّ غارات الاعداء عليها . فكان لهذا النبأ اشدُّ وقع على نفسهِ ولم يشأ ان يهرق جنودهُ دماءهم في سبيل الوطن دون ان يشاطرهم الاخطار وينال معهم نصيبهُ من الشرف

فطلب ان يعود الى مركزهِ وكان في مقدَّمة الفرسان الـذين ساروا الى ساحة الحرب . فـذ ذاك الحين اصبح شرل دي فوكو انساناً جديداً هجر الترف والملاذَّ الباطلة وظهر في هيأة جندي باسل لا يبالي بالمصـاعب ويسخر بالمتاعب يقود جندهُ بدراية وفطنة ويبذل نفسهُ دون راحتهم ويخفف عنهم اعباء الخدمـة طاقة جهدهِ حتى اكتسب محبَّتهم واحرز اعجابهم . فكأنَّ صوت الوطن استفزَّهُ ليشر راية دولتهِ على تلك الانحاء ويمتّع اهلها بمدنيَّة بلادهِ الراقية

على انَّ اختلاطهُ بالعرب سكَّان تلك البوادي المقفرة ونظرهُ لاحوالهم الدينيَّة والمدنيَّة اثار في نفسهِ رغبة التقرُّب اليهم والبحث عن عوائدهم وتقاليدهم والتوغل في فاراتهم المقفرة وديارهم المأهولة وذلك رغبة ان يُغني الجغرافيَّة بمعلومات جديدة ويمهد السبيل للنفوذ الفرنسي في بلاد لم يطأها اجنبيٌّ بعد وبذلك يدَّخر لنفسهِ سمعةً تليق باجدادهِ الكرام لكنَّهُ ثبت في منصبهِ ريثما تهدأ الامور ويعود السلم الى نصابهِ

٣ السرائر

فالتمس شرل من وزارة الحرب ان تُعطى لهُ فرصة يتنحَّى فيها عن الجيش ليقوم بمهمتهِ هذه ويحقِّق امانيهُ . لكنَّ الوزارة لم تُجب الى طلبتهِ فاستقال نهائياً من وظيفتهِ وطفق يبحث عن وسيلة ليُخرج فكرهُ الى حيز الوجود وذلك بان يتجوَّل في انحاء بلاد مراكش ويجمع عن احوالها ما استطاع من الافادات حيث لم يكن سبقهُ احدٌ

بعدُ الى استثبات امور تلك البلاد ووَصْفها وصفاً مدقّقاً . لكنّهُ عرف ما يحول دون عزيمتهِ من الاخطار الجمّة فما كانت تلك المعرفة لتزيدهُ الّا ثباتاً على قصدهِ . وكان اوّل ما اتّفق عليهِ رأيهُ ان يسير الى داخليّة مرّاكش على غير الطريق التي كان يسلكها السفراء من جهة الساحل لأمنها فعوّل على السير في اواسط البلاد ليطّلع على مجاهلها وكشف اسرارها

ثمّ اخذ ينكبُّ على درس العربيّة ومطالعة ما كتبهُ العلماء عن مرّاكش واستشارة الرجال ذوي الخبرة في شؤون تلك البلاد استعداداً لرحلتهِ وجهّز لهُ من الادوات الهندسيّة والآلات الرصديّة الخفيفة ما امكن لتدوين ملحوظاتهِ

واذ تحقّق انهُ لا ندحة لهُ للتوغّل في تلك البلاد الّا بزي اهلها العرب المسلمين او اليهود فضّل على الزيّ الاسلامي الذي كان تزيّا بهِ بعض الرحّالين قبلهُ كرينه كاليه (R. Caillie) وروهلس (Rohls) ولنز (Lenz) ملابسَ اليهود الساكنين في جهات مرّاكش فتردّى بقميص طويل فوقهُ جلابيّة قصيرة الكمّين واحتذى بنعل اسود وجعل على رأسهِ قبعة حمراء معمّمة بقطعة حرير اسود . وكان يعلم ان زيّهُ هذا يعرّضهُ لسخريّة العرب المسلمين المزدرين باليهود الّا انهُ امّل بتنكّرهِ المذكور نجاح مسعاهُ ثمّ اتّخذ لهُ رفيقاً ودليلاً لسفرهِ ربّانيّاً يهوديّاً يُدعى مردكاي ابا سرور كان سافر قبل ذلك في انحاء مرّاكش فاستكتمهُ حقيقة امرهِ واطمعهُ بأجرة حسنة فرضي بمرافقتهِ . واتّفق معهُ بان يدعوهُ ربّي يوسف علمان من مهاجري روسيّة واحد زوّار اورشليم قدم الى مراكش بصفة سائح يجمع الحسنات لاهل جلدتهِ

٤ . رحلة شرل دي فوكو الى داخل مراكش

خرج دي فوكو مع رفيقهِ من مدينة الجزائر في ١٠ حزيران سنة ١٨٨٣ فرّا بوهران فتلمسان وبلغا طنجة في ٢٠ حزيران . فهناك تجشّم لرحلتهِ الى اواسط مرّاكش فدامت احد عشر شهراً الى ٢٣ أيار ١٨٨٤ فسار اوّلاً على طريق فاس وكان يعرّج الى المدن التي يريد البحث عن احوالها فدخل طيطوان وششاون وتجوّل في جبال بني حسن . وكان حيثما يحلّ ينزل مع رفيقهِ في كنيس اليهود ولا يلبث ان ينفرد في مكان معتزل ويستخرج ادواتهِ كالحكّ (الابرة المغناطيسيّة) وميزان الحرارة وثقل

الهواء واقيسة أعراض البلاد وأطوالها وعلوّها فيدوّن نتيجة ارصاده في مذكّرة خاصّة ثم يضيف اليها ملحوظاته عن حالة البلاد واهلها . وكان مردكاي يقوم في خدمته ليمنع الناس عن اقلاقه وتشويش شغله

ثم انتقل السائح الى فاس فقضى فيها شهر آب وافتقد نواحيها وروى ما رآهُ اهلًا بالذكر عنها وعن سكّانها واحوالهم الادبيّة والدينيّة . ثم رحل الى مكناس وبلغ «بو الجاد» حيث احتفى به الحاج طيب قسوس ولاسيّما سيدي حاج ادريس الذي وقف على حقيقة امره فاكرمهُ وسار في رفقته الى قصبة بني ملّال ثمّ الى تادلة . ثمّ دخل من هناك بلاد الصحراء جنوبي مراكش فمرّ بتيكرت وسار بسفح جبال الاطلس ووصل الى طازيدا ثمّ توجّه الى شواطئ بحر الاتلنتيك وقطع واحات تيسنت وزار مدينتها وشكر اهلها لحسن ضيافتهم ووجد في احدهم الحاج «بو ريم» صديقًا مخلصاً انقذهُ من ايدي بعض الاشقياء ورافقهُ الى وادي سوس جنوبي اغادير ثمّ عاد الى الجزائر على طريق جديدة فوصف مدن طازنخت ومستيطة ودادس وقصبة الشرفاء ودَبدو وأرجّة

وقد قاسى شرل دي فوكو في رحلته هذه من المشقّات والاتعاب ما يصعب وصفهُ فكثيرًا ما كان يفترش الحضيض ويتضوّر جوعاً وكاد غير مرّة يسقط في ايدي قبائل همجيّة وعُصب من صعاليك العرب فمنهم من نهبهُ ومنهم من تهدّدوهُ بالموت فنجا من ايديهم بعناية خاصّة من الله وكان رفيقه مردكاي جباناً بليدًا قليل المروءة أصبح له في اثناء رحلته عبئاً ثقيلًا حتى انهُ تركهُ غير مرّة فسافر الى بعض الجهات مع غيره من اهل البلاد ثم يعود فيأخذهُ عند عودته

امّا نتيجة هذه الرحلة فكانت بالغة بما افاده دي فوكو للجمعيّات الجغرافيّة فانّ هذا الرجل المقدام ما لبث أن جمع كلّ معلوماته وتفاصيل رحلته فنشرها تحت هذا العنوان (Reconnaissance au Maroc) فكان لكتابه هذا سمعةٌ طيّبة فأقبل على مطالعته كلّ الباحثين عن مجاهل افريقية . ودونك ما قالهُ احد اعضاء جمعيّة باريس للمسيو دوڤريه (Duveyrier) الذي كان سبقهُ الى بعض تلك الاقطار واختبر مشقّاتها :

«انّ التيكونت دي فوكو في خلال احد عشر شهرًا من ٢٠ حزيران ١٨٨٣ الى ٢٣ ايار ١٨٨٤ قد قطع مسافةً توازي ضعف المسافة التي جابها قبلهُ الكشّافون في مراكش فقطع ٢٢٥٠ كيلومترًا لم يسلكها قبلهُ احد وحدّد العُروض والاطوال لخمسة واربعين موقعًا وعيّن

طوّبض الجبال البالغة ٣٠٠٠ متر فيحقّ لنا ان نطرئ المسيو دي فوكو لفتحهِ مجالٍ جديد لعلم الجغرافية وانّنا لفي ريبٍ بين احد امرين أيّما اجدرُ باعجابنا أتلك التحليات البهية المفيدة التي اتانا بها ام إقدامهُ وشجاعتهُ بما اظهرهُ هذا الضابط الفرنسويّ بتضحية نفسهِ وهو في عنفوان العمر لخدمة العلم ولمجد وطنهِ »

وقد أيّد الجغرافي الانكليزي بودجت ميكن (Budget Meakin) حكمَ المسيو دوفريه بقولهِ عن دي فوكو « انّ ما قام بهِ الرحّالون قبلهُ بالنسبة الى مساعيهِ الطيّبة لا يُعَدّ الّا كالعاب صبيان »

وليست هذه النتائج العلميّة سوى قسم مما افادهُ شرل دي فوكو عن بلاد مرّاكش فانّ في كتابهِ من الملحوظات عن سكّانها وعوائدهم وطباعهم ما كشف القناع من اهل تلك البلاد في قسميها اي بلاد المخزن الخاضعة للسلطان وبلاد الصبا المستقلّة الحرّة فوصف اخلاقهم وآدابهم القوميّة وسلوكهم في امور دينهم وقد رأى في الداخليّة كثيرين لا يكترثون لفرائض الدين قد حوّلوا مساجدهم الى فنادق وراتب امور دنياهم في عيشتهم الاهليّة في معاملتهم للمرأة التي يُنزلونها منزلة الأمة الذليلة وفي ولعهم العظيم باولادهم وفي تفانيهم في سبيل اصدقائهم . لكنّهُ وجد انحطاطاً كبيراً في الآداب بارتكاب قوم منهم الفحشاء جهاراً وبالطمع الاشعبيّ وبالتفاخر في السلب والنهب كما انهُ لحظ بينهم شيوع الخرافات يروّجها لهم علم الدين بعض النصّابين والمشعوذين

وكذلك وصف يهود مرّاكش فقال ان خلاصة دينهم حفظهم ليوم السبت وبعض الصلوات المفروضة عليهم يضربون الصفح تماماً عن وصاياهُ تعالى العشر فيزعمون انها اصبحت من المتاتق لا تصلح الّا للاحداث

على ان شرل دي فوكو لا يصف بلاد مرّاكش واهلها كمنتقدٍ وثلّاب ليستهجن لموردهم ويستخفّ بهم بل كطبيب نطاسيّ يبحث عن الداء ليصف الدواء ويكشف على الجرح أملاً بمعالجتهِ وشفائهِ . وما لا يُنكر انهُ مذ ذاك الحين كلّف بحبّ مرّاكش واهلها حتى انها لم تعد تبرح من فكرهِ بقيّة أيام حياتهِ واليها وجّهَ نظرهُ لما جاول العيشة النسكيّة كما سترى

٥ اهتداء شرل دي فوكو الى نور الايمان

سبق لنا شرل دي فوكو كان لسبب تربيتهِ السيّئة فقدَ نور الايمان وبفقدانهِ

تغلبت عليهِ النفس الأمّارة فتبع شهواتها . الّا انّ رجوعهُ الى ساحة الحرب ثمّ مباشرتهُ تلك الرحلة الى مجاهل مرّاكش حوّلا عواطفهُ الى ما هو اشرف واجلّ . وممّا اثّر فيهِ اشدّ التأثير في بلاد مرّاكش ما رآهُ في معظم مدنها من تعظيم الدين وتكرار الاسم الكريم في افواه اهلها والمجاهرة بالمعتقد الاسلامي في التآذين والحفلات الرسميّة فكان ذلك كنخاز لضميرهِ اذ يقابل بين موقفهِ الديني وهو المدّعي بالرقيّ والتمدُّن وهؤلاء الشعوب الذين يعتبرهم بعيدين عن المدنيّة العصريّة . فاخذ يفكّر في دين اجداده ويتذكّر ما سمعهُ من التعاليم في مدرسة الآباء اليسوعيين في سنت جنفياف . فجعل اوّلاً يطالع كتب الفلاسفة الاقدمين لعلّه يقتنع بحججهم لكنّ الفلسفة النظريّة دون الصلاة والاسمة قلّما تأتي بفائدة . وانّما استفاد من تلك الدروس انهُ اقلع من عوائدهِ الذميمة وصرف ذهنهُ الى واجبات الحياة والعيشة الادبيّة

ولمّا عاد من افريقيّة الى فرنسة سكن بين اهلهِ واقاربهِ في دار اختهِ مادام مواتيه مع بنات عمهِ وكلّهن من شرفاء فرنسة عريقات بالدين . وكان يتردّد الى بيتهنّ كاهنٌ من ذوي الفضل والبرّ يدعى الاب هوفلين مع بعض مشاهير الكاثوليك . فكان شرل يجد بينهم من اللطف والانس وشواعر الدين ما كان يحبّبهم اليهِ فيستنشق عرف فضائلهم ويحيك مثلهم في قلبهِ وربّما كان يناجي نفسهُ قائلاً : «ما بال هؤلاء الرجال والنساء وهم من نخبة اهل بلادنا فضلاً وذكاء يخضعون لتعليم الايمان الكاثوليكي فلولا انهُ الايمان الحقّ لما اقتسروا نفسهم ليعيشوا بموجب قوانينهِ . فما أحرى بي ان ادرس ديني هذا واتحقّق صحّتهُ فأسير بمقتضى واجباتهِ »

ومن ثمّ عمد شرل الى بعض الكتب الدينيّة وأعمل فيها نظر ذهنهِ فاذا بنور الحقيقة بزغ لهُ وسطعت شموس الايمان الكاثوليكيّ فثبت قلبهُ واندفع يصلّي الى الله لينير بصيرتهُ ويبيّن لهُ ما يطلبهُ منهُ ويهديهِ الى الصراط المستقيم . واذ احسّ بانّ ضميرهُ مُثقل بالاوزار السابقة ادرك ضرورة التوبة والاقرار بخطاياهُ الى كاهن فتردّد حيناً يقدّم رجلاً ويؤخّر اخرى الى ان قام في صباح احد أيام تشرين الاوّل سنة ١٨٨٦ فدخل في كنيسة القديس اوغسطينوس في باريس واذا بالاب هوفلين في كرسيّ الاعتراف فانحنى اليهِ قائلاً :

يا حضرة الاب لا اعرف الايمان فارجوك ان تُرشدني

فنظر اليهِ الاب هوفلين فعرفهُ وقال: اجثُ مقرًّا بخطاياك فسوف تؤمن

قال شرل: ما اتيتُ لذلك

قال الكاهن: لا بأس. اعترفْ فانا أرشدك

فشعر دي فوكو انَّ ساعة اهتدائهِ قد قربت وان نور الايمان لا يُضيء في النفس الّا اذا طهرَتْ من اوزارها. فأقرَّ بآثامهِ خاشعاً مقتنعاً حتى اذا انتهى من اقرارهِ استملك الايمان على قلبهِ وانقشعت كلّ ظلمات عقلهِ. ولما نهض مأزوراً بحلّة الكاهن سألهُ المرشد: اصائم انت؟ قال: نعم. قال: اذهب اذن وتناول القربان الاقدس

فاقترب شرل دي فوكو للحال من المائدة المقدّسة. وخرج بعد ساعة من الكنيسة والقلبُ مفعم سلاماً وفرحاً لم يعهد بهما سابقاً

٦ المرشدي والراهب

قد ظهرت لنا في ما سبق شجاعة دي فوكو وبسالتهُ ورباطة جأشهِ في رحلتهِ الى مراكش انما تلك المزايا الحسنة كانت مآثر طبيعيَّة يُعجب بها الناس. امّا الآن وقد تسلّطت النعمة على نفس المهتدي فقد عزّزت تلك الاعمال الطبيعيَّة وحوّلتها الى فضائل مسيحيَّة سامية بأمّت صاحبها الى اوج الكمال

اخذ المهتدي يلازم الصلاة ويواظب على الاسرار المحيية ويغذي نفسهُ بقراءات الكتب التقويَّة فحقرت في عينهِ الدنيا واراد ان يزهد بها. فبعد ان استشار مرشديهِ وتحقَّق الدعوة الالهيَّة هجر العالم وترك ثروتهُ لاختهِ وطلب الترهّب بين الترپيستيين ودخل ديرهم المدعو دير سيّدة النلوج في اعالي جبال ڤيڤاره في ١٥ ك ١ سنة ١٨٩٠

وهذه الرهبنة كما هو معلوم ذات قوانين شاقَّة لِما تفرض على ذويها من التقشفات والصيامات والاشغال اليدويَّة مع ممارسة اخصّ الفضائل القاهرة للاميال البشريَّة. فلما انضوى اليها شرل دي فوكو مارس بكل نشاط جميع فرائضها الّا انَّ الله افتقدهُ بالبيوسة الروحيَّة كما يمتحن اولياءهُ ليزيدهم تجرُّدًا عن نفوسهم وثقةً بهِ تعالى وحدهُ فصبر على محنتهِ واضاف اليها التقشفات الصارمة ليقهر اهواء نفسهِ

وكان قلبهُ لا يزال هائماً بحب بلاد الشرق ليعيش فيهِ خاملاً مجهولاً في الفقر المدقع والاتعاب المضنكة فارسلهُ رؤساؤهُ الى ديرهم في اكبس الواقع في حدود سوريَّة في ولاية آطنه على مسافة يومين من الاسكندرونة وكان وصولهُ اليهِ في اواسط

تموز من السنة ١٨٩٠ . وكان هذا الدير حديث العهد لم يتشيَّد الّا منذ ثماني سنوات فينقصهُ كثير من لوازم المعاش وراحة الجسم . فدخلهُ شرل دي فوكو وشاطر رهبانهُ بشظف عيشهم ينام معهم في مسقَّف فوق آخور تنبعث اليهِ روائح البهائم المزعجة ويحتملُ فيهِ شدَّة الحرّ صيفاً وبرد الثلوج المتراكمة على رؤوسهم شتاء ويقضي صلب نهارهِ بأشقّ الاشغال كالزرع والحصاد وقطع الاشجار والبناء

فعاش الاخ ماري البريك ، وهو الاسم الذي اتَّخذهُ يوم ترهّبهِ ، كاحد الرهبان البسطاء لا يكاد يخطر على بال احدٍ من ناظريهِ انهُ ذاك الضابط الباسل وكشَّافة البلاد المجهولة والكاتب الذائع الصيت . بل كان قدوةً لاخوتهِ بممارستهِ أسمى الفضائل الرهبانيَّة وملازمتهِ الصلاة وانقطاعهِ الى الله حتى انَّ رئيسهُ كتب عنهُ انهُ لم يصادف طول حياتهِ رجلاً مثلهُ مستهام الفؤاد في حبّهِ تعالى . وكان اذا رأى اهل تلك البلاد من ارمن وشركس واكراد يتوق الى خلاصهم واضرام قلوبهم بحبّهِ تعالى وكان اذا مكَّنتهُ الفرصة يرفع الحاظهم الى خالقهم ويعدل بها عن اباطيل العالم

فتأكَّد الرؤساء انَّ لذاك الراهب دعوةً خصوصيَّة أحبُّوا بعد التروّي في احوالهِ ان يساعدوهُ في تتميمها ولذلك تقدَّموا اليهِ بان ينقطع الى درس اللاهوت استعداداً للكهنوت لعلَّهُ يحقّق آمالهُ فيهِ من خدمة الله وخلاص النفوس فارسلوهُ الى رومية الى ديرهم حيث قضى ثلاث سنوات في الدروس الكهنوتيَّة وهو في سائر اعمالهِ مثال التواضع والتفاني والطاعة لا يحبُّ الّا الاعتزال عن المخلوقات وينفر عن كلّ اكرام ومديح ليعيش لله ومع الله

واذ حان وقتئذٍ زمن إبرازهِ النذور الاحتفاليَّة في رهبانيَّتهِ كشف نفسهُ بكل حرص وتدقيق لرؤسائهِ ليفحصوا قدام الله ما هي مشيئتهُ تعالى بحقّهِ أيبقى في الرهبانيَّة او يعيش في النسك والذلّ في وسط العالم خارجاً عن الدير في الفقر والعوز المدقع والخدمة الحقيرة . فكان جوابهم انَّ الله داعيهِ لهذه العيشة النسكيَّة خارجاً عن الدير . فرأى شرل دي فوكو أن يتبع مشورتهم لئلّا يخالف دعوة الله

٧ الناسك الفلسطيني

في ٦ آذار ١٨٩٧ كنت ترى على باب كنيسة الراهبات الفرنسيسيَّات الكلاريس شاباً في كمال الشباب بزيّ غريب مرتدياً برداء ذي خطوط زرقاء فبيضاء سراويلهُ

من القطن الازرق تغطي رأسهُ لبادةٌ على دائرها قماش كالعمامة وفي رجليهِ نعلان عتيقان وقد علّق على زنّارهِ الجلدي سبحةً ذات حبوب ضخمة . فدخل البيعة وجثا امام الهيكل في اسفل الكنيسة وبقي هناك ساعتين لا يُبدي حراكاً فارتابت الاخت البوّابة في امرهِ واخذت تراقبهُ لئلّا يختلس شيئاً من الكنيسة وما كان ذاك الصعلوك الّا الضابط شرل دي فوكو الذي برز بهذا الشعار الذليل ليكفّر عن سالف جهالاتهِ وكبريائهِ

على انّ رئيسة الدير لمّا طلب ان يواجهها والتمس منها ان تقبلهُ كخادم يقضي ساعات نهارهِ على باب الدير في الصلاة والخلوة والقيام بحاجات الراهبات في الخارج ما لبثت ان استشفّت شيئاً من امرهِ لما في محيّاهُ من امارات النعمة والشرف لاسيما بعد أن ألفتَ نظرها الى اصلهِ الشريف احدُ الآباء الفرنسيسيين فلبّت طلبتهُ واقامتهُ واقفاً على الكنيسة ليقوم بنظافتها وخدمة كهنتها . واذ حاولت ان تقدّم لهُ مأوى البستاني في جنينة الدير أبى الّا ان يسكن في كوخٍ هناك ذي اربعة الواح يعاوهُ الآجرّ وتُلقى فيهِ نفايات الدير وكان لا يرضى لاكلهِ وشربهِ الّا بما تأكلهُ الراهبات الفقيرات

فأخذ يصرف نهارهُ بالصلوات المتواترة وبمناجاة الله الساعات الطوال والقراءات الروحيّة في كتب يستعيرها من الدير وبتأليف بعض المقالات الروحيّة وكان لا يهمل شيئاً من واجبات وظيفتهِ لاشغال الكنيسة . فكانت الراهبات في البلدة متخذاً اليهِ مثالاً لحياتهِ النسكيّة الحاملة السيّد المسيح في الثلثين سنةً من حياتهِ الخفيّة في تلك المدينة عينها

وكان اهل الناصرة لأوّل نظرهم الى خادم الراهبات يستخفّون بهِ وكان صغارهم يصرخون وراءهُ لكنّهم اذ رأوا تقى ذلك الفقير وورعهُ وإحسانهُ الى غيرهِ من الفقراء بطعامهِ جعلوا يلتفتون اليهِ بالاحترام وعظُم في اعينهم . أمّا هو فكان يُسرّ بازدراء العالم والاهانات لا يفكّر الّا بحبّ الله والتجرّد التامّ من المخلوقات . وكان في تلك الاثناء يكتب لاهلهِ في فرنسة رسائل تُشعر بروحهِ هذا الالهيّ وتحمل قرّاءها على تمجيد الله في قدّيسيهِ

وكانت رئيسة راهبات الكلاريس في القدس سمعت باخبار هذا الفقير الاختيازي

في دير اخواتها في الناصرة فاحبّت ان تنظره لتحقّق صحّة ما بلغها عنهُ فارسلتهُ رئيسة الناصرة الى اورشليم بحجّة ارسال مكتوب سرّي فسافر مطيماً ماشياً على الاقدام مستعطياً في طريقهِ خبزهُ . فكانت سيرتهُ في القدس كسيرتهِ في الناصرة بالزهد والتجرُّد والكفران بالنفس والحب لله حتى اتّفق جميع من رآهُ على انهُ رجل قديس لا يكترث الّا لأمور الآخرة وخدمتهِ تعالى عزَّ وجلَّ

على انَّ رجل الله كان يشعر برغبةٍ عظيمة في خلاص القريب فعرض افكارهُ على الاب هوڤلين مرشدهِ وطلب مشورتهُ فكان جوابهُ ان يستعدَّ لقبول الكهنوت فانَّهُ بهيئتهِ القسّية وكهنوتهِ يمكنهُ ان يؤدي لله وللكنيسة خدماً اعظم واجلّ ويردّ الى التوبة نفوساً عديدة من الشرقيين حيث دعاهُ الله الى تبشيرهم

فرأى في هذه المشورة علامةً جديدة من مشيئتهِ تعالى ومن وقتهِ اجر الى فرنسة وبواسطة رئيس الآباء الترابيستيين الذي كان وقف على فضلهِ وارشدهُ الى دعوتهِ نال من يد السيّد مرنتلي (Mgr Mantély) نعمة الكهنوت في ٩ حزيران ١٩٠١

٨ حبس الصحراء

أمرت درجة الكهنوت مزيد اضطرام في قلب الاب شرل دي فوكو ورغبته في بذل نفسهِ في خدمة الله وصالح القريب . على انَّ الربَّ أوحى اليهِ بان يعدل عن الرجوع الى فلسطين ويسير حيث احرز لهُ مجداً عالميًّا باكتشافاتهِ في مراكش والصحراء فيعيش هناك بالنسك بين العرب فيرشدهم بمثلهِ الى سواء السبيل والى الحياة الفضلى

فلم يشأ ان يباشر تلك الحياة النسكيَّة الّا بعد ان يعرض نيَّاتهِ على الآباء الروحيين حتى اذا تحقَّقوا انَّ فكرهُ هذا من الله جرى عليهِ واخرجهُ الى حيّز الوجود والّا يفضّل الطاعة على الضحيَّة . فأثّر تواضعهُ هذا ورغبتهُ في اتمام مشيئة الله في السيّد ليتنيالك من جمعيَّة المرسلين الافريقيين من الآباء البيض وفي السيد جيرين القاصد الرسولي على بلاد الصحراء فباركا قصدهُ واطلقا لهُ الحريَّة باتّباع الهام الروح القدس . وكذلك الجنرال حاكم الجزائر العام رضي بحلولهِ في تلك الجهات القاصية . فكان لهذا النبأ بين الضبّاط الفرنسويين المحافظين على ثغور الجزائر وجنوبي البلاد افضل وقع وقد عرف كثيرون منهم الضابط شرل دي فوكو واطّلعوا على اكتشافاتهِ العجيبة

فكانوا يحتفون به حيثما سار ويكرمونهُ ككاهن ناسك بعد ما اشادوا بذكره كعالم وراند للصحراء واحبُّوا ان يرافقوهُ الى آخر حدود الاراضي الفرنسويَّة بل ارادوا ان يبلغوهُ الى ما وراءها الى واحات بني عبَّاس من بلاد الصحراء

وبنو عبَّاس هذه قرية يتراوح عدد سكَّانها بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ نفس اهلها عرب ومولَّدون وعبيد فاحسنوا استقبالهُ اذ عدّوهُ كاحد المرابيط النسَّاك . وكان الاب الناسك اتَّخذ للبسهِ قميصاً ابيض بمنطقة من جلد على حقويهِ علَّق عليها سبحةً . فلمَّا احتلَّ بجوارها اختطَّ لهُ دائرةً جعل لها سياجاً واقام في وسطها لهُ مسكناً حقيراً وبقربهِ معبداً للصلاة عُني بهندستهِ بعض المهندسين من الجنود الفرنسويين زانوهُ بذبح وببعض التصاوير واتَّخذ هناك جنينة صغيرة كان يعتني بزرعها ويستثمر بعض غلَّاتها وبُقولها لماشهِ البسيط ولاكرام ضيوفهِ

ومذ ذاك الحين عيَّن الاب دي فوكو لنفسهِ نظاماً لساعات نهارهِ فقسمها بين الصلاة والشغل العقلي واليدوي فيبتدئ نهارهُ قبل الفجر ويقدّم الذبيحة المقدَّسة ويبقى زمناً طويلاً ساجداً للقربان الاقدس الذي كان لهُ اعظم مؤنس في عزلتهِ

وكان يخصّ قسماً من نهارهِ للدروس الدينيَّة من اللاهوت الادبيّ والنظري وتأليف بعض الكتب الروحيَّة

وكان يدرس مع ذلك لغات القبائل فيتعمَّق في درس العربيَّة ويمعن النظر في لغة البَرْبر الشائعة في شمالي افريقية . وكان في جوارهِ قبائل أُخرى تُعرف بالطوارق لهم لغة خاصَّة فاقبل على درسها وألَّف معجماً ضخماً لتعليمها جعلهُ طوارقيًّا فرنسويًّا (touareg-français)

فكانت دروسهُ هذه تقرّبهُ الى اهل البلاد فيأتون اليهِ ويحادثونهُ . فما لبث ان احرز ثقتهم واستاهم باطفهِ فكانوا يتردَّدون اليهِ بكل شوق ويناجونهُ في امورهم ويأخذون منهُ معلومات لم تخطر على بالهم لتحسين زراعتهم وتجارتهم وامورهم الاقتصاديَّة . بل اقام نفسهُ معلماً ومهذّباً لصغارهم

وكان في معاملاتهِ هذه يحيد عن التبشير بالدين المسيحيّ ويجتزئ بامثالهِ وحياتهِ القشفة التي كانت تؤثّر في ناظريهِ اكثر من اقوالهِ . وانَّما كان يبجّن في قلوب ساميهِ تلك الحكم الذهبيَّة التي يأنس بها ذوو الاستقامة والآداب الغريزيَّة الحسنة . كمعرفة

الخالق وشكر نعمهِ والاتكال عليهِ واحترام وجودهِ في كلّ مكان وكمامة القريب بالعدل والانصاف وكالحياد عن المآثم وغير ذلك مما كان يردّده الاب دي فوكو على مسامع اولئك القوم الفطريين فيعمل كلامهُ في قلوبهم ويستصوبون تعليمهُ. ولثقتهم بالاب المتنسك بينهم اتخذوهُ حكماً في مشاكلهم فكانوا يرفعون اليهِ دعاويهم ويرضون بحكمهِ لهم او عليهم لعلمهم بانهُ يقضي دون محاباة بالوجوه ومراعاة للاشخاص. امّا المساكين منهم فكان الناسك البارّ لا يردّهم دون ان يشاطرهم ما لديهِ من القوت وربّما تخلّى لهم عمّا بقي عندهُ لعوزهِ

وكان الفرنسويّون لشهرتهِ السابقة وصلاحهِ يتقاطرون الى مسكنهِ ويرتشدون باقوالهِ. وقد ردّ منهم كثيرين الى ممارسة فرائض الدين وكان اذا دعوهُ الى مرافقتهم في بعثاتهم لردّ غارات العدوّ يلبّي دعوتهم فيضمد جراح الصرعى ويدفن موتاهم ويعتني ايضاً بجرحى العدوّ

ولمّا رأى رؤساء الجيش الفرنسويّون في جهات الجزائر والصحراء ما يؤدّيهِ الاب شرل دي فوكو من الخدم لجنودهم عرضوا عليهِ ان يأتي فيسكن في جهة الجنوب في بلاد هُجّر ليس بعيداً عن طرابلس الغرب حيث كانوا شيّدوا بعض الحصون في وجه قبائل من العصاة. وعلى مسافة يومين من بني عباس

فاجاب الى طلبتهم بعد معاينة تلك الناحية اذ وجد فيها ما يحتاج اليهِ لحياتهِ النسكيّة وخدمة الوطنيين. فانتقل معهم الى قرية تُدعى تمانرّست وذلك في السنة ١٩٠٨ وكانت صحّتهُ قد توعّكت فشفي في مقامهِ الجديد حيث بقي الى سنة وفاتهِ

وكانت عيشة الاب دي فوكو في تمانرّست كعيشتهِ في بني عبّاس يحيي الليل بالصلاة ويقدّس نهارهُ بالاعمال التقويّة والاشغال المفيدة. ومن خدمهِ للعلم في تلك المدّة انهُ جمع الحكم والامثال السائرة بين القبائل وكتب ما لحظهُ من اخلاقهم وعاداتهم. كما انهُ كان يدوّن كلّ يوم ما يجري في تلك الجهات من الحوادث في مفكّرة نشر جانباً منها كاتبُ سيرتهِ

ومن مبرّاتهِ عيادتهُ للمرضى من اهل تلك الانحاء فيوزع عليهم الادوية ويعزّيهم في عللهم ويقويهم بذكر الله والالتجاء اليهِ والصبر على محنهِ

امّا الاصحاء فكان يسعى جهدهُ بان يفيدهم بسعة علمهِ وخبرتهِ فينذرهم بآداب :...

الهيئة الاجتماعيَّة ووجدان الضمير ويعلّمهم مبادئ علم الصحّة والزراعة ونسج الملابس الصوفيَّة والقطنيَّة . فتلك كانت بشارتهُ بينهم بايمانهِ جاعلًا حياتهُ كمرآة دينهِ القويم

وكانت غاية ما يتمنَّى أن ينشئ في الصحراء جمعيَّة رهبانيَّة تتخصَّص على مثالهِ في خدمة اولئك السكَّان فتزيل باعمالها اكثر منها باقوالها اوهامهم وتهذّب طباعهم وترشدهم الى الصلاح وتقرّبهم الى معرفة ربّهم وفاديهم لولا انَّ الظروف حالت دون رغبتهِ فمات هناك شهيد محبَّتهِ لتلك الاقطار المهملة وهاك تحرير الخبر .

٩ موت رسول الصحراء

انفجر في اوائل آب من السنة ١٩١٤ ذاك البركان الهائل الذي سُمع دويُّهُ الى اقاصي المعمور . انتشبت الحرب الكونيَّة بين الدول المركزيَّة وحلفاء فرنسة فبلغ الخبر بسرعة البرق الى مسامع الاب دي فوكو فشعر بدمهِ الوطني يفور في عروقهِ ولم تمت فيهِ بسالة الضابط القديم على انَّهُ اسكت صوت الطبيعة ليقضي حياتهُ الكهنوتية في خدمة عرب الصحراء فكان وجودهُ بينهم عربونًا للهدوء والسلام . فبقي في مركزهِ معزَّزًا محبوبًا يُشار اليهِ بالبنان لسموّ فضلهِ واستمرَّ على ذلك نحو سنتين الى صيف السنة ١٩١٦

فلمَّا دخلت ايطاليـة في الحرب في جانب الحلفاء ارسل الالمان والاتراك من قبلهم رجالًا يثيرون الفتن في طرابلس الغرب على الايطاليين وعلى حدود المستعمرات الفرنسويَّة فاجاب السيّد السنوسي وانصارهُ الى دعوتهم فهاجوا وماجوا وقاموا للغزو فعاثوا في المراكز التي احتلَّها الطليانيُّون فسادًا ثمَّ حوَّلوا النظر الى التخوم الفرنسويَّة فخافوا ان يرتدُّوا عنها خاسرين فصبروا مدَّة الى حين بلغهم انَّ معظم الجنود المرابطين في الهُجَّر قد استدعتهم الدولة الى حربها في فرنسة فأخلوا كثيرًا من حصونهم وان الناسك « المربوط » الفرنسويّ ظلَّ وحدهُ في تمانرَست فوجدوا الفرصة مناسبةً للحملة عليهِ

وكان الفرنسويُّون سبقوا واستدركوا الخطر بتحصين منزل الاب دي فوكو حتى اذا واقعهُ السنوسيُّون يبقى مدَّةً في امان مع خدَمهِ ريثما يأتي الجند لانقاذهِ

فلمَّا كان يوم الجمعة في غرَّة كانون الاوَّل سنة ١٩١٦ والكاهن رجل الله

مستحرٌ في صلاتهِ في غسق النهار واذا بفرقة من السنوسيين زحفت الى المنسك المحصَّن ليقبضوا عليهِ وينهبوا ما في منزلهِ من الذخيرة . فاحاطوا بالمكان ولعلّهم كانوا عادوا بالخيبة لولا احد الحرّاثين الذي كان احسن اليهِ دي فوكو فصرخ اليهِ وزعم انهُ آتيهِ بالبريد فدعاهُ الى الباب ليأخذهُ فانخدع بهِ الكاهن وفتح لهُ ومدَّ يدهُ ليستلم البريد الموهوم فقبض عليها وسحبهُ خارجاً عن حصنهِ . وكان اسم ذاك الخائن «المدّني» . فلمّا رآهُ الغزاة والطوارق الـذين من حزبهم خارجاً وهو اعزل ربطوا يديهِ وراء ظهرهِ دون ان يدافع عن نفسهِ وتركوهُ في حراسة واحد منهم ثمَّ دخلوا الحصن فنهبوا كل محتوياتهِ ثمَّ احـاطوا بأسيرهم فاستنطقوهُ عن الجنود الفرنسويين ومـا يعرف من احوالهم ومكانهم وعددهم فـلم يُحِرْ الاب جواباً ولم تَلُح على وجههِ امـارات الخوف او القلق فتهدَّدوهُ ببنادقهم واساؤوا معاملتهُ مدَّة نصف الساعـة فلم يُبدِ حراكاً فسألوهُ ان يتلو الشهادة الاسلاميَّة فأبى قائلاً : « اني على اهبة الموت » . فمـا قال هذا حتى اطلق على رأسهِ بعضهم بندقيَّتهُ . قال شاهد العيان وهو بولس خادمهُ : فلم اسمع للقتيـل صوتاً وما علمتُ بجرحهِ حتى رأيت بعد هنيهةٍ الـدم يسيل من رأسهِ والجسم منحنياً ساقطاً على الحضيض على احد جانبيهِ .

ثمَّ شُغل القَتَلة بجمع أسلابهم وقتلوا هناك ثلثةً من الجند كانوا ابنـاء سبيل ثمَّ تواروا عن العيان . وعند المساء اودع الحرّاثون المجاورون جُثث القتلى في اللحـد وتركوا جثَّة الاب دي فوكو على هيئتهِ عند سقوطهِ وهو راكعٌ على ركبتيـهِ ويداهُ مربوطتـان خلف ظهرهِ . وبعد سنةٍ مرَّ عنـد قبرهِ الجنرال لابرين (Laperrine) صديقهُ ففتح القبر ليستخرج الجثَّة ويقيم لها مشهداً حسناً فـاخذهُ ورفقتهُ العجبُ اذ رأوا جثة الاب كما كانت ساعة موتهِ سالم الاعضاء لم يؤثر الفساد في جسمهِ

هكذا مات موت الشهداء ذاك الرجل العجيب الذي دعاهُ الله ليضيءَ كالسراج المنير في ارض الصحراء المتسكعة في ظلام الجهل ويحيي بين العرب كل فضائل سيّدهِ المسيح مدَّة ستَّ عشرة سنة فمات يوم الجمعة المخصَّص لاكرام قلب يسوع الذي كانت قصوى غايتهِ ان يعجـدهُ بين الشعوب التي كانت تجهـل اسمهُ . ولا غرو ان ذكرهُ سيبقى مخلَّداً وانَّ امثالهُ ستبعث في قلوب غيرهِ من الرسل الرغبـة في تحقيق آمالـهِ لمجد الله وفخر كنيستهِ

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف الحاء

٣٠٧ ﴿حاتم﴾ للسيّد بولس مطران حلب على الروم الكاثوليك المتوفّى في ١٠ شباط ١٨٨٥ . لهُ في مكتبة الدار الاسقفيّة في حلب : ١ً ° دحض الاضاليل الباطشتانيّة الآتية من ضلالات تعليم هنديّة ، كتبهُ سنة ١٨٤٩ لتزييف اوهام العابدة مرغريتا باطشتا المارونيّة ، ٢ً مجموعة مواعظ في مجلّدين

٣٠٨ ﴿حاتم﴾ ميخائيل الشاعر الملكي . عاش في القرن السابع عشر لهُ ديوان شعر في اللغة العاميّة في مكتبة الموارنة في حلب نُسخ سنة ١٦٨٨ . ولدينا زجليّات وقدود عديدة من نظمهِ في مجاميع مكتبتنا الشرقيّة كثير منها قالها في العذراء مريم وفي مزارها في صيدنايا نشرنا بعضها في مجلة المشرق

٣٠٩ ﴿الحاذق﴾ الشيخ يوحنّا لهُ في مكتبة باريس (Supplément n° 4702) بين المقتنيات التي دخلت اليها حديثاً تاريخ من اوّل العالم الى ايّام المسيح على شبه تاريخ برجس بن المكين . كُتب سنة ١٢٠٠ ه (١٧٨٣م)

٣١٠ ﴿الحارث بن سنان﴾ عاش في القرن الرابع عشر للميلاد . قد ترجم الاسفار المقدّسة من العهدين القديم والحديث . من ترجمتهِ عدّة نسخ في باريس (de Slane: *Mss. ar.*, N°s, 13 et 14) وفي لندن (Suppl. n° 2) وفي المكتبة الفاتيكانيّة (Vat. n° 1) تاريخ نسختها سنة ١٣٢٩ بعناية السيد اندراوس ابن الشيخ السيّد سعيد الدولة القوصي

٣١١ ﴿الحارث بن كَلَدة﴾ هو طبيب العرب ونسبهم الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي النسطوري توفّي في اوائل الاسلام في خلافة عمر وقيل بلغ الى ايّام معاوية (اطلب ترجمتهُ في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة ص ١ — ١١٢) . يُعرَف لهُ وصايا طبيّة متفرّقة في تواريخ الاطباء وكتب الأدباء لم تُجمع وذكر لهُ

ابن ابي اصيبعة كتابَ المحاورة في الطبّ بينهُ وبين كسرى انوشروان روى منهُ نبذة

٣١٢ ﴿الحاقلانيّ﴾ الشمّاس ابرهيم احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية ومدرّس اللغات الشرقيّة في كليّتها توفّي في ١٥ تموز ١٦٦٤ . نشر في باريس ورومية عدّة تآليف كسفر راعوث وسفر المكابيين الثالث واهتمّ بنشر التوراة المتعدّدة اللغات (البوليغلوتّا) . ونقل من العربيّة الى اللاتينيّة كتاب مختصر مقاصد حكمة فلاسفة العرب المدعوّ جام كيني غا (مرآة الدنيا) في ٢٦ فصلًا وطبعهُ سنة ١٦٤١ . ونشر عربيًّا ولاتينيًّا قوانين المجمع النيقويّ في ٨٤ بندًا كما يتداولها الشرقيّون . وترجم الى اللاتينيّة تاريخ ابن الراهب وكتاب المخروطات لابولونيوس مع شروح ابي الفتح الاصفهاني ووضعيّات ارخميدس المعرّبة بقلم ثابت بن قرّة وكتاب تعليم المتعلم لازرنوجي وكتاب ديوان الحيوان للسيوطيّ . ولهُ ردود على علماء البروتستانت في بيان صحّة اسم البابا وفي الدفاع عن افتيشيوس ابن بطريق . ولهُ ايضًا كتاب غراماطيق سرياني لاتيني ونقّح بعض كتب طائفتهِ الطقسيّة في رومية . ومما يعرف لهُ من الآثار المخطوطة كتاب معجم عربيّ لاتيني في مكتبة باريس (Paris, n° 4345)

٣١٣ ﴿حُبَيش بن الحسن﴾ هو حُبَيش الاعسم تلميذ حنين وابن اختهِ وأحد النقلة من السريانيّة الى العربيّة . كان في القرن التاسع للميلاد . اطلب ترجمتهُ في فهرست ابن النديم (ص ١٩١) وفي تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطيّ (ص ١٢٩) وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٠١) وقد ذكروا لهُ هناك عدّة تعريبات من تآليف جالينوس وبقراط . ومن تآليفهِ كتاب الزيادة في مسائل حنين

٣١٤ ﴿الحجّاج﴾ يوسف بن مطر الحاسب الكوفي احد النقلة من اليوناني الى العربيّ . ازهر في القرن الثالث للهجرة والتاسع للمسيح . ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ٢٤٣—٢٤٤) وعدّد منقولاتهِ . ومما ثبت لهُ على آفات الدهر : ١ نقلهُ لكتاب المجسطي لبطلميوس . ٢ كتاب اصول اوقليدوس وكلاهما في مكتبة ليدن (Leiden, Codd. 965 et 1045)

٣١٥ ﴿حجّار﴾ السيّد باسيليوس رئيس اساقفة صيداء ودير القمر المتوفّى سنة ١٩١٦ . عرّب كتابَي الكردينال بارمينوس اليسوعي سُلّم الصادقين فطبعهُ سنة ١٩١٠ ووصيّة السيد المسيح الاخيرة على الصليب المطبوع سنة ١٩١١ ولهُ

تأليف في سيدة المنطرة قرب صيداء ورسائل مخطوطة

٣١٦ ﴿حجّار﴾ القس ديونيسيوس الحلبي ترجمان مجمع انتشار الايمان وتلميذ مدرسة اليونان المنتمية الى القديس اثناسيوس. كانت وفاتهُ في اواخر القرن الثامن عشر. من آثاره انهُ: ١ً اعاد النظر في ترجمة الاب بطرس فروماج لكتاب الاب بولس سنيري للتعبّد لمريم طُبع في رومية سنة ١٧٧٥ ثمّ في الموصل سنة ١٨٧٠ و١٨٩٦. ٢ً نقّح تعريب كتاب التعليم التريدنتيني الذي كان عرّبهُ الراهب البلدي الحلبي يعقوب بن لروتين من اللاتينيّة (Schnurrer, n° 308)

٣١٧ ﴿الحجري﴾ الاب كورنيليوس اليسوعي (P. Cornelius a Lapide) المتوفّى في ١٢ آذار سنة ١٦١٧. قد فسّر كورنيليوس الحجري جميع اسفار التوراة من عهديها القديم والحديث تفسيراً واسعاً نُقل منهُ الى العربيّة شرحهُ لاسفار العهد الجديد. فالاناجيل الاربعة عرّبها الخوري يوسف بن جرجس الحلبي احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية في اوائل القرن الثامن عشر وعُني بطبعها الخوري يوسف الدبس في المطبعة العمومية سنة ١٨٧٧ تحت عنوان تحفة الجيل في تفسير الاناجيل. منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة مدرسة الصلاحية في القدس (Or. Chr. 1914 p. 90). وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ تفسير انجيل مار لوقا كتب سنة ١٧٩٢. ٢ً مقدّمات كورنيليوس الحجري على الاناجيل الاربعة تعريب الخوري يوسف المذكور. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٧٥٣. ٣ً تفسير رسائل مار بولس تعريب الخوري يوسف المذكور. منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب. وفي بيت الوجيه نقولا أيوب. وفي مكتبة مدرسة الصلاحية في القدس تفسيرهُ لرسائل القديس بولس الى اهل كورنتوس (ib. 89). ٤ً مقدّمات على تفسير رسائل مار بولس. منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة. وقد اقتطف الخوري يوسف العلمَ كثيراً من هذين الكتابين في تأليفهِ المعنون بتيسير الوسائل في تفسير الرسائل الذي طُبع سنة ١٨٧٣. ٥ً تعريب رؤيا مار يوحنّا للخوري يوسف الحلبي ايضاً. طبعهُ سنة ١٨٧٠ يوسف الشلفون بهذا الاسم «العنوان العجيب في رؤيا يوحنا الحبيب» قرّظهُ فرحات في ديوانهِ

٣١٨ ﴿الحدّاد﴾ الخوري كيرلس المخلصي المتوفّى نحو السنة ١٨٨٥. لهُ في مكتبة دير المخلّص قريباً من صيداء: ١ً تاريخ مخطوط للرهبنة المخلصيّة

٢ً ترجمة السيد افتيميوس صيفي مطران صيدا. ومنشئ الرهبانية المخلصية

٣١٩ ﴿ الحدّاد ﴾ الخوري يوسف مهنا الرومي الاورثذكسي الذي قُتل في دمشق في حوادث السنة ١٨٦٠ . لا نعرف له غير ما طبعهُ كتعريبهِ لكتاب التعليم المسيحي لفيلاريتوس مطران موسكا وتعريب الكسندروس ستورزا الروسي في الحسابَين مع تنوير المشتاق بشأن حوادث الحسابين. ومن حسناتهِ اهتمامهُ بطبع ميامر مار يوحنّا فم الذهب على انجيل مار يوحنّا المعرَّبة بقلم ابن الفضل الانطاكي

٣٢٠ ﴿ حسّون ﴾ رزق الله الكاتب الحلبي المتوفّى نحو السنة ١٨٨٠ في لندن اطلب ترجمتهُ في كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (٢: ٤٥–٤٩) وفي المقتطف في السنة ١٩١٠ ص ٢٢٤ و ٢٤١) . ١ً في مكتبتنا الشرقيّة نسخة حسنة من كتابهِ حسر اللثام عن حالة الاسلام في مجلدين . ٢ً ولهُ فيها ايضاً عدّة كتب منسوخة بخطّهِ الجميل وعلى ورق منقوش وملوّن كصبح الاعشى وديوان ذي الرمّة وديوان الاخطل وكتاب الكتّاب لابن درستويه وتاريخ الجزيرة لابن شدّاد . ٣ً لهُ ديوان شعر نثر منهُ قسمٌ في المشرق والمقتطف . ٤ً ومن مطبوعاتهِ النفثات ضمّنهُ قطعاً ادبيّة شعريّة. وقد نظم سفر أيوب ومراثي ارميا النبي ونشيد الاناشيد. طُبع في المطبعة الاميركانيّة تحت عنوان اشعر الشعر سنة ١٨٧٠

٣٢١ ﴿ الحصروني ﴾ مخايل سعاده بن صابونا مطران طرابلس المتوفّى في ١٣ شباط ١٦٦٩ . لهُ: ١ً كتاب في الحساب الفرينوري بالكرشوني طبعهُ في رومية (راجع وصفهُ في الصفحة ٧٨٧) . ٢ً لهُ في مكتبتنا الشرقيّة «كتاب احكام شرعيّة نتجوها العلمين وحدّدوها المجامع . . وهي موجودة الى يومنا هذا في اللغة السريانيّة وقطنها في العربيّة المطران مخايل المكرَّم للاروني الحصروني الاصل» تاريخهُ من القرن الثامن عشر . وقبلهُ اربع ورقات عن المواريث دون ذكر صاحبها ولعلّها لهُ ايضاً

٣٢٢ ﴿ الحصروني ﴾ يعقوب بن سمعان من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية توفي نحو السنة ١٦٦٠ . لهُ في المكتبة الفاتيكانيّة (Bibl. Or. I, 631, n°3) : ١ً ترجمة قوانين المدرسة المارونيّة في رومية من الايطاليّة الى العربيّة سنة ١٥٨٥ . ثم ٢ً ترجمة قدّاس مولد السيد المسيح من اللاتينيّة الى العربيّة . ٣ً وهو الذي عرّب عن

اللغة الطليانيّة كتاب تفسير واسع على التعليم المسيحي للكردينال بلرمينوس وطبعهُ في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٦٢٧

٣٢٣ ﴿الحصروني﴾ يوحنّا بن حاتم الحوشبي الراهب الدومنيكاني ومطران طرابلس الماروني ويدعوهُ البعض يوحنّا دايس توفي في رومية سنة ١٦٣٢ . لهُ ١ في مكتبة انتشار الايمان في رومية كتاب مناقضات القرآن (Steinschneider: *Polem. Literatur*, p. 402) . ٢ وجدنا لهُ بين مخطوطات مكتبة السيد ميخايل اخرس مطران حلب الماروني كتاب قواعد الانجيل والعلوم الرسوليّة والمجامع التيليّة ومراسيم الابهات والملعين البيعيّة في ٥٤ فصلًا . ٣ في مكتبة بيت الدكتور جدّ في حلب مختصر اللاهوت للحصروني هذّبهُ بطرس التولاوي سنة ١٦٩٩ . وفي نسخة اخرى في مكتبة الموارنة عنوانهُ كتاب اللاهوت للمطران يوحنّا الصدان الحصروني . ٤ لهُ بين مخطوطات مكتبة دير مار شليطا (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٥٤) كتاب مقتطف الاسرار بخط القس جرجس افرام البالي . ٥ وذكر لهُ الدويهي في تاريخهِ (ص ٢٠٣) تعريب جزء من خلاصة مار توما اللاهوتيّة

٣٢٤ ﴿الحصروني﴾ يوسف بربور مطران طرابلس احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية المتوفّى في ٢١ ك ١ سنة ١٦٩٥ . لهُ ١ : كتاب علم النيّة المدعوّ ايضاً علم الضمير النيّر للكهنة والاعوام هذّبهُ التولاوي وهو في ٢٤ باباً . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة في اوّلها ترجمة حياتهِ . ومنهُ نسخة ايضاً في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٦٣) تاريخها سنة ١٦٧٩ . وفي مكتبة المنسنيور جرجس منش تاريخها سنة ١٧٥٢ . ٢ ولهُ نسخة في مكتبتنا في آخرها جواب على سؤال القاهُ اليهِ الكرمي في موت المسيح . وذكر لهُ السمعاني في المكتبة الشرقيّة (BO, I, 578, n° 36) نسخة لاعمال ديونيسيوس برصليبي بالسريانيّة في تاريخ سنة ١٦٤٦ في رومية

٣٢٥ ﴿الحكيم﴾ ابرهيم الحلبيّ الكاثوليكي . توفي نحو السنة ١٧٧٠ . اهدانا جناب الوجيه بشاره افندي بارد نسخة من رحلتهِ من حلب الى مصر في اواسط القرن الثامن عشر بلغة فصيحة مسجّعة مع نُتَف شعريّة فنشرناها في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٥٥٩ و ٥٨١ و ٧٠٨) . ثم اوقفنا جناب الاديب المحقّق عيسى افندي نسكندر مطرف على ديوانهِ فنشر منهُ في اعداد تلك السنة (ص ٨٣٣ و ٨٩٠ و ١٠١٧ و ١١١)

عدّة قصائد في شؤون مختلفة تدلُّ على طول باعهِ في النظم في ذلك العهد مع قلّة الكتبة والشعراء بين النصارى

٣٢٦ ﴿ حكيم ﴾ السيد مكسيموس مطران حلب ثم بطريرك طائفتهِ الملكيّة الكاثوليكيّة المتوفّى سنة ١٧٦١ . ١ً وقفنا لهُ في حلب في مكتبة المرحوم توما أيوب الخوري السرياني على اثنتي عشرة رسالة كتبها بين السنتين ١٧٣٣ و١٧٣٧ منها مناشير راعويّة ومنها رسائل تقويّة وبينها تأليف عنوانهُ «روضة الآداب المسيحيّة» . ٢ً وذكر لهُ السيّد عطا في تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك (ص ٥٥) كتاب منهاج التوبة . ٣ً ولهُ في مكتبتنا الشرقيّة كتاب التحديدات الكاثوليكيّة بالايمان والاسرار السبعة اليميّة الّفهُ اذ كان متغرّباً في جبل الدروز سنة ١٧٣٧ وفي آخرها منشور حسن في واجبات الكهنوت وقد نشرنا لهُ رسالتهُ الى ابناء طائفتهِ المضطهدين (راجع المشرق ١٦ : ٣٤٥—٣٥١)

٣٢٧ ﴿ حكيم ﴾ القسّ ارسانيوس هو ارسانيوس بن شكري حكيم اروتين الذي رُسم مطراناً على حلب وتوفّي سنة ١٨٠٢ . لهُ عند المنسنيور جرجس منش نسخة من تاريخ الرهبنة اللبنانيّة (اطلب المشرق ٥ ; ٧٨٨ والنعمة ١ : ٣٩٤)

٣٢٨ ﴿ حنين بن اسحاق ﴾ هو ابو زيد العبادي الطبيب والعالم النسطوري الكبير المتوفى سنة ٨٧٣ (اطلب ترجمتهُ في فهرست ابن النديم ص ٢٩٥ وفي تاريخ الحكماء للقفطي ص ١٧١—١٧٦ وفي طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ١٨٤—٢٠٠) وقد ذكروا لهُ عدداً عديداً من التصانيف ومن تعريبات فلاسفة اليونان . فمن تآليفهِ الباقية : ١ً كتابهُ المدخل في الطبّ في مكتبة الاسكوريال (Escur., 848) وفي مكتبة الفاتيكان (Vat., 348) . ٢ً مسائل في الطبّ للمتعلّمين . في مكتبة برلين (Ahlwardt, 6258) ومكتبة اوكسفرد (Bodl. I 594 et 636) وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٣ً رسالتهُ في اوجاع المعدة (Escur. 847) . ٤ً اجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء (Munich, 651) . ٥ً في مكتبتنا الشرقيّة مقالتهُ في كيفيّة ادراك حقيقة الديانة . نشرناها سابقاً (اطلب مجموع مقالاتنا الدينيّة لقدماء الكتبة ص ١٢١) . وقد بقي كثير من تعريباتهِ في مكاتب اوربّة وفي الاستانة وانحاء الشرق . ومما اطّلعنا عليهِ تعريبهُ لكتاب النبات لديوسقوريدس في مكتبة ايا صوفيا في الاستانة . ووقفنا

في حامات عند بعض اهلها على تعريبه لكتاب جالينوس الأعضاء الآلة. منه نسخة اخرى لدى الاديب جرجس بك صفا تاريخها سنة ٥٤٢٠ ووجدنا له في مكتبة بغداد العمومية مجموع سبع مقالات طبية وفي نسخة اخرى رسالته في تدبير المولودين ثم معاني بقراط في المولودين لثانية لشهر (لها بقية)

الخدع الحربية في الحرب الكونية

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

لقد ارتنا الحرب الكبرى من ضروب العجائب والغرائب ما لم يتوقعه متوقع بل ما لم يحلم به حالم. ولا غرو فان المتحاربين — وهم ارقى الشعوب حضارة — لم يتركوا فرعاً من العلوم العصرية الا وقد سخروه لادارة رحى الهيجاء. وطحن العدو الى ان يجعلوه هباء منثوراً. بل لم يقفوا على وسيلة من وسائل المراوغة الا وقد تذرعوا بها للاشاة مناوئيهم في اقرب وقت وعن اقرب طريق.

لعمري ان مهارتهم وتفننهم في استنباط وسائط القتل والتدمير قد زادا على تاريخ تلك الحرب المشؤومة آلافاً من اسوإ صحائفه واشدها سواداً. على ان في هذه الصحائف المخطوطة بسواد المهج عبرة للمعتبر تريه غريب مقدرة العقل البشري على درء الاخطار المهددة ومقابلة ذوائع الهلاك المستخفية بمثلها غرضاً لا نوعاً. ذلك ما حدانا الى تحبير هذه المقالة ونشر بضع صحائف مطوية من سفر الحرب الكونية عسى ان يرتاح القراء الكرام الى قراءتها.

الباب الاول: بعض مكايد الاسطول الانكليزي

معلوم لدى القاصي والداني ان مئات الغواصات الالمانية الضاربة ليلاً ونهاراً في

في حامات عند بعض اهلها على تعريبه لكتاب جالينوس الأعضاء الآلة. منه نسخة اخرى لدى الاديب جرجس بك صفا تاريخها سنة ٥٤٢٠ ووجدنا له في مكتبة بغداد العمومية مجموع سبع مقالات طبية وفي نسخة اخرى رسالته في تدبير المولودين ثم معاني بقراط في المولودين لثانية لشهر (لها بقية)

الخدع الحربية في الحرب الكونية

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

لقد ارتنا الحرب الكبرى من ضروب العجائب والغرائب ما لم يتوقعه متوقع بل ما لم يحلم به حالم. ولا غرو فان المتحاربين — وهم ارقى الشعوب حضارة — لم يتركوا فرعاً من العلوم العصرية الا وقد سخروه لادارة رحى الهيجاء. وطحن العدو الى ان يجعلوه هباء منثوراً. بل لم يقفوا على وسيلة من وسائل المراوغة الا وقد تذرعوا بها للاشاة مناوئيهم في اقرب وقت وعن اقرب طريق.

لعمري ان مهارتهم وتفننهم في استنباط وسائط القتل والتدمير قد زادا على تاريخ تلك الحرب المشؤومة آلافاً من اسوإ صحائفه واشدها سواداً. على ان في هذه الصحائف المخطوطة بسواد المهج عبرة للمعتبر تريه غريب مقدرة العقل البشري على درء الاخطار المهددة ومقابلة ذوائع الهلاك المستخفية بمثلها غرضاً لا نوعاً. ذلك ما حدانا الى تحبير هذه المقالة ونشر بضع صحائف مطوية من سفر الحرب الكونية عسى ان يرتاح القراء الكرام الى قراءتها.

الباب الاول: بعض مكايد الاسطول الانكليزي

معلوم لدى القاصي والداني ان مئات الغواصات الالمانية الضاربة ليلاً ونهاراً في

طول البحار الاوربيَّة وعرضها والمدمّرة لمئات من سفن الحلفاء باسرع من طرفة عين كانت خطرًا دائمًا يتهدّد كيانهم بل سيفاً مسلولًا على حياتهم القوميَّة . فلا بدع أن قاموا وقعدوا وأرغوا وأزبدوا لا قرار لهم حتى ينجوا من آفاتها ولو ببذل النفوس والنفائس . ولاسيما ان الاسطول الالماني بعد فشله في معركة يوتلند لزم السكون بجوار مدينة كيل وهو في حرز حريز من كل غائلة مفاجئة . فلم يتجاسر الى ان وضعت الحرب اوزارها على الخروج من مكمنه لمبارزة الاسطول الانكليزي وكان يرتعب من سطوته ولا ارتعاب الزعنفة الرعديد من الجبّار الصنديد

فوالحالة هذه لم يرَ الحلفاء — وفي مقدّمتهم الانكليز — محيصاً من اعداد العُدَّة وشحذ القريحة لدرء خطر الغوّاصات الالمانيَّة بل لمحقها ان امكن وقد اوشكت ان تحوّل قعر بحر الشمال والاطلنتيك والمتوسط الى مدفن هائل لسُفُنهم ومجارتهم البسلاء المسميتين فداء عن الوطن العزيز . وهاك بعض ما ابتكره الدهاء الانكليزي من المكايد المدهشة لبلوغ غايته المنشودة

١ المدرعة الكاذبة

غنيّ عن البيان ان المدرّعات الملقَّبة بدريدنوط (Dreadnought) هي اضخم البوارج الانكليزية بل اقدرها واهولها . ولذلك صنع الانكليز لمراوغة أتباع غليوم الثاني عدّة سفن على شكل الدريدنوط في ظاهرها لا ينقصها سوى الصواري والمداخن لتشبهها شبهاً تامًّا . فاذا مرّت غوّاصةٌ للعدوّ باحدى تلك المدرّعات الكاذبة ، ايقنت انها مدرّعة محصنة ضربتها المدافع الالمانيَّة فدمّرت اعلى اجزائها ولم تُوفَّق الى تدمير جسمها الغليظ المنيع . فكانت في الحال ترميها بانواع القذائف من طوربيلات وقنابل فتذهب كل هذه ادراج الرياح

وما ادراك يا صاح ماهيّة المدرعة الكاذبة ؟ هي مطارٌ اي مستودع للطيّارات طافٍ على وجه اليمّ يجري في بواطنه نحو عشرين طيّارة وعلى ظهره سطحٌ بطول زهاء خمسين مترًا ترفع اليه الطيّارات بآلة رفع الاثقال ثم تجري من احد طرفيه الى الآخر على دواليبها فتبلغ السرعة اللازمة لتحلق في الفضاء . وما ايسر ما كان عليها حينئذٍ ان تُلقي على الغوّاصة المخدوعة قنبلةً منفجرة تدخلها في خبر كان !

اما سرعة تلك المدرّعات فيُقضى منها العجب حيث ادركت نحو ٢٦ عقدة أعني زهاء ٤٨ كيلومترًا في الساعة ، وهي سرعة كثير من القطارات حتى في اوربة . وكانت هذه السفن الغريبة لا تغوص في المياه الى عمق يتجاوز ثلاثة امتار فيسهل عليها والحالة هذه الدخول في كلّ المرافئ

— لمّا حدثت الهدنة في اواسط تشرين الثاني ١٩١٨ كانت احدى هذه المدرّعات الكاذبة بل الدواهي الدهياء — واسمها الهائجة (Furious) على أهبة الذهاب الى ما يجاور برلين من السواحل الالمانية . وقصدُها ان تُطلق هناك طيّارات تحلّق فوق عاصمة الاعداء فتلقي القنابل على مبانيها والرعب في افئدة نحو ثلاثة ملايين من قاطنيها

ومن غريب ما اتفق لاحدى تلك المدرّعات الغشاشة وهي حديثة النشأة أنْ قد رآها ربيئةُ سفينةٍ منارية (bateau-phare) راسية بقربة من شواطئ اسكتلندة الشرقيّة . فأبرقت فورًا الى اولي الربط والحلّ انها عاينت «دريدنوطًا» خرّبت مدافعُ العدوّ كلّ مشارفه من صوارٍ ومداخن وابراج بل دمّرت اجهزة تلغرافه اللاسلكي بدليل كونه لم يُحِرْ جوابًا على البرقيات الموجّهة اليه . فانتشر ذلك النبأ الرائع في كلّ انحاء بريطانية العظمى انتشار النار في البارود . ونسجت احدى جرائد غلاسقو بُردةَ مقالةٍ ضافية الاذيال وصفت فيها المعركة البحرية الهائلة التي كان الدريدنوط المشار اليه احدى ضحاياها !؟ فأسرعت اذ ذاك السلطة العسكرية ونشرت بلاغًا رسميًا لتكذيب هذه الاشاعة التي تمخّضت بها مخيّلة الصحافي الاسكتلندي، فكان صوتها كالصارخ في الصحراء . وقد بلغ هَرْجُ الناس ومرْجهم مبلغًا عظيمًا فتقاطر الالوف من كل طبقات الشعب الى الموانئ الانكليزية لمشاهدة الاسطول البريطاني العائد من برلن حائل على قولهم وألوية الظفر المبين خافقة في اعلى صواريه . ولم يهدأ بال الجموع المتألبة حتى صدر بلاغ رسميّ آخر مقرونٌ بصورة شمسيّة تمثل المدرّعة الكاذبة . فحدّث عن دهش الجماهير ولا حرج !

٢ صائدة الغواصات

حاول الالمان اثناء الحرب ضرْب نطاقٍ حيّ ومتحرّك من الغوّاصات حول

فرنسة والجزر البريطانية لالتقائها في شرّ مجاعة بقطع كلّ الصلات البحرية اللازمة لتموّنها . فخاب ذلك المسعى كل الخيبة بفضل نفرٍ من اولي الافكار الثاقبة والعزائم الماضية وفي طليعتهم الدكتور شركو (Charcot) الفرنسي وهو من اول منظّمي مناهضة الغوّاصات الالمانية . كان قضى حصّةً وافرة من حياته في خوض البحار القبطية وارتيادها وأحاط باطراف فنّ صيد الحيتان . فعرف عن خبرة طويلة ان الحوت اذا ولّى هارباً من صيّاده بمنتهى السرعة أحدثَ على سطح المياه انتفاخاً يجاريه متجهاً بطبيعة الامور الى وُجهة سيره الوشيك

فعلى هذه الملاحظة البسيطة استند الدكتور شركو فوضع خطة لمحاربة الغواصات الالمانيّة . ولمّا درى اقطاب البحرية الانكليزية بسداد تلك الخطة استقدموه الى بلادهم وحوّلوا تحت ادارته باخرةً للصيد الى سفينة شديدة السرعة كاملة العُدّة لمطاردة الغوّاصات وتدميرها . ثم تطوّر رسم هذه السفينة وتحسّن تدريجاً حتى بلغ اوج الكمال في الطرز الذي أطلق عليه الانكليز اسم سفينة قاف (Q-boat) وهو آية الآيات في بابه حيث انه في واقع الامر سفينة في داخل اخرى كما سيتضح لك في البيان التالي

٣ سفينة في سفينة

كان الغرضُ من ابتكار الطرز الجديد « لمصائدة الغوّاصات » جعلَ التحسينات العديدة التي ادخلها الالمان غوّاصاتهم في حكم العدم . ومن اشهر تلك التحسينات احاطةُ تلك السفن بدرع سميك وتجهيزها بمدافع بعيدة المرمى وبمناشير مركوزة في مقدّمها وقادرة على قطع الاشراك الحديدية الحائلة دون سيرها في عمق البحار . امّا السفينة «قاف» فكان الانكليز يستخدمون لصنعها بعض البواخر الناقلة للفحم ولا يغيّرون شيئاً من ظواهرها وذلك لمخاتلة العدوّ . لكنّ داخلها كان يُحوَّل اتمّ تحويل . فتُبدل عوارض الخشب بمثلها من الفولاذ ، والسطح الخشبي بصفائح الحديد ويقسَّم قعرُ الباخرة الى عدّة غرف مستقلّة لا يجد الماء سبيلاً للتسرّب من احداها الى الآخرة . امّا جوانب السفينة فكانت تُبطَّن داخلاً ببطانة كثيفة من الفلّين لتخفيف صدمات القذائف الصادرة من الغوّاصات . ومطاوي القلوس المبعثرة شذر مذر على ظهر

الباخرة كانت محضّ مخابئ تحتجب تحتها اجهزةُ تلغرافٍ لاسلكي من اكمل طرز . والآلة الرافعة للاثقال المركزة على الظهر ايضاً لم تكن سوى مكمنٍ لاحد الضبّاط البحريين فيلاحظ من داخله بواسطة ثقبين حركات الغوّاصة الالمانيّة المهاجمة فيلقي الاوامر المناسبة على القائمين باطلاق المدافع الواقعة في اسفل السفينة . في حين الاطلاق كانت جوانب الباخرة تنفتح على شكل ابواب ذات رزّة اقفيّة وذلك بمجرّد الضغط على زرّ كهربائي . وبجوار المدافع آلاتٌ ترفع اليها القذائف المكرشة في قعر البارجة ولكل سفينة « قاف » ثلاثة مدافع : اثنان من عيار نحو مئة ميلمتر والثالث من عيار يفوق ١٥٠ ميلمترًا

امّا طريقة استخدام تلك البوارج الجهنميّة فان فيها من العجب ما فيها . كان من ديدنها هدم الارساء مرّتين متواليتين في ايّ مرفأ ولجتهُ وذلك خشيةً من مراقبة الجواسيس الالمان . فالسفينة « قاف » تنطلق بوسقها الفحمي من احدى الموانئ المجاورة لكرديف ونيوكاسل وتتوغّل في كبد البحر حيث تلتقي باحدى النسّافات الانكليزية فتستمدّ منها الذخائر وتقف على مواقع الغواصات الالمانية فتسرع نحو هذه للايقاع بها . ومتى قربت المسافة بين البارجتين تتظاهر السفينة الانكليزية بالرُعب الشديد وتنفتل مدبرةً كانها تريد الهرب من مأزق هائل . فيوقن قبطانُ الغوّاصة الالمانيّة بالظفر الذريع ويُعرض عن رمي العدو بطوربيل ذي ثمن باهظ ، ولاسيما انهُ في مأمن من هجماته لا يشك بالغلبة ، فيدنو الى خصمه بمشية القوي المتسلّح الساطي على ضعيفٍ أعزل ثم يُلقي عن كثبٍ قنبلةً رخيصة القيمة كافيةً في نظره للاشاة العدو . حينذاك تنفتح فجأة جوانبُ السفينة المهاجمة وتظهر فوّه مدافعها المريعة وتُمطر على الغوّاصة الخرقاء وبلًا من القذائف الضخمة وربّما اجتزأت بقذيفة واحدة او باثنتين لتدميرها ولاسيما ان المدفعيين (الطوبجيّة) كانوا من احذق الرُماة لا يخطئون مرمًى . وكانت الاوامر العالية فوق ذلك تقضي بعدم مواقعتهم للعدو الّا اذا ثبت لهم النجاح والفوز التام

ومن غريب الاتفاقات ان سفن « القاف » لم تناجز أيّة غواصة المانيّة القتال الّا دمّرتها . وكفى شاهدًا على ذلك ان المانية رغماً من بثّها آلافاً من العيون الراصدة في

طول بلاد الحلفاء وعرضها قد جهلت حتى اواخر تشرين الثاني ١٩١٨ وجود تلك السفن الماردة

هاك على سبيل خاتمة لمقالتنا رواية مأثرتين جليلتين من مئات مآثر تلك السفن قد انطلقت احداها واسمها سَفُلك كُسْت (Suffolk Coast) بقصد مفاجأة غواصة لوحظت بقرب سواحل نيوكاسل فرماها العدوّ عند الفجر وعلى مسافة اقلّ من الاربعمائة متر بطوربيل قتل او جرح كل القائمين بأدارة الآلات البخارية . عندئذٍ طفت الغواصة الظافرة على وجه المياه لتدور حول فريستها وتشمت بخرابها . بل جلس قائدها على كرسيّه واوقد لفافة تبغ وهو يعلل النفس بمشاهدة انكسار الدّ الاعداء . فاذا بقنبلة أُطلقت من الباخرة الانكليزية فذهبت برأس القائد المتشامخ . وتلتها اخرى جعلت البحارة الالمان هباء منثوراً فلم تترك لهم اثراً بعد عين . وعقبتها ثالثة اخترقت الغواصة من جانب الى جانب فاغرقتها في برهة ثانيتين !

امّا المأثرة الثانية فقد شرّفت السفينةَ المسمّاة نُرْثَمْبَرْلَنْد أصيبت هذه ايضاً بالطوربيل وجُرح قبطانها جرحاً خطراً فضغط بيديه على ثُغرة ذلك الجرح البليغ المزّق لبطنه وبقي في مركزه يُصدر الاوامر اللازمة لمتابعة القتال . صبَر صبر الابطال على مضض الالم وحالما طفت الغوّاصة أمرَ باطلاق القنابل فكانت الاولى ضربةً قاضية على العدو . على ان الطوربيل الالماني عطّل البارجة الانكليزية فباتت على وشك الغرق هي ايضاً . فالحّ البحّارة على القبطان الهمام ليرضى بالنزول معهم في احد زوارق النجاة . فأبى وقال همساً وعلى ثغره ابتسام الابطال حين يبيعون الارواح في سبيل الوطن: «ما الجدوى ؟ انه لمن المحال ان أُدرك البرّ وانا في قيد الحياة . لقد قمتُ بالواجب ولذلك لموت والفرح ملءُ فؤادي ! »

*

ذلك بعض ما رأينا اطلاع القارئ عليه من مكايد الاسطول الانكليزي ضدّ الالمان وفيه عبرةٌ بل عِبرٌ للمتروّي . على ان جعبة الحيل الحربيّة لا يفي بها احصاء وقد آن الاوان لنكفّ منها ونعرض على نظر الجمهور احدى وسائل الحرب الكبرى .

التي تشبّث بها المتحاربون وهي من الطفها وادقها ألا وهي حمام الزاجل(١ وهو الهادي فنبيّن طرق استعماله المتنوعة وما يقتضيه تدبيرها من التأهب الطويل السير

الباب الثاني : استخدام حمام الزاجل في الجيش الفرنسوي

لهذا الاستخدام اوجه عديدة فمن المناسب إفراد فصل وجيز لكل منها

١ نقل الرسائل المجلة

فلنفرض ان برج الحمام في باريس وان المراد بعث الرسائل من مدينة ڤردون الى العاصمة . ففي هذه القرائن يُنقل الحمام الى ڤردون وتُربط الرسالة برجل الحمامة اليمنى فتُطلق وتطير كالبرق الخاطف الى برجها الباريسي بدون ادنى تردُّد في وجهة سيرها ولو نُقلت من العاصمة الى ڤردون في صندوق مُغلق . امّا الرسائل المبعوثة من باريس الى ڤردون فيحملها حمامٌ برُجهُ في المدينة الاخيرة وقد نُقل من الاولى اليها وقس على ذلك في بقية الاحوال

فسبحان الخلّاق العظيم القدير الذي منح ذلك الطير الداجن غريزةً حيّرت منذ القدم ألباب العلماء ولم يستطع العلم العصري رغماً من فتوحاته العجيبة ان يجهّز سفنهُ وطيّاراته بآلة تُجاري تلك الغريزة في حسن تأدية وظيفتها الخطيرة

ولكل حمامة حربيّة بريديّة عدَدٌ خاصٌ محفور على خاتم من الالومينيوم يحيط برجلها اليسرى . وبازائه تاريخ ميلادها واشارةٌ مميّزة لبرجها . ولئلا تضيع تلك العلامات المفيدة تراها مجدَّدةً على احدى الريشات الكبرى للجناح الايمن مع زيادة حرفٍ يدلّ على جنس الطير الذكر او الانثى . ثم يُشار الى المركز الحربي الذي جُعل الحمام في خدمته بلونٍ معلوم يُصبغ به رأسه او كتفهُ . اخيراً يُعرف الخطّ البريدي من لون خاتم ثانٍ من مادّة السلولونيد مُحدقٍ خلافاً للاول بالرجل اليمنى

اما الرسائل فانها تُبعث على شكل صور شمسيّة او بهيئة مخطوطات واليك بيان ذلك . ففي الطريقة الفوتغرافية تُرسَل جليدةٌ سلبيّة طولها نحو خمسة سنتيمترات في عرض اربعة فتظهر فيها الكتابة بيضاء في محيطٍ اسود . ومن اللازم طلاؤها

---

١) اطلب ما كتبهُ الاديب ميشال افندي سماحة عن حمام الزاجل ووصفهِ في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٨٢٥–٨٢٨) وتجد هناك صورتهُ

بالكلوديون (collodion) لحفظها سالمةً من الرطوبة . ومتى بلغ بها الحمام المحلّ المقصود تُنشر فيه على صفيحة زجاجيّة وتُقرأ اما بنظّارة مكبّرة او بتكبير الصورة على حاجز من النسيج بواسطة آلة شبيهة بالسينما

امّا الرسائل المخطوطة فتُكتب على ورق مخصوص طوله ١١ سنتيمترًا في عرض ٧س ثم يُطوى ثلاث طيّات ويُلفّ لفًّا مضغوطًا على شكل اسطوانة بطول زهاء ٣٥ ميلمترًا ليس الّا

والرسائل كلها مخطوطةً كانت او فوتغرافيةً تودع في اسطوانة من الالومينيوم مربوطة برجل الحمام اليمنى(١ . على ان هذه الطريقة تعرّض الرسائل لنظّارات العدوّ . ولذلك يُعدَل عنها في غالب الاحيان الى جعل الكتابات في داخل ريشة إوزّ يسهل اخفاؤها بين ريش زِمكّ الطير اي ذنبه

التصوير الشمسي

لعمري ان من فنون الاختراع العصري لسحرًا ! فمن كان يرجّم إمكان استخدام حمام الزاجل لأخذ صوَرٍ شمسيّة من اعالي الجوّ بينما الطير ينهب الفضاء ؟ قد صنع هذه المعجزة مرةً اولى من نحو خمس عشرة سنة الدكتور نُيبرُونر (Neubronner) بقصد الحصول على صور بعض الجهات التي يقطعها الحمام في شوطه . ولمّا كان ابتكارُهُ كثير الجدوى في العمليّات الحربيّة نال من حكومة وطنه الالماني مددًا ماليًا تمكّن به من مواصلة تجاربه . وأسفرت عن اختراع جهاز فوتغرافي لا يزيد وزنه عن خمسة وسبعين غرامًا ويوسعه ان يأخذ في اثناء الطيران عدّة صور بغاية الوضوح

ومن العجب العجاب ان الدكتور نيبرونر ابتكر واسطةً بسيطة تمكّن الجهاز المذكور من رسم صور الحصون ومستودعات الذخائر وما شاكلها من الابنية الحربية في حين مروره من فوقها . امّا الواسطة لبلوغ ذلك المأرب المنيع فبسيطة وهي عبارة عن ظرف من الكاوتشوك بشكل كمثرى يُفرغ شيئًا فشيئًا اثناء الطيران مؤونتهُ من الهواء . ومتى كمل الفراغ تحركت احدى ادوات الجهاز الفوتغرافي وأُخذت

١) يُروى عن ملوك الدول العربية انهم كانوا يردمون رسائل حمام الزاجل في علَب ذهبية معلقة بعنق الطير ومفتاحها شديد الحقة . وكان الخليفة مستخصًا بنفسه فتح تلك العلب

الصورة المطلوبة . من البديهي انه يجب حساب معدّل سرعة الحمام (١) والمسافة بين محلّ انطلاقه والعمارة المراد تصويرها وسرعة تفريغ الهواء من ظرف الكاوتشوك بحيث يتمّ هذا التفريغ عند تحليق الطائر فوق محل التصوير . كل هذه الحسابات هي من الغرابة بمكان بصرف النظر عن غرابة جهاز فوتغرافي شديد الدقة والخفة في آن واحد

٣ حمام الزاجل والطيارون

كثيراً ما يحتاج الطيارون بعد معاينة مواقع العدو من علٍ الى ايقاف اركان جيشهم عليها . اجل ان في وسعهم استخدام التلغراف اللاسلكي لهذه الغاية على انه بغير مأمن من مباغتات اجهزة العدوّ اللاسلكية كما لا يخفى على المطّلعين . امّا ارسال الانباء على جناح حمام الزاجل فغير مشوبٍ بتلك الشائبة . وان يكن اقلّ سرعةً فلا بأس بذلك لقصر البون الفاصل بين الطيّارين والقوّاد في كثير من الاحوال . بيد ان اطلاق الحمام من الطيّارة في غضون طيرانها في طبقات الجو العالية كان من بضع سنوات يُعَدّ من المستحيلات . كان الخبراء قد حاولوا قبل ذلك اطلاقها من المناطيد فخابت مساعيهم اذ كان الحمام المفلت من سلته يطير الى اعلى المنطاد ويستقر هناك شبه السلطان المتربع على عرشه فلا يرضى من مستقرّه حراكاً

عندئذٍ تذرع ارباب المناطيد بالحيلة الآتية . وهي ان يُدهوروا الحمام بغاية الشدّة ورأسهُ متّجه الى اسفل . فتى انحدر على هذا النمط وقطع نحو مائة وخمسين متراً ، وهو كالحجر الساقط ، ينشر جناحيه ويُباشر الطيران نحو برجهِ . على انه من العسير سلوك هذا المنهج في الطيّارات نظراً الى ضيق المكان . ولذلك قد عدل القومندان الفرنسوي كورنو (Cornu) عن تلك الطريقة الى تركيز انبوبٍ عمودي بطول نحو متر ونصف وعرض كافٍ لمرور الحمام على احد جوانب الطيارة . فيكفي القاء الطير في داخل الانبوب ورأسه متجه الى تحت . فتى خرج منه وافاق من دواره بعد بضع ثوانٍ ينشر جناحيه ويتّجه نحو مركزه

(١) انه يبلغ نحو عشرين متراً في الثانية أعني نحو ٧٢ كيلومتراً في الساعة وهي سرعة القطارات المعجّلة (express) .

٤ حمام الزاجل في الخنادق

معلوم من القاصي والداني ان الحرب العوان انتقلت في غد معركة المرن من المآزق الى الخنادق . فالتزم القوّاد بعد مئات كيلومترات من اسلاك التلفون حول الخنادق ثم بينها وبين المواقع الحربيّة المجاورة . على ان مدافع العدو كثيراً ما كانت تجعل كلّ هذه العُدَد في حكم العدم ، وذلك لدى امسّ الحاجة اليها . عندئذ كان يُستعاض عنها بحمام الزاجل المحفوظ في غور الخنادق بسلالٍ مخصوصة . ومن الغريب انه كان حاملاً في كثير من الظروف على جناحه الرسالة المنبئة بمهاجمة العدوّ او تخريب الاسلاك التلفونية فمتى انفتح سجنه وافلت من سلّته ، بانفجار قنبلة مثلاً ، طار فوراً الى بيته الواقع بجوار القوّاد واطلعهم باقرب وسيلة على بيئة امر مرؤوسيهم . ومن النادر ان يُصاب بقذائف الاعداء في غضون طيرانه وذلك بسبب شدّة سرعته وصغر حجمه

***

قد اشرنا في الصحائف السابقة الى بعض طرق استخدام حمام الزاجل في الحرب الكونية ولو فُسح لنا المجال لأتينا بالزيادة للمستزيد . تلك الخدم الجليلة قام بها الحمام خير قيام في تلك الايام العصيبة ، وكان الطرفان المتعاديان شديدي الحرص على الاستئثار بها . منذ آب ١٩١٤ اي منذ دارت رحى الهيجاء وشنّت المانية الغارة على بلجيكة طار كثير من الحمام الفرنسي الموجود في مدينتي لياج ونامور الى ابراجه بفرنسة حاملاً على جناحه انباء شديدة الخطورة ولاسيما بعد انقطاع العلائق التلغرافية والتلفونية في عدّة اصقاع . وقد بلغ حنق الالمان على حمام فرنسة مبلغاً فاحشاً فاعلنوا في البلاد المحتلّة انهم يحكمون بالاعدام على كل من يحفظ عنده تلك الطيور

ولم يكن وعيدهم تهديداً محضاً فانهم القوا القبض على نفر من الفرنسيين الالزاسيّين ورموهم بالرصاص لنقضهم تلك الاوامر الصارمة . ولم يقفوا عند هذا الحدّ بل ساموا مدينة أُسْتَنْد البلجيكية غرامة مليون مَرْك لمجرد كونهم عثروا فيها على حمامة ذات مَرَسة مربوطة برجلها ! ولمّا اكتشفوا في بلجيكة ابراجاً عديدة للحمام وضعوا يدهم عليها

على ان الالمان كانوا قبل اندلاع نيران الحرب في اتمّ الاهبة بخصوص حمام الزاجل الحربي . فمنذ كانون الثاني ١٩١٤ كانت بروجهُ تُحصى بالعشرات بل بالمئات على طول الحدود الفاصلة بين بروسية والامبراطوريّة الروسيّة البائدة . ومنذ اوائل نيسان ١٩١٤ جعلت الحكومة عددًا طائلًا من هذه الطيور بين ايدي قوّاد فيالق المشاة والفرسان ولمّا عجزت الطيّارات البريدية الالمانيّة عن القيام بوظيفتها على تخوم بولونية بسبب معاكسة الطيّارين الروس ناب منابها الحمامُ فزالت كل العقبات في زمن يسير

لعمري من كان يتوقّع جليل خدم حمام الزاجل في الحروب العصرية فانّها نابت غير مرّة عن المواصلات التلغرافية والتلفونية السلكيّة واللّاسلكية ، هي حكمة الله تبارك وتعالى يُفسح لأوضع خلائقه محلًّا في حياة البشر لتتمّ سنّة التعاون المنتظم التي سنّها لخلقه

***

ولا يزعمنّ القارئ ان خِدَم حمام الزاجل تُنال بدون عناء او بيسير منهُ فالحقيقة وذلك الزعم الواهي لعلى طرفي نقيض ! فانّ تثقيف تلك الطيور امرٌ عسير لا محيص منه لاعاء غريزتها الطبيعية . كما ان الطفل ، وان ذكيّ الفؤاد ، مفتقرٌ الى عناية كثير من المهذبين والاساتذة بل الى عنائهم المتواصل ليبلغ اشدّه جسماً وعقلًا

فلنضرب مثلًا بفرنسة : كان لوزارتها الحربية في ڤوجيرار (Vaugirard) من ضواحي باريس برج فسيح يأوي اليه في سني الحرب نحو خمسمائة من تلك الطيور . كل سقوفه وحيطانه والاوكار الخشبيّة مطليّة بالكلس وارضيّته مفروشة بالرمل الناعم ومغسولة غسلًا متواترًا . وكان بفرنسة ما خلا ابراج الدولة في ١٩١٣ زهاء مائة الف من حمام الزاجل وهي ملك الشركات او الافراد بيد انّ للحكومة حقّ الاستئثار بها طول وقت الحرب ، فهي بازاء حمام الحكومة بمثابة الرديف بالنسبة الى بقيّة الجيش ، فتأمل في تلك المقايسة الغريبة !

امّا تثقيف الحمام فبطيء وصعب . فبادئ بدء يجول الطير جولات قصيرة بجوار برجه منطلقاً منه وآئباً اليه من تلقاء نفسه . ثم ينقله شخصٌ ما الى مسافة خمسة كيلومترات ويُطلق من هناك فيطير قافلًا الى نزله . وتُزاد المسافة يوماً فيوماً الى ان تبلغ بعد شهرين نحو ٣٥٠ كيلومترًا . فكل طائر تخور قواه دون تلك التجارب

الصارمة يُسقط من جدول الحمام الحربي فلا يبقى فيه سوى فحول الطيور . فكان عدد هؤلاء نحو مائة في برج ڤوجيرار اثناء ١٩١٣ . وهاك احدى مآثرهم الغرّاء :

في ٨ حزيران ١٩١٢ وُضع اربعون منها في سلة فنُقلت الى آجان (Agen) برفقة الفين من مجانسيها وهي مِلك احدى الشركات . ثم أُطلقت كلها في آن واحد من آجان في اليوم التالي . فقفلَ الطيرُ الفائز في هذا السباق الى بيته في العاصمة بظرف سبع ساعات وسبع واربعين دقيقة قاطعاً مسافة نحو ٦٥٠ كيلومتراً ، بسرعة نحو ٨٤ كيلومتراً في الساعة ، بدون ادنى توقف اثناء شوطه العجيب . وفي اثناء الساعة التابعة لميعاد وصوله لحقه في باريس ثلاثة وعشرون من مُساكنيه بڤوجيرار فيكون أبطأهم قد طار بسرعة نحو ٧٥ كيلومتراً في الساعة

فبفضل ذلك التثقيف وتلك السباقات اضحى الحمام يجتاز مسافة خمسمائة كيلومتر ونيّف كأنها جولةٌ حول برجه ! بل قد توصّل الخبراء بهذا الفن الغريب الى جعل الحمام يعود الى وكره في ذات الليل، بشرط الّا يكون حالكاً ، وذلك عن بعد نحو مائة كيلومتر

***

قد ذكرنا في الصحائف الاولى لهذه المقالة بعض مكايد الاسطول الانكليزي لحق الغوّاصات الالمانيّة وتطرّقنا من ذلك البحث المحيّر للعقول الى وصف ضروب استخدام فرنسة حمام الزاجل لمعالجة بعض ما القته الحرب من العراقيل في المواصلات البريدية وغيرها . ولئن ظهر لأوّل وهلة بونٌ شاسع بين المبحثين فهما في عين المتبصر متجانسان قلباً ولو مختلفان قالباً . دليلُ ذلك انهما يكشفان لطالب لباب الهنات دون قشرها ما وهب الالهُ العظيمُ العقلَ البشري من عجيب المقدرة على معالجة صعاب الامور ودرء اشدّ الاخطار بالوسائط السهلة الفعّالة . فليت الانسان يقابل سخاء مولاه بعدم استخدام تلك الموهبة السامية في غير سبيل العدل والرحمة ويا ليته لم يجد قيد شعرة من تلك الجادّة القويمة الرحيبة اثناء سنين الحرب العصيبة

اخبار الاخيار

بما وجد على القبور من الاشعار

جمع احمد بن خليل اللبودي

عُني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

انَّ الحفلات المؤثرة التي أُقيمت في الشهر المصرم لاكرام المرحوم ذكرتنا بأثر كتابي وجدناهُ في مكتبة دمشق المعروفة بالملك الظاهر فاستنسخناهُ لننشرهُ عند سنوح الفرصة. والاثر المذكور نبذةٌ وردت في احد مجاميع المكتبة الرمأ اليها وهو الموسوم بالعدد الثامن من الاديات المنظومة (١

فهذا المجموع يشتمل على ثلثة تآليف اوَّلها الذي روينا عنوانهُ « اخبار الاخيار بما وُجد على القبور من الاشعار جمع احمد بن خليل اللبودي الدمشقيّ الشافعي » والكتاب مكتوب بخطٍّ ومرتَّب على الحروف . والتأليف الثاني لهُ ايضاً بخطّهِ عنوانهُ « النجوم الزواهر في معرفة الاواخر ». وفي التأليفين بياض كثير كأنَّ المؤلف اراد ان يزيد عليهما فلم يتمّهما. امَّا الكتاب الثالث فهو « احاديث مختلفة تخريجهُ لنفسهِ من مروياتهِ »

وقد سعينا جهدنا لنقف على شيءٍ من اخبار الكاتب وعهده فلم نجد لاسمهِ ولكتابيهِ ذكرًا في ما لدينا من فهارس المخطوطات العربية شرقًا وغربًا. وغاية ما حصلنا عليهِ ما ورد من ذكر كتابهِ في كشف الظنون للحاج خليفة (١ : ١٨٢-١٨٤) حيث قال : « كتاب اخبار الاخيار للشيخ ابي البأس احمد بن خليل الصالحي وهو الذي اختصر ابن طولون منهُ تأليفهُ المسمَّى بنبئة الاخبار بما وُجد على القبور من الاشعار » فيُحصَّل من قولهِ هذا انَّ المؤلف تقدَّم على زمن ابن طولون وهو محمَّد بن علي بن محمَّد بن طولون الترتاطي المتوفَّى سنة ٩٥٣ (١٥٤٦م) فيكون من اهل القرن الثامن او التاسع للهجرة اي الرابع عشر او الخامس عشر للمسيح. ولا بأس انَّ في كتابهِ بياضاً كثيرًا لما في الباقي منهُ من الافادة. وقد ضربنا صفحاً عن ما ذكر المؤلف من الاسانيد لقلَّة اهمّيتها وسنشير بالارقام السود الى صفحات نسختنا التي نقلها لنا عن الاصل الكاتب الاديب محمَّد افندي صادق فهمي في ٢٧ شوَّال سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) وهذه النسخة مع كونها بخط المؤلف سقيمة ملتبسة الحروف كثيرة التصحيف تكرَّرت فيها بعض مرويَّاتها بحرفها الواحد فأصلحناها على قدر الاستطاعة

(١) اطلب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها للكاتب الاديب حبيب افندي الزيات (ص ٨٥)

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي استأثر بالبقاء ، وحكم على جميع وسائر خلقه بالفناء ، وجعل القبر روضةً من رياض الجنّة السعداء ، واشهد انّ لا إله الّا الله وحدهُ لا شريك لهُ ذو العظمة والكبرياء ، واشهد انّ محمّدًا عبدهُ ورسولهُ سيّد الاصفياء (صلعم) ، وعلى آلهِ النجباء صلاةً وسلاماً دائمين بدوام الارض والسماء.

امّا بعد ففي النظر الى القبور اعظمُ عبرةٍ لكل ذي عقل مستقيم ، وفي التفكّر في مصارع اهلها اصدعُ عظةٍ لكل(٣) قلبٍ سليم ، وقد اشار (صلعم) الى ما في زيارتها من المآثر الفاخرة ، بقولهِ : « كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تذكّر الآخرة » : وقيل لبعضهم : ما ابلغُ العظات ؟ قال : النظر الى محلّة الاموات . ولله درُّ القائل :

كفى واعظاً بالقبر إن كنتَ ناسياً لنفسكَ فاسهرْ في مكانك او نَمِ

وهذا تعليق فيما وُجد على القبور من الأشعار ، لم أرَ احدًا ممّن تقدّم حصل لهُ باقرارهِ الإشعار ، ولعمري انّ في الوقوف على ذلك إيقاظاً واعتبارًا ، وتنبيهاً للموفّق على عدم النظر الى هذه الدار ، وقد لقّبتهُ « باخبار الاخيار بما وُجد على القبور من الاشعار » ورتّبتهُ على الحروف ، اتّباعاً للعرف المألوف ، وعلى الله الكريم اعتمدُ ، ومن فيض كرمهِ استمدُّ ، فهو المُولى المولي لكلّ جميل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

حرف الالف

اخبرنا محمّد بن محمّد بن اقوش (كذا) مشافهةً عن الحافظ ابي بكر بن المحبّ (٤) . . . عن عمر بن عبدالله قال : قرأتُ على قبر بدمشق بباب الجابية (مجزوء الخفيف) :

انتَ لا شكَّ ميّتٌ فتهيّأْ لِما ترى
انّما اللحدُ والثرى جُعِلا منتهى البَلا

اخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الاسحاقيّة في كتابها اليّ من حلب عن عمر ابن الحسن .... قال انبأنا ابو بكر ابن ابي الدنيا قال: كان على قبر مكتوباً (مجزوء الخفيف):

(٥) صرتُ بعد النعيم في منزلِ البُعد والبَلا
وجفاني احبَّتي حيث غُيِّبتُ في الثرى
أخلقَ الموتُ جِدَّتي ومحا حُسنيَ البِلى

حرف الباء

اخبرنا ابو العبّاس احمد بن علي بن السحام (؟) بقراءتي عليه بجامع دمشق عن محمّد بن احمد بن النحّاس .... قال أجمع اهل الحجاز واهل البصرة واهل الكوفة على انهم لم يسمعوا ببيتين احسن من بيتين رأوهما على قبر عبدالله بن جعفر ابن ابي طالب رض (من الطويل):

(٦) مقيمٌ الى ان يبعث اللهُ خلقَهُ لقاؤكَ لا يُرجى وانت قريبُ
تريدُ يلّي في كلّ يومٍ وليلةٍ وتُنسى كما تَبلى وانت حبيبُ

اخبرتنا اسماء بنت عبدالله الهرانيّ مشافهة ... عن ابرهيم بن عمر قال: كتب الاشجعي (؟) الكوفيّ على قبر اخيه (طويل):

بكاني طويلٌ والدموعُ غزيرةٌ وانتَ بعيدٌ والمزارُ قريبُ
نسيبُكَ مَن أمسى يناجيكَ طرفُهُ وليس لمن تحت الترابِ نسيبُ
غريبٌ واطرافُ البيوتِ تحوطُهُ ألا كلُّ من تحت الترابِ غريبُ

(٧) واخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الحسينيّة كتابةً .... عن ابي الصهباء قال: قرأتُ على قبرٍ بطرسوس مما يلي باب الجهاد مكتوباً (طويل):

فارقتُ دنيايَ وصرتُ الى ربّي فيا ربِّ فاغفرْ ما تقدّم من ذنبي
أُمِرتُ باشياء ومن غيرها نُهي فخالفتُهُ فيها واصبحتُ في كَرْبِ

ورأيتُ في الكتاب الداعي الى وداع الدنيا لابي سعد بن اسمعيل بن علي المفتي انهُ وجد مكتوباً على قبرٍ (مجزوء الرمل):

صرتُ رهناً في التراب بعد انسٍ واقتراب
وجفاني اهلُ ودّي لإياسٍ من ايابي

حرف الثاء

ورأيتُ بخطّ بعضهم قرأ على صفيحة قبر (٨) (وافر) :

ليعتبرِ الذين رأوا شبابي بانّ الموتَ لم يكُ في حسابي
يزورُني الحبيبُ فلا يراني ويدعرني فلا يرجو جوابي
تناساني الاحبّةُ اذ رأوني رهينَ جنادلٍ تحت التراب
فمن يرَ مضجعي فليعتبرني ولا يغترّ بعدي بالشباب

ورأيتُ في بعض الجبابين قبرين متلاصقين مبنيّين على هيئة واحدة فوجدتُ على احدهما مكتوباً (كامل) :

كنّا كزوج حمامةٍ في ايكةٍ متمتّعَيْنِ بنعمةٍ وشبابِ
غدَرَ الزمانُ بنا ففرّق بيننا انّ الزمانَ مفرّقُ الاحبابِ

حرف الثاء

روى ابو محمّد عبد الحقّ(٩) الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ قعد على قبر مكتوب عليه (طويل) :

تناجيك اجداثٌ ومنْ سكوتُ وسكانُها تحت التراب خُفوتُ
أيا جامع الدنيا لغير بلاغةٍ لمن تجمعُ الدنيا وانت تموتُ

وذكر صاحب بغية اللبيب وغنية الاديب ومن خطّه نقلتُ انّ ابا عبدالله محمّد اللوشيّ الشهير بابن الخطيب اوصى ان يُكتب على قبره (المتقارب) :

بَعُدْنا وان جاورَتْنا البيوتُ وجئنا بوعظٍ ونحنُ صموتُ
واصواتنا سكتَتْ دفعةً كجهر الصلاةِ تلاها القنوتُ
وكنّا عظاماً فصرنا عظاماً وكنّا نقوتُ فها نحنُ قوتُ
وكنّا شموسَ سماء العُلى غربْنا فناحت علينا السُموتُ

فقل للمدى ذهبَ ابنُ الخطيب وفات ومن ذا الذي لا يفوتُ
فمن كان يفرحُ منهم لـهُ فقـل يفرح اليومَ من لا يموتُ
سيبلى الجديدُ اذا ما المدى تتـابع آحادُهُ والسبوتُ
فلا تغترر بسرابِ الحيـاةِ فـانك عمـاً قريبٍ تموتُ

وذكر انَّ بعضهم قرأ على صفحة قبرٍ (١٠) (طويل):

ألا ألا أيها الماشي على جنب حفرتي توقَّـف قليـلًا كي تَفهَّمَ قصَّتي
رمتني المنـايا اذ شبـابي بزهرهِ طريًا واذ ثوبي جديدٌ وحُلَّتي
فلم تُخـطِئني لمّا رمتني سهامُهـا فـاصبحتُ فيهـا بين نارٍ وجنَّـةٍ
ولي خـالقٌ يمحو الـذنوبَ بعفوهِ ويغفر لي مولاي ان شاء زلَّتي

ووُجد على قبرٍ (المنسرح):

وكم لهيتُ بطيب عيشٍ دهرًا نسيتُ بهِ الوفاتا
والآنَ متُّ وعنـك ايضاً لا بـدَّ يوماً يقـالُ ماتا
فجُدْ واحذرْ تكونَ مثلي كسبتُ حوبًا والخيرُ فـاتا

(١١) روي عن عبد العزيز بن سليمان العابد قال: قرأتُ على قبرٍ بطريق الساحل (السريع):

ألحقنا الـدهرُ بآبائنـا وكلُّ من عاش فيوماً يموتْ

فسألتُ: لمن هذا القبر. فقالوا: لشيخ اتت عليهِ عشرون ومائة سنة ثمَّ مات فاوصى ان يُكتب هذا على قبرهِ

وعن ابي جعفر القُرشي مولى بني هاشم قال: خرج رجل من بَلحَرث مـارًّا الى مقابر البصرة فبينا يتخطَّاها اذ بصر بقبرٍ عليهِ مكتوب (بسيط):

يا غـافلَ القلب عن ذكر المنيَّاتِ عمـاً قليـل ستأوي بين اموراتِ
فاذكر محلَّـك من قبـلِ الحلول بهِ وتُبْ الى الله من لهوٍ ولـذَّاتِ
انَّ الحِمام لـهُ وقتٌ الى أجلٍ فـاذكُرْ مصـائب ايامٍ وساعاتِ
لا تطمـئنَّ الى الـدنيا وزينتهـا قد حان للموتِ يا ذا اللبِّ ان يأتي

وعن احمد بن محمّد بن يحيى السكّري قال: بلغني انهُ وُجد على حجر على قبر مكتوباً (سريع): (١٢):

وغافلٍ أوذِنَ بالموتِ لم يأخذ العدّةَ للفوتِ
ان لم تزل نعمتُهُ قبلَهُ زال عن النعمة بالموتِ (١

(١٧) واخبرنا محمّد بن محمّد الصالحيّ مشافهة ... عن عمران بن عبدالله قال: قرأتُ على قبر بدمشق بباب الجابية بحمرةٍ مكتوباً (مجزوء كامل):

كم قد وقفتُ كما وقفتِ م وكم قرأتُ كما قرأتِ
بل كم خُدعتُ وكم هلمتُ م وكم فزعتُ من الفواتِ
انظر لنفسك يا اخي قبل التنغّص بالممات
ولقد تمرتُ وقد تفو تُ وقد تصيرُ الى رُفاتِ

(١٨) وفي كتاب الداعي الى وداع الدنيا عن عبد الملك بن محمّد قال: مكتوبٌ على مقبرة ابن عبّاس (طويل):

وكانت على الأيام نفسي عزيزةً فلمّا رأت صبري على الذلّ ذلّتِ
فقلتُ لها يا نفسِ موتي كريمةً فقد كانت الدنيا لنا ثم ولّتِ

وذكر الامام ابو الفتح ابن رجب في كتاب اهوال القبور انهُ قرأ على قبر (مجزوء الكامل):

ولقد وقفتُ كما وقفتَ م ولقد نظرتُ فما اعتبرتُ
حصّل لنفسك منزلاً قبل الحصولِ كما حصلتُ

ووجدت بخط قديم ما لفظهُ قال الشيباني: وُجد مكتوباً على بعض القبور (كامل):

مسلٌ الاحبّةُ زورتي فجُنيتُ وسكنتُ في دار البِلى فنُسيتُ
الحيُّ يكذبُ لا صديقَ لميتٍ لو كان يصدقُ ماتَ حين يموتُ

ووُجد مكتوباً على بعض القبور (كامل) (١٩):

١) هنا بالاصل قد أُعيدت الصفحات الاربع السابقة بحرفها فلم نجد حاجةً للتكرار

يا موتَ مَنْ سكن البلى وبقيتُ لو كنتُ اصدُقُ اذ بَليتَ بَليتُ
لو كان يَقضى للبكاء مفجَّعٌ من طول ما ابكي لكنتُ عَبيتُ

حرف الحاء

(٢٠) اخبرتنا الشريفة خديجة بنت احمد الحسينيَّة كتابةً باسنادها الى ابي بكر عبدالله بن محمَّد القرشي قال: قرأتُ على قبرٍ بالأُبُلَّة (سريع):

الموتُ بحرٌ غالبٌ موجُهُ تضلُّ فيهِ حيلةُ السابحِ
يا نفسِ اني قائل فاسمعي مقالةً من مشفقٍ ناصحِ
ما يصحبُ الانسانُ في قبرهِ مثلَ التقى والعمل الصالحِ

وبهِ اليهِ قال: سمعتُ بعض اصحابنا قال قرأتُ على قبرٍ بالبصرة (طويل):

لئن كنتُ لهوًا للعيونِ وقرَّةً لقد صرتُ سقمًا للقلوب الصحائحِ
وهوَّن وجدي ان يؤجَّل مدركي واني غدًا من اهل تلك الضرائحِ

حرف الدال

اخبر ابو العبَّاس احمد بن الحسن المقدسي مشافهةً عن الصلاح محمَّد بن احمد المقدسيّ (٢٠)... عن ابي عبدالله محمَّد بن زيد بن عليّ بن الحسين الواسطي قال: رأيتُ على قبر يعقوب بن الليث وعلى اربع جوانبهِ مكتوباً (طويل):

قُلْ للعُداة الشامتين بموتنا أفي ظنّكم ان سوفَ تبقون خُلَّدا
فان شمتَ الاعداء يوماً بموتنا فانَّ المنايا قد أتينَ محمَّدا

وأخبرنا عن شيخ من ثقيف انهُ قال: وُجد في حفرةٍ بالحيرة حجرٌ منقول فيهِ مكتوب: انا عبد المسيح بن حيان بن بقيلة (وافر):

حلبتُ الدهرَ اشطرهُ حياتي ونلتُ من المنى فوق المزيدِ
(٢١) وكافحتُ الامور وكافحتني ولم اخضع لمضلةٍ كؤودِ
وكنتُ انالُ في الشرفِ الثريّا ولكن لا سبيلَ الى الخلودِ

وحدَّث غالب النجراني عن ابيهِ قال توفّي رجلٌ في البحرين فاوصى ان يُكتب

على باب قصره بعد موته هذين البيتين وانا قرأتهما (كامل) :

طلبتُ العيش اغبطُ ناعميهِ وعشتُ من المعايش في الرغيدِ
فلم أترك وربّ البيت حتى سُلبت من الاقاربِ والبعيدِ

وحدّث محمّد بن الحسين قال: قرأتُ على قبرٍ في بعض الصحارى (المجتث) :

قبرٌ عزيزٌ علينا لو انّ من فيهِ يُفدَى
اسكنتَ قرّة عيني ومنيةَ النفسِ لحدا
ما جارَ خلقٌ علينا ولا القضاء تعدّى
والصبرُ أزينُ ثوبٍ بهِ التقيُّ تردّى

روي عن بعضهم قال: مررتُ ببعض البراري فاذا انا بقصر مشيّد قد اناخت عليه الاهواء بكلاكلها وقد تهدّمت اركانهُ ودثر بنيانهُ واذا على بابهِ لسطر مكتوبة فتأملتها فاذا هي (البسيط) :

انظرْ الى غِيَرِ الأيّام ما صنعتْ افنت اناساً بها كانوا وما تركتْ
ايّامهم ضحكت في وقت دولتهم حتى اذا انقرضت ناحت لهم وبكتْ

(قال) فدخلت القصر فاذا القبّة مطّقة على اربعة اعمدة وفي القبر قبرٌ مصفّح بالمرمر وقد علاهُ الغبار فنفضتُ عنهُ الغبار فاذا عليهِ مكتوب (مجتث) :

كم من كريمٍ عزيزٍ وذي جمالٍ وجدّ
قد صار عظماً رميماً في ظلمة القبر مُردي
(٢٢) فالحمد لله ربّي قد صرتُ في القبر وحدي
قد فرّق الموت بيني وبين اهلي وودّي
فلستُ اعرف شيئاً من امر ما كان بعدي
وقد خلوتُ بفعلي وسوف يُقضى بعهدي
مستوحشاً ذا ذنوبٍ خبّطتُ فيها بجهدي
استغفرُ الله ربّي من خطائيَ وعمدي
فاغفر أيا ربُّ ذنبي فكل ذلك عندي
انت الجوادُ بفضلٍ فأحين اليومَ رقدي

(٢٧) وروي عن ابي الحسن الازديّ قال : قرأتُ على قبر بعض الكزبريين. واسط (كامل) :

تفكَّرْ كيف افنى الموتُ قومَ ثمود وقوم فرعونٍ وعادا
وسَلْ دار البلى كم قد ابادت ملوكاً طالما ركبوا الجيادا
وسل بيت الفنا كم من ملوكٍ عظيمٌ شأنهم صاروا رمادا

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد على قبر ابي عامر بن شهيد (قال) وهو مدفون بازاء قبر صاحب ابي مروان الزجاجي وكأنهُ انّما يخاطبهُ ودُفنا في بستان كانا كثيرًا ما يجتمعان فيهِ (منسرح) :

يا صاحبي قُمْ فقد أظلنا أنحنُ طولَ المدى هجودُ
فقال لي لن نقومَ منها ما دام من فوقنا الصعيدُ
تذكَّرَنْ كم ليلةً نعمنا في ظلها والزمانُ صيدُ
وكم سرورٍ يهمي علينا سحابُهُ نثرُهُ يجودُ
كلٌّ كأن لم يكن تقضّى وشؤمُهُ حاضرٌ عتيدُ
حصّلهُ كاتبٌ حفيظٌ وضمّهُ صادقٌ شهيدُ
يا حسرتاهُ ان لم تنلنا نعماهُ انَّ بطشهُ شديدُ
يا ربِّ عفوًا فانت ربٌّ قصّر في حقّهِ العبيدُ

وذكر فيهِ ايضاً انهُ وجد على قبر بطليطلة قديم اذ كانت للمسلمين (وافر) :

كأنك قد رحلتَ عن المباني ووارَتْكَ الجنادلُ والصعيدُ
وناداك الحبيبُ فلم تُجبْهُ وقُربك منهُ في الدنيا بعيدُ
(٢٨) واصبحَ مالكَ للجموع نهباً وعُطّل بعدك القصرُ المشيدُ
وصار بنوك ايتاماً صغارًا وعانقَ عرسَك البعلُ الجديدُ
واكثر منهُ انك لستَ تدري شقيٌّ انت ام دونا سعيدُ

(٢٩) واخبر علماء حمير قالوا : لما هلك شدّاد بن عاد ملك بعدهُ ابنهُ وقد كان ابوهُ خلّفهُ بحضرموت على ملكهِ وسلطانهِ فامر بحمل ابيهِ الى حضرموت وهناك حُفرت لهُ حفيرة في مغارة فاستودعهُ فيها على سرير من ذهب والقى عليهِ سبعين حلّة

منسوجة بقضبان الذهب ووضع عند رأسهِ لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليهِ (مجزوء الرمل) :

اعتبرْ بي أيها المغر م ورُ بالعمرِ المديدِ
انا شدّادُ ابن عادٍ صاحب الحصن العميدِ
واخو القوّةِ والبأ ساء والملك الحشيدِ
دان اهلُ الارض لي من خوف وعدي ووعيدي
وملكتُ الشرق والغر بَ بسلطانٍ شديدِ
وبفضل الملكِ والعُدّ ةِ والجيش العديدِ
فأتى هُودٌ وكنّا في ضلالٍ قبل هودِ
(٣٠) فدعانا لو قبلنا هُ الى الامر الرشيدِ
فعصيناهُ وناديتُ م ألا هل من محيدِ
فاتتنا صَيْحةٌ تهوي م من الافق البعيدِ
فتوافينا كزرعٍ وسط بيداء حصيدِ

(٣٢) ومما كُتب على مقبرة (البسيط) :

قف بالقبور ونادِ الميّتين بها من اعظمٍ بَليَتْ فيها واجسادِ
قومٌ تقطّعت الاسبابُ بينهمُ بعد الوصالِ فصاروا تحت اطوادِ
والله لو بُعثوا يوماً ولو نُشروا اذن للاقوا التُّقى من افضل الزادِ

وروي انّ ابرهيم بن ادهم رحمةُ الله عليهِ اوصى ان يُكتب على قبرهِ (منسرح) :

جنبي تجافى عن الوسادِ من حذَرِ الموتِ والمَعادِ
مَن خافَ من سكرة المنايا لم يدرِ ما لذّةُ الرقادِ

ورأيت على قبر بدمشق مكتوباً بحفر (وافر) :

اذا كنت الكريمَ فلا أبالي ولو بلغتْ ذنوبي القطرَ عدّا
فكم من مذنبٍ في الحشر مثلي بجودك من لهيب النار عَدّى

(٣٣) حرف الراء

حدَّث رجل من بني عجل يكنَّى ابا بكر قال مررتُ في بعض مخاليف اليمن فاذا بقبرين عظيمين بينهما صخرة منقورة مكتوب عليها بحجر (سريع) :

هذان قبرا سيِّدَي حميرٍ قد بليا في الترب تحت الثرى
افناهما الموتُ بكرَّاتهِ والموتُ يُفني كل شمخ الذرى

وحدَّث سيف الصنَّاني قال : مررتُ على وادي حضرموت فاذا بقبر من قبور اولئك الاوَّلين عليهِ مكتوب بالحميريَّة فزبرتُهُ فاذا عليهِ مكتوب (بسيط) :

انا ابنُ مَنْ عَمَّر الدنيا ليسكنها فاخرَبت نفسَهُ الاقدارُ والأَجلُ

(٣٤) ويروى : الآجالُ والغِيَرُ . وحدَّث رجلٌ من بني ضبَّة قال : مررتُ بقبر في جبَّانة نحو بيت المقدس فوقفتُ انظر اليهِ فاذا عليهِ مكتوب (رمل) :

أيُّها الواقف هوناً فاعتبرْ انَّ الموت في لَشغلاً فاذَّكرْ

وحدَّث عمرو بن الزبير قال قرأتُ على قبرٍ في الجبانة مما يلي المهالبة عليهِ مكتوب (سريع) :

من أبصر القبر رأى عبرًا جنادلًا يُبلينَ وجهاً نَضِرًا

قال : فوالله ما ملكت نفسي فبكيتُ . وحدَّث محمَّد بن الحسين قال : قرأت على قبر في بعض الجبابين مكتوباً (سريع) :

لم يبقَ للميت في قبرهِ فَطرٌ ولا اضحى ولا عَشرُ
نأى عن الاهل على قربهِ كذاك مَنْ مسكنهُ القبرُ

وعنهُ ايضاً قال : قرأتُ على قبرٍ في بعض الجبابين (مجزوء الرمل) :

ان يكن مات صغيرًا فالأسى غيرُ صغيرِ
كان رَيحاني فصار م اليوم ريحانَ القبورِ
رُبَّ اغصانٍ مليحا تٍ بديعاتٍ بنورِ
غرسَتْها في بساتين م البلى ايدي الدهورِ

وعن ابي مدَّين محمَّد الجوهري قال : كان على قبرٍ مكتوباً (مجزوء الرمل) :

أيها الواقف بالقبر م عشاء وسَحَرْ
انَّ في القبر عظاماً بالياتٍ وعِبَرْ

وعن بكر بن خزيمة النميري قال: ماتت جارية آل المهلب فكتب على قبرها (طويل):

ألا أيها القبرُ الذي حلَّ لحدَهُ قصيرةُ عمرٍ حبّذا انت يا قبرُ
فخيرٌ لها منّا الذي شاء موتها وخيرٌ لنا منها المثوبةُ والاجرُ

وعن محمّد بن احمد الجبلي قال وُجد على قبرٍ عاديّ مكتوباً (مجزوء الكامل):

اصبرْ لدهرٍ نال منك م فهكذا مضتِ الدهورُ
فرحٌ وحزنٌ مرّةً لا الحزن دامَ ولا السرورُ

وعن ابن ابي الدنيا قال: حدّثني ابو علي النجّار انهُ نقشَ على لوح قبر (كامل):

يا أيها المَيت المغيَّبُ في الثرى زرتَ القبورَ فما تُحسُّ وما ترى
لمّا نُقلتَ الى المقابر ميّتاً لم يبقَ دمعٌ جامدٌ الّا جرى
جاورتَ قوماً لا تواصُلَ بينهم ويفونَ ضيفَهم الكرامةَ والقِرى

(٤١) واخرج ابو عليّ النجّار لوحاً نقشهُ لرجلٍ فجعلهُ في قبر بعض اهلهِ وكان عليهِ مكتوباً (طويل):

فكيفَ بقاني بعد إلفي وصاحبي ونفسيَ قد ذابت وفات سرورها
واني لآتٍ قبرَهُ كمسلّمٍ وان لم تُكلِّم حفرةٌ مَن يزورها

قال: ودخل قومٌ قصراً قد خرب فاذا بفنائهِ قبرٌ وعلى بعض جهات القبر مكتوب (بسيط):

يا منْ يُطلّ باللذّاتِ مهجتَهُ أما ترى قبر ربّ القصر مهجورا

حدّث بعض البصريين قال: مرَّ صالح المرّي بقصر خربٍ بفنائهِ قبران واسودُ جالس عندهما (٤٢) وعلى القبر مكتوب (بسيط):

يا أيها الركبُ سيروا اليومَ واعتبروا فمن قليلٍ تكونوا مثلنا عِبَرا

كنّا وكانت لنا الدنيا تلذّ بها فما اعتبرنا وما كنا لنازجرا
حتى رمانا الردى منهُ باسهُمهِ فلم يُبقِ لنا عيناً ولا اثرا

وحدّث ابو الحسن مولى بني هاشم انهُ قرأ على حائط مقبرةٍ مكتوباً (رجز) :

يا أيها الواقفُ بالقبورِ بين أناس غُيّبٍ حضورِ
قد سكنوا في خَربٍ مهجورِ بين الثرى وجندلِ الصخورِ
ينتظرون صيحة النشورِ لا تكُ عن حظّكَ في غرورِ
تحلُّ في منزلنا الحقيرِ

(٤٣) وحدّث محمّد بن بشير قال : قُرئَ على قبرٍ (بسيط) :

هذي منازلُ اقوامٍ عهدتُهمُ في ظلّ عيشٍ عجيب ما لهُ خطَرُ
صاحت بهم حادثاتُ الدهر فانقلبوا الى القبور فلا عينٌ ولا أثرُ

وحدّث الحسن بن موسى البصريّ قال : قرأتُ على قبرٍ بالبحرين (طويل) :

خليليّ كم من ميّتٍ قد حضرتُهُ ولكنّني لم انتفع بحضوري
وكم من ليالٍ قد أرتني عجائباً بهنّ وايامٍ مضت وشهورِ
وكم من خطوبٍ قد مرّتني كثيرةٍ وكم من امورٍ قد مضت وامورِ
ومن لم يَزدهُ الدهرُ ما عاش عِبرةً فذاك الذي لا يستبينُ بنورِ

وذكر ابو سعد لسماعيل في كتاب الداعي الى وداع الدنيا انّهُ وجد على قبر ابن لنكك (بسيط) :

فيّ اعتبارٌ لمن اضحى أخا فِكَرٍ كم يتبيّنُ في الموتى من العِبَرِ
اذا مررتَ بقبري فاعتبر عظةً واعلم بانك تقفونا على الأثرِ

وفيهِ ايضاً عن عبد الملك بن محمّد قال : رأيتُ مكتوباً على قبرٍ (بسيط) :

أسكنتُ من كان في الاحشاء مسكنهُ بالرغم منّيَ بين التُرب والحجرِ
يا قبر ما فيكَ من ذمٍّ ومن وَرَعٍ ومن حياءٍ ومن صونٍ ومن خَفَرِ
ان تمحُ يا قبرُ شيئاً من محاسنهِ لم يُمحَ عنهُ جميلُ الذكر والخبرِ

وفيه ايضاً عنهُ انهُ رأى مكتوباً على قبرٍ (مجزوء الخفيف)(٤٥):

رحم اللهُ من رأى مصرع القبر فاعتبرْ
قد جُزينا بفعلنا وقُطِعْنا عن البشرْ
بعد روح القصور صرْ نا الى ظلمة الحُفَرْ

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد على قبر باليمن مكتوباً (منسرح):

كم من عظيمٍ مستودَعٍ جدثاً قد غاب عن ملكه وعن وَطَرهْ
اخرجهُ الموتُ من دساكرهِ ومن فساطيطهِ ومن حُجَرهْ
اذا ثوى في القبورِ ذو خطرٍ فذَرْهُ فيها وانظرْ الى خَطَرهْ

وذكر الحافظ ابو عبدالله الذهبي في كتابهِ تاريخ الاسلام في ترجمة امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي انهُ اوصى ان يُكتَب على قبرهِ من شعرهِ (طويل):

سكنتُكِ يا دار الفناء مصدّقاً بأني الى دارِ البقاء اصيرُ
واعظمُ ما في الامر انّي صائرٌ الى عادلٍ في الحكم ليس يجورُ
فياليتَ شعري كيف القاهُ عندها وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيرُ
(٤٦) فان اكُ مجزياً بذنبي فانني بشرّ عقاب المذنبين جديرُ
وان يكُ عفوٌ منهُ عني فرحمةٌ فثمَّ نعيمٌ دائم وسرورُ

وذكر بعض المؤرخين ان ابا عليّ احمد بن بقاء بن عليّ الرنّال اوصى أن يُكتَب على قبرهِ (سريع):

يا خيرَ منزولٍ بهِ انني ضيفٌ وحقُّ الضيف ان يُقرى
فاجعلْ قرايَ منكَ يا سيّدي غفران ما في صُحُفي يُقرَا

واوصى بعضهم ان يكتب على قبرهِ (بسيط):

يا ربِّ جُدْ لي اذا ما ضمَّني جدثي برحمةٍ منك تُنجيني من النارِ
أحسن جواري اذا اصبحتُ جاركَ في لحدي فانك قد اوصيتَ بالجارِ

واوصى الشيخ ابو الحفص عُمَر بن الوردي ان يُكتب على قبرهِ (طويل):

ظُنّوا بربّ العرش ما هو اهلُهُ يا قاطعين لمن عصى بالنارِ
انا في يقيني انّ لي من حرّها حصناً يقيني وهو عفوُ الباري

(٤٧) ووُجد على قبر مكتوباً (طويل) :

أليسَ الى ذا صار آخرُ امرنا فلا كانت الدنيا القليلُ سرورُها
فلا تعجبي يا نفسِ ممّا ترينهُ فكلُّ امور الدهر هذا مصيرُها

وكتب عبدالله بن عائشة على قبر ولدٍ لهُ :

اذا ما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا اجاب البكا طوعاً ولم يُجبِ الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانّهُ سيبقى عليك الحزنُ ما بقيَ الدهرُ

ومرّ بعضهم بالقبور فرأى في لوح مكتوباً (خفيف) :

أيها الماشي بين هذي القبورِ غافلاً عن حقيقةِ المقبورِ
أدنُ مني أُنبئك عنّي ولا يُنبئك اليومَ عني مثلُ خبيرُ
انا مَيتٌ كما تراني طريحٌ بين اطباقِ رُجمةٍ وصخورِ
(٤٨) انا في بيت غربةٍ وانفرادٍ مع قرني من جيرتي وعشيري
ليس لي مؤنسٌ بهِ غيرَ سعيٍ من صلاح سعيتُهُ او فجورِ
وكذا انتَ فاتّعظ بي والّا فعذيري منك الغداة عذيري

وقرأتُ في بعض الكتب انّ إساف بن عمرو الجرهمي ملك جرهم فجر بنائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين ثمّ وُجدا في جبال مكة تحت الارض وعندهما لوح من رخام فيهِ مكتوب (خفيف) :

انا مأوى الفخارِ سافُ بنُ عمرو وربيعُ الانام في كل عصرِ
كنت من جرهمٍ أعدُّ رئيساً واذا ما أمرتُ فالامرُ امري
كانَ حكمي عليهم وعلى من حجَّ ذا البيتَ في البريّة مَجري
فهويتُ التي ترون امامي فتبطّتُها على غير مُهرِ
من يراني فليتّعظ بحديثي يوم موتي ولا يشكّ بقهري

حرف السين

(٤٩) اخبر عليّ بن الحسين الواسطي قال : رأيتُ قبر يعقوب ابن الليث فاذا مكتوب على احد جوانبه (طويل) :

ملكتُ خراسانًا وأكنافَ فارسٍ وما كنتُ من ملكِ العراقِ بآيسِ
سلامٌ على الدنيا وطيبِ نسيمها كأن لم يكن يعقوبُ فيها بجالسِ

وذكر الاشبيلي في كتاب العاقبة انهُ وجد مكتوباً على باب مقبرةٍ (طويل) :

سلامٌ على اهل القبور الدوارسِ كأنهمُ لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربةً ولم يأكلوا من كلّ رَطْبٍ ويابسِ
ولم يكُ منهم في الحياة منافسٌ طويلُ المنى فيها كثير الوساوسِ
(٥٠) ألا ليت شعري اين قبر ذليلكم وقبرُ العزيز الشامخ المتكاوسِ
لقد أودعوا في جانب اللحدِ واحداً فها هُم من بين راجٍ وآيسِ
ولو عقل المرء المنافس في الذي تركتم من الدنيا لهُ لم ينافسِ

وفيه ايضاً انهُ وجد على قبر (بسيط) :

انّ الحبيبَ من الاحباب مختلَسٌ لا يمنعُ الموتَ حُجّابٌ ولا حرَسُ
فكيف يفرحُ بالدنيا ولذّتها يا مَنْ عليه يُعَدُّ اللفظُ والنَّفَسُ
اصبحتَ يا غافلًا في النقص منغمساً وانت دهرَك في اللذّاتِ منغمسُ
لا يرحمُ الموتُ ذا جهلٍ لعزّتهِ ولا الذي كان عنهُ العلمُ يُقتَبَسُ
كم أخرسَ الموتُ في قبرٍ وقفتُ بهِ عن الجوابِ لساناً صابَهُ خَرَسُ
قد كان قصرُكَ معمورًا بهِ شُرُفٌ فغيرك اليومَ في الاجداثِ مندرسُ

(٥١) اخبر مالك بن ضيغم الراسي قال قرأتُ على قبرٍ بالأُبلّة (بسيط) :

انا البعيدُ القريبُ الدارِ منظرُهُ بين الجنادلِ والاحجار مرموسُ

حرف النون

اخبر ابن ابي الدنيا في كتاب القبور قال : قرأتُ على قبرٍ في طريق الشام مكتوب عليه (بسيط) :

يا أيها الرَّكبُ سيروا انَّ قَصدَكمُ ان تُصبحوا ذات يومٍ لا تسيرونا
حثّوا المطايا وأرخوا من ازمّتها قبل الممات وقضّوا ما يقضّونا
كنّا اناساً كما كنتم ففيّرنا دهرٌ وقرّباً كما صرنا تصيرونا

(٥٢) وروينا فيه ايضاً عن عمر بن عبدالله عن رجل قال : قرأتُ على قبر مكتوباً (كامل) :

يا من يصير غداً الى دار البلى ويفارقُ الاحباب والخلّانا
انَّ الاماكن ما هناك عزيزةٌ فاختَرْ لنفسك ان عقلتَ مكانا

وروينا فيه ايضاً قال: ورأيتُ على قبرٍ مكتوباً (مجزوء الرمل) :

انا في القبر وحيدٌ قد تبرّأ الاهلُ منّي
اسلموني بذنوبي خبتُ ان لم تعفُ عني

وروينا في كتاب احياء علوم الدين للغزالي عن ابن السماك قال : مررتُ بالمقابر فاذا على قبرٍ مكتوب (وافر) :

عِرٌ اقاربي جَنَباتِ قبري كأنَّ اقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي ولا يألون ان جحدوا ديوني
وقد اخذوا سهامَهُم وعاشوا برغدٍ لم يروا ان يذكروني

(٥٤) وروينا فيه ايضاً قال: ووُجد على قبرٍ مكتوباً (وافر) :

وقفتُ على الاحبّةِ حين زرتُ قبورَهُمُ كافراسِ الرهانِ
فلمّا ان بكيتُ وفاض دمعي رأت عيناي بينهمُ مكاني

وقال الاشبيلي في كتاب العاقبة : رأيتُ على قبر ابن حبيب باشبيليّة في لوح رخام مكتوباً (منسرح) :

عمّرتُ عشرين واثنتينِ في حالةٍ لم تقرَّ عيني
أطيع دنيا رُفعتُ منها الى الذي آذنتْ بعَيْني
تركتُ في الحيّ اصفيائي وحيل ما بينهم وبيني
قد بنتُ عنهم اخرى الليالي ليس كبَيْن الحياةِ بَيْني
وسوف ينسونني وشيكاً من بعد خمسٍ مع اثنتينِ
ان كان دَين الوفاء دَيني فسرَّني ان قضيتُ دَيني

وروينا فيه ايضاً انهُ وجد على قبر مكتوباً (مجزوء الرمل) :

انا مشغولٌ بذنبي عن ذنوبِ العالمينا
وخطايا موبقاتٍ تركتْ قلبي حزينا
ولقد كنتُ ضئيلاً في عيون الناظرينا
صرتُ في ظلمة قبري خالياً فيها رهينا
في ثرى الارضِ وحيداً في بحور المالكينا
وتركتُ الاهل والما ل لعمري والبنينا
ولقد عمّرتُ دهراً بعد احقابٍ سنينا
(٥٥) في نعيمٍ وسرورٍ فوق وصفِ الواصفينا
وملكتُ الشرق والغر بَ وكان المُلكُ فينا
وفتحتُ المُدن قهراً وغلبتُ الغالبينا
فاتى الموتُ علينا بعد هذا ففنينا
أيها المغرور بادِرْ لثواب الصالحينا
كلُّ حيٍّ سوف يفنى غير مُحيي الميّتينا

وروينا في كتاب التبصرة لابن الجوزي انه قُرئ على قبر مكتوباً (بسيط) :

لا تركننَّ الى الدنيا وبهجتها فانَّ اوطانها ليست بأوطانِ
عمّرتُ ستّين حولاً ثمَّ فاجأني حتمٌ من الموت يأتي كلَّ انسانِ
فما تزوّدتُ مما كنتُ اجمعهُ واكدحُ الدهرَ فيه غيرَ اكفاني

وذكر ابو القاسم الحسين بن محمّد بن الفضل الراغب في كتاب محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء انهُ روي على قبر (متقارب) :

تعزَّ فكم لك من أسوةٍ تجرّدُ عنك غليل الحزَنْ
بموتِ النبيّ وقتلِ الوصيّ وذبحِ الحسينِ وسمِّ الحسَنْ

(٥٦) ورأيت على حائط تربةٍ مكتوباً (مجزوء الرمل) :

عابرَ الدربِ علينا رحمةٌ منك الينا
ما لنا عَوْدٌ اليكم بل لكم عَوْدٌ الينا

(الى هنا ينتهي ما ورد في اصل الكتاب . ولله الحمد عوداً وبدءاً)

الوسائل لترقية اللغة العربية

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

قرأنا في عدد نوفمبر الاخير من مجلة الهلال الاغرّ (ص ١٩٢) انّ السيّد عبدالله علي آل زايد من اهل البحرين عرض على الادباء ان يكتبوا مقالة في الموضوع الآتي « ما هي الوسائل التي من شأنها ترقية اللغة العربيّة لتضارع اللغات الحيّة الراقية في وفائها بحاجات هذا العصر » وتبرّع بمبلغ من المال كجائزة لأفضل مقالة في ذلك

ونحن مع إعراضنا عن النزول في ميدان السباق ومجاراة فرسانه احببنا ان نكتب شيئاً في الموضوع المذكور في مجلّتنا لما فيه من عظم الشأن لمستقبل لغتنا العزيزة

*

كلّ يعلم انّ اللغة العربيّة أُصيبت بضربة كادت تكون قاضيةً بفتح الاتراك للبلاد التي كانت فيها العربيّة منتشرة زاهيةً في مصر والشام والعراق واطراف جزيرة العرب وبعد ان كانت تآليفها تُعدّ بالالوف اخذت في التقهقر حتّى انك لاتكاد تجد في القرون الاخيرة من المصنّفات الّا النزر القليل الذي لا يُعبأ به

ومن غريب الاتفاق انّ الذين احسّوا بهذا الانحطاط وحاولوا استدراكهُ كانوا من النصارى في حلب اوّلاً ثمّ في لبنان كما تشهد عليه تآليفهم ومنشوراتهم في مطابع سبقوا الجميع الى انشائها في هذه الانحاء . وكان المرسلون من الفرنج يؤازرون النصارى في عملهم وينفخون فيهم روحهم للاصلاح والرقيّ . ثمّ بادروا الى انشاء المدارس للناشئة فجعلوا العربيّة في مقدّمة دروسهم

على انّ هذه النهضة لم تبلغ معظمها الّا في اواسط القرن الماضي اذ ثمّ العنصر الاوربي في جهات البلاد بالبعثات الاجنبيّة التي قدمت الى سورية تسعى بترويج غاياتها الدينيّة . فكانت اللغة العربيّة الوسيلة الوحيدة لتتزيّن باهل الوطن فحاول المبشّرون درسها واعتنوا بتعميمها بين تلامذتهم اوّلاً ثم في العموم بواسطة تآليفهم ومطابعهم . فمذ ذاك الحين دخلت العربيّة في طور جديد فنمت المدارس وتوفّر عدد المتخرّجين فيها فما لبثوا انّ خدموا اوطانهم بتعزيز لغتهم فأنشأوا الأندية العلميّة

وانقطعوا الى التآليف المفيدة وابرزوا الصحف والمجلات يباري بعضها بعضاً ويتنافسون في زيادة تحسينها

وبتوفير المطبوعات أنشئت المكاتب للمطالعة وجُمعت في الخزائن المخطوطات النادرة التي نُشر منها قسمٌ كبير حتى جارت المطبوعات الاوربيَّة . وكان في الوقت ذاته قد أولع بالعربيَّة قوم فضلاء من الاجانب يدعونهم المستشرقين خصُّوا قسماً كبيراً من دروسهم باللغة العربيَّة فاستخرجوا من زوايا النسيان عدداً عديداً من افضل تآليف العرب من تاريخ وجغرافية وأدب وعلوم شتى فلكيَّة ورياضيَّة وفنيَّة استفاد منها اهل الشرق وعظمت العربيَّة في عينهم بعد نشر تلك الكنوز الادبيَّة المطمورة في مدافنها . فكلُّ ذلك جعل للغة العربيَّة مقاماً رفيعاً بين اللغات كان يفتخر به ذووها وينشطون الى توسيع نطاقها . فازدهرت بحسن مساعيهم في المهجر في اميركة الشمالية والجنوبيَّة حتى بلغت اليوم المنشورات العربيَّة تنيف على الآلاف

*

لكنْ هناك مشاكل جديدة نجمت اليوم بتغيير احوال البلاد . خلعت الاقطار العربيَّة النير التركي . أُنشئت دول عربيَّة . دخلت بعض الاصقاع في حكم الانتداب البريطاني او الفرنساوي وكلاهما في الغالب يحبُّ ازدهار اللغة العربيَّة ويصرف المال بيدٍ سخية على مدارسها فيا تُرى أتبقى العربية على حالتها الحاضرة؟ ألا يمكن ان تزيد رقياً فتجاري لغات كبار الدول فتبلغ المبلغ الواجب ، تضارع اللغات الحية الراقية في وفائها بحاجات هذا العصر ، وبعبارةٍ أخرى ألا تستطيع اللغة العربيَّة ان تقوم بذاتها وتستقلَّ بادواتها وتستنبط من نفسها المفردات والمركبات التي بها تتناول معلومات ومكتشفات زماننا هذا

ذلك سؤال يحتاج الى عدَّة مقدَّمات اليها يستند الجواب المطلوب فنقول :

(اوَّلاً) لا شك انَّ العربيَّة تخالف كثيراً من اللغات الشرقيَّة التي ظهرت في عالم الكون في الاعصار الخالية وازدهرت بين أُمم عديدة ثم هرمت فاخنى عليها الدهر فماتت وقد قلنا في ذلك :

هي اللغاتُ ترى في سيرها غِيَرًا تبدو فتذكو لحين ثم تنكسفُ
كالنبت يبدو ضئيلاً ثم يعقبهُ زهرٌ وطيبُ ثمار ثم ينتصفُ

هذه سُنّة الكون قد تحتّمت في معظم اللغات كالكلدانيّة والفينيقيّة والسريانيّة والبرانيّة والحميريّة والنبطيّة لم يبق منها سوى بعض آثارها التي يستخرجها ارباب البحث من اعماق الارض او من زوايا النسيان فيدرسونها لا لإحيائها بل رغبةً في الوقوف على فوائدها الغابرة

وليست والحمد لله العربيّة على هذا المنوال فانّها لغة حيّة يتكلّم بها نحو ٩٠ مليوناً من البشر في قسم كبير من آسية وافريقية وكفى بذلك دليلًا على عظم شأنها وكثرة انتشارها

(ثانياً) انّ حياة اللغات كحياة الانسان تقوم بالحركة والنمو والتفرّع . والعربيّة لا يمكنها ان تشذّ عن هذه القاعدة والّا عُدّت ميتة محنّطة وهذا لا يرضى به احد

(ثالثاً) تقوم حركة اللغات ونموّها بالاستعمال . والاستعمال امّا كتابي وامّا شفاهي فالكتابي يشتمل على كل ما ورد في المصنفات القديمة شعراً او نثراً مباشرةً بما نُقل عن اهل الجاهلية فاوّل الاسلام حتى عهدنا الحاضر ممّا وضعهُ ائمة اللغة وكتبتها الادباء ذوو الذوق السليم . واما الشفاهي فالدخيل والعامّي الذي يُروى عن الناطقين بالضاد من اهل البادية وغيرهم ودوّنهُ عنهم الكتبة

(رابعاً) واخصُّ الاستعمال ما ينطق به اهل العصر في معاملاتهم اليوميّة وما تبادر الى لسانهم من الالفاظ المفردة والمركّبة ليوضحوا عن افكارهم ويعبروا عمّا يرون من الامور الجارية العلميّة والادبيّة والاقتصادية والفنّية وكثيرٌ منها لا يعرفهُ غيرهم . وربّما أدّت بهم طبيعتهم الغريزيّة الى تراكيب سهلة وسلسة افضل من بعض التراكيب اللغويّة التي تثقل على لسانهم قواعدها فيضربونها عرض الحائط

***

فاذا ثبتت هذه المقدّمات خطونا الى موضوع البحث فنقول : لا ننكر انّ لغتنا العربيّة واسعة الارجاء غنيّة الموادّ لها في صيغها العديدة من الاسماء والافعال مجال واسع لزيادة قواها وسدّ خللها وتأدية المعاني المبتكرة والتصوّرات المستحدثة . على انّ هذه الخواصّ لا يمكنها ان تفي بالمقصود فتعارض لغات الدول الاوربيّة الّا بشروط يتّفق عليها ارباب اللغة وها نحن نعدّدها كما تخطر على بالنا :

١ مجمع علمي

﴿اولاً﴾ لا بُدَّ قبل كلّ ان يُنشأ مجمع علميّ عامّ تعترف بمقامهِ الرسميّ البلاد التي يتكلّم اهلها بالعربيّة فيُرسل مباركها او زعماؤها على ذمّتهم مَن يمثّل فيه اقطارها. ويكون للمجمع موارد كافية لسدّ نفقاتهِ وترويج اعمالهِ ونشر مطبوعاتهِ. ثم يجري اعضاؤهُ على نظام معلوم تحت ادارة رئيس وكاتب اسرار ومستشارين مع عدد من المراسلين في الانحاء المختلفة

٢ نشرة لغوية رسمية

﴿ثانياً﴾ ويقتضي للمجمع المذكور نشرةٌ رسميّةٌ تُعرض فيها اعمالهُ وتفيد ابحاثهُ في امور اللغة وتعزيزها وتنقيحها وتُروى ما يأتيها من الملحوظات والانتقادات والفوائد من مراسليها وغيرهم من الأدباء

٣ قاموس رسمي للغة العربية

﴿ثالثاً﴾ ومن اخصّ واجبات هذا المجمع ان يسعى بنشر قاموس شامل رسمي للغة العربية يُبنى على ما لدينا من تآليفها المخطوطة والمطبوعة مع الاشارة الى مظانّها. ولا بُدَّ ان يُقسم شغل مثل هذا بين لجانٍ خاصّة لكلّ لجنةٍ شطرُها من العمل. ولا تقلّ هذه اللجان عن الاربع تُعنى الاولى بجمع مفردات اللغة الواردة في أقدم الآثار العربيّة منذ عهد الجاهليّة الى مبادئ الاسلام. والثانية تقصر نظرها على آثار العرب في اوّل الاسلام الى ظهور الدولة العبّاسيّة مباشرةً بالفاظ القرآن والحديث مع بقايا الشعراء المخضرمين. ويُعهَد الى الثالثة مراجعة التآليف التي ظهرت نظماً ونثراً في العصور العبّاسي وتعيين الخصائص اللغويّة والمفردات العلميّة التي شاعت في عهد بني عبّاس في بغداد وفي مصر وجزيرة العرب والمغرب والاندلس. امّا الرابعة فتكون حصّتها القرون المتأخّرة من زمن السلجوقيين ومبادئ الدولة التركيّة الى الزمن الحاضر. فتُعدّ كلّ لجنةٍ معجماً لطورها. فاذا نجز العمل تمزج هذه المعاجم مزجاً منظّماً في قاموس واحد يحيط بها جميعاً ويوقف الباحثَ لأوّل وهلة على كلّ مادّة يطلبها كما ترى مثلاً في معجم الاكادمية الفرنسويّة الذي عليهِ معوّل الكتبة في تآليفهم

٤ تمحيص الدخيل

﴿رابعاً﴾ وعلى المجمع المذكور ان يستقرئ الالفاظ الدخيلة قديمةً كانت او حديثة فيختار المأنوس منها ويثبتها في منشوراته الرسميَّة مع التدقيق في تعريف معناها

٥ انقاذ المعرب

﴿خامساً﴾ ومثلها المعرَّب من اللغات الاجنبيَّة كالروميَّة والسريانيَّة والفارسيَّة والحبشيَّة والعبرانيَّة فينشر جدولها ويقرّر اصلها ويدقّق في بيان معانيها فيستعين لذلك بما كتبهُ المستشرقون

٦ تعريب مفردات اصطلاحيَّة للعلوم العصريَّة

﴿سادساً﴾ ولا مناص لاهل المجمع المذكور ان يهتمّوا اهتماماً عظيماً بتعريب كثير من الالفاظ العلميَّة التي وضعها الاوربيُّون للاكتشافات الحديثة في كافَّة فروع المعارف البشريَّة كالفلسفة والطبيعيَّات والكيميا والطبّ والفلك وطبقات الارض والمعادن والنبات والفنون والصنائع وغير ذلك فيفحصوها ويتبيَّنوا كُنْهَ معناها فان وجدوا في العربيَّة ما يؤدّي ذاك المعنى قرّروهُ في نشرتهم الرسميَّة او اصطلحوا على كلمةٍ مجازيَّة تدلُّ عليهِ وان لم يجدوا عمدوا الى اللفظة الاجنبيَّة فيتَّفقون على استعمالها بلفظها او ببعض تحويرها على صورة مقبولة ليأنس بها الكتبة والمتكلّمون كما فعل الاتراك بمعجمهم الكبير وكما فعل النَّقلة في تعريب كتب الاقدمين كحنين وماسويه وابن بيطار وابن جزلة وغيرهم

٧ مراقبة استعمال المتكلمين

﴿سابعاً﴾ وفوق كل يجب على المجمع ان يراقب لهجات المتكلمين وما يدور على لسانهم من التراكيب والتعبير عن افكارهم بالفاظ راجت بينهم سواء نطقوا بها او حرَّروها بكتاباتهم . فانَّ للاستعمال شأناً عظيماً عند جميع الامم في ضبط لغتهم وتحسينها وتنميتها . على انَّ كتبة العرب قد اهملوا هذا الباب وعدُّوا اللهجات الدارجة غلطاً او لحناً وانزلوها منزلة لغة غريبة لا علاقة لها مع اللغة العربيَّة الكتابيَّة ذات القواعد النحويَّة المفرغة في قالبٍ لا يستطاع تغييرهُ

والحق يقال ان ذلك اجحافٌ عظيم في حقّ لغتنا التي بجيادها عن استعمال العموم مشافهةً او كتابةً لكثير من المفردات التي يبتكرونها تسدُّ في وجهها باباً واسعاً لتنمية موادّها وتخريجها على صورة تضارع اللغات الاجنبيّة

ولو اعتبرتَ اللغات الاجنبيّة لوجدت مراعاتها الدائمة للاستعمال فاذا رأى اربابها ان كلمةً جديدةً راجت على لسان القوم واخذ الصحافيّون في استعمالها فحصوها في جلساتهم الرسميّة وصدّقوا عليها اذا وجدوها رشيقةً حسنة الصورة وافية الدلالة فادرجوها في القاموس الرسميّ الكبير. ومثل ذلك بعض التراكيب الجديدة والجمل المستحدثة فتارةً يقرّرون ما استجدّ منها وتارة يُلغون ما عَتُق منها وأُميت . والقاعدة في كلّ ذلك ما جعلوهُ بمثابة المثل حيث يقولون ان الاستعمال سُنّة قاضية (l'usage fait loi) وكان امام شعراء اللاتينيين هوراسيوس في قصيدته الشهيرة المعروفة بالصناعة الشعريّة صرّح بما للاستعمال من النفوذ سواء كان في ابتكار الالفاظ او في الفاظها فشبّه المفردات اللغويّة باوراق الشجر التي تتساقط لباوغها هَرَمَ حياتها فيقوم بدلاً منها اوراق جديدة نضرة تزهو وتُستحبُّ لجدّتها ريثما تعتق فتُهمَل لأن الاستعمال هو القاضي في ذلك ولديهِ الحكم الفصل في الكلام والحقّ في ضبطهِ (١

ولا يقولنّ احد انّ في الاستعمال ضرراً على اللغة فتفقد اللغة ثوبها الفاخر الذي ورثتهُ من الاجداد فالجواب على ذلك انّها تلبس عوضاً عنهُ ثوباً قشيباً موافقاً للزي العصري. كما تختلف الازياء فيقوم الجديد منها بعد نزع العتيق

ولنا مثال في ذات لغتنا العربية التي بنت اشياء كثيرة من احكامها على السماع فهذه المصادر الثلاثيّة وهذه الجموع المكسّرة والصيغ المشبّهة واسماء الآلات فانها كلّها سماعيّة . وكم ادّعى النحويّون واللغويّون من المدّعيات فقرّروها في كتبهم وهي تخالف الحقيقة . فانّ المرحوم الكاهن اللغويّ البارع الاب خليل مرتا فنّد في المشرق

١) هذه ابياتهُ العامرة في ذلك Horace, *ad Pisones* (60-63 ... 70-73)

Ut silvæ foliis pronus mutantur in annos ;
Prima cadunt : ita verborum vetus interit ætas,
Et, juvenum ritu florent modo nata, vigentque....
Multa renascentur quæ jam cecidere; cadentque
Quæ nunc sunt in honore vocabula, si volet usus,
Quem penes arbitrium est et jus et norma loquendi.

(٢ [١٨٩٩] : ٩٧٧—٩٨٦) آراء ائمة اللغويين في زعمهم ان «أفعال» لا تأتي جمعاً على «فَعْل» الا «نادراً في ثلثة الفاظ» فاورد «نيفاً ومائتين وعشرين لفظة من وزن فَعْل تجمع على افعال». وللكاتب المذكور مقالات شائقة في سنتي المشرق الثامنة والتاسعة زيّف فيها عدّة مزاعم النحويين وبنى قولهُ على ادلّة راهنة من الاستعمال واثبتهُ بآراء ائمة اللغويين . وعلى مثالهِ جرى الشيخ المرحوم ظاهر خيرالله الشويري في رسائلهِ اللغويّة كرسالتي «المِفعَلة وجيد»

وكم حاول البعض تخطئة ما وسموهُ بسمة الاغلاط فقام غيرهم وابطلوا مزاعمهم . هذا صاحب المقامات والعلّامة الكبير الحريري الذي يغني اسمهُ عن وصفهِ جمع في كتابهِ درّة الغوّاص في اوهام الخواصّ نيفاً ومئتي عبارة زعم انها من الاوهام التي تشين الذوات فتولّى اصلاحها . لكن قاضي القضاة احمد شهاب الدين الخفاجي ردّ على الحريري وبيّن صحّة كثير منها وانّ لا غبار عليها . وهذا شيخنا ابراهيم اليازجي نشر في مجلّتهِ الضياء فصولاً متتابعة تحت عنوان لغة الجرائد روى فيها نحو ٢٥٠ مفرداً او مركّباً جمعها من الجرائد وادّعى انها اغلاط تفسد اللغة وتشوّه بهاءها فتصدّى لهُ غيرهُ من العلماء كالامير شكيب ارسلان والمرحوم رشيد الشرتوني وغيرهما واثبتوا انّ عدداً عديداً من تلك الاغلاط المزعومة لها في اللغة وجهٌ صحيح وأتوا على قولهم بالبرهان فسكت الشيخ عن ردودهم التي اوردناها في سنوات المشرق الثانية (ص١٠٦٥) والثالثة (ص١٢٣) والخامسة (ص ٣٢٢و٣٧٢و٤١٩و٤٧٢) . وهكذا فعلنا عند افتتاحهِ على كتاباتنا في المشرق

وقد ألّف غيرهُ تآليف من هذا الصنف كمناظ الكتّاب ومناهج الدولب وكرّد الشارد الى طريق القواعد ونحن مع شكرنا لمثل هؤلاء المتصرين للغتنا نرى في بعض مزاعمهم تضييقاً زائداً على الكتبة فيأخذون بخناقهم لبناء حكمهم على القديم المزبور في كتب بعض النحويين دون مراعاتهم للمعاني الحسن . فنحيلهم الى فصل مستجاد كتبهُ آخراً في المشرق في عدد حزيران (ص٤٩٥—٥٠٠) جناب الشيخ والدكتور امين الجميّل وفيهِ ما فيهِ من الآراء الصائبة والاحكام المعتدلة

وكلّ يعلم انّ الكتبة العرب في القرون الوسطى عدلوا في تأدية افكارهم والدلالة على مستحدثات مدنيّتهم الى ما دعوهُ بالمولّد فجروا عليهِ في منثورهم

ومنظومهم ونطقوا بالفاظ وتراكيب لم يعرفها عرب الجاهلية واول الاسلام ولا تثريب عليهم . فكيف يُريد بعض المتهوسين ان يضيقوا على المحدثين ويحولوا بينهم وبين انوار العصر صيانةً لكرامة الاقدمين . فان كان لكلٍّ مقام مقال فلكل زمان ايضاً كلام واستعمال

ولنا أُسوة في القرآن نفسهِ « العربي المبين » الذي لم يأنف من استعمال عدَّة لغات غير لغة قريش بلّغها ابو بكر الواسطيّ في كتابهِ الارشاد خمسين لُغَةً . والسيوطي في كتاب الاتقان في تفسير القرآن (١ : ١٦٥–١٦٧) فصل حسن في هذا الشأن عنوانهُ « فيما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز » فلِمَ لا يجوز بعد ذلك ان يستعير الكاتب العصري شيئاً من لغات الاجانب من تشابيه وتعابير سهلة قريبة المنال يُغني بها لغتنا العربية

وكذلك المعرَّب فان للسيوطي كتاباً دعاهُ «المهذَّب فيما وقع في القران بغير لغة العرب » اختصرهُ في كتاب الاتقان (١ : ١٦٧–١٦٩) فسلَّم مع غيره بما وقع فيهِ من لغة الروم والفرس والسريان والنبط والعبرانيين والحبشة . وعلَّل ذلك سعيد بن جبير ووهب بن منبّه بقولهما انهُ «وقعت فيهِ الاشارة الى انواع اللغات والالسن . . . فاختير لهُ من كلّ لغة اعذبها واخفّها واكثرها استعمالًا للعرب» . فما لبعض كتبتنا يجهدون نفسهم ليستخرجوا من اللغة العربيَّة الفاظاً مجهولةً غريبة ولهم ندمة في استعمالها معرَّبةً ظاهرة المعنى وربَّما كان المعرَّب افصح مما وجدوهُ عربيًّا اذا رُوعي في اللفظ المعرَّب الخلوص من التنافر بحيث لا يعسر النطق بهِ

فترى انَّ باب الاستعمال واسعٌ لو التجأ اليهِ الكتبة تحت نظارة مجمع علميّ ذي بصيرة صائبة وانتقاد معتدل امكنهم أن يُغنوا لغتنا العربيَّة ويجعلوها مضارعةً للُغات الاجنبيَّة جديرة بتأدية المعلومات المستحدثة

٨ العامي الحديث

﴿ثامناً﴾ العامّي ما ينطق بهِ العامَّة وشاع على لسانهم دون الادباء فانَّ للعامَّة لغةً خاصَّة لا تخلو في كثير من منطوقها من رشاقة وسلاسة وحسن ذوق . وليس العامّي حديث الوضع في العربيَّة وانَّما جرى عليهِ العرب في بَدْوهم وحضَرهم منذ القديم حتى في اوان الجاهليَّة وبعد الاسلام في كلّ اطوارهِ الى يومنا وللمستشرق

العلامة كرل ڤولرس تأليف جليل في الالمانية بيّن فيه ذلك باوضح بيان (١ . وقد نشر حضرة الاب بولس سلمان في المشرق (١٧ [١٩١٤] ٣٣٢و٤٩٦) مقاطيع من لغة اهل البادية في عهدنا تحت عنوان الشعر العربيّ في شرقي الاردن تخالف في اشيـاء كثيرة اللغة الكتابيّة . وكم نشر بعض المصريين واللبنانيين من نثر ونظم للعامّة اقبل عليهما الجمهور بكل رغبةٍ اذ رأى فيهما صورة كلامهِ واخلاقهِ وقد اثنينا غير مرّة على ما نشرهُ الاديب شكري افندي الخوري صاحب ابي الهول في سان باولو البرازيل من الروايات اللطيفة في اللغة العاميّة . وفي المشرق عدّة آثار حسنة من هذا الصنف

فعلى المجمع العلميّ ان لا يهمل هذا الفرع من اللغة الدارجة فانّ في معرفتهـا منافع جمة كما اثبت ذلك نزيل بيروت وصديق المسلمين مرتين هرتمان في مقالـة بديعة اثبتها في المشرق(١[١٤٩٨] : ١٩٠و١١٠١) بهذا العنوان «اهميّة جمع خواصّ الكلام الدارج» فترى هناك ما كان للقدماء من العناية في جمع كلام العامّة كالزجليّات والموشّحات وغيرها حرصاً على فوائدها القوميّة والتاريخيّة والصناعيّة

فكم من الالفاظ التي يعرفها الحدّاد والنجّار والبنّاء والنوتي والتاجر ... كل لصناعتهِ كانت لو جُمعت افادت الكتبة في منشوراتهم . قد عرفنـا في زماننا كاتبَين يسوعيَّين الواحد اسبـاني الاب كولوما (Coloma) والآخر ايطالي الاب برشيـاني (Bresciani) تهافت القرّاء على تآليفها الفصيحة البليغة لما اودعاها من الالفاظ المأخوذة عن العامّة والمجهولة من الخاصّة . وغنيّ عن البيان انّهُ من الواجب تمحيص العامّي قبل انتقاء مفرداتهِ ومركّباتهِ وإدراجها في اللغـة الرسميّة وذلك ايضاً من مهمّات المجمع العلميّ الذي الى حكمتهِ يرجع كلّ ما ينوط باللغة وتحسينها وتوسيع نطاقها . ولا بأس ان يسعفهُ الادباء في تآليفهم ومقالاتهم التي ينشرونها في الجرائد والمنشورات فانّ باحتكاك الآراء يسطع النور ويلوح الصواب

هذه بعض خواطر عرضت لنا في هذا الصدد علّها تصيب حظوة لدى الراغبين في تقدّم اللغة العربية الطالبين لها مجاراة اللغات الدوليّة وتكشف لهم بعض الطرق لتعزيزها ورفع منارها وعلى الله الاتكال فانهُ السميع المجيب

(١ هذا اسم الكتاب Volkssprache und Schriftsprache in alten Arabien von Karl Vollers, *Strassburg*, 1906

كاهن فاضل عالم

الخوري بطرس المكرزل (١٨٢٨–١٨٨٨)

لحضرة الخوري بطرس غالب

الخوري بطرس المكرزل — هو غالب ابن بشارة غالب المكرزل . ولد في بيت شباب سنة ١٨٢٨ ولمّا بلغ الرابعة عشرة من سنيه ارسلهُ المطران عبدالله بليل مطران قبرس الى مدرسة عين ورقة الاكليريكية فاتقن فيها العلوم الكهنوتية وكان استاذه الخوري نعمة الله الدحداح الذي صار مطراناً على دمشق فنبغ غالبٌ فيها وسيم كاهناً سنة ١٨٥٢

ثم عُيِّن كاتباً لاسرار القصادة الرسولية في عهد السيد برونوني وبعد ذلك ارسلهُ غبطة البطريرك بولس مسعد وكيلاً بطريركياً الى الاسكندرية وفي ايام وكالته دُشن قنال السويس وكان من جملة المدعوين فانشد للامبراطورة اوجيني قصيدةً عصماء راقتها فطلب منها ان تتوسط لدى خديوي مصر ليمنح الموارنة قطعة ارض يبنون فيها كنيسة ووكالةً للبطريركية في الاسكندرية فلبَّت طلبه ونالت لهُ ما تمنى وتبرَّعت بمبلغ من المال لقيام الكنيسة

وفي تلك الايام مرَّ بالاسكندرية يوسف بك كرم ذاهباً الى فرنسة فاكرم هو والجالية اللبنانية استقباله حتى قيل ان الحكام لم يجرِ لهم مثله ثم عاد الخوري بطرس الى لبنان فعيَّنهُ المطران بطرس البستاني وكيلاً له في صور ثم عُيِّن قاضياً للنصارى في المتن ودرَّس اللاهوت في مار الياس شويا للتلاميذ الرهبان الحلبيين . ومن هناك استدعاهُ المطران يوسف الرغبي الى مدرسة قرنة شهوان فولَّاهُ تدريس المعاني والبيان والفقه . وفي سنة ١٨٨٨ انتقل الى دار الابرار صباح عيد الصليب الكريم

وكان رحمهُ الله مثال الجد والاجتهاد متضلعاً من العلوم اللاهوتية والقانونية والفقهية اتخذه الامراء اللمعيون مستشاراً وكان شاعراً مجيداً جوَّاداً ونحوياً متفرداً وخطيباً مصقعاً وناسخاً نشيطاً ملماً باللغات اللاتينية والايطالية والفرنسية والعربية والسريانية . ترك مؤلفات عديدة لم تزل خطية منها تخميس وتشطير ديوان المطران

جرمانوس فرحات وتعريب رواية استير شعراً ونظم سفر نشيد الاناشيد وقصائد عصماء عربية وسريانية وتواريخ شعرية وشرح مجلة الاحكام واختصار شروح الشرع الاسلامي واعراب شواهد ابن عقيل . ونسخ مؤلف مرهج بن نمرون وكتاب المرطقات لمار يوحنا الدمشقي وشرح آيات الانجيل لمكرديج الكبير ومختصر في الطبيعيات وغراماطيق سرياني للتولاوي ومقالة في النفس الخ . وكتاب شرح ماهية النفس الناطقة لكير سابا كاتب وغيرها ليست بذات اهمية

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حلول الرهبانية اليسوعية في سورية

في السنة ١٦٢٥ تحقَّقت نوعاً رغبة الطيب الذكر جرجس عميرة في كتابهِ الى رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام اذ كان اسقفاً على اهدن وكان طلب اليهِ ان يُرسل بعضاً من رهبانهِ ليقيموا بين الموارنة على صورة ثابتة بعد القصادة الموقَّتة التي عُهدت الى الابرين الياتو ودنديني

فان ملك فرنسة لويس الثالث عشر لحسن الصلات التي كانت بينهُ وبين ملوك آل عثمان كان نال من الباب العالي بعض الامتيازات لدولتهِ في الاستانة وفي اساكل الشام وبعض حواضرها كحلب ودمشق . لكنهُ رأى انَّ تلك الامتيازات تكون اعمّ خيراً وافضل جدوى لنصارى الشرق لو مُنحت لمرسلين فرنسويين يستوطنون الممالك العثمانية ويسعون في خدمة الطوائف الشرقيَّة . فناتح في ذلك الكرسي الرسولي

جرمانوس فرحات وتعريب رواية استير شعراً ونظم سفر نشيد الاناشيد وقصائد عصماء عربية وسريانية وتواريخ شعرية وشرح مجلة الاحكام واختصار شروح الشرع الاسلامي واعراب شواهد ابن عقيل . ونسخ مؤلف مرهج بن نمرون وكتاب المرطقات لمار يوحنا الدمشقي وشرح آيات الانجيل لمكرديج الكبير ومختصر في الطبيعيات وغراماطيق سرياني للتولاوي ومقالة في النفس الخ . وكتاب شرح ماهية النفس الناطقة لكير سابا كاتب وغيرها ليست بذات اهمية

الطائفة المارونيَّة والرهبانيَّة اليسوعيَّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حلول الرهبانية اليسوعية في سورية

في السنة ١٦٢٥ تحقَّقت نوعاً رغبة الطيب الذكر جرجس عميرة في كتابهِ الى رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العام اذ كان اسقفاً على اهدن وكان طلب اليهِ ان يُرسل بعضاً من رهبانهِ ليقيموا بين الموارنة على صورة ثابتة بعد القصادة الموقَّتة التي عُهدت الى الابرين الياتو ودنديني

فان ملك فرنسة لويس الثالث عشر لحسن الصلات التي كانت بينهُ وبين ملوك آل عثمان كان نال من الباب العالي بعض الامتيازات لدولتهِ في الاستانة وفي اساكل الشام وبعض حواضرها كحلب ودمشق . لكنهُ رأى انَّ تلك الامتيازات تكون اعمّ خيراً وافضل جدوى لنصارى الشرق لو مُنحت لمرسلين فرنسويين يستوطنون الممالك العثمانية ويسعون في خدمة الطوائف الشرقيَّة . فناتح في ذلك الكرسي الرسولي

وكان الجالس حينئذٍ على عرش الخلافة البطرسيَّة البابا اوربانوس الثامن . فبعد النظر في الامر ومراجعة مجمع انتشار الايمان صدرت اوامر قداسته لثلث رهبانيَّات فرنسوية اعني بهم الكرمليين والكبوشيين واليسوعيين بان يذهبوا الى انحاء الشام ليبشروا فيها بالايمان

١ اليسوعيون والموارنة في حلب

وكان اليسوعيُّون اوَّل من سبق الى تلبية هذه الاوامر فأرسل منهم اثنان وهما الابوان غسبار مانيليه وجان ستيلّا فسافرا الى سوريَّة في حزيران من السنة ١٦٢٥ ووصلا الى الاسكندريَّة في اواسط تموز واذ عرفا ان مدينة حلب من اكبر حواضر الشام وفيها من النصارى وتجار الفرنج اكثر من سواها مع قلة المرسلين فيها لمساعدة النفوس حيث لم يكن فيها غير الآباء الفرنسيسكان الايطاليين قصدا تلك المدينة وعزما على استيطانها وعلى خدمة اهلها الروحية تحت حماية قنصلها الفرنسوي بيار دوليفيه . فكان دخولهما اليها في اوائل شهر آب من السنة

وهنا حدِّث ولا حرج عما نال الابوين اليسوعيين من المحن والمعاكسات وضروب الاضطهادات التي تعاورتهم كالسهام الراشقة من قبل قناصل الدول الاجنبية والمنتمين اليها . وأُقفلت في وجههم كنائس الشهباء الَّا كنيسة القديس الياس للموارنة فأمكنهم ان يقدّموا فيها الذبيحة المقدَّسة ويجدوا عند ابناء طائفتها بعض التعزية في بلاياهم

وفي رسائل المرسلين وتقارير السفراء والقناصل انَّ الموارنة كانوا اذ ذاك في حلب اقلّ الطوائف عددًا وانَّ كنيستهم كانت معبدًا صغيرًا بل حجرةً مجاورة لكنيسة الارمن لا تسع اكثر من اربعين الى خمسين شخصاً . ولم يكن حينئذٍ مقيماً بينهم اسقف يرعاهم وانَّما يقوم في خدمتهم وكيل اسقفي مع بعض الكهنة البسطاء

وكان في نيَّة الابوين المرسلَيْن ان يصبرا على بلاياهما لولا انَّ اعداءهما سعوا عند الوالي العثماني قره قاش محمَّد باشا واقنعوهُ بنفيهما من حلب بل من انحاء الشام فلم يستطيعا الَّا الرضوخ للقوَّة القاهرة

وقد فصَّل حضرة الاب تورنيز اليسوعي تفاصيل اخبارهما في المُشرق(١٥[١٩١٢]:

٦٤٣–٦٤٨) فوصف سفرهما بحرًا الى مالطة ثمّ الى الاستانة حيث توفّقا بعد مدّة الى نوال فرمان شاهاني يسمح لهما في السكنى بحلب فرجعا اليها في اوائل السنة ١٦٢٧ وانتصرا بفضل المشير خليل باشا على كل اعدائهما فاطمئنّا بالاً وتفرّغا لاعمالهما الرسوليّة

ونقتصر هنا وفقاً لغرضنا على ذكر ما اتياهُ من الخدم لطائفة الموارنة وحدها وقد باشرا اوّلاً بالعمل مع الفرنج ريثما يصحّ لهما التعليم والتبشير باللغة العربيّة التي انكبّا على درسها

واذ تمكّنا من التكلّم بها اخذا يشرحان التعليم المسيحيّ للصغار في الكنيسة المارونيّة وسعيا بانشاء اخويّة لابناء الطائفة . الّا انهما وُجدا في حالة من الفقر المدقع لانقطاع كلّ الحسنات عنهما تأثّرت منهُ صحّتهما فارسل سنة ١٦٢٨ الاب مانيليه رفيقهُ الاب جان ستيلا الى فرنسة ليلفت نظر الرؤساء والمحسنين الى تلك الرسالة الجديدة المهملة . فرافق وصوله اليها اذ كان الطاعون فاشياً في جهاتها فطلب من الرؤساء ان يخدم المطعونين وما لبث ان مات في اثنيون شهيد محبّتهِ نحو القريب في ١٨ ك ١ ١٦٢٩

اما الاب مانيليه فتأذّى كثيرًا لبُعد رفيقهِ وأصبح في حالةٍ من الضيق والعوز يُرثى لها فشُتّت في عضدهِ ومنعتهُ من خدمتهِ للنفوس الى ان بلغ امرهُ مسامع الاب جيروم كويرو (P. J. Queyrot) الذي كان قضى سنين عديدة في رسالة استنبول ثمّ في لرنجر بصفة رئيس ديرها فقام من ساعتهِ واتى الى الشهباء لمساعدة الاب مانيليه وكان ذاك الاب جامعاً لكل صفات المُرسل النشيط من تقًى عميق وعلم واسع ونشاط في العمل وحسن تدبير للامور وهو يتكلم بكل لغات الشرق . فانتعش الاب مانيليه لمجيئهِ واخذ كلاهما في فلاحة كرم الرب بغيرةٍ لم تعرف الملل . وكان الاب كويرو يعرف شيئاً من الطبّ فالتجأ اليهِ كثيرون من المرضى وشفاهم

ولمّا كانت السنة ١٦٣٠ فشا طاعون جارف في حلب اودى بحياة الوفٍ مؤلفة من اهلها . فكان الابوان ليلاً مع نهار يتجوّلان في بيوت المصابين ليؤدّوا لهما ما استطاعا من الخدم الروحيّة والجسديّة . فكان مثلهما هذا مؤثّرًا في قلوب الجميع حتى المعادين لهما . ومنذ ذاك الحين تيسّرت لهما الامور وجعلا ينقطعان الى اعمال

دعوتهما دون مانع فتحا مدرسةً للصغار وانشأ الاب كريرو اخويّة للرجال في كنيسة الموارنة والّف كتباً عديدة روحيّة وعلميّة فبقي في حلب كرؤوس او رئيس الى اواخر السنة ١٦٤٣ فطلبهُ البطريرك افتيشيوس الصاقزلي ليرافقهُ الى دمشق ليخدم فيها طائفة الروم وكان في حلب قد شارك ربّهُ بآلامهِ اذ تحامل عُمّال الاتراك على الرهبان فألقي الاب كريرو في حبس مظلم مقيّدًا بالاغلال وبقي هناك مدّةً الى ان فداهُ احد التجّار الفرنسويين بمبلغ من المال

وقدم الى حلب في العقد الرابع من القرن السابع عشر بعض المرسلين ذوي الفضل والفضيلة ممّن بقيت آثارهم الى عهدنا هذا . منهم الاب جان أميو (J. Amieu) الذي وصل الى حلب سنة ١٦٣٥ ولشتهر فيها بتعليم الاحداث الموارنة وإعداد بعضهم للمدرسة الرومانيّة وكان يعظ في كنيستهم . وكان منبر الوعظ قريباً من شبّاك يطلّ على ساحة كنيستي الارمن والروم فكان هؤلاء يتزاحمون لاستماع وعظهِ وارشاداتهِ فردّ منهم كثيرين الى الايمان القويم وقد اشتهر هذا الاب بخدمة المرضى والمطعونين قبل ان ينتقل الى سواحل الشام سنة ١٦٥٠ وينشئ دير طرابلس

ومنهم الاب حبيب شيزو (Aimé Chézaud) الذي ادار اخويّة الموارنة في حلب وعُني بتهذيبهم وارشادهم . الّا انّ تقرّبهُ الى الارمن جذب اليهِ محبّة اهل تلك الطائفة وساقفتها فانقطع اليهم وسافر الى اصفهان لينشئ هناك رسالةً لخدمتهم وتوفي هناك سنة ١٦٦١ وكان هو ايضاً قاسى اوجاعاً كثيرة من قبل الاتراك في الشهباء وأُلقي في حبس مُنتن لادّعائهم بانّهُ فتح معبدًا للصلاة دون فرمان الدولة وكانوا وحدوهُ يصلي في غرفةٍ صغيرة . وكان هذا الاب بارعاً بالطبّ يعالج المرضى

وفي العقد الخامس من ذلك القرن أُرسل الى حلب يسوعيّان اخران مثل السابقين فضلاً وبراعةً احدهما الاب غليوم غوده (Guil: Godet) دخل حلب سنة ١٦٤٢ فعطّرها برائحة قداستهِ مدّة ثماني سنين وخدم بغيرة متّقدة كلّ الطوائف الشرقيّة ومات تكفيرًا عن ذنب احد الرهبان الذي جحد النصرانيّة . ومن خدمهِ للموارنة انشاؤهُ اخويّة لشبّانها سنة موتهِ ١٦٥٠ . والآخر الاب فرنسوا ريغوردي (Fr. Rigordi) الذي قدم حلب سنة ١٦٤٣ ولم يُطل فيها الاقامة وسيأتي ذكرهُ في جملة مرسلي صيداء

ولشتهر في حلب في العقد السادس من القرن السابع عشر الاب فرنسوا ريغو

(Fr. Rigault) الذي جاء الى حلب سنة ١٦٥٠ مع الاب ادريان بارڤيله (Adr. Parvilliers) وانصبّ كلاهما على اعمال الرسالة بين الموارنة وبقيّة الطوائف. وقد ضُرب المثل بغيرة الاب ريغو وصبره على الضرب والاهانات التي نالتهُ من قبل المسلمين في حلب امّا الاب ادريان فانهُ حاز لهُ اسماً طيّباً بكتاباته

وفي هذا العقد عينهِ سنة ١٦٥٣ قدم الى حلب الاب نقولا پوارسون (N. Poirresson) وتولّى رئاسة ديرها وخدم الطوائف الشرقيّة مدّة ٢٤ سنة مارس فيها اسمى الفضائل

واوسع منهم شهرة الاب يوسف بسّون (J. Besson) مؤلف كتاب سوريّة والاراضي المقدّسة (La Syrie et la Terre Sainte) وفي كتابهِ معلومات شتّى عن الموارنة وصفاتهم الدينيّة واحوالهم المختلفة وقد طُبع في باريس سنة ١٨٦٢

ومع انّ اليسوعيين شملوا بعنايتهم جميع الطوائف في حلب الّا انهم كانوا يخصّون بهمّتهم طائفة الموارنة اذ وجدوهم كلّهم كاثوليكاً بسطاء القلب يقبلون تعاليم مرشديهم برغبةٍ فيسقط البذار الجيّد في تربة صالحة. وكانوا مع بساطتهم فقراء يستحقّون تطويب السيّد للفقراء بالروح. امّا عددهم فكان اوّلاً قليلاً ثمّ ازداد حتى بلغ بمهاجرة اللبنانيين الى حلب نحو مئتي عائلة و ٤٠٠ نفس يرتزقون بالصنائع. وكان كهنتهم غالباً من لبنان قليلي العلم مرتبطين بالزواج فيسرّون بمساعدة المرسلين لاسيّما ان الفقر كان يعرّض ابناء ملّتهم لأخطار عديدة فانّ اصحاب الاديان المخالفة كانوا يطمعونهم بالمال ليجذبوهم الى مذهبهم. فانكبّ المرسلون اليسوعيّون على تدبير هذا القطيع الصغير فرعوهُ بكل حرص ولم يألوا جهدًا في تأصيل الايمان في ذويهِ وانعشوا فيهِ روح التقى والاقبال على الاسرار. فكان الموارنة يسبقون الجميع في ممارسة الفضائل المسيحيّة ولسماع الارشادات والمواعظ ومباشرة العبادات الكنسيّة والانضواء الى الاخويّات الروحيّة

وفي اواسط القرن السابع عشر اخذ البطاركة يرسلون الى حلب اساقفة يقيمون فيها ويرعون ابناءها. وقد ذكر منهم الاب يوسف بوازو باحدى رسائلهِ المطرانَ جبرائيل وهو جبرائيل بن يوحنّا البلوزاني الذي سمّاهُ على حلب البطريرك جرجس السبعلي سنة ١٦٦٣ فدبّرها الى السنة ١٧٠٤ ثم خلف العلّامة الدويهي في البطريركيّة

الانطاكيّة . قال الاب بوازو ما تعريبهُ في كتابهِ الى سفير الدولة الفرنسويّة في الاستانة (١ :

ان الموارنة يمتازون بين كلّ نصارى الشرق بخضوعهم للكنيسة الرومانيّة واعتصامهم بها . وبما انهم جميعاً كاثوليك يقبلون منأ كل ما تقولهُ لهم لنكشف عنهم ذاك الجهل العميق الذي التهم فيهِ الدولة العثمانيّة . بطريركهم مقيم في قنّوبين ولهم هنا (في حلب) رئيس اساقفة متّقد الغيرة لخلاص شعبهِ وهو يلتمس حماية فخامتك ويطلب بنفوذ عزّتك ان تالَ لهُ الرخصة لتوسيع كنيستهِ جدم حائط يفصل الكنيسة عن بيت احد ابناء ملّتهِ فيمكّن نساء الطائفة ان يحضرنَ منهُ الرتب الكنائسيّة فلا يختلطن كما يُقضي عليهن بذلك حاضراً برجال من طوائف غريبة . وسيفصّل لفخامتك الامر اثنان من مرسلينا بكتاباتها وهما الابوان بنيه (Benier) وديشان . فان توفّق الامر على موجب رغبة الاسقف عظيم بركة جميع الكاثوليك وشكرهم المخلّد

وكان بطاركة الطائفة المارونيّة يباركون مساعي المرسلين ويطرئون اعمالهم الخيريّة . كيف لا وكان منهم بطريركان جليلان جرجس عميرة (١٦٣٣—١٦٤٤) ويوسف بن حليب العاقوري (١٦٤٤—١٦٤٨) تخرّجا في مدرسة رومية المارونيّة تحت ادارة الاباء اليسوعيين . ولمّا رفع بعض ذوي الغايات شكاوى عليهما الى البطريرك يوسف لم يلبث ان وقف على تُهم اصحابها الباطلة وزادت روابط الحبّ بين المرسلين والطائفة الحلبيّة توثّقاً لاسيّما بعد أن قدم الى حلب بعض المرسلين المخلصين الحبّ الموارنة كالاب ميشال نو (Michel Nau) والاب اغناطيوس رينه كليسون (R. Clisson) والاب يوسف بوازو (J. Boisot) والاب ميشال ديشان (M. Deschamps) الذي استنفد وسعهُ لينال من الباب العالي بواسطة السفير الفرنسوي فرماناً لتجديد كنيسة الموارنة وتوسيعها كما رأيت (٢

وقد ساعد المرسلين في ادراك غاياتهم المبرورة بعض من قناصل فرنسة الذين جاروهم غيرةً في نشر الدين وخدمة الكاثوليك ولاسيّما الموارنة فنخصّ منهم بالذكر أنج دي بونان (Ange de Bonin 1639-1642) وفرنسوا بيكه (Fr. Picquet, 1652-1661) والمركيز فرنسوا بارون (Fr. Baron 1661-1667) والفارس لوران دَرْفيو (Chevalier L. d'Arvieux 1681-1695) فانّهم دافعوا عن حقوق الكاثوليك دفاع الابطال ونجوهم من عدّة مصادرات واهانات (لهُ بقيّة)

١) راجع كتاب الآثار للمرحوم الاب انطون رباط Rabbath: Documents II, 94-95

٢) راجع كتاب الاثار السابق ذكرهُ (٢: ٦٥ و١٠٠)

مطبوعات شرقيّة جديدة

M. d'Herbigny S.J : L'Anglicanisme et l'Orthodoxie gréco-slave, *Paris, Bloud et Gay* 1922. *in* - 12, *pp.* 158

الانكليكانيّة والاورثذكسيّة اليونانيّة الصقليّة

انّ من اطّلع على مقالتنا المعنونة بالانكليكانيّة والاورثذكسيّة (ص ٨٦٨) وقف على مساعي الكنيسة الانكليكانيّة المتعدّدة لتنضمّ الى الكنيسة الاورثذكسيّة الشرقيّة وقد بيّنّا هناك انّ تلك المساعي لم تأتِ بنتيجة مدّة نحو اربعمائة سنة لما رآهُ زعماء اكليروس الروم من التباين والاختلاف بين الكنيستين ليس في الطقوس فقط لكن في قضايا الايمان ايضاً. على انّ الانكليكان لم يقطعوا الرجاء من ذلك الاتحاد المرغوب تعظيماً لكنيستهم ومناقضةً لرومية التي بيّنت فساد معتقدهم. وها هم اليوم عادوا بعد سقوط روسيّة والحرب الكونيّة الى طرق هذا الباب وقد وجدوا لهم في البطريرك الحالي متكساكيس وفي الاكليروس الاورثذكسي في الصرب واليونان وسوريّة ومصر مساعدين لتحقيق امنيّتهم. فهل يتمّ الاتحاد المرغوب فانّنا لا نظنّ قرب وقوعه. وان تمّ فيكون اقوى ضربةٍ على الاورثذكسيّة الشرقيّة وأدلّ دليل على انّها ليست الكنيسة الحقيقيّة لمشاركتها في الدينيّات الدُّعدوّ اورثذكسيّتها. فهذا ما اوضحهُ حضرة الاب اليسوعي ميشال دربيني في هذا الكتاب الجديد حيث فصّل كلّ تاريخ هذه المطامع البروتستانيّة منذ القرن السادس عشر الى يومنا واثبت ما يتهدّد الكنيسة الاورثذكسيّة من الخطر بتقرّبها الى الانكليكان وانّها لن تحيي شرفها القديم الّا برجوعها الى الحظيرة البطرسيّة كما كان قديسوها وتنفي عنها اوهامها بخصوص الكنيسة الرومانيّة ل. ش

Ch. Tissoyre : Une erreur diplomatique, LA HONGRIE MUTILÉE. *Un vol., in* -16, *Paris, éditions Mercure, Prix* 5.f

خطة سياسيّة يبتر الدولة المجريّة

أرسل احد مندوبي الدولة الفرنسويّة المسيو تسّار الى اقطار الدنوب للوقوف

على احوال المجر بعد معاهدة «تريانون» التي بترت قسماً كبيراً منها وجردتها تجريد النواة عن ثمرتها . فاغتنمت دولة يوغوسلافية هذه الفرصة لتحامل على تلك البلاد التاعسة وتسلب اموالها بما تحتلها من الضرائب الباهظة بصورة تعويضات حربية . وقد بلغ السيل الزبى في هذه الآونة الاخيرة حتى كاد يحدث هناك فتن ومشاغب سيئة العاقبة . فالمسيو تسار عرض ذلك في كتابه هذا وألفت الى تلك الاعمال الجائرة نظر جمعية الامم . ومن يطالع هذا الكتاب يقف على جور الانسان الفظيع لابن جلدته حتى قيل انّ اكبر عدوّ للانسان هو الانسان عينهُ الاب جبرائيل لوقنك

M. Heim : Sur les pentes du Pamir. *Un vol. in-16, Paris. Éditions Sansot. Prix* : 6 *f*. 75

على مناطق جبال بامير

اتّفق سنة ١٩٠٧ اربعة سيّاح اميركيّان وافرنسيّان كانوا في بلاد تركستان على سياحة لم يباشرها غيرهم الّا القليل فعزموا على السفر الى كشغار في مناطق جبال بامير البعيدة وذلك رغبة في مشاهدة امور غريبة يحرّرون اخبارها عند عودتهم . فساعدهم الحظّ في هذه السياحة التي تجشّموا اخطارها برباطة جأش وعادوا منها سالمين . وقد تولّى احدهم المسيو هَيْم تحرير تلك السياحة واخبارها العجيبة التي سُررنا بمطالعتها في كتابه هذا ج . ل

Lettres du Lieutenant de Vaisséau Dupouey, *un vol. in-18, Éditions de la nouvelle Revue Française, Paris,* 3 *rue de Grenelle*

رسائل الملازم البحري دوبوي

دومنيك بيار دوبوي كاتب عصري اشتهر بعدّة تآليف تاريخيّة وفلسفيّة . وقد كان في اوّل امره بعيداً من الدين فانار الله قلبهُ وأصبح رسولاً بين رفاقهِ . وكان يشتغل بتأليف كتاب عن صدق ايمانهِ اذ نشبت الحرب الكونية فحالت دون عملهِ لكنّهُ تعوّض عن ذلك برسائل غاية في اللطف مفعمة بروح التديّن وحبهِ تعالى كان يكتبها في ساحات الحرب وهو في مقدّمة المحاربين ويوجّهها الى قرينتهِ وثبت على ذلك الى ان سقط شهيداً وطنيّتهِ في معارك الايزر بين بحريّتهِ . فهذه الرسائل البديعة اراد الكاثوليك اخوتهُ اصحاب المجلّة الفرنسويّة الجديدة ان ينشروها فتبحث في

قلوب قرائها لرقّ العواطف واسمى الشواعر الدينيّة ل.ش

Gabriel Guilbert : La prévision scientifique du temps. Traité pratique. *un vol. gr. in-8°, Paris. Aug. Challamel,* 1922

الإنباء سلفاً من حركات الجوّ علميّاً

انّ علم حركات الجوّ بقي زمناً طويلاً بل الى يومنا هذا علماً مبنيّاً في الغالب على الاختبار. وغاية ما امكن المراصد الجويّة ان تفيدنا في ذلك انّما كان حدساً لا يصحّ الّا بنسبة الواحد الى الخمسة. وها هوذا صاحب هذا الكتاب المسيو غيلبرت رئيس مرصد الدولة الجوّي في فرنسة قد بيّن ان للإنباء بحركات الجوّ طريقةً علميّة غير الجارية الى اليوم ان جرى عليها العلماء يمكنهم ان ينقصوا تلك النسبة الى نصفها. وقد عرض طريقتهُ هذه في مؤتمر لياج الدولي سنة ١٩٠٥ فصدّق عليها ارباب الفلك. وهذه الطريقة مبنيّة خاصّة على رصد الارياح فان الريح هي المؤثرة في الضغط الجوّي واختلافاته وبالتالي في تغيير الزمان. وقد حاول في هذا الكتاب ان يثبت رأيهُ نظريّاً وعمليّاً بحيث يستطيع الناس تقريباً ان يعرفوا سلفاً ما سيحدث في الجوّ من صحو او غيم او مطر او نوء او ثلج او بَرَد او صقيع او حرّ او برد. وقابل بين طريقته هذه المستحدثة والطرائق السابقة فبيّن فضلها عليها. ونحن نتمنّى ان يتّسع الكاتب في ابحاثه المفيدة ويضمها في الكتاب والمراصد الجويّة ج.ل

Levenq (G.) : Le Français par l'Image. *Beyrouth Impr. Catholique,* 1922, *in-12, pp.* 94

تعليم اللغة الفرنسويّة بالصور

قد اشرنا سابقاً الى هذا التأليف الذي نجز منذ زمن قليل فاذا به وفقَ ظنّنا في حسنه معنًى ولفظاً. فانّ الكاتب الفاضل بنى على ما في تأليفه من الصور التي رسمها المصوّر الارمني البارع الطونيان افندي تعليماً سهلاً للغة الفرنسويّة جامعاً لمفرداتها ومركّباتها وقواعدها اللغويّة وعارضاً شتّى على مضامين كلّ صورة. فهذا كما ترى تعليم الاشياء بالنظر. وما يعاينهُ الاحداث لشبه بالنقش على الحجر لا يبرح من ذهنهم

Jean Drault : Une cause célèbre : l'Assassinat du P. Thomas et le Talmud. *Paris.* 1922, *in-16, pp.* 64, *Édition de la Vieille France*

دعوى شهيرة: التلمود وقتل الاب توما الكبوشي

انّ اعمال اليهود الفظيعة في روسيّة بواسطة البولشفيّة جدّدت في الباحثين المدقّقين

ذكر ما أتاهُ اليهود من الاثم الشنيع اذ كانوا يحاولون كلّ سنةٍ في جهات مختلفة ان يستترفوا دم احد المسيحيين ليمزجوهُ بفطيرهم الفصحيّ . والروايات الصادقة في ذلك لا تحصى الّا ان دعوى قتل الاب توما الكبوشيّ وخادمهِ ابرهيم أمارة بلغت من الشهرة اكثر من سواها لما جرى فيها من الاستنطاقات الرسميّة والاقرارات في مجالس الحكّام التي لدينا صورتها الراهنة . فهذه الدعوى مع تفاصيلها قد تكرّر نشرُها هذه السنة مع بيان صحّتها بنصوص كتاب التلمود وتعاليم الرّبانيين اليهود . فليقم بعد ذلك « العالم الاسرائيلي » وينسب الى الصليبيين سوء معاملتهم لبني اسرائيل ل . ش

اراحة الضمائر في كشف السرائر او سرّ التوبة

بقلم الخوري اسقفي فرنسيس الشمالي

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٣٣ (ص ١٨٠)

نِعم الاسم اختارهُ لكتابهِ حضرة المؤلف فانّ لا راحة تامّة لضمير الخاطي الّا بكشف سرائر قلبهِ لمن اقامهُ الله نائباً عنهُ ليعالج داءهُ ويشفيهُ الشفاء التامّ . ولا غرو فان كانت امراض الاجساد لا يعالجها الاطباء ما لم يقفوا على اسرارها فكم بالحري ادواء النفس يجب كشفها لحكيم الارواح ليحسن بُرءها . على انّ جسم هذا الكتاب موافقٌ لاسمهِ اذ استقرى حضرة كاتبهِ كلّ ابواب اللاهوت الادبيّ الخاصّة بسرّ التوبة ونظمها في كتابهِ على افضل منوال وعرضها على طريقة شائقة رائقة مع امثال وشواهد تقرّب فهمها وتبيّن ما في هذا السرّ من الانطباق مع حكم الفلاسفة واعتقاد الشعوب فضلًا عن فوائدهِ الشخصيّة والاجتماعيّة وقد زيّف ما اعترض بهِ اعداء الكنيسة على ممارستهِ . فما لنا الّا ان نشكر حضرة الخوري اسقفي على تأليفهِ ونحضّ المؤمنين وطالبي الحقيقة على مطالعتهِ وادراك معانيهِ ل . ش

تجارة العراق قديماً وحديثاً

بحث تاريخي اقتصادي بقلم رزق الله غنيمة

طُبع في مطبعة بغداد سنة ١٩٣٣ (ص ١٢٦)

كلّ يعلم انّ بلاد العراق تُعدّ من اخصب بلاد الله واغناها وان في بعض

جهاتها مهبط الوحي الاوّل. ولذلك كانت ولا تزال تجارتها في مقدّمة تجارات الممالك العثمانيّة. فأُغرم بهذا البحث المفيد مكاتبنا الاديب يوسف افندي رزق غنيمة فاتّخذه مادّة لعدّة محاضرات ضمّنها معلومات عديدة استقاها من موارد قديمة وحديثة ثمّ القاها في معهد بغداد العلمي فاحرزت رضى جميع سامعيها ونُشرت تباعاً في جريدة العراق. ثمّ تمنّى كثيرون لو تُجمع فتطبع في كتاب خاصّ فاجاب كاتبها الى ملتمسهم خدمةً لاهل بلاده بل لجميع محبّي التاريخ وطالبي الاقتصاد. ولا مراء انّ النـاشئة العراقيّة تُقبل على مطالعته برغبةٍ فتقف على ما في اوطانها من اسباب الرقي بتعزيز التجارة. فنهنئ المؤلف على حسن تأليفه ونتمنّى له رواجاً واسعاً ل. ش

كتاب سرّ التقوى

بقلم حبيب جرجس ناظر المدرسة الاكليركية وواعظ الكاتدرائية المرقسية الارثوذكسية

طُبع بمطبعة الشمس في القاهرة سنة ١٩٢٢ (ص ٤٣٤)

اخذتنا الدهشة لدى تصفُّحنا هذا الكتاب من شدّة مشابهته لسفر الاقتداء بالمسيح وذلك من كل الاوجه سواء كان في اختيار المواضيع او في طريقة عرضها وايضاحها او في لهجة الكاتب الحارّة التقوى القويّة الاقناع مع رقّتها وانسجامها. فكأنّهُ واعظ يخطب من منبره لا مؤلف روحي يسوّد الصحائف على مكتبه. فيخيَّل الى المطالع ان هذين الكتابين فرعان لدوحة واحدة او بُردان منسوجان على منوال واحد. ولعلّ الكاتب تشرّب ردحاً من الزمان افكار سفر الاقتداء بالمسيح السامية وعواطفهُ النبيلة فاصبح قادراً على ابرازها بثوب قشيب وبلغة فصحى وعبارة منسجمة وخيالات مستظرفة. ومن اراد ان يتحقق بنفسه صدق حكمنا في الشبه بين الكتابين المذكورين فليقابل مثلاً بين الفصل الثاني من كتاب سرّ التقوى وعنوانهُ «يسوع لنا كلّ شيء في كل شيء» والفصل الثامن من السفر الثاني للاقتداء بالمسيح وموضوعه «الاتحاد الباطن بيسوع». وليقارن ايضاً الفصل ٢٦ من المؤلف الاول في اماتة الذات وكبح الآلام بالفصل ١٢ من السفر الثاني من الاقتداء وعنوانه «جادّة الصليب السلطانية» ومن لبهى محاسن فصول «سرّ التقوى» انها مشحونة بآيات الكتاب المقدس المدمجة بكلامها ادماجاً لطيفاً ويا ليتهُ ضمّنها شيئاً من ذكر الاسرار

لاسيما سرّ القربان كما فعل صاحب الاقتداء على اننا نثني على همّة مؤلّف هذا الكتاب النفيس ونتمنى من صميم الفؤاد ان تتم رغبته في تسطيره كما بيّنهُ في مقدّمته ان ينهج لطالعيه سبيل التقى ويُعدّ لهم سعادة الدارين ؛ الاب ر . نخله

الروزنامة الدائمة

لصاحبها الخوري دانيال شريم الراهب الباسيلي الحلّاوي

طُبعت بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٩٢٢

كلّ يعلم ما في الروزنامات الورقيّة من الافادات المتعدّدة يطّلع عليها كل يوم مقتنيها . وقد اراد حضرة الخوري دانيال شريم ان يجمع معظم تلك الفوائد في صفيحة واحدة تغني صاحبها طول القرن العشرين عن مراجعة واقتناء تلك الروزنامات على شرط ان يدرس ملياً اسرار هذه الصفيحة ويطّلع على رموزها . ولهُ في كاتبها احسن دليل الى ذلك بما جعلهُ كمفتاح ذهبيّ لتلك الروزنامة . فنشكر همّة واضعها ونتمنى لعملهِ رواجاً

شذرات

﴿ سيّدات التعليم المسيحي في باريس ﴾ انّ في باريس الوفاً مؤلّفة من الاحداث يرتزقون بالاعمال اليدويّة او يقيمون في انحائها متشرّدين مهملين يعيشون بالبطالة وسوء الآداب فقامت احدى السيّدات وجمعت بعض ذوات الغيرة والتقى من سكّانها فأنشأنَ مدارس الآحاد لاولئك الاحداث ليعلّمنهم التعليم المسيحيّ ويُعدّدنهم للمناولة الاولى ويهتممنَ بشؤونهم . وهذا المشروع الجليل قد بلغ اليوم مبلغاً ما كان ليخطر على بال : فان عدد السيّدات اللواتي يهتممنَ بهذا العمل ٤٫٣٠٠ سيّدة يرشدن بالتعليم المسيحي كلّ يوم احد في احياء المدينة خمسين الفاً من الاحداث فيا لهُ ما اجلّ نتيجة الغيرة المسيحية وما اعظم ثوابها

﴿ المهاجرة الى الولايات المتّحدة ﴾ قد سنّت حكومة الولايات المتّحدة منذ سنة

لاسيما سرّ القربان كما فعل صاحب الاقتداء على اننا نثني على همّة مؤلّف هذا الكتاب النفيس ونتمنى من صميم الفؤاد ان تتم رغبته في تسطيره كما بيّنهُ في مقدّمته ان ينهج لطالعيه سبيل التقى ويُعدّ لهم سعادة الدارين ؛ الاب ر . نخله

الروزنامة الدائمة

لصاحبها الخوري دانيال شريم الراهب الباسيلي الحلّاوي

طُبعت بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٩٢٢

كلّ يعلم ما في الروزنامات الورقيّة من الافادات المتعدّدة يطّلع عليها كل يوم مقتنيها . وقد اراد حضرة الخوري دانيال شريم ان يجمع معظم تلك الفوائد في صفيحة واحدة تغني صاحبها طول القرن العشرين عن مراجعة واقتناء تلك الروزنامات على شرط ان يدرس ملياً اسرار هذه الصفيحة ويطّلع على رموزها . ولهُ في كاتبها احسن دليل الى ذلك بما جعلهُ كمفتاح ذهبيّ لتلك الروزنامة . فنشكر همّة واضعها ونتمنى لعملهِ رواجاً

شذرات

﴿ سيّدات التعليم المسيحي في باريس ﴾ انّ في باريس الوفاً مؤلّفة من الاحداث يرتزقون بالاعمال اليدويّة او يقيمون في انحائها متشرّدين مهملين يعيشون بالبطالة وسوء الآداب فقامت احدى السيّدات وجمعت بعض ذوات الغيرة والتقى من سكّانها فأنشأنَ مدارس الآحاد لاولئك الاحداث ليعلّمنهم التعليم المسيحيّ ويُعدّدنهم للمناولة الاولى ويهتممنَ بشؤونهم . وهذا المشروع الجليل قد بلغ اليوم مبلغاً ما كان ليخطر على بال : فان عدد السيّدات اللواتي يهتممنَ بهذا العمل ٤٫٣٠٠ سيّدة يرشدن بالتعليم المسيحي كلّ يوم احد في احياء المدينة خمسين الفاً من الاحداث فيا لهُ ما اجلّ نتيجة الغيرة المسيحية وما اعظم ثوابها

﴿ المهاجرة الى الولايات المتّحدة ﴾ قد سنّت حكومة الولايات المتّحدة منذ سنة

بنيف شريعةً لا يُسمح بموجبها ان يُقبل في تلك البلاد من المهاجرين الّا ثلثة بالمئة نسبةً الى عدد بني اوطانهم فكانت حصّة السوريين ٩٠٦ ثم بلغت ١٠٠٨ فيدلّ ذلك على انّ عدد المهاجرين من سوريّة الى الولايات المتحدة يبلغ اليوم ثلثين الفاً و ٩٠٠ نفس وهذه الحصّة ستكون ٩٢٨ في العام المقبل من ١ تموز ١٩٢٢ الى ٣٠ حزيران ١٩٢٣ وتكون حصّة تركيّة ٢٣٥٨ وفلسطين ٦٧ فيكون عدد الرعايا الاتراك هناك ٧٠٧٤٠ وعدد اهل فلسطين ٢٠١٠ وقد نشروا جدول حصّة كل الدول وما يمكنها ان ترسلهُ الى تلك الجهات من رعاياها بناء على النسبة السابقة ومنها يظهر انّ المهاجرين الالمانيين اوفر عددًا من سواهم في تلك الانحاء فان عدد من يجوز لهم المهاجرة الى اميركة يبلغ ٥٧،٦٠٧ فيدلّ ذلك على انّ عددهم هناك يبلغ ٢،٢٨٠،٩٠ ويأتي بعدهم الايطاليّون فالمسموح ان يدخل الولايات المتّحدة منهم ٤٢،٠٥٧ فيكون عددهم هناك ١،٢٦١،٧١٠ ثم البولونيّون وهم هناك ٦٣٢،١٨٠ فيجوز ان يدخل اميركة الشماليّة منهم ٢١،٧٦٠ أمّا الفرنسويّون فعددهم لا يتجاوز في الولايات المتحدة ١٧١،٨٧٠ فحصّتهم من المهاجرة ٥٧٢٩

﴿ فلكيّ الفاتيكان والحبر الاعظم ﴾ هذا الفلكيّ راهبٌ يسوعيّ اميركيّ الجنس اسمهُ الاب جون هاغن (J. Hagen) اشتهر منذ خمسين سنة بالعلوم الفلكيّة واخترع آلات عديدة لرصد الرياح وحركات الجوّ والانواء البحريّة حتى شاع اسمهُ في العالَمين. فبعد ان خدم دولتهُ مدّة ٢٥ سنة طلبهُ قداسة بيوس العاشر لادارة المرصد الفاتيكاني الذي امتاز في تدبيره غيرهُ من اليسوعيين لاسيما الاب انجلو سكبي الشائع الصيت. فتولّى الاب هاغن هذا العمل الخطير منذ ١٢ سنة بما عُرف بهِ من الهمّة وبلّغ المرصد الفاتيكاني مبلغاً يجاري فيهِ اكبر مراصد اوربّة الدولية. وكان الحبر الاعظم الحالي قبل ترقّيهِ الى مقامهِ السامي يتردّد الى هذا المرصد ويحبّ الاجتماع مع مديرهِ فاراد في الشهر الماضي ان يشرّفهُ بزيارة خاصّة آنسهُ فيها كل المؤانسة وشكرهُ على ما ابداهُ من الهمّة القصوى في المؤتمر الفلكي الاخير الذي عُقد في رومية فكان مع تقدّمهِ في السنّ مثال الرقّة واللطف في خدمة جميع المؤتمرين واطلاعهم على مخترعاتهِ العجيبة

﴿ تقرّب الروم الاورثدكس من الكنيسة الانكليكانيّة ﴾ اطلعت جريدة

الهدّيّة في عددها الصادر يوم الاثنين في ١٤ و ٢٧ تشرين الثاني على تصريحات سيادة المطران جراسيموس مسرّة مطران بيروت على الطائفة «الاورثذكسيّة في جريدة سان فرنسسكو جورنال» بخصوص التقارب بين الكنائس الانكليكانيّة والبروتستانتيّة الاسقفيّة وبين الكنيسة الاورثوذكسيّة. ومن غريب ما قيل هناك «انّ الكنيسة الانكليكانيّة والكنيسة الشرقيّة ما برحتا تسيران جنباً الى جنب في المواضيع العقائديّة» (كذا) وانهُ «قد أُذن منذ عهد بعيد لاكليروس الكنيسة الاورثذكسيّة واكليروس الكنيسة الانكليكانيّة ان يقيم كل منهما الصلوات بحسب طقوسهِ الخاصّة في الكنائس المكرّسة من الفريق الآخر» ومما صرّح بهِ سيادة المطران مسرّة انّهُ «ينتظر ان يرى في المؤتمر الديني العالميّ الذي سيعقد في واشنطن سنة ١٩٢٥ افتتاح حركة قويّة تواصل التقارب الحالي نحو ايجاد الوحدة بين الكنائس المسيحيّة اذ حان الوقت ان تتغلّب القوّات المسيحيّة على ما بينها من الاختلاف في العقائد لتظهر متّحدة امام غير المؤمنين والملحدين» كذا بحرفهِ

(نقول) لسنا وايمُ الله اعداء اتّحاد الكنائس ونحن ابناء ذاك الذي طلب من ابيهِ لتلاميذهِ ان يُكمّلوا في الوحدة وتمنّى ان يكون لكنيستهِ حظيرةٌ واحدة وراعٍ واحد ولكن أتكون الوحدة بالفوضى واي فوضى اعظم من الفوضى الدينيّة في الكنائس البروتستانتيّة حيث لا يجتمع اثنان على رأي واحد فان كانت الكنيسة الاورثذكسية تكتفي بان تحفظ طقوسها فتشارك البروتستانتية في الدينيّات والعقائد فالسلام على الاورثذكسيّة. مسكينة الاورثذكسيّة فانها بعد انقسامها الى بطريركيّات مستقلّة اصبحت كريشةٍ في مهبّ الرياح لا يسمى كلّ قسم منها الّا في منافعهِ الخاصّة وهي في الغالب آلةٌ في ايدي الحكومات المدنيّة والسينودسات الطائفيّة والبيوتات الغنيّة يتصرّفون بالاكليروس كيف شاؤوا فكم حصل في مجالسهم من المناقشات والمنازعات وكم قامت القيامات فانّ القليل ممّا يبلغ صداهُ الى مسامع العموم تطنّ منهُ الآذان. ولذلك سقطت هيبة الاكليروس الاورثذكسيّ في اعين الشعب واصبحت الرعايا كخرافٍ لا راعي لها. فترى الدين مستضعفاً والاسرار مهملةً وهاك الماسونيّة تنتشر بين الاورثذكس انتشار الوباء الذريع. ومما يزيد الطين بلّة انّ الاكليروس نفسهُ بل البعض من زعمائهِ واساقفتهِ ليسوا سالمين من هذا الوباء القتّال. فلا عجب اذ ذاك ان

ينفث البروتستانت سمّهم في الكنيسة الاورثذكسية لما يرون في اربابها من التساهل الديني مباشرةً ببطريرك الفنار الحالي وعدّة اساقفة الذين تشرّبوا تعاليم البروتستانت في مدارسهم او بمطالعتهم كتبهم والبعض منهم تُؤلَّف قلوبُهم بالهبات الماليـة التي يدفعها البروتستانت بسخاء لمن يسعون بالتقرّب اليهم

﴿المعهد البابويّ الشرقيّ﴾ قد احسّ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر بهذه الاخطار التي تتهدّد دين الكنائس الاورثذكسيّة ففتح سنة ١٩١٨ المعهد البابوي الشرقيّ وجهّزهُ بما يليق نادياً مثلهُ من اسباب الرقي. فدعا اليهِ قوماً من مشاهير الاساتذة الاختصاصيين الذين لم يَفُتهم شيءٌ من احوال الشرق الدينيّة وعهد اليهم تدريس كل فروع العلوم الدينيّة الشرقيّة من طقوس وآثار وتاريخ وحقّ قانوني وتمنّى لو تُرسل الكنائس المنفصلة بعضَ كهنتها او تلامذتها ليحضروا تلك الدروس ويعرضوا بكل سذاجة آراءهم على اولئك المعلّمين لكي تزول ما بين الشرق والغرب اسباب التنافر بل سوء الفهم لانّ هذه الكنائس في اصلها وطقوسها وآثرها القديمة وقدّيسيها كانت كاثوليكيّةً محضة الى ان انبعثت من بعض القلوب الجرءة كثيفة حجبت عن وجهها ساطع نور الحقيقة. وما غاية هذا المعهد الّا كشف ذاك الحجاب. وها هوذا الحبر الاعظم الجديد قد ضمّهُ الى معهد آخر لما بينهما من الارتباط نعني بهِ المعهد البابوي الكتابي لدرس الاسفار المقدّسة الذي سلّم تدبيرهُ الى الرهبانية اليسوعية فصار اليوم المعهدان في ذمّة الرهبانيّة المذكورة التي لا تدّخر وسعاً في رقيهما معاً وترحب بكل من يقصدها للوقوف على صادق الامور والوحدة المبنيّة على الحقّ المنير

﴿اليهود في مصر﴾ افادنا المستر هوبكنس (G. Hopkins) انّ مطبعة كلارندون الشهيرة في اوكسفرد اتمّت القسم الثاني من كتاب الدكتور مَنّ المعنون بهذا الاسم: اليهود في مصر وفلسطين في عهد الدولة الفاطميّة (Dr MANNS: Jews in Egypt and Palestine under the Fatimids) وطلب الينا ان نُعلن بصدوره. فنلبّي دعوتهُ بطيب القلب ونؤجّل وصف الكتاب ومضامينهِ الى يوم اطّلاعنا على نسخةٍ منهُ

﴿السياسة الحقّيّة﴾ قد صارت سياسة بلادنا كما هو معلوم في عهدة المجلس النيابي وهي سياسة علنية يمكن الجميع الاطّلاع على مآثرها وتقاريرها وانتقاد

اعمالها . على انَّ وراء تلك السياسة الظاهرة المكشوفة سياسةً أُخرى خفية يتولّاها أُناس ليس لهم صفة رسميَّة في الدولة وانَّما يجتمعون في الخفية لترويج غاياتهم الشخصية ومرغوبات جماعتهم غير القانونية بما امكنهم من الوسائل اوْ قل من الدسائس . وما هذه الجماعات الّا المحافل الماسونية التي تسعى في ظلمات مجالسها بوضع يدها على السياسة العلنية وتدبير امور البلاد على هواها . وها قد نهضت في هذه المدة الاخيرة نهضةً جديدة فانشأت محافل ماسونية في لبنان ومدن الداخلية كحمص ودمشق وحلب . امَّا جهابذة هذه النهضة فيوسف الحاج صاحب الانوار المنكسفة وفضل الله ابو حلقة وامثالهما من ابناء الارملة . فما احرى بمندوبي السياسة العلنية ان يأخذوا حذرهم من الماسونية واحرارها المزعومين !

﴿ثلاث وفيات﴾ انتقل الى جوار ربّهم في هذه الأيام الاخيرة ثلاثة من الرجال يختلفون مقاماً وخطَّة . فكان الاوّل المرحوم داود بك عمون الذي عُرف كسياسيّ عاقل مخلص الخدمة للدول التي انتدبتهُ لتدبير اعمالها ولاسيما لفرنسة في سوريَّة وقد أدَّى بهِ حسن نظرهِ ان يقطع علاقاتهِ مع الماسونية بعد اختبارهِ لاسرارها توفّي في بيروت ودُفن في وطنهِ دير القمر بكل اكرام . والثاني رجل الخير والاستقامة في كل المعاملات والدين الصادق المتين وقدوة الأُسر المسيحيَّة المأسوف عليهِ بشاره بارد عميد طائفتهِ الكريمة منذ سنين طويلة بارك الله عائلتهُ ووفَّقهُ في اشغالهِ . توفي في القطر المصري . امَّا الثالث فرَجل من العُمَّال ممَّن لا يكاد يهتمُّ لهم العالم وهم خميرتهُ وفخرهُ وهو المرحوم ابراهيم القدراسيّ الذي ثبت نحو ستّين سنة في خدمتهِ النشيطة لربّهِ ولوالدة الله مريم البتول فكان مثالًا حيًّا للفضائل المسيحية في كلّ اطوار حياتهِ وخصوصاً بتفانيهِ في مصالح اخويَّة الامّ الحزينة . رحمهم الله جميعهم واثابهم عن حسن اعمالهم

﴿فصل شهيد﴾ هو سليل جمعيَّة الرسالة اللعازريَّة الاب المكرَّم جان لوفاشه (J. Le Vacher) تلميذ القديس منصور دي بول واحد المنتمين الى جماعتهِ الرهبانيَّة في القرن السابع عشر ارسلهُ القديس الى تونس لمساعدة اسرى النصارى سنة ١٦٤٧ فأدَّى لهم من الخدم ما لا يحيط بهِ الاحصاء فعهدت اليهِ فرنسة بقنصليتها هناك وجعلهُ الكرسيّ الرسولي نائباً رسوليًّا على مدينة كولجنَّة . ثمَّ انتقل الى الجزائر

وواظب على اعماله العجيبة فيها كما فعل في تونس واستحق شكر دولته وارباب دينه في كل معاملاته. وكان سبب موته انهُ خلّص من ايدي احد زعماء القرصان فتاةً نصرانيةً اراد اغتصاب شرفها. فنقم عليه ولما عُهد اليه الحكم في الجزائر ألقى القنصلَ الفرنسويَّ في السجن ثمَّ ربطهُ في فوهة مدفعٍ كبير اطلقهُ على جسمهِ فطار شعاعاً. لكنَّ الله مجّد عبدهُ بما جرى على يدهِ من الكرامات والعجائب التي حدث البعض منها في هذه المدَّة الاخيرة بعد الحرب فالامل معقود على قرب نظم اسمهِ في سجلّ اولياء الله بصفة طوبويّ

﴿تمجيد الله لقدّيسيه﴾ كتبنا سابقاً فصلاً في التذكار المئوي الثالث لاعلان قداسة القدّيسين اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعية وفرنسيس كسفاريوس رسول الهند واليابان. وقد عقد العالم الكاثوليكيّ بهذه النسبة حفلات شائقة ذكرتها الجرائد. على انَّ اسبانية وطنهما قد امتازت باكرامهما امتيازاً عظيماً لاسيَّما اذ أرسل رئيس الرهبانية اليسوعية العام ذخيرتين ثمينتين من ذخائرهما اعني جمجمة القديس اغناطيوس وذراع القديس فرنسيس الذي قُطع من جسدهِ المصون بتمامهِ دون آثار الفساد في مدينة غوا في الهند وذلك سنة ١٦١٦. وكان الحبر الاعظم طلب تلك اليد اليمنى التي صبغت بالمعموديَّة نحو مليون من الوثنيين واجترحت المعجزات العديدة. فما بلغت الذخيرتان الى اوطانهما حتى اهتزَّت تلك البلاد طرباً وقامت اسبانية وقعدت لاستقبالها واكرامها. فكانت جماهير الشعب وفي مقدَّمتهم الاساقفة والكهنة وارباب الدولة وعمالها كلهم ببزّهم الرسميَّة يتقاطرون على طريقها لينالوا بركتها وذلك بأبهة ورونق لا يراهُ احد في اكبر مواسم الدولة فتقام الحفلات في الساحات والكنائس المزيَّنة بافخر الحلي والزين فتُلقى المواعظ في مديح القديسين وتقرع سائر الاجراس وتُطلق المدافع ويتغنَّى الناس بالاغاني القوميَّة الوطنيَّة وتصدح كل الآلات الموسيقية. وكان بين الحضور أُسرٌ يترقَّى اصلها الى عائلتي القديسَين. وقد جرت ايضاً بعض المعجزات بشفاعتهما تناقلتها الصُحف المحلية. فهكذا يمجّد الله قديسيهِ الذين مجدوا اسمهُ في حياتهم!

أسئلة واجوبة

س سأل احد قرّاء مجلّة المقتطف من هو الاب جيروم سكّري الذي ورد ذكرهُ في بعض اعداد المقتطف كشارح مبادئ اوقليدس ؟

الاب جيروم سكّري (Sacchari)

ج هذا راهب يسوعيّ مولود في سان ريمو سنة ١٦٦٧ ومتوفّى في ميلانو في ٢٣ ت ١ سنة ١٧٣٣ لهُ عدّة تاليف منطقية وفلسفية وهندسية . امّا كتابهُ في اوقليدوس فطبعهُ في اللاتينية في ميلانو سنة ١٧٣٣ بهذا العنوان Euclides a nævo vindicatus دافع فيهِ عن كتاب مبادئ اوقليدوس الاوّلية للهندسة واثبت صحّتها

س وسأل القارئ السابق ما هو تاريخ كلدو واشور للقس ماروثا حكيم المذكور في عدد نوفمبر للمقتطف (ص ٣٧٢)؟

تاريخ كلدو واشور

ج لا نعرف تاريخاً بهذا الاسم للقس ماروثا حكيم . وانما تاريخ كلدو واثور هو تأليف جليل للمأسوف عليهِ ضحية همجية الاتراك السيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني طبع منهُ في مطبعتنا الكاثوليكيّة جزئين في نحو ٥٠٠ صفحة ذكر فيهِ اخبار الكلدان وبلادهم منذ اوائل التاريخ الى الدولة الرومانية فحال قتلهُ دون اتمامهِ وكان اعدّ الجزء الثالث لينشرهُ بالطبع فاخذتهُ ايدي الضياع وفُقد مع ما فُقد من مخطوطات مكتبة سعرد الثمينة

س وسأل مستفيد أصحيح ان الشهدة القديسة بربارة استشهدت في بيروت ؟

استشهاد القديسة بربارة في بيروت

ج هذه رواية لم نجدها الّا في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى البذي خبرناهُ سابقاً (ص١٧) والاصحّ ان استشهادها كان في نيقوميديا في عهد الملك ديوقلسيانوس

ل.ش

فهرس أوّل

لموادّ اعداد السنة العشرين من مجلّة المشرق ١٩٢٢

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) خواطر واحلام في رأس العام للاديب فريد مراد (١-٤) = ذكرى ميلاد الربّ : قصيدة للخوري مارون غصن (٤-٦) = نظر عامّ في وقائع العام للاب لويس شيخو اليسوعيّ (٦-٢٧) = الحركة الكاثوليكية في البرازيل للاب رفائيل نخله اليسوعي (٢٧-٣٣) = مجالس ايليا مطران ضبيين نشرها الاب ل. شيخو (٣٣-٤٤ ; ٢ : ١١٢-١٢٢ ; ٣ : ٢٦٧-٢٧٢ ; ٤ : ٢٦٦-٢٧٧ ; ٥ : ٤٢٥-٤٢٤) = سرّ الامير. رواية معرّبة بقلم الخوري بطرس صغير (٤٤-٥٥) = خطبة في رأس العام للجاثليق الياس الثالث ابي الحلم ابن الحديثي نشرها الاب ل. شيخو (٥٥-٥٧) = المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة للاب ل. شيخو حرف الالف ٥٨-٦٤ ; ٢ : ١٢٢-١٢٢ ; ٣ : ٢٨٠-٢٨٨ ; ٤ : ٢٧٧-٢٨٤ ; ٥ : ٤٤٢-٤٥٨ ; ٦ : ٥٢٥-٥٦٢ حرف الباء ٧ : ٦٤٢-٦٤٩ ; ٨ : ٧١٨-٧٢٤ ; ٩ : ٧١٧-٨٠٥ ; حرف التاء ثمّ الثاء ١٠ : ٨٤٥-٨٥٢ حرف الجيم ١١ : ٩٥٨-٩٦٤ حرف الحاء ١٢ : ١٠٠٧-١٠١٢) = فوز رسول السلام في عاصمة الاعلام نظر اجتماعي تاريخي للاب لويس شيخو (٦٥-٧٣) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧٣-٧٧) = شذرات : سفر نشيد الاناشيد . نيزك جديد . مدفن ملوك الحبشة . صيد كلب البحر . هدايا ارسلت الى المجلّة (٧٨) = اسئلة واجوبة : تعريب آية من سفر تثنية الاشتراع . مناجاة سيّدنا جيبي . البابيّة (٨٠)

العدد ٢ (شباط) خطب جسيم وفاة البابا بندكتوس الخامس عشر (٨٠=٨٥) = الوقائع الدينيّة في السنة ١٩٢١ للاب ل. شيخو (٨٥-١٠٧) = الصليبيّون ومكتبة طرابلس الشام للاب هنري لامنس اليسوعي (١٠٧-١١١) = كتابة الاسقف ابرقيوس للشمّاس يوسف حبيد (١٢٤-١٤٢) = نقائض جرير والاخطل (١٤٤-١٤٨) للاب ل. شيخو = مطبوعات شرقيّة جديدة (١٤٩-١٥٦) = شذرات . السلف والخلف . اكرام الكنيسة الكاثوليكيّة في رأسها . منشوران جديدان . عدد اليهود في العالم . النيزك الساقط فوق كليّتنا . مستشفى البُرص في متلور . حوران واهلها . نبوّة القديس ملاخيا (١٥٦-١٥٩) = اسئلة واجوبة : مدينة الرصافة . معنى لفظة العماد . عمّار الطوائف الشرقيّة في مجمع الكرادلة (١٦٠)

العدد ٣ (آذار) انت الصخرة ! تحيّة المشرق ليوس الحادي عشر (٢٤١-٢٤٤) ٢ = دمعة قابسامة : قصيدة للخوري رفائيل البستاني (٢٤٥-٢٤٦) = تعزيز اللغة العربيّة في البلاد الفرنسويّة (عبدالله الناصري) درس اللغات الحيّة واصلاح التعليم الثانوي للسيّد موريس مرشيه (٢٤٧-٢٦٢) = صفحة تاريخيّة من أيام الحرب لسيادة المطران عبدالله الخوري (٢٦٣-٢٦٧)

=مسالمة الرومان لسوريّة ودفاعهم عنها للاب رينه موترد اليسوعي (٢٧٢-٢٨٠)=الاب شربل حبيس صنّايا القديس للقس طانيوس شبلي (٢٨٩-٢٩٧)=نظر اجمالي في ترقّي العلوم سنة ١٩٢١ للاب ل. شيخو (٢٩٧-٣١٠)=مطبوعات شرقيّة جديدة (٣١١-٣١٥)=شذرات: آخر ساعات رسول السلام. الماشير الراعويّة للصوم المبارك. الاتّحاد الكاثوليكي لدرس المشاكل الدوليّة. البابا حنّة وجريدة لاسيري. وفاة سيّدين وكاهن فاضل. احصاءات الجزائر وتونس والمغرب. اصحاب الفيل (٣١٦-٣١٩) = اسئلة واجوبة: حقوق الاولاد الابكار. البروتستانت واسمهم وزعيمهم. اسئلة طقسيّة (٣٢٠)

العدد ٤ (نيسان) إمام الاحبار قداسة البابا بيوس الحادي عشر للاب ليوبلد فنك اليسوعي (٣٢١-٣٣١) = رئاسة القديس بطرس للاب انطون صالحاني اليسوعي (٣٣٢-٣٤٧)= معجزة فلكيّة حديثة للاب رفائيل نخله (٣٤٧-٣٥١) = المئة الثالثة لتثبيت قداسة اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس للاب ل. شيخو (٣٥١-٣٥٩) = خصة بولونية للاب جبرائيل لوثنك اليسوعي (٣٦٠-٣٦٥)= لحبيس الاسرار: خمريّة القسّ ارسانيوس الفاخوري عن ديوانه المخطوط (٣٨٤-٣٨٥) = تين القديس جرجس للاب ل. شيخو (٣٨٦-٣٨٩)= مطبوعات شرقيّة جديدة (٣٨٩-٣٩٧) = شذرات: احصاء لبنان الكبير. الصاعقة واسباجا. سباق ادبيّ. نبأ رسميّ عن الماسونيّة البيروتيّة والدمشقيّة. العرفان والبابويّة (٣٩٧-٣٩٩)= اسئلة واجوبة: علاقات الدول الكاثوليكيّة بانتخاب البابوات. من هو اغناطيوس مطران نابلس والمطران اسحاق الدّية. اسم حلب واصلهُ (٤٠٠)

العدد ٥ (ايّار) من القصر الملكي الى دير الكرمل (لويزة دي فرنس) للاب رفائيل نخله (٤٠١-٤٢٠) = الموافقة بين متّى ولوقا في روايتها نسب المسيح للاب انطون صالحاني (٤٢٠-٤٢٥)= البابا رومية للمنسنيور البرديوط داود اسعد (٤٢٤-٤٤٣) = توبة الآبق. رواية عرّجها الاديب جوزيف وحيد غريبه (٤٥٣-٤٥٨؛ ٦: ٥٠١-٥١١) = مئة سنة في خدمة الرسالات الكاثوليكيّة للاب ل. شيخو (٤٥٩-٤٦٣) = مستشرق اميركي يسوعي الاب ولتر درام للاب يوسف الغريّب اليسوعي تعريب شقيقه امين افندي (٤٦٤-٤٧٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧٠-٤٧٧) = شذرات: اثران في رئاسة القديس بطرس. سوء تأثير مناجاة الارواح. الحبر الاعظم واللغات الشرقيّة. كسوف الشمس الاخير في رأي العرفان. الجائزة الماسونيّة. المترجلات الماسونيّة. مبلغ الماسون من التاريخ (٤٧٧=٤٧٩) = اسئلة واجوبة: اكتشاف المياه في قلب الارض. اسم البابا اصلهُ ومعناهُ (٤٨٠)

العدد ٦ (حزيران): العيد الترني الثالث لإنشاء مجمع انتشار الايمان نبذة تاريخيّة اجتماعيّة للاب ل. شيخو (٤٨١-٤٩٥) = الرأي العام في عثرات الاقلام للشيخ امين الجميّل (٤٩٥-٥٠٠) = المدافع البعيدة المرمى نظر صناعي اجتماعي للاب رفائيل نخله (٥١٣-٥٢٥) = حوادث دير الزور في زمن الحرب للاديب جوزيف توتل (٥٦٣-٥٧٠) = حبيس فرنسوي في لبنان: المسيو فرنسوا دي شطويل (١٦٣٣-١٦٤٤) للقس بطرس ساره الراهب

اللبناني (٥٧١—٥٧٦ : ٧ ؛ ٦٤١—٦٥٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٧٦—٥٨٣) = شذرات : رثاء على قبر الشهداء للمعلم ملحم بركات . وضع الحجر الاول للمستشفى الطبي الفرنسوي . التذكار القرني لجمعية راهبات الناصرة . المجلس النيابي . احصاء الهند الاخير . الحقوق الاسلامية والفرنج . الانوار الماسونية (٥٨٤—٥٨٧) = اسئلة واجوبة : شرح آيات كتابية ومشاكل لاهوتية . حفلة اول اثار في تبرس . من هو القديس ابون . بُشرى بالبركة الرسولية (٥٨٨—٥٩٠)

العدد ٧ (تموز) ديوان الشاعرين الكبيرين عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن الحلزة اليشكري نشرهما فرتس كرنكو ٥٩١—٦١١ ؛ ٨ : ٦٩٣—٧٠٨) = التذكار المئوي للجمعية الاسيوية الفرنسوية للاب ل . شيخو (٦١٣—٦١٩) = درس الانجيل وفوائده . اثر مفقود للمطران جرمانوس آدم (٦١٩—٦٢٦) = المائة الثانية او جمعية الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا الالمانية (٦٢٦—٦٤١) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٥٩—٦٦٥) = شذرات : غلبة الطبع على التطبيع . المؤتمر الفلكي في رومية . عدل احد ملوك العرب . ملك الصحافة في انكلترة . قصة سليمان الحكيم وافيقية امرأة يشوع بن سيراخ . رؤساء الدين في اسبانية وحرق كتب الاسلام . الحبر الاعظم وجريدة الحديثة (٦٦٥—٦٦٩) = اسئلة واجوبة : تاريخ شهداء الروم الكاثوليك في حلب . الجوهر والاقنوم . مذهب انشتين . الجواهر الفردة (٦٧٠)

العدد ٨ (آب) : اصول التاريخ البشري وسوابقهُ للاب اسكندر طوران اليسوعي (٦٧١—٦٨٤ ؛ ٩ : ٨٠٤—٨١٧) = عجائب التلفون اللاسلكي في الولايات المتحدة للاب رفائيل نخله (٦٨٤—٦٩٣) = الاحاديث المطربة لابن العبري نشرها الاب ل شيخو (٧٠٦—٧١٧ ؛ ٩ : ٧٦٧—٧٧٩) = مديحة تلاميذ رومية للقس الياس التزيري راهب دير مار شليطا سنة ١٦٦٩ من نشره (٧٦٤—٧٣٣) = هل يحتمل ان يغيّر الروس ارثوذكسيتهم للاب ل . شيخو (٧٣٣—٧٤١) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٤١—٧٤٧) = شذرات : اختراع عجيب . الشيعة والمشرق . تدشين دار الكتب الكبرى ومتحف الآثار . المختبر الراديولوجي الكهربائي . تبرير الكردينال كيسنيس من حرق كتب العلوم الادبية (٧٤٧—٧٤٩) = اسئلة واجوبة : النعم الممنوحة للكاهن الجديد . البركة بالصور . لماذا يدعى الـ ٣٥٠ شهيداً تلامذة مار مارون . اصل لفظة فستقية (٧٥٠)

العدد ٩ (ايلول) استحكامات بيروت وغصيناتها القديمة للكونت دومثل دو بويسون (٧٥١—٧٦٦) = الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر للاب ل . شيخو (٧٨٠—٧٨٩ ؛ ١٢ : ١٠٢٨—١٠٣٤) = فن تهذيب الذاكرة للاب رفائيل نخله (٧٨٩—٧٩٦ ؛ ١٠ : ٨٧٥—٨٨٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٨١٧—٨٢٤) = شذرات : الالقاب في الاسلام . الحساب الفرنجي في رومية . المكتشفات الحديثة وهي عربية قديمة . كوبرنيكوس وغليليو في زعم جوهري طنطاوي . اقدم انسان في اميركا . الصليبية والعالم الاسرائيلي . نحول الماسونية المصرية (٨٢٨—٨٢٩) = اسئلة واجوبة : القديس زخيا وعيده . دير الزور وسنجقها . برذ منشئ للشيعة الهندية (٨٣٠)

العدد ١٠ (تشرين الاول) رحلة حديثة الى الشيخ عادي والرّبان هرمزد للقس سليمان صائغ الكلداني (٨٣١-٨٤٥) = الطيّب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني (٨٥٣-٨٦٣)= آثار عربيّة في دمشق للاديب يوسف اليان سركيس (٨٦٣-٨٦٥) = صناعة الحرير في دمشق للاب ل. شيخو (٨٦٥-٨٦٧) = الاورثذكسيّة والانكليكانيّة نظر تاريخيّ كنائسي للاب ل. شيخو (٨٦٨-٨٧٥) = رسالة قديمة منسوبة الى افلاطون نشرها الاب ل. شيخو (٨٨٤-٨٩٣) = السبحة وكبار الرجال لهُ (٨٩٣-٨٩٨) = القضاء في الاسلام نظر انتقادي للاديب لويس دي برون (٨٩٨-٩٠٣) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٩٠٣-٩٠٦) = شذرات : وفاة ملك الصحافة. القس نعمة الله ابو ناضر. العرب مكتشفو فنّ الطباعة في الاندلس. ماسونيّ قحّ. تمثال غليليو في بيزة. منشورات زراعيّة لدولة العراق. التعليم الاجباريّ (٩٠٦-١٠٩) = اسئلة واجوبة : سنّ الفيل والفيلة في سوريّة. حمّل الله (٩١٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) رسالة لاهوتيّة تاريخيّة على مذاهب النصارى للشيخ عفيف ابن موئل نشرها الارشندريت ايليا بطارخ الروميّ الملكيّ (٩١١-٩٢٩)=اثر جديد لقدماء النصارى في الصين للاب ل. شيخو (٩٢٩-٩٣٨) = الشيخ سليم باز الفقيه المشترع الكبير بقلم شقيقه الدكتور جرجس باز (٩٣٨-٩٥٧) = الانتقاد والدروس التاريخيّة في سوريّة للاب هنري لامنس اليسوعي (٩٦٤-٩٧٣) = تذكار الموتى في الكنائس الشرقيّة للاب ل. شيخو (٩٧٣-٩٨٣) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٩٨٣=٩٨٧)= شذرات : شكر. القديس اغناطيوس شفيع الرياضات الروحيّة. حزب العمّال. المجمع الايكومينيّ العام. معهد علميّ جديد. متحف الشرق الاسلاميّ في باريس (٩٨٨-٩٨٩) = اسئلة واجوبة : من هو ابن سيرون الفيلسوف العربيّ. ماذا يُعرف من اخبار حمزة بن سباط صاحب التاريخ. تسديد الديون المعقودة قبل الحرب (٩٩٠)

العدد ١٢ (كانون الاوّل) رسول الصحراء : الاب شرل دي فوكو للاب فرديناند توتل اليسوعيّ (٩٩١-١٠٠٦) = الخدع الحربيّة في الحرب الكونيّة (١٠١٣-١٠٢٤) = اخبار الاخبار بما وُجد على القبور من الاشعار جمع احمد البُودي نشرها الاب ل. شيخو (١٠٢٥-١٠٤١) = الوسائل لترقية اللغة العربيّة نظر انتقادي لهُ (١٠٤٢-١٠٥٥) = كاهن فاضل عالم الخوري بطرس المكرزل للخوري بطرس غالب (١٠٥٥-١٠٥٦)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

آدم (المطران جرمانوس الروميّ الملكي) درس الانجيل وفوائده ٦١٩-٦٣٦
ابن العبري (غريغوريوس ابو الفرج) الاحاديث المطربة ٧٠٨-٧٦٧

ابن مؤمّل (الشيخ منيف) رسالة لاهوتيّة تاريخيّة على مذاهب النصارى ٩١٢–٩٢٦
اولف خيار (الاب اليسوعي) لهُ وصف بعض المخطوطات ١٥٢
باز (الدكتور جرجس) الشيخ سليم باز الفقيه المشترع الكبير ٩٢٨–٩٥٨
بركات (المعلّم ملحم) رثاؤهُ على قبر شهداء حين ابل (قصيدة) ٥٨٤
برون (الاديب لويس دي) القضاء في الاسلام ٨٩٨–٩٠٢ وصفهُ لبعض المخطوطات ٢٩٥
البستاني (الخوري رفائيل) دمعة فابتسامة (قصيدة) ٢٤٥
بطارخ (الارشمندريت إيليا الرومي الملكي) نشرهُ لرسالة لاهوتيّة تاريخيّة على مذاهب النصارى للشيخ منيف بن مؤمّل ٩١٢
بلاس (الاب لويس دي بلاس اليسوعي) لهُ وصف بعض المخطوطات ١٥٠ و٤٧٥
توتل (الاديب جوزيف) حوادث دير الزور في زمن الحرب ٥٦٣–٥٧٠
توتل (الاب فرديناند اليسوعي) رسول الصحراء الاب شرل دي فوكو (١٩١١–١٠٠٦)
تورنيز (الاب فرنسوا اليسوعي) وصفهُ لبعض المخطوطات ٦٦١
جبّل (الشيخ امين) الرأي العام في عثرات الاقلام ٤٩٥
الخوري (سيادة المطران عبدالله) صفحة من ايّام الحرب ٢٦٣–٢٦٧
دربوسون (الكونت دومنيل) استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة ٧٥١–٧٦٦
ديلنيز (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المخطوطات ٥٢٧
وترقال (الاب مبشيان اليسوعي) وصفهُ لبعض المخطوطات ٤١٢–٤٢٣، ٤٧٣، ٦٦٠، ٧٤٣، ٨٢٠
ساره (القس بطرس الراهب اللبناني) حبيس فرنسوي في لبنان المسيو فرنسوا دي شطوبيل (١٦٣٣–١٦٦٤) ٥٧١؛٦٤٩
الطيّب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني ٨٥٢–٨٦٢
سركيس (الاديب يوسف اليان) آثار عربيّة في دمشق ٨٦٢–٨٦٥
اسعد (البرديوط الخوري داود) البابا وروسية ٤٢٤–٤٤٢
شبلي (القس طانيوس الراهب اللبناني) الاب شربل حبيس عنّايا القديس ٢٨٩–٢٩٧
شيخو (الاب لويس اليسوعي) نظر عامّ في وقائع العام ٦–٢٧ نشرهُ لمجالس ايليا مطران نصيبين ٢٢؛١١٢؛٢٦٧؛٢٦٦؛٤٢٥ نشرهُ لخطبة ابي الحليم في رأس العام ترجام النيروز ٥٥ المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة (حرف الالف) ٥٨؛١٢٣؛٢٨٠؛ ٢٧٧؛٤٢٥؛٤٤٢؛٥٢٥ (حرف الباء) ٦٤٢؛ ٧١٨؛٧٩٧ (حرف التاء والثاء) ٨٤٥ = (حرف الجيم) ٩٥٨ (حرف الحاء) ١٠٠٧ فوز رسول السلام في عاصمة الاسلام ٦٥–٧٣ خطب جسيم ٨١ الوقائع الدينيّة في السنة ١٩٢١ ٨٥ – ١٠٧ قصائص جرير والاخطل ١٤٤ انت الصخرة ٢٤١ ظرّ اجمالي في ترقي العلوم سنة ١٩٢١ ٢٩٧–٣١٠ المئة الثالثة لتثبيت قداسة اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس ٣٥١–٣٥٩ تثبيت القديس جرجس ٣٨٦ العيد القرني الثالث لانشاء مجمع انتشار الايمان ٤٨١ – ٤٩٥ التذكار المئوي للجمعيّة الاسيويّة ٦١٢–٦١٩ نشرهُ لاثر مفقود للمطران جرمانوس آدم ٦٠٩–٦٢٦ نشره للاحاديث المطربة لابن النحوي ٧٠٨؛٧٦٧ نشرهُ لمدحة تلاميذ رومية للقس الياس

النزيري ٧٣٤ هل يحتمل ان يغيّر الروس اورثذكسيتهم ٧٣٣ الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٧٨٠;١٠٥٣ صناعة الحرير في دمشق ٨٦٥ – ٨٦٩ الاورثذكسيّة والانكليكانيّة (نظر تاريخي كنائسي) ٨٦٨–٨٧٥ نشرهُ لرسالة قديمة منسوبة الى افلاطون ٨٨٤–٨٩٣ السبحة وكبار الرجال ٨٩٣ – ٨٩٨ اثر جديد لقدماء النصارى في الصين ٩٣٩–٩٣٨ تذكار الموتى في الكنائس الشرقيّة ٩٧٣–٩٨٣ الوسائل لترقية اللغة العربيّة ١٠٤٣–١٠٥١ ولهُ في كلّ اعداد المشرق تعريبات واوصاف وشذرات واجوبة على الاسئلة

صانع (القس سليمان الكلداني الموصلي) رحلة حديثة الى الشيخ عادي والربّان هرمزد ٨٣١–٨٤٥

صالحاني (الاب انطون اليسوعيّ) رئاسة القديس بطرس ٣٣٣–٣٤٧ الموافقة بين متّى ولوقا في روايتهما نسب يسوع المسيح ٤٣٠

صنيع الخوري بطرس فرج) رواية سرّ الامير ٤٤–٥٥

طوران (الاب اسكندر اليسوعي) اصول التاريخ البشري وسوابقهُ ٦٧١;٨٠٤

عيد (الشمّاس يوسف) كتابة الاسقف ابرقيوس ١٣٤–١٤٤

غالب (الخوري بطرس) كاهن فاضل عالم الخوري بطرس المكرزل ١٠٥٣ – ١٠٥٣

الغريب (الاب يوسف والاديب امين) مستشرق اميركيّ يسوعي الاب ولتر درام ٤٦٤

غريبه (الاديب جوزيف وحيد) رواية توبة الآبق ٤٥٣;٥٠١

النزيري (القس الياس راهب دير مار شليطا) مدينة تلاميذ رومية سنة ١٦٦٩ ٧٣٤

غصن (الخوري مارون) ذكرى ميلاد الرب (قصيدة) ٤

الفاخوري (القس ارسانيوس) خمريّة لخميس الاسرار ٣٨٤

فنك (الاب ليوبلد اليسوعيّ) امام الاحبار قداسة البابا بيوس الحادي عشر ٣٣١–٣٣١

كرنكو (المستشرق فريتس) نشرهُ ديوان الشاعرين الكبيرين عمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة ٥٩١;٦٩٣

كسنتاكيس (الاب بطرس اليسوعي) وصفهُ لبعض المطبوعات ٨١٨;٩٠٥

لامنس (الاب هنري اليسوعيّ) الصليبيّون ومكتبة طرابلس الشام ١٠٧–١٧١ الانتقاد والدروس التاريخيّة في سوريّة ١٦٤–١٧٣ ولهُ وصف بعض المطبوعات ٧٦;١٥١ ٤٧٣;٥٨١

لوتنك (الاب جبرائيل اليسوعيّ) فضة بولونية ٣٦٠–٣٦٥ لهُ اوصاف لمطبوعات جديدة ٧٤–٧٥ وفي بقيّة اعداد السنة وبعض شذرات ٣٦٨

مراد (الاديب فريد) خواطر واحلام في رأس العام ١–٤

مرسيه (السيّد موريس) درس اللغات الحيّة واصلاح التعليم الثانوي ٢٤٧–٢٦٢

منسّى (الاب يوسف اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ١٤٩

موترد (الاب رينه اليسوعي) مسالة الرومان لسوريّة ودفاعهم عنها ٢٧٢–٢٨٠

الناصري (عبدالله) تعزيز اللغة العربيّة في البلاد الفرنسويّة ٣٤٧

نخله (الاب رفائيل اليسوعي) الحركة الكاثوليكية في البرازيل ٢٧–٣٣ معجزة فلكيّة حديثة ٣٤٧ من القصر الملكي الى دير الكرمل

(لويزة دي فرنس) ٤٠١ – ٤٣٠ المدافع
البيدة المرمى ٥١٣–٥٢٥ المانية القتاة او
جمعيّة الطلبة الكاثوليك بالمدارس العليا
الالمانيّة ٦٣٦–٦٤١ حجائب التلفون
للاسلكي في الولايات المتحدة ٦٨٤–٦٩٢
فنّ تهذيب الذاكرة ٧٨٩؛ ٨٧٥ الخدع
الحربيّة في الحرب الكونيّة ١٠١٣–١٠٢٤
شذرات وصف ومطبوعات ٧٤٨، ٩٨٣، ١٠٦٣

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة العشرين في المشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيّة والسريانيّة والارمنيّة الخ

الآباء البولسيّون: اوراق منثورة (٧٧)
ابو كرم البرماني (يوسف): وصف فرنسة ٧٦
اجيا (الاب بشير اليسوعي) ما هي شركة
رسالة الصلاة (٩٨٧)
ارمانيوس (حازار): تذكرة ابن ارمانيوس
(٩٨٦)
اسطفان (حبيب): وجدان لا سياسة (٣١٤)
اسطفان (الخوري منصور): ماك سويني اللورد
حافظ كورك (٣٩٥)
انجيل ربّنا يسوع المسيح واعمال الرسل (٦١١)
باز (جرجي نقولا) ما لي تجلّد (٣١٥) تقدّم
اليابان (٨٣٤)
البحري (جميل): عبد البهاء عبّاس والديانة
البهائيّة (٧٧) تاريخ حيفا (٩٨٤)
ثابت (خليل كرم): لودندورف القائد الالماني
العظيم (٨٣٤)
ثابت (القس مبارك الديراني): كتاب تعليم
التقوى للاولاد للسيّد دي سيغور والتأمّلات
اليوميّة للاب شيفاني (٤٧٥)
جرجس (حبيب): كتاب سرّ التقوى ١٠٦٣
جرجي (سيادة المطران عبد الاحد) نشرة
الاحد (٣١٤)
جميّل (الشيخ انطون) خطابان تاريخيّان في
الطائفة المارونيّة ٥٨٢
جميّل (الدكتور امين): علم الصحّة (٨٢١)
الحاج (يوسف): الانوار ٣١٥
الخانك (ميشال يوسف): رواية بطل لبنان
يوسف بك كرم (٩٨٥)
حبشيان (ابنزن) زبور مخطوط بالارمنيّة
للملك لاون الثالث (٦٦١)
حبيقة (المنسنيور البرديوط بطرس) ابجاد
البطريركيّة المارونيّة ١٥٦
الحدّاد (الخوري يوسف): اللبنانيّة (١٥٥)
خيرالله الشويري (الشيخ ظاهر): كتاب
تحقيق المقال في انّ الخلاص بالايمان
والاعمال (٨٢٢)
داغر (اسعد خليل) مذكّرات مدام اسكويث
السيّدة مرغو (١٥٦)
الرافعي (توفيق): امين الريحاني ناشر فلسفة
الشرق في بلاد الغرب ما وراء البحار او
النبوغ العربي في العالم الجديد (٧٤٦)
رباط (القسّ يوسف) الناحيّة الحجائيّة

لسيدة وردية بياي (١٥٥)
صمت (القس ف. ج): انارة الالباب (١٠٦)
شبلي (القس طانيوس الراهب اللبناني): المحاورات الرهبانية وصورة الراهب الكامل للسيد جرمانوس فرحات (٤٧٦)
شرم (الخوري دانيال) الروزنامة الدائمة ١٠٦٤
شالي (الخوري الاسقفي فرنسيس): اراحة الضمائر في كشف السرائر او سر التوبة ١٠٦٢
شيخو (الاب لويس اليسوعي) طبعة جديدة مدرسية لكتاب كليلة ودمنة (٨٣٠)
صالحاني (الاب انطون اليسوعي): نقائض جرير والاخطل (١٤٤) — مقالة في رئاسة القديس بطرس (٤٧٦) — اخوية الميتة الصالحة (٩٨٧)
صبري (محي الدين): شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون (٩٨٧)
صروف (الدكتور يعقوب) فتاة مصر (٧٤٧)
صفير (الخوري بطرس فرج) التعليم المسيحي الصغير (٧٤٧)
صفير (يوسف): ترقي الصغار في دروس الاستظهار (٢١٤ و٩٨٦)
عبد الملك (جرجس): سلم القراءة الحديث (٨٢٢)
عطالله (الخوري يوسف حنا): كتاب الشمس الساطعة في تاريخ الكنيسة الجامعة (٥٨٢)
عيسى (رزق الله): كتاب جغرافية العراق ٨٣٠
غبريل (القس يوسف): مواعظ شهر أيار للسيد انجلو برساني دوسنا ٢٩٦
غزاله (الدكتور سليمان): سواغ الفكر في ما يسامي الشق من عبر (٩٨٥)
غنيمة (يوسف رزق الله): تجارة العراق قديماً وحديثاً ١٠٦٢
القاضي (غبطة البطريرك ديمتريوس) منشور في رئاسة القديس بطرس (٤٧٧)
قزمان (المنسنيور فرنسيس) ودّ الثلثة واربعين سهم في نحر البراموسي (١٥٤ و٩٨٧)
كاترين الثانية: قصة تاريخية (٨٢٢)
كرنكو (المستشرق فريتس): ديوان الشاعرين عمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة (٨٣٠)
مبارك (القس المتبني) تعريب دستور الحياة الروحية للاب سورين اليسوعي (٢٩٦)
مشنوق (عبدالله): الامتيازات الاجنبية (٦٦٤)
المطران (خليل): تعريب تاجر البندقية (٥٨٢)
معقد (السيد جرمانوس): حسناء بيروت (طبعة جديدة) (٥٨٢)
مينا (حنا افندي): لماذا صرت كاثوليكياً (٩٨٢)
مي (الآنسة): كلمات واشارات (١٥٢)
نقولا يوسف: من اعماق السجون لاوسكار وايلد (٦٦٥)
هلال (محمد ابراهيم) ديوان حافظ وشرحه ٧٤٥

٢ مطبوعات اوربية

Abadie (M.) : Opérations au Levant (578)
Alma Mater. Collegium de Propaganda Fide (579)
Almanach Catholique pour l'Egypte pour 1931 (149)
Ancient (Abbas Tobias) : Collectio Documentorum Maronitarum (359)
Angel (J.) : Les travaux et les jours de l'Armée d'Orient (150)
Aziz (Ph.) : Précis du Statut successoral musulman (79)
Baumstark (Dr Ant.) : Geschichte d. syr. Literatur (741)
Barin (R.) : Charles de Foucauld (73)
Déchaux (Ed.) : Les Industries de la Syrie et du Liban (394)
Dorthe Georges-Gaulis : Le Nationalisme turc (74)

Blondel (G.) : Le Désarroi de l'Europe et le Devoir de la France (664)
Delecenneade (P.) : Le travail dans l'Europe chrétienne au Moyen-Age (321)
Douyges (H. M. o. j.) : Notes sur les Philosophes arabes au Moyen-Age. Inventaire des textes arabes d'Averroès (663)
Brasse (A.) : Manuel Biblique, t. III (576)
Browne (Ed. G.) : Arabian Medicine (76)
Bücher (Ad.) : Die wechselnden Gesangsschtücke ostsyrischen Messe (393)
Buisson, Fèvre et Hauser : Les principales Puissances d'aujourd'hui (658)
Capitaine Pitance : Méthode pratique pour l'étude de l'arabe parlé (76)
Carra de Vaux (Bon) : Les Penseurs de l'Islam I et II (473)
Casin (Paul) : Décadi ou la pieuse Enfance (15[illegible])
Caujole (Dr P.) : Les tribulations d'une Ambulance française en Perse (393)
Charles-F. Jean (Lazariste) : Ma Mission scientifique en Orient (819)
Charles-Roux (Fr.) : Autour d'une route : L'Angleterre, l'isthme de Suez et l'Egypte (744)
Chorel (Alb.) : En relisant après la guerre Hazin, Bourget, Barrès (392)
Chuichiro Gomyo : The Oneness of Humanity (819)
Crevaillier (P.) : Les principaux résultats de nos nouvelles fouilles de Suze (312)
Douchez (P. L.) : Le Dr Henry Dauchez (1[illegible])
Dawson (V. H. W.) : Architectural Directorate of Mesopotamia (474)
Dinet (E) et Sliman : L'Orient vu de l'Occident (392)
Drault (Jean) : L'Assassinat du P. Thomas et le Talmud (1061)
Dufour de la Tuilerie (R.) : De Salonique à Constantinople (577)
Pagnani (E.) : Abou Youssef Ya'koub, le Livre de l'Impôt Foncier (473)
Pellex (M.) : Nouvel Atlas classique (74)
Goudefroy-Demombynes : Les Institutions Musulmanes (75)
Gédéon (E. G.) : L'Initiateur Syrien (581)
Gobineau (Comte de) : Souvenirs de Voyages (313)
Gottschalk (W.) : Das Gelübde nach alt. arab. Auffassung (149)
Guidi (Ig.) : L'Arabie antéislamique (473)
Guilbert (Gabriel) : La prévision scientifique du temps. Traité pratique (1061)
G. Guy-Grand, G. Bernoville, A. Vincent : sur la Paix religieuse (903)
Helm. (M) : Sur les pentes du Pamir (1060)
Hémon (L.) : Marie Chadelaine (475)
D'Herbigny (Michel s. j.) : L'union dans le Christ (en russe) (982)
—L'Anglicanisme et L'Orthodoxie gréco-slave (1059)
Hippus (Z.) : Mon journal sous la Terreur (817)
Lavergne (B.) : Le Principe des Nationalités et les Guerres (905)
Le Danois (Ed.) : Le Merle (578)
Les Lettrans (982)
Lettres du Lieutenant de Vaisseau Dupouey (1060)
Lovenq (P. G. o. j.) : Le Français par l'Image (1061)
Lévi-Provençal (E.) : Les Historiens des Chorfa (818)
Lyall (Sir Charles James) : The Mufaddaliyat with Translation and Notes (470)
Macartney (C. H.) : The Dîwân of Dhu'R - Rummah (311)
Mason (W.A.) : A history of the art of Writing (472)
Maze (J.) : Le Bolchévisme littéraire (905)
Meggio (A.) : Le Domaine colonial de la France (818)
Mercier (L.) : Ali ben Abderrahman ben Hodeil, la parure des Cavaliers (745)
Merejkowsky (D.) : Le règne de l'Antéchrist (817)
Missale Romanum (904)
Missiones Catholicae descriptae anno 1923 (744)
Monin (Dr E.) : Hygiène et Médecine des Vieillards (151)
Montet (Ed.) : L'Islam (580)
Morand (M.) : Introduction à l'étude du Droit Musulman Algérien (395)
Montordo (P. R. o. j.) : Inscriptions Grecques et Latines de Syrie (662)
Mozzicannacci (A.) : Le Ver à Soie de Mûrier (152)
Nelson (Harold H.) : The Battle of Megiddo (394)
Normand, Montordo et Michon :

Le Musée d'Adana (662)
Paillarès (Michel.): Le Kémalisme devant les Alliés (661)
Paléologue (M.): Le cilice (474)
Parmentier (Paul.): Manuel d'Agriculture à l'usage des Cultivateurs syriens (581)
Philosophoff (D.): Notre évasion (817)
Prévost (E.): L'Armistice-L'Ame inclinée (313)
Rozanof (Colonel): La 3e Internationale (905)
Schipe - Ochsenhausen (K.): Die Wanderungen der mittelamerik. Urrassen (660)
Schlumberger (G.): Récits de Byzance et des Croisades (577)
Seignobosc (Capitaine): Cours de Topographie élémentaire (391)
Thibaudet (A.): La Campagne avec Thucydide (904)
Thoulet (J.): L'Océanographie (743)
Thuile (H.): Littérature et Orient (1530)
Tissoyre (Ch.): Une erreur diplomatique. La Hongrie mutilée (1059)
L'Université St Joseph à Beyrouth (663)
Weisbach (F. H.) Die Denkmäler u. Inschriften an d. Mündung d. Nahr el-Kelb (742)
Willy Müller: Manuel de travaux pratiques pour occuper la jeunesse (511)
Yammine (Ant.): Le Liban et la Syrie pendant la guerre (580)
Zwemer (S. M.): Moslem Seeker after God (152)
—Childood in the Moslem World (152

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة العشرين للمشرق

على طريقة حروف المعجم

* الآثار الجويّة في العام ١٩٢١ ٢١٩—٣٠٠
آثار عربيّة في دمشق ٨٦٣—٨٦٥
الآثار القديمة ٣٠١—٣٠٤ في سورية وفلسطين
اسية واحوالها في العام الماضي ٢—٣٦
ابرقيوس الاسقف وكتابتهُ ١٢٤—١٤٣
ابن سباط واخباره ٩٩٠
ابن سجرون تصحيف ابن جبرول ٩٩٠
ابن البري واحاديثهُ المطربة ٧٠١؛٧١٦
ابو ناضر (القس نعمة الله) ٩٠٧
آيون (القديس) وتعريفهُ ٥٨٩
اتحاد الكاثوليك لدرس المشاكل الدوليّة ٣١٧
اثر جديد لقدماء النصارى في الصين ٩٢١
الاحاديث المطربة لابن البري ٧٠١ ٧١٦
احصاء لبنان الكبير ٣٠٢
اخبار الاخبار بما وُجد على القبور من الاشعار ١٠٢٥—١٠٤٢
اختراع حجيب: العراقي من بُعد ٧٤٧
الاخطل نقائضهُ مع جرير ١٤٤—١٤٨
احصاءات الجزائر وتونس والمغرب ٢١٩
الادب والتهذيب في العام الماضي ٣١٠
ادمينة والدول التفقاسيّة ٣٣
اسئلة طقسيّة ٣٣٠
اسبانية واحوالها المدنيّة والدينيّة ١٣ , ٨٩ , ١٠٦٩ رؤساء الدين فيها وحرق كتب الاسلام ٦٦٨, ٧٤٩
استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة ٧٥١
استشهاد الاب اليسوعي بطرس اغاجنيان في دير الزور ٥٦٤

الاسطول الانكليزي ومكايده ١٠١٣-١٠١٨
الاسلام والالقاب الشائعة فيه ٨٢٤ القضاء في الاسلام ٨٩٨-٩٠٢ متحف الشرق الاسلامي في باريس ٦٨٩
الاشعار التي وجدت على القبور ١٠٢٥-١٠٤٢
اصحاب الفيل ٣١٩
اصول التاريخ البشري وسوابقه ٦٧١؛٨٠٥
اغناطيوس دي لويولا المئة الثالثة لتثبيت قداسته ٢٥١ اقامته شيئاً للرياضات الروحية ٦٨٨
— تمجيده في وطنه ١٠٦٦
اغناطيوس مطران نابلس ٤٠٠
افريقية الشمالية والغربية ١٠٦,٢٦
افلاطون: رسالة قديمة منسوبة اليه ٨٨٤-٨١٢
اكتشاف المياه في قلب الارض ٤٨٠
البانية الجديدة ١٧ استقلالها من القنار ٩٥
الالقاب في الاسلام ٨٢٤
المانية واحوالها ١١-١٣, ٩٧ المانية النساء ٦٢٦
امام الاحبار يوس الحادي عشر ٢٢١-٢٣١
الامم القديمة واصول تاريخها ٦٨٤-٦٧٨
اميركة الشمالية ١٨ ترقي الكثلكة فيها ٩٨
اميركة الجنوبية والمركزية احوالها الدينية والدنيوية ١٩,١٠٠
الاناشول وفيقية في العام الماضي ٢١
انت السخرة: ترحيب المشرق بالبابا الجديد ٢٤١-٢٤٤
الانتقاد والدروس التاريخية في سورية ١٦٤
الانجيل: درسه وفوائده ٦١٩-٦٢٦
الانكليكانية والاورثذكسية ٨٦٨-٨٧٥
الانوار الماسونية ٥٨٧
اوربة واحوالها السياسية في السنة ١٩٢١ ٦-٤٨ احوالها الدينية ٨٥-٩٨
اوستراليا وازدهار الكثلكة فيها ١٠٠
اوكرانية: تقربها من الكنيسة الرومانية ٩٣
ايطالية في العام المنصرم ١٢ امورها الدينية ٩٠
اينشتين ومذهبه ٦٧٠
ايار وتطواف احداث قبرس في اوله ٥٨٩
ايليا مطران نصيبين وجاله ٢٢؛١١٢؛٢٦٧؛٢٦٦؛٤٢٥
ب البابا ورومية ٤٢٤-٤٤٣ البابا حنة وجريدة لاسيري ٣١٧ اصل اسم البابا ٤٨٠
البابية والبهائية ٧٧,٨٠
باريس: سيدات التعليم المسيحي فيها ١٠٦٤
باز (الشيخ سليم الفقيه المشترع الكبير) ٩٢٨
البرازيل في العام ١٩٢١ ٢٠ الحركة الكاثوليكية في البرازيل ٢٧-٣٣
بربارة القديسة الشهيدة ووطنها ١٠٧٠
البرتغال في السنة ١٩٢١ ١٤,٩٠
البرص ومستشفاه للبوعيين في منغالور ١٥٨
البركة الرسولية الممنوحة لمجلة المشرق وجريدة البشير ٥٩٠ البركة بالصورة ٧٥
البروتستانت: اسمهم وزعيمهم ٣٣٠ بعض اراجيفهم في بيروت ٩٠٦
بريطانية العظمى وسياستها ١١ امورها الدينية ٩٥
بطرس الرسول ورئاسته ٢٣٣-٢٤٧
بلجكة السياسية ١٤ الدينية ٩٣
بندكتوس الخامس عشر وغالة في الاستانة ٦٥-٧٣ وفاته ٨١-٨٥,٢١٦
بوذا منشئ الشيعة البوذية ٨٣٠
بولونية المستقلة ١٦ احوالها الدينية ٩٣ نهضتها ٢٦١-٢٦٦
بيروت وعائلتها الماسونية ٢٩٩ استحكاماتها وتحصيناتها القديمة ٧٥١ حزب عمالها ٩٨٨
بيوس الحادي عشر البابا الجديد ٢٤١-٢٤٤ نظر تاريخي في حياته ومآثره ٢٣١-٢٣١
ت تبرير الكردينال كيتنيس من حرق كتب العلوم العربية ٧٤٩
التجارة والصناعة سنة ١٩٢١ ٢٠٨-٢١٠
التحول والنشوء وطلان مذهبهما ٦٧٩-٦٨٤

٨٠٥—٨١٧
تدشين دار الكتب الكبرى ومتحف الآثار ٧٤٩
التذكار المئوي للجمعية الاسيوية الفرنسوية ٦١٢—٦١٩
تذكار الموتى في الكنائس الشرقية ٩٧٣—٩٨٣
التراثي من بعد بالفوتغراف ٧٤٧
تركية الجديدة ١٠٣٢٠
تشكوسلوفاكية ودولتها ٩٤٠١٧
التصوير الشمسي للاشياء البعيدة ٧٤٧
التعليم الاجباري ٩٠٩
تقرب الروم الاورثذكس من الكنيسة الانكليكانية ٨٦٨—٨٧٥،١٠٦٥—١٠٦٧
تلاميذ رومية الموارنة ومدينة الياس النزيري فيهم ٧٣٤—٧٣٣ تلاميذ مار مارون الشهداء ٧٥٠
التلفون اللاسلكي وعجائبه في الولايات المتحدة ٦٨٤—٦٩٣
تمجيد الله لقديسيه ١٠٦٩
تنيّن القديس جرجس وتنين رودس ٣٨٦
توبة الآبق (رواية) ٤٥٣ ; ٥٠١
التوحيد في النصرانية ٣٤٠١١٧
* ج * جرجس القديس وتنينه ٣٨٦
جريدة لاسيري وخرافة البابا حنة ٣١٧
جريدة المدنية وردّ بعض اقوالها ٦٦٩٠١٠٦٥
جزيرة العرب وما وراء الاردن ٣٤
الجغرافية في العام المنصرم ٣٠٠—٣٠١
الجمعية الاسيوية الفرنسوية وتذكارها المئوي ٦١٢—٦١٩
جمعية الطلبة الكاثوليكية بالمدارس العليا الالمانية ٦١٩—٦٢٦
الجوهر الفرد ١/٢ الجوهر والانقوم ٦٧٠
جوهري طنطاوي ومزاعمه الباطلة ٨٢١
الجيولوجية في السنة ١٩٣١ ٣٠٠
ح الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر البابا الجديد ٣٤١ ترجمته ٣٢١ بركته ٥٩٠ زيارته الى قلكي الفاتيكان ١٠٦٥
الحبشة : اكتشاف مدافن ملوكهم ٧٩—وفد ملكة الحبش الى رومية ١٠٧
الحارث بن الحلزة : نشر ديوانه ٥٩١ ; ٦٩٣
حبيس فرنسوي في لبنان : المير فرنسوا دي شطوبل ٥٧١ ; ٦٤٩
الحرب الكونية وخدمها الحربية ١٠١٢
الحرير وصناعته في دمشق ٨٦٥—٨٦٧
الحساب الغربي في رومية ٨٣٦
الحقوق الاسلامية والفرنج ٥٨٧
حقوق الاولاد الابكار ٣٢٠
حلب واسمها القديم ٤٠٠ استشهاد الروم الكاثوليك فيها سنة ١٨١٨ ٦٧٠ اعمال اليسوعيين في حلب في القرن السابع عشر ١٠٥٤
حمام الزاجل وخدمته في زمن الحرب ١٠١٩
حَمَلُ الله وماهيته ٩١٠
حوادث دير الزور في زمن الحرب ٥٦٢—٥٧٠
حوران واهلها ١٥٩
* خ * الخدع الحربية في الحرب الكونية ١٠١٢—١٠٢٥
خرافة البابا حنة وجريدة لاسيري ٣١٧
خطب جسيم : وفاة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر ٨١
خميس الاسرار : خمرية في وصفه ٢٨٤
خواطر واحلام في رأس العام ١
* د * درام (الاب ولتر اليسوعي) المستشرق الاميركي ٤٦٤—٤٧٠
درس الانجيل وفوائده ٦١٩—٦٢٦
الدروس التاريخية في سورية ٩٦٤—٩٧٣
دروين ومزاعمه الباطلة في النشوء والتحول ٦٧٩—٦٨٤ انتقاد تأويلات اصحابه على سوابق التاريخ ٨٠٥—٨١٧
دمشق : محافلها الماسونية ٣٩٩ آثارها الحربية

وصناعتها الحربيّة ٨٦٢–٨٦٧ معهدها
الفرنسويّ العلمي الجديد ٩٨٩
دمة فابتسامة (قصيدة) ٢٤٥
الدول البلقانيّة واحوالها ١٧
الدول الكاثوليكيّة وعلاقاتها بانتخاب البابوات ٤٠٠
دير الزور وحوادثها في زمن الحرب ٥٦٢–٥٧٠ دير الزور وسنجقها ٨٢٠
ديوان الشاعرين عمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة ٥٩١؛٦٩٢
الديون المتوحدة قبل الحرب وتسديدها ٩٩٠
* ذ * الذاكرة وفنّ تغذيها ٧٨٩؛٨٧٥
* ر * رأس العام: خواطر واحلام في رأس العام ١ خطبة في رأس العام للجاثليق ايليا ابي الحلم ٥٥
الرأي العام في صفرات الاقلام ٤٩٥–٥٠٠
رؤساء الدين في اسبانية وحرق كتب الاسلام ٦٦٧؛٧٤٩
رئاسة التقديس بطرس ٢٢٣ اثران فيها ٤٧٧
راهبات الناصرة وتذكارهنّ القرنيّ ٥٨٥
الرّبان هرمزد وتاريخهُ وديرهُ ٨٣١–٨٣٣؛ ٨٣٥–٨٤٥
رثاء على قبر الشهداء ٥٨٤
رحلة حديثة الى الشيخ عادي والرّبان هرمز ٨٣١–٨٤٥
الرسالات الكاثوليكيّة وتذكارها المئوي ٤٥٩
رسالة قديمة منسوبة الى افلاطون ٨٨٤–٨٩٣
رسول السلام وفوزهُ في عاصمة الاسلام ٦٧–٧٣ آخر ساعات حياتهِ ٣١٦
رسول الصحراء الاب شرل دي فوكو ٩٩١
رصافة التقديس سرجيوس والرصافات ١٦٠
رودس وتتيّمها ٢٨٦–٢٨٩
الروس والاورثذكسيّة والكثلكة ٧٣٣–٧٤١
روسيّة واحوالها الحاضرة ٩٤؛١٦ الحساب الغربي فيها ٨٢٦
الروم الاورثذكس وتفرّجم من الكنيسة الانكليكانيّة ٨٦٨؛ ١٠٦٥
الرومان: صالحهم سوريّة ودفاعهم عنها ٢٧٢ رومانية واحوالها ١٧
رومية والكرسيّ الرسولي ٧؛ ٨٥ رومية والبابا ٤٣٤–٤٤٣ المؤتمر الفلكي في رومية ٦٦٦
* ز * زخيا (القديس) وعيدهُ ٨٣٠
الزراعة في عام ١٩٢١ ٣٠٧ منشورات زراعيّة لدولة العراق ٩٠٦
* س * سرّ الامير (رواية) ٤٤–٥٥
السريانيّة: بحث في نحوها ولغتها وخطّها وكلامها ٢٦٦–٢٧٦
سفر تثنية الاشتراع: شرح بعض آياتهِ ٨٠
سفر نشيد الانشاد ٧٨
سكّري (الاب جيروم اليسوعي) ١٠٧٠
السّلف والخلف ١٥٦
سليمان الحكيم وافيقية ٦٦٨
سنّ الفيل والفيلة في سوريّة ٩١٠
سوريّة في العام المنصرم ٢٢–٢٤ احوالها الدينيّة ١٠١–١٠٣ مسالة الرومان لسوريّة ودفاعهم عنها ٢٧٣–٢٨٠
سويسرة واحوالها الدينيّة ٩٧–٩٨
السياسة الحقيّة (للماسونيّة) ١٠٦٨
سيبريّة والكاثوليك فيها ١٠٦
* ش * شرل الاب القديس حبيس حنّايا وترجمتهُ ٢٨٩–٢٩٧
شرح آيات كتابيّة ٥٨٨
شرل دي فوكو رسول الصحراء ٩٩١–١٠٠٦
الشهداء تلامذة مار مارون ٧٥٠ شهداء الروم الكاثوليك في حلب ٦٧٠
الشيخ عادي: رحلة الى مقامهِ ٨٣١–٨٣٥
الشيعة والمشرق ٧٤٨
* ص * الصاعقة واسباجا ٣٩٧

صفحة تاريخيّة من أيام الحرب ٣٦٣
الصليبيّون ومكتبة طرابلس الشام ١٠٧—١١١
الصليبيّون والعالم الاسرائيلي ٨٢٨
الصين وجمهوريّتها ٣٦ الكثلكة فيها ١٠٥—١٠٦ اثر جديد لقدماء النصارى في الصين ٩٢٨—٩٢٩
* ط * الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٧٨٠ ; ١٠٥٣
الطبّ وعلم الصحّة في العام الماضي ٣٠٦
الطباعة : هل اكتشف العرب فنّها ٩٠٧
الطبيعيّات والكيميا في السنة ١٩٢١ ٣٠٥
طرابلس الغرب ٣٦
طرابلس الشام ومكتبتها القديمة ١٠٧—١١١
الطيّب الاثر الاب مبارك المتيني ٨٥٢—٨٦٤
* ظ * الظرّان عهده التقدم واحوال الشعوب الاولى ٦٧٩
* ع * عارف بك النكدي : تقنيد رسالتي القضاء في الاسلام ٨٩٨—٩٠٣
العالم الاسرائيليّ : ردّ على هذه الجريدة ٨٢٨
عجائب التلفون اللاسلكي في الولايات المتحدة ٦٨٤—٦٩٣
العجم والافغان ٣٥ ١٠٤
عدل احد ملوك المغرب ٦٦٦
العرب مكتشفو فنّ الطباعة ! ٩٠٧
العربيّة وتعزيزها في فرنسة ٢٤٧—٢٦٣
عفيف بن المؤمل ورسالتهُ اللاهوتيّة على مذاهب النصارى ٩١١—٩٢٩
العلوم وترقّيها في السنة ١٩٢١ ٢٩٧—٣١٠
العلوم الادبيّة ٣١٠ العلوم الفلكيّة ٣٩٩
العماد واصل لفظهِ ١٦٠
عمرو بن كلثوم وديوانهُ ٥٩١ ; ٦٩٣
العيد القرني الثالث لانشاء مجمع انتشار الايمان ٤٨١—٤٩٥
عين ابل رثاء شهدائها ٥٨٤
* غ * غلبة الطبع على التطبّع ٦٢٥
غليلبو وكوبرنيكوس في زعم جوهري طنطاوي ٨٢٧ قتال غليلبو في بيزة ٩٠٨
* ف * فرنسة في العام المنصرم ٨—١٠ احوالها الدينيّة ٨٧ تعزيز اللغة العربيّة في دولتها ٢٤٧ قناصلها القدماء في حلب ١٠٥٨
فرنسوا دي شطوبل المبيس في لبنان ٥٧١ ; ٦٤٩
فرنسيس كفاريوس : المئة الثالثة لتثبيت قداستهِ ٢٥١ تمجيدهُ في وطنهِ ١٠٦٩
فسقيّة واصل كنسها ٧٥٠
فلسطين في العام الماضي ٩٩ ١٠٠—١٠١
الفلك وعلومهُ ٢٩٩ معجزة فلكيّة حديثة ٢٤٧
فلكيّ الفاتيكان والحبر الاعظم ١٠٦٥
فنّ تهذيب الذاكرة ٧٨٩ ; ٨٧٥
فوز رسول السلام في عاصمة الاسلام ٦٥—٧٢
الفيلة في سوريّة ٩١٠
* ق * قبرس وتطواف احداثها في غرّة أيار بالاكاليل ٥٨٩
القبور وما وجد طيها من الاشارة ١٠٢٥—١٠٣٧
القرآن اثباتهُ لتوحيد النصارى ١١٧—١٢٢
سورة اصحاب الفيل في القرآن ٣١٩
قصّة سليمان الحكيم وافيقيا امرأة يشوع بن سيراخ ٦٦٨
القضاء في الاسلام ٨٩٨—٩٠٣
قنصل شهيد في الجزائر ١٠٦٨
* ك * كاهن فاضل (الخوري بطرس المكرزل) ١٠٥٢
الكاهن الجديد والنعم الممنوحة لهُ ٧٥٠
كتابة الاسقف ابرقيوس ١٣٤—١٤٣
الكثلكة في روسيّة ٧٣٣—٧٤١
الكرادلة الشرقيّون ١٦٠
كرد علي (السيّد رئيس المجمع العلمي

الدمشقي) تريف بعض مزاعمه ٦٦٨، ٧٤٩، ٩٠٧ انتقاده لتاريخ سورية ٦٦٤
الكردينال كيمنيس وتركيته من حرق كتب العلوم العربية ٧٤٩
كسوف الشمس الاخير ٤٧٨
كلب البحر وصيده ٧٩
كلدو واشور ومؤرخها ١٠٧٠
الكنائس الشرقية وتذكارها للموتى ٩٧٣–٩٨٣
الكنيسة الاورثذكسية والانكليكان ٨٦٨ – ٨٧٥ تقربها الى البروتستانت ١٠٦٥–١٠٦٧
الكنيسة الكاثوليكية مكرمة في رأسها ١٥٧
الكواكب وقياس حجمها ٢٤٧–٢٥١
كوبرنيكوس وغليليو في زعم جوهري طنطاوي ٨٢٧
الكيميا والطلسمات في السنة ١٩٣١ ٢٠٥
ل ل لبنان الكبير واحصاؤه الرسمي ٢٩٧
حبس فرنسوي في لبنان ٥٧١؛ ٦٤٩ مجلسه النيابي ٥٨٦ الوسائل لترقية اللغة العربية ١٠٤٣–١٠٥٣
اللغة العربية وتعزيزها في البلاد الفرنسوية ٢٤٧–٢٦٢
لوفاشه : ٧١ حان الغازي وفصل فرنسة للشهيد ١٦٠
لويزة دي فرنس كريمة لويس الخامس عشر ودخولها في رهبنة الكرمل ٤٠١–٤٢٠
م م المئة الثالثة لتثبيت قداسة اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس ٢٥١
مئة سنة في خدمة الرسالات الكاثوليكية ٤٥٩–٤٦٢
المؤتمر الفلكي في رومية ٦٦٦
ما بين النهرين وعناصرها ١٠٤، ١٠٢٥
الماسونية وحركاتها ٢٩٨ الجائزة الماسونية ٤٧٨ المترجلات الماسونية ٤٧٨ – ٤٧٩
مبلغ الماسون من التاريخ ٤٧٩ خمول الماسونية المصرية ٨٢٩ ماسوني قح ٩٠٨، ٩٨٨ سياستها الخفية ١٠٦٨
مبارك المتيني (الراهب اللبناني) ترجمته ٨٥٢
متحف الآثار في بيروت ٧٤٩ متحف الشرق الاسلامي في باريس ٩٨٩
مجالس ايليا مطران نصيبين ٢٢؛ ١١٢؛ ٢٦٧؛ ٤٢٥؛ ٢٦٦
مجمع انتشار الايمان وعيده القرني الثالث ٤٨١
المجمع الايسكوبالي العام ٩٨٨
المجلس النيابي ٥٨٦
مجلة العرفان والبابوية ٢٩٩ كسوف الشمس الاخير في رأيها ٤٧٨ رد على مزاعمها ٧٤٨
مجلة المجمع العلمي : رد على بعض مزاعمها ٥٨٧، ٦٦٨، ٧٤٩، ٩٠٧
المختبر الراديولوجي الكهربائي ٧٤٩
المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ٥٨، ١٢٣؛ وفي بقية اعداد المشرق
المدافع البعيدة المرمى ٥١٢–٥٢٥
مدافن ملوك الحبشة ٧٩
مدغسكار ٢٧
مسألة الرومان لسورية ودفاعهم عنها ٢٧٢
مستشرق اميركي يدعي الاب ولستر درام ٤٦٤–٤٧٠
المستشفى الطبي الفرنسوي : حفلة وضع حجره الاول ٥٨٥
المسلمون وما يعتقده النصارى فيهم ٤٢٧
المسيح (السيد) : اثبات لاهوته ١١٢ – ١١٧
مصر في العام ١٩٣١ ١٠٦، ٢٦ خمول الماسونية فيها ٨٢٩
معهد علمي جديد ٩٨٩ المعهد البابوي الشرقي ١٠٦٧
المقتطف وبعض منشوراته ٨٢٦، ٨٢٨، ١٠٧٠
المكتشفات الحديثة وهي عربية قديمة ٨٢٦
المكرزل (الخوري بطرس) ترجمته ١٠٥٣

مسرّة (سيادة الطران جراسيموس) تفنيد
بعض مزاعمه في الهدّية ٦٦٩ ، ٧٣٣–٧٤١
اختلاطهُ بالبروتستانت ٩٨٨
ملك الصحافة في انكلترّة ٦٦٧ وفاتهُ ٩٠٦
من النصر الملكي الى دير الكرمل ٤٠١–٤٢٠
مناجاة الارواح وسوء تأثيرها ٤٧٧
مناجاة سيّدنا عيسى ٨٠
مناشير جديدة ١٥٧ مناشير للصوم ٢١٦
منشورات زراعيّة لدولة العراق ٩٠٩
منتالور ومستشفاها للبُرص ١٥٨
ملاخيا القديس ونبوّتهُ عن البابوات ١٥٩
الموارنة : مدرسة تلاميذ رومية الموارنة للقسّ
الياس التزيري ٧٢٤ الموارنة والرهبانيّة
اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع
عشر ٧٨٠–٧٨٩ ؛ ١٠٥٣–١٠٥٨
الموافقة بين متى ولوقا في نسب يسوع المسيح
٤٢٠–٤٢٥
الموتى وتذكارهم في الكنائس الشرقيّة ٩٧٣
المياه واكتشافها في قلب الارض ٤٨٠
ميلاد ازبّ (قصيدة) ٤
ن نبوّة القديس ملاخيا المزعومة ١٥٩
النجوم واعتقاد النصارى في احكامها ٤٢٥
نزوح واحوالها الدينيّة ٩٨
النصرانيّة واثبات صحتها ٣٦٧
النصارى : اعتقادهم في النجوم وفي المسلمين وفي
النفس ٤٢٥–٤٣٣ رسالة في مذاهب
النصارى للشيخ ضيف بن المؤمل ٩١١ –
٩٢٤ اثر جديد لقدماء النصارى في الصين
٩٢٦–٩٣٨
النصرانيّة : المخطوطات العربيّة لكتبها ٥٨ ؛
١٢٣ ثم كلّ اعداد المشرق
نظر عام في وقائع العام السياسيّة ٦–٣٧ الدينيّة
٨٥–١٠٧
نظر اجمالي في ترقّي العلوم في سنة ١٩٢١ ٣٩٧

النفس وامتقاد النصارى فيها ٤٣٠
نقائض جرير والأخطل ١٤٤–١٤٨
النمسة والمجر في السنة ١٩٢١ ١٥ ، ٩١–٩٣
نهضة بولونية ٣٦١–٣٦٦
نورثكليف اللورد ملك الصحافة في انكلترّة
٦٦٧ وفاتهُ ٩٠٦
النيروز : ترجام للنيروز ٥٥
نيزك جديد ٧٨ ، ١٥٨
ه هل يحتمل ان يغيّر الروس ارثوذكسيّتهم
٧٣٣–٧٤١
هليون دي ڤيلنوف قاتل تيبن رودس ٢٨٦
الهند وفتنتها ٣٥ الكثلكة في الهند ١٠٤ إحصاء
الهند الاخير ٥٨٧
الهند الصينيّة وانتشار الكثلكة فيها ١٠٥
هولندة في العام الماضي ١٥ ، ٩٨
و الوسائل لترقية اللغة العربيّة ١٠٤٣
وضع الحجر الاوّل للمستشفى الطبيّ الفرنسوي
٥٨٥
وفيات السيّدين اغابيوس مطوف وهوميك
كوليان والخوري الاسقفي اسطفان الشالي
٢١٨
الوقائع الدينيّة في السنة ١٩٢١ ٨٥ – ١٠٧
السياسيّة ٦–٣٧
الولايات المتّحدة دنيا ودينًا ١٨ ، ٩٨ جانب
التلفون اللاسلكي فيها ٦٨٤–٦٩٣ المهاجرة
اليها ١٠٦٤–١٠٦٥
اليابان وسياستها ٣٥ الكثلكة فيها ١٠٥
ي يسوع المسيح : الموافقة بين متى ولوقا في
نسبه ٤٢٠–٤٢٥
اليسوعيون والطائفة المارونيّة في القرنين
السادس عشر والسابع عشر ٧٨٠ ؛ ١٠٥٣
اليهود في مصر ١٠٦٧
يوفوسلوثاكية واحوالها الدينيّة ٩٣–٩٤
اليونان في العام المنصرم ١٨ ، ٩٥

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingtième Année

1922

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1922

TABLES DES SOMMAIRES

XX° ANNÉE 1922

JANVIER

Au seuil d'une nouvelle année (page 1) : *Mr Farid Mourad*

Un souvenir de Noël (poésie) (p. 4) : *L'Abbé Maroun Ghosn*

L'année 1921 à vol d'oiseau (p. 6) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le mouvement catholique au Brésil (p. 26) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

Les Séances d'Élie év. de Nisibe (p. 33) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le secret du Prince (nouvelle) (p. 44) : *L'abbé Pierre Sfeir*

Un discours du Patriarche Elie III ibn Ḥadiṯi sur le jour de l'an (p. 55) publié par le *P. L. Cheikho S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (p. 58) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le triomphe de la Papauté à Constantinople (p. 65) : *le même*

Bibliographie Orientale(72)=Varia(78)=Questions et Réponses(80(

FÉVRIER

La mort de Benoit XV ! (p. 81) : *La Rédaction*

Coup d'œil sur les événements religieux de l'année 1921 (p. 85) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Croisés et la Bibliothéque de Tripoli (p. 109) : *P. Henry Lammens S. J.*

Les Séances d'Elie év. de Nisibe (suite) p. 112): *P. L. Cheikho S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 123) : *le même*

La fameuse Inscription d'Abercius (p. 134) : *L'Abbé Joseph Eid*

Les Naqāiḍ de Ǵarīr et de Aḫṭal (p. 144) : *P.L. Cheikho S.J.*
Bibliog. Orientale (149) — Varia (157) Questions et Réponses (160)

MARS

Tu es Petrus ! Hommage à Pie XI (p. 241) : *La Rédaction*

Larmes et sourires (poésie) (p. 245) : *L'abbé Raphaël Bostani*

L'étude de l'arabe dans l'enseignement secondaire en France (p. 247) : *Mr Obeid an-Nasiri et Mr Maurice Mercier*

Une page historique du temps de la guerre (p. 263) : *Mgr Abdallah Khoury*

Les Séances d'Élie év. de Nisibe (suite) (p. 267) : *P. L. Cheikho S. J.*

La pacification de la Syrie et la défense de ses frontières sous les Romains (p. 272) : *P. René Mouterde S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 280) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Père Charbel, le saint solitaire de ʿAnnāya (p. 289) : *P. Antoine Chibli O. S. A.*

Bulletin Scientifique de 1921 (p. 297) : *P. L. Cheikho S. J.*
Biblog. Orientale (311) — Varia (316) Questions et Réponses (320)

AVRIL

Sa Sainteté le Pape Pie XI (p. 321) : *P. Léopold Fonck S.J.*

La Primauté de St Pierre (p. 332) : *P. Antoine Salhani S.J.*

Une merveilleuse découverte astronomique (p. 347) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

Les SS. Ignace de Loyola et François Xavier, à propos de leur 3e centenaire (p. 352) : *P. L. Cheikho S. J.*

La nouvelle Pologne (p. 360) : *P. Gabriel Levenq S. J.*

Les Séances d'Elie év. de Nisibe (suite) (p. 366) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 376) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le vin eucharistique du Jeudi-Saint (poésie) (p. 384) : *L'abbé Arsène Fakhoury*

Le dragon de St Georges (p. 386) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliog. Orientale (389) — Varia (397) Questions et Réponses (400)

MAI

Louise de France *ou* du Trône au Carmel (p. 401) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

L'accord des Généalogies de N-S. dans St Matthieu et St Luc (p. 420) : *P. Antoine Salhani S. J.*

Les Séances d'Elie, év. de Nisibe (fin) (p. 425) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Pape et Rome (p. 435) : *Myr. Daoud As'ad*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 442) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le repentir du déserteur (nouvelle) (p. 458) : *Mr Joseph Gharibeh*

Le 1er Centenaire des Missions Catholiques (p. 459) : *P. L. Cheikho S. J.*

Un Orientaliste Jésuite américain (le P. W. Drum) (p. 464) : *P. Joseph Ghoreyib S. J.*

Bibliog. Orientale (469 — Varia (477) Questions et Réponses (480)

JUIN

Le 3e Centenaire de la Congrégation de la Propagande (p. 481) *P. L. Cheikho S. J.*

L'opinion et le purisme en arabe (p. 495) : *Cheikh Amin Gémayel*

Le repentir du déserteur (fin de la nouvelle) (p. 501) : *Mr Joseph Gharibeh*

Les canons à longue portée (p. 512) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p.525): *P. L. Cheikho S. J.*

Les événements de Deir al Zor pendant la guerre (p. 562) : *Mr Joseph Tawtel*

Un Ermite français au Liban : Mr François de Chasteuil (p. 570) : *P. Pierre Sarah O.S.A.*
Bibliog. Orientale (579) — Varia (584) Questions et Réponses (590)

JUILLET

Les Diwans des deux Poètes 'Amrou Ibn Kolṯoum et Ḥariṯ Ibn Ḥilliza (p. 591) : *Mr Fritz Krenkow*

Le Centenaire de la Société Asiatique de Paris (p. 612) : *P. L. Cheikho S. J.*

Mandement sur la lecture des Saints Evangiles (p. 619) : *Mgr. Germanos Adam*

La nouvelle Allemagne (p. 626) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 642) : *P. L. Cheikho S. J.*

Un ermite français au Liban : Mr François de Chasteuil (fin) (p. 649) : *P. Pierre Sarah O.S.A.*
Bibliog. Orientale (659) — Varia (665) — Questions et Réponses (670)

AOUT

Les origines de l'Histoire et la Préhistoire (p. 671) ; *P. Alexandre Torrend S. J.*

Les merveilles de la Téléphonie sans fil aux Etats-Unis (p. 684 : *P. Raphael Nakhle S. J.*

Les Diwans des deux Poètes 'Amrou Ibn Kolṯoum et Ḥariṯ Ibn Ḥilliza (fin) (p. 693) : *Mr Fritz Krenkow*

Une version arabe des «Récits plaisants» de Barhebraeus (p. 709 *P. L. Cheikho S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 718) : (le même)

Poésie populaire sur les anciens élèves du collège maronite de Rome (1609) (p. 724) : *Elie de Ghazir O. S. A.*

La Russie pourra-t-elle être Catholique ! (p. 735) : *P. L. Cheikho S. J.*
Bibliog Orientale (741) — Varia (747) Questions et Réponses (750)

SEPTEMBRE

Les anciennes défonses de Beyrouth p. 751) : *Le Cte du Mesnil du Buisson* :

Une version arabe des «Récits plaisants» de Barhebræus (fin) (p. 767) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Nation maronite et la Cie de Jésus aux XVIe et XVIIe siècles (suite) (p. 781) : *le même*.

La Mnémotechnie (p. 780) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 797) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les origines de l'Histoire et la Préhistoire : les hypothèses transformistes (fin) (p. 805) : *P. Alexandre Torrend S. J.*

Bibliog. Orientale (871) — Varia (824) Questions et Réponses (830.

OCTOBRE

Une visite à Cheikh 'Adī et à Rabban Hormuzd (p. 831) : *L'abbé Salomon Sayegh*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 845) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Père Mobarak de Mutein, religieux libanais (p. 852) : *P. Pierre Sarah O.S.A.*

Antiquités arabes à Damas (862) : *Mr Joseph Elian Sarkis.*

Appendice sur les Soiries de Damas (p. 865) : *P. L. Cheikho S.J.*

L'Eglise Orthodoxe et l'Anglicanisme (p. 868) : *le même.*

La Mnémotechnie (fin) (p. 875) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

Un traité philosophique sur le chagrin attribué à Platon (p.884) *P. L. Cheikho S. J.*

Le Rosaire et les Hommes célèbres (p. 892) : *le même*

Le Droit Musulman et le Droit Romain (p. 898) : *Mr Louis de Brun*

Bibliog. Orientale (903) — Varia (906) Questions Réponses (910)

NOVEMBRE

Le traité théologico-historique du Cheikh 'Aff Ibn Mou'ammil (p. 913) : *L'Archimandrite Elie Bitarekh*:

La découverte récente d'une ancienne Croix chrétienne dans une pagode chinoise (p. 920) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le grand Légiste, Cheikh Salim Baz (p. 938) : *Dr Georges Baz*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 958) : *P. L. Cheikho S. J.*

La critique et les études historiques (p. 964) : *P. Henri Lammens S. J.*

La commémoraison des Défunts dans les Eglises Orientales (p. 972) :

Bibliog. Orientale (982)—Varia(987)—Questions et Réponses (990)

DÉCEMBRE

L'Apôtre du Sahara, Père Charles de Foucauld (p. 991) : *P. Ferdinand Tawtel S.J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite) (p. 1007) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les stratagèmes militaires de la dernière guerre (p. 1012) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

Un recueil d'Epitaphes sur d'anciennes tombes (p. 1026) : *P. L. Cheikho S. J.*

Comment perfectionner la langue arabe selon les besoins de la société actuelle (p. 1040) : *le même*

Un prêtre distingué, le Père Pierre Mokarzel (p. 1052) : *L'abbé Pierre Ghaléb*

La Nation maronite et la Cie de Jésus aux XVIe et XVIIe siècles (suite) (p. 1053) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliog. Orientale(1060)—Varia (1068)Questions et Réponses (1070)

TABLES (p. 1071 — 1086

المشرق

مجلة كاثوليكية تصدر مرة في الشهر في ٨٠ صفحة برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي على مباحث علمية وادبية وفنية

بادارة آباء كلية القديس يوسف

لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة الحادية والعشرون

١٩٢٣

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts

SOUS LA DIRECTION DES PÈRES DE L'UNIVERSITÉ ST.-JOSEPH

VINGT ET UNIÈME ANNÉE

1923

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

BEYROUTH

1923

المشرق

اصوات الكون في اوّل العام

نظر خيالي للاب لويس شيخو اليسوعي

قد انتهى عامٌ ! وكانهُ بختامهِ أُصيب بشبه الموت لم يعد احد يرجو خيرهُ ولا يرهب ضيرهُ . وانما بقي من بعدهِ ذكرهُ .

وها قد قام خلفاً في اثرهِ عامٌ جديد فاهلاً بهِ ومرحباً ! على اني في دخولهِ اشعر بنفسي ببعض تأثير ويخال لي انَّ العالم كلهُ من سمائهِ الى ارضهِ اكتسى بقدومهِ هيأة غير معهودة . فاحببت ان ألقي سؤالي على كلّ ذي عقل وادراك لعلّي اقف على سوانح افكارهم في مفتتح عام جديد . واستفتيت عن الجواب الاسفار المنزلة فاجابت الى سؤالي بما سبق الروح القدس فاوحى بهِ انبياءهُ فدوَّنتهُ عن كل صنف بما يليق

١ ﴿ اوّل العام في نظرهِ تعالى ﴾ انا هو الكائن (خروج ٣ : ١٤) انا الألف والياء البداءة والنهاية (رؤيا ١ : ٨) عن لساني قال صاحب المزامير (١٠١ : ٢٥ — ٢٨) : « الى جيل الاجيال بنوك . في البدء أسستَ الارض والسماوات هي صُنع يديك هي تزول وانت تبقى . كلُّها تبلى كالثوب وتطويها كالرداء فتتغيَّر وانت انت وسنوك لن تفنى »

٢ ﴿ اوّل العام في نظر السيد المسيح ﴾ قد أُعطيتُ كلّ سلطان في السماء والارض (متى ٢٨ : ١٨) هاءنذا آتٍ سريعاً وجزائي معي لأُكافئ كلَّ واحدٍ حسب اعمالهِ (رؤيا ٢٢ : ١٢) فالآن تعقَّلوا أيها الملوك واتَّعظوا يا قضاة الارض . . . طوبى لجميع

المتحصنين بالله (مز ٢ : ١٠—١٢) امّا انتم يا جميع المتعبين والمثقلين فتعالوا اليَّ وانا اريحكم احملوا نيري عليكم فانَّ نيري لين وحملي خفيف (متى ١١ : ٢٨—٣٠)

٣ ﴿ اوّل العام في نظر العذراء الطاهرة مريم البتول ﴾ انا امُّ المحبَّة البيِّنة والمخافة والعلم والرجاء الطاهر . فيَّ كلُّ نعمة الطريق والحقّ (ابن سيراخ ٢٤ : ٢٤—٢٥) من وجدني وجد الحياة ونال مرضاةً من الرب (امثال ٨ : ٣٥)

٤ ﴿ اوّل العام في نظر اهل الجنة ﴾ ها هوذا مسكن الله مع الناس . . قد مسح الله كلَّ دمعةٍ من عيوننا فلا يكون بعدُ موت ولا نَوح ولا صراخ ولا وجع لان ما كان سابقاً قد مضى (رؤيا ٢١ : ٣—٤) حقًّا اننا نرى انَّ آلام الدهر لا تُقاس بالمجد العظيم الذي تجلّى لنا (رومية ٨ : ١٨)

٥ ﴿ اوّل العام في نظر الهالكين ﴾ تمضي السنون ونحن معذَّبون في هذا اللهيب (لوقا ١٦ : ٢٤) يرى الهالكون الصدّيق في النعيم فيقولون في انفسهم نادمين وهم ينوحون من ضيق صدورهم : هذا الذي كنّا حيناً نتّخذهُ سخرة ومثلًا للعار وكنّا نحن الجهّال نحسب حياتهُ جنوناً وموتهُ هواناً فكيف اصبح معدودًا في بني الله وحظُّهُ بين القديسين لقد ضللنا عن طريق الحقّ ولم يضئ لنا نور البرّ ولم نجرِ في سُبل الربّ فماذا نفعتنا الكبرياء وماذا افادنا افتخارنا بالاموال . قد مضى ذلك كلُّهُ كالظلّ . كذا قال الخطأة في الجحيم (حكمة ٥ : ٣—١٤) . اواه لو تُعطى لنا هذه السنة للتكفير عن آثامنا لقضيناها في كلّ اعمال البرّ وأذهلنا العالم بتقانا وتقشفاتنا

٦ ﴿ اوّل العام في نظر ابليس اللعين ﴾ انا رئيس هذا العالم (يوحنّا ١٢ : ٣١) حاولتُ ان اصعد الى السماء وارفع عرشي فوق كواكب الله وانّما أُهبطتُ الى الجحيم (اشعيا ١٤ : ١٥) غير ان لي قدرةً على من ينخدعون بمكري وينقادون الى ما ازيّنهُ لهم من الاباطيل . فكم رميتُ من البشر بسهامي في العام الماضي وأملي ان أزيد ربحاً في العام المقبل فان بضاعتي من التسويه على الناس بحبّ المال وطلب الجاه العالمي والترفُّه بالملذات كثيرة الرواج . فالويل لمن يقع في اشراكي

٧ ﴿ اوّل العام في نظر الكنيسة ﴾ اني المدينة المبنيَّة على جبل (متى ٥ : ١٤) اقامني الله كسراج وهّاج لأُنير العالم واهدي الشعوب وامتّع جميع البشر بسعادة الدارين فأسعى جهدي في هذا العام الجديد لأُبلّغ نوري الى اقاصي العالم فيستضيء

به كل المتكمين في ظلام الضلال والتائهين في بيداء الجهل

٨ ﴿اوّل العام في نظر الحبر الاعظم﴾ قد جعل السيد المسيح في عهدتي مقاليد ملكوت السماوات (متى ١٦ : ١٩) فوددتُ لو أُتيح لي في هذا العام أن افتحها لكل طالبي السعادة الحقيقيّة . قد وكل اليّ ابن الله رعيّة خرافهِ ونعاجه فيا ليتني ارى في هذه السنة الجديدة كلّ القطيع الناطق مجتمعاً في حظيرة واحدة تحت راعٍ واحد (يوحنا ١٠ : ١٦ و ٢١ : ١٥)

٩ ﴿اوّل العام في نظر دول العالم﴾ لنا ملكُ الارض فلنسعَ بتوطيد حكمنا وتعزيز قوانا وتوسيع نطاق سلطتنا وقهر من يتصدّى لنا . فانّ اسلحتنا معنا فمن يسود علينا ؟ (مز ١١ : ٥) — ساء ظنّهم قُم يا ربّ ودِنِ الارض فانك انت ترث جميع الامم (مز ٨١) ليعلموا انك انت وحدك اسمك الربّ المتعالي على جميع الارض (مز ٨٢) وان سعادة الامم بخوف الله وحفظ وصاياه

١٠ ﴿اوّل العام في نظر الطفل الصغير﴾ ما أحلى الحياة ! انّ زهرة عمري لجميلة أوَ هل تعقد ثمرتها فساعا لا تذوي قبل الاوان . على اني افضل ان يخطفني الموت في هذا العام لكي لا يغيّر الشرّ عقلي ولا يُطغي الغشّ نفسي (حكمة ٤ : ١١)

١١ ﴿اوّل العامَ في نظر الشابّ﴾ انا في مقتبل الحياة يتجاذبني في بدء هذه السنة عاملان متنافيان . يدفعني تزق الشباب الى الشهوات الباطلة ويدعوني الضمير الى الصلاح والرشاد لكني سامعٌ قولهُ تعالى على لسان نبيّه (ارميا : مراثي ٣ : ٢٧) : «خيرٌ للرجل ان يحمل النير في صباه»

١٢ ﴿اوّل العام في نظر الجاهل﴾ لم اشبع في عامي الماضي من ملذّات الحياة . يا نفسي انّ لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة فاستريحي وكلي واشربي وتنعّمي . قال لهُ الله : يا جاهل في هذا العام والليلة تُطلَب منك نفسك فهذا الذي اعددتهُ لمن يكون؟ (لوقا ١٢ : ١٩ — ٢٠)

١٣ ﴿اوّل العام في نظر الرجل البارّ﴾ الوقت قصير والسنون تمضي بسرعة البرق فلنصرف هذه السنة في مرضاة الله وممارسة البرّ . فلا نفشل في عمل الخير ولنُحسن الى الجميع ما دامت لنا الفرصة (غلاطية ٦ : ٩ — ١٠)

١٤ ﴿اوّل العام في نظر الرجل الكامل﴾ قد بلغتُ اوج الحياة وكمال القوّة .

فكم ارتبكتُ في امور العالم وهموم الدنيا فحان لي ان اصرف نظري الى ما هو أفيد واثبت فقد حان لي ان استيقظ من سِنَتي واسلك في جميع سُبل الخير (رومية ١٣: ١١)

١٥ ﴿اوّل العام في نظر الشيخ﴾ قد أفل نجمُ حياتي. قد انقلع مسكني وانتقل عني كخباء الراعي (اشعيا ٣٨: ١٢) . وها هوذا الموت قائم لي بالمرصاد . فالويل لي ان لم أرعوِ عن جهالاتي في العام المقبل. وان كنتُ بارًا فعليَّ بزيادة براري وإنماء غلّتي لتأتي بالستين والمئة فيتوفّر ثوابي لدى الله (متى ١٣: ٩)

١٦ ﴿اوّل العام في نظر المرأة﴾ قد قيل عن المرأة انها ملاك او شيطان . فما اسعدني لو كنت ملاكاً في هذا العام الجديد اعني فتاةً صالحة زوجةً امينة امًّا رؤوماً امرأة فاضلة متّقية للربّ فأستحقّ ثناء سليمان الحكيم عنها انَّ قيمتها تفوق اللآلئ (امثال ٣١: ١٠) والويل لي كلّ الويل ان كنتُ شيطاناً اي عثرةً في سبيل الناس بتهتكي وخلاعتي وازيائي غير المحتشمة ولساني البذيّ فان حسابي لرهيب يوم الدين

١٧ ﴿العام الجديد في نظر الصالح المشرف على الموت﴾ لقد سئمت نفسي حياتي (أيوب ١٠: ١) من لي بجناح كالحمامة فاطير الى الله واستريح (مز ٥٤: ٧) اني ارغب ان انحلّ فاكون مع ربّي (فيلبي ١: ٢٣) فانهُ لكريمٌ في عين الربّ موت اصفيائهِ (مز ١١٥: ١٥) فلتمت نفسي موت المستقيمين ولتكن آخرتي كآخرتهم (عدد ٢٣: ١٠)

١٨ ﴿العام الجديد في نظر الطالح المدنف على الموت﴾ لقد دنت مرارة الموت (١ ملوك ١٥: ٢٣) ايها الموت ما اشدّ مرارة ذكراك على الانسان المتقلّب في السلام بين امواله المتلذّذ بطعامهِ (ابن سيراخ ٤١: ١ — ٢) ذقتُ ذوقاً قليلَ عسلٍ وهاءنذا اموت (١ ملوك ١٤: ١٣)

(الخلاصة) تلك هي الاصوات الصارخة من علٍ ومن اسفل فطوبى لمن يصغي اليها في بدء هذا العام ويعيرها سمعهُ. فانَّ السنة الجديدة تكون سعيدةً او تعيسة، هنيَّة او شقيَّة بموجب اعتبار المرء لوحيهِ تعالى وسيرهِ باختيارهِ الى اليمين فيسعد او الى الشمال فيشقى فالطوبى كلّ الطوبى لمن يسمع كلام الله ويحفظهُ (لوقا ١١: ١٥)

نخبة من رحلة
شاه العجم ناصر الدين شاه
الى اوربة سنة ١٨٧٣

عرّبها عن المتن الفارسي حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

توطئة

وقفنا على ما سطّرهُ شاه العجم السابق ناصر الدين شاه في اثناء رحلتهِ الاولى الى اوربة سنة ١٨٧٣ فنشرهُ بالفارسيّة في عاصمة مملكتهِ. فأحببنا ان نتحف بعض فصولهِ بعد تعريبها قرّاء المشرق على مثال رحل اخرى سبقت المجلّة فنشرنا لبعض مشاهير الشرق كرحلة اوّل شرقيّ الى اميركة في القرن السابع عشر (في سنة المجلّة الثامنة) وكرحلة خليل صبّاغ الى طورسينا سنة ١٧٥٣ (في سنتها السابعة) ورحلة محمّد سعيد باشا الى باريس في عهد لويس الخامس عشر (في السنة السابعة عشرة) الخ

امّا ناصر الدين شاه صاحب هذه الرحلة فكان مولدهُ سنة ١٨٣١ . خلف اباهُ محمد شاه على عرشهِ سنة ١٨٤٨ وعمرهُ سبع عشرة سنة فتولى الامر الى السنة ١٨٩٦ وفيها اغتالهُ انصار الشيعة البابيّة فقام في الامر بعدهُ ابنهُ مظفّر الدين . كان ناصر الدين رجلًا متفتّحًا ساعيًا في رقي بلادهِ فاعترضهُ في تحقيق نيّاتهِ حزب المحافظين الرجعيين وفي مقدّمتهم علي محمّد المعروف «بالباب» مع انصارهِ فلم يزالوا يدسّون لهُ الدسائس الى ان قتلوهُ غيلةً

ولناصر الدين شاه تلك رحل الى اوربة حضر في رحلتيهِ الآخرتين معرض باريس سنة ١٨٧٩ و١٨٨٩ . والرحلة التي نقلنا بعض فصولها هي رحلتهُ الاولى حيث زار فيها روسيّة والمانية وبلجيكا وفرنسة وانكلترة . وكانت غايتهُ من اسفارهِ هذه ان يدرس احوال اوربّة ويُدخل في مملكة ايران الاصلاحات التي يراها مفيدة لادارة شؤونها . فأعجز منها قسًّا مالحًا على انهُ نُسب الى الاستبداد برأيهِ

امّا ما نقلناهُ من رحلتهِ فليس فيهِ شيءٌ من الافكار السامية ولا من التفاصيل الدقيقة الانيقة التي يحلّي بها تآليفهم الكتبة العصريّون كمصنّفات الكاتب الفرنسوي بيار لوتي (P. Loti) والكاتب الوطني حنّا خبّاز في كتابهِ حول الكرة الارضيّة . وانّما لذّتهُ في وقوفنا على خواطر عقلهِ الفطريّة وشواعرهِ الساذجة اذ ينجلي لهُ التمدّن الاوربيّ لاوّل مرّة فيرى حضارة تلك البلاد واختراعاتها العجيبة التي لم تدر قبلًا على خلدهِ فيصفها كما أثّر نظرُها فيهِ . وقد اجهدنا نفسنا في تعريب ما حرّرهُ بكل امانة وان ذهب ذلك بشيءٍ من رونق الكلام العربيّ لما بين اللغتين من التباين فضلًا عمّا في الاصل الفارسي من ركاكة الانشاء

١ وصف قطار السكة الحديدية

كانت عربات السكة الحديدية (على طراز العربات) المختصة بالقيصر (١ وهي فاخرة جدًّا وفسيحة ومزيّنة . والحجر المتعدّدة للاكل والنوم والاستقبال مزدانة كلها بالمصابيح والطاولات والكراسي والتخوت والمقاعد الصغيرة . وكل العربات موصولة بعضها ببعض بحيث يمكن الذهاب والاياب في جميعها . وكان جالساً معنا في عربتنا الاشخاص الذين كانوا في رفقتنا على الباخرة « قسطنطين » امّا الامراء وغيرهم فكانوا سائرين خلفنا في قطار آخر من العربات . وهذه المرّة الاولى ركبنا عربة البخار وهي حسنة ومريحة للغاية تقطع في الساعة خمسة فرسنغات (٢

٢ وصف نهر نيفا في بطرسبرغ

نهر نيفا (Néva) يسيل في بطرسبرغ من جهة الشمال الى جهة الجنوب الشرقي وهو نهر عظيم جدًّا تسير عليه البواخر الكبرى . وهو يأتي كل يوم من الشمال بقطع كثيرة من الجليد شبه الجبال صافية جميلة كثلج طرتشال في أَبْرُز (٣ . يقال ان ماء نيفا غير مري . وقد منعني القيصر عن شربه . ومنزلنا على احدى ضفّتي النهر في قصر هناك . وعلى الضفّة المقابلة لهُ قلعة قديمة شيدت في ايام بطرس الكبير . وفي وسط القلعة كنيسة ذات برج مرتفع وفي هذا المكان مدفن قياصرة الروس . وفي القلعة ايضاً دار الصناعة لضرب السكوكات . امّا شوارع بطرسبرغ فهي مُنارة بالغاز

٣ الوصول الى برلين

وصلنا الى ضواحي مدينة برلين الكثيرة العمارات فكان قطار السكة الحديدية يحملنا احياناً على جسر وطوراً (يصعد بنا) الى فوق (الطرقات) وتارةً الى تحتها واحياناً اخرى يُدار كالحصان الذي لجامه بيد راكبه . فوقع ذلك عندي موقع الدهشة . اما السكك الحديدية فقد خُطّت بكثرة في كل أوب وكنت ارى على الطريق عددًا من القاطرات والمركبات يفوق الحصر بينها كثيرٌ من القطارات

١) اسكندر الثالث (١٨٥٤–١٨٩٤) الذي خلفهُ نقولا الثاني ٢) الفرسنغ عند العجم عبارة عن ٦ كيلومترات تقريباً ٣) في انحاء العجم

البخارية . اخيراً وصلنا الى المحطة فنزلنا

وكان ينتظرنا هناك امبراطور المانية غليوم (١ وسمو وليّ العهد ابنه وسمو الامير كَرْل اخود وفريدرك كرل ابن اخيه وفاتح مدينة متس (٢ وامراء غيرهم من العائلة القيصرية مثل الامير هوهنزلرن — وهو الشاب الذي انتشب بسببه القتال بين المانية وفرنسة حيث لم يرضَ الفرنسيون ان يصير ملكاً على الاسبانيين — والبرنس بسمرك كبير وزراء الدولة الالمانية وهو معروف مشهور ، والمرشال رُون (Roon) وزير الحربية والصدر الاعظم لبروسية ، والجنرال مُلتكه وهو الآن مرشال وقائد عام ذائع الشهرة ، وغيرهم من القوّاد والضباط والحرّاس والموسيقيين والفرسان والمشاة الخ وجموع لا تُحصى فاستقبلونا خير استقبال

بعد ان صافحتُ يد جلالة الامبراطور ركبت عربةً مكشوفة ومررنا بشارع عريض تظلّلهُ على طرفيه اشجار قديمة بيضاء الازهار ، وهو مبلّط وفسيح تُحدق به البيوت من كل الجهات . وكان جمٌ غفير من الناس يهتفون هتاف السرور (لقدومنا) فرددتُ على تحيّة الجميع . وكنت اتكلّم مع القيصر بالفرنسية حتى وصلنا الى مكان على شكل باب كبير حيث انتهت الاشجار ، وعلى الجانبين بنايات عالية ذات طوابق عديدة . ورأيت عموداً صُنع اخيراً لتذكار الانتصار على فرنسة ولم ينتهوا من اقامته . وكان على الطريق تمثال فريدرك الاول نعني فريدرك الكبير (٣ المصوغ من البرُنز . مررنا بالكلية وهي مدرسة عليا يدرس فيها الفان من التلامذة . ومررنا بخزانة الاسلحة على الشمال يوازيها على اليمين بلاط القيصر الخاصّ وقد اتخذهُ سكناً منذ كان وليّ العهد ، ثم سرنا قريباً من دار وليّ العهد حتى وصلنا الى ميدان ذي حوضين تنبجس من كل منهما فوّارةٌ عالية . وهناك على اليمين موقع القصر الامبراطوري المعيّن لاقامتي وكان سبقنا اليه الجمّ الغفير فعند نزولنا كانت فرق من الجنود من الطرز القديم ذوي الملابس الحسنة الموكولة اليهم حراسة القصر واقفين في داخل الغرف ، وكان واقفاً على الابواب مع الخدّام وغيرهم ومع حرّاس من الفرسان

١) بريد غليوم الاول (١٧٩٧–١٨٨٨) الذي تتوّج امبراطوراً لالمانية في قصر فرسايل بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٨٧١ وقد خلفهُ ابنهُ فريدرك الثالث ثم حفيده غليوم الثاني (١٨٨٨–١٩١٨)

٢) في الحرب السبعينية المشهورة

٣) قد اخطأ الشاه فان هذا هو فريدرك الثاني (١٧١٢—١٧٨٦)

شبانٌ حسانٌ وسام ذوو ملابس فاخرة

صعدنا على الدرج فرأينا في وسط الميدان المقابل للعمارة بساتين غاية في الجمال زُرعت فيها انواع الزهور وشجر الزرادخت وغيرها . وقد صاغوا تمثالي حصانين من البرنز ولجام كل منهما بيد فارس — ارانا الامبراطور كل الغرف وفي البناية تصاوير وتماثيل حسنة — ثم عرّفتُ جلالتهُ بالصدر الاعظم والامراء وغيرهم والامبراطور كان قد عرّفني في المحطّة بامرائه وخدمه . وبعد ان خلوت به في حُجرة تحادثنا قليلاً بحضرة الصدر الاعظم . ومن بعد انطلاق الامبراطور بدقيقة عدنا فركبنا العربة وذهبنا الى داره فاتى لاستقبالنا الى اسفل الدرج فذهبنا وجلسنا وتحادثنا وبعد بضع دقائق رجعنا

الامبراطور ابن ٧٦ سنة واخوه ابن ٧٣ على ان كليهما في تمام البنية والقوة . البرنس بسرك في الثامنة والخمسين (من عمره) والمرشال ملتكه في الخامسة والسبعين وسمو ولي العهد في الثانية والاربعين

لم نذهب في مساء النهار الى مكان . مدينة برلين منارة بالغاز ومصابيحها اكثر منها في بطرسبرغ . بازاء عمارتنا من وراء الميدان بناية متحف برلين . وايضاً على احد الاطراف كنيسة وعلى الآخر بناية خزانة الاسلحة . وفي وسط الميدان رابية محاطة بالدرج وقد نصبوا عليها تمثال فريدرك الكبير من البرنز راكباً جراده

واجهات مباني برلين مطليّة بلون رمادي وذلك يذهب ببعض بهاء المدينة بخلاف بطرسبرغ المصبوغة مبانيها بانواع الالوان . يمرّ على طرف مدينة برلين نهرٌ اسمه سبره (Spree) ويمر فرعٌ منه بوسط المدينة لكنه قليل العرض ومائه رديء للغاية

خلاصة القول اننا قطعنا اليوم ثمانين فرسخاً من الطريق في احدى عشرة ساعة بل اقل

٤ زيارة معرض الحيوانات في برلين

بعد الفطور اتى لمقابلتنا سفراء الدولة الاجنبيّة ولم يحضر سفير فرنسة لعدم حصوله على رسالة التفويض بسبب استقالة المسيو تيار (Thiers) . ثم ذهبنا الى غرفة اخرى واستفهمنا السفراء واحداً فواحداً عن احواله . ثم جاء البرنس بسرك فتكالمنا ملياً ، ثم اتى المرشال رون وزير الحربية ثم المرشال ملتكه فتحادثنا قليلاً

ناصر الدين شاه ملك العجم

(١٨٤٨-١٨٩٦)

وبعد ان تمنا وغيّرنا ملابسنا ركبنا العربة وذهبنا الى حديقة الحيوانات . اليوم ايضاً عيدٌ لدى الأوربيين فكان كل اهل المدينة في حراك وجمع كثير وعربات عديدة على الطريق وعلى طرفيه . وكان الموسيقيّون يعزفون بآلاتهم في الحديقة . وهي ذات برك كثيرة وفي البرك ضروب الطيور المائية

ثم عاينا واحداً فواحداً الاقفاص الكبيرة الجميلة وقد جمعوا كل نوع من الحيوانات في قفص على حدة . ورأينا انواع الطيور الجوارح بينها النسر والكندر (Condor) وهو من البنزان معروفٌ وكبير يجلبونه من العالم الجديد وكان منهُ زوج هنا . وهو طير غريب لونه ضارب الى السواد . وهو مهيبٌ للغاية لكن براثنه لا تماثل في الحدّة براثن النسر . وهو من جنس العقبان

وكانت هناك فضلاً عن ذلك انواع كراكيّ افريقية والهند والعالم الجديد وغيرها وهي اقوى واجمل كثيراً من الكراكي المعروفة بايران . كل انواع الطيور الموجودة في العالم كانت موجودةً هنا (١ فهيهات ان تُحصى بالكتابة . وما كنت رأيته مصوّراً منها في الكتب عاينته حيًّا هنا

ثم دخلنا في دهليز اقفاص الحيوانات الكاسرة فكان هناك ضروب السباع مما يفوق التصوُّر كاسد افريقة ذي الذؤابة (٢ الذي لم أرَه سوى في الصور . وهو عظيم الجثة ومهيب وقد ارخى ذؤابتهُ وهي سوداء وكثيفة جداً . رأسه بحجم رأس الفيل بل اكبر وعيناه هائلتان للغاية وجسمه ناعم كالمخمل . كان حارسه يقدّم لهُ قطعة من اللحم فينتصب ليقبضها وكانت قامته يبلغ طولها ثلاثة او اربعة اذرع . وكانت قطع اللحم تُنقل في عربة صغيرة وتوزّع على الحيوانات

المحل المطلّ على دهليز الاقفاص عبارة عن بيوت مفصّلة للحيوانات ولكل بيت باب من لوح كثيف يُرفع بسلسلة . وعلى الجهة الاخرى من باب هذا المحلّ مكان لحركة الحيوانات . فمتى رُفع الباب خرج الحيوان وفي الحال يُخفض الباب ويُنظّف البيت . وقد فرشوا بالالواح ارضيّة الحجر . لا يستطيع احدٌ الدنوّ الى هذه الحيوانات . حتى اللحم يُعطى لهم من ثقب في الشبابيك . وبالاجمال كنت ارغب في مشاهدة هذا الاسد (٣ لكني لم اقدر بسبب ازدحام المشاهدين . ثم رأيت بعض

١) في ذلك مبالغة فاحشة كما لا يخفى ٢) لا ذؤابة لآساد ايران وما بين النهرين
٣) اسد افريقية الموصوف آنفاً

نمورة عظيمة جدًّا من نمورة الهند وأفريقية ، وبعض فهود سوداء من افريقية غريبة ومهيبة للغاية . وكان ايضاً أسد أخر منها واحد ذي ذؤابة جسيم جدًّا لكنّ ذؤابته دون ذؤابة الاسد الاوّل . وكانت ايضاً لبؤة قد ولدت هناك بعض الاشبال وقد كبر اشبالها

وهناك ايضاً فهود كثيرة ونمورة شتى وضباع عجيبة الخلقة من افريقية يُسمع لها اصوات غريبة . وخلاصة القول قد رأينا اقفاصاً عديدة وفي كل منها انواع الحيوانات . ومنها ايضاً قردة متنوعة وغيرها ، وفيلان احدهما كبير استجلبوه من الهند والآخر من افريقية . والفرق عظيم بين الفيل الافريقي والهندي فانّ أذني الاوّل اكبر واعرض كثيرًا (من زميله الهندي) . . . ولحديقة الحيوانات مدير عالم حاذق يدعى الدكتور بودينوس

٥ زيارة مصنع كروب للمدافع في اسن

وصلنا الى مصنع كروب في اسن (Essen) ساعةً قبل الغروب والمسيو كروب نفسه كان اتى الى المحطة لاستقبالنا . هو شخص طاعن في السنّ طويل القامة ضامر الجسم . فهو ذاتهُ انشأ كل هذه المصانع فيبيع منها مدافع لكل الدول . هنا تُصنع كل انواع المدافع كمدافع القلاع الضخمة ومدافع البوارج ومدافع ميادين المعارك . وهذا المعمل ومصانعهُ البخارية بمثابة مدينة عظيمة فيها خمسة عشر الف عامل اقام من اجلهم المسيو كروب البيوت والمساكن وهو يدفع لهم اجور شغلهم . فبعد طرح النفقات السنوية يبلغ صافي دَخله ستمائة الف تومان (١ نقدًا

اخيرًا توجهنا الى المصنع ذات المطرقة البخارية وهي مطرقة غريبة مثل الجبل تقوّم بطرقها اشكال المدافع وذلك بقوة البخار . فتصاغ المدافع على الهيئة المرغوبة . ومتى صدمت المطرقة مدفعاً ارتجّت ارض المصنع وارتعشت . وهذا من غرائب الامور . وبعد ان طفنا في كل المصنع ورأينا صوغ بعض مدافع كبيرة وصغيرة ذهبنا الى دارٍ معيَّنة وتناولنا هناك العشاء . قدّموا لنا عشاء جيدًا . وقد رأينا في مدفأ لشجر البرتقال (٢ شجرة يبلغ طول ورقها ذراعين ونصفاً وعرضهُ نصف ذراع . ومع كون

١) التومان يساوي ١١ فرنكًا و١٤ سنتيمًا (ذهبًا لا ورقًا)

٢) بيت تنقل اليه في الشتاء الاشجار الصغيرة التي يُخشى عليها من الزمهرير

المطرقة البخارية بعيدةً جدًا من هذه الغرفة كانت تهز ارضهـا كما في حين الزلازل . وقد اهدانا المسيو كروب بندقيَّة مُثلى مع كل لوازمها وزنُهـا ستة لبرات انكليزية وهي تُحشى بالبارود من مؤخرها

٦ ملاحظات على المانيا

في المانية تقوم النساء باشغالٍ كثيرة متعبة ولاسيَّما في الزراعة وخدمة البساتين حيث يشتغلن اكثر من ازواجهن — ومن عاداتهم انهم يغطون آذان خيـل العربات وغيرها في المانية بقطعة نسيج قرمزي ليقوها من الذبان — ومنها في برلين وسائر المدن انَّ صغار احداثهم يربطون على كتفهم كيس الجنود فيسيرون في الشوارع ويتفخون في الابراق وذلك حتى يتلقنوا العوائد العسكرية منذ طفوليتهم — وتبليط شوارعهم حسن للغاية ويستعملون فيه حجارةً مربَّعة صغيرة منحوتة وموصولة بعضهـا ببعض وصلًا محكمًا — آجرّ اوربَّة ليست مربَّعة وكبيرة مثل آجرّ ايران بل على شكل آجرّ طهران المشطورة شطرين

٧ الطفاؤون (١ الاكابر في لندن

اليوم قبل معاينة الوزراء وغيرهم اتى الطفاؤون الى الحديقة التي امام الدار ليقوموا فيها بتمارينهم . فركزوا السلالم وافترضوا انطابق البيت الاعلى قد نشبت به النار . فصعدوا على السلم بخفة وسرعة كاملة واخذوا على اكتافهم بعض الناس السالمين والمحترقين كليًّا او جزئيًّا فانزلوهم الى اسفل الدار ، وربطوا أحقاء البعض بحبال وانحدروا بهم الى الارض

قد اخترعوا اختراعـات جميلة لينقذوا البشر من الحريق لكنَّ العجب العجاب في كونهم من جهة يجرون تلـك الاختراعات الجديدة ويتخـذون التدابير اللازمة لتخليص الناس من الموت ، ومن جهة اخرى يبتدعون في مصانع وُلوتش (Woolwich) بانكلترة وكروب بالمانية الاختراعات الحديثة من مدافع وبنـادق وقنابل يدوية وغيرها لقتل الجنس البشري قتلًا اعمَّ واسرع ! وكلُّ من توفَّق باختراعه الى وضع آلة

١) اطلقنا هذه اللفظة على الذين يقومون باطفاء الحرائق

يُهلك بها الناس اهلاكاً اعمّ واسرع يفتخر بذلك وينال الأوسمة !

٨ في معرض التصاوير بلندن

رأينا صورة حمارٍ فسألنا: كم ثمنه. فقال مدير المعرض وهو رجل لطيف ذو لحية بيضاء واقف على ثمن كل الصور: « يساوي مائة ليرة انكليزية » وذلك يعادل ٢٥٠ تومانًا ايرانيًا. فقلنا: « ثمن الحمار الحيّ معظمه خمس ليرات فلماذا يكون غاليًا بهذا المقدار ذاك الذي له مجرّد شكل الحمار؟ » فاجاب المدير: « لانه لا يسبب ادنى نفقة حيث لا يأكل الشعير ولا التبن المفتت » فقلت: « ان كان لا يسبب النفقة فأنهُ لا يجرّ الاثقال ولا يصلح للركوب » فضحكنا كثيرًا.

٩ محادثات مع كرميو وروتشلد وغيرهما في باريس

المسيو كرميو (Crémieux) وهو احد مندوبي فرنسة يهوديّ لم يزل من خصوم نابوليون الثالث اتى لمواجهتنا. وهو شيخ قصير القامة وخطيب مصقع لا يفتأ يخطب في مجلس برلمان فرنسة ضد الحكومة

روتشلد المعروف يهوديّ ايضاً ذو غنًى طائل، مثّل بين يدينا فدافع دفاعاً شديدًا عن يهود ايران والتمس منا ان نمنحهم السلام. فقلت لهُ: « سمعت انّ لك ولاخوتك خمسمائة مليون من المال فيلوح لي ان الاصوب ان تعطوا خمسين مليونًا لدولة صغيرة او كبيرة فتشتروا منها مملكةً لكم وتجمعوا هنالك يهود العالم اجمع وتكونوا انتم رؤساء تلك المملكة فتحكموا على الكل بسلام ولا يكونوا متفرقين واشقياء كما هم الآن ». فضحكنا كثيرًا ولم يُحرْ جوابًا. ثم اطلعته على كوني احمي كل الملل الاجنبيّة القاطنة في ايران

ورأينا المسيو دي لسبس (de Lesseps) المعروف الذي وصل البحر الاحمر بالمتوسط. وذلك انّ شركةً كبيرة قد تشكلت وبهمّة ذلك الشخص فتحت ذاك المجاز وبتلك الواسطة قربت درب تجارة الهند وايران والصين وغيرها من اوربة بزهاء الفي فرسخ (١ اتى لمواجهتنا مع ابنه وهذا شابّ. وفي دماغه فكرة جديدة وهي ان ينشئ سكةً حديدية من مدينة اورنبرغ (Orenburg) في روسية الى

١) الفرسخ يوازي نحو ٦ كيلومترات كما سبقت الاشارة

مدينة سمرقند حتى مدينة يشاور الواقعة في ارض الهند البريطانية . على ان هذه الفكرة بعيدة جداً عن التحقق

اتى لمقابلتنا نادار (Nadar) وهو المصور الشمسي الباريسي الشهير فاخذ صورتنا . كثيراً ما ركب المناطيد وطاف بالجو سابقاً لكنه ترك الآن ذلك الفكر فيشتغل بالفوتغرافية . وهو شخص صاحب ذوق وشديد البنية

١٠ الملعب في باريس

في ذات مساء ذهبنا الى الملعب الواقع في جوار دارنا . وهو محل على مثل مسرح ولكنه احسن . قد شيدوه عمارة مستديرة تحيط بها درجات خشبية لجلوس الناس . ولهُ ايضاً سقف قد أُنيطت به ثريّات كثيرة . وقد رُشّ الرمل على منتصف هذه البناية كما يُفعل على غور معاهد المصارعة . امّا وسعها فكافٍ لايواء ثلاثة آلاف . . . وكان هنالك جمع كثير خصوصاً في الليلة التي ذهبنا فيها . يؤجّر الكرسي بثلاثين تومانا وبخمسة عشر . كان هناك نساء جميلات المنظر، والصدر الاعظم والامراء وغيرهم بين الحاضرين . لهذا المكان ثلاثة ابواب . احدها باب اصطبل لخيل الملعب وهو بجوار المضمار فمنه تدخل وتخرج . وعندهم من خمسين الى ستين حصاناً مطهماً ذات الوان غريبة لم ارَ مثلها في مكان آخر . وكان فيها خيلٌ ذات شامات عجيبة يبلغ قيمة الواحد منها الف تومان او خمسمائة . وقد تثقّفت تلك الخيل وتعودت على اجراء كل حركة تُراد منها لدى اشارة واحدة . كل الخيل تعرف الاشارات . كان المثقف يقول لها : «قفي» فتقف جميعها . ويقول : «انطلقي بسرعة» فتركض يقول : «ارتفعي» فترتفع فوراً . يقول : «اركضي منحنية» فتركض . وبالاجمال كانت تفعل ما يقول لها . وكان في يد ناظر اصطبل الخيل سوط كبير يحركه دواماً وله شبه دويّ بندقيّة

كانت نسوانٌ جميلات الهيأة والملبس يَدُرْنَ حول المضمار راكبات على الخيل ويقفزن من على ظهرها ويتكوّسنَ على رأسهنّ (١) الى الوراء ويسقطنَ بدون اصطدام

١) التكوّس على الرأس عبارة عن رفع الرجلين بقفزة عن الارض او ما شاكلها ثم بدوران الجسم دورة كاملة في الهواء — فني بدون ادنى سند — حول محور وهميّ مارّ بالمتوين واخيراً بانحدار المتوكّس على الارض منتصباً على قدميه كما كان في اوّل هذه الحركة . وفي ذلك ما فيه من الصعوبة الشديدة والمهارة الفائقة

وكان بعض الاشخاص على حافّة دائرة المضمار ماسكين اوشحةً ورافعين كلهم ايديهم بينما كانت امرأة جميلة تعدو على حصان حول المضمار . وكانت في اشدّ عدو الحصان وعند كل وشاح تمرّ امامه . ترتفع من على الفرس وتتكوس على رأسها تكوّساً معكوساً(١ فتنتصب ثانيةً ورجلاها على ظهره عند مرورها خلف الوشاح . تكوّست مرتين وانحدرت كما ينبغي على متن الحصان . المرة الثالثة سقطت على الارض لكنها لم تعبأ بذلك بل عاودت القفز فتكوست ثلاث مرار على ظهر الفرس

١١ زيارة مدرسة لراهبات المحبة في باريس

في الشارع الواقع بجوار القصر رأيت جمّاً غفيراً واقفين بانتظارنا فاتضح لنا ان الجنرال بايول (Payoll) أطلع راهبات المحبة على ميعاد زيارتنا . فنزلنا من العربة ووصلنا الى المدرسة . وكان احد الكهنة يتكلم حسناً بالفارسية لأنهُ كان في مدرسة خُسرو آباد بجوار اورمية في آذربيجان يدرّس الاطفال الكاثوليك . وكان هناك نساء عديدات ممّن هجرنَ العالم وهن مرتديات بثياب سوداء ولهنّ قبعاتٌ بيضاء غريبة على شبه اذن الفيل وقد عُنين بتربية التلامذة بلطف كامل . هؤلاء التلامذة منقسمون الى ستة صفوف والمدرسة ذات ستة طوابق ايضاً فبكل طابق صف من التلامذة . من اطفال ستة واربعة اعوام الى بنات وصبيان بسنّ العشرين جميعهم يتلقون التعليم هنا حيث يقيم الف تلميذ . الراهبات يستقدمن الاطفال اليتامى فيخدمنهم ويدرّسنهم كل العلوم من هندسة وجغرافية وألسن وخياطة وصُنع الازهار (٢ الى غير ذلك . البنات يصنعن زهوراً بغاية الحسن وقد قدّمنَ لي باقة ازهار جميلة جداً

كانت الراهبات قد اجلسن بكمال الادب وحسن الترتيب نحو مائتي طفل من ابناء اربع سنوات على طبقات الدرج الخشبية بغرفة التدريس (٣ وكانت راهبة مسنة — وهي معلمتهم — قد علّمتهم نشيداً واقوالاً بالشعر الفرنسي لمدح زيارتنا فغنى الاطفال بانتظام كامل . وكبار البنات الجالسات على طبقات الدرج العليا انشدنَ ايضاً نغمةً واشعاراً حسنة . فراقت جداً في عيني كيفية العناية بالاطفال والتلامذة في هذا المكان

---

١) يعني متجها ليس الى الامام بل الى الوراء. ٢) الازهار الاصطناعية المعروفة

٣) هي المشيّات المدرّجة المعروفة عند الفرنج باسم (amphithéatre)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف الخاء

٣٢٩ ﴿الخازن﴾ الشيخان الشقيقان فيليب وفريد ضحيّتا الهمجيّة التركيّة في ٦ حزيران ١٩١٦ (اطلب ترجمتهما في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٤٠١–٤٠٨) . آثارهما المطبوعة كثيرة اخصّها جريدة الارز لسان حال افكارهما السياسيّة والوطنيّة والدينيّة . ثمّ المحرّرات السياسيّة والمفاوضات الدوليّة عن سوريّة ولبنان في ثلثة اجزاء . ولهما مآثر خطّيّة عديدة تاريخيّة وسياسيّة وادبيّة ينتظر الادباء نشرها قبل ان تأخذها يد الضياع

٣٣٠ ﴿الخازن﴾ الشيخ شيبان نمر . من الأسرة الخازنيّة الكريمة كان في النصف الاوّل من القرن التاسع عشر . لهُ عند الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف نسخة غير كاملة من تاريخ المشايخ الخوازنة كتبها سنة ١٨٢١ (راجع مجلّة النعمة ١ : ٢٤٤)

٣٣١ ﴿خانجي﴾ القس انطون الارمني الكاثوليكي . كان في القسم الثاني من القرن التاسع عشر . وقفنا لهُ في دير بزمّار على كتاب تاريخ انشقاق الارمن على عهد كوبليان

٣٣٢ ﴿خدر﴾ هو القس الكلداني خدر ابن القدسي الياس هرمز المتوفّى في رومية نحو السنة ١٧٥٥ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٨٥١ و ١٣ [١٩١٠] : ٥٨١) . لهُ من المدوّنات المخطوطة : ١ً كتاب معدن الكنوز لكشف الكنوز وهو لهكسيقون (اي قاموس) عربيّ كلداني وسرياني وتركي في اربعة مجلّدات ضخمة منهُ نسخة في رومية وفي دير الشرفة وفي دار البطريركيّة الكلدانيّة في الموصل . ٢ً قاموس سرياني عربي صنّفهُ في رومية سنة ١٧٢٧ (العدد ٢٥٦ من مخطوطات باريس السريانيّة) . ٣ً مداريش ومدائح واناشيد عربيّة وكلدانيّة . منها

نسخة في مكتبة باريس المذكورة (ع ١٨٢) وفي مكتبة الكلدان في الموصل وفي مكتبة لندن بين كتبها الكرشونيّة ذكرنا منها شيئاً في المشرق (٧ [١٩٠٤]: ١٠٩٦—١٠٩٧) . ٤ً خطب وتعزيات تقرأ على الموتى على نسق خطب مار ايليا المعروف بابي الحلم ألفها سنة ١٧٢٢ منها نسخة بين مخطوطات لندن السريانيّة والكرشونيّة (ع ٥) وفيها ٦٤ ميمراً صحائفها ٢٣١ وفي آخرها تسابيح شعريّة من نظمه . ٥ً خبر رحلته من الموصل الى روميـة سنة ١٧١٩ نشرناهُ في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٨٣;٦٥٦;٧٣٥;٨٣٥) عن نسخة مخطوطة لدى الخوري بطرس عابد الكلداني في القاهرة . وللقس خدر في الكلدانيّة غير ذلك من الآثار كترجمته للتعليم المسيحيّ تأليف بلرميتوس ولكتاب الاقتداء بالمسيح

٣٣٣ ﴿خديد﴾ هو السيّد جبرائيل خديد رئيس اساقفة حلب على الارمن المتوفّى في ١٠ ك٢ سنة ١٨٦٣ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٤٥٩) . من آثاره الخطّية : ١ً ترجمة اعمال مجمع طرسوس في مكتبة المرحوم الورتبيط بولس بليط . ٢ً له في مكتبة الموارنة في حلب تعريب كتاب الحبّ والسلام للقديس ترسيس اللامبروناتي استخرجهُ من الارمنيّة سنة ١٨٤٩ (اطلب المشرق ١٧ [١٩١٤]: ٣٦٠)

٣٣٤ ﴿خريستوذولوس﴾ مطران غزّة والرملة الاورثذكسي من اهل القرن السابع عشر . جاء في مجلّة النعمة (١ : ٦٢١) انهُ عرّب كتاب اعتراف الرأي المستقيم في الايمان والرجاء والمحبّة سنة ١٦٧٥ وصحّحهُ القس لاونديوس . منهُ نُسخ في حلب وفي مكتبة غبطة البطريرك غريغوريوس الرابع بدمشق

٣٣٥ ﴿خوّام﴾ الاب لاون اليسوعيّ الارمنيّ الحلبي توفّي في ٣ ت ١ سنة ١٩١٣ في عين ابل من بلاد بشاره . لهُ كتاب لم يتمّهُ في العبادة لقلب يسوع . عرّب مع الاب ادوار سلزاني بعض تآليف القديس الفونس ليغوري

حرف الدال

٣٣٦ ﴿داميانوس﴾ الاب بطرس الكرمليّ المتوفّى في بغداد في تشرين الاوّل سنة ١٨٩٦ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٥ [١٩١٢] : ١٧٤—١٧٩) . ذكر لهُ

الاب انستاس الكرملي في المشرق(٩ [١٩٠٦]: ٨١٠–٨١١) : ١ً كتاب مفردات الطبّ في الفرنسيّة والعربيّة . ٢ً تعريب التعليم المسيحي لابرشيّة بوردو . ٣ً تعريب كتاب مسك الدفاتر للمسيو توما برتران . ٤ً نقل مختصر التاريخ المقدّس المطبوع في الموصل في اللغة الافرنسيّة . ٥ً قواعد اللغة الفرنسيّة بالعربيّة . ٦ً رسائل طبيّة في الهواء الاصفر والطاعون وحبّة بغداد والامراض الوافدة وغير ذلك

٣٣٧ ﴿دامياني﴾ الاب يوسف اليسوعي المتوفّى في دير تعنايل في ١ ك ٢ سنة ١٨٩٧ . حرّر تقويم البشير خمس عشرة سنة متتالية . لهُ مخطوطات متفرّقة في الطبيعيّات

← دانيال السرياني ← اطلب ابن الخطّاب (العدد ٢٠) . ويُدعى ايضاً دانيال بن عيسى في المكتبة الشرقيّة للسمعاني (٢ : ٢٤٣–٢٤٤)

٣٣٨ ﴿دانيال الفرنسيسي﴾ هو البادري المرسل في حلب في القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة الخورفستف المنسيور جرجس شلحت وفي مكتبة دير بزمّار ردٌّ على دير سركيس بن ايليّا التتال الارمني خوري طائفة الارمن في حلب سنة ١٧٧٦

٣٣٩ ﴿دانيال الصالحي﴾ ازهر في القرن الثامن للمسيح ألّف في السريانيّة شرحاً على المزامير . منهُ نسخٌ عربيّة في كنيسة اليعاقبة في القدس الشريف وفي ديرهم الزعفران . ومنهُ القسم الثالث في مكتبة برلين (Collection Sachau, n° 55)

٣٤٠ ﴿داود الاسقف الماروني﴾ من كتبة القرن الحادي عشر ألّف كتاب الهدى او كتاب الناموس وهو كتاب شرع الموارنة . منهُ ثلاث نُسخ الواحدة في المكتبة الفاتيكانيّة في رومية (Mass. Vat., 133) والثانية في مكتبة انجليكا فيها ايضاً (B. Angelica, n° 10) والثالثة بالكرشوني في مكتبة باريس (Zotenberg. Mss. Syr., n° 223) . وفيها ذكر فصول هذا الكتاب الذي ينسب الموارنة تصحيفهُ لتوما الكفرطابي (اطلب كذلك المشرق ٦ [١٩٠٣]: ١١٩–١٢٣) والشرق المسيحي (ROC. 1914, p. 337)

٣٤١ ﴿داود رئيس اساقفة دمشق﴾ السيد اقليميس يوسف داود السرياني المتوفّى في ٤ آب سنة ١٨٩٠ (اطلب ترجمتهُ في كتاب الكونت فيليب دي طرّازي المعنون بالقلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة) . وقد عدّد الكاتب الفاضل تآليف السيد اقليميس في سبع صفحات (ص٤٣–٤٩) منها ٣٩ كتاباً او مقالةً في

العربية والسريانيَّة والكلدانيَّة والفرنسيَّة في العلوم الدينيَّة والطقسيَّة والتاريخيَّة واللغويَّة ممَّا طُبع معظمهُ في الموصل. ثمَّ اردفهُ بمخطوطاتهِ في عدد ١٢ كتاباً او فصلاً في اللغات المذكورة اخصها : ١ً كتاب الحجج الراهنة (الذي نُشر بالطبع بعد وفاتهِ في مصر) . ٢ً تاريخ السريان . ٣ً علم الهندسة . ٤ً علم الجبر . ٥ً بيان اغلاط ترجمة الاميركان في بيروت للعهد الجديد . ٦ً رياضة درب الصليب . ٧ً مجموع خطبهِ ومواعظهِ الدينيَّة . وهو سفرٌ ضخم . ٨ً مقالات في حقيقة سرّ الافخارستيا الخ. هذا فضلاً عمَّا ترجمهُ ونقَّحهُ وعُني بنشرهِ

٣٤٢ ﴿داقور﴾ هو القسّ انطون داقور الحلبيّ الروميّ الملكي كان في القسم الثاني من القرن الثامن عشر . عرَّب سنة ١٧٩٨ كتاب العدل المسيحيّ في سرّي التوبة والافخارستيا لاسقف طور السيد لويس جاك دي شَبط دي راستنجاك . منهُ نسخةٌ في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ١٨١٥ وكذلك نسخة في مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVII, p. 284, nº 34) وفي مكتبة الشمَّاس شكري أيوب في حلب (ع ٥٤) عنوانها ارشاد رعاني في البرّ المسيحيّ

٣٤٤ ﴿الدبس﴾ السيد يوسف مطران الموارنة في بيروت المتوفَّى في ٤ ت ١ سنة ١٩٠٧ . قد سعى بطبع عدَّة كتب في طاميش وفي المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة اخصُّها ترجمة تاريخ الهرطقات للقديس الفنس دي ليكوري وتفسير الاناجيل . وكتابان مواعظ وترجمة لاهوت الاب بيروني اليسوعي والرسوم الفلسفيَّة للاب دموقسكي اليسوعي (قسم فقط) وروح الردود ورسالة الى رؤساء الطوائف الشرقيَّة كتبها بعد المجمع الفاتيكاني وتاريخ سوريَّة في ثمانية مجلَّدات والجامع المفصَّل في تاريخ الموارنة وسفر الاخبار في سفر الاحبار . لهُ من المخطوطات في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة كاملة ضخمة من الرسوم الفلسفيَّة للاب دموقسكي في جزئين تاريخها سنة ١٨٧٢ . ومن مخطوطاتهِ ايضاً ترجمة كتاب ديثوني في الحقّ القانوني . وسير القديسين لمدار السنة (لم يتمَّهُ)

٣٤٥ ﴿الدبسيّ ابو المواهب﴾ هو يعقوب بن نعمة بن ابي الغيث الدبسيّ الماروني مذهباً الطرابلسي اصلاً وجزئومة الحلبيّ مولداً وموطناً ازهر في اواخر القرن السابع عشر وكان احد اساتذة المطران جبرائيل فرحات (اطلب المشرق ٧[١٩٠٤]:

٥١) لهُ في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة من ترجمة كتاب الانجيل الطاهر والمصباح المنير الزاهر وقد بنى ترجمتهُ هذه على نسخة ترجمة عبد يشوع الصوباويّ المسمّاة معرضاً عن اساجيعها وزياداتها وذلك سنة ١٦٩١ . ونسخة مكتبتنا بقلم الكاتب الشهير رزق الله حسّون تاريخها سنة ١٨٤١

٣٤٦ ﴿الدبسي﴾ هو الراهب اللبناني ثم مطران صور السيد يواصاف الدبسي البسكنتاري تلميذ المدرسة المارونيّة في رومية المولود سنة ١٦٩٠ والمتوفى سنة ١٧٦٩ اطلب برنامج اخوية القديس مارون ليوسف خطّار غانم (ص ٢٥٨ — ٢٦٣) . لهُ من المخطوطات : ١ً كتاب رياضات معرّب عن تأليف الاب اونوفريوس الكبوشي : منهُ نسخة في مكتبة باريس (Paris. Ms. 129) . ٢ً مختصر كتاب سُلّم الفضائل للقديس يوحنا كليمكس في المكتبة الفاتيكانيّة . ٣ً مجموعة مواعظ . ٤ً كتاب في اللاهوت النظري في اربعة اجزاء . ٥ً كتاب في اللاهوت الادبيّ . ٦ً مجموع زجليّات واغاني روحيّة . وهذه الكتب الاربعة اطّلع عليها صاحب البرنامج المذكور آنفاً (ص ٢٦٢—٢٦٣)

٣٤٧ ﴿ الدحداح الشيخ خطّار ﴾ المتوفى في جونية في ٢٢ آب ١٩٢٢ . لهُ تاريخ مطوّل لفرنسة طبع قسماً منهُ مع سليم البستاني وهو تاريخ نابوليون الاوّل وأتلف الباقي في زمن الحرب حذراً من المراقبة التركيّة . ولهُ من المخطوطات اربع روايات رواية يوسف الحسن من تأليفهِ وروايتا استير وافيجينية عرّبهما عن الشاعر الفرنسويّ راسين ثمّ رواية اوغسطوس قيصر معرّبة عن الشاعر كورنيل وهذه الروايات قد سعى بتمثيلها في المدرستين الوطنيّة للمرحوم بطرس البستاني (١٨٦٦—١٨٦٨) والبطريركيّة (١٨٦٩)

٣٤٨ ﴿الدحداح الكونت رشيد﴾ المتوفى في ١٥ أيار ١٨٨٩ (اطلب ترجمتهُ للشيخ الاديب والمؤرخ المحقق سليم الدحداح في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٣٨٥و٤٥٦—٤٨٩) من مطبوعاتهِ الشهيرة كتاب التمثال السياسي ثمّ صفة احوال فرنسة في عهد نابوليون الثالث وقنطرة الطوامير . وسعى بطبع شرح البوريني على ديوان الفارضي ونشر في مرسيلية فقه اللغة للثعالبي وقاموس السيد فرحات ونشر في باريس مجموعة شعريّة دعاها طرب السامع في الكلام الجامع . ومن افضل ما خلّف من المخطوطات :

١ كتابهُ السيّار المشرق في بوار المشرق ؛ ضمّنهُ امورًا تاريخيّة جليلة عن المشرق وعن احوال نصارى العرب . ٢ رسالة في فنّ المناظرات عنوانها « ترويح البال في العلم والمال » اخذتها يد الضياع . ٣ عدّة رسائل ومكاتبات بينهُ وبين مشاهير زمانهِ وادبائهِ

٣٤٩ ﴿الدحداح الشيخ سلّوم﴾ المتوفّى سنة ١٨٢٠ . لهُ وصف رحلة الامير بشير الى مصر نشرها الشيخ الفاضل سليم الدحداح في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٦٨١و٧٣٢و٨١٩)

٣٥٠ ﴿درُويل﴾ الاب اسكندر (P. Alex. de Rouville) المولود في ليون سنة ١٧١٦ والمتوفّى نحو السنة ١٧٨٠ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان من كتابهِ المعنون « رياضة تأملات وقراءات وافعال تقويّة اكراماً لقلب يسوع الاقدس لاوّل نهار جمعة من الشهر واستعداداً لعيدهِ تأليف الاب اسكندر درويل » ويروى الاسم مصحّفاً وديل) من جماعة يسوع استخرجهُ من اللغة الايطاليّة الى العربيّة بطرس جرمانوس صادر من الطائفة المارونيّة في حلب سنة ١٨٤٢ ».

٣٥١ ﴿ دريان الخوري لويس ﴾ (٨ آب ١٨٧٩—١٨ شباط ١٩١٧) اطلب المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٨٧—٨٨) . لهُ مخطوطات لدى اهلهِ لم نطّلع عليها . امّا مطبوعاتهُ فذات شأن منها كتابهُ في الفلسفة التوماويّة ومواعظهُ المنونة بالاعتقاد تجاه العقل والدين وخواطرهُ على الريحانيّات وردّهُ على التنير وانشاؤه لمجلّة الرسالية والمحاسن الروانيّة . وعرّب كتاب الخوري مورو الفلكي « من اين جئنا » وكتاب جول ليستر « تهذيب الارادة » وتعريب رواية « الى اين »

٣٥٢ ﴿دريان السيد يوسف﴾ مطران طرسوس والنائب البطريركي في مصر توفّي في ٢٣ آذار سنة ١٩٢٠ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة اجوبة على ١٩ سؤالًا لاجد مشايخ الاسلام عن الدين المسيحي كتبها وهو راهب من الرهبانيّة الحلبيّة وطالب للاهوت في كليتنا تحت نظارة استاذهِ الاب هنري جسوندي اليسوعي . امّا مطبوعاتهُ فمتعدّدة منها تاريخيّة كاصل الطائفة المارونيّة ومقالات في الردة والموارنة ولباب البراهين الجليّة عن حقيقة امر الطائفة المارونيّة وكتاب استقلال لبنان وكتاب مستقبل لبنان . ومنها طقسيّة كاللمعة الوفيّة في رتب السيامة الكهنوتيّة . ومنها علميّة كالاتقان في لغة السريان . ومنها روحيّة تقويّة كمجموعة الاناشيد الروحيّة

وكعبادة الشهر المريمي معرَّب عن الطوباوي لويس دي مونفور وكتاب المغنم في تكريم سيدتنا مريم وكرامتهِ في النذور الوهبانيَّة وجادَّة الفلاح في سبيل التقى والصلاح

٣٥٣ ﴿دموفسكي﴾ الاب يوسف لويس اليسوعي (J. Al. Dmowski) التوفّي سنة ١٨٧٩ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة كاملة في جزئين (٣٩٨ و٣٠٥ صفحات) من كتابهِ الرسوم الفلسفيَّة كُتبت سنة ١٨٥٧ وقد نقلها عن اللاتينيَّة الخوري يوسف الدبس ولم يطبع منها الّا قسمها الاوَّل

٣٥٤ ﴿دوترمان﴾ الاب فيليب اليسوعي (Ph. d'Outreman) (١٥٨٥—١٦٥٢) . لهُ كتاب جليل يدعى المرشد المسيحي . عُني بتعريبهِ اوَّلًا الاب جان اميو اليسوعي في السنة ١٦٥١ (Rabbath, *Documents* I, 431) . ثمَّ نقلهُ الى العربيَّة « البادري حنَّا رئيس رهبان الكبوجيَّة في حلب » منهُ نسخة في حلب في بيت الشمَّاس شكري ايُّوب كتبها « فوه ؟ بن سليمان تلميذ الخوري مرقص الكاتب بمحروسة حلب سنة ٧١٨٤ لآدم وللتجسّد المسيحي ١٦٧٦ » . وقد عرَّبهُ بعد ذلك الاب بطرس فروماج اليسوعي منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة وقد طُبع اوَّلًا في مطبعة الشوير سنة ١٧٣٥ ثمَّ تكرَّر طبعهُ في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف سنة ١٨٥٢

٣٥٥ ﴿دورنيناني﴾؟ كسفاريوس . لم نجد لهُ ذكرًا في التاريخ . لهُ في مكتبة دير بزمّار كتاب مواعظ في ثلث مقالات ونحو ٦٠ موعظة . والكتاب من مخطوطات القرن الثامن عشر . ولعلَّ الاسم مصحَّف

٣٥٦ ﴿دوروتاوس القديس﴾ هو الارشمندريت ورئيس دير ميوما قرب غزَّة كان عائشًا في القرن السابع . لهُ في مكتبة القبر المقدَّس في القدس للروم الاورثدكس ميامر في عدد ٢٤ ميمرًا لم يُذكر معرّبها

٣٥٧ ﴿دوروتاوس اسقف مونوفاسية﴾ وضع تاريخًا للعالم الى زمن قسطنطين الكبير وقدَّمهُ لالكسندرس ويوضة (Wayvode اي امير) البغدان والفلاخ فطُبع بالبندقيَّة في الروميَّة سنة ١٦٥٣ ثمَّ نقلهُ الى العربيَّة البطريرك مكاريوس ابن زعيم ودعاهُ كتاب التاريخ الرومي العجيب الجديد كما ورد في المقدَّمة . وفي مكتبتنا

الشرقيّة منهُ نسخة جميلة. ولهذا التاريخ قسم آخر من عهد قسطنطين الى زمن السلطان مراد سنة ١٦٢٤ اخرجهُ الى العربيّة البطريرك مكاريوس مع تلميذه المرحوم الخوري يوسف المصوّر.

٣٥٨ ﴿دوروتاوس الكبوشي﴾ البادري منصور. وقفنا لهُ قبل الحرب الكونيّة في دير الآباء الكبوشيين في الثغر على مجموع ضخم يحتوي على مواعظ متعددة في نحو ٧٠٠ صحيفة

٣٥٩ ﴿دوسيتاوس﴾ البطريرك الاورشليمي الرومي الاورثذكسي (١٦٦٩—١٧٠٧) لهُ في اليونانيّة كتب متعدّدة منها تاريخ القدس. ولهُ في العربيّة: ١ً في مكتبة القبر المقدّس (ع ٨) تعريب كتاب البراهين الواضحة في الردّ على الآراء الكلوينيّة واللوثرانيّة للاب الفاضل ملاتيوس سيرينوس. ٢ً لهُ مقدّمة على كتاب نكتاريوس المعنون «جلاء الابصار من غشاء الاكدار» مع ترجمة نكتاريوس. منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة

٣٦٠ ﴿دومنيكس السلازي﴾ هو الاب هرمان الراهب الفرنسيسي الالماني المرسل الى الشرق اشتهر في القرن السابع عشر وكان ترجماناً للغة العربيّة لملك اسبانية فيلبّس الرابع (اطلب ترجمتهُ في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة J. As. 1883 3.47-364) لهُ في مكتبة الاسكوريال من المخطوطات: ١ً كتاب المنطق في العربيّة واللاتينيّة (Casiri, Cod. 1626). ٢ً حكم منتخبة من كتب العرب (Cod. 1627). ٣ً مدخل لدرس اللغات العربيّة والفارسيّة والتركيّة (Cod. 1628). ٤ً ترجمة القرآن الى اللغة الاسبانيّة مع حواشٍ عديدة. منهُ نسخة في مكتبة مونبليه في فرنسة (ع ٧٢) ونسختان في الاسكوريال (١٦١٩ و١٦٢٤). وقد طُبع المذكور في مطبعة انتشار الايمان غراماطيق عربي ايطاليانيّ سنة ١٦٣٦ وكتاب في الدفاع عن الايمان المسيحي في العربية واللاتينيّة (Antitheses Fidei) طُبع في المطبعة ذاتها سنة ١٦٣٨

٣٦١ ﴿دوهاميل﴾ هو الكاهن الاوراتوري حنّا دوهاميل (J. B. du Hamel) (١٦٢٤—١٧٠٦). لهُ في حلب كتاب الرسومات الفلسفيّة عرّبها الخوري انطون صبّاغ الرومي الكاثوليكي في القرن الثامن عشر

٣٦٢ ﴿ الدويهي البطريرك اسطفان ﴾ (١٦٣٠–١٧٠٤) اطلب ترجمته لفقيد الدين والوطن المطران بطرس شبلي المطبوعة سنة ١٩١٣ . جاري الشماعنة في علمه وتآليفه . وهذه اخص تآليفه المخطوطة مع ذكر ما طُبع منها : لهُ في طقسيّات طائفته : ١ً كتاب الياميذ وهي الشرطونيّة الحاوية رسامات الكهنوت مع شرحه على التكريسات . والشرطونيّة المذكورة منها نسخ في بكركي وفي مكتبة عين ورقة وكرسي مطارنة قبرس . طبعهُ المرحوم رشيد الشرتوني في مطبعتنا سنة ١٩٠٢ . ٢ً كتاب منارة الاقداس او المنائر العشر وهو من انفس التآليف الطقسيّة . منهُ نسخة في خزانة البطريركيّة المارونيّة وفي المكتبة الفاتيكانية ونسخة لدى سيادة المطران عبدالله الخوري مطران عرقا . عُني بطبع هذا الكتاب رشيد الشرتوني في مجلدين سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٦ . ٣ً مجموعة في النوافير الاورثذكسيّة مع ذكر الرسل والآباء الذين ألّفوها . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة مار شليطا مقبس . ٤ً كتاب اسرار البيعة ورتب توزيعها (مفقود) . ٥ً مطالع الالحان السريانيّة مع ضبطها لقواعد نظم الشعر السرياني . منهُ نسخة حديثة في مكتبتنا الشرقيّة بخط المرحوم منصور حكيم . هذا مع اصلاحات وتنقيحات لمعظم كتب الطائفة المارونيّة كالشحيم وكتاب القداس ورتبة لبس الاسكيم الرهباني — وللدويهي من الكتب التاريخيّة الجليلة : ٦ً كتاب تاريخ الازمنة وهو قسمان ديني ومدني يحتوي الديني خصوصاً اخبار الطائفة المارونيّة والمدني حوادث سوريّة عموماً . فتاريخ الموارنة طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة بهمة رشيد الشرتوني (سنة ١٨٩٠) ومن تاريخه المدني نسخة في مكتبتنا الشرقيّة بخط الشيخ طنوس الشدياق وقد وقفنا على نسخة جامعة للتاريخين في جران عند الاديب فارس طنوس عبدالله . ٧ً كتاب ردّ التهم والاحتجاج على صحّة ايمان الموارنة . منهُ نسخ في دير بقلوش وفي دير فيترون ودير الكريم ومنهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٨ً سلسلة بطاركة الطائفة المارونيّة الى زمان المؤلف . في مكتبتنا منهُ نسختان طُبعت الواحدة في الشرق ١ [١٨٩٨] : ٢٤٧ و٣٠٨ الخ) بهمّة المرحوم رشيد الشرتوني ومنها نسخة في دير اللويزة . والاخرى اقدم عهداً بيد السيّد الجليل المطران جرمانوس فرحات اتمّها الى عهد البطريرك يعقوب عوّاد . وهذه نشرها ايضاً رشيد الشرتوني في مطبعتنا سنة ١٩٠٢ في كتاب خاصّ

واضاف اليها عدّة زيادات وتحقيقات. ٩ً تاريخ المدرسة المارونيّة في رومية ومختصر اخبار تلامذتها. لم يسلم منهُ الّا كرّاسة في مكتبة الطيب الذكر السيّد بولس مسعد. ١٠ً مجموع عظات للدويهي. منهُ نسخة عند البرديوط المنسنيور بطرس حبيقة

٣٦٣ ﴿ الدويهي يوحنا وهبه ﴾ ابن اخي البطريرك اسطفان الدويهي من تلامذة المدرسة المارونية في رومية اشتهر في القرن الثامن عشر ومات مسموماً في طرابلس. ذكرهُ المطران بطرس شبلي في تاريخ الدويهي (ص٢٣٦) : ١ً كتاباً عن الحوادث الشهيرة التي صارت من السنة ١٦٩٥ الى ١٧٠٤ . ٢ً كتاباً عنوانهُ عمود اسرائيل في مكتبة دير فيترون (ص٢١٣و٢٣٦) وفي مكتبة المرحوم الخوري موسى كرم. ٣ً اربعة كتب في الوعظ والارشاد

٣٦٤ ﴿الدويهي يوسف صالح ﴾ هو ايضاً ابن اخي البطريرك الدويهي رُقّي سنة ١٧٢٨ الى كرسي البترون ودُعي اسطفان. لهُ في مكتبة باريس بين المخطوطات السريانيّة رسالة عربيّة وجّهها الى سفير ملك فرنسة في الاستانة المركيز دي ڤيلنوڤ

٣٦٥ ﴿الدويهي يوسف مارون ﴾ الخوري الطرابلسي هو تلميذ المطران اسطفان الدويهي مطران البترون. لهُ في مكتبتنا الشرقيّة رسالة في شرف الطائفة المارونيّة واصلها وتاريخ بطاركتها الى وفاة البطريرك فيلبُّوس جميّل سنة ١٧٩٥

٣٦٦ ﴿ديزرك﴾ الاب جبرائيل اليسوعي خدم النصارى في حلب من السنة ١٧٥١ الى ١٧٨٠ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة : ١ً تعريب كتاب الاقتداء بالمسيح مع ملحقات على كلّ فصل نقلاً عن الفرنسويّة لاحد الآباء اليسوعيين . ٢ً كتاب يشتمل على تعريف الفضائل الالهيّة واخصّ الافعال الواجب ممارستها على كلّ مسيحي يحتوي على ١١ فصلاً في الايمان والرجاء والمحبّة والسجود ومحبّة السيد المسيح ومحبة القريب الخ عربّهُ في السنة ١٧٦١ (نسختان) . ٣ً شرح الصلاة الربيّة وتفسير آلام المسيح في آخر احدى النسختين

٣٦٧ ﴿ ديلار ﴾ الاب بطرس من جمعيّة المرسلين اللعازريين الذين قدموا الى سورية في اواخر القرن الثامن عشر توفي في حلب سنة ١٨٠٥. وجدنا لهُ في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت قبل الحرب ثمّ في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب كتاب رسوم الاخويّة التقويّة للاخوات العابدات العائشات في العالم تاريخهُ سنة ١٧٩٤

٣٦٨ ﴿ديتريوس﴾ البطريرك الانطاكي (كذا ورد اسمهُ في مكتبة باريس ع ١٣١ و ١٥٠) ولهُ فيها ميمر في مديح الشهيد القديس بقطر. ولا نعرف بطريركاً انطاكياً بهذا الاسم ويقال هناك انهُ هو الذي رسم كاهناً القديس يوحنا فم الذهب. وهذا غلط فان الذي كهَّن ذلك القديس اسمهُ فلافيانوس

٣٦٩ ﴿ديونيسيوس﴾ الاريوباجيتي. لهُ في العربيَّة: ١ً في مكتبة القبر المقدَّس (ع ٤٦) عظات واقوال. ٢ً وفي مكتبة كلية كمبردج (Add 3283) قوانين ديونيسيوس قاضي اتيناس. ٣ً ترجمة حياتهِ لنفسهِ وفيها ذكر الرؤيا التي رآها في بعلبك. منها نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة باريس (Ms. ar. 212 n° 9). ٤ً دستور الايمان لديونيسيوس في مكتبة باريس (242 n° 3). وقد ذكر ابو البركات بن كبر (Riedel, 647) « لديونيسيوس البولسي الاتناسي كتاباً يشتمل على ذكر المراتب العلويَّة والطقوس الملائكيَّة والدرجات الكهنوتيَّة ورسالةً ارسلها الى طيموثاوس تلميذ بولس يعزّيهِ عند استشهاد بولس معلمها وبطرس السليح » (لهُ صلة)

نجم المجوس في لبنان

رواية واقعيَّة حدثت في زمن الحرب

بقلم الاديب يوسف بطرس سعد

في صباح اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الاوَّل سنة ١٩١٦ في صباح صفا فيه اديم السماء بعد ان مضى عليه عشرون يوماً كان فيها الفلك محجوباً بالغيوم ووجه السماء مكفهرًّا والغيث يهطل رذاذاً. وكانت الضائقة تشتدّ على اللبنانيين والمجاعة تفتك بهم فتكاً ذريعاً

في ذلك الصباح خرجتُ الى البرية لامتّع الطَّرف بمناظر الطبيعة والهو عن مشاهد مزعجة تكتنفني وهي مما تتفتت لها الاكباد:

أناس كانوا قبل سنة او سنتين في رخاء العيش تجمعهم الرابطة العائلية قد

اصبحوا متفرقين لا يلوي الاب منهم على ولده ولاتلتفت الوالدة الى ابنتها ، وكلهم شاحبٌ كأنه ميت نُشر من قبره ، يمدون الايدي تسولاً وما من احد يرقّ لحالهم ، كأنّ الاحسان عهدٌ قد مضى دوره

وأناس اصبحت منازلهم قبورَهم لان الامراض الفتاكة قد تفشت منتشرة في كل انحاء لبنان والاطباء الوطنيون أبعدوا عن مراكزهم في خدمة الجيش التركي وقسم كبير من العقاقير الطبية عزّ وجودها والقسم الآخر ارتفعت اسعاره ارتفاعاً فاحشاً .

هنالك على صخرة جلست اتأمل الحالة التي صار اليها وطني لبنان وعلى جانبي طريق تؤدي الى مطحنة تدور رحاها على المياه المتحدرة من اعالي الجبل ، والناس يمرون ذهاباً واياباً ومعظمهم من النسوة النقيرات حافيات الاقدام تكاد ثيابهنّ الرثة تلتصق باجسامهنّ لكثرة الاوساخ وفي طياتها يرعى القمل والبراغيث التي كان لها شأن يذكر في نقل الجراثيم القتالة في ذلك الحين ، ايام لا حديث للمارة فيها الّا الغلاء واسبابه والحرب ونتائجها وما يتكهّن به بعض المشعوذين عن اطوار الحرب ويوم انتهائها . ثم ما يجري في المطحنة من الاختلاف بين الطحّان والزبائن على نقص تافه يجدونهُ بين ما سلّموهُ من الحنطة وما يردُّهُ من الدقيق وكيف ان بعضهم يطحنون الشعير والذرة والكرسنة والفول وبزر المكنس وبزر الخرنوب ويقتاتون به لئلّا يموتوا جوعاً!!

سمعت احاديثهم متقطعةً ولا يفوتني ما لم يبلغ مسامعي منها لاني لم اكن غريباً عن اورشليم . غير ان افكاري وقتئذٍ كانت حائمة حول المناظر البهجة التي كانت امامي

جبال كلّل الثلج رؤوسها ببياضهِ الناصع ، وثنايا واباطح شجّرها الاقدمون بشق النفوس وعرق الجباه ، واليوم تعمل باشجارها الباقية فأس الظالمين ليفقدوا لبنان ما وهبه الله من طيب المناخ بعد ان قضوا على اهليه بحكمهم عليهم بالموت جوعاً

*

بينا انا على هذه الحالة اذا بي سمعتُ صوتاً ووَقع اقدام تقترب مني فالتفتُّ الى جهة الصوت فرأيت جنوداً ثلاثة احدهم بزيّ ضابط وهو يقول : هوذا المكان ! هذا هو البيت الذي كان النور ينبعث منه على شكل النجم وقد أُقتيد صاحبهُ الى

مجلس الحرب العرفي لاشتباه رجال البدرك به انه يشير بهذا النور الى مراكب العدوّ ! !

*

في منعطف الجبل على مسافة قصيرة من المكان الذي كنت جالساً فيه رجلٌ قرويّ يقيم مع عيلته في بيت حقير تجاهَهُ كهف طبيعي يلجأ اليه رعاة الماعز ايام الشتاء والرجل زرّاع يتعاطى زراعة التبغ في ارضٍ لهُ حوالي البيت . لكنه لما اشتدت الضائقة باع ارضه والبيت الذي يسكنه والتجأ الى الكهف مع عيلته وهي مؤلفة من امرأة وخمسة اولاد . وكانوا في حالة مدقعة من الفقر يُرثى لها . لكنّ الرجل كان على جانب عظيم من التديُّن مسلماً امرهُ الى الله تعالى

وكان قد اعتاد ان يصطنع في بيتهِ ليلة عيد الميلاد تذكاراً للعيد ما كانت اعتادتهُ العيلات المسيحية التقيّة اي تمثيلاً لمغارة بيت لحم ولمن كان فيها وذلك ما يسمونه « مغارة الميلاد ! »

عند انتصاف الليل نهضت العيلة الى حيث كانت قد اعدّت اشخاصاً من جبس تمثل الميلاد الشريف . لكنهم بسبب فقرهم الشديد وغلاء الاشياء كلها ومن جملتها الزيت للإضاءة عمدوا الى مشاعل اصطنعوها من قصب «الغزّار» وجعلوها فوق الكهف بشكل يرمز الى النجم الذي اقتاد المجوس الى بيت لحم وأشعلوها فكان المشهد على بساطته مهيباً يأخذ بمجامع القلوب

*

واتّفق في تلك الليلة انه ظهر في عرض البحر كثير من المراكب الحربية المعادية مما جعل قيادة المُفرزة التركية المرابطة في الجبل ترتاب في الامر وتحسب لهُ الف حساب فاصدرت اوامرها الى جنود الخنادق ان يكونوا على اتمّ الاستعداد للمقاومة وان لا يغفلوا عن مراقبة الاهلين بكل تيقظ

وبينما كانت شرذمة من الجنود مارّة على طريق تشرف على بيت القروي رأى قائدها نوراً يتلألأ في جنح الظلام فامر في الحال ثلاثة من الجنود ان يرافقوهُ الى محل النور ليطّلعوا على كنه الامر . فساروا في طريق وعرة صعبة حتى انتهوا الى المحل المذكور . فرأوا القرويَّ وعيلتهُ في الكهف ينشدون التراتيل قائلين : المجد

لله في العلاء وعلى الارض السلام ...

فصاح الضابط بهم : يا للخونة ! انكم توقدون النار اشارةً الى العدو وتتظاهرون بالصلاة . اوثقوا الرجل ايها الجنود . فهو المسؤول عن هذه المكيدة !

فللحال اوثقوهُ دون ان يسمحوا له بكلمة ينطق بها لتذكية نفسه وساروا به بين نحيب زوجته وعويل اولاده !!

*

لم تمض برهة من الزمن على هذا الحادث المؤثر حتّى اقبلت على المرأة واولادها بقرةٌ حمراء مرقوم على يدها اليمنى العدد ٢٥ ودخلت الكهف توًّا : فانذهلوا اشد الانذهال وقالوا : لا شك انها تتمة البلية . فهذه من بقر الدولة وغدًا يشاهدونها عندنا فيتهموننا بالسرقة ايضاً

وكأنّ هذه البقرة قد تركت قطيعها وتاهت ليلًا في البرية واذ بدا لها نور النجم سارت نحوه

*

اما انا فاني كنتُ اعرف البيت سابقاً ووقفتُ على شقاء اصحابه الشديد وكيف انهم التجأوا الى الكهف . فنهضت بعد ان ابتعد الجنود الثلاثة الذين شاهدتهم يفتشون عن البقرة وسرتُ في طريق الكهف

وما وصلتُ اليه حتى هبَّ سكانه الملاقاتي وعلى وجوههم علائم الاضطراب الشديد . فسألتهم عن سبب اضطرابهم فقصّوا عليَّ ما جرى لهم

فسكّنت جأشهم وطمأنت بالهم ثم اخبرتهم بما سمعته من الجنود الثلاثة وقلت : اذهبوا بالبقرة الى مركز القيادة العامة وأطلعوا من هناك على جلية الامر فلعلّهُ يرجع اليكم بهذه الواسطة مُعينكم الذي افتقدوه ظلماً

*

فيما كان الرجل القروي يُستنطق امام المحكمة العسكرية ويدافع عن نفسه مثبتاً ان عمله تقوي وهو شيء مألوف عند المسيحيين الاتقياء . كنت ترى امرأته واولاده يقودون البقرة في الطريق قاصدين المحكمة نفسها ليردُّوا للحكومة ما فقدته

ولما انتهوا الى المحكمة وعرضوا ما جرى لهم اخذت الدهشة من رجال المحكمة

كل مأخذ ورقّوا لحالة اولئك الفقراء المؤثرة فاطلقوا سراح الرجل وامروا لهُ بمكافأة على امانة اهله خمسين رطلاً من الحنطة. وقالوا للمرأة :

« اذهبي الى منزل قائدنا (علي رضا باشا) وسلميه البقرة فهي تخصّه وهي عزيزة لديه جداً. فلا بدَّ ان يحسن اليكِ » . وكانوا قد سبقوا واخبروهُ تليفونيًّا بالخبر من اوله الى آخره

فتعجب هو ايضاً اذ نظر الى حالتهم الفقرية وصدق امانتهم فقال لاحد كتبته : « اكتب وصلاً لهذه المرأة بان البقرة تخصها فلتتصرف بها كيفما شاءت فان الله وهبها اياها لتعيش منها مع اولادها ولست لشاء ان انزعها منها »

وهكذا كانت البقرة والحنطة التي اخذها الرجل سبباً لحفظ هذه العائلة سالمةً الى الآن

كما ان « نجم المجوس » قد كان الواسطة للدلالة على هذه العائلة البائسة وانتشالها من مخالب الموت جوعاً

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد بيَّنَّا للادباء سابقاً ما كان للنصرانيَّة من السهم الوافي بين شعراء الجاهليَّة . وها نحن نتتبع آثار الشعراء النصارى الذين نبغوا بعد ظهور الاسلام مستندين في قولنا الى اقدم تآليف العرب لاسيَّما مؤرخي المسلمين ونباشر بذكر الذين اشتهروا في اوَّل بزوغ الدين الاسلامي من المخضرمين وعلى الله الاتكال

١ عثمان بن الحويرث

هو عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصيّ القرشيّ كان من جملة

الحنفاء الذين اعتزلوا عن قومهم وطلبوا الدين الحقّ ثم تنصّروا . قال احمد ابن واضح الشهير باليعقوبيّ في تاريخه (طبعة ليدن ١ : ٢٩٨) : « تنصّر من احياء العرب قومٌ من قريش من بني اسد بن عبد العزّى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد بن عبد العزّى وورقة بن نوفل بن اسد » . وكان عثمان من قرابة ورقة جدّهما اسد بن عبد العزّى وكلاهما من قرابة رسول الاسلام

وقد جاء ذكر عثمان في اخبار أيام العرب في ذكر الفجار الثاني . وهي حربٌ جرت بين قريش وهوازن نحو السنة ٥٩٠ اعني ثلاثين سنة قبل الهجرة . قال صاحب الاغاني انّ عثمان بن الحويرث « كان على بني عبد الدار ولفّها » فتولّى قيادتهم في محاربة هوازن

امّا تنصّره فقد رواهُ ابن هشام في سيرة الرسول قال (ص ١٤٣—١٤٤ éd. Wüstenfeld) :

« اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم كانوا يعظّمونهُ وينحرون لهُ ويعتكفون عندهُ ويدورون به وكان ذلك عيداً لهم كلّ سنة يوماً فخلص منهم اربعة نفرٍ ثمّ قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل . وهم ورقة بن نوفل . وعبيدالله بن جحش . . . وعثمان بن الحويرث . . . وزيد بن عمرو بن نفيل . . . فقال بعضهم لبعض : « تعلّموا والله ما قومُكم على شيءٍ لقد اخطأوا دين ابيهم ابرهيم . ما حجرٌ نُطيف به لا يسمع ولا يُبصر ولا يضرُّ ولا ينفع . يا قوم التمسوا لانفسكم دينًا فانكم والله ما انتم على شيءٍ » فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفيّة دين ابرهيم . فامّا ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانيّة . . . وامّا عُبَيْد الله بن جحش فاقام على ما هو عليه من الالتباس حتّى اسلم ثمّ هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعهُ امرأتهُ ام حبيبة ابنة ابي سفيان مسلمةً فلمّا قدماها تنصّر وفارق الاسلام حتّى هلك هناك نصرانيًّا . . . وامّا عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصّر وحسُنت منزلتهُ عندهُ . ولهُ عند قيصر حديث . . . »

وهذا الحديث الذي لم يذكرهُ ابن هشام في السيرة فقد رواهُ الامام ابو عبدالله محمّد بن اسحاق من اقدم كتبة الاسلام في كتابه المنتقى من اخبار ام القرى قال (ص ١٤٣—١٤٤ éd. Wüstenfeld) :

تملُّك عثمان بن الحويرث بن اسد على قريش بمكّة

قال الزبير بن بكّار فيما رويناهُ عنهُ : حدّثني علي بن صالح . . . عن عروة بن الزبير قال : خرج عثمان بن الحويرث وكان يطمع ان يملك قريشًا وكان من اظرف قريش وأعقلها حتى قدم

على قيصر وقد رأى موضع حاجتهم اليهِ ومتجرهم من بلاده فذكر لهُ مكّة ورغّبهُ فيها وقال : «تكون زيادةً في ملكك كما ملك كسرى صنعاء » فلكّهُ عليهم وكتب لهُ اليهم . فلمّا قدم عليهم قال : «يا قوم انّ قيصر قد علمتم أمانكم ببلاده وما تصيرون من التجارة في كنفهِ وقد ملّكني عليكم وانما انا ابنُ عمّكم وأحدُكم وانّما آخذ منكم الجراب من القرَظ والمُكّة من السمن والاوعاب فأجمعُ ذلك ثمّ ابعثُ بهِ اليهِ . وانا اخاف ان أيتم ذلك ان يمنع منكم الشام فلا تتّجروا بهِ وينقطع مرفقكم منهُ » . فلمّا قال لهم ذلك خافوا قيصر واخذ بقلوبهم ما ذكر من متجرهم فاجمعوا على ان يعقدوا على رأسهِ التاج عشيّةً وفارقوهُ على ذلك . فلمّا طافوا عشيّةً بعث الله عليهِ ابنَ عمهِ ابا زمعة الاسود بن المطلب بن اسد فصاح على أحفل ما كانت قريش في الطواف وقال «عياذُ الله ملك تهامة» فاغاثوا اغياث عمر الوحش ثمّ قالوا : «صدقتَ واللات والعزّى ما كان بتهامة ملكٌ قطّ» فانتفضت قريش عمّا كانت قالت لهُ . وسلق (عثمان) القيصر ليُعلمهُ . ثمّ روى الزبير بسندهِ ان قيصر حمل عثمان على بغلة عليها سرجٌ عليهِ الذهب حين ملّكهُ . قال الزبير : اتى عثمان بن الحويرث حين قدم مكّة بكتاب قيصر مختوم في اسفلهِ بالذهب . . . . وذكر الزبير خبرًا فيما انتهى اليهِ امر عثمان بن الحويرث وملخّص ذلك انهُ خرج الى قيصر بالشام . فسأل تجار قريش بالشام عمرو بن جفنة الغسّاني ان يُفسد على عثمان عند قيصر . فسأل عمرو في ذلك ترجمان قيصر فاخبر الترجمانُ قيصر عن عثمان حين حضر عثمان وترجم عنهُ بان عثمان تسنّم الملك بامر قيصر فاخرجَ عثمان لهُ . ثمّ تجبّل عثمان حتى عُرف من اين اتى ودخل على قيصر وعرّفهُ ما يقتضي ان الترجمان كذب . عليه فكتب قيصر الى عمرو بن جفنة يأمرهُ بان يحبس لعثمان من اراد حبسهُ من تجّار قريش بالشام ففعل ذلك عمرو ثمّ سُمّ عثمان فمات بالشام . (قال) وذكرنا هذا الخبر بنصّه في اصل هذا الكتاب

وممّا ذكرهُ ياقوت عن عثمان في معجم البلدان (١ : ١٢٨) انهُ كان « هجّاء لقريش عالمًا بمثالبها » . ولعثمان شعرٌ لم نقف منهُ الّا على ابياتٍ نقلناها عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ عن نسخة باريس (Ms de Paris, 2637 ff. 338) يهجو بها عمرو بن العاص :

لهُ أبوانِ فهو يُدعى اليهما ... وشرُّ العبادِ من لهُ ابوانِ
وقد حكما فيهِ لِتصدُقَ امهُ ... وكان لها علمٌ بهِ ببيانِ
فقالت صراحًا وهي تعلم غيرهُ ... ولكنها تهذي بغير لسانِ

٢ الحارث بن كَلَدة

هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي كان نصرانيًّا على مذهب النساطرة

قال جمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص١٦١) : « الحرث بن كلدة . . . طبيب العرب في وقتهِ اصلهُ من ثقيف من اهل الطائف . رحل الى ارض فارس واخذ الطبّ من اهل تلك الديار من اهل جنديسابور (١ وغيرها في الجاهليّة قبل الاسلام وجاد في هذه الصناعة وطبّ بارض فارس وعالج وحصل لهُ بذلك مالٌ كثير هناك وشهد اهل فارس ممّن رآهُ بعلمهِ وكان قد عالج بعض اجلّائهم (٢. فبرأ واعطاهُ مالًا وجاريةً سمّاها الحارث سُمَيَّة ثمّ ان نفسهُ اشتاقت الى بلادهِ فرجع الى الطائف واشتهر طبُّهُ بين العرب وكان رسول الاسلام (صلعم) يأمر من كانت بهِ علّة أن يأتيهُ فيسألهُ عن علّتهِ . . قال ابو عمر : امر رسول الله (صلعم) سعد بن ابي وقّاص بأن يأتيهُ فيستوصفهُ في مرض نزل بهِ فيدلُّ انهُ جائز ان يشاور اهل الكفر في الطبّ اذ كان من اهلهِ والله اعلم

« قال محمّد بن زياد الاعرابي : وكان للحارث بن كلدة تقدُّم في النحو واللغة . قال ابو عمر : ومات الحارث بن كلدة في اوّل الاسلام ولم يصحّ اسلامهُ . . (قال) وكان الحرث يضرب العود تعلّم ذلك ايضاً بفارس واليمن وبقي الى زمن معاوية فقال لهُ معاوية : ما الطبّ يا حارث ؟ فقال : الأَزَمُ يا معاوية (يعني الجوع والحمية عن الطعام) وروى لهُ عبد الرحمان بن ابي بكرة قولهُ : مَنْ سرَّهُ البقاء والإبقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليُقلّ من غشيان النساء (اراد بخفّة الرداء أن لا يكون عليهِ دَين)

وقد روى ابن ابي اصيبعة اخبار الحارث بن كلدة في كتابهِ عيون الانباء في طبقات الاطباء (١ : ١٠٩—١١٣) قال عنهُ « انهُ بقي ايّام رسول الله (صلعم) وايّام ابي بكر وعثمان وعليّ ومعاوية . قال ابو زيد : وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتادهُ وتحتاج اليهِ . (قال) وللحارث بن كلدة من الكتب كتاب المحاورة في الطبّ بينهُ وبين كسرى انو شروان » . ورُوي هناك (ص ١١٠) بعض كلامهِ مع كسرى عن الطبّ وخواصّهِ

امّا شعر الحارث بن كلدة فروى لهُ ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٣ : ١١٤)

١) جنديسابور مدينة قديمة في العجم كان لنصارى الكلدان فيها مدرسة طبّ شهيرة

٢) دعاهُ ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٣ : ٣) ابا الخير بن عمرو الكندي وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ١٥٢) عن ابن الكلبيّ انّ الذي عالجهُ هو النوشجاني كان جُذم فعالجه اطباء فارس فلم ينجحوا فشفاهُ الحارث بن كلدة

ابياتاً قالها في يوم الحُرَيرة وهو احد أيام حرب الفجار الآخرَ كان لهوازن على كنانة وقريش (من الكامل) :

تركتُ الفارسَ البذّاخَ منهم تَمُجُّ عروقُهُ عَلَقاً عَبيطا
دعستُ بَنانَهُ بالرمح حتى سمعتُ لمتنهِ فيهِ أطيطا
لقد أرديتُ قومك يا ابن صخرٍ وقد جَشَّمتُهم امراً شَطيطا
وكم اسلمتُ منكم من كميٍّ جريحاً قد سمعتُ لهُ غَطيطا

وروى لهُ ايضاً البحتري في حماسته (ع٣٨١) وصاحب مجموعة المعاني (ص٦٤) قولهُ في المؤاخاة عند الرخاء والخذلان عند الشدّة (من الطويل) :

فأمّا اذا استغنيتمُ فعدوُّكم وأدعى اذا ما الدهرُ نابت نوائبُهْ
فان يكُ خيرٌ فالبعيدُ ينالُهُ وان يكُ شرٌّ فابنُ عمّكَ صاحبُهْ

والحارث بن كلَدة هو ابو النضر بن الحارث وكان ابن خالة نبيّ الاسلام وكان نصرانيًّا كابيهِ قال ابن ابي اصيبعة(١ : ١٢٣) : «انهُ سافر البلاد كابيهِ واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصّل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة وتعلّم من ابيهِ ايضاً ما كان يعلمهُ من الطبّ وغيرهِ» على انّهُ كان معادياً لرسول المسلمين اذا سمع القرآن اعرض عنهُ واستهزأ به ثمّ حاربهُ يوم بدر فكان من جملة المأسورين مع عُقبة ابن ابي عيط فقتلهما محمّد بعد مصرفهِ من بدر في الصفراء على ثلثة اميال من المدينة في السنة الثانية من الهجرة. فأتت اخت النضر قتيلة بنت الحارث الى الرسول وقالت ترثي اخاها (من الكامل) :

يا راكباً انّ الأُثَيل مَظِنّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ وانت موفّقُ(١
بَلِّغ بهِ ميتاً فانّ تحيّةً ما إنْ تزالُ بها الركائبُ تخفقُ(٢

١) الأُثَيل موضع فيهِ قبر النضر ٢) يروى : أبلغ . . بانّ . . . بها النجائبُ

منّي اليـهِ وعَبرةً مسفوحـةً جادت بُدرَّتها واخرى تخنُقُ (١
فـليَسْمَعنَّ النَّضرُ ان ناديتَـهُ ان كان يسمع ميّتٌ او يَنطِقُ (٢
ظلّت سيوفُ بني ابيـهِ تنوشُهُ لِلّه ارحـامٌ هنـاكَ تُمزَّقُ (٣
صبرًا يُقاد الى المنيَّةِ مُتعَباً رَسْفَ المقيَّدِ وهو عـانٍ موثَقُ
أمحمَّدُ ولأَنتَ نـسلُ نجيبةٍ (٤ في قومها والفحـلُ فَحلٌ مُعرِقُ
ما كان ضرَّكَ لو مَنَنْتَ وربَّما مَنَّ الفتى وهو المَغيظ المُحنَقُ
والنضرُ اقربُ من اخذتَ بزلّةٍ (٥ واحقُّهم ان كان عِتقٌ يُعتَقُ
لو كنتَ قابلَ فديةٍ لَفديتُهُ بأعزّ ما يُفدى بهِ مَن يُنفِقُ (٦

قال ابو الفرج الاصبهاني: فبلغنا ان النبيّ صلعم قال: لو سمعتُ هذا قبـل ان اقتلهُ ما قتلتُهُ. فيقال انّ شعرها اكرم شعر موتورة واعفُّهُ واكفُّهُ واحلمهُ

٣ ابو القيس صِرْمة الراهب

هو ابو قيس صرمة بن أنسَ وقيل ابن ابي انس بن صرمة بن مالك من بني عديّ ابن النجّـار من الخزرج وكان يلقَّب بالراهب لنسكهِ. قال في كتاب انساب العرب (Ms. de Paris, Suppl., 3864, ff. 207) وابن اسحاق في سـيرة الرسول (ص٣٤٨): «كان ابو قيس رجلًا قد ترهّب في الجاهليّة ولبس المسوح وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وتطهّر من الحائض من النساء وهمّ بالنصرانيّة ثمّ امسك عنها ودخل بيتاً واتّخذ مسجدًا لا يدخلهُ عليهِ طامث ولا جُنُب وقال: «أعبدُ ربّ ابرهيم حين فارق الاوثان وكرهها» حتى قدم رسول الله صلعم الى المدينة فأسلم فحسُن اسلامهُ

١) يروى: جادت لـاغمها. وجادت لماغمها . . . تخنق
٢) يروى: هل يسمعني . . ام كيف يسمع مالك لا ينطق ٣) ويروى: تشقّق
٤) ويروى: يا خير ضبنٍ كريمة ٥) ويروى: من اسرتَ قرابةً. ويروى ايضًا: من اصبتَ وسيلةً ٦) ويروى: او كنت . . . ينلو لديك وينفقُ

وهو شيخ كبير وكان قوّالًا بالحق معظمًا لله عزّ وجلّ في الجاهليّة يقول في ذلك الاشعار الحسنة »

هذا ما ورد في كتب الرواة ومن العجب انّ ابن سعد في طبقاته الكبرى لم يذكره في جملة الصحابة . وفي تلقيب القدماء لهُ بالراهب دليل كافٍ على نصرانيّته وقد قال رسول المسلمين «لا رهبانيّة في الاسلام» . ولا ندرك لقولهم «هم بالنصرانيّة ثم امسك عنها » وهم يردفون قولهم بانهُ « دخل البيت واتّخذ لهُ مسجدًا لا تدخلهُ النساء» وكل ذلك من اعمال رهبان النصارى . ففي قولهم اذن نظرٌ وكذلك في زعمهم انهُ عاش نحوًا من مائة وعشرين سنة . ولم يذكرهُ ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين . ويتّفق الذين ذكروهُ على انهُ كان شاعرًا ولهُ الاشعار الحسنة في الدين والادب مع الاشارة الى نصرانيّته فمن ذلك ما روى لهُ ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٤٨) وابن الاثير في أُسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ : ٢٧٨) وابن حجر العسقلاني في تمييز الصحابة (٢ : ٤٨٦) وغيرهم ما يدلّ على رهبانيّته (من الطويل) :

يقول ابو قيسٍ وأصبحَ غادياً ... ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا (١

اوصيكمُ بالله والبرّ والتقى ... وأعراضكم والبرُّ بالله اوّلُ (٢

وانْ قومُكمْ سادوا فلا تحسُدنّهم ... وان كنتمْ اهل السيادة فاعدلوا (٣

وان نزلتْ احدى الدواهي بقومكم ... فأنفُسكم دون العشيرةِ فاجعلوا

وإنْ نابَ غرمٌ فادحٌ فارفقوهمُ (٤ ... وما حمّلوكم في الملمّات فاحملوا

وان انتمُ أمعرتمُ (٥ فتعفّفوا ... وان كان فضلُ الخير فيكم فأفضلوا

ومن وصاياهُ التقويّة في الجاهليّة قولهُ (من الخفيف) :

سبّحوا الله شرقَ كلّ صباحٍ ... طلعتْ شمسُهُ وكلّ هلالِ

عالمُ السرّ والبيانِ لدينا (٦ ... ليس ما قالَ ربّنا بضلالِ

١ـ ويروى : واصبح ناصحًا . . من وصايتي ٢) ويروى : واوصيكم بالخير والبرّ . . واعراضكم بالله والبرُّ اوّلُ ٣) ويروى : اهل الرئاسة ٤) ويروى : امرٌ خارج فاردفوهمُ ٥) ويروى : أماتمُ ٦) ويروى : جميعًا

ولـهُ الطيرُ تـتريدُ وتـأوي في وكورٍ من آمنـاتِ الجبـالِ
ولـهُ الوحشُ بالفـلاة تَرَاهـا في حِقـافٍ وفي ظِـلالِ الرمالِ
ولـهُ هَوَّدت يهـودُ ودانت كلُّ عـينٍ إذا ذكرتَ غُضـالِ
ولـهُ شمَّسَ النصارى وقـاموا كلَّ عيـدٍ لربِّهم واحتفالِ
ولـهُ الراهبُ الحبيسُ تراهُ رَهْنَ بؤسٍ وكان ناعمَ بالِ
يا بنيَّ الأرحامَ لا تقطعوها وصِلوها قصيرةً من طِوالِ (١
واتَّقوا الله في ضعافِ اليتـامى رُبَّمـا يُستَحَـلُّ غيرُ الحـلالِ
واعـلموا انَّ لليتيمِ وليـاً عـالماً يهتدي بغيرِ السؤالِ
ثمَّ مـالَ اليتيمِ لا تأكلوهُ انَّ مالَ اليتيمِ يرعاهُ والي
يا بنيَّ التـخومَ (٢ لا تخزلوهـا انَّ خَزْلَ التـخوم ذو عُقَّـالِ
يا بنيَّ الأيامَ لا تـأمنوهـا واحذروا مَكْرَها (٣ ومرَّ الليالي
واعلموا انَّ مَرَّها (٤ لنَفادِ م الخلق مـا كان من جديـدٍ وبالِ
واجمعوا أمركم على البرِّ والتقوى م وتَرْكِ الخنـا وأخذ الحلالِ

ومما رُوي لهُ في الاسلام مشيراً الى نبيّهم قولهُ وفيهِ ايضاً دلائل على نصرانيّتهِ حيث يذكر « صلاتهُ في كلّ بيعةٍ » (طويل) :

---

١) قيل في شرحها : هذا يحتمل تأويلين : احدُهما ان يُريد «صِلوا قِصَرها من طولكم» اي كونوا انتم طوالاً بالصلة والبرّ ان قَصُرت هي . . والتأويل الآخر ان يريد مدحاً لقومهِ بانَّ ارحامهم قصيرة النسب ولكنَّها من قوم طوال كما قال الطائي :

انتم بنو النَّسب القصير وطولكم بادٍ على الكُبَراء والأشرافِ

والنسب القصير ان يقول «انا ابن فلان» فيُعرف وتلك صفة الاشراف ومن لبس بشريف لا يُعرف حتى يأتي بنسبةٍ طويلة يبلغ بها رأس القبيلة ٢) قال ثعلب : التُّخوم واحد والتخوم جمع اي حدود الارض ٣) ويروى : كَرَّها ٤) ويروى : امرها

ثوى في قُريش بضع عشرة حُجّةٍ يذكّر لو يلقى صديقاً مؤاتيا
ويعرض في اهل المواسم نفسَهُ فلم يرَ من يؤمن ولم يرَ داعيا(١
فلمّا اتانا اظهر الله دينَهُ فأصبح مسرورًا بطيبة راضيا
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى وكان لنا (٢ عوناً من الله باديا
يقصّ لنا ما قال نوحٌ لقومه وما قال موسى اذ اجاب المناديا
واصبح لا يخشى عداوةَ واحدٍ(٣ قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا لهُ الاموال من جُلّ مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلمُ انّ الله لا شيءَ غيرُهُ ونعلمُ انّ اللهَ افضلُ هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلّهم جميعاً وان كان الحبيبَ المصافيا
اقول اذا صلّيتُ (٤ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قدا كثرتَ لاسمك داعيا
اقول اذا جاوزتُ ارضاً مخوفةً حنانيك لا تُظهر عليّ الاعاديا
فطأْ مُعرضاً انّ الحتوفَ كثيرةٌ وانك لا تُبقي بنفسك باقيا (٥
فوالله ما يدري الفتى كيف يتّقي اذا هو لم يجعل لهُ الله واقيا
ولا تحفلُ النخلُ المقيمةُ ربّها اذا اصبحت ريّاً واصبح ثاويا
بدا ليَ ان عشتُ ثمين حجّةً وعشرٌ اوّل وما بعدها ثمانيا(٦
فكم ألفها لمّا مضتْ وعددتُها بحسبها في الدهر ولا لياليا

(لها بقيّة)

١) ويروى: ويعرضُ . . . نفسهُ . . من الناس داعيا ٢) ويروى: وكان لهُ . ويروى ايضاً وكنّا لهُ ٣) ويروى: من الناس واحدًا ٤) ويروى: اذا أدعوكَ .
٥) ويروى : وانك لا تبقي لنفسك . ويروى هذا البيت والذي بعدهُ لافنون الشاعر (شعراء النصرانيّة ص١٩٣) ٦) كذا روى ابن سجّر هذا البيت وما بعد وكلاهما مختلّ الوزن

وصف بعض العاديات السورية

للابوين سبستيان رنزفال وريشه موترد اليسوعيين

توطئة

هذه لبذة نفردها لوصف نخبة من الآثار السورية القديمة التي فحصناها واخذنا صورها الشمسية في جهات من بلاد البقاع واعمال سورية . فاخذ حضرة الاب موترد على نفسه ان ينشر ما وجدناه من الكتابات اليونانية والرومانية . والآثار الموصوفة هنا لم يسبقنا احد الى نشرها ولها فائدتها من وجوه مختلفة . ولا بدّ لنا ان نقدّم هنا فرائض شكرنا بالاجمال لكل الذين عرضوا علينا هذه العاديات او اتونا بالمعلومات التي سهّلت لنا القيام بشغلنا وابحاثنا . وفي فكرنا ان نعود الى وصف هذه الآثار وصفاً اتمّ واوسع في نشرة كلّيتنا العلمية (Mélanges de l'Université S' Joseph) س . ر

١ تمثال كبير من البرونز للمشتري البعلبكي

هو اثر جزئي من البرونز وُجد في بعلبك قبل الحرب الكونية بمدة ترى رسمه في الاعداد ١—٤ من الصور التي في هذه المقالة . ويبلغ حاضراً طوله ٢٥٨ ملمتراً وهو اكبر تمثال من البرونز يُعرف اليوم لجوبيتر (المشتري) البعلبكي باطنه فارغ وسمك البرونز ملمتر واحد تقريباً . وكان مموّهاً بالذهب . وعهده من زمن الرومان كبقية تماثيله المعروفة الّا انه مُحكم العمل وذلك مما يزيد الاسف على تشويه صورته كما يلوح لمن يفحص صوره التي رسمناها هنا وهو تشويه مقصود فان بعض الهمج قطعه قطعتين فقدت احداهما . والباقي منه تُرى على وجهه وعلى جانبه آثار ضربة فأس أفسدت التصاوير المنقوشة على رداء الاله

وقد مُثّل رأس الاله في هيئة الشباب دون لحية كصوره المعروفة سابقاً . وشعره مقصوص على الزيّ المصري مدرّجاً يعلوه قلنسوة مشتقة من العَمرة المصرية تراها مكسورة ومائلة الى اليمين . والاثريون يعرفون تماثيل أخرى للاله شعرها وقلنسوتها على مثال شخصنا . وكذلك ثوب الاله وزينته معروفان . وهو عبارة عن درع رومانية تبلغ الى قدميه على جهتيها من امامها وخلفها تقاطيع ذات صور شتى .

١

٢

٣

٤

فنا يرى منها حاضرًا شخصان نصفيّان (انظر العدد ١ من الصورة) يمثلان الشمس والقمر . وكانت بقيّة التصاوير متتابعة الّا انها تشوّهت او فُقدت مع القطعة السفلى الضائعة وقد نشر المشرق (١٤ [١٩١١]: ٣٠٩ و١٦[١٩١٣]: ٥٢٢) صورًا شبيهة بها سبقنا في نشرها ما اثبتهُ المسيو رينه دوسو في العدد الاوّل من مجلّة (SYRIA)

ويُرى في ظهرها (اطلب العدد ٣ من صورنا) نسرٌ ناشر جناحيهِ على الصاعقة وهو محكم العمل . واما ما بقي من الاثر تحت النسر فهو مطموس الّا خانةً مربعة كانت على زواياها أسعاف صغيرة (palmettes) من النخل الفينيقي . وجيدُ الاله مزدان بقلادة دون علائق . وكانت عيناه وحاجباهُ من موادّ ثمينة فُقدت حاضرًا

ومن خواصّ هذا التمثال انهُ دون ذراعين . وهذه ميزةٌ نادرة في اشباههِ وهي مع ذلك احدى خواصّ الاله الدالّة على بنوّيتهِ . وهذا الامر قد ثبت الآن بوجود آثار اخرى لا يسعنا اليوم الكلام عنها ولاسيّما بوجود مذبحٍ قديم وُجد في الهرمل وهو حاضرًا في متحف عاديّات بيروت . ولندرة هذا الامر اضحى اثرنا غاية في القيمة ويجدر باحد متاحف اوربّة او اميركة ان يقتنيهُ

٢ قطعة من نَصب تدمري يمثل الاله يَرْجبُول الشمسيّ

هذا الاثر من حجر تدمر الكلسيّ معظمُ طولهِ ٤٠ سنتمترًا (اطلب العدد ٥ من صورنا) وهو من مجموعات المسيو غليوم بوخه (M. G. Poche) في حلب ولهُ هناك شبهُ متحفٍ ذي آثار جمّة تتراوح بين الازمنة السابقة للتاريخ الى القرون القريبة من عهدنا وذلك ممّا لا نراهُ لأديب غيرهِ في سوريّة . امّا النصب المذكور فهو لسوء الحظّ مقطوع ترى من عن شمالهِ رجلَ إلهٍ تلفّتْ صورتهُ وبقربهِ صورة إلهٍ آخر وهو الاله يَرْجبُول الذي كان الاثريّون يعدّونهُ كالهٍ قرويّ وقد تحقّقوا الآن انّهُ الهٌ شمسيّ وهذه الصورة تؤيد ذلك فترى الاله لابسًا بزّة الجنديّ الرومانيّ في يدهِ الرمح ورأسهُ متوّج بحلقةٍ ذات اشعّة . وعن شمالهِ صورة احدِ عبّادهِ الذي اقام لاكرامهِ هذا الاثر ويدهُ على مذبحٍ تعلوهُ اجناس الاثمار ومن تحتهِ رابضٌ الثور المعدّ للذبيحة

وفي اسفل صورة الاله اسمهُ باليونانية IAPIBOΛA ويليهِ اسم العابد بحرف اصغر ΕΛΑΕΒΗΑ ΒΑΛΑΝ وكان في اعلاه كتابة مطموسة بقي منها ما يلي :

ܒܥܠ ܒܠܐ وهذا يقرّب تعريف الاسم اليوناني BAAAN[IOY] فكان اذن اسم العابد إلمبل (اله بل) اي بِلْ هو المي واسم ابيهِ بلانيا. وهذا الاسم لم يُعرف سابقاً. وقد اخنى الزمان على صورة وجه هذا العابد وانّما تُرى لحيتهُ. امّا صورة الاله الذي هو غير ملتحٍ كما في صورهِ السابقة فهي مشوّهة تاماً في هذا النصب. وعلى الرغم من ذلك فانَّ لهذا الاثر شأناً عظيماً بين منحوتات تدمر ولذلك سُررنا بنشرهِ. وكان سعادة قنصل دمشق المسيو جيرون قد ألفت نظرنا اليهِ قبل الحرب بزمن قليل وارانا منهُ صورة شمسية غير متقنة. ولنا في هذا الاثر كلام طويل نؤجلهُ الى زمن آخر في مقالة نعدُّها لوصف آلهة تدمر

٣ رأسُ جبّاري لالهٍ سوري حتّي

في صورنا (اطلب العددين ٧ و ٨) رسمُ رأس احد الآلهة المصنوع من الحجر البركاني علوّهُ ٣٦ سنتمترًا كان مركّباً على تمثال جبّاري. وُجد بين انطاكية وحلب وهو ايضاً من مجموعات المسيو برخه الاثريّة. وهذه الهامة لاحد الآلهة السوريين الحتّيين عليها القلنسوة المستطيلة المعروفة المزدانة باربعة ازواج من القرون. ليس في وسعنا هنا ان نبيّن خواصّ هذا الاثر وما بينهُ من العلاقة وبين منحوتات الصناعة القديمة في سوريّة العليا في نواحي القرن الخامس عشر الى الثالث عشر قبل المسيح. وانّما يدلُّ مجرّد النظر اليهِ على ما بلغت تلك البلاد من الصناعة الراقية التي كنّا حتى اليوم نجهلها لولا بعض الآثار من البرونز ولاسيما اثر «مِشرفه» الذي نشرناهُ في الجزء الاخير من مجموعة المكتب الشرقي (MFO, t. VII, pl. V. 1 et 2). وفي اثرنا هذا الجديد لا لحيةَ للاله مع كونهِ كهلًا بل شيخاً وكان لهُ عينان من مادّة مختلفة مَحجراها اليوم فارغان. وخلاصة القول انَّ هذا الاثر فريد في جنسهِ حريٌّ بأن يُتّخذ كاساس صناعةٍ جديدة س. ر

٤ كتابات يونانيّة ولاتينيّة في البقاع وسوريّة

اعلم ان ﴿القسم الاوّل﴾ من الكتابات التي عهد اليَّ حضرة الاب رنزفال نشرها مدارها على الديانات القديمة وعلى اكرام القدماء لامبراطرة رومية

(اولًا) اوقفَ الكاتبُ الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف حضرة الاب

١

٢

٣

٤

ونزقال على كتابة يونانيَّة مرقومة على نصب من الحجر الكلسي الابيض في دير لباس فنقلها مع المير بياجيني والكتابة المذكورة عبارة عن تقدمة للاله جوبتير البعلبكي الذي رسمنا صورتهُ. عُني بحفرها عبدان يستمدَّان من الاله سعادة سيّدهما وهي بالحرف اللاتيني وبعض حروفها من القلم اللاتيني العاديّ واسم العبدين كاليستوس وابولونيوس وهذا نصها I(ovi) o(ptimo) m(aximo) h(eliopolitano)pro salute domino(rum) Callistus et Apollonius v(otum) s(olvunt)

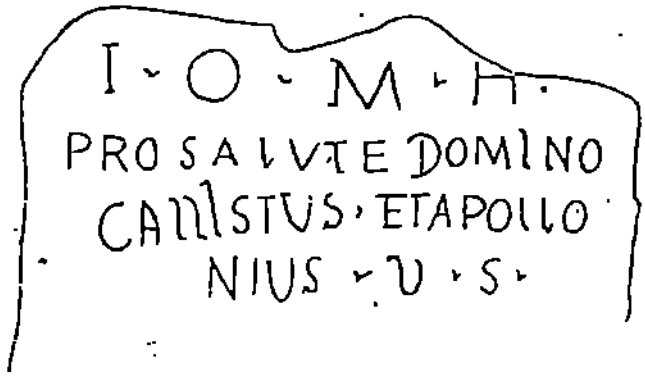

العدد ٩

(ثانياً) وفي العدد ٦ من صورنا مذبحٌ وُجد في تنين التحتاء أعلمَ بهِ جنابُ الاديب فردريك ألوف من بعلبك حضرة الاب ونزقال. وعلى وجهة المذبح تقدمةٌ لاله سوريّ يُدعى بعل سدي اوشدي (Beelseddes او Beelseddis) لم يرد لهُ ذكرٌ في الكتابات المكتشفة سابقاً ومن الممكن ان يُقابل بينهُ وبين اسماء لالهةٍ ورد ذكرها في الاسفار المقدَّسة وفي اعمال فيلون الجبيليّ (كاسم الاله Ἀγρός مثلاً) الّا انَّ هذا يستدعي درساً مطوَّلاً

والكتابة تقدمة لمستعمرَين رومانيَّين اسمها ڤيبيوس كنديداتوس وسبتيميوس ساترنينوس في رفقة احد السوريين المسمّى عَذَر او عاذر وهذا نصُّ الكتابة: I(ovi) O(ptimo) Beelseddi Viveius (= Vibius) Cand:

(idatus) et Septimius Satorn(inus) et Adrus v(otum) l(ibentes) a(nimo) s(olvunt)

(ثالثاً) ووجد الاب رتزفال والمسيو بياجيني والمسيو مسك في تمنين ايضاً قريباً من جامعها الكتابة الآتية :

A. ET. C. O
M. ET. F. ET
LIBERTUS
IPANIS
ARA. IOVI
L. A.

وهي تقدمة رُقمت على مذبح لجوبتير كان هيكلهُ في محلّ الجامع . واصحاب التقدمة اولوس (Aulus) وغايا (Gaia) والمرجّح انهما زوجان وكانا من اسرة واحدة تدعى اميديوس (Ommidius)؟ معهما ابنهما وعبدهما المعتق المسمّى ليبانيوس (Libanios) . وكان العبيد قديماً في رقيهم ثمّ في عتقهم يُدعون كثيرًا باسم ليبانيوس ومعناها البخور ولبنان معاً

(رابعاً) في ثعلبايا في ملك المسيو بياجيني عند طرف الناحية التي وُجد فيها مصيفٌ دُعي في الجرائد بمصيف سعدنائيل الروماني وُجد ايضاً مع ما كان هناك من قطع الفسيفساء الكبيرة حجرٌ كبير كلسيّ طولهُ ٧٠ سنتمترًا وعلى وجهه كتابة لاتينيّة يرى منها فقط سبعة اسطر بأحرف ظاهرة . والمرجّح ان ذاك الحجر كان حدًّا لاحدى الطرقات اللاحبة أُقيم لمياصرة ذلك العهد وهذه صورتهُ (ع ١٠) كما ترى :

D[d. nn.]? Impp. Ca[ess. F] I. Val. Consta[n]tino [et] Va[l. Lici]n. L[Licini]o Augg.et Fl.[V]al. C[ris]po et [Fl?] Val.C[l?Lic] in.[I.ic.] et Fl.Cla[udio Constantino فهذه الكتابة تاريخها بعد السنة ٣١٧ للمسيح وهي Caess...] السنة التي جعل فيها قسطنطين الكبير وشريكهُ في الملك ليقينيوس الوثني اولادهما الثلثة قياصرة واسماؤهم في هذه الكتابة . ولمّا كان العام ٣٢٣ او ٣٢٤ فهلك ليقينيوس ثم قتل قسطنطين ابنهُ كرسبوس سنة ١٣٢٦ عمد بعضهم الى هذا الاثر فازال بالحديد اسمي ليقينيوس وابنهِ ثم اسم كرسبوس . والظاهر أننا يمكننا الاستناد الى هذا الاثر لاثبات اسماء ليقينيوس الصغير اعني فلافيوس ڤاليريوس كاوديوس (؟) وهذه

الاسماء لم تُذكر الّا نادرًا ولعلّها لم تُدوَّن في الآثار السابقة مطلقاً

(خامساً) في دمشق اثر آخر مرجعهُ الى العبادات الوثنيّة . وهو نصبٌ قديم هدى اليهِ اديبنا الفاضل عيسى اسكندر المعلوف حضرة الاب رنزفال وهو موجود في بيت من حيّ القيمريّة عليه كتابة يونانيّة هذه صورتها :

MATAIOC
PABΔOYXOC
ΔIOCANEΘHN
ΔII

هذا تعريبها : « انا متّى حامل الصولجان قد اقمتُ (هذا المذبح) للاله جوبيتر » . فترى انَّ اسم صاحب الكتاب شبيه باسم الرسول متّى وكان حاملاً للصولجان اي كانت وظيفتهُ ان يسهر على حسن النظام في الطوافات وحفلات هيكل دمشق . ومن المعلوم ان هيكل الرومان الوثني قد أُقيم في مكانهِ كنيسةٌ مسيحيّة على اسم القديس يوحنّا المعمدان وهي التي حوّلها المسلمون الى الجامع الاموي

﴿ القسم الثاني ﴾ — كتابات نصرانيّة في حلب والبرج — قد تلطّف المسيو يوسف بوخه في حلب وسلّم حضرة الاب رنزفال صور عدّة كتابات حجريّة اخذ رسمها بذاتهِ في البرج من املاكهِ قريباً من معرّة النعمان

واحدة منها كانت على اسكفّةٍ مرقومة باليونانيّة على جانبي صليب يوناني الشكل على طرفيهِ الحرفان A و ω اي البداءة والنهاية . وهذه هي الكتابة :

KYMETI	هنا صليب	PIωNΔIA
ΦEPON	مع الحرفين	IωANNOYI
KAIΠE		AAEIAC
MPAΠI	Aω	AEOYIA
INdSZ		ETOYCOω

هذا تعريبها : « قبرٌ يخصّ يوحنّا . . . ؟ وبيلاجيا . في اليوم الحادي عشر من الشهر الروماني ؟ نيسان في السنة السابعة من محزور القيقلوس (indiction) الموافقة للسنة ٨٧٠ (وهي السنة ٥٥٧ للمسيح)

ثم في كتابة ثانية ما صورتهُ :

BAPBE
CCCMAPΘA

وهو اسم علم لرجل مع اسم ابيه : « يربيسوس بن مرثاس »

وكان على حجر آخر كتابتان على جهتيه :

a) ETOYCHXΔIC
YEKBAPAX
M
VM

b) MAPJANE CAMM
ETEΛEC

ففي الكتابة الاولى ذكر « السنة ٦٠٨ (الموافقة للسنة ٢٩٦م) واليوم ٢٥ من شهر تشرين الثاني » . ويلي التاريخ اسم صاحب الاثر او المهندس وهو اسم سامي الهيئة يلوح اصلهُ الثلاثي « برك » اي مبارك من احد الآلهة

والكتابة الثانية معناها بالتخمين « انَّ مرثانيس قرينة او كريمة اميوس او أمونيوس قد توفيت . . . » وقد سقط تاريخ يوم الوفاة وسنتها

وهناك ايضاً كتابات ضريحية اخرى لا اهمية لها

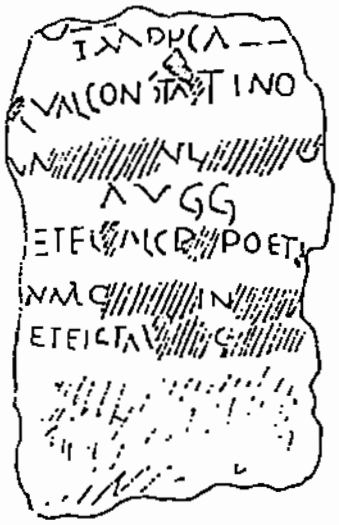

العدد ١٠

العدد ١١

وفي العدد ١١ من صورنا الذي تُرى صورتهُ هنا اثرٌ غريب والظاهر انهُ لاحد النصارى لانَّ حرفهُ الاوَّل في الكتابة يمثل صليباً في داخل دائرة . الا انَّ الصورة التي

تمثل فارساً على فرسهِ وهو يضرب برمحهِ ترساً مستديرًا اشبهُ بصور اخرى عديدة للوثنيين كانت تمثل احد الالهة الفرسان في تراقية . على انَّ فارس شكلنا هذا مكتسٍ بثياب شرقيَّة كثياب قدماء الفرس والعجم . والكتابة قد رُسمت معكوسةً كأن حافرها كان سريانيًا قد اعتاد حفر الكتابات السريانيَّة وهو يجعل الحروف بعضها فوق بعض فالكتابة والصورة حفظتا هذه الهيئة السريانيَّة الغريبة وهذا نصها اليوناني :

+ Ἀνέθηκεν Δυονύσιος λώου ιδ' ἔ (τους) χ ?...

معناهُ « هذه تقدمة نذريَّة لديونيسيوس في اليوم الرابع عشر من شهر لووس (Λῶος) من السنة ٦٠٠ و ...؟» . وهذا الاثر في متحف المسيو غليوم بوخه الذي لم يعلم بالتدقيق من اين اصلهُ . ومن الاكيد انهُ وجد في ناحية حلب بينها وبين انطاكية

﴿القسم الثالث﴾ وفي مجموعة المسيو بوخه ايضاً عدَّة كتابات ضريحيَّة او تقادم للوثنيين بينها قطع صغيرة عليها كتابات منها نصبٌ ضريحيٌ ينقسم نصُّهُ اليوناني قسمين ففي الاول اسم كرسبوس ابن ارستاوس وفي الاخر اسم قرينة الميت او ابنتهِ على هذه الصورة :

هنا نقشة ورديَّة

ΚΡΙCΠΟC	ΜΑ···
ΑΡΙCΤΑΙΟC	ΙΜ ΕΟ··
ΑΛΥΠCΧΡ	ΚΓΙCΠΟ

وهنا اثر ضريحيٌ آخر واسم الميت پوبليوس ابن اوكراتيس

ΠΟΠΛΙΟC	ΕΥΚΡΑΙ
ΥCΑΛΟΙΠ	ΑΙΧΕΡΑ

وممَّا يُذكر للمسيو بوخه فيشكر انَّهُ منع من التلف حجرين طويلين كلسيَّين كانا من جملة اثر اقامهُ جنود الرومان لاحد قوَّاد او قياصرة رومية بنسبة حربٍ نشبت لمحاربة الفرس . يستدلُّ على ذلك بكتابة مرقومة على الحجرين . وفي هذه الكتابة ذكر لفرقة جنود تراقية القدماء (Ala Th[rac(um) Veter(anorum

وهي فرقة من الفرسان كان مقامها عادةً في بلاد پانونية السفلى اي بلاد المجر وسربية الحالية فاستقدموها لمساعدة سوريّة

ومما يذكر بين القطع ذات الكتابات بعض الخواتم الكبيرة من البرونز المعدّة لرسم اسم صاحبها على الآجر وعلى المآكل . بينها خاتم عليه مقلوباً اسمُ احد الرومان المدعو سكستوس ڤنديوس او ڤنديليوس (Vindilius او Sextus Vindius) سابنيانوس (Sabinianus) وعلى خاتم آخر باليونانيّة هذا ملك كراتياس (KPATEA) وعلى خاتم ثالث نداء احد الباعة : « الحانوت الجميل » KAAHA ΠΟΘΗΚΗ

ومنها ايضاً مرآة عليها اسم المرأة صاحبتها المدعوّة زوي (ZOH) . وبين الخواتم النصرانيّة خاتم عليه كلمة الايمان اي يسوع المسيح ابن الله . وعلى حجر كريم كان يُعلّق على الصدر يوجد على احد جانبيه رسم السمكة المشار بها الى السيّد المسيح وعلى الجانب الآخر حمامة جاثمة على كأس القربان مع الاحرف الرمزيّة التي معناها «المسيح ابن الله»

وبين الحجارة ذات النقوش الصغيرة حجر محفور عليه اسم صاحبه او حافره هرقليانوس HPA KAIANO . وعلى حجر آخر شلو رجل روماني من اوّل عهد الامبراطوريّة والنقش غاية في الحسن يمثّل صورة كصور الامبراطور اوغسطوس امّا الاسم المحفور عليه فهو « أوڤيليوس نازون » OVHIAYOΣ NAΣΩN فان كان هذا الاثر صحيحاً فهو يذكرنا باغنى فرسان الرومان المدعوّين بهذا الاسم كان من اسرتهم عدّةُ فرسان يأمرون في جهات آسية وخصوصاً في افسس واشهرهم فتيوس بوليون (Vettius Pollion) الذي كان يلقي طعاماً للاسماك العبيد الذين كانوا في خدمته اذا اغضبوه

فهذا الوصف الوجيز من شأنه بيان ما تحويه سوريّة من الآثار المفيدة للتاريخ ويُعلن بفضل الذين يجمعون هذه الآثار بصبر جميل فيصونونها من التلف ولا يدعونها تخرج من هذه البلاد الى البلاد الاجنبيّة فيفقدها العلم في الغالب . ومن ثمّ نسدي الشكر العميم لكل الذين يهتمّون باحياء آثار مواطنهم

ر . م

الدنيا والدين

في السنة الثانية والعشرين

نظر عام في احوالها للاب لويس شيخو اليسوعي

لم يَنقه العالم بعد من الداء العُضال الـذي اصابهُ بنشوب الحرب العموميَّة فانك حيثما تسرّح الابصار تجد آثار ذاك الواقع المهول الـذي اهتزَّت لهُ اركان الكون . ولعلَّ الامور لن تعود الى نظامها وهدوئها قبـل بضعة اعوام . ومن ثمَّ لا بدَّ من الاعتصام بحبل الصبر مع مواصلة السعي العام بتقريب زمن السلام والوفـاق وخَضْد شوكة الانقسام والشقاق

واخصُّ اسباب الحالة الحاضرة الأزمة الماليَّة التي ترزح تحت اعبائهـا الدول بعد مصاريفها الباهظة في ايَّام الحرب فاصبحت يتهدَّدها الافلاس . هذه فرنسة مثلاً انفقت في حربها ثمَّ في اصلاح بلادها المدمَّرة نيفاً ومئة مليار من الفرنكات . فـان طالبتْ المانية غريمتها بما يحقُّ لها من التعويضـات وتسديد الديون عارضت وتبرَّمت وسعت جهدها لتتملَّص من تبعة اعمالها وحتى الآن لم تنل من حقوقها الَّا النزر الزهيد وكذلك لها عدَّة مليارات على روسيَّة وتركيَّة فلم تستطع ان تستوفي منها شيئاً

ومن اسباب البلايا الحالَّة على العالم المطامع الدوليَّة فان المكـورة منها في الحرب لا ترضى بتبعة تهوُّرها في مطامعها فتدافع وتنازع لئـلَّا تفقد شيئاً من املاكهـا وسيطرتها . وتأبى الغالبة ان تُحرَم ثمرة انتصارها بعد ما تكلَّفتهُ من التضحيات المؤلمة والنفقات الباهظة والخسارات العظيمة . لاسيما انكلترَّة التي اعتـادت الإعارة بالربا واليونان الـذين تشوَّفوا الى خلافـة قسطنطين الكبير وحلموا بتجديد المملكة البوزنطيَّة . وهناك جنسيَّات شتى وعناصر مختلفـة قد استنشقت رائحـة الحرِّيَّة واستعذبت سلافة الاستقـلال فهي تأبى البقاء تحت النير وتتوق الى انشاء مواطن مستقلَّة ودول معتزلة

وفوق كلّ ذلك يأسف العالم على انتشار المدنيّة الموسومة بالعصريّة التي تخلع كلّ عذار وتنبذ سلطان الدين. والدين كما لا يخفى هو اللجام الذي يقهر جماح الانسان ويكسر شباة اهوائه. فكم اصبح من اهل زماننا اشباه الفرس الشديد الشكيمة الذي يركب رأسهُ ولا ينقاد لصوت فارسهِ فيُلقي بهِ في التهلكة.. والى هذا الروح تنقاد الجمعيّات السرّيّة والاحزاب الاشتراكيّة والشيع الفوضويّة التي تتهدّد كيان الدول وتنقض اساس الهيئة الاجتماعيّة

وقد طلب الحلفاء دواء لهذه الادواء بعدّة مؤتمرات ومفاوضات دوليّة في امكنة شتى لم تأتِ بنتيجة الى ان عُقد في ٢٠ ت ٢ مؤتمر لوزان حضرهُ ممثلوا دول الحلفاء واليونان والبلقان وروسيّة والاتراك فأملوا منهُ خيرًا لإعادة السلام للعالم وفّقهم الله الى بلوغ هذه الغاية الشريفة

١ رومية والكرسيّ الرسولي

وان وجّهنا النظر الى كلّ دولةٍ بمفردها وجدنا في رومية ما يسرّ القلب وتقرّ لهُ العين. هي السراج الوهّاج الذي اقامهُ الله فوق المكيال ليستنير بها البشر. هي الدواء الشافي لكل الادواء. ولو شاءت الدول لوجدت لديها العافية والسلام. هناك إمام الاحبار المقام من السيّد المسيح راعياً ومرشدًا ليرتاد للامم المناجع الطيّبة ويؤلّف قلوب الشعوب ويزيل ما يتنازعها من عوامل الانانيّة والحزازات العنصريّة. والعجب العجاب ان تلك الدول تُغشّي على ابصارها الغايات والاهواء الباطلة فتعدل عن رئيس الكنيسة ولا ترعى لهُ جانباً في مؤتمراتها وجمعيّات امها. وكان لو عقلت اوّل من ينبغي عليها استدعاؤهُ لعلاج ادوائها اجدر من يستطيع فكّ معضلاتها

على انّ الحبر الروماني لا تثبّط عزيمتهُ معارضاتُ الدول فانّهُ لا يزال ساعياً في خير العالم وصلاحهِ شاء ام أبى. فكلّ يعرف ما صنعهُ بندكتوس الخامس عشر لإسعاد الشعوب مدّة سبع سنوات بابويّتهِ وكيف لم يفتأ في دعوة المتحاربين الى الصلح والوئام حتى استحقّ بان يُدعى رسول السلام. وكانت احساناتهُ تعمّ الجميع دون استثناء دولةٍ او دين او نكبةٍ وكفى دليلًا على اقرار غير الكاثوليك عن حبّهِ الشامل لسائر الامم ما أُقيم لهُ من التمثال الجليل في عاصمة الاسلام على نفقة غير

المؤمنين شكرًا لما ادّاهُ للعالم من الخدم الجليلة

ولمّا نفذ فيهِ حكمُ الله اذ دعاهُ الى الجزاء الابديّ في جنة الخلد قام بدلًا منهُ على كرسيّ هامة الرسل كردينال ميلانو السيّد اشيل راتّي فتغير الشخص ولم يتغيّر روح البابويّة روح الحبّ والسلام . فقام بيوس الحادي عشر بالدعوة الالهيــة كسلفهِ فعمّ بعنايتهِ العالم الكاثوليكيّ بل شمل نظرهُ كل الامم وكلّ البلاد . لم يمرّ على ترقيته عشرة اشهر وترى لغيرتهِ ومحبّتــهِ اثارًا عديدة في سائر العمور . وثّق الروابط السياسيّة بين الكرسي الرسولي وفرنسة . عقد معاهدات مع ليتوانيــة وغيرها من الدول . دعا مواطنيهِ الايطاليين الى نبذ المنازعات السياسيّة وجمع كلمتهم لتعزيز الوطن فوجد صوتهُ آذانًا صاغية . رأى مــا بلغت اليهِ روسيّة من الضنك والمجاعــة فجمع المبالغ الوافرة البالغة عــدّة ملايين ليلطّف بلاياها وحمل العالم ببراءاتهِ على مدّ يد الاسعاف اليها . وهكذا فعــل باليونان والارمن في الاناضول وازمير واستنبول وبكل المنكوبين الــذين بلغ مــامعهُ امرهم على اختــلاف عناصرهم واديانهم صغارًا وكبارًا . سعى بنجاة البطريرك تريفون واعيان الروس من ايــدي السوفيات . كتب الى مصطفى كمال يوصيهِ بنصارى الاناضول من يونان وارمن وغيرهم . توسّط لدى مجلس العرفي في أثينا لتحرير العائلة الملكيّة والرفق بالجنرال اندره . رفع صوتهُ مرارًا وكتب الى اعضاء مجلس الأمم ليدافع عن حقوق الكاثوليك وعموم اهل فلسطين بازاء الصهيونيين . فلعمري انّ هذا لمشهد فريد يدلُّ باجلى بيان على انهُ ليس فقط إمام الكنيسة الكاثوليكيّة بل ابًا حقيقيًا لكافّة العالم

ومن الامور التي استوقفت الابصــار في هذا العام وعزّزت مقام الفــاتيكان تقرّب حكومة ايطالية من الحبر الاعظم فأرسلت غير مرّة فرقًا من جنودها لاكرام الكرسيّ الرسولي لاسيما يوم ارتقاء البابا بيوس الحادي عشر ويوم تتويجهِ وفي الطواف العظيم الذي سار لاوّل مرّة منذ السنة ١٨٧٠ في انحاء رومية لاكرام القربان الاقدس في ٢٩ أيار فعسى هذا التقرّب يتمّ بتحرير رأس الكنيسة وردّ رومية اليهِ

ومثلها الوفود التي قدمت الى الفاتيكان من قبل الدول الكاثوليكيّــة وغير الكاثوليكيّة حتى الصين واليابان وانّام . وقد رأى الفاتيكان في العام الماضي ثلثــة ملوكٍ قصدوا زيارة الحبر الروماني ليقدّموا لهُ واجبات التبجيــل والاكرام كان اوّلهم

ملك بلجيكة ثم ملك اسبانية ثمّ ملك دنيمرك هذا فضلًا عن سفراء الدول الذين يفدون كلّ يوم على قداسته لتسوية امور بلادهم المنوطة بالدين

ومن اخبار رومية المؤخرة انتخاب الحبر الاعظم لثانية كرادلة جُدد اثنان منهم فرنسويّان . ومن جملتهم احد الآباء اليسوعيين الاب يوحنّا إهرله (Ehrle) من علماء المانية المبرّزين الذي خدم الفاتيكان خدمةً جليلة بتنظيم مكتبته الشهيرة التي يقصدها العلماء من كلّ اوبٍ وصوبٍ فجعلها في مقدّمة المكاتب الاوربيّة بمحتوياتها وتسهيل الاستفادة من كنوزها . وقد عرف الحبر الاعظم الاب إهرله اتمّ معرفة وخدم مدّة المكتبة الفاتيكانيّة تحت رئاسته ثمّ خلفهُ في تدبيرها . فاراد ان يكافئهُ عن اعماله الخطيرة بنظمهِ في سلك امراء الكنيسة رغماً عمّا وجدهُ في الاب المذكور من الممانعة لتواضعهِ وفرارهِ من المناصب الشريفة

٢ فرنسة

هي اليوم القطب الذي عليهِ يدور محور السلام . فان رئيس جمهوريّتها المسيو ميلّران يُعتبر الآن في اعين مواطنيهِ والدول الاجنبيّة كأفضل رؤساء فرنسة يمثّلها حيثما سار تمثيلًا اهلًا بمقامها يحمل الجميع على حبّها والثقة بها في الاحوال الحاضرة . وقد ظهر ذلك خصوصاً في زيارتهِ لمراكش وشمالي افريقية في فصل الربيع

وفي اوائل السنة (في ١٢ ك ٢) سقطت وزارة بريان لِما اظهرهُ رئيس المجلس من التساهل الزائد في كانّ بازاء مطامع لويد جورج ومطاليبهِ الضارّة بشؤون فرنسة فعُهدت رئاسة المجلس الى المسيو بوانكاره الذي احرز في سائر اعمالهِ رضى مجلسي النوّاب والشيوخ بعزمهِ وحكمتهِ واقرّ الحلفاء بحسن سياستهِ مرّة اولى بعد ان توتّرت الاحوال بين لندرة وباريس بسبب التعويضات المطلوبة من المانية حتى خيف من قطع المواصلات بين الدولتين ثمّ مرّة ثانية بنسبة امور الشرق الادنى فسوّاها بصائب نظرهِ واجتنب وقوع حرب جديدة

على ان فرنسة تتوجّس خوفاً من تفاقم ديونها التي كانت في اول الهدنة سنة ١٩١٨ ١٧١ مليارًا من الفرنكات فبلغت اليوم ٣٣٠ مليارًا ولذلك يتشبّث ارباب حكومتها بمطالبة التعويضات من المانية التي اوقعتها في هذه الازمة الاقتصاديّة

ومما اتخذهُ مجلس النوّاب من الاحتياطات لتخفيف مصاريف الدولة انهم قلّلوا زمن الخدمة العسكريّة فجعلوهُ ١٨ شهرًا بعد ان كان بالغًا الى ثلاث سنين وكذلك اقتصدت البحريّة في تعمير اسطولها فانها لم تصرف على ذلك منذ السنة ١٩١٨ سوى ستّة مليارات ونصف بينما بلغت مصاريف الولايات المتّحدة ٤٨ مليارًا وانكلترة ٣٨ مليارًا واليابان ١٣ مليارًا وهذا احسن دليل على نيّات فرنسة السلميّة وتفنيد المتشدّقين بانها تريد استئناف الحرب

وقد أُقيمت في فرنسة في العام المنصرم عدّة مؤتمرات ومعارض وحفلات شائقة نخصّ منها بالذكر معرض مرسيليسة الاستعماريّ الذي كان افتتاحهُ في ١٦ نيسان شُيّدت فيهِ عدّة قصور استعماريّة ووطنيّة فخيمة تأخذ بحسنها الابصار كان بينها معرض لسوريّة ولبنان . فعُرضت هناك كلّ محصولات المستعمرات الفرنسويّة على اختلافها وتعدُّدها من كلّ مواليد الطبيعة والاعمال الصناعيّة والفنيّة والمخترعات الحديثة . فاصاب المعرض نجاحاً عظيماً تقاطرت الى مشاهدتهِ الجماهير المجمهرة من الاهلين والاجانب . وقد أُقيم في خلال المعرض في ٧ أيار مشهدٌ لتذكار الجنود الذين قُتلوا في جهات الشرق

ومن الحفلات الفخيمة التي عُقدت في باريس في ١٤ ايلول في مكتب السوربون عيد التذكار المئوي لاكتشاف شمبوليون رموز الكتابة الهيروغليفيّة التي فتحت للعلم مجالًا لم تبلغهُ الاجيال السابقة . وكذلك التذكار المئوي لانشاء الجمعيّة الاسيويّة الذي خصصنا لوصفهِ مقالةً في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٦١٢)

وكانت النهضة الكاثوليكيّة في العام الماضي جديرة بالثناء فانّ الحزب الكاثوليكيّ زاد توثّقًا ونما عددًا واتّفاقاً مع الاساقفة والاكليروس وتعلّقاً بالكرسي الرسوليّ الذي كان لسفيرهِ الجديد لدى الحكومة احسن استقبال . وقد عقد الكاثوليك عدّة مؤتمرات عموميّة وخاصّة منها مؤتمرٌ للصحافة الكاثوليكيّة كانت نتائجهُ غاية في الشأن . وقد دافع الاساقفة عن التعليم الكاثوليكيّ في المدارس واحتجّوا على القوانين السابقة المجحفة بحقوقهم وبيّن خطباؤهم في مجلس العموم الحالة السيّئة التي صار اليها التعليم العلماني

وقد فقدت فرنسة في السنة ١٩٢٢ بعض اعيانها منهم الجنرال ميستر من رؤساء

الجيوش الـذين اشتهروا في الحرب الاخيرة والسيو بول ديشانل رئيس الجمهورية مدة والسيو دنيس كوشين من علماء الكاثوليك المعدودين واحد اعضاء الاكادمية الفرنسوية توفي في ٢٤ آذار . والمنسيور لويس دوشين من الاكادمية الفرنسوية ايضاً والشهير بكتاباته الاثرية والتاريخية الكنسية . وكانت كنيسة فرنسة فقدت قبلهُ احد كبار اساقفتها الكردينال دي كبريار الذي شرَّف وطنهُ بآثاره الدينية وكتاباته البليغة ورعى ابرشية مونبليه نحو ٥٠ سنة فجاري بفضلهِ وفضيلتهِ اعظم اساقفة وطنهِ

٣ انكلترة

لبريطانية العظمى منذ الحرب الكونية مقام ممتاز في التوازن الاوربي . كان رئيس وزارتها لويد جورج يستنفد القوى لترقيتها وتوسيع نطاق املاكها ومستعمراتها وتجارتها وربما غضَّ الطرف عن حقوق غيرها ليجعل في يدها السيطرة العليا . على انَّ هذه السياسة الخرقاء لم تلبث ان أثارت الشحناء في القلوب وحوَّلت اميال كثيرين عن انكلترة الى ان أدَّت الى سقوطهِ في ٢٠ تشرين الاوَّل وقيام بونارلو خلفاً لهُ في رئاسة الوزارة فأظهر من الاعتدال في سياستهِ ما قرَّب اليهِ قلوب الحلفاء والوطنيين معاً

اسقطت بريطانية عدد جيشها من ٢٥٠،٠٠٠ الى ٢١٥،٠٠٠ الَّا انَّها عزَّزت ملاحتها لما تجدهُ في الولايات المتحدة من المنافسة في السيطرة على البحار

وجدت انكلترة في سياستها الخارجية عقبات شتَّى في انحاء الهند حيث حاربت الاحزابُ الوطنية جنودها . وكذلك في مصر والعراق وفلسطين وجدت معاكسات عديدة في سبيلها لسوء خطتها السياسية في معاملة الاهلين وعدم مراعاتها لتقاليدهم القومية . وقد تصدَّى للحكومة بعض ارباب الجرائد الانكليزية كالتيمس وديلي اكسبرس وجاهروا بتقبيح سلوكها . الَّا ان تفويض جمعية الامم بريطانية بالانتداب على العراق وفلسطين زادها تشبثاً بآرائها وقد عقدت في العراق معاهدة مع صنيعتها الملك فيصل لتمكين سلطتهِ تحت حمايتها ولقطع آمال الاتراك في تملُّك الموصل

التأم المؤتمر الكاثوليكي الانكليزي هذه السنة في مانشستر فبحث المؤتمرون وبينهم عِلية الاكليروس في سائر الامور التي لهم فيها اليد الطولى . فرأى البروتستانت

ما للكاثوليك من القوة بوحدة الايمان وجمع الكلمة في الاعمال . وقد احسن وفادة المؤتمرين اللورد حافظ مانشستر وهو من البروتستانت . واقيمت في اثناء المؤتمر حفلات دينية نهاية في الأبهة والرونق . وفيها دليل نيّر على ترقي الكثلكة في انكلترة التي يبلغ معدل ارتداد البروتستانت فيها سنوياً الى الكثلكة ١٣٫٠٠٠ امّا اسكوتلندة فان عاصمتها غلاسكو فيها اليوم نصف مليون من الكاثوليك وكانوا قبل مئة عام على عدد الاصابع

وفُجعت انكلترة في هذا العام بوفاة احد خطبائها المصقعين الاب اليسوعي برنرد ثون (P. B. Waughan) انتقل الى عالم البقاء في سلخ شهر تشرين الثاني فتناصر الكاثوليك والبروتستانت معاً في اطراء علمه وبلاغته ولاسيما فضائله السامية . وكان المذكور يُعَدّ كاخطب خطباء وطنه يتزاحم الجميع الى استماع مواعظه ومحاضراته في الكنائس وفي ساحات لندن . وكان الملك ادورد السابع احد اصدقائه والمطربين ببلاغة عظاته . وقد سمعهُ ايضاً اعيان الصين والهند واليابان في بلادهم وكلهم لسان واحد في الثناء على عارضته . وكان مع عظم شرفه يقضي كل اسبوع الساعات المديدة في شرقي مدينة لندن بين ادقع الفقراء ليعلّمهم الدين ويذب طباعهم ويساعدهم بحسناته تغمّدهُ الله برحمته

وممن اسفت انكلترة على شبابه الرحالة شاكلتن الذي قاسى الامرّين ليبلغ القطب الجنوبي فتوفّق الى ادراك غايته وانّما عاجلتهُ المنيّة لما أُصيب به في رحلته من العناء والاتعاب . كان موتهُ في ٥ كانون الثاني

٥ ايرلندة

رأى ڤاليرا رئيس حزب المتطرفين الطالبين الانتقام التام عن انكلترة وعن سيادة ملكها انّ قسماً كبيراً من الايرلنديين لا يوافقونهُ على رأيه ويطلبون استقلال ايرلندة تحت نظارة الملكية البريطانية فقدّم استعفاءهُ وترأس حزب الاحرار وحاول معاكسة الحزب المعتدل ومناوشتهُ القتال سرًّا وعلناً . وبقيت ايرلندة الجنوبية مخالفة لشرقي البلاد وغربيها فضلاً عن معاداة حزب الاورنجيين البروتستاني في الاولستر شمالي الجزيرة لكلتيهما . وحدث بسبب ذلك الانقسام عدّة مناوشات ووقائع ومات

في اثنائها زعيما المعتدلين كولنس (M. Collins) ثم ارثور غريفيث (A. Griffith) الى ان فاز حزب الايرلنديين القابلين سيطرة ملك الانكليز . وانضوى اليهم معظم مواطنيهم فصار الامر اليهم وخرجت من ايرلندة الجيوش البريطانيَّة الرابطة فيها . فعسى ايرلندة تتمتَّع اخيرًا بالحريَّة التي لم تزل تجاهد في سبيلها منذ عهد خطيبها الكبير اوكونل بهمَّة رئيسها الجديد ملكاهي

ومما يدلُّ على اريحيَّة الايرلنديين ومروءتهم انَّهم مع فقرهم جمعوا مبالغ وافرة لتوزَّع على البائسين في روسيَّة إجابة لدعوة الحبر الاعظم

٦ المانية

تسعى المانية في ان تستعيد في العالم مقامها الرفيع سياسيًّا واقتصاديًّا الَّا انَّها تجد في الخارج والداخل ما يحول دون رغبتها . فامَّا في الخارج فمطالبة الحلفاء لاسيما فرنسة وبلجكة التعويضات عمَّا حصل بسبب جيوشها من الاضرار والخسارات الفادحة وامَّا في الداخل فالاحزاب المنقسمة الى جمهوريين وملكيين ومحافظين واحرار واشتراكيين تتنازع الحكم . وبعد ان كانت زمام التدبير في ايدي ڤرت (Wirth) صار في شهر تشرين الثاني في ايدي كونو (Cono) . وفي ٢٤ حزيران قتل احد اعداء الجمهوريَّة الدكتور راتنو وزير الخارجيَّة فوضع مجلس النوَّاب شريعةً تقضي بالدفاع عن الجمهوريَّة الَّا انَّ باڤارية لم توافقها على تنفيذها

حكمت جماعة الامم بان يردَّ الالمان لپولونية سيليزيا العليا التي سُلخت سابقاً من بلادها . فاضطرَّت المانية ان تفرغ سيليزيا في غرَّة تموز لكنَّ بعض جنودها اطلقوا في غليڤتس بنادقهم على فرقة من الفرنسويين انتقاماً فطلبت فرنسة محاكمة المذنبين . واعربت المانية ايضاً عن سوء نيَّاتها بما اذَّخرتهُ سرًّا من الاسلحة فوقف عليها الحلفاء وكذلك قد بالغت في طبع اوراق نقودها حتى بلغ ما طبعتهُ من اوراق المرك ١٧٥ مليارًا رجاء ان تؤيس الحلفاء من مطالبتها بالتعويضات فصار المرك لا يساوي الَّا ستيماً ونصف . وممَّا وقفوا عليهِ من حقد المانية وإضمارها السوء انَّ حكومتها عقدت سرًّا اتفاقاً مع روسيَّة وحكومة السوڤيات . ومن ثمَّ لا يزال الحلفاء على حذر من مكايدها وقرَّروا تمديد زمن احتلال ضفاف الرين الى ثماني سنوات

الّا انّ الكاثوليك الالمان يرون حالة بلادهم داعية الى الاسف فجددوا في السنة الماضية مؤتمراتهم القديمة فاجتمعوا في باڤارية وحاولوا تعزيز قواهم في خدمة دينهم ووطنهم وبحثوا عن الوسائل الكافلة بهذه الغاية الشريفة . وقد اثبتنا في المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٦٢٦ — ٦٤١) مقالة بديعة تبيّن تحمّس الشبيبة الالمانيّة الكاثوليكيّة وطلبة المدارس العليا واعمالهم العجيبة بازاء الجمعيّات البروتستانيّة وفيها دليل واضح على نموّ الحياة الكاثوليكيّة ونهضة الكاثوليك من كبوتهم

وقد فقدت المانية في ٩ نيسان احد ابطال حربها الاخيرة الجنرال دي فلكنهين رئيس العمدة الحربيّة

٧ النمسة والمجر

النمسة تشعر اكثر من سواها بعقابيل الحرب الاخيرة . فانّ العناصر المتعدّدة التي كانت تتألّف منها قبل الحرب اصبحت اليوم دولاً مستقلّة فلم يبقَ للنمسة الّا عُشر بلادها السابقة وخُمسُ أهلها يتضوّرون جوعاً لا تكاد لاوراقها المالية قيمة تُذكر . وقد عزمت دول الحلفاء على استدراك احوالهم وتلافي اضرارهم فمساها تنهض تلك البلاد التاعسة من كبوتها . وفي ٧ شباط قرضت الولايات المتحدة دولة النمسة ٢،٥٠٠،٠٠٠ جنيه وقرضتها فرنسة ٥٥،٠٠٠،٠٠٠ من الفرنكات

وللنمسة سندٌ مكين في اساقفتها ودين شعبها . لولا انّ لليهود فيها موقفاً خطرًا لهم في تجارتها ومالتها اليد الطولى . وكذلك في حكومتها قوم متطرّفون سعوا بوضع شريعة لإلغاء التعليم الديني في المدارس فتصدّى لهم ارباب الكنيسة وأبطلوا مقاصدهم

ومثل النمسة وصيفتُها المجر اوقعتها الحرب في ضائقة كادت تكون قاضية وكان حزب الملك شرل الرابع لا يزال ساعياً في استرجاع الملكيّة الّا انّ موتهُ في غرّة نيسان الاخير اضعف حزبهُ ثمّ جاءت الانتخابات العمومية في ٢٨ أيار فكان الفوز للجمهوريين في عدد ١١٦ ضدّ ٧٦

وفي ٨ ت ١ عقد الكاثوليك مؤتمرهم التاسع عشر برئاسة الكردينال كرنوخ رئيس اساقفة بودابست والسيّد شيريا القاصد الرسولي في المجر ختم بطواف القربان

الاقدس الذي اهتزّت لهُ المدينة كلُّها فتحقّق المجريُّون ان حياتهم القوميّة منوطة بدين اجدادهم

٨ ايطالية

كانت السياسة الايطالية في اضطراب عظيم فتتابعت الوزارات مباشرةً بوزارة بونومي ثمّ فاكتا وكان الفاشستيُّون يحاربون الاشتراكيين والفوضويين والبولشفيين الّا انّهم لم يذعنوا في اعمالهم الى اوامر الحكومة . ولم يزالوا في تعزيز حزبهم وتوفير عدد مناصريهم مع معرفتهم بضعف الحكومة حتى زحفوا بجماعتهم الى رومية وقلبوا الحكومة واقاموا زعيمهم موسيليني رئيساً لوزارة جديدة . وقد اظهر موسوليني من العزم والشدّة في ضبط الامور وكبح جماح ذوي الفتن ما اكسبهُ ثقة البلاد . ولم يأنف في خطابهِ الرسمي في مجلس النوّاب ان يظهر احترامهُ للدين واستمداد المعونة الالهيّة في تدبيرهِ للامور بل جاهر باكرامهِ للحبر الاعظم وتعظيمهِ للكنيسة . فساهُ وحزبه يثبتون على هذه الخطّة ويخدمون وطنهم بكل نشاط واخلاص

وكانت ايطالية سبقت وعقدت في ٢٧ ايّار معاهدةً تجاريّة مع روسيّة

٩ اسبانية

كان الحزب السياسي المعروف بالكرلست لا يفتأ يطالب بحقوق المُلك مخالفاً للملك الحالي الّا انه في ٩ حزيران اعلن بانضوائهِ الى الملك الفونس الثالث عشر واقرّ بانهُ هو الخلف الشرعي لدون جس

كانت السنة المنقضية موافقة لرغائب الاسبانيين في شمالي مرّاكش بعد انكسار جيشهم في العام السابق في مليلة . فانّهم في هذه السنة استرجعوا المدن التي فقدوها قبلًا وفي شهر ايّار زحفوا لمحاربة الرسولي وجيشهِ فنجحوا ووطّدوا ملكهم في تلك المستعمرة

ان الحفلات الدينيّة التي أُقيمت في اسبانية بنسبة المئة الثالثة لتثبيت قداسة القديسين اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس والقديسة تريزية مُصلحة رهبانية الكرمليات بلغت اقصى درجات الابهة والرونق . فان ذخائر القديسين المذكورين

المرسلة من رومية طافت في اسبانية طواف اعظم الملوك فتنافس الاهلون في كلّ الانحاء لاكرامها وزيّنوا مدنهم لاستقبالها وخفّ علية الاكليروس وارباب الدولة لتوقيرها . وقد جازى الله ايمانهم ببعض المعجزات نخصّ منها بالذكر شفاء راهبة مدنفة على الموت قامت بتمام العافية في مدينة تولوز لمّا باركها الكاهن بذراع القديس فرنسيس عند مرورها في فرنسة وقد استُقبلت في بايون وباريس وبوردو وتولوز وليون ومرسيلية بالحفاوة التي اصابتها في اسبانية . وكتب لنا احد اصحابنا من بوردو انه حصلت هناك معجزة اخرى باهرة بشفاعة القديس فرنسيس . امّا القديسة تريزية فانّها أُكرمت في وطنها بحفلات شائقة بل ارادت جامعة سلمنكا ان تُعلن بها ملفانةً (دوكتورةً) وزانت شخصها هناك بزيّ الدكاترة الذي طرّزته اكبر سيّدات اسبانية

١٠ البورتغال

منذ انقلاب الملكيّة فيها اصبحت ساحةً للنازعات والمشاحنات . فقد توالى في الامر منذ السنة ١٩١٠ سبعة رؤساء و ٣٨٠ وزيرًا قُتل في سقوط الوزارة الاخيرة اربعة منهم بينهم منشئ الجمهوريّة البرتغاليّة ماشادو سنتوس . ولا يُخفى انّ الماسونيّة كانت اكبر عامل في هذا الانقلاب كما انّها حالًا مسببة لهذه الفوضى المهولة

١١ . بلجكة — لوكسمبورج

ثبت قدمُ الحزب الكاثوليكيّ فيها بعد انتخابات خريف السنة ١٩٢١ والعقلاء مجمعون على حكمة ودراية رئيس الوزارة المسيو تونيس (Mr Theunis) مع اربعة من الوزراء الكاثوليك

سُنّ في الشهر الماضي قانون يجيز لكليّة غند (Gand) تعليم علومها في اللغة الفلمنكيّة الوطنيّة بدلًا من الافرنسيّة فرأى كثيرون في هذا الاختصاص داعيًا لانقسام البلاد فاحتجّوا على الدولة في ذلك

في اواسط كانون الثاني حصل توافق بين انكلترة وبلجكة على المدافعة عن تخوم بلجكة اذا ما تهدّد عدوٌّ استقلالها

امّا لوكسمبورج فاعربت انتخاباتها العموميّة الاخيرة في ٢٨ أيار ١٩٢٢ عن

فوز الكاثوليك الذين بلغ عددهم ٢٦ يقابلهم ٢٢ من الحزب المضادّ

١٢ دول البلتيك

هي دول اربع جديدة العهد اعني فنلندة وليتوانية ولتُونية واستونية وكلها جمهوريّات منفصلة عن حكم روسيّة وهي مع بولونية السدّ المنيع في وجه الدعوة البلشفيّة غربيّ اوربّة

وقد منع هذه الجمهوريّات عن توحيدها اختلافُ عناصرها وتباين اديانها ومصالحها الاقتصاديّة . فان استونية وليتوانية بلاد زراعيّة وفنلندة المتاخمة للبحر بلاد تجاريّة . والاديان تنقسم بين اللوترانيّة والانجيليّة والاورثذكسيّة والكاثوليكيّة وعدد اهلها يبلغ ستة ملايين لليتوانية وثلاثة ملايين لفنلندة ومليونان ونصف للتُونية التي عاصمتها ريغا ومليون وثمانمائة الف لاستونية . ولدى هذه الدول اليوم قصّاد رسوليّون لمراقبة احوال الكاثوليك

١٣ بولونية

يتصل بدولة ليتوانية جنوباً دولة بولونية التي خرجت من قبرها الذي دُفنت فيه بدسائس المانية وروسيّة ورضى النمسة . وفي شهر حزيران استولت على سيليزية العليا كما حكمت لها بها جمعيّة الامم فزاد بذلك عدد اهل بولونية نحو مليون ومساحتها نيّفاً وثلثمائة هكتار ثم ردّت لها حاضرة ڤلنا فاستؤنف التعليم في جامعتها القديمة الشهيرة

على انّ بولونية معرّضة لبعض الاحزاب السياسيّة وفي العام الماضي تنازل عن رئاسة البلاد رئيسها بيلسودسكي فخلفهُ ماروتوفتز الذي قتلهُ بعد أيام قليلة رجل مختلّ الشعور وهو يزور بعض المعارض فقام بدلاً منهُ الرئيس نوشياسكوفسكي

١٤ اليونان — الدول البلقانيّة

طمعت اليونان مطامع اشعبيّة فحلمت بمدّ سيطرتها على الاناضول وعلى تراقية وعلى الاستانة لتحيي المملكة البيزنطيّة واذا بها اضغاث احلام فجاءت انكساراتها المتوالية في الاناضول أفقدتها ازمير وتراقية الشرقيّة وجرّت البلاء على كلّ مواطنيها

فاضطرُّوا الى مهاجرة بلادهم الوفاً ومئات الوف وهم ضحايا الجوع والبرد والعري وسائر النكبات

فكانت هذه الكوارث سبباً لسقوط وزارات وقيام وزارات كفوناريس وستراتوس وامبروس ونيديا وحبس الملك قسطنطين في بلاطه وتمليك الملك جورج الثاني وليّ عهده . ثم حُكمت المحكمة العسكريّة بالاعدام على خمسة وزراء فوناريس وستراتوس وبروتوپاداكيس وبلتنازي وتيوتوكيس مع الجنرال حاجي إنستي . وحُوكم البرنس اندره فجُرّد من الرتب العسكريّة ونُفي من اليونان مؤبّداً

امّا الدول البلقانيّة فأحسّت بما يتهدّد تخومها من سطوة الاتراك بعد انتصاراتهم ومن ثم عقدت حكومات اليونان وسربية ورومانية معاهدة للدفاع عن اوطانهم ووضع حدود لمطامع تركيّة وروسيّة في بلادهم . امّا بلغارية فانّها تقرّبت الى الاتراك واثقةً بمواعيدهم لاسيما ان يُفتح لها منفذ الى البحر في دده اغاتش

وقد فازت البانية بما كانت تطلبهُ من الاستقلال بحكم جمعيّة الامم . وهي الى الآن لم تقرّ على رأي في انتخاب هيئة حكومتها اتكون ملكيّة او جمهوريّة ومعظم اهلها المسلمون عددهم ٦٠٠،٠٠٠ ثمّ الروم الاورثدكس (١٥٨،٠٠٠) ثم النصارى الكاثوليك (٨٩،٠٠٠) عاصمتهم اشكودره (سكوتاري) حيث يقيم رئيس اساقفة الكاثوليك السيّد سكرتجي والقاصد الرسولي السيّد كوزّي

ومن الامور الحريّة بالذكر زواج ملك يوغوسلافية جرجس كاراجورجفتش ومريم اميرة رومانية . وعُقد بين تشكوسلوفاكية وروسية اتّفاق تجاري في سلخ شهر أيار

١٥ روسيّة

انّ الحالة السيّئة التي صارت اليها روسية بحكم لينين واصحابه البولشفيك اضطرّتهم الى تعديل خطّتهم وتحوير مبادئهم الاشتراكية المفضية بدولتهم الى الدمار والبوار فاخذوا يسمحون بامتلاك الاراضي والمتاجرة الحرّة وعقد المعاهدات . على انّ هذا الاصلاح لن يتمّ بزمن قليل وعليه فانّ المجاعة ضاربة اطنابها على قسم كبير من روسية والامان مفقود بازاء عمال الدولة الذين نبذوا كلّ دين يتصرّفون باعمالهم كما شاؤوا لا يردعهم رادع ولا يردّهم ضمير . ومن شرورهم أنهم نهبوا الكنائس وسلبوا كنوزها

واذ رأت روسية ما تعقدهُ الدول من المؤامرات ارادت ان يمثلها فيها بعض اصحابها . الّا انهُ بسبب صلفهم لم تنجح المفاوضة الدولية في جنوى . واراد تشتشرين في مؤتمر لوزان ان يقاوم دول الحلفاء في ما اتّفقوا عليهِ في امر المضايق والبحر الاسود وحرّية المتاجرة الّا انهُ لم يلقَ اذناً سامعة حتى لدى الاتراك

على انّ الروس يزون في المانية مناصرة وعضداً ففي ١٧ نيسان عقدوا معها عهداً تجاريًّا . ثمَّ سعوا بتوحيد قواهم ضدّ الحلفاء فعقدوا معاهدة سرّيّة وقف عليها بعض الساسة فاعلن بها واثبت صحتها رغماً عن تكذيب الروس والالمان لوقوعها

١٦ موناكو

فُجعت هذه الدولة الصغيرة في ٢٦ حزيران بوفاة اميرها البير دي موناكو المولود سنة ١٨٤٨ الذي خلف اباهُ كارلس الثاني وقد قام بعدهُ ابنهُ لويس الجنرال الفرنساوي . امّا الامير المرحوم فكان احد انصار العلم بحث الابحاث الشهيرة في مكنونات الاوقيانوس فاستخرج كثيراً من غرائبهِ وانشأ متحفاً اوقيانوسيًّا جمع فيهِ كثيراً من كنوزهِ البحريّة ثمَّ انشأ ايضاً في باريس مكتباً لدرس الاوقيانوس وعالَم اعماقهِ ثمَّ اردفهُ بمكتب آخر لدرس العاديّات البشريّة (Paléontologie humaine) لتعريف اقدم رُفات وآثار بني آدم على الارض . وكانت اكادمية فرنسة العلميّة جعلتهُ من جملة اعضائها

١٧ اميركا

﴿ اميركة الشمالية ﴾ عُقد في ١١ ت ٢ الى اواسط شباط من السنة الماضية في واشنطون مؤتمر دولي كان مدارهُ على حصر قوّات الدول العسكريّة ابعاداً لخطر الحروب في المستقبل . ومن اهمّ ما دارت عليهِ الابحاث هناك مسألة الاوقيانوس والاساطيل الاميركيّة والانكليزيّة واليابانيّة وتحديد محمولاتها لمدّة عشر سنوات

ولم تجد فرنسة في هذا المؤتمر ما كانت تؤمّلهُ من المساواة بغيرها . وفي شهر آذار طلبت اميركة من فرنسة تعويضاً عن نفقات جيوشها في ضفاف الرين ٩٦٦ مليوناً من المرك الذهبي بحيث يُدفع للجندي الاميركي ثلثة ارباع ما تتكلفهُ فرنسة على احد جنودها

ومما صار عليه الاتفاق في مجلس الولايات المتحدة تحريمهم لبيع المسكرات والمشروبات الروحيَّة. ويرى كثيرون انَّ القانون الذي سُنَّ في ذلك يتجاوز حدود الاعتدال . وعلى كلّ حال لا يخفى ان اضرار الخمور والمشروبات الكحوليَّة اوفر كثيرًا من منافعها

اهدت فرنسة للولايات المتحدة تمثالًا جميلًا من تماثيل القديسة جان دارك فصار تدشينهُ بحفلةٍ شائقة حضرها كبار الدولة وجمٌ غفير من الاهلين

وفي اواخر الصيف قدم وفدٌ كبير من الاميركيين ليزوروا ساحة الوغى في فرنسة حيث قُتل مواطنوهم في معامع الحرب فلقوا حيثما ساروا كلّ حفاوةٍ واكرام

﴿اميركة الجنوبيَّة﴾ زار الثاتيكان في ١١ تموز رئيس الجمهوريَّة الفضيَّة الجديد المسيو الفيار وقدَّم باسم بلادهِ لقداسة الحبر الاعظم فرائض الطاعة والاكرام وقد احتفى بهِ قداسة البابا وبارك بلادهُ واثنى على دين اهلها

في ٦ ك ١ حدثت في جمهوريَّة شيلي زلازل شعر بهزَّاتها مرصدنا في كسارا . وما لبثت الاخبار وانبأت بما حلّ في تلك الجهات من الخراب والموت بسببها

١٨ تركيَّة

نهضت تركيَّة في العام الماضي في اواسط الصيف نهضة الاسد في انحاء الاناضول وبعد ان شتَّت جنودها شمل الجيوش اليونانيَّة لم تزل تتقدَّم الى الامام حتى دخلت ازمير واستولت عليها وصار لانقرة الكلمة الراجحة في تدبير مملكة بني عثمان فاخذ مصطفى كمال ووزراؤهُ يتحكَّمون على الاستانة وحكومتها يطلبون فصل الخلافة الاسلاميَّة عن سياستها للبلاد ولمَّا احتلَّت جنودهم غاليبولي ثم الاستانة في اوائل تشرين الثاني خلعوا السلطان محمَّد السادس وحيد الدين ولولا التجاؤهُ اوَّلًا الى سفارة انكلترة ثمَّ فرارهُ الى مالطة على دارعة انكليزيَّة لَمَا نجا من ايدي حكومة انقرة . وفرَّ مثلهُ كثيرون من ارباب الامر في الاستانة . واوقف غيرهم كأسرى . امَّا النصارى لاسيما الاروام والارمن فانَّهم لم يأمنوا على حياتهم واسرعوا الى المهاجرة قاصدين البلاد الاجنبيَّة

واقام الكماليُّون سلطانًا عبد المجيد افندي رابع انجال عبد العزيز ورضي بالسلطة

الدينية دون المدنية واقسم على ذلك. وحدث بسبب هذا الانقلاب في الاستانة قلاقل ومنازعات بين جنود انقرة واهل اسطنبول ولولا فرق الاجانب العسكرية لكانت ادّت الى مذابح وفظائع مهولة

ثمّ دُعي الكماليون الى حضور مؤتمر لوزان لوضع حدّ لهذه الحرب المشئومة وتعيين شروط الصلح بين الدول المتحاربة فأوفد الكماليون عصمت باشا وبعض اصحابهم الذين تطرّفوا في مطاليبهم البالغة ولم يذعنوا لاعضاء المؤتمر الّا عند اتفاق كلّ الدول على محاربة تركيّة فرضوا بقسم كبير من بنود المؤتمر خصوصاً بمسألة المضايق والامل معقود على رضاهم بما بقي لاسيما اثبات الامتيازات الدولية وتأمين الاقليات في الدولة العثمانية لكنّهم مصرّون على طلب ولاية الموصل

وتأمين الاقليّات امرٌ لازمٌ لازب بعد ان حثّ الاتراك مراراً متعدّدة بوعودهم واضحى تاريخهم سلسلة متواصلة من فتكهم بالعناصر المختلفة عنهم . وقد تكرّر ذلك في هذه السنين حتى بعد الحرب في قيليقية والاناضول وازمير حيث ارتكبوا من المآثم كالقتل والنهب والحريق ما يعجز اللسان عن وصفه. وقد بلغ عدد النصارى المهاجرين من قيليقية والاناضول نحو ٨٠٠،٠٠٠ ومن ازمير وحدها ١٧٥،٠٠٠ فيصح في الاتراك ما قيل سابقاً عن ملك الهونيين اتيلا ان العشب لا يعود ينمو حيثما استقرّت قدمهم وان لم يوضع حدٌّ لهمجيّتهم تحوّلت البلاد الى قفرٍ اجرد يأوي اليه الحيوان وينعب فوقهُ الغراب

على انّ النصارى لبسوا وحدهم يتشكّون من الكماليين فانّ المسلمين في الهند والعرب والعراق يرون في تقسيم السلطة الدينيّة عن المدنيّة آفةً عظيمة للاسلام

وممّا يجعل تركيّة على قاب قوسٍ من الدمار حالتها الماليّة وما عليها من الديون الباهظة للدول فان لم تعقل وتعتدل في خطّتها ركبها الافلاس ومعهُ الخراب العاجل

١٩ سوريّة وفلسطين

دخلت سوريّة في هذه السنة في طور جديد. فأُقيمت الاحصاءات ونُظمت المجالس النيابيّة وافتتح المجلس الاتحادي السوريّ. وتقرّر انتداب فرنسة على سوريّة.

فكلّ ذلك لمّا اشعر السوريين بما نالتهُ بلادهم من الاستقلال وما ينتظرها من الرقي والتقدُّم

وقد تمَّ احصاء لبنان الكبير في اواسط شباط وتبعهُ انتخاب المندوبين للمجلس النيابي في عدد ثلثين (المشرق ٢٠ : ٣٩٧) . اجتمعوا بعد زمن فانتخبوا رئيساً لمجلسهم جناب حبيب باشا السعد وتناقشوا زمناً طويلاً في الميزانيَّة فلم يقرُّوا على رأي الّا بعد جلسات عديدة وتباحثوا في امور اخرى تافهة وانَّما شكر لهم الاهلون اتفاقهم في منع المقامرات ومراقبة تصاوير السينما فلا يُسمح ان يُعرض منها الّا ما كان خالياً من الخلاعة

امَّا المجلس الاتحادي السوري فانَّ افتتاحهُ وقع في حلب في ١١ كانون الاوَّل برئاسة نائب المفوَّض الاعلى المسيو روبردي كي فتعيَّن رئيسهُ صبحي بك بركات ورُفع رسميًّا العلم السوري في حفلة شائقة وتقرَّر الاتفاق بين ممثلي انحاء سوريَّة اي دمشق وحلب وبلاد العلويين في ترويج مصالحهم العمومية لترقية البلاد ماديًّا وادبيًّا

وقد عُنيت فرنسة بتحسين شؤون سوريَّة الاقتصاديَّة وذلك باصلاح سكَّة الحديد بين طرابلس وحمص ثمَّ بوضع الجنرال غورو الحجر الاوَّل لانشاء مرفأ في اسكندرونة يسهّل لدولة حلب تجارتها مع البلاد الغربية . وخصوصاً باستدعائه لجنة من الاختصاصيين يدرسون احوال سوريَّة الزراعيَّة والصناعيَّة لاسيما الحرير املًا في تحسينها وتوفيرها فتزيد المعاملات التجاريَّة بين سوريَّة وفرنسة . فطافوا في سوريَّة ووضعوا التقارير المدقَّقة في ذلك

وقد اتى الى سوريَّة في هذا العام نحو مئتي الف من مهاجري الارمن من قيليقية والاناضول واكثرهم رجال نشاط وعمل فمساهم ينوبون عن مهاجري اللبنانيين الى اميركة في زراعة لبنان

امَّا الامور الدينيَّة فانَّها كانت كالعام السابق سائرةً على جانب من النجاح بهمَّة اكليروس الطوائف الكاثوليكيَّة والرهبانيَّات البلديَّة والجمعيَّات الدينيَّة والرسالات اللاتينيَّة بالمواعظ والرياضات الروحيَّة وتهذيب الناشئة ونشر الكتب الدينيَّة لولا انَّ عدوَّ الجنس البشري يسعى ايضاً بترويج افكاره الشرّيرة لاسيما بواسطة الجمعيَّات الماسونيَّة التي هي اكبر آفة على هذه البلاد بما تبثُّهُ في ذويها من الاستهتار بالدين

ومعاداة ذويهِ ومناهضة السلطة الشرعيَّة تحت ستر الخفاء

ومن رُزي الدين بفقدهِ آخرًا السيّد الجليل يوسف الدوماني ذو المآثر الطيّبة واوّل مطران طرابلس على الروم الكاثوليك انتقل الى دار البقاء في ٥ كانون الثاني بعد ان جاهد في سبيل الدين وخدم ابرشيّتهُ بكل نشاط نحو ثلثين عاماً . وكان احد الاساقفة الذين تفاهم الاتراك في ايام الحرب فقاسى من جرّاء ذلك شدائد كثيرة

امّا فلسطين فانَّ عموم اهلها لم يدّخروا وسعاً في مناهضة الحكومة البريطانية لتأييدها الحركة الصهيونية فحصل لذلك فتن ومناوشات اضطرّت الحكومة الى قهرها بالقوّة فزاد نفور الاهلين الذين اوفدوا الوفود الى مصر والى اوربّة ليبسطوا لدى المراجع العليا احتجاجهم على هذه التدابير الضارّة بوطنهم وبيّنوا ما ينجم عن سيطرة الصهيونيين من المساوئ عموماً . وقد اقرَّ كثيرون في انكلترّة من اعضاء مجلس العموم ومجلس الشيوخ بصحّة آرائهم وعضّدهم قوم من كبار الصحافيين . الّا ان اللورد بلفور واصحابهُ لا يزالون متشبّثين بفكرهم مجاملةً لاغنياء اليهود وقد وعدوهم في ايّام الحرب بمناصرة قومهم بمقابلة ما نالوهُ منهم من القروض الماليّة

وممن تصدّى للمشروع البريطاني في النهضة الصهيونيّة قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الذي لم يألُ جهدًا في المطالبة بحقوق النصارى في فلسطين محتجًّا على ما يُعطى لليهود فيها من السيادة دون استحقاق سابق . وقد كرَّر ذلك في مجمع الكرادلة وبلّغهُ الى جماعة الامم وفاه بهِ عند زيارة السير هربرت صموئيل الى الفاتيكان . فعسى ان يكون لصوتهِ صدًى لدى الدول المنصفة

٢٠ العراق

لم تثبت بعد سلطة الملك فيصل في العراق رغماً عن معاضدة بريطانية العظمى لهُ فانَّ اهل العراق لا يرونهُ جديرًا بسياسة البلاد واهلها ارقى منهُ تمدّناً . وهذا ما يدفع الاهلين لمعاداة انكلترّة وطلب الاستقلال التام . كما ظهر الامر في الازمة الوزاريّة التي حصلت في اوائل حزيران . غير انَّ انكلترّة قد اعتادت الثبات في سياستها فلا تحيد عنهُ الّا لاسباب قاضية ففي اواسط تشرين الاوّل عقدت معاهدة مع ملك العراق لعشرين عاماً في ١٨ بندًا

هذا وانَّ الكماليين وضعوا بين شروط الصلح اعادة الموصل لحكمهم وهو اقتراح يعرضهُ ايضاً آخرًا في مؤتمر لوزان. على انَّ اهل الموصل يفضلون اية دولة كانت على رجوع الاتراك لما اختبروا من ظلمهم وقد اوفد اهل الموصل وفدًا من الاشوريين والكلدان يعارضون كلَّ المعارضة افكار الكماليين بل يطلبون لجنسهم استقلالاً تامًّا كما وعدهم به الانكليز وقت الحرب

وفي انكلترَّة قومٌ يعارضون احتلال دولتهم للعراق ويرون ان مُلكها عبءٌ ثقيل على عاتق دولتهم يصرفون فيها ثمانية ملايين جنيه لتوطيد دولة عربية متداعية

ومن اخبار العراق السارَّة ترقية السيِّد دومنيك بيره الى كرسي اساقفة بغداد على اللاتين مع تعيينهِ كقاصد رسولي لتلك الجهات . وقد عرف نصارى سوريَّة كفاءة سيادتهِ لمثل هذا المنصب الرفيع

٢١ الهند — انَّام — الصين — يابان

لم تهدأ اليوم الفتن التي ثارت في الهند على الدولة الانكليزيَّة لمطالبة ذويها بالاستقلال كما كانت موعودةً بهِ في غضون الحرب . لكنَّ بريطانية العظمى أبعد من ان تمنح شيئاً من ذلك لما يربطها مع الهند من المصالح الجمّة

حدثت بعد الحرب حركة دينية ذات شأن في جهات الهند . وقد ينيف اليوم عدد الكاثوليك في تلك البلاد على مليونَين ونصف . ثمَّ أحصي اخيرًا نصارى جزيرة سيلان فاذا عدد الكاثوليك فيها ينيف على ٤٠٠،٠٠٠ وكان عددهم قبل مئة سنة ١٣،٠٠٠ فقط

لمَّا زار ملك انَّام فرنسة في الصيف الاخير ارسل وزيرهُ نغوي هوباي الى رومية ليقدّم باسم دولتهِ للحبر الاعظم واجبات الاكرام مؤكدًا لقداستهِ رضاهُ عن كاثوليك بلادهِ البالغين نحو ٣٠٠،٠٠٠

انَّ بلاد يابان في ترقٍّ دائم يأخذون من التمدُّن العصري ما يروق لهم لتعزيز اوطانهم . وقد اطلقوا لمواطنيهم الحرِّيَّة في الدين فينمو كلَّ يوم عدد المتنصرين منهم ليس في طبقات الأمَّة السفلى فقط بل بين ذوي العلم والوجاهة ايضاً

مُنيت اليابان في العام المنتهي بزلازل شديدة في نيسان وفي كانون

الاوّل . دام زلزال نيسان نحو ربع ساعة فاخرب كثيراً من الابنية . وحلّ زلزال كانون خصوصاً في جزيرة كوشيو وثار قرب حاضرتهم ناغازاكي بركان اوتزين الذي كان انطفأ منذ زمن طويل

اعلنت منغولية الشمالية في ٢٢ نيسان استقلالها عن حكومة الصين . وفي ١٤ كانون الثاني اعادت اليابان الى الصين ما ضبطتهُ في الحرب من حكم الالمان في كياوتشاو

بلغ احصاء الكاثوليك في الصين في آخر سنة ١٩٢١ ٢،٠٥٦،٣٣٨ نفساً بزيادة ٦١،٨٥١ عن العام السابق . وفي هذا دليل لامع على نجاح الرسالات الكاثوليكية في تلك الانحاء التي يبشر فيها ٢٤١٤ كاهناً منهم ٩٩٨ كاهناً وطنياً والباقون مرسلون اوربيّون

٢٢ افريقية — مرّاكش — تونس — مصر

الرسالات الكاثوليكيّة في افريقية قائمة على قدم من النجاح لاسيما في الكونغو وداهوماي ومدغسكر تنبئ كتابات المرسلين عمّا يجنونهُ هناك من ثمار الخلاص . وقد اصيبت رسالة اوغندة بفقد رئيسها السيد ليفيناك من جماعة الآباء البيض الذي تعزّى قلبهُ قبل وفاتهِ بانتظام شهداء اوغندة في سلك الطوباويين

وكذلك فقدت مدينة كرتاج رئيس اساقفتها المنسنيور برتلمي كومب الذي دعاهُ الله لمجازاتهِ عن مآثرهِ الطيّبة في ٢١ شباط

وقد أسفت بلاد مرّاكش على موت الباي سيدي محمّد الناصر في ١٠ تموز . الذي كان يملك هناك منذ السنة ١٩٠٤ . خلفهُ في الملك نجلهُ محمّد حبيب من الموالين للحكومة الفرنسويّة

امّا مصر فقد أُعلن فيها في ٢٨ شباط الاستقلال التامّ وانّما احتفظت لها بريطانية العظمى اربعة امور وهي المواصلات الامبراطوريّة والمدافعة عن مصر من كلّ اعتداء اجنبي وحماية المصالح الاجنبيّة وترقية الاقتصادات في السودان . وفي غرّة آذار أُعلن يملك السلطان فؤاد الثاني على كلّ القطر المصريّ

على انّ الحزب الوطني المتطرف لا يرى في الاستقلال المعطى لهم ضماناً كافياً

لوطنيّتهم فيريدون جلاء بريطانية تامّاً عن بلادهم ويطالبون برجوع احمد باشا زغلول من منفاه. وهم يكيدون كلّ المكايد ان يرونهُ مدافعاً عنها. اما السوريّون واللبنانيّون فينظرون الى المستقبل بعين القلق لما يعاينون من منافسة المصريين لاعمالهم ولعلّهم آجلاً او عاجلاً يضطرّونهم الى الجلاء عن مصر

مطبوعات شرقيّة جديدة

J. B. Chabot. CHOIX D'INSCRIPTIONS DE PALMYRE, TRADUITES ET COMMENTÉES. Publié aux frais du Duc de Loubat. *Paris, Impr. Nat., en vente chez P. Geuthner,* 1922, 4°, 147 *pp.*, 32 *planches hors texte,* 9 *plans et figures*

نخبة من كتابات تدمر مع تفسيرها وشرحها

قد اهدى حضرة الاب شابو مكتبتنا الشرقيّة هذا الكتاب الفريد الذي وضعهُ باغراء الدوق دي لوبا احد اعضاء اكادمية الكتابات المعروف بكرمهِ الحاتمي فيها. وكان جنابهُ تكرّم بنفقة الالواح الفوتغرافيّة المرسومة على الحجر وعلى الزنك التي ترافق المجلّد القريب نشرهُ من مجموع الكتابات الساميّة المختصّ بكتابات تدمر. ثمّ رأى انّ الادباء غير الاختصاصيين يُسرّون باطّلاعهم على اخصّ هذه الكتابات فوكل الى زميلهِ الاب شابو من الاكادمية المذكورة وعضو لجنة المجموع المومأ اليهِ واحد علماء اللغات الساميّة ان يَنتقي ما يراهُ مفيداً لهذه الغاية وبهِ تقرّبت هذه المعلومات من جمهور القرّاء. ولا شك انّ اهل بلادنا يرتاحون لنشر هذا الاثر الفريد فيقفون على ما تحويهِ تدمر من الكتابات الاثريّة. وقد كانت مجلّة المشرق منذ سنتها الاولى (ص ٤٣٣ الخ) أطلعتهم على تاريخ تلك المدينة المدعوّة بدرّة البيداء ولغتها وآثارها وملكتها زينب او الزبّاء. ثمّ جُمعت تلك المقالات في كتاب منفرد مع عدّة تصاوير وخارطة. الّا انّ كاتبها لم يتعرّض للكتابات التدمريّة. فالاب شابو لم يكتفِ بنشر هذه الكتابات بل قدّم عليها مقدّمات حسنة اثبت فيها

الاكتشافات المتتالية التي توفّق اليها الاثريّون وخصوصاً رسم اخربتها العموميّ الذي نشرهُ ر. وُود (R. Wood) سنة ١٧٥٣ . ثم قسم الكتابات التي اختارها اقساماً شتى على حسب مضامينها من نصوص شرعيّة ودينيّة وضريحيّة ومواضيع شتّى كالتعريفة الديوانيّة المرقومة على انصاب الطرق واخيرًا الكتابات المرقومة على القطع الخزفيّة وعلى النقود. فانتخب من كل قسم اخصّهُ وأفيدهُ واحسن بانتخابهِ. وكذلك لم يروِ من شروحهِ الّا ما وجدهُ صحيحاً ثابتاً او راجحاً. ويمتاز هذا المجموع خصوصاً بتصاويرهِ البديعة التي تأخذ بمجامع القلوب فيسترخص ناظرها ثمن الكتاب (٥٠ فرنكاً) اذ يجد امامهُ كمتحفٍ صغيرٍ لماديّات تدمر فيزين بهِ ديوانهُ. هذا ولنا عدّة ملحوظات في شرح المؤلف لهذه الكتابات لا ندحة لنا في عرضها هنا الاب س. رنزفال

Abdallah Sfer Pacha :Le mandat français et les traditions françaises en Syrie et au Liban, *un vol, in*-16 *Paris. Librairie Plon*, 1922, *Prix* 5 *frs*

الانتداب الفرنساوي والتقاليد الفرنسويّة في سوريّة ولبنان

انّ جناب عبدالله باشا صفير احد اعيان الموارنة في القطر المصري يتتبع بعين ساهرة احوال وطنهِ سوريّة ولبنان. فلمّا رأى دخول فرنسة في بلادهِ استبشر خيرًا وظنّ بقرب تحقيق آمالهِ باستقلال سوريّة ولبنان تحت الانتداب الفرنسوي. على انّهُ رأى في هذا الانتداب بعض الاجحاف بحقوق وطنهِ اذ لا تزال ازمّة الامور في ايدي المفوّض الاعلى فخامة الجنرال غورو وحاكم الجبل الكومندان ترابو وعدّة فرنسويين بينما يمكن السوريين ان ينوبوا عنهم في اشغالهم لما بلغوا اليهِ من الترقي فضلًا عن تقاليد لبنان واستقلالهِ سابقاً وعن مواعيد فرنسة قبل الحرب وبعدها. هذا ما اراد ان يوضحهُ جناب الكاتب في تأليفهِ هذا للفرنسويين عموماً ولارباب حكومتها خصوصاً. امّا نحن فلا نظنّ ان فرنسة نسيت مواعيدها الّا انّ احوال سوريّة الحاضرة لاسيما احوال لبنان الكبير لا تسمح الآن بان يُعطى لها هذا الاستقلال التامّ. وهذا ما يدركهُ كلّ العقلاء السوريين نفسهم وعلى الاخصّ النصارى الذين يرون في هذا الاستقلال مجلبة للبلايا لما يغلب على سوريّة ولبنان من الاحزاب والانقسامات الداخليّة فضلًا عمّا يتهدّدهما من الخارج. فاذا هدأت الامور

وزالت المخاوف وانتلفت العناصر ستقوم فرنسة بلا شكّ بوعدها ج . لوفنك

Maurice Pernot : La Question Turque. *Paris*,1923,*in* 16.*pp*.136, *Prix* 6 *f*,75, *B. Grasset, Publications «Politique»*

المسألة التركيّة

يوضح المسيو برنو مؤلف هذا الكتاب بصراحة ونزاهة مطاليب تركيّة والاقليّات التي في الممالك العثمانية سابقاً مستنداً الى نصوص زعماء كلّ حزب . وكلّ ذلك كان نشرهُ في مجلّة العالمين فجمعهُ كتاباً مستقلّاً اضاف اليه ملحقات عديدة خصوصاً تقارير مصطفى كمال الذي منذ السنة ١٩١٩ يطالب بردّ الموصل الى تركية . فبالاجمال يستحقّ هذا الكتاب كلّ ثناء الّا انّ صدورهُ في غضون حوادث الاناضول العسكريّة التي قلبت وجوهُ الامور وزادت في مطامع الاتراك جعلتهُ مبايناً للوقائع الجارية . ومما لحظناهُ انّ المؤلف ينسب بعض الحِكَم الى القرآن (ص ١٦٠و١٦٣) ولا اثر لها في القرآن الاب هنري لامنس

Justin Godart : L'ALBANIE en 1921, un vol, in-16, pp. 374 Paris, les Presses Universitaires de France, 1922.Prix 15 f.Illustrations et Cartes

ألبانية في السنة ١٩٢١

كانت البانية خاملة الذكر لا تكاد اوربّة تعرف من امرها الّا النزر القليل كتاريخ اسكندر بك وحروب علي تبيلين . وكان من شأنها لحسن موقعها ومزايا اهلها ومقامها الخاصّ في الممالك العثمانية ان تستلفت اليها الابصار . وقد توفّقت الى ذلك سنة ١٩٠٨ بعد الانقلاب العثماني وثورة سالونيك فاخذ الالبانيّون يضمّون قواهم ليفوزوا بالاستقلال فقاموا في وجه تركيّة الفتاة واقرّ الساسة الاوربيّون باستقلالهم وعيّنوا لتدبيرهم البرنس ويد (Wied) فلم يثبت لهُ فيها قدم . وما انتهت الحرب الكونية القديمة حتّى هبّ الالبانيّون وطالبوا بالاستقلال وتصدّوا لمن كان طامعاً في ملك بلادهم حتّى افازهم ثباتهم بما رغبوا وقبلت جماعة الامم تمثيلهم . وقد بسط ذلك كلهُ مؤلفُ هذا الكتاب الذي عرف البانية خير معرفة المسيو غودار الذي وُكل اليه غير مرّة التفتيش عن احوالها قبل الحرب ثمّ عاد اليها بعد الحرب وانجز

معلوماته عنها فاثبتها في هذا الكتاب البديع وزيّنهُ بالخرائط والتصاوير ج . ل

Ladislas Buday : La Hongrie après le traité de Trianon. *Un vol. in-16,. pp. 297, Paris, Roustan, 1922, 36 graphiques, 34 photographies, Prix 10 f*

دولة المجر بعد معاهدة التريانون

التريانون احد قصور باريس الذي فيهِ عقد الحلفاء بعد الحرب معاهدةً بخصوص بلاد المجر فثلوا بها ولم يُبقوا من مساحتها القديمة سوى ثُلث ما كانت مالكةً عليهِ منذ الف سنة بنيّف . فقام احد علماء عاصمتها بودابست المسيو لادسلاس بوداي ووضع هذا الكتاب ليبيّن فيهِ سوء حظ بلادهِ التي مع كونها سبباً ثانوياً في اعلان الحرب أُصيبت بضربة اعظم من سواها تقسمت بين دول جديدة . على انَّ في الاقسام المشطورة عدداً عديداً من المجريين الذين يحنُّون الى وطنهم . وقد اودع كتابهُ معلومات شتى في تاريخ وطنهِ واحوال تربتهِ وسكّانهِ وعناصرهِ وهيئتهِ الاجتماعيَّة ومحصولات فلاحتهِ وصنائعهِ ما من شأنهِ ان يدعو القرَّاء الى الاسف على نصيب المجر التي جُرَّت الى الحرب مرغومةً لارتباطها مع النمسة . ويزين الكتاب عدَّة رسوم وتصاوير بديعة مطبوعة على ورق صقيل صفيق ج . ل

*** **Ceux qui nous mènent :** Un vol, in-16, Paris, Librairie Plon, 1922, Paris, 7 f

من هم قادتنا وساستنا

هو مجموع مقالاتٍ لكاتب مُغفل وصف فيها رجال السياسة الحاضرة في فرنسة في مجلَّة العالمين ثم نشرها في هذا الكتاب . وعدد المقالات خمسة وعشرون لخمسة وعشرين رجلاً من مشاهير السياسة وصفهم على ترتيب اسمائهم باحرف المعجم مباشرة بلويس برتو ثمَّ برتلو ثمَّ بريان وكاليو وكليمنسو الى آخرهم رينه ڤيڤياني . وكأن الكاتب درسهم درساً عميقاً فيصف مزاياهم بصدقٍ واذا لحظ ما يوجب الانتقاد عرضهُ بصورة فكاهيَّة ودقَّة نظر عجيبين . ومع ما يوجد بين الموصوفين من اختلاف الطباع والسجايا يرى الكاتب ايضاً فيهم شبهاً في مداراتهم للامور بحيث يصحُّ فيهم قول

بعضهم انهم اعضاء «جمهورية الرصفاء» تجمعهم روابط السياسة وتكسوهم بزة رسمية واحدة ج. ل

VOYAGE DU MARCHAND ARABE SULAYMAN EN INDE ET EN CHINE. Traduit de l'arabe avec introduction, glossaire et Index par G. Ferrand, *Paris*, 1922

ترجمة فرنسوية جديدة لسلسلة التواريخ والبلاد والبحور

سلسلة التواريخ والبلاد والبحور اقدم رحلة لكاتب عربي الى الهند والصين كتبها تاجر باسم سليمان سنة ٨٥١م ثم اضاف اليها معلومات جديدة حسن السيرافي في خليج العجم سنة ٩١٦ . وفي ما كتبه كلاهما روايات فرية كاسفار السندباد البحري المذكورة في الف ليلة وليلة على ان هناك ايضاً فوائد معتبرة توقفنا على ما كان يعرفه او يتوهمه العرب من امور الصين وعلى المواصلات التي كانت بين خليج العجم ومملكة ابن السماء . واول من عرف اصل هذه الرحلة الصينية الكاهن المستشرق رينودو (Renaudaut) قبل مئتي سنة ونشرها بعده في اصلها العربي دي غيني (de Guignes) ثم نشرها مع ترجمتها الفرنسوية المسيو رينو (Reinaud) سنة ١٨٤٥ . فهذه الترجمة الفرنسوية قد اعاد فيها النظر المسيو غبريل فران الضليع بجغرافية الشرق الاقصى في القرون الوسطى فاصلح اغلاطها وزينها بعدة تصاوير ظريفة محفورة على الخشب وألحق ترجمته بشروح مختصرة فاجاد وافاد . وقد لحظنا في كلامه عن مثقال الذهب عند العرب (ص ٨١) غلطاً اذ يزعم انه كان يساوي فرنكين والصواب ان مثقال الذهب كدينار الذهب كان يساوي ثمنه ٢٠ فرنكاً تقريباً من نقودنا الاب ه . لامنس

Alberto Vaccari : Le Versione arabe dei Profeti. « Biblica », Roma, 1922

الترجمات العربية للاسفار النبوية

في مكاتب مختلفة من عواصم اوربة مخطوطات شتى تحتوي اسفار الانبياء المدونة في الكتاب المقدس باللغة العربية كان العلماء اهملوا درسها لزعمهم ان ليس فحصها شأن يذكر وفائدة طائلة لانها حديثة العهد بالنسبة الى سواها . على ان حضرة الاب اليسوعي البرتو فكاري احد اساتذة المعهد الكتابي البابوي في رومية لم

يقتنع بهذا الحكم الجزافيّ وراجع النسخ المخطوطة المذكورة فرآها خزيّة بالاعتباز يرتقي اصلها الى القرن العاشر وهي من فرعين مختلفين فرع مصري من ترجمة القس القبطي المعروف بالعلّم منقول عن اليونانيّة وفرع سوري عن السريانيّة فقابلها مع النسخ القديمة وبيّن لها افادات عديدة تكشف القناع عن مشاكل كتابيّة سابقة . ل.ش

E. Legrand : STYLISTIQUE FRANÇAISE, Un vol. format album, Paris, J. de Gigord, 1922

الانشاء الفرنساوي

الشائع في هذه البلاد ان اللغة الفرنسويّة واحدة لاتختلف كتابةً ونطقاً كالعربيّة الدارجة والعربيّة الفصيحة وليس الامر كما يُظنّ فان لغة المتكلمين بالفرنسويّة تزيد كلّ يوم اختلافاً عن اللغة الفصحى حتى انّ طلبة المدارس الفرنسويين بل واهلهم ايضاً اضحوا في حاجة الى تعلّم لغتهم كالاجانب الدارسين الفرنسويّة . وهذا ما حدا مؤلف هذا الكتاب المسيو لوغران الى تصحيح اللغة الدارجة بين العموم وردّهم الى قواعدها الثابتة فتتبّع كلّ اصولها من اسم وضمير وفعل وظروف وحروف ليبيّن الوجه الصحيح منها ويقبّح اغلاطها ويدوّن عدّة تمارين تميّزاً للبغث من السمين . ولا شكّ انّ السوريين يمكنهم الاستفادة من هذا الكتاب لاتقان الفرنسويّة وانتقاد المتكلمين بها ج . ل

رثّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

للاب انطون صالحاني اليسوعي

الجزء الثاني في الروايات التاريخيّة طبعة ثانية بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٣ (ص ٤٦٤)

كل يعلم ما لكتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني من عظم الشأن الّا ان هذا التأليف اشبه ببحر غطمّ فيه الاصداف والدراريّ لايلتقط منهُ دراريّه الّا الغوّاص الماهر كحضرة الاب صالحاني الذي خاض عبابهُ وانتقى افضل جواهره فجمعها في جزئين منفردين صار لها رواج عظيم في الكليّات الاوربيّة والمدارس الشرقيّة حتى احتاج الى اعادة طبعها فانجز القسم الاوّل وهو اليوم بعدُ طبعتهُ الثالثة - ثمّ تولّى

مراجعة القسم الثاني وعرض رواياته على روايات قدماء الكتبة كالطبري والمسعودي وياقوت فصحح كثيراً من اغلاط كتاب الاغاني التي وجد منها ايضاً نسخة مخطوطة في الجامعة الاميركانية وعلق على هذه الطبعة الثانيـة شروحاً وحواشي بلغت فوق الطبعة الاولى خمسين صفحة . وكفى بذلك دليلاً على فضـل هذه الطبعة الجديدة بعناية صاحبها اثابهُ الله على خدمهِ المتوالية للعلم

المباركيات للقس مبارك ثابت

عُني بجمعها وطبعها يوسف غنّام ثابت

في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٢ (ص ١٥٠)

هو مجموع نيف واربعين مقالـة دبّجها بقلمهِ السيّال حضرة القس مبارك ثابت الديراني الراهب اللبناني رئيس دير المخلص في بحنين فنشرهـا في الجرائد الوطنية لاسيما جريدتي البشير ودير القمر . وهي فصول رائقة في مواضيع عصريّة شائقة دينيّة وادبيّة وتهذيبيّة واخلاقيّة جمع فيها بين المفيد واللذيذ بعبارة متينة ومنسجمة معاً . فنشكر جناب جامعها صاحب مطبعة الاجتهاد الذي لم يشأ ان تضيع هذه اللآلي فنظمها في عقدٍ فريد زادهـا نظمُها حسناً وبهاء . فنوصي شبيبتنا بان يتّخذوا هذا الكتاب كدستور يتعلّمون بتصفّحهِ صناعة الانشاء. ل . ش

مجموع اللآلئ وهو نخب من كتابات جهابذة السريان

جمعهُ واستخرجهُ الى العربية الابوان مبارك ثابت ومبارك ابو مارون

طُبع في المطبعة العموية بالعربيّة والسريانيّة

هذا اثر قديم اهداهُ مجلّتنا احد الرهبان اللبنانيين وهو لاثنين من اخوتهِ الابوين مبارك ثابت الديراني المذكور آنفاً ومبارك ابي مارون المزرعاني اللذين اسفا على اهمال مواطنيهم لغة اجدادهم السريان فانتخبا من اعمـال القديسين افرام السرياني ملفان الكنيسة واسحاق الكبير ومن كتابات المفريان ابن العبري نُبذاً مستملحة ومنهـا

نثريّة ومنها شعريّة فطبعاها باصلها السرياني وعرّباها تعريباً متقناً النثرَ بالنثر والنظمَ بالنظم . فنشكر همّة حضرة الراهبين الفاضلين ونحضُّ كل محبّي اللغة السريانية على درس مجموعها

شرح الليتورجيّات للقديس يوحنّا مارون

عرّبهُ القس يوسف حبيقة البسكنتاوي الراهب اللبناني

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٢ (ص ٢١٢)

هو ممّا اهداهُ مجلّة المشرق احد الرهبان اللبنانيين . فتصفّحناهُ ورأيناهُ من الكتب الحريّة بالذكر جزيل الافادة لتعريف الطقسيّات . امّا نسبتهُ الى القديس يوحنّا مارون فلا يسعنا ان نقول فيها الّا ما كتبهُ احد كبار العلماء الفرنسويين الكاهن لابورت (H. Labourt) ناشر تآليف ملفان السريان الشهير ديونيسيوس برصليبي فقال انّ شرح الليتورجيّات هذا من تآليف برصليبي قسمٌ كبير منهُ منقول عنهُ بحرفهِ «مع تزويرات واصلاحات مزعومة لا تُحصى» (innumeris interpolationibus, et quod putant, emendationibus vitiata) وكلّ منصف يتحقّق ذلك بالمقابلة . ولدينا عدّة براهين تبيّن ان هذه الزيادات أُحدث عهداً من زمن برصليبي ولو قام القديس يوحنّا مارون من قبرهِ لما رضي بان يُنسب اليهِ ما ورد في بعض نصوص هذا الشرح المستحدث كقولهِ مثلاً : (ص ٨٧) «انّ آباءافس (كذا) حدّدوا انّ الروح القدس ينبثق من الابن » . وكلّ يعلم انّ هذا التحديد لم تثبتهُ الكنيسة الّا في اواسط القرن الخامس عشر في المجمع الفلورنتيني ل . ش

اساس البلاغة

تأليف جار الله ابي القاسم الزمخشري (الجزء الاوّل)

طبعة جديدة بمطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة ١٣٤١-١٩٢٢

يعرف ارباب اللغة فضل معجم اساس البلاغة وفوائدهُ لاسيما بإفرادهِ المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح وكان طُبع طبعةً اولى في بولاق سنة ١٢٩٩ (١٨٨١م)

في جزئين . ولنفاد الكتاب والحاجة اليه تولّت دار الكتب المصريّة اعادة طبعه فأصدرت منهُ آخرًا جزءهُ الاوّل الى آخر باب الشين . وهذه الطبعة تفضل على السابقة من وجوه بكبر حجمها وصفاقة ورقها الناصع ونضارة حروفها وتشكيل الفاظها اللغويّة وهي على عمودين . يبلغ عدد صفحات هذا الجزء ٥١٤ صفحةً . وكنّا وددنا لو افادنا طابعو الكتاب عن النسخ التي استندوا اليها وهل عارضوا النسخة المطبوعة على نسخ جديدة زيادةً في الضبط وان شاء الله يفعلون في الجزء الثاني

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (القسم الاخير مع الفهارس)

طُبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ (ص ٢٢٠)

قد انجزنا بحوله تعالى هذا الكتاب الذي صرفنا على جمعهِ من تآليف قدماء العرب والسريان واليونان والروم نحو اربعين سنة ذكرنا في قسمهِ الاوّل تاريخ النصرانيّة في انحاء العرب واطرافها وقبائلها استنادًا الى اوثق التواريخ . ثم اردفناهُ بالقسم الثاني في الآداب النصرانيّة وتتبّعنا آثار العرب واقدم تآليفهم ومعاجمهم واستخرجنا منها خمسة فصول تشهد كلّها بنفوذ النصرانيّة في حياة العرب القوميّة كفنّ الكتابة والمفردات النصرانيّة والأعلام المسيحيّة واحداث العهدين القديم والجديد والامثال . وفي هذا القسم الاخير ثمانية فصول أُخرى تزيد الامر وضوحاً فترى ما استقاهُ العرب في الجاهليّة واوّل الاسلام من مناهل النصرانيّة كالحِكَم والحديث النبويّ وفنّ الخطابة والتاريخ والفلسفة والفنون الجميلة والعلوم والصنائع والعادات الدينيّة والمدنية وفي إثرها الشعر الذي بيّنّا اصلهُ النصرانيّ واثبتنا بذلك نصرانيّة الشعراء الذين نشرنا سابقاً تراجمهم وآثارهم . وفي آخر هذا الكتاب خمسون صفحة جديدة من الملحوظات والملحقات على مقالاتنا في المشرق . ثم ستّة فهارس واسعة تقريباً لموادّ الكتاب واقسامهِ الثلاثة ل . ش

شذرات

﴿ يوبيل فضي ذهبي ﴾ قد متّع الله لبنان عموماً والطائفة المارونية خصوصاً باحد كبار الرجال الذي قلّما عرفا لهُ شبيهاً بفضلهِ وفضيلتهِ وتقاهُ وسموّ مداركه وتفانيهِ الغريب في خير مواطنيهِ . نريد بهِ غبطة الشيخ الوقور والسيّد الجليل الياس بطرس الحويك البطريرك الانطاكي الماروني . وقد زاد الله على نعمهِ انهُ انسأ في أجلهِ وأتاح لنا ان نحتفي بيوبيلَيهِ العظيمين اعني بهما يوبيلهُ الذهبي لمرور خمسين عاماً منذ انتدبهُ سلفهُ الطيّب الذكر البطريرك بولس مسعد الى خدمة الكرسي البطريركي بصفة كاتب اسراره وذلك سنتين بعد ان سيم كاهناً في ٥ حزيران سنة ١٨٧٠ . ويوبيلهُ الفضي لفاتحة السنة الخامسة والعشرين لارتقائهِ الى السدّة البطريركية الانطاكية . فلا شك انَّ لبنان كلهُ الذي نال بفضلهِ ومساعيهِ ان يكون لبنان الكبير سيتفد قواهُ في جعلهِ احتفالات هذين الموسمين غاية في الرونق والبهاء كما يليق بغبطتهِ وسامي مقامهِ . ونحن مع لفيف ابنائهِ نقدّم لهُ منذ الآن ما تكنّهُ قلوبنا لشخص غبطتهِ الجليل من عميق الاحترام ومزيد الشكر على ما اظهرهُ مرارًا من التنشيط لاعمالنا ومنحهِ لمجلّتنا بركتهُ كتابةً وشفاهاً حفظهُ الله سنين عديدة لخير الوطن ولمجدهِ تعالى .

﴿ احمد اللبودي وابن طولون ﴾ افادنا جناب السيّد العلّامة احمد باشا تيمور : اوّلاً انَّ احمد بن خليل اللبوديّ صاحب « اخبار الاخيار بما وجد على القبور من الاشعار » التي رويناها في المشرق السابق (٢٠ : ١٠٢٥—١٠٤٢) والذي قلنا أنّنا لم نعثر لهُ على تاريخ لهُ ترجمةٌ في الكتاب المخطوط للسخاوي المعنون بالضوء اللامع في ادباء القرن التاسع وجاء هناك ان وفاتهُ وقعت سنة ٨٩٦ ﻫ (١٤٦١م) . وعند جنابهِ كتاب من تأليفهِ عنوانهُ « تذكرة الطالب النبيه بن نُسب الى امّه دون ابيه » . ثانياً انَّ ابن طولون المنسوب في المشرق (ص ١٠٥٥ س ٢٠) الى غرناطة ليس هو غرناطيًّا كما جاء في تصحيف الناسخ بل دمشقيًّا صالحيًّا حنفيًّا . وهذا الصواب . فنشكر جناب السيد على الافادتين

ل . ش

— اصلاح غلط — اثبتنا في طبعتنا لنقائض جرير والاخطل (ص ٢٢ س ٨) بيتاً على الصورة الآتية كما وجدناهُ في النسخة الخطيَّة :

كأنَّ النِصالَ اليثربيَّة بينهم شريجينَ والنُشّابَ رِجلٌ من الدَّبا

فروى شريجينَ بكسر الجيم وفتح النون كأنهُ جمعٌ سالم منصوب . وعندنا انَّ الصواب «شريجَيْنِ» بصيغة المثنى المنصوب على الحاليَّة . والشريجان خطأ نجري البُرد المختلفا اللون اراد بها وجهتين مختلفتين متقابلتَيْن فالشاعر يصوّر جيشَيْن متقابلَيْن يرمي كلٌّ منهما الآخر بالنصال والنشاب . وشبّه رَميهما من الجهتين المتقابلتين بالشريجَيْن ونصَبَ الشريجين على انها حال للنصال فيقول انَّ النصال اذ تُرمى من جهتين هي بكثرتها كأنها طائفة من الجراد

الاب انطون صالحاني اليسوعي

﴿من هو ثلجه﴾ كنا ذكرنا في العام الماضي في المشرق (٢٠ : ٨٥٢) في جملة كتبة النصرانيَّة ومخطوطاتهم المُسمى ثلجه ورويتا لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة «رسالةً وجّهها الى ميلاتيوس مطران حمص» في فضائل الكهنوت . وقد ألفتَ نظرنا من بغداد جناب يعقوب ن . سركيس الى بعض المعلومات عنهُ نختصرها كما ترى : ١ً هو كاتب نسخة منهاج الدكان التي في مكتبتنا الشرقيَّة في تاريخ ٧١٣٧ لآدم (١٦٢٩م) ويدعى هناك «ثلجه النصراني الحموي» (المشرق ٤ : ٧٩٢) . ٢ً نسخَ ايضاً قبل ذلك تاريخ البطريرك سعيد بن بطريق الذي في مكتبتنا سنة ٧١٣٢ (١٦٢٤) (المشرق ٨ : ٩٣٠) . ٣ً وهو ناسخ فيها كتاب بهجة المؤمن لعبدالله بن الفضل الانطاكي سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٢م) ويُدعى هناك ثلجه الكاتب اخا المطران ملاتيوس مطران حلب . ٤ً والظاهر انهُ هو الناسخ الانجيل الموجود بين مخطوطات المتحف البريطاني (Ms XIV) كتبهُ «ثلجه ابن الخوري حوران الحموي سنة ٧١٢٤ لآدم» (١٦١٦م) . ٥ً وفي المتحف عينهِ (Ms XXVII) كتاب روضة الفريد «كتبهُ . . . ثلجه ابن المرحوم الخوري حوران ابن القس موسى في مدينة حماة المحروسة» في ٢٣ اذار ٧١٠٧ للعالم ١٥٩٨م . ٦ً وفيه ايضاً في ذيله (Suppl. n° 21) ذكر قراءات الانجيل للقداس الرومي فيقال انَّ ناسخهُ «الحاج يواصف الشهير اسمهُ بالحاج ثلجه بن الخوري حوران الحموي» وفي الصفيحة الاخيرة من الكتاب انهُ توفي في ١٧ تموز سنة ٧١٥٥ لآدم (١٦٤٧م) . ٧ً ويقول مكاتبنا انَّ بين مخطوطاته انجيلاً «ملكهُ اكريجان مقصود في ١٠ ايلول سنة ١٧٦٤» وان اكريجان المذكور من

اجداده وانَّ احد اسلافه جاء به من وطنه الى بغداد بتزوجهم اليها في القرن الماضي، وفي آخره ما نصُّهُ: «كتبهُ الفقير ثلجه برسم موسى الحموي في اواخر شباط سنة ٧١٥٤ لآدم (١٦٤٦م)». فنشكر الشكر الجميل يعقوب افندي سركيس على معلوماته المدقَّقة. والظاهر ان ثلجة المذكور كان ناسخاً شهيراً اما الرسالة التي ذكرناها لهُ فهي من تأليفه كما يستدلُّ من عنوانها

﴿ اسرى طرسوس والقديسة جان درك ﴾ في كانون الاوَّل سنة ١٩٢١ حدثت واقعة بين الاتراك والجنود الفرنسويين في طرسوس وطن القديس بولس الرسول فوقعت الفرقة المائة والستُّون في حوزة العدوّ اسيرة حرب لم يبق لاصحابها املٌ في النجاة. فاتَّفق ضبَّاط الفرقة المذكورة على ان يقدّموا كنذر لبطل فرنسة القديسة جان درك سيفاً ثميناً ان نجت الفرقة من اسرها فما لبثوا ان اصابوا مبتغاهم بعد قطع الرجاء. فاسرع الضبَّاط وجمعوا الفاً وخمسمائة فرنك حتى سيفٍ سُبك فأُرسل الى هيكل جان درك في مدينة اورليان ليكون هناك شاهداً على شكرهم وايمانهم

﴿ الفوضى في الماسونيَّة المصريَّة ﴾ وقفنا على التقرير الفرنسويّ السرّي الذي ارسلهُ ابناء الارملة الى سائر المحافل المصريَّة بعد عزلهم ادريس بك راغب من رئاسته العامَّة على الماسونيَّة المصريَّة في ٢٨ ايلول الاخير وإقامتهم بدلاً منهُ الامير محمَّد عليّ من ذوي الدرجة ٣٣ الماسونيَّة. فلم يرضَ ادريس بك بهذا الانتخاب بعد ان تولَّى رئاسة الماسونية ٣٥ سنة ونشر في الجرائد احتجاجهُ على عدم قانونيَّته واعلن بمخازي اخوته الاحرار الماكسين لهُ الذين كان حرمهم من حقوق الماسونيَّة واقام عليهم دعاوى امام المحاكم. وقد افادنا هؤلاء تنفيذاً لقوله تعريفَ حالة الماسونيَّة بكلام مطوَّل نذكر منهُ بعض الاسطر نزويها بحرفها ليرى العقلاء ما هي الماسونيَّة ومن هم اصحابها المدَّعون بالرقي والاخاء والحريَّة وعظم غباوة الذين ينتظمون في سلكها:

Il y a un grand nombre d'années que la Maçonnerie en Egypte se trouvait dans un état lamentable de dégradation à tous les points de vue. Elle n'a fait aucun acte humanitaire ni philantropique, mais par contre elle octroyait généreusement des grades et des salaires aux premiers venus sans distinction de capacité ni de mérite. L'ex-Grand Maitre Idris Bey Ragheb qui détenait depuis plusieurs années les fonds de la G. L., incapable de restituer la somme de L.

Eg. 2483. - qu'il avait illégalement gardée par devers lui, remit tout simplement, pour s'en acquitter, à la Grande Trésorerie une traite qu'il renouvelait tous les ans....

Désirant mettre un terme à la liberté enchaînée, à l'illégalité dans l'égalité et à la fraternité fratricide, nous avons cru de notre devoir de dénoncer les agissements inqualifiables de l'ex-Grand Maitre et de son entourage aux autorités Maçonniques alliées,les priant d'être nos arbitres dans ce conflit fraternel!!

(*Extrait d'un rapport maçonnique officiel*)

﴿السيد كرد علي والكردينال كسيمنس﴾ يسوءنا ان نعود الى هـذا الموضوع مرّة ثالثةً وقد بيّنّا سابقاً انّ ما يُنسب الى الكردينال كسيمنس من حريق كتب العلوم العربية احدى الخرافات التي اشاعها بعض اعداء الدين فردّدها جناب السيّد كرد علي بعد تفنيدنا لهذا الزعم الباطـل في العدد الاخير من مجلّة المجمع العلميّ العربيّ وهذا قولهُ (ص ٢٤٥): «صدر امر الكردينال كسيمنس سنة ١٥١١ بعد ان أحرق في ساحات غرناطة كمّية من الكتب العربيّة ان تُباد كتب العرب من بلاد إسبانية عامّةً فتمّ ذلك في نصف قرن» وكنّا طلبنا من جنابهِ ان يذكر لنا ما هو سندهُ الذي استند اليهِ في قولهِ هذا فلم يتكرّم علينا بجواب. نعم انّ السيد كرد علي لطّف هنا قولهُ السابق بانّ كسيمنس «احرق في يوم واحد الف الف من الكتب» (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٩٥٨ — ٩٦٠) لكنّهُ لا يزال يرشق ذاك النابغة بسهم التهمة الباطلة (المشرق ٢٠ : ٦٦٨) كما اثبتهُ اكبر علماء اسبانية بامور الاندلس العلّامة فرنسيس سيمونت في كتابهِ عن مستعربي الاندلس الذي ابطل فيهِ كلّ السفاسف التي يتناقلها اعداء النصرانيّة عن نصارى الاندلس ولا نعلم انّ احـدًا تحفّز الى الآن لتفنيدهِ. وقد اثبتنا شيئاً من كلامهِ في احد اعدادنا السابقة (المشرق ٢٠ : ٧٤٩). وفي مقالات رئيس المجمع العلميّ العربيّ اقاويل كثيرة في حقّ النصرانيّة في الاندلس يمكننا باسهل منوال واقوى برهان ان نثبتها للدول الاسلاميّة في الاندلس والشام ومصر والعراق من حريق مكاتب ومظالم ومذابح وجلاء الشعوب. فهيهات ان نسلّم لجنابه بما كتبهُ (ص ٢٣١) : «العرب حملوا الى الاندلس حضارة رائقة ونظاماً محكماً احلّوها محلّ الفوضى والتوحّش والسخافات والخرافات». أفهذا يا ترى كلامٌ يليق برئيس المجمع العلميّ العربي!

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد ما هي المستعمرات التي فقدتها المانية بالحرب ؟

المستعمرات الالمانية المفقودة

ج خسرت المانية كل مستعمراتها في الثلث السنين الاولى من الحرب ففي السنة ١٩١٤ فقدت بلاد توغولند ثم ساموا ثم ارخبيل بسمرك ثم غينية الجديدة ثم كياوتشاو في الصين وفي السنة ١٩١٥ امتلك الحلفاء مستعمراتها في افريقية الغربية ثم كامرون سنة ١٩١٦ ثم افريقية الشرقية سنة ١٩١٧ وتبلغ مساحة تلك المستعمرات اجمالاً ١٠٢٧٫٨٢٠ ميلاً مربعاً ويبلغ اهلها نيفاً واثني عشر مليوناً

س سأل آخر من حمص: ١ً هل توجد حقوق يجب ان يؤديها من هجر امرأته مطلقاً لعلة توجب الهجر. ٢ً وعلى افتراض وجودها هل يلتزم بتأديتها لامرأته المستمرة على الخيانة . ٣ً هل يوجد قوانين عند الطوائف الشرقية تتكلم عن هذا الموضوع . ٤ً هل تلتزم المرأة بتأدية المهر بعد تأكيد الخيانة

مسائل زواجية

ج لا حقوق للمرأة الخائنة التي ثبت ذنبها وهُجرت اللهم الّا من باب المحبة ليس من باب العدل لاسيما اذا استمرت على خيانتها امّا المهر الذي اخذته المرأة عند الزواج فلا يُردُّ على مقتضى عوائد الشرق . بخلاف المهر (الدوتا) الذي تأتي به من مالها هو جارٍ عند الفرنج فيبقى لها الّا اذا سبق الزوجان ووضعا قبل الزواج شروطاً يجريان عليها . والقوانين في كل ذلك تختلف على اختلاف الامكنة والطوائف لم تُدوَّن بالطبع فليراجع الاسقف المحلي

س وسأل احد الرهبان : كيف دُعيت في سفر التكوين ايام الخليقة الاولى ايّاماً قبل خلق الشمس وتوالي الليل والنهار ؟

ايام الخليقة قبل تكوين الشمس

ج ليست ايام الخليقة كأيامنا تتألف من ليل ونهار . وانّما هي اطوار عديدة الاجيال تقلبت فيها كُرتنا تقلباً عظيماً بعد ان كانت كتلةً من النار متأججة تلهبها تنفجر بلهيبها فتصبح شبه النهار المنير وتارة تنكسف بتكاثف أبخرتها فيصير ظلام كالليل . وذلك قبل تكوين الشمس والقمر

ل . ش

المشرق

الايمان والعلم أخوان لا يختلفان

بقلم حضرة الخوري يوسف الدبسي

من البلاء علينا في هذا الوطن التسابق عن حبّ التقليد والتخلّق باخلاق غيرنا دون روية وإعمال فكرة. ولا يقتصر هذا الداء الوبيل على البعض ممن يدّعون العلم والمعرفة بل يتناول ايضاً كثيراً من الجهلة والسذّج الذين يُقلعون عن مذاهب الحياء ويجاهرون بضلالهم مفاخرين علينا بما اصابوهُ باكتشافهم الجديد وسعة مداركهم واستقراء مخبآت العلم وتمحيص حقائقه مما يتطلّبهُ على زعمهم التمدّن العصري. ومن يُقنعهم ليقصروا عن باطلهم او يردعهم ليذعوا عن جهالتهم ؟

ان من نتائج الفلسفة المستحدثة اضاليل نشرها بعض الفلاسفة المارقين في الامصار الغربية منها : ادّعاؤهم ان الايمان والعلم ضدّان لا يأتلفان. وما لبثت هذه التعاليم حتى تلقّفها بعض ابناء هذه البلاد وشرعوا يحاربوننا بها رغماً عن كساد هذه البضاعة في مصادرها وتفنيدها بما ردّ حجّة حامليها عليهم. ولا يقف اصحابنا عند هذا الحدّ من هُيامهم في أودية ضلالهم وركوبهم متن غوايتهم بل يحاولون بثّ هذه المبادئ القتّالة في نفوس العامّة وهم لذلك يسلكون اليها كلّ سبيل ولو عقلوا وطالعوا ردود علمائنا وتآليفهم التي ليس وراءها مذهبٌ لطالب او جروا على منهاج اجدادهم وآبائهم لكانوا انصفونا وكفّوا البلاد شرّ هذه الاضاليل. على اني لا اتوخّى بهذه المقالة ردّ زعمهم او تخطئة وهمهم او الدفاع عن تعاليم الدين فليس الدين في حاجة لمن يتحرّى الدفاع عنه. بل ما حداني لكتابة هذه الأسطر هو مؤاخذةُ بعض

ابناء هذا الوطن الـذين يتهافتون على ما يقذفه البحر الينا من بضاعة كسدت في مطلكنها ولم يَرُجْ سوق نفاقها سوى عند اهل النفاق وذكرُ بعض أقطاب اهل العلم وما قرَّروهُ بشأن هذه الاضاليل التي يعدّها بعض شبان هذا العصر من اهمّ ما اكتشفه العلم [redacted] الان عبرةٌ لمن يعقلون وذكرى لمن يفقهون

﴿جان باتيست دياس﴾ (J. B. Dumas) هو احد ائمة الجيل الماضي كيماوي شهير ومرجع اكتشافات عديدة . أسس مدرسة الصنائع والفنون الشهيرة بباريس . وعندما أُدرج بسلك اعضاء جمعية العلوم الافرنسية (الاكادمية) صرّح جهاراً بايمانه بخلود النفس وبمعتقده المسيحي . ولم يكن ينبي قطّ عن ممارسة الفرائض الدينية باوقاتها . ومن تصريحه امام خاصة الناس وعامّتهم « انَّ الايمان والعلم اخوان لا يختلفان » مقدماً للجميع افضل مثل على تمسّكه بعروة الدين الوثقى وسموّ آدابه . وكثيراً ما كان يردّد على مسمع ائمة عصره « ان حقائق الوحي تزداد رسوخاً كلما ازدادت مخيّلتنا علماً » . توفي دياس وقد ناهز العُرَيْن بعد ان حصل على جميع المساعدات الروحية (١٨٠٠—١٨٨٤)

افلا يخجل اصحابنا اذاً ممن ادّعوا العلم ويخففون من غلوائهم ويُقصرون عن القول « هذا التعليم ينافي العلم : وهذه القضية لا يدركها عقلي » ؟؟

﴿كوشي﴾ (Cauchy) هو فيلسوف ورياضيّ معاً اشتهر بابحاثه الخطيرة ونظرياته التي ادّت للعلوم اجلّ خدمة . اوغسطين كوشي كان يتعزز بمذهبه الكاثوليكي ويُدلّ به منتخراً . فليرفع اصحابنا حجاب سمعهم لما يقول لعلّهم يعتبرون فيبصرون رشدهم : « كم اراني سعيداً ومحظوظاً معاً ان اكون مسيحياً اعتقد بيسوع المسيح انه اله وبخلود النفس اسوةً بغيري من افاضل قومهم وعمدتهم نظير تيكو براهي(١ وفرنسوا باكون (٢ وكوبرنيك (٣ ونيوتون (٤ وفرمات (٥ وبسكال (٦ ولابنتس (٧

١) (Tycho Brahé) هو عالم فلكي شهير اخترع امورًا كثيرة ولهُ تآليف يُرجع اليها بشأن هذا العلم (١٥٤٦—١٦٠١)

٢) (François Bacon) الوزير الانكليزي هو مرجع فلاسفة عصره ولم يقل قوله الذي ذهب مثلاً « الإلمام بالعلوم (اي معرفتها القليلة) تُقصي عن الله والتبحر فيها يُهدي اليه » الّا بعد ابحاثه الطويلة وتضلّعه من العلوم . لباكون مقالات شائقة بحقيقة الدين المسيحي وصحة الاناجيل (١٥٦١—١٦٢٦) ٣) (Copernic) هو كاهن بولوني اشتهر بعلم الفلك واكتشف امورًا

وجريمالدي (١ واولر (٢ وبورهاف (٣ وبويل (٤ ولوك (٥ واديسون (٦ وهالر (٧ وكثيرين غيرهم ممّن امتازوا بعلومهم الرياضية والفلسفية والطبيعية . كما اني افتخر بكوني كاثوليكيًا أومن بما تعلمهُ الكنيسة المقدسة مثل غاليلاي (٨

كثيرة لم يسبقهُ اليها احد . وبيّن قبل غليلاي انَّ ارضنا تدور حول الشمس ولم يتعرّض لهُ احد من ارباب الدين كما تعرّضوا لغليلاي لفضوله (١٥٤٣-١٦٧٣)

٤) (Isaac Newton) هو اسحق نيوتون الفيلسوف الانكليزي اشتهر بعلم الفلسفة والطبيعيات والفلك وهو اول من اكتشف نواميس الجاذبية والثاقل والعناصر التي يتألف منها النور. وللمذكور تأليفٌ بحقيقة الاناجيل وصحتها ومطابقتها لم يُنسَج على منواله (١٦٤٢-١٧٢٧)

٥) (P. Fermat) هو رياضي اكتشف امورًا عديدة بحساباته الدقيقة بما يخصّ علم الهيئة (١٦٠١-١٦٦٩) ٦) (Pascal) هو فيلسوف وعالم طبيعي وكاتب بليغ له خطرات افكار شائقة عن الدين المسيحي (١٦٢٣-١٦٦٢)

٧) (Leibniz) هو عالم وفيلسوف الماني وهو ايضًا لاهوتيّ اتقن علم الدين وقد سعى مع بوسويه الخطيب المشهور ليُعيد الكنيسة البروتستانية الى الكنيسة الكاثوليكية (١٦٤٦-١٧١٦)

١) (Grimaldi) فيلسوف ايطالي (١٦٢٨-١٦٦٣)

٢) (Euler) رياضي شهير يُعد من الطبقة الاولى بعلومه الفلكية والكيماوية وله ردود شائقة على الكفرة والملحدين وكتابات نفيسة عن الخدَم الجلّى التي قدمها الدين المسيحي للعائلة البشرية (١٧٠٧-١٧٨٣) ٣) (Boerhaave) هو طبيب وكيماوي هولندي الجنس لهُ عدّة تآليف بالطب والكيميا وكان يحسن اللغات الشرقية كالكلدانية والعبرانية . وله رسائل مطوّلة دافع بها عن الكتاب المقدس في العهدين (١٦٦٨-١٧٣٨)

٤) روبار بويل (Robert Boyle) هو انكليزي الجنس اشتهر بعلومه الطبيعية والكيماوية ولهُ تآليف دينية شائقة دافع بها عن حقيقة الوحي (١٦٢٦-١٦٩١)

٥) (John Locke) هو فيلسوف انكليزي من جملة تآليفه حقيقة الدين المسيحي (١٦٣٢-١٧٠٤) ٦) (Joseph Addison) هو كاتب شهير انكليزي الجنس ومن تآليفهِ الخاصة اثبات الدين المسيحي

٧) (Albert de Haller) هو جرّاح وعالم نباتي ولد في برن عاصمة سويسرة لهُ كتابات بليغة افحم بها المدعي الايمان (١٧٠٨-١٧٧٧)

٨) (Galilée) هو اشهر علماء عصرهِ في الرياضيات وعلم الطبيعة والفلك وُلد في بيزا من اعمال ايطالية اخترع واكتشف امورًا عديدة : الترمومتر وميزانًا لمعرفة الثقل النوعي للاجسام واصطنع اوّل نظّارة فلكية . وحذا حذو كوبرنيك في القول ان الشمس هي مركز عالم السيارات وان الارض تدور حول الشمس كباقي السيارات ولاموهُ لتعرّضهِ لشرح الكتاب المقدّس (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] :١٧٨) مات فقيد البصر (١٦٤٢)

وكبلر (١ وبسكوفيش (٢ والأثري الاب ديلاتر من الآباء البيض والاب شيل الدومنيكي الضليع بالعلوم الاشورية والاستاذ برانلي مخترع التلغراف اللاسلكي والشعراء الفلقون دانتي وتاسو وكورنايل وراسين وبوالو والادباء شاتوبريان ولابرويار وجرديل (٣ وساكي (٤ والخطباء بوسويه وفنيلون وبوردالو وماسيليون والوف غيرهم »

«وكم أراني سعيداً ان أنتمي بهدى ابناء الكنيسة من سراة ووجهاء وملوك وامراء مثل كارلوس الكبير (Charlemagne) وغودفريد (Godefroid) وتانكراد (Tancrède) وبايار (Bayard) ودي گوكلين (Du Guesclin) وفوبان (Vauban) وفيلار (Villars) وكاتينا (Catinat) والقديس لويس التاسع وهنري الرابع ولويس الرابع عشر الخ ....» هذا ما كتبهُ كوشي موجزاً

وماذا نقول عن ذلك البطل المغوار والملك العظيم الشان (نابوليون بونابرت) . ومن ينكر عليه تمسُّكه بدين اجداده على انه وان كان في ابان عظمته وسكرة انتصاره نسي ردهاً من الحين ممارسة واجبات دينه لكنه كان أبعدَ من ان يكفر به او يرتاب بمعتقدات ايمانه . فكان ثابت العقيدة صحيح الداخلة وقد صرَّح على مسمع الجميع بمفاخرته بدين اجداده قائلاً : « افتخر بكوني مسيحياً وابن الكنيسة الكاثوليكية وكم يسوءني ان ارى ابن اخي يذهب غير مذهبنا ويجري على غير منهاجنا . وعندي ان افضل خدمة قدَّمتُها لفرنسة هي احياء الدين الكاثوليكي وإعلاء منارهِ فيها . هو الدين لا سُرية يدفع عنها كل ضرر لا سبيل لها للتخلص منه الَّا به ....»

وعندما كان اسيراً في جزيرة القديسة هيلانة لم يكن ينقطع عن التأمل ملياً في

---

١) (Jean Képler) عالم فلكي هو اول من وضع نظريات محكمة في السيارة المريخ والنواميس المعروفة بنواميس كبلر التي بواسطتها توفق العلامة نيوتون الى اكتشاف مبدإ الجاذبية (١٥٧١ — ١٦٣٠)

٢) (Boscovich) هو احد الاباء اليسوعيين ايطالي الجنس عالم رياضي وهو اول من عُني بنشر فلسفة نيوتون في وطنه (١٧١١—١٧٨٧)

٣) (Gerdil) هو احد الكرادلة الشهيرين امتاز بعلومهِ الفلسفية (١٧١٨ — ١٨٠٢)

٤) (Angelo Secchi) هوَ احد الاباء اليسوعيين اشتهر بعلومهِ الفلكية لهُ كتاب شهير عن الشمس وتركيبها (١٨١٨—١٨٧٨)

ما كان يعتقدهُ في صغره وما تعلَّمهُ من مثائل التعليم المسيحي . فكان يزداد تيقُّناً وتمسكاً بالحقائق الدينية التي لا عزاء ولا سعادة تامة الَّا بها . وكان يتمم فرائضه الدينية بكل احترام ويحضر كل يوم الذبيحة الالهية التي كان يقيمها احد الكهنة الذي استدعاهُ لهذه الغاية . وما كان اشدَّ اعجاب رفقائهِ في منفاه اذ كان يشرح لهم حقائق الدين المسيحي ويثبتها لهم بالادلَّة الدامغة داحضاً اعتراضات المارقين والجاحدين ببراهين لا تدع مجالاً للشك والريب

وعندما حضرته الوفاة وشعر بمغادرته هذه الدنيا صرف من عندهِ اطبَّاءه واستدعى كاهنه الاب ڤينيالي وقال لهُ : « ابتِ انني ولدتُ كاثوليكيًّا وعشت كاثوليكيًّا وأُريد الآن ان اموت كاثوليكيًّا على دين اجدادي . انني اؤمن بما تؤمن به الكنيسة المقدسة واريد ان اتمم باخلاص وخضوع كل ما تأمرني بهِ واودّ من صميم الفؤاد ان احصل على الاسعافات والمساعدات التقوية التي تقدمها لابنائها عند ساعة الموت »

عندئذٍ تقدم نابوليون من منبر التوبة بكل إخبات وخشوع ثم تناول القربان المقدس ومُسح المسحة الاخيرة ووجههُ يتدفق سرورًا ورجاء ثم التفت الى القائد مونتولون الذي كان حاضرًا وقال لهُ : « كم اراني سعيدًا الآن اذ اتممتُ ما فُرض عليَّ وكم اشتهي ان تنالك هذه المنَّة عند ساعتك الاخيرة . .

« أجل لم اكن امارس شعائر الدين وانا في بسطة مجدي وابهة عرشي لكني لم انكث عهد ايماني ولم اكفر بحرمتهِ . وبالحقيقة كم كان يلذُّ لسمعي قرع النواقيس ومشاهدة الكهنة رُسل السلام على الارض فقد كان ذلك كله يُحدث في قلبي تهيباً وفي نفسي تأثيرًا يُحييان فيَّ شواعر الايمان الطاهر . ان الحياء البشري وضعف هذه الطبيعة الساقطة قد طالما تلقاني لأسدل على ذلك حجاب الكتمان امَّا الآن فاني اعترف بهذا التقصير ولا احتجُّ لنفسي منه »

ثم امر ان يُنصب له هيكل في احدى الغرف المجاورة لمخدعه كي يتيسَّر لهُ ان يسجد للقربان الاقدس . وعلى هذا المنوال استأثر الله بالرجل العظيم نابوليون بونابرت وتغمَّده برحمته

﴿باستور﴾ (Pasteur) الذي تُقام حاضرًا في العالم حفلاتٌ لتذكار مولدهِ

أشهر علماء الجيل الماضي وما تركهُ من الاختراعات والاكتشافات والتآليف في الطب والكيميا وعلم الطبيعة هي حجج ناطقة وادلة ساطعة على ما امتاز بهِ . وليس من يجهل حياة هذا الفيلسوف الفاضل وما كان لهُ من عظم المنزلة باعين كبار اهل العالم. في سنة ١٨٦٨ أنتخب دكتوراً شرفياً لمدرسة برنة الطبية و ١٨٦٩ عضواً للجمعية الملوكية بلوندرة و ١٨٧٠ عضواً لمجلس الاعيان و ١٨٧٣ ارسلت له كلية اكسفورد شهادة الملفنة في العلوم و ١٨٨٣ انتُخب كاتب سر اكاديمية العلوم الدائم . وكان سابقاً دُرج عضواً بسلك جمعية الاكادمي وقد حاز من علامات الشرف والميزة عدة اوسمة من رتبة فارس الى رتبة الصليب الاكبر من جوقة الشرف.

وعندما دخل باستور جمعية الاكادمي (١٨٨١) القى خطاباً على الاعضاء كان لهُ اشدّ وقع في القلوب واعظم تأثير في النفوس . وقد عدَّ الاعضاء ذلك من باستور جرأةً فائقة مغايراً كل المغايرة مبدأ مَن سلفهُ في الجمعية اذ جاهر باعتقاده وجود إله علّة كل العلل .

قد كان هذا العلّامة من اشدّ الناس تمسكاً بعقائده الدينية وقد كان يقول مراراً : «كلما ازددتُ تعمقاً في العلوم أزدادُ معرفة بعلّةٍ أولى مرجع جميع العلل» . وكثيراً ما كان يردّد على مسمع الجميع من خاصة الناس وعامتهم : «لم نوجد عبثاً» وعندما حضرته الوفاة استدعى اليه مرشد ضميره الاب بولنجر واعترف اعترافاً عاماً ومُسح بالزيت المقدس وكان في اثناء احتضاره يرفع كلَّ هنيهة من الزمان الصليب الذي كانت وضعته امرأته بين يديه ويقبله بخشوع رافعاً عينيه الى الملاء . ولد باستور سنة ١٨٢٢ وتوفي ١٨٩٥

لم ينتشر خبر وفاة هذا الرجل العظيم حتى تسابق كبارُ اهل العالم من ملوك وعلماء وقواد على تعزية امرأته من حكّام فرنسا وعظمائها وملك بلجيكا والدانيمارك وروسية وايطالية وتركية وعلماء كل امة

﴿لوفاريار﴾ (Le Verrier) هو عالم فلكي ترك لاهل العلم كثيراً من ابحاثه النظرية وآرائه الصائبة بما يختص العلوم الفلكية . اكتشف السيارة نبترن (Neptune) سنة ١٨٤٦ ولمّا اقيم مديراً لمرصد باريس قال : «لا يجوز ان يبقى المرصد محروماً

من تلك الاداة التي تذكرنا بالعمل العظيم اي عمل الفداء» وللحال زين بالصليب صدر قاعة المرصد

ان هذا العلامة لم يكن يقصر قط عن ممارسة الفرائض الدينية وهذا ما كان يجاهر به لجمعية الاكادمي التي كان هو من اخص اعضائها بقوله: «بالحقيقة لقد كنا بحاجة مائة مدة الخمس والثلاثين سنة التي صرفناها بخدمة المرصد لأن تؤيدنا هذه المشاهد البديعة التي اوجدتها الحكمة العلوية بمعتقدنا بخلود النفس وتوطد فينا الايمان بعلة سامية هي مصدر علل هذا الكون وعجائبه. وعليه ليس بدون تأثير وشعور سمعنا بجلستنا الاخيرة تصريحات احد الاعضاء المجيدين الذي اثبت هذه الحقائق كمبادئ راهنة للعلم الصحيح»

وعندما ألقيت في المجمع العلمي مسئلة ترشيح دروين ليكون مراسلاً للاكادمي انتصب لوقاريار واحتج على الاعضاء قائلاً: «انكم تصيرون الجمعية وصمة لا تمحى» فمنذئذ عدل الاعضاء عن تسمية المذكور باجماع الرأي. وعندما شعر بدنو ساعته الاخيرة استدعى الكاهن ليمارس الفرائض الدينية ويحصل على المساعدات الروحية وهذا ما كتبه لاحد اصدقائه من اعضاء الجمعية:

صديقي العزيز

لقد كنت كاتبتني مرارًا لكي اوافق بينما أعتقد وما ينطوي عليه قلبي من الشعور والعواطف علًا بعدما صديقنا الفاضل كوشي. فلتطمئن اليّ نفسك فقد حققت امانيك مع الشكر على حسن ظنك بي. غير انني استدعيت كاهن سان سلبيس الذي رتب امور نفسي وغدًا يأتيني بالزاد الاخير. فكم كنت اشتهي ان تكون في باريس لتحضر مساواتي زاد الراحلين. تحريرًا ٢٥ تموز سنة ١٨٧٢

فما قول اصحابنا دعاة الفلسفة الكاذبة بهؤلاء العلماء فكأنهم لم يعطوا ما أعطوا هم من حدة الفؤاد وسرعة الخاطر والعلم الكافي ليجاهروا بكل وقاحة: «الدين والعلم ضدان لا يجتمعان»

فعندما يأتيك احد ممن تخرجوا في المدارس اللادينية او على علماء ملحدين ويأخذ يتكاثر بلغو مقاله ويتحكم في الجدال مكابرًا بقوله: «ان هذا التعليم ينافي العقل وهذه القضية تعاكس العلم» فقل له: «نحن لنا ايماننا وحسبنا فخرًا ان نكون من

عداد من يؤمنون كامبار (Ampère) وفولتا (Volta) اشهر علماء الطبيعة وهاوي (Hauy) وروجه (Rougé) وروسي (Rossi) وكوفيار (Cuvier) وكلود برنار (Claude-Bernard) ولابلاس (Laplace) ولو شئنا تعداد علماء كل عصر لاحتجنا الى مجلدات . . كما انا نفتخر ايضاً بان نكون من عداد ذوي الشرف والمجد من كل امة وجنس ولغة كملوك فرنسة والنمسة والمانية وايطالية وروسية وباڤارية وبولونية وهولاندة والدانيمارك وسويسرة وسكسونية وبلغارية واليونان والصرب واميركا الشمالية والجنوبية الذين اتخذوا المعمودية صبغتهم والانجيل كتابهم والصليب لواءهم ولم نسمع احداً من اولئك الرجال العظام من ملوك وعلماء وقواد وامراء منذ ما اشرقت عليهم انوار الدين المسيحي ادّعى ادّعاء ذوي الفلسفة المستحدثة بانَّ «الدين والعلم ضدان لا يجتمعان »

اليس الشرف والفخر في اقتفاء اثار اولئك الرجال العظام والعلماء الاعلام الذين اخضعوا اعناقهم لنير الدين وهم اكثر عدداً واوسع علماً واسمى مقاماً من المارقين الذين يرتدون برداء الخيلاء ويتطرون ظهر التيه والعتوّ مدّعين انهم من حضنة العلم واصحاب الذكاء الرائع

على أنا اذا اعتبرنا عدد العلماء الجاحدين وجدناه قليلاً بالنسبة الى المئات من جهابذة اهل العلم والنظر الذين اتخذوا لهم الدين عدّةً وشعاراً وتمسّكوا بعقائده المقدسة . فانّا اذا تقصّينا في التدقيق والبحث عن العلماء المعدودين في كل الاجيال والامصار رأينا ان ليس فيهم سوى واحد من ثلاثين او اربعين ترك جادّة الدين وتبع اصحاب الزندقة والكفر . بل نزيد ونقول ان اكثر اولئك المارقين كانوا على بيّنة من امر ضلالهم ولذلك كانوا عند دنوّ ساعتهم الاخيرة يقلعون غالباً عن غيّهم ويرتدّون عن كفرهم ويرجعون الى حضن الديانة التي كانوا نددوا بها في حياتهم

وذلك ما حدث لزعماء المارقين في الاعصر المتأخرة . وفولتير نفسه الذي عُرف بكفره ومناوأته للدين لما اثقله المرض استدعى كاهناً ليساعده على الرجوع الى ربه وكان ذلك قبل وفاته بشهر واحد . واذ خفّت وطأة المرض وأمن الخطر عاد الى اطواره الكفرية ولم يلبث ان عاوده الداء فاستدعى الكاهن ثانية ليعترف له بجرائره وينال الصفح عن كفره كما صرّح عن ذلك طبيبهُ نفسهُ . ولكن عبثاً كان يطلب

ڤولتير مشاهدة الكاهن لأن أعوانه لم يمكنوه من ذلك تقضي عليه . وما حدث لڤولتير قد حدث لاحد تلامذته دلامبرت فان الفلاسفة الكذبة احاطوا به عند احتضاره ولم يتركوه وشأنه . وقد قال احدهم : « لو لم نكن هنا لكان صديقنا هذا حذوَ غيره فرجع الى دين اجداده والتجأ الى الكهنة »

على ان ڤولتير وان كان تظاهر بكفره لكنه كان يعتقد كل الاعتقاد بوجود علّة سامية هي علة كل العلل كما قال شيشرون الخطيب الروماني وعليه كان يعلّم خادمَهُ حقيقة هذه العلة التي تقتصّ من الرذيلة وتُثيب الفضيلة . ففي احد الايام بينما كان يشرح هذه الحقيقة لخادمه دخل عليه تلميذهُ دلامبرت بغتةً فنظر اليه ڤولتير خلسةً واشار اليه أن : أسكت . وبعد ان صرف الخادم من عنده قال لتلميذه : « ومن يؤمّنني من هذا الرجل العريض المنكبين والمفتول الساعدين . ويضمّني واياه سقف واحد سوى اعتقاده بوجود علة سامية تدرك خفايا القلوب وسرائر الضمائر وتعاقب اصحاب الجرائم ؟ »

ومن اغرب ما حدث لديدرو (Diderot) وهو احد فلاسفة الاعصر المتأخرة ومؤلف القاموس العام المشهور (١ انه كان يخلي بابنته الصغيرة ويشرح لها مبادئ التعليم المسيحي . فانذهل منه احد اصحابه الذي كان يؤازرهُ بتأليفه المذكور فقال له ديدرو : « ان محبتي لابنتي تقضي عليَّ ان اضمن راحتها في حياتها وسعادتها في مستقبلها ولا سبيل للحصول على هذه الامنيّة الّا بتعاليم الدين المسيحي ولئن كنّا نسخر من الناس فلا نسخر ممّن لنا »

فماذا نقول يا رعاك الله بهؤلاء العلماء الكذبة الذين يسكرون برائحة العلم وما ظنك في امرهم واي منزلة تنزلهم فيها من الهيئة الاجتماعية اذا قابلتهم بذلك العدد

١) ديدرو هو احد كتبة دائرة المعارف الكفريّة (Les Encyclopédistes) وهم عصبة من دعاة الفلسفة المستحدثة نشروا بين العامة تأليفهم المشهور بالقاموس العام الذي لم يكن بالواقع سوى مجموع الاضاليل والمثالب ضد الدين . وقد اصبح هذا التأليف مستودع اسلحة الكفر تحرّى به اصحابه اعداء كل عاطفة دينية . وقد كان لديدرو ودلامبرت اليد الطولى في هذا العمل الذي احلّه اعداء الدين اعظم منزلة فاقتنت جميع المكاتب وخافت اليه طلاب العلوم . ومن عداد الكتبة الذين ساعدوا على تحرير القاموس المنوّه به كان كوندياك وهلفاتيوس وهولباك ودوبانتون وڤولتر ومارمونتيل وروسو ومونتسكيو

العديد من حضنة العلم ومشاهير الامم واصحاب الادمغة الواسعة الذين تراهم في كل زمان ومكان يخضعون لمراسيم الدين ويأتمرون باوامر الاله القدير راضخين اتم الرضوخ لما يفرضه عليهم من الواجبات. ولعمري ماذا حملهم على احناء رؤوسهم امام الدين سوى الحقيقة الدينيَّة السامية التي تجلَّت لهم باجلى مظاهرها

وعبثاً يتستر هؤلاء بشرع الآداب ويدَّعون ان الآداب هي من آثار الانسانية وليست من الله وذلك لينكروا وجود الخالق ويطلقوا لذواتهم اعنَّة اميالهم متنصلين من كل تبعة ولم نكن لنعجب من هذه الحركة التي قام بها البعض من طلبة المدارس اللادينية واساتذتها ادعاء ان العلم والايمان ضدان لا يأتلفان فقد تقدَّمهم اناس من قبل على عهد الثورة الافرنسية ١٧٩٣ وحاولوا ان يمحوا اسم الله واثار الدين من القلوب مدَّعين ان الاداب البشرية هي دين الانسان الحقيقي بمعزل عن الله. ومن ثمَّ حدثت تلك الثورة الهائلة على الدين فقتلت عدداً من الاكليروس الاتقياء ونهبت الاديار وافسدت الابكار وابطلت كل شعائر الدين. ونصبت على المذبح بكنيسة نوتردام في باريس صبيَّة عريانة مكللة بالزهور وكان يتقدم اصحاب الدين الجديد امام تلك الابنة السافلة ويسجدون لها. وقد املوا ان يحركوا في قلوب الشعب نوعاً من العبادة الجديدة في التراتيل ذات الخلاعة التي كانت تنشدها المغنيات امام تلك الصبية المفضوحة وان يؤسسوا نوعاً من الاداب بواسطة مواعظ العظماء من الفلاسفة الكفرة ولكن ساء ظنهم وخابت آمالهم وتحققوا عندئذٍ ان دون الله لا يمكن ان توجد آداب حقيقية لان معابدهم وبيوتهم ومدنهم غدت مآخر للزنا ومجامع اللصوص والقتل والسرقة والفجور والسكر. وعندما شاهد روبسبيار الرجل السياسي الشهير وسفَّاك الدماء نتائج الدين الجديد اخذه الرعب كل مأخذ وهرع الى المذبح وتناول القلم بيده وكتب على واجهته: «ان شعب فرنسا يؤمن بوجود خالق السماء والارض وبخلود النفس». فينتج من ثمَّ ان الآداب والدين هما اخوان لا ينفصلان كما انتجنا ان العلم والدين اخوان لا يختلفان

وما احسن ما نجيب اخيراً من ينكرون علينا بعض عقائدنا من ذوي الاصلاح الموهوم ما اجاب به العلَّامة بوسويه سيدةً بروتستانيَّة كانت تدَّعي العلم والمعرفة. طلبت هذه السيدة مناظرة الاسقف المشار اليه بمعتقده ومذهبها واذ لم يرَ

بُدًّا من اجابة طلبها بناء على رغبة الكثيرين من الطرفين . ضرب لها موعدًا تأتي به فلم ينقضِ الزمن المحدود حتى تألب بنادي الاسقف جمهور غفير من كبار القوم وعلمائهم . ولمّا استقرّ بهم المقام طلبت السيدة المذكورة من الاسقف ان يلقي من الاسئلة ما يبدو له . فاحتار الاسقف بامره فكان من جهة يتردّد بصحة اهتدائها وارضاء المتعنّت صعبٌ . ومن جهة اخرى لم يكن يستحسن السكوت بموقفهِ الحالي فرفع عينيهِ الى العلاء وطلب من الله ان يُلهمهُ ما يقول . ثم التفت الى السيدة وناولها مجلدًا كبيرًا من تأليف القديس اغوسطينوس كان على الطاولة امامه . فاخذت المذكورة التأليف الومأ اليه وشرعت تقلّب صفحاتهِ مندهلة من سمو تعاليمهِ وفصاحتهِ . ثم ناولها مجلدًا آخر من تأليف القديس يوحنا فم الذهب فازدادت به تعجبًا واخذت تطرئ القديسَين المذكورين وتنشر طراز محاسنهما في المجلس معدّدة مآثرهما ومناقبهما . ثم ناولها الخلاصة اللاهوتية للقديس توما فصاحت على الفور : « هؤلاء هم حقيقة عمدة الدين المسيحي يُرجع اليهم في المشاكل ويُستنار برأيهم في المعضلات ونحن معاشر الاصلاح نردّد اسمهم بالتجلّة والاكرام » . وشرعت تقرّظ وتعلن مفاخر علماء الكنيسة مثل القديس ايرونيموس وغريغوريوس وباسيليوس وترتوليانوس الخ . عندئذٍ التفت اليها بوسويه وقال لها :

« اسألك ايتها السيدة ان تبيّني لي الفرق بين من ذكرت من العلماء كاغوسطينوس وفم الذهب ومار توما وباسيليوس وترتوليانوس وبين زعمائكم فلان التاجر او الصانع او المعلم والسيدة فلانة صاحبة المقام الرفيع وفلانة وضيعة الحسب الخ . . .

قالت المعترضة : « غلبتني ايها السيد الجليل بهذه المقابلة فبهات ان يكون مَن ذكرت نظراء وامثال لارلئك العلماء المحققين الذين تفتخر بهم الامة المسيحية ؟ »

قال بوسويه : « هذا هو الفرق بيننا وبينكم ايتها السيدة نحن نعتمد بما يخص تعاليم ايماننا على تعاليم اغوسطينوس وايرونيموس ويوحنا فم الذهب ومار توما وغيرهم من العلماء الاعلام ممن تفاخر بهم الامة النصرانية جمعاء لا على رأي اتفقنا عكس مذهبكم الجديد الذي يُبيح لكل امرئ تفسير الكتاب المقدس وتعاليم الدين بما يبدو له »

فلم تجب السيدة بكلمة لكنها ما أبطأت ان جحدت مذهبها امام السيد المذكور

مُثنيةً على ضعته وغيرته واصبحت مذ ذاك الوقت نموذجاً حيًّا لامثالها كثيرات من اشراف ملتها

ولعمري من هم الذين يفاخروننا باكتشافاتهم العلمية الجديدة ؟ هم شبّان من ابناء المدارس اللادينيّة . وكم يسوءني ان اردّد هنا ما قاله لي احد ابناء هذه المدارس بينما كنا نتطارح الاسئلة بخصوص ضرورة الدين للامة البشرية . . «ضع موسى وعيسى ومحمد بقفّة وغرّقهم في البحر» هذه هي تعاليم المدارس اللادينية شاء الآباء او أبوا . . وهل يرضى اليهودي والمسيحي والمسلم بان يتشرب ابناؤهم هذه المبادئ القتالة التي تنزع منهم كل عاطفة دينية وتؤدي بهم لمهاوي الدمار والفساد ؟

فليحذر ابناء هذا الوطن المحبوب من التعاليم الجديدة من التمدن العصري الذي قوامهُ الخلاعة والتهتُّك عند البعض ممن لا يدينون بدين . وليحذروا تقليد من لا تنطبق حياتهم واطوارهم وعوائدهم على حياتنا واطوارنا وعوائدنا فما احلى واسعد والذّ واهنأ عيشة اجدادنا بالحشمة والوقار بالقناعة بالبساطة بالتمسك بعروة الدين الوثقى فانها هي هذه سعادة العائلة البشرية في الحياة الحاضرة والمستقبلة (القديس بولس برسالته الاولى الى تيموثاوس ٤ : ٨)

صورة صك

وصية السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم الاخيرة

تمهيد

اوقفنا احد كهنة الروم الكاثوليك الحلبيين الافاضل قبل عشر سنوات على اثر جليل للسيد البطريرك المخلّد الذكر مكسيموس مظلوم الا وهو وصيّتهُ الاخيرة التي كتبها في ١٧ ك ١ من السنة ١٨٣٥ وذلك عشرين سنةً قبل وفاته وسنتين بعد ترقيته الى السدّة البطريركيّة على طائفته . وقد بحثنا في كل ما نُشر طبعاً عن ذاك الحبر العظيم لعلّنا نجد في جملة تلك المنشورات اثرًا لهذه الوصيّة فلم نقف عليها . ومن ثمّ احببنا نقلها على صفحات مجلّتنا لتبقى كشهادة حيّة

على ايمان السيّد المذكور وتُقاه العجيب وتجرّده التامّ عن حطام العالم. وهذه النسخة قد صدّرها الناسخ بما حرفهُ: «صورة صكّ وصيّة السيّد كيريوس مكسيموس مظلوم السعيد الذكر الاخيرة التي املتها محرّرة بخطّ يده الكريمة وقد نقلناها بنها حرفيًّا خلوًّا من تقصير ونقصان وعليها الختم الكبير». وعلى ظنّنا انّ هذه الصورة الاصليّة لا تزال بين اوراق السيّد مكسيموس الموجودة عند اسرته الكريمة في حلب والله اعلم ل . ش

لمجد لله دائماً

مكسيموس

برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي والاسكندري والاوشليمي وسائر المشرق

اعلام بالرب لكل من تطلّع عليه وهو

انني اذ كنتُ بنعمة الله قد عشتُ مردّدًا في ذهني وجوب انتزاحي بالوفاة عن هذه الدنيا للبلوغ بمحجّة المنون نفسها الى غايتي العليا فتما بين اهتمامي لآخر هذا السفر قد وضعت وصيّتي الاخيرة قبلًا عدّة مرار لانني حرّرتها اولًا منذ كنت قساً وغب ارتقامي بدرجة رئاسة الكهنوت مطرانًا على مدينة حلب . قد دوّنتها ثانياً حين مبارحتي المشرق ذاهباً الى اوربة سنة ١٨١٣ بصك آخر . ثم انني جدّدتها ثالثاً في ٧ حزيران سنة ١٨١٧ في مدينة رومية بنوع مختلف عن تلك لاختلاف الظروف بتركي المطرانيّة المذكورة واقامتي من الصالح الذكر البابا بيوس السابع رئيساً على اساقفة ميراليكيا . والآن وابماً عقيب ارتقائي من دون استحقاق الى سموّ المقام البطريركي في ٢٤ آذار سنة ١٨٣٣ بالانتخاب القانوني على مدينة الله انطاكية العظمى الامر الذي اثبتهُ لحقارتي قدس الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر الكلي الطوبى بموجب المنشور الرسولي الوارد لي منه مدوناً في ١٦ ايلول هذه السنة قد رأيت واجباً تحرير صك وصيتي الاخيرة الحاضر الذي بقوّته الاشي الصكوك

الاولى مطلقاً واجعل كل قوة الاعتماد على هذا الصك وحده دون غيره واريد نفوذهُ شرعاً خلواً من الشلام

ومن ثمَّ بتمام ارادتي وكمال اختياري وصحة جسمي وعقلي وجواز تصرُّفاتي شرعاً اعلن موضحاً واقرّ معترفاً :

﴿اولاً﴾ كما اني أجزتُ بمنة من الله تعالى ايام حياتي حتى الآن ابناً لبيعته تعالى الحقيقية يونانياً كاثوليكياً مشتركاً بالايمان الارثوذكسي مع الكنيسة الرومانية امّ الكنائس كلها ومعلّمتهن وبالطاعة لها حسبما ورثتُ ذلك عن آبائي واجدادي وتأكدتهُ بالحق اليقين . فهكذا اريد ان اتمم بمعونة الهي ما بقي من ايام غربتي الحاضرة وارقد بالرب ماكثاً ضمن هذه الامانة الكاثوليكية وعليها قابلاً معتقداً منذراً مطلماً الجميع بما تقبله هذه الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية وتعتقدهُ وتُنادر بهِ وتعلمهُ مجملاً ومفصلاً رافضاً راذلاً حارماً كل ما ترفضهُ هي وترذلهُ وتحرمهُ وقد عرفتُ بمن آمنت وهو القادر ان يحفظ وديعتي سالمةً .

﴿ثانياً﴾ اني اودّع بواسطة اسطري هذه جميع ابنائي اهالي الابرشيات الخصوصية والعمومية المحبوبين مني بالرب الوداع الاخير واستودعهم في حضن جراحات مخلصي يسوع المسيح وامنحهم جميعاً البركة الرسولية فرداً فرداً واترك لهم عند انفاسي الاخيرة ما تركهُ معلمي السماوي لتلاميذه قائلاً : «وصيَّةً جديدة أُعطيكم ان يحب بعضكم بعضاً» . وهكذا اذ اودّع للكاتدرا الانطاكية لوداع الخطير واعانق اخوياً الاعزاء مطارنة كُرسيّ المعانقة الوداعية الطاهرة فاناشدهم بالربّ متوخياً فيهم بابلغ نوع رسوخ المحبة التامة فيما بينهم وان يسرعوا في ان ينتخبوا قانونياً خليفتي بكل سلام واتفاق متجردين عن الغايات الذاتيَّة وملاحظين مجد الله الاعظم وخير الانفس وافادة الطائفة لا غير

﴿ثالثاً﴾ اني اقبل الموت بكل طيبة خاطر وفاء عن زلّاتي غافراً من كل قلبي لجميع الذين أساءوا اليَّ باي نوع كان طالباً لهم من الجود الالهي كلّ خير حقيقي ابدي وزمني . كما اني اسأل الجميع ان يصفحوا لي كل ما امكن ان اكون مزلّاً بهِ في حقهم باي وجه اتفق ان يحدث مني ذلك

﴿رابعاً﴾ اريد ان يدفن جسدي في كنيسة مدرسة سيدة البشارة ههنا ان

حدثت وفاتي في هذه الدار البطريركية او في مكان لا يكون بعيداً جداً عنها واما اذا وقدت بالرب في مدينة دمشق او في مدينة مصر او في محل آخر فلتلحد جثتي في تلك الكنيسة الكاثوليكية حيث يتفق موتي

﴿خامساً﴾ ان الاسقف فاكثر من اساقفة الطائفة الذين يكونون حاضرين عندي حين وفاتي مع المتقدم في اكليروسي الانطاكي فهؤلاء حال انفصال نفسي من جسدي يكسرون امام شهود ختمي البطريركي الصغير مع قطعي الاسم والتاريخ من ختمي البطريركي الكبير ثم بعد ان يخرجوا الى براء تلك الاشياء الضرورية للدفن يختمون على موجوداتي كلها باستيثاق امين

﴿سادساً﴾ ان وكلاء وصيتي هذه الاخيرة وهم حضرة الاخ العزيز كير اغابيوس مطران بيروت المحترم وحضرة الابن العزيز الحبيب الخوري باسيليوس شاهيات الجزيل الاكرام المنتخب مطراناً على كرسي الفرزل وحضرة الابن العزيز الخواجا الياس انطون صوصه الاكرم مع المتقدم في اكليروسي الانطاكي الذين اخترتهم لتنفيذ هذه الوصية يفكون الختومة بعد الدفن عن موجوداتي ويحررون بها قائمة خصوصية :

(اولاً) جميع ما يكون باقياً في الوجود من تركة الكرسي البطريركي المحررة في الصك المحفوظ عندي مؤرخاً في ١٧ آذار سنة ١٨٣٣ والمدون في السجل البطريركي

(ثانياً) تلك الاشياء المحررة مني وعن يدي برسم الكرسي البطريركي كما هي محررة في السجل المرقوم

(ثالثاً) الاثاث الذي انا اقتنيته للدار البطريركية في مدينة دمشق حسبما هو مسطر في السجل المذكور ومثله كل ما اكون جددته من الموجودات وحررته في السجل برسم الكرسي. ثم يرقون في قائمة اخرى خصوصية تلك الاشياء التي هي لي ملك حر من قبل ارتقائي الى السدة البطريركية اذ اني اقتنيتها حينما كنت رئيس اساقفة ميراليكيا من مالي الشخصي لا من احد نظير بدلات حبرية وامتعة فضية وما هو في صندوقي الخصوصي خلواً من تداخل للتركة البطريركية مع هذه بشيء. وهذه ايضاً مشروحة في السجل فاذاً بعد ان يحررها وكلائي في القائمة فبمعرفة اهل الخبرة يعينون لكل منها ثمنه العادل بجانبه: اولاً ليعرفوا كمية قيمة هذه الموجودات. ثانياً يضيفون الى كمية قيمتها كل ما يمكن ان يوجد عندي بعد وفاتي من الدراهم

النقدية . ثالثاً يضمون الى هذه وتلك جميع ما يكون لي ديناً اما في ذمة اشخاص خصوصيين على سبيل القرضة واما عند وكلائي في المدن وباقي المداخيل البطريركية لحد يوم رقودي بالرب او عند احد الاساقفة او غيرهم من كسورات نورية او حقوق وهكذا يعملون المجموع المرقوم باسره كمية واحدة : وانما أوضح ان هذه البواقي تخصني شخصياً ولا تخص الكرسي البطريركي فذلك من قبيل ان المداخيل البطريركية لا يمكنها مطلقاً ان تكفي لمصاريفه كما هو واضح من الدفتر العام المبيّن كم من الدين المصروف من مالي الشخصي زيادةً عن المدخول

﴿ سابعاً ﴾ انهم اي وكلاء وصيتي هذه الاخيرة يرفعون من المجموع المرقوم . (اولاً) كل ما يكون صُرف على احتفال جنازي ودفني فقط (لا على المجمع البطريركي لانتخاب خليفتي الذي يخصه هو عينه ان يوفيهُ) . (ثانياً) من اصل المجموع المرقوم يفون كل ما يكون عليَّ ديناً للناس امّا بسندات مني بخطي وختمي على نفسي وامّا مدوّن ومحدَّد مني في دفتري على ذاتي او ببينات شرعية او عرفية ثابتة . (ثالثاً) يوزّعون من المجموع المذكور في سبيل البر عن نفسي كل ما هو محرر في القائمة الخصوصية المدوّنة مني ممضيّة بخط يدي مسجلة بختمي محفوظة صحبة هذا الصك عينه مشهوراً بها خلواً من ان يُنقصوا عنها شيئاً او يغيروا فيها شيئاً

﴿ثامناً﴾ انهم اي وكلاء وصيتي بعد اخراجهم من المجموع المرقوم الثلاثة الكميات المذكورة يجمعون الصافي منه ويقسمونهُ ثلاثة اقسام : يدفعون الثلث الواحد بيد خليفتي الذي يُنتخب قانونياً على الكرسي البطريركي وقفاً لهذا الكرسي . ويسلمون الثلثين الاخيرين بيد رئيس مدرسة البشارة هذه وقفاً مني ليتقيد لها في سجلها وبمناظرتهم يُشترى لها رزق ثابت ويصير نظير اوقافها المؤبدة

﴿ تاسعاً ﴾ ان خليفتي بعد جلوسه بطريركاً يتسلم من ايدي وكلائي المذكورين . اولاً ثلث الصافي المرقوم من تركتي كما تقدم القول . ثانياً جميع الصافي من متروكات الكرسي البطريركي الدون في القائمة المؤرخة في ١٧ آذار سنة ١٨٣٣ المذكورة آنفاً ثالثاً الاشياء التي تجددت للكرسي مني وعن يدي حسبما سبق القول . رابعاً الاثاث الذي اقتنيتهُ للدار البطريركية بدمشق مع ما يمكن ان يتجدد بعد الآن في الدار البطريركية (الّا الفرش الذي في الدار الملاصقة المدرسة فانه موهوب لها مني) .

خامساً يستلم منهم الاركيفيون (archives) البطريركي وسائر الاوراق وحجج الارزاق الثابتة المختصة بالكرسي عينه . سادساً لا اسمح لوكلائي بان يُداعوا خليفتي بشيء من الدَّين الذي يكون لي على الكرسي البطريركي وهو الزائد في معاريفي على مدخول الكرسي كما يوجد مؤرخاً في السجل لأني قد وهبت الكرسي هذا الدين مهما كانت كميّته تاركاً لخليفتي الارادة فيما يقدّمه عن نفسي من القداديس . ثم اذا شاء هو ان يأخذ من مفردات تركتي الخصوصية المقدم شرحها شيئاً للكرسي فلا مانع عليه بحيث يشتري ذلك بموجب ثمنه المعيّن له في القائمة ويخصمه من اصل الثلث الذي وهبته اياه

﴿عاشراً﴾ ان وكلائي يدفعون بيد رئيس المدرسة المرقومة الثلثين الآخرين من صافي تركتي وقفاً لها كما تقدم الشرح ثم لا يداعوها بشيء مما يوجد معيّناً في دفتري او في دفترها ديناً عليها . لاني منذ الآن أوهبها هذا الدين كما اني اصادق مثبتاً واكرر الايهاب لها بجميع ما صرفته عليها في عمارها وتأثيثها كما هو مدوَّن مفصلاً في اوائل سجلها غره ١ وما اوفيتها اياه : (اولاً) بمبلغ ثمانية عشر الفاً وخمسمائة واحد عشر غرشاً ونصف عن ذمّة سالفي السعيد الذكر كير اغناطيوس قطان المحكوم لها به من مجمع انتشار الايمان المقدس العام الملتئم في ١٠ ايار سنة ١٨٢٤ قيمة فيوريني (fiorini) ١٧٦٣ . (ثانياً) بمبلغ ستة آلاف وثلثمائة وثلاثة وستين غرشاً عن ذمّة سلفاني الصالحي الذكر قيمة الصاكون والشاروبيكون والكاليا (١ المزركشات بها لها ديناً على الكرسي البطريركي بثمانية وستة فيوريني . ثم اني وهبتها جميع ما يوجد من الاثاث في الدار البطريركية الملاصقة اياها (الا الفضي والصندوق الذي يخصني ولا يحتوي على شيء يخص الكرسي وما خلا الاركيفيون والاوراق) . غير ان المدرسة تلتزم بان تقدم لخلفائي ولارفاقهم (كلّ مرّة يحضرون اليها) كل ما يلزم من الفرش سواء كانوا مقيمين مدة طويلة او قصيرة كما انهم اي خلفائي ملتزمون بان يقدّموا للمدرسة عن معاشهم من وكلائهم ما يوازي مصروفهم في مدة اقامتهم في الدار

---

١) الصاكون (Σάκκος) الدرع الذي يلبسهُ احبار الكنيسة اليونانيّة . والشاروبيكون (χερουβικόν) كتاب التسابيح (؟) . أمّا الكاليا (Κάλυμμα) فهو غطاء ثمين للكاس . اطلب صورة الحلّة الحبريّة عند الروم الملكيين في المشرق (ع [١٩٠١] : ١١٢٨)

البطريركية ههنا نظير ما سلكتُ انا هكذا حسبما يوجد مدوَّناً في دفتر مدخولها . فاذاً جميع ما انا وهبتهُ لهذه المدرسة ويمكن ان أوهبها من الآن الى حين وفاتي من كلّي وجزئي فلا دعوى عليها من اجله لا من خاناني ولا من وكلائي ولا من اقربائي بتّةً لانني احتم بكلمة الرب العزيز سلطانها وبقوة الشريعة والحق وسلطاني الرسولي بألّا يطالبها احد بشيءٍ مما ذُكر لانه هو وقف مني لها مستوفٍ بشروط الاوقاف والايهاب ولئن اتفق ان تنقص فلتحسب كاملة . ولكني اريد من رئيس المدرسة انه اذا حدث ان احداً من الشبان اقربائي الدمويين جاء الى المدرسة طالباً ان يدرس فيها العلوم من دون ان يربط ذاته بالنذر في ان يدخل في طغمة الاكليروس فليقبله فيها مجاناً كل تلك المدة التي هو يمكث فيها بشرط ان لا يكون وقتئذٍ موجوداً احد غيره من اقربائي على الصورة المرقومة ولكن يضادّ ذلك وجود غيره من اقربائي الدمويين في المدرسة إمّا بارتباط نذر اقامته فيها كاحد اعضائها مدة حياته كلها او اذا كان وجوده فيها على مصروفه السنوي او مرسلاً اليها من مطران حلب حسب فرائضها

﴿حادي عشر﴾ اني اثبت جميع الصكوك المعطاة مني على نفسي في شأن كنيسة القديس نيقولاوس المشيدة مني في مدينة مرسيليا خاصة طائفتنا الروم الكاثوليك مع بيت خورنتها حسب الصكّين المدونين مني في ١ ت ٢ سنة ١٨٣٠ وفي ٢٨ ايار سنة ١٨٣١ والمكرَّر تسجيلها بخطي وختمي يوم تحرير صك وصيتي هذه الاخيرة بان لم يعد لي شخصياً على المحلين المرقومين لا حقّ ولا دعوى كما توضح الصكوك المرقومة

﴿ثاني عشر﴾ واخيراً انني اوصي خليفتي البطريرك الجليل توصية فعّالة باولادي اكليروس الكرسي البطريركي الخصوصي مثقّلاً ذمّته قانونياً وعدلاً : (اولاً) بان يحفظ لكل منهم فحوى الصك الذي بيده مني خلواً من تغيير وبان يتمم عملياً ما يلتزم به لهم كرسيه حسبما توضح الصكوك المرقومة . (ثانياً) بان يلاحظهم عموماً وكلّاً منهم كبنين اخصاء له كما لاحظتهم انا وتعبت في تعليمهم وكمالهم . (ثالثاً) بان يعتبرهم بالكرامة المحقة وبالتقدم على جميع من هم دونهم من اكليروس الابرشيات كلها . (رابعاً) بان يستخدمهم مؤازرين له في حمل اثقال السياسة البطريركية الباهظة

التي هو لا يستطيع وحده القيام بها حسناً . فاذ قد عُرفت واضحاً ارادتي في وصيتي هذه الاخيرة مصرّحة في الصك الحاضر فأحتم على جميع من يخصه بحفظها ونفوذها خلوًا من تغيير اصلًا . واثباتاً لكل ما تقدم ايرادهُ قد أمضيت هذا الصك بخطي وسجّلته بختمي الكبير والصغير وطلبت من الشهود المرقومة اسماؤهم ادناه ان يشهدوا عليَّ بذلك تحريرًا في اليوم السابع عشر من شهر كانون الاول ختام سنة الف وثمانمائة وخمس وثلثين في الدار البطريركية الملاصقة مدرسة البشارة في عين تراز ضمن ابرشية بيروت . صح

مكان الختم — القابل ما فيه صحيحاً وقابلهُ على نفسه

مكسيموس البطريرك الانطاكي

صحَّ انه قد طلب منا قدس سيدنا كيريو مكسيموس البطريرك الانطاكي الكلي الطوبى ان نشهد عليه مقررًا امامنا ان هذا هو صك وصيته الاخيرة التي يريد ان يعمل بموجبها من دون تغيير فشهدنا بذلك واضعين اسماءنا وختوماتنا ادناه في التاريخ المرقوم حرر في ٢٩ ايلول سنة ١٨٣٦

الحقير باسيليوس شاهيات — الحقير اثناسيوس مطران طرابلس ومدرسة سيدة البشارة — الحقير كيرللس رئيس اساقفة بصرى وحوران

القس اميروسيوس بندره — الخوري الياس فنده (؟) — القس بطرس سمار

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٤ أكثم بن صَيْفي

هو أكثم بن صيفي بن رُباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن

جروة بن أُسَيّد بن عمرو بن تميم اشهر حكّام العرب في الجاهليّة وحكمائهم وخطبائهم كان من نصارى تميم وادرك الاسلام. ويقول بعض الكتبة ارسل وفداً من قومهِ الى نبيّ المسلمين مع ابنهِ حبيش فلمّا رجعوا أعلموهُ بأمرهِ فاستحسن طريقتهُ وحضّ قومهُ على اتّباعها وانهُ حاول الخروج الى محمّد فمات قبل اجتماعهِ بهِ والله اعلم

وكان اكثم احد المعمّرين ذكرهُ ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمّرين (ed. Goldziher, 9-18) وممّا رووا لهُ في ذلك قولهُ (من الطويل حماسة البحتري ع ٤٦١) :

وانّ امرءاً قد عاش تسعينَ حِجّةً الى مائةٍ لم يَسأمِ العيشَ جاهلُ
مضت مئتانِ غيرَ ستٍّ واربعٍ وذلك من عَدِّ الليالي قلائلُ

فان صحّ قولهُ يكون بلغ من العمر مائةً وتسعين سنة. على انّ لهذين البيتين روايةً اخرى لعلّها هي الصحيحة تجعل عمرهُ خمساً وتسعين سنة فقط وهي :

وانّ امرءاً قد عاش تسعين حجّةً لخمسٍ ولم يسأمِ العيش جاهلُ
فلا ترجُ عمراً بعدَ من فادَ انّما بقاؤكَ في الدنيا ليالٍ قلائلُ

وكان العرب يتقاضون الى اكثم ولا يردّون حكمهُ لنزاهتهِ وبرّه. روى في الاغاني (١٥ : ٧٣) رَفَع قبيلتَي الرَّباب وسعد دعواهما الى حكمهِ. واخبر السجستاني (ص ٢ أ) انّ القَعْقاع وخالد بن مالك بن سَلَم النهشلي تنافرا الى اكثم بن صيفي أيّهما اقرب الى المجد والسؤدد فقال: سفيهان يريدانِ الشرّ ارجعا فان أبَيْتما فاني لست مفضّلاً احداً من قومي على احدٍ كلّهم اليّ شرعٌ سواء. وخلا بكل واحدٍ منهما يسألهُ الرجوع عمّا جاء لهُ فلمّا ابيا بعث معهما رجلاً الى ربيعة بن حُذار الاسدي وحبس عنده إبلهما فغضبا وطلبا ردّها بعنف فقال اكثم (طويل) :

نُبِّئتُ انّ الأقرعَيْن وخالداً ارادوا بأن يستنقصوا عزّ أكثما
(فويلٌ أمّهم لن يستطيعوا لمأربٍ) بعَمْدٍ ارادوا أن أثَمّ ويغنما

قال : اي يغنم خالد. وقال اكثم (طويل) :

سأحبسها حتى يبين سبيلُها ويَسرحُها تُحدَى الى الحيّ اسلَمُ

ويمنعُها قومي وتمنعُها يدي وجرداءُ من اهل الأفاقة صِلدِمُ

واخبر ابو حاتم السجستاني ايضاً انَّ النعمان بن المنذر اصاب اسارى من تميم وحبسهم بالحيرة والقُطقُطانة فركب اليهِ وفودُهم وفيهم اكثم بن صيفي حتى انتهوا الى النَّجَف ثمَّ قدموا الحيرة واقاموا مدَّةً لم يحظوا بالدخول على النعمان ثمَّ شخص النعمان الى القُطقُطانة موضع في البرّيَّة قرب الكوفة حيث كان سجنُ النعمان فسار الوفد اليها وهجم اكثم على بابها ونادى حارسَ السجن بقولهِ (من الرجز) :

يا حَمَلَ بنَ مالكَ بنِ أهبانْ هَلْ تُبلغنَّ ما اقولُ النُّعمانْ

انَّ الطعام كان عيشَ الانسانْ اهلَكتَني بالحبس بعد الحِرْمانْ

من بينِ عارٍ جائعٍ وعَطشانْ وذاك من شرِّ جِباء الضيفانْ

فسمع النعمان صوته واذن لوفد تميم ان يأتوهُ وقال: مرحباً بكم سَلوني ما شئتم الّا اسارى عندي . فطلب اليهِ القوم حوائجهم وأبى اكثم ان يسألهُ فقال لهُ النعمان: ما يمنعك . فقال اكثم : ابيتَ اللعن قد علم قومي اني من اكثرهم مالًا ولم اسأل احداً شيئاً انَّ المسئلة من أضعف المكسبة وقد تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثَدْيَيها فقال النعمان : صدقتَ سَلْ حاجتك . فقال : ناقتك برَحلها وخِلْمَتك وكلُّ مكروب بالقُطقطانة والحيرة عرفني . قال : ذلك لك . فركب ناقتهُ في كِسوتهِ ثمَّ نادى يا اهل السجن انَّ النعمان قد جعل لي مَنْ عرفني . قالوا : كلّنا نعرفك انت اكثم بن صيفي . ثمَّ فعل مثل ذلك بالحيرة فأخرجهم ثمَّ قال (من الوافر) :

ثوَيْنا بالقَطاقِطِ ما ثوَيْنا وبالـمَبْرَيْن حَوْلًا ما نَريمُ (١

وأخبرَ اهلُنا ان قد هلكنا وقد اعيا الكواهنُ والبُسُومُ

وآسانا على ما كان اوسٌ وبعضُ القومِ مَلْحيٌّ ذَميمُ

---

١) القطاقط هي القُطقُطانة السابق ذكرها . وقال ياقوت (٣ : ٦٠٥) « انَّ المَبْرين موضع» . ولم يزدْ ايضاحاً . ويروى : المريَين

فقلتُ لهم أيا قومي أبانت فكونوا الناهضينَ بها وقوموا
بوَفدٍ من سَراة بني تميمٍ الى أمثالهم لجأ اليتيمُ
فانكمُ لِأن تكفوهُ اهلٌ عليكم حقُّ قومكمُ قديمُ
وانكمُ بعَقوَةِ ذي بَلاءٍ وحقُّ المَلكِ مكشوفٌ عظيمُ

هذا ما وجدنا من شعر اكثم بن صيفي. امّا حكمهُ فكثيرة لو جُمع ما بقي منها لأنافت على عدّة صفحات. وقد عُرف اكثم بحكمتهِ حتى ضُرب بهِ المثل في ذلك وكاتبهُ الملوك يطلبون اقوالهُ. منهم ملك هَجَر او نجران طلب ان يكتب اليهِ باشياء ينتفع بها وان يُوجز. فكتب اليهِ (كتاب المعمرين ص ١٦): «ان احمقَ الحمقِ الفجور. وأمثل الاشياء تركُ الفضول. واياك والتبذير فانَّ التبذير مفتاحُ البؤس. واحوجُ الناس الى الغنى مَنْ لا يُصلحهُ الّا الغنى واولئك الملوك. وحبُّ المديح رأسُ الضَّياع. وفي المشورة صلاح الرعيَّة ومادَّةُ الرأي. ورضا الناس غايةٌ لا تُدرك فتحرَّ الخير بجهدك ولا تَحفِل سَخَطَ مَنْ رضاهُ الجَوْر .. الخ»

وروى لهُ هناك حكماً اقترحها عليهِ ملك عرب الشام الحارث بن ابي شمر الغسّاني ليُرسلها الى هِرَقل ملك الروم فيعرف انَّ في العرب مثل خطباء غسّان حكمةً وعقولاً وألسنةً. فاجاب أكثم الى امرهِ. وكذلك نقلوا عن اكثم حكماً بليغة كتبها لبعض ملوك فارس الذي كان عيَّر العرب بخفَّة احلامهم وقلَّة عقولهم فأمرهُ النعمان بن المنذر ان يبيّن لهُ شيئاً يُعجَب بهِ ملك فارس ويرغبهُ بهِ في العرب. فكتب: «لن يهلكَ امرؤ حتى يضيعَ الرأي عند فعلهِ ويستبدَّ على قومهِ بأمرهِ ويُعجَب بما ظهر من مروءتهِ ويغترَّ بقوَّتهِ والامرُ يأتيهِ من فوقهِ والى الله تصير المصائر» وهي طويلة اكتفينا بهذا

ولمّا كان يوم الكُلاب اشار اكثم على قومهِ بني تميم حين سارت اليهم مَذحِجُ باجمعها فقال: «استشيروا وأقِلّوا الخلاف على امرائكم وكونوا جميعاً فان الجميعَ غالبٌ ولا جماعة لمن اختلف. تثبَّتوا ولا تُسارعوا فانَّ احزم الفريقين اركَبُها ورُبَّ عجلةٍ تَهَبُ ريثاً»

ومما يدلّ على نصرانيّة اكثم عدّة حكم اخذها من الانجيل المقدّس والاسفار الالهيّة هذه البعض منها تُروى في العقد الفريد لابن عبد ربّه وفي كتاب المعمّرين وفي شرح رسالة ابن زيدون كقوله: «أحسِن يُحسَن اليك. ولكل عمل ثواب. ارحم تُرحم. وكما تدين تدان. وستُساق الى ما انت لاقٍ. ولا تُلزم أخاك ما ساءك. ولا تكونن راضياً بالقول. ففضل الفعل على القول مكرمة. حيلةُ ما لا حيلة لهُ الصبر. واستر سوءة اخيك لما تعرفُ فيك. والدالُّ على الخير كفاعله. وجازِ بالحسنة ولا تكافئ بالسيّئة. افضلُ الزاد ما تُزوِّد للمعاد»

ولمّا حضرت اكثم بن صيفي الوفاة جمع ولدهُ وقال: «يا بنيَّ الدهرُ قد ادّبني وقد احببتُ أن أؤدّبكم وازوّدكم امرًا يكون لكم بعدي مَعقلًا. يا بنيَّ تبادُروا فانَّ البرَّ يُذكى في الاجل ويُنمي العدد وكفُّوا ألسنتكم فانَّ مقتل الرجل بين فكّيه والصدقُ منجاة ومن قنع بما هو فيه قرّت عينهُ فانَّ مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومَن سلك الجدَد أمِن العثار وخير الامور اوساطها والمِكثار كحاطب ليل ومن اكثر سَقَطَ. لا تمنعكم مساوئ رجلٍ من ذكر محاسنه والحُرُّ حرٌّ وان مسَّهُ الضرّ . . . .»

٥ عبد المسيح بن بُقَيْلة

احد اعيان نصارى الحيرة الذي اشتهر في الجاهليّة واوّل الاسلام. ولشهرته وشيوع اخباره نُسبت اليه امور غريبة كقصّته مع سطيح الغسّاني وكزعمهم انهُ عاش ٣٥٠ سنة. وكلّ من ذكروهُ مجمعون على شرفه وثباته في النصرانيّة بعد الاسلام ومصالحة خالد بن الوليد قومهُ على يده في الحيرة

قال في معجم الشعراء للمرزبانيّ: هو عبد المسيح الغسّاني ابنُ عمرو بن قيس بن حيّان بن بُقَيْلة (وفي الاغاني ١٥: ١١ روى نفيلة وهو تصحيف). وبُقَيْلة اسمهُ ثعلبة بن سُنَيْن (والصواب: سُبَيْن) الحارث. وسُمّي بُقَيْلة لانهُ خرج في بُردَين اخضرين فقيل لهُ: يا حارث ما انتَ الّا بُقَيْلة خضراء فغلبت عليه». قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٨٥): وبنو سُبَيْن في الحيرة منهم بُقيلة صاحب القصر الذي يقال لهُ قصر بني بُقَيلة بالحيرة ومنهم عبد المسيح الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة»

وقال ابن الاثير في المرصّع (ص٤٠): « ابن بُقَيْلَة جاهليّ قديم من المعمّرين يقال انهُ عاش ثلثمائة وخمسين سنةً وادرك الاسلام فلم يُسلم وعاش الى ان غزا خالد بن الوليد الحيرة في خلافة الصدّيق (ابي بكر) رض واسمهُ عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيْلَة وكان نصرانيًا ». قال ابو الفرج الاصفهاني (في الاغاني ١٥ : ١١) : « وكان عمرو بن نفيلة (بُقَيْلَة) ابو عبد المسيح وزيرًا للنعمان ». وذكرهُ ابو حاتم السجستاني في جملة المعمّرين (ص ٣٨ ed. Goldziher) . وجاء في كتاب انساب العرب لسَلَمة بن مسلم (Ms de Paris, 2864 ff 197') : « ومن علماء غسّان وشعرائهم وملوكهم ومعمّريهم عبد المسيح بن عمرو . . . . وهو ابن اخت سطيح » وورد مثل ذلك في التذكرة الحمدونيّة (Ms de Berlin, WE, ff. 216')

وقد روى بعض الكتبة كابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩—١١) والطبري في تاريخهِ (١ : ٩٨٣) وابن عبد ربهِ في العقد الفريد (١ : ١٣٣—١٣٤) وابن العربيّ في المحاضرات (٢ : ٥٠—٥١) اخبارًا غريبة مصنوعة عن وفود عبد المسيح بن بُقيلة على سطيح الكاهن خالهِ لا نُعيرها بالًا لما فيها من التباين والتناقض . زعموا انَّ كسرى اوفد عبد المسيح من العراق الى سطيح الذئبي هذا وكان بالشام وهو خالهُ اشبه بنسناس منهُ بانسان مسخٌ بلا عظام ليفسّر لكسرى رؤيا رآها استدلّ بها على مولد نبي المسلمين وسقوط دولة ملوك العجم بعد اربعة عشر ملكًا . ومما رووا هناك من الاشعار لعبد المسيح قولهُ عند قدومهِ على سطيح فوجدهُ مشرفًا على الموت (من الرجز) :

أَصمٌّ أَم يسمعُ (١ غِطْرِيفُ اليَمَنْ ... أَمْ فازَ فازَ كُمْ بهِ شأْوُ العَنَنْ (٢
يا فاصل الخُطَّةِ (٣ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ... وكاشِفَ الكربة في الوجه الغَضَنْ (٤
اتاكَ شيخُ الحيِّ من آل سَنَنْ ... وأُمُّهُ من آل ذِئْبِ بنِ ضَجَنْ

١) ويروى : ام نسمعُ
٢) ويروى : ام فاز فازكمْ بهِ شأوُ العنن
٣) ويروى : وفاصل الخطبة
٤) ويروى : وفارج الكربة في الامر العَنَن

ازرقُ مُهَى الناب(١ صرّار الأُذُنْ ابيضُ فَضْفاضُ الرداء والبَدَنْ
رسول قَيْل المُعْجم يَسْري للوسَنْ(٢ يجوبُ بالارضِ علنداةٌ شَجَنْ
يرفَعُني وُجْناً ويَهْوي بي وُجُنْ (٣ لا يرهبُ الرعدَ ولا ريب الزمَنْ
حتّى أتى عاري الجَآجي والقَطَنْ(٤ تَلْقُهُ في الريح بَوْغاءَ الدِمَنْ(٥
كأنّما حثحثَ من حصنَيْ ثُكَنْ

ثم قال عبد المسيح عند رجوعهِ الى كسرى بعد ان فسّر لهُ سطيح الرؤيا وقضى نحبهُ (من البسيط) :

شَمِّرْ فانّك ماضي الهمّ شِمّيرُ لا يُفزعنّك تشديدٌ وتعزيرُ (٦
ان كان(٧ ملكُ بني ساسانَ أفرطَهم فانّ ذا الدهرَ اطوارٌ دهاريرُ
فربّما اصبحوا منهم بمنزلةٍ (٨ يهابُ صولتَهم الأُسْد المهاصيرُ (٩
منهم بنو الصرح بهرامٌ(١٠ واخوتهُ والمُرْزُبانِ وسابورٌ وشابورُ (١١
حَثُّوا المطيَّ وجَدُّوا في رحالِهم فما يقوم لهم سرجٌ ولا كُورُ
والناس اولادُ عَلّاتٍ فمَنْ عَلِموا أن قد اقلَّ فمهجورٌ ومحقورُ (١٢
وهم بنو آدمٍ لمّا رأوا نسباً وذاك(١٣ بالغَيْب محفوظٌ ومنصورُ

١) ويروى : امكُ مهى الناب ٢) ويروى : يسري للوسن ٣) ويروى : تحملهُ وجناء تهوي من وجَن ٤) ويروى : غار الجآجي والقطن ٥) ويروى : بوّها الدمن . وثكن جبل في البيداء ٦) ويروى : تفريقٌ وتنبيرُ ٧) ويروى : ان يكُ ٨) ويروى : وربّما رُبّما اضحى بمنزلة ٩) ويروى : موقعُ . . الاهاصير
١٠) ويروى : اخو الصرح مهرانٌ ١١) ويروى : سابورٌ وسابورُ
١٢) ويروى في مجموعة المعاني (ص ٦٥) : فمجفوٌّ ومهجورُ
١٣) ويروى : وهم بنو الامّ يوماً ان رأوا نشباً فذاك . .

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ في قَرَنٍ فالخيرُ مُتَّبَعٌ والشرُّ محذورُ (١

وروى في كتاب الحماسة البصريّة (ج ٢ ص ٣٢ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة) ابياتاً من هذه القصيدة (من البسيط) :

استَقْدِرِ اللهَ خيراً وارْضَيَنَّ بهِ فبينما العُسْرُ اذ دارت مَياسيرُ
تأتي امورٌ فما تدري أعاجلُها خيرٌ لنفسكَ ام ما فيهِ تأخيرُ
وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطٌ اذ صار في الرمس تحفوهُ الأعاصيرُ
يبكي الغريبُ عليهِ ليس يعرفُهُ وذو قرابتهِ في الحيِّ مسرورُ
حتى كأنْ لم يكن الّا تذكُّرهُ والدهرُ آيةُ ما حالٌ دهاريرُ

ثمَّ أتبعها بالثلثة الابيات الاخيرة السابقة مع اختلاف في بعض الروايات اثبتناها في ذيل المجلّة

وكان عبدالمسيح عابداً كثير التقى عمّر ظاهر الحيرة ديراً بموضع يُقال لهُ الجَرَعة عُرف بدير الجَرَعة وبدير عبدالمسيح (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١ و٦٧٧). وفي هذا الدير يقول على ما روى ياقوت (من الرمل) :

كم تجرَّعتُ بدير الجَرَعهْ غصصاً كبدي بها مُنْصَدِعَهْ
من بَدورٍ فوق اغصانٍ على كُثُبٍ زُرْنَ احتساباً بِيَعَهْ

وكان قبل تشييده للدير ابتنى قصراً بالحيرة ذكرهُ ابن حمدون في التذكرة قال : « وهذا القصر هو المعروف بقصر ابن بُقَيْلَة » وروى لهُ بيتين انشدهما لمّا بناهُ (من الوافر) :

---

١) روى ابن هذيل هذا البيت في كتابه عين الادب والسياسة (ص ١٢١) بعد قوله « شرُّ ما في الكريم ان يمنحك خيرهُ وخيرُ ما في اللئيم ان يكفَّ عنك شرَّهُ »

لقد بنَيْتُ للحدَثانِ حصناً (١ لو أنَّ المرءَ تنفعُهُ الحصونُ
طويلَ الرأسِ أقعسَ مُشمَخِرًّا لانواع الرياحِ بهِ حَنينُ (٢

وأمّا اخبارهُ مع خالد بن الوليد فذكرها البلاذري في فتوح البلدان قال (ص ٢٤٣) : « انَّ خالد بن الوليد سار من اليمامة الى العراق سنة ١٢ هـ (٦٣٤ م) قاصدًا الحيرة فخرج اليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بُقَيلة (واسم بُقَيلة الحارث وهو من الأزد) وهانئ بن قبيصة بن مسعود الشيباني واياس بن قبيصة الطائي ويقال قَرْوة بن اياس وكان اياس عامل كسرى أبرويز على الحيرة بعد النعمان ابن المنذر فصالحوهُ على مئة الف درهم ويقال على ثمانين الف درهم في كلّ عام وعلى ان يكونوا عيونًا للمسلمين على اهل فارس وانهُ لا يهدم لهم بيعةً ولا قصرًا . . . وذلك في سنة ١٢ هـ . . وكان اهلها تحصّنوا في القصر الابيض وقصر ابن بُقيلة وقصر العَدَسيّين وهم من كَلْب نُسبوا الى امّهم وهي كلبيّة ايضاً

وذكر البلاذري هناك حديثاً فكاهيًا جرى لخالد مع عبد المسيح لمّا استقبلهُ فقال لهُ خالد : من اين أقصى أثرك يا شيخ ؟ فقال : من ظهر امّي . قال : فمن اين خرجت ؟ قال : من بطن امّي . قال : ويحك في ايّ شيء انت ؟ قال : في ثيابي . قال : ويحك وعلى اي شيء انت ؟ قال : على الارض . قال : أتعقلُ ؟ قال : نعم وأُقيّد . قال : ويحك انّما اكلّمك بكلام الناس . قال : وانا انّما أُجيبك جواب الناس . قال : أسِلْمٌ انت ام حَرْب ؟ قال : بل سِلْم . قال : فما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسفيه حتى يجيء الحليم . ثمّ تذاكرا الصلح فاصطلحا على مائة الف يؤدُّونها في كل سنة . . »

وهذا الخبر قد رواهُ كثيرون فزادوا وانقصوا . منهم الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ٢٠٣) والمسعودي في مروج الذهب (١ : ٢٢٠) وصاحب الاغاني (١٥ : ١١ — ١٢) وذكر هناك انَّ عبد المسيح كان اعدَّ لنفسهِ سمّ ساعة ليشربهُ ان لم يقرّ على مصالحة خالد فتناولهُ خالد وسمّى اسمُ الله واكلهُ فتجلّتهُ غشيةٌ ثمّ افاق يمسح العرق عن وجههِ فرجع ابن نفيلة (بُقَيلة) الى قومهِ فاخبرهم بذلك وقال : ما هؤلاء القوم الّا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما تريدون فعلوا »

١) ويروى : بيتًا ٢) ويروى : رفيعَ الرأس احوى . ويروى : اعلى . . بانواع

وممّا رُوي من خدَم عبد المسيح للعرب ما ذكرهُ صاحب أنساب العرب (Ms. de Paris 2864, ff. 282) قال : انّ عُمر كتب الى سعد بن ابي وقّاص بعد فتح المدائن انّ العرب لا تصلحُ الّا بارضٍ تصلُح بها الإبل . فأتاهُ ابن نقيلة (بُقيلة) العبادي فقال: ادلُّك على بقعةٍ ارتفعت عن البَقّة وسفلت عن الفلاة، فدلّهُ على موضع الكوفة. قال ياقوت (٤ : ٣٢٣) وكان يقال لهُ سُورَستان. وقال ايضاً (٢: ٦٧٧) انّ عبد المسيح بقي في ديرهِ حتى مات وخرب الدير بعد مدّة

أمّا شعر عبد المسيح فتفرّق رُوي ما وجدنا منهُ في مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ومطبوعاتها. فمن قولهِ ما انشدهُ بعد مصالحة خالد (في الوافر) :

أَبعد المُنذِرَينِ أرى سَواماً ... تُرَوَّحُ بالخَوَرنقِ والسَّدِيرِ (١
تَحامَاهُ فوارسُ كلّ حيٍّ ... مخافةَ ضَيغَمٍ عالي الزئيرِ (٢
وبعدَ فوارسِ النُّعمان ارعى ... قَلوصاً بين بُرَّةَ والحَفيرِ (٣
فصِرنا بعد هُلك ابي قُبَيسٍ ... كجَرْب المَعز في اليوم المطيرِ (٤
تَقَسَّمنا القبائلُ من مَعَدٍّ ... عَلانيةً كأيسارِ الجَزُورِ (٥
وكنّا لا يُرامُ لنا حَريمٌ ... فنحنُ كضَرَّةِ الضَّرعِ الفَخورِ
نؤدّي الخَرج بعد خراج كسرى ... وخَرجٍ من قُرَيظةَ والنَّضيرِ (٦
كذاك الدهرُ دولتُهُ سِجالٌ ... فيومٌ (٧ من مساءةٍ أو سرورِ

ووجدنا في بعض مخطوطات باريس (Ms. 1842 ff. 73) قولهُ (بجزء الكامل) :

المرءُ يأمُلُ أن يعيش م وطول عيشٍ قد يَضرُّهْ

١) ويروى : سوى ما يُروح على الخورنق ٢) ويروى : مخافة أغضفٍ
٣) ويروى : ارعى رياضاً بين بُرّةَ . . وبين مكّة
٤) ويروى : بعد مُلك ابي قُبَيسٍ كمثل الشاء . . ٥) ويروى : كأنّا بعضُ اجزاء الجزور . . . وبعض اعضاء ٦) ويروى : يُؤدّى . . وتُؤدّي . وبروى : بعد خراج بُصرى . وخَرج بني قريظة . . وقريضة ٧) ويروى : بيومٍ

تَـفنى بشاشتـهُ ويـأ ... تي بعد حلوِ العيش مُرُّهْ
وتمرُّهُ الأيام حتى م مـا يرى شيئـاً يَمُرُّهْ

وجاء في التذكرة الحمدونيَّة (Ms de Berlin) : وفي معجم البلدان (٢ : ٦٧٧) ذُكر انَّ بعض مشايخ اهـل الحيرة خرج الى ظهرهـا يختطُّ ديرًا فلمَّا حفر موضع الاساس وامعن في الاحتفار اصاب كهيئةِ بيتٍ وظهرَ أزَجٌ معقود من حجارة فظنُّوه كنزًا ففتحوهُ فاذا على سرير من رخام عليهِ رجل ميّت وعنـد رأسهِ لوح فيهِ « انا عبد المسيح بن بُقيلة » (وافر) :

حليتُ الدهرَ اشطُرَهُ حيـاتي ... ونـلتُ من المُنى بُلغ المَزيدِ (١
وكافحتُ الامور وكافحَتْني ... ولم أحفِـل بمُعضَـلةٍ كؤُودِ (٢
وكـدتُ أنال بالشَّرَفِ الثُّرَيّا ... ولكن لا سبيـل الى الخلودِ

وممَّا روى القالي في اماليهِ امبدالمسيح (١ : ٢٤٠) ما تمثَّل بهِ ابو جهم لمعاوية قال : نحنُ عندك يا اميرَ المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال (وافر) :

نميلُ على جوانبـهِ كأنَّا ... نَميلُ اذا نميلُ على ابينا
نقلِّبُـهُ لِنَـخبُرَ حالتَيْـهِ ... فنَخبُرُ منهما كرَماً ولينا

فامر لهُ بمائة الف (لها بقية)

﴿ ملحق بترجمة الحارث بن كَلَدة الثقفي ﴾ تضاف الى ترجمتهِ في العدد السابق هذه الابيات التي ذكرهـا لهُ صاحب الحماسة البصريَّة (ج ٢ ص ٣٣ من نسخـة مكتبتنا الشرقيَّة وقال انَّها تروى ايضاً لغيلان بن سَلَمة الثقفي وهي (من الوافر) :

ألا أبلـغْ مُعـاتَبتي وقولي ... بني عمِّي فقـد حَسُنَ العِتابُ

---

١) ويروى : بلغ فوق المزيد ويروي : ولم اخضع لمضلةٍ ٢) ويروى في الشرق

وسَلْ هل كان لي ذَنْبٌ اليهم همُ منهُ فأعنتَهُ غضابُ
كتبتُ اليهم كتباً مراراً فلم يرجع اليَّ لها جوابُ
فما ادري أغيَّرهم ثناءٌ وطولُ العهدِ ام مالٌ اصابوا
فمن يكُ لا يدومُ لهُ وفاءٌ وفيهِ حين يغترب انقلابُ
فعهدي دائمٌ لهمُ وودّي على حالٍ اذا شهدوا وغابوا

ومما رُوي للحارث بن كلدة في كتاب حماسة ابن الشجري (نسخة مكتبة باريس ص ٧٦) بيتان رواهما الجاحظ في كتاب البيان والتبيين للحارث بن حلزة (اطلب الصفحة ٣٠ من ديوانهِ الذي طُبع في المشرق قبلاً (من البسيط) :

لا أعرفنَّك إنْ أرسلتَ قافيةً تُلقي المعاذير ان لم تنفع العِذَرُ
انَّ السعيد لهُ في غيرهِ عظةٌ وفي التجارب تحكيمٌ ومعتَبَرُ

رقي العلوم في العام الماضي

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

من نعم الله الى البشريَّة انَّ كوارث العالم لم تثبط هم ارباب العلوم ولو قابلنا بين ما حظي العلماء باكتشافهِ في هذه السنين الاخيرة لم يقلّ شأناً عما توفَّقوا الى ايجادهِ في سني الهدوء والسلام . ولنا على ذلك شاهد قريب في السنة التي أقرأناها الوداع . ولبيان ذلك نقسم مقالتنا اربعة اقسام تشمل : اوَّلاً العلوم الطبيعيَّة والكيمياء

وتطبيقاتها . ثانياً ترقي الوسائط النقليّة . ثالثاً الطبّ ومباحثاته ورابعاً متفرّقات شتى

الفصل الاوّل ترقي الطبيعيات والكيمياء وبعض تطبيقاتها

رقي الرديوفونية او التلفون اللاسلكي

ان الرديوفونية لمن اعجب الفنون العصريّة باكتشافاتها الرائعة ثمّ بسرعة رقيها وانتشارها . قد سبقت لنا مقالة مطوّلة عليها (في عدد آب ١٩٢٢) بينا فيها بالشواهد الجليّة ان للولايات المتحدة قصب السبق على بقيّة البلاد في هذا الفن الغريب . فهناك محطّات رديوفونية عديدة تبثّ في اثير الفضاء تموجات غير منظورة تسير بسرعة النور حاملة على اجنحتها الخفيّة انواع الأخبار والمعلومات الجوّية والخطب والمواعظ والاغاني ونغمات آلات الطرب . ومن اقدر تلك المحطات روزل پرك (Roselle Park) الباعثة تموجاتها الى بعد ١٦٠٠ كيلومتر

ومن جميل تطبيقات الرديوفونية ان الكاثوليك الاميركيين المعروفين بعالي همّتهم وإقدامهم قد دشّنوا في نويرك «كنيسة التلفون اللاسلكي للولايات المتحدة» . فكل القداديس والعظات وبقية الرتب المُقامة فيها يستطيع حضورها عن بُعد مئات من الكيلومترات آلافٌ من الاشخاص العاجزين عن الذهاب الى الكنائس ، وذلك بواسطة اجهزة قابلة تتلقّى تموجات الجهاز الباعث الموجود في نيويرك . ويقدّر عدد المستفيدين من خدم هذه الكنيسة بحسب الاوقات والاحوال من ٢٥ الى ١٢٥ الفاً !

يليق بهذا المقام ذكر تطبيق آخر للرديوفونيّة في الولايات المتحدة بلاد العجائب والغرائب . وهو ان مصلحة الصحة العمومية هناك قد اتخذت التدابير اللازمة لتمكّن البواخر المجهزة بالرديوفونية من تلقي الارشادات الطبيّة اللازمة الواردة من البرّ في حالة مرض احد الركاب وعدم وجود من يقدر على علاجه

رقي التلامكانيكية

التلاميكانيكيّة (télémécanique) اسم غريب لفنّ اغرب هو عبارة عن تحريك آلة وادارتها وفقاً للظروف عن بُعد بواسطة التموّجات اللاسلكيّة . وهناك

مأثرتين رائعتين من احدث مآثر ذلك الفن العصري

(الاولى) نجاح الاختبارات الاخيرة التي اجراها المسيو دي برساي لتسيير الطيارات عن بعد وبدون ان يديرها راكب. حلقت طيارة من طرز ڤوازن (Voisin) بقوة ثلاثمائة حصان وكان المهندس يُديرها من غرفته على الارض

(الثانية) ان الكابيتن ڤون (Vaughan) في ٢١ آب ١٩٢١ عرض في مدينة دِهتون (Dayton) من الولايات المتحدة سيّارةً تسير بدون راكب في الشوارع

اشعاع الجسم البشري

لقد تعددت في الخمسين السنة الاخيرة اكتشافات اشعّة متنوعة غريبة الخواص من اشهرها اشعّة رنتجن او الاشعة المجهولة (rayons x) واشعّة الراديوم وما ضارعهُ من المعادن المشعّة. وقد اثبتت التجارب الحديثة وجود اشعّة منبعثة من الجسم البشري محيطة به على شكل احاطة الجوّ بالهواء، وهي لا تظهر للعين المجرّدة بل بتوسط وعاء فيه محلول من مادّة تُدعى الدسيانين (dicyanine). وقد ميّز الخبراء في ذلك الجو الجسماني النيّر طبقةً داخليّة واخرى خارجيةً كثيرًا ما تتخلل بينهما طبقة ثالثة فارغة. ثم ان ذلك الجو يتغيّر ويتكيف بحسب مزاج الشخص وحالته الصحية وعمره وجنسه. فمن المؤمل الاستفادة من فحصه في التشخيص الطبي على ان ذلك الاكتشاف الخطير لا يزال حديث النشأة غامضاً

احياء مراجل الادوات البخارية بالكهرباء

اول من ابلغ هذه الطريقة الجديدة ادرج الكمال مهندسٌ ايطالي وقد فازت بلادهُ قصب السبق على سواها في هذا المضمار. امّا فوائد تلك الطريقة فعديدة: اولها ان انواع الوقود المستعملة حاضرًا غالية جدًّا مع وفرة كمياتها. والثاني ان المعامل الكبرى التي تحوّل قوّة المياه المنحدرة الى كهرباء تُضيع سنويًّا مقادير عظيمة من تلك الكهرباء فلا يُرى وجه انسب لاستخدامها سوى إحماء المراجل. زد على كل ذلك ان المراجل المتّخذة لهذه الغاية بسيطة التركيب ويسيرة النفقة لا ينبعث فيها الدخان وهي خالية من الادوات العديدة اللازمة لاطلاقه في الهواء

ترقي فن السينما

نجح اخيراً ارباب فنّ السينما في ترقيته بواسطة التلفون اللاسلكي فأمكنهم في آن واحد عَرْض صور الاشخاص ونقل كل اقوالهم واغانيهم الى مسامع الحاضرين. ويسهل على القارئ فهم طريقة الجمع بين هذين الامرين

ثم ان احد الباحثين قد اخترع جهازاً لاخذ صور السينما بنسبة مائتين وخمسين صورة واضحة في جزء من مئة من الثانية فتأمل

مكرسكوب جديد

هو مُجهر يكبّر حجم الميكروبات الدقيقة ١٢ الف مرّة وفضلاً عن ذلك يستطيع تصويرها حيّة مع انها لم تكن تصوَّر حتى الآونة الاخيرة الّا ميتة ومصبوغة. يجري ذلك التصوير الغريب بواسطة الاشعّة الكيماوية الواقعة ما وراء اللون البنفسجي (rayons ultra-violets). امّا المخترع فهو الدكتور برزد الانكليزي

آلة كتابة كهربائية

هذه الآلة لها شبهُ قلم يُضغَط به يسيراً على الحرف المراد كتابتهُ فيُنشى. هذا الضغط تياراً كهربائياً يتمّ به المُراد. فبعد الممارسة يسهل كتابة ما ينيف على ثلاثمائة حرف في الدقيقة ولا يُخشى مع هذه السرعة العجيبة تصادم الامخال الطابعة للحروف كما يجري في آلات الكتابة الشائعة. فالفرق اذاً عظيم بين الطريقتين من جهة السرعة. وفضلاً عن تلك المزيّة تمكّن الآلة الكهربائية من كتابة ١٨ نسخة واضحة في آن واحد

نقل الابنية في الولايات المتحدة

سبقت للشرق تفاصيل شائقة على هذا الفن الغريب الذي للولايات فيه القِدْح المعلّى. وقد برع فيه هناك نفر من المهندسين الاختصاصيين تفرغوا له فادركوا من اسراره ما كاد يُعدّ مستحيلاً. ومن اغرب مآثرهم انهم نقلوا في السنة الاخيرة واجهة كنيسة بمدينة بَفَلو الى مسافة نحو تسعة امتار بقصد توسيع الكنيسة. وقد قدّروا وزن

تلك الواجهة بزهاء الف طنّ ومع ذلك قد استطاع ١٥ عاملاً نقلها الى بُعد ٩ امتار في ظرف ١٦ ساعة

بناء الجدران في بضع ساعات

صنعت شركة اميركيّة هذه المعجزة المشبهة بعض الشبه للسابقة فانّها تصبّ الخرسانة في قوالب على شكل الحائط المراد اقامتهُ . ثم ينقل هذا الحائط المصنوع بغاية السرعة الى المكان المطلوب فيُرفع بواسطة الآلات المعروفة في وقت يسير وبنفقة جزئية

اكتشاف عنصر جديد من البسائط

البسائط في اصطلاح الكيماويين هي العناصر التي لا يستطاع تحليلها الى عناصر اخرى ابسط منها . وقد تعددت في الجيل الاخير وفي القرن الحاضر اكتشافات البسائط وفي مقدمتها الراديوم والهليوم . وفي الآونة الاخيرة قد اهتدى الباحثون الى عنصر بسيط جديد اسمهُ إميليوم (émilium) ذي خواصّ اشعاعيّة كالراديوم . وفي الغالب انّهم اشتقوا اسمهُ من اسم مكتشفهِ

طريقة جديدة لاستخراج خلاصة البترول

خلاصة البترول او روحهُ (essence) وَقودٌ مانع كان ارباب الصناعة يستخرجونهُ حتى الآونة الاخيرة بواسطة تقطير البترول المجزّأ او على اسلوب آخر . لكن المهندسين الاميركيين توصلوا من بضع سنين الى استخراجهِ من الغازات المتصاعدة من آبار البترول المديدة عندهم . فعلى هذه الطريقة أنتجوا في كل من السنين الاخيرة معدَّل نحو ١٫٢٥٠٫٠٠٠ متر مكعب من تلك الخلاصة . ولولا ابتكارهم وهمّتهم لذهبت كل هذه الكمية الطائلة هباء منثورًا بل بخارًا ضائعاً

انابيب من ورق

شاع من مدة طويلة ولاسيما بعد سني الحرب العصيبة استعمال الورق لتجهيز كثير من حاجيات التمدن العصري . وقد نجح في الآونة الاخيرة الفرنسي دالري

في صنع انابيب من الورق تفي بكل فوائد الانابيب المعدنية من مثل نقل الماء وما شاكله . يصوغونها من الورق المقوّى الممزوج بمواد لزجة كالقطران . وقد اسفرت التجارب عن حسن قيام تلك الانابيب بوظائفها المتنوعة فضلًا عن كونها تفوق رصيفاتها المعدنية من جهة خفتها ورخصها الشديدين

الفصل الثاني : ترقي الوسائط النقليّة

تقدم الطيران

نعجز عن ايراد كل ما لدينا من المعلومات في هذا الصدد فنكتفي بنخبة منها تفي بالحاجة

﴿ ١ اعظم مآثر الطيّارين في المدة الاخيرة ﴾ اطول مدة للطيران المتواصل بلغها الاميركيّان ستنسون (Stinson) وبرتو (Bertaud) حيث طارا في ٢ كانون الثاني ١٩٢٢ مدة ٢٦ ساعة و ٢٣ ثانية بارتفاع نحو الفي متر . امّا السرعة فبلغ بعضهم الى قطع نحو ٣٢٣ كيلومترًا في الساعة بمحرّك قوته ٣٠٠ حصان

﴿ ٢ بعض التحسينات في الطيران ﴾ من المعلوم وجود طيّارات مائيّة (hydravion) تستطيع الطفوّ على الماء بل السير عليه لدى مسيس الحاجة . لكنّ ما تجهلهُ العامّة هو : اوّلًا اختراع طيارة تتحول عند اللزوم الى سيّارة وذلك بطيّ جناحيها وتركيز دولابين خلفيّين — ثم ثانيًا اختراع سيارة تتحول بطرفة عين الى زورق فتنتقل بكل سهولة من الارض الى الماء . والضالّة المنشودة في اعين الباحثين هي الآن الوقوف على سرّ مركبة تقوم بوظائف الطيارة والسيارة والزورق بتغيير بسيط سريع يمكن اجراؤه في شكلها

وكان ارباب الطيران يستصعبون الطيران في الليل او في الضباب الكثيف . فلملافاة اخطاره قد انشأت شركات الطيران الآتي ذكرها منارات شديدة الارتفاع والسطوع تبثّ نورها الباهر الى مسافات بعيدة فيهتدي به الطيّارون . ولعل اعجبها منارةُ محطة ديجون في فرنسة الهوائية التي على خط الطيران الذاهب من باريس الى مدينة الجزائر . وقد اقيمت تلك المنارة على رابية وهي عبارة عن ثمانية اقواس كهربائية

مُضيئة تبلغ قوة سطوعها مليار شمعة (١ . فيمكن مشاهدة نورها عن بعد ثلاثمائة كيلومتر في اوقات الصحو و ١٥٠ كيلومتراً في الطقس المتوسط

وفضلاً عما سبق قد توفق احد الضباط الفرنسيين الى ايجاد طريقة تمكن الطيارة من سلوك خطة معينة على ارتفاع محدود وذلك بمد سلك مكهرب بين طرفي سيرها . فمن هذا السلك تنبعث تموجات تؤثر على اجهزة الطيارة فتحول الى اصوات مختلفة بحسب درجة بُعد الطيارة عن السلك . فيهتدي الطيار بها الى معرفة ذلك البعد فيُجري اللازم للبقاء على الارتفاع المقصود . فلو عمّت هذه الطريقة لزاد أمن الاسفار ولاسيما الليلية زيادةً تذكر

﴿ ٣ اشهر خطوط الاسفار بالطيارات في اوربة ﴾ الخط (الاول) من بُردو الى تولوز ثم مونپليه تعريفة السفر ٨٨ فرنكاً من بردو الى تولوز او من هذه الى مونپليه . (الثاني) من باريس الى الهاڤر بيننتي فرنك . والهاڤر هي اعظم ميناء فرنسة على الاطلنتيك نظراً الى اهمية علاقاتها مع اميركة الشمالية . (الثالث) من تولوز الى برشلونة فأليكنتي فالقة فرباط وكازابلنكا ومنها الى مراكش ببدل ٨٤٠ فرنكاً . (الرابع) من أنتيب بفرنسة الى أجكسيو في جزيرة كورسيكا ببدل ٢٠٥ فرنكات . (الخامس) من باريس الى لندن . لهذا الخط شركتان والسعر واحد وهو ٣٠٠ فرنك . (السادس) من باريس الى بروكسل ثم الى امستردام — السعر ٣٠٠ فرنك . (السابع) من باريس الى لوزان بسويسرة — السعر ٤٠٠ فرنك . (الثامن) من باريس الى ستراسبورغ فبراغ فترسوفية — السعر ٨٠٠ فرنك . (التاسع) من برلين الى كوپنهاغ . (العاشر) من مونيخ (عاصمة باڤارية) الى نورمبرغ فليپسيغ فهمبورغ فكوپنهاغ . (الحادي عشر) من برلين الى كونكسبرغ فامل (Memel) بليتوانية . (الثاني عشر) من برلين الى دُرتمند فبَرامن . (الثالث عشر) من بروكسل الى لندن . (الرابع عشر) من نيم (Nimes) الى مرسيلية فانتيب فنيس فجنوة

﴿ ٤ اشهر الخطوط الطيرانية المنوي انشاؤها باوربة ﴾ . (الاول) من لندن الى دبلين عاصمة ايرلندة . (الثاني) من لندن الى غلاسقو . (الثالث) من باريس الى بردو

١) الشمعة هي وحدة مقاييس سطوع النور . فيقال مثلاً عن مصباح كهربائي انه بقوة ٣٢ شمعة

فمدريد . ومن هذه فرعان احدهما متّجه الى لشبونه والآخر الى طنجة فنفاس فكازابلنكا . (الرابع) من باريس الى ديجون فليون فرسيلية فجزيرتي كورسيكا وسردينية فتونس . (الخامس) من جنوة الى رومة فنابولي فسلانيك فالاستانة . (السادس) من برلين الى براغ فڤيانة فبودابست فبلغراد فصوفية فالاستانة . (السابع) من دنتسيغ فڤرسوڤية فياسي في رومانية . (الثامن) من فاس الى وهران فمدينة الجزائر فتونس

وفضلاً عن تلك الخطوط تريد شركات الطيران مدّ خطّ تولوز الى كازابلنكا حتى دكار ومن هذه الى اميركة الجنوبية ، ثمّ مدّ الخط باريس — براغ — الاستانة حتى الهند ، واخيراً انشاء خط جديد يصل باريس بنيويرك

﴿ ٥ رواج شركات الاسفار الطيرانية ﴾ عظيم للغاية وكفى شاهداً عليه الارقام التالية :

في ١٩١٩ نقلت كلها ١١٨٤ راكباً ، وفي ١٩٢٠ : ٦٤١٩ ، وفي ١٩٢١ : ١٥٢٤١
〃 〃 〃 ١٤ طناً من البضائع ، 〃 〃 : ١٢٢ ، 〃 〃 : ١٩٢
〃 〃 〃 ٤٠٦ ك . غ من البريد 〃 〃 : ٦٠٣٩ ، 〃 〃 : ١٠٨٠٨

ولو كانت لدينا ارقام ١٩٢٢ لشاهدنا تواصل الرقيّ

امّا عدد الحوادث المكدّرة فانه قليل جداً لا يكاد يُذكر . ففي السنين الثلاث ١٩١٩ و ١٩٢٠ و ١٩٢١ نقلت الشركات ٢٢،٨٤٤ راكباً وقطعت جميع طياراتها مسافة ٤،٧٨١،٠٠٠ كيلومتراً ومع ذلك فلم يُقتل من الركاب سوى ١٧ ولم يجرح سوى ٤

فن الطيران الجديد او الطيران الشراعي

نعني بذلك فنّ الطيران بدون محرّك وباستخدام الريح دون سواها . قد كثرت من بضع سنين التجارب والابتكارات في هذا الميدان الغريب فادّت الى نتائج مُرضية للغاية . كفى شاهداً على ذلك ان الفائز في السباق الاخير وهو الفرنسي ماتيرول استطاع التحليق في الجوّ مدة ٣ ساعات و ٢٢ دقيقة فنال جائزة الجريدة ديلي ميل وقدرها الف ليرة انكليزية . على ان الغاية من تلك الطيّارات بدون محرّك ليست

قطعاً كما وهم كثيرون الاستغناء عن المحركات بل تقليل الاخطار الناجمة عن اختلالها ووقوفها اثناء الرحلات الجوية . من المعلوم ان الطيارات المعتادة تقدر في هذه الظروف على ان تقطع في انحدارها الى الارض مسافة توازي نحو عشرة اضعاف ارتفاعها في الجو عند حدوث المحذور المشار اليه . لكن هذه المسافة هي في الغالب اقل من ان يستطيع الطيار اختيار المكان المناسب للسقوط . اما الآن فبفضل الطيارات الحالية من محرك يسهل ذلك عليه وفي الامر من الفائدة العظمى ما فيه . وما عدا ذلك فان الفن الجديد قد ارشد الاختصاصيين الى معرفة انسب الاشكال لاجنحة الطيارات

نختم هذه النبذة بذكر احدى مآثر جهابذة الطيران الجديد . وهي ان الباقاري كولر (Koller) هو اول من دار دورة كاملة في الجو طول محيطها ٤٠ كيلومتراً وذلك في ظرف خمس دقائق . وكان ذلك في ١٤ تشرين الاول ١٩٢١

سيارات على طرز جديد

صنعوا بالمانية سيارات على شكل قطرة الماء وسمّوها بها . وهي مستديرة على الجانبين وفي طرفيها وفي اعلاها مستطيلة على هيئة قطرة ماء المطر عند هبوطها الى الارض . والغرض من هذا الشكل الغريب إنقاص مقاومة الهواء اثناء السير بقدر المستطاع . وميزات ذلك الاختراع الجوهرية ان المحرك يُركّز في مؤخر السيارة . وقد دلّ الاختبار على ان استهلاك الوقود اقلّ كثيراً في تلك السيارات الجديدة بل انها مصونة اكثر من سواها من انواع الآفات . فلا عجب في انها صادفت بالمانية وغيرها من البلاد رواجاً عظيماً

جهاز موقف للسيارات

حيث كثرت الطوارئ المحزنة الناجمة عن وفرة السيارات في المدن الكبرى وسرعتها الشديدة قد اخترع في الآونة الاخيرة جهاز يوقف السيارة وان كانت مندفعة في سيرها وذلك بدون الحاق ادنى ضرر بادواتها ولا بركابها . وهو عبارة عن مجموع اسلاك معدنية ترتفع وتمتد حول السيارة محدقة باطرافها عند اي اصطدام مفاجئ فتجعل اذاه قليلاً بل مُلغى . فان شاء الله تجهّز بها سيارات بيروت فنصبح في مأمن من اخطارها

اكبر باخرة

هي ماجستك ملكة الشركة الانكليزية هُوَيت ستار محمولها ٦٤،٠٠٠ طنّ وطولها نحو ٢٩٣ متراً وعرضها نحو ٣٠ متراً ونصف وارتفاعها من القعر الى الظهر زهاء ٣١ متراً وهو يوازي ارتفاع بيت ذي سبعة طوابق بل ثمانية. امّا سرعتها فهي ٢٧ عقدة في الساعة اي نحو خمسين كيلومتراً في الساعة. وتسع تلك الباخرة ٤١٩٠ راكباً بغض النظر عن البحّارة وبقيّة المستخدمين. وقودها هو البترول يحترق فينشأ عنهُ غاز يقوم مقام البخار. ويكفي لادارة ادواتها ٤٨ عاملاً بدلاً من نحو ٤٠٠ لو كان وقودها الفحم. وفيها ١٢٤٥ غرفة وتسعة طوابق ينتقل الركاب من احدها الى الآخر بواسطة الآلات الرافعة المعروفة. وفيها بستانُ نخل يخيّل لناظره مشاهد مصر او الجزائر

الفصل الثالث : ترقي الطب وملحقاته

بعض الاكتشافات الطبيّة في المدة الاخيرة

١ في ٢٢ آب ١٩٢١ برهن المسيو بزاسونوف (Bezesonof) على وجود عنصر مضادّ لداء الخَفَر (scorbut) في عصير البطاطا

٢ في غرة تشرين ١٩٢١ قد نجح الجرّاح الانكليزي رِيُوك (Ruick) في معالجة السرطان بالراديوم. وقد اسفرت تجاربه عن فاعليّة حقن الدم لمعالجة الورم السرطاني

٣ في ٢٠ كانون الاول ١٩٢١ عرض الدكتور كوتيار (Coutière) على اكاديمية الطبّ بباريس علاجاً جديداً للسلّ الدوني (tuberculose) الرئوي بواسطة استنشاق مسحوق الكلس. ونعلم العلم اليقين ان احد اصدقائنا المصاب من سنين عديدة بهذا المرض العضال كاد ينقه من علته بواسطة ذلك العلاج البسيط

٤ في ٥ آذار ١٩٢٢ كشف المسيو غوبو (Goubeau) والمسيو كيفر (Kieffer) علاجاً جديداً لداء التهاب الجلد (érysipèle) بواسطة محلول تتراكلورور الكربون الممزوج باليود

٥ في ٨ نيسان ١٩٢٢ ادّعى الطبيبان الانكليزيان رِنْشُو (Renshau)

فِرْبراذر (Fairbrother) انهما اكتشفا بإشلّس البول السكّري

معالجة الخراجات بضمادات الاثير

بعد التجارب العديدة الناجحة قد ابتكر الطبيب الأسترالي سلفدسن (Salvidson) طريقة لمعالجة الخراجات والدمّلات تُغني عن اعمال المِشرط المؤلم. قوامها غسل الجلد بفُرشة مغموسة في ماء الصابون ثم في وضع ضمادٍ من نسيج رقيق مبلّل بكمية وافرة من الاثير ومُغطّى بقطعة قماش يمنع تبخّر الاثير بسرعة. وكل ساعة يلزم رفع اطراف الضماد لتبليله بالاثير. على هذا النمط يتناقص تقيّح الخراج بل يزول بعد نحو عشرة ايام ويبطل في اثره الالم

اعادة السمع للاصم

لا يزعمنّ القارئ اننا نريد بذلك العنوان معجزة خارجة عن حدود النواميس الطبيعية بل مجرّد اعجوبة صنعها العلم الحديث. ولا ينجع هذا العلاج الجديد الّا فيما اذا كان الصمم ناجماً عن خلل في الاذن الخارجية ليس الّا. وكيفية العلاج ان يمسك الاصمّ بيده آلة اسمها اوسيفون (ossiphone) اي مُسمعة العظم فيجعل احد اجزائها الناتئة على عظم الجبين او الخدّ او بين اسنانه وتوصل الآلة بجهاز كهربائي يتكلم امامه المخاطِبُ على بُعد يسير. فعلى هذا الاسلوب تنتقل اهتزازات صوته الى الاوسيفون ومنه الى عصب السمع رأساً عن طريق العظم بدون توسط الاذن الخارجية المصابة بخللٍ ما كما سبق الافتراض. وقد برهن الاختبار على حسن قيام آلة الاوسيفون بوظيفتها فان الاصمّ يسمع ادقّ الاصوات سمعاً واضحاً ولو كانت اذناه مسدودتين سدًّا محكماً

قراءة العميان للكتب المعتادة بواسطة الاذن

حتى الآونة الاخيرة كان العميان يقرأون بسبابتهم احرفاً ناتئة ذات شكل مخصوص اخترعه الفرنسي براي (راجع مقالتنا في عدد تشرين الثاني ١٩٢٠) لكن عالم الطبيعيات الانكليزي دَلب (d' Albe) قد ابتكر من مدة قريبة آلة عجيبة

تمكّن كفيف البصر من قراءة الكتب المطبوعة على الطريقة المعتادة فان طريقة براي كثيرة العناء والنفقة . هاك مبدأ ذلك : تمرّ احرف الكتاب على التوالي بواسطة حركة ذاتية ميكانيكية تحت شعاع ينعكس عليها فيقع بعد انعكاسه على صفيحة من معدن السلانيوم مندمجة في سلك مجرًى كهربائي فيزيد هذا او ينقص بنسبة درجة سطوع الشعاع المنعكس التابعة هي نفسها لشكل كل من احرف الهجاء . ثم يحوّل المجرى كما في التلفون الى اهتزازات صوتية تسمعها أذن الاعمى فتتعود بعد التمرين المتواصل على تمييز حروف الكتاب بواسطة الاصوات المقابلة لكل منها . ولا فرق يُذكر بين سرعة القراءة على هذه الطريقة وعلى طريقة براي على ان الاولى اسهل كثيرًا للضرير واقل نفقة بدون قياس حيث انها لا تقتضي طبع كتب مختصة بالعميان . واسم تلك الآلة العجيبة اوبتوفون (Optophone) اي ذات الصوت الكشّاف

قراءة العميان للكتب المعتادة بواسطة اللمس

ان الآلة الموصوفة اعلاه لا تصلح للاعمى الاصم او الضعيف السمع . ولذلك قد اخترع احد الباحثين آلة جديدة اسمها اوبتافه (Optaphé) اي الباصرة باللمس تمكن هذا الشقي من قراءة اي كتاب كان بواسطة اللمس . وقوام هذه الطريقة انّ الشعاع المتجه الى كل من حروف المتن يحدث بعض التغير في شدة تيّار كهربائي . وهذا التيّار يحدث في اصابع الضرير الاصم اهتزازات تختلف باختلاف الحروف فيسهل عليه تمييزها بعد الممارسة المدمنة

الفصل الرابع : متفرقات

مكافحة الحشرات بالغازات

ان اذى بعض الحشرات للزراعة ونشرها لجراثيم عدّة امراض فتّاكة لآمران معلومان من العامّة والخاصة . هذا وانّ افعل وسيلة لمحقها هي وفقًا للتجارب الاخيرة خنقها بواسطة بعض الغازات المستعملة في الحرب الاخيرة والمبثوثة من طيّارة تحلّق فوق المزرعة المراد تطهيرها من الحشرات . وقد اتت هذه الطريقة بنتائج شهية تضمن

لها مستقبلًا باهرًا وتجدي الزراعة منافع جمّة

تأثير بعض الالوان في نمو النبات

اسفرت الاختبارات الحديثة بهذا الشأن في فرنسة عن النتيجة التالية وهي ان اللون الاسود والاحمر ينشطان نموّ النبات اكثر من اللون الابيض مثلًا وذلك لانهما اشد حفظاً للحرارة الارضية الضرورية لنمو المزروعات كما لا يخفى

تلوين الاشجار

جرت في المانية تجارب عديدة يُقصد بها صبغ خشب بعض الاشجار بالوان متنوعة وذلك في اثناء نمو الشجرة. فنجحت الطرق المستعملة نجاحاً كاملًا بظرف بضعة اسابيع ولا تخفى على المطلع قيمة الخشب الملوّن في صُنع اثاث البيوت

اعظم غواصة

عوّمتها بحريّة الولايات المتحدة في اوائل العام المنصرم. طولها ٥٠ مترًا ومحمولها نحو الف طن وفي وسعها الغوص الى عمق ٧٠ مترًا ولا يخفى على المطلعين شدّة ضغط الماء حينئذٍ. ثم انها مجهّزة بالتلغراف اللاسلكي فتستطيع استخدامه في حالتي الغوص والطفو . ولها خمسة انابيب لقذف الطوربيل ومدفع من عيار مئة ميلمتر

مدرسة في قطار حديدي

من الحقائق المبتذلة ان كثيرًا من الحوادث المشؤومة الذاهبة بحياة الوف البشر في السكك الحديدية هي ناجمة في كثير من الظروف عن قلّة حنكة المستخدمين . فلسدّ هذا الخلل قد سيّرت احدى الشركات الفرنسية الكبرى قطارًا في داخله قاعات عديدة للتدريس الفني مجهزة بكل ما يلزم من الآلات والادوات ، وذلك فضلًا عن غرف الأكل والنوم المختصة بالاساتذة المهندسين. امّا طريقة التعليم فهي ان يقف هذا القطار وقتاً معلوماً في المحطات التي يلتقي فيها سكتان حديديتان او اكثر.

فتدعو الشركة عدداً غير يسير من عمال تلك المحطة والمحطات المجاورة الى حضور الدروس مدة بضعة أيام في القطار المدرسي. وبعد هذه الفترة ينطلق الى محل آخر للمهنة نفسها. اما الدروس فمن البديهي انها ليست نظرية فقط بل عملية ايضاً فان القاطرات وسائر آلات السكة الحديدية موجودة في القطار المدرسي على شكل مصغّر فيتعلم التلامذة طرق استعمالها كانهم في ميدان اشغالهم اليومية. وعند ختام كل تدريس يُلقى بمحطة معلومة يمتحن كل تلميذ فتُعطى له إجازة لها تأثير عظيم في ترقيه ومستقبله . وقد فكر البعض في تعميم هذه الطريقة لتدريس احدث الاساليب الزراعية والصناعية ولا سيما لاهل القُرى

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف الراء

(رافائيل) القس رافائيل او دون رافائيل . اطلب زخّور

٣٧١ ﴿ الراهبة ﴾ هو الخوري رافائيل الراهبة من الرهبان المخلصيين كان في اوائل القرن التاسع عشر ذكر لهُ المطران غريغوريوس عطا في تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك (ص ٣٣) كتاب الرياضة السنويّة وغيره

٣٧٢ ﴿ رَبّاط ﴾ الاب انطون اليسوعي المتوفى في ١١ أيار سنة ١٩١٣ في الاسكندريّة. له المطبوعات المهمة نشرنا منها قسماً في المشرق ثم على حدة كروايته التمثيلية في البراسكة ومقالاته في الانجيل الشريف وسلامتها من كلّ تزييف وكنشره لرحلة اوّل شرقيّ الخوري الكلداني الياس عشون الى اميركة (سنة ١٦٦٨ — ١٦٨٣) ولترجمتي عبدالله قراعلي وناوفيتوس نصري مطران صيدنايا ونشر في خمسة اقسام آثاراً

خطّيّة لتاريخ الكنائس الشرقيّة في لغاتها الاصليّة . وقد خلّف من المخطوطات : ١ً ترجمة القديس انطونيوس الكبير . ٢ً ترجمة الشهيد الحلبيّ اليسوعي الماروني الاب ابرهيم جرجس المستشهد في مصوع . ٣ً ترجمة الاب حنا الياس سفير البابا غريغوريوس الثالث عشر الى الموارنة . ٤ً مخطوطات متفرّقة عديدة منها ادبيّة ومنها تاريخيّة ومنها فلسفيّة ولاهوتيّة

٣٧٣ ﴿الرزّي﴾ المطران سركيس الماروني البقوفاوي رئيس اساقفة دمشق احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية المتوفّى هناك سنة ١٦٣٨ . عُني في رومية بطبع كتب طائفته الطقسيّة ثمّ بترجمة الاسفار المقدّسة في العربيّة واللاتينيّة التي طُبعت بعد وفاته في ثلثة مجلّدات سنة ١٦٧١ . منها في مكتبة الموارنة في حلب نسخة خطّيّة جميلة بنقوش وماء ذهب

٣٧٤ ﴿رستنياك﴾ السيّد لويس يعقوب من كابط (Louis J. de Chapt de Rastignac) رئيس اساقفة طور (١٦٨١—١٧٥٠) في مكتبتنا الشرقيّة في كتاب اوّله تفسير سفر التكوين للستر دي صاحي (ص ١ — ٥٠٠) كتابٌ ثانٍ عنوانهُ : كتاب «لويس يعقوب من كابط من راستنجاك مطران طورس (Tours) » في اثبات تعليم الكنيسة عن المناولة المتواترة ردًّا على البدعة الجنسيّة كتبهُ سنة ١٧٤١ وعرّبهُ القسّ انطون داقور الملكيّ سنة ١٧٩٨ (ص ٥٠٠—٦١٧) تحت عنوان « العدل المسيحي » . منهُ نسخة في مكتبة القسّ بولس سباط السرياني. (ROC. XVII. p. 284. n° 24)

٣٧٥ ﴿رَمْيار﴾ هو الاب هنري اليسوعي (P. Henry Ramière) المتوفّى سنة ١٨٨٤ له في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من شرحهِ لرسالة الصلاة معرّبة بقلم الشمّاس اثناسيوس نعُوم من الرهبنة المخلصيّة تلميذ الآباء اليسوعيين في غزير نحو السنة ١٨٥٥

٣٧٦ ﴿روبرتس﴾ الاب الكبوشي المرسل في طرابلس في اواخر القرن الثامن عشر . له في مكتبة القديسة حنّة في الصلاحيّة في القدس الشريف ردّ على كتاب جرمانوس آدم في رئاسة القديس بطرس وسلطة الكرسيّ الرسولي تاريخهُ سنة ١٨٠١ (Oriens Christianus 1913-1914, p. 327)

٣٧٧ ﴿رودريكوس﴾ الاب الفونس اليسوعي (P. Alph. Rodriguez) المتوفّى في اشبيلية في ٢١ شباط ١٦١٨ . هو مؤلف ذاك الكتاب الروحيّ النفيس الذي عنوانهُ الكمال المسيحي تعريب الاب بطرس فروماج اليسوعي طُبع اوّلاً في رومية سنة ١٧٧٠ م ثم في مطبعتنا الكاثوليكية في ثلثة مجلّدات (١٨٦٨—١٨٦٩) وكان نُقل قبل ذلك الى الارمنيّة وطُبع في البندقيّة سنة ١٧٤١ . ويقال انّ المطران جرمانوس فرحات نقّح جزءهُ الثالث . وفي مقدّمة كتاب العنوان العجيب في رؤيا الحبيب يقول الخوري يوسف الباني الحلبي انهُ عرّب ايضاً هذا الكتاب منهُ نسخة في حلب في مكتبة الموارنة . وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخ منسوبة الى الاب بطرس فروماج

٣٧٨ ﴿رودِه﴾ الاب اغوسطين اليسوعيّ (P. Aug. Rodet) المتوفّى في بيروت في ١٢ ك ٢ ١٩٠٦ نشر مع الاب يوحنّا بلو كتاب نخب الملح في خمسة اجزاء وعرّب الكتاب المقدّس عن العبرانيّة واليونانيّة في ثلثة اجزاء فنقّح المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي عبارتهُ فطُبع مرارًا في مطبعتنا الكاثوليكية . وقد خلّف الاب رودِه من المخطوطات : ١ً شروحاً على بعض اجزاء الكتاب المقدّس . ٢ً تعريباً جديدًا . لسفر الاقتداء بالمسيح في مكتبتنا الشرقيّة

٣٧٩ ﴿روز﴾ الاب يوسف اليسوعي (P. J. Roze) المتوفّى في ١٠ آذار ١٨٩٦ سعى بطبع كتابهِ المدرسي لسان المترجم وترجمان المتكلم بالفرنساوي والعربي في جزئين طُبع سنة ١٨٧١ ثمّ تكرّر مرارًا طبعهُ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة من المخطوطات : ١ً قاموس فرنساوي عربيّ في مجلّد ضخم . ٢ً مجموعة مواعظ في ستّة مجلدات عرّبها عن كبار الواعظين في حقائق الايمان والاسرار والفضائل المسيحية . ٣ً ومن آثاره في مكتبتنا الشرقيّة مجلّد صغير بخطّ ناعم حسن كتب فيهِ بيدهِ مقامات الحريري

٣٨٠ ﴿روسينيولي﴾ الاب شرل غريغوريوس اليسوعي (P. Ch. Grég. Rossignoli) المتوفّى سنة ١٧٠٧ هو المؤلف لكتابَي اخبار اهل المطهر وعجائب القربان الاطهر اللذين عرّبهما مطران حلب الارمني ثمّ بطريرك قيليقية يعقوب يوسفيان في دير الكريم في كسروان . سبق ذكرهما

٣٨١ ﴿رونزڤال﴾ الاب لويس اليسوعي (P. L. Ronzevalle) المتوفّى في ٢ نيسان سنة ١٩١٨ نشر في المشرق الرسالة الشهابيّة في الصناعة الموسيقيّة للدكتور ميخائيل مشاقة وذيّلها بالحواشي سنة ١٨٩٩ ثمّ اعاد نشرها ونقلها الى الافرنسية في مجموع المكتب الشرقي (MFO, VII) سنة ١٩١٣ . ونشر ايضاً هناك مع حضرة الاب يوسف خليل رسالةً من رسائل الدروز وهي الرسالة الى قسطنطين وقدّما عليها عدّة ملحوظات . ولهُ مقالات فلسفيّة وادبيّة ولغويّة في مجلّتي المشرق ومجموعة المكتب الشرقي وفي المجلة الاسيويّة الفرنسويّة (سنة ١٩١١) . ولدينا من مخطوطاتهِ متفرّقات ادبيّة ولغويّة شتّى لعلّنا ننشرها عند سنوح الفرصة

٣٨٢ ﴿رُوويل﴾ الاب اسكندر اليسوعي (P. Alex. de Rouville) المتوفّى نحو السنة ١٧٩٢ وقد تصحّف اسمهُ فرُوي رُوديل ووَديل ووِيل . لهُ كتاب تأمّلات ورياضات اكراماً لقلب يسوع الاقدس استخرجها من الايطاليّة الى العربيّة القس بطرس صادر المارونى سنة ١٨٤٢ . منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٣٥) تاريخها سنة ١٨٢٩ ونسخة ثانية في مكتبة الشماس شكري أيوب في الشهباء ايضاً . ثم نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ولعلّ الاب رُوويل هو مؤلف تفسير المزمور «ارحمني يا الله» السابق ذكرهُ

٣٨٣ ﴿ريبادَنيرا﴾ الاب بطرس اليسوعي (P. P. Ribadeneira) المتوفّى سنة ١٦١١ . ألّف مع الاب يوحنّا كروازيت (J, Croiset) كتاب سيرة القديسين عرّبهُ الاب بطرس فروماج تحت عنوان الدرّ الثمين في سيرة الابرار القديسين . منهُ في حلب نسخة خطّية في مكتبة الموارنة (ع ٩٣) . وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسختان في عدّة مجلّدات تاريخ الواحدة سنة ١٧٤٥ والاخرى ١٧٥٥ . وهذا الكتاب هو الذي طُبع بعد تنقيحهِ في مطبعتنا الكاثوليكية تحت اسم «مروج الاخيار في تراجم الابرار»

٣٨٤ ﴿ريشليو﴾ الكردينال دوبلاسي (Armand Jean du Plessis Card. Richelieu) المتوفّى سنة ١٦٤٢ لهُ : ١ً كتاب الكمال المسيحي في ٤٦ فصلاً (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٥٥٤) منهُ نسخة في دير مار شليطا تاريخها سنة ١٦٥١ بيد جرجس افرام الباني . امّا تعريبهُ فهو للاب جان اميو اليسوعي (Rabbath,

(Doc. I, 431) . ٢ كتاب التعليم المسيحي صنّفهُ الكردينال ريشليو ، ارمندس يوحنا ذو بلسيس وترجمهُ الى اللغة العربيّة البادره جستو دي برواز رئيس الكبوشيين المقيمين في بغداد . منهُ نسخة خطّية في مكتبتنا الشرقيّة . وهذا الكتاب طُبع في باريس سنة ١٦٤٠

٣٨٥ ﴿ ريكادونا ﴾ الاب بولس اليسوعي المرسل في سوريّة (P. P. Riccadonna) توفّي في ١١ ايلول سنة ١٨٦٣ . طُبع لهُ كتاب مناصب البتوليّة في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٨٦٧ . وكتاب مختصر ارشادات سنويّة في موادّ التعليم المسيحي لكل آحاد السنة طُبع سنة ١٨٨٦ . منهُ ثلث نسخ خطّيّة في مكتبتنا الشرقيّة . ولهُ ايضاً كتاب عبادة قلب يسوع الاقدس وكتاب تأمّلات روحيّة لكل ايّام الشهر من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة (ص ٢١٢) بخطّ الاخت روزا حبيقه الرئيسة العامّة على راهبات قلب يسوع سنة ١٨٦١

٣٨٦ ﴿ ريلُو ﴾ الاب منصور مكسيميليان اليسوعي (P. Max. Ryllo) المتوفّى في السودان في الخرطوم (١٧ حزيران ١٨٤٨) نشر تقارير الراهبات الباسيليّات في مِنسك من اعمال روسيّة بياناً لاضطهاد القيصر للكاثوليك . منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تعريب الاب دوناتوس (عطاالله) ثرنيه

٣٨٧ ﴿ ريمندس لول ﴾ (Raiymand Lulle) من الرهبانيّة الفرنسيسيّة المستشهد سنة ١٣١٥ في تونس لهُ مجادلات شتّى مع علماء المسلمين في العربيّة والاسبانيّة (اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (J. As.; 1883², p. 381-382)

٣٨٨ ﴿ رينالدي ﴾ الاب فرنسيس اليسوعي (P. Fr. Rinaldi) المتوفّى سنة ١٧٠٠ لهُ كتاب قوت النفس المشتمل على تأمّلات شهريّة في آلام المسيح عرّبهُ عن الايطاليّة القس ميخائيل مزراق احد رهبان دير المخلّص سليل مدرسة القديس اثناسيوس . منهُ نسخة خطّيّة في دير مار يوحنا الصابغ في الشوير وهناك طُبع اوّلاً سنة ١٧٧٢ ثمّ تكرّر طبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٨٦٦

حرف الزاي

٣٨٩ ﴿ زاخر ﴾ الشمّاس عبدالله الرومي الملكي الكاثوليكي الحلبي

المتوفّى في الشوير في ٢٠ آب ١٧٤٨ (اطلب ترجمتهُ في تاريخ الروم الملكيين ص ٤٧ ثم في المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٣٦١ و ٧١٩ ثم ٣ [١٩٠٠]: ٩١٥) . لهُ عدّة مصنّفات طُبع قسمٌ منها . فممّا نعرف لهُ : ١ً كتاب البرهان اليقين على فساد ايمان المشاقين كتبهُ في كسروان سنة ١٧٢٥ . منهُ نسخة في دير الشير ونسخة اخرى في مكتبتنا بخط ميخائيل الحلو كتبها في مدينة ميلون (Melun) من اعمال فرنسة وتجزت في ٢٣ آذار ١٨٠٥ . ٢ً البرهان الصريح في حقيقة سرّي التثليث وتجسُّد السيد المسيح كتبهُ سنة ١٧٣١ . منهُ نسخة في مكتبة باريس (Ms Paris, 4704) تاريخها سنة ١٧٣٨ . وهذا الكتاب طُبع اوّلاً في الشوير ثم طبعهُ الاميركان في مالطة سنة ١٨٣٤ . ٣ً كتاب الترياق المُشفي من سم غبريل الفيلادلفي ردًّا على ما كتبهُ مطران فيلادلفيا ضدّ المعتقدات الكاثوليكية منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٥٩) وفي مكتبة انتشار الايمان وفي مكتبة باريس وفي مكتبة الآباء البيض في الصلاحيّة (Or. Chr. 1914, p. 118) . ثمّ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٢٢ . ٤ً تفنيد المجمع العنيد الملتئم في القسطنطينيّة سنة ١٧١٨ . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٦٢ . ونسخة في مكتبة دير المخلّص عنوانها « بيان حقيقة الكنيسة الكاثوليكيّة ودحض مجمع القسطنطينية » تاريخها سنة ١٧٢٢ . ٥ً كتاب الدحض الخطير لانكار تقدمة الذبيحة الالهيّة بالخبز الفطير في قسمين . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٧٤٧ . ٦ً المجامع الاحد عشر في تثبيتها ضدّ الارمن واليعاقبة والروم والنساطرة . منهُ نسخة في مكتبة دير طاميش . ٧ً رسالة في بطلان طعن الارمن على المجمع الخلقيدوني . في مكتبة طاميش ايضاً وفي مكتبة دير الشرفة ودير الشير . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة في آخرها « بيان الطوائف التي اعتقدت طبيعة واحدة في المسيح مع اختلافها بها » . ٨ً وفي مكتبتنا ايضاً ردّهُ على شمّاس صار بعد ذلك من اساقفة الابرشيّة الاورشليميّة بخصوص تعاليم الكنيسة الكاثوليكية وتفنيد مزاعمهِ . منهُ نسخة في دير مار يوحنّا الصابغ الشوير يقال في آخرها انهُ نجز من تأليفها في ٨ حزيران ١٧٤٣ . ٩ً كتاب الردّ على ذوي الانفصال والصدّ زيّف فيهِ اضاليل مطران عكّا الاورثذكسي في كتابهِ التعليم المسيحي . منهُ نسخة في دير الشير . ١٠ً كتاب المحاورة الجدليّة على الكلمات الربيّة في الذبيحة

الالهيّة . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ١١ رسالة عبدالله زاخر الى البطريرك اثناسيوس جوهر في حلب . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة ايضاً . ١٢ رسالتهُ الى الاب بطرس فروماج في ما حدث بينهما من الخلاف . نسخة في دير الشوير وفي مكتبة السريان في حلب تاريخها سنة ١٧٦٩ . منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة مع دحضها للمطران عبدالله قراعلي . ١٣ شرح الاصول المنطقيّة على الرسالة الايهريّة وهو تفسير الايساغوجي للشيخ اثير الدين الايهري في المنطق منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ١٤ وقد صحّح الشمّاس عبدالله زاخر تعريب كتاب الاب بطرس ارنودي في تفسير المزامير الذي طُبع في المطبعة المخلصيّة في بيروت في ثلثة اجزاء ١٨٦٨—١٨٦٩ منهُ نسخة خطّية في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٧) . وكذلك صحّح بعض تعريبات الاب بطرس فروماج كميزان الزمان وكتاب مرشد المسيحي ومرشد الخاطئ الخ

٣٩٠ ﴿زخور﴾ القس رافائيل الراهب المخلّصي لهُ : ١ مواعظ رياضيّة تلاها على اخوتهِ الرهبان عام ١٧٨٢ في دير المخلّص . منها نسخة في البلدة في مدرسة الثلثة الاقمار تاريخها سنة ١٨٥١ بيد الاخ اغناطيوس مسدّيه الراهب المخلّصي . ويقال هناك انَّ المؤلف راجع الكتاب في باريس سنة ١٨٠٤ . ٢ نقل من الايطالية الى العربيّة اربعة كتب من تأليف الاب يوحنّا بطرس بينامتي اليسوعي سبق ذكرها اي القلب المتخشع والمرآة التي لا تنثلم والصليب الحقيقي والحكمة الحقّانيّة . ٣ والظاهر انهُ هو الراهب رافائيل الذي عرّب كتاب قانون الصبغة اي صبغة الحرير الذي طُبع في بولاق سنة ١٢٣٧هـ (١٨٢٢م) واسمهُ بالفرنسويّة Traité sur la Teinturerie de la Soie, traduit par Dom Raphaël d'après Pierre Joseph Macquer « l'Art de teindre la Soie» . والظاهر ايضاً ان الخوري رافائيل زخور رحل الى فرنسة ورافق نابوليون في بعثة مصر Ce Dom Raphël est aussi mentionné dans l'Expédition de Napoléon en Egypte, on l'appelle «un prêtre grec nommé Raphaël » avec les Savants de l'Institut d'Egypte(ROGER PEYRE : *l'Expéd. d'Egypte*, p. 140) ثمَّ عاد الى باريس وعلّم هناك العربية كما يتّضح ممّا ورد في آخر رسالة بولس الراهب اسقف صيدا الى احد المسلمين في مكتبتنا الشرقيّة : « قد كان الفراغ منهُ بيد القس رافائيل انطون

زخور راهب ومعلم اللغة العربية في مدينة باريس وذلك في يوم السبت الواقع في ١٤ من شهر تموز سنة ١٨٠٧

٣٩١ ﴿زنده﴾ اغوستينوس الحلبي كان في اواخر القرن الثامن عشر . لهُ في دير بزمّار تعريب لمواعظ احد الآباء الكبوشيين في مجلّد ضخم

٣٩٢ ﴿زوين﴾ جرجس الماروني المتوفّى في ٢٨ تموز ١٨٩٢ حرّر عدّة جرائد ونقل الى العربيّة كتباً دينيّة وادبيّة منها مصباح الهدى لمن اهتدى وكتاب رواشق الافكار لاومبرتوس وكتاب كنيسة الروم الشرقيّة بازاء المجمع الفاتيكاني وروايتي وردة وفريدة المغرب وردود على الدكتور ميخائيل مشاقة . ولهُ عند اسرته متفرّقات ادبية وتاريخية لم تُنشر بالطبع (لهُ بقية)

كشف الخفاء عن المحابس والحبساء

بقلم الاب ليباوس داغر كاتب اسرار الرئاسة العامة اللبنانية

مقدمة

اني لمّا كنت آخذاً في نشر ما اتّصل اليَّ من اخبار الحبساء الذين اتخذوا السيرة النسكية في محابس رهبانيتنا اللبنانية وما عرفتهُ من تاريخ هذه المحابس ومواقعها « مدحاً لآبائنا الذين خلفوا اسماً يخبر بمدحهم » (ابن سيراخ ص ١٤) وانتاراً باسم سيدي قدس الاب العام اثناطيوس التنوري الجزيل التقوى الذي اوعز اليَّ بعد طبعي « منية القلوب في حبيس حوب » ان اجمع ما كنت علّقتهُ على اوراقي عن الاب شربل الحبيس وهو حي . وتعميماً للفائدة واتماماً لرغبة الكثيرين من محبّي الاطلاع على اخبار السلف رأيت ان امهّد لذلك بذكر ما امكنني الوصول اليهِ من تاريخ المحابس والحبساء الذين كانوا في اغوار جبلنا المبارك ومشارفهِ قبل نشأة رهبانيتنا

فقدّسوهُ باعمالهم الحسنة وسيرتهم النسكية الفاضلة

فمسى هذا التأليف الصغير يروق الادباء ويجمل اخواني الرهبان يزيدون زهدًا في الدنيا وثباتاً في بحجّة الفضيلة ورسوخاً في كمالهم الرهباني ويكسب العالميّين نفعاً لنفوسهم اذ يرون في سيرة هؤلاء النساك الفضلاء ما يدفعهم الى ان ينشطوا الى اتمام واجباتهم الدينية راغبين عن تعليقات العالم وملذّاته الدنية متخذين للسلوك في الطريق الضيّق المؤدي الى السعادة الابدية متنكّبين عن الدخول في الباب الرحب الذي ليس لمن يلجهُ الّا العذاب الابدي الاليم

١ في اصل المحابس والحبساء في لبنان

ما من احدٍ ممّن لهم المام في تاريخ لبنان يجهل ان الحياة النسكية حياة الانفراد في الصوامع قد نشأت منذ القديم وقد درسها اجدادنا على اساتذة ماهرين تلقّنوا قواعدها ممّن نبغوا فيها واستقوها من الينبوع

ان أرسلنا رائد الطّرف الى اواسط الجيل الثالث نرى القديس بولا المعظم اول السائحين والحبساء ناهجاً طريق الانفراد وشائداً معالم النسك ومعلماً ضروب الاماتة فقد هجر العالم واعتزل الناس وهو في السن الثانية عشرة وقضى في غارٍ نيّفاً وثمانين سنة متعرّياً عن كل غنًى متردّياً بثوبٍ من خوص النخل يقتات بما كان يأتيهِ بهِ احد الغربان كل يوم وهو نصف رغيف من الخبز

ولا شك في ان القديس انطونيوس الكبير ابا الرهبان وكوكب البرية الذي انشأ العيشة النسكية في الاديار المصرية قد اخذ عنهُ عند ما زاره في مغارته قبل غروب شمس حيوته طريقة الحبساء ولقّنها تلاميذه العديدين فارسوها حتى كنت ترى براري مصر مساكن للنسك ومجالس للحبساء

وقد افادنا علامتنا السمعاني في مقدمتهِ على كتاب قانوننا الرهباني ان القديسين ايلاريون الفلسطينيّ المولد وآبون (١ السرياني قد تتلمذا للقديس انطونيوس في مصر وعاد الاول الى فلسطين وطنهِ وانشأ الطريقة الملائكية فيها وقصد الثاني ما بين النهرين

١) هو القديس اوجين والسريان يلقبونه ابون كقول السمعاني عند كلامه عن هذا القديس

فكان اباً لرهبان السريان والكلدان . ولا بدَّ من ان يكون القديس مارون ابو طائفتنا المارونية لقربه من القديس ابون اخذ عنه طريقة النسك والانفراد فارتقى الى قمة جبل قورش في اواخر الجيل الرابع يمارس ضروب الاماتة والتقشف او انه اختار هذه العيشة منقاداً بما سمعهُ عن القديس انطونيوس . وقد اثنى المعلم ثاودوريطوس عليهِ وعلى تلاميذهِ الكثيرين في مقدمة كتابهِ فيهم قائلاً : « كان يلذّ لي ان اطوف في براري قورش وأنعم عيناً بهذه الازهار العجيبة التي يزري عرفها بافخر الطيوب »

على ان القديس مارون على ما روى المعلم المذكور كان له ايضاً تلميذات حبست كل واحدةٍ منهنَّ نفسها على قمة جبل معرَّضة لحرّ الصيف وبرد الشتاء تحت جوّ السماء او في اكواخ حقيرة وصغيرة مثل مارانا وكورة ودومنيا

فلا عجب اذا كان مثل القديسين انطونيوس وابون ومارون وايلاريون حمل نصارى لبنان على التشبه بهم

وقد افادنا حضرة العالم الاب لامنس اليسوعي في كتابهِ « تسريح الابصار » قائلاً :

« لا غرو انه بوشر مذ ذلك العهد اي بين الجيل الرابع والخامس بانشاء المحابس في لبنان بيد ان التاريخ لم يذكر من امرها شيئاً لقلة اعتبارها . وانما روى اخبار مناسك اخرى تدعى مَنْدره (Μάνδρα) ومعناها حظيرة الغنم وربما كانوا يدعون بعض هذه المناسك لاورا (Λαύρα) او قنوبين (Κοινόβιον) ومعناها المتندى . وقنوبين اشهر في لبنان »

وقال حضرتهُ ايضاً :

« ومن الاديار التي ترتقي الى اواخر القرن الرابع واوائل الخامس عدلون بين صيداء وصور فان فيها عند البحر صخراً عالياً أُثر فيهِ نحو ٢٠٠ كهف »

ثمَّ قال :

« قد تعطَّر لبنان بفضائل بعض القديسين في اواسط القرن الخامس نخصّ منهم بالذكر القديسة مطرونا . ولدت في آسيا الصغرى ثمَّ ابتنت ديراً في حمص وانتقلت اخيراً الى بيروت . والقديس بولا السباطي قدم الى بيروت ثمَّ تعبَّد لله في جبال لبنان المعتزلة . وفي سنة ٥١١ طرد الملك اناستاس من القسطنطينية عدداً غفيراً من الراهبات المستنيرات الايمان فقصدنَ لبنان

قال الله لتخرج الأرض نفوساً حية لأصنافها بهائم
ودبيباً ووحش الأرض فكان كذلك فصنع الله
وحش الأرض لأصنافه والبهائم لأصنافها وكل
دبيب الأرض لأصنافه وعلم الله أن ذلك جيد
وقال الله فلنصنع انساناً بصورتنا كشبهنا
يستولي على سمك البحر وطير السماء والبهائم
وجميع الأرض وسائر الدبيب الدائب على الأرض
فخلق الله آدم بصورته بصورة الوهيم خلقه
ذكراً وأنثى خلقهما وبارك فيهما الله وقال لهما
الله اثمروا واكثروا وعموا الأرض واملكوها
واستولوا على سمك البحر وطير السماء وسائر الحيوان

وفي التاسع العشر تاسع شهر تسع الأخر من سنة
ست وخمسين وتسعمئة للهجرة ٥

مثال من النسخة المخطوطة القسطنطينية

Photo-Litho. Imp. Cathol. Beyrouth

واتخذتهُ لهنَّ سكناً وعطَّرتهُ بعرف فضائلهنَّ . وفي اختيارهنَّ لبنان للعزلة دليل على ان اهله كانوا يرذلون الشيعة الاوطاخية »

على أننا وان لم يمكننا الغموض المستحوذ على تواريخ تلك القرون قرون الجهل من الاطلاع على اسماء الحبساء واعمالهم ومواقع المجالس التي قطنوها فمع ذلك نقول ان وجود النساك والحبساء في لبنان قبل القرن الثالث عشر امر ثابت من آثار الاديار والمحابس القديمة وأطلالها . ثم ان العلامة نُلدك في المجلة الاسيويَّة الالمانية يعزو بعض فِقَر تاريخية كُتبت باللغة السريانية الى كاتب ماروني وذهب انه كان راهباً او ناسكاً لكثرة ما ورد في تلك المقاطيع من اسماء الاديار والمناسك . وقال العلّامة ريت (Wright) انها خُطّت في القرن الثامن او التاسع مستدلًا على قدميتها بصورة كتابتها . وقد ذكر ذلك السيد يوسف الدبس في تاريخهِ الجامع المفصَّل (ص ١٧٦)

وقد عدَّد هذا العلّامة اديار الموارنة التي عرفها الى آخر القرن الثاني عشر قال :

« ان اول اديار الموارنة دير القديس مارون الذي بُني على العاصي . والثاني مار يوحنا مارون في كفرحي . والثالث دير السيدة العذراء في يانوح . والرابع دير السيدة في ميفوق . والخامس دير القديس الياس في لمند . والسادس دير السيدة في هايل . والسابع دير قزحيا . والثامن دير القديس يوحنا في كوزبند بقبرس . والتاسع دير كفتون (١ والعاشر دير قنوبين وهذا قديم جدًّا . والحادي عشر دير القديس سركيس في جردين . والثاني عشر دير القديس اليشاع في بشراي الخ

وروى ايضاً في تاريخهِ المذكور انه وُجد في الكتاب السابع من الكتب السريانية المخطوطة التي نقلها السمعاني الى المكتبة الواتيكانية (في صفحة ٢٦٢ منه) هذه الحاشية بالسريانية وترجمتها :

انا الحقير الراهب سمعان (٢ كتبت هذه الاسطر في هذا الكتاب الذي نسخته لابينا الطوباوي بطريركنا مار بطرس بطريرك الموارنة الساكن في دير ميفوق المقدس في وادي ايليج من عمل البترون الى ان امرني ان اكون رئيساً وناظرًا على دير القديس يوحنا في ارض كوزبند بجزيرة قبرس في ايام الرهبان الساكنين في دير القديس يوحنا المذكور وهذه اسماؤهم : الراهب داود . القس موسى . الراهب يوسف التحومي . والراهب جيورجيوس . والراهب دانيال »

وكان ذلك في سنة ١١٢١ ولما توفي القس سمعان ارسل البطريرك يعقوب

١) انتقل فيما بعد الى الروم الارثوذكس غير اننا لم نهتدِ الى زمان انتقاله

٢) كان كاتب اسرار البطرك بطرس المذكور

الراماتي خلفاً لهُ القس دانيـال من رهبان دير كفتون في سنة ١١٤٠ . وقـد علّق البطريرك يوحنا اللحفدي على كتاب الاناجيل قديم منبئاً انه حضرَ اليهِ سنـة ١١٥٤ الراهب اشعيا من دير قزحيا ورأسه على دير الكوزبند في قبرس

وذكر المطران اسطفان عواد ونقل كلامه المطران يوسف الدبس انهُ رأى معلقاً على كتاب الاناجيل بخط البطريرك ارميا العشيتي ما نصُّهُ :

« قد استراحت الراهبة سارة في اليوم الثامن من آب سنة ١١٩٩ فتكن اهـلاً للذكر الصالح لانها تعبت كثيراً في دير القديس سركيس في حردين » (وقال) انهُ « كان عند الموارنة قديماً ما عدا راهبات الاديرة راهبات حبيسات فهؤلاء بعد ان يعشنَ في الدير ثلاث سنوات يتطنَ في صومعةٍ قريبةٍ من الدير متحجبات عن معاشرة النـاس كما كانت تلميذات القديس مارون كورا ومارانا ودومنينا »

فما ذكر ينتج حقيقة وجود اديار ومحابس في لبنان للرهبان والراهبات قبل القرن الثالث عشر . واما بعد هذا القرن فقد كثرت المحابس والحبساء كما يفيدنا البطريرك اسطفان الدويهي فقد ذكر انه في سنة ١٤٤٥ انتُخب يعقوب بن عيد الحدثي بطريركاً وكان منذ صغره قد تربّى في السيرة الملكية في محبسة القـديس سركيس شرقي دير مار يوحنا المعروف بمار ابون (١ وكان لرئيس هذه المحبسة الرئاسة على جميع المحابس في جبة بشراي . وفي سنة ١٤٩٥ بنى القس بركات البقوفـاوي محبسة مار ميخائيـل بقرب دير قزحيا فانفرد فيها الى نهاية حياتهِ الطاهرة وخلفه القس موسى من اليمونة ثم القس يعقوب من بلاد البترون ثم القس يوحنا مخايل ثمَّ القس جبرايل ثمَّ الخوري مخايل وهؤلاء الاربعة من اهـدن . وفي تاريخ سنة ١٥٤٢ ذكر وفـاة الاب العابد الزاهد الخوري يونان المتريتي رئيس الحبساء وقـد كتب عنه تلميذه الحبيس جبرايل الاهدني انه خدم ربّه مدة خمسين سنة بطهارةٍ وعبادةٍ لا مثيل لهما وقبل ان يقضي اجله بمدة اربع سنين اخذ يزيد في تنسكه وتقشفه حتى انه في جمعة الآلام كان يركع اربعـة وعشرين الف ركعة الى الارض وفي سائر ايام الصوم كان يركع حتى يجري عرقُه . . واما من حيث الرحمة والحنو فلم يكن له مثيل يشبهه في عصره . ولمَّا اخذ تلميذه الحبيس جبرائيل في كتابة شيء من سيرتهِ صرَّح بعجزهِ عن ذلك قائلاً : « ها

١) موقع هذين الديرين في ارض الحدث

اني انا الحقير ارمي القلم من يدي الخاطئة لئلا يقول القارئ كيف ان هذه الشجرة المثمرة اخرجت هذه الثمرة النفيسة المُرّة. وشهد ايضاً تلميذه الخوري يوحنا اللحفدي انه لما فرغت خابية الزيت فبقوة الله وصلاة معلمه امتلأت وطفحت حتى اخذته الحيرة والدهشة واصبح لا يعلم اين هو . فالتفت اليه معلمه وقال : له مجّد ربنا يسوع المسيح وانظر الى عجائبهِ على يد اقل عبيده . ثمَّ اوصاه ملحّاً عليه ان لا يخبر بذلك احداً قبل وفاتهِ . ولما حضرته المنية ارسل الى البطريرك موسى والمطران قرياقس الاهدني يطلب منهما الحلة والبركة . فحضر اليه كلاهما . ثمَّ اسلم الروح بيد الخالق فشاع خبرهُ واجتمعت الرؤساء والاخوة وتقاطر جميع اهل البلاد الى دير قزحيا ليتبركوا من جسمهِ الطاهر . وبعد ان طافوا بهِ بالبكاء والدموع دفنوه في المحبسة . ويقال ان جسده لم يزل محفوظاً حتى الآن . وبعد مدةٍ يسيرةٍ من وفاتهِ توفي ايضاً تلميذه الخوري يوحنا اللحفدي الذي كان قد شابههُ في براءة السيرة وقداستها . خدم معلمهُ اربع عشرة سنة وهو يتقلب على اوجاع المرض . وفي اسبوع الآلام كان يركع ستة وعشرين الف ركعة . وشهد ان معلمه الحبيس يونان ظهر لهُ بعد موتهِ مواجهةً في اليقظة فسلّاه ودعاه الى الحياة الدائمة »

وفي سنة ١٥٤٤ توفي الاسقف يوسف الجاجي رئيس الحبساء فخلفه الحبيس جبرائيل بن ستيته الاهدني رغماً عنه فاقتنى املاكاً كثيرة لدير قزحيا . ولما همَّ بتوسيع الكنيسة واستصعب قطع الصخر تراءى له معلمه الحبيس يونان وامره ان ينشر الصخر من غير خشية وان يقيم ثلاثة مذابح على اسم السيدة واسم مار انطونيوس واسم مار مكاريوس فاطاع الحبيس واتمَّ العمل في سنة ١٥٤٥ . وكان قَشِف العيش كثيراً محباً لتدبير الاخوة . وكان يركع في الصوم الكبير الف ركعة كل يوم واما في اسبوع الآلام فلا يُعلم عدد ركعاتهِ لانه لم يكن ينقطع عنها من الصباح الى المساء وكان لا يذوق الماء مطلقاً من بدء الصوم الكبير الى خميس الاسرار ومع كل هذه الاتعاب لم ينقطع عن نسخ الكتب البيعية حتى امتلأ جبل لبنان كتباً من خطهِ الجميل

وقال الدويهي ايضاً : « في سنة ١٥٦٠ انتقل الى رحمة الله الحبيس ملكا البقوفاوي وكان قد مضى لهُ نحو ستين سنة في النسك والزهد . اعتزل اولاً في دير قزحيا ثمَّ في

مار دوميط داريًا . ثمَّ في كنيسة السيدة المقطوعة بالشقيف مقابل عرجس . ثمَّ في محبسة مار مخايل في دير قزحيا وكان قدوةً صالحة لكل من ينظر اليه لانه كان يقهر جسمه بالجوع والعطش والحفى والعري ولم يكن ينقطع عن ذكر الله ولم ينظر الى وجه امرأة. ولمّا كانت محبسة مار مخايل معدومة الماء ولسبب سقمه لم يكن له قوة ليستقي من محبسة قزحيا سأل ربه ان يريحه من تلك المشقة فاخرج له الله من الصخرة ماء جارياً. ولموضع براءته ونسكه وفضيلته شرّفه البطرك بدرجة الاسقفية في هذه الحياة وجمّله الباري بتاج المجد في الحياة الدائمة

وفي سنة ١٥٦٧ يذكر الدويهي ان الحبيس مخايل الرزّي انتُخب بطريركًا وقد كان اولًا رئيساً على دير قزحيا وعلى المحبسة لكنه رغبةً في العزلة ترك الرئاسة واقام بمحبسة القديس بيشاي القريبة من الدير. وفي سنة ١٥٨١ صار الحبيس سركيس اخو البطرك مخايل بطريركاً بعد موت اخيه. وفي تاريخ سنة ١٥٨٥ وقد بالرب القس يعقوب عصاص من بيت الزيات من سمر جبيل فهذا قد لبس الاسكيم في دير قزحيا وقضى حياته بالنسك والقداسة في محبسة مار سمعان بالفراديس وجسده ما زال سالمًا في مغارة مار ادنا هناك لم يعتره فساد

وفي سنة ١٥٩٦ خلف البطرك سركيس ابنُ اخيه الحبيس يوسف. وفي سنة ١٦٠٩ خلفه العالم يوحنا مخلوف الاهدني وكان قد تنسّك مدةً في قزحيا

وفي سنة ١٦٣٢ قدم الى لبنان زاهدًا في الدنيا الحبيس فرنسيس من بيت جلياق الذي دوّنت مجلّة المشرق سيرته في العام الماضي (٢٠ [١٩٢٢] : ٥٧١ ؛ ٦٤٩)

وفي سنة ١٦٦٨ قدم ايضاً من بلاد الافرنج اربعة رجال تجرّدوا عن العالم وقصدوا خدمة الباري في محابس جبل لبنان : فمنهم من سكن في دير مار أسيا في كفرسارون. ومنهم في دير مار ابون في أرض الحدث. ومنهم في ديار مار انطونيوس بجوار قنوبين. وامر البطريرك جرجس السبعلي اناساً يصلحون تلك المواضع ويقطعون عنها الغابات وياخذ ما يحتاج اليه هؤلاء. لقوت اجسادهم من دير الكرسي في قنوبين. رواه الدويهي

فمن كل ما ذكرناه يمكننا ان نستنتج : (اولًا) ان السيرة النسكية قديمة في لبنان قد اعتنتها رهبان وخوارنة . (ثانياً) ان المحابس قدّمت كثيرين الى الاسقفية

والبطركية. (ثالثاً) اننا وان لم نكن نعرف اسماء الحبساء ومواطن محابسهم قبل الجيل الثاني عشر للجهل المستحوذ على تلك العصور فمع ذلك نقول : انه من الجيل الرابع عشر وصاعداً قد كثرت الحبساء فشادوا محابس عديدة ولاسيما في جبّة بشراي فاضحت تلك الوديان المملوءة شوكاً واحراجاً فردوساً روحياً ممتلئاً من ازهار الفضائل وتكاثر القديسون فيها وفاحت رائحة قداستهم في الاقطار حتى بلغت الى اوربا فقصد بعض من كره العالم العيشة في مناسك لبنان ومحابسها لينسجوا على منوال حبسائه القديسين

٢ في هيئة المحابس القديمة وكيفية معيشة الحبساء فيها ونوع كسوتهم

١ً بعد ان تكلمنا عن قداسة المحابس والحبساء في لبنان يجدر بنا ان نصف هيئة المحابس ونبين كيفية معيشة اولئك الحبساء ونوع كسوتهم وفي ذلك ما فيه مما تهمّ القراء معرفته ويوقفهم على بعض حقائق تاريخية ربما كانت محجوبة عن اذهانهم فتقرّ بها اعينهم وترتاح لها نفسهم فنقول: ما كان الحبساء في ذلك العهد البعيد إلّا ليؤمّوا الامكنة الوعرة البعيدة عن الناس والصبة المسالك طلباً لسكون البال ورغبةً في الابتعاد التام عن العالم وضوضائه فمنهم من كان يسكن الكهوف المنقورة في قلب الصخر تحصّناً بها وامتناعاً حتى انّ من ينظر اليها وقد استوت استواء عمومياً كانها اوكارُ النسور المنيفة يقف متهيباً خاشعاً . ومنهم من آثر السكنى في سفوح الجبال او في منعطفات الاودية فيصبحون ولا شيء يشغلهم عن تمجيد الله والاتحاد به بصلواتهم وتأملاتهم فيرسلون اصوات الشكر له تعالى مع خرير الماء الذي ينساب في الوديان وتغريد الطيور في افنان الاشجار النابتة على ضفاف الانهار

على ان بعض هذه المحابس يعزّ على المرء تسلّقها والوصول اليها . وقد حاولتُ مرة ان ارتقي الى محبسة مار دوميط الكائنة في وطأموب قرب تنورين ولم اتمكن من الوصول اليها الّا بعد شق النفس لاصقاً بالصخر متمسكاً بيدي ورجلي متحفظاً تمام التحفظ لئلا تزلّ بي القدم فاهوي من ذلك العلو الشاهق الذي يربو على الخمسين متراً عن سطح الارض . وكثيراً ما كنت اتعجب مسائلاً نفسي كيف كان يصعد الحبساء الى هذه المحبسة ونظائرها كالمحبسة التي فوق دير القديس اليشاع في وادي

قاديشا ومحبسة مار يعقوب في تنورين السفلى وينزلون منها لاجل اقامة فروضهم الدينية (١ في الدير القريب منها وقضاء حاجاتهم الجسدية كاستقاء الماء وتناول الطعام او اعداد المؤنة

وليس لهذه المحابس المنقورة في الصخور هيئة الا هيئة الكهف الذي تألفت منه . فمنها ما يمتدّ من الشرق الى الغرب كالمحابس التي في وادي قاديشا ووادي قزحيا ووادي تنورين ومنها ما يمتد من الشمال الى الجنوب كمحبسة حوقا والفراديس . اما المحابس التي بُنيت في غير الصخور فالغالب في هيئتها التربيع ووجهة مذابحها الى الشرق

ومن هذه المحابس التي بالكهوف ما بُني بالحجر المدّان ومنها باللبن . واما التي بُنيت على سطح الارض فبناؤها من الحجر اليابس

ومنها ما تألفت من غرفة واحدة كمحبسة مار دوميط المذكورة اعلاه ومنها من اكثر من غرفة كمحبسة قزحيا ومحبسة مار يعقوب في تنورين السفلى ومار بيشاي والفرزل (٢ وغيرها . ومنها ما درست رسومها وعفت آثارها ومنها ما بقيت انقاضها كمحبسة في جبل مغارة سعيد في خارج تنورين لا يزال اسم تلك المحلة «الحبيس»

ومنها ما لم يبقَ منها الدهر غير اطلال الى الآن . ومن هذه المحابس ما كان يسكنها حبيس واحد ومنها حبيسان ام اكثر

اما معيشة هؤلاء الحبساء فكانت من تعب ايديهم . فكانوا بعد التفرُّغ من صلواتهم ورياضاتهم الروحية يعنون بحراثة بقعة من الارض او بنسخ الكتب او بعمل آخر لائق بهم وذي نفع لهم وللمحبسة وكان احدهم يصوم اليوم واليومين والثلاثة ويأكل المآكل القشفة كالحبوب والبقول الا انه لم يكن ليذوق اللحم حياته كلها . ويقهر جسده بانواع الاماتات والركعات العديدة وضبط الهوى اذ لم يكن لهم قانون يتقيدون به بل كل واحد منهم كان يسنّ لنفسه قانوناً يمشي عليه بما يكون قد رآه مناسباً لحالته او يكون أطّلع عليه في سير الآباء النسّاك

١) ان محبسة مار دوميط ليس فيها لا مذبح ولا معبد بالقرب منها

٢) وقد وصف الاب اليسوعي اسكندر بوركنر محابس فرزل في مجلة الابحاث (Etudes) سنة ١٨٦٦ (ج ٨ ص ٦٦–٧٠)

واما كسوتهم فكانت بالاجمال تتمة اللون فاسكيمهم كان من نسيج الصوف اسود على شكل اسكيم الرهبان العباد المقيمين الآن في مار دومط البوار والعباءة من الخام الازرق والاسود والمشلح من نسيج الصوف البلدي الاسود والمنطقة والحذاء من جلد

٢ً فهل كان لهؤلاء الحبساء جامعة تجمعهم بحيث كانوا يرجعون الى دير واحد ويطيعون رئيساً واحداً ؟

قد افادنا حضرة الفاضل الاب لويس بليبل صاحب تاريخ رهبانيتنا ناقلاً كلامه عن مؤسس الرهبانية الطيب الاثر المطران عبدالله قراعلي بما محصّله : ان الرهبان الموارنة قبل انشاء الرهبانية اللبنانية لم تكن تربطهم وحدة قانون ولا كانوا يخضعون تحت سلطة رئيس عام واحد ولا كانت لهم عيشة واحدة مشتركة في الاديار بل كان كل دير من اديارهم قائماً بذاته لا يشترك رهبان دير مع رهبان دير آخر بشيء ولا علاقة لدير بدير آخر أيّة كانت

بل كان يخضع كل الاديار والرهبان والحبساء لولاية الاسقف المكاني الذي له عليهم السلطة الروحية المطلقة بحسب ما جاء في المجمع اللبناني (وجه ٤٦١ ع ٢)

ولذلك لمّا كان احد الشبان يقصد الترهب في دير يُلبسه الاسقف الثوب الرهباني بعد مكثه مدة وجيزة في الدير وقبوله سرّي التوبة والقربان الاقدس من دون ان يبرز نذرًا على الصورة التي ننذرها نحن الرهبان بل كان يتقيد عملًا بالنذور من غير ابرازها . ولم يكن لهؤلاء الرهبان قانون خاص يجرون عليه بل كان جل اعتمادهم على كتاب يوحنا السلّمي وبستان الرهبان ووصايا ابينا القديس انطونيوس فيطبّقون سيرتهم عليها ويستقرّ كل منهم في الدير الذي لبس فيه الثوب الرهباني بحيث لا يتأتى له ان يخرج منتقلًا من دير الى آخر الّا برضى المتقدم في الديرين

ومتى شاء احدهم ان يصير حبيساً ينفرد في صومعة قريبة من الدير ولا ينتقل من محبسة الى اخرى بلا اذن الاسقف (١ . واذا كان الحبيس كاهناً فيقيم القداس والفروض الالهية في معبد المحبسة . وأمّا اذا كان اخاً فيتحتم عليه مطلقاً ان يأتي الدير لحضور القداس واقامة الصلوات الفرضية ومناولة الاسرار ولذلك لا نرى في بعض

١) عن المجمع اللبناني

المحابس (١ غير غرفة واحدة لا مذبح فيها ولا معبد وللحبيس ان يتخذ طريقة الحبساء موقتة او مؤبدة

فينتج مما تقدم ان الحبساء الاقدمين لم يكن لهم جامعة تجمعهم ولا كانوا يرجعون الى دير واحد ولا يطيعون رئيساً واحداً بل كانت كل محبسة منفصلة عن غيرها بالعيشة والقانون والحبيس الذي كان يقطنها يخضع رأساً للاسقف المكاني ويعيش عيشة خاصة به ويسن لنفسه قانوناً خصوصياً يتمشى عليه ما بقي في محبسته

اما قول علامتنا الدويهي ان رئيس محبسة القديس سركيس في ارض الحدث كانت له الرئاسة على جميع المحابس في جبة بشراي فيمكن حمله على كون تلك الرئاسة ليست برئاسة شرعية بل إكرامية امّا نظراً لقدم محبسته واما الى تفوق قاطنها بالقداسة والفضل لان الحبساء - كما يقول المطران قراعلي لم يكن لاحد منهم سلطان على الآخر ولا كان للمتقدم فيهم لقب رئيس ولم يكن لمحبسة علاقة بمحبسة اخرى في تلك الايام بل كان المتقدم في الدير او في المحبسة يُدعى باسمه الخاص ولا يعطونه لقب رئيس . ولو كان للمتقدم في هذه المحبسة المذكورة الرئاسة على المحابس الاخرى في جبة بشراي لما كان الدويهي نفسه يقول عن الخوري يونان المتريتي (٢ انه رئيس الحبساء وقد كان قاطناً في قزحيا وليس في محبسة القديس سركيس التي اتضح ان رئاستها لم تكن لها صفة قانونية على سائر المحابس . والاسقف يوسف الجاجي قد دعاه الدويهي ايضاً رئيس الحبساء وهو لم يقطن في محبسة القديس سركيس بل في قزحيا . وربما دُعي الحبيس يونان رئيساً لكبر سنه وفضيلته والمطران يوسف لكونه اسقفاً او لكون دير قزحيا تفرّعت عنه محبسة مار ميخائيل ومحبسة مار بيشاي وكان سكانها يخرجون منه فيبقى رجعهم اليه . الّا ان الارجح عندي هو ان الدويهي اطلق على هؤلاء لقب رئيس لتقدمهم في المحابس ولو لم يكن يُعطى هذا اللقب لمن عاشوا في العصور التي سبقت الدويهي

---

١) كمحبسة مار دومط في وطا حوب

٢) من المرجح انهم دعوا بالحبيس من كان قد ترهب في احد الاديار ودعوا بالخوري الحبيس الراهب الكاهن الذي بعد ان صار حبيساً رقاه السيد البطريرك الى مرتبة خوري اسقفي

مخطوطان عربيّان من اسفار العهد العتيق

نقر كتابي للاب لويس شيخو اليسوعي

وصفنا سابقاً في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٣٣—٣٧) نسخةً قديمة من التوراة مصونة في مكتبتنا الشرقيّة . وممّا وقفنا عليهِ بعد ذلك نسخة جميلة ارشدنا اليها احد اصدقائنا في الاستانة المرحوم شكري افندي باحوط وكانت هناك معروضة للبيع ولم نعلم ما حلّ بها . وانّما حصلنا على رسوم فوتغرافية من صفحاتها الاولى نروي منها مثالاً يستدلّ به القارئ على نفاستها . وهذه النسخة كما يظهر كاتبها احد نصارى مصر بحرف جليّ مُشرق من الخطّ النسخيّ البديع والشكل الكامل الحسن الضبط ولا تخلو العربية من مَسْحة طليّة بليغة وذلك في التاريخ العربي تاسع شهر ربيع الآخر من السنة ٧٥٦ الموافق للرابع والعشرين من نيسان ١٣٥٥ م . ودونك الفصل الاوّل من نصّها مع رسم صفحةٍ منها بالتصوير الشمسيّ :

اوّل ما خلق الله السموات والارض وكانت الارض غامرة مستبحرة ظلامٌ على وجه الغمر ورياحُ الله تهبُّ على وجه الماء . فقال الله : ليكن نور فكان نور فعلم الله انّ النور جيّد وفصل الله بين النور وبين الظلام وسمّى الله النور نهاراً والظلامَ سمّى ليلاً . وكان ماء وكان صباح يوماً واحداً فقال الله : ليكن بساطٌ في وسط الماء ويكون فاصلاً ماء عن ماء . فصنع الله البساط وفصل بين الماء الذي من تحت البساط والماء الذي من فوق البساط . فكان ذلك وسمّى الله البساط سماء . وكان ماء وكان صباح يوماً ثانياً . فقال الله لتجتمع المياه من تحت السماء الى موضعٍ واحد ويُظهر اليَبَسُ ارضاً ويجتمع المياه سمّى بحاراً . وعلم الله ان ذلك جيّد . وقال الله : تكلأ الارض كلأً عشباً ذا حَبٍّ لامثاله وشجراً مُخرجَ ثمر ما ثمرهُ لامثاله وعلم الله ان ذلك جيّد . فكان ماء وكان صباح يوماً ثالثاً وقال الله : لتكن انوار في بساط السماء تُفرز بين النهار وبين الليل وتكون آياتٍ واوقاتاً واياماً وسنين وتكون انواراً في بساط السماء لتضيء على الارض فكان كذلك وصنع الله النيّرين العظيمين النيّر الاكبر للتسلّط على النهار والنيّر الاصغر للتسلّط في الليل والكواكب وجعلها الله في بساط السماء للاضاءة على الارض . . .

فمن قابل بين هذه الاسطر والترجمة التي نشرها فالتون (Valton) في البوليغلوتا

اي التوراة العديدة اللغات المطبوعة في لندن سنة ١٦٥٦ تحقق ان نسختنا هذه تشبهها شبهاً عظيماً الا في بعض الدقائق. ومن المعلوم انَّ النسخة المطبوعة هي لسَمْديا غاوُن اليهودي من كتبة القرن الثاني عشر على ان النسخة التي وقعت الينا أضبط واصح

*

وفي اواسط ايلول من السنة ١٩٠٨ مررنا في مصر وبواسطة احد الاصدقاء امكنَّا ان ندخل الى مكتبة الاقباط غير الكاثوليك فوجدنا هناك بين المخطوطات العربيّة نسخةً قديمة من التوراة تاريخها سنة ١٠٤٦ للشهداء و ٧٣٢ للهجرة الموافقتين للسنة ١٣٣٢ للميلاد فوجدناها ذات شأن ونسخنا بعض الاسطر منها الّا ان قصر الوقت لم يسمح لنا بالتمعُّن فيها ودرس خواصّها ووددنا لو تسنح لنا فرصة اخرى لفحصها فحصاً مدقّقاً. وها قد قرّب الله الينا مرغوبنا على غير انتظار

فان جناب الاديب الفاضل احمد باشا تيمور تفضَّل وارسل لنا مؤخرًا نسخة قديمة من اسفار موسى دخلت في مكتبته العامرة لتبدي فيها رأينا . فما وقعت عليها عيننا حتى تحقَّقنا انها هي هي النسخة التي وجدناها في مكتبة الاقباط فيكون جنابهُ اقتناها منهم بمالهِ فاغنى بها خزانة كتبهِ. وعلى كلّ حال نشكر بدءًا لجنابهِ حسن ظنّهِ بنا ونزاهتهُ في خدمة العلم. ثمَّ نتخطّى الى تعريف هذا الاثر الجليل فنقول :

انَّ هذه النسخة من التوراة تقيس ٢٧ سنتمترًا طولًا و ١٧ ونصف عرضاً وهي مجلّدة تجليداً حديثاً بجلد وقماش اسودين وعلى قفا الكتاب خطوط من الذهب مع اسم الكتاب « التوراة » وتحت الاسم ورقة بيضاء مربعة مستطيلة عليها رقم ١١ من قسم «الديانات» في المكتبة التيموريّة . وصفحات الكتاب ٣٩٣ يليها صفحتان بخطوط مختلفة عليها افادات شتى . وفي كلّ صفحة ٢٢ سطرًا والكتاب مخطوط بقلم نسخيّ قديم جليّ بحبر اسود الّا الفصول والعناوين المكتوبة بحبر احمر. والكاتب نصرانيّ يُدعى ابا فخر بن سليمان (اطلب رسم صفحة منها)

وقد فُقد من اوّل هذه النسخة ورقة او ورقتان وسقط مثل ذلك بعد الورقة الرابعة امّا آخرها فكامل . والكتاب يتضمَّن خمسة اسفار موسى : الاوّل سفر التكوين (ص ١—١٠٦) في آخرهِ ما نصُّهُ :

«كمل السفر الاوّل من التوراة ويقال انّ في هذا السفر اربعة آلاف وستمائة استيخن (اعني آية) والسبح لله دائمًا ابدًا وكان الفراغ منهُ نهار السبت ثالث عشر ربيع الاوّل سنة اثنين وثلثين وسبعمائة » (١٥ ك ١ ١٣٣١)

والسفر الثاني سفر الخروج (ص١٠٧—١١٥) في آخرهِ :

«كمل سفر الثاني وهو سفر الخروج والسبح (لله) دائمًا ابدًا وكلّ من وقف عليهِ وقرئ في منزلهِ يسأل ابوتهُ وصديقهُ (؟) يدعوا لكاتبهِ بالصفح والمغفرة »

والسفر الثالث سفر اللاويين (ص١٩٦—٢٦٧) ويُختم بما نصُّهُ :

«كمل السفر الثالث وهو سفر اللويين وما تيسّر من تفسيرهِ ولربّنا ومخلصنا المجد الى الابد امين في بكرة نهار الخميس الخامس وعشرين من اشبر وسنة الف وستّة واربعين للشهداء الموافق لثامن عشر شباط (١٣٣٢م) وحقارة العبد المقير المسكين المعترف بكثرة ذنوبهِ وخطاياه ابو الفخر بن سليمان يسأل ابوّة وسيادة كل من كان في منزلهِ وقرأهُ او سمعهُ يذكره وهو الذي تجاسر بنسخهِ والتطفّل اليهِ بالصفح والتجاوز عن زلّاتهِ وهفواتهِ والرحمة امام المنبر المهول والربّ الاله يعطيهِ ولاولادهِ الحياة الدائمة الابدية ويمرّنه كما وعد في انجيله المقدّس عوض الواحد ثلاثون وستّون (كذا) ومائة وفي الآخر ملكوت السماوات التي لا تحوّل ولا تزول»

والسفر الرابع سفر العدد (ص٢٦٨—٣٣٥) في آخرهِ ما حرفهُ :

«كمل السفر الرابع من التوراة وهو عدد بني اسرائيل ولربّنا ومخلصنا السبح والمجد من الآن وكل اوان الى دهر الداهرين امين في عشية نهار الجمعة الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنين وثلثين وسبع مائة الهجريّة» (١٣ آذار ١٣٣٢) »

السفر الخامس سفر تثنية الاشتراع (ص ٣٣٧—٣٩٣) ينتهي بقولهِ :

«كملت التوراة الكريمة المباركة بعون الله وحسن ارشادهِ وتوفيقهِ في عشيّة نهار الخميس العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين وثلثين وسبع مائة للهجرة الموافق للثالث والعشرين من برمهات سنة الف وستّة واربعين للشهداء الابرار والثامن عشر من آذار (١٣٣٢م) . والعبد المقير المعترف بكثرة خطاياه وهفواته المهمّة ابو الفخر بن سليمان المهتم بنسخها يسأل ابوّة كلّ من قرأ فيها يذكرهُ بالرحمة وغفران الذنوب ومحو العيوب»

ويلي هذا الختام صفحتان بخطوط غليظة غير متقنة هذا اخصُّ ما فيهما :

«المجد لله دائمًا . هذا الكتاب البارك برسم الحقير مرقص مطران مدينة حمص فلا لاحد سلطان من الله تعالى ان يخفيهُ عنهُ ما دام في قيد الحياة وكلّ من تجاسر على ذلك واخفاهُ

يكون تحت الحرومات القاطعة من فم السيّد المسيح ويكون سطّهُ مع بوطس (كذا) الذي اسلم سيّدهُ ومن قرأ فيهِ يدعو لهُ بالمغفرة وعن الذنوب.ويترحم عليهِ وعلى ولديهِ وعلى جميع بني المعموديّة الارثذكسيّة فيكون له الجزاء من السيّد المسيح في يوم الدين امين . وكتبه الحقير في خدّام الكنيسة مرقص مطران حمص المحروسة بتاريخ خار الاربعاء ثامن وعشرين شهر كانون الثاني سنة سنة الاف وسبعمائة وسبعة وتسعين لكون العالم (١٦٩٩م)

وانتقل هذا الكتاب المبارك الى خزانة الحقير في روّساء الكهنة الذي لا يستحق ان يُذكر اسمهُ لكثرة خطاياه ميخائيل البطريرك الانطاكي من الاب كير مرقص بطرك المدينة المقدّسة . . . وذلك بتاريخ الحادي عشر ايلول سنة (الارقام غير واضحة) »

وفي صفحة اخرى يقال انّ المدعو « الياس بن يوسف بن غانم المتطبّب في مدينة دمشق قد نظر في الكتاب بتاريخ نهار الاحد المبارك من الصوم الكبير المقدس تاسع شهر اشباط سنة ٧٠٥٦ لابينا آدم الموافقة لعاشر شهر محرّم الحرام سنة ٩٥٥ه (اعني ١٥٤٨ م)

هذه الاسفار قد كُتبت لتُقرأ فصولها في الكنائس في أيّام الصوم الكبير والآحاد والاعياد السنويّة وذلك ما يُعرف بكتاب القراءات او النبوّات (Lectionnaire) . وبين الفصول في وسطها او اواخرها تفاسير ادبيّة وتاريخيّة وروحيّة لا يُذكر قائلوها وانّما هي مقتطفة غالباً من اعمال الآباء اثباتاً لما بين العهدين العتيق والجديد من الاتفاق وما تحتويهِ اسفار موسى من النبوّات عن مجيء السيّد المسيح وفضل شريعتهِ على شريعة موسى . ويؤخذ من عناوين الفصول انّها مقسّمة على حسب طقس الكنيسة القبطيّة . فانّ تاريخ قراءة كثير منها يشير الى الشهور القبطيّة كبرمهات وتوت وامشير وهتور الخ وكذلك ارقام الكتاب في رأس الصفحات هي قبطيّة كما انّ في وسط الكتاب وفي آخرهِ قد ذُكر تاريخ الشهداء مع التاريخ الهجري وهو التاريخ الشائع بين اقباط مصر

بقي علينا تعريف الاصل الذي نُقلت عنهُ هذه الترجمة العربيّة أهو الاصل العبراني او اليوناني او السرياني او القبطي . فقد عارضنا النسخة على ما لدينا من الترجمات القديمة فتحقّقنا ان ترجمتها منقولة عن الترجمة السبعينيّة اليونانيّة التي كانت شائعة في جهات مصر . والدليل عليهِ ان الروايات التي تخالف فيها الترجمةُ اليونانيّة الترجمةَ العبرانيّة موجودة ايضاً في هذه النسخة العربية . مثال ذلك (تكوين ٢:٢)

الله عهده الذي قرره بينه وبين ابرهيم واسحق ويعقوب ونظر الله على
بني اسرايل وظهر لهم التفسير النفس التي تتالم من الخطيه ٥
وتحس بوجعها وتتنهد من ذلك وتصرخ الى الله طالبه ٥

مثال من النسخة الخطية الخاصة الوجيه احمد باشا تيمور

سفر الخروج (ص ٢ : ١٤ و ٣ : ١-٨) مع التفسير

١٤٥

(٦١)

Photo-Litho. Imp. Cathol. Beyrouth

حيث يقال في الاصل العبراني «فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل واستراح في اليوم السابع» قد جاء في الترجمة السبعينيَّة وفي هذه النسخة العربيَّة «وكمَّل الله في اليوم السادس جميع اعماله واستراح في اليوم السابع» وكذلك (٢:٤) «هذه مبادئ السماوات والارض» كما في العبرانيَّة امَّا في اليونانيَّة ونسختنا الموصوفة فيقال: «هذا كتاب خلقة السماء والارض» — وكذلك في الفصل الخامس حيث ذُكر كم عاش كلٌّ من الآباء قبل توليدهم ابناءهم وبعدهُ فان في الاصل العبراني يُنقَّص عمرهم مئة سنة قبل التوليد ويزاد مئة سنة بعدهُ. فالنسخة اليونانيَّة ومثلها نسختنا تزيد مئة سنة قبل التوليد وتنقصها بعدهُ فيقال مثلًا في الاصل العبراني انَّ آدم عاش ١٣٠ سنة وولد شيثاً وعاش بعد ان ولدهُ ٨٠٠ سنة فالترجمة السبعينيَّة ومثلها نسختنا هذه العربيَّة تذكر على خلاف ذلك انهُ عاش مائتين و ٣٠ سنة فولد شيثاً وعاش بعد ان ولدهُ ٧٠٠ سنة وهلم جرًّا — وكذلك (٧:١٧) قد زادت الترجمة السبعينيَّة ذكر «الليلة» في قولها انَّ مطر الطوفان «كان على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة» وهكذا النسخة العربية التي نحن في صددها بخلاف الاصل العبراني الذي ذكر الأيام دون الليالي — وكذلك ورد في النصّ العبرانيّ (٨:٤) انَّ التابوت «استقرَّ على جبل ارارط في ١٧ من الشهر السابع» فالترجمة اليونانيَّة ونسختنا هذه تزعمان انَّهُ استقرَّ «في ٢٧ من الشهر المذكور» — وكذلك جاء في الفصل الحادي عشر (ع ١١) في العبرانيَّة ان ارفكشاد ولد لهُ شالح امَّا في اليونانيَّة وفي نسختنا العربيَّة هذه انهُ ولد قينان وان قينان ولد شالح. وجاء مثل ذلك في انجيل مار لوقا الذي استند الى الترجمة السبعينية (٣:٢٦). وفي هذه الامثلة كفاية لصحَّة قولنا. على انهُ يوجد على هوامش هذه النسخة روايات تشير الى النص العبراني

ولعلَّ سائلًا يسأل أتكون هذه الترجمة العربيَّة منقولةً عن اليونانيَّة رأساً او بتوسّط الترجمة القبطيَّة التي يتَّفق العلماء على نقلها من الترجمة السبعينيَّة. ليس الجواب على هذا السؤال سهلًا لان نسخ الترجمة القبطيَّة المعروفة الى اليوم ناقصة كثيرة الخلل متعدّدة اللهجات منها باللغة البُحَيريَّة ومنها بالصعيديَّة ومنها بالمنفيَّة. وما لا يُنكر انَّ في هذه النسخة العربيَّة بعض الدقائق التي لا تُرى في السبعينيَّة كقوله مثلًا عن فيسون عند ذكره انهار فردوس عدن (٢:١١): «وهو يحيط ارض اويلاط وهي اقصى

بلاد الهند» فقولهُ «هي اقصى بلاد الهند» لا وجود لهُ بالترجمة السبعينيَّة. وكذلك في رواية هذه النسخة العربية لاسماء الاعلام إختلافٌ مع الاصلين العبرانيّ واليونانيّ فضلًا عن كون كثير منها مهملًا تصعب قراءتُهُ. فمن ذلك ذكرهُ لبني نوح ونسلهم (تكوين ١٠: ١—٣٢) فقال عن بني يافث انهم «حمرا سكير وماعوت ومادا ونوار ونوبل وماسح وتايرس. وبنو حمرا رعد ونوعما وبنو ناران النسا وتارسيس وكاسم وذوونيم» فهذه الاسماء مصحَّفة مختلطة قليلة الوضوح لو نُقطت عُرف بعضها كما في ترجمتنا العربيّة حمرا (جومر) ماعوت (ماجوج) سكير او اسكير (اشكناز) مادا (ماداي) نوار (ياوان) نوبل (توبل) ماسح (ماشك) تايرس (تيراس) وهلمَّ جرًّا. فمن المحتمل انَّ هذه الاسماء منقولة عن نسخة قبطيّة بلفظها النبطيّ. ومثلها (في الفصل ٣٩: ١) اسم فوطيفار فانهُ مرويّ في هذه النسخة «بادبرا» ولعلَّهُ اقرب من القبطيّة والله اعلم

واتمامًا للفائدة نروي هنا بعض مقاطيع من هذه النسخة ليطّلع القرّاء على خواصّها: فهذا قسم من الفصل الثاني من سفر التكوين:

«هذا كتاب خلقة السماء والارض. كلّ خضر الحقل لم تكن اوّلًا على وجه الارض وكلّ عشب الحقل قبل ان يصعد لانَّ الله لم يكن انزل مطرًا على وجه الارض ولم يكن انسان يعمل فيها وكانت عين تصعد من الارض وتسقي كلّ وجه الارض وخلق الله الانسان من تراب اخذهُ من الارض ونفخ في وجهه نسمة الحياة فصار الانسان نفسًا حيّة ونصب الله الفردوس في عدن مقابل الشرق وجعل فيه الانسان الذي خلقهُ. وانبت الله ايضًا من الارض كلّ شجرة حيّة في المنظر وطيّبة المطعم وشجرة الحياة في وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشرّ وكان نهر يخرج من عدن يسقي الفردوس ثمَّ ينقسم من ثمَّ على اربع ارؤس اسم احدهم فيسون وهو يحيط ارض اويلاط وهي اقصى بلاد الهند وهناك يوجد الياقوت الاحمر والحجر الاخضر...»

وهذه نبذة من نبوَّة يعقوب في ولده يهوذا (تكوين ٤٩: ٨—١٢):

«يهوذا لك تسبّح اخوتك يداك على رقاب اعدائك. لك تسجد بنو اسرائيل. شبل الليث يهوذا ابني من النصب يا ابني نجوت وأتكيتَ وغتَّ مثل الاسد ومثل الشبل من شيره (؟). لا يزال القضيب من يهوذا والمسلّط من بين فخذيه حتى يجيء ذلك الذي لهُ وإيّاهُ تنتظر الامم. يربط الى الكرمة جحش اتانهِ يغسل بالخمر لباسهُ وبدم العنب رداءهُ عيناهُ من الخمر متأثرة واسنانهُ بيض مثل اللبن»

ودونك بعض آيات من نبوَّة بلعام (سفر العدد ٢٤: ٥—٩ و١٧—١٩):

« ما احسن مترلك يا يعقوب . ومسكنك يا اسرائيل مثل الاودية الجارية ومثل الكروم على النهر ومثل المسكن الذي نصبهُ الله ومثل العرعر الذي على الماء . يخرج رجلٌ من بيتهِ وذريتهِ بماء كثير يرتفع من اجاج ملك (ملكهُ) ويتعالى ملك الله الذي اخرجكم من مصر بعزّتهِ وعظمتهِ . يأكل الشعوب الذين هم اعداؤهُ ويكسر عظامهم (عظامهم ؟) ويقطع ظهورهم وهو رابض نائم مثل الاسد ومثل شبل الليث فمن يستطيع ان يبعثهُ من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً . . قد رأيتهُ وليس بنأيٍ نظرت اليهِ غير بعيد انهُ يطلع كوكب من يعقوب ويقوم رئيس من اسرائيل ويبيد جبابرة موآب . . . يكون لاسرائيل قوّة ويحبط من يعقوب رئيس فيهلك من كان بقي في القرية »

وهذا مثال من التفاسير التي علّقها الكاتب على اسفار موسى الثلثة الاولى فقط نأخذهُ من تفسيرهِ لبركة يعقوب لابنَي يوسف اي منّسى وافرام قال (ص ١٠٠) :

« لمّا كان يوسف قياساً للمسيح لذلك لمّا علم يعقوب بقدومهِ اليهِ شدّد نفسهُ وهو في شدّة المرض وجلس على السرير واظهر سرّ الصليب في بركتهِ على ابنيهِ لانّهُ صلّب يديهِ وبارك عليهما . كان البكر على يمينهِ والاصغر عن شمالهِ فجعل يمينهُ على الاصغر وشمالهُ على رأس الاكبر . اوضح انّ شريعة الانجيل التي هي الثانية افضل واعظم من شريعة التوراة التي هي الاولى . وحين اراد يوسف ان يبارك ابوهُ على ولديهِ جعلهما سجّدًا لهُ لكي يعلمنا انّنا هكذا يجب ان نتّضع ونسجد لآبائنا ومعلّمينا نلتمس منهم البركة . ولمّا بارك يعقوب على ولدي يوسف باركهما باسم الاله المتجسّد لانهُ دعاهُ الهًا وملكًا في مرّة »

وهذا تفسيرهُ على ما انزلهُ الله من المنّ على شعبهِ وما فرضهُ عليهم من شروط جمعهِ كل يوم (ص ١٤٢) :

« كتاب الله ما هنا يعلم المؤمنين ان يكونوا قنوعين غير مستكثرين وغير شرهين وغير جاهدين على ما يزيد عن كفافهم بل بالقناعة يحصلون لهم كفافهم فقط في يومهم ذاك ولا يحملوا همًّا عن يوم آخر بل يثقوا باهتمام الله بهم في غيرهِ مثله . وامر بني اسرائيل ان يجمعوا كفافهم ليوم واحد فالذين عصوا وجمعوا زائدًا دادَ وتعفّن ولم ينتفعوا بهِ . علمنا بهذا بان الذي يسعى ويتعنّى ما لم يأمرهُ بتعنّيهِ لا يبلغ فيهِ الغرض بل ينالهُ التلاف والفساد والذي يطيع ويحصل كفافهُ فقط فانهُ يبارك لهُ فيهِ وان كان قليلاً جدًّا ويجعلهُ الله كاف (كافيًا) لحاجتهِ »

فمن هذه الامثلة ترى ما لهذه النسخة من عظم الشأن لدرس الاسفار المقدّسة والوقوف على الفروق بينها وبين التراجم الاصليّة فنتمنّى ان يبرزها احد علماء النصارى في مصر بالطبع والله السامع المجيب

مطبوعات شرقية جديدة

René Aigrain: «Pour qu'on lise les Pères», 1re Série «Les Pères Apostoliques», Paris, Bloud et Gay. in-16, pp. XVI-160, 1922

مطالعة تآليف الآباء – الآباء الرسوليون

نعمَ الغاية رمى اليها مؤلف هذا المجموع الذي نشر كتابهُ الاوَّل . فانَّهُ اذ رأى ما تحتويهِ كتب الآباء من الكنوز الدينيَّة والادبية تاهَب غيرةً وقصد تقريبها من الشبيبة ولاسيَّما من المترشحين للكهنوت ليس فقط ليوقفهم على آثارها القديمة رغبةً في تجديد العتيق بل ليطلعهم ايضاً على مضامينها الاعتقاديَّة الموافقة تماماً لتعاليم الكنيسة الرومانيَّة ومعتقداتها في عهدنا ليتأصل في القلوب روح الايمان . وهذا الكتاب الاوَّل يشتمل على اقدم آثار النصرانية ككتاب تعليم الرسل (Didaché) المكتشف حديثاً والراقي الى نحو السنة ٨٠ للمسيح اعني قبل تأليف مار يوحنَّا الرسول لانجيلهِ . وكرسالة القديس اقليمس تلميذ بطرس الرسول الى اهل قورنتية نحو السنة ٩٥ م وكرسالة القديس اغناطيوس الى الرومانيين نحو السنة ١٠٧ ورسالة اكليروس ازمير في وصف استشهاد القديس بوليكربس اسقفهم نحو السنة ١٥٥ م فهذه الآثار التي نشرها المؤلف جليلة الفائدة وقد ادمج بين مقاطعها عدَّة تفاسير تكشف عن اسرارها ولعلَّهُ كان احسنَ لو قدَّمها على كلّ أثر لئلَّا تتقطَّع فصولها . وعلى كلّ حال ما لنا الَّا ان نشكر المؤلف على عملهِ ونتمنَّى ان يواصلهُ بكتب اخرى من اعمال الآباء الاوَّلين سواء سبقوا المجمع النيقوي (سنة ٣٢٥) ام ازهروا بعدهُ الاب ي . ديلنسيغر

P. H. Lammens s. j.: La cité arabe de Ṭâif à la veille de l'Hégire (Mélanges de l'Université St Joseph. t. VIII, fasc. 4), Beyrouth, 1922, in-4 (p. 11[illegible]-321)

مدينة الطائف قبيل الهجرة

ليست في تاريخ اوائل الاسلام مدينة لعبت بعد مكَّة دوراً مهمَّاً كمدينة الطائف

المجاورة لامّ القرى والمعدودة كمصيف اهلها . فهذا ما حدا بحضرة الاب هنري لامنس بعد تأليفه السابق عن احوال الحجاز عهد الاسلام ان يوجه نظره الى الطائف فيستقري كلّ اوصافها من حيث موقعها في الجبال وطيب هوائها ووفرة حدائقها واثمارها وطباع اهلها ذوي العقول الثاقبة وتقدّمهم في التجارة والصناعة فلم يزالوا يترصّدون الفرص لتنفيذ كلمتهم اوّلاً بتقرّبهم من مكّة واهلها بالاقترانات الزواجية ثمّ بخدمهم المتعدّدة لذوي الامر وخصوصاً لأسرة بني امية حيث اصبحوا من اصدق دعاتها وساعدوها المساعدة الحقّة في توحيد كلمة الاسلام بعد تضعضع القبائل عند وفاة نبي المسلمين بالردّة ثمّ بعد الفتن المتعدّدة التي حصلت في عهد الخلفاء الراشدين فكان لهم الفضل الكبير في توثيق روابط الاسلام بين نواحي الجزيرة ومركز الدولة في دمشق . ومن يسرح النظر في هذا الكتاب يأخذه العجب مما تكلّفه صاحبه من الاتعاب لوضعه فانّه راجع لتأليفه من المطبوعات والمخطوطات ما يوازي مكتبة جامعة لألوف من المصنفات كما يظهر ذلك باسانيد الكتاب المثبتة في ذيل كل صفحة من صفحاته . جازاه الله كلّ خير ل . ش

DIE SCHATZHOHLE, Uberliefrung und Quellen von Albrecht Gotze. *Heidelberg*, 1922. *in*-S. *pp.* 92 = AKKADISCH - HETHITISCHES von Albrecht Gotze

كتاب مغارة الكنوز : نظرٌ في اصوله وما ورد في التقليد عنهُ

كتاب مغارة الكنوز من الكتب المصنوعة القديمة نُسب زوراً الى القديس افرام . وكان المرحوم الدكتور بثسولد احد علماء هيدلبرغ في المانية سعى بطبعه في السريانية والعربية سنة ١٨٨٣ وعلّق عليه الحواشي بعد ان صدّر عليه مقدّمة واسعة . مذ ذاك الحين كثر الكلام في هذا الكتاب واصله وفصوله مع ما يحتويه من الروايات الفرّية منذ خروج آدم وحوّا من الفردوس ومقامهما في مغارة تدعى مغارة الكنوز وذكر ما جرى فيها لهما هناك ولنسلهما من بعدهما الى ظهور السيّد المسيح . وفيه مختصر اخبار بني اسرائيل مختلطة بعدّة مرويّات خياليّة . ومن هذا الكتاب نسخة خطّية سريانية في مكتبتنا الشرقية . فقام الدكتور البرخت غوتس واعاد النظر في الكتاب وراجع ما وجده من النسخ الجديدة وفحص انتقادات العلماء عنهُ فدوّن

ملحوظاته في هـذا التأليف الجديد وسعى في تبيان اصوله وزمن وضعه ومصادر رواياته . وقد اتصل الى ان يبيّن ان الكتاب ليس هو من مصنفات القديس افرام ولا من تآليف تلاميذه او من وضع احد اليعاقبة بعدهم بل انهُ لاحد الكتبة الناطرة فاجاد بادلّته — وقد اضاف الدكتور غوتس الى هديّته هذه كرّاساً نشر فيه أحد الآثار في اللغة الحثّية مما وُجد في حفريّات بوغازكوي . وهذا الاثر تصحبهُ ترجمتهُ في اللغة العقّاديّة وبها امكن حلّ بعض اسرار اللغة الحثّية المجهولة حتى اليوم . فروى الدكتور غوتس هذين النصّين بالحروف الاوربية والحقهما بالترجمة الالمانية فعسى شغلهُ هذا يقرّب عمّا قليل فكّ اسرار اللغة الحثّية التي يُنتظَر من معرفتها فوائد تاريخيّة جمّة لتاريخ الشرق عموماً ولسوريّة خصوصاً ل . ش

Ludovic - H. Grondijs : La guerre en Russie et en Sibérie. Paris, éditions Bossand, 1922, in-8 pp. XI-574 avec 64 Photogr. et 10 Cartes

الحرب في روسيّة وسيبرية

هذا الكتاب لشاهد عياني هولندي انتدبهُ صحافيُّو فرنسة وانكلترة واميركة ليرافق الجيوش المسكوبيّة المحاربة في روسيّة وسيبريّة بعد ان رافقها في اوّل الحرب لردّ غارات الالمان والنمسويين فكان من جملة ضبّاط كورنيلوف وحارب في مواقع نهر «دون» الشهيرة ثمّ رافق كولتشاك والجيوش اليابانية لمناهضة الحركة البولشفيّة في سيبريّة . فها قد دوّن كلّ مذكّراته في هذا الكتاب النفيس متجنّباً على قدر امكانه عن كلّ ما يشير بمجاملة شخصيّة او مراعاة خواطر . فيتتبّع كلّ ما جرى من التقلّبات في احوال روسيّة على عهد القيصر ثمّ في عهد التوضى البولشفيّة مثبتاً لاسبابها وظروفها ومفعولاتها . وقد افاد خصوصاً بوصفه للحرب السيبريّة وقد صرّح هناك ببراءة الاميرال كولتشاك ودافع عن شرفه تفنيداً لما قيل في حقّه . وكذلك ابدى رأيهُ في الجيوش البولشفيّة التي عاينها فيثبت انها مجرّدة عن المزايا الكريمة بعيدة عن روح الوطنيّة التي امتازت بها الجيوش الفرنسويّة في ايّام الثورة الكبيرة وانّما قوّتها بما تنشرهُ من النشرات المهيّجة في كلّ انحاء المعمور . وخلاصة القول ان هذا الكتاب من امتع الكتب في تعريف بعض امور زماننا الحاضر فضلاً عن وفرة تصاويره الشمسيّة وخوارطه المتقنة ل . ش

Lothrop Stoddard : LE NOUVEAU MONDE DE L'ISLAM, traduit de l'anglais pur Abel Doysié. *Un vol. in-8°, Payot, Paris.* 1921, *pp.* 323, *avec Carte. Prix.* 10 *f*[rs].

العالم الاسلامي الجديد

اسم هذا الكتاب مطابق لمسمّاهُ . فان المؤلف احاط علماً بالعالم الاسلامي الجديد الساعي بجمع كلمته فوصف نهضتهُ الحديثة ووجوهها المختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً مع بيان حركة المسلمين القوميّة في بلادهم وعلاقاتها مع الثورة البولشفيّة . وقد درس اصول هذه النهضة بنفوذ التعاليم الاشتراكيّة الغربيّة بين المسلمين وتأثّرهم من حوادث الحرب اليابانيّة الروسيّة وحروب مراكش وطرابلس الغرب والبلقان . وأحسن خصوصاً (ص ٨٤ وما بعدها) بوصف تقلّب العوامل الاقتصاديّة الغربيّة على العالم الاسلامي فدفعت المحدّثين الى توثيق عُرى عناصرهم كما أثّرت في العصبيّة التركيّة وفرعَيها الطورانيّة والكماليّة (ص ١٧٤) — ومع انّ صاحب هذا الكتاب ليس من المستشرقين لم تفتهُ المعرفة الصادقة لاحوال الشرق وأيد آراءهُ بنصوص احكم نُخبتها من اوثق المصادر وادقّها نظراً فتمكّن بها من الاحاطة بموضوعه واقناع قرّائه . على انهُ حاد عن سواء السبيل في بعض مزاعمه كقوله مثلاً (ص ٣٥) انّ الوهابيين « انزلوا على الحضيض تابوت النبيّ المعلّق في جامع المدينة» وكحكمه في خمول الدين النصرانيّ في مملكة الروم وفي الهوّس المذهبي بين قبائل العرب(ص١٠)وكنسبته الى الامير فيصل مزايا عسكريّة ذات شأن (ص٢٠٠) وقد خلط (ص ١٩٨) بين حيفا ويافا . ومما اقرّ به (ص٢٧٨) نموّ عدد المسلمين في البلاد الواقعة تحت حكم الاوربيين على خلاف ما ارتأتهُ السيّد كرد علي ٥٠ لامنس

Angora, Constantinople, Londres : MOUSTAPHA KÉMAL PACHA ET LA POLITIQUE ANGLAISE EN ORIENT par Mme Berthe Georges-Gaulis. *Un Vol. in-4, Paris, Librairie Armand Colin, Prix* 8 *f*[rs]

انقرة والاستانة ولندرة — مصطفى كمال باشا والسياسة الانكليزيّة

السيدة الفرنسويّة برتا جورج غولي سائحة مولعة بالشرق ولاسيما بالاتراك فانها في السنتين ١٩٢٠—١٩٢١ رحلت ثلث مرّات الى انقرة واجتمعت بمصطفى كمال فخلب عقلها بنخوته الوطنيّة وبسالته في مدافعته عن تركيّة لبنيانها الاستقلال فجاهد في

سبيل غايته واصاب فوق ما كان يؤمله الّا انّ مطامعهُ الآن قد بلغت درجةً سدّت في وجهه منافذ الرقيّ والعمران. على انّ السيدة برتا أسبلت سترًا على نقائص مصطفى كمال وعلى مساوئ جيوشه في الاناضول التي اعلن بها الوفٌ من شهود العيان. فاصبحت تلك البلاد بخرقهم وفظاظتهم لا يستطيع النصارى ان يجدوا فيها مأوى ولا امناً لحياتهم وكم الوف والوف اضحوا ضحايا همجيّتهم او اضطرّوا ان يهاجروا اوطانهم. ارشد الله المتطرّفين الى سواء السبيل ل. ش

Omar Kiazim: ANGORA ET BERLIN : Le complot Germano-Kémaliste contre le traité de Versailles, *Paris. l'Edition universelle*. 1922, *in*-16, *pp.* 174, *Prix* 7*f*. 50

انقرة وبرلين–اتفاق الالمان والكماليين لمناقضة معاهدة فرسايل

هذا الكتاب على طرفي نقيض من الكتاب السابق فانّ احد الكتبة المسلمين المعادين للحركة الكماليّة واسمهُ عمر كازم اتّسع في وصف الثورة الكماليّة وما انتجتهُ من الاضرار الجمّة للعنصر التركيّ المعتدل فضلًا عن رعايا الاتراك غير المسلمين الذين لم يروا الّا الفرار من وجه الكماليين بعد ما حلّ باخوتهم من ضروب العذابات واذاقوهم من الوان الموت. ومما اثبتهُ هناك انّ الحركة الكماليّة يثيرها الالمان فهم الذين يسندونهم بضبّاطهم وجنودهم وعُدَدهم الحربيّة انتقاماً من الحلفاء الذين كسروا شوكتهم في الحرب الاخيرة. وقد نشر اثباتاً لرأيه عدّة كتابات سرّيّة وقف عليها بين انقرة وبرلين. فما للحلفاء الّا ان يتصدّوا لهذه المساعي ويسيروا يدًا بيد فيبطلوا تلك المكيدة المعرّضة للعالم على حرب جديدة اشدّ واقبح من الحرب الاخيرة ل. ش

J. Fouques Duparc : LA PROTECTION DES MINORITÉS DE RACE, DE LANGUE ET DE RELIGION, étude de droit des Gens. *Paris, librairie Dalloz. un Vol in*-8, 1922. *pp. IV*-369. *Prix* 25 *f*.

حماية الاقليّات المختلفة العناصر واللغات والاديان

ليست هذه الحمايات الثلث كلّها حديثة في المعاهدات الدوليّة فانّ حماية الاديان تكرّر فيها الكلام في المعاهدات القديمة لاسيما بين فرنسة وتركيّة. امّا الحمايتان الأخريان اي حماية الشعوب المختلفة العناصر واللغات فان ذكرهما حديث ورد لاوّل

مرّةٍ في المعاهدات المتعدّدة التي عُقدت بعد الحرب. وكان الداعي لذلك خصوصاً ما نشرهُ رئيس الولايات المتحدة من المبادي الملتبسة حيث قال: يحقّ لكل شعب ذي عنصر ولغة مختلفين ان يتولّى الحكم على ذويهِ — فهذهِ مسألة كثيرة الشُعَب لا بُدَّ من عرضها على محكّ الانتقاد نظريًا وعمليًا اي تاريخيًا وذلك ما قصدهُ صاحب هذا التأليف المشع وهو من علماء الحقوق من قرابة قنصل فرنسة سابقاً في بيروت. والحقّ يقال أنّهُ فحص هذين المطلبين فحصاً مدقّقاً واستقرى بُنيّات طرقهما وبحث عن الوسائل لتحقيق رغائب تلك الاقليّات بنزاهة واعتدال ثمَّ تخطّى الى ما جرى تاريخيًا من ذلك بعد معاهدة الصلح في النمسة والبلقان وروسيّة وما تطلبهُ الاقليّات في تركيّة كالارمن والاشوريين الكلدان والاكراد ومقاومة الاتراك لاستقلالهم. وعلى كل حال بيّن ما يجب على جماعة الامم من اتخاذ الاحتياطات ليصونوا حقوق تلك الاقليّات ويضمنوا أمنهم ان لم يستطيعوا ان ينالوا لهم استقلالًا تامًا. نوصي بمطالعة هذا الكتاب كل من يبحثون في هذه الامور الحيويّة فانّهم يقفون على مشاكلها وحلّ عُقدها

ج. لوتنك.

كتاب سرّ النجاح

لصموئيل صميلز الانكليزي تعريب يعقوب افندي صرّوف

طبعة رابعة بمطبعة المقتطف في القاهرة سنة ١٩٢٢ (ص ٣٣٦)

قد راج هذا الكتاب في العموم رواجاً عظيماً حتى بلغ اليوم طبعتهُ الرابعة وفي ذلك شاهد باهر على ان الشرق المعروف سابقاً بجموده انبعث للنشاط والعمل منذ نفخ فيهِ الغرب روحهُ الناهضة. ولا غرو فانَّ في فصول هذا التأليف ما من شأنهِ ان يحرّك في القلوب الرغبة في الرقي والنجاح ولاسيما اذ يرى القارئ كثيرين ممَّن تقدَّموهُ فازوا بما رغبوا من امانيهم بعزمهم ومزاولتهم وثباتهم فاصبحوا في رأس المجتمع الانساني بعد ان كانوا في ذنبهِ واسفل طبقاتهِ. فما احرى هذا الكتاب بالرواج والانتشار

ل. ش

كتاب الامراض التناسليّة وعلاجها وطرق الوقاية منها

تأليف الدكتور فخري

في المطبعة العصريّة بمصر سنة ١٩٢٢ (ص ٢٢٢)

من آفات التمدُّن العصري انتشار امراض كان اسلافنا يكادون يجهلونها وما ذلك الّا ثمرة التهتُّك والخلاعة باصنافها التي تراها تسري في مدننا سريان السيل الجارف في البطاح . واخصُّ هذه الامراض ما يفتك باغرار الشبيبة لاستسلامهم للعهارة . فهذا كتاب وضعهُ جناب الدكتور فخري لوصف تلك الامراض الناجمة عن تلك العادات السيّئة وهو بالاطباء احرى منهُ بالعموم الذي هو في غنى عن تلك الاوصاف العلميّة الواسعة وفي حاجة ماسّة الى العيشة الصالحة والتربية الفاضلة المبنيّة على حقائق الدين وزواجر الآخرة والمثابرة على الاسرار . نعم انَّ جناب الدكتور قد ذكر ذلك بين طرق الوقاية (ص ٣٠٩) الّا أنّنا نعدُّهُ اكفلَ واسطةٍ لردع الشهوات الباطلة وحفظ الطهارة المقدَّسة . ونحن ارباب المدارس الكاثوليكية نختبر ذلك كلَّ يوم في الناشئة التي تحت تدبيرنا فانّنا لا نحتاج الّا نادرًا الى ذكر تلك الامراض المستقبحة ومفاعيلها السيّئة اذ نطبع في قلوب الطلبة خوف الله ونحبّب اليهم الطهارة المسيحيّة ل . ش

كتاب شمس المغنّى

الجزء الثالث : تأليف اسعد وجرجي الخوري لويس فرح الافغالي

طُبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٢ (ص ١٣٦)

ابدينا رأينا غير مرّة في المنظومات العاميّة عموماً ومصنَّفات خليل افندي سمعان الافغالي خصوصاً نبيّنا ما فيها من الفكاهات الادبيّة والمحاورات الهزليّة والقصائد الحكميّة في معرض اللغة العاميّة . واستحسنّا طريقتهُ في بيان ما تحتويهِ اللهجة الشائعة في لبنان من الرشاقة ولم نأخذ عليهِ سوى انتحالهِ المواضيع المبتذلة بدلًا من المواد النفيسة من ادب وتاريخ واخلاق اجتماعيّة فيُظهِر غنى اللهجة العاميّة وصلاحيّتها لضروب المعاني مع ما فيها من الانسجام والطبيعيّة . وكأنَّ حضرتهُ بعد ان رقّي درجة

الكهنوت ودُعي الخوري لويس فرح اراد ان يحقق آمالنا في هذا الجزء الثالث الذي سعى في طبعهِ ولداهُ الكريمان اسعد وجرجي واختهما الانيسة هيفا ورثوا كلهم فن الترادي اللطيف من والدهم فآزروهُ بأقوالهِ ومن اشبه اباهُ لم يظلم . وقد سُررنا خصوصاً بتاريخ الحرب الكونيَّة التي نظم حضرة الخوري حوادثها في ٧٣ صفحة جمع فيها ضروب المحاسن في ابلغ لغة العوام . وليس الباقي لهُ ولاولادهِ اقلَّ حسناً ورشاقةً . وقد اختصروا وصف الكتاب بالابيات التالية :

كتاب شمس الفنّه فيه الافتتاحيّه
تتضمَّن اصدق تاريخ لسَيْر الحرب الكونيّه
تتضمَّن احسن تضمين جور حروب الخمس سنين
وسيرة كلّ المشوقين دغري مثل ماهيّه
في صفحات هذا الكتابْ محاورات خطاب وجوابْ
بين بيّ وجملة اصحاب وبيني وبين اخي وخيّي
اقرا وكن قرير العين وامنط ضحكه طول شهرين
انكنَّك ما بتضحك ستين بعطيك ليره مصريّه

ظلمات واشعَّة

بقلم «ميّ» نشرتهُ مجلّة «الهلال»

طُبع في مطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٣٣ (ص ١٥٧)

سُرَّ لبنان الكبير في الصيف الماضي بمشاهدة احدى اوانسهِ التي عشقها باثارها قبل ان يمتّع بها نظرهُ ويحضر خطبها البليغة . وقد اراد ادباؤهُ على اختلاف نزعاتهم واديانهم ان يرحّبوا بالوافدة الكريمة «مريم زياده» ويتقدّموا لها شاهداً حيًّا على حبّهم واعتبارهم لشخصها وتهنئتهم لاهلها المكتنفين بها . وهذه «ظلمات واشعَّة» ابرزتها مؤخرًا تُعلن بها على ما في اطوار الحياة من الشوك والورد ومن الحزن والفرح فسواء وصفتْ وقفتها على قمم الجبال او على متن البحار او في مراقص السرور او مقابر المرتى تكسو قلمها بثوبٍ قشيب من النثر اللطيف يحييهِ نفَسٌ شعري . فهي «ميّ» تستضيء دائماً بأشعَّة النور السامي ولاتدركها الظلمات الكاسفة لبهاء وجدانها ل . ش

هدايا أرسلت الى المشرق

١ً منشور بطريركي لنبطة مار الياس بطرس الحاريك بطريرك انطاكية وسائر المشرق في التعبُّد لسيّدتنا مريم العذراء في المطبعة الكاثوليكيّة ببيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٣٧)

٢ً الفضيلة والعمل. قصيدة مرفوعة الى غبطتونسبة بويلهِ الذهبيّ في خدمة البطريركيّة ويوبيلهِ الفضي لارتقائهِ الى السدّة البطريركيّة بقلم سيادة البرديرط بطرس حبيقة سنة ١٩٢٣

٣ً صوت الحقّ . هو العدد الاوّل من مجلّة دينيّة تاريخيّة علميّة ادبيّة عمرانيّة لصاحب امتيازها الارشمندريت برنردس غصن. فنرحّب بالرصيفة العزيزة . في مطبعة الاحوال ص ٤٨ بدل اشتراكها ليرتان سوريّتان للوطن وليرة مصريّة للخارج

٤ً منهج الدراسة الابتدائيّة لمدارس الحكومة المراقبة يحتوي برنامج الدروس لصفوف مدارسها الست الاولى من تعليم ديني ولغوي وادبي وعلمي. طبع في المطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة في بغداد سنة ١٩٢٢ (ص ١٣٢)

٥ً العَلَم . جريدة لبنانيّة اسبوعيّة صاحبها ومديرها ميشال افندي يوسف الحايك تُطبع في بيت شباب اشتراكها السنوي في سوريّة ٢٥٠ غ س وفي الخارج ٦٠ فرنكاً

شذرات

﴿ قارون وكريزوس في مجلّة الهلال ﴾ زعمت مجلّة الهلال في الجزء الاوّل من سنتها الحادية والثلثين (ص ٩١) انّ قارون الذي يُضرب بهِ المثل عند العرب في الغنى هو احد ملوك مملكة ليديا في آسية الصغرى في القرن الخامس (لا بل السادس) قبل المسيح. على انّ ملك ليديا لا يُدعى «قارون» كما روى صاحب الهلال وانّما اسمهُ كريزوس (Crésus) وقد عُرف بثروتهِ العجيبة . اما «قارون» العرب فهو المذكور غير مرّة في القرآن في سورة القصص (٢٨: ٧٦و٧٩) وفي سورة العنكبوت (٢٩: ٣٨) وفي سورة المؤمن (٤٠: ٢٥) وفي كلّ هذه النصوص يُدعى قارون من قوم موسى الكليم. قال في سورة القصص «انّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهُ من الكنوز ما انّ مفاتيحهُ لتَنُوء بالعُصبة أولي القوّة». واسم قارون في التوراة في سفر العدد (ف ٢٦) «قورَح» وهو الذي عصى على موسى فساخت بهِ الارض مع

عصبتهِ . على انَّ التوراة لا تذكر شيئاً من ثروتهِ . امَّا التلمود اليهوديّ فانَّهُ يصرّح بوفرة مالهِ ويذكره بذات عبارة القرآن ويزعم انَّ مفاتيح كنوزهِ كانت حمل ٣٠٠ بغل . فمن هذا يتَّضح غلط مجلّة الهلال التي وحّدت بين كريزوس وقارون وبينهما تسعة قرون

﴿ ملحق بديوان الحارث بن الحلّزة ﴾ كنَّا وقفنا للحارث بن الحلّزة على ابيات نونيَّة ذكرها الخفاجي في طراز المجالس (ص ١٤٢) ثمَّ روى بيتها الاخير في محلّ آخر منسوباً الى عمرو بن الحلّزة اخي الحارث . والابيات ستَّة هناك . وعثرنا على ما هو اوسع من ذلك في الحماسة البصريَّة فانَّ في نسختنا المخطوطة (٢ : ٢٧٦—٢٧٧) يُروى لعمرو بن الحلّزة ستَّة عشر بيتاً احببنا نشرها تتمَّة للفائدة . (قال) قال عمرو بن حلّزة اخو الحارث بن حلّزة اليشكري (من الرمل) :

لم يكن الّا الـذي كان يكونُ ... وخطوبُ الـدهر بالناس فنونُ
ربَّما قرَّت عيونٌ بشجاً ... بمرضٍ (١ قد سخنَت منهُ عيونُ
هوِّنِ الامرَ تعِشْ في راحةٍ ... قلَّما هوَّنتَ الّا سيهونُ
لا يكونُ الامرُ سهلاً كلُّهُ ... انَّما الامرُ سهولٌ وحزونُ
يلعب الناسُ على أقدارهم (٢ ... ورحى الأيام للناسِ طحونُ
أمِنَ (٣ الأيامَ مُغترٌّ بها ... ما رأينا قطُّ يوماً (٤ لا يخونُ
والملمَّاتُ فما أعجبَها ... للملمَّاتِ ظهورٌ وبطونُ
تطلبُ الراحةُ في دار العنا ... خاب من يطلبُ شيئاً لا يكونُ
ليس كلُّ الظنِّ يخلو عن هُدًى ... ربَّما حيَّرتِ الناسَ الظنونُ
وتُقى المرء لهُ واقيةٌ ... مثلما واقيةُ العينِ الجفونُ

١) ويروى : بمرضٍ ٢) ويروى : غرائم ٣) ويروى : يأمن
٤) ويروى : دهراً

انّما الانسان صَفْقٌ وقذًى ويواري نفسهُ بيضٌ وجُونُ
لا تكن شأنَ امرئٍ محتقرًا ربّما كان من الشأنِ الشؤونُ
درَجُ الخلقِ فضولٌ بينهمْ كلُّ شيءٍ فلهُ فوقٌ ودونُ
سائلِ الأيّامَ عن أملاكها ايُّ خلقٍ قُطعت عنهُ المنونُ
وكذاكَ الدهرُ في تصريفهِ ربّما يصعبُ للدَّرّ اللَّبُونُ
يا مُشيدَ الحصن يرجو نَفعَهُ قُلْ لي ما يُغني من الموتِ الحصونُ
سَيَحولُ المرءُ عن صورتهِ وسيبلى منهُ ما كان مصونُ

﴿ طوابع البريد ونوادرها ﴾ نشر جناب ميشال افندي سماحة في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٧١٩—٧٦١) مقالة مطوّلة في طوابع البريد وتاريخها واشكالها واسواقها . وكان هوَسُ جامعيها قد خمد نوعاً بعد ذلك لكنّهُ عاد الى غلوائهِ بعد الحرب فبيع طابعٌ من جزيرة موريس بقيمة ١١٦،٩٦٣ فرنكاً ثم بيع آخر من جزيرة هاواي بـ ١٥٦،٠٠٠ ف وفي السنة المنصرمة بيع طابع من طوابع غوايانة الفرنسويّة اوّلاً بخمسين الف فرنك ثم بلغ ٧٥،٠٠٠ ثم ١٠٠،٠٠٠ الى ان اقتناهُ احد الانكليز بسعر ٣٠٠،٠٠٠ . واكبر مجموع من الطوابع المذكورة كان باشر بهِ الالماني فيليب فون فرّاري سنة ١٨٧٢ وقع بعد الحرب في ملك فرنسة

﴿ اصل العرس الفضّي ﴾ معلوم انّ العرس الفضي ما يحتفل بهِ الزوجان بعد مرور ربع قرن على زواجهما . ثمّ توسّعوا فيهِ فاحتفلوا بذكر مواسم مختلفة مرَّ عليها ٢٥ سنة . امّا اصل هذه العادة فقد ورد في سجلّات دير كلوني في فرنسة حيث رُوي عن ملك فرنسة هوغ كابه الذي ملك في اواخر القرن العاشر للميلاد انهُ خرج يوماً لمراقبة وراثة احد اعمامهِ فوجد بين الذين خدموهُ رجلاً فلّاحاً تفانى في خدمة سيّدهِ واحسن في كلّ ما دُفع اليهِ من الاشغال فاتمّها بامانة وضبط عجيبين . ثمّ وجد امرأةً مثلهُ اطرأ عليها الجميع في تتمّة كل امور سيدها وكلاهما اعزب فدعاهما الملك واثنى عليهما ثمّ قال للمرأة : لستُ ارى لمجازاتك بعد خدمتك الطويلة جزاء افضل من ان اتحفكِ بباشتهِ وزوج يليقان بكِ فالباشتة قطعة ارضٍ واسعة مخصبة في محلّ

كذا والزوج هذا الذي يشبهك نشاطاً وامانة . فقال الفلّاح : سيدي ايليق بنا الزواج وقد شاب شعرنا كلينا ؟ قال الملك : فليكن اذن هذا العرس «عرسكما الفضي» وها هوذا خاتم الزواج (مروية عن تقويم البلّران (Almanach du Pèlerin, 1923, p. 110)

﴿رسالة من كولومبية﴾ كتبها احد مراسلي البشير . وقد وصف فيها جنادل كنداما وهي احدى الشلّالات الشهيرة في اميركة الجنوبيّة موقعها على مسافة نحو عشرين كيلومتراً من مدينة بوغوتا . تهبط عن علوّ ١٦٢ متراً بدويّ عظيم ولا تصل مياهها الى الحضيض حتى تراها منتشرة على شبه الندى ويكتنف بها بخار كأنّهُ الضباب . ولكولمبية تسع مقاطعات اوّلها باناما حاضرتها باسمها . والمقاطعة الثالثة تسمّى انطاكية وحاضرتها مَدلّين . وقد طلب منّا جناب الدكتور زولاتا ما اصل هذا الاسم الشرقي في تلك البلاد القاصية فبحثنا عن ذلك في كتب الجغرافية التي لدينا فلم نجد لذلك ذكرًا . ومن المحتمل انّها دُعيت باسم انطاكية تنويهاً بذكر احدى مدن الشرق العامرة كما دُعيت مدن كثيرة في شمالي اميركة وجنوبيها باسماء شرقيّة كالاسكندريّة وغيرها

﴿نبذة في نصارى بني ثعلب بعد الاسلام﴾ ورد في كتاب المصباح المرشد الى الفلاح ليحيى بن حرير التكريتي الذي ذكرناهُ في مقالة المخطوطات العربيّة الكتبة النصرانيّة ما نصّهُ في الفصل الرابع والخمسين (ص ٦٦٢ من نسختنا الخطّيّة :

«من النصارى من لا يجيز تقديس القربان خارجاً عن المذبح ومنهم من اجاز ذلك . . وقد كان في العرب نصارى كبني ثعلب وقوم من اليمن وغيرهم يطوف معهم سقف في الحُمُل في سفرهم وينقل المذبح اعني الدفّة المقدّسة من موضع الى موضع . وفي السنة ثلاثة للعرب (٩١٢م) وصل الى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ديرة ليسكنوا بها وكان منهم رجل دَيّن حسن الطريقة فقلّدهُ مطران تكريت الاستقيّة وكان يقدّس لهم على الانجيل . وكثير من الروم الى الآن يسافرون ومعهم مذابح مقدّسة يقدّسون عليها وفيهم من الترك وهم الذواكب يسافرون في خركاهات والمذبح معهم . . .»

أسئلة وأجوبة

س سأل احد شمامسة السريان من هو يشوع بن جوزدق مثال السيّد المسيح المذكور في كتاب الطقوس السريانيّة يوم خميس الاسرار اللابس ثوباً دنساً ثمّ أبدل ثوبهُ بثوبٍ فاخر؟

يشوع بن جوزدق

ج كان يشوع هذا كبير احبار اليهود بعد رجوعهم من جلاء بابل سعى مع زروبابل في عهد كورش الملك باصلاح اورشليم وبناء الهيكل الذي احرقهُ نبوكدنصّر فاعاد تقدمة الذبائح والمحرقات وقام في وجهِ اعداء اسرائيل . والكتاب المقدّس يعتبرهُ كمثال للسيد المسيح في آلامهِ وقيامتهِ وقد رآهُ حزقيال النبيّ مرتدياً بثيابٍ وسخة فامر ملاك الربّ بان تُبدل بثياب فاخرة اشارةً الى ذبيحة الصليب . ورد ذلك في سفر حزقيال الفصل الثالث وفيهِ نبوّة عن مجيء المسيح

س وسأل احد الكهنة متى اتخذ الموارنة في التقديس الخبز الفطير بدلاً من الخمير؟

الفطير عند الموارنة

ج استعمال الموارنة للخمير قديماً كبقيّة الكنائس السريانيّة امرٌ مقرَّر . امّا استبدالهُ بالفطير فلم يحصل الّا تدريجاً لاسيما بعد دخول الصليبيين في سواحل الشام ولبنان . ولم يبطل تماماً استعمال الخمير فانَّ قضّاد الكرسي الرسوليّ في القرن السادس عشر وجدوا استعمال الخمير في بعض انحاء لبنان بين الموارنة . ثمَّ عمَّ استعمال الفطير

س سأل مستفيد اعرف المحافل الماسونيّة في بيروت واسماء رؤسائها؟

المحافل الماسونيّة في بيروت

ج نعرف منها ثمانية : ١ً محفل لبنان وهو اقدمها أُنشئ السنة ١٨٦٠ رئيسهُ الاسرائيلي دانا . ٢ً محفل السلام من الطقس الاسكتلنديّ رئيسهُ الدكتور عفيش . ٣ً محفل صنين من الطقس الاسكتلندي ايضاً رئيسهُ فارس مشرق . ٤ً محفل الحكمة رئيسهُ حبيب الرياشي . ٥ً محفل فينيقية كان رئيسهُ احمد نامي بك . ٦ً محفل الثبات وهو المسمّى سابقاً محفل بيروت رئيسهُ مخزومي باشا . ٧ً محفل الاتحاد انشأه جميل بيهم في اواخر السنة ١٩٢١ . ٨ً محفل الرشيد لاحق بالمحافل المصريّة رئيسهُ حسن اسير

ل . ش

المشرق

الصليب قوّة الله

نظر لاهوتي اجتماعي صناعيّ للاب لويس شيخو اليسوعي

ليس هذا العنوان لنا بل للاهوتي المصطفى ورسول الامم بولس الالهيّ فانهُ في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (١ : ٢٣—٢٤) أعلن بدون خجل قائلاً : « اننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً شكًّا لليهود وجهالةً للامم امّا للمدعوّين من اليهود واليونانيين فهو قوّة الله وحكمتهُ ». ولعمري انّ لفي هذا القول سرًّا لا يستطيع ادراكهُ من يرى الامور في نظر البشر ولم يَستنر بنور الوحي وبحقائق الدين فيصدق قولهُ تعالى في اشعيا (٥٥ : ٨) : « كما علتْ السماوات عن الارض كذلك طُرقي علت عن طُرقكم وافكاري عن افكاركم ».

فبمناسبة وقوع جمعة الآلام في اواخر هذا الشهر احببنا ان نبحث عن هذا السرّ ونتحقّق كيف جعل الله في الصليب قوّتهُ مذ قدّسهُ ابنهُ الالهي بالامهِ وموتهِ كما يُشرّف العَلَم بعد رجوعهِ من ساحة الوغى ظافراً ممجّداً وإن مزّقتهُ قذائفُ العدوّ وتشوّه بدماء ناشريهِ

١ الصليب في نظر اللاهوتي

يرى اللاهوتي في نظرهِ للصليب ما يدلّهُ على عنايةٍ خاصّة في اختيارهِ تعالى لهُ كآلة استشهاد ابنهِ الوحيد خُلق الانسان منتصباً سويًّا على خلاف بقيّة الحيوانات ليجرّد نظرهُ عن الارض ويرفعهُ الى السماء فكأنهُ جذرُ الصليب المرتكز على الحضيض

وقد ركّب تعالى على جانبيهِ ذراعين يمدُّهما لابراز اجلّ عواطف نفسهِ من حنان واستعطاف ودعاء فكانهما عضادتا الصليب في تمام هيئتهِ

على انّهُ تعالى الذي أبدع هيئة الانسان على شكل الصليب وفّر في الطبيعة صورتهُ العجيبة فان في النبات طائفةً تُعرف بالصليبيّة (Crucifères) وفي السماء ابراج تمثل الصليب فدُعيت بهِ كالصليب الشمالي والصليب الجنوبيّ . ومن امعن النظر في مشاهد الطبيعة لا يكاد يخطو خطوةً الّا يجد للصليب صورةً

ومع توفير تلك الصورة سبق الله جلّ وعزّ وأعلن سلفاً ما يعدّ للصليب من الاكرام . افتح الاسفار المنزلة ترَ الشواهد على ما نقول . جاء في سفر الخروج (١٧ : ١٠—١٣) عن موسى كليم الله انهُ لمّا خرج بنو اسرائيل لمحاربة العمالقة كان هو على الجبل رافعاً يديهِ اليهِ تعالى على شكل صليب يطلب انتصار شعبهِ فتبقى الغلبة لهم طالما يثبت على تلك الحالة واذا كلّت يداه فيحطّها يغلبهم العدوّ الى أن اسند ذراعيهِ هارون وحور وجعلا يديهِ ثابتتين الى مغرب الشمس ففاز الاسرائيليّون الفوز التام باعدائهم . وبذلك بيّن الله بنوع حتي انّهُ يمنح الغلبة للشعب اكراماً لصليب ابنهِ

وفي سفر الملوك الرابع (٤ : ٣٢—٣٧) يُروى عن اليشاع النبيّ انهُ لم يُحيِ ابنَ الشونمّية حتّى تمدّد عليهِ وجعل فاهُ على فيهِ وعينيه على عينيهِ وكفّيهِ على كفّيه ممثّلاً بذلك صليب الربّ فنهض الصبيّ معافًى وردّهُ الى امّهِ

وقد صرّح الله بنيّتهِ في اكرام الصليب وما أراد ان يُودعهُ فيهِ من النعمة في سفر حزقيال (٩ : ٤—٦) حيث رأى النبيّ ستّة رجالٍ حاملين آلات الدمار بينهم رجل لابس كتّاناً « قال لهُ الربّ : اجتزْ في وسط اورشليم وارسم « تواء » على جباه الرجال الذين ينوحون على الأرجاس التي صُنعت في وسطها » . ثم أمر الستة الرجال ان يقتلوا جميع اهل المدينة قائلاً : « لكنّ كلّ من عليهِ رسمُ التواء لا تدنوا منهُ » . فما هذه التواء ومن اين لها تلك القوّة العجيبة ؟ . التواء آخر الحروف العبرانيّة كانت تُرسم في عهد حزقيال على صورة صليبنا (+) فاتّخذها الله رمزاً الى صليب السيد المسيح الذي ينجي من الموت الابدي الذين يتّسمون بهِ كما فسّرهُ الآباء

وفي نفس الجيل مار يوحنّا ما يدلّ على احد رموز الصليب الواردة في التوراة ألا وهي الحيّة النحاسيّة التي اقامها موسى في البرّيّة على ساريةٍ كالصليب لكي ينجو

بالنظر اليها كلّ من لدغتهُ الحيّات النارية التي سلّطها الله على شعب اسرائيل عند عصيانهِ على موسى (اطلب سفر العدد ٢١: ٦–٩ ويوحنا ٣: ١٤). وقد رأى الآباء في عصاة موسى وعجائبها رمزاً آخر الى خشبة الصليب

امّا ابن الله فانهُ كرّر في الانجيل الطاهر انهُ اختار الصليب بل حرّيتهِ ووضع فيهِ نعمة الخلاص فقال غير مرّة انهُ «ينبغي ان يُرفع ابنُ البشر .. لكي لا يهلك كلّ من يؤمن بهِ» (يوحنا ٣: ١٤–١٥) وقال لليهود انهُ سيعرفون قوّتهُ الالهيّة وشخصهُ الكريم يوم يرفعونهُ على الصليب «اذا رفعتم ابن البشر فحينئذٍ تعرفون اني انا هو» (يوحنا ٨: ٢٨) لا بل صرّح انهُ بارتفاعهِ على الصليب سيخرب مملكة الشيطان ويجذب العالم الى عبادتهِ «الآن يُلقى رئيس هذا العالم خارجاً وانا اذا ارتفعتُ عن الارض جذبتُ اليّ الجميع» (يوحنا ١٢: ٣١–٣٢) فصار الصليب مذ ذاك الحين كمناطيس عجيب جذب الشعوب كلها عند اقدام السيّد المسيح بل صار السمة «وختم الله الحيّ» الذي رآهُ يوحنا في سفر الرؤيا (٧: ٢–٥) قد خُتمت به عباد الله على جباههم ليحيوا حياةً ابديّة

فلا عجب في كون المؤمنين اتخذوا الصليب بعد ذلك كقبلتهم ومنحى عبادتهم لأنهم باكرامهِ كانوا ينوون اكرام ذاك الذي عُلق عليهِ ليفدي العالم بموتهِ . وقد شاع ذلك في قرون النصرانيّة الاولى حتى ان ترتليانوس ذكر في دفاعهِ عن المسيحيين في القرن الثاني للمسيح (Tertullien: *Apol.* VII, 2) بان النصارى قد عُرفوا في زمانهِ بعبّاد الصليب. وما كان انتصار النصرانيّة على الوثنيّة الّا بقوّة الصليب يوم رأى قسطنطين مع جيشهِ في رائعة السماء سمته المحيية مع هذه الالفاظ النبويّة «بهذه العلامة تنتصر» . وهذه عشرون قرناً تسير الكنيسة وتتولّج في كلّ انحاء المعمور والصليب أليفها بهِ تنال ما لا ينالهُ اراكنة العالم بجيوشهم وغناهم وجاههم وفنون سياستهم

فالصليب حياة الكنيسة لا يباشر كهنتها امراً ولا يقيمون رتبةً ولا يوزّعون سرّاً الّا تتقدّمهُ بركة الصليب . وكذلك في كلّ الحفلات الدينيّة في طوافات القربان والزياحات وفي استقبال ارباب الكنيسة للصليب المقامُ الاوّل. وكل يعلم انّ المسيحي سلاحهُ اليومي اشارة الصليب يرسمهُ على جبهتهِ وصدرهِ فيقوى على مشقات العالم وتجارب ابليس وشهوات قلبهِ

٢ الصليب في نظر الهيئة الاجتماعية

«خلق المرء للكفاح والجهاد لانَّ حياة الانسان على الارض تجنُّد» (أيوب ٧: ١) فانَّه منذ مولدهِ الى آخر نسمة حياتهِ يحتاج الى الدفاع عن نفسهِ لحفظ كيانهِ فتارةً ينازل تقلُّبات الزمان وحيناً يصاول جمود الارض وطوراً يناوش الحيوانَ القتال وكم يحتاج ان يناهض ذوي جنسهِ من سلطانٍ عاتٍ ورفيق خؤون ومرؤوسٍ محتال. وفوق كلّ ذلك يجد في نفسهِ حرباً عواناً بما يتنازعهُ من الاميال والشهوات

فهذا الجهاد اليوميّ لا نجاةَ منهُ وأولى ما يُعبَّر عنهُ مجازاً انما هو الصليب فانَّ جذعهُ يدلُّ على الطريق المستقيم الذي تقطعهُ العارضتان فكأنهما تحولان بينهُ وبين امتداد طولهِ. فصار الصليب بين الشعوب المتمدنة كنايةً عن صعوبات الحياة والبلايا التي تعرض لها فتقاوم نزعاتها

والسيد المسيح اوَّل من سبق واتَّخذ الصليب رمزاً عن آلام هذه الحياة واوجاعها المختلفة وضروب النوائب والشدائد فجعل الخلاص متوقفاً على حمل هذا الصليب اعني بالصبر وطول الأناة. فطالما كان يردّد على مسامع تلاميذهِ والجماهير المتقاطرة لاستماعهِ: «من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ كلّ يوم ويتبعني» (متى ١٠: ٣٨ ومرقس ٨: ٣٤ ولوقا ٩: ٢٣) وايضاً: «من لا يحمل صليبهُ ويتبعني فلن يستحقَّني (متى ١٠: ٣٨) «ولا يستطيع ان يكون لي تلميذاً» (لوقا ١٤: ٢٧) وقد ادرك ذلك تَبَعة المسيح فانَّ رسول الامم يصرخ قائلاً (غلاطية ٢: ١٩): «صُلبت مع المسيح» ويقول (٦: ١٤): «أمَّا انا فحاشا لي ان افتخر الَّا بصليب ربّنا يسوع المسيح الذي به صُلب العالمُ لي وانا صُلبتُ للعالم» ويقول ايضاً محرّضاً المؤمنين على النظر الى الصليب ليشدّدوا نفوسهم على مصائب هذا العالم (عبرانيّون ١٢: ١—٢): «ولنُسابقْ بالصبر في الجهاد الذي امامنا ولنجعل نظرنا الى مُبدئ الايمان ومتمّمه الذي بدلَ السرور الموضوع امامهُ وتحمَّل الصليب مستخفاً بالخزي»

والحقّ يقال انَّ الصليب اضحى في العالم اعظم قوّةٍ وافضل تعزيةٍ بين صروف الدهر فاليهِ يرفع المريض نظرهُ فيسلّم ارادتهُ لربّهِ بين اوجاعهِ فيحتملها بصبر. يراهُ العامل في اشغالهِ الشاقّة فيواظب على عملهِ بعرق جبينهِ دون تذمُّر ولا تأفُّف اذ ليس

العبد افضل من سيّده . يشاهدهُ الفقير فيحتمل آفات دنياهُ . ترنو اليهِ الفتاة العذراء فتجحد العالم وملذّاتهِ وتتفانى في خدمة البؤسين وتصبح اما لليتيم واللقيط وخادمةً للمريض وللشيخ العاجز . هو شعار المتضوين في جماعات الصليب الاحمر . هو الذي يسند الكاهن في تخصيص نفسهِ لخدمة القريب طول حياتهِ بحملهُ الراهب على صدرهِ فيسهل عليهِ اقتباس الكمال بحفظ نذورهِ الثلثة العفّة والفقر الاختياري والطاعة للرئيس . يمسكهُ المرسل بيدهِ فيخوض البحار ويقطع الصحارى ليبشّر بهِ في الشعوب المتسكّعين في ظلمات الموت . يعتصم بهِ الشهيد في محنهِ وعذاباتهِ الاليمة فتقوى نفسهُ على احتمال الجلد والسيف والنار والوان الموت بفرح وسرور . والفضل في كل ذلك الى صليب السيّد المسيح . انزع الصليب من العالم فيعود العالم الى همجيّتهِ فقد صدقَ وايمُ الله صاحب الاقتداء بالمسيح حيث قال (لك ٢ ف ١٢) : « في الصليب الخلاص وفي الصليب الحياة وفي الصليب النجاةُ من الاعداء . وفي الصليب فيض العذوبة السماويّة وفي الصليب قوّة النفس وفي الصليب فرح الروح وفي الصليب ذروة الفضيلة وفي الصليب كمال القداسة . . . لا طريق الى الحياة والسلام الثابت الّا طريق الصليب »

ومن عجيب امر الصليب ان امماً قديمة أوحي اليها بما يتضمّنهُ الصليب من الاسرار الغامضة . فهذا الصليب المُعرّى (croix ansée) تراهُ في عاديت مصر ☥ وآثارها المتعدّدة وهو عندهم دليل الحياة يقرّبهُ احد الآلهة من فم ملوك مصر لينفخ فيهِ نسمة الحياة . قلمّا انتشرت النصرانيّة في وادي النيل لم يأنف المسيحيّون من اتخاذ ذاك الصليب دلالةً على الحياة السرمديّة التي يمنحها ابن الله بصليبهِ المحيي . وهذا الصليب الهندي زفاستيكا 卐 تخيّلهُ اهل الهند مزداناً بقوّة علويّة تأتيهِ من الأفلاك فلم يصدق معناهُ الرمزي الّا بصليب الرب وقوّتهِ العلويّة المتحدرة من فوق الافلاك

وان بقي الصليب خفيًّا محتقرًا بين قسم من البشر سوف تظهر عظمتهُ في اليوم الاخير حين « تلوح علامة ابن البشر في السماء » (متى ٢٤ : ٣٠) فيأتي بأبهة وجلال ويدين العالم . وانما يكون الصليب شاهدًا على ما بذلهُ لخلاصهم فيشكر المختارون فضلهُ ويعترف الهالكون بعدلهِ فيكون للصليب الفوز الاخير شاء العالم او ابى

٣ الصليب في الصناعة والفنون الجميلة

ليست صورةٌ في العالم اصابت في الصناعة والفنون الجميلة سهماً اوفى من صورة الصليب فانَّ في هندستهِ البسيطة ما وجدهُ ارباب الفنون باعثاً لشحذ قرائحهم . فقلَّما ترى فنًّا او صناعة الَّا دخل الصليب في جملة اختراعاتها

فمنذ اتَّخذ قسطنطين الصليب كراية لجيوشهِ لتتقدَّمهم في ساحات الحرب اقتدى بهِ كثيرون من الملوك فكانت الجنود تقتحم الاخطار في ظلّ الصليب لا تهابُ عدوًّا . وكثيرًا ما كانوا يحملونهُ على صدورهم كما فعلوا في الحروب الصليبيَّة اذ تطوَّعوا لفتح الاراضي المقدَّسة

وقد عرف العرب نفسهم الصليب كعَلَم تارةً ينصبونهُ فوق ابنيتهم تبرُّكاً كما قال النابغة :

ظلَّت اقاطيعُ انعامٍ مؤبَّلةٍ لدى صليبٍ على الزَّوراء منصوبِ

وتارةً يقدَّمونهُ امام طلائعهم في الحروب كما قال الاخطل :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا خلَّوْا لنا وازانَ والمزارعا

وكذلك الأُسر الملوكيَّة وذوو المناصب الرسميَّة واشراف الدول ربَّما اتَّخذوا لهم شعارًا (آرمة) تزينهُ الصلبان في ألوانها المختلفة وصورها البديعة

وقد وجد المهندسون في ابنيتهم خواصَّ عجيبة لشكل الصليب سواء كانت تلك الأبنية دينيَّةً او مدنيَّة . فكم يعمدون في هندستهم الى المُصلَّبات لمتانتها وصبرها على آفات الزمان . فانَّ قصورًا شهيرة من قصور الملوك ازدانت باشكالهِ . امَّا الكنائس فانَّ منها عددًا لا يُحصى ممَّا بُني على صورة الصليب إمَّا الصليب المستطيل المعروف باللاتيني وإمَّا الصليب المربَّع المعروف باليونانيّ مع تفنُّن عجيب في وضعها وتنظيمها ونقشها . وربَّما فُرش بلاطها بالحجارة الملوَّنة على شكل الصلبان او مُثّل الصليب في جدرانها على هيئات رائعة بالغيفاء .

وان عدلتَ الى فنّ التصوير وفنّ النحت وجدتَّ عجائب اخرى من الصناعة . فقلَّما تجد كنيسة او متحفاً فنيًّا الَّا يقع نظرك على صور المصلوب او الصليب ممَّا يُعزى لكبار المصوِّرين ينافس بعضهم بعضاً في رسمها على هيئات تأخذ بمجامع

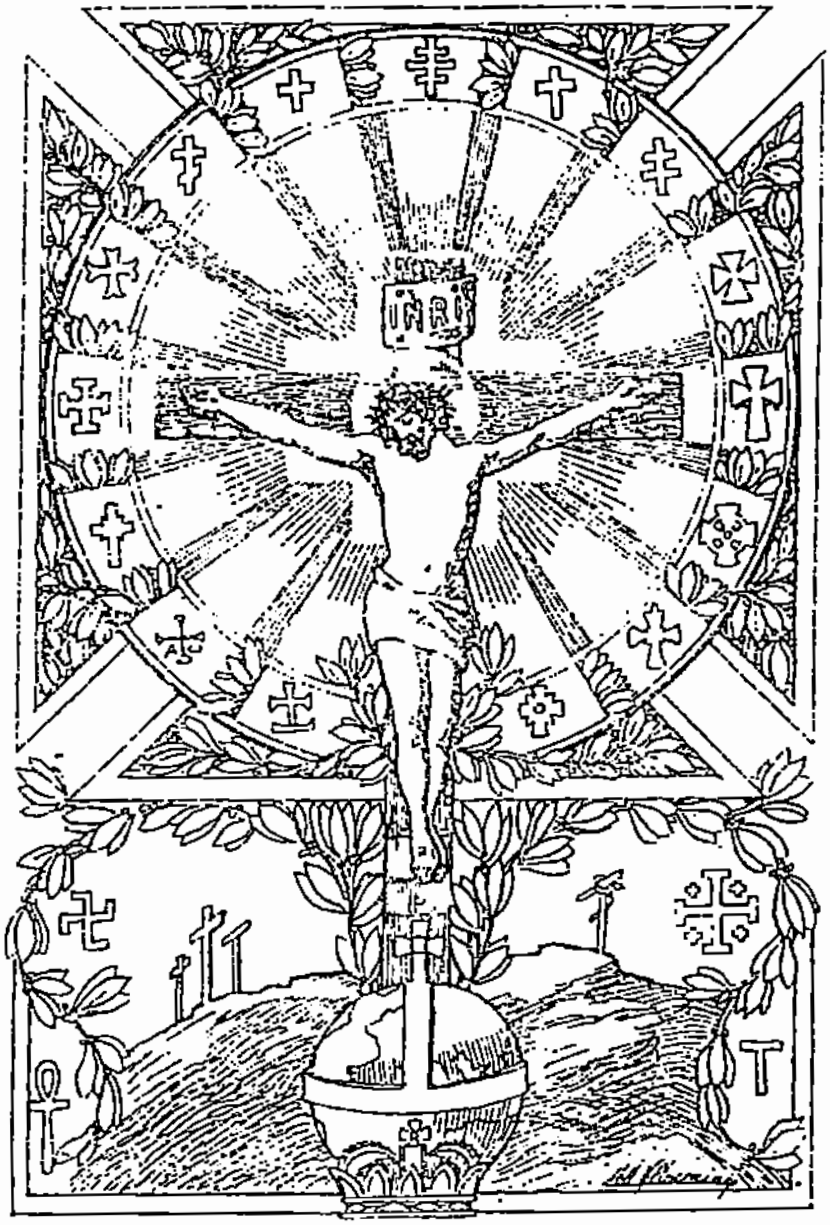

تمثل هذه الصورة صليوت الرب وراءه الصليب الاحمر تنبعث منه اشعة تنتهي الى دائرة على اطرافها الصليب المقرن وفي اعلى الدائرة الصليب البابوي وعن جانبيه الصليبان اللاتيني واليوناني ثم الموريني والصقلبي ثم المالطي والانجري ثم اليوليالي والمطرف ثم الشرشافي والارمني ثم الشرقي والبوزنطي ثم المرقسي والنقودي. والصليب راكز على جبل الجلجلة في استدكرة الارض يعلوها الصليب وتحتها تاج ملوكي بصليبه وعلى الجانب الايمن الصلبان الاورشليمي والمرسوي والسرياني وعلى الجانب الأيسر الصليبان القديسان الهندي والمصري

الابصار ومثلها الصلبان المنحوتة التي تُنصب في الساحات وعلى الجبال وفي المقابر فانَّ لكثير منها اشكالاً بديعة تروق النظر اشتهر صُنّعها بابتكارهم لهيئاتها . وقد أُعجب بها عرب الجاهليَّة فاشادوا بمحاسنهـا وهم يدعون الصليب دُمْيـةً ويضربون المثل بحسنها

وكذلك الحياكة والنساجة فقد دخل الصليب في نقوشها سواء كانت موادُّها من الخزّ ام من الارجوان والديباج والقصب حيناً بالنسج وحيناً بالتطريز او التخريم فهناك الطنافس والبُسط العجيبة الصُّنع والاقمشة المختلفة الغالية الثمن والثياب الفاخرة . وقد شاع بين العرب انفسهم نقش الاقمشة بالصلبان . فانَّ اهل اليمن النصارى اشتهروا بذلك كما اثبتناهُ سابقاً (اطلب كتاب النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ٣٥٧)

ونقوش الصليب على الحُلل البيعيَّة والثياب الكهنوتيَّـة ابدعُ وافخر واكثر تفنُّناً يُرى رسمهُ المبارك عليها بكل اصناف الحلي والزينة كأن العقل البشري أفرغ الوسع في ابتداع النقوش الرائعة ليكسوا الصليب حسناً وبهاء

وكما تفننوا في نقش الصلبان كذلك اجتهدوا في تشكيل هيئاته فترى الزَّين المختلفـة في تركيبهِ فتارةً يُحلُّونهُ بالاشعَّـة المنتشرة في زواياه وتارةً يجعلون رأسهُ ورؤوس عارضَيْه على اشكال هندسيَّة جميلة منها مثلثة الاطراف ومنها مربعـة ومقوَّسة ومقبَّبة وقد ضاعفوا عارضتي الصليب وثلَّثوها دلالة على سلطان بعض رؤساء الكنيسة . فانَّ للقدّاد الرسوليين والجاثالقة صليباً ذا عارضتين مزدوجتين وللحبر الاعظم صليباً ذا ثلثة عوارض . وطوراً يركزونهُ على قواعد فنيَّـة تزيد في بهجهِ وجمالهِ . وربَّما نقشوا على جذرهِ وعارضتَيْهِ صور آلام الربّ وصور الذين كانوا عند صليبهِ في الجلجلة كوالدتهِ العذراء مريم والقديس يوحنا الحبيب وتحت قدميهِ صورة جمجمة آدم الذي كفَّر يسوع المسيح عن خطيئتهِ . وكذلك العنوان الذي جعلهُ بيلاطس فوق رأسهِ «يسوع الناصري ملك اليهود» تلطَّفوا بنقشهِ وتزيينهِ

وما قولنا عن الموادّ التي عمدوا اليها لتصوير الصليب فمن الصلبان ما هو من خشب ثمين كالارز والابنوس والسَّنط . ومنها بالحجارة وكلّ ضروب الرخام والمرمر . ومنها من اصنـاف المعادن كالحديد والنحاس والفضَّة والـذهب . ومنها بالعاج والحجارة الكريمة واللآلئ المختلفة والماس . ينصبونها فوق الهياكل ويزينون بها المعابد والمقابر

والقاعات الملكيَّة والنوادي العموميَّة . وللجوهريّين في هذه المصنوعات اليد الطولى يصوغونها حلياً تتقلّدها الاوانس قال عبدالله بن العبَّاس في فتاة :

كم لثمتُ الصليب في الجيد منها كهلالٍ مكلَّلٍ بشموسِ

وكانوا يزيدونها حسناً بما يرقون فيها من الحروف المختزلة عن آيات كتابيَّة او صفات رمزيَّة لاهوتيَّة يجدلونها جدلًا حسناً على صورة اقلام نادرة المثال . وهم يُحلّونها بالمينا المذهبة والملوَّنة ويدسُّون الذخائر الثمينة لاسيَّما ذخائر الآلام

وممَّا جعلوا فيه صورةَ الصليب النقودُ والمسكوكات الدوليَّة ذهبيَّة وفضيَّة ونحاسيَّة . فمن ينظر الى مجموعها يأخذهُ الاندهاش في تفنّن اصحابها في رسم الصليب باشكالهِ المتعدّدة في ضمن تلك النقود تارة وحده وتارةً في ايدي ملوك زمانهم . وقد وُجدت لقسطنطين الكبير ولخلفه ولِثيتيان الاوَّل مسكوكات رُقم عليها الصليب منذ القرن الرابع للميلاد

وما قولنا بتيجان الملوك التي زيَّنوها بالصليب فهو يعلوها كأنهُ مالك على رقاب لابسيها . ومثلها صوالج الملوك وعصي الاساقفة الرعويَّة التي يعلوها الصليب

وقد جعلوا الصليب منذ عهد مديد علامة الشرف وشعار النبوغ . فمعظم الاوسمة التي تمنحها الدول للذين تفانوا في خدمتها انَّما هي صلبان ثمينة تُعلَّق على صدور الابطال ونوابغ الرجال والذين امتازوا بخدمهم نحو وطنهم . بل قلَّما اتَّخذت الدول الاوربيَّة الكبرى اوسمةً شرفيَّة الَّا وجعلتهُ على اسم وصورة الصليب

فاين يا ترى كلّ ذلك من عار الصليب وهوانهِ أليس يصحُّ بما سبق لنا وصفهُ قول الرسول انَّ الصليبَ الذي كان عثرةً لليهود واتَّخذهُ الوثنيُّون كهزء وسخريَّة هو حقيقة قوَّة الله وحكمتهُ العجيبة كما تمَّت بحرفها نبوَّة السيِّد المسيح القائل : « وانا اذا ارتفعتُ عن الارض اجذبُ اليَّ الجميع » . فنسألهُ تعالى في الختام ان يكشف عن عيون الذين يجهلون نعمة الصليب ما اودعهُ فيهِ من البركات في هذه الدنيا فيسيرون في طريقهِ الملكيَّة الى السعادة الابديَّة

قذائف الارض والسماء

بقلم حضرة الاب رفائيل نخله اليسوعي

الغرض من هذه المقالة: اولاً عرض الحسابات الدقيقة اللازمة لاحكام رمي القذائف من اعلى المناطيد والطيارات بحيث تصيب مرماها . ثانياً إجالة النظر في عالم النيازك — ويسوغ تسميتها قذائف سماوية — وبيان ما ارشدتنا اليه الارصاد المتعددة من المعلومات الاكيدة عن تلك القذائف الغريبة

الفصل الاول : رمي القذائف من اعالي الجوّ

كان رمي القذائف من الامور اليومية المبتذلة طول مدة الحرب الكبرى . على ان اكثر الناس يجهلون جهلاً مطبقاً ما يحول دونه من الصعوبات الجمّة الفائقة بدون قياس على صعوبة تصويب قذائف المدافع او ما شاكلها لانها ثابتة بخلاف قذائف الجوّ

وكفى شاهداً على صحة حكمنا كون الالمان رغم غناهم بالمناطيد الهائلة العديدة من طرز زبلين لم ينجحوا نجاحاً يُذكر في رمي القذائف الضخمة منها على ما ارادوا هدمهُ من الابنية ولاسيما المصانع الحربيّة والمحطّات الكبرى للسكك الحديدية في فرنسة وانكلترة . مثال ذلك ان الطيارات الالمانية المحلّقة في الجو الفرنسي كانت في غالب الاحيان ترمي قذائفها فتسقط هذه على الارض لا تصيبُ هدفها تارةً في وسط الشوارع وحيناً على بيوت خاصّة لا فائدة من تدميرها . بل ان كثيراً من القذائف المقصود القاؤها على باريس تجاوزت المرمى فسقطت في ضواحي العاصمة

فوالحالة هذه اردنا في العجالة الحاضرة بيان الحسابات العديدة الدقيقة اللازم اجراؤها لإحكام رمي القذائف من المناطيد والطيّارات، وذلك على طريقة سهلة قريبة المنال لا تقتضي من القارئ اللبيب سوى بعض الالتفات والتروي

ان القذائف المذكورة تابعة في سيرها لعدّة عوامل نكتفي هنا بذكر اعمّها على افتراض ان راكب المنطاد او الطيّارة يلقي القذيفة من يده بوجهة عموديّة

﴿فالعامل الاول﴾ هو الجاذبيّة الارضية المعروفة التي تزيد سرعة انحدار القذيفة

بنسبة نحو ٩٨١ مليمترًا في الثانية . وحيث ان قوة التدمير مترتبة على شدة سرعة القذيفة وجب ان تكون السرعة عظيمة جدًا عند سقوط القذيفة على مرماها . ولذلك يلزم القاء القذيفة من علوّ شاهق كما يتضح لك من اول وهلة لدى معاينة الجدول الآتي مع قطع النظر عن مقاومة الريح :

القذيفة	المقاة	من علوّ	١٠٠ متر	تُدرك	سطح الارض	بسرعة نحو	٤٤ مترًا في الثانية
«	«	«	٣٠٠	«	«	«	٧٧ «
«	«	«	٥٠٠	«	«	«	١٠٠ «
«	«	«	١٠٠٠	«	«	«	١٤١ «
«	«	«	١٥٠٠	«	«	«	١٧٢ «
«	«	«	٢٠٠٠	«	«	«	٢٠٠ «

فلنفرض الآن ان السرعة الاخيرة هي المطلوبة . فلا بُدّ من ان تُرمى القذيفة من علوّ الفي متر . ومن هذا العلوّ الشاهق تنجم صعوبة كبرى وهي :

﴿العامل الثاني﴾ تقدير المسافة الفاصلة بين المنطاد او الطيارة والمرمى . ان هذا التقدير لمن اصعب المشاكل وذلك لجملة اسباب : (الاول) هو عظم المسافة كما يتضح من ضرورة رمي القذائف من اعلى طبقات الجوّ . (الثاني) ان هذه العملية تجرى في كبد الليل ملافاةً لاخطار النهار التي تتهدّد راكبي المناطيد . (الثالث) سرعة الريح ووُجهتها اللذان يصعب إحكام تقديرهما وضبط حركاتهما المزدوجة . (الرابع) خاصّ بالمناطيد اكثر منه بالطيارات وهو ان القاء نحو اربعين قنبلة تزن كلّ منها من ١٠ الى ٦٠ كيلومترًا لمّا يُخفّف المنطاد كثيرًا فيُحدث فيه قوّة صعوديّة جديدة يصعب تقديرها بالضبط ولها تأثير يُذكر في سرعة المنطاد الاصلية . (الخامس) صعوبة التقدير الدقيق لسرعة المنطاد او الطيارة بغضّ النظر عن الريح

﴿العامل الثالث﴾ المؤثر على سير القذيفة هو سرعة المركبة الموانية فان القذيفة تحفظ طول انحدارها تلك السرعة بقدرها ووُجهتها . لقد فرضنا فيما سبق ان المقصود تبليغ القذيفة الى سطح الارض بسرعة مائتي متر في الثانية فاستنتجنا من ذلك ضرورة القائها من علو الفي متر . ثم ان حسابًا بسيطًا يعلمنا ان مدة السقوط تكون في هذه الظروف عشرين ثانيةً . فلو جعلنا سرعة المنطاد عشرين مترًا في الثانية (اي ٧٢ كيلومترًا في الساعة) تكون القذيفة قطعت في حين سقوطها على المرمى اربعمائة

متر بوجهة سير المنطاد عند افلاتها منه . وبناء على ذلك ينبغي رمي تلك القذيفة ليس عند مرور المنطاد فوق المرمى بل ٤٠٠ متر قبل وصوله الى تلك النقطة وبفرض اتجاهه اليها . وقد بيّنّا بجلاء كانت شدة الصعوبة في تقدير تلك المسافة في كلامنا عن العامل الثاني

فلا غرو بعد كل تلك الايضاحات في قلة نجاح الالمان بالقاء القذائف الضخمة من المناطيد الزبلينيّة على سواحل انكلترة وعلى عاصمة فرنسة اثناء الحرب الكبرى . بل ان جبوطهم هذا لمن مظاهر رحمة الاله اللطيف بعباده

الفصل الثاني : قذائف السماء او النيازك

﴿ ما هي النيازك ﴾ (étoiles filantes) ؟ هي اجرام سماوية شديدة الخفة تحتك بالجوّ الارضي في سيرها السريع فتلتهب ثم تسقط على الارض غباراً منثوراً لا يشعر به احد . أمّا اذا انحدرت على الغبراء على شكل حجارة يبلغ ثقلها احياناً خمسين طنّاً فانها تدعى حينئذٍ رُجماً او حجارةً جوّية (aérolithes) فيلوح من تحديدنا السابق ان الفرق بين النيازك والرُّجم عرضيٌّ والحالة هذه يسهل على القارئ اللبيب ان يميّز بين ما سنقوله عن النيازك وما ينطبق على اخواتها الرجم (١

١ علوّ النيازك

من المعلوم انّ النيازك تظهر لنا على شكل سهم نوراني طويل يشقّ كبد السماء . وقد دلّت الارصاد العديدة على ان معدّل ارتفاع النيازك عند ظهورها نحو ١٢٠ كيلومتراً . أمّا عند اختفائها فهو زهاء ٩٠ كيلومتراً (٢ . ومن البديهي ان النيازك تظهر لنا متى بلغ التهابها عند احتكاكها بالجو الارضي درجةً تمكّننا من تمييز نورها . وهي تغيب عن نظرنا متى ادرك تضاؤلُ نورها المرافق لانحلالها وانتشارها في الفضاء مقداراً معلوماً

١) قد ايّد ذلك ما قالهُ العلماء عن كثافة الجو الارضي

٢) اطب مقالة حضرة الاب سبستيان رتزفال عن نجم المجوس والنيازك (المشرق ١ [١٨٩٨] : ٤٩-٥١)

٢ عدد النيازك

يفوق عددها كثيراً ما تتوهمه العامة . اجل ان العين المجردة ترى من مكان مكشوف معدل عشرة نيازك في الساعة . لكنها لا تستطيع في آن واحد رصد كل جهات القبة الزرقاء حيث تمر ملايين من النيازك . ومن جهة اخرى لا نقدر على نظر النيازك الضعيفة السطوع ليلاً ولا اسطعها نهاراً . ولو فرضنا تعدد الراصدين في مكان معلوم واستخدام جميعهم لاكمل المراقب والنظارات لما استطاعوا ان يرصدوا سوى نصف الجلد . على كل حال قد ذهب العلماء مذاهب شتى في تقدير عدد النيازك ولو تقريباً . فالفرنسي هُلثيك (Houllevigue) يقدّر عددها السنوي الممكن رصده بالمرقب بنحو مائة مليار . اما نيوكَوْد (Newcoud) فانه يقدّر عددها ب ٣٦،٥٠٠ مليار اي ٣٦٥ ضعفاً لعدد هُلثيك ! فلو صحّ تقدير هلثيك لكان عدد النيازك الممكن رصدها بالمرقب في ظرف ٢٤ ساعة بكل انحاء الارض نحو ٢٥٠ مليوناً ، وفي ظرف ساعة واحدة فوق عشرة ملايين ، وفي كل دقيقة نحو ١٧٤،٠٠٠ وفي كل ثانية زهاء ٢،٩٠٠ !

٣ حجم النيازك وثقلها وتأثيرها على الارض

قدّر العالمان هرشل وكلَيبر (Kleiber) معدّل وزن النيازك بخمسة غرامات ليس الا . فلو صدق هلثيك في تقدير عدد النيازك السنوي بنحو مائة مليار فان وزن مجموعها يبلغ خمسة ملايين اطنان (tonnes) . ومع ذلك فانها في التهابها وتبخّر بعض اجزائها وامتزاج تلك الاجزاء بالجوّ الارضي لا تستطيع ان تُحدث في ذلك الجو تغييراً يُذكر ولو على توالي الاجيال . ودليل ذلك ان وزن الجو نحو عشرة مليارات اضعاف وزن مجموع النيازك السنوية . وما ثبت قراره انّ هذه النيازك قد ادخلت في جوّنا بعض آثار من الهدروجين والسيانوجين كما تحقّقوا ذلك بادقّ طرق التحليل الكيماوي . وهذا ما يُعلّل وجود شيء من معادن الحديد والكوبَلت والنيكل والمغنيسية والفسفور على بعض الجبال المنفردة

ينتج مما سبق ان تأثير النيازك في كيفية ارضنا يسيرٌ للغاية وذلك نظراً الى قلة وزن تلك الدقائق السماوية . ولكن هذا التأثير يصبح ذا شأن بفرض انّ وزن مجموع

النيازك السنوية ٥٠٠٠ مليار من الاطنان بدلاً من خمسة ملايين كما فرضنا وفقاً لتقدير العالم هلفيك . فحينئذٍ يزيد سمك الكرة الارضية بنسبة نحو مليمترين في العام. فيترتب على زيادة ثقل الارض تزايد سرعة دوران القمر حولها ، وتزايد طول مدة دورة كاملة للارض حول محورها الوهمي المارّ بالقطبين ، وتقصُر فلك الارض في دورانها حول الشمس فتقصر مدّة السنة الشمسية . فعدم ملاحظة الفلكيين لمثل تلك التغيرات الخطيرة دليل اكيد على كون وزن مجموع النيازك السنوية اقلّ كثيراً من ٥٠٠ مليار من الاطنان . فلعلّ العالمين هرشل وكلّير مصيبان في تقدير ذلك الوزن المجمل بنحو ٥ ملايين من الاطنان وذلك بجعل معدّل وزن كل نيزك خمسة غرامات

٤ سرعة النيازك

قد قيست سرعتها نادراً لما في الامر من شديد الوعورة . فكانت النتيجة ، بغضّ النظر عن حركة الارض ، ان السرعة الظاهرة المقيسة تتراوح بين نحو ١٢ و٧٢ كيلومتراً في الثانية ! وفي ذلك البيانُ لسبب التهاب النيزك عند اصطدامه بالجو الارضي بمثل تلك السرعة . فهذا الاصطدام كافٍ لرفع حرارته الى ٣٠٠٠ درجة ونيّف فيلتهب النيزك ويتحوّل الى بخار في طرفة عين فتبقى بعض اجزائه المنحلة ممتزجةً بالجوّ وتسقط الاخرى رويداً على سطح الارض بشكل رواسب شتى دقيقة جداً فلا يُشعرّ بها

كلامنا حتى الآن عن السرعة الظاهرة فهل من سبيل الى معرفة سرعتها الحقيقيّة؟ أجل فان الارض تدور حول الشمس بسرعة نحو ثلاثين كيلومتراً في الثانية . والحالة هذه يسهل حلّ المشكل . فلنفرض ان معدّل سرعة النيازك الحقيقية ٤٢ كيلومتراً ، وهو معدّل سرعة المذنّبات ، ولنفرض ايضاً ان تلك النيازك سائرة في كل وجه الفضاء على التساوي (١ . فالتي وُجهة سيرها معاكسةٌ لوجهة دوران الارض حول الشمس تظهر لنا بسرعتها الحقيقيّة مع زيادة سرعة الارض المبادرة الى ملاقاتها . فتكون سرعتها الظاهرة ٤٢+٣٠=٧٢ كيلومتراً . أما النيازك المتحركة بوجهة حركة الارض

١) ذلك افتراض الفلكي الفرنسي الشهير برّند (Brandes) وقد ابتكر سنة ١٨٢٧ تفسيره لاحوال النيازك بمجرّد حركة الارض في الفضاء

فتكون سرعتها الظاهرة ٤٢—٣٠=١٢ كيلومتراً . وقد سبق القول ان السرعة الظاهرة تتراوح وفقاً لادق الاقيسة بين ١٢ و ٧٢ كيلومتراً . فالتفسير السابق مقبولٌ اذاً

٥ وجهة حركة النيازك

لقد دلت الارصاد المتعددة على ما يأتي : بين الف نيزك نرى معدّل ٣٧٣ وارداً من الشرق و ١١٨ من الغرب و ٢٦٣ من الشمال و ٢٤٦ من الجنوب . فيلوح لاول وهلة ان النيازك الشرقيّة اكثر من سواها وان الغربية اقلّ الجميع . امّا الشمالية والجنوبية فهي تقريباً متساوية في العدد ومتوسطة بين الفئتين السابقتين . اليك تفسير ذلك التفاوت الغريب وفقاً لآراء جهابذة الفلك . ان الارض في دورتها من الغرب الى الشرق حول الشمس بسرعة نحو ٣٠ كيلومتراً في الثانية تبتعد من النيازك الوافدة من الغرب وتسرع الى الآتية من الشرق . فلا عجب اذاً في كون النيازك الشرقية اكثر جداً من الغربية . ثم ان الارض لا تدنو ولا تبعد بمقدار يُذكر عن النيازك الشمالية والجنوبية . فلا غرو ان تكون هاتان الفئتان متساوتي العدد تقريباً بل متوسطتين بين الفئتين الأخريين

٦ معدّل عدد النيازك الظاهرة في كل هزيع من الليل

ان ضوء القمر ونور الفجر والشفق يحولان دون رصد النيازك بسهولة . فاذا حسبنا لذلك الامر حسابه وجدنا ان العين المجرّدة ترى في اوّل الليل نحو ستة نيازك في الساعة ، ثم يزداد هذا العدد بالتدريج حتى يبلغ نحو ١٨ بين الساعة الثانية والرابعة بعد نصف الليل . اخيراً يتناقص شيئاً فشيئاً حتى الصباح . امّا تفسير تلك الظواهر فليس من الامور الصعاب . من المعلوم ان للارض حركتين : الاولى حول خط القطبين بسرعة نحو نصف كيلومتر في الثانية على خط الاستواء . وهذه الحركة متجهة من الغرب الى الشرق وقد سمّينا سرعتها م (انظر الشكل ١) . امّا الحركة الثانية فهي حركة دوران الارض حول الشمس ولها وُجهة الاولى نعني من الغرب الى الشرق وقد سمّينا سرعتها ش وهي بالغة نحو ٣٠ كيلومتراً في الثانية . فلنلاحظ الآن ما يحدث في نقطة معيّنة ن من الارض . في الظهر (انظر الشكل ١) تكون فيها وجهتا م ، ش متعاكستين تماماً وفي الساعة السادسة مساء تكون وجهة م نحو الاخرى حتى

تتفق واياها تماماً (الشكلان ٢ و ٣) . ومن نصف الليل الى الساعة السادسة صباحاً تبتعد وجهة م شيئاً فشيئاً عن الاخرى(الشكلان٣و٤) . فيلوح من تلك الايضاحات ان سرعتي الحركتين الارضيتين يتزايد اتفاق وجهتهما في النقطة ن من الساعة السادسة مساء الى نصف الليل ويتناقص من نصف الليل الى السادسة صباحاً . فلا بدع اذاً في ازدياد عدد النيازك في اول شطر من الليل وتناقصه في الشطر الثاني حيث ان التهابها مترتب ليس فقط على سرعتها الذاتية بل على سرعة الارض ايضاً

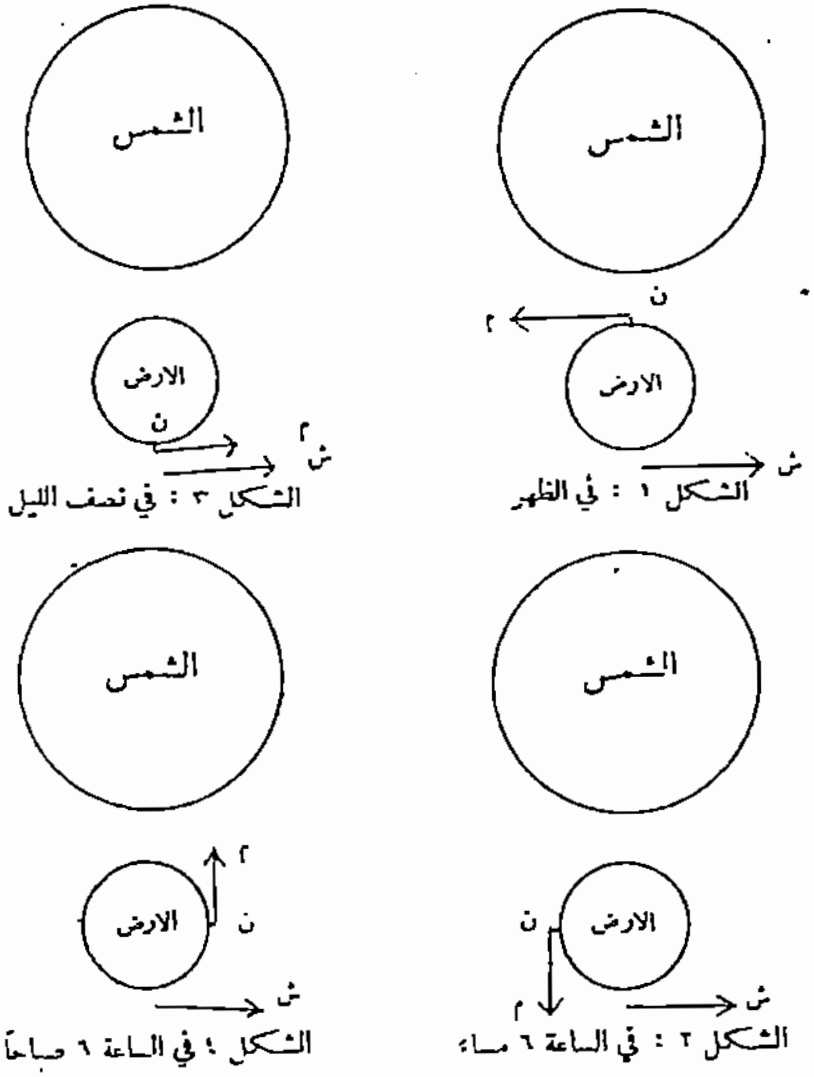

صورة لبيان حركة الارض والنيازك

محبسة دير قنوبين

٧ النيازك وفصول السنة

في نصف الكرة الارضية الشمالي الذي نحن فيه يبلغ معدّل عدد النيازك الظاهرة للعين المجرّدة نحو اربعة في الساعة اثناء الشتاء والربيع وزهاء سبعة في الساعة اثناء الصيف والخريف. ويُدرك معظمهُ في شهري تموز وآب. فما سرّ ذلك؟ هو ان وجهة سرعة الارض في دورانها حول الشمس متجهة في الشتاء والربيع الى ما تحت دائرة الاستواء، وفي الصيف والخريف الى ما فوقها. ولا يصح كلُّ ذلك الّا في النصف الشمالي من الكرة الارضيَّة. بناء على ذلك ان سرعة الارض المشار اليها — ومقدارها نحو ٣٠ كيلومترًا في الثانية — متجهة في الصيف والخريف نحو شطر الجلَد الذي فوق رؤوسنا فنستطيع ان نرى نيازكها. وهي متجهة في الشتاء والربيع نحو شطر الجلَد الذي لا نراه

٨ النيازك وحركة الارض

قد سبق القول بان وجهة سير اغلب النيازك من الشرق الى الغرب، وانّ الفلكيين لم يروا سبباً معقولًا لذلك الامر الغريب سوى كون الارض تنتقل في الفضاء حول الشمس بوجهة معاكسة للسابقة نعني من الغرب الى الشرق. فيكثر ويشتدّ اصطدام الجو الارضي بالنيازك التي تقابلها الارض في سيرها. فأتت من ثمَّ وجهة معظم النيازك برهانًا اضافيًا على حقيقة دوران الارض حول الشمس فضلًا عن ثبوت ذلك بعدّة ادلة آكد وأوضح من الدليل السابق

٩ تركيب النيازك الكيماوي

قلنا في بدء هذه المقالة انه لا يوجد فرقٌ جوهري بل عرضيٌ فقط بين النيازك والرُّجم او الحجارة الجوّية وهو ان الرجم على خلاف النيازك تسقط على سطح الارض بشكل حجارة. وقد عرفنا تحليلُ هذه الحجارة تركيب النيازك الكيماوي. وفي بعض الاحيان اكتشف الباحثون في الرُّجم ٢٢ عنصرًا كيماويًا اهمّها الحديد والمنغانيز والسليسيوم والأكسيجين والنيكل والكوبالت والكروم. ولوجود كل تلك العناصر في كُرَتنا الارضيَّة قد ثبتت على هذا النمط وحدةُ الكون المادّي من جهة تركيبه

الكيماوي . وقد أيد هذه النظرية الجميلة فحصُ الشمس وبقية الكواكب بالمنظرة الطيفية

١٠ أسراب النيازك ومجاميعها

ان النيازك لا تظهر في كل جهات القبة الزرقاء على السواء . بعكس ذلك تبرز بينها اسراباً (essaims) معلومة صادرة من نقط ثابتة من الجلد . والسربُ عبارة عن عدد وافر من النيازك التي تظهر لنا رغماً من اختلاف وُجهها صادرةً من مركز معيّن نسميه مصدراً نيزكياً (radiant) على مثل صدور اسهم نارية عديدة من مصدر واحد . على ان قليلاً من التروي يرشدنا الى كون وُجه النيازك المنبعثة من مصدر واحد متحاذيةً ليست مجتمعةً في ذلك المصدر . ودليل ذلك انك اذا تأملت في سكة حديدية خُيّل لك ان سكتيها يلتقيان على بُعدٍ معلوم مع انهما في الحقيقة متحاذيان دائماً . ثم ان موقع المصادر النيزكية لا يختلف باختلاف امكنة الرصد . مثال ذلك انَّ في الساعة التي يرى فيها راصدو باريس مصدراً واقعاً في كوكبة فرساوس او رأس الغول (Persée) يراه كذلك في نفس ذلك المكان راصدو الفلك في سائر انحاء المعمور . على ان كل طائفة من هؤلاء الراصدين ترى قسماً من السرب النيزكي مختصاً بها دون سواها . وما علة ذلك سوى كون السرب في مجموعه متجهاً على شكل أسراب جزئية متحاذية من كوكبة فرساوس الى كل سطح الكرة الارضية . فكل مكان من هذا السطح يرى السربَ الجزئي الواصل اليه وكل الامكنة الممكن فيها مشاهدة كوكبة فرساوس ترى سربها الخاص صادراً من مصدر عامّ واحد واقع في تلك الكوكبة

قد تفرّغ بعض الاختصاصيين من علماء الفلك لرصد تلك الاسراب الغريبة فاتت ارصادهم بنتائج مهمة . فالانكليزي دِنِنغ (Denning) مثلاً نشر من عدة اعوام جدولاً ذكر فيه ٤،٥٠٠ مصدر نيزكي عُرفت مواقعها بالتدقيق على اثر نحو مائة وعشرين الف رصد ! وقد جرى اكثر تلك الارصاد في اوربة الغربية وفي الولايات المتحدة . فلو برشر مثلها في كل انحاء العالم على السواء لزاد عدد المصادر النيزكية المسجلة في ذلك الجدول اضعافاً كثيرة

يلزم الانتباه الى ان كلاً من الاسراب النيزكية يظهر مدةً ثم يغيب فيظهر ثانيةً وهلمّ جرّا بتساوي الاوقات الفاصلة بين ظهورين متواليين . ففي أوربة الشمالية

لا يمكن مشاهدة اكثر من ستة او سبعة مصادر نيزكية في آن واحد . اليك مثلاً على ما سبق شرحهُ . رصد الفلكيّان الاميركيّان بلمر والستد سنة ١٨٣٣ مصدرًا احصيا في سربة نحو ٢٤٠،٠٠٠ نيزك في مدّة تسع ساعات لا غير! وكان رُصد نفس ذلك المصدر ٣٣ سنة قبلًا و ٣٣ سنة بعد . وقد بحث الفلكيون عن سبب اطوار ذلك الظهور والخفاء فتحققوا ان السرب المذكور يسير على اثر مذنّب ظهر في سنة ١٨٦٦ . وهذا المذنّب يبتعد عنّا متجهاً نحو فلك السيارة اورانوس — وهي ابعد السيارات عن الشمس من بعد نبتون — ثم يقفل راجعاً الى جوارنا بعد انقضاء ٣٣ سنة . فلا غرو ان يظهر بعد تلك المدة ذاتها سربُ النيازك السائر على اثره سيرَ حاشيةٍ وراء اميرها . فصحَّ المثل : متى عُرف السبب بطل العجب

في الشروح السابقة تمهيد للمسألة التالية الجوهرية التي بقي علينا حلُّها وهي :

١١ ما اصل النيازك ؟

ان السرب النيزكي اللاحق كل ٣٣ سنة المذنّب المشار اليه سابقاً ليس نسيجَ وحده في ارصاد الفلكيين بل هو حنطة من كثيب . ولذلك قد ذهب ائمة الفلك الى ان النيازك متكونة شيئاً فشيئاً من انحلال المذنّبات القصيرة العمر بالنسبة الى الشمس والنجوم بل والسيارات . فهي تعيش بضعة آلاف من السنين ليس الّا في حين ان الاجرام السماوية الاخرى قد مرّ على وجودها آلاف اجيال . فلا بدّ اذًا من القول بان المذنبات تتفتت شيئاً فشيئاً فيتألف من فتاتها اسراب نيزكية متلاصقة سائرة على اثر امّها في نفس فلكها المستطيل جدًّا والضيّق للغاية الذي تدور فيه المذنّبة المتناقصة تدريجاً . ثم ينحلُّ على ذلك النحو كلٌّ من تلك الاسراب الى نيازك منفردة مختلفة السرعة متباعدة بعضها عن بعض بعد ان كانت مجموعة الشمل متفقة السرعة

وعلى كلّ حال فمتى دنا سربٌ نيزكي او نيزك منفرد الى ارضنا فلا بُدّ — اذا كان الدنوّ شديدًا — من ان يحتكّ احتكاكاً عنيفاً بالجوّ الارضي (١ فيحدث او انشذ

١) قلنا في ما سبق ان سرعة بعض النيازك تبلغ ٤٢ كيلومترًا في الثانية ، فاذا بادرت الارض الى ملاقاتها بسرعة دورانها حول الشمس اي نحو ثلاثين كيلومترًا في الثانية ، حدث اصطدام النيزك بالجوّ الارضي بقوة مجموع السرعتين نعني ٧٢ كيلومترًا في الثانية . زدْ على ذلك ان الجاذبيّة الارضية تزيد سرعة النيزك — ان سقط عموديًّا بنسبة ٩٨١ ميلمترًا في الثانية . متى دنا الينا دنوًّا كافيًا

الالتهاب والسطوع الذي ينبئنا بورود ذلك الجرم السماوي ، ولولاه لما دريناه بوجوده نظرًا الى خفة وزن النيازك

هذا رأي العلماء حاضرًا في تكوّن النيازك . على انهم لا ينكرون امكان نشأتها على صيغة اخرى . وهي ان تكون النيازك اجزاء دقيقة من الشمس او من الكواكب قذفتها هذه الى الخارج بقوة كافية ، على مثل قذف الجمرة المتقدة لآلاف من الشرارات ، ففي هذه الظروف تعلمنا الميكانيكية ان النيازك تدور حول الكوكب الذي قذفها على فلك إهليجي (elliptique) مستطيل للغاية تقضي في اجتيازه آلافًا من السنين (١ . فلا غرو اذًا ان تلتقي ملايينُ من افلاك النيازك الشمسية او غيرها بفلك ارضنا . فتُحدث اوانئذ كل الظواهر المفصّلة آنفًا

تلك هي النظريات الشائعة اليوم بخصوص نشأة النيازك . ولم يهتدِ اليها جهابذة الفلك من مثل خلادني (Chladni) وبيو (Biot) ولبلاس (Laplace) وسكياپرلي (Schiaparelli) الّا بعد اجهاد فكرهم الثاقب وفي عهد غير بعيد عنّا نعني في اوائل الجيل التاسع عشر

الرُّجم او الحجارة الجوّية

قلنا غير مرّة ان الفرق عرضيٌّ بين النيازك والرُجم فانّ هذه اضخم كثيرًا من تلك ولذلك تسقط على سطح الارض ولو التهبت وانحلت انحلالًا جزئيًا في اثناء سقوطها . وبناء على ذلك فاكثر الاعتبارات السابقة تنطبق على هاتين الطائفتين . فتكملةً للشروح الآنفة نختم مقالتنا بباب وجيز للغاية على الرُجم

يتراوح وزن الرجم من بضعة غرامات الى بضعة آلاف من الكيلوغرامات . ومن اضخمها حجر كبير سقط على شاطئ نهر پلاتا الفاصل بين جمهوريتي ارجنتين وأورُغواي في اميركة الجنوبية ، فكان وزنه خمسين الف كيلوغرام ولو اصاب امنعَ قلعةٍ لدكّ اركانها

١) على مثل هذا النمط قد ثبت بالحساب الميكانيكي اننا لو تمكنّا بواسطة مدفع تدير من ربي قذيفة بسرعة ٨ كيلومترات في الثانية عند خروجها من فوهة المدفع ، ولو فرضنا عدم مقاومة الهواء لسيرها ، لما سقطت على سطح الارض بل ظلّت دائرةً حولنا على شبه القمر فتأمل !

ومن اغرب الادلة على وحدة اصل النيازك والرُجم ان لهذه اسراباً كما لتلك. ومن اشهر اسراب الرجم التاليان: واحدٌ سقط في جوار أُرغواي (Orgueil) بمقاطعة أرن (Orne) بفرنسة في ٢٦ نيسان ١٨٠٣ فكان مشتملاً على نحو مائة حجر انتثرت في داخل دائرة مستطيلة الشكل طولها ٢٨ كيلومتراً. والآخر انحدر بقربة من لِكل (Laigle) في نفس المقاطعة السابق ذكرها وفي التاريخ ذاته. وكان محتوياً على زهاء ثلاثة آلاف حجارة توزَّعت على داخل دائرة طول قطرها ١٢ كيلومتراً

امَّا سقوط الرجم فيرافقه في غالب الاحيان وميضٌ شديد وانفجارٌ هائل الدويّ وصفيرٌ غريب عند اجتيازها بسرعة رائعة لطبقات الجو السفلى. وفي حين سقوطها على الصعيد تكون شديدة الحرارة بحيث لا يمكن لمسها. ويفوح منها ذفرةُ الكبريت المحترق وبارود المدافع. اما شكلها فغير منتظم وكثير الخشونة(١

*

قد بلغنا الآن حدَّ هذه المقالة الكثيرة المشاكل. وحسبُنا لذةً عقلية جنيناها من ذلك البحث العويص وقوفنا على انَّ الفضاء اللامتناهي لا يوجد فيه مكان خالٍ من الاجرام المتحركة. فبين ملايين النجوم البعيدة جدًّا بعضها عن بعض مليارات من النيازك – وهي كأتربة المذنبات او النجوم نفسها – السائرة فرادى او زرافات بسرعة البرق الخاطف في كل جهات ذلك الفضاء الرائع. على ان حركاتها وان خفيت عنا في اغلب الاحيان فكلها منتظمة تابعة لنواميس الميكانيكية السماوية التي كان العلامة الانكليزي نيوتن اول من ازاح طرف الحجاب عن بدائعها الثمانة. فكأن تلك النيازك رُسل خفية رشيقة كالفكر بين الكواكب الهائلة الحجم. ولها فوق ذلك على قلوب الناس جاذبية الاشياء الثمينة الجميلة السريعة الزوال كازهار الربيع ومحاسن الشباب فينطبق عليها تماماً هذا البيت الفتَّان الذي وصف به احد شعرائنا الياسُ افندي فياض أنفسَ الشعراء الجوالين فشبَّهها بالدراري قائلاً :

فتُثير الظلامَ حيناً وتمضي في ثياب الخلود نحو الفناء

١) اطلب ما ورد عن الرجم الذي سقط في الشام الماضي في بيروت واصاب جملون احدى قاعات كليتنا (المشرق ٢٠[١٩٢٢]: ٧٨و١٥٨)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

الشعراء المخضرمون

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٦ الحُرَقة هند بنت النعمان

هي التي تُعرَف بهند الخُمرى ابنة النعمان بن المنذر ملك الحيرة. قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (٢: ٣٢—٣٣): «انَّ هندًا كانت من اجمل نساء اهلها وزمانها وأُمها مارية الكنديَّة ... رآها عديّ بن زيد الشاعر النصرانيّ العبادي وزير النعمان يوم خميس الفصح اذ دخلت البيعة مع حاشيتها وعمرُها حينئذٍ احدى عشرة سنة فهَويها. ثم اتى النعمان بعد الفصح بثلاثة ايَّام وذلك في يوم الاثنين فسألهُ ان يتغدَّى عندهُ هو واصحابهُ فلمَّا اخذ منهم الشراب خطبها الى النعمان فاجابهُ وزوَّجهُ وضمَّها اليهِ. قال خالد بن كلثوم: فكانت معهُ حتى قتلهُ النعمان (١ فترَّهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة. وقال ابن الكلبيّ: بل ترَّهبت بعد ثلث سنين ومنعتهُ نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت وكانت وفاتها بعد الاسلام بزمن طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة وخطبها المغيرة فردَّتهُ». وروى ابن حبيب عن ابن الاعرابي انَّ النعمان لمَّا حبس عديًّا اكرههُ في امرها على طلاقها ولم يزل بهِ حتى طلَّقها وقيل انها ترَّهبت وبنت ديرها المنسوب اليها بعد ان حبس كسرى اباها ومات في حبسهِ اقامت في ديرها مترهِّبة حتى ماتت فدُفنت فيهِ

وممَّا رواهُ ايضاً ابو الفرج (في الاغاني ٢: ٣٣) انَّ هندًا بنت النعمان كانت تَهوى

---

١) اطلب ترجمة عدي بن زيد في شعراء النصرانيَّة في الجاهليَّة (ص ٤٣٩—٤٥٠)

زرقاء اليمامة وانّها ترّهبت لما قُتلت الزرقاء . وقد اصاب اسماعيل الموصلي في كتاب الاوائل (خزانة الادب ٣ : ١٨٢) منتقدًا لزعمه : «وفي قول ابي الفرج نظرٌ فانّ هندًا بنت النعمان ماتت في ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة وزرقاء اليمامة من جديس في زمن ملوك الطوائف وبينهما زمان طويل فما اعلم من اين وقع لابي الفرج هذا »

ويلوح من اخبار العرب انّ الحُرقة ابنة النعمان بعد ان قتل ابوها عديًا وقتل كسرى اباها طلبها كسرى والحّ في طلبها فابت الاقتران به . قال في العقد الفريد : «لمّا قُتل النعمان استجارت الحرقاء (الحُرقة) بحيّي بكر وتغلب من كلّ طالب يطلبها والحّ كسرى في طلبها فاجتمعت القبائل وجرت وقائع يطول ذكرها . ثم انّ الحرقاء لبست المسوح وتخفّت من الازواج »

وقد بنى رواة العرب على ذلك رواية تاريخيّة في كتاب «حرب بني شيبان مع كسرى انوشروان في شأن الحُرقة ابنة النعمان» منهُ نسخة خطّية في مكتبة لندن (Ms. 913) وفي مكتبتنا الشرقيّة . وقد طُبع هذا الكتاب في بباي سنة ١٣٠٥هـ . وقد ورد هناك ابيات للحُرقة نظنّها مصنوعة . فمن ذلك قولها لمّا استجارت ببعض قبائل اياد وغسّان فأبوا ان يجيروها خوفاً من كسرى فقالت (من الكامل) :

لم يبقَ في كلّ القبائلِ مطمعٌ ... لي في الجوارِ فقتلُ نفسي أعوَدُ
ما كنتُ احسبُ والحوادثُ جمّةٌ ... انّي اموتُ ولم يَعُدْني العُوَّدُ
حتّى رأيتُ على جرايةِ مَولِدي ... ملكاً يزولُ وشملُهُ يتبدّدُ
فدُهيتُ بالنُّعمان اعظمَ دُهيةٍ ... ورجعتُ من بعد السَّميدع أطرَدُ
وغَشيتُ كلَّ العُربِ حتّى لم أجد ... ذا مِرّةٍ حسَنِ الحفيظةِ يَنجُدُ
ورجعتُ في أكدار نفسي لا أعي ... عطشاً وجوعاً حرُّهُ يتوقّدُ
يا نفسِ موتي حسرةً واستيقني ... سيضمُّ جسمَكِ بعد ذاك المُلحَدُ
خاب الرجا ذهب العزا قلّ الوفا ... لا السيلُ سهلٌ ولا نجودي أنجُدُ

جمدتْ عيون الناسِ من عَبَراتها وقلوبُهم صمٌّ صِلادٌ جَلْمَدُ
لا يرحمونَ يتيمةً مكروبةً مقتولةَ الآباءِ نِضْوًا تُطْرَدُ
تبغي اجِوارَ فلا تُجار وقيل ذا كان المنادي للجوار يُسَوَّدُ
افٍّ لدهرٍ لا يدومُ سرورُهُ ولخصبِ عيشٍ غَضُّهُ يَتنكَّدُ
ما الدهرُ ألا مثلُ ظلٍّ زائلٍ وبدورِ شمسٍ فارقَتْها الأَسْعُدُ
وصروفُ هذا الدهرِ اعظمُ مطلباً للأعظمينَ فيلْكَهُمْ يتودَّدُ
قومي تبيَّني للملمات فانهُ أولى بذي حزنٍ اذا لا يُسعَدُ

وقالت لما استجارت ببني شيبان وادخلتها صفيّة بنت ثعلبة في حمى قومها (من الكامل) :

أَحيوا الجوارَ فقد اماتَتْهُ معاً كلُّ الاعاربِ يا بني شيبانِ
شيبانُ قومي هل قبيلٌ مثلهم عند الكفاحِ وكرّةِ الفرسانِ
لا والذوائبِ من فروعِ ربيعةٍ ما مثلهم في نائب الحدثانِ
قومٌ يُجيرون اللهيفَ من العدى عند الكفاح ومن صروف زمانِ
يا آل شيبان ظفرتم في الدنى بالفخر والمعروف والاحسانِ

ثم ذكروا ما جرى بين جيوش العجم وبني شيبان من الوقائع التي جعلوا ختامها يوم ذي قار . وهو من اشهر ايّام العرب انتصروا فيه على جيوش فارس . وذو قار هذه واد متاخم لسواد العراق يذكر العرب فيه يومين والمراد هنا هو يوم ذي قار الثاني الذي وقع نحو السنة ٦١١ للميلاد قبل الهجرة باحدى عشرة سنة . وانّما اختلفوا في سببه . وقد جعلهُ هنا صاحب حرب بني شيبان وكسرى المدافعةَ عن الحرقة بنت النعمان والله اعلم . وممّا رووا لها قولها تحرّض بني شيبان على مقاتلة العجم فقالت تخاطب

زعيمهم عَمْر بن ثعلبة (من الكامل) :

حافظ على الحسبِ النفيس الارفعِ بمدجّجين مع الرماح الشُرّعِ
وصوارمٍ هنديّةٍ مصقولةٍ بسواعدٍ مفتولةٍ لم تُنْزَعِ
وسلاهبٍ من خيلكم معروفةٍ بالسَّبق عاديةٍ بكلّ سَمَيْدعِ
واليومُ يوم الفصل منك ومنهمُ فاصبرْ لكلّ شديدةٍ لم تُدفَعِ
يا عمرو يا عَمْرَ الكفاحِ فتى الوغى يا ليثَ غابٍ في اجتماع المجمعِ
احذر على فقدان صبرك واظفرَنْ فتُضيعَ مجداً كان غير مضيَّعِ
أظهر وفاءً يا فتًى وعزيمةً كيما يُذاعُ بفخركم في تُبَّعِ

وقالت الحُرقة ايضاً لعمرو (من الطويل) :

فديتك من عمرو يروحُ ويَغتدي بيأسٍ اذا ناواهُ قومٌ بهائلِ
رغمنا بعمروٍ أنف كسرى وجندهِ وما كان مرغوماً بكل القبائلِ
وهذا قُصارى الامر فاحملْ محبّراً لكُمَّيك ما بين الظُّبى والذوابلِ

وقالت بعد انتصار بني شيبان تمدح صفيّة اخت عمرو بن ثعلبة وقومها (من الكامل) :

المجدُ والشرفُ الجسيمُ الارفعُ لصفيّةٍ في قومها يُتوقَّعُ
ذات الحجابِ لغير يوم كريهةٍ ولدى الهياج يُحَلُّ عنها البُرْقُعُ
لا أنسَ ليلة اذ نزلتُ بسُوحها والقلبُ يخفقُ والنواظرُ تدمعُ
والنفس في غمراتِ حربٍ فادحٍ وَلَهَا الفؤادِ كئيبةٌ اتفجّعُ
مطرودةٌ من بعد قتل ابوَّتي ما ان أُجارُ ولم يسَعْني المضجعُ

ويئستُ من جارٍ يُجيرُ تكرُّماً فأجرتُ واندملتْ هناك الأضلعُ
فألحَّ كسرى بالجنود عليهمُ وطميحُ يُردفُ بالسيوفِ ويدفعُ
كم زادهم من غارةٍ ملمومةٍ بالقَبِّ تَقطبُ والاسنَّةُ تلمعُ
وهمُ عليهِ واردون بعزمهم والنصرُ تحت لوائهم يترعرعُ
حتَّى غدا العجميُّ في اجنادهِ والقومُ جرحى والمذاكي ضُلَّعُ
قد أهلكَ الدهرُ الغواةَ بفعلهم والحقَّ بان ونورهُ لا يُقلعُ

وذكر الراوي بعد ذلك مصالحة كسرى للعرب وزواج الحرقة مع ابن عمها الملك الرَّيان بن المنذر الذي ادرك الاسلام ومات في سنة الهجرة في يوم أُحد . على انَّ هذه الرواية تخالف ما سبق من امتناع الحرقة هند بنت النعمان عن الزواج بعد موت ابيها وانحباسها في الدير الذي شيَّدتهُ في الحيرة

ثمَّ انَّ الكتبة لم يقتصروا على ما ذكروهُ من امر هند بنت النعمان وانَّما زعموا انَّ الحجَّاج بن يوسف الثقفي عامل الامويين على الكوفة خطبها لحسنها وبذل لها مالًا كثيرًا فتزوَّجها وانَّما تركتهُ وهجته فطلقها فاعطت مَن بشَّرها بخلاصها منهُ مائتي الف درهم . هكذا ورد في الكتاب الرابع من الف ليلة وليلة (ص ٦٩) . وجاء هناك انَّ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ارسل اليها يخطبها فاشترطت عليهِ ان يأمر الحجَّاج فيقود مَحملها الى دمشق لتعبث بهِ . ولمَّا اخذ بزمام بعيرها كشفت ستارة المحمل وضحكت منهُ . فانشد هذا البيت :

فان تضحكي يا هندُ يا رُبَّ ليلةٍ تركتُكِ فيها تسهرينَ نواحا

فاجابتهُ بهذين البيتين (من البسيط) :

وما نُبالي اذا ارواحنا سَلِمت بما فقدناهُ من مالٍ ومن نشبِ
فالمالُ مكتسَبٌ والعزُّ مرتجعٌ اذا اشتفى المرءُ من داءٍ ومن عطبِ

وروى هناك انها رمت من يدها بدينار وزعمت انهُ درهم طلبت من الحجَّاج

ان يناولهُ اياها فقال: هذا دينار ليس درهماً. فقالت: الحمدُ لله الذي عوّضنا بالدرهم الساقط ديناراً فناولنا اياهُ. فخجل من ذلك ثمَّ اوصلها الى قصر امير المؤمنين عبدالملك ابن مروان ودخلت عليهِ وكانت محظيَّةً عندهُ

ولا غرو ان هذه الرواية ايضاً مصنوعة لانَّ موتها وقع قبل عهد الحجّاج وملك عبدالملك بن مروان كما سترى. ورد في معجم ما استعجم للبكري (ص٣٦٢) «انَّ هند بنت النعمان التي تُعرَف بحُرَقة (ويُقرأ بحُرَيقة) هي التي دخلت على خالد ابن الوليد لما افتتح الحيرة فقال لها: أَسلِمي حتى ازوّجك رجلاً شريفاً من المسلمين. قالت: امَّا الدين فلا رغبة لي عن ديني ولا ابتغي بهِ بدلاً وامَّا التزويج فلو كانت فيَّ بقيَّة لما رغبتُ فيهِ فكيف وانا عجوز هامَّةُ اليوم او غدٍ»

وكان فتحُ خالد للحيرة السنة الثانية عشرة للهجرة فوجد هنداً عجوزاً فكيف امكن عبدالملك بعد ذلك بخمسين سنة ان يخطبها؟ ومنهُ ترى ما في اخبار العرب من الاضطراب. ثم اردف البكري: «وقال خالد لهند: سَلِيني حاجتكِ. فقالت: هؤلاء النصارى الذين في ايديكم تحفظونهم. فقال: هذا فرضٌ علينا وقد وصّانا بهِ نبيُّنا. قالت: ما لي حاجة غير هذه انا ساكنة في دير بنيتُهُ ملاصق هذه الأَعظُم البالية من اهلي حتى أَلحقَ بهم. فامر لها بمونة ومال وكسوة. فقالت: «ما لي الى شيءٍ من هذا حاجة. لي عبدان يزرعان مزرعةً لي القوتُ منها ما يمسك رقي (رَمَقي)». وزاد ياقوت على هذا في معجم البلدان (٢: ٧٠٨) انَّ خالداً «قال لها: اخبريني بشيءٍ ادركتِ. قالت: لقد طلعت الشمس بين الخورنق والسَّدير الَّا على ما هو تحت حكمنا فما امسى المساء حتى صِرنا خَوَلاً لغيرنا ثمَّ انشأت تقول (من الطويل):

بينا نسوسُ النـاسَ والامرُ أمرُنا ... اذا نحنُ فيهم سوقةٌ نُتَنصَّفُ (١

فتبّاً لـدنيا لا يـدومُ نعيمُهـا ... تَتَقَلَّبُ تاراتٍ بنـا وتَصَرَّفُ (٢

ثم قالت: «اسمع مني دعاء كنّا ندعو بهِ لأَملاكنا: شكرَتْكَ يدٌ افتقرتَ بعد غنًى ولا ملكَتْكَ يدٌ استغنت بعد فقر. واصاب الله بمعروفك مواضعهُ ولا ازال عن

١) ويروى: فينا نسوق ... وتتنصَّف اي تُتَّخذ كخدم. التنصف الخادم
٢) ويروى: فافٍ لدنيا

كريم نعمةً الّا جعلك سبباً لردّها اليه ولا جعل لك الى لئيم حاجةً وعقد لك اليَّن في اعناق الكرام». (قال) فتركها وخرج فجاءها النصارى وقالوا: ما صنع بكِ الامير ؟ قالت :

صان لي ذمّتي واكرَمَ وجهي انّما يُكرِمُ الكريمَ الكريمُ

وروى ابوالفرج في الاغاني(١٤ : ١٤١)والمبرّد في الكامل(ed. Wright, ٢٦٦) قالا: ركب المُغيرة بن شُعبة وهو والي الكوفة فصار الى دير هند بنت النعمان وهي عمياء مترهّبة بنت تسعين سنة فاستأذن عليها فقيل لها : امير هذه المدَرة بالباب . فقالت: قولوا لهُ: أمِن ولَدِ جبَلة بن الأيهم انت ؟ قال: لا. قالت: افمن ولد المنذر بن ماء السماء انت ؟ قال: لا. قالت: فمن انت ؟ قال : انا المغيرة بن شعبة. قالت : انت عامل الكوفة ؟ قال: نعم. قالت: فما حاجتُك ؟ قال: جئتكِ خاطباً. قالت: لو جئتني لجمالٍ او لمالٍ لأجبتاك: «مالي رغبة لجمال ولا لكثرة مال» ولكنك اردتَ ان تتشرّف في محافل العرب فتقول: تزوّجتُ بنت النعمان بن المنذر والّا فايُّ خير في اجتماع أعورَ وعمياء. هذا والصليب ما لا يكون ابدًا أوما يكفيك فخرًا ان تكون في مُلك النعمان وبلادهِ فتدبّرها كما تريد. فقال: وكيف كان امركم. قالت : «سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس في الارض عربيٌّ الّا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثمَّ اصبحنا وليس في الارض عربيٌّ الّا ونحن نرغب اليهِ ونرهبهُ». قالت هذا وبكت فخرج المغيرة وهو يقول :

ادركتُ ما منّيتُ نفسي خاليًا لله درُّكِ يا ابنةَ النعمانِ
فلقد رددتِ على المغيرة ذهنَهُ انّ الملوك ذكيّةُ الاذهانِ
اني لِحَلفِكِ بالصليب مصدّقٌ والصّلبُ اصدقُ حلفةٍ الرهبانِ

وكانت بعد ذلك تدخل عليهِ فيكرمها ويُبرّها

واخبر الجاحظ في كتاب المحاسن والمساوئ(ص ١٧٥)وابن العربي في محاضرة الابرار (٢ : ٢٢٥) وغيرهما قالوا : زعموا انَّ زياد بن ابيهِ مرَّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمهِ: لمن هذا ؟ قال: دير حُرَقة بنت النعمان بن المنذر. فقال: ميلوا بنا اليهِ لنسمع كلامها. فجاءت الى وراء الباب فكلّمها الخادم فقال لها: كلّمي الامير . قالت :

أأوجزُ ام أطيل ؟ قال: بل أوجزي. قالت: كنّا اهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض احد اعزُّ منّا فما غابت تلك الشمس حتى رَجَمَنا عدوُّنا. (قال) فامر لها بأوساقٍ من شعير فقالت: أطعمتك يدٌ شبعى جاءت ولا أطعمتك يدٌ جوعى شبعتْ. فسُرَّ زياد بكلامها فقال لشاعر معهُ: قيّد هذا الكلام ليُدرَس فقال:

سَلِ الخيرَ اهلَ الخير قدماً ولا تسَلْ فتى ذاق طعمَ الخيرِ منذُ قريبِ

ويقال انَّ فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حُرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها: ما يُبكيكِ ؟ قالت: ما من دارٍ امتلأت سرورًا الّا امتلأت بعد ذلك ثبورًا ثم قالت: فبينا نسوس... (البيتان)

واخبر الطرطوشي في سراج الملوك وعبد القادر البغدادي في خزانة الادب (٣: ١٨٢) والخفاجيّ في شرحهِ على درّة الغوّاص (ص ٢٥٢) وابن العربي في المسامرات (١: ١٤١) قالوا: لمّا قدم سعد بن ابي وقّاص القادسيّة اميرًا قيل لهُ: هاهنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحُرقة بنت النعمان وكانت من اجلّ عقائل العرب وكانت اذا خرجت من بيتها نشرَتْ عليها الف قطيفةٍ خزّ وديباج ومعها الفُ وصيفٍ. فارسل اليها سعد فجاءت كالشنّ البالي في جوارٍ لها زُيّن كزيّها فلمّا وقفنَ بين يديهِ قال: أيّتكنَّ حُرقة ؟ قالت هي: «انا حُرقة فما تكرارُك الاستفهام عني ؟ انَّ الدنيا دار قُلعة وزوالٍ وانّها تنتقل باهلها انتقالًا ولا تدوم على حال. يا سعد كنّا ملوكَ هذا المِصر قبلك يُجبَى الينا خراجُهُ ويطيعنا اهلُهُ. فلمّا أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدّعَ عصانا وشتّت ملأنا والدهرُ ذو نوائب وصروف. فلو رأيتنا في ايّامنا لأرعدتَ فرائصَكَ فرَقًا منّا. فقال لها سعد: ما انعمُ ما تنعّمتم بهِ ؟ قالت: سَعَة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا دعونا. ثمَّ انشأت تقول من شعر لها: فبينا نسوسُ... (البيتان). فقال سعد: قاتل الله عديّ بن زيد كأنّهُ ينظر لهذه حيث يقول:

انَّ للدهر صولةً فاحذرنّها لا تيئسنَّ قد امنتَ الدهورا
كم بيتُ الفتى معافًى فيَرْدى ولقد بات آمنًا مسرورا

ثمَّ قالت: «يا سعد انهُ ليس من قوم في يُسرة الّا والدهر يُعقبهم حسرةً حتى يأتي امرُ الله على الفريقين». فاكرمها سعد واحسن جائزتها

قال ابن العربيّ في محاضرة الابرار (١ : ١٤٢) . فبينما هي تخاطب سعدًا اذ دخل عمرو بن معدي كرب فقال : انتِ حُرَقة التي كانت تُفرَش الارض من قصركِ الى بيتكِ بالديباج المبطَّن الموشّى ؟ قالت : نعم . قال : ما الذي دهتكِ واذهبَ محمود شِيَكِ وغوَّرَ ينابيع نِعَمكِ وقطع سُطُوات نقمكِ . قالت : يا عمرو انَّ للدهر عثرات تُلحق السيّدَ من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة وتُذلّ ذا النعمة وانَّ هذا امرٌ كنَّا ننتظرهُ فلمَّا حلّ بنا لم ننكرهُ .

وروى ابن العربيّ ايضاً (٢ : ٣٥٢) عن اسحاق بن طلحة بن عبيدالله قال : دخلتُ على خرقة (حُرَقة) بنت النعمان وقد ترهّبت في دير لها بالحيرة وهي في ثلاثين جارية لم يُرَ مثل حسنهنَّ قطّ فقلت : يا خرقة (حرقة) كيف رأيتِ في الدنيا غِيَرات الملك ؟ قالت : «ما نحنُ فيه اليوم خيرٌ ممّا كنّا امس . انّا نجد في الكتب انهُ ليس من اهل بيت يعيشون في حَبْرة الّا سيُعقَبون بعدها غَبْرة . وانَّ الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبُّونهُ الّا بَطَنَ لهم بيوم يكرهونهُ . وانَّ على ابواب السلطان كاخوانٍ من الفتن من اصاب من دنياهم شيئاً اصابوا من دينهِ مثليهِ وقد قلتُ في ذلك شيئاً» . فقلتُ : وما هو ؟ فقالت : بينا نسوسُ . . . (البيتان)

ومن شعرها ما رواهُ صاحب الاغاني (٢٠ : ١٣٥) تحرّضُ قومها يوم ذي قار (من الوافر) :

ألا أبلغ بني بكرٍ رسولًا ... فقد جَدَّ النفيرُ بعَقْقَيرِ
فليتَ الجيشَ كلَّهمُ فداكم ... ونفسي والسريرَ وذا السريرِ
كأني حين جدَّ بهِ اليكم ... معلَّقةٌ الذوائب بالعُبُورِ
فلو انّي أطقتُ لذاك دفعاً ... اذن لدفعتُهُ بدمي وزيري

وقد وقفنا للخرقة في نسخة مخطوطة من الحماسة في مكتبتنا الشرقيّة (ص ١٣٥) على رثاء قالتهُ في عدّاء وهو زوجها الاوّل عديّ بن زيد (من الطويل) :

أعدّاءَ مَنْ للمَعْمَلاتِ على الوَجى ... واضيافِ ليلٍ بيّتوا لنزولِ
أعدّاءَ ما للعيش بعدكَ لذّةٌ ... ولا للخليل بهجةٌ بخليلِ

اعـدّاء ما وجدي عليـك بهيّنٍ ولا الصبرُ ان أُعطيتُهُ بجميـلِ
كـأنّي والعـدّاء لم نَسْرِ ليلـةً ولم نُزْجِ أنضـاء لهنّ ذميـلُ
ولم نَلوِ رَحْلَينـا ببيـداء بَلْقعٍ ولم نَرْمِ جَوْزَ الليلِ حيث يميلُ

هذا ما حصلنا عليهِ من آثار تلك المرأة التي تمتّعت دهرًا بنعيم الدنيا ثمّ زهدت بملاذّها الباطلة وانقطعت في ديرها الى خدمة باريها الى آخر انفاسها فماتت كما قال في الاغاني في ولاية المغيرة بن شعبة اعني نحو ٢٠ للهجرة (٦٤٢ م) ودُفنت في ديرها

(لهُ صلة)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

حرف السين

٣٩٠ ﴿سابا﴾ القديس يوحنّا النينوي اشتهر في القرن السادس في احد اديار العراق وعُرف بالشيخ الروحاني. كتب بالسريانية وانّما عُرّبت تآليفهُ ولا يُعرَف معرّبها. لهُ : ١ ٣٠ ميمرًا في العيشة النسكيّة والفضائل الرهبانيّة. يوجد عدّة نسخ من هذه الميامر. نسختان في المكتبة الفاتيكانيّة (Vat. 69 et 518) ترتقي احداهما الى القرن السادس عشر ونسختان في مكتبة باريس (Paris, n° 157. n° 10 et 158) ونسخة ثالثة بالكرشوني (Syr. n° 202) مع تفصيل الميامر. وكذلك فصّلها السمعاني في المكتبة الشرقيّة (B. O., I, 441 seq) ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٧٥٠) كتبها القسّ اغناطيوس في دير الاويزة سنة ١٧٠٨. وقد دخل منها

حديثاً نسخة قديمة في مكتبة لندن (ع ٣٩٨) ناسخها ابو اسحاق بن قسطنطين بن عميد الدولة بن عبد المسيح وفي آخرها هذان البيتان:

يا طالب العلم باشر الورَعا واجتنب النوم واهجر الشيَما
أقبل على الدرس لا تفارقهُ فالعلمُ بالدرس قام وارتفعا

وللقديس يوحنا سابا ٢ً رسائل يبلغ عددها ٤٨ رسالة في مواضيع روحيّة ضُمّت الى بعض النسخ السابق ذكرها. وقد عدّدها ايضاً السمانيّ في المكتبة الشرقيّة

٣٩١ ﴿ سابور بن سهل ﴾ الطبيب الملازم لبيمارستان النصارى في جنديسابور المتوفى سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) اطلب ترجمتهُ في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة (١: ١٦١) وقد ذكر لهُ هناك: ١ً عدّة تآليف اشهرها كتاب الاقرباذين الكبير في ١٧ باباً. منهُ نسخة في مكتبة مونيخ (Ms. 808). ثم ٢ً كتاب قوى الاطعمة ومضارّها ومنافعها. ٣ً ردّ على حُنين في كتابهِ الفرق بين الغذاء والدواء المسهل. ٤ً القول في النوم واليقظة. ٥ً كتاب ابدال الادوية

٣٩٢ ﴿ سالارينوس ﴾ الكردينال كان في اوّل القرن الثامن عشر. في مكتبتنا الشرقيّة « تعريب رسالة الكردينال سالارينوس حرّرها الى مطران الروم المرتم على مدينة فيلادلفية سنة ١٧٠٠ » عُربت سنة ١٧٩٠

٣٨٣ ﴿ سالم ﴾ الاب فرنسيس ماريا الراهب الفرنسيسي الصقلّي من مدينة سالم المرسل الى مصر كان في اواخر القرن السابع عشر نشر في رومية سنة ١٦٩٤ مختصر اعمال المجمع الخلقيدوني تحت عنوان «مضمون المجمع الخلقيدوني المقدّس الارثوذكسيّ في « علّة هرطقة اوطاخي المنافق» معرّباً عن اللاتينيّة في مصر

٣٩٤ ﴿ سالم ﴾ القس لاونطيوس او لانديوس الحلبيّ الملكيّ ازهر في اواسط القرن الثامن عشر. لهُ: ١ً في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٥٨) وفي مكتبتنا الشرقيّة « رسالة تتضمّن الردّ على قول ميخائيل القبطيّ مطران دمياط في ترك الاعتراف على معلّم » وكانت الطائفة القبطيّة ارسلت كتابة ميخائيل المذكور الى القس لاونديوس سالم فكتب تفنيدها في رومية العظمى سنة ١٧٦٨ في مقدّمتين و ٢٣ فصلاً. ٢ً في مكتبة دير الشير وفي مكتبة دير بزمّار للقس لاونديوس كتاب ايقاظ الغافل وتنبيه المتجاهل. تاريخ نسخة دير الشير سنة ١٧٥٨. ٣ً في مكتبة الموارنة في حلب

(ع ٤٧١) ترجمة اعترافات القديس اوغسطينوس عربها القس لاونديوس سنة ١٧٠٥ . ٤ بين مخطوطات مكتبة البروبغندا (ع ١٨) وفي بيت الشماس نقولا أيوب في حلب كتاب تأملات مار اوغسطينوس عربها القس المذكور

٣٩٥ ﴿سان ڤيتالي﴾ الاب جاك اليسوعي (J. Sanvitale) المتوفى في ٧ ك ٢ سنة ١٦٨٣ له تأملات يومية لشهر قلب يسوع طبعت في المطبعة الكاثوليكية في آخر كتاب تكريم القديسين سنة ١٨٦٧

٣٩٦ ﴿ساوسطوس﴾ الدرابزوني الكيميلطس الاورثذكسي من اهل القرن الثامن عشر . له في مكتبتنا الشرقية مع كتاب ثاوكطستوس اسقف حلب مقالة في تقديس سر القربان بصلاة الروح القدس (Epiclèse) على خلاف تعليم الكنيسة

٣٩٧ ﴿ساويروس الانطاكي﴾ هو البطريرك اليعقوبي الدخيل المتوفى سنة ٥٣٩ له في السريانية كتب مختلفة طقسية ووعظية . وقد عرب من تاليفه : كتاب امانة ساويروس منها نسخة في المكتبة الفاتيكانية (Vat. n° 74) وفي مكتبة باريس (Syr. 238, n° 3) . وله في مكتبة كلية كمبريج « موعظة على الابرص الذي شفاه السيد المسيح » تقرأ عند اليعاقبة في الاحد الثاني من الصوم

← ساويرس اسقف مليج ← اطلب بطرس الجميل
← ساويرس اسقف الاشمونين ← اطلب ابن المقفع

٣٩٨ ﴿سباط﴾ القس يوحنا السرياني الحلبي كان في القسم الثاني من القرن التاسع عشر له في مكتبة القس بولس سباط « دستور الايمان وايضاحه مع تفنيد اضاليل اليعاقبة »

٣٩٩ ﴿سبريشوع﴾ هو القس سبريشوع ابن فولس الموصلي النسطوري من كتبة القرن العاشر والحادي عشر اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (BO, III. p. 541) . له في المكتبة الفاتيكانية (Vat. 110) نسخة من جدال جرى له مع بعض علماء اليهود في امر المسيح . وله هناك ايضاً كتاب في الرد على اليعاقبة في تأييد البدعة النسطورية .

٤٠٠ ﴿سبستيانوس﴾ هو احد الرهبان الفرنسيين المرسلين الى الشرق في القرن الثامن عشر . له في بيت الشماس شكري أيوب كتاب صلوات مختلفة

وتعليم المترشحين المناولة الاولى وتأملات في آلام السيّد المسيح

٤٠١ ﴿ إلسبعلي ﴾ هو البطريرك الماروني بطرس جرجس بن الحاج رزق الله المتوفى في ١٢ نيسان ١٦٧٠ . لهُ في مكتبة باريس عدّة رسائل ارسلها في عهد بطريركيّته سنة ١٦٥٨ الى ملك فرنسة والى الملكة والى الكردينال مازارين والدوق دي غويز

٤٠٢ ﴿ سبيراكو ﴾ المنسنيور لويس الايطالي . عرّب لهُ سنة ١٩٠٩ المرحوم المنسنيور يوسف العلم كتابهُ تعزية الخاطئين في اعترافات مار اغوسطين فنشرهُ سنة ١٩٠٩

٤٠٣ ﴿ ستلا ﴾ الراهب الفرنسيسي ديدكوس اشتهر في القسم الثاني من القرن السادس عشر توفي نحو السنة ١٥٨٠ . لهُ عدّة تآليف لم يُعرَّب منها الّا كتابهُ اباطيل العالم . منهُ نسخة خطيّة في ثلاثة مجلّدات في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت مخطوطة سنة ١٦٠٣ في حلب . وقد طُبع جزء من هذا الكتاب في الشوير سنة ١٧٢٩ ثمّ طُبع بتمامهِ في اربعة اجزاء في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس ومعرّبهُ احد رهبانهم المدعو المنسنيور ميخائيل كورجادي . وقد وجدنا منهُ نسخة في بيت الشمّاس شكري أيوب في حلب يقال انّهُ «عرّبها من الاسبانيّة البادري روفائيل وَنْتابول الحافظ اللاهوتي»

٤٠٤ ﴿ سرجس بن هابا ﴾ كان روميًّا من اهل القرن الحادي عشر على ما نظن[1] نقل من الروميّة الى العربيّة كتاب الفلاحة الروميّة في ١٢ باباً للحكيم قسطوس بن اسكور . طُبع الكتاب في مصر سنة ١٢٩٣ ﻫ (١٨٦٠م) . ومن هذا الكتاب نسخة قديمة منذ نحو ٦٠٠ سنة عند جناب جرجي بك صفا تحتوي الجزء الثاني من الكتاب . وهذا كتاب الفلاحة الرومية يُنسب ايضاً تعريبهُ لقسطا بن لوقا ولاسطاث ولابي زكريّا بن يحيى بن عديّ قال الحاج خليفة في كشف الظنون (٥ : ١٣٢) «انّ ترجمة سرجس اكمل واصلح من غيرها» اطلب ايضاً مخطوطات اوكسفرد (Bodl. 439) ومجلّة الاسلام الالمانيّة (Der Islam V, 174-179)

٤٠٥ ﴿ سركيس بن يوحنّا ﴾ هو الشمّاس الزربانيّ الدمشقي كان في القرن

١) ما لم يكن الطبيب النسطوري الشهير سرجيوس الراسعيني من علماء السريان في القرن السابع ومعرب كتب عديدة من الرومية

الخامس عشر للميلاد . عرّب من السريانيّة : ١ً كتاب المصباح المرشد الى الفلاح لابي نصر ابن يحيى التكريتي (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٦٤٨) . وعرّب ٢ً من السريانيّة ايضاً كتاب منارة الاقداس لابن العبري منهُ نسخة في مكتبة اوكسفرد بالحرف الكرشوني (Bodl., Hunt, 48) ونسخة اخرى في دير الشرفة . وعنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيّة

٤٠٦ ﴿سَفَر﴾ السيّد اثناسيوس سفر العطّار السرياني اسقف ماردين المتوفّى في ٤ نيسان سنة ١٧٢٨ اطلب ترجمة حياته في المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٥٦٣—٥٧٠) من مآثره : ١ً كتاب عظمة وحدانيّة الكنيسة القدّسة الجامعة الرسوليّة القاثوليقيّة الرومانيّة ، صنفهُ سنة ١٧٢٠ هو في مكتبة باريس السريانيّة بالكرشوني (Ms Syr., 219) كتبهُ في رومية القس خدر الكلداني سنة اليوبيل العظيم ١٧٢٥ . ٢ً كتاب تفاصيل رحلتهِ الى العجم بصحبة السيد فرنسوا پيكه اسقف سيزاروبل سنة ١٦٨٥ . منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (Vat, 232) . ٣ً كتاب طريق التوبة بالسريانيّة منهُ نسختان في مكتبة دير الشرفة

٤٠٧ ﴿سكارياتي﴾ الاب بندكتوس من اهل اواسط القرن التاسع عشر . عرّب القس يوسف الشبابي الراهب الحلبي اللبناني من الايطاليّة كتابهُ تساعيّة استعداداً لعيد القديس انطونيوس الكبير فطبعهُ في مطبعة قزحيا سنة ١٨٧٤

٤٠٨ ﴿سكوبولي﴾ الاب لوران من الرهبانيّة التياتينيّة المتوفّى في نابولي سنة ١٦١٠ . لهُ : ١ً كتابهُ الشهير المنسوب اليهِ غالباً المعروف بالحرب الروحيّة عرّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي فطُبع اوّلاً في رومية (١٧٧٧) ثم في الموصل (١٨٦٨) . وقد اختصرهُ الخوري بطرس دياب العينبلي وطبعهُ في رومية سنة ١٨٥٠ تحت عنوان «كتاب سلاح المحارب ضد التجارب» . ٢ً وفي مكتبتنا الشرقيّة ملحق بكتاب الحرب الروحيّة تاليف الاب سكوبولي في ثلثة اجزاء عرّبهُ عن اللغة الايطاليّة القس متى شهوان الماروني احد تلامذة عين ورقة

٤٠٩ ﴿سكوتس﴾ هو يوحنا الراهب الفرنسيسي واللاهوتي الشهير المعروف بدونس سكوت (Duns Scot) المتوفّى سنة ١٣٠٨ . في مكتبة دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين «كتاب لاهوت يوحنا سكوتوس تأليف بطرس التولاوي

الساروني، وهو كتاب ضخم ينتقد فيه المؤلف آراء سكوتس اللاهوتية في الله تعالى وفي السيد المسيح

~~٤١٠~~ ﴿سلبستروس﴾ بطريرك الروم الاورثدكس وعدوّ الكاثوليك في اواسط القرن الثامن عشر المتوفّى في دمشق سنة ١٧٦٥ . في مكتبتنا الشرقية «مجموع قوانين الرسل القديسين والمجامع المقدّسة المسكونية والمكانية وقوانين الآباء نقلهُ من اليوناني الى العربي كير سيلبستروس البطريرك والياس بن فخر عن مجاميع ثاودورس بلصمون ويوحنا زوناراس مع تفسير بعض القوانين لبلصمون وذيل في مجموع القضايا والاحكام الذي الفهُ كير متّى البلصمري الراهب » وفي آخره يقال انّ المعرّب هو الياس فخر بواسطة الشمّاس ثاودوسيوس خادم البطريرك سيلبستروس سنة ٧٢٥٩ للعالم (١٧٥١م) في حلب، وفي مكتبة الروم البطريركية في القدس نسخة ثانية من هذا الكتاب (العدد ١)

٤١١ ﴿سلستينوس﴾ هو الهولندي بطرس غوليوس (Pierre Golius) المترهّب في الرهبانية الكرملية حيث دُعي سلستينوس النسبي الى القديسة لودفينة (Célestin de Ste Ludwine) كان مرسلًا في لبنان وتوفي في الهند في مدينة صورات سنة ١٦٧٣ . من مآثره : ١ً تعريبهُ للاقتداء بالمسيح الذي طُبع اوّلًا في رومية سنة ١٦٧٣ . منهُ نسخة مخطوطة في مكتبتنا الشرقية . وقد روى اسطفان عوّاد في مخطوطات المكتبة الديشية في فلورنسة (ص ١٣٢) انّ تعريب الاقتداء بالمسيح المنسوب الى الاب سلستينوس الكرملي منقول عن نسخة سابقة من تعريب الاب اغناطيوس الاورليانى المرسل في حلب . وهذه النسخة تاريخها سنة ١٦٣٨ موجودة في المكتبة الديشيّة . ٢ً وللاب سلستينوس ترجمة القديسة ترينيا . ٣ً حكم وآداب باللغتين اللاتينيّة والعربيّة . ونقل الى اللاتينيّة مجادلات بين كاثوليك وهراطقة ونقل ايضاً اليها القرآن (اطلب المشرق ٩[١٩٠٦]: ٨٣٧)

٤١٢ ﴿سلزاني﴾ الاب ادوار اليسوعي (P. Ed. Salzani) المتوفّى في غزير في ٢ شباط ١٩١٦ لهُ بعض تعريبات مخطوطة نشر منها بالطبع : ١ً الطريق المستقيم الى حبّ يسوع القويم للقديس الفونس ليكوري طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٩٠٣ . ٢ً العبادة الثمينة لآلام المسيح واوجاع امّهِ الحزينة . طُبع سنة ١٩١١ .

٣ً العبادة الحقيقية نحو مريم العذراء للطوباوي غريغوريون دي مونفور (١٩٠٨) .
٤ً والف تساعيّة لاكرام سيّدة التعزية في تعنايل (١٩٠٤)

٤١٣ ﴿ سليمان اسقف البصرة ﴾ كان في النصف الاوّل من القرن الثالث عشر من النساطرة . لهُ كتاب النحلة في اخبار العهدين القديم والجديد ومعلومات وفوائد شتى . كتبهُ في الكلدانيّة في ٤٠ باباً فطبعهُ العلّامة الانكليزي بودج (Budge) في اكسفرد سنة ١٨٨٦ مع ترجمتهِ الى الانكليزيّة . وهذا الكتاب قد نُقل قديماً الى العربيّة منهُ نسخ في مونيخ واوكسفرد وفي دير الشرفة وعن هذه النسخة الاخيرة نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيّة سنة ١٨٨٧ يقال في ختامها : « قد ملك على هذا الكتاب ماري ديونيسيوس ابن مطران ميخائيل مطران مدينة حلب في السنة ١٥٦٧ مسيحية الموافقة للسنة ١٨٧٨ اليونانيّة »

٤١٤ ﴿ سمعان القناني ﴾ او القانوي احد رسل المسيح الاثني عشر . ورد في كتاب المجامع والسينودسات في نسختي مكتبتنا الشرقيّة وغيرها « وصايا وقوانين السليحيين لسمعان القناني من اجل رسوم الكنيسة واهلها »

٤١٥ ﴿ سمعان السروجي القديس ﴾ المتوفّى سنة ٤٦٠ . ذكر لهُ ابو البركات ابن كُبَر في قانتهِ (Riedel. 648) كتاب المقالات الجامعة ٣٦ ميمراً من اقوال القديس سمعان . من هذا الكتاب نسخة في المكتبة الفاتيكانيّة (Vat. 70 ; B. Or., II. 510. n° 44) ومنهُ نسخة اخرى (ع٦٦) في مكتبة القبر المقدّس في القدس الشريف كُتبت في دمشق سنة ١٥٧٠ (اطلب فيها ايضاً الصفحات ٢٩ و ٣٠ و ٦٣) . وفي المكتبة الفاتيكانية كتاب اعمال القديس سمعان وترجمة حياتهِ في ٢٨٩ صفحة (Vat. 80) . وذكر لهُ ابن كبر ايضاً اجوبة عن مسائل عدّتها ٤١ مسألة و١٥ قولاً

٤١٦ ﴿ سمعان التسالونيكي ﴾ مطران سالونيك الرومي المتوفّى سنة ١٤٢٩ لهُ كتاب في الطقوس والحقّ القانوني كتبهُ باليونانيّة . منهُ نسخة معرّبة في مكتبة دير البَلَمند (ع ٩٦)

٤١٧ ﴿ السمعاني الراهب ﴾ هو الاب جرجس الانطاكي راهب دير القديس سمعان . لهُ مجادلة جرت بينهُ وبين ثلثة انفار من فقهاء المسلمين بحضرة الامير الملك المشتر في حلب على عهد اخيهِ الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب

في القرن الثالث عشر . من هذه المجادلة نسخ متعدّدة في مكاتب اوربّة الشرقيّة (Steinschneider: *Polem. Literatur, p.* 87-89) . ومنها ثلث نسخ في مكتبتنا ونسخة في مكتبة الخوري قسطنطين باشا الراهب الخلصي وفي مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب

٤١٨ ﴿ السمعاني اسطفان عوّاد ﴾ هو رئيس اساقفة حماة الماروني وناظر المكتبة الفاتيكانيّة ولد في طرابلس سنة ١٧٠٩ وتوفّي في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٧٨٢ . له تآليف متعدّدة نُشرت بالطبع اخصّها اعمال القديسين الشهداء الشرقيين والغربيين طُبع في رومية سنة ١٧٤٨ . ونشر اعمال مار افرام بالسريانيّة واللاتينيّة مع الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني (١٧٤٢) ووصف مخطوطات المكتبة المديشيّة في فلورنسة (١٧٤٢) ونقل الى اللاتينيّة اعمال المجمع اللبناني (طُبع سنة ١٨٢٠)

٤١٩ ﴿ السمعاني سمعان عوّاد ﴾ هو شقيق البطريرك يعقوب عوّاد ومطران دمشق توفي في ١٠ شباط سنة ١٧٥٦ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٧[١٩٠٤]: ٧٥٠) لهُ في مكتبتنا الشرقيّة وفي المكتبة الفاتيكانيّة (Vat. 650) كتاب في اسرار البيعة دعاهُ منارة الاسرار السبعة تاريخهُ سنة ١٧٠٦

٤٢٠ ﴿ السمعاني شمعون ﴾ المولود في طرابلس في ١٤ آذار ١٧٤٩ والمتوفّى في ٧ نيسان ١٧٨١ عالم اللغات الشرقيّة في كليّة پادوا في ايطالية . ومن مآثره وصفهُ لمخطوطات المكتبة الفاتيكانيّة وكتابهُ في وصف كُرَة سماويّة كوفيّة (١٧٩٠)

٤٢١ ﴿ السمعاني يوسف سمعان ﴾ هو رئيس اساقفة صور واشهر السماعنة وكلّهم تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية ولد في حصرون في ٢٧ آب ١٦٨٧ وتوفي في رومية في ١٣ ك ٢ ١٧٦٨ تآليفهُ كلّها عظيمة الثمن طُبع منها خصوصاً كتابهُ المكتبة الشرقيّة الفاتيكانيّة في اربعة مجلدات . ثم ترجمة تاريخ ابن الراهب الى اللغة اللاتينيّة . والقسم الثالث من اعمال مار افرام باللاتينيّة واليونانيّة ونشر قوانين وفرائض الرهبانيّة اللبنانيّة . وكتب اخرى في اللغة اللاتينيّة ويذكر له عدّة مخطوطات فُقدت بحريق حدث في المخادع الفاتيكانيّة سنة ١٧٦٨ كان من جملتها كتاب في مجموعات المجامع العربيّة والسريانيّة وكتاب في ترجمات الكتاب المقدّس فيها وكتاب في المؤلفين العرب النصارى والمسلمين وفي الطوائف النصرانيّة والدرزيّة

والاسلاميّة وتاريخ سوريّة القديمة والحديثة وغير ذلك ممّا يؤسف عليه لفقدانه

٤٢٢ ﴿ السمعاني يوسف شمعون ﴾ ويقال يوسف نعمة الله بن شمعون رئيس اساقفة طرابلس وعمّ يوسف سمعان المذكور توفي سنة ١٦٩٥ . لهُ في مكتبة الفاتيكان (ع ٧٠٤) وفي مكتبة لويزة ومكتبتنا الشرقيّة كتاب في المنطق . ولهُ ايضاً في المكتبة الفاتيكانيّة (Ms 640) وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة طاميش كتاب في علم الذمّة وهو صاحب تاريخ بطاركة انطاكية الذي طُبع في رومية سنة ١٨٨١ منهُ نسخة خطّيّة هناك (Vat., Syr. 421)

٤٢٣ ﴿ السمعاني يوسف لويس ﴾ ابن اخي السيّد يوسف سمعان السمعاني ولد في طرابلس سنة ١٧١٠ وتوفي في ٩ شباط سنة ١٧٨٢ في رومية . لهُ تأليف جليل في رتب الكنيسة الجامعة وطقوسها في ١٣ مجلّداً ثم تآليف مختلفة لاتينيّة منها طقسيّة ومنها تاريخيّة كتاريخ بطاركة الكلدان النساطرة . وقد نقل ايضاً مجموعة القوانين البيعيّة لعبد يشوع الصوباوي ولابن العبري فطبعها الكردينال ماي (Mai) سنة ١٨٣٨

٤٢٤ ﴿ السنيري ﴾ الاب بولس (P. Segneri) الواعظ اليسوعي الايطاليّ الشهير المتوفّى في ٩ ك ١ سنة ١٦٩١ . لهُ : ١ً الخطب الباهرة والمواعظ الزاجرة في مجلّدين استخرجهُ من الايطاليّة الى العربيّة القس اسطفانوس القبرسيّ سنة ١٧٦٢ وطُبع في الموصل سنة ١٨٨١ . منها نسخة خطّيّة في مكتبتنا الشرقيّة تحتوي نحو نصفها معرّبة تعريباً غير التعريب السابق كتبها سنة ١٨١٤ يوسف بن منصور الشدياق . ٢ً المواعظ السديدة الادبيّة في تثقيف المسيحي في طريقته الدينيّة عرّبها الاب بطرس فروماج اليسوعي الّا المواعظ العشر الاخيرة فعرّبها القس سركيس بن بطرس الجمري (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ١٠٠) طُبع في الموصل سنة ١٨٩٢ منهُ نسخة خطّيّة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الموارنة في حلب وفي دير طاميش . ٣ً كتاب مرشد الكاهن عرّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي سنة ١٧٣٥ طُبع في الشوير سنة ١٧٦٠ ثمّ طُبع بالكرشوني في دير قزحيا سنة ١٨٣٨ ثمّ في رومية (١٨٤٤ و ١٨٦٠) . منهُ ثلث نسخ خطّيّة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الشمّاس شكري أيوب تاريخها سنة ١٧٢٩ وقد نقلهُ الى الكلدانيّة المطران توما اودو وطبعهُ في الموصل سنة ١٨٨٢ . ٤ً مرشد المسيحي عرّبهُ الاب بطرس فروماج منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة

طُبع في القدس سنة ١٨٥٢ و ١٨٧٤ وطُبع كذلك في الموصل وطُبع في التركيَّة بحرف ارمني في البندقيَّة سنة ١٨٢٧ . ٥ً مرشد المعرّف والمعترف عربهُ الخوري يوسف الباني الحلبيّ منهُ نسخة في دير سيّدة الحقلة في كسروان . وعرّبهُ ايضاً الخوري ابراهيم جلوان من تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية منهُ نسخة في المكتبة المارونية في حلب (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٣٥٨) طُبع ايضاً بالتركيَّة والحرف الارمني في البندقيَّة سنة ١٨٣٧ . ٦ً كتاب المتعبّد اريم طُبع في رومية سنة ١٧٦٦ من تعريب احد كهنة بيعة الله المقدَّسة حلبيّ من طائفة الروم وعلى المقدّمة شهادة ديونيسيوس حجّار والاب اليسوعي ثاودورس المكرَّم (Th. Honoratus) ثم طُبع في الموصل سنة ١٨٧٠ و ١٨٩٦

٤٢٥ ﴿ سولانو ﴾ القديس فرنسيس والراهب الفرنسيسي المرسل الى اميركة المتوفَّى في ١٤ تموز سنة ١٦١٠ . في مكتبتنا الشرقية كتاب صغير بهذا العنوان «استخراج بعض نصائح مقتطفة من اعمال ماري فرنسيس سولانوس من اللغة الايطالية الى اللغة العربية منقسمة على كل يوم من ايام السنة» كُتب في مدينة مصر سنة ١٧١٠ ولم يُذكر اسم المستخرج

٤٢٦ ﴿ سيرينو ﴾ ملاتيوس الراهب الاورثذكسيّ المتوفَّى في ١٣ نيسان ١٦٦٤ اطاب ترجمتهُ في اعداد صدى الشرق (Echos d'Orient, XI et XII) . لهُ : ١ً في مكتبة القبر المقدَّس (ع ٨) وفي بيت المرحوم سليم شحاده « كتاب البراهين الواضحة السنيَّة في الردّ على الآراء الكلوينيَّة والاوترانيَّة . عرَّبهُ على ما يُظنّ السيّد درثيساوس بطريرك اورشليم سنة ١٦٩٠ . ولهُ في مكتبتنا الشرقيَّة حلّ الاعتراضات الكلوينيَّة ضدّ الاستحالة الجوهريَّة

٤٢٧ ﴿ سيغور ﴾ السيّد غستون (Mgr de Ségur) وكُتب اسمهُ ايضاً ساغور وسيكور توفي سنة ١٨٨١ . لهُ : ١ً كتاب اجوبة مختصرة في بعض اعتراضات على الديانة الكاثوليكيَّة عرَّبها السيّد لودوفيكوس بياقي وطبعها في المطبعة الافرنسيسيَّة في القدس سنة ١٨٦٣ . ٢ً كتاب المذاكرات المفيدة في حالة المذهب البروتستاني الجديدة عرَّبها المرحوم جرجس زوين . طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٦٥ و ١٨٨٠ . ٣ً نخبة الاخبار ونزهة الافكار تعريب الخوري يوسف

البستاني . طُبع في المطبعة عينها سنة ١٨١٠

٤٢٨ ﴿ سيغور ﴾ السيّدة بلَنش دي سيغور لها كتاب الحداثة المسيحيَّة مرتبة الكونتيس دي فلاڤيني . طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٥٩

٤٢٩ ﴿ سيكار ﴾ الاب كلوديوس اليسوعي (P. Cl. Sicard) المرسل في حلب والمتوفَّى في مصر سنة ١٧٢٦ . ولف عدَّة رسالات في غاديات مصر وآثارها له في مكتبتنا الشرقيَّة كتابهُ الذي ألَّفهُ في حلب في ١٣ آذار سنة ١٧٠٩ « برهان هندسي يدلُّ على انما هي الكنيسة الواحدة الحقيقيَّة » في ثلثة اقسام بيَّن فيها انَّ الكنيسة الرومانيَّة وحدها تستحقّ ان تُدعى كنيسة المسيح

٣٤٠ ﴿ سينيكالكي ﴾ الاب ليباريوس اليسوعي (P. L. Senechalchi) له بين مخطوطات فقيد الكنيسة للسيّد يوسف السدوماني مطران طرابلس كتاب علم الخلاص الابدي وهو شرح على الرياضات الروحيَّة التي لقديس اغناطيوس دي لويولا . قد استخرجها من الايطاليَّة الى العربيَّة الخوري بُقطر صليب المرسل القبطي احد ابناء مدرسة انتشار الايمان المقدَّس في القرن الثامن عشر (لها بقية)

ذكر مولد الملحد ارنست رنان

(١٨٢٣—١٨٩٢)

تناقض رنان في آرائه

الاب س . م اليسوعي

في ٢٨ شباط المنصرم مرَّت المائة الاولى على مولد المُلحد الفرنسي الشهير ارنست رنان الذي لم يكتفِ بخلع ثوب الاكليروس المقدَّس بل جحد ايمانه المستقيم وقضى اوفر حصَّة من حياتهِ في تقويض اركان ذلك الايمان في آلاف من قلوب مواطنيه وذلك بنشر عشرات من الكتب الكفرية ولاسيما مؤلفه الذي عنوانهُ «حياة يسوع»

(Vie de Jésus) . ومع ذلك فان لجنة التعليم في مجلس الشيوخ الفرنسي قد سعت من مدة في تهيئة اعياد رسمية تجيداً لذلك رجل السوء بمناسبة تذكاره المنوي . امّا نحن فاننا نتكر بتاتاً استحقاق رنان لهذا الاكرام العظيم وتأييداً لحكمنا هذا سنكتفي بايراد بعض اقواله المنبئة عن افكاره الكفريّة ليعرضها قرّاؤنا على محك انتقادهم تاركين لهم الحكم النهائي في من يستحق ذلك الملحد المجد المخلّد او العار المؤبد

١ التناقض المتواتر في آراء رنان الدينيّة اجمالاً

المزية الاولى المطلوبة من عالم حقيقي بل من كل انسان جدير بالاعتبار ان لا ينتقل من رأي الى ضده كالفراش الطائر من زهرة الى اخرى وكالبي براقش «كل يوم على لون يكون» . وبمقدار تناقض آراء كاتب ما ينقص اعتبارنا له . وامّا اذا كان التناقض مذهبهُ وديدنهُ الدائم فان ذلك الشخص المدّعي العلم يسقط من اعيننا سقطة لا لَمّا لها ولا مُقيل له منها . والحال ان كتابات رنان على وجه العموم مشوبة بتلك الشائبة الكبرى واليك برهاناً من عدّ الشواهد على ذلك . قال رنان في ضرورة الدين واياديه الجمة اقوالاً رائعة يليق باعظم الكتبة الكاثوليك بل بافصح الكهنة انفسهم ان يفوهوا بها . هاك بعض الامثلة منها :

«انّ الفلّاح العاري عن الدين هو اقبح العجائب خارجاً من ميزة العقل البشري»

«قولوا للسذج ان يغذوا حياتهم بالتوق الى الحقيقة والجمال والصلاح الازلي فلا يدركون لهذه الالفاظ المطنطنة معنى . امّا اذا قلتم لهم ان يحبوا الله تعالى ويجتنبوا اهانتهُ فانهم يفهمون ذلك القول ويدركونهُ دون عناء» (١) .

«ان قيمة الانسان تكون بقدر شعوره الديني الذي يستبقيه من تثقيفه الاول فتتعطّر به حياته كلها»

اجل تلك اقوال جميلة صائبة لكن رنان يهدم بيساره ما شاد بيمينه . أصغِ يا صاح الى ما خطّته نفس الانامل التي كتبت الاقوال السابقة :

(١) هنا يسخر رنان بالذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى ويحاولون الاستعاضة عنه وعن الدين بتلك الالفاظ الطنّانة الفارغة

«نجعل شرفنا في التصريح الثابت بحقيقة الواجب (يعني الواجب الديني والازلي). ومع ذلك فانّ عكس هـذا الرأي يكاد لا ينقص عن ارجحيّته. فانه يمكن صدور تلك الاصوات الباطنية (يريد بها اصوات الضمير) عن اوهام صالحة محفوظة بقوّة العادة بل يمكن ان يكون العالَم مشهداً بديعاً مُلهياً لا يُعنى باحواله ايُّ اله كان» [راجع كتابهُ «الاوراق المتفرّقة» (Feuilles détachées) ص ٣٩٤—٣٩٥]

يا له من كفر فاحش لا يقول به الّا كلّ عادم الحياء!

قال ايضاً: «وايمُ الحق ان الفضيلة لَوَهمٌ الهي اوجدَتْه العناية، على انه يضاهي العشقَ في كونه نتيجة سحرٍ خارجٍ عن حـدود العقل يجرّنا جرًّا ويخدعنـا» [راجع كتابه «خُطب ومحاضرات» (Discours et Conférences) ص ١٨٠]

فان كانت الفضيلة وهماً سحريًّا على رأي رنان فكم بالاحرى الدين المقدس الذي لا اساس لها بدونه! ثم نستفهم ذلك الفيلسوف العميق الجاحد لوجوده تعـالى ماذا عنى بكون الفضيلة وهماً «اوجدَتْه العناية». أهي عناية الكاتب ام عنـاية غيره من البشر ام عناية الحيوانات بالانسان ام اخيرًا عناية عالَم وهميّ عادم الحسّ والعقل يُعنى بابن آدم المزدان بهذين الكمالين!!

قال ايضاً ذلك العلّامة ذو العلم العجيب بل ذو الجهل المركّب:

«ان شعباً محافظاً على الآداب لهو والعلم على طرفي نقيض في اغلب الاحيان.. فان محافظـة الشعب على آدابه تقتضي من العقل ضحايا باهظة» (يعني انها تضـادّ مقتضيات العقل) [راجع كتابه «تاريخ الشعب الاسرائيلي» المجلد ٤ ص ٣٥٩—٣٦٠]

قال ايضاً: «بثّ الايمان بالفضيـلة في قلوب الشعب وحثّهُ على احترام الرجال العلماء والوقورين وزجرُهُ عن الثورات وحَمْل كل فردٍ ان يبقى في مركزه... هذا ما يُعدّ سياسةً صائبة» [راجع كتابه «المباحث العصرية» (Questions Contemporaines) ص ٢٤ من التمهيد]. زه زه! ذلـك على رأي المفكّر العظيم محض سياسة صائبة ليس للدين فيها نصيب مبنيّة على مجرّد العقل لكنه ايضاً محض كذب وتمويه على السذّج ورشّ غبار في اعينهم، كما يتضح من سياق كلام رنان

ومن درر اقواله!: «نحن معشر الحائزين على الفنّ والعلم والفلسفة لا حاجة لنا الى الكنيسة. أمّا الشعب فان الكنيسة هي آدابهُ وعلمهُ وفنّهُ... دونك مذهبي:

متى كنتُ في الشيعة اذهب الى القداس امّا في المدينة فاني أسخر بالذاهبين اليهِ »
(راجع كتابهُ «مستقبل العلم» ص ٤٨٨و٤٩٠)

لعمري نِعم المذهب فهو جدير بعالم كبير وانسان شريف جعل الراء دأبهُ والحبث ديدنهُ . وقد عمل رنان بذلك المبدأ النبيل اثناء اقامتهِ في قرية عشيت لمّا سكن مدّة في لبنان مع اخته الشبيهة بهِ عقلاً وديناً فكان رغم جحده الايمان يتردّد الى الكنيسة أيام الآحاد والاعياد ليوهم اهلها الاتقياء انه على شاكلتهم !

٢ تناقض رنان في حكمهِ على لاهوت السيّد المسيح

نكتفي بما اوردنا من اقوال رنان على الدين لإثبات حُكمنا بانَّ تضارُبَ بل تناقُضَ آرائه عادةٌ راسخة في نفسهِ بل داء عضالٌ لا دواء لهُ . فلنبرهن الآن بمجرد ذكر اقوالٍ أخر له على مثل ذلك التناقض في تصريحاتهِ بخصوص هُويّة سيدنا يسوع المسيح

ولنبدأ بمدائحهِ العظيمة لنادينا الالهي الواردة كلها في الفصل الاخير من كتابه الشهير «حياة يسوع» قال :

١ « ان الدين المسيحي المحض يظهر لنا حتى الآن بعد مضيّ ثمانية عشر جيلاً بسمة دين عمومي وابدي» (ص ٤٤٤) (١

٢ «ان ترفُّع يسوع الكامل فوق الارضيّات هو اسمى ناموس للحياة المتجرّدة والفاضلة . يسوع قد خلق سماء الانفس الطاهرة وأثلة ابناء الله الكاملة والطهارة المطلقة والتجرّد الكلي عن ادناس العالم واخيرًا الحرّية . . . انّ الاستاذ الاكبر للملتجئين الى هذا ملكوت الله السامي هو حتى الآن يسوع . هو اوّل من اعلن ملكوت الروح . هو اوّل من قال : — بافعالهِ على الاقلّ — « ملكوتي ليس من هذا العالم» ان تأسيس الدين الحقيقيّ هو عملهُ بدون مراء . فلم يبق من بعده مجالٌ الّا لتوسيع نطاق هذا العمل واخصابهِ . وعلى هذا النمط لقد اضحت لفظة « مسيحية » مرادفةً للفظة «دين» او كادت . فكلّ ما يفعلهُ الناس خارجاً عن ذلك التقليد المسيحي العظيم والصالح سيكون عقيماً . فانّ يسوع قد اسّس الدين بين البشر

١) قد ذكرنا الصحائف وفقًا للطبعة الفرنسيّة الرابعة

على مثل تأسيس سقراط للفلسفة وارسطاطليس للعلم . اجلْ قد وُجدت الفلسفة قبل سقراط والعلم قبل ارسطاطليس . ومن بعد سقراط وارسطاطليس قد ترقّت الفلسفة والعلم ترقياً عظيماً لكنه كله مبنيٌ على الاساس الذي وضعاه . هكذا قد اجتازت الفكرة الدينية ثوراتٍ كبيرة قبل يسوع وقد فتحت فتوحاتٍ عظيمة من بعده ومع ذلك فلم تخرج ولن تخرج عن الحدود الجوهرية التي حدّها لها يسوع (ص ٤٤٥ و ٤٤٦)

٣ « ان هذا التأسيس العظيم هو حقًّا عمل يسوع نفسه . وحيث انه جعل البشر يسجدون له بهذا المقدار فلا بدَّ من ان يكون جديرًا بالسجود . فانَّ الحب لا يكون الّا بمعية شخص جدير بإضرامه . . . » (ص ٤٤٧)

فلنقف الآن هنيهة ونسأل القارئ اللبيب الخالي من الاوهام الفارغة : أليس قول رنان السابق تصريحاً جليًّا بالوهيّة السيد المسيح ؟ اسمع اقوالًا غيرها :

٤ « ان يسوع لا يظلّ للنوع البشري مصدرًا خالدًا للنهضات الادبيّة » (ص ٤٥١)

القرائن تدلُّ هنا دلالة اكيدة على ان لفظة «ادبية» بمعنى «دينيّة»

٥ « ان كل البشر هم مجموع ذوات دنيئة انانيّة لا تفوق على الحيوانات بسوى كون انانيّتها اكثر تبصُّرًا . لكنَّ في وسط هذه الدناءة العامّة يوجد اساطين مرتفعة نحو السماء . واسمى تلك الاساطين هو يسوع الذي أعلم الانسان من اين جاء والى اين يجب عليه ان يسير . لقد انحصر في يسوع كل ما هو صالح وسامٍ في طبيعتنا » (ص ٤٥٧ و ٤٥٨)

٦ « أيةً كانت مظاهر المستقبل غير المنتظرة فلن يفوق احد على يسوع . ان عبادة الناس له ستجدّد شبابها على الدوام . انَّ الاساطير المتعلقة به ستُجري دموعاً لا تضوب لها . ان آلامه ستثير عواطف القلوب وسوف تصرخ كل الاجيال بأنهُ لم يولد بين بني البشر شخص اعظم من يسوع » (ص ٤٥٩ وهذا القول خاتمة كتابه)

خلاصة اقوال رنان السابقة الذكر ان سيدنا يسوع المسيح هو مؤسس الدين الحقيقي (راجع النص الثاني) . ومنشئ الدين العمومي والابدي (النص الاول) . الذي لا بدَّ ان يبقى عقيماً كل دين خارج عنه (النص الثاني) . وانَّ يسوع جدير بالسجود (النص الثالث) . ومصدر خالد النهضات الادبيّة (النص الرابع) . وأسمى أساطين

العالم الحاوي كلَّ ما هو صالح وسام في طبيعتنا (النص الخامس) . فلن يفوق احد عليه ابد الدهر (النص السادس)

فنسأل القارئ الذكيّ الفؤاد هل يستطيع كاهنٌ كاثوليكي قدّيس بل لاهوتيّ مبرّز ان يشهد على الوهيّة السيد المسيح وفائق سموّه على البشر اجمعين شهادةً اجلى واجمل من شهادة رنان (١ . على ان هذا الملحد المتطفل على مائدة العلم والفلسفة لا يزال ينقض بشماله ما اقامه بيمينه بل من غريب امره انه في مقام واحد ونصّ مفرد يجمع بمقدرته المدهشة (!) بين ايجاب قضيّة ما وإنكارها . وما الدليل على حكمنا هذا ببعيد . تجدهُ في النص السادس الوارد آنفاً

قال رنان هنالك في مستهلّ كلامه : « أيّةً كانت مظاهر المستقبل غير المنتظرة فلن يفوق احد على يسوع » ، وفي الخاتمة : « سوف تصرّح الاجيال بانه لم يولد بين بني البشر شخصٌ اعظم من يسوع » . ولكن انتبه ايها القارئ الفطن كل الانتباه الى القول الذي دسّه خلسةً في درج الكلام بين القولين السابقين مازجاً السمّ بالدسم : « ان الاساطير المتعلقة به (اي بيسوع) ستُجري دموعاً لا نضوب لها »

يا لهُ من تناقض فظيع فاحش ! ان يسوع الذي اعلن رنان على رؤوس الاشهاد بانه اعظم ابناء البشر ليس فقط فيما انقضى من العصور بل وفي الاجيال المستقبلة حتى زوال العالم ، ان يسوع هذا ليس شخصاً تاريخيًّا نعلم سيرتهُ وافعالهُ العلمَ اليقين ، كما نعرف احوال اسكندر المقدوني ويوليوس قيصر ونابوليون الاول ، بل هو شخص تحُول بيننا وبينهُ غيوم الأساطير الحالكة والروايات الخياليّة التي لا سبيل لانقشاعها . فوالحالة هذه ما الفرق بين يسوع هذا الذي صوّرتهُ مخيّلة رنان وآفة الاقدمين او غول العرب وعنقائهم ؟ وان كانت فضائل يسوع السامية ومعجزاتهُ الفتّانة واعماله المتفرّدة بكمالها ضرباً من الاساطير فليجبنا الفيلسوف الكبير رنان كيف استطاع ان يضمّ الى نفس ذلك الرأي الغريب حكماً اغرب منهُ بدون قياس حيث أكّد بملء فصاحته

١) حين نشر رنان «حياة يسوع» قال نفس اخوانه الكفرة بصوت واحد : « ان كان المسيح سامي الكمالات بهذا المقدار فعبثاً حاول الكاتب انكار الوهيته وذلك لاستحالة وجود انسان مثل ذلك الانسان» ثمّ انقول وما هو الّا صدى قول نابوليون الاول صاحب العقل الفريد : « اني اعرف الناس حقّ المعرفة ، امّا هذا (يعني يسوع) فليس هو انساناً محضاً »

الطائفة الفارغة « ان الاجيال سوف تصرّح بانهُ لم يولد بين بني البشر شخص اعظم من يسوع » ؟ ونعم الحق ان مجرّد تناقض فاحش كهذا لكافٍ بل فوق الكفاية لإسقاط رنان من عرش زعامته العقلية المختلسة !

ولم يقف رنان عند هذا الحد من الغباوة والقحة بل تعداه كثيرًا . فبعد ان صرّح بسمو فضائل السيد المسيح وتعذّر ان يعلّل مع ذلك امكانَ نسبة يسوع الالوهيّةَ لذاته مرارًا عديدة في حياته لم يجد وسيلة للجمع بين الامرين — مع انكاره كون المسيح الهًا — سوى الجمع بين سلامة النيّة والغشّ الفظيع في شخص فادينا الالهي عزّ وجلّ

أَرعِ سمعك ايها القارئ العزيز الى تلك الفلسفة الجديدة التي ابتكرها العلّامة رنان للجمع بين الماء والنار بل بين الظلام والنور . قال وبئس القول :

« ان الاعتقاد بشيء ما هو عندنا نحن الشعوب المجدّة (يعني الاوربيين) مُرادفٌ لصدق الانسان في نظر نفسه . امّا هذا الصدق في نظر النفس فقلّما تفهمهُ الشعوب الشرقيّة (زه !) القليلة التعوّد على الفحص الدقيق . ففي ذمّتنا الصارمة (ما اصرم ذمّتك ايها الزنديق !) سلامةُ النيّة والغشّ كلمتان متناقضتان لا جامع يجمعهما (لعلّك تستطيع ذلك ، يا رنان ، فما اطول باعك في هذا الفنّ !) . امّا في الشرق فيوجد الفُ مهرب والف عطفةٍ من احد الامرين الى الآخر (راجع « حياة يسوع » ص ٢٦٢ في الطبعة الفرنسيّة الثالثة عشرة)

كذبتَ بل ، فيك ومسستَ شرف الشرقيّين ايها المتشدّق الوقح . ففي الشرق كما في الغرب — وإن كنت من اغرب شواذّ الغرب — لا يوجد مهرب واحد ولا عطفة واحدة تجمع ما بين سلامة النيّة والغش . فهما امران متعاكسان متناقضان كالحقيقة والضلال او كالضياء والظلام او الفضيلة والرذيلة . بيد أنك انت وحدك تجاسرتَ على الجمع بينهما في فلسفتك الصبيانيّة الخرقاء .

قال ايضاً كاتب « حياة يسوع » بعد تصريحه السابق بسمو فضائل فادينا الالهي : « كان (يسوع) ذا دعةٍ كاملة مع السذّج على أنهُ كان يحتدّ امام الكفرة ولو كانوا اقلّ الناس طعناً به . فلم يكن حينذاك المعلّمَ الحليم الفائه بالخطاب على الجبل (يريد خطاب يسوع في التطويبات الثمانية) وهو لم يصادف حتى ذلك الوقت ادنى

مقاومة او صعوبة . بل كانت الشهوة الكامنة في اعماق طبعه تسوقه الى اشدّ الشتائم . . . . . فلنهنئ انفسنا بانه لم توجد على عهد يسوع شريعة لمعاقبة الاهانة الملحقة باحدى طبقات الشعب » (راجع « حياة يسوع » ص ٣٣٧ الى ٣٣٩) يريد الفريسيين المرائين والكتبة المتكبرين الذين كانوا يخدعون الشعب بمظاهر الدين الكاذبة فكشف السيّد المسيح خبثهم ومكرهم . وما احرى رنان ان يُنظم في سلكهم !

قال ايضاً — وكأني به يتلاعب بقرّائه تلاعب القطّ بالفار : « كانت سُخريّاته (يسوع) المستحسنة وتهييجاته الخبيثة لخصومه تصيب دائماً قلوبهم . . . . فتلك السهام — وهي آيات الاستهزاء السامي (كذا) — تنطبع بخطوط نارية في صدر المُراني او المتعبّد الكاذب فهي سهام لا مثيل لها ، سهام جديرة بابن الله ! فانّ الله وحده يستطيع ان يقتل هذا القتل اما سقراط وموليار (Molière) فلا تلمس اسهمهم سوى بشرة خصمهم لمساً خفيفاً » (راجع « حياة يسوع » ص ٣٤٦ و٣٤٧)

تأمل ايها القارئ الكريم كيف نسب الكافر رنان عدم الدعة (اي شراسة الخلق) والشهوة السيئة والشتائم الشديدة المستحقة لعقوبات الشرائع والتهييجات الخبيثة للخصوم الى شخص يصرح في هذا المقام نفسه بانهُ ابن الله بل الله ذاته! يا لها من فلسفة جديدة عميقة بعيدة المنال بل يا لها من زندقة فاحشة وجنون محض !

ولم تفرغ جعبتنا بعد هذا كله من نصوص رنان المناقض بعضها بعضاً حتى في معرض كلام واحد وجملة واحدة كما لاحظ القارئ غير مرة في الصحائف السابقة . على انّنا لا نريد ان نحمّل قرّاءنا الكرام فوق ما حملوا حتى الآن من عبء تلك الاقوال الفارغة وان ازدانت بطلاوة التعبير وجمال التشابيه والاستعارات . قد برهن اختبار الاجيال ان الصفات الاخيرة السطحية كثيراً ما تسحر ذهن القارئ الساذج العاري عن العلم المتين فتجعله ينقاد الى اكاذيب الكاتب اللبق انقيادَ الاعمى الى دليله لكنها لا تنطلي على ذوي العقول النيّرة

وعلى كل حال في نصوص رنان المذكورة تأييد جليّ لحكمنا السابق في هذا الزنديق الشهير نعني انهُ غير جدير بلقب عالم لتقلّبه البراقشي بين اعجاب الامور وانكارها ولا بصفة رجل فاضل لانّ فساد نيته واضح في كثير من كتاباته ولانهُ

جدّف مراراً على العزّة الالهيّة وهدّ ركن الايمان بل الدين في قلوب آلافٍ من معاصريهِ فضلاً عن خلفهم

وان اراد القارئ معرفة مقدار اهتمام رنان بالحقيقة المحضة كما هي في نفس الاشياء فقد اوقفنا كاتب « حياة يسوع » على مذهبهِ تجاه تلك الحقيقة حيث قال :

« ان تسليم المرء نفسَه حسب الاوقات لليقين والشك والسخريّة لآمَنُ طريقةٍ لإصابة الحقيقة على الاقلّ آونةً بعد اخرى » [راجع كتابه « الاوراق المتفرّقة » (Feuilles détachées) ص ٣٧٦]

وقال في شرحهِ على سفر الجامعة : « بئس للانسان الذي لا يناقض نفسَهُ مرّةً في النهار » فبخٍ بخٍ من هذه الفلسفة الجديدة التي لم تتولّد الّا في دماغ الممسوسين في عقلهم

فليحاكم الآن القارئ نفسه هل يستحقّ رنان ان يحتفل جميع الشعب الفرنسي النبيل احتفالاً فخيماً بتذكاره المئوي أو ليس يجدر بالاحرى بمثله ان يبقى ابد الدهر نسياً منسيّاً في قبره على شبه الجيف المنتنة التي تفسد الجو لو اخرجوها من لحدها

اثر جليل للبطريرك اسطفانوس الدويهي

تاريخ المدرسة المارونيّة في رومية

سمى بنشره الاب لويس شيخو اليسوعيّ

مقدمة

ذكرنا في جملة مخطوطات السعيد الذكر البطريرك اسطفانس الدويهيّ تاريخاً كتبهُ في تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية (الطلب عدد كانون الثاني ص ٣٤) . وقلنا هناك انّ هذا التاريخ اخذتهُ يد الضياع الاكراميّ منهُ في مكتبة سيادة المرحوم بولس مسعد رئيس اساقفة

دمشق . وهذا الكرّاس الثمين قد أطلعنا عليه حضرة شقيقه الخوري الفاضل عبدالله مسعد وسمح لنا بنشره فلبّي بطيب الخاطر الى رغبته فننشره كتتمة لاخبار تلك المدرسة الهامة التي ادّت للكنيسة وللطائفة المارونيّة اجلّ الخدم . والكرّاس المذكور يتناول تاريخ المدرسة المشار اليها من السنة ١٦٣٩ الى ١٧٠٢ اعني الى اواخر بطريركيّة الدويهيّ المتوفّى سنة ١٧٠٤ وكأنّهُ تابع لما نشرنا سابقًا من تلك المدرسة .ل.ش

قال السيّد الدويهيّ :

سنة ١٦٣٩ عند ما قلّ عدد التلاميذ (في مدرسة رومية المارونيّة) قدمَ جوان باطشتا كورتي من الشركة اليسوعيّة يطلب تلاميذ فارسلهُ البطرك جرجس بن عميره الى بلاد كسروان لعند المطران يوسف العاقوري ليجمع لهُ الاولاد . فاختار خمسة عشر ولدًا وهم فَرَح من غوسطا . وبطرس بن مخلوف من بيت دوميط من غوسطا . ويوسف فليفل منها . وجرجس بن عبدالله الحتلاني . وميخائيل بن داود الكرمدّاني . ويوسف بن جبرائيل العاقوري . وميخائيل بن داود من بكركي . وجبرائيل بن موسى منها . وجرجس بن عفيف من صيدا . وداود بن يوسف من مجدليون . ويوحنّا ابن الياس من بيت مبارك من بطحا . ومنصور بن بطرس الباني . وبطرس بن سمعان الطرابلسيّ . ﴿فرح الغوسطاوي﴾ مات في البحر

﴿بطرس بن مخلوف﴾ بعد ما اكمل ثلث سنين من الفلسفة وسنة من علم اللاهوت نقلَ المعيّد الشتوي من السرياني الى اللاطيني ثمّ رجع الى بلاده سنة ١٦٥١ في سبعة من تشرين الاوّل فلبس اسكيم الرهبنة بدير مار شليطا وسيم قسيساً . ثمّ لمّا ارتقيتُ درجة البطريركيّة اوقفناهُ عندنا كاتباً . وفي السنة ١٦٧٤ في اربعة من تموز قدّمناهُ مطراناً على مدينة الافقسيّة بقبرس فبذل مجهودهُ في سياسة تلك الرعيّة وصار لهُ تعب ومعارضة من طائفة الروم . ثمّ في السنة ١٦٨٠ سفّرناهُ الى رومية فوقع بيد المغاربة واحتمل مشقّات وافرة لاجل استفكاك ذاته والاولاد الذين كانوا بصحبته . وفي السنة الثانية في عشرة من ايّار رجع لعندنا بسلامة . اجتهد كثيرًا في نشوّ الديورة وجمع قصص القديسين في مجلّدين كبار ثمّ اختصرهم بنوع سنكسار وصنّف ميامر وتشمشتات (فروض) سرياني

﴿يوسف فليفل﴾ كان دخل سابقاً في رهبنة مار انطونيوس بدير مار شليطا

مقبس واذ لم يوافق التلاميذ في اكل الظفر (الزفر) عرض عليه مدير المدرسة ان يبرز له امرًا من طرف البابا حتى يتظفّر فما اثر بتغيير نذره انما ثبت مدّة يسيرة في المدرسة ثمّ رجع الى ديره فسيم قسيساً وخدم الله بكل سذاجة وطهارة

﴿ جرجس الحقلاني ﴾ درس علم النية سنتين ثمّ عاد الى بلاده فسامهُ البطرك يوسف الحاقوري قسيساً وانفذهُ الى رومية بقضاء مصالح الطائفة . وبعد عودته توجّه الى القدس الشريف فخدم اوّلًا الطائفة بكل انتباه فحسدوهُ رهبان القدس ومنعوه عن وضع البخور في القداس ليقلّموهُ من القدس وما زال يجاهد حتى قضى اجلهُ سنة ١٦٦٩

اما الباقي فقد اقتصرنا من ذكرهم لانهم ما تقدّموا الى درجة الكهنوت وصار نفعهم قليلًا

سنة ١٦٤٠ دخل المدرسة ﴿ مرهج بن ميخائيل بن نمرون الباني ﴾ وهو اخو نقولا الذي تقدّم ذكرهُ فمرهج لمّا دخل المدرسة كان ابن خمسة عشر سنة . وبعدما اكمل علم الفلسفة وسنتين من علم اللاهوت قصد المير لجبل لبنان ورمى الطاعة للبطرك يوحنّا صحبة قاصده الخوري ميخائيل الحصروني وكان ذلك في السادس عشر من تشرين الاوّل سنة ١٦٤٩ . وعندما دخلوا بلاد الشام كان البطرك في زيارة بكفيّا فارسل الكهنة ورؤساء الكهنة وشعباً كثيرًا الى لقائهما برهجة وبخاخير . وبعد ما لبس درع البطريركيّة قسّم مرهجاً قسيساً

فثبت عندهُ مدّةً من الزمان ثمّ جعلهُ وكيل الكرسي الانطاكي برومية وارسل صحبتهُ اربعة اولادٍ ليتهذّبوا بالعلوم وكان ذلك سنة ١٦٥٠ فبذل جهدهُ في خدمة الطائفة وقصّاد البطاركة وكان ذا نظر طائل وعقل رزين حتى انهُ استمدّ صحبة البلاط الروماني فأنعموا عليه بان يدرّس اللغات الشرقيّة في دار العلوم . وفي السنة ١٦٩٦ (صنّف سيرة) اوسطاكيوس وصنّف جملة كتب منها كتاب عن اصل الملّة المارونيّة وصحّة امانتها منذ الزمان القديم ثمّ عن مناضلة آراء المبتدعين في بلاد الغرب من برهان علماء الشرق . ثمّ (كتب) عن شجرة البنّ وافادة القهوة وغير ذلك اخرجها في الطبع باللغة اللاتينيّة

سنة ١٦٤٠ ارسل البطرك جرجس صحبة القس سمعان التولاوي راهب مار

انطونيوس والشمّاس يوسف فتيان الحصروني اثنيهما (وكلاهما) من تلاميذ المدرسة اربعة اولاد وهم: يوسف الرامي فتكنّى برومية بولس التولاوي واخوهُ بطرس اولاد اخت القس سمعان المذكور. وبطرس بن القس ابراهيم من بيت أُمّيه الهدناني. واسطفان بن ميخائيل بن القس موسى الدويهي من قرية اهدن اثنيهما (كلاهما) بجانسان البطرك الذي ارسلهما وكان دخولهم رومية في شهر حزيران

﴿يوسف الرامي﴾ بعد ما درس سنتين في الفلسفة حكم عليه الاطباء بالعودة الى بلاده لئلّا يقع في الاستسقاء. وكان خروجهُ من رومية في اوائل التشارين سنة ١٦٤٩ فلبس اسكيم مار انطونيوس وسيم قسيساً واجتهد كثيراً في علم الاولاد في عشقوت وبسكنتا وقبرس وبيت شباب. كان طويل الروح وتلمذ كثيرين وانشأ دير مار جرجس بجردق بارض بيت شباب وسيم عليه خوري برديوط. وفي الدير المذكور انتقل الى رحمة ربّه بكلّ ثناء في اوائل سنة ١٧١٢ (١٧٠٢؟)

اخوهُ ﴿الشدياق بطرس﴾ تزوّج في بيت شباب ومات فيها

﴿بطرس ابن القس ابراهيم الهدناني﴾ كان ابن عشر سنين درس علم المنطق وعلم الثيّة وعلى شرّر الاطباء عاد الى لبنان بلاده فسيم كاهناً وسكن دير مار قبريان باهدن ثمّ اوقفناهُ عندنا يازجي (كاتباً) وكان لهُ يد طويلة في الخطّ السرياني والعربي والترجمي. وفي السنة الرابعة اعني سنة ١٦٧٠ اقتناهُ مطراناً على مدينة صيداء فخدم الرعيّة التي تسلّمها بكل تقوى وفي السنة ١٦٨٨ في ستّة من أيار انتقل الى راحة الصالحين في وادي صفره وهو في زيارة الرعيّة

﴿اسطفان ابن الشدياق ميخائيل بن القس موسى الدويهي﴾ من قرية اهدن(١ دخل المدرسة في اواخر السنة الحادية عشر من عمره. اكمل علوم الفلسفة واللاهوت في مجادلات: الاولى (كذا) على اسم الكردينال كيون كفيل المدرسة. والثانية على اسم البطريرك يوحنا الصفراوي. وعند خروجه من المدرسة سنة ١٦٥٥ في ثلثة من نيسان اختاره سادات المجمع عن الانتشار (مجمع انتشار الايمان) انهُ يكون مرسلاً بعلومه وذلك بهمّة المعلم ابرهيم الحقلاني. وفي السنة الثانية بعيد البشارة رسمهُ البطريرك يوحنا

---

١) هو البطريرك اسطفان الدويهي الشهير صاحب هذا التاريخ

قسًّا على دير رأس النهر . فبذل مجهوده في التتلمذ (اي التعليم) وتصنيف الكتاب عن سرّ القربان المقدّس

وعندما قصد بيكات (Fr. Picquet) قنصل الأمة الفرنساوية بحلب رسامة القس اندراوس اخيجان ليكون مطراناً على طائفته السريانية بحلب كان هو المساعد لهُ عند البطرك يوحنا . ثمّ في السنة ١٦٥٧ دخل معهُ في دخول الصوم الى حلب فثبت ثمانية اشهر يعضد المطران المذكور في الشور والوعظ وكان يوعظ جماعتهُ في كنيسة ماري الياس . ولمّا رجع الى جبل لبنان اخذ السكنى بدير مار يعقوب الحباش وكان خراباً فرمّمهُ (فرّمهُ) واستمرّ فيهِ خمس سنين . وفي السنة ١٦٦٨ بعد عيد الكبير قصد زيارة الاماكن المقدّسة فاخذ صحبتهُ والدتهُ واخاهُ الحاج موسى . وعند العودة قدّمهُ البطرك جرجس الى مطرنيّة الافقيّة بقبرس وباذنهِ جال في رعايا الجبّة والزاوية وعكّار وقبرس يتعب على خلاصهم وببلاغة تعب في دورانهِ وفحص الكتب جمع كتاب تواريخ (كذا)

وعندما حكم الباري بانتقال البطرك جرجس الى مجازاة تعبهِ مع الابرار اختير على رضا رؤساء الكهنة والشعب ليسوس الكرسيّ الانطاكي موضعهُ . وكان ذلك في عشرين من أيّار سنة ١٦٧٠ وهي سنة الوباء الكبير فسام الشمّاس يوسف بن الخوري يعقوب الحصروني قسيساً وسفّرهُ الى رومية لاجل رمي الطاعة الى قدس البابا زخيا (اينوشنسيوس) العاشر ولطلب درع كمال الرئاسة . وخرج وهو في الدورة الى زيارة الرعايا وبنى الحارة التي بلزق كنيسة مار شليطا مقبس . وفي السنة ١٦٧٢ عاود الى قنوبين وجاءهُ درعُ التثبيت من رومية مع القس يوسف واوقفهُ عندهُ يازجيًا (كاتباً) . ولو ان دهرهُ كان عسيراً فبذل كلّ جهدهِ في جمع الرتب الكنائسيّة بتمامها . وبسط الشرح ليس فقط في سرّ القربان المقدّس بل في جمع التواقيع المقبولة وقصص الآباء الذين ألّفوها وفي الشرطونيّات الكهنوتيّة وفي اسرار البيعة وفي تكريسات الكنائس والميرون وما يليها . وضبط جميع رسومات المواعظ الكنائسيّة بترتيب واضح ليتميّز بعضها من البعض ويبرهن عن اصل الملّة المارونيّة ودوام اتحادها مع الكنيسة الرومانيّة

سنة ١٦٤٢ دخل المدرسة ﴿يوحنا بن غرون﴾ هو اخو نقولا ومرهج فبعد

كمال علمه سيم كاهناً برومية ثمّ تولّى تدبير مدرسة راورنا (Ravenne) وعندما خلت قلّدوهُ خزانة كتب مار بطرس سنة ١٦٦٣ عند موت صهرهِ ابراهيم حقلاني سنة ١٦٤٦ قدم من حلب الى المدرسة ﴿يوسف بن الحاج جرجي العنتاري﴾ (؟(١) صحبة عبد المسيح الحلبيّ . فبعد ما تهذّب في علم المنطق دخل الشركة اليسوعيّة وبعد التجربة وتمام العلوم الرياضيّة والالهيّة سيم قسيساً فاعتنى على الوعظ وبلغ فيه مرتبةً عاليـة حتى انهُ جلس على غالب منابر رومية وجذب اليه خواطر اكابرها ورؤسائها وصار لهُ ثناء عظيم في الوعظ وتهذيب الشعب . ثمّ في سنة ١٦٨٦ طلبهُ سلطان مالطة وبعد ما كرز في الجزيرة الحدود (الآحاد) التي تتقدّم ميلاد الربّ انتقل الى راحة الصالحين في بيرمون العيد

وفي السنة المذكورة ارسل البطرك يوسف العاقوري اربعة اولاد للمدرسة صحبة عبدالغال اخيجان السرياني الحلبيّ والاولاد هم : فيلبوس وهو موسى ابن الخوري أيوب البشرّاني . وانطونيوس بن سركيس الزنّ الباني . وحنّا بن عويضا الغزيري . وصافي بن القديسي من شنشير

﴿فعبد الغال اخيجان﴾ كان في الاصل يعقوبيًا وارتدّ الى طاعة الكنيسة على يد الاب اماتيوس (Aimé Chezaud) اليسوعي وكان عذب اللسان حسن الخطّ السرياني والعربي وعندما قدم الى جبل لبنان ارسلهُ السيّد البطريرك الى رومية ليتثبّت في صحة الايمان . ثبت في المدرسة سنتين بمنزلة ناظر على الاولاد ودرس علم النيّة على يد جرجس الحقلاني الذي كان يترجم لهُ . ولمّا رجع الى جبل لبنان سامهُ البطريرك يوحنّا قسيساً . وفي السنة ١٦٥٦ عندما قصد شمعون بطرك اليعاقبة الدورة على رعاياه ليوفي الدراهم التي كان تسلّمها في حلب بيكات قنصل الملّة الفرنسويّة وكانت بكثرة عرض عليهِ رسامة اخيجان ان يكون مطراناً ومتوكّلاً موضعهُ . وحين اخذ خاطرهُ وخرج في الدورة كاتب القنصلُ البطركَ يوحنّا بسبب رسامتهِ وتكفّل لهُ بجميع ما يصدر من تحت رأسه من الضرر فسامهُ مطراناً على كنيسة السيّدة بحلب وشارطهُ ان لا يتعاطى امور الموارنة ولا يدخل كنيستهم

وامّا القنصل فلشدّة غيرتهِ على انتشار الايمان حين توفّي البطرك شمعون سنة

(١) كذا في الاصل «العنتاري يريد بهِ الاب يوسف المعروف بالعنطوريني اليسوعي»

١٦٥٩ تكلّف دراهم كثيرة حتى ابرز لهُ خطاً شريفاً من السلطان محمّد انهُ يكون بطركاً على الملّة السريانيّة وما اقتبلهُ الشعب الّا بشرط انهُ يوفي الديون التي كانت على كنيستهم ويستفكّ اثاثها المرهونة ولا يكلفهم شيْ على الخطّ الشريف ولا على خرجيّتهِ . وعندما ملك الكرسي وسُمّي اغناطيوس قسّم اخاهُ روحيجان(؟)مطراناً على حلب موضعهُ وكنّاهُ بديونيسيوس فتعب على جماعتهِ تعباً شديداً وردّ منهم كثيرين . واحتمل من اخيهِ اصلان ومن المخالفين مشقّات جزيلة . ثمّ في السنة ١٦٧٧ انتقل من هذه الحياة الزائلة الى الرهينة ليقبل مجازاة تعبهِ

﴿موسى ابن الخوري أيوب البشرّاني﴾ ولد في حلب وبعدما دخل المدرسة درس سنتين في الفلسفة وسنتين في علم النيّة ثمّ عاد الى قنّوبين وخدم في الشمّاسيّة للمطران يعقوب الرامي وقبل ما يدخل الرهبنة والكهنوت خطفهُ الوباء . وكان جزيل الخضوع والطهارة ورُسمت صورتهُ بين الفضلاء الذين ربيوا (ربوا) في المدرسة

﴿انطونيوس الرزّي﴾ بعد ما اكمل علوم الفلسفة واللاهوت ترهّب في دير قنّوبين وخدم البطرك جرجس في الكتابة وحين توجّه البطرك المذكور الى ناحية كسروان جعلهُ وكيلاً بدير الكرسيّ فسابق عليهِ الوباء الشديد وخطفهُ في شهر أيار سنة ١٦٧٠

﴿حنّا بن عويضا الغزيري﴾ بعد ما تمّم درس العلوم الرياضيّة والالهيّة رجع الى البلاد صحبة انطونيوس الرزّي في ٣ من أيار سنة ١٦٥٨ فتزوّج ثم ارتسم كاهناً على قرية غزير فخدمها بكل انتباه وغيرة . انتقل لرحمة ربّهِ في ٢١ شباط سنة ١٧٠٤ بشيخوخة صالحة

﴿صافي القديسيّ﴾ درس الفلسفة واللاهوت ورجع صحبة ارفاقهِ الذين تقدّم ذكرهم وبعد ما تزوّج سيم كاهناً على دلبتا فأرسل واخذهُ الى عجلتون الشيخ ابو نوفل قنعل بيروت ليخدم اهل عجلتون ويكون ترجماناً بينهُ وبين الفرنج تجار بيروت . ثمّ انتقل الى رحمة الخالق سنة ١٦٧٦

سنة ١٦٤٨ في أيّار دخل المدرسة ﴿يوسف ابن الخوري طانيوس البانيّ﴾ ولهُ من العمر نحو ثمانية عشر سنة وبعد ما اكمل العلوم الرياضيّة والالهيّة رجع الى البلاد فثبت ثلاث سنين وعاود لرومية فارقفهُ سادات المجمع ليدرّس تلاميذ المجمع

المذكور عن الانتشار في اللغة السريانيّة . صنّف كتاب علم الثيّة وكتاب غراماطيق

السنة ١٦٤٩ سفّر البطرك حنّا الصفراوي الخوري مخائيل صابونا الحصروني الى رومية بسبب التثبيت واخذ صحبتهُ ﴿يوسف ابن الخوري أيوب البشرّاني﴾ وهو اخو موسى الذي تقدّم ذكرهُ استمرّ قليلًا في المدرسة وطلع قليل النفع .

(التتمة لعدد آخر)

الامّ الثكلى وسيّدة النجاة اللبنانيّة

رواية عن ايّام الحرب في جوار جونية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

عادت زاهية الامّ الثكلى من الوادي حيث دفنت ابنها الوحيد مع ضحايا المجاعة والاوباء فما دخلت غرفتها واقفلت بابها حتى هاج هائجها وتصاعدت زفراتها وعلا صوت نحيبها فرفعت يدها الى السماء بجمع كفّيها كانهُ تهدّد خالقها ثمّ قالت بلهجة تخنقها العبرات

كلّا ! اني لا اعود الى الصلاة الى الله طالما انا في قيد الحياة !... فانّهُ لقد اساء اليّ صنعاً وهيهات أن أصدّق ما يردّدهُ الكهنة على مسامعنا بقولهم انّ الله رحوم محبّ للبشر وها قد قبض روح ابني وفلذة كبدي ووحيدي سعيد الذي كان عليهِ معوّل حياتي . . في مرضهِ الاخير لم ادّخر وسعاً في استلطاف مراحم السماء لعلّهُ يحفظ لي ولدي . فذهبت صلاتي ادراج الرياح وأودى الخناق بحياة نور عيني . . آه ما كان الطفلهُ وهو في الرابعة من عمرهِ اذ كان يحدّد النظر الى أمه ويعانقني بذراعيهِ الدقيقتين . اذ كنتُ اسمع من فمهِ الحلو اسمي وبواكير كلامهِ . . وها قد مات وحال بيني وبينهُ لحدُ القبر

فكيف بعد هذا استطيع ان اؤمن بوجود اله جواد حنون عاملني بهذه الفظاظة . مع كوني كنت اتوسّل اليه بدموع حارّة عند مهد ابني اذ كانت الحمّى تنهك قواهُ بان لا يحرمني وجوده . . . فما اصاخ الى تضرّعي . . . . لا لا لن اعود اصلّي ابد الدهر .

هذا كان كلام تلك المرأة البائسة والثكلى التعيسة بعد رجوعها من دفن ابنها . أدى بها حزنها الى التجديف على خالقها . فبعد ان تحرّك لسانها بتلك العبارات المستقبحة رمت بنفسها على الكرسي الوحيد الذي كان في حجرتها واخذت تبكي بكاء مرًّا على حشاشة قلبها . وبقيت على ذلك ساعةً تنتف تارةً شعرها وحيناً تلطم صدرها كانها آيسةٌ من الحياة تحاول قتل نفسها لتلحق بوحيدها

ثمّ عمدت الى فراشها البالي الذي كان في زاوية بيتها رجاء ان تذوق قليلاً من الراحة فكانت كانها افترشت القتاد او اضجعت على جمر نار فقامت متلهّفةً ووقع نظرها على آلة الخياطة «سنجر» التي كانت تشتغل عليها سحابة نهارها لتكسب بعض دريهمات تبتاع بها قليلاً من الخبز لتقتات به هي وولدها وهو مع طول شغلها لا يكاد يفي بحاجتها . فتذكّرت انها في ذلك النهار صرفها موت ابنها عن الشغل فلا يمكنها ان تحصل على ما تسدّ به رمقها

فجلست عند آلتها لتقوم بعمل يومها لولا أن كآبتها اظلمت الدنيا في عينها فلم تعد تميّز إبر الخياطة وأبت رجلها ان تساعدها على العمل لتخيط الثوب المطلوب فاستولى عليها الشلل واستمرّت دون حراك مدّةً مغشيًّا عليها . فلمّا افاقت كان الليل مدّ رواقه على البلد فأوقدت شمعةً ضئيلة تستصبح بها كانت قرب فراش ابنها سعيد فوقع نظرها على أسمال عزيزها فأخذتها لتضمّها على صدرها كما كانت تفعل بابنها في حياته فتبرّد غليلها . واذا بها وجدت عند رأس الفراش صورة العذراء مريم سيّدة النجاة المكرّمة قديماً في لبنان (انظر الصورة) تمثل والدة الله بهيئة الملكة وبين يديها طفلها الالهي كأنها تقدّمه خلاصاً وتعزية للبشر كانت جارتها وضعتها هناك تبرّكاً

فكان لنظر تلك الصورة تأثير في قلب زاهية ولم تعدْ تجسر ان تفوه بمثل كلامها على انها صارت تحسد تلك الوالدة السماوية على تمتّعها بابنها فقالت :

«اوّاه ! انّ هذه الامّ اسعد منّي حظًّا ! فانها تفرح بابنها وانا فقدتُ وحيدي ! . . .

ولكن ما لي اراها تقدّم لي ابنها كأنّها تريد ان اعتاضهُ عن سعيد ابني . . وكيف ابدلهُ بهِ وليس هو ولدي ثمرة احشائي . . ويلي كنتُ محظوظةً مثلها لمّا كنت احمل بين ذراعيّ فقيد حياتي .

وبعد ان سكتت هنيهة اعادت نظرها الى الصورة وتذكّرت ما سمعتهُ مراراً من فم الراهبات التي كانت في صغرها تتردّد الى مدرستهنّ انّ البتول تدعى ايضاً الام الحزينة وقد شاهدت في الكنيسة غير مرّةٍ صورتها وسبع حربات تنفذ في قلبها بينما هي حاملة ابنها الميت في حجرها بعد ما أُنزل من عن صليبهِ فقالت :

«ويلي انّ الحزن طمس على قلبي وشوّش عقلي كيف احسد البتول على ابنها او لم تفقدهُ مثلي بعد أن رأتهُ معظّماً ممجّداً اذ قام عليهِ قوم من الاشرار بعد ان احسنَ اليهم وغمرهم بنعمهِ فحكموا عليهِ حكماً ظالماً وساقوهُ الى الموت وصلبوهُ مع اللصوص . وكانت هذه العذراء عند صليبهِ تشاهد كلّ اوجاعهِ دون ان تستطيع ان تلطّف آلامهُ الى ان برح الحياة وطُعن قلبهُ بحربة . . . وقد صبرت تلك الامّ الحزينة على كل بلاياها حتى دُعيت سلطانة الشهداء على خلاف ما فعلتُ انا اذ لم يطاوعني اصطبار ولم يُلفِني قرار حتى جدّفتُ على خالقي »

خطرت هذه الافكار الصالحة على بال تلك الامّ الثكلى فكانت اشبه بالندى على الارض القاحلة بل كالنسيم اللّيّن على من لفحتهُ السّموم . وثبتت بذلك قوّةُ الدين على تلطيف اشدّ المصائب وامرّ الاوجاع

عاد الى الامّ المكروبة شيءٌ من هدوئها وسكينتها وعمدت الى الصورة فقبّلتها ثمّ اخذت تخاطب العذراء بقولها : « نعم يا بتول اني مقرّة بانّ اوجاعك فاقت على اوجاعي وكانت دموعك أحرّ من دموعي ولكن يا امّ الله ما لبثتِ أن رأيتِ ابنك بعد قليل قائماً من الموت ظافراً . . . وانا من يردُّ لي حبيبي فانّهُ مات ومن مات فات ولن يعود الى الحياة . . . اوّاه من يُحيي لي ولدي لتقرّ بهِ عيني ويسكن جأشي !

قالت هذا واغرورقت ثانيةً عيناها بالدموع وغلب الجزَع على قلبها . . . لكنّها حدّقت بنظرها الى الصورة وكأنّها سمعت سيّدة النجاة تقول لها : « يا قليلة الايمان وهل للمسيحيّ موت ابديّ لا تعقبهُ حياة ؟ الم يَقُل ابني في انجيلهِ : أنا القيامة والحياة فمن يؤمن بي يحيى الى الابد ؟»

فشعرت زاهية لدى ذكرها هذه الآية بتعزية عظيمة فصرخت: أيكون خدعني السيد المسيح بقوله هذا! كلا اني لأعلم انهُ الحقّ الذي لا يخدع ولا ينخدع ... اني انا الجاهلة الغبيّة أفات ابني سعيد كلهُ .. أليست روحهُ الطاهرة في دار النعيم .. اليس هو الآن في الراحة والسعادة ... كم من مرّت كررتُ في تلاوة دستور الايمان: «أومن بحياة الدهر الآتي» .. فان كان ابني لم يمت كلهُ فما لي ادع نفسي للكآبة واليأس ... او ليس الاحرى بي ان اتمنى الخروج من هذه دار الشقاء فاجتمع بولدي الى منتهى الدهور .. وأنى لي ذلك أيكفري وتجديفي كما فعلتُ ... يا لها من غباوة! يا لهُ من جنون ... ربّاه اغفر لامٍ موجوعة بلبل الحزنُ عقلها وافقدها مصابُها الرشاد

قالت هذا ثمّ انطرحت عند اقدام البتول فصرخت: «حنانيك يا عذراء يا سيدة النجاة فقد صدق فيّ اسمك المبارك فنجّيتني من اليأس والقنوط ورددتِ لي الرجاء الصالح فاني لا انفكُّ منذ الآن عن صلاتي اليكِ والى ابنكِ الالهي .. كوني لي شفيعةً وحامية انت التي تعلمين حقّ العلم ما يصيب قلب الأمهات من الآلام بفقدان اولادهنّ! امنحيني الصبر الجميل على بلائي ... وانت أيها الطفل السماويّ الذي تشبه ولدي بلطفك وجمالك اني اعلّق عليك رجائي كي ترحمني وتلحقني عمّا قليل بروحي وريحاني سعيد في دار الخلود فاشاهدهُ مع ملائكتك عند عرشك الازليّ»

وما انتهت من صلاتها حتى شعرت بسلام عظيم قد انعش قواها فقرّبت الصورة الى شفاهها وقبّلتها الف قبلة وكانت الدموع تنحدر من مآقيها لكنها دموع الرجاء والتسليم لارادة الله الذي يجرح فيشفي ويميت فيحيي . فلعزّته المجد ولوالدة ابنهِ اشرف السلام!

ملحق

في صورة سيدة النجاة اللبنانيّة

انّ الصورة التي رسمناها في صفحات المشرق من اجمل تصاوير السيّدة العذراء فانّ في ملامحها من الجلال والهيبة والحنان ما يأخذ بمجامع القلوب . فلا عجب أن

أثّرت في قلب تلك الامّ الثكلى وقشعت عنها بلاياها . وكذلك في صورة ابنها من الرقّة واللطف ما يحرز له ثقة الناظر اليه والى قلبه المضطرم بلهيب الحبّ نحو البشر

على انّنا كنّا نودّ ان نعرف ما هو اصل هذه الصورة ومَن رسمها على هذا الشكل . أهي لأحد مشاهير المصوّرين الغربيين او ليس اصلها بالحري من الشرق كما يُستدلّ على ما كتب على دائرتها وتحتها من الآيات السريانيّة والعربيّة وهي هذه :

ܡܪܝܡ ܒܬܘܠܬܐ ܕܐܬܝܠܕ ܒܗ ܡܫܝܚܐ ܕܐܠܗܐ ܕܠܐ ܡܫܬܚܠܦ ܒܗ ܡܕܡ ܕܒܪܗ ܕܐܠܗܐ ܕܚܝܐ ܕܐܬܝܠܕ ܡܢܗ ܒܫܪܪܐ ܕܠܒܐ ܕܠܐ ܡܬܚܠܦ ܡܢ ܠܒܗ

وهذا كلامٌ وارد في صلاة الفرض للسريان في مساء يوم السبت وتفسيره :

انّ موسى النبي رأى في الجبل نارًا حلّت في العلّيقة دون ان تحترق العلّيقة وقد مثّل ذلك في البتول التي سكن فيها ابن الله ولم تحترق من لهيبه »

وكُتب تحت الصورة : ܡܪܝܡ ܕܐܬܝܠܕ ܐܝܟ ܐܝܬܝ ܡܪܝܡ اعني «يا سيدة النجاة تضرّعي لاجلنا» وفي النصّ العربي :

يا علّيقة لم تحترق في طورسينا
اشفعي في عبيدك مريم وارحمينا

فيا ليت يمكن بعض قرّائنا الكرام ان يفيدونا شيئاً عن الصورة المذكورة . وغاية ما نعلم انّ احد رهبان الموارنة اللبنانيين كان متعبّدًا لها منذ نحو خمسين سنة فوُجدت في غرفته بعد وفاته . وعنها اخذنا صورتنا ولا نعلم كيف اطّلع عليها احد الآباء اليسوعيين في فرنسة حضرة الاب فكتور آلِه (P. Victor Alet) فرسمها في كتابه المعنون «فرنسة والقلب الاقدس» (La France et le Sacre Cœur) في الصفحة ٣٠٣ من كتابه وشرح له احدُ الملّيين مضمون نصّها السرياني فغلط غلطاً فاحشاً في تفسير الدعاء « يا سيدة النجاة تضرعي لاجلنا » فشرحهُ في الفرنسويّة هكذا :

Mar (Seigneurs) Taschu et Zacha, Ephésiens, sous-intendants !

اعني «السادة تشو وزاخا الافسسيّون الخلناء او الوكلاء» وهو اغرب ما جاء في باب التفسير والشطط بدلًا من M.D. du Salut priez pour nous . والله الهادي الى الصواب

صورة

سيدة النجاة اللاتينية

غفران الامير

مأساة نثرية ذات اربعة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم

مدير مدرسة الظاهرة للسريان الكاثوليك في الموصل القس حنا رحماني

هذه رواية تاريخية ادبيّة جرت نحو العام ٤٩١ بعد المسيح في الحيرة وذلك على اثر كسرة النعمان ملك غسّان واسرائه على يد ملك الحيرة الاسود بن المنذر واتى بهم اسرى الى قصره. وكان للاسود ابن عم اسمهُ ابو اذينة فقام يثري الاسود على قتل مولاه الاسرى وخصوصاً النعمان لان هذا كان قد قتل اخاً له

والقصيدة التي قالها ابو اذينة بهذا الخصوص شهيرة تُعَدّ من ابلغ اثار الخطب الحماسية التي خلفها لنا العرب قبل الاسلام وهذا مطلعها :

ما كلّ يوم ينالُ المرء ما طلبا ولا يسوّغه المقدار ما وهبا . . .

وقد اضيفت الى الحادث الاصلي بعض المرويّات تحسيناً للرواية دون ان تخرج به عن حدود الامكان وان لم تذكره الكتبة من ذلك حيلٌ استنبطها ابو اذينة لقتل النعمان وفرضُ ابن للنعمان يخلفهُ بعده عند الاسود ثم يثأر لقاتل ابيه عند قبره

ثم اننا اعتماداً على ما للمؤلف من الحقوق على تقديم وتأخير ازمنة اشخاصه ادرجنا في الرواية دوراً للشاعر الشهير النابغة الذبياني . وقد كان لهُ علاقات مع ملوك غسّان اذ التجأ بهم يوم نقم عليهم كسرى ملك العجم

ويتخلل الرواية كثير من الشعر الجاهلي القديم وشيء من الشعر الحديث تصرّفنا ببعض ابياتها وفقاً لمواقف الرواية

الممثلون

الاسود بن المنذر ملك الحيرة	النعمان	ملك الشام الغسّاني	
نُمير	ابنهُ الاكبر	جليل	ابنه
المنذر	ابنهُ الاصغر	النابغة الذبياني	الشاعر الشهير
ثعلبة (ابو اذينة)	ابن عمه ووزيره	تُبّع	ملك حمير حالف النعمان
كليب	خادم ثعلبة وصاحب سرّه		

سيّاف — مغنٍ — خادم — اعوان

كل الرواية تجري في ساحة امام قصر الاسود

الفصل الاول

المقدمة

المشهد الاول

الاسود وثعلبة

ثعلبة ما كلُّ يومٍ ينالُ المرءُ ما طلبا ولا يسوّغهُ المقدارُ ما وهبا
واحزمُ الناس مَنْ إن فرصةٌ عرضتْ لم يجعل السبب الموصولَ منقضبا
قتلتَ عمرًا وتستبقي لزيدٍ لقد رايتَ رأياً يجرُّ الويلَ والحربا

لقد قلنا ايها الملك الجليل يوم رجعتَ من كسرة آل غسّان: ضربتهم ضربةً قاضية. على ان توانيك في قتل اميرهم وعُمدتهم النعمانَ اوقعنا في حيرة عظيمة . . . قتلت سلفهُ الحارث فعليك الآن بالنعمان وامرائهِ

الاسود اتظن يا ابن العم ان ابطائي عن قتل من أسرتُهم من آل غسان هو عجزٌ او رَهبٌ

ثعلبة فايُّ شيء اذًا هو ؟

الاسود منذ وطيءَ النعمان داري ورايت ما حلَّ بهِ من الذل رقَّ قلبي لكسرة قلبهِ وزال عني ما كان فيَّ من البُغض لهُ ولآل غسّان

ثعلبة ومن يقول لك انه لا يرتدي بظواهر التذلُّل مراءً رجاءَ ان تطلق سبيلهُ. فيرجع عليك بما لست لهُ كفوءًا من كتائب كثيفة وجنودٍ مجندة
هُمُ اهلةُ غسّانٍ ومجدُهُمُ عالٍ فان حاولوا مُلكاً فلا عجبا

الاسود حديث خرافةٍ يا ابا اذينة . . . أهَلْ من نهضةٍ لآل غسان بعد هذه الكبوة. فقد كسرتُ جناح طائر سعدهم

ثعلبة الحذر كل الحذر ايها الملك من نهضةٍ مُريعة بعد كسرتهم هذه فان ما نعهدهُ

في آل غسان من الحقد والضغينة انما هو كالجمرة تحت الرماد
وانَّ الضغنَ بعدَ الضغن يفشو عليك ويُخرج الداء الدفينا
فان لم تُبدهم عن بَكرَة ابيهم لا يقرُّ لهم قرار قبل اخذهم بثاو من قتلناهم من بني جلدتهم ... وانت تعلم بلاءهم في الحروب

الاسود وانّى يتسنّى لهم ذلك بعد ان اكون قد ثقّلتُ عاتقهم بفديةٍ يرزحون تحت عبئها . وبخراجٍ يؤدّونه لي كل سنةٍ في أوانهِ

ثعلبة (بتهكم) اجلْ بفديةٍ من خيلٍ وإبل
أيحلبون دماً منّا ونحلبهم وسلًا لقد شرّفونا في الورى حَلَبا
علامَ تقبلُ منهم فديةً وهُمُ لا فضةً قبلوا منّا ولا ذهبا

اتذكر وقعتنا الاخيرة يوم اسروا منا مئة رجل فقتلوهم رافضين ما قدّمنا لهم من الفدية . اتذكر يوم اسروا ابن عمك هماماً اخي فتنكروا بهِ فلم تصدّهم غضاضةُ شبابه ولم يردّهم عنهُ انتسابهُ اليك انت الملك

فليس يظلمهم من راح يضربهم بحدّ سيفٍ به من قبلهم ضُربا

الاسود ان تأثرك يا ثعلبة من قتل اخيك هُمام يدفعك على اغرائي بهم . على ان الملوك لعلوّ مقامهم تمتدُّ انظارهم الى بُعدٍ . ويرون الاشياء احياناً على خلاف ما تراها الرعية ... أو نسيتَ ايضاً انَّ بني غسّان في تلك الموقعة عينها التي ذكرتها اسروا ابني نُميرًا فلم يُلحقوا به اذًى . بل ارسلوه اليَّ سالماً (يخرج)

المشهد الثاني

ثعلبة وحده

ثعلبة (ينظر من حيث خرج الاسود) اذهب يا ابن المنذر لقد وجدت جواباً على كل ما قلته لك . ولكن هيهات ان اقنع بقولك هيهات ان اكفَّ عن طلب ثاري باخي . فلعمري لا انفكُّ ولا اصمت حتى يكون لكلامي وقعٌ ولدماي اجراء ... ان بغض آل غسان تغلي مراجلهُ في قلبي بل هو كالنيران يزداد لهيبها تأجّجاً كلما ذكرتُ اليوم الذي به قصدتهم فرجعت بخفّي حنين ... كادت الحرب تنشب قبل ثلاث سنين بيننا وبينهم فتخوّف الاسود من عاقبتها الوخيمة

فبعثني اتجسس احوالهم واتلطف بهم علهم يكفون عن محاربتنا . فلما اطلعتُ على باسهم وبطشهم وعرفت ما سيصيبنا من الفشل طغاني شيطان الطمع وحبُّ الرفعة فعرضتُ على النعمان ان افتح له ابواب الحيرة فيدخلها ظافراً على شرط ان يجعلني وزيراً عنده . فبادرني بالتوبيخ وذمّني على خيانتي وطردني ... فشرفُ نفسهُ وانفتهُ هما المتيان لبغضي ... فاستعرت نار الحرب ودارت الدوائر على دولة المناذرة وذهب اخي همام ضحية تلك الحرب المشئومة . وها قد اعاضنا الله في هذه الحرب الجديدة بالظفر فلا بُدّ لي من شفاء غليلي لانتقم من ملك غسّان .. (يتحسّس) وليس اعتمادي في تحقيق نيتي على اسرّ طويل ولا على ابيضَ اصيل . انا الدهاء ومحي والمكر سيفي بهما ابلغ مأربي ... (يدعو خادمه) يا كليب

المشهد الثالث

ثعلبة وكليب

كليب سيدي

ثعلبة اكرّر عليك ما اوصيتُك به مراراً أن: لازِمْ بني غسّان بالتختّل والمداهنة . ولا يفوتنك شيء مما يحدث في هذا القصر . كن أذُناً صاغية وعيناً ساهرة وانقل اليّ كل شيء بامانة . فان نصحتَ لي الخدمة كان جزاؤك ما لم يخطر لك على بال والّا ... (حركة تهديد)

كليب انا طوع بنانك يا سيدي (على حدة) على شرط ان يصدق سيدي بوعده

ثعلبة حسن (ينظر الى الخارج) ها ان نُميراً مقبل فاذهب الى مهمّتك

المشهد الرابع

ثعلبة ونُمير

ثعلبة (يتفرّس في نمير) ما بالك يا نُمير كئيباً ؟ ما الذي جرى ؟

نمير جرى ما يُسرُّ منه ثعلبة

ثعلبة ان ثعلبة يُسَرُّ بكل ما يَسرُّ غيرًا . فما الخبر ؟

غير انَّ ابي الاسود اسمعني الآن عن النعمان الغسَّاني اقوالًا يُستشفُّ منها انهُ قد قَلَب لهم ظهر المِجنّ . بعد ان كان وعدني باطلاق سبيلهم . ولا شكَّ انك انت المسبب لهذا

ثعلبة (على حدة) اذًا صار لكلامي وقعٌ . امَّا هنا فلنُخاتل . (جهرًا) وما الذي ادّى بك الى ان ترشقني بهذه التهمة ؟

غير بُغضك المعروف لآل غسَّان

ثعلبة ان آل غسان اعداء ملكنا ابيك الاسود فمن يبغضهم كان خادماً نصوحاً للوطن . . . على انّي — وهنا اقرُّ لك بأغمض مكنونات صدري — على اني منذ رايتُ النعمان ملك الشام تعلّق به قلبي فانزلتهُ منزل الروح مني

غير اني لاعجب من مقالك

ثعلبة ما هو الّا كما قلتُ لك

غير ولكنَّ النعمان قتل اخاك

ثعلبة نعم . وهذا كان سبب بُغضي لبني غسَّان . على اني لمَّا عرفتُهم ورايت عزَّة نفسهم نسيتُ اخي وذكرتُ يوم أُسرتَ انت عندهم فردّوكَ الينا سالماً

غير وهذا ما علّقني بهم ايضاً . وايم الحق ان ما تُكنُّهُ صدورهم من حسن الاخلاق والسجايا حملني على الرثاء لحالهم عند كبرتهم

ثعلبة اني رهين اشارتك لو شئت ان اسعى معك في فكّ اغلالهم وتحرير رقابهم

غير هذا الامر راجع الى حكم ابي الملك . (هنا يتطلّع الى الباب)

ثعلبة (وحده) قد كلف غير ببني غسَّان ولكن سافرق بينه وبينهم عمّا قليل ان كنت انا ثعلبة (يخرج)

المشهد الخامس

غير . جليل . المنذر

المنذر أأنت هنا يا غير ؟ اني جادٌّ في طلبك منذ الصباح

غير ولِمَ طلبتني يا اخي المُنذر ؟ هل جليل بن النعمان مصرٌّ بعد على حزنه ؟

المنذر لهذا اتيتُ به اليك . فانهُ يرفض كل تعزية وقد ذهبت اتعابي كلها سدًى لاقناعه

جليل كان الفرح طائرًا حطَّ على غصن قلبي مدَّةً ثم طار وهيهات ان يرجع . فمنذ سقطت اسرتي في هذه النكبة اصبح الحزن حليفي وعشَّش غراب الكآبة في قلبي

نير انت حديثُ السن يا جليل وامامك حياةٌ سعيدة تبسمُ لك كوردة نضرة فانسَ المصيبة الحاضرة وعلِّق آمالك على مستقبل شهي

جليل كيف انسى وابي نُصبَ عينيَّ اسيرٌ في داركم . سقط من ذروة المجد الى اسفل دركات الذلّ

المنذر ما هذا الكلام يا جليل . وهل مسَّ احد اباك بأذًى منذ دخل دارنا ؟ ان ابي يعزُّه ويكرم مثواه ولا يكاد يعدّه اسيرًا

جليل يكفينا عارًا انكم كسرتونا وقتلتم منا اناسًا صالحين كانوا اشرف آل غسان ومنهم عمّي جبلة . . . (يتأثر) وا أسفي عليك يا عمّاه . يا عمدة أسرتنا (يبكي)

نير لا تبكِ يا جليل . فهذه حال الحرب . انها تلوح كالبرق ثم كلمح البصر يرتفع اجيجها ويملو لهيبها فتفتك فتك بهيمةٍ لا تلوي ولا تذر

المنذر تبًّا للحروب وتبًّا لما تُنتج من ضروب الشرور . فأستشهد الله انهُ اذا صار اليَّ الامر سأبطل كل الحروب

نير اليكَ يا جليل خبرًا يخفف شيئًا من همومك . سمعتُ البارحة من ابي انهُ قرر اطلاق آل غسان من اسرهم . فأبشر الآن فان شاء الله عما قليل ترجع الى الشام ويرجع ابوك الى مقامه

المنذر يا حبذا البشرى ! . . . ! لي لا اراك تبتشُّ لها يا جليل . فهل ترتاب في قول اخي ؟

جليل لا . . . ولكن . . . على كل حال حقَّق الله هذا الخبر

نير ها انا ماضٍ يا جليل لأحثَّ ابي على تحقيق امانيك في اقرب ما يكون فاتركك مع المنذر عساهُ يلطّف احزانك ويكشف عن كربتك

المشهد السادس

المنذر وجليل

المنذر الا يا جليل لِمَ هذه الكآبة المفرطة وانت على يقين اننا لا نُلحق بابيكَ أذًى . . . اراكَ كاسفَ اللون وقد كنت كالبدر في تمامهِ اول يوم وطئت دارنا

جليل هذه حالةُ الكسير الاسير

المنذر كلامك هذا يا جليل يمزّق كبدي ويملأني حنقاً على غدر الدهر وفتكهِ بالافاضل الكرام مثلكم . . . ولكن ما صار قد صار . . . لِمَ لا نضرب صفحاً عن الماضي لاسيما اني انا لا حصّة لي في مواقعة غسّان . لنترك العداوة لابي وابيك . امّا نحن فاذ لم نتحارب ولم نتعادَ فلا نُذكرنّ منذ الآن بيننا ما يدلّ على انتصارنا او على كسرتكم . . . اتعاهدني على هذا يا جليل ؟

جليل يشقّ عليّ يا منذر نسيان ما فات . فاني وان كنتُ فتًى فقلبي قلبُ رجل والرجل لا ينسى سريعاً عار كسرةٍ لحقت باهله . . . آه ! لِمَ لا تنشب الحربُ اليوم فانزل مع الابطال واهجم مع الفرسان في ميدان الوغى فامحو بانتصار باهر ذكرَ كسرتنا او اغسل بدمي عارنا

احنّ الى ضربِ السيوفِ القواضبِ ... واصبو الى طعن الرماح الكواعبِ
واشتاقُ كاساتِ المنونِ اذا صفت ... ودارت على رأسي سهامُ المصائبِ
ويسطربني والخيل تعثر بالقنا ... هُداةُ المنايا وارتهاجُ المواكبِ
وضربٌ وطعنٌ تحتَ ظلّ عجاجة ... كجنح الدجى من وقع ايدي الملاهبِ
تطيرُ رؤوس القوم تحت ظلامها ... وتنقضُّ فيها كالنجوم الثواقبِ

المنذر يسرّني تحمّسك يا جليل . ولكن لا تخلني ضعيف العزم واهي الجنان وانّي اخشى القراع والنزال . لقد ساء ظنّكَ . . . فان كنت تتمنّى اضطرام الحرب فها انا أصليها . وان كنت تبغي النزال فها انا انازلك . وان كنت ترغب في الهجوم فها انا اهاجمك . وان كنت تشتاق الى النصرة فانا لا ارضاها حتى تُبيد آل غسان عن آخرهم او تذهب بنا عن آخرنا . . . ولكن عارٌ عليّ منازلتك وانت

فتى . فان قُضي بالامر انازلُ ابطال قومك بل لا استنكف عن منازلة كماة غسّان وملكهم :

سكتُ فقرَّ اعدائي السكوتُ وظنّوني لاهلي قد نسيتُ
وكيف انام عن سادات قومٍ انا في فضل نعمتهم ربيتُ
وان دارت بهم خيل الاعادي ونادوني اجبتُ متى دُعيتُ
بسيفٍ حدُّهُ موجُ المنايا ورمحٍ صدرُه الحتفُ المميتُ
خُلقتُ من الحديد اشدَّ قلباً وقد بَليَ الحديدُ وما بليتُ
ولي بيتٌ علا فلك الثريّا تخرُّ لعظم هيبته البيوتُ

جليل لا فُضَّ فوك يا منذر شهامتك هذه اخذت مني كل مأخذ . فلعمري لو دُمتَ دهرًا تردّد على مسامعي الفاظك تلك الرقيقة التي بها حاولت اقناعي على نسيان ما مضى والتعاهد بيننا لما كان لكلامك وقعٌ في قلبي كما اوقع تحنُّك هذا . . . اما الآن وقد رايتُ جرأتك فاني اعاهدك واصافحك يا ابن المنذر . انت من اليوم اعزُّ الناس اليَّ . (يتصافحان) .

المنذر ما كنتُ لاجسر يا جليل ان اطلب ذلك منك بغمي . كان هذا العهد شوقاً محجوباً في طوايا قلبي . اما الآن وقد كشفت الحجاب عنه فبحقّ من خلق الاكوان وبرأ العالمين اني باذلٌ في سبيل القيام عليه كل ما لديَّ من القوى حتى حياتي

جليل (ينظر الى الخارج بينما يتكلّم) عما ان اني مقبل يا منذر فاتركني واياه

المشهد السابع

النعمان وابنه

جليل بشّرني الان نير ان الاسود عوّل على فكّ أسرنا فما هي حقيقة الامر يا ابتاه ؟

النعمان اجل انه نوّه امس بشيء كهذا على اني رايتُ خلافَهُ اليوم

جليل (يحزن) اذن لم يخدعني فكري فانه لم يركن الى هذه البُشرى . فيناجيني مرارًا ويبثني بما يقلق بالي ويثير بلبالي

النعمان ان الملك الاسود شريف النفس لكنه محاطٌ باعوان ذوي خبث وحسد

يُخشى منهم شرُّ الامور

جليل فما العمل اذن يا ابي ؟

النعمان ما العمل والاسدُ في قفص ! ما العمل وانا اعزل لا سلاح في يدي ! . . . آه يا بني كهلان لقد طلع سعدُ حظّكم فكسرتم بني غسان مرّةً بعد ان غلبوكم مرارًا وطحنوكم طحناً . . . (يلتفت الى ابنه) يا جليل

جليل ابتِ

النعمان لي كلامٌ خطير احبُّ ان اودعك أياهُ . . . ولكن لا ادري اتكون لهُ كفوءًا وانت فتى حديث السنّ

جليل ليعلم ابي النعمان ان دماً عربيًا يجري في عروقي جعل فيّ رزانة الشيوخ . قل مهما شئتَ يا ابتي تجدني عصاميًا

النعمان (يحضنه) لا نُضّ فوك يا ابني . فلعمري ما كذّبتَ اصلك . . . اسمع : ان ما بيني وبين الناذرة من البغض ينبئني ان لا نجاة لي من هذه التهلكة . انهم سيوقعون بي لا محالة . اما انت فاسلَم واعلم هذا ان دم آل غسان يطلب منك ان تنتقم له فدمُ آل غسان لا يُهدَر . ان تمكنت من النجاة فأخبر اعمامك واخوالك بموتي لينهضوا للاخذ بثاري . استنزهم للقتال بكل ما لديك من القوى والذرائع . وان لم تتيسّر لك النجاة فأفرغ كنانة الجهد لتبلغهم عن بُعد حقيقة الامر . فيثيروا حرباً عواناً على ملوك الحيرة . ولكن اياك يا جليل والمكر فليس المكر من شيم العرب . كن شريف النفس عالي الهمّة سامي القدر . . . هذه خصالنا وهذا هو الإرث الذي يتركهُ كل ابٍ منّا لبنيه . فاخرج الان يا ابني على بركة الله ودَعني وحدي (جليل يقبّل يد ابيه ويخرج)

المشهد الثامن

النعمان وحده

النعمان (ينظر من حيث خرج جليل) اذهب على الطائر الميمون وليساعدنّك الله على ان تُقيل آل غسان من سقطتهم هذه . . . (يفتكر) وقعتُ في حوزة الأسود فاثأر لنكبات عديدة انزلها اجدادي باجداده . . . وددت لو ودّعت

الحياة قبل ان ارى ذلك اليوم المشؤوم الطالع ... ليتني لم اتبوأ سُدة الملك وتقبض يديَّ على الصولجان . كُسر النعمان بن الحارث ثم أُسر وهذا شهر وهو في الاسر ... يتلاعب اعداؤهُ باقداره ... فما تحني الاسود البارحة بوجوب تقدمة الدية واليوم اراهُ مترددًا في قبولها . اهكذا يعكرون بني غسان ؟ اين سطوتي ؟ اين بأسي ؟ اين سيفي ؟ واين فرسي الغمامة ؟ ... لِمَ هذا الخمود يا نعمان ؟ ألا

قرّبا مربط النعامة مني ضاق صدري على الليالي الطوالِ
قرّبا مربط النعامة مني اخذُ ثأري استفزّني للقتالِ
قرّبا مربط النعامة مني لحروبٍ لنارها انا صالِ

ولكن ما هذه الاشواق العقيمة والنكباتُ تساورني والاسرُ موطني

جاذبيني يا نائباتِ الليالي عن يميني وتارةً عن شمالي

(يقعد على حجر ويغوص في افكاره بينما يسمع لحن حزين او عتابة من الخارج ... هنا يدخل ثعلبة متجهماً ووجهه ملثم) (لهُ صلة)

مطبوعات شرقية جديدة

K. Kempf S. J. : I Die Heiligkeit der Kirche in 19 Jahrhündert, 7e *éd., pp. XII-*433, 1921 — II Die Heiligkeit der Gesellschaft Jesu, 1 *vol., pp.* X- 373, 1922. *Einsiedeln, Benziger*

قداسة الكنيسة في القرن التاسع عشر — قداسة الرهبانية اليسوعية

معلوم انّ القداسة من سمات الكنيسة الكاثوليكيّة وخواصها الجوهريّة . وقد ظهرت هذه القداسة في زماننا كما لاحت في القرون السابقة وهذا ما اراد بيانهُ حضرة الاب كمف اليسوعي الالماني في هذين الكتابين . ففي (الكتاب الاوّل) جمع المؤلف تراجم ١٩٤ من اولياء الله الذين عطّروا الكنيسة ومواطنهم بأريج فضائلهم السامية

بينهم الرجالُ والنساء الغربيّون والشرقيّون البيض والزنوج الفقراء والاغنياء الاحبار والكهنة والعلمانيّون الشهداء والمعترفون العذارى والارامل قد ثبّت الاحبار العظماء قداسة قسم منهم فيالها من حديقة غنّاء يفوح عبيرها وتنتعش بنظرها الارواح. وليس هؤلاء سوى نخبة من القديسين اذ لو جمع الكاتب كلّ من يستحقّون الذكر لسموّ براتهم لبلغ الى بضعة ألوف على انّ هذا الموجز كافٍ لإفحام من يصوّبون سهامهم الى كنيسة المسيح وينسبون اليها العقم والخمول في عهدنا. امّا الكتاب الثاني فهو خاصّ بالرهبانيّة اليسوعيّة والرجال الابرار الذين شرّفوا جماعتهم بفضلهم وفضيلتهم كتبه المؤلف بنسبة المئة الثالثة لإثبات قداسة منشئهم القديس اغناطيوس. فنتمنّى لكلا الكتابين انتشاراً واسعاً الاب ي. ديلنسيغر

Louis le Fur: RACES, NATIONALITÉS, ETATS. Paris. Librairie Félix Alcan. Un vol. in-16, 1922, Paris. Prix 7f

العناصر والطوائف والدول

هذه ثلثة الفاظ شاعت في زماننا اي شيوع فكان سوء فهمها سبباً لفتن وثورات عديدة. فعرض صاحب هذا الكتاب تلك الالفاظ على محكّ النظر وبيّن كيف حرّف في وصفها اعداء الدين مباشرةً بارباب الاصلاح البروتستانيّ الموهوم ثمّ بكتابات جان جاك روسو ومؤخّراً بتقارير الرئيس ولسن. وكلّهم اذ جهلوا او تجاهلوا بان حقوق الشعوب ليس مصدرها مشيئة البشر بل مشيئة إله يملك رقاب العالمين نقضوا اساس الهيئة الاجتماعيّة وفتحوا باباً واسعاً للمطامع الشعوبيّة فحدثت في الدول تلك التقلّبات التي تتوالى حيناً بعد حين بناء على ذلك المبدأ الكاذب انّ اصل السلطة من الشعب وانّ الشعب حقّاً بتدبير شؤونه وغير ذلك من الآراء الواهنة التي ينخدع بها الكثيرون. والصواب انّ للشعوب كما لرؤسائها واجبات وحقوقاً لا يستطاع انتهاكها بمشيئة البشر وضعها الله لخير الخلائق وطبعها في القلوب. فاذا جرت بموجبها العناصر والامم والدول تجد سعادتها الصحيحة المبنيّة على العدل والوفاق ل. ش

A. Viatte: Le Catholicisme chez les Romantiques. *Paris, E. de Boccard, un vol. in-16, 1922, Prix 6f,75*

الكثلكة في مصنّفات الكتبة الخياليّين

الكتبة الخياليّون ازهروا في فرنسة في مبادئ القرن التاسع عشر الى اواسطه

زعماؤهم شاتوبريان ولامرتين ولمناي وفكتور هوغو سعوا بعد الثورة الفرنسويّة الكبرى في تحبيب الكثلكة لمواطنيهم بتصويرها في هيئة خياليّة شائقة في كتاباتهم المختلفة. فظنّ البعض انهم أدّوا للدين الكاثوليكي بأعمالهم هذه خدماً مشكورة. وفي الامر نظرٌ كما اثبتهُ صاحب هذا التأليف الذي بيّن في الكتاب الذي نحن في صدده انّ تلك الكتابات تغلّبت عليها نزعات بروتستانيّة في طرائقها الانشائيّة كان ضررُها اعظم من نفعها لتعريف العقائد الدينيّة. على خلاف الكتبة المعروفين بالمدرسيين الذين جروا على قواعد نظاميّة ثابتة الصيغة حسنة الذوق مبنيّة على حقائق الامور دون ظواهرها المموّهة. فأكرم به من كتاب اجاد فيه المؤلف في معظم اقواله ما خلا بعض الدقائق القابلة للانتقاد ج. ل

Comte R.de Gontaut-Biron: Comment la France s'est installée en Syrie (1918-19). *Un vol. in-16, Librairie Plon*, 1923. 2 *Cartes. Prix* 15 *f*

كيف حلّت فرنسة في سوريّة (سنة ١٩١٨–١٩١٩)

هذا اوّل تاريخ منظّم لحلول فرنسة ورصاتها على سوريّة بعد نهاية الحرب كتبهُ احد الشهود العيون نريد به الكونت دي غونتوبيرون الذي كان في رفقة المسيو بيكو في بدء الاحتلال. فروى ما يعلمهُ من ذلك بصدق ونزاهة ولم يأنف من ذكر الاغلاط التي ارتكبها قومهُ كالخلاف الذي جرى بين المفوّضيّة العليا ورؤساء الجيش (ص ٢٢٤) وتغلّب الضبّاط القادمين من مراكش (ص ٢٢٦) وشطط المسيو بيشون في حكمهِ عن سوريّة (ص ٢٩٢) وتنازل كليمنصو عن الوصل للانكليز (ص ٣١٦) وتعريضهِ سوريّة بذلك لعدّة اخطار. وقد بسط هناك ما وجدهُ المسيو بيكو من المشاكل بازاء الانكليز دون ان يجد سنداً من حكومتهِ في باريس وروى ايضاً خطّتهُ مع مصطفى كمال والشروط التي فرضها عليهِ وكانت كافية لو ادركت الحكومة صولها لكسر شوكة الاتراك دون ان تحتاج الى معاهدة انقرة بواسطة فرنكلين بوليون. وفي الكتاب فصول ممتعة كفصلهِ عن الصهيونيين وعن لجنة التفتيش الاميركيّة. وممّا يقتضيهِ بعض الاصلاح ما كتبهُ عن الملل النصرانيّة (ص ٢٢). ولا نظنّهُ مصيباً بما ذكرهُ عن عدد سكّان سوريّة (٢٠ مليوناً) وفلسطين على عهد داود (٤ ملايين)

فان الغلو ظاهر في هذه الاحصاءات الوهميّة . وكان الشيخ صالح الذي ذكره (ص ٢٢٩) نصيريًا ليس اسماعيليًا . الاب هنري لامنس

JACQUES KAYSER : L'Europe et la Turquie nouvelle, *Un vol. in-16. Éditions des Presses Universitaires de France, Paris. Prix : 5 f*

اوربّة وتركيّة الجديدة

يبحث مؤلف هذا الكتاب عن النهضة التركيّة الجديدة فيتتبع أدوارها منذ دخولها في الحرب الكونيّة في تشرين الاوّل سنة ١٩١٤ الى السنة ١٩٢٢ فيروي سوابقها ولواحقها ولاسيّما سيطرة المانية وضبطها لدفّة سياستها الى ان نالت الدول الاتحاديّة الفوز فاحتلّت انكلترّة الاستانة . ثمّ ينتقل الى الحركة الكماليّة فيبيّن نشأتها الاولى ثمّ تنافُقها وظفرها باليونان حتى اصبحت شغلًا شاغلًا لمؤتمر لوزان . وقد حصل الكاتب على معلومات سرّيّة امكنهُ ان يكشف بنشرها عدّة امور غامضة لم يدرك العموم معناها الصحيح . وهو يختم كتابهُ بعرضه الوسائل الكافلة للحصول على السلام المرغوب بمراعاة شرائع العدل والانصاف ل . ش

L'Eternel Ulysse : par JEAN LEUNE. *Un vol. in-16. Paris. Plon-Nourrit. Prix. 7 f*

عوليس الازليّ

عوليس احد ابطال اليونان القدماء الذي روى هوميروس الشاعر اساطيرهُ في قصيدته العوليسيّة (Odyssée) وقد صوّرهُ في كتابه كرجل مفوّه ذي فهم واسع وحيل عجيبة وكثير التلوّن . فاتخذهُ مؤلف هذا الكتاب كرمز عن الشعب اليوناني الحالي الذي في تاريخه العصري وحروبه الاخيرة تحت قيادة ڤنيزيلوس ثمّ الملك قسطنطين احيا كلّ صفات عوليس فكان زعماؤهُ يكثرون القول ويقلّون الفعل فيطمعون بالرئاسة على الاستانة وعلى الاناضول ليجدّدوا مفاخر الدولة البوزنطيّة فانتهت كل مزاعمهم بالفشل والخيبة . وقد روى مصنف هذا الكتاب ذلك كلّهُ على طريقة حلوة فكاهيّة وهو يعرف اليونان احقّ المعرفة اذ رافقهم في هذه السنين الاخيرة كممثل مجلّة الإأوستراسيون فيخبر بما رأى وسمع ل . ش

Dr George Montandon : Deux ans chez Koltchak et chez les Bolchéviques pour la Croix - Rouge de Genève, 1919.-1921 *Paris, Librairie F. Alcan. Un vol. in-8° illustré, 3° éd.*, 1023. *Prix* :15 *fr*

سنتان عند كولتشاك وبين البولشفيك

هذا الكتاب شبيه بتأليف الهولندي لودفيك غروندیشس الذي وصفناهُ في العدد السابق . كاتبهُ الدكتور جورج مونتاندون المُرسل الى سيبريَّة من قبل جمعيَّة الصليب الاحمر الدوليَّة لفكّ الاسرى الذين كانوا هناك وكان عددهم بالنَّا ٢٥٠،٠٠٠ معظمهم من النمسويين والمجر . فبلغ الى مكانهم في اواخر حكم الاميرال كولتشاك بعد خروجهِ من جنيفه في شهر آذار من السنة ١٩١٩ وسقوطهِ من باريس الى ودنفتون ثمَّ الى يوكوهاما في اليابان . فصادف وصولهُ الى ڤلاديفستوك قدوم جيوش البولشفيك الى جهاتها فوجد في اتمام مهمَّتهِ من المشاكل ما تُشبه اخبارهُ القصص الخياليَّة فيفصّل كلّ ذلك تفصيلًا مؤثرًا يأخذ بمجامع القلب لاسيَّما في عودتهِ بعد سنة ونصف من ڤلاديفستوك الى رينا ومنها الى سويسرة مع الأسرى الذين امكنهُ انتزاعهم من ايدي البولشفيك . ولهُ في وصف الحُمر من التفاصيل ما يثبت همجيَّتهم وكاد هو يذهب ضحيَّتهم فنجا من ايديهم بعد اللتيا والتي ج . ل

Henri Cordier : Mélanges d'Histoire et de Géographie, 3 vols. in-8, 1914-1922, *Paris, Jean Maisonneuve et Fils*

متفرّقات تاريخيَّة وجغرافيَّة

قد مرَّ على العلَّامة هنري كورديه خمسون سنة بنيّف منذ باشر بكتاباتهِ الجليلة وتآليفهِ المتعدّدة عن الشرق الاقصى ولاسيَّما عن الصين والهند وتُبَّت التي عهدت اليه دولتهُ فيها المناصب الشريفة . وكثير من هذه الكتابات قد اثابتها المجامع العلميَّة بجوائز سنيَّة واحرزت لصاحبها شرف الانضمام الى الاكادمية الفرنسويَّة على انَّ قسماً منها كان الكاتب الفاضل ينشرها في مجلات مختلفة في باكين واميركة وفرنسة ودَّ العلماء لو يجمعها المسيو كورديه في تأليف مستقل فها هوذا قد حقَّق تلك الرغائب ونظم تلك الدراري في ثلثة اسلاك اي ثلثة مجلدات ضخمة تولَّى طبعها محلّ ميزونوف الشهير بمطبوعاتهِ الشرقيَّة في باريس . فبكل رغبة اقبلنا على مطالعة هذه المتفرّقات

وكتابها في امور الشرق منها تاريخيَّة ومنها سياسيَّة وادبيَّة وبينها آثار فريدة كمشاهدات ورحل استخرجها مسيو كورديه من سجلّات دولته في الصين وباريس فنشرها لاوّل مرّة . وممّا يهمّ قرّاءنا في هذا المجموع كتاباتهُ عن المسلمين في الصين وعن الاتراك وعن بغداد وكلّها كثيرة الفوائد . وخلاصة القول انَّ هذا التأليف من افضل ما يقتنيه محبُّو الآداب الشرقيَّة والباحثون عن تاريخ مملكة السماء ل . ش

Firmin Roz: Comment faire connaitre la France à l'étranger (COLLECTION «LES PROBLÈMES D'AUJOURD'HUI»). *Librairie Plon, Paris,* 1922, *pp.* 110, *Prix* 4 *f*

تعريف فرنسة في البلاد الاجنبيَّة

هذا الكتاب من جملة تآليف اخرى ينشرها في باريس مكتب المسيو پلون في المسائل الحاضرة يظهر فيهِ كاتبهُ وطنيَّتهُ الصادقة فيبسط آراءهُ للعموم ويرشد مواطنيهِ سواء كانوا في بلادهم او خارجاً عنها الى اتخاذ الوسائل الضامنة لتعريف فرنسة بين الاجانب لعلمهِ بان لدولتهِ حاضراً دعوةً خصوصيَّة في العالم لنشر السلام وسعادة البشر . فمن ذلك التآليف الادبيَّة التي تكشف القناع عن صفات فرنسة وتاريخها وكبار رجالها . ومنها السعي بتقريب القلوب وتأمينها بتهذيب الشبيبة الاجنبيَّة في مدارس فرنسة . ومنها الوسائل الاقتصاديَّة والمعاملات التجاريَّة . ومنها البعثات العلميَّة وغير ذلك ممَّا يجلب الاكرام لفرنسة ويحبّبها بين الغرباء . وعلى خلاف ذلك يجب الحياد عمَّا يقلّل اعتبارها في اعينهم كترويج الكتب المخلّة بالادب والدين وكمنع انتهاك حرمتها باجواق التمثيل للروايات الخلاعيَّة وما شاكل ذلك ممَّا يمسّ بحقوق الوطن بالبلاد الاجنبيَّة . فنحبّذ آراء صاحب هذا الكتاب ونطرئ وطنيَّتهُ الكريمة ج . ل

المسيح في القرآن

بقلم الخوري جرجس فرج صفير والردّ عليهِ للشيخ محمّد الحسيني

طُبع في مطبعة الادب ي . ج بوابة ادريس

بحث حضرة الخوري جرجس فرج صفير في رسالة السلام عما يحتويهِ القرآن من الآيات التي يُستدلّ بها على الوهيَّة المسيح . ولعلّهُ كان الافضل لو لم يفتح هذا الباب

الذي لا يروق في اعين اخوتنا المسلمين . ولاسيما انَّ في القرآن اقوالاً غيرها يؤخذ منها خلاف ذلك كما روى الشيخ محمَّد الحسيني الطرابلسيّ في ردّه عليه الّا انَّ في هذا الردّ اشياء تدلّ على جهل الشيخ بامور النصرانيَّة . وقد اساء ي . ج في طبعه قبل ان يعرضهُ على حضرة الخوري جرجس فرج صفير لتفنيد مزاعمه

هل من جزية على الاكليروس او خراج

بحث تاريخي قانوني كنسي مدني بقلم الخوري منصور عوَّاد

طُبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ (ص ١١٢)

هو بحث جديد لم يتعرَّض لهُ احد قبل حضرة الخوري منصور عوَّاد اذ لم يخطر على خلَد احد قبل هذه المدَّة الاخيرة ان يلزم الاكليروس في هذه البلاد بدفع الجزية والخراج . واذ سعى بعض نظَّار الحكومة اللبنانيَّة بتعميم رسوم الضرائب على الاكليروس زعماً منهم انَّ تلك شرائع تتناولهم كغيرهم من اللبنانيين تصدَّى لهم حضرة مؤلف هذا الكتاب النفيس الذي اودعهُ اثبت البراهين وادلّ الحجج استقاها من مناهل التاريخ والحقّين القانوني والمدني فقطع بها لسان كلّ المتشدّقين . ولولا ضيق المكان لاوردنا قسماً كبيراً من هذه الكتابة الممتعة التي يجب على الاكليروس الجري بمقتضاها وعلى ارباب الحكومة درس مضامينها لتنفيذ قراراتها ل . ش

كتاب اللاهوت النظري

تأليف الخوري الياس الجميل : الجزء السابع في الإله المتأنس والفادي

طُبع في المطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩٢٣ (٢٠٧)

يسرّنا انَّ الكهنة الذي تخرَّجوا في كليَّتنا يتاجرون بالوزنات التي سلَّمها اليهم الربّ فيحسنون استثمارها فنشكر حضرة الخوري الياس الجميل الذي امتاز في ذلك : وها هوذا اتانا بدليل جديد على همَّته في تهذيب الكهنة وانارة المؤمنين بتصنيفه هذا القسم من لاهوته النظري اودعهُ جلّ تعليم الكنيسة والآباء واساتذة اللاهوت في تجسُّد ابن الله وافتدائه للبشر ابرزهُ على صورة قريبة المنال بانشاء سلس واضح

حائداً عن الاطالة المملة وعن الايجاز المخل . على أننا لم نعرف لحضرته من هذا التأليف غير الجزء الاول فلا نعلم سبب نعته للجزء الحاضر بالجزء السابع . لعلهُ قدَّمهُ على الخمسة الاجزاء الباقية فأخر طبعها

الكنز العجيب في رياضة درب الصليب

طُبع في المطبعة المارونيَّة بحلب سنة ١٩٢٣ (ص ١٠٣)

احبَّ سيادة المطران الجليل ميخائيل اخرس رئيس اساقفة حلب على الموارنة ان ينشط شعبهُ على اكرام آلام السيد المسيح لاسيما في هذا الصوم المبارك فسعى بطبع رياضة درب الصليب في كرَّاس صغير بحرفنا الاسطنبولي الجليّ مع تصاوير المراحل وفي آخرها طلبة الآلام وزياح الصليب وصلوات مختلفة لقلب يسوع الاقدس ولاسعاف الانفس المطهريَّة ولارتداد المنفصلين وانتشار الايمان ختمها بصلوات شهداء الانكليز في عهد هنريكوس الثامن فنشكر سيادته على هذه الخدمة الجديدة لوطنهِ الشهيد.

شذرات

﴿المؤتمر الماسوني العامّ في دمشق الشام﴾ هو اوَّل مؤتمر عقدهُ على ما نعلم في ٤ك٢ ابناء الارملة في اصقاعنا السوريَّة برئاسة «المحترم لبيب الرياشي رئيس محفل الحكمة وتحت رعاية المحفل الاكبر الفرنساويّ» ونحن ننتظر بفروغ الصبر ان يسعى زعماؤهُ بنشر ما دارت عليه ابحاثهُ لخير الوطن وافادة العموم . على اننا نخاف ان تبقى تلك الابحاث محجوبة في سجلَّات المحافل السريَّة وفي طيّ الصدور . وانَّما نشكر الاخوة الفرمسون الذين اتحفونا بصورتهم الشمسيَّة التي نشرتها صحيفة المعرض مرَّتين في عددها (١٥ و ٢٢) شباط) لاقبال الناس على معرفة «الاحرار» وكانت ذادت على خدمتها فضلاً لو ذكرت اسماء المصوَّرين . واذ هي لم تفعل ها نحن ننشر منها ما وقفنا على هويَّتهم طائفةً فطائفة . فهناك في صدر الصورة فرنسويَّان : شرل رايس (Ch. Raïès) مستشار الماليَّة في دول الاتحاد السوري ورئيس محفل الدلتا سابقاً الذي توفي

بغتةً في ١٥ شباط . واودو (Oudot) مدير التليفون = ثمّ عدّة مسلمين : اسعد بك حيدر (شيعيّ) . حمدي بك الجلّاد مدير الشرطة في دولة دمشق . الشيخ رضا القضماني مدير الاوقاف . مختار الشريف . رضا سعيد . جميل بيهم رئيس محفل الاتحاد . عطا بك الايوبي مدير الداخليّة سابقاً في دمشق . رفعت بك الايوبي . سامي بك العظم . الحاج منح هارون (من اللاذقيّة) . حسني بك الجندي رئيس محفل قاسيون . محمّد عقل مدير البنك الزراعي . نوري باشا المدرّس (حلب) رئيس محفل الانبعاث . محمّد قربان مدير اليتم الشامي . حمدي نصر مدير ماليّة دمشق . حمدي شعلا . الشيخ محمّد خير القضماني . الشيخ محمّد الكزبري = ثم يهوديّ : وهو داؤد سعاده باش حاخام الطائفة الاسرائيلية في الاسكندرونة وتوابعها = ثمّ روم اورثذكس : في مقدّمتهم الارشمندريت اثناسيوس كليلة دكتور في الفلسفة ومدير المدارس الاورثذكسيّة في دولة دمشق (ما ألطف الوزرة الماسونيّة على ثوبه الكهنوتي!) . ثم الافنديّة الياس بك القدسي قنصل اسبانية في دمشق وابنهُ يوسف . ندرا القدسيّ . ميشال لطف الله الملكي (بيروت) . ميشال مدرّي . حليم دموس . الشيخ ابراهيم منذر رئيس محفل بيروت وعضو المجلس النيابي = ثم الروم الكاثوليك : لبيب الرياشي المذكور . ميشال صوايا . يوسف غندور المعلوف . ميخائيل الوف (بعلبك) = ثم موارنة : فليكس فارس . يوسف ابرهيم يزبك سكرتير محفل الحكمة . كميل الياس وهبه . والباقون لم نقف على اسمائهم الكريمة لنخلّدها على صفحات الشرق !!!

﴿التصوير الشمسي الملوّن على الورق﴾ نشر المشرق في (١٩ [١٩٢١] : ٨٠٨) مقالةً في التصوير الشمسي الملوّن وطريقتيه المشهورتين كانت خاتمتها ما حرفه :

« وعلى كل حال فكلتا الطريقتين لا تمكّن ، كما اسلفنا ، من تكثير الصور المأخوذة من صفيحة واحدة على الورق الفوتغرافي . وبسبب ذلك النقص العظيم نرى حتى يومنا طريقة لوميار (Lumière) هذه قليلة الرواج رغماً عن كمالها النسبي . والله المسؤل ان يهدي ذوي القرائح الوقّادة الى سدّ هذا الخلل الجوهري في المستقبل العاجل » .

كُتبت هذه الاسطر من نحو سنة ونصف ، وكأنّ الله استجاب دعاء الكاتب فقد دخل التصوير الشمسيّ الملوّن على الورق في حيّز الوجود من مدّة قريبة بعد ان قضى الباحثون اعواماً في اكتشاف سرّه والذي حلّ ذلك المشكل العويص الفرنسي دوفيه (L. Dufay) فلم يزل يكدّ جبينهُ في بحثهِ وتجربتهِ حتى ادرك وطرهُ من

مدة يسيرة .. فمن المستطاع الآن بفضل اختراعه العظيم تصوير اي شخص بل اي شيء كان بكل الوانه الطبيعية على آلاف من النسخ الورقية كما في الفوتغرافية المعتادة . ثم ان تلك الالوان واضحة جداً ولا تتغيّر ولا تتلف بمرور الزمان فقد عرضها المخترع مدة عامين لنور الشمس فبقيت كما كانت اولاً بكمال رونقها الاصلي . ومن خواص العمليات الضرورية لهذا الفن الجديد أنها قريبة المنال سهلة الاجراء . قد اتى اذاً المخترع الفرنسي لويس دوفه بمعجزة رائعة ستخلد اسمه واسم وطنه الشريف في جملة الاختراعات العصرية

﴿ احصاء المسلمين في الصين ﴾ ذكر حضرة الاب لامنس في ردّه على مزاعم السيد محمد كرد علي (المشرق ١٩ [١٩٢٢] : ٩٧١) انّ المسلمين الذين بلّغ بعض المتهوّسين عددهم في الصين الى ثلثين واربعين (بل سبعين مليوناً) يتراوح هناك عددهم بين سبعة الى ثمانية ملايين . وقد وقفنا على الامر بين كتابات المسيو هنري كورديه المستشرق الصيني التي وصفناها في هذا العدد (٢ : ١٠٧) انّ الدكتور اندرو هابر (A. Happer) يرتأي انّ المسلمين في الصين ثلاثة ملايين . ومثله بلاديوس (Palladius) المعروف بتدقيقه جعل عددهم بين ثلثة الى اربعة ملايين . ثمّ يردف المسيو كورديه بقوله : وعلى ظني انّ المسيو برومهال (M. Broomhall) مصيب في تخمينه انّ عددهم من خمسة الى عشرة ملايين . وبه يثبت رأي حضرة الاب لامنس

﴿ الفوضى في كنيسة الفنار ﴾ منذ تبوّأ بطريرك الفنار الجديد السيد ملاطيوس ميتاكساكيس كرسيّ الفنار زادت احوال الكنيسة البوزنطيّة حرجاً فانّ الحكومة اليونانيّة واساقفتها جميعاً يعدّون انتخابهُ غير قانونيّ وكذلك قسمٌ كبيرٌ من اساقفة كرسيّ القسطنطينيّة يعصون اوامر البطريرك وابوا ان يحضروا المجمع الذي نوى عقدهُ . ثمّ يسعى الآن السيد افتيموس ليفصل كنائس الاناضول عن الفنار مستقلاً ويتّخذ اللغة التركيّة للطقوس الكنسيّة . وممّا يستغربهُ عقلاء الروم تقرّب الكنيسة الاورثذكسية من الانكليكان البروتستانت وبعد ان حكمت عدّة مجامع اورثذكسيّة في بطلان الكهنوت الانكليكانيّ لانقطاع السلسلة الرسوليّة في عهد هنريكوس الثامن (اطلب المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٨٦٩–٨٧٤) عاد الآن البطريرك الجديد واعتبرهُ صحيحاً فبيّض الحبشيّ على زعمه وهيهات ان يستطيع ذلك !

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الرهبان في المدينة ما هي المدينة المسماة لونتوبوليس (Léontopolis) واين موقعها ؟

مدينة لونتوبوليس

ج هذه المدينة كان موقعها في وادي النيل جنوبي شرقي مدينة بوصير وعلى مسافة نحو مئة كيلومتر شمالي القاهرة . اقام فيها رئيس الكهنة اونياس الرابع هيكلاً لليهود في القرن الثاني قبل المسيح على عهد بطلميوس فيلوميتور كما روى يوسيفوس في العاديات العبرانية (ك ١٣ ف ٣) وقد دعاها اليونان باسم ليونتوبوليس اي مدينة الاسد لانهم كانوا يعبدون اسوداً حية في هيكلها ثم يحنطونها والمرجح انها بُنيت في عهد الملوك البطالسة .

س هل من مبرر الاستاذ يوسف الدوري ما رأينا في تنقيط الياء العربية في آخر الالفاظ التي يصل كثيرون من المسلمين نقطها ؟

تنقيط الياء العربية

في المخطوطات التي لدينا اختلاف في هذا الصدد فمنها ما كتبت ياؤه منقطة ومنها ما اهملت فلا تنقيط . وانا نفضل ضبطها بالنقط لما يقع من الالتباس في اهمالها كما ترى بين «على وعلي» و«الى والي» و«بَنَى وبني» الخ

س وسأل من النبك الاديب اسعد نصراف أصحيح ما يقول البعض ان للانسان عقلاً ظاهراً يتولى ادارة اعماله الخارجة وعقلاً باطناً يتسلط على الحياة العضوية كالقلب والرئة وان لهذا العقل قوة خارقة تجري بها وظائفه دون ان نشعر به وان الاطباء يحاولون شفاء الامراض بواسطته دون علاج فيأتون بالعجائب ؟

العقل الظاهري والعقل الباطني

ليس للانسان الا عقل واحد يستخدمه في اموره الخارجية والباطنية . اما ما يقوله البعض عن الحياة العضوية التي تجري اعمالها دون ان نشعر بها فليست هي عقلاً باطناً وانما هي قوى قائمة بذاتها يستطيع العقل والارادة في بعض الاحيان استخدامها اما بنفسها واما بالاستهواء الخارجي . على ان هذه العجائب المزعومة لا تتجاوز بعض المفاعيل المحدودة لا سيما في الاعصاب وبواسطة المخيلة ل . ش

لويس باستور

تذكار السنة المئة لمولده ١٨٢٢ - ١٩٢٢

المشرق

التذكار المئوي لمولد پاستور

لادارة المشرق

مقدمة

ليست هذه المرّة الاولى تخصّ فيها مجلّة المشرق صفحاتها لذكرى ذاك النابغة الذي شرّف وطنهُ واحسن الى الانسانيّة كلّها بمخترعاتهِ العجيبة واكتشافاتهِ الذهلة . فقد سبقت المجلّة وأفردت لتعريف شخصهِ الكريم مقالةً واسعة في احد اعداد سنتها الرابعة عشرة (١٩١١ : ٥١—٥٧) . بيد انّها ترى بنسبة السنة المئة لمولدهِ فرصةً جديدة لاطراء اعمالهِ ووصف مآثرهِ فتشارك بالمديح والشكر عالَم العلم والمدنيّة الصادقة ولاسيما مكتبنا الطبيّ الذي عقد لذكرهِ حفلةً شائقة تصدَّر فيها نيافة القاصد الرسولي ونائب المفوَّض الاعظم المسيو روبرت دوكاي بياناً للاخاء بين العلم والدين في شخص پاستور وحضرها وجوه البلد واعيانهُ مع شرفاء الانتداب العسكريين . وسنقتطف من تلك المحاضرات التي ألقاها اساتذة المكتب لبابها الذي يجدرُ بقرّائنا ان يطبعوهُ في ذهنهم قياماً بمعرفة الجميل نحو ذاك العالم الكبير وشكرًا للعزّة الالهيّة التي تؤيّد بعض نوابغ الرجال بروحٍ منها رحمةً ببني البشر وتلطيفاً لأوجاعهم

١ الرجل

ولد لويس پاستور في مدينة دول (Dôle) من معاملة جورا (Jura) في ولاية

فرنش كُنتَه احدى ولايات فرنسة التي كان ملوك اسبانية يملكونها سابقاً فكأنهُ جمع في شخصهِ محاسن تينك الأمتين الجليلتين. فكان مولدهُ في السنة ١٨٢٢ اذ كان وطنهُ اصاب الراحة والسلام بعد الثورة الكبرى وحروب نابوليون بعودة ملوك بوربون الى حكمهم القديم على فرنسة. وكان ابوهُ خدم وطنهُ في الجندية فرقي الى درجة ملازم ونال وسام جوقة الشرف لما اظهرهُ من البسالة في الحرب لكنهُ لم يأنف من ان يرجع الى حرفتهِ التي كان يرتزق منها قبل الحرب وهي الدباغة. على انَّ الله كان جمَّلهُ بصفاتٍ فريدة من سموّ الفكر وثبات العزم والاستقامة في المعاملات فضلاً عن روح الدين ما احبَّ ان يورثهُ لابنهِ فأحسن تربيتهِ وأثار في قلبهِ الرغبة بالامور الشريفة والترقي فنشأ الولد منذ نعومة اظفاره شبيهاً بوالدهِ يتوق الى خدمة اهلهِ ووطنهِ متشبثاً باهداب الدين

واذ أنس منهُ ابوهُ النجابة وتوقد الفهم في دروسهُ الاولى في بلدتهِ ارسلهُ الى باريس الى احد مواطنيهِ رئيس مدرسة سان لويس ليكمل هناك دروسه لكنهُ وجد نفسهُ في عاصمة فرنسة كالغريب واظلمت الدنيا في عينيهِ فنكد عيشهُ وطلب الرجوع الى وطنهِ. فما كان ذلك الا سحابة صيف ما لبثت ان انقشعت فثبَّت عزمهُ وشدَّد شكيمتهُ وعاد الى باريس ووطَّن نفسهُ على العزلة والمثابرة على الدرس والحياد عن ملاهي الشبَّان صيانةً لطهارة قلبهِ وصفاء ذهنهِ. فكانت ثمرة عزيمتهِ انهُ احرز بوقت قريب العلومَ الطبيعيَّة والرياضيَّة التي تؤهلهُ للمناصب الاولى في التعليم بل اتخذهُ رئيس المدرسة وهو بعدُ من جملة الدارسين ليلقّن تعاليم الاساتذة رفاقهُ الذين كانوا دونهُ فهماً فوجدوهُ نعم الاستاذ

ولمَّا قدَّم الامتحانات المعهودة لنوال شهادات الباكلورية ثمَّ الماذونيَّة ثمَّ الليسانس كان رأي الجمهور العام انَّ هذا الشابَّ زينة وطنهِ وقدوة رصفائهِ. وكان مع شظف عيشهِ وقلَّة ذات يدهِ يوفر مالهُ لمساعدة المشروعات الوطنيَّة والخيريَّة. فعلم ابوهُ بمروءتهِ واريحيَّتهِ فهنأ نفسهُ بمثلهِ ولدًا كريم السجايا شهماً عالي الهمَّة

ولا عجب بعد ذلك ان ارباب الامر عهدوا اليهِ في السنة ١٨٤٨ وعمرهُ ٢٦ سنة تعليم الكيميا في كلَّية ستراسبورغ حيث حلَّ ضيفاً كريماً على رئيسها المسيو لوران فكان في بيتهِ كأحد اعضاء عيلتهِ. واذ خطب اليه ابنتهُ مصرحاً بأنهُ لا ثروة لهُ

سوى ما يكسبهُ بالتعليم لم يتردّد الرئيس في ان يجود عليهِ بكريمتهِ لما عرفهُ من فضلهِ وفضيلتهِ . والحقّ يقال انهُ قلما رُجد زوجان تهنأ مثلهما بمرافق الزواج فكان اقترانهما بالنفس والعواطف امتن منهُ بالجسد وحطام الدنيا وباركهما الله بأن منحهما ذرّيّة صالحة كانت فرحهما وتعزيتهما لولا انّهُ تعالى استأثر بحياة البعض منها ومع اسفهما عليهم لم يستسلما الى القنوط بل قبلا تلك المحن من يدهِ تعالى بالتسليم لمشيئتهِ الصمدانيّة . وتكرّرت هذه المحنة على المسيو باستور بوفاة والدهِ الذي كان يكرمهُ ايّ اكرام ويعزّهُ كأبرّ البنين وحظي برضاه طول حياتهِ فأسرع اذ علم بمرضهِ في السفر لينال بركتهُ الاخيرة فوجدهُ جثّةً هامدة بألمها بدموعه . ولدينا الكتاب الدالّ على عواطفهِ البنويّة الذي وجّههُ الى امرأتهِ واولادهِ في تلك الاثناء

ومحبّة باستور هذه لم يحصرها في ذويه بل بسطها بعد قليل نحو كلّ الذين اختلط بهم من اساتذة وعلماء وتلامذة ومرؤوسين يرى في الاحسان الى الجميع سروراً وارتياحاً . وكان يتفانى في خدمة الكلّ ويظهر في سائر معاملاتهِ انساناً لطيفاً صبوراً ذا بساطة واخلاق رضيّة تحبّبه لكل من يقترب اليهِ فيضحّي في سبيلهم وقتهُ الثمين . وكان لطفهُ هذا يشمل حتى الاطفال الصغار والاحداث يرى فيهم كما كان يقول رجال الغد فيعالجهم بحنان خاصّ

وكان باستور في ما خلا خدمة الجمهور ضنيناً بوقته يأبى كلّ ما كان يشغلهُ عن ابحاثهِ فلا يحضر الاجتماعات العالميّة والحفلات المفكّهة والمسارح ومسامرات السّهر

وممّا امتاز بهِ العلّامة باستور نزاهتهُ وعفّتهُ فانّهُ كان يمكنهُ ان يربح من اشغالهِ مالاً وافراً فأبى ان يُتاجر بمعارفهِ مفضّلاً على منافعهِ الشخصيّة خير وطنهِ واعلاء منار العلوم . وكان اذا وجد في زملائهِ طمعاً في المال يبكّتهم ويزجرهم لبخسهم كرامة العلم

٢ الفرنسي والوطني

قد تجسّمت في باستور روح الفرنسويين الطيّبة اعني بها الإقدام والنشاط والنخوة فلا تعيقهُ الصعوبات ولا تثبط عزيمتهُ المشاكل فاذا باشر عملاً لا ينقطع عنهُ حتى يستوفيهُ ويحقّق منهُ آمالهُ

وكان كأحرار الفرنسويين يحنّ لكل ذوي البأساء من أمّته ومن الاجانب .

بلغهُ سنة ١٨٤٣ ما حلّ ببولونية من البلايا تحت نير روسيَّة الثقيل فجعل يجمع المال لاسعاف أهلها ولم يباشر كثيرًا من ابحاثهِ العلميَّة الّا لتلطيف بلايا العَمَلة والصنّاع والمزارعين والمبتلين بالاوبئة حتى انَّ احد رصفائهِ قال عنهُ : انَّ رقة قلبهِ كانت بمثابة سعة عقلهِ وسموّ ادراكهِ

وكان مع ذلك قد بلغ حبُّهُ لوطنهِ مبلغاً عظيماً فكان اذا وقف على بعض اسرار الطبيعة لا يفرح الّا لما سينال فرنسة من المجد بسببهِ

وكان اذا حلّ بوطنهِ رزء يتأثر منهُ ايّ تأثير كما حدث في حرب المانية وفرنسة سنة ١٨٧٠ فانهُ امتعض لما رآهُ عياناً من همجيَّة الجيوش الالمانيَّة فكُسف بالهُ وعيل صبرهُ وردّ لكليَّة بون الالمانيَّة وسام الشرف الذي كانت اهدتهُ اياه ولم يشأ مذ ذاك الحين مكاتبة الالمان . واذ فاتحهُ الامبراطور غليوم الثاني سنة ١٩١٤ بواسطة سفيرهِ ليمنحهُ بعض امتيازات دولتهِ رفضها بتاتاً

ولمَّا دُعي الى المؤتمرات العلميَّة في لندن وفي جنيفة وفي كوبنهاغ ليمثل فيها دولتهُ كانت ترنُّ معاهد الاجتماعات بتكرار اسمهِ والثناء العظيم على خدمهِ العديدة للعلوم فكان لا يكاد يعبأ بذلك وانَّما يُسَرُّ بهِ لما تصيبهُ فرنسة من الشرف وكان اذا رجع الى باريس لا يذكر شيئاً مما جرى سوى قوله : « قد نالت فرنسة ما تستحقُّهُ من المجد الاثيل فوق سواها » . وكان لا يرفع صوتهُ في جدال غيرهِ من العلماء الّا اذا بُخس حقّ وطنهِ وخاف تغلُّب الباطل على اليقين

٣ العالم النابغ

لو اردنا الاتساع في هذا الباب لضاقت عن استيفائهِ اعدادٌ من المجلّة وانَّما نكتفي بذكر ما ادّاهُ من الخدم لبعض العلوم فخطّاها خطوات بالغة لم تحصل على مثلها قبلهُ

﴿ باستور وجوامد الكيميا ﴾ سبق انَّ باستور عُهد اليهِ اوّلاً تعليم الكيميا فكان باكورة اكتشافاته انَّهُ بيَّن ما يوجد من العلاقة بين اختلاف استقطاب النور في التبلّورات واستدارة ذاك النور المستقطب في الملح الطرطيري فوضع اساس علمٍ جديد يدعى علم جوامد الكيميا (Stéréochimie) فاستنتج ان الاختمارات الجارية في الاجساد انما هي نتيجة ظواهر غذائيَّة علّتها بعض الجراثيم الدقيقة التي تتسلّط على

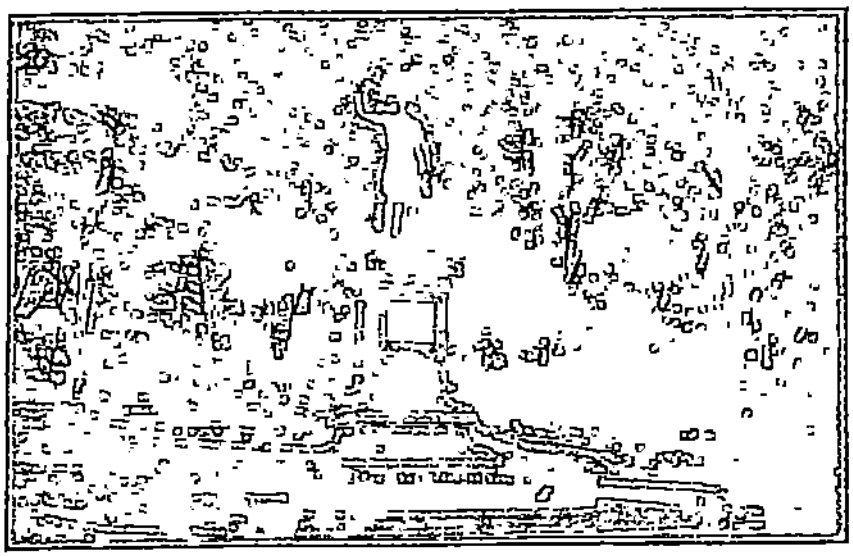

١ تمثال پاستور للنحات شاليو في المرن

ترى عند اقدامه شاباً عضّهُ كلب كَلِب رافعاً يمينهُ الى طبيبهِ

٢ تمثال پاستور للنحات طوني نويل

صوّرهُ وفي يده غصن من الأريقيّ ملتصقة بهِ فيالج دود القزّ

الموادّ الكيموية وتؤثر في تركيب دقائقها وبذلك انشأ علماً آخر يُدعى الكيميا الحيوية (Biochimie) اتصل الى ثبات نواميسه بالمراقبة المجهرية

﴿ باستور وعلم الاختمارات ﴾ أدّت اكتشافات باستور الآنف ذكرها الى اكتشاف علم آخر اعظم شأناً وهو فعل تلك الجراثيم في مركّبات الكحول والسكّر واختمارات المشروبات الكحولية كالخمر والجعة واسبابها . فبيّن انّ تلك الاختمارات الكحولية ليست مفعول التركيب الكيموي المحض والتولّد الذاتي بل هي مفعول جراثيم وحيّويات تتوالد وتتناسل في الجوّ فتتّصل بتلك المشروبات سواء كانت سكّرية او كانت حوامض فتخمّرها ولولاها يستحيل التخمير ومن ثمّ لا صحّة لقول الزاعمين بتولّد الحياة الذاتي بل كلّ حيّ من حيّ آخر . واتى لاثبات ذلك بأدلّة قاطعة فانّهُ بتعقيم تلك الموادّ منع عنها كلّ جراثيم الهواء فأبقاها اشهراً بل سنين دون فساد ولا اختمار . وبذلك قطع لسان كل خطيب ودكّ دعائم الدروينيّة والماديّين واشباههم مع وضعه النواميس الثابتة لحسن استحضار الخمور والجعة بالطريقة المنسوبة اليه (pasteurisation) بتسخينها الى الدرجة ٥٥ من المقياس المئوي

﴿ باستور وعلم الميكروبات ﴾ هو عالم جديد اوحى بوجوده باستور فان اكتشافهُ للجراثيم الحيّة في الهواء والمختمرات مهّد لهُ السبيل الى توسيع ابحاثه فأنشأ علم المكروبات او النقاعيّات (Bactériologie) والجراثيم الدقيقة التي لا يُوقف عليها الّا باكبر النظّارات والمُجهرات وهي المعلّة لكثير من الادواء والاوبئة كما اثبت ذلك في علل دود القزّ التي كانت أُصيبت بالداء البهاري (pébrine) وداء الذّبلان (flacherie) ففشا الداءان بسرعة عجيبة في كلّ انحاء اوربّة وسوريّة والصين وفقد المربّون لها ملايين من الدراهم بسببها وكادت تتلف صناعة الحرير لولا باستور الذي تمكّن من معرفة تينك العلّتين والطريقة الكافلة بعلاجها

﴿ باستور وعلم الطبّ ﴾ كان الطبّ الى عهد باستور محدّداً منحصراً في امتحانات الاقدمين وعلاجاتهم المبنيّة على التجربة فوسّع باستور نطاقهُ وجعلهُ علماً راسخاً مستنداً الى اصول نظريّة تؤدي بالطبيب الى حسن تشخيص الداء وتعيين ما يلزمهُ من الدواء

وكان الاطباء قبلهُ عاجزين عن معالجة عدّة علل واوبئة كداء الجمرة والهواء

الاصفر والطاعون والحُمّى التيفونيدية فأثبت لهم الطريقة لشفائها بالتطعيم بان يُستخرَج مصل الحيوان المصاب بهذه الادواء بعد تلطيفه ويطعَّم به الحيوان السالم الجسم ومثلهُ الانسان فيكتسبان قوّة الوقاية المانعة عنهما تلك الاوبئة وهو الشفاء من الميكروبات بواسطة الميكروبات نفسها وذلك علم البكتريوثراپيا (Bactériothérapie) وبوقوفهِ على الجراثيم الوبئة وتهيئتهِ للتمصل الشافي لسمومها أدى باستور خدماً جليلة لعلم آخر وهو علم الأمراض وعللها (Pathologie) وانشأ علم العلاج بالمصول (Sérothérapie) الذي واصلهُ تلميذهُ الدكتور رُو (Dr Roux) فنال باستحضار المصول شهرة واسعة

﴿باستور وعلم الجراحة﴾ انَّ الجرّاح كان قديماً اذا عمل عمليَّة من قطع او بَتر وما شاكلها لا يلبث في الغالب جريحهُ ان يودّع الحياة لآكلة تصيب الجريح بسبب جراثيم الهواء والآلات الجراحيَّة وايدي العاملين. فاوقفهم باستور على طريقة التعقيم امَّا بقتل تلك الجراثيم (antispésie) وامَّا بمنع دخولها (asépsie) فتمكَّن ارباب الجراحة في عهدنا من اجراء عمليَّات عجيبة ما كانت لتخطر على بال احد سابقاً وذلك دون خطر وبنجاح تامّ

﴿باستور وعلاج الكَلَب﴾ كان باستور في العلل والاوبئة السابقة اكتشف جراثيمها المعدية فامكنهُ مناهضتها وإلغاء شرورها. امَّا الكَلَب فلم يمكنهُ الوقوف على جرثومته القتّالة وانَّما كان يعرف سنَّتهُ فقط فجرى على طرائقهِ العلاجيَّة السابقة بتلطيف قوَّة ذلك السمّ والتطعيم بهِ ملطَّفاً فيبرأ الكَلِب من دائهِ. كما ترى ذلك يومياً في مكتب الطبّ القرنساوي حيث يتوارد المعقورون من الكلاب فيشفون اللهمَّ اذا اسرعوا الى التداوي قبل تفاقم الداء

تلك حفنة من كثيب من اكتشافات ذلك العلَّامة فريد عصرهِ الذي انقذ من الموت اكثر مما اتلفتهُ الحرب الاخيرة من الجيوش فيستحقّ دون غيرهِ ان يُدعى اكبر محسن الى البشريَّة جماء بل شرفها وفخرها وتاجها وان تُقام لذكرهِ التماثيل في سائر انحاء المعمور

٤ المتدين والمسيحي

قلنا انَّ باستور كان احقّ واصدق شاهد على انَّ العلم والدين اخوان. وها نحن

نذكر الادلة الساطعة على تديُّن باستور وقيامهِ بواجبات دينهِ

اشرق الله شعاعاً من نورهِ الالهي على عقل باستور فلم يُسعفهُ ذلك النور فقط في اكتشافاتهِ العديدة لاسرار الطبيعة الغامضة بل انارهُ ايضاً في معرفتهِ الحقائق الازلية

بنى باستور اكتشافاتهِ المختلفة على الامتحان متحايداً عن كلّ ما يُحمَل على التخريص والتخمين مع قطعهِ النظر عن آراء الفلاسفة ومذاهب المتجادلين الّا انهُ عرف انَّ للعلم الوضعي حدوداً لا يستطيع ان يتخطّاها . فمن قوله «انَّ في الانسان وجهين متباينين اعني بهما : الرجل العالم الذي يحكم في العناصر الكونيَّة كما تلوح لهُ في جواهرها وظواهرها ضارباً الصفح عن الظنيات . والرجل الفطريّ الذي يتوق الى ما يسندهُ في الاوجاع ومشاكل الحياة وللدين المقام الاوّل في ذلك لا يجوز للعالم ان ينتهك حماه »

ومن ثمَّ كان باستور ثابت الاعتقاد في وجود الخالق وخلود النفس وما ينتظرها في الآخرة من ثواب او عذاب لاجل اعمالها لاسيّما بعد ان نقض بالدليل العلمي رأي الماديين بتولُّد الحياة الذاتي

ولمّا اختارتهُ جمعيَّة العلوم الكبرى في باريس خلفاً لليتره (Littré) الذي كان عاش كافراً ولم يهتدِ الى الايمان الّا عند ساعة موتهِ لم يأنف باستور في خطبتهِ لدى المجمع يوم انضمامهِ اليهِ بان يندّد بمعتقد ليتره وكفرهِ كما اقرَّ بذلك صاحب المقتطف في عددهِ التاسع من السنة ١٩١١ (ص ٨٠٥)

ولم يكتفِ باستور باعتقاد الحقائق الدينيَّة الفلسفيَّة بل طأطأ رأسهُ امام اسرار الكنيسة والوحي الالهي واخذ على نفسهِ القيام بواجبات دينهِ كما انَّهُ هذَّب اولادهُ بمقتضاها

ومن درر كلامهِ في تلك الحفلة التي كان يحضرها رنان الملحد قولهُ :

«طوبى لمن يحمل الله في باطنهِ ويخضع لهُ فهو عزَّ وجلَّ مثال كل الجمال مثال العلم مثال الوطنيَّة مثال الفضائل الانجيليَّة فتلك هي الينابيع الحيَّة للافكار الحامية والاعمال الشريفة . وكلّها تسطع بأنوار الالوهية »

وكان كل صباح اذا سار الى مختبرهِ الكيموي يحيد عن طريقهِ ليذهب الى كنيسة القديس اسطفانوس (S' Etienne-du-Mont) فيخرّ ساجداً لله قريباً من قبر القديسة جنوفيفا شفيعة باريس فكانت عواطفهُ الدينيَّة تسندهُ في اشغالهِ الشاقَّة وتجدد

لـهُ الطريق الى اعظم الاكتشافات والى ذروة المجد حتى اصـاب من الامتيازات الشرفيَّة ارفعها لاسيَّما لمَّا بلغ السنة السبعين من عمرهِ فأقيمت لهُ حفلات شائقة اشترك فيها علماء المعمور فكان العالَم باجمعهِ صوتاً واحداً للثناء عليهِ وإطراء فضلهِ

لكنَّ عبء السنين كان يزدادُ ثقلاً على اعناقهِ فشعر بقرب أجلهِ وكان اوَّل ما فكَّر بهِ ان يدعو مرشد ضميرهِ الاب بولانجان الراهب البندكتي . وبعد ان تزوَّد اسرار الدين وبارك عيلتهُ واستودع اصحابهُ المصدقين بفراشهِ اسلم روحهُ لخالقهِ ويدهُ اليسرى في يد امرأتهِ وفي يمناهُ صليب المسيح الذي كان يكرِّر تقبيلهُ . فكانت وفاتهُ هذه الصالحة في عصر اليوم ٢٨ من ايلول سنة ١٨٩٥ وكان لنعاهُ رنَّة اسف سُمع صداهـا في انحاء فرنسة بل في اقاصي المعمور واحتفلت باريس بحفلة جنازتهِ احتفالها باعظم رجالها . وبعد الصلاة عليهِ دُفن في معبدٍ صغير كما كان اوصى بهِ في وصيته الاخيرة فصار قبرهُ منذ ذاك الحين مزاراً تتناثر فوقهُ مع صلاة الزوَّار على راحة نفسهِ آيات الشكر والثناء على مآثرهِ المخلَّدة . فبكل صواب اقبل العالم على تكرار عرفان الجميل اليهِ بنسبة تذكار مولدهِ الشريف اجزل الله ثوابهُ في دار البقاء

ترجام القيامة المقدَّسة

للجاثليق ايليا الثالث المعروف بابي الحلم بن الحديثي

عُني بنشرهِ الاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

بين المخطوطات القديمة التي دخلت مكتبتنا الشرقيَّة منذ عهد قريب سفرٌ جليل كتب في مصر سنة ٧٠٤٣ لآدم الموافقة لسنة الميلاد ١٥٣٥ فيهِ مجموع تراجيم اي خطب للاعياد السيديَّة في عدد ٢٢ خطبة نُشر ١٦ منها في الموصل في كتاب التراجيم السنيَّة للاعياد المارانيَّة لايليا الثالث ابن الحديثي احد بطاركة الكلدان الساطرة المتوفَّى في القرن الثاني عشر سنة ١١٩٠

مسيحيَّة . وقد عثرنا لهُ على خطب لم تُنشر في بعض نسخ مكتبتنا الشرقيَّة فادرجناها في المشرق . وها هوذا اثر جديد من قلم ذاك الخطيب المصقع وجدناهُ في المخطوط الحديث الذي نوَّهنا به ترويح لقرَّائنا الكرام بنسبة عيد الفصح الواقع في غرَّة نيسان قال :

الحمد لله الذي سَفَرَ عن بريَّته ليلَ الممات والمنايا ، وجرَّ على خليقته ذيل الحياة والجايا ، واشرق شموس حكمته في القلوب والافهام فنوَّرها ، واستغرق في قاموس رحمته ذنوبَ الانام فغفرها ، وجلا عن الآفاق أغساق الضلال والأوجال ، وحلَّى الاعناق باطواق الجلال والإقبال ، وأضحك مباسم الوعود بعد خمودها ، وحرَّك مناسم الوجود بعد ركودها ، ودثَّر نِقَم البلايا وصدَّ بؤسها ، ونشر رِمَم الرجايا بعد دروسها

نحمدهُ حمدًا نقتدح بصدقه زناد العزائم ، ونتترع في طرقه عن موادّ الجرائم ، ونُقلع عن منازل الغرائم والمخاوف ، ونفرع الى معاقل المغانم والمعارف

معاشر الناس سيروا الآن بيانًا وجهرًا ، وأبشروا عيانًا وطُرًّا ، بسبوغ الإنعام العميم المنار ، وبلوغ المرام الجسيم الاوطار ، واستعدُّوا للنهوج في مروج الارتقاء ، وجدُّوا في الولوج في بروج البقاء ، وترنَّحوا باشواق الرشاد والجبور في هذا اليوم السعيد الجميل الاوصاف ، والعيد الفريد الجزيل الاسعاف ،

اليوم ترصَّعت الخواطر بياقوت النعيم وفيروزج الكرامة والعلوم ، واطَّلعت النواظر على نموت الحكم ونوذج قيامة العموم ، في مرآة القيامة المسيحيَّة ، تلك التي بها قمنا من الوقمة الاوَّليَّة ، وحظينا بالرفعة العلويَّة ، ورقينا عن القعور الديجوريَّة الى القصور النوريَّة ، اليوم تقمَّصنا سرابيل الامان والايمان ، وتخلَّصنا من اضاليل الشيطان والبهتان ، وفزنا من مخاليب الموت ، وحزنا مناجيب الفوت ، ونجونا من لواعج الوصوم ، وتوارينا عن زواعج الوجوم ، اليوم هُدمت اركان الوزيَّة تلك الخطائيَّة ، ونُظمت زُهر جمان الإنسيَّة في سلك القدسيَّة ، اليوم تلألأت بدور المكارم في دياجي العدم ، وزالت شرور المحارم وفواجع الندم ، وحلَّت ذراري البشريَّة في منازل شرفها ، وانخذلت جواري الخطيَّة من نوازل سرفها ، اليوم سَجَع حمام الخلد على دوحة الحمام ، وهجع غمام السعد في ساحة الظلام ، ولمعت بروق الامنيَّة من حُوب المنيَّة ، وسقت عروقَ الآدميَّة بصَوب الحريَّة ، اليوم طلعت شموس النجاح من صباح السماح ، وشمشمت كؤوس الافراح براح الايضاح ، وتبلَّجت وجوه الآمال والاعمال ،

واندرجت سفوه المآل والزوال ، اليوم شُرحت الاشارات الملغوزة ، واتّضحت الدلالات المرموزة ، ومات الموت المحتوم الأجل ، بموت الحيّ القيّوم الازل ، ذاك الذي تقمّص بشريّتنا بنفسه وايشاره ، وخلّص جبلّتنا ببأسه واقتداره ، وذاق كأس الحِمام باختيار حكمته ، ومزّق لباس الظلام بأنوار قدرته ،

ثم زار ارواحَ الابرار في الهاوية بنفائس قدسه ، وانار اشباح الاطهار بمقابس انسه ، المكحولة احداق أنواقهم بأميال سُيوبه ، المغلولة اعناقُ اشواقهم بآمال رقوبه ، وانقذهم من لجّة الجحيم واعراض الجنّة ، واعادهم الى بهجة النعيم ورياض الجنّة ، واباد أفعوان المنون ، اعني به الشيطان الملعون ، وصدم دعائم دولته الغاشمة ، وهدم عزائم صولته القاصمة ، واقتطف نحور مقانبه الباغية ، واستهرق صدور مناقبه الطاغية ، ورشقهُ بسهام الخطوب عن قدس العدالة ، ومزّقهُ بحسام الكروب وبأس البسالة ، وفرّق مواكب جيشه الرحيب ، ورنّق مشارب عيشه الخصيب ، واعدم حنادس اركانه وافانين مصايده ، وارغم مماطس سلطانه وعرنين مكايده ، وقلّص اذيال العيوب المكتومة في حبائله ، وخلّص اجيال الشعوب الموصومة بغوائله ، من انياب نوائبه الضارية ، واوصاب معايبه الطارية ، وامسى ابليس الخسيس بعد شموخ صياصيه ، وبزوغ نواصيه ، أسير باع السبيّة ، حقير انواع البريّة ، لكونه افترى بدواعيه على باريه ، واجترأ بمساعيه على منشيه ، واستحقّ السقوط من افلاك النعمة ، والهبوط في اشراك النقمة ،

واما الموت فلمّا رأى منشئ الامم والموجودات ، ومحيي رمم الاموات ، قد بدا في قواليب الممات ، ظنّ انهُ يرتبط في شركه كالعموم ، وينخرط في سلكه المحتوم ، فضلّ بالناسوت الملكوز ببنانه ، عن اللاهوت المحجوب عن بيانه ، وشاقهُ الشره الى الولع بالبشريّة ، وساقهُ البَلَه والطمع الى المنيّة ، فحيث حلّق مخلاب مراميه عن دواعيه ، وعلّق ثابَ فيه فيه ، نشقَ نسيم الاقتدار والخلود ، وقهقرَ عنهُ عديمَ القرار والوجود ، وأصبح كالباحث بظلّفه ، عن حتفه ، مقتوصاً بأشراك لبّه ، مخصوصاً بهلاك نفسه ، وانقلب الى العطب والبوار ، ولم يجد مذهباً الى الهرب والفرار ، وتلاطمت به امواجُ الأحزان ، وتراكمت عليه افواج الخسران ، وسحبت على تيجانه ذيولُ الهوان ، وسُكبت على اغصانه سيولُ الحِرمان ، بعد ما كان قد استرقّت سيوفهُ

ارقابَ الجمهور ، واستدقت كفوفهُ احقاب الدهور ، واستنزل الأقيال والاكاسرة من قُلّهم ، وقتل الابطال والجبابرة وذلّلهم ، واهبطهم الى مهاويهِ المظلمة خطفاً ، واكتواهم بمكاويهِ المؤلمة عنفاً ،

فلمّا ولعَ بالحياة الازليّة ، تجرّع كأس البليّة ، وانفلجت حينئذٍ الحجّة عليهِ ، وتجتْ السبيّة من يديهِ ، واكتحلتْ بميل العشا طرفاهُ ، وصفرتْ من سبيل الرجاء كفّاهُ ، سيّما لمّا لمحَ ضروب المعجزات الباهرة ، وشبوب المبرات الزاهرة ، تلك التي خرقَ نبأها دروعَ العوائد الطبيعيّة ، واشرق شمسها ربوعَ القواعد الشرعيّة ، اذ رأى الصخور قد تفلّقت ، والقبور قد تشقّقت . والبدور العلويّة قد انخسفت ، والقصور السفليّة قد انشرفت ، والشموس قد توارت وراء الاستار الفلكيّة ، والرموس قد تنوّرت بالانوار المسيحيّة ، والرمم الدارسة قد نُشرت ، والقمم الناشرة قد دُرست ، والاموات قد مزّقوا الاكفان والاتراح ، فتسربلوا بالحبور واطلقوا العنان للافراح ، وهم عن سفينة الارجاس منتزعون ، والى مدينة الاقداس مسرعون ، يذيعون سرائر الهداية والرشاد ، ويشيعون بشائر الفداءة والمعاد ،

اليوم نجز وعد هوشع النبيّ (١٣ : ١٤) بالموت حيث يقول : اين شكيمتك أيها الحمام التاسف ، اين شوكتك أيها الجحيم العاسف ، فقد قهركما القدّوس الجبّار ، وسلب من ايديكما نفوس الابرار ، اليوم داود النبي يضرب في المجامع بقيثار السارّ ، ويُطرب السامع بأوتار الاسرار ، ويبادي الخواطر صريحاً ، وينادي على المنابر فصيحاً (مز ٣ : ٦) : استيقظ الربّ كالنائم من رقدته ، وصحا كالشارب من سكرته ، وبدّد بهيبته شملَ اعدائهِ ، وجدّد بقيامته وصل اوليائهِ ، اليوم شُرح المثل المضروب من شمشون الجبّار ، المحجوب عن عيون الافكار ، (القضاة ١٤ : ٨—١٥) اجتنينا الاوطار من غصون المرارة ، وأصبنا اثار فنون الحلاوة والبرارة ، وحظينا من انيلب النوائب المؤذية ، بأسباب الرغائب المغذية

اليوم تفتّحت ابواب السماوات ، تزحزحت ارباب القوّات ، اليوم خدمة سلطان الاقطار ، وملائكة سماء الانوار ، خرّوا من قصورهم السامقة خاضعين ، جثوا على وجوههم المتألقة ساجدين ، للبارز من لحود الاموات لجيّز حدود السماوات ، سفروا في الورى عن شموس عهودهم ، عفّروا في الثرى بهاء خدودهم ، لثموا ضريحهُ

بشفاهٍ نارية، ترنّموا في تسبيحه بنغماتٍ هنيئة، رفعوا الجندل عن باب الضريح ، شرعوا بالجذل واطناب التسبيح ، اشهروا في العالمين برهان السلامة ، بشّروا البليّحيين والنسوان حقائق القيامة ، ونجّوا المنقّبين عن الملك السماوي ، في سلك المهاوي ، قرّعوهم باعنّة العتاب رادعين ، ارشدوهم الى سنّة الصواب قائلين (لوقا ٢٤ : ٥) : لماذا تطلبون ينبوع الحياة ، في ربوع الاموات ، وتبحثون عن منشئ الاكوان ، في حواشي الاكفان ، وتسألون عن خالق الدهور والنور ، في غواسق القعور والقبور ، أبشروا الآن بصفات قيامته ، وانشروا في البلدان رايات بشارته ، فقد قام من ديجور اللحد والقبر ، وامتطى ظهور المجد والنصر ، وسيبقكم بمجده الى الجليل، ويكحل بميل نوره بصركم العليل ، فتقرّ ببهائه نواظركم المسهودة ، وتُسرّ بسنائه خواطركم المكدودة

اليوم اينعت غصون الوعود وأورقت اسبابها ، وجُدعت قرون اليهود وتمزّقت احزابها ، واجتمع بالمسرّة البليّحون الى غايّة الاسرار ، وانتزحوا عن ابواب الاخطار ، وتوشّحوا باثواب الوقار ، واستضاءوا بالمصابيح المضيّة ، وتسلّموا المفاتيح السماويّة ، تأيّدوا باسانيد الحكم وفوائدها ، تقلّدوا باقاليد النعم وقلائدها ، انثنوا على اسرار الذخائر ونعوت الكرامة ، فأعلنوا ببشائر الملكوت والقيامة ، اليوم تهلّل الانبياء بكمول مقالهم ، وحصول آمالهم ، فعمّ سرور القيامة السماويين والارضيين ، واشتمل نور الرحمة على النورانيين والبشريين

أيها المؤمنون فلنفرح نحن ايضاً مع ضروب ملائكة النور ، بقلوب ضاحكة الثغور ، ولنقفُ آثار النبيين والابرار ، والبليّحيّين الاطهار ، ونسارع بأقدام صدق الطويّة ، وإقدام شوق النيّة ، وفطرةٍ خالصيّة ، الى المقبرة المخلّصيّة ، ونخضع لديها بجباهٍ مذلّلة ، ونتضرّع اليها بافواه مرتّلة ، لتصبح يومَ نشور الاموات ، وظهور الخفيّات ، من العباد المرضيين ، واولاد اليمين ، بشفاعة ذات الشفاعات وجميع القديسين ، آمين

طاقة زهور من حدائق العلم

للاب س . م اليسوعي

نشرت مجلّة المشرق في عدد شباط الاخير نظرًا عامًّا عن ترقّي العلوم في السنة الماضية فسُرَّ به القرّاء واستزادوا من امثاله فتلبيةً لمتمسهم اقتطفنا من حدائق العلوم العصريّة طاقة زهور نهديها اليهم في اوّل فصل الربيع

فصل اوّل من عالم الفلك

١ اكبر النجوم المعروفة حجماً

وصف المشرق (في عدد نيسان ١٩٢٢) الطريقة الحديثة التي ابتكرها ميشلسون (Michelson) لقياس حجم النجوم فجاء اختراعهُ هذا آيةً في بابهِ تمكّن بهِ الفلكيُّون من تحقيق امرٍ عدُّوهُ سابقًا من المستحيلات

يؤخذ ممّا قالوهُ مؤخرًا انَّ ثلاثةً من النجوم هي اكبر حجماً من سواها : (الاول) النجم المسمّى اركتوروس (Arcturus) والمعروف عند العرب بالسماك الرامح في كوكبة البقّار (Bouvier) فانَّ حجمهُ يساوي ٨٫٠٠٠ شمس وقد ضُبط حجم الشمس بالنسبة الى الارض فاذا هو يوازي مليونًا و ٣١٠٫٠٠٠ مرّة حجم ارضنا (١ امّا بُعد هذا النجم عن ارضنا فانهُ يبلغ ٢٧ سنة نور . والنور كما سبق يقطع في الثانية ٣٠٠٫٠٠٠ كيلومتر . فترى انَّ علم الفلك في مقدّمة العلوم المنبئة بقدرة الله غير المتناهية

(النجم الثاني) الذي قيس حجمهُ إبطُ الجوزاء (Bételgeuse) وهو نجم شديد السطوع في كوكبة الجوزاء التي تُرى في بلادنا قريباً من سمت الرأس وتغلب

١) هذا العدد اضبط ممّا ورد في المشرق (٢٠[١٩٢٢] : ٣٥١) حيث قيل انَّ حجم الشمس يساوي نحو ١٫٣٩٥٫٠٠٠ مرّة حجم الارض . تحقّقوا ذلك بزيادة في دقّة القياس

على بقيّة البروج لسمّتها . فكانت نتيجة قياس النجم المذكور انّ حجمهُ الفُ ضعف النجم السابق يبلغ نحو ٢٧ مليون مرّة حجم الشمس . امّا بعدهُ عنّا فيتاسنة نور

(النجم الثالث) هو المسمّى انتاريس (Antarès) في كوكبة العقرب قاسوا حجمهُ فوجدوهُ ١١٣،٠٠٠،٠٠٠ مرّةً اكبر من حجم الشمس ويبلغ بُعدهُ عن الارض ٣٧٠ سنةً نوريّةً

فهذه النجوم الثلثة تُعدّ اليوم اكبر النجوم حجماً على انّ الفلكيين لم يستطيعوا قياس ثقلها لانفرادها وبُعدها عن بقيّة النجوم فلا تؤثر فيها ولا تتأثّر منها . ومن المعلوم انّ قياس اثقال النجوم انّما يستدلُّ بهِ العلماء بواسطة ذلك التأثير المتبادل

٢ اثقل النجوم المعروفة اليوم وزناً

هو نجم من كوكبة الوحيد (Licorne) الواقعة بين الشعرى الشاميّة والشعرى اليمنيّة . وهو نجم مزدوج يتركّب من كوكبين متقيّدين بقيد الجاذبيّة المتبادلة فيدوران حول مركز ثقلهما المشترك دورةً كاملة على فلكين قريبين من شكل الدائرة وذلك في ظرف ١٤ يوماً و ٩ ساعات و ٥٦ دقيقة . فالكوكب الاوّل وزنهُ ٨٧ مرّة وزن الشمس والشمسُ ٣٢٩،٤٣٩ مرّةً اثقلُ من الارض البالغ ثقلها نحو ٥،٣ × $١٠^{٢١}$ طنّ . وطول قُطر فلكهِ نحو ٤١ مليون كيلومتر يدور عليهِ بسرعة نحو ٢٠٦ كيلومترات في الثانية . اعني نحو سبع مرّات اسرع من دوران الارض حول الشمس

والكوكب الثاني وزنهُ ٧٣ شمساً وطول قُطر فلكهِ ٤٩ مليون كيلومتر يدور عليهِ بسرعة ٢٤٧ كيلومتراً في الثانية . فيكون اذاً مجموع وزن الكوكبين المزدوجين كوزن ١٦٠ شمساً . وبين الكوكبين مسافة نحو ٩٠ مليون كيلومتر ورغماً عن ذلك البُعد الشاسع لم يتمكّن اكبر المراقب من التمييز بينهما لبعدهما وانّما تحقّقوا ازدواجهما بواسطة نظّارة الطيف الشمسيّ وحسابات علم الميكانيكيّة الفلكيّة

ثمّ انّهم يقدّرون درجة حرارة النجم المذكور بزهاء ١٧،٠٠٠ درجة من المقياس المئوي اي ثلاثة اضعاف حرارة الشمس البالغة ٦،٠٠٠ درجة التي لا تُدانيها حرارة في ارضنا . وحلّلوا ذرّات ذلك النجم فوجدوهُ من اخفّ الدقائق الكيموية التي

يكثر فيها عنصر الهيليوم دون اثر فيه لوجود المادن . واما بُعد ذلك النجم عن ارضنا فيُقدَّر بنحو عشرة آلاف سنة نور الذي قلنا سابقاً انهُ يقطع في الثانية ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر ومثلهُ الكهربا. وتموُّجاتها في التلغراف والتلفون اللاسلكيَّين . فتكون الاشعَّة الواصلة اليوم من ذلك النجم قد صدرت منهُ قبل ورودها علينا منذ عشرة آلاف سنة ولو نطقَتْ لأفادتنا علماً عن احوال زمن صدورها في مَهد البشريَّة . فسبحان الخلَّاق العظيم الذي لا يزال علمنا العصري يكشف شيئاً فشيئاً بدائع صنع يديه القديرتين

فصل ثان من عالم الطبيعيَّات

التليفوتغرافيَّة اللاسلكيَّة

يراد بالتليفوتغرافيَّة نقلُ الصور الشمسيَّة عن بُعد بواسطة الكهربا. بحيث ترتسم الصورة في المحطَّة القابلة بكل دقَّتها كما تمثَّلها المحطَّة الباعثة . وقد سبقت مجلة المشرق ونشرت (١٩ [١٩٢١] : ٤٢٤) مقالة مسهبة عن هذا الفنّ العصري وبيَّنت طريقتَيه الشهيرتين مع بيان ما لكلٍّ منهما من المزايا

على ان التليفوتغرافيَّة لم تصبح لاسلكيَّةً كالتلغراف والتليفون الَّا من عهدٍ قريب ولهذا رأينا ان نتحف القرَّاء بنبذة وجيزة لنوقفهم على هذا التحسين الجوهري الذي يحقّ لهُ ان يُنظم في جملة اعجب اختراعات الجيل العشرين اذ تتمكَّن بها الجرائد نشر حوادث تجري في نيويرك بضع ساعات بعد وقوعها لما يستدعي ذلك من العمليَّات الكيموية كما سترى . امَّا مكتشف هذا الاختراع العجيب فهو اميركي يُدعى جنكنز (Johnkins) وهو اختصاصيّ بفنّ السينما كانت ضالَّتهُ المنشودة ان ينقل لاسلكيًّا صوَر شريطة السينما الى مسافات بعيدة بحيث يراها كلّ صاحب جهاز قابل للتموُّجات الكهربائيَّة . لكنَّهُ لم يتوفَّق الى نقل تلك الصور بسرعة كافية لتمثيل الحركات . وهي لعمري مأثرة كافية لتدوين اسمهِ في سجلّ اعظم المخترعين واليك وصف جهازهِ الباعث (١ . لهذا الباعث موشوران يدور كلّ منهما على

١) انَّ المجلَّة العلميَّة التي روت هذا الاختراع سكتت عن كيفيَّة قيام كلّ من الباعث والقابل بوظيفتهِ الخاصَّة ولعلَّ ذلك سرٌّ لم يشأ مخترعهُ كشفهُ لبستفيد من اختراعهِ دون غيرهِ . امَّا نحن فقد شرحنا التالي الى وصف الجهازين ونواميس الكهربا. وبمرقتنا الفنّ التليفوتغرافيَّة اللاسلكيَّة

محوره الّا انّ سرعة دوران الواحد كنسة ضعف سرعة الآخر. وكلاهما يوضع بين الصورة الشمسيّة المراد نقلها ومجرى كهربائي تُدمج في دائرته قطعةٌ من معدن السيلينيوم الذي من خواصه زيادة شدّة المجرى الكهربائي الذي هو مندمج في دائرته . ولا بُدَّ ان تكون الصورة على شكل جُلَيدة فوتغرافيّة فيلفّونها حول اسطوانة ذات دورة لوليّة تسير في دورانها سيرًا مستقيماً متساوي السرعة بوجهة محورها . فاذا دارت الجُلَيدة مع اسطوانها تمرُّ كلّ نُقطها تباعاً تحت شعاع نور باهر غاية في الدقّة يختلف سطوعهُ بنسبة درجة بياض او سواد النقط التي يمرُّ عليها . ثمَّ ينعكس الشعاع المذكور اوّلًا على الموشور الثقيل السرعة ثمَّ ينعكس منهُ الى الموشور الثاني الذي يفوقهُ سرعةً مئة ضعف . وبعد انعكاسه الثاني يصادف قطعة السيلينيوم المندمجة في دائرة مجرًى كهربائي شديد . فتزيد او تنقص شدّة المجرى المذكور بنسبة ازدياد او ضعف سطوع الشعاع على حسب تأثّره بما واجههُ من بياض او سواد النقط في الجليدة الفوتغرافيّة

قلنا انَّ الشعاع المجتاز الى كلّ نقطةٍ من الجُليدة الفوتغرافيّة ينعكس على الموشورَين الّا انَّ عدد انعكاساته عليهما انّما هو تابعٌ لسرعتهما ولسرعة الاسطوانة الملفوفة عليها الجليدة والتي تدور لوليًّا . فان فرضنا انَّ مرور الشعاع بنقطةٍ ما من الجُلَيدة يدوم $\frac{1}{100}$ من الثانية وان الموشور الاوّل يدور عشر دورات في تلك المدّة بينما يدور الثاني الف دورة لزيادة سرعته مئة ضعف على قرينه فمن الواضح انَّ الشعاع المذكور سينعكس في تلك المدّة القصيرة عشر مرّات على الموشور الاوّل على الاقل[1] والف مرّة على الثاني ومن ثمَّ يتّصل الف مرّة بقطعة السيلينيوم فيشدّد المجرى الكهربائي باتّصاله بها ويخفّفهُ عند انفصاله تناوباً في مدة $\frac{1}{100}$ من الثانية . وبتناوب اشتداد المجرى وخفّته تحدث تموّجات كهربائيّة تنقل صورة النقطة الكهربية من جليدة الجهاز الباعث الى جُليدة مثلها في الجهاز القابل

وفي القابل المذكور انبوبةٌ مجهّزة بسولفور الكربون تؤثّر فيه التموّجات الواردة من الباعث تأثيرًا يغيّر خواصّهُ النورانيّة فيصبح واسطةً بين تلك التموّجات وشعاع

(١) قلنا «على الاقل» لأنَّ عدد الانعكاسات مترتّب على قطع الموشور فان كان قطعهُ مثلّثًا تثلّثت ايضًا الانعكاسات في كلّ دورة

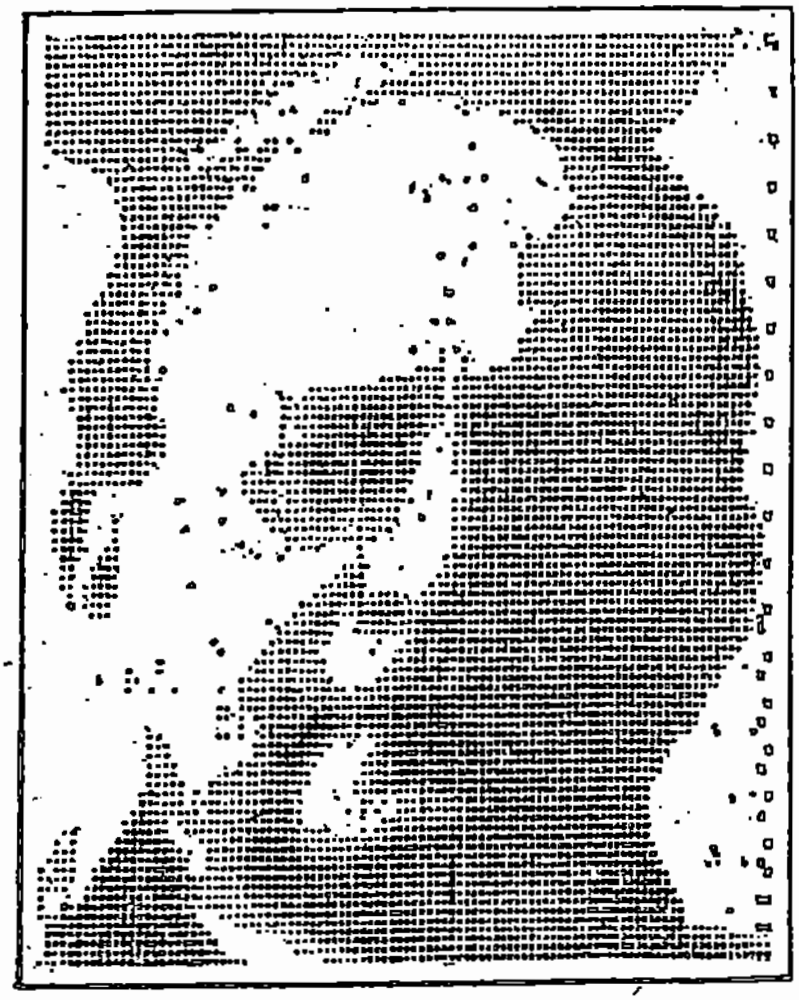

صورة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر

نُقلت بعد انتخابه من رومية الى نيويرك بالتصوير اللاسلكي

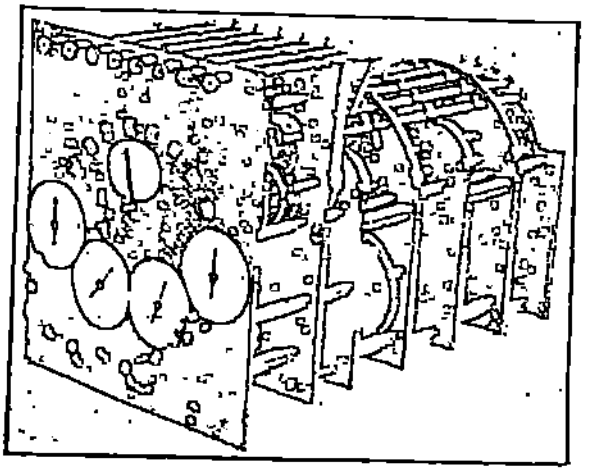

١ حسّابة مودل وجايه

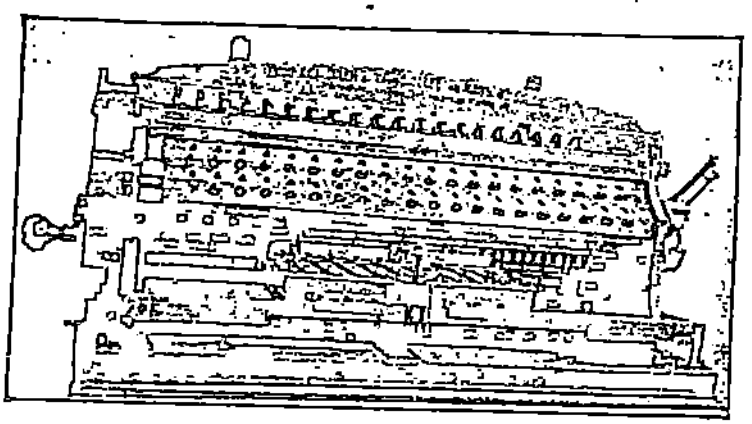

٢ حسّابة لاون بوله (اخترعها سنة ١٨٨٩)

يؤثر في كل نقطة من جُليدة القابل المراد نقل صورة الباعث اليها

فصل ثالث من عالم الحِيَل الميكانيكيَّة

الآلات الحسابيَّة او الحسابات

قد نفخ الانسان في الآلات العصريَّة المتحرّكة بقوَّة البخار او الكهرباء نسمةً من روحهِ الحيَّة العاقلة فصارت تقوم باعمالٍ مُحكمة منتظمة لا يفي بها احصاء. على انَّ بين تلك الآلات تفاوتاً عظيماً في الدقَّة والسرعة والكمال من اعجبها واحدثها طرازًا الآلات الحسابيَّة او الحسَّابات وفي تركيبها من التعقيد الميكانيكي ما يُقتضى لشرحهِ المجلَّدات الضخمة وانَّما نجتزئ بسرد اشهر تلك الآلات مع بيان موجز لخواصّ كلٍّ منها

﴿ ١ آلة العالم الفرنسوي پسكال﴾ هو اوَّل من سبق الى وضع آلة ميكانيكية ترويجاً لحسابات والدهِ وكيل الملك العام على اقليم نورمنديه وذلك سنة ١٦٤٢ وعمرهُ ١٩ ربيعاً لا غير. على انهُ لم يتوفَّق الى حسَّابة محكمة العمل الَّا بعد عدَّة اختبارات تكلَّف عليها نفقات باهظة وذلك لقلَّة رقيّ العلوم الميكانيكيَّة في عهدهِ. وكانت تلك الآلة تحتاج الى تدوير دواليب عديدة فتدلّ على جمع الاعداد وطرحها ليس الَّا

﴿ ٢ حسَّابة شِلت﴾ اخترع شِلت (Schilt) بعد السنة ١٨٥٠ حسابة غير مشوبة بهذا النقص فان الاعداد مكتوبة فيها على دساتين كدساتين البيانو تضغطها الاصابع فتجري العمليَّات المطلوبة. وقد تتابعت تحسينات هذه الآلة حتى راج سوقها اي رواج في المحلات التجاريَّة ومتَّن اشتهر بصنعها وتجهيزها معمل الاخوة بترسن في دَيتن (Dayton) في الولايات المتَّحدة حيث يشتغل بصنعها نحو ٤٠٠ عامل

﴿ ٣ حسَّابة مَرتش﴾ ابتكرها مرتش (March) صاحبها لاجراء الاحصاءات الرسميَّة التي يحتاج اليها في البلاد الراقية بسرعة وكانت قبلهُ تقتضي جيشاً جرَّارًا من الموظَّفين ونفقات تحصى بالملايين وزمناً ثميناً يُعدّ بالشهور والسنين. فبهذه الحسَّابة يمكن في ظرف نحو ساعة احصاء ما تحتويهِ ١٥٠٠ من اوراق الاحصاءات في كلّ

ورقة ستّة تعليمات كقولك «فلان فرنسويّ بالغ كاثوليكيّ متزوّج محترف»

﴿٤ حسّابة توما دي كولمار﴾ اخترعها سنة ١٨١٨ وعُرفت باسمه (Arithmomètre Thomas) وهي اوّل حسّابة تجري فيها العمليّات الحسابيّة الاربع اعني الجمع والطرح والضرب والقسمة على اسلوب سريع ثمّ حسّنها ابن مخترعها حتى صار عليها المعوّل منذ نيّف ومئة سنة في عدّة محلّات تجاريّة. امّا طريقة استعمالها فبأن يُكتب العدد المطلوب ضربُهُ مثلًا العدد ٧٨٩٦ على صفيحة معدنيّة افقيّة ثابتة. فان اردت ضربهُ بعدد ٢٥ أدرتَ اوّلًا مِلْوًى معلوم خمس دورات لضرب العدد ٥ فيُرقَم الحاصل على صفيحة متحرّكة من البلاتين. فيبقى ضربُ العدد ٧٨٩٦ بعدد ٢٠ وجمع الحاصل مع السابق فيكفي لذلك ان تحرّك صفيحة البلاتين يسيرًا الى الامام ويُدار الملوى مرّتين فتجد حاصل الضرب مرقومًا وراء نافذة زجاجيّة صغيرة مختصّة به. ويتمّ ذلك بسرعة اعظم من استعمال عقلك ويدك. وقس عليه الوفًا اخرى من الاعداد

﴿٥ حسّابة مورل وجايه Maurel et Jayet﴾. وهي من ابدع الحسّابات واسرعها عملًا تفوق كثيرًا على حسّابة توما. ويتمّ عملها بسحب نصال معدنيّة متحرّكة يُرقم على اوّلها عدد الآحاد وعلى الثاني العشرات الخ فتُسحب النصال من الآحاد او العشرات على قدر العدد المطلوب ضربهُ. امّا الاعداد الضاربة فلكلّ من ارقامها عقربٌ اي ابرة تدور حول محورها الواقع في وسط قرص مستدير كميناء الساعة فيدار عقرب الآحاد الى ان يقع طرفُهُ على رقم الآحاد في العدد الضارب والارقام العشرة محفورة على دائرة قرص كلّ عقرب. فمتى انتهيت من كتابة كلّ ارقام العدد المضروب على النمط المذكور كتبتْ لك الحسّابة ذاتها الحاصل العموميّ دون ملوى كما في حسّابة توما. ولا يؤخذ على هذه الآلة الّا تعقُّد ميكانيكيّتها اذ يسهل تشوّشها وتلفها مع الاستعمال المتواتر

﴿٦ حسّابة العالم الروسيّ تشابيشف Tchebychef﴾ قد حسّن حسّابةَ توما السابق ذكرها اذ جعل دواليبها ذات حركة متساوية غير منقطعة وهي ادقّ صنعًا وأصوَن لقطعها من التلف

﴿٧ حسّابة لاون بولّه Léon Bollée﴾ تفوق على كلّ الآلات المذكورة

آنفاً التي تتعدَّد فيها العمليات. امَّا هذه الحسَّابة فانَّها تضرب عددًا في آخر مباشرةً كما في جدول فيثاغورس الشهير. فلو اردنا مثلاً ضرب عدد ٧٥٣٨ في ٥٧٦ احتجنا في تلك الآلات الى ١٦ عمليَّةً بخلاف حسَّابة بولـه التي تُجري الضرب المطلوب بثلث عمليَّات ففيه من اقتصاد الوقت ما يُرغب في استعمال هذه الآلة

﴿ ٨ حسَّابة الأسوجيَّين شُتس (Scheutz) وابنه ادوار ﴾ كانت حسَّابتهما من ابدع ما عُرض سنة ١٨٥٥ في معرض باريس فابتاعها احد المثرين الاميركيين واهداها الى مرصد دَدْلي في الولايات المتَّحدة . وهذه الحسَّابة على نمط بيانو مصغَّر وهي تُجري بكلّ دقَّة العمليَّات الاربع وتدلّ بمجرَّد دوران مِلْوَى على الاعداد المتوالية في النسبة الحسابيَّة (١ الى ابتداء مرتبة ١٠،٠٠٠ ثمَّ انَّها تطبع من ذاتها نتيجة العمليَّات فتحفرها على صفائح من الرصاص يمكن تركيب النحاس فوقها فتظهر الارقام ناتئةً وبذلك يسهل طبع جداول اللوغرثمات والجيوب بدون احتياج الى صفّها فتسلم من اغلاط الصفَّافين العديدة

﴿ ٩ حسَّابة الأسوجي ڤيبرغ Wiberg ﴾ صاغها صاحبها على مبدإ الحسَّابة السابقة لكنَّهُ جعل ميكانيكانيَّتها أبسط وحجمها اصغر فنالت قصبة السبق

حسَّابات اخرى تقريبيَّة

هي حسَّابات دون الموصوفة سابقاً دقَّةً وضبطاً لكنَّها تُجري العمليَّات على وجه تقريبي كافٍ في كثير من الاحوال ولها مزايا تكاد توازن ما ينقصها من جهة الدقَّة والضبط كخفَّتها ورخصها وسهولة استعمالها نكتفي بذكر ما اشتهر منها

﴿ ١ المسطرة الحسابيَّة règle à calcul ﴾ الراقي اختراعها الى الرياضيّ الشهير نِپر (Néper) وهي عبارة عن جدول لوغريثمات مطبوع على حافَّة مسطرة اصبحت اليوم بعد التحسينات الداخلة عليها من الادوات التي يكثر استعمالها في اكبر المعامل ولاسيما الاميركيَّة والانكليزيَّة يستطيعون بها في وقت يسير اجراء عمليَّات يطول فعلها بالقلم والورق

١) هي سلسلة اعداد يبقى الفرق بين كلّ منها والسابق ثابتاً نحو: ١ ، ٧ ، ١٣ ، ١٩ الخ

﴿ ٢ً الدوائر الحسابيَّة cercles à calcul ﴾ هي مبنيَّة على ذات مبدإ المسطرة الحسابيَّة لكنها اسهل صنعاً ومن اشهرها دائرة هلدِن (Halden) الذي اخترعها سنة ١٩٠٦ وهي شبهُ ساعةٍ يسهل نقلها في الجيب وعلى شكل قرصٍ مدوَّر ومتحرِّك في وسط إطارٍ يستديرها من كل جهاتها وكلا القرص والاوطار موسوم بالدرجات . فبآلة هلدن هذه يجرون بتقريبٍ كافٍ العمليَّات الاربع واستخراج الجذور المربَّعة والمكعَّبة ورفع الاعداد الى القوَّة الثانية او الثالثة والحسابات اللوغرثميَّة وقياس الزوايا . ويُضاف الى هذه الخواصّ انَّ الآلة متينة يصونها زجاجٌ كثيفٌ يحول دون مسيها ومحو ارقامها العديدة بلمس الاصابع .

﴿ ٣ً حسَّابة المهندس طورِّيس Torrès ﴾ هي اثقل واشدّ تعقيداً من المساطر والدوائر السابق ذكرها وممَّا تفرَّدت بهِ انَّها مجيَّرة لحلّ التعديلات الجبريَّة . فناهيك بها دليلاً على ما خوَّلهُ الله العقل البشري من القدرة على اختراع ادقّ الآلات واغمضها تركيباً

﴿ ٤ً حسَّابة المساحات المسطَّحة لأمسلِر Planimètre d'Amsler ﴾ هي آلة لقياس المساحات المسطَّحة مهما كانت اشكال حدودها فتدلُّ مثلاً بعمليَّة بسيطة على مساحة بلدٍ مرسوم على خارطة جغرافيَّة . وذلك بان تُمسك مقبض الآلة كما تمسك قلم الكتابة . ثمَّ تحرِّك دولاباً دقيقاً في اسفل المقبض فتُجريهِ بغاية الدقَّة على طول حدود المساحة المطلوب قياسها فاذا انتهى مسيرهُ دلَّتك ابرةٌ منوطة بالدولاب على عدد دوراتهِ بحساب الدورة الاخيرة غير الكاملة . فتضرب ذلك العدد والكسر المضاف اليهِ بعدد ثابت معروف فتعلم بغاية السرعة قياس المساحة المطلوب . والحسَّابة هذه مبنيَّةٌ على قواعد الحساب التكامُلي والتفاضُلي . وقد درسناها درساً رياضيًّا فوجدناها جديرة بأن تُعدّ من آيات ابتكار العقل البشريّ

هذه عجائب يكاد المرء ينسب العقل والنطق لحركاتها وما هي سوى مسحة من العقل البشري المودع في أمخالها ودواليبها المتنَّة وهو نفثةُ شعاع من الشمس الالهيَّة التي جعلت في يد الانسان صولجان الملك ليملك على العالم الهيولي فيمجّد بواسطتهِ خالقهُ سبحانهُ وتعالى

الفصل الرابع من عالم الطب

تلقيح الغدة الدرقية في الحنجرة

لم يَنسَ القرّاء المقالتين اللتين نشرهما المشرق في عددي حزيران ١٩٢٠ ونيسان ١٩٢١ حيث بيَّن كاتبها ما اجراهُ الدكاترة كارل وناجوت وسنير من تلقيح اعضاء انسان على انسان وانَّما عجزوا عن تلقيح اعضاء حيوان على جسم بشريّ رغم تجاربهم المتعدّدة في ذلك وقد اطلعنا مؤخَّرًا على ما يدلُّ الى بلوغ تلك الغاية . وذلك انَّ الجرّاح الروسيّ الشهير ڤورنوف (Voronof) عرض بياناً مطوَّلاً قدَّمهُ في ٣٠ حزيران سنة ١٩١٤ للاكادمية الطبيَّة في باريس بيَّن فيهِ نجاحهُ في تلقيح الغُدَّة الدرقيَّة في حنجرة ولدٍ بغُدَّة احد القرود .

كان عمر الولد المذكور ١٤ سنة أُصيب منذ ست سنوات بفقد قواهُ العقليَّة وبشلل غُدَّتهِ الدرقيَّة (glande thyroïde) على اثر اعتلالهِ بداء الحَصبة الشديدة فامتُقع لونهُ وجفَّت بَشرة وجهه وتقشَّرت وأَنسَلَّ شعرهُ وانتفخ حاجباه وفطست قصبة انفهِ وغلظت شفتاهُ واسترخى لحم خدَّيهِ وكمد ناظراه ولاحت في هيئتهِ لوائح البَلَه والجمود . فتحقَّق الدكتور بعد تشخيص علَّتهِ انَّ ضعف قواهُ العقليَّة من نقصان الغدَّة الدرقيَّة الواقعة في الجهة الاماميَّة بأسفل الحنجرة وهي كثيرة العروق الدمويَّة على جانبيها أُذنان زائدتان . فعوَّل الدكتور على قطع الاذن اليمنى من تلك الغدَّة في نوع من القرود يُدعى بابيون ليلقحهُ بحنجرة الولد . وباشر ذلك باخذ كلّ الاحتياطات الكافلة بالنجاح من خفَّة يد ومزيد انتباه ومنع التعفُّن وإحكام وَصل الغُدَّة المريضة بما يلقَّح عليها بخياطة متينة فأجرى كلّ ذلك بحذاقة عجيبة لولا أنه لم يستطع وَصل عروق غُدَّة القرد بعروق العليل في ذات العمليَّة اذ يحصل ذلك بتمادي الزمان . ثمَّ اخذ الدكتور ڤورنوف يراقب العليل فما مرَّ عليهِ ستَّة اشهر حتى نقه من مرضهِ وعاد جسمهُ بالتدريج الى الصحَّة فزالت كُمدة وجههِ وانتفاخهُ وعاد اليهِ نشاط حركاتهِ بعد جمودهِ بل رجعت اليهِ قواهُ العقليَّة فاخذ يستخدمها بفراهةٍ كأنهُ يريد التعويض عمَّا فاتهُ منها

فمن تأمَّل تفاصيل هذه العمليَّة الغريبة ايقن انَّها مرقاةٌ جديدة في سلَّم الجراحة وترقيها العجيب

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧ الزِّبرِقان بن بَدر

هو الحُصَين بن بَدر بن امرئ القيس بن خلف بن بَهْدلة بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم. والزِّبرقان لقبٌ ومعناهُ القمر سُمّي بهِ لجمالهِ ودُعي لذلك بقمر نجد. وقال السُّهَيلي «بل سُمّي بالزبرقان لانهُ كان يُرفع لهُ بيت من عمائم وثياب ويُنضح بالزعفران والطيب وكانت بنو عامر تحجُّهُ». وقال قوم: انما سُمّي بالزبرقان لحمّة لحيتهِ. وقال غيرهم لانهُ كان يصبغ عمامتهُ بالزَّعفران وكانت سادة العرب تفعل ذلك (الاشتقاق لابن دريد ١٥٥—١٥٦). وكان الزبرقان يُكنَّى ابا العبّاس وكان لهُ بنون العبّاس وشدرة وعيّاش وربّما كُني بهم وكانت ابنتهُ بَكرة ابنة هُنَيْدة بنت صعصعة بن ناجية تزوَّجها الحكَم بن عثمان بن ابي العاص وهي امّ يزيد بن الحكم قيل انّها اوّل عربيّة ركبت البحر فأُخرج بها الى الحكَم وهو يتوجّع (الاغاني ١١: ١٠٠). وكانت بعض قبائل العرب تتفاخر بالزبرقان وتنسبهُ الى قومها. فقيل لهُ: انك من بني عامر ذي المَجاسد وكان سيّدهم وصاحب مِرباعهم فقال (من الطويل):

إنْ أكُ من كعب بن سَعدٍ فانّني رَضيتُ بهم من حيِّ صِدقٍ ووالدِ
وانْ يكُ من كعبِ بن يَشكُرَ منصِبي فانّ ابانا عامرٌ ذو المَجاسدِ

وكان الزبرقان من نصارى تميم والدليل عليهِ قولهُ لمحنَّد يفتخر بقومهِ تميم وبتشييدهم للبيَع (الطبري ١: ١٧١٢ سيرة ابن هشام ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادلنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

وذلك انهُ وفد على رسول الاسلام السنة التاسعة للهجرة مع بني تميم وهم على ما روى صاحب الاغاني (٤ : ٨–١٠) سبعون او ثمانون رجلًا فيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعُطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍ: «اخرُج الينا يا محمّد فقد جئنا لنفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا». ثمَّ ذكر هناك ما دار بينهم من الخطب ثمَّ قالوا: يا محمّد ائذَنْ لشاعرنا. فقال: نعم. فقام الزبرقان وقال:

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادلنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ (١

تلك المكارمُ حُزناها مُقارَعةً اذا الكرامُ على أمثالها اقتَرَعوا

كم قد نَشَدْنا من الأحياء كلِّهم عند النِّهاب وفضلُ العزّ يُتَّبعُ (٢

وننحَرُ الكُوم عَبْطاً في أرُومتنا للنازلين اذاما استطعموا شبعوا (٣

ونحن نُطعم عند القَحْط مَطعمنا من العَبيط اذا لم يَظهر القَرَعُ (٤

ونَنصُرُ الناسَ تأتينا سَرَاتُهمُ من كلّ أوبٍ فنمضي ثمَّ تتَّبعُ (٥

فلا ترانا الى حيٍّ نُفاخرهم الّا استقادوا وكاد الرأسُ يُقتطَعُ (٦

فمن يفاخرُنا في ذاك نعرفُهُ فيرجعُ القومُ والاخبارُ تُستَمَعُ (٧

---

١) وروى في الاغاني :
نحنُ الملوكُ فلا حيٌّ يقاربنا منّا الملوك وفينا يؤخذ الرِّبَعُ
ويروى : فينا تُنتج الرِّبَعُ

٢) ويروى : وكم قسرنا ٣) ويروى : عَبْطا في منازلنا . . اذا ما أُنزلوا

٤) ويروى : عند المحل ما أكلوا من الشواء اذا لم يؤنس القَزَعُ . ويروى : القَرَع والقَزَعُ ٥) ويروى : بما ترى الناس . . من كلّ ارض هوىً ثمّ نصطنعُ . ويروى : ثمّ ترى . . . هوانا شَبَعُ ٦) ويروى : فكانوا الرأس ٧) ويروى : فمن يقادرنا في ذاك يعرفنا فيرجع القولُ . . .

اذا أَبَيْنا فلا يأبى لنا احدٌ انّا كذلك عند الفخر نرتفعُ (١

وروى لهُ ابن هشام في سيرة الرسول (ص ١٣٧) قولهُ يخاطب محمّدًا ورواهُ في الاغاني لمطارد بن حاجب ولعلّهُ اصحّ (طويل) :

اتيناك كيما يعلَم الناسُ فضلَنا اذا اختلفوا عند احتضارِ المواسمِ (٢
بأنّا فروعُ الناس في كلّ موطنٍ وأنْ ليس في ارض الحجازِ كدارمِ

ثم رووا هناك ما ردّ بهِ عليهِ حسّان بن ثابت . وزعموا انّ الوفد أسلموا ومنهم الزبرقان وانّ نبيّ الاسلام استعملهُ على صدقة قومهِ بني تميم . قال ابن سعد في طبقاتهِ (٧ : ٢٤) : « فقُبض رسول الله صلعم وهو عليها وارتدّت العرب ومنعوا الصدقة وثبت الزبرقان بن بدر على الاسلام واخذ الصدقة من قومهِ فأدّاها الى ابي بكر الصدّيق وكان ينزل ارض بني تميم ببادية البصرة وكان ينزل البصرة كثيرًا »

وقال ابن سلّام الجُمحيّ في كتاب طبقات الشعراء (ص ٢٥) : «وكان الزبرقان شاعرًا مفلقًا» ثم ذكر تحامُل بني قريع عليهِ وحملهم الحُطيئة على هجائهِ وهجاهُ البغيض والمخبَّل السعديّ . قال ابن سلّام : «وكان الزبرقان يعاتبهم ولم يكن يهجوهم وكان حليمًا » وكان سبق فأضاف الحطيئةَ وجعلهُ في جوارهِ في سنة مجدبة واوصى امرأتهُ باكرامهِ فصدر منها يومًا جفوةٌ فسعى بنو بغيض فجذبوهُ حتى هجا الزبرقان فاستعدى عليهِ عمرَ بن الخطّاب فحبسهُ عمر ثمّ استدعاهُ واطلق سبيلهُ (الاغاني ٢ : ٥٢—٥٥)

ومما يدلُّ على تردّد الزبرقان في اسلامهِ ما ذكرهُ الطبري (٣ : ١٩١٩) انهُ هو وعطارد بن حاجب ونظراءهم بعد وفاة نبيّ المسلمين ارتدّوا وتبعوا مُسيلمة بن حبيب وسجاع التغلبيّة ثم عادوا بعد قتل مسيلمة الى اسلامهم . وذكر في الاغاني (١٢ : ١٥٢) غدر الزبرقان بقيس بن عاصم وكان كلاهما متوليًا صدقات قومهِ فلمّا توفي محمّد « دسّ الزبرقان الى قيس مَنْ زيّن لهُ المنع لما في يدهِ وخدعهُ بذلك وقال لهُ : انّ النبيّ صلعم قد توفّي فهلمّ نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا فان استقام الامر

١) ويروى : انّا اينا ولا . . . عند الفجر
٢) ويروى : اذا اجتمعوا وقت

لابي بكر وادّت العرب اليه الزكاة جمعا لـهُ الثانية ، ففرّق قيس الابل في قومه وانطلق الزبرقان الى ابي بكرٍ بسمانة بعير فادّاها اليه وقال في ذلك (الطبري ١ : ١٩٦٤ . من الطويل) :

وفيتُ بأذوادِ الرسولِ وقد أبتْ ... سُعاةٌ فلم يردُدْ بعيرًا مُجيرُها (١
معاً ومَنَعْناها من النـاس كلّهم ... تَرامي الاعادي عندنا ما يَضيرُها
فأدّيتُهـا كي لا أخونَ بـذمّتي ... مَحانيقَ لم تُدرَسْ لرَكْبٍ ظُهورُها (٢
اردتُ بها التقوى ومجدَ حديثهـا ... اذا عُصبةٌ سامَى قَبيلي فخورُها (٣
واني لمن حيٍّ اذا عُـدَّ سَعْيُهـم ... يرى الفخرَ منها حيُّها وقبورُها (٤
اصاغِرُهم لم يَضرعوا وكبارُهم ... رِزانٌ مَراسيها عِفافٌ صُدورُها (٥
ومن رَهْط كنّادٍ توفّيتُ ذمّتي ... ولم يَثْنِ سيفي ذَبْحُها وهَريرُها (٦
وقُبّةِ مَلْك قد دخلتُ وفـارسٍ ... طعنتُ اذا ما الخيلُ شدَّ مُغيرُها (٧
ففرّجتُ أولاهـا بنَجْـلاءَ ثَرّةٍ ... بحيثُ الذي يَرْجو الحياةَ يضيرُها (٨
ومَشهدِ صِدْقٍ قد شهدتُ فلم اكنْ ... بهِ خاملًا واليومَ يُثني مَصيرُهـا
ارى رهبةَ الأعداء مني جَراءةً ... ويبكي اذا ما النفسُ يوحي ضميرُها

قال ابو الفرج فلمّا عرف قيس ما كادهُ بهِ الزبرقان قال : لو عاهد الزبرقان امّهُ لغَدَر بها . فنشب الشرّ لذلك بين الاحياء .

وجاء في التبريزي في شرح الحماسة (ص ٦٦٦) وفي الاغاني (١٢ : ٤٤) وفي

---

١) ويروى : بأذواد النبيّ محمّدٍ وقد اتت سعادُ ٢) إبل مَحانيق سان . ويروى : مجانيق لم يُدرس ٣) ويروى : اذا عصبةٌ سامى قبيلٌ ٤) ويروى : شعبُهم ترى ٥) ويروى : لم يصرعوا وكبارها وزازٌ ٦) ويروى : من رهط كنّازٍ . نفخها وهديرها ٧) ويروى : وقبة ملك . . . مغيرها ٨) ويروى : ضيرها وبصيرها

الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٥٠) وكان الزبرقان اخت تُدعى خُلَيْدة زوَّجها رجلاً يُدعى هزّالاً كان قتل واحداً من بني عبد القيس في جوار الزبرقان فميّزه بذلك الخيال وهجا خُلَيْدة . ثمَّ نزل يوماً عندها ضيفاً وهو لم يعرفها فقرَّته واحسنت اليه وزوَّدته لمَّا ارتحل فسألها عن اسمها فعرفها وصرخ: وا سوءتاه ثمَّ قال :

ضَلَلْتُ لعمري في خُلَيْدة انني ... سأعتبُ قومي بعدها وأتوبُ
فأشهدُ والمستغفرُ اللهُ انني ... كذبتُ عليها والمجاة كَذُوبُ

وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٢١٩) انَّ عمرو بن معدي كرب الزُّبَيْدي احد فرسان العرب كان ابن خالة الزبرقان التميمي . وقال عن الأضبط بن قُرَيع الشاعر السَّعْدي (ص ٢٢٥) انهُ من رَهْط الزبرقان . وبين الفرزدق والزبرقان قرابة ايضاً وكانت هُنَيْدة عمَّة الفرزدق امرأة الزبرقان فقال الفرزدق يردُّ على جرير (نقائض جرير والفرزدق ص ٧١٣) :

وإنْ تَحْجُ آلَ الزبرقانِ فانما ... هجوتَ الذوائبَ الشُّمَّ من هَضْبِ يَذْبُلِ
وقد ينبحُ الكلبُ النجومَ ودونها ... فراسخُ تُنْضي السيرَ للمتأمِّلِ

وقال دثار بن شيبان النمري يمدح بني بهدلة ويخص منهم الزبرقان :

مَنْ يَسْألْ عني فإنّي ... أنا النَّمريُّ جارُ الزبرقانِ
طريدُ عشيرةٍ وطريدُ حربٍ ... بما اجترحت يدي وجنى لساني
أبيتُ الليلَ ارقبُ كلَّ نجمٍ ... شآمٍ فرَّ في سادسِ يَمانِ
كأني اذ حللتُ به طريداً ... حللتُ على المسيحِ من أبانِ
الى بيت الاكارمِ من مَعَدٍّ ... محلاً يَنْأَ ان ابتغاني
فخلُّوا عنهمُ يا آلَ لأيٍ ... فليس لكمْ بسيهمِ يدانِ
غداةَ سمى لهم عمرو بن عوفٍ ... وذو البُرْدَيْنِ نِعْمَ الساعيانِ
بدركنا بنو القين بن بدرٍ ... سراجَ الليلِ تلتمسُ الحصانِ

وذو البُرْدَيْن المذكور هنا هو عامر بن بَهدلة اخذ بُرْدَيْن عرضهما المنذر بن ماء السماء على اعزّ العرب قبيلةً واكثرهم عدداً فاتَّزر بهم الأخيطر وقال : « أيها الملك انَّ العزَّ والعدد من العرب في معدٍّ ثمَّ في نزار ثمَّ في مضر ثمَّ في خندف ثمَّ في

تميم ثمّ في سعد ثمّ في كعب ثمّ في عوف ثمّ في بَهْدلة، فلم يَقُمْ اليهِ احد من الناس فقال الزبرقان (طويل) :

وبُرْدا ابنِ ماء المُزْنِ عمّي اكتساهما بعزّ مَعَدّ حين عُدّت محاصِلُهْ
رآهُ كرامُ الناس أولاهمُ بهِ ولم تجدوا في عزّهم مَن يُعادِلُهْ

وللزبرقان شعرٌ متفرّقٌ في كتب الادب فمن ذلك ما ورد لهُ في حماسة البحتري (ع ١٣٠٤) قال يعاتب ابن عمهِ علقمة بن هوذة (من مجزوء الكامل) :

وليَ ابنُ عمٍّ لا يزا لُ يَعيبني ويُعينُ عائبْ (١
وأعينُهُ في النائبا تِ ولا يُعينُ على النوائبْ
تَسري عقاربُهُ اليَ م ولا تَساوِلُهُ عقاربْ (٢
لامِ ابنَ عمّك ما يخا فُ الجازياتِ من العواقبْ (٣

ومما روى لهُ في الوفاء (ع ٧٢٣) قال (من الوافر) :

وفيتُ بذِمّةِ الكِنْديّ لمّا توا كَلَها الصحابَةُ والجِوارُ
كما أوفيتُ بالعُكليّ ضرباً بفَصْلِ السيف اذ عَلَنَ السِرارُ

وروى لهُ في الامتناع عن مصالحة آل ظلّام لأسرهم احد قومهِ (ع ١٠٨) قال (من البسيط) :

أبَعْدَ بِشْرٍ أسيرًا في بيوتِهِمِ ترجو الهَوادَةَ عندي آلُ ظلّامِ

١) روى في ديوان مختارات شعراء العرب: ويعيبني وهو تصحيف وفي الاغاني (٢: ٥٢) ويعيب عائب ٢) وروى فيهِ: ولا تبهُهُ عقارب. وروى في اللسان وفي التاج (مادّة: عقب): ولا تدبُّ لهُ وهما ينسبان البيت لذي الاصبع العدواني ٣) ويروى: ما تخاف. ولا تخاف المجزيات. وفي الاغاني: لا يخاف المخزيات

فلن أُصالحهم ما دمتُ ذا فرسٍ واشتدَّ قبضاً على السِّيلانِ إبهامي(١
تعدو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ وتتَّقي مَربضَ المستنفرِ الحامي(٢

وروى لهُ بيتاً مفرداً في الاغنة من الظلم (ع ٧٤) قال (من الطويل) :

أغشى المهالِكَ بالرجالِ ولا أُعطي المَقادة سامي الحُفَرا

وروى لهُ ابو بكر ابن الانباري في الاضداد في انَّ المولى تأتي بمعنى ابن العم (ص ٣٠) قال (من الوافر) :

ومن المَوالي مَوْليان فمنهما مُعطي الجزيلِ وباذلُ النَّصرِ
ومن الموالي ضبُّ جَندلةٍ لَجِزُ المروءةِ طاهرُ السِّفرِ

ومما ذكرهُ لهُ الراغب الاصبهاني في محاضراته (١ : ٣٧٢) قولهُ في من يمنع معروفهُ ويعضّل ظلمهُ (من الطويل) :

طوى كلَّ معروفٍ وأحضرَ دونَهُ عقاربَ أخشى لَسْعَها وأفاعيا

وروى لهُ ياقوت في معجم البلدان في باب أطد (١ : ٣٠٧) وعِتْكان (٣ : ٦١١) حيث حملَ صدقاتِ قومهِ الى ابي بكر (من البسيط) :

ساروا الينا بنصفِ الليلِ فاحتملوا فلا رَهينةَ الّا سيِّدٌ صَمَدُ
سيروا رُوَيداً فانّا لن نفوتَكُمُ وانَّ ما بيننا سهلٌ لكم حَدَدُ
انَّ الغزالَ الذي ترجونَ غِرَّتَهُ جمعٌ يَضيقُ بهِ العِتْكانَ اوأَطُدُ(٣

---

١) روى في التاج واللسان (في مادّة سيل) : ولن اصالحكم . وروى في محاضرة الادباء (٢ : ١٠٢) : واشتدَّ قبضاً على الاسياف إجامي ٢) وهذا البيت قد رواهُ البعض للنابغة لعلَّ الزبرقان اقتبسهُ منهُ

٣) ويروى : عزَّتهُ . وقال : أطد ارض بقرب الكوفة نزلها جيش المسلمين في اوّل ايام الفتح . وعِتْكان موضع آخر وقال الأسود : العتكان وأَطدٍ اودية لبني جعدلة (قوم الزبرقان)

مستحقباً حَاقَ الماذي بخُفرتهِ (١ ضربٌ طِلَحْفٌ وطعنٌ بينَهُ خَضِدُ

وروى ايضاً (٤ : ٦١٩) يخاطب رجلاً من بني عَوف كان قد هجا ابا جهل وتناولَ قريشاً (من الوافر) :

أتدري من هجوتَ ابا حبيبٍ سليل (٢خضارمٍ سكنوا البِطَاحا
أزادَ الرَّكبِ تذكرُ ام هشاماً وبيتَ الله والبلدَ اللّقاحا (٣
همُ منعوا الاباطحَ دون فهرٍ ومن بالخيف والبُدُنَ اللِقاحا
بضربٍ دون بَيضتهم طلحفٍ اذا الملهوف لاذَ وصاحا
وما تدري بأيهمِ تُلاقي صدورَ المَشرفيّة والرماحا

هذا ما وقفنا عليهِ من شعر الزبرقان. وقد اختلفوا في الحكم عن طبقتهِ. سبق لابن سلّام في طبقاتهِ (ص ٢٥) انهُ دعا الزبرقان « شاعراً مفلقاً » وكذلك قدّمهُ وَفْدُ تميم لمحمّد كشاعرهم وفي ذلك دليل على حسن رتبتهِ بين الشعراء. وقد حكم غيرهم في انهُ من الشعراء المتوسطين فذكرهُ السيوطي في المزهر (٢ : ٢٤٤) بين المغلّبين لتغلُّب الحطيئة وبغيض بن عامر والمخبَّل السعدي وعمرو بن الاهتم (٤ عليهِ في بعض المواقف. وكذلك ورد في الاغاني (٢١ : ١٧٤) لربيعة بن حُذار الاسدي لمّا تحاكم اليهِ علقمة بن عبَدة التميمي والزبرقان والمخبَّل وعمرو بن الاهتم انهُ قال للزبرقان : « اما انت يا زبرقان فانَّ شعرك كلَحم لم يَنضج فيؤكل ولا تُرك نيئاً فيُنتفع بهِ »

(لهُ صلة)

١) ويروى : بخفرتهِ ٢) ويروى : ابا خبيب حليلَ ٣) وهذان البيتان قد رواهما في الاغاني (٢ : ٥٤) لبعض بني انف الناقة مع ما يتلوهما . قالهما في الزبرقان اذ منع بئرهُ عن ابناء السبيل وهو يروي : اتدري من منعتَ ورودَ حوضٍ . . . تمنعُ ام هشاماً وذا الرعين امنهم سلاحا ٤) وفي ابن الاهتم قال محمّد « انَّ من البيان لسحراً » وكان سمعهُ يمدح الزبرقان في امور ويذمُّهُ في اخرى فأحسن بكليهما (امثال الميداني ١ : ٧)

اثر جليل للبطريرك اسطفانوس الدويهي

تاريخ المدرسة المارونيّة في رومية

سعى بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

سنة ١٦٤٨ في ١٦ ايّار دخل المدرسة ﴿ يوسف بن الخوري طانيوس الباني ﴾ ولهُ من العمر ثمانية عشر سنة . وبعد ما اكمل العلوم الرياضيّة والالهيّة رجع الى البلاد وثبت فيها ثلاث سنين ثم عاود الى رومية فاوقفهُ سادات المجمع ليدرّس تلاميذ المجمع المذكور عن الانتشار (اي مجمع انتشار الايمان) في اللغة السريانيّة . صنّف كتاب علم النيّة وكتاب غراماطيق

سنة ١٦٤٩ سفّر البطركُ حنّا الصفراوي الخوريَّ ميخائيل صابونا الحصروني الى رومية لسبب التثبيت واخذ صحبتهُ ﴿ يوسف ابن الخوري ايوب البشرّاني ﴾ وهو اخو موسى الذي تقدّم ذكرهُ استمرَّ قليلًا في المدرسة وطلع قليل النفع

سنة ١٦٥٠ القس مرهج بن نيرون عند عودته الى رومية اخذ صحبتهُ للمدرسة اربعة اولاد وهم : توما ابن الخوري برد الحدشيتي . وجبرائيل ابن الفتى الحدشيتي . وجرجس زراقط من صيداء . وصادق القديسي من شننعير

﴿ توما ابن الخوري برد ﴾ كان عمرهُ عشرين سنة وبعد درس الفلسفة واللاهوت توجّه الى عند والديه في حمّانا فتزوّج ثمَّ سيمناه كاهناً سنة ١٦٧٢ فخدم حمّانا والاشبانيّة في جهة المتن . وفي السنة ١٦٩٩ انتقل بالوفاة الى رحمة ربّه ودُفن في دير مار يوحنّا قتاله الذي كان سعى في عمار كنيسته

﴿ جبرائيل ابن الفتى ﴾ و ﴿ جرجس زراقط ﴾ خرجا من المدرسة قبل ان يتمّا علمهما وطلع نفعهما شحيحاً

﴿ صادق القديسي من شننعير ﴾ درس الفلسفة وعلم النيّة وعندما رجع الى بيت اهله ترهّب بدير مار شليطا مقبس ثمَّ سيم قسيساً . وبعد وفاة الخوري صافي خدم قرية عجلتون ثم انتقل الى رحمة خالقه

سنة ١٦٥٣ سار صحبة رجل كاهن افرنجي ولدان وهما مخائيل ولد فرحات الحصاراتي ويوسف بن مونس من غدراس

﴿ مخائيل الحصاراتي ﴾ كان ابن اثنتي عشر سنة لما دخل المدرسة . درس الفلسفة ثمّ رجع لبلاده صحبة جبرائيل بن الفتى سنة ١٦٦١ في ٢٣ تموز . ترهّب في دير سيّدة حوقا وسيم كاهناً ثمّ انتقل الى العالم الباقي بكل طهارة وخضوع في الوباء سنة ١٦٧٠

﴿ ويوسف مونس ﴾ دخل المدرسة ابن عشر سنين درس الفلسفة وعلم النيّة ثمّ في ١٩ نيسان سنة ١٦٦٥ رجع الى بلاده وسيم كاهناً على قرية غدراس في الفتوح في اوّل سنة ١٦٥٥ دخل رومية الخوري يعقوب عوّاد الحصروني قاصد البطرك حنّا وصحبته اربعة اولاد وهم : يوسف شمعون وهو نعمة ابن الخوري يوسف الحصروني . وجرجس بن اليّا كذلك حصروني . وجرجس التحومي . وبولس بن العانيده الحدثي

﴿ يوسف بن نعمة الحصروني ﴾ كان ابن عشر سنين وبعد ما اكمل علوم الفلسفة واللاهوت خرج من المدرسة في ٢١ تشرين الاوّل سنة ١٦٦٨ خدم في اليازجيّة (الكتابة) عند البطرك جرجس ثمّ عندنا . وبعد ما ارتقى لدرجة الكهنوت سنة ١٦٧٠ في ٢٦ ايلول سفّرناهُ لرومية الى البابا قليموس العاشر لاجل العادة وطلب التثبيت . وبعدما قضى مصالحنا عاود بسنتين سمّناهُ على سيّدة قنّوبين ثمّ مطراناً على طرابلس سنة ١٦٧٥ في ١٤ تموز بدير مار شليطا . صنّف كتاباً عن علم النيّة لتهذيب الكهنة وجاهد كثيراً في زيارة الرعايا في الوعظ وارتشاد الشعب . وتعب قدّامنا في نسخ الكتب التي جمعناها والتي ألّفناها بكل حرص واجتهاد . ثمّ قضى أجلهُ بكل ثناء في دير قنّوبين واوقف لهُ جميع تخلّفاته وانتقل الى شركة الرعاة الصالحين في الحادي عشر من كانون الاوّل سنة ١٦٩٥ دام ذكرهُ مخلّداً

﴿ جرجس بن اليّا الحصروني ﴾ دخل المدرسة ابن عشر سنين ثمّ درس الفلسفة واللاهوت في سنة ١٦٦٨ في اواخر نيسان ثمّ تزوّج في حصرون وسيم عليهما وعلى عرقوب الحدث كاهناً سنة ١٦٨٠ في ٨ من ايلول وخدمهم بكل انتباه ومات سنة ١٧٠٠ في ٦ كانون الاوّل

﴿جرجس التحومي﴾ كان عمرهُ احدى عشرة سنة درس الفلسفة وعلم النيَّة . وسنة ١٦٦٨ خرج من المدرسة برفقة يوسف مونس . تزوَّج في طرابلس ثمَّ سمَّناهُ عليها كاهناً وكانت وفاتهُ بها سنة ١٧٠٠ في اواخر تشرين الاوَّل

﴿بولس العانيده﴾ كان ابن ١٥ سنة وبعد ما درس الفلسفة واللاهوت سار الى حلب . تزوَّج امرأةً مسلمة وأسلم ولكن يقول عنهُ واحد من اليسوعيَّة انهُ قبل وفاتهِ ندم عمَّا سلف منهُ

سنة ١٦٦٠ سار من حلب ﴿حنَّا بن غرون﴾ ولهُ من العمر ١٥ سنة دخل المدرسة في شهر آب . درس علم النيَّة وفي السنة ١٦٧٠ في نيسان رجع صحبة الخوري الياس عويضا قاصد البطرك . تزوَّج في حلب ثمَّ سمناهُ كاهناً على كنيسة مار الياس سنة ١٦٧٩ في ١٧ تشرين الاوَّل

بعد سنتين قدم من حلب ﴿فرنسيس ولد غرون﴾ اخو حنَّا الذي تقدَّم ذكرهُ ودخل المدرسة في شهر آب ولهُ من العمر ١٣ سنة وبعد ثلاث سنين اخرجوهُ لعماوة ذهنهِ

سنة ١٦٦٤ خلت مدرسة الطائفة التي كانت في راونَّا وضبط المجمع عن الانتشار (مجمع انتشار الايمان) على علايقها لأنَّ نشوءها كان على خرجيَّة الكردينال كپوني مطران المدينة وعلى الدراهم التي اوقفها القس رزق الله (ابن شلق) من حلب من قرية العاقورة ورسم على مدرسة الموارنة ان تزيد ولدين عن جاري عادتها وانَّ خرج الولدين يكون على المجمع على حساب وقفيَّة ابن شلق . ولهذا السبب في اوَّل نيسان انتقل من راونَّا الى مدرسة رومية ابراهيم من الكليني بتبرس ابن الخوري جرجس الترتجي والياس ولد حنَّا بن مبارك من قرية بطحا .

﴿ابراهيم القبرسي﴾ كان عمرهُ ٢٨ سنة درس علم النيَّة وفي السنة ١٦٦٦ رجع لقبرس فسمناهُ سنة ١٦٦٩ في ٧ أيار قسيساً على كنيسة مار رومانوس وفي الشهر المذكور سنة ١٦٩٣ انتقل لرحمة الله

﴿الياس بن مبارك﴾ كان عمرهُ ١٨ سنة درس علم الفلسفة واللاهوت . وفي السنة ١٦٧١ خرج من المدرسة وسار الى البندقيَّة حيث كان قاطناً والداهُ وارتسم كاهناً وخدم دير الراهبات في البندقيَّة وهناك انتقل لرحمة ربهِ

سنة ١٦٦٨ دخل المدرسة ديونوسيوس ويوحنا ولدا الشماس ﴿ابرهيم الحقلاني﴾ الذي تزوّج برومية قونسطنسة بنت مخائيل الباني ورُزق منها هذين الولدين

﴿ فديونيسيوس ﴾ كان ابن ١٢ سنة درس نصف الفلسفة ثمّ خرج من المدرسة ودخل رهبنة شمامسة مار لورنسيوس في السنة ١٦٧٤ . ثمّ سيم كاهناً واجتهد على التلمذ (التعليم) وصار لهُ حظٌ كبير حتى ان ملكة زواتسيه (Sobieski) التي كانت قاطنة برومية طلبت في السنة ١٦٧٨ من البابا زخيا (اينوشنسيوس) الحادي عشر ليكون مقيّداً في مصالحها

﴿يوحنا﴾ دخل المدرسة مع اخيهِ ولهُ من العمر عشر سنين وقبل ان يدرس علم الفلسفة خرج صحبة اخيهِ ودخل معهُ رهبنة شمامسة مار لورنسيوس وقبل ان يكمل التجربة خرج ودخل رهبنة اخرى

سنة ١٦٦٩ ارسل البطرك جرجس اربعة اولاد صحبة فرا بطرس من رهبان القدس وهم: بطرس التولاوي بن عبدالله من بيت زيتو وعمره ١١ سنة . واسطفانوس الهدناني وهو باخوس ابن الشدياق انطون اخي المطران بولس وعمره ١٥ سنة . ونعمة بن يمين الهدناني وعمرهُ ١٥ سنة . وعبدالله ولد جبقوق البشعلاني وعمرهُ ١٠ سنين

﴿بطرس التولاوي﴾ تمّم علوم الفلسفة واللاهوت وتمالّق ورجع الى بلادهِ صحبة المطران بطرس بن مخلوف سنة ١٦٨٢ قلّدناهُ عندنا كاتباً وقدّمناهُ لدرجة الكهنوت في ٨ ايلول من السنة المذكورة ثمّ في السنة ١٦٧٥ ارسلناهُ الى حلب ليوعظ في كنيسة مار الياس فجاد في الوعظ وعلم الاولاد وهدى الرعيّة بكل ثناء. وادخل بينهم عبادة المسبحة الورديّة . وفي السنة ١٦٩٨ قدّمهُ المطران جبرائيل البلوزاني على جميع الكهنة وسامهُ بردوط

﴿ باخوس الدويهي ﴾ اكمل العلوم وتمالّق صحبة بطرس التولاوي ورجع الى البلاد صحبة يعقوب بن عوّاد . وفي حال وصولهِ سمناهُ قسّاً على دير راس النبع في ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٢ ولأنّ عمّهُ المطران بولس من جَور الدهر كان ساكناً في دير القمر سار الى عنده وخدم دير القمر ثمّ انهُ رجع الى اهدن وفي حال وصولهِ مرض وانتقل الى راحة الصالحين سنة ١٦٨٥

﴿نعمة بن يمين﴾ استمرَّ في المدرسة سنتين ثمَّ خرج منها وسار الى حلب وهناك توفّي بالسلام

﴿عبدالله البشعلاني﴾ اعتراهُ الحال ووجع العينين وبعدما درس نصف سنة على مشورة الاطبّاء في اواخر سنة ١٦٧٧ رجع الى بلادهِ واخذ السكنى في دير مار انطونيوس قزحيّا وفي السنة ١٦٩٣ مات بتقوى الله

سنة ١٦٧٠ عندما ارتقينا الكرسيّ البطريركي وبلغنا ان المدرسة في عازة الاولاد ارسلنا صحبة فرا جوان من بيامُنت الذي كان مستحبساً بدير مار اسيا ستة اولاد وهم: يعقوب الحصروني ابن الخوري حنّا ولد عوّاد ابن عشر سنين . وجرجس ابن سركيس من بيت عبيد الهدناني وعمرهُ عشر سنين . وجرجس بن مناع الحصروني ابن خمسة عشر سنة . وابراهيم بن خيرالله حجوة الغزيري . ويوسف بن اسكندر القرطباني ابن ١٢ سنة . وكان دخولهم المدرسة في اوائل سنة ١٦٧١ . وعبدالله بن باسيل البجّاني كان ابن ١١ سنة

﴿يعقوب بن عوّاد﴾ بعد ما درس علم المنطق والنيّة عاود سنة ١٦٨٢ مع باخوس الهدناني . وفي السنة ١٦٨٥ في ٩ شباط سمّناهُ قسّاً على كنيسة حصرون وارسلناهُ لرومية مع ستة اولاد للمدرسة . وبعد عودتهِ قلّدناهُ عندنا يازجي (كاتباً) . في السنة ١٦٩٠ وبعد ثلاث سنين سمّناهُ بردوط . ثمَّ في السنة ١٦٩٦ في ٩ تموز رفعناهُ الى مطرنيّة طرابلس فجاهد قدّامنا جهاد الابطال في اليازجيّة ونسخ الكتب وفي ارتداد الرعيّة التي تسلّمها بالوعظ والهدى (١

﴿جرجس بن عبيد﴾ بعد ما اكمل سائر العلوم وعمل مجادلة لاهوتيّة على اسم البابا زخيا العاشر خرج من المدرسة في آخر شهر آذار سنة ١٦٨٣ وفي السنة التي بعدها سمّناهُ كاهناً في ٧ تشرين الثاني على سيّدة الحارة السفلى باهدن . زار المواضع المقدّسة واجتهد على درس كتب البيعة وتلمذ الاولاد واعتنى على الوعظ حتى انهُ صار عبرةً صالحة يهتدي بوعظهِ الشرق والغرب . وفي ٢٧ آب سنة ١٦٩٠ رفعناهُ الى مطرنيّة اهدن بدل ابن عمّنا المطران بولس المرحوم وصرّفناهُ في زيارة الرعايا ليجذبهم

١) هو الذي صار بعد ذلك بطريركاً على طائفتهِ سنة ١٧٠٥ وتوفي في ٩ شباط سنة ١٧٣٣

في فعل البرّ . عمّر اقبية ومساكن داخل قلعة زغرتا لسكنة الرهبان وعلّم الاولاد(١

﴿جرجس بن منّاع الحصروني﴾ من الحال الذي وقع فيه درس علم سنيّة ورجع صحبة عبدالله البشعلاني ثمّ سار الى كسروان وارتسم كاهناً ثمّ في السنة ١٦٩٨ انتقل الى رحمة الباري بدير مار يوحنا رشميًا بكل عبادة

﴿ابراهيم الغزيري﴾ اكمل علم الفلسفة واللاهوت وسنة ١٦٨٤ في نيسان خرج من المدرسة وسار الى رشميا واجتهد في عمار دير مار يوحنا الذي انشأهُ ابو صابر فترهّب فيه . وفي السنة ١٦٨٥ سيم كاهناً وترأس عليه . ثمّ سنة ١٦٩٦ ارسلتاهُ لرومية ناعتني مع القسّ ميخائيل المطوشي في تأليف احرف الطبع وطبعوا في جبل فيسكون الشبيّة والخدمة ومزامير الصلاة ورجع للبلاد في السنة ١٧٠٠ فاخذهُ الخوري بطرس التولاوي صحبتهُ الى حلب

﴿يوسف القرطباوي﴾ بعد ما اكمل علوم الفلسفة واللاهوت عاود صحبة جرجس ابن عبيد وسنة ١٦٨٧ في اواخر حزيران سمناهُ كاهناً على سيّدة قنّوبين وتلمذناهُ في الكتابة عندنا . كان طبعهُ ليّناً طائعاً . وفي ٢٠ من أيار سنة ١٦٩٤ انتقل بقنّوبين الى راحة الابرار بكل ثناء وبضربة الوباء

﴿عبدالله بن باسيل البجاني﴾ اكمل علوم الفلسفة واللاهوت بكل اجتهاد وخرج برفقة ابرهيم الغزيريّ . تزوّج في بيت شباب وسيمَ عليها كاهناً سنة ١٦٨٥ واعتنى على خلاصهم في الوعظ وعلّم الاولاد وتجديد كنيستهم (٢

سنة ١٦٧١ سفّرنا ولدنا القسّ يوسف الحصروني بسبب التثبيت وارسلنا صحبتهُ ولدَين على خرجيّة ابن شلّق وهم بطرس ابن القس سليمان بن مبارك من بطحا . وصافي بن بولس القديسيّ من شنعير . فبطرس بعد درس العلوم الطبيعيّة والالهيّة رجع صحبة قاصدنا القسّ يعقوب الحصروني وفي سنة ١٦٨١ في ٢٩ حزيران سمناهُ قسًّا على سيّدة قنّوبين . خدم قرية غوسطا بكل انتباه . ثمّ في السنة ١٦٩١ ارسلنا معهُ تلاميذ رومية فتعلّق به امير فلورنسا واخذ خاطر البابا والمجمع ان يكون ناظراً

(١) يعرف ايضاً بجرجس بنيامين تنزّل عن الاسقفيّة ودخل بعد ذلك في الرهبانيّة اليسوعيّة في رومية في ٤ كانون الاول سنة ١٧١٤ واشتهر فيها بتقواهُ وغيرته توفي سنة ١٧٥٥

(٢) صار بعد ذلك اسقفاً على طرابلس سنة ١٧١٠ وحضر المجمع اللبناني وتوفي في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦

على مخازن الكتب. وفي السنة ١٧٠٠ عيّن لهُ علونة واوقفهُ في مدينة بيصا (Pise) لعلم اللغات الشرقيّة (١

﴿وصافي القديسي﴾ تعلّم ورجع صحبة بطرس ابن مبارك واعتنى ايضاً على علم الاسطرلاب . وفي وصوله لبين جماعته سار الى بعقلين واجتهد على علم الاولاد ولكن حكمتهُ حمّى شديدة وفي اربعة أيّام نقلتهُ الى الحياة الباقية بحزن كلّ من كان يعرفهُ وكانت وفاتهُ في شهر ايلول سنة ١٦٨٨

سنة ١٦٧٦ رحل من قبرس صحبة فرا توماس من رهبان القدس انطانيوس ابن حنّا نكّي من ساماتوس واخوهُ فيليبي وبعد مدّة اشهر استقبلوهم في المدرسة

﴿انطونيوس بن نكّي﴾ بعد ستّ سنين دخل هو واخوهُ شركة اليسوعيّة. فالاوّل بعد التجربة واكتساب العلوم ارسلوهُ الى دير عين طورا في كسروان وسنة ١٦٩٨ رسموهُ كاهناً وصار نسمةً صالحة في النسك والخضوع(٢ . واخوهُ فيليبي انتقل الى رحمة الله في رومية

سنة ١٦٧٩ رحل صحبة رهبان الكرمل على شور البطرك ﴿الياس بن جبرائيل البشرّاني﴾ القاطن في عكّا وكان عمرهُ ١٣ سنة. وبعد ما استمرّ في المدرسة سنتين ونصف اعتراهُ المرض ووجع العينين وعلى مشورة الاطبّاء رجع لبلاده صحبة يعقوب الحصروني وباخوس الدويهيّ . ثمّ سنة ١٦٩٣ في ٢٦ تموز سمّاهُ كاهناً ليخدم جماعتنا في عكّا وجبيتها

سنة ١٦٨٠ في شهر ايلول دخل رومية المطران بطرس بن مخلوف واخذ صحبتهُ ثلثة اولاد هم: تلميذهُ مخايل القبرسي من معلوشي. ومخائيل بن نعمه المدناني من بيت أمّيه. وتوما القدسي ولد موسى الحصروني وعمر ثلاثتهم ١٣ سنة . فصدف انهم وقعوا بيد المغاربة واخذوهم الى طرابلس الغرب فألهم الله ليوزد السّين من مدينة مسينا الذي كان مستأسراً هناك حتى استفكّهم لانهُ كان متوكّلاً في خرج الاسرى وتكلّف نحو ثلثة اكياس دراهم الى استفكاكهم وكسوتهم وكراء دربهم

١) ثمّ دخل بعد ذلك في الرهبانيّة اليسوعيّة ونشر مع الساعنة اعمال مار افرام وتوفي في رومية سنة ١٧٤٢

٢) الاب انطون نكّي صار بعد ذلك رئيساً على الرسالة اليسوعيّة في سورية وتوفي في آب من السنة ١٧٤٦

وزرادتهم ولكن كافأهُ البابا اينوشنسيوس مكافأة فضله

﴿مخائيل المطوشي﴾ بعد ما اكمل علم الفلسفة واللاهوت عاود سنة ١٦٩٣ في حزيران. وثاني سنة في عشرة من نيسان بسمناهُ قساً على الكفريات. ثمَّ سنة ١٦٩٦ انفذناهُ الى رومية صحبة القس الياس بن جرجس الهدناني وكان ارسالهم صحبة الخوري ابرهيم الغزيري ولكن ما وصل الى قبرس الّا كان سافر الخوري ابرهيم ومعهُ سبعة اولاد. ثمَّ القس ميخائيل اخذ اربعة أخر ثمَّ اجتمعوا كلهم في رومية ودرسوا احرف الطبع وساروا الى جبل فيسكون وطبعوا هناك بعض كتب تحت كنف الكردينال

﴿مخائيل بن نعمة الهدناني﴾ درس سنتين الفلسفة. وفي تاسع سنة من دخوله رجع الى بلاده وتزوَّج بطرابلس وسمناهُ عليها قساً فخدمها خدمة الراعي الصالح. ثمَّ في السنة ١٦٩٨ قضى أجلهُ

﴿توما القدسي﴾ عندما استأسروا رفاقهُ في طرابلس الغرب اخذوهُ الى القلعة وبذلوا مجهودهم ليسلموهُ في عشق النساء. وفي عقاب النار فما استطاعوا ان يغيروا ثباتهُ. ثمَّ بشفاعة والدة الخلاص وبمعونة مختصة من لدن الباري استفكهُ من القلعة ليورندو المتقدم ذكرهُ المتكفل تدبير تلاميذ المدرسة وفي ٩ آذار سنة ١٦٩١ دخل رومية ودرس علم الفلسفة والنيَّة. وفي السنة العاشرة خرج منها ورجع الى القدس فتزوَّج وسمناهُ قساً على مغارة الصليب في ٢٨ آذار سنة ١٧٠٠

سنة ١٦٨٢ في شهر حزيران رحل من قبرس صحبة رهبان القدس ﴿اسطفان بن حنَّا نكي﴾ وهو اخو انطون وفيليبي من ساماتوس اعتراهُ وجع العينين وبعد علم المنطق وعلم النيَّة رجع صحبة مخائيل المطوشي وتزوَّج في قبرس.

وفيها في شهر حزيران رحل من حلب ﴿اندراوس بن داود البشرَّاني﴾ استمرَّ في المدرسة سنةً ونصف ورجع صحبة القس يوسف العنتاري ثمَّ تزوَّج في القدس الشريف وفي السنة ١٧٠١ قُتل وهو داخل القدس في متجره

سنة ١٦٨٤ دخل المدرسة ﴿برتلماوس بن جرجي القبرسي﴾ ثبت سنةً ونصف وخرج. وكان ابوهُ (جرجي) ربيَّ سابقاً في المدرسة ثمَّ سار الى راونَّا وتزوَّج هناك وفي السنة ١٦٨٥ انتبت المائة عام منذ انتقال التلاميذ من (المسكن المسمَّى)

ناوفيتوس الى مدرسة الطائفة . ولهذا السبب في عيد مار يوحنا الانجيلي الذي هو شفيع المدرسة ويصير عيدهُ في ثاني يوم بعد ميلاد الرب فخمسة ايام قبل السنة المذكورة صمدوا هيكلهُ في الشماعدين والقناديل من فضّة وفي ايقونات القديسين وثياب الكهنة . ثمَّ انَّ حضرة الكردينال فرنسيس نزلي كفيل الملّة المارونيّة ومدرستها لشدّة كرمهِ وحبّهِ لقيان (القيام) ناموسها رسم ان يتجمل محفل هذا العيد وانَّ قاعة المدرسة تكون موشّحة بثياب كخ الحرير المذهّب وان تتزخرف على حيطانها صور التلاميذ الذين تهذّبوا بها في العلوم ثمَّ جمّلوها بفعل الفضائل وبرئاسة الكنيسة ليتمّ بهذا ارشاد غيرهم وكان جملتهم اربعة وعشرين منهم ثلاثة بطاركة على كرسيّ انطاكية اعني العبد الحقير في الرؤسا . (اسطفانوس الدويهي) . وجرجس بن عميرة . واندراوس عبد الغال السرياني . ثمَّ اثني عشر مطراناً وهم : سركيس الرزّي من بقوفا . وموسى العنيسي من العاقورة . وحنّا الدومنيكاني من حصرون . وحنّا من بيت صندوق من حصرون . واسحاق من قرية شدرا . ومخائيل بن شمعون من حصرون . وسركيس الجبري من اهدن . وبطرس بن مخلوف من غوسطا . ولوقا القبرسي من قربصيا . وبطرس بن أمّيه من اهدن . ويوسف نعمة من حصرون . ومخائيل بن الصهيوني من اهدن . وهذا عوض جرجس الكرمسدّاني لأن جرجس الكرمسدّاني الذي صنّف اللكسيقون (القاموس السرياني) كان خوري وليس مطراناً وجرجس المطران الكرمسدّاني ما دخل رومية . والتسعة الذين تشرّفوا في الفضيلة والهدى هم : ابرهيم بن جرجس البشرّاني (من الرهبنة اليسوعيّة) الذي استشهد والخوري حنّا بن عوّاد الحصروني والقس بطرس المطوشي من شركة اليسوعيّة . والقس نصرالله بن شلق العاقوري . والقس جبرائيل الصهيوني . والمعلم ابرهيم الحقلاني . والقس سمعان بن هارون التولاني . والخوري مخائيل صابونا الحصروني . والشدياق فيلبوس موسى البشرّاني

وتلاميذ المدرسة فسّروا على المنبر بلغاتٍ مختلفة اوّلاً مناقب البابا اينوشنسيوس الحادي عشر الذي استفكّ المطران بطرس والاولاد الذين كانوا صحبتهُ من يسر (اسر) المغاربة . والبابا غريغوريوس الثالث عشر الذي انشأ المدرسة . ثمَّ مدحوا الكردينال نزلي وكيل المدرسة الذي بكرمهِ جمّل محفلها والكردينال انطون كرافا الذي تعب بنشوئها ثمَّ اوقف لها جميع متخلّفاتهِ . ثمَّ شرحوا عن فضائل التلاميذ

الاربعة والعشرين الذين تقدَّم ذكرهم وعن تعبهم وجهادهم في انتشار الامانة المقدَّسة . وكان هذا المحفل شريفاً الى الغاية حضرهُ خمس كردينالية واساقفة ومطارنة وعلماء المدارس وشعب لا يُحصى حتى انَّ الكردينال زلي لزيادة فضلهِ طبع كتاباً جميلاً على هذا المحفل ينشد فيهِ صحَّة ديانة الملَّة المارونيَّة واتحادها مع الكنيسة الرومانيَّة منذ نشوئها ثمَّ يمدح فيها فضائل البارّ يوحنَّا الثاولوغوس شفيع المدرسة ثمَّ مناقب البابوات والكردينالية المتفضلين عليها ثمَّ مديح وصور التلاميذ الذين تقدَّم ذكرهم ويشهد فيهِ انهُ اقتصر عن نشيد التلاميذ الآخرين لئلَّا يقلق مسامع السامعين بالطولة

وفي السنة ١٦٨٥ في ٢٢ أيَّار دخل رومية القس يعقوب الحصروني وصحبتهُ ستة اولاد وهم : رزق الله ولد ابن إخينا الخوري مخائيل الدويهي وعمرهُ ١٥ سنة . والياس ابن الخوري يعقوب الحصروني وعمرهُ ١٣ سنة ونصف . وسمعان بن سعاده الفغالي . وحنَّا ابن ابو فرحات الحدشيتي . وفرح بن جرجس عويضا النزراني (النزيري) . وجرجس بن ابراهيم الغاوي المدناني

﴿ورزق الله الدويهي﴾ عمل مجادلة كلّ الفلسفة . وفي دخول السنة الرابعة من اللاهوت ارسلوهُ لعندنا رؤساء المدرسة لنسعى لهم بارسال اولاد جدد وفي وضواسه لقبرس وجد الاولاد متجهزين ثمَّ وصل لعندنا وفي آذار سنَّاهُ قسًّا على دير رأس النهر

﴿الياس الحصروني﴾ تلقَّن في علوم الفلسفة واللاهوت وفي السنة ١٦٩٠ رجع وقيمدناهُ عندنا يازجي وسنَّاهُ كاهناً في ٢٨ تموز على كنيسة مار لابا بحصرون ثم في سنة قدَّمناهُ الى البردوطيَّة وسفَّرناهُ لرومية في ٢٤ آذار

﴿سمعان الفغالي﴾ عمل مجادلة الفلسفة وبعد كمال اللاهوت ثبت اربع سنين لتعليم الاولاد المتجددين . وفي السنة ١٧٠٠ في تشرين الاوَّل خرج من المدرسة فقدناهُ يازجي وسنَّاهُ قسًّا في ٢٤ من ايلول سنة ١٧٠٢ . . .

(الى هنا انتهى ما بقي من تاريخ تلامذة رومية للدويهي اعني الى السنة ١٦٨٥ قبل وفاتهِ بتسع عشرة سنة وفَّق الله احد قرَّائنا على اكتشاف ما فُقد منهُ جازى الله مؤلَّفهُ عن اتعابهِ ملء جزائهِ)

غفران الامير

مأساة نثرية ذات اربعة فصول يتخللها شعر قديم .

بقلم

مدير مدرسة الطاهرة للسريان الكاثوليك في الموصل القس حنا رحماني (تابع)

الفصل الاوّل (تابع)

المشهد التاسع

النعمان وثعلبة

ثعلبة (لي . . .) انه غارق في تفكيراته . لأوقعنّهُ في حبائل مكري . ساعرض عليه الفتك بالاسود فاذا وافقني واخذت منه البيّنات الكافية كشفتُها للاسود فتتألهُ (للنعمان) اهكذا يقعد النعمان على حجر بعد ان كان العرش مقرّه

النعمان من انتَ يا اخا العرب ؟

ثعلبة أنسيني النعمان ؟

النعمان وكيف يعرفك وقد حجبت وجهك باللثام ؟

ثعلبة (يرفع اللثام) اذكر ثعلبة ابا اذينة

النعمان بل ثعلباً ابا براقش

ثعلبة يشتمني النعمان كأنّهُ بعدُ في قصره وعلى دست ملكه كما فعل يوم جئتُهُ ناصحاً فرفض نصحي وطردني

النعمان النعمان لا يتقلب مع صروف الدهر فالايام لا تغرّه ان اقبلَتْ ولا تُنكيه ان ادبرت . كُسر النعمان لكنّ عزمهُ لم يُكسَر

سوايَ يهابُ الموت او يرهبُ الردى وغيريَ يهوى ان يعيش مُخلّدا
ولكنني لا ارهب الدهر ان سطا ولا احذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مدّ نحوي حادثُ الدهر كفّهُ لحدثتُ نفسي ان امدَّ لهُ يدا

ثعلبة (بتهكّم) تفاخرٌ وتباهٍ ... هذا كله قد عبر . نحنُ ابناء اليوم واليوم انت اسيرنا وفي قبضتنا

النعمان كلامك هذا يوغر والله صدري غيظاً . أيُقهرُ النعمان ويُعيّرهُ بذلك صعلوك . لو لم تكن خسيس النفس وضيع الهمّة لما بخستَ حقوق من خانهُ الدهر فيا لك من نذلٍ لئيم !

ثعلبة (على حدة) فار دمي في عروقي ... ولكن مهلاً . (للنعمان) قل ما تشاء عن ابي اذينة فابو اذينة لا يحمل حقداً فانَّ قلبهُ اصفى من الماء الزلال ... وها هوذا قد اتاك ثانيةً ناصحاً ... (يقترب منه) ايها النعمان بن الحارث هل قعدتْ همّتُك . أو نام بأسك ... الى متى تبقى في الاسر ... (بصوت منخفض) سمعتُ ان الاسود عوّل على الفتك بك

النعمان على الفتك بي ! ولِمَ لم يصنع ذلك حالاً بعد انتصاره ؟

ثعلبة ازاد ان يُذيقك طعم الاسر ويريك ذلّا

النعمان افتكٌ ومكرٌ . ليست هذه شيمة نفس ابيّة

ثعلبة يحسب النعمان ان الكلَّ مثلهُ . اياك ان تنخدع بالظواهر

النعمان كيف وهو عزّني واكرم مثواي

ثعلبة يُعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغُ الثعلبُ

النعمان ليس لمن ليست له حيلةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبر

ثعلبة الصبر ضعفٌ على من فُتحت امامه ابواب الخلاص

النعمان زدني ايضاحاً ويحك

ثعلبة (يقترب منه ويكلمه بصوت منخفض) ان الاسود آمنٌ على نفسه لا يتحذّر ولا يخاف . فان احببت اتفقنا على الفتك به فيصبح الملكُ في يدي وتعود انت الى عرشك منعّماً

النعمان صه . أأكيدُ رجلاً انا في داره هذا ما لم يُسمع عند العرب

ثعلبة ان لم تقتلهُ قتلك

ومن لم يصانع في امورٍ كثيرةٍ يُضرَّس بانيابٍ ويُوطى بمنسمِ

النعمان انا لا اغدر به فان اراد الاسود ان يخفر بذمّته فلهُ ربٌّ يدينهُ

ثعلبة هذه مبادئ اكل عليها الدهرُ وشرب. اما اليوم

فمن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يَظلم الناسَ يُظلمِ

النعمان كفى. انا لا افعل هذا

ثعلبة (على حدة) يا للرجل! انه من صُوّان. لنطرق باباً آخر لنرَ هل من ذريعة لايقاعه في شراكي. (للنعمان) حُبّي لك يا نعمان يدفعني على بذل كل ما لديّ لخلاصك ... (يفتكر) ما قولك لو سهّلتُ لك اسباب الهرب ليلاً ... هل في ذلك على احد ظلم؟

النعمان (يفتكر هنيهة) هذا ايضاً لا افعله. اعلم يا ثعلبة ان النعمان ابيّ النفس. لا يخرج من هنا منهزماً متنكراً ... ثم هبني هربتُ انا فماذا يحلّ بولدي وبالذين هم رفقتي في الاسر ... لا. لا ... الوسائل التي تقترحها عليّ يا ثعلبة تمسّ بشرفي. وشرفي اعزُّ عليّ من نفسي

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنى ركوب الجنازهْ

الفصل الثاني

الغدر والخيانة

المشهد الاول

جليل وحدهُ

جليل (عند فتح الستار يكون جالساً على صخرة وهو كئيب) حتى متى يا ربّاه نتجرّع كاس الذلّ! أكثيرا حتى قعرها! لقد عيل صبري وضعفت همّتي ...

حتى متى ارى ابي ذليلًا اسيرًا بعد ان كانت تخضع لهُ الملوك ؟ الى متى يدوم اسرنا هذا ؟

كم أُمنّي بغدٍ بعد غدٍ ينفذُ العمرُ ولا ألقى غدا

حتى متى اراني بعيدًا عن امّي وقلبي يتلظّى شوقًا الى رؤيتها . انها الان تذرف الدموع على ولدها ولا تدري ما حلّ بهِ وبابيهِ . . . ألا متى نلتقي يا امّاه . قد ذبتُ لألمكِ حزنًا واليكِ اشتياقًا . فسلام الله عليكِ سلامٌ ينقله منّي اليكِ هذا النسيم :

ريحَ النسيم بحقّ من أنشاكِ ردّي السلام وحيّي من حيّاكِ
هبي عسى وجدي يخفّ وتنطفي نيرانُ اشواقي ببَرد هواكِ
يا ريحُ لولا انّ فيك بقيةً من طيب امّي مُتُّ قبل لقاكِ
كيف السلوُّ وما سمعت حمائمًا يندبنَ إلّا كنتُ اوّلَ باكِ
يا امّ ما اخشى الحمامَ وانّما اخشى على عينيك وقتَ بكاكِ

(يقف هنيهةً) آه ! يا ربّاه ! يا محيي العظم الرميم ويا جامع رُفاتِ العباد اجمعْ شملنا . (يُسمع من الداخل عتابة وصوتًا يتغنّى بهذه الاقوال) :

فعسى الذي اهدى ليوسف اهلَهُ واعزّهُ بالسجن وهو اسيرُ
ان يستجيب لنا ويجمع شملنا والله ربُّ العالمينَ قديرُ

(هنا يدخل ثعلبة دون ان يَشعرَ به جليل) على ان قلبي ينبئني بخَطب جسيم ويناجيني بعصابٍ قريب واشعر بوجيبهِ كلّما وقعت انظاري على رجل متحيّل يسكن هذا القصر اسمهُ ثعلبة . انني اخافهُ خوفي من لسعة الافعى . المكر يسيل من لسانهِ والحيلة تبدو من عينيهِ . دأبهُ التملّق والتجسّس والتختّل والخداع . . . فلقد بتُّهُ وهو يسعى ليلًا في القصر او يتنصّت على الابواب . فلا اشكُّ انه يُضمر لنا السوء . . . نجنا يا رب من خبث ثعلبة . (هنا يظهر ثعلبة)

المشهد الثاني

جليل وثعلبة

ثعلبة هاءنذا يا جليل ماذا تريد مني ؟

جليل (يرتعش خوفاً) ثعلبة ! يا فه ! اين كنت ؟

ثعلبة كنت راجعاً من عند الاسود فلمّا مررتُ بهذه الطريق سمعتك تناديني فاجبتُك

جليل وماذا اردت من الاسود ؟

ثعلبة وأيمُ الحق يا جليل منذ نُكبتم ما اردتُ من الاسود الّا امراً واحداً فكلما اجتمعتُ به جدّدتُ عليه طلبي . وزدتُ في الالحاح . . . وما ذاك سوى ان يطلق سراح آل غسان ويرجعهم آمنين الى الشام

جليل بل قل ان يقتل آل غسان عن آخرهم

ثعلبة لِمَ هذا الافتراء يا جليل . اهذا جزاء سعيي في انقاذكم ؟

جليل يكفيك يا ثعلبة تختلا ومداهنةً . يكفيك غشاً وخداعاً . يكفيك نفاقاً . ان حيلك هذه آخرتها وبالاً عليك

ان الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلُّب في انيابها العطبُ (يخرج)

المشهد الثالث

ثعلبة وحده

ثعلبة ينشأ الجرو الصغير على وتيرة ابيه . . . ولكن هيهات يا نعمان ان ترى ابنك خلفاً على عرشك . ان ثعلبة ثعلبٌ خبيث خبير تصعب عليكما النجاة من حبائله . فسينصب الكايد للابن بعد ان تنفذ سهامهُ في الاب على ان حُبْي لم يتوصل بعد الى ايجاد وسيلة لأوقع بالنعمان . قد افرغتُ كنانة حيلتي تارةً لأقنع الاسود بقتله واخرى لاصطاد النعمان فرجعت من عند الاثنين بخُفَّي حنين . ما العمل ؟ (يتطلّع) ها ان الاسود قادم ومعه الشاعر النابغة الذبياني صديق الغساسنة . اني امكث هنا لأرى ما سيجري بينهما

المشهد الرابع

ثعلبة والاسود والنابغة

الاسود ما تقول يا ابا امامة في ملوك غسان بعد كسرتهم هذه . الا تزال متحزباً لهم وقد قتلتُ بيدي ولي نعمتك عمراً اخا النعمان الذي شخصت اليه يوم التجأت

بآل غسان هارباً من غضب ابي

النابغة ملوكٌ عضّهم الدهرُ بنابه

الاسود او هل يُجبَرُ كسرُهم هذا ؟

النابغة أَلي منك الأمان ان كشفت لك عن مكنونات صدري

الاسود قل لا بأس عليك

النابغة عليَّ لِعَمْرٍ نعمةٌ بعد نعمة لوالده ليست بذات عقاربِ
ومن بعده النعمان رأسُ الكتائبِ اولئك قوم باسهم غير كاذبِ
اذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
ولا عيبَ فيهم غير ان سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ
لهم شيمةٌ لم يُعطها اللهُ غيرهم من الجود والاحلام غير عوازبِ
محلّتهم ذات الاله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ
ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ
ألا يا بني غسّان مني اليكمُ سلامٌ به حبٌّ . . .

الاسود (يقاطعه بغضب) كفى يا ابا امامة . ما كنتُ لاظنك تجسر على مدح آل غسان امامي

النابغة ما قلتُ الا بعد ان اذن لي بذلك الامير ولا لوم على من اخلص في حبّه وصدق في قوله

الاسود اذاً تحبهم

النابغة كيف لا وقد اكرموا مثواي واحلوني محل الضيف العزيز . او تلومني على ذلك ايها الملك

الاسود لا . . . دعني وثعلبة يا ابا امامة

المشهد الخامس

الاسود وثعلبة

الاسود اراك تسكت يا ابن العم

ثعلبة وماذا اقول ؟

الاسود ما هذه الجرأة التي تجرأ بها النابغة ؟

ثعلبة لا لوم لعمري على النابغة . ما قال الا الحق

هُمُ اهلة غسانٍ ومجدهُمُ عالٍ فإن حاولوا مُلكاً فلا عجبا

الاسود ما العمل اذاً ؟

ثعلبة وهل تجهل ما العمل ؟

الاسود لقد ضِقت ذرعاً ولم يبقَ لي رأي . ترى يا ثعلبة ان اقتلهم وانا لا ارى باباً يُسوّغُ لي ذلك بعد ان وضعت الحربُ أوزارها . . . ليتهم لم يقعوا في الاسر ولا وقعتُ انا في هذه الحيرة (يخرج من جهة ويدخل كليب مُسرعاً من جهة اخرى)

المشهد السادس

ثعلبة وكليب

كليب سيدي : رجل متنكر دخل القصر وهو يسأل عن النعمان

ثعلبة وهل اخذتَهُ اليه ؟

كليب كلا . بل اوقفتُهُ ريثما آتي فاخبرك

ثعلبة نعماً وماذا اخبرتهُ عن النعمان ؟

كليب شبّهتُ عليهِ الامر بأجوبةٍ ملتبسة فلم يقف على حقيقة . انا وصفتكَ بهِ وأشرتُ عليه ان ينقاد الى امرك

ثعلبة نعماً نعماً . ائتني به عاجلاً وامكث بالقرب من هنا علّنا نحتاج الى سعيك

المشهد السابع

ثعلبة وحده

ثعلبة من هو يا تُرى هذا الوافد . اعدوٌّ ام صديق للنعمان ؟ لا بل صديق والّا لما تنكّر وسأل عنه . . . لعلها رمية من غير رامٍ بها اصيب مرامي . . . ولكن مهما يكن من امره فالمداهنة والتملّق اولى لي من غيرهما

المشهد الثامن

ثعلبة تُبَّع

ثعلبة (على حدة) عليه شمائل الملوك . (لتبع) اهلاً بضيفٍ كريم وطئ حمانا . انزل على الرحب والسعة

تُبَّع اراك تستقبلني كصاحب الدار فمن تكون ؟

ثعلبة اني احد اعوان جلالة الملك الاسود وقد كلفني سيدي بمراقبة من اسرناهم من بني غسان

تُبَّع (على حدة) لقد حظيتُ بالمرام

ثعلبة وانت من تكون وما وراءك ؟

تُبَّع اعرابي من بطن البادية

ثعلبة (على حدة) كذبت . (له) وهل الك من حاجة تريد قضاءها

تُبَّع لا حاجة لي . انما كنتُ سائرًا فنفد زادي فدخلت القصر مطالباً بسنة الضيافة

ثعلبة (على حدة) كذبت (له)

وما أخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ ولا ذمّنا في النازلين نزيلُ

تُبَّع (على حدة) يا له من رجل كريم . (لثعلبة) ... هؤلاء الغساسنة في اي حال هم ؟

ثعلبة في حالةٍ يُرثى لها ؟ ... اما احد يسمعنا (يتطلع ثم يقترب من تُبَّع ويخفض صوته) ان قلبي يتحرق كمدًا على هؤلاء الذين عُنيت بمراقبتهم ... ملوك اشراف ذلّوا . ابطال يُغلّون بالسلاسل . يا له من ظلم

تُبَّع اذن لا توافق الملك انت على فعله هذا

ثعلبة وكيف اوافقهُ على البغي والجور

تُبَّع ان مهّدت لك سبيل إنقاذهم ماذا تقول ؟

ثعلبة هذا جلّ مأربي ... ولكن لماذا تتنكّر وتكتمني نفسك انك لقيت صديقاً فانزع اللثام وقل لي من انت . (تبّع ينزع اللثام)

(يتعجب ثعلبة ويقول) : انت تبّع ملك حمير معاهد الغساسنة!

تُبَّع نعم واتيتُ لانقذ حلفائي يا ثعلبة ان كان لك رغبةٌ في المال فاني اصبُّهُ عليك كالسيل انا واحدة اريد انقاذ ملك غسان واشرافهم

ثعلبة لا تذكر المال ايها الملك . اني لساعدك على انجاز مهمتك بطيب الخاطر . . . انا . . .

تُبَّع انا . . . اراك تنكص على الاعقاب بعد ان تقدمت شوطًا بعيدًا في سبيل انقاذ هولاء المظلومين

ثعلبة حاشا لثعلبة ان يرجع عما قال او ان يخلف بوعده . انا علينا ان نُعمل الفكرة في ايجاد وسيلة تُنقذهم دون ان تمسّ بشرفنا نشرفي اعزُّ عليَّ من نفسي

تُبَّع (على حدة) يا للرجل الشريف ! (له) وكيف ذلك ؟

ثعلبة اسمع . ان للاسود ابنًا يعزُّه كل الاعزاز . . . أمكنك من القبض عليه . فاذا تمّ ذلك عرضنا على الاسود تسريح الغسانة او قتل ابنه

تُبَّع نعمَ الوسيلة . . . انا لي كلام خطير مع النعمان اتمكّني من الاجتماع بهِ ؟

ثعلبة (على حدة) لا . (له) واأسفاه ! واحرقة قلباه !!

تُبَّع ما الذي طرأ عليك ؟ ما معنى تلهُّفك

ثعلبة اسفًا عليك يا نعمان ! ذهبتَ ضحيَّة الجور

تُبَّع (بدهشة وحزن) أوَ مات النعمان ؟

ثعلبة (بتأثُّر) قتله الاسود

تُبَّع (يبكي) اوّاه ! لقد حرقت قلبي يا ثعلبة . . . وا لهفي عليك يا نعمان يا عين الملوك

ثعلبة وماذا ينفعك البكاء . . . ان النعمان قد خلّف ابنًا اسيرًا لا يزال هنا مع امراء آخرين ودمهُ يطلب منك ان تخلصهم وان تأخذ بثاره ولذا عرضتُ عليك ما عرضتُ

تُبَّع انك لأمرُ الناس يا ثعلبة . انا صانعٌ بمشورتك . قل كيف تسلّمني ابن الاسود ؟

ثعلبة اين جنودك وحاشيتك

تُبَّع قد أنزلتُهم بالقرب من هنا وراء هذه الاكمة حيث لم يشعر بهم احد

ثعلبة طبق المرام . اخرج حالًا من القصر . وابق مثلها قدام الاكمة ريثما ابعث به اليك

فاذا اتاك لاطفهُ بالكلام اول الامر ولا تفاتحهُ بسرّك ثم سرْ بهِ متلطفاً الى اعوانك . فاذا قربت منهم كاشفهُ العداوة وضيّق عليه بالاغلال ولا تطلق سبيله حتى اعلمك بذلك . وانا ابلّغ الاسود ان ابنه مأسور عندك وانك لا تُطلقهُ او يُسرّح بني غسان

تبّع اقسم بالله انك احزم الناس . . . لكن اوّاه لو كان النعمان حيًّا ! . . . (يبكي)

ثعلبة لا تبكِ على ما فات . كن على حذر من بهتان نمير بن الاسود الذي سارسلهُ اليك . اياك ان تسرّحهُ قبل ان تأتيك اشارة مني

تبّع سأكون على حذر (يمشي للخروج)

ثعلبة كبّلهُ بالسلاسل وضيّق عليه ما استطعت ولا تتركهُ حتى اشعرك

تبّع فهمتُ . فهمتُ (يمشي للخروج)

ثعلبة اياك ايها الامير ان تذكر له شيئاً ممّا دار بيننا او تفوه باسم ثعلبة

تبّع وهل من حاجة الى هذه التوصية (يخرج)

المشهد التاسع

ثعلبة وحده

ثعلبة عصفوران بحجر واحد : أُبعدُ نُميرًا وأُغري الاسود على قتل النعمان . احسنتَ لعمري يا ثعلبة . اني لمتعجبٌ كيف تيسّرتْ لي كل هذه الامور . الآن ثبتَ قتلك يا نعمان . الآن بدأ فرحي ان يتمّ . لندعُ نُميرًا . (يتقدّم للخروج ثم يراه مقبلًا) ها انه آتٍ . نعمْ . .

المشهد العاشر

ثعلبة ونمير

ثعلبة كنتُ في انتظارك يا نُمير

نمير ولِمَ ؟

ثعلبة قد عيل صبري من تقاعد ابيك الاسود عن تسريح النعمان وبدأتُ اتخوّف سوء العاقبة . واذ رأيت انّ الامر قد استفحل فكّرتُ في ايجاد دواء ناجع

لنفوز بالمرام

غير وما هو ؟

ثعلبة اتحبُّ النعمان حقًّا يا غير ؟

غير او تشكّ في ذلك ؟

ثعلبة وان كلّفك خلاص النعمان بعض العناء أمستعدٌّ انت لقاساته ؟

غير لو كلفني ذلك سفك دمي لسفكتهُ . وكما اطلقني النعمان بعد ان اسرني لا بدّ ان ابذل كلّ ما في وسعي لاطلاقه

ثعلبة (يقترب منه ويسرّ اليه بعد ان نظر من كل الجهات) بالقرب من هنا صديقٌ للنعمان التبّع ملك حمير قد اتى ليخلّصهُ قسرًا . . . فمنعتهُ حسمًا لحرب هائلة اخافُ ان تلحق بابيك اذًى وقد انهكتْه هذه الحرب مع الغساسنة . . . فان وافقتني لا ارى احسن من ان ابعثك اليه وانا ابلّغ اباك انه قبض عليك ولا يطلقك الّا بتسريح الغساسنة . فاذا فعل ابوك ذلك انا اتكفل بارجاعك الينا سالمًا

غير ومن اين بلغك خبر هذا الملك ؟

ثعلبة اطلعني احدُ جواسيسنا عليه . . . فماذا تقول ؟ . . . انا لا بد من العجلة قبل ان يقترب هذه الليلة من القصر . فان اعتمدتَ على ما اقول ارسلتُك اليه الان مع كليب وافهمته الامر

غير اني اخشى عاقبة ذلك

ثعلبة اذًا لا تحب النعمان . الحب بالعمل لا بالقول

غير (يفتكر قليلًا ثمّ يقول) : انا رهين امرك

ثعلبة ليس ما اريدُ انا بل ما تقتضيه الظروف . . . على كل حال ليست غايتي إجبارك على فعلٍ تتخوف منه . انت مخيَّر

غير قد رضيتُ بهذا التدبير وانا فاعله باختياري

(لها بقيّة)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الشين

٤٣١ ﴿شاتوبريان﴾ الفيكونت فرنسوا رينه (Chateaubriand) المتوفّى في باريس سنة ١٨٤٨ . لهُ في مكتبة باريس (Ms 3680) ترجمة روايته «أطالا» بقلم الكاهن عيسى بترو . وقد عرّب ايضاً هذه الرواية المرحوم جميل المدوّر فطبعها في بيروت سنة ١٨٨٢ . وممّا نُقل ايضاً الى العربيّة من تآليف شاتوبريان كتابهُ «آخر بني السراج» تعريب الامير شكيب ارسلان

٤٣٢ ﴿شاكر الخوري﴾ الدكتور البكاسيني استاذ الاكليريك الرمدي في المكتب الطبي الفرنسوي المتوفّى في ٢٥ آب ١٩١١ اشتهرت مطبوعاتهُ تحفة الراغب ونائب الطبيب وصحّة العين ومجمع المسرّات وقصائد متفرّقة . وقد خلّف بعض المخطوطات الطبيّة والعلميّة والادبيّة منها ديوان المسرّات (او الحسرات)

٤٣٣ ﴿شاهيات﴾ السيّد باسيليوس مطران زحلة والفرزل الملكي الكاثوليكيّ من الرهبانيّة الشويريّة المتوفّى في ١١ ك ٢ ١٨٦٤ (اطلب المشرق ١٣ [١٩١٠]: ٣٣٦) . ذكر عيسى افندي اسكندر المعلوف في تاريخ بني المعلوف (ص٥٩٩) انّ في مكتبته الخاصّة بعض آثاره منها كتاب عظات مخطوط ثم بعض المنسوخات بيده كرجز النفس المنسوب لارسطو ورسائل البطريرك مكسيموس مظلوم

٤٣٤ ﴿الشابي﴾ القس باسيليوس بن باسيل الشابي من اهل القرن الثامن عشر . هو معرّب كتاب «ارشاد الخلاص عن القصاص للاب صموئيل الايزنبالي اليسوعي» في جزئين ضخمين منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب

٤٣٥ ﴿الشابي﴾ الخوري عبدالله الساروني من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية كان في القرن الثامن عشر عرّب كتاب القلب المنسحق للاب بيدامونتي اليسوعي

في مكتبة الموارنة في حلب . وهذا الكتاب طُبع في مطبعة اهدن سنة ١٨٦٠ وترجمتهُ هناك منسوبة الى السيّد جرمانوس فرحات وكان طُبع في رومية سنة ١٨٤٨ معرّباً بقلم القس ليانوس التيني

٤٣٦ ﴿الشبابي﴾ القس يوسف الراهب الحلبي المتوفّى نحو السنة ١٨٩٦ لهُ في مكتبة قزحيا كتاب تساعيّة لعيد القديس انطونيوس الكبير تأليف الاب بندكتوس سكاربانتي وقد طُبع الكتاب هناك بالكرشونيّة سنة ١٨٧٤ . ولهُ ايضاً مواعظ خطّ

٤٣٧ ﴿شبلي﴾ السيّد بطرس رئيس اساقفة بيروت المارونيّ المتوفّى منفيًّا ظلماً الى آطنة في ٢٠ آذار سنة ١٩١٧ . لهُ مجموعة المناشير البابويّة المرسلة الى طائفته الكريمة وبطاركتها الاجلّاء لم يسمح لهُ الوقت بنشرها . وقد خلّف كتابات متفرّقة منها دينيّة ومنها تاريخيّة واثريّة ومنها ادبيّة . وقد نشر في مجموعة الآباء الشرقيين التي يديرها المنسنيور غرافين كتاباً لساويرس بن المقفّع في البدعة اليعقوبيّة . وكان آخر مآثره ترجمة الطيّب الذكر البطريرك اسطفانوس الدويهي

٤٣٨ . ﴿شحاده﴾ جبرائيل بن ميخائيل بن جرجس شحاده الصبّاغ الدمشقي المتوفّى بعد السنة ١٨٦٠ . ذكر لهُ (في النعمة ١ : ٣٠٨) عيسى افندي اسكندر المعلوف كتاب حوادث سوريّة . ولم يزد علماً

٤٣٩ ﴿شحاده﴾ جرجس بن ميخائيل شقيق جبرائيل لهُ في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيّة (ص ٢٣٥—٢٩٥) ردّ على البروتستانت بخصوص سرّ القربان الاقدس ومعتقدات اخرى

٤٤٠ ﴿شحاده﴾ سليم بن ميخائيل (١٨٤٨—١٩٠٦) ترجمان قنصليّة روسيا في بيروت تعدّدت منشوراتهُ في ما طُبع من قسميّ آثار الادهار التاريخي والجغرافي وفي عدّة جرائد وصحائف كحديقة الاخبار وديوان الفكاهة وعرّب رسائل الفيلسوف الروماني سنيكا ونشر لمحة تاريخيّة في اخويّة القبر المقدّس اليونانيّة وكتاب الخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية وكلاهما غفلٌ دون اسم المؤلف . وبقيت في تركته عدّة رسائل وتآليف خطّية لم تُطبع ذكرتها جريدة المحبّة دون تصريح

٤٤١ ﴿شحاده﴾ ميخائيل بن جرجس شحاده الصبّاغ الدمشقي الاورثذكسي المتوفّى سنة ١٩٠٠ هو والد السابق ذكرهم ذكر لهُ عيسى افندي اسكندر المعلوف

(في النمسة ١ : ٢٤٢) كتاباً ضمّنهُ حوادث الكثلكة وما جرى من الخلاف الطائفي بين الكاثوليك والارثذكس في نحو ٥٠٠ صفحة

٤٤٢ ﴿الشدراوي﴾ اسحاق اسقف صيدا. ويقال ايضاً اسقف طرابلس احد تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية توفّي سنة ١٦٦٥ (اطاب المشرق ٢ [١٨٩٩] : ٩٣٩) لهُ تآليف سريانيَّة منها كتابهُ في نحو اللغة السريانيَّة سنة ١٦٣٦ . ويُعرف لهُ في العربيَّة كتاب المناجاة بين المعلّم والتلميذ في عقائد الايمان . وقد ضمَّنهُ خبر رحلتهِ الى فرنسة سنة ١٦٦٠ ليطلب من ملكها رتبة القنصليَّة للشيخ ابي نوفل الخازن وقد نشرناها في المشرق المذكور آنفاً مع صورتهِ (ص ٩٣٩—٩٤٥) . ومن كتابهِ المذكور نسخ خطيَّة اخصُّها نسخة المكتبة الفاتيكانيَّة (ع٤١٥) تاريخها سنة ١٦٥٠ . ونسخة مدرسة مار يوحنَّا مارون وهي احدث عهداً فيها الرحلة المذكورة

٤٤٣ ﴿الشدودي﴾ الشيخ اسعد استاذ الرياضيَّات في الكليَّة الاميركيَّة توفي في ٢٥ أيار سنة ١٩٠٦ لهُ متفرّقات نثريَّة في العلوم الرياضيَّة وشذرات نظميَّة منها دينيَّة كنظم امثال سليمان الحكيم طُبع شيءٌ منها سنة ١٨٩٩ ومنها ادبيَّة وهزليَّة . ومن مطبوعاتهِ سنة ١٨٧٣ كتابهُ العروس البديعة في علم الطبيعة

٤٤٤ ﴿الشدياق﴾ اسعد بن يوسف الماروني الذي مال الى البروتستانيَّة فجلب عليهِ غضب ملّتهِ توفّي سنة ١٨٣٠ . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ديوان شعر في ٤٠ صفحة وذكر لهُ المرحوم الشيخ ضاهر الشدياق نسبهُ دائرتَين بخطّهِ في المواريث والزواج لدى اهلهِ ثم اخبار اخيهِ احمد فارس والمطران اثناسيوس التنتجي

٤٤٥ ﴿الشدياق﴾ بشاره المتوفى في ١٧ آب ١٩٠٦ . لهُ مقالات شتى وقصائد في جريدة البشير وفي الجوائب . ومن مخطوطاتهِ ديوان شعر في ٦٣ صفحة في مكتبتنا الشرقيَّة

٤٤٦ ﴿الشدياق﴾ الشيخ طنّوس بن يوسف الماروني الشهير بعلمهِ ودينهِ المتوفّى سنة ١٨٦١ هو صاحب تاريخ الاعيان في جبل لبنان المطبوع سنة ١٨٥٩ في المطبعة الاميركيَّة . ومن المخطوطات التي خلّفها : ١ً قاموس تعاريف مصطلح العلماء بشراكة المرحوم يوسف الجلخ فجمع هو المصطلحات في الفنون العربيَّة وجمع يوسف المصطلحات الطبيَّة . وكان الكتاب في بيت المرحوم الدكتور سليم الجلخ . ٢ً قاموس في

اللغة العاميّة . فُقد في حوادث سنة ١٨٦٠ . ٣ً ديوان شعر كان عند اولاده . ٤ً اختصر التاريخ العام للبطريرك اسطفان الدويهيّ ونقّحهُ . منهُ نسخة في خزانة الجامعة الاميركيّة ونسخة اخرى في مكتبتنا الشرقيّة . ٥ً وممّا فُقد لهُ قاموس في اللغة التركيّة .

٤٤٧ ﴿الشدياق﴾ الشيخ فارس اخو الشيخين طنّوس واسعد أسلمَ وتسمّى احمد ثمّ ارتدَّ الى ايمانهِ في ساعة وفاتهِ في الاستانة سنة ١٨٨٧ . لهُ المطبوعات الشهيرة كسرّ الليال في القلب والابدال والجاسوس على القاموس وغنية الطالب ومنية الراغب وكشف المخبأ عن احوال اوربّا والواسطة في معرفة احوال مالطة . والساق على الساق المشوّه بالمجون والباكورة الشهيّة في تعليم اللغة الانكليزيّة والنّد الراوي في الصرف الفرنساوي واللفيف في كل معنى طريف وشرح طبائع الحيوان . وقد انشأ جريدة الجوائب وحرّرها زمناً طويلاً بعد تحريرهِ الرائد التونسيّ . ولهُ ديوان شعر . ومن المخطوطات التي خلّفها فحالت المنون عن طبعها : ١ً منتهى العجب في خصائص لغة العرب تلف بالحريق . ٢ً كتاب في اعيان العصر . ٣ً الروض الناضر في ابيات ونوادر . ٤ً التقنيع في علم البديع . ٥ً والنفائس في انشاء احمد فارس . ٦ً وملحوظات على الشعر العربيّ

٤٤٨ ﴿شراباتي﴾ القس يوسف الحلبيّ ايكونوموس الطائفة المارونيّة في حلب توفّي في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر . لهُ ١ً في مكتبة الموارنة في حلب مجموع صلوات (ع ٤٠٣) . ٢ً رسوم اخويّة العزبان التي تركل عليها بعد الناء الرهبانيّة اليسوعيّة سنة ١٧٨٧ فجدّدها ووضع قوانينها في عهد المطران جرمانوس حرّاء . ٣ً لهُ في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الشمّاس شكري ايّوب كتاب الارشادات الوطيدة الى محجّة العبادة الاكيدة في قسمين و ١٢ بحثاً تاريخ نسختنا سنة ١٨٣٩

٤٤٩ ﴿شرابيه﴾ السيّد اغناطيوس مطران صور المارونيّ احد تلامذة مدرسة الموارنة في رومية توفّي في ٢٩ ت ١ ١٧٤٧ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة دير الشرفة تعريبهُ لكتاب الاب بيناموني اليسوعيّ في التنجيم والسحر

٤٥٠ ﴿الشرتوني﴾ المعلّم رشيد بن عبدالله بن ميخائيل الخوري المتوفّى في

٢٣ ت ١ سنة ١٩٠٧ محرّر جريدة البشير واستاذ البيان في كليّة القديس يوسف . لهُ التآليف المدرسيّة المعروفة التي طُبع معظمها كتمرين الطلاب في التصريف والاعراب ومفتاح القراءة ومبادئ العربية في الصرف والنحو ونهج المراسلة . ولهُ التعريبات الحسنة كتاريخ لبنان للاب مرتينوس اليسوعي وكالرحلة السوريّة للاب هنري لامنس والزنبقة البهيّة في سيرة مؤسس الرهبنة اليسوعيّة وريحانة الاذهان في سيرة القديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا ومظهر الصلاح في سيرة القديس الفونس والتوفيق بين العلم وسفر التكوين . وكمنشورات جليلة عن طائفتهِ الكريمة كتاريخ الموارنة البطريرك اسطفانوس الدويهي وكسلسلتهِ لبطاركة الطائفة المارونيّة ومنارة الاقداس والمجامع اللبنانيّة . ولهُ فضلاً عن ذلك عدّة مقالات تاريخيّة ولغويّة في جريدة البشير ومجلّة المشرق . ولهُ من المخطوطات تعريب فلسفة الاب تونجورجي اليسوعي الذي عرّبهُ بعدهُ ونشرهُ الخوري الفضال جرجس فرج صفير . ولهُ ايضاً عند ولدهِ يوسف متفرّقات في تاريخ طائفتهِ وفي اللغة والادب

٤٥١ ﴿الشرتوني﴾ الشيخ سعيد اللغوي الشهير شقيق المعلّم رشيد المتوفّى في ١٨ آب ١٩١٢ . سبق اخاهُ في التعليم والتأليف . من مصنّفاتهِ الشهيرة معجم اقرب الموارد في ثلثة اجزاء وكتاب الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب . ونوادر ابي زيد وشرح بحث المطالب للمطران فرحات وديوانهِ . والغصن الرطيب في فنّ الخطيب . والمعين الرائق ونجدة اليراع ومطالع الاضواء وحدائق المنظوم والنثور ونقّح بعض المطبوعات كروح الاخيار في تراجم الابرار وفنّد بعض آراء الشيخ احمد فارس في كتابهِ السهم الصائب . ومن مخطوطاتهِ في مكتبتنا الشرقيّة تعريبهُ لشروح الاب اوغسطينوس رودهُ على نبوّات اشعيا وارميا

٤٥٢ ﴿شقير﴾ شاكر بن مقامس الشاعر الكاتب مولود الشويفات المتوفّى سنة ١٨٩٦ . ممّا طُبع لهُ قصائدهُ الذهب الابريز في مدح السلطان عبد العزيز وديوان ابي العلاء المعرّي مع شرح الفاظهِ اللغوية . وكتاب لسان غصن لبنان في انتقاد العربيّة العصريّة . ومن المخطوطات الباقية لهُ مصباح الافكار في نظم الاشعار واساليب العرب في صناعة الانشاء وترجمة آثار الامم للكاتب الفرنسي ڤولني وتأليف او ترجمة عدّة روايات ادبيّة وفكاهية او تمثيليّة ظهر اكثرها في ديوان الفكاهة

٤٥٣ ﴿شقير فارس بك﴾ الشويفاتي توفّي في بيروت في ٢٨ ك ٢ ١٩٠٨ من رجال العلم والسياسة . من مآثره المخطوطة الباقية التي ذكرها جناب جرجي افندي باز في مجلّة النور (٣:٦١٦) : « كتاب الجنايات نظمهُ عن ملتقى الابحر . ٢ً شرح شواهد ابن عقيل . ٣ً ومن مآثره نفايس فارس وهي مجموعة من منظوماته ومنثوراته . وكان احد كتبة معجم آثار الادهار

٤٥٤ ﴿شقير عبده بك﴾ ابن الشيخ عبدالله قاقمام الكورة وشقيق المرحوم اسبر شقير ترجمان قنصليّة بريطانية في بيروت . ذكر لهُ عيسى افندي اسكندر المعلوف في دواني القطوف (ص٥٨٤) «مخطوطات وبعض مؤلّفات منها» كتاب تاريخي مُفيد»

٤٥٥ ﴿شقير نعُوم بك﴾ مدير قلم التاريخ في الحكومة المصريّة المتوفّى في ٢٥ آذار ١٩٢٢ لهُ تاريخان جليلان واسعان تاريخ السودان وتاريخ سينا وكتاب امثال العوام في مصر والسودان والشام . ومما ابقاهُ مخطوطاً كتابٌ في تاريخ اليمن وكتابٌ في الشبّان والواجب

٤٥٦ ﴿شكري﴾ الاب ارسانيوس الراهب اللبناني الحلبيّ . ألّف تاريخ رحلته الى فرنسة وايطالية واسبانية سنة ١٧٤٨ مع الاب بيين زخريّا الحلبي . منهُ نسختان في مكتبة المسنيور جرجس منش في حلب كتب الواحدة منهما اخوهُ القس شكري سنة ١٧٦٤

٤٥٧ ﴿شلحت﴾ غبطة البطريرك جرجس شلحت بطريرك انطاكية على السريان الكاثوليك المتوفّى سنة ١٨٩١ . لهُ في مكتبة السريان في حلب تاريخ كنسي . وعُني بطبع بعض الكتب الطقسيّة . ولهُ ايضاً خطب ومواعظ ورسائل شتى

٤٥٨ ﴿الشلفون﴾ الاب يوسف اليسوعي المتوفّى في ٦ ك ١ ١٩٢٠ . لهُ كتاب كنز اخويّة الميتة الصالحة طُبع في الاسكندريّة سنة ١٩٠٥ وكتاب الشروح الوفيّة للصلاة الربيّة نشرهُ في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٣ . ومن مخطوطاته رتبة درب الصليب وبعض الكتابات الادبيّة في مكتبتنا الشرقيّة

٤٥٩ ﴿الشلفون﴾ يوسف بن فارس صاحب المطبعة العموميّة المتوفّى سنة ١٨٩٥ (اطلب ترجمتهُ في كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ٢ : ١٣٥) طُبع لهُ كتاب في المراسلات وديوان شعر دعاه انيس الجليس . ووجدنا لهُ في بيت اهله

عدّة متفرّقات ادبيّة ومنظومات شتى

٤٦٠ ﴿شلّق﴾ القسّ نصرالله العاقوري الماروني احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية توفّي سنة ١٦٣٥. عرّب مع جبرائيل الصهيوني تعليم الكردينال بارمينوس وطبعاهُ سنة ١٦١٣. ونقل من السريانيّة سفر أيوب. وفي مكتبة باريس معجم عربيّ لاتيني مخطوط لنصرالله شلّق ولجبرائيل الصهيوني

٤٦١ ﴿الشمالي﴾ السيّد جرمانوس رئيس اساقفة حلب على الموارنة المتوفّى في ١٥ آب ١٨٩٥ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٥ [١٩٠٣] : ٨٥٠—٨٥٩). ممّا طُبع لهُ كتاب لمحة العين وهو في جزئين يتضمّن مواعظهُ ومواعظ الخوري اسطفان الشمالي (المتوفّى في ١٦ شباط ١٩٢٢) ولهُ ديوان شعر سماه نظم اللآلي للحبر الشمالي. وعُني باصلاح كتب طائفتهِ الطقسيّة وتنقيح كتاب روضة الواعظ الذي عرّبهُ الخوري انطون آصاف. وممّا يذكر لهُ من المخطوطات مكاتبات اهليّة ورسائل وزجليّات

٤٦٢ ﴿شمعون﴾ ابو قرّه. في مكتبتنا الشرقيّة نسختان من «المجادلات التي صدرت عند المأمون بن هارون الرشيد من الاب المطران شمعون من طور العبّاء من قرية اسمها حبشاس (كذا) سنة ١٧٢ ﻫ (٦٨٨م)». ومن هذه المجادلات نسخ شتى في مكتبة الفاتيكان وفي مكتبة باريس ولا نعلم من امر شمعون هذا شيئاً

٤٦٣ ﴿شمعون﴾ المفريان الطوراني اليعقوبي المعروف بالزيتي دعي ايضاً باسيليوس وغريغوريوس (اطلب المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٦٦٥) عاش في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر لهُ عدّة تآليف : ١ً مواعظ سنويّة في الكرشوني منها نسخة في دير الزعفران. ٢ً كتاب التاولوجيا اي علم اللاهوت بالكرشوني هناك ايضاً وفي مكتبة دير الشرفة ومكتبة اليعاقبة في القدس الشريف. ٣ً كتاب التريصاجيون في تسبحة الساروفيم شرح فيها سرّ الثالوث الاقدس وسرّ التجسّد على رأي اليعاقبة. ٤ً تفسير الصلاة الربيّة في مكتبة الشرفة وفي مكتبتنا الشرقيّة. ٥ً كتاب الاسرار العقليّة في مكتبة القدس. ٦ً كتاب سلاح الدين وترس اليقين حاول فيهِ اثبات معتقدات اليعاقبة فيها ايضاً. ٧ً ولهُ مقالات متفرّقة وشروح على بعض آيات الكتاب المقدّس في مكتبتنا الشرقيّة

٤٦٤ ﴿شمّاع﴾ الخوري عمّانويل الراهب المخلّصي المتوفّى في دمياط سنة

١٧٨٨ . في مكتبة دير يوحنّا الصابغ في الشوير نسخة من كتابه قطف الازهار في علم الذمّة والاسرار الذي طُبع ايضاً هناك سنة ١٧٩٢

٤٦٥ ﴿شميت﴾ هو القانوني الالماني الكاهن كريستوف شميت المتوفّى سنة ١٨٥٤ اشتهر بكتاباته الادبيّة التهذيبيّة . عرّب منها المعلم ميخائيل المابكي كتابهُ الشهير المعنون بانة حكاية . ثمّ عرّب لهُ المعلّم جرجس زوين روايتهُ روزا دي تَنْبورغ تحت عنوان «وردة المغرب»

٤٦٦ ﴿شميّل﴾ امين بن ابراهيم الذي توفي سنة ١٨٩٧ : لهُ عدّة تآليف ادبيّة وتاريخيّة طُبع كثير منها وبعضها لا يزال مخطوطاً فمن تآليفهِ الشهيرة كتاب بستان النزهة في فنّ المخلوقات لم يُطبع وكالمبتكر في الحياة البشريّة وكروايتهِ السياسيّة «الزفاف السياسي» وكتاريخهِ الكبير الوافي في المسئلة الشرقيّة في جزئين ضمّنهُ ملخّص تاريخ العرب من اوّل الاسلام الى عهدنا الحقهُ بسهام المنايا ردّاً على من اعترض على ذلك الكتاب . ولهُ ايضاً مباحث فقهيّة وقصائد ومقالات تاريخيّة

٤٦٧ ﴿شميّل﴾ الدكتور شبلي شقيق امين المتوفّى في غرّة ك ٢ سنة ١٩١٧ . معظم تآليفهِ في تأييد المذهب الدروينيّ وآراء الماديّين وهي مطبوعة لا حاجة الى ذكرها وقد ردّ عليها غير واحد كالاستاذ المرحوم ابراهيم الحوراني وكتبة البشير . وممّا نشرهُ بعض الكتب الطبيّة القديمة للعرب نشرها في مجلّة الشفاء . ولهُ على ما قيل لنا بقايا مخطوطة من العلوم الطبيّة والطبيعيّة والكيموية مع قصائد ومنظومات شتى

٤٦٨ ﴿شنتال﴾ هي القديسة يوحنّة فرنسسكا فرميوت دي شنتال (Jeanne Fr. Frémiot de Chantal) المتوفّاة سنة ١٦٤١ وهي منشئة رهبانيّة الزيارة مع القديس فرنسيس دي سال . يوجد في دير راهبات الزيارة في عينطورا كتابات ورسائل كتبتها لراهباتها وقد عرّبها الاب انطون كينار اليسوعي . وهناك ايضاً ترجمة حياتها بقلم الاب بطرس فروماج اليسوعي

٤٦٩ ﴿شهوان﴾ الخوري انطون من تلاميذ المدرسة المارونيّة في رومية توفّي نحو السنة ١٧٨٠ . ١ في مكتبتنا الشرقيّة مقالة من ردودهِ على الشيخ عبد الرحيم الشامي والشيخ صالح الكوثراني اللذين وجّها الى النصارى قصيدةً يطعنان فيها على الدين النصرانيّ . ٢ وفي مكتبتنا ايضاً مجموع مواعظ بالكرشوني منسوبة اليه

٤٧٠ ﴿شهوان﴾ القس متى الشمدانيّ توفي في اواسط القرن التاسع عشر: له ١ في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب تعريب «تنبيهات مار بولس (؟) ونصائح فرنسيس سالاسيوس الى ملمي الاعتراف نقلهُ من الايطاليّة الشمدانيّ متى من قرية غوسطا سنة ١٨٢٦» . ٢ في مكتبتنا الشرقيّة ملحق بكتاب الحرب الروحيّة تأليف الاب سكوبولي في ثلثة اجزاء عرّبهُ عن اللغة الايتاليّة القسّ متى شهوان احد تلاميذ عين ورقة . وفي مكتبتنا ايضاً بالكرشوني «جواب الخوري مطيوس شهوان على الشيخين المذكورين آنفاً» فقولهُ «مطيوس» اي متّى من المحتمل أن يكون قد وقع التباس بين الرجلين اي القسّ متى شهوان والخوري انطون شهوان

٤٧١ ﴿شوحا لايشوع﴾ الراهب النسطوري من كتبة القرن الثالث عشر. في مكتبة باريس (Ms. de Paris 204) «مجادلة جرت بين شوحا لايشوع الراهب وبين رأس الجالوت رئيس اليهود في امر سيّدنا المسيح» . . . كاتبها صليبا بن يوحنّا الموصلي بحروسة مدينة الماغوصة من اعمال جزيرة قبرس سنة ١٣٣٠ للمسيح

٤٧٢ ﴿شيتاردي﴾ هو الكاهن الفرنساوي يواكيم (Joachim Trotti de la Chétardie) المتوفى سنة ١٧١٤ قد عرّب لهُ الاب بطرس فروماج كتابهُ شرح التعليم المسيحي المطبوع في مطبعتنا الكاثوليكيّة

٤٧٣ ﴿شيخو﴾ الاب استانسلاوس اليسوعيّ المتوفى في ٢ ت ٢ ١٩١٨ . نشر تسابيح لعيد القديس استانسلاوس كوستكا . له في مكتبتنا الشرقيّة مجموعة مواعظ ومتفرّقات دينيّة وادبيّة

٤٧٤ ﴿شير﴾ هو السيد ادي شير مطران سعرد الكلداني قتيل الاتراك سنة ١٩١٥ . نشر في الشرق عدّة مقالات تاريخيّة ودينيّة . وصف في المجلّة الاسيويّة وفي غيرها المخطوطات الشرقيّة في مكاتب سعرد وماردين وديار بكر والموصل . ونشر في مجموعة الآباء الشرقيين للمنسنيور غرافين تاريخ احد قدماء النساطرة مع ترجمته الفرنسويّة . وطبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة تاريخ مدرسة نصيبين وكتاب الالفاظ الاعجميّة في العربيّة وتاريخ كلدو واثور في جزئين (١٩١٢—١٩١٣) وبقي الجزء الثالث مخطوطاً انجزهُ وحال موتهُ دون طبعه

٤٧٥ ﴿شيزو﴾ الاب حبيب اليسوعي (P. Aimé Chézaud) المرسل في

سوريّة وبلاد فارس المتوفى في ١٦ ايلول ١٦٦٤ . لهُ في مكتبتنا في رومية معجم ايطالياني عربيّ في ٢٤٣ صفحة . وألّف في العربيّة كتباً متعدّدة وكذلك في الفارسيّة والارمنيّة اخذتها يد الضياع منها كتاب صلوات وارشادات تقويّة كان معدوداً للطبع

٤٨٦ ﴿شينهلشر﴾ الاب يوحنّا اليسوعي المتوفّى في ١٨ آب سنة ١٧٣٣ . عرّب الاب هنري دني برونيار اليسوعيّ كتابهُ « تعليم المجادلات الدينيّة » في تفنيد مزاعم البروتستانت فطبعهُ مرّة اولى سنة ١٨٦٣ ثمّ تكرّر طبعهُ ثلاث مرّات

ذكر مولد الملحد ارنست رنان

(١٨٢٣—١٩٢٣)

مقالة ثانية

شطط رنان في طريقتهِ العلميّة

لاب س . م اليسوعيّ

تحقّق القرّاء من مقالتنا السابقة ان تناقض رنان في آرائهِ وتنقّلهُ المتواتر من ايجاب الامور الى انكارها عادةٌ متأصلة فيه بل مذهبهُ العلمي (١ ان ساغ استعمال لفظة العلم للدلالة على مثل تلك الشعوذة الصبيانيّة الكافية لوسم صاحبها بسمة العار . هلمّ بنا الآن لنكشف الحجاب عن وصمة اخرى كبيرة لا يكاد يخلو منها احد تآليفهِ الكفريّة ، نعني طريقته السطحيّة الخرقاء في البحث عن اهمّ المواضيع واجدرها بالتأمل والتروّي ودقة النظر والعلم . فلعمري ان خطّته هذه والعلم الحقيقي لعلى طرفي نقيض . فهيهات ان يصدق فيه زعمُ تبعتهِ المدّعين انه استطاع بواسع معارفهِ تقويض اركان الايمان المسيحي الراسخة على مرّ الاجيال

١) من اقوال رنان الغريبة التي تبيّن تناقضهُ ما تعريبهُ : « ان الاستقامة مُملّة جدًّا اما الجياد عتبا فلذيذ الغاية ولذلك أصرّح بانني لو أُجبتُ الى الاختيار بينهما فلربّما آثرتُ هذا على تلك » وفي مجرّد ذلك المبدأ المذهل عبرةٌ للمعتبر ودليل جليّ على فساد طريقة رنان

ولتأييد حكمنا هذا ندعو القارئ الكريم الى اجالة النظر في بعض اقواله التي اخترعها لانكار معجزات السيد المسيح وظهوراته للرسل وغيرهم بعد قيامته من الموت

الفصل الاول : انكار رنان لمعجزات السيد المسيح

من المحال ان يقرأ احدٌ الاناجيل المقدَّسة بنيّة سليمة فينكر اجتراح السيد المسيح لآياتٍ عديدة رائعة لم يسبقهُ اليها احدٌ من بني البشر . ولذلك لم يتجاسر الملحد رنان ان ينفي تلك الخوارق ويلحقها بالاساطير الفارغة او الخرافات العجائزيَّة لئلّا يسقط فوراً في عين كل العلماء الأثبات حيث لم يوجد بينهم عالمٌ حقيقي خالٍ من الاغراض والشهوات العمياء أنكر آيات فادينا الالهي . على ان رنان الجاحد لالوهيَّة السيد المسيح قد الجأه جحوده الى ادراج تلك الخوارق في عداد الامور التي لا تخرج عن حدود القوى الطبيعية مهما بهرت الاعين بجدّتها وغرابتها . وقد أجهد قريحته لتفسير تلك الآيات على هذا النمط . فاليك ايها القارئ الكريم بعض « درر اقواله » ومماحكاته في هذا الشأن

النصّ الاول . قال رنان :

« من المحال ان نميّز بين المعجزات التي روتها لنا الاناجيل وعدّدتها على طريقة ملّة ومع ما نسبهُ الرأيُ العامُّ الى يسوع (١ إمّا اثناء حياته وامّا بعد موته وبين ما اراد هو نفسهِ ان يصنعهُ فعلاً » (راجع كتابهُ «حياة يسوع» ص ٢٧٠)

قف هنيهةً ايها المشعوذ واعتبر قولك هذا فقد سقطت انت نفسك في الحفرة التي اردت ان تدفن فيها الوهيَّة فادي البشر الجدير بالسجود . فانك بقولك هذا اعترفت جهاراً بأنَّ السيد المسيح صنع معجزاتٍ حقيقية وانّما لا نستطيع ان نخطّ الحدود الفاصلة بينها وبين المعجزات الكاذبة التي نسبها اليه زوراً الرأيُ العامُّ ؟ فحسبنا تلك الشهادة الصريحة الصادرة من فيك وبها تقرُّ انهُ يوجد بعض معجزات صحيحة للمسيح . فعبثاً تحاول بانواع التمويهات الصبيانيَّة والمواربات الكفريَّة انكار ما سبقت وسلّمت بحقيقته !

١) يعني رنان ان هذه النسبة كاذبة فهي محض اختلاق ناتج عن الرأي العامّ

النص الثاني. قال رنان :

« ان وجود شخص كريم سامٍ يعامل المريض بالحلم ويؤكد له انتفاءه ببعض اشارات محسوسة لمن الادوية الناجعة الشافية في كثير من الظروف(!؟) فمن يتجاسر وينكر ان في كثير من الاحوال – الا اذا استثنينا تلفاً شديداً لاحد اعضاء الجسم – تضاهي ملامسة شخص لطيف وسائل الصيدلة . فان مجرد نظر المريض لمثل ذلك الشخص يشفيه » (راجع حياة يسوع ص ٢٧٠)

ما اعمق فلسفتك يا رنان وما أقدرك على تفسير معجزات يسوع التي سلمت بحقيقة فئة منها ! ولكن . يا رعاك الله – لماذا لم تدعم رأيك هذا الغريب الذي لم يسبقك احد اليه ولو ببعض حوادث الشفاء الاكيدة – ولاسيما شفاء العميان والصم والخرس والمخلعين والبرص(١ الحاصلة على قولك بمجرد «ملامسة شخص لطيف» ؟!

لعمري ان لم تجد سوى ذلك الهرب الصبياني لانكار معجزات يسوع فذاك اجلى دليل – في نظر كل عقل راجح – على عجزك التام عن نفيها نفياً مقبولاً معقولاً . فالأولى بك والأصون لشرفك ان تلزم الصمت ولا تخدش آذاننا بمثل تلك التلفيقات التي يخجل من ايرادها كل انسان حصيف ومستقيم !

النص الثالث. قال رنان :

« كان يسوع الشاعر بقوته الادبية يزعم نفسه ، بضرورة الامور ، ذا مقدرة خصوصية لشفاء الامراض . واذ كان موقناً بان ملامسة ثوبه او وضع يده على المرضى او عامة تلك تحسن حالة المرضى ، فلو رفض عن هؤلاء المتألمين ذلك التلطيف لاوجاعهم الذي كان يستطيع ان يمنحهم اياه ، لعدوا امتناعه ضرباً من القساوة » (راجع « حياة يسوع » ص ٢٧١)

زه ثم زه يا رنان ؟ فما اسخف سفاسفك رغماً من كل مراوغاتك وسفسطاتك ! ايا ترى كتبت لاطفال ام لرجال يعقلون مثل تلك الاسطر التي تحاول فيها نفي معجزات السيد المسيح مع تسليمك بقدرته على شفاء المرضى بل تنسبه عز وجل « الى قساوة القلب » لو لم يكن ليستخدم تلك القدرة العجيبة لتخفيف آلام ذوي العلل ؟ فيا لله كيف وقفت فلسفتك السامية التي بهرت بها اعين العالم عند هذا

١) ان الاناجيل المقدسة تؤكد لنا حدوث كل هذه المعجزات مراراً عديدة على يد يسوع فلم يرووا منها الا النزر القليل

الحدّ الذي لم نرَ حتى الآن صبيان المدارس الاذكياء يقفون عنده ؟

النص الرابع . قال رنان :

« لم يصنع يسوع معجزاتٍ ولم يطرد الشياطين الّا مرغوماً فكما يحدث في كل السِيَر الكبرى الالهية كان يسوع يحتمل ان يُنسب اليه الرأيُ العام المعجزات التي كان يقتضيها منه، أكثر جدًا مما كان يصنع منها فعلًا» (راجع حياة يسوع » ص ٢٧٩)

إيذن لي ، ايها الاستاذ رنان ، باقتراح بعض الاسئلة عليك بخصوص قولك هذا العميق المتعدي حدود عقلي الضيقة :

اوّلًا قلت : «ان يسوع لم يطرد الشياطين الّا مرغوماً » فتُسلّم اذن بطرده الشياطين وبصنعه المعجزات ولو مرغوماً فكيف توفّق هذا مع نكرانك لمعجزات يسوع ؟

ثانياً ثمّ قلت : « فكما يحدث في كل السِيَر الكبرى الالهية كان يسوع الخ » أفتُقرّ اذًا بان سيرة يسوع سيرةٌ الهيّة ؟ ! وان اجبتَ « اجلْ » فما معنى كتابك الذي مرجعهُ من اوّلهِ الى آخرهِ الى انكار الوهيّة السيّد المسيح ؟ ثم ماذا اردتَ بصيغة الجمع في ذكرك « السِيَر الالهيّة » ؟ ارجوك بالحاح ان تفيدني عن تلك السير الالهية المتعدّدة فاني لم اسمع قط بها بل ادهش من كون عالمٍ كبير مثلك يميل الى خرافات الاقدمين الذين ألّهوا بعض رجالهم فتنظم انت اعمالهم في جملة السِيَر الالهيّة

ثالثاً قلتَ : ان المعجزات المنسوبة من الرأي العامّ الى يسوع اكثر جدًا من التي صنعها يسوع فعلًا . اذًا تسلّم بان السيّد صنع بعض المعجزات حقيقيةً ! ؟ فما بالك تضيع وقتك الثمين لانارة العالم اجمع في تصويب اسهم سفسطاتك الطائشة الى هدفك الوحيد وهو نفي حقيقة هذه المعجزات ؟ فاين فلسفتك العميقة !

النص الخامس . قال رنان :

« انّ محضَ مشعوذٍ لعاجزٌ ان يُحدث انقلابًا ادبيًا شبيهًا بالذي احدثه يسوعُ (راجع « حياة يسوع » ص ٢٧٨)

يا جناب الفيلسوف رنان ، ليت شعري هل انا في يقظة ام في سُبات عميق . أتقول بعد انكارك المتواتر لمعجزات يسوع انه ليس محض مشعوذ ؟ اذًا تصدّق كونه صنع معجزات حقيقيّة !؟ والّا فاتوسّل اليك ايها المفكر العظيم ان ترشدني الى

الفرق بين المشعوذ وصانع الخوارق الذي ليس مشعوذاً

ولكن ما بالنا نجمع نصوص رنان النافية لمعجزات يسوع ولدينا نصٌّ له يغنينا عمّا سواهُ وهو الآتي :

النصّ السادس. قال رنان :

«لست انكر المعجزات (يعني معجزات المسيح) التي رواها الانجيليون بسبب البراهين السابقة الدالّة على عدم جدارتهم بالتصديق التامّ. كلّا ثمّ كلّا بل انني اجعل الاناجيل في عداد الاساطير لمجرّد كونها تروي لنا بعض المعجزات.»

احسنتَ يا رنان ! بانكار المعجزات قبلَ ايِّ بحثٍ عن حقيقتها التاريخية وان شهد لك العالم بأسره على صحّة تلك المعجزات. فيا لها من طريقة سديدة امينة مطابقة كل المطابقة لمبادئ العلم الصحيح المبني على مجرّد فحص الامور ليس على الاغراض الشخصيّة والاحكام السابقة والاوهام العمياء ! ؟ وكان الاجدر بك قبل محاولتك لتفسير معجزات يسوع المسيح المرويّة في الاناجيل ان تصرّح قائلاً : « انا لا اصدّق وقوع ايّ معجزة كانت في العالم ومن ثمّ لا اصدّق بصحّة الاناجيل » امّا ان تصدّق بصحّتها وتتمني مرويّاتها فذلك من اقوالك المتناقضة التي عدّدتنا عليها واثبتناها في مقالة سابقة

الآن يسوغ لنا ان نستفتي القارئ اللبيب الذي اقناه حكماً بيننا وبين الكافر رنان ونطلب منهُ ان يحكم فيما لو كذبنا او بالغنا في قولنا ان طريقة رنان سطحيّة وغير علميّة بل صبيانية . على اننا لا نجتزئ بالنصوص السابقة التي يستطيع القارئ قراءتها في الاصل الفرنسي بل نزيد عليها نصوصاً اخرى تزيد رأينا في طريقة رنان تأييداً لا يترك زيادةً لمستزيد

الفصل الثاني : انكار رنان لظهورات السيد المسيح بعد موته

النص الاول : قال رنان :

ان مخيّلة مريم المجدليّة القديرة كانت العاملَ الجوهري في تلك الظروف (يعني ظروف قيامة يسوع الكاذبة على رأيه) فيا لقدرة الحب الالهيّة ! (يريد حبّ المجدليّة للسيّد المسيح) ويا للهبّة المقدسة التي وهبَ فيها للعالمَ كلّفَ تلك المرأة المسوسة الهمّ قائماً من بين الاموات!»

(راجع «حياة يسوع» ص ٤٤٩)

يا رنان ، اني لا اعجب لقدرة هيام المجدلية بفادينا الحبيب بل لفرط غباوتك ! افتزعم ، ايها الفيلسوف العظيم ، ان امرأةً ممسوسةً معتوهة (كذا) قادرةٌ ان تنشر في جميع انحاء العالم المتمدن الايمان الكاذب بقيامة السيد المسيح التي لا يزال في يومنا هذا — وبعد نحو عشرين جيلاً — يؤمن بحقيقتها نحو خمسمائة مليون من ارقى شعوب الارض؟ لعمري لو كان مثلُ ذلك الايمان كاذباً لَوَجب ان يعتبر كلُّ عقلٍ راجح ثباتَهُ معجزةً اعظم بدون قياس من قيامة المسيح التي تحاول انت انكارها باقوالك السفسطيَّة !

النص الثاني . قال رنان :

« كان من الضرورة ان يحدث ليسوع ما حدثَ لكل الرجال الذين استلفتوا انظار امثالهم . . . ان الموت امرٌ غير معقول حين يصيب نابغةً او صاحبَ العواطف السامية ، ولذلك فانَّ عامَّة الناس لا تصدّق امكانَ مثل ذلك الخطأ من قبل الطبيعة »

(بخ بخ ، يا رنان ! بحقّك ، قل لي ، اما صدّق عامّة الناس امكان إصابة الطبيعة اياك بسهم الردى ؟ فكيف امكن ذلك وانت نابغة النوابغ ؟ !)

« بناء على ذلك كان ايُّ شخص ثاقب العقل قادرًا ، منذ السبت (يعني غدَ موت يسوع) على التكهُّن بعودة يسوع الى الحياة »

لله ما اسخف عقلك يا رنان ! اتصدّق ان يسوع رجع الى الحياة ! ثم قل لي هل تكهَّن كل ثاقب العقل بقيامة اسكندر المقدوني او نابوليون الاول او العلّامة باستور او الفيلسوف رنان من بين الاموات ؟ فلماذا لا ينطبق ذلك التكهن الّا على شخص فادينا يسوع المسيح الذي سبق وبشّر مرارًا بقيامته ؟

« متى اجتمع اشخاص قد امتلأت عقولهم بعقائد مشتركة فيكفي ان يصرّح احدُ المجتمعين برؤيته او سماعه شيئًا فائق الطبيعة ليراه ويسمعه الآخرون ايضًا »

اين اكتشفت ذلك الامر المدهش ، ايها الاستاذ المحترم ؟ ان انتظار شيء ما يُوجدُ ذلك الشيء . ان كان قولك حقاً ، يا رنان ، فاني انتظر زيارتك لي بفروغ صبر فانَّ توقي شديد الى الاستضاءة بانوار طلعتك الميمونة ! فرجائي انك لا تخيبُ

« اثناء برهة سكوتٍ مرّت نَسمة على وجوه الحضور (يعني الرسل المجتمعين في علّية صهيون) . ففي مثل تلك المواقف الجليلة يكفي مجرى الهواء او صرير نافذة او اي دويّ اتفاقي حدثَ فيولّد ايمان الشعوب الثابت على توالي الاجيال . (يا لعمق فلسفتك ، يا رنان ، بل

يا لشدّة مخرقتك !) وحين شعر الرُسُل بالنَسَمة خُيِّل لهم انهم يسمعون اصواتاً . بل قال بعضهم انهم ميّزوا الكلمة «شالوم» (العبرانيّة) التي معناها السعادة او السلام . لان يسوع كان يحيّيهم عادةً بتلك اللفظة ويُعلِمهم بما حضوره . والحالة هذه لم يبقَ مجالٌ لشكّهم في ان يسوع حاضرٌ في وسط اجتماعهم (كذا) . هذا صوته المحبوب وقد عرفه كلّ منهم . . . وعلى هذا النمط قد رسخ في اعتقاد الناس ان يسوع ظهر في مساء الاحد امام رسله المجتمعين . . . تلك هي حوادث ذلك النهار الذي نيط به مصير النوع البشري » (راجع كتاب رنان الذي عنوانهُ «الرسل»)

اسمح لي ان القي عليك سؤالاً ، ايها الاستاذ الفهّامة : اراك تصف كيفيّة ذلك الظهور الكاذب كانك شاهده العياني . فأنّى لك مثل تلك الجسارة بل القحة التي ليس فيها ذرّة من البحث التاريخي الدقيق واستنطاق شهود الحادث انفسهم ؟ أفلعلّك اعلمُ من هؤلاء الشهود العيانيين بما شاهدوه وسمعوه ولمسوه باصابعهم في ذلك اليوم الذي لم يمحُ ذكرهُ كرورُ الاجيال ولن يمحوهُ ؟ كيف تدّعي ان « مرور نسمة» او « صرير نافذة » قد جعل الرسل يؤمنون بحقيقة ظهور السيد المسيح بينهم ، مع علمك اليقين بانهم لم يصدقوا رواية النساء اللواتي اكدن لهم حقيقة قيامته من بين الاموات بل لم يصدّقوا برؤيته بينهم الى ان دعاهم الى لمسه واكل امامهم وتكلّم معهم كلاماً طويلاً ؟ كيف تدّعي هذا الادعاء الصبياني مع علمك اليقين بان الرسول توما أبى تصديق زملائه الشاهدين له على حقيقة ظهور يسوع بينهم ، فلم يُسلّم بتلك الحقيقة الّا رغم انفه وبعد ان لمس باصبعه يدَي المصلوب ورجليه وادخلها في جراحة جنبه ؟ افهل بلغتْ بك قحتك وضربك صفحاً عن اثبت الشواهد التاريخية الى حدّ ان تنسب الى ذلك الرسول المُصرّ على انكاره قيامة السيد المسيح الايمانَ بحقيقتها استناداً الى مجرّد «صرير نافذة» او «مرور نسمة» ؟ وما قولك بظهورات السيد المسيح المتعدّدة على طريق عمواس وعند بحر طبريّة وعلى جبل الجليل قدّام خمسمائة شاهد وعلى جبل الزيتون ؟! الا اسكتْ ايها الملحد الوقح المنكر ضياء الشمس في الظهر فقد اعمتْكَ الاغراض الشخصيّة السفلى والشهوات الشائنة! اسكت أيها المتطفّل على موائد التاريخ العلمي والفلسفة الراهنة فان محض تذرُّعك بتلك التلفيقات والتمويهات الصبيانية يكشف لنا فساد نيّتك بل وعجزك المطلق عن نفي قيامة السيّد المسيح الاله وظهوراته المتعددة للرسل وغيرهم ! لعمري قد استحقّت

بمكابرتك هذه وتأويلاتك الخرقاء واكاذيبك الدائمة ان يصفعك مواطنك المسيو دي لكُمب (de Lacombe) صفعةَ الازدراء والافحام حيث قال لا قضَّ فوه :

«انَّ الذين يزعمون مثلنا ان يكونوا مؤمنين على ان يكونوا حتى ويتشبثون بالله الجلجلة وبابا رومية ، يرتأون رأيَ بكال وبوسويه نابذين خرافات رنان نَبْذ النواة . فاقتنا بين معجزة ومعجزة (١ فختار التي تفوق العقل بدون إذلال ، ليس التي تناقض نواميس العقل الجوهريَّة وتطأها وطئًا . فامام الاولى يخرّ المرء على ركبتيه في حين انهُ يهزُّ كتفيه احتقارًا امام الثانية» [راجع مجلّة «المراسل» الشهيرة (Le Correspondant, Avril, 1906)]

كفى بالنصوص المذكورة شاهدًا اكيدًا على ان طريقة رنان في درس المسائل التاريخية طريقة سطحية صبيانية غير علمية بل مشوبة في كثير من الظروف باعظم الشوائب نعني فساد النية والغرض الاعمى ومكابرة اثبت الحقائق والتذرع بضروب السفسطات والمواربات والمخادعات والاكاذيب . فلا بدع والحالة هذه ان قد صرّح الناقد العلّامة الشهير برونتيار (Brunetière) في احدى خطبه بانه « اخذ على نفسه الّا يعتبر قطُّ رنان بصفة عالم بل بصفة فنيٍ يتلهّى بانواع المباحث (un artiste et un dilettante)

هكذا ايضاً قد طعن رنانَ مؤخرًا الكاتبُ الروائي الطائر الصيت رنه بازان (René Bazin) طعنةً نجلاء بقوله :

« ان مؤلفات رنان تخيّب القارئ . بل ان عبء تلك الخيبة لأثقل من ان تحمله جلادةٌ معتادة . لقد عاودتُ اختباري لعلمي في الايام الاخيرة فاعدتُ قراءة صحائف كثيرة لرنان مقتطفة من هنا وهناك . فلم اجده ثابتًا الّا على امر واحد اعني بغضهُ المتيقّظ للكثلكة . امّا في بقيّة الامور فلم اكد اصادف عندهُ سوى التقلّب ، وتناقض التصريحات ، والشكوك بالحقائق التي لا يختلف فيها اثنان ، والاحجام عن ابداء حكمهِ في الامور التي لا يستطيع تفسيرها »

يلوح لنا الآن اننا قد وفّينا انتقادنا على قيمة رنان العلمية حقَّهُ بما اثبتنا لهُ من الاقاويل السفسطيَّة المتناقضة على اننا لا نرى خاتمة اجدر بهذا البحث المفيد من ان

١) قد عنى الكاتبُ ان نشأة الايمان بقيامة السيّد المسيح وفقًا لخرافات رنان ، هي في باحها معجزة حقيقية بدليل مماكستها المطلقة لكل نواميس التاريخ وعلم النفس بل لنواميس العقل نفسه

نترجم الصفيحة الرائعة التي خطّها هو نفسهُ في آخر كتابه الحافل بالترّهات والاكاذيب بقصد انكار الوهية السيّد المسيح فهذه الصفيحة وحدها تنقض كلّ افتراءاته السابقة قال يخاطب فادينا الالهي:

« أرقُدِ الآن في مجدك ايها المبشر الشريف . لقد تمّ عملك وتأسّست ألوهيتك . فلا تخشى بعد ذلك ان ترى اعمارَ صرحِ مساعيك بسبب خطأ بانيهِ . فلقد اصبحتَ الى ابد الدهور خارجاً عن حدود الزوال وستشاهدُ من اعالي السكينة الالهيّة نتائج اعمالك اللامتناهية قد اشتريتَ الخلود الكامل بثمنِ بضع ساعات من الآلام لم تقدر ان تمسّ نفسك العالية وسيدين لك العالمُ الافاً من الاعوام . انت العلم الذي تتناقض امامهُ ! بل انت الشعار الذي سيحمى حوله وطيسُ اشدّ المعارك ! انت في ايامنا هذه حيٌّ ومحبوبٌ الافَ اضعافِ زيادةً على ما كنت حياً ومحبوباً في ايام مرورك على الارض . فوالحالة هذه ستُضحي حجرَ الزاوية بصرح البشرية الى حدّ انّ من ينزع اسمك من هذا العالم فانه يهزّ اركان العالم ! ولَنْ يميز الناس ابداً بينك وبين الله . فتملّك ، بعد انتصارك التامّ على الموت ، ذلك الملكوت الذي سينبك فيه الساجدون لك على توالي الاجيال السائرون على الطريق السلطانيّة التي مهّدتها لهم »

لعمري ما أثبت واحقّ الوهيّة فادينا الجليل حيث شهد عليها الكافر رنان رغم انفه تلك الشهادة الواضحة الفتّانة وذلك في خاتمة كتابه الذي لم يقصد به سوى انكارها ودكّ اركانها (١ !

---

١) قد مات في اوائل الحرب الكبرى موت الابطال والمسيحة بيده في ٢٢ اب ١٩١٤ احد حفدة رنان ، نعني اليوتنان اونست بسيكاري (Psichari) وعمره ٣٠ عاماً وقد عقد النيّة بعد اهتدائه الى الكثلكة على الانتظام في سلك الاكليروس فحالَ موتهُ على ساحة الشرف دون ذلك المقصد النبيل . وكان ذلك الشاب قد سالت في عروقه دماء جدّه الكافر ، ونشأ على افكاره وهو يعتبرهُ اشدّ الاعتبار والاحترام له . على انه ، حين شبّ وعرَكَ الحياة ، لم يلبث ان شعر بانه قد ضلّ سواء السبيل ! فقاسى الاماً فادحة في طلب الحقيقة ولم يهتدِ اليها الّا باهتدائه الى الكثلكة . فشهد يومئذٍ امام العالم هذه الشهادة البديعة : « لقد الجأتني الضرورة الى التمذهب بمذهب جدودي ضد مذهب والدي وجدّي (رنان) ، ولله ما اهول ما كان قتالي الباطني ! على انّ النعمة الالهيّة قد اثّرت على قلبي فعرفتُ حقيقة المسيحيّة وتبعتها بشجاعة » . لعمري ان سفسطات رنان وعشرات كتبه المحشوة بالاكاذيب هيهات ان ترجّح بميزان العقل على شهادة حفيده السابقة رغماً من سذاجتها وايجازها !

مطبوعات شرقيّة جديدة

Mgr Grente: UNE MISSION DANS LE LEVANT. Un vol. in-8° illustré, Paris, Beauchesne, 1922

ذكرى بعثة الى الشرق الادنى

لا يزال السوريّون يذكرون بالخير تلك البعثة الشريفة التي حظوا برؤيتها قبل سنتين متألفة من احد كرادلة الكنيسة الكرام واسقفين جليلين احبّت الجمهوريّة الفرنسويّة ان ترسلهم الى أصقاعنا ليطّلعوا على حقيقة احوالنا ويُعربوا لنا عن عواطف فرنسة السامية وحبّها الصادق للبلاد التي دُعيت الى الانتداب على امورها . فكانوا حيثما يحلّون في مصر وفلسطين وسوريّة موضوع اعجاب الرؤساء والمرؤوسين بلطفهم وانسهم وبلاغتهم في المواعظ الدينية والخطب المدنيّة يرى فيهم الناس اشرف الطباع الفرنسويّة مع سموّ الفضائل الحبريّة . وكانوا هم ايضاً يدوّنون كلّ ما ينظرونهُ ويسمعونهُ ليخلّدوا ذكرهُ في بطن تاريخ رحلتهم . وها قد تمّ عملهم بهمّة احدهم السيد غرّنت الذي ألّف تفاصيل تلك البعثة وجعلها سفرًا مخلّدًا يشعر بشكره وحبّه معاً نحو الذين شرّفوهم بزيارتهم . ويجمل هذا الكتاب عدّة تصاوير تزيدهُ قيمةً ورونقاً

ج . ل

L'ESPRIT INTERNATIONAL ET L'ENSEIGNEMENT DE L'HISTOIRE. Etudes présentées au 3e Congrès international de l'Education morale. *Neuchatel, Delachaux et Niestlé. Un vol. in-16, Prix 5 f.*

الروح الدوليّة وتعليم التاريخ

هذه مرّة ثالثة عُقد فيها حديثاً في ٢٨ تموز ١٩٢٢ مؤتمر التهذيب الادبي الدولي وذلك في مدينة جنيفة بعد ان عُقد في لندن (١٩٠٨) ثمّ في لاهاي (١٩١٢) وقد دارت ابحاث ذوي المؤتمر على مسئلتين مهمّتين مسألة التضامن ومسئلة التهذيب . والكتاب الذي مدار كلامنا عنهُ يبحث خصوصاً عن الروح الدينية وتعليم التاريخ افردوا لذلك ١٨ محاضرة لكتبة مختلفين جنساً ورأياً يتصوّر كلّ واحد منهم التاريخ

على فكره وهواه بحيث يصعب توحيد تعليمه فهذا لا يرى في التاريخ الّا سلسلة حوادث لا علاقة بينها وذاك يعتبره كعلم وطني تُستفاد منهُ معرفة شرف الوطن القديم . ويريد كاتب ثالث ان يبني عليه الاخاء بين الشعوب كأن السيد المسيح لم يسبق الى وضع اساس ذاك الاخاء منذ ١٩ جيلاً لمّا علم الشعوب انهم كلّهم ابناء الله واخوة .

Corrado Moschitti : MERCATI D'ORIENTE, Camera di Commercio e Industria di Napoli. *Un vol.* 8°, *illustré*, 1923

اسواق الشرق

نظّم اتحادُ الغرف التجاريّة الايطاليّة مع مكتبهم الاستعماري في السنة الماضية بعثةً تجاريّة الى بحرنا المتوسّط فجهّزوا لذلك مركباً كبيراً من الشركة البحريّة الايطاليّة يُدعى ميلانو تجوّل في شهري آب وايلول في مرافئ الشرق مباشرةً بمرافئ اليونان ثمّ الاستانة وسالونيك وازمير ورودس وبيروت وحيفا ويافا والاسكندريّة يعرضون فيها على الزبائن محصولاتهم . فلمّا انتهوا من سياحتهم تحفّز احدهم «كورادو مسكيني» لتدوين نتائج تلك البعثة فأصدر الكتاب الجميل المزيّن بالتصاوير الذي نحن بصدده . وفيه من المعلومات ما يشفي الى المتاجرة مع المحلّات الايطاليّة . وممّا اودعوهُ في الكتاب افادات جمّة عن سوريّة وارداتها وصادراتها . فيحسن بالسوريين ان يدرسوا هذا الكتاب فينتفعوا بمضامينه لمتاجراتهم مع ايطالية ج . ل

Dr Ch. Ferrière: ENTOMOLOGIE ÉCONOMIQUE. Les Problèmes modernes de la lutte contre les insectes. *Ed. E. Bircher, Société anonyme, Berne, Suisse. Prix* 1f, 60

علم الحشرات الاقتصاديّ

كلّ يعلم ما ادّاهُ العلّامة باستور من الخدم العديدة للجراحة والطبّ والزراعة بانشائه لعلم الميكروبات . وانّما يوجد علم آخر بلغ في هذه السنين الاخيرة ترقّياً عظيماً لا تقلّ خدمهُ عن علم البكتريولوجيا اعني علم الحشرات لاسيما الحشرات الضارّة صوناً لمحصولات الارض وغلّاتها التي عليها معتمد البشر في حياتهم . ولذلك ترى البلاد الراقية قد انشأت مكاتب ومختبرات لدرس الحشرات العديدة التي تعيش في كلّ المواطن وتُتلف اشغال الزارعين بنهبها وعَيْثها . فدونك كتاباً مفيداً

جديداً لمعرفة تلك الحشرات وانواعها ووصف طباعها وبيان الطرائق التي يعمد اليها الاختصاصيّون للاشتها كالادوات المخترعة لتلك الغاية وضروب المركّبات الكيمويّة الضامنة لقتلها وكيفيّة استعمالها بالمرشّات وغير ذلك . فنوصي ارباب زراعة بلادنا ان يمعنوا النظر في هذا الكتاب فيستفيدوا من معلوماته لصيانة املاكهم من تلك الحشرات التي كثيراً ما يضيق ذرعهم عن اتلافها

Mohammad ben Cheneb : ABU DOLAMA, poète bouffon de la cour des premiers Califes Abbassides. *Alger, Jules Carbonel, éditeur. Un vol.* 8°, 1922

ابو دُلامة شاعر اوّل الخلفاء العبّاسيين الضحّاك

كان ابو دُلامة شاعراً اسود يُضحك بقصائده الهزليّة الثلثة الخلفاء الاوّلين من بني عبّاس . فكان يرتجل شعره فيخرجه بقريحته سهلاً منسجماً ليفكّه سامعيه بما يضمّنه من الاضاحيك دون ان يتحاشى المجون . وكان مع ذلك سكّيراً جباناً شحّاذاً لا يرجو من شعره الّا اقتناص الدرهم الرنّان . فؤلف هذا الكتاب محمّد بن شنب احبّ ان يحيي ذكره الخامل بما جمعه من اقاصيصه وفكاهاته الصحيحة او المنسوبة اليه . بيد انّ هذا المجموع لا يفيدنا شيئاً من تاريخ واحوال زمن بني عبّاس وكان الاحرى به لو اختار موضوعاً آخر اجدى نفعاً للآداب . امّا ترجمته الفرنسويّة فمُرضية وان نقصها شيء من الطلاوة . وممّا لم يُحسن ترجمته قول الشاعر (ص١٢ البيت٣) «قريش البطاح» فجعل البطاح مرادفة لمكّة وانّما هي حيّ منها كان يسكنه شرفاؤها ومن ثمّ كان اصاب لو ترجمها هكذا : les plus aristocrates parmi les Coreichites . كذلك نرى على خلاف ما يزعم المؤلف (ص ١٠) بان اللغة العربيّة اتّسعت واغتنت في العهد العبّاسي بالفاظ جديدة ومعانٍ وتعابير مستحدثة لم يعهدها اهل البادية فأضحت ذات نعومة وطلاوة ترشّحت بهما للابحاث العلميّة المستقبلة الاب ه . لامنس

Drieu La Rochelle : MESURE DE LA FRANCE, Les Cahiers verts n° 15. *Paris. Grasset*, 1922, *Prix* 5f

قياس فرنسة

ألّف هذا الكتاب شابٌّ نزل ساحة الحرب الكونيّة مع آل وطنه وقاسمهم الانتصار

على انهُ لا يعتبر انتصار وطنهِ اعتبارًا عظيماً نالهُ العدد على العدد والقوّة على القوّة فيلوح لهُ انتصارًا عقيماً قليل الجدوى ولذلك نرى توابعهُ مقلقةً بعيدة عن السلام الصحيح. فمع ما في قولهِ هذا من بعض الصحّة وجدنا الكاتب متطرّفاً في كلامهِ يكاد ييأس من قوّة وطنهِ ج. ل

Dr Joseph Hariz : La part de la Médecine arabe dans l'évolution de la Médecine française. *Paris*, 1922 *pp.* 163. *Prix* 12 *f*

حصّة الطبّ العربيّ في تطوُّر الطبّ الفرنساوي

الدكتور يوسف حريز احد الطلبة المتخرّجين في مكتبنا الطبّي الفرنساويّ قدّم هذا الكتاب في باريس للجنة مكتبها ليتال بهِ ميزة الملفتة في الطبّ. فمن يسرّح النظر في تأليفهِ هذا لا يشكّ في نجاحهِ التامّ فانّهُ ضمّنهُ من المعلومات عن تاريخ الطبّ العربيّ وتأثيرهِ في الطبّ الاوربّي عموماً والفرنساوي خصوصاً ما لا يُرى الّا متفرّقاً في تآليف متعدّدة دوّن اسامها في آخر كتابهِ. على انّنا مع اقرارنا بفضل صاحب هذا التأليف وجدناهُ لا يخلو من بعض الخلل: اوّلًا في رواية عدّة اخبار اخذها جنابهُ عن كتبةٍ لا يوثق بكلامهم كالدكتور غوستاف له بون وامثالهِ. وممّا اثبتناهُ غير مرّة انّ البابا سلفستروس الثاني (Gerbert) لم يأخذ علومهُ في قرطبة عن العرب لكن عن اهل ملّتهِ. ثانياً في طريقة المؤلف بكتابة الاعلام العربيّة في اللغة الفرنسويّة فانّ كثيرًا منها مشوّهٌ. ثالثاً في جدول الالفاظ الفرنسويّة التي زعم جنابهُ اشتقاقها من العربيّة ونقلها بحرفها (ص ١٥٠—١٥٨) عن كتاب الاب لامنس (Remarques sur ler mots français dérivés de l'arabe) يوجد مفردات لا يسلّم حضرتهُ باصلها العربيّ وانّما ذكرها هناك لانتقادهِ عليها فقط. رابعاً في قائمة المطبوعات التي استند اليها اغلاط تحتاج الى اصلاح كقولهِ انّ لابي الفرج الاصبهاني «رسائل طبّيّة» (des Epitres médicaux) ولا يُعرف لهُ شيءٌ من ذلك ولعلّهُ اراد ابا الفرج بن الطيّب النصرانيّ البغداديّ—تاريخ مختصر الدول هو لابن العبري الملطي اي من ملاطية ليس Malti او Malthi كما روى—ناشر الكتابات العربيّة في مرسيلية ليس هو (Bargis) لكن L'abbé Bargès. كذلك مؤلف تاريخ اسبانية ليس هو (Dozzy) لكن R. Dozy. وصاحب الفهرست يُدعى ابا الفرج الورّاق الشهير بابن النديم الخ ل. ش

THE TEACHINGS OF ISLAM by Mirza Ghulam Ahmad.. *Lahore.* 1921, *pp.* 194

معتقدات الاسلام لمرزا غلام احمد

هذا الكتاب اصلهُ في اللغة الهندية المعروفة باوردو الفهُ منشئ شيعة اسلامية جديدة في الهند تُعرف بالاحمدية وادَّعى هناك المهدية وقد وضع هذا الكتاب ليُعرَض على مجمع لاهور في بنجاب (الهند) سنة ١٨٩٦ وضمَّنهُ خمسة اركان الدين الاسلامي استنادًا الى القرآن فاصاب كتابهُ بعض الشهرة ونقلهُ الى الانكليزية احد انصاره «محمد علي» صدر الجماعة الاحمدية في لاهور . وفيه ما فيه من المزاعم التي لا يوافقهُ عليها كما نظنّ مسلمو انحائنا ل . ش

١ اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان — ٢ السوريون في الولايات المتحدة الاميركية للاستاذ فيليب حتي سنة ١٩٢٢ (ص ٤٦ و ٤٥).

هما بحثان حسنان نشر الاول الاستاذ الفاضل فيليب حتي في مجلة الكلية ثم طبعها في المطبعة الادبية . والثاني في مجلة المقتطف . فخصَّ البحث الاول بمسئلة جليلة الشأن اعني ثبات لغة الفينيقيين الارامية بين الشعب السوري ومقاومتها للغة اليونانية ثم للغة العربية حتى انَّ آثارًا كثيرة منها باقية حتى اليوم في اللهجة العامية . على اننا مع معظم العلماء المستشرقين لا نوافقهُ على قولهِ (ص٨) انَّ جزيرة العرب هي مهد الساميين . وليس الرحالة بورخردت انكليزيًا بل سويسريًا وانما كتب رحلتهُ بالانكليزية — اما البحث الثاني فانهُ اتمّ واوفى ما كُتب حتى اليوم عن السوريين في اميركة الشمالية فيشمل درسهُ كلّ احوال السوريين تاريخيًا واجتماعيًا وادبيًا ودينيًا وقد ذكر بالتخمين انَّ عدد السوريين في اميركة الشمالية يبلغ ٢٥٠،٠٠٠ وعلى ظننا انَّ في هذا العدد غلوًا . ومما رواهُ هناك تقرُّب الروم الاورثذكس الى شيعة البروتستانت الاسقفية . وصرَّح برأيهِ ان المهاجرين السوريين غالبًا لن يعودوا الى وطنهم . والبحثان كلاهما جديران بكل ثناء . ه . ل

اربعة مطبوعات

بقلم حضرة الاباتي افرام حنين الديراني

هي منشورات دينيّة وادبيّة جزيلة الافادة كمطبوعات حضرته السابقة : ١ً الطبعة الخامسة لكتابه المعروف بالشبّة حسب طقس الكنيسة المارونيّة طبعهُ في مطبعة صيدا سنة ١٩٢١ (ص ٣٩١) . ٢ً رواية الابن الشاطر . مأساة ذات خمسة فصول . يحسن تشخيصها في المدارس . طُبعت في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٢ (ص ٧١) . ٣ً رسالة الى الاولاد الصغار . طريقة تدريسهم الاوّل في الديانة المسيحيّة . ٤ً طريقة اعتراف الاولاد قبل عمليم اوّل مناولة . والكراسان طُبعا في المطبعة الادبيّة سنة ١٩٢٠ (ص ٣٢ و ٣٠) فنشكر حضرة الاباتي على ما يبذلهُ من الاهتمام في خدمة النفوس

يوسف السوداء محامي الاستئناف : ١ً الاتحاد اللبناني في القصر المصري والمسألة اللبنانيّة . ٢ً استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندريّة . ٣ً نظام لبنان القديم والحديث . ثلاثة ابحاث طبعت في مصر سنة ١٩٢٢ (ص ٣٣ + ١٩٨ + ١٠٣)

انّ من يسرّح النظر في هذه التآليف ثلثة يتحقّق ان كاتبها محام بارع يستطيع ان يكسو الامور الشتيهة ثوباً تشبيهاً موّهاً يكاد ينخدع بها من لا ينظر الّا الى السطحيّات . ما احلى الاستقلال لمن هو مرشّح لهُ قديرٌ على حمل اعبائهِ وحفظ نعمته . ومن هذه الوجوه الثلثة يرى كلّ عاقل عجز اللبنانيين عنهُ . فامّا ترشيح اللبنانيين للاستقلال التام فتراهم قاصرين عن أداء حقوق ما مُنح لهم منهُ حتى الآن وما كاد يُعقَد مجلس نوّابهِ حتى تفرّقت كلمتهم وتعدّدت آراؤهم وسلقتهم ألسنة الجميع بسهام حداد . وامّا عجزهم عن حمل اعباء الاستقلال التامّ فانّهُ اضوأ من الشمس ولا رجال لهم ولا ماليّة لهم ولا جنديّة لهم ولا معارف خاصّة بهم ولا . . . ولا . . . وامّا حفظ نعمة الاستقلال التامّ فانّهم لو حظوا بها عرضوها لكل المطامع في

الداخل من الاحزاب المتعدّدة التي تقسم اهل لبنان ومن الخارج من الدول المجاورة التي تنتظر ذاك الاستقلال لتمدّ يدها الى لبنان الصغير والكبير . ما لم يتمنَّ اللبنانيّون ان تضحّي فرنسة الكريمة ماليّتها وتسفك دماء ابنائها في سبيل استقلالهم فيتمتّعون هم بفضل غيرهم متهنّئين . فما قول جناب المحامي وكيف يمكنهُ ان يحلّ كلّ هذه المشاكل ؟ او ليس الاحرى ان ينقاد اللبنانيّون الى اوامر وتدبير فرنسة المحسنة العظمى اليهم ويساعدوها في انتدابها وينتظروا ريثما يقوى بين اللبنانيين روح الاتحاد والوطنيّة الصادقة وتتوفر ماليّتهم وتتمحّص ثغورهم وتتألّف جنديّتهم فتمكّنهم فرنسة وتنقذ من رغائبهم . وهذا كلّهُ لا يتمّ بالوقت القريب . ومع هذا نرى بانبساط رجلًا كيوسف افندي السوداء يمهّد الطريق لهذا الاستقلال بكتاباته مع رجائنا بان يرشد مواطنيه الى اضمن طريقة لبلوغ تلك الغاية مع فرنسة «الصديقة والمحامية»

نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي

بقلم ولده الشمّاس بولس زعيم . نشرها وعلّق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي

(طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩١٢ (ص ١٤٨)

هذه مأثرة جديدة لحضرة الخوري قسطنطين الباشا تضاف الى منشوراته السابقة الاثريّة والتاريخيّة واللغويّة . وقد عرف قرّاء المشرق تاريخ البطريرك مكاريوس الحلبي واخبار رحلته الى سوريّة بقلم ابنه الشمّاس بولس الزعيم الحلبي وما يوجد من نسخها في الشرق والغرب وما نُشر منها بالانكليزيّة والمسكوبيّة وذلك بفضل الكاتب الاديب حبيب افندي الزيّات (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ١٠٠٦—١٠٢٠) . على انّ اصل تلك الرحلة العربيّ حتى الآن لم يُنشر منهُ غير شذرات قليلة فأحسن صاحب هذه النخبة بنشر قطع اخرى مهمّة نقلها عن نسخة باريس تحتوي تاريخ بطاركة انطاكية الروم وبيان احوال البطريركيّة في دمشق والابرشيّات التابعة لها . وزاد نخبتهُ افادةً بما صدّرهُ عليها من المقدّمات وعلّق من الحواشي . اثابهُ الله عن عمله

ܟܬܒܐ ܕܫܘܪܝܐ ܕܥܡܕܐ ܘܩܪܝܢܐ ܕܣܘܪܝܝܐ

كتاب الاصول الابتدائيّة في اللغة السريانيّة بقلم القس اسحاق اوملة السرياني

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٢ (ص ١٠٣ × ١٠)

حضرة مؤلف هذا الكتاب هو احد الافراد القليلين الذين يهتمون في جهاتنا

بتعزيز اللغة السريانيّة الشريفة ونشر فرائدها . تشهد له بذلك تآليفهُ العديدة وهـا هوذا أتانا بشاهد جديد على همّته يوضحه هذه الاصول الابتدائيّة في اللغة السريانيّة مستندًا فيهِ الى اشهر التآليف الصرفيّة والنحويّة لجهابذة السريان القدماء والمحدثين . واضاف اليهِ عدّة تمارين ليسهّل على الطلبة احراز قوانينها مع مُلحق للمعلّمين فيهِ شرحُ التمارين . هذا فضلًا عن فصلٍ مفيد في الشعر السرياني واوزانهِ . فنؤمّل لهذا الكتاب رواجًا كبيرًا بين ابناء الطوائف السريانيّة والكلدانيّة ونرغب الى حضرتهِ في طبعة جديدة ان يزيد في آخرها معجمًا مختصرًا للألفاظ السريانيّة الواردة في الكتاب فيستغني الدارس عن مراجعة المعاجم المطوّلة .

بيضة الفرخة في اللغة والتاريخ والآثار والاقتصاد

للاستاذ نجيب ميخائيل ساعاتي المقدسي

طُبع في مصر في مطبعة العرب سنة ١٩٢٢ (ص ٣٦)

هي مقالة حسنة خصّها صاحبها الاديب بالبيضة من حيث وجوهها المختلفة لغويًا وتاريخيًا ثمّ اثريًا واقتصاديًا . وقد نقل المؤلف كلّ ذلك مازجًا الغثّ بالسمين كروايتهِ مثلًا عن مريم المجدليّة وطيباريوس قيصر وهو لم يقصد التدقيق في البحث وانّما اراد فقط ان يبهج القرّاء بوفرة المرويّات وما يتناقلهُ الناس عن البيض . وأفيد ما فيهِ ما اوردهُ عن البيض اقتصاديًا لكثرة فوائدهِ الغذائيّة والصناعيّة

مطامع الصهيونيّة في فلسطين الامس واليوم وغدًا

طبع في مصر في مطبعة العرب سنة ١٩٢٣ (ص ٣٥)

وقف الاديب رفيق افندي جبّور على مقالة لاحد اصدقائهِ ضمّنها تاريخ الصهيونيّة وتطوّراتها منذ تفرّق بني اسرائيل الى وعد بلفور وعهدنا الاخير وبيّن ما في الفكرة الصهيونيّة من الشطط وبخس حقوق الاهلين وما ستصير اليهِ فلسطين من الخراب لو تحقّقت آمال اليهود . فنحضّ القرّاء على مطالعة هذه النشرة المفيدة ليقفوا على مخامينها ويسعوا طاقة جهدهم على مناهضة الصهيونيين ومعارضة مطامعهم الاشعبيّة ل . ش

هدايا أرسلت الى المشرق

١ً الرسالة البابويّة الاولى للحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وجّهها الى العالم الكاثوليكي وقد نشرها البشير في اعداد الشهر الماضي فاتّفق الجميع على انها تحفة فريدة في مضامينها المختلفة. طُبعت على حدة في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ (ص ٣٦)

٢ً منشور سيادة المطران باسيليوس قطّان متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعها « في فضيلة الطاعة » لصوم سنة ١٩٢٣ . في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت ١٩٢٣ (ص ٢٣)

٣ً نبذة في الدين والعلم بقلم الخوري يوسف الدمشقي . وهي المقالة التي نشرناها في عدد شباط في مجلّة المشرق رفعها حضرتهُ الى مقام السيّد البطريرك الياس بطرس الحويك بنسبة يوبيليّهِ البطريركيّ الفضي والكهنوتي الذهبي

٤ً منتخبات البشير وهي : ١ً ثلاث روايات واقعيّة عنوانها : ليلة عيد الميلاد . نجم المجوس . ليلة رأس السنة . ثمّ ٢ً خمس مقالات تحت عنوان « في سبيل الشبيبة » بقلم يوسف افندي بطرس سعد . طُبعتا في مطبعتنا (ص١٦) ثمن كل منها غرشان سوريّان

٥ً الوقائع العراقيّة . وهي جريدة حكومة العراق الرسميّة تصدرها مديريّة المطبوعات في بغداد ثلاث مرات في الاسبوع . تتضمّن البلاغات والنظامات وماجريات حكومة العراق

٦ً كالندار فرنسوي لسنة ١٩٢٣ لمحل «جدعون » فيه التواريخ الغربي (الغريغوري) والشرقي والاسلامي والاسرائيلي والقبطي مع معلومات شتى مفيدة CALENDRIER 1923. Concordance des Calendriers Grégorien, Julien, Musulman, Israélite et Copte (Société de Publicité) « Gédéon »

٧ً الجريدة الفرنسويّة الجديدة للمستقبل (L'Avenir) لمنشئها ومديرها خليل افندي الاوزو وقيمة اشتراكها السنوي ليرتان سوريتان

شذرات

﴿ الكردينال كسيمنس ومكتبة قرطبة ﴾ لا يزال بعض الكتبة يقرّعون الكردينال كسيمنس وينسبون اليه حريق مكتبة قرطبة التي جمعها الملك الناصر عبد الرحمان وقد فنّدنا ذلك غير مرّة . واذ لم يقنعوا بادلّتنا نورد لهم شهادة لا يستطيعون ردّها وهي شهادة المؤرخ الجليل ابن خلدون نذكرها بحرفها الواحد . قال وقد رواها المقّري في نفح الطيب ١ : ١٨٢) :

اجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبلهِ (اي قبل الملك الناصر) ولا من بعدهِ الّا ما يُذكر عن الناصر العبّاسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرُها في حصار البربر وامرَ باخراجها وبيعها الحاجبُ واضح بن موالي المنصور بن ابي عامر ونُهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوةً . انتهى كلام ابن خلدون بعض اختصار »

ومن المعلوم أنَّ ابن خلدون توفي سنة ٨٠٨ للهجرة (١٤٠٥ م) وكان مولد كسيمنيس سنة ١٤٣٥ ووفاتهُ سنة ١٥١٧ فعاش اذن زمناً قليلًا بعد ابن خلدون فكيف امكنهُ ان يحرق مليوناً من الكتب العربية كما زعم سابقاً السيّد كرد علي او كما قال بعد ذلك ان الاكليروس الاسباني اتلف تلك الكنوز وابن خلدون يُعلمنا انَّ في زمانهِ لم يبقَ منها الّا القليل وكيف يروي المقّري كلامهُ وهو عاش بعد كسيمنيس بزمن طويل ومات سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣٢م) اي بعد موت كسيمنيس بمئة وخمس عشرة سنة ولا يذكر البتّة انَّ النصارى عند دخولهم في قرطبة نهبوا شيئاً من مكاتبها ولو وقع شيء من ذلك لما خفي عليهِ . فالى متى يردّد البعض تهماً باطلة دون ان يستندوها الى ثقات المؤرخين

﴿التصاوير في الجامع الاموي﴾ ذكرنا سابقاً في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٦٣٩) النقوش المصوَّرة التي آثارها عند ترميم الجامع الاموي سنة ١٩١٠ وهذه الصور بقيت قبل ان تُطمَس وتطلى بالكلس مدَّة عدَّة قرون كما روينا ذلك عن المقدسي . وقد وجدنا شاهداً آخر اقرب الى عهدنا في كتاب نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الصوفي الدمشقي المتوفَّى سنة ٧٢٧ هـ ١٣٢٧م حيث قال (ص ١٩٣) :

« وبدمشق الجامع المتفرّق الحسن والجمال والكمال ومن اعاجيب الدنيا . . . وترخيم حيطانهِ من اعجب شيء يراهُ الانسان والرخام في جانب حيطانهِ وفوق الرخام تفصيص بشبك الزجاج المصبوغ والمذهّب والمفضّض وعروق اللؤلؤ ما هو ملءُ الجامع من داخل حيطانهِ وسائره منقوش بتلك الاصباغ على صور الاشجار والمدن والحصون والبحار وكلما امكن تصويرهُ . . . والمنقوق على زخرفتهِ في ايّام سليمان بن عبد الملك بن مروان اربعون صندوقاً من الذهب الاحمر غير الرخام والبناء القديم . . . »

﴿الحساب الغربيّ في اليونان﴾ اخذت الدولة اليونانيَّة باستعمال الحساب الغربيّ منذ اواسط آذار الماضي . وكانت الحكومة الروسيّة سبقتها الى تغيير حسابها منذ

سنتين على انَّ اكليروس الدولتين حتى الآن ثابت على حسابهِ الشرقيّ ولا شكَّ انَّهُ سيجري بعد قليل على سُنَّة البلاد وبهِ ستسقط احدى الحواجز الفاصلة بين الكنيستين ويتحقَّق الشرقيُّون ما لكنيسة رومية من النفوذ والسَّبق الى كل عمل ديني ومدني معاً

﴿سرقة ادبيَّة﴾ كنَّا قبل اربعين سنةً نشرنا كتاب الالفاظ الكتابيَّة لعبد الرحمان بن عيسى الهمذانيّ وعُنينا بنسخهِ وترتيبهِ عن بعض النسخ المخطوطة ثمَّ بضبطهِ وتصحيحهِ واذا بيوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب في مصر تهافت على طبعتنا ونشرها بحرفها الواحد بترتيبها وضبطها دون فهرسها الاخير المرتَّب على حروف المعجم فانذهلنا لهذا العمل غير القانونيّ الذي يأنف منهُ كلّ ذي ذوق وتجازيهِ الدول الراقية بدفع التعويض وما كنَّا لننتظرهُ من قبل رجلٍ اديب كيوسف افندي ولاسيَّما انهُ لم يُشر الى الطبعة التي نقل عنها. فهذه جناية تُضاف الى السرقات المتعدّدة التي اعتادها المصريُّون ووسَمْناها بسمة العار في مقالة نشرناها في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ٤٣٠-٤٤٠). وقد وقفنا مذ ذاك الحين على سرقات اخرى من جملتها سرقة طبعتنا لطبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد الاندلسي التي طبعها بحرفها عبد الرؤوف افندي الدبَّاغ مع تجريدها عن حواشيها وفهارسها

﴿رواية البرامكة في كليتنا﴾ لا نعرف روايةً تمثيليَّة بلغت من الحسن والاتقان ومراعاة كلّ قوانين هذا الفنّ كرواية البرامكة التي ألَّفها المرحوم الاب انطون رباط واسندها الى اوثق الكتبة ودبَّجها بكلامهم البليغ وشعرهم الرائق. وقد مثَّلها تلامذة كليتنا في اواسط الشهر المنصرم في المعهد الجديد الذي خصَّته الكليَّة بمسرحها فاستحقُّوا ثناء كلّ الحضور بما ابدوهُ من البراعة والحذق في التمثيل واطرأت جرائد المدينة على اختلاف نزعاتها محاسن الرواية وفضل ممثليها

﴿وفاة اثريّ عظيم﴾ هو العلَّامة المستشرق كلرمون غانو — Clermont) Ganneau) الاختصاصيّ صاحب المطبوعات الجليلة في نشر العاديَّات والكتابات القديمة. توفّي في باريس في ١٥ شباط الاخير مزوَّداً باسرار الكنيسة

﴿اصلاح غلط﴾ قلنا في عددنا السابق (ص ٢٣٨) انَّ «الياس بك القدسيّ» الذي حضر مؤتمر الفرامسون في دمشق هو «قنصل اسبانية» والصواب انهُ «قنصل البرتغال» فانَّ قنصل اسبانية احد الافاضل العريقين بالدين ل. ش

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب يوسف سعد نصر من سان باولو ما هي الشيعة الدينيَّة التي انشأها الراهب المسكوبي المحتال رَسبوتين والشيعة المدعوَّة بيرافوسلافنيَّة

شيعتان روسيَّتان حديثتان

ج انَّ الشيع في روسيَّة لا تكاد تُحصى لجهل اهلها وانَّما كانت في ايَّام القياصرة تتستَّر خوفاً من الحكومة وكان الغالب على معظمها عادات همجيَّة او خلاعيَّة كلّها في الغرابة بمكان. وكانت الشيعة البرافوسلافنيَّة احدى هذه الشيع الفاسدة السرّية انضمَّ اليها المشعوذ الروسيّ غريغوري توفيخ وتقدَّم فيها وخدع بها بعض نساء بلاط القيصر بخوارق كاذبة فاوقعهنَّ بحبائله حتى اتَّصل ذاك النصَّاب بواسطتهنَّ الى الملكة وشاع صيتهُ باسم رَسبوتين وهو لقبٌ عُرف بهِ واستولى على عقل الملكة مدَّعياً شفاء ابنها وليّ العهد ولم يزل يبالغ بمكرهِ تحت ستر الزهد ويدعو الى طريقة جديدة محيي البدع المجونيَّة ويرتقي في سياسة الدولة ويتقرَّب الى برلين حتى قتلهُ اعداؤهُ اشنع قتلة وكان احد المسببين لسقوط دولة آل رومانوف

س وسأل الاديب ر . ش من اهل المدينة أيُعرف من سينيَّة الصالح بن عبد القدوس ابياتٌ غير التي رُويت في مجاني الادب (ج ٢ ص ١٣٥)

سينيَّة صالح بن عبد القدُّوس

ج هذه السينيَّة تُروى منها ابيات متفرِّقة في الكتب الادبيَّة فمنها لم نروه في مجاني الادب قولهُ :

يا أيها الدارسُ علماً ألا ... تلتمسُ العون على درسهِ
لن تبلُغ الفرعَ الذي رُمتهُ ... الَّا ببحثٍ منك عن أسهِ
فاسمع لأمثالٍ اذا أُنشدت ... ذكَّرتِ الحزمَ ولم تُنسهِ
انَّا وجدنا في كتابٍ خاتَ ... لهُ دهورٌ لاحَ في طرسهِ
أتقنهُ الكاتب واختارهُ ... من سائر الامثال من حدسهِ
لن تبلُغَ الاعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغ الجاهل من نفسهِ
وخيرُ من شاورتَ ذو خبرةٍ ... في واضح الامر وفي لُبسهِ
لا يقبسنَّ العلمَ الَّا امرؤٌ ... يبين باللُّبِّ على قبسهِ

ومنها : وألقِ اخا الضغن بايناسهِ ... لتُدرك الفرصة في أُنسهِ
كالليث لا يعدو على قرنهِ ... الَّا على الامكان من فرسهِ

حلول الروح القدس يوم العنصرة على التلاميذ

المشرق

انبثاق الروح القدس من الآب والابن

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

في اواسط هذا الشهر تحتفل الكنيسة بعيد تنظمهُ في عداد اجلّ اعيادها السنويَّة نعني بهِ عيد العنصرة المختصّ بتذكار حلول الروح القدس على التلاميذ في عليَّة صهيون. فالبيعة الجامعة على اختلاف طوائفها شرقاً وغرباً لا تدّخر وسعها في تعظيمهِ بطقوسها وحفلاتها الشائقة التي تدوم اسبوعاً كاملاً كعيدَي ميلاد الربّ وقيامتهِ. وقد سبقت المجلّة (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٥٢٣—٥٣٠) ووصفت تلك الحفلات البهيَّة وما يمتاز بهِ هذا العيد في الطوائف المختلفة. واليوم احببنا ان نفرد مقالةً خاصَّة لقضيَّة مهمَّة من قضايا الايمان المتعلّقة بالروح القدس اعني انبثاق هذا الاقنوم الثالث من الآب والابن وهي العقيدة التي ينكرها البعض ولو تروَّوا فيها كما سنبيّنهُ لوجدوها من اضوإ العقائد النصرانيَّة وأثبتها برهاناً

تحديد المجمع القسطنطيني في انبثاق الروح القدس من الآب

ان آباء مجمع نيقية وهو المجمع المسكوني الاول الملتئم سنة ٣٢٥ لم يذكروا بخصوص الروح القدس الّا هذه العبارة الوجيزة : « نؤمن بالروح القدس » . وذلك لانهُ لم يكن خالجَ عقول المؤمنين في ايامهم شكّ ولا وقع جدال في ما يلاحظ الايمان بالروح القدس . بل كانت تنحصر الحرب والمدافعة في ما يتعلّق باقنوم يسوع المسيح ولاهوته . فكان معلوماً لدى الكاثوليك والمراطقة معاً انه لو تضعضع الايمان باقنوم ابن الله وميلادهِ من جوهر الآب ووحدة جوهرهما وتمييز اقنوميهما لتضعضع

الايمان كله بالثالوث الاقدس وبشخص الروح القدس . وبالعكس لو ثبتت العقيدة الكاثوليكية بخصوص الآب والابن وتحققت لثبت الايمان باقنوم الروح القدس وتحقق او على الاقل لسهلت المدافعة عن هذه الحقيقة ضدّ الهراطقة من المبادئ التي تكون تقرّرت وقُبلت من الطرفين في الجدال عن لاهوت ابن الله . قال القديس باسيليوس (رسالة ١٢٥ عدد ٣) [1] : « انّ سائر الامور (عن ابن الله) حُدّدت تماماً وباعتناء ههنا (اي في مجمع نيقية) لمداواة ما كان اعتلّ وللافاة ما خُشي ان يطرأ . امّا الايمان بالروح القدس فذُكر بايجاز ولم يُرَ من حاجة للبحث في هذه المسألة التي لم تكن بعد عرضت بل كانت هذه العقيدة متأصلة في عقول المؤمنين بدون ريب . لكن مع تفاقم الكفر شيئاً فشيئاً نبت الزرع الفاسد الذي كان بذرهُ اريوس صاحب الهرطقة وساعدهُ سعي الاشرار الذين اعتنقوا اضاليلهُ وكان ذلك لضرر الكنيسة فاتصل الكفر الى التجديف على الروح القدس »

ولما استفحل الشرّ عُقد المجمع المسكوني الثاني وهو الملتئم في القسطنطينية سنة ٣٨١ ضد مقدونيوس بطريرك القسطنطينية واصحابه الناكرين ألوهية الروح القدس . فحكم عليهم وقرّر ألوهية الروح القدس واضاف الى عبارة مجمع نيقية ما يلي : « نؤمن بالروح القدس الربّ المحيي المنبثق من الآب الذي مع الآب والابن يُسجد لهُ ويُمجّد الناطق بالانبياء »

فلماذا مع ذكر انبثاق الروح القدس من الآب لم يذكر آباء المجمع انبثاقه من الابن ؟ فهل بسكوتهم هذا ارادوا نفي انبثاق الروح من الابن ؟ لا لعمري فانهم قد افترضوه كحقيقة مقرّرة كان يسلّم بها كلٌّ من الطرفين . لا بل نقول انه لم يكن من الموافق اذ ذاك ان يذكروا انبثاق الروح القدس من الابن وكان يكفي ان يبرهنوا لاهوته من انبثاقه من الآب لان الجدال كان يدور حول مسألة واحدة هل الروح القدس هو إله غير مخلوق ام هو مخلوق وغير إله . فاذا كان منبثقاً من الآب فهو إله بدون شك . ولتبيان حالة الجدال في ذلك العصر نقول :

ان الهراطقة الاريوسيين بعد ان حكم عليهم مجمع نيقية وقرّر ألوهية يسوع المسيح خرج منهم حزب اتخذوا طريقةً اخرى مستترة ومنحرفة ليقاوموا العقيدة التي

(١) اطلب مجموعة مين (Migne) للآباء اليونان مجلد ٣٢ العمود ٥٥٠

كان قرّرها هذا المجمع وليشروا اضاليلهم. فأُطلق عليهم اسم « نصف اريوسيين » . فقام في مقدمتهم مقدونيوس بطريرك القسطنطينية واخذ يعلم ان الروح القدس ليس إلهاً معترفاً بالفم فقط ان الابن مولود من الآب وانه إله من إلـه ومدّعياً ان الروح القدس غير منبثق من الآب بل مخلوق من الابن الذي به كُوّن كلّ شيء. وما ذلك الّا ليتوصّل الى نفي مساواة الابن للآب في الجوهر. وقد فضح القديس اثناسيوس قصد الهراطقة هذا (في رسالته الى يوفيانوس الملك. عدد ١) [1] قال: « في عزم البعض في ايامنا هذه ان يجدّدوا هرطقة اريوس فتجاسروا وتنكروا الايمان الذي اعترف به آباء نيقية متظاهرين انهم يعترفون به وفي الحقيقـة يرذلونه لانّهم يفسرون تفسيراً سيئاً اللفظة « أُومُوُوسيون » (اي: لله وللآب جوهر واحد) ويتفوّهون بكلام تجديف ضدّ الروح القدس قائلين انه مخلوق وان الابن كوّنه »

من المقرّر ان هذا كان تعليم فرقة من الاريوسيين المضادّين للايمان بلاهوت الروح القدس. فكانوا يعلّمون ان الابن والروح القدس مخلوقان. يتّضح ذلك ممـا اورده القديس باسيليوس عن تعليم اونوميوس الهرطوقي (باسيليوس في كتابه ضدّ اونوميوس ك ٢ عدد ٣٣) [2] قال اونوميوس : « اذا كان احد يرتفع من المخلوقات ليدرك الجوهر يجد ان الابن هو خليقة الغير المولود (يريد مخلوق من الآب) وان البارقليط هو خليقة المولود الوحيد (يريد مخلوق من الابن) ». فردّ عليه باسيليوس (في العـدد ٣٤ ص ٦٥١) بقوله: « كلٌّ يعلم انّ لا عمل في الابن منفصل عن الآب ولا شيء في الطبيعة يتعلّق بالابن ولا يتعلّق بالآب لانّهُ قال: « كلّ شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي » (يوحنا ١٧ : ١٠) فكيف ينسب (اونوميوس) اذاً علّة الروح للابن وحده يدّعي انه خلَقَ الروح » وذلك ولكي يذلل طبيعتهُ

وقال القديس اثناسيوس (في رسالته الاولى الى القديس سرابيون الاسقف . العدد ٢١) [3] في مدافعته عن لاهوت الروح القدس : « فان كان الترتيب ذاته والطبيعة ذاتها في الروح بالنسبة الى الابن كما في الابن بالنسبة الى الآب ألّا ينبغي

١) مين. آباء اليونان المجلد ٢٦ العمود ٨١٥
٢) مين. آباء اليونان المجلد ٢٩ العمود ٦٥٠
٣) مين. آباء اليونان المجلد ٢٦ العمود ٥٢٩

للذين يدّعون ان الروح القدس مخلوق ان يقولوا القول ذاته عن الابن . لانه لو كان روح الابن مخلوقاً لالتزموا ضرورةً بالقول ان كلمة الآب ايضاً مخلوق . . . فالذين يتجاسرون ويتفوّهون بهذه الاقوال عن الروح ان كانوا يأبون حقيقةً التمسك برأي اريوس عليهم ان يتجنبوا ايضاً اقواله ولا يجدّفوا على الروح القدس»

فما سبق ترى ايها القارئ اللبيب ان تعليم الهراطقة يحتوي ثلاثة اشياء . الاول ان الروح القدس ليس من الآب ومن ثم انه ليس الهاً . والثاني ان الروح القدس هو من الابن او بعبارة اخرى بواسطة الابن . والثالث انه مخلوق من الابن . فالقول الاول هو المقصود من الهراطقة اي ان الروح القدس ليس إلهاً . والثاني ان الروح القدس هو من الابن او بواسطة الابن فقد اعتبره الجميع كحقيقة مقرّرة في الكتب المقدسة ومسلّم بها . الّا ان الهراطقة فهموهُ بمعنى مخالف للمعنى الذي فهمه الكاثوليك لانهم قالوا ان الروح هو من الابن بمعنى ان الابن خلقهُ لا انه صدر من جوهره . اما الكاثوليك المؤمنون بألوهية الروح القدس فانهم فهموا بصدوره صدوراً جوهرياً من الابن كما من الآب اذ انّ للآب وللابن جوهراً واحداً

هذه كانت نقطة الجدال بين آباء الكنيسة والهراطقة . فآباء الكنيسة افترضوا كعقيدة ثابتة مقبولة منهم ومن خصومهم صدور الروح القدس من الابن بالمعنى العام اي الصدور منه بغضّ النظر موقتاً عن الكيفية . ومن هذا التعليم انتقل الآباء الى ايضاح الايمان الكاثوليكي الصحيح والى دحض ضلال الهراطقة المزدوج وتعليمهم الفاسد القائل بان الروح القدس ليس من الآب وانه مخلوق من الابن

فلما كانت غاية آباء مجمع القسطنطينية اثبات ألوهية الروح القدس رأوا من الموافق السكوت عن صدوره من الابن لانّ الهراطقة لم يكونوا لينكروهُ وان ضلّوا في فهمهِ وتفسيره واكتفى المجمع بتقرير صدور الروح القدس من الآب وهو الامر الذي كان يرفضهُ الهراطقة

فقد وضح اذاً ان سكوت آباء مجمع القسطنطينية في قانون الايمان عن انبثاق الروح القدس من الابن لم يكن نفياً له بل سلوكاً بحكمة لئلّا يخالج عقول الكاثوليك الفكر ان هذا الصدور كان كما يدّعي الهراطقة اي ان الابن كوّن الروح القدس وخلقهُ . ومن ثمّ كان يكفي المجمع ان يقرّر ويثبت العقيدة التي كان ينكرها الهراطقة

الذين انما كانوا ينكرون انبثاق الروح القدس من الآب لينفوا ألوهيّتهُ . فاذ قرّر اباء المجمع ان الروح القدس ينبثق من الآب وانه اله نتج ضرورةً بالوقت ذاته ان الابن الذي منه الروح القدس هو اله ايضاً ودحضوا هكذا تعليم نصف الاريوسيين

هات نبحث الآن عن الحقيقة ونبيّن بأدلّة اوضح من نور الشمس ان عقيدة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب هي عقيدة مستندة الى الآيات الانجيلية ومطابقة كل المطابقة لمعتقدات الآباء الاطهار من الشرقيين والغربيين معاً . فنستنتج من ثم ان من يرفض عقيدة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب يكون تحت مسئوليّة كبرى امام كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية التي لا تحيد البتة عن معتقدات الآباء الاطهار وتحافظ على سلامة وديعة الايمان وصحّتها كما تسلّمتها . واذ ذاك لا يبقى على من كان ذا قلبٍ سليم وضميرٍ مستقيم الّا ان يتبع تعليم الكنيسة الكاثوليكية اذا ما رغب البقاء في كنيسة المسيح الحقيقية والفوز بالخلاص الابدي

المراد بالقول ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن

يلزمنا بادئ بدء ان نحدّد ونبيّن ماذا نفهم بعقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن . فنقول اننا بهذا المعتقد ننسب الى الابن كما ننسب الى الآب الفعل نفسه الذي بهِ يَنبثق الروح القدس . ونعلم انه ينبثق منهما لا كمن مبدأين لكن كمن مبدإٍ واحد ولا بنَسَمتين لكن بنسمة واحدة

ثم اننا بقولنا ان الروح القدس ينبثق نفهم انه يأخذ جوهره وذاته ولاهوته من الذي ينسمهُ . كما اننا بقولنا عن الابن انه مولود من الآب نعني انه يأخذ جوهره وذاته ولاهوته من الذي يَلدهُ

فباعتقادنا ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن نعلم انه يأخذ الذات الالهية من الاقنومَين الالهيين الآب والابن اللذين ينسبانه ويتقدّمانهِ في رتبة المبدأ لا في الزمان

وهذه العقيدة المنزّهة على هذه الصورة هي مطابقة لتعليم الكتاب المقدس وآباء الكنيسة ومعلّميها . هذا ما نريد ايضاحه وتأييدهُ . فنبتهل الى الروح القدس ان ينوّر العقول ويحرّك القلوب لتدرك الحق وتتبعهُ

شهادات الكتاب المقدس

البرهان الاول : من الآية ان الروح يسمع من الابن ويأخذ منهُ

قال السيد المسيح لتلاميذه : «ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من عنده لكن يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتي. هو يمجدني لانهُ يأخذ مما لي ويخبركم. جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم» (يوحنا ١٦ : ١٣—١٥). فبهذه الكلمات الالهية اوضح المسيح ان الروح القدس ينبثق ليس فقط من الآب لكن من الابن ايضاً. واليك البرهان والبيان : قُل لي بحياتك ما معنى قول المسيح ان الروح يأخذ مما للمسيح وماذا يمكن الروح ان يأخذ منهُ. أيحتاج الروح يا ترى بعد وجود ذاته الالهية الازلية ان يتعلم من الابن او ان يكتسب من الابن الحكمة والمعرفة؟ حاشا لنا من هذا القول الكفري. لأن كل مسيحي يعلم حق العلم ان الروح القدس إله مساوٍ للآب والابن وانّ لهُ وللآب وللابن طبيعة واحدة وقدرة واحدة وحكمة واحدة ومعرفة واحدة هي لاهوته وذاته. فنسأل ما معنى قول المسيح اذاً ان الروح القدس يأخذ مما لهُ وان الروح يتكلم لا من عنده لكن بكل ما يسمع. ان السيد المسيح بقوله هذا يُعلمنا صريحاً ان كلام الروح القدس وعلمه وحكمته الذاتية ليست منه بل معطاة له من مصدر آخر إلهي ومن ثم يعلمنا ان الروح القدس يصدر منه ذاتياً اي انه منذ الازل يأخذ منه جوهره وينبثق منه

يؤيد ذلك ما قاله المسيح عن ذاته : «ان تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني» (يوحنا ٧ : ١٦). وقال ايضاً : «إني لستُ افعل شيئاً من عندي ولكن كما علّمني الآب كذلك اقول» (يوحنا ٨ : ٢٨) وقال في موضع آخر : «الذي ارسلني هو حق والذي سمعته منه به اتكلم في العالم. فلم يعرفوا أنه يقول إن اباه هو الله» (يوحنا ٨ : ٢٦ و٢٧) وقال ايضاً : «ان الابن لا يقدر ان يعمل من نفسه شيئاً الّا ما يرى الآب يعمله لانه مهما يعمله ذاك فهذا يعمله الابن ايضاً على مثاله. لان الآب يحبّ الابن ويريه جميع ما يعمل» (يوحنا ٥ : ١٩ و٢٠). فكما ان المسيح بهذه الاقوال وما يشبهها يدلنا على انه صدر من الآب منذ البدء وانهُ يولد منهُ ولادة ازلية «قبل ان يكون ابرهيم انا كائن» (يوحنا ٨ : ٥٨) «قد خرجت من الآب واتيت الى العالم» (يوحنا ١٦ : ٢٨).

كذلك بقوله ان الروح القدس « لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » وبقوله «يأخذ مما لي ويخبركم» يدلنا دلالة بيّنة على ان الروح القدس يصدر منه ويأخذ منه ما هو لهُ اي جوهره وذاته ولاهوته اي ينبثق منه . وبهذا المعنى قال القديس اوغسطينوس (المقالة ٩٩ في تفسير يوحنا العدد ٥) [1] : «ان سَمعه هو معرفتُه ومعرفتَه هي ذاته فيسمع اذاً من ذاك الذي ذاته منه وذاته من ذاك الذي ينبثق منه» . وقال ايضاً (في المقالة ذاتها العدد ٤) : « لا يتكلم من عنده لانه ليس هو من ذاته لكن يتكلم بكل ما يسمع ويسمع من ذاك الذي هو صادر منه وسَمعه هو معرفتهُ ومعرفته هي ذاته كما بيّنا سابقاً . فلانه ليس هو من ذاته بل من ذاك الذي يصدر منه فمعرفته اذاً هي من ذاك الذي منه ذاته والسَّمع ليس شيئاً آخر الّا المعرفة» . وقال ايضاً (في المقالة ذاتها عدد ٨) : « ان الذي نال منه الابن ان يكون إلهاً لانه اله من اله نال منه ايضاً ان ينبثق منه الروح القدس . وهكذا نال الروح القدس من الآب ان ينبثق من الابن كما ينبثق من الآب»

وقد زادنا المخلّص له المجد برهاناً وايضاحاً بقوله « جميع ما للآب فهو لي من اجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم » . فقوله هذا يعني : كما ان جميع ما للآب هو لي وانا أخذت منه واتيت اليكم لأُعلِمكم كذلك جميع ما هو لي هو للروح وقد اخذ مني الذات وسيأتي اليكم ليرشدكم . وعليه فالروح القدس يأخذ ذاته من الابن كما يأخذها من الآب . فهو اذن ينبثق من كليهما

ان هذا البرهان هو ليوحنا الذهبي الفم (في الميمر ٧٨ وفي بعض النسخ الميمر ٧٧ على يوحنا عدد ٢ في الاخير) [2] : «جميع ما للآب هو لي فحيث هو لي والروح يتكلم مما هو للآب فيتكلم مما هو لي» . وقال القديس كيرلس الاسكندري (في شرحه آية يوحنا ١٦ : ٤) [3] : « انه خالٍ من الخطأ ومن كل لوم القول بان روح الابن يأخذ منه شيئاً . لانه به ينبثق طبيعياً بما انه خاصته »

البرهان الثاني : من الآية ان ما هو للآب هو للابن

من هذه الآية «جميع ما للآب فهو لي» (يوحنا ١٦ : ١٥) والآية الاخرى « كل

---

١) مين . الآباء اللاتين المجلد ٣٥ ص ١٨٨٨ ٢) مين الآباء اليونان المجلد ٥٩ ص ٤٣٣

٣) مين . آباء اليونان المجلد ٧٤ ص ٤٥٠

شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي» (يوحنا ١٧ : ١٠) يمكننا ان نستخرج برهاناً ثانياً ليس اقل قوةً من الاول لتأييد انبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقه من الآب فنقول: ان الابن لا يتميز عن الآب الا بشيء واحد كون الابوة في الآب والبنوة في الابن. فالنسبة الاضافية التي بين الآب والابن تجعل الواحد اباً والآخر ابناً وفيما سوى ذلك لا تميز البتة بينهما بل هما ذات واحدة «انا والآب واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) «آمنوا اني انا في الآب وان الآب فيّ» (يوحنا ١٤ : ١١). قال القديس يوحنا الدمشقي (في كتابه على مشيئتي المسيح العدد ١١)[1]: «كل ما هو للآب فهو للابن ما عدا انه غير مولود». وقال القديس كيرلس الاسكندري (في كتابه ضد الافتروبومورفيت الفصل ٦)[2]: «كل ما فيه انه الآب فهو هو الابن ما خلا شيئاً واحداً انهُ آب». ومن ثم فحيث كل شيء مشاع ما بين الآب والابن ما عدا الابوة في الآب والبنوة في الابن فينتج هذا ضرورةً: كما ان الآب يَبثق الروح ذاتياً كذلك الابن يبثق الروح ذاتياً. والا لما صدقت الآية «جميع ما للآب فهو لي» والآية «كل شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي». وعليه فمن قال ان الروح القدس ينبثق من الآب فقط يجعل ما بين الآب والابن تمييزاً آخر غير الابوة والبنوة اذ انه يخصص بالآب انبثاق الروح وينفيه عن الابن مُبطلاً قول المسيح «جميع ما للآب فهو لي» و «كل شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي». وحيث هو محالٌ ان تبطل اقوال المسيح يلزمنا ان نعتقد بان الابن يبثق الروح القدس كما يبثقهُ الآب وكلاهما يبثقانه بنسمة واحدة

وقد شرح هذا البرهان القديس اوغسطينوس بكلام صريح يُزيل كل ريب وبحجة تقنع كل مكابر. وفحوى كلامه هو ان الآب اذ منح منذ الازل جوهره للابن منحه ايضاً ان ينبثق منه الروح القدس ازلياً لان جوهر الآب والابن هو واحد

قال (في كتابه عن الثالوث ك ١٥ العدد ٤٧)[3]: «كلُّ من يمكنه فهم ميلاد الابن من الآب ازلياً فليفهم ايضاً انبثاق الروح القدس ازلياً من كليهما. وكل من يستطيع ان يفهم قول الابن كما ان الآب له الحياة في ذاته كذلك اعطى الابن ان تكون له الحياة في ذاته (يوحنا ٥ : ٢٦) بالمعنى ان الآب الحيّ منح الحياة للابن وان

١) مين آباء اليونان المجلد ٩٥ ص ١٤٢ ٢) مين آباء اليونان المجلد ٧٦ ص ١٠٩٠

٣) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ١٠٩٤ — ١٠٩٥

الحياة التي منحها الآب للابن اذ ولده ازليًا هي حياة ازلية كما هي حياة الآب المانح فليفهم ايضاً انه كما ان الآب له في ذاته ان ينبثق منه الروح القدس كذلك اعطي الابن ان ينبثق منه ايضاً الروح القدس. وانبثاقه من كليهما ازلي . واذ نقول ان الروح القدس ينبثق من الآب نفهم ان الآب أعطى للابن ان ينبثق منه الروح لانه ان كان كل ما هو للابن هو لهُ من الآب فمن الآب اخذ ان ينبثق منه الروح القدس . لكن لا يخالجنّ فكرنا ان هناك زماناً فيه قبلُ وبعدُ لانّ لا زمان هناك البتة . . . كما ان الميلاد من الآب يعطي الابن جوهره بدون بداية زمان وبدون تغير في الطبيعة كذلك الانبثاق من الاثنين يعطي الجوهر للروح القدس بدون بداية زمان وبدون تغير في الطبيعة . . . الآب وحده لا مَصدر له امَّا الابن فانه مولود من الآب . واما الروح القدس فانه مبدئيًا من الآب المانح لهُ معاً بدون مهلة زمان ان ينبثق من الاثنين . فاذًا الروح ليس مولودًا من كليهما بل هو روح كليهما منبثق من كليهما » . انتهى كلام القديس اوغسطينوس

البرهان الثالث : من ارسال الابن للروح القدس

كلٌّ يعلم ان في الاناجيل آياتٍ صريحة يُعلَن فيها ان اقنوماً يُرسِل اقنوماً آخر . فقد كُتب «لم يُرسِل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم» (يوحنا ٣ : ١٧) وايضاً «كما ارسلني الآب الحيّ» (يوحنا ٦ : ٥٨) . وهذه الآية ايضاً «تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني» (يوحنا ٧ : ١٦) وايضاً الآية «الذي ارسلني هو حقّ والذي سمعته منه به اتكلّم في العالم» (يوحنا ٨ : ٢٦) هذه الآيات هي عن ارسال الآب للابن . امَّا عن ارسال الآب للروح القدس وارسال الابن ايضاً للروح القدس فوردت الآيات الآتية : «امَّا المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي» (يوحنا ١٤ : ٢٦) و «متى جاء المعزّي الذي أرسله اليكم من عند الآب» (يوحنا ١٥ : ٢٦) وايضاً : «اذا مضيت ارسلته اليكم» (يوحنا ١٦ : ٧)

فما معنى هذا الارسال ؟ أتكون سلطة في الثالوث لاقنوم على آخر أو يكون الاقنوم المرسَل خاضعاً او خادماً للاقنوم الذي يُرسله او هل يقبل منه امرًا ؟ انه لمعلومٌ عند الجميع ان الاقانيم الثلاثة هم متساوون في السلطة والعظمة والكرامة ولا سلطة لاقنوم على آخر ولا تميز في الثالوث الّا تميز الاقانيم بعضهم عن بعض مع

وحدة الجوهر والذات والطبيعة. وهذا التمييز كما سبق القول قائم بالنسبة الاضافية بين الاقانيم فتجعل ان يكون في الطبيعة الواحدة آب وابن وروح قدس

فنسأل اذاً ما معنى هذا الارسال؟ لا شكّ انه يدلّ على امر مهمّ في اللاهوت لاننا لم نقرأ قط في الانجيل الشريف ان الآب أُرسِل من الابن او انه أُرسِل من الروح القدس ولم نجد في الكتب المقدسة ان الابن أُرسِل من الروح القدس[1] بل نعلم حقّ العلم ان الآب ارسَل الابن وان الآب والابن ارسَلا الروح القدس. قال القديس اوغسطينوس (في كتابه ضد خطاب الاريوسيين ف٤)[2]: «ان الآب وحده لم نقرأ عنه انه أُرسِل لانه وحده ليس له مبدأ يولد منه او ينبثق منهُ. وليس ذلك لسبب اختلاف ما في طبيعة الثالوث اذ لا اختلاف فيها لكن لسبب ان الآب وحده هو المبدأ فلا يقال عنه انه أُرسِل. كما انه ليس النور ولا الحرارة يُصدران النار بل النار هي التي تُصدِر النور والحرارة». فمن كلام القديس اوغسطينوس نفهم ما هو هذا الارسال. انه صدور اقنوم من آخر. لان الآيات التي اوردناها آنفاً من الانجيل تتكلم عن مفاعيل مختصّة بالاقنوم كقوله «فهو يرشدكم الى جميع الحقّ لانه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع» (يوحنا ١٦: ١٣) وقوله «ومتى جاء يبكّت العالم على الخطيئة» (يوحنا ١٦: ٨). وهذا الارسال الاقنومي هو فعل في الخارج لكنّه لا يُقال عن فعل في الخارج الّا لانّه يدلّ على فعل في باطن اللاهوت فيعني صدور اقنوم من اقنوم اي صدور الاقنوم المُرسَل من الاقنوم الذي يُرسله. فينتج اذاً ضرورة من

١) وبٌ معترض يقول: وردت في انجيل لوقا (٤: ١٨) هذه الآية «ان روح الربّ عليّ ولاجل ذلك مسحني وارسلني لأُبشر المساكين . . .» فينتج اذاً ان روح الربّ ارسل الابن. فعلى هذا يجب ان السيد المسيح في هذه الآية يتلو آية اشعيا النبي القائل «ان روح السيد الربّ عليّ لانّ الربّ مسحني لابشر المساكين». وكلٌّ يفهم ان هذه الآية لا تذكر ارسال الروح للابن بل انّ اللاهوت مسح الطبيعة الانسانية التي في يسوع بدهن النعمة باتحادها مع اقنوم ابن الله ولهذا سمي المسيح لانه ممسوح من نعمة الروح القدس في ناسوته. يتّضح ذلك مما سبق الآية في الانجيل: «واتى يسوع الى الناصرة حيث نشأ ودخل كعادته الى المجمع يوم السبت وقام ليقرأ فدُفع اليه سفر اشعيا النبي. فلما فتح السفر وجد الموضع الموجود فيه ان روح الربّ عليّ ولذلك مسحني وارسلني لابشر المساكين واشفي منكسري القلوب» (لوقا ٤: ١٦-١٨). فالمعنى اذاً هو ان الله مسح بالنعمة الطبيعة الانسانية التي في يسوع كما فسّرنا وارسله لخلاص العالم ٢) اطلب مجموعة مين الآباء اللاتين المجلد ٤٣ ص ٦٨٦

قول الانجيل ان الآب أرسل الابن ان الآب مصدر الابن ومبدأ له وانه يُفيض عليه طبيعته الالهية . ومن قول الكتاب ان الآب يُرسِل الروح القدس يقتضي هذا القول ان الآب يُصدِر الروح القدس ويُفيض عليه طبيعته الالهيـة . ومن ثمَّ فاذ يقول الكتاب المقدس ان الابن يُرسِل الروح القدس يعلّمنا بلا ريب ان الابن يُصدِر الروح القدس ويُفيض عليه طبيعتهُ الالهية التي يُفيضها عليه الآب . فالانجيل الطاهر حيث يصرّح بانّ الروح القدس يُرسَل تارةً من الآب وتارةً من الابن يعلّمنا جليًّا ان الآب والابن يصدرانِ الروح ويفيضان عليه طبيعتهما الالهية وبعبارةٍ اخرى انهما مبدأ واحد ينبثقان الروح القدس وينسمانهِ بنسمة واحدة . فاذًا الروح القدس هو منبثق من الآب والابن

البرهان الرابع : من نسبة الروح القدس للآب وللابن

تكرَّرت في الاسفار المقدَّسة الآيات : «روح الله» (متى ٣ : ١٦ ورومية ٨ : ٩ و ١١ و ١٤ و كورنتس الاولى ٢ : ١٠ و ١١) . «روح الربّ» (لوقا ٤ : ١٨ واعمال ٥ : ٩ و ٨ : ٣٩ و ٢ كورنتس ٣ : ١٧) . «روح الآب» ولا ريب في انّ معناها الروح المنبثق من الله الآب . والدليل على ذلك ان الآية «روح الله» يفسّرها الكتاب المقدَّس بالآية «الروح الذي من الله» (١ كورنتس ٢ : ١١ و ١٢) فهكذا اذا نُسب الروح الى الابن وقيل «روح الابن» (غلاطية ٤ : ٦) . «روح المسيح» (رومية ٨ : ٩ و ١ بطرس ١ : ١١) . «روح يسوع المسيح» (فيلبي ١ : ١٩) . «روح يسوع» (اعمال ١٦ : ٧) كان المُراد «الروح الذي من الابن . الذي من يسوع المسيح . الذي من يسوع» كما ان الآية «روح الله» يعبَّر عنها بالآية «الروح الذي من الله» (١ كورنتس ٢ : ١١ و ١٢) . ومعلومٌ ان الروح الذي من الابن او من يسوع المسيح او من يسوع هو الروح الصادر والمنبثق منه كما ان الروح الذي من الآب هو الروح المنبثق من الآب

هكذا علّم آباء الكنيسة الذين اعتبروا كحقيقة ثابتة انهُ لا يُنسب الروح القدس الى اقنوم الآلآنه يصدر منه . قال القديس اثناسيوس (في كتابهِ عن الثالوث والروح القدس العدد ١٩) [1] : «ارسل الله روح ابنه الى قلوبنا . فاذ نشاهد الابن الوحيد ينفخ

١) مين آباء اليونان المجلد ٢٦ ص ١٢١٢

في وجوه الرسل قائلاً لهم خذوا الروح القدس يلزم ان نفهم ان نسمة الابن الباقية في حياته وفي جوهره هي الروح ولنعلم انه غير مولود ولا مخلوق من الابن... انه ليس مولود منه لانه ليس كلمته. وحاشا لنا ان نقول عن الروح انه مخلوق. وقد علمنا من الكتب المقدسة انه نسمة ابن الله فنقول اذاً ان الابن ايضاً هو مصدر الروح»

وقال ايضاً (في رسالته الثالثة الى سيرابون العدد ١)[1]: «ان الذي قيل له روح الآب هو روح الابن لان الابن قال روح الحق الذي من الآب ينبثق (يوحنا ١٥ : ٢٦) • فقوله روح الحق يريد به روح الابن المنبثق منهُ

وقال القديس باسيليوس (ضد أونوميوس ك ٥)[2]: «يعلمنا الرسول ان الروح القدس يظهر بالابن اذ يسميه روح الابن كما سماه روح الله ودعاه روح المسيح كما دعاه روح الله (١ كورنتس ١١ : ١١) •. وقال القديس كيرلس الاسكندري (في تفسيره يوحنا ك ٥ ف ٢)[3]: «كما ان روح الابن هو خاص به لا يُعطى لـه من الخارج كما يُعطى لنا بل هو قائم فيه بالطبيعة ومنه منبثق كذلك هو روح الآب»

ويعتبر القديس اوغسطينوس الآية «روح الابن» (غلاطية ٤ : ٦) مرادفة للعبارة «منبثق من الابن» قال (في الكتاب الرابع في الثالوث العدد ٢٩)[4]: «لا يجوز القول ان الروح القدس لا ينبثق من الابن. اذ انه لم يُقل عبثاً انه روح الآب والابن...»

وقال ايضاً اوغسطينوس (في الثالوث ك ١٥ الفصل ٢٦ العدد ٤٥)[5]: «قال الرسول عن الروح القدس: بما انكم ابناء ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم (غلاطية ٤ : ٦) وقال عنه ابن الله: لستم انتم المتكلمين لكن روح ابيكم هو المتكلم فيكم (متى ١٠ : ٢٠) ومن شهادات اخرى عديدة هي في الكتاب المقدس يُستدل انه روح الآب والابن. وقال عنه ايضاً الابن: الذي أرسله لكم من عند الآب (يوحنا ١٥ : ٢٦) وفي موضع آخر: الذي سيرسله الآب باسمي (يوحنا ١٤ : ٢٦) • اما كونه ينبثق من الاثنين فيعلمنا ذلك الابن حيث يقول: الذي من الآب ينبثق

١) مين آباء اليونان المجلد ٢٦ ص ٦٢٦

٢) مين آباء اليونان المجلد ٢٩ ص ٧٣٤ ٣) مين آباء اليونان المجلد ٧٣ ص ٧٥٤

٤) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ٩٠٨ ٥) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ١٠٩٢ و ١٠٩٣

(يوحنا١٥ : ٢٦). وبعد ما قام من الاموات وتراءى لتلاميذه نفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس (يوحنا ٢٠ : ٢٢) ليعلمنا انه ينبثق منه ايضاً». وقال ايضاً اوغسطينوس (في الثالوث ك٥ الفصل ١١ العدد١٢) [1]: «ان الروح القدس اذا لحظنا ان هذا الاسم خاصٌ به هو في الثالوث ويُنسب الى الآب والابن لان الروح القدس هو روح الآب والابن»

فترى ايها القارئ الاديب من اقوال الآباء التي اوردناها انهم بالآية «روح الابن» فهموا الروح المنبثق من الابن

البرهان الخامس: من الرتبة الموجودة بين الاقانيم الالهية

يوجد في الثالوث الاقدس رتبة حقيقية مُقرَّرة وثابتة. فكلما ذُكرت الاقانيم الثلاثة الالهية تُذكر بمقتضى النسبة الباطنة التي بينهم. قال السيّد المسيح: «عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» متى٢٨ : ١٩) وقال يوحنا (١ يوحنا ٥ : ٧) : «الآب والكلمة والروح». فاذا ذُكر بالعكس الاقنوم الثالث اولاً يُحفظ مع ذلك الترتيب النسبي ذاته : الروح . الربّ . الله . قال الرسول (١ كور ١٢ : ٤–٦) : «ان للمواهب انواعاً لكن الروح واحد. وللخدم انواعاً لكن الربّ واحد . وللاعمال انواعاً لكن الله واحد الذي يعمل الكلّ في الكلّ». وقد لاحظ القديس باسيليوس في شرحه هذه الآية (في الروح القدس ف ١٦ العدد ٣٧)[2]: ان الرسول لا يورد هنا الترتيب الذاتي لكنه يراعي عوائد البشر فقال: «لكن من كون الرسول ذكر اولاً الروح وثانياً الابن وثالثاً الله الآب لا ينبغي ان نفتكر ان الترتيب تلاشى لان الرسول تكلّم هنا بحسب عوائدنا لاننا اذا نلنا المواهب ننظر اولاً الى من يوزّعها ثم نفتكر بمن ارسلها ونصعد بالفكر الى ينبوع الخيرات وسببها» (اي نصعد بالفكر الى الاقنوم الاول الآب الذي ليس هو من اقنوم آخر بل منه الاقنومان الآخران). وقال ايضاً (في الكتاب ذاته ف١٨ العدد ٤٧ الصفحة ١٥٤) : «الطريقة لمعرفة الله هي من الروح الواحد بواسطة الابن الواحد الى الآب الواحد. وبالعكس الصلاح الجوهري والقداسة حسب الطبيعة والشرف الملوكي يصدر من الآب بالابن الى الروح القدس وبهذه الطريقة نعترف بالاقانيم دون ان نهدم الاعتقاد القويم بالوحدة»

١) مين آباء اللاتين المجلد ٤٢ ص ٩١٩ ٢) مين آباء اليونان المجلد ٣٢ ص ١٣٤

وهذا الترتيب الذاتي الباطني في الثالوث لا ريب فيه كما يتضح من كل صور الايمان المقرَّرة في المجامع ومن الليتورجيات . وليس مفادهُ انه يوجد في الثالوث من يكون الاول ومن يكون الثاني ومن يكون الثالث لان بهذا المعنى لا تكون بين الاقانيم النسبة الاصلية فينفي الترتيب الصحيح والتميز الحقيقي بينهم في وحدة الجوهر فالترتيب اذاً لا يعني ان بينهم سابقاً ومتأخرًا لان الله لا زمن فيه ولا قبل ولابعد بل يراد بالترتيب الباطني في الثالوث ان الاقنوم الاول هو الآب والثاني الابن والثالث الروح . فلا يُراد ترتيب تقديم وتأخير بل ترتيب صدور الواحد من الآخر . هذا هو الترتيب الوحيد الموجود في اللاهوت . فينتج من ثم انه يوجد ارتباط بين الاقانيم وان الآب هو المصدر ومنه يولد الابن ومن الآب والابن يصدر او ينبثق الروح القدس لان الآب اعطى للابن مع جوهره كل كمالاته الجوهرية ما عدا الابوة وحدها التي بها يتميَّز عن الابن . فاعطاه اذاً ايضاً ان ينبثق منه الروح القدس . ومن ثمَّ الابن هو مع الآب مصدر الروح القدس ومصدر واحد كما ان الآب والابن هما جوهر واحد وإله واحد

ومن هذا الترتيب الباطني والواجب الموجود في الاقانيم الثلاثة مع الوحدة في الطبيعة وجميع الصفات الجوهرية ينتج ضرورةً ان الاقنوم الثالث ينبثق من الابن كما من الآب لان ترتيب التسلسل الحقيقيّ في الله يعني امرين هما : تميز الاقانيم لما بينهم من النسبة في الاصل . ثم تسلسل اللاحق من السابق بالمعنى الذي يمكن ان يقال في الله سابقٌ ولاحق اي مصدر ومصادر

لانه لو لم يكن بين الاقانيم تميز حقيقي لما امكننا ان نتصوَّر في الله ترتيباً حقيقياً لان الترتيب يقتضي وجود ارتباط بين كثيرين مميَّزين عن بعضهم مع وجود وحدةٍ ما بينهم . وقد سبق القول انه لا يوجد في الله تميز حقيقي الّا بمقتضى النسبة التي بينهم نظرًا للاصل والتسلسل

فالترتيب اذاً في الاقانيم الالهية هو ترتيب صدور ولكي يُفهم ذلك جيدًا نقول انه ليس سديدًا القول : اقنوم اول واقنوم ثانٍ واقنوم ثالث لانَّ في هذا القول لا توجد نسبة اقنوم الى آخر يكون اصلهُ ومصدره فيبطل التميز الحقيقي ويبطل معهُ الترتيب ايضاً في الاقانيم . وانَّما القول السديد هو : الاقنوم الاول الآب الاقنوم

الثاني الابن الاقنوم الثالث الروح القدس. قال القديس باسيليوس (في رسالته ١٢٥ وفي بعض النسخ ٧٨ العدد ٣) :[1] «بسبب الذين يخلطون كل شيء ولا يحفظون تعليم الانجيل يجب ان نُعلن انه يلزم اجتناب اولئك الذين يبدلون ترتيب الاقانيم المسلَّم لنا من الرب ويخالفون علينا الحقيقة فيضعون الابن قبل الآب والروح القدس قبل الابن. فمن الضروري ان نحفظ ثابتاً وبدون تغيير الترتيب الذي تعلّمناه من فم الرب القائل : «اذهبوا الآن وتلمذوا كل الامم معمّدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس» فينتج من ثمَّ ان صدور الابن الذي يسمَّى قبل الروح يتقدّم نوعاً ما صدور الروح. لكن لا تقدُّم في اللاهوت الّا تقدُّم الاصل. وعليه فبمجرَّد كون الروح القدس في الكتب المقدسة يسمَّى ثالثاً في الرتبة ينتج ان الاقنومين الآب والابن يتقدمانه تقدم الاصل ولا تقدُّم غيرَهُ في اللاهوت. وبتعبير آخر ان الآب والابن هما مصدر الروح القدس فاذاً الروح القدس ينبثق من الآب والابن

العبارتان : منبثق من الآب والابن . منبثق من الآب بالابن

انّ آباء الكنيسة اذ يتكلمون عن انبثاق الروح القدس يستعملون عبارتين. فالآباء اللاتين يستعملون عادةً هذه العبارة : منبثق من الآب والابن . امّا الآباء اليونان فانهم يستعملون عادةً العبارة : منبثق من الآب بالابن

فغاية الآباء اليونان في قولهم ينبثق من الآب بالابن كانت أن يفيدونا رأساً تمييز الاقنومين وصدور الابن من الآب ثم وحدة المبدإ. لانه كما ان الجوهر هو واحد كذلك قوة البثق هي واحدة في الاقنومين. لكن الاب هو مبدأ غير صادر عن مبدإ آخر امّا الابن فليس هو كالآب مبدأ غير صادر عن مبدإ لكنه هو مع الآب مبدأ واحد كما انه مع الآب اله واحد وله وللآب جوهر واحد ومن ثم قوة بثق واحدة لانه نال بميلاده من الآب ما هو للآب ما عدا الابوّة. اذ ان الآب والابن لا يتميزان في اللاهوت ولا في قوة البثق ولا في الصفات الجوهرية ولا تمييز آخر بينهما سوى نسبة الابوة والبنوة. وبتعبير آخر: كل ما هو للآب وغير مُعطَى له من احد هو للابن لكن معطى للابن من الآب. ومن ثم الآب هو الينبوع الاصلي للبثق اما الابن فيأخذ من الاب جوهرهُ وقوة البثق هو مع الآب مبدأ واحد للبثق. وهذا المعتقد

(١) مين آباء اليونان المجلد ٣٢ ص ٥٥٠

ليس الّا المعتقد بميلاد الابن من الآب مع وحدة الجوهر فالابن هو من جوهر الآب وله الجوهر ذاته ومن ثم الاقنوم الاول والثاني هما إله واحد وبائق واحد لكن كما ان الاقنوم الاول هو ينبوع اللاهوت كذلك هو ينبوع البثق

فما سبق يتضح للقارئ ان بين هاتين العبارتين « ينبثق من الآب والابن » و«ينبثق من الآب بالابن » لا يوجد فرق في المعنى لكن في نوع التعبير فقط . فمعنى كليهما انبثاق الروح القدس من الآب والابن كمن مبدإ واحد : لكن في العبارة «ينبثق من الاب والابن » المراد رأساً هو ايضاح حقيقة وحدة المبدأ . اما الترتيب الاصلي بين الابن والآب وكون قوة البثق هي للابن من الآب . فذلك لا يُذكر صريحاً بل يُفهم ويستخلص من اسمَي الآب والابن

اما في العبارة «ينبثق من الآب بالابن» التي يؤثرها الآباء اليونان فالمقصود منها رأساً هو الترتيب الاصلي بين الآب والابن الباثقين للروح اي ان الآب هو الينبوع الاصليّ الذي منه اخذ الابن الجوهر وقوة البثق . فوحدة المبدأ لا تُذكر صريحاً في العبارة «من الآب بالابن » لكنها توجد ضمن معنى الفاعل اي الله الآب والله الابن

وعليه فالآباء اللاتين في العبارة المستعملة منهم «ينبثق من الآب والابن» يقرّرون رأساً ضدّ الاريوسيين وحدة الجوهر والبثق وضمناً تمييز الاقانيم ضد السابليّين الناكرين هذا التمييز . بينما الآباء اليونان بالعبارة التي كثيراً ما يستعملونها « ينبثق من الآب بالابن» يوضحون صريحاً ضدّ شيعة سابليوس تمييز الاقنومين الباثقين والترتيب بينهما وضمناً وحدة المبدأ ضد الاريوسيين [1]

ومن المقرّر ان الآباء اللاتين استعملوا ايضاً عبارة اليونان كما انّ الآباء اليونان استعملوا عبارة اللاتين لما بين العبارتين من الاتفاق في المعنى . كما يتضح من بعض اقوالهم : قال القديس ابيفانيوس (في الرسالة العدد ٦٧) [2] «ان المسيح من الله ونؤمن انه إله من إله . وروح الله من المسيح اذ انه ينبثق من الاثنين كما يشهد المسيح بقوله «الذي من الآب ينبثق» (يوحنا ١٥ : ٢٦) وايضاً «يأخذ مما لي» (يوحنا ١٦ : ١٤ و١٥)»

---

١) ان اريوس ينكر الوهية ابن الله . وينكر مقدونيوس ألوهية الروح القدس . اما سابليوس فينكر تمييز الاقانيم وقال انها كيفيات عرضيّة في الله . فبخلقه العالم ظهر لنا كأب وبفداء البشر ظهر كابن وبتقديس النفوس ظهر كروح قدس . هكذا زعم سابليوس

٢) بين الآباء اليونان المجلد ٤٣ ص ١٣٨

وقال ايضاً (في المرسلة العدد ٧٠)[1] : « الله كله حكمة فالابن اذاً المكنون فيه جميعُ كنوز الحكمة (كولسي ٢ : ٣) هو حكمة من حكمة . والله كلُّه حياة فالابن اذاً القائل « انا الحق والحياة » (يوحنا ١٤ : ٦) هو حياة من حياة . والروح القدس يصدر من الاثنين فهو روح من روح لانَّ « الله روح » (يوحنا ٤ : ٢٤) . فبقوله « يصدر من الاثنين » صرَّح القديس ابيفانيوس انهُ ينبثق من الآب والابن كما يقول الآباء اللاتين . وبقوله « روح من روح » اوضح ان الآب والابن هما مصدر واحد للروح القدس

وقال ايضاً (في المرسلة العدد ٧١)[2] : « من انت ايها الانسان لتجاوب الله (رومية ٩ : ٢٠) الذي يسمّي ابناً ذاك الذي يولد منه وروحاً قدساً ذاك الذي ينبثق من الاثنين . فهذه الثلاثة الاقانيم التي يعرفها بالايمان وحده رجالٌ قديسون هي نور ومصدر النور المُنير ولها فاعليَّة النور . . . اسمع اذاً يا هذا كيف ان الآب هو اب الابن الحقيقي وكله نور وكيف ان الابن هو ابن الآب الحقيقي نور من نور لا كسائر الاشياء المصنوعة او المخلوقة وبالاسم فقط . وكيف ان الروح القدس هو روح الحقّ ونور ثالث من الآب والابن »

وقال ايضاً (في المرسلة العدد ٧٣)[3] : « لا احد يعرف الابن والآب الّا الروح القدس الذي يمجّد حقًّا ويعلّم كل شيء (يوحنا ١٤ : ٢٦) والذي يشهد للابن (يوحنا ١٥ : ٢٦) والذي ينبثق من الآب والابن »

وقال القديس كيرلّس الاسكندري (كتاب الكنز ف ٣٤)[4] عن الروح القدس انهُ « ينبثق من الآب والابن » . وقال (ص ٥٨٧) : « الروح القدس هو من جوهر الابن » . وقال (ص ٥٩٠) : « ان المخلص في الانجيل قال عن ذاته انا الحق (يوحنا ١٤ : ٦) والمنبوط يوحنا يبيّن ان الروح هو من جوهر الآب والابن فقال في انجيله (١٥ : ٢٦) روح الحق الذي من الآب ينبثق . وقال (ص ٥٩٤) : « يأخذ مما لي ويخبركم . لا يتكلّم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » (يوحنا ١٦ : ١٤ و ١٣) لانه بعد ان أنجز عمله على الارض وكان على وشك الصعود الى ابيه وعد تلاميذه بان يُرسل لهم المعزي .

---

١) ص ١٤٧ ٢) ص ١٤٧ ٣) ص ١٥٤

٤) بين الآباء اليونان المجلد ٧٥ ص ٥٨٦

فلئلا يظنوا ان تعليم الروح القدس سيكون مخالفاً لتعليمه أعلن جلياً انه كما الروح هو منه كذلك الكلام الذي يتكلم به يكون منه فقال لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع »

فهذه الاقوال تبين جلياً ان الآباء اليونان استعملوا العبارتين «منبثق من الآب بالابن » و«منبثق من الآب والابن» بالمعنى ذاته كالآباء اللاتين

ان المكان يضيق بنا لنذكر نصوصاً وافرة وافية للآباء اليونان غير التي اوردناها استعملوا فيها هذه العبارة « منبثق من الآب والابن » او « منبثق من الاثنين» او « منبثق من كليهما » . وفي ما اثبتناه كفاية للعقول السليمة

المجامع الخصوصية والعمومية

لما كانت حقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب مسلماً بها ومنتشرة عند الجميع وكان يعلمها آباء الكنيسة الشرقية كالغربية بدون تردد ويؤيدونها بالبراهين المأخوذة من الكتب المقدسة ضد الهراطقة ناكري ألوهية الروح القدس فلا عجب ان تكون المجامع الخصوصية والعمومية قررتها قبل ان تنشأ في القرن التاسع الاعتراضات والمجادلات عن انبثاق الروح القدس من الابن واعترفت بها في صور قانون الايمان تحذيراً للمؤمنين من الاضاليل التي ابتدأ البعض يبذرونها

ففي المجمع الثاني الملتئم في طليطلة من اعمال اسبانية سنة ٤٩٧ وكان اجتمع فيه كل اساقفة اسبانية نراهم يعترفون بان الروح القدس منبثق من الآب والابن[1] . وفي مجمع طليطلة الثالث المنعقد سنة ٥٨٩ قرر الآباء وضع اللفظة « من الابن » في صورة قانون الايمان المثبتة في مجمع القسطنطينية الذي تكلمنا عنه في بدء هذه المقالة[2] . وهذا نص الحرم الذي رشق به آباء مجمع طليطلة كل من ينكر انبثاق الروح القدس من الآب والابن : « كل من لا يؤمن بان الروح القدس ينبثق من الآب والابن وانه ازلي مثلهما وانه مساوٍ للآب والابن فليكن محروماً »

ثم انه في المجمع الذي التأم سنة ٦٨٠ في هيثفيلد[3] من اعمال انكلترة وكان

١) مجموعة هردوين للمجامع (الجزء ١ ص ٩٩٣) ومجموعة كارلس هيفيلي للمجامع الطبعة الفرنسية (المجلد ٣ الجزء الاول ص ٤٨٣ والحاشية ٢) ٢) مجموعة هردوين للمجامع (الجزء ٣ ص ٤٦٩) ومجموعة هيفيلي للمجامع (المجلد ٣ الجزء ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٤)

٣) مجموعة مانسي للمجامع (المجلد ١١ ص ١٧٦ و ١٧٧)

اجتمع فيه كل اساقفة تلك البلاد تحت رئاسة اسقف قنطوارية ثيودورس اليوناني الاصل قرّر آباء المجمع صورة الايمان كما يلي : « نقبل المجامع المقدسة العمومية الخمسة التي اجتمع فيها الأبرار المقبولون لدى الله (هنا يذكرون هذه المجامع) [1] ... وكذلك المجمع المنعقد في مدينة رومية في عهد المغبوط البابا مرتينوس ... نقبلها ونمجد سيّدنا يسوع المسيح كما هم مجدوه بدون ان نحذف او نضيف شيئاً ... ونمجد الله الآب الازلي وابنهُ الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور والروح القدس المنبثق من الآب والابن بنوع يفوق الوصف كما علّم هؤلاء الذين ذكرناهم آنفاً الرسل الاطهار والانبياء والعلماء . فنحن جميعنا مع الاسقف ثيودورس نُمضي الايمان الكاثوليكي الذي اوضحناه »

وكذلك قرّر آباء المجمع الملتئم سنة ٧٩٦ في مدينة فريجوس من اعمال فرنسة بسعي القديس بولين اسقف اكيله . فهاك بعض اقوال هذا القديس : « ان الآباء القديسين الراسخين في ثبات هذا الايمان (يتكلم عن الجوهر الواحد للآب والابن) اعترفوا بموجب المعتقد الكاثوليكي ان الروح القدس ينبثق من الآب . ونعترف نحن ايضاً بافتخار أنهُ ينبثق من الآب والابن »

ولا نرى من حاجة الى ذكر المجمعين العامّين اعني المجمع المسكوني الرابع عشر وهو مجمع ليون الثاني المنعقد سنة ١٢٧٤ في مدينة ليون من اعمال فرنسة على عهد البابا غريغوريوس العاشر وملك القسطنطينيّة ميشال باليولوغ . ثم المجمع المسكوني السادس عشر الملتئم سنة ١٤٣٩ في فلورنسة من اعمال ايطالية على عهد البابا اوجينيوس الرابع وملك القسطنطينيّة يوحنا باليولوغ . وقد حضر هذين المجمعين الاساقفة اليونانيون . وكلهم اقتنعوا واذعنوا للحق (ما عدا مرقس اوجينيكوس اسقف افسس الذي حضر مجمع فلورنسة) وأقرّوا بحقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كما من الآب وامضوا صورة ايمانهم [2]

ومن ثم نقول ان حقيقة انبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقه من الآب المحتواة

---

١) هذه المجامع هي مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ومجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ ومجمع افسس سنة ٤٣١ ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ومجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣

٢) راجع كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم للاب دي كوبه اليسوعي

في الكتب المقدسة والمدافع عنها باقوال الآباء القديسين المتواترة من شرقيين وغربيين والمعلنة والمقرَّرة من المجامع المقدسة هي حقًّا عقيدة من الايمان يلزم اعتناقها والتمسك بها ولو كلفنا ذلك سفك دمائنا وفقد حياتنا الجسدية الفانية

كلمة في وحدة الله عزّ وجلّ وتثليث اقانيمه

بعد ان بيَّنَّا عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن ببراهين واضحة لا يردّ عليها مأخوذة من آيات الكتب المقدسة الوحي بها من الله يحسن بنا ان نختم مقالتنا بتلخيص ما يعلّمنا الايمان المستقيم عن وحدة الله تعالى واقانيمه الثلاثة لنفهم فهماً اتمّ ما يختصّ بانبثاق الروح القدس

فنقول اولًا : ان الله هو ازليّ الوجود لانه الكون اللازم الوجود « قال الله لموسى انا هو الكائن . وقال كذا قل لبني اسرائيل الكائن ارسلني اليكم » (سفر الخروج ٣ : ١٤) . فاذًا هو بمعزل عن الزمن المختصّ بالمخلوقات المتغيّرة والمنتقلة من حال الى حال . فلا ماضٍ في الله ولا مستقبل بل كلُّ شيء حاضر لعزّته . يمكننا ان نشبّه كونه الازلي بنقطة المركز في الدائرة فهي توازي كل نقط الدائرة . فاذا افترضنا ذرّات تتحرّك وتسير على خط الدائرة فهذه الذرّات بالنسبة الى بعضها بعض هي قبل او بعد . أمّا بالنسبة الى نقطة المركز فهي ابدًا حاضرة . كذلك المخلوقات فهي بالنسبة الى بعضها بعض في الزمن فهي قبل او بعد في الماضي او في المستقبل . أمّا بالنسبة الى الله فهي دائمًا حاضرة لعزته الالهية

نقول ثانيًا : ان الله اللازم الكون هو واحد اي ذات غير متناهية . لكنه عزّ وجلّ مثلّث الاقانيم وهذه الثلاثة الاقانيم هم إله واحد . فكما انّ نفس الانسان هي واحدة في الجوهر لكنها مثلّثة القوى وهذه القوى هي العقل والارادة والذاكرة وكلٌّ من هذه القوى هي ذات جوهر النفس لكنها تمتاز عن القوّتين الأُخرَيين . فالعقل هو النفس المفكِّرة وهو يمتاز عن الارادة وعن الذاكرة . والارادة هي النفس المُريدة وهي تمتاز عن العقل وعن الذاكرة . وهكذا القول عن الذاكرة . الّا انّ هذه القوى في النفس ليست اقانيم قائمة بذاتها كما هي الاقانيم في الثالوث الاقدس

قلنا ان الله هو واحد في ذات غير متناهية ونقول انه عقل وارادة وفيه فعل

واحد ازليّ غير متناهٍ [1] . فيعرف الله ذاته ومعرفتهُ لذاتهِ هي ابنه كما ان فكرنا يصدر من عقلنا فهو ابن عقلنا . الّا ان الفكر في نفس الانسان عرض وفي الله جوهر . ونقول ان الله الآب يُصدر الابنَ بطريقة الفهم منذ الازل فهو ابن الآب بالولادة اي كلمته وصورته . فكلمته هي اقنوم قائم بذاتهِ مُميَّز عن الآب . ثم ان الله الآب اذ يعرف ذاته في صورته الابن يحبّه محبة متبادلة فالآب يحبّ الابن والابن يحبّ الآب لانّ كل شيء فيهما مشترك ولا يتميّزانِ الّا بان الآب والد والابن مولود فهذه المحبة المتبادلة هي الروح القدس . وبما ان المحبة تصدر بطريقة الارادة نقول ان الروح القدس لا يصدر بالولادة كالابن بل بالانبثاق . وحيث المحبة متبادلة بين الآب والابن نقول ان الروح القدس ينبثق من الآب والابن لكن كمن مبدإٍ واحد لانّ كلّ شيء مشترك بينهما ما عدا الابوّة والبنوّة . واذ كانت المحبة في الله جوهرية لانّ لا شيء فيه عرضيّ قلنا ان الروح القدس اقنوم قائم بذاتهِ مميَّز عن الآب والابن

وبتشبيهٍ بسيط نوضح كيف ان الآب مصدر الابن . وكليهما مصدر الروح القدس وليس واحد من الثلاثة قبل الآخر او بعده . فلنفترض انهُ يوجد إزاء مرآةٍ نورٌ ينبعث منهُ شعاع يقع على صحيفة المرآة ففي الوقت عينهِ تُرى في المرآة صورة النور ينبعث منها الشعاع . فالنور هو مصدر الصورة . والنورُ وصورته موجودان بآنٍ واحد . والنور وصورته هما مصدر الشعاع المتبادل بين النور وصورتهِ . والثلاثة اي النور وصورته والشعاع يوجدون معاً . كذلك منذ الازل الله الآب كائن ويُصدر الابن بالولادة وكلاهما مبدأٌ واحد لانبثاق الروح القدس

---

١) انّ قول الكتاب المقدس «خلق الله الانسان على صورته» (تكوين ١ : ٢٧) معناهُ انّ الله خلق الانسان مزيَّناً بالعقل والارادة كما ان الله هو عقل وارادة . الّا ان عقل الانسان وارادته متناهيان اما الله فازلي وغير متناهٍ

الرَّديوفون او التلفون اللاسلكي

للاب س . م اليسوعي

لا مراء ان التلفون اللاسلكي من اعجب اختراعات جيلنا العشرين ابي العجائب والغرائب ولاسيما انه بلغ من الرقيّ في ظرف نحو عشر سنوات مبلغاً جعل التحادُث بين اوربة واميركة من الامور اليوميَّة المتيسرة بمثابة المراسلات التلغرافية اللاسلكية

بيد ان المتأمل في دقَّة الصوت البشري وشدة تنوُّع نبراته وقصر مداه الطبيعي لا يتمالك من الاندهاش اذ يعلم انَّ ذلك الصوت الدقيق الضعيف يَعبر بطرفة عين عرض الاطلنتيك الى مسافة آلافٍ من الكيلومترات فيرنّ واضحاً مسموعاً بكل نبراته في آذان سكَّان اوربة واميركة في آن واحد !

أَجل انَّ حدوث هذه المعجزة منذ بضعة اعوام لايكاد يبخس شيئاً من غرابة اختراع هذا الفنّ الشاهدة شهادةً غرَّاء على قدرة العقل البشري السامية . لقد سبق المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٦٨٤) ووصف عجيب انتشار الرديوفونية في الولايات المتحدة على انه لم يكشف حتى الآن سرّ ذلك الاختراع العصري المدهش . ولذلك عنَّ لنا تأدية هذه الخدمة للقراء الكرام على اسلوب وجيز قريب المنال مكتفين بعرض جوهريَّات الرديوفونيَّة دون العرضيَّات او الكماليَّات التي يضيع فيها القرَّاء وتحول دون الوضوح الذي لا لذَّة للفكر بدونهِ في مثل تلك المباحث العويصة

١ المُقابلة بين التلغرافيَّة اللاسلكيَّة وفنّ الرديوفونيَّة

قد ارسل المهندس مركوني مبتكر التلغراف اللاسلكي برقيَّتهُ اللاسلكيَّة الاولى من اوربة الى اميركة سنة ١٩٠٢ . امَّا التحادُث اللاسلكي الاول بين برج أيفل بباريس ووشنطن عاصمة الولايات المتحدة فقد جرى ١٣ سنة بعد ذلك في تشرين الاول ١٩١٥ . ولسائل ان يسأل : ما سبب تأخر الرديوفونية الشديد عن التلغرافية اللاسلكيَّة ؟ أما كان المنتظر ان يجاري احدهما الآخر كفرسي رهان في ميدان

الاختراعات العصرية حيث ان ركنهما الجوهري واحد وهو التموجات الكهربائية المعروفة ؟ هوذا الجواب على هذا السؤال : انَّ التلغرافية اللاسلكية تعبّر عن كلّ من الحروف الابجدية باطلاق شرارات كهربائية التي بعضها قصير المدة وبعضها طويل . فيسهل التعبير باوضاعها المختلفة عن كلّ حروف الهجاء . وقد تواطأ الفنيّون من قديم على جعل هذه الاوضاع نقطاً او خطوطاً كما ترى في تلغراف مُرس (Morse) وعليها جرت التلغرافية اللاسلكيَّة . فالألف عبارة عن خطّ فنقطة (—·) ، والباء ثلاث نقط فخط (·· ·—) ، والتاء خط لا غير (—) ، والثاء نقطة فخطّ فمثلها (·—·—) وهلم جرًّا

ولا بُدَّ هنا من ملاحظة لبيان الفرق بين التلغراف اللاسلكي والرديوفونيَّة . فانَّ النقطة نفسها المشار اليها باطلاق شرارة قصيرة تدوم وقتاً يُذكر . امّا التلفون اللاسلكي فعليه ان ينقل الصوت البشري المتراوح عدد اهتزازاته في الثانية بين نحو الف وثلاثة آلاف ! . ومن البديهي انه لا يستطيع القيام بهذه الوظيفة ان لم ينقل على اجنحة التموجات الكهربائية كل هذه الاهتزازات واحدةً فواحدة بنفس سُرعة صدورها من شفة الانسان . وهيهات ان يقوم بهذا الغرض محض اطلاق الشرارات القصيرة والطويلة فان هذه على نوعيها بطيئة جدًّا بالنسبة الى سرعة اهتزازات الصوت

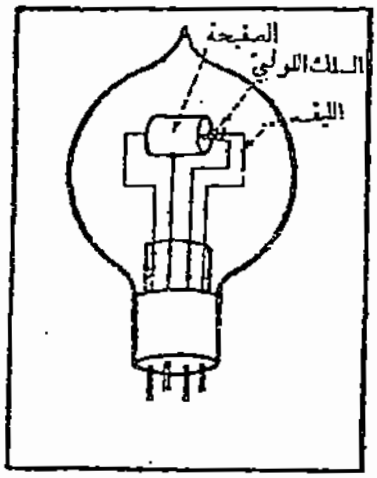

المصباح المثلّث الاركان

وبناء على ذلك أُلجئ الباحثون الى ان يسلكوا طُرُقاً غير مطروقة في طلب ضالّتهم المنشودة ونخصُّ بالذكر نفرًا كان تجاربهم الناجحة رنَّةُ إعجاب في كل العالم المتمدن في نشأة هذا الفن الغريب منهم الايطالي مايوراما (Majorama) الذي طيّر صوته سنة ١٩٠٧ الى مسافة ٦٠ كيلومترًا — ثم الفرنسيان كولان وجنس (Collīn et Jeance) — وكلاهما ملازم في البحريَّة — تحادثا لاسلكيًّا بين مدينة طولون وبور

فندرز (Port-Vendres) اي عن بعد ٢٤٠ كيلومترًا — ثمَّ تمكَّن عالم الطبيعة الدنيركي بُلسن (Poulsen) نقل كلامه قبل ١٩١٢ من كوبنهاغن الى برلين وذلك عبارة عن نحو ٤٠٠ كيلومتر . وفي ١٩١٤ كان الصوت يجتاز لاسلكيًّا نحو ٥٠٠ كيلومتر بينما كان التلغراف اللاسلكي يقطع ٦٠٠٠ كيلومتر فهذا اولئك الجهابذة المجتهدون وكثيرٌ من امثالهم الطريق للتحسينات الكثيرة المتتابعة التي رقَّت الفن الجديد شيئاً فشيئاً الى ان بلغت به الى اوج الكمال في السنين الاخيرة . وقد ضربنا صفحاً في هذه العجالة عن الطرق القديمة الناقصة مكتفين بالشرح الموجز البسيط لجوهر الطريقة الحاضرة . وهي التي مكنت ارباب هذا الفنّ بل كلَّ المولعين به من جعل الصوت البشري يجتاز الاطلنتيك باقلّ من لمح البصر واصلًا اوربة واميركة صلةً ادقّ واسرع واسهل والذّ بدون قياس من النقليّات بالتلغراف اللاسلكي . ولا مغالاة في قولنا «اسرع واسهل والذّ» حيث ان اشارات البرقيّات اللاسلكيّة لا يفهمها فورًا الّا من تعوّد على تلقّيها بطول الممارسة ، اما الراديوفونية فايُّ شخص ولو طفلًا قادرٌ في الحال على استعمالها حيث انها تنقل الصوتَ كما هو بل الموسيقى ايضاً وكلا الامرين محالٌ بدونها . واليك الآن طريقة هذا النقل العجيب

٢ المبدأ العام للراديوفونية

للراديوفونيّة كما للتلغراف اللاسلكي جهازان باعث وقابل فالجهاز الباعث اي جهاز الشخص المتكلم يحتوي على ميكروفون — وهو تليفون دقيق محكم الصنع (١ يمرُّ بهِ مجرى كهربائي معتاد نسمّيه المجرى الاوّلي

فالمتكلم يواجه فُرجة الميكروفون فيُحدث فيه صوتُهُ اهتزازات ميكانيكيّة تسبّب زيادة المجرى الاوّلي المارّ بالميكروفون . ثمَّ نقصانهُ تناوباً . فينجم عن ذلك

١) ركنهُ دقائق عديدة من الغرافيت (graphite) محصورةٌ بين صحيفتين مستديرتين من الفحم . فاهتزازات الصوت امام احداهما — وهي رقيقة جدًّا — يجعلها تتحدّب الى داخل الميكروفون ثم الى خارجه بعدد الاهتزازات . فالتحدّب الداخلي يزيد شدّة المجرى الكهربائي المارّ بدقائق الغرافيت والصحيفتين الفحميتين . امّا التحدب الخارجي فانه يضعف شدة هذا المجرى

المتناوب مجرًى ثانوي تتغيَّر وُجهتهُ بعدد اهتزازات الصوت . فلو فرضنا ان في صوتٍ معلوم ٣٠٠ هزّة في الثانية فينجم عنها ٣٠٠ تغيير في وجهة المجرى الثانوي فيترتب على ذلك حدوث التموجات الكهربائية التي تقطع الفضاء الاثيري بسرعة النور اي نحو ٣٠٠،٠٠٠ كيلومتر في الثانية

امَّا الجهاز القابل — اي جهاز الشخص المخاطَب — فيحتوي على آلة شبيهة بالباعث . فاذا كان « مُدَوْزَنًا » مع الجهاز الباعث ، اي مستعدًّا لالتقاط تموّجاته دون سواها أحدثت هذه فيه مجرًى كهربائيًّا ثانويًّا تتغير وُجهته في المثل الذي ضربناه ٣٠٠ مرة في الثانية بفعل ذلك العدد من التموّجات الواردة اليه في ذلك الوقت . ثم ان التغيرات الثلاثمائة في هذا المجرى الثانوي تُحدث في صفيحة ميكروفونه مثل ذلك العدد من الاهتزازات الميكانيكية الواصلة الى أُذن المخاطب فيسمع الصوت الصادر من المتكلم

وفي كلٍّ من الباعث والقابل صارية كما في التلغراف اللاسلكي يُقصَد منها تشديد التموجات الصادرة والواردة وتزيد ارتفاعها بنسبة بُعد المواصلات كما هو شائع

هذا هو المبدأ العام للرديوفونية . وابسط ما يقال عنها للعموم . اما الذين هم اوسع اطّلاعاً على الطبيعيات فنعرض عليهم تفاصيل ادقّ بخصوص المصباح المثلَّث الاركان (la lampe à 3 électrodes) وهو القسم الاساسي لكل من الباعث والقابل وقد حسَّن اختراعهُ الفنَّ الجديد تحسيناً لم يكن في الحسبان

٣ المصباح المثلَّث الاركان

هو مصباح مُفرَّغ من الهواء كالمصابيح الكهربائية المعروفة بل له شكلها المستطيل مع استدارة جوانبه . (انظر الشكل) ويسمَّى مثلَّث الاركان لاحتوائهِ على ثلاثة اجزاء جوهرية وهي :

الجزء الاول لِيفٌ (filament) دقيق متوهّج من التنكستان (١ (tungstène)

١) هو معدن رمادي اللون يشبه الحديد منظرًا . ثقله النوعي ١٧٫٢ فهو اذًا من اثقل المعادن وقد اشاروا الى ذلك في اسمه المأخوذ عن اللغة الاسوجية والمتكون من كلمتين : tung بمعنى ثقيل و Sten بمعنى حجر . فمعنى اسمهِ الحجر الثقيل . ومن اهم خواصه صلابته الشديدة وصعوبة تميُّعهِ وقلَّة تأثره بالعوامل الكيماوية

موصول بخزّان كهربائي (accumulateur) قوّته نحو ٤ فُلتات (Volts)

الجزء الثاني سلك من النيكل او الموليدان (١ (molybdène) مفتولٌ لولبيًا حول ليف التنكستان بدون مسيسه ومتصل بمجرى الميكروفون ثم بالصارية المرتفعة

الجزء الثالث صحيفة من النيكل او الموليدان موصولة بالقطب الايجابي لبطاريّة الخزّانات قوّتها من ٥٠ الى ٨٠ فُلتاً ثم بليف التنكستان . هذه الصحيفة ذات شكل اسطواني وهي تحيط بالسلك اللولبي لا تمسُّهُ

فيتضح مما سبق ان ليف التنكستان في داخل السلك اللولبي وهذا السلك في داخل الصحيفة الاسطوانية . وطلباً للايجاز سندعو تلك الاركان الثلاثة في الشروح التالية على الوجه الآتي : الليف ، اللولب ، الصحيفة . فلا سبيل الى الالتباس بعد ما مرّ بك

بعد الوصف الموجز لتلك الاجزاء الجوهرية للمصباح المثلث الاركان هلمّ بنا نتأمل في وظائفها . الليف المتوهج تنبعث منه — كما من سائر الجوامد المتوهجة — ملايين من الالكترُونات (électrons) وهي دقائق عجيبة الخفة (٢ ذات كهربائيّة سلبيّة . وهذه الالكترونات تجذبها الصحيفة المكهربة ايجابيًا لاتصالها بالقطب الايجابي لبطّاريّة الخزّانات كما سبقت الاشارة . فعلى هذا النمط تُقفل هذه الالكترونات دائرة المجرى المارّ بالليف والصحيفة

امّا اللولب المتوسط بينهما فانّ المجرى الاوّلي المارّ به وبالميكروفون يزيد فينقص بعدد اهتزازات صوت المتكلم امام صحيفة الميكروفون ، مثلاً ٣٠٠ مرّة في الثانية ، فينجم عن ذلك في نفس دائرة المجرى الاولي مجرًى ثانويٌّ تتغيّر وجهته ٣٠٠ مرة في الثانية . ففي كلّ تغيّر تكون كهرباء اللولب ايجابية فسلبيـة . وفي الطور الاوّل — نعني متى كانت ايجابيةً — تقوّي جاذبيّة الصحيفة (المكهربة ايجابيًا) للالكترونات ، فيشتدّ المجرى المارّ بالليف والصحيفة . وفي الطور الثـاني — نعني متى كانت كهرباء اللولب سلبيّةً — تُضعفُ جاذبيّة الصحيفة للالكترونات ، فينقص المجرى المذكور .

---

١) هو معدن بلون الفضّة الكامدة اي المادة الطوع . وقد فصّلـه المرة الاولى عن العناصر المتزجة به الكيماويّ الاسوجي يَلم (Hjelm) سنة ١٧٨٢ . ثقله النوعي ٩٫١ وهو عسير الشيّع كالتنكستان لكنه اخفّ كثيرًا منه

٢) خفّتها تساوي الفي ضعف خفّة دقائق الهدروجين وهي اخفّ العناصر الكيماوية

وعلى هذا النمط يشتدّ المجرى المارّ بالليف والصحيفة ثم ينقص ٣٠٠ مرّة في الثانية ، مثلما يشتدّ وينقص المجرى الاوّلي المارّ بالميكروفون واللولب . بيد ان البون بين اشتداد المجرى الاوّل ونقصانه اعظم كثيراً منه في المجرى الثاني . ولهذه الملاحظة اهمّية كبرى في قيام الجهاز القابل بوظيفته . واليك بيان ذلك : في هذا الجهاز عدّة مصابيح مثلّثة الاركان يقوي كلٌّ منها فعل الآخر على الوجه الآتي :

لولبُ المصباح الاول يلتقط التموجات الواردة . تتأثّره بها يُحدث تأثّراً اشدّ ، كما مرّ بك ، في صحيفة ذلك المصباح وهذه موصولةٌ بلولب المصباح الثاني فتأثّرها المنتقل اليه يحدث تأثّراً اشدّ في صحيفة ذلك المصباح وهلمّ جرّاً . فيكون تأثر لولب المصباح الاخير (١ في اشدّ ما يكون ، فيحدث هذا اللولب اهتزازات صوتيّة واضحة في الميكروفون المتصل به

نلتمس عذر القارئ على وعورة الشروح السابقة الموجّهة الى مجرّد المولعين بالطبيعيّات . ونختم هذا الفصل بكلمة لا غير في تاريخ المصباح المذكور الذي أدخل الرديوفونية في دورها الكمالي .. كان اختراعه قليلاً قبل الحرب الكبرى على يد الاميركيّين دي فُرست وأرمسترنغ (de Forest et Armstrong) . ثم حسّنت ادارة التلغراف اللاسلكي الحربي بفرنسة اجهزتها تحسيناً عظيماً جعل كلّ الشعوب تستورد طول الحرب ذلك الصنف الثمين من المصانع الفرنسيّة

٤ الحركة الرديوفونية في ارقى البلاد

كما نتكلم عن حركاتٍ دينية او سياسية او ادبية هكذا جرت عادة الصحافة الاوربيّة ولاسيما الاميركية على نشر المقالات الممتعة في « الحركة الرديوفونية » اي في انتشار التلفون اللاسلكي وتحسّنه المتواصل . بل قد الجأت الظروف هؤلاء الكتبة الى استنباط لفظة جديدة للدلالة على اطلاق التموجات الرديوفونية الحاملة لكلّ نبرات الصوت والموسيقى . فقد سمّاه الناطقون بالانكليزية broadcasting والتعريب الحرفي لهذه اللفظة المولّدة هو : « الالقاء الواسع » اشارةً الى بث التموجات في كل جهات الفضاء الرحيب . امّا الفرنسيون فانهم يدعونه radio-diffusion اي نشر

١) في اعظم الاجهزة القابلة يُستخدم احد عشر مصباحاً او نحو ذلك وقد دلّ الاختبار على ان الزيادة على ذلك لا جدوى بها

الاشعاع . وكثيراً ما يستخدمون لفظة «إشعاع» بمعنى التموجات الكهربائية في التعابير الفنية المركبة من لفظين فاكثر مثال ذلك قولهم : radiotélégraphie و radioté-léphonie الخ . فلنسرح النظر بعد هذه التمهيدات اللغوية في الحركة الرديوفونية بأرقى البلاد

اولاً في الولايات المتحدة . قد سبقت للمشرق مقالةٌ على هذا الموضوع (راجع عدد آب ١٩٢٢ ص ٦٨٤) فنكتفي في هذا المقام بزيادة بعض التفاصيل التي لم تُذكر في البحث المشار اليه . منذ اوائل ١٩٢١ كان لشركة وستنكهوس (Westinghouse) الكهربائية المشهورة مصدرٌ رديوفوني قديرٌ بمدينة بتسبرغ (Pittsburg) . ومنذ ذلك العهد باعت هذه الشركة عدداً كثيراً من اجهزة الرديوفون . فلمّا حدثت الملاكمة الشهيرة بين كربنتيه (Carpentier) ودمسه (Dempsey) أُنشئ في نيوَرك (Newark) مصدرٌ رديوفوني لنشر اخبار تلك الملاكمة دقيقةً فدقيقة في الولايات ! حينئذٍ طفق اهليا يولعون بالفنّ الجديد فتفرغت في مدة قصيرة كل مخزونات صانعي الاجهزة الرديوفونية . وقد تركت الحكومة الحرّية المطلقة لانشاء المصادر الرديوفونية والمحطات القابلة (Stations réceptrices) فنجم عن ذلك بطبيعة الامور تشوّشٌ عظيم في المواصلات بلغ حدّهُ او كاد في اوائل ١٩٢٢ . فتداخلت الحكومة في هذه المسألة ووضعت نظاماتٍ لرديوفونية الولايات . فالآن تنتقل اخبار الجرائد ونغمات الموسيقى واسعار الاسواق والانباء الجوّية والمحاضرات والمواعظ على جناح الاثير من اقصى « بلاد العمّ سام » الى اقصاها وذلك بغاية الترتيب

ثانياً في انكلترة : قرّرت حكومتها مبدئياً في ايار ١٩٢٢ تنظيم المواصلات الرديوفونية حيث لم ترضَ بان تسبقها اميركة بهذا المضمار . امّا اشهر المحطات الباعثة هناك فهي في لندن وبليمث (Plymouth) ومنشستر وغلاسكو وكردينف وبرمنغام ونيوكاسل وأبردين . كل هذه المصادر الرديوفونية هي ملك الافراد بيد ان لادارة البريد العمومية سلطةَ المراقبة عليها فلا تأذن بانشاء محطّة باعثة الّا لمن عنده المال والكفاءة اللازمة لحسن ادارتها . اخيراً ان اقبال الجمهور الانكليزي على شراء الاجهزة الرديوفونية ولاسيما القابلة يكاد يفوق الوصف ويذكّرنا بشغف الاميركيين بل بهوسهم الغريب

ثالثاً في فرنسة : مع انها لم تخترع المصباح المثلث الاركان السابق وصفهُ فهي التي بيَّنت اكثر من غيرها، في مركز ادارة تلغرافيَّتها اللاسلكية بباريس ، خواص هذا المصباح بل حسَّنته وعرَّفت خير الطرُق لاستعمالـه . وكان للجنرال فِرْيه (Ferrier) اليد الطولى في كل تلك المآثر . فلم تلبث مصانع فرنسة ان تُصدّر الى كل اطراف البلاد بل الى الخارج آلافاً من تلك المصابيح وملحقاتها (١ فأقبلت عليها بلاد الحلفاء اقبالاً عجيباً الى ان تمكنت من تقليدها . على ان فرنسة لم تزل في هذا المضمار حائزةً على قصب السبق . ودليـل ذلك ان المصباح الفرنسي بسعر ٢٢ فرنكاً يفوق على اجود المصابيح الاجنبية التي تباع باكثر من مائة فرنك . امـا ولع الفرنسيّين بالفنّ الجديد فكانت اوائله في تشرين الثـاني ١٩٢١ حيث انشأت الحكومة على برج أيفل محطةً قديرة للتجارب الرديوفونية . واذ نجحت هذه التجارب كل النجـاح قد اقترحت ادارة البريد والتلغراف والتلفون انشاء محطة رديوفونية اقدر من السابقة وفي الامل افتتاحها في تشرين الثاني القادم . ومنذ ٦ شباط ١٩٢٢ وكلت المصلحة الوطنيَّة المتيورولوجيَّة الى محطة برج ايفل الرديوفونيَّة ان تبثَّ بنوع منتظم الاخبار المتيورولوجية المتعلقة بالتكهُّن على الاحوال الجوية . ومنذ غرة تشرين الاول ١٩٢٢ تبثُّ تلك الانبـاء رديوفونيًّا اربع مرات في النهار وتلي البثَّ الرابع بعضُ قطع موسيقية

تلك بعض التفاصيل على رواج الرديوفونية في ارقى البلاد حضارةً . فيتضحُ منها ان للفن الجديد مستقبلاً مجيداً في تاريخ التمدن البشري . فالحمد لله الذي منح الناس بالرديوفونية اكمل وسائل المواصلات وألذَّها

---

١) تلك المصابيح موجودة في مختبر (laboratoire) مدرسة المهندسين التابعة لكليَّة مار يوسف ببيروت

غفران الامير

مأساة نثرية ذات اربعة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم

مدبر مدرسة الطاهرة للسريان الكاثوليك في الموصل القس حنا رحماني (تتمة)

الفصل الثالث

سبق السيف العذل

المشهد الاول

الاسود وثعلبة

الاسود (بتأسف) اذاً قد ثبت فقدان غير

ثعلبة نعم ايها الملك

الاسود وهل رجع السعاة الذين ارسلناهم للكشف عنه ؟

ثعلبة رجع الكل ولم يقفوا له على اثر ... انما احدهم رأى وراء هذه الاكمة سواداً عظيماً . كأنَّ قوماً نزلوا هناك

الاسود ما قبيلتهم ؟

ثعلبة لم يتثبت جنسهم لبعده . فان احبَّ الملك ارسلنا من يتحققهم

الاسود أرسل ربيئةً على جناح السرعة

ثعلبة (يصرخ) كليب . كليب

المشهد الثاني

الاسود . وثعلبة وكليب

كليب سيدي

ثعلبة حلَّ قومٌ وراء هذه الاكمة ولا بُدَّ للملك ان يعرف اصلهم

كليب سمعاً وطاعة (يمشي للخروج)

ثعلبة (يلحقه) عجّل ما امكنك (ثم بصوتٍ منخفض لكليب) لا تغادر القصر قبل ان نلتقي

كليب (بالصوت ذاته) فهمتُ (يخرج)

ثعلبة (يلتفت ليرجع الى الاسود فيراهُ متهيئاً للخروج فيمشي وراءهُ . ثم عندما يتوارى الاسود يحرك ثعلبة يده كانه يدفعه ثم يرجع الى الجهة الاخرى وينادي بصوت منخفض) : كليب . (ثم ينظر من الجهة التي خرج منها الاسود ويرجع فينادي) : كليب

المشهد الثالث

ثعلبة وكليب

ثعلبة اياك ان تذهب الى الاكمة . خذ هذا الكتاب وتوارَ قليلًا في جوار القصر على غير مرأى من احد . ثم عُدْ بعد مدة وقدّمه للاسود قائلًا : انه من تبّع ملك حِمير للنعمان وان التبّع لم يسلّمك اياه الّا بعد ان تأكد منك انّك صديق النعمان واخذ عليك المواعيد المكرَّرة والأيمان المغلّظة انك لا تُطلع عليه احدًا

كليب امرك سيدي (يخرجان)

المشهد الرابع

جليل والمنذر

المنذر لم يعُد لي طاقة يا جليل على احتمال غياب اخي . انهُ استبى قلبي معه

جليل تقوَّ يا منذر . اني اعهدك شهماً رابط الجنان

المنذر نعم يا جليل ولكن اراني بعد فقدان اخي كالشجيرة الضعيفة تتلاعب بها الرياح وقد نزعوا عنها سندها الذي تعتمد عليه . واحسرتي عليك يا نمير

نميرُ اخي قد زاد قلبي تلهُّباً ... وقد حرقتْ مني الشؤونَ المدامعُ
وقد اضرمت قلبي المصيبةُ لوعةً ... وقد حميَتْ مني الحشا والاضالعُ
فاسألْ عنك الرَّكْبَ هل يُخبرونني ... بحالك كيما تسكنَ المضاجعُ
فلم يكُ فيهم مُخبِر عنك صادقٌ ... ولا فيهم من قال انك راجعُ
نميرُ اخي مذ غبتَ كدّرت عيشتي ... فقلبيَ مصدوعٌ وطرفيَ دامعُ

وفكريَ مسقومٌ وعقليَ ذاهبٌ ودمعيَ مسفوحٌ وصدري بلاقعُ

(يبكي)

جليل (يأخذُ بيد المنذر وينعطف نحوه بحنوّ) يا منذر كفكف الدموع ... وماذا اقول انا وقد هجرتُ امّي ووطني وجميع الاقارب والاحباب (يبكي) ان مصابي لاعظم من مصابك بكثير . فلنتعزَّ كلانا

المنذر انتَ لم تفقدهم يا جليل . سيُعيدك الله اليهم عن قريب

جليل وانت ايضاً سترى نيرًا اخاك راجعاً سالماً ... (يمسكه بيده من جديد بانعطاف) يا منذر بحق حبّك لي سألتك ألّا تغتمّ هكذا لفقد نير . انا اقوم مقامه لديك ريثما يعود قريباً ان شاء الله . أترضى بصحبتي يا منذر ؟

المنذر (يمسح دموعه) كيف لا ارضاكَ يا خيرَ الاخوة . يا ملاكاً حلّ قصرنا فزرع فيه الفرح ونشر العزاء وبذل التعزية

المشهد الخامس

الاسود وجليل والمنذر

المنذر الم يأتنا احد بخبر عن نير يا ابي

الاسود لا يا بنيّ

المنذر كنتُ الآن ابكي فَقْدَ نير فعزّاني جليل وعرض عليّ ان يكون لي اخاً حتى عودة شقيقي فرضيتُ

الاسود حسناً صنعت يا بني . تآخَ ابن النعمان لحسن سجاياه وورعه . ثمّ ان من كُسرَ بالحرب لجدير بعد الحرب بكل اعزاز ومجاملة . ولا يحق للغالب ان يحتقر المغلوب او يهينه . فاذهبا يا ولديَّ الى هذه الاكمة (يشير الى الاكمة بيده) وانظرا لعلكما تقفان على اثر لنير (يخرجان ويدخل ثعلبة)

المشهد السادس

الاسود وثعلبة

الاسود لقد ابطأ الرسول يا ثعلبة وبتُّ قلق البال لا أُطيقُ الصبر

ثعلبة المكان بعيد يا سيدي . على كل حال لا اظنه يُبطئ بعدُ (يتطلع) ها هو آتٍ

المشهد السابع

الاسود وثعلبة وكليب

كليب (يدخل وبيده ورقة ملفوفة) سيدي الملك دونك هذه الأولكة. اقتربتُ من القوم فقبضوا عليّ واخذوني الى رئيسهم فاذا هو تُبّع الملك صديقُ آل غسان فكشفتُ عليه امر ارسالكم اياي واظهرت له ميلًا للغساسنة لم اترك له معه سبيلًا للشك فيه. فسلّم اليّ هذه الرسالة للنعمان واوصاني الّا يطّلع عليها احدٌ سواه

الاسود (يأخذ الورقة ويقدّمها لثعلبة) فُكّها واقرأ

ثعلبة (يقرأ) من تُبّع العاهل الكبير ملك حمير الى حليفنا النعمان بن المنذر سلام: قد احطتُ علماً بكل ما ذكرتَ ووقفتُ على ما نويت. غدًا نتسوّر حصن الاسود ونفتحهُ قسرًا ونخلّصك من عدوّك. كن اذًا على استعداد

الاسود (يقاطعه بغضب) هذا من اكرمنا مثواه وحقّنا دمهُ. نِعمَ المكافأة يا نعمان.. اني أدرك الآن صحّة قولك يا ابا اذينة:

العفوُ الّا عن الاكفاء مكرمةٌ من قال غير الذي قد قلتُهُ كذبا
لا تقطعنّ ذنب الافعى وتُرسلها ان كنتَ شهماً فأتبع رأسها الذنبا

ولكن لا ذكر في هذه الكتابة لنمير؟

ثعلبة (يقرأ) امّا نُمير فقد حاولتُ قتلهُ بموجب امرك.

الاسود واحرقة قلباه عليك يا ولدي يا نُمير (يسندهُ ثعلبة لانه يضعف ليسقط) لقد... تأجّجت نار الحزن والالم... في فؤا... دي. يا... ثعلبة. واأسفي عليك... يا نمير... ما هذه الميتة. ذهبتَ فريسة الغدر والخيانة. لم لم تمت بين الشمر والبيض في معمعة الحروب... (ترجع اليه قوته. يترك كتف ثعلبة ويقوم بعزم) ولكن لا يُهدَر دمك وايمُ الله. ثعلبة ادعُ لي النعمان وليحضر معه اعواني والسيّاف (يخرج ثعلبة)

المشهد الثامن

الاسود وحده

الاسود لقد هُدّ ركنُ قوّتي.. تضعضع عزمي:

خُسِفَ البدرُ حين كان تماماً وخفي نورهُ فعاد ظلاماً
ودراري النجوم عادت وغابت وضياء الآفاق صار قتاما
حين قالوا نُمير اضحى قتيلاً خيّم الحزنُ عندنا واقاما
كان عوني وعدّتي في الرزايا كان درعي وذابلي والحساما
يا جفوني ان لم تجودي بدمع لجملتُ الكرى عليكِ حراما
قَسَماً بالذي اماتَ واحيا وتولّى الارواح والاجساما
ماغمدتُ الحسام في الحرب حتى اتركَ القومَ في الفيافي عظاما

المشهد التاسع

الاسود . ثعلبة . النعمان . الاعوان . السياف

الاسود يا نعمان حقنتُ دمك وانزلتُك منزل الضيف الكريم في داري اكرمتُ مثواك واعززتك . على اني ما دريتُ انك افعوان ينفثُ سمّهُ في الخفية

النعمان يا ابن الحارث بوسعك ان تقتلني ولكن لا حقّ لك على شتمي

الاسود أغدرٌ وإصرار وتكبُّر . اقرأ يا ثعلبة

ثعلبة (يقرأ من جديد الرسالة)

النعمان (بهدوء وشرف) هذه مكيدةٌ . لا علم لي بما في هذه الرسالة

الاسود اليس تُبّع ملك حمير حالفك ؟

النعمان نعم

الاسود الم تبعث اليه برسالة هذا جوابها ؟

النعمان كلّا

الاسود اما سمعت بنزول تُبّع وراء هذه الاكمة مع جنده ؟

النعمان سمعتُهُ ولم اتحقّقهُ

الاسود الم يصنع ذلك باتفاق معك ؟

النعمان لا والله

الاسود أما سمعت بفقد ابني نمير ؟

النعمان نعم

الاسود اما تعلم مصيرهُ

النعمان لا وشرف النعمان

ثعلبة (الاسود) ومتى سُمع ان المذنب يُقرّ بذنبه

الاسود (للنعمان) وبالتالي ؟

النعمان انا بَرّاء من كلّ ذَنب

الاسود لقد عيل صبري . ايها القوّاد كونوا على حذر من هجوم تبّع ملك حمير علينا هذه الليلة . وانت ايها السيّاف خُذ النعمان الى منقع الدم واقطع رأسهُ

النعمان الى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمعُ الخصومُ
ستعلم في الحساب اذا التقينا غدًا عند الاله مَن الظلومُ

(يخرج النعمان والسيّاف يستلّ سيفهُ)

الاسود ذُقْ يا نعمان كأسًا مزجتَ لنا مرارتها
فأنصفُ الناس في كلّ المواطن مَنْ سقى المعادينَ بالكأس التي شربا

المشهد العاشر

بينهم وجليل

جليل (يدخل وهو يصيح) ابي . ابي . بالله عليك مُرْ بان يوقفوا السيّاف او اقتلوني عوضًا عنه . اقتلوني معه (يركع امام الاسود . الذي يحوّل عنهُ نظرهُ . يُجرّ الستار)

الفصل الرابع

حصحصَ الحقّ

(يوضع قبر للنعمان في مؤخر المسرح وعلى جهة)

المشهد الاول

جليل وحده

جليل (مستند الى قبر ابيه)

اهاج قذاء عيني الاذكارُ هدوءًا فالدموعُ لها انحدارُ
وصار الليل مشتملًا علينا كانّ الليل ليس لهُ نهارُ

وبتُّ اراقبُ الجوزاء حتى تقاربَ من اوائلها الضمارُ
أسرّحُ مقلتي في إثر قوم تباينتِ البلادُ بهم فغاروا
وابكي والنجومُ مظلّماتٌ كأن لم تخفها عني البحارُ
ايا ابتا دعوتك لم تجبني فقلبي لا يقرُّ له قرارُ
ألا بحقك يا فدى نفسي أجبني وكيف يجيبني البلدُ القفارُ
أبتْ عيناي بعدك ان تكفّا كأنَّ قذى القتادِ لها شفارُ

يا ابتاه أمثلك يواريه التراب فينطفئ سراج عينيه ويصمت نطق شفتيه ... واأسفي عليك يا ابي كنت لي نورًا فأظلمت الدنيا في عينيَّ من بعدك . كنت لي فخرًا وعزاء فلبستُ من بعدك ثوب الحداد وارتديت رداء الحزن ... ألا كيف هجرتني يا ابي . كيف تركتني وحدي وانا في الاسر بعيدًا من امي

أُيتماً وسجناً واشتياقاً وغربةً ونأيَ حبيب انّ ذا لعظيمُ

ألا هل من عودةٍ يا ابتاه ... اواه ذهب ذهاباً لا يعقبه اياب (يبكي) . قتلوه ظلماً ... ليس ابي ممّن يعمد الى وسائل قبيحة كالتي عزوها اليه ليخلص من الاسر . ابي أرفعُ من ذلك . يا ربي برّئ ساحته . . ارحمْ يا ارحم الراحمين . . . (يبكي)

ألا يا دموعيَ اسقي بريك قبرهُ . وطّي بغيوثك ثراه

سقاك الغيثُ انك كنتَ غيثاً ويسرًا حين يُلتمسُ اليسارُ

يا رُفات ابي اليكِ مني سلام والفُ سلام (يسند رأسه الى القبر)

المشهد التالي

جليل . الاسود . ثعلبة

(الاسود وثعلبة يتقدمان الى امام المرسح ويبقى جليل على جهة في مؤخره)

ثعلبة (على حدة عند دخوله) قتلتُ الاسد فبقي عليَّ الجروُ الصغير

الاسود يا ابن العمّ ان منظر هذا الفتى الباكي على قبر ابيه لمّا يُفتت الاكباد

ثعلبة أساءَ مَن يرحم فريسة غدرهِ وخيانتهِ وكفره بالنعمة ؟

الاسود لا ريب فيما تقول على أني منذ قتلتُ النعمان لم يقرّ لي قرار ... فقد طالما حاولت ان اتذكر ما تقول عن غدرهِ وخيانتهِ فلم يهدأ روعي . . . أأنني قتلتُ بريئاً !

ثعلبة او تشكُّ ايها الملك في امر خيانة النعمان

الاسود لا . . . ولكن لستُ أرى لبلبالي مُخمدًا . . ان في الامر لسرًّا . فاعلم يا ابن العم انه من بعد قتلهِ لم يكتحل جفني برقاد وكلما دخل الطعام في غصَّ في حلقي وقد فارقني السرور واستولت عليَّ الهموم

ثعلبة لا تسترسل لقلق ايها الملك بل افتح قلبك للفرح واهنأ بقتلك اكبرَ عدوٍّ لك فبقتلهِ اصبحتَ في مأمن من كل خصوم

الاسود وأنَّى لي ان اهنأ . . . اتريد ان اكشف لك سرّي : ان خيال النعمان يرافقني حيثما اسير . كلامهُ الاخير لا يزال يطرق اذنيَّ

ستعلم في الحساب اذا التقينا غدًا عند الاله مَن الظَّلومُ

انا الذي كنتُ أتيهُ عُجبًا على كل الملوك قد كسفَ الخجلُ جبيني فلا يمكنني ان ارفع نظري الى احد من الخلق الّا واراهُ يبكّتني على فعلي (يمسح دمعة)

ثعلبة أتبكي ايها الملك

الاسود انَّ الدموعَ سفيرُ البؤس والكدرِ فانظر تجدْ دمعيَ المنّانَ منهلا
والجفنَ في ارَقٍ والعينَ في غرقٍ والقلبَ في حُرَقٍ والجسم منتحلا
استوطنَ الخطبُ قلبي فاستقرَّ بهِ وحاق بي فكساني الروعَ والمَلَلا
اراشَ لي اسهُماً في مهجتي فتكتْ اصاب قلبي بجرحٍ ليتهُ قتلا

ثعلبة ايا مليكي تجلَّد واصبرنَّ وكن عند الخطوب اذا ما خيَّمتْ بطلا
ان ضاق قلبك عن هذي النوائب يا مولاي قلبي فسح فآملاً نه الى . . .
قلبي اذا اشتدت الاهوال كافحها ولا يبالي ولو نجمُ المنون علا
ليثٌ كمثلك تخشى الارضُ سطوتهُ عارٌ اذا قيل عنه ذلَّ وانخذلا

الاسود اين الصبر . واين السبيل اليه (يأخذ ثعلبة الى قدّام المرسح على جهة) يا ثعلبة قرحٌ بليغ ظهر هنا في صدري يوم قتلتُ النعمان وقد عالجته فلم يزدد الّا اتساعًا وهو ينهش صدري وينخر عظامي . . . اوّاه

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني بها كبدًا ليست بذات قروحِ
اباهـا عليَّ الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علّة بصحيحِ

(ينظر ابن النعمان فيقترب منهُ) . . هذا جليل . . .

دعني يا ثعلبة وابنَ النعمان لعلّي القى منه ما يسكّن روعي (يخرج ثعلبة)

المشهد الثالث

جليل والاسود

الاسود (يقترب من جليل بلطف وينحني عليه بانعطاف) كفكفِ الدمعَ يا جليل فبكاؤك لا يُجدي نفعاً . ما صار قد صار . فقد سبق السيفُ العذَل

جليل ماذا يريد الاسود من ابن النعمان . ليتركنّه وشأنه . وان شاء فليُلحقه بابيه

الاسود ما جئتك لتعنّفني . جئتك معزّياً يا جليل

جليل لا كنتَ قتلت ابي ولا تنازلت الى تعزيتي

الاسود قتلتُ اثيماً واعزّي كبيرًا

جليل وهل ثبت إثمُ ابي . . . اتقتلُ رجلًا دون ان تتثبّت جرمهُ . وما ادراك انّ الرسالة التي اتوك بها ما كانت مزوّرةً كتبتها يدٌ اثيمة واعداؤنا في قصرك عديدون

المشهد الرابع

الاسود وجليل والمنذر

الاسود هلمَّ يا بنيَّ لعلك تعزّي انت جليلًا (على حدة) فتخفّف وطأة همومي

المنذر (يقترب من جليل) جليل . اخي . حبيبي

جليل قد كان المنذر حبيباً لي لكني لا اعرف ابنَ قاتل ابي

المنذر سألتُك بالله يا جليل ألّا تزجرني

جليل اليك عنّي

المنذر (ينحني على جليل) يا جليل ليس هذا الودّ الذي كنت اعهدهُ فيك . . . اين عهودنا وعقودنا . . . اتريدني حزناً فوق حُزني على فقد اخي والكلُّ يقولون ان النعمان قاتلهُ

جليل فان كان الامر كما تقول دعني اذًا وابكِ اخاك كما انّي ابكي ابي

المنذر انا لم اصدّق ما شاع عنهُ . . . ألا يا جليل سألتك بكلّ ما هو عزيز لديك ان تصافحني ثانيةً

جليل اعزُّ شيء عليَّ كان ابي فقتلتموه . لن يصافحَ كفي ابدَ الدهر كفُّ ابن

الاسود . اتركاني وشأني (يخرج الاسود مكسور الخاطر ويتخلّف ابنه)

المشهد الخامس

جليل (مستند الى النير) والمنذر

المنذر اوّاه ! . . . لقد خان الحبيبُ العهود وحنث بالأيمان ونقض الذمام وجرح فؤادي جرحاً لا يندمل . . . رجوتُ فزُجِرتُ طلبتُ فرُفضت تذلّلتُ فطُمع . . . هل اقابل غدرهُ بغدرٍ وظلمه بظلم : نارٌ تتأجج في احشائي وقد ألهبت مني الضلوع . تحاول هذه النار ان تتدفق من شفاهي بلعنة يوم به عقدنا عهد الود والحب . . . تريد هذه النار ان اقطع الوثاق واعطي مجالًا لعواطفي وابرّد غليل فؤادي . . . ولكن لا يا جليل . لا . انا لا افعل هذا :

طُبعتُ على الاخلاص بالودّ والوفا وقلبيَ يأبى ان اكون خؤونا
وعارٌ على الخلق الكريم تلوّنٌ لقد عدّهُ اهلُ العقول جنونا
ثباتُ الفتى في عهده سؤددٌ لهُ وعزٌ واني ما برحتُ أمينا
على صفحاتِ القلب ودُّك مثبتٌ سيبقى الى يوم النشورِ مكينا

هذا جوابي على جفوكَ يا جليل . والآن أتركك كما رغبتَ وشأنك

المشهد السادس

جليل وحده

جليل ماذا صنعتُ . . . كيف قويتَ يا قلبي على الاساءة الى من هو بعد ابي اعزّ الخلق عليك . واحسرتاه ! اتاني مسلياً معزياً . فتح لي قلبهُ كي اجد فيه ما ينسيني آلامي . وانا اغلظتُ لهُ المقال . ذكّرني بالعهود وانا نكثتها ورفضت مصافحته . اتاني وقد قاده حبُّهُ فجفوته وطردته فذهب كسيراً . . . لعمري انَّ كسرته هذه وذلّه لهما اشدُّ من كسرتنا وذلّنا . فاسكتي اذًا يا عواطف الثأر المتلهبة في قلبي اسكتي . ويا هواجس الانتقام الثائرة في احشائي اصمتي . . . وانت يا دم والدي المهراق . يا اصل دمي وسبب حياتي أطلب اليك بكل احترام واجلال ان تجاوبني : أما رضيتَ تكفيراً بدموع هذا الفتى الدامية وقد قطرها قلبه الجريح . . . أجبني يا دم ابي اجيبيني يا نفس ابي . . . ليس من مجيب . . . (يقف) لا يا منذر ما نكثتُ عهدك ولكن

خشيتُ امام قبر ابي ان اصافحك . خفتُ من ان تكون مصافحتك نقضَ عهد ابي . . . اواه ! . . . عهدان يتنازعاني ويودّان اقتسام روحي : عهدٌ عقدتهُ مع ابي كي احافظ على حقوق اجدادي والاخذ بثأرهم . وعهدٌ عقدته مع المنذر عهدُ ودٍّ وحبٍّ فان اقمت على هذا نكثتُ ذاك وان ثبتُّ على ذاك نقضتُ هذا . . . لقد ضاع رشدي . . . خذ يا ربي بيدي وارشدني انت واهدني الصراط المستقيم (يخرج بطيئاً)

المشهد السابع

ثعلبة وكليب

ثعلبة ارأيت يا كليب كم من عذابٍ قاسينا حتى بلغنا . أربنا من قتل النعمان

كليب أذكر ذلك حسناً ولا انساه

ثعلبة كلُّ تعبنا يذهب سدًى ان وقفنا عند هذا الحد

كليب لا افهم مرادك

ثعلبة تذكّر قولي السابق :

لا تقطعنَّ ذنب الافعى وترسلها ان كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

ان النعمان يا كليب حيٌّ بابنه فان لم نلحق الابن بالاب فكأننا لم نفعل شيئاً اذ لم نقطع سوى نصف الطريق

كليب انا لا اطابقك على ذلك

ثعلبة ويحك ما تقول ؟

كليب كفاني ما ارتكبتُ من الشرور فلا اريد ان الطّخ يدي بدمٍ نقي طاهر مثل دم هذا الفتى

ثعلبة ان مَن باشر السلوك في مزلقة الاثم المنحدرة لا يمكنه ان يقف ما لم ينزل الى اسفل الهاوية . عليك ان تتبعني كالسابق يا كليب

كليب لا افعل

ثعلبة (بغضب وتهديد) اتدري يا كليب ان امر موتك وحياتك في يدي ؟

كليب اصنع ما بدا لك فلستُ بجازع

ثعلبة (يفكر ملياً ثم يقترب ملاطفاً كليب) ألك رغبةٌ في المال يا كليب ؟

كليب وماذا يفيدني المال ان كنت اجرُّ حياةً تعيسة ثقّلتها الذنوب ... صوتٌ خفيّ ينخزني كمهاز ويوبخني سرًّا. انه كدودةٍ تنهش قلبي وقد سلبتني راحتي ... اني نادم على سيري في إثرك . ولولا خوفي من العقاب اذ شاركتك في الشرّ لأعلنتُ مساعيك للاسود

ثعلبة ويلك ما هذه القحة ؟ (يضع يده على سيفه)

كليب (يهدؤ وتبسّم) لا تخفْ اني كاتم ما جرى بيننا ... امّا انا فاني ذاهب أهيم على وجهي في البراري والقفار مسترحماً عفو الباري تعالى لعلّهُ يصفح عن مآثمي (يخرج)

المشهد الثامن

ثعلبة وحدهُ

ثعلبة انا لا اعرف الندم . بدأتُ ان ارشف كأس الثأر فأشربها حتى صُبابتها . (ينشد) :

بشير الأُنس وافاني بنيل العزّ والمجدِ
صحا دهري وواساني واضحى سيّدي عبدي
قتلتُ آل غسّانٍ ونلتُ غاية السعدِ
قدُمْ يا بختُ وارعاني وكن يا دهرُ في عهدي

اهلكتُ النعمان وسأعلك جليلاً هذا امرٌ لا بدَّ منه والّا لذهب انتقامي ادراج الرياح (يخرج)

المشهد التاسع

الاسود وحده

الاسود يا للعجب ؟ما هذا السرُّ الخفي اراني بالرغم مني تميل بي خطواتي الى هذا القبر . ان المذنب تسوقه اقدارهُ صاغراً الى محلّ الدم ... أأنا اذن مذنبٌ .. ولكن ايّ ذنب اجترحتهُ بقتلي رجلاً اهلك ولدي واحرق كبدي ... الهي أأبقى هكذا هدفاً للدهر تلاطمني امواج الهواجس والآلام . أأبكي فقد ابني وابكي فقد قاتله . (يركع عند قبر النعمان) ألا يا بقايا النعمان يا رُفات اشرف الرجال واكرمهم حنّي عليّ . اليكِ منّي قُبلة تعويض ان كنتُ ظلمتُ النعمان

(يقبل القبر ثم ينكب عليه ويصمت ثم يدعو من الخارج) : مسرور

المشهد العاشر

الاسود ومسرور (الخادم)

مسرور سيدي الملك

الاسود ليحضر الان ميمون المغني مع العود

مسرور امرك سيدي (يخرج)

المشهد الحادي عشر

الاسود وحده

الاسود الناس تحسبُ من سادوا ومن ملكوا
في منهج الرغدِ مسرورين قد سلكوا
كلّا فقد يهنأ الصعلوك مغتبطاً
ومالكُ العرش في دنياه يرتبكُ
اني سئمتُ حياةً قوتُها حسكُ

المشهد الثاني عشر

الاسود والمغني

الاسود : غنني يا ميمون صوتاً من اوقع اصواتك في قلب حزين علّه يبرّد احزاني وينفي اشجاني

المغني (يلحن حزين ويدق على ربابته)

يا طائرَ البانِ قد هيّجتَ احزاني وزدتَني قلقاً يا طائرَ البانِ
زدني من النَّوح واعضدني على شَجَني حتى ترى عجباً من فيض أجفاني
ناشدتُك اللهَ يا طير الحمام اذا رأيت يوماً هموم القوم فانعاني
وقُل طريحاً تركتاه وقد فنيَتْ دموعُه وهو يبكي بالدم القاني

الاسود كفى (يخرج ميمون بعد مدة سكوت . . يدخل غير)

المشهد الثالث عشر

الاسود وغير

غير (دون ان ينتبه الى ابيه) سمعتُ صوتاً وبكاء . . . (يتطلع حواليه) لمن

هذا القبر ومن الباكي عليه . بك اعوذ يا ربّ من كل سوء (يقترب من ابيه ويتفرّس به) ابي ! !

الاسود (يرفع راسه) نير ! أأنت حيّ ! . . . لا . لا . اليك عنّي ايها الخيال (يدير وجهه عن نير)

نير وأأسفاه ! أدّهمَ ابي مسيسٌ من الشيطان . . . ابتِ ! ابنُك نير

الاسود (يتفرّس به) ليتني نزلتُ اللحد ولا رايتُك !

نير أهذا حبُك لابنك . . . تُرى ايّ اثمٍ اقترفتُ . . . ما كنتُ إخالُ انّ ابي يلقاني بعد اسري بما لقيتني . . . . ليتني بقيتُ في الاغلال ليتني قُتلتُ ولا رأت عيناي هذا المنظر

الاسود لو لم تأتِ لكان لي جواب على هواجسي . امّا الان وقد رأيتك فقد ثبت ذنبي . (يلتفت نحو القبر) آه ! لقد ظلمتُك يا نعمان

نير ماذا تقول يا ابي؟ بحقك أوضحْ لي المقال فاني اتقلّى على اسرّ من جمر القتاد . لمن هذا القبر . ما هذا القلق الذي اراك فيه ؟

الاسود هذا القبر . . . للنعمان

نير (بدهشة) للنعمان ! . . . أوَ مات النعمان

الاسود قدّموا اليّ كتاباً باسم التُبّع ملك حمير جواباً على النعمان يزعم فيه انه قد قتلك طبقاً لطلب النعمان وهو قادم ليهجم عليّ حصننا . فغرّوني هكذا فامرتُ بقتله على الفور . . .

نير وا سوءتاهُ . . . وا أسفاه (يبكي . سكوت برهة)

الاسود ثم ناوبتني الهواجس فيناجيني قلبي ان النعمان بريء وقد سُلبتُ كلّ راحة . على اني كنت اتعزى باعتقادي صدق الواقع معتمداً على غيابك . أمّا وقد قدمتَ فلم يبقَ لي تسلية . . آه مَن لي ان اعرف ذاك الذي اختلق المكتوب فخدعني

نير ما هو الّا ثعلبة

الاسود ثعلبة !

نير نعم يا ابي وهو الذي بعثني الى ملك حمير . فقد طالما تظاهر امامي بالحب للنعمان والغيرة على انقاذه من الاسر الى ان اتاني يوماً وقال لي ان التُبّع ملك

حير قد قدم ليخلص النعمان قسراً ويدمر القصر فأقنعني كي اذهب اليه كانه هو خطفني ولا يريد اطلاق سبيلي ما لم تسرّح النعمان . فلمّا صرتُ الى الملك كبّلني بالاغلال وضيّق عليّ فقصصتُ عليه الخبر وكيف ارسلني ثعلبة ذاته فاختبرني مدة ثم اذ اكدتُ له ان النعمان في قيد الحياة وتجلّى له خبث ثعلبة وبغضه لآل غسان أفرج عني خشية ان يلحقهم مكروه لأطلعك على جليّة الامر . . . ولكن سبق السيفُ العذلَ

الاسود صنع كل ذلك ثعلبة ليشفي غليلهُ بموت النعمان . هذا مما لا ريب فيه . فقد طالما طلب اليّ بالحاح قتلهُ بحجج كان يختلقها فلم أُعِرهُ سمعي . فقطع رجاءهُ مني وعمد الى الحيلة والمكر فأيمُ الحقّ لانتقمنّ منه لدم النعمان

المشهد الرابع عشر

الاسود . وغير . والمنذر

المنذر (يدخل بسرعة دون ان يشعر بحضور غير . اذ عند دخوله يتنحى غير ويتلثّم) انّ لي كلاماً خطيراً أودعه اليّ كليب خادم ثعلبة جئتُ لأطلعك عليه يا ابي

الاسود قل يا بني

المنذر بينما كنتُ الآن امشي الهوينا امام باب القصر اذا بكليب خارج وقد ارتدى بثياب السفر . فاقترب مني وأسرّ اليّ هذا الكلام : « حذارِ حذارِ يا منذر من حبائل ثعلبة فانه يريد يغري اباك بقتل جليل » . فاردتُ ان يزيدني شرحاً فهرولَ مسرعاً وأفلت من يدي

الاسود لا حول ولا قوة . . . انّ ذاك الوحش الضاري لا يسكن ثائرهُ ما لم يمزج دم الابن بنجيع ابيه (بينما يقول الاسود هذا الكلام يقترب غير من اخيه ويرفع اللثام)

المنذر غير . . . اخي . . . في قيد الحياة !

غير عزيزي المنذر (يتعانقان)

المنذر بكيتك بُكاء مَن لا يُنتظر رجوعهُ . . . فاين كنت يا اخي ومن اي الاخطار نجوت ؟

الاسود ستعلم كل ذلك الساعة . فاذهب وادعُ الى هاهنا كل اعراني وحاشيتي مع جليل ولا تنسَ ثعلبة والسيّاف (يخرج النذر من جهة ويدخل ثعلبة من الاخرى)

المشهد الخامس عشر

الاسود . نمير

الاسود (يتطلع فيرى ثعلبة مقبلاً فيقول) ها ان ثعلبة اتى توارَ قليلاً يا نمير . (يخرج نمير)

المشهد السادس عشر

الاسود وثعلبة

ثعلبة جئتك ايها الملك في امر ذي شأن . اخشى سوء عاقبته عليك

الاسود (ببرودة) وما هو ؟

ثعلبة قد قتلتَ النعمان كي لا يُهدرَ دم ابنك . ألا ان النعمان لم يمت بعدُ تماماً . انجي بابنه جليل واخاف ان ينتقم هذا لدم ابيه . . . فجئتُ لانبه خاطرك وابرّئ ساحتي مما لعلّهُ يطرأ عليك من السوء

الاسود (بغضب) ثعلبة !

ثعلبة ماذا ؟

الاسود ثعلبة لقد امتلأت الكاس وطفح الكيل . . . حتى متى تخدعني يا لئيم ؟ (يدعو من الخارج) نمير

المشهد السابع عشر

الاسود وثعلبة ونمير

نمير ابتِ

ثعلبة (يقفز فجأةً الى الوراء ثم يلتفت يمنةً ويسرى كمن يريد الهرب) اين أهرب ! اين اختفي ؟

الاسود مكانك يا ثعلبة . لقد حصحصَ الحق . وابدى الصريح عن الرغوة . الآن تنال جزاءك

المشهد الثامن عشر

الكل مع منذر والسيّاف

الاسود ايها السياف عليك بثعلبة . (يمسكه السياف) امّا انت يا جليل فقد والله ظلمناك من غير علم . ان اباك طاهر الذيل بريء الساحة . فتميز لم يُقتَل . (يشير بيده الى ثعلبة) هذا اصلُ الشرّ . فهو الذي اختلق تلك الحيلة فاغراني به . . . والآن يا فرعاً شريفاً نبتَ من اصل كريم انا الاسود ملك الحيرة على مشهد من اعواني وحاشيتي اطلب اليك ان تغفر لي . . . لقد اخذتُ عقابي بما نالني من مهاز الضمير اذ ان قلبي تمزّق ويتمزّق اسفاً وكمداً .

جليل أأغفر لقاتل ابي ؟

المنذر (يجثو عند القبر ماسكاً اياه بيمينه وبصوت متخشع يقول) : بحق الرفات التي يحويها هذا اللحد سألتك ان تغفر لابي يا جليل وان تصافحني . لا اقومنّ من هنا ما لم تعاهدني على الودّ كالسابق

جليل (تارة ينظر الى القبر وهو مطاطئ الرأس واخرى الى الابن واخرى الى الاب . ثم يقول بهدو) : لقد ضربتَ يا منذر وترًا لا بُدّ ان تُسمع لهُ رنّةٌ . . . قد غفرتُ لابيك (يقترب من المنذر) قم لنتصافح (يتصافحان)

الاسود حجرٌ ثقيل قد هبط عن عاتقي . . . ايها الجلّاد خذ رأس ثعلبة (السياف يستلّ حسامه) .

ثعلبة لي كلمة يا ابن عمي من بعدها تفعل بي ما تشاء

الاسود (بغضب) قل وأوجز

ثعلبة (يذهب الى القبر ويركع ويمسكه بيمينه ويقول بصوتٍ رقيق متأثر حقاً وهو ينظر الى جليل) أطلبُ من ابنِ مَن قتلتُهُ ظلماً ان يهبني ما وهبَ الاسود وابنهُ (سكوت هنيهة)

جليل (يحول نظره عن ثعلبة ثم يقول بحيرة) عدوّ آل غسان . . . لا . لا . لا اقدر (يفتكر ملياً ثم ينظر الى القبر) . . . ولكن اين شهامة العرب . اين شرفهم ! لن أنسى ما انسى تعاليم رسول غسّان واسقفنا الجليل موسى مبشّر العرب الذي عرض علينا مثال السيّد المسيح وحرّضنا على ان نغفر لاعدائنا . فلك يا ثعلبة

ما نال الاسود وابنهُ اني اصفح عنك كما صفح الفادي عن اعدائهِ

ثعلبة - (ينهض بفرح) الآن أُقتَل بفرح ان شاء الاسود

الاسود نعم انَّ العدل يطلب ان يُقتل القاتل - ايها السياف خذ فيما كنت فيه . (يقترب السياف من ثعلبة والسيف مسلول)

جليل مكانك ايها السياف . (للاسود) ايها الملك منحتُك ما طلبت فامنحني رأس ثعلبة

الاسود لا حول ولا قوة . . . (يهزّ رأسه بحزن وحيرة) والله لو طلبهُ ابني لما اعطيتهُ . هو لك يا جليل

جليل (يأخذ ثعلبة بيده) اذهب فانت حرّ لوجه الله

ورثنا المجد عن آباء صدقٍ ونورثهُ اذا متنا بنينا

(ينزل الستر)

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الصاد

٤٧٧ ﴿صادر﴾ القس بطرس بن جرمانوس الماروني الحلبي توفي في اواسط القرن التاسع عشر : ١ً وجدنا لهُ في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت قبل الحرب تعريب رياضة لميلاد السيّد المسيح تأليف احد الآباء اليسوعيين نقلها من الطليانيَّة الى العربيَّة . ٢ً عرَّب عن الترجمة الطليانيَّة المطبوعة في رومية سنة ١٨٠٢ كتاب الاب اليسوعي اسكندر دي روثيل (راجع العدد ٣٤٩) تأملات ورياضات لاكرام قلب يسوع نقلها الى العربيَّة سنة ١٨٤٢ في حلب . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . في

احداهما ايضاً تساعيَّة لعيد القربان الاقدس جارية في مدينة ليڤورنو (ص ٢٢٧) . ٣ وفي مكتبتنا ايضاً وفي مكتبة الشماس شكري أيوب رياضة تسعة ايام اكراماً للقديسة فيلومينا الشهيدة استخرجها في حلب سنة ١٨٣٧ بطرس صادر .

٤٧٨ ﴿صادق﴾ الشيخ . لم نقف على زمانه . له في مكتبة دير بزمار كتاب ردّ الشيخ صادق على سيرة ديسقوروس الكاذبة المنسوبة زوراً الى يوسطوس شمّاسه

٤٧٩ ﴿صاصي﴾ المعلم (Le Maistre Isaac Louis de Sacy) المتوفى كُتب في اواسط القرن الثامن عشر سنة ١٦٨٥ . مما عُرّب من تآليفه : ١ مقدّمات على سفر التكوين وعلى النبوّات وتشيد الاناشيد ورؤيا مار يوحنا للمعلم صاصي استخرجها من الايطاليَّة وعذّبها القس جرجس طحان الرومي الكاثوليكي في حلب . متبا نسخة في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في الشهباء . ٢ في مكتبة دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين شرح المعلم صاصي على الكتاب المقدس معرّباً بقلم القس المذكور . ٣ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من كتابه «تفسير سفر التكوين» تعريب القس المذكور ايضاً تاريخ الواحدة سنة ١٨١٥ والاخرى ١٨٤٨ بيد الخوري عبدالله قديد

٤٨٠ ﴿صاعد بن بشر بن عبدوس﴾ الشيخ ابو منصور من اطباء بغداد في القرن الحادي عشر . ذكر له ابن بطلان وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٣٣) مقالةً في مرض المراقيا ومداواته ألّفها لبعض اخوانه

٤٨١ ﴿صاعد بن حسن﴾ ابو العلاء الحسن المتوفى سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) له في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الموارنة في حلب كتاب جليل اسمهُ التشويق الطبي في ١٣ باباً صنّفهُ سنة وفاته

٤٨٢ ﴿صالح﴾ الياس بن موسى بن سمعان المتوفى في ت ١ سنة ١٨٨٥ . ذكرنا له من الآثار في تاريخنا الادب العربية في القرن التاسع عشر (١ : ١١٨—١١٩) ١ نظم مزامير داود . ٢ ديوان شعر مخطوط . وكلاهما في عهدة احفاده . ٣ وقد ذكر له اسكندر افندي عيدي المعلوف في التعمة (١ : ٤٤٥) كتاب آثار الحقب في لاذقيَّة العرب منهُ نسخة في المكتبة الارثوذكسيَّة بدمشق (ع ١٦٥٨) قال انَّ فيه فوائد كثيرة عن اخبار سوريَّة

٤٨٣ ﴿الصائغ﴾ فتح الله السلاتيني الحلبي كان في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر. لهُ في مكتبة باريس (Paris 1685) كتاب المقترب في حوادث الحضر والعرب ضمّنهُ اخبار حملة ابراهيم باشا على الشام مع وصف قبائل العرب هناك كالعنزة والنصيريّة وغيرهم تاريخهُ سنة ١٨٤٣ ولهُ ايضاً فيها (n° 2298) وصف رحلتهِ الى البادية مع المسيو ثيودور لسكاريس بين عرب الشام من السنة ١٨١٠ الى ١٨١٣ لعقد معاهدة بينهم وبين نابوليون الاوّل. وهذه الرحلة التي نشرها لامرتين في سفره الى الشرق (Voyage en Orient) قد ثبت بعد ذلك انها مختلقة لا صحّة لها البتّة (J. As., 1871 b)

٤٨٤ ﴿الصائغ﴾ الخوري نقولاوس الراهب الحنّاوي الحلبي المتوفّى سنة ١٧٥٦ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٩٧–١١١). من مآثرهِ : ١ً ديوانهُ الشهير الذي طُبع اوّلاً في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٨٥٦. منهُ نسخ مخطوطة عديدة في مكتبتنا الشرقيّة وغيرها. ٢ً تاريخ الرهبانيّة الحنّاوية ذكرهُ في تاريخهِ القسّ حنانيا المنيّر (النعمة ١ : ١١٥). ٣ً لهُ في عين تراز كتاب مواعظ على مدار آحاد السنة واعيادها. ٤ً في دير الشير رسائل مخطوطة من قلمهِ. ٥ً لهُ في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيّة بعض قصائد متفرّقة. ٦ً وفي مجموع آخر منها رسالة للخوري نقولاوس وجهها الى الخوري حكيم البعلبكي استعار الفاظها ومعانيها من العلوم العربيّة كالنحو والبيان والمنطق والبديع وعلم العروض وعلم الفلك والجغرافية مع جواب الخوري يواكيم عليها

٤٨٥ ﴿الصبّاغ﴾ الخوري انطون الراهب المخلّصي تلميذ المدرسة الاوربانيّة وايكونوموس اكليروس الروم الملكيين في حلب توفّي في اوائل القرن التاسع عشر. خلّف تآليف عديدة نعرف منها : ١ً الرسومات الفلسفيّة تأليف الاب فرنسيس ياكويه او جاكيه (Fr. Jacquier) ويوحنّا دوهاميل من الرهبان الاصغرين عرّبهُ الخوري انطون صبّاغ سنة ١٧٦٦ منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة الروم الكاثوليك فيها وفي مكتبة لندن (London, *Suppl.* n° 43). ٢ً عرّب اللاهوت النظري لتورنلي في مجلّدين سنة ١٧٦٨ منهُ نسخ في مكتبتي السريان والروم الكاثوليك في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة. ٣ً عرّب ايضاً كتاب علم اللاهوت

لنقولاوس تيرزاغو في عدّة مجلّدات . منهُ نسخة كاملة في مكتبتي الموارنة والروم الكاثوليك في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي بعض اديرة لبنان . ٤ً عرّب تفسير الابركسيس ورسائل مار بولس تأليف الاب يعقوب تيرينوس اليسوعيّ منهُ نسخة في مكتبة نقولا افندي أيُّوب في حلب . ٥ً وكذلك عرّب تفسير للرسائل المعروفة بالكاثوليكيّة لمار يعقوب ومار بطرس ومار يوحنّا . منهُ نسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٦ً عرّب كتاب علم الذمّة وهو ارشاد عمليّ في مباشرة سرّ التوبة لاسقف نارني نيقولاوس تيرزاغو منهُ نسخة في دير بزمّار وهذا الكتاب قد طُبع في رومية سنة ١٧٥٧ ثم في قزحيًا بالكرشوني سنة ١٨٢٩ . ٧ً عرّب التاريخ الكبير الكنسي للكردينال اورمي منهُ نسخٌ في عدّة مجلّدات في مكتبة الروم الملكيين والسريان في حلب وفي مكتبة عين تراز وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٨ً عرّب كتاب تجرُّد النفس للقديس يوحنّا الصليبيّ . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٩ً وعرّب كتاب دعوة الخطأة الى مخافة الله ليوسف ما نصي عن اللغة الطليانيّة . منهُ نسخة في مكتبتي السريان والروم الكاثوليك في حلب . ١٠ً لهُ في دير الشير تعريب كتاب القس فنشنسيوس بالميري التعريف الحقيقي للغفرانات . ١١ً ولهُ في مكتبة الموارنة في حلب الاجوبة الجدليّة على الرسالة المارونيّة في قداسة مار يوحنّا مارون في نحو ٣٨٠ صفحة

٤٨٦ ﴿الصبّاغ﴾ خليل الشامي من كتبة القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة باريس (Paris, *Fonds arabe*, n° 313) رحلة الى دير طورسينا باشرها سنة ١٧٥٣ وضمّنها عدّة معلومات عن تلك المزارات الجليلة نشرناها في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٩٥٨ و ١٠٠٣)

٤٨٧ ﴿الصبّاغ﴾ القس سمعان الراهب المخلّصي (اطلب المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٢٨) . لهُ في مكتبة مدرسة الصلاحيّة في القدس رسالة في دحض قداسة يوحنّا مارون (Or. Chr. 1914², p. 327) كتبها سنة ١٨٠٢

٤٨٨ ﴿الصبّاغ﴾ عبُّود (اطلب المشرق المذكور) حفيد ابراهيم الصبّاغ كاخية عُمر الظاهر صاحب عكّا في اواخر القرن الثامن عشر . اعبُّود هذا في مكتبة باريس (Paris, Mss. Ar., 4610) كتاب الروض الزاهر في تاريخ الظاهر

٤٨٩ ﴿الصبّاغ﴾ ميخائيل المولود في عكّا والمتوفّى في باريس سنة ١٨١٦ (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٢٤—٣٤ ثمّ (Brockelmann, II, 479) . اشتغل مدّة في مكتبة باريس ونسخ بعض كتبها العربيّة . ومن مآثره رسالتهُ المعنونة «مسابقة البرق والغمام في سُعاة الحمام» وصفَ فيها الحمام الزاجل فنقلها الى الافرنسيّة العلّامة دي ساسي فطبعها في باريس سنة ١٨٠٥ . ولهُ في مكتبة مونيخ (Munich, Cod. ar. 889) الرسالة التامّة في كلام العامّة والمناهج في احوال الكلام الدارج ألّفهُ باغراء اليوس بقطر الاسيوطيّ وهو في عشرة ابواب . وقد طُبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٦ في مدينة ستراسبورغ بهمّة المستشرق تُورْبكه (Thorbecke) . ولهُ ايضاً كتاب في الشعر والعروض وكتاب نجم السرقنديّة طُبع في ليبسيك سنة ١٨٤٨ وبعض القصائد المتفرّقة روينا منها قسماً

٤٩٠ ﴿صدقة﴾ الياس الطرابلسيّ . لهُ تاريخ مطوّل روى فيهِ اخبار مصطفى آغا بربر حاكم طرابلس في اوائل القرن التاسع عشر (اطلب مجلّة النعمة ١ : ٢٨١ وتاريخ سوريا لجرجي يني ص ٤١٢)

٤٩١ ﴿صدقة﴾ مكاريوس مطران صور وصيدا الاورثذكسيّ . عاش في اواسط القرن التاسع عشر . في مكتبتنا الشرقيّة مواعظ كيرلّيا منياتي سعى بتعريبها المطران مكاريوس صدقة وكير ناردوسيوس الدسكالوس تاريخ النسخة سنة ١٨٦٥

٤٩٢ ﴿صرّوف﴾ الخوري اسبر (سبيريدون) الاورثذكسي الدمشقي المتوفى في ٢٩ نيسان ١٨٥٨ : ١ً وجدنا لهُ في تركة المرحوم سليم شحاده كتاب سفينة السائر ضمّنهُ ارجوزتين الواحدة في العروض عدد ابياتها ٤٠٠ بيت والاخرى في البيان في ٢٦٠ بيتاً ألّفهما في اواسط القرن التاسع عشر واضاف اليهما شرحاً على رسالة ابي الجيش الانصاري في الفرائض . ٢ً ولهُ في تركة اهلهِ مجادلات ومناظرات وكتابات في مواضيع دينيّة مختلفة لم تُطبع . وممّا طُبع لهُ في القدس مختصر ثمّ مطوّل في التعليم المسيحي وكتاب تاريخ كنسي . وطبع لهُ ابنهُ وهبة الله صرّوف في الاسكندرية مواعظ تحت عنوان «الروض الداني القطوف في مواعظ الخوري سبيريدون صرّوف» في جزئين

٤٩٣ ﴿صرّوف﴾ البطريرك اغناطيوس الرومي الملكي الكاثوليكيّ الذي

قتلهُ ظلماً الياس عماد واولادهُ في السنة الاولى من بطريركيّتهِ في ٦ ت ٢ سنة ١٨١٢ . وقفنا لهُ في حلب على مجموع رسائل في مسئلة كاباسيلا في مكتبة المرحوم جبران دلّال

٤٩٤ ﴿ صرّوف حنّا الحمصي ﴾ دخل حديثاً في مكتبتنا الشرقيّة كتابهُ المعنون « الاغاني التقويّة والموالات العامّيّة عن الامور الدينيّة بخط انطانن بن حنّا الحمصي (واملّهُ ابنهُ) سنة ١٨٣١

٤٩٥ ﴿ صرّوف هبة الله ﴾ هو ابن الخوري سبريدون ومصحح مطبوعات مطبعة الدير المقدّس في القدس المتوفّى ١٩١٣ في ٧ آذار . نشر سيرة القديس برفيريوس اسقف غزّة وسيرة الابرار يوحنّا الكوخي واكسينيوفون وولديهِ والكسيوس رجل الله . وسعى بطبع مواعظ والدهِ وألّف كتاباً في جغرافيّة فلسطين وتأليفاً للكهنة دعاءُ الفريضة السنيّة في الواجبات الكهنوتيّة وكتاب مناهج القراءة

٤٩٦ ﴿ صفرونيوس ﴾ بطريرك اورشليم القديس المكنّى بفم المسيح المتوفّى سنة ٦٣٨ . ممّا يُنسب اليهِ من المخطوطات العربيّة : ١ً كتاب بستان الرهبان او فردوس الرهبان والصواب انّ هذا الكتاب ليوحنّا موسخوس هو المسمّى الدرج الروحي منهُ نسخ عديدة في مكتبة البروبغندا في رومية (ع ٧٧) وفي مكتبة باريس (Mss. 279 et 4703) وفي مكتبة الدار الاسقفيّة في بعلبك وفي دير الشير ومكتبة دير قزحيّا وفي الشرفة (بالكرشوني) . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة منهُ حسنة يقال في مقدّمتها « انّ جبرائيل بن فرحات الماروني رتّب هذا الكتاب بستان الرهبان وجعلهُ في بابين : ١ً الاخبار النقليّة (في ٤٠ فصلاً) . ٢ً المواعظ والحكم (٥٠ فصلاً) . اطلب ايضاً مجلّة النعمة (٣ : ١١٣—١٢٤ و ٣٨١) . ٣ً كتاب البرهان في تثبيت الايمان نُسب زوراً في احدى نُسخ مكتبتنا الى القديس اثناسيوس الاسكندري (المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٤٨٨) والى بطرس اسقف سبسطية (راجع العدد ٢٨٠) وهو يُنسب في نسخ عديدة الى القديس صفرونيوس (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٤٢٣) ولا ذكر لهُ في مجموعة اعمالهِ اليونانيّة في مين ويقال انّ معرّب هذا الكتاب من اليونانيّة هو الشمّاس عبدالله بن الفضل الانطاكي . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة ونسخ اخرى عديدة في مكتبة اللويزة وفي دير بزمّار ودير الشير ومكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٤٠) وفي الدار الاسقفيّة في بعلبك وعند الارشمندريت الياس بطاوخ والمنسنيور جرجس

شلحت . ٤ً كتاب منطق القديس صفرونيوس في مكتبة الوارنة في حلب (ع٥١٥) في ٥٣ باباً . ٥ً كتاب المنارة الرهبانيَّة تاريخهُ سنة ١٦٩٦ في مكتبة مدرسة الشرفة . ٦ً ترنيمات للقديس صفرونيوس في مكتبة البروبغندا واليهِ يُنسب التريودي من كتب الكنيسة اليونانيَّة الطقسيَّة في نسخهِ العربيَّة تصرُّفات عديدة

٤٩٧ ﴿صفرونيوس﴾ كير صفرونيوس مطران عكَّا الارثذكسي . عاش في القرن السابق . لهُ ١ً في مكتبتنا الشرقيَّة كتاب تحفة البيان في ادب الفتيان ولطائف علماء اليونان استخرجهُ من اليوناني الى العربي كيرو كير صفرونيوس لمَّا كان شمَّاساً تاريخهُ سنة ١٨٥٣ . ٢ً لهُ في مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت ردّ على خمس اعتراضات اعترض بها عليهِ الكاثوليك في حيفا وخصوصاً عن رئاسة البابا وانبثاق الروح القدس وغير ذلك . ٣ً وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من كتاب جلاء الابصار من عشاء الاكدار لنكتاريوس البطريرك الاورشليمي تعريب الشمَّاس صفرونيوس المتوحّد ، والظاهر انهُ هو صفرونيوس الذي سُقف على عكَّا

٤٩٨ ﴿صفرونيوس الكلي﴾ الشمَّاس . عاش في اواسط القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة اوبسالا (Upsala, *Cod.* 491) تعريب كتاب في الطهر نقلهُ من اليونانيَّة في القدس الشريف في اوائل سنة ١٧٤٠

٤٩٩ ﴿صفير﴾ الاديب موسى صاحب مكتبة المعارف المتوفَّى سنة ١٩٢٢ . لهُ ما خلا مطبوعاتهِ دليل الاحداث ودرجات القراءة مجموعة قصائد وفصول ادبيَّة وتاريخيَّة مخطوطة عند انجالهِ

٥٠٠ ﴿صفير﴾ الخوري نقولا المتوفى في عجلتون سنة ١٩٢١ عرَّب كتاب الاب بيرون اليسوعي « فرض اخويَّة الميتة الصالحة فطبعهُ في مطبعتنا سنة ١٩٠٥ . ثمَّ عرَّب ايضاً كتاب السيِّد فرنسيس البرتيني « اخوية دم يسوع الثمين » فنشرهُ في مطبعتنا ايضاً سنة ١٩١١

٥٠١ ﴿صقَّال﴾ نعُوم ابن الشماس ميخائيل الحلبي . لهُ في حلب ببيت اهلهِ تاريخ قومة حلب سنة ١٢٦٧ هـ في عهد محمَّد زرين باشا وكتاب ملحمة دانيال الوانوس سنة ١٨٦١ م

٥٠٢ ﴿صليبا بن يوحنَّا﴾ القسيس الموصلي النسطوري من كتبة اواسط القرن

الرابع عشر . من تآليفه : ١ً كتاب تاريخ بطاركة الكلدان منهُ نسختان في رومية الواحدة في المكتبة الفاتيكانيّة تاريخها سنة اليونان ١٦٤٣ (١٣٣٢م) والاخرى في المتحف البورجياني . وقد طبعهُ في رومية المرحوم الاب هنري جسندي اليسوعي سنة ١٨٩٧ . والتاريخ المذكور يدخل في تأليف اوسع وهو السفر الثاني من اسفاره الخمسة ومختصر كتاب المجدل لماري بن سليمان . ٢ً لهُ في مكتبة باريس (Ms 204) مجادلة جرت بين ايشوع الراهب ورأس الجالوت رئيس اليهود في امر سيّدنا يسوع المسيح . كتبهُ صليبا بحروسة مدينة الاغوسة (قبرس) سنة ١٣٣٠ م . ٣ً ولهُ في المكتبة الفاتيكانيّة (Bibl. Or., III, 559-9) تعريب كتاب الاقرار والامانة التي يعتقدها النصارى السريان المشارقة من انشاء ميخائيل استف آمد وميافارقين . ٤ً وذكر له الراهب برصوم في تاريخ دير الزعفران (ص ٤٧) رسالة البرهان والارشاد في بعض بيوت الكلدان في الموصل

٥٠٣ ﴿صموئيل﴾ رئيس دير قلسون في الفيّوم عاش في القرن الرابع عشر . لهُ في مكتبة باريس (Paris 131[3]. 205[11]) ميمر في انتصار الدين المسيحي على الاسلام

٥٠٤ ﴿الصهيوني﴾ انطونيوس بن اوفيساني الاهدني الترديوط والراهب من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية اشتهر في اواسط القرن السابع عشر . أعدَّ سنة ١٦١١ للطبع نسخة من اسفار العهد الجديد السريانيّة والعربيّة فطبعها بعدهُ مرهج النيروني في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٧٠٣ . وممّا نسخهُ ونقّحهُ بيده ثلثة اجزاء من فلسفة اليونان لحنين بن اسحاق وبعض كتب ارسطو وكتاب في الحساب والجبر لابي عبدالله محمّد شهاب الدين بن ابي جعفر ومقالة في الهندسة لاحمد بن عليّ

٥٠٥ ﴿الصهيوني﴾ هو الكاهن الماروني جبرائيل الاهدني تلميذ مدرسة الموارنة في رومية ومدرّس اللغات الشرقيّة في كلية باريس المتوفّى سنة ١٦٤٨ . اشتغل مع ابراهيم الحاقلي ويوحنّا الحصروني في نشر التوراة المتعدّدة اللغات (البوليغلوتّا) في سبعة مجلّدات (١٦٢٨—١٦٤٢) . وألف غراماطيقاً عربيّاً طبع في باريس سنة ١٦١٦ ونقل الى اللاتينيّة قسماً من جغرافيّة الادريسي . وعرّب مع نصرالله شلّق التعليم المسيحي للكردينال بلرمين وسعى مع جرجس الكرمسدّاني وميخائيل الادنيّ في

نقل ترجمة القديس مارون من السريانية الى اللاتينية

٥٠٦ ﴿الصيني الراهب﴾ لدى حضرة الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي «مجادلة الراهب الصيني مع السيد عمر الحراني» في مخطوط من القرن السابع عشر لم يمكننا الوقوف على عهد صاحبها (له بقية)

عاديات سورية ومصر المكتشفة حديثاً

نظر عام للاب لويس شيخو اليسوعي

اولاً : فينيقية وسورية

دهمت البلاد الحرب الكونية فصرفت همة العلماء والاثريين عن مواصلة حفرياتهم لاستخراج كنوز الاقدمين من بطن الارض . فما وضعت أوزارها حتى اسرعوا فعادوا الى ابحاثهم بنشاط لم يعرف الملل رجاء ان يتلافوا ما فاتهم من تلك الكنوز فلم تخب آمالهم بل تفاءلوا بحلول عصر جديد يمكنهم من مباشرة اعمال خطيرة لم يعد يتعرضهم في ذلك الاتراك كألوف عادتهم . وقد استأنفوا العمل منذ السنة ١٩١٩ وأغنوا العلم بعدد وافر من الآثار التي تنطق بلسان حالها عن شرف المواطن العزيزة ورقيها السابق . فاحببنا ان نسرّح البصر في ما يرغب قرّاؤنا معرفته منها لاسيما في جيرتنا اي سورية وفلسطين ومصر مباشرة بفينيقية

١ً عاديات فينيقية

قد خلّف الفينيقيون في سواحلنا آثاراً جمّة لم يستخرج منها ارباب العاديات الّا قسماً صغيراً منذ باشر بكشفها ارنست رنان في بعثة فينيقية سنة ١٨٦٤ . ثمّ عُني بوصف كثير منها فقيد العلم الاثري الشهير كلرمون غانو الذي افرد لها سهماً كبيراً

في مجلّته الاثريّة . وفي مجلّة المشرق في تلك الآثار عدّة فصول مطوّلة (٦ [١٩٠٣] : ١٧٩ و ٢٠٨ ; ٧ [١٩٠٤] : ١٨٠ و ٢٧٢ ; ٨ [١٩٠٥] : ٢٧٠ و ٣١٣ و ٣٧٠) ومثلها في مجموعة مكتبنا الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale) في مجلّداتها الثانية . ودونك ما وُجد منها في هذه الحقبة الاخيرة بادنين بجنوبها .

﴿صور﴾ كلّ يعلم ما بلغت صور في سالف الاعصار من الحضارة والعمران ولا شكّ ان في اعماقها وانقاض جبرتها وتلالها المحدقة بها بقايا ذات شأن من زمن مجدها كما تحقّقهُ الاثريّون سابقاً . وقد جرت على آثارهم سيّدة فرنسويّة مادام دنيز لولاسور (Denyse Le Lasseur) مبعوثةً من جمعيّة الآداب والفنون الفرنسويّة بمساعدة المفوّضيّة العليا في سوريّة فقضت اشهراً من ربيع السنة ١٩٢١ تتفقّد انحاء صور تسبر اعماقها وتُجري فيها الحفريّات خصوصاً شرقيّ المدينة في تلّ معشوق على مسافة كيلومترين ونصف منها ثمّ في جلّ العمد على بعد نحو سبعة كيلومترات وفي التلال الواقعة بين البرج الشمالي والبرج القبلي ثمّ جنوبي صور في طيّبة وبني عمران وكليله فوقفت على آثار مختلفة يتراوح تاريخها بين القرن الخامس قبل المسيح والقرون الوسطى بعدهُ . فممّا اهتدت اليه تحت تلك الاطلال ابنية قديمة بين ردومها قطعٌ من السواري والاعمدة ورؤوس الاكلة والنقوش الهندسيّة وزجاجات وخزفيّات شتّى ملوّنة وآنية بيتيّة معدنيّة وتماثيل مهشّمة ومصابيح وبعض نقود رومانيّة ويونانيّة ونبطيّة مع كتابات قليلة . ووجدت عدّة مدافن في بطنها نواويس مختلفة الكبر والهيئة جرّدها في الازمنة السالفة منتهكو حمى القابر مما تحتويه من الآثار والحلي الثمينة وفي جدران هذه المدافن وحضيضها وسقوفها نقوش وتصاوير دقيقة الصنع تمثّل طيوراً ونباتات واشكالاً لطيفة بعضها دينيّة نصرانيّة او وثنيّة

﴿صيداء﴾ انّ اهمّ الآثار التي اكتُشفت فيها في هذه الحقبة الاخيرة يعود الفضل في نشرها للدكتور كونتنو (Dr G. Contenau) وكان جنابهُ باشر في حفريّات صيداء وجهاتها في السنة السابقة للحرب فاتمّها بعد اعلان الانتداب الفرنسويّ على سوريّة واستحقّ باكتشافاته ان يُنظم في سلك الاثريّين اللذين سبقاهُ رنان ومكريدي بك . وكان اوّل حفريّاته في التلال المجاورة للمدينة حيث وُجد ناووس الملك اشمنعزر (المشرق ٧ [١٩٠٤] : ١٨٠—١٨٥) في مغارة ابلون وحسيران

حيث كانت مدافن الفينيقيين فتفقّد الحفريات السابقة واستخرج منها آثاراً فاقت سلفيه كخزفيات ومصابيح وقطع رخام منقوشة وتماثيل محطّمة وتوابيت خشبيّة مشوّهة ونواويس. ثمّ وجد آباراً نزل الى غورها ومطامير استبطن حُجَرها. فممّا وقف عليه في احداها ناوُوس كبير على جانبيه الطويلين وغطائه رأس اسدين في فمها حلقة يتّصل بها اكليل من الزهور واثمار مخبوكة تمتدّ من رأس الى آخر وفوق الاكليل نقشة مستديرة وخطوط هندسيّة. وعلى احد جانبيه العريضين صورة جميلة لسفينة فينيقيّة بصواريها وقلوعها وتقاطيعها المختلفة مع دفّتها ومجاذيفها ورايتها وترى طرفها المؤخر ملتوياً كانهُ رأس طائر. وهذا المركب كان من صنف المراكب التجاريّة الواسعة الجوف التي كان الفينيقيّون ينقلون عليها سلعهم وجهّزوا كثيراً من شكلها للمصريين وغيرهم (Syria, I, 16 etc.)

ومما اكتشفهُ في كفر جرّة من قرى صيداء بين الاطلال المتراكمة هناك آثارٌ تدلُّ صورُها ورسومها على ارتقائها الى عهد الكنعانيين وزمن فراعنة مصر في القرن الخامس عشر قبل المسيح منها مُدًى وآنية وخزفيّات منقوشة ملوّنة سبقت عهد الفينيقيين. وفوقها آثار من زمن الفينيقيين واليونان والرومان كزجاجات وصور منقورة في الصخر. ونزل في مغارة مدفنيّة في بعض املاك نسيب بك جنبلاط فوجد فيها خوابي قديمة ونقوشاً وصور شرائط من النبات وغيرها على جدران المدفن وناوُوساً ذا رصاويرشتّى وكتابات ضريحيّة يونانيّة مرقومة على انصاب مكعّبة مستطيلة والكتابات المذكورة ترتقي الى عهد الملوك السلوقيين في القرن الثاني قبل المسيح

وباشر ايضاً الدكتور كونتنو حفريّات اخرى في الهلاليّة عند المراح فوقف على نواويس غطاؤها على شبه الانسان (anthropoïde) المدرج بالكفن ذي الرأس البارز وبعضُها متقن الصنع تدلُّ على براعة مصوّريها. واطّلع في مغاور قرية معان على فسيفساء تمثل اشخاصاً مع كتابات يونانيّة ضريحيّة وبعض النقود والحليّ من عهد الرومان

ومن المعلوم انّ الصيداويين عُرفوا قديماً باكتشاف الارجوان واستحضاره. ومن بقايا الاصداف الارجوانيّة التي كانوا يستخرجون من دودها صبغ الارجوان ربوةٌ ملاصقة لقلعة صيداء فتحصها الدكتور كونتنو وتعمّق في بطنها فوجد فيها آثاراً جمّة تثبت ما رواهُ المؤرّخون عن حذق الصيداويين في تجهيز الاصباغ والنقوش

وابدع من ذلك فسيفساء قديمة من القرن السادس للمسيح عثر عليها عند قرية الحية تمثل رموزاً نصرانية كالسمكة والطاووس ونقوش مختلفة بالالوان الحمراء والزرقاء والبيضاء في وسطها كاس القربان مع حمامتين وتحت الفسيفساء كتابة يونانية تذكر هناك المصوّر ثودورس ورئيسي الكنيسة اسطفان وايانوس وذلك سنة ٦٨٤ من تاريخ صور الموافقة للسنة ٥٧٦ للمسيح

ومما يعود الى شرف الصيداويين ما رواه عنهم التاريخ بخصوص اكتشافهم للزجاج واستحضارهم للشفاف منه على صور مختلفة كالاقداح والانية وغيرها . ونافسهم في ذلك مجاوروهم الصوريون . على انّ بعض العلماء بالعاديات كانوا يرتأون انّ كثيراً من هذه الآنية ليست لهم بل لعمّلة من اهل الغرب . وقد انتصر المسيو رينه دونسو للفينيقيين في مجلة سيريا (Syria I, 330) واستند على بيان سباقهم في اصطناعهم لها الى اكواب وُجدت في صيداء رُقم عليها اسم بعض الصيدونيين كأرطاس وانيون وماجس وياسون وبيّن انّ آنية أخرى وُجدت في رومية وبعض مدن غالية وايطالية والمانية نُقلت اليها من سواحل الشام لما بينها وبين الآنية المكتشفة في صور وصيداء من الشبه والنقوش المثلثة الاسلاك وبعض الرموز التي يزعم البعض انها رموز نصرانية والله اعلم (Syria II, 80)

﴿بيروت﴾ ذكرنا في المشرق في العام الماضي (ص٧٥١) ما كتبه المسيو دومنيل دوبويسون عن استحكامات بيروت القديمة واسوارها التي تتبع آثارها . وكذلك دوّنا ما وجد من الابنية في ساحة اللنبي في زمن الحرب (المشرق ١٩٢١ ص ٣٢٩) وهي كنيسة يُرقى عهدها الى القرن السادس مع كتابة قديمة ورد فيها ذكر بعض مشاهير الحرب . ولا تخلو بيروت من الآثار اليونانية والرومانية . فما وُجد منها حديثاً جنوبي سراية بيروت مذبحان عليهما اسم الناذر بهما للآلهة باللاتينية مع كتابة اخرى يونانية على عتبة احد الابواب . وممّا قليل ستحظى بيروت بمتحفها الاثري الذي ينظم عادياته بعض الاختصاصيين الفرنسويين كالمسيو ثيرولو والمسيو بروسه

﴿جبيل﴾ مركز الديانة الفينيقية كانت ايضاً محجّ الدول المصرية القديمة استعاروا منها بعض معبوداتهم كما اتخذوها كاحدى اسواقهم التي كانوا يتاجرون فيها مع الفينيقيين منذ زمن سلالة الفراعنة الرابعة كما ثبت من الكتابات الهيروغليفية . وكان المصريون

يجهزون هناك سفنهم لجودة اخشاب جبل لبنان . وكانت اساطيلهم تُعمَّر في جبيل وكثيراً ما كان الفينيقيّون يركبونها ويديرونها . فلا عجب بعد ذلك أن وُجدت في جبيل آثار مصريّة قديمة

على انَّ تلك الآثار الى عهدنا هـذا كانت محصورةً ببعض العاديّات والنقوش المصريّة مع كتابات هيروغليفيّة قليلة عليهـا صور آلهة مصريّة واسماء بعض الفراعنة وعلى الاخص اسم رعمسيس الثاني وادعية لآلهة مصر كايزيس وهاتور وتونت وهورس اكتشف بعضها رنان وكلرمون غانو والدكتور روثيه والاب سبستيان رونزفال

الّا انَّ الذي توفّق الى كشف هذا السرّ واثبات صحّته انّما هو المسيو بيار مونته احد اساتذة كلّيّة ستراسبورغ الذي عهدت اليه الحكومة الفرنسويّة ادارة حفريّات جبيل فقدم الى سوريّة في ربيع سنة ١٩١٩ وباشر العمل بنشاط . فاسعدهُ الحظّ وبلغ الى اكتشاف آثار اخرى وجد فيها اسم تحوتمس الثالث واستدلّ بها على وجود هيكل قديم أقامهُ المصريّون في جبيل . فكان ذلك مدعاةً لحفريّات جديدة تولّاهـا المسيو مونته سنة ١٩٢١ جنوبي القلعة التي شيّدها الصليبيّون وأدّت به اوّلاً الى وجود آثار مختلفة مصريّة الاصل كمصاغات ذهبيّة وآنية من العاج والبرونز والبلّور والرخام اليقق كان على احدها اسم الفرعون اوناس من السلالة الخامسة والفرعون ميسرينوس من السلالة الرابعة مشيّد ثالث اهرام مصر والفرعون بيبي من السادسة حتى انتهى اخيراً الى اساس الهيكل المنشود مع بعض تماثيله المزيّنة لهُ والى بيان الحوض المقدّس الذي كان بقربه . ذلك فضلاً عن وجود آثار هيكل آخر شيّدهُ الفينيقيّون بجواره . ثمَّ انجز عملهُ في اواخر السنة المذكورة بعد ان رقم صفحة جديدة في تاريخ وطننا العزيز

وفي تلك الاثناء حصلت انواء شديدة في شهر شباط من السنة ١٩٢٢ هبط بسببها قسم من الصخور المطلّة على البحر ففتحت منفذاً الى مقبرة قديمة واسراب عميقة وجدوا فيها آثاراً جليلة تراكمت عليها الانقاض والوحول اخصّها ناووس كبير من الحجر الكلسي طولهُ متران و ٨٠ سنتمتراً وعرضهُ متر و ٤٨ س على غطائه في ثلاث زواياهُ ترويسات ضخمة وبقربه على الحضيض آنية مختلفة الشكل كجرار وصحون واباريق وكؤوس بعضها من صنع المصريين وغيرها للكنعانيين . بينها ما هو من الرخام الابيض الناعم وغيرهـا من الخزف وبعضها من الفضة او من البرونز

كأدوات شتّى على بعضها نقوش دينية مصرية . وفي باطن التابوت وجدوا بعض رفات الميت وعظامه مع سلاحه وبعض آنيته البيتية والدينية كحلق وخواتم وكوز فضة وقارورة طيب من الحجارة الكريمة وكصحيفتين ذهب على احداهما اسم الفرعون امنحات الثالث الملقب راعنات ومصاغات وحلي وقلائد واساور ذهب وصفائح منقوشة وملوّنة مما يشهد على انّ ذاك الدفين كان من امراء الفينيقيين ومن اصدقاء ملوك مصر الذين اتحفوهُ بهدايا من وادي النيل اودعها اهلهُ في قبره بعد موته . وذلك قبل ان يملك الفراعنة في ايام تحوتمس الثالث على بلاد فينيقية اعني منذ عهد أمنحات الثالث نحو القرن التاسع عشر قبل المسيح . وستُعرض هذه الآثار الجليلة في متحف بيروت قريباً ما خلا التابوت لضخمه وصعوبة نقله

﴿طرطوس﴾ كان بين بعثة الفرنسويين الاثريين الذين وافوا الى سورية للبحث عن آثارها عالم اختصاصي المسيو أنلار (M. Enlart) الذي تفرّد في درس آثار القرون الوسطى ولاسيما آثار الصليبيين الدينية فقضى في طرطوس زمناً لدرس خواص كنيستها القديمة المشيّدة على اسم العذراء فاخذ رسومها وبيّن خواصها واكتشف عدّة كتابات استدلّ بها على بعض تواريخها ثمّ زار ايضاً دير البلمند وهو من بناء الصليبيين وكنائس جبيل الراقية الى ذاك العهد وكنيسة بيروت (المحوّلة الى الجامع الكبير) التي بناها الملك بردوين سنة ١١١٠ وهو يُعد لوصف كلّ ذلك كتاباً ممتعاً

٢ عاديات داخلية البلاد

كما عُني هؤلاء الافاضل في درس مآثر فينيقية الساحلية وجّه غيرهم النظر الى آثار الداخلية في لبنان ودول دمشق وحلب والعلويين

﴿معراب﴾ سبق حضرة الاب موترد ووصف في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٨٥٩) ما وُجد فيها من الآثار اخصّها الصفيحة المعدنية التي رُقم عليها اجازة عسكرية مفيدة لمعرفة احوال الرومان مع جنودهم الاستعمارية

﴿دمشق﴾ تعشق المسيو اوستاش دي لوره دمشق وآثارها بعد اشتغاله مدّةً في صور مع السيدة لي لاسور . واوّل ما اهتمّ به البحث عن الآثار الاسلامية فاستقرى المساجد والتكيّات والمقابر ودوّن ما وجدهُ فيها من العاديات واخذ صورها ونشر

كتاباتها الكوفية . فمن ذلك في مقبرة الباب الصغير مشهدا سكينة ابنة حسين بن ابي طالب وفاطمة هداهُ اليهما السيد سليم مرتضى وعلى جوانبهما كتابات بديعة بالخط الكوفي الأزهر . وكان التقليد يزعم انَّ فاطمة المذكورة هي فاطمة الصغيرة اخت سكينة الّا انَّ الكتابة التي وُجدت عليها اثبتت انها غيرها احدث منها عهداً وهي « فاطمة ابنة احمد بن الحسين بن السبطي المتوفاة سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨م) »

وقد اجتهد المسيو لوره في درس مآثر اسلامية غيرها كالفسيفساء الجميلة الملوّنة بالذهب والاصباغ الرائعة والتصاوير اللطيفة التي في جامع الملك الظاهر التي تحوّلت الى مكتبة عمومية . وكذلك نزل الى اعماق كنيسة القديس حنانيا التي في ملك الاباء الفرنسيسيين واكتشف هناك بين اخربة جامع قديم بقايا الكنيسة الصلّبة التي اقامها النصارى قبل عهد الاسلام تذكاراً لارتداد مار بولس في نفس البيت الذي حلَّ فيه الرسول واعتمد وكان يسكنهُ حنانيا . والدليل عليه ان ذلك الجامع عند المسلمين يُعرف بجامع حنانيا وقد ميّز المسيو لوره حنيّة تلك الكنيسة وبعض ابنيتها المسيحية كما انهُ وجد فيها كتابة يونانية قديمة العهد

﴿بعلبك﴾ ليست كلّ آثارها منحصرة في هيكلها وابنيتها العادية التي يُقضى منها العجب . وانّما في بواطنها نقود ودُمى وتماثيل يستخرجها الفلّاحون وكلّها من الآثار القديمة تزيدنا معرفةً بدين اهلها واخلاقهم . فمن ذلك تماثيل لجوبيتر (المشتري) البعلبكي الذي سبق حضرة الاب سستيان رنزفال ووصف منها تمثالين مع صورتهما في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٣٠٧ و ١٦ [١٩١٣] : ٥٢٢) . وقد اقتنى منهُ جناب الوطني الوجيه شرل سرسق مثالاً جديداً بيا خصَّ لوصفه العلّامة رينه دوسو مقالةً واسعة في مجلة سيريا (Syria I, 1-16) تؤيد كلّ آراء مكاتب المشرق

﴿حمص﴾ في سهولها بين لبنان وجبل الشيخ تلال مرتفعة فوق نهر العاصي تظهر لاوّل وهلة أنها انقاض ابنية عظيمة قديمة التاريخ وقد سبق حضرة الاب سبستيان رنزفال والاب هنري لامنس وبعض المستشرقين فارتأوا أنها اطلال مدينة الحثّيين القديمة المعروفة بقدس واحدى حواضرهم الشهيرة التي عندها وقعت معركة هائلة انتصر فيها الفرعون رعمسيس الثاني على الحثّيين كما ورد ذلك في كتاباته الهيروغليفية . وذلك ما حدا بجمعية العلوم الفرنسوية الى انتداب احد علمائها المسيو

موريس بيزار (M. Pézard) ليتولى حفرها ويتحقق صحتها . فاجاب المومأ اليه الى ملتمس الجماعة واحتل بقربها مع المسيو بروسه المنوط بنظارة متحف بيروت وباشر بالشغل السنة ١٩٢١ فحفر في شمالي ذلك التل خنادق واسعة فاصاب بعد عمق مترين او ثلثة آثار التمدن الروماني ثم اليوناني من خزفيات وآنية وتماثيل وحلي واسلحة ومصابيح الخ

ثم واصل العمل حتى بلغ الى آثار المدينة الحثية في عمق ١٩ متراً وتتبع اساس ابنيتها واسوارها بحيث لم يبق شبهة في انها اقدم من عهد اليونان وانها كانت مدينة محصنة توافق ما ورد عن مدينة قدس من الاوصاف في الكتابات المصرية . ووجد في تلك الطبقة السفلى ابنية وآثاراً عظيمة من عهد الكنعانيين الى ان بلغ الى ما وراء زمنهم فوجد آثاراً حثية لا شك فيها

وزادهم تحقيقاً لأمانيهم وجود آثار مصرية عليها كتابات هيروغليفية اخصها نصب الفرعون ساتي الاول من السلالة التاسعة عشرة الذي حارب الحثيين ترى عليه صورته وصورة آلهته آمون راع ومنتو وخنسو والالهة قديشو السامية الاصل . وبذلك تعين زمن ذلك النصب الراقي الى القرن الرابع عشر قبل المسيح . ومما ادهش الباحث هناك انه وجد للحثيين آثاراً بديعة الصنع تبين ما كانت عليه تلك الأمة من الرقي والتقدم في الحضارة

﴿آثار نصرانية قديمة﴾ قد وجد في هذه الحقبة الاخيرة اعمال صناعية جليلة في انحاء سورية ولاسيما جهات انطاكية وحلب تدل على براعة العملة الذين سعوا بشغلها وعلى انتشار الدين النصراني في البلاد منذ القرون الاولى للميلاد . ولا غرو وقد افادنا القديس لوقا في سفر الاعمال عن نجاح تبشير الرسل في عاصمة سورية حتى في العهد الاول للدعوة النصرانية بعد صعود السيد المسيح بزمن قليل

ومن خواص تلك المصنوعات البديعة انها تجمع بين محاسن الفنون الجميلة اليونانية وتكسيها مسحة من الجمال السوري الوطني

فمن ذلك مجموعة فريدة نقلها الحلبيون قوشقجي اخوان الى نيويرك بينها كأس للقربان عليه من النقوش اجملها وادقها يمثل شخص السيد المسيح الكريم جالساً على عرش على هيئة تأخذ بمجامع القلب لجلاله وهيبته مع معظم تلاميذه المصورين على

دائرة الكأس يمتاز بينهم القديس بطرس الرسول . وبين الرسل على كافة جوانب الكأس رموز مختلفة منها نباتية كالكرمة مع ثمارها واغصانها وعساليجها ومنها طيور وحيوانات جاثمة على الاغصان او تتلاعب في ظل الكرمة . وهذه لعمري تحفة فريدة اجتمع كل العارفين على حسنها وقدمها حتى ان بعض الاميركيين رقوها الى زمن الرسل الكرام والمرجح انها من اعمال القرن الرابع للميلاد

ومن طرائف المكتشفات الحديثة كأس آخر مع صينية وُجدا في ريحا قريباً من نهر العاصي وهو حاضراً ملك الارمني كالبجيان فعلى الكأس كتابة راقية الى القرن السادس للمسيح وهو بديع الشغل . اما الصينية فمن آيات الصناعة السورية عليها صورة العشاء الرباني وتوزيع السيد المسيح على تلاميذه سر جسده ودمه وصور الاشخاص غاية في الاتقان يعدها الاختصاصيون من اجمل الآثار النصرانية القديمة

ومثلها قدماً إناء من الفضة كالجرة دخل حديثاً في متحف باريس وكان وُجد سابقاً في حمص على شقة من دائرته صور جميلة تمثل السيد المسيح والعذراء مريم وبعض القديسين . والاناء يرقى ايضاً الى القرن السادس للميلاد

ومن جملة ما حصل عليه المثري الاميركي الشهير بيربون مورغان صفيحة كبيرة من الفضة مزينة بنقوش المينا البديع تاريخها من اواخر القرن الخامس او اوائل السادس للمسيح قد نُقشت عليها مصورة سيرة داود النبي بدقة عجيبة تشهد لمصورها السوري الاصل بالنبوغ في فن التصوير

فهذه الآثار وغيرها ايضاً لا يسعنا ذكرها التشتت في هذه السنين الاخيرة نظر العلماء الى درس رقي الفنون الجميلة بين نصارى السوريين واثبت ما كان بين اعمالهم واعمال معاصريهم من العلاقة والنفوذ المتبادل

(لها بقية)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٨ عديّ بن حاتم

هو عديّ بن حاتم الطائيّ بن عبدالله الطائيّ ويكنى ابا طريف . وابوهُ حاتم هو الذي يضرب العرب بهِ المثل في الجود والكرم . وقد نشأ عديّ في حِجْر والدهِ وتخلّق باخلاقهِ وصار بعد وفاتهِ خلفاً لهُ في رئاسة قومهِ فكان بنو طيّ ينقادون لهُ في كلّ امورهم . وكان عديّ نصرانيًّا لا خلاف في ذلك وقد صرّح بنصرانيّتهِ ابن هشام في سيرة الاصول (ص ٧٤٧) والطبري في تاريخهِ (١ : ١٧٠٧) وقد ذكر عن نفسهِ انهُ كان ملكاً في قومهِ يسير فيهم بالمرباع على خلاف قوانين دينهِ وانهُ كان ركوسيًّا وقد اختلفوا في معنى ذلك فقالوا الركوسيّة مذهب من مذاهب النصارى وقال ابن الأعرابي بل هو نعتٌ من نعوتهم (راجع التاج في مادّة ركس)

وممّا رواهُ في معجم البلدان عن سبب تنصّرهِ (٣ : ٩١٣) انهُ كان عكر عند صنم لطيّ يُدعى الفَلْس يعبدونهُ ويهدون اليهِ ويعتّرون عندهُ عتائرهم ولا يأتيهِ خائف الّا أمن ويزعمون انّ لا احدًا يستطيع ان ينتهك حرمتهُ الّا أُصيب بداهيةٍ . فخرج مالك ابن كلثوم الشيخي يطلب ناقةً لجارة استغاثت بهِ فوجدها موقوفة عند الفَلْس فحلّ عقالها ونزل الصنم برمحهِ فسدعا عليهِ سادنُ الصنم . فبلغ خبرهُ عديًّا وجلس هو ونفر يحدّثون بما صنع مالك وفرغ من ذلك عديّ بن حاتم وقال : انظروا ما يصيبهُ في يومهِ فمضت لهُ أيام لم يُصبهُ شيء فرفض عدي عبادتهُ وعبادة الاصنام وتنصّر

وبقي عديّ على نصرانيّتهِ بعد ظهور الاسلام الى السنة التاسعة من الهجرة وهو شديد الكراهية لرسول العرب حتى غزا المسلمون احياء طيّ فاسروا السفّانة ابنة

حاتم اخت عديّ فلاذت بمحمّد بقولها : امنُن عليّ منّ الله عليك . فعرف محمّد انها ابنة حاتم الطائي فمنّ اسرها واعادها الى قومها في الشام مكرّمةً . فلمّا قدمت الشام اخبرت اخاها بما فعل محمّد فأثّر ذلك به ودفعه الى ان يَفِد بقومه الى محمّد ويدين بالاسلام فولّاه صدقات قومه . وكان عديّ احد المعمّرين قيل انهُ عُمّر ١٨٠ سنة على ما روى ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمّرين (ص ٣٧) وتوفي سنة ٦٨ ﻫ (٦٩٠م) فيكون وقع اسلامهُ اذ أربى عمرهُ على المئة والثلثين سنة فتأمّل

وممّا يخبر عنهُ في الاسلام انهُ كان موالياً لعليّ ولأنصاره وانهُ حارب مع المسلمين في مواقع كثيرة فسار مع خالد لفتح فارس وحضر يوم القادسيّة ويوم المدائن ويوم جَلُولا ويوم نهاوند ويوم تُستَر وشهد مع عليّ الجمل وصفّين في محاربته لمعاوية وذهبت عينهُ يوم الجمل وحارب الخوارج وهو لم يزل في عزّ قوّته ثمّ نزل الكوفة وابتنى بها داراً في طيّ . ومات بالكوفة زمن المختار

وكان عديّ ابيًا فخوراً يرى السباق لقبيلته . قيل انهُ لمّا قدم على رسول الاسلام وحادثهُ قال لهُ : « انّ فينا اشعر الناس واسخى الناس وافرس الناس » . اراد باشعر الناس امرءَ القيس بن حجر وباسخاهم حاتماً والدهُ وبأفرسهم عَمرو بن معدي كرب . وكان لعديّ حظوة لدى الخلفاء والارباب فكان الجُناة يستشفعون بهِ فينال لهم النجاة من العقاب

وكان عديّ مع ذلك شاعراً وان لم يبلغ في ذلك مبلغ ابيهِ . فممّا رواهُ لهُ البحتري في حماسته (ص ٥٨) قولهُ (من الطويل) :

مَنْ مُبلغٌ أفناءَ مَذحِجَ أنّني ... ثأرتُ بخالي ثمّ لم أتأثّم
تركتُ أبا بكرٍ ينوءُ بصدرهِ ... بصفّين مخضوبَ الكعوبِ من الدمِ
يذكّرني ثأري غداةَ لقيتُهُ ... فأجرَرتُهُ رُمحي فخرّ على الفمِ
يذكّرني ياسينَ حينَ طعنتُهُ ... فيالَيتَ ياسينَ قبلَ التقدّمِ

وروى لهُ ايضاً (ص ٣٠٣) قولهُ (من المنسرح) :

أصبحتُ لا أتبعُ الصديقَ (١ ولا أملكُ ضرًّا للشانئِ الشَّرِسِ
وإنْ عدا بي الكُمَيتُ مُنطلقاً لم تملكِ الكفُّ رَجعةَ الفرَسِ (٢
أصبحتُ خِبًّا مُميَّتاً خَلَقاً قلبي لحبِّ الحياةِ في لَبَسِ

وروى له ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين (ص ٣٧ éd. Goldziher,) قوله وكان لمّا اسنَّ استأذن قومهُ في وطاء يجلس عليهِ في ناديهم وكان قد كبِر ورقَّ عظمهُ. فأبطأوا عليهِ فقال (من الوافر) :

أجيبوا يا بني ثُعَلَ بن عمرٍو ولا تكتُموا الجوابَ من الحياء
فانّي قد كَبِرتُ ورقَّ عَظمي وقلَّ اللحمُ من بَعْد النَّقاء
وأصبحتُ الغداةَ أريدُ شيئاً يقيني الارضَ من بردِ الشتاء
وطاءً يا بني ثُعَلَ بنِ عمرٍو وليس لشيخكم غيرُ الوِطاء
فان تَرضَوا بهِ فسُرورُ راضٍ وان تأبَوا فانّي ذو إباء
سأتركُ ما اردتُ لما أردتُم وردُّكَ مَنْ عصاكَ من العَناء
لأني من مَساءتكم بعيدٌ كبُعْد الارض من جوّ السماء
واني لا اكونُ بغير قومي فليسَ الدَّلوُ إلّا بالرِشاء

فأذنوا لهُ ان يَبسُط في ناديهم وطابت بهِ انفسُهم وقالوا : انت شيخنا وسيّدنا وابنُ سيّدنا وما فينا احدٌ يكرهُ ذلك ولا يدفعهُ

وقد رُويت لهُ ابيات من الرجز قالها في صفين (وقعة صفّين ٣ : ٢٨١) :

اقول لمّا أن رأيتُ المَعْمَعَهْ واجتمع الجندان وَسْطَ البَلْقَعَهْ

---

١) ويروى في تذكرة الحمداني : لا انفع الصديق
٢) روى في التذكرة : وان جرى بي الجوادُ . . .

هذا عليٌّ والهدى حقًّا معهْ فمن أراد غيَّه فضعضعهْ
يا ربِّ فاحفظهُ ولا تضيِّعهْ فانهُ يخشاكَ ربي فارفعهْ

وروي لهُ ايضاً اذ حمل في صفّين على عبد الرحمان بن خالد (٤ : ٣٢١)

ارجو الهي واخافُ ذنبي وليس شيءٌ مثلُ عفو ربّي
يا ابن الوليد بغضُكم في قلبي كالهضب بل فوقَ قِنانِ الهضبِ

وروي لابنهِ طريف وكان في يوم صفّين حاملاً للواء فاقتحم ساحة الوغى وهو يقول راجزاً (٤ : ٣٠٢)

أبعدَ عمّارٍ وبعد هاشمِ وابنِ بديلٍ فارس الملاحمِ
ترجو البقاء مثلَ حلم الحالمِ وقد عضضنا امسِ بالأباهمِ
فاليومَ لا تُقرَعُ سِنُّ النادمِ ليس امرؤٌ من يومهِ بسالمِ

ومن ظريف ما اخبرهُ ابن قتيبة في الشعر والشعراء عن كرم عدي بن حاتم ما حرفهُ قال (ص ٢٣٧) : « اتى سالم بن دارة الاسدي عديَّ بنَ حاتم فقال لهُ : قد مدحتُكَ . فقال عديّ : أمسِكْ عليك حتى أُنبئك مالي فتمدحني على حسبهِ . لي الفُ صانيةٍ والفا درهم وثلاثة أعبُد وفرسي هذا حبيس في سبيل الله فقُلْ . قال :

تجنُّ قلوصي في معدٍّ وانما تلاقي الربيع في ديار بني ثعلْ
وأبقى الليالي من عديِّ بن حاتمٍ حساماً كلونِ الملحِ سُلَّ من الخِلَلْ
ابوك جوادٌ لا يُشقُّ غبارُهُ وانت جوادٌ ما تعذَّرُ بالعِلَلْ
فإن تتقوا شرًّا فمثلكمُ اتقى وان تفعلوا خيرًا فمثلكمُ فعَلْ

فقال لهُ عديّ : أمسِكْ عليك لا يبلغُ مالي اكثرَ من هذا . وشاطرهُ مالهُ

سِمْعان بن هُبَيرة

هو ابو السَّمّال (ويروى السمّاك والسِّمال) سمعان بن هُبَيرة بن مساحق بن بُجَير

ابن عُمير الاسدي شاعر نصرانيّ من بني اسد بن خزيمة اسلم مع قومهِ عند ظهور الاسلام لكنّهُ ارتدّ الى دينهِ بعد وفاة محمّد وتبع طُليحة بن خويلد بن نوفل مع الحليفَيْن اسد وغطفان . فأسرع ابو بكرٍ وارسل سريّةً مع خالد بن الوليد فانهزم طليحة ولحق بنواحي الشام عند بني جفنة النصارى وتبدّد قومهُ . فعاد سمعان بن هبيرة الى الاسلام

وقد نظم ابو حاتم السجستاني سمعانَ بن هُبيرة في سلك المعمّرين قال (ص ٥٤ éd. Goldziher,) : انهُ عاش مائة وسبعاً وستين سنةً . وقال الصفدي في الوافي بالوفَيات (Ms. de Paris, 716, ff. 186v) : «سمعان بن هبيرة ابو السَّمّال الاسدي الكوفيّ شاعر فصيح وفد على معاوية وكان مع طُليحة على الردّة وكان لا يغلق على اربابهِ باباً فينادي مناديهِ في السوق والكناسة : « من كان ها هنا من الاعراب ممّن ليست لهُ خطّة فعليهِ بمنازل ابي السمّال ألا وبني كلب خاصّة » . فقيل لهُ : لِمَ خصصتَ كلباً . قال : لأنّهم ليس لهم في الكوفة كثيرُ اهل . فلمّا بلغ ذلك عثمان بن عفّان اتّخذ للاضياف منازل . قال ابن المزربان : وسمعان بن هبيرة هو الذي شرب الخمر عند النجاشي في شهر رمضان نهارًا فهرب ابو السمّال وحدّ عليٌّ بن ابي طالب عنهُ النجاشيَّ . ومن شعرهِ (من البسيط) :

لن ندّعي معشرًا ليسوا بأُخوتنا حتى الممات وان عزّوا وان كرموا
اذ نحنُ حيٌّ جميعُ الامر حلّتُنا غورًا تهامةُ والإسافُ والحرمُ
ثمّ استمرّت بهم دارٌ مفرّقةٌ بين الجميع ودهرٌ زينُهُ أَضَمُ

وهو الذي يقول (من الطويل) :

وهازئةٍ من شيبتي وتخنّني وطولِ قعودي بالوصيد افكّرُ
تقول فَنَى سمعانُ بعد اعتدالهِ وبعد سواء الرأس فالرأسُ أزعرُ
فقلتُ لها لا تهزئي انّ قَصرَكِ م المنايا وريبُ الدهر بالمرء يغدرُ
فكم من صحيحٍ عاش دهرًا بنعمةٍ فحلّ بهِ يومٌ اغرُّ مشهّرُ

وصار لِقَى في البيت لايبرحُ القِنا رَذيًا عليهِ كآبةٌ وتوقُّرُ
وقد كان مِدْلاجاً الى المجد مُتْعباً اليهِ المطايا عُمرَهُ ليس يفترُ
فلمَّا ترمَّتهُ المنايا ورَيبُها تقوَّسَ منهُ الظهرُ فالخطوُ مُقْصَرُ (١
وعاد كفرخ النَّسر اعمى عن التي يُريدُ طَوالَ الدهر يَهْدِي ويَهْدِرُ
فان الكُ شيخاً فانياً فلربَّما اصبتُ الذي أهوى وما كنتُ احذرُ
وَرُبَّ خيورٍ جمَّةٍ قد لقيتُها وشرٍّ كثيرٍ عن شواتي (٢ تحدَّرُ
وخيلٍ دعتني للنزالِ اجبتُها وفي الكفِّ مني مَشْرَفيٌّ مُذكَّرُ
وتحتي طِمِرٌّ مستطارٌ فؤادهُ سليمُ الشظا نهدٌ كُميتٌ مُضمَّرُ
فنازلتُ اذ نادَوا نَزالِ ونلتُ ما ينالُ الكريمُ الاحوذيُّ المشمِّرُ
فذلك دهرٌ قد مضى حلوُ عيشهِ وغادَرني شأْوًا اليَّ الذنبُ يَكثُرُ
وقد كنتُ أبَّاءً على القِرن مُرْجَماً (٣ اجودُ واحمي المُسْنِفاتِ وأُحبَرُ
وللموتُ خيرٌ لامرئٍ من حياتهِ بدارةِ ذُلٍّ عَلْ بلايا يوقَّرُ

(قال) يريد «على البلايا» فادغم اللام. وقال ابو حاتم: وآخر حرفٍ في كتاب سيبويه «عَلْماء يتوكَّلون» يريد «على الماء»

(لها بقيَّة)

---

١) قال الشارح: مُقْصر مصدر صفة للخطو
٢) شواتُهُ جلدة رأسهِ
٣) مُرْجَماً اي شديداً كأنهُ يُرجَم بهِ معاديهِ

مطبوعات شرقية جديدة

Paul Collinet : THE GENERAL PROBLEMS RAISED BY THE CODIFICATION OF JUSTINIAN. texte de la Revue d'Histoire du Droit. *Haarlem*, 1922, 30 *pp.*

تنظيم دستور الشرائع الرومانيّة ليوستنيان

دعت جامعة اوكسفرد استاذ كليّة ليون المسيو پول كولينه وهو أعلمُ اهل زماننا باصول الحقّ الروماني الذي اصلحهُ الملك يوستنيان ليعرض هناك نتيجة ابحاثهِ في هذا الصدد. فلبّى دعوتهم والقى اربع محاضرات بالانكليزيّة لخّص فيها تفاصيل ذلك المشروع الجليل الذي لاساتذة مدرسة الحقوق الرومانيّة في بيروت من السنة ٥٢٨ الى ٥٣٣ م فضلٌ كبير في اتمامهِ فانهم لم ينظموا فقط الاركان الثلثة للحقوق الرومانيّة اعني دستور شرائعها (le CODE) وخلاصة فقهها (le DIGESTA) ودليل دارسيها (les INSTITUTES) وينشئوها وينشروها بل عُهد الى اثنين من معلميها دورثاوس واناتوليوس شرحها وتذييلها بالحواشي. وقد توفّق المسيو كولينه الى بيان اصل تلك الشروح المنقولة عن تفاسير يونانيّة سابقة كان فقهاء بيروت انشأوها قبل يوستنيان. وهو سيبيّن ذلك في مجلّدين تحت الطبع سيقرّر بهما فضل مدرسة بيروت القديمة التي استحقّ اساتذتها ان يُدعوا منذ العهد السابق ليوستنيان «اساتذة العالم باجمعهِ» كما يظهر بآثارهم الباقية في الكتب السابق ذكرها وان لم يبلغوا مبلغ فقهاء رومية القدماء. وعلى رأي المسيو كولينه انّ الذي سعى باصلاح كتب الحقوق وحمل عليهِ يوستنيان انما هو لاونسيوس الذي علّم في بيروت بعد ابيهِ وخلفهُ ابنهُ في تعليمهِ لمّا انتدبهُ الملك الى ولاية الشرق. فنشكر المسيو كولينه على هذه الافادات ونؤمل من لطفهِ ان يعرضها يوماً في مدرستنا الفقهية الاب رينه موترد

Lazzaridès G. A. : DE L'ÉVOLUTION DES RELATIONS INTERNATIONALES DE L'EGYPTE PHARAONIQUE. Paris, Presses Universitaires de France, 1922, X-279 pp., 8°

تطوّر المواصلات الدوليّة في عهد الفراعنة

المسيو لازاريدس يونانيّ الاصل الّف كتابهُ هذا بالافرنسيّة املاً برواجهِ وان لم

يكن هو احد الاختصاصيين في الدروس المصريّة. وغايتهُ في نشرهِ هذا الكتاب ان يُصلح وهماً سابقاً اذ زعم بانّ بلاد مصر كانت موصدةً في وجه الغرباء الى السنة ٦٧٠ ق. م وهو اليوم يخالف رأيهُ السابق تماماً بل يبالغ في نقضهِ. وقد قسم التاريخ المصري الى ثلاثة اقسام: الاوائل الى عهد سلالة الهكسس. والاواسط على عهد السلالات الثلاث ١٨—٢٠. والاواخر الى عهد الاسكندر فيتتبع في تلك الاطوار الثلثة المواصلات بين مصر والدول الاجنبيّة لاسباب مختلفة منها نظريّة ومنها سياسيّة واقتصاديّة. وعلى رأينا ان المؤلف مع صحّة مذهبهِ اجمالاً قد ابتدر العمل وكان الاوفق لو تعمّق في درسهِ بمراجعة ما يُكتب يومياً في ذلك ولاسيما في الالمانيّة التي يجهلها (ص ٢٦). وقد ختم الكتاب بقائمة اغلاطهِ الّا انّ هذه الاغلاط عديدة جدًّا منها في الانشاء الفرنساوي ومنها في تصوير اسماء الاعلام التي يتقلّب في كتابتها نحو (Kmum hotep, Khnum hotep, Knumhotep) وصحّف اسم العلّامة «Jéquier» بـ «Véquier» مع ادراج اسمهِ في حرف V هذا فضلاً عن سوء طبع الكتاب

الاب س. رنوفال

Princesse Pauline de Metternich, ECLAIRS DU PASSÉ (1859 - 1870). Un vol., in- 16, illustré, Amalthea-Verlag, Zurich, Prix 3400 marks broché; 4000 relié

بوارق من الزمن السابق

توفّيت مصنّفة هذا الكتاب الاميرة پولين دي متّرنيخ في ٣ ت١ سنة ١٩٢١ قرينة سفير النمسة والمجر في باريس سكنتها من السنة ١٨٥٩ الى ١٨٧٠ ففي تلك المدّة امتزجت بين حاشية الامبراطور نابوليون الثالث واماثل دولتهِ امتزاجَ الماء بالراح فكانت تراقب حركاتهم وسكناتهم فدوّنت كلّ ملحوظاتها بمفكّرة طُبعت بعد وفاتها وهي تتناول احداث عاصمة فرنسة الاهليّة والادبيّة في تلك الأيام وما كان بين النمسة ودولة نابوليون من العلاقات الودّيّة. وقد وصفت ما كان يُقام في بلاطهِ وفي مسارح باريس من الحفلات والمواسم البهجة واتّسعت في وصف معرض سنة ١٨٦٧ الذي تقاطر اليهِ معظم العواهل والملوك وما سمعت ورأت ولحظت في تلك النسبة من اولئك الاشراف كما انّها ذكرت الحرب بين بروسية وفرنسة ورغبة ملك

النمسة في مساعدة الفرنسويين لولا انّ روسيّة تهدّدتها بالحرب لو شاءت الدخول في جانب فرنسة . وقد ختمت كتابها بما حلّ في فرنسة من الويلات بسبب الحرب سنة ١٨٧٠ ورجوع زوجها الى سفارته في باريس بعد معاهدة السلام وتقدمته استعفاءه لرئيس الجمهوريّة المسيو تيارس الذي شكّ في خلوص حبّه للجمهوريّة بعد خدمته لنابوليون وللملكيّة . والحقّ يقال انّ هذا الكتاب من امتع ما كُتب عن احوال فرنسة بقلم سيّدة اجنبيّة امتازت بحسن ذوقها وإصالة رأيها الاب ج . لوفنك

Otto Hamann: BIOLOGIE DEUTSCHER DICHTER UND DENKER, Amalthea - Verlag, Zurich. Prix 3000 marks broché; 4400 relié .

مظهر علم الحياة في شعراء الالمان ومفكّريهم

يدّعي صاحب هذا الكتاب بيان ما يوجد من العلاقات بين الاحوال الجسديّة والقوى العقليّة نظريًّا ثم عمليًّا مؤيّدًا مدّعاهُ على سيرة زمرة عديدة من المفكّرين والشعراء الالمان . على أنّنا من بعد تصفّح فصوله رأينا دعوى المؤلف عريضةً ومآتيهُ دون دعواه بمراحل فانهُ يخلط بين الآراء الفلسفيّة والطبيّة والخياليّة لا يجري في بحثه على طريقة منتظمة علميّة كأنهُ قصد ان يبهر قرّاءهُ بغرابة مزاعمه وذلك بعبارة ملتبسة تدلُّ على اضطراب افكاره وفساد آرائه كزعمه « انّ نبوغ العقل والحرّيّة شيء واحد » (ص ٣٤) « وانّ الفيلسوف والنبيّ وحدهما جديران بالنبوغ » وغير ذلك من الاقوال الواهنة التي تبخس بشأن المؤلف وتُريبنا في عمله الاب رفائيل نخله

Emile Lauvrière : LA TRAGÉDIE D'UN PEUPLE. Histoire du Peuple Acadien. *Deux vols. in - 8°. pp.* 518+597 *illustrés, Paris, Editions Bossard, Prix* 45 *f*

فاجعة الشعب الاكادي وتاريخهُ

هذا كتاب لو جُعل بدل اسمه اسم « الشعب الارمنيّ » لتحقّق كلّ القرّاء صحّة اخباره لِما عرفنا من سوء معاملة الاتراك للارمن في نفيهم ومطاردتهم وإذاقتهم الموت ألوانًا . وقد أشبههم شعبٌ آخر يُدعى الشعب الاكادي من بقايا الفرنسويين المستعمرين في كندا وشمالي اميركا في القرن السابع عشر آذنهم الانكليز البروتستانت بحرب عوان مدّة نحو مئة وخمسين سنة وصادروهم وسعوا مرارًا بتقليهم عن بكرة ابيهم

وتدمير منازلهم الّا انهم بحزمهم وثباتهم وحفظ امّتهم وايمانهم قد انتصروا من اعدائهم وهم اليوم لا يقلّون عن خمسين الفاً يفتخرون بجنسيّتهم الفرنسويّة ويُحيون شرف بلادهم الاصليّة . فهذا ما رواه مؤلف هذا الكتاب في مجلّدين يظنّ قارئهما انهُ يطّلع على رواية خياليّة مختلقة لا على تاريخ واقعي مع انّ الكاتب يسند كلامهُ الى اصدق المؤرخين واوثقهم ل . ش

Marie notre vraie Mère par L.Cousin, Marianiste. Un vol. in-12, Paris, Bloud et Gay. Prix 5 f.

مريم العذراء امّنا

ليست امّيّة العذراء نعتاً مجازيًّا للمسيحيّ بل حقيقة راهنة منذ لبس المسيح طبيعتنا البشريّة وفدانا بدمهِ وجعل على صليبهِ امّهُ امًّا لنا في شخص تلميذهِ الحبيب ولذلك تراهُ يدعو رسلهُ في الانجيل «اخوتهُ» كما دعا الاب السماوي «اباهُ واباهم» . ذلك ما اراد مصنّف هذا الكتاب ان يبيّنهُ بالادلّة العقليّة والنقليّة وهو احد ابناء الجماعة المريميّة المتازة بتعبّدها للبتول العذراء.

Mgr Legendre : Introduction à l'étude de la Somme Théologique de St. Thomas d'Aquin, *Un vol. in 8°, Bloud et Gay, Paris. Prix 10 frs.*

مقدّمة على درس خلاصة القديس توما اللاهوتيّة

خلاصة القديس توما اللاهوتيّة منذ نقل خمسة اجزاء منها الى العربيّة سيادة المطران بولس عوّاد اصبحت في بلادنا قريبة المنال عذبة المورد وهي في مدارس اوربّة الاكليريكيّة مرجع اللاهوتيين ودستور الفلاسفة الّا انّ درسها يقتضي مقدّمات واسعة لاقتباس فوائدها وادراك فرائدها وهذا ما قصدهُ في الكتاب الذي نحن بصددهِ المنسنيور لوجندر كبير اساتذة جامعة انجه اللاهوتيّة فبيّن مضامين تلك الخلاصة ومستنداتها واصولها وتركيبها بحيث يقف الدارس على محتوياتها اجمالًا ويُقبل على دراستها بشوق اعظم ل . ش .

Chronique des Lettres Françaises. Revue paraissant tous les deux mois. *Prix pour l'étranger 40 f., n° 1 Janvier-Février, Paris H. Fleury éditeur*

مجلّة الآداب الفرنسويّة

نرحّب بهذه المجلّة الجديدة التي استدللنا من عددها الاوّل على عظم شأنها في

خدمة الآداب الفرنسويّة . ومقالاتها لبعض مشاهير الكتبة كالسيو ميايال (E. May-nial) بليغة ممتعة تبحث في المواضيع الراقية التاريخيّة والفلسفيّة والاداب الوطنيّة والاجنبيّة مع انتقاد التآليف العصريّة ج . ل

PETITS TABLEAUX D'ANALYSE ALBOU. Librairie L. Valat. Montpellier, Prix 1 f, 30

جداول إعرابيّة

كثيراً ما يعتاص على الطلبة إعراب مفردات اللغة الفرنسويّة وتراكيبها فرأى السيو البو ان يعرض عليهم ذلك على صورة جداول من قطع الشن قسمها عمودين الواحد للاعراب الصرفي والنحوي والآخر للاعراب المنطقي فيدرك الطالب بمجرّد النظر خواصّ كلّ منهما . فنوصي معلمي اللغة الفرنسويّة في سوريّة باستعمال هذه الجداول في مدارسهم ج . ل

تقويم العراق لسنة ١٩٢٣

وضعهُ قلم تحرير العراق . طبع في مطبعة العراق في بغداد سنة ١٩٢٣ (ص ٢٩٦)

تأخر صدور هذا التقويم عن موعده لاسباب شرحتها دائرة معارف العراق . على انّ تأخيرهُ لم يُفقدهُ شيئاً من فوائده الجمّة لما يحتويه من التفاصيل الفلكيّة والتقويميّة ومن خلاصة تاريخ العراق القديم والحديث وجغرافيّته الطبيعيّة والسياسيّة وحياته الاقتصاديّة وتعريف دوائره المختلفة ونظاماته في عهد ملكه العربيّ الاوّل جلالة الملك فيصل واشياء كثيرة لا يستغني عنها العراقيّون بل تفيد الاجانب ايضاً . فنحضّ جميع القرّاء على اقتنائه ونؤمل له رواجاً كبيراً وتحسيناً زائداً في السنين المقبلة لاسيما في تدقيق بعض مروياته ورسوم صوره ل . ش

دليل شركة مصايف لبنان عن سنة ١٩٢٢

بقلم بولس افندي مسعد . طبع في مصر بمطبعة الشمس (ص ٢٤٨)

نشكر جناب مؤسّسي ووكيلي شركة مصايف لبنان الاديبين حيدر معلوف واسكندر بارد على سعيهما بترويج الاصطياف في لبنان فتلك خدمة جليلة يقدّمانها لوطنهما العزيز . وهذا الدليل الذي انشأهُ باغرائهما بولس افندي مسعد والذي يوزّعانه مجاناً لَمِن اروج الطرق وانجح الوسائط لبلوغ غايتهما . وقد اطّلعنا عليه اجمالاً وافراداً

فوجدناهُ مستوفياً في كلّ اقسامهِ جديرًا بان يتمعَّن في محتوياتهِ كلّ اهل لبنان وسوريَّة ومصر فانهُ لم يدع في وصفهِ شيئاً مما يودّ القرّاء معرفتهُ الّا ذكرهُ . ونشكر المؤلف خصوصاً لثنائهِ على رسالتنا السوريَّة وكليَّتنا الجامعة ومطبعتنا الكاثوليكيَّة ومنشوراتها (ص ٦٩ و ١٣٤) ولاسيما لذكرهِ مجلّتنا المشرق وقد شرَّفها بنقلهِ عنها بعض فصولها (ص ٧٢و٨٥) . هذا وقد رفعت ادارة الشركة خطاباً للمجلس النيابي اللبناني فطبعتهُ في مطبعة المنبر في بيروت تطلب منهُ المساعدة على تحقيق آمالها وتسهيل امورها ليصبح لبنان بهمّتهم مصيفاً للشرق الادنى لا ينقصهُ شيءٌ من مرافق المصايف

مشاهد الحرب المؤلمة لبيار لارميت

عرَّبهُ حضرة الخوري انطون يمين

طُبع بمطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٧٥)

بيار لارميت اسم مستعار يجلُّهُ الفرنسويُّون بمطالعة مقالاتهِ البديعة التي ينشرها في عدَّة جرائد ومجلات فيُقبل عليها القرّاء اقبال الجياع على القصاع . الّا انَّ ما كتبهُ عن مشاهد الحرب الكونيَّة راج في انحاء وطنهِ ايّ رواج لحسن اوصاف حقائقها التاريخيَّة ودروسها الوطنيَّة . فالشكر كلّ الشكر لحضرة الخوري انطون يمين على تعريبهِ لهُ وقد أخرجهُ في ثوبهِ القشيب دون ان يبخس شيئاً من محاسنهِ الاصليَّة بلغة قريبة المنال منسجمة المقال تبعث في قلب القارئ كلّ عواطف الحميَّة والحنان . فمثل هذه الكتب يحسن تعريبها لاهل الوطن بدلًا من الروايات الغزليَّة والتآليف العشقيَّة البذيَّة

مذكّرات سفير اميركا في الاستانة

تعريب فؤاد افندي صرّوف

عُني بنشرهِ يوسف توما البستاني في مطبعة المنظّم بمصر سنة ١٩٢٣ (ص ١٠٦)

هذا سفرٌ آخر كُتب عن الحرب الكونيَّة وهو مذكّرات المستر هنري مورغنتو سفير اميركا في الاستانة ضمَّنهُ خلاصة ما كتبهُ حينئذٍ عن احوال الاستانة مباشرةً بالسنة ١٩١٣ الى ١٩١٦ ، وقدَّم كتابهُ عشرين فصلًا افتتحهُ بوصف علاقات المانيا مع تركيا وبيان اسباب دخول الاتراك في الحرب بعد ابتياعها الظاهر للدارعتين الالمانيَّتين غوبن وبرسلو ومعاهداتها الخفيَّة للالمان ثم نشر الدعوة الالمانيَّة وتمويهات

تركيًا لتصرف عنها مسئوليَّة الاعلان بالحرب الى آخر ما جرى بعد نشوبهِ وكلّ ذلك بتفاصيل شائقة حيَّة لا تدع ريباً في صدق قائلها مع تعريفهِ لرجال تركيًا كجمال وانور وطلعت ووصفهِ لـلاتراك وصفاً مطابقاً لحقيقة امرهم. وقد احسن المعرّب في نقل هذه المذكّرات واضاف اليها تعريب بضع صفحـات من مذكّرات طلعت باشا تزيدها فائدةً

ل . ش .

نقابة المحامين : تقرير عن الامتيازات الاجنبيَّة

مطبعة الانتصار . سوق سرسق بيروت (ص ١٤ + 18)

انَّ الامتيازات الاجنبيَّة غُصَّة في حلق تركيَّة وكان لا بُدَّ منها لسوء سياستها مع الاجانب بل مع رعاياها من غير دينهـا . واليوم تُطالب نقابة المحامين بلسان احد اعضاء لجنة جمعيَّتهـا العموميَّة الاستاذ يوسف سودا باتلاء تلك الامتيازات في لبنان الكبير فوضع الموما اليهِ تقريرًا بالعربيَّة والفرنسويَّة عن تلك الامتيازات ليبيّن عدم قانونيَّتها وعدم ملاءمتها للحالة الحاضرة . وعلى ظننا ان الدولة المنتدبة لن تجيب الى طلب اللجنة ريثما تبرهن الحكومة الجديدة عن كفاءتهـا لما تعهدهُ في الوطنيين من التحزُّبات والاختلافات السياسيَّة والادبيَّة والدينيَّة والله اعلم

محمَّد عليّ : سيرتهُ واعمالهُ وآثارهُ

بقلم الياس الأيوبي

عُنيت بنشره ادارة الهلال بمصر سنة ١٩٢٣ (ص ١٥٩)

ليس في الشرق عموماً وفي مصر خصوصاً رجلٌ عارض نابوليون الاوَّل في اعمالهِ وحروبهِ وفتوحاتهِ كمحمَّد عليّ رأس السلالة الخديويَّة الحاضرة وأصل استقلالها . ومع كثرة ما كتبهُ عنهُ معاصروهُ وخلفهم لا نرى كتاباً استوفى اخبار ذاك البطل الصنديد كهذا التأليف الجديد الذي استند فيهِ كاتبهُ الياس افندي الايوبي الى اوثق المصادر الوطنيَّة والاجنبيَّة فجاء كتابهُ كما قال مدير مجلَّة الهلال « صورةً جليَّة تمثل ما انطوى عليهِ جدّ الاسرة الملكيَّة المصريَّة من السجايا والخلال التي اتاحت لهُ انجاز ما انجز من جلائل الامور »

ل . ش

عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن قد طبعنا على حدة هذه المقالة يسهل على القراء مراجعتها وهي تُباع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة بثلثة غروش

شذرات

﴿ يوبيل غبطة بطريرك السريان الكاثوليك ﴾ رأت سنتنا الحاضرة سيدين جليلين غبطة بطريرك الموارنة مار الياس بطرس الحويك وغبطة بطريرك السريان الكاثوليك غبطة مار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني ضابطي كرسي انطاكية الرسولي اسبغ الله على كليهما في عام واحد نعمة فريدة بان يحتفلا بيوبيليهما الذهبي الكهنوتي والقضي البطريركي في لبنان الكبير فأعدت الطائفتان مواسم شائقة اهتزت لها فرحاً قلوب ذويهما وشاركتهم في مظاهرها ارباب الدنيا والدين مع عموم الطوائف والملل فاعربوا عما لهما في النفوس من المقام الرفيع والشكر العميم لخدمهما المتواصلة للكنيسة والوطن . وها نحن نرفع الى مقام غبطة بطريرك السريان باسم مجلتنا التهاني والتبريكات كما رفعناها في اوائل العام لغبطة بطريرك الكنيسة المارونية طالبين من الرب ان يمد في عمرهما ويوفقهما في كل امورهما ويمتع اوطاننا زمناً طويلاً بعنايتهما وبركة ادعيتهما

﴿ مماتية جريدتي الف باء والجامعة السورية ﴾ اتتنا من دمشق جريدة الف باء (عدد ٧٨٧ في الاربعاء ١١ نيسان) ثم عقبتها رصيفتنا البيروتية الجامعة السورية (عدد ٧١٠ الخميس ١٩ نيسان) وكلتاهما طافحة بالمماتية والتقريع لما كتبناه في مجلة المشرق بخصوص الزبرقان . وما هو يا ترى سبب تلك الجعجعة ولم نر طحناً ؟ يقول الكاتبان لنارهما الله اننا اسأنا الى دين الاسلام بنظمنا الزبرقان في سلك شعراء النصرانية بعد الاسلام وهو من صحابة نبي العرب

فيا لله اين في قولنا هذا بخس لحق الدين الاسلامي . فليراجع كل منصف مقالتنا بتروٍ يجد اننا لم نحد عن التاريخ الصحيح ذرة اذ لم نرو في ترجمة الزبرقان شيئاً الا اسندناه الى اقدم وافضل كتبة الاسلام . اما كون الزبرقان نصرانياً قبل اسلامه فلنا عليه شاهدان لامعان : الاول وفوده على رسول العرب مع بني تميم النصارى . وقد اثبتنا نصرانية تميم في كتابنا النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ص ١٢٦ و ٤٥٤ — ٤٥٥) . والثاني قوله في شعره الذي انشده امام محمد :

نحن الكرام ولا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

وهي رواية اقدم مؤرخ للعرب اعني بهِ الطبري (ج ١ ص ١٧١١) واقدم كاتب لسيرة الرسول اعني ابن هشام (ص ٩٣٥) . ولم نَنْهُ عن رواية اخرى اقرب عهداً وردت في الاغاني . فاستنادًا الى هذه الحجج سبقنا غيرنا من المستشرقين وحققوا نصرانيَّة الزبرقان . ومثلهم قال الكونت رشيد الدحداح الشهير في قطرة الطوامير (ص ٢٠)

وبعد ذكرنا لإسلام الزبرقان لم يسعنا السكوت عن تردده في اسلامهِ كما رواهُ الطبري (٣ : ١٩١٩) اذ جنح رغماً عما نالهُ من اكرام نبيّ العرب وخلفائهِ الى حزب مسيلمة (المدعو بالكذّاب) وسجاح التغلبيَّة وكلاهما من نصارى العرب . وبهِ يظهر انَّ اسلامهُ لم يكن عن اقتناع ولكن رهبةً من حسام او رغبةً في مقام على مثال كثيرين من العرب . كفى دليلاً على ذلك ما رواهُ المؤرخون الثقات عن المؤلَّفة قلوبهم والمقطَّعة رؤوسهم وقد ذكر الطبري ذلك (١ : ١٧١٢) في خبر وفود الزبرقان على محمَّد اذ ردَّ بامرهِ قيس بن شمَّاس على وفد تميم بقولهِ : «نحن أنصار الله ووزراء رسولهِ نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله فمن آمن بالله ورسولهِ منعَ مالهُ ودمهُ ومن كفر جاهدناهُ في الله ابدًا وكان قتلهُ علينا يسيرًا» أفعجب بعد هذا أن اسلم الزبرقان وقومهُ

امَّا موت الزبرقان نصرانيًا فلم ننقل بهِ ونُسب الينا زورًا وكفى بنصرانيَّتهِ قبل اسلامهِ حجَّةً لننظمهُ بين شعراء النصرانيَّة ولاسيما انَّ اكثر شعرهِ قالهُ في زمن الجاهليَّة . فان كان بعد ذلك للاستاذ الشيخ عبدالقادر افندي المغربي وللصحافي عمر ابي نصر ما يفندان بهِ قولنا فليأتيا بهِ ليس بالشتم واللطم والتعصُّب الذميم بل بحجج ثابتة علميَّة شأن الادباء وطالبي الحقيقة كما اثبت ذلك احد كهنة دمشق مدافعاً عنا

﴿انتقاد الخوري نعمة الله طربيه﴾ نشر حضرتهُ في مجلَّة السلام (ع ٤ نيسان ص ١٤٩) انتقادًا على نقدنا لكتاب المسيح في القرآن لحضرة الخوري جرجس فرج صفير مع ما أُلحق بهِ من ردّ الشيخ محمَّد الحسيني الطرابلسي . فرأى المنتقد (اوَّلاً) انَّنا لم نُصِب بقولنا «لعلَّهُ كان الافضل لو لم يُفتح هذا الباب الذي لا يروق في اعين اخوتنا المسلمين» قال حضرتهُ «أمن الموافق المستحسن ان نضرب عن كلّ ما لا يروق في اعين الذين يحاجُّونا في مذهب نذهب اليهِ» . (نجيب) : كلَّا ليس هذا موافقاً ان حاجَّنا احد في مذهبنا ولو فعل احد لكنَّا اوَّل من يُدافع عن ديننا كما بيَّنَّا ذلك مرارًا في المشرق . ولكن لم يذكر حضرة المؤلف انَّ احدًا أحوجهُ الى هذا الدفاع فباشرتهِ

هذا البحث استهدف لسهام الخصوم وفتح باباً للأخذ والردّ كما وقع ذلك فعلاً بردّ الشيخ الطرابلسي — ثمّ اخذ علينا حضرتهُ (ثانياً) قولنا «ولاسيما انّ في القرآن اقوالاً يؤخذ منها خلاف ذلك» فقال: «أينبغي ان نسكت تجاه هذا الخلاف ام ننشط على ازالته». (نجيب): كلّا لا يجب ان نسكت عنهُ ولكن حضرة المؤلف لم يتعرّض لهذا الخلاف ليفنّدهُ فبسكوته عنهُ استدعى بيانهُ بردّ الشيخ الطرابلسي — ثمّ اخذ علينا (ثالثاً) قولنا «انهُ كان يجب عرض الردّ على حضرة المؤلف قبل نشره لتفنيد مزاعمهِ الباطلة» فقال: انّ الامر صار بعلمهِ وانّهُ سيفنّدهُ. (فنجيب): انهُ لم يُفدنا احد عن اطّلاع حضرتهِ على ردّ الشيخ الطرابلسيّ وعن قصدهِ لتفنيدهِ ولو فعل لأزال شكّ القرّاء الذين استاءوا من طبع الردّ دون هذا التفنيد فبقوا متحيّرين كأنّ الشيخ هو المحِق ولهُ الكلام الفصل وكأنّ الخوري المؤلف هو المحقوق. امّا قول المنتقد انّنا كتبنا ما كتبنا دون ان نطلع عليهِ مراقبي علمائنا فهي تهمة باطلة ونحن اعلمُ بواجباتنا من حضرتهِ. وكذلك لا وجه لعتاب المنتقد بعدم تنشيطنا للمؤلف وحضرة الخوري جرجس قد اختبر مرارًا تنشيطنا لاعمالهِ لساناً وكتاباً وان اعترضنا عليهِ هذه المرّة بصوابيّة كتابتهِ الاخيرة لم نفصل بقولنا وذكرناهُ بارتياب «لعلّ» فتركنا لهُ الحكم المصيب

﴿الرموز الماسونيّة﴾ عقد الكاثوليك في فرنسة مؤتمرًا لمناهضة الماسونيّة فأحبّ احد الاحرار المسمّى ڤالتين ان يحضرهُ ليفنّد على زعمهِ براهين المؤتمرين فقام ليخطب فقال: «يهزأون برموزنا الماسونيّة فليعلموا انّنا لمّا نتمنطق في محافلنا «بجلد الخنزير» انّما نُشير بذلك الى تحرير الانسانيّة». فما نطق الخطيب بذلك حتّى استغرب الجمهور ضحكاً فاحصين بارجلهم وخرج الماسوني ملتحفاً بجلدهِ الخنزيري

﴿مَنْ هو السارق؟﴾ لنا في عدد المشرق الاخير يوسف افندي توما البستاني على طبعهِ كتابنا الالفاظ الكتابيّة دون رخصتنا حيث وجدنا عليهِ اسمهُ. وقد كتب لنا جنابهُ انّ الطابع والسارق هو شخص اسمهُ محمّد توفيق الكتبيّ فنكرّر ملامنا على السارق الحقيقيّ ولا نعذر توما افندي اذ لم يحتجّ عليهِ عند وضع اسمهِ على بعض نُسخ الكتاب فكأنّهُ شاركهُ بالعمل

أسئلة وأجوبة

س سأل من صيداء احد ادبائها أيُعرَف تاريخ نشأة الشيعة الماسونيَّة ؟

تاريخ الشيعة الماسونيَّة

ج الشيعة الماسونيَّة على هيئتها الحاضرة واسرارها ودرجاتها وغاياتها اي معاداة كلّ سلطان دينيّ ومدني هي انكليزيَّة الاصل . بقيت ردحاً من الدهر تسعى في الخفية بمناهضة ارباب الامر الى أن تمَّ انتظامها وتوثَّقت عروتها فأنشأت سنة ١٧١٧ في لندن محفل انكلترَّة الكبير ومنهُ تفرَّعت بقيَّة المحافل في انحاء اوربَّة . وفي السنة ١٧٣٦ أُنشئت الطريقة الماسونيَّة المعروف بالاسكتلنديَّة . وفيها ايضاً استقلَّت الماسونيَّة الفرنسويَّة عن الماسونيَّة الانكليزيَّة (اطلب ما كتبنا عن ذلك في كراريسنا السابقة عن الاحرار !)

س وسأل احد الصحافيين ماذا يُعرف عن سنكنياثون وزمنهِ وتاريخهِ ؟

من هو سنكنياثون

كان سنكنياثون من مدينة بيروت فينيقيّ الأصل ازهر كما يُرجَّح في القرن الثالث قبل المسيح وكتب في لغتهِ الفينيقيَّة كتاباً جمع فيهِ كثيراً من اساطير اليونان وتقاليد الفينيقيين عن تكوين العالم والازمنة السابقة للتاريخ وغيرها . وقد فُقد كتابهُ هذا . واوَّل مَن ذكرهُ وروى عنهُ مقاطيع حسنة فيلون الجبيليّ نقلها الى اليونانيَّة واملهُ خلطها بغيرها من الروايات . ثم روى بعضها ايضاً غيرهُ من الكتبة كاوسابيوس القيصري وتاودوريطس وقد جمع احد العلماء المسيو مولَر هذه المقاطيع وطبعها في باريس سنة ١٨٤٩ وعلَّق عليها الشروح المفيدة

س وسأل مستفيد ما رأينا في صفيحة كانت تباع في جمعة الآلام فيها اوصاف لآلام السيد المسيح منسوبة الى القديسة جرترودة مع صلاة لتاليها مواعيد عجيبة في الدنيا والآخرة

وحي القديسة جرترودة وصلاتها

ج هذه الصحيفة من الخرافات التي لا اصل لها والتي ينخدع بها بعض السذَّج . والملامة على الذين ينشرون مثل هذه الصفح دون ان ينالوا رخصة من ارباب الكنيسة

ل . ش

المشرق

تطويب العبد الامين الكردينال بلرمين

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

جرت قبل سنتين في بلاد مختلفة اعياد بهجة ذكرًا للسنة الثالثة من وفاة رجل الله وبطل الكنيسة المكرَّم الكردينال روبرتس بلرمينوس اليسوعيّ . فبنسبة تلك المواسم نشرنا في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ٥٧٠–٥٧٩) خلاصة سيرة ذاك المناضل نابغة عصره وفخر اوطانه . وختمنا كلامنا بابداء الرجاء في تمجيده قريباً بصفة طوبويّ فتسمح الكنيسة بإكرامه على ما انها مفوضة قدرة على ابنائها ليسيروا على آثاره الشريفة

وها قد حقَّق الله امانينا في اواسط الشهر المنصرم . ففي اليوم ١٣ ايار في الاحد الواقع بعد عيد صعود الرب الى السماء لبست كنيسة مار بطرس امّ الكنائس ومقام صخرة الايمان الغير المتزعزعة افخر حلاها وازدانت بظاهر رونقها وبهائها فتقاطرت اليها جماهير المؤمنين من كل صوب وأوب حتى تزاحمت في سعة ارجائها الوقيهم المؤنقة وبلغ فرحهم اقصى حدوده اذ دخل حبر الاحبار صحن الكنيسة محمولاً على منصّته البابويّة ثمَّ أقيمت الاسرار المقدَّسة بحضرته بكل رونق وأبهة الى أن تُلي قرار قداسته معلناً للكنيسة جمعاء بسموّ فضائل روبرتس بلرمينوس الايطالي المولد سليل الرهبانيّة اليسوعيّة وكردينال الكنيسة الرومانيّة مدّة حياته وبصحّة المعجزات التي أيّد الله بها قداسته بعد وفاته ومن ثمَّ ينظمهُ في عداد اولياء الله المطوَّبين ويسمح بعرض صوره في الكنائس والتبرُّك بذخائره وتقدمة الاسرار لله على اسمه . فأزيح الستار

عن صورة الطوبويّ فظهرت بين الانوار المشعّة تمثّل نوعاً صاحبها في ضياء جنان الخلد بين طغمات اولياء الله

*

وكأني بقرّائنا الكرام يوقفونني هنا ليسألوا وما الذي أهّل الكردينال بلرمينوس لهذه النعمة الفريدة والشرف السامي وكيف تحقّقت الكنيسة الكاثوليكية الاسباب الموجبة لنظمهِ في عداد الابرار ولاسيما انهُ مضى على الطوبويّ الجديد ثلاثمائة سنة بنيّف منذ انتقل الى جوار ربّهِ . اليس في تأخير تطويبهِ شبهة في سوء قداستهِ المزعومة . هذه ثلثة اسئلة ينبغي علينا الجواب عنها في هذه النبذة الحاضرة

١ ماذا أهل الكردينال بلرمينوس لشرف التطويب

للكنيسة الكاثوليكيّة سُنَن مرعيّة وقوانين ثابتة وَضَعها منذ قرون عديدة الاحبار الرومانيّون تجري بموجبها في تثبيت قداسة احد ابنائها قبل ان تسمح بإكرامهِ والتشفُّع بهِ وإدراج اسمهِ في سجلّ اولياء الله . وهذا السجلّ على درجتَين الاولى درجة الطوبويين تُدوَّن فيهِ اسماء الذين اثبتت الكنيسة قداسة حياتهم فايّدها الله بعد موتهم بالمعجزات ومن ثمَّ ترخص في اكرامهم علانية في بعض الامكنة او لبعض الجمعيّات فقط . والثانية درجة القدّيسين يحتوي سجلُّهم اسماء الذين تحقّقت الكنيسة براءتهم السامية واجترحوا بإذن الله معجزات جديدة تشير الى منزلتهم الرفيعة في جنّة النعيم فتؤهّلهم لاكرام جميع المؤمنين دون استثناء

ولبلوغ كلتا الدرجتين مجمع مفوَّض يُعنى أعضاؤهُ بفحص سيرة المؤمن او المؤمنة المطلوب اثبات قداستهما فلا يألون جهدًا في البحث عن سيرتهم والتنقيب عن اعمالهم وتقرير الشهود الثقات الذين عرفوهم وعاينوا تصرُّفهم او الذين نالوا بشفاعتهم الشفاء من عللهم وعاهاتهم بعد شهادة الاطباء على ان علاجهم غير طبيعي وكذلك يدقّقون النظر في كتاباتهم لا يدَعون منها قسماً الّا فحصوهُ لئلّا يكون فيها شيء من التعاليم المنافية لعقائد الكنيسة ولآدابها المقدّسة ثمَّ يعقدون المجالس المتعدّدة ريثما يتبيّن لهم

صورة

الطوبوي الكردينال روبرتوس بلرمينوس

(١٥٤٤–١٦٢١)

الحق بكل جلائه فيعرضون تقاريرهم على الحبر الاعظم لينظر فيها ويتحقق صحتها فيحكم الحكم الفصل في صاحبها. وربما دامت هذه الفحوص السنين الطويلة ينظر فيها عدة احبار متعاقبة

وهذا ما حصل في دعوى الكردينال بلرمين فانه ما كاد يستأثر به خالقه في ١٦ ايلول سنة ١٦٢١ حتى تردّدت اصداء الهاتفين بقداسته في كل انحاء الكثلكة. واخذ الرؤساء الروحيون بضعة اشهر بعد وفاته بجمع الشواهد الناطقة بسمو فضل رجل الله. وتشكّلت اللجنات لتلك الغاية في المواطن التي عاش فيها. اعني في مسقط رأسه مونتيبولشيانو من اعمال توسكانا حيث ولد في ٤ تشرين ١ سنة ١٥٤٢ وترعرع. ثم في مدينة رومية وفيها ترهّب ودرس على كبار المعلمين ثم علّم العلوم الدينية العليا ثم أُقيم رئيساً على اخوته الرهبان وعاش ومات برتبة كردينال. وكذلك في مدينة نابولي حيث علّم الآداب والبيان واخيراً في مدينة كابوا التي نُصب على كرسي اساقفتها. وقد جرى هذا الفحص في المدن الاربعة في السنتين ١٦٢٢ و ١٦٢٣ فقام الشهود العيانيون في عدد ٣٩ منهم ١٥ كردينالاً وبعد ان اقسموا على الانجيل الشريف اثباتاً لصدق شهادتهم رووا من اعمال بلرمينوس وفضائله ما يساويه باعظم اولياء الله. ولدينا حتى اليوم نصوص شهاداتهم الممتازة. وما لبث احد الآباء اليسوعيين الاب جانك فوليغاني ان نشر ترجمة حياة الكردينال وطبعها سنة ١٦٢٤

ثم ألحّ المؤمنون على البابا اوربانوس الثامن بان يقرّر رسمياً المباشرة بتهيئة ما يلزم لتطويب خادم الله. فلبّى الحبر الاعظم دعاء الطالبين وامر في ١٥ ك ١ سنة ١٦٢٦ بان يُجري الاساقفة الفحص الرسمي عن سمو فضائل الكردينال فعادت اللجنة الى المدن السابق ذكرها واستدعوا ٩٣ شاهداً من اوثق الناس حكماً وادقهم علماً فدوّنوا شهاداتهم وكانت كلها لسان واحد في اطراء قداسة بلرمينوس الفائقة مع تفصيل معلوماتهم في ذلك

فشهد اهل مونتيبولشيانو على ان مواطنهم الشاب تفرّد بفضائله بين ناشئة وطنه فأثنوا على طهارة قلبه وتقواه وعبادته نحو آلام السيد المسيح وامه البتول الطاهرة وعلى نشاطه في الدروس وقدوته الصالحة لرفقته من طلبة العلوم

وقرّر شهود رومية انهم عرفوه دارساً ومعلماً ورئيساً وكردينالاً فكان في

كلّ هذهِ الاحوال مثالاً حيًّا للكمال المسيحي والرهباني محسناً في تصرُّفهِ مع الجميع لا تأخذهُ في اتمام واجباتهِ نحو مرؤوسيهِ واخوتهِ ورصفائهِ الكرادلة والاحبار الرومانيين لومةُ لائم اذ كان لا يرى في اعمالهِ سوى خدمة الله وصالح الكنيسة متحايدًا عن كلّ مراعاة للاشخاص

وصرّح شهود اسقفيّتهِ في كابوا انّهُ جرى بكل تدقيق بموجب القوانين التي وضعها المجمع التريدنتيني للاساقفة من ارشاد الشعب في كلّ اسبوع وعيادة المرضى واسعاف الفقراء والعناية بتثقيف الاحداث وتهذيب الاكليروس والدفاع عن حقوق الكنيسة واوقافها

ثمّ انتدب الاحبار الرومانيّون رجالاً من اكبر العلماء وارسخهم قدماً في المعارف الدينيّة وعهدوا اليهم فحص تآليف بلرمينوس لأنهم يجدون فيها شيئاً يحيد وان قليلاً عن تعاليم الآباء والقديسين ومعتقدات الكنيسة الجامعة . ومن المعلوم انّ تآليف بلرمينوس المطبوعة تبلغ الستين عدًّا منها نظريّة كمصنّفاتهِ الجداليّة وابحاثهِ اللاهوتيّة وردودهِ على كتابات ملك انكلترّة جاك الاوّل وغيرهِ من الهراطقة . ومنها كتابيّة كتفسيرهِ لمزامير داود . ومنها ادبيّة وتعليميّة كمثل تعليمهِ المسيحي المطوّل والملخّص وغراماطيقهِ العبراني . ومنها تاريخيّة كتاريخ الكتبة الكنسيين . ومنها روحيّة كتأليفهِ عن الشوق الى السماء واقوال السيد المسيح السبعة على الصليب . ومنها اهليّة كرسائلهِ البالغة ٣٠٧ عدًّا . هذا فضلاً عن عدّة كتب مخطوطة لم تُنشر الى الآن . فاستدعى فحص هذه الكتابات سنين طويلة الى ان صرّح الجميع بان تلك التآليف لا غُبار عليها وانّها صحيحة سليمة من كلّ عيب تشرّف الكنيسة وتُفيد المؤمنين وغيرهم ايضاً . فصدّق مجمع الطقوس على حكم اللاهوتيين في ٩ شباط سنة ١٦٧٥

وكانت كلّ هذه المقدّمات قد استغرقت نيّفاً ونصف قرن وهي المدّة المعيّنة من الكرسيّ الرسولي قبل الاعلان بقداسة احد اولياء الله . فبأمر البابا اقليمس العاشر اجتمعت في غرّة ايلول سنة ١٦٧٥ لجنة خصوصيّة من كرادلة واساقفة ولاهوتيين وعددهم واحد عشرون شخصاً منهم ١١ كردينالاً او اسقفاً والباقون لاهوتيّون ورهبان ممتازون بعلمهم وفضلهم من ست رهبانيّات مختلفة فهؤلاء استنادًا الى كلّ المعلومات التي وجدوها في تقارير الشهود واللجنات الفاحصة حكموا

بان رجل الله الكردينال بلرمينوس تجاوز في حياته درجة القداسة الوسطى فبلغ الى ارفع درجاتها وامضوا حكمهم بختومهم لم يمتنع عن الحكم الا واحد منهم السيد بيازا وكان دخل حديثاً في مجمع الطقوس لم يطلع كالباقين على تفاصيل الدعوى

ثمّ تكرّر عقد لجنة الناحصين والكرادلة سنة ١٦٧٧ فأيد معظمهم الحكم السابق . وهكذا جرى ايضاً سنة ١٧١٣ وسنة ١٧٥٣ في عهد الحبر الاعظم اقليمس الحادي عشر وبندكتوس الرابع عشر فكان رؤساء تلك اللجنات بعد جلساتهم التالية يرفعون الى مقام رئيس الكنيسة نتيجة ابحاثهم وهي بالاجمال موافقة لشواهد اللجنات السابقة القائلة بأهليّة الكردينال بلرمينوس الى ان يُدرج اسمهُ في سجل الطوبويين

٢ كيف تحققت الكنيسة قداسة بلرمينوس

قد امتزج الجواب على هذا السؤال الثاني بجوابنا على الاوّل فانّ تقارير الشهود العيانيين واللجنات المتوالية للفحص عن كلّ اعمال وكتابات الكردينال بلرمينوس لم تأخذها يدُ الضياع فانّها حتى اليوم مجموعة في أضابير مضبّرة قد طُبع منها قسمٌ كبير وكلّها مختومة بامضاء الناحصين فيكفي الرجوع اليها لتحقيق قداسته

ثمّ انّ الذين كتبوا حياة الطوبوي الجديد رووا له من الفضائل ما يُقضى منه العجب فانّهُ كان كلّ يوم يقضي زمناً في الصلاة والتأمل الروحي ويتلو فرض السيدة ويصوم ثلاثة ايّام في الاسبوع الاربعاء والجمعة والسبت ويرضى بشظف العيش والزهد التامّ . وفي ايّام كردينالّيته واسقفيّته كان يوزّع على الفقراء والمساكين نحو ثلثي إقطاعه ويقنع بافقر الملابس واسذج المساكن

وكان تواضعهُ يلوح في كلّ شخصه في كلامه واعماله . ولولا امر البابا اقليمس الثامن تحت تبعة الخطأ الميت لما قبل شرف الرتبة الكردينالّية . والمرجّح انّ اخوتهُ الكرادلة كانوا اختاروهُ لتدبير الكنيسة جمعاء بعد وفاة لاون الحادي عشر لولا نفورهُ من هذا المنصب الرفيع ولولا خوف بعضهم من شدّة استقامته في السياسة والتدبير وسعيه المعروف في اصلاح كلّ خلل ونقص في الكنيسة الرومانيّة

ومن فضائله التي اهّلته للتطويب محبّتهُ البالغة للايمان المستقيم فانّهُ كان يتلهّب

غيرةً في ارشاداته ومواعظه وتعليمه على حفظ وديعة الايمان سالمةً من كلّ شائبة . وقد اظهر ذلك خصوصاً بمجادلاته مع الهراطقة والشيع البروتستانيّة فانّ كتبهُ التي خلّفها في ذلك لا تزال حتى اليوم تشهد لهُ بالبراعة في تفنيد اضاليل المبتدعين وهي التي احرزت لهُ شكر الكنيسة فدُعي بطرقة الهراطقة . وكان مع قوّة براهينه في بيان حقائق الايمان يتحاشى كلّ كلمة قارصة تمسُّ عرض مناظريه حتى انّهم كانوا يأتون الى مدينة لوفان في بلجيكة من انكلترّة وهولندة والبلاد المجاورة ليسمعوا تعليمهُ فيسبي قلوبهم بلطفه ورقّة طباعه . فاعاد كثيرين منهم الى حجر الكنيسة

وكلّ هذه الصفات الفريدة التي امتاز بها بلرمينوس هي التي حدَت بالبابا اقليمس ان يلبسهُ ارجوان الكرادلة واعلن ذلك بقوله : « قد اخترناهُ لانّنا لم نجد لهُ نظيرًا في كنيسة الله » . وقد قال كثيرون بعدهُ انّهُ لم يقم في بيعة الله اشبه بالقديس كارلس بورومايوس رئيس اساقفة ميلانو من بلرمينوس

وزد على ما تقدّم عدّة معجزات شرّف الله بها عبدهُ في حياته وبعد مماته ذكرنا منها في ترجمته السابقة إحياءهُ لتينة محروقة اتت ببركته باثمار شهيّة . ثمّ تجديدهُ لمعجزة السيد المسيح في توفير صيد السمك لاحد المحتاجين وكذلك ثبوت قنينة من دمه المائع حتى اليوم . وقد فحص اصحاب الامر عجائب اخرى حدثت بشفاعته واثبتت قداستهُ في اعين البشر فقرّر الاختصاصيّون رسميًا صحّتها

٣ ما هو السبب لتأخير حكم الكنيسة في قداسة بلرمينوس

لا جرم ان يكون خطر على بال قرّائنا هذا المشكل : كيف امكن الكنيسة بعد ما عرفتهُ من قداسة الكردينال بلرمينوس ان تتوقّف عن اكرامه وتطويبه

الجواب البديهي على هذا المشكل ان ذلك ادلّ دليل على حكمة الكنيسة الرومانيّة وفطنتها في اعلان قداسة ابنائها فانّها تعلم انّ الزمان خيرُ مرشد الى إثبات حقائق الامور اذ لا يبقى مدًى للغايات البشريّة ولا سعة للاهواء الباطلة . فان صبرت قداسةُ احدٍ على نسيان الزمان وانتقاد الأباعد فذلك دليل على انّ الامر صادرٌ من الله لا نصيب لهُ في مكر البشر واهوائهم العالميّة

وهذا قد صحّ تماماً في بلرمينوس فانّ الكنيسة منذ ثلاثمائة سنة راغبةٌ في إعلان

قداسته وإكرامه لولا انَّ ظروفاً شتَّى كانت تعيقها عن ذلك فتارة يموت الاحبار الرومانيُّون فينصرف همُّ خلفائهم الى ما هو أمسّ واوجب. وتارة يتحامل اعداء الكنيسة على الرهبانيَّة اليسوعيَّة فيخاف الباباوات بتطويب واحدٍ من اشرف ابنائها ان يهيّجوا بغضاء هؤلاء المعادين كما حدث في فرنسة بدسائس الجنسينيين والغليكان المعارضين لتعليم بلرمينوس : وخصوصاً بعد إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة فانَّ دعاوى تطويب ابنائها وإثبات قديسيها ضُرب عنها الصفح . لكن هذه الدعوى عاد اليها الاحبار الرومانيُّون بعد انبعاث الرهبانيَّة اليسوعيَّة في أيام البابا لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٨ ثمَّ في السنة ١٨٩٠ في عهد البابا لاون الثالث عشر واخيراً على عهد البابا بندكتوس الخامس عشر الذي كان يودّ ان ينهي هذه الدعوى قبل وفاته الَّا انَّ الله اختار لذلك الحبر الجليل الجالس اليوم سعيداً على كرسيّ هامة الرُّسل البابا بيوس الحادي عشر وقد اشبه هو بلرمينوس في بعض مهمَّاته فانَّ كليهما عُهد اليه نظارة المكتبة الفاتيكانيَّة فانَّ بلرمينوس توكل عليها بامر البابا بولس الخامس سنة ١٦٠٦ كما استدعى البابا بندكتوس الخامس عشر الكردينال راتي الى المهمَّة عينها

ومن ثمَّ لا نرى في تأخير هذه الدعوى ما يبخس بسموّ قداسة بلرمينوس بل نرى في ذلك نعمةً جديدة وعناية خاصَّة ليجد ارباب الكنيسة مثالًا من طبقتهم يأتسون به في سلوكهم ورعاية الخراف الناطقة التي تحت امرهم والدفاع عن الحقوق المقدَّسة التي جعلها الله في عهدتهم ليذودوا عن حياضها بكل ما لديهم من القوى حتى سفك دمائهم في سبيلها

الديناميت

اصلهُ وتركيبهُ ومنافعهُ ومضارّهُ

للاب س . م اليسوعي

كلّ يعلم ما اذَّتهُ المواد المنفجرة من الخدم في عصرنا . فلم يَعُد يمكن الاستغناء

عنها في السِلم فضلًا عن الحرب . ففي السلم تُستخدَم في مقالع الحجارة واشغال المناجم وانشاء السكك الحديدية الى غير ذلك من المشروعات الكبيرة الشاقة . ولها في الحرب قصبُ السبق على سواها في محاربة جيوش الاعداء وإزهاق النفوس في طرفة عين وفي دكّ اركان البروج والحصون ونسف مستودعات الذخائر الحربية برًّا والبوارج بحرًا فتحوّل فجأة الى هباء منثور تلك الابنية الحريزة

وقد امتاز بين الموادّ المتفجرة مركَّبٌ نال شهرةً واسعة بما اتاهُ من المساوئ الفظيعة ولاسيما على ايدي الفوضويين كأشقياء الروس وغيرهم نريد بهِ الديناميت الذي يُشعر اسمهُ عن بسوء فعلهُ فاستفاض الناس في ذكره . وهذا ما حدا بنا الى بسط الكلام فيهِ فنذكر اصلهُ وتركيبهُ ومنافعهُ ومضارّهُ . وعلى الله الاتكال

١ اصل الديناميت وتركيبهُ

الديناميت لفظة يونانيَّة معناها القوَّة البالغة . وتركيبهُ الاصليّ من جسمين عُرفا منذ امدٍ مديد هما الحامض النتريك الشائع في الصناعة والفنون ثمَّ الغليسرين المعروفة من الجميع . وكلاهما لا بأس منهُ منفردًا فان الغليسرين بذاتها لا تُحدث ضررًا يُذكر وكذلك الحامض النتريك فلو صببتَ منهُ القناطير المقنطرة على بناية لما تحرَّكت لكنهما اذا امتزجا بنسبة معلومة حصل منهما مادَّة النيتروغليسرين التي هي من اشدّ المتفجرات قوَّةً وافظعها فعلًا فيصدق بامتزاجهما المثل القائل بانَّ القوَّة في الاتحاد

على انَّ النيتروغليسرين صعبة المراس محفوفة باشدّ الاخطار فان صُدمت صدمةً واحدة ولو خفيفة لتفجَّرت تفجُّرًا هائلًا يُحدث الموت والدمار . لنا على ذلك عدَّة شواهد مفجعة تدلّ على نكباتها . نكتفي بذكر اثنتين منها من اشهرها

كانت الباخرة الانكليزيَّة المنسوب اسمها الى اوربَّة (European) حاملة ثمانين صندوقًا من النتروغليسرين فلمَّا بلغت الى احدى المرافئ وباشرت بنقلها الى البرّ حدث انفجار هائل ارتجَّت لهُ اعماق البحر وتزلزلت انحاء المدينة وتحطَّمت الباخرة فلم يبقَ منها سوى اخشاب طافية على الماء ومات ستون شخصًا من ركَّابها فبلغت الخسائر مليونًا من الدولار

وجرت الحادثة الثانية في ٢٦ نيسان سنة ١٨٩٦ . نقل حوذيٌّ على عربتهِ خمسمائة

كيلوغرام من النتروغليسرين . فلما جرّ حصاناهُ العربة انفجرت النيتروغليسرين وذهبت بالحوذي وحصانيهِ وعربتهِ فلم يبقَ لها اثرٌ بعد عين وطارت اشلاؤهما الى بعد نحو كيلومتر ونصف وسُمع دويّ الانفجار الى مسافة ٤٠ كيلومترًا من مكان الفاجعة

فكانت السهولة المفرطة في انفجار النتروغليسرين وتعليلها لالوفٍ من هذه الحوادث المكدّرة الداعي لاهمال استعمالها ريثما يتوفّق احد الكيميويين الى تلافي اضرارها . ففتح الله ذلك على احد العلماء الاسوجيين العلّامة الكيميويّ نوبل (١٨٣٣–١٨٩٦) . فانهُ في السنة ١٨٦٧ خطر لهُ ان يمزج النتروغليسرين باحد الأتربة الصوّانيّة فادرك بمزجهِ الغاية المبتغاة

فيحصل اذن تركيب الديناميت من النتروغليسرين مع كمّية من تراب صوّاني فيُعجَن المزيج كالخبز ثمّ يحوّل الى قراطيس او لفائف صغيرة . ومزيّة الديناميت الجوهريّة هي عدم انفجارهِ بالصدمات والمزاولة بل بتأثير الكبسول فيهِ منفجرًا بجوارهِ اذا كان ضخمًا محشوًّا بفلمينات الزئبق او ما يشبههُ وذاك ما يدعونهُ بالمذّخير (amorce) امّا اذا أشعلت قطعة من الديناميت على الطريقة المعتادة فلا تنفجر وانّما تحترق بلهيب ساطع النور رامية بالشرر . وللكبسول المذكور فتيلة تُغرز فيهِ فاذا مسّتهُ مفرقعة افجرتهُ وبانفجاره يُفجر الديناميت وتكون الفتيلة غالبًا على طول متر فيدوم التهابها نحو دقيقة قبل ان تبلغ الى الكبسول وبالتالي قبل انفجار الديناميت فيستطيع مُشعلها والحالة هذه ان يبتعد فلا يذهب ضحيّة الانفجار الذريع

علمتَ الآن يا رعاك الله شيئًا عن نشأة الديناميت وتركيبه وفضله على النتروغليسرين فاليك الآن بعض التفاصيل على طريقة اصطناعهِ في المعامل الكبرى

٢ طريقة اصطناع الديناميت في المعامل

في كل البلاد الراقية عشرات من المعامل لاستحضار الديناميت بمقادير عظيمة تبلغ في بعض الظروف ملايين من الكيلغرامات

تُصنَع النتروغليسرين — وهي قوام الديناميت كما مرّ بك — في مكان منزوٍ ومُحاط بشبه التحصينات حذرًا من الانفجارات . اما طريقة اصطناعها فبأن يُصبّ في وعاء اسطواني من الخشب المبطّن بالرصاص نحو ثلاثمائة كيلوغرام من الحامض

السلفوريك ثم مائة وخمسون كيلوغراماً من الحامض النتريك . فتى امتزج احدهما بالآخر امتزاج الماء بالراح قطّروا على المزيج تقطيراً خمسين كيلوغراماً من الغليسرين. وسبب تقطير الغليسرين تدريجاً هو الخوف مما يحدثُ بمزيج الحامضَيْن من الحرارة لئلّا تتجاوز حدًّا معلوماً والّا حدث الانفجار المرهوب . ولا يُخشى هذا المحذور اذا سُكبت الغليسرين قطرةً فقطرة على المزيج المذكور . وعلى كل حال لا يزال العامل المنوط به هذا الامر يراقب ميزان الحرارة المغموس في الحامضين تفادياً من الاخطار الممكنة.

ومتى انتهت العملية السابقة بعد نصف الساعة تقريباً أُفرغ السائل في اربعة اوعية من الرصاص فيطفو النتروغليسرين في كلٍّ منها لزيادة خفّته فيسهل انتزاعهُ ونقلهُ الى مكان آخر حيث يُمزج بنوع من الأتربة الصوّانية فيعجن هذا المزيج عجناً محكماً يجعل كل ذرّاته متساوية التركيب. وبهِ تتكوّن الديناميت ولا يبقى سوى ان يُفرَغ وهو على شكل المعجون السابق الذكر في آلاتٍ تحوّله الى قراطيس (فشك) اسطوانية الشكل ثم تُلفُّ هذه بورق وتُجعل في صناديق فتباع لمن يحتاج اليها

٣ بعض فوائد الديناميت في التمدن العصري

اعمُّ ما يقال عن استخدام الديناميت انها الوسيلة الناجعة لتدمير المنشآت الضخمة والراسخة المنيعة التي تعجز بقيةُ الوسائل عن تخريبها بسرعة كافية (١ . فباختلاف انواع التدمير — المُفيد او المُضرّ — يختلف استعمال الديناميت لخير البشر او لضرّهم. وذلك موضوع واسع الارجاء فنكتفي بذكر الشيء اليسير منه

لا يجهل احد كثرة استخدام الديناميت وغيرهِ من المتفجرات في الاعمال الحربية برًّا وبحرًا فكم وكم من الحصون المنيعة قد حوّلها بعدّة يسيرة الى تلالٍ من الردم!

١) من اغرب الادلّة على قدرة الديناميت الحادث الآتي : في ٥ ايلول ١٩٠٥ غاصت الى قعر قناة السويس باخرةٌ اسمها شاتام حاملة سبعين طنًّا من الديناميت . فاوجبت الفطنة على ذوي الامر والنهي ازالةَ خطر تلك الكمية الهائلة من المتفجرات واتّخذت التدابير اللازمة لذلك . ففي يوم انفجارها نني في ٢٨ ايلول الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين مساء ارتفعت مياه القناة فجأة الى علو نحو الف متر ، ونُثرت اجزاء الباخرة في كل الجهات الى مسافة ٢٠٠ متر وسُمع الدويّ الى بعد عشرة كيلومترات

وكم من القرى بل المدن العامرة صيَّرها قاعاً صفصفاً ! وكم من المدرَّعات الرائعة — من طرز الدرَدْنوط مثلاً — حطَّم اطرافها بل فتح في اسفلها ثُلَماً واسعة ادخلت مياه البحر وعلى اثرها الدمارَ العاجل والغرق الهائل الى باطن البارجة القديرة الجارَّة ذيل الخيلاء وهي ماخرة في عباب الاقيانوس ! كان في الغالب سبب هذا الخراب الذريع الطُربيلات المقذوفة من النسَّافات او الالغام المبثوثة تحت سطح البحر وفي كل ذلك من المنفجرات ما فيه

ومن حيث ان حوادث الحرب الكبرى لا تزال حاضرة في كل الاذهان نؤثر تذكير القارئ بتلك الفاجعة المجهولة التي جرت في الحرب الروسية اليابانية : كان الاسطول الروسي قد برح ميناء بُرت أرْثُر لمقابلة البوارج اليابانية الضاربة في متن البحر ، وفي مقدَّمته المدرَّعة بِتْرُبَفْلُسك وهي تحت إمرة الاميرال ماكاروف . فبينما هي ماخرة في المحيط الهادئ مُعجَبة بسطوتها آمنة كل محذور ، صدمها بغتة طربيل موضوع هنالك فتزعزعت اركانها وابتلعها جوف البحر فدخلت في خبر كان . وقد هلك ١٣ من البوارج اليابانية على هذا النمط

للديناميت وامثاله اليدُ الطولى في ما تجرّه وراءها الحروب العصرية من الوان التدمير على ان لهُ ايضاً نصباً وافراً في المشاريع السلميَّة العائدة بالنفع الجزيل على الافراد والشعوب . وحسبُنا ضرب بعض الامثلة على ذلك

لا مراء في ان نفراً من القراء الكرام قد زاروا ولو مرَّةً بلاد سويسرة فعبروا بالقطار نفقيها الشهيرَين في كل انحاء العالم، نعني بهما نفق سان غوتار الذي طوله نحو خمسة عشر كيلومتراً وهو على السكة الحديدية الواصلة بين مدينتي لوسرن وميلانو، ونفق سِمْبلون البالغ طوله ١٩ كيلومتراً و ٧٧٠ متراً (١

وربما سألوا انفسهم كيف استطاع المهندسون ، وان كانوا من النوابغ في فنهم ، حَفْرَ مثل هذين النفقين مع انهُ لا بُدَّ لذلك من تحطيم وازالة مئات آلاف امتار مكعَّبة من الصخور الصمَّاء التي لا تكاد تؤثر فيها احدُّ الآلات . لعمري لولا الديناميت وانداده لَبات مثل ذلك العمل من المستحيلات . امَّا بواسطته فأصبح من

١) شُرع في حفره من الطرفين في آب ١٨٩٨ وانتهى في تشرين الاول ١٩٠٥ وكان اذ ذاك اطول نفق في العالم (المطلب المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٢٦٤)

السهولة بمكان واليك على جناح السرعة بيان ذلك . تُثقَب في جوانب الجدران الصخرية ثقوبٌ عديدة متجاورة ذات عمق متوسط ، ويصير ذلك بدون عناء بل في ظرف بضع دقائق بواسطة مثاقب قديرة يحرّكها غالباً الهواء المضغوط ويسهل نقلها الى مكان العمل حيث انها مرتكزة على دواليب . ثم يُدخَل في كل من الثقوب المذكورة قرطاس من الديناميت فتيلتهُ متجهةٌ الى الخارج . اخيراً تُشعل كل الفتائل ويلوذ مُشعلها بالفرار ضنًّا بحياته فلا يلبث ان يُسمع انفجار هائل ترتجّ لدويّه سفوح الجبل فضلاً عن جدران النفق المشروع في حفره . فتزول على هذه الطريقة بلمحة عين عشرات امتار مكعّبة من الجدار الصخري المثقوب والمحشو بالديناميت . فيسهل بعد هذه العملية الاولى استخدام المعول او ما يضارعه لتنضيد جوانب النفق

وعلى نفس هذه الطريقة يجري المهندسون في حفريات اخرى ، مثلاً في حفر الترع التي تحول عن فتحها امكنةٌ صخرية ، الامر الذي لا يندر وقوعه ، من اشهر الامثلة على ذلك ترعة بانامة الواصلة بين الباسيفيك والاطلنتيك ، الفاصلة بين اميركة الشمالية والجنوبية ، والتي فُتحت للسفن في غرة تموز ١٩١٤ فقد استدعى هذا العمل الجبّاري الجديد بان يُحصى في ابدع آيات الجبل العشرين ازالةَ ملايين امتار مكعّبة من الصخور الصمّاء بل تلالاً صخرية برمّتها . فكان هناك للديناميت الكلامُ الفصل فلا تكن ضوضاء انفجاره المتواصل . وكانت مئات من شواحن السكة الحديدية تحمل اولاً فاولاً كل القطع الضخمة المنزوعة من السفوح الصخرية ، فتنقلها الى حيث يمكن استعمالها او على الاقل الى حيث لا تحول دون حفر الترعة

هاك مثالاً آخر غريباً في نوعه على فائدة الديناميت الجليلة في ازالة صمّ الجنادل الرائعة الحجم . كانت صخرة جبارية تسدّ الى عام ١٨٧٦ مدخل ميناء نيويورك بعض السدّ . وحيث كانت ممتدةً تحت البحر الى مسافة بعيدة تسبب غالباً غرق او تعطيل عدة سفن غير منتبهة الى ذلك الخطر المحجوب عن الانظار . اخيراً عقد ذوو الربط والحل نيّتهم على نسف تلك الصخرة المشئومة . فثقب المهندسون في جوانبها ثقوباً عديدة يبلغ طول مجموعها الفي متر . فاصبحت الصخرة شبيهة بعض الشبه بقرية نمل مستندة الى مئات من الاعمدة . فثبت في هذه الاعمدة خمسة آلاف ثقب حشوها بالديناميت . وفي ٤ تموز ١٨٧٦ ضغطت بنت الجنرال نيرتن — وعمرها ثلاثة اعوام

باصبعها على مفتاح آلة كهربائية فاشتعلت في طرفة عين كل فتائل قراطيس الديناميت وحدث انفجار مُرعب رفع مياه البحر المزبدة الى علو عشرين متراً . وعلى اثر ذلك غابت الصخرة الجبّارية عن العيان متدهورة الى قرار الاطلنتيك

٤ بعض شرور الديناميت

سبق ذكرُ شيءٍ من منافع الديناميت الجدير بان يُلقَّب بابي المتفجرات المصرية، وهيهات ان ينكر المتبصر ما لها من خطارة الشأن في كثير من الاحوال . على ان العقل البشري قادر — وبئس القدرة! — على ان يحوّل للشرّ كلَّ اداةٍ مُبتكرة للخير . ولذلك فما كاد الديناميت يدخل في عالمنا المضطرب الشرير حتى تهافت عليه في بلاد عديدة جمٌّ غفير من المجرمين والفوضويين على اختلاف نزعاتهم ولا تهافتَ المريض المدنف على دواء جديد ضامن لشفائه . فاستبشر كل هؤلاء باختراعه لإدراك ابعد امانيهم بواسطته . فمن ذلك العهد الى يومنا هذا لم يمض عام بل ولا شهر الّا وقد استخدمهُ الاشقيا لارتكاب جرائم فظيعة ترتعد لها الفرائص وتمتلئ الصدور الشريفة سخطاً عادلاً . ولو اراد الكاتب تفصيل اشهر تلك الآثام الشيطانية لسوّد بوصف شناعتها عشراتٍ من الكتب . نجتزئ في هذا المقام بذكر شيءٍ يسيرٍ منها

كان في سَلخ ايار ١٩٠٦ ملك اسبانية الحالي ألفنس الثالث عشر عائداً الى قصره بعد حفلة زواجه مع الاميرة ابنة دي بَتَنبرغ وبينما الموكب الملكي الفخم عابر في احد اكبر شوارع مدريد ، انفتح شبّاكٌ مطلٌّ عليه فرُميت منه باقةُ زهورٍ ملفوفة حول قنبلتين من الديناميت على العربة الملكية . على انها لم تصبها بل انحدرتا على يمينها ومع ذلك فقد عطلتاها تعطيلاً شاملاً وكسرتاها تكسيراً وصرعتا خيلها ثم قتلتا او جرحتا نحو مائة شخص ، حتى بين الموجودين في الدار التي أُلقيتا من نافذتها . فكنت ترى بعد هذه الجريمة الهائلة جُثث القتلى محيطة بكل اطراف المركبة الملكيّة ، واعضاؤها ممزّقة شرّ تمزيق او متبعثرة شذر مذر وغائصة في بركٍ من الدماء !

ذلك بعض ما ارتكبهُ الفوضويون في اسبانية ، امّا جرائمهم في روسية فلا يفي بها احصاء ولا نكير انهم كانوا في الثلاثين سنة السابقة للحرب الكبرى في مقدّمة

العاملين على قلب الحكومة القيصرية وتمهيد الطريق لحكم البلشفي الوبيل . هاك بعضاً من عدّ فظائعهم . في ١٣ اذار ١٨٨١ بينما كان القيصر اسكندر الثاني راجعاً الى بلاطه رموه بقنبلة محشوّة بمحض النتروغليسرين فصُمّ صداه . في اواسط ١٩٠٦ كان الغراندوق سرجيوس يجتاز على زلّاجة (traineau) قصرَ الكرملين الشهير في مُسكو فاصيب فجأة بقنبلة ذهبت بحياته . في ٢٨ تموز ١٩٠٤ كان المسيو دي بلاف (de Plehve) وزير الداخلية الروسي متجهاً الى محطة السكة الحديدية فألقيت قنبلةٌ على عربته المصفّحة بالحديد اتقاء لمثل تلك الدواهي فرغم ذلك قد تحطمت وتدهور الوزير الى الحضيض جثةً هامدة . في اواخر ١٩٠٦ رُميت المتفجرات على دار المسيو ستوليبين الصدر الاعظم لروسية فلم يُصب هو ذاته لكن جثتي ولديه أُخرجتا ممزقتين داميتين من تحت اكوام الردم ، وقد اسفرت هذه الجريمة عن ثلاثين قتيلاً ومثل ذلك من الجرحى !

***

على ان شرور الديناميت غير محصورة في الجرائم الموصوفة آنفاً بل منها ما هو ناجم عن نفس الاخطار المتعلقة باستعمال تلك المادة المتفجرة . اجل انّ تلك الاخطار منذ اختراع الدكتور نوبل قد انحصرت لكنها ليست بنادرة . وقد اثبتت هذه الحقيقةَ مئاتٌ من الدواهي الدهياء التي لا يسع ضيق المقام بسردها

وخلاصة القول ان الديناميت واحدٌ من اعجب اختراعات الجيل الاخير وقد خدم المجتمع خدمة تذكر فتشكر وان سخّره قومٌ من الاوباش لغاياتهم السافلة الاثيمة ، هداهم المولى مع سائر عباده الى سواء السبيل

في قرى نينوى

سياحة رسولية لغبطة بطريرك الكلدان ماري عمانويل يوسف توما

بقلم حضرة القس سليمان صائغ

كانت القرى المجاورة لنينوى المسيحية والموصل عديدةً وحافلةً بسكانها

عامرةً بزراعتها ومنتشرةً بحيث لم تترك مراحاً في السفوح والجبال حتى ان منها ما كانت بين الموصل وبين اسوار نينوى المسيحية وهي ليست نينوى الاثرية التي اخربها الماديون والبابليون (سنة ٦٠٨ ق م) وبقيتها اليوم تُدعى النبي يونس وهو دير يونان النبي الذي كان على جانب سور نينوى الغربي المقابل لابواب الموصل الشرقية . (اطلب كتاب المجدل ص ٥٩)

ثم اندرست هذه القرى وعفا اثرُها في الاجيال الاخيرة حين ذهبت ضحية المظالم التترية وهدفاً لنبال غارات الاكراد لاسيما في زمن الملك الصالح ابن السلطان بدر الدين لؤلؤ سنة ١٢٦٠ م . وعقب ذلك عهدُ تيمورلنك وابنه الطاغية ميرانشاه الذي قتل ودمّر في بابل والموصل والجزيرة حتى صبغ اديم البلاد بدماء اهاليها خاصة سنة ١٤٠١ . وتوالت بعدها جنايات الدول التركمانية في القرن الخامس عشر والسادس عشر . وزادت في الطين بلّةً وعلى اوتار المصائب عويلاً ورنّةً حملاتُ الطاغية طهماسب الثالث المعروف بكولي خان او بنادرشاه سنة ١٧٤٣ فانه اتى على هذه البلاد ضربةً قاضية . ولا مُتّسع لنا الآن لإيراد الحوادث التي خيّمت بفواجعها في هذه الاصقاع مدة اجيال متوالية وصارت الضربات تأتيها تترى من السفاكين الغشومين حتى اقوت ديارها وانهدم معمورها وزالت حضارتها ولم يبقَ منها الّا أثر بعد عين فلا تجد اليوم منها حوالي الموصل الا عدداً يسيراً جداً من قرى المسيحيين يعمد اصلهم الى الاقوام الآرامية او الانباط كما يسميهم العرب

ومن هذه القرى ست عائدة الى ابرشية البطريركية البابلية للكلدان وهي كرمليس في شرقي الموصل ثم تلكيف وباطنايا وباقوفا وتلسقف وألقوش في شمال شرقي الموصل وقد استمرّ سكان هذه القرى المذكورة محافظين على جنسيتهم الآرامية فهم ما زالوا يمثلون روح تلك الامة العظيمة في لغتها وعوائدها ومشاعرها بحيث لم يكن عليهم ادنى تأثير من تراكم آثار الوراثة مدة كل تلك الاجيال العديدة

جرت العادت في الكنيسة الكلدانية ان يفتقد البطاركة قرى ابرشيتهم مرات في السنة . وقد اهمل هذه القاعدة البطاركة الذين قاموا من العائلة الابويّة ثم تجدّدت في زمن البطاركة الانتخابيين لاسيما في عهد غبطة الحبر الجليل والراعي الاثيل مار

يوسف عمانوئيل بطريرك الكلدان الكلي الطوبى فانه احيا مآثر اسلافه بما بذلهُ من قصارى مساعيه في سبيل رقي ابناء طائفته عموماً وعطف انظارًا خصوصية الى ابناء القرى بما صرفهُ من الهمم الشماء في احياء روح الايمان في قلوبهم وحثّهم على صيانة تقاليدهم الحسنة من شائبة التغيير والتمسك بلغتهم الآرامية واقامة الطقوس الدينيّة بكل شواعر الايمان الكاثوليكي . فكانت مساعيه هذه ناجعة في الداء العضال الذي مُني بهِ الشعب القروي من جراء التطوُّرات الكثيرة وعوامل الاغراض الخبيثة فاصبحت هذه القرى حارّةً في ايمانها القويم شديدة العصبية في لغتها وعوائدها وأفضى بذلك الى زيارته الرعوية لها كل سنة حيث يقيم فيها بينهم مدة شهرين ونيّف ما لم تحُلْ دونها تراكم اشغاله في المدن كما جرى لهُ في هذه السنة حيث اقتضى تأخره عنها فلم يتمكن من البقاء فيها زمناً طويلًا

في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني نحو الساعة الثامنة عربية كانت سيّارة غبطته تقطع الجسر الجديد الذي على دجلة الى شرقي مدينة الموصل فمرّت تجاه اخربة نينوى الآثورية وجازت انقاض بلاط سنحاريب بن سرحدُّون الملك الاثوري وهو تل قوينجق الشهير بعادياته وآثاره التاريخيّة وسارت الى الجهة الشرقية وهي تسابق الريح قاصدةً قرية كرمليس

قرية كرمليس

لا نعرف تعليلًا لتسميتها بهذا الاسم عدا ما ذكره الحموي في معجم البلدان قال: «وسُميت بذلك كأنهُ لم يكن فيها كروم والاصل فيها «كرم ليت» في اللغة الآراميّة ثم تحرّفت فصارت تُلفظ عند اهلها كرملش وعند العرب كرمليس

قد تصعد هذه القرية قدماً الى اعصر امارة حديّاب الآرامية في عهد الدولة الفرثية واستمرّت كثيرة السكان والعمران حتى القرون المتوسطة فقد ذكرها عمرو بن متى الطيرهاني في النصف الاول من القرن الرابع عشر في كتاب المجدل (ص١٠٨) ووصفها بقرية كبيرة عامرة في حياة البطريرك يشوعياب الخامس وذكر طرقها وشوارعها . وسبقهُ الحموي في مبادي القرن الثالث عشر وسمّاها قرية كبيرة شبيهة بالمدينة كثيرة الغلة وفيها سوق عامر وتجار . وبعد هذا بقليل توالت عليها ضربات المغول وذبحوا فيها مذبحة عظيمة سنة ١٢٣٥ رواها ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ٤٣٦)

فوصف المحاصرة كيوركيس ورداء الاربلي الشاعر البليغ فراجع هذه الحادثة وويلاتها ومظالم التتر في هذه القرية المسكينة بمراثٍ تصدع القلوب .

اما اليوم فكرمليس هي قرية صغيرة يبلغ عدد نفوسها ١١٠٠ نسمة ويشتغل اهلها في زراعة اراضيهم شتاء وصيفاً لوفرة مياهها وزكاء منابتها وحسن تربتها . وتُزرع فيها انواع الحبوب والبقول واشهر زراعتها البصل والقطن الابيض والقطن الاحمر ويسمونهُ قطن الباليوز لان رسّام وكيل الدولة البريطانية سابقاً في الموصل كان قد اتى به

ان ابنية كرمليس اغلبها بالحجر والكلس (الجص) ومن اشهرها كنيستهم المبنية على اسم مريم البتول وهي جديدة البناء على الطرز الحديث وتُعَدّ من اشهر الكنائس في هذه القرى بحسن بنائها وهندامها ثم مدرستها الفسيحة التي بُنيت في هذه الايام الاخيرة على احسن نظام كما تقتضيه الاصول الجديدة

كان وصول غبطته الى هذه القرية في اليوم عينه نحو الساعة التاسعة وقد خرج لاستقبال هذا الزائر الكريم لفيف اهالي القرية من رجال ونساء واولاد تتقدمهم راية الصليب المقدس وكاهنان يحملان المبخرة والبخور ثم طلبة المدرسة بحُلَلهم البيعية . وكانوا يرتلون تراتيل ذات نغمات مطربة تملأ ذاك الفضاء بآيات الحب والخضوع والشكران للراعي الهمام وكانت تتخلل هذه التراتيل والاناشيد تهاليل النساء جرياً على عادة الشرق . ولمّا رأوا غبطته خرّوا جميعهم راكعين فباركهم ثم سار الموكب متّجهاً نحو القرية تتقدم النساء ثم الرجال ثم طلبة المدرسة حتى دخلوا الكنيسة . وبعد تقديم الشكران للاله الساكن على الهياكل الارضية وقف غبطته وخطب فيهم بلغتهم الارامية بعبارات منسجمة تسيل رقّة وطلاوةً وتؤثر في اعماق القلوب فكان لاقواله التي تذيب الجماد تأثير عظيم في تلك النفوس البسيطة

ولمّا فرغ من كلامه وقف في صحن الدار وسط حلقتهم وصار الشعب يتقدم الى لثم يديه بالايمان الحارّ والحب الصميم والخضوع العميق وما زال واقفاً حتى انتهى جميعهم فدخل ردهة الاستقبال حيث قُرئت الخطب التي شفت عن عظيم فرحهم بتشريفه وعن شديد تعلّقهم به . قضى غبطته بضعة ايام في هذه القرية فكان يعظ الشعب المتجمهر في الكنيسة صباحاً ومساء بهمّة وغيرة رسولية لا تعرف مللاً وكان

يعلمهم في اجتماعاتهم عنده أصول العيشة البيتيّة ويحثّهم على الشغل ويحرضهم على المحبة المسيحيّة ويقضي ساعات طويلة يسمع تشكياتهم ويصغي الى دعاويهم فكان كأب حنون وطبيب حاذق يضع الدواء الناجع على جروحهم فيجبر صدعهم ويؤلّف قلوبهم. ولمّا حان سفره من هذه القرية قُرع جرس الكنيسة فاجتمع الاهالي وبعد زيارة القربان المقدس ودّعهم بكلمات مشجعة وخرج عامة الشعب يتبعه الى ظاهر القرية حيث باركهم وسار في ١٥ تشرين الثاني قاصداً دير مار كيوركيس بَعْويرا المتوسط موقعاً بين الموصل وتلكيف

قرية تلكيف

تلكيف تسمية آرامية معناها تل الحجارة وعلى ما يُظنّ انها سُمّيت بذلك نسبة الى التلّ الذي يحدّ القرية من شماليها وكلهُ من الحجارة والصخور الصلدة. تبعد هذه القرية عن الموصل نحو ١٥ كيلومتراً ولم نقف على ما يدلّنا الى ماضيها ولا وردت ادلّة في كتب المؤرخين القدماء تثبت لنا اهميتها التاريخيّة فلعلّها كانت قرية صغيرة ثم اتسعت شيئاً فشيئاً بمن انتقل اليها من القرى المجاورة بعد خرابها كقرية كوريان وقرية بَعْويرا التي لم يبقَ اليوم من آثارها الّا كنيستها التي اصبحت اخيراً ديراً يسكنهُ رهبان من دير السيدة وهو دير مار كيوركيس بعويرا شمال شرقي الموصل على مسافة ٧ كيلومترات منها تقريباً

ان هذه القرية زراعية وليس فيها شيء من التجارة او الحرَف فان اهلها قد اقتصروا على الفلاحة دون غيرها . ويزرعون من الحبوب الحنطة والشعير والحمّص والعدس والفول ولا شيء آخر وذلك لقلّة المياه فيها فلو اتاحت الاقدار ان يكون لها المياه الكافية للزراعة لأصبحت اليوم من المدن المعدودة بل المتقدّمة بزراعتها وتجارتها وصناعتها. وقد امتاز اهالي هذه القرية عن غيرهم من القرويين بالذكاء والهمة والصبر على مشاق الحياة والاشغال المتعبة واشتهروا بقوة البدن وحسن تربية الاطفال وكثرة النسل. وقد ذهب البعض الى ان قوة البدن فيهم هي من شربهم ماء «الهويثا» والهويثا هذه بئر جرور منقورة في الصخر يُقال ان الصاعقة احدثتها فتمتلئ كالصهاريج في فصل الشتاء من مياه الامطار فتُحفَظ لايام الصيف فيكون ماؤها زلالاً بارداً. وعندهم

ايضاً ركايا واحواض يجمعون فيها مياه الشتاء وفي السنين التي تشحُّ فيها الامطار شتاء تُقاسي هذه القرية تباريح عذاب العطش انواعاً

فلهذا السبب ولغيره من الاسباب كقلة اراضي الزراعة بالنسبة الى عدد سكانها نزح كثير منهم طمعاً في المكاسب والرزق الى اميركا وبيروت وآطنه لاسيما الى بغداد والبصرة ونواحيها حيث كثروا واستوطنوا منذ السنين العديدة واحرزوا نصيباً وافراً من الرقي في الحياة الاجتماعية وصاروا يبارون اهالي المدن علماً وحضارةً . ومع نزوح الكثيرين من مزرعة الطائفة الكلدانية كما كان يسميها السعيد الذكر البطريرك عبديشوع خياط ترى القرية المتسعة الارجاء غاصّةً بالناس فيبلغ عدد سكانها ١٠،٥٠٠ نسمة ونيّف وفيها مدرستان عامرتان حافلتان بالبنين والبنات وخمس كنائس قديمة واليوم بهمّة غبطة السيد الجليل مار عمانوئيل البطريرك الكلي الطوبي تقام في هذه القرية كنيسة عظيمة على اسم القلب الاقدس تلّ نظيرها كبراً في مدن العراق

قضى غبطة البطريرك ليلته في دير مار كيوركيس بعويرا . وصبيحة اليوم الثاني في ١٦ منه اخذ فرسان اهالي قرية تلكيف يتواردون الى الدير المذكور وفيهم كثيرون من رجال وصبيان جاءوا مشياً مسافة ساعة ونصف لاستقبال راعيهم المحبوب وهم لابسون ثياب العيد وعلى وجوههم تبدو علائم السرور والبهجة حتى ضاقت بهم الدار الخارجية . وبعد ظهر ذلك اليوم ركب غبطتهُ والناس يحفّون به وهم ما زالوا يتقاطرون للاستقبال بكل علائم التجلّة والاحترام . وكانت زمرة من كهنة القرية واشرافها يُحدقون بغبطته والفرسان تجري في السباق وتُبدي من فنون الفروسية ما يعجب الابصار . ولما تقدّم من القرية كان اولاد المدارس مع بقية الكهنة في الحلل البيعية وبايديهم الشموع قد بدأوا بنشيد خاص باستقبال غبطته فدوت اقطار القرية باصوات اجراس الكنائس وتهاليل النساء واناشيد الاولاد . وتقدم الموكب بغبطته الى الكنيسة والناس يزاحمون بعضهم ليلثموا يده ومن لم يتسع التوصّل اليه صوّب يده الى جبة غبطته ثم قبّلها رافعاً عينيه الى السماء شاكراً . وهم في هذا الاستقبال الحافل يراعون الحرمة والسكون . وعند وصولهم الكنيسة بعد صلاة وجيزة فاه غبطتهُ بخطبة طربوا لاستماعها وقد هنأهم فيها على غيرتهم في بناء الكنيسة الجديدة وحثهم على الثبات كما هو شأن ابناء كنيسة الله التي لا تتزعزع

اقام غبطته في هذه القرية مدة اربعة ايام تقريباً كان في اثنائها منصرفاً كل سحابة يومه الى الوعظ والارشاد وتركيز أعلام المحبة المسيحية فيما بين ابناء شعبه ثم نظّم امور الكنيسة واقام رجالاً ثقات ليهتموا بانجاز الكنيسة الجديدة وهو نفسه ساعدهم بمبلغ وافر. ولما ترك القرية تقاطرت افواج الناس من رجال ونساء للتبرك من لثم يديه وبينهم ذوو الامراض يتقدمون اليه بكل شواعر الايمان المسيحي منتمدين بركته وصلاته. وكنا نسمع عويل النساء وهن ينتحبن حزناً على فراق ابيهم وراعيهم الهمام. وفي ظهر يوم الاحد الموافق للتاسع عشر منه سارت فرسان القرية بغبطته الى باطنايا

قرية باطنايا

تبعد هذه القرية عن تلكيف مسير سبع كيلومترات ونصف وهي لاشك من القرى القديمة العهد فقد ذكرها عمرو بن متى في كتاب المجدل (ص٤٩ و ١٢٩) حيث يسميها بامادا اذ يقول ان مار اوراهام اسس ديره عند قرية بامادا من بلد نينوى في اواخر القرن السادس. وقال الاب شوئيل جبيل في كتابه تراجم سير الملافنة الذين ورد ذكرهم في قائمة الصرباوي (في النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة دير السيدة) قد يكون اسم باطنايا محرفاً عن بامادا وذهب آخرون الى ان اصل هذا الاسم هو ܒܝܬ ܛܝܪܐ اي بيت الغيرة والغيظ وقال آخرون ܒܝܬ ܛܝܡܬܐ اي بيت الرمص او العمش فهذه التسميات آرامية قديمة العهد تصعد الى ما قبل الجيل السادس وكانت يومئذ تسمى بامادا اوبيت ماداي (ܒܝܬ ܡܕܝ) كما يتضح جلياً مما اورده المؤرخ الطيرهاني

يبلغ عدد اهالي هذه القرية نحو ٢،١٠٠ نسمة وهم اشداء نشيطون للشغل. وكلهم يفلحون اراضيهم وعندهم المياه قليلة لاسيما ايام الصيف فانهم يشربون مياه الآبار المالحة. ومن صناعاتهم الشهيرة صنع الحصر التي ينسجونها من البردي بإحكام واتقان ويبيعونها في القرى وفي الموصل وغيرها وهي معروفة باسم قريتهم وينسجون ايضاً الاقمشة الصوفية والقطنية والاعبئة لملبسهم اذ لا يبتاعون من اقمشة المدن ولم يتعودوا الترف في استعمال الالبسة الناعمة او الحريرية كما انتشرت العادة في القريتين المذكورتين آنفاً بل ما زالوا يحافظون على البستهم القديمة الارامية. وفي هذه القرية

كنيستان قديمتان وفيها ايضاً مدرستان عامرتان للبنين وللبنات

بارح غبطته قرية تلكيف وعند اول الطريق المؤدية الى قرية باطنايا كان فرسان هذه القرية ينتظرون الراعي الجليل فلمّا رأوه قادماً نزلوا جميعاً وتقدموا امام غبطته فلثموا يديه ورحّبوا به بكل ما امكنهم من عبارات الخلوص والتعلق . ثم ركبوا وساروا يجرون في ميادين السباق على عادتهم . وكان بقية الاهالي قد قطعوا عن قريتهم مسافة ساعة وشكلوا جوقين يرتلون مناوبةً اشعار داويذكورا الناظم البليغ في اللغة الارامية الدارجة المعروفة بالسورث ومنها انشودة في مدح العذراء رغب غبطته في نشرها لما تحتوي من حقائق الديانة ورموز الكتاب المقدس الخ . وكانت تهاليل النساء تتخلل هذه الاناشيد . ولما وصل القرية كان اولاد المدارس مع كاهني القرية بحلّلهم الكنائسية قد بدأوا باناشيد الاستقبال وتقدموا غبطته الى دار الكنيسة حيث وقف احد طلبة المدارس وفاه بنطقٍ على ظاهر قلبه حوى كل عواطف التعلق البنوي وشواعر الشكران بعبارات بليغة تضرب على اوتار القلوب . وكان قد حان وقت اقامة الفرض الالهي فدخل الراعي والشعب الى الكنيسة وبعد صلوة حارة شرح غبطته للشعب فصلاً من التعليم المسيحي في حقيقة قيامة الاجساد شرحاً جليًّا ترسّخ في الاذهان . ولما خرج غبطته كان الشعب برمّته منتظرًا في الدار ليتبرك من لثم يديه وظلّ غبطته واقفاً بينهم ساعة من الزمان يبشّ مرحباً بهم بكل لطف ابوي

اقام غبطته في هذه القرية الى ظهر يوم الثلاثا ٢١ منه وكان الشعب صباحاً قد اجتمع الى الكنيسة فحضروا القداس الالهي الذي اقامه غبطته وتناولوا من يده الاسرار الالهية . وظهر ذلك اليوم اجتمعوا خارج القرية وكانوا جميعاً يرتلون انشودة الوداع بصوت شجي يشفّ عن حزنهم فودعهم غبطته بكلمات التشجيع والنصح الابوي ثم باركهم وسار يرافقه الرجال الى دير مار اوراها

دير مار اوراها

هو دير عريق في القدم يصعد الى اواخر القرن السادس انشه مار اوراهام بجوار باطنايا في عهد بطريركية يشوعياب الارزني (٥٨١—٥٩٦م) قال فقيد العلم المأسوف عليه السيد ادّي شير مطران سعرد وشهيدها : «كان ابراهام الماديّ من بلاد ماداي

وشيّد ديراً في ارض نينوى وآثار ذلك الدير باقية الى يومنا هذا في شمالي قرية باطنايا على مسافة عشر دقائق منها (كلدو واثور ٢ : ٢٦٥) وموقع الدير المذكور في ارض سهلة مخصبة وغنية بالمياه العذبة بحيث لو حُفر فيها عمق مترين لتدفّقت مياه غزيرة سيما في الوادي الذي امامه . كان هذا الدير عامراً آهلاً بمئات من الرهبان وما زال كذلك حتى توالت ضربات المغول فجرى لهذا الدير ما جرى لغيره من مئات الاديرة . وكانت آخر ضربة معضلة قوّضت دعائمه غارات طهماسب نادرشاه الذي سار بعسكره الى جزيرة ابن عُمر لمّا أيس من فتح الموصل فدمّر في طريقه القرى والاديرة ومنها كان هذا الدير سنة ١٧٤٣ فقتل رهبانه وتركه خراباً ينعق البوم فوق اطلاله

وفي حياة البطريرك ايليا عبو اليونان السعيد الذكر سعى الخوري عبدالاحد معمار باشي الموصلي في ترميم كنيسة هذا الدير القديمة من صدقات المؤمنين واقامة بعض الغرف في جانبه الغربي . ولمّا زار غبطة السيد الجليل مار عمانوئيل البطريرك الاعتاب الرسولية في رومية الابدية الدوام وحظي بالتول امام السعيد الذكر قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر سألهُ قداسته عن احوال شعبه في زمن الحرب الكونيّة ثمّ دار الحديث على قرى الموصل فبيّن قداستهُ رغبتهُ الشديدة في ترقيتها ونهضة اهلها الى مستوى العمران الديني والادبي باقامة جامعة لناشئة القرى يتعلمون فيها فنون العلم والصناعة . فعرض غبطته ما يخامر قلبه في تشييد انقاض دير مار اوراها انجازاً لرغبة قداسته وذلك لطيب هواء هذا الدير وحسن موقعه في وسط قرى المسيحيين وعلى هذا دفع قداسته مبلغاً لاقامة هذا البناء

ولما عاد غبطته الى الموصل وجه انظاره الى هذا العمل ولم يمضِ زمان طويل حتى تمّ هذا البناء المنيف وجُددت الكنيسة والجانب العتيق فاصبح ديراً قلّ نظيره في اتساعه وجمال موقعه وحسن بنائه ونقاوة هوائه ومروجه المحدقة به والآن تُغرس فيها انواع الاشجار فيُرى من بعيد في وسط ذلك السهل الفسيح كانه مَربع الراحة وموطن السعد . يشتمل هذا البناء الفخيم على دار مربعة الشكل تبلغ مساحتها طولاً ٣٣ متراً وعرضاً ٢٦ ويطوف به حُجَر للتدريس والاكل والاستراحة وردهة الاستقبال وحجرة النوم وهي تمتدّ طولاً ٢٦ متراً وعرضاً ٧ امتار وتظلّل هذه الحجر اروقة جميلة بعواميد من الرخام والمرمر الازرق المنحوت بكل اتقان ودقّة . وفي وسط الدار منبع

ماء زلال . اما الهيكل فيلاصق الدير من جنوبيه وله بابان احدهما يؤدي الى الدار الخارجية والآخر الى الدار الداخلية ولحسن انتظامه يشعر الداخل اليه بخشوع جزيل لما يرى فيه من مظاهر الهيبة والحسن تزينهُ عواميده الضخمة المرمرية وعلو سقفه وجمال مذبحه . قضى غبطته في هذا الدير وقتاً وجيزاً ثم ركب وسار به الموكب بالقبغا

قرية باقوفا

بيت قوفا (ܒܝܬ ܩܘܦܐ) اسم آرامي معناهُ «موضع القضبان والاخشاب» وسُميت بذلك على ما يُقال لكثرة الاحراج والغابات التي كانت تجاورها واليوم لا اثر لها . ان هذه القرية هي موقع مدينة اثورية كما تدلُّ عليها الآثار التي يجدها اهلها في حفرياتهم لاستخراج حجارة البناء . ومن تلك الآثار يستفاد انه قد مرّت على هذه القرية ادوار تاريخيَّة اخصّها الدور الاثوري والدور العجمي في الاجيال المتأخرة في عهد استيلاء الدولة الصَّفوية على هذه الديار . وممَّا عثروا عليه قبرُ جندي وجدوا مع بقايا عظامه البالية درعاً حديدياً وسلسلة حديدية وسكيناً كبيرة عليها نقوش ذهبية وخاتم ذهب اسطواني الشكل عليه خطوط اثورية ووجدوا ايضاً في غيرها من المواضع اسلحة وآنية خزفية وخوابي عليها صورة انسان يخنق اسداً . ثم بجانب القرية تلّ منتظم الشكل يظهر انهُ كان قصراً عظيماً او بيوتاً كثيرة كما تدلّ عليها الآثار وقد انهدمت ثم اكتست تُرباً من التراب بما سفَتْه عليها ارياح الاجيال وتوجد حوالي القرية آثار ابنية وتمتد آثار هذا العمران مسافة ثلاثة كيلومترات حول القرية

كانت هذه القرية في الاجيال الاولى عظيمة غنيَّة كما يشير اليه شمعون الراهب كاتب قصة ربَّان هرمزد اذ ان احد اهاليها واسمه كوداري كان قد اعطى لربان هرمزد سبع وزنات فضة لبنيان ديره . ثم انحطت هذه القرية في الغارات التركمانيَّة اذ سكنها الاعجام وصارت الى يدهم كما يستفاد من صكوك اراضي هذه القرية ان رجلاً اسمهُ تيمور اوقفها على جامع النبي يونس الذي في الموصل . ولا بد ان تيمور هذا كان من الاعجام الذين سكنوا هذه البلاد حين الدولة الصفوية او بعدها . وكان يومئذٍ يسكنها المسلمون والنصارى ثم انتقل المسلمون منها فعمَّروا لهم بيوتاً بجوارها على مسافة نصف ساعة وصارت تُدعى بيوتهم «باقوفا عرب» . واهل قرية باقوفا يبلغ عددهم ٤٩٠ يتكلمون اللغة الاراميَّة الدارجة ويحسنون العربيَّة ايضاً ومن الغريب

ان الاولاد في هذه القرية لا يعيشون الّا نادرًا فان الاطفال في اليوم السابع من ولادتهم يصيبهم مرض الخناق او « بيشتا » كما يسمونهُ بلغتهم فيموتون بعد ساعات قليلة فيقال ان ستين بالمئة من اولادهم لا يعيشون وهذا هو سبب قلة عدد الاهالي فيها . كان الاحتفاء بغبطته في هذه القرية شائقاً جدًّا رغماً عن بساطته وقرأ طلبة مدرستي البنين والبنات التقارير الجميلة التي كشفت عن منطويات محبتهم وتعلقهم بهذا الراعي الجليل . وقضى غبطته في هذه القرية الى عصر يوم الخميس وهو الثالث والعشرون من الشهر اصلح في هذه المدة ما وجده فيها من الخلل

قرية تلسقف

ܬܠܫܩܦ ومعناها التلّ المنتصب وسُميت كذلك لتلّ مخروط الشكل يُرى في جنوبيها . كانت هذه القرية عظيمة قبل القرن الثالث عشر فسان كيوركيس وردا الشاعر المُجيد يسميها قرية عظيمة ويرثيها رثاء الثكلى لمّا اعمل فيها التتر سيفهم وقتلوا اهلها واخربوا كنائسها منها كنيسة الشهيد مار يعقوب المقطع وآثارها باقية الى اليوم. يبلغ عدد اهاليها ٣٥٠٠ نسمة يتكلمون اللغة الارامية ويزاولون فلاحة اراضيهم ويحترفون ايضاً صنع الخوابي الخزفية للماء وعمل الفرو والمنسوجات القطنيّة والصوفيّة . وفيهم اطبّاء وطنيون يعالجون لدغ الحيّة بادواء يعرفون اجزاءها النباتيّة فيشفون الملدوغ ولو بلغ آخر رمق

كانت السماء حين سار غبطته الى هذه القرية محجوبة بغيوم كثيفة والمطر ينزل رذاذًا وكان اهالي قرية تلسقف يتسارعون ركباناً ومشاةً الى استقباله وهم يترنمون باحلى الاناشيد . ولما وصل الكنيسة بارك الشعب المتجمع وصار الناس يتقدمون بالاحترام والاحتشام للثم يديه . واوّل ما فعلهُ غبطته انه زار الكنيسة الجديدة التي تقام بايعازه ففرح بما رآهُ من النجاح واعطاهم لاكمال البناية مبلغاً وافرًا وقضى غبطته في هذه القرية الى الثامن عشر من الشهر المذكور . وفي صباح ذلك اليوم شيعه الشعب الى خارج القرية فسار تتقدمهُ فرسان تلسقف الى القوش

قرية القوش

من الاكيد ان هذه القرية تصعد في قدمها الى الاعصر المسيحية الاولى وكانت

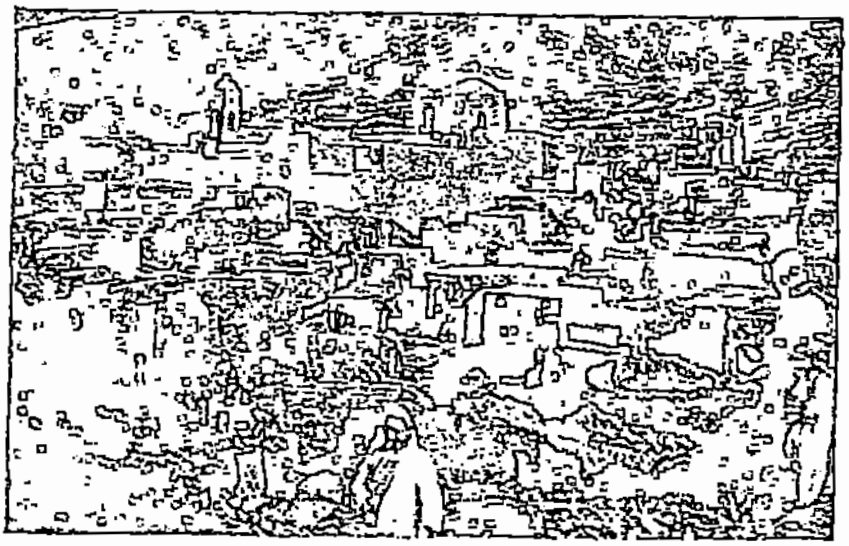

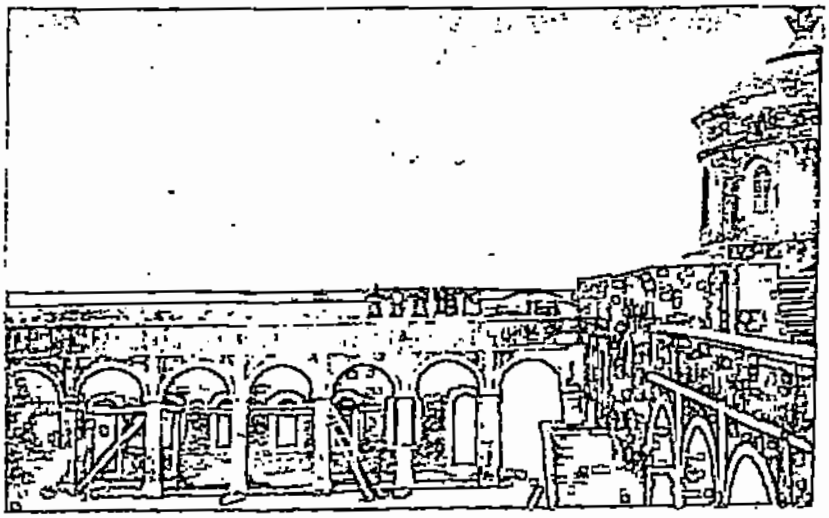

١ منظر قرية القوش

٢ دير مار اوراها

ثمَّ عامرةً كثيرة السكان والديانةُ المسيحية زاهرة فيها وقد ورد ذكرها مرارًا في تواريخ الكلدان منها في حياة مار ميخا احد تلاميذ القديس اوجين في النصف الاول من القرن الرابع . وكان مار ميخا قد شخص الى القوش وعمَّر فيها ديرًا تُرى الى اليوم كنيستهُ حيث دُفن هذا الرجل القديس . وشيَّد ايضاً لاهالي القوش مدرسة عامرة كان يقوم فيها بنفقات المعلمين والتلاميذ ويُستفاد مما يورده الكاتب ان القوش كانت حينئذٍ عامرة وافرة السكان (طالع قصص الشهداء طبعة بيجان ٣ : ٥٢٦) . ثم ورد اسمها ايضاً في حياة ربان هرمزد في القرن السابع ومما يدلّ على قدم هذه القرية الكهوف العديدة المنقورة في صخور جبالها الذي سميناهُ في رحلتنا جبل بيت عذري (المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٧٥٠)

اما التقليد الجاري عند اهالي هذه القرية الى يومنا هذا فيفيد ان قريتهم ترقى في قدمتها الى الاعصر الاثورية فيُتداول على افواه الناس ان «ألقون» احد اليهود المسبيّين في عهد الدولة الاثورية من ذوي اليسار والشرف اقبل بذويه واولاده ومنهم ناحوم النبي واختهُ سارة الى هذه الاصقاع في الجالية اليهودية . فهذا خرج من نينوى يطلب مكاناً يسكنه فأدّى به المسير الى لحف الجبل في موقع القوش الحالية حيث اقام دورًا لسكناه ودُعيت مساكنه باسمه القون ثم حُرّفت فصارت تُدعى القوش وهذه الرواية الغير المسندة لاقيمة لها في الانتقاد التاريخي . اما التقليد التراثي الذي يثبتهُ الرأي العام عند الشرقيين حتى هذا اليوم هو وجود قبر ناحوم النبي في هذه القرية المسماة قرية ناحوم النبي عند بعض الكتبة ككاتب قصّة مار ميخا وكاتب قصة ربان هرمزد وغيرهما . وزد على ذلك تقليد اليهود انفسهم بان ناحوم النبي توفي في القوش الاثورية وهذا ليس عارياً عن الاسناد التقليدي الصحيح نقول هذا مع احترامنا لرأي العلماء القائلين برأي القديس ايرونيموس الزاعم بأن القوش قرية ناحوم النبي كانت احدى قرى الجليل بجوار عمواس

قال المستر هنري لايارد في سياحته العلمية (١ ان التقليد الجاري في قدوم ناحوم النبي الى القوش الاثورية وموته فيها ليس هو عارياً عن الاهمية التاريخية . فان هذا التقليد لا يقول به بعض المؤرخين المسيحيين فقط بل كان ولم يزل ثابتاً عند عامة

(1 H. LAYARD : Nineveh and its remains, ch VII. p. 171

اهالي هذه الاقطار خاصة عند اليهود فانهم يحجون كل سنة الى قبر هذا النبي في القوش المجاورة للموصل على مسافة ٩ ساعات ويقصدونه من البلاد القاصية والدانية لاعتقادهم الثابت ان القوش هي موطن احد دعاة دينهم مستندين على تقليد اجدادهم. ولهذا تراهم كل عام في فصل الربيع يتقاطرون الى القرية المذكورة زرافات من الموصل وبغداد والبصرة وحلب ومن جبل زاخو ودهوك والعقر ومن اقطار سورية وفلسطين. وهذا الراي جدير بالاعتبار لامكانيته التاريخية فان ناحوم النبي قد تنبأ بعد سبي الاسباط العشرة اي في اواخر ملك حزقيا المعاصر لسنحاريب الاثوري (٧٠٥—٦٨١ ق م) ومن المعلوم ان سنحاريب بعد حروبه في سوريا كان قد حمل حملة شعواء على حزقيا ملك يهوذا واستولى على ست واربعين مدينة من مدنه وعلى عدد كبير من قراه ونهبها واسر منها ١٥٠،٢٠٠ اسيراً استاقهم الى بلاده. أفلا يمكن ان يكون ناحوم النبي من جملة هؤلاء المسبيين فمات في القوش الاثورية. ومن الممكن ايضاً ان ناحوم النبي ولد في القوش الاثورية من الاسرى الذين استاقهم الملك الاثوري تغلاتبلاسر الثالث من بلاد يهوذا في حملته سنة ٨٣٨ ق م. ويزيدنا ايضاحاً نبوة ناحوم نفسها فانها تقتصر بالبحث عن نينوى ويتنبأ على خرابها ويصف وفرة غناها وتجارها وسوء اخلاق اهاليها كمن قد عاش فيها

يُرى مقام هذا النبي الجليل في القوش عارياً عن الاثار التي تثبت قدمه وليس فيه الا القبر وهو ناووس مصنوع من الحجر في وسط حجرة مربعة الشكل حديثة البناية ليس فيها شيء من الخطوط القديمة ما خلا بعض كتابات بالعبرانية هي نصوص من الكتاب المقدس واسماء بعض الزائرين على جدران الحجرة. وامام هذه الحجرة او المقام دار فسيحة تتداعى جدرانها الى السقوط وهي مبنية من الحجر والكلس (الجص). ويحكي شيوخ هذه القرية انه من زمن ليس ببعيد كان قد حُفر قبر ناحوم النبي فوجد فيه صندوق من المرمر داخله رفات وليس عليه شيء من الكتابة

وقد اشتهرت القوش ايضاً في الاجيال الاخيرة برجالها الذين نبغوا فيها وبرزوا في العلم وخدموا اداب اللغة الارامية خدماً جليلة واشتهرت خاصةً لما نقل اليها البطاركة النساطرة كرسيهم ومكثوا فيها زمناً غير يسير فصار لها في تاريخ الكلدان شهرة خطيرة

اما عدد سكانها اليوم فيبلغ ٧٫٠٠٠ نسمة وفيها سوق عامرة تروج فيها تجارة الجبال المجاورة وانواع الصنائع كالصياغة والنجارة والحياكة والحدادة وصُنع الاحذية الوطنية . ويشتغل الالقوشيون بفلاحة اراضيهم بالحبوب المتنوعة والخضروات واشهرها البطيخ العجيب في كبر حجمه وشكله وحلاوته . وامتاز ايضاً أهالي هذه القرية بغرس الكروم العديدة التي تكتنف القوش في السهل والجبل . ووجود هذه الكروم منذ سنين يسيرة وذلك بتحريض غبطة السيد الجليل مار عمانوئيل البطريرك وتشجيعاته لذوي الخبرة بكل المساعدات فلما نجح مساعيهم تأثرهم البقية حتى اصبحت القوش كجنّة غناء بكرومها

كان وصول غبطته الى هذه القرية التاريخية مسقط رأسه عند ظهر ذلك اليوم بعد مسير اربع ساعات في الجهد الجهيد بما لاقاه من صعوبة السير لكثرة الاوحال ووعورة الطريق لاسيما الكندات وهي مسير ساعة وكلها وديان وتلال عسرة المراقي والمسالك خاصةً في موسم الامطار حيث تكثر مزالقها وغدرانها . وكان فرسان الشعب الالقوشي المعروف بجماسته وشجاعته ومحبته لغبطته قد تسارعوا الى الكندات وهم يطلقون البنادق جرياً على عادتهم القديمة فساروا يتقدمون غبطته وهم يبدون ضروب اللباقة في الطراد وفي الهدف . وكان بقية اهالي القرية من رجال ونساء واولاد قد قطعوا من القرية مسير اربعة كيلومترات وهم يرتلون بنشيد يُعرف بنشيد الغبطة وهو من مدائح العذراء . ولما بلغوا بغبطته القرية كانت طلبة المدرسة بالالبسة البيعية والبنات بالبسهن الوطنية الجميلة يحملون الرايات وينشدون اناشيد حلوة تمتزج في اصوات تهاليل النساء واطلاق البنادق واصوات اجراس الكنيسة والشعب كله يحف براعيه المحبوب فكان مشهداً ما ابدعه واجمله . ولما صاروا في الكنيسة منحهم غبطته بركته الابوية ثم لثموا يديه بكل حرارة الايمان والتقوى وفي هذه الفرصة خطب غبطته خطبةً شائقة في الكنيسة التي لا تقوى عليها ابواب الجحيم وفي الحبر الاعظم رأسها المنظور

زار غبطته مدة اقامته في هذه القرية مدرستي البنين والبنات وفرح جداً بما وجده فيها من الترقي وزار ايضاً المدرسة الجديدة الواسعة الارجاء التي بُنيت على الطرز الجديد بايعاز غبطته وحث الاهالي على مواصلة العمل وكان غبطته ينتهز كل فرصة

للتعليم في الكنيسة وخارجها ويحثهم على المحبة المسيحية ويبذل لهم المساعدات بكل سخاء حاتمي وما كان يملّ من الرجال والنساء الذين يقصدونهُ في اصلاح شؤونهم فيداوي جروحهم ويجبر قلوبهم باللطف والاناة. وقضى في هذه القرية مدة اسبوع زار في اثنائهِ رهبان دير السيدة وقضى عندهم يومين كأبٍ بين اولاده يعظم دعوتهم الرهبانيَّة ويحثهم على التمسك بالقوانين وكان هو نفسه يجلّ القانون الرهباني محافظاً عليهِ وكان يحضر الصلوات بارقاتها بحرارة ونشاط ثم يختم صلوة المساء بارشاد روحي ينمّ عن وقوفه التام على نواميس السيرة الرهبانية

وفي اليوم السادس من شهر كانون الاول ودَّع غبطته الاهالي خارج القرية بكلام ابويّ ثم سار ويرافقه جمهور من الكهنة والرهبان والاشراف وهم يودعونه بالدموع . ومساء اليوم السابع بلغ الموصل محلّ كرسيه البطريركي مسروراً ناسياً الاتعاب التي قاساها في ذاك الفصل الشاق والطرق الوعرة لما رأى من روح الايمان واعمال التقوى في تلك القرى لاسيما انتظام الكنائس واقامة الصلوات الفرضية حيث يجتمع مساء وصباحاً اجراق الكهنة والشمامسة مع اولاد المدارس ويمجدون اسم يسوع الفادي وقد زادتهم ايماناً وتقوى تلك المراسم النفيسة التي القاها غبطته وكانوا يتلقفونها ولا تلقُّف المتضور جوعاً الى اطيب المآكل

اثر جديد لشاعر العراق

للاب لويس شيخو اليسوعي

يذكر القرّاء مقالةً عنوانها « الرصافيَّات والريحانيَّات » نشرناها في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٣٧٩–٣٩٢) وبها اثنينا على القصائد التي انتجتها قريحة جناب شاعر العراق معروف افندي الرصافيّ وروينا منها امثلةً تُشنف القرّاء بمحاسنها . وقد حلّ جنابهُ ضيفاً كريماً في عاصمتنا مؤخرًا فشرَّفنا بزيارتهِ وأطلعنا على اثر جديد من شعره

المطبوع وضعهُ لاحداث المدارس وعوّل على نشره بالطبع فوجدناهُ نِعم الاثر وهو يشتمل على ٣٤ منظومة يَحسُن بالناشئة ان يطبعوا معانيها في ذهنهم وينشدوها في مدارسهم وهي في الغالب تتناول اشغال التلامذة من درس وكتابة وراحة ولعب فضلاً عما اشربها من روح الدين وحب الوطن واودعها من الامثال والحكم والاخلاق الحسنة والاوصاف المختلفة كالديناو والشمس وفصول السنة وكرة القدم والتلغراف والكهربائية فوجدناها كلّها من أطيب ما يتفكه به الاحداث ويطربون لسماعه. وقد سمح لنا جنابهُ ان نقتطف من مصنَّفه هذا باكورةً نعرضها على طلبة المدارس فيعرفوا من هذه الامثلة قيمة المجموعة حتى اذا صدرت مطبوعةً يقبلون عليها بشوق ورغبة. واوّل ما قدّمهُ على مجموعه بعد انشودة العرب الوطنيّة قولهُ في الله سبحانهُ وتعالى :

انظُرْ لتلك الشجرهْ ذات الغصون النَّضِرَهْ
كيف نمتْ من بزرةٍ وكيف صارت شجرَهْ
فانظرْ وقُلْ من ذا الذي يُخرج منها الثَّمَرَهْ
وانظرْ الى الشمس التي جُذوتُها مُستعرَهْ
فيها ضياءٌ وبها حرارةٌ منتشرَهْ
من ذا الذي كوّنها في الجوّ مثل الشَّرَرَهْ
وانظر الى الليل فمن أوجدَ فيهِ قمَرَهْ
وزانهُ بأنجمٍ كالدُّرر المنتثرَهْ

الى ان قال وأكرِمْ بهِ من قائل :

وانظر الى المرء وقُلْ من شقَّ فيهِ بصرَهْ
من ذا الذي جهَّزهُ بقوّةٍ مفتكرَهْ
ذاك هو الله الذي ويلٌ لمن قد كفرَهْ

ومما قالهُ في وصف الوطن لا فُضَّ فوهُ :

وطني هو القُطر الذي انا عائشٌ في ظلّ جنته المديد وساكنُ
وظلالُ جنّته مفاخرُ أمّتي ومآثرٌ لجدودنا وعساسنُ
وطني الذي احسستُ عند اقامتي في غيره أني غريبٌ ظاعنُ
وحسدتُ هبّة كلّ ريحٍ نحوَهُ وغبطتُ من هو فيهِ حلَّ قاطنُ

وأحسُّ حين اليهِ ارحلُ آيًا أني تبطّنني سرورٌ باطنُ
وأظلُّ مبتهجًا اذا شارفتُهُ وبدت مبانٍ منهُ لي واماكنُ
وتسرُّني اكواخهُ وقصورهُ لمّا أشاهدُها بهِ واعاينُ
هذا هو الوطنُ الذي منذ الصبا اضحى لهُ حبٌّ بقلبي كامنُ
اني اغارُ عليهِ اذ أحبُّهُ من ان يقارنهُ سوايَ مقارنُ
واذا جاجمُهُ العدوُّ فانّني بدمي لهُ دفعَ الهاجم ضامنُ
فليعلمِ الثقلان طرًّا أنّني ممّن يقاتلُ دونهُ ويطاعنُ
ويقولُ مثلَ مقالتي ابناؤهُ حدثٌ ومكتهلٌ وشيخٌ طاعنُ

وقال يصف صياح الديك عند الصباح واجاد :

اذا ما الفجرُ آذنَ بانصياحِ رأيتُ الديكَ يأخذُ في الصياحِ
يصيحُ اذا الصباحُ دنا سرورًا ومن طربٍ يصفّق بالجناحِ
كأنّ لهُ لدى الإصباح وعدًا فكان دنوُّهُ سببَ ارتياحِ
وانّ لهُ بجوفِ الليل صوتًا يرنُّ اذا تموّج في الرياحِ
يشقُّ صداهُ صمتَ الليل وهنًا اذا أصدت بصيحتهِ النواحي
ألا فاسمع لهُ ان صاح صبحًا أتدري ما يقولُ بذا الصياحِ
يقول لنوّمٍ في الصبح هبّوا فانّ النوم يقبُح في الصباحِ
وانّ الشمس تطلعُ في غدوٍّ لتُنهضكم وتغربُ في الرواحِ
فخلّوا النوم منتفضين منهُ وقوموا مُسرعين الى الفلاحِ
ألا فليسعَ مَن يبغي نجاحًا فانّ السعي من شرط النجاحِ

ومن قوله في الدينار وهو نعم الوصف :

ما احسن الدينارَ لو كنّا بهِ نقضي الحقوق ونسلك الإحسانا
ما اشرف الدينارَ لو كنّا بهِ نكسو العُراة ونُطعم الغرثانا
يا حامل الدينار أحسنْ صرفَهُ وابغِ بهِ لك في الورى شكرانا
واعلم بأنك حاملٌ الّا اذا أحسنتَ موضعَ صرفهِ شيطانا
يا كاسبَ الدينار من غير التُّقى أيقنْ بانك كاسبٌ خسرانا
فاذا اردتَ بهِ انتفاعًا خالدًا فاجعلْهُ فيما ينفع الاوطانا

واذا اردتَ به التعزّزَ والعُلى فاجعلْهُ في سُبلِ الفخار مُهانا
فطيمة الدينار اسمٌ مُضمحلٌ اعيا العقول وحيّر الاذهانا
إنْ عزَّ هانَ الدهرَ صاحبُهُ به ويعزُّ صاحبُهُ به ان هانا

وما ألطف قولهُ حيث وصف الشمس فقال :

انّما الشمسُ المنيرَهْ عينُ دنيانا البصيرَهْ
وبها يُبصِرُ كلٌّ من بني الارضِ مَصيرَهْ
نجتلي في الصُّبح منها وَجهَ حسناء غريرَهْ
ونرى فيها شعاعًا مُرسَلًا مثل النديرَهْ
انّما كتلةُ نارٍ في الاعالي مستديرَهْ
في الفضا قد علّقتْها قدرةُ الله القديرَهْ
انّ هذي الارضَ للشمس هي البنتُ الصغيرَهْ
من قديمٍ ولدَتْها بعد اولادٍ كثيرَهْ
انّما الاحياء في الارضِ الى الشمس نفيرَهْ

وهي طويلة ومنها :

انّ للشمس بهذا الجوّ امثالًا كثيرَهْ
كلّها تنتشر في الابعادِ نارًا مستطيرَهْ
كلُّ هذي الانجمِ الزُّهرِ شموسٌ مستنيرَهْ
صغرت في العين لكن هي في العقل كبيرَهْ
لاتكونُ الشمسُ هذي عندما الّا حقيرَهْ
كلُّ نجمٍ في الفضا الرحبِ قد والى مسيرَهْ
ولقد دار وكان اللهُ في الجوّ مُديرَهْ
فبهذا تتجلّى قدرة الله القديرَهْ

وقال يصف لعب اولاد المدارس بعد درسهم :

جدّوا بدرس العلمِ حتّى تتعبوا فاذا تعبتم بالدراسة فالعبوا
فاللعبُ ليس يبيحهُ يومًا الى متعلّمٍ الّا اجتهادٌ متعبُ
وملاعب الطلّاب بعد فراغهم من درسهم حقٌّ لهم مترتّبُ

فهي التي تُنسي لهم ابداهم وتريح من اذهاهم ما أتعبوا
والفكرُ منهكةٌ وانَّ شفاءهُ لعبٌ يُعاديهِ النشاطُ ويُكسَبُ
والجسمُ يكسَل عندطول تجاربه كالماء من طول الركودِ يُطحلبُ
لولا متاعبُنا لَمَا حصلت لنا في العيشِ راحتنا التي تتطلَّبُ
كلُّ الحياة مشاغلٌ لكنَّها لولا المشاغلُ مُرَّةٌ لا تعذُبُ

ومن مبتكراتهِ قولهُ تحت هذا العنوان : « كلُّ شيءٍ يتكلَّم فما علينا الَّا ان نفهم » :

لا شيءَ ممَّا نعلَمُ الَّا لهُ تكلُّمُ
تكلُّمٌ مختصَرٌ يفهمُهُ من يفهَمُ
فهو لقومٍ واضحٌ وهو لقومٍ مُبهَمُ

*

انَّ الغراب قد غدا يقولُ غاقٍ غاقِ
فكان معنى قولهِ في نظر الحذَّاقِ
من قام ليلي باكرًا لم يُبلَ بالإملاقِ

*

انَّ الذبابَ قائلٌ بصوتهِ الجزَّازِ
مقالةً فسَّرها لنا ذوو الالغازِ
مَنْ لم يُعزَّ نفسَهُ لم يحظَ بالإعزازِ

*

قد اخذ العصفورُ من بعد وضوح القلقِ
يقولُ قولًا واضحًا بصوتهِ المُزقزقِ
ان رُمتَ رزقًا طيبًا فاسعَ وجُدْ ترزَقِ

*

وكم سمعنا صرصرًا في ليلهِ المتكي
يقول فيما مدَّهُ من صوتهِ المصرصرِ
مَن يسهرِ الليلَ لكي يصيرَ بدعًا يَبهرِ

*

وضفدع مرتطم ما بين ماء ورثق
قال بمستقعه وهو ينق في النسق
ما خاب قط من صدق ولا نجا من اختلق

والطبل عند ضربه يخرج صوتاً دم دم
فكان معنى صوته كما رواه ردم
إن تفعل الخير فلا تدعه لكن دم دم

كفى بهذه النخبة دليلاً على طريقة الكاتب ورشاقة شعره وبلاغة معانيه . فما لنا الّا ان نكرّر شكرنا لجنابه على اتحاف الناشئة بمثل هذه الطرفة الفريدة

قاموس العوام لحليم افندي دموس

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

لمّا نشرنا في شهر شباط الماضي مقالتنا في تعزيز اللغة العربية لتصبح لغةً راقية تجاري لغات الدول الكبرى افردنا فصلاً للغات العاميّة واثبتنا ما يمكن الاستفادة منها لتوسيع نطاق العربيّة الفصحى وعلى خلاف ذلك ما يجب نفيهُ منها لئلّا تتشوّه به لغتنا الشريفة

وكأنّ جناب الاديب والشاعر الوطني حليم افندي دموس اراد ان يمهّد لذلك سبيلاً بوضعه كتاباً دعاهُ قاموس العوام فتلطّفنا واهداهُ مجلّتنا لننتقده ونبدي فيه رأينا لبيان حسناته وكشف نقائصه ليزيدهُ كمالاً

وكان اوّل نظرنا اليه محرّكاً فينا الرغبة الى مطالعته وهو مطبوع في دمشق طبعاً حسناً على قطع قريب من قطع مجلّتنا بحروف نضرة وجداول منظّمة وابواب لكلّ حرف من الهجاء ذات نقوش ملوّنة مع ارتياح النظر الى الالفاظ العاميّة بازائها الالفاظ

الفصحى والإصلاحات مكتوبة على حقلين ضمن اطار كبير

ولا شكّ في انّ جناب المؤلف كدّ ذهنهُ . واسهر جفنهُ ليجمع هذا العدد العديد من الالفاظ والعبارات العامّيّة ويتوخّى اصلاحها فكأنهُ استفاد في كتابهِ هـذا ممّا نشرهُ بعض الادباء سابقاً من التآليف او ما عرفهُ باختبارهِ الشخصيّ سمعاً او مطالعةً . وقد افادنا في مقدّمة الكتاب غايتهُ من تأليفهِ وهي الدلالة الى الكلمات الفصيحة المرادفة للمفردات العامّيّة او للالفاظ الاعجميّة او المستحدثات العصريّة ثمّ اصلاح ما تشوّه من الالفاظ من اللغة الفصيحة إمّا بالكتابة وامّا بالحركات وبيان جموعها الصحيحة وتعريف الالفاظ المفردة المطابقة لكلمتين صحيحتين او اكثر . وقد جرى في كلّ ذلك على ترتيب اللفظ دون اصول الكلمة وضبطهُ بالشكل الكامل

فنشكر المؤلف على وضعهِ هذه الافادات ونلبّي طلبتهُ حيث قال في آخر مقدّمتهِ : « فنرجو من اقطاب اللغـة واخوان الادب — وهم كثير — ان ينبّهونا الى كل نقص او خطإ في هذا المعجم الجديد لنتداركها في الطبعة الثانية » فنقول :

(اوّلاً) وجدنا في اختيار اسم الكتاب ما لا يوافق المسمّى في اشياء عديدة . فان المؤلف نظمَ فيهِ الفاظاً وعبارات لا تخطر على بال العوامّ وانّما هي من الـدخيل ومن اغلاط الكتّاب او من لغة الجرائد نبّه عليها كثيرون قبلهُ كاليازجي والشرتوني والياس عطيّه والاب جرجي جنن . فهل يعلم مثلاً احد من العوامّ « انشد الضالّـة » بدلاً من « نشّدها » او « انصاع لمشورتهِ » او « انعكف على العمل » او « دردبيـة » الخ

(ثانياً) انّ الطريقة التي اختارهـا المؤلف لترتيب الفاظهِ لا تخلو من المآخذ . فانّها حسنةٌ للالفاظ الغريبة والدخيلة لكنّها مخلّة في رواية الالفاظ العربيّة التي كان الاولى ان تُنظَم بموجب اصلها الثلاثي اذ لا يعلم الباحث في ايّ حرف يطلبها . لأن كلام العامّة كثيرًا ما يأتي على صيغ تختلف زمناً او مكاناً او صورةً او وزناً فيحتاج الطالب الى تقليب الصفحات اذ لم يجدها في مظانّها . فربّما كانت في علم قائلها على مزيد من المزيدات غير الـذي اختارهُ المؤلف او يطلبها مضارعةً وهي في المـاضي وخلاف ذلك . مثالهُ « يتأمّل منهُ خيرًا » و « يتقابل بفلان » و « يتعهّد لهُ بكذا » فكلّ ذلك تجدهُ في حرف الياء وكان يجوز وضعهُ في حرف التـاء « تأمّل منهُ خيرًا وتعهّد لهُ بكذا » وهلمّ جرّا . ومثل هذا تراكيب لا علاقة لها بحرف من الحروف

تجدها في باب دون آخر بغير مسوّغ.

(ثالثاً) وفي هذا الترتيب خلل آخر حيث مزج المؤلف فيه عبارات فاسدة ليصلحها فجعلها في احد ابواب حروف الهجاء دون داعٍ فيحار الباحث ولا يدري اين يطلبها . مثالهُ «يضربُ اخماساً في اسداس» نظم هذه العبارة في حرف الياء وليس الغلط في «يضرب» كما انهُ وضع في حرف النين «غير منظوم» اصلحها «بغير منظّم» وادرج في حرف اللام «لم يبق لهم طاقة على القتال» اي «بالقتال» فهذا الاضطراب والتشويش كان من الممكن الحياد عنهما بنظم الالفاظ على اصولها او بالحري بان يُفرد للعبارات بابٌ خاصٌ على مثال الحريري في درّة الغوّاص وغيره

(رابعاً) لم نرَ موجباً لإصلاح ما يطرأ على لسان العامّة من غلط الحركات فانَّ المؤلف كثّر بذلك حجم كتابهِ دون فائدة تُذكر فان تلك الاغلاط اكثر من ان تُحصى ولو شاء العامّي الوقوف على ضبطها لا يطلبها في هذا القاموس بل في معجم لغويّ . فاي من العوامّ يرجع الى قاموسهِ هذا ليصلح «سَيِّد» بسَيِّد او «نصراني» بنَصْرانيّ او «جِنَّة» بجُنَّة» او «حَلَقَة الباب» بحَلْقة و «صَعَدَ» يَصعدَ» الخ

(خامساً) ذكر المؤلف الفاظاً متعدّدة هي فصيحة بمعنى وعاميّة بمعنى آخر فلم يذكر منها الّا العامّي وكان الافضل بيان معناها الفصيح ايضاً ليفرزهُ العوامّ عن المعنى الفاسد. مثالهُ «حَمِقَ» فانّها في اللغة بمعنى كان احمق فشاعت بين العامّة بمعنى غَضِبَ. وكذلك «بُهلول» فمعناها اللغوي «السيّد» والعامّة تستعملها بمعنى الأبلَه وربّما كان اللفظان فصيحين بمعانٍ مختلفة كالقُطور والقَطُور فاصلح الواحد بالآخر دون تمييز

(سادساً) روى المؤلف مفردات شتى اصلها من لغات اجنبيّة ودلّ على لغتها الاصليّة باوّل حروف تلك اللغات. ويا ليتهُ ألحقها بحرفها الاعجمي في لغتها الاصليّة لكان بذلك ازال الشكوك في هويّتها. فلم نفهم مثلاً ما اراد بلفظة «بيرلين» (ف) منكبي. ولعلّه اراد (pélerine) وبلفظة «سينسور» يريد (ascenseur). وقد اساء بتعريب «بيومتر» (ف) بقياس الفكر فانَّ الفكر لا قياس لهُ. فالبيومتر «ميزان الحياة» اي مظاهر الحياة . وربّما عرّف اصول الالفاظ بالغلط فان «بيفتاك» ليست افرنسيّة بل انكليزية ومثلها «بنك نوت» اي قراطيس ماليّة و «تَيبرَيتر» الآلة الكاتبة . امّا «تياترو» و «بالّو» فطليانيّتان بهذا اللفظ . ثمّ انّ جنابهُ لم يدلّ على الالفاظ العاميّة

المنقولة عن السريانيّة وعددُها وافر جدًّا . وقد اراد تعريب بعض ما رواهُ من المفردات الاجنبيّة وبقاؤها على لفظها الاعجمي افضل واعمّ اذ دخل في اللغة على خلاف معرّبه «كباشلوس» الذي عرّبهُ بالعُصَيّات او الانبوبيّات و«كنتيتر» عرّبهُ بالعَشير (كذا!) و«كنبول» عرّبها بالحَوصلة . وفي كلّ ذلك من التعسُّف ما لا يمكن التسليم بهِ مع ما نعرف من عادة العرب منذ قديم الزمان حتى في عهد الجاهليّة وفي القرآن بان يجبرا بالالفاظ الاجنبيّة

(سابعاً) وقد حاول حليم افندي إصلاح الفاظ او عبارات عدّها من الاغلاط وهي صحيحة فصيحة لا غبار عليها ولو اردنا تعدادها كلّها لطال بنا المقال فنعرض منها ما عثرنا عليهِ دون التدقيق . فمن ذلك تخطئتهُ للفظة «انكساف» فاصلحها بكسوف . ولو راجع تاج العروس لوجد ردًّا للغويين على هذا الزعم الباطل — وأصلح «انفكّ» بفكّ . وانفكّ فصيحة تجدها في كلّ المعاجم — ولا ندري لاي سبب عدّ «أصبح الصباح» في جدول الفاسد . وقد تكرّرت في كتاب الف ليلة وغيرها مرارًا — اصلح «الخُرُوب» بالخرنوب . وفي قاموس الفيروزابادي الخُرُوب كتنور صراب — وغلّط «شخر» وأصلحها بخرخر وغطّ النائم . وقد جاء في كلّ المعاجم ما حرفهُ «شخر الرجلُ صات من حلقهِ او انفهِ» — وكذلك «بعج» عدّها من الفاظ العوام وعرض بدلًا منها «شقّ وصدع» كأنهُ يجهل ما ورد في المعاجم «بعج بطنهُ بالسكّين شقّهُ» — ولم يرضَ باسم «الفاخوري» وقد جاء في الانساب للسمعاني «الفاخوري نسبة الى بيع الفخّار» — وكذلك عدّ «صرف» من الفاظ العامّة بمعنى أنفق وبذل . وكأنهُ نسي ما أفتى بهِ بعد ذلك بسطرين فقال بدلًا من «صرف وكدهُ» «صرف همّهُ وعنايتهُ . فناقض نفسهُ بنفسهِ — ثمّ لم يستحسن «عاكس» بمعنى عارض فماذا يمنع ان تُعدّ من المجاز وفي المعاجم «عاكسهُ اخذ كلّ منهما بناصية صاحبهِ — وأصلح «ضحك عليهِ» بضحك منهُ وقد روى صاحب اقرب الموارد «ضحك منهُ وبهِ وعليهِ» — وفضّل «الخريطة» على «الخارطة» وكلاهما معرّب . وقال في محيط المحيط : «الخارطة عند اهل الجغرافية رقعة مرسومة عليها صورة الارض» — وغلّط «انفرط العقد» مع انّ في اقرب الموارد «انفرط الشيء انحلّ» — وكذلك نظم «بشع» في سلك الفاسد وفي كتب اللغة هو الكريه والخشن من الطعام واللباس والكلام ومن المجاز

البشع السيء الخلق (تاج العروس). وكذلك جعل «الحز» بدلاً من «القز» واللفظتان صحيحتان. وكذلك اصلح «الزفت» بالقار وكلاهما حسن. — وأنكر استعمال «الجاروش» بمعنى المجرش وفي اقرب الموارد «الجاروشة رحى اليد» — ونبذ «نبش» بمعنى حفر وفي كتب اللغة «نبش الكنز» و«نبش» القبور — ولم يستحسن «وغر الشمس» فقال «وهر الشمس» وفي كل المعاجم تجد «وغرت الهاجرة والشمس وغرًا» اشتد حرها — وكذلك نفى «الحشمة» بمعنى الوقار والادب وفي كتب اللغة تأتي الحشمة بمعنى الحياء — كذلك صحح «الانجاص» بالاجاص وفي لسان العرب «الأجاص والانجاص من الفاكهة معروف — ولا نسلم لجانبه بتخطئته لبعض الجموع كشهور جمع شهر فخالف بذلك كل ارباب اللغة. ثم قد اثبتنا للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي ان «وديان» جمع صحيح لوادٍ (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ١٥)

(ثامناً) وزد على ما تقدم ان بعض الاصلاحات التي يعرضها حليم افندي هي أحرى بالاصلاح. اصلح «ضرب الرمل» بعلم الرمل. وكل يعلم ان ليس هناك علماً بل خزعبلات — ابدل لفظة «المالوش» بلفظة «أرضة» وشتان بين المالوش والأرضة. اطلب في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٢٩٣) مقالة المرحوم سليم اصفر في وصف المالوش — دعا «سلة الفاكهة» شكيكة على صيغة التصغير وهي الشكيكة كالسفيتة في كتب اللغة — عرض استعمال «الصحنى والصحناة» بدلاً من «سردين» ولا نعلم الى اي سند عاد في حكمه فان الصحناة في كتب اللغة «إدلم من صغار السمك» ثم جاءت بمعنى السمك الصغار ولكن أليس يوجد سمك صغار الا السردين؟ قال في تاج العروس ان الصحناة يدعوها العرب صيرًا. وقد خص العلامة دي ساسي (Relation d'Egypte, p. 278—289) فصلاً طويلاً في وصف الصير ونفى كونه السردين — وما قولنا «بقستقية ماء» اراد الفسقية تعريب «piscina» اي البركة ذات القوارة — ومن اغلاط التشكيل «المدرّج» (ص٢٦) يريد المدرَّج بضم الميم. والثعلبان والصواب الثعلبان. وخوار الثور (ص ٧٨) والصواب خُوار بضم اوله الخ

هذا بعض ما سنح لنا فيه الرأي لدى مطالعتنا هذا الكتاب ولا شك ان غيرنا يرون في فحصه غير ما رأينا اذا دققوا فيه النظر. وغاية ما نرغب ان يُعنى المؤلف

النظر في تأليفه ويحسنهُ طاقة امكانهِ سواء كان من جهة الترتيب ام من جهة الاصلاحات والضبط وحذف الفضوليات فيجعلهُ على قطع اصغر ليكون كتاباً مدرسياً يتخذه الطلبة كدستور لكتاباتهم ان شاء الله

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الصاد (تتمة)

٥٠٧ ﴿الصعب﴾ الشيخ الماروني الشهير حنّا بك والخطّاط المشهور المتوفى سنة ١٨٩٦ . لهُ ديوان شعر واسع طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩٣ ومن مخطوطاتهِ التي لم تُطبع رسالات واناشيد تقويّة وشروح قانونيّة

٥٠٨ ﴿صقّال﴾ انطون الحلبي المتوفى في الشهباء في ٨ ك ١ سنة ١٨٨٥ نُشر بالطبع كتابهُ الخيالي الفكاهي « السَّمر في سكّان الزُّهرة والقمر » ولهُ من المخطوطات ديوان شعر لم يُطبع وكذلك مراسلاتهُ النثريّة ومقالاتهُ الادبيّة لا تزال في بيت نجلهِ الاديب

٥٠٩ ﴿الصوصة﴾ الاديب جرجس اندراوس من اهل دير القمر . كان في الشطر الاوّل من القرن التاسع عشر . لهُ رسالة في العوائد اللبنانيّة نشرتها مجلّة الهلال ورسالة اخرى في اعيان لبنان نشرتها المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG)

٥١٠ ﴿الصوله﴾ سليمان الرومي الملكي الكاثوليكي الدمشقي المتوفى في ١٤ ايار سنة ١٨٩٩ . طُبع ديوانهُ في مصر سنة ١٨٩٤ . ومما لم يُطبع من تآليفهِ « كتاب حسن الوجود في عقائد اليهود » ثمّ متفرقات اخرى شعريّة ونثريّة تلفت في حوادث السنة ١٨٦٠

حرف الضاد

٥١١ ﴿ ضو ﴾ الخوري بولس المتوفّى في اوائل القرن الحالي . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة تعريب كتاب تأمُّلات مختصرة في عواقب الانسان للاب بودران اليسوعي . طُبع الكتاب سنة ١٨٧٤

حرف الطاء

٥١٢ ﴿ طجيّه ﴾ الخوري جبرائيل الرومي الملكي الحلبيّ عاش في اواخر القرن الثامن عشر . لهُ في بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة مواعظ في آلام السيّد المسيح وبعض الذينيَّات

٥١٣ ﴿ الطحّان ﴾ القس انطون الرومي الملكي الكاثوليكي الحلبي . من كهنة اوائل القرن التاسع عشر . لهُ في حلب كتاب اخبار تاريخ الروس عربهُ عن اللغة الايطاليَّة مع الارشيدياكون نيكيفورس والياس فخر الطرابلسي (اطلب النعمة ١ : ٣٠٨)

٥١٤ ﴿ الطحّان ﴾ القس جرجس الرومي الكاثوليكي الحلبي اشتهر في القرن الثامن عشر وهو من المتخرّجين في رومية . من آثاره : ١ً شرح الكتاب المقدّس . منهُ نسخة في دير الشير يقال في اوّلها ان مترجمهُ « القس جرجس طحّان تلميذ جرمانوس فرحات » . ٢ً لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة تفسير سفر التكوين للمعلّم صاصي منهُ نسختان تاريخ الاولى سنة ١٨١٥ والثانية ١٨٤٨ بيد الخوري عبدالله قديد . ٣ً لهُ في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب تعريب مقدّمات على سفر التكوين والنبوّات ونشيد الاناشيد ورؤيا مار يوحنّا عرّبها من الايطاليَّة وهذّبها . ٤ً وفي مكتبة حضرته ايضاً للقس جرجس الطحّان نبذة تشتمل على البراهين التي تستند عليها الديانة المسيحيَّة عرّبها ونظمها . ٥ً ونثاً عرّبهُ ايضاً عن الايطاليَّة نبذة تاريخيَّة عن اجيال العالم الاولى الى دعوة ابراهيم . في بعض مكاتب حلب (النعمة ١ : ٣٠٨)

٥١٥ ﴿ الطرابلسي ﴾ الخوري قسطنطين الحلبي الشويري وكيل رهبانيَّته في رومية في القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة مدرسة الروم الكاثوليك في حلب تاريخ

دير رومية المعروف بناتيجلا (اطلب المشرق ٤ [١٩٠١] : ٨١٧) مع تاريخ الرهبان الشويريين هناك من السنة ١٧٢٩ الى ١٧٧٢ وعنهُ نقلنا نسخة مكتبتنا الشرقيَّة

٥١٦ ﴿ الطرابلسي ﴾ نصرالله الحلبي الكاثوليكي المتوفَّى نحو السنة ١٨٤٠ (اطلب ترجمتهُ وأشعارهُ في المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٣٩٧–٤٠٨) . وجدنا نسخةً من ديوانهِ عند بعض ادباء بيت ابيلا في صيداء ومقاطيع عند المرحوم الخوري توما ايوب في حلب

٥١٧ ﴿ طراد ﴾ اسعد بن مخائيل البيروتي الارثوذكسي (١٨٣٥–١٨٩١) خلَّف قصائد متعدِّدة طُبع قسم منها في ديوان نشرهُ بعد وفاتهِ خليل ابن اخيهِ . وحرَّر في عدَّة جرائد ومجلَّات وطنيَّة ومصريَّة

٥١٨ ﴿ طراد ﴾ الياس بن جرجس بن نقولا (١٨٥١–١٩١٣) نشر ترجمتهُ الاديب جرجي افندي نقولا باز وعدَّد مؤلفاتهِ التي طُبع بعضُها منها سياسيَّة ومنها قانونيَّة وادبيَّة وذكر لهُ من المخطوطات: ١ً قاموساً عربياً . ٢ً قاموساً آخر في اربع لغات عربي تركي فرنساوي انكليزي . ٣ً نظم لرجوزتين في الفرائض والجزاء وفي اللغة العربيَّة . ٤ً عدَّة روايات تمثيليَّة ومحاورات في الآداب والاخلاق والعادات . ٥ً مقالات ادبيَّة واجتماعيَّة وقصائد وتواريخ شعريَّة نشرها مؤلف ترجمتهِ في كتابهِ في نحو ٢٠٠ صفحة

٥١٩ ﴿طراد﴾ بطرس شاهين . ألَّف سنة ١٨١٧ تاريخ حرب فرنسة وممالك اوربَّة على عهد نابوليون الاوَّل وهو لا يزال مخطوطاً (عن كتاب جرجس نقولا باز)

٥٢٠ ﴿طراد﴾ جرجي اسحاق (١٨٥١–١٨٧٧) . اطلب ترجمتهُ في كتابنا الاداب العربية في القرن التاسع عشر (٢ : ٥١–٥٢) . لهُ ديوان مخطوط ذكرنا منهُ بعض مقاطيعه . ولهُ في جرائد زمانهِ كالجوانب والنحلة فصول حسنة

٥٢١ ﴿طراد﴾ سليم بولس المتوفَّى في اواخر القرن السابق . شارك المرحوم سليم شحاده في تأليف كتاب آثار الادهار وانشأ مجلَّة ديوان الفكاهة

٥٢٢ ﴿ طراد ﴾ المقدسي عبدالله ابن المقدسي مخائيل كان في اواسط القرن التاسع عشر . ١ً ألَّف سنة ١٨٢٤ تاريخ اساقفة بيروت من السنة ١٥٢٢ الى زمانهِ . منهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقية مع اضافات عديدة وفي خزانة البطركخانة

الاورثذكسيَّة في دمشق وعند الارشندريت مكاريوس صوايا. نُشر بتصرُّف في مصر في آخر تاريخ الخوري مخائيل بريك . ٢ً كتاب ادبيَّات فلاسفة اليونان عند اقاربه

٥٢٣ ﴿طراد﴾ مخائيل توما . عاش في اواسط الجيل الثامن عشر . ذُكر لهُ في كتاب الياس جرجس طراد اناشيد دينيَّة يبلغ عددها ١٢٠ ترنيمة

٥٢٤ ﴿طراد﴾ موسى نسيم (١٨٨٤–١٩١٠) . لهُ مقالات ورسائل وتعريبات ومنظومات . نُشر قسمٌ منها

٥٢٥ ﴿طراد﴾ نجيب ابرهيم (١٨٥٩–١٩١١) . اشتهر بما نشرهُ من الكتب التاريخيَّة كتاريخ مكدونيا وتاريخ الرومانيين في عهد الجمهوريَّة وتاريخ الدولة الرومانيَّة الشرقيَّة ومختصر تاريخ الفلسفة (في مجلَّة الصفا) . ومن المخطوطات الباقية بعدهُ تاريخ سلاطين رومية وكتاب في الحضارة والقانون وبعض الروايات

٥٢٦ ﴿ طوخي ﴾ السيد رفائيل اسقف ارسينوة القبطي وتلميذ مدرسة انتشار الايمان في القرن الثامن عشر . طبع في رومية بالقبطيَّة والعربيَّة كتاب القداس سنة ١٧٣٦ ثم المزامير (١٧٤٤) ثمَّ كتاب الطقوس (١٧٦١) ثمَّ الثاوطوكيَّات (١٧٦٣) ونشر فيها بالعربيَّة الاسفار المقدَّسة ١٧٥٢ ثمَّ التعليم المسيحي (١٧٧٠) . ولهُ من المخطوطات : ١ً تعريب اعمال مار لارن الكبير . في مكتبة انتشار الايمان في رومية . ٢ً ولهُ فيها ترجمة سيرة القديسين انطونيوس وكيرلس . ٣ً وفيها ايضاً ترجمتهُ للسنكسار الروماني مع اسماء اصحاب البطريركيَّات الخمس . ٤ً ولهُ فيها من تأليفهِ كتاب في العلم الالهي من الفلسفة . ٥ً وكذلك لهُ هناك تعريب بعض اعمال القديس ارغسطينوس . ولعلَّه هو معرِّب شروح القديس ارغسطينوس على الكتاب المقدَّس من مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة . ٦ً ولهُ في مكتبة دير الشرفة تعريب بعض اعمال المجامع . ٧ً وفي دير الشوير تعريبهُ لاعمال المجمع القسطنطيني سنة ٧٥٧ استخرجهُ من اللاتينيَّة سنة ١٧٦٧ . ٨ً ولهُ في مكتبتي دير الشير والشرفة تعريب تفسير القديس غريغوريوس نيصص على سفر الجامعة عرَّبهُ من اللاتينيَّة سنة ١٧٦٣ . ٩ً وفي دير الشرفة تعريبهُ لشرح القديس المذكور على الصلاة الربيَّة وتطويبات الانجيل (سنة ١٧٦٤) . ١٠ً وفيهِ ايضاً تعريبهُ عن اللاتينيَّة اخبار الاراطقة والهرتقات . وهو كتاب ضخم مؤلفهُ البادري باتزارنست (؟) من رهبان

القديس دومنيكوس

٥٢٧ ﴿ طيموثاوس الاوّل ﴾ الجاثليق النسطوري المعروف بالكبير (٧٨٠–٨٢٣) لهُ في الكلدانيَّة تآليف جليلة متعدّدة . امّا بالعربيَّة فلهُ : ١ً المحاورة الدينيَّة التي جرت بينهُ وبين الخليفة المهدي فعرض عليهِ الخليفة ٢٧ سؤالًا عن النصرانيَّة فاجابهُ عليها . وهذه المحاورة قد نشرناها في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٣٥٩و٤٠٨) ثمَّ طُبعت على حدة . منها في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان الواحدة قديمة . وفي مكتبة حضرة الخوري قسطنطين الباشا . ولدى الارشيمندريت الياس بطارخ وفي مكتبة الروم في القدس الشريف . وفي مكتبة باريس منها نسختان (Paris, Ms 82⁴, Suppl. 104) . ٢ً ولطيموثاوس الجاثليق في مكتبة الكلدان في ماردين مجموع السينودسات القديمة وقوانينها وقصصها مع رسالات البطاركة الفصيحة من الجيل الرابع حتى القرن التاسع

﴿ طيموثاوس ﴾ اسقف آمد . اطلب « اسحاق بن جبير »

٥٢٨ ﴿ طيموثاوس ﴾ اسقف ماردين السرياني المعروف بكرنوك حَبلي بن ضعفي الديار بكري (Thimotheus Agnellus) المتوفى سنة ١٧٢٤ اطلب ترجمتهُ في السلاسل التاريخيَّة في اساقفة الابرشيَّات السريانيَّة للفيكنت فيليب دي طرّازي (ص ٣٠–٣٢) . لهُ زهور مناجاة الحبيب ونصائح القريب الذي طُبع في بادوا بالعربيَّة والايطاليَّة سنة ١٧٥٨ . وكتاب مختصر الكمال المسيحيّ طُبع فيها ايضاً سنة ١٦٨٨ . وكتاب مدائح وتسابيح تقويَّة في العربيَّة والايطاليَّة (١٦٩٣) (*Cfr*. Schnurrer, n° 262)

حرف الطاء

٥٢٩ ﴿ ظاهر خيرالله ﴾ صليبا الشويري المتوفّى في بيروت في ٢٨ ايلول ١٩١٦ (اطلب المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٤٤٥) . ذكرنا هناك مطبوعاتهِ الجليلة اللغويَّة والادبيَّة والحسابيَّة . وابقى كثيراً من المخطوطات الدينيَّة واللغويَّة . منها كتابهُ الذي ردّ فيهِ على البروتستانت « تحقيق المقال في انَّ الخلاص بالايمان والاعمال » الذي نشرهُ ابنهُ الاديب امين افندي بعد الحرب . ولهُ كتاب آخر لا يزال محفوظاً اثبت فيهِ بتوليَّة القديس يوسف ردًّا على ما كتبهُ السيد روفائيل الهواويني في مجلَّة الكلمة . ومن

تآليفه المشعة وميض اللال في اللغة والاستعمال

حرف العين

٥٣٠ ﴿العازار﴾ القس اوغسطين الماروني الحلبي المتوفى في ١٥ شباط ١٨٨٩. ألف كتاباً في الفلسفة عنوانهُ خلاصة المعرفة في اخص قضايا الفلسفة. طُبع سنة ١٨٨٦. وشارك اخاهُ القس بولس في تأليف كتابهِ «الادلة النظرية في وحدة النفس البشرية» ولهُ ديوان شعر لم يبقَ منهُ الا القليل

٥٣١ ﴿العازار﴾ الشيخ راجي الاميوني الارثوذكسي من عمال حكومة لبنان ترك ديواناً رقيقاً لم يُنشر بالطبع

٥٣٢ ﴿العاصي﴾ الخوري يوحنا رعد الماروني الغزيري المتوفى في ١٣ ايلول سنة ١٩٠٠ (اطلب ترجمتهُ في كتابنا الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢: ١٠٣—١٠٥). لهُ لدى اقاربهِ ديوان شعر متين لم يُطبع حتى الآن روينا منهُ بعض مقاطيع وكذلك اناشيدهُ الروحية تشهد لهُ بجودة النظم والتقى

٥٣٣ ﴿العاقوري﴾ هو القس نصرالله ثم صار مطراناً على صيداء ثم بطريركاً باسم يوسف بن بطرس حليب من تلامذة المدرسة المارونية في رومية المتوفى في ٣ ت٢ ١٦٤٨ لهُ: ١ً بين مخطوطات البروبغندا (n° 24) غراماطيق عربي لاتيني باسم القس نصرالله العاقوري. ٢ً وفي مكتبة باريس غراماطيق سرياني عربي كرشوني (Paris, syr n° 267) صنفه سنة ١٦٢٨. وقد طُبع هذا الكتاب في رومية سنة ١٦٤٧. ٣ً وللبطريرك يوسف العاقوري زجليات وقصائد عامية. في مكتبتنا الشرقية البعض منها كزجلية القديسة مارينا ومديح مار يعقوب المقطع وغيرهما. ٤ً وله في مكتبة الموارنة في حلب مواعظ نسخها سنة ١٦٥٧ القس جرجس افرام البساني

٥٣٤ ﴿عبده﴾ السيد امبروسيوس مطران زحلة الرومي الملكي الكاثوليكي المتوفى سنة ١٨٧٥. بين مخطوطات مكتبتنا الشرقية نسخة من كتابهِ عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن طُبع سنة ١٨٥٩. وقد طُبع له ايضاً كتاب كنز الرياضة الروحية سنة ١٨٧٤

٥٣٥ ﴿ عبد الاحد الاورلياني ﴾ الراهب الفرنسيسي رئيس القدس لم نتحقق زمانه . له في حلب في مكتبة الموارنة (ع ١٦٤) كتاب شرح طلبة العذراء .

٥٣٦ ﴿ عبدالله بن الفضل ﴾ هو الشماس ابو الفتح عبدالله بن الفضل بن عبدالله الطرابلسي الانطاكي المتوفى نحو سنة ١٠٥٢م اطلب ترجمتهُ في المشرق (٩[١٩٠٦]: ٨٨٦ و٩٤٤) . لهُ تآليف متعددة لم يُنشر منها بالطبع الّا القليل . له : ١ً تعريب اسفار الكتاب المقدّس مع شروح عليها في العهدين العتيق والحديث . منهُ اقسام متفرّقة في مكاتب رومية وباريس وحلب وفي مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة البلمند والشوير ولاسيما الاناجيل والمزامير . وقد وجدنا لهُ في حلب عند المسيو بوخه كتاب اعمال الرسل مع تفاسير تاريخهُ سنة ٧٠٨٢ (١٥٧٤ م) وفي مكتبة البلمند شرح الرسائل (اطلب وصف ترجمة التوراة لابن الفضل في المشرق ٨ [١٩٠٦] : ٩٤٦) . ٢ً كتاب بهجة المؤمن في اربعة اقسام وفصول عديدة في عقائد النصرانيّة وآدابها وقوانينها . منهُ نسخ عديدة في رومية (Vatic., n° 641) وفي اوكسفرد (Nicoll, n° 22) . وفي مكتبة الروم الملكيين في حلب . وفي مكتبة لندن (Ellis, n° 164) . ٣ً كتاب الروضة في ٩١ باباً في مواضيع دينيّة وحكم واقوال مقتطفة من الكتب المقدّسة والآباء . منهُ نسخ شتى في مكتبة دير المخلّص ومكتبة دير الشرفة وفي دير البلمند . وفي مكتبتنا منهُ نسختان تاريخ الواحدة سنة ١٢٨١ م (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٧١٤) . ٤ً كتاب المنفعة الصغير في ١٤ باباً في التوحيد والتثليث . منهُ ايضاً نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٥ً كتاب المنفعة الكبير منهُ ايضاً نسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة سنة ٧١٧١ لآدم (١٦٢٣م) ونسخة في مكتبة الثلثة الاقمار . ٦ً شرح الامانة المستقيمة الّفهُ باليونانيّة ثمّ نقلهُ الى العربيّة وجعلهُ سبعة تعاليم ضمّنها خلاصة الايمان الكاثوليكي منهُ كذلك نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٧ً كتاب المصابيح . يحتوي فصولاً دينيّة ادبيّة في ابحاث متباينة . منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (n° 122) وفي مكتبة بطريركيّة الاورثذكس في دمشق . ٨ً مقالة على النفس وجوهرها وخواصها منهُ نسخة في مكتبة باريس (n° 82) . ٩ً حلّ خمسين مسألة في مشاكل انجيليّة منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ١٠ً مديح القديس نيقولاوس . منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . ١١ً تعريب اعمال

القديس يوحنا فم الذهب: عرّب عظاته ومقالاته على سفر التوراة. منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدّس في القدس (ع ٣٥) تاريخها سنة ٦٧٣٥ للعالم (١٢٢٧م) وفي دير البلمند تاريخها ١٦٤١ وفي دير المخلص. وعرّب ميامرهُ على انجيل مار متّى في مجلّدين. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الروم في دمشق ومكتبة السريان اليعاقبة في القدس. وعرّب كذلك ميامرهُ على انجيل مار يوحنّا منهُ نسخ في المكاتب المذكورة. وقد طُبع هذا التعريب اوّلاً غير كامل في مطبعة الشوير سنة ١٨٣٦ ثم كاملاً قسمٌ في بيروت بحرف دقيق وقسم في دمشق بالحرف الاميركاني. وعرّب ابن الفضل شروح القديس يوحنا فم الذهب على رسالة مار بولس الى العبرانيين. منهُ نسخة في مكتبة باريس (Paris. n° 90) وفي مكتبة الموارنة في حلب وفي مدرسة الثلثة الاقمار في بيروت. ثمّ على رسائل اخرى وعلى اعمال الرسل. ١٢ً تعريب كتاب القديس باسيليوس على الاكسامبرون اي ستّة ايّام الخليقة مع اضافات شتى لابن الفضل. منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ١٢٩) ونسخة في مكتبتنا الشرقيّة. ١٣ً كتاب خلقة الانسان للقديس غريغوريوس اسقف نيصص. تابع لنسخة الاكسامبرون في نسختنا وكتابهُ في شرح نشيد الاناشيد (في مكتبة الارشمندريت الياس بطارخ). ١٤ً تعريب ميامر القديس غريغوريوس النزينزي. منهُ نسخة في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب. ١٥ً وعند الارشمندريت الياس بطارخ مناظرة القديس مكسيموس للبطريرك بيرُس القسطنطينيّ. ومنها نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ١٢٥) ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة. ١٦ً عرّب نسكيّات القديس اسحاق النينوي في ٣٥ باباً. منهُ نسخٌ مختلفة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة القبر المقدّس ومكتبة الموارنة في حلب. ١٧ً عرّب للقديس صفرونيوس بطريرك اورشليم كتابهُ المعنون البرهان في تثبيت الايمان في ٢٧ باباً. منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبتَيْ الدار الاسقفيّة في حلب وبعلبك للروم الكاثوليك. ١٨ً في مكتبة القبر المقدّس (ع ٢٤) مجموع ارشادات وميامر للآباء انطونيوس وارسانيوس واسحاق وفيلوكسينوس. كتبهُ المتوحّد يواكيم اللّدي سنة ٧٠٧٥ للعالم ١٥٦٥ للمسيح. ١٩ً تفسيرهُ لبعض اعمال القديس يوحنّا الدمشقيّ. في مكتبة الفاتيكان (ع ٧٩)

فممّا سبق يظهر للقرّاء فضل هذا الرجل العظيم الذي اغنى لغتنا بهذه التآليف (الأبقيّة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٠ النجاشيّ الحارثي

هو قيس بن عمرو بن مالك بن معاوية بن خديج بن جماس شاعر اليمن من بني الحارث بن كعب النصارى اصحاب نجران واسمهُ النجاشيّ يدلّ على ما كان لوطنهِ من العلاقة مع الحبش الذين ملكوا في اليمن بعد محاربتهم لذي نوّاس اليهودي . عاش دهرًا في الجاهليّة ولمّا فتح المسلمون انحاء اليمن اسلم النجاشي مع من دخل الاسلام لكنّهُ لم يكترث لفرائض دينهِ . قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص١٨٨) : وفي خزانة الادب (٤ : ٣٦٨) «وكان النجاشي فاسقًا رقيق الاسلام» ثمّ روى قصتهُ في رمضان مع سمان بن هبيرة المعروف بابي السنّال قال «وخرج في شهر رمضان على فرس لهُ يريد الكناسة فمرّ بابي سنّال الاسدي فوقف عليهِ فقال : هل لك في رؤوس حُملان في كرش في تنّور من اوّل الليل الى آخره قد أُينعت وتهرّأت . فقال لهُ : ويحك في شهر رمضان تقول هذا . قال : ما شهر رمضان وشوّال الّا واحدًا . قال : فما تسقيني عليها . قال : «شرابًا كأنهُ الورس يطيّب النفس ويجري في العِرق ويكثر الطَّرق ويشدّ العظام ويسيّل الكلام» . فثنى رحلهُ فنزل ودخلا المنزل فأكلا وشربا . فلمّا اخذ فيهما الشراب تناخرا فعلت اصواتهما فسمع ذلك جارٌ لهما فأتى عليّ بن ابي طالب رضي فاخبرهُ فبعث في طلبهما . فامّا ابو السنّال فشقّ الحصّ ونفذ الى جيرانهِ فهرب وأُخذ النجاشيّ فأُتيَ بهِ عليّ بن ابي طالب فقال لهُ : ويحك ولدانُنا صيام وانت مُفطر . فضربهُ ثمانين سوطًا وزادهُ عشرين سوطًا فقال : ما هذه العلاوة يا ابا الحسن . قال : هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان . ثمّ وقفهُ للناس في تبّانه ليروهُ فهجا اهل الكوفة قائلًا (من البسيط) :

اذا سَقَى اللهُ قوماً صَوْبَ غاديةٍ فلا سقى الله اهلَ الكوفةِ المَطرا
السارقين اذا ما جنَّ ليلهمُ والطالبين اذا ما أَصبحوا السُّوَرا
أَلقِ العداوةَ والبغضاء بينهمُ حتى يكونوا لمن عاداهم جَزَرا

ومما يدلُّ على ضعف اسلامه قولهُ يهجو قريشاً ولقَّبها بسَخينة وهو طعام رقيق من دقيق وسَمْن كان القرشيّون يكثرون من أكلهِ (من الطويل) :

انَّ قُرَيشاً والإقامةَ كالذي وَفَى طَرفاهُ بعد ان كان أَجدعا (١
وحُقَّ لمن كانت سَخينةُ قومَهُ اذا ذُكر الاقوامُ ان يتقنَّعا(٢

وقال يهجوهم ايضاً (من الطويل) :

سَخينةُ حيٌّ يعرفُ الناسُ لُؤمَها قديماً ولم تُعرَفْ بمجدٍ ولا كَرَمْ
فيا ضَيْعَةَ الدنيا وضيعةَ اهلها اذا وُلِّي المُلكَ التنابلةُ القُزُمْ
وعيدي بهم في الناس ناسٌ وما لهم من الحظِّ الّا رِعْيةُ الشاء والنَعَمْ

وهجا كذلك تميم بن أُبيّ بن مقبل وحيَّ بني العَجْلان (ابن قتيبة ص ١٨٨ وخزانة الادب ١ : ١١٢) فقال (من الطويل) :

اذا اللهُ عادى اهلَ لُؤمٍ ورِقَّةٍ فعادى بني العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ(٣
قُبَيلةٌ (٤ لا يَغدرون بذِمَّةٍ ولا يظلمونَ الناسَ حَبَّةَ خردلِ
ولا يَردونَ الماءَ الّا عشيَّةً اذا صدر الوُرّادُ عن كل منهلِ
تَعافُ الكلابُ الضاريات لُحومَهم وتأكل من كعبٍ وعوفٍ ونَهْشَلِ(٥

١) وبروى : والامانة . . وفى طرفيه . وبروى : وفى طرفاهُ ٢) وبروى : يتقنَّعا
٣) وبروى : اذا الله جازى . . فجازى ٤) وبروى : قبيلةُ ٥) وبروى : وياكلن من كعب بن عوفٍ

وما سُمّي العَجْلانَ الّا لقيلهم (١ خُذِ القَعْبَ واحلب ايها العبدُ واعجُلِ
اولئك اخوانُ اللعين واسوةُ المهـــجين ورهـطُ الواهنِ المتذلّلِ

وكان بنو العجلان يفتخرون باسمهم لُقّب بهِ جدُّهم عبدالله بن كعب لتعجيله القرى لضيوفهِ فلمّا قال النجاشيّ شعرهُ رغبوا عنـهُ واستَعْدَوا على النجاشيّ عمر بن الخطاب فحبسَهُ وقيل جلَدَهُ

ومن هجائه قولهُ يهجو الانصار وقومهم الخزارجة من بني النجّار (من الطويل) :

لَسْتم بني النجّار أكفاء مثلنا فـأبعدكُم منّا هنـاك بأبعَـدِ
فان شئتمُ نافرتُكُمْ عن ابيكمُ الى من أردتم من تِهـامٍ ومُنجدِ

فالتجأ بنو النجّار الى حسّان بن ثابت ليردّ عليهِ فقعل وهجا بني الحماس رهط النجاشي وبني الحارث بن كعب فاهتمّ للامر عبدالله بن مدان الحارثي فأتى بالنجاشيّ الى حسّان فاعتذر اليه . ومن اقوال النجاشي في بني عبد المدان يمدحهم قولـهُ (من الوافر) :

وقد كُنّا نقولُ اذا رأينـا لذي جسمٍ يُعَدُّ وذي بيانِ
كأنّك ايّهـا المُعْطَى بيـاناً وجسماً من بني عبدالمدانِ

وكان النجاشي يتشيّع ومن قولهِ في يوم صفّين كتب بهِ الى معـاوية (ابن قتيبة ص٨٩ العقد الفريد لابن عبد ربهِ ٢ : ٢٩٤ وخزانة الادب ٤ : ٣٦٨ وحماسة البحتري (ص ٢٣٣) قال (من البسيط) :

يا ايّها الملكُ المُبدي عداوتَـهُ انظُرْ لنفسك (٢ ايَّ الامر تـأتمرُ
وما شعرتُ بما أضمرتَ من حَنَقٍ حتّى أتتني بهِ الاخبارُ (٣ والنُذُرُ
فإن تَقِسْتَ على الأقوام مجدَهمُ فابسُطْ يديك فان المجدَ يُبتَدَرُ (٤

١) ويروى : لقولهِ
٢) ويروى : رُمْ لنفسك ٣) ويروى : الانباء ٤) ويروى : فانّ الخير مبتدرُ

واعلم بأنَّ عليَّ الخيرِ من نَفَرٍ(١ ثُمَّ العَرانينِ لا يعلوهمُ بَشَرُ
نِعْمَ الفتى انت(٢ إلّا أنَّ بينكما كما تفاضلَ ضوءُ الشمسِ والقمرُ(٣
وما إخالُكَ إلّا لستَ مُنتهياً حتّى يَمَسَّك من اظفارهِ ظُفْرُ (٤
إنّي امرؤٌ قلَّما أُثني على أحدٍ حتى أُبيّنَ ما يأتي وما يذَرُ (٥
لا تحمدنَّ امرءاً حتى تجرّبهُ ولا تذمَّنَّ مَنْ لم يَبْلُهُ الخبرُ (٦

ومنها في حماسة البحتري (ص ١٩) :

امشي الضَّرّاءَ لأقوامٍ أُحاربُهم حتّى اذا ظهرتْ لي منهمُ القُمَرُ
جمعتُ ضَبْرًا جراميزي بداهيةٍ مثلَ المنيّةِ لا تُبقي ولا تَذَرُ

وقال ايضاً يهجو معاوية ودعاهُ بابن حرب (مجموعة المعاني ص٤٤ حماسة البحتري ٥٤ والاغاني١٢ : ٧٣و٧٦) ويذكر يوم صفّين (من الطويل) :

فمن يَرَ خيلَيْنا غَداةَ تلاقيا يَقُلْ جَبَلا الغوريِّ ينتطحانِ
ففرَّت ثقيفٌ فرَّقَ اللهُ جمعَها الى جبلِ الزيتونِ والقطرانِ
كأنّي اراهم يطرحونَ ثيابهم من الرَّوعِ والخيلانِ تطّردانِ
فيا حزنَاً أنْ لا اكونَ شهدتُهمْ فأدهُنَ من شحم اللئامِ سِناني
وأمّا بنو نصرٍ ففرَّ شريدُهمْ الى الصَّلَتانِ الجَون والعَلَجانِ
وفرَّت تميمٌ سَعْدَها ورَبابَها الى مَنْبَتِ التُّوم والشُّبْهانِ

١) ويروى : من بشر ٢) ويروى : هو ٣) ويروى : نور الشمس
٤) ويروى : وما انتك . . حتى ينالك من اظفارهم ٥ ويروى : حتى ارى بعض ما ٦) ويروى : لا تمدحنَّ

وصدّت بنو وَدٍّ صدودًا عن القنا الى آبلٍ في ذلّةٍ وهوانِ (١
ونجّى ابنَ حربٍ سابحٌ ذو علالةٍ أجشُّ هزيمٌ والرماحُ دواني
من الأعوجيّاتِ الطوال كأنهُ على شرف التقريبِ شاهُ إرانِ
شديدٌ على فأسِ اللجام شكيمهُ يفرّجُ عنهُ الرَّبْوَ بالعسلانِ
سليمُ الشظا عبلُ الشوا شنجُ النسا اقبُ الحشا مستطلعُ الزفيانِ (٢
كأنّ عُقاباً كاسراً تحتَ سرجهِ يحاول قُرب الوكر بالطيرانِ
اذا قُلتُ اطرافُ العوالي (٣ يَنلنهُ مرتهُ بهِ الساقان والقدمانِ
اذا ابتلّ بالماء الحميم رأيتهُ كقادمةِ (٤ الشؤبوبِ ذي الهطلانِ
كأنّ جنابَي سرجهِ واجامهِ من الماء ثوبا مائحٍ خضلانِ
من الوُرْدِ او أخرى كأنّ سراتهُ بُعيدَ جلاءٍ ضُرّجتْ بدهانِ
جزاهُ بنعمى كان قدّمها لهُ بما كان قبلَ الحرب غيرَ مُهانِ

ومنها بيتان في خزانة الادب(١ : ٤٠٠)يعرّض باختلاف الازد في قبائلهم قال :

وكنتُ كذي رجلَين رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ بها رَيبٌ من الحدَثانِ
فأمّا التي صحّت فأزدُ شنوءةٍ وأمّا التي شُلّتْ فأزدُ عُمانِ

ومنها ما رواهُ المسعودي في مروج الذهب(٤ : ٣٧٨) ذاكرًا لرفع معاوية وحزبهِ المصاحف في ساعة الحرب يوم صفّين :

فأصبحَ اهلُ الشام قد رفعوا القنا عليها كتابُ الله خيرُ قُرانِ

١) رواهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٥٦) قال اراد آبل الزيت بالاردنّ من مشارف الشام ٢) ويروى في الاغاني :آكيد النفى باقٍ على النسلان ٣) ويروى: اذا خلتُ اطراف الرماح ٤) ويروى: اذا بلّ ليتيهِ . . كقاذفة

ونادوا عليها يا ابنَ عمّ محمّدٍ أما تتّقي أنْ يهلكَ الثقلانِ

والى ذلكَ يشير النجاشيّ في ابياتٍ رواها في حماسة البحتري (ص ٤٣) :

أبلغ شهاباً اخا خولانَ مألكةً(١ أنّ الكتائبَ لا يُهزَمنَ بالكُتُبِ
تُهدي الوعيدَ برأسِ السَّرْوِ مُتّكئاً(٢ فان اردتَ مصاعَ القومِ فاقتربِ
وان تَنِبْ في جُمادى عن وقائعنا فسوف نلقاكَ في شعبانَ اورجبِ

وروى لهُ المسعودي (طبعة مصر ٢ : ٣٧) رثاء الحسن بن عليّ لمّا سمّتهُ جعدة بنت الاشعث (من السريع) :

جَعْدَةُ بكّيهِ ولا تسأمي بعد بُكاء المُعولِ الثاكلِ
لم يَسِلِ السمُّ الى مثلهِ (٣ في الارضِ من حافٍ ولا ناعلِ
كان اذا شبَّت لهُ نارهُ يرفعُها بالنَّدِ الغائلِ
كيما يراها بائتٌ مُرملٌ وفردُ قومٍ ليس بالآهلِ
يُغلي بنَيءِ اللحم حتى اذا انضجهُ لم يغلِ للآكلِ (٤
اعني الذي أسلمَنا هُلكُهُ للزمن المستخرج الماحلِ

وروى لهُ المبرّد في الكامل (ص ١٨٧) يخاطب معاوية ويمدح عليّاً (من المتقارب) :

دَعاً(٥ يامُعاويَ ما لن يكونا فقد حقّق الله ما تحذرونا
أتاكم عليٌّ باهلِ العراقِ واهل الحجاز فما تصنعونا

ومن شعرهِ قولهُ يخاطب قومهُ اليمنيّين لمّا اراد معاوية ان يغزو اليمن في البحر

---

١) روى في الحماسة البصريّة : ابلغ شهاباً وخيرُ القول اصدقهُ ٢) وروى فيها : باعلى الدمل (؟) من اضمٍ ٣) ويروى : لم يُسبَل السترُ على مثلهِ ٤) جاء في الاصل «لم ينل كل آكلٍ» والبيت مكسور ٥) دعاً مثل «دَعَنْ»

وقيساً في البرّ (خزانة الادب ١ : ٤٦٧) (طويل) :

أَلا أيُّها الناسَ الذين تجمَّعوا بفكّاً أناسٌ انتمُ ام أباعِرُ
أيَترُكُ قيساً آمنينَ بدارهم وتركبُ ظهرُ البحر والبحرُ زاخرُ
فوالله ما ادري واني لسائلٌ أهمدانُ تحمي ضيمها ام يُخابرُ
ام الشرفُ الاعلى من أولادِ حميرٍ بنو مالكٍ ان تستمرّ المراثرُ
أأوصى ابوهم بينهم أن تَوَاصَلُوا واوصى ابوكم بينكم ان تَدَابَروا

فرجع القوم جميعاً من وجههم فبلغ ذلك معاوية فسكّن منهم وقال : انا أغزيكم في البحر لانهُ ارفقُ من الخيل واقلُّ مؤونةً

وروى لهُ البحتري (ص ٦١) في إخلاف الوعد (من الطويل) :

متى نَلقَكم عاماً يَكُنْ عامَ عِلّةٍ ويَنظُرْ بنا عامٌ من الدهر مُقبلُ
فوالله ما ندري أما عندكم لنا يُريثُ على الموعودِ ام نحنُ نُعجِلُ

وروى لهُ ايضاً في التشبُّه بالاجداد (ص ٢٢١) قولهُ (من الطويل) :

وما فيَّ من خيرٍ وشرٍّ فانّها سجيّةُ آبائي وفعلُ جدودي
هم القومُ فَرْعِي منهمُ متفرّعٌ وعُودهُمُ عند الحوادثِ عُودي

وروى لهُ الجاحظ يذكر فضل قحطان على عدنان (من الطويل) :

ايا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلِّغَنْ بني عامرٍ مني لذاك ابنِ صَعصعِ
ثبتم ثبات الحيزرانيّ في الوغى(١ حديثاً متى ما يأتِكَ الخبرُ يَنفعِ

ومن ظريف ما رُوي للنجاشيّ في خزانة الادب (٤ : ٣٦٧) قولهُ في التقائه بالذئب (من الطويل) :

١) ويروى : نبتم نبات الحيزراني في الثرى

وماء كلون الغسل قد عاد آجناً قليلٌ بهِ الاصواتُ في بلدٍ مَحلِ
وجدتُ عليهِ الذئبَ يعوي كأنهُ خليعٌ خلا من كلّ مالٍ ومن اهلِ
فقلتُ لهُ يا ذئبُ هل لك في فتًى يؤاسي بلا مَنٍّ عليك ولا بُخلِ
فقال هداك الله للرُّشد انما دعوتَ لِما لم يأتِهِ سَبُعٌ قبلي
فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعُهُ ولاكِ اسقِني ان كان ماؤكَ ذا فضلِ
فقلتُ عليك الحوضَ اني تركتُهُ وفي صفوهِ فضلُ القلوصِ من السِّجلِ (١
فطرَّبَ يستدعي ذئاباً كثيرةً وعدَّبتُ كلٌّ من هواهُ على شغلِ

وروى البحتري (ص٢٢١) منها بيتاً في الانتساء بالأجداد :

خلائقُ فينا من ابينا وجدّنا كذلك طيبُ الفرعِ ينمي على الاصلِ

وذكر لهُ الطبري (١ : ٢٦٨٤) بيتين في الربعي بن عامر وكان استخلفهُ الاحنف ابن قيس على طخارستان سنة ٢٢ هـ (٦٤٤م) قال وقد نسبهُ الى امهِ وكانت من اشراف العرب (من الطويل) :

ألا ربَّ من يدعى الفتى ليس بالفتى ألا انَّ ربعيَّ ابنَ كأسٍ هو الفتى
طويلُ قعودِ القومِ في قَعرِ بيتهِ اذا شبعوا من ثُفلِ جفنتهِ سقّى (٢

وفي معجم البلدان (١ : ١٠٥) روى لهُ قولهُ (من الطويل) :

ألجَّ فؤادي اليوم فيما تذكَّرا وشطَّت نوى مَن حلَّ جوًّا ومَحضَرا
من الحيِّ ان كانوا هناك واذ ترى لكَ العينُ فيهم مترادًا ومنظَرا
وما القلبُ الّا ذكرهُ حارثيَّةً خوارنيَّةً يحيي لها اهلُ أبهرا

١) ولاكِ هنا مثل ولكن ٢) ويروى : من بقل جفنتهِ ومن بِلّ جفنتهِ . ويروى : شفى

قال : أبهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل واخبر المبرّد (ص٧٦٨) ان رجلًا وقف على قبر النجاشي فترحّم وقال: «لولا ان القول لا يُحيط بما فيك والوصف يقصرُ دونك لأطنبتُ بل لأسهبتُ». ثم عقر ناقتهُ على قبره وقال (من الطويل) :

عقرتُ على قبر النجاشيّ ناقتي بأبيضَ عضبٍ اخلصتهُ صياقلُهْ
على قبر من لو انني متُّ قبلَهُ لماتت عليهِ عند قبري رواحلُهْ

وقال خديج بن عمرو اخو النجاشي يرثيهِ (معجم البلدان ٤ : ٣٥٢) :

من كان يبكي هالكاً فعلى فتًى ثوى بلوى لَحجٍ وآبَتْ رواحلُهْ
فتًى لا يُطيع الزاجرين عن الندى وترجع بالعصيان عنهُ عواذلُهْ

قال ياقوت : « لَحج مخلاف في اليمن» (لهُ صلة)

لبنان الكبير وسورية

الانتداب والاستقلال

بقلم الشيخ الاديب المحقق سليم الدحداح

كانت الدول تُقسَم في عُرف كتبة الحقوق الدوليّة الى ثلاثة انواع : مستقلّة ومحميّة وتابعة

فالمستقلّة (Etats souverains) هي ذات التصرُّف التامّ في ادارتها الداخليّة والخارجيّة . وعلاقاتُها مع غيرها من الدول مبنية على اساس المساواة كفرنسة وانكلترّة

والدول المحميّة (Etats protégés) اي الموضوعة تحت حماية غيرها هي المستقلّة اداريًا في الداخل والخارج انّما لقاء الحماية التي طلبتها او التزمت بقبولها من دولة اقوى

منها — يلزمها التنازل لها عن بعض امور تتعلق باستقلالها سواء كان في الداخل ام في الخارج كتونس ومراكش . . . .

أما الدول التابعة (Etats vassaux) فالمنوطة بغيرها في شؤونها على موجب حقوق الدولة المتبوعة . ولا يهمنا امرها في هذه العجالة . وقد نشأ عن هذه الحرب العظمى طريقة جديدة دعاها السياسيون باسم الانتداب (Pays à-mandat) —

يصعب — حتى على الذين اخترعوا هذه الكلمة — تحديدها تماماً . فقد قالوا ان بعض الشعوب التي انسلخت عن الدولة العثمانية قد بلغوا درجة كافية من الرقي والتمدن تخولهم الحق بالاستقلال لكن قد وُجد مناسباً ان يكونوا تحت وصاية دولة (Etat mandataire) ذات اختبار ومعرفة ترشدهم وتسير بهم الى ان يصبحوا قادرين على ادارة امورهم دون مساعدة غيرهم

وقد اجتهد السياسيون بتحديد طريقة المساعدة هذه . لكنّ ما يسهل ايرادهُ نظرياً كثيراً ما يمتاص اجراؤهُ عملاً

ومن المعلوم انّ الشعوب التي استقلّت عن الدولة العثمانية سكّانُ بلاد العراق وسورية ولبنان . فانتخبت جمعية الامم دولة بريطانية العظمى للانتداب في العراق وفرنسة في لبنان . وأما سورية فقد شاءت السياسة ان تُقطّع اوصالها فاخذت الشطرَ الجنوبيَّ الساحلي واعدّتهُ ليكون موطناً قومياً لليهود . والشطر الجنوبي الداخلي شُكّلت منه امارةٌ اسندت مقاليدها لاحد ابناء الشريف حسين ملك الحجاز وكلاهما تحت الانتداب البريطاني . والقسم الشمالي وضعته تحت الانتداب الفرنسوي وهو وحده بقي حافظاً اسم سورية

ها قد مضى اربع سنوات ونصف على دخول جيوش الحلفاء هذه البلاد وانقاذها من مخالب الاتراك . وقد اخذ البريطانيون في جهاتهم والافرنسيون في سورية ولبنان يسعون للوصول الى ايجاد حالة تنظيمية موافقة لروح البلاد . ونحن الآن نقصر نظرنا الى الانتداب الفرنسوي . وبالاخصّ الى حالة لبنان الكبير

الانتداب الفرنسوي في لبنان

قد بحث الخطباء والصحافيون والمؤرخون في هذه السنوات الاربع في حالة

لبنان ويطالب كثيرون منهم بالاستقلال التامّ وينتقدون ما وضع من القوانين الاساسية حتى الآن. امّا انا فانني — وان كنت على اتفاق معهم من حيث المبدأ — أرى انهم قد تطرّفوا او استسلموا الى الهوس في المطالبة به حاضراً

جميلٌ هو الاستقلال ويلذّ للانسان ان يتغنّى به ويطالب به . لكنهُ لا يتمُّ الّا بشروطٍ لا اجدها متوفرةً عندنا . ومن العجب العجاب ان طالبي الاستقلال التامّ يبنون اوّلاً مدّعاهم على حقوق تاريخيّة وثانياً على اهليّة البلاد الحاضرة للتمتّع بالاستقلال المذكور . وكلاهما باطل كما سترى

١ً ليس للبنانيين حقّ تاريخي للمطالبة بالاستقلال

انّ الحق التاريخي لا يخوّلنا الاستقلال التامّ. كلّ يعلم ان اراضي الدولة العثمانية قبل السلطان عبد العزيز وبالاخص قبل السلطان عبدالمجيد (١٨٣٩—١٨٦١) كانت تُقسم جميعها الى ايالات فتحتوي كل ايالة على اقسام او باشاويات عديدة تُعطى كلّها او كلٌّ واحدةٍ منها على سبيل الالتزام او الضمان لوزير تركي او لمتنفّذ محلّي . وكثيراً ما كان هذا الملتزم يبقى فيها حياتهُ كلها واحياناً يتركها لابنهِ بعدهُ

ومن حسن حظ لبنان ان قسماً من اهاليهِ عاونوا الاتراك وحلفاءهم سنة ١٨٤٠ على محاربة ابرهيم باشا والمصريين وطَرْدِهم من سورية فوعدهم الاميرال الانكليزي والسرعسكر العثماني بان الدولة تُبقي للبنان شكل حكومته وعوائدهُ السابقة . وأخذت الدول الاوربية من ذلك الوقت تمنع الدولة العثمانية من التداخل في شؤون لبنان الداخلية والتسيطُر عليه رأساً كما عملت في سائر الولايات والتي شكّلتها على نسق اداري جديد

والذي يطالع تاريخ الطائفة المارونية للبطريرك اسطفان الدويهي وتاريخ الامير حيدر شهاب واخبار الاعيان للمرحوم طنوس الشدياق يتحقّق جيداً انه لم يكن للبنان ميزة خاصة سوى في بعض شؤون داخلية بحتة

فلمّا وقعت حوادث سنة ١٨٦٠ شاءت فرنسة في مدّة وجود عساكرها في لبنان من ١٥ آب من السنة الى حزيران ١٨٦١ ان تجعل الحكومة التي قررها مفوّضو الدول للبنان وراثيّةً في اسرة الامراء الشهابيين ورشّحت لذلك المرحوم الامير مجيد

قاسم شهاب حفيد الامير بشير الثاني الكبير . لكنّ فؤاد باشا اكتسب بدسائسه وكيلَ قائمقامية النصارى يوسف بك كرم واقنعه بان الدولة ستكافيه على خدماته وتعينهُ حاكماً على لبنان ان تمكّن من تقدمة عرائض ضدّ ترشيح الامير مجيد . وهكذا كان فان يوسف بك بنفوذ وظيفته ومساعدة بعض رجال الاكليروس الذين كانوا غير راضين برجوع الشهابيين استحضر لفؤاد باشا عريضةً عليها الوف من التواقيع احتجاجاً على تعيين الامير مجيد ففازت الدولة العثمانية برغوبها وأمّا يوسف بك فلم يكسب سوى تعيين داود باشا متصرفاً على لبنان فكانت خيبته هذه السبب لكلّ ما جرى لهُ بعدئذٍ .

فالدول اذاً هي التي ثبتت لنا استقلالنا الاداري الداخلي اول مرة سنة ١٨٤٠ وثاني مرة ١٨٤٢ حينما ساعدتنا على احتجاجنا ضد تعيين عمر باشا وثالث مرّة حين اجبرت الدولة العثمانية سنة ١٨٦٠ على قبول تشكيل متصرفيّةٍ وضعَ قناصلها نظام دستورها

٢ لا استعداد في لبنان حاضراً للتمتّع بالاستقلال التامّ .

هذا من الوجه التاريخيّ . أمّا من وجه استعداد اللبنانيين للاستقلال التام فاقول : ان الحق الذي ليس وراءهُ قوّة تسندهُ وتعضدهُ يبيت غالباً في حكم العدم . قضى آخر امبراطور الماني من اسرة هَبسبرج وكان اسمهُ شارل السادس ثلاثين سنة وهو يسترضي جيرانه من الملوك ورؤساء الحكومات ليصدّقوا على صكّ حرّرهُ ليترك بموجبهِ مملكته بعد وفاتهِ الى ابنتهِ ماري تريزة الشهيرة . فقال خصمُها فردريك الثاني ملك بروسية : ان وجود مائتي الف جندي تامي العُدّة لأفضلُ من كل هذه العهود والتواقيع ! . . . وقد وضع الخطيب لاكوردار الشهير وامتاذه لامنيه شعاراً لجريدتهما المستقبل « الحرّية تؤخذ ولا توهب »

فاين هي عدّتنا للحصول على الاستقلال والمحافظة عليه ؟

ان بلجكة كانت منذ استقلالها موضوعة تحت ضمانة الدول — لكنها لو لم تدافع بالسيف عن حدودها واستقلالها ورأت اوربّة بمزيد التعجّب استبسال جيشها الصغير وسموّ مبادئ عاهلها الشريف وتأكّدت انكلترّة عظم الخطر على كيانها لو

سقطت بلجيكة لما كانت تداخلت في هذه الحرب واستمرّت اربع سنوات ترسل ابناءها ورجال مستعمراتها للموت في سهول بلجيكة وفرنسة الى ان رضيت اخيراً بوضع مارشاليتها وأعلامها تحت تصرّف القوّاد الفرنسويين !

فنحن ابناء لبنان الكبير على اي عدوّ انتصرنا ؟ واين هو جيشنا حتى نطلب الاستقلال التامّ ؟ وضد اي عدوّ خارجي يمكننا المدافعة عن هذا الاستقلال طالما لا نقدر على ايجاد الأمن في داخلية حدودنا ؟ كيف نطلب الانتداب الفرنسوي او ضمانة الدول (عند بعض الاحزاب) ونحن لم نشكل حتى الآن حكومةً منتظمة ؟

والذي يتوهّم فينا منتهى الحكمة وتمام الاستعداد الى الحكم الذاتي والاستقلال الناجز التام ما عليه الّا مراجعة محاضر جلسات المجلس النيابي الموقّر فيتأكّد درجة استعدادنا للقيام بالخدمة العسكرية – عند مسيس الحاجة – واتحادنا لاجل تأمين العدالة وتحقيق المساواة والابتعاد عن كل ما يشين سمعة الدولة ! . . . كيف نرى لزوماً لوجود الانتداب او لضمانة الدول ونحن نعتبر الاجنبي كتهويل (بُعبع) نخوّف بعضنا باسمه او بمجيئه لاحتلال اساكلنا مع ان وجودنا هو من نعمة احتلاله بلادنا ! لماذا تقبل تلك الدولة الانتداب ولماذا ترضى ان تضمن لنا استقلالنا اذا لم تختص بامتياز في هذه الارض المدينة لها بكيانها ولو الى وقتٍ ما ؟

اين هي عدليّتنا فيقبل الاجنبي التنازل عن امتيازاته ليرضخ لاحكامها وما هو الضمان لاستقلالها ؟

ان العدل اساس الملك والعدل تسنده القوّة ولا قوّة الّا بالمال الذي هو للدولة كالاعصاب للجسم فلنجد قوةً وثروةً تعضدان دولتنا بعد ان نبنيها على العدل وحينئذٍ يعرف مرشدنا انه لم يعد من لزوم لوجوده عندنا فيتنازل عن وصايته ويذهب والّا لو بقيت هذه حالتنا فكيف يمكنه ان يتركنا وشأننا ان كان حقيقة يريد لنا الخير

لا يُنكر ان البعض من رجال الانتداب لم يحسنوا التصرّف في القيام بما أُسند اليهم من الوظائف بيننا ولكن أيجوز ان نبني على غلطاتهم واهمالهم واعمالهم الشاذّة حجّة تثبت اقتدارنا وكفاءتنا وامكاننا للاستغناء عنهم ؟

فلنُظهر لدولة الانتداب الكريمة اتفاقنا على اجراء كل ما ينفع وطننا ويُعلي شأنه تاركين جانباً غاياتنا الخاصّة ونعرات التعصّب الطائفي وانقساماتنا الدينيّة ونعمل

مسترشدين بنصائح رجالها المرسلين لإرشادنا ونواصل السعي لتعميم المعارف وتحسين المبادئ وتوفير ثروة البلاد وايجاد الامن لاقناع المهاجرين المعودة الى الوطن بما اغتنموه من الاختبار والثروة المادية وجعل بلادنا مركزاً تؤمه الاجانب للاصطياف والسياحة وهكذا يتسنى لنا يوماً التمتع بالاستقلال التام الذي نكون اكتسبناه بعملنا والا فاننا في خطر من فقد ما أعطي لنا عفواً

ان فرنسة صديقتنا وحامية اجدادنا قد اعتنت فينا بصورة خاصة فقد انتدبت حتى الآن ليمثلها بيننا ثلاثة من كبار رجالها اولهم المسيو جورج بيكو الذي عرفناه قنصلاً عاماً قبل الحرب. فكان تفوره الدائم من الجنرال اللنبي موجباً لاستبداله سيما وان الاتفاق باستبدال العساكر الانكليزية بالجيوش الفرنسوية كان يستلزم وجود قوميسير عسكري — ثم اتانا الجنرال غورو وهو الذي اوجد دولة لبنان الكبير ونظم سورية والآن بعد ان قضى عندنا ثلاث سنوات ونصف استدعي الى عضوية المجلس العسكري الاعلى فخلفه الجنرال ديفان رئيس اركان حرب المارشال فوش ومنقذ بولونية. فكما انه انقذ بولونية من جيوش البلشفيك ننتظر من همته ان يوطد الامن في لبنان وسورية ويرشدنا الى سواء السبيل

ملحق بالمقالة السابقة

انتقاد على بعض ما ورد في كتاب الاستاذ سودا بين القديم والحديث

جاء في حاشية الصفحة ١٠ من بحث الاستاذ يوسف افندي السودا في نظام لبنان المعنون «بين القديم والحديث» ما حرفه :

« وعقد فخر الدين المعني الكبير الحكومة واسس الامارة اللبنانية فتعاقب الامراء عليها من فجر الجيل السابع عشر كما يلي» :

المعنيون		الشهابيون	
فخر الدين الثاني ولد	١٥٩٨–١٦٣٥	الامير بشير الاول	١٦٩٧–١٧٠٧
الامير ملحم حكم	١٦٣٥–١٦٥٨	الامير حيدر	١٧٠٧–١٧٣٢
الامير احمد «	١٦٥٨–١٦٩٧	الامير ملحم	١٧٣٢–١٧٥٤
		الاميران احمد ومنصور	١٧٥٤–١٧٧٠

الامير يوسف	١٧٧٠–١٧٨٨
الامير بشير الثاني الكبير	١٧٨٨–١٨٤٠
الامير بشير الثالث	١٨٤٠–١٨٤٣

عهد القائمقاميتين

النصرانية		الدرزية	
الامير حيدر ابي اللمع	١٨٤٢–١٨٥٤	الامير احمد ارسلان	١٨٤٢–١٨٤٥
الامير بشير احمد ابي اللمع	١٨٥٤–١٨٦٠	الامير امين ارسلان	١٨٤٥–١٨٥٩
يوسف بك كرم	١٨٦٠–١٨٦١	الامير محمد ارسلان	١٨٥٩–١٨٦١

قد نشرت مؤخرًا جريدة اخرية هذه الحاشية على علّاتها بدون ان تنتبه الى ما حواه هذا الجدول من الهفوات التاريخية العديدة . ولهذا رأيت مناسباً ان أقدّم لحضرة مؤلفه الفاضل الاستدراكات الآتية :

اولًا : يُفهم من عبارته ان هؤلاء الامراء المعنيين منذ فخر الدين الكبير ثم الشهابيين قد حكموا كافّة انحاء لبنان الحالي او على الاقل كافّة ملحقات المتصرفية اللبنانية والحال ان ذلك مخالف للحقيقة التاريخية . فان الذين حكموا لبنان القديم كلّهُ هم اربعة امراء فقط لا غير هي الامير فخر الدين الثاني الكبير والامير يوسف شهاب والامير بشير الثاني الكبير والامير بشير الثالث . واما سائر الامراء المعنيين والشهابيين الذين ذكرهم فلم يتناول حكمهم سوى القسم الجنوبي من متصرفية لبنان اي لحدّ وادي المعاملتين شمالًا . وكان هذا الوادي يفصل لبنان الى قسمين فالقسم الجنوبي كان يُعرف بمعاملة صيداء وهو الذي كان خاضعاً للامراء المعنيين وبعدهم للامراء الشهابيين . امّا سائر لبنان الموجود شمالي وادي المعاملتين فكان يُعرف باسم معاملة طرابلس وهذا القسم لم ينضمّ الى القسم الجنوبي الّا في عهد الامراء الاربعة السابق ذكرهم . وعليه لا يصحّ لقب امراء لبنان الّا على هؤلاء الاربعة فقط واما سائر الامراء الحكّام من معن وشهاب وارد ذكرهم في الجدول فلا يصحّ تسميتهم الّا كما عرفهم التاريخ وكما عرفتهم الدولة العثمانية اي باسم حكّام جبل الدروز او حكّام معاملة صيداء

ثانياً ذُكر في تاريخ فخر الدين الثاني انه ولد سنة ١٥٩٨ والحال ان البطريرك

الدويهي (في تاريخه المطبوع الصفحة ١٧٨ و ١٧٩) يقول ان الامير قرقماس من امير جبل الدروز اختبأ خوفاً من ابرهيم باشا المرسل لقصاص امراء لبنان وتوفي سنة ١٥٨٤ تاركاً ولدين صغيرين هما فخرالدين ويونس. وقد جاء مثل ذلك في اخبار الاعيان للمرحوم طنوس الشدياق (في الصفحة ٢٥٢) — وقد زاد الشدياق (في الصفحة ٢٣٢) بان الامير علي بكر ابن الامير فخرالدين هذا قُتل في احدى المواقع التي جرت قبل أسر والده في البقاع سنة ١٦٣٤ وكان عمره ستةً وثلاثين عاماً وعليه يكون علي ابن الامير فخرالدين هو الذي ولد سنة ١٥٩٨ واما والده فخرالدين الثاني الكبير موضوع كلامنا فقد كان مولوداً قبل سنة ١٥٨٤ وهي سنة وفاة والده وبما انهُ كان ولد له اولاد في سنة ١٥٩٨ يجب ان تكون ولادته وقعت نحو السنة ١٥٧٨

ثالثاً وفاة الامير بشير الاول وامارة خلفه الامير حيدر حدثتا في سنة ١٧٠٦ وليس ١٧٠٧ كما ورد في اخبار الاعيان للشدياق

رابعاً الامير احمد والامير منصور شهاب لم يحكما سويةً الّا ست سنوات اي من ١٧٥٤ الى ١٧٦٠ ثم انفرد الامير منصور بالحكم من السنة ١٧٦٠ الى السنة ١٧٧٠

خامساً لم يدم حُكم الامير بشير الثالث الّا احد عشر شهراً من تشرين الاول ١٨٤٠ الى ايلول ١٨٤١

سادساً سها الكاتب ان يذكر اسم عُمر باشا النمسوي الاصل وقد تولّى حكم لبنان من ايلول ١٨٤١ الى نهاية ١٨٤٢

سابعاً بدء قائمقامية الامير حيدر ابي اللمع والامير احمد ارسلان كان في السنة ١٨٤٣ وليس ١٨٤٢

ثامناً انتهت قائمقامية الامير محمد ارسلان في ايلول ١٨٦٠ وليس سنة ١٨٦١ كما جاء في الجدول

تاسعاً كُفّ يد الامير بشير احمد ابي اللمع عن ادارة قائمقامية النصارى في السنة ١٨٥٩ وتعيّن وكيلاً للقائمقامية الامير حسن ابي اللمع من امراء بسكنتا

عاشراً لمّا جاء فؤاد باشا قوميسيراً عثمانياً سامياً وحضرت القوّات الفرنسويّة أمرَ فؤاد باشا بكفّ يد الامير محمد ارسلان عن قائمقامية الدروز واقام ضبّاطاً

عثمانيين وكلاء موقتين للحكومة في المراكز المهمة مثل بعقلين وجزين والمختاره والشويفات وغيرها من الاماكن. واما في القائمقامية النصرانية فقد اقام وكيلاً يوسف بك كرم فدامت وكالته من تشرين الثاني ١٨٦٠ الى ٩ حزيران سنة ١٨٦١. فكيف يصح ذكر اسم هذا الوكيل لاحدى قائمقاميتي لبنان بين اسماء امراء لبنان؟ واذا صح فلماذا لم يُذكر اسم الامير حسن الذي جاء يوسف بك وكيلاً بعده؟

فمن هذه الملحوظات يرى القارئ كم نحن في احتياج الى التدقيق في معرفة تاريخنا .

عاديات سورية ومصر المكتشفة حديثاً

نظر عام للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ثانياً: عاديات مصر

تُعَدّ السنة ١٩٢٢ من اغنى السنين واسعدها في تاريخ اكتشافات العاديات المصرية. فانّ عالم العلم اهتزّ طرباً لما اشاع البرق في تشرين الثاني الاخير اكتشاف مدفن توت عنخ امون وكنوزه الدفينة التي لم تنتهكها ايدي قدماء اللصوص المصريين ولا مطامع العرب من اهل البادية .

فتواردت برقيات التهاني من كل انحاء المعمور الى اللورد كرنرفون والى رفيقه الاثري هوورد كرتر لما توفقا الى العثور على اسراره. واخذ الاختصاصيون في تدوين المقالات المطوّلة عن ذاك الفرعون الذي لم يكن له سابقاً سمعة مستفيضة فلم يبلغ من المجد ما نالهُ اسلافهُ من سلالة الدولة الجديدة الثامنة عشرة . ثمّ عن الكنوز الغريبة التي وُجدت في حُجَر مدفنه . على انّ هذه الفصول المبهجة امتزج بها بعض الكدر بما شاع عن وفاة اللورد كرنرفون الذي تكلّف على البحث عن هذه العاديات المبالغ الوافرة فاخترمتهُ يد المنون في الشهر السابق قبل ان يتمتّع بتتمّة استخراج دفائن القصور وقد ذهب ضحيّةً للعلم مسموماً بفعل احدى ذبابات وادي الملوك لولا انّ اسمهُ سيبقى مخلّداً في بطن التاريخ كلّما تكرّر ذكر هذا الاكتشاف العجيب

*

ولا مراء انَّ قرَّاءنا الكرام يرغبون الينا بان نروي لهم شيئاً عن ذلك الفرعون الغريب الاسم الذي سبق تاريخ الميلاد بنيّف الف واربعمائة سنة فصبرت آثاره — ومن المحتمل جثته ايضاً التي يؤمل اكتشافها في باطن مدفنه — الى يومنا خمسةً وثلثين جيلاً وقد نهضت من تُرابها لتخبرنا شيئاً عن احوال تلك القرون الماضية وتمدُّن زمانها وحضارة اهلها وما كان يخالج ذهنهم من الافكار في امور دينهم ودنياهم وآخرتهم . ومن ثمَّ نباشر بتعريف الفرعون ثم نلحق كلامنا بوصف شيء من الكنوز التي وجدوها في مدفنه

١ من هو الفرعون توت عنخ امون

من تصفُّح تاريخ الفراعنة في اوائل المملكة المعروفة بالجديدة يقف منذهلاً لدى مطالعته اخبار سلالة عظيمة يعدُّونها بالثامنة عشرة قامت في القرن السابع عشر قبل المسيح بلغ البعض من ملوكها شهرةً واسعةً بما فتحوه من البلاد في نوبية والسودان وجزيرة العرب وفلسطين وسوريَّة الى الفرات منهم أحمس الاوَّل ثمَّ عمينوفيس الاوَّل ثمَّ تحوتمس الاوَّل وبالاخص تحوتمس الثالث الذي سار بجيوشه الظافرة لمحاربة الكنعانيين والفلسطينيين ثمَّ الحثيين في جهات حمص وفتح ١١٩ مدينةً عدَّدها في احد الانصاب المرقومة باسمه بينها باروتا (بيروت) وتمسقو (دمشق) وحلبون (حلب) . ومثله بأساً وشهرةً عمينوفيس الثالث احد كبار الفاتحين والمعمرين

وكان هؤلاء الملوك مغرمين بالابنية الشاهقة كالقصور الفخيمة والهياكل العظيمة كهيكل امون في الكرنك فيدينون بديانة اجدادهم الوطنيَّة ويعبدون الاصنام ويكرمون الآلهة تحت اشكال مواليد الطبيعة الثلثة ولاسيما النباتات وضروب الحيوان حتى انَّ عدد الهتهم بلغ الاربعمائة . ثمَّ صار الملك بعد زمن امينوفيس الرابع الذي تدلُّ صورته على غرابة هيئته . ومما ظهر من الآثار المصريَّة انَّ امَّهُ زوجة عمينوفيس الثالث المدعوَّة «طي» كانت اجنبيَّة من اصل ساميّ تبغض ديانة المصريين واصنامهم ولاسيما امون الهم الاعظم فحملت ابنها امون هوتپ في او عمينوفيس ان يُبطل دين

اجداده حرباً عواناً فلبّى دعوتها وغيّر اسمهُ الذي تأويلهُ عبد الاله أمون باسم «خون آتن» او «آخ اتن» اي «بهاء قرص الشمس» وذلك انهُ اراد ان ينفي كل آلهة مصر ويقصر عبادتهُ على اله واحد يعبدهُ على صورة الشمس كما تراهُ مصوَّراً بازائها ساجداً لها . واخذ ينشر دينهُ هذا بين رعاياه ثمَّ حمل به الهوس الى ان أخرب هياكل المصريين وابنيتهم الدينيَّة وتتبَّع سدنتها وعبَّادها ودمَّر هيكل امون في طيبة ونقل كرسي مملكته الى تلّ العمارنة حيث وُجدت السجلَّات الثمينة التي وصفها سابقاً في الشرق حضرة الابرين لامنس وجلابرت

فكان ملك هذا الفرعون آفةً على مصر وعلى مبانيها الجبَّارية . فلمَّا مات قام

بعده بعض الامراء الذين لم يحسنوا التدبير وقد اصبحت مصر في فوضى الى ان قبض على زمام الدولة صهر الملك المتوفى وهو «توت عنخ امون» الذي نحن بصدده (انظر صورته) وذلك نحو السنة ١٣٥٠ قبل المسيح

فهذا الفرعون كان اهلاً بالملك فانهُ حارب اعداء الدولة وعزّز شؤونها في السودان وفي انحاء آسية فأمنت البلاد من خوف الخوارج

وانما الفضل الاعظم الذي يعود الى هذا الفرعون انهُ رأى في اعمال سلفهِ الدينية وفي مناهضتهِ لدين وطنهِ آفةً على المملكة المصرية فنبذ بعد حين عبادة قرص الشمس ورخص للمصريين باستئناف دين اجدادهم واكرام الاله أمون في طيبة ودعا نفسهُ باسم توت عنخ امون ومعناهُ «مثال أمون الحي» بعد ان كان يُسمَّى بتوت عنخ آتن اي «مثال قرص الشمس الحي» وابدل كذلك اسم الملكة زوجتهِ «انخس آتن» بانخس امون

ثمَّ اسرع باصلاح الابنية والهياكل التي اخربها الملك المبتدع وجدَّد ما تلف منها وردَّ لكهنتها مقامهم في شدانتها: وقد أسهب في وصف اصلاحهِ هذا في نصب كبير اقامهُ في هيكل الكرنك نشرهُ المسيو لوغران في مجموع الآثار المصرية والاشورية (ج ٢٩ ص ١٦٢—١٧٥)

على انَّ توت عنخ امون لم تطل مدَّتهُ على عرش الفراعنة فمات وخلفهُ هورمهاب ولم يكن هذا الملك من السلالة الملكية وانما تناصر كهنة الاله أمون واتفقوا على توليتهِ لاستئصال شأفة ديانة الشمس. فلم يكتفِ بمواصلة اصلاحات توت عنخ امون بل عوَّل على ابادة كل آثار الاله آتن التي كان ابتناها توت عنخ امون. ومن ثمَّ اعتبرهُ الملكُ الجديد وكهنةُ أمون كوالٍ لصهرهِ عمينوفيس الرابع فانتُهك قبرهما ونُقلت جثتهما الى وادي الملوك مع ما وُجد من النهب. ثمَّ عاد اللصوص ففتحوا قبر عمينوفيس اما قبر توت عنخ أمون فسلِم بما تكوَّم فوقهُ من الانقاض والاطلال بانتهاك اللصوص لحرمة القبور التي فوقهُ وذلك كان السبب لوجود كنوزهِ سالمة اذ لم يخطر على بال المتلصصين انها غائرة في تلك الاعماق

اما هورمهاب الذي وجد الاميركي داڤس جثتهُ المحنَّطة فانهُ رتع مدَّةً في بحبوحة العزّ والسلام ثمَّ قلب لهُ الدهر ظهر المجنّ وقام لمحاربتهِ بعض اعيان الدولة

وكثرت الفتن وتفاقم الشرّ الى ان قُهر في ملكهِ وبسقوطهِ كان آخر السلالة الثامنة عشرة التي ملكت ٢٤١ سنةً

٢ً كنز مدفن الفرعون توت عنخ امون

كان اعتقاد المصريين عن وجود حياة اخرى بعد هذه الفانية راسخاً في قلوبهم ويرون انَّ النفس اذا فارقت جسدها لا تبرح مقيمة في جوار ذلك الجسد وترتاح الى ما أنِسَتْهُ في حياتها من الاعمال وتصرَّفت بهِ من الأثاث والآنية والحليّ والاغذية فكانوا يدفنون مع الميت ما يمكنهم نقلهُ الى مدفنهِ من كل ذلك

وكانت هذه السُّنَّة جاريةً على الخصوص في مدافن الملوك الذين كانوا يعتبرونهم كسلالة الآلهة فيحتطون اجسادهم لتصبر الاجيال الطويلة على الفساد ولا يألون جهدهم في جمع كنوزهم على مقربة من جثثهم . وكان المدفن عادةً يتألَّف من عدَّة حُجَر ينفذون اليهِ من مدخل يُنقر في الصَّخر على شكل الدهليز ينقشون على جدرانهِ نقوشاً بديعة هيروغليفيَّة منقولةً غالباً عن كتاب يُدعى كتاب الموتى فيهِ وصف الحياة الآخرة ومحاكمة النفس لدى الديَّان . وكثيراً ما كانوا يرسمون هناك صُور الأثاث والجواهر التي كانت تودع بقرب الجثَّة . ثمَّ كانوا ينقبون في احدى زوايا الدهليز حفرةً عميقة على شبه البئر ينزلون الى قعرها بعدَّة درجات وفي غورها سرداب ينفذون منهُ الى حُجرتين او ثلاث حُجر يجعلون ناووس الميت في اقصاها ويملأون الحُجَر من تلك الآنية والأعراض والمصنوعات الثمينة ثمَّ يسدُّون الدهليز ومنفذهُ بالصفائح الضخمة بحيث لا يستطيع احد ان يلج اليها . الَّا انَّ عصابات اللصوص كانوا غالباً بعد البحث الطويل يكتشفون تلك المخبآت فينهبون ما استطاعوا من كنوز الموتى ويحطِّمون ما لا يستطيعون سلبهُ

ففي اواخر تشرين الثاني الاخير بعد ان ظلَّ اللورد كرنرفون والاثري كرتر تسع سنين يتفقَّدان وادي الملوك ويتكلَّفان في تقليب صخورهِ واتربة مدافنهِ المتراكمة عرَقَ القربة وقفا اخيراً على ضالَّتهما ونالا جزاء ثباتهما على البحث والتفتيش فدخلا مدفن الفرعون توت عنخ آمن وعثرا لاول مرَّة على مجموع كنوز احد الفراعنة لم تمتدَّ يدٌ اثيمة

قال احد الكتبة من علماء الآثار المصريَّة انَّهُ بوجود هذه الدفائن قد تحقَّق تماماً

ما يُخبر في كتاب الف ليلة وليلة منسوباً الى الجنّ الذين يُطلعون على كنوز مرصودة في بعض الاماكن رجالاً محظوظين كعلاء الدين وغيره

واعلم انَّ البئر العميقة حيث السرداب لم يُفتح حتى الآن من حُجَره سوى حجرتين ففي الحجرة الاولى وجدوا ثلث فرشات ملكيَّات ذات نقوش منقورة ومحلاة بالذهب تمثل رؤوس اسود وآلهة . وكذلك الواح الفرشات منقوشة مذهَّبة ومطعَّمة بالعاج ومرصَّعة بحجارة كريمة . ووجدوا عدداً لا يُحصى من الأسفاط الدقيقة الصنع بينها سفَط من الابنوس والعاج مع كتابات بحروف ذهبية وعلى غيرها رموز الحياة الآخرة او تصاوير اعمال الملوك كالصيد والقنص ضمنها الانسجة المزركشة بالذهب المرصَّعة بالحجارة الكريمة مع اخفاف نسائيَّة منسوجة بالذهب

وفي هذه الحجرة الاولى وجدوا ايضاً كراسيَّ من الابنوس مطعَّمة بالعاج قوائمها تمثل رؤوس البطوط بابدع شغل . ثمَّ فراشاً لطفل صغير من الطف ما يُرى . وكان بين هذا الاثاث عرش الملك توت عنخ آمون لم يُعرف له شبيه بين عروش الملوك . وبقربه مقعد تكسو خشبهُ صحيفةٌ ذهبيَّة رُسم عليها صورة الملك وزوجته وكلُّها مرصَّعة بحجارة من الفيروز والعقيق والجمشت . وفيها ايضاً تمثالان من الخشب المطلي بالحمر يمثلان الملك توت عنخ امون على هيئة مهيبة في يده صولجان الملك وعيناهُ من الزجاج وعلى رأسه تاج ثمين محلَّى بالحجارة الكريمة . وفي هذه الحجرة عينها مركبتان للملك صندوقتاهما منقوشتان نقشاً بهيًّا ومرصَّعتان بالجواهر وعلى كرسيّ الحوذيّ معلَّقة وزرتهُ وهي من جلد نمر . وهناك ايضاً آنية من الرخام الابيض الناعم الغالي الثمن واوعية من الصيني ثمَّ حُقَقٌ فيها ضروب المآكل ملفوفة على مألوف عادة المصريين مع اكاليل من الزهور لم تفقد حتى الآن شيئاً من الوانها

وممَّا سُرَّ المكتشفان بوجوده هناك اضابير من البُرديّ المخطوطة التي يؤمّلون فوائد جمَّة من قراءتها

وليست الحجرة الثانية دون الاولى غنًى وآثارًا فانَّ فيها عددًا عديدًا من اصناف الفُرش والآنية كما في الحجرة الاولى وهي متراكمة فوق بعضها بحيث يصعب السير في وسطها . وكأنها تأخذ الابصار بحسنها واحكام صنعها فيقضي الناظر العجب من براعة اهل ذاك الزمان وحذقهم في صنائعهم وشغلهم للمعادن والجواهر . ولا شكَّ

انَّ هذه الآثار اذا عُرضت في متحف مصر ستكون موضوع إعجاب كلّ الزوّار الذين سيقدمون الى افتقادها وبفحصها سوف يتفتح لتاريخ الصناعة في مصر القديمة باب واسع يزيد بلاد النيل فخرًا وشرفاً

وقد بقيت حجرة ثالثة لم تفتح حتى الآن وقد أجلوا فتحها الى فصل الربيع والامل معقود ان يجدوا فيها كنوزًا غيرها ذا قيمة طائلة ومن المحتمل ان يكون في وسطها ناوُوس الملك مع جثّته المحنّطة

مطبوعات شرقية جديدة

C. Bonnet S. J. : DIALECTICA (ad usum privatum). 1922, *Weteren* (*Belgique*)

كتاب المنطق باللاتينيّة

ليس علمٌ بلغ كمالهُ كالمنطق منذ عهد ارسطاطاليس ووضعهِ كتابهُ الاورغانون . الّا انَّ المحدثين سعوا في تقريب هذا الفنّ للاذهان بحسن شرحهِ وبيان مقاصدهِ وهذا يلوح في كتاب حديث لاتينيّ صنّفهُ احد اساتذة مدرستنا الكلّيّة سابقاً الاب شرل بونّه . فانّهُ سعى بايضاح قوانين ذلك العلم بدقّة وضبط متناولًا كلّ اقسامهِ بحيث جعلهُ كتاباً مفيدًا للمعلمين والمتعلّمين معاً ولاسيما بحسن اختيارهِ للامثلة ولتفضيلهِ اسدّ المذاهب المنطقيّة التي تضاربت فيها آراء بعض الكتبة . على أنّنا لم نجدهُ مصيباً بانكارهِ شرطيّة القضيّة التالية « ان كان العالم موجودًا فالله موجود » فيجعلها مع ستوارت ميل (Stuart-Mill) قضيّةً بسيطة مرجعها الى قولنا « ان وجود العالم يفترض وجود الله » . على انَّ هذا من دقائق المنطق التي الاختلافُ فيها بالنظر اكثر منهُ بالحقيقة

الاب ف . تورنيز

G. Levi della Vida : BARDESANE : il Dialogo delle Leggi dei Paesi. *Introduzione, Traduzione e Note. Roma, Libreria di Cultura*, 1921, *pp.* 49

تأليف برديصان المنون بكتاب نواميس البلاد

نشرنا في العام السابق مقالةً واسعة في برديصان احد اصحاب البدع في القرن

الثاني للميلاد (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٩٧٧ — ٩٩٢) وقد ذكر كاتبها هناك جناب الاديب رزق‌الله غنيمة كتابهُ في شرائع البلاد (ص ٩٨٩) الذي نشرهُ لاوّل مرّة كورتون الانكليزي سنة ١٨٥٩ وفيهِ يعرض برديصان رأيهُ في القضاء والقدر ويدافع عن حرّيّة الانسان في اعمالهِ . فكان لوجود هذا الكتاب شأن كبير لدى العلماء فكتبوا في بيان اهميّتهِ وتعريف معتقد كاتبهِ . وها هوذا كاتب ايطالي عاد اليهِ فنقلهُ الى الايطاليّة حديثاً وقدّم عليهِ المقدّمات وذيّلهُ بالشروح وألحقهُ بمقالتين اخريين اتّسع في ذكر ذاك المبتدع وتأثير تعاليمهِ في معاصريه وروى ما قالهُ عنهُ كتبة السريان والعرب . فنشكر لجناب الكاتب همّتهُ ونوصي محبّي التاريخ الكنسيّ بالنظر في مصنّفاتهِ ل . ش

Reynold Alleyne Nicholson : Studies in Islamic Mysticism . *Un Vol. 8°, 1921, Cambridge, University Press, Prix 24 sh.*

ابحاث في المذهب الصوفي الاسلامي

قد أحسن المستشرق الانكليزي نيكلسن بتخصيص هذه الابحاث في تعاليم الصوفيين ومنظوماتهم . فاختار منهم اربعةً من مشاهيرهم ليتقد مذهبهم : الواحد منهم عجميّ وهو ابو سعيد بن ابي الخير من اهل التاهل والاباحة . والثلثة الاخرون عرب : الجيلي حفيد عبد القادر الجيلاني ومؤلف كتاب «الانسان الكامل» الذي فصّل المسيو نيكلسن مضامينهُ . ثمّ ابن العربيّ وقد انتقد الكاتب خصوصاً تأليفهُ فصوص الحكم . وآخرهم ابن الفارض صاحب الديوان الشهير فاتّسع في تعريف آرائهِ الصوفيّة ونقل الى الانكليزيّة طائيّتهُ البديعة البالغة نحو ثمانمائة بيت . والحقّ يقال انّ المسيو نيكلسن قد اصاب المرمى في كتابهِ هذا وادرك ما في الصوفيّة من المغامز فانّ تعاليمهم تؤدي الى مذهب الحلول وتبيح للانسان نبذ الفرائض والواجبات الشرعيّة دون استثناء لما ورد منها في القرآن . ومن صفات المذهب الصوفي تساهل اصحابهِ فينكرون عذابات جهنم الخالدة ويعتقدون خلاص اليهود والنصارى بل المشركين ايضاً لأنّ ضلالهم كما ورد في القرآن هو من الله فكيف يرضى الله بهلاك الذين قضى بضلالهم وقدّرهُ منذ الازل (ص ١٥٩—١٦٠) . وقد ختم المؤلف كتابهُ بثلثة فهارس قد اعجبنا منها فهرس الاصطلاحات الصوفيّة وتحديدها ه . لامنس

Martin (Etienne) : Petite histoire financière de l'ancion régime. *Un Vol.* 8°, 1922, *Paris, Félix Alcan. éditeur, Prix* 5 *f*

تاريخ الماليَّة في فرنسة الملكيَّة

وضع صاحب هذا الكتاب الصغير تأليفهُ في طبعة اولى كمقدَّمة لتاريخ عنوانهُ انكلترَّة الماليَّة والاقتصاديَّة في جزئين نشرهما سنة ١٩١٢ . وها هوذا قد افرز المقدَّمة المذكورة وجعلها كتاباً مستقلًّا اوضح فيهِ حالة ماليَّة فرنسة في عهد ملوكها فكشف عن حقائق كثيرة قلَّ ما يعرفها العموم . فيحسُن بكتابهِ هذا ان يُجعل في ايدي طلبة المدارس ليتفوا من ذهنهم اوهاماً عديدة أشاعها في حقّ الملكيَّة اعداؤها فيعرفوا فضل ملوك فرنسة وحسن تدبيرهم ج . ل

Gillard (Marcel) : La Roumanie nouvelle *Un Vol. in-16. Paris, Librairie Alcan*, 1912, *Prix* 9 *f*

رومانية الجديدة

كان عدد النفوس في رومانية قبل الحرب الكونيَّة سبعة ملايين ومساحتها ١٣٧،٠٠٠ كيلومتر مربَّع فبلغ اليوم بنعمة الحلفاء عدد اهلها ١٧ مليوناً ومساحتها ٢٩٠،٠٠٠ كيلومتر . وسيطلعنا المستقبل على صلاحيَّة هذا النموّ الغريب لما يترتَّب على ارباب السلطة من تحويل الامور واستئناف التدابير التي لم يألفها الاهلون . فذلك ما دفع المسيو جِلْيار الى درس رومانية الجديدة وبيان احوالها السياسيَّة والاقتصاديَّة . فبيَّن ذلك احسن بيان وتتبَّع شؤون البلاد من كلّ وجوهها بحيث لا يبقى في عقل القارئ شبهةٌ عنها . وانَّما نأسف على سكوت المؤلف عن احوال رومانية الدينية وهناك من المشاكل ما ينوط بها خلاص تلك البلاد او هلاكها ان حُسن او ساء حلُّها ج . ل

M. S. Zwemer et R. Warnery : L'Islam, son passé, son présent. son avenir. *Un Vol. in-16, 2 Cartes et 9 illustr. hors texte.* 1922, *Paris, rue St Lazare*, 94

الإسلام سابقاً وحاضراً ومستقبلاً

يشمل عنوان هذا الكتاب جميع امور الاسلام الَّا انَّ صاحبهُ لم يُحط بكثير منها علماً وهو قد وضعهُ بالانكليزيَّة فنقلتهُ احدى السيدات الى الفرنسويَّة فصار

الاصل بنقلها اقلّ وضوحاً . وكثيراً ما تشوّهت فيه الاعلام كاسم الوليد الذي كُتب Ouahid (ص ٩٠) ولُقب موسى الكليم بخطيب الله (orateur d'Allah) (ص ١٠٧) . والغاية التي توخّاها صاحب الكتاب الدعوة النصرانيّة بين الاسلام وذلك خصوصاً بواسطة الرسالات البروتستانيّة التي هو احد زعمائها . وقد اقرّ انّ نجاحها قليل وانّ مئين من المبشّرين في عدّة اماكن لا يكادون يردّون الى النصرانيّة مسلماً واحداً (ص ٢٥٨) . ما خلا جابوة التي ردّوا فيها بعض المحمّديين (ص ٢٦٠) . ومن اوهام الكاتب انهُ خلط بين القديس فرنسيس كسفاريوس رسول الهند واليابان والاب جيروم كسفاريوس اليسوعيّ المرسل الى المغول (ص ٢٥٠) . واغرب من ذلك انهُ دعا السوسيين (ص ٧٨) بيسوعيين الاسلام (كذا) ه . ل

Bareilles (Bertrand) CONSTANTINOPLE, ses cités franques et levantines. *Un Vol.* 8°, *illustré, Paris, Editions Bossard,* 1918

الاستانة مدنها الفرنكيّة وأحياء تزلاتها

هوذا كتابٌ ممتع بانشائهِ وتصاويره المحفورة على الخشب . وقد حاول صاحبهُ ان يصف فيها الاستانة غير التركيّة اعني احياءها وأرباضها التي يسكنها غير اهلها المسلمين كالفرنج الغرباء والمتوطنين منهم ثمّ اليهود والارمن واليونان فيتتبّع كلّ قوم على حدة واصفاً أخلاقهم وعاداتهم . وقد افرد قسماً كبيراً من تأليفهِ لتعريف الحيّين الكبيرين غلطة وبيرا ذاكراً تاريخ اهلهما وطباعهم وتجارتهم سابقاً وحاضراً وما كان لهم من النفوذ وتعزيزهم للغتهم الفرنسويّة . ومن افضل ابواب الكتاب الفصل الذي خصّهُ الكاتب بوصف يهود سالونيك المرتدّين الى الاسلام المعروفين بدونمه . وفي فصلهِ المختصّ بالارمن اعترف بفضل هؤلاء المنكوبين وخلالهم الحسنة . وقد بيّن في الفصل المختصّ بالروم تداخُل النار بامور السياسة وما شاع بينهم من المواسم الدينيّة مع بيان عدّة خرافات يتشبّثون بها كاعتقاداتهم الباطلة في بعض العيون الشافية . وخلاصة القول ان المسيو باريل تدارك بكتابهِ نقصاً كبيراً في روايات المؤرخين السابقين الذين لم يذكروا الّا استطراداً ما اتّسع هو في وصفهِ وعرفهُ حقّ المعرفة بعد ان قضى عدّة سنين في عاصمة الاتراك ه . ل

LA VIE DE JÉSUS D'APRÈS RENAN, par le P. Lagrange O.P. *Un Vol. in-12, Paris, librairie Gabalda*, 1923, *Prix* 3 *f*, 50

انتقاد حياة يسوع لرينان

قد جمع حضرة الاب لاكرنج الدومنيكيّ في كتابهِ هذا ما سبق ونشرهُ في المجلّة الكتابيّة بنسبة المئة الاولى لمولد رينان. ومما اخذهُ على نفسهِ ان يبيّن اوّلاً كيف جرى رينان في كتابهِ «حياة يسوع» على اثر الملحدين من الالمان لمحاربة شخص ابن الله الكريم لعلّهُ يثلّ ذلك العرش الذي نُصب ليدوم الى منتهى الاجيال فكسا تأليفهُ ثوباً قشيباً من البلاغة الفرنسويّة حتّى راج رواجاً عظيماً. وثانياً كيف حبط مسعى رينان وذهبت مقاصدهُ ادراج الرياح فوقعت عليهِ حجر الزاوية فحطّمتهُ

Laserre (Pierre): Renan et nous: *Les Cahiers Verts in-18. Un Vol. in-16, Paris. Librairie Grasset*, 1923, *Prix* 6 *f*, 50

نحن ورينان

هذا كتاب آخر دفعت الى كتابتهِ فرصة السنة المئة لمولد رينان. حرّرهُ كاتبٌ يسعى في تأليف موسّع عن رينان ولأنهُ لم ينجز تأليفهُ لخّص منهُ بعض ابوابهِ فنشرها في هذه الخلاصة. وغايتهُ ان يزكّي رينان فيثبت حسن طريقتهِ في زمن تخزّرهِ للكتابة فيزعم انهُ في ذلك الحين لم يجد في تهذيبهِ الكنسي ودروسهِ الدينيّة ما يقنعهُ عن صحّة الديانة المسيحيّة فوجّه اذ ذاك نظرهُ الى عالم خياليّ ظنّ انهُ سيلقى فيهِ ما يخمد لظى صدرهِ وغليل اشواقهِ نحو عالم سامٍ فوق المذهب الوضعيّ يترقّى اليهِ ويجري على موجب منطوقهِ وبذلك فاق على الكافر فولتير ونهج لنفسهِ منهجاً خصوصيًّا موافقاً لادراكهِ. لعمري انّ في هذه الدفاع عن رينان شوائب لا تُحصى كفى لبيانها ما نشرتهُ هذه المجلّة عن تردّد رينان في افكارهِ ومناقضاتهِ لنفسهِ واكاذيبهِ المتعدّدة فلا حاجة الى العود اليها ج. ل

Bibliographie des œuvres d'Ernest Renan publiée par M. M. H. Girard et H. Moncel. *Un Vol. in-8°, pp. 264 avec portrait hors texte. Paris, Editions des Presses Universitaires de France, Prix*, 20 *f*

المكتبة الرينانيّة

من جملة ما عوّلت عليهِ الجمعيّة المشكّلة للاحتفال بمولد رينان المئوي ان يصنّف

اعضاؤها كتاباً يودعونهُ التآليف الرينانيَّة تسهيلًا للاحاطة بها ومراجعتها . فقام بهذا العمل رجلان من ناظري مكتبة باريس العموميَّة المسيو جيرار ومونسل فقسما تأليفها ثلثة اقسام عدَّدا في قسمهِ الاوَّل مجموع منشورات رينان البالغة ١٠٣٩ عدداً ثمَّ نظَّما تلك التآليف على حسب زمن كتابتها من السنة ١٨٤٥ الى السنة ١٨٩٢ مع ما نشرهُ في المجلَّات او ما كتبهُ غيرهُ في وصفها وما نُقل منها الى لغات شتى . ولعلَّ هذا القسم ناقص . امَّا القسم الثالث فهو فهرس على طريقة حروف المعجم لأعلام الكتاب ومواده

ج . ل

J. Melon : Pour la précision et la culture esthétique— Contribution à la rénovation de la langue maternelle, 2e *éd., Un Vol.* 8°, *Tournai; Castermann,* 1923

تهذيب التعليم لدرس الاحداث للتهم الاصليَّة

وضع صاحب هذا الكتاب تأليفهُ لمواطنيهِ البلجيكيين وانَّما فائدتهُ تعمُّ كل البلاد وخصوصاً اقطارنا الشرقيَّة . وذلك انهُ لحظ انَّ الاحداث في عدَّة مدارس ابتدائيَّة يسأمون من درس لغاتهم الاصليَّة لما يضطرُّهم اليهِ اساتذتهم من استظهار مقاطيع طويلة لا يدركون معانيها بالتدقيق فيرددونها كالببغاء . والمطلوب من المعلِّم ان يشرح لطلبتهِ تآليف نوابغ بلادهِ شرحاً وافياً مباشراً بذكر خلاصة القطعة المطلوب استظهارها ثمَّ يشرح مفرداتها وتعابيرها وعلاقة المعاني بعضها ببعض ثمَّ يذكر ما فيها من الحقيقة او المجاز واشكال البديع والفوائد التاريخيَّة والجغرافيَّة واللغويَّة ثمَّ يطلب من الطلبة ان يقرأوا ما شرح ويطبقوا صوتهم مع ما فيهِ من العواطف والاحساسات ثمَّ يلقي عليهم الاسئلة التي يستدعيها النصّ المشروع فكل ذلك قد ورد في دستور المعلِّمين (Ratio Studiorum) الجاري في الرهبانيَّة اليسوعيَّة منذ نيِّف وثلثمائة سنة

ج . ل

La Vertu Française, vue de l'étranger et par l'étranger, par S. G. Mgr A. Baudrillart évêque d'Himéria de l'Académie Française. *Un Vol. in*-16, *Paris, Librairie Bloud et Gay, Prix* 1 f. 50

حكم الاجانب في الفضيلة الفرنساوية

يمنح مجمع العلماء الفرنسويين كلَّ سنة جائزةً لأفضل ما يبلغهُ من المآثر الشريفة

والمبرّات السنيّة يأتيها احد ابناء فرنسة . وهناك لجنةٌ تفحص تلك الاعمال وتحكم بمستحق الجائزة دون غيره وتُقام لذلك حفلةٌ يخطب فيها احد اعضاء اللجنة ويبيّن الاسباب التي دفعت القُضاة الى تخصيص الجائزة . على انّ هذه الخطب ربّما تحيّر في القائها بعضهم لوحدة الموضوع والشبه بين مستحقي الجوائز . وقد تفرّد السيّد بودريلبار الاسقف الشهير واحد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة في خطاب جليل خصّهُ مؤخرًا بذكر ما وجدهُ في سياحته الحديثة في جنوبي اميركة حيث اطّلع على اعمالٍ خطيرة اتاها هناك الفرنسويّون ولاسيّما رهبانهم وراهباتهم تمثّل الفضيلة الفرنسويّة باجلى مظاهرها وقد اختار بعض تلك الآثار وبيّن وجوب دفع الجائزة السنويّة لبعضهم فصدّق الجميع على كلامهِ مفتخرين بما لمواطنيهم من الفضل السامي في دار الغربة كما عرف اولئك الغرباء ميزة الفرنسويين وفضلهم الراقي ل . ش

DICTIONNAIRE MAROCAIN-FRANÇAIS par B. Todjini, Paris, 1923 pp. 271, Société d'éditions Géographiques, Maritimes et Coloniales — Ancienne maison Challamel

قاموس مراكشي فرنسوي

نُشرت في السنين الاخيرة عدة معاجم للغة مراكش على انها ناقصة ضيّقة النطاق موضوعة لفائدة العلماء الاختصاصيين . فشعر مؤلف هذا القاموس بمسيس الحاجة الى معجمٍ اوفر مادّة واعمّ فائدة فقضى السنين الطوال في مراكش وهو يعاشر اهلها ويتمرن على التكلم بلسانهم فجمع هكذا بالجهد الجهيد محتويات مؤلّفهِ الذي لم يسبقه اليه احد . ثم ان هذا المعجم لا ينطوي فقط على نحو اثني عشر الفًا من المفردات المراكشية بل على مئات من الالفاظ المشتركة بين تلك اللغة واخواتها المنطوق بها في الاقطار المجاورة من مثل الجزائر وتونس . طبعُ الكتاب نظيف وعلى ورق صقيل على انهُ كان الاجدر بهِ لو ضُبطت مفردات هذا المعجم بالشكل الكامل تفاديًا من سوء التلفظ بها ولاسيما انّ هذا القاموس وُضع لفائدة الفرنسويين . ر . ن

Alma Mater : COLLEGIUM URBANUM DE PROPAGANDA FIDE 1923. N° V, pp. 232

نشرة مدرسة مجمع انتشار الايمان

هذه سنةٌ خامسة نشرت فيها مدرسة مجمع انتشار الايمان تقويمها السنوي . على

اننا وجدناه في هذه السنة اوسع مضموناً واتقن طبعاً من السنين السابقة يقرّ النظر لنقوشه البهيّة وتصاويره البديعة الشمسيّة وغيرها التي تولّى رسمها قومٌ من الصنعة البارعين وقد أعجبنا خصوصاً بمحاسن صور الحبر الاعظم والكردينالين رئيسي المدرسة السابق والحاضر . امّا المواد التي يتألّف منها التقويم فجامعة بين الدينيّات والادبيّات والعلميّات والتاريخيّات والفكاهيّات ممّا له علاقة بشؤون تلك المدرسة العامرة . بينها امثلة من ٢٧ لغة يتكلّم بها تلامذة البروبغندا . فلعمري انّ هذه التحفة اهلٌ بموسم السنة المئة الثالثة لانشاء تلك المدرسة الشهيرة ل . ش

الاب لويس شيخو اليسوعي: ١ً CATALOGUE RAISONNÉ DES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE ORIENTALE, N°III.1923,pp.56 ٢ً مجموعة اربع رسائل لقدماء فلاسفة اليونان ولابن العبري (المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٠ — ١٩٢٣ ص ٧٠) = ٣ً محاورات جدليّة ومجالس دينيّة ورسالة لاهوتيّة (المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ ص ٩٤)

هذه الكتب الثلثة قد نجز طبعها مؤخّراً: يحتوي الاوّل الجزء الثالث من وصف مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة باللغة الفرنسويّة طُبع اوّلاً في مجموع مكتبتنا الشرقيّ (Mélanges de la Faculté Orientale) وفيه وصف واسع لمخطوطات علمَي الكيميا والطبّ في عدد ٩٢ كتاباً — ويحتوي الثاني اربع رسائل طُبعت سابقاً في المشرق لقدماء فلاسفة اليونان وهي رسالة دامسطيوس في السياسة منقولة من السريانيّة بسعي اسحاق بن زرعة من كبار نقلة السريان ثم تدبير المنزل لاحد فلاسفة اليونان ثم احاديث ابن العبري المطربة وآخرها رسالة منسوبة لافلاطون في حقيقة نفي الهم والغم — امّا الكتاب الثالث فيشتمل على محاورات دينيّة اوّلها محاورة طيموثاوس الكبير مع الخليفة العبّاسي المهدي ابي هارون الرشيد ثمّ مجالس اليّا النصيبينيّ السبعة واخيراً رسالة لاهوتيّة تاريخيّة على مذهب النصارى للشيخ عفيف بن المؤمّل وكلها آثار قديمة شائقة ل . ش

كتاب اللاهوت النظري : الجزء السادس في الاله الخالق

تأليف الخوري الياس الجميّل دكتور في الفلسفة واللاهوت

طُبع في المطبعة العلميّة في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص٢٩٢)

منذ عهد قريب وصفنا جزءاً آخر من هذا الكتاب النفيس الذي يستحقّ ان يقتنيهُ كهنة بلادنا فضلاً عن طلبة اللاهوت ليطّلعوا على اخص حقائق الدين التي شرحها صاحبهُ مستنداً الى افضل ما نُشر في هذه السنين الاخيرة في اوربّة . وهو يتناول في ثلثة اقسام وعدّة فصول ومطالب وابواب القضايا التي مدارها على الله الخالق وعلى مخلوقاته من الملائكة والبشر وستّة أيام الخليقة وموافقتها للعلوم العصريّة . ثمّ يبحث الكاتب عن الخطيئة الاصليّة ومفاعيلها في الجنس البشري واخيراً في عواقب الانسان من سعادة ابديّة ومطهر وجحيم وديمونة وكلّ ذلك بتقاسيم واضحة وادلّة ثابتة مقنعة مع تفنيد المشاكل الواردة من المبتدعين في كلّ باب . على أنّنا لا نسلّم للمؤلف ببعض مزاعمهِ الثانويّة كقولهِ (ص ١٠٠) «أنّنا هلم نرَ قبل موسى اثراً للصنائع والعلوم» يردّ قوله كلّ آثار بابل وشوشن ومصر . وكانوا سبقت حرب تيسا وخراب ترويا . ثم نقول لحضرتهِ (ص ٢١٢—٢١٣) أنّهُ لا مانع من ان يسلّم الكاثوليك بوقوع الانسان في الهمجيّة بعد خطيئتهِ لقلّة الوسائط لترقيه في تلك الحقبة واهتمامهِ بمعاشهِ . ثمّ ورد التباس في الصفحة ٢٢٦ عن مشاهدة القديسين للذات الالهيّة وادراكهم لجوهرها فان حضرتهُ اخذ لفظة الادراك بمعنى الشمول التامّ وليس للادراك هذا المعنى الخاصّ في اللغة وانّما هو البلوغ والوصول الى الغاية ل . ش

المناهج الطبيّة لاتّقاء الامراض الافرنجيّة

تأليف الدكتور جورج صوايا

بونس ايرس (الارجنتين سنة ١٩٢٣ طبعة ثانية ص ٥٠٧)

انّ انتشار هذه الامراض الشائنة احدى آفات تمدّننا العصري كان اهل بلادنا يجهلونها سابقاً وهي الآن تفشو في ظهرانينا فشوّ الاوبئة المعدية ولذلك قد توفّرت

عنها تاليف الاطبَّاء وقد سبق لنا مؤخرًا وصف واحدٍ منها . وهذا الكتاب للدكتور صوايا اوسع من السابق ضمَّنهُ تفاصيل هذا الداء وتشخيصهُ وانواعهُ ومفاعيلهُ وعلاجهُ وهو يُعدّ لهُ جزئين آخرين هما تحت الطبع . فما لنا الَّا نكرّر قولنا السابق انَّ الجمع دواء لمثل هذه الادواء الزواج المسيحيّ الطاهر والعيشة الصالحة بخوف الله

سرّ عشاء الربّ

محاضرات القاها الارشدياكون نقولا بشاره

طُبع في مطبعة التوفيق بمصر (ص ٨٥)

تدلّ هذه المحاضرات على انَّ صاحبها عريق في دينهِ عارف بالحقائق النصرانيَّة لا تنطلي عليهِ الخزعبلات البروتستانيَّة بخصوص القربان الاقدس فيفنّد اعتراضاتهم تفنيدًا حسنًا ولا نأخذ عليهِ سوى احتجاجهِ على الكنيسة اللاتينيَّة لاستعمالها الفطير في الذبيحة فانَّ مزاعمهُ بهذا الصدد قد فنَّدها حضرة الاب انطون صالحاني ببراهين نقليَّة وعقليَّة لامردّ عليها في كتابهِ الفطير والخمير ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — الحقّ يعلو — بقلم يوسف سعد نصر . طبعة ثانيةٌ . سان باولو (برازيل) سنة ١٩٢٣ . هو عمل رجلٍ يعدُّ اضغاثَ احلامهِ من الامور الواقعيَّة . وكفى هذا تعريفًا لهُ

٢ — غفران الامير — مأساة ذات اربعة فصول بالنثر يتخلَّلها شعر قديم بقلم القس حنَّا الرحماني الموصلي . طُبعت على حدة بعد نشرها في المشرق (سنة ١٩٢٣ ص ٦٠)

٣ — التمدُّن الكاذب — بقلم يوسف بطرس سعد محاضرة القاها في نادي اخويَّة القديس يوسف في بيروت . (طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩٢٣ ص ٣٠)

٤ — برنامج جمعيَّة اخوة الفقراء المارونيَّة — لسنتها السادسة والعشرين ١٩٢٢ . (في مطبعة النهضة ببيروت سنة ١٩٢٣ ص ١٦)

٥ — الحارس — مجلَّة نصف شهريَّة لصاحبها ومحرّرها اميل الخريّب . (في المطبعة اللبنانيَّة ببيروت صدر العدد الاوَّل في ١٥ ايار ١٩٢٣ ص ٤٨)

٦ — ميرفا — مجلَّة ادب وفنّ واجتماع صاحبتها ماري يني . العدد الاوَّل ١٥ نيسان ١٩٢٣ (مطبعة نعيم ببيروت (ص ٤٨)

٧ — الخزانة — تصدرها لجنة مكتبة السلام في بغداد مرَّةً كل ثلاثة اشهر . العدد الاوَّل ك ٢ سنة ١٩٢٣ ص ٥٦ نصفها عربيَّة ونصفها انكليزيَّة

٨ — دعوة عامَّة — من المجلس الشرعيّ الاسلاميّ الاعلى في فلسطين لعمارة الحرم في القدس الشريف ويليها دليل الحرم الشريف . في مطبعة بيت المقدس (ص ٢٧)

شذرات

﴿تدشين المستشفى الفرنسوي اللاحق بالمكتب الطبي﴾ ما كادت تمرّ سنة على وضع الحجر الاوّل لهذا البناء العظيم حتّى تعالت في الفضاء مبانيه الفخيمة تنطق بلسان حالها عمّا لفرنسة من الهمّة والنشاط في العمل والبراعة في الفنون فعُقدت في عصر الاحد الواقع في ٢٧ أيار الماضي حفلة قلّما يرى اهل البلاد شبيهاً بها ترأسها المفوّض السامي الجديد الجنرال ڤيغان بطل برلونية وكان بقربه نيافة القاصد الرسوليّ الذي تلا الصلوات الكنسيّة المرسومة لمثل هذه الابنية الخيريّة. وكان غبطة البطريركين الانطاكيين الجليلين مار الياس بطرس الحويك الماروني ومار اغناطيوس افرام الثاني الرحماني اوفدا المطرانين السيّد بطرس فغالي وميخائيل بجّاش ليمثّلاهما في تلك الحفلة وحضرها سيادة مطراني بيروت على المرارنة وعلى الروم الكاثوليك . وكان في صحبة فخامة الجنرال الاميرال الجديد بواسيار واركان الحرب وكبار ضبّاط جيش البرّ والبحر وسبقهم رؤساء حكومتي الانتداب ولبنان الكبير على جميع دوائرهما الملكيّة والعدليّة والادارية مع عدد لا يحصى من علية الاكليروس القانوني والماليّ ووجوه البلد واعيانه من سادة وسيّدات. فخطب حضرة رئيس كلّيّة القديس يوسف الاب شتور ثمّ فخامة الجنرال ڤيغان فبيّنا ما لتلك الحفلة من المعنى الخفيّ وما ينتظر من ذاك البناء من الخدمات لتلطيف اوجاع الانسانيّة ومضاعفة شكر الاهلين لفرنسة ولابنائها من اطبّاء وراهبات وممرّضين المتفانين كلهم في حب السوريين

﴿رشق الماسونيّة بالحرم﴾ انّ الاحبار الرومانيين منذ ظهور الماسونيّة في اواسط القرن الثامن عشر عرفوا روحها الشرّير وأعلنوا على رأس الملأ بغاياتها القبيحة ورشقوا المنتمين اليها بالحرم الذي جدّده عشرة منهم كما بيّنا ذلك في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون. وقد حذا حذوهم البطاركة والاساقفة في انحاء المعمور وقد رأى مؤخّرًا غبطة السيد مار الياس بطرس الحويك البطريرك الماروني ان يجدّد ذاك الحرم ويحفظ لنفسه حلّ الذين ينتظمون في تلك الشيع السرّيّة الممقوتة التي تسعى طاقة جهدها بمناقضة كلّ سلطة دينيّة ومدنيّة (اطلب رسالة غبطته في البشير في ١٩ ايار الماضي)

﴿اسلام محمّد امين الريحاني﴾ نستحي من تهنئة اخوتنا المسلمين باسلام محمّد

امين الريحاني لعلمنا بانهُ يسخر منهم كما سخر باهل دينهِ بل بكل دين لزندقتهِ وجحودهِ للخالق كما بيّنا ذلك سابقاً من كتاباتهِ (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٣٨٩ — ٣٩٢ و ٧٠٨ — ٧١٠) . وعلى كلّ حال نهنئ النصرانيّة بنبذها من حجرها هذا الملحد الوقح الذي أطلق لسانهُ على كلّ القدسيّات وتهدّد بالرصاص كيمي بطريركيّة طائفتهِ الجليلة وحضّ الاكليروس دون جدوى على التمرُّد وشنّع كلّ خدمة الدين . فكم سئمنا لما بلغنا انّ المصريين اوّلاً ثمّ البيروتيين بعدهم وبينهم النصارى بل الموارنة استقبلوا عدوّ وطنهم ودينهم ورحّبوا بهِ واقاموا لذكرهِ حفلة ادبيّة . فنزه ا زه من عمل هؤلاء القليلي الفهم والذوق ! . وهناك فاه الشيخ منذر بكلمة يجهها فم كلّ عاقل واديب « يا ليت الدين ما نزلا » وهو كلام كلّهُ كفر رشق بهِ دينهُ كما شوّهُ لسانهُ بنبذ كلّ الاديان مع كونهِ يقرّ بنزول الدين فيأخذ على الخالق انه عزّزنا بالدين ويتمنّى عدمهُ . فللّه درّ هؤلاء الخطباء الذين اقلّ ما يقال عنهم انهُ يهرفون بما لايعرفون

﴿ اهتداء شاعر ياباني الى الكثلكة ﴾ في كليّة ثاسيدة اليابانيّة استاذ شهير يتناشد الاهلون قصائدهُ الرنّانة يُدعى ميكي . فهذا الشاعر اهتدى حديثاً الى الدين الكاثوليكي لما وجد فيهِ من الادلّة المقنعة لسلام ضميرهِ . وقد ألقى في مدينة طوكيو محاضرة حضرها جمهور وافر من مواطنهِ اطلعهم فيها على سبب تديُّنهِ بالكثلكة

﴿ انتقاد المغربي ﴾ طلبنا من جناب الشيخ عبدالقادر المغربي ان يأتي بما لديهِ من الادلّة لتفنيد ما قلنا عن الزبرقان ونصرانيّتهِ فاجابنا في احد اعداد الجامعة السوريّة (١٨ رمضان) بمقالٍ كلّهُ لطف ولا غروا فالاناء يرشح بما فيهِ فقال هداه الله انّنا « مثلنا دور فرعون مع قرّاننا » و « ادّعينا الربوبيّة » الى آخر ما هناك من الكلام الذي أفحمنا بقوّة برهانهِ . فكفى بذكرهِ جواباً على من يلوّث قلمهُ بمثل هذا السفاسف الصبيانيّة !

﴿ حفلة الاحرار ﴾ دُعينا يوم الاحد الماضي الواقع في ٢٧ أيار الى حضور حفلة خطابيّة عُقدت لمناصرة المبادئ الحرّة . وقد عرفنا الكتاب من عنوانهِ اذ رأينا خطباء الحفلة قوماً من الفرمسون في مقدّمتهم صاحب « الانوار » المظلمة يوسف الحج . فامتنعنا عن الحضور وقد احسنّا لانّهُ بلغنا انّ اولئك الخطباء قصدوا من اجتماعهم الاحتجاج على غبطة السيّد البطريرك الماروني لضربهم بالحرم . وفي فعلهم هذا شاهد على ان سهم غبطتهِ قد اصاب الهدف

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة القس مبارك عبد الدامري ايختصّ جنّاز البتولات (المذكور في كتاب الافراميّات المطبوع في بيروت بحسب الطقس المارونيّ) بالراهبات الناذرات فقط او يشمل ايضاً البتولات العاليّات اللواتي يتن قبل زواجهنّ ؟

جناز البتولات في الطقس المارونيّ

ج يظهر من عادة رُعاة النفوس في الكنائس انّ صلوات جنّاز البتولات تتلى على كلّ المتنيّحات سواء نذرن العفّة في الرهبانيّات او توفّاهنّ الله في العالم قبل الزواج. ثمّ لم نجد في تلك الصلوات ما يدلّ صريحاً على بتولات ناذرات فيجوز تلاوتها على كل امرأة ماتت قبل اقترانها بالزواج

س وسأل الاديب يوسف افندي صفير: ١ً من هي شمسة ملكة العرب ومتى واين كان ملكها . ٢ً اصحيح ما قالهُ العلّامة الالوسيّ في شرح البيقونيّة انّ ابن الملقّن روى عن حجّة الاسلام الغزالي انهُ سبق العلماء الاوربيين في قولهم عن تركيب الماء . فمن هو ابن ملقّن هذا ؟

شمسة ملكة العرب – ابن الملقّن والغزالي

ج نجيب عن الاوّل انّ شمسة ملكة العرب ورد ذكرها في الكتابات الاشوريّة في النصب الذي اقامهُ تغلت فلاسر الثالث بعد فتوحهِ لبلاد الشام (سنة ٧٤٥–٧٤٢). فيقول هناك انملكة العرب زَبيبة لمّا بلغها خبر انتصارات تغلت فلاسر في جهات حماة وفي دمشق اسرعت وارسلت هدايا للملك الاشوري لتردّ عنها غاراتهِ . وكانت زبيبة مالكة في شرقي دمشق على بلاد حوران. ثمّ خلفتها شمسة وجرت على مثال زبيبة اوّلاً ثمّ حالفت المصريين سرّاً لمحاربة الاشوريين فارسل تغلت فلاسر سريّة لمحاربتها فاسرعت وقدّمت للملك طاعتها مع ما فرض عليها من الجزية . ونجيب عن (الثاني) انّ ابن ملقّن هو ابو حفص عُمر ابن نور الدين عليّ الانصاري الاندلسي المتوفّى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠٠ م) وكان من المحدّثين امّا نسبتهُ الى الامام الغزالي القول بتركيب الماء قبل العلماء الاوربيين فلم نجد لهُ سنداً وهو احد المزاعم التي لا يجوز الاكتراث بها الى أن يأتينا قائلوها بنصوص صريحة

ل.ش

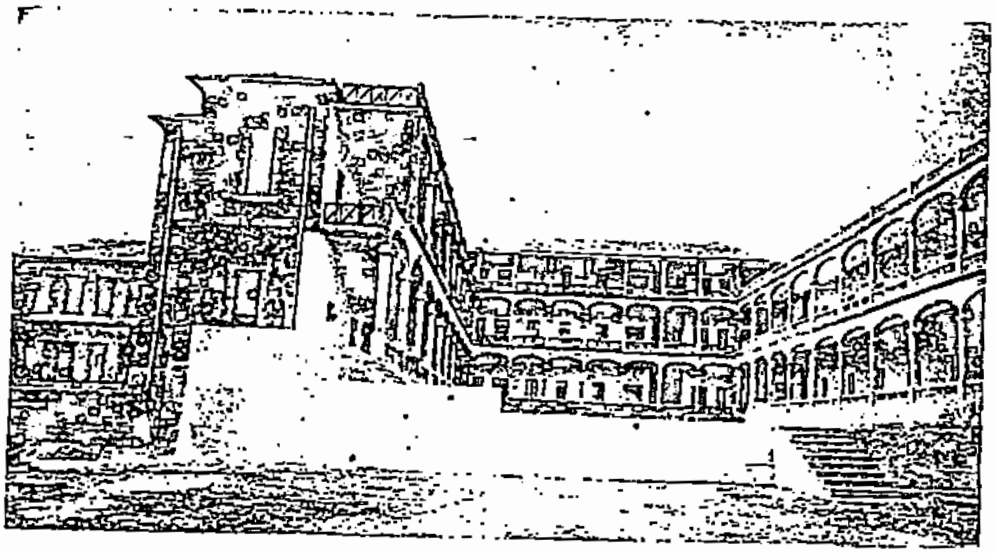

المستشفى الطبي الفرنسوي الجديد

١ صورتهُ الامامية جنوباً

٢ صورتهُ من جهة الشمال

HOTEL - DIEU DE FRANCE 1923

1 V. DU SUD

2 V. DU NORD

المشرق

المستشفى الطبي الفرنسويّ الجديد

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة الابوين شرل نيرون وزاميل رينو اليسوعيين

هذه اربعون سنة منذ نشأ في بيروت ذاك المكتب الطبي الذي أنعمت بهِ فرنسة على بلادنا السوريَّة. هي الحكومة الفرنسويَّة التي فوَّضت هذا العمل الجليل الى رسالة الآباء اليسوعيين ليتولَّوا شؤونهُ وتدبيرهُ في هذه المدينة فتبرَّعت بمالها لتجعلهُ اهلاً باسمها وبشروعاتها الخطيرة. هي التي ارسلت لالقاء دروسهم فيهِ نُخَب الاطبَّاء الذين يُشار اليهم بالبنان فدفعت لهم رواتبهم بيدٍ سخيَّة. هي التي سعت لدى الحكومة التركيَّة بان تصدّق على الاجازات التي تمنحها لجنة الفاحصين المشكَّلة من اختصاصيي الدولتين

فبفضل تلك الدولة الفخيمة وبهمَّة رؤساء المكتب المذكور ومعلّميه الرهبان والعلمانيين بلغ غايةً ما كان ليؤمّلها العموم وكفى بالدليل الى ذلك اقرار رؤساء اللجنات السنويَّة الفرنسويَّة والتركيَّة الذين أعلنوا على رؤوس الملا ولدى حكومتهم بان مكتب بيروت الطبي الفرنسوي جدير بان يُنظم في جملة المكاتب الشبيهة بهِ الشائعة في حواضر البلاد الاوربيَّة. ويشهد على قولهم عدد المتخرّجين فيهِ طول هذه المدَّة (مع استثناء اعوام الحرب) البالغين نيفاً وسبعمائة طبيب قانوني او صيدلي قانوني بينهم ممثلو كلّ الاديان وكلّ العناصر وكل بلاد الشرق فمنهم الكاثوليكي اللاتيني والماروني والكلداني والرومي الكاثوليكي والاورثوذكسي والارمني الكاثوليكي والغريغوري

والسرياني الكاثوليكي واليعقوبي والقبطي وكذلك المسلمون من اهل السنّة والشيعة ثم الدروز والنُصَيريون واليهود . امّا اوطانهم فانّها تتناول كل ممالك تركيّة سابقاً وجزيرة العرب والعراق والعجم وانحاء البلقان وجزائر اليونان ومصر والسودان والحبش يخدمون كلّهم الانسانيّة البائسة بهمّتهم الشريفة وقد اصاب اكثرهم الاوسمة والامتيازات من حكومات البلاد

هذا فضلاً عن مئة منهم توفّاهم الله ذهب ثلثهم ضحايا الواجب وشهداء وطنيّتهم في مدّة الحرب الكونيّة

وقد دعا ترقّي المكتب المتواصل الى ان يُنقل سنة ١٩١٢ من محلّهِ الاوّل بجوار كلّيّتنا الى مسافة ميلَين منها على طريق الشام ليس بعيداً من حرج صنوبر بيروت حيث بُنيت لهُ معاهد واسعة لكل فرع من فروع الطبّ والصيدلة وبلغ فيها عدد الطلبة في اوّل فتحها نيفاً وثلثمائة طالب ولولا الحرب الكونيّة لكان ازداد هذا العدد الّا انهُ بسبب نكباتها هبط الى ما دون المئتين والامل معقود على ان عددهُ سينمو فوق العدد السابق للحرب ولعلّهُ يبلغ الاربعمائة لاسيّما وقد أُضيف اليهِ مؤخّراً معاهد جديدة لعلاج الكلَب وعلم امراض الاسنان وعلم التوليد للقوابل

*

على انّ مكتباً طبّياً تامّ العدّة وافي الاسباب لا غنى لهُ ليأتي بآثارهِ المأمولة من ان يُلحق بهِ مستشفى كبير عديد الاسرّة يتنوّع فيهِ المرضى ذوو العاهات المختلفة فيعاينها الطلبة في صحبة اساتذتهم ويتعلّمون بالاختبار تشخيصها واسبابها واعراضها وعلاجها ولولا ذلك لبقي علمهم نظرياً قليل الجدوى وفقاً لمثل القائل « اسأل مجرّباً ولا تسأل عالماً »

ادركت عمدة المكتب الطبي هذه الحاجة الماسّة الى مستشفى خاصّ بهِ . وقد كانت الحكومة الفرنسويّة حاولت سدّ هذه الثلمة باستخدام مستشفى واهبات المحبة في وسط المدينة فلقي المعلّمون عندهنّ الوسائل الكافلة بتعليم الطلبة مدّة سنين عديدة الّا انّ ضيق المستشفى وقوانين الراهبات في تدبير المستشفيات وتمريض الاعلّاء مع ازدياد عدد التلامذة وبُعد المستشفى عن المكتب الطبيّ كلّ ذلك كان يقضي بتشييد معهد جديد احقّ بتعليم الدارسين واجدر بترقّي فنّ الطبّ في عواصم اوربّة

كما كانت تجاهر به لجنة الفاحصين السنوية

ذاك كان الشغل الشاغل الذي كان يهجس في صدر رؤساء المكتب الطبي منذ خمس عشرة سنة وخصوصاً في صدر حضرة كنشلياره الاب لوسيان كاتن الذي تفانى في خدمة المكتب المذكور وكان قبل الحرب تجشّم الاسفار الى فرنسة لحلّ هذا المشكل فصادف لدى أربابها آذاناً صاغية وقلوباً واعية ومساعدات ماليّة دفعتهُ الى مباشرة هذا المشروع الهامّ . فاسرع واقتنى ارضاً واسعة تبلغ مساحتها ثلثة هكتارات في موقع حسن في سفح تلال الاشرفيّة جنوباً ووكل الى احد رهبانهِ البارع في فنّ الهندسة والبناء حضرة الاب يوسف ماترن مع مساعدة المهندسين الشهيرين اميل خاشو ويوسف افتيموس القيام بهذا العمل الاثير فرسم الاب المذكور رسم المستشفى مراعياً لكل لوازمهِ ولحاجات المرضى وأعدت كلّ موادّ البناء للمباشرة بالعمل اذ عصفت الحرب الكونيّة بالمكتب وآلهِ وتبدّدت كلّ موادّ الابنية فتصرّف بها الاتراك تصرّف السيد بمالهِ معلنين على رؤوس الاشهاد بأن فرنسة لن تعود الى تلك الاملاك المحجوزة

فما كادت تسكن ريح الحرب العاصفة حتى عاد الحق الى نصابهِ واستأنف اصحاب المكتب الطبيّ تدريس الطبابة بعد استدراكهم للخلل اللاحق بالمكان بسوء تدبير الاتراك

ولكن أنّى لهم ان يفكّروا في تشييد المستشفى النويّ مع تلف موادهِ وغلاء الحاجيات وهبوط اسعار القراطيس الماليّة ورقيّ اجرة العمّالة فلم يبق لهم الّا الامل الضعيف في تحقيق امانيهم فاكتفوا بعقد معاهدة مع اصحاب مستشفى القديس جاورجيوس لثلث سنين ليتردّد اليهِ طلبة المكتب فيتمرّنوا فيهِ على ممارسة الطب وتطبيق مبادئهِ النظريّة على حقيقة الامراض والعلل واعتياد اعمال الرحمة والتضحية في سبيل البشريّة المتألمة . وما كان هذا الاتفاق المؤقّت الّا ليثبت واضحاً حاجة المكتب الى مستشفى مستقلّ

*

ففي تلك الاثناء كان فخامة الجنرال غورو المفوّض السامي لفرنسة في هذه الاصقاع يحضر حفلات المكتب الطبيّ وتوزيع اجازاتهِ فيتحقّق عياناً ما صار اليهِ من التقدّم العظيم وما نالتهُ فرنسة بسببهِ من الشرف في سائر انحاء الشرق ولدى كلّ الملل

ففي السنة ١٩٢١ بناء على الحاح رئيس المكتب واساتذته رأى انهُ لا بدّ من حلّ تلك الأزمة فارتأى مع نائبهِ المهلم المسيو روبر ده كه انّ افضل وجه لبلوغ تلك الغاية ان يُتفق على تشييد المستشفى بقيّة ما رصدتهُ المفوّضيّة من ميزانيّة السنة المذكورة وهي تبلغ المليونين من الفرنكات لا يمكن صرفها في مشروع افضل من هذا العمل الآئل للخير العام ولخدمة العلم معاً

فكان لقصد الجنرال احسن موقع في القلوب وبهِ زالت كلّ العقبات الحائلة دون ترقي المكتب الى اوج الفلاح

فأسرع الاب المهندس مع رفيقيهِ واعدّ كلّ ما يلزم للقيام بالعمل فكانت اوّل ضربة معوَل لتشييد البناء في ١٢ كانون الثاني من السنة ١٩٢٢ . وبعدها بثلثة اشهر في ١٢ أيار من السنة وقعت تلك الحفلة المهيبة التي ذكرناها في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٥٨٥) اذ وُضع الحجر الاوّل لهذا المستشفى بيد فخامة الجنرال غورو بعد ان باركهُ نيافة القاصد الرسولي فريديانو جنيني وحضر تلك الحفلة نخبة ما تحتويهِ بيروت من ارباب الدين واعيان الدولة الفرنسويّة والحكومة اللبنانيّة

وها هوذا المستشفى بعد سنةٍ فقط يبس بأبنيتهِ الفخيمة التي وقع تدشينها في ٢٧ ايار الماضي (اطلب المشرق ٢١[١٩٢٣]: ٤٩٥) بحفلة قلّما ترى ببيروت مثلها رونقاً وأبهة تولّاها مفوّض دولة فرنسة الجديد الجنرال ڤيغان وحضر مع كلّ حاشيتهِ ذوي المناصب السامية صلاةَ تدشين المكان التي تلاها نيافة القاصد الرسولي

*

فدَعنا الآن نقوم بازاء هذا المعهد الجديد فنسرح النظر في خواصهِ وميزتهِ . واوّل ما يستلفت اليهِ الابصار فخامة ابنيتهِ وجدرانهِ وارتفاع سطوحهِ يكسو بعضها الآجرّ الاحمر . يُرى من اعلاها شرقاً لبنان بمناظرهِ الفتّانة وقراهُ المزدانة بالخضرة والمحدقة بالاحراج يظلّلها رواق السماء السنجوني اللون . ويمتدُّ النظر جنوباً الى سهول الشويفات المخصبة التي تكسوها اشجار الصنوبر والزيتون ويقع غرباً على احياء بيروت ودورها الفخيمة

وقد دُعي هذا المستشفى بمنزل العناية الالهيّة الفرنسويّ (Hôtel-Dieu de France) اشارةً الى مستشفيات فرنسة المتعدّدة التي لا تخلو منها معظم مدنها العامرة

والتي تجري فيها كلّ اعمال الرحمة حبًّا بهِ تعالى. فارادت تلك الدولة الصديقة ان تمنح سقاء بيروت بواحد منها. وهو باقٍ كذلك لها وانّما تعيرهُ لحاجات المكتب الطبّي

وهذا المعهد الجديد واقع في وسط ارض مساحتها ٣٥،٠٠٠ متر مربع اعني ٦٣،٠٠٠ ذراع وابنيتهُ تشغل منها حاضرًا مساحة ١،٨٠٠ متر . ومع اعتزالهِ عن ضوضاء المدينة ليس هو بعيدًا من المكتب الطبّي فيسهل على الطلبة التردُّد اليهِ ذلك فضلًا عن قربهِ من قطار الترلمواي

وقدَّم البناء باحة واسعة الارجاء طولها ٣٨ مترًا في عرض ٢٣ مترًا ما يساوي ٨٧٤ مترًا مربعًا فينفذ فيها الهواء النقي ومنها يلج الى كافّة انحاء العمارة

ومجموع الابنية مربَّع الشكل من الامام الّا انَّ واجهتها لم تُبنَ حتى الآن وسيكون طولها ١٠١ متر ومساحتها ٨٠٠ متر مربَّع

ويتألف البناء الاوسط الكبير في اسفلهِ من الغرف الطبيَّة المعدَّة للوازم المستشفى وفوقها طابقان . ففي الطابق الاوَّل المعد وغرف العمليَّات الجراحيَّة ثم اربع قاعات واسعة طول كلّ واحدة ٢٢ مترًا في عرض تسعة امتار مهيأة لتمريض ٨٠ عليلًا من الفقراء مجانًا مع ثماني غرف منفردة يضاف اليها ١٢ غرفة للمرضى الموسرين الذين يدفعون نفقات تمريضهم . وهذه القاعات يُستطاع توسيعها في المستقبل . امَّا الطابق الثاني فمختصّ بسكنى الراهبات اليوسفيَّات من جماعة ليون اللواتي عُهد اليهنَّ تدبير هذا المستشفى وتمريض اعلّائهِ والقيام بشؤونهِ وقد اشتهرنَ منذ زمن مديد بضبط المستشفيات وعلاج المرضى لا يفوتهنَّ شيء من حسن تدبيرها

وعلى جانبي هذا القسم الاوسط بنايتان تتوازيان معتزلتان عنهُ تسندهما اليهِ قناطر ينفذ فيها الهواء الطيّب فيكسب المعهد بلالةً ونقاء وتطهيرًا وقد أُعدَّت فيها اربع قاعات طولها ٢١ مترًا في عرض ثمانية امتار اثنتان منها للعمليَّات الجراحيَّة والطبابة بينهما غرفة للتعقيم والثالثة لعُمَّال المستشفى والرابعة لتمريض الصغار . وهناك ايضًا الحمَّامات والمراحيض . وفي كل جوانب البناء اروقةٌ نزهة مستندة الى اعمدة لطيفة مع بعض الدهاليز لحاجات المستشفى . وقد رُوعيت في كل مكان نواميس النور الطبيعي والصناعي

ويُرقى الى طبقاتهِ العليا بصاعدٍ يسهل على المرضى الارتقاء اليها او الهبوط منها

ومن ورائهِ بنايتان أُخريان على شكل U في اسفلهـا اجزانية (فرمشيَّة) وقاعة الاكل والمطبخ وما يلحق بهِ وقاعة لغسل الثياب مساحتها مئة متر مربَّع

والمستشفى في حالتهِ الحاضرة مُعَدّ لتمريض ١٤٧ عليـلًا وسيكفي اذا نجز لخدمة ٢٥٠ منهم واليوم يسعى اصحابهُ بتأثيثهِ واعداد كلّ لوازمهِ ليُباشر باستخدامهِ في شهر تشرين الاوَّل

وممَّا لم يتمّ في الوقت الحاضر واجهة البناء . وقد بوشر بتشييد مستوصف صحّي اجتماعي ومعهد عموميّ لمعاينة المرضى عند زاوية البناء الجنوبيَّة الغربيَّة ومنهُ يكون مدخل المستشفى الاهمّ ومساحة هذا البناء لا تقل عن ٤٠٠ متر مربَّع

وكذلك في نيَّة المهندسين ان يبنوا قريباً داراً خاصَّة بالامراض الوبائية تبقى معتزلةً عن سواها

فترى من هذا الوصف الوجيز ما للمعهـد الجديد من عظم الشأن لتلطيف آلام الانسانية فتستطيع بيروت ان تفاخر بهِ عواصم البلاد شاكرةً لفرنسة ومخلدةً لذكر هذه النعمة الحديثة التي نالتها من مراحمها ومن روحها الطيّبة المفعمة ديناً وحناناً

على انَّ مستشفًى كهذا لا يمكن تدبيرهُ الَّا بنفقات سنويَّة تبلغ مئات الالوف من الفرنكات ولا شكّ انَّ الدولة الفرنسويَّة سوف تسدّد القسم الاوفر منهـا الَّا انهُ يبقى لرجال الخير بيننا مجالًا واسعاً لإبداء ما فُطروا عليهِ من الاريحيَّة والشفقة على البائسين فينالوا بحسناتهم شكر العموم ولاسيَّما الأجر عند الربّ الذي يعدّ كصنوع لنفسهِ كلّ ما يُبذَل في سبيل علاج القريب ولا يُضيع قدح الماء البارد المعطى باسمهِ لأحد الصغار

بدائع جبران خليل جبران وطرائفهُ

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

اهدانا ناشر هذا الكتاب يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر نسخةً منهُ مطبوعةً طبعاً حسناً في مطبعة يوسف كوى في السنة الحالية في ٢٢٣ صفحةً مع بعض التصاوير من قلم المؤلف . وبنشرهِ دلَّ يوسف افندي قلَّة اكتراثه لكرامة ملَّتهِ المارونيَّة ولشرف مبادئ دينهِ وآداب وطنهِ سامحهُ الله

من هو جبران خليل جبران

رجلٌ بلغ الكهولة رأى النور سنة ١٨٨٣ في بشرّي من اعمال لبنان وبعد ان تخرَّج في مدرسة طائفتهِ البيروتيَّة تقلَّب مع الدهر وتنقَّل الى بلاد شتى كفرنسة واميركة واستوطن نيويرك فسلب عقلهُ تمدُّنُ العالم الجديد الذي اعلن ٦٥ في المئة من اهلهِ (١ تجرُّدهم عن كلّ دين واعتبر كثيرون منهم الدينَ قيداً لا بُدَّ من كسر اغلالهِ وقمع نيرهِ ليستسلموا الى اهوائهم الباطلة وعلى الاقلّ الى اعمالهم المادّية واشغالهم الهيوليَّة ذاهلين عن قول الربّ انَّ الانسان لا يعيش من الخبز وحدهُ

ومعلوم انَّ جبران خليل جبران مصوّر بارع استعان بمخيّلتهِ الشرقيَّة لرسم عدَّة تصاوير من مشاهير الاسلام نالت جوائز في معارض باريس واميركة كابن سينا وابن خلدون والغزّالي والمعرّي ومجنون ليلى والمتنبي وابن الفارض وغير ذلك من رسوم كان الاجدر بهِ ان ينفيها من كتابهِ

والكتاب مصدَّر برسمهِ الكريم فمن تمعَّن بصورتهِ هذه ولعلَّها ايضاً من يدهِ لا يتمالك من ان يحكم عنها انَّها سمة رجل يسخر بناظريهِ ويهزأ بدهرهِ وهو واضع يدهُ اليمنى في جيبهِ ويشدّ بشمالهِ الى عصاهُ كأنَّهُ بابتسام وجههِ ينطق بآية الكتاب

١ هذا ما ورد في احصاء الولايات المتَّحدة الاخير وكفى بهِ دليلاً على رقي اميركة المزعوم

(اشعيا ٢٢ : ١٣) : « فلنتمتّع بالحياة ونأكل ونشرب فانّنا غدًا نموت »

وقد أثّر فنُّ التصوير في عقل جبران فظنَّ انه في الكتابة ايضاً يكفيهِ الرجوع الى مخيّلتهِ فيها خطر لها من درّة او بعرة يجوز لهُ ان ينوهَ بهِ صدقٌ او كذبٌ

جبران خليل جبران وزمرته

ثلاثة رجال سلكوا هذه الطريقة المبهرجة خصوصاً في عهدنا وكلُّهم نصارى: مارونيّان امين (محمّد ا) الريحاني وجبران خليل جبران وروميّ اورثذكسيّ فرح انطون المتوفّى في العام الماضي. فان اعتبرت انشاءهم لأوّل وهلة راعك ما تجد فيهِ من التشابيه وضروب البديع المموهة والتعابير المستغربة التي تشنّف المسامع بترويقها لكنك ان دقّقت فيها النظر رأيتها في الغالب لفظاً فارغاً او بالحري لفظاً وثرثرة . وقد بيّنّا ذلك في انتقاد الريحانيّات سابقاً (الطلب المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٣٨٩ و٧٠٣) حيث اثبتنا لهُ عدّة اقوالٍ تشهد على قلّة ذوقهِ وسوء طريقتهِ الكتابيّة وتعسّفهُ الكثير في الانشاء وتصنّعهُ زاعماً انهُ يكتب الشعر المنثور وهو لا يحسن النثر البسيط

ومثل الريحانيّات «الفرحيّات» اي تآليف فرح انطون الذي حاول ايضاً التمويه على قرّائهِ ببهرجة الكلام لكنّهُ ابى ان يجري على مثال « فيلسوف الفريكة » في مقالاتهِ المتينة ومدّعياتهِ الفلسفيّة فدسَّ غالباً مبادئهُ الباطلة في ما ألّفهُ وعرّبهُ من الروايات

أمّا جبران خليل جبران فانّهُ تعقّب الريحاني في انشائهِ وافكارهِ وربّما هرّف وهذى مثلهُ فاسمع بعض ما ورد من هذيانهِ في الكتاب الذي نحن بصددهِ . قال يصف الكمال (ص ٦٩) :

« تسألني يا اخي اي شيء يسير الانسان كملًا. فاسمع جوابي. يسير الانسان نحو الكمال عند ما يشعر بانهُ هو الفضاء ولا حدَّ لهُ ، وهو هو البحر بدون شواطئ ، وانهُ النار المتأججة دائمًا ، والنور الساطع ابدًا ، والارياح اذا هبّت او اذا سكنت ، والسُّحب اذا ابرقت وارعدت وامطرت ، والجداول اذا ترنّمت ، والاشجار اذا ازهرت في الربيع او تجرّدت في الخريف ، والجبال اذا تعالت ، والاودية اذا انخفضت ، والحقول اذا خصبت واجدبت »

أفهمتَ ايها القارئ كيف يسير الانسان نحو الكمال ؟ فاسمع الآن كيف يبلغ اوج الكمال قال :

« اذا شعر الانسان بكل هذه الامور بلغ منتصف طريق الكمال . امّا اذا شاء بلوغ محجّة الكمال فعليهِ ان شعر بكمالهِ ، ان يشعر بانهُ الطفل المتكل على امّهِ ، والشيخ المسئول عن عيالهِ ، والشاب الضائع بين امانيهِ وغرامهِ ، والكهل الذي يُصارع ماضيهُ ومستقبلهُ ، والعابد في صومعتهِ ، والمجرم في سجنهِ ، والعالم بين كتبهِ واوراقهِ ، والجاهل بين ظلمة ليلهِ وظلمة غارهِ ، والراهبة بين ازهار ايماضا واشواك وحشتها ، والموس (يا لله !) بين انياب ضغنها ومخالب حاجتها ، والفقير بين مرارتهِ وامتثالهِ ، والغني بين حطامهِ واذعانهِ ، والشاعر بين ضباب امانيهِ وشعاع اسحارهِ — اذا استطاع الانسان ان يختبر ويعلم جميع هذه الامور يصل الى الكمال ويصير ظلاً من اظلال الله »

بالله عليك ايها القارئ قل لي ماذا ادركت من كلّ هذه الالفاظ المزوّقة أهذا كلام يفوهُ بهِ رجل عاقل ؟ اليس هو بالحري كلام رجلٍ هذّاءة يتكلّم بلا معقول ؟

وكم في هذا الكتاب من اشكال هذه « البدائع واللطائف » التي يمدّها كاتبها آياتٍ من البلاغة والافكار السامية فاذا سبرتها بمسبار الانتقاد اخذك العجب من سخافة كاتبها . اقرأ مثلاً فصلهُ المعنون «الليل والمجنون» (ص٤٦) توقن بصدق قولنا :

المجنون — انا مثلك ايها الليل قائم ، عابر سائر على الطريق الملتهبة الممتدّة فوق احلام غاري ، وحيثما تمسُّ رجليَّ الارض هناك تنبثق شجرة سنديان (كذا)

الليل — كلّا ، لست مثلي ، ايها المجنون ، لأنك لا تزال تلتفت الى الوراء لترى كبر آثار قدميك على الرمال !

الى آخر ما هناك من المقابلات الغريبة الغير المأنوسة المضحكة بين الليل والمجنون حتى ينتهي بهذا الختام الملتبس :

المجنون — نحن توأمان ايها الليل ، فانت تبيّن اعماق اللانهاية وانا ابيّن اعماق نفسي !

ولعلّ صاحبنا ادرى بنفسهِ اذ يصف الشاعر فاسمع شيئاً من كلامهِ (ص ٣٥) :

(الشاعر) انا غريب في هذا العالم . . . انا غريب عن اهلي وخلّاني فاذا ما لقيتُ واحداً منهم اقول في ذاتي «من هذا وكيف عرفتهُ . . .» انا غريب عن نفسي فاذا ما سمعتُ لساني متكلّماً تستغربُ اذني صوتي . وقد ارى ذاتي الخفيّة ضاحكة باكية مستبسلة خائفة . . . انا غريب عن جسدي ، وكلّما وقفتُ امام المرآة ارى في وجهي ما لا تشعر بهِ نفسي ، واجد في عينيَّ ما لا تكنّهُ اعماقي ، اسير في شوارع المدينة فيتبعني الصبيان صارخين « هوذا الاعمى فلنطرحهُ عكّازاً يتوكّأ عليهِ » فاهرب منهم مسرعاً . ثمّ ألتقي بسرب من الصبايا فيتشبّثن باذيالي قائلات « هو الطرش كالصخر فلنسلّ اذنيهِ بانغام الغزل» فاتركهنّ راكضاً . ثمّ التقي بجماعة من الكهول فيقفون حولي قائلين «هو اخرس كالقبر فسألوا تقوّم اعوجاج لسانهِ» فاغادرهم خائفاً . ثمّ التقي

برهط من الشيوخ فيؤمون نحوي باصابع مرتعشة قائلين « هو مجنون اضاع صوابهُ في مسارح الجنّ والنيلان الخ »

فمن يا ترى تصوَّر الشاعر كما تخيَّلهُ جبران خليل جبران : رجلٌ يغفل عن ذاتهِ كما يغفل عن كلّ ما حولهُ . أهذا شاعر ام مشعور ؟

وهناك كثير من هذه البضاعة . فكم من الشذرات الباردة والمقالات الصبيانيَّة الفارغة والتسميمات الملتبسة كفصولهِ البحر الاعظم (ص ١٠٧) والنملات الثلاث والكلب الحكيم (ص ١٠٩) الخ

وجبران خليل جبران كمن خلع ربقة الآداب مُغرَم بالنساء . فاذا تصوَّرهنَّ لا يتصورهنَّ الَّا عاريات(ص٧٥ الخ) وان ذكرهن لا يذكرهن الَّا كالمتيَّم بعشقهنَّ واذا وصفهنَّ لا يصفهنَّ الَّا للخلاعة . وان ذكر الحب رام الاحتراق بلهيبهِ قال في المقالة المعنونة «على باب الهيكل» (ص ٧٨) :

سمعت صوتاً من داخل الهيكل يقول « الحياة نصفين (كذا) نصف متجلّد ونصف ملتهب فالحبّ هو النطق الملتهب» فدخلتُ الهيكل اذ ذاك وسجدت راكعاً مبتهلاً مصلياً هاتفاً « اجعلني يا ربّ طعاماً للهيب اجعلني ايُّها الاله مأكلاً للنار المقدسة آمين »

فبينما يطلب اصحاب التمييز منهُ تعالى ان ينجوا من شهوات نفسهم الأمّارة يقتصر جبران خليل جبران في صلاتهِ على ان يطلب من الله ان يكون « طعاماً للهيب العشق ومأكلاً لنارهِ المقدَّسة !!» ولم يستحي ان يكتب فصلاً عنونهُ بجبران العاشق (ص٣٢)وصف فيهِ عبوديَّتهُ المذلَّة وكذا فعل في فصول اخرى كنبذتهِ «قبل الانتحار»

وكما باع جبران خليل جبران قلبهُ لهوى النساء تراهُ ايضاً ينادي بالثورة والتمرُّد ولا يرى في كلّ طبقات الهيئة الاجتماعيَّة الَّا عبيداً حتى الجنود والملوك والكهنة وقد ذكر في مقالتهِ العبوديَّة (ص ٥٣) صنوفاً من العبوديَّة كالعبوديَّة الخرساء والصمَّاء والعرجاء والشمطاء والرقطاء الخ ما هو محض ثرثرة رجل مهذار متشدق يتعطَّش الى الحرِّيَّة ولا يعلم من امرها شيئاً . ومما قالهُ في رؤياهُ او بالحري في اضغاث احلامهِ (ص ٧٢) :

« الحياة بغير تمرُّد كالفصول بغير ربيع في الصحراء القاحلة الجرداء . . . الحياة والتمرُّد

والحقّ ثلاثة اقانيم في ذات واحدة لا تقبل الانفصال ولا التغيُّر »

فترى انَّ الخلاعة وروح الثورة على السلطة لا تنفصلان في قلب جبْران خليل جبران كما لم ينفصلا في قلب الريحانيّ وفرح انطون

تحامل جبران خليل جبران على الدين

وما قولنا الآن بكفر هؤلاء الرجال وزندقتهم فانهم في هذا الميدان ايضاً كخيل الرهان يتسابقون فيه فيرون في الدين واهله مجموع الاثام فينسبون اليه قبائحهم وفظائع قلوبهم فكأني بهم لا يمكنهم ان ينظروا الى رجال الدين الّا تنمّروا غيظاً ولعلّ منظر الكاهن يذكّرهم بسوء سلوكهم وبالثواب والعقاب اللذين ينذرهم بهما ارباب الكنيسة وبالحساب الذي يجب عليهم ان يؤدوه يوماً الى ديّانهم فيقشعرُّون

فالريحاني (ذو الرائحة المنتنة) بكلّ كتاباته يسعى في نفث سمومهِ في الدين وممثليهِ فلا يرى بينهم الّا ظَلَمةً « يستخرجون من بعض الآيات والعقائد قواعد تمكّنهم من الضغط على الانفس والعقول» فتارةً يلقبهم « بالخرافة السوداء » وحيناً ينعتهم «باعداء الآداب» او «بالشرّ اللازم للبشر» او « بالتاجرين بالحقيقة والمكثرين من الخزعبلات» بل لم يخجل ان يسلق بلسانهِ الاثيم فخر لبنان بطريرك طائفتهِ الجليل ويتهدّد بالرصاص مقامهُ البطريركيّ كما انهُ بقحتهِ ابتخس كرامة سيدة لبنان فضربتهُ بذراعهِ ضربةً لا يزال يشكو منها

وانطون فرح في كتاباتهِ المختلفة يصوّر رجال الدين لا فكر لهم الّا ابتزاز المال من ايدي الناس . يجعل الرهبان « كمثال الكسل والبطالة شبيهين بالبعوض والبقّ والقمل والبراغيث يعلقون على جسم الهيئة ليمتصّوا دماءها وهم قاعدون بلا عمل بحجّة انهم يخلّصون انفسهم ويصلّون لغيرهم» (الوحش الوحش ص١١) وربّما اثار الخواطر عليهم ليتزعوا من يدهم اديرتهم واموالهم مدّعياً بعدم اهليّتهم لملكها

وكذلك جبران خليل جبران قد نفذ في قلبهِ الميكروب اللاديني فيجري على مثال السابقين في بغضهِ المدين ومناهضتهِ لأصحابهِ وجهلهِ بمعتقداتهِ . فان قرأت فصلهُ الذي عنونهُ باسمهِ تعالى «الله» (ص ٤٤) لا تدري أيعتقد بوجودهِ او يجعلهُ خليقةً «ينمو معها سويّةً (كما هو قال) امام وجه الشمس» او يدخل هو في الله «كالبحر

يضمُّ جدولًا جارياً اليهِ » وفقاً لمذهب الحلول والانتشار (Panthéisme) فكلُّ هذا يؤخذ من كلامهِ

ولو اردنا نقل اقواله الكفريَّة لطال بنا المجال فتراها تارةً مدسوسةً في جملة اقوال عموميَّة وتارةً منفردةً فحيناً يدعو الكاهن عابد صنم (ص ٥٢) ويزعم ان «ارباب الكنائس ينحرون الفتيان والعذارى على مذابحها ويدعونها الهاً» وفي كتابهِ الاجنحة المكسَّرة (ص١٠٧) تصوَّر معبداً جمع فيهِ بين عشتروت إلهة الفينيقيين العاهرة يحوط بها سبع عذارى عاريات والسيد المسيح مصلوباً . وهناك شخص لسقاً مارونياً دعاهُ باسم بولس غالب نسب اليهِ كلَّ المطامع وضروب الحيل والمراء . وفي شذرات بدائعهِ (ص١٤٧) ما يشمئز منهُ كلَّ ذوق كقولهِ « المتديِّن لا يتمذهب والمتمذهب لا دين لهُ » وكقولهِ : وكفرهُ صريح « هل كانت محبَّة لمَ يوداص لولدها اقلَّ من محبَّة مريم ليسوع » . ومثلهُ قولهُ شعراً يصف الدين وينفي كلَّ تعاليم السيِّد المسيح والانبياء (ص ٢١٩)

والدينُ في الناس حقلٌ ليس يزرعهُ غيرُ الأولى لهم في زرعهِ وطرُ
من آمل بنعيم الخلد مبتئر ومن جهول يخاف النار تستعرُ
فالقوم لولا عقابُ البعث ما عبدوا رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدينُ ضربٌ من متاجرهم ان واظبوا ربحوا او اهملوا خسروا

أمَّا جبران خليل جبران فانَّ حبَّ الله قد اضرم قلبهُ فلا يعبأ بجحيم ولا بنعيم ولطهارة قلبهِ يترفَّع عن الخوف والرجاء فيدَّعيها لسخاء العقول على انهُ نسي قول ربِّهِ والهِ في انجيلهِ (لوقا ١٢ : ٥) : «انا ابيِّن لكم مَن تخافون خافوا مَن اذا قتل لهُ قدرة ان يُلقي في جهنَّم نعم اقول لكم من هذا خافوا» لكنَّ جبران خليل جبران لرفع مقاماً من ان يقيِّد نفسهُ بالانجيل ولعلَّهُ لم يطَّلع عليهِ في حياتهِ وهو النصراني المارونيّ

ليس هذا كلُّ ما يحسن انتقادهُ في بدائع جبران وانَّما نكتفي بهِ ليتحقَّق القرَّاء اننا لم نتحامل عليهِ جزافاً او لغاية شخصيَّة لكن لواجب الضمير الذي يضطرُّنا الى ان نكشف للعموم دسائس بعض الكتبة لئلَّا ينخدعوا بشقشقة لسانهم وبهرجة كلامهم

على انَّنا لا ننكر انَّ في الكتاب بعض الفصول الحسنة كالفصل الذي عنوانهُ « لكم لبنانيَّتكم ولي لبنانيَّتي » وان تجاوز فيهِ حدود الانتقاد ولم يأنف كعادتهِ

من بعض التعريضات. ومن فصولهِ الفكهة فصل « الاستقلال والطرابيش » (ص ٧٠) ذكر فيهِ شرقيًا على مائدة باخرة افرنسيَّة اجبرهُ الآكلون على خلع طربوشهِ فاغتاظ لذلك فتكلَّم منهُ صاحب البدائع حتى قال (ص ٧١) :

«وهذا شأن اكثر الشرقيين الذين يأبون ان يكونوا شرقيين الَّا بتوافه الامور وصغائرها مع انهم يفاخرون بما اقتبسوهُ من الغربيين عمَّا ليس بتافه او صغير . . لو فكَّر ذلك الاديب الذي استصعب خلع طربوشهِ في الباخرة الافرنجيَّة بأن ذلك الطربوش الشريف قد صُنع في معمل افرنجي لهانَ عليهِ خلعهُ في ايّ مكان وفي أيَّة باخرة افرنجيَّة . لو فكَّر اديبنا بأن جدَّهُ السوري كان يُبحر الى مصر على ظهر مركب سوريّ مرتديًا ثوبًا غزلتهُ وحاكتهُ وخاطتهُ الايديّ السوريَّة لما تردَّى بطلنا المرّ الَّا باللباس المصنوعة في بلادهِ ولمَّا ركب سوى سفينة سوريَّة ذات ربَّان سوري وبحَّارة سوريين . . اقول لاديبنا واقول لجميع المطرَبشين « ألا فاصنعوا طرابيشكم بيدكم ثم تخيَّروا في ما تفعلونه بطرابيشكم على ظهر الباخرة او على قمَّة جبل او في جوف الوادي . . . »

فكنَّا نودّ لو لقينا فصولًا كثيرة كهذا تستحقّ الثناء فحرمنا جبران خليل جبران منها ليتشبَّث بما لا يروق في عين اصحاب الدين والادب

لقد يسوءنا وايمُ الله ان نرى بعض ناشئة بلادنا العزيزة يتلقون هكذا ما منحهم الله من الهبات العقليةِ فبعد ان رضعوا حليب الدين والتقى في وطنهم لبنان وتخرَّجوا في مدارسهِ على سُنن الادب والصلاح يذهلون عن تعاليم اهلهم واساتذتهم ويندفعون كالسيل الى تقليد التمدُّن المصريّ الباطل ويخلعون العذار كالفرس الجموح فينادون بحرّية الضمير. واوَّل ما يرفعون عقبهم على دين اجدادهم الذي بفضلهِ تهذَّبوا تاركين الجميل فيهزأون بهِ ويصوّبون سهام شتائمهم الى معتقداتهِ الجليلة ويستهجنون طقوسهُ ورتبهُ ويتحاملون على اربابهِ كالثيران اذا لوَّح المصارع الاسبانيّ امامها بشقَّةٍ حمراء فينسبون اليهم زورًا كلّ الدنايا وان رأوا نقصًا في الواحد منهم عظَّموهُ وعمَّموه ليبغضوهم جميعًا الى الناس . هذه خطَّة الريحانيّ وفرح انطون وجبران خليل جبران والمتعقّبين آثارهم من الشبَّان واكثرهم ينتمون الى الماسونيَّة ويتمرَّنون روحها القتَّال روح الخلاعة والتزق روح الكفر والالحاد المفضي ولا بُدَّ الى فساد العباد وخراب البلاد

في البطريركية الانطاكية

بقلم حضرة القسّ اسحق ارملة السرياني

١ مفاخر الكنيسة الانطاكية

يحقّ للكرسيّ الانطاكي الرسوليّ ان يفاخر سائر الكراسيّ الرسوليّة الشرقيّة من وجوه شتى اجلها وأفضلها ان بطرس زعيم الرسل هو الذي شادهُ يوم شخص الى انطاكية بعد صعود الفادي وأنذر سكانها بالايمان المسيحيّ وأسّس فيها الكنيسة الاولى وفيها دُعي المسيحيون بادئ بدء مسيحيين كما روى القديس لوقا في اعمال الرسل (١١ : ٢٥). ثم اقام أوديوس بطريركاً لها ورحل الى رومية وفيها تمّ استشهاده

وقد صرّح البطاركة الانطاكيون بان للكنيسة الرومانية المقام الاوّل ما بين سائر الكراسيّ الرسولية وبانقيادهم الى رئيسها ومراجعتهم اياه في الامور الدينية الخطيرة. من ذلك ما كتبه اغناطيوس النوريّ الشهيد († ١١٧) في صدر رسالته الشهيرة الى الرومانيّين يوم قُبض عليه بامر طرايانس وسيق الى رومية العاصمة ليُلقى الى الوحوش الضارية في مرسحها الذائع الصيت قال ما شرحهُ : « اغناطيوس المتّشح بالله الى الكنيسة المحبوبة المستنيرة بسموّ العليّ .. ذات المقام الاوّل في بلاد الروم المنتمية اليه تعالى والحائزة الرتبة الاولى الرئيسية الحبية طبقاً لِما سنّهُ السيّد المسيح » وقد نصّ اباء المجمع النيقاويّ في البند السادس بما تعريبهُ : « ان لصاحب انطاكية حقّ الولاية على أصقاعه بأسرها وله السلطة على مائة وثلاثة وخمسين اسقفاً ومطراناً لكونهِ متولّياً فارس وبلاد المشرق ايضاً ». والى هذا القانون يشير البابا اينوكنتيوس الاوّل الحبر الرومانيّ في رسالته الى اسكندر البطريرك الانطاكيّ بقولهِ : « ترى من هذا البند المذكور ان كرسيّك لم ينل هذا الامتياز الفاخر لعظم شأن انطاكية بل الأحرى ان يقال انه فاز بهِ لان انطاكية كانت الكرسيّ الاوّل الذي جلس عليه هامة الرسل (١

١) طالع مجلّة المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٤٣)

وقد أعلن الاحبار الرومانيون سلطتهم هذه المطلقة مراراً شتى ولاسيما في المجامع المسكونيَّة اذ تصدَّروها هم او نوابهم . وكذا قضوا لدن جحود احد الاحبار الانطاكيين احدى الحقائق الدينيَّة الراهنة . كما فعل القديس دمسوس الحبر الروماني بفوليتوس بطريرك انطاكية الدخيل على عهد اوسطاثيوس البطريرك الشرعي . والبابا سمبليقيوس يوم عَزَلَ بطرس القصَّار عام ٤٧٥ وسمّى بدلاً منه يوحنا الثاني . ولاون الاول اذ حرم ديوسقورس الاسكندري . والبابا اغابيط لمَّا حرم البطاركة ساويرا الانطاكيّ († ٥٣٨) وثاودسيوس الاسكندريّ وانتيموس القسطنطيني

وقد تسلسل في هذا الكرسيّ الشريف أحبارٌ نبلاء اشتهروا بقداسة سيرتهم وبشديد غيرتهم على الدين المسيحيّ القويم فدافعوا عن حقيقته وتكبَّدوا افدح العذاب والنكال في سبيله كاغناطيوس النوريّ († ١١٧) وخليفته اورن . ثم بابولا الشهيد († ٢٥١) الذي وسّع الكنيسة القديمة في انطاكية . وخليفته فابيوس الشهيد († ٢٥٥) ثمّ ديمتريوس او ديتريوس عام ٢٦٣ ويضيق ذرعنا عن احصاء سائر الشهداء الذين جعلوا هذا الكرسي المنيف بذبّهم عن الدين المسيحيّ واحتمالهم لاجله مر العذاب حتى سفك الدماء سواء كان في سوريا او في بلاد العرب او في بلاد ما بين النهرين وفارس . ونكتفي للوقوف على حقيقة ذلك ان نحيل القرّاء الى ما سطره عنهم القديس ماروثا اسقف ميّافرقين(١ († ٤٢١) بلهجته السريانية الفصيحة وعباراته المؤثرة وحسبهُ شرفاً انه دعي فخر اساقفة المشرق

وتبوّأ هذا الكرسي الشريف بطاركة اجلّاء اتّصفوا بغزارة علومهم وسعة مداركهم واضاءوا المسكونة بنبراس معارفهم وأتحفوا العالم بتآليفهم الرائعة ومقالاتهم المستبدعة كتاوفيل سادسهم واوسطاثيوس الذي التأم بمساعيه المجمع النيقاوي المسكونيّ عام ٣٢٥ وملاتيوس الذي فاز بالغلبة على الاريوسيّين وزيف أضاليلهم وهو الذي رقّى مار يوحنا فم الذهب الى الدرجة الدياقونية وقلّدهُ منصب الخطابة في كنيسة انطاكية الكبرى . والبطريرك اسكندر الذي صرف الهمة في القاء الوفق والاتحاد ما بين الانطاكيين وتمكن من محق آثار البدعة الاريوسية التي استغرقت فتنها خمساً واربعين سنة

١) اطلب الجزء الثاني من سير القدّيسين طبع الاب بولس بيجان

وأضف الى هؤلاء زمرة الملافنة والكتبة المبرّزين الذين ناضلوا بتصانيفهم الدقيقة عن صحة النصرانية وانشأوا الكتب الجمّة في حقائقها الراهنة كالقديس افرام الرهاوي ملفان الكنيسة الجامعة († ٣٧١) الذي لم يتيسّر لاحد الوقوف على جميع تصانيفه حتى اليوم وقد دُعي بكل جدارة صنّاجة الروح القدس . وكالقديس يعقوب افرهاط الفارسيّ صاحب كتاب البراهين († ٣٤٤) والقديس شمعون برصبّاعي الشهيد († ٣٤٤) ومار مارونا مطران ميافرقين المذكور آنفاً . وربّولا اسقف الرها († ٤٣٥) ومار اسحق الانطاكيّ († ٤٦٠) وغيرهم كثيرين (١

ومن جملة الكتبة نذكر ايضاً برديصان الرهاويّ († ٢٢٢) الشاعر البليغ وططيان تلميذ يوستينوس صاحب كتاب الاناجيل الموحّدة المعروفة باسم ذياطسرون . وقد أولى الكرسيّ الانطاكي شرفاً وفخراً جمهورُ النسّاك والعبّاد الذين جمّلوا بلاد المشرق منذ القرن الرابع وضاع عرف فضلهم وفضيلتهم في جميع البلدان وكتبوا كتباً ضخمةً في السيرة الروحية والعقائد الدينية وشادوا ديورة عامرة انقطع اليها الوف بل ربوات من الزهّاد . أشهرها اديار انطاكية وجبال لبنان وسهول بلاد العرب وسوريا وجبل الازل وطور عبدين وآثور وبلاد الفرس . وعلى من رغب الاطّلاع على عددها وتفاصيل اخبارها ان يراجع كتاب العفّة ليشوع دناح مطران البصرة النسطوريّ وكتاب الرؤسا لتوما المرجيّ النسطوريّ (طبع الاب بولس بيجان عام ١٩٠١) (٢ والعلّامة الانكليزي بوج)

واننا نضرب صفحاً عن تعداد الكنائس الكبرى التي شيّدت منذ القرون الاولى للنصرانية في انطاكية العاصمة وضواحيها وفي المدن الخاضعة لكرسيّها خصوصاً في الرها ونصيبين ودمشق وحلب ومنبج وآمد وماردين ولاسيما كنائس طور عبدين التي استوفينا وصفها على صفحات المشرق في سنته السادسة عشرة

وكانت السريانية شائعة في انطاكية وفي جميع البلدان الخاضعة لسلطتها غير ان الآباء كانوا يستعملون اليونانية في الكنائس الكبرى اثناء الحفلات الدينية ليفهمها خصوصاً أرباب الحكومة المحلية . بل ان الشماس في كنائس انطاكية عينها كان

١) راجع روبانس دوفال الجزء الثاني ٣٢٩–٤١١

٢) راجع مقالتنا في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٧٦٠) عن اديار ماردين وضواحيها

يضطرّ مراراً ان ينادي بالصلوات بكلتا اللغتين ليفهمها جميع الحضور (١ . وحسبنا تأييداً لذلك ما قاله الذهبيّ الفم يوم كان يخطب باليونانية في كنيسة انطاكية الكبرى وكان قد توافد اليها جماهير غفيرة من القرى المجاورة للاشتراك في حفلة العيد فانه اعني فم الذهب صرّح بشديد أسفه لان الكثيرين ممّن كانوا يسمعون خطبته لم يكونوا يفهمون لهجته . وقد جرى عكس ذلك لسويرينوس اسقف جبّلة اذ كان يخطب يوماً في برزنطية باليونانيّة فان لهجته كانت سريانية لان نغمته اليونانيّة لم تكن فصيحة (٢

٢ تضعضع الكرسي الانطاكي

كانت رئاسة البطريرك الانطاكيّ في صدر النصرانيّة تشمل بلاد الشرق برمّتها اعني من سواحل بحر الروم غرباً الى أقصى المملكة الفارسية والهند شرقاً ومن قليقية وارمينية شمالاً الى حدود فلسطين جنوباً . وكان بطريركها يسوس نصارى تلك البلاد على اختلاف نحلهم وتشعّب لسانهم كاليونان والسريان والعرب والروم والارمن والفرس . وكان يخضع لسلطته اربعة جثالقة : اثنان في آسية وبنطس وقد اندرس ذكرهما منذ اجيال . واثنان يجلس احدهما في المدائن قاعدة بلاد الفرس وثانيهما في ارمينية . وما برحا حتى اليوم محفوظين بالتسلسل في بطريركية السريان الشرقيّين وهم الكلدان وفي بطريركية الارمن

غير ان جمال ذلك النظام لم يبقَ على ما كان عليه من الرونق والبهاء اذ اخذ يتشوّه بحدوث البدع والشقاق فانفرطت فيه علائق الاتحاد والائتلاف وتتابعت عليه ضروب النزاع والخلاف فتضعضعت احواله وتبلبلت اموره وتشعّبت منه ست بطريركيات انطاكيّة لكل منها طقس وعوائد خاصة بها

واوّل من جاهر بالعصيان على البطريرك الانطاكي الشرعيّ كان زعماء الاريوسية الذين تغلبوا على الكرسيّ الانطاكي فنفوا مار اوسطاثيوس البطريرك الشرعيّ ونصبوا عوضاً عنه يولينوس اسقف صور نحو عام ٣٣٢ وخلفه اولاليوس فأفرون

١) اطلب الدروس السريانية لنبطة السيد اغناطيوس افرام رحماني (٣:٣)
٢) راجع الدروس السريانيّة (٣:٨)

فيلاقلس فاسطفان الاول فلاونطيوس فأودكس. ولمّا جلس على الكرسيّ الانطاكي مار ملاتيوس سعى الاريوسيّون في نفيه وسمّوا بدلاً منه اوزيوس فاسقطه اباء المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١ وايدوا ملاتيوس . وما عتم ان اندثرت الشيعة الاريوسيّة وقلاشت معها بطريركيتهم بمساعي اسكندر البطريرك الانطاكي (†٤٢٤)

ولمّا تولّى الكرسي الانطاكي بطرس الثاني المعروف بالقصّار (†٤٨٦) والمشهور باضافته الى صلاة التريصاجيون «يا من صُلبتَ لاجلنا» أحدث في الكنيسة سجساً وشغباً عظيماً . وكان زينون الملك يناصره ويعضده حتى انه حُطّ عن الكرسي اربع دفعات وانقلب فاستبدّ به . وأفضت البطريركية بعد وفاته الى بلّاديوس ثم الى فلبيانس (†٥١٢)

وفي تلك الغضون اعني سنة ٤٩٨ انسلخت من الكرسيّ الانطاكيّ جاثليقيّة المشرق وانحاز اتباعها الى مقالة نسطور وأعلنوا باستقلال كرسيّ المدائن ولقبوا بطريركهم بجاثليق المشرق ولاسيما بعد ان انتقلوا الى بغداد عام ٧٦٢ وجعلوها مقاماً لبطاركتهم . واوّل من جلس على ذلك الكرسيّ كان باباي سنة ٤٩٨ . ومنهم ظهرت بطريركية الكلدان الكاثوليكيّة سنة ١٥٥٣ وسُميت بطريركية بابل عام ١٧١٣

وفي اواسط القرن السادس تقريباً تفرّعت من الكرسي الانطاكي جاثليقية الارمن ونصبوا لهم اربعة بطاركة رئيسهم واوّلهم بطريرك اشميازين . ومنهم اشتقّت بطريركية الارمن الكاثوليك منذ سنة ١٧٣٩ وسُمّوا بطاركة قيليقية

ثم انقسم الكرسيّ الانطاكيّ سنة ٥٣٩ بين بطريرك الخلقيدونيين الملكيين وبين بطريرك اليعاقبة المنوفسيّين القائلين بطبيعة المسيح الواحدة . وعلى ما روى البطريرك الدويهي ظهرت سنة ٦٨٥ بطريركية السريان الموارنة

وعام ١٠٩٨ أُنشئت بطريركية اللاتين الانطاكية واستوطن بطاركتهم في انطاكية عينها حتى سنة ١٢٦٧ وبطريركيتهم اليوم شرفيّة محضة

وفي القرن الثالث عشر انفصلت بطريركية الملكيين الانطاكية عن الكرسيّ الرسوليّ وسمّي اصحابها الروم الارثذكس ثم نقل بطريركهم كرسيّه الى دمشق الشام

ثم ظهرت بطريركية السريان الكاثوليك عام ١٦٦٢ ثم نشأت بطريركية الروم الملكيين الكاثوليك سنة ١٧٢٤

وبناء عليه فقد اصبح في يومنا ستة بطاركة انطاكيين اعني بطاركة الموارنة واللاتين والسريان والملكيين والروم الارثذكس والسريان والمنوفستيين او اليعاقبة

وقد توخينا ان نلخص على صفحات المشرق سلسلة بطاركة السريان المنوفستيين الانطاكيين ونورد ما حدث بينهم من التشعب والخلاف منذ مروقهم من وحدة الكنيسة الرومانية حتى اليوم ناقلين أشهر حوادثهم عن مؤرخيهم نفسهم

٣ نشأة البطريركية السريانية المنوفستية

سار البطاركة الانطاكيون بادئ بدء على الخطة التي نهجها القديس بطرس إمام الرسل وخلفاؤه فرعوا المسيحيين خلفاً عن سلف بالغيرة والحزم وأولوه شرفاً وسيماً وفخراً جزيلاً. ولكنهُ تمرّد عليه البطاركة الاريوسيون اولاً ثم جثالقة المشرق كما ذكرنا آنفاً. ولمّا حطّ ساويرا البطريرك الانطاكي (٥١٢—٥٣٨) عن كرسيه لسبب عصيانه على المجمع الخلقيدوني المقدّس ونبذه الاعتقاد بالطبيعتين فصلهُ اغابيط الحبر الروماني وسُمّي بدلاً منه فولا او بولس الثاني وخلفه افراسيوس وترأس بعده افرام الاول الآمدي († ٥٤٦)

غير ان المنوفستيين أبوا الّا التمسُّك برأيهم فخلعوا الطاعة لافرام البطريرك الشرعي وراحوا فنصبوا لهم بطريركاً قائماً بذاته وهو سرجيس التلّي (١ وتمت رسامته في بوزنطية سنة ٥٣٨ بوضع يد يعقوب البرادعي († ٥٧٨) اسقف الرها الذي بذل كلّ وسعه في نشر المذهب الزاعم بالطبيعة الواحدة وأوغل في البلاد ورسم سبعة وعشرين اسقفاً ومائة الف كاهن وشمّاس. والى يعقوب البرادعي يُنسب اليعاقبة (٢ واليك ما أجراه هذا يعقوب ملخصاً عن التاريخ الكنسي لابن العبري نفسه طبع العلّامة لامي (Mgr Lamy) (١ ص ٢١٥ و ص ٢٣٣—٢٤٩)

لمّا توفّي سويرا ونُصب سرجيس خلفاً له اتّفق الاساقفة المنوفستيون فرسموا يعقوب البرادعي مطراناً مسكونياً اي عمومياً فاخذ يجوب بلاد المشرق ويطوف في

١) نسبه الى تلّ موزل مسقط راسه وتُعرف اليوم بوهران شهر بناها قسطنطين الملك وسماها قسطنطينة الصغيرة

٢) راجع تواريخ ابن العبري اليعقوبية والمدنية السريانية والعربية

الاديار يرسم اساقفة رقساذاً ندعي من ثم المنوفستيون يعاقبة باسمه

واتفق ان الحارث بن جبلة ملك العرب النصارى كان يومئذٍ في القسطنطينية وكان هو وابنه المنذر من حزب اصحاب الطبيعة الواحدة. فرحل اليه البطريرك نولا المنوفستي فرحب به وامر ان يُنادَى باسمه بطريركاً في جميع كنائس بلاد العرب. وكتب المنذر الى يعقوب البرادعي ليستعرف نولا بطريركاً فاجاب الى طلبه : لكن يعاقبة الاسكندرية حنقوا عليه وأضمروا له الخلاف. فجرد يعقوب البرادعي وحرم البطريركَ نولا فتحزّب للبطريرك اساقفة كثيرون ورؤساء أديار عديدون. وجعل أحزاب نولا وأحزاب البرادعي يتشاتمون ويتكايلون ويسبّ بعضهم بعضاً أقبح سبّ. وظلّوا على تلك الحال زماناً حتى أوفد نولا الى البرادعي يسأله ان يعقد مجمعاً للنظر في المسائل المختلف عليها. ولكن يعقوب البرادعيّ لأنفته لم يتنازل الى مواجهته بل انطلق الى الاسكندرية وحرم نولا ثانيةً وأوفد من فوره ثلاثة اساقفة الى سورية فطافوا في بلادها مطنين بان نولا محروم مرذول. فامتعض نولا وشخص الى القسطنطينية وسار اليها ومعهُ المطرانان سرجيس ويوليان ثانيا يعقوب البرادعي وحليفاه. ومكثوا ثمّ سنة كاملة يتجادلون ويتضاربون ويتنابزون بالألقاب حتى أمسوا مجلبةً للهزء والعار ومدعاةً لانفصال ديورة شتى في المشرق. ولمّا عجز البرادعيّ عن تمشية الامور طبقاً لهواه توجّه الى سورية واجتمع برؤساء الديورة في دير مار حنانيا بغيةَ ان يرسم بطريركاً آخر. ولكنه لم ينجح فانقلب ثالثة الى الاسكندرية عام ٥٧٨ مع نوّابه ونفرٍ من الاساقفة. وما كادوا يصلون الى دير مار رومانوس حتى توفي يوحنا اسقف دير قرقين ثمّ مات سرجيس وكيل البرادعي ثمّ توفي البرادعي بعدهُ بثلثة أيّام في ٣٠ تموز ٥٧٨ وعلى اثر وفاته مات شمّاسه ايضاً. فهولاء جميعاً عاجلهم المنون في مدة عشرة ايام لاغير. فعلى هذا الاسلوب نشأت الملّة المنوفستية او اليعقوبية وها نحن ذاكرون سلسلة بطاركتهم منذ إذٍ حتى يومنا

٤ سلسلة بطاركة المنوفستيين الانطاكيين (٥١٢ــ١٠٠٣)

١ (ساويرا الاوّل) خلف فلبيانوس الثاني في تشرين الثاني سنة ٥١٢ بوضع يد فيلكسين المنبجي. وعزله أغابيط الحبر الروماني عام ٥١٩ وسمّى بدلاً منه بولس

الثاني. وقضى ساويرا تسع عشرة سنة بعد عزله ينتقل من دير الى دير حتى توفي في سكوث بالاسكندرية في ٨ شباط ٥٣٨ وله خطب واناشيد وطقوس صنّفها باليونانية ونقلها الى السريانية كتبة المنوفستيين ولاسيما يوحنا بن افتونيا رئيس دير قنسرين عام ٥٣٨

٢ (سرجيس التلي) رسمه يعقوب البرادعي سنة ٥٣٨ في القسطنطينية كما اورد يوحنا الافسي في تاريخه (ص ٥٠) . وتولى البطريركية ثلاث سنوات وتوفي عام ٥٤١

٣ (فولا او بولس الثالث) المعروف بالحبشي . وُلد في الاسكندرية ودرس في دير الجب الخارجي بنواحي انطاكية . ورسمه بطريركاً توما اسقف الرها على ما قال ميخائيل الكبير . امّا يوحنا الافسي معاصره وابن العبري وغيرهما فيزعمون ان يعقوب البرادعي رسمه بحضور ثاودسيوس بطريرك الاسكندرية المنوفستي . وجرت بينه وبين الارثذكسيين مجادلة دينيّة أسفرت عن إقراره مع زميله يوحنا الافسي بالمعتقد الكاثوليكي لكنّهما بعد مدة عادا الى المذهب المنوفستي . وحاول فولا التخطّي من الكرسي الانطاكي الى الاسكندري فناصبه يعقوب البرادعي وحطّه ثم رضي عنه بعد ثلاثة اعوام . ثم سار الى الاسكندرية وحرمه ثانية فصمّم بعض الاساقفة ان يرسموا بدلاً منه سويرا الاشمث في كنيسة مار بطرس بانطاكية المعروفة بكنيسة القسيان فلم ينجحوا . وظلّ فولا البطريرك في القسطنطينية حتى سنة ٥٧١ فحطّه المنوفستيون ونصبوا عوضاً عنه بطرس الثالث القلنيقي(١ . وتوفي فولا في القسطنطينية عام ٥٧٥

٤ (بطرس الثالث) كان من اصحاب يعقوب البرادعي وصديقه الحميم نُصب بطريركاً سنة ٥٧١ في دير مار حنانيا بين بَلَس والرقّة وطالت بطريركيّته عشرين سنة وتوفي في دير الجب الخارجي عام ٥٩١ واشتهر في عهده احد دايه اول المقارنة المنوفستيين الذي رسمه يعقوب البرادعي سنة ٥٥٩ وروى بعض المؤرخين ان خرسطفور جاثليق الارمن رسمه اسقفاً ويعقوب البرادعي نصبه مفريانا(٢ وقُتل في ٢ آب ٥٧٥ وقُبر في المدائن وله مصنّفات شتى تشهد بحذقه

١) نسبة الى قلنيقس وهي مدينة الرقّة ٢) المفريان كزعيم المطارنة وثاني البطريرك

٥ (يوليان الثاني) كان كاتب سالفهِ وعنه أخذ . ودرس في دير قنّسرين وفيه ارتقى الى البطريركية بوضع يد يوحنا مطران تلّ موزلُ وتوفّي عام ٥٩٥

٦ (اثناسيوس الاوّل) ويُعرف بالجمّال تولّى البطريركية سنة ٥٩٥ في دير قريب من سميساط وتوفّي عام ٦٣١ وهو الذي وثّق عُرَى الاتحاد بين الكرسيّين المنوفستيّين الانطاكي والاسكندريّ . وفي عهده نفى كسرى الاساقفة الارثذكسيّين من بلاد ما بين النهرين وسلّم كنائسهم وأديارهم الى المنوفستيين . ولمّا سار هرقل الى الرُّها طرد لعازر اسقفها المنوفستيّ وردّ الكنيسة للارثذكسيين ثم رحل الى منبج فواجهه البطريرك اثناسيوس في اثني عشر اسقفاً ودفعوا اليه صورة ايمانهم فاستطابها الّا انّه أمرهم بقبول المجمع الخلقيدونيّ فلم يذعنوا لهُ

واشتهر اذ ذاك القس اهرون الاسكندري الطبيب (١) وتوما الحرقليّ منقّح اسفار العهد الجديد بالسريانية وكان فيولكسين المنبجي (+ ٥٢٣) قد نقله اوّلاً عن اليونانيّة . ومارونا المفريان التكريتيّ (+٦٤٩) . والقديس سهدونا الذي نبذ النسطوريّة وسار الى اورشليم والقى خطبة نفيسة وحرم نسطور وأتباعه وقضى اواخر ايّامه في الرها بعيشة خشنة والّف كتاباً نفيساً في السيرة النسكيّة طبعه الاب بولس بيجان سنة ١٩٠٢ (٢)

٧ (يوحنا الثالث) صاحب السذرات او الحسّايات التي تُتلى في الصلوات القرضية عند السريان عموماً . تولّى البطريركية عام ٦٣١ وتوفّي في دير زعورا بديار بكر في ١٤ كانون الاوّل ٦٤٩ واليه طلب الامير عُمر بن سعد ان ينقل الانجيل الى العربية مشترطاً ان يحذف منه اسم ابن الله والمسيح والعماد فقال له يوحنا : «حاشا لي ان انقص حرفاً من انجيل ربّي مهما كلّفني ذلك من النكال» فانذهل عمر من شجاعته وامرهُ بالترجمة . وعُرف آنئذٍ يحيى النحويّ اليعقوبيّ الاسكندريّ الذي دخل على عمرو بن العاص فاكرمه وسمع من الفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها معرفة ما هاله ففُتن به ولم يفارقه (٣) . واشتهر كذلك ساويرا سابخت مطران قنّسرين الطويل الباع في العلوم اللغويّة والمنطقية والكنسيّة

٨ (ثاودور) قرأ العلوم في دير قنّسرين ورقي الى الكرسيّ الانطاكي عام ٦٤٩

١) اطلب تاريخ مختصر الدول (ص ١٥٧) ٢) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ٨٤٤) ٣) تاريخ الدول (ص ١٧٥)

في كنيسة انطاكية وتوفي عام ٦٦٧

٩ (ساويرا الثاني) يُلقَّب بابن مَشقا تربّى في دير اسفولس برأس العين وسُقِّف على آمد ونُصب بطريركاً عام ٦٦٨ خلافاً للقوانين (١ وحدثت منافسةٌ بينه وبين مطارنته لكونه حاول حصر سلطتهم وانكر عليهم ان يرسموا اساقفة لابرشياتهم مدّعياً ان تلك العادة قد أُلغيت منذ عهد المجمع الخلقيدونيّ . فعقدوا مجمعاً وحرموه وحذفوا اسمه من الذبتخا فحرمهم البطريرك ايضاً ولبثوا هكذا اربعة اعوام . وعند احتضاره رخّص ليوحنا المفريان في ان يحلّهم فحلّهم بعد وفاته عام ٦٨٠ . واشتهر في ايامه اثناسيوس بن جوميا الرهاويّ . حسنت منزلته عند الخليفة عبد الملك فاستدعاه الى الشام وفوّض اليه تعليم اخيه عبد العزيز واستصحبهُ الى مصر . وشيّد في الرها كنائس عديدة واعتنى بنقل صورة وجه السيّد المسيح فاودع في بيتهِ الصورة الاصلية المرسلة الى انجر على ما جاء في تقليد السريان ووضع الصورة الجديدة في كنيسةٍ شادها وسمّاها بيعة الصورة المارانية

١٠ (اثناسيوس الثاني) وُلد في بلدَ مدينة على دجلة بين سنجار ونصيبين وتفرّغ للمطالعة في دير قنسرين وارتسم بطريركاً عام ٦٨٤ اي بعد فراغ الكرسيّ بمدّة اربعة اعوام بوضع يد حنانيا مطران ماردين وتوفّي عام ٦٨٨ . وهو الذي نقل الى السريانية كتاب غريغوريوس النزينزي وخُطَب ساويرا الانطاكي وصنّف كتاباً في الفلسفة . وسقّف تلميذه جرجس على نصارى العرب سنة ٦٨٨ وكان كرسيّه في عاقولا وهي الكوفة وله تصانيف رائعة في الفلسفة وشرح الكتاب الكريم والاسرار وانشأ ميامر ورسائل مفيدة . واشتهر في زمانهِ يعقوب الرهاويّ († ٧١٨) صاحب التآليف الطقسيّة والدينية والفلسفية . ودانيال الصلحيّ مفسّر المزامير الداودية

١١ (يوليان الثالث) ارتسم بطريركاً في ديار بكر عام ٦٨٨ وتوفّي عام ٧٠٩ وأصابه دخا المفريان وبعض المطارنة بأذًى كثير فتغلّب عليهم وحطّ المفريان وسمّى باخوس عوضاً عنه

---

١) لم يكن جائزًا اذ ذاك ان يُرسم المطران بطريركًا بل كان يُنتخب البطريرك من ارهبان توًّا . والحجّة في ذلك ان رسامة المطران والبطريرك واحدة فلا يجوز ان تتكرّر (الهدايا لابن العبري ق ٧ ف ٣)

١٢ (ايليا او الياس الاول) تولّى اسقفية نامية في ما بين النهرين ثماني عشرة سنة ثم ارتقى الى البطريركية سنة ٧٠٩ واحتفلى عند الخليفة الوليد. وشاد كنيسة في انطاكية وكنيسةً في سرمدا وحلّت منيّته في ٣ تشرين الاول ٧٢٣

١٣ (اثناسيوس الثالث) خلف ايليا في دير قرقين بطور عبدين عام ٧٢٤ وحصل بينهُ وبين يوحنا جاثليق الارمن عام ٧٢٦ اتفاق في المعتقد فاحتفل ستة اساقفة سريان بالقداس في كنيسة الارمن وفعل كذلك اساقفة الارمن فقدّسوا في كنيسة السريان وكتب كلٌّ من الفريقين صكًّا بلغتهِ فأُودع الصكّ السريانيّ لدى الارمن والصكّ الارمنيّ لدى السريان. ومات اثناسيوس عام ٧٤٠

١٤ (ايونيس او يوحنا الرابع) تولّى البطريركية عام ٧٤٠ واغتالته المنيّة في تشرين الاول ٧٥٥ ونال الفرمان من مروان الخليفة. غير ان اثناسيوس السندليّ مطران ميافرقين وشى بهِ الى مروان نفسه فسجنه في حرّان وغرّمه اربعة عشر الف دينار. وفي عهده اي سنة ٧٤٥ أباح مروان للملكيين فنصبوا ثاوفليط بن قنبره بطريركاً عليهم بعد ما فرغ الكرسي اربعين سنة

١٥ (اسحق الاول) تقلّد البطريركية في راس العين بأمر الخليفة ابي جعفر المنصور عام ٧٥٥ ولم تمرّ السنة على بطريركيّته حتى أمر به ابو جعفر عينه فخُنق وأُلقي في الفرات. ويُروى انه قتل غيلةً راهباً غريباً وألقاه في البئر

١٦ (اثناسيوس الرابع) هو اثناسيوس السندليّ المذكور آنفاً نُصب بطريركاً بأمر ابي جعفر كسالفه عام ٧٥٦ ولمّا حاول ان يرسم عبدني تلميذ سالفه مطراناً للحرّانيّين كبسوه ليلاً وخنقوه سنة ٧٥٨ قال ابن العبري « يجدر بنا ان لا نورد اسم هذين البطريركين في السلسلة لاختراقهما حرمة النواميس البيعية وارتسامهما غير الشرعي» وهذا اثناسيوس ابتنى ديرًا في تلبسم غربيّ ماردين (١

١٧ (جرجي او جرجس الاول) تقلّد ازمّة البطريركية في منبج عام ٧٥٨ وضغن عليه داود مطران دارا ويوحنا اسقف الرقّة فأغريا بعض الاساقفة فرسموا يوحنا المذكور بطريركاً وظلّ اربعة اعوام ومات. فخلفه زميله داود وقصد أبا جعفر الخليفة وشنّع على البطريرك جرجي الشرعيّ فاستحضره ابو جعفر وأمر بضربهِ وكان ينادي

١) طالع المشرق (٩[١٩٠٦]: ٧٦٣)

مريم العذراء عند كل ضربة قائلاً : اعضديني يا والدة الله ، واعملوا فيه الخناجر حتى سال دمهُ . ثمَّ ألقي في السجن هو ويعقوب جاثليق النساطرة وثاودوريطا بطريرك انطاكية الملكي وظلّوا مسجونين تسعة اعوام فدافع عنهم مطران نصيبين النسطوري فأطلقهم الخليفة . وتوجّه البطريرك جرجي بعد ذلك الى تكريت وطاف في بلاد ما بين النهرين وانطاكية ورسم فيها عشرة اساقفة وتوفّي في ملطية عام ٧٩٠

١٨ (يوسف) وفي حزيران ٧٩٠ نُصب يوسف بطريركاً وتوفّي قبل حصوله على الفرمان في تلبسم قرب ماردين سنة ٧٩٢ واشتهر في زمانه يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني الطبيب ولّاه هرون الرشيد ترجمة الكتب الطبّية القديمة (١

١٩ (قرياقس) تقلّد البطريركيّة في ٨ آب ٧٩٣ ورسم ٨٦ مطراناً وتوفّي في الموصل في ١٦ آب ٨١٧ ونُقل جثمانه الى تكريت مسقط رأسه . وحدثت مناقشة عنيفة بينه وبين اساقفته في مسألة ܚܡܝܐ ܚܡܝܐ ܡܢ ܡܐ التي كانت تُتلى في القدّاس عند كسر القربانة . وبعد اخذ وردّ كثير خيّر البطريرك اساقفته في استعمالها او حذفها . وضاغنه اساقفة دير مار متى ورهبانه فحرمهم وحرموه . وأبطل سريان تكريت وحلب وسميساط اسمهُ من الدبتخا فحرمهم ايضاً وحرموه . وعمد اساقفة جوباس فنصبوا ابيرام القرتيني بطريركاً دخيلاً فنصب اساقفة بدون ابرشيّات كانوا يطوفون في البلاد ويقولون : انا نقاتل قرياقس الهرطوقيّ . ولقرياقس تآليف في تصحيح القدّاس وقوانين وميامر ورسائل

٢٠ (ديونوسيوس الاوّل) يُعرف بالتلمحري حضر رسامته ٤٣ اسقفاً ونادوا به بطريركاً في ١ آب ٨١٨ وأذاقه الاذى جملة من الاساقفة والشعب ولاسيما ابيرام البطريرك الدخيل (+ ٨٣٧) ولمّا ارعوى الاساقفة الذين رسمهم ابيرام اراد البطريرك ديونوسيوس ان يكرّر رسامتهم فلم يرضوا فتلا عليهم الطقس المرتّب لمن يرجع من الارتقة وضمّهم اليه . وتوفّي في دير قِنّسرين ٢٢ آب ٨٤٥ ورسم مائة اسقف

واشتهر في عهده شقيقه ثاودسيوس مطران الرها الذي نقل الى السريانيّة اشعار غريغوريوس النزينزي . وثاودورس مطران حرّان سنة ٨٢٩ المعروف بابي قرّة الذي

١) تاريخ الدول (٢٢٧)

حضر المأمون جدالهُ يوم كان في حرّان (١ وانطون التكريتي البليغ صاحب كتاب الفصاحة والخطابة والشعر . ولعازر بريبتا مطران بغداد صاحب المقالات الانتقاديّة في القداس والعماد الذي عزله البطريرك عن مطرنة بغداد في اذار ٨٢٩ . ويوحنا الداريّ مؤلف الكتب في اللاهوت والكهنوت والقداس والنشور والنفس وشرح كتاب ديونوسيوس الاريوفاغيّ

٢١ (يوحنا الخامس) تولّى البطريركيّة في ١٥ تشرين الثاني ٨٤٧ وتوفّي عام ٨٧٤ ورسم ٨٦ اسقفاً وعقد مجمعاً في كفرتوت قرب ماردين في شباط ٨٦٩ ورتّب ثماني مسائل متوطة بالحقوق البطريركيّة والمفريانيّة (٢

٢٢ (اغناطيوس الثاني) تولّى المنصب البطريركيّ عام ٨٧٤ ولقي حتفه ثلاثاء الآلام ٢٦ اذار ٨٨٣ ورسم ٢٦ اسقفاً

٢٣ (ثاودوسيوس) ظلّ المتوفسّيون اربعة اعوام دون بطريرك اذ لم يجدوا راهباً اهلاً للبطريركيّة . وفي شباط ٨٨٧ اجتمع الاساقفة في ديار بكر ورقّوا رومانوس الطبيب وسمّوه ثاودسيوس . وله كتاب في الطبّ معروف باسمه وكتاب ايروثاوس ورسالة عامّة وميمر في الصوم الاربعيني . وحلّت وفاته في ٤ حزيران ٨٩٥ ورسم نيّفاً وثلاثين اسقفاً . وفي عهده اي سنة ٨٩١ ظهرت النصيريّة في عاقولا ببلاد العرب في قرية ناصريّة (٣

٢٤ (ديونوسيوس الثاني) خلف ثاودسيوس في ٢٣ نيسان ٨٩٦ وتوفّي في ٢٨ نيسان ٩٠٩ واشتهر في عهده موسى بركيفا († ٩٠٣) مطران الموصل والّف عدة كتب في التاريخ والجدل وشرح الاسرار وتفسير الايام الستة وله تراجم وطقس رسامة الرهبان والراهبات . وابو الحسن ثابت ابن قرّة الحرّاني الذي صنّف مائة وخمسين كتاباً بالعربية وستة عشر كتاباً بالسريانيّة (٤

٢٥ (يوحنا السادس) ارتقى الى البطريركية يوم السبت ٢١ نيسان ٩١٠ وتوفي

---

١) التاريخ السريانيّ طبع غبطة بطريركنا (ص ٢٣٢)

٢) الهدايا (ق ٧ ف ١)

٣) ابن العبري تاريخ السريانيّ المدنيّ طبع الاب بولس بيجان (ص ١٦٥)

٤) ابن العبري تاريخه السريانيّ المدنيّ (ص ١٦٨)

يوم السبت سلخ تشرين الثاني ٩٢٢ ورسم ٤١ مطراناً

٢٦ (باسيل الاول) تولّى البطريركيّة يوم الجمعة ١٥ آب ٩٢٣ وقضى نحبه يوم الاربعاء ٢٥ آذار ٩٣٥ ورسم ٣٢ اسقفاً

٢٧ (يوحنا السابع) نُصب بطريركاً في ٢٨ آب ٩٣٦ في دير تلعدا بانطاكية ولقي حتفه يوم الاحد ٢ تموز ٩٥٣

٢٨ (يوحنا الثامن) خلف يوحنا السابع يوم الاحد ٦ تموز ٩٥٤ وتوفّي يوم الجمعة ٢٩ كانون الاوّل ٩٥٧ ورسم عشرة اساقفة

٢٩ (ديونوسيوس الثالث) تولّى البطريركية في ٢٨ تشرين الثاني ٩٥٨ ومات في ٢٠ حزيران ٩٦١

٣٠ ابرهيم الاول) ارتسم في اول نيسان ٩٦٢ في دير تلعدا بانطاكية وعاجلته المنية يوم الاربعاء ٤ اذار ٩٦٣

٣١ (يوحنا التاسع) يُعرف بصاحب الحصيرة ترأس في ٦ تموز ٩٦٥ وانتقل عام ٩٨٦ ورسم ٤٧ اسقفاً . وسار الى القسطنطينيّة في ثلاثة اساقفة اجابةً الى طلب نيقيفور الملك فتباحثوا ثمّ ثمانية أيّام في مسئلة الطبيعتين ولكنهم أصرّوا على رأيهم فعادوا الى كراسيهم دون جدوى

٣٢ (اثناسيوس الخامس) ارتقى الى البطريركيّة يوم الخميس ٢١ تشرين الاول ٩٨٧ وتوفّي عام ١٠٠٣ وهو الذي رسم سنة ٩٩١ اغناطيوس بن قيقي مفريانًا فأسلم في بغداد ثم ارعوى والّف ميمراً مؤثّرًا في توبته . وسنة ٩٨٨ جدّد الكتابة السطرنجيليّة في طور عبدين يوحنا مطران قرقمين . واشتهر اذ ذاك يحيى بن عدي التكريتي المنطقيّ اليعقوبيّ النحلة (١ وابو علي عيسى ابن زرعه اليعقوبيّ ببغداد (+ ١٠٠٧) وله تصانيف في المنطق والفلسفة (٢

(له صلة)

١) تاريخ الدول (ص٢٩٦)

٢) تاريخ الدول (ص ٣١٥)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تابع لحرف العين

٥٣٧ ﴿عبد المسيح﴾ في مكتبتنا الشرقيّة كتاب مخطوط كُتب سنة ١٢٠٠ هجريّة يُدعى كتاب نقائض العقائد الدرزيّة بايضاح القواعد المسيحيّة يُنسب الى المسمى عبد المسيح دون زيادة تعريفه دخل مكتبتنا سنة ١٩١٧

٥٣٨ ﴿عبد المسيح الاسرائيليّ المتنصر﴾ كان في القرن الحادي عشر وتنصّر في مصر على يد ابي الفتح منصور بن سهلان طبيب الخليفة الفاطميّ الحاكم بامر الله. لهُ في مكتبة الفاتيكان (Vat. 149) مقالتان الواحدة في النفس في اربعة فصول والثانية في اثبات مجيء المسيح بتاريخ نسختها في القرن الرابع عشر

٥٣٩ ﴿عبد المسيح الماروني﴾ هو القس عبد المسيح بن بطرس المارونيّ الحلبي من تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية. لهُ: ١ً تعريب اوعاظ القس برنردوس الفرنسوي في تاريخ سنة ١٧١١ منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٧١). ٢ً تعريب صلوات فرض الكاهن من السريانيّة فيها ايضاً وفي بيت الشماس شكري أيوب. وهناك من خطّه نسخة من تعريب مدخل العبادة للقديس فرنسيس دي سال المعرّب بقلم الاب بطرس فروماج اليسوعيّ تاريخها سنة ١٧٣٢

٥٤٠ ﴿عبد النور الآمدي﴾ المتوفّى سنة ١٧٥٥م. من آثاره تعريبهُ لكتاب ابن العبري الذي عنوانهُ علّة كلّ العلل عرّبهُ سنة ١٧٢٩ في دير الزعفران منهُ نسخة في مكتبة دير الشرفة. ذكرهُ الراهب برصوم (ص ١٤١–١٤٢) واشار الى رحلته الى القسطنطينيّة وباريس وذكر له تعريب كتاب ابن كيفا في النفس وتفسير الانجيل لابن صليبيّ. وقد طُبع له في دير الزعفران تعليم مسيحي صغير سنة ١٨٨٩

٥٤١ ﴿عبد يشوع الجزري﴾ بطريرك الكلدان المتوفّى سنة ١٥٢٧ (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٨٤٧) كان ضليعاً باللغة الكلدانيّة لهُ فيها الميامر والقصائد الرنّانة. ومما خلّفهُ بالعربيّة تنظيم فصول الانجيل الشريف للأيام الطقسيّة

منهُ نسخة في خزانة كتب مطران جزيرة ابن عمر الكلدانيّ

٥٤٢ ﴿عبد يشوع خياط﴾ بطريرك بابل الكلدانيّ المتوفى في بغداد في ٦ تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ . لهُ عدّة تآليف عربيّة وتركيّة وكلدانيّة طقسيّة ولاتينيّة نشر بعضها في مطبعتي الموصل الكلدانيّة والدومنيكانيّة وفي مطبعة رومية منها كتابهُ الاصول الانسيّة في التواريخ القدسيّة وكتابهُ في آثار الكنيسة الكلدانيّة عن معتقدها في رئاسة القديس بطرس . وخلّف منشورات خطّيّة شتّى تُرى في بطريركيّة الكلدان

٥٤٣ ﴿عبد يشوع الطوباوي﴾ هو مطران نصيبين وارمينية النسطوري المتوفّى سنة ١٣١٨ م احد مشاهير كتبة الكلدان . وممّا يُعرَف لهُ في العربيّة من المخطوطات: ١ً ترجمة الاناجيل المقدّسة مسجّعة مقسّمة على ترتيب قراءات الطقس الكلداني منهُ نسخة في مكتبة الكلدان في ديار بكر وفي مكتبتنا الشرقيّة منها نسخة حديثة نقلناها عن نسخة قديمة كانت في لندن عند المرحوم اسكندر صيفي (المشرق ٤ [١٩٠١] : ١٠٨) . ٢ً ولهُ في مكتبة باريس (Paris, n° 204) مقالة في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد . نشرناها سابقاً (اطلب كتابنا مقالات دينيّة قديمة ص ١٢٠ — ١٢٤) . ٣ً كتاب فرائد الفوائد في اصول الدين والعقائد الّفهُ سنة ١٦٢٣ لليونان (١٣١٣م) . ذكرهُ عمرو بن متى في المجدل . ومنهُ نسخة في مكتبة كنيسة الكلدان في بغداد . وصفهُ وصفاً حسناً الاديب يوسف افندي غنيمة البغداديّ في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٩٩٨—١٠٠٣)

٥٤٤ ﴿عبده﴾ السيّد امبروسيوس مطران فرزل وزحلة المتوفى سنة ١٨٧٦ (اطلب المشرق ١٣[١٩١٠] : ٣٣٦) لهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من كتابهِ «مزيل الشكّ والارتياب بانبثاق الروح القدس من الابن كانبثاقهِ من الآب» وقد طُبع هذا الكتاب سنة ١٨٥٨ في مطبعتنا الكاثوليكيّة

٥٤٥ ﴿العجلوني﴾ القسّ يوسف الراهب الباسيليّ المتوفّى سنة ١٨١٦ قد عرّب اللاهوت الادبي للاب غبريال انطوين اليسوعيّ وطبعهُ في رومية اوّلاً في ثلثة مجلّدات سنة ١٧٩٦ ثمّ أعيد طبعهُ في مجلّدين سنة ١٨٢٧ منقّحاً بيد القس متى شهوان تلميذ المدرسة الرومانيّة ومعلّم العربيّة في مدرسة انتشار الايمان

٥٤٦ ﴿ عجوري ﴾ السيد اغناطيوس الحلبي مطران فرزل والبقاع وزحلة المتوفى سنة ١٨٣٤ (اطلب المشرق ١٣ [١٠١٠] : ٣٣٦) . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة منشور وجَّههُ الى مواطنيه في حلب بنسبة اليوبيل الممنوح من الحبر الاعظم سنة ١٨٢٦ يقبح فيه عادات الزواج الذميمة وعادات اخرى لا تليق بالنصارى

٥٤٧ ﴿ العجيمي ﴾ الخوري يوحنا الملكي الكاثوليكي والراهب المخلصي توفي في فلورنسة من اعمال ايطالية في ١٢ نيسان ١٧٨٤ (Mariti, I, 160-163) . لهُ : ١ً كتاب الشتكون الكنائسي . وهو تاريخ الكنيسة الانطاكية . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة عليها ذيلٌ طويل للقس انطون بولاد . ومنهُ كذلك نسخة في مكتبة دير المخلص . ٢ً ولهُ ايضاً مقالة في اصل الموارنة نُشرت بالطبع منها نسخٌ شتى في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة البطريركيَّة دمشق وفي مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII, p. 243, n° 63)

٥٤٨ ﴿ عركوس ﴾ هو السيد بولوس فيلبُّس عركوس البطريرك الانطاكي على السريان المتوفى في ماردين في ٧ آذار ١٨٧٤ . ذكر لهُ الشيكنت فيليب دي طرَّازي في السلاسل التاريخيَّة (ص ٢٦١) كتاباً مخطوطاً لم يُطبع ضمنهُ مواعظ وارشادات ودعاهُ «خبز الحياة» .

٥٤٩ ﴿ عريضة ﴾ الخوري انطون الطرابلسيّ الماروني من تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية ومعلِّم اللغات الشرقيَّة في ڤينَّة عاصمة النمسة توفي نحو السنة ١٨٢٠ لهُ باللاتينيَّة كتاب في علمي الصرف والنحو طُبع سنة ١٨١٣ (Institutiones Grammaticæ Arabicæ, *Viennæ* MDCCCXIII)

٥٥٠ ﴿ عريضة ﴾ نعمة كان في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر . وقفنا لهُ مؤخَّراً في احد الجاميع التي وجدناها في حمص واقتنيناها لمكتبتنا الشرقيَّة على زجليَّات دينيَّة عاميَّة حسنة

٥٥١ ﴿ عطا ﴾ السيد غريغوريوس مطران حمص وحماة وبيروت المتوفى سنة ١٨٩٢ (اطلب ترجمتهُ في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين ص ١٧٤ — ١٨٠) . طُبع لهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة عدَّة مطبوعات كتفسير القداس وكتاب التعليم المسيحيّ والمعين الرائق في خلاصة الحقائق ضمَّنهُ فتاوى السيد البطريرك مكسيموس

مظلوم في امور الـدين . وهو ايضاً مصنف مختصر تاريخ طائفـة الروم الملكيين وجداول تاريخيَّة دينيَّة ومدنيَّة . ومن مخطوطاته التي لم تُطبع : ١ً تاريخ زحلة . ٢ً تاريخ حمص . ٣ً سلسلة البراهين في بطاركة الروم الكاثوليكيين الانطاكيين . ٤ً المجامع الانصاليَّة في طائفة الروم الكاثوليكيَّة . وجدنا منهُ نسخة عند المرحوم الخوري اوغسطينوس مسرَّة . ٥ً مختصر الاخبار عن مطارنة الروم الكاثوليكيين الاحبار . ولعلَّ نسخة من هذه الكتب في الدار الاسقفيَّة في حمص . ولهُ ٦ً في مكتبتنا الشرقيَّة بين مخطوطاتها جدول اخبار الكنيسة

٥٥٢ ﴿عطيَّة﴾ الاستاذ شاهين المتوفى سنة ١٩١٣ من ذوي العلم والادب فدرَّس والَّف وصحَّح ونظم فلهُ ما خلا بعض المطبوعات بعض الآثار اللغويَّة والادبيَّة الدالَّة على فضله

٥٥٣ ﴿عنيف﴾ الشيخ ابن المكين بن مؤمَّل من كتبة القرن الثالث عشر الملكيين . هو مؤلف الرسالة اللاهوتيَّة التاريخيَّة في مذاهب النصارى التي نشرها في المشرق (٢٠ [١٩٢١] : ١١٣) حضرة الارشمندريت الياس بطارخ نقلها عن نسخة في مكتبة القبر المقدَّس في القدس الشريف (ع ١٠١ ص ٨٩–٩١) . ومنها نسخة اخرى في احد المجاميع الـدينيَّة لدى حضرة الخوري قسطنطين الباشا تاريخها سنة ١٧٥٢ للعالم (١٦٤٢م) نسخها الخوري صفرونيوس بزيّ راهب بالاسم لا بالفعل ابن موسى ابن الحاج سليمان الطرابلسيّ البتروني الاصل وهو يومئذٍ في محروسة دمشق الشام في مطوس (امطوش) القيامة المقدَّسة»

٥٥٤ ﴿العقابي﴾ موسى اللبناني . لهُ في مكتبة الفاتيكان في رومية وفي مكتبة انتشار الايمان منها زجليَّات مختلفة دينيَّة وادبيَّة عنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة

٥٥٥ ﴿العَلَم﴾ القسّ . كان في القرن العاشر للمسيح . وهو احد معرّبي الكتاب المقدَّس (Vaccari : *Le Versioni arabe dei Profeti*)

٥٥٦ ﴿العَلَم﴾ المنسنيور يوسف العلم الماروني المتوفى في تشرين الثاني سنة ١٩١٧ لهُ تآليف وتعريبات عديدة منها كتاب تيسير الوسائل في تفسير الرسائل وكتاب قداسة الكاهن ومناجاة يسوع لقلب الكاهن وسيرة القديس مارون

واعترافات القديس اوغسطينوس ومجموع خطب وقصائد نشرنا بعضها في المشرق . ولا يزال بعضها مخطوطاً

٥٥٧ ﴿ علي بن زين النصراني ﴾ ويروى « ابن زين بالزاي » من ادباء القرن العاشر والاطباء الفاضلين خدم الخليفة المعتصم ثمّ المتوكل ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ٣١٦) وذكر تآليفهُ منها ١ً كتاب في الآداب والامثال على مذهب الروم والعرب . ٢ً وكتاب نوادر اهل الشرفيَّة واواسط الناس والسفلة والوضعاء . ٣ً وكتاب فردوس في الطبّ . ٤ً كتاب تحفة الملوك . ٥ً كتاب كنّاش الحضرة . ٦ً وكتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير

٥٥٨ ﴿ عليّ بن عيسى ﴾ هو تلميذ حنين وطبيب الخليفة المعتمد في القسم الثاني من القرن التاسع . لهُ في مكتبة ڤينَّة (Ms 1481) وفي غوطا (Ms 67) وفي الاسكوريال (Ms 893) وفي اوكسفرد (Bodl. I, 212) كتاب منافع الحيوان

٥٥٩ ﴿ عمّار البصريّ النسطوريّ ﴾ عاش في القرن العاشر للمسيح (Bibl. Or., III', 608) من ادباء القرن الحادي عشر : يُعرَف من تآليفهِ . ١ً كتاب البرهان في الدين على سياق التدبير الالهيّ منهُ نسخة في مكتبة الڤاتيكان (Vat. 49) . ٢ً كتاب المسائل والاجوبة في اربع مقالات في مئة مسئلة ومسئلتين : في المكتبة الڤاتيكانيَّة ايضاً . ومنهُ نسخة في المتحف البريطاني في لندن (Br. Mus. Ms. 801)

٥٦٠ ﴿ عمرو بن متى ﴾ الطيرهانيّ النسطوري كان في الشطر الاوَّل من القرن الرابع عشر اختصر كتاب ماري بن سليمان الذي عنوانهُ كتاب المجدل في الاستبصار والجدل عن معتقدات وتاريخ النساطرة . منهُ نسخة في مكتبة الڤاتيكان (ع ٦٨٨) وفي مكتبتي ديار بكر والموصل

— عمّون — الخوري الكلدانيّ الياس (اطلب الياس الموصلي في العدد ١٢٠)

٥٦١ ﴿ عنحوري ﴾ الاديب بطرس . كان في القسم الاوَّل من القرن التاسع عشر . وقفنا لهُ عند جناب الاديب يوسف افندي اليان سركيس على مخطوط في كسوف الشمس وخسوف القمر في مقدّمة و ٢٥ باباً تاريخهُ سنة ١٨١٥ م

٥٦٢ ﴿ عوّاد ﴾ السيد سمعان الحصروني والبطريرك الماروني (١٧٤٣—١٧٥٦)

احد تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية . لهُ تآليف حسنة لم تُطبع حتى الآن . ١ً كتاب خزانة الاسرار والمنارة المسبَّعة الانوار للارشاد الى محبَّة الله . منهُ ثلث نسخ في مكتبة الموارنة في حلب ثمَّ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة بالكرشوني في الفاتيكان (Vat. 650) . ٢ً كتاب النجاة في ٣٢ عظة في موادّ دينيَّة وادبيَّة كالجحيم والنعيم والمعموديَّة والكهنوت وحفظ الجيل والوداد والسكر والطهر والمواضع المقدَّسة . منهُ نسخة بالكرشوني في مكتبة الفاتيكان . ونسخة غير كاملة في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة القس بطرس حبيش في غزير . ٣ً كتاب في اللاهوت الادبيّ وحلّ المشاكل الواردة في الاسفار المقدَّسة . ٤ً تفسير اربع بشائر الانجيل (اطلب تاريخ سوريَّة للمطران يوسف الدبس ٨ : ٥١٤) . ٥ً وكتاب الزيارة الراعويَّة او زيارة الاسقف الصالح . منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (Vat. 637) تاريخها سنة ١٧٣٧ . ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب (اطلب المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٥٩٩) . ٦ً وكتاب في بطاركة الشرق ألَّفهُ مع يوسف شمعون السمعاني سنة ١٧٠٦ . منهُ نسخة في الفاتيكان كرشونيَّة (Vat. Syr. 421) . ٧ً ويوجد في قاع الريم عند خوريّها الماروني «اخبار دينيَّة مقتطفة من كتاب البطريرك سمعان عوَّاد كُتب سنة ١٨٣٠ » .

٥٦٣ ﴿العوراء﴾ ابرهيم احد كتبة ديوان الانشاء المتوفَّى سنة ١٨٦٣ (اطلب كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ١ : ١٠٦) . لهُ في بيروت في دار احفاده كتاب تاريخ سليمان باشا . في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منقولة عنهُ

٥٦٤ ﴿العوراء﴾ يوحنا ابو ابراهيم واحد كتبة احمد الجزَّار في عكَّا (اطلب الكتاب السابق) . لهُ ردود على الطوائف غير الكاثوليكيَّة . منهُ نسخة في بيت احفاده

٥٦٥ ﴿العوراء﴾ يوسف نسيب ابراهيم وكاتب مثلهُ لهُ تاريخ نابوليون الاوَّل (اطلب النعمة ١ : ٣٠٧)

٥٦٦ ﴿عون﴾ الاديب أيوب بن سليمان من معلَّقة الدامور المتوفَّى سنة ١٨٩٤ انشأ في مصر اوَّل مجلة زراعيَّة تحت اسم « الزراعة » . وخلَّف قسماً من ترجمة الياذه اوميروس بالنثر

٥٦٧ ﴿عيسى بن عليّ﴾ وقد دعاهُ البعض غلطاً عليّ بن عيسى كان نسطورياً وهو تلميذ ابي الفرج بن الطيّب ويُعرف بالكحّال ازهر في القرن الحادي عشر للمسيح (اطلب ترجمتهُ في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٤٧) . لهُ كتاب تذكرة الكحّالين هو اقدم كتب العرب في مداواة العيون . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة اخرى في دمشق في مكتبة الدرويشيَّة . وقد نُقل هذا الكتاب قديماً الى اللاتينيَّة والعبرانيَّة وطُبع في البندقيَّة ونُشرت ترجمتهُ اللاتينيَّة منذ عهد قريب في باريس سنة ١٩٠٢. ونقلهُ الى الالمانيَّة بعض المستشرقين فطبعوهُ في ليبسيك سنة ١٩٠٤

٥٦٨ ﴿عيسى بن قسطنطين﴾ ابو موسى الطبيب ذكرهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ١٠٩) في جملة الاطباء الاسكندرانيين الافاضل وذكر لهُ من الكتب كتاب الادوية المفردة وكتاباً في البواسير وعللها وعلاجها

٥٦٩ ﴿عيسى بن ماسة﴾ كان في القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد . ذكر لهُ ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٨٤) كتباً عديدة ككتاب قوى الاغذية وكتاب مَنْ لا يحضرهُ طبيب وكتاب في الفصد والحجامة ورسالة في استعمال الحمّام وكلّ هذه التآليف قد اخذتها يدُ الضياع الّا كتاب في الباه في مكتبة الاسكوريال (Escurial. n° 88)

٥٧٠ ﴿عيسى﴾ الخوري جرجس السكّاف الروميّ الملكي الكاثوليكيّ المتوفّى سنة ١٨٧٥ (اطلب ترجمتهُ في المشرق . [١٩٠٦] : ٤٩٤و٥٤١) . لهُ ديوان شعر مخطوط نشر نخبةً منهُ في المشرق عيسى افندي اسكندر المعلوف . وقد طُبع لهُ كتابان دينيَّة في عبادة طالبي الميتة الصالحة وصلوات خشوعيَّة لتنظيم الحياة الروحيَّة

٥٧١ ﴿عيسى﴾ المطران الملكي . كان في القرن السادس عشر . لهُ قصيدة ضمّنها رحلة البطريرك يواكيم ضوء الى بلاد الفلاخ والبغدان وروسيَّة لجمع الاحسان نحو السنة ١٥٨٩ . (اطلب النعمة ١ : ١٤٤) منها نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة

٥٧٢ ﴿عيسى الموصليّ﴾ المطران اليعقوبي المتوفّى سنة ١٧٤٣ . ذكر لهُ الراهب برصوم في تاريخ دير الزعفران (ص ١٤١) سيرة البطريركين جرجس الثاني واسحاق وبعض الزجليات

٥٧٣ ﴿العينطوريني﴾ الشماس انطانيوس ابن الشيخ ابي الخطار الشدياق من بيت الحاج عبدالنور من قرية عين طورين من جبة بشري. صنّف تاريخاً خطّ في ٢٠ شباط ١٨١٩ . منهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقية ونسخة اخرى عند الخوري الماروني راعي قاع الريم. ضمّنهُ مؤلفهُ فوائد شتى عن اعيان لبنان واديرتهِ الخ

(لها بقية)

الاب برنردوس قون اليسوعي الانكليزي

(١٨٤٧—١٩٢٢)

بقلم الاب رفائيل غله اليسوعي

في صباح ٣١ تشرين الثاني من العام المنصرم فاضت روح راهب يسوعي انكليزي طبّق صيتُ فصاحتهِ ولاسيما فضيلتهِ وحنانهِ نحو صغار القوم كلَّ ارجاء بريطانية العظمى بل كلَّ البلاد الناطقة بالانكليزية من الولايات المتحدة غرباً الى الهند شرقاً ومن اسكتلندة شمالاً الى رأس الرجاء الصالح جنوباً . لعمري قلّما وُجد على ظهر البسيطة في الاعصر المتأخرة رجلٌ حظي بمثل ذلك النفوذ العجيب على ملايين من ابناء وطنه والاجانب ، نفوذٌ ذو صبغة دينية محضة كما يليق براهب وقف حياتهُ على خدمة الله عز وجلّ والانفس المفتداة بدم مخلّص العالم

ذلك الرجل العظيم بين اعاظم الرجال هو الاب برنردوس قون توفي بلندن عن ٧٥ عاماً قضاها في عمل الخير ودعوة الناس الى الصلاح . فانتشر منعاه كالبرق الخاطف في كل انحاء تلك العاصمة الحاوية ضمن حدودها نحو ستة ملايين من العباد . بل كُتب ذلك الخبر الفاجع بخطّ غليظ على اوراق كبيرة أُلصقت في شوارع المدينة . ثم ان كلَّ الجرائد الانكليزيّة — ومَن يحصيها ؟ — نشرت فوراً بين الملإ بلهجة الاسف الشديد نبأ الرزء الفادح الذي اصاب انكلترة جمعاء بفقد واحد من اعظم

واشهر ابنائها . كل هذه الظروف النادر اجتماعها في حياة ووفاة شخص واحد ولو من علية القوم قد استنهضتنا لكتابة بضع صحائف في سيرة ذلك الرجل العظيم لما فيها من العبرة لكل معتبر والبنيان الصالح لكل كاثوليكي . سنبسط الكلام اولاً في حياة الفقيد وثانياً في اسرار فصاحته الرائعة معه ونختم المقال بصحيفة موجزة في ذكر بعض فضائله

١ سيرة الاب ڤون

﴿اسرته﴾ وُلد برنردس ڤون (Vaughan) في ٢٠ ايلول ١٨٤٧ بجزيرة جرزي (Jersey) من عائلة كريمة الحسب والنسب تُعدّ من اشرف واقدم العائلات الشهيرة في انكلترة . وهي من بقيّة الأُسر التي ثبتت بين الانكليز على ايمانها الكاثوليكي وحفظتهُ على توالي اجيال الجور والاضطهاد . امتاز والده الكولونيل ڤون بمآثره في حرب القرّيم . امّا والدته فكانت آيةً في التقوى والعطف على الفقراء والحنو نحو اولادها الاربعة عشر وكان برنردس الحادي عشر بينهم . ومن العجب العجاب ان تلك الامّ المُثلى طالما التمست من رب الجلال ان يستخص بخدمته ابناءها التسعة وبناتها الخمس . وما هو اعجب من ذلك ان الاله الرحوم استجاب تلك الصلاة السامية فقد ترهّبت في الواقع كل بناتها وانقطع لخدمة المولى كل البنين الّا واحدًا منهم . والبكر منهم هو هربرت الذي تنازل لاخيه الرابع عن حقوق بكريّته وارتقى فيما بعد الى منصب كردينال ورئيس اساقفة وستمنستر . واخوه الاول صار رئيس اساقفة سِدْني في أُسترالية . وانتظم الرابع في سلك الاكليروس العالمي فمات برائحة القداسة . ولا يزال اصغرهم في قيد الحياة وهو حاضرًا اسقف سِبَسْتوپوليس . فايم الحق ان مثل تلك العائلة لجديرٌ بان يُخلَّد على صفحات التاريخ بل في سويداء القلوب !

﴿نشأته﴾ كانت والدة برنردس شديدة العناية بتربية اولادها وترسيخ خطواتهم الاولى في طريق الفضيلة الوعرة . ذكر ابنها عنها قائلاً : « كانت تأتي الى غرفتنا قبل رقادنا ليس بالفواكه وضروب الحلوى بل بافكار الله . وبدلاً من قصص الجنيّات كانت تروي لنا سير القديسين . وكانت تُدني مرارًا ساعتها من اذني وتقول : « اسمع

صوت حركتها لكنَّ هذا الصوت سيهدأ يوماً وكذلك قلبك سيقف ايضاً عن الخفقان . فحينئذ ستذهب الى السماء ان عشتَ صالحاً » . وكانت تلقّني هذه الابتهالات التقويَّة : « يا يسوع الحلو اني أهبك قلبي وروحي . يا مريم القديسة كوني لي والدةً . يا ملاكي الحارس العزيز اسهر عليَّ نهاراً وليلاً »

قال ايضاً عن والدته السامية المواطف : « قد اعتادت في زياراتها للفقراء ان تَحمل اليَّ حِمْل ما أُعدَّ لطعامها من الحساء فتوزعهُ عليهم . وكثيراً ما كانت تُلحّ على المساكين ليَدَعوها ان تنظّف مساكنهم وترتّب أَسِرَّتهم . وكانت تعتبر كل أُجرائها بصفة اخوة واخوات لها ! »

﴿دروسه﴾ هكذا نشأ برنردس تحت كنف تلك الام المسيحية الكاملة ولمَّا آن الاوان أدخلهُ ابواه مدرسة اليسوعيين الخاصَّة باشراف الانكليز في ستونيهرست (Stonyhurst) فتلقى فيها العلوم مدة سبع سنوات . وفيها اظهر من اول وهلة شخصيَّتهُ الفريدة وسليقتهُ المطبوعة على الاستقلال في كل شيء . مثالُ ذلك ان احد التلامذة سألهُ عند دخوله في المدرسة عن اسمه فاجابه فوراً بدون ادنى تردّد : « اسمي برنردس فون وفي نيتي ان اصير يسوعياً » . واثناء سني دراسته لم يَبدُ منه ميلُ الانكليز الشديد الى الالعاب الرياضيَّة بل كان جُلّ مبتغاه ان يخلو بنفر من خلّانه فيتجاذب واياهم اطراف الحديث فيقضي معهم زمن الراحة بالفكاهات والاخبار المطربة . وكان يمتاز بين اقرانه ببراعته العجيبة في التمثيل ولا يزال ذكرهُ حيًّا حتى يومنا في مسرح مدرسة ستونيهرست

﴿الراهب﴾ ترهّب برنردس في اواخر سنة ١٨٨٦ فكان مع حرصهِ على العمل بكل قوانين الرهبنة اليسوعية الطفَ المبتدئين حديثاً واخفّهم روحاً واشدّهم بشاشةً وطرباً . فكانت صفاته هذه تحبّبهُ الى رفاقه بل تجذبهم جذباً لطيفاً الى خدمة الله بنشاط وفرح . وقد حفظ الى السنة الاخيرة من حياته ميلاً شديداً الى الفاكهة السارَّة التي لا غبار عليها . ومن فكاهاته انه تزيَّا ذات يوم بزي راعٍ بروتستاني ودخل في دير من اديار الآباء اليسوعيين على احد الرهبان اخوتهِ الطاعنين في السنّ فاجاله هذا في كل انحاء الدير كأنهُ غريب حتى بلغا باب الدير فعرَّفهُ بنفسهِ وتعانقا مقهقهَين

﴿الاستاذ﴾ بعد سيامة الاب فون كاهناً في ١٨٨٠ ارسله الرؤساء الى مدرستنا

الواقعة في ضواحي لندن واسمها مدرسة بومنت (Beaumont College) يتهذَّب فيها اولاد اشرف العائلات الكاثوليكيَّة. فحدث اثناء اقامته هناك ان احد المجانين اطلق النار على الملكة فيكتورية فلم يُصبها فاسرع الاب فون الى القصر الملكي الكائن على مقربة من المدرسة وقدَّم لجلالة الملكة تهاني تلامذتنا لسلامتها من ذلك الخطر العظيم. فبلغ تأثرها من ذلك اللطف الى انها تنازلت وزارت المدرسة فاستُقبلت بما يليق لمثلها من الكرامة والاجلال وقد عادت تلك الزيارة على الرئيس والتلامذة بفوائد لا تُحصى فاصبحت تلك المدرسة المشرَّفة بزيارة اعظم ملكات الارض بل ملوكها في عداد اشهر المدارس الانكليزية. وكان الفضل في كل ذلك لفطنة الاب فون ورقَّة شعوره

﴿ الرئيس والواعظ ﴾ أُرسل المترجَم سنة ١٨٨٣ بصفة خادم رعيَّة الى احدى كنائس منشستر وفي ١٨٩٣ عُين رئيساً لمدرستنا هناك. فكان في تلك الاعوام يرقى المنبر كل يوم أحد تقريباً فتتألب الجماهير لاستماع اقواله الخلاصيَّة الرائعة البلاغة

وفي اثناء سنة ١٨٩٥ القى عشر محاضرات في حقوق الكنيسة الكاثوليكية تفنيداً لمزاعم الاسقف البروتستاني مُورهَوز فكان لها رنَّة شديدة في كل انحاء البلاد، مع ندرة الامريين قوم معروفين بالسكينة وبرودة المزاج. وقد بلغ تحمُّس الحاضرين في احدى هذه الخطب الى ان قام نفرٌ منهم وحلّوا حصان عربته التي ركبها والحُوا عليه في ان يجرّوه بمركبته الى محلّ اقامته

وفي السنة ١٨٩٧ القى عظات الصوم الاربعيني في احدى كنائس رومة. فلمَّا سمعه احد الكرادلة قضى العجب من فصاحته الفتانة وحرارة لهجته فهتف: «لا غرو ان هذا الاب ولد في بهرة البركان فازوف ثم بعثهُ الله الى انكلترة ليبرد فيها!»

ودُعي سنة ١٨٩٨ الى جنوبيّ فرنسة فالقى فيها مواعظ عديدة في انحاء شتى. وفي ختام احدى عظاته سبق واعلم الحضور بنيَّته في ان يحدثهم يوم الاحد التالي عن القديسة مريم المجدليَّة. فبلغ الخبر مسامع امير وَلس وليّ عهد انكلترة الذي صار بعد ذلك ملكاً وعُرف بادوار السابع وكان يقضي الصيف في تلك الجهات فارسل شخصاً من حاشيته الى الاب يسألهُ: «هل يزعجك حضور الامير عظتك على المجدلية فان هذا الموضوع يميل اليه كل الميل؟» فاجابه الاب فون وفي جوابه من الجراءة

وحرّية الفكر ما فيه : « قال لسموّه اني وعظت ١٨ سنة امام سلطان السلاطين فهيهات ان يقلقني امير وَلس ! » ثم رجع الرسول في الأسبوع التالي وقال للواعظ : «قد ارتاح الامير كل الارتياح الى عظتك فهو يلتمس نسخةً منها ليطبعها ويوزّع نسخها على اصدقائه » فلم يرَ الاب ڤون مندوحةً عن الرضوخ لرغبة الامير الذي نشر العظة كما قال

ثمّ سمع وليّ العهد بعد ذلك عظةً القاها اليسوعيّ على آلام المسيح . فقال له : «ابتِ لا بدّ لي من مصافحتك فان هذه اجود موعظة سمعتها في حياتي وقد جنيتُ منها نفعاً لنفسي» . هكذا نشأت وثقت المودة الحقيقية بين الاب ڤون وامير وَلس فكان هذا يستدعيه حيناً بعد حين الى القصر الملكي ليحظى بأنسه ويستفيد من حكمته وحنكته . ولما خلف والدته الملكة فيكتورية على العرش لم يغيّر شيئاً من دالّته هذه على الراهب اليسوعي . ولا يزعمنّ القارئ ان الاب ڤون كان يستميل قلب العاهل العظيم بشيء ولو يسير من التملق . بل كان بعكس ذلك يرشده الى التوبة عن آثامه وتقويم ما اعوجّ من آدابه . ففي ذات يوم كانا ماشيين معاً فتوقّف ادوار السابع وقال له فجأةً : «ايها الاب ڤون انك تقول لي اشياء لا يجسر احد غيرك على قولها لي ولذلك أُحبُّك »

﴿الاب ڤون في لندن — خطيب الجماهير﴾ أمر الابَ ڤون رؤساؤهُ سنة ١٩٠١ ان يسكن احد اديرتنا في لندن فبقي هناك الى آخر حياته العاملة . فما لبث ان اشتهر فيها اذ نشرت احدى الجرائد البروتستانية سنة ١٩٠٢ الاكاذيب والشتائم المأسة لشرف الرهبنة اليسوعية . فانبرى الاب ڤون للدفاع عنها ورفع الدعوى على الجريدة الخسيسة فحكم عليها مجلسُ القضاة بغرامة ثلاثمائة ليرة انكليزية فسدّ بمثل ذلك المبلغ نفقات المحاكمة

وكان صيت الاب ڤون يزيد كلّ يوم انتشاراً فيتسابق الاساقفة الى استدعائه . ففي اواخر ١٩٠٤ سافر الى رومة بصفة واعظ مخصوص ليعظ اثناء احتفالات اليوبيل الذهبي لاعلان عقيدة الحبل بلا دنس

وفي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ القى سياق مواعظ على « خطايا المجتمع » فاهتزّت لها كلّ طبقات الشعب ولاسيما العليا . وقد نُشرت بعد ذلك وطُبعت ١٤ طبعةً حتى يومنا

هذا. فكان على مثال يوحنا المعمدان الذي بجسارة مقدسة أنّب هيرودس على فجوره وهكذا رفع الاب فون صوته في تلك المواعظ وقرّع اكابر الانكليز رجالاً ونساء، على سيئاتهم المحجوبة بين جدران القصور والمستورة بثيابهم الناعمة وعلى نقائصهم الظاهرة لكل الاعين الداعية للعنة طبقات الشعب السفلى لهم . فكنت ترى اعضاء اشرف العائلات ، الكاثوليك بل البروتستان انفسهم ، يبادرون الى استماع اقواله الرشيدة على صرامتها والبليغة على بساطتها الصادرة من اعماق فؤاده الملتهب بحب الانفس والمرشوقة كالسهم الصائب الى قلوب سامعيه . وقد صدق فيه المثل القائل : ان من القلب الى قلب دليلاً .

في ١٩٠٨ طفق الواعظ الشهير يخطب في فضائل ومآثر القديسة حنة درك التي كاد لها الانكليز الف مكيدة ، كما هو معلوم ، واخيراً اعدموها بالنار . فيتضح من ذلك ان في اختيار هذا الموضوع المساس لشرف الامة البريطانية جسارة عظمى لم يكن ليُقدم عليها سوى الاب فون وكان وقتئذ اشهر من نار على علم ليس في بلاده فقط بل في الخارج ايضاً . وقد كان لعظاته على القديسة الفرنسية الشهيرة وقع عجيب في افئدة سامعيه . واذ خطب يوماً في هذا الموضوع على جماعة عديدة من السيدات الشريفات سكبت جميعهن الدموع الغزيرة اثناء خاتمة كلامه

وفي ١٩١٠ دُعي رسمياً ليعظ امام الالوف من المؤمنين الواردين من كل اقطار العالم لحضور المؤتمر القرباني الدولي في مُنتريال (كَنَدا) . وبعد ذلك بقليل نمني في اواخر ١٩١١ باشر سياحته الكبرى الى الولايات المتحدة واليابان والصين فاستغرقت ثمانية عشر شهراً والقى في خلالها نحو اربعمائة خطبة وكان يخطب غير مرة على آلاف من الحضور . ففي طوكيو عاصمة اليابان القى محاضرة على تلامذة الأشراف . وفي شنغ هاي بالصين فاه بعدة خطب في دار البلدية امام الجماهير المحتشدة لاستماعه . وكان مدة سياحته في الولايات المتحدة ، اذا ركب القطار ، رأى مخبري الجرائد والمجلات يهجمون عليه هجوماً في كل المحطات الكبرى وكثيراً ما كان يشاهد جمّاً غفيراً منتظراً وصوله في هذه المحطات ومشتاقاً احرّ الاشتياق الى التمتع باقواله الرائعة والاستفادة منها . فلم يكن للزائر الشهير متسع من تلبية دعوة هذه الجماهير فانهكت قواه تلك الخطب المتعددة فضلاً عن اتعاب ذلك السفر الطويل

﴿الاب فون في اثناء الحرب – يوبيلهُ الذهبي﴾ لم تخمد اثناء سني الحرب المشؤومة الجمرةُ المتأججة في قلب رسول المسيح بل زادت اجيجاً في تلك الاعوام العصيبة. فكنت تراه في الشوارع وارصفة محطات السكك الحديدية فضلاً عن الكنائس والنوادي والمسارح يلقي بلُ التحمس خطبه الشديدة اللهجة في ضرورة مواصلة القتال للدفاع عن حقوق الوطن المقدّسة المدوسة تحت اقدام الالمان. وكان اذا بلغ انكلترة نعيُ الابطال الساقطين في ساحة الشرف ينبري بطيبة خاطر لتأبينهم تنويهاً بوطنيّتهم السامية وتعزيةً لاقربائهم المفجوعين

وفي كانون الاول ١٩١٦ احتُفل بيوبيله الذهبي فهطلت عليه التهانئ وابلةً من كل طبقات الشعب الانكليزي بل من كل اقطار العالم. واتته رسالة من قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر الخالد الذكر يقول فيها: «من صميم فؤادنا نشكر نعمة المذبح المتنقل لئلا تُعاق عن تقديم ذبيحة خلاصنا من اجل ذاتك ومن اجل الكنيسة كلها». وكتب اليه الرئيس العامّ لليسوعيين رسالة تهنئة مقرونة باهداء نيّة خمسين قداساً

﴿ايامهُ الاخيرة﴾ على ان وطأة الشيخوخة – وكان قد جاوز السبعين – ما زالت تشتدّ ثقلاً عليه والأرق المتواتر ومرض البول السكّري ما زالا يزعزعان بنيته القوية حتى هدما اركانها. فوصف له الاطباء مباشرة سياحة طويلة الى رأس الرجاء الصالح ترويحاً لباله وتغييراً للهواء. على انهم حظروا عليه القاء الخطب حرصاً منهم على البقية الباقية من قواه. فانتصح بنصيحتهم بيد انه لم يتمالك ان يخطب على الجماهير في بعض الظروف. فقبل مبارحته لمدينة الكاب تكلم على قداسة الزواج امام نحو ثلاثة آلاف شخص منتمين الى كل الاديان

فمع هذه الاشغال لم تأتِ السياحة بالفائدة المرغوبة. ولمّا عاد الى الوطن أُصيب بضرب من الفالج فأرسله الرؤساء الى دير الابتداء في لندن. فقضى اشهره الاخيرة على فراش الآلام وهو يكاد لا يُفلت من يده ليلاً ولا نهاراً المصلوب الذي اهداه اياه قداسة البابا بيوس العاشر. وفي صباح ٣١ تشرين الاول ١٩٢٢ تناول القربان الاقدس كعادته وكان اوانئذ مالكاً شعورَهُ ولم يعترِ برهن شديد. وبعد نحو ساعةٍ فاضت روحه الطاهرة العالية فانتقل الى رحمة مولاه بغاية الهدوء والطمأنينة ذلك

الرجل الذي لم يكن اسقفاً ولا اختصاصياً بالعلم لكنه عُرف في كل اصقاع البلاد الناطقة بالانكليزية وأممها المختلفة كرجل الله ومحبّ البشر وصديق الفقرا ومرشد الاغنيا، والواعظ البليغ الفريد المثال

٢ الخطيب المصقع والراهب الغيور

نرى في تحرّي اسرار فصاحة الاب فون فائدةً غير يسيرة فمن تتلمذ لذلك الاستاذ في فنّ البلاغة أخذ عنه، ولا بدّ، شيئاً من مقدرته الغريبة على التصرف بقلوب سامعيه وإمالتها الى ما يشاء، وحبذا الفنُّ اذا استُخدم لحضّ العباد على انواع الخير والفضيلة!

ان في الصحائف الآتية دليلاً ساطعاً على عجيب فصاحة الاب فون، والحق يقال انه لفي مقدّمة ائمة الخطباء الذين تبخل بهم الدهور. من يحصي آلاف الناس الجاهلين طريق أيّة كنيسة بل نفسَ الدين المسيحي الذين كانوا يسرعون مع ذلك الى عظاته في وسط الشوارع تحت القبة الزرقاء! دُعي مرّةً لوضع حجر الزاوية بكنيسة شُرع في بنائها من مدّة. فجرى هذا الاحتفال على ارتفاع البناء نحو ستة امتار فوق سطح الارض بجوار صقائل البنّائين المنكبّين على اشغالهم مع مساعديهم غير المنفكين عن الذهاب والاياب لتأدية خدمتهم. فانتصب الخطيب وحوله حلقة من السامعين لا تزيد عن نحو ٢٥ شخصاً وخطب في ضرورة تشييد البيوت ولاسيما بيوت الله. فترقّى في اساليب البلاغة واجاد وابدع وتحمّس فصدق فيه مثلُنا القائل: ان من البيان لسحراً. ففي ظرف بضع دقائق زالت جلبة البنائين واعوانهم فكانوا جميعهم آذاناً صاغية وقلوباً واعية كأنّ على رؤوسهم الطير. بل وقفت عن المسير عربات الترامواي وصعد كثيرٌ من الركّاب الى اعلى سقوفها لئلّا تفوتهم لفظة واحدة من دُرَر ذلك الواعظ المفوّه

ومع كل ذلك لم يكن الاب فون من الكتبة المتضلعين من اساليب الانكليزية والمتفننين في التعابير الانيقة المبتكرة بل كان في كثير من الاحوال يعدل عن مثلها الى التعابير الدوقية المنفيّة من القواميس، الدارجة فقط على ألسنة رعاع الشعب. وكثيراً ما شدّد عليه النكير اخوانه اليسوعيون في هذا الشأن فلم يعبأ بانتقاداتهم لاعتقاده ان انجع وسيلة لاجتذاب الشعب الى الدين والصلاح ليست لباقة الكلام

بل بساطته ووضوحه وبالاجمال قربه الى الافهام . ولذلك كان هو ، مع انهُ سليل احدى اشرف العائلات ، يخاطب سفلة القوم بالفاظ هي ذات الفاظهم المأنوسة بينهم ، فيوهمهم انه منهم ومولودٌ بين اظهرهم . فيفتحون له ابواب قلوبهم على مصراعيها ويشربون اقواله شرباً ولاسيما بعد ايقانهم انها صادرة عن فؤاد ملؤه الحبّ لهم والحنان على انواع بلاياهم والغيرة الشديدة على مصالحهم الابدية فضلاً عن الزمنية

ثم انه كان يتحاشى دائماً بسط الحقائق الدينية والادبية على نمط فلسفي عميق بعيد عن اذهان العامة بل كان يكسوها ثوباً قشيباً فتّاناً من التشابيه الظريفة غير المبتذلة وينعشها بحرارة عواطفه الحماسيّة المضطرمة ، فتخفق افئدة السامعين بنفس خفقات فؤاده ، فكأنه العوّاد الماهر الذي يُخيَّل لنا ان اصابعهُ الرشيقة تتلاعب ليس باوتار عوده بل باوتار القلوب . فسبحان الوهّاب العظيم !

كان مبلغ ثوران عواطف الاب فون اثناء عظاته — خصوصاً في بعض الظروف الداعية الى ذلك — يكاد يفوق التصوّر . حينئذٍ كان على اثر نزوله من المنبر يُلقي جسمه المضطرب المنهوك على فراشه بعد خلع ثيابه المبلّلة بالعرق الصبيب .

ثمّ لا يخفى على احد ان بين مزاج الاطفال الادبيّ ومزاج المتقدمين سنّاً من عامة الناس شبهاً غريباً . فكلا الفريق مولع بالقصص ولاسيما الغريبة والمتنوعة الحوادث . وقد انتبه الاب فون الى ذلك فكانت عظاته المشبعة مشحونةً بمثل تلك الروايات الآخذة بمجامع القلوب . ولم يكن فقط قصّاصاً لا نِدَّ له بل كان ذا قريحة عجيبة التمثيل (١ فمن سمعه يحكي حكايةً توهّمَ انه يشاهد كل الحوادث جاريةً امام عينيه وكل الاشخاص متحرّكةً قدّامهُ . ولا بدع فان الخطيب كان يظهر امامك بمظهر كلّ من هؤلاء الاشخاص ويقلّد نبرات صوتهم وتقلّبات محيّاهم حسب الظروف وحركات جسمهم وسكناتهم وكيفيّة كلامهم وسكوتهم . فكان بقدرته هذه المدهشة

١) اراد الاب فون قبل كونه ان يتعلّم فنّ الالقاء على احد الاساتذة في هذا الفنّ السير . فطلب هذا اليه ان يُلقي امامهُ قطعةً من محفوظه ليقف على استعداده فعمل الراهب . ولمّا انتهى كلامه هتف المعلّم : « وايمُ الحق انك لأمهرُ مني ! »

ومن الامور الشائقة في لندن ان كبار الممثلين والممثلات كانوا يحضرون عظات الاب فون ليأخذوا عنه بعض فنّ الغريب في التصرّف بنبرات صوته وجعلها موافقة لما يريد ايصاله الى القلوب من الافكار والعواطف

يرتقي بسامعيه ارتقاء سريعاً بغير عُنف الى عالم الحقائق الدينية على طريق الحكايات الشائقة الكثيرة المعنى الوافرة المغزى

زد على كل الصفات السابقة الذكر النادر اجتماعها حتى في اعظم الخطباء انه كان لا يحجم في بعض المواقف عن التذرع بالفكاهات المستحسنة المؤدية به الى ضالته المنشودة. ففي ذات يوم كان يكشف القناع عن غباوة احد الزنادقة المنكرين وجود الباريء عز وجلّ. فصرخ فجأة : « اني أومن بوجود الاله الذي خلقَ المستر ولز (اسم الزنديق) وليس بوجود الاله الذي خلقه المستر ولز (يعني إله الماديين اي الطبيعة) ». مرة اخرى كان يشدّد النكير على الملابس النسائية الخلاعية فقال في درج كلامه : « في الزمن القديم كانت عادة المرأة ان تلبس ثوباً خاصاً لتناول العشاء. امّا الآن فانها تتعرّى فتسبب الدمار لجسمها وروحها بل لروح القريب ! »

تلك هي المزايا الجوهرية لبلاغة الاب فون بلاغةٌ لم يكتسبها من مطالعة الكتب بل كانت متأصلة في غريزته فأنماها وأوصلها الى اوج الكمال بطول الممارسة والاختبار ومعاملة الناس. بلاغةٌ لا تُفسح له مكاناً رفيعاً بين الادباء بيد انها تجعله في مقدّمة فطاحل الخطباء القادرين حتى ارتجالاً على هزّ اوتار القلوب في اي مكان واي موضوع وبين أيّة طائفة من الناس. فمن قابل بين نوعي البلاغة المشار اليهما اتضح له من اوّل وهلة ان الثانية اعجب واندر من الاولى بدون قياس وإن لم تُجارِها في لباقة الكلام

٣ لمحة من فضائل الاب فون

يليق بنا بعد تلخيص سيرة الاب فون والبحث عن اسرار فصاحته ان نذكر شيئاً من فضائله السامية فانهُ لم يكن خطيباً مصقعاً فقط بل راهباً قديساً. كفى شاهداً على ذلك تواضعه العميق واستخفافه بذاته مع انه كان من اعاظم الرجال المشار اليهم باطراف البنان. بينما كان الناس على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم لساناً واحداً في الثناء على بلاغته الرائعة كان يقول عن ذاته : « اني كلبُ الراعي (يعني المسيح) ليس الّا. فيقول لي الربّ : يا برنردس اجمع الخراف حولي. فأركض هنا وهناك واتبع لآتي بها الى قدمي الرب. فيقول لي: قف يا برنردس. فأعود الى حُجرتي »

في ايامه الاخيرة قال له احد القوّاد : « لقد سلكت في الحياة مسلكاً جليلاً ، يا ابتِ ، وسعيت كثيراً في خدمة الله » فاجاب والدموع ملء عينيه : « بل ان حياتي مشحونة بالنقائص على اني اثق برضى الله عني! »

هذا ولم يسبقه احد من اخوانه الرهبان في دقّة قيامه بكل اوامر ونواهي القوانين الرهبانية . وكان يحبّ كل اخوته اليسوعيين محبة اخوية محضة ويبذل النفس والنفيس في خدمتهم ويُظهر لطفاً خصوصيًّا لأدناهم مرتبةً ومواهب . اما حبّهُ للفقراء وصغار القوم فقد ضُرب بهِ المثل في كل انحاء انكلترة . رأى مرةً جماعة من الفقراء ذوي الثياب الرثّة المكتظّين في مؤخر الكنيسة لاستماعه في حين ان الاغنياء كانوا مرتاحين وعلى الرحب فوق المقاعد . فدعا الفقراء الى الدخول في الخورس ، نعني في المجال الفاصل بين المذبح ومائدة التناول . فحقّق اذ ذاك قول السيد المسيح « ويصير الاوّلون الآخرين والآخرون الاولين »

كثيراً ما كان الاب فون يُلقي المحاضرات ليحثّ المثرين على بذل اموالهم في سبيل المدقعين فجمع من اجل هؤلاء مبالغ طائلة على هذا النسق . وقد اعتاد اثناء سكناه في لندن على الاقامة نحو يوم كلّ اسبوع في محلٍ استأجره في احد افقر احياء العاصمة . فكان يخرج منه لاباً كثرونة وبطرشيلاً وامامه غلامٌ حامل مصلوباً كبيراً وبيده جُرَيس يدقّهُ لجمع الفقراء الذين لا شغل لهم ولا شاغل . فمتى صادف مكاناً مناسباً ركّز فيه المصلوب وطفق يبشر هؤلاء السذّج والمحتقَرين باسمى الحقائق المسيحية . ثم يعود الى مسكنه الضيّق ويطبخ بيده طعامه ويرجع في الغد الى ديره والى اشغاله المعتادة . والله وحده يعلم كم من النفوس ارشدها باتعابه هذه الى جادّة الخلاص الابدي . فمن العجب العجاب ان الاب فون كان في آن واحد اشهر واعظٍ لعلية القوم ولرُذالة الناس . بل الأعجبُ ان الفريقين كانا بدرجة واحدة أسيري فصاحته المستولية على كل القلوب

اخيراً ان الحجة الدامغة على قداسته انه كان يُصلي طول حياته بخشوع وتقوى لا مزيد عليهما فكم وكم رآه اخوته اليسوعيون يجول في ممشى الدير ذهاباً واياباً وحبّات مسبحته الطويلة تتعاقب بين اصابعه وهو غائص في بحر التأمل باسرار الفداء السامية ! وكان في تقدمته الذبيحة الالهية كانه على المنبر إذ يلفظ كل اقوال القداس

بحرارة شديدة ويشفعها بالحركات الليتورجيَّة الدالَّة مع بعض الافراط على اتقاد عبادته

خلاصة القول ان الاب فون لم يكن فقط رجلًا عظيماً قديرًا في اعين الناس بل راهباً قديساً في عين ربّ الناس. وان كانت العظمة الاولى تضمن له الخلود في صفحات التاريخ فان الثانية قد استحقَّت له اكليلًا لا يذوي الى الابد في ملكوت السماوات .

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١١ جُحَيَّة بن المُضرِّب الكندي

هكذا كتب اسمهُ صاحب الاغاني (٤ ١١٧—١١٨و٢١: ١٤) وضبطهُ بتقديم الجيم المضمومة على الحاء المفتوحة. وفي الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٢٢) كُتب حُجَيَّة بتقديم الحاء على الجيم ومثلهُ في حماسة ابي تمَّام (ص٥٢٢) وفي نوادر ابي زيد (ص٥٣ و٧٧). وكذلك رووا «المضرَّب» بفتح الراء المشدَّدة. كان جُحَيَّة من اهل اليمن من بني قتيرة من حيّ السكون من كندة جاهليًّا ادرك الاسلام. وكان يدين بالنصرانيَّة كما شهد عليهِ صاحب الاغاني (٢١: ١٥). وقد روى لهُ هناك اخبارًا قليلة يؤخذ منها انهُ عاش الى ايام عمر بن الخطَّاب . ويؤخذ منها ايضاً ومن نوادر ابي زيد (ص ٥٣) انهُ كان لجُحَيَّة اخوان مَعْدان ومنذر وكانت امرأتهُ زينب من بنات عمهِ لهُ ولد منها يدعى حَوْطًا . وقال التبريزي في الحماسة (ص ٦٨) : «ويكنى ابا حوط وهو شاعرٌ جاهلي وفارس مقدام حليف في بني ابي ربيعة بن ذُهل بن شيبان»

وقد افتتح ابو الفرج الاصبهاني اخبار جحيَّة بقصَّة القاسم بن محمَّد بن ابي بكر

واختهِ وكيف احتملها عنها عبد الرحمان بن ابي بكر من مصر لما قتل اباهما معاوية بن حُدَيج الكندي وعمرو بن العاص (قال) : وقدم بهما الى المدينة فبعثت اليهما عائشة (زوج رسول المسلمين) وعُنيَت بتربيتهما . ولما شبّا ردّتهما الى عبد الرحمان بقولها : « ها هما هذان فضُمّهما اليك وكن لهما كجحيّة اخي كندة » .

فاستطرد هنا صاحب الاغاني وذكر برّ جحيّة ببني اخيهِ فقال : « انهُ (اي جحيّة) كان لهُ اخٌ يقال لهُ معدان مات وترك صبيةً صغارًا في حجر اخيهِ فكان أبرّ الناس بهم واعطفهم عليهم وكان يؤثرهم على صبيانهِ فمكث بذلك ما شاء الله . ثمّ انهُ عرض لهُ سفرٌ لم يجد بُدًا من الخروج فيهِ فخرج واوصى بهم امرأتهُ وكانت احدى بنات عمهِ وكان يقال لها زينب فقال : « اصنعي ببني اخي ما كنتُ اصنعُ بهم » . ثمّ مضى لوجههِ فغاب اشهرًا ثمّ رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت فقال لامرأتهِ : ويلكِ ما لبني مَعْدان مهازيل واري بنيّ سمانًا ؟ قالت كنتُ أواسي بينهم ولكنّهم كانوا يعبثون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينب لكم . قالوا : سيّئة . ما كانت تعطينا من القوت الّا ملء هذا القدح من اللبن . واروهُ قدحًا صغيرًا فغضب على امرأتهِ غضبًا شديدًا وتركها حتى اذا اراح عليهِ راعياهُ إبلَهُ قال لهما : اذهبا فانتما وإبلكما لبني مَعْدان . فغضبت من ذلك زينب وهجرتهُ وضربت بينهُ وبينها حجابًا . فقال : والله لا تذوقين منها صَبُوحًا ولا غَبوقًا ابدًا . وقال في ذلك من الطويل) :

لجِجْنا ولَجّتْ هندُ في التعصُّبِ ... وأدلى الحجابَ بيننا والتغضُّبِ (١

وخطّت بفَرْدى إثمدٍ جَفْنَ عينها ... لِتَقتلني وشدَّ ما حُبُّ زينبِ

تلومُ على مالٍ شفاني مكانُهُ ... فلومي حياتي ما بدا لكِ واغضبي (٢

رَحِمتُ بني مَعْدانَ اذ قلَّ مالهم ... وحُقَّ لهم مني وربِّ المحصَّبِ

١) ويروى : ولظّ . وفي حماسة ابي تمّام (ص ٥٢٢) : دونها والتنقّبِ . قال الشارح : التغضّبِ ان يغضب شيئًا بعد شيء . والتنقّب شدّ النقاب . واللظّ السّتر

٢) ويروى : اليكِ ولومي . ويروى في نسخة خطّية من حماسة ابي تمّام في مكتبتنا : فلومي عليهِ

وكان التَّامي لا يَشُدُّ احتلالُهم ... عَدايا لهم في كلّ قعبٍ مُشَعَّبِ(١

فقلتُ لعبدَينا أريحا عليهمُ ... سأجعلُ بيتي مثلَ آخرَ مُعزِبِ(٢

وقلتُ خذوها واعلموا انَّ عمَّكم ... هو اليومَ اولى منكمُ بالتكسُّبِ

عِيالي أحقُّ ان ينالوا خصاصةً ... وان يشربوا رَنقاً لدى كلّ مَشرَبِ(٣

ذكرتُ بهم عِظامَ مَنْ لو اتيتُهُ ... حريباً لآساني لدى كلّ مَركَبِ(٤

اخي والذي إنْ أدْعُهُ لِمُلمَّةٍ ... يُجبْني وان اغضَبْ الى السيفِ يَغضَبِ(٥

فلا تحسبيني بُلدُماً انْ نكحتِهِ ... ولكنَّني جُحَيَّةُ بنُ المضرَّبِ (٦

ففي بيت جُحَيَّة باولاد اخيهِ وتفضيلهم على بنيهِ لمَّا يُشعر بفضيلة مسيحيَّة راسخة. وقد روى صاحب لسان العرب (١٩ : ٦٦) حديثاً لعائشة تثني فيهِ على جُحَيَّة وعلى شعرهِ حيث قالت : « تروَّوا لشعر جُحَيَّة فانهُ يعين على البرّ »

وممَّا ورد من اخبارهِ في كتاب الاغاني (٢١ : ١٦) انَّ زينب امرأة جحيَّة لمَّا بلغها شعر زوجها السابق وما وهبهُ بني معدان كرماً لم ترضَ بفعلهِ الجميل فخرجت حتى اتت المدينة فأسلمت وذلك في ولاية عمر بن الخطاب. فقدم جحيَّة المدينة فطلب زينب ان تُرَدَّ عليهِ وكان نصرانيًّا فنزل بالزُّبير بن العوَّام فاخبرهُ بقصَّتهِ فقال لهُ : اياك ان يبلغ هذا عنك عُمَر فتلقى منهُ أذًى . وانتشر خبر جُحَيَّة وفشا بالمدينة وعُلم فيما كان مُقدَّمهُ فبلغ ذلك عُمَر فقال للزبير : قد بلغني قصَّة ضيفك وقد هممتُ

١) ويروى : رأيتُ التامي لا يَشُدُّ فقورهم قال التبريزيّ : فُقور جمع فقر . والمصادر لا تُجمَع الَّا انهُ ذهب بهِ مذهب الاسم واعتقدهُ اسماً . والقَعب القدح من الخشب . والمشعَّب المجبور في مواضع منهُ ٢) ويروى : أريحوا . . بيت آخر . قال الشارح : أريحا اي ردَّا الابل رواحاً اليهم . مثل آخر اي مثل بيت آخر . مُعزِب يعني الذي عزبتَ بهِ اي بعدتَ عنهُ ٣) ويروى : بنيَّ احقُّ ان ينالوا سَغابةً . . . الى حين مَكسَبِ ٤) ويروى : أحاني بها مَنْ لو قصدتُ لمالهِ . . على كلّ مركبِ . ويروى ايضاً : حبوتُ بها قبرَ امرئٍ . قال : الحريب السليب يعني انهُ قضى حقّ اخيهِ الميت في بنيهِ ٥) ويروى : ان ادعهُ لمظلمةٍ ٦) هذا البيت رُوي في حماسة ابي تمَّام . (ق ل) البُلدُم الثقيل الوخم

به لولا تحرّمهُ بالنزول عليك فرجع الزبير الى جُحيّة فاعلمهُ قول عُمَر فقال جُحيّة في ذلك (من البسيط) :

انَّ الزُّبَيْرَ بنَ عوّامٍ تَدارَكَني منهُ بسَيْبٍ كريمٍ سَيْبُهُ عِصَمُ
نفسي فداؤُكَ مأخوذًا بحُجْرتها اذ شاظ لَحمي واذ زلَّت بي القَدَمُ (١
اذ لا يقومُ بها الّا فتًى أَنِفٌ عاري الاشاجع في عِرنينهِ شَمَمُ

ثمَّ انصرف من عندهِ متوجّهاً الى بلدهِ آئساً من زينب كئيباً حزيناً فقال في ذلك ابياتاً ذكر في الاغاني (٤ : ١١٧–١١٨) فيها صوتاً ليونس (من الطويل) :

تَصابيتَ ام هاجت لك الشوقَ زينبُ وكيف تَصابي المرءُ والرأسُ اشيَبُ
اذا قَرُبتْ (٢ زادَتْك شوقاً بقُرْبها وان جانبَتْ (٣ لم يُسلِ عنها التجنُّبُ
فلا اليأسُ إنْ أَلْمتَ يبدو فترعوي ولا انت مردودٌ بما جئتَ (٤ تطلبُ
وفي اليأس لو يبدو لك اليأسُ راحةٌ وفي الارض عمَّن لا يُؤاتيكَ مذهبُ

(قلنا) انَّ في فعل عُمر لعجباً اذ فصل بين جُحيّة وامرأتهِ وتهدَّد زوجها بالاذى. وفيه دليل واضح على ما كان من الضغط في اوَّل الاسلام على من يأبى الدخول في دينهم. وفي ثناء عائشة لبرّ جحيّة واكرام الزبير لضيفهِ ما هو اجمل بهما

أمّا شعر جُحيّة فقد اخذ اكثرهُ الضياع وانّما وقفنا لهُ على بعض المقاطيع نرويها بحرفها. فمن ذلك مدحهُ لابن العبّاس القرشيّ الهاشميّ (من الطويل) :

اذا ما ابنُ عبّاسٍ بدا لكَ وجهُهُ رأيتَ له في كلّ احوالهِ فَضْلا
اذا قال لم يَترك مقالًا لقائلٍ بمُنْتَصِحاتٍ لا ترى بينها فَصْلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يَدَعْ لذي إربَةٍ في القول جدًّا ولا هَزْلا

١) ويروى : بحجزتهِ ... واذ زلّتْ ٢) ويروى : اقربت
٣) ويروى : جنبت ٤) ويروى : بما انت

وروى لهُ القالي في اماليهِ (١ : ٥٤) عن ابن الكلبي قولهُ يمدح يَعفُر بن زُرعة احد الأملوك املوك رَدْمان (من الطويل) :

اذا كنتَ سأَلاً عن المجد والعُلى ... واينَ العطاءُ الجزلُ والنائلُ الغَمرُ
فنقِّب عن الأملوك واهتف بيَعفُرٍ(١ ... وعِش جارَ ظلٍّ لا ينالُهُ الدهرُ
اولئك قوم شيَّد اللهُ فخرَهم ... فما فوقَهُ فخرٌ وان عَظُمَ الفخرُ
أُناسٌ اذا ما الدهرُ اظلَمَ وجهُهُ ... فأيديهِمُ بيضٌ وأوجُهُهم غُرُّ(٢
يصونونَ أحساباً ومجداً موثَّلاً ... ببذلِ أكُفٍّ دونَها المُزْنُ والبحرُ
فلو لامَسَ الصخرُ الاصمُّ أكُفَّهم ... افاضَ(٣ ينابيعَ الندى ذلك الصخرُ
سمَوا في المعالي رتبةً فوق رتبةٍ ... احلَّتهُمُ حيث النعائمُ والنَّسرُ
افادت لهم احسابُهم فتضاءَلَتْ ... لنورهمُ الشمسُ المُنيرةُ والبدرُ
ولو كان في الارض البَسيطةِ منهمُ(٤ ... لمختبطٍ عافٍ لَما عُرِفَ الفقرُ
شكرتُ لكم آلاءَكم(٥ وبلاءَكم ... وماضاعَ معروفٌ يكافئهُ الشكرُ

وجاء لابي زيد في نوادره (ص ٥٣) : قال جُحيَّة بن مضرَّب الكنديّ وزعم المفضَّل انهُ بلغ بعض الملوك عن جحيَّة شيءٌ فبلغ ذلك جحيَّة فقال (من الطويل) :

ان كان ما بُلِّغتَ عنّي فلامني ... صديقي وحُزْتُ(٦ من يدَيَّ الانامِلُ
وكُنتُ وحدي مُنذراً في ثيابهِ(٧ ... وصادفَ حوطاً من اعادِيَّ قاتلُ

قال ابو زيد: منذر اخوهُ وحَوط ابنهُ. وقولهُ في ثيابه اي لا احد لهُ كنتاً غيرها. وهذان البيتان رواهما ابو تمّام في حماستهِ (١ : ٦٨–٦٩) لمَعدان بن حوّاس الكندي

(لهُ تابع)

---

١) وفي الحماسة البصريّة : بعفر ٢) ويروى : واوجههم زُهرُ ٤) ويروى : لفاضت ٤) ويروى : منهم ٥) ويروى : معروفكم
٦) ويروى : وتلّت ٧) ويروى : في ردائه

الكذب

بضاعة الفرمسون

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

كانت الشيعة الماسونيّة في هذه الانحاء بعد اعلان الدولة العثمانيّة بالدستور انعشت آمالها وأحيت امانيّها راجيةً الفوز القريب بفضل جماعة الاتحاد والترقّي. ومن ثمَّ خرجت قليلًا من مطاميرها تترقّب الامور وتتشرّف الى الاحوال لعلّها تستطيع ان تُخضع البلاد لاحكامها وتتسيطر عليها فأنشئت المحافل الجديدة ودخلها الاغبياء افواجاً رجاء منهم ان يأكلوا من فتات مائدتها ويسدُّوا مطامعهم الأشميّة

وما لبثت الحرب ان قامت على ساقٍ وخاف ابناء الارملة من السلطات العسكريّة واكثرهم قد لعبوا في تلك الحقبة ادواراً سياسيّة مبهمة فرجعوا الى مخبآتهم وتستّروا في ظلماتهم واسرع الكثيرون منهم الى مهاجرة البلاد لعلمهم بأنَّ الاتراك سينتقمون منهم لدسائسهم فأفلت من نجا بنفسهِ وذهب بعضهم ضحايا مكايدهم وسياستهم الماسونيّة وحُكم على غيرهم غياباً

بقيت الشيعة لاطيةً متستّرة كاسدة السوق تنتظر فرصةً جديدة لتعود الى عطرها ليس فما كاد الحلفاء يحتلّون البلاد حتى تطاأت من كهوفها وسعت بجميع اطرافها وطلبت بين آل الاحتلال من يُشايعها لتستند اليهم ظهرها ولا تخلو دولة من بعض السفلة فضمّت اليهم قواها واستعدّت لاستئناف حملاتها المعتادة على الدين وذويهِ وعلى السلطة وارباب . وقد رأينا من ذلك انموذجاً كافياً بما وضعتهُ في سبيل المفوّضيّة الفرنسويّة من العقبات

وها هي اليوم اخذت تجاهر بنشر مبادئها الفاسدة وتسعى لتغوي الشبيبة وتصطادهم بحبائلها وإن هي الّا أشراك الإفك والكذب فهذا سلاحها ابداً وتلك بضاعتها لا يعرف غيرها المدافعون عنهم كالافنديّة والمثلّثي النُّقط فليكس فارس وامين (محمّد) الريحانيّ والشيخ سليمان منذر واديب مظهر والي حلقة وزعيمهم

الاخ « يوسف الحاج الذي نال من فضل الماسونيَّة القاباً تدهش العقول بسموّها فاصبح « نائب استاذ اعظم اقليمي فلسطين ومندوباً سامياً عاماً وخطيباً اعظم شرف ورئيس محفل «الحاج» تحت نظامات المحفل الاكبر الوطني المصريّ » فيا لله من كلّ هذه الرتب العالية وكلّها «زعبرة» وكذب كما سترى

*

انَّ من يطّلع على حقيقة الماسونيَّة ويدرس كتبها ونشراتها الرسميَّة ويتمعَّن في اقوال زعمائها في سرّهم وعلانيتهم فيقابل بين خوافيها وظواهرها لا يتمالك من ان يصرخ هي الجماعة التي جعلت الكذب دينها والافك ديدنها. شعارُها كلمة احد زعمائها «ڤولتير» الكافر: «اكذبوا اكذبوا فلا بُدَّ ان يَعلق في العقول شيءٌ من كذبكم»

١ الماسونيَّة كاذبة باسمها

واوّل ما يلوح كذب الماسونيَّة في اسمها الذي اتّخذتهُ للتمويه على الناس فان اسمها فرنسويّ فرنماسون (Franc-Maçon) مركَّب من لفظتين هي تكذب بهما كلتيهما. فان «فران» (Franc) معناها الصادق والصدق والماسونيَّة على طرفي نقيض امَّا «ماسون» (Maçon) فمعناها البنَّاء وهو ايضاً اسمٌ كاذبٌ في معناهُ المادّي اذ ليس بينهم بنَّاء وهم لا يقبلون في عشيرتهم الفقراء كالبنَّائين . وفي معناهُ الادبيّ اذ يعملون على نقض اركان الهيئة الاجتماعيَّة وخراب صرح المدنيَّة والعمران ومناهضة كل دين وأدب. ولو طلبت لها اسماً مطابقاً للمسمى لوجب ان تُدعى « شيعة الثورة والفتن » ما لم يفضلوا اسم شيعة الاحرار الكذّابين (Francs-Menteurs)

٢ الماسونيَّة كاذبة بتاريخها

اسأل الفرمسون عن تاريخ انشاء جمعيَّتهم تجدهم يتخالفون ويتناقضون بل يحملون سامعيهم على الضحك منهم والاستهزاء بترّهاتهم . يقول لك الاخ الماسوني ايليَّا الحاج في خلاصته الماسونيَّة (ص ٣) : « انَّ مبدأ الماسونيَّة منذ القدم يوم كوَّن المهندس الاعظم السماوات والارض وخلق آدم وهو ابو الماسون » (كذا!)

وبلغ بعضهم (على ترل الاخ ، جرجي زيدان في كتابه تاريخ الماسونيَّة العام) الى ان قال (ص ٥) انَّ اوَّل محفل ماسوني كان في جنَّة عدن وميخائيل رئيس الملائكة كان اوَّل استاذ اعظم فيه » (كذا !) . . . . واذ رأى الكاتبان ما في هذه المزاعم من السفاسف عدلا الى ذكر آراء اخرى مثلها صواباً فزعما انَّ الماسونيَّة راقية الى « سليمان الذي انشأها في هيكله » . او هي من انشاء اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد . واغرب من ذلك ما رواه صاحب الخلاصة الماسونيَّة (ص ١٠) انَّ القديس البان المستشهد في عهد ديوكليسيانوس في اواخر القرن الرابع انشأ الماسونيَّة في مدينة يورك سنة ٩٢٦ اعني ستمائة سنة بنيف بعد استشهاده وموته (!!)

فهذه الخرافات التي يسعى الماسون ان يروّجوها بين العموم يثبتون بها كذبهم في تاريخهم كما بيَّنوه في اختيار اسمهم . وقد ثبت اليوم انَّ الماسونيَّة في هيئتها الحاضرة قد أُنشئت في انكلترَّة لتأييد البروتستانيَّة ومناصرة السياسة الانكليزيَّة ومناهضة الكثلكة والدول اللاتينيَّة التي تعضدها لاسيما فرنسة ابنة الكنيسة البكر

٣ الماسونيَّة كاذبة في تعريف غايتها

١ً يصرح الماسون بملء فيهم ان غاية جماعتهم « الاعمال الخيريَّة لبني الانسان » (الخلاصة الماسونيَّة ص ١٢ و ١٣) الَّا انَّ هذه الاعمال الخيريَّة محجوبة عن اعين البشر لا يرى لها اثرًا كلّ الباحثين عنها . فانَّ المشروعات الخيريَّة الكاثوليكيَّة يشاهدها العميان فضلًا عن الباصرين والمتبصّرين وذلك ليس بعيدًا عنَّا في كلّ مدن سوريَّة وقراها لا تفي بتعدادها الصفحات المطوَّلة من مستشفيات ومستوصفات وملاجئ ومياتم في عدد عديد . امَّا المشروعات الماسونيَّة لخير الانسانيَّة فلو فتَّشت عنها باكبر مجهر يُعرَف اليوم ينتسَ من مشاهدتها حتى في عواصم البلاد وبالحري في انحاء بلادنا

٢ً ولعلَّهم يزعمون انَّ غاية الماسونيَّة هي « مقاومة الجهل تحت كل اشكاله » كما قال رئيس محفل الكرنك الاخ « الياس بك منسّى » (كتاب نظامات الماسونيَّة العموميَّة ص ١٠) . فنقول انَّ الجهل يقاوَمُ خصوصاً في المدارس كما يفعل الكاثوليك في جامعاتهم وكليَّاتهم ومدارسهم العليا والوسطى والسُّفلى التي تضيق صفحات هذه

المجلة عن احصائها فليتكرّم علينا الفرمسون ويذكروا لنا جامعةً ماسونيّة او كلّيّة ماسونيّة او مدرسةً ماسونيّة انشأوها في سوريّة او خارجاً عنها بمالهم الخاصّ تكن لهم من الشاكرين . فكيف يستطيع الفرمسون ان يأتوا بكذبة مثل كذبة الاخ . جرجي زيدان حيث يقول في كتابه (ص ٢٤) : « انّ العلم لا ينمو وينتشر الّا بواسطة الجمعيّات السرّيّة » فكأنهُ يقول لا يقوم النور الّا بالظلمة واحسن دواء للعين العمى .

٣ ويزعم غيرهما انّ غاية الماسونيّة التحابّ وائتلاف القلوب بين اعضائها ثم بين الناس . ولذلك نرى كلّ يوم الفرمسون منقسمين بينهم الّا في امر واحد في مقاومة الكنيسة الكاثوليكيّة وارباها . وكلّ يعلم ما صارت اليه الماسونيّة المصريّة من الخصام والشتائم وكيف رفعوا امورهم الى المحاكم البلديّة لمحاكمة رئيسهم ادريس بك غالب . وليست عُرى التحابّ بين الفرمسون في سوريّة بأوثق منها في مصر وان سعوا بغسل ثيابهم الوسخة فيما بينهم » كما بلغنا ذلك غير مرّة . امّا التحابّ بين الناس فمعناهُ زرع الماسون بذار الفساد في المجتمع الانساني فيهيّجون المرؤوس على رئيسه والخادم على مخدومه والعمّلة على سادتهم فحينما ترى فتنةً او شغباً ما لك الّا ان تبحث عن يدٍ ماسونيّة خفيّة تحرّك المطامع وتبعث الشهوات السافلة

فصحّ اذن انّ الماسونيّة كاذبة في تعريف غايتها كما تكذب في اسمها وتاريخها

٤ الماسونيّة كاذبة بمدّعياتها

١ تدّعي الماسونيّة في بعض لوائحها انّها تُكرم الدين وتجلّهُ . فنسألها اين هي آثار ذلك الإكرام المزعوم وغاية ما نعلم انّ انصارها غالباً لايعتقدون ديناً ولا يقدمون بفرائض الدين يصحّ فيهم قول ذاك البدويّ :

لا نصلّي ولا نصوم ولا نذكر ربّنا لمّا نقوم

وان ورد في كلام الفرمسون ذكر الدين لا يريدون وحياً او تعليماً سماويًّا ايًّا كان بل خلط الاديان المتناقضة فالوثنيّة عندهم كالتوحيد والبوذيّة والمجوسيّة كالنصرانيّة والكاثوليكيّة اذ يعتبرونها كلّها على حدّ سواء كشعوذة وخرافة . قال رئيس الشرق الاعظم في فرنسة سنة ١٨٥٦ في نشرته الرسميّة (ص ١٧٢) : « كما انهُ لا يوجد الّا

حقٌ واحد طبيعيٌ مصدر كلّ الحقوق والشرائع الوضعيّة كذلك لا يوجد الّا ديانة واحدة عموميّة تحتوي ضمنها كلّ الديانات الخصوصيّة في العالم » . واصرحُ من ذلك ما قالهُ دلپاش رئيس الشرق الاعظم في فرنسة سنة ١٩٠١ : « انّ الماسونيّة قد أنشئت لهذه الغاية ان تناشب الحرب كلّ الاديان بل قل كلّ الخرافات وضروب التعصّب »

٢ً تدّعي الماسونيّة بانها تعتقد وجود الله . وليس الهها الهاً جوهريا قائماً بذاته خالقاً للعالم من العدم قادرًا على كلّ شيء مجازياً للبشر على حسب اعمالهم . فالههم «مهندس الكون الاعظم » ناكرين بذلك تكوينهِ للعالم من العدم . وليس الله في زعمهم سوى المادّة . قال وَيسهوبت احد كبار الماسونيّة : « كلّ شيء هو مادّي فالله والعالم ليسا سوى شيء واحد وجميع الديانات خياليّة غير ثابتة اخترعها الرجال ذوو المطامع» . وقال پرودون من زعماء الماسونيّة : « ليست الماسونيّة سوى نكران جوهر الدين فان قال الماسون بوجود الاله ارادو به الطبيعة وقواها المادّيّة او جعلوا الانسان والاله كشيء واحد» . وقال رئيس الماسونيّة في البرازيل في جريدتهم المدعوة بليكان : « انّ الماسونيّة هيكل عظيم كهيكل رومية المنصوب لسائر الآلهة فهي تحفل بجميعهم وترحّب بهم لان من مجموعهم لا يتألّف الّا اله واحد» . فترى من هو اله الفرمسون اعني المادّة الصمّاء والطبيعة ومجموع آلهة الوثنيين . لا بل بلغ بغض الماسونيّة للاله الحقّ في بعض البلاد الى ان سعت بإلغاء اسمهِ والضرب عنهُ صفحاً في كلّ خطابٍ او تقرير رسميّ . وغلب الجنون على احدهم الاخ . پرودون الى أن جدّف قائلًا : « ليس الاله سوى الشرّ »

٣ً تدّعي الماسونيّة في بعض لوائحها الكاذبة بانها تعتقد خلود النفس وقد أبطل هذا الاعتقادَ الشرقُ الفرنساوي الاعظم فانهُ بعد ان كان يقدّم على اللائحة الماسونيّة هذه الالفاظ : « انّ اساس الماسونيّة وجود الله وخلود النفس وحبّ الانسانيّة » ألغى هذا التعريف وابدلهُ بهذا : ان الماسونيّة مبنيّة على مبادئ حرّيّة الضمير المطلقة والألفة الانسانيّة » . وقال صاحب كتاب الماسونيّة واسرارها بعد ارتدادهِ عنها (ص ٣١) : انّ الماسونيّة تعتبر الانسان كبهيمة عجماء بلا نفس عاقلة وغايتها القصوى أن تسوق البشر الى فكّ كلّ قيد يضبط شهواتهم ليخلعوا كلّ سلطة

وينبذوا كل دين فيعيشوا عيش الحيوانات وينقادوا الى اوامر زعماء الماسونيَّة انقياداً اعمى» وقد اخبرنا الثقة عن الاخ ٨ بطرس انطونيوس انهُ لما دخل الماسونيَّة سألهُ أصحيح ان الماسونيَّة تنكر وجود الله وخلود النفس فاجابهُ بديهاً : كلَّا ليس هذا بصحيح فانَّهم يعتقدون الامرين كليهما . ثم لقي السائلَ بعد مدَّةٍ فقال لهُ : اني كنتُ أكَّدتُ لكَ بان الفرمسون يعتقدون وجود الخالق وخلود النفس لكني وقتئذٍ كنتُ مخدوعاً واليوم اؤكد لك انهم لا يعتقدون شيئاً منهما

٤ من مدَّعيات الماسونيَّة أنها في مجتمعاتها لا يتداخل اعضاؤها بامور السياسة وانها « تمنع من اجتماعاتها كلَّ اختلاف وكل مناظرة سياسيَّة » (الياس بك منَّى في النظامات الماسونيَّة العموميَّة ص ١٠) وليس من يجهل انَّ هذا المدَّعى احد اكاذيب الماسونيَّة وقد ثبت باقرار اعضاء الماسونيَّة ذاتهم انَّ محافلهم نوادي سياسيَّة يبذلون فيها غاية المجهود في تمشية السياسة الدوليَّة على هواهم بواسطة مندوبيهم وعُمَّالهم وصحافتهم وخطبائهم قال الاخ ∴ غوتار في مؤتمر الماسونيين سنة ١٨٧٦ : « كنَّا سابقاً نقول على سبيل الفطنة، ليس بموجب القانون، ان الماسونيَّة لا تكترث للاديان ولا للسياسة . . . واني اقول اليوم مجاهراً باننا في محافلنا نشتغل بالسياسة ونعم للسياسة سياستكم أيها الاخوان»

وقد ثبت اليوم باكتشاف اوراق الماسونيَّة السرِّيَّة بل باقرار كثير من الفرمسون ان الشرائع المعادية للدين ولأربابهِ وللتعليم الديني في فرنسة كانت تقرَّرت بحرفها في المحافل الماسونيَّة قبل ان تُعرض على مجلسي النوَّاب والشيوخ فصدَّقوا عليها

٥ الماسونيَّة كاذبة بمبادئها

انَّ المبادئ التي يتشبَّث بها الماسون راجعة الى الفاظ يردِّدونها على المسامع ويجاهرون بها كانهم اكتشفوها كما اكتشف كولومبس اميركة . ينادون بالحرِّيَّة والمساواة والاخاء والتساهل وما اشبهها لما يجدون فيها من الالتباس راجين ان يصطادوا السُّذج بذاك الماء العكر . وقد سبق الانجيل وفاه بكل هذه الالفاظ وروى معناها الحقيقي الذي يريد الفرمسون ان يحوِّلوهُ الى سفسطتهم

يريدون الحرِّيَّة وليست حرِّيَّتهم الَّا حرِّيَّة الضمير والتحرُّر من ربقة الشرائع

وقيود الآداب ونواميس الدين ليعيشوا كالهَمَل « لا اله لهم ولا سيّد » كما قال كثيرون منهم . ولو راجعوا الانجيل الطاهر لعلموا ما هي الحرّية الصحيحة حيث يقول الربّ (يوحنا ٨ : ٣٢) : تعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم . وهو القائل (٨ : ٣٤) : من يصنع الخطيئة هو عبد الخطيئة . وقال رسولهُ بولس (٢ كور ٣ : ١٧) : حيث روح الربّ هناك الحرّية . فشتّان بين حرّية الفرمسون القتّالة وحرّية المسيح المُحيية

يريدون الإخاء ألم يسبقهم المسيح منذ ١٩ جيلًا فأعلن لتلاميذهِ (متى ٢٣ : ٨) : «انكم كلكم اخوة» وقال عزّ وجلّ (٢٣ : ٩) : « وابوكم واحد وهو في السماء » فايّ إخاء يطلب الفرمسون ؟ أإخاء عصابات الاشقياء لمحاربة الودعاء والسالمين ؟ ام اخاء الذئاب لقاتلة الحملان ؟ او اخاء الفرمسون لساورة الذين لم ينتظموا في شيعتهم ويؤمنوا على اقوالهم ؟

وما هي تلك المساواة المزعومة ؟ العلّهم يريدون ان يساووا بين العالم والجاهل وبين الذكي والغبيّ وبين الصغير والكبير وبين العبد والسيّد؟ فهذه هي غاية الماسونيّة . ولو استطاعوا لفكّروا مثل ذلك القيصر الروماني الطاغية ان يقطعوا رأس كلّ من كان اطول من رأسهم . فما ابعد ذلك منْ تعليم السيّد المسيح الذي علّم تلاميذهُ بقولهِ وفعلهِ التواضع وهو القائل (لوقا ٢٢ : ٢٦) : ليكن الاكبر فيكم كالاصغر والذي يتقدّم كالذي يخدم . . وانا في وسطكم كالذي يخدم» فالماسوني على عكس ذلك يريد قلب المجتمع الانساني ليسود ويتقدّم

رايّ تساهل اعظم من تساهل القائل في انجيلهِ (متى ٥ : ٤٤) : احبّوا اعداءكم واحسنوا الى من يُبغضكم » امّا الفرمسون فيريدون بالتساهل أن ننبذ تعاليم الحقّ الذي اوحى بهِ ابنُ الله فنساوي بينهُ وبين الضلال ونُعادل بين كلّ الاديان اي ننكرها جميعاً بقبول تعاليمها المتناقضة

فتلك هي المبادئ الحُرّة التي يطبّل بها الفرمسون ويزمّرون وانّما عكسوا معانيها ليخدعوا الناس بظواهرها ويغرّوهم بقشورها دون لُبابها فليعلم ابناء الارملة انهُ ليس حرّية ولا مساواة ولا اخاء بمعنى هذه الالفاظ الصحيح خارجاً عن الدين والنظام الاجتماعي المبني على الشرائع المطابقة لسنن العدل والادب

٦ الماسونيَّة كاذبة برموزها

معلوم انّ للفرمسون دساتير مختلفة للطالب وللرفيق وللاستاذ لدينا منها مساطر هزليَّة مضحكة يقدر يطلع عليها كلّ من اراد رغماً عن سعي ابناء الارملة بحفظها سرّيَّة في زوايا محافلهم . وكذلك لدينا اوسمتهم ووزراتهم وأوشحتهم في كلّ الدرجات الماسونيَّة فاذا تكلّمنا عنها لا يكون كلامنا وهميًا بل هو مبنيّ عن معرفة وعيان. ومثلها ايضاً التهاويل والرموز التي يزينون بها محافلهم كعمودَي جاكين وبعوز وكالشمس والقمر والنجوم والنار والزاوية والبركار والمطرقة والميزان والسيف الماسوني والحجر الغشيم والجماجم وتابوت احيرام واشياء اخرى كثيرة وصفناها سابقاً بكراريسنا الستَّة المعنونة بالسرّ المصون في شيعة الفرمسون كالاشارات واللّمسات والخطوات فكل ذلك لم يخترعهُ الفرمسون الّا لتعظيم جمعيَّتهم ليوهموا الناظرين بأنّهم اركان العالم ومحور حركاته واساس بنائهِ وهم في ذلك ممخرقون كذّابون. وترى في دساتيرهم السرّيَّة شروحاً على هذه الرموز تافهة صبيانيَّة يخدعون بها من يرضى بالانتظام في سلكهم. وأمّا معناها الصحيح الذي يسكتون عنهُ فهو اللعب بعقول اولئك الجهلاء وتضليلهم الى أن يلقنوهم شيئاً فشيئاً الى الاستخفاف بالدين والازدراء بكل سلطة روحيَّة وزمنيَّة ويبعثوهم الى كلّ ما تريدهُ الماسونيَّة لتحقيق غاياتها السافلة ودكّ دعائم المدنيَّة والمجتمع الانساني المؤسسة على الدين والنظام المدَنيّ

٧ الماسونيَّة كاذبة بالوسائل التي تتَّخذها لغاياتها

من يتتبَّع الماسون في حياتهم السياسيَّة وعيشتهم العلنيَّة ويسمع خطبهم في النوادي العموميَّة يتعجَّب من شقشقة لسانهم وكثرة ما يأتون بهِ من اخبار التاريخ التي يسردونها كحقائق مقرَّرة لا ينكرها الّا الجهلاء كمحاكمة غليليو وديوان التفتيش ومذبحة القديس برتلماوس والبابا حنَّة وغير ذلك من الخرافات التي يردّدونها كالببغاء. وقد فنّدها العلماء الف مرَّة . وهم يضيفون اليها من الاكاذيب ما يزيدها فظاعة . فهذا صاحب المنبر علي ناصر الدين في عدد جريدتهِ الصادر في ١٨ شوّال ١٣٤١ نشر خطاباً لاسعد الأيوبي « رئيس محفل فم الميزاب » (ما احلى هذا الاسم!) يذكر

فيه «احراق غليله» و «محاولة احراق كولومبس لاثباته كروية الارض» كأن الكنيسة احرقت فعلاً غليله مع كونها لم تأتِ بأذى ولم تمنعهُ عن نشر مكتشفاته الّا انها حظرت عليه فقط شرح الكتاب المقدَّس (١ كما انها عضدت كولومبس ونشطتهُ في ابحاثه بدلاً من ان تحاول احراقهُ . ولكن كيف تقوم حجج الماسونيَّة ان لم تعضدها بالكذب !

ومن اعظم الوسائل التي يتوسَّلون بها لادراك مقاصدهم السيئة الاختفاء فانهم كطير البوم لا يطيقون نظر النور وبهِ يحققون كلام الربّ في الانجيل الشريف (يوحنَّا ٣ : ٢٠) : «انَّ من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلَّا تُفضَح اعمالهُ» فترى من ثمَّ الفرمسون يخفون عن العيان سجلَّاتهم ونشراتهم بل على خلاف قوانين الدول لا يسلّمون منها نسخةً لمكاتب الدولة العموميَّة ويحظرون تحت طائلة اشدّ العقوبات على ذويهم ان يُعلنوا بشيءٍ من امور شيعتهم . قال الاخ ∴ لودوك احد خطبائهم في مؤتمر الماسونيَّة سنة ١٨٩٣ : «الحذر كلّ الحذر من كشف اسرارنا فانَّ ذلك يؤدي بنا الى العطب» وقال هناك آخر مثلهُ : «انَّ قوَّة الماسونيَّة تتوقَّف خصوصاً على محافظة اعضائها على اسرار مباحثاتها»

فما اقوى حجَّة الماسون بعد ذلك اذا تحاملوا على اليسوعيين الذين يرى الناس كافَّةً عُجَرهم وبُجَرهم . فكنائسهم ومدارسهم ومكاتبهم واديرتهم مفتوحة لكل من شاء ان يرى ويسمع ويفحص وليس لهم من سرّ الّا الفضيلة وعبادة الله وخدمة القريب تشهد آثارهم على صدق سريرتهم

٨ الماسونيَّة كاذبة بمواعيدها

يعرف الفرمسون انهُ لا تروج سوق شيعتهم الّا بالمواعيد الشائقة يدفعون بها الناس على التشيُّع معهم وربَّما اصطادوهم بما يعرضونهُ عليهم من المنافع الطائلة فيقول الماسونيّ لهذا انَّ شيعتهم تسهّل لهُ الامر لينال منصباً مرغوباً ولذاك انها تُكسب لتجارتهِ الزبائن والارباح ولآخر انَّها تنجيه من بعض النكبات حتى اذا دخلوا العشيرة عدلت من الوعد الى الوعيد وقيَّدتهم باغلالها ولات ساعة ندم . وقد بيَّن لهم الاخ ∴ كلافل في

١) اطلب مقالتنا في دعوى غليلاي في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ١٧٨–١٨٣)

كتابهِ السرّي عن الماسونيَّة كيف يجتذبون اليهم الطلبة بالمواعيد المرقوبيَّة قال : «ان اراد اخوتنا الماسون ان ينظموا احدًا في شيعتنا فليصفوها لهُ وصفاً شائقاً قائلين انَّها جمعيَّة خيريَّة غايتها الترقي وانَّ اعضاءها اخوة يعيشون بالوداد والمساواة . . وانهُ سيلقى حيثما رحل اخوةً يتسابقون الى اكرامهِ ومساعدتهِ بمجرَّد استعمالهِ الشعار السرّي والمصافحة الماسونيَّة . . فعلى الماسوني ان يقدّم لكل واحد من الادلَّة الموافقة لحالتهِ وحرفتهِ وعقلهِ فيجذبهُ بما هو اوفق لرغائبهِ » وهذا فعلهم خصوصاً بالشبَّان لما يعلمون من خفَّة طباعهم وغرارتهم . امَّا المواعيد التي وعدوهم اياها فانهم لا يقومون بها الَّا اذا وافقت غايات الماسونيَّة وصالحها دون صوالحهم . وكذلك عمل الخير واسعاف الفقراء والمبؤوسين حتى من اخوتهم في العشيرة فكلُّهُ بعيد عن فكرهم ولذلك يقول الاخ «دراغون» : «الماسون الفقراء في جمعيَّتنا بمنزلة قُرح او برَص شنيع المنظر كريهِ المخبر» ويقول الاخ . . برتنتيل : اياكم ان تقبلوا في جمعيَّتنا اناساً يأتونكم ليمدّوا اليكم يد الاستعطاء ليس ليساعدوكم بمالهم »

وغاية ما يرجوهُ الداخلون في الماسونيَّة ان يدفعوا لينالوا اية درجة كانت في السلَّم الماسوني مبالغ معلومة لاسيَّما الذين من اهل الثروة فانَّ الشيعة تدعوهم بالبقرات الحلوب تخوّلهم الرُّتب الماسونيَّة الفارغة وغايتها إفراغ اكياسهم

٩ الشيعة الماسونيَّة كاذبة بدفاعها

اذا قام اعداء الماسونيَّة وكشفوا عن مساوئها الجمَّة واثبتوا كفر اصحابها وبيَّنوا ما لها من الايادي السود في كلّ المشاغب والفتن ومن الخيانات المتالية للوطن ومن المساعي الشنيعة لنقض اركان الممالك لا يجد ذووها للدفاع عنها الَّا الالفاظ المطنطنة التي اشبعونا منها ولا طائل تحتها فيكرّرون قولهم ان الماسونيَّة تريد تحرير الشعوب انَّها تقاتل الظلم انَّها تقاوم الجهل انَّها تريد ان تكسر أغلال الاكليروس والفاظ اخرى كهذه تتنصَّل بها عن مسئوليَّة آثامها

وربَّما فضحها بعض الاخوة وظهر السمّ من وراء الدَّسم فتسعى الماسونيَّة اذ ذاك بإخفاء الاخ من وجه الحكومة او بقتلهِ سرًّا كما فعلت غير مرَّة . فلمَّا اكتُشفت في عهد البابا غريغوريوس السادس عشر اوراق الماسونيَّة الايطاليَّة وعُرف كثيرون من

اشقيائها فرُّوا للحال من تخوم الدولة البابويَّة لئلَّا تدركهم العقوبة لدسائسهم ومآثمهم . وان لم تقوَ الماسونيَّة على انقاذ اصحابها من ايدى الحكومة حرَّكت السماء والارض لتشنع على الحكَّام وتروي اعمال انصارها على غير صورتها كما فعلت لمَّا حُكم في اسبانية على فرير رجل السوء والثورات المتعدّدة

١٠ الماسونيَّة كاذبة في حملاتها

ان كانت الماسونيَّة لا تدري كيف تذكي ذويها وتبيّض حبشيَّتهم تراها بالهجوم أقحمَ واجرأ ويا ليتها كانت احقّ واصدق . بل هي في حملاتها أكذب وآفك . ولا نحتاج الى طلب البرهان على ذلك من بعيد فانَّنا نجده عن كثب قريباً منَّا في ما شحنته الماسونيَّة من التُّهم والاكاذيب في هذه الاسابيع الاخيرة . فانَّها حملت حملات شعواء على غبطة السيد مار الياس الحويك بطريرك الطائفة المارونيَّة الجليل لضربه بالحرم ابناء ملَّته الداخلين فيها فنسبت اليه هتك الحقوق والحكم الجائر والجهل بامور الماسونيَّة مع انهُ في منشوره لم يبتدع شيئاً جديدًا وانَّما جدَّد فقط الحرم الذي صوَّبهُ سلفهُ الطيِّب الذكر السيِّد بولس مسعد سنة ١٨٨٩ وكان غبطتهُ منذ السنة ١٩٠٢ أعلن عن فكره ورشق الماسونيَّة بسهم الحرم لمَّا وجَّه الى ابناء طائفته الكريمة منشور الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رذل الشيعة وهتك اسرارها الفاسدة . فكان احتجاج الماسون على غبطته داعياً لقيام عموم الموارنة للذود عن حقوق بطريركهم ولتقبيح الماسونيَّة واعمالها

ولم تنسَ الماسونيَّةُ الرهبانيَّةَ اليسوعيَّة عدوَّتها الألدَّ فشرَّفتنا بضرباتها لكنَّها ضربات في الهواء فطاشت سهامها وكم بأقوالها من الاكاذيب في حقنا . قامت الحرَّيَّة الماسونيَّة وبقلم المدعو جبران تويني قدَّمت جبارها لتسحق اليسوعيين سحقًا لا يبقي لهم بعدهُ ذكر . فاوَّل ما نعتنا به اسم الجزويت فرجنت فرانصنا لهذا اللقب الشائن المعيب الذي يظنّ اعداؤنا انهُ يجلبنا عارًا وليس من عار الَّا على الذي يدعو الشمس ظلمةً والدرَّة بعرةً

ثمَّ ركَّم التُّهم والشكايات يردّدها كيفما سمعها بلا تحقيق ولا تدقيق شأن المصارع الذي لا يعلم كيف ينجو من خصمه فيضرب بما تبلغ اليه يده تارة عن اليمين

وتارة عن اليسار ظنًّا منهُ انهُ بذلك يُوهم اصحابهُ بالانتصار . لكنَّ هذا الغبار الثائر في ساحة القتال لم يلبث ان انكشف واظهر لكل ذي بصر ان الصارخ اعزلُ سلاحُهُ زائفٌ وسيفهُ كهام . وكان الاجدر بهِ قبل ان ينتقل الى ذكر تاريخ رهبانيَّة يسوع القديم ان يبيّن مساوئها لاهل الوطن وها هي منذ تسعين سنة قد عادت الى بلاد الشام وتاريخها مفعم من الاعمال الخطيرة في خدمة الدين والوطن ممَّا لا يستطيع ان ينكرهُ الَّا من نكر وجود الشمس . واذ عجز عن ذكر شيء يسوّد وجهنا بين عموم اهل سوريَّة عدل الى تاريخ رهبانيَّتنا القديم لعلَّهُ يجد ما يقرّفنا به فخبط هناك ايضاً خبط عشواء فأتى بالمزاعم الكاذبة التي الحّت عليهِ جريدة البشير ليثبتها فرأى نفسهُ قاصرًا فعدل الى سواها زورًا . ولعمري كيف يمكنهُ ان يثبت ما يدحضهُ كلّ التاريخ ! . زعم انَّ هنريكوس الرابع طرد اليسوعيين وقد ألقى هذا الملك ابلغ خطاب في الدفاع عنهم امام مجلس دولتهِ وأمر ان يُنزَع بعد وفاتهِ قلبهُ من صدرهِ ليُعطى كمربون محبَّتهِ لليسوعيين في مدرستهم «لا فلاش» في باريس

زعم انَّ لليسوعيين يدًا في مذبحة القديس برتلماوس (المدعوَّة بذلك لوقوعها يوم عيدهِ) والصحيح انَّ ليس لليسوعيين في هذه الفاجعة ناقةٌ ولا جمل ولم يطَّلع عليها احد منهم قبل وقوعها فهرف بما لم يعرف

وليس علمهُ بنسبة اعمال ديوان التفتيش الى اليسوعيين بأصحّ واثبت وكلّ يعلم انَّ اليسوعيين لم يجلسوا قطّ في هذا الديوان وقانونهم يحظر ذلك عليهم

أمَّا تقريعهُ لليسوعيين بالطاعة فانطاعة احد النذور الثلثة التي تعمّ كلّ الرهبان في سائر الرهبانيَّات شرقًا وغربًا فما بالُ التويني لا يلوم بهِ غير اليسوعيين . ثمَّ كيف يجسر ان يدعو طاعتنا « عميا » وهي مفتّحة العينين وكلّنا نعلم لمن نطيع ولماذا نطيع والى ايّ حدّ واجبة الطاعة بخلاف الفرمسون الذين ينقادون كالعميان لاوامر تأتيهم من رؤساء يجهلونهم ولا يعرفون سببا ولا يفرقون بين صلاحها وفسادها . وقد ورد في تاريخ مازّيني احد كبار الماسونيَّة في ايطالية انَّهُ كانت تأتيهِ اوامر يجهل مَنْ يأمرهُ بها فاخذ يبحث عن ذلك لعلَّهُ يقف على مُرسلها فاذا بكتاب سرّيّ بلغهُ وفيهِ : اعلم انك مائت ان واضأت بحثك عن اصحاب الاوامر التي تبلغك . فهذه نفس الطاعة الماسونيَّة العمياء

أما ما ذكرهُ عن قداسة البابا اكليمنضوس الرابع عشر فقد رويناهُ قبلهُ في الكرّاس الثالث من كتابنا سرّ المصون في شيعة الفرمسون (ص ١٤—١٦) حيث بيّنا ما وقع فيهِ ذلك الحبر الجليل من الخوف بازاء شرّين امّا إلغاء الرهبانيّة اليسوعيّة وامّا انفصال بعض ممالك البوربون عن الكنيسة فاختار البابا ما رآهُ اصغر الشرّين . وقد كان اسفهُ على فعلهِ سبب وفاتهِ وهو يردّد صباحَ مساء . قد فعلتُ ذلك مرغوماً (compulsus feci) وليس في براءته اثر لحرم الرهبانيّة كما زعم التويني زوراً وانّما يذكر الخلاف الواقع بسببها ولا دخل في هذا الامر لقضيّة العصمة كما ادّعى التويني اذ العصمة تتناول فقط الحكم في قضايا الايمان وفي حسن الآداب . وعلى كلّ حال لم يلبث الباباوات ان اعادوا الرهبانيّة الى مقامها وهي اليوم بعد ١١٠ سنين بالغة الى ما ينيف عن ١٧،٠٠٠ راهب ليس في تاريخهم صفحة سوداء.

بقي امر الاب انطون دي لافاليت (Ant. de Lavalette) فهذا كان راهباً يسوعيا في القرن الثامن عشر أقيم رئيساً على رسالة بعيدة في جزيرة المرتينيك حيث أصيبت تلك الرسالة بديون فادحة فاراد ان يخفف عن كاهلها ويدفع ديونها الّا انهُ دون ان يُعلم بفكرهِ رؤساءهُ وخلافاً لكل قوانين رهبانيّتهِ استقرض مالاً وحاول استثماره بالمتاجرة فأتت الحروب بين فرنسة وانكلترة وفُقد المال كلّهُ فبلغ الخبر الى الرئيس العام الذي للحال عزلهُ عن رئاستهِ واخرجهُ من الرهبانيّة بعد ان اعلن الاب المذكور بكتابة ممضاة باسمهِ انّهُ فعل ما فعل دون مراجعة رؤسائهِ وانهُ هو وحدهُ المسئول عن عملهِ . ومع هذا قد قبل اليسوعيّون ان يدفعوا قسماً كبيراً من دَينهِ لولا اعداء الدين والرهبانيّة الفرمسون الذين هيّجوا الرأي العام عليهم وابرز القضاة فيهم حكماً لم يوافق عليهِ ٤٤ اسقفاً من اساقفة فرنسة بين ٥١ ممّن طلبوا في ذلك مشورتهم . ولم يلبث اعداء الدين حتى استصفوا ظلماً كلّ مقتنيات الرهبانيّة اليسوعيّة ونفوا كلّ ابنائها الذين دافع عنهم كلّ اصحاب الضمير مدافعة الابطال مباشرةً برئيس اساقفة باريس كريستوف دي بومنت

هذه كلّ شكايات التويني فترى انّهُ لا شيء فيها يؤثّم الرهبانيّة اليسوعيّة بل كلّها تثبت كذب الماسونيّة بالهجوم كما ثبتَ بالدفاع . بل ثبت عموماً في كلّ اعمال الماسونيّة المبنيّة على المكر والخداع والكذب . ولا عجب اذ هي منقادة بروح

وتعليم ذاك الذي دعاهُ السيد المسيح بابي الكذب حيث قال (يوحنا ٨: ٤٤) : « انتم من ابليس وشهوات ابيكم تبتغون ان تعملوها هو من البدء قتّال الناس ولم يثبت على الحقّ لأنّهُ لا حقّ فيهِ. اذا تكلّم بالكذب فانّهُ يتكلّم بما هو لهُ لانهُ كذوب وابو الكذب». والسلام على من يطلب الهدى

دخول بطرس الرسول الى رومية

بنسبة عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس

لحضرة الخوري يوسف العشيّ

١

في السنة الثانية والاربعين دخل رومية رجل غريب ساهم الوجه موتهك المفاصل وقد تصبّب عرقاً من سفرٍ طويل شاقّ حافي القدمين حاسر الرأس اصلعهُ. لم تكد تطأ اقدامُهُ ارصفة رومية حتى تهالك على الارض من اللغوب لا تقلّهُ رجلاهُ. فتقدّم اليه حرّاس رومية ليطّلعوا طِلعَ امرهِ ولكنهم عندما شاهدوا خشونة منظرهِ ورثاثة اطمارهِ وفقر حالهِ هزأوا بهِ وسخروا منهُ غير مبالين به. غير ان هذا الغريب بادرهم بالسؤال عمّا في مدينتهم من الآثار والتحف. فاشاروا الى الهيكل العظيم المطلّ على عاصمتهم والمشرف على ممالك العالم ألا وهو هيكل جوبتير الذي يعبده اهل رومية. فللحال لَمَحَ هذا الرجل الغريب اطرافه واخذ ينفذ في سيره مخترقاً شوارع رومية واحياءها وفي نفسه ما بها. ولو علم حرّاس رومية لحقّروا النظر الى هذا الرجل الغريب ولم يغترّوا بسذاجة منظره وضآلة هيئتهِ فان هذا الفقير الخامل الذكر الذي لم يُقيموا له وزناً ولم يُعيروه بالاً قد اتى عمداً ليهدم هيكلهم ليحطّم اصنامهم ليثلّ عرش ملكهم «وكل ما يصنعهُ ينجح» (مزمور ١: ٣)

ان هذا الغريب الذي شعرت بوطء اقدامه رومية واهتزت لهُ هياكلها وعروشها

هو أحد ابناء الجليل في فلسطين يدعى بطرس . في الامس كان صيّادًا على شواطئ بحر الجليل وهو اليوم رسول الله مجهول وغدًا يجلس على عرش رومية ويبسط سلطته على كل العالم . فكأنما انطاكية المدينة المشهورة عاصمة سورية آنئذٍ لم تكن لتفي بأماني نفسه وتسدّ رغائب قلبه حتى قطع السهول والقفار وخاض عباب البحار قاصدًا رومية عاصمة الممالك المتمدنة ليجعلها عاصمة الدين المسيحي ويركز بها راية الصليب علَم المدنيَّة الذي كان عارًا لدى الشعوب وعنوان الذلّ والسخرية

فلنتتبَّع اليوم خطوات هذا الرجل الخامل الذكر ولننظر الى اعماله وما يكون من امره في نوادي رومية ومحاكمها ومن مقاصده في شعبٍ شديد الشكيمة اقام تحت رواق العزّ وادرك ما لا يدركه غيره من مناعة الحوزة والانتصارات الباهرة حتى ساد على جميع الممالك والشعوب

لا ادري وأيمُ الله ما حَمَل هذا الجليليّ الذي لم يكن يدري من دنياه سوى صيد الاسماك وتصليح الشباك على تغرير نفسه واقتحامه هذه المخاطر بإعلانه الحرب العوان على رومية المتجبرة عاصمة ممالك العالم وإخضاع اهلها ؟ أبعُدّة وعَدَد وهو اعزل ؟ أبحدّة لسان وقوّة جنان وهو الثغ وجبان ؟ أبعلوم وفلسفة ولم يتعلّم على معلّم ويدخل مدرسة ؟ أبالثروة والمال وهو فقير الحال خاوي الوفاض بادي الانقاض لا يملك بُلغة من العيش ؟ . ومع ذلك ان هذا الجليليّ الخاسر الرأس الحافي القدمين المنهوك القوى ذا الاطمار البالية ترك بحيرة جنّاسر وسذاجة اهل وطنه ليجتاح رومية عاصمة العلوم والفنون . اتى رومية وقد طوى فؤادهُ على صرفة هذّاء وما لبث ان دخلها واشهر عليها الحرب العوان ونادى بملكٍ غير ملك رومية وأعلن بشريعة غير شريعتها وآدابٍ غير آدابها ودينٍ غير دينها . وطفق يجول في الشوارع والساحات العمومية ودخل قصور الاشراف وبيوت العلم وهيكل جوبيتر العظيم يبشّر بالاله المصلوب

فانتصب اذ ذاك لمقاومته ثلاثة اعداء اشدّاء : الكفر . الفساد . الظلم . الكفرُ يخدّامه العهارةُ بعبيدها الظلمُ بحكّامه . غير ان هذا الرجل الغريب الذي رغبت عنه ابناء الكابيتول أنفةً واستنكارًا قد استظهر على رومية العاتية ونشر فيها لواء المسيحية ورفع راية الصليب على قمة هيكل جوبيتر الذي تحوّل الى هيكل الاله

المصلوب جاعلاً هذه المدينة الابدية عاصمةَ الدين المسيحي ومَشرق انوار التعاليم الالهية ومرجع النصرانيَّة في كل القارات المأهولة وهـا قد مضى عليها ١٩٠٠ سنة وهي لم تزل عرش بطرس الصيَّاد الى يوم المعاد

٢

لقد كانت الـديانة الوثنية اثقلت كواهل اهل رومية في ذلك العهد وكان قد شعر كبارها والسوادُ الاعظمُ فيهـا ببطلان ما يزعمون من امر اعتقاداتهم البـاطلة وسجودهم لكل قوى الطبيعـة ولأذلِّ المخلوقات فقامت قيـامةُ علماء الرومان وفلاسفتهم وخطبائهم هذا على ردّ زَعم وذاك لتخطئة وَهم فافتتحوا المدارس وكثر عدد الطلبة وازداد الشقاق والخلاف بين آراء متباينـة ومذاهب متناقضة فضلاً عمَّا كانت عليه الاحوال البشرية من الجهل والغرور بخصوص معرفة الالـه الحق وآلت عليه من التهتُّك وفساد الآداب . ولم تمرّ مدة على هذه الحال الّا وظهر في رومية بطرس الصيَّاد يعلّم تعاليم جديدة ويدعو الجميع لاعتناق دين غريب . فاهتزَّ لهـذا الامر الجديد اعيان رومية وفلاسفتها وقاموا كلهم اجمع يندّدون بصاحب هذا الدين ويتوعَّدونهُ بما تنقضّ منه الجوانح حرصاً على تعاليمهم ذات المجون . ومن هو هذا يا تُرى الذي بلغت به الجرأة لهذا الحدّ يُغري اهل رومية على اتّباع دين جديد يخضـد شوكة كبارهم ويحطّ من عظَمة ملوكهم ويَخزي حكمة علمائهم ؟ هو رجل يهودي من الجليل فقير الحال خامل الذكر لا صديق له ولا رفيق ولا مال ولا علم ولا . . . ولا . . مما يقضي بالعجب والذهول ويدلّ على فضول غير معقول وهو مع ذلك ينتقل من بيت الى بيت ليلتمس لـه ما يسدّ جوعه ويستر عريهُ بينما خطباء رومية يشنّفون المسامع بفصاحة كلامهم في المنابر والمجالس . واغنياؤها تتردّى باعظم الحلي والملابس . وابطالها في شوارعها تتبختر وتتمايس . وكهنتها يندسّون بين العامّة والخاصّة ويدسّون الدسائس وهل يدور بخلد احد ان صعلوك الجليل يُنازل اسد رومية ويستظهر عليه بل يسود عليهِ ؟

ولعُمري ما هي تعاليم ذلك الجليليّ التي اتى بها من فلسطين الى رومية عاصمة التمدن والعلوم ومقام القياصرة الفخام ؟ هي تعاليم مغايرة للطبع وفائقة العقل وهذا ما يقضي بالعجب والاستغراب : اله واحد بثلاثة اقانيم . اله صـار انسانًا . اسرار

توجب الايمان بها دون ان يُدرك العقل كُنهها

وليس عجيباً اذا قامت قيامة اهل رومية عند هذه التعاليم واخذوا يُطيلون عليها ألسنتهم ويندّدون بها في مجتمعاتهم في مجالسهم في هياكلهم في مدارسهم ويَسِمون جبهة صاحبها بميسم العار والذلّة

لكنّ الجليلي لم يكن ليبالي بما يقال عن تعاليمه وما سيلاقيه من الاضطهاد بسبيل انتشارها ولم يتثبّط قط عن مواصلة البشرى بالاله المصلوب حتى استظهر اخيراً على رومية وعلمائها واخضع اعناقهم لدين الاله المصلوب فلم تتلكأ ان كفرَتْ بآلهتها وجحدت معتقدها وصرّحت بايمانها: أومن «Credo»

وحذا حذو رومية ايطالية فصرخت بدَوْرها: أومن. ولم تلبث اسبانية ان جاهرت بايمانها: أومن

ولم تتريّث فرنسة ان نهجت سبيل رومية فجاهرت بايمانها: اومن

مات الجليلي ولكن تعاليمه لم تمت. أتينا عاصمة فلاسفة اليونان حطّمت اصنامها وهدمت هياكلها واقامت على انقاضها هيكلاً للاله المصلوب وصرّحت بايمانها: أومن

المانية انكلترة روسية اميركة افريقية جزائر اوقيانية وكل ممالك الارض ما عدا القليل منها ما عتّمت ان أعلنت على رؤوس الملا ايمانها: أومن. الاجيال تمرّ والعصور تكرّ ولم تزل نسمع في كل جهة من كل أمّة من كل لغة من جهات المعمورة ترديد تعاليم ذلك الجليلي: أومن. فأين ما تشدّق به ڤولتير «لم يبق لهذه المشعبذة (اي الكنيسة) الأسنين قلائل وتُمحى معالمها وتُطمس آثارها» واين ما تساءل عنه جوفروا الكاتب الشهير «كيف تضمحل هذه العقائد وتزول» بل كم وكم من اصحاب الفلسفة الكاذبة ودعاة العلم والمدنيّة الفاسدة الذين يرددون بقحة هذه الاقوال عينها ويرقبون (وقد نضَبَ معينُ اصطبارهم) سقوطَ هذا البناء الشامخ الذي يرتفع حتى السماء... كل هؤلاء يبادون جميعاً ويضمحلّون سريعاً والكنيسة لا تزال كنيسة المسيح ترتل هذا المديح من ١٩٠٠ سنة: «انت هو الصخرة»

٣

رومية وما ادراك ما رومية لدُنْ دخلها ذلك الجليلي الخامل الذكر. كبرياء اغوسطوس جشع طيباريوس شرّه كاليغولا، قد توفرت هذه جميعها بالذنب الكاسر

نيرون وبثت سنته وحكمت بحكمه

فلمثل هذه العصابة التي ذلك الجليلي ليبشرها بانجيل سيده أتستقيم على الطريقة المثلى وتنتهي عما هي فيه من الضلال والجهالة . . ولكن باي عدة او عدد او علة او مدد يظفر الصياد على هذه العصابة المتجبرة ويخضعها لتعاليمه فتأتمر بأوامره وتنقاد اليه صاغرة ؟

فمن اين له المال ولا مال دون المال والجميع يطلبونه ؟

من اين له الوجاهة والرفعة ومجد هذه الحياة والجميع يسعون وراءها ؟ بل أنى له ان يمكن اهل رومية مما يطلبون وهم اناس مترفون يتدفقون في الباطل ويسألون الشهوات الذاتية وملاذ الحواس ؟

*

ما بلغ تعليمه مسامع نيرون حتى صرخ : « جنود . حراس . قواد . العجل العجل البدار البدار . عليكم بهذا الصعلوك الحقير الذي اتصل بجهله وقحته على اهانة الوهيتي أونقوه على عجل واقتادوه خارج المدينة وهناك أميتوه شر ميتة واجعلوه اعجوبة للناظر ومثالاً للسامع . وأما تابعوه فنكلوا بهم انكأ العقوبة اجلدوهم احرقوهم أعدموهم

لم يدر نيرون ان دم بطرس وتابعيه هو مطر وسمي يحيي ارض رومية فتنبت اضعافاً ولم يزل هذا الدم يخصب الارض منذ ما سقاها بطرس حتى الآن . ولم تمر ثلاثة اجيال على رومية حتى قام قسطنطين الكبير ملكاً عليها فأهدى لبطرس ارجوان نيرون وعرشه . وبعد مرور ثمانية اجيال قام كارلوس الكبير واجلس خلف بطرس الصياد على العرش عينه والبسه الارجوان ذاته ومذ ذاك الحين اخذ الملوك والامراء وكبار العالم يقصدون رومية ويطرحون اكاليلهم وصوالجتهم الملوكية عند اقدام خليفة الجليلي بطرس ولا يزال في مدينة القياصرة حتى اليوم والى منتهى الاجيال قبر ذلك الجليلي محفوفاً بالتجلة والاكرام يؤمه الزوار وتفد اليه الوفود من كل جهة بينما هم يدوسون قبر نيرون مدفن الظالم والبغي الذي يبعد قليلاً عن قبر بطرس

ومهما ثارت العواصف والزوابع واشتدت الاضطهادات فلا يمكن لقوة من قوات الارض ان تحول ابصار العالم عن ذلك العرش الذي اقامت يد العلي بطرس

عليه فلا اثينيون ولا ثالانسة ولا فونتينبلو يمكنها ان تكون مرشاً لبطرس الذي يمكنه القول بكل عدل وحق : «حيثما أكن انا تكن رومية». مات نيرون وبطرس لم يمت. قُضي على ترايانوس في الاجيال الاولى وبطرس حيّ . رُدِيَ يوليانوس ولم يردَ بطرس. أُودي لوتاروس في الجيل السادس عشر وبطرس حيّ يدير سكّان سفينته بحذق ونشاط. ثوى ڤولتير وبطرس يواصل تدبير كنيسته. وسيلحق اصحابُ الفلسفة المستحدثة وانباء هذا العصر ممن ادّعوا المدنيّة الحقة واستبدال تعاليم بطرس بما اختلقوه ولفّقوه من المبادئ القتّالة باولئك الطغاة وبطرس لم يزل بطرس ولن يزال سيد رومية ورأس الكنيسة المنظور تعنو له الرقاب في كل زمان ومكان على مرّ الاحقاب. تنقرض الامم تباد الممالك تندكّ العروش تتصرّم الاجيال وكنيسة بطرس ثابتة تنظر الى اعدائها ومضطهديها يبلَون من امامها كالدخان ويضمحلّون سريعاً وهي تردّد قول معلمها الالهي دون انقطاع : يا بطرس انت الصخرة !..

مطبوعات شرقية جديدة

F. Prat S. J : St Paul. 1 Vol. in-12, pp. VI: 208, 6e éd., 1922. Collection «Les Saints». *Paris, V. Lecoffre*

بولس الرسول

الاب فردينند برا اليسوعيّ نزيل كلّيّتنا سابقاً اشتهر بتآليفه الكتابية العديدة واخصّها بكتابه المعنون بلاهوت بولس الرسول الذي اجمع على ثنائه كل مفسّري الاسفار المقدّسة. واليه عهدت جمعيّة تُعنى منذ زمن مديد بنشر تراجم القديسين تأليف ترجمة القديس بولس فتولّى هذا العمل واخرجهُ على صورة جديدة تأخذ بمجامع القلوب. وقد جمع المؤلف معلوماته من اعمال الرسل التي كتبها القديس لوقا ومن الدقائق التاريخيّة التي اودعها الرسول في رسائله ومن بعض التقاليد التي رواها مؤرخو الكنيسة الاولون فدمج كلّ هذه الاخبار فاتى بها متراصفة النظم متلاحمة الاطراف بانشاء بليغ جامع مانع يسبي لبّ قارئه لاسيما انّ المؤلف زار البلاد التي تجوّل فيها

القديس بولس فأحسن وصفها واحوالها في عهد رسول الامم . فلا عجب بعد ذلك انّ كتابهُ بلغ الطبعة السادسة في سنة واحدة . فنشكر حضرة الاب على هذه التحفة الفريدة التي نودّ ان يتمتّع بها اهل هذه البلاد بتعريبها قريباً الاب . ي . ديلنسيفر

Abbé Maurice Bouvet : Histoire Biblique. 1 Vol. in-16, 459 pp. illustré. 1922, Paris, De Gigord

التاريخ المقدّس

قد وقف الكاهن موريس بوفه نفسهُ لتأليف كتب دينيّة لتعليم الناشئة فاكتسب بذلك ثقة العموم . والكتاب الذي نحن بصدده قد خصّهُ لإفادة الشبان بعد دروس مبادئ التاريخ الديني لاسيما في المدارس الوسطى والعليا . ولبلوغ هذه الغاية قد سرد تاريخ الآباء الى زمن موسى ثمّ تاريخ بني اسرائيل الى جلاء بابل مستنداً الى نصوص التوراة ثم اضاف اليها تاريخ الانبياء وشفعها بأخبار العهد الجديد من الانجيل والاعمال على منوال يجمع بين اللذّة والفائدة وهو يقدّم على كل باب مقدّمة حسنة بياناً لفحواهُ وقد زيّنهُ بالصور المناسبة الاب . ج . لوفتك

Les Missions Franciscaines françaises-La Custodie de Terre Sainte. 1 Vol. in-12. Procure des Missions franciscaines, rue Boulard, 37 Paris, XIV

رسالات الفرنسسكان الفرنسويّة في الاراضي المقدّسة

قد احتفل الآباء الفرنسسكان في السنة ١٩١٩ بتذكار المئة السابعة منذ دخولهم الاراضي المقدّسة وقد كانت في الاصل الرسالات المذكورة دوليّة وانّما غلب عليها الرهبان الايطاليّون والاسبانيّون وهاهوذا كرّاس خُصّ بتاريخ تلك الرسالة وانّما غايتهُ تحريض الفرنسويين على مشاركة تينك الدولتين في الرسالة المذكورة بجمع الحسنات الكافلة بمعاش رهبان من فرنسة والقيام بعمائهم ج . ل

Wanderfahrten u. Walfahrten im Orient von Dr P. W. von Keppler, évêque de Rottenburg. 1 Vol. in-8°, 10e éd., 195 *illustrations et 2 cartes, Fraiburg im Brisgau, Herder et Cie, Prix* 40 *f*

سياحة السيّد كبلر في الشرق وزيارتهُ للاراضي المقدّسة

السيّد كبلر اسقف روتنبرج باشر هذه السياحة الى الشرق سنة ١٨٩٨ فضمّنها

من المعلومات والاخبار الشائقة ما حرّك مواطنيه على مطالعة كتابه فبلغ في ربع قرن طبعته العاشرة وذلك من نوادر الامور . ومما يستحبّه القرّاء في كتابه انهُ مزج تفاصيل رحلته بفوائد تقويّة وعلميّة وتاريخيّة قلّما يجدونها مجموعة في كتاب واحد . وقد عُني الطبّاع الشهير هردر بان يجعلهُ من اجمل المطبوعات بحروفه وورقه ونقوشه وتصاويره فجاء طرفةً في حسنه . والكتاب على قسمين خصّ الاوّل منها بمصر وآثارها والثاني بالاراضي المقدّسة وبلاد الشام ج . ل

Hubert Pernot: D'Homère a nos jours. 1 Vol. in-12, Paris, Garnier

من عهد اوميروس الى ايامنا

ليست غاية مؤلف هذا الكتاب ان يسطّر تاريخ آداب اليونان او صرفهم ونحوهم وانما حصر ابحاثهُ في تاريخ اللغة اليونانيّة وكتابتها ولفظها فقدّم على كلامهِ فصلاً في نسبة تلك اللغة الى بقيّة اللغات الهندواوروبيّة ثم اتبعهُ بفصل طويل عن غزوها بتشعُّب لهجاتها المختلفة . ثمّ خصّ فصلهُ الثالث بدرس الكتابة اليونانيّة منذ عهد اوميروس الى يومنا وألحقه بفصلٍ رابع غاية في الشأن بحث فيهِ عن لفظ اليونانيّة متّسماً بتعريفهِ ومثبتاً في ذلك عدّة تفاصيل لا تجدها في غير هذا التأليف استنتج منها ان لفظ الفرنسويين للغة اليونانيّة لا يحتاج الّا الى اصلاحات جزئيّة وفقاً لما أثبتهُ علماء عصرنا وخصوصاً في لفظ الحروف الهاوية . ويلي هذا الفصل بحث في التصويت المطابق للفظ المذكور ولعلّهُ كان الاوفق لو لم يتعرّض لهُ خروجهِ عن دائرة ابحاثهِ ودخولهِ في مطالب غراماطيقيّة . وقد زيّن المؤلف كتابهُ بعدّة تصاوير تساعد القارئ على ادراك صناعة وتمدُّن اليونان وترغبهُ في متابعة درسهما

الاب ادمون لاي

Cᵉ House et Charles Seymour : Ce qui se passa réellement à Paris en 1918 - 1919. 1 *Vol. in-8, Payot, Paris, Prix* 15 *f*

التاريخ الصحيح لمعاهدة باريس سنة ١٩١٨-١٩١٩

وُضع هذا الكتاب في الانكليزيّة فنقلهُ الى الافرنسيّة المسيو ألو (L. P. Alaux) وفيهِ تفصيل المباحثات التي دارت بين الحلفاء بعد هدنة الحرب وكان هناك ممثلو اميركة وبريطانية العظمى وفرنسة وايطالية وكلّ منهم يرى رأيَ دولته ويدافع عن

مجالها فكثيراً ما كان يقوم بينهم الجدال والخصام فيعقدون المجالس العديدة قبل ان يتفقوا على رأي فيسود الخلاف والنزاع دون طائل . على انَّ ذلك بقي محجوباً عن معرفة العموم فكشفهُ مؤلفا هذا الكتاب الكونت هُوس وشرل سيمور فيرى القرّاء في وصفهما ما يغلب على الدول من الاميال القوميَّة والمطامع الخاصَّة . وممَّا ورد في الكتاب اتفاق اعضاء مؤتمر ترسايل على انَّ المانية قادرة على وفاء غرامتها الحربيَّة ويلزم اغتصابها على ذلك ل . ش

Maurice Barrès : Taine et Renan. Pages perdues recueillies et commentées par Victor Giraud. 1 *Vol. in*-12, 1922, *Paris, Editions Bossard. Prix* 5 *f*, 40

مقالات موريس بارس في الكاتبين تان ورينان

وجد المسيو ڤكتور جيرو في مقالات الكاتب الشهير موريس بارس عن تان ورينان وهي عشر مقالات متفرّقة في مجلّات شتّى ما يستفاد منها لتعريف كاتبين عصريَّين لهما شهرة واسعة فجمعها وطبعها على حدة وشفعها بملحوظات مختلفة زادتها فائدةً . وقد بيَّن الجامع خصوصاً عدول موريس بارس عن رينان وافكاره وتقرّبهُ الى تان النقادة الكبير

Joly(Henry) : Souvenirs universitaires. 1 *Vol.in*-16,*Paris, Bloud et Gay,* 1922,, *Prix* 7 *f*

مذكرات حياة هنري جولي في جامعة باريس

تقلَّب المسيو هنري جولي في مناصب مختلفة في جامعة باريس قبل ان يُدعى الى دار العلوم الادبيَّة والسياسيَّة فيخصّص نفسهُ للدروس الاجتماعيَّة . وقد وصف اطوار حياتهِ مباشراً بسني شبابهِ في وطنهِ بورغندية ثم معدّداً ما طرأ لهُ في ايَّام دروسهِ ثمَّ في زمن تعليمهِ ذاكراً كثيرين ممَّن رآهم من مشاهير الرجال ومعرّفاً لمدّة امور حدثت في زمانهِ واطّلع هو على حقيقتها وجعل ترجمة حياتهِ على هذا النمط كنظر عامّ في احوال فرنسة الادبيَّة في مدّة نحو خمسين سنةً . ولعلَّهُ يضيف اليهِ جزءاً ثانياً لتتمّة اخبار حياتهِ السياسيَّة ج . ل

Moussot (Albert) : Le royaume des Serbes, Croates et Bohèmes. 1 *Vol.*, 8°, 1921. *Paris, Editions Bossard*

مملكة سربية وكرواتية وبوهمية

قامت هذه المملكة حديثاً وكانت قبل الحرب تتألف من ولايات مستقلَّة

مختلفة عنصراً ولغةً وسياسةً . وممّن درسها آخراً لتعريف احوالها الجديدة المسيو موسّه وهو احد المستوطنين فيها فبيّن ما استفادتهُ من وحدتها رغماً عن تباين عناصر اهلها ولغاتهم الّا انهُ يرى ان لسربية بينهم الكلمة العليا والرغبة في التسيطر عليها لتنفيذ رغائبها القوميّة ودينها الاورثذكسي ولعلّ ذلك مما يبعث الاحقاد في القلوب ويفتح الباب للفتن والحرب الاهليّة . وقد خصّ المؤلف قسماً كبيراً من كتابهِ لوصف زراعة تلك المملكة وصناعتها وماليّتها . وعلى رأيه ان مملكة يوغوسلافية بحسن موقعها لمن أضمن الدول لحفظ السلام في اوربّة ج . ل

Liman von Sanders: Cinq ans de Turquie. 1 Vol. in-8°, Payot, Paris, Prix 10 F

مذكّرات ڤون سندرس عن حرب تركيّة (١٩١٣ – ١٩١٨)

يعرف السوريّون ما كان للمرشال ڤون سندرس من النفوذ في تركيّة مدّة الحرب الكونيّة فكان هو محورها ومُوري زنادها وقد عرف في تلك الحقبة بني عثمان حقّ المعرفة . فهذه المذكّرات لمن امتع الكتب لبيان احوال تركيّة في الداخل والخارج وتعريف ما ينخر عظام هذه الدولة من دود الانقسام وتفرّق الكلمة والغايات الشخصيّة وضعف التدبير . وقد احسن خصوصاً في وصفهِ حملة الدردنيل وحملة فلسطين والشام فاوضح كثيراً من اسرارها المجهولة الى يوم غلب الحلفاء وارغموا تركيّة على طلب الصلح ل . ش

Friedrich Schulters: Die Machtmittel des Islams. *Brochure in-16, Zurich, 1922, Schulthess u. Cie*

اسباب قوّة الاسلام

هذه محاضرة لاحد المستشرقين السويسريين الذي مات اربعة أيام قبل ان يُلقيها . وليس فيها شيء جديد وانّما يبحث المؤلف عن الاسباب التي ساعدت الاسلام على انتشارهِ بتلك السرعة الغريبة فهو ينسب ذلك اوّلاً الى حروبهِ المتتالية ثمّ الى بساطة معتقداتهِ وقد بحث خصوصاً عن توحيد الاسلام وتحوير فرائضهِ وهو يشير الى مركزين خصوصيّين ينشر اصحابهما تلك الآراء المستجدّة وهما الهند ومصر (راجع كتابنا La Syrie ج ١ : ١٨٩–١٩٣) الاب ه . لامنس

A. Mez : Die Renaissance des Islâms. 1 Vol.,8°, 1922,Carl Winter, Heidelberg, Prix broché 20 f

نهضة الاسلام

هذا الكتاب من اجود ما كُتب عن حالة الاسلام في القرن الرابع للهجرة على خلاف ما يوهم بهِ اسمهُ العموميّ . ومن ثمَّ قد تتبَّع المؤلف ذلك العصر وروى عن اصدق الرواة واثبت المؤرخين ما صار اليهِ الاسلام في حكومتهِ وخلفائهِ واديانهِ وشيعهِ ورعاياه اليهود والمسيحيين وفي ماليتهِ واعيان مملكتهِ وعبيدهِ وترقّي علومهِ وآدابهِ وفي صنائعهِ وتجارتهِ ومجارتهِ وفنونهِ فافاد واجاد . ياليت غيرهُ من المستشرقين يدرسون القرون الاسلاميَّة الاخرى كما درس المسيو ماز هذا القرن الرابع . وقد علمنا بالأسف انهُ توفّي قبل نجاز طبع كتابهِ فوقع فيهِ لذلك بعض الاغلاط كذكرهِ مثلاً (ص ١٩٣) زيد بن عليّ وهو يريد « زيد بن عديّ » وكخلطهِ (ص ٣٥٦) بين الخليفة الامويّ وليد الاوَّل والوليد الثاني وغير ذلك ممَّا لا يبخس حقوق الكتاب

ه . ل

Henry Bordeaux : Yamilé sous les Cèdres, 1 *Vol, in*-16, 1923, *Paris, Librairie Plon, Prix 7 f*

حميلة تحت الارز

يغنينا اسم المؤلف عن وصف مقدرتهِ الكتابيَّة في تأليف هذه الرواية التي اخذها على قولهِ عن بعض اهل لبنان وفيها ما فيها من الاخبار المبهمة . وغاية ما استحسنتهُ في الكتاب تدقيق مؤلفهِ في وصف لبنان مع انَّهُ سار فيهِ سيرًا حثيثاً ولا مراء في انَّ ذكر مسقط رأسهِ سانويا ذات الجبال والاحراج ساعدهُ على وصف جبلنا . وكنَّا وددنا لو افادنا عن سبب حكمهِ السيّئ غير مرَّة في يوسف بك كرم . ثمَّ لا نصدّق على زعمهِ في انَّ الصليبيين تعلَّموا من الموارنة تقليم الكرم ونسج الحرير (ص ٤) وكذلك لا نوافقهُ على قولهِ بانَّ اللبنانيين ذوي الشعر الاشقر والعيون الزرق اصلهم من الفرنج الصليبيين فانَّ هذه مزاعم يرميها بعض السيَّاح على عواهنها

ه . ل

Albirûni:Chronologie Orientalischer Voelker herausgegeben von E. Sachau, pp. LXII + 30 + 362, Prix, 14 f

الآثار الباقية من القرون الخالية لابي الريحان البيروني

هو احد التآليف المشعة لرجل من مشاهير الاسلام في القرن العاشر المسيح كان

اهتمّ بطبعهِ احد اعيان الالمان الدكتور ادورد ساخو سنة ١٨٧٨ فنفد طبعهُ منذ زمان طويل . فقام الكتبي هارلسوفتس مؤخرًا وجدّد طبعه بالتصوير الشمسيّ والطبع على الحجر فنشكر له هذه الخدمة للآداب العربيّة ونحثّ ادباء بلادنا على اقتناء هذا الكتاب الفريد في بابهِ المشحون بالفوائد ل . ش

كمال البلاغة وهو رسائل شمس المعالي قابوس بن وشمكير . بتأليف عبد الرحمن بن عليّ اليزداديّ . طُبع في القاهرة سنة ١٣٤١ (ص ١١٢)

تولّى نشر هذا الكتاب النفيس صاحب المكتبة العربيّة في بغداد الاديب نعمان افندي الاعظمي ولم يدّخر وسعاً في تجويد طبعهِ واستحقّ بذلك شكر محبّي الآثار العربيّة لاسيّما القديمة كهذه الرسائل التي يرقى عهدها الى القرن الرابع للهجرة وكاتبها احد امراء جرجان وبلاد الجبل وطبرستان الامير شمس المعالي ابو الحسن قابوس بن وشمكير الذي ملك على تلك الانحاء ١٥ سنة ثمَّ انقلب عليهِ اعيان عسكرهِ فاقاموا ابنهُ في ملكهِ وقتلوهُ سنة ٤٠٣ (١٩١٣م) . وهذه الرسائل في عدد ٣٢ رسالة بانشاء بليغ وجّهها الامير الى بعض وجوه زمانهِ كابن العتبي وابن العميد والصاحب ابن عباد مع الاجوبة على بعضها . امّا جامعها فهو عبدالرحمان بن عليّ اليزداديّ . وقد قدّم عليها فصلًا في انواع البديع التي وجدها في كلام قابوس . وقد طُبع الكتاب بنظارة الاديب محبّ الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفيّة في القاهرة الذي راجعهُ على نسختين ترتقي الواحدة على ما يرجّح الى القرن السابع للهجرة . فجاء الكتاب من اجود ما طُبع الى اليوم في مصر ل . ش

الكفّارة

بقلم المرحوم القس توما أيوب

طُبعت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٣ (ص ٢٤١)

للقس توما ايوب السرياني آثار خطّيّة عديدة عاجلتهُ المنيّة قبل ان ينشرها بالطبع

وكان الجمهور يتوق الى منشوراته بعد تعريبه لرواية فابيرلا الشهيرة التي طبعها في القدس الشريف . وهذه الرواية الجديدة على شاكلتها اوردها تاريخ رومية في القرن الخامس عند دخول البرابرة اليها وسقوط عرش الوثنيّة فيها تمهيداً لرفع منار النصرانيّة وقد اخرج تلك الاخبار الرائقة على صورة تأخذ بمجامع القلب لما فيها من وصف حياة الرومان وعاداتهم في اواخر دولتها ذلك فضلاً عن بلاغة الكاتب وانشائه الرائق

تكريم الحكيم الياس شكر الله

في المطبعة العلميّة في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٢٠)

احتفلت جمعيّة الاطبّاء والصيادلة باقامة حفلة شائقة للحكيم الكثير المآثر الياس شكر الله بنسبة يوبيله الذهبي لمرور ٥٠ سنة منذ نال شهادة الدكتوريّة . فسُررنا بما أطرأ على همّته واعماله رصفاؤهُ مباشرةً بالدكتور دي بران وكلّهم ممّن يقدّرون اعمال الرجال ونحن نشاركهم في ثنائهم وتهانيهم ل . ش

هدايا أُرسلت الى مجلّة المشرق

١ً نشرة مرصد كسارة للظواهر الجويّة للسنة ١٩٢٢

BULLETIN DUSERVICE MÉTÉOROLOGIQUE EN SYRIE ET AU LIBAN, publié par les soins du R. P. Berloty. *Année* 1922, 1er *fasc. Imprimerie Catholique, pp.* 60

٢ً منتخبات البشير : الماسونيّة (١) من هم الذين يرذلونها . طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ (ص ٣٠)

٣ً خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنة ١٩٢٢ وهي الثالثة والستّون لانشائها . المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ (ص ٣٣) فني اعضاء الشركة على نجاح شركتهم المتواصل لمجد الله وخدمة القريب

٤ً برنامج جمعيّة اخوة الفقراء المارونيّة لسنتها السادسة والعشرين مطبعة النهضة بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ١٦)

شذرات

﴿ افادتان توفّيهما للسيّد محمّد كرد عليّ ﴾ افادة اولى : كان السيّد كرد عليّ في ملحوظاته على تاريخ حضرة الاب هنري لامنس زعم انّ مدينة معرّة النعمان كانت في عهد الصليبيين مدينة عامرة يبلغ سكّانها الى مئة الف على خلاف قول الاب انها كانت مدينة صغيرة خاملة . وقد وجدنا في رسائل ابي العلاء المعرّي وصفاً حسناً لوطنه المعرّة فيه احسن ردّ على قول السيّد كرد علي وصاحبُ الدار ادرى بما فيها قال (ص ٥٥ من طبعة اوكسفرد) :

هذه حمل من صفة المعرّة هي ضدّ ما قال الله عزّ وجلّ مثل الجنّة التي وُعد المتّقون فيها انهار من ماء غير آسن (الآية سورة محمّد ع ١٦) . اسمُها طيّرَه ، وعند الله ترجى الخيرَه ، المورد بها عتبس ، وظاهر تراجا في الصيف يبس ، ليس لها ماء جار ، ولا تُغرس بها غرائب الاشجار ، واذا أبرز لاهلها ذبيح ، يؤمّل به لديهم الربح ، تحسبهُ صُبغ بخطر ، فكأنّما يرفق به هلال الفطر ، وقد يجيئها وقت يكون فيه حدّي المعز في العزّة كجدي الفرقد ، ويمثل حَمَل الكواكب حمل الثَّنَد ، ويبكّر فقيرها على الهدايه ، فيسل ابن الفرخين ابن دايه ، حتّى يقف بباغ ارسل فكأنّما وقف برضوان ، يستوهبهُ ماء الحيوان ، فان سبقهُ ضياء الفجر فانهُ يرجع خائباً ، ولا يجد سهمهُ صائباً ، فما الظنّ بعجلة لا تسمح بدرّ المخزاب ، لو تزلها ابن خترابة لما قدر على المخزاب ، نابت طاب عجاجهُ ، وهاتف نثر دوّاجهُ ، امّا النابت فاذا نُبذ عند غيرنا العبر ، حُسب ها هنا سبائك التبر ، وامّا الصانع فاذا طُلب الطيل ، عُدم كعدم الخليل . . . الخ

افادة ثانية . وكان جناب السيّد استغرب قولنا في مطامع صلاح الدين ومعاملته لابناء مخدومه نور الدين . وقد ورد في خطط المقريزي (١ : ٤٠٩) في وصفه خزانة كتب الفاطميين ما يدلّ على قلّة اكتراث صلاح الدين بكنوز الاسلام الادبيّة وترخيصه لاحد الدلّالين بيعها باثمان بخسة قال المقريزي بعد تعداد تلك الكنوز :

« وتولّى بيعها ابن صورة في أيّام الملك الناصر صلاح الدين فاذا اراد الخليفة الانفصال منى فيها شيءٌ لنظرها وفيها ناسخان وفرّاشان صاحب المرتبة وآخر فيعطي الشاهد عشرين ديناراً ويخرج الى غيرها . وقال ابن ابي طيّ بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انهُ لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر . . . وباع ابن صورة دلّال الكتب منها جملةً في عدّة اعوام . . . وذكر ابن ابي واصل انّ خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين الف مجلّد » (كذا) فاقول لك يا سيّد بعد هذا بليون الكتب التي نسبت حرقها الى كسينيس في غرناطة

﴿ شكري باشا واليسوعيُّون ﴾ سمع مؤخرًا شكري باشا في ازمير احدَ ضبَّاط الفرنسويين يثني على الرهبان واعمالهم ويدعوهم « آباءنا » فقال شكري باشا بديهاً : بل قُل « آباء الجميع » واعلم انَّ لي ولدين سلَّمتهما للآباء اليسوعيين ليتخرَّجوا على الآداب تحت نظارتهم . فما قول الماسونيين بمثل هذا الثناء على الرهبان عموماً وعلى اليسوعيين خصوصاً ؟

﴿ نهضة الاشتراكيين والبولشفيك والفاشست على الماسونيَّة ﴾ انَّ مساعي الماسونيَّة لتستر عن الجمهور غاياتها الذميمة لم تَعُد تأتي بالنفع حتى ان الاشتراكيين والبولشفيك المدَّعين بمناصرة الشعب يصوِّرون الماسون في خطبهم كأعداء الخير العامّ ويحظرون على تبعتهم الانضواء الى الماسونيَّة . وكذا فعل مؤخرًا الفاشست الايطاليُّون فانهم اضطرُّوا المتشيِّعين للماسونيَّة أن يغادروها إن شاؤوا الانضمام الى حزبهم

﴿ متسوِّلة اسكندرانية في لبنان ﴾ في صباح ذات يوم بينما كنتُ جالساً في سطح مصيف بسوق الغرب اسرَّح الطرف في الربوع السندسيَّة المنحدرة امامي حتى ميناء بيروت وفكري يحوم حول غيابي بمصر فاذا بصوت رخيم لهجتُهُ مصرية تصاعد من الطريق فهاجت له عاطفتي هياجاً وكان ينشد ويقول :

الله يذلّك يا زمان اخذت اللي يعزّوني
وحشتني يا زمان للغالي والدوني
من بعد ما كنت بلمّه (١ وكل الناس يعزّوني
زعق عليّ غراب البين وشمتت لمّتي مني
صبحت زيّ (٢ الشجر الارياح يعزوني

يا ناس فراق الحبايب غيّر الواني
وذلّني البين بعد العزّ ولوّاني
لو كان نصفني زماني يرحمني وهنّاني
كان خفّف الحمل عني وكنت به فزّيت (٣
لمّا جرحني وبعد الجرح كوّاني

الشرق كان فين (٤ لمّا مشيتي غرّب

١) اي في جمع او جماعة ٢) مثل ٣) فزّ وثب ٤) اين

وطلعت مطرود من وطني ومتغرّب
جابوا المحاور وقالوا يا جدع (١ قرّب
قلت على شان ايه (٢ تسأل الجزا دا كلّه
فقال جزاة (٣ من يفوت وطنه ويتغرّب

الحنظل المرّ علوه الرجال ألبان
عندهم سفاين (٤ توصلهم بلا قدفان (٥
شرط الاوادم يكونوا واسعين البال
احنا (٦ سمعنا مثل واللّي قبلنا قالوا
يوصيك يا صاحبي عن عشرة الانذال

الارض تعشب ومن عشبها يلتّ
فيه عشب يؤكل وعشب ريحته (٧ تنشّ
وعشب للنار يُحرق بعد ما يلتّ
احنا سمعنا مثل اللّي قبلنا قالوا
كثير من الناس داك يُمدح وداك يتذمّ

اصبحت زي الجمال اصرك (٨ على نابي
ومن تقل الحمول اتركك على جنابي
ندر عليّ ان لقوني (٩ اليوم احبابي
لاعمل وليمه تكفّي سايرِ الاحباب
واقول يا ميت مرحبا اللاقو لي اليوم غيابي (١٠

السبع الو طبع اذا خش الفلا يمرح
والدب الو طبع اذا شاف الغنم يجرح
والكلب الو طبع اذا شاف الغريب ينبح
حتى المسيس الو طبع اذا شاف الضيوف ينهم
حتى الكريم الو طبع اذا شاف الضيوف يفرح

والمنشد لتلك الابيات العامية المحشوة حكماً انما كانت امرأة اسكندرانية تتسوّل لتعول زوجاً بائساً كُفّ بصرُهُ الافوكاتي ايلي صيداوي

١) يا صاح ٢) لماذا ٣) جزاء
٤) سفن مراكب ٥) بجداف ٦) نحن ٧) رائحته ٨) من فعل صرّ صرًّا صريرًا ٩) آلقوني او ضاقوا عندي ١٠) يا ماتت مرحبا بغيابي الذين ضاقوا عندي

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد عن صحة ما ورد في التوراة بخصوص السبع سنين المجاعة التي انبأ عنها يوسف في تفسيره حلم فرعون فقال انهُ سمع من ينظم ذلك في جملة الاقاصيص غير الصحيحة

المجاعة الحاصلة مدة سبع سنين في مصر على عهد يوسف

ج احسن جواب على ناكري هذا الحادث ان يُحالوا الى تاريخ مصر في عهد الملك الفاطميّ المستنصر بالله الذي تولّى على مصر سنة ٤٢٧ (١٠٣٦م) قال ابن تغري بردي في تاريخه النجوم الزاهرة (٢ : ١٦٩) : « حدث في ايّام المستنصر بمصر الغلاء الذي ما عُهد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام ودام سبع سنين حتى اكل الناس بعضهم بعضاً حتى قيل انهُ بيع رغيف واحد خمسين ديناراً » وقد اتّسع المؤلف في وصف تلك المجاعة (ص ١٨٠—١٨٢) وذكر من كوارثها ما ترتجف لهُ الفرائص

س وسأل من حمص احد كهنتها : ١ً ابن كان مولد الملك الروماني سبتيميوس سابيرس ولاي سبب يدعى برأس السلالة السوريّة . ٢ً ما هو اسم القيصر كركلّا ولماذا دُعي بهذا اللقب

مولد سبتيميوس سابيرس . اسم القيصر كركلّا

ج نجيب (على الاوّل) انّ مولد سبتيميوس سابيرس كان في لبتيس او لبدا في شمالي افريقية وهو يُعَدّ كرأس سلالة رومانيّة سوريّة لأنهُ اقترن بالزواج بجوليا دومنينا الحمصيّة . نجيب (على الثاني) انّ كركلّا هو ابن سبتيميوس سابيروس تولّى الامر على رومية بعدهُ وكان اسمهُ مرقس اوريليوس باسيانوس ولُقّب بكركلّا لأنهُ ألبس عسكرهُ بُرْدةً كانت تدعى كذلك فأطلقوا عليهِ اسمها كركلّا

س عاد المؤرخ الاديب ادوردو زولاتا من كولومبيا فسأل ما سبب دعوة المقاطعة الاميركيّة الجنوبيّة في تلك الجهات باسم انتيوكيا او انطاكية ألمّا كان بين جنود فاتحها سيّدان بنلكزار (Benalcazar) قوم من اهل سوريّة ؟

اسم انطاكية في اميركة الجنوبيّة

ج لم نجد في التواريخ التي لدينا شيئاً يوضح الامر ولعلّ الفاتح نفسهُ كان تاريخ عائلتهِ ينتمي الى الشرق والى سوريّة والدليل عليهِ اسمهُ العربي فان بنلكزار لفظة عربيّة « ابن القصر » والله اعلم

ل . ش

المشرق

البابا اكليمنضوس الرابع عشر

والغاء الرهبانيّة اليسوعيّة

نظر تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

قامت قيامة اصحاب حرّيّة الضمير في هذه الأيّام بعد ان شجب غبطة البطريرك مار الياس الحويّك بطريرك الطائفة المارونيّة وكافّة المشرق شيعتهم بسيف الحرم الكنسيّ لئلّا تبقى كما يقول الرسول (٢ كور ٦ : ١٤) «شركة بين البرّ والاثم ومخالطة النور مع الظلمة وائتلاف المسيح مع بليعال وحظّ للمؤمن مع الكافر». فكان لهذه الضربة اللازبة اسوأ وقع في قلوب انصار الماسونيّة وثارت ثائرتهم ورفعوا عقيرتهم ظنًّا منهم أنّ تلك الجلبة تقوى على إفحام صوت الحقّ . فكانت نتيجة هيجانهم على عكس ما أمّلوهُ

واذ عرفوا عجزهم من هذا القبيل طلبوا لهم فرجاً من ذاك الخناق فلم يجدوا الّا ان يتحرّشوا بالرهبانيّة اليسوعيّة ليحوّلوا نقطة الجدال عن مركزها شأن كلّ مغلوب . فاخذ فارسهم في جريدته الحرّيّة يهرف بما لا يعرف فنسب الى الرهبانيّة اليسوعيّة مآثم لا وجود لها الّا في دماغه الماسونيّ بيّنت لهُ جريدة البشير كذبهُ الفاحش في كلّ منها . والعجب العُجاب انهُ لا يخجل مع فضوح امره من ان يردّد أنّ البشير اقرّ مسلّماً بما ابتدعهُ من الاكاذيب والتلفيقات الشائنة

بيد أنّ بين مخترعاته امرًا واحدًا يتّخذهُ اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة كسلاحهم

القاتل وسيفهم البتّار لا يستطيع اليسوعيّ على زعمهم اذا شهروه الّا ان يرضخ لحكمهم صاغرًا خجلًا ألّا وهو إلغاء الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر لطغمة يسوع سنة ١٧٧٣ فهذا على رأي الماروني الماسوني وذويهِ في الحرية ثوبٌ يجلب اليسوعيّ عارًا ومن ثمَّ لا يزالون يطبّلون بهِ ويزمّرون وسترى « ان طبلهم مفخوت وزمّارتهم مبحوحة »

ومن غريب الامور انَّ احد مكاتبيهم في حلب ارسل اليهم تلك البراءة معرَّبةً وجد منها نسخةً مخطوطة في الشهباء فظنَّ صاحب الحرّيّة بنقلها في جريدتهِ انهُ اصاب الهدف وان جَهيزة قطعت قول كلّ خطيب. ولو كان التويني او احد مناصريهِ شاء ان يوفّر عليهِ تعب التفتيش وقصد كليّتنا لأطلعناهُ على تلك البراءة لا معرَّبةً تعريباً ركيكاً لكن في اصلها اللاتيني المطبوع في كلّ تواريخ رهبانتنا فضلًا عن الترجمة العربيّة التي لا تخلو منها مكتبتنا الشرقيّة فيعلم بذلك انّنا لا نخجل البتّة من تلك البراءة التي لا تؤثّمنا مطلقاً وانّما تُحقّق في رهبانيّة يسوع ما قيل عن سمعانها المنسوبة اليهِ يوم قدّمهُ في الهيكل سمعان الشيخ (لوقا ٢ : ٣٤) : « انَّ هذا قد جُعل هدفاً للمخالفة »

الرهبانيّة اليسوعيّة قبل براءة البابا اكليمنضوس الرابع عشر

كلّ يعلم انَّ رهبانيّة يسوع أُنشئت في اواسط القرن السادس عشر في وقت كان الكرسيّ الرسوليّ يهتمّ باصلاح الجمعيّات الرهبانيّة وبالغاء بعضها وهو مع حاشيتهِ من الكرادلة مصمّم النيّة على ان يرفضوا تثبيت كلّ رهبانيّة جديدة . لكنَّ البابا بولس الثالث بعد ان وقف على رسوم القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة لم يتمالك من ان يصرخ : « انَّ هاهنا اصبع الله » وهكذا حكم مثلهُ لفيف الكرادلة فاثبت الرهبانيّة وقوانينها سنة ١٥٤٠ بمنشور خاصّ اوّلهُ : Regimini militantis Ecclesiæ دون ان يغيّر حرفاً في الرسوم المذكورة . وكان وقتئذٍ المجمع المسكوني التريدنتيني معقودًا اجتمع فيهِ نخبة ارباب الدين من كلّ الدول الاوربيّة فاثنى آباؤهُ ثناء عاطرًا على الرهبانيّة الجديدة ومآثرها الجليلة

ثمَّ عاد بولس الثالث في اربعة مناشير أُخرى فقرّر حكمهُ الاوّل وخوّل رهبانيّة

يسوع تعساً واسعة جزاء لما رآهُ وسمعهُ من اعمال اعضائها في كل الدول الاوربية . وسار على مثالهِ خلفاؤهُ يوليوس الثالث وبيوس الرابع وبيوس الخامس وخصوصاً غريغوريوس الثالث عشر وكانت الرهبانيَّة في تلك الحقبة أتت في فلاحة كرم الربّ من المآثر الخطيرة ما لا تحصرهُ المجلَّدات الضخمة الَّا انَّها هيَّجت على الرهبانيَّة نقم اعداء الكنيسة ولاسيَّما البروتستانت الذين وجدوا في ابنائها سدًّا متيناً صدَّهم عن مناهضة بيعة الله ونشر بدعتهم كما أنَّ تلك النعم الرسوليَّة أثارت في قلوب بعض اعدائها روح الحسد والمنافسة

ولم تكفَّ مواهب الاحبار الرومانيين لابناء القديس اغناطيوس بالسابق ذكرهم بل توالت عليهم دون انقطاع في مدَّة القرن السابع عشر والثامن عشر كما يشهد عليهِ مجموع المناشير والبراءات البابويَّة الذي في يدنا والذي يبلغ عدد صفحاتهِ الى براءة اكليمنضوس الرابع عشر ٣١٢ صفحة من القطع الكبير وهناك ٩٥ منشوراً تباعاً لجميع البابوات يثنون فيها على الرهبانيَّة اليسوعيَّة وقوانينها واعمالها في كلّ اقطار المعمور

وكان اذا وقع شيء من الخلاف بينهم وبين سواهم تُرفع الدعاوى الى الكرسيّ الرسولي فتنتهي بتاتاً عند حكمهِ لطغمة يسوع او عليها فيكرّر اليسوعيُّون الكلمة التي قالها القديس اغوسطينوس : قد حكمت رومية فانتهت كلّ دعوى Roma) locuta est, causa finita est) وربَّما حصل بعض الخلاف بينهم وبين ارباب الدول الذين كانوا يطمعون في اخضاع اليسوعيين لسياستهم خلافاً لقوانينهم فكان الحبر الروماني يعضدهم ويردّ معهم تلك المطامع الباطلة

وممَّا لا يُنكر انَّ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في مدَّة حياتها الطويلة البالغة ٢٣٣ سنة قبل الغائها لم تأتِ شيئاً يمسُّ شرفها او يبخس شأنها في وجه الكنيسة فلم يرَ الاحبار الرومانيُّون مسوّغاً لاصلاح شيء من قوانينها او رسومها

وكان آخر بابا جلس على كرسيّ هامة الرسل اكليمنضوس الثالث عشر (١٧٥٨—١٧٦٩) من اشهر اهل زمانهِ برًّا وتُقى وتفانياً في صوالح الكنيسة . ففي عهدهِ ضمّ اعداء الدين في سائر انحاء اوربَّة قواهم لتذليل الكثلكة وتعزيز الكفر . واذ شعروا بان الرهبانيَّة اليسوعيَّة بمواعظها وارشاداتها وتآليفها ومدارسها هي العائقة

الكبرى لتنفيذ مآربهم تحاملوا عليها بدسائسهم واكاذيبهم المعتادة وحملوا الملوك على نفي ابنائها وكرّروا الحملات المتوالية عليها لدى الكرسيّ الرسوليّ لكي يلغيها فقام اكليمنضوس الثالث عشر يتصدّى لغاراتهم وينتصر للمظلومين وقد كتب في ٧ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ ذاك المنشور الشهير الذي بدؤهُ (Apostolicum pascendi) والذي سيبقى في سجلّات الكنيسة كأشرف أثر واطرإ مديح للرهبانيّة اليسوعيّة واعمالها وادمى جُرح في قلب الكفر وزعمائهِ يفند فيهِ كل افتراءات اعداء طغمة يسوع. وكنّا وجدنا نسخةً عربيّةً من هذا المنشور في مكتبة دير الشير لحضرة آباء الرهبانيّة الباسيليّة الحلبيّة فنشرناها بحرفها الواحد في مجلّة المشرق (١٧[١٩١٤]: ٥٨٩–٥٩٣) وندفع الترجمون الى مطالعتها ليقابلوها ببراءة اكليمنضوس الرابع عشر ويحكموا فيهما حكماً منصفاً ولم يتوسّطبين تاريخ البراءتين الّا سبع سنوات

ولدينا ايضاً الرسالة التي كتبها القديس الفونس ليغوري رافع منار النصرانيّة في عهدهِ الى البابا اكليمنضوس الثالث عشر يهنيه ويشكرهُ على تلك الرسالة التي دافع بها عن الرهبانيّة اليسوعيّة وردّ عنها تُهَم اعدائها وقدّس كلّ اعمالها ومشروعاتها

سوابق البابا اكليمنضوس الرابع عشر واخبارهُ

قلنا ان الشرّ كان متفاقماً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر الفلاسفة الكذبة وعصر ڤولتير وروسّو اللذين وصفهما السيّد جمال الدين الافغاني في كتابهِ عن مذهب الدهريين بذاك الكلام المسجدي الذي وسم بهِ كفرهما بسمةٍ من العار لن تُمحى مدى الدهر. ولاسيّما عصر الماسونيّة العموميّة التي تناصرت وتشتّرت وحلفت بانّها ستدكُّ اساس الكنيسة فلا تبقي منها حجراً على حجر

فلمّا توفّي اكليمنضوس الثالث عشر ظنّت العشيرة انها ستبطل كلام المسيح القائل بانّ ابواب الجحيم لن تقوى على الصخرة البطرسيّة فاراد الله ان يظهر بأجلى بيان ان كنيستهُ اعلى مقاماً من ان يقتنها كفرهم او يصيبها سهمهم حتى ولو نزعوا عنها اكبر انصارها

وكان في ذلك العهد ملوك البوربون يملكون على دول اوربّة في فرنسة واسبانية وايطاليةدون البورتغال لكنّ تدبير امورهم في ايدي وزراء كلهم مشايعون للماسونيّة

سرًّا يسعون في تقويض عروشهم لينصبوا فوقها رايات الكفر والالحاد. ومَن راجع تواريخهم في كتب المؤرخين الصادقين عرفَ من هم بومبال (Pombal) وشوازول (Choiseul) ودارندا (d'Aranda) وتانوتشي (Tanucci) فضلًا عن بومبادور (Mme de Pombadour) عشيقة ملك فرنسة وعدوَّة اليسوعيين الذين هتكوا سترها

وكان للملوك وقتئذٍ في انتخاب الاحبار الرومانيين حقوق منحها البابوات اسلافهم لخدم سابقة ادَّوها للكنيسة . فكان اوَّل ما اجمعوا الرأي ان يحرموا عددًا من الكرادلة لا يرونهم موافقين لسياستهم ولاسيما لتضحية الرهبانيَّة اليسوعيَّة عماد الدين حيثما حلَّت . فحصروا الانتخاب في ١٢ كردينالًا فقط وكان عدد المنتخبين ٤٧ . وبين هؤلاء الاثني عشر لم يكن الَّا ثلثة او اربعة يمكن تقليدهم الرئاسة على الكنيسة جمعاء . وكان الملوك يريدون انَّ البابا المنتخَب يَعِد سلفًا بانهُ سيلغي الرهبانيَّة اليسوعيَّة (١ . فكانت هذه المطالب عثرةً في سبيل الكرادلة وتفرَّقت كلمتهم واحتجَّ كثيرون منهم بان اصحاب الاصوات ليسوا بحاصلين على الحرِّيَّة الكافية للانتخاب وبقي الامر دون وقوع اختيارهم على احد ثلاثة اشهر ونصف وكفى به دليلًا على حَرَج حالة الكرادلة الى ان وقع الاتفاق على احدهم لظنِّ الفرق كلِّهِ انهُ رجل معتدل يرضي الدول بلطفهِ دون ان يُلحق بالكنيسة ضررًا وهو الكردينال لوران غانغانلي الذي تمَّ انتخابهُ في ١٨ ايار سنة ١٧٦٩ فدُعي باكليمنضوس الرابع عشر وكان سفراء الدول طلبوا اليهِ قبل الانتخاب ان يعد بالغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة فلم يتقيَّد بوعد الَّا انهُ صرَّح بسلطة الحبر الروماني على ان يأتي بامر مثل ذلك لو شاء . وهذا ممَّا لا ينكرهُ احد لكنَّ الملوك اعتبروا ذلك كموافقتهِ لرأيهم

من هو اكليمنضوس الرابع عشر — سياسته

هو يوحنا فنسان انطون غنغانلي المولود في غاية تشرين الاوَّل سنة ١٧٠٥ في

---

١) راجع تاريخ تينر (Theiner) ج ١ ص ١٩٨ وكتاب الاب دي رافينيان (de Ravignan: *Clément XIII et Clément XIV*) ج ١ : ٢٥٧ وكتاب كريتنو جولي Crétineau-Joly: *Clément XIV et les Jésuites*

قرية قريبة من ريميني حيث كان ابوهُ طبيباً فسلَّمهُ الى الآباء اليسوعيين ليتخرَّج في مدرستهم في تلك المدينة ثمَّ انتقل الشابُ الى مدينة اوربينو ولم يلبث ان طلب الترهّب في دير الآباء الفرنسيسيين في اواسط أيار سنة ١٧٢٤ فعُرف باسم لوران او لورنسيوس. وكان في رهبانيَّتهِ مثال الورع والاجتهاد حتى انهُ برع في العلوم الدينيَّة وانتدبهُ رؤساؤهُ الى تعليم اللاهوت في عدَّة اديرة وكان يحبُّ العيشة المعتزلة وأبى مرَّتين رئاسة رهبانيَّتهِ العموميَّة في السنتين ١٧٥٣ و ١٧٥٩

فشاع فضلهُ وبلغ صيتهُ مسامع الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر فاراد ان ينصبهُ كردينالاً واذ استشار في امرهِ الاب لوران رئيس رئيس الرهبانيَّة اليسوعي العامّ في رومية اثنى عليهِ الاب وصرَّح بتعلُّقهِ بالجمعيَّة اليسوعيَّة وهو احد تلامذتها(١ فخوَّلهُ البابا ذاك المنصب الجليل في ٢٤ ايلول سنة ١٧٥٩ وقال عنهُ «انهُ يسوعيٌّ بالروح وان لم يكن يسوعيًّا بالثوب (٢». لكنَّ امام الاحبار لحظ بعد ذلك انَّ الكردينال الجديد لا يوافقهُ في سياستهِ الخارجيَّة بازاء الدول فلم يقرّبهُ كثيرًا الى شخصهِ. فبقي خاملًا قليل النفوذ في ادارة الامور مدَّة حياة البابا المذكور

فلمَّا استلم ازمَّة الرئاسة البابويَّة لم يشأ ان يغيّر شيئاً من بساطة عيشهِ وسذاجتهِ الرهبانيَّة فكان لطيف الجانب دمث الاخلاق ليّن العريكة معتدل السيرة في تدبير الامور فلو تُرك لشأنهِ لعُدَّ من افضل احبار الكنيسة. ولم يُظهر في معاملاتهِ للرهبانيَّة اليسوعيَّة شيئاً مما كان ينتظرهُ اعداؤها بل منح مرسليها بعد ثلثة اشهر من تنصيبهِ في ١٢ تموز ١٧٦٩ غفارين ونعماً روحيَّة لسبع سنوات ما يدلُّ على انهُ لم يفكّر في أذاها بل كان يحبّها ويعتبرها . وقد افتتح منشورهُ ذلك بما تعريبهُ: «انَّا نجود بل الرضى بكنوز الخيرات السماويَّة على الذين نعهدهم مهتمين غاية الاهتمام بخلاص الانفس وباضرام المحبة نحو الله والقريب ويقاسون المشقَّات حبًّا بخير الدين وحيث

(١ اطلب تاريخ كُردارا (Cordara: *Mémoires*, p. 22)

(٢ ومما يخبر عنهُ في زمن تلمذتهِ اللاهوت في رومية انهُ دُعي الى مفاتحة الاكرام القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ديرهم الكبير فقام يخطب في مديح ابناء القديس مثنياً على علمائهم في كلّ الفنون وسائر العلوم . ومما قالهُ مخاطباً اصحاب الدعوة : «كيفما حوَّلت انظاري والى اي فرعٍ من العلوم التفتُّ لاقف على مكنوناتهِ فاني ارى آباء جمعيتكم قد نالوا فيهِ الشهرة والسباق»

انا نشمل بين هؤلاء الفَعَلة الغُيُر الذين يفلحون في كرم الربّ رهبان الطغمة اليسوعيَّة فانّا نريد حقيقةً ان تنمو تقوى هؤلاء الرهبان العظيمة وتزداد بواسطة المواهب الروحانيَّة »

لكنَّ هذه السياسة الداخليَّة لم تكن لترضي الدول البوربونيَّة واشياعَ الماسونيَّة فتألَّبوا على قداسته تارةً بالوعد بان يردُّوا للكرسيّ الرسوليّ ما سلبوهُ من املاكه وتارةً بالوعيد بان يقطعوا الصلات مع رئيس الكنيسة الكاثوليكيَّة فكان سفراء الملوك يتردَّدون عليهِ في كلّ حين ليقنعوهُ بالغاء رهبانيَّة القديس اغناطيوس فيردُّهم الحبر الاعظم حيناً باللطف والمجاملة وحيناً بالتأجيل والتسويف وثبت على خطَّته هذه سنتين كاملتين لا يُقدم على امرٍ ولا يبتّ عهدًا بينما كان كإدلة الدول وسفرائها يضايقونهُ ويحرجونهُ حتى اثّرت معاملتهم في صحتهِ فظنَّ انهُ اذا جرَّد الرهبانيَّة اليسوعيَّة عن بعض امتيازاتها وعامَلها بالعُنف والشدَّة يكتفي الملوك بذلك فعزل اليسوعيين عن تدبير المدرسة اليونانيَّة ثمَّ اقفل بعض مدارسهم وانتزع من يدهم مكتب الايرلنديين وامر بمحاكمتهم بخصوص ماليَّة بعض اديرتهم وحكم بتفريق شمل مبتدئيهم ومنع كهنتهم من الوعظ في كنائس رومية

فكانت كلّ هذه التصرُّفات العنيفة تزيد في طمع الدول بادراك غايتهم بدلًا من ان تُخمد لظى بغضهم فيستنتجون منها انهم بمضاعفة هجومهم سينالون ما يشتهون. فشدَّدوا الاوامر على سفرائهم وأغروهم بنائب المسيح كيلا يدعوا لهُ راحةً الى ان يفوزوا بمبتغاهم. وقد بلغت قحة سفير اسبانية مونتيبو الى ان خاطب الحبر الاعظم بكل جفاء وعنف فاجابهُ البابا بهذه الكلمة الدالَّة على ما كان يتوقَّعهُ من الشرور بالغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة: « انكم لا تطلبون الغاء اليسوعيين الَّا لتستعبدوا الكنيسة من بعدهم »

ومرَّت على اكليمنضوس الرابع عشر السنة الثالثة من حبريَّته وهو يناضل ويدافع رجاء ان تتقلَّب الاحوال على الكرسيّ الرسولي او على الدول فينجو من تلك الضائقة ويُرخي خناقهُ الَّا انَّ الملوك ووزراءهم رأوا من شرفهم ان يفوزوا في تلك المنازعات بشيخ الفاتيكان مدَّعين انَّ لا سلام للممالك الَّا بإلاشاة الرهبانيَّة اليسوعيَّة ومن ثمَّ تهدَّدوهُ بقطع العلاقات مع الكرسيّ الرسولي فكتب شوازول

باسم ملك فرنسة لسفيره في رومية يفسح للبابا بشهرين ليقضي على اليسوعيين ، لانهُ اذا فات هذا الاجل لا يعود ممكناً ان يُصَدّ ملوك بوربون عن قطع كلّ علاقة مع حبر الكنيسة، ومثلهُ فعل مفوَّض ملك اسبانية فلوريدا بلنكا . وفي تلك الاثناء كتب دالمبار زعيم الملحدين كفولتير وروسو الى فردريك الثاني ملك بروسية : « انَّ البابا الفرنسيسي يظهر صعوبة كلّيَّة في امر الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة ولا عجب في ذلك لانَّ مثلَ الذين يطلبون الى البابا اعدام هؤلاء الجند البواسل مَثَلُ من يطلب الى جلالتك ان تصرف فرقة حرسك الملكيّ »

الغاء الرهبانية اليسوعية

على انَّ هذه الالحاحات المتواصلة والتهديدات الجديدة اضعفت عزيمة الاب الاقدس فرأى الكنيسة بين شرَّين لا نُدحة لهُ من اختيار احدهما ففضَّل تضحية الرهبانيَّة اليسوعيَّة على قطع العلاقات الدوليَّة مع الكرسيّ الرسولي لاسيما وقد رأى ملكة النمسة ماري تريزا بعد دفاعها عن اليسوعيين اضطرَّت الى موافقة ملوك بوربون فاخذ يبحث عن الطريقة ليقضي بهذا الامر دون ان يهيج الكثلكة . كيف لا وكان لليسوعيين في ذاك الوقت من الاعتبار وعظم الشأن ما تشهد عليهِ تواريخ كلّ البلاد

ففي اوائل السنة ١٧٧٣ وهي الرابعة لاكليمنضوس الرابع عشر اخذ يُعدّ البراءة القاضية بالغاء طغمة يسوع فجمع من تاريخ الرهبنة ما استطاع من شكايات اعدائها والمنازعات الجارية بسببها فذكرها لا بصفة قاضٍ على صحَّتها او فسادها وعلى غثها او سمينها مع علمهِ اليقين بدفاع ١٩ حبراً رومانياً عن ابناء القديس اغناطيوس لكن بعجزه بان لما حصل بسببها من الخلاف . وصدَّر ذلك بمقدمة مطوَّلة يبيّن فيها انَّ للاحبار الرومانيين السلطة على الغاء الرهبانيَّات كما بإمكانهم انشاؤها ويضرب على هذه الحقيقة عدَّة شواهد في فئات رهبانيَّة الغاها الكرسيّ الرسولي بمجرَّد امرهِ دون معارضة وختم ذلك بحكمهِ الفصل بالغاء الرهبانيَّة جمعاء.

وقد طال الزمان على انشاء هذه البراءة ستَّة اشهر كاملة يحرّرها ابو المؤمنين ثمَّ يعود فيحوّرها ويصلحها ويغيّرها وهو يريد ان يُسكت صوتَ ضميرهِ ويتخلَّص من عَنَت الدول التي لم تزل تضغط عليهِ ضغطاً مؤلماً وتستحثّهُ على ابراز حكمهِ فيقدّم

رجلًا ويؤخر أخرى كمن يمشي مرغوماً الى هاوية يخاف السقوط في اعماقها

واذ تحقق في اواسط تموز انهُ لا مناص من تضحية الرهبانيَّة أقدم على العمل فأمضى حكمهُ في ٢٠ تموز ١٧٧٣ لا على صورة منشور (Bulle) كما كان ينتظر الملوك وهي صورة افخم واجل يكون مدارُها على المراسيم الخطيرة العموميَّة بل على صورة براءة (Bref) وهي صورة ادنى مدارها على الامور الخصوصيَّة القابلة الابرام والنقض . وبدء البراءة بهذه الالفاظ Dominus ac Redemptor

وكنَّا نودّ ان نعرّب هذه البراءة تعريباً متقناً فننشرها في المشرق لولا طولها البالغ نحو عشرين صفحة من صفحات المجلة . وفي مضمونها ما يدلُّ على رغبة الحبر الاعظم في اعادة السلام والمحبَّة للعالم الكاثوليكيّ وذلك «حتى لو اقتضى الامر بنقض وملاشاة اعزّ ما هو لديهِ وبفقدان ما سيوليهِ حزناً مرًّا واسفاً شديداً» وكفى بقولهِ هذا دلالةً على الغائهِ الرهبانيَّة مرغوماً . وهذا ما صرّح بهِ القديس الفرنسيس ليفوري اكبر اساقفة عصرهِ ليعذرهُ قائلًا : «مسكين هو البابا فيا ترى أكان يستطيع في تلك الاحوال الحرجة ان يقاوم الحاحات الدول الطالبة الغاء رهبانيَّة يسوع» . ومثلهُ قال المؤرخ اليسوعيّ الشهير الاب كوردارا « ان اكليمنضوس الرابع عشر رأى بعد حيرتهِ وتردّدهِ الطويل انهُ من الواجب عليهِ الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة . ولعلّي انا الذي أحبُّ طغمتي اشدّ الحبّ كنتُ حذوتُ حذوهُ لو كنتُ في مقامهِ . فاتت الرهبانيَّة المنشأة والمثبتة لخير الكنيسة فقبلت الموت لتحصل الكنيسة على ذلك الخير وحقيقةً لا أدري أكان يمكنها ان تنال شرفاً اعظم من هذه الخاتمة الجليلة لحياتها »

لواحق حكم البابا بالغاء الرهبانية

كانت الرهبانيَّة اليسوعيَّة قد عانت من الشدائد والآلام من قبل اعداء الكنيسة ما أذاق ابناءها الأمرّين لكنها صبرت على كل ذلك صبراً جميلًا يسندها في اوجاعها نظرُها الى صليب الربّ يسوع المنسوبة اليهِ . ومع هذا كانت بين آلامها فرحةً كرسل المسيح (اعمال ٥ : ٤١) : «الذين كانوا فرحين بانهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع» لكنَّ هذه الضربة الاخيرة من قبل رئيسهم الاسمى والاعزّ كانت اوجعَ وامرَّ من سواها فقبلوها من يدهِ صامتين قانتين ردلُّوا بطاعتهم العجيبة وهم ينيفون وقتئذٍ على ٢٤٫٠٠٠ راهب على أنهم يرضون بالموت من يد قائدهم ان اصاب

في موتهم الخير المأمول. وقد حُكم عليهم لا في محكمةٍ حيث يتمكّنون من الدفاع عن نفسهم بل دون الرخصة بان يكتبوا شيئاً في هذه القضيّة. فماتوا مسلّمين امرهم الى الله فاحص القلوب مصرّحين بانهم ابرئوا من الشكاوى الموجّهة اليهم

وبعد الاعلان بالبراءة أُقفلت اديرتهم واستُصفيت اموالهم وضُبطت مكاتبهم واوراقهم وتحريراتهم الخصوصيّة التي بعد فحصها المدقّق وُجدت كلها منزّهة عن كلّ ما يستوجب ملاماً وتفرّق رهبانهم فاصبح الكهنة منهم والمتّسمون بالدرجات الاكليريكية تحت رعاية اساقفتهم وأُعيد الآخرون الى مواطنهم واهلهم. أمّا الرئيس العام الاب لوران ركّي ومدبّروهُ فقادوهم الى حصن سَنْت انجلو فسكنوا في قلالي منفردة واستنطقوهم مراراً فلم يقفوا على امرٍ ما يَشينهم ويشين رهبانيّتهم بل استشهدوا الله على صلاحهم وصلاح طغمتهم. ومات الاب ركّي في تلك الاثناء مكرّراً عند قبوله اسرار الكنيسة بازاء الدّيان الذي كان على وشك الظهور امامهُ عن حسن سلوك رهبانيّته دون ان تحيد عن قوانينها ذرّةً. وهو الذي كان اجاب الحكومة الفرنسويّة سابقاً لمّا ارادت ان تغيّر شيئاً من رسوم القديس اغناطيوس بكلمة تاريخيّة تتناقلها كلّ التآليف «فلتكن كما هي او لا تكن» (Sint ut sunt aut non sint). وكانت وفاتهُ في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٧٧٥ بملء الهدوء والسلام

وكان سبقهُ الى الابديّة الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر ولم يعش بعد اعلانهِ بالبراءة الملغية للرهبانيّة اليسوعيّة الّا اربعة عشر شهراً قضاها بالقلق والجزع واضطراب العقل وهو يردّد قولهُ: قد فعلتُ مكروهاً (compulsus feci) فمات في ٢٢ ايلول ١٧٧٤ وقد انعم الله عليهِ عند وفاتهِ بان حضر لمساعدتهِ عند الموت القديس الفونس دي ليغوري فريد عصرهِ علماً وقداسةً فاعدّهُ لاستقبال خالقهِ. وممّا يُخبر انهُ قبل وفاتهِ سلّم الى مرشدهِ الروحيّ رقيماً استدرك فيهِ ما كتبهُ في براءتهِ واوصاهُ بان يسلّمهُ لخلفهِ. وقد طُبع الرقيم المذكور لاوّل مرّةٍ في سويسرة في مدينة زوريخ سنة ١٧٨٩ طبعهُ المؤرخ بيار فيليب وُلف ثمّ تكرّر طبعهُ دون ان يتكرّه البابا بيوس السادس خلف اكليمنضوس

وكان البابا موعوداً بان يُعاد الصلح للكنيسة بالغاء الرهبانيّة اليسوعيّة وتعيش الدول بالسلام مع الكرسيّ الرسولي فكانت تلك المواعيد عرقوبيّة. وانّما جاهر

فقط اعداء الكنيسة بفرحهم لسقوط فرقة يسوع التي كانت اكبر حاجز يمنعهم عن تنفيذ مآربهم الباطلة

بيد انهم كانوا مؤملين انَّ البابا يقبح اعمال اليسوعيين في براءته ويفتي بإثمهم وسوء تعاليمهم فخاب أملهم - وقد اقرَّ بذلك المؤرخ البروتستاني شِل قائلاً : « انَّ البراءة لا تقضي على تعاليم اليسوعيين ولا على عوائدهم ولا على تهذيباتهم انَّما الاسباب الوحيدة المرقومة فيها التي اوجبت الغاء طغمتهم هي الشكايات الصادرة بحقهم من الدول . وقد برَّر البابا الطريقة التي سلكها باستنادهِ الى امثلة اسلافهِ الذين ألغوا بعض الرهبانيَّات ليوافقوا مقتضيات الرأي العامّ »

وذلك كان السبب من نفور مجالس الندوة في فرنسة وعدم رضى اصحابها بتسجيل براءة الحبر الاعظم الملغية للرهبنة بل منعت من نشرها واستقبحت اعتدال منطوقها اذ ان البابا على قولهم « امر بالغاء الرهبانيَّة دون ان يقضي على تعاليمها ولا على اعمالها » وفي هذا دليل قاطع على انَّ اكليمنضوس الرابع عشر لم يحكم على اليسوعيين بل ابطل رهبانيَّتهم لمجرَّد مقتضى الظروف والاحوال

امَّا ما حدث بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة من الفتن والثورات وانقلاب دول البوربون ظهراً لبطن في الثورة الفرنسويَّة الكبرى واضطهاد الحبر الاعظم بيوس السادس وخلفهِ بيوس السابع فكلُّ ذلك كان من اخصّ اسبابهِ نفي طغمة يسوع التي لم تعد الشبيبة في معظم البلاد تتخرَّج في مدارسها . فتفاقم الصدع واستشرى الفساد

ودونك ما كتبهُ الى البابا اكليمنضوس الرابع عشر رئيس اساقفة باريس بطل الدين كريستوف دي بومنت بعد اعلانهِ البراءة بزمن قليل :

أيها الاب الاقدس انَّ السلام الذي يمدنا به اعداء الدين بالغاء جمعيَّة يسوع ليس هو السلام الذي اتى به السيِّد المسيح وانَّما هو سلام كاذب سلام الخبث والمكر والملاعة الذي قال فيه ارميا النبي (٦ : ١٤) : « يصرخ الاشرار : السلام السلام وليس سلام » هو السلام الذي وذلهُ السيِّد المسيح وعارضتهُ جمعيَّة يسوع وتفانت في مناصبتهِ حتَّى الموت ولذلك تقوم عليها الاشرار فبسقوطها ستنال الكنيسة محنٌ مرَّة »

ومن ثمَّ ما كاد بيوس السادس يخلف اكليمنضوس حتى فكَّر في ردّ الرهبنة الى مقامها واستشار في ذلك الكرادلة فسمع غير واحد منهم يحرضهُ على تحقيق نيَّتهِ

واخصّهم الكردينال ليونردو انطونلّي الذي رافق بعد ذلك بيوس السابع وحُبس معهُ في فونتينبلو فقال :

« انّ ما فعلهُ سلفُك قد جرى بضغط الملوك على رئيس الكنيسة ومن ثمَّ لا قوّة لبراءته التي نشرها مرغوماً دون حرّيّة كافية وانا أعُدُّ الرهبانية اليسوعيّة غير ملامة فيكفي قداستك ان تُعلن بالامر . . . فلعمري انّ رهبانيّة يسوع افضل جماعة في عصرنا الشرّير ولو هُدمت لوجب إحياؤها . ونحن اليوم لخدمة الكنيسة احوجُ اليها من يوم انشأها اقديس اغناطيوس فانّها اذ ذاك ناصبت البدع البروتستانيّة وكسبت شكر الكنيسة المخلَّد امّا اليوم وقد تفاقم شرّ اعداء الدين فانا لا نستغني عنها لتقوم في وجه الملحدين وسائر الاشرار »

فكان جواب الحبر الاعظم لهذا التصريح بقوله :

« انّ إلغاء الرهبانيّة اليسوعيّة انّما كان سرّاً من الجور والطغيان وانّ رغبتي الشديدة أن أعيدها الى الحياة »

لكنّ امرهُ وموتهُ حالا دون رغبته . ومما كتبهُ في ذلك المؤرخ البروتستانيّ الالماني رَنك (Ranke) في تاريخ البابويّة (ج ٤ ص ٥٠٠) :

« انّ الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة قوّض اركان العالم الكاثوليكي كله اذ دهمتهُ تلك الضربة القاضية من كَثَب دون ان يستعدّ لملاقاتها لاهتمام اليسوعيين بتهذيب الشبيبة في كلّ البلاد فبهلاكهم اصبحت الناشئة عرضاً لكل المفاسد وتزعزعت دعائم المجتمع الانساني »

ولمّا أرسل الكردينال باكّا الى المانية بصفة قاصد رسوليّ كتب الى الحبر الاعظم بيوس السابع ما تعريبهُ :

«منذ الغاء اليسوعيين فقدَ الالمان اكرامهم القديم لرؤسائهم الروحيين وللكرسيّ الرسولي لان اولئك الرهبان كانوا يهذّبون الاحداث في مدارسهم العديدة فيضمون بذلك حدوداً للكفر ولكن منذ سقوط رهبانيّتهم انفجر السدّ وطغى طوفان الكفر وانتشرت الجمعيّات السرية (الفرمسون) والمطبوعات الفاسدة فأصيبت الكنيسة بنكبة عظيمة »

ومثلهُ قال البرنس دي ليني سنة ١٨٠٨ :

« انّ الشرور العظيمة التي نراها في زماننا من نبذ الطاعة للرؤساء ومن روح الخلاعة والفساد لما كانت تسود فتهدّد بسيلها الجحاف كلّ ممالك اوربّة لو بقيت في الحياة الرهبانيّة اليسوعيّة »

فاتّفاق كلّ هؤلاء على تشخيص الداء الذي اصاب المجتمع الانساني لأدلّ

دليل على ما ابقتهُ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في القلوب من الاعتبار والاكرام وعلى انَّ الغاءها لم يكن عن ذنبٍ اقترفتهُ بل عالَهُ بغضُ الاشرار والملحدين . ولذلك سمح البابا اكليمنضوس عينهُ سرًّا لملكة روسيَّة كاترين الثانية بان تبقي اليسوعيين في مملكتها . ثم كرَّر تلك الاجازة خلفهُ بيوس السادس . ثمَّ قام بيوس السابع وما كاد ينجو من مخالب نابوليون الاوَّل وسجنهِ ويعود الى عاصمتهِ رومية ظافرًا حتى بعث الرهبانيَّة اليسوعيَّة من رقدتها في العالم كلهِ وردَّ لها كلَّ خواصها وانعاماتها ورسومها كما كانت قبل الغائها وذلك في ٨ آب من السنة ١٨١٤ وقد خصَّت مجلَّة المشرق (١٧ [١٩١٤]: ٤٨١—٤٩٥) مقالةً نفيسة لتذكار سنة المئة لذلك الانبعاث دبَّجها قلم رصيفنا المرحوم الاب لويس رنزفال فلتُراجع

ويكفينا في الختام ان نستحلف كلَّ قرَّائنا ونسألهم أيرون في الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة بساعي الملحدين واعداء الدين والتمدُّن الصحيح عارًا ما لحق بها كما زعم كاتب الحرِّيَّة واشياع الماسونيَّة او ليس الاولى بابناء اغناطيوس ان يفتخروا بذلك المصاب وان يثني عليهم كلُّ ذوي الصلاح والبرّ كما يُثنَى على من سقطوا في ساحة الشرف . هذا ومعاذ الله ان ننسب الينا فخرًا ما وانَّما المجد يحقُّ فقط لذاك الذي يحطّ ويرفع ويُميت ويحيي تمجَّد اسمهُ الى ابد الدهور

ملحق

«الجنون فنون» انَّ لجبران التويني في كتاباتهِ البذيَّة عن اليسوعيين طرائق من الجهل والغباوة توقعنا في الريب عن صحَّة عقلهِ فلا يقرأها عاقل الَّا يقول «الجنون فنون» فانَّهُ كتب عن الاب غوري ولاهوتهِ الادبي الذي هو في موضع الاعجاب لكل من يدرسهُ كاعمى يكتب عن الالوان وهو لا يعرف لا من هو الاب غوري ولا ما كتب ولا يحسن التمييز بين الالف والباء من اللاهوت الادبيّ وبدلًا من ان ينقل نصوصهُ من الطبعة البيروتيَّة التي عرَّبها الطيِّب الذكر المطران يوحنَّا حبيب فنشرها في المطبعة المارونيَّة في مجلَّدين نقل ما نقل عن كتب الفرمسون (وكلُّ طائر يأوي الى جنسهِ) الذين شوَّهوا كتابات الاب غوري ونسبوا اليهِ تعاليم فاسدة لم تخطر على بال احد من الكاثوليك فلم يستحي ان يعرض على اهل بلادنا مثل هذه البضاعة

الكاسدة المحيكة بلُحمتها وسداها في المعامل الماسونيَّة — واغربُ من ذلك « القسَم اليسوعيّ » الذي كلّ حرفٍ من حروفهِ كذبٌ وتلفيق كأنَّ اليسوعيين يبرزون نذورهم بالخفية مثل الفرمسون وليس في كنائسهم امام جمهور المؤمنين وشهود علمانيين يحضرون رسميًّا تلك الحفلة . فيا لله حتّى متى والى متى يكذب الفرمسون وكيف يعميهم الهوى فلا يرون انَّ العموم يسخرون منهم ويلعنون شيعتهم

المقامة الاورشليميَّة

لاحد تلامذة البيان في كليتنا

توطئة

إذ كنتُ في سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٠ ادرّس البيان والبلاغة في كلّية القديس يوسف كان في حلقة تلاميذي المسيحيُّ والمسلم والدرزي . ومعظمهم إن لم اقل كلّهم كانوا عاكفين على درس اللغة العربية مجتهدين في اكتساب آدابها . وخدمةً لهم اخترتُ وجمعتُ « رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني » . وذلك رغبةً في تمرينهم على سكب عباراتهم في قوالب بليغة

وكنتُ أحرص على صيانة ما يكتبونه من رواية او خطبة او مقابلة او انتقاد او قصيدة او مقالة . فابرز منهم كنت أطلعه على ما حسُن او نقص في ما كتبهُ فيصلحهُ ثمَّ أدّخر لديّ في حفظةٍ ما يَنُمُّ . فجمعتُ من هذه الطُرَف عددًا ليس بيسير . وأريتُ بعضها تلاميذي بعد خروجهم من الكلية . فسرّوا ايَّ سرور اذ رأوا ما كتبوه في سني حداثتهم وصباهم

وقد رأيت اليوم بمناسبة عيد انتقال مريم العذراء الى السماء ان انشر في المشرق انشاء لاحدهم عنوانه «المقامة الاورشليميَّة» وكان من نُجُب الطلّاب الذين يُسرّ بهم اساتذتهم وتفتخر بهم مدرستهم وقد اثبتنا كتابتهُ بحرفهِ الواحد . وكان موضوع المقامة ما يُروى عن ديونيسيوس الاريوباجيّ تلميذ بولس الرسول انهُ اجتمع بمريم العذراء قبل انتقالها الى السماء فوصف ما شاهدهُ من بدائع صفاتها وكمالها

الاب انطون صالحاني

روى ديونيسيوسُ الأريوباجيُّ قال : ولمّا أماط لي الحقُّ نقابَهُ ، وولجتُ من الهُدى أبوابهُ ، نزعتُ الى أورشليم مربع البصائر ، ومتنفَّس الخواطر ، فطفقت أحدث النفس بالإحجام ، وهي تحدّثني بالإقدام ، إلى ان حسرتُ عن ساقي ويدي ، وقلتُ : القدسَ يا ناقَ سيري وخدي ، ... فسرتُ في يوم جلابيبُ غيومهِ رواق ، وأردية نسيمهِ رقاق ، وما زلتُ أصِلُ السيرَ بالسُّرى ، حتّى علوتُ عند الطفل إحدى الذُرى ، فلمّتُ هنالك السفر ، وأنختُ رحلي حتى بدا الصبحُ وانفجر ، فانشقَّ بطلعتهِ سترُ الظلام ، عن بلدةٍ كأنّها صورةُ جنّةِ الخلدِ منقوشةٌ في عرض الأرض . فانبهرتْ بها مقلتي ، وتطلّعتُ واذا هي أورشليم بغيتي ومنيتي ، فارتكض فؤادي جذلًا ، وطرتُ اغتباطاً وفرحاً ، وكان قد تعطّر الأفقُ بما يرّ بالخزام والشيح ، من خطراتِ الريح ، وغرّد العندليبُ على العودِ ، فأذكرني أنغام داود ، وأجهشتُ للبكاء حنيناً ، ولبثت أتوسّمها حيناً ، ثمَّ أطلقتُ الخاطر إطلاق الجواد ، بين تلك الربى وهاتيك الوهاد ، وشرعتُ أقول :

لكِ اللهُ يا دار القيامةِ والنَّصر ... سلامٌ عليكِ في العشيّة والفجرِ
حَدَوتُ اليكِ الرَّكبَ حدوَ متيَّمٍ ... وتُقتُ اليكِ توقَ ظبيٍ إلى الغمرِ
فها اليومَ إني نلتُ ما كنتُ اشتهي ... سعدتُ بمرآكِ فبشرٌ على بشرِ

ثمَّ أعددتُ النفس وهيّأتُ القلبَ وأخفضتُ من جناح الخضوع ، وتردّيتُ لباس الرهبة والخشوع ، وقمت أصِلُ الإسآدَ بالتأويب ، وأراوح بين الإهذاب والتقريب ، حتى أفضت رُحلتي اليها فانخْتُ ركبيَ فيها ، فأخذتُ أتعهّدُ معاهدها المألوفة ، وأشهدُ مشاهدها الموصوفة ، بحيث لم أدعْ حيًّا ولا نادياً ، ولا جبلًا ولا وادياً ، الّا سعيتُ اليه على قدمي ، وخاطرتُ في قصدهِ بدمي ، حتى انتهيتُ الى حيث كان الرُّسل مجتمعين ، فدخلتُ وحيّيتُ باسم يسوع ربِّ العالمين ، وانضويتُ الى حزبهم ، وشددتُ يديَّ بغرزهم ، فلاقوني بالرُّحب والسَّعة ، واستقبلوني بالأنس والدَّعة ، وهم قد جلسوا الى هيفاء غضّة ، كأنّها برج فضّة ، وهي تجلو أبصارهم بكلام لو قُرئَ على الحجارة لانفجرتْ ، وتشحذ أذهانهم بحكمٍ لو تُليتْ على النجوم لانتثرتْ .

فلمّا صرتُ في بهرةِ النادي ، أخذتْ بمجامعِ فؤادي ، وسرحتُ طرْفَ المتلة ، في روضةِ تلك الطلعة ، فوجدتُ أنَّ الغزلَ وإن كان أرقَّ من الصبا ، وأحنَّ من عودِ

الصَّبا ، كليلٌ عن حسنها الرائع ، وبهائها الساطع ، إذ أنها مفردةٌ بصفاتها ، لا تُشبَّهُ إلّا بذاتها ، فكأنّي كنتُ أرى عن يمينها عين الكمال ، وعن يسارها ذاتَ الجمال

تهادى عليها الحُليُ والنورُ زانها وما كوكبُ الزرقا عليها تقدَّما

فاستنبأتُ خبرَها ، واستعلمتُ مَن هيَهْ ، فقيل إنها أمُّ يسوعَ الإلهِ ، ووالدةُ مَن لا إله سواهُ ، فانطرحتُ أتيمَّنُ بالسجود لها ، وكدتُ لولا نور الحقّ لستألِهُها ، فلبثتُ حينئذٍ كالولهان ، لا أهتدي الى تحيّتها بتبيان ، وما زلتُ كلَّ تلك البرهة ، أجدُ في حِكَمها أطربَ نزهة ، وأطيبَ نكهة ، حتى أزف الترحال ، وآن شدُّ الرحال ، فقمتُ للتوديع وأنا أتغنّى ، بمحاسن تلك البتولة الحسناء ، :

ألَا لا تلوموني اذا كنتُ مُغرَما فلستُ أرى عشقي لمريمَ مَغرَما

هويتُ بتولًا قد تأرّجَ طُهرُها وليس هيامي في هواها توهُّما

بها قد حظينا بالخلاص مِنَ الشقا فكانت لرُقيانا الى الله سُلَّما

وخاضتْ فِجاجَ الأرض وهي نزيهةٌ وصانَ معاليها العليُّ تحلُّما

فطافتْ على وجهِ النهارِ كريمةً كما طافَ قِدماً فُلكُ نوحٍ مُكرَّما

ثمَّ قمتُ وانطرحتُ على قدميها متيمّناً ، وقلتُ لها بالمهابة مؤمّناً :

أيا ظبيةَ العلياء فيكِ تنزُّلي لدى رُسُلٍ نالوا بربعكِ مَغنَما

أقولُ وصدقُ الحبِّ طرسُ مقالتي سلامٌ على عَلياكِ يا نجمةَ السما

عوامِلُ حمدٍ حرّكتني فعُرْيَ م الفؤادُ عليكِ دون أن يتقدَّما

أتيتُ بيومٍ قد نزعتُ لصبحهِ شهودًا وأيّاماً وحولًا مُحرَّما

فيا ليتني أعطى نشيدًا من العُلى لأنشدُ حسناكِ بحقٍّ وأعظما

إليكِ أتيتُ اليومَ أسألُ عونكِ إذا ما أتيتُكِ الديّانُ للدينِ أقدما

فأهديكِ مني الروحَ والجسمَ والحيا ةَ فارعي وكوني عندنا ربّةَ الحمى

قلتُ هذا وانصرفتُ بيمن بركاتها الى حيثُ أتيت ، وكان ذلك المشهدُ من أعجب ما رأيت ، فعدتُ إلى راحلتي والشمسُ في برج الأسد ، وفارقتُ أورشليم فراق الروح للجسد ، وأخذت أسري وأسيرُ ، وقلبي فيها رهينٌ وأسيرُ ، حتى انتهيتُ الى آخر مَطلٍّ عليها ، فاغرورقتْ عيناي وقلتُ أبكيها :

ألَا يا نسيمَ الصبحِ خفِّفْ جوى الصدرِ وبلّغ ديارَ القدس ما ذقتُ مِنْ الهجرِ

وحيِّ صِحاباً قد عَهِدتُهم بها ويا ليتَ لي أنْ أبتني عندهم قبري

ثمَّ ودَّعتُها بعينٍ تَترى، وكبدٍ حَرّى، ورُحتُ أسوقُ الرَّكب في نَشدِ مريم العذرا، واللهُ فيما كنتُ أقولُ أدرى، إلى ان بلغتُ أهلي وأوطاني، فكنتُ بها بحتي وجثماني، وفي القدس ذهني وجَناني، فما زلتُ أروحُ وأغتدي، وبمريمَ والرُّسل الهجُ واقتدي، حتى أمسيتُ ذات ليلةٍ وأنا أساورُ فيها الهموم، وأسامرُ الكواكب والنجوم، واذا بالليل قد خلع ثيابهُ، وبالصبح قد حدَرَ نِقابهُ، فتطلَّعتُ واذا بذات جمال، كلَّلها الحسنُ بتاج الكمال، عذراء هيفاء، قد تجلَّت في ذروةِ الزرقاء، كأنها الشمسُ تحت الغمام، أو البدرُ في ليل التمام، تصعَدُ والنجومُ تتبعُها، وتسحبُ الذيل والملائكُ ترفعها، بين غمائم نورٍ، وأكاليل زهورٍ، وأناشيد مجدٍ وسرورٍ، حتى ولجتْ كبدَ السماء إلى دارِ السعادةِ والحبور، فرأيتُ إذ ذاك في منتصف الجوّ، كلمات نورٍ وأحرُفَ ضوءٍ، فقرأتها وإذا بمؤدّاها كان هذا: هي مريم العذراء، أمُّ مليك الارض والسماء، فلبثتُ من ساعتي في غَشيةٍ وذهول، لا أدري من الاغتباط ماذا أقول، ثمَّ قمتُ أحمدُ اللهَ لرؤيةِ والدتهِ طريقَ السماء منتهجةً، ورحتُ أنشدُ طرباً وبهجةً:

لَهي مريمُ حلَّتْ ذُرى المجدِ والقَدرِ فيا أرضُ ميدي واكتسي حُلَّةَ الفخرِ

لقد نلتِ عند اللهِ خيرَ وسيطةٍ تخفّفُ عنكِ السُّخطَ في موقفِ الحشرِ

فحيّي السَّما فيها وقولي لأهلها «ألا مَجِّدوها إنَّها ربَّةُ النَّصرِ»

لبنان الكبير ومتصرفية لبنان القديمة

بقلم المحقق المدقق الشيخ سليم خطّار الدحداح

اهدانا احدهم كريسة مطبوعة لايتجاوز عدد صفحاتها ١٢ صفيحة وهي معنونة هكذا:

لائحة الملحقين بلبنان الصغير

الى المراجع الكبرى – الى المفوضية العليا – الى رئاسة مجلس الاتحاد السوري – الى الرأي العام

ولا شيء يدل على محلّ طبعها ولا على تاريخه

فبعد ان تصفَّحتها وجدتُ خلاصتها ان اصحاب التواقيع المذكورة اسماؤهم في آخر الكريبسة يرفضون اندماجَ ولاية بيروت في حكومة لبنان الكبير ويطلبون سَلْخها عنه وضمّها الى الوحدة السوريَّة . واهمّ ما جاء في اعتراضاتهم وحججهم التي تؤيد دعواهم ثلاثة امور :

١ً استغرابهم من ضمّ بلدانهم الى متصرفية — وكانت في الاصل تؤلف ولايةً

٢ً كونهم هم اكثر عدداً من ابناء متصرفية لبنان القديمة

٣ً كون الداخلية ليس لها موانئ ولايمكنها الاستغناء عن بيروت التي هي ميناء سوريا

١ انفاذ تحريم الاولى : استغرابهم لالحاق ولاية بيروت بمتصرفية لبنان

امّا كونهم يرفضون الانضمام الى لبنان الكبير ويطلبون الحاقهم بالوحدة السورية فهذا امرٌ لا شأن لهم به اذ لم يعُدْ باستطاعتهم تغيير ما قرّرته الدولة الفرنسوية صاحبة سلطة الانتداب ووكيلة جمعية الامم في سوريا ولبنان بناء على رغبة اكثرية الشعب الساحقة . فهذا الاعتراض — الذي يتقدم الآن بعد اوانه — ومن اناسٍ لا صلاحية لهم بتقديمه — لا يُلتفَت اليه سيَّما وان اكثرهم لم يفطنوا لابراز هذا الاعتراض الّا بعد فصلهم من الوظائف التي كانوا متربّعين بها وكثيراً ما توسّلوا بها لاستراف مال الشعب . وامّا براهينهم واحتجاجاتهم فانها ليست ممّا تثبت على محكّ الانتقاد واليك البرهان :

أذهَلَنا استغرابُهم إلحاق ولايتهم بمتصرفية . فيكرّرون ذلك كانهم يقصدون تحقير متصرفية لبنان القديمة والحال ان مَن لهُ ادنى المام بالتاريخ يعرف بانه لمّا تشكلت نظامات سنة ١٨٦٠ وسُمّيت حكومة لبنان باسم متصرفية لم تكن هذه التسمية موجودة في تقسيمات تركية الادارية . فان هذه التقسيمات ظلّت في كل السلطنة العثمانية الى سنة ١٢٨١ الموافقة سنة ١٨٦٤ على ثلاث درجات اعني بها : العَمَل وعليها العامل والمُتسلّمية وعليها المتسلّم والإيالة وعليها الوالي او الباشا . فلما تمّت التشكيلات الادارية في السلطة في السنة المذكورة جُعلت اربع درجات دُعيت

اعلاها باسم ولاية وعليها الوالي وامّا الثانية فان عالي باشا — الصدر الاعظم حينئذٍ — تعمّد تسميتها باسم متصرفية وعليها المتصرف تحقيرًا لرئيس حكومة لبنان اذ انهُ جعل دمشق مركزًا لولاية سورية وحلب مركزًا لولاية حلب وذلك ليظهر لعامّة الشعب وللدوائر الرسمية ان رئيس تلك الحكومة التي تخصصت بنظام مخصوص سنهُ لها مقتدر الدول والتي امتازت بلقب خاصّ اصبحت اصغر مقامًا من الدرجة الاولى وحاكمها مساويًا للحكّام الاداريين من الطبقة التابعة. ولكن رغمًا عن هذا التدبير ظلّ مقام متصرف لبنان مساويًا لمقام والي دمشق ووالي حلب اذ تحتّم على الباب العالي ان يمنحهُ رتبة الوزارة حال تعيينهِ متصرفًا لهذه الحكومة الممتازة. ولمّا سُلخت بيروت والسواحل عن دمشق وجُعلت ولايةً سنة (١٨٨٧) كان اكثر من تولّى امرها غير حائزين على رتبة الوزارة ممّا دلّ على عدم مساواتها في الاهمّية بجبل لبنان عند الدولة العثمانية ذاتها

ولمّا خلا الجو في زمن الحرب الكبرى لطلعت وأنور وجمال فباضوا وصفّروا والغوا امتيازات حكومة لبنان فانهم لبثوا مع هذا معتبرين لبنان اكثر اهمية من بيروت. لانهم وضعوا على رأس ولاية بيروت عزمي بك احد سفّاحيهم الذي كان مديرًا لبوليس بيرا. امّا في لبنان فانهم عيّنوا احد كبارهم وهو علي منيف بك الذي كان تولى امر ولاية مناستير ثمّ حلب وبيروت ثم اصبح مستشارًا للداخلية. ولمّا انتهت مهمّتهما من هذه البلاد فعزمي ذهب معزولًا وامّا علي منيف فطُلب معيّنًا لنظارة النافعة. ومن هنا يتّضح لحضرة القارئ اللبيب ان تلك المتصرفية التي يريدون تحقيرها كانت اعظم مقامًا واكثر اعتبارًا من الولاية التي يفاخرون بها ! . . .

٢ الجهة الثانية : كون البلاد المنضمة اكثر عددًا من متصرفية لبنان القديمة

أضحكني الارقام التي اتوا بها ليسندوا مدّعاهم. قالوا ان عدد المتصرفية القديمة يبلغ ٣٢٢،٦٠٨ نسمة امّا عدد ابناء البلاد المنضمّة فبالغ ٣٨٨،٣٠٢ نسمة. فمن أين اخذوا هذه الارقام يا ترى ؟ انّ مجموع المذكورين هو ٧١٠،٩١٠ نسمة والحال كلّ يعلم ان مجموع سكّان لبنان الكبير المقيمين على موجب احصاء ١٩٢٢ بلغ ٦٠٩،٠٦٩ نسمة وعدد المهاجرين الذين قطعوا علاقاتهم من حيث الاموال الاميرية ٨١،٢٤٣ نسمة يتوزّع هذا المجموع على السناجق والبلدتين الممتازتين كما يلي :

	من نواحي لبنان القديم	من نواحي البلدان المنضمة	المجموع
بيروت	...	٨٠,٢٢٦	٨٠,٢٢٦
طرابلس	...	٣٦,٥٧٤	٣٦,٥٧٤
لبنان الشمالي	٩١,٥١٢	٤٤,٩٧١	١٣٦,٤٨٣
البقاع وزحلة	٢٦,٧٣٠	٨٣,٥٧٣	١١٠,٣٠٣
لبنان	١٩٦,٦٧٥	—	١٩٦,٦٧٥
لبنان الجنوبي	٢١,٤٨٣	١٠٨,٥٦٨	١٣٠,٠٥١
	٣٣٦٤٠٠	٣٥٣٩١٢	٦٩٠٣١٢

وقد أحصي في لبنان الكبير وقتئذ ٢٠،٢٥٠ اجنبياً فيكون مجموع الكل ٧١٠،٩١٠ نسمات ومن هنا تظهر لديك بكل سهولة ايها القارئ الكريم مهارتهم في تغيير الارقام فقد اضافوا اكثر من ثلاثين الفاً الى مجموع اهالي المحلات المنضمة واسقطوا مثلها من مجموع اهالي نواحي المتصرفية القديمة افضلاً عن انهم اعتبروا — كرماً وانعطافاً منهم — جميع الاجانب وعددهم ٢٠،٢٥٠ جارين على رأيهم حتى تمكنوا من ايصال مجموع السكان الى عدد ٧١٠،٩١٠ افما قولك بهذه الشعوذة الظاهرة والتي لا يمكن اخفاؤها اذ لا شيء اوضح من الارقام ؟

وفضلاً عن انه يجب اعتبار عموم سكان بيروت من لبنان القديم كما سنبينه . فانه يجب الا ننسى ان كافة اصحاب وظائف الحكومة والمصالح والمهن من اهالي قرى لبنان القاطنين في بيروت لمعاطاة اشغالهم قد أجبرتهم الحكومة الحاضرة ان يأخذوا تذاكر نفوس من بيروت وهؤلاء لا يقل عددهم عن ١٥٠٠٠ نسمة وكذلك قل عن اللبنانيين الجبليين الموجودين في طرابلس وصيدا فقد أجبروا على مثل ذلك .

فمن اين اهتدى اصحاب الكريرسية الى هذه الارقام الوهمية حتى زينوا بها مقالتهم ؟

وكاني بهؤلاء المدّعين قطيع الغنم اذ يقفز اول رأس ضان من الخوف او لسبب ما فيتبعه سائر القطيع دون معرفة سبب وثوب الرأس . او الى اين يؤدي ذلك الوثوب . تشدّق احدهم صارخاً في احد المجالس : « يا قوم ما هذه الحالة نحن ندفع الضرائب وابناء لبنان القديم يتمتّعون بالوظائف ليس هذا من العدل » . فاخذ سائر القوم يردّدون هذه الجملة وامثالها في الجرائد والمرائض بدون تمييز وادراك . والذي

يلوح لي انهم يقصدون بقولهم ايضاً — كما يوضحون فكرهم الآن على صفحات الجرائد — ان المسلمين مهضومة حقوقهم وكل ذلك بسبب ابناء لبنان القديم عموماً والموارنة خصوصاً

فاين هو برهانهم يا ترى؟ كان الاولى بهم ان يظلّوا صامتين ولا يفتحوا هذا الباب الذي لا يجديهم نفعاً. فان الحقوق لم تزل اكثرها لهم رغماً عن قلّة عددهم وقد نال لبنان القديم عموماً والموارنة خصوصاً ضرر لا يخفى بسبب هذا الضمّ. واليك البرهان:

ورد في عدد البشير الصادر يوم الثلثاء في ١٧ نيسان سنة ١٩٢٣ جدول مأموري العدلية من مأموري نظارة ودائرة تفتيش وحكّام وكتبة وخدم في العاصمة وسائر انحاء لبنان الكبير. فوجدنا معاشات مأموري الاسلام السنيين اكثر من ضعفي معاشات مأموري الموارنة مع انهُ ثبت من الاحصاء ان الموارنة يزيدون عن السنيين بخمسة وسبعين الفاً من النسمات ! . . .

خذ الجمارك تجد ان الجداول الرسميّة تذكر ٣٦٧ مأموراً من اكبر مدير الى أدنى حارس. فمنهم خمسون فقط من المسيحيين على اختلاف طوائفهم واكبر مأمور منهم لا يتناول ثلاثين ليرة ذهباً والباقون البالغ عددهم ٣١٧ مأموراً كلّهم من المسلمين ومن جملتهم الناظر العام ومعاشهُ ٩٠ ليرة ذهباً ورؤساء الدوائر الخ. وبين كلّ هؤلاء لا تكاد ترى عشرين من ابناء لبنان القديم و ٣٤٧ من المحلّات المنضمّة

خذ الحكّام الاداريين والمتصرفين وعددهم ستة تجد اثنين منهم من المسلمين وواحد فقط من الموارنة — ويصيب لبنان القديم اربعة منهم والمحلّات المنضمة اثنين

خذ المديرين — اي النظّار كما يدعونهم الآن — تجد انه قبل استعفاء ناظر المالية الاخير كان خمسة منهم من البلدان المنضمة واربعة فقط من لبنان القديم وهذه اسماء هؤلاء الاخيرين: الامير فائق شهاب الدكتور يوسف منصور نجيب بك عبد الملك والفرنسي افندي ايوب

خذ النوّاب اعضاء مجلس الامّة وعددهم مع الرئيس ثلاثون ذاتاً تجد منهم ١٤ فقط من لبنان القديم و ١٦ من المحلّات المنضمّة

خذ قائمقامي الاقضية وعددهم ١٢ تجد منهم سبعة من لبنان القديم وخمسة من الاراضي المنضمة وامّا من حيث المذهب فانك ترى منهم ثلاثة من السنيين وثلاثة

من الموارنة . واذا قسمت القوم الى مسيحيين وغير مسيحيين فانك تجد منهم خمسة مسيحيين مع ان عدد ابناء مذاهبهم ٣٣٢،٠٠٠ من ٦٠٩،٠٠٠ المقيمين وسبعة من غير المسيحيين الذين لا يزيدون عن ٢٧٧،٠٠٠ نسمة من المجموع ذاته

أما اذا اتخذنا الطائفية اساساً لتوزيع الحقوق فنجد ان الموارنة خصوصاً والمسيحيين عموماً لم يزالوا مهضومي الحقوق . مضى علينا نحو ستمائة وخمسين سنة وليس للمسيحيين حقّ بشيء ولم تتكرّم الاكثرية حينئذٍ بالاعتراف بحقّ للاقليات واليوم اذ بدأت دولة الانتداب الكريمة تنظر بعين الانصاف الى الجميع وتحكم مبدأ المساواة بين عموم الاهالي غير مميّزة طائفةً او جماعة على سواها قامت قيامة هؤلاء الذين كانوا محتكرين لكلّ الحقوق فاخذوا يملأون الفضاء صراخاً يولولون ويتظلّمون مدّعين بانتهاك حقوقهم ! . . أهذا هو عدلهم ؟ أهذه هي حقيقة الاخاء الوطنية ؟ أليس كلامهم هذا وتظلّمهم الذي لاسند لهُ في الواقع برهاناً واضحاً على استبدادهم وعلى ما ينوون بنا من ضروب الاعتساف لو تغلّبوا علينا بالاكثرية ؟

ادخل دوائر الدفتردارية والنفوس والبوليس و . . و . . ألا تجد مثلنا انّ اولئك الذين يتظلّمون بلا داعٍ ولا سبب لم يزالوا مفضّلين على سواهم مع ان طائفتهم تنقص ٧٥ الف نسمة عن الطائفة المارونية

وان شئتَ زيادةً في الايضاح عن الاجحاف الملتحق بالموارنة خذ مثالاً نظارة العدلية . فان نظرت الى دائرة النظارة والمفتش وحكّام محكمتَي التمييز والاستئناف (دون قلّتهما) وهذه الدوائر هي مرجع كافة لبنان الكبير تجد ان مجموع معاشات هؤلاء الذوات يبلغ شهرياً ١٥٩،٧٠٠ غرش ذهباً تتوزّع هكذا بين الطوائف : للموارنة ٢٨،٨٠٠ غرش ذهباً فقط مع ان للمسلمين السنيين ٣٢،٨٠٠ غرش وللروم الارثوذكس ٣٣،١٠٠ غرش وللدروز ٢٥،٠٠٠ غرش وللشيعة ٥،٢٠٠ غرش ولليهود ٢،٠٠٠ غرش وللاتين ١٦،٢٠٠ غرش وللروم الكاثوليك ١٦،٦٠٠ غرش . فالموارنة هم ثلث سكان لبنان الكبير المقيمين ولا ينالهم سوى سدس مجموع المعاش بنيف قليل ! — واذا نظرنا من حيث لبنان القديم والمحلّات المنضمّة اليه نجد ان نصيب ابناء لبنان القديم من مجموع ١٥٩،٧٠٠ المذكورة هو ٧١،٠٠٠ غرش

فقط ونصيب المحلّات المنضمّة هو ٨٨،٧٠٠ غرش فاين هو استئثار ابناء لبنان القديم بالوظائف ؟

خذ ميزانية المعارف وهي لاتنقص عن ١٧٠،٠٠٠ ليرة تجدها كلّها اغير المسيحيين ان لم نقل انها للمسلمين وحدهم ومعظم هؤلاء هم من ابناء المحلّات الملحقة ! فاين رأيت استئثار الموارنة او ابناء لبنان القديم عموماً بالمنافع والمعاشات ؟

يجلس كاتب جريدة وراء طاولته فيخال له انه اذا كتب جملة رنّانة او استظرف سجعةً يكون قد أتى بالوحي المنزل ! . . . ألا اتقوا الله ايها الكتبة فيما تكتبون ولاتزيدوا مصائب هذه البلاد بما تأتون به من الترّهات التي تزيد في التعصّب والبغضاء.

بقي لي كلمة واحدة : هب ان العالم تغيّر وعادت العدالة اجيالاً الى الوراء وعدنا الى عهد ظلم طوى وسُلِخت عكّار وبلاد جبل عامل ووادي التيم واراضي بعلبك عن لبنان — مع انها اجزاء متممة لاراضيه — واتّبعت الوحدة السورية (ليتنّى للعدو التضييق علينا واماتتنا جوعاً كما حدث في عهد الحرب الكبرى) — قل لي ايها القارئ اللبيب ناشدتك الله كيف تؤخذ بيروت من قلب لبنان ؟ اين هي بيروت وكيف يمكن سلخها عن لبنان ؟ وباي ولاية يمكن الحاقها خلافاً عن لبنان ؟ اذا شاء استبداد الاتراك ان يستأثروا ببيروت ويضمّوها الى بلاد هي مفصولة عنها وضعاً هل يكون ذلك الاستبداد حقّاً مكتسباً يستند اليه لمقاومة العقل والتاريخ والطبيعة ؟ إجعلْ بيروت عاصمةً لمملكة الحجاز مثلاً ألا تبقى تُدعى جغرافيًا من ارض لبنان ومن تراب لبنان ؟ وايُّ عارٍ على هؤلاء الصارخين ان تكون مدينتهم عاصمة للبنان ؟

لو سألناهم لِمَن كانت مدينة بيروت تابعةً قبل سنة ١٧٧٥ فهل يعرفون الجواب ؟ وكم ندهشهم لو قلنا لهم ان بيروتهم التي سلخها احمد الجزّار عن جبل الدروز وحكومة امراء لبنان في سنة ١٧٧٥ كانت محصورةً ضمن سورها الذي لا تزال ابوابهُ معروفة الى الآن اي بوّابة السراي ورجال الاربعين والبدركة ويعقوب وادريس والصنطية اعني ان بيروتهم لم تكن سوى ما نسمّيه الآن باسم البلدة العتيقة او السوق فقط ؟ — امّا الساحل اى ما هو خارج هذه البوّابات اعني رأس بيروت والكراويا والباشورة والبسطة والصيفي والدحداح وسائر ما يؤلف بيروت الحالية فظلّ الى السنة ١٨٤٠

تابعاً للجبل ولامراء لبنان ومشايخه وكانت اكثر الاملاك فيها لهؤلاء الامراء والمشايخ

ولو اثبتنا لهم ان عدداً كبيراً من ابناء الطائفة الاسلامية الكريمة في بيروت هم من لبنان القديم ترى ماذا يجيبون ؟ سلوهم من اين هي عائلات الحسامي والبرجاوي والعريسي والعانوتي والبليني والسحراني والفيتروني والمزبودي وغيرها ؟

هذا اذا اقتصرنا على الاسلام وما قولك اذا انتقلنا الى النصارى وسألناك عن اقدم عائلاتهم البيروتية مثل طراد وفياض وداغر والجميلي والتيان وادّه والشويري والكفوري وسرسق والبرباري والبخعازي والفرزوزي والفيماني ويارد وشلفون وثابت وقيقانو وبتلوني والحايك من اين هم فماذا تجيب ؟

٣ الحجة الثالثة : حاجة البلاد الداخلية الى بيروت كمينا لها

اخيراً والمضحك اكثر من كل براهينهم قولهم بلزوم بيروت اسكلة للداخلية التي لا غنى لها عنها !! . يا لله ما ارهى واسخف هذه الحجة فاولاً لم تكن سورية يوماً من الايام بلاداً سياسية واحدة مع فينيقية لنقول ان بيروت هي اسكلة لدمشق لازمة لها . تصفح التاريخ تجد ان هذا الادعاء ليس له اصل . ثانياً ان الاتحاد السوري كما صار تشكيله له منافذ عديدة على البحر فهذه مدن اسكندرونة واللاذقية وجبله وطرسوس وغيرها أليست كافية لدول سورية المتحدة ؟ واخيراً ما هذا البرهان هل يكفي ان يكون جارك محتاجاً لارضك ليكون له الحق بتملكها ؟ او ليس هذا برهان غليوم الثاني لفتح بلجيكا لتكون له مدينة انفرس منفذاً لالمانية على بحر الشمال ؟ وهذا القياس يجعل للاقوياء الحق باستملاك اراضي جيرانهم الضعفاء . فأنعم به برهاناً منطقياً ومبنياً على الحق والعدالة !

الخلاصة

رأيت بالبرهان الحسي ان ابناء لبنان القديم لم يستأثروا حتى الآن بالوظائف لا بل ان تشييد دولة لبنان الكبير قد افقدهم قسماً من حقوقهم ورأيت ايضاً ان الموارنة بعيدين عن هضم حقوق غيرهم وانهم طالما غُلبوا على امرهم وفقدوا مما كان لهم في لبنان القديم ومما يحق لهم المطالبة به الآن

ومن جهة ثانية اننا نعجب من مطالبة هؤلاء موقعي العريضة وامثالهم بوظائف يدّعون الحقّ بها فاي حقّ لهم في دولة لبنان الكبير مع انهم طلبوا رسمياً قطع ما يثبت لبنانيتهم من تذاكر النفوس وهم يعلنون شكرهم للدولة المنتدبة لانها استجابت طلبهم . فاذا كانوا لا يقرّون بدولة لبنان الكبير ولا يريدون ان يكونوا لبنانيين فاي حقّ لهم بوظائف لبنان ؟

انني اجلّ الطائفة الاسلامية الكريمة وافتخر بصداقة كثير من وجوهها ومتنوّريها بل تشرّفتُ بالتعليم في اكبر معاهدها العلميّة فلا اراها تعتبر هؤلاء الصارخين والمتشدقين وكلاء عنها ترضى بكلامهم ومزاعمهم لاسيما وانها الركن الثاني لهذه الدولة الجديدة وبهتها كل ما يسير بهذه الدولة نحو التقدم والنجاح

أرى بعد كل هذا ان الاليق بهؤلاء المقلقين ان يعودوا لانفسهم ولا يقاوموا طبيعة المكان وحقيقة التاريخ والواقع وان يكرّسوا لمنفعة الوطن وخدمة هذه العاصمة تلك القوى والمساعي التي صرفوها حتى الان بمعالجة المستحيل غير الممكن . والاجدر بالحكومة المنتدبة الكريمة — وكلّنا يعلم محبّتها لخير هذه البلاد ورغبتها الى ارشادنا — ان تنبذ الطائفية جانباً ولا تنظر الّا الى الجدارة والكفاءة والمقدرة السياسية والادارية والعلمية لا غير — واذا كان لا بدّ لها في المدة الاولى من مراعاة جانب الطائفية فلتسِرْ وفقاً لما كانت سائرة عليه متصرفية لبنان القديمة اي فلتخصّص عدداً من الوظائف او مقداراً من المعاشات لكلّ طائفة بالنسبة الى عددها في المجموع وبهذه الطريقة تبطل المنافسة والمزاحمة الموجودتان الان بين الطوائف وينحصر سعي ابناء كل طائفة في مزاحمة بعضهم البعض لا غير دون التوصّل الى عداوات مبنية على التعصّب الذي هو اكبر آفات هذه البلاد حتى الآن انقذنا الله من وباله !

انتصار العرفان للوطنيّة والتاريخ

للاب هنري لامنس اليسوعي

وقع نظرنا على العدد الاخير من مجلّة العرفان وهو عدد ذي القعدة ١٣٤١ (حزيران

١٩٢٣) وقد تنسّمنا من مقالات اصحابه كما في الاعداد السابقة ريح الدفاع عن الوطنيّة والحضّ على درس تواريخنا الاهليّة ونعم الفكر. ولنا مقالٌ في السنة الاولى للمشرق (ص ٢٨١) أجمع القرّاء على استحسانه وكان عنوانهُ « هيّا على درس تاريخنا » فيسرّنا انّ كتبة العرفان يتّفقون معنا في نشر هذه الغاية . ولا حاجة الى الثناء على وطنيّتهم فان كلّ صفحات العرفان تشهد لهم في ذلك

على اننا نجد من وقت الى آخر في وطنيّتهم وتاريخهم شوائب تكدّر نوعاً صفاءهما. اقرأ مثلاً في العدد الاخير مقالة مدير المجلّة (ص ٦٦١–٦٦٤) التي عنوانها «نظرة في دمشق» فان في مدارجها اقوالاً يستشفّ من وراء قشرتها الوطنيّة ملامةً تجرح كثيراً من الوطنيين. وذلك ما يقولهُ جنابهُ عند بلوغ سيّارته الى صوفر قال :

وكان الظلام قد مدّ رواقهُ وكانت السيّدات والآنسات يَبرزنَ افذاذاً وافواجاً ومنّ يتكلّمن برطانة اعجميّة وانْ قلتَ لمَ لا يتكلّمن بلغة آبائهنّ واجدادهنّ ؟ قلتُ لك قد نسينها او تناسينها او عدلنَ عنها الى لغة امّهنّ الحنونة واحللنها مكاناً فسيحاً وصدراً رحباً في حوادث الصليبيين والستّين وفي هذا الدور دور الاحتلال وفراغ البال وعصر الرقص او (البال) واخواتنا اللبنانيّون عُرفوا من العهد القديم في اكرام الضيف ورحابة الثوى وفرنسا احسنت اليهم (وما جزاء الاحسان الّا الاحسان) ولا تسلني عمّا رايتُ بصوفر فاني لم اختلط بتلك الفئة الراقية . . .

ففي هذا الكلام من التهكّم ما لعلّهُ يليق بالوطنيّة الشيعيّة وهيهات ان يليق بالوطنيّة الصادقة . فانهُ جعل اللغة الفرنسويّة « رطانة » كأنّ اللغة العربيّة الدارجة في لبنان بين العموم اقلّ رطانةً من الفرنسويّة الفصيحة ! وما ادرى الكاتبَ ان هؤلاء السيّدات لم يكنّ من اجانب المصطافين ؟ وكانهُ يسخر باللبنانيين ويشكرهم نحو فرنسة « امّهم الحنونة » وكفى بذكره لعهد الصليبيين ولحوادث الشام سنة ١٨٦٠ داعياً لمنونيّتهم . ولو اختلط الكاتب بتلك «الفئة الراقية» لعرف لطفهم ولسكتوا اجلالاً لشخصه عن مآثر الشيعة في جبل عامل قبل ستين وهي اقرب الى ذهنهم من حوادث الصليبيين وسنة الستّين !

وفي هذه المقالة عينها من التسميات والتعريضات في حقّ الاجانب اي فرنسة ما يُنبي جناب الكاتب نعتها نحو قومه مع علمه «بانّ جزاء الاحسان هو الاحسان» فانّهُ في الصفحة ٦٦٢ يزعم انّ شركة السكة الحديديّة بل الشركات الاجنبيّة عموماً

«تستدرُّ خيراتنا وتمتصُّ دماءنا وهي بزعمها صاحبة الفضل والاحسان وربّة العظمة والشأن» (كذا)! فما لهُ اثاره الله لم يدَع «السيّارة» الاجنبيّة التي ركبها؟ والسكّة الحديدية الاجنبيّة التي احتاج اليها بعد تعطُّل سيارته؟ وما لهُ يلبس من رأسهِ الى قدمهِ الثياب الاجنبيّة؟. أما كان أليق بوطنيّتهِ ان يركب الجواد او بالحري الناقة العربيّة وهو ابن «راكب الناقة» ويلبس ثياب وطنهِ كالقميص والقباء والعباءة والجزمة والكوفيّة والعقال؟ فانّهُ بذلك يبرهن عن وطنيّتهِ اكثر من تنديدهِ بالشركات الاجنبيّة

وتراهُ في وصفهِ لدمشق يشيد بمحاسن المدينة امّ الجمال والابداع» ويذكر آثارها واهلها ورقيّها ولا ينسى الّا ما نالتهُ من فضل الانتداب الفرنسويّ بعد الازمة الفيصلية لا بل لم يجد هناك ايضاً سوى تقريع الاجانب حيث يقول (ص ٦٦٤) «وفي الشام شؤون وشجون لوّثت اعجميّة (كذا) نفضُ الطرف عن تفصيلها وبيانها لأنّا نحبُّ ان نكون كالنحل (ذات اللسعة الجارحة!) الذي يقع على الورود والازاهر لا كالجُعَل الذي يتهافت على القاذورات والاقذار» ومن ثمَّ على رأيهِ لم يجد في دمشق من اعمال فرنسة وفضلها الّا القاذورات واللوثات والاقذار. فتلك هي وطنيّة صاحب العرفان!!!

*

وكما ان مدير العرفان لم يَرعَ دائماً حقوق الوطنيّة كذلك التاريخ فانهُ ربّما بخس شيئاً من شأنهِ. وهو الكاتب في العدد الذي نحن بصددهِ (ص ٧٠١) مقالةً عنوانها «احترموا التاريخ ان لم تحترموا الدين». والشاهد على قولنا ترجمتهُ (ص ٦٧٩) لخولة بنت الازور الكندي فيُطرى شجاعتها واقدامها وتفوّقها وفصاحتها، ويسوءهُ ان ينسى اهل الوطن تلك المرأة آية عصرها ولا يذكروا سوى جان دارك الفرنسويّة او بعض الاسماء الاعجميّة ما ينبو عنهُ سمعُك. فيا جناب مدير العرفان أتعرف من هي خولة بنت الازور التي تعدُّها مرأةً عبقريّة مثال الشهامة والفروسيّة؟ تقول في آخر ترجمتها في ذيل المجلّة (ص ٦٨٢) انّك استندت الى كتاب ربّات الخدور؟ وهل بحثتَ عن الاصل الذي نقلت عنهُ صاحبة ربّات الخدور السيدة زينب فوّاز العامليّة. انّما نقلت ذلك من كتابٍ لا يعتبرهُ اهل النقد الّا روايةً خياليّة كسيرة عنتر منسوبة

زورًا الى الواقدي والواقدي بريءٌ منها لأنَّ كتابهُ فتوح الشام من التآليف الموضوعة بعدهُ بمئين من السنين والدليل عليهِ انَّ انشاءهُ مخالف تماماً لانشاء الواقدي وانك لا تجد ذكرًا لهذا الكتاب في ايّ تأليف شئت من تآليف الادباء الاقدمين حتى ولا في كشف الظنون للحاج خليفة . ولو امكنك ان تأتينا بسطرين فقط عن خولة بنت الازور التي سُحِرتَ باخبارها واشعارها المنقولة عن تأليف مصنوع كنَّا لك من الشاكرين . أفتريد بعد هذا ان ننسى «جان دارك الافرنسيَّة» التي اقرَّت بفضلها السامي مشايعتك السيدة زينب فوَّاز (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٩٠٨ — ١١٤) لكي نعظّم مآثر امرأة لا ذكر لها لا في كتاب الاغاني ولا في تراجم الصحابة ولا في تاريخ صحيح . اترى يا جناب مدير العرفان انك نسيت ما تبكّت غيرك على نسيانهِ حيث تقول : احترموا التاريخ ان لم تحترموا الدين »

وهل احترمتَ التاريخ يا جناب مدير العرفان اذ تصدَّيت للسيّد محمَّد كرد علي رئيس المجمع العربيّ (ص ٧٠١) واردتَ تفنيدهُ بخصوص ما كتبهُ عن يزيد بن معاوية ؟ فانَّ المجلَّد الضخم الذي نشرناهُ في سيرة واعمال هذا الخليفة الامويّ تبرّر جناب السيّد الذي بذكائهِ عرف ما لخلفاء بني اميَّة من الفضل على عاصمة الشام مباشرةً بمعاوية وابنهِ يزيد مهما سعى اهل الشيعة ان يشنّعوا عليهما . لقد اصاب السيّد كرد عليّ بقولهِ انَّ الخلاف الذي جرى بين بني اميَّة وعليّ بن ابي طالب انَّما كان من قبيل السياسة لا دخل للدين فيهِ كما انهُ حاول ان يثبت ان يزيد لم يكن ذاك الطاغية الشرّير الذي يصوّرهُ الشيعيُّون في كتبهم . وكفاهُ اثباتاً لرأيهِ ما رويناهُ عن الامام الغزّالي (١ الذي استحسن اسلامهُ وننكر ما يُروى عنهُ من حوادث كربلاء وهناك يقول : «وما صحَّ قتلهُ للحسين ولا امرهُ ولا ارضاهُ ذلك» ومن ثمَّ نهى الناس عن لعنهِ وختم بقولهِ «الترحُّم عليهِ جائز بل مستحبّ» . فماذا يقول صاحب العرفان بهذا ؟ او ليس هو الذي لم يحترم التاريخ ؟

نعم ولم يحترم التاريخ في مكان آخر (ص ٧٠٢) حيث قال عن سرجون « كان مولى لمعاوية وكان مسلماً » . فاين رأيت يا جناب كاتب العرفان انَّ سرجون هذا كان مسلماً ؟ فلو راجعت اقدم كتب الاسلام لتحقَّقت انهُ كان نصرانيًّا . فهذا

١) راجع كتابنا عن خلافة يزيد (Le Califat de Yazid 1er, p 490)

كتاب الاغاني وهو لاحد كتبة الشيعة المشاهير فانهُ يصرّح بذلك قائلاً (١٧ : ٧٠) : « كان يزيد بن معاوية ينادم على شرب الخمر سرجون النصرانيّ مولاهُ والاخطل » . ومثلهُ الطبري الذي يدعوهُ «الرومي ومولى معاوية» . ويعرف العلماء الاثبات انَّ من سلالتهِ كان ذاك الكاتب والشاعر والجدليّ العظيم القديس يوحنَّا الدمشقي فخر الكنائس الشرقيَّة . أفكلُّ ذلك دليل على احترام اصحاب العرفان للتاريخ الصادق ! والسلام

في البطريركية الانطاكية

بقلم حضرة القسّ اسحق ارمله السرياني (تابع)

٥ بطاركة المونوفسيين الانطاكيون من السنة ١٠٠٤ الى ١٢٩٢

٣٣ (يوحنا العاشر) يُعرف بابن عبدون انتُخب بطريركاً في ٦ تموز ١٠٠٤ ورسم ٤٩ مطراناً وشخص الى القسطنطينية في ستة اساقفة وعشرين راهباً في ١٥ حزيران ١٠٢٩ بأمر نيقيفور الملك فتباحثوا في مسائل الاعتقاد مع الملكيين ونصح لهم البطريرك القسطنطيني ان يعدلوا عن وضع الزيت بالقربانة وعن التصليب بالاصبع الواحدة فلم يذعنوا فنُفي البطريرك يوحنا الى بلغارية حيث انقضت انفاسه في ٢ شباط ١٠٣٠

٣٤ (ديونوسيوس الرابع) ارتسم بطريركاً يوم الخميس ١٤ تشرين الاول ١٠٣٢ فحرد عليه المفريان اثناسيوس لانه لم يحضر رسامته وكاد ينصب غيره . بيد ان البطريرك ديونوسيوس ذهب اليه متنكّراً وقام بخدمته تسعة شهور ثم عرفهُ انهُ هو البطريرك فاستغفره المفريان واستصحبه الى دير برصوما . وشرط هذا البطريرك ان تكون آمد وماردين مركزاً للكرسيّ البطريركيّ وكان البطاركة الى هذا الحين يتنقّلون من دير الى دير ومن مدينة الى مدينة . وتوفّي البطريرك ديونوسيوس في ٢١ اذار ١٠٤٢ ورسم ٣٢ مطراناً

٣٥ (يوحنا الحادي عشر) تقلّد البطريركية في ٢ آب ١٠٤٢ فامتعض المفريان لغيابه عن الرسامة . فتوجّه اليه البطريرك في اساقفته ورقوا ثلاثة صكوك في الجزيرة فحواها ان لا يُرسم بطريرك فيما بعد الّا بحضور المفريان ووُضع الصك الاول في تكريت والثاني في دير قرتمين والثالث في الجزيرة . وتوفي البطريرك في ايار ١٠٥٧ ورسم ٣٠ مطراناً

٣٦ (اثناسيوس السادس) ارتقى الى البطريركية في دير فاريس بحصن منصور سنة ١٠٥٨ في غياب المفريان فاستشاط عليه غضباً واتّفق مع اساقفته ونصب في ديار بكر الراهب يشوع بن شوشان بطريركاً وسُمّي يوحنا الثاني عشر . وتوفي البطريرك اثناسيوس سنة ١٠٦٤ ورسم عشرين اسقفاً من جملتهم بطرس بن الطريل مطران عرقه (١ الذي نبذ المنوفستيّة واعتنق الايمان الارثذكسيّ الكاثوليكي .

٣٧ (يوحنا الثاني عشر) تأيّد في البطريركية بعد وفاة سالفه وجعل مقرّهُ في ديار بكر . وكان مولعاً بالتصانيف والمطالعة حتى انه كان اذا سافر وجلس ليستريح يأخذ القلم يسرّد ويبيّض . ونسخ في شيخوخته ميامر مار افرام ومار اسحق اللفانين . وادركته الوفاة في ٦ تشرين الثاني ١٠٧٣ ودُفن في ضريح رخام أُقيم لهُ في كنيسة ديار بكر ورسم ١٧ مطراناً

٣٨ (باسيل الثاني) وفي كانون الثاني ١٠٧٤ ترأس باسيل الثاني وقضى نحبه في ميافرقين سنة ١٠٧٠ ورسم ستة اساقفة

٣٩ (يوحنا الثالث عشر) المعروف بابن عبدون نُصب بطريركاً ضدّ القوانين بحضور اربعة اساقفة فقط . وذكر ابن العبريّ ان فيلرطس القائد الارمنيّ رشا عشرة اساقفة فرسموه . ومن ثمّ انتقض عليه سائر الاساقفة واجتمعوا بالمفريان ونصبوا في ايار ١٠٧٧ الراهب لعازر بطريركاً ودُعي ديونوسيوس الخامس وظلّ ابن عبدون البطريرك حيّاً حتى سنة ١٠٩٥

٤٠ (ديونوسيوس الخامس) تأيّد في البطريركية حتى اختترمته المنية في ٢ كانون الاوّل ١٠٧٩

٤١ (يوحنا الرابع عشر) ارتقى الى البطريركية عام ١٠٨٦ وتغلّب عليه ابن

١) اسم لمدينتين احداهما في ملطية وهي المقصودة هنا والثانية شرقي طرابلس

عبدون وأثار عليه فلرطس الارمني صاحب قبدوقية فاذاقه عذابات فادحة . ولم يستمرّ في البطريركيّة الّا ستةً وستة اشهر

٤٢ (ديونوسيوس السادس) هذا دفع لفلرطس الارمنيّ ثلاثة آلاف دينار واستمال اليه اسقفين فرسماه بطريركاً سنة ١٠٨٨ لكن يوحنا المفريان لم يستعرفه بادئ بدء ثم أيّده حتى توفي سنة ١٠٩٠

٤٣ (اثناسيوس السابع) المعروف بابي الفرج ابن خمّاره الاموديّ تولّى البطريركية في ١ كانون الاوّل ١٠٩١ وحاول ابن عبدون ان يخلعه كسلفائه الثلاثة . بيد ان اثناسيوس رحل الى بغداد واستحصل فرماناً من الخليفة بعزل ابن عبدون واستعرافه هو ولمّا قفل راجعاً توفي ابن عبدون في حصن منصور ودُفن بأمر البطريرك قدّام باب الكنيسة . واشتهر اذ ذاك يوحنا سعيد ابن صابونيّ (١ مطران ملطية الكاتب البليغ وشقيقهُ باسيل ابو غالب الذي أرغم البطريركَ فسقّفه على الرها سنة ١١٠٧ وقال للرهاويّين «خذوه ولا تتهنّأوا» وما عتّم ان سخط عليه البطريرك وقطعه وكرّر جميع ما اجراه من الرسامات . واعتاد سريان الرها مذ ذاك ان يعمدوا أطفالهم في كنيسة الافرنج . وكان ابو غالب يقيم الطقوس البيعيّة بلا مصنفة ولا بطرشيل ولا عكّاز . وتوسّط السيّد برزدس بطريرك انطاكية الارثذكسيّ مع الاميرين الصليبيّين بغدوين وجوسلين في استعطاف خاطر البطريرك عليه فلم ينجحوا . وتوفي البطريرك يوم السبت ٨ حزيران ١٢٢٩ ورسم ٦٧ مطراناً و ١٥٤ كاهناً و ٢٥٠ شمّاساً

٤٤ (يوحنا الخامس عشر) جرت حفلة رسامته بطريركاً في ١٧ شباط ١١٢٩ في كنيسة الافرنج الكاثوليك بقلعة تلّ باشر بحضور جوسلين وارباب دولته الفرنساويّين . وتوفي في ايلول ١١٣٧ وقبل وفاته بسنة واحدة حصر الترك مدينة اطنة وكانت عامرة بالسريان اليعاقبة فدوّخوها ونهبوها وقرّضوا كنائسها وسبوا مطرانها ايونيس ابن الطويل الرهاويّ مع قسّانه وشمامسته وطائفة صالحة من الفتيان والفتيات (٢

١) اورد اسمه ابن العبريّ في تاريخه المدنيّ السريانيّ ص ٢٦٢ ووصفه يوحنا صاحب السذرات . وقُتل قبل وصوله الى ابرشيتهُ في ٤ تموز ١٠٩٦

٢) التاريخ السرياني الرهاوي الذي عُني بطبعهِ غبطة بطريركنا (ص ١٠١)

٤٥ (اثناسيوس الثامن) نُصب بطريركاً في ديار بكر في ٤ كانون الاوّل ١١٣٩ بوضع يد المفريان ديونوسيوس. وتحزّب الاساقفة وأبرموا شروطاً على البطريرك اضطرّ ان يقبلها. وفي كانون الثاني ١١٥٥ عقدوا مجمعاً رتّبوا فيه اربعين قانوناً رفضها البطريرك واساقفة المغرب اوّلاً ثم قبلوها اذ كانوا يرسمون كهنة بالرشوة مما حمل يوحنا ابن اندراوس اسقف منبج ان يهجو البطريرك بشعره المشهور. وعام ١١٦٥ اشار المطارنة على البطريرك ان يستوطن ماردين بدلاً من ديار بكر فنصب ابن الصليبي مطراناً لها. وهذا ابن الصليبي شرح الكتاب المقدس وصنّف كتباً شتى دينية وجدلية وتاريخية توفي سنة ١١٧١. واشتهر اذ ذاك طيمثاوس مطران جرجر الشاعر المتفنّن (+١١٦٩) ويوحنا مطران ماردين الخبير بالعلوم الطبيعية والهندسيّة (+١١٦٦) واهرون السجستاني اسقف الحديثة الذي نبذ المنوفستية واعتنق الايمان الكاثوليكي في القسطنطينية ثم حجّ الى اورشليم وسار الى جبل لبنان واقام عند السريان الموارنة حتى وفاته. امّا البطريرك اثناسيوس فاخترمته المنية في ١٤ تموز ١١٦٦ ورسم مفريانين و ٣٢ اسقفاً

٤٦ (ميخائيل الاوّل) الكبير تولّى الرئاسة البطريركية يوم الثلاثاء ٨ تشرين الاوّل ١١٦٧ بحضور ٢٨ اسقفاً والمفريان يوحنا السروجي. وبعد رسامته كتب صورة ايمانه وأوفدها الى بطريرك الاسكندريّة. ثم رحل الى دير الزعفران وسنّ ٢٩ قانوناً وقرّر ان تكون ماردين كرسيا للبطريركيّة. ثم ركب الى الرها فاورشليم عام ١١٦٨ وكرّس الميرون في دير السريان المعروف بدير مريم المجدليّة ثم ظعن الى انطاكية فأدخله الفرنج الى كنيسة مار بطرس بابّهة ورونق. وراسله نرسيس جاثليق الارمن في مسألة الاتحاد فاجابه البطريرك: «لا بأس من التسليم بالطبيعتين امّا حذف الزيادة من التريصاجيون وحُرم قدّيسينا فيتعذّر علينا قبوله. ومع هذا فما تصنع انت نصنعه نحن ايضاً»

وعام ١١٨٠ تمرّد ثاودرس ابن وهبون على ميخائيل الكبير (١) وحالف اربعة اساقفة فرسموه بطريركاً دخيلاً في ديار بكر. فاستحضره ميخائيل قسراً الى دير برصوما وخلع عنه الحلّة الحبريّة وحلق لحيته والبسه طربوشاً وثوباً بسيطاً وسرّحه فازداد ابن

(١) المشرق (١٠ [١٩٠٧]: ٦١٧)

وهبون مكابرة وقصد جاثليق الارمن فنادى باسمه بطريركاً حتى وفاته عام ١١٩٣ . وكان متضلعاً من السريانية والعربية ونظم شعراً عربياً هجا به ميخائيل الكبير وتوفي البطريرك ميخائيل في ٧ تشرين الثاني سنة ١٢٠٠ ورسم ستين اسقفاً والف كتباً شتى اشهرها تاريخهُ الكبير . وفي عهده ضبط المسلمون سنة ١١٧٠ الدار البطريركية السريانية بماردين وجعلوها جامعاً واستحلوا سنة ١١٧٢ كنيستها الكبرى التي شادها برصوما المارديني على اسم توما الرسول . وهذا البطريرك نصب يوحنا موديانا الرهاوي مطراناً لماردين فسار الى القسطنطينية وتبع الملكيين فنصبوه مطراناً لميافارقين (١

٤٧ (اثناسيوس التاسع) سُمي بطريركاً في ١٩ كانون الاول ١٢٠٠ فثار عليه المفريان غريغوريوس واستحضر يشوع ابن اخي ميخائيل الكبير ونصبه بطريركاً . فاستعرت نيران التباغض والتحاقد بين البطريركين وصار كل منهما يرشو الحكام ليستظهر على خصمه . فانقسمت الطائفة المنوفستية فرقتين واستُعرف ميخائيل الثاني بطريركاً في تكريت والموصل ونصيبين وماردين والخابور . واثناسيوس في سورية وبلاد الروم وطور عبدين حتى اخترمته المنية عام ١٢٠٧

٤٨ (ميخائيل الثاني) تأيد في البطريركية في آب ١٢٠٨ لكنه في السنة ذاتها خلعه اساقفة آمد والرها وطور عبدين ونصبوا بدلاً منه يوحنا السادس عشر . فرحل الى ملطية حيث كان ميخائيل الثاني . فخرج لاستقباله جمهور الاقليرس والشعب ولما وصلوا الى باب دار ثاودورس قريباً من دار ميخائيل الثاني أمر الاساقفة ان يصمت الشماسة فاندفع ثاودورس اسقف الرها يرنم بصوته الرخيم القاتم الذي مطلعه «اين انتَ اليوم يا يهوذا الخائن» ولم يحيدوا عن الدار حتى اتى على الترنيمة بأسرها . وتوفي ميخائيل الثاني عام ١٢١٥

٤٩ (يوحنا السادس عشر) تأيد في ٢٧ تموز ١٢١٥ وتوفي عام ١٢٢٠ واشتهر في زمانه داود بن فولوس مفسّر العهدين ومصنف المجادلة بين ملكيّ ويعقوبي وغير ذلك . وساويرا يعقوب البرطليّ صاحب كتاب الكنوز والرسائل والميامر والتفاسير وهو الذي أوجزَ فصاحة انطون الكريتيّ البليغ

٥٠ (اغناطيوس الثالث) هو المفريان اغناطيوس داود الخيشوميّ نُصب

(١) اطلب المشرق (١٠[١٩١٧]: ٩٩٦)

بطريركاً احد العنصرة ١٢٢٢ بعد وفاة سالفه بسنتين . ورحل مع اساقفته الى انطاكية وطرابلس وعكاً ولما وصل الى اورشليم استقبله الرهبان الفرنسيسيون وحملوه على اكتافهم من باب العمود الى دير المجدلية وكان يقطنه اذ ذاك سبعون راهباً سريانياً . ثم قفل عائداً الى انطاكية وشاد فيها كنيسة وقلاية لسكناه . وعام ١٢٣٧ كتب الاب فيلبس الكرملي من اورشليم الى البابا غريغوريوس التاسع يبشره بان البطريرك أدّى الطاعة للكرسي الرسولي . وأيد اقراره ثانية عام ١٢٤٧ مع يوحنا ابن المعدني المفريان وارسل كلٌّ منهما صورة ايمانه الى البابا انوكنتيوس الرابع (١ وحلّت وفاة البطريرك في ١٤ حزيران ١٢٥٢ وهو الذي نصب في ١٤ ايلول ١٢٤٦ غريغوريوس ابا الفرج ابن العبري المشهور بتآليفه الجمّة مطراناً لجوباس بملطية . وعُرف في زمانه الحكيم ابو سالم النصراني اليعقوبي الملطي والحكيم ثاذري الانطاكي اليعقوبي النحلة الذي احكم اللغة السريانية واللاتينية بانطاكية . . واتقن علم الطب

٥١ (ديونوسيوس السابع) هو اهرون عنجور مطران ملطية ارتقى الى البطريركية في ١٤ ايلول ١٢٥٢ خلافاً للقوانين . فثقل ذلك على المفريان باسيل يوحنا ابن المعدني فوافى الى حلب وارتسم بطريركاً في ٤ كانون الاول ١٢٥٣ ورحل الى انطاكية فرحّب به الفرنج وادخلوه الى كنيستهم لانه كان قد قرّر اعتقاده بالايمان الكاثوليكي عام ١٢٤٧ كما ذكرنا آنفاً . وشبّت نيران الشحناء بين البطريركين زمناً حتى عاد البطريرك ديونوسيوس الى دير برصوما وطفق يضيّق على الرهبان فنقموا عليه وفتكوا به فقتلوهُ قدّام درج المذبح ليلة السبت من اسبوع نينوى ١٧ شباط ١٢٦١

٥٢ (يوحنا السابع عشر) هو ابن المعدني المذكور تولى البطريركية وحده حتى سنة ١٢٦٣ وكان خبيراً بالعربية والسريانية وصنّف خطباً واشعاراً تستحق الذكر . وقد ورد في كتاب القرض خاصّة قرية عرناس بطور عبدين ما شرحه : « انتهى نسخ الكتاب في ٢٨ تشرين الاول ١٢٥٥ في عيد رؤساء الكهنة الذين تحفّزوا للخصام وهم البطاركة يوحنا [ابن المعدني ١٢٥٣—١٢٦٣] وتاودسيوس واثناسيوس (٢

١) طالع كتاب السلاسل التاريخية لجناب تنبكونت فيليب دي طرّازي (ص ١١٥—١١٧) وخطايس اسكندر (ج ١٥ راس ١ ف ٤ عدد ٣ ص ٣٧) ومكتبة السمعاني (٦ : ٤٠٤)

٢) طالع في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٦٠٥) سياحتنا في طور عبدين

فيتحصّل من ذلك ان المتوفيين آنئذٍ كان يرأسهم ثلاثة بطاركة ولعلّ المراد بثاودسيوس ديونوسيوس السابع سالف ابن المعدني . أما اثناسيوس فكان كما نظنّ بطريركاً في طور عبدين

٥٣ (اغناطيوس الرابع) خلف ابنَ المعدنيّ في ٦ كانون الثاني ١٢٦٤ وبعد رسامته بثلاثة عشر يوماً اقام ابن العبريّ في سيس مفريانًا للشرق بحضور اساقفة السريان والارمن . وتوفي البطريرك يوم الثلاثا ١٧ تشرين الثاني ١٢٨٣

٥٤ (اغناطيوس فِلُكسين) غرود الملطيّ نُصب بطريركاً في ٢ شباط ١٢٨٣ فشقّ ذلك على المفريان ابن العبري لانه لم يحضر الرسامة . وظلّ البطريرك في دير برصوما حتى اخترمته المنية في ١ تموز ١٢٩٢

٦ البطاركة المتوفيون الانطاكيون (١٢٩٣—١٦٦٢)

٥٥ (قسطنطين) وفي غرّة سنة ١٢٩٣ اجتمع قسطنطين مطران ملطية بثلاثة اساقفة فنصبوه بطريركاً في تشرين الثاني وفي الشهر ذاته رُسم اغناطيوس ميخائيل برصوما بطريركاً وجعل كرسيّهُ في قيليقية وتوفي قسطنطين بعد سنة فاستولى على البطريركية ميخائيل (١ . وفي ٢ شباط ١٢٩٣ أُقيم ابن وُهَيب ايضاً بطريركاً باسم اغناطيوس الخامس فأمسى المتوفيّون خاضعين لثلاثة بطاركة وهم بطاركة ماردين وقيليقية وطور عبدين . وتوجّه ابن وُهيب الى الملك المنصور الأرتقيّ صاحب ماردين (١٢٨٥—١٣١١) فأنعم عليه بصكّ التأييد في البطريركية . وعام ١٢٩٨ منحهُ التأييدَ الكنسيّ المفريانُ برصوما الصفيّ شقيق ابن العبري († ١٣٠٨)

٥٦ (اغناطيوس الخامس) هو ابن ابرهيم بن وُهَيب ويقال لهُ ايضاً بدر زخيا ارتسم بطريركاً عام ١٢٩٣ وتأيد عام ١٢٩٨ وادركه الاجل عام ١٣٣٣ ودُفن في دير الزعفران . ومن آثار قلمه شرح الالف با بالسريانيّة والعربيّة وتفسير القداس وتافور

١) تسلسل من ميخائيل البطريرك منذ سنة ١٢٩٣ الى ١٦٦٥ خمسة بطاركة كانوا يسوسون سورية وقيليقية . وخلف ميخائيل ارلهم عام ١٣١٣ يشوع بن شوشان ودُعي ميخائيل كسالفه . ووليهُ عام ١٣٦٩ باسيل جبرائيل مطران ملطية . وخلفهُ عام ١٣٨٧ فيلكسين مطران دمشق (+ ١٤٢١) ثم شمعون الجرجري الذي وضع عليه اليد بطريرك الاقباط . وتوفي في اورشليم عام ١٦٦٥ والفيت بموته بطريركيّة سورية وقيليقية

٥٧ (اغناطيوس اسمعيل) بعد وفاة ابن وُهَيب التأم ستة اساقفة في دير الزعفران عام ١٣٣٣ ونصّبوا ايونيس مطران آمد المارديني بطريركاً وسمّوه اغناطيوس اسمعيل . فعاكسه المفريان متّى حتو لانه لم يحضر رسامته وأبطل المناداة باسمه في جميع ابرشياته وظلّ يراجع ميخائيل بطريرك قليقية . وبعد اربعة اعوام عقد الاتفاق معه

ولمّا آثر البطريرك اسمعيل ان يورث البطريركيّة اخاه نور الدين كما ورث هو كرسيّ عمه ابن وهيب ناقضهُ الاساقفة وعاكسوه . وشبّت اذ ذاك فتنة عمياء بينه وبين سابا مطران صَلَح بطور عبدين فحرمه البطريرك اسمعيل . فانحدر اساقفة طور عبدين في جمهور من المشايخ الى ماردين يستمنحون البطريركَ العفوَ عن المطران سابا فاصرّ البطريرك على عناده . فانقلبوا الى الجبل ساخطين ونصبوا سابا بطريركاً في ٦ آب ١٣٦٤ وأيّده الملك العادل صاحب حصن زايد وسمّوه اغناطيوس وهو اوّل بطاركة طور عبدين (١ فامتعض اسمعيل من ذلك وزجّى اواخر ايّامه بالحسرات حتى قضى نحبه في ٤ حزيران ١٣٦٦ . وفي ايّامه جحد قوم من يعاقبة طور عبدين الايمان المسيحيّ ودانوا بالاسلاميّة وعُرفوا بالمحلّميّة وتبعهم نصارى رشمل وقباله ومعصرتا وغيرها . ذلك لسوء تصرّف هذا البطريرك . وكيفيّة الأمر انّهُ ادركت طور عبدين مجاعة شديدة واضطرتهم الى نقض الصوم فأنفدوا كبارهم الى البطريرك يستأذنونهُ في ذلك فأبى فألحّوا في الطلب فأيسوا وتحالفوا على الاسلام فأسلموا . واستمرّ جماعة منهم ثابتين في النصرانية لكنهم مرقوا من طاعة البطريرك اسمعيل ونصبوا سابا بطريركاً كما ذكرنا

١) توفي عام ١٣٨٩ وخلفه اغناطيوس يشوع (+ ١٣٩٦) ثم مسعود (+ ١٤٢٠) فاحنوخ العينوردي (+ ١٤٤٥) فقوما بن جفل (+ ١٤٥٥) فيشوع العينوردي (+ ١٤٦٦) فنيلكسين (+ ١٤٨٨) وخلفه البطريركان شابا العربي ويوحنا الجرجري ومات الاوّل سنة ١٤٨٩ والثاني سنة ١٤٩٣ فقام مسعود الرازي (+ ١٤٩٥) وله كتاب في السيرة الروحيّة اسمه « السفينة الروحيّة » . ثم ارتسم البطريرك شمعون سنة (١٥٦٩) فالبطريرك يعقوب سنة ١٥٥٣ فالبطريرك حبيب سنة ١٦٧٤ فيونان (+ ١٨٢٢) وكان في زمانه اربعة بطاركة في طور عبدين وهم يونان وآحا واشيا ويوسف (طالع مجلّة المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٦٦٤ و ٦٧٠)

٥٨ (اغناطيوس شهاب) هو ابن اخت البطريرك اسمعيل تولّى البطريركية عام ١٤١٢ ودُفن في دير الزعفران ورسم بهنام الحدليّ مفريانًا سنة ١٤٠٤

٥٩ (اغناطيوس ابرهيم الثاني) غريب تولّى البطريركيّة سنة ١٣٨٢ ولقي حتفهُ عام ١٤١٢ ودُفن في دير الزعفران ورسم بهنام الحدليّ مفريانًا سنة ١٤٠٤

٦٠ (اغناطيوس بهنام الاوّل) الحدليّ ارتقى الى البطريركيّة عام ١٤١٢ وأيده حاكم ماردين ونال فرمانًا من سلاطين تركيّة يؤيده في البطريركية. ولبهنام فضلٌ في الغاء بطريركية قيليقية والشام التي استغرقت ١٥٢ سنة. وهو الذي أوفد عبدالله اسقف الرها سنة ١٤٤٤ الى المجمع الفلورنتيني فقرّر امام اوجانيوس الرابع الحبر الروماني خضوعه للكرسيّ الرسولي (١ والّف ناقوراً رتّبه على الحروف الابجديّة وانشأ ميامر خشوعية وتوفّي في دير الزعفران عام ١٤٥٥

٦١ (اغناطيوس خلف) مطران الجزيرة سمّي بطريركاً في احد العنصرة ١٤٥٥ ولقي حتفهُ في دير الزعفران عام ١٤٨٤

٦٢ (يوحنا الثامن عشر) اختلف الماردينيّون في أمر رسامته فاصطفى قومٌ المفريانَ عزيز بن العجوز وقومٌ يوحنا بن شي الله (شيلله) الماردينيّ مطران الصور فتغلّب الحزب الثاني وارتسم ابن شي الله عام ١٤٨٤ وسمّي يوحنا الثامن عشر. وحصل بينهُ وبين المفريان خلافٌ طال سنتين وتوفّي في ١ تشرين الاوّل ١٤٩٤ ودفن في دير الزعفران

٦٣ (اغناطيوس نوح) البقوفاويّ اللبنانيّ تولّى البطريركية عام ١٤٩٤ وجعل مركزه في دير الزنّار بحمص وتوفّي في ٢٨ تموز ١٥٠٩ ودُفن في التلّ بمدينة حماة. وخلّف بعض الميامر والتصانيف السريانيّة والعربيّة

٢٤ (اغناطيوس يشوع) القلّي ارتسم سنة ١٥٠٩ وبعد سنة أُكرهَ على الاسلام فاسلم وانهزم الى قبرس وتاب توبة نصوحاً

٦٥ (اغناطيوس يعقوب الاوّل) بعد ما جحد النصرانيّة سالفهُ استدعاهُ الماردينيون من الشام ونصبوهُ بطريركاً سنة ١٥١٠ في دير الزعفران وفيه دُفن عام ١٥١٩

٦٦ (اغناطيوس داود) لم تطل مدّة بطريركيّته سوى سنتين لا غير ودُفن في

١) السلاسل التاريخيّة (ص ١١٩)

دير الزعفران سنة ١٥٢١

٦٧ (اغناطيوس عبدالله الاول) أصله من قلعة المرأة ترأس سنة ١٥٢١ وتوفي في دير الزعفران عام ١٥٥٧ وهو الذي اوفد القس موسى الصوري الى رومية فقرّر دستور ايمانه امام يوليوس الثالث الحبر الروماني واستأذنه في السفر الى فينّة حيث طبع عام ١٥٥٥ كتاب العهد الجديد لاول مرّة بالسريانيّة . وكان في اورشليم يومئذٍ مطران اسمه غريغوريوس يوحنا ثارت بينه وبين ابن الحديد شمّاسه ضغائن وأحقاد أفضت بالشمّاس الى ان يكتب اسم محمّد على كاغد ويلزقهُ ضمن حذاء المطران . ثم قصد ابا سيفين الوالي وأسرّ اليه بذلك . فاوفد من فوره في طلب المطران واستوضحه عن الامر فأنكر بتاتاً ففتّشوا الحذاء فوجدوا الكاغد مكتوباً عليه كما قال الشماس . فحنق الوالي وأمر بالتنكيل به فأوثق وسيق في شوارع اورشليم بين الضرب واللطم واللكم واخيراً شنقهُ واستحوذ على ديره ودير مار توما الرسول المعروف بدير العدس وابتناه جامعاً للمسلمين

٦٨ (اغناطيوس نعمة الله) الماردينيّ تولّى البطريركيّة عام ١٥٥٧ وكان بهيّ الصورة طيّب الحاضرة احبّه والي ديار بكر وكلّفه نسخ القرآن دون غلط . فنسخه البطريرك فاخذ الوالي يتصفّحه فعثر فيه على غلطة فأحضر العلماء والملاويّة فتخرّصوا على البطريرك وامروا بحزّ عمامته وتقويض كنيسته . امّا الوالي فلشديد شغفه بالبطريرك وضنّاً بحياته ألبسه عمامته والتفت يقول للحضور « ها هوذا بطريرك النصارى أسلم » فحار البطريرك وفرّ الى رومية وأدّى التوبة على يد البابا غريغوريوس الثالث عشر . وكان يقصد صورة العذراء ويخرّ امامها مفيضاً بالبكاء ولم يفتر من ذلك حتى فاوضتهُ البتول وطيّبت قلبه بغفرة خطيئته . فصوّر مثل تلك الصورة اقراراً بفضل العذراء وارسلها الى آمد في جزء من ذخيرة عود الصليب . واخترمته المنيّة في رومية عام ١٥٧٦

٦٩ (اغناطيوس بطرس الرابع) هو داود شاه شقيق البطريرك نعمه أفضت اليه البطريركيّة عام ١٥٧٦ وتوفي في قطربل بآمد عام ١٥٩١ واليه اوفد البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٨٣ سفيره السيّد ليوزد ابيلا مطران صيداء حاملاً اليه درع التثبيت آملاً ان يعتنق الكثلكة فاجاب البطريرك الى طلب الحبر الروماني ورقم صورة ايمانه وسيّرها اليه . وما زالت مصونة في المتحف الواتيكاني تحت عدد

١٦٩ غير انه ما لبث ان نكث عهده وعاد الى المنوفسيّة وهو الذي اشترى كنيسة القبط في اورشليم واسعف الرهبان السريان القاطنين دير والدة الله في برّية الصعيد(١

٧٠ (اغناطيوس بيلاطس) سيم بطريركاً عام ١٥٩١ وكان اصلهُ من المنصورية قرية غربيّ ماردين وتوفّي في حلب عام ١٥٩٧. ونصب اخاه عبد الغنيّ المغربان بطريركاً سنة ١٥٩٥ لكن الشعب رفضه وتوفّي البطريرك عبدالغنيّ عام ١٥٩٨

٧١ (اغناطيوس بطرس الخامس) هو من عشيرة هدايا الماردينيّة المنتسبة الى عشيرة البطريرك نعمه. ارتقى الى البطريركيّة عام ١٥٩٨ وتوفّي عام ١٦٣٩ وسار الى اورشليم ثم عاد الى حمص وصدّد والّف القاروب النافرة ورسم كاهنين احدهما من حمص والآخر من حردين

٧٢ (اغناطيوس شكرالله الاوّل) ابن صنيعة الماردينيّ خلف سالفهُ في البطريركيّة عام ١٦٤٠ وما كاد يستقرّ في كرسيّه حتى نهض المطران شمعون الطور عبدينيّ وخطف البطريركيّة في ديار بكر ونصب من فوره عبد المسيح الرهاويّ مطراناً وقال لمؤازريه «اريد ان يخلفني هذا في البطريركيّة» وقصد البطريرك شمعون مدينة حلب وانضمّ الى الكنيسة الرومانيّة على يد الاباء الكبوشيين وارسل دستور ايمانه المسطور في ١٢ اذار ١٦٤١ الى البابا اوربانوس الخامس (٢. وعام ١٦٥٣ حنق عليه المطران يشوع بن قشه الامديّ ودبّر على نفيه فنُفي الى جزيرة قبرس ثم توجّه الى بلاد الهند وأُلقي في البحر عام ١٦٥٦

فخلا الجوّ لابن قشه فخرج عن طاعة البطريرك شكرالله واختلس البطريركيّة سنة ١٦٥٥ وفي السنة ١٦٥٦ هجم الاكراد على دير الزعفران وأخربوه. فسار ابن قشه الى حلب وفيها مات سنة ١٦٦١ (٣ وتوفّي البطريرك شكرالله عام ١٦٦٢ (لهُ تابع)

١) اطلب ما ورد عن هذين البطريركيّين في المشرق (١٩[١٩٢١]: ١٢٨-١٤١)

٢) السلاسل التاريخية ص ١١٧ ومجلّة المشرق (٣[١٩٠٠]: ٩١٥)

٣) بعد وفاة البطريرك يشوع نُصب السيد اغناطيوس اندراوس اخيجان الماردينيّ بطريركاً في حلب للسريان جميعاً في ٣٠ آب ١٦٦٣ بوضع يد مكاريوس بطريرك الملكيين وهو اوّل بطاركة السريان الكاثوليك [الجزء الاوّل من الآثار الخطّية للاب انطون رباط ٦٦٥ و ٦٦٦] وكان لقبهُ بطريرك السريان واليعاقبة وبهذا الاسم نال البراءة السلطانيّة من محمد الرابع في ٢١ كانون الثاني ١٦٦٤ [اطلب السلاسل التاريخية ص ١٨٧—١٩٦]

الجليد الاصطناعي

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من المعلوم ان الجليد الطبيعي لا يوجد في كل الامكنة ولا في كل فصول السنة مع حاجة الناس اليهِ في احوال عديدة ، مثلاً في معالجة بعض المرضى وتخفيف آلامهم وفي استحضار المرطّبات اللذيذة اثناء الصيف وحمارّة قيظهِ ، وكذلك في صناعات شتّى لا مجال هنا لذكرها . كل ذلك يقتضي كميّاتٍ كبيرة من الجليد وهيهات ان تفي الطبيعة وحدها بما يتطلبه الانسان في هذا الشأن ومن ثمَّ قد التجأوا لسدّ هذا الخلل الى الجليد الاصطناعي . كفى شاهداً على ذلك ان الولايات المتحدة كانت تهيّئ من نحو عشرين سنة اربعة ملايين وخمسمائة الف طُنّ من الجليد الاصطناعي في السنة ، فبيع الطنّ منهُ في نيويرك باحد عشر فرنكاً ليس الّا ! ذلك فضلاً عن كون الجليد الطبيعي الذي يكسو بردانهِ الكثيف قمَ الجبال لا يصلح في كثير من الظروف للامتزاج بالمشروبات فانهُ يحتوي على موادّ غير الماء تؤذي شاربها

فلا غرو والحالة هذه ان قد شحذ العلماء والخبراء قرائحهم من عهد عهيد لايجاد طرائق سهلة وقليلة النفقة لاصطناع الجليد بمقادير عظيمة . فذهبوا في ذلك مذاهب شتى نكتفي هنا بذكر مبدإها ووصف بعض تطبيقاته

١ اصطناع الجليد

من اغرب الامور التي تكاد تخرج عن حدود التصديق ان الجليد يُصطنع بواسطة الحرارة ! اليك بيان ذلك بالايجاز : من الشائع ان سطح الموائع يتبخّر وان هذا التبخّر يزداد مع ارتفاع درجة حرارة الهواء المحيط به وسرعة تبدّل ذلك الهواء . ومعلوم انَّ التبخُّر يتوقّف على انفصال وانحلال دقائق المائع بحيث تتحول الى الحالة الغازيّة فلا بُدّ من صدور قوةٍ للقيام بهذا العمل الميكانيكي . والمصدر هنا هو ذاتُ حرارةِ المائع وظَرْفهِ . فيترتب على ذلك ان التبخّر يُبرّد كثيراً المادّة

المتبخّرة ومحيطها، هذا مبدأ كل آلات التبريد بل عليه يستند اصطناع الجليد

وقبل الخوض في هذا الموضوع الاخيرَ فلنضرب مثلين على صحّة النظرية السابقة. لا يخفى ان القُلَل والآنية الخزفيّة الجاري استعمالها في كل انحاء الشرق تبرّد الماء ولا سيما اثناء الصيف. وما سبب ذلك سوى تبخُّر الماء ليس فقط من سطحه المعروض للهواء بل من كل جوانبه الملامسة لداخل القُلّة وهذا بواسطة آلاف من مسامّ الصلصال. فلو صيغت القلّة من معدن آخر ايًا كان او من الزجاج نفسه لمّا وفت بالمراد لعدم وجود المسامّ المشار اليها. من المعلوم ايضاً ان تحريك المراوح يلطّف ألم الحرّ الشديد وما ذاك الّا بسبب تبديل الهواء المحيط بالوجه فينجم عن ذلك التبديل زيادة سرعة تبخر العرَق واخيرًا برودةُ الوجه ذاته

فهمتَ ممّا سبق ان تبخر الموائع وما يُنتجه من نقصان الحرارة هو ركن اصطناع الجليد. فايّ الموائع يا تُرى اختاره الباحثون لتلك الغاية؟ قد اختاروا طبعاً الموائع التي بتبخرها تُحدِث البرد الاشدّ وهي مع ذلك معتدلة الاثمان. وقد اشتهر بينها حاضرًا الحامض الكبريتي (acide sulfureux) والحامض الفحمي (acide carbonique) وكلورور المثيل (chlorure de méthyle) والهواء المائع ولاسيما النشادر.

امّا الجهاز المستخدَم لاصطناع الجليد ففيه ثلاثة آلات جوهرية. الاولى تدعى الضاغطة وهي التي تضغط بغاية الشدة على احدى الموادّ السابقة الذكر وهي في الحالة الغازية فتحوّلها الى مائع في الآلة الثانية واسمها المُكثِّفة (condenseur). ثم ينتقل ذلك المائع الى الآلة الثالثة المدعوّة المبرّدة (réfrigérant) حيث الضغط قليل جدًا فيتبخر في الحال المائع الوارد اليها ويُحدِث كما سبق التفسير بردًا شديدًا فيها وفي كل ما جاورها. ثم تنتقل مضخّةُ البخارَ المشار اليه الى الآلة الضاغطة فتتكرّر العمليّات الثلاث التي شرحناها وهلمّ جرّا. امّا الآلة المبرّدة فانها غاطسة في مائع غير قابل التجميد يخزن البردَ القارس الناجم عن تبخر المائع الآخر الآنف الذكر ثم ينقله بواسطة انابيب الى الاوعية المعدنية المراد تجميد مائها. وهذا التجميد بطيءٌ في الغالب ومدّتهُ مترتّبة طبعاً على ضخامة قطع الجليد المطلوب صنعها. مثال ذلك ان القطعة البالغ وزنها خمسين كيلوغراماً وسمكها عشرة سنتيمترات يقتضي تبريدُها ٢٦ ساعة،

والتي وزنها سبعون كيلوغراماً وسمكها ١٥ سنتيمترات تستلزم ٣٠ ساعة، واخيراً التي وزنها نحو مائة كيلوغرام لا تجمد في اقلّ من ٤٠ ساعة

وربّما لاحظ القراء الكرام ان الجليد المبيع في الاسواق ليس شفافاً في كل اجزائه وذلك بسبب توسّط آلاف من فقاقيع الهواء بين دقائق الماء المبرّد. فلو أُزيلت تلك بتقطير الماء كان الجليد كامل الشفوف على شرط ألّا يتعدّى سمكهُ نحو عشرين سنتيمتراً

ومتى صُنعت كميّات كبيرة من كُتل الجليد لزم حفظها على حالتها لئلّا تذوب شيئاً فشيئاً فيذهب عناء اصطناعها ونفقتهُ ادراج الرياح. فلهذه الغاية تُجعل تلك الكتل في مستودعات فسيحة لا ينقص البرد فيها عن نحو عشر درجات تحت الصفر. فعلى هذا المنوال تبقى الكتل كما هي اشهراً متوالية!

٢ بعض فوائد الجليد الاصطناعي

لضيق المقام نضرب هنا صفحاً عن الفوائد المعروفة لدى القاصي والداني ونجتزئ بذكر اشهرها وهو تقريباً في حكم المجهول بشرقنا العزيز. والفائدة الاولى حفظ الموادّ الغذائية ولاسيما اللحوم والفواكه سليمةً من التعفن. لهذا الغرض تُجعل تلك الموادّ الى حين بيعها في داخل البلاد او تصديرها الى الخارج في مخازن باردة الهواء فتبقى فيها اشهراً كاملة بدون ادنى فساد وان لم تُحطْ بكتل من الجليد. امّا تبريد هواء المخازن فيجري عادةً على احدى هاتين الطريقتين: الاولى ان يتبخر الماء المستخدم للتبريد في انابيب عديدة كثيرة الالتواء محيطة بجدران المخزن. الثانية ان يتبخر هذا المائع حول مستودع من الهواء فمتى بردَ هذا برداً كافياً انتشر في الانابيب على الصيغة المذكورة قبلاً. يحسُن بنا الملاحظة ان بين هذين الاسلوبين والطريقة المعروفة بالتدفئة المركزية (chauffage central) الشائعة اليوم في كل البلاد الراقية شبهاً واضحاً. وذلك بان يُجروا الماء المسخَّن في انابيب تحدق بالغرفة المراد تدفئتها فيكفي ان يُبرم مفتاح بالقدر المناسب للحصول على درجة الحرارة المرغوبة. وفي ذلك من الراحة والنظافة والسرعة ما أشاع هذه الطريقة. امّا نعتها بالمركزية فلأنّ مركز تدفئة الدار بكاملها واقعٌ في الطابق الاسفل على سواء الحضيض حيث تُركز

مراجل الماء مع كل ما يلزم لتسخينها

فلنعد بعد هذا الاستطراد المفيد الى حفظ الموادّ الغذائية بواسطة الهواء المجمَّد. لقد نالت الولايات المتحدة وارجنتين وأوستراليا وزيلندة الجديدة قصب السبق على سواها في هذا الميدان. فاستطاعت على هذا النسق ان تُصدر الى الخارج كميّات هائلة من الموادّ الغذائيّة لاسبيل لبيعها في داخل البلاد ولولا الطريقة المشار اليها لكسدت سوقها وحصل بكسادها خسائر فادحة. امّا الآن فانّ تلك الموادّ تُنقل الى كل انحاء اوربّة بل الى اقاصي الشرق ولا تمسها آفةٌ في سَفراتها الطويلة. وان كان السفر قصيراً، مثلاً من اميركة الشمالية الى انكلترة، فيكفي تبريد اللحوم الى نحو درجتين تحت الصفر وذلك في مثالج شائعة الاستعمال حاضراً في القطارات والبواخر. امّا اذا كان السفر طويلاً، من اميركة الجنوبية مثلاً او من اوستراليا الى اوربة او شمال افريقية، فلا بُدّ من تجميد اللحوم. فمتى وصلت الى محلّ استهلاكها أُزيل تجميدها وهي عمليّة دقيقة لا يُحكمها الّا اهلها. فبعد ذلك لا يستطيع احدٌ، مهما رقّ ذوقه، تمييز لحم البقر او الضأن المذبوح منذ اشهر من اللحم العبيط الحديث الذبح. ولمّا كان الانكليز يُكثرون من اكل اللحوم على اختلاف انواعها فلا عجب انهم يشترون كل عام مقادير عظيمة من اللحوم المجمَّدة الواردة اليهم من اميركة واوستراليا وزيلندة الجديدة. ففي ١٩٠٢ مثلاً قد ابتاعوا ٧،٢٠٠،٠٠٠ ضأن مجمَّد. وكفى شاهداً على اهمية هذه التجارة عدد البواخر المختصة بها المجهَّزة بكل ما يلزم لها وقد كان في اواخر ١٩٠٢ عددها ١٤٧ وبعض تلك السفن يسع ١٣٠،٠٠٠ ضأن!

ومن نحو ثلاثين عاماً حمل جيشٌ جرّار من الارانب حملةً شديدة على مراعي اوستراليا فاتخذت الحكومة لمقاومتها تدابير اسفرت عن قتل ملايين من تلك الحيوانات المفيدة في موتها اكثر منها في حياتها. ولكن مَن يشتري هناك تلك الكمية الهائلة من الارانب حتّى لو امكن بيعها بالبخس الاثمان؟ فتفادياً من هذين المحذورين باعت اوستراليا تلك الملايين من الارانب المجمَّدة من بريطانية العظمى فربحتْ هكذا ربحاً عظيماً

ليست لحومُ الأنعام الموادّ الغذائيّة الوحيدة التي يمكن نقلها مجمَّدة الى الاقطار الشاسعة بل يُستطاع ذلك ايضاً في الاسماك والفواكه والزبدة الى غير ذلك مما يطول

تعداده . من المعلوم مثلاً ان كميات وافرة من زبدة كندة وزيلندة الجديدة تُباع يومياً في اسواق لندن . ومثلها زبدة سيبرية تباع في اسواق اوربة بعد ورودها من اواسط آسية على ظهر القطار المعروف باسم قاطع سيبرية (Transsibérien)

اخيراً ان تجارة المواد الغذائية المقرَّسة او المجمَّدة ليست محصورة في التصدير الى الخارج بل هي واسعة النطاق ايضاً في المعاملات الداخلية بين مدينة ومدينة مثلاً . دليل ذلك انه كان لالمانية حول ١٩٠٢ نحو ٢٦٦ مَجزرًا تُقرَّس فيها اللحوم . ويمكن ايراد امثلة اخرى عديدة من هذا القبيل

لا بأس من ختم هذه المجالة هنا . على اننا نرى لذةً جديدة في اطلاع القارئ على تطبيق آخر ظريف للجليد الاصطناعي ، نعني ميادين الزلق الاصطناعية (pistes de patinage) المعروفة في بعض العواصم الكبرى باسم قصور الجليد (palais de glace) وقد بلغ اقبال الجمهور عليها بما لم يكن في الحسبان

فلاستحضار تلك الميادين يُشرع باصطناع ارضية (plancher) من الخشب قادرة على حمل عدد معلوم من الناس . ومن تحتها تُركَّز انابيب التقريس الناقلة لمائع لا ينقص برده عن نحو ٧ درجات تحت الصفر ، وهو الذي يجمِّد طبقة الماء المصبوب على الارضية . فمتى جُمدت جرى الناس عليها بالمزالق المعروفة (patins) . امّا تجميد الماء فيقتضي من نحو يوم الى ثلاثة ايام فما فوق وفقاً لاتساع الميدان . نذكر على سبيل المثل قصر الجليد بباريس فانَّ مساحتهُ تبلغ ٩٠٠ متر مربَّع ، ومساحة نديه بليون ١٢٠٠ متر

***

ذاك ما رأينا عرضه على قراء المشرق في شأن الجليد الاصطناعي . ولا مغالاة في قولنا انه من طرائف العلم العصري فانه غريب في مبداه واغرب من ذلك في تطبيقاته المتنوعة وغير المتوقعة التي كان لها تأثير عظيم على مجرى التجارة بين اقطار العالم وفي داخل كلٍّ منها .

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الغين

٥٧٤ ﴿غالوزّي﴾ هو الاب فرنسوا اليسوعي (Fr. Galluzzi) المتوفّى سنة ١٧٣١ . عرّب لهُ الخوري يوسف البستاني كتابهُ التحفة الدرّيّة في مناقب القديس لويس غنزاغا السنيّة . طُبع سنة ١٨٧٠ . ولهُ تسعة تأمّلات في مار انطونيوس الكبير عرّبها القس اندراوس اسكندر نسخةً منها في دير كفيفان اصلح عربيّتها القس نعمة‌الله الكفري . وقد طبعهُ القس افرام الديراني في كتابهِ المبشة الهنيئة (ص ٧١)

٥٧٥ ﴿غبريال ساويرس﴾ او السافيري هو مطروبوليت فيلادلفية المتوطن البندقيّة وصاحب عدّة تآليف دينيّة في اللغة اليونانيّة عاش في اواخر القرن السادس عشر (Lequien, Or. Chr. I,873) . ذكر البطريرك الانطاكي مكاريوس زعيم الحلبي انهُ اخرج لهُ من اليونانيّة الى العربيّة كتابهُ في الطقوس وكلندار السنة الذي كان اجتهد في جمعهِ ٣٥ سنة . منهُ نسخة في مكتبة باريس (Paris, Ms. 5084) وفي دير مار الياس رشميًّا للرهبان الروم الملكيين

٥٧٦ ﴿غرادينيغو﴾ امبروسيوس البندقيّ الراهب البندكتي المتوفى سنة ١٧٧٤ . وجدنا لهُ في حلب في مكتبتي الموارنة (ع ٤٦٧) والروم الكاثوليك كتابهُ المعنون بالقِرَق والرذائل . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة من كتاب آخر اسمهُ زهر الفضائل في ٤١ فصلًا يبتدئ بذكر فضيلة المحبّة

٥٧٧ ﴿غروتيوس﴾ الهولندي (Hughes Van Groot) المتوفّى سنة ١٦٤٥ . وقفنا في لندن على نسخة مخطوطة من كتابهِ "في حجة الشريعة المسيحية" عرّبهُ المستشرق ادورد بوكوك (E. Pocock) عن اللاتينيّة . وقد طُبع هذا الكتاب في مدينة هالة سنة ١٧٣٥

٥٧٧ ﴿غريغوريوس الكبير﴾ هو البابا القديس المتوفى سنة ٦٠٤ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٩٨٧–٩٩٨) : لهُ في مكتبة الموارنة في حلب تعريب محاوراته النفيسة . ترقى النسخة الى القرن الثامن عشر . وفي مكتبة الروم الكاثوليك في حلب ايضاً مسائل بطرس الى غريغوريوس البابا مع الجواب عليها . وهي نسخة جميلة فصيحة الانشاء من القرن السابع عشر

٥٧٨ ﴿غريغوريوس المنوّر﴾ هو رسول الارمن القديس في القرن الرابع للمسيح . قد باع مؤرخ الكتبي هيرسمان (Hiersemann, *Cat.* 500, n° 12) مخطوطاً عربياً على رقّ راقٍ الى القرن الحادي عشر يتضمّن ترجمة القديس غريغوريوس المنوّر بالعربيّة لم يُذكر مؤلّفها

٥٧٩ ﴿غريغوريوس النزينزي﴾ القديس المعروف بالثاولوغوس المتوفى سنة ٣٨٩ . تآليفهُ باليونانيّة عديدة تجدها في مجموع الآباء اليونان لمين وقد نُقل كثير منها الى السريانيّة والعربيّة . وممّا يوجد لهُ معرّباً بين مخطوطات المكاتب : ١ً عدّة ميامر يبلغ عددها في بعض المكاتب ١٦ ميمراً وفي غيرها ٣٠ بل في بعضها الى نحو المئة . منها نسخ في مكتبة الفاتيكان في رومية . وفي مكتبتنا الشرقية وفي مكتبة جامعة الاميركان في بيروت وفي مكتبة الثلثة الاقمار (تاريخها سنة ١٨٢١) وفي مكتبة كمبردج (Wright, II, 960) وقد ذكرها ابو البركات في قانته فعدّد منها ٣٠ ميمراً . ٢ً مقالات القديس غريغوريوس اللاهوتي . مجلّد ضخم في نحو ١٠٠٠ صفحة ناقص اوّلهُ في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب . والمرجّح انّ تعريب الميامر والمقالات المذكورة لعبدالله بن الفضل الانطاكي في اواسط القرن الحادي عشر . ٣ً مسائل القديسين غريغوريوس وباسيليوس في مكتبتنا الشرقية منها نسختان . وفي بيت الشمّاس شكري أيوب في حلب نسخة اخرى تاريخها سنة ١٧٨٢ . ٤ً رؤيا مار غريغوريوس وما شاهدهُ في السماء والجحيم . لعلّهُ كتاب مصنوع . منهُ ثلاث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة طُبع في مصر . ٥ً تسبحة التقديس المعروفة بالتريزاغيون وشرح المفريان شمعون الطوراني على مقالة القديس غريغوريوس فيها . منها نسخة في مكتبتنا الشرقيّة منقولة عن نسخة دير الشرفة . ٦ً تفسير ما قالهُ القديس غريغوريوس الثاولوغوس لتلميذهِ مار افرام . منهُ نسخة في بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيّة . ونظنّهُ مصنوعاً .

٧ً رسالة للقديس غريغوريوس في تشبه الانسان بطبائع الحيوان ويُدعى ايضاً «الفاظ القديس غريغوريوس عن الاشياء المخلوقة» . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقية . ونسخة في بيت الوجيه نقولا التويني . وقد نشر عيسى افندي اسكندر المعلوف هذه المقالة في مجلّة النعمة (٣ : ١٩٢ و٢٧٣) مع بعض اصلاحات . وهذه المقالة ايضاً مصنوعة لا ذكر لها بين اعمال القديس غريغوريوس اليونانيّة

٥٨٠ ﴿ غريغوريوس النوسي او النيصصي ﴾ هو القديس غريغوريوس اسقف نيصص واخو القديس باسيليوس المتوفى سنة ٣٩٠ م . ذكرهُ ابو البركات بن كبر في قائمةٍ معدِّدًا سبعةً من كتبهِ (ص ٦٨٠ Riedel) . ومما عرَّبهُ لهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي وغيرهُ : ١ً تفسيرهُ لنشيد الاناشيد . منهُ نسخ في مكتبة مدرسة الصلاحيَّة للاباء البيض وفي مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبتَيْ دير الشرفة ودير الشير (بخط الاخ توما قبَّاش سنة ١٨٣٨) . ٢ً تفسيرهُ لحكمة سليمان . منهُ نسخة في دير الشرفة . ٣ً وفيها تفسير سفر الجامعة ترجمهُ المطران دفائيل طوخي . ٤ً شرح عنوانات المزامير نسخة مخطوطة في مكتبة الموارنة في حلب اوقفها عليها احد تجَّار الانكليز المستر شرمَن تلميذ التولوي سنة ١٧٣٤ . ٥ً كتاب خلقة الانسان وهو تتمَّة كتاب الاكسيرون الذي وضعهُ اخوهُ القديس باسيليوس سنة ٣٦٠ للعالم (١٥٠٢م) . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقية الواحدة قديمة وهو على ما نظنّ الرسالة في تفسير الخليقة التي وجّهها الى اخيهِ بطرس وذكرها ابو البركات . ومنهُ نسخة في مجمع انتشار الايمان عنوانها الاحتجاج عن الخليقة . ٦ً كتاب الفردوس العقلي منهُ عدَّة نسخ : اثنتان في مكتبة الموارنة في حلب . واثنتان في مكتبتنا الشرقيَّة . واثنتان في مكتبة القس بولس سباط (ROC, 1920-21 nos 3 et 22) . ونسخة في مكتبة الروم في حلب وفي مكتبة دير الشرفة وقد وصف المرحوم الدكتور فون روزن (Von Rosen) نسخة بطرسبورج وصفاً واسعاً (Mss de l'Institut des Langues Orientales, n° 233) . ٧ً كتاب مختصر كنز الاسرار في مكتبة مجمع انتشار الايمان برومية يقال فيهِ «نُقل الى العربيَّة برومية الكبرى كتبهُ مكاريوس مطران دمشق في دير يسوع المخلّص سنة ١٧٢٦» . ٨ً كتاب الابواب في صفة طبيعة الانسان ترجمهُ من اليونانيَّة الى العربيَّة حنين بن اسحاق المتطبب وعدَّتهُ ٢٣ باباً .

ذكرهُ ابو البركات . ٩ً مديح القديس غريغوريوس للقديس افرام . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها سنة ٣١٢ ه ١٢١٥م . وقد نشرنا هذا المديح في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ٤٥٣و٥٠٦) . ١٠ً قداس السرائر للابن (كذا) ذكرهُ ابو البركات ص ٦٤١) . ١١ً كتاب ايساغوجي وهو المدخل الى قاطيغورياس يفيد في تقسيم المعاني وتفهيم اصول العقيدة التي عليها أُسست المباني (فيهِ ايضاً)

٥٨١ ﴿غريغوريوس الحبشي﴾ قد وجدنا لهُ في سياحتنا الى صيدنايا سنة ١٩٠٦ في دير راهبات الروم كتاباً عنوانهُ «مجادلة القديس غريغوريوس رئيس اساقفة مدينة كرسي الحبشة المدعوَّة كيفرا مع واحد عبراني» وغريغوريوس هذا هو على ما يظهر رسول اليمن المعروف بجرجاسيوس (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦]: ١٠٥١) الذي كان في القرن السادس للمسيح وقد ذكرناهُ وذكرنا جدالهُ مع هربان الرُّباني في كتابنا « النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٦٤—٦٥، ٣٢٩، ٣٦٩)

٥٨٢ ﴿ غرينيون دي مونفور ﴾ هو الطوباوي لويس ماريًا المتوفَّى سنة ١٧١٦ . عرَّب لهُ المرحوم الاب ادوار سلزاني اليسوعي كتابهُ « العبادة الحقيقيَّة نحو مريم البتول الامّ الالهيَّة » فطبعهُ سنة ١٩٠٥ . وهذا الكتاب تصرَّف فيهِ الطيب الذكر المطران يوسف دريان فقسمهُ فصولًا على عدد ايَّام الشهر المريمي ودعاهُ عبادة الشهر المريمي او تأملات شهر أيار وشهر تشرين

٥٨٣ ﴿ الغزّي ﴾ هو الشيخ سليمان بن حسن اسقف غزَّة الملكيّ بعد ارتدادهِ عن الاسلام في القرن الرابع عشر . ذكر عيسى افندي اسكندر المعلوف ترجمتهُ وبعض قصائدهِ وقال انهُ مات شهيدًا (النعمة ١: ٦١٩و٦٥٨) : ١ً لهذا الشيخ المتنصِّر ديوان شعر واسع وقصائد حسنة في مواضيع دينيَّة وادبيَّة . منهُ خمس نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة ترقى الواحدة الى القرن السادس عشر . ومنهُ ايضاً نسخ شتى في مكتبة القبر المقدس في القدس الشريف وفي دير المخلص وفي مكتبة بطريركيَّة الروم في دمشق وفي مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII, n° 89) . ٢ً لهُ عند حضرة الخوري قسطنطين الباشا وفي حلب عند المنسنيور جرجس منش رسائل وردود على المخالفين للامانة المستقيمة وعلى الهراطقة كآريوس واوطيخا ونسطور ويعقوب البرادعي وساويرس . ٣ً ولهُ عندهما مقالات في وحدانيَّة الخالق وفي التجسُّد

والصلب وفي الانسان والعالم. وبعض فصولها مسجعة. منها نسخة في مكتبتي الروم البطريركيتين في دمشق والقدس. ٤ ولهُ في مجموعة الاب قسطنطين الباشا مسائل واجوبة. ناسخها صفرونيوس بن موسى الطرابلسي ابن الحاج سليمان الطرابلسي البقروني الاصل سنة ٧١٥٢ للعالم (١٦٤٤م)

٥٨٤ ﴿غضبان﴾ هو الياس الحلبي الرومي الكاثوليكي. ألف كتاب رحلته الى زيارة القدس الشريف سنة ١٧٥٥ فوصف مزارات الامكنة المقدسة واخبار سفره منهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقية

٥٨٥ ﴿غنزالس﴾ هو الاب ترس غنزالس (Tyrse Gonzalès) رئيس الرهبانية اليسوعية العام المتوفى سنة ١٧٠٥ لهُ: كتاب تفنيد الشيعة ومعتقدات الاسلام، عربهُ في رومية احد المسيحيين سنة ١٧٢٤ وهو اليوم في مكتبة البروبغندا وقد طُبع اصلهُ اللاتيني سنة ١٦٨٩

٥٨٦ ﴿غوادنيولي﴾ ويقال كوادانولس (Guadagnoli) هو الاب فيلبوس الراهب الفرنسيسي المتوفى في رومية سنة ١٦٥٦. لهُ ١ ردّ على احمد زين العابدين الذي كان حاول تفنيد كتاب الاب جيروم كسانيه اليسوعي في اثبات الدين المسيحي المعنون «مرآة مُرينة الحق» فدعا تفنيدهُ «صاقل المرآة» فقام الاب غوادنيولي معارضاً لاحمد زين الدين ومدافعاً عن تأليف الاب اليسوعي بكتاب دعاهُ «اجابة القسيس الحقير كوادانولس الى احمد الشريف بن زين العابدين الفارسي الاصبهاني» وطبعهُ في رومية سنة ١٦٣٧ تحت مراقبة يوسف البعقليني ثمَّ جدَّد طبعهُ سنة ١٦٤٩ تحت هذا العنوان «براهين مختلفة فيما هو لشريعة الله بالحق». ولغوادنيولي ايضاً كتاب في قواعد اللغة العربية باللغة اللاتينية طُبع في رومية على يد الشماس يوسف البسلوقيتي من عيلة بيت هلال في جبل لبنان في مطبعة داود قمر (Luna) المارونى سنة ١٦٤٢

٥٨٧ ﴿غوبينت﴾ الاستاذ كرلوس غوبينت (Gobinet) من اساتذة مجمع سُربونا المتوفى في باريس سنة ١٦٠٠. في مكتبتنا الشرقية نسخة مخطوطة من كتابه «ارشاد الاحداث منذ الصبوة والشبوبية في منهج التقوى المسيحية» في خمسة اجزاء صفحاتهُ ٥٩٢ علَّقهُ بيدهِ الياس بن يوسف انطون خليل الصبّاغ بحلب سنة ١٨٥٧. منهُ نسخة اخرى في بيت الشمّاس الاديب شكري أيوب في الشهبا. وقد طُبع

الآباء الفرنسيسيّون هذا الكتاب في القدس سنة ١٨٧٩

٥٨٨ ﴿غودنسيو بنفيلي﴾ (G. Bonfigli) من ماتيليكة الراهب الفرنسيسي والقاصد الرسولي في سوريّة ثم في مصر المتوفّى سنة ١٩٠٤ (اطلب المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ١٧) . نشر في مطبعة رهبانيّته في القدس الشريف سنة ١٨٧٥ ملخّص حياة القديس لويس غنزاغا اليسوعي وكتاب مختصر الغفران الشهير بغفران مار فرنسيس (١٨٦٤) وله غراماطيق عربي في اللغة الايطاليّة طُبع مرّتين (١٨٦٨ و١٨٧٩)

٥٨٩ ﴿غوري﴾ الاب يوحنّا اليسوعيّ واللاهوتي البارع المتوفّى سنة ١٨٦٧ . لهُ كتابهُ الشهير الذي عنوانهُ مختصر اللاهوت الادبي . عرّبهُ من اللاتينيّة اوّلًا الخوري يوسف البستاني منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ثمّ عُني بتعريبهِ قبل اسقفيّتهِ المطران يوحنّا حبيب منشئ جماعة المرسلين الكرسيّين . وقد طُبعت هذه الترجمة في جزئين في المطبعة العموميّة الكاثوليكيّة (١٨٧٩–١٨٨٢) . ولهُ الفتاوى على كتابهِ اللاهوت الادبيّ في جزئين عرّبهما ايضاً الخوري يوسف البستاني ثم الاب دوناتوس (عطاالله) قرنيه اليسوعي ومن كلا التعريبين نسخة في مكتبتنا الشرقيّة

٥٩٠ ﴿غوم﴾ هو الكاهن الفرنسوي حنا جوزف المتوفّى سنة ١٨٧١ صاحب تآليف عديدة . عرّب لهُ الخوري يوسف العلّم كتابهُ المعنون بقداسة الكاهن فطبعهُ بالمطبعة العموميّة سنة ١٨٧٥

٥٩١ ﴿غويدو﴾ مطران مدينة والنسة في فرنسة وكاروز الملك في القرن السابع عشر لهُ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ثاني مواعظ عرّبها الاب اغناطيوس كليسون اليسوعي المرسل في حلب

٥٩٢ ﴿غوينار﴾ او كينار الاب انطون اليسوعي (A. Geynard) كان في القرن الثامن عشر توفّي سنة ١٧٨٠ . وجدنا لهُ : ١ً في غزير عند الخوري بطرس حبيش كتاباً بالغاً ٢٠٠ صفحة في التربية نظم فيهِ اقوال داود في مزاميره ومنهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة عنوانها كتاب بستان الحياة وسبيل مُهدي الخطاة . ٢ً وفي دير راهبات الزيارة في عينطورا نسخة من تعريبهِ لكتاب القديس فرنسيس سالازيوس عن سيرة الراهبات . ٣ً ولهُ هناك رسالة في الطاعة الرهبانيّة كتبها سنة ١٧٤٧ . ٤ً وفي ديرهنّ ايضاً ترجمة جوابات القديسة حنة فرنسيسكا دي شنتال الى بناتها عن

القوانين. ٥ وفيه ايضاً تعريب رياضات الاب بوردالو الواعظ اليسوعي سنة ١٧٥٨ .
٦ ولعلّهُ هو ايضاً الذي عرّب توانين القديس اغوسطينوس الذي عندهنّ وقد طُبع سنة ١٩٠٩ في المطبعة اللبنانيّة (جسر بيروت)

٥٩٣ ﴿ غيتون ﴾ الاب رينه اليسوعيّ (R. Guitton) المتوفّى سنة ١٩١٠ . عرّب حضرة الخوري بطرس ابو زيد تأليفهُ المعنون كتاب العفاف الى الشبيبة والناشئة المسيحية وطبعهُ في مطبعة حريصا سنة ١٩٢٠ (لهُ تابع)

كيف يجب أن أقضي يومي ؟

فوائد صحّيّة اخلاقيّة اجتماعيّة (١

للحكيم امين الجميّل

من الحقائق الاوّليّة انّ قيمة الشيء تُقاس على قدر شأنهِ ونفعهِ فليس اعتبارنا للرصاص اعتبارنا للفضّة ولا تقديرنا للدرهم كتقديرنا للدينار . كنتُ معجباً في حداثتي بحكيم من عظماء لبنان فأمعن النظر في اعمالهِ وتدقيقهِ في تسطير امورهِ فممّا قال لي: «اعلم يا بُنيّ انّ ما توازي قيمتُهُ غطّة القلم جدير بالاعتبار والتحرير » . فما قولنا بعد هذا عمّا تساوي قيمتُهُ الدنيا بل قُل السماء نفسها ألا وهو الزمان

انّ الزمان لمن اكبر نِعَم الله على البشر ! هو الذي يمكّننا من تمجيدهِ تعالى ونفع خلائقهِ في كلّ ساعات الحياة . لولاهُ لما استطعنا تنوير عقلنا بالعلوم وتهذيب نفسنا بالصلاح والتمتّع بآونة الرفاهية والهناء . بفضلهِ نصعد خطوةً خطوةً سُلّم الكمال حتى بلوغ الغاية

على انّ ذاك الكنز الثمين المُعطى للعاملين لا يمكن استثمارهُ الّا اذا رُوعيت نواميسُهُ على مثال الاشياء الثمينة التي لا يزيغ المرء عن قوانينها الّا ضلّ السبيل كما

١) هي المحاضرة التي القاها في نادي اخوّية القديس يوسف بحضور جلّة الاكليروس وكثيرين من الاعيان والاخوان

انَّ القطار اذا حاد عن خطتهِ تحطَّم وحطَّم . فالانسان الـذي في استخدام وقتهِ لا يُحسن مراعاة نواميسهِ يتيهِ ابدًا في فيافي الجهل والضجر والخمول ثمَّ يهوي الى دركات الذلّ بل الى هوَّة الشرّ او بالحري الى هوَّة الموت والهلاك وقد صحَّ القول القـائل : « من يقتل الوقتَ عمدًا او جهلًا يقتلهُ الوقتُ حتمًا »

انَّ الوقت قد جُعل للعمل ولا يخرج من حكم العمل زمنُ الاستراحة فانها في نظرنا عملٌ او بالحري « لا عمل » وهو لازم للعمل كما سترى

وللعمل شروطهُ وسُبلهُ وغايتهُ وتقسيمهُ يستطاع في دقيقةٍ منهُ رُبح الأجر العظيم او على عكس ذلك اجتراحُ الفعل الاثيم . وقد ورد في الانجيل : « لا يضيع أجرُ كأس ماء بارد يُعطى باسم الربّ » كما جاء فيهِ : كلّ كلمة بطَّالة يُؤدَّى عنهـا الحساب يوم الدين

فتنظيم الوقت ومراعاة نواميس العمل في ساعاتهِ ذلـك ما اخترتُـهُ كموضوع خطابي اليكم في هذا المساء . وقد عوَّلتُ على اتخاذ وَحدة الزمان اي « اليوم » في اكثر الاحوال للنظر في ترتيبهِ وإعدادهِ للعمل

١ تنظيم النهار — النهوض من النوم

كيف انظّم يومي ؟ واوَّلًا متى انهض من رقادي ؟

باكرًا باكرًا ! وليكن نهوضك سريعاً وتامًّا . فما أصدق القائل : نومة الضُّحى تقطع الرزق . وحبَّذا النشاط وفوائدهُ فكلٌّ يعلم كم يحلو العمل في ساعةٍ يصفو فيها الفكر ويسود الهدوء ويقلّ الضوضاء . ولو قُدّر لبلدِ التمادي في نوم الصباح لحظَّرناهُ على اهل هذه البلاد اذ ليس لنا للهمَّة على العمل ولإجادتهِ الَّا ساعات الصباح قبل اشتداد الحرّ الذي يهدم القوى الجسديَّة والمعنوية معاً . لـك يا هذا في عالم الخلق السيادة والتقدُّم فكيف تجيز لنفسك ان تسبقك الشمس والطيور وسائر الحيوانات الى تمجيد خالقهـا والقيام بمهمَّتها ؟

ربَّما ادهشنا ما يأتيهِ الرهبان والراهبات كالآباء اللعـازريين واليسوعيين واخوة المدارس المسيحيَّة وراهبات المحبَّة وغيرهنَّ من الاعمال الخطيرة في نهارهم ولعلَّ بعض السرّ في ذلك قيامهم الباكر للصلاة ثمَّ لمعاناة اشغالهم دون تريُّث . فهذه راهبات المحبَّة

في مأوى السلّ في بجنس وفي مستشفى بيروت وفي مياتهنّ وسائر اديارهنّ تزهنّ ينهضنَ للعمل منذ الساعة الرابعة صيفاً وشتاء .

فياناً للفرق في العمل بين الناهض سحرًا والمستغرق في النوم الى الضحى هاءنذا اضرب لكم مثلًا محسوساً في رجلين يمارسان مهنةً واحدة : هذا بطرس يثب من فراشهِ كل صباح الساعة الخامسة بينما زميلهُ بولس الذي سهر في السينما الى اواسط الليل لا يستيقظ من نومهِ الّا الساعة الثامنة او التاسعة فيكون بطرس سبقهُ الى الشغل بثلاث ساعات بينما هو يشخر وينخر . واذا اعتاد كلاهما ذلك بلغ الفرق بينهما في الشهر ٩٠ ساعة وفي السنة الف ساعة ويضاهي ذلك ما ينيف على شهرَين من الشغل فتأمّلا

هذا من قبَل التوفير فما قولنا بالنتائج الصحيّة فانَّ في النهوض الباكر منةً حسنةً وحسنة ولاسيّما للشبّان المعرّضين لآفة الاستمناء التي تتلف قواهم الحيويّة فانَّ انجع علاج لهذه الآفة منبهٌ يوقظهم باكرًا

الصلاة الى الله

وانت يا اخي متى انتبهت من النوم أهبُ حالًا الى خارج سريرك لئلّا تزرح تحت ميلك الغريزيّ ويغلبك خمول الكسل . بادرْ حالًا الى رفع عقلك الى العلاء مهبط القوّة ومصدر كلّ نعمةٍ وتوفيق مردّدًا صلاتك الى ابيك الذي في السماوات ليتقدّس اسمهُ ويبارك نهارك . صمّم العزم على اتّباع صراط الخير واجتناب طرق الشرّ لتقضي نهارك على احسن منوال هو في طاقتك . ولا تُكلّف نفسٌ الّا وُسعها .

ولقد جاهرنا بهذا الواجب نحو الله لأنهُ فعّالٌ في النفس من الجهة المعنويّة ايّ فعل . فانَّ الرجل الحكيم على رأينا هو الذي يسلّم خالقهُ إرادتهُ وقواهُ ويفزع اليهِ مؤتمرًا بوصاياهُ ممتثلًا نواهيهُ ويرتقي بآمالهِ ونيّاتهِ وامانيهِ الى السماء فمنهُ تعالى يستمدُّ الفطنة والتدبير في الادارة والهمّة في العمل والصبر على المصيبة والرجاء في الشدّة واليأس . فكم رأينا على هذا النحو ممّن بلغوا شأوًا من الكمال قصيًا فوجدوا في اشواك الحياة — وكم هي وافرة حادّةٌ — وردًا عطرًا اي مسرّة وفائدة . ولا أحيلكم في اثبات الامر الى مثل الشهداء او الى اقوال الاباء المصطفى بولس الرسول وانّما اذكر لكم

كلمةً للشاعر الفرنسويّ الشهير فرنسوا كوبه حيث قال : « لقد وجدتُ في كلام الانجيل في ساعات المرارة هذه القوّة العجيبة أنهُ حبّب اليَّ آلامي » وليس احد منّا يذكر كلام أيوب : « انّ الانسان مولود المرأة قليل الايام كثير الشقاء » الّا يفقه هذا التعليم لعلمهِ بعظيم فِعل حالة النفس والقلب في الجسم كما اوضحناهُ في كتابنا علم الصحّة حيث اثبتنا انّ التاعس الحزين فريسةُ المرض وانّ اكثر المصابين بالاوبئة اشدُّهم خوفاً منها . وفي بعض الامثال : من الخوف خافوا والغمُّ والهمُّ سمّ

حقوق البدن . الاغتسال . اللباس

وبعد صلاتك الى الله بادر الى قضاء حقوق بدنك نخصّ منها الاغتسال بالماء البارد في كلّ فصل لما يوليهِ الجسم من النشاط فانّهُ في الصيف يخفض حرارتهُ وفي الشتاء يزيدها بقوّة ردّ الفعل . وهو ينظّف ويصلّب معاً والنظافة في كلّ حال ومكان اساسُ الوقاية وركن السلامة . وعلى عكسها القذارة والوسخ مستقرّ الجراثيم ومنبتها ومرتعها

ولا بأس بعد ذلك ان يرتدي كلّ انسان بما يستحبُّ من اللباس او بالحري بما يطابق الذوق السليم على حسب حالتهِ ومكانتهِ . وانّما يجب ان يحيد عن لبس الثياب الضيّقة لئلّا تضغط على الاعضاء فتؤذيها . وليس الشرط في فصل الشتاء كثرة الثياب وانّما يشترط إحكامُها . ألا ترى انّ اشدّ اعضائنا احساساً بالبرد اكثرها استتاراً كما ان اكثر الناس تأثّراً بالبرد المتادون وفرة التدثّر والتلفلف

وهنا لا بُدَّ من تفنيد رأيٍ قديم في البرد ابداهُ الناس زوراً فقالوا انهُ سبب كلّ علّة . وهو حكمٌ سندُهُ في مخيّلة البشر ، وما أظلم البشر ، وها انا أُبطلهُ امامكم في هذا المساء . فقد ثبت لدى نطس الاطبّاء انّ البرد ينشّط الجسم ويزيد شهوة الطعام ويبعثنا على العمل ويجعل النوم هنيئاً . هو الذي يوقف نموّ جراثيم الامراض ويقتل الحشرات كالبعوض والذباب التي تنقلها ويمنع التعفّن والاختمار . قابلوا بين منافع البرد في قاطني شمالي اوربّة وفي انكلترّة وفرنسة وفي صرود لبنان وبين مضارّ الحرّ في اقاليم افريقية وآسية وفي سواحل البحر المتوسّط . ثمّ ان للبرد علاجاً بالاستدفاء والاصطلاء بالنار وقلّما نجد علاجاً للحرّ غير الهرب الى الجبل . ومن ثمّ يحقّ لنا القول :

قد ظلموك أيها البرد فالأولى بهم ان يقولوا عن الحرّ انهُ هو سبب الاسقام والامراض لا عنك انت

ثمَّ انَّ القانون الصحّي يرذل كلّ ما يصعب تنظيفهُ ويسهُل اتساخه كالذيول السابغة والمغابن وطيّات الثياب . وعلم الصحّة يتفق مع الأزياء و « الموضة » الشائعة في عهدنا لولا التهتُّك والخلاعة في بعض السيدات والاوانس . فقد سُررنا بخفّة وطأة المشدّ ذاك القفص الخانق للاحشاء وبقطع السيّدات ذيول تنانيرهنَّ واذنابها مكانس الغبار وتُفّ المسلولين كما لا تزال الى يومنا شائعةً في ملابس المصريين رجالًا ونساء كما في ايام الشاعر :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

فعسانا لا نسمع بعدُ الّا على سبيل « تُذكر ولا تُعاد » وصف تلك الاذيال التي قال فيها الشاعر متهكّماً :

هل رأيتم كفادني اذ أتتْ تسحبُ الرِّدا
تدخلُ اليوم ثم تَنْـ ـخُلُ اذيالُها . . غدا

وما لا شكَّ فيهِ انَّ البساطة في اللباس اجملُ زينةٍ فهي تلطّف سماجة القبيح وتزيد في رونق الجميل هي ستّارة العيوب وكشّافة المحاسن . امّا ما كان من اللباس والزينة منافياً للآداب داعياً للتهتُّك فهو كمثل الدواعي الى الفحشاء مستكرَه قتّال فحذارِ حذارِ منهُ

الصبوح — الشغل

الصَّبوح (الترويقة) ما يأكلهُ الصائم في الصباح قبل شغلهِ . وافضلُ ذلك ما كان من الالبان والثمار مع شيءٍ من الخبز فاذا انتهيتَ منهُ اسرع الى العمل ناموس الله في خلقهِ « بعرق جبينك تأكل خبزك » . على انَّ الربَّ الذي حكم على الانسان بالشغل رحيمٌ شفيق بالعباد فانهُ جعل لنا جزاء في العقاب اذ صيَّر لنا الشغل مقوّياً ومعزّياً ومصدراً للإنتاج ومورداً للارباح . ولله درّ المسيو ملران رئيس جمهوريّة فرنسة اذ نوّه بالشغل يوم كان وزيراً للنافعة في افتتاح معرض باريس سنة ١٩٠٠ فقال :

« أيها العمل يا شغلًا محرّر البشريّة ومقدّساً انت المشرّف انت المزّي . تحت اقدامك يضمحلّ

الجهل وحرب الشرّ. بك تتحرّر الانسانيّة من عبوديّة الظلمة وتترقّى صاعدةً دون كلالة الى تلك الطبقات العليا المنيرة حيث يتمّ يوماً الاتفاق السامي والتام بين القوّة والعدالة والصلاح»

والكسل نقيض العمل والبطالة اضرّ ما وُجد للنفس وأقتلُ ما عُرف للجسم لأن الانسان كما يقول الكتاب يولد للشغل كما يولد الطائر للطيران فالكسل يخالف طبيعة الانسان. قال فرنكلين: انّ سير الكسل بطيء فما أسرعَ ما تُدركهُ الفاقة. وقد سبقهُ سفر الامثال بقوله (٢٨ : ١٩). من يتبع الفُرّاغ يشبع فاقةً. ومن حكم فرنكلين ايضاً قولهُ: يقوم الفقر على باب المشتغل ولا يجسر على الدخول. ومن الامثال السائرة: انّ البطالة امّ الرذائل. وزد عليها انّها امُّ الامراض والعاهات وابرها. والعاطل في اللغة الفارغ من الشغل وعند العامّة هو الفاسد والشرير

شروط العمل

ولعلّ سائلاً يسأل وما هي شروط العمل ليتوافر الإنتاج مع اجادة العمل واتمامه براحة ورغبة وسهولة؟. فأجيب وجوابي يتناول انواع العمل جملةً:

١ً ينبغي الاقدام على العمل بفرح وهشاشة وطمأنينة وعزمٍ وعلى كلّ حال بصبر فانّ العمل المرغوب والشغل المحبوب لا يجد المرء فيه تعباً بل ارتياحاً وسروراً. وعلى خلاف ذلك شغل السخرة وما يعاكس ذوقنا فانّنا نعدّهُ شقاء وحظّاً تعساً

وليرافق الأملُ نشاطنا فانهُ عامل عظيم يسعفنا على العمل فإن فُقد كان الانسان كقاطرة بلا بخار او سيّارة بلا بنزين وقد قال الشاعر:

«اضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ»

فان تمّت هذه الصفات وأقبل الانسان على عمل يرغبهُ ويجدهُ ملائماً لذوقهِ ومشربهِ فقُلْ انهُ طابق دعوتَهُ بترتيب العناية. فإنّ من الناس من خصّتهُ الطبيعة بصفاتٍ توافق مهنةً دون سواها. فان تمسّك كلّ واحد بدعوتهِ نبغَ وتفوّق. فهذا وُلد ليكون طبيباً وذاك محامياً فان صار الطبيب محامياً والمحامي طبيباً ضلّا طريقهما وخسرا مستقبلهما

زار الوزير الشهير هانوتو أسرة بعض اصحابهِ فوجدهم كئيبين أسيفين فلمّا سألهما عن السبب قالوا: هذا ولدنا قد عاد من المدرسة في آخر السنة وليس في يدهِ جائزةٌ تدلُّ على اجتهادهِ. فسألهم عن ميلهِ الخاصّ الى علم ما او الى بعض الفنون. اجابوا: لا

يُحسن شيئاً البتّة وانّما يقضي نهاره لاهياً بالطيور وملاعبة الحيوانات وجمع الحشرات. قال هانوتو: دعوهُ اذن يتعلّم علم الطبيعة. فامتثلوا نصيحة الوزير وقد اصبح ذلك الولد اليوم احد نوابغ فرنسة في العلوم الطبيعيّة

٢ ولا بُدَّ للعمل من محرّك سامٍ وغاية شريفة كالقيام بالواجب وخدمة الفضيلة والعلم واصطناع المعروف نحو الوطن او القريب. لخفي على من يقصر نظرهُ في شغلهِ على غايات دنيّة كالربح الخسيس وحبّ الظهور والمزاحمة. وليذكر انّ سعادة الانسان ليست قطّ بكثرة المال كما أوضح ذلك لافونتان في مثل الصيرفيّ الذي كان مالهُ يقلقهُ ويُسهر جفنهُ والاسكافِ جارهِ الذي كان يطرب فرحاً في شغلهِ فيتسلّى بالاغانيّ الرخيمة فيسمعها الصيرفيّ ويزيد قلقهُ الى أن جرّب الاسكافَ بهديّة وافرة من المال شغلتهُ عن العمل وازالت راحة قلبهِ وأنستهُ أغانيَهُ المطربة فندم واعاد المال لاستعادة مسرّته. وأتعس من هؤلاء من يرمي في عملهِ الى الملاذّ وإرواء الشهوات فانّما مثلهُ مثل مستوقد نار كلّما زادها حطباً زادت اضطراماً

٣ ثمَّ انَّ للعمل مواقعهُ. فانَّ الشغل يصعب ويتعذّر اتقانهُ اذا كان النور ضئيلاً او كان المكان قذرًا او كانت ادواتهُ مخلّة. فحذارِ حذارِ من الشغل في مكان مزدحم يقلُّ فيهِ تجديد الهواء عنصر الحياة الاوّل. فهناك مستفرَخ السلّ ومنبت فقر الدم وغير ذلك من العلل. وليوقن الجميع انَّ لا حياة للانسان كما للنبات دون اشعّة الشمس وان الامراض تقلّ والصحة تقوى على قدر وفرة اشعّتها. فلا افضلَ للجسم من الهواء النقي ولا اسلم لهُ من نور الشمس مبيد الجراثيم الوبيلة ولذلك قيل: حيث تدخل الشمس لا يدخل الطبيب

٤ . ومن شروط العمل ترتيبهُ ونظامهُ واعتيادهُ ريثما يرسخ فينا فانَّ الثبات كفيلٌ بالنجاح وقلّما تأتي الشجرة بثمر ان تكرّر نقلها من مكانها. اذكروا بعض معارفكم تروا انَّ بعضهم بثباتهم فازوا بالمرغوب على قلّة مواهبهم على خلاف غيرهم الذين لم يتوفّقوا في امورهم لتنقّلهم من عمل الى آخر مع وفرة ذكائهم. اجلْ انّ في ذلك سرَّ النجاح في الافراد وهو سرّ تقدّم بعض الامم والممالك والجماعات

٥ ومما لا يجوز السكوت عنهُ بين شروط العمل الاستراحة فانّنا شديدو الاحتياج للراحة بعد العمل احتياجنا لاستئناف العمل. فانَّ الكتاب يذكر انَّ الله

استراح في اليوم السابع وهو الذي جعل الليل للراحة كما جعل النهار للشغل وتدلُّنا الطبيعة عينها على انَّ النوم يتبع اليقظة وعلى انَّ التعب في العمل يدعو الى الامساك عنهُ برهةً . والتجربة تبين انَّ أقرب الناس الى الوَصَب والتقصير ثمَّ العجز الذين يواصلون العمل بالعمل ولا يعرفون الراحة لا يوم احدٍ ولا عيد . فالقاعدة التي يحسن بك حفظها ان تحيد عن التقصير والافراط معاً لأنَّ خيرَ الامور اوساطُها

روى بعضهم عن القديس يوحنَّا الانجيلي الرسول انَّ صيَّادًا مرَّ بهِ فرآهُ يتلهَّى بملاعبة حَجَلةٍ فتعجَّب من فعلهِ وسألهُ كيف يستطيع رجلٌ مثلهُ ان يضيع وقتهُ في هذا اللهو فقال: وانت يا ابني لماذا لم تُبقِ قوسَك موتورةً . اجاب : لئلَّا تفقد مرونتها وقوَّتها . فقال القديس : كذلك انا اريح قليلًا عقلي ليسلم ويزيد صلاحاً للعمل

والقاعدة في ذلك ان كلَّ ساعة او ساعتين تجعل للعمل فترات اي بضع دقائق تقضيها في الهواء النقي بمشاهدة الطبيعة . ويشير الصحيون ان يُقسم اليوم ثلثة اقسام متساوية للشغل والراحة والنوم اي ٨ ساعات لكل قسم . واذا اشتغلتَ تفرَّغ لشغلك بكل قواك وانبذ كلَّ ما يلهيك عنهُ واذا استرحتَ أقصِ عنك الافكار وظلَّ مع عملك فرحَ القلب خالي البال بموجب قول الرسول : افرحوا واقول ايضاً افرحوا دائماً بالربِّ لأنَّ بالفرح الطمأنينة وعافية النفس والجسد وافضل مساعد في جهاد الحياة . واذا قضى العامل صباحهُ على هذا الاسلوب بلغ الظهر دون ان يشعر بالملل بل بشهوة شديدة الى الطعام

الطعام — المكرات — الترفيه

يُستحبُّ لتناول الطعام ان يكون في مكان نزه وليتقدَّم عليه بفكر رائق ليكون هنيئاً مريئاً بعد غسل اليدين مما يعلق بهما من الادناس وجراثيم العلل . وقد بان بالامتحان انَّ اصلحَ الطعام واسهلهُ هضماً ما كان شهيًّا وتناولهُ المرء في ظروف شهيَّةٍ وبيئةٍ حسنةٍ لازدياد العصير الهاضم واشتداد قوَّته . ولا حاجة قبل الطعام الى كأس من العرق ولا الى «المزَّة» فقد كذب من قال بانَّ « العرق يفتح القابليَّة » فانَّ شهوة الطعام وهضمهُ يورثهما الشغل دون سواه . ومنهُ المثل المشهور : يهضم الانسان بيديهِ ورجليهِ كما يهضم بمعدتهِ

ولا يسعنا هنا الكلام عن الموادّ الغذائيَّة بالتفصيل وكفى لذلك بتلك النصيحة الذهبيَّة القائلة : « الاعتدال في كلّ شيء وحال »

اللحوم حسنة بشرط جودتها وسلامتها من جراثيم الطُّفيليَّات والمكروبات الوبيئة . الحبوب من افضل المآكل واغذاها تضمن للجسم الوَقود اللازم لمستوقد الجسم كما انها تشتمل على جانب مما يلزم لتجديد انسجة الجسم والاعتياض عن دثورها . البقول والخُضَر والثمار لذيذة ولو اقلّ غذاء ولاسيَّما ما كان منها غضاً طرياً . ولا بُدَّ من نظافتها لمباشرتها التربة والسماد . وفوق كلّ لا بُدَّ من مضغٍ كافٍ وان لا نجلس للطعام الّا ونحن نشتهيه ونقوم عنهُ مع شهوتهِ فانَّ التخمة والافراط في الاكل آفةٌ للعقل وللجسم معاً وقد قيل : « ما ملأ ابنُ آدم وعاء شرّاً من بطنهِ »

امَّا الماء فلا يشترط في شربهِ الّا ان يكون نقيّاً فانَّ كثيراً من الامراض كالحمّى التيفونديَّة والزُّحار والكولرا لا تنتقل جراثيمها الى الانسان الّا بالماء . تعلمون انَّ هذه العاصمة قبل السنة ١٨٧٥ كانت تشرب من مياه الآبار الواقعة في الجنائن فتتحلَّب اليها اوساخ المراحيض وادران السماد فكانت التيفونيديَّة مقيمةً ابداً في ربوعها . وكم كان يفتك في اهلها من وباء الهواء الاصفر لاسيَّما في السنين ١٨٢٠ و١٨٤٤ و ١٨٦٥ و ١٨٧٥ . فلمَّا انعم الله علينا بمياه نهر الكلب بلَّغتها شركة المياه الى بيروت في قساطل حديد محكمة نجت بيروت من تلك الآفة على خلاف غيرها من المدن كالشام وطرابلس وحلب التي يفتك بها الداء فتكاً ذريعاً حيناً بعد آخر

وما قولنا عن المشروبات الروحيَّة . انَّ علم الصحَّة كالفلسفة يحذّر معاقرة الخمرة فكيف يسعى في جنون بل في علَل وشرور مَن عَقَل ! فانَّهُ ليس في الجسم عضوٌ الّا يُتلفهُ المسكر ويحوّل شبابهُ الى شيخوخة . يقول الكتاب انَّ في الخمر الدَّعارة وعليهِ تشهد المستشفيات والمآوى فتزيدنا ضحايا المسكرات كراهةً لها . واني لا أُسهب الكلام في هذا الموضوع بعد ما وفاهُ حقَّهُ امامكم زميلنا وصديقنا الدكتور حبيب الدرعوني ثمَّ اخونا الفلبوني فبيَّنا ما في المسكرات من الاضرار . وكفى الدليل على ذلك انَّ العمى الادبي والحبّي والجنون والشلَل والغُثم والسكتة والقروح يُطلّها السكر والخلاعة

وكأني هنا اسمع بعض الحضور يقول لي : لقد ضيَّقتَ يا حكيم في شأن المشروب . نعم اني لو كنت على ثقة من اكتفاء شاربي النبيذ بقليل منهُ مع الطعام

كما يفعل كثير من الاوربيين لما تعرَّضتُ لهم الّا انَّ الامر غالباً ليس كذلك فاليوم النبيذ وغداً البيدة اي المسكرات المبيدة للصحّة كالعرق والكونياك والوسكي. اليوم كأس وغداً كؤوس. اليوم الحسينية وغداً الألفيَّة فان طريق الشر كمنحدَر جبل لا يأمن الجاري فيهِ من الزَّلَق والسقوط في قعر الوادي. ومن ثمَّ نؤيّد تحظير الاسلام والدروز على ذويهم شرب الخمر فيعدُّونهُ رجساً من عمل الشيطان كما انَّنا نثني على الشريعة الحديثة التي سنَّتها الولايات المتحدة قاضيةً على بيع المسكرات على الاطلاق

وقد يُتساهل بعد الطعام بتدخين لفافةٍ من التبغ وشرب فنجان من القهوة. وانَّما الاولى ان لا يتقيَّد العموم بهذه العادات التي تُصبح ملكات يصعب التحرُّر من رقِّها. وعلى كلّ حال يجب الحذَر من الافراط

ولاني ذكرتُ التَّبغ يخال لي انكم راغبون في بعض الايضاح عنهُ فاقول: تلك عادة سيئة شاعت في كلّ الاقطار وذاعت بين كلّ الطبقات ذيوعاً كنَّا وددناهُ لما هو أنفع وانجع حتى ألِفَتهُ البدويَّة التي لم تعرف شيئاً من ازياننا وطُرق معيشتنا فانَّ غليونها لا يكاد ينطفئ

انَّ في التَّبغ سمًّا قتَّالاً يُدعى نيكوتين يبلغ فيه من ٢ الى ٦ في المئة. ومقدارُ قمحتين منهُ كافٍ ليقتل حصاناً في اربع دقائق. فعلى اساتذة المدارس ان يُبعدوا التلامذة عن شربهِ. فانَّ شربهُ ضررٌ لا نفع فيهِ لا يستطيع شاربهُ ان ينبذ عادتهُ الّا بشقّ النفس. ذلك على ما في شربهِ من النفقات التي ربَّما زادت في السنة على ٣٠٠٠ غرش. فيا ليت هذه النفقة تُصرَف في سبيل البرّ فيذخر شارب التبغ لنفسهِ اجراً وينجو من عواقبه المشئومة

وليست عادة القيلولة بمستحسنة لما تورثهُ من الأرَق ليلاً وما تُخلفهُ من الخمول. وان عرضَ النوم لاحدٍ في الهاجرة فليكن لهنيهةٍ قصيرة جلوساً لا اضطجاعاً

شغل الماء — العشاء — السهرة

وبعد هذه الساعة من الراحة الواجب تضاؤلها بالجذل والمرَّة فليعودنَّ كلّ الى عملهِ الى المساء مع فترات تتخلَّلهُ وتساعد على مواصلتهِ بالجدّ والحزم بحيث لا تتجاوز ساعات الشغل من ثماني الى تسع ساعات في النهار

وما ألذّ بعدهُ ساعاتِ الراحات التي يصرفها المرء في عيلتهِ مع شريكة حياتهِ وبنيهِ عصافير الجنّة. ويحسن وقتئذٍ التسلية ايضاً بتربية الأزهار والعناية بالدواجن من دجاج وحمام وارانب دون الكلاب والقطاط حَمَلةِ الاوساخ والجراثيم المُعدية يدلّلها اهل البيت فيتلوّثون بالعدوى . وقد غلب على ظنّي في الشتاء الاخير انّ أُسرة كريمة بُليت كلّها بالنزلة الصدريّة الشديدة دون الخدَم فلم اجد تفسيراً لذلك الّا تدليلهم لكلب البيت وملامستهِ. وما قولنا بالنفقات التي تُصرف على هذه الحيوانات بينما ابناء جنسنا من فقراء ويتامى يتضوّرون جوعاً أليس هذا جرماً اجتماعيًا في حقّ قومنا وهم من لحمنا ودمنا ؟

ومن أفضل طُرق الاستراحة للعَملة قراءة صحافة صالحة او بعض كتب مفيدة وتقويّة كالاقتداء بالمسيح وتراجم القديسين او افاضل الناس . ويحسُن بالمشتغلين في نهارهم بالاعمال العقليّة ان يتلهّوا بالاشغال اليدويّة والزراعيّة . وليس اوفق للاستراحة من سهرةٍ على السطح او في البستان وكذلك التنزّه في البرّيّة وترويض خفيف للجسم

وهيهات ان أُعدّ بين ضروب الراحة التردُّد الى الحانات والمسارح ومشاهد السينما حتى القهوات فانها بيئات فساد الهواء والاخلاق وموارد العلل جامعةٌ في الغالب بين اوبئة النفس وآفات الجسد . فهناك يفقد المرء حُبّ الأُسرة ولذّة العيلة وبساطة العيش بعشق المُسكر والدعارة . هناك تتسرّب الى القلب التعاليم الكاذبة المموّهة بمظاهر الحقّ ووجوه الصلاح . هناك نستطعم شجرة معرفة الخير والشرّ لظنّنا انّا اذا ذقناها جعلتنا آلهةً . وليست ثمرة هذه التعاليم سوى الطمع بالخياليّات وزرع بذار الحسَد والبغض بين الطبقات وفقد القناعة . تلك التعاليم التي اسقطت روسيّة من أوج عزّها الى حالتها الحاضرة من الفتن والجور وسوء الحال التي لو ثبتت على ما هي الآن عشرين سنةً لجعلتها في خبر كان

وما لي اخصّص الحانات والقهوات فانّ الفساد في الحاضر ينتشر حيثما يقع بصرُنا ويبلغ سَمْعُنا في السكك والشوارع والاسواق وبين احياء البيوت فقد اصبح الشرّ منتشراً كهواء الجوّ يدخل في كلّ حواسّنا ان لم نحترس من آفتهِ

فان شئتم راحةً منعشة مريحة للقلب اناشدكم الله ان تقصدوا اندية الخير وجمعيّات البرّ وتنتظموا في سلك المؤسّسات الوطنيّة الآئلة الى الخير العام التي تستعيض عن

الكلام الرنّان بالعمل الجدّ وخدمة القريب وترقية الوطن . وعلى كلّ فلا فائدة من اطالة السهرات قبل العشاء او بعدهُ والافضل الاسراع الى النوم ففيهِ الراحة الحقيقيَّة للنفس والجسد

وامّا العشاء فليس لنا في امرهِ نصيحة سوى ما تقدَّم من وجوب القناعة والاعتدال وفقاً لما قيل : « قلّل طعامك تحمد منامك » فلقد تتهافت الامراض على بدن النَّهِم تهافُتَ الجرذان على مَخازن الطعام

ويُستحَبُّ النوم من الساعة التاسعة الى الخامسة صباحاً ولا يحسن تأخيرهُ بعد الساعة العاشرة والى ما بعد السادسة صباحاً . ومن المُثبَت ان أفيَد النوم ما سبق نصف الليل

ويتحتَّم على المرء قبل نومهِ ان يُعيد النظر في صَفحة يومهِ ليرى ما طُويَت عليهِ من خير ليشكر الله عليهِ ومن شرٍّ ليستغفر عنهُ خالقهُ . ويا ليتهُ لا يصرخ مع الامبراطور طيطس يوم لم يتَّفق لهُ عمل الخير : اني قد أضعتُ نهاري . ومن فوائد هذا النظر في اعمال يومنا انهُ يذكّرنا بما لله علينا من الفضل وبواجباتنا نحوهُ تعالى واتمام وصاياهُ ووصايا بيعتهِ . كما انهُ ينبّهنا الى واجباتنا نحو القريب لئلّا نكون اضناهُ بأذًى في شخصهِ او عِرضهِ او مالهِ او صحّتهِ بتعريضه للعدوى فنكفّر عن ذنبنا ونُصلح ما حدث بسببنا

ومع هذا النظر في اعمال اليوم لا يسع الانسان ان يستسلم الى النوم قبل الصلاة الى الله والسجود لعزّتهِ وشكرهِ والتماس مغفرتهِ بالندامة ونعمهِ لليلتنا . تلك صلاة المساء التي يألفها المؤمن الصادق ينام بعدها قرير العين نوماً هنيئاً مطمئنًّا بلا همّ للغد «والغد يهتمّ بشأنهِ»

امّا صحّة النوم فتقوم بالاضطجاع على فراشٍ بسيط نظيف تسترهُ كلّة (ناموسيَّة) من لسع البعوض في غرفةٍ معرَّضة للشمس نهارًا قليلة الاثاث دون سجّاد ولا سجوف يلوّثها الغبار ويعشّش فيها الميكروب . والنوم في الظلمة افضل من ايقاد الانوار الصناعيَّة لما ينبعث منها من الغازات مع إقلاقها للاعصاب . وليكن اضطجاعك على الجنب الايمن تفادياً من ضغط القلب وتسهيلاً لإساغة الطعام في فوّهة المعدة القائمة في جدارها الايمن . ويشير ارباب الصحّة ان نعتاد ونعوّد ذرّيتنا استنشاق الهواء الخارج بفتح

نافذة كل الليل . فانَّ بالهواء النقي ننجو من عدَّة علل ولاسيما السلّ . فلا نعوّد اولادنا العيشة الشظفة والتصلّب والرجولية فان الحياة جهاد لا يفوز فيه الّا الاقوياء.

واذ قد بلّغناكم ايها الكرام الى فراشكم في هذا المساء لم يبق لنا الّا ان نتمنى لكم ليلاً سعيداً يرفرف حول رأسكم ملاككم الحارس يقيكم كلّ أذى ويوحي اليكم بالاحلام السارّة ثمّ ترون مثلهُ اعواماً عديدة والسلام

كتابة قدس نفتالي اليونانيّة

للاب رينه موترد اليسوعيّ

قد نشر القسّ الاميركيّ «مك كُون» (Rev. Ch. C. Mc. Cown) في مجلّة ابحاث المكتب الاميركي السنويّة في القدس الشريف (١ كتابةً في قدس احدى مدن سبط نفتالي ليس بعيداً من بحيرة الحولة . وقد كان الابوان اليسوعيّان توما مك كُرْت (Th. M. Mc Court) وادورد بورُوس (E. Borrows) قد اخذا من هذه الكتابة صورة شمسيّة أكرما بها عليّ فقابلتها بصورة الكتابة المحكمة المنشورة في المجلّة الاميركيّة فوجدتها غاية في الضبط . وهذا نصّها الاصليّ بموجب الصورتين

..... ΓΜΕΘΕ
ΙΑΙΟΥΟΥΡΑΝΙΟΥΣ
ΥΠΓΕΝΙΑΕΠΟΙΗΣΕΝ
ΔΙΑΕΠΙΜΕΛΗΤΩΝΑΝ
ΝΙΟΥΝΑΙΔΑ ΚΑΙΕΣ
ΩΣΕΟΣ · ΔΑΜΑΤΟΣ
ΕΥΧΗΝ

وقد قرأ القس مك كُون هذه الكتابة كما يلي :

... ΓΜΕΘΕ [ἡ] ἀπὸ [Τ] ουρ[ρ] ανίου συγγεν(ε)ία ἐποίησε (διὰ) ἐπιμελητῶν Ἀνίου ..... Δάμα (ν) τος εὐχήν.

١) دونك اسمها Annual of the America School of Oriental Research in Jerusalem, Vols II and III, 1923, p. 113–115.

وفسّرها هكذا : « أسرة طورانيوس صنعت هـذا كندر بواسطـة الوكلاء أنيوس » وقد اهمل الشارح السطر الاوّل مقرًّا بسذاجة انهُ يجهل الالـه الذي على اسمه أقيمت التقدمة »

ودونك القراءة الصحيحة لهذه الكتابة التي تزيل صورتُنا الشمسيَّة كلَّ مشاكلها

[Ἐξ ἐπιτά]γμ(ατο)ς ou [Ἐκ προστά]γμ(ατο)ς ou [Ἐξ ἐπιτα]γ[ῆ]ς θε[οῦ] ἀ(γ)ίου οὐρανίου Συγγέν(ε)ια ἐποίησεν δι(ὰ) ἐπιμελητῶν Ἀννίου Νά[γ]δα καὶ Ε[ὐ]σέβος Δάματος, εὐχήν.

وهذا تفسيرها : « بأمر الاله القدوس السماوي اقـامت سُنغانية (هذا) بساعي الوكيلَين أنيوس بن نغداس ويوسيس بن دَماس وفاء بنذر »

فهذه الكتابة اذن تذكر تقدمةً (ولعلَّها حتَّ بناية) تفي بها امرأة غنيَّة بواسطة وكيلَين من وكلاء هيكل قدَس . فالاشخاص المذكورة هنا اسماؤهم ليسوا من اصل واحد فاسم سُنغانيـة صاحبة التقدمة اسم امرأة يونانيَّـة او متخرّجة على الآداب اليونانيَّة . امّا أنيوس بن نغـداس فعربيّ ابن الخيمة جعل مقامهُ عند حدود البرّيَّة . والثالث يوسيس بن دمـاس هو يهوديّ من الشام واسمهُ كاسم يوسف بن يعقوب كُتب هنا على صورته اليونانيَّة . ولا عجب في ورود اسماء متباينة الاصل فانَّ مدينة قدَس الواقعة في تخوم سبط نفتالي التي كان يسكنها اوّلًا بنو اسرائيـل انتقلت في عهد اليونان الى حكم مدينة صور واصبحت مركزًا شهيرًا للدين الوثني .

امّا الاله الذي كان معبودًا في هذا الهيكل الذي لا تزال ابنية واجهته محفوظةً فان الكتابة تصرّح لنا باسمه فانهُ كان احد آلهة الساميين يعتهُ هنا صاحب الكتاب بقـدوس وسماويّ الّا وهو «بعل شامين» او بعل السماوات الـذي كان يكرمهُ الفينيقيّون والسوريّون . وهذان النَّعتان كان متصفًا بهما «جوبيتر بيتوقيقي» اي المشتري معبود حصن سليمان في بلاد عكّار (Waddington. 2072a) . وكثيرًا ما يوصف باحدهما في العهد الروماني آلهةُ مدن عديدة كانت تعبد المشتري او البَعل

ولم يكن معبود قدس المذكور هنـا مجهولًا في السابق فـان المرحوم الاثري كلرمون غانو كان نشر (١ صورة مذبح رسمهُ شرل ولسون في قدس والصورة تمثل

١) انظر Palestine Exploration Fund, Q. S. 1903, p. 131 s. = Recueil d'Archéologie Orientale. V, 1903, p. 341 s.

يتلو الاله مواجهةً وهو ذو لحية وعلى جبينهِ كشكل قرص الشمس المجنَّح . ومن ثمَّ يمكننا ان نستنتج من هذه الصورة انَّ معبود قدَس كان معتبرًا كالشمس فيعدُّونها كمعبود ذكر سيّد السماء والاله الاعظم . فكتابة المذبح المذكور ترقى الى اواخر القرن الثالث للمسيح . امَّا كتابتنا فاقدم منها بنحو مائة سنة كما يظهر من شكل احرفها

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٢ امرؤ القيس بن عابس

هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن البَسْط بن عمرو بن معاوية بن الحارث الاكبر . كان من نصارى كندة ومن اهل اليمن كسيّه امرئ القيس بن حُجر . وروى اسمهُ في شرح شواهد التلخيص (ص ٦٢) « ابن عانس » بالنون . قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٢) : « وكان شاعرًا ادرك الاسلام » . وهو معدود من الصحابة . قال ابن الاثير في أُسد الغابة (١ : ١١٥) : « وفد الى النبي فأسلم وثبت على اسلامهِ ولم يكن فيمن ارتدَّ من كندة وكان شاعرًا نزل الكوفة » . وهو غير امرئ القيس بن الاصبع الكلبي وكان ايضاً نصرانيًّا كما رواه في الاغاني (١٤ : ١٦٣) واسلم في زمن عمر بن الخطّاب فعقد لهُ على من اسلم من قضاعة بالشام وهو الذي زوَّج بثلث بناتهِ المحيَّاة وسلمى والرَّباب عليَّ بن ابي طالب وولديهِ الحسن والحسين

ومما ورد من اخبار امرئ القيس بن عابس في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة (١ : ١٢٣) وفي أُسد الغابة لابن الاثير (١ : ١١٥) ما حرفهُ : « كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت اسمهُ ربيعة بن عَيْدان خصومةٌ فارتفعا الى النبي صلعم وقال

للحضرمي : بينتك وإلّا فيمينهُ . قال : يا رسول الله ان حلفَ ذهب بارضي . فقال : مَنْ حلفَ على يمين كاذبة يقتطعُ بها حقَّ اخيهِ لقي الله وهو عليهِ غضبان . فقال امرؤ القيس : يا رسول الله فما لِمن تركها وهو يعلم انهُ حقّ . قال : الجنّةُ . قال : فاني اشهدُك اني قد تركتُها لهُ » . (قلنا) وهذا نعم الدليل على استقامة الكندي ونفورهِ من الحلف كما اعتادهُ النصارى وتعلّموهُ من انجيلهم

ويؤخذ من تاريخ الطبري (ج ١ : ٢٠٠٥) انَّ امرؤ القيس بن عابس حضر فتح اليمن مع ابن زياد . وقال عبد الرحيم العبّاسي في شرح شواهد التلخيص المسمّى معاهد التنصيص (ص٦٢) : «وشهد فتح النجير باليمن وهو حصن قرب حضرموت ثمَّ حضر الكنديين حين ارتدُّوا فثبت على اسلامهِ . . . ولمّا خرجوا ليقتتلوا وثب على عمّهِ فقال لهُ : ويحك يا امرءَ القيس أتقتُلُ عمّك . قال : انت عمّي والله عزَّ وجلَّ ربّي فقتلهُ » . (قلنا) هذا ما تعلّمهُ من دينهِ الجديد . وورد في ابن حجر انهُ حضر فتوح الشام وكان يوم اليرموك على كردوس

امّا شعر امرئ القيس بن عابس فقليلٌ روى لهُ القدماء نتفاً فمن ذلك قولهُ (من الكامل) :

قِفْ بالديار وقوفَ حابِسْ وتأنَّ انّك غيرَ آنِسْ (١
لَعِبَتْ بهنَّ الغاديا تُ الرائحاتُ الى الروامِسْ (٢
ماذا عليك من الوقو فِ بها مَدَى الطَّلَلَيْنِ (٣ دارِسْ
يا ربَّ باكيةٍ عليَّ م ومُنشدٍ لي في المجالِسْ
او قائلٍ يا فارساً ماذا رُزِئْتَ من الفوارسْ
لا تَعجَبوا إن تسمعوا هلكَ امرؤ القيس بن عابِسْ (٤

---

١) ويروى : وقوف عابس وتأنَّ انّهُ غير آنس . ويروى : وتأيَّ ٢) ويروى : العاصفات الراثحات من الروابس ٣) ويروى : جاتك الطّلّلين . وجامد الطّلّلين ٤) ويروى : عانس

قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء بعد ذكر الابيات الاولى الثلثة (ص ٣٦٩) : اخذهُ الكميت كلَّهُ غير القافية فقال :

قِفْ بالديار وقوفَ زائرْ وتأيَّ انك غيرُ صاغرْ
ماذا عليكَ من الوقو فِ بعامدِ الطَّلَلَينِ داثرْ
درجَتْ عليهِ الغاديا تُ الرائحاتُ من الاعاصرْ

قال ابن حجر العسقلاني (١ : ١٢٤) يذكر نسب امرئ القيس بن عابس : «وجدُّ ابيهِ امرؤ القيس بن السِّمط كان يقال لهُ ابن تَمْلِك وهي امُّهُ وقد ذكرهُ امرؤ القيس الشاعر في قصيدتهِ الرائيَّة فدعاهُ امرؤ القيس بن تَمْلك فنسبهُ الى امِّهِ . والى ابن عابس نُسبت الابيات اللامية الآتية في لسان العرب (٢٠ : ٢٠) وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢) (من المزج) :

أيا تَمْلِكُ يا تَمْلي ذَرِيني وذري عَذْلي (١
ذَرِيني وسلاحي ثمَّ م شُدَّي الكفَّ بالنَّزْلِ (٢
ونَبْلي وفُقاها م كعراقيبِ قطاً طُحْلِ
ومنّي نظرةٌ بعدي ومني نظرةٌ قبلي (٣
فإمّا مُتُّ يا تَمْلي فمُوتي حُرَّةً مثلي (٤

قال ابن حجر : وهذا الشعر ممَّا اختارهُ الاصمعي لحفَّة روِيِّهِ . وممَّا ورد في كتاب الاغاني (٣ : ٩٧—٩٨) من الابيات التي عليها اصوات ما رُوي لامرئ القيس بن عابس وقد رواها قوم لامرئ القيس بن حُجر بالغلط وهي الابيات الآتية (من الكامل) :

حيِّ الحمولَ بجانب العَزْلِ اذ لا يوافقُ شكلُها شكلي

١) تملي ترخيم تملك . ويروى : يا تملك . . صلبني ٢) ويروى : بالعُزْلِ . وبالنَّزْلِ
٣) ويروى : نظرة خلفي . قال في اللسان : أي افهمُ ما حضر وغاب
٤) ويروى . فكوني حُرَّة

اللهُ أنجحُ ما طلبتُ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحلِ
انّي بحبلكَ واصلٌ حَبْلي وبريش نَبْلكَ رائش نَبْلي
وشمائلي ما قد علمتَ وما نَبَحَتْ كلابُكَ طارقاً مثلي

وذكر هناك (ص٩٦–٩٩) الغناء الذي وضعهُ ابو هارون عطرد على هذه الابيات وكيف طرب لها الوليد بن يزيد فرمى حالهُ في بركةٍ مملوءة خمراً فنهل منها حتى سكر فأُخرج منها كالميت

وذكر ايضاً دخول عبّاد بن سلمة ابن قاضي البصرة ليلًا على عطرد مع جماعةٍ فلمّا رآهُ عطرد ومن معهُ فزع فقال لهُ : لا تَرَعْ

اني قصدتُ اليك من اهلي في حاجة يأتي لها مثلي

فقال عطرد : وما هي اصلحك الله ؟ قال :

لا طالباً شيئاً اليك سوى «حيِّ الخُمولَ بجانب العزلِ»

اراد ان يُسمعهم غناءهُ في الابيات السابقة . فقال : انزلوا على بركة الله فلم يزل يغنّيهم هذا وغيرهُ حتّى اصبحوا

وروى ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٩٠٨ و ٤ : ٦٦٢) لامرئ القيس بن عابس في وصف رَوْضة مَنْصَح وهي روضة لبني وكيعة بن كندة (من الطويل) :

أَلا ليتَ شعري هل أرى الوِرْدَ مرّةً يُطالِبُ سَرْباً مُوكَلاً بغُرارِ
أمام رَعيلٍ او بروضةِ مَنْصَحٍ أُبادِرُ أنعاماً وأَجْلَ صِوارِ
وهَلْ اشربَنْ كأساً بلذّةِ شاربٍ مشعشعةً او من صريحِ عُقارِ
اذا ما جرتْ في العظم خالَتْ دَبيبَها دبيبَ صِغارِ النَّملِ وهي سَوارِ

وقال ابن حُجر (١ : ١٢٤) انّ ابن عابس كتب الى ابي بكر في الردّة (من الوافر) :

ألا بلِّغْ ابا بَكرٍ رسولًا وبلِّغها جميعَ المسلمينا

فليس بجاورًا بيتي بيوتًا بما قال النبيُّ مكذّبينا

ويُروى لهُ في كتب الأدباء ابيات متفرّقة . منها بيت في الكامل للمبرّد (ص ٥٤٦) (من الهزج) :

وقد اختلسُ الضربةَ م لا يَدمَى لها نَصلي

وروى لهُ البكري في معجم ما استعجم (ص ٦٦٦) في مادّة عَمواس من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس (من الرمل) :

رُبَّ خِرقٍ مثلِ الهلالِ وبيضا ءَ لَعُوبٍ بالجزْعِ من عَمَواسِ

وكذلك روى ياقوت في معجم البلدان (١ : ١٤١) عن امرئ القيس بن عابس (من المتقارب) :

فيا هِندُ لا تَنكحي بُوهَةً عليهِ عقيقتُهُ أَحسَبا

(قال) اي كأن عقيقتهُ لم تُحلق في صغرهِ حتى شاخ والأَحسب ما كان في شعرهِ شقرة

ولم يذكر احد سنة وفاة امرئ القيس بن عابس (لهُ تابع)

مطبوعات شرقيّة جديدة

DOM LECLERCQ : Les Martyrs, t. XIV, CORÉE-SYRIE-POLOGNE (1802-1866), 1 Vol., in-8°, Tours, A. Mame et fils, 1922

تاريخ الشهداء : شهداء كورية وسورية وبولونية

هو المجلّد الرابع عشر من مجموع اعمال الشهداء منذ اوّل النصرانيّة الى عهدنا . يتناول اخبار شهداء القرن التاسع عشر في بلاد كورية (سنة ١٨٠٢) ثمّ في الشام

(سنة ١٨٦٠) ثمّ في بولونية (سنة ١٨٦٦) . وقد ضمّنهُ جامعهُ ٢٠ تقريرًا منها خمسة عشر في شهداء كورية وقرصنتين والصين وتونكين وثلاثة تقارير في شهداء بولونية وتقريران الواحد عن ضابط فرنسوي استشهد مع جندي في الجزائر والآخر عن شهداء الشام . على أنّنا كنّا نودّ ان نجد في هذا القسم انتقادًا وافيًا على التقارير المذكورة وأصلها وكتبتها لنستند اليها ثقتنا التامّة . وما لا يُنكر انّ تقريرًا واحدًا عن حوادث الشام سنة ١٨٦٠ غير كافٍ فانّ كاتبهُ لم يذكر الّا ما جرى في دمشق . ويوجد تقارير أُخرى ليست اقلّ شأنًا في شهداء دير القمر وزحلة حيث استشهد خمسة من اليسوعيين . كان من الواجب ايرادها ولعلّهُ يفعل في جزء آخر الاب ج . لوثنك

Carlo Manetti: L'ANATOLIA, Con una Carta Geografica e sei Cartine in nero. I *Vol. in-12, Collection «Geno Vol. I, Firenze. A Bemporad e figli., Prix L. 7, 50*

بلاد الاناضول

باشر الطبّاع بيوراد نشر مجموع جيوغرافي يخصّص كلّ قسم منهُ لوصف البلاد التي بينها وبين ايطاليا مواصلات تجاريّة او معاهدات اقتصاديّة . وهذا الكتاب الذي أرسل لمجلّتنا هو للسنيور مانتي قد أفردهُ لوصف بلاد الاناضول من حيث جغرافيّتها الطبيعيّة والجغرافيّة الاهليّة والجغرافيّة الاقتصاديّة . وفي كلّ من هذه الاقسام معلومات عديدة وفوائد جمّة اثبتها في كتابهِ استنادًا الى اوثق المصادر واصدق الكتبة على طريقة واضحة مدقّقة مفيدة خصوصًا لاهل وطنهِ . وقد اضاف الى تأليفهِ بيان الطرق التجاريّة الواقعة في المنطقة التي لايطالية فيها التقدّم على سواها من ازمير الى قونية ومنها الى طوربلي وادميش ومن طوربلي الى اغردير ومن سكالانوفا الى رودي ومن اضالية الى سبرطة الخ . فنتمنى لهذا المشروع الجديد توفيقًا ورواجًا ج . ل

J. Albert-Faure : L'Egypte et les Présocratiques, I *Vol,* 1923, *Paris, Librairie Stock, Prix 5 f. 75*

مصر والسابقون لعهد سقراط

غاية مؤلف هذا الكتاب ان يبيّن ما كان من النفوذ لمصر في حضارة اليونان .

فجمع المؤلف ما رآهُ من الشبه بين المدنيَّتين لكنَّهُ لم يقنعنا بالادلة الراهنة بما اراد اثباتهُ اعني تأثير الفلسفة المصريَّة في عقول فلاسفة اليونان. وربَّما افترض الافتراضات الممكنة في العلاقات بين بعض مذاهب الأمتين كمذهب انكساغوراس ومذهب التقمُّص ومذهب الحلول والشرك الَّا انَّ هذه المذاهب مختلفة الصورة والمعنى في كلا الشعبين لا يستطاع بيان صدور الواحد عن الآخر اللهمَّ الَّا ما ذُكر عن هيرقليت ووصفهِ للنفس انَّهُ مشتقٌ ممَّا ارتآهُ المصريُّون عمَّا يدعونهُ «خو» وهو احد اركان الاقنوم البشري ا . ب

Arthur Dix: Politische Erdkunde. 1 *Vol. in*-12, 1922, *Ferd. Hirt, Breslau*

وصف الارض سياسياً

يُنظَّم هذا الكتاب في مجموع علمي يتولَّاهُ الالماني ايدرمان (Iedermanns Bücherei) وغايتهُ نشر التآليف الواصفة لجميع الشعوب وابيان حضارتهم واديانهم ومميِّزاتهم وقد ظهر منهُ الى اليوم عدَّة مصنَّفات من هذا القبيل. والكتاب الذي نحن في صددهِ يشتمل خصوصاً وصف دول الارض من حيث السياسة وفيهِ ١٢ خارطة تسهيلاً لمطالعة مضامينهِ. وهو يقسم الى ستَّة فصول يعرض فيها ما يختصُّ بكل دولة ويعرِّف احوالها السياسيَّة والزراعيَّة والتجاريَّة والصناعيَّة وحاجاتها الى الدول غيرها. وقد خصَّص فصلهُ السادس بوصف حالة الدول حاضراً بعد الحرب الكونيَّة وما حصل فيها من اختلاف النزعات بانقلابها الحديث. وقد أعجبنا بخارطات الكتاب ولاسيما بخارطة الصفحتين ٤٦ و ٤٧ وفيها خمس صور لمقتنيات اوربَّة في البلاد المجاورة للبحر الهندي في خمسة اطوار التاريخ اي في السنوات: ١٦٠٠ و ١٧٩٠ و ١٨٨٠ و ١٩١٠ و ١٩١٩ فانَّها تمثل حسناً مطامع الدول في وضع يدها على تلك الجهات الغنيَّة ج . ل

Introduction à l'étude de la Sociologie: LA SCIENCE DES MOEURS par **Paul Bureau.** 1 Vol. in-8, Paris, Bloud et Gay broché 15 f.

مقدمة على درس العلم الاجتماعي - علم الاخلاق

العلم الاجتماعي احد العلوم الحديثة التي كثر فيها الى اليوم القال والقيل فلم تزل

اقسام كثيرة منها مجهولة او مبهمة . وكان احد اركان هذا العلم المسيو اميل دورخيم نال في ذلك شهرة بعيدة الّا انهُ مع كل معارفهِ وذكائهِ لم يبلغ الى وضع اساس متين لهذا العلم . وكان الامر يحتاج الى رجلٍ واسع المعارف متضلّع من العلوم الفلسفيَّة والاجتماعيَّة كثير الاختبار للاحوال السياسيَّة والاقتصاديَّة وقد اتاح لنا الله ما كنّا نتمناه فقام احد اساتذة الجامعة الكاثوليكيَّة في باريس المسيو بول بُورو فوضع كتاباً ممتعاً فصَّل فيهِ كلَّ اقسام هذا العلم فحدَّدهُ وبيَّن جوهرهُ ومضامينهُ واثبت انهُ لا يمكنهُ ان يتوقَّف على الاخلاق الاجتماعيَّة وحدها بل لا غنى لهُ عن المبادئ الفلسفيَّة والشرائع الدينيَّة وقوانين الآداب العموميَّة . فنال كتابهُ رضى كل العقلاء

ل . ش

L'homme né de la Guerre: Témoignage d'un converti par **Henri Géhon.** 1 Vol. in-16, Paris, Bloud et Gay. Prix 6 f.

مولود الحرب . شهادة مرتدّ الى الايمان

هي ولادة روحيَّة نالها المسمَّى هنري جيهون الذي كان قبل الحرب يرتزق بتمثيل الروايات المخلَّة بالآداب على مسارح باريس . فاجتمع في ساحات الوغى بضابط همام راسخ في الدين ذي قدوة صالحة اسمهُ دوبواي (Dupouey) فكان لكلامهِ ولمثلهِ وموتهِ الشريف في سنة ١٩١٥ دفاعاً عن الوطن في ساحات بلجيكة الوقعُ الحسن في نفس جيهون فنبذ اضاليلهُ وارتدَّ الى الدين والصلاح فكتب تاريخ ارتدادهِ ودعاهُ «مولود الحرب» وهو سفر جليل يتأثَّر من روايتهِ كلَّ قرَّائهِ . وهذه الطبعة الثانية من كتابهِ زادها عدَّة قطع منقولة عن مذكَّرتهِ في ايَّام الحرب . ولم يكتفِ بهذا بل اراد ان يصير رسولاً للمسارح الادبيَّة والدينيَّة فوضع للتمثيل اربع روايات مفعمة بالروح المسيحيّ مثَّلها امام جماهير عديدة فضلوها على الروايات الخلاعيَّة التي يلهو بها العموم ومن ثمَّ اخذ غيرهُ من الممثلين يقتدون بهِ فاختبروا مفعول الروايات الدينيَّة في قلوب الشعب الفرنسوي . ولا جرم انها تصيب ايضاً في ظهرانينا نجاحاً تامّاً لو اعتمدها اهل الجوقات الممثلة

ل . ش

Capitaine Seignobosc: Cours de Topographie élémentaire. *Paris, Larousselle,* 1923, *pp.* 100, *avec* 102 *figures,* 8° *éd.,* *Prix* 2 *f.* 50

دروس ابتدائية لرسم الاراضي

كنَّا قبل زمن طويل وصفنا هذا الكتاب وفوائدهُ للناشئة ولاسيَّما لطلبة

الهندسة . وها هوذا قد بلغ طبعتهُ الثامنة لكثرة رواجهِ . وهذه الطبعة قد حسّنها مؤلفها وزاد عليها معلومات ورسوماً جديدة بحيث اصبح الكتاب خير مرشد لهذا العلم الصناعيّ المفيد ج . ل

LES SOURCIERS ET LEURS PROCÉDÉS. LES BAGUETTES-LES PENDULES-LES APPAREILS AUTOMATIQUES ET AUTRES PROCÉDÉS par **H. Kager.** 1 Vol. in-12, pp.XVI-332, avec 113 figures, Paris, Dunod. Prix broché 24 f.

مكتشفو المياه الباطنة وطرائقهم المختلفة

نبشر اهل بلادنا بنشر هذا الكتاب الجليل لما فيهِ من الفوائد للوقوف على المياه الباطنة . وقد كنّا سابقاً نشرنا في المشرق (١٣ [١٩١٠]: ٢٤–٣٢) رسالة للشيخ احمد بن عبد المنعم الدمنهوري في علم استنباط المياه . الّا انّ تلك الرسالة مع فوائدها مبنية خصوصاً على الاختبار . امّا الكتاب الحاضر فهو يجمع بين الاختبار والمبادئ العلميّة . فيستقري صاحبهُ اوّلاً الطرائق الشائعة لمعرفة وجود المياه في باطن الارض وكيف يستعملها التناقن منها العصاةُ الدائرة بين يدي القناقن فيثبت صحّتها في بعض الناس ذوي الخبرة وخلافها في غيرهم وسببَ دَوَرانها على حسب شرائع امبير . ثمّ يبحث عن الساعات الكشّافة للمياه (Pendules hydroscopiques) وبعض فوائدها ثمّ يذكر بعض الادلّة النظريّة في وجه الارض المشيرة الى وجود مياه باطنة والمفيدة لوضع خارطات لهذه الغاية . الّا انّ هذا القسم الاختباري لا بُدَّ لهُ ليأتي بالمنافع المرغوبة من علم آخر نظري متوقّف على علم تكوين المياه الباطنة ومجاريها وتفرُّعاتها مع معرفة الطبقات الارضيّة الجارية فيها وبيان ردّ صدى تلك المياه على وجه الارض بمظاهر دقيقة يمكن مراقبتها بادوات لطيفة تكشف صورتها وحركاتها وتبيّن وفرتها وطبقتها في باطن الارض . فترى كم تهمُّ اهل الشام مطالعة هذا الكتاب لاستنباط مياه كثيرة في لبنان وسواحل الشام تذهب سدًى ريثما يستخرجها من مكامنها اهل البلاد ل . ش

I PETITE BIBLE ILLUSTRÉE par Mgr **Bourquard,** 43e éd. — II RÉCITS BIBLIQUES par L'ABBÉ **A. Boué,** 9e éd. Établissements BENZIGER, Einsiedeln, Suisse, avec Cartes et Gravures

التوراة الصغيرة المصوَّرة – اخبار الكتاب المقدَّس

نوصي بهذين الكتابين كلّ ارباب المدارس لاسيّما المدارس الابتدائيّة فانهما من افضل ما تتلقّفهُ ايدي الناشئة ليتعلّم الاحداث اخبار العهدين القديم والحديث مع

حسن طبعها وكثرة صورها البديعة ورخص ثمنها . والدليل عليه تعدُّد طباعتها في مدَّة قريبة . ولا عجب فانَّ مطبعة سويسريَّة شهيرة قامت بهذا العمل ليكون هذان الكتابان المدرسيَّان تحفةً ظاهرًا وباطنًا ل . ش

Zurcher-Currat: 1° VERS L'AVENIR. Conseils pratiques aux jeunes Gens = 2° SOUS L'AILE DE DIEU. Guide pratique de la Jeunesse féminine, in-32, 198 et 208 pp. = 3° LA JEUNE FILLE PIEUSE DANS LE MONDE, par Jeanne de Lacrousille, in-16, 64 pp, mêmes Etablissements

نحو المستقبل – تحت جناح الله – الفتاة التقيَّة في العالم

صدرت هذه الكتب الثلاثة من المطبعة السويسريَّة السابقة لافادة الناشئة فالاوَّل يرمي خصوصاً الى افادة الشبَّان وتهذيب اخلاقهم وتربيتهم الدينيَّة وسلوكهم في العالم . والثاني مختصٌّ بالفتيات الناشئات خارج بيوتهنَّ في الاشغال والمعامل فيفصّل لهنَّ واجباتهنَّ نحو الخالق ونحو القريب ويفيدهنَّ علماً عن الامور الصحيَّة وعن الاستعداد للحياة الزوجيَّة . ويشبهُ نوعاً الكتابُ الثالث وهو تأليف احدى النساء التقيَّات اودعتهُ فائدة الفتيات بعد خروجهنَّ من المدارس كلَّ الفروض التي تترتَّب عليهنَّ صيانةً للمبادئ القويمة التي اقتبسنها على مقاعد المدارس . والكتاب منسوج بروح السيِّد المسيح وتعاليمه الانجيليَّة مشحون بنصائح منقولة عن الآباء القديسين ولاسيما القديس فرنسيس دي سال مرشد الانفس الجليل . فيا ليت بنات سوريَّا يسرحنَّ النظر في هذين الكتابين ويتشبَّثنَّ بتعاليمهما ج . ب

Dottore Luigi el Khazen : I SIRO MARONITI, La Nazione et la Chiesa, *Roma, F. Ferrari, in*-16, 1923 *pp.* 41

الطائفة السريانيَّة المارونيَّة

هذه محاضرة القاها حضرة الاب لويس الخازن الراهب الحلبي الماروني في رومية في نادي المكتب الشرقي البابويّ في ٢٧ نيسان ١٩٢٢ فنشرها في كريسة خاصَّة . وليس في هذه المحاضرة ما يجهلهُ أحد عندنا فنكتفي بالاشارة لمحتوياته المنقولة عن تاريخ الدويهي وغيره من الموارنة

L' INDICATEUR SYRIEN : ANNUAIRE SYRIE - LIBAN, 1923. par E. et G. Gédéon, in - 4, pp. 612 + XX + ٤٦٠

الدليل السوري لصاحبيه الياس وجرجي جدعون

كنَّا في العام السابق اثنينا على هذا الدليل الذي لا غنى عنهُ لاهل الوطن وبيَّنَّا ما اودعهُ صاحباه الفاضلان من المعلومات والافادات الجمَّة . وقد استفادا في هذه

السنة من الملحوظات التي وردتها فحسّنا دليلها واصلحنا ما وقع فيه من الاغلاط وضاعفنا عدد صفحاته وعلّقنا عليه خارطة ملوّنة فجاء كتاباً يجاري ما تنشره الجماعات الاوربيّة الاختصاصيّة . ولا نزيد بثنائنا هذا ان نقول انّ الدليل بلغ اوج الكمال فانّ بعض معلوماته التاريخيّة تحتاج الى زيادة في التدقيق وكذلك اسماء الاعلام قد تصحّف بعض منها . ولولا ضيق المجال لدللنا اليها ولا نشكّ ان المؤلّفين بالمراجعة يطّلعان على هذه الشوائب التي لا تبخس شيئاً من محاسن دليلها ل . ش

William Popper: Abu'l Mahasin ibn Taghri Birdis Annals. The University of California Press, Vols VI, part 2 N° 2

الجزء السادس من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – القسم الثاني

اثبتنا سابقاً ما صدر من اجزاء هذا التاريخ الجليل تتمّة لما طُبع منهُ في مطبعة ليدن فاثنينا على ناشره الفاضل المستر بوبر . وقد اتقنا منهُ آخراً العدد الثاني من قسمه السادس مع الفهارس والملحوظات اللغويّة والاصلاحات عليه حتى بلغ مجموعهُ ١٩٢ صفحة يضاف اليها ٨٢ صفحة من الحواشي والافادات فهو نعم التاريخ لاحد كبار المؤرخين . وهذا القسم السادس يتناول اخبار مماليك مصر من السلطان الملك المظفّر ابن الملك المؤيّد شيخ الى وفاة الملك الاشرف برسباي . وقد اعتنى فيه متولّي نشره عناية خاصّة لا يؤخذ عليه الّا بعض اغلاط طفيفة لا يصعب على القارئ اصلاحها

Carl Bezold: Nachruf. im Namen d. phil. Facultät d. Universität Heidelberg von F. Boll, *Heidelberg*, 1923, *pp* 12

ترجمة المرحوم الدكتور كرل بترولد

فقدت العلوم الشرقيّة عموماً والاشوريّة خصوصاً بوفاة الدكتور بترولد احد اركانها المعدودين . فاحبّت جامعة هيدلبرغ ان تخلّد ذكرهُ وهو من اساتذتها في مجلّتها العلميّة التي روت لهُ في حياته عدّة مقالات جليلة . فاوعزت الى احد اعضائها فرنقس ان يكتب ترجمتهُ ففعل وقد أُرسلت لنا نسخة منها فاطّلعنا عليها بانشراح لما كان بيننا وبين المرحوم من الوداد . وكذلك ارسلت لنا السيّدة قرينتهُ ادال بترولد (Adele Betzold) نسخة من قائمة مطبوعاته وتآليفه (Verzeichnis der Schriften C. Bezold's) التي عُنيت بجمعها فاذا هي تبلغ بين طويل وقصير ٢٣٦ عدداً فتاهيك بهذا دليلاً ناطقاً عن سعة علم ذاك الرجل النابغة ل . ش

كشف الخفاء عن محابس لبنان والحبساء

بقلم الاب ليباوس داغر الشتوري

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ (ص ١٦٠)

قد اطّلعنا على هذا الكتاب بلذ السرور لما يفوح بين سطوره من عبير القداسة والبرّ. وقد اخذنا العجب لسكوت السلف عن مفاخر لبنان هذه الصحيحة التي تفوق على بقية خواصه الطبيعيّة وعلى مآثر ابطاله وجنوده. ولا غرو اذ لنا في نسّاكه وقديسيه ابطال اعظم شهامة «انّما مَن يتّقي الله البطل» فنشكر حضرة الاب داغر لإحيائه ذكر اولئك الابرار. ولم يكتفِ بذلك بل زاد كتابهُ نفعاً بما قدّم عليه من تعريف اصول الحياة النسكيّة في لبنان منذ سالف الزمان ووصف المحابس القديمة وبيان قوانين الحبساء قبل انشاء الرهبانيّات المنظّمة فنهج بذلك طريقاً لجة لمن يريد البحث في هذا الموضوع فيأتي بعدهُ بمعلومات جديدة مطويّة في زوايا النسيان ل. ش

ديوان الدرر الحسان في مدح الاعيان

لناظمه الشيخ عبد الرحمان قريطم البيروتي

طبع بمطبعة صبرا في بيروت سنة ١٩٢١ ص ٩٣

الشيخ عبد الرحمان قريطم احد شعراء بيروت المغلقين بين متانة الشعر القديم ورقة النظم العصريّ. وقد خصّ معظم قصائده بمدح الاعيان من مسلمين ونصارى ويهود حيثما تجد تريحتهُ من كان اهلاً بالمدح. ولهُ ما عدا المديح مقاطيع رائقة في الاوصاف والتهانيّ والهجو. فمن وصفه ما كتب على بركة في «بارك» بيروت:

تحيا الانامُ اذا همّت سُحب السما والماء في الدنيا حياةُ الانفسِ
والارضُ تحيا والرياضُ كأنها لبست رداء اخضراً من سندسِ

ومن تهانيه قولهُ يهنئ صديقهُ انطون بك شحيبر برئاسة محكمة تجارة بيروت:

الى أنطون بدرِ العلم أهدي هناء كاللآلئ بالرئاسة
رئيس للتجارة عيّنوهُ اصابوا اعم لذوو فراسة
تراهُ دائماً للحقّ اضحى نصيراً وهو عادلٌ حماسة
اذا حادثتهُ يوماً تراهُ بجلسه اللطافة والكياسة

ومن هجوه قولهُ في ثقيل كثير الكلام:

ربّ شخصٍ مثل الجبالِ ثقيلٍ وكثيرُ الكلام فظٌّ غليظُ
ربِّ فاحفظ لسانهُ بلجامٍ من حديدٍ وانت انت الحفيظُ

شذرات

﴿احتجاج حليم افندي دمُوس على انتقادنا لقاموسه﴾ لما كتبنا في عدد حزيران (ص ٤٣٢ — ٤٣٨) انتقادنا لقاموس العوامّ لحليم افندي دمُوس لم نُقدم عليهِ الّا اجابةً لملتمسهِ «من اخوان الادب ان ينبّهوهُ الى كلّ نقص او خطإٍ في هذا المعجم الجديد ليتداركها في الطبعة الثانية» . ففعلنا لا افتئاتاً عليهِ بالباطل بل خدمةً للغة ورغبةً في تحسين معجمهِ ليصبح في طبعتهِ الثانية كتاباً مدرسيًّا لا يشوبهُ نقص. والظاهر انَّ هذا الانتقاد الذي عرضناهُ بكل بساطةٍ دون ادنى كلمة جارحة مستندين في كلّ بابٍ من ابوابهِ الى ادلّة مقنعة من مصادر لغويّة موثوق بها لم يَرُق في عين صاحب قاموس العوامّ فحاول تفنيدهُ في بعض اعداد جريدة المقتبس مبيّتاً بذلك انهُ لم يلتمس انتقاداً صحيحاً بل تقريظاً فارغاً شأن كثيرين من كتبة الوطن . وقد اخذنا العجب من ردّهِ على حججنا فبدلاً من ان ينكر الشواهد التي قدّمناها لهُ حاول تخطئتنا بما اتى في بعض المعاجم العربيّة او الفرنسويّة التي طبعها غيرنا من المحدثين قبل ٣٠ او ٤٠ سنة وهم من الفرنج الذين استندوا في معاجمهم غالباً الى كتب الاجانب الذين مع اجتهادهم وخدمهم المشكورة لاوطاننا وآداب لساننا فاتهم كثير من دقائق اللغة. أفيجوز لحليم افندي دمُوس ان ينقد انتقادنا المبنيّ على تآليف اللغويين الاقدمين بذكر ما جاء بتلك المصنّفات المستحدثة كأننا مسئولون عمّا ينشرهُ غيرنا او كأنَّ ما كتبوهُ كلامٌ مُنزل لا يُستطاع النظر فيهِ لتحسينهِ . فعلى هذا البناء يسقط علم الانتقاد ولا يبقى وجه للرقي والنجاح . وعلى كلّ حال انّنا ابدينا رأينا في قاموس العوامّ فندع مؤلفهُ وشأنهُ سواء اعار كلامنا بالًا او نبذهُ تاركين الحكم في صوابنا للمنصفين من القرّاء.

﴿البستيل في نظر مجلّة الحارس﴾ ورد في عدد مجلّة الحارس في تاريخ ١ تموز ١٩٢٣ (ص ١٤٧) الوصف الآتي لسجن البستيل قال :

«كانت البستيل اصلاً حصناً من حصون الدفاع عن باريس. موقعها في بورت سانت انطوان

«باب مار انطونيوس» ثم تحولت بتقادم العهد عليها الى سجن كما هي اليوم مثلاً قلعة طرابلس. وقد كان تاريخها وهي سجن مملوء بالاهوال والفظائع (كذا) حتى قيل انّ كلّ ذرّة من ثراها مجبولة مرارًا لا تُعدّ ولا تُحصى بدموع ضحايا التعصّب الديني والسياسي (كذا). كانت احيانًا اسباب عائليّة تكفي لزجّ اشخاص هناك طول حياتهم من دون محاكمة على الاطلاق نظرًا لنفوذ خصومهم في قصر الملك. والكتّاب الذين كانوا يجسرون على انتقاد حركة من حركات الملك والمقرّبين منهُ. وذويهم واصدقائهم كانوا فريسة مخصوصة لقلعة البستيل . . . فعُدَّ البستيل رمزًا ابديًا للظلم والاستبداد قلعًا دكّها الثوّار تنفّست كلّ اوربا الصعداء فنظروا . . . الى الحادث كفاتحة عهد جديد للانسانيّة »

يسوءنا ان كاتبًا اديبًا كمدير مجلّة الحارس ينقل مثل هذه الاكاذيب التاريخيّة التي روّجها ثوّار سنة ١٧٨٩ ليستروا فضائحهم ويموّهوا صحّة الاخبار على الشعب فانّ سجلّات دولة فرنسة الخفيّة التي نُشرت قبل خمسين سنة لم تدع في الامر ريبًا. كان البستيل سجنًا بسيطًا من سجون فرنسة لا شيء فيه من الفظائع والاهوال التي ذُكرت في الحارس. ولمّا فتحهُ الثوّار عنوةً متحاملين عليه بعد تهييج القوم بمظاهر كاذبة كأنهم زاحفون على حصن منيع لا يُنال ففتحوهُ دون عناء لم يجدوا فيه الّا سبعة اشخاص واحد منهم مجنونٌ يلغ والثاني محبوس لديون مختلفة. والثالث حُكمُ عليه لتآمرهِ على الدولة. ثمّ اربعة مزوّرين للنقود. والحقّ يقال انّ الفاتحين للبستيل اتوا يوم فتحهِ من المآثم والمذابح والفظائع التي هي احقّ بوصف الحارس وتقبيحهِ لها من تشنيعهِ زورًا على اعمال ملوك فرنسة وهم بريئون ممّا نُسب اليهم

﴿اسماء احرار محفل الحكمة الماسوني في بيروت﴾ كانت مجلّة البيان في عددها ٢٨ الصادر في ٧ تموز نشرت صورةً اعضاء محفل الحكمة الفرمسون في بيروت ولم تدوّن اسماءهم الكريمة فرأينا ان نفيد القرّاء عنها ليعرفوا هؤلاء الاحرار وما نالوهُ من الشرف بالدخول في محفل ماسوني. وفي الصورة اعداد لكل منهم اعتمدنا عليها :

١ً لبيب الرياشي رئيس المحفل (روم كاثوليك) . ٢ً يوسف بزبك سكرتير (ماروني) . ٣ً عبدو زحيل (ر ك) . ٤ً رفائيل لبغي (يهودي) . ٥ً وديع برباري (ر) . ٦ً الياس نقاش (م) . ٧ً عيسى سابا (ر) . ٨ً بطرس سرسان (؟) . ٩ً جورج بردخجي حلبي . ١٠ً سليم تكري . ١١ ابرهيم بديد (ي) . ١٢ شكري ابو سماح (ر ك) . ١٣ فرح حبوبة (ر) . ١٤ دانيال لبغي (ي) . ١٥ نسيب زين الدين (درزي) . ١٦ حنّا منصور صالح (ر) . ١٧ اسكندر ابو سماح (ر ك) . ١٨ حنّا الزغبي (م)

فترى انَّ بين المذكورين ليس واحد من الـذوات ممَّن تفتخر الاسونيَّـة باسـمهِ الكريم . فيا ايّتها الحكمة لهفي عليكِ في اي محفلٍ سقطتِ !

﴿وفاة الاب الياس كولّن اليسوعي﴾ توفّي الاب كولّن (E. Collin s. j.) في ١٠ نيسان الاخير في مدغسكر بعد أن أدّى للعلم ولوطنهِ خدماً لا تحصى مدّة نيّف وخمسين سنة في تلك المستعمرة فمنحته فرنسة وسام جوقة الشرف ونال امتيازات عديدة من الجمعيّات العلميّة الفرنسويّة والاجنبيّة . انشأ في عاصمة مدغسكر مرصداً فلكيًّا يدوّن فيهِ كلّ حركات الجوّ فيُرجع الى معلوماتهِ في بحار الاوقيانوس الهندي . وقد ألّف كتباً في الهيئة والفلك أجازتها اللّجن الخاصّة . وقد اشتغل برسم خارطة مدغسكر التي ساعدت الفرنسويين في فتح تلك الجزيرة . وكان الاب كولّن ضليعاً في علم الاخلاق وفي الموسيقى لهُ في كليهما مصنّفات جليلة

﴿انّما الدين ان نعيش كراماً﴾ هذا عنوان قصيدة نشرتها مجلّة البيان في عددها ٢٥ الصادر في ٢٧ حزيران وفيها من المعاني الكفريّة التي على ما نظنّ لم يفطن لها مديرها . وغريب الامر انَّ صاحبها عبدالله افندي حشيبة هو احد اساتذة مدرسة بيكفيّا الوطنيّة . فمنها الابيات الآتية :

ان تكن يثنا المذاهبُ شتّى تلك يا قومُ حكمةُ الرحمانِ
فهو لو شاء وحّد الدينَ يوماً في شتيت الاقوام والازمانِ
انّما الدين ان نعيش كراماً تلك والله غاية الاديانِ !!

ففي هذا الكلام من التجديف على الخالق وعلى حكمتهِ ما ينفر منهُ كلّ عاقل فضلًا عن كل رجل ذي دين اذ ينسب الى حكمة الله عزّ وجلّ تفريق الاديان حتى الشرك والوثنيّة ويجاهر بعدم مشيئتهِ تعالى ان يقوم الدين الصحيح ويُقدم الناس عليهِ أفهذا ما يعلّمهُ عبدالله افندي تلامذة مدرستهِ الوطنيّة ؟

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد من الموصل ما معنى « الاندلس » بلاد الاسلام قديماً في اسبانية وهل هذه الكلمة عربيّة

اسم الاندلس

ج الاندلس الثابت اسمها الى اليوم في اسبانيـة على صورة (Andalusia)

لفظة مصحّفة عن اصلها اللاتيني (Vandalitia) اي بلاد الفندال وهم جيلٌ من الامم ملكوا على شمالي افريقية واستولوا مدةً على جنوبي اسبانية فاشتقّوا اسم الاندلس من اسمهم ل.ش

س كتب من حمص جناب الصيدلي انطون يوسف تنلجي : ارجوكم ان تجيبوا على السؤالين الآتيين وقد عرضهما على احد المسلمين : ١ً لماذا المسيح وهو اله استقام في احشاء والدته تسعة اشهر وولد منها كبقيّة البشر ثم بقي ثلاثين سنة خامل الذكر قبل ان يظهر مجده الالهي . ٢ً لأي سبب لم يخلص يوحنا المعمدان من سجنه ولم يُحيه بعد قطع رأسه ويوحنا ابن خالته

السيّد المسيح في ميلاده – سبب اهمال يوحنا في سجنه وموته

ج الجواب على (الاوّل) انّ المسيح اخذ الطبيعة البشريّة كما هي في كلّ احوالها واطوارها ونقصها وقبولها للآلام والموت لم يستثنِ شيئاً الّا الخطيئة كما ورد في رسالة بولس الى العبرانيين (٤ : ١٥) وليس في الولادة من امرأةٍ خطيئةٌ . لا بل نعرف ويقرّ بهِ المسلمون مثلنا انّ السيد المسيح وُلد من مريم العذراء دون مجامعة بشريّة وانّ والدتهُ ثبتت على بتوليتها بعد ولدهِ . ثمّ لو كان المسيح ولد على غير طريقة لعَدّهُ الناس شخصاً خيالياً لا صحّة لناسوتهِ ولذلك اذا تكلّم عن نفسهِ يقول عن ذاتهِ انهُ ابن البشر . امّا عدم ظهورهِ للعالم قبل سنّ الثلثين فذلك حتى يعلّمنا بأعمالهِ وفضائلهِ ما كان مزمعاً ان يعلّمنا اياهُ بأقوالهِ كما قال القديس لوقا في فاتحة سفر الاعمال . ثمّ انّ علماء الشريعة بين اليهود لم يُقدموا على التعليم الّا في سنّ الكهولية لئلّا يُنسب كلامهم الى نزق الشباب فجاراهم المسيح في ذلك — ونجيب على (الثاني) انّ المسيح لم يشأ ان ينقذ يوحنا المعمدان من ايدي هيرودس وسمح بقتلهِ لاسباب . اوّلاً لانّ يوحنا كان قد اتمّ دعوتهُ وكانت دعوتهُ ان يبشّر بمجيء المسيح فلم يبقَ لهُ الّا «ان ينقص هو وينمو المسيح» كما صرّح بذلك هو ذاتهُ عن نفسهِ . وما الحاجة الى السراج اذا طلعت الشمس ؟ . وثانياً كان المسيح يعرف ما سينالهُ يوحنا من المجد بالاستشهاد ولذلك تركهُ في ظلمة السجن ولم يحيهِ بعد موتهِ لينال ثواب الشهداء ويشبه بذلك سيّدهُ الذي مات بعدهُ على الصليب وليس العبد افضل من سيّدهِ ل.ش

المشرق

يوبيل

السنة البعين

في خدمة الوطن والدين

وفيهِ خلاصة تاريخ واعمال راهبات القلبين الاقدسين

للاب لويس شيخو اليسوعي

في هذه السنة تحتفل راهبات قلبَيْ يسوع ومريم الاقدسين يوبيلهنَّ السبعينيَّ منذ اوَّل نشأتهنَّ في لبنان. فلا يسعنا ان ندع هذه الفرصة تفوتنا دون ان نقدّم لهنَّ باسم الدين والوطن التهانئ الحميمة لبلوغهنَّ هذا الشوط المديد من حياتهنَّ مع إعرابنا عن شكرنا المخلص على ما أدَّيْنَهُ في هذه الحقبة من الخدم الجُلّى لكافّة اهل سوريَّة ولبنان لاسيَّما بتهذيبهنَّ لبنات جنسهنَّ على اختلاف طبقاتهنَّ واديانهنَّ

ولمَّا كان معظم اهل بلادنا يجهلون تاريخهنَّ ومآثرهنَّ المتعدّدة رأينا ان ندوّن على صفحات مجلّة المشرق خلاصة اخبارهنَّ ليحيطوا علماً بما لهنَّ من الفضل العظيم على الوطن العزيز. قلنا «خلاصة اخبارهن» لأن تفصيل اعمالهنَّ وسيرة الاخوات الممتازات بينهنَّ يحتاج الى كتاب ضخم. جمعنا شتاتهُ ونودّ لو يفسح لنا الله العمر الكافي لنشره فانهُ بلا شك لمنّا يشرّف الوطن الذي من تربتهِ نبتت تلك الازهار النضرة التي عطّرت بشذاها كلَّ سكّانهِ

١ مبادئ جماعة راهبات قلبي يسوع ومريم

عاد الآباء اليسوعيّون الى بلاد الشام في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٣١ فجدّدوا رسالتهم القديمة التي بطلت سنة ١٧٧٣ لإلغاء رهبانيّتهم ببراءة البابا اكليمنضوس الرابع عشر . فلمّا احياها البابا بيوس السابع سنة ١٨١٤ اسرع بطاركة الطوائف الكاثوليكيّة فطلبوا من المجمع المقدّس رجوع اليسوعيين الى هذه الاصقاع. لكنّ عددهم القليل لم يسمح لهم بتلبية دعوة السادة البطاركة الى السنة ١٨٣١ حيث ارسل البابا غريغوريوس السادس عشر ثلثة منهم الابوين بولس ريكادونا ومبارك بلانشيه مع الاخ المساعد هنري هِنس جعلهم في رفقة السيّد مكسيموس مظلوم وهو حينئذٍ اسقف ميراليكية ليديروا في عين تراز مدرسةً اكليريكية لطائفته . واذ لم يتمّ هذا الامر لاسباب مختلفة وخصوصاً لاجل ترقية السيد مكسيموس الى السدّة البطريركيّة عدل المرسلون الى فتح اديرة كأسلافهم القدماء. فبايعاز الاميرين الامير بشير الشهابي الكبير والامير حيدر بلمع فتحوا سنة ١٨٣٣ ديرَيهما الاوّلين في بكفيّا ومعلّقة زحلة . ثمّ اختوهما بعد ازدياد عددهم بمجيء مرسلين جدد كالاب ريند استاف (الاب سليمان) والاب مكسيميليان ريلُو (الاب منصور) والاب بونيفاس سورانيا (الاب بطرس) والاب لويس ابو جي (الاب كسافاريوس) ، باديرة اخرى في زحلة وبيروت وغزير ودير القمر وصور وصيداء.

وكان المرسلون في هذه الاديرة وخارجاً عنها في انحاء لبنان وفي الداخليّة الى جهات دمشق وحوران يباشرون كلّ الاعمال الروحيّة التي اعتادها مرسلوهم من تبشير وتعليم وتدريس وتأليف باركها الله فأتت بأثمار جنيّة

على انّ الآباء ما لبثوا ان شعروا بحاجتهم الى من يسعفهم في تهذيب النساء وتربية الفتيات اللواتي عليهن المعوّل في تدبير البيوت وصلاح العيل المسيحيّة . وكان امرهنّ في ذاك الوقت مهملاً لا يوجد من يُعنى بتثقيفهنّ ما خلا راهبات المحبّة القادمات حديثاً الى بيروت وراهبات الزيارة في الزوق. فكانت المرأة التي تعرف القراءة تُعَدّ كآية بين آذا وفي قريتها

ففكّر المرسلون في طريقة لسدّ هذا الخلل فلم يجدوا لذلك الّا انشاء جماعة من

الراهبات يوقفن حياتهنَّ على هـذا العمل المبرور . ولكن كم كان هناك من العوائق المادّية والادبيَّة التي كانت تحول دون مرامهم فذلَّل الله تلك العقبات في وقت واحد لرسلَيْن قام كلٌّ منهما بهذا المشروع الجليـل في احدى جهات لبنان في السنة عينهـا وهي السنة ١٨٥٣ . ففيها أُنشئت في بكفيا جماعة الراهبات المعروفات بالمريمات وفي زحلة راهبات قلب يسوع الاقدس ودونك ملخَّصاً تحرير اخبار كلتيهما

٢ الراهبات المريمات

أُنشئت جماعتهنَّ في رأس العـام من السنة ١٨٥٣ برأي وتدبير الاب سليمان (استـاف) رئيس دير الآباء اليسوعيين في بكفيا وبمساعدة وهمّة الخوري يوسف الجميّل من أُسرة شيوخ الجميّل الذي خصَّص بيتهُ لمقرّ سكناهنَّ وللمدرستين وعُدَّ كالمنشئ الثاني لهذه الرهبانيَّة التي دُعيت اوَّلاً جمعيَّة بنات مريم ثمَّ عُرفت بعد زمن قليل بجمعيَّة المريمات . وكان اوَّل مَنْ انتظم في سلكها الواردة اسماؤهنَّ : ١ً دونا ابنة الحاج نصَّار وعمرها ٢٨ سنة وهي ارملة فهيم الجميّل شقيق الخوري يوسف من بكفيا . ٢ً اختها ليلى . ٣ً تقلا ابنة يوسف السوداء . ٤ً بطرسيَّة ابنة رحَّال الشُّبُق من حملايا . واتَّخذن لهنَّ كشفيعة ومحامية القديسة دوروتيـا المعلّمة والبتول الشهيدة الواقع عيدها في ٧ شباط

ووضع لهنَّ الاب سليمان قوانين موقَّتة وبيَّن لهن غـاية جمعيَّتهن المضاعفة اعني تقديس نفوسهنَّ وخدمة القريب خصوصاً بتعليم البنات في المدارس وباشرنَ مذ ذاك الحين بحياة قانونيَّة منظَّمة قُسمت ساعاتُهـا بين الاعمال الروحيَّة كالصلاة العقليَّـة وحضور الذبيحة الالهيَّة والقراءة التقويَّة والمناولـة الاسبوعيَّة وبين تعليم البنـات وتهذيبهنَّ . وقد فتحنَّ اوَّلاً مدرستين : الواحدة في ديرهنَّ ثمَّ في بيت آخر قدَّمهُ احد كهنة البلـدة اسمهُ الخوري طانيوس فكان عدد الفتيات اللواتي حضرن اوَّل يوم بالغاً السبع والعشرين ابنةً تولَّت تدريسهنَّ الاخت ليلى . والمدرسة الاخرى في بيت شباب كانت تعلّم فيهـا الاخت تقلا السوداء لكنَّ ليلى لم تثبت في دعوتها فنابت عنها شقيقتها الاخت دونا

وكان الاب سليمان يجمع بنـات مريم كلَّ يوم خميس ويلقي عليهن الارشادات

التي تبجّن في قلوبهنّ الروح الرهباني وتبيّن لهنّ واجبات دعوتهنّ . وكان اذا غاب ينوب عنهُ حضرة الاب يوسف الجميّل او الاب كسفاريوس (لويس ابرجي) . وكذلك منذ ذاك الحين اخذنَ ينفردن أياماً في بعض فصول السنة لممارسة رياضة روحيّة وتأمل الحقائق الابديّة وقد باشرنها في السنة الاولى في اوائل شباط استعداداً لعيد شفيعتهنّ القديسة البتول دوروتيا

فهذه العيشة المنظّمة وخدمة القريب المجّانيّة ألفتا اليهنّ نظر اهل بلدتهنّ والقرى المجاورة . فدخلت في جمعيّتهنّ في ١٢ شباط من تلك السنة الاولى ملكة ابنة ميخائيل علّم وعمرها ١٨ سنة ثمّ في ١٠ آب سارة خليل من بيت شباب وفي ٢٨ ايلول جهلانة ابنة عبّاس الجميّل وفي ٣٠ منهُ تقلا ابنة سلامة فرح من بحرصاف وعمرها ٣٠ سنة

فكان نموّ عدد طالبات الانضمام الى الجمعيّة داعياً لفتح مدارس جديدة كان الاهلون يطلبون انشاءها . ففُتحت في تلك السنة عينها مدرستا ساقية المسك والحارة في بكنيا ثمّ مدرسة ثالثة في قرية الشوير فبلغ عدد مدارسهنّ خمسةً وكلّها جارية على نمط واحد وترتيب واحد تتعلّم فيها البنات القراءة والكتابة واصول الدين والشغل اليدوي وكنّ يمتزنَ عن غيرهنّ بالحشمة والتقى فاصابت تلك المدارس من النجاح ما لم يكن في حسبان العموم . وكانت تبطل أيّام الآحاد والاعياد فتنتهز بعض الاخوات فرصة تلك العطلة ويذهبنَ سيراً على الاقدام الى القرى المجاورة ليعلّمن الصلوات والتعليم المسيحيّ للنساء والبنات فيرجعنَ عند الظهر

أمّا مصروفهنّ في حاجات المعاش واللبس فكان في غاية الاقتصاد يرتزقنَ من غلّات بعض الاملاك التي وقفها على الجمعيّة الخوري يوسف مرشدهنّ من ماله الخاصّ يُضاف اليها محصول اشغالهنّ وحسنات كان يتصدّق بها عليهنّ القاصد الرسوليّ السيّد بولس برونوني ورؤساء الرهبانيّة اليسوعيّة وبعض المحسنين من فرنسة ومن اهل البنات المتخرّجات عليهنّ . وكانت دونا الجميّل هي المهتمّة غالباً بامورهنّ الزمنيّة

دخلت السنة ١٨٥٤ وهي الثانية لجمعيّة بنات مريم وكلّهن مصمّمات العزم على الثبات في دعوتهنّ يخدمن الله والقريب بكل نشاط وتفانٍ . وكنّ يساعدن الآباء المرسلين في ادارة الاخويّات والرياضات النسائيّة وينشرن العبادات الكنسيّة .

ودخلت في ١٢ آب من تلك السنة الخجول ابنة طانيوس ابي فرنسيس وعمرها ١٧ سنة. وفي اواسط تموز فُتحت مدرسة للبنات في قرنة الحمراء اجابةً لطلب اهلها فأرسلت بطرسيَّة الرَّحال لتلك الغاية. ولبعد قرى بيت شباب والشوير وقرنة الحمراء عن بكفيا كانت الاخوات يَبِتْنَ فيها ويأتين الى بكفيا في أيام العطلة فقط لحضور الارشاد وتفسير القوانين. ثمَّ سعى الاب المرشد بان يكون في كلّ مدرسة اختان معاً تخفيفاً لأعباء التدريس عنهما بتقسيم صفوف الدارسات وترويحاً لنفسهما

وفي تلك السنة الثانية اخذت بنات مريم يفكّرنَ في تخصيص حياتهنّ لله بصفة راهبات مع ابراز النذور الرهبانيَّة فعرضنَ ذلك الفكر على الرؤساء فعُدَّ لهنّ ذاك العام كسنة ابتداء ليفحصنَ عن دعوتهنَّ ويُحكمن معرفة الواجبات الرهبانيَّة

فلمَّا كانت السنة ١٨٥٥ جمعهنَّ المرشد لرياضةٍ خاصَّة في اوائل شهر شباط وأفاض في مدَّتها في شرف العيشة الرهبانيَّة وعظم شأنها في الكنيسة وفي اليوم التاسع من ذاك الشهر الذي فيه وقع عيد مار مارون مع احتفال تثبيت حبل العذراء مريم بلا دنس بموجب براءة البابا بيوس التاسع اقيمت حفلةٌ خصوصيَّة لبست فيها السبع الاخوات الاولى الثوب الرهباني دون النذور . والثوب عبارة عن فستان اسود وحورانيَّة سوداء ومنديل على رأسهنَّ وعلى صدرهن صليب فشمل الفرح جميع اهل بكفيا. ورجعت الراهبات الى اعمالهنَّ برغبة جديدة. وانضمَّت اليهنَّ كطالبة شمس ابنة خليل حشيمه واخذت تلازم اشغالهنَّ . وفي ذاك الشهر فتحنَ مدرسة مزرعة يشوع كانت معلّمتها الاولى المبتدئة الخجول السابق ذكرها . وفي ايلول من السنة طلب سيادة مطران الابرشيَّة الطيّب الذكر يوسف جعجع ان تُرسَل راهبة الى حمانا الى معمل الحرير الذي للفرنساوي انطون فبريه لتُعنى بامر البنات اللواتي يشتغلن في ذلك المعمل وتدرّس فتيات القرية في بيت اوقفهُ لذلك الخوري بطرس حاتم فقامت بهذا العمل الاخت تقلا السوداء واحرزت ثقة سائر الاهلين

وكانت الرسائل تتوارد الى الرؤساء في بكفيا وكلُّها ثناء على خدم الراهبات في تهذيب الفتيات وعلى حسن سلوكهنَّ مع الجميع فكان ذلك دليلاً الى رضى الربّ بهذه الجمعيَّة. ولمَّا تمت السنة على لبسهنَّ الثوب الرهباني دُعين الى ابراز النذور الرهبانيَّة يوم عيد دخول المسيح للهيكل وذلك بعد مراجعة سيادة مطران الابرشيَّة

واستشارة القاصد الرسولي وقد تقرَّر ان تكون نذورهنَّ سنويَّة يُجدِّدنها في كلّ عام . وكانت الناذرات السبع السابق ذكرهن وقد ابدلنَ في ذلك اليوم اسماءهنَّ كما ترى: دُعيت دونا فهيم باسم «حنَّة» . وتقلا السوداء «دوروتيا» . وبطرسيَّة رحَّال «اغنيسة او انيسة» . وسارة خليل «بربارا» . وتقلا سلامة «مرتا» . وجهلانة الجميل «مريم» . وملكة علوان «مارينا» . وفيه ايضاً تقرَّر تغيير اسم بنات مريم بالمريمات فشاع بين العموم الى سنة انضمامهنَّ الى فرع زحلة الوارد ذكرهُ . امَّا المبتدئتان الجول وشمس حشيمة فانهما لم تنذرا الَّا بعد مدَّة عند نهاية السنة على لبس ثوبهما . فابرزت الاولى نذرها في ٦ آب ١٨٥٦ ودُعيت باسم ترازية والثانية لبست الثوب في ذاك الشهر يوم عيد انتقال العذراء الى السماء وفي السنة التالية (١٨٥٧) نذرت بحضور رئيس الرسالة اليسوعيَّة الاب يوحنا بيليوته شهيد الدروز سنة ١٨٦٠ وامام جمهور الشعب في العيد نفسهِ ودُعيت باسم تقلا

٣ بقيَّة اخبار المريمات (١٨٥٧—١٨٧٤)

دخلت المريمات بعد نذورهن في طور جديد فاهتممنَ باتمام كلّ الفرائض الرهبانيَّة التي جعلتهنَّ قدوةً للقريب ومسرَّة في اعين الله وقد نما خبرهن الى رومية فمنحهنَّ الحبر الاعظم الانعامات الروحيَّة وبركتهُ الرسوليَّة . وكان الاب كفناريوس (لويس ابرجي) تغيَّب مدَّة في عاصمة الكثلكة فاوقف المجمع المقدَّس على مساعي الراهبات المريمات ونال لهنَّ احسانات شتَّى دفعها لهنَّ عند عودتهِ

وازداد عدد الراهبات سنة ١٨٥٧ بدخول يوسفيَّة ابنة نصَّار من عائلة بيت داغر في ١٩ آذار ومريم ابنة الخوري بطرس فرج من مزرعة كفردبيان وعمرها ٦ سنة . وشاع في نواحي لبنان فضلهنَّ فطلبنَ اهل قرنة شهوان لتعليم بناتهم فلبَّينَ الطلب في ٨ ايلول . وبلغ خبرهن مسامع قائمقام النصارى الامير بشير احمد شهاب وهو مقيم اذ ذاك في برمانا فطلبهنَّ لتعليم بناتهِ ولفتح مدرسة في تلك القرية فأرسلت لهذه الغاية الاخت دوروتيا السوداء . وكان الدروز في حمانا يرسلون بناتهم الى مدرسة الراهبات وقد اعربوا غير مرَّة عن شكرهم لهنَّ وإعلانهم بطول باعهنَّ في التربية

ومن حوادث السنة ١٨٥٨ إنشاء مدرسة غزير التي اصابت نجاحاً كبيراً بهمَّة

الاخت مريم الجميل . وفيها دخلت الابتداء مرُون بنت الياس التركيّ من بيت شباب في ١٠ تموز . ولبست الطالبتان يوسفيّة نصّار ومريم فرج ثوب الرهبنة عند تمام السنة على دخولها ثمّ نذرتا في العام المقبل كجاري العادة

وفي السنة ١٨٥٩ في شهر اذار فُتحت مدرسة دير القمر وتولّت فيها التعليم الاختان بربارة خليل ومريم فرج وكان البروتستانت سبقوا ففتحوا لبنات البلدة مدرسةً اقبلت عليها الفتيات لكنهنّ ما لبثنَ ان عدلن عنها وتقاطرن الى مدرسة الراهبات رغماً عمّا بذلهُ المستر فُورْد من المال ليمنعهنّ عن هجران مدرستهِ الاميركانيّة . فبلغ في الاسبوع الاوّل عدد بنات المدرسة ١٣٠ بنتاً واقبلت في الوقت عينهِ نساء الدير على العبادة كأنّ الله اراد ان يعدّهنّ لنكبات السنة التالية . وفيها ايضاً طلبت راهبات الناصرة في مدينتي حيفا والناصرة ان تُرسل الى مدارسهن هناك بعض المربيات فأُرسلت الاخت تقلا حشيمة والاخت ترازيا ابو فرنسيس ثمّ بعد مدّة الاخت مريم الجميل . وفي تلك السنة دخلت الابتداء ست من البنات مريم زعرور وليلى الزغبي وفيلومينا من ميروبا وميلادة من مزرعة كفردبيان ودقدق غاريوس وامانة المزرعانية . ولبست الثوب الاخت مرُون التركي يوم عيد القديس اغناطيوس ودُعيت اوجانيا وفي ذلك اليوم زار الراهبات المربيات غبطة السيّد يوسف ڤالركا بطريرك اللاتين ثمّ القاصد الرسولي في سوريا واثنى على اعمالهنّ . وفي ٢٣ ت ٢ اختار الله لملكوتهِ المبتدئة ميلادة فكانت باكورة الميّتات بالربّ ولم يتجاوز عمرها ١٦ سنة فدُفنت في بكفيّا بكل اكرام

واخصّ ما جرى للمربيات في السنة ١٨٦٠ انهنّ قُضي عليهنّ ان يهربنَ في غرّة حزيران من وجه الدروز فذهبنَ الى غزير وبقين هناك شهرين الى ان عاد الهدو فرجعن الى بكفيّا واستأنفنَ التعليم في مدارسهنّ . الّا ان راهبات دير القمر وحمّانا ثبتنَ وعاينَ الحريق والنهب والمذابح التي جرت في جهاتهنّ وانّما الله نجّاهنّ من كل أذى وعزّى بهنّ المنكوبين . ودخل الابتداء في تلك السنة سيّدة ابو عكر من الدير وجميلة النبري من غزير وقد دُعيت الاولى بعد لبسها الثوب باسم لوسيا والثانية باسم باوليتا . وممّا استجدّ للراهبات المربيات من الاشغال انهنّ دُعين لمساعدة الآباء في بيروت للعناية بالايتام الذين قُتل اهلهم في حوادث تلك السنة فأدّين لهم خدم احنّ الأمهات

ومذ ذاك الحين اخذت احوال الجمعيّة تزيد انتظاماً بتهذيب المبتدئات وتهيئتهن للقيام بواجباتهنّ في القرى . وكان الناس يشهدون لسائر الراهبات بحسن التدبير والتربية ويطرنون وداعتهنّ وانسهنّ بالجميع ورضاهن بازهد المعاش . وكان الاساقفة والكهنة يطلبونهنّ لابرشيّاتهم ورعاياهم ففتحن مدارس متعدّدة في مجردفل وبكاسين وجبيل وجران وعمشيت ودرعون ودلبتا وزبوغا وزوق مصبح وشنعير وشكا والشبّانيّة وعجلتون وعين القبو وغرسطا وفالوغا وقرطبا وفيتولي والقليعات ومزرعة كفردبيان ولحفد والمختارة ومعاد ووادي العريش ووادي الكرم . ولكلّ مدرسة من هذه المدارس اخبارها الخاصّة لا يسعنا ذكرها باشرتهُ فيها كلّ راهبة من راهبات المريمات . وقد ساعد على نموّ جماعتهنّ حكمة رئيساتهنّ لاسيما الاخت حنة الحاج نصّار التي لم تدّخر وسعاً في نجاح اخواتها وأعطت الجمعيّة اربع بناتها . وكان الاب سليمان استاف مرشداً حكيماً يسعى ليلاً مع نهار في ترقية المريمات بالكمال الرهباني . ولمّا عُهدت اليه رئاسة الرسالة العامّة في اوائل السنة ١٨٥٩ خلفهُ الاب كسفاريوس (لويس) ابوجي فجرى على آثاره واحرز ثقة الراهبات وبقيت بهمّته جماعتهنّ راقيةً عدداً وفضلاً يسعفهُ في عمله الخوري يوسف الجميّل . ثم تناوب في ارشاد المريمات بعد الاب كسفاريوس فيلبوس كوش (سنة ١٨٦٣) ثم الاب يوسف لابورد (١٨٦٦) ثمّ الاب يوسف هوري (١٨٦٨) ثمّ الاب بولس بوشه (١٨٦٩) ثم الاب فيلمون رينو (١٨٧٢) ثم الاب بوشه ثانية ١٨٧١–١٨٧٣

ولم تقتصر المريمات على تربية البنات الحدثات بل كنّ يجمعنهنّ بعد نهاية دروسهن في اخويّات ليرشدنهنّ في حسن السلوك في العالم وكذلك كنّ لا يألونَ جهداً في تقديس العيل وربّات البيوت فيجمعنهنّ في ايّام محدودة لاقامة الفرائض والعبادات التقويّة ويدعونَ الآباء المرسلين للرياضات السنويّة يتولّين هنّ نظامها . وبهمّتهنّ شاعت في القرى عبادة الشهر المريمي وشهر القديس يوسف في آذار . وسعينَ خصوصاً في حفظ الايمان والتقوى في انحاء لبنان . وبقي فرع الراهبات المريمات منفرداً الى السنة ١٨٧٥ وفيها ضُمّ الى فرع راهبات قلب يسوع الاقدس

٤ اخبار فرع راهبات قلب يسوع في زحلة

بينما كان الاب سليمان استاف والخوري يوسف الجميّل يفرغان وسعهما في انشاء

جماعة المريمات لخدمة ذوات جنسهنّ بالمدارس والاعمال التقويّة في المتن وكسروان وسواحل بيروت الى الجبّة شمالًا كان مرسل آخر ساعياً بحلّ المشكل عينهِ في نواحي زحلة والبقاع ألا وهو الاب بولس ريكادونا احد اليسوعيّين الثلثة الاوّلين الذين قدموا الى الشام سنة ١٨٣٢ وكان في سياحتهِ الرسوليّة قد تحقّق انهُ لولا تهذيب الفتيات لا يمكن ترسيخ روح الدين والايمان في الاسر المسيحيّة . فأخذ يفكّر في وسيلة لسدّ ذاك الخلل وتأكّد انّ اقرب الطرق لذلك انشاء جماعة نسائيّة تُعنى بتعليم وتهذيب الاناث

واوّل ما رمى اليهِ ان يجمع بعض البنات التقيّات في زحلة او معلقتها فينفخ في قلوبهن روح الغيرة لينشرن بين النساء حقائق الايمان والآداب فضلًا عن تعليم الحدّاثات مبادئ القراءة والكتابة والشغل اليدويّ فسهّل لهُ الله تحقيق امانتهِ بوجود بعض البنات الصالحات اللواتي لبّين طلبتهُ بكل رغبة وكان في مقدّمتهنّ اربع بنات روم كاثوليكيّات : فروسين الصبّاغ وشقيقتها حنة ثمّ سيسيليا اليان وترازيا المكوي اقتدى بهنّ من طائفتهنّ بعد قليل تقلا اندراوس وفوميا واكيم ومريم الشويري ثمّ مريم منة الحجار واختها جدليّة . امّا المارونيّات اللواتي انضممن اليهنّ فسبقتهنّ روزا حبيقة ووردة حريقة وبريجيتّا الفصين ولوسيّا أيوب واغنس واصاف واماني شمعون ورجا القرطباوي . واكثرهنّ في العمر الغضّ بين ١٣ و ٢٠ سنة وجد فيهنّ الاب بولس نِعم المعينات لنشر التعاليم المسيحيّة في قرى لبنان وسهول البقاع

وكان الاب بولس ذا غيرة متّقدة يتأجّج قلبهُ حبًّا بربّهِ فلا يعيقهُ شيء في سبيل خدمتهِ فخصّ نفسهُ في تهذيب بناتهِ الروحيّات حتّى جاريتهُ في محبّة الله وخلاص النفوس . فاجتهد اوّلًا في تقديس سيرتهنّ بالاعمال الروحيّة ثمّ لقّنهنّ العقائد الدينيّة بحيث يمكنهنّ ان يفسّرنها لغيرهنّ ووضع لذلك كتاباً مفيدًا قسّمهُ فصولًا كان يشرحها لهنّ ثمّ يكرّرها على مسامعهنّ الى ان يستطعن تفسيرها على جماعات النساء والبنات واذا جاء الاحد ارسلهنّ اثنتين اثنتين الى القرى المجاورة فيقضين الصباح في ارشاد البنات وكان هو يذهب في اثرهنّ تارةً الى قرية وحينًا الى اخرى ليسمع اعترافات المؤمنين ويعظ للشعب . فنتج عن ذلك من الثمار الروحيّة ما لا يعلمهُ الّا الله

وكانت هذه الاعمال الرسوليّة كفاتحة لانشاء جمعيّة رهبانيّة كجماعة المريمات

دعاها الاب برلس جماعة راهبات قلب يسوع تميّزن بثوب رهباني وعيشة رهبانيّة منظّمة ثمّ فرّقهنّ على القرى ففتحنَ المدارس في زحلة والمعلّقة ووادي العرائش وتربل ورياق وشعليا ومكيس وقبّ الياس وسرعين وعين زبدي ومشغرا والقرزل وابلح. وكنّ يعشنَ بالزهد التام بما يقدمهُ لهنّ الاهلون من تلقاء ذواتهم. وكان سكناهنّ ايضاً كسكنى الفقراء يقنعن بحجرة واحدة لكافّة اشغالهنّ وفرائضهنّ. وكانت رئيستهنّ الاولى الاخت روزا حبيقة التي كانت بفضائلها السامية ومثلها الحيّ في تدبير جماعتها افضل منها بالكلام والانذار فتسابق الراهبات اقتفاء بآثارها الى كل عمل خير والى بلوغ ذروة الكمال لاسيّما بعد ارشادات الاب برلس الاسبوعيّة فيخدمن الله والقريب بكل سرور ونشاط

على انّ فقر راهبات قلب يسوع كان يعرّض البعض منهنّ للامراض والعاهات. فاخذ الاب يكاتب في ايطالية وفرنسة الجمعيّات الخيريّة لينال منها بعض المساعدات ثمّ الهمهُ الله وسيلةً اصابت النجاح التامّ. عرض على راهبات قلب يسوع الفرنسويّات ان تتكفّل طالبات كل مدرسة من مدارسهنّ بمعاش راهبة شرقيّة يقفن على احوالها. فجاءت هذه الطريقة وفقاً للمرام بهمّة رئيستهن العامّة صوفيا بارا (B^me S. Barat) التي اثبتت الكنيسة قداستها في هذه السنين الاخيرة وبواسطة الاب اليسوعي شرل دي دماس (Ch. de Damas) الشريف الاصل ونزيل سوريّة. ومذ ذاك الحين تحسّنت احوال جماعة راهبات قلب يسوع ووسّعن اديرتهنّ لاسيّما في المعلّقة مركزهنّ الاصليّ وابتنين فيه معبداً سنة ١٨٦٦ وقصصن وقتئذٍ شعرهنّ وجبّلنهُ بلاط المعبد. وكانت مدارسهنّ القرويّة على احسن حال والاهلون لسان واحد في الثناء على اعمالهنّ وروحهنّ الطيبة مع ما كنّ يقاسينَ احياناً من الفقر المدقع ومن معاكسة بعض الاشقياء الذين حالت الراهبات دون غاياتهم الشرّيرة

ثماني سنين قضينها هكذا في كل المشروعات الخيريّة لم يزلنَ يزدنها رقياً وتحسيناً الى ان وقعت نكبات السنة ١٨٦٠ وحرق الدروز مدينة زحلة فهرَبن الى الجبل ونزلنَ مدّة شهرين في غزير مع المريات الى ان هدأت الامور وزال الخوف فرجعن الى المعلّقة حيث رحّب بهنّ الجنود الفرنسويّون القادمون الى حراسة النصارى مع الجنرال بوفور وعوّضوهنّ عمّا فقدنهُ في وقت الحركة

ثمَّ استأنفن اعمالهنَّ بادارة المدارس في القرى وممارسة الرسالات وتهذيب النساء بهمّة جديدة تحت مراقبة مرشدهنَّ الجليل الذي بقي الى آخر نسمة من حياته لا يألو جهدًا في تثقيفهنَّ وتقدُّمهن روحيًا وزمنيًا فكانت وفاتهُ في ١١ ايلول سنة ١٨٦٣ والباقيات منهنَّ الى اليوم يعدّدن مبرّاته ويلتمسنَ بشفاعته نعماً وافرة. وقد اشتهرت منهنَّ بالفضل في تلك الحقبة الامّ روزا حبيقة السابق ذكرها ثمَّ الاخت فروسين واختها حنة الصبّاغ والاخت سيسيليا اليان والاخت تقلا اندواوس التي كانت خير مرشد للنساء في الاخويات والرياضات يدعوها المطارنة والكهنة لذلك ويحضرون ارشاداتها معجبين. والاخت مسيحيَّة ناكوزي من المتين والاخت لوسيًا أيوب من حمانا واماني شمعون من سرعين وغيرهن ولكل واحدة منهنَّ مآثر مخلّدة في ذاكرة مَن عرفوهنَّ وشهدوا سيرتهنَّ . وفي تلك الاثناء فُتحت رسالة بلاد البشارة فأنشأت راهبات قلب يسوع فيها مدارس في عين ابل ومعليا والجش وصند افادت اهل تلك الانحاء وبعثت فيها روح الصلاح

ثمَّ خلف الاب بولس في تدبير راهبات قلب يسوع الابُ بطرس مرتينوس (١٨٦٣—١٨٦٨) احد افاضل الرهبان الشهير بقداسته وعلمه وعزَّز جماعة راهبات قلب يسوع جارياً على مثال سلفه منظماً لقوانينهنَّ ثم تولّى بعده تدبيرهنَّ الاب يوسف لابورد (١٨٦٨) . وقامت بعد الام روزا حبيقة كرئيسة على راهبات قلب يسوع سنة ١٨٨٦ الاخت مريم الشويري فساست اخواتها بكامل صفات الام حبيقة جامعةً بين اللطف والشدَّة محرزةً لمحبَّة الجميع واعتبار العموم. وفي تلك الحقبة ايضاً دخلت بين الراهبات الاخوات ماتلدا حريقة واغنس واصاف والخليك عاصي وزيتا حبيقة وصولنجا زبيدة وروزالي الخوري مرهج وباولينا الحانك وكلهن عائشات يحفظن الى اليوم روح جماعتهنَّ التي ورثنها من مرشديها الاوّلين

٥ اشتراك فرعي المريمات وراهبات قلب يسوع ومحترفين

كان مرَّ على فرعي راهبات المريمات وقلب يسوع عشرون سنةً منذ انشائهما فبلغ عدد راهباتهما نحو المئة والثلثين ومدارسهما نيفاً والخمسين يعلّمن فيها نحو ٤٠٠٠ فتاة. وكان في الوقت ذاته اتّسعت اعمال الرسالة اليسوعيَّة في انحاء الشام بفتح اديرة

جديدة كحلب وحمص فرأى الرؤساء باشتراك الفرعين وتوحيدهما سهولةً في تدبيرهما ولاسيّما انَّ غايتهما واحدة اي تعليم الفتيات واسعاف ذوات جنسهنَّ . فتمَّ ذلك الامتزاج في اواخر شهر آب من السنة ١٨٧٣ فتوحَّدت المربيات وراهبات قلب يسوع وأُطلق عليهنَّ اسم واحد اعني راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين كما عمَّ جميعهنَّ نظام واحد في اللبس والمفاش والفرائض الروحيَّة وذلك بمساعي المرحوم الاب منصور نورمان رئيس الرسالة السوريَّة

معلوم ان الامتزاج بين جماعتين كبيرتين مهما اتَّفقتا مبدأً وغاية لا يحصل دون شيءٍ من النفور لاختلاف العادات وقلَّة اعتبار الاخلاق والطباع والامكنة فمع ما جرى وقتئذٍ من الفرح والبهجة من ذاك الاشتراك الذي تفاءل منهُ الناس خيرًا وقع ايضاً بعض انكماش وخلاف عكَّرا نوعاً صفاء القلوب وامتعض بسببهِ الرؤساء الذين وجدوا في تدبير الراهبات عبئاً ثقيلاً يُعيقهم في اعمال الرسالة

وحدث اذ ذاك في غزير وشكّا اختطاف راهبتين زاد أَسف رئيس الرسالة فحاول ان يرفع عن عاتق مرؤوسيهِ هذا الحمل الباهظ ليتفرَّغوا لما هو اجدر بدعوتهم وبمجد الله الاعظم فحتم السنة ١٨٧٦ على المبتدئات ان يَعُدْنَ الى بيوتهنَّ وعلى المترهبات ان يدخلن في جماعات اخرى من الراهبات كراهبات مار يوسف وراهبات الناصرة وراهبات الورديَّة او يُنَطْنَ ببطاركة واساقفة طائفتهنَّ او يعشن في العالم ان شئن . فاضطربت احوالهنَّ وانتقل البعض منهنَّ الى رهبانيَّات اخرى وغلب على كثير منهنَّ الكدر فلم يرضَيْن بجحود دعوتهنَّ فبقينَ تحت تدبير الآباء اليسوعيين في امكنة يهتممنَ بما أَلِفنَهُ من الاعمال الَّا انَّ مدارسهنَّ في القرى أُبطلت فحصل من جرَّاء ذلك ضرر عظيم في مدَّة اثنتي عشرة سنة دامت تلك المحنة ولم تنتظم بينهنَّ راهبة جديدة فكنَّ يواصلنَ اعمالهنَّ والهجس يتولَّى ضمائرهنَّ لما يتوقَّعن من اضمحلال جماعتهنَّ

على انَّ ذكر اعمال الراهبات ومآثرهن العديدة في كلّ انحاء لبنان وسوريَّة لم يزل في قلوب الاهلين فكانوا يعرضون على آباء الرسالة ان يعيدوهنَّ اذ ليس من يقوم بشروعاتهنَّ غيرهنَّ . ومثلهم السادة الاجلاء اساقفة الطوائف الكاثوليكيَّة ونيافة القاصد الرسولي الذين اختبروا غيرة اولئك الراهبات فطلبوا رجوعهنَّ . وكذلك احسَّ المرسلون بالنقص العظيم اللاحق بالدين بالغاء جماعة الراهبات فلم يزالوا يلحُّون على

ارباب الامر في رومية وفرنسة مثبتين بالتفصيل المساعي الخيرية التي كانت الراهبات يُعنَيْن بها حتى وافقهم الرؤساء الكبار وسمحوا سنة ١٨٨٨ ببقائهن وتنمية عددهن بفتح بيت للمبتدئات

٦ اعمال الراهبات بعد محترين

نقل المرحوم الاب اسطفان كلارِه هذه البشرى لجماعة قلبي يسوع ومريم فتلقَّتها الراهبات بما لا مزيد عليهِ من الفرح . وانتهز الرؤساء تلك الفرصة لتجديد غيرتهنَّ وتنظيم احوالهنَّ بحيث يخدمن الدين والوطن بما هو اوفق لترقّي البلاد وروح العصر. فاعادوا النظر في قوانينهن وضبطوها ثمَّ عرضوها على الكرسي الرسولي الذي اثبتها لعشر سنوات ثمَّ عاد وكرَّر اثباتها مع تحوير بعض بنودها

فبقي كما في السابق المقام الاوَّل للفرائضهنَّ الروحيَّة اليوميَّة والاسبوعيَّة والسنويَّة كما يليق بالجماعات الرهبانيَّة القانونيَّة

وتعيَّن للمبتدئات دير بيروت الذي عمَّرهُ وقتئذٍ الاب اوغسطينوس تردي ثمَّ نُقل الى دير غزير في طابق جديد بُني لتلك الغاية فبلغ عدد المبتدئات الى العشرين ثمَّ بُني اخيرًا في اعالي بكفيا دير كبير واسع الارجاء تلمّ الأُهبة خُصَّ بالمبتدئات والدارسات معاً

وعُني الرؤساء ايضاً في ذاك الحين بتنظيم مدارس الراهبات الدارسات فتعيَّن لهن المعلّمون البارعون ليتقنَّ مبادئ اللغة العربيَّة ثمَّ الصرف والنحو والبيان مع درس اللغة الفرنسويَّة والحساب والتاريخ والجغرافية فضلًا عن كلّ اشغال الخياطة والرقم والتطريز بحيث يحسنَّ تربية البنات فيخرجن بالاستعداد التامّ لضبط البيوت . واخذنَ في كلّ سنة يُقمن حفلات ادبيَّة تمثل المتخرّجات عندهنَّ الروايات اللطيفة المؤثرة في القلوب او يُلقين المحاضرات المناسبة لدروسهنَّ او يعانين المواد المدرسيَّة والاشغال الاهليَّة بحضور اهلهنَّ

وعادت اذ ذاك جماعة راهبات القلبين الاقدسين الى ما كنَّ عليهِ قبل المحنة من النموّ والترقّي ادبيًّا وماديًّا لاسيَّما بعناية رئيساتهنَّ الفاضلات اللواتي كانت المتقدّمات في الجمعيَّة ينتخبنهنَّ . وكلّ يعرف ما بذلتهُ من الهمَّة والتفاني لادراك هذه الغاية

حضرة الرئيسات مريم فرج وافراسيا ابي حسن وسيسيليا عتيقي ومريم يوسف وماتيلدا حريقة ومساري اوغسطين الى حضرة الرئيسة الحاضرة الام كاملاً حكيم وكنّ جاريات في هذه الانتخابات بموجب قوانين الجمعيّة بكل سكينة ونظام

وكان في الوقت ذاته يقيم رؤساء الرسالة مرشدين حكماء لمراقبة الجمعيّة والعناية بامورها وتعزيزها بكافّة وجوه البرّ والصلاح . فقام بهذه المهمّة المرحومون الآباء يوسف لابورد وبولس بوشه واوغسطين تردي وفيلمون رينو واستانسلاوس شيخو ثمّ الآباء الافاضل انطون صالحاني وجرجس الجليل وادوار وبولس ماترن الى مرشدهنّ الحاضر الاب ابيل ديد

وقد بلغ في غرّة هذه السنة عدد راهبات القلبين الاقدسين ١٩٨ راهبة ٢١ منهنّ في دير الابتداء لهنّ من الاديرة ٣٨ ديراً يبلغ فيها عدد البنات المتخرّجات عليهنّ نيفاً و٥٠٠٠ . وقد عدلنَ بعد المحنة عن بعض القرى الصغيرة الى غيرها اعظم منها شأناً في جهات عكّار وانحاء الشام وحمص . وكذلك دُعين الى مصر فخدمن اهلها مدّة نحو عشرين سنة في المنيا وطحطا والملاوي . ودونك اسماء اديرتهنّ حاضراً على ترتيب حروف المعجم : ١ بعلبك . ٢ البترون . ٣ بكاشين . ٤—٥ بكفيا : دير سيّدة النجاة ودير المبتدئات والدارسات . ٦ بيت شباب . ٧ بيروت . ٨ تعنايل . ٩ جبيل . ١٠ جزّين . ١١ جونية . ١٢ الحدَث . ١٣ حريصا . ١٤ حلب (ثلث مدارس) . ١٥ حمص . ١٦ حمانا . ١٧ خنشارة . ١٨ الدامور . ١٩—٢٠ دمشق : (مدرستان في المدينة ومدرسة في الميدان) . ٢١ راس بعلبك ٢٢—٢٣ زحلة والقاطع (اربع مدارس) . ٢٤ الشوير . ٢٥ صفد ٢٦ عندقت . ٢٧ عين ابل . ٢٨ غزير . ٢٩ الفاكهة . ٣٠ قرنة شهوان . ٣١ كفرون . ٣٢ متين . ٣٣ مزرعة كفردبيان . ٣٤ معلقة زحلة . ٣٥ معلولا . ٣٦ معليا . ٣٧ النبك . ٣٨ يبرود

وقد تتألّف جماعة راهبات القلبين الاقدسين اوّلاً من رئيسة عامّة تنتخبها كلّ ستّ سنوات الراهبات في عدد عشرين في مجمع خاصّ بموجب طريقة معيّنة في قوانينهنّ . وثانياً من اربع معاونات يكون انتخابهنّ في المجمع لمساعدة الرئيسة العامّة . وثالثاً من رئيسات محليات يُنتخبْن لثلث سنوات مع الجواز بتجديد رئاستهنّ لمرتين اخريين في الدير نفسه وتعيّنهنّ الرئيسة العامة بموازرة معاوناتها وتصديق مرشدهنّ العام .

ورابعاً من راهبات ناذرات . ينذرنَ بعد امتحانات الابتداء نذوراً موقتة وهي اربعة الفقر والعفّة والطاعة والرسالة يجدّدنها كلّ سنة في الرياضة السنويّة وهذه النذور تصبح دائمةً بعد عشر سنوات

٧ نظر عام في اعمال راهبات القلبين الاقدسين

قد سبق انّ تعليم البنات كان الغاية الاولى التي دعت الى انشاء راهبات قلبي يسوع ومريم ولعمري انهنّ في ذلك اصبنَ القدح المعلّى منذ تأليف جماعتهنّ وخصوصاً في القرى وتعليم الفقيرات فانك قلّما تجد في لبنان فتاةً تعرف القراءة والكتابة ومبادئ العلوم والاشغال اليدويّة البيتيّة الّا عاد الفضل في ذلك الى الراهبات الوطنيّات . ولم يقصرن تعليمهنّ على بنات الطوائف الكاثوليكيّة بل شملنَ بهمّتهنّ كثيراً من بنات الروم والمسلمين والدروز ولذلك احرزنَ محبّة جميع الاهلين وقد اكرمهنّ المسلمون والدروز ودافعوا عنهنّ في ضيقاتهنّ . وكان ارباب الدولة التركيّة يجلّونهنّ ويزورون مدارسهنّ ويجودون عليهنّ بالهبات ويثنون على فضائلهنّ وقد اختبرن ذلك غير مرّة ولاسيّما في زمن الحرب الكونيّة الاخيرة حيث حظينَ برضى أولي الامر

ولم يكن تعليمهنّ هذا الّا وسيلةً لتهذيب الفتيات وترسيخ حقائق الدين وتوطيد اركانه في قلوبهنّ . وقد انتشرت بمساعيهنّ حفلات شائقة اخصّها حفلات المناولة الاولى يُعدّدنَ لها الحدّاثات ويجعلنَ ايّامها ذات ابّهة ورونق عظيم فيتأثر منها كلّ من يحضرها

وممّا اشتهرن به ولم يزلن رسالاتهنّ في ايّام الآحاد والاعياد اذ تذهب منهنّ اثنتان او اكثر الى القرى المجاورة لديرهنّ فيجمعنَ صغار الجنسين ويعلّمنهم الصلاة والتعليم المسيحيّ الى ان يتأهّبوا لقبول الاسرار وخصوصاً القربان الاقدس وهذه الرسالات تبلغ نحو المئة يتهذّب فيها نحو عشرة آلاف ولد او فتاة

ومن اعمالهنّ التقويّة عنايتهنّ مع الآباء المرسلين او كهنة الرعايا بترتيب اخويّات مريم العذراء والمحبّة الصالحة والملائكة الحرّاس ما ينيف عن مائة اخويّة فينعشنَ بها روح التقوى في قلوب النساء . ومثلها عبادات الشهر المريمي وشهر قلب يسوع وشهر القديس يوسف ورسالة الصلاة واسعاف انفس المؤمنين في المطهر فكلّ

ذلك نال بهمتهن رواجاً وانتشاراً حيثما حللن . وكم شكر لهن المرسلون حسن تدبيرهن لفرائض الرياضات فتضاعفت ثمارها بنظرهن . وكثيراً ما اهتدى على ايديهن الى الايمان بعض المنفصلين والبروتستانت كما ارتد الى التوبة بارشادهن بعض الخطأة واعداء الدين

وكن حيثما يستطعن الامر يعنين ايضاً باعمال الرحمة . فمن ذلك عدة مستوصفات خدمن بها المرضى والفقراء في حمص وغزير والمنيا والملاوي . ولم يكن ليتأخرن عن عيادة المرضى حتى في زمن الاوبئة فانهن في دمشق وحلب وحمص كن يرافقن المرسلين فيخدمن المطعونين او المصابين بالهواء الاصفر غير مكترثات بالخطر الملم بهن

ولما انتدبتهن الدولة التركية في سنة الحرب الثانية الى ادارة مأوى للفتية والفتيات المبؤوسين أجبن الى دعوتها بطيب الخاطر فخدمن اولئك المنكوبين بمحبة ونشاط لم يعرفا الملل فحفظن للوطن مئات بل الوفاً من اهله الذين تعول عليهم الدولة في شؤونها وساعدن المئين منهم على الفوز بالوفاة الصالحة

ومما يستحق الذكر من هذا القبيل عقدهن الشركات الخيرية في كثير من اديرتهن لمساعدة الفقراء اشهرها شركة القديسة جان دورك التي فتحت باب الفرج لعدد من المعوزين واليتامى بما تستحضره المشتركات من الملابس يوزعنها عليهم مجاناً

فهذه الاعمال ذكرناها اجمالاً وغيرها كثير ضربنا عنها صفحاً تبين للقراء افضل السعاة بخير الوطن ممن يؤثرون العمل على القول والتفاني المجهول على الطنطنة الفارغة . فما لنا الا ان نكرر آيات الشكر لهؤلاء الملكات المنظورين ونهنئهن ببلوغهن السنة السبعين من انشائهن ونطلب من الله ان يزيد جماعتهن عدداً وفضلاً بمنه تعالى وهو السميع المجيب

ترجمة حياة وتآليف

القس بطرس نصري الكلداني

للشماس عبد يشوع طوبيا الموصلي

هو القس بطرس بن جرجس ابن القس فرنسيس ابن الشماس ججو . ابصر النور في مدينة الموصل في محلّة مار ايشوعياب في ٢٠ حزيران سنة ١٨٦١ واعتمد في ٢٩ منه وسمي باسم القديس بطرس الواقع عيده في ذاك اليوم . وقد تتلمذ على العالم الشهير الخوري يوسف داود وهو السيد يوسف اقليميس داود مطران دمشق على السريان . ولمّا راى تلميذه مائلاً الى الدرجة الكهنوتية سعى بارساله الى مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومة وذلك بعد الاتفاق مع السيد لاون القاصد الرسولي . وكان وصوله اليها في ٢٦ آذار سنة ١٨٧٨ . وقد اظهر في سني دراسته نشاطاً ونجاحاً عظيمين فانه نال مراراً كثيرة جوائز سنوية وحاز على شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت . ولما كانت السنة ١٨٨٧ ارتسم كاهناً في ٩ نيسان على يد الكردينال بترا في كنيسة مار يوحنا اللاترانية وفي ٩ تشرين الاول وصل الى وطنه الموصل بعد ان مرّ بمصر ولبنان وزار الاراضي المقدسة

ومنذ هذا الوقت ابتدأت تتجلّى مواهبه العقلية التي وهبه اياها الله وانكبّ على الدرس والتاليف بهمة لا تعرف الكلل او الملل . ومن جملة اعماله الكهنوتية انه خدم جماعة الكنيسة البطريركية المعروفة بالقديسة مسكنتة الى حين وفاته . وعلّم اللاهوت النظري في المدرسة الاكليريكية البطريركية المحسنة ١٩١٣ وكذلك علّم في عين المدرسة اللاهوت الادبي والفلسفة مدة من السنين . ولم يخرج في كل حياته الكهنوتية من الموصل الّا لقضاء مدة قصيرة في بعض قراها واديرتها . ومنهُ يظهر شدّة حرصه على وقته الذي استثمرهُ لغاية مقدسة عمومية وهي انكبابه على الدرس والتاليف فترك عدة مؤلفات ثمينة لم يفتر عن كتابتها حتى الايام الاخيرة من عمره الى ان لقي

اجلَهُ فسلَّم روحهُ بيد خالقه عقيب مرض قصير وذلك في ٨ تشرين الاول من سنة ١٩١٧ . وكان رحمه الله كاهناً بارًا متقدًا بمحبة الله وخلاص النفوس متشبهاً بفضائل المعلم الالهي قاضياً حياته كلها لمجد الله وفخر الكنيسة

وهوذا جدول مؤلفاته التي منها يُستدلّ على وسع معارفه المتنوعة

١ كتاب الاصول الفلسفية	حجم كبير في جزئين في مجلد واحد عُني بجمعها ونقلها وتأليفها وهي تحتوي على نص مار توما ولكن بترتيب مختلف اعني فيها مقدمات وشروحات مأخوذة عن اشهر المؤلفين حتى الحديثين . قسمها الى ثمانية مجلدات . وهي : (٢) في الاماكن او الينابيع اللاهوتية . (٣) في الله الواحد . (٤) في سرّ الثالوث الاقدس . (٥) في افعال الله الى الخارج . (٦) في نعمة الله . (٧) في سرّ التجسّد . (٨) في تدابير السيد المسيح خاصة على الارض . (٩) في غاية العالم
٢–٩ الاصول الشهية في خلاصة الخلاصة اللاهوتية	
١٠ الاصول اللاهوتية في امتيازات واعجاد مريم العذراء	عني بجمعه ونقله
١١ مار توما : الخلاصة اللاهوتية في اسرار الكنيسة	يحتوي على ٧٢٧ ص بحجم كبير
١٢ مار توما : اماني القلوب في دحض اضاليل الشعوب (Contra Gentes)	« « ١٠١٧ صحيفة بحجم كبير
١٣ كنز الاثار الشرقية في تواريخ البيعة السريانية الكلدانية	تاليفه . له نسختان مطولة ومختصرة وهذه الثانية هي المطبوعة في مطبعة الاباء الدومنيكيين في الموصل في مجلدين غير ان المجلد الثاني لم يطبع منه الّا ٤٤٧ صحيفة

١٤ التحفة السنية في تاريخ سلسلة الابرشيات الشرقية	هذا المجلد يحتوي على ما ذكر وعلى جزء آخر هو مختصر تاريخ السريان الكاثوليك وكنائس الموارنة واليعاقبة
١٥–١٦ تعزيز اليقين في تصديق الدين	تاليفه في مجلدين
١٧ تاريخ ابن العبري الكنسي	جزآن في مجلد واحد. ترجمهُ الى العربية واضاف اليهِ بعض الحواشي
١٨ المنهج السديد في استعداد الانفس الى الدار السعيد	٦٢ موعظة لايام الصوم الكبير والفصح تأليفه في (٩٤٢ ص)
١٩ الدستور الثمين في ترويض الالباب وارشادها الى ميناء الخلاص	تاملات او خطب للرياضة او الاختلاء الباطني. تاليفه
٢٠ المكتبة السنوية في قوت النفس باسرار الحياة الروحية	تاملات لكل ايام السنة الّا ان المؤلف لم يكتب منه إلا المجلد الاول من كانون الثاني الى ايار منهُ ٨١٨ صفحة بحجم كبير
٢١ التحفة الشهية	تكريس شهر آذار لمار يوسف. تاليفهُ
٢٢ سنهدوس الطائفة الكلدانية	يقسم الى ثلاثة اقسام : (١) الايمان (٢) الاداب (٣) التهذيب وهو كتاب من أجلّ تاليفه (٥٩٠ ص)
٢٣ تواريخ الكنيسة السريانية الشرقية والغربية	يحتوي القسم الاول على خلاصة تواريخ الكلدان والناطرة . والقسم الثاني مقالة عن المعتقدين بالطبيعة الواحدة ليوسف السمعاني نقلها عن اللاتينية الى العربية واختصرها
٢٤ مجموعة آثار تاريخية	هذه المجموعة تحتوي على نسخ خطية لغير مؤلفين مع مقالة هي تأليفه تبحث عن التعاليم الواقع فيها التباين بين الكلدان والناطرة
٢٥ تاريخ الناطرة ومؤلفيهم	يحتوي على مختصر تاريخ الكنيسة الكلدانية النسطورية تاليف لويس السمعاني ترجمه من اللاتينية الى العربية واتمّ اخباره الى هذا الزمان واضاف عليه بعض الحواشي التاريخية . وفيه ايضاً مقالة عبد يشوع الصوباوي في مؤلفي الناطرة الكنسيين ليوسف شمعون السمعاني

٢٦ خلاصة معجم البلدان	باللغة العربية والسلاتينية والكلدانية واضاف ملحقاً اليها اخذاً عن مؤلفين شرقيين كثيرين هو تأليف ياقوت الحموي سمى بتلخيصه وايجازه ٤٧٨ ص بحجم كبير

وقد نقل بخط يده نسخة من كتاب الحجج الراهنة لمؤلفه الخوري يوسف داود قبل طبعه بسنين عديدة

ولهُ عدا ذلك مقالات متفرّقة في مجلتي « الكنيسة الكاثوليكية والمشرق » وكراريس متفرقة في مواضيع عديدة. ولا يخفى ان كل الكتب المندرجة آنفاً هي بخط يده اجزل الله ثوابهُ

في البطريركية الانطاكية

بقلم حضرة القسّ اسحق ارمله السرياني (تتمة)

٧ بطاركة المتوفستيين الانطاكيين

١٦٦٢–١٧٨٢

٧٣ (اغناطيوس عبد المسيح الاول) الرهاويّ تولّى البطريركية عام ١٦٦٢ وتوفّي في آمد سنة ١٦٨٦ وهو الذي سيّر سنة ١٦٦٥ ابن اخته غريغوريوس بطرس مطران اورشليم الى بلاد الملبار بالهند فاستمال الى المعتقد المتوفستيّ جماعةً كبيرة يبلغ عددها اليوم ٢٤٨،٧٤١ نسمة. وعام ١٦٧٤ انتقض على البطريرك الشرعيّ اهالي طور عبدين فرسموا حبيباً المذياتي بطريركاً وتولى البطريركية وحده ستة اشهر بعد وفاة البطريرك عبد المسيح سنة ١٦٨٦ ثم نُصب في السنة ذاتها البطريرك كوركيس

او جرجس الثاني فاضطرّ البطريرك حبيب ان يتزيّا بزيّ راعٍ وينهز شيوخ طور عبدين وجاءوا به واستمرّوه بطريركاً حتى وفاته عام ١٧٤ (اغناطيوس جرجس الثاني) بعد وفاة البطريرك عبد المسيح الاول الى القربان كوركيس الموصلي ليحضر الى دير الزعفران ويتقلّد البطريركية الطران اسحق ابن اخته وقصدا البطريرك حبيباً وعرضا عليه الامر فاستعفى واخذ كاغداً ختمه بختمه وقال لهما: اكتبا ما بدا لكما. (لانه لا يكتب) فاستلما الكاغد واتجهوا الى ماردين ونزلا في دار يشرع فيه كان قد اخربه الاكراد منذ ثلاثين سنة . وارتسم كوركيس بطريركاً ١٦٨٦ بوضع يد شقيقه القربان اسحق . وهذا البطريرك شيّد كنيسة وجدّد دير الزعفران سنة ١٦٩٧ وابتنى فيه عام ١٦٩٩ الغرفة المعروفة وزيّن اطراف مذبحها بحجارة كتب فوقها بحروف سطرنجيلية فخمة (١٦ : ١٣—٢٠) حيث يستودع السيد المسيح المفاتيح لبطرس زعيم

غير ان ثلاثة من اساقفة طور عبدين وهم عازر ودنحا وبهنام كوركيس وعاندوه ورسموا عازر مقرياناً وعازر رسّم دنحا وبهنام اولهما لطور عبدين (١) وثانيهما لماردين . فتنتر البطريرك كوركيس غيظاً فحرمهما وحرم القربان معهما فانهزم القربان الى اصبهان ثم انقلب وأدّى الطاعة للبطريرك وتبعه البطريركان دنحا وبهنام فقبلهما البطريرك بصفة مطرانين . لكن البطريرك دنحا انتقض عليه وسار الى طور اورشليم وقوّر دستور الايمان الكاثوليكي امام رئيس الرهبان الذي عليه بعاقبة اورشليم فدسّوا له السمّ وقتلوه . اما البطريرك بهنام فساد بالتبك بأمر البطريرك كوركيس . ولكن نصّب بشارة دبك مار يوليان فأوفد البطريرك كوركيس وحرمهما معاً فانهزم البطريرك الحبش وتوجه الاسقف بشارة الى حلب واقرّ بالمعتقد الكاثوليكي وهاج وتنتر شمعون مطران المعدن فرسم يوسف ابن اخته

١) ورد اسم البطريرك دنحا العرناسي ابن حوشاب في تنتيش ١٧٠٨ (المطلب المشرق ١٦ : ٦٧٤)

صليبا اسقف قِلِث فنصب كلاهما شمعون المذكور بطريركاً (١ فارسل البطريرك كوركيس وحرمهم ثلاثتهم . وظلّت نيران الخصام محتدمة حتى أقبل المطران يوسف وصليبا الى ماردين وادّيا الطاعة للبطريرك كوركيس . امّا شمعون البطريرك فاستمرّ ثلاثة اعوام حاقداً ثم شخص الى ماردين وتاب فقبله البطريرك وقال له : «لا يكن اسمك بطرك شمعون بل انبا شمعون »

وبدهاء البطريرك كوركيس نُفي السيد اغناطيوس بطرس شاهدين بطريرك السريان الكاثوليك (١٦٧٨—١٧٠٢) الى قلعة آطنة مع رفاقه المطران رزق الله والقس نعمه والقس ارسان والربّان عبد النور وغيرهم (٢

واشتهر آنئذٍ الشمّاس ايليا ابن الكزبر المارديني الذي اعتنق الايمان الكاثوليكي عام ١٧٠٢ فعاداه البطريرك كوركيس ووشى به الى خليل آغا حاكم ماردين فحبسه في آلتون باغي ثم سرّحه وغرّم المنوفستيين ألفي غرش . وأصاب منوفستيو ماردين ابنَ الكزبر بأذًى شديد وكبّدوه خسائر باهظة . وعلى من رغب الوقوف على خلاصة اخباره ان يراجع مجلّة الشرق في سنتها الثانية عشرة

وعام ١٧٠٨ فشا الطاعون وفتك بنصارى ماردين فاتى البطريرك كوركيس من دير الزعفران واتّفق مع المسلمين والنصارى على اقامة الصلوات ليكفّ الربّ سخطه عن الاهالي . فقصدوا جميعاً دير مار ميخائيل وصلّوا . ثم اخذ البطريرك يخطب فيهم وما كاد ينهي الخطبة حتى احمرّ واصفرّ وسقط على الارض وتلجلج لسانه واختلّ عقله . وأمسى جسمه كجمر نار متّقد وأُصيب معه ثلاثمائة شخص ماتوا بأسرهم . امّا البطريرك فنُقل الى دير الزعفران بين حيّ وميت وظلّ على هذا النزاع ثمانية ايام حتى خرجت روحه في ٥ حزيران ١٧٠٨ وفاحت منهُ روائح مستكرهة . فتقدّموا ليغسلوه ويكفّنوه فطُعن الذي غسله ومات وكذلك الذي كفّنه والذي قبره . ثم كلّسوا القبر ولكن الرائحة لم تزل منبعثة . وفي اليوم ذاته مات القاضي والمفتي والخطيب والمدرّس . قال ابن الكزبر ما نصه : حقًّا اني ما اكذب في هذا الكلام بل نقّصتُ وما زدت »

١) يتحصّل مما ورد في المتن ان المنوفستيين كان يسوسهم اذ ذاك خمسة بطاركة وهم كوركيس وحبيب ودنحا وبنام وشمعون [اطلب الحاشية على العدد ٥٧]

٢) كان مع البطريرك والمطران ستة قسان (اطلب كتابنا الزهرة الزكيّة ص ٩١)

وهذا البطريرك اضطرّ السريان الكاثوليك في حلب ان يعودوا الى المنوفسيّة بعد ان جحدوها قبل ثماني وثلاثين سنة . وكان ابناء ملّته يعمدون اطفالهم عند الارمن اذ لم يكن عندهم ميرون

٧٥ (اغناطيوس اسحق الثاني) ظلّ الكرسيّ البطريركيّ زهاء سنتين فارغاً وفي ٨ شباط ١٧٠٩ نُصب المفريان اسحق خلفاً لخالـه في ديار بكر ثم قصد دير الزعفران ورسم بعض القسان والشمامسة . وفي ٢٠ تموز ١٧٢٢ استدعى تلميذه شكرالله مطران حلب وسلّمه عصا البطريركية بحضور اثني عشر اسقفاً . ثم انطلق الى الموصل وطنه وفيها توفي في ١٨ تموز ١٧٢٤ ورسم ثمانية اساقفة والمفريان شمعون الطورانيّ . وهذا المفريان صنّف تسعة كتب وهي كتاب سلاح الدين وترس اليقين . وكتاب ثاولوغيا . وكتاب مركبة الاسرار . ومواعظ . وكتاب اجنحة السرافين . وتفسير الصلاة الربية والقلس الاخير . وميامر . وقوانين . وكتاب الدرّ الثمين . وتعكّف احدى عشرة سنة في دير مار يعقوب فوق دير الزعفران وخدم المفريانيّة خمس عشرة سنة . ويوم الجمعة العظيمة سنة ١٧٤٣ سخط الكرديّ عبد آل آغا عليه وعلى تلميذه المطران رزق الله لانه لم يرخّص لاحد ابناء ملّته ان يتزوّج بابنة عمه فقتله الآغا وقتل تلميذه ونُقلت رفاتهُ الى باسبرينا ودُفن في كنيسة مار دادا

٧٦ (اغناطيوس شكرالله الثاني) ابن صنيعه الارديني رسمه المفريان شمعون الطوراني(١) بطريركاً سنة ١٧٢٣ بحضور سبعة اساقفة . وكان هذا كتب سنة ١٧١٦ دستور ايمانه بالعقائد الكاثوليكية يوم كان مطراناً في حلب ودفعه الى الخوري يوسف سمعان السمعاني ولكنه حنث في وعده وعهده . وفي تموز ١٧٢٠ نفي الى جزيرة ارواد لسبب الشغب الذي أثاره في حلب وبعد اربعة شهور انقلب الى ماردين وصار بطريركاً بالرشوة . وتغلّب على يوسف الثالث بطريرك الكلدان مدّعياً انه يحرّض النصارى على محالفة الفرنج اعداء الاتراك فنُفي سنة ١٧٣١ ثم عاد الى مركزه بشرط ان لا يعود يحثّ احداً على اعتناق الايمان الكاثوليكيّ . وتوفي البطريرك شكرالله في ديار بكر في ١٠ ايلول ١٧٤٥ ورسم ستة عشر اسقفاً وسافر الى مصر وجمع اموالاً كثيرة وعمّر بيت مار مرقس في اورشليم ودير مار قرياقس في البشيريّة

(١) ويُروى انّ سالفهُ هو الذي رسمه

بديار بكر وصنَّف كتاب خطب سمَّاهُ « الاعتقاد الصحيح في ايمان المسيح »

٧٧ (اغناطيوس جرجس الثالث) الرهاوي تقلَّد البطريركيَّة في آمد في ١٣ تشرين الاوَّل ١٧٤٥ بوضع يد توما مطران اورشليم وحضور اربعة اساقفة . ولقي حتفه في تموز ١٧٦٨ ودُفن في ضريح عمه البطريرك عبد المسيح الاوَّل بديار بكر . ورسم عشرة اساقفة وسابعهم هو السيد ديونوسيوس ميخائيل جروه مطران حلب . وتاسعهم هو المفريان شكرالله الحلبيّ الذي أوفده الى الملبار سنة ١٧٤٩ (١ فرسم هناك اساقفة وكهنة وشمامسة وايَّدهم في المتوفستيَّة وابتنى لهم سنة ١٧٥٨ كنائس ومدرسة . وهو الذي نصب طيموثاوس توما القطربلي مطراناً على جرجر (٢ فصدر منه ما لا يليق بمثله فنُقل الى الرها وافتعل فيها القبائح فحُرم ونُفي ثم أذى الطاعة للبطريرك فردَّه الى كرسيّه

٧٨ اغناطيوس جرجس الرابع) الموصليّ خليد البطريرك جرجس الثاني نُصب بطريركاً في دير الزعفران في ١٧ آب ١٧٦٨ بحضور اربعة اساقفة وقيل ثمانية . وحلَّت وفاته في دير الزعفران في ٢١ تموز ١٧٨١ وابتنى كنيسة في آزخ ورمَّم كنيسة الجزيرة . وقبل وفاته اشار على الاساقفة ان يرسموا خلفاً لهُ السيد ميخائيل جروه مطران حلب

٨ البطاركة المتوفستيون الانطاكيون الاخرون (١٧٨٢—١٩٢٣)

٧٩ (اغناطيوس ميخائيل الثالث) هو من اسرة جروه الحلبيَّة توَّج بطريركاً في دير الزعفران في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٢ بحضور السيد بطرس عازر مطران الارمن والسيد شمعون مطران الكلدان واغناطيوس الراهب الكرمليّ . وشرط على الاساقفة والشعب ان يعتنقوا الايمان الكاثوليكي فساجابوا الى طلبهِ وقرَّر اربعة مطارنة منهم دستور الايمان الكاثوليكي في بيعة الاربعين بماردين وهم جرجس بشارة مطران اورشليم . واثناسيوس موسى صبَّاغ مطران طرابلس . وايوانيس نعمة الله الصدّي مطران دمشق . وابرهيم نعلبند مطران حمص وحماة

١) المشرق (١٢ : ٣٢٠)

٢) جرجر بلدة واقعة بين اورفا وسويرك

غير ان اساقفة طور عبدين اجتمعوا في قلث بعد رسامة البطريرك ميخائيل بثلاثة عشر يوماً ورسموا المطران متى بن عبد الاحد نطب الماردينيّ بطريركاً . ووضع عليه اليد المفريان باسيليوس صليبا . فارسل والي ديار بكر في استحضاره فذهب اليه في اثني عشر اسقفاً وخمسة رهبان فتهدّدهم الوالي على فعلتهم واخيراً دفعوا له اثني عشر كيساً فسرّحهم . ثم أوفد البطرك متى اخاه المطران عبد الاحد والقس ايليا القطربليّ الى القسطنطينية ليستحصل له الفرمان وشخص الى ماردين ودفع مبلغاً لعبدي باشا حاكمها ليؤيده في البطريركيّة ريثما يفوز بالفرمان . ولما فاز به سارع الى بيعة الاربعين وقبض على البطريرك ميخائيل وسجنه اربعين يوماً ثم نفاه الى الموصل فبغداد لكنّهُ نجا منها ورحل الى الشام فجبل لبنان (١

ولما صفا الجوّ للبطريرك متّى نكّل بالماردينيين اصحاب البطريرك ميخائيل وخسّرهم اموالاً طائلة ثم بادر الى الموصل وضبط الكنائس من الخلقيدونيّين (الكاثوليك) ونفى الاسقف بشارة رئيسهم (٢ ثم انقلب الى ماردين ونصب المطران بشارة مفرياناً ورسم عشرين اسقفاً . وفي ٧ تشرين الاوّل ١٨٠٣ رسم مفرياناً ثانياً اسمه يونان فانتقض على البطريرك المفريان بشارة والمطران الياس الموصليّ سنة ١٨٠٦ فطردهما واستحضر لخدمته المطران بهنام الموصليّ (٣ تلميذ الدومنكيّين بالموصل واستصحبه الى ديار بكر واستحصل له فرماناً بالبطريركيّة بمساعي يوسف بن يشوع جردو وميخائيل فتحو . ثم عاد الى ماردين ورسمه بطريركاً سنة ١٨١٠ . وسنة ١٨١٥ اعلن البطريرك متى تديّنه بالكثلكة وكتب اقراره في صكّ بخطّ يده ما زال محفوظاً حتى اليوم في خزائن الدار البطريركيّة السريانية الكاثوليكية بماردين

واتّفق ان جرجس الحلبيّ مطران دمشق توجّه الى ديار بكر في طلب البطريرك بهنام ثم سار الى دير الزعفران وعقد مجمعاً حضره البطريرك متى واثنا عشر اسقفاً أسفر عن تواطئهم على حرم البطريرك بهنام وان شتت فقل على قتله . وقد صحّ ذلك في ٤ كانون الثاني ١٨١٧ اذ هوّره القندلفت من سطح كنيسة ششم فقتله

---

١) اطلب تفاصيل رحلته في هذه المجلّة (٣[١٩٠٠]: ٢١٢)

٢) اطلب السلاسل التاريخية (ص ١٣٢—١٣٨)

٣) اطلب السلاسل التاريخيّة (ص ٦١)

فشقّ ذلك على البطريرك متى واستحضر المفريان يونان الى دير الزعفران ورسمه سنة ١٨١٧ بطريركاً وتوفي البطريرك متى بعد الرسامة بثمانية ايام

٨٠ (اغناطيوس متى) تقلّد البطريركيّة في قلّث كما اوردنا سنة ١٧٨٢ وتوفي في دير الزعفران عام ١٨١٧

٨١ (اغناطيوس يونان) ارتسم بطريركاً عام ١٨١٧ وظلّ في البطريركيـة وحده حتى سنـة ١٨١٩ ثم انهزم الى قرية حباب بطور عبدين وانزوى في دير مار ايليا حتى توفي عام ١٨٢٢

٨٢ (اغناطيوس جرجس الخامس) المعروف بالسيّار. بادر الى ماردين بعد وفاة البطريرك متى واستكتب الاهالي مضبطةً بتسميته بطريركاً وسار الى الاستانة سنة ١٨١٨ فاستخرج فرماناً باسمه ثم انقلب الى دير الزعفران وتقلّد البطريركيـة في ١٧ اذار ١٨١٩ وكان معادياً للخواجا الياس شادي (١ كبير الطائفة الارمنيّة بماردين. وفي عهد بطريركيّته اعتنق الايمان الكاثوليكيّ ثمانية مطارنة وبطريركٌ واحد وهم انطون سمحيري مطران ماردين (٢ ويعقوب حلياني مطران دمشق. وعيسى محفوظ مطران اورشليم. ومتى نقّار مطران حمص وحماة. وغريغوريوس عمنوئيل مطران الموصل. وعبد المسيح مطران حمص وحماة. والياس شهوان. ويوسف سمنه. وغريغوريوس زيتون بطريرك طور عبدين (٣

وحانت وفاة البطريرك جرجس الخامس في دير الزعفران عام ١٨٣٦ ورسم ١٢ اسقفاً والمفريان باسيليوس الياس عنكز الموصليّ. وكان البطريرك جرجس ميّالاً الى الايمان الكاثوليكيّ مستهجناً المذهب المنوفسيّ مشمئزاً من قسّيسيه ولكنه لم يجسر ان يبوح بسرائر قلبه حرصاً على مركزه. ومصداقاً لذلك فوّض ليلة عيد برصوما

١) كان الياس وكيلاً للسيّد اغناطيوس ميخائيل ضاهر بطريرك السريان الكاثوليك. ويوم الثلاثاء ٨ آب قبض عليه اوصمان باشا حاكم ماردين وسجنه في القلعة واحتوى على اموالهِ وأسرّ الى حارس القلعة فخنقه والقاه الى اسفل فسحبوه الى المسلخ ثم الى كنيسة الارمن سوروب كورك فكفّن بخلق رثّ ودُفن في ١٥ آب ١٨٣٢

٢) اطلب المشرق (١٧[١٩١٤]: ٩٠١)

٣) طالع ترجمة هؤلاء الاساقفة في كتاب السلاسل التاريخيّة لجناب النيكونت فيليب دي طرّازي

الى احد كهنته ان يرتل حسّاية . ولما كان القس يتلوهـا متمهّلاً باعلى صوته جعل البطريرك يقاطعه ويستعجله فلم يصغ اليه بل تمادى في الترتيل فاستنكف البطريرك منه وطفق يقذف في لحيته وفي كاتب الحسّاية ومؤلفها ومصدقها ومرتلها وقارئها . ثم ختمها البطريرك بقوله : مع ܐܠܗܐ ܢܩܛܠܟ ܡܪܝܡ وسمّاها الخ طبقاً للطقس

٨٣ (اغناطيوس الياس الثاني) الموصلي من بيت النخّات ويُعرف بابن هندي وعنكز . لما توفي سالفه اوفد الاساقفة وشيوخ ماردين في طلبه وحتموه كتباً الى الاستانة ليستحصل الفرمان ويسترجع كنائس الموصل . وبعد سنة ونصف فاز بثلاثة فرامين احدها للبطريركية والثاني لضبط كنائس الموصل والثالث لمنع الكاثوليك عن دفن موتاهم في مقابر المنوفستيين ثم عاد الى ماردين وسُمي بطريركاً في دير الزعفران سنة ١٨٣٩ ووضع عليه اليد المفريان حادبشبا الانجلي آخر المفارنة المنوفستيين بحضور ١٢ اسقفاً . وما تمّ ان ضبط مقبرة السريان الكاثوليك وكنائسهم في ماردين والموصل وديار بكر . وسنة ١٨٤٢ كرّس الميرون (١) في دير الزعفران بحضور جماهير غفيرة من نصارى ومسلمين . وتوفي البطريرك في دير الزعفران سنة ١٨٤٧ وحاول ان يرسم ابن اخته مفريانا فلم يرضَ الاهالي فتنغص من ذلك وبذل جهد استطاعته في الغاء بطريركية المنوفستيين بالمرّة فلم يتوفق . ورسم ١٤ اسقفاً واوفد عام ١٨٤٤ المطران يعقوب والمطران بهنام السرجي الى الاستانة في ضبط كنائس الموصل ثانيةً فحبطت مساعيهما وظلّ المطران يعقوب في الاستانة واشترى بيتاً للصلاة ومطبعةً نشر فيها كتاب «الاستعداد للصلاة» وكتاب «مزامير داود»

٨٤ (اغناطيوس يعقوب الثاني) وُلد في قلعة المرأة قرية شرقي ماردين . ولما سمع بوفاة سالفه غادر الاستانة الى ماردين وارتسم بطريركاً في دير الزعفران سنة ١٨٤٧ واعتنى بتحسين اوقاف دير الكرسي وابتنى رواقاً شامخاً في بستانه وتوفي في ديار بكر في ١٥ شباط ١٨٧١ ورسم ١٣ مطراناً و ٥٦ كاهناً و ٣٥ راهباً . وهو

---

١) روى مؤرخو اليعاقبة ان مياه الآبار كانت قد نفدت واضطرّ الناس ان ينقلوا الماء لشربهم من بستان الدير ومن عين الجرن . غير انه لمّا صبّ البطريرك البلسم فوق الزيت وفاض فاضت معه آبار الدير بأسرها وتدفقت في الحوض وارتفعت عن الارض (كذا ؟؟؟)

الذي ترك الرهبان ايليا عتمه في الاستانة فشاد فيها كنيسة تكرّست سنة ١٨٥٣ على اسم والدة الله. وعام ١٨٥٤ استدعاه البطريرك الى ماردين ومطرنه على الاستانة. وفي ١٤ آب ١٨٦٣ اعتنق الايمان الكاثوليكيّ وظلّ محافظاً على عهوده حتى اختارته المنية في ماردين في ٢٩ نيسان ١٨٨٩

٨٥ (اغناطيوس بطرس السادس) الموصليّ ارتقى الى البطريركية في دير الزعفران في ٤ حزيران ١٨٧٢ ويسميه السريان المنوفستيون توهّماً بطرس الثالث وفي ١٥ تموز ١٨٧٤ سافر الى لندن صحبة المطران عبدالله سطوف وزار الملكة فكتوريا مرّتين في ٢١ و ٢٨ شباط ١٨٧٥ وسار الى بومباي في ٢٠ اذار حاملاً كتب توصية من الملكة المشار اليها الى اهالي الهند ليسعفوه وظلّ سنتين في بلاد ملبار ثم عاد الى ماردين. وسنة ١٨٩٢ اعلن اقراره بالعقائد الكاثوليكية وكتب صورة ايمانه ودفعها الى الخورفسقفوس افرام احمر دقنه رئيس دير مار افرام(١ في ماردين وارسل الى السيّد قرلس بينام بني النائب الرسولي على البطريركية السريانية الكاثوليكية رسالة برقية هذا نصّها: «قدّمنا صورة ايماننا نهار السبت الماضي خاضعين للكرسي الرسوليّ والتوضيح في البوسطة» فأجابه المطران بينام بما نصّه «مباركة عليكم البطريركية لجميعنا» ولكن ذوي الاغراض ثبّطوا البطريرك فيما بعد عن انجاز رغبته. وتوفي البطريرك بطرس في ماردين في ٢٥ ايلول ١٨٩٤ ونقل جثمانه الى دير الزعفران ورسم ١٧ مطراناً منهم اربعة مطارنة لسريان الهند في طيلة ...

٨٦ (اغناطيوس عبد المسيح الثاني) وُلد في قلعة المرأة وتطرن على دمشق وفي ٤ حزيران ١٨٩٥ استلم عكّاز البطريركية بحضور سبعة اساقفة فعانده المطران عبدالله سطوف الصدّي وكان قد سبق فارفد صكّ انتخابه الى الاستانة. ولمّا كان يتوقّع ورود الفرمان ارتسم البطريرك عبد المسيح فانهزم المطران عبد الله الى ديار بكر وأعلن بالايمان الكاثوليكيّ في ٣٠ اذار ١٨٩٦ ثم حضر الى دير الشرفة وسافر الى رومية وطاف في بلاد اوربا وعاد الى حمص. وسنة ١٩٠٦ جدد المعتقد الكاثوليكيّ وتوجّه الى ماردين وارتسم بطريركاً في ١٥ آب من السنة المذكورة نساء ذلك البطريرك عبد المسيح الشرعيّ وقصد مذيلت واقام فيها حتى ايار ١٩١٢

١) اطلب المشرق ١٣ : ٧٦٥

فسار الى الموصل فبغداد فالبصرة فبلاد ملبار ورسم ثمّ مفرياناً ومطارنة للسريان المتوفستيين وفي اواخر اذار ١٩١٣ عاد الى اورشليم وأعلن بالايمان الكاثوليكيّ في ١٠ نيسان وأيّد اقراره في ٣ أيّار من السنة عينها في بيروت بين يدي غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني واستصحبه الى عاصمة الكثلكة لزيارة الاعتاب الرسولية. ولمّا مثل امام البابا بيوس العاشر طفق يترنّم بالبيت الذي تنشده الكنيسة السريانيّة في فرضها صباح السبت وهو «ܗܠܝܢ ܡܢ ܟܠܗ ܘܟܡܗ ܡܥܕܢܐ» على صخرة شمعون الخ فرحّب به الحبر الروماني وحثّه على الثبات. وفي ١٦ اذار ١٩١٤ شخص الى ماردين ودخلها بمهرجان عظيم. واخيراً اغتنم بعض اقاربه فرصة غياب السيّد جبرائيل تبوني النائب البطريركي عن الدار البطريركيّة فأقبلوا وأخذوه الى قلعة المرأة ووعدوه انهم يستعرفونه بطريركاً شرعياً ثم مضوا به الى دير الزعفران. وكان يقول دائماً «فليحيَ سيّدنا البابا» حتى توفاه الله في اواخر سنة ١٩١٤

٨٧ (اغناطيوس عبدالله الثاني) ارتسم بطريركاً في ١٥ آب ١٩٠٦ كما ذكرنا آنفاً. وبعد رسامته بايام معدودة رقّي في دير الزعفران خمسة اساقفة ثم غادر ماردين الى بلاد انكلترا وغيرها. وعاونه بعض الاساقفة كالسيّد بطرس سهدو مطران حمص الذي انضمّ الى كنيسة الروم الارثذكس. امّا السيد الياس هلولي مطران اورشليم والسيد ابرهيم مطران حمص وحماة. فانّهما اعتنقا الايمان الكاثوليكي معاً سنة ١٩١٢ غير ان اوّلهما ما عتم ان عاد الى كنيسته وظلّ المطران ابراهيم لدى السريان الكاثوليك في الشام ثابتاً على ايمانه حتى وفاته. وأقام البطريرك عبدالله في دير مار مرقس باورشليم حتى توفاه الله سنة ١٩١٦

٨٨ (اغناطيوس الياس الثالث) هو ابن الخوري ابرهيم الشاكر الارديني ارتقى الى السدّة البطريركية في دير الزعفران في ١٢ شباط ١٩١٧ وفي تموز ١٩١٩ غادر ماردين الى الاستانة واستمرّ فيها حتى سنة ١٩٢٢ ثم توجه الى اورشليم فبيروت فالشام فحلب. وفي اذار ١٩٢٣ قصد انقرة وزار مصطفى كمال فرحّب به ومنحهُ كتاب توصية الى جميع الولاة الخاضعين له ليحسنوا وفادته ويكرموا مثواه. ومكث البطريرك في انقرة خمسة عشر يوماً ثم رجع الى حلب في نيسان وتوجه الى اورفا فخربوط فديار بكر فماردين مركزه

ملحق بمقالتنا في البطريركيّة الانطاكيّة

يتلخّص ممّا سردناه آنفاً ان الطائفة السريانيّة المنوفستيّة اعني القائلة بطبيعة واحدة في المسيح بعد ان كانت تشغل بلاداً شتى في سوريا وفلسطين ومصر وجزيرة العرب وما بين النهرين والعراق العربيّ والعجميّ قد أمست في عهدنا محصورةً ضمن بعض مدنٍ وقرى في سوريا وما بين النهرين. ومنهم قوم في اورشليم ومصر والقسطنطينيّة واليونان واميركا الجنوبيّة والشماليّة. ومن ثم فهذه الطائفة الكبيرة التي كان يسوس ابرشيّاتها الجمة واديارها العديدة المهمّة زهاء مائة مطران كما رايت هنا في تاريخ بطريركها ديونوسيوس الاوّل (٨١٨—٨٤٥) لم يبق لها اليوم الّا ستّة او سبعة كراسي مطرانيّة فقط اعني كرسي الموصل وحمص وديار بكر وخربوط والجزيرة واورشليم ودير مار متى بالموصل وهم باجمعهم خاضعون للكرسيّ البطريركيّ بماردين

ومنذ عام ١٦٦٥ تألفت جماعة سريانيّة منوفستيّة في بلاد الملبار بالهند يبلغ عددها ٢٤٨،٧٤١ نفساً يسوسها اربعة اساقفة كانوا يراجعون بطريرك ماردين. غير انهم منذ عهد قريب أمسوا على ما يظهر طائفة مستقلّة قائمة بذاتها. فأقيم لهم مفريان واربعة اساقفة وعدّة كنائس ومدارس واكليرسهم يتكلّم بالسريانيّة الفصيحة

ومنذ اواسط القرن السادس عشر اخذ نفر من اساقفة اليعاقبة يعودون الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة بساعي الاباء المرسلين اللاتين كالكرمليّين والكبوشيّين واليسوعيين والدومنكيّين عاملين يداً واحدة مع السادة الاساقفة الذين سبقوا فاعتنقوا الايمان الكاثوليكيّ المقدّس. وقد اطنب الكلام عنهم الفيكونت فيليب افندي دي طرّازي في كتابه «السلاسل التاريخية» ونقل اخبارهم عن اوثق المصادر واصدق المؤرّخين المعاصرين

أمّا الطريقة الرهبانيّة فقد غدت نادرةً عندهم بالنسبة الى ما كانت عليه في اوّل امرهم وقد وصفنا جملة من اديارهم في طور عبدين على صفحات هذه المجلة (٩ [١٩٠٦] : ٢٦٣). و (١٦ [١٩١٣] : ٦٧٥) الخ

وقد اصاب هؤلاء السريان ما اصاب نصارى المشرق عموماً من المظالم والفظائع كسلب الاموال والاملاك والسبي والقتل واستحلال الكنائس والديورة ولاسيما منذ

ظهور الترك الى اليوم. ذلك بالرغم عن العهد والميثاق الذي ضربه في شأن أمانهم وحقن دمائهم محمد نبيّ المسلمين على ما روى مؤرخوهم وخصوصاً ابن العبري في تاريخه السرياني (ص ١١٥) اذ قال ما تعريبه : « لما ظهر محمد نبيّ العرب سار اليه السيد رئيس النصارى النجرانيين سكّان الحيم مستصحباً يشوع اسقفهم في تحف وتقادم ثمينة فرحّب به محمد وأنعم عليه ببراءة ذات شان تتضمّن التوصية بجماعة النصارى » على ان الاتراك لم يكترثوا لتلك التوصيات ولم يقوموا بتلك العهود بل كانوا يعاملون النصارى في كلّ آن ومكان أجفى معاملة وينكّلون بهم اشدّ التنكيل. وقد ظهرت معاملتهم هذه السيئة المخالفة للعدل أثناء الحرب الكونية فانهم فتكوا بهم فتكاً ذريعاً ومحقوا اثرهم من قرى نصيبين وماردين وديار بكر وسعرد والرها وسويرك فأخربوا زهاء ستين قرية من قراهم لم يكادوا يتركون فيها نصرانياً

لكن طائفة من اهالي طور عبدين قاوموا الحكومة التركية دفاعاً عن نفوسهم وعن حقوقهم المقدسة ولاسيما في عينورد والنحل وبامبرينا وآزخ وقد اوردنا تفاصيل وقائعهم في كتابنا « القصارى في نكبات النصارى »

فلم يبقَ والحالة هذه من السريان الّا جماعة في الموصل وضواحيها في ماردين وديار بكر والرها وآزخ. وفي حمص وحماة وتوابعها وفي دمشق وحلب. امّا سريان آطنة فقد نزحوا عنها منذ سنة ١٩٢١ وتفرّقوا ايدي سبا في سوريا وفلسطين وبلاد اليونان

امّا طقس السريان المنوفستيين فهو طقس السريان الكاثوليك ذاته لا يختلفون عنهم الّا في مسئلة الاعتقاد بالطبيعة الواحدة وفي الخضوع للرئاسة البطرسية واحترام الكرسيّ الرسولي المقدّس مع ما في كتبهم الطقسيّة من الآثار والنصوص الشاهدة على اعتقادهم سابقاً بهاتين القضيتين.

امّا لغتهم الطقسيّة وهي السريانيّة فليس فيهم من هو متضلّع منها الّا نفر قليل جدّاً لايتجاوز عدد الانامل. وقصارى ما نتمنّاه لاخوتنا السريان المنفصلين ان يصلوا الروية في سالف مجدهم وعزّهم يوم كانوا متحدين مع الكنيسة الكاثوليكية فيتركوا جانباً العناد الذميم او الحياء البشريّ ويعودوا الى حضن امهم التي هجروها لسوء حظّهم فتصبح الرعيّة واحدة لراعٍ واحد. اللهمّ حقّق الآمال

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الفاء

٥٩٥ ﴿فابوري﴾ الاب ميخائيل الكبوشي P. Michel Féburе (Justinien de Tours O. C) احد المرسلين الى الشام في القسم الثاني من القرن السابع عشر لهُ بين مخطوطات باريس السريانيَّة نسخة في الكرشونيَّة من كتابهِ « المشتمل على اجوبة اهل الكنيسة المقدَّسة القاثوليقيَّة لاعتراضات الهراطقة ضد القاثوليقيّين ». وقد طُبع هذا الكتاب في رومية سنة ١٦٨١ وفيهِ تفنيد اعتراضات المسلمين على الدين النصرانيّ

٥٩٦ ﴿الفاخوري﴾ الخوري ارسانيوس الكاتب والشاعر الماروني المتوفَّى سنة ١٨٨٣ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٦٠٦–٦١٦) وقد عدَّدنا هناك تآليفهُ التي طُبع منها بعضها كروض الجنان في المعاني والبيان والميزان الذهبي في الشعر العربيّ وزهر الربيع في فنّ البديع وبديعيَّتين (في كتابنا مقالات علم الادب). وممَّا لم يُطبع : ١ً ديوان شعرهِ . ٢ً شرحهُ لديوان المتنبّي . ٣ً شرحهُ لديوان المطران برمانوس فرحات . ٣ً مجموع مواعظ مختلفة . ٥ً قواعد اللغة السريانيَّة . ٦ً تاريخ حوادث السنة ١٨٩٠ فصاعدًا . وهذه الكتب المرقومة بخطهِ لا تزال في ملك عيلتهِ في غزير . ومن ديوانهِ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة

٥٩٧ ﴿فارس﴾ القسّ تاوفيلوس الحلبي والراهب الباسيليّ المتوفَّى في رومية سنة ١٧٤٥ ذكرهُ الخوري قسطنطين طرابلسيّ في تاريخ دير رومية نافيجلًا. ومن مآثرهِ : ١ً تعريبهُ لكتاب قوانين مار باسيليوس الذي طُبع في رومية سنة ١٧٤٥ . ٢ً وعرَّب كذلك كتاب الكردينال بلوكا المعنون بكتاب الارشاد لسائر الملل والعباد (راجع العدد ١٢٢)

٥٩٨ ﴿فاسيا﴾ الاب الفونس اليسوعي. لم نقف على تاريخه. قد وجدنا باسمه في مكتبة الآباء الكبوشيين في الثغر كتاباً عنوانهُ «ساعات نزاع فادينا»

٥٩٩ ﴿فاضل﴾ الخوري ميخائيل تلميذ مدرسة الموارنة في رومية الذي عُرف بميخائيل فاضل الاوّل وقد سُقف على بيروت ثمَّ أُقيم بطريركاً على طائفته وتوفّي في دير حراش في ١٧ أيار سنة ١٧٩٥ (اطلب المشرق ٧ [١٩٠٤] : ١١٠٢). لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٦٢) رسالة في عبادة قلب يسوع ثمَّ قصّة الراهبة هنديّة في تاريخ سنة ١٧٥٠

٦٠٠ ﴿فالوي﴾ الاب بندكتوس اليسوعيّ (P. Benoit Valuy) المتوفّى في ٢٤ آب ١٨٦٩ عرَّب المرحوم الاب مبارك التيني كتابهُ النفيس دستور الرؤساء في تدبير مرؤوسيهم فطبعهُ في لبنان سنة ١٩١٣ ثمَّ اتمَّهُ حضرة القس ثابت الديراني سنة ١٩٢٠

٦٠١ ﴿فسان هام﴾ الاب يوسف اليسوعيّ الهولندي المتوفّى في ١٣ آب ١٨٨٩. عرَّب المرحوم جرجس زوين كتبهُ الآتية: ١ً الكوكب الوضّاح في تاريخ الاصلاح سنة ١٨٧٦. ٢ً كشف المغالطات السفسطيّة (١٨٧٠). ٣ً كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف (١٨٧٢). ٥ً ملحمة في بطرس الصفا (١٨٧١). ٦ً في رئاسة القديس بطرس وخلفائهِ (لم يتمّ). ومن مخطوطاته سِفر في سياحات السيّد المسيح

٦٠٢ ﴿فتح الله الجاويش﴾ الرومي الكاثوليكيّ المتوفّى في ٦ تموز ١٩١٨. أطلعنا سنة ١٩١٦ على عدّة مآثر من قلمهِ منها شعريّة ومنها نثريّة اخصّها في مواضيع ادبيّة وتاريخيّة وكلّها لا تزال مخطوطة

٦٠٣ ﴿فتح الله صائغ﴾ هو ابن انطون الصائغ اللاتيني الحلبيّ توفّي في اواسط القرن التاسع عشر. وقفنا في مكتبة باريس (Paris, Mss, n°s 2298-2299) على تاريخ رحلتهِ الى بلاد العرب مع تيودور لسكاريس بصفة ترجمانهِ سنة ١٨١٠ اذ خرجا من الشهباء الى دمشق على طريق تدمر ثمَّ ولجا البادية وبلغا بلاد الوهابيين. (والمظنون انّ هذه الرحلة مصنوعة). ولهُ هناك ايضاً (Ms 1685) كتاب المقرّب في حوادث الحضر والعرب تاريخهُ سنة ١٨٤٣ وصف فيهِ عادات البدوان

والنصيرية اذ كان ترجماناً لقنصلية فرنسة سنة ١٨٤٣

٦٠٤ ﴿فخر﴾ باسيلي لوغوثاتي الكرسيّ الانطاكي كان في اوائل القرن التاسع عشر. وجدنا لهُ في مكتبة المرحوم مراد بك البارودي « تحرير صرف العلوم الفلسفيَّة للمعلم بنيامين الانكليزي المكنّى مرتينوس على سبيل السؤال والجواب . عرَّبهُ باسيلي فخر عن اليونانيَّة وكتبهُ عيسى بن بترو الاورشليمي في دمياط سنة ١٨٠٩ » . وفي الكتاب عدَّة تصاوير ونقوش

٦٠٥ ﴿فرّا﴾ المرحوم الاب فرنسيس ماريًا الفرنسيسيّ الحلبيّ المتوفَّى في حريصا في ٢٣ أيار ١٩١٧ . نشر في مطبعة رهبانيَّتهِ في القدس الشريف عدَّة تآليف كالروضة الروحيَّة للعيال المسيحيَّة ورياضة ١٣ يوماً لاكرام القديس انطونيوس البادوي وتعريب جديد للاقتداء بالمسيح وتعريب كتاب رسالة الصلاة

٦٠٦ ﴿فراسينتي﴾ الكاهن يوسف الايطالي المتوفَّى سنة ١٨٦٧ . عرَّب الخوري ديمتريوس زبَّال الراهب الباسيليّ المخلّصي كتابهُ اقتدا الكاهن بالمسيح سنة ١٨٨٨

٦٠٧ ﴿فرج﴾ المعلّم الياس مصحّح مطبوعات المطبعة الفرنسكانيَّة في القدس توفي نحو السنة ١٩١٤ . لهُ في بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة منظومات تقويَّة واناشيد

٦٠٨ ﴿فرح انطون﴾ الرومي الاورثذكسيّ المتوفَّى سنة ١٩٢٢ . لهُ تآليف وروايات وتعريبات متعدّدة اشربها غالباً نفثاتهِ في الدين وآلهِ . اشهر مصنَّفاتهِ كتاب فلسفة ابن رشد ومجلَّة الجامعة وتعريب السماء لفلامريون . ومن مخطوطاتهِ تفنيد بلاغ الاستقلال المصري وتعريب كتاب جول سيمون «المرأة في القرن العشرين»

٦٠٩ ﴿فرحات﴾ المطران جرمانوس رئيس اساقفة حلب على الموارنة المتوفَّى في ١ تموز ١٧٣٢ (اطلب ترجمتهُ للقس جرجس منش في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٤٩ ; ١٠٥ ; ٢١٠) وقد عدَّد لهُ هناك (ص ٣٥٥–٣٦١) من مؤلَّفات ومصحَّحات ومعرَّبات ومختصرات في عدد ١٠٤ طُبع كثيرٌ منها . وممَّا وجدنا لهُ من المخطوطات : ١ ديوانهُ منهُ نسخ متعدّدة خمسٌ منها في مكتبتنا الشرقيَّة . طُبع في مطبعتنا غير مرَّة منهُ نسخة في لندن (Ms. 31) كتبها بيدهِ سنة ١٧٢٠ ودعاها التذكرة . ٢ قاموسهُ المسمَّى إحكام

باب الإعراب من لغة الأعراب. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخها ١٨٢٨ وفي مكتبة الفاتيكان وفي مكتبة القبر المقدَّس في القدس ونسختان في مكتبة باريس (n°s 4279-4280) طُبع في مرسيلية سنة ١٨٤٩ بسعي الكونت رشيد الدحداح. ٣ً بحث المطالب. منهُ نسخ خطيَّة شتى ثلث منها في مكتبتنا الشرقيَّة. طُبع في اربع مطابع وخصوصاً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة. ٤ً فصل الخطاب في الوعظ. منهُ نسخ في مكتبة الفاتيكان وفي مكتبة الموارنة في حلب وفي بيت الشماس شكري أيوب مع شرحهِ وفي مكتبتنا الشرقيَّة. طُبع في مالطة وفي طاميش وفي مطبعتنا الكاثوليكية. ٥ً المثلَّثات الدرِّيَّة. منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة. طُبع في طاميش (١٨٦٧). ٦ً بلوغ الأرب في علم الادب وهو مطوَّل في علم الجناس والبديع. منهُ نسختان في مكتبة باريس وفي مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في بيت المرحوم الدكتور يوسف ابيلا في صيداء. ٧ً رسالة في فنّ العروض. منها نسخة في دير كفيفان تاريخها سنة ١٨٢٩. ٨ً تاريخ الرهبنة اللبنانيَّة ألَّفهُ لمَّا كان قسًّا. نسخة منهُ عند الاديب عيسى اسكندر افندي المعلوف تاريخها سنة ١٨٠٠ (النعمة ١ : ١٨٧). ٩ً سلسلة بطاركة الطائفة المارونيَّة للدويهي مع تتمَّتها لفرحات الى عهد البطريرك يعقوب عوَّاد منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة بخطّ يدهِ (سنة ١٧٠٠). ١٠ً كتاب السكسار اي قصص القديسين في مكتبتنا (تاريخها سنة ١٨٢٠) وفي طاميش وفي مكتبة الموارنة في حلب. ١١ً كتاب بستان الرهبان مختصر عن كتاب القديس صفرونيوس او هو بالحري ليوحنَّا موسخوس (اطلب صفرونيوس). منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة باريس (Ms, n° 4703) وفي مكتبة القس بولس سباط (ROC, XIV, p. 175) وفي مكتبة الصلاحيَّة (Or, Chr., 1914, p. 333). ١٢ً تعريب شرح المزمور ارحمني يا الله للاب ايرونيموس من رهبنة القديس عبد الاحد في ٢٠ قسماً منهُ نسخة بخط فرحات في مكتبتنا الشرقيَّة. ١٣ً مختصر الكمال المسيحيّ في ٢٠ فصلًا. منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٧٩) وثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في دير كفيفان. ١٤ً كتاب الارشادات الوطيدة الى معرفة العبادة الاكيدة. منهُ نسخة فيهما ايضاً. ١٥ً دحض الشيخ صالح بن منصور الكوثراني في بيان صحَّة المعتقد النصراني. منهُ اربع نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة. ١٦ً كتاب

الاعتراف جناهُ من رياض كتب علماء الكنيسة الرومانيَّة سنة ١٧٣٠ يليهِ سؤالات وجوابات في الاعتراف وامور الذمَّة منهُ نسخة في ديرنافي بكفيا ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة تدعى الواحدة تحفة سرّية في تنبيه الكاهن السامع الاعتراف وتنبيه المعترف . ومثلها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب . ١٧—١٨ رسالتان في رسوم وعوائد الرهبانيَّة اللبنانيَّة وفي اصول الكمال طُبعتا في المشرق (١٦[١٩١٣] : ٧٢١—٧٣٢) عن نسخة للخوري يعقوب الزعرور . ١٩ كتاب المحاورات الرهبانيَّة منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٤٥٥) . وقد نشر هذا الكتاب حضرة القس طانيوس شبلي (اطلب المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٤٧٦) . ٢٠ الرياضة الروحية . منها نسخة قديمة عُني بنشرها الخوري بطرس حبيقة في الحدث سنة ١٩٠٤ . ٢١ كتاب القلب المنسحق للاب يوحنَّا بيناميتي اليسوعي تعريب فرحات طُبع في لندن سنة ١٨٦٠

٦١٠ ﴿فرديناندوس﴾ الاب رئيس رهبان القدس في حلب عاش في اواسط القرن الثامن عشر . في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من كتابهِ في اصل وقداسة وشرف القانون الثالث لماري فرنسيس في ٢٠ فصلًا حرَّرهُ في حلب سنة ١٧٣٨ . وقد اوقفنا لهُ حضرة الخوري بطرس غالب على رسالة عنوانها «رسالة جليَّة في ايضاح غشّ المسودَّة الزريَّة» ردَّ فيها على افتراءات بعضهم في حقّ رهبانيَّتهِ سنة ١٧٣٨

٦١١ ﴿فركرويس﴾ الاب برونو اليسوعي (P. Br. Vercruysse) المتوفَّى سنة ١٨٨٠ عرَّب نجيب افندي ملحم الشملاني كتاب تأمُّلاتهِ اليوميَّة (في تمثايل)

٦١٢ ﴿فرنسيس الرومرنتيني﴾ الاب الكبوشي (P. Franç. du Romorantin) في مكتبتنا الشرقيَّة كتابهُ «ايقان الطريق الهادي الى ملكوت السماوات» . وقد ألَّف تفنيدًا للقرآن في مجلَّدين وتعليمًا جدليًّا لتفنيد مزاعم الروم (Specchio della vera Sapienza)

٦١٣ ﴿فرنسيس سالاسيوس﴾ القديس اسقف جنيفا المتوفَّى في ليون سنة ١٦٢٢ . لهُ في العربيَّة : ١ كتاب مدخل العبادة الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي فطُبع في رومية (١٧٤٤) وفي حلب (١٨٥٩) ثمَّ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . منهُ نسخ مخطوطة شتَّى وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان . ٢ احدى وعشرون مخاطبة

خاطب بها القديس فرنسيس سالاسيوس راهبات الزيارة تعريب الاب انطون كينار اليسوعي منه نسخة في دير الزيارة قرب مدرسة عين طورا . ٣ً قواعد الراهبات الكبير والصغير للقديس فرنسيس وفي آخره مقالة في الطاعة للاب كينار تاريخهُ سنة ١٧٤٧ . ٤ً في مكتبة نقولا افندي أيوب في حلب كتاب يتضمّن اقوالاً روحيَّة للقديس فرنسيس سالاسيوس . ٥ً في مكتبة باريس (Ms 127[2]) صلوات القديس فرنسيس سالاسيوس استعداداً للمناولة وافادة المؤمنين الذين يحضرون القدّاس

٦١٤ ﴿فرنسيس كسفاريوس﴾ القديس اليسوعي المتوفى في ٢ ك ١ ١٥٥٢ . في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة دير بزمّار ترجمة حياته للاب يوسف بوازوت اليسوعي طُبعت هذه السيرة في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . كذلك في دير بزمّار في كتاب يحتوي على تراجم بعض القديسين فصلٌ في عجائب القديس فرنسيس كسفاريوس

٦١٥ ﴿فرنسيس الكرمي﴾ من الرهبان الفرنسيسيين (F. Fr. Comensis) في القرن السابع عشر . لهُ في مكتبة الڤاتيكان (ع ٥١٢) خمس وعشرون عظة في شرح التعليم المسيحي كُتب في حلب سنة ١٦٧٧

٦١٦ ﴿فرنسسكا﴾ الراهبة الكرمليتانيَّة الاسبانيَّة في القرن السابع عشر . في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٧٠) نسخة من كتابها نور الاحياء عرَّبهُ احد الآباء الكرمليين في اواسط القرن الثامن عشر

٦١٧ ﴿فرنكو﴾ الاب سكوتوس اليسوعي المتوفى في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٩٣ . هو مؤلف كتاب الحديث المأنوس في هداية النفوس الذي عرَّبهُ الخوري يوسف البستاني فطُبع في جزئين في مطبعتنا الكاثوليكيَّة (١٨٧٨ – ١٨٧٩)

٦١٨ ﴿فرنيه﴾ الاب دوناتوس (عطاءالله) اليسوعي المتوفى في بيروت في ٤ ايار ١٩١٧ . طُبع لهُ غراماطيق عربي مطوَّل في مجلَّدين في اللغة الفرنسويَّة ثم تاريخ الكنيسة الارمنيَّة فيها ايضاً وكتاب التحف الالهيَّة وسيرة الطوباويَّة جان دوك وتعريب جديد للاقتداء بالمسيح . ولهُ من المخطوطات في مكتبتنا الشرقيَّة : ١ً سيرة نبي المسلمين بالفرنسويَّة . ٢ً سيرة القديس فرنسيس كسفاريوس بالعربيَّة . ٣ً حوادث الاعتراف الادبيَّة مع حلّ مشاكلها في مجلَّدين . ٤ً غراماطيق عربي مخطوط مع اصلاحات الخوري يوحنا زعد (١٨٦١) . ٥ً تعريب الغراماطيق اللاتيني للاب عمانويل

الفارس (Alvarez arabicus) . ٦ً تعريب تقرير الراهبة مكرينا الباسيليَّة التي أسرها المسكوب مع اخواتها فحبسوهنَّ في منسك والتقرير نقلهُ الى الفرنسويَّة عن اصلهِ الروسي الاب مكسيميليان ريلُو اليسوعي سنة ١٨٤٥

٦١٩ ﴿فرومساج﴾ الاب بطرس اليسوعي المرسل الى الشام والمتوفى سنة ١٧٤٠ . لهُ تآليف متعدِّدة دينيَّة وادبيَّة وجدليَّة اكثرها معرَّب عن اللاتينيَّة والفرنسويَّة او الايطاليَّة : ١ً تعريب تاريخ العهد القديم للكاهن روايومون طُبع في مطبعتنا (١٨٧٠ و ١٨٧٣) . ٢ً تعريب تأملات لويس الجسري . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة دير الشير تاريخها سنة ١٧٥٤ . طُبع في المطبعة المارونيَّة في حلب في ثلاثة مجلدات (١٨٦٦—١٨٧١) . ٣ً تعريب مدخل العبادة للقديس فرنسيس سالاسيوس سبق ذكرهُ . ٤ً تعريب رياضات مار اغناطيوس مع مقدِّمات وايضاحات وقراءات من الكتاب المقدَّس ومن كتاب الاقتداء بالمسيح مقسَّمة لعشرة أيام . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة مخطوطة سنة ١٧٣١ في صيداء . ٥ً تعريب سيرة القديسين للابوين بطرس ريبادنيرا وكرواذيت اليسوعيين . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة في ١٢ مجلَّداً ونسخة اخرى في دير الزيارة في عين طورا (١٧٥٥) . وقد طُبع هذا الكتاب تحت عنوان مروج الاخيار في تراجم الابرار بعد تنقيحه . ٦ً تعريب مرشد الكاهن للاب بولس سنيري . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . طُبع في الشوير سنة ١٧٦٠ وفي رومية (١٨٦٠) . ٧ً تعريب قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت للاب الجسري . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي دير الشرفة طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية . ٨ً تعريب مرشد الخاطي لهُ ايضاً . طُبع فيها ايضاً وفي رومية . ٩ً تعريب كتاب ميزان الزمان للاب نيرنبرج اليسوعي طُبع في الشوير وفي مطبعتنا غير مرَّة . ١٠ً تعريب كتاب مرشد المسيحي للاب دوترمان اليسوعي منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس . ١١ً ترجمة حياة القديسة مرغريتا مريم ألاكوك . لاسقف سولون السيد لانكه . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة (١٨٨٦) . ١٢ً تعريب التعليم المسيحيّ للرمينوس عرَّبهُ سنة ١٧٣٥ في طرابلس . منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان . طُبع في مطبعتنا . ١٣ً تعريب كتاب ايضاح التعليم المسيحي تأليف

دي لاشتاردي طُبع اوّلاً في الشرير سنة ١٧٦٨ ثمّ في مطبعتنا (١٨٧٥) . منهُ نسخ خطّية في مكتبتنا الشرقيّة وفي بيت الشمّاس شكري أيوب . ١٤ً تعريب كتاب الحرب الروحيّة . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة ١٧٦٥ . طُبع في رومية اوّلاً سنة ١٧٧٥ . ١٥ً تعريب قوانين راهبات زيارة العذراء في مجلّدين . منهُ نسخة في دير الزيارة في عين طورا . ١٦ً سيرة القديسة فرنسسكا حنة دي شنتال مؤسسة راهبات الزيارة . منهُ نسخة في دير الزيارة في عين طورا . ١٧ً تعريب كتاب الصُّبح المبين لضلال لوتاروس وكلفين للابرين لاوناردوس ليسيوس ومرتينوس باكان اليسوعيين منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ١٨ً ردّ على الياس فخر وكاباسيلاس في مسألة تقديس الاسرار دعاهُ الرسالة الجدليّة في الكلمات الربّيّة . منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة . ١٩ً ردُّهُ على الياس فخر في بتوليّة القديس يوسف . منهُ نسخة في مكتبتنا ايضاً . ٢٠ً رسالة في التعبُّد لقلب يسوع كتبها سنة ١٧٢٤ . منها خمس نسخ في مكتبتنا . ونسخة في بيت الشمّاس شكري أيوب . ٢١ً مقالة عن اخويّة قلب يسوع المنشأة في حلب وفي دمشق . منها نسخة في مكتبة الفاتيكان (ع ٦٦٨) . ٢٢ً كتاب الميتة الصالحة . منهُ نسخة في مكتبتنا . ٢٣ رسالة الى عبدالله زاخر مع جواب عبدالله . منها نسختان في مكتبتنا . ٢٤ً مواعظ الاب بطرس فرومان . منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٢٥ً ولهُ في دير الشرفة وفي دير الشير تعاليم رياضيّة وتأمّلات روحيّة في حقائق الايمان (وهو غير تأمّلات الجسري) . ٢٦ً تعريب مواعظ الاب بولس سنيري . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . طُبعت هذه المواعظ في مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل في اربعة مجلّدات . ٢٧ً تعريب يسوع الحبيب ومريم الحبيبة للاب نيرامبرج اليسوعي . منهُ اربع نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . ويُنسب اليهِ غير ذلك ايضاً

٦٢٠ ﴿فطيّة﴾ القس يوسف المرسل اللبناني في القسم الثاني من القرن التاسع عشر . يُنسب اليهِ تعريب اللاهوت الادبي الذي اختصرهُ نيراغيث عن القديس الفونس ليغوري . طُبع في دير طاميش (١٨٥٧—١٨٦٢) والتعريب لا يكاد يختلف عن تعريب الاب لويس اومانيا الفرنسيسي المطبوع في القدس (١٨٥٧—١٨٥٩)

٦٢١ ﴿الفضل بن ابي الفضائل﴾ ذكر لهُ الخوري قسطنطين الباشا تاريخاً

اسمهُ النهج السديد روى عنهُ نبذةً في نخبتهِ من رحلة البطريرك مكاريوس (ص ١١)

٦٢٢ ﴿فلاڤيني﴾ الكونتس . كانت في اوائل القرن التاسع عشر . عرَّبت بلنش دي سيكور كتابها الحداثة المسيحيَّة الذي طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٥٩

٦٢٣ ﴿فنتوري﴾ الاب انطون اليسوعي المرسل في بلاد الشام المتوفى في ايطالية نحو السنة ١٨٧٠ . يُنسب اليهِ : ١ً كتاب الردّ على الياس فخر في اثبات بتوليَّة القديس يوسف . منهُ نسخ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٧٦) وفي مكتبة الارمن هناك وفي مكتبتنا الشرقيَّة . ٢ً دحضهُ لما كتبهُ الياس فخر ضد الرئاسة البابويَّة وضد مرسلي بيعة الله . منهُ نسخة في مكتبة السريان في حلب . ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . ٣ً كتاب الدمع المسجوم على انشقاق الروم . وهو كتاب واسع ينقد فيهِ اضاليل الروم . منهُ خمس نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة الخوري بولس سباط (ROC, 1920-1921, p. 301) . وهذه الكتب الثلثة ينسبها البعض للاب بطرس فروماج . وفي بعض النسخ تنسب الى انطونيوس الراهب اليسوعي ولعلَّهُ الاب انطونيوس كينار رئيس الرسالة اليسوعيَّة . ٤ً كتاب امتحان أيوب للقديس يوحنا فم الذهب وهي مواعظ اربعة عرَّبها المذكور . منهُ نسخ في مكتبة الڤاتيكان (ع ٦٦٩) وفي مكتبة البروبغندا وفي دير الشرفة وفي مكتبتنا الشرقيَّة . ٥ً لهُ في مكتبة الموارنة في حلب رسالة موجَّهة الى الراهبة هنديَّة سنة ١٧٥٠ . ٦ً وفي مكتبة ديرنا في باريس رسالة افرنسيَّة كتبها الاب فنتوري في ترجمة الاب بطرس فروماج عند وفاتهِ سنة ١٧٤٠

٦٢٤ ﴿ڤنسان﴾ الاب لاون اليسوعيّ المتوفَّى في بيروت سنة ١٨٩٨ . طُبع لهُ بالفرنسويَّة في مطبعتنا كتابهُ خلاصة المبادئ الفلسفيَّة (١٨٨٥) . وبالعربيَّة كتابهُ في الحقوق والواجبات (١٨٨١) . ولهُ في مكتبتنا الشرقيَّة مخطوطات في الرياضيَّات وفي وصف النقود الرومانيَّة واليونانيَّة وقاموس اللغة القوطيَّة باللاتينيَّة (Lexicum Gothicum) غاية في الاتقان

٦٢٥ ﴿ڤنشنسيوس بالميري﴾ من اساتذة مدينة پاتيسة في ايطالية في القرن الثامن عشر عرَّب الخوري انطون صبَّاغ الحلبي عن الطليانيَّة كتابهُ في التعريف الحقيقي للفنزانات

٦٢٦ ﴿فونتان﴾ الكاهن نيقولا المعروف برواريمون (L'abbé Royau-mont) المتوفَّى سنة ١٧٠٥ . هو الذي عرَّب الاب بطرس فروماج كتابة اخبار العهد العتيق المطبوع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة ثم طُبع كتابة اخبار العهد الجديد معرَّباً بقلم المعلم جرجس زوين سنة ١٨٧٣

٦٢٧ ﴿فونكلايار﴾ الاب هنري دي فونكلايار اليسوعي (P. H. de Fon-clayer) المتوفَّى في ٢٨ حزيران ١٨٩٢ . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة عدَّة تآليف مخطوطة عن الشرق بالفرنسويَّة بعضها عن الصليبيين وخصوصاً عن تاريخ غليلموس الصوري وعن حلب وعن اليزيديَّة وغير ذلك من الابحاث المفيدة

٦٢٨ ﴿فيتالي﴾ الكاهن الايطالي فرنسيس من اهل القرن التاسع عشر . عرَّب المرحوم الخوري بولس بليط الارمني كتابة المنون برياضة تشرين الثاني اسعافاً لانفس المطهر القديسة طُبع في حلب سنة ١٨٥٩ ثم في القدس سنة ١٨٦٤

٦٢٩ ﴿فيليب﴾ الاخ رئيس اخوة المدارس المسيحيَّة المتوفَّى سنة ١٨٧٤ نُشر لهُ معرَّباً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٦٦ كتابة في عبادة قلب يسوع الاقدس

٦٣٠ ﴿فيلبُّوس﴾ مطران الروم في بيروت المتوفَّى نحو السنة ١٦٨٠ (اطلب المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١٩٨) . اوقفنا المرحوم الدكتور اسكندر بارودي على كتاب الفهُ المطران فيلبوس سنة ١٠٦٩هـ (١٦٥٨) يُدعى مختصر علم الاصول برسم خزانة محروسة بيروت يبحث فيهِ عنهُ تعالى عزَّ وجلَّ وعن السيِّد المسيح ولاهوتهِ واوصافهِ وسياسة الامم بواسطة الدين المسيحيّ . وفي مكتبتنا الشرقيَّة مجموع اناشيد وزجليَّات ادبيَّة بعذبها المطران فيلبوس المذكور

٦٣١ ﴿فيلبُّوس﴾ الشاعر السرياني الحلبي كان في القرن الثامن عشر . لهُ ديوان شعر اكثرهُ عامي . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة السريان في حلب تاريخها سنة ١٧٩٥ وكذلك توجد منهُ نسخة في ملك القس بولس سباط (ROC, XVII. p. 243)

٦٣٢ ﴿فيلوكسين﴾ هو إسخنايا اسقف منبج اليعقوبيّ المتوفَّى السنة ٥٢٣ . (اطلب المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٦٦٦) لهُ تآليف عديدة في السريانيَّة . ومما عُرِّب منها ميامرهُ المصونة في دير الزعفران بالسريانيَّة والكرشونيَّة . ولهُ في مكتبة الفاتيكان

(ع١٢٦٦) كتاب في طبقات الرهبان ومراتبهم الجسديَّة والروحيَّة

٦٣٣ ﴿فينيك﴾ الاب اغناطيوس (لويس) اليسوعي المالطي المرسل في سوريَّة المتوفَّى في ٣٠ اذار سنة ١٨٦٨ . ألَّف سيرة الطوباويَّة مريم حنَّة دي بارادس فطبعها في مطبعتنا سنة ١٨٦٥ . واصلح تعريب كتاب مناقب البتوليَّة للاب بولس ريكادنا (١٨٦٧) . وقد ألَّف بعض قصائد واناشيدَ عربيَّة

٦٣٤ ﴿فينيلون﴾ اسقف كمبراي الفرنساويّ المتوفَّى سنة ١٧١٥ . عرَّب رفاعة بك بدوي بتصرُّف كثير كتابهُ الشهير تلماك تحت عنوان مواقع الافلاك في وقائع تلماك فطبعهُ في مصر سنة ١٨٦٧ . وقد عرَّب المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني محاوراتهِ الثلث في فنّ الخطابة فألحقها بطبعتهِ لكتاب فصل الخطاب للمطران جرمانوس فرحات

٦٣٥ ﴿فيوروفيش﴾ الاب يوحنَّا المرسل اليسوعيّ المتوفى سنة ١٨٩٨ . نشر سنة ١٨٨٣ رسالتهُ «الشفاء الاكيد من الهواء الاصفر» ونشر مع الخوري جرجس فرج صفير في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس كتاب الكنيسة الجامعة . ومن مخطوطاته مواعظ وتأليف في شروط الاعتراف والتناول منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة

(لها بقيَّة)

نفقٌ تحت نهر السان

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

يعلم قرَّاؤنا الذين زاروا باريس ان بين غرائب تلك العاصمة الفتَّانة خطَّ قطارٍ كهربائي اسمه الشمالي الجنوبي (Nord-Sud) دلالةً على وجهته في اجتيازه الحاضرة الكبرى وقد امتاز على انداده العديدة هناك بمروره مرَّتين تحت نهر السان (Seine)

على عمق نحو تسعة امتار ونصف تحت قعره، المرّة الاولى بين ساحة الكُنكُرْد ومجلس المندوبين والمرّة الثانيـة عند جسر المصرف (Pont au Change) . فالغرض من الصحائف التالية هو الوصف الموجز لطريقة تركيز نفق ذلـك القطار تحت السان . والامل انّ القراء يرتاحون الى هذا المبحث لجدّته اوّلاً — فلكل جديد طلاوة — ثم لكثرة ما فيه من غرائب فنّ الهندسة العصرية

*

تمهيدًا لهذا الوصف نقول ان اجراء مثل تلك الاشغال الهندسية تحت قعر الانهر والبحار لِمَن اعجب فتوحات العلم الحديث والفضل في اختراعهِ يعود الى المهندس تريجه (Triger) . كان قد اخذ على عاتقه في السنة ١٨٤١ حفر منجم في ذات مسيل نهر اللُوَار (Loire) فابتكر لادراك غايتهِ طريقةً غريبة هذا وصفها : اصطنع من احد المعادن شبه دهليز مستطيل مسقّف ذي جدران متوازية الّا اسفلهُ المحاذي للسقف فانهُ تركهُ مفتوحاً وانزل هذا الدهليز الى قعر النهر بحيث يمسّ الوجه الفارغ قاع النهر ويستطيع العمّال حفر المنجم فيهِ . ومن البديهي ان ذلك الدهليز عند تغطيسهِ الى القعر المذكور بقي مملوءًا بالمياه . فلزم تفريغها منهُ بواسطة مجرى شديد من الهواء المضغوط . بل اقتضى مواصلة ذاك المجرى طول مدّة اجراء الاشغال دفعاً للمياه النافذة الى الدهليز شيئاً فشيئاً . فعلى هـذا المنوال تمكّن العمّال من اجراء اشغالهم فحفروا الحفر الطويلة كأنهم على اليَبَس او بالأحرى على ارض رَحلة فقط اي غير مغطّاة بطبقة كثيفة من المياه الحائلة دون الاشغال المقصودة

ذاك جوهر طريقة المهندس تريجه التي شاعت من بعدهِ وقد أُدخلت عليها عدّة تحسينات على توالي الاعوام فتذرّع بها ائمة ذلك الفن الغريب لاجراء اشغال كبيرة في قعر الانهر . ومن ابدع تلك المآثر تشييد اركان الجسر المدعو باسم القيصر اسكندر الثالث في باريس . ثم تركيز نفق القطار الشمالي الجنوبي وهو موضوع مقالتنا . فاليك بعض تفاصيلهِ الشائقة

قد صُنع الدهليز اللازم لتركيز ذلك النفق في معمل واقع على شاطئ نهر السان في وسط باريس . وهو من الفولاذ يبلغ طوله نحو ٣٥ مترًا وارتفاعه ثمانية امتار ونصف . وجُعل النفق ذاته في داخل الدهليز بيد ان ارتفاعه سبعة امتار فقط فيبقى

بين اسفله واسفل الدهليز المحدق به مجالٌ طوله ٣٥ متراً وارتفاعه متر وثمانون سنتيمتراً وعرضه فوق ٧ امتار . وفي هذا المجال يقوم العمّال بأشغال حفر قاع السان

اما الدهليز والنفق الذي في داخله صُنعا كانهما قطعة واحدة تلتحم اجزاؤها اشدّ الالتحام بحيث لا يقوى ضغط مياه النهر الشديد على إحداث ادنى شقّ في جداري الدهليز العموديين والّا لمات العمّال شرّ ميتة غرقاً واستحالت مواصلة عمليّات تركيز النفق في المكان المناسب

فهمنا ذلك ولكن كيف امكنَ نقلُ الدهليز والنفق البالغ وزنهما خمسمائة الف كيلوغرام الى نهر السان ؟ قد نُقلا من داخل المعمل الواقع على الشاطئ الى جهة النهر المارّة امام المعمل على دواليب تدور فوق اسلاك كأسلاك السكك الحديدية . وعلى هذا النمط تُنقَل البيوت من مكان الى آخر في الولايات المتّحدة منذ عدّة سنين . ولمّا أُنزل الدهليز والنفق الى السان عاماً عليه كما تعوم باخرةٌ في البحر . ثم جرّتهما سفينةٌ جرّارة (remorqueur) حتى المكان اللازم انزالهما فيه الى قعر النهر . وكان ذلك المكان قد حُدّد تحديداً دقيقاً بواسطة اوتاد عديدة رُكزت في غور السان على خطّين متحاذيين . فجُعل الدهليز في وسطها بحيث لا ينقص عرضه الّا يسيراً عن البون الفاصل بينهما . ثم حُشي المجال الذي بين النفق وسقف الدهليز وجداريه العموديين بمزيج من الملاط والحصى (béton) . فلما تمّ الحشو زاد وزن المجموع زيادةً جعلت الدهليز مع نفقه يغوص شيئاً فشيئاً في باطن النهر حتى بلغ الى قعره وخطّأ الاوتاد عنمانه عن الحياد يمنةً او يسرة . فعلى هذا المنوال بلغ قاع السان في المكان المحدّد بدقّة علميّة

ثم بُرزت عملية تفريغ المياه من اسفل الدهليز اي من المحل المصطلح على تسميته بغرفة العمل (chambre de travail) . امّا انحدار العمّال الى ذلك الميدان فهو بواسطة شبه مدافن يبلغ ارتفاع كلٍّ منها عشرين متراً ، في داخلها سُلّم من حديد للنزول والطلوع ، وفي اعلاها فضاء يُدعى حُجرة الهواء المضغوط وهي متصلة بمعمل هواء مضغوط يرد منه في ٢٤ ساعة ١٥،٠٠٠ متر مكعّب بثمن ٣٠٠ فرنك ومنها ينحدر ذلك الهواء الى غرفة العمل فيدفع المياه ويكشف غور النهر فلا يبقى الّا ما يعلوهُ من الوحل فيسهل حفرهُ والفعلة يُعملون فيه معاولهم ومجارفهم فيهبط النفق

بثقله شيئاً فشيئاً تحت قاع السان الى ان تصل قاعدتهُ الى عمق تسعة امتار ونصف تحت ذلك القاع

اما طريقة الحفر فاليك بيانها. يحفر العمّال شبه خندقٍ ملاصق لجداري الدهليز العموديين بيد انهم يتركون فيه بدون حفرٍ حواجزَ من التربة تحول دون انهيار الجدارين في الخندق. ثم تُزال كلُّ هذه الحواجز في آن واحد بواسطة المعاول فيحصل من ذلك هبوط الدهليز عمودياً وبنوعٍ متساوٍ تحت قعر السان . وكلٌّ من عمليات الحفر هذه تزيد تعمّق الدهليز والنفق بمقدار خمسة او ستة سنتيمترات ، حتى تبلغ في آخر النهار نحو ثلاثين سنتيمتراً . ومن ثمَّ اقتضى تركيز النفق في عمق تسعة امتار ونصف تحت قعر السان مدةً لا تقلّ عن شهر من الاشغال الدقيقة الشاقّة . قلنا «شاقّة» ولا مغالاة . كفى شاهداً على ذلك ان ادارة الخطّ الكهربائي المارّ تحت السان لا تقبل لهذه الاعمال المُنهكة غير العمّلة ذوي الأبدان القويّة السالمة القلب والرئتين . ولا بُدّ من هذه الاحتياطات فانّ اولئك العمال يتنشّقون ساعاتٍ طوالاً كل يوم الهواء المضغوط ضغطَ ١٧٠٠ غرام على كل سنتيمتر مربّع من جسمهم ، نعني نحو ضعفي ضغط الهواء الجوّي . فالويل ثم الويل للمعرّضين لداء السكتة فانهم على قاب قوسين من الهلاك تحت اعماق الارض . وقد كانت اجرة هؤلاء الفعلة في باريس ثمانين سنتيماً في الساعة اي ضعفي اجرة رصفائهم المشتغلين تحت القبة الزرقاء . وذلك شاهد جديد على ما يكابدونه من ضروب العناء

يسوغ لنا ختم هذه المجالة عند بلوغنا الى هذا الحدّ اذ عرضنا على القراء جوهريات اشغال تركيز النفق تحت السان . على اننا نرى ان نزيدهم علماً ببعض التفاصيل على كيفية انحدار العمّلة من سطح النهر الى قعره لما في وصفها من الغرابة . ينزل المرء من فوهةٍ شبيهة بالمداخن تعلو ستة امتار فوق مياه السان

واول ما يلقاهُ الزائر عند نزوله حجرة الهواء المضغوط التي باعلى المداخن : علوّها متران وثلاثة ارباع وطول قُطرها متران وهي تسع عشرة اشخاص . ومعظم مساحتها مشغول بآلةٍ لرفع الاثقال تسير بقوّة الهواء المضغوط وتجلب من ميدان العمل الى سطح السان آلافَ امتارٍ مكعّبة من الردم الناجم عن عمليّات الحفر . نور النهار لا يبلغ الى داخل هذه الحجرة بسوى كوّة من الزجاج عدسيّة الشكل مجهّزة في سقفها .

حينئذ يُغلق بابها الاعلى وتُفتح حنفيَّة الهواء المضغوط (١ الذي ينفذ في الحجرة بصفير غريب الى ان يدُلَّ ميزان الضغط على درجة معلومة هي كما اشرنا سابقاً ضغط ١٧٠٠ غرام على السنتيمتر المربَّع . فيشعر اذ ذاك الزائر فجأة بألم شديد في صدره وفي حلقه ويضيق نَفَسهُ بغتةً بل يُحسّ باوجاع في وركَيه وبدويّ في اذنيه . ولا يخفّ ذلك الخناق الوحيّ الّا بعد نحو دقيقة يقاسي فيها الانسان الامرّين! حينذاك ينفتح الباب الاسفل لحجرة الهواء المضغوط فيلحظ الزائر تحت قدميه على بعد نحو عشرين متراً المصابيح الكهربائية المنيرة لغرفة العمل ويشمّ رائحة غير مأنوسة تؤثر بمنخريه ! واذا حاول النزول عمد الى مدخنة ضيّقة لا يزيد قطرها على ثمانين سنتيمتراً فينزل ستّة امتار بدركات سلّم عمودي غاية في الضيق قد نشب الوحل بقُضبانهِ الحديدية . واذا وصل الى مستوى نهر السان سمع بخريره وشعر ببرده

ومن ذلك الوقت لا تزال درجة الحرارة تزداد شيئاً فشيئاً الى ان يصل الزائر بعد نحو ستّ دقائق الى غرفة العمل التي يكاد رأسهُ يمسّ سقفها . وتلك الغرفة هي كلها تحت النهر البالغ عمقه هناك زهاء اربعة عشر متراً ! ولو فكَّر الزائر اوانئذٍ بامكان حدوث شقّ صغير في جهة من جداري الدهليز لاستولى على قلبهِ رُعب شديد . لكنَّ في الواقع ليس هنالك كبير خطر لإحكام تلاحم اجزاء عمارة الدهليز الحديدية . حتى ولو حدث مثل ذلك الشقّ في جوانب النفق بتأثير ثقل القطارات الكهربائية المتتابعة فلا بأس ايضاً بسبب درع الملاط الكثيف المحيط بكل جوانب النفق . فما اعجب قدرة العلم العصري !

يرى الزائر في ميدان العمل نحو اربعين عاملاً كلهم منكبُّون على وحل غور السان يحفرونهُ بمعاولهم حفراً بطيئاً ، والهواء المضغوط يُثقل الجوّ ويزيد الحرارة الى درجة منهكة وتفوح منه رائحة كريهة تكاد تخنق من ينشقها . وبالرغم من القناديل الكهربائية العديدة يرى الانسان كل الاشياء مكسوّة بشبه ضباب دقيق ناجم عن هبوات بخار الماء الممزوجة بالهواء المضغوط . ويسمع ضجّة المعاول القارعة للتربة الرطبة الوحلة بل في بعض الامكنة للصخرة الصمّاء التي يلزم قبل إعمال المعول فيها

١) هذا الهواء المضغوط يغلق باب الحجرة الاعلى لانه يضغط على اسفل الباب اكثر من ضغط الهواء على اعلاه فينتج عن ذلك انقفال الباب من تحت الى فوق

ذات ثلث غرف اقتناها للرسالة اليسوعيّة واتّخذ لهـا محامياً القديس يوحنّا الحبيب لدخوله المدينة يوم عيده في ٦ أيّار. وكان نصارى طرابلس اذ ذاك لا يتجاوزون الالف ٧٠٠ منهم روم و ٣٠٠ موارنة

وما لبثت رسالة طرابلس ان أصبحت يانعـة الثمار وفيها كان يقيم غالباً رئيس الرسالة في الشام لوقوعها في وسط انحاء البـلاد . وكان اوّل ما وجّهوا اليه نظرهم لمساعدة النصـارى ان يفتحوا مدرسةً للاحداث تزاحمت فيها ناشئة البلـدة وجارت مدرستهم في دمشق بنجاحها. وكانوا اذا وجدوا بين تلامذتهم الموارنة اولاداً نجباء اتقياء يعدّونهم لمدرستهم المارونيّة في رومية فيرسلونهم اليها ليتخرّجوا فيها بالآداب الكهنوتيّة ويساعدوا طائفتهم بعد ان تفقّهوا فيها واتقنوا علومها

ثمّ اقبل الاباء في طرابلس على تهـذيب الاكليروس وارشاد الكهنة بايمـاز السادة الاساقفـة . فكانوا حيناً يجمعونهم لرياضـات سنويّة وحيناً يعرضون عليهم المشاكل اللاهوتية فيحلّونها امامهم وتارةً يصلحون مـا يرونهُ من الخلل في اقامهم الفروض الطقسيّة وتوزيع الاسرار

ومن اشغال اليسوعيين في طرابلس عيـادتهم للمرضى. وكان بينهم ولاسيّما من الاخوة المساعدين مَنْ يتقن الطبابة ويُحسن معالجة الاعلاء. فكانوا يؤدون للاهلين على اختلاف طوائفهم واديانهم خدماً جليـلة لوجه الله لا يقبلون عليهـا اجرةً ما . وكانت عنايتهم هذه بالمرضى تتضـاعف في أيّام الاوبئة فكانوا يقضون ليلهم مع نهارهم في علاج المطعونين وقد مات غير واحد منهم شهيد محبّته

ثمّ ان اليسوعيين اتّخذوا مدينة طرابلس كمركز خاصّ لسياحاتهم الرسوليّة في شمالي لبنـان وفي سواحل البحر من البترون جنوباً الى اللاذقيّة وطرطوس شمالاً . فكانوا يتوقّلون الجبل خصوصاً في أيّام الصوم ويعدّون الموارنة هناك لعيـد الفصح المبارك لاسيّما في القرى المأهولة كاهدن وزغرتا وبشرّاي وحصرون. ويسعون طاقـة جهدهم في اصلاح الاعداء وتأليف القلوب وازالة اسباب الشحنـاء والبغض . قد اشتهر بذلك الاب اميو منشئ تلك الرسالة ثمّ الاب فرنسوا لمبار(Fr. Lambert) وبولس غوده (P.Godet) ونقولا بزير(N. Bazire) وغيرهم . وقد أدّت بهم غيرتهم الى ان طافوا انحاء عكّار ودخلوا جبال النصيريّة وتفقّدوا من كان فيها من النصارى

احدى بناتهِ على عثمان فامر الفرافصة ابنَهُ ضبّاً فزوّجها اياهُ وكان ضبّ مسلماً وكان الفرافصة نصرانيًّا وقد اوصاها قبل فراقها بما يحسن بها فعلهُ اذا صارت بين نساء قريش . (قال) فلما حُملَت كرهت الغربة وحزنت لفراق اهلها فأنشأت تقول لاخيها ضبّ (من الطويل) :

أَلستَ تَرى يا ضَبُّ بالله انّني مُصاحبةٌ نحو المدينة أَركبا
اذا قطعوا حَزْناً تحت ركابهم كما حرّكت(١ ريحٌ يراعاً مُثقّبا
لقد كان في ابناء حصن بن ضمضم لك الويلُ ما يغني الحِباء المطنّبا(٢
قضى الله حقًّا ان تموتي غريبةً بيثربَ لا تلقينَ امًّا ولا أبا

ولابن عائشة المغني لحنٌ في هذه الابيات . ثمّ ذكر ابو الفرج دخولها على عثمان فقال لها : ألا تكرهين ما رأيتِ من شيبي . فقالت : اني من نسوة احبُّ ازواجهن اليهنَّ الكُهول . وانّها كانت من أحظى نسائهِ عندهُ . وفي كتاب البدء والتاريخ (٥ : ٢٠٢) انهُ اعطاها مائة الف من بيت المال

وكانت نائلة ابيّة كريمة الطبع فلمّا تآمر الناس على عثمان في السنة ٣٥ هـ (٦٥٦م) وحصروهُ اربعين ليلة صرفت نائلة زوجها عن نصيحة مروان بن الحكم فشتمها مروان وذكر نصرانيّة والدها بقولهِ (الطبري١ : ٢٩٧٤–٢٩٧٦) : « وما انت وذاك فوالله لقد مات ابوك وما يُحسن يتوضّأ فقالت لهُ : مهلًا يا مروان عن ذكر الآباء تُخبر عن ابي وهو غائب تكذب عليهِ وانّ اباك لا يستطيع ان يدفع عنهُ . أما والله لولا انهُ عمّهُ (اي عم عثمان) وانهُ ينالهُ غمّهُ اخبرتُك عنهُ ما لن اكذب عليهِ » . فاراد مروان ان يتعرّض لها فقال عثمان : « لا تذكرنّها بحرفٍ فأُسوّدَ لك وجهك فهي والله انصحُ لي منك » . فكفّ مروان

وما لبث الناس ان تسوّروا دار عثمان ومعهم السيوف يتقدّمهم محمّد بن ابي بكر فجلس عثمان والمصحف في يدهِ فنشرت نائلةُ شعرَها فقال لها عثمان : خذي

١) ويروى : كما زعزعت ٢) حصن بن ضمضم من اجداد نائلة . ويروى في نتيان حصن . . ما يجزي الحباء المحجّبا

خمارك فلعمري لدخولهم عليّ اعظم من حرمة شعرك. واهوى رجل اليه بالسيف. فأكبّت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتّقت السيف بيدها فتعمّدها وقطع اصابعها وولّت فتمرّ اوراكها ثمّ ضرب عثمانَ فقتلهُ. قال الطبري(١ : ٣٠٠٨) : واخذت ابنة فرافصة حليًا فوضعتهُ في حجرها وذلك قبل ان يُقتل فلما قُتل ناحت عليه وقالت ترثيه (من الطويل) :

ألا انّ خير الناس بعد ثلثةٍ (١ قتيلُ التُّجيبي الذي جاء من مصرِ
وما ليَ لا ابكي وتبكي قرابتي وقد غُيّبت عنّا فُضولُ ابي عمروِ (٢

فترى ما اظهرتهُ نائلة من الشهامة في الدفاع عن زوجها ولا شكّ بانّ ما استقتهُ من مناهل النصرانيّة من المبادئ الشريفة هو الذي ارشدها الى بذل نفسها دون الخليفة زوجها على خلاف نسائه العشر. وقد روى في الاغاني(١٥ : ٧١) انّ نائلة بعثت قميص عثمانَ المضرّج بدمهِ مع النعمان بن بشير الى معاوية واهل الشام وكتبت الى معاوية كتاباً مطوّلًا دوّنهُ هناك وفيهِ تصف قتل عثمان وممّا قالت ما حرفهُ :

انّي اقصُّ عليكم خبرهُ لانّي كنتُ مشاهدةً امرهُ كلّهُ حتى قضى الله عليهِ. انّ اهل المدينة حصروهُ في دارهِ يحرسونهُ ليلهم ونهارهم قياماً على ابوابهِ بسلاحهم يمنعونهُ كلّ شيء قدروا عليهِ حتى منعوهُ الماء . . . فمكث هو ومن بهِ خمسين ليلة واهل مصر قد اسندوا امرهم الى محمّد ابن ابي بكر وعمّار بن ياسر وكان عليّ (بن ابي طالب) مع المضريين من اهل المدينة ولم يقاتل مع امير المؤمنين ولم ينصرهُ ولم يأمر بالعدل الذي امر الله تبارك وتعالى بهِ . . . فدخل عليهِ القوم . . . فقتلوهُ رحمة الله عليهِ في بيتهِ وعلى فراشهِ وقد ارسلتُ اليكم بثوبهِ وعليهِ دمهُ . . . »

قال الطبري (١ : ٣٢٥٥) : « ولمّا قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان رضي الذي قُتل فيهِ مخضّباً بدمهِ وبأصابع نائلة زوجتهِ مقطوعةً بالبراجم اصبعان منها وشيء من الكفّ واصبعان مقطوعتان من اصولها ونصف الابهام وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر الى الاجناد وثاب الناس اليهِ وبكوا سنةً وهو على

١) قولها «بعد ثلثة» تريد محمّدًا وخلفيه ابا بكر وعمر. والتُّجيبي هو كنانة بن بشير الذي ضرب عثمان على جبينهِ بعمود وضربه سعد بن حمران المرادي بالسيف

٢) ابو عمرو كنية عثمان. ويروى: وقد غيّبوا عني

المنبر والاصابع معلّقة فيه وآلى الرجال من اهل الشام ألّا يأتوا النساء ولا يمسّهم الماء للغسل ولا يناموا على الفرش حتّى يقتلوا قَتَلة عثمان او تفنى ارواحهم» . وكان ذلك سبب خروج معاوية بن سفيان ومحاربته لعليّ بن ابي طالب في صفّين . وممّا رواهُ ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٣ : ٢٧٢) انّ معاوية بعث الى نائلة يخطبها فارسلت اليه : ما ترجو من امرأة جذماء؟ وقيل انها قالت لمّا قُتل عثمان : اني رأيتُ الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيت ان يبلى حزن عثمان من قلبي . فدعت بفِهْر فهتمت فاها لتبقى ثابتة على عهد زوجها عثمان . قال النووي في تهذيب الاسماء (ص ١٨٥٥) : «سمعت عثمان وروى عنها النعمان بن بشير وغيره . . . وولدت لعثمان امّ خالد وأروى وامّ ابان وكانت احظى نساء عثمان عندهُ في وقتها وتزوّجها وهي نصرانيّة واسلمت عندهُ على يده»

وقد روى ابو الفضل احمد بن ابي طاهر في كتاب بلاغات النساء (ص ٧٠—٧٢) خطبةً خطبت بها نائلة في مسجد المدينة بعد قتل عثمان وهي متسلّبة في اطمار معها نساء من قومها والخطبة طويلة افتتحتها بقولها :

« معاشر المؤمنة واهل الملّة لا تستنكروا مقامي ولا تستكثروا كلامي فاني حُرّى عَبْرى رُزئتُ جليلاً وتذوّقتُ ثكلاً من عثمان »

ثمّ اطنبت في فضل زوجها ومحاسنه واردفتْ بتقريع اهل المدينة قائلةً :

« سفكتم دمهُ وانتهكتم حُرمَهُ واستحللتم منهُ الحُرَم الاربع حُرمة الاسلام وحرمة الخلافة وحرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام فليطلبنّ الذين سعوا في امره ودبّروا في قتله ومنعونا عن دفنه اللهمّ أنْ بئس للظالمين بدلاً واضعف جنداً لتتميدنّكم الشُبُهات ولتفرقنّ بكم المفرقات ولتذكرُنّ بعدها عثمان ولا عثمان وكيف بسخط الله من بعده . . . »

(قال) ثمّ اقبلت بوجهها على قبر النبي صلعم فقالت اللهمّ اشهد :

أيا قبرَ النبيّ وصاحبَيْهِ عذيري ان شكوتُ ضياع ثوبي(١
فاني لا سبيلَ فتنفعوني ولا ايديكمُ في منع حَوْبي

١) كنّت بضياع ثوبها عن فقدها لزوجها

١٤ ميسون بنت بَحْدل الكلبيَّة

هي امرأة أخرى من نصارى كلب وابوها بحدل بن أُنَيف من بني الحارثة بن جناب. وقد وصفها ابن عساكر في تاريخ دمشق وغيرهُ بالذكاء. وقالوا انَّها كانت لبيبةً وَرِعة وهي زوج معاوية بن ابن سفيان وامّ ابنهِ يزيد. قال ابن الكلبي في الجمهرة (خزانة الادب ٣: ٥٩٢): «كان معاوية بن ابي سفيان بعث رسولًا الى بهدلة بن حسَّان بن عدي يخطب اليهِ ابنتهُ. فأخطأ الرسول فذهب الى بحدل بن أُنَيف فزوَّجهُ ابنتهُ ميسون» وكانت بدويَّة فلمَّا اتَّصلت بمعاوية ونقلها من البدو الى الشام ضاقت نفسها لمَّا تبرَّى عليها وكانت تكثر الحنين الى اناسها والتذكُّر لسقط رأسها فعذلها على ذلك وقال لها: انتِ في ملكٍ عظيم وما تدرين قدرهُ وكنتِ قبل اليوم في العباءة. فقالت (من الوافر):

لَبيتٌ تَخفِقُ الأَرواحُ فيهِ ... أَحبُّ اليَّ من قصرٍ مُنيفِ (١
ولُبسُ عباءةٍ وتَقَرُّ عيني ... احبُّ اليَّ من لبس الشُّفوفِ (٢
وأكلُ كُسَيرةٍ في كِسرِ بيتي ... احبُّ اليَّ من اكل الرغيفِ (٣
وكلبٌ ينبحُ الطُّرَّاقَ دوني ... أحبُّ اليَّ من قِطٍّ أَلوفِ (٤
وبَكرٌ يتبعُ الأَظعانَ صَعبٌ ... احبُّ اليَّ من بغلٍ زَفُوفِ (٥
واصواتُ الرياح بكلِّ فَجٍّ ... احبُّ اليَّ من نَقْرِ الدُّفوفِ
وخِرقٌ من بني عمِّي نحيفٌ ... احبُّ اليَّ من عِلْجٍ عَليفِ (٦

١) ارادت بالبيت خيمة البدو. وتخفق اي تضطرب. والأرواح جمع ريح كالرياح. والمنيف العالي ٢) تقرّ اي تسكن وترتاح من القرار. والشفوف جمع شِفّ وشفّ وهو الثوب الرقيق ٣) والكُسَيرة تصغير كسرة الخبز. والكِسر طرفُ الخباء من الارض ٤) الطُّرَّاق جمع طارق وهو الآتي ليلًا. ويروى. عنّي ٥) البكر الفتيّ من الابل. والاظعان جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج. والزَّفوف المُسرع ٦) الخِرق الكريم. العلج الصلب الشديد من حمار الوحش. والعليف المسمَّن. قال الاعلم: تُعنّي به معاوية لقوَّته وشدَّته مع سِمَنه ونعمته. ويروى العنيف بالنون ويروى الفَليف وهو الذي يصبغ لحيته بالغالية

خشونةُ عيشتي في البدوِ أشهى · الى نفسي من العيش الظريفِ
فما ابغي سوى وطني بديلاً فحسبي ذاك من وطنٍ شريفِ

فلمّا سمع معاوية الابيات قال لها: ما رضيتِ يا ابنة بحدل حتى جعلتِني علجاً طيفاً. قال اللخمي: «فطلّقها وألحقها بأهلها وقال لها: كنتِ فبنتِ. فقالت: لا والله ما سُررنا اذ كنّا ولا أسِفنا اذ بِنّا. ويقال انّها كانت حاملاً بيزيد فوضعتهُ في البرّيّة فمن ثمّ كان فصيحاً». (قلنا) وفي خبر طلاقها المذكور نظرٌ والاصحّ عندنا ما روى الكلبيّ عن عوانة (الخزانة ٣: ٥٦٤) قال: «لمّا زُفّت ميسون بنت بحدل من بادية كلب الى معاوية وهو بريف الشام ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها فسمعها ذات ليلة تقول هذه الابيات فقال: انا والله العلج. وازداد بها عجباً واليها ميلاً». وذكر ابن الاثير في تاريخهِ انّ ميسون ولدت لمعاوية ابنةً اسمها أمة ربّ المشارق ماتت صغيرةً

(لها بقيّة)

رحلة رسولية

في بلاد الجليل الاعلى

لحضرة الاب فردينان توتل اليسوعيّ

خذ خارطة سوريا وفلسطين ايها القارئ اللبيب وارسم عليها خطّاً يمتدّ من رأس الناقورة الى جنوب بحيرة الحولة وما فوق نهر الاسكندرونة في القرب من قيصريّة فلسطين الى مَصبّ الارنون في الاردن فتحدّد شمالاً وجنوباً ابرشيةَ عكا والجليل الاعلى للروم الكاثوليك. امّا حدودها من الشرق الى الغرب فهي ما بين بحيرة طبرية والاردن وبين البحر المتوسط

وبين هذه الحدود ما ينيف على ثلاثين رعيّة يرأسها صاحب السيادة المطران

غريغوريوس حجّار الذي يسعى منذ اثنتين وعشرين سنة في احياء وإنماء روح الدين في المدن والقرى الخاضعة لسلطته الروحية فشاد الكنائس وفتح المدارس وتصدّى لغارات المراطقة والبروتستانت الذين طمعوا في اجتذاب الكاثوليكيين الى اضاليلهم مقدّمين لهم مع التعليم المجاني اسعافاتٍ مادّية ليرشوا ضمائرهم ويخرجوهم عن حظيرة المسيح الواحدة. فأتت مساعي سيادته مقرونةً بالنجاح المرغوب في كلّ انحاء ابرشيّته

وقد وقعت في تلك الاثناء الحرب العظمى وما جرّتهُ معها من الويلات فحصد ملاك الموت سكّان تلك البلاد بالمئات وسطت عليها المجاعة ووقفت فيها حركة النمو وبقيت دون النجاز كثيرٌ من المشاريع الخيرية التي كانت غايتها ترتيب الابرشية ورعاياها وكهنتها بحيث تستقل كلّ كنيسة وتكتفي باوقافها للقيام بما يليق بالرتب الالهية وخدمة النفوس

ما حطّت الحرب اوزارها وعاد الراعي الصالح من المنفى الّا وبادر يجول في آكام الجليل الاعلى ووديانهِ يتفقد شؤون الخراف يعزّيهم وينعش فيهم روح الايمان والرجاء بانفراج الازمة وبالنهضة المسيحية

عاد من زيارته الاسقفية وقد اختبر بنفسهِ احتياجات الشعب فجعل يبعث اليهم من حين الى حين مرسلين يبشّرونهم ويلقون عليهم الرياضات الروحيّة حتى اصبحت اصغر القرى لا يمضي عليها العام الّا ويزورها مبشّرٌ باسم الاسقف فترحّب بهِ وتسمع تعاليمهُ منقادةً في سبل الخلاص. وهذا ما اسعدنا الحظّ بمشاهدته عياناً في خلال الصيام الاربعيني المبارك من هذه السنة حيث دعانا سيادتهُ الى مباشرة الرياضات والمواعظ في ابرشيّتهِ فرأينا ان نتحف القراء بما وقفنا عليه في رحلتنا الرسولية هذه من المعلومات الشائقة التي من شأنها ان تزيدهم معرفةً ببلادهم

من بكفيا الى صفد

ما كان ليخطر على بالٍ في ما قبل ١٩١٤ انه سوف لا تمضي سنوات الّا ويقطع المسافرون بسرعة الطير المسافات الواسعة بجزونها وبطونها فتنخفض الجبال وتتمهّد الوديان وتمتدّ الطرق فتتقرّب البلدان بحيث يُصبح الانسان في لبنان ويُمسي في فلسطين واذا بلغ عكا او حيفا يجد رهن ارادتهِ سيّارات تنقلهُ الى حيث شاء الى

القدس او طبرية او صفد حتى الى ما وراء الاردن والشام مع ان هذا عين الواقع في ايامنا

غادرنا بكفيا في الرابع عشر من شباط صباحاً اذ كانت الاشجار عاريةً من اوراقها تعقد براعيمها كانها تخشى عليها نفحات البرد القارس فكنّا كلّما نقترب الى السواحل تُقابلنا نفحات ريح حارّة تتصاعد فتنعش فؤاد المنحدرين من الاعالي وتمرّ على المزروعات فتهزّها لتستيقظ من غفلة الشتاء وتتبسم لاشعّة شمس الربيع

هوذا مدينة بيروت! اما هذه الجلبة نرى قريباً من محطّة السكة الحديدية اولاداً ونساء ورجالاً متزاحمين قد احتلّوا ارضاً واسعة فرفعوا فيها بعض الابنية الخشبية ريثما يتيسّر لهم ان يجدوا سكناً وراحةً بعد المنفى. هم الارمن هجروا اوطانهم حرصاً منهم على بواقي عيالهم من جور الترك وفظائع الاستعباد اتّموا ارض سوريا فحلّوا فيها ضيوفاً على الرحب والسعة

غادرنا العاصمة في ضحى اليوم التالي فقطعنا بسرعةٍ المسافة بينها وبين رأس الناقورة لان الطريق جيدة لم يمضِ على اصلاحها عهدٌ بعيد فوقفنا امام المحطتين الافرنسية ثم الانكليزية حيث افتقد العمّال اوراقنا فواصلنا السير في منطقة فلسطين

وكانت عدّة سيارات سبقتنا منذ الصباح فاذا هي الآن امامنا تتأوّى بعناء تارةً الى اليمين وتارة الى الشمال لتجد سبيلاً الى المرّ لان الطريق بين الناقورة وعكا لم تنجز بعد رغماً عن الهمة المبذولة لتعبيدها

وكانت الامطار الغزيرة تساقطت وأوحلت الاراضي واحتُفنت في حفرها المياه فتحولت الى بحيرات فصارت العربات تغرص في تلك الاوحال حتى محور الدواليب فاضطررنا النزول مراراً لمعاونة السائق في دفعها وانتشالها من ورطاتها وكان بعض الذين سبقونا صرفوا ساعات مزعجة مملّة قبل الوصول الى حيفا واضطروا الى الاستعانة بالمتاولة الذين يترصدون المسافرين في المسالك الصعبة فيطمعون بهم ويساومونهم المبالغ ليمدّوا اليهم يد الاعانة. امّا نحن فقد سرنا مترافقين ببعضنا فلم نستعن بغيرنا بيد انّنا وصلنا حيفا الساعة ٦ مساء وكان موعدنا الرابعة

حللنا في الدار الاسقفية فاكرم سيادتهُ مثوانا فقضينا تلك الليلة بالراحة وأمّا اصبح النهار قصدنا دير راهبات الناصرة لاقامة فرائضنا الدينيّة في معبدهنّ وكان جمهور من

بنات الاخويات اجتمعن هناك لحضور قداس حبري احتفل به صاحب السيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي الوكيل على ابرشية صور . ثمَّ توقفنا بعد ذلك صاعدين الى مزار الكرمل الشهير فنلنا من بركة السيدة العذراء المكرَّمة هناك صورتها الجليلة . ثم قفلنا عائدين عن طريق المدينة

يُقضى منك العجب ايها القارئ اللبيب لو رأيت عدد الاسرائيليين في حيفا والسوادُ الاعظم منهم اجانب يلحنون اذا نطقوا بالضاد ويمزجون العربية والعبرانية مع لغة البلاد التي وردوا منها وهم فظاظ الطباع خشنو الاخلاق ينظرون شذرًا الى المسيحيين

نهار الجمعة الواقع في ١٦ شباط تزوَّدنا ببركة المطران راعي الابرشية وتعليماته الضرورية للقيام بمهمتنا الرسولية وركبنا سيَّارةً كبيرة قاصدين صفد

ونحن واقفون في ساحة البلد على أُهبة السفر اذ سمعنا ضجيجاً وعزف عود وضرب طبل فنظرنا فاذا بموكب يزدحم اهلهُ في الطريق على هيئة غاية في الغرابة ما كان ليخطر على بالي اني سأرى مثلها مع ما كنت اسمع من وصفها في زمن حداثتي . جمهور يسير على صورة هلال يكتنف طرفاه جانبَي الطريق على سمتها وفي وسطهِ شيخ اسود الوجه كثّ اللحية على رأسهِ عمامة خضراء وبيده سيف قد جرَّدهُ عن غمده وامامه رجل آخر حليق الرأس عريان لا يستره الَّا السراويل وهو تارة يمشي وتارة يرقص مبدياً حركاتٍ غير مألوفة كأنه يريد ان يتظاهر باختطاف الروح وحوله اناس يصيحون ويزمرون ويحمل بعضهم أعلاماً نُسجت عليها آيات قرآنية وغيرهم بيدهم سكاكين يغرسونها في افواههم كانهم يحاولون اقناع الناظرين ان حدَّ السيف لا يؤذيهم وكان الشيخ المتصدر الموكب يتنقل بين القوم ويهدد بالسيف الرجل العريان . أمّا هذا فكان يأخذ السيف من الشيخ ويعضُّ عليه بفمهِ فيظنّ السذَّج من الجمهور ان قوة علويَّة تؤيدهُ . وقد قيل لي ان مثل هذه التظاهرات تجري كل يوم جمعة قبل صلاة المسلمين في جامعهم الكبير

سرنا وعدد رفاقنا احد عشر والطريق وطيئة سهلة فاجتزنا سهولًا فسيحة روتها السماء ماء فاكتست بحلَّة خضراء ستنزعها عنها قريباً شمس الربيع والصيف اذ لا تُجاد تربتها بغير امطار الشتاء فلا تلبث ان تمسي جدباء قاحلة . سرنا والقلب منَّا مشغوف برؤية الاراضي المقدسة . اليك الناصرة المدينة الحقيرة التي اصطفاها العلي لابنهِ المتجسد الكلمة الازلي . وهذه قانا الجليل حيث صنع يسوع اول معجزاته تلبيةً لأُمهِ

العذراء. قطعنا المسافة بين حيفا وطبرية بساعتين ولما انتهينا الى شاطئ البحيرة التاريخية عاشت فينا ذكرى تملأ النفس المسيحية بأرق الشعور ذكرى الرب يسوع الذي اجترح هناك كثيراً من معجزاته ومشى على البحيرة كما على اليبس. اقتربنا منها فخيل لنا ان الرب قريب وان الجمع هناك ينتظره على الشاطئ ليكسر لهم خبز الجسد والنفس

ولكننا ما لبثنا ان تنبهنا أن ١٩٢٣ سنة مضت على مرور المسيح على الارض واننا في عصور جديدة ولقينا هناك سيارة أخرى على وشك الصعود الى صفد فركبناها عاجلاً والشمس قد قاربت المغيب. على انَّ العواطف الدينيَّة والتذكارات الانجيليَّة كانت تزدحم في نفسنا بل كانت تدور في خَلَد غيرنا حتى ان مسلماً من رفقتنا لم يتمالك عند وقوفنا على الربوة المطلة على طبريَّة ان يقصّ علينا ما كان يعرفهُ من اعجوبة المسيح العظمى اذ اطعم هناك الالوف من الجياع

ها قد احاط بنا الظلام وعمَّ السكوت المسكونة وغابت من اعيننا مناظر الجليل فاختلت النفس بصلاتها ووحدتها. اجل ان الدنيا تقلَّبت احوالها لكن المسيح هو هو وما المرسل الا شاهد لهُ جاء ليبشر وينذر في البلاد التي خرج منها المدبر الذي رعى اسرائيل وانار الامم والشعوب

كانت الساعة السادسة ونصف مساء لما لاحت لنا عن بعد انوار صفد فكانت قرةً للعيون بعد السير الممل في الظلمة الوحشة

صفد

وقف السائق في مستودع السيارات فنزلنا وكان هناك صبية اسرائيليون يترقَّبون وصول المسافرين ليرتزقوا بخدمتهم فوكلتُ الى اثنين منهم حمل متاعي واسترشدت بهما الى دار في قرب الكنيسة الكاثوليكية حيث اقمت مدة الرسالة. قد وصف المشرق ١٠١ [١٩٠٧]: ٩٩٣ مدينة صفد فلا اذكر هنا الا ما يزيد القارئ افادةً عنها ان مناخ صفد صحي وماؤها طيب وهواؤها صافٍ يقصدها اهل طبرية وغيرهم من فلسطين في ايام الحر وعلوُّها يبلغ ٩٠٠ متر فوق سطح البحر ولا ريب ان امتداد الطرق منها الى بيروت والى الشام سوف يزيد فيها حركة الاصطياف وقد قضى فيها السير هربرت صموئيل بضع اسابيع في العام الماضي ليستريح من حرّ اورشليم. ألا انك قلما ترى

فيها كما في لبنان منازل يجد فيها المسافر ما يلتمسه من اسباب الراحة والانشراح

وحاكم صفد انكليزي ينوب عنه الآن خليل افندي عبد النور من طائفة الروم الكاثوليك وقد اجتمعنا عنده بالضابط الكومندان المستر سنجلر وهو كاثوليكي ايضاً تلقَّن العلوم في مدرسة الاباء اليسوعيين الشهيرة في ستونيهرست في انكلترة . والضابط الترأس على الشرطة في صفد فلسطيني اسمه حنا متيًا يُعرف هناك باستقامته وغيرته على المصلحة العامَّة وسعيه باستئصال شافة ذلك الداء العضال الذي ادَّى بحاكمنا الى الخراب اعني الرشوة فاخبرنا ان المرتشي بين الموظفين لا يلبث يسيراً حتى تتناوله يد العدل

سألت البعض عن عدد سكان صفد فقيل لي انَّهم ثلاثون الفاً ولمَّا تحريتُ الحقيقة من مصدر يوثق بهِ علمت ان سكان البلدة لا يبلغ الآن تسعة آلاف واليك الاحصاء كما قيدَّته الحكومة في شهر تشرين الاول من العام المنصرم

المسلمون	٥٦٣١
اليهود	٢٩٨٦
المسيحيون	٣٤٣
المجموع	٨٧٦٠

اما سكان ناحية صفد واحيائها اعني قرى حرفيش وكفر برعم والجشّ وروشينا فدونك عدد سكانهم

المسلمون	١١٨٧٥
اليهود	٨٥٨
المسيحيون	٩١٠
الدروز	٣٨٦

وجمع المجموع يكون ١٤٠٢٩

وقد تقرَّر بموجب الاحصاء الرسمي نفسه ان عدد سكان فلسطين كما يلي :

المسلمون ومن يواليهم من الملل والنحل	٧٢٣,٠٠٠
اليهود	٩٠,٠٠٠
المسيحيون	٨٠,٠٠٠
المجموع	٩٠٣,٠٠٠

هذا ولو تذكرنا ان من المؤرخين من يقدّر عدد سكان فلسطين في ايام السيد المسيح بخمسة ملايين نفس رأينا البون الشاسع بين عهده وعهدنا وما آلت اليه بلادنا الى الخراب من جراء الحروب ونكبات الزمان وظلم الحكام واستبدادهم

وللمسلمين مقام ممتاز في صفد ولهم فيها عائلات قديمة منها بيت النحوي واحد زعمائه عبد الرحمان المحامي وبيت السعدي ابناء سعد الدين الجباوي ومن اعيانهم محمد افندي القضورة وهو المفتي والسيد ابو دياب وهو من سلالة الباز عبد القادر البغدادي

اما اليهود فاكثرهم اجانب تدلُّ عليهم عجمة نطقهم وهيئتهم الغير المألوفة بخلاف اخوتهم الوطنيين البيض الوجوه الزرق العيون وهم لا يزالون يحافظون على ازياء البلاد التي وردوا منها وكثيرون من هؤلاء المتوطنين اصلهم من روسيَّة وبولونية. جاءوا زرافاتٍ وقد علَّلهم زعماء الصهيونيـة ببحبوحة العيش ورغده في «ارض اسرائيل» لكنهم ما لبثوا ان تحققوا بعرقوبية تلك المواعيد واجسامُهم الناحلة ووجوههم الشاحبة تشهد على فقرهم وعوزهم المدقع. وقد زرت اسواق صفد فكلها حوانيت مفتوحة ولا يكاد يدخلها زبون. والبعض من اليهود يبرحون البلاد غير آسفين وقد قيل لي ان منهم من انتحر يأساً وذلك لان محصولات الاراضي قلما تُكسب الاسرائيلي وقد اعتاد حياة المدن ولا يرضى لنفسه عيش الفلّاح الفلسطيني فيأبى الشغل بالزراعة. امّا الصناعة فلا يرغب فيها لكسادها وكلها محصورة بين صاغ يصيغ وحداد يطرق وصانع يصيغ وخيّاط يرقع على النسق القديم ولذلك ترى الناس في ضيقة عظيمة يلتمسون الاقتصاد ولعلّهُ بالصبر تنفرج الازمة. واليك اسعار الحاجيات في الايام التي زرنا فيها صفد

		غرش مصري				غرش مصري
الطحين المنخل	رطل	٣٧		لحم البقر	رطل	٤٨
الخبز	«	٣		السكر	«	١٠
لحم الخاروف	«	٢٤٧		العدس	«	٢٧
السمنة	«	٣٥		الارز	«	٩

ويقام يوم جمعة من كل اسبوع سوق في صفد يقصدهُ الناس من كل فجّ وصوب للمعاملات التجارية. اما المسيحيون فهم من طائفة الروم الكاثوليك الّا بضعة انفار

قد اعتنقوا البدعة البروتستانية طمعاً بتعليم اولادهم مجاناً واكتساب شيء من الاعانة المادية تكفيهم لسدّ رمق اليوم ومؤونة الحياة الدنيا

وفي الثالث من شهر شباط من هذه السنة كان قد ضُرب ميعاد الانتخابات للمجلس النيابي فابى المسلمون والمسيحيون ان يشتركوا به لئلا يُستنتج من تلبيتهم دعوة الحكومة رضاهم بمشروع بلفور فامتنعوا عن الانتخاب واضطرّت الحكومة ان تؤجل الانتخابات خشيةً ان تجرح شعور السواد الاعظم من الاهالي . وقد شهدنا في صفد نهار الاحد الواقع في ٢٥ شباط مظاهر سياسيَّة التفَّ فيها المسيحيون حول كاهنهم والمسلمون حول مفتيهم فاحتشد جمهورهم مرة في الجامع ومرة في الكنيسة وأُلقيت الخطب الحماسيَّة لحثّ الوطنيّين على توحيد كلمتهم والمثابرة على رفض الانتخابات ومقاومة الصهيونية بصوت واحد وروح واحدة . عسى الاتفاق يظلّ دائماً بين سكان وطن واحد فينسينا ما حلَّ بنا من النكبات من جراء روح التعصب والبغض الملّي . على اننا مع موازرتنا لكل حركة غايتها توحيد قلوب الامة نودّ ان يكون لمثل هذه المظاهر السياسية نادٍ عمومي يجتمع فيه الشعب للنظر بشؤونه العالية فتُحترَم بيوت الصلاة وهي مخصَّصة لامور الدين فانّ الكنيسة بيت الله تصلح لاجتماعات المؤمنين التقويَّة لا لغيرها .

اقمنا في صفد ما ينيف على ثمانية ايام التينا فيها عظات الرياضة صباحاً ومساء اقبل عليها الشعب صغاراً وكباراً بكل تقى ونشاط . وما بارحناها الّا وكل عائلة من كاثوليك البلدة نصبت قلب يسوع الاقدس ملكاً عليها

الجش

الجشُّ في غربيّ صفد تبعد عنها مسافة ساعتين مشياً وهي قرية قديمة فيها آثار نفيسة وصفها المرسل الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش في المشرق (١٩٠٧ : ١٨٩—١٩٢)

في جوار البلدة نواويس عديدة قديمة لم يحترمها السلف وبلغ الامر بالجهال انهم حفروا تلك القبور وحطّموا الصخور التي حُفرت فيها

وبلغني ان الجمعية الصهيونية حاولت شراء املاك في الجش فلم تنجح لان الاهالي لا يبيعونها الا قِطَعاً متفرقة وهي ترغب في المساحات الواسعة

ليس في الجش من السكان الّا نصارى ومسلمون. وجميع النصارى من ابناء الكنيسة الكاثوليكية منهم ٣٠٠ مارونيّ و ١٢٠ من الملكيين. ومن وجهائهم بيت عقل ودخول وحداد وبخيت. امّا المسلمون فمن وجهائهم بيت العرى واصلهم من عرابة جبل نابلس

وفي الجش كنيستان وجامع والعلاقات بين المسلمين والنصارى فيها وديّة جدًّا. ومما قيل لنا انه اذا صار عرس في القرية اشترك في الفرح جميع الاهالي. فان كان العريس مسيحيًّا اخذه المسلمون الى حيّهم «ودبّكوا» له ورقصوا وردّوه الى ذويه مكرّماً وكذلك اذا كان مسلماً اخذه المسيحيون وفرحوا به واكرموهُ. واذ جاء السيد غريغوريوس حجار راعي الابرشية متفقدًا شؤون اولاده في الجش التفّ حولهُ المسلمون يسمعون كلامه. وقد بلغني انهم قالوا مرة بعد سماعهم المطران: «لو كان لنا خطيب كهذا لما عدنا نسبّ الدين ابدًا»

ولمّا وقعت الحوادث المشؤومة التي اهرقت دماء الابرياء في اواخر سنة ١٩١٩ وفي النصف الاول من سنة ١٩٢٠ وكادت تجعل بلاد بشارة ساحة دماء فانّ الله رأف بنصارى الجشّ وحمى النساء والاطفال والشيوخ من الذلّ والعار والقتل. فانه بينما كانت الحملة الافرنسية تهدّئ الخواطر وتضرب على ايدي الاشقياء مثيري الفتنة في جوار عين ابل كانت الجنود البريطانية تزحف على اعالي الجليل بقوات كثيرة حقنًا للدماء ودفاعاً عن الضعفاء.

واهل الجش يتعاطون الفلاحة ورعاية المواشي وهم راتعون اليوم في راحة عظيمة وفي بحبوحة سلام لم يعرفوهما في عهد الترك

وتربة الجش صلبة كلسة فلذلك لا تباشر فلاحتها الّا بعد ان تكون شربت مياه الخريف فارتوت فحينئذٍ تشقّها سكّة المحراث بغير عناء فتُزرع من اوائل كانون الثاني الى اواخر شباط احيانًا واذا جادت السماء بالغيث وامطرت في اذار ونيسان يتوسّم الفلّاح خيرًا عظيماً من اراضيه. اما اذا انحبست السماء عن المطر في الربيع فيخشى فلاح الجش ذهاب تعبه ضياعاً كما حدث له في العام الماضي من جراء انقطاع المطر قبل الاوان

وعلى ما يظهر سيكون الموسم في هذا العام جيدًا. غير ان المستقبل وحده

يستطيع ان ينبئ بتحقيق الامال

والجش مبنية على سفح جبل وهي تنحدر من الشمال الى الجنوب وبناؤها بسيط جداً فبيتٌ واحد يأوي العائلة ومؤونتها والمواشي معاً فيجمع صاحب البيت ماله حوله ليلَ نهارٍ مخافةً من اللصوص

ومياه الجش غزيرة طيبة تتدفق ينابيعها من سفح الجبل الشرقي فتنحدر جداولها الى عمق الوادي ويسمونه وادي الجش او وادي المعظمية .

ومسيحيو الجش اتقياء يحافظون على دينهم وتقاليدهم فاذا قُرع الجرس ترى جمهورهم يؤمّون المعبد المقامة فيه الصلاة سواء كان للموارنة او للروم الكاثوليك فيشتركون بالطقوس الكنائسية والتراتيل ولما أُلقيت عليهم عظات الرياضة رأينا من غيرتهم على الاجتماعات الدينية وتزاحمهم في التقرب من القربان المقدس ما يأخذ بمجامع القلوب ويسرّ السماء والارض

كان ختام الرياضة في ٤ آذار وأُعطيت البركة الرسولية مع الغفران الكامل وقد نصبت جميعُ العائلات قلبَ يسوع الاقدس ملكاً عليها وتمّ العمل الذي من اجله اوفدنا راعي الابرشية فودّعنا شعب الجش المبارك وغادرنا القرية الى عين ابل يصحبنا ويرشدنا الى الطريق وكيل كنيسة الجش الوجيه يعقوب الحداد وقد اعارنا جواده . انحدرنا الى عمق وادي المعظمية وقطعنا النهر ودرنا ميمنة سائرين على طرف تلال عين صوف وكانت السماء متلبدة بالغيوم فاخذت تمطر ثم انجبست فوصلنا عين ابل وقد قطعنا المسافة بينها وبين الجش بمدة اربع ساعات ونصف (لها بقيّة)

الطائفة المارونيّة والرهبانية اليسوعيّة

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة ما سبق)

٢ اليسوعيون والموارنة في دمشق

رسالة دمشق هي الثانية من رسالات اليسوعيين في سوريّة بعد حلب . فُتحت

سنة ١٦٤٣ لمّا تعيّن بطريركاً على طائفة الروم الملكيين مطران حلب ملاتيوس الصاقزلي الذي دُعي بافتيميوس عند ترقيه السدّة البطريركيّة وكان المطران المذكور مشغوفاً بحبّ جيروم كوبرو اليسوعي المرسل في حلب فطلب اليه ان يرافقهُ الى دمشق ليكون كاتب اسراره فيها ومهذّباً لابناء طائفته. فاجاب الى ملتمسه وسكن في دمشق في الدار البطريركيّة واخذ يعلّم اللغة اليونانيّة احداث الروم ويشرح للاكليروس اعمال الآباء اليونان كيوحنّا فم الذهب ويوحنّا الدمشقي فاصاب شهرة واسعة لكنّهُ اثار حسد البعض. ولمّا بارح السيد البطريرك دمشق بعد تسعة اشهر اضطرّ الاب اليسوعي ان يخرج ايضاً من المدينة

لكنّه بعد ان تغيّب مدّة عاد اليها مع احد الاخوة المساعدين فسكن بيتاً مأجوراً وعاد الى اعماله الرسوليّة التي اكسبتهُ صيتاً عظيماً لدى نصارى الشام. واذ حدثت في تلك الاثناء حرب الدولة العثمانية مع البنادقة وأُلقي الاجانب في الحبس وكان من جملتهم الاخ اليسوعيّ المدعو غليوم بَنجن لم يجسر الاتراك على توقيف رئيسهِ الاب كوبرو لِما شاع في البلد من سموّ فضلهِ وقداستهِ

وكان في دمشق رجلٌ ايطاليّ يُعرف بميشال كوندوليو في خدمة الدولة العثمانيّة وهو رئيس الطوبجيّة فهذا عَشِق الاب اليسوعيّ ودافع عنهُ بشهامة لدى أولي الامر وأدّى لهُ ولاخوته خدماً مشكورة اخصُّها انّهُ اقتنى للمرسلين ملكاً اتخذوهُ منزلاً لجماعتهم ومركزاً لاعمالهم الرسوليّة فجعلوهُ تحت حماية القديس بولس الرسول. وترقّت المدرسة التي فتحها الاب كوبرو حتى زاد تلامذتها على المئة. وبلغ عدد المتخرّجين فيها بعد عشر سنين ما ينيف على الالف. ومن ذاك الزمن خصوصاً تألّفت في دمشق الطائفة الروميّة الكاثوليكيّة

كانت وفاة الاب كوبرو سنة ١٦٥٣ فبكاهُ النصارى على اختلاف طوائفهم ودفنوهُ بكل اكرام كأعزّ ساداتهم. وسار اليسوعيّون على مثالهِ في خدمة الدمشقيين في طول ذلك الجيل السابع عشر اشتهر بينهم الآباء بارڤيليه (Parviliers) وريشليوس (Richelius) ورستو (Resteau) وكليسون (R. Clisson) وميشال نو (M. Nau) ولكلهم مآثر طيّبة تشهد لها كتابات ذلك الزمان

وقد ترقّت مدرستهم في الفيحاء حتى ضاق المكان عنهم واضطرّ المرسلون الى

نقلها الى معاهد اوسع . وكانوا يقومون في المدينة بسائر الاعمال التقوية من وعظ وارشاد وتعليم وتأليف كتب . وكانوا اذا سمح لهم الوقت يتجولون في القرى المجاورة الى المعرة وصيدنايا حيث ارشدوا راهباتها

وكان اكثر شغلهم مع الروم وهم العدد الاوفر من نصارى دمشق يبلغون اذ ذاك ٧٠٠٠ نفس . وكانوا يهتمون ايضاً بالموارنة وهم في دمشق قليلون لا يتجاوز عددهم بضع المئات . وكانت كنيستهم صغيرة حقيرة وكهنتهم مقترنين بالزواج مهتمين بامور بيوتهم وكان اساقفتهم يسكنون لبنان يشغلهم البعد عن العناية بطائفتهم . فكان اليسوعيون يتولون تدبيرهم وتهذيب اولادهم ويردون عنهم دسائس اعدائهم . على انّ واحداً من ملّتهم المدعو قرقماز مرق من دينه فأسلم وهيّج عليهم الشعب فنهبوهم وأعملوا النار في كنيستهم . فكان الآباء يعزونهم في بلاياهم ويسعون في تجديد كنيستهم

٣ الموارنة واليسوعيون في رسالة صيداء

رسالة صيداء أنشئت سنة ١٦٤٤ اي سنة واحدة بعد رسالة دمشق . وكان سببها انّ الطاعون فشا في دمشق فتولّى خدمة المطعونين الاب فرنسيس ريغردي اليسوعي غير هيّاب من فتك الوباء فشكره العموم على تفانيه . ولمّا اخذ الوباء ينتشر في صيداء كتبت الجالية الفرنسوية المتاجرة هناك بان يُرسل اليهم الاب المذكور ليقوم بخدمتهم كما فعل في دمشق وكان الكتاب مُمضى بختم رئيس الرهبان الفرنسيسيين هناك الاب كروسه . فلبّى الاب ريغردي دعوة الصيداويين وافرغ المجهود في إسعافهم والقى عليهم عظات الصوم فاقبلوا عليها بمزيد الشكر حتّى انّهم بعد بطلان الطاعون طلبوا اليه أن يسكن بينهم ويخدمهم في امورهم الروحيّة وصدّق رئيس الفرنسيسيين على ملتمسهم فرضي الاب ريغردي وبعد مراجعة رؤسائه اتى الى صيداء مع راهبين آخرين فسكنوا في بعض معاهد الخان الفرنسويّ التي عيّنها لهم القنصل والتجار الفرنسويّون . تلك كانت مبادئ رسالتهم في صيداء التي جعلوها تحت حماية القديس اغناطيوس

ما عتّم اليسوعيّون حتى انشأوا في صيداء عدّة مشروعات روحيّة منها في خدمة الفرنسويين ومنها لصالح الوطنيين فاقاموا للفرنسويين اخويّة على اسم العذراء البرّيّة

من الخطيئة الاصليَّة أتت باثمار عجيبة فانتظم فيها قناصلهم واعيانهم فاصبحوا قدوةً لكل اهل صيداء. وكانوا يرشدون القادمين الى المدينة على مراكب دولتهم ويتفقَّدون أسرى الحرب. وكانوا يلقون المواعظ في كنيستي الموارنة والروم ويهتمُّون بارشاد فقرائهم وتهذيب ناشئتهم. ولمَّا عهد الرؤساء الى الاب ريغُردي السفر الى العجم ليلتقي هناك في اصبهان رسالة لرهبانيَّته قام بخدمة الصيداويين بعدهُ آباء ذوو غيرة وصلاح جروا على آثاره وسعوا بترقية اعماله وإنمائها فاشتهر بينهم الآباء جان اميو (J. Amieu) وجلبرت (Gilbert) وريغو (Rigault) وبوارسون (Poiresson) وجان ڤرسو (J. Verseau) وكلُّهم من مرسلي القرن السابع عشر اصبحت صيداء بهمَّتهم وبحلول التجار الفرنج فيها من المدن الراقية

وكان الآباء يتردَّدون على القرى اللاحقة بصيداء لاسيَّما المارونيَّة فيرشدون اهلها ويعلِّمون فيها التعليم المسيحيّ. وكانوا في زمن الصوم الكبير يقصدون عكّا ويتولَّون فيها اعمال التبشير. وكذلك كانوا يفعلون في بيروت قبل أن يتبرَّع عليهم الشيخ ابو نوفل الخازن بدار يسكنونها كلَّما دعتهم اليها اعمال الرسالة. وكانوا يرشدون الشعب في كنيسة الموارنة المبنيَّة على اسم القديس جرجس وعلى بابها دُفن رئيس رسالتهم الاب جان اميو في ٦ تشرين الثاني سنة ١٦٥٣ وكان قصد بيروت بعد ان تجوَّل في انحاء الجبل للتبشير ولتوزيع الاسرار اذ أُصيب بحمّى خبيثة كانت القاضية على حياته فمات ميتة الابرار في دير الآباء الكبوشيين (١

٤ الموارنة ورسالة اليسوعيين في طرابلس

هو الاب جاك اميو السابق ذكرهُ الذي تولَّى انشاء رسالة رهبانيَّته في طرابلس. وكان ارسل قبلهُ الاب ريغُردي ليراقب احوال المدينة ويُعدّ منزلًا للمرسلين سنة ١٦٤٥. فبعد عودته سافر هو اليها بحرًا وكان وصولهُ اليها في زمن مشئوم اذ اتت اوامر من السلطان لتشوب الحرب بين الدولة العليَّة والبنادقة ان يصادروا كلَّ الاجانب ويقيِّدوهم بالاغلال فقبض العمّال على الاب اميو وحبسوهُ في سجن مظلم كابد فيه ضروب العذاب مدَّة ثلثة اسابيع ثمَّ أُطلق سراحهُ ووجد في المدينة دارًا

١) اطلب آثار النصرانيَّة في المشرق للمرحوم الاب رباط (١: ٤٢٢-٤٢١)

ذات ثلث غرف اقتناها للرسالة اليسوعيَّة واتَّخذ لها محامياً القديس يوحنَّا الحبيب لدخوله المدينة يوم عيده في ٦ أيار. وكان نصارى طرابلس اذ ذاك لا يتجاوزون الالف ٧٠٠ منهم روم و ٣٠٠ موارنة

وما لبثت رسالة طرابلس ان أصبحت يانعة الثمار وفيها كان يقيم غالباً رئيس الرسالة في الشام لوقوعها في وسط انحاء البلاد. وكان اوَّل ما وجَّهوا اليه نظرهم لمساعدة النصارى ان يفتحوا مدرسةً للاحداث تزاحمت فيها ناشئة البلدة وجارت مدرستهم في دمشق بنجاحها. وكانوا اذا وجدوا بين تلامذتهم الموارنة اولاداً نجباء اتقياء يعدُّونهم لمدرستهم المارونيَّة في رومية فيرسلونهم اليها ليتخرَّجوا فيها بالآداب الكهنوتيَّة ويساعدوا طائفتهم بعد ان تفقَّهوا فيها واتقنوا علومها

ثمَّ اقبل الاباء في طرابلس على تهذيب الاكليروس وارشاد الكهنة بايعاز السادة الاساقفة. فكانوا حيناً يجمعونهم لرياضات سنويَّة وحيناً يعرضون عليهم المشاكل اللاهوتية فيحلُّونها امامهم وتارةً يصلحون ما يرونهُ من الخلل في اقامهم الفروض الطقسيَّة وتوزيع الاسرار

ومن اشغال اليسوعيين في طرابلس عيادتهم للمرضى. وكان بينهم ولاسيَّما من الاخوة الساعدين مَنْ يتقن الطبابة ويُحسن معالجة الاعلاء. فكانوا يؤدون للاهلين على اختلاف طوائفهم واديانهم خدماً جليلة لوجه الله لا يقبلون عليها اجرةً ما. وكانت عنايتهم هذه بالمرضى تتضاعف في أيام الاوبئة فكانوا يقضون ليلهم مع نهارهم في علاج المطعونين وقد مات غير واحد منهم شهيد محبَّته

ثمَّ ان اليسوعيين اتَّخذوا مدينة طرابلس كمركز خاصٍّ لسياحاتهم الرسوليَّة في شمالي لبنان وفي سواحل البحر من البترون جنوباً الى اللاذقيَّة وطرطوس شمالاً. فكانوا يتوغَّلون الجبل خصوصاً في أيام الصوم ويعدُّون الموارنة هناك لعيد الفصح المبارك لاسيَّما في القرى المأهولة كاهدن وزغرتا وبشرَّاي وحصرون. ويسعون طاقة جهدهم في اصلاح الاعداء وتأليف القلوب وازالة اسباب الشحناء والبغض. قد اشتهر بذلك الاب اميو منشئ تلك الرسالة ثمَّ الاب فرنسوا لمبار (Fr. Lambert) وبولس غوده (P.Godet) ونقولا بزير (N. Bazire) وغيرهم. وقد أدَّت بهم غيرتهم الى ان طافوا انحاء عكَّار ودخلوا جبال النصيريَّة وتفقَّدوا من كان فيها من النصارى

احدى بناتهِ على عثمان فامر الفرافصة ابنَهُ ضبًّا فزوّجها اياهُ وكان ضبّ مسلماً وكان الفرافصة نصرانيًّا وقد اوصاها قبل فراقها بما يحسن بها فعلهُ اذا صارت بين نساء قريش . (قال) فلما حُملَت كرهت الغربة وحزنت لفراق اهلها فأنشأت تقول لاخيها ضبّ (من الطويل) :

أَلستَ تَرى يا ضَبُّ بالله انّني مُصاحبةٌ نحو المدينة أركبا
اذا قطعوا حَزْناً تحت ركابهم كما حرّكت(١ ريحٌ يراعاً مُثقّبا
لقد كان في ابناء حصن بن ضمضم لك الويلُ ما يغني الحِباء المطنّبا(٢
قضى الله حقًّا ان تموتي غريبةً بيثربَ لا تلقينَ اماً ولا أبا

ولابن عائشة المغنّي لحنٌ في هذه الابيات . ثمّ ذكر ابو الفرج دخولها على عثمان فقال لها : ألا تكرهين ما رأيتِ من شيبي . فقالت : اني من نسوة احبُّ ازواجهن اليهنَّ الكُهول . وانّها كانت من أحظى نسائهِ عندهُ . وفي كتاب البدء والتاريخ (٥ : ٢٠٢) انهُ اعطاها مائة الف من بيت المال

وكانت نائلة ابيّة كريمة الطبع فلمّا تآمر الناس على عثمان في السنة ٣٥ ﻫ (٦٥٦م) وحصروهُ اربعين ليلة صرفت نائلة زوجها عن نصيحة مروان بن الحكم فشتمها مروان وذكر نصرانيّة والدها بقولهِ (الطبري١ : ٢٩٧٤–٢٩٧٦) : « وما انت وذاك فوالله لقد مات ابوك وما يُحسن يتوضّأ فقالت لهُ : مهلًا يا مروان عن ذكر الآباء تُخبر عن ابي وهو غائب تكذب عليهِ وانّ اباك لا يستطيع ان يدفع عنهُ . أما والله لولا انهُ عمّهُ (اي عمّ عثمان) وانهُ ينالهُ عنهُ اخبرتُك عنهُ ما لن اكذب عليهِ » . فاراد مروان ان يتعرّض لها فقال عثمان : « لا تذكرنّها بحرفٍ فأُسوّدَ لك وجهك فهي والله انصحُ لي منك » . فكفّ مروان

وما لبث الناس ان تسوّروا دار عثمان ومعهم السيوف يتقدّمهم محمّد بن ابي بكر فجلس عثمان والمصحف في يدهِ فنشرت نائلةُ شعرَها فقال لها عثمان : خذي

١) ويروى : كما زعزعت ٢) حصن بن ضمضم من اجداد نائلة . ويروى في نتيان حصن . . ما يعزي الحباء المحجّبا

الجمهور . فكانوا لا يخرجون من القرية الّا بعد ان يتلافوا كلّ امورها ويصلحوا ما طرأ على أهلها من الخلل في اتمام واجباتهم الدينيّة والادبيّة والاهليّة لاختلاطهم بالامم الغريبة

وعلى هذا المنوال بلغ المرسلون الى اعالي لبنان حتى بسكنتا وانتقلوا الى جبل الشيخ وقراها المارونيّة . ودخلوا ايضاً اديرة الرهبان وشرحوا لهم قوانين دعوتهم وحرّضوهم على بلوغ الكمال الرهبانيّ

وكان في الوقت ذاته قد رجع الى لبنان كثيرٌ من تلامذتهم المتخرّجين في رومية تحت نظارتهم في المدرسة المارونيّة فحذوا حذوهم في اعمالهم الرسوليّة كما رأيت من الاثر الذي نشرناهُ قبل هذا للطيب الذكر البطريرك الدويهي

واذ وصلنا الى حدود القرن السابع عشر انجزنا ما توخينا بيانهُ من احوال الطائفة المارونيّة وما اتاهُ اليسوعيّون خدمةً لأهلها في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد بقي علينا ان نذكر الصلات التي جرت بينهما في القرن الثامن عشر الى زمن الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة نؤجل ذلك الى فرصة أُخرى ان شاء الله (تمّ)

الأسد الشكور

توطئة

أطلعنا جناب الوجيه نقولا افندي الترك على مخطوط عربي قديم من مكتبته يشتمل على مجموع مقالات ادبيّة ودينيّة وتاريخيّة فوجدنا في جملتها القصّة الآتي ذكرها . وكنّا قرأناها سابقاً في اعمال الآباء اليونان لمين (Migne: PP. GG., vol. 87, col. 2966-2970) في كتاب المرج الروحي (في الفصل ١٠٧) ليوحنّا موسخوس من كتبة القرن السابع وذلك في سيرة أحد مشاهير الآباء النسّاك وهو القديس جراسيموس ابي الرهبان وتلميذ القديس افتيميوس في بقعة الاردن حيث انشأ ديراً كبيراً ترأسهُ الى سنة وفاته ٤٧٥ م . والقصّة المذكورة هي من اصدق الروايات وفيها مثال لطيف لتأثر الحيوانات وانقيادها لمن يعاملها بالحُسنى . وما كنّا لنظنّ انها نُقلت الى العربيّة فسُررنا بوقوفنا عليها في المخطوط المذكور فنرويها تفكهةً للقرّاء

ل . ش

القديس جراسيموس والاسد الشكور

كان على ميل من الاردن دير يقال لهُ دير القلّمون ورئيسهُ قديس يقال لهُ جراسيموس. فسار هذا يوماً الى برّيّة الاردنّ فلقيهُ اسدٌ يتوجّع من ألمٍ اصاب رجلهُ وكان دخل فيها شصٌّ من قصب الاردن فقيّحت. فلمّا رأى السائحَ تقرّب منهُ مستغيثاً بهِ وهو يُريهِ رجلهُ حزيناً كأنهُ يطلب منهُ الشفاء. فرحمهُ القديس وأخرج منهُ الشظيّة مع ما كان من القيح ونظّف الجرح وضمّدهُ بخرقةٍ وخلّى سبيل الاسد الذي لم يلبث مذ برئ حتّى عاد الى طبيبهِ شاكراً ولم يُرِدْ ان يفارقهُ اينما مضى كخادم لسيّدهِ وكان جراسيموس يطعمهُ خبزاً فيكتفي بهِ

وكان للدير حمار يسقون عليهِ الماء من الاردن وكان الاسد يرعاهُ فتباعد عنهُ قليلاً في احد الأيام واذا بجمّالة من العرب مرّوا بقرب الحمار فوجدوهُ منفرداً فاخذوهُ. وبعد حين رجع الاسد وحدهُ كئيباً حزيناً فقال لهُ جراسيموس الشيخ: اين الحمار؟ فبقي الاسد واجماً. فقال الشيخ: لا إخال إلّا انك افترستهُ. مبارك هو الربّ! لكنّك منذ الآن ستخدم الابهات بدلاً منهُ وتحمل عملهُ الى حين يرسل الله لنا حماراً آخر فنطلق سبيلك. فكان الأبهات يُحمّلون الاسد خرجاً فيهِ اربعة جرار وينقلون عليهِ الماء

فبينما الاسد يحمل الماء على تلك الحال اذا برجل من الاعيان قصد الدير ليصلّي في كنيستهِ فنظر الاسد يحمل الماء ووقف على قصّتهِ فرحمهُ واخرج ثلثة دنانير واعطاها الشيخ قائلاً: اشترِ حماراً بهذا المال وأعتق الاسد من خدمتهِ. ففعل ذلك

وبعد مدّة يسيرة أقبل الجمّال الذي اخذ الحمار يريد السفر الى بيت المقدس والحمار معهُ. فلمّا عبر الاردن لقيهُ الاسد فحاول ان يهجم عليهِ ليفترسهُ فهرب الجمّال وترك الحمار وجمالهُ. فللحال اخذ الاسد رَسَنهُ بفمهِ مع ثلثة جمالٍ مقطورة خلفهُ وذهب الى الشيخ مسروراً بالغنيمة. فلما ابصرهُ الشيخ معلّمهُ علم انهُ كان مظلوماً متّهماً وكان سمّاهُ يوردان (١

ثمّ انّ الاسد بقي يتردّد الى الشيخ جراسيموس خمس سنين ويتبعهُ حيثما يذهب.

---

١) يوردان اسم نهر الاردن باليونانيّة

ثمَّ تنيَّح الشيخ ودُفن بتدبير من الله ولم يكن الاسد حاضرًا عند موتهِ فلما عاد الى الدير اخذ يطلبهُ كما كان يفعل سابقاً فقال لهُ احد الرهبان (١ : يا يوردان قد ذهب المعلم الى المسيح وتركنا يتامى . ثمَّ عرض عليهِ طعاماً فامتنع . وكان ينظر الى كلّ صوب وهو حزين يطلب معلمهُ وكان الرهبان يسحبون ظهرهُ ويقولون لهُ : قد ذهب الشيخ الى المسيح وتركنا يتامى

فلما اكثروا القول والاسد يزأر ويصيح والحزن بادٍ في وجههِ وعيونهِ . اخذه احد الرهبان قائلًا : اتبعني حتى اريك قبر الشيخ . فتبعهُ الاسد حتى بلغا الى قبرهِ فسجد الراهب على ضريحهِ باكياً وفعل الاسد مثلهُ ولم يزل يضرب برأسهِ القبر ويصيح ويزأر ويعجّ حتى مات . فلما ابصر الرهبان ما فعل الاسد تعجَّبوا وسبَّحوا الله ثم دفنوهُ قريباً من الشيخ

مطبوعات شرقية جديدة

Hassert (Kurt) : Das Turkische Reich politisch, geographisch und wirtschaftlisch. 1 - *vol. in* - 8°. 1918, *Tübingen, Verlag von J.C.B. Mohr*

الدولة التركيَّة سياسيًّا وجغرافيًّا واقتصاديًّا

انَّ دخول تركيَّة في الحرب الكونيَّة موازرةً لالمانية أكسبها اعتبارًا في اعين الالمان الذين وفَّروا في وصفها منشوراتهم . من ذلك كتاب المؤلف بَنفسهِ ذو المعلومات الواسعة الذي نُشر سنة ١٩١٦ . وها هوذا كتاب آخر ليس اقلّ منهُ فائدةً للاستاذ هاسرت ظهر بعدهُ بسنتين فاتى فيهِ بمعلومات جديدة بعضها تاريخيَّة وبعضها جغرافيَّة ومنها ما يختصّ باحوال تركيَّة الاجتماعيَّة او الاقتصاديَّة . ولسوريَّة في هذا التأليف سهمٌ حسن وغاية في التدقيق . وفي مقدَّمة الكتاب لائحة ١١ تأليفاً راجعها الكاتب

---

١) في الاصل اليوناني ان الذي كلَّم الاسد بذلك هو خلف القديس جراسيموس الانبا سبَّاتيوس

لتصنيف كتابه . وكلها من التآليف الحديثة الممتعة التي يحسن بالباحثين عن تركيّة مراجعتها ليقفوا على حقيقة امرها في آخر الحرب ج . لوفنك

Hassert (Kurt) : Die Vereinigten Staaten von America als politische und wirtschaftliche Weltmacht geographisch betrachtet., 1 *vol. in-8° mit Diagrammen und zahlreichen Tabellen, ibidem,* 1922

الولايات المتّحدة سياسيًا وجغرافيًا واقتصاديًا

هذا الكتاب للمؤلف السابق وضعهُ على مثاله لوصف الولايات المتّحدة وهو على ما اعلم اتمّ واكمل ما كُتب عن تلك البلاد الراقية . ولم يكتفِ كما فعل في تأليفه عن تركيّة بمراجعة تآليف غيره بل ساح في اميركة الشماليّة وقطعها مرّتين من شمالها في كندا الى جنوبها في المكسيك وقسم كتابهُ ٢٧ فصلًا اودعها كلّ ما يجبُ القرّاء ان يقفوا عليهِ من شؤون تلك الولايات وقد اتّسع خصوصاً في وصف احوالها الاقتصاديّة التي اوربّا اليها اليوم في امسّ حاجة . وقد زيّن كتابهُ بجداول رسميّة مدقّقة يثبت بها آراءهُ فلا يدع مغمزًا لمنتقديهِ ج . ل

Lieutenant de Vaisseau G. Douin : La Campagne de Bruix en Méditerranée. Mars-Août 1799. 1 *vol. in-8°* 1923, *Paris, Société d'Éditions Géographiques Maritimes et Coloniales*

حملة الاميرال بويكس في البحر المتوسط سنة ١٧٩٩

من امتع التآليف في وصف حملة نابوليون بونابرت على مصر كتاب الكومندان دي لاجونكيار الّا انّ ما وقع اذ ذاك من الوقائع البحريّة بين الانكليز والفرنسويين كان يحتاج الى ايضاحات شتى فأحبّ احد رجال البحر المسيو ج . دوان ان يسدّ هذه الثلمة وقد وضع لهذه الغاية كتابين خصّ الاوّل منهما بالاسطول الفرنسويّ الذي احتلّ سواحل مصر فطبعهُ في القاهرة في مجموعة الجامعة الملكيّة الجغرافيّة ثمّ الحقهُ بالثاني وهو الذي نحن الآن بصددهِ يصف فيهِ الحملة التي قام بها الاميرال بويكس بعد ان اتلف الانكليز في واقعة ابي قير الاسطولَ الفرنساوي (في ١ آب ١٧٩٨) فانّ نابوليون اسرع ليتلافى احوال الجيش الفرنساوي اذ رأى امور الاعداء المتحالفين على فرنسة مضطربة خالية من الاتّفاق فكتب الى الشورى في

باريس بان يؤلفوا بسرعة اسطولاً جديداً لمحاربة الانكليز فقام بذلك الاميرال بويكس بنشاط عجيب في برست وسار ليناجز القتال الاسطول الانكليزي واملهُ كان نجح لولا ما بلغهُ من التعاليم المتناقضة التي حالت دون مرامه فعاد الى سواحل فرنسة دون جدوى . وقد اعجبتنا طريقة المؤلف في وصف هذه الحملة وظروفها المختلفة التي يتتبعها القارئ بالرغبة واللذة ويُسَرّ بانشاء كاتبها المشحون بمصطلحات ارباب البحر ج . ل

F. Gibon : Petite Histoire de la Révolution française. 1 *vol., in-8°, Librairie des SS. Pères, Prix* [illegible]

تاريخ صغير للثورة الفرنساويّة

كلّ يعلم انّ اعداء الدين قد زوّروا تاريخ الثورة الفرنساويّة وموّهوا حقيقتها في معظم الكتب المدرسيّة فصوّروها كشروع اصلاح وترقٍّ وشنّعوا على الملكيّة السابقة وقبّحوا احسن اعمالها وفي هذا التاريخ الصغير ما ينفي تلك الشبهات ويروي الامور بالحقّ واليقين . فانّ كاتبهُ المسيو جيبون استند في تأليفهِ الى اصدق الكتبة من ذوي الاستقامة والاعتدال ج . ل

Mr l'abbé Ch. Guéry : Quelques semaines en Orient (23 Août-28 7bre 1922) - *Broch. in - 8° Evreux*, 1922

ضمة اسابيع في الشرق

هذه عجالة كتبها احد الكهنة الفرنسويين يذكر فيها ما اتيهُ هو ورفقتهُ في الشرق مدّة سياحة حديثة باشروها الى انحاء بلادنا . على انّ المتسرّع في العمل ربّما خلط الحابل بالنابل وروى ما لم يتثبّتهُ . وهذا ما يلوح في بعض روايات هذا الكتاب الذي جعلهُ كاتبهُ كمذكرة لشركاء رحلتهِ ج . ل

J. Bézard : La sélection par le latin et la réforme de l'enseignement secondaire. Quatre plaidoyers «pro domo» par un Professeur de 6me. 1 *vol., in-8°, Paris, Vuibert*, 1923

غبة الطلبة بدرس اللاتينيّة واصلاح التعليم الثانوي

تحقّق ارباب المعارف انّ اللغة اللاتينيّة اصلح طريقة لتعليم الاحداث في فرنسة

ولذلك عادوا في مجلس المندوبين وعمّموا درسها بعد ان كانوا سابقاً افتوا في اهمالها. ومنّن سبق المجلس وأيّد لزوم تعليم اللاتينيّة المسيو بيزار صاحب الكتاب الذي نحن بصدده فألقى لاثبات رأيه اربع محاضرات في الدفاع عن اللغة اللاتينيّة ولزومها لمن يستعدّ للدروس العليا وها هوذا قد نشرها بالطبع زيادةً للفائدة ج. ل

J. Sevin : Pour devenir Scout de France 2e *éd.*, I. *Examen d'Aspirant. Paris, Editions Spes.* 1923

انتظام الطالب الفرنسويّ في جمعيّة الكشّافين

أنشئت في لبنان شركات الراغبين في الانتظام في جماعات الكشّافين الوطنيّة. وممّا يفيدهم في معرفة واجباتهم الاطّلاع على هذا الكتاب وفيه قوانين تلك الجماعات المنشأة في فرنسة فيطّلعون على غاياتها النبيلة والوسائل التي تتوخّاها للدفاع عن الوطن بكل حماسة ونشاط فيقتدون بها في خدمة وطنهم ج. ل

P. J. André : L'Islam et les Races. 2 vols. in-8, pp. XXVI-270 et 325, Paris, Paul Geuthner, 1922

الاسلام وعناصره

أبرز صاحب هذا الكتاب تأليفهُ في الاسلام على صورة قريبة الفهم مناسبة للموضوع فصوّر فيه الاسلام على شبه شجرة درس في قسمه الاوّل اصولها وجذرها ومطعومها وفي الثاني فروعها وشعبها. ومن راجع فهرسها تحقّق انّ صاحبهُ اراد ان يشمل بنظره الاسلام في كلّ وجوهه الّا انهُ احسّ بقصوره عن ذلك لِما يستدعيه الامر من الابحاث العديدة فلا يكفي لبلوغ تلك الغاية السكنى بين المسلمين بضع سنوات. ومن ثمّ اكتفى ببعض ما خطر على باله. وكم هناك من المزاعم غير الصوابيّة والاغلاط الشائنة (١ : ٢٢) فتراهُ يخلط بين ابي طالب وابي بكر. ويجعل عُمر محمّد ٧٢ سنة (ص ٣٩) ويزعم انّ لغة القرآن عاميّة (ص ١٣١) وانّ الحبشة ناطرة وانّ الاقباط لم يعدلوا عن لغتهم الاصليّة القبطيّة الى العربيّة الّا منذ مئة سنة (ص ٩٤) وان القاهرة بناها الفاطميّون سنة ٧٦٩ وان المتاولة ساعدوا الصليبيين في حروبهم (٢ : ١٥—١٨) وغير ذلك ممّا لا تحصر تعدادهُ صفحات هذه المجلة. هذا ولا ننكر انّ في الكتاب احكاماً صادقة ونصوصاً معقولة الّا انّ اختلاط الغثّ بالسمين لا

يسمح لنا بالثناء التامّ على هذا التأليف الاب ه . لامنس

Plooij(Dr D.)Leyden: A PRIMITIVE TEXT OF THE DIATESSERON. The Liège Manuscript of a mediæval Dutch Translation, a preliminary Study, with an introduction note by Dr **J.Rendel Harris.** *Manchester. pp.* 85 *et* 3 *fac-simile en photogravure. Leyden. A. W. Sijthoff's Uitgeversmij,* 1923

الترجمة الاصليّة لدياطاسارون لطيانوس

سبق المشرق (٤ [١٩٠١] : ١٠٠—١٠٢) ووصف ترجمة لطيانوس تلميذ القديس يوستينيوس الشهيد المعروف بدياطاسارون اي المؤلفة من الاناجيل الاربعة وذكر طبعتها العربيّة في رومية سنة ١٨٨٨ للسيّد تشياسكا وما يوجد منها في مكتبتنا الشرقيّة . ولهذه الترجمة شأن كبير لقدم مؤلفها في القرن الثاني للمسيح . وقد فُقد اصلها . ولا يُعرف منها في بلاد الغرب سوى ترجمة لاتينيّة راقية الى القرن السادس للمسيح هي افضل من العربيّة تولّى نقلها فكتور اسقف مدينة كابوا ثم اهتمّ بنسخها . وكان العلماء مرتابين في امانتها ونسبة ما عليها من الشروح والروايات أهي لفكتور المذكور او هي لططيانوس صاحب الترجمة الاصليّة . وكذلك كان ارباب الانتقاد يجدون في هذه الترجمة اللاتينيّة آثارًا من ترجمة التوراة اللاتينيّة المعروفة بالعامّة (Vulgate) ولا يظنّون انها منقولة عن اصل يونانيّ . بل كانوا يحكمون بانّ القلائد الانجيليّة الشائعة في القرون الوسطى يرجع اصلها الى ترجمة الاسقف فكتور . وها قد وجد اليوم احد اساتذة جامعة ليدن في هولندة الدكتور بلوي نسخة من تلك القلائد في مكتبة لياج في بلجكة مكتوبة باللغة الهولنديّة القديمة فتأكّد بعد درسها من عدّة ادلّة انّها لا علاقة لها مع ترجمة اسقف كابوا وانّها ترجمة مستقلّة اقدم وافضل منها يرتقي تاريخها الى اواسط القرن الثالث عشر وهذه النسخة هي التي نشرها سنة ١٨٣٥ الدكتور ماير (Meijer) تحت هذا العنوان : Het Leven van Jezus, een Nederlandsch Handschrift uit dertiende eeuw وما يزيد اهميّة هذه النسخة انّها قد اعتمدت نصًّا لاتينيًّا اقدم من النصوص اللاتينيّة السابقة للترجمة العامّة ترقى على رأي المسيو بلوي الى زمن قريب من زمن لطيانوس وبها يمكن الوقوف على الترجمة الاصليّة وان منقولةً الى اللاتينيّة . ومن فوائدها ايضًا انها تبين انّ ترجمة لطيانوس

الاصليّة كانت في السريانيّة ليست في اليونانيّة رغماً عن اسمها اليوناني دياطاسارون . ولا بُدّ لهذه النتائج من تمحيص وانتقاد يدعو اليهما المؤلف بمقابلة النسخة المذكورة مع النسخ المنقولة في القرون الوسطى الى الهولنديّة والانغلوسكسونيّة والفرنسويّة والالمانية الى ان يصرّح الحقّ عن محضه ونقف اخيراً على ترجمة للاناجيل المقدّسة قريبة من عهد الرسل ومعتبرة في ذلك العهد كلّ الاعتبار الاب يوسف ديلنبينغر

Kreglinger (Richard) : La Religion d'Israël. Dans la collection «Etudes sur l'origine et le développement de la vie religieuse». III, *1-vol. in-8°, pp. 335. Bruxelles, M. Lamertin, 1922*

ديانة بني اسرائيل

هذا كتاب وضعهُ احد المتطرّفين من اساتذة جامعة بروكسل في بلجكة يُدعى كِغلِنغر شحنهُ بكل سفاسف الزنادقة وترّهاتهم نقلاً عن اليهوديّ تاودور ريناخ والكافر موريس ثرنس . ومن ثمّ لو اردنا انتقاد كلّ اكاذيبه لما كفانا مجلّد بل مجلّدات ضخمة . ولا تكاد تجد صفحةً منهُ خالية من المزاعم الباطلة كأنهُ اخذ على نفسهِ ان ينفي اثبت الحقائق صدقاً واجلاها نوراً التي لم ينكرها الّا من تُعمي بصيرتهُ مكابرة الحقّ . فدونك مثالاً من تلك الاكاذيب : يزعم انّ اله اسرائيل ليس هو الاله الحقيقي الذي ظهر لابراهيم واسحاق ويعقوب خالق السماء والارض وانّما هو احد الآلهة الكذبة معبود قبيلة القينيين الذي اتّخذهُ الاسرائيليون كالههم في البرّيّة وعبدوهُ . وهذا الاله هو كاحد آلهة الامم الخاصّة جامع لصفاتهم السيّئة مع ما كانوا يشركون بهِ من آلهة الشعوب المجاورة لهم كالبعل وعشتروت . امّا التوحيد بين الاسرائيليين فهو على زعمهِ حديث ابتدأ في جلاء بابل ورسخ عند اضطهاد الملوك السلوقيين لليهود من اجل هذا الايمان . فكفى بهذا المثال دليلاً على صدق المؤلف ومناهضتهِ لكل الحقائق الكتابيّة . وقد عرض كلّ ذلك بانشاء طلي قدس السمّ في الدسم ي . د

Dr Ph. E. Braeunlich: Bistâm ibn Qais. *Leipzig, Verlag von Ed. Pfeiffer, 1903*

بسطام بن قيس

بسطام بن قيس احد ابطال العرب بهِ يُضرَب المثل في الفروسيّة توفّي قبل الهجرة بزمن قليل . وكان من نصارى شيبان وقد اشار الى دينهِ ابن عبد ربهِ في العقد

الفريد فنظمناهُ بين شعراء النصرانيَّة (ص ٢٥٦—٢٦٣) . ولبسطام مآثر عديدة واخبار واسعة في ايام العرب عُني بجمعها احد اساتذة جامعة ليبسيك في المانية ونشرها مؤخرًا وقد اطلعنا على كتابهِ فوجدناهُ مستوفياً لا نأخذ عليهِ الَّا ذكرهُ لشعر بسطام بحرف الماني كأنَّ المطابع الالمانية تخلو من حروف عربيَّة ! كذلك كان زادنا افادةً لو ختم تأليفهُ بفهرس الأعلام الوارد ذكرها في كتابهِ تسهيلًا للمراجعة

روح التربية

تأليف الدكتور غوستاف لوبون تعريب الدكتور طه حسين

عُنيت بنشرهِ ادارة الهلال بمصر ١٩٢٣ (ص ١٣٧)

الدكتور غوستاف لوبون لا يعالج فقط الاجساد وانما يحاول ايضاً شفاء الارواح وكثيراً ما كتب عن المسائل الاجتماعيَّة . وقد انتقد في كتابهِ هذا «روح التربية» طريقة التعليم الجارية في فرنسة فسلقها بلسان حادّ وعرض على مواطنيهِ ما يراهُ اقرب وأفيد لكنَّهُ اصاب في بعض مزاعمهِ واخطأ في غيرها لاسيَّما في بعض آرائهِ عن التربية الاميركيَّة والانكليزيَّة وفي رأيهِ عن عدم نفع درس اللاتينيَّة وقد جاءت سُنن التعليم الجديدة في فرنسة لتعزيز اللاتينيَّة . فندةً لرأيهِ . بيد أنَّنا استحسنَّا ما قالهُ (ص ٦٨) عن التعليم في مدارس رجال الدين فاقرَّ بتفوّقها على مدارس الحكومة ولا يرضى بالغائها مع انهُ يزعم انَّ «انتشار روح الكنيسة خطرٌ في بلادٍ منقسمة كفرنسا»

رنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

لجامعها ومصحّحها ومعلّق حواشيها الاب انطون صالحاني اليسوعي

الجزء الثاني . طبعة ثانية . في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٦٦٤)

لا حاجة الى وصف كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهانيّ الذي يمثل الانشاء العربيّ في حقبتهِ الاولى اذ لم تُشبهُ الدول الاعجميَّة وتكدّر صفاءهُ . وذلك ما حمل حضرة الاب انطون صالحاني ان يجمع بعض دُرر هذا الكتاب ليدرسها الطلبة ويتَّخذوها مثالًا لكتابتهم . وقد راج كتابهُ حتى بلغ قسمهُ الاوَّل ثلث طبعات وها هوذا القسم الثاني قد نجزت طبعتهُ الثانية التي تزيد على الاولى خمسين صفحة بما اضافهُ اليها من التحسينات والشروح الكاشفة عن كثير من مغلقاتهِ فاستحقَّ بذلك شكر التلامذة والاساتذة معاً

ل . ش

كتاب ذخائر المحفوظات

للاديب انيس افندي الخوري المقدسي ا.س.ع
الطبعة الثالثة . طبع في بيروت (ص ٨٠)

تحتوي هذه المنتخبات اربعين قطعةً منها قصائد وخطب قديمة ومنها منظومات ومنثورات حديثة اختارها المؤلف من كتب الادباء وبعضها من قلمه . ووضعها للصفوف العربيَّة العالية والابتدائيَّة للحفظ والتحليل والالقاء . وهي نعم الغاية . والمنتخبات اجمالًا موافقة لما ارادهُ انيس افندي لكنَّنا كنَّا وددنا لو عدل عن بعض المقاطيع التي تغلب فيها طنطنة الالفاظ على بلاغة المعاني ولو عُرضت على محكّ الانتقاد لظهر جسمها الشاحب من وراء ثوبها القشيب كالعبوديَّة (لجبران جبران) والمبادئ والرأي العام وغير ذلك ممَّا يكثر فيه التشوّق الى الحرّيَّة وكراهية الاستعباد دون جدوى ولعلّ طالبي الحرّيَّة اكبر الساعين في استعباد سواهم كما ترى في خطبة مصطفى كمال (ص ٤٨) وكلّنا نعرف اعمال الاتراك سابقاً وحاضراً

كتاب اخويَّة القربان الاقدس

المقامة في كنيسة القديسة مسكنته الكاتدرائيَّة في الموصل
طُبع في مطبعة عيسى عفوف سنة ١٩٢٣ (ص ١٥٨)

هو كتاب متوسط الحجم جعلهُ صاحبهُ ثلثة اقسام ضمَّنها ما يحتاج اليه اعضاء اخويَّة القربان الاقدس في الموصل من ممارسات روحيَّة يوميَّة وشهريَّة وسنويَّة ثمَّ ترنيمات تقويَّة لاجتماعات الاخويَّة مع خلاصة قوانينها فوجدناهُ كما قال عنهُ غبطة بطريرك الكلدان الكلي الطوبى «مفيداً للنفوس محرّكاً على العبادة لسرّ هياكلنا الطاهر والمسجود لهُ» ل.ش

هدايا ارسلت الى مجلَّة المشرق

١ DEUX RELIGIEUX MARONITES: le Père Nemattalla Alhardini et le Père Charbel. Traduit par JOSEPH KARAM, *Paris, Letouzey, 1923*

١ هما ترجمتان نشرناهما سابقاً في المشرق (٥[١٩٠٢]: ٦٠٥-٦١٥) و ٢٠[١٩٢٢] : ٢٨٦-٢٩٧) فنقلها الى الافرنسيَّة جناب يوسف افندي كرم في كرّاس منفرد طبعهُ في باريس

٢ تأسيس دار الكتب الكبرى في بيروت بقلم الفيكنت فيليب دي طرّازي. نُشرت اوَّلًا في مجلَّة المجمع العلمي العربيّ في دمشق سنة ١٩٢٣ (ص ٨)

٣ كتاب ام الانفصالات عن الكنيسة: الجزء الاوّل الانفصالات الشرقيّة بقلم احد الآباء المرسلين البولسيين. طبعة ثانية. بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢٢ (ص ٥٥)

٤ محاورة جرت بين شابّين صديقين هما نقولا الارثذكسي ويوسف الكاثوليكيّ. طبعة ثانية (ص ١٦)

٥ الماسونيّة. ٢ لماذا يرذلونها. من منتخبات البشير. بيروت المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٣ (ص ٢٢)

شذرات

﴿فقيد الطباعة الاخ انطون عبدالله اليسوعيّ﴾ في صباح اليوم ٣٠ من شهر تموز الماضي دعا الله الى افراح جنانهِ اخانا العزيز انطون عبدالله اليسوعيّ في ديرنا في تمنايل وقد كان انتقل اليها لمباشرة الرياضة السنويّة وترويح النفس من الاشغال المتعبة التي كان يزاولها منذ نيّف وخمسين سنة. فكان لنعاهُ رنّة حزنٍ لم تخمد حتى الآن في قلب اخوتهِ والعدد العديد من عملة مطبعتنا الكاثوليكيّة الذين كانوا مَدينين لفضلهِ وهو الذي تولّى تعليمهم الاشغال المنوطة بالطباعة واجتهد في تأمين حياتهم من المجاعة والفقر لاسيّما بعد نهاية الحرب. وُلد الاخ انطون في ١٥ آذار سنة ١٨٥٣ في دمشق من ابوين ارمنيين واصبح يتيماً في حداثة سنّهِ بموت والديهِ. فعُني بامرهِ بعض أُولي الاحسان وسلّموهُ الى الاباء اليسوعيين الذين فتحوا المآوي والميتم لنجاة اولاد الشهداء وتربيتهم المسيحيّة فبقي مدّة تحت تدبيرهم الى ان تحقّق انّ الله داعيهِ الى الرهبنة اليسوعيّة فعرض الامر على الرؤساء فوجدوهُ اهلاً لتلك الدعوة وقبلوهُ في ٣ ت ١ سنة ١٨٧١. فسافر الى فرنسة وبعد الامتحانات المألوفة عاد الى سوريّة واذ توسّموا فيهِ النجابة والذكاء خصّوهُ بالطباعة فلم يزل يدرسها ويزاولها الى ان اصبح نسيج وحده فيها ولاسيّما في رسم وحَفر سنابكها (الابهات) فان مطبعتنا الكاثوليكيّة ازدانت بأشكال حروفها المتنوّعة بحذقهِ وحسن نظرهِ وجَلَدهِ على الشغل اذ كان يواصل العمل دون راحة الساعات الطوال الى ان يفوز بمرغوبهِ. وهو الذي اصلح الحرف الاسلامبوليّ وركّب عليهِ حركاتهِ. ثمّ أتبع ذلك باجسام اخرى من الحروف كالثلث والرقعيّ والفارسيّ والتحسين وحسّن دفاتر الخطّ فصار معوّل التعليم عليها. وكان

رحمهُ الله مستعدًّا لخدمة ارباب الطباعة وهم يثنون على نزاهتهِ ولطفهِ . وكان اخوانهُ احتفلوا بيوبيلهِ الخمسيني في تشرين الاوَّل من العام الماضي وهما هم اليوم يذكرونهُ بالخير ويعدّدون فضائلهُ وحسناتهِ . اجزل الله جزاءهُ في دار البقاء بمعية الاخ مريم الياس الذي كان رفيقهُ في شغلهِ وقد جمعهما الله بعد الموت كما جمعهما في الحياة فتوفي كلاهما في تعنايل وقُبرا فيها معاً في مزار سيدة التعزية

﴿ أقُس ام جواسيس ﴾ بهذا العنوان اللطيف المنبئ بآداب الكاتب حاول صاحب العرفان ان يردّ على مقالة حضرة الاب لامنس التي انتقد فيها بكل صواب وطنيَّتهُ المعوجَّة واعتبارهُ المزعوم للتاريخ . فلم يرَ ليدافع عن نفسهِ الّا الشتم والكلام البذيء بحقّ اليسوعيين كمألوف عادة القاصرين عن الجواب فتعدّ شتمهُ فخرًا . ومن غريب ما جاء هناك تجنيهِ على المسيحيين في حوادث جبل عامل ونسبتهُ اليهم اسباب العداء فذكّرنا بمثل الذئب المتجنّي على الخروف . ولدينا معلومات رسميّة في ذلك اوضح من النور أُرسلت الى مجلّتنا فلم نشأ ان ننشرها صوناً لعرض اهل الشيعة وزعمائها ويا ليتهُ سكت عن الصليبيين وعن مذابح سنة ١٨٦٠ فاضطرّنا الى ذكر مآثر بني الشيعة سنة ١٩٢٠ . وبعد ان طنطن صاحب العرفان بخولة بنت الازور التي لا وجود لها الّا في مخيّلة بعض الرواة وعرّض على الوطنيين اكرامها بدلًا من بطل العالمين جان دارك عدل الى ذكر الخنساء والزهراء وعائشة وزينب وسكينة واسماء وكلّ البدويّات نابغات نساء العرب . فلا بأس لو اقنع قومهُ باكرامهنّ ولكن هيهات ان يقيمهنّ مقام تلك الفتاة السماويّة التي عرفت فضلها كاتبة شيعتهِ السيّدة زينب فوّاز (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ١٠٨—١١٤) فاطرأت عفافها وشهامتها واعمالها العجيبة بما لم يطرئ احد الخنساء والزهراء وعائشة وزينب وسكينة . امّا دفاع الاب لامنس عن يزيد بن معاوية فليس هو وهميًّا كما زعم صاحب العرفان وقد اثبت حضرتهُ رأيهُ بكتابهِ المتّع الذي اسنده الى اقدم كتبة الاسلام واصدقهم فان خطّأ مزاعم الافندي في ذلك فليس الامر ليُذكي العداوة بين المسلمين وانّما هو لبيان الحقيقة التي شوّهها اصحاب الاغراض . فهذه قسوستنا وان شاء احمد افندي هذه جاسوسيّتنا لا نعرف غيرها مهما تشدّق صاحب العرفان

﴿ جزيرتان جديدتان ﴾ قرأنا في عدد اوغست الاخير من المجلّة الجغرافيّة

الانكليزيّة انّهُ في اوائل شهر أيار المنصرم ظهرت في بحر الصين بين درجتي العرض والطول ٩٠ و ٢٧٠ جزيرتان جديدتان ارتفعتا من قعر البحر الى فوق سطحهِ طول احداهما ٥٠٠ قدم في عرض ٢٠٠ قدم والاخرى طولها مئة قدم. والظاهر انَّ بركاناً هناك دفعها ولم يلحظ الراقبون عليهما اثر بُخار. امّا تركيبهما فمن الاحجار البركانيّة. وليس هذه مرّة أُولى لحظ العلماء جزائر جديدة تتصاعد من قعر البحر. فانَّ جزيرة سنتورين في بحر اليونان كان اوّل ظهورها في اواسط القرن السابع عشر ولدينا وصف حركاتها كما رآها الآباء اليسوعيّون المرسلون في اليونان عياناً

﴿ المئة الاولى للجمعيّة الاسيويّة الانكليزيّة ﴾ افردنا في احد اعدادنا السابقة مقالة للتذكار المئوي للجمعيّة الاسيويّة الفرنسويّة. واليوم تحتفل زميلتها الانكليزيّة بتذكار يشبهها فنهنئ رصفاءنا اعضاء تلك الجمعيّة ببلوغها هذا الشوط الكبير ونشكرها على خدمها للآداب الشرقيّة ونتمنّى لها رقياً متواصلاً

﴿ سرجون الرومي ﴾ ذكرنا في عدد آب الماضي هذا النصراني الشهير كاتب معاوية وابنهِ يزيد. وقد تصحّف اسمهُ كثيراً في كتب الادباء. فان ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٣١٠) يدعوهُ سرحون بالحاء حيث يقول عن يزيد بن معاوية « ان كاتبهُ وصاحب امرهِ كان سرحون بن منصور » . وقرأنا في كتاب ادب الكاتب للصولي المطبوع حديثاً في مصر (ص ١٩٢) ما حرفهُ : « وكان ديوان الشام الى سرجوق بن منصور وكان رومياً نصرانيًّا كتب لمعاوية ولمن بعدهُ الى عبد الملك بن مروان » فصحّف الاسم بسرجوق ولعلّ الاسم الاصلي هو سرجوس او سرجيوس من اسماء النصارى الشائعة

﴿ نسبة الغاية تقدّس الواسطة الى اليسوعيين ﴾ عاد الفرمسون ودأبهم الكذب كما رأيت في كلّ احوالهم ونسبوا هذا المبدأ الكاذب الى اليسوعيين وقد كتبنا سابقاً فصلاً مطوّلاً في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٤٢٣ — ٤٣٠) لتفنيد تلك الخرافة. ولكن هيهات ان ينظر او يسمع الفرمسون وقد قيل انهُ ليس اشدّ عمًى او صمماً ممّن لا يريد ان ينظر او يسمع

ل . ش

أسئلة وأجوبة

س سأل من حمّا نا جرجس افندي فرحات على اي سند يعتمد بعض الشعوب كالاميركان والانكليز والعرب ليزعموا انَّ وَضْع نعل الفرس الكحيل فوق اعلى باب القصور والدور الكبيرة هو جلبة للسعادة وما هو اصل هذا الاعتقاد؟

تعليق نعل الفرس في اعالي البيوت

ج هذا من الخرافات التي لا يعتقدها غير الجهّال في بعض البلاد. امّا اصل هذه الخرافة فمن المحتمل انَّ العرب اوّل من قال بهِ فانهم يكرمون الخيل ويتفاءلون بكل ما ينوط بها وقد ذكر الدميري اشياء من ذلك في حياة الحيوان الكبرى (٢: ٢٤٠) كقولهِ هناك : « اذا اخذتَ شعرة من ذنب فرس وجعلتها على باب بيت ممدودةً . لم يدخل ذلك البيت بقّ ما دامت الشعرة كذلك » وهلمَّ جرًّا

س وسأل مستفيد ما هو كتاب السقراطيَّة الذي اشار اليهِ الامير محمَّد باشا ابن عبدالقادر الجزائري في كتابهِ غنية عقد الاجياد في الصافنات الجياد وقال انَّ موسى بن نُصير لمَّا فتح افريقية وجد فيها خيلاً تباري خيل سوريًا »

كتاب السقراطية

ج لا ذكر لكتاب بهذا الاسم في مكتبتنا الشرقيّة ولا في مكاتب اوربَّة العربيّة. والأولى ان يُلقى هذا السؤال على احفاد الامير عبد القادر ولعلَّهُ هو احد المخطوطات الموجودة في مكتبته دُعي كذلك لورود أثر من آثار سقراط الفيلسوف اليوناني الشهير فيهِ والله اعلم

س وسأل آخر أصحيح ما يقال ان الشمس اقرب الى الارض في فصل الشتاء منها في فصل الصيف. فان صحَّ القول ما سبب غلوّ الحرّ في الصيف والبرد في الشتاء ؟

الشمس وقربها من الارض في الشتاء ؟

ج نعم لا ريب في ذلك وانَّما لشدَّة الشمس تبلغ الى الارض في الشتاء على خطّ منحرف وفي الصيف على خطّ مستقيم . ألا ترى لو جعلتَ يدك فوق النار وان بعيدةً تشعر بحرارة عظيمة بخلاف وَضعك يدك قريباً منها منحرفةً فانك تجد حرارتها خفيفة لا تكاد تشعر بها

ل . ش

المشرق

محاضرة في حمص ومآثرها

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

دُعينا في اوائل حزيران الاخير الى مدينة حمص لالقاء بعض المواعظ والارشادات لاهلها بنسبة عيدي القربان الاقدس والقلب الالهيّ فلبَّينا الدعوة لتجديد علاقاتنا مع افاضل وادباء تلك الحاضرة . فوجدنا في الحمصيين من الكرامة واللطف ما اسر قلوبنا بحبّهم كما ان إقبالهم على استماع كلام الله كان يحبّب الينا الشغل بينهم فنخطب فيهم ثلث او اربع دفعات كلّ يوم فيسقط كلامنا في تربة جيّدة

وكان آخر ما طلبوا منّا قبل وداعنا ان نلقي عليهم محاضرة علميّة يُدعى اليها اماثل البلد من كلّ الطوائف والادباء فلم نر بدًّا من الاجابة الى ملتمسهم واخترنا لذلك موضوعاً يثير فيهم عواطف الحب الوطنيّ اعني مدينتهم حمص ومآثرها . وجعلنا موعد الاجتماع أصيل يوم السبت الواقع في ٩ حزيران فعُقدت الحفلة في حينها وتشرّف ديرُنا بحضور كثيرين من وجوه المدينة واعيانها وارباب اعمالها مع نخبة من اكليروس الطوائف المختلفة

فلمّا انتهينا من القاء تلك المحاضرة التي استغرقت ساعةً ونصف الحّ علينا الحضور الكرام بان ننشرها بالطبع لتبقى لديهم تذكاراً وما كنّا وقتئذٍ كتبناها وانّما القيناها بداهةً فوعدناهم بأنّنا عند سنوح الفرصة سنفعل ان شاء الله وها نحن وافون بالوعد

مركز حمص

كان للقدماء في اختيار مركز مدنهم النظر البعيد الصائب . فترى معظم البلاد التي احتلُّوها منذ سالف الاجيال لا تزال ثابتةً في مقامها على الرغم من تقلُّبات الدول وطوارئ الدهر . ولا غرو ان حمص من هذه المراكز التي دفع حسن موقعها القدماء الى اختيارها . فقربُها من نهر العاصي في مستوى البقاع ووقوع ارضها في نقطة دائرة كثيرة الحركة حافلة بسكَّان الحضر والمدر في منتصف مسالك تجاريَّة بين دمشق وحلب وبين الفرات والبحر المتوسط في ممرّ النهر الكبير كلّ ذلك كان من شأنه ان يُلفت انظار الاقدمين الى انشاء مدينة حيث قامت بعدئذٍ حاضرة حمص الجليلة مع طيب هوائها واعتدال مناخها

اسم حمص

لا نكاد نجد كاتباً يوثق به ذكر اصل اسم حمص ومعناهُ . قال الجغرافي روكاو (الجلد ٩ ص ٧٦٠) انَّ اسم حمص تحوَّل من إمِسَّا (Emessa) وكتَبَ غيرهُ Emesa او Hemesa بيد انَّ هذا الرأيَ محمول على الظنّ بان المدينة يونانيَّة الاصل وانَّ الاسم يونانيّ . وعندنا انَّ اسم حمص اقدم عهدًا من اليونان وان في صورته مسحةً ساميَّة مشتقة من اسم بعض الأعلام او من الاوصاف الدالَّة على موقع المدينة . ورد في معجم البلدان لياقوت الرومي (٢ : ٢٣٤) انَّ حمص « بلدٌ بناهُ رجلٌ يقال له حِمْص بن المهر بن جان بن مكنف وقيل حمص بن مكنف العمليقيّ » وفي تاج العروس (٢ : ٣٨٣) سُميت حمص بحمص بنْ صهر بن حميص بن صاب بن مكنف . ولكن من هو حمص المذكور واين ومتى عاش فذلك من الرموز التي لا نعرف لها حلًّا . وظنّ البعض ان الاسم مشتقّ من الحماس فيكون معنى حمص مدينة الاقوياء . ولعلّ الصواب انَّ الكلمة آراميَّة بمعنى الارض المنبسطة لوقوع حمص في مستوٍ من الارض . ويؤيد ذلك في العربيَّة « الحَمْصة » (والحاء تُبدل كثيرًا من الخاء) وهي البطن من الارض اللَّيِّن الوطء . والله اعلم

قِدَم حمص

انَّ حمص كجارتَيها حماة وحلب في شمالي سوريَّة من المدن العريقة في القدم التي لا يُعرف اصلها. وكان الكتبة قبل زمن قليل يزعمون أنَّها من بناء اليونان وهكذا روى ياقوت (٢: ٣٣٥) عن اهل السير الَّا انَّ رأي العلماء في عهدنا انَّها سبقت اليونان باجيال. والمرجَّح انَّها من عهد الآراميين الـذين سبقوا عهد الحثيين في الالف الثاني قبل الميلاد. وقـد زعم بعض الكتبة انَّها مدينة صوبا المذكورة في الكتاب المقدَّس في سفر يشوع. وليس لقولهم هذا حجَّة ثابتة. وقلعـة حمص اقدم ابنيتها تشبه قلعتي حماة وحلب الصناعيَّتين والغالب على الظنّ انَّ بني آرام ابتدأوا بتشييدها فوق تلّ صغير ثم انجزت بناءهـا الدول التابعة وجعلوها على شكل هرم جوانبهُ مفروشة بصفائح الحجارة وحصَّنوا اعلاهُ بالابراج. ويبلغ محيط دائرة هذه القلعة تسعمائة متر في اسفلها. وعلى سطحها الى اليوم اعمدة لهيكل أقيم هناك فخرب. وما لبث ان احتمى في ظلّ هذه القلعة بعض من القبائل وبها اصبحت حمص مدينةً وجدها بنو آرام نعم المركز لتجارتهم وبلدًا وسطًا بين امم آسية الوسطى وسواحل البحر المتوسّط

ثمَّ تقدَّمت في غضون ذلك امَّة جديدة منحدرةً من شمالي البلاد من جبال القفقاز تُعرف بالامَّة الحثيَّة فانبثَّت في جهـات الاناضول وفي شمالي سوريَّة وغربيّ جنوبيّ الفرات فلم تزل تقوى وتشتـدّ ازرًا الى أن غلبت العنصر الارامي واستولت على مدنهِ المعمَّرة ككرميش وحمـاة واتَّخذت مدينة قدس على شاطئ بحيرة حمص كحاضرتها الدينيَّة. وهي المدينة التي قامت فوقها بعد نكبات الزمان اطلال تلّ بني مَنْد كما استدلَّ اليها المسيو غوتيار والابوان اليسوعيان سبستيان رنزفال وهنري لامنس ثمَّ وقف على عاديَّاتها الاثري الافرنسيّ المسيو موريس بيزار بعد حفرياتهِ في السنتين ١٩٢١ و ١٩٢٢ فمصَّرها الحثيون وحصَّنوها وسكنوها بامان نحو مئتي سنة وعاشت حمص متمتِّعةً بسلامها

الَّا انَّ الحثيين بامتداد سلطتهم ورقي دولتهم اثاروا عليهم غضب الفراعنة الذين في القرن الرابع عشر قبل المسيح زحفوا على بلادهم وناشبوهم القتـال فغلبوهم غير مرَّة في عهد تحوتمس الثالث وسانى الاوَّل ولاسيَّما رعمسيس الثاني الذي كسر شوكتهم

في واقعة قدس نحو السنة ١٢٧٥ قبل المسيح واستولى على بلادهم ثم سالمهم وصاهر ملكهم . وقد وجدوا بين آثار الحفريّات الاخيرة في تلّ نبي مند آثاراً مصريّة عديدة من عهد هؤلاء الفراعنة وكذلك في حمص وجوارها وُجدت سابقاً مثل هذه الآثار كخزفيّات وحليّ واسلحة ودُمَى وتماثيل من الصناعة المصريّة . ما يثبت تلك السلالات الثامنة عشرة الى العشرين على جنوبي مملكة الحثيين

على انّ الحثيين لم يستسلموا الى الفشل والقنوط وهم رجال بأس محنّكون بآداب الحرب فلم يزالوا يراعون احوال المصريين ويراقبون ضعفهم حتى اعلنوا بالاستقلال . بيد انّ الفتوحات البابليّة والاشوريّة وجدت الحثيين في طريقها الى سوريّة الساحليّة والى مصر فدارت بينهم الحروب الطويلة فكانت بينهم سجالًا حيناً لهم وحيناً عليهم الى ان قامت في العراق دولة جديدة حمل ملوكها بجيالهم ورجلهم على بني حثّ وكرّروا عليهم الغارات حتّى انهكوا قواهم وشتّتوا شملهم فصاروا الى خبر كان وذلك في القرن الثامن والسابع قبل المسيح على عهد الملك سرغون ثم سنحاريب ثمّ اسارحدُون

وبقيت آثار الحثيين مجهولةً مدة اجيال طويلة حتى انتبه اليها في عيدنا قوم من كبار العلماء في فرنسة وانكلترّة والمانية فجمعوا في متاحفهم ما وجدوهُ منها واستخرجوا بالحفريّات ما كان محجوباً عن العيان فدرسوا هذه الآثار واستنتجوا منها النتائج المهمّة لتعريف الحثيين وآثارهم وصناعتهم وتاريخهم ودينهم لولا أنهم حتى الآن لم يفكّوا طلسم كتابتهم . وهذه المعلومات افادت انّ للحثيين في بنائهم وهندستهم وفنونهم الصناعيّة كالرسم والنحت والتصوير ما يشهد لهم بالتقدُّم وابتكار الاعمال على طراز خاصّ بهم كما بين ذلك الاثري الشهير المسيو بوتيار (É. Pottier) في مجلّة سيريا (Syria I, 169, 264 et II. 6,)

ولا رَيب انّ المدن الخاضعة لحكم الحثيين ومن جملتها حمص استفادت من هذه الفنون وجاراهم اهلها في مصنوعاتهم . وهذا يقال ايضاً في الدين فانّ الحثيين كانوا قد أَلّهوا قوّات الطبيعة كالانواء والرعد والسحاب فاضافوا اليها شيئاً من الديانات التي وجدوها عند الامم القريبة منهم كعبادة الشمس والقمر والسيّارات والبعل

وعشتروت وآلهة مصر. وقد وُجدت من كلّ هذه المعبودات آثار شتى في حمص او نواحيها

حمص في العهد اليونانيّ والرومانيّ

بعد انقراض الدولة الحثّيّة أُصيبت حمص بالخمول ولم تنهض من كبوتها الّا في عهد اليونان بعد فتوحات الاسكندر لانحاء الشام وتملُّك السلوقيين عليها . فنالت تجارتها بعض الرواج

على انّ اهلها كانوا واقفين بالمرصاد لملوك سوريّة السلوقيين واذ لحظوا ما صارت اليه دولتهم من الضعف في اواخر القرن الثامن قبل المسيح والحروب منتشبة بينهم وبين ملوك البطالسة وباتت سواحل الشام في شبه الفوضى جاهر الحمصيّون بالاستقلال ودعوا بعض امرائهم الوطنيّين ليتولّى تدبيرهم . وقد ذكرهُ اسطرابون الجغرافيّ (ك ١٦ ف ٢) ودعاهُ باسم سَمِيغراموس وفي تركيب اسمهِ « سَمْس » او «شمس» احد الدلائل على عبادة الحمصيين لكوكب النهار . ولعلّ هيكل الشمس معبودة الحمصيين تشيَّد في ذلك الوقت ثمّ زادوهُ حسناً ورحباً في عهد الرومان

ولسَمِيغراموس المذكور خلفٌ باسمهِ ملك بعدهُ في القرن الاوّل للمسيح ورد ذكرهُ في كتاب العاديّات اليهوديّة ليوسيفوس (ك ١٩ ف ٨) كان معاصرًا لهيرودوس اغريبّا الاوّل وحليفاً للرومان. ثمّ قام بالامر بعدهُ ابنهُ عزيز ثمّ اخوهُ صُهَيم او سُحَيم الذي تبع الرومان في حملتهم على القدس في أيّام فسبسيان وابنهِ طيطوس كما ذكر المؤرخ تاكيتوس (ك ٢ ف ٥١)

وكانت اللغة اليونانيّة قد انتشرت في حمص وجهاتها في عهد السلوقيين بين الطبقة الراقية من الاهلين الّا انّ الشعب لم يزل يلهج بلغتهِ الاراميّة

والآثار اليونانيّة في حمص عديدة لاسيّما الكتابات البنائيّة والمدفنيّة والأعلام ما يدلُّ على انتشار تلك اللغة في تخومها على عهد الدولة السلوقيّة بل الى عهد الرومان من جملتها كتابة ورد فيها ذكر ملك حمص سميغرامس الثاني (Waddington- Le Bas, n°2567) على هذه الصورة KAIOC IOUAIOC FABIA CAMCIΓEPAMOC قيل انّ هذه الكتابة كانت على البناءة الواقعة غربي البلدة قريباً من المقبرة التي

يدعوها الحمصيُّون الصومعة وبعضهم يسميها قبر القيصر وهي كالبرج العالي المربَّع البالغ علوُّه ١٥ متراً ذي النقوش الهندسيَّة والحجارة الملوَّنة . وقد وجد حضرة الاب لامنس سنة ١٨٩٩ كتابةً ثانية يونانيَّة باسم الملك المذكور في احد اسراب حمص مع كتابات اخرى ورد فيها اسماء بعض الاعيان كصُهَيْم وتمثَّلات ما بعثهُ الى الظنّ انَّ ذاك السرب كان مدفناً لأسرة حمص الملكيَّة (١

وهذه السلالة الملكيَّة بطل حكمها على حمص في عهد القيصر دوميانوس في السنة ٨٠ للمسيح فصار يقوم بتدبيرها عُمَّال من قبل رومية . فاخذ الرومان كألوف عادتهم يشيدون في حمص الابنية الفخيمة وينشئون الطرق ويعزّزون المنشآت الاقتصاديَّة والفنيَّة فاصبحت حمص بفضلهم مدينة راقية ذات ثروة وبهاء فازدحم فيها اهل البلاد المجاورة

وقد ادركت مقاماً ارفع بما نالها من الشرف بتبوء السلالة السوريَّة على عرش القياصرة في رومية حاضرة العالم . وذلك في القسم الثاني من القرن الثاني للسيّد المسيح لمَّا ضبط سبتيموس ساويروس عنان الملك (١٩٣—٢١١ م) . أجل لم يكن اصلهُ من سوريَّة اذ كان مولدهُ في لبتيس عن اعمال افريقية سنة ١٦٤ وانَّما اشتهر في سوريَّة قبل جلوسهِ على السدَّة الرومانيَّة وكان اعاد السلام لاهلها ونظَّم شؤونها . ولمَّا بلغهُ ما كانت عليهِ جوليا دومنا من سلالة ملوك حمص من العقل والجمال اقترن بها فكانت لهُ نِعمت المساعدة في كلّ مشروعاتهِ الجليلة ومنشآتهِ لخير الدولة وبفضلها قرَّب الى شخصهِ ثلاثة من اكبر فقهاء الرومان وكلهم من سوريَّة اعني بابنيان وألبيان وبولس الصوري والمرجَّح ان ألبيان كان مولدهُ ومنشأهُ في حمص . ثمَّ قام بالملك بعد ابيهِ باسيانوس الملقَّب بكركلَّا وهو اسمُ معطف امرَ الجنود بلبسهِ (٢١١—٢١٥) وكان مولدهُ في حمص وقد رسم على نقودهِ صورة هيكل الشمس في تلك المدينة وانعم على وطنهِ حمص بامتيازات المدن الرومانيَّة

وكان لجوليا دومنا اختٌ تدعى جوليا ميزا مولودة مثلهما في حمص لها ابنتان سُهَيمة ومَمَيا ولكل منهما ولد صار قيصراً فابن سهيمة يدعى اليتوس بسيانوس واشتهر باسم هليغبال وابن ممَيا الكسيانوس عُرف باسم اسكندر ساويروس . وكان

١) اطلب رحلتهُ الى بلاد حمص (L'Emésène, n°s 59-63)

اقاربهما خصّا الولدين لاكرام الشمس معبودة الحمصيين بل دُعي بسيانوس الى سدانة الهيكل وهو في ريع الشباب . ثمّ قُتل جدُّهُ كركلّا بدسائس رئيس الجنديّة مكرينوس الذي نادى بالملك لنفسه لكن الجند ما لبثوا ان شغبوا عليه فقتلوهُ ونصبوا حفيدهُ ابن سهيمة قيصراً رغماً من حداثة سنّه بيد انهُ تغلّب عليه نزق الشباب والتمن الاعمال المستقبحة ما تسوّدت بتدوينه صفحات التاريخ . فاتّخذ اسم الهه ودُعي هليغبال ثمّ نشر في رومية عبادة الشمس حتّى انهُ كان يضحّي لها اطفال اعيان رومية فكانت خاتمة هذه الفظائع أن ثار عليه الجنود فقتلوهُ ورموا جثته في نهر التيبر واقاموا بدلاً منهُ ابن خاله اسكندر ساويروس (٢٢٢–٢٣٦) فكان هذا مثال الحكمة والصلاح وحُسن السياسة وكان يرتشد بمشورة امّه مَنيّا التي تنصّرت على يد معلّم الكنيسة اوريجانوس الشهير وبلغ به ميلهُ الى النصرانيّة الى ان نصب تمثال السيّد المسيح في بلاطه وعزّز تخوم المملكة وانشأ المنشآت الخيريّة والمشروعات الوطنيّة التي خلّدت اسمهُ وشرّفت دولة الرومان وانّما ذهب ضحيّة الواجب مع امّه فقتلهما ارباب الثورة بينما كانا ساعيين في الدفاع عن المملكة بازاء برابرة الجرمان

وكان معاصراً لاسكندر ساويرس البيانيّ والكاتب اليوناني هليودورس ولهُ روايات حسنة ختمها بذكر اسمه فقال : انّ مؤلفها هليودوس الفينيقي الحمصيّ ابن الشمس »

وفي ذاك القرن الثالث احرزت لها اسماً شريفاً ملكة تدمر زينوبيا (زينب) فطمح بصرها الى املاك الرومان حتى اهتزّ لمحاربتها العالم الروماني بعد ان كادت تبسط سلطتها على الشام ومصر وانحاء العرب . فدارت عليها الدوائر في واقعة جرت بين جيوشها وجيش اوريان القيصر قريباً من حمص سنة ٢٧٢ م

وكانت هذه الملكة في أيّام عزّها اتّخذت مشاهير الرجال وذوي العقول الثاقبة والعلوم الواسعة ليكونوا من ندمائها ويزينوا بلاطها وكانت هي تفقّهت بآداب اليونان على انّ بين جلسائها قد اصاب السهم الملّي احد الحمصيين ألا وهو لُنجينوس الفيلسوف من تلامذة اوريجانوس الذي لقّبهُ معاصروهُ بالمكتبة الحيّة لسعة معارفه ووفرة علومه . وكانت امّ لنجينوس افرونتونيدة حمصيّة ايضاً لها شقيق اسمهُ

افرونتون الحمصيّ بلغ بهِ رقيُّهُ في الآداب الى أن عُهد اليهِ تدريس الخطابة في عاصمة اليونان

ومما يُنسب الى الامبراطور ديوكليسيان على ما ورد في تلموديّ اورشليم وبابل انَّ هذا القيصر الروماني هو الذي سعى بحفر بحيرة قطينة او بحيرة قدس ليختزن بسدٍّ منيع ميـاه العاصي فيستمدّ الحمصيُّون قسماً منها لسقي المدينة وريّ مزروعاتهم. والمرجَّح ان البحيرة اقـدم عهداً منهُ. وقد ذُكر في تقويم البلدان (ص ٤٠) انَّ السدّ ينسب الى الاسكندر

حمص النصرانيَّة

لا بدع انَّ النصرانيَّة دخلت حمص بعد السيّد المسيح بزمن قليل رغماً عمَّا لقيتهُ في سبيلها من العقبات في تلك المدينة العريقة بعبـادة الشمس. وقد جاء في تقليـد الكنيسة اليونانيَّة انَّ حمص وحماة سُقِّف عليهما اثنان من تلاميذ بولس الرسول وهما غايوس وأرِستَرْكوس المذكوران في اعمال الرسل (١٩ : ٢٩ و ٢٠ : ٤) وكان كلاهما من مقدونية ورافقا رسول الامم الى آسية عند عودتهِ الى اليهوديَّة ثمَّ سُقِّف غايوس على حمص وارستركس على حماة

وتشرَّفت حمص في عهد مرتس اوريليوس بجاوس احد ابنائها على كرسي القديس بطرس الروماني ألَا وهو القديس البابا نيقيطا ابن يوحنَّا السوري الذي ختم حيـاته بالاستشهاد سنة ١٦٦ م

ولنا في تنصُّر مَتيًّا ام القيصر اسكنـدر ساويروس في اوائل القرن الثـالث للمسيح اثرٌ آخر عن النصرانيَّـة في حمص. وفي اواسط هذا القرن اشتهر القـديس غلَتيون وامرأتهُ ابيستام سنة ٢٥٠ م وكانا مولودين في حمص فتنسَّكا في طور سينا ثمَّ قُتلا شهيدين على عهد الملـك دقيوس سنة ٢٥٠ كما ورد في اخبـار القديسين لمتافرستوس (Migne, P. G. vol. 116, col, 120) وعيدهما واقع في الكنائس السريانيَّة في ٦ تشرين الثاني

وفي اواخر هذا القرن الثالث او اوائل الرابع استشهد في حمص احد اساقفتها المدعوّ بِلوانس مع شمّاسهِ لوقا وقارنهِ موسيوس. وقـد ذكرهم اوسابيوس اسقف

القصريّة في تاريخهِ الكنسيّ (ك ٨ ف ١٣ و ك ٩ ف ٦) واخبر هناك «انّ سلوانس كان طاعناً في السنّ ودبّر كنائس حمص مدّة اربعين سنة» فألقي للسباع مع شمّاسيهِ بامر الملك مكسيميانوس. فيقول اوسابيوس وهو معاصرهُ انهُ «دبّر كنائس حمص» دليلٌ على انهُ كان رئيسَ اساقفتها وتحت حكمهِ اساقفة البلاد المجاورة لها. وهذا افضلُ شاهد على نموّ النصرانيّة في حمص وجوارها (١

وجاء في ميناون الكنيسة اليونانيّة ذكرُ شهيد آخر حمصي يُدعى ديودورس مات صلباً في ذلك الاضطهاد

وممّن لم ينسَهُ الحمصيّون ويكرمهُ الروم في كنيستهم حتّى الآن القديس الشهيد يوليان او اليسان المتطبّب وكان بطبّهِ الروحي افضلَ منه بطبهِ الجسديّ جذب الى الايمان كثيرين من مواطنيهِ فبلغ خبرهُ مكسيميانوس غاليريوس وقيل مكسيميانوس فعرض عليهِ السجود لاصنامهِ فأبى بكل حماس ومات شهيد ايمانهِ . والروم في حمص يرتأون انّ قبرهُ في كنيستهم. وعيدهُ واقع في ٦ شباط كالشهداء السابق ذكرهم

ولمّا خرجت النصرانيّة ظافرةً في عهد قسطنطين الكبير حصلت نهضة جديدة لهذا الدين في حمص. وبُنيت حينئذٍ كنيستهم الكبيرة التي كانت تُعتبر من جملة اعظم كنائس الشام نسبها البعض الى قسطنطين نفسهِ وقال غيرهم انّ هيلانة امّهُ هي التي بنتها. ولمّا عقد سنة ٣٢٥ المجمع النيقاوي حضرهُ اناتوليوس اسقف حمص وحرم مع اربابهِ اريوس وانصارهُ

وقام من بعدهِ خلفاً لهُ الانبا اوسابيوس الذي كان في عهد قسطنطيوس ابن قسطنطين من علماء زمانهِ متضلّعاً بآداب اليونان صنّف تآليف عديدة دينيّة وأدبيّة . وقد اثنى عليهِ القديس هيرونيموس فنظمهُ في جملة المشاهير الذين دوّن سيرهم

وفي ذاك القرن الرابع سُقف على حمص نمازيوس صديق القديسين العظيمين باسيليوس وغريغوريوس ثم قرياقوسُ الذي دافع عن القديس يوحنّا فم الذهب. وحضر بولس اسقف حمص المجمع الافسيّ مع المستقيمي الايمان سنة ٤٣١ وحضر بورفيريوس المجمع الخلقيدوني باسم اسقف حمص اورانيوس سنة ٤٥١

(١) اطلب اعمال البولنديين في المجلّد الاوّل من شباط (ص ٧٨٥) (Boll. I vol. de Février. 785-786)

وفي عهد اورانيوس المذكور وُجد لثاني مرَّة في حمص رأس القديس يوحنَّا المعمدان وكان وُجد مرَّة أولى في اورشليم ثمَّ فُقد . وبقي زمناً طويلاً مكرَّماً في حمص الى ان نُقل الى القسطنطينيَّة ثم الى رومية في اوَّل أيام العرب والمسلمون يزعمون انَّ تلك الذخيرة الثمينة لا تزال في حوزتهم في الجامع الكبير المعروف بجامع النور ومنهم من يزعم انَّها في جامع دمشق الاموي وبعضهم يقول انَّ الرأس المبارك في جامع يحيى في بيروت . ولاكتشاف رأس يوحنا الصابغ عيدٌ يُروى ذكرهُ في الكنيسة اليونانيَّة في ٢٤ حزيران وفي الكنائس السريانيَّة في ٢٦ شباط

وفي القرن الخامس للمسيح اشتهرت في حمص احدى النساء الفاضلات المدعوَّة متروناً من اعيان المدينة خصَّت نفسها بعد وفاة زوجها لكل المشروعات المبرورة فماتت برائحة القداسة هي وابنتها ثيودوتا والكنيسة اليونانيَّة تذكرهما في تشرين الثاني

وفي اواخر القرن الخامس اشتهر في الكنيسة اليونانيَّة القديس رومانوس فكان هذا حمصيَّ المولد وخدم كنيسة بيروت وذاع صيتهُ بما نظمهُ من الاناشيد التقويَّة والتسابيح الدينيَّة التي ادرجها الروم في كتبهم الطقسيَّة

وأنعم الله على حمص في القرن السادس للميلاد بمعاينة فضائل احد ابنائها القديسين وهو البارّ سمعان الملقَّب بصالس اي الجاهل الذي عاش في جوار حمص ممارساً لجميع فضائل النسَّاك الَّا انَّهُ فراراً من مجد العالم تظاهر بالبله والجهل ليحظى بازدراء البشر واحتقارهم فاظهر الله حكمتهُ العجيبة . توفي سنة ٥٨٨

وقد بقي اهل حمص على ايمانهم المستقيم الى ظهور العرب دون أن تؤثر فيهم بدعتا نسطور واوطيخا ويعقوب البرادعيّ . وبين الكتابات اليونانيَّة التي وُجدت في المدينة وجوارها كتابات نصرانيَّة الواحدة منها من السنة ٨٨٠ للسلوقيين (٥٦٨ م) عليها صورة الصليب وفيها استغاثة بالعذراء مريم واسم بعض الكهنة نشرها حضرة الاب لامنس . وممَّا وجد في حمص ايضاً صليب من البرنز طولهُ ٣٠ سنتمتراً في ١٤س عند عارضتيه عليهِ كتابةٌ يونانيَّة مؤدَّاها استغاثة الى القديس جرجس لاجل المسمَّى مزمبريوس والمظنون انهُ هو قائد الجيوش الذي عاش سنة ٥٨١ م . نشر هذا الاثر المسيو شلومبرجر الاثريّ الشهير

حمص في عهد العرب

فتح العرب مدينة حمص بعد موقعة اجنادين وفتح دمشق في السنة ١٦ للهجرة كان فتحها على يد ابي عبيدة بن الجرّاح وكان هذا بعد فروغه من دمشق قدّم امامهُ سرايا من جنده فلمّا توافوا الى حمص قاتلهم اهلها وامتنعوا مدّة لمناعة اسوارها ثمّ طلبوا الامان وقيل انّ العرب اخذوها بالحيلة. وكان على المسلمين السَّمط بن الاسود الكنديّ فصالحهم على مائة الف وسبعين الف دينار (والدينار نحو ١٢ فرنكاً ذهباً من نقودنا اليوم) ثمّ قدم ابو عبيدة حمص على طريق بعلبك وأمضى صلح السَّمط وأمّن اهل حمص على انفسهم واموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وارحائهم واستثنى عليهم رُبع كنيسة يوحنّا للمسجد واشترط الخراج على من اقام منهم وقُسمت حمص خططاً بين المسلمين فسكنوا في كلّ موضع جلا اهلهُ او ساحة متروكة (راجع فتوح البلدان للبلاذري ١٣٠—١٣١)

ثمّ قسم العرب بلاد الشام الى ايالات يدعونها اجنادًا فكانت حمص على رأس احد هذه الاجناد لعظم شأنها وقد بلغت وظيفة اهلها مع قنسرين والعواصم لبيت المال الى ثمانمائة الف دينار (البلاذري). وفي عهد الرشيد بلغت وظيفة مدينة حمص وحدها ٣٢٠،٠٠٠ دينار والف حمل من الزبيب (كتاب الوزراء)

وفي السنة ٤٣ هـ (٦٦٥ م) اخبر تاوفانوس المؤرخ انّ المسلمين ثاروا على نصارى حمص فمات اسقفهم شهيدًا

وأمّا ملك مروان الثاني المعروف بالحمار وهو آخر ملوك بني اميّة عصى عليه اهل حمص فسار اليهم وحاصر مدينتهم الى أن فتحها ومثّل باهلها

وممّا كتبهُ ياقوت في معجم البلدان عن حمص (٢ : ٣٣٨) ما يشمّ منهُ روح التعصّب على اهلها وهو من حماة قرينة حمص فنروي كلامهُ على علّاته قال :

«ومن عجيب ما تأمّلتهُ من امر حمص فساد هوائها وتربتها (كذا!) اللذين يفسدان العقل حتّى يُضرب بحماقتهم المثل. انّ اشدّ الناس على عليّ رضّ بصفّين مع معاوية كان اهل حمص واكثرهم تحريضًا عليهِ وجدًّا في حربهِ فلمّا انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غُلاة الشيعة حتى انّ في اهلها كثيرًا ممّن رأى مذهب النُّصَيريّة واصلهم الاماميّة الذين

يسبُّون السلف فقد التزموا الضلال اوّلاً واخراً فليس لهم زمان كانوا فيهِ على الصواب »

واملّ سبب ذلك موقع حمص بين بلاد مختلفة فيدخلها اخلاط الناس ويمتزجون باهلها . وكذلك التقلُّبات التي حدثت لحمص فكثيراً ما تحاملت عليها الدول فملكها بنو عبَّاس وفتحها ابن طولون وصارت الى بني حمدان فاقطعها سيف الدولة ابا فراس الحمدانيّ الشاعر ثم بكجور واطاعت للفاطميين ثم صارت مدَّةً تحت حكم الصليبيين دون ان يملكوها ملكاً ثابتاً . ثمَّ ملكها نور الدين والامير شيركوه ثم صلاح الدين والأيوبيُّون . وفي ايَّامهم وقعت تلك الزلازل الهائلة التي ذهبت بكثير من مدن الشام وكانت حمص من جملة المدن المدمَّرة فأثرت هذه النكبات بتلك المدينة الزهراء وكادت تلحقها بالدقماء ثمَّ اصيبت بكوارث اخرى في عهد المغول الى ان تحسَّن حالها نوعاً في عهد مماليك مصر

ولم تخلُ حمص في زمن العرب من المفاخر فانَّ قوماً من ابنائها تخرَّجوا بآداب اليونان فنقلوا تآليفهم الى العربيَّة ذكر منهم ابنُ ابي اصيبعة في كتاب طبقات الاطباء ابنَ ناعمة واسمهُ عبد المسيح بن عبدالله الحمصي الناعمي وزروبا بن الناعميّ الحمصي وهلالَ بن هلال الحمصي وغيرهم

وفي مقابر حمص الاسلاميَّة قومٌ من اهل الزهد والعلم ولاسيما الحديث . والحمصيُّون يفتخرون منذ زمن قديم بخصولهم على قبر خالد بن الوليد المعروف بسيف الله وان لم يتَّفق العلماء على مكان وفاته أمات في حمص ام في المدينة فاقاموا لهُ مشهداً ثمَّ ابدلوهُ في عهدنا بذاك الجامع البديع المبني على طراز جامع ايَّا صوفيَّا

ولكتبة العرب في تلك الحقبة اوصاف لحمص تنسخ نوعاً ما كتبهُ ياقوت في حقِّها . قال الاصطخري (ص ٦١) :

«مدينة حمص في ستو خصبة جدًّا من اصحّ بلدان الشام هواء وتربةً . في اهلها جمال مفرط وليس بها عقارب ولا حيَّات ولها مياه واشجار وزروع كثيرة واكثر زروع رساتيقها عذيٌّ . بها كنيسة بعضها مسجد جامع وبعضها كنيسة وهي من اعظم كنائس الشام وعامَّة طرق حمص خروشة بالحجارة

ومثلهُ قال ابن حوقل (ص ١٤٧) الَّا انَّ حمص في وقتهِ كان الروم « دخلوها واتوا على سوادها واخربوها» . وقال ابو عبدالله المقدسي في احسن التقاسيم (ص١٥٦) :

حمص ليس بالشام بلد أكبر منها وفيها قلعة متعالية عن البلد تُرى من خارج. أكثر شربهم من ماء المطر ولهم ايضاً نهر. ولمّا فتحها المسلمون عمدوا الى الكنيسة فجعلوا نصفها جامعاً عنده بالسوق قبّة على رأسها شبه رَجُل من نحاس واقف على سكة تديرها الارياح الاربع. وفيه اقاويل لا تصحّ والبلد شديد الاختلال متداعٍ الى الخراب والقوم حمقى (كذا) والاسعار بها رخيصة . . . والقصبة قريبة من البادية وحبة طيّبة

وقال الادريسي (ص ١٣) :

امّا ارض حمص فانّ مدينتها حمص وهي حسنة في مستوٍ من الارض وهي عامرة بالناس والمسافرون يقصدونها بالامتعة والبضائع في كلّ فنّ واسواقها قائمة ومسرّات اهلها دائمة وخصبهم رغد ومعايشهم رخيصة وفي نسائها جمال وحسن بَشَرة . وشرب اهلها من ماء يأتيهم في قناة من قرب قرية جوميّة والمدينة منها على مرحلة ممّا يلي دمشق ونهر الأُرُنط المسمّى المقلوب يجري على باجا بمقدار رمية سهم ولهم عليه قرًى متّصلة وبساتين واشجار واهر كثيرة ومنها تجلب الفواكه الى المدينة وكانت في مدّة الاسلام من اكثر البلاد كروماً فتلف اكثرها وثراها طيّب للزروعات وانتاء الغلّات وهواؤها اعدلُ هواء يكون بالشام . . . وبها على القبّة العالية التي في وسطها صنم نحاس على صورة الانسان الراكب يدور مع الريح حيثما دارت . . . وجميع ازقّتها وطرقها مفروشة بالحجر وزراعتها مباركة كثيرة وزروعها تكتفي بالبسير من المطر والسقي وبها مسجد جامع كبير اكبر جامع مدن الشام

ومن اخطر ما ورد عن حمص ما كتبهُ ابن جبير في رحلته حيث قال (٢٥٧) وقد زارها في عهد الصليبيين :

حمص فسيحة الساحة ، مستطيلة المساحة ، نزهة لمَن يُبصرها من النظافة والملاحة ، موضوعة في بسيط من الارض عريض مداهُ ، لا يخترقهُ النسيمُ بعراهُ ، يكاد البصر يقف دون منتهاهُ ، أفيح أغبر ، لا ماء ولا شجر ، ولا ظلّ ولا ثمر ، فهي تشتكي ظماها ، وتشتقي على البعد ماءها ، فيُجلب لها من نهرها العاصي وهو منها بنحو مسافة الميل فعليهِ طُرّة بساتين تجتلي العين خضرتها ، وتستغرب نضرتها ، ومنبعهُ في مغارة بسفح جبل فوقها بمرحلة بموضع يقال بعلبك اعادها الله وهي عن يمين الطريق الى دمشق . واهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرّس بالعدوّ لمجاورتهم اياهُ وبعدهم في ذلك عن اهل حلب . فأحمدُ خلال هذه البلدة هواؤها الرطب ونسيمها الميمون تخفيفهُ وتجسيمهُ ، فكأنّ الهواء النجديّ في الصحّة شقيقهُ وقسيمهُ ، وبقبلي هذه المدينة قلعة حصينة منيعة ، عاصية غير مطيعة ، قد تميّزت وانحازت بموضعها عنها . وبشرقيّها جبّانة فيها قبر خالد بن الوليد رضي وسيف الله المسلول ومعهُ قبر ابنهِ عبد الرحمن وقبر عبيد الله بن عمر رضهم . واسوار هذه المدينة في غاية المتانة والوثاقة مرصوصٌ بناؤها بالحجارة الصمّ السود وابراجها ابواب حديد سامية الإشراف هائلة المنظر رائعة الاضلال والإتانة تكتنفها الابراج المشيّدة الحصينة . وامّا داخلها فما شئتَ من بادية شعثاء خلقة الارجاء ، ملفّقة البناء ، لا اشراق لآفاقها ، ولا رونق لاسواقها ، كاسدة لا عهد لها بنفاقها ، . . . وبها مدرسة واحدة . . .

ووصف شمس الدين الدمشقي حمص وجندها بعد ابن جبير فقال (ص ٢٠٢):

ومن جنود الشام حمص وهي مملكة حسنة وبها كرسيُّ الملك ودار الامارة ونيابة السلطنة وهي اصغر ممالك الشام الثانية التركيَّة وآخرها رتبةً. وحمص مدينة قديمة تسمى سوربا (كذا) ماؤها وهواؤها صحيح ... ومن حسن بناء حمص انهُ لا يوجد بها دار الّا وتحتها في الارض مغارة او مغارتان وماء ينبع للشرب وهي مدينة فوق مدينة واهل مدينة حمص يوصف عامَّتهم بقلَّة العقل ويُحكى عن سوقتهم حكايات شبيه الخرافات

وكرَّر ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٦١) ما كتبهُ غيرهُ. الّا انهُ اتَّسع في وصف بحيرة قدس فقال (ص ٤٠):

بحيرة قدس وهي بحيرة حمص طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثُلث مرحلة وسَعَتها طول السدّ وهي مصنوعة على نهر الأرنط فانهُ قد صُنع في طرف البحيرة الشمالي سدٌّ بالحجر من عمارة الاوائل ويُنسب الى الاسكندر. وعلى وسط السدّ شرقًا وطربًا ١٢٨٧ ذراعًا وعرضًا ١٨ ذراعًا ونصف ذراع وهو حابس الماء العظيم بحيث لو خرب السدّ سال الماء وعُدمت البحيرة وصارت نهرًا وهي في ارض مستوية وهي عن حمص بعض يوم في غربها ويصاد بها السمك

ومرَّ ابن بطوطة في حمص في القرن الرابع عشر للمسيح فوصفها بقولهِ (١: ١٤٠)

سافرتُ الى مدينة حمص وهي مدينة مليحة ارجاؤها مزنفة، واشجارها مورقة، واثمارها متدفقة، واسواقها فسيحة الشوارع، وجامعها متميّز بالحسن الجامع، وفي وسطه بركة ماء. واهل حمص عرب لهم فضل وكرم وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله ورسوله وعليهِ زاوية ومسجد وعلى القبر كسوة سوداء

ثمَّ دخلها في ايَّام الوباء سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٨م) فكان عدد الموتى يبلغ ٣٠٠ في اليوم. هذا مجمل ما قالهُ كتبة العرب عن حمص يتناول وصفهم احوالها الى آخر عهد مماليك مصر واوَّل ظهور الاتراك

حمص في عهد الاتراك الى هذا الزمان

لمَّا انتصر السلطان سليم الاوَّل على قانصوه الغوري في سهول دابق قريباً من حلب سنة ١٥١٦ دخلت سوريَّة في حكم الدولة العثمانيَّة فما عتَّمت مُدنها ان فتحت ابوابها للسلطان دون مقاومة كبيرة الّا دمشق التي فُتحت عنوةً ونُهبت. واذعنت

حمص كغيرها لامر الاتراك . ثمَّ اقام السلطان سليم نائبَ دمشق جانبردي الغزالي نائباً على الشام ليثيبهُ على فتحهِ لهُ دمشق التي كان يتولَّاها باسم ملوك مصر . فاحسن الغزالي معاملة الاهلين واستمال اليهِ قلوبهم الى ان مات السلطان سليم وخلفهُ ابنه السلطان سليمان القانونيّ . فدعا الناس الى نفسهِ وخلع الطاعة لدولة الاتراك وتسمّى بالملك الاشرف وانضمَّ اليهِ قبائل من الاكراد والتركمان فاسرع السلطان سليمان وارسل لمحاربتهِ جيشاً جمعهُ في الاناضول تحت قيادة فرحات بك العثماني فالتقى الجيشان قريباً من دمشق وقُتل الغزالي في اواخر كانون الثاني من السنة ١٥٢٠

ثمَّ اصبحت منذ ذاك الحين بلاد الشام مقسَّمة الى باشويَّات او بيكاربكيَّات . وكلّ باشوية تُقسم الى سناجق . وكانت حمص احد السناجق الخمسة المنوطة بباشوية طرابلس اعني طرابلس وحمص وحماة وسلَمية وجَبلة

وكان السلاطين في الوقت ذاتهِ اقطعوا اراضي الشام بعض بيوت الامراء كبني حرفوش وبني سيفا وبني عسَّاف وبني معن وبني شهاب ويرجعون اليهم لجمع الخراج والاموال الاميريَّة فحصل بسبب انقسام هؤلاء الامراء ومنازعاتهم ثم مطامع الباشوات حروب لا تُحصى . ولا يسعنا ذكر ما جرى لحمص من النكبات والفجائع من جرَّاء ذلك مدَّة ثلاثمائة سنة الى ان صارت الشام تحت قبضة المصريين في عهد محمَّد عليّ وابنهِ ابرهيم باشا فانَّ ابرهيم انتصر على عبدالله باشا عامل السلطان في واقعة حمص في ٢٧ ايَّار سنة ١٨٣٢

وبقيت حمص تحت حكم المصريين ثماني سنين الى سنة ١٨٤٠ وقد رأى ابراهيم باشا تشبُّثها بالدولة التركيَّة فاخرب قلعتها وتشدَّد في معاملة اهلها

ثمَّ عاد الحكمُ الى بني عثمان وعمَّال دولتهم فجعلوا حمص قضاء تابعة للواء حماة وكانت في اواسط القرن الماضي قد قلَّ اهلها فلم يتجاوزوا العشرة الآلاف ثمَّ تحسَّنت احوالها ونمت زراعتها واتَّسعت تجارتها حتى بلغ عدد اهلها قبل الحرب نحو ٦٠،٠٠٠ وذلك بفضل السكَّة الحديديَّة التي جعلتها على ممرّ تجارة سوريَّة الشماليَّة والجنوبيَّة وقد فتح اليوم الخطّ الجديد بين طرابلس وحمص منفذاً جديداً لمحصولات حمص ولرواج تجارتها ومصنوعاتها فانَّ محاصيل غلَّاتها كانت تبلغ نحو ١٥٠،٠٠٠ شنبل يقطع منها البلد نحو ٨٠،٠٠٠ ويباع الباقي في الخارج واشتهرت حمص بنسوجاتها

الحريريّة والغزليّة والقطنيّة من كل اصناف الملابس وكان عدد انوالها بالغاً العشرين الفاً . لولا انّ الحرب الكونيّة اوقفت كلّ هذه الحركة فتقهقرت بها الصناعة والتجارة . على انّ الامل معقود بان الامور لن تلبث ان تعود الى رقيها السابق بهمّة مجلسها البلدي وذوي الفضل من رؤسائها باتّفاقهم مع ارباب الانتداب الفرنسوي الذين يسعون بتنشيط الهمم وتعزيز الفلاحة والزراعة وكلّ ما يعود الى خير البلاد . ومن ادلّة الترقي في حمص الابنية الفخيمة التي تزداد كلّ يوم عدداً فتزين المدينة بحسنها وجمال هندستها فترى للمسلمين الدور الرحبة والمعاهد الطيّبة يسكنها افاضل قومهم من ذوي الحسب والنسب كآل الجنديّ وآل الاطاسي وآل الزهاوي والدروبي . وللنصارى مثلهم الابنية الحسنة والبيوت المهندسة كبيت الخوري وبيت الطرابلسي وغيرهم

وما قولنا بالرقي الادبيّ فانّ حمص كانت قبل ٤٠ سنة في مؤخر بقيّة انحاء الشام من حيث تهذيب ناشئتها رغماً من بعض الافراد الذين اشتهروا فيها سابقاً بين المسيحيين والمسلمين في الكتابة والخطابة ونظم الشعر . فلمّا دخلها المرسلون والراهبات ففتحوا المدارس وانكبّوا على تعليم الاحداث وباشروا اعمال البرّ هبّت من رقدتها واخذ الحمصيّون يُعنون بتثقيف اولادهم وتخرّج البعض منهم في مدارس بيروت ودمشق واخذ روح المنافسة يعمّ رؤساء الطوائف ففُتحت مدارس شتى يفتخر الحمصيّون بتعليمها ومعلّميها . ومن الشواهد على رقي الآداب نموّ الصحافة من جرائد ومجلّات ومطبوعات مختلفة تنبئ بمستقبل حسن . وغاية ما نتمنّى ان تتناصر المدارس والصحافة فتخدم الوطن خدمة نصوحاً بحفظها على سنن الأدب ومراعاة كرامة الدين فانهما الركنان المتينان لكلّ مدنيّة حقّة والباعثان الى معارج النجاح والكمال ان شاء الله

رحلة رسولية

في بلاد الجليل الاعلى

لحضرة الاب فرديناند توتل اليسوعي (تتمة)

عين ابل

عين ابل قرية كبيرة واقعة في منطقة الانتداب الفرنساوي قضينا فيها يومين لإراحة النفس من اتعاب الرسالة فسنحت لنا الفرصة لمعاينة آثار الخراب الذي احدثتهُ في البيوت حوادث سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٠ وقد اسرع الناس وجدَّدوا بناء كنائسهم الّا كنيسة الروم الكاثوليك فانها لا تزال على خرابها . وكان دير الآباء اليسوعيين وراهبات القلبين الاقدسين قد أُحرق فأُعيد الى رونقهِ القديم

وفي زاوية بستان هذا الدير القبليَّة تستريح في ظلّ الصليب المقدَّس ورجاء القيامة عظام ثلثةٍ من مرسَلي رهبانيَّتنا الذين تفانوا في خدمة بلاد البشارة وهم الآباء سارونيم سكُّوني ويوسف حوَّاء ولاون خوَّام . وهناك أُقيم في العام الماضي مدفن شهداء الحوادث المذكورة وقد دُوِّنت اسماء اولئك الابرار فوق ضريحهم

امَّا مقبرة البلد فوجدناها في حالة من الاهمال لا تليق بالموتى المؤمنين وقد رأينا بعض القبور مفتحة ورفات الموتى ينخرها الدود وجماجم مكوَّمة في الحفر وبقايا اخشاب النعوش تعثر بها الارجل . فكيف يرضى الاهلون باستهانة موتاهم واعزّ اقربائهم فليهبّوا ويستدركوا هذا الخلل ويصلحوا قبورهم وينصبوا فوقها راية الصليب المقدَّس فانَّ عصر الهمجيَّة قد مضى واضاءت شمس الحوّيَّة على مساكن الموتى ومنازل الاحياء سواء . واملنا وطيد بأنَّ تلك الأيام المشؤومة التي روى لنا الشهود العيان تفاصيلها الفاجعة لن تعود تتجدَّد ابد الدهر

وممَّا افادنا سكَّان عين ابل عن بلدهم حاضرًا انَّ عددهم يبلغ ٩٥٠ نسمةً منهم ٨٠٠ ماروني و ١٥٠ روميًا كاثوليكيًا هذا ما عدا ٤٠٠ منهم استوطنوا حيفا

ونحو ٦٠٠ هاجروا الى اميركا. وقد ذهب منهم في أيام الحرب الكونيَّة ٤٢٠ ضحايا المجاعة والعلل المنهكة يضاف اليهم ٥٠ من قتلى السنين الاخيرة. واصل كثيرين من اهل عين ابل من لبنان فبيت دياب من جبّة بشري ولهُ فرعٌ في حلب وبيت عتمه من مشموشة وبيت خريش من بشري وبيت حصرون من حصرون

فصوطا

فَصُوطا من الجليل الاعلى في منتصف الطريق بين صفد وعكا داخلة في منطقة الانتداب البريطاني تبعد ستّ ساعات عن صفد يقطعها المسافر بين تشعُّبات الآكام والاودية الى ان يبلغ به السير الى جبلٍ تزينهُ اشجار السنديان والغار والبطم والمُلول. ومن قمّته تُرى القرية تُحدق بها مراعي المواشي ومزارع الغلّات وبها يرتزق السكّان

وممّا وجدناهُ في طريقنا صوّانةٌ من الظرّان محدَّدة الرأس منحوتة الاطراف على شبه الشفار القاطعة وقد أكّد لنا المكاري دليلنا انَّ هناك فوق ربوة قريبة كثيرًا من هذه المصنوعات الراقية لطور البشريَّة السابقة لاكتشاف الحديد

ولمّا اشرفنا على القرية رأينا الحقول مُتَمنمة بالزهور يفوح منها عَبَق الربيع والبراريَ قد كساها الربيع ثوبًا سندسيًّا تقرُّ لنظره العيون والمواشي تسرح في وسطها فترعى حشيشها في فصل الربيع

وعلى يمين الداخل الى القرية نبعهم الوحيد الذي منهُ يستقي السكّان وترتوي المواشي لكنَّ لهم صهاريج يخزنون فيها مياه الامطار. ومياه نبع فصوطا عذبةٌ تتدفّق بغزارة ولهم في اسفلها حوضٌ واسع شبه الخزّان عمقهُ ثلاثون مترًا يجمعون فيه ما فضل عنهم من مياه النبع فاذا امتلأ ظهرَ كأنهُ البحيرة يستقون منهُ ما شاؤوا في فصل الشتاء. فاذا اقبل الصيف تناقصت المياه وغارت فيجعلون على ما فضل منها حارسًا ليلَ نهار يراقب الاهالي ليأخذ كلٌّ قسطهُ دون زيادة

وفصوطا تعلو فوق البلاد المجاورة يكشف منها الناظر شرقًا على جبال يعقوب وجرمق وغربًا على البحر ومنها تُرى الحدود الفاصلة بين سوريَّة وفلسطين. وفي القرية عدَّة آثار قديمة ربَّما وقف عليها الاهلون عند حفرهم الاراضي للبناء او للزراعة. منها كهوف ومغاور كمغاور الجشّ ومنها معاصر للزيت والخمر منقورة في جوف الصخر.

وهناك ايضاً كثير من نحيت الحجارة الضخمة تدلُّ على عظم شأن المكان في سابق الاجيال. وكان للصليبيين فيها قلعةٌ حصينة يدعونها بقلعة فازوس (Casal Fasoce (تصحيف فصوطا كانوا يرصدون منها الثغور ويهاجمون مَن حاول نقض حبل الامان (١ وهذه القلعة قد بُنيت على انقاض مدينة بوزنطيَّة قد صبر الدهر على بعض آثارها منها اعمدة مكلَّلة بتيجان من الطرز الكورنتي . بينها تاج نُقش على جانبيه صليب متساوي الشُعَب وتلك الآثار موجودة في كنيسة فصوطا القديمة التي يسكنها اليوم احد الاهلين وعلى بابها عتبة مزخرفة بالزهور والاغصان الجميلة النقش. وقد اقام راعي الابرشيَّة الجليل السيّد غريغوريوس حجّار بدلًا منها كنيسةً جديدة كبيرة حسنة البناء.

وقد وقفنا على آثار اخرى في بيت ميخائيل الشمّاس منها قطعة عمود كان ركناً لمائدة المذبح اكتُشف حديثاً. ووجد الخواجا يوسف النجّار في حقله آثار فسيفساء. بلّغ امرها للحكومة فأمرت بسترها. ومما عثرنا عليه في فصوطا نقود قديمة منها رومانيَّة ومنها بوزنطيَّة

وعدد سكّان فصوطا لا يكاد يزيد عن الثلثمائة يمتاز بينهم آل الخوري وأيوب وابو شهلا وعيلبوني وكلُّهم من الروم الكاثوليك. ولهم مدرسة للصبيان يديرها بكل غيرة نمر افندي مصر . ومن فضل هذا الرجل اهتمامهُ بزراعة وطنه فانهُ اقتنى ارضاً جدباء حجرة فسعى بعزقها وحرثها ثمّ زرعها تبغاً وبطاطا وغرس فيها ضروب الاشجار المثمرة وجعل قسماً منها كرماً فاصبح خير قدوةٍ لاهل وطنه بتربية اولادهم وزراعة املاكهم.

قضينا في فصوطا الاسبوع الرابع من الصوم فبارحناها شاكرين القلب الالهي على ما رأينا في اهلها من الاقبال على المواعظ والنشاط على التقرُّب من سرّي التوبة والقربان الاقدس

سوماتا

هذه القرية واقعة على علوّ ٨٠٠ متر فوق سطح البحر سرنا اليها عن طريق طرشيحا

١) اطلب وصف جيران للجليل (Guérin,: *La Galilée*, II, 67)

وهي تبعد نحو اربع ساعات عن فصوطا ومعظم اهلها مسلمون سنّيون يتراوح عددهم بين ٥٠٠ و ٥٥٠ نسمة . اما النصارى فمنهم الروم الكاثوليك وقد كان عددهم ما بين ١٦٠ الى ٢٠٠ وانّما هاجر اكثرهم الى حيفا والى بصّة لينجوا من ظلم مواطنيهم فلم يبقَ منها سوى ٤٠ نسمة . ومنهم الروم الاورثدكس كانوا لا يزيدون عن ثلاث او اربع عائلات فلم يبقَ منهم سوى عائلة واحدة ارتدّت منذ عهد قليل الى الكثلكة فاتخذوا كنيستهم لاقامة الرتب الدينيّة لرحيها اما كنيسة الكاثوليك القديمة فقد جعلها خادم الرعيّة سكناً لهُ واسم الكاهن الاب فيلبوس زبيدي . وقد سرد لنا احد الشيوخ اسماء الكهنة الذين سبقوهُ وهم يوسف سمعان ثمّ جرمانوس شفاعري ثمّ امبروسيوس خرّام ثمّ الكسيوس الحاج ثمّ انطون نعمه ثمّ جرمانوس لاون . اما وجهاء النصارى في سحماتا فبيت قيصر سمعان وبيت سلّوم . ووجوه سحماتا المسلمون الشيخ حسين الحبشي وبيت العبد عليّ والحاج اسعد مختار

وسحماتا غنيّة بالآثار القديمة منها عاديّات تدلُّ على حضارة تلك البلاد في اوائل القرون المتوسطة . وقد ذكر العلّامة جيران (II. 74) بركة سحماتا بين رابيتين شُيّدت القرية عليهما . وقد فاتهُ ذكر قسيفسا . يبلغ سطحها ما يقارب اربعة امتار مربّعة على طرف البركة الشرقيّ ولعلّها ظهرت حديثاً وهي بمثابة مصطبة ينزل المستحمّون منها الى البركة وما فوقها على قمّة احدى الاكمتين بقايا القلعة التي نسب جيران تشييدها الى ظاهر العُمَر . وقد أطلعنا رجل من المسلمين على حجر مربّع يبلغ طولهُ ٤٠ سنتمترًا مرقوم عليهِ كتابة عربيّة لم يسمح لنا الوقت بامعان النظر فيها للوقوف على مضمونها

وفي شمالي شرقي سحماتا خربة يدعونها خربة الخلّة تدلُّ انقاضها على عظم شأنها سابقاً . منها نقوش وآثار دينيّة تدلُّ على انَّ هناك كانت كنيسة . واخبرنا الراوي انَّ حاكم عكّا الانكليزي قصد القرية العام الماضي ونقل من الخلّة عتبةً كان عليها تاريخ فامر بنقلها الى القدس . وفي خربة الخلّة مقبرة نصارى سحماتا وهي قديمة يزعمون انّها ترقى الى عهد الصليبيين

اقتصرنا في سحماتا على القاء بعض الارشادات واعداد المؤمنين لواجباتهم الفصحيّة

ثم غادرنا القرية قاصدين البقيعة وفي صحبتنا كاهن طرشيحا الخوري المخلصي الغيور الاب ابرهيم الحدّاد

البقيعة

هي واقعة في جنوبيّ طرشيحا على مسافة ساعتين منها وترتفع ٥٨٦ متراً عن سطح البحر. يناهز عدد سكّانها الخمسمائة. النصف منهم تقريباً دروز لهم في البقيعة خلوتان وحارتان شرقيّة رئيسها محمود اسعد سلمان وغربيّة رئيسها عبدالله صالح وكلتاهما في نزاع وخلاف وللدروز زعيمٌ هو شيخ طريقة يقيم في جونس. وفي البقيعة ١٠٠ من الدروز ١٥٥ من الروم الاورثدكس و ٥٤ من الروم الكاثوليك اهمّهم بيت مخّول وبيت بيطار ثم ٥٥ يهودياً وافراد من المسلمين. وفي البقيعة مدرسة واحدة لعموم الاهالي تقوم الحكومة بنفقاتها

وفي وسط البلدة عين غزيرة تتفجّر من قلب الصخر فتحرّك مياهها طاحونين وتروي البساتين ثمّ تجري الى وادي القرم فتغور هناك. ولاريب انّ الفضل في وجود المياه في البقيعة عائد الى حرص اهلها على الاشجار التي تكلل الاكمة الواقعة في شرقيها. قلتُ «الاشجار» بل هي شجرة واحدة عريقة في القدم تأصلت جذورها في الصخر فشقّتهُ ثمّ تفرّعت حتى اصبحت غابةً صغيرة ويكاد يبلغ جذور هذه الشجرة اربعة امتار يدعونها الخروبة المباركة وقد اتّخذها اليهود مزاراً يحجّون اليه يزعمون ان بني يعقوب سكنوا ١٨ سنة في ظلّها واهل البقيعة يكرمونها ولا يمسّها احد منهم بأذى ولذلك ترى حولها أكواماً من الاوراق اليابسة والاغصان التي تهصرها الريح شتاء فتخزن في اعماقها الرطوبة والماء من الشتاء الى الصيف فتروي الناس من العطش كما يقونها من التلف. وقد زارها مفوّض فلسطين السامي السير هربرت صموئيل

وبساتين البقيعة حافلة باشجار المشمش والعنب والتين والتوت والسفرجل وتزكو في تربتها انواع الخضرة والبقول ولهم قطعان الماعز يُعنون بتربيتها الّا انها معرّضة لداء يسمّونهُ الفسوق وهي دودة صغيرة سوداء ضاربة الى الحمرة تعلق برأس العنزة او بحلقها فتلسعها فتدوخ لساعتها وتمتنع عن الرعي الى ان تموت بعد ثلاثة أيام وهذا الداء يظهر على ما قيل كلّ ثلث سنين فيفتك بالماعز من اواسط ايلول الى اوائل

كانون الاوّل وحتى الآن لم يجدوا لهذا الداء علاجاً الّا ان يسمى الراعي ويطهّر الحيوان من هذه الدودة القتّالة

وقد اسفنا لحالة الكاثوليك في هذه القرية اذ لا كنيسة لهم ولا كاهن يخدمهم وانّما يأتيهم من وقت الى آخر كاهن سحماتا لقضاء واجباتهم الدينيّة فيجتمعون للصلاة والتقدمة الذبيحة في احد بيوت الكاثوليك وهكذا فعلنا نحن . وقد قضينا بينهم أيّاماً فحرّضناهم على الثبات في ايمانهم على الرغم من المصاعب التي يلاقونها واغتنمنا تلك الفرصة لصبغ طفلين منهم بمياه المعموديّة ثمّ يمّمنا طرشيحا مع حضرة الاب ابرهيم

طرشيحا

هي قرية موقعها على رابية بديعة تعلو عن سطح البحر ٤٩٢ متراً ويبلغ عدد سكانها الالفين منهم زهاء ٣٠٠ ملكيين و ٥٠ ارثوذكسيًّا والباقون مسلمون . والنصارى يعيشون بمزاولة الصنائع ومن وجوههم فتح الله النحّاس وسليم بشارة وجرجس الحج ونجيب شاهين . امّا المسلمون فيتعاطون الفلاحة واعيانهم احمد اغا الحج قاسم ومحمّد الشيخ صالح وكامل افندي رئيس البلديّة ولهم ثلاثة جوامع شيّد عبدالله باشا اكبرها . امّا المسيحيّون فلهم كنيسة جديدة في جوارها مدرسة للاولاد وللخوري مسكن لائق مرتّب

وفي طرشيحا تقام في كلّ اسبوع سوق مشهورة تُعرف بسوق الثلثاء يتقاطر اليها اهل القرى للبيع والشراء تغنيهم عن الذهاب الى مدن الساحل

وقد تعزّى قلبنا بما وجدناهُ في اهل طرشيحا من النشاط لحضور عظات الرياضة التي القيناها في كنيستهم وكان حضرة خوري القرية يستنهض الهمم ويبعث النخوة في قلوب ابنائهِ ليأخذوا نصيبهم من نعمة هذه الرياضة فكان لصوتهِ صدى مؤثّر فلم يكد يتأخر منهم احد لاتمام الفرائض الفصحيّة وقبول الاسرار

معليا

هي قرية جميلة الموقع فوق تلّ عالٍ يُصعَد اليهِ بشبه المراقي والسطوح التي تزينها

ضروب المزدرعات ولاسيَّما التبغ والتين وهي لا تبعد عن طرشيحا الّا ميلَين وبين القريتين حوضٌ ترتوي منهُ المواشي طول السنة قلَّما تنشف مياههُ صيفاً وهو منقور في الصخر

سكَّان معليا كلهم من الروم الكاثوليك يبلغ عددهم ٥٢٠ وكان فيها سابقاً مسلمون كما تدلّ عليهِ بقايا جامع استولى عليهِ الخراب . ومن اعيان معليا آل لبوس وقسيس وشوفاتي وعسَّاف . وفيها مدرستان الواحدة للصبيان والاخرى للبنات تُعنى بتعليمهنّ وتهذيبهنّ راهبات قلبي يسوع ومريم منذ عهد مديد فترى تأثير هذه التربية في سائر اهل القرية

وليس لمعليا نبعٌ يشربون منهُ وانَّما شربهم من مياه الآبار فاذا نشفت استقوا من عين وادي القرن التي تبعد عن البلد مسافة ساعة

وفي قمة الاكمة المبنيَّة عليها معليا آثار قلعة شيَّدها الصليبيُّون ودعوها بالحصن الملكي ابتاعها الفرسان الالمان سنة ١٢٢٠ فاتَّخذوها كضرح دافعوا عنهُ دفاع الابطال وامَّنوا نواحيهُ من غارات العدوّ

وليس بعيداً من معليا آثار جليلة لقلعتين اخريين لعبتا في عهد الصليبيين دوراً مهمًّا نريد بهما قلعة القرين وقلعة جدين وقد سبق حضرة الخوري ابرهيم حزفوش فوصفها ونشر رسمها في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ١٠٣٨) فنُحيل القرّاء الى ما كتبهُ عنهما

وقد اسعدنا الحظّ الى اكتشاف اثر آخر جليل لم ينشرهُ قبلنا احد ألا وهي كتابة يونانيَّة راقية الى القرن السابع وجدت قبل سنتين في مزرعة زيتون اسمها خربة عليا قريباً من الحوض المذكور آنفاً الواقع بين معليا وطرشيحا وهذه الكتابة وقفنا عليها في بيت الياس جبران في معليا رآها عندهُ حاكم عكَّا الانكليزي فطمع بها وصرَّح برغبتهِ في نقل هذا الاثر ولعلَّهُ الآن نقلهُ الى متحف القدس . وقد انتهزنا الفرصة لمَّا رأيناهُ فنسخنا الكتابة بكل ما امكنَّا من الضبط ثمَّ عرضناها على احد اخوتنا الاثريين حضرة الاب رينه موترد فضبطها واتمَّ ما نقص منها وكشف القناع عن مضامينها وتاريخ كتابتها كما ترى

ΙΟΙΚΟΔΟΥΙΙ
ΓΟΘΕΤΗCΑΓΙΑCΜΑΙ·
CΕΑΕΗCΟΝΚSΑΝΑ
ΙΙCΟΥCΟΜΑΝΤΟΝΚΟΙ·
ΤΟΥΕΤΟΥCΕΞΧΧΡ
ΙΝΔSΓ·

ودونك الكتابة تامة وافية مع ايضاح الفاظها المختصرة

(†) Οἰκοδομ(ήθη) (ἐν Χ(ριστ)ῷ (?))
[τ]ὸ θε(μέλιον) τῆς ἁγίας Μα[ρίας]
ς(?) Ἐλέησον κ(αὶ) ἀνά [παυσ]
[ο]ν Σουσομᾶν(?) τὸν κοιμ[ήσαντα] (?)
τοῦ ἔτους εξ/, χρ(όνοις)
ἰνδ(ικτιῶνος)γ

واليك ترجمته :

+ عنية (معبد) القديسة مريم (؟) بُنيت (في المسيح ؟) — (يا رب) ارحمنا واعطِ الراحة (الدائمة) الى سوزوماس (؟) مواطننا — سنة ٦٦٥ على عهد يوستنيانوس (الدور) الثالث

فحوى هذه الكتابة تدشين معبد على اسم قديسة يبتدئ اسمها المشبوه بـ بحرف "ما" . فيحتمل ان تكون مارينا او مارسيا والارجح انها مريم العذراء . وذلك في سنة ٦٦٥ بمقتضى تاريخ مدينة صور الذي اوله ١٩ تشرين الاول من السنة ١٢٦ قبل المسيح فتوافق اذن سنة الكتابة السنة المسيحية ٥٣٩ والدور الثالث من عهد يوستنيانوس (١ . ومنه يلوح انّ الكتابة المذكورة راقية الى ايام يوستنيانوس اي القرن السادس للمسيح . وبها شاهد جديد على النهضة المادّية والادبيّة التي حصلت في جميع انحاء الشرق على عهد هذا الملك

أما اسم الذي اهتمّ بحفر هذه الكتابة وشيّد المعبد فليس تحقيقهُ سهلًا . فمن الممكن ان يقرأ ما ورد في هذا الاسم في السطرين الثالث والرابع على هذه الصورة ἀνά [παυσον] Σουσομᾶν وعليه يكون الاسم ارامياً شوشماس س وممناه الشمس

١) يراد بالدور (indiction) مدّةٌ تتألف من خمس عشرة سنة فالدور الثالث يوافق السنة ٤٥ من حساب يوستنيانوس

وليس بالمستغرب ان يُدعى بعض الناس باسماء نباتيَّة كشربل مثلاً ومعناهُ الشربين فانهُ اسم احد القديسين الشهداء.

ويجوز ان تقرأ الكتابة على صورة أُخرى هكذا ἀνά[πα]υσο[ν]Σωμᾶν فيكون الاسم Σωμᾶς اي سوماس عَلَماً مصريًا والمسمَّى بهِ ملقَّب في كتابتنا بساكن الناحية او المواطن (κωμέτης) نسبة الى κώμη البلدة. وهذا التفسير افضل من ردّ الكلمة الى (κόμ(ης) بمعنى الكونت (اطلب مجموعة كلّيَّة برنستون *Syria*-Princeton III, B, 1161)

وتُذكِّرُنا فاتحة كتابتنا ما ورد في صدر كتابة العمتين التي نُشرت في مجلّة الشرق المسيحي (Abel, *Oriens Christ.* V, 1905, 224 et CIL,XIII, 2267) حيث ورد ما حرفهُ :

Ἐπὶ Βλαρίου ἐπισκόπου [κατε]τέθη ὁ θεμέλιος τοῦ ἁγίου Μα(κα)ρίου

فانَّ في هذا النصّ كما في كتابتنا قد ضرب صفحاً عن ذكر المعبد فقال وُضِعَت عتبة القديس مكاريوس» بدلاً من «عتبة معبد القديس مكاريوس» كما جاء في كتابتنا «عَتَبة القديسة مريم» والمراد عتبة معبد القديسة مريم

*

فلنعد الى ذكر رحلتنا :

أقمنا في معليا ثمانية ايَّام خصصناها برياضةٍ روحيَّة كان ختامُها يوم احد الشعانين. وكنَّا في مساء السبت حضرنا تمثيل قيامة لعازر التي يلعب ادوارها فوجٌ من اولاد المدرسة فينتقلون من بيت الى آخر ويتغنَّون باناشيدها الشجيَّة ويشخصون كلّ تفاصيلها بنوع انيق فاذا انتهوا من تمثيلها وقام الميت بأمر المسيح صرخ زعيمهم: «الذي يحبُّ المسيح يقول كيرياليسون» فيهتف رفقتهُ جميعاً كيرياليسون ويُسرع صاحب البيت فينفحهم ببعض الالطاف. وهي عادة لطيفة يألفها ايضاً اولاد المدارس في لبنان

وقد سُررنا في معليا لِما رأينا في اهلها من الغيرة لامور خلاصهم وعلى ظنّنا انهُ لم يتأخر منهم احد عن تطهير نفسهِ وتقويتها بالاسرار المحيية. وقد حدث في اثناء هذه الرياضة ما كان عبرةً للجميع وذلك انَّ امرأة فاجرة كانت بينهم تُشكك الاهلين بسلوكها ولم تُصغِ الى مشورة العقلاء ولا الى انذار سيادة المطران والكهنة

الافاضل . وأما دعوها الى حضور مواعظ الرياضة أبت مزدرية بهذه الدعوة . ففي اليوم الثالث من الرياضة وجدها اهلها في بيتها في حالة النزاع مضرجة بدمائها وما لبثت ان فارقت الحياة دون اشارة تدل على توبتها قبل ان يحضر موتها احد الكهنة فانتشر الخبر في القرية انتشار البرق والكل يقولون : ماتت الشقية ونالت جزاء اعمالها . فدفنوها دفن البهائم ولم يُفتح لها باب الكنيسة . فكان لهذا الحادث وقع حسن في قلوب الجميع وشملهم خوف الله العادل المنتقم من الخطأة عاجلاً او آجلاً

وقد مات على خلاف ذلك موت الابرار احد اولاد المدارس بعد خروجنا من معليا . فهذا كان ذهب يوم عطلة الى التنزه مع احد رفاقه فأوقدا نارًا لتحميص فول يأكلانه فقال الرفيق : ما اشدّ حرارة هذه النار الآكلة . فاجابهُ الولد : وما هذه النار بالنسبة الى نار الهالكين ؟ . ثمّ صرخ هاتفاً : دَعْني يا ربّي اموت ولا ارى نار جهنم . فكأنّ الله سمع دعاءهُ فمات فجأةً تلك الليلة حافظاً في قلبهِ نعمة الرياضة وطهارة معموديّتهِ

البصّة

تركنا للبصّة خاتمة رياضاتنا فجعلنا نصيبها جمعة الآلام . والبصّة على مسافة ثلاث ساعات من معليا قطعناها على ظهر الجواد فمررنا على خربة العاش ورأينا من بعيد قلعة القرين السابق ذكرها . وكانت طريقنا تمرُّ أحياناً على آثار السكّة الرومانيّة القديمة التي نُقر بعضها في الصخور

عدد اهل البصّة نحو ١٤٠٠ معظمهم كاثوليك (٨٠٠) اوّجهُ عيالهم بيت جبران خليل وخليل اسعد وبشارة الخوري وامين عيسى وبشارة اندراوس وابرهيم واكيم . ثم المسلمون (٥٠٠) ثمّ الروم الاورثدكس والبروتستانت (١٠٠) . والغالب على اهل البصّة الفلاحة وبعض اعمال الصناعة . ومن مزروعاتهم التبغ

تتّصل البصّة بسواحل فلسطين وسوريّة فتأتيها السيّارات من حين الى آخر اذ تسير جارية بين رأس الناقورة وعكّا وهي لا تبعد الّا نصف الساعة من الطريق الواصلة بين سوريّة وفلسطين وتستند الى جبل الناقورة الفاصل بين دواتي الانتداب

وقد تيسّر لنا مدّة اقامتنا في البصّة النزول الى جوار البحر لنفتقد المعاقبين هناك

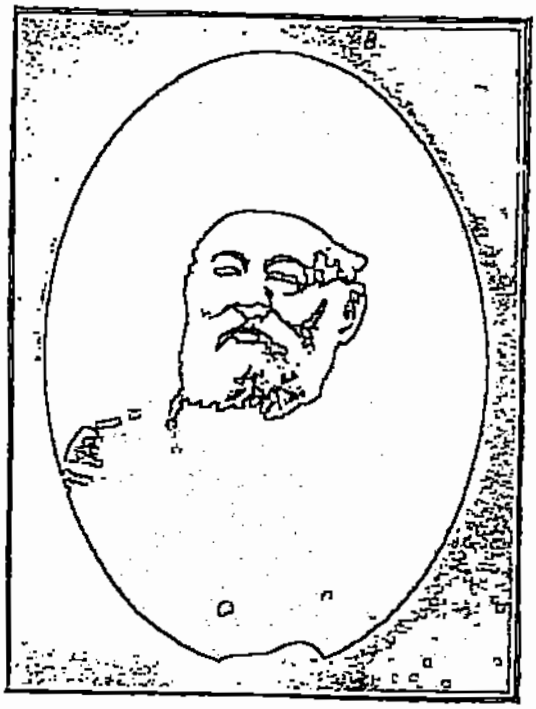

الاخ انطون عبدالله اليسوعي

نقيب الطباعة (١٨٥٣–١٩٢٣)

بالجبس فوجدنا عددهم نحو المئتين ليس بينهم الّا افراد من المسيحيين وهؤلاء المجرمون يخفرهم رجال الشرط ليلًا مع نهار ويرمون بالرصاص من حاول منهم الفرار بعد انذاره كما فعلوا آخرًا بواحد منهم فوقع قتيلًا واصاب قاتلهُ مكافأةً عن فعلهِ . والحكومة تعتني بمسجونيها فتقدّم لهم الاكل واللبس اللائقين وتفرض عليهم اشغالًا تنتفع منها البلاد وتقيهم عثرات البطالة وهم اليوم يشتغلون بفتح السكّة بين رأس الناقورة وفلسطين وسوف ينتهون منها بعد ستّة اشهر كما افادنا مدير السجن وهو انكليزي كاثوليكي

ختمنا هذه الرياضة صباح يوم عيد القيامة فما تبلّج فجرهُ حتى توارد القوم الى الكنيسة وباشروا مع كهنتهم الطقس المدعوّ عندهم بالهجمة يمثّلون بهِ نزول المسيح الى اليمبوس ثمّ يتبعهُ القداس الاحتفالي الصادع بقيامة ابن الله . فعاينّا الجمهور الغفير من المؤمنين يتقرّبون من مائدة الخلاص فتأكّدنا انّ اتعابنا لم تذهب سدًى ثمّ ختمنا تلك الحفلة الشائقة بمنح البركة الرسوليّة والغفران الكامل لهذا الشعب المطبوع على السذاجة والتقى

وفي ضحى النهار نزلنا الى عكا لمواجهة سيادة المطران راعي الابرشيّة فسرنا في سهول واسعة يظلّلها شجر الزيتون . البحر عن يميننا وعن شمالنا القناة التي بناها الجزّار . وكم خطر على ذهننا ما وقع في تلك السهول من الحروب منذ عهد المصريين والبابليين ثمّ في زمن الصليبيين الى زمن نابوليون بونابرت . كان دخولنا الى عكّا على الطريق اللاحبة التي تقطع السور وما لبثنا ان حظينا ببركة صاحب السيادة المطران غريغوريوس حجّار وبسطنا لديهِ نتيجة سياحتنا الرسوليّة فتنازل وابدى عن سموّ رضاه شاكرًا للرب عمّا نالهُ ابناؤهُ من وسائل الخلاص وغزير النعم

وبعد قليل حان الوقت للاحتفال برتبة هذا النهار السعيد اعني رتبة الباعوث فتمّت بكل رونق وورع مع النظام التامّ وسُررنا خصوصًا لاستماع انجيل الفصح بلغات مختلفة كمألوف عادتهم . وكنيسة عكّا من اجمل كنائس الروم الكاثوليك لها الايقونستاس البهيّ المزدان بالصور الجميلة الموشّاة بالذهب وارضها مفروشة بالرخام ومقاعدها من الخشب المزخرف

امّا تاريخها فيرتقي الى زمن ظاهر العمر وكان هذا الامير قد اتّخذ لهُ كاخيةً

ابراهيم الصبّاغ الرجل الوجيه الشهير فحظي عند الامير حتى صار من اخصّ اصحابهِ فالتمس منهُ الرخصة لبناء هذه الكنيسة فاجاب الى طلبهِ فتشيّدت على احسن هندام ثمّ توسّعت وتزيّنت بتوالي الايام حتى اصبحت من ابدع كنائس الطائفة

امّا مدينة عكّا فلا تمتاز عن سواها من مدن السواحل اللهمّ الّا بسورها الضخم الذي يكتنفها ولا زالت المدافع القديمة التي هناك تشهد على ما رأتهُ هذه الصخور من المعارك الدمويّة بين الشرق والغرب. ثمّ علمنا بعد رجوعنا ان السلطة العسكريّة البريطانيّة في فلسطين تصرّفت بهذه المدافع فباعتها كحديد بالمزاد العلني فبيع الطن بثمن ١٩٠ غرشاً صحيحاً وبلغت زنتها الف طنّ فاشتراها تجار اليهود في حيفا

وفي صباح ثاني عيد القيامة في ٢ نيسان قدّمنا باكراً الذبيحة الالهيّة وتزوّدنا بركة السيّد رئيس اساقفة عكّا وقفلنا راجعين الى بيروت شاكرين لهُ تعالى عمّا أتاح لنا في هذه السياحة الرسوليّة من النعم السابغة لمجد اسمهِ وخير النفوس

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف القاف

٦٣٦ ﴿قدامة بن جعفر﴾ ابو الفرج الكاتب البغدادي كان نصرانيًّا ثم اسلم توفي سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢م) . ١ً وجدنا لهُ في مكتبة الموارنة في حلب كتاب قنعة الاديب في تفسير الغريب . ٢ً وفي مكتبة الاسكوريال في مدريد (ع ٢٤٢) نسخة من كتابهِ نقد النثر المعروف بكتاب البيان . وقد نُشر لهُ في الاستانة كتاب نقد الشعر سنة ١٣٠١ . ومن كتبهِ المفقودة كتاب الخراج

٦٣٧ ﴿القدسي﴾ هو غريغوريوس نعمه مطران دمشق السرياني الكاثوليكي

المتوفّى سنة ١٧٤٠ (اطلب ترجمتهُ في السلاسل التاريخيّة للفيكنت فيليب طرّازي ص ٢٧١) . لهُ كتاب «شرح الاجرومية للملّة النصرانيّة» . منهُ نسخة بخط المؤلف في دير الشرفة ونسخة ثانية في مكتبة المطرانيّة السريانيّة في حلب ثمّ في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها سنة (١٧٤) وفي دير المخلّص منهُ على ما قيل خمس نسخ تاريخ الواحدة سنة ١٧٣١ بخطّ السيّد اكليمنضوس الحلبي مطران صيدنايا

٦٣٨ ﴿قراعلي﴾ ويقال ايضاً قرا ألي هو مطران بيروت عبدالله بن ميخائيل الماروني الحلبيّ المتوفّى سنة ١٧٤٢ (اطلب ترجمتهُ للقس توما اللبودي التي نشرها المرحوم الاب انطون رباط في المشرق ١٠ [١٩٠٧] : ٦٢٥ الخ) . من آثاره المخطوطة : ١ً كتاب المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني . منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع٤٤٩) . ٢ً لهُ في كتاب الجدال بين عبدالله زاخر والاب بطرس فروماج اليسوعيّ «ردّ سيادة المطران عبدالله قرا علي الماروني على دحض احتجاج عبدالله زاخر على رسالة البادري بطرس فروماج» . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٣ً ذكر لهُ المنسنيور جرجس منش في لائحة المطران جبرائيل حوشب «كتاب الشريعة» (اطلب الرسالة المصوّرة عدد ٢٧ ايلول ١٩٢٢) . ٤ً لهُ في دير حراش (المشرق ٧ : ٣١٨) وفي بكفيّا «كتاب رتب وطقوس مارونيّة ومدائح وطلبات» يقال في بعض صفحاتها انها «ترجمة المثلّث الرحمة المطران عبدالله الحلبيّ» والباقي «ترجمة او تأليف الحقير القس الياس الشدياق ابن اخي السيّد الجليل المطران فيلبّس وتلميذه سنة ١٧٤٧» . ٥ً وجدنا في بعض المخطوطات عند الخواجا جاماتي في عينطورا مجموعاً تاريخهُ سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١) مقالةً عنوانها «صورة التريض تأليف الاب القديس الكلي الشرف والاحترام عبدالله بن ميخائيل قراعلي الماروني الحلبيّ اسقف بيروت سنة ١٧٣٠» .

٦٣٩ ﴿القرطبي﴾ اسحاق بن بلشاق (بلشك) (Isaac Velasquez de Cordoue) . عرّب عن اللاتينيّة الاناجيل الاربعة سنة ٧٤٦ (١٣٤٥ م) منهُ نسخة في مكتبة مونيخ (Ms. de Munich, n° 234) اطلب ايضاً كتاب الدكتور غراف Dr G. Graf : *Die christ.-arab. Literatur*, p. 27 تاريخ النسخة سنة ١١٤٥هـ (١٧٣٢م)

٦٤٠ ﴿قرياقوس النسطوريّ﴾ عاش في اواسط القرن العاشر للميلاد لهُ بين مخطوطات الفاتيكان العربيَّة (ع ٩٢و١١٥) «ردّ على يحيى بن عديّ اليعقوبي في التجسُّد وطبيعتي المسيح» يرتقي تاريخهُ الى القرن الخامس عشر

٦٤١ ﴿قرياقوس الانطاكي﴾ هو البطريرك اليعقوبيّ المتوفَّى في الموصل في ١٦ آب ٨١٧ (اطلب مقالة حضرة القس اسحاق ارملة في بطاركة انطاكية في الصفحة ٥٠٥). ذكر لهُ هناك تصحيح القدَّاس وقوانين وميامر ورسائل . ولهُ في مكتبة اليعاقبة في القدس على رقّ غزال قديم كتاب مواعظ

٦٤٢ ﴿قرياقوس اسقف البهنسا﴾ عاش في القرن الخامس عشر . لهُ في مكتبة باريس ميامر متفرّقة في مديح العذراء مريم (ع ١٣٢) وفي قيامة السيّد المسيح (ع١٥٢) وهرب العائلة المقدسة الى مصر (ع١٥٣ و ١٥٥) وفي مديح الشهيد بقطور (ع ٢١٢)

٦٤٣ ﴿قُسطا بن لوقا﴾ هو الفيلسوف النصرانيّ المولود في بعلبك المتوفَّى في ارمينية نحو السنة ٣١١هـ(٩٢٣م) لهُ عدَّة تصانيف وتعريبات من اليونانيَّة الى العربيَّة عدَّدها ابن النديم في الفهرست (ص٢٩٥) وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ٢٤٤) وجمال الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء (ص٢٦٢). ومما يُعرف لهُ اليوم: ١ً مجموعة طبيَّة وجدناها في مكتبة بغداد العموميَّة تحتوي لقسطا على ٧٠ مقالة في البلغم والدم والمرار الاصفر واخلاط البدن والمرار الاسود والمروخات . ٢ً رسالة في الفرق بين النفس والروح منها نسخ مختلفة في مكتبة الفاتيكان (ع ٢٦٩) وفي المكتبة الخالديَّة في القدس الشريف وعنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الارشمندريت الياس بطارخ نشرناها في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٩٤–١٠٩) . ٣ً جواب على ابي عيسى بن المنجّم عن رسالتهِ في نبوَّة محمَّد (Steinschneider, *Polemische Literatur*, n° 61) منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة بعد رسالة مخطوطة لعبد المسيح الكندي جواباً على الهاشمي . ٤ً رسالة في اختلاف الناس في سيرهم . منها نسخة في مكتبة برلين (Ahlwardt, V. 5387) . ٥ً تعريبهُ لكتاب ايرن في رفع الاشياء الثقيلة عرَّبهُ للخليفة المعتصم . منهُ نسخة في مكتبة ليدن نشرها البارون كارا دي ڤو في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (G. A., 1893[1])

(386-472 etc) . ٦ ولهُ تعريب عدَّة رسائل يونانيَّة منها رسالة في الأيام والليالي والساكن. منها نسخة في مكتبة برلين (Berlin, 5648-9) ورسالة في المساكن . ورسالة في الأكر لثاودوسيوس (Br. Mus,. 1346) وقد طُبعتا على الحجر في الهند. ورسالة في العمل بالكرة الفلكيَّة (ibid., n° 415) . ومنها نسخة في بيت الشماس شكري أيُّوب الحلبيّ تاريخها سنة ١١٦٨ ﻫ (١٧٥٤م) . ورسائل في تدبير الابدان في السفر وفي تدبير سفر الحجّ وفي علل الثَّمر (ibid., n° 415) . ولهُ يُنسب تعريب كتاب الفلاحة الروميَّة . منهُ نسخة في مكتبة جرجس بك صفا تاريخها سنة ٦٩٤ ﻫ (١٢٩٥م) وهذا الكتاب يُنسب ايضاً لقسطوس بن اسكور (كذا) ويقال في نسختهِ الطبعيَّة انهُ ترجمة سرجس بن هلبا الرومي (اطلب Becker, *der Islam* V. 174-479) اطلب ايضاً ما قلناهُ في ذلك في المشرق ١٤[١٩١١]: ١٦)

٦٤٤ ﴿قسطنطين الطرابلسي﴾ الراهب الباسيلي الحنَّاوي وكيل رهبانيَّتهِ لدى الكرسي الرسوليّ توفي في اواخر القرن الثامن عشر . لهُ في حلب في مدرسة الروم الكاثوليك نسخة مخطوطة جمع فيها تاريخ دير رومية نافجلّا (Navicella) الذي منحهُ الكرسيّ الرسولي رهبان مار يوحنَّا الشوير وهذا التاريخ يبتدئ في السنة ١٧٢٩ وينتهي سنة ١٧٧٣ ذكر فيهِ اخباراً مفيدة عن الشرقيين ولاسيَّما عن الرهبان اخوتهِ المسافرين الى رومية وفي بعض احكامهِ عن اليسوعيين نظر

٦٤٥ ﴿قطَّا﴾ القس يوحنَّا الدمشقي. نجهل تاريخهُ. وجدنا لهُ في مكتبة الثلثة الاقمار (ع ٣٧٥) تعريب تفسير قدَّاس يوحنَّا فم الذهب على طريقة السؤال والجواب

٦٤٦ ﴿قطَّان﴾ المقدسي سليمان من كتبة القرن الثامن عشر وتلميذ الشماس عبدالله زاخر. لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة ردّ على بعض الروم المعترضين على انبثاق الروح القدس من الآب والابن كتبهُ سنة ١٧٥٩ . وهذه النسخة جميلة كان اهداها ليوسف ابن المقدسي عبدالله الكاتب الحمصيّ . ويُذكر لهُ هناك (ص ٧٩) تأليف آخر ردّ فيهِ على الياس فخر

٦٤٧ ﴿قندلفت﴾ السيّد ثاوفيلس انطون اسقف طرابلس السرياني المتوفَّى في ٥ آب سنة ١٨٩٨ (اطلب ترجمتهُ في السلاسل التاريخيَّة ص ٣٧٥–٣٧٩) . لهُ عدَّة آثار دينيَّة وادبيَّة نُشر معظمها بالطبع اخصُّها القلادة الدريَّة في شرح الوصايا

الالهيَّة وعقود الجمان في شرح قانون الايمان والقيثارة الشجيَّة في التسابيح الالهيَّة ورواية الذميم والذميمة وحلّ مشاكل في الزواج عند الشرقيين . ومما لم يُنشر بالطبع كتاب عنوانهُ «الذكرى لمن اعتبر» ضمَّنهُ حكماً انتقاديَّة ومواعظ ادبيَّة نظماً ونثراً

٦٤٨ ﴿ قيَّالة ﴾ الخوري انطون البيروتي عاش في اواخر القرن الثامن عشر وجدنا لهُ في دير طاميش وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٦٨) نسخة من كتابهِ المعنون . «شرف الملَّة المارونيَّة» كتبهُ سنة ١٧٧٠ وقد نشر المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني هذا الاثر في مجموعهِ المعروف بكتاب المحاماة عن الموارنة وقدّيسيهم (ص ١—١٠٣)

حرف الكاف

٦٤٩ ﴿ الكاتب ﴾ هو الخوري المخلصي سابا بن نيقولا الكاتب المتوفَّى سنة ١٨٢٧ . ألَّف : ١ً كتاباً في اللاهوت . منهُ نسخة كانت في مكتبة جبران دلَّال في حلب تاريخها سنة ١٨٢٦ ومنهُ قسم في مكتبتنا الشرقيَّة . ٢ً لهُ في مكتبة الصلاحيَّة للآباء البيض في القدس ترجمة كتاب البندكتي دون كلمت في تفسير انجيل مار يوحنَّا في السنة ١٨٢٦ ايضاً (Or. Chr., 1914, p. 89) . ٣ً لهُ في مكتبة دير الشير الرهبان الروم الحلبيين كتاب الغصن الوريف في معنى القداس الشريف . ٤ً وقد طُبع لهُ في بيروت سنة ١٨٧٩ كتابهُ الرسائل الجليَّة في البراهين على اخصّ العقائد المسيحيَّة مع بعض رسائل ومصنَّفات للمؤلف عينهِ

٦٥٠ ﴿ كاساريوس ﴾ هو القديس كاساريوس شقيق القديس غريغوريوس النزينزي توفي سنة ٣٦٨م . عرَّب لهُ عبدالله بن الفضل الانطاكي من اليونانيَّة مئة مسئلة من المسائل الروحانيَّة والادبيَّة (اطلب مجموعة آباء اليونان لمين ٣٥ج ص ٨٥١—٩٦٦) منها نسخة في مكتبة اوكسفرد (Nicoll, *Bibl. Bodl.* n° 22) في جملة كتاب بهجة المؤمن (المشرق ٩ [١٩٠٧] : ٩٤٤)

٦٥١ ﴿ كاسيانوس ﴾ هو يوحنَّا المتنسك الروماني المتوفَّى سنة ٤٣٣ م . لهُ رسالة الى كستر (؟) رئيس احد اديرة بلاد الغرب يبين فيها ترتيب الرهبان الذين كانوا في اديرة مصر . منهُ نسخة عند حضرة القس يوسف حبيقة ونسخة ثانية في بيت

الاديب ميشال افندي الحانك في بيت شباب

٦٥٢ ﴿كانيس﴾ هو الاب فرنسسكو المرسل الفرنسيسي في دمشق المتوفى سنة ١٧١٥ . ألّف : ١ً كتاب مواعظ مخطوطة بيعت منهُ نسخةٌ تاريخها ١٧٦٥ في لندن سنة ١٩١٣ (Luzac: *Cat. of. Or. Mss*, 1913, n° 29) . ٢ً لهُ في مدريد كتاب ترجمان اسبانيولي وعربي (Robles: *Cat. de Madrid*, n° *166*) ولهُ ايضاً . ٤ً معجم كبير وغراماطيق عربي لاتيني طُبع (*Cfr*: Schnurrer)

٦٥٣ ﴿كباسوطيوس﴾ هو الكاهن يوحنّا اللاهوتي الفرنساوي (Cabassut) (١٦٠٤–١٦٨٥) . مرَّ في تعداد تآليف جرمانوس آدم (ع١) انهُ عرَّب لكباسوطيوس كتابهُ المعروف بمختصر المجامع الى المجمع التريدنتيني سنة ١٧٨٠ . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الروم الكاثوليك في بعلبك وفي مكتبة الوجيه ميشال افندي الخوري في حلب

٦٥٤ ﴿كبريانوس﴾ هو الفيلسوف القديس الشهير اسقف قرطجنَّة المتوفى سنة ٢٥٨ م شهيداً عرَّب الخوري قسطنطين الباشا كتابهُ افضل اللذَّات في العفَّة وطبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٩٨

٦٥٥ ﴿كرامه﴾ هو المطران الرومي الملكي ارميا مطران القلَّاية البطريركيَّة في دمشق المتوفَّى سنة ١٧٩٥ . من مخطوطاته كتاب تعريب مقالات القديس اغوسطينوس منها قسم كبير في مكتبتنا الشرقيَّة . وفيها ايضاً حلُّهُ لبعض المشاكل الانجيليَّة ودفاعهُ عن بتوليَّة القديس يوسف (اطلب مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين ص ٦٤)

٦٥٦ ﴿كرامه﴾ القس روفائيل الحصي . لهُ تاريخ باللغة العاميَّة ضمَّنهُ حوادث لبنان وسوريَّة من السنة ١٧٤١ الى ١٧٩٠ . ولعلَّهُ هو التاريخ الذي نسبهُ غلطاً الشيخ طنوس الشدياق الى بطرس كرامه (اطلب النعمة ١ : ٢٤٤) منهُ نسخة في مكتبة باريس تحت العدد ١٦٨٤ من مخطوطاتها واسمهُ هناك تاريخ بني الشهاب المسمَّى نزهة الزمان في حوادث جبل لبنان

٦٥٧ ﴿كربس﴾ اغناطيوس مطران حلب . كذا ورد في كتابين مخطوطين الواحد في المكتبة الاسقفيَّة للروم الاورثذكس في حلب تاريخهُ سنة ١٧٩٥ يحتوي

سيرة القديس انطونيوس ابي الرهبان المعرَّبة عن القديس اثناسيوس (النعمة ١ : ٣٦٦) . والآخر كتاب البحث الراهن في فحص الكاهن في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت ومكتبة الشماس نقولا أيوب في حلب . وانما اسم كريس هو صورة اخرى لاسم جريرع فالمرادُ اذن اغناطيوس جريرع مطران حلب الذي ذكرناهُ في باب الجيم في العدد ٢٨٨ المتوفَّى سنة ١٧٧٦

٦٥٨ ﴿كرم﴾ الخوري موسى البسكنتاوي . المتوفَّى سنة ١٨٩٨ يُعرف له كتاب حوادث تاريخيَّة سمَّاهُ : اللطفيَّة الكرميَّة الى سامي مقام الخلافة العثمانيَّة نقل عنهُ صاحب تاريخ بطل لبنان (ص ٨١) راجع ايضاً مجلَّة النعمة (١ : ٢٨٠)

← كرنوك ← اطلب طيموثاوس حيلي بن ضعني اسقف ماردين (العدد ٥٩٨)

٦٥٩ ﴿كروازيت﴾ الاب يوحنَّا اليسوعي (J. C. roiset) المتوفَّى في ٣٠ ك ١ سنة ١٧٣٨ . ألَّف كتاب سيرة القديسين لكلّ ايَّام السنة محسَّناً لتأليف الاب بطرس ريبادنيرا . وقد عرَّبهُ الاب بطرس فرومـاج . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة من القرن الثامن عشر . كل نسخة في عدَّة مجلَّدات عنوانهُ هناك الدرّ الثمين في سيرة الابرار القديسين . وهو الكتاب الذي أُصلح بعد ذلك وطُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة تحت عنوان مروج الاخيار في تراجم الابرار

٦٦٠ ﴿كانتوبولس﴾ نيقيفور الروميّ من كتبة القرن الرابع عشر ألَّف سنكسارًا لكل السنة منهُ نسخة عربيَّة في مكتبة القبر المقدَّس في القدس في مجلَّدين تاريخها سنة ١٦٤٥ و ١٦٤٦ لا يذكر اسم معرِّبها

٦٦١ ﴿كتَّاب﴾ المعلّم سليم بن الياس المتوفَّى في ١ شباط سنة ١٩٠٧ . نشر في المطبعة الاميركيَّة عدَّة تآليف كالدرَّة الفريدة في الدروس المفيدة . وقلادة النحر في غرائب البرّ والبحر . والكنوز الابريزيَّة . ولهُ معرَّبات كمنهج الصواب في مبادئ الآداب والغنائم بالغرائم . وقد ابقى من المخطوطات كتاباً في الاقتصاد المنزلي ورحلة الى بلاد الانكليز وبعض المذكَّرات والقصائد

٦٦٢ ﴿كاشيه﴾ الاب جيروم اليسوعي المرسل الى المغول المتوفَّى سنة ١٦١٧ . صنَّف كتاباً في ايضاح العقائد المسيحيَّة دعاهُ المرآة المُرينة للحقّ . ولهُ في الفارسيَّة غير ذلك كترجمة الاناجيل ومنها نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وسيرة السيّد

المسيح ومذكرات عن بلاد العجم

٦٦٣ ﴿كسار القبرسي﴾ هو احد تلامذة المدرسة المارونيّة ويُعرف ايضاً بكسار الغريب باشر درس العلوم الكهنوتيّة في السنة ١٥٧٩ في امّ المدائن ثمّ عاد الى وطنه ولا تُعرف سنة وفاته. يوجد في المكتبة الفاتيكانية بالكرشوني نسخة من كتابهِ في اسرار الكنيسة السبعة (Assemani, B.O., I, 630)

٦٦٤ ﴿الكفري﴾ القس نعمة الله المتوفّى سنة ١٩١٢. في مكتبتنا الشرقيّة ثلث نسخ خطّية من كتابهِ "مورد التحقيق في اصول القراماطيق" (عربي سرياني)

٦٦٥ ﴿كَلْمِت﴾ هو البندكتي الشهير دون كلمت (Don Calmet) المتوفى سنة ١٧٥٧ نقل الخوري سابا كاتب المخلصي تفسيره لانجيل مار يوحنّا منهُ نسخة في مدرسة الصلاحيّة (Or. Chr., 1914, p. 89)

٦٦٦ ﴿كلاويوس﴾ الاب كرستوفور الفلكي اليسوعي (Christ. Clavius) المتوفّى سنة ١٦١٢. لهُ في مكتبة لندن (Br. Mus., no 975) شروح على مقالات اوقليدس. عرّبها من اللاتينيّة رستم بك الحارثي البدخشي

٦٦٧ ﴿الكلسي﴾ الشمّاس صفرونيوس من اهل القرن الثامن عشر نقل من اليونانيّة الى العربيّة في القدس الشريف كتاباً في الطهر سنة ١٧٤٠ (Tornberg: *Mss. d'Upsala*, p. 312)

٦٦٨ ﴿كلوديوس﴾ هو الاب سيكار (Cl. Sicard) المرسل اليسوعيّ في حلب ومصر المتوفّى في القاهرة في ١٢ نيسان ١٧٢٦ في خدمة المطرونين. لهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة جميلة من كتابهِ "برهان هندسي في سلطان الكنيسة الرومانيّة للبادري كلوديوس اليسوعي الّفهُ سنة ١٧٠٩". ولهذا الاب تآليف جليلة في مصر وآثارها القديمة طُبع منها قسم

٦٦٩ ﴿كلوديوس﴾ هو يوحنا فيرتريو اسقف بواتيه (Jean Claude de Vertrieu) المتوفّى سنة ١٧٣٢ الّف كتاباً في اللاهوت النظري عرّبهُ الراهب الانطوني القسّ يعقوب اروطين تحت العنوان مختصر علم اللاهوت وهو عدّة مجلّدات. منهُ في مكتبتنا نسختان في بضعة عشرة مجلّدات ضخمة كُتبت في اواخر القرن الثامن عشر وفي مدرسة الآباء البيض في الصلاحية (Or. Chr. 1912², p.

(312, n°s 57-58) . وكذلك منهُ نسخة في دير الشرفة وفي بيت الشماس شكري أيوب وفي بعض اديرة لبنان

٦٧٠ ﴿ كليسون ﴾ الاب اغناطيوس رناطوس او رينه اليسوعي (P. René Clisson) المرسل اليسوعيّ في سوريّة المتوفّى سنة ١٦٩٢ . لهُ تآليف عديدة لم يسلم منها سوى الكتب الآتية : ١ً كتاب «ميامر تشتمل على بيان اسرار حياة سيدنا يسوع المسيح وموته وقيامتهِ للبادره اغناطيوس كليسون اليسوعي جمعهُ من الكتب الروحانيّة واقوال الآباء» منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٦٧) . ٢ً كتاب ميامر في اسرار ديانتنا وامانتنا الخصوصيّة منهُ نسخة في بكفيّا . ٣ً كتاب دلائل الايمان الحقيقي في خمس مقالات منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة دير طاميش . ٤ً الكتاب المفيد لاكتساب النعيم والنجاة من دركات الجحيم في عواقب الانسان . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الموارنة (ع ٣١٠) وفي مكتبة الاديب نقولا أيوب في حلب وفي مكتبة بالرمة (ع ٣٤) . ٥ً كتاب طريق الخلاص في رياضات مار اغناطيوس . منهُ نسخة في مكتبة بالرمة (Palerme, Mss. ar., n° 35) وفي مكتبة الموارنة في حلب . وفي مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة تحت هذا العنوان «كتاب الرياضة على الصلاة الروحانية العقليّة» . ٦ً كتاب الدينونة العامّة في سبعة فصول من تاريخ القرن السابع عشر . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٧ً كتاب الدرر المنضودة في الاصداف في علم النيّة وطريقة الاعتراف . منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة الصلاحيّة (Or. Cht. 1914², p. 113) وفي مكتبة الشرفة وفي مكتبة دير المخلّص ثم في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت . وفي مكتبتنا منهُ نسختان . ٨ً تأملات لكل ايام الشهر منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٩ً فصول وجيزة وتأملات من اقوال الانجيل في السيرة الروحيّة . ١٠ً كتاب في الاسرار المقدّسة وفي ماهيّة السرّ ومفعوله وفي السيونيّا والخطايا الروسيّة (Or. Chr. 1914, p. 113) . ١١ً كتاب تأملات روحيّة في اسرار الورديّة في مكتبة الموارنة في حلب . ١٢ً كتاب بيان شرف العذراء مريم في مجلّدين كتبهُ سنة ١٦٥٢ في مجلّدين وست مقالات ونحو ٤٠ فصلًا . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . وفي مكتبة سيادة المطران ميخائيل الخرس . وفي مكتبة الموارنة في حلب

(٣نسخ) . ١٣ً ثماني عظات عن حياة العذراء مريم لغويدو مطران وانسا . عرّبها الاب كليسون . منها نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . كُتبت الواحدة في القرن السابع عشر . ١٤ً مقالة في بيان الطهارة الواجبة على كلّ من احبّ ان يكون من حزب المسيح . منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة

٦٧١ ﴿الكندي﴾ عبد المسيح بن اسحاق الذي عاش في القرن التاسع للمسيح لهُ الرسالة المجيدة التي وجّهها الى عبد الله بن اسمعيل الهاشمي جواباً على ما عرضهُ عليهِ من التديُّن بالاسلام . منها نسختان في مكتبة باريس (Mss, 204 et 205) . ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ونسخة في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب وفي مكتبة الثلثة الاقمار في بيروت (ع ١٥) وفي بيت شباب عند ميشال افندي الحائك

٦٧٢ ﴿كنعان﴾ الاخ الياس المارونيّ اليسوعي المتوفّى في ١٠ آب ١٨٨٩ لهُ في مكتبتنا الشرقيّة عدّة مخطوطات من تأليفهِ او نقلهِ . منها : ١ً تأملات لكلّ يوم من أيام السنة . ٢ً كتاب الشهر المريمي اعتبارات عن فضائل العذراء مريم . ٣ً كتاب منارة البائسين في عبادة ملجأ القديسين في ثلثة اقسام ونحو ٧٠٠ صفحة . تاريخهُ سنة ١٨٦٩—١٨٧٠ . ٤ً خلاصة اعمال المطبعة الكاثوليكيّة لمدّة نحو عشر سنوات ١٨٧٥—١٨٨٥ وضمّنها متفرّقات عن الرسالة اليسوعيّة

٦٧٣ ﴿كوبلي﴾ هو السيد ابراهيم كوبلي مطران الارمن على حلب المتوفّى شهيد محبّتهِ في ٢٥ تموز سنة ١٨٢٢ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٤٥٩—٤٦١) . لهُ في مكتبة الارمن ومكتبة المرحوم الورتبيت بولس بليط : ١ً تعريب كتاب في الحقّ القانوني . ٢ً تعريب كتاب الصعود الى جبل الكرمل للقديس يوحنّا الصليبيّ . ٣ً كتاب في محبّة المؤمن لطائفتهِ

٦٧٤ ﴿كوبيه﴾ الاب فكتور دي كوبيه اليسوعيّ المتوفّى سنة ١٩٠٤ . ألّف كتباً نفيسة عرّبها لهُ تحت نظرهِ الاستاذان خليل افندي البدوي والمرحوم رشيد الشرتوني منها : ١ً كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين طُبع سنة ١٨٩١ . ٢ً كشف المكتوم في تاريخ آخري سلاطين الروم (١٨٩٠) . ٣ً ريحانة الاذهان في ترجمة القديسين لويس غنزاغا واستانسلاوس كوستكا (١٨٨٥) . ٤ً الزنبقة البهيّة في سيرة مؤسس الرهبنة اليسوعيّة . ٥ً نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنّا فم الذهب .

٦ ونقل الى الفرنسويّة ديوان الحنا . ولهُ عدّة مقالات في مجلّة الكنيسة الكاثوليكيّة وروايات تشخيصيّة غاية في الاتقان

٦٧٥ ﴿كوترله﴾ الاب فرنسيس اليسوعي رئيس رسالتنا في سوريّة (P. F. Gautrelet) المتوفّى سنة ١٨٨٦ . ألّف في سنة المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٦٩ كتابهُ كنيسة الروم الشرقيّة بازاء المجمع المسكوني الفاتيكاني فنشرهُ طبعاً

٦٧٦ ﴿كوتشيطوف﴾ الكاهن الروسي . لهُ كتاب لاهوت ادبي طُبع في القدس في اثر كتاب خلاص الخطأة لاغابيوس الراهب سنة ١٨٥٨ (ص ٢١٥—٢٤٢)

٦٧٧ ﴿كوتل﴾ الاب بطرس اليسوعي المتوفّى سنة ١٨٨٤ . عرّب لهُ الاب لويس ابوجي كتابهُ المعنون « التحفة السنيّة في ايضاح النذور الرهبانية » طُبع سنة ١٨٧٥ (لها بقيّة)

وصايا افلاطون لارسطو وارسطو للاسكندر

عن كتاب جاويذان خرد تعريب ابن مسكويه

مقدمة

سبق لنا في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٩٧٣) وصف كتاب قديم للفرس يُعرف بجاويذان خرد اي الحكمة الابديّة نقلهُ ابن مسكويه الى العربيّة منهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة منقولة عن نسخة المكتبة الفاتيكانيّة وقد نشرنا منهُ عدّة فصول في هذه المجلّة . وتروى في هذا المجموع الفريد مقالات مستجادة وحكم ووصايا تستحقّ الذكر لم تُنشر حتى الآن . فمن ذلك اثران للفيلسوفين الكبيرين افلاطون وارسطو اعني وصيّة افلاطون الى تلميذهِ ارسطو ووصيّة ارسطو الى تلميذهِ الاسكندر وهما غير الاثرين اللذين نشرناهما سابقاً . امّا صحّة نسبة هاتين الملحتين الى افلاطون وارسطو فلا نقطع بها اذ ليس لها ذكر في اعمال الفيلسوفين اليونانيّة وانّما هما منسوجان على طريقتهما الفلسفيّة فان لم يكونا لهما فهما للمنتسبين اليهما ل . ش

وصيّة افلاطون لتلميذهِ ارسطو بواسطة رسولهِ

(ص 129v) إعرفْ ربّك وحقّهُ وأدِمْ عنايتك بالعلم والتعليم . أكثِرْ عنايتك

بغذائك يوماً بيوم اي لا تدّخر. لا يُمتحَن الاديب بكثرة العلم بل بان يُوجَد مُعرًّى من الشرّ. لا تسأل الله ما لا يدوم لك نفعهُ فانَّ المواهب كأنها منهُ فلذلك يجب ان تسألهُ النعمة الباقية معك ابدًا

كن متيقّظًا فانَّ علل الشرور كثيرة. ما لا ينبغي ان تفعلهُ فلا تهوَهُ. انَّ الله تعالى لا ينتقم من العبد للسخط عليهِ بل لتقويمهِ. لا ينبغي ان تهوى حياةً صالحة فقط بل موتاً صالحاً. ولا تعتدّ الحياة والموت صالحَين الّا ان تكسب بهما البرّ

لا تنم حتّى تحاسب نفسك على ثلاثة: هل اخطأتَ في يومك. وما اكتسبتَ فيه (٤٣٥) . وما كان ينبغي ان تعملهُ من البرّ فقصّرتَ فيهِ. تذكّر ما كنتَ واين مصيرُك ولا تؤذِ احدًا فانَّ امور عالمنا متغيّرة زائلة. فانَّ الشقيَّ من لا يتذكّر دائمًا عاقبتهُ فيرجع عن زلّاتهِ. لا تجعل قُنيتك من الخارجات عنك

لا تنتظر بفعل الخير الى مَنْ يستحقُّهُ أن يسألك بل ابدأهُ بهِ. ليس الحكيم التامّ مَن فرح بشيءٍ من لذّات العالم او جزع من مصائبهِ واغتمَّ بها. أدِمْ ذكر الموت والاعتبار بالموت تعرف الدنيا وذمّها. خساسةُ المرء بكثرة كلامهِ في ما لا ينفعهُ وفي إخبارهِ بما لا يُسأَل عنهُ

من فكّر الشرّ في غيرهِ فقد قبل الشرَّ في نفسهِ. لا تسأل الشرّير حاجةً فانَّهُ بحسب شرّتهِ عطيّتهُ. فكّر مرارًا ثمَّ تكلّم ثمَّ افعل فانَّ الاشياء متغيّرة. كن محبًّا للناس ولا تُسرع الغضب فيتسلّط عليك بالعادة. لا تؤخّر إنالة المحتاج الى غدٍ فانك لا تدري ما يعرض دونَ غدٍ. أعِنِ المبتلى ان لم يكن سوء عملهِ ابتلاهُ

لا تحكم قبل السّماع بين الخصمَين. لا تكن حكيمًا بالقول فقط بل وبالعمل فانَّ الحكمة بالقول ها هنا لا تبقى (٤٣٥) والحكمة بالعمل في العالم الآخر تبقى. ان تعبتَ في البرّ فالتعب يزول والبرّ يبقى. وان التذذتَ بالاثم فاللذّةُ تزول والاثمُ يبقى لازمًا لك. اذكر الذي يهتفُ بك فلا يكون لك آلات الحسّ فهناك لا تسمع ولا تنطق ويبطل فكرك واذكر انك ذاهبٌ الى المكان الذي لا تعرفُ فيهِ صديقًا ولا عدوًّا فلا تنتقد ها هنا احدًا. واعرف المكان الذي يستوي فيهِ المولى والعبد فلن تكونَ ها هنا مختالًا

أعدد زادًا في كلّ وقت فانك لا تدري متى الرحلة. اعلم انَّ ليس في عطاء الله

تعالى شيءٌ هو خير من الحكمة . والحكيم هو الذي يُظهر افكارهُ واقوالهُ وافعالهُ متساويةً متشابهةً . كافِ بالخير واصفح عن الشرّ ولا تكلّ عن شيءٍ من امور هذا العالم الجليلة ولا تتوانَ في وقتٍ ولا تضادّ شيئاً من الخيرات ولا تَقْنَ واحدةً من السيّئات لاجل القنية الحسنة . لا ينبغي ان يُترَك ما هو افضلُ من اجل السرور الزائل ويترك السرور الدائم (131ᵃ)

أحبب الحكمة وانصت للعلماء واطّرح سلطان الدنيا عنك ولا تتمنَّ في وقتٍ من الاوقات من الادب الحسن وتفعلنَّ شيئاً في غير وقتهِ فاذا فعلتهُ بفهمٍ لا ينبغي ان تختال عند الفخر ولا تستخزي عند المصائب . لتكن سيرتك مع الصديق سيرةً لا يُحتاج معها الى حكم ومع الاعداء سيرةً تفلح بها في الحكم . لا تسفِهْ على احدٍ ولتكن سيرتك مع الناس كلهم التواضع ولا تستحقر احدًا لتواضعهِ . ما عذرتَ نفسك فيهِ فلا تَلُمْ اخاك عليهِ . لا تفرح بالبطالة وتتّكل على البَخت . ولا تندم على ما فعلتَ من خير . لا تُمارِ . إلزم العدل في كل امورك وعليك بالاستقامة ولزوم الخير

٢ كلام رسول حكيم

ورد في رسالة لارسطاطاليس الى الاسكندر

(164ᵃ) قدم رسول ارسطو على الاسكندر فمكثَ طويلًا لا يتكلّم . فقال لهُ الاسكندر : إمّا ان تقول فأسمع وامّا ان اقول فتنصت . فقال الرسول : ايها الملك التخيُّر اليك لا اليّ والطاعة عليّ لا عليك . فقال الاسكندر : ما فعل الحكيم (ارسطو)؟ . قال : أيها الملك جَدَّ في الجهاد ولقد كان حذرًا مستعدًّا . قال : وما بلغ جَدُّهُ ؟ . قال : عينهُ لا تسكن ولا تَطرف ولسانهُ لا يفتُر . الدنيا عندهُ كالقَيْح والدم . قال : وكيف عَمِلَ في الرعيّة بعدي ؟ . قال : انارَ القلوبَ المظلمة في الصدور الخَربة وكثر فيها الحكمة وامات فيها الجهالة

قال : فما لباسُهُ الظاهر ؟ قال : الزهد في الدنيا والامتناع من شهواتها . قال : فما لباسُهُ الباطن ؟ . قال : الفكر الطويل والتعجب الدائم . قال : وممّا ذاك ؟ . قال : من اهل الدنيا كيف اغترّوا بها (165ᵃ) ومن اهل التجربة كيف وثقوا بها . قال : فمن أيهما

كان اشدّ تعجّباً ؟ قال : من مَضروعها كيف عارَدَها ومن مسلوبها كيف راجعها وممّن مات ابوهُ كيف رجا البقاء ومن غنيّها كيف يفرح بما ليس لهُ ومن فقيرها كيف يحزن على فوت ما يشقى بهِ الغنيّ

قال فمن ايّهما كان اشدّ تعجّباً ؟ قال من كليهما سواء ان هذا فرح بما ليس لهُ وهذا حزن على فوت ما يشقى بهِ الغنيّ كيف لم يَنلهُ . فأحبّ ان يُثقل ظهرهُ وهو خفيف الظهر واحبّ ان يُكثر همّهُ وهو قليل الهمّ والغمّ . واراد ان يكون في تعبٍ ونصب وهو مستريح وانما يكفيهِ من الدنيا ما يسدُّ جوعهُ ويُذهب ظمأهُ ويستر جسمهُ

قال : أهو في دوام المُلك للملك اظهرُ سروراً ام في زوالهِ ؟ قال : بل في دوامهِ للملك . قال : ولمَ ذلك وليست الدنيا من شأنهِ ؟ قال : للقدرة على اظهار الحكمة في سلطانهِ والاستمكان من إفاضة العلم واشاعتهِ وتقرُّب الحكماء والعلماء وأخذ الرعيّة بالادب العائد بالخير وادراك (165) الاجر في تبصير اهل الجهالة وحمل الناس على حسن الهُدى والسيرة الفاضلة والقوّة على رفض الدنيا وصدّ الشهوات وترك اللذّات عند القدرة عليها والتمكّن منها والامتناع عليها عند تكاثُرها وتوافرها . فانَّ الدنيا لم تغلبهُ على نفسهِ ولم تورّطهُ في فخاخها ولم تمدّهُ بحلاوتها وانواع خُدَعها وزخارفها المموّهة واسباب غرورها التي يسرع اليها الجهالة ويسعى نحوها والنشوب في تلفها اهل الغرّة والذين لا يفكّرون في عواقب الامور فتفرح ان غلبَها ولم تغلبهُ وقهرَها ولم تقهرهُ وضبطها ولم تضبطهُ ولم تصدّهُ اذا نصبت حبائلها ولكنّها كلّما امتدّ له ازداد منها بُعداً وكلّما تزاينت لهُ ازداد منها استيحاشاً وكلّما تقرّبت اليهِ ازداد منها نفوراً

قال : كيف كانت هيبتهُ للموت وخوفهُ من الوقوف على حسيب النفوس وديّانها ؟ قال : كان الى الموت مشتاقاً ولما بَعده مرتجياً . قال : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنهُ افتدى نفسهُ بالدنيا وفكّ رهنهُ بالبرّ وباعَ نفسهُ بالآخرة فسعى (166) الحكيم لآخرتهِ فاشترى النعيم الباقي بالنعيم المنقضي وصار الموت عندهُ نجاةً من الحبس لا يسلبهُ الموت شيئاً ممّا قدّم من الخير وتزوّد من الحسنات

قال : فما أغلبُ طباعهِ عليهِ ؟ قال : الرحمة لكل واحدٍ وكفّ الأذى عن كلّ احدٍ والإحسان الى كلّ احدٍ والتوفير لاهل العلم والحكمة وبذل فوائد الخير للمستفيدين

وشكرهم على تمام الحكمة والاستفادة والسؤال والطلب . وكان يقول ضنّ الرجل بالعلم والحكمة على المتقربين الى السعادة من اشدّ القسوة واعظم الاثم

قال : كيف تركتَ اهل البلاد ؟ قال : استلّ الجهلُ سيفهُ وأفلتَ من أساره وعزّ بعد ذلهِ وفقرَ الحرصُ فاهُ مترقدًا متصرّفًا مستوليًا غالبًا فتغلّب خُشارةُ الناس وزُعماؤهم فانقطعت موادّ العقول وضمرت النفوس ودخل الحزنُ علينا فنحنُ معدودون من ايدي الجهّال متكسرون في عيش نكدٍ

فبكى الاسكندر عند ذلك وقال : صابرنا وجهدنا في طلب هذه الدنيا الغرّارة وصابر العلماء وجهدوا في رفضها أبوا أن يقبلوها وانّنا لن نرفضها ورغبنا في ما زهدوا فيهِ وزهدوا في ما رغبنا فيهِ فأعقبهم فعلهم سرورًا دائمًا واعقبنا فعلُنا حزنًا طويلًا فاصبحنا نرثي لانفسنا ونغبطهم ونبكي لأنفسنا ونفرح لهم . فالويل والثبور لمن سُلبت منهُ الدنيا وجميع ما فيها ونَصَبَ في ادّخارهِ منها ولم يدرك الآخرة

قال سقراط : الرجال اربعة جواد وبخيل ومُسرف ومُقتصد . فالجواد هو من اعطى نصيب دنياه لنصيبهِ من آخرتهِ . والبخيل الذي لا يعطي واحدًا منهما نصيبهُ . والمُسرف الذي يجمعهما لدنياهُ . والمقتصد هو الذي يُعطي كلّ واحدٍ منهما نصيبهُ . وقال : اذا كان العقل صحيحًا والفهم قويًّا كان يسيرَ التجربة لا كبيرًا . واما قوّة الابدان فانّما جُعلت قسمًا لمن لا حظّ لهُ من العقل بمنزلة البهائم . وقال : الجاهل ان نطق اخطأ وان سكت عيّ وان رأى عجز وان سلك ضلّ . وقال : الرخاء يبطر والبلاء يؤدّب (تمّ)

الرسول العلماني : فيليبرت ڤرو (١٨٢٩–١٩٠٥)

بقلم حضرة القس بطرس سارة الراهب اللبناني

توطئة

لا اجمل ولا أفيد من نشر تراجم الرجال العظام تعزيزًا لجانب الفضيلة وتقديرًا

لما لهم من الخدم الجليلة في جنب الانسانية فانهم خير مثال ينسج عليه المرء ليسير على هدى من امره في طريق هذه الحياة فيمثل ادوارها تمثيلاً شريفاً يفيد مجداً لله تعالى وخيراً لنفسه وبني جنسه كما مثلها اكبر الرجال فضلاً فيليبرت ڤرو (Ph. Vrau) صاحب هذه الترجمة . فانهُ مثال الشاب الذي بعد ان ركب مدةً متن غروره ارعوى عن غيّه واناب الى ربهِ ولجم اميال نفسه وهواه بحكمة العقل والدين . وهو قدوة الرجل العامل الصارف اعظم شطر من حياتهِ بين العَمَلة في مصنع والده بالكدّ والتعب وهو الوطنيُّ المحسن الصادق في خدمة بلاده . والمسيحي العابد السالك بحسب التعاليم الانجيلية الشريفة . والكاثوليكي الخاضع لأمه الكنيسة ولرؤسائها . والمجاهد في الدفاع عن حقوقها وتعاليمها . والرسول المتفاني غيرةً في سبيل مجده تعالى وخير النفوس . والزاهدِ الحامل صليب ربه معرضاً عن الدنيا واباطيلها . ففيهِ يصحّ قول القائل :

اذا عُدَّ اهلُ الفضلِ كنتَ امبرّهم وان عُدَّ اهلُ النُّبلِ كنت المقدَّما

وقد اعتمدنا في هذه الترجمة على التأليف النفيس الذي وضعهُ سنة ١٩٠٦ المنسنيور بونارد (Mgr Baunard) الكاتب الشهير مستنداً الى اوثق المصادر واخصّها الرسائل التي دارت بين صاحب الترجمة وبين انسبائهِ ولاسيما صديقهِ كميل فيرون (C. Feron) وهي تنيف على المائة كتاب تصوَّرت فيها نفس كاتبها كما هي . ونحن بذلك نقدم لابناء الوطن على اختلاف طبقاتهم احسن قدوة يُقتدى بها خير الامة والبلاد . وبهذه يعلمون ان القداسة لا تختص فقط بالثوب الاكليريكي وحده فان من العلمانيين مَن اذا طابت فطرتهم وثبتت عزيمتهم ورسخ ايمانهم اتوا من الاعمال الخطيرة ما يقصر عن اتيانه سواهم واصبحوا بصفاتهم المسيحية من اعاظم القديسين

١ الفتى الطالب والشاب التائب

ولد فيليبرت ڤرو في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ في مدينة لبيل (فرنسة) ووالداه فرنسوا ڤرو وصوفيا اربينو كانا معروفين برسوخ قدمهما في الدين وقوة ساعدهما على العمل . وكان له شقيقتان صوفيا ومريم ولم يكن له شقيق فرزقهُ الله

صديقاً منذ حداثته هو كميل فيرون رفيق دروسه وخدين حياته فكان له اعزّ من شقيق. ونبغ اذ ذاك بعلم الفلسفة ففاز بالجائزة الاولى في سباق موضوعهُ «الغاية الالهية» وله من العمر خمس عشرة سنة. غير انه ما تكلّل بغار النجاح حتى اصيب بجرحين مؤلمين الواحد في عقله والثاني في قلبه. دبَّ الفساد الى قلبه من العشرة الرديئة فامسى اسير عادات سيّئة وقع في حمأتها بإغراء بعض نظّار المدرسة الوطنيّة التي دخلها فسادت عليه الاميال المنحرفة التي علّلت فيه الارتياب في حقيقة الديانة كما يحدث لكثير من الشبّان عند انقيادهم الى اهواء قلبهم فتعمي الشهوة بصيرتهم وتكسف نور عقلهم فيقعون في فخاخ الريب ومنهُ في الضلال والكفر. هذا ما اقرَّ بهِ صاحب الترجمة بعد ارتداده الى الله فقال: «ما لعبَت الشهوات في قلبي حتّى ملتُ الى الارتياب في الديانة وأدّى بي ذلك الى اسوإ النتائج»

وكان وقتئذٍ يعلّم الفلسفة في مدينته السيو بوسير (Beaussire) تلميذ ڤكتور كوزان الذي كان يبني فلسفتهُ على نبذ المعتقدات والرجوع الى البحث الشخصي. فحضر فيليبرت دروسهُ وما لبث ان تذهب بمذهب معلّمه اي مذهب العقليين فاطفأ مصباح تعليم الكنيسة المنير ليستضيء بنور عقله الضئيل. قال: «اني في السابعة عشر من عمري دوى صوتُ النعمة في باطن قلبي فتساءلتُ لِمَ تركتُ عقائدي الدينيّة فكان دمي يجمد في عروقي لدى فكري انهُ لمن المحتمل ان تكون صحيحة فوطّنتُ نفسي مذ ذاك الحين على مداومة البحث عن الحقيقة الدينيّة حتّى اتحقّق بالادلّة العقليّة والطريقة الوضعيّة ما الذي يجب ان اعوّل عليه»

ومن ثمَّ جعل شغلهُ الشاغل مدّة خمس سنوات (١٨٤٩—١٨٥٤) التفتيش عن صحّة معتقداته التي حاول نقض اساسها في عقله ليقيمها بابحاثه الخاصّة قال: «وكان عقلي متشاغلاً بالبحث وانّما قلبي لم يزل منخوراً بآكلة تزيدهُ ألماً وقلقاً»

وكان فيليبرت بعد دروسه شارك اباهُ في اشغاله الشاقّة وأصبح لهُ خير عضد في نجاح مصنع الغزل الذي كان يديرهُ والدهُ وكان قلبهُ الحنون يسعى مع ذلك طاقة جهده في اسعاف البؤساء من اهل وطنه بجود عليهم بسخاء بضروب الصدقات. الّا انَّ هيامهُ في البحث عن الحقائق الدينيّة لم يدع لفكره راحة. وكانت اشغال والده تضطرهُ الى الذهاب الى باريس فانشأ هناك دائرتين الواحدة في باريس والاخرى في ليل

كان يجمع فيها شبّاناً من معارفهِ واصدقائهِ ليلقوا معهُ المحاضرات الفلسفيّة للبحث عن الحقيقة التي جعلها ضالّتهُ المنشودة. وممّا كتبهُ حينئذٍ الى كميل فيرون صديقهِ قولهُ: «فلنبحثنَّ عن الحقيقة يا عزيزي ولتكن تجاه ابصارنا والغاية التي نرمي اليها دائماً لأنَّ بهذا تقوم عظمة الانسان وقيمتهُ»

على انَّ صديقهُ كميل لم يكن محتاجاً الى ذلك البحث وهو مسيحيّ حكيم كان منذ نعومة اظفاره وجد هناءهُ وسلامة قلبهِ في ايمانهِ سالكاً في حياتهِ الطريق السويّ الامين قائماً بكل واجبات ديانتهِ وكان أبعدَ من ان يتلوّث باوحال باريس حيث كان يدرس الطبّ. وشدَّ ما كانت رغبتهُ ان يحظى صديقهُ فيليبرت باطمئنان قلبهِ وسعادة ايمانهِ

وكانت العناية الالهيّة قد قيّضت لفيليبرت ملاكاً آخر يرشدهُ في ما يلقاهُ من العقبات في عنفوان الشباب ألا وهي امّهُ التي كانت ارضعتهُ التقوى مع حليبها فأسفت لحالهِ اذ رأتهُ ركب متن الشطط ودبَّ الى قلبهِ الفتور واهمل ما كان يمارسهُ في حجرها من الفضائل المسيحيّة واعمال التقوى فانقلب على الديانة يلومها لزعمهِ انها تحصر الحقّ بيدها وتضيّق نطاق المعارف وتشدّد في حفظ تقاليدها وشرائعها وهي لعمري حجّةٌ طالما أدلى بها الخصوم على الكنيسة. وكادت الكبرياء تحملهُ على نشر راية العصيان والجحود لولا انَّ فطرتهُ الطيّبة ابت عليهِ ذلك وقوّة خفيّة ردّتهُ الى الرشاد. وكانت امّهُ واصدقاؤهُ واثقين برجوعهِ الى جادّة الحقّ

وفي الواقع استجيبت صلاة والدتهِ على مثال القديسة مونيكا وخرقت السحاب فانقشعت تلك الغيوم والاوهام التي كانت تحجبُ عن ابنها نور الحقيقة وتجلّت لهُ شمس العدل من وراء بعض المظاهر الغريبة التي فتحت لهُ سبيلاً للاعتقاد بوجود عالم آخر

وذلك انهُ كانت شاعت في تلك الأيام في جهات فرنسة محافل السبريتيسم وظهور الارواح بالطاولات الدائرة فأراد فيليبرت ان يحضرها فوجد في مظاهرها وحركاتها واجوبتها على اسئلة الحضور ما استوقف نظرهُ واستفزَّ خاطرهُ واثبت لهُ وجود قوى غير طبيعيّة كانت حيناً تصدع بالحقّ وحيناً تضلّل السامعين بلفظها ومن جملة ما سمع من كلامها انهُ ليست ديانة صحيحة الّا الديانة الكاثوليكيّة. فكأنَّ الله ارغم تلك الارواح على الاقرار بالحقّ فايقن فيليبرت من تلك المظاهر بحقيقة وجود

النفس وخلودها ثمَّ تحلّى بفضل نعمة الله وحكمة مرشدين طلب مشورتهم الى الاقرار بكون عقل الانسان قاصراً عن ان يحيط علماً بكل ما في الكون من الاسرار. الّا انهُ لم يعدمْ لهُ وجهُ الحقيقة التي كان يتوق الى معرفتها الّا بعد نبذهِ ظهرياً محبَّة الذات والاتكال على نفسهِ وهرَع الى التضرُّع والصلاة كما صرَّح بذلك قائلاً: «طلبتُ بصلاتي ان ينعم الله عليَّ بمعرفتهِ فاستجابني الربّ ومنحني فوق ما كنتُ اؤمّل منهُ اذ أراني رأيَ العين وجود عالمٍ آخر ما كنتُ لأعتقد حقيقتهُ فأذعنتُ للحال وجثوت على ركبتيَّ وتلوتُ الصلاة التي علَّمنا اياها: ابانا الذي في السماوات

وقد تمَّ ارتداده عن يد الاب ڤيارت (Viart) اليسوعي المشهور بعلمه وتقواه. فتناول القربان المقدس بعد ان اعترف بخطاياه امام الله يوم عيد العنصرة ٧ حزيران سنة ١٨٥٤. وكان قد هجر مائدة الخلاص منذ اربع سنوات فبعد مصالحته الله ربَّهُ اصبح يسوع المسيح في القربان أليفه وسيده وعروس نفسه في الزمن والابد

٢ التائب والدعوة

وبارتداد فيليبرت هذا استردَّ والدهُ ما كان فقدهُ من حرارة الايمان وازداد تمسكاً بوصايا الله وحفظاً لواجباتهِ الدينيَّة بعد ان كان عائشاً كرجل عالمي ينقاد بواجب الضمير والشرف لا يعرف من الدين شيئاً سوى بعض لياقاتٍ اجتماعية

غير ان النفس الكريمة اذا انابت الى الله استسلمت الى ارادته القدوسة بكل ما فيها من قوة وعرفت جميلهُ تعالى عليها. كذلك كانت نفس فيليبرت ڤرو فانه ما توجَّه الى الله وصرعَتْه النعمة كما صرعت بولس من قبلهِ حتى كفر بنفسهِ وصار لا يرى غير الله ولا يتكلَّم الّا عن الله ولا يحيا الّا لله. وكانت رسائله في هذه الحقبة انشودةً يتغنَّى بها للرب الذي اشرق على عقله بالايمان وانزل على قلبهِ المحبة فانصرف الى عمل الخير وتمجيده تعالى. وقد حدثته النفس بترك الدنيا وخلْع نير العالم واعتناق الدعوة الرهبانية لكنَّ موانع عائلية حالت دون رغبتهِ ولاسيما حنان والديهِ اللذين كانا يعلقان عليهِ كلَّ ما لهما من امل في الدنيا وكان هو وحيدهما وموضوع حبهما ودعامة بيتهما. فلما ألمع الى والدتهِ باحدى رسائله عن فكرته هذه أبتْ عليه ذلك لا صدًّا له عن الدعوة الشريفة بل لاعتقادها أنَّهُ يكون رسولاً علمانياً ويأتي من الخير بين اظهر قومه

رجل المبرّات

فيليبرت ڤرو (١٨٢٩—١٩٠٥)

ما ربما لا يتسنّى له وهو في الدير . ولاسيما ان تلك الوالدة كانت متعلقة به فلا تطيق فراقه . فلم يرَ بدًّا من التسليم لارادة والديه وكان ذلك من اعظم المحن في عينه لكنه تذرَّع بقوة النعمة وشمّر عن ساعد الرجل الحزوم المشتعل غيرةً وحبًّا لله ولقريبه واخذ على نفسه بان يضحّيها على مذبح الخير لاجل وجه الله الكريم

٣ الرجل والعمل

واول ما بدأ به انه حوَّل جمعية العُجّز في مدينته ليل الى جمعية مسيحية اذ كانت تنفي من قوانينها السياسة والديانة وكان هو امين سرّها فانضمَّ اليه زمرة من الشبان جعلوا غايتهم العناية بالعجّز المرضى وإعدادهم لقبول الاسرار المقدسة . ثم انشأ السجود الليلي كما يتراى ومن ذلك الحين اصبح القربان المقدس نقطة دائرة عبادته وديانته وبسماه الحميد قامت اخوية السرّ الاقدس فنمت وازدهرت وضاهت بكثرة اعضائها غيرها من الجماعات الكبيرة كجمعية القديس يوسف (١٨٣٦) وجمعية القديس منصور (١٨٣٨) . وكان يستحثّ صديقه كميل ليكون معه في العمل يدًا واحدة

وعلى اثر ذلك ابتلاه الله بخسارة مبلغ من المال كان ضمّنه في احد المصارف لاحدى نسيباته ام عيلة كبيرة فافلس ذلك المصرف ولزم فيليبرت ارجاع ما كان ضمنه من المال فكانت عليه هذه المحنة من اشأم المحن . لكنه كان صبورًا في البلوى كبيرًا على المصائب اذ لم يرَ فيها غير ارادة الله الذي يشاء ان يمتحن ابناءه لتأديبهم وزيادة اجرهم . وبعد المرافعة خسر الدعوى وغرم دفع نصف المبلغ ولم يكن بيده ولا بيد والده شيء منه . فجُرح بذلك قلب والديه جرحًا اليمًا واضطرَّ عندئذٍ ان يلأم جراحها ويعوض ما تكبدته العيلة المسكينة من خسارة مادية وادبية فوطّن النفس ان يبقى في البيت وان يعيش فيه كما عاش قبلًا اي راهبًا زاهدًا وهو في وسط العالم فالتأم بعد حين هذا الجرح وعوّض الله عنهُ بتزيد فضله

وكان صديقهُ كميل فيرون نال شهادة الاستاذ في الطب واتى يسكن مدينة ليل فجدد الصديقان عهود الوفاء وزادتهما العناية الربانية تقربًا واتحادًا ليعملا ما يوفقهما الله اليه من الخير ولاسيما بعد ان تزوج كميل فيرون بشقيقة فيليبرت ماري فشاركهُ في اشغاله في مصنع الغزل الذي كان اخذ شهرة ونجح نجاحًا باهرًا بفضل واستقامة مؤسسه

فرنسيس ثرو والد فيليبرت المترجم وهمّة فيليبرت نفسه الذي بعد موت والده صار يدير شؤون العمل هو وصهره ووالدته بتمام الدقّة والنشاط ويكثر له الزبائن في البلدان العديدة بما يُبديه من حسن المعاملة والتساهل واتقان العمل. وسار هو كما سار والده من قبله مستنداً في اشغاله على ذراع العلي القوية عائشاً كرجل ايمان وصلاة ورجل خير وعمل . فوضع الله بركته بين يديه وافاض الخير عليه وكثرت ارباحه التي كان يخصص ثلثها للبائسين بحسب وصية والده وبناء على عزمه هو

ثمّ جاءت سنة ١٨٧٠ التي دارت فيها رحى الحرب بين فرنسا والمانية وقاسى فيها الافرنسيون اهوالاً فتجرّع والد فيليبرت منها غصص الالم اذ فصلته عن بنيه ونكبت بلاده فاثر ذلك جداً في صحة شيخ ناهز السبعين فمات بشيخوخة صالحة بين يدي وحيده تاركاً له هذه الوصية التي نتمنى ان تكون بفم كل والد مسيحي حكيم : «لله نفسي وجسدي وكل ما اعطاني. وامرأتي واولادي اضعهم في حمى العناية الربانية وادعو مصلياً الى الله من صميم قلبي ان يُبقي في عائلتي روح الايمان والمحبة وأوصي اولادي ان يربوا بنيهم بهذه الشرائع الدينيّة. اما فيليبرت ابني فهو محامي شقيقاته وكل العيلة واملي ان يقوم بهذا الواجب كما ينتظر منه . واني اخصص ثُلث ارباح محلي الحاضرة للبائسين معرفةً جميل لله تعالى على ما اغدقنا من النعم والثروة»

٤ فيليبرت والسجود الليلي

السجود الليلي للقربان الاقدس ممّا أَلفتهُ الكنيسة قديماً ولاسيّما الرهبانيّات المنظّمة وقد تأسس في باريس ٢٢ تشرين الثاني بزمرة من المسيحيين جمعهم حضرة الاب دي لابوليري (La Bouillerie) في غرفة احد الاسرائيليين المرتدّين الى الايمان يُدعى هرمان كوهين وكانت غاية اجتماعهم عرض القربان المقدس والسجود الليلي له تعويضاً عمّا يلحقه من الاهانات واستجلاباً لبركة الله على فرنسا ومنعاً لما يتهددها من النوائب. واخذت الجمعية تنمو حتى ارتبطت بموجب رسالة حبرية تاريخها ١٢ تشرين الاول سنة ١٨٥٢ بجمعية السجود في رومية

اما في مدينة ليل فكان الفضل في تأسيس فرع لهذه الجمعية يرجع الى فيليبرت ثرو رغم ما لاقى من عدم النجاح والمصاعب في بادئ الامر فانه بمساعدة رئيس

بالجمعية الباريسية المسيو كيرلاس دي بنك (Benque) نجح في مسعاه. وكان في ليل بناية صغيرة مختصة بابناء العشيرة حولها الى محلّ لاجتماع الاعضاء الساجدين بعد ان اشتراها الكاثوليك سنة ١٨٤٠ وطرحوا في النار ما كان فيها من علامات الماسونية. ثم انشأ مكتبةً لمطالعة الكتب الجيدة ومكتب الميلة المقدسة ومحاضرات القديس منصور وكان مدير هذه الحركة الاب كورداسيه (Courdacier) اليسوعي ومرشد السجود الليلي وكان للمسيو ثرو اباً روحياً ومساعداً غيوراً في العمل.

فعمّ السجود الليلي البلاد الافرنسية وتنا عدد الساجدين بعد ان كان قليلاً. وتألفت جماعتهم في طور وترلون وايكس وليون وبواتيه وتولوز وبوردو واستراسبورج وغايتهم الصلاة لاجل رقي الجندية الافرنسية واتفاق الملوك المسيحيين ولاجل البابا وانفس الموتى. وممن اشتهروا في السجود المسيو شارل بوديل الذي صار فارس وتبة القديس غريغوريوس الكبير وكان من غرضهم مساعدة كهنة الرعايا وتحريض الناس على العبادة لسر القربان الاقدس والمناولة المتواترة. وانضمّت جماعتهم الى التي في رومية سنة ١٨٦٢ وحازت جميع انعاماتها. والسجود الليلي يذكرنا براهبات التعويض فانهنّ واياه على غاية واحدة. كان الاعضاء الساجدون يُحيون ليلةً بكاملها في كل شهر امام القربان وكنت تراهم قائمين حتى الفجر حول رب المحبة بينما المدينة في سكون الليل ليعوّضوا عمّا يحدث من الاهانات والخطايا. وكان عدد الساجدين الليلَ كلّهُ يوماً في الشهر خمسين ساجداً وكان فيليبت يتقدّمهم فيضرم قلوب الجميع بمثاله. وازداد عددهم حتى بلغ الاربعمائة في ليل وحدها. ولم يكتفِ المسيو ثرو بهذا السجود الليلي مرّةً في الشهر بل اراد ايضاً في كل مساء من الساعة الثامنة الى التاسعة ان تتلى بعض صلوات ويُقام فرض السجود للقربان الاقدس. ويحسن ان ننقل فقرة من صلاة ثرو امام القربان تدلّنا عن عظم محبته فهي سرّ قربانه العجيب:

« يا ليت لي قلب السارافيم اهديكهُ يا ايليكي المحبوب. انك بالغت في محبتي ورغبتَ ان ابالغ في حبك لاجل كمالي وسعادتي فأضرم قلبي بكهربتو نار محبتك الالهية لكي تريدني حبا. اسألك بجراحك الخمس ان تعطيني خمس نعم: ١ً روح التقوى لاصلي بحرارة الملائكة. ٢ً روح الوداعة والكفران بالنفس لكي تكون انت نفساً لنفسي ومحرك افكاري واعمالي الوحيد. ٣ً طهارة ملائكية لكي تكون مسرّتك في قلبي. ٤ً ان أحسن استعمال وقتي ومسالي لإنجاح

اعمالي . ه روح الامانة لاقوم في الوقت المعين واتقن صلاتي واحارب كل يوم محاربة ظافرة عدوّ خلاصي وخلاص قريبي آمين »

فكانت صلاتهُ هذه مستجابةً والحقُّ يقال انهُ قد حاز على جميع ما طلبهُ من النعم فجمع من الفضائل ما جعلهُ ان يبلغ شأواً بعيداً من القداسة . فكان ايمانهُ كالجبال يسوق به الى معرفة الله تعالى بكامل صفاته فتصغر الدنيا في عينيه . وكانت محبته كالنار الآكلة لا تريد الّا الخير ومهاجمة الشر . وناهيك بوداعته وتجرده عن حطام الدنيا وزخارفها اذ كان يكتفي من كل غناء بما هو ضروريٌّ فقط لحفظ حياتهِ موفراً امواله للاحسان واعمال البر . وآثار تلك الفضائل الجمة كانت ظاهرة في جميع اعماله كما تدلُّ عليها هذه الترجمة المختصرة

وبغيرتهِ وهمته العالية اراد ان يصيّر مدينة ليل مسقط راسهِ مدينةً مقدسة لله فاضاف الى السجود الليلي فيها الصلوات العموميَّة وسعى بتشييد الكنائس في احياء المدينة الجديدة وجعل في وسطها كاتدرائية نتردام ترايل (de Treille) مرجعاً لجميع الكنائس ثم ألّف النادي الكاثوليكي . وبالجملة انه كان موضوع إعجاب الجميع بما يبديه من ضروب التفاني في إنعاش روح العبادة والصلاة والعمل في قلوب مواطنيه بمثاله وكلامهِ . وكان من اكبر مناصريهِ في العمل الاب برنردوس خادم كنيسة القديسة كاترين آنئذٍ فكانا بتأليفهما شركة الصلاة وبثّهما روحها في النفوس عاملَين قويين على ربط القلوب بمحبة الله وضمّها الى قلب يسوع الاقدس ومقاتلة روح الشرّ والكفر الذي كان نفثهُ رينان الملحد بتأليفه حياة المسيح المزوَّرة سنة ١٨٦٣ ذلك الكتاب الذي كان لفرنسة كقبلة يوداس ليسوع اي مؤذناً بتجديد الالم للمخلص في القرن التاسع عشر . فلافاةً لهذا الشرّ ورأباً لهذا الجرح عمد الاب برنردوس والمسيو ثرو على ان يعوّضا عمّا جاء في ذلك المؤلَّف من التجديف وان يغلبا البغض بالحب

وبعد تأسيسهِ نادي الشبيبة الكاثوليكية سنة ١٨٦٦ الذي عهد بادارتهِ الى احد الاباء اليسوعيين جعل غايته ضمّ نخبةٍ من الرجال ومن الشبان خصوصاً للتضافر على عمل الخير بمعزل عن كل سياسة ولنشر المبادي الدينيَّة بالنظر الى المجتمع البشري فيرغب الناس في رعايتها وتأييدها . وقد اتسع نطاق هذا النادي فوقفَ عليه احد المحسنين نزلاً كبيراً في الحي الملكي وهو احسن احياء المدينة كان كالعلّية الصهيونية

يجتمع فيه الاعضاء فاتى باحسن النتائج على المدينة اذ مال بشبانها عن اللهو والاباطيل الى توسيع معارفهم وتعزيز جانب الفضيلة والدفاع عن الحقيقة . وعلى مثال ذلك النادي ترى اليوم بلا المرة اندية الشبيبة الكاثوليكية تتألف في كل قطر وبلد لاجل الغاية الشريفة المنوه بها اي البحث في العلوم على اختلاف انواعها خدمةً للدين ومساعدةً للاعمال الخيرية

٥ الرسول والجماعات

امّا الجماعات التي اسسها هذا الرسول الغيور ليس فقط في شمال فرنسا كما ذكرنا بل في اكثر نواحيها فحدّث عنها ولاحرج اذ اتسع له مجال العمل وخصوصاً بعد موت والدته الفاضلة (١ التي كان متقيداً بقربها . فكان يتفانى في سبيل تلك الجماعات متجشماً لاجلها الاسفار الشاقّة الطويلة جائلاً البلاد الافرنسية لا يعرف في جهاده تعباً وظلّ في ذلك ست عشرة سنة . وكانت تلك الجمعيات التي الّفها في المدن والقرى بمثابة القلب في الجسم توزّع الحركة والقوة الى عمل الخير ونشر المعارف مقرونة بروح الدين والتقوى . وغايتها ان يتجدّد كل شيء بالمسيح وان يملك تعالى اسمهُ على النفوس فتبقى فرنسة مسيحيةً وابنة الكنيسة البكر رغم ما حلّ بها من نكبات الثورات وكوارث الحرب السبعينية . فكنت ترى الجمعيات بسعي الرسول ڤرو كحقول مخصبة ينمو فيها كل ما في الديانة المسيحية والكنيسة الكاثوليكيّة من جميل ومفيد وشريف وعظيم فيزكو ويزهر ويثمر . وكان مناصروه والاعضاء العاملون كثيرين اخصّهم غوستاف شامبو امين سرّه وذراعهُ اليمنى في العمل

واول عملٍ اتتهُ جمعية ليل سنة ١٨٧٥ تكريمها للرئيس الكاثوليكي لجمهورية خط الاستواء غراسيا مورينو الذي قضى شهيد ايمانه . وكان مركزها في ليل في غرفة

١) كانت والدته صوفيا ممتازة بتقاها وصبرها على ما حلّ بها من النوائب وتعلّقها الشديد بعيلتها وإشفاقها على البائسين وسهرها على العمال . وفي آخر ايامها اسعدها الحظ بأن حفظت في بيتها القربان المقدس مذخوراً في معبد خاص كان يقدس فيه الابران اليسوعيان مركيني (Marquigny) وفريست (Frist) اذ كانا مقيمين في بيت ڤرو كضيفين كريمين بعد ان طُردا من ديرهما في ٣٠ حزيران ١٨٨٠ . وماتت والدة ڤرو ميتة الابرار بعد ان شبعت من الايام اذ عاشت ٨١ سنة

المسيو ڤرو ومكتبها دير القديس كرلوس بورومي لاجل نشر الكتب الجيدة فانَّ الجمعيَّة نشرت سنة ١٨٧٢ ثلاثين الف نشرة ونحو ثمانين الفاً مثلها بسنتين بحيث كانت تجول صحائفها البلاد كلها . ومثله مكتب سانت آمان (St Amand)وما كان اعضاؤه غير اثني عشر عضواً وزَّع في ثلاث سنوات ٢٢٠،٠٠٠ صحيفة و ٩،٠٠٠ نشرة

وبين تلك الجمعيات التي وجَّه اليها فيليبرت عناية خاصة جمعية العمَّال التي نظم شؤونها المسيو البر دي مون والمركيز دي لاتور اذ اسَّسا لها نادي العمَّلة الكاثوليكي . ولما بلغ رئيس جمعية القديس منصور المسيو كولب فضلُ ومقدرة فيليبرت ڤرو عهدَ اليه برئاسة شورى جمعية مار منصور المركزية في ليل (١٨٨٦) فدرس قوانينها ووسع نطاقها بأن كثَّر عدد محاضراتها والمستشارين فيها ورأسها ١٨ سنة كان فيها إمام الاعضاء مثالاً حيًّا في التفاني والغيرة وقد نمت تلك الجمعيات فبعد ان كانت سنة ١٨٧٣ ٢١ جمعية و ٣٣ نادياً صارت سنة ١٨٧٤ ٨٦ جمعية و ٩٢ نادياً . وكان يسرع حيًّا بروحه فيها مالكاً على كلها وحازت بركته وعطف البابا بيوس التاسع سجين الفاتيكان وقد وجَّه اليها رسائل الرضى والتعزية مراراً

٦ ڤرو والمدارس

وبمؤازرة الابوين مورتيه مؤسس ورئيس مدرسة باڤاي (Bavai) والاب ديهان (Dehaisne) والمسيو فيرون دهره والمسيو شامير صديقه اسَّس كليةً سمَّاها كلية الشمال الكاثوليكية جامعةً لفروع العلوم بانواعها من لاهوتية وفلسفية وعلمي الفقه والطب واللغات وغيرها من العلوم التي ترقي الانسان وتهذب ارادتهُ وتحملهُ على ان يسير في طريق الحياة محافظاً على واجباته نحو الله وقريبه ونفسه

ولم تزل تلك الكلية رغم ما لقيتهُ من المصاعب في نشأتها وتوسيع دائرتها تزدهر وتنمو بضبط ادارتها ومقدرة اساتذتها الذين انتخبهم ڤرو من خيرة الاساتذة علماً وفضلاً فضاهت ارقى الكليات وناهضت المدارس اللادينية اذ كانت غاية مؤسسها ان يقي الشبيبة الافرنسية من سمّ العلوم الفاسدة القتَّالة . فتخرَّج فيها شبان اذكياء خدموا وطنهم والبشرية اصدق خدمة وقد نالت مراراً بركة الاب الاقدس

البابا بيوس التاسع اذ تشرف باعتابه المسيو ثرو طالباً بركته ورضاه فحظي بكل عطف ورعاية. وقد شرّف البابا الكلية الكاثوليكية باسم الجامعة الحبرية واقام لها هو نفسهُ رئيساً ومستشاراً يمثله لدى مديري شؤونها هو المنسنيور مونيه مطران ليدا

اما المدارس الثانوية فانه لم يغفل فيليبرت عنها فقسم لها مدينة ليل ثلاث مناطق سمّى المنطقة الاولى «المنطقة الظافرة» لتغلُّب عدد التلاميذ الكاثوليك فيها على سواهم. والثانية سمّاها «المجاهدة» للمساواة في العدد بين كاثوليك وغير كاثوليك. والثالثة «المتألمة» لقلّة الكاثوليك فيها. وشملت عنايتهُ ايضاً مدارس الرعايا الفقيرة وكانت الغاية منها مصادرة المدارس التي لا دين لها وكان عدد الطلبة فيها من فتيان وفتيات لا يقلّ عن الاحد عشر الف طالب

ولم تكن هذه الاشغال الادبية تشغله عن الاهتمام بامر العمال المستخدمين في محلّ «ثرو وشركائه» فيُعنى بحياتهم الاقتصادية وحياتهم الروحية موفّراً لهم جميع الوسائل التي تضمن رغد نعيمهم في الدنيا وسعادتهم في الابد

٧ الرسول المجاهد

خاض فيليبرت ثرو معمعة الجهاد ضد اعداء الوطن والكنيسة وسار فيها شوطاً بعيداً دام خمس سنوات من سنة ١٨٧٦ الى ١٨٨١ ظهر فيها كالبطل المغوار الذي لا يُجارَى ولا يهاب الموت في الدفاع عن الحقّ. وكانت الظروف تعاكسهُ والعقبات تقف بوجهه اذ كانت ازمّة الدولة بيد الماسونيّة فلم يكن يحجم الى الوراء بل ظلّ مقداماً لا يلوي عزيمته عن العمل. فصرف ليس فقط قواه العقلية بل مبالغاً وافراً من امواله دفاعاً عن البابا السجين يوم قامت عليه الحكومة الايطالية وجرّدته من املاكه. وظهر في انتخابات النواب سنة ١٨٧٦ مجاهراً بقوله: «ان لم تكن الجمهورية مسيحيةً فلا تثبت. ولا قيام ولا هيبة للحكومة الّا اذا كانت دعامتها الديانة والشرف». ولم يَلْ من مقاومة اضاليل رينان وفولتير اللذين كانا في نظره عدوّين لدودَين ليسوع المسيح

ولما طُرحت شريعة الماسوني جول فِري على بساط المناقشة في مجلس النواب (٢٠ اذار سنة ١٨٧٩) مانعةً بمادّتها السابعة اعضاء الجمعيات غير المعروفة من الحكومة كل حق في التعليم العام او الخاص قاصدةً بالاخصّ جماعة يسوع احتجّ هو ومناصروه على

هذا الاستبداد بخطبهم وكتاباتهم وأيد الرأيَ العام احتجاجهم هذا فلم تُبرِمْ الحكومة اذناً صاغية وظلّت مصرّة على تنفيذ القرارَين (٢٩ اذار) الجازمين الاوّل بان يتخلى اليسوعيون عن اديارهم بفرصة ثلاثة اشهر وعن مدارسهم بمدة خمسة اشهر والثاني يوجب على جماعات النساء والرجال ان تكون معروفة من الدولة بجهة ثلاثة اشهر والّا تُقفل اديارهم. فقامت البلاد وقعدت لهذا القرار الجائر وقال المسيو غروسو في خطاب له مبيناً ما تجرُّ شريعة فرّي على البلاد من البلاء : « انها تجعل الشرعَ بلا اله والعدالةَ بلا اله والجندّيةَ بلا اله والتربية بلا اله والزواج بلا اله والدفن من دون الله . وعدوُّها انما هو الله »

وكان لتلك المأساة التي مثّلتها الماسونيـة اسوأ وقع في نفوس الشعب وتركت صفحة سوداء في تاريخ الامة اذ اقفلت الاديار والمدارس الدينية وجرّدت الرهبـان والراهبات من املاكهم وتركتهم مشتّتين تحت كل كوكب . وانتهت الرواية بفصل الدولة عن الكنيسة

فكان رسولنا المقدام في وسط الجهاد كالقائد الشجاع الحكيم ينفخ في صدور اعوانه روح الايمان الحي والوطنية الحقّة والطـاعة للحبر الاعظم نائب السيد المسيح على الارض . وانتفاني في مصارعة الشرّ بعمل الخير والبرّ . ولم يكن سلاحه غير الصلاة والسجود امام القربان وعمل الصدقات باذلاً اموالهُ ونفسهُ للمعوزين ولاجل المؤسسات الخيرية لاسيما مدارس التجارة والصناعة والفنون التي غصّت بالوف الطلّاب والمستشفيات والملاجئ للعجّز الى غير ذلك من الاعمال والمشاريع الخطيرة التي يعجز القلم وتضيق هذه المقالة عن تبيانها . وكان اوّلَ عضوٍ عامل في عقد المجامع القربانية وبسعاهُ انعقد اول مجمع قرباني في مدينة ليل في ٢٨ حزيران سنة ١٨٨١ باقتراح المنسنيور دي ساغور والمسيو دي بَنك بعد ان ذهب فرو بنفسهِ الى رومية ليحصل على تصديق البابا وعلى بركته الرسولية للمجمع . وكان ذلك على اثر الشريعة التي سنّها مجلس الندوة الافرندي نافيةً التعليم الديني من المدارس وفاتحةً بالشؤم باب المدارس اللادينية

٨ فرو والصحافة او الطباعة الصالحة

وقد اتخـذ اقوى عدة للدفاع ومقـاتلة الصحافة الشريرة اذ عُني بنشر الكتب

الجيدة وفتح المكاتب الزعانية ومنع النشرات المضرة بالدين والاداب . ومناصرة الجرائد الكاثوليكية وكان مركز هذه الحركة الادبية دار القديس شارل بورومي الذي أسسه لهذه الغاية كما اسلفنا . وقد كان قبلاً ينشر مجلة شهرية المجاعات تربطها بعضها ببعض ضمنها مواضيع مختلفة من تاريخية وتهذيبية وعلمية ودينية وانتقادية . وتولى بذاته ادارة جريدة فرنسة الحقيقية (la Vraie France) مدة عشر سنوات وكان محررها المسيو غبريال دي لاكوتيور المشهور بقدرته الكتابية وحسن ذوقه وصدق لهجته وتفانيه في خدمة الدين . ثم عهد الى ابن شقيقته المسيو بول فيرون ڤرو بادارة جريدة لا كروا (La Croix) المشهورة التي اشتراها من الآباء الصعوديين حينما ارادت الحكومة مصادرتها

٩ ايامه الاخيرة — عيده الخمسيني — صلبه ووفاته

ان سنة ١٩٠٤ كانت آخر سني حياة المترجم امتازت بثلاث حوادث : بيوبيله وحتفه وميتته الهنيئة على قلب يسوع الذي انقذه من بلايا هذه الحياة الزائلة ونقله الى مجد السماء وسعادة الابد

كانت قد جرت العادة في معمل فرو ان يحتفل للعمال الذين صرفوا مدة ٢٥ سنة في ذلك المعمل بيوبيل فضي تقديراً لخدماتهم وقد صار الاحتفال بهذا اليوبيل لكميل فيرون وللاخت سانت ألكسيس رئيسة راهبات المصنع . امّا فيليبرت فلما الحوا عليه بالاحتفال بيوبيله لم يقبل الّا ان يحتفلوا له باليوبيل الخمسيني تذكرةً لرجوعه الى الله سنة ١٨٥٤ . واراد ان يكون اليوبيل بغاية البساطة مقتصراً على القيام بالحفلة الدينيّة وحضور مستلمي ادارة المعمل ومستخدميه لا غير يجمعهم روح العيلة المقدس . وكان ذلك اليوبيل على بساطته حافلاً بأبهى مجالي الفرح والبهجة

وما انتهت تلك الافراح حتى بلّغت الحكومة رئيسة راهبات المعمل على حين غرّة امراً يقضي بتركها هي وراهباتها الثوب الرهباني بحسب شريعة اول تموز ١٩٠١ القاضية بحلّ الجماعات الرهبانيّة ولم يكن فيليبرت يدري بالامر اذ كان مطمئناً من هذه الجهة معتبراً ان الشريعة لا تتناول الجمعيات الخاصة كالراهبات مديرات مصنعه . فشقّ ذلك عليه جداً لكنهُ لم يرَ بدّاً من الاذعان للامر مستسلماً فيه كجاري عادته لارادة الله

تعالى. ثم اقيمت عليه الدعوى في شباط ١٩٠٤ بدعوى كونه لم يحترم الشريعة بتقديمه محلاً آخر للراهبات اللاتي كن يُقمنَ وهنَّ بالثوب العلماني الحفلات الدينية مجتمعات خلافاً الشريعة. فحكمت محكمة ليل في ٤ آب سنة ١٩٠٤ بجلسة رأسها المسيو سي (Sée) حكماً غيابياً على فيليبرت فرو بالسجن شهراً وبغرامة ٥٠٠ فرنك وعلى كل من الراهبات الست بخمسمائة فرنك فكان لهذا الحكم الجائر اسوأ تأثير في نفوس اعيان المدينة وعقلائها. امّا فيليبرت فاعترض متنصّلاً بالكتابة من كل ذنب ثم استأنف اعماله الخيرية في ١ ك١ سنة ١٩٠٤ وذهب الى رومة لحضور المجمع المريمي الخمسيني تكريماً لاعلان عقيدة الحبل بلا دنس ولاجل إعداد مجمع قرباني في رومة ذاتها ١٩٠٥ بعد الحصول على بركة البابا بيوس العاشر. ثمَّ غادر في ١٣ اذار عاصمة الكثلكة عازماً ان يتجوّل في شرقي فرنسة لتفقُّد شؤون الجمعيات فيها واخصّها جمعية مار منصور التي كان هو احد اعضاء شوراها. فما وصل باريس حتى ظهرت في جسمه اعراض مرض شديد الوطأة فاستأنف سيره الى ليل ووصلها في ١٩ آذار عيد القديس يوسف ولم يعلم به احد. ولازم غرفته وفراشه حتى آخر يوم من حياته

ولما رآهُ الدكتور اوجيه صديقه ارتاع لما وجد فيه من حالة الخطر الناتج عن تقدمه في السنّ وعمّا كان يعانيه من الاتعاب غير مشفق على صحته. فقاسى في مرضه اوجاعاً مبرّحة صابراً ومسلماً لمشيئة الله. فاجابت شقيقته الى الصلاة واقترحت ان تقيم واياهُ تساعيةً لسيدة لورد فلم يُرد الّا ان تكمل فيه مشيئة الله تعالى في الحياة وفي الموت

وكنت تراه على سريره مثال الوداعة والانس والبساطة والسكوت لا يئنّ من وجع ولا يفوه بكلمة حتى كلمة الوداع بل كان مشتغلاً بالخير الى آخر دقيقة من حياته مختلياً بالله في باطن نفسه. وكان الالم والارق الطويل والاستفراغ الدائم لا يفارقه ويظلُّ صائماً من نصف الليل حتى الساعة الخامسة ليتناول القربان المقدس في كل يوم ومَن سأله الامتناع عن المناولة يوماً كلّفه اكبر مشقة. فكان يُسمح لهُ بالقراءة والكتابة فيخصصهما لما كان يُفكر به وهو على فراش المنون من الاعمال الخيريّة كالاجتماع العامّ في جمعية مار منصور الذي كان ساعياً لانعقاده وقد تمزّى قلبه بعيادة المسيو تون رئيس هذه الجمعية العام اياه وسيادة مطراني ليدا وأراس اللذين

قدما ليل لحضور الاجتماع المنوه به . فكان ذلك اليوم من اسعد ايامه اذ تمكن ان يتزوّد وهو راحل الى الابديّة بركة حبرين جليلين وان يعرف ويُسرّ بانعقاد الاجتماعات العلميّة التي كان اسسها وبالاحتفال بالمجمع القرباني السادس عشر في رومة الذي كان يسعى لانعقاده

وفي ١٥ ايار اقترح عليه الكاهن المسحة الاخيرة فطلب اليه اولاً مهلة نصف نهار يستعدّ فيه لقبول هذا السرّ فعند المساء في ساعة يسود فيها السكون والخلوة ادهن بالزيت المقدس وفي الصباح بينما كانت تتلى عليه صلوات المنازعين كان يتبع الكاهن بصوت خفي محرّكاً شفتيه . وكانت الطمأنينة سائدة على جبينه ونحو الساعة السابعة ونصف مساء جثت العيلة قرب فراشه وابتدأت بتلاوة المسبحة فكان يسلّم على العذراء كلّما قالوا : «السلام عليكِ يا مريم» . وما زال يتبع المصلّين حتى البيت الثالث حيث انقطع صوته بغتةً ثم خفت انفاسهُ وما انتهى البيت الخامس الاخير حتى لفظ المحتضر روحه عند قولهم : « صلي لاجلنا الآن وفي ساعة موتنا آمين »

فقضى رسول الخير ورجل المبرّات بعد ان صرف في هذه الحياة ستًّا وسبعين سنة مكلّلة باعمال البر والقداسة . فكان لنعاه رنّة اسف في جميع المراكز والبلدان التي عرفت فضائله وفضله ووردت على انسبائه رسائل التعازي من كل طبقات الناس ومن سائر البلاد على اختلاف اللغات تحيّيه وتدعوهُ «برجل ليل القديس»

وكان لهُ مأتم حافل جمع العدد الغفير من الكهنة والرهبان والرجال والنساء . والاولاد ممن اتوا ليتبركوا من ذخائر رجل الله هذا . وبينا الناس يحتفلون بمأتمه كان رئيس العدليّة يطالب بتنفيذ الحكم عليه بالسجن فما تلفّظ باسم فيليبرت ڤرو حتى ساد السكوت في قاعة القضاء ووقف المحامي المسيو تاري (Thery) وقفة الهيبة والوقار وقال : « يا حضرة الرئيس ان المسيو ڤرو قد مات » فرفع دعواهُ الى محكمة الله . وكان اوصى في وصيّته الاخيرة ان يُجعل قلبهُ في معبد جامعة ليل وان يسلّم جسدهُ الى المكتب الطبي الكاثوليكي فيشرّح فيفيد البشريّة في حياته ومماته وان يكون دفنهُ غاية في البساطة

واليوم تسعى الكنيسة في تطويب هذا الرجل البارّ لما ظهر من الكرامات والمعجزات بشفاعته مع ما ثبت لها من سموّ فضائله وقداسة حياته حقّق الله هذه الاماني

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٥ ابو زُبَيْد الطائيّ

﴿اسمهُ ورهطهُ﴾ هو ابو زُبَيْد الطائي حَرْملة بن المنذر بن معدي كرب بن حنظلة بن النعمان بن حيَّة من قبيلة طيْ الراقية الى زيد بن كهلان من عرب اليمن. قال ابن دُريد في الاشتقاق (ص ٢٣١): «وزُبَيْد تصغير الزَّبد وهو العطاء». ورهطهُ بنو الحيَّة هم رهط اياس بن قبيصة وحنظلة بن ابي عفراء. (الاغاني)

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ قال ابو الفرج الاصبهاني (١١: ٢٤): ابو زُبَيْد هو ممَّن ادرك الجاهليَّة والاسلام فعُدَّ في المُخضرمين. وجعلهُ ابو الحاتم السجستاني في جملة المعمرين قال (ص ٩٨) انهُ عاش مائة وخمسين سنة وهكذا روى ابن الكلبي (الاغاني ١١: ٢٨) وبلغ الى زمن علي ومعاوية. امَّا دينهُ فكان في الجاهليَّة النصرانيَّة بلا شك كمعظم ابناء قبيلته طيء. وكاياس بن قبيصة وحنظلة بن ابي عفراء اللذين اثبتنا نصرانيَّتهما (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ٨٩—٩٠ و٩٢ و١٣٣ و١٣٥). امَّا في الاسلام أثبتَ على دينهِ او أسلم فجاء فيهِ قولان قال الطبري في تاريخهِ (ج ٩ ص٢٨٤٣): «قدم ابو زُبَيْد على الوليد بن عقبة في الكوفة فلم يزل الوليد بهِ وعنهُ حتَّى اسلم في آخر امارة الوليد وحَسُن اسلامهُ» وكذا ورد في حاشية كتاب الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٣١). ويردّ هذا القول ما جاء في معظم كتب الادباء الذين يصفون ابا زبيد بالنصرانيّ حيثما ورد اسمهُ. فاذا رووا لهُ بيتاً قالوا: قال ابو زُبيد النصرانيّ» دون اشارة الى تغييرهِ دينهُ. قال ابو حاتم السجستاني في المعمرين (ص١٨) «وكان ابو زُبيد نصرانيًّا» لا بل يصرّحون بموتهِ نصرانيًّا. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: «ادرك ابو زُبيد الاسلام ومات نصرانيًّا». ومثلهُ قال ابن سلَّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص١٩٦) وقال ابو الفرج في الاغاني (١١: ٢٤): «وكان ابو زُبيد نصرانيًّا

وعلى دينهِ مات». وتجد هناك عثمان الخليفة يكلّمهُ بقولهِ «يا اخا تُبَّع المسيح». وذكر ايضاً (ص ٢٨) انهُ قبل موتهِ «كان يُحمل في كلّ احد الى البيعة» وبهذهِ الشواهد ردّ كاتبٌ على زعم الطبري . قال في خزانة الادب ينتقد على الطبري (٢ : ١٥٥) «وهذا خلاف ما قال العلماء انهُ مات على نصرانيّتهِ»

﴿مقامهُ واخبارهُ﴾ كان مقام ابي زُبَيد بالرقّة في الجزيرة وبها مات (اغاني ١١ : ٢٨) وقال (ص ٢٧) : «كان اخوال ابي زُبَيد بني تغلب وكان يقيم فيهم اكثر ايامهِ وكان لهُ غلام يرعى ابلهُ» . وقال ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص ١٩٦) : «وكان ابو زُبيد الطائي من زوّار الملوك وللملوك العجم خاصّةً وكان عالماً بسيَرها» وروى في الاغاني (١١ : ٢٦) «انهُ اتى النعمان بن المنذر وجالَسهُ» وقال ابن سلام : وكان عثمان ابن عفّان يقرّبهُ ويُدنيهِ ويدني مجلسه» . وكان ابو زُبَيد طويل القامة جميل المنظر . روى في الاغاني (١١ : ٢٨) عن ابن الكلبي عن ابيهِ ان «طول ابي زُبيد كان ثلثة عشر شبراً» (١ امّا جمالهُ فقد روى عنهُ (٦ : ٣٣) مسنداً قولهُ الى ابن دريد قال : «كان وضّاح اليمن والمقنّع الكندي وابو زبيد الطائي يَرِدُون موسم العرب مقنّعين يسترون وجوههم خوفاً من العين (!!) وحذاراً على انفسهم من النساء لجمالهم» وقال ايضاً (١١ : ٢٨) : «كان ابو زبيد الطائي ممن اذا دخل مكّة دخلها متنكّراً» . وقال في خزانة الادب (٢ : ١٥٥) «انّ عمر بن الخطّاب استعمل ابا زُبيد على صدقات قومهِ ولم يستعمل نصرانيّاً غيرهُ» . وروي عن ابي زُبَيد انهُ تنقّل الى بلاد مختلفة وانهُ دخل مكّة والمدينة وسكن مدّةً في الكوفة ينادم الوليد بن عقبة . قال في الاغاني (٤ : ٨٢—٨٣) : «انّ ابا زبيد وفد على الوليد بن عقبة حين استعملهُ عثمان على الكوفة فانزله الوليد دار العقيل بن ابي طالب وهي دار القبطي على باب المسجد فاستوهبها منهُ فوهبها لهُ . فاحتجّ عليهِ اهل الكوفة انّ ابا زُبيد كان يخرج اليهِ من دارهِ يخترق المسجد وهو نصرانيّ فيجعلهُ طريقاً . وقيل انهُ كان يخرج من منزلهِ حتّى يشقّ الجامع الى الوليد فيسمر عندهُ ويشرب معهُ ويخرج فيشقّ المسجد وهو سكران فذلك نبّههم عليهِ»

---

١) روى عبد القادر البغدادي في خزانة الادب (٢ : ١٥٥) انّ ابا زُبيد كان اعور آدم ونسب هذا القول لابن سلام الجمحي فلم نجدهُ في كتابهِ طبقات الشعراء

﴿ ابو زبيد والاسد ﴾ ومما اشتهر به ابو زُبيد وصفهُ للأسد قيل انهُ لقيهُ في بعض اسفاره بالنجف فرأى من بطشه ما ارعد فرائصهُ فوصفهُ وصفاً لم يأتِ بمثله غيرهُ . جاء في الاغاني (١١ : ٢٤–٢٥) وفي طبقات الشعر للجمحي (ص١٩٦) انَّ عثمان ابن عفَّان قال لابي زُبيد : تالله تذكر الاسدَ ما حييتَ والله اني لَاحسبك جباناً هرَّباً (ويروى : هداناً) . قال : كلَّا يا امير المؤمنين ولكنّي رأيتُ منهُ منظراً وشهدتُ منهُ مشهداً لا يبرح ذكرهُ يتجدَّد في قلبي ومعذورٌ انا يا امير المؤمنين غير ملوم . فقال عثمان : وأنَّى كان ذلك . قال : خرجتُ في صِبابة اشراف من ابناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة ترتمي بنا المَهاري بانسانها (الاغاني : باكسانها) ونحن نريد الحارث ابن ابي شمر الغساني ملك الشام فاخرَوَّطَ (غ : اخرورط) بنا المسير حمارَّة القيظ حتَّى عصبَتْ الافواه وذبلت الشفاه وشالت (غ : وسالت) المياه وأذكت الجوزاء المعزاء ودب (غ : وذاب) الصَّيهد وصرَّ الجندب وضاف (غ : واضاف) العصفورَ الضبُّ في جواره (غ : في وكره . ويروى : في جواره) فقال قائلنا : يا ايُّها الركب غرروا بنا في ضَوْج هذا الوادي واذا وادٍ قد بدا يمناً كثير الدَّغل ، دائم الظِّل ، شجراوُهُ مُغنَّة ، واطيارُهُ مُرنّة ، فعطفنا رحالنا باصول دوحات كنَهْبلات فأصبنا من فَضَلات الزاد وأتبعناها الماء البارد

« وإنَّا لِنصف حرّ يومنا ومماطلته اذ صرَّ أقصى الخيل أُذُنَيه ، وفحصَ الارضَ بيدَيه ، فوالله ما لبث ان جال ، ثم حَمْحم فبال ، ثم فعل فِعلهُ الفرس الذي يليه واحداً فواحداً . فتضعضعت الخيل وتكمكمت الابل وتقهقرت البغال . فمن ناقر بشكاله ، وناهض بعقاله ، فعلمنا أن قد أتينا وانهُ السَّبُع . ففزع كلُّ واحد الى سيفه فاستلَّهُ من جرابه ثمَّ وقفنا رَزْدقاً أرسالاً . فاقبل ابو الحرث من اجمته يتطالع (غ : يتظالع) من بعيد كأنهُ مَجنوب او في هجار . لصدره نحيط ، ولبلاعمه غطيط ، ولطَرفه وميض ، ولأرساغه نقيض ، كأنهُ يخبطُ هشيماً ، ويطأ صريماً ، واذا هامةٌ كالمِجَنّ ، وخدٌّ كالمِسَنّ . وعينان سجراوان كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ربلة ، ولحزمة (غ : ولهذمة) رهلة ، وكشد مُفيظ ، وزور مُفرط ، وساعد مجدول ، وعضد مفتول ، وكفّ كشنة البراثن ، الى مخالب كالمحاجن ، فضرب بيده فأرهج ، وكشر فأفرج ، عن انياب كالمعاول مصقولة ، غير مفلولة ، وفم اشدق ، كالغار الأخرق ، ثمَّ

تمطّى فاشرع (غ: فاسرع) بيديهِ ، وحفز وركّبه برجليهِ ، حتّى صار ظلّهُ مثليهِ ، ثمّ أقعى فاقشعرّ ، ثمّ مثل (غ: تمثّل) فاكفهرّ ، ثم تجهّم فازبأرّ ، فلا والذي (غ: وذو) بيتهُ في السماء ما أتقيناهُ الّا باخ لنا من بني فزارة ، كان ضخم الجزارة ، فوقصهُ ثمّ نفضهُ نفضةً فتقطّع متنيه وجعل يلغ في دمهِ . فذعرتُ لاصحابي فهجّهجنا بهِ فبعد لأيٍ ما استقدموا فكرّ مقشعرًا بزبرهِ (غ: بزبرهِ) كأنّ بهِ شيهاً (غ: شصاً) حوليًا فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنفضهُ نفضةً تزايلت مفاصلهُ ثمّ نهم فقرقر ، ثمّ زفر فبربر ، ثمّ زأر فجرجر ، ثمّ لحظ فوالله لخلتُ البرقَ يتطاير من تحت جفونهِ ، من عن شمالهِ ويمينهِ ، فأرعشت الايدي واصطكّت الارجل وأطّت الاضلاع ، وارتجّت الاسماع ، وحمجت (غ: وشخصت) العيون ، ولحقت البطون ، وانخزلت المتون ، وساءت (غ: وتحققت) الظنون »

فقال لهُ عثمان : اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبتَ قلوب المسلمين . وممّا أخبر ابن الاعرابي (الاغاني ١١ : ٢٦) انهُ كان لابي زُبَيد كلبٌ يقال لهُ أكدر وكان لهُ سلاح يُلبسهُ أياهُ فكان لايقوم لهُ الاسد . فخرج ليلةً قبل ان يُلبسهُ سلاحهُ فلقيهُ الاسد فقتلهُ ويقال اخذ سلاحهُ فافلت منهُ فقال عند ذلك ابو زُبَيد (من البسيط) :

أحالَ أكدرُ مشياً لا لعادتهِ ... حتّى اذا كان بين البئر والعَطَنِ
لاقى لدى ثَأَلِ الأَطواء داهيةً ... أسرَتْ واكدرُ تحت الليل في قَرَنِ
حطّت بهِ شيمةٌ وَرْهاء تطردُهُ ... حتى تناهى الى الجَولانِ في السَّنَنِ
الى مُقابلِ خَطوِ الساعدَين لهُ ... فوق السَّراةِ كذِفرى الفالجِ القَمِنِ
رئبالُ غابٍ فلا قَحْمٌ ولا ضَرِعٌ ... كالبَغل يحتطمُ العجلَين في شَطَنِ

(قال) وهي قصيدةٌ طويلة . فلامهُ قومهُ على كثرة وصفهِ للاسد وقالوا لهُ : قد خفنا ان تسبّنا العرب بوصفك لهُ . قال : لو رأيتم ما لقيَ اكدرُ لما لُمتموني . ثمّ أمسك عن وصفهِ فلم يصفهُ بعد ذلك بشعرهِ حتّى مات

﴿ابو زُبَيد والوليد بن عُقبة وموتهما﴾ قال ابو الفرج (الاغاني ٤ : ١٨٦—١٨٧) الوليد هو ابن ابي مُعيط واخو عثمان الخليفة من امّهِ وامّهما اروى بنت كريز بنت

بنت عبد المطلب . والوليد هذا من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم واجوادهم وكان عثمان جعلهُ والياً على الكوفة فكان لم يزل مدمناً على شرب الخمر فجَلَدَهُ عثمانُ الحدَّ على شربهِ . وكان ابو زُبَيد الطائي ينادم الوليد في أيام ولايتهِ ثمَّ عُزل الوليد وعدل عن امور الدولة وصار الى الرِّقة (الاغاني ١١ : ٢٨) واعتزل علياً ومعاوية فلحق اليهِ ابو زُبَيد فكان ينادمهُ وكان يُحمَل في كلّ احدٍ الى البيعة مع النصارى فبينا هو يوم احد يشرب والنصارى حولهُ رفع نظرهُ الى السماء فنظر ثمَّ رمى بالكأس من يدهِ وقال (حماسة البحتري ص ١٠٧ وكتاب المعمرين ٩٨) (من الطويل) :

اذا أَصبح المرءُ الذي كان حازماً يُحَلُّ بهِ حلَّ الحُوارِ ويُحمَلُ (١
فليس لهُ في العيش خيرٌ يُريدهُ وتكفينُهُ مَيتاً أَعفُّ وأَجملُ
أَتاني رسول الموتِ يا مرحباً بهِ ويا حَبَّذا هو مُرسَلاً حين يُرسَلُ (٢

قال الجمحيّ : ثمَّ مات فجاءَ اصحابهُ فوجدوهُ ميتاً فدُفن هناك على نهر البليخ . فلمَّا حضرت الوليد بن عقبة الوفاة اوصى ان يُدفن الى جنب ابي زبيد . جاء في كتاب ادب النديم لكشاجم (Ms de Paris, Suppl. ar. 1347, p. 65) « انَّ الوليد بن عقبة لم يزل ينادم ابا زُبَيد الطائي والياً ومعزولاً على وتيرةٍ واحدة من الانصاف لم ينتقل عنها ويجلّهُ ويعظّمهُ ولا يقدّم عليهِ احداً حتَّى هلك ابو زبيد فوجد عليهِ الوليد وَجْداً شديداً ثمَّ اعتلَّ ومات فيقال انهُ دُفن الى جانبهِ . ومرَّ بقبريهما اشجع بن عمرو السُّلمي ومعهُ صديقان لهُ يقال لهما حمزة وسعيد فوقف بهما ثمَّ قال :

مررتُ على عظام ابي زُبَيدٍ رهيناً تحت مُوحشةٍ صَلُودِ
نديمٌ للوليد ثوى فاضحى فجاوزَ قبرُهُ قبرَ الوليدِ
وما ادري بمن تبدو المنايا بأَشجعَ او بحمزةَ او سعيدِ

فقال انهم ماتوا على هذا النسق اوَّلاً فاوَّلاً . (قلنا) هذا ما ورد عن وفاة ابي زُبَيد انهُ سبق الوليد بموتهِ . وجاء في الاغاني في محلٍّ آخر (١١ : ٢٨) : « وقيل ان أبا

١) ويروى : اذا حُمل . . . حلَّ الجواري ويُرحل . ويروى : حلَّ الجواد
٢) ويروى : لآتيهُ وسوفَ رهُ افعلُ

زُبَيد مات بعد الوليد فأوصى ان يُدفن الى جنب الوليد»

وقد مدح ابو زبيد الوليد لإحسانه اليه . اخبر في الاغاني (٤ : ١٨٣) قال : كان ابو زبيد استودع بني كنانة بن تيم التغلبيين ابلًا فلم يردّوها عليه حين طلبها فلاذ بالوليد وكان عُمَر ولّاهُ صدقات بني تغلب فاخذ له بحقه فقال ابو زُبيد يمدحهُ (من البسيط) :

يا ليت شعري بأنباء أُنبِّأها قد كان يعيا بها صدري وتقديري

عن امرئٍ ما يَزِدْهُ اللهُ من شرفٍ أفرحْ بهِ ومُرَيٌّ غير مسرورِ (١

وفيها يقول :

انَّ الوليد لهُ عندي وحقٌّ لهُ ودُّ الخليلِ ونُصحٌ غيرُ مذخورِ

لقد رعاني وادناني وأظهرَني على الاعادي بنصرٍ غير تقديرِ

فشَذَّب القومَ عنّي غيرَ مكترثٍ حتّى تناءوا على رغمٍ وتصغيرِ

نفسي فداءُ ابي وهبٍ وقلْ لهُ يا امَّ عمروٍ (٢ فحُلّي اليومَ او سيري

ثمَّ روى عن ابن الاعرابيّ ما يلي قال : كان الوليد بن عُقبة قد استعمل الربيع ابن مُرَيّ بن اوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحِمى فيما بين الجزيرة واظهُر الحيرة فأجدبت الجزيرة وكان ابو زبيد في تغلب فخرج بهم ليرعيهم فأبى عليه الأوسي وقال : ان شئتَ ارعيك وحدك فعلتُ والّا فلا . فأتى ابو زُبيد الوليدَ بن عُقبة فأعطاهُ ما بين القصور الحُمْر من الشام الى القصور الحمر من الحيرة وجعل له حمًى واخذها من الآخر فقال ابو زُبَيد يمدح الوليد (من الوافر) :

لَعَمْرُ ابيكَ يا ابن ابي مُرَيّ لِيبرك مَن أَباح لها الديارا

١) اراد مُرَيّ بن اوس بن حارثة بن لأم

٢) وفي رواية ابن حبيب : يا امَّ زيد اعني يا ام ابي زيد

أباح لهـا أبارقَ ذات نورٍ ترَعي القُفَّ منها والقفارا
بحمـد الله ثمَّ فتى قُرَيْشٍ ابي وَهْبٍ غدت بطناً غزارا
أباح لهـا ولا يحمي عليهـا اذا ما كنتمُ سنةً جزارا(١
فتًى طالت يداهُ الى المعالي وطَحْطحنَ المقطَّمةَ القصارا

فلمّا عُزل الوليد ووليها سعيد (والصواب سعد بن ابي وقاص) انتزعها منهُ واخرجها من يدهِ فقال (خزانة الادب ٣:٢٨٢) (من الخفيف):

ولقـد مُتُّ غير أنّيَ حيٌّ يومَ باءَت بودّهـا خنساءُ
من بني عامرٍ لها شِقُّ قلبي(٢ قسمةٌ مثلُ ما يُشَقُّ الرداءُ

الى ان قال:

فانتهَوْا انَّ للشدائـد اهلًا وذَرُوا ما تُزَيِّنُ الأهواءُ
ليت شعري واينَ منّيَ لَيْتٌ انَّ ليتاً وانَّ لوًّا عَنـاءُ (٣
اي ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي حين لاحت للصابحِ الجوزاءُ(٤
واستظلَّ(٥ العصفورُ كرهاً مع الضـبِّ واوفى في عُودهِ الحرباءُ
ونفى الجُندُبُ الحصا بكراعَيْـهِ وأذكت نيرانَها المعزاءُ(٦
من سَمُومٍ كـأنها حَرُّ نارٍ سفعتْهـا ظُـهيرةٌ غرّاءُ (٧
واذا اهلُ بلدةٍ(٨ أنكروني عرفتْني الـدَّوِّيَّـةُ الملساءُ

---

١) يريد جزرًا من الجدب والشدّة ٢) ويروى: شقُّ نفسي
٣) اراد الشاعر بليت ولوْ لفظهما فاقامهما مقام الاسماء وصرفهما ٤) الشِرْب بالكسر النصيب من الماء والصابح الذي يسقي الابل في اوّل النهار
٥) ويروى: واستكنَّ ٦) ويروى: المغراءُ ٧) ويروى: شفعتها
٨) ويروى: واذا الدارُ اهلها

عرفتْ ناقتي الشمائلَ مني فهي ألا بُغامَها خرساء
عرفت ليلَها الطويلَ وليلي انَّ ذا النومَ(١ للعيونِ غِطاء

ومما رُوي لهُ في مدح الوليد قولهُ يتشوَّق اليهِ لما خرج من الكوفة (من الطويل) .

لعمري لئنْ أمسى الوليدُ ببلدةٍ سواي لقد امسيتُ للدهر مُعْوِرا
خلا انَّ رزقَ الله غادٍ ورائحٌ واني لهُ راجٍ وان سرتُ اشهُرا
اذا صادفوا دوني الوليدَ كأنما يرون بوادي ذي حَماسٍ مُزعفَرا(٢

ثمَّ قال :

تناذَرَهُ السُّفَّارُ فاجتنبوا لهُ منازلهُ عن ذي حَماسٍ وعَرْعرا
خضيبُ بَنانٍ ما يزال براكبٍ يخُبُّ وصاحي جلدهِ قد تقشَّرا

ومن اخبارهِ مع اخوالهِ بني تغلب ما رواهُ ابن الاعرابي (الاغاني ١١ : ٢٧) قال: كان اخوال ابي زُبيد بني تغلب وكان يقيمُ فيهم اكثر ايامهِ وكان لهُ غلام يَرعى إبله فغزت بهراء بني تغلب فمرُّوا بغلامهِ فدفع اليهم ابل ابي زُبيد وقال: انطلقوا وادلّكم على عورة القوم وأُقاتل معكم . ففعلوا والتقوا فهُزمت بهراء وقُتل الغلام فقال ابو زُبيد وفي هذه الابيات غناء لابن محرز (من المنسرح) :

هل كنتَ في مَنظرٍ ومستمَعٍ عن نَصر بَهراء غيرَ ذي فَرَسِ
تسعى الى فِتْيةِ الأراقم وأستعجلتَ قبل الجُمانِ والقبَسِ
في عارضٍ من جبال بهرائها م الأُولى مَرِنَ الحَرورِ عن دَرَسِ
فبَهرةٌ مَن لَقُوا حسبتَهمُ احلى واشهى من باردِ الدِّيسِ

١) ويروى: ذا الليل ٢) ويروى: اذا ما رأوا . وحَماس ارض بالعالية وعرعر وادٍ هناك (سكري ٥٤٣)

لا تِرَةٌ عندهُم فتطلبُها ولا همُ نُهزةٌ لمختلسِ
جُودٌ كرامٌ اذا همُ نُدبوا غيرُ لئامٍ ضُجرٍ ولا كُسُسِ
صُمتٌ عظامُ الحلوم ان قَعدوا من غير عيٍّ بهم ولا خَرَسِ
تقودُ افراسَهم نساؤهمُ يَزْجُون أجمالَهم مع الغَلَسِ
صادفتَ لمّا خرجتَ منطلقاً جَهْمَ المحيّا كباسلٍ شرِسِ
تخالُ في كفِّهِ مُثقَّفةً تلمعُ فيها كشُعلة القبَسِ
بكفِّ حرّانَ ثائرٌ بدمٍ طُلّابُ وِترٍ في الموت مُنغمِسِ
إمّا تقارنْ (١ بك الارواح فلا ابكيكَ الّا للدّلو والمرَسِ
حَمِدتُ امري ولمتُ امرَكَ اذ أمسك جَلْزُ السنانِ للنفسِ
وقد تصلّيتَ حرَّ نارِهمُ كما تَصلّى المقرورُ من قَرَسِ
تذُبُّ عنهُ كفٌّ بها رَمَقٌ طيرًا عُكوفاً كزُوَّرِ العُرُسِ
عمّا قليلٍ علونَ جثّتهُ (٢ فهنَّ من والغٍ ومُنتهِسِ

فلمّا فرغ ابو زُبيد من قصيدتهِ بعثت اليهِ بنو تغلب بدية غلامهِ وما ذهب من ابلهِ فقال في ذلك (من الطويل) :

ألا أبلغْ بني نصرِ بن عمروٍ (٣ بأنّي في مودّتكمْ نفيسُ

وفيها يقول :

فما انا بالضعيف فتظلموني ولا جافي اللقاء ولا خسيسُ
اخي حقٍّ موأساتي اخاكم بمالي ثمَّ يظلمني السَّريسُ (٤

١) ويروى : تقارش ٢) ويروى : يصبّحنَ مهجتهُ ٣) وروى ابن سلام : بني عمرو رسولاً ٤) السريس الضعيف الذي لا ولد لهُ

ومما يُذكر من اخبار ابي زُبَيد (الاغاني ١١ : ٢٧) ما روى حمّاد عن ابيهِ قال : كان لابي زُبيد نديمٌ يشربُ معهُ بالكوفة فغاب ابو زبيد غيبةً ثمَّ رجع فأخبروهُ بوفاتهِ فعدل الى قبرهِ قبل دخولهِ منزلهُ فوقف عليهِ ثمَّ قال (من السريع) :

يا هاجري اذ جئتُ زائرَهُ ما كان من عادتك الهَجْرُ
يا صاحبَ القبرِ السلامُ على مَن حال دونَ لقائهِ القبرُ

ثمَّ انصرف وكان بعد ذلك يجيء الى قبرهِ يشربُ عندهُ ويصبُّ الشراب على قبرهِ

﴿شعر ابي زُبيد﴾ لابي زُبَيد شعر كثير متفرّق ولا نعرف لهُ ديواناً مستقلًّا . وهو ممَّن يرجع اهل اللغة الى كلامهِ لفصاحة اقوالهِ وقد جعلهُ ابن سلام (ص ١٩٦) في الطبقة الخامسة من الشعراء الاسلاميين . وقد اختار البحتري في حماستهِ كثيراً من ابياتهِ وفيها الحكم والاقوال البليغة فمن ذلك قولهُ في صحّة المودّة وحفظ الاخاء من قصيدةٍ رواها الزبيدي (الاغاني ٤ : ١٨٢) (من الخفيف) :

مَن يرى العيرَ لابن أروى على ظهـرِ المَرَوْرَى حُداتهنَّ عِجالُ (١
مُصعِداتٍ والبيت بيتُ ابي الوهـب خَلاءٌ تحنُّ فيهِ الشَمالُ
يعرفُ الجاهلُ المُضَلَّل ان الدم هر فيهِ النَّكراءُ والزَّلزالُ
ليت شعري كذاكمُ العهدُ ام كا نوا أناساً كمن يزولُ فزالوا
بعد ما تعلمين يا امَّ زيد كان فيهم عزٌّ لنا وجمالُ
ووجوهٌ بودّنا مشرقاتٌ ونوالٌ اذا أُريد النوالُ
اصبحَ البيتُ قد تبدَّل بالحـيِّ وجوهاً كأنها الأَقتالُ
كلُّ شيءٍ يحتالُ فيهِ الرجالُ غير أنْ ليس للمنايا احتيالُ
ولَعمرُ الإله لو كان للسيف مِصالٌ او للسنان مقالُ (٢

١) المروري جمع مَرْوَراة وهي الصحراء ٢) ويروى في الاغاني : للسان

ما تناسيتُكَ الصفاءَ ولا الودَّ م ولا حالَ دونكَ الاشغالُ
ولَحَرَمتُ لحمَكَ المتعضَّى ضَلَّةً ضَلَّ بالهم ما اغتالوا (١
قولُهم شُرْبُك الحرامُ وقد كا ن شرابٌ سوى الحرامِ حَلالُ
وأبى الظاهرُ العداوةِ الّا شَنآناً وقولَ ما لا يُقالُ
من رجالٍ تقارَضوا مُنكَراتٍ لينالوا الذي ارادوا فنالوا
غيرَ ما طالبين ذَحلًا ولكن مالَ دهرٌ على اناسٍ فمالوا
مَنْ يَخُنْكَ الصفاءُ او يتبدَّلْ او يَزُلْ مثلما تزول الظِلالُ (٢
فاعلمَنْ أنني اخوك اخو الو دِّ حياتي حتى تزولَ الجبالُ (٣
ليس بُخلًا عليك عندي بمالٍ ابدًا ما أقلَّ نَملًا قِبالُ (٤
ولك (٥ النصرُ باللسان وبالكـ ـفِّ اذ كان لليدين مَصالُ

وقال بعناهُ (من البسيط) :

مَن مبلغٌ قومَنا النائين اذ شخصوا أنَّ الفؤاد اليهم شَيِّقٌ وَلِعُ
تبادروني كأني في أكُفِّهمُ حتّى اذا ما رأوني خالياً نَزَعوا
واستحدثَ القومُ امرًا غيرَ ما وهموا وكان انصارُهم شتّى وما جمعوا
والدارُ إمّا نأتْ بي عنهمُ فلَهُم ودِّي ونصري اذا اعداؤهم سَبَعوا
إمّا بحدِّ سِنانٍ او مُحافَلَةٍ فلا قَحومٌ ولا فانٍ (٦ ولا ضَرِعُ
حمّالُ اثقالِ اهلِ الودِّ آونةً أُعطيهمُ الودَّ مني بَلْهَ ما سمعوا (٧

١) ويروى : المتقصّى . . . ضَلَّ حِلمُهم ٢) ويروى : يزولُ
٣) ويروى : فاعلمنْ . . اخو العهد ٤) ويروى : ليس بُخل عليك مني . . اقلَّ سيفًا حمالُ ٥) ويروى : فلكَ ٦) ويروى : وان ٧) ويروى : العهد ويروى : الجهد . وبَلْهَ ما سمعوا اي على خلاف ما سمعوا . وبَلْه بمعنى غير

وقال في الرجل ذي النميمة الذي يُسخط قومهُ (من الطويل):

ومن شرّ اخلاق الرجال نميمةٌ متى ما تَبِعْ يوماً بها العِرضَ يَنْفُقِ
وان امرأً لا يتّقي سُخط قومهِ ولا يحفظُ القُربى لَغيرُ موفَّقِ
أَبيتُ الذي يأتي الدنيّ شبيبتي الى ان علاوخطٌ من الشَّيبِ مَفرَقي

وقال فيمن يحرم خيرَهُ الاقارب ويولي الاجانب (من الطويل):

وانتَ امرؤٌ منّا خُلقتَ لغيرنا حياتُك لا تُرْجى وموتك فاجعُ

ومن شعرهِ قولهُ يردّ على بني شيبان وكانوا افتخروا بقتل رجلٍ من طيّ يُدعى المُكّاء كان نزل ضيفاً برجل من بني الحرث بن ذهل بن شيبان فاضافهُ وسقاهُ فلمّا سكر جعل يفاخر بني شيبان فوثب عليهِ الشيباني فقتلهُ وخرج هارباً فقال ابو زُبيد يهجو بني شيبان (خفيف):

خَبَرَتْنا الرُّكبانُ أن قد فَرِحتم وفخَرتُمْ بضربةِ المُكّاء
ولعمري لَعارُها كان أدنى لكمُ من تُقًى وحُسن وفاء
ظلَّ ضيفاً اخوكم لأخينا في صَبوحٍ ونِعمةٍ وشِواء
لم يَهَبْ حُرمةَ النديم وحَقَّت يا لَقومي للسوءةِ السَّوْءاء
فاصدقوني وقد خبرتم وقد نا بت اليكم جوانبُ الأنباء (١
هل عَلِمتم من معشر سافهونا ثمَّ عاشوا صفحاً ذوي غُلَواء
كم ازالت رماحُنا من قَتيلٍ قاتلونا بنَكبةٍ وشَقاء
بعثوا حَربنا اليهم (٢ وكانوا في مقامٍ لو أبصروا ورَخاء

١) الجوانب جمع جانبة وهي الخبر يجوب الارض وينتشر بها ٢) ويروى: عليهم

ثمَّ لمَّا تشذَّرت وأنافت وتصلَّوا منها كريهة الصِّلاء (١
طلبوا صُلحَنا ولاتَ أوانٌ فأجبنا ان ليس حينَ بقاء
ولعمري لقد لَقوا اهلَ بأسٍ يصدقون الطِعان عند اللقاء
ولقد قاتلوا فما جبَّنَ القو مُ عن الأُمهاتِ والأبناء

الى ان قال :

فاصدقوني أسُوقةٌ ام ملوكٌ انتمُ والملوك اهلُ علاء
أبَدِيءٌ (٢ أن تقتلوا اذ قتلتم ام لكم بسطةٌ على الأكفاء
ام طمعتم بان تُريقوا دِماناً ثمَّ انتم بنجوةٍ في السَّماء
فلحا الله طالبَ الصلح منَّا ما اطاف المُبِسُّ بالدهناء (٣
انَّنا معشرٌ شمائلنا الصَّبرُ ودفعُ الأسى بحسنِ العزاء
ولنا فوق كلِّ مجدٍ لِواءٌ فاضلٌ في التمام كلَّ لواء
فاذا ما استطعتمُ فاقتلونا مَن يُصِب يرتهن بغير فداء

(لها بقيّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

La science mystérieuse des Pharaons par l'Abbé Th. Moreux. 1 vol, in-16, pp. 250 avec figures et planches, Paris, éditeur G. Doin. Prix 7 f.

علم الفراعنة الخفيّ

قد احرز الكاهن الفرنسوي مورو شهرةً في العلوم الفلكيّة والطبيعيّة استحقَّت

١) تشذَّر تهيَّأ للقتال. وتصلَّوا من صلى بالنار اذا وجد حرَّها. والصلاء حرّ النار
٢) أبَدِيءٌ الهمزة للاستفهام وبَدِيءٌ كبديع وزناً ومعنى اي هل يحصل بكم
٣) الدهناء موضع في بلاد بني تميم. والمُبِسّ حادي الابل الذي يُبِسُّ بها اي يزجرها

لهُ ان يُنظم اليوم بين اكبر علماء اوربَّة. وقد احبَّ ان تتَّسع فائدة معارفهِ فوضع كتباً علميَّة عديدة يتهافت عليها العموم لقرب منالها. وهذا اثرٌ جديد من قلمهِ يدلُّ على علمهِ الغريب فانَّهُ اراد ان يفحص ما ابقى قدماء الشعوب كالكلدان والاشوريين ولاسيما فراعنة مصر من الابنية العجيبة مثل الاهرام والهياكل والقصور ثم الكتابات الهيروغليفيَّة والمسماريَّة فاستخرج منها نتائج تتحيَّر لها الالباب فبيَّن انَّهم كانوا بلغوا الى معارف هندسيَّة وفلكيَّة ورياضيَّة لم تبلغها الشعوب الاوربيَّة الَّا بعد مئين من السنين بل يرجَّح انَّ هذه العلوم اخذوها عن تقاليد امم اخرى سبقتهم ومنها استقى موسى ما ايَّدهُ لهُ الوحي فأثبتهُ في سفر التكوين من تركيب العالم. والاب مورو يطبِّق تفسير الكتاب الكريم على هذه المعارف القديمة ويثبت صحَّتها بما بلغهُ العلم الحديث في عهدنا. فنرجي بهذا الكتاب كلَّ محبِّي العلوم والباحثين عن صدق الاسفار المقدَّسة

Ecrits spirituels de CHARLES DE FOUCAULD Ermite au Sahara, Apôtre des Touaregs. 1 *vol. in*-12, 270 *p.*, *Paris, J. de Gigord. Prix*, 6 *f.* 75

كتابات الاب شرل فوكو الروحيَّة

يذكر قرَّاؤنا ترجمة الاب شرل فوكو التي نشرها حضرة الاب فرديناند توتل في العام الماضي في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٩٩١—١٠٠٦). فهنا انَّ محرِّر سيرتهِ بالافرنسيَّة الكاتب البليغ المسيو رينه بازن من اكادميَّة فرنسة قد تمكَّن من جمع ما تركهُ ذاك فقيدُ الصحراء ورسول الطوارق من الكتابات الروحيَّة وهي مفكرات كان يدوِّنها يوماً بيوم ليجرِّد نفسهُ عن الارض ويعيش لله. وكفى بها شاهداً على ما تنتجهُ الكنيسة الكاثوليكيَّة من الصلاح والقداسة بين ابنائها نفعنا الله ببركة عبدهِ رجل الخير وشهيد محبَّتهِ خلاص العرب ل. ش

Celestino Testore S. J. : Le Missioni della Compagnia di Gesù tra gli Infedeli, *in*-16, *pp.* 80, *Roma*, 1922

رسالات الرهبانيَّة اليسوعيَّة بين غير المؤمنين

كنَّا خصصنا في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٦٤٥—٦٦١) مقالة ضافية في ذكر

الرسالات الاجنبيّة التي استأنفتها الرهبانيّة اليسوعيّة بعد رجوعها الى عالم الوجود سنة ١٨١٤ بفضل براءة الحبر الاعظم بيوس السابع. وقد طرق حضرة الاب تستوري هذا الموضوع مستندًا الى سجلّات الرهبنة اليسوعيّة في رومية والى احدث المعلومات التي وردت من انحاء المعمور بهذا الخصوص. فيؤخذ من هذا البحث الجديد ان عدد الرهبان اليسوعيين الذين كانوا في اوّل سنة ١٩٢٢ يفلحون كرم الرب في البلاد الاجنبيّة بين غير المؤمنين كان بالغًا ١٩٤٤ راهبًا يتولّون خدمة ٤١٦٨ كنيسةً او معبدًا ويسكنون في ٥١٠ اديرة او مراكز ويديرون ٣٦٥٢ مدرسة بين كليّات جامعة ومدارس ثانويّة وابتدائيّة و١١٧ مشروعًا خيريًّا كآور ومياتم ومستشفيات ومستوصفات ومنازل لعلاج البُرص الخ

الادب العصري في العراق العربيّ

تأليف الاديب رفائيل بُطي

طُبع في مصر بالمطبعة السلفيّة سنة ١٩٢٢ (ص ٣٢٦)

نبأٌ من العراق شنّف آذاننا بما تغنّى به بلابلُ دوحته وهو نخبة من آثار أُدباء دولته الجديدة. كانت الدولة التركيّة البائدة كمّت افواههم وضغطت على اقلامهم فقامت اليوم دولة عربيّة اطلقت لسانهم وحرّرت يراعهم. فاستفزّت الحريّة خاطر الاديب رفائيل بُطي ليجمع هذه الطرفة من مآثر جهابذة بلاده ليُعرف فضلهم وتُنشر بنات افكارهم فسرّحنا النظر في هذا القسم الاوّل وهو قسم النظم فوجدنا القصائد المنتخبة تنطق بقدرة اصحابها وجودة قريحتهم كيف لا وبينهم الرصافي والزهاوي والدجيليّ. ولا شكّ أنّنا نستند الى هذا التأليف اذا باشرنا — عن قريب ان شاء — بتاريخ الآداب العربيّة في الربع الاوّل من القرن العشرين. على أنّنا مع إعجابنا بمعظم هذه الدُّرر الفريدة وجدنا في بعضها شيئًا من التطرّف في باب الفخر والغلوّ في مدح الوطن مع ابتخاس حقوق الغرب والاجانب. وكان الاولى بالمنتخب ان يضرب الصفح عن ذكر الريحاني الثرثار والزنديق المُجهرج (ص ٩١) ل.ش

كتاب مبادىء القراءة

لأحد الآباء اليسوعيين

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٩١)

انّ تعليم القراءة الحديث الذي شاع في البلاد الراقية مرجعهُ الى مراقبة طبيعة الولد وتطبيق ذلك التعليم على فطرتهِ . فالطفل يتعلّم بالسّمع كما يتعلّم بالنظر لغة والديهِ . فكذلك تعليم القراءة يتهافت عليهِ الصغار ان تلقّنوهُ بصوت الاستاذ الحيّ وبصورة مدلول الكلمة . فهذا ما توخّاهُ صاحب هذا الكتاب الانيق فقسمهُ الى ثلثة اقسام و٤٥ درساً خصّ القسم الاوّل بالحروف المنفصلة مهلةً ثمّ محرّكةً والقسم الثاني بالحروف المتصلة والثالث بقراءة الجمل . وفي اثنائها ٣٥ صورة متقنة الصُنع يرتشد الولد بمعانيها ويدرك الغازها . وفي القسم الثالث فصول دينيّة وادبيّة وفكاهيّة هي نِعْمَ الغذاء لارواح الاحداث . والكتاب كلّهُ بالحرف الجليّ الناصع المعروف بالثلث العلّامي . فلا شكّ ان ارباب المدارس اذا وقفوا عليهِ يفضّلونهُ على سواه ل.ش

١) Guide de la Société de Villégiature au Mont-Liban pour l'année 1923. *Le Caire*, pp. 75 +M

٢ دليل شركة مصايف لبنان عن سنة ١٩٢٣ (ص ١٩٢) ٣ دليل المصطاف في ناحية بكفيّا والمحيدثة وساقية المسك وبحرصاف انشاهُ ادمون بليل (ص ١٥٢)

٤ بسكنتا وما يجاورها بقلم البحرصافي . بيروت المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٣ (ص ٣٢) : منتخبات البشير

انّ النهضة الجديدة التي قام بها بعض ذوي الهمّة في مصر لتنشيط الاصطياف في مشارف لبنان قد اتت بنتائجها الحسنة . فرأينا في هذا العام كثيرين من اهل مصر وفلسطين وداخلية الشام قد قصدوا جبلنا لترويح النفس من الاتعاب ولقضاء فصل الصيف . على انّ هذه الحركة لا تزال في مفتتحها والامل معقود على اتّساعها وانتشارها . فيسرّنا أنْ نوصي بهذه الكتب الجديدة التي توقف المصطافين على محاسن الجبل وخواصّهِ الصحيّة ومآثرهِ الجمّة . فالاوّل والثاني دليلا شركة مصايف لبنان للسنة ١٩٢٣ بالفرنسويّة والعربيّة وهما غير الدليل الذي وصفناهُ سابقاً للسنة ١٩٢٢ في

عدد آيار (ص ٣٩٥) مؤلفها على ما يظهر صديقنا الاديب الشيخ انطون جميّل وفيها ما يدلُّ على تمام معرفتهِ بوطنهِ لبنان فوفّى اوصافهُ من كلّ الوجوه جازاهُ الله خيرًا . والكتاب الثالث المطبوع في بيروت هو تأليف ادمون افندي بليبل خصَّهُ ببعض جهات لبنان اعني بكفيّا وجوارها فجمع في اوصافها الجغرافيَّة والتاريخيَّة والاهليَّة ما لا يقلّ عن ١٥٢ صفحة مع عدَّة صور وخوارط . امَّا الكتاب الرابع فمجموع مقالات شتَّى نشرها الاديب المتستّر تحت اسم «البحرصافي» احسنَ ايَّ احسان بوصف بسكنتا وما يجاورها مبيِّناً كلّ ميزاتها ومآثرها . فنشكر الكتبة المذكورين ونتمنَّى ان سائر قرى لبنان الجميلة تجد لها اقلاماً كأقلامهم لنشر كنوزها المكنونة

١ً ترقّي الصغار في دروس الاستظهار . جزءان (ص٦٤و٩٥) طُبعا في بيروت في المطبعة العلميَّة سنة ١٩٢٣ — ٢ً الدرُّ المنتخب من كتب الادب . جزءان (ص ١١٢و١٦٠) وكلّها من جمع يوسف صفير

قد اثنينا غير مرَّة على منتخبات صاحب مكتبة المدارس في بيروت الكتبيّ الاديب يوسف افندي صفير . فانَّهُ بنشاطهِ وجودة ذوقهِ يُحسن اختيار المواضيع التي يستحبُّها طلَّاب العربيَّة فالمقاطيع النثريَّة والنظميَّة التي ضمَّنها كتبهُ تجمع بين اللذَّة والفائدة ففيها الفصول الادبيَّة والنعوت الوطنيَّة والروايات الفكاهيَّة اذا استظهرها الدارس زانت عقلهُ وهذَّبت اخلاقهُ لاسيما ان جناب جامعها يعلّق على كلّ قطعةٍ منها الاسئلة التي تنبّه فكر الولد ثمَّ يضيف اليها نتائج ادبيَّة لترويض ذهنهِ . وهذه الكتب مضبوطة بالشكل الكامل لولا انَّ في ضبطها خللًا كثيرًا لا بُدَّ من اصلاحهِ في طبعة جديدة ل . ش

نشرة من الرياضيَّات التجاريَّة والماليَّة الراقية

تأليف سليم امين حدَّاد

طبع في مطبعة الشمس بمصر (ص ٤٨)

لم نقف على الكتاب الذي نشرهُ سليم افندي حدَّاد تحت عنوان كتاب الرياضيَّات التجاريَّة والمالية الراقية لنبدي فيهِ حكمنا عن عيان . الَّا انَّ هذه النشرة التي ارسلها جناب المؤلف وجمع فيها اقوال الاختصاصيين وآراء ثقات الماليين عن

كتابهِ تدلُّ على انهُ سدَّ بهِ فراغاً ظاهراً وانَّ التاجر والمالي لايمكنهما ان يستغنيا عنهُ . وعلى كلّ حال انّنا سننتقدهُ انتقادًا صحيحاً اذا أُرسل الى ادارة مجلّتنا

جغرافيَّة سوريَّة العموميَّة المفصَّلة

تأليف سعيد الصبَّاغ

طُبع في مطبعة العرفان في صيداء سنة ١٩٢٣ (ص ١٢٨)

بين الكتب المدرسيَّة التي نحن اليها في امسّ حاجة كتاب جغرافيّ يحيط بوصف سوريَّة وحدودها واقسامها واحوالها وسكّانها . فتحفّز لسدّ هذه الثلمة جناب الاديب سعيد الصبَّاغ بكتابٍ كبير ضمَّنهُ مباحث طبيعيَّة اقتصاديَّة سياسيَّة اجتماعيَّة تاريخيَّة مفصَّلة لكل من حكومات لبنان الكبير والاتحاد السوري (الشام حلب وبلاد العاريين) وفلسطين والشرق العربيّ وذلك علاوة عن المباحث الجغرافيَّة العموميَّة (فلكيَّة رياضيَّة طبيعيَّة) التي صدَّر بها الكتاب . وزيَّنهُ بمناظر المدن المشهورة وبعض الانهار وباشكال مختلفة وثلث خرائط كبيرة وخريطتين صغيرتين . وقد استفاد جنابهُ من فصول الشرق التي نشرها حضرة الاب لامنس ومن مقالاتنا في كتاب لبنان ما يدلّ على انَّهُ اراد ان يضع تأليفاً متقناً مضبوطاً . وبوجه الاجمال يمكننا ان نقول انهُ اصاب الهدف . الّا ان كتاباً مثل هذا يحتاج الى تحسين كبير لما يشملهُ من المواد المتعدّدة . ولولا قصر الوقت وضيق المجال لذكرنا عدَّة اصلاحات يمكن المؤلف ان يستفيد منها لطبعتهِ الثانية ولعلَّنا نفعل عند سنوح الفرصة . ان شاء الله ل . ش

منتدى التهذيب في بغداد

الحفلة السنويَّة الكبرى لسنتهِ الاولى ١٩٢٢—١٩٢٣

طُبع في مطبعة العراق في بغداد سنة ١٩٢٣ (ص : ٦٧)

هذا المشروع قام بهِ بعض نخبة من أدباء بغداد برعاية صاحب الغبطة مار يوسف عمانويل بطريرك بابل على الكلدان بانشائهم منتدى التهذيب وقد اقاموا لذلك حفلةً اوقفونا على مضامينها وهي خطبٌ بليغة وقصائد رنَّانة بيَّن فيها اصحابها غاية المنتدى

الشريفة ألا وهي تهذيب الناشئة البغداديَّة وترقيها في سبل الادب بالقاء المحاضرات الاسبوعيَّة والدروس الليليَّة ومطالعة الكتب والصحف الراقية مع الرياضات البدنيَّة المنشطة لقوى الجسم . فنتمنَّى لهذا المشروع الثبات مع النجاح المتواصل ل.ش

شذرات

﴿كتاب في الفلاحة﴾ أطلعنا في بكفيا حضرة القس اغناطيوس الحانك على كتاب نفيس في الفلاحة يُدعى خلاصة الاختصاص في معرفة القوى والخواصّ وهو مختصر كتاب الفلاحة النبطيَّة التي ترجمها ابو بكر بن وحشيَّة بعد حذف ما فيها من التطويل برسم الخزانة العلميَّة العليَّة السيدة السلطانيَّة النصرانيَّة (كذا) . ادام الله تعالى شرفها . تأليف العالم المتفنن ابي عبدالله محمَّد بن ابراهيم الاوسي المعروف بابن الرقَّام المرسي . . . نقَّحهُ ممَّا فيهِ من الالحاد والكفر والكتاب يقسم الى ١٥ باباً يبحث فيها عن كلّ لوازم الفلاحة كاستنباط المياه واحكامها وفي تعريف الاهوية وعلاماتها وفي كيف يُستأصل الشوك وفي الحبوب وفي توليد النباتات وفي كسح الاشجار واصنافها وفي الفواكه الخ . ولعلّ النسخة راقية الى القرن الثامن عشر كانت سنة ١٨٥٨ بين كتب يوسف نصَّار حبيش الاشقر . ومن هذا الكتاب نسختان في مكاتب اوربَّة الشرقيَّة الواحدة في مكتبة كمبريج (ع٣٤٢) والاخرى في غوطا (ع ٢١١٩)

﴿عاديَّات مصريَّة﴾ ممَّا استخرجهُ الاثريُّون حديثاً في مصر من بطن الارض آثار هيكلين قديمين للفرعونين منتوحوتيب الثالث والخامس من ملوك السلالة الحادية عشرة مع ما كان يحيط بهما من المتنزَّهات . وقد وجد الاثري الاميركيّ وينلوك (Winlock) بجوار هيكل منتوحوتيب الثالث صحيفةً من البرديّ تفيدنا عن احوال الزراعة المصريَّة في القرن العشرين قبل المسيح يعوّل عليها ارباب الاثار المصريَّة لكشف كثير من احوال قدماء المصريين الزراعيَّة

﴿نكبة اليابان﴾ جاء بيروت في مساء اليوم الثاني من ايلول قوم من زوَّار

الاراضي المقدَّسة الافرنسيين بعد ان مرُّوا بمرصدنا في كسارا فرووا انَّ مدير هذا المرصد اعلمهم بوقوع زلازل هائلة دلَّت عليها يوم امس الآلات الراصدة للزلازل ويرجح المدير ان تلك الزلازل وقعت في بلاد سحيقة وعلى ظنِّهِ انَّها اليابان. فما لبثنا بضع ساعات حتى وردت الانباء البرقيَّة معلنة بحصول تلك الجائحة في جهات اليابان ثم توالت الاخبار تدريجاً لانقطاعات المواصلات بعد تلك الكارثة التي قلبت قسماً كبيراً من تلك البلاد ظهراً لبطن فغاصت بعض الجزائر في البحر وغرقت البوارج وساخت قرًى في قلب الارض وتهدَّمت مدن كبيرة كطوكيو ويوكوهاما فمات الالوف بل مئات الالوف تحت الردم او محترقين احياء بما حدث من انفجار الذخائر الحربيَّة ومستودعات الزيوت. وقد اسرعت الدول وفي مقدَّمتها قداسة الحبر الاعظم الى ارسال الحسنات والادوية والملابس الى تلك الجهات البائسة — وقد اقترح علينا بعض القرَّاء بهذه النسبة كتابة فصل في الزلازل واسبابها فأجبنا ان المشرق سبق الى ذلك فنشر في الزلازل مقالات ممتعة كابحاث الكاتب الضليع عبدالله بك خير (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٤٥٣ و٦٤٠) في الزلازل وتعريفها وتقسيمها وتأثيرها. وكمقالة حضرة الاب كولنجت (٩ [١٩٠٦]: ٥٨٥) في الزلازل والبراكين. ومقالات حضرة الاب لامنس في زلازل سوريَّة وبيروت ونواميسها وسيرها (١ [١٨٩٨]: ٣٠٣ و ٣٣٧ ثم ٩٧٠٢).

﴿ الحساب الغربي في كنيسة اليونان ﴾ في هذا الشهر تشرين الاوَّل تُغيِّر كنيسة اليونان حسابها القديم الشرقي فتتبع الحساب الغريغوري المعروف بالغربي ولا تلبث ان تجري على غطها كنيسة القسطنطينية وكنائس رومانية والبلقان ولا نظن انَّ الكنيسة الارثوذكسيَّة في بلادنا تتأخر عن متابعة شقيقاتها فتتألَّف القلوب بتوحيد المواسم الدينيَّة السنويَّة ويزيل اخوتنا الروم عن افكارهم تلك الاوهام الباطلة التي تفصلهم عن مركز الوحدة الذي اليه كان مرجع اجدادهم مدَّة تسعمائة سنة الى ان قام فوطيوس وكرولاريوس فنصلا البنت عن امها لأغراض دينيَّة فذاقت الفتاة مذ ذاك الوقت من ضروب البلايا ما أدَّت بها الى حالتها الحاضرة فباطلاً يطلب اربابها نجاةً من مصائبهم خارجاً عن الكنيسة الكاثوليكيَّة

﴿ تركة فقيد الطباعة المرحوم الاخ انطون عبد الله ﴾ أشرنا في عدد سابق الى فضل هذا الراهب العامل الذي أغنى مطبعتنا بما صنَّفهُ لها من السنابك لأجناس

الحروف التي حصلت اليوم في ايدي ارباب المطابع شرقاً وغرباً فتزين صحفهم ومنشوراتهم . وها نحن ندوّن هنا امثلةً من عملهِ ليقف القرّاء على نشاطهِ وحسن ذوقهِ

١ تحسين بسيط

رأس الحكمة مخافة الله .

٢ تحسين مشكّل

أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ

٣ رقعي

العلم في الصغر كالنقش في الحجر

٤ علّامي بسيط

المنايا ولا الدنايا

٥ علّامي مشكّل

مَنْ نَصَرَهُ ٱلْحَقُّ لَمْ يُقْهَرْ

٦—٧ فارسي بسيط ومشكّل

خيرُ العلم ما نفعَ

٨ اسطنبولي اوّل بسيط

كلام المرء بيان فضله

٩ اسطنبولي اوّل مشكّل

مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَاهُ

١٠ اسطنبولي ثانٍ بسيط

حسن الادب يسترُ قبيح النسب

١١ اسطنبولي ثانٍ مشكّل

أَحْسَنُ ٱلْآدابِ مَا كَفَّكَ عَنِ ٱلْمَحَارِمِ

١٢ حرف بولاق اشتغلهُ مع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي

انَّ الدنيا كالشَّبكة تلتفُّ على من دخل فيها

١٣ بولاق مشكّل مع الشيخ

عَدْلُ ٱلسُّلْطَانِ سَلَامَةُ ٱلزَّمَانِ

١٤ الحرف البيروتي البسيط

عادة الكرام الجود وعادة اللئام الجحود

١٥ الحرف البيروتي المشكّل

إِخْلَاصُ ٱلتَّوْبَةِ يُسْقِطُ ٱلتَّبِعَةَ

هذا ما عدا سنابك اللغات الاجنبيَّة التي حفرها كالسرياني باشكالهِ والكلداني والسطرنجلي الخ

أسئلة وأجوبة

س سأل من دمشق حضرة انطون حنا ابي حمد ما هي الكتب العربيَّة القديمة التي تتكلم عن الخيل واصلها وتربيتها وركوبها الخ

الكتب العربيَّة القديمة في الخيل

ج هذه الكتب لا تزال مخطوطة متفرّقة في المكاتب. ففي مكتبة باريس عشرة كتب عن احوال الخيل اخصُّها كتاب فضل الخيل لشرف الدين عبد المؤمن الدمياطي (عدد ٢٨١٦) ثمَّ الاقوال الكافية والفصول الشافية في ستَّة فصول (ع ٢٨٢٠) للملك المجاهد علي بن داود. منها نسخة في مكتبة لندن (Suppl: 816). وفي لندن ايضاً ارجوزة في صفات الخيل (Suppl. 814) . وفي مكتبة برلين (٥ ع ٦١٨٥ و٦١٨٦) كتاب بلوغ النَّيل في اوصاف الخيل لمحمَّد الدفتري العمري في ٧٦ باباً. وفيها (ع ٦١٨٣) كتاب كاشف الويل في معرفة امراض الخيل لابي بكر بن منذر البيطار. وفي المكتبة الخديويَّة في مصر (٦: ٢٠٦) كتاب نسب فحول الخيل في الجاهليَّة والاسلام لابي المنذر هشام الكلبي النسَّابة الكوفي الخ

س وسأل احد اعيان العاصمة كم هي محافل الماسونيَّة في بيروت وهل يُعرف رؤساؤها ؟

المحافل الماسونيَّة في بيروت

ج للماسونيَّة في بيروت على ما بلغهُ علمنا ثمانية محافل : ١ً محفل الرشيد اللاحق بشرق مصر رئيسهُ حسن افندي اسير . ٢ً محفل فينيقية كان يرأسهُ نامي بك المتجوّل . ٣ً محفل الاتحاد حديث النشأة رئيسهُ جميل بك بيهم . ٤ً محفل الثبات رئيسهُ مخزومي باشا. فهذه المحافل اسلاميَّة في الغالب . ٥ً محفل الحكمة رئيسهُ لبيب الرياشي من معلمي المدرسة اللادينيَّة . ٦ً محفل السلام من الطقس الاسكتلندي رئيسهُ الدكتور اسعد عنيش . ٧ً محفل لبنان مرتبط بشرق فرنسة منذ السنة ١٨٦٠ رئيسهُ دانا البرت؟. ٨ً محفل صنين. من الطقس الاسكتلندي رئيسهُ فارس مشرق

هذا ما نعرفهُ عن هذه المحافل ومع كثرتها لا نرى لها من الايادي البيض ما يستحقّ الذكر. قال الربّ : من اثارهم تعرفونهم ل. ش

السنة الحادية والعشرون العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٢٣

المشرق

احوال الآخرة

في عرف النصارى الاولين

لحضرة القس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي

يقول المثل اللاتيني ان الامور القديمة تقرب من اللاهوت على حسب ارتقائها في القدم (quo anriquius eo divinius) . فبموجب هذا المبدأ تؤيد الكنيسة الكاثوليكية تعاليمها وتبيّن انَّ المعتقدات التي تنشرها اليوم هي معتقدات اجيال النصرانيَّة الاولى لم تختلف عنها ذرَّةً مهما نكر ذلك أولو الغايات البشريَّة والهراطقة المكابرون للحقّ

فمن هذه المعتقدات التي يمكننا اثباتها بالشواهد الاثريَّة الراقية الى اوائل الكنيسة اعتقادنا بأحوال الآخرة من خلود النفس وجزائها بالثواب او العقاب وحصول الابرار على الراحة بصحبة القديسين والحظوة بمشاهدة وجه الله وشفاعة اوليائه عندهُ تعالى لخير الاحياء وغير ذلك من الحقائق التي تدافع عنها الكنيسة في يومنا وتسندها الى تعاليم الرسل بتقليد غير منفصم السلاسل ومحكم الحلقات

واذ يطول بنا ايراد ما قالهُ اللاهوتيُّون واثبتتهُ المجامع وعلَّمهُ الاحبار الرومانيُّون جيلًا بعد جيل نكتفي بذكر ما وقف عليهِ الاثريُّون في دياميس رومية حيث سكن النصارى الاوَّلون نحو ثلثمائة سنة فاستقوا المعتقدات المسيحيَّة من رؤوس ينابيعها من الرسل الاوَّلين فدوَّنوا على جدران تلك الاسراب ما تلقَّنوهُ من افواههم من هذا القبيل فننشر بعضاً منها بنسبة عيد جميع القديسين وتذكار الموتى المؤمنين كما اثبت

المشرق سابقاً معتقدات اولئك المسيحيين بخصوص لاهوت السيد المسيح وقيامته من الاموات وسرّ القربان الاقدس ورئاسة الاحبار الرومانيين فنقول :

انَّ من ينحدر الى دياميس رومية فيسير في شُعَبها المتعدّدة ويلقي النظر على كتابات جدرانها يتأثر بديهاً مما يقرأُ فيها من ذكر الموتى وخلود نفوسهم وتمتعهم بالافراح السرمديّة وقيامة اجسادهم

١ خلود النفس

﴿بقاء النفس وحياتها﴾ واوّل ما تقرّره لهُ تلك الآثار حصول الانفس بعد انفصالها عن اجسادها على البقاء والخلود . فمن ذلك دعاء على ضريح للمسمّى بونيفقيوس فيهِ ما تعريبهُ : «اللهمَّ يا من تدعو اليك الجميع اقبل نفس بونيفقيوس بحقّ اسمك القدّوس» ففيهِ اشارةٌ الى قول الربّ في انجيلهِ مراراً بانَّهُ يمنح الحياة الابديَّة لمن يؤمن به . ويدلُّ على هذا المعتقد القديس قبريانوس الشهيد في القرن الثالث للمسيح بقولهِ في فصلهِ عن كيفيَّة الموتى (ف ٢٠) : « قد أُوحي الينا مراراً شتَّى ان نعدل عن البكاء وذرف الدموع على اخوتنا الراقدين الذين دعاهم الله اليهِ وانقذهم من العالم »

ولا شيء اكثر تكراراً في كتابات مدافن الدياميس من ذكر الحياة الخالدة لاسيما على صورة الدعاء بعد ذكر اسم الميت . « فلتحيَ بالله . فلتحيَ بالربّ . إحيَ بالله . عِشْ الى الأبد . فلتحيَ بالروح القدس »

﴿راحة النفس وسلامها﴾ ومع ذكرهم خلود النفس البارَّة يصرّحون براحتها وسلامها وخلوّها من اكدار الحياة الفانية كما روى القديس يوحنَّا الحبيب في سفر رؤياهُ (٢١ : ٤) : « ويمسح الله كلَّ دمعةٍ من عيونهم ولا يكون بعدُ موتٌ ولا نَوْح ولا صُراخ لانَّ ما كان سابقاً قد مضى » . وهذا يوافق دعاء الكنيسة لموتاها : « الراحة الابديَّة أعطِهم يا ربّ » وقد يرمزون الى تلك الراحة بالرُّقاد حتى ان المقبرة في لُغة الكنيسة باليونانيَّة واللاتينيَّة واللغات المشتقَّة تُدعى بالمرقد والمنام : وعليهِ تجد على مدافن النصارى الاوّلين في ما اكتُشف منها في رومية وفي افريقية وجهات ايطالية العبارات الآتية : « أرقد بسلام الربّ . لتحصل نفسك على الراحة . يرقدون بالمسيح » وهذه هي نفس العبارة الواردة في رسالة القديس بولس الى اهل تسالونيكي

(١٣:٤) . ومثلها : « سلامكِ بالربّ يا فليقله . ليسترح بالسلام» . وهي هي العبارة الشائعة اليوم (requiescat in pace) والمختصرة بهذه الحروف الثلثة .R.I.P

﴿السعادة الابديّة﴾ ولعلّ سائلًا يسأل : علامَ تتوقّف تلك الراحة التي يطلبونها لموتاهم ويتوقعونها لنفوسهم ؟ فنقول انّ تلك الراحة انّما هي السعادة الابديّة فيعبّرون عنها تارةً بفردوس النعيم وتارة بالجنان واماكن الخصب وحيناً بارواء العطش من ينبوع الهي كما جاء في اقدم النواقيز البيعيّة . مثال ذلك ما يطلبهُ الكاهن في النافور القبطيّ قائلًا : « أعطِهم يا ربّ الراحة في المكان الخصيب وأسكنهم على مياه العزّ ومتّعهم في فردوس البهجة حيث لا همّ ولا غمّ ولا ضنك ولا نوح » . ومثلهُ في النافور المنسوب الى مار يعقوب الرسول : « أهلنا اللهمّ ان نفوز بالراحة في بلدة الاحياء بملكوتك ونحظى بمسرّات جنان النعيم في حضن ابراهيم واسحاق ويعقوب حيث لا كدر ولا كآبة حيث يتلألأ نور وجهك الوسيم ويضيء الى الابد»

﴿مياه الحياة﴾ قد كرّروا ذكر المياه التي تروي نفوس المتنيحين لورود ذكرها في الانجيل في قول الربّ الى السامريّة انّهُ يعطي المؤمن بهِ ماء يغني شاربهُ عن استقاء المياه المادّيّة . فترى في جبّانة القديس كلِمنطس صورةً تُعرف بصورة الخمسة القديسين فهناك ترى ثلاثة اجناس من الطيور واقفةً على حوض ماء تشرب منهُ لتروي غليلها . وفيهِ اشارة الى صورة يونانيّة قديمة صُوّر فيها الميت كمن يشرب ماء وينتعش بهِ والى جانبهِ حمامةٌ وحوضٌ طافح بالمياه العذبة

وفي جبّانة القديس دماسوس البابا (سنة ٣٤٠ تقريباً) صورة مياهٍ تنفجر من ينبوع على ايّلين يتنعمان بشربهِ اشاروا بهما الى قول داود في المزامير (٤١ : ٢) : « كما يشتاق الايل الى مجاري المياه هكذا تشتاق نفسي اليك يا ربّ »

وقد ورد في سيرة القديسين مريانوس ويعقوب انّ مريانوس رأى الفردوس كحدائق غنّاء يتخللها طريقٌ سويّ حولهُ اشجار فتواء كالسرو والصنوبر تناطح الجوزاء يملؤها وينساب بينها ينبوع ماء صافٍ غرف منهُ مريانوس فبرّد اجيج ظمإهِ

وعلى مثالهِ قال القديس اغوسطينوس يذكر صديقه نبريديوس بعد وفاتهِ : « انّ نفسهُ تستقي من ينبوع نورك الفائض فيرتوي ظمأها ويبرد غليل شوقها بارتشافها مياه الحكمة في مقرّ السعادة الابديّة »

﴿الوليمة السمويّة﴾ وكما رمزوا عن حياة العالم الآخرة بشبه الينابيع التي تطفئ عطش النفوس كذلك ألمعوا اليها بصورة الوليمة استناداً الى قول الربّ الى تلاميذه في العشاء السرّي (لوقا ٢٢: ٢٩) « انا اعدُّ لكم الملكوت كما اعدَّهُ لي ابي لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي» فورد على قبور المسيحيين الاوّلين الفاظ كهذه: أجلسه يا ربّ على مائدتك. وجاء عن المدعو تيودولس «قبلَهُ الله في الوليمة السماويّة»

﴿مقرّ النور﴾ وقد شاع ايضاً في اثريّات النصرانيّة الاولى ذكر النور كمقرّ الابرار. وما المراد بهذا النور الّا الحياة بالله والفوز به تعالى «لأن الله نور هو وليس فيه ظلمةٌ البتّة» (١ يوحنا ١: ٥) وهو الذي «ينير على المختارين» (رؤيا ٢٢: ٤). ففي كتابات الدياميس ما لا ريب فيه من هذا القبيل. ففي مدفن القديسة بركسيدة ما تعريبهُ: «امنح يا رب عبدك دونيوس نورك وراحتك آمين» وفي نافور الكنيسة الرومانيّة: «فليقدّم الملاك ميخائيل حامل اللواء هذه النفوس الى النور المقدّس الذي وعدتَ به ابراهيم ونسلَهُ»

ووجد كذلك على اثر آخر مثله في دياميس سيراقوزة من اعمال صقلّية: «اذكر يا ربّ أمتك كريسدا واقبلها في بلد النور ومقرّ الراحة ومتّعها في حضن ابرهيم واسحاق ويعقوب رقدت في سادس أيار ...»

ويغلب ايضاً الاشارة بالنور الى السيّد المسيح القائل «انا نور العالم». والمقول عنهُ انهُ هو «النور الحقيقي الذي ينير كلّ انسانٍ آتٍ الى العالم». فمنّا يُثبت ذلك ما هو مرقوم على قبر في مقبرة القديسة بركسيدة: «ليكن معك النور يا أرمسكو. عش بنور المسيح الربّ الاله». وفي مقبرة القديسة قرياقا: «لقد أعطيت يا بيرونس الجسدَ للارض والنفسَ للمسيح لأنّ النفس تحظى بالنور السرمدي». وفي مدفن القديسة بركسيدة ايضاً: «لقد حصل على نور المسيح السرمدي الذي لا يشوبهُ أفول البتّة». ومثل هذا ما ورد هناك على ضريح سفريانوس: «ها هنا يرقد بعلامة السلام سفريانوس الكريم البار الذي عاش ٥٠ عاماً وحظيت نفسهُ بمشاهدة النور الربّاني»

﴿شركة القديسين﴾ ومما تجاهر به كتابات الدياميس وآثار النصرانيّة الاولى ان الابرار يدخلون بوفاتهم في شركة القديسين ويحيون معهم. فمن ذلك ما يُقرأ على ضرائح كثيرين منهم: «فليحيَ مع القديسين الى الابد. فليحي ما بين القديسين.

عش مع القديسين» وليس ما تتلوهُ الكنيسة في طقوسها سوى صدًى لهذه الادعية . فجاء في التوافير البيعيَّة العريقة بالقدم . « جازهم يا رب بالسعادة مع قديسيك . انظمهم في مصاف قديسيك . ليتمتَّعوا مع الملائكة بنعيمك» فكل هذه الادعية تنفي كلَّ شبهة بمعتقد الكنيسة الاولى بمصير انفس الابرار الى النعيم كما تعلمهُ اليوم جميع ابنائها

وممَّا وُجد في رومية على سكتها المعروفة باللاتينيَّة اثرٌ جميل على قبر فتاة بارَّة : «هنا راقدٌ جثمان جوليا اثرتْه حبيبة الله التي تجدَّدت نفسها بروح المسيح واتَّخذت جسداً ملاكيًّا وانضمَّت الى زمرة القديسين في ملكوت المسيح السمويّ»

وقد صوَّروا هناك اشخاص الموتى وهم يصلون ما بين طائرَين او حملَين او ما بين هامتي الرسولين بطرس وبولس دلالةً على اشتراكهم باجواق القديسين . بل نقشوا على بعض القبور شخص الميت منتصباً بين شخصين من سكَّان السماء متَّشحين بملابس فاخرة ملوكيَّة اشارةً الى سكنى الميت في رفقتهما بالنعيم

وفي مدفن القديس كليمنطوس صورة الراعي الصالح حاملاً على كتفهِ نفس الميت وحولهُ زمرة من القديسين تحفُّ بهِ بينهم شخصان متشحان بملابس بيعيَّة فاخرة وكلاهما يشرب من ماء يتدفَّق من صخرة يعنون بهِ ينبوع ماء الحياة

فترى من كلِّ ذلك كم كان اعتقاد قدماء النصارى بحياة الآخرة متأصلاً في قلوبهم وكيف تفنَّنوا للدلالة على معتقدهم هذا ليقرِّبوهُ من فهم العائشين بعدهم

٢ الدينونة الخاصَّة

على انَّ الاعتقاد المذكور لم يتمَّ للمؤمنين دون دينونة خاصَّة وفقاً لما ورد في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل كورنتس (٥ : ١٠) حيث قال: «انَّا جميعنا لا بُدَّ ان نظهر امام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان او شراً» فهذه الحقيقة التي كان ينكر البعض ورودها في الدياميس قد بينها باجلى بيان السيِّد ويلبر (Mgr Wilpert) في كتابهِ الفريد عن آثار رومية المسيحيَّة . فذكر عدَّة كتابات وتصاوير تتراوح بين القرنين الثاني والرابع للمسيح لا شبهة في صحَّتها وصحَّة مدلولها . فمن ذلك رخامة اكتشفوها في مدفن القديسَين مرقس ومرقليانوس تمثل السيِّد

المسيح مستوياً على عرشهِ وفوقهُ الشعار القسطنطيني ☧ مع هاتين اللفظتين باليونانيَّة (ΔΕCΠΟΤΗC HMΩN) اي سيّدنا او ربّنا . وامامهُ صورة المتوفّى واقفاً امام منبر الحاكم في هيئة الذلّ لا يستر جسمهُ سوى قميص قصير وهو ملتحٍ بلحية خفيفة ومحتذٍ بنعل والحاكم يمدُّ الى رأسهِ يمناهُ كأنهُ يحاول إضامَهُ الى مختاريهِ . وهناك كتابة فيها اسم الميت ثيودولس (ΘΕΟΔΟΥΛΟC) المعتر ٧٢ سنة والاثر يرقى الى القرن الثالث للميلاد

وقد وصف السيد ويلبر اثرًا آخر يمثل فتاةً بازاء عرش سيّدها واقفةً بين نعجتين دلالةً على انَّ الديّان قضى لها بالخلاص مع المختارين . واسم الفتاة انطوزا وهي واقفة على هيئة المصلّين . وعلى ضريحها مكتوب : « انطوزا التي عاشت عشر سنوات فلتكن نفسها مع المسيح »

وفي دياس القديس ارستس صورة تمثل مسرحاً في وسطهِ مرقاة ذات اربع درجات تنتهي الى مستوًى نُصب عليهِ عرش المحكمة تسند السباع اربع قوائمهِ والمسيح جالس عليهِ بهيئة الحاكم ذي الثياب الفاخرة وعلى هامتهِ اكليلٌ يحدق بها ويدهُ اليسرى تعرض دَرْجاً مفتوحاً بينما اليمنى مبسوطة فوق هامة شخص يصلّي في موضع منخفض امام العرش وهو لابس قميصاً ورداء وحذاء وعلى جانبيهِ قدّيسان متشحان مثل الحاكم بملابس بهيّة كلاهما يمسك درجاً مربَّعاً كأنهما يدافعان عن الميت بذكر ما لهُ من المبرّات ويقدّمان الميت الى الحاكم ليبتّ الحكم فيهِ . والقدّيسان شهيدان ورد هناك اسمهما تزديوس وفكتور . وكأنَّ الحاكم اصدر في الميت حكماً موافقاً لرغبتهما

ومثلها صورة أخرى يُرى فيها السيّد المسيح وفي يدهِ صولجان الملك آية سلطتهِ ورمز عن معجزاتهِ وامامهُ المدعوّة فيبا مصلّية يسلّمها القديسان مرقريوس والكتُس الى ديّانها . فيُبرز عليها حكماً صالحاً فتحظى بالولية الخالدة التي يقودها اليها احد الملائكة

وقد وجد في دياميس سيراقوزة صورة بديعة راقية الى القرن الرابع للمسيح تشبه الصور السابق ذكرها فهناك السيّد المسيح ضمن هالةٍ جالس على عرشه وعلى رأسهِ التاج يعلوهُ شعارهُ الخاصّ وامامهُ المتوفاة المدعوّة مرقيا على جانبيها الرسولان بطرس وبولس وقد بقي اسم الاوّل فقط وهما متشحان بالدرع والرداء . والمسيح يمدُّ

يدهُ نحو مرقيا بتعطّف وحولها الزهور المشيرة الى جنان الفردوس مع هذه الكتابة : «ها هنا راقدة مرقيا التي عاشت ٢٥ سنة و ٧ اشهر و ١٥ يوماً» . . وفي بعض زوايا الصورة : « اذكر يا ربّ أمتك مرقيا »

فيتضح من هذه الآثار انَّ المسيحيين الاوّلين اعتقدوا ما تعتقدهُ اليوم كنيسة المسيح اعني امتحان النفس بدينونة خاصَّة عند خروجها من جسدها وقبل فوزها بالنعيم

٣ شفاعة القديسين

وفي هذه الآثار التي مرَّت بك ترى صحَّة تعليم آخر تتشبَّث به اليوم الكنيسة الرومانيَّة الاورثذكسيَّة نريد بهِ شفاعة القديسين فان الكنيسة لم تزل منذ عهد الرسل تعتقد بان للقديسين نفوذاً لدى الله بما مارسوهُ في حياتهم من الصلاح فينالون منهُ تعالى لمن تضرَّع اليهم وتعبَّد لهم نعماً جزيلة في حياتهم ومماتهم وهذا ما يدلُّ اليهِ وجود القديسين في محاكمة الموتى يرافقون المتوفَّى ويقدّمونهُ الى ديَّانهِ ويتشفَّعون بهِ

ويلوح ذلك في صورة بديعة تُرى في رومية في الطبقة السفلى من كنيسة مار اقليمس وترتقي الى القرن التاسع للمسيح فترى هناك صورة ابن الله الجالس على عرشهِ وملاكين واقفين في حضرتهِ مع شخصين قديسين وهما القديس الرسول اندراوس والقديس اقليمس تلميذ بطرس هامة الرسل . وبين القديسين شخصان آخران الواحد عن اليسار حاملاً كأساً والآخر عن اليمين لائذاً بحماية ملاكهِ الحارس الواقف بقربهِ . بينما يستودعهُ الى السيّد المسيح القديسان المحاميان عنهُ . فيشير القديس اقليمس الى اعمالهِ المبرورة المستحقَّة الثواب وينشر القديس اندراوس درجاً يحتوي على غير ذلك من حسناتهِ فيصغي الديَّان الى شفاعتهما ويحكم الحكم المرغوب على الشخص المتوفَّى الذي يُرى منتصباً متردّياً بحلَّة بيضاء تملوها بردةٌ غبراء . وفي يسراهُ كتابٌ مرصَّعٌ بالجواهر يشير فيهِ الى آية الرسول بولس «لقد جاهدتُ الجهاد الجميل» أمَّا الشخص الحامل الكأس فهو القديس متوديوس الذي سعى بنقش هذا الاثر تذكاراً لاخيهِ القديس قيرلُّوس المتوفَّى في رومية سنة ٨٦٩م وهما رسولا الصقالبة الشهيران وقد جعل الكأس في يدهِ اشارةً الى تقدمتهِ الذبيحة الطاهرة عن نفس اخيهِ المتوفَّى . أمَّا الملاكان فهما جبرائيل وميخائيل يستعدان لأن ينقلا النفس الى الاخدار السماويَّة فترى في هذه الصورة امرين جديرين بالاعتبار يؤيدان معتقدات الكنيسة اعني قوَّة

شفاعة القديسين لخير البشر ثم مفعول صلوات الكنيسة وتقدمة ذبائحها لراحة نفس المؤمنين

وكثيراً ما يُرى في دياميس رومية مكتوباً على قبورها ادعية يستمدُّون بها شفاعة الشهداء القديسين لينالوا بواسطتهم افراح النعيم . فمن ذلك الادعية التالية : « أيها القديس لورنتيوس ساعد نفسهُ . فليمنحك الراحة القديس الشهيد هفوليطس . ايتها القديسة باسيلّا اننا نستودعكِ كريستينوس وابنتنا كريستينا . يا فرجينيا باپوزا العزيزة فليمنحكِ الراحة الربُّ والمسيح والقديسان ادوكتُس وفليكس

ومما وجد في مقبرة انطيتوه في مصر كتابة قبطيَّة على هذه الصورة : « يا إله كولوتوس (الشهيد) ارحم نفس جوستينا المتوفاة واقبلها في السماء . في نعيم القديسين نتوسَّل اليك ان تُسمعها ذلك الصوت العذب : تعالَي الى الفرح السماوي . . . »

وهذه التوسُّلات كانوا يوجّهونها الى غير القديسين من اهلهم واقاربهم المسيحيين ولاسيَّما الصغار الانقياء القلوب لاعتبارهم اياهم من جملة الفائزين بالمجد والمقتدرين على التشفُّع بهم مثال ذلك ما صورتُهُ : « يا سِبَستوس النفس الكريمة اطلب وابتهل في شأن اخوتك وزملائك . يا متروناتا يا من اصبحت حقيقةً ما ترونا (اي سيدةً) تضرَّعي لاجل والديكِ (عاشت متروناتا سنةً واحدةً و ٥٢ يوماً) . فلتترح نفسكِ بالله . توسَّل اليه لاجل شقيقتك . وورد على مشهد اقامهُ اناطوليوس لابنهِ الذي عاش سبع سنين وستَّة اشهر وعشرين يوماً : يا بُنيَّ عِشْ في الله وصلِّي لاجلي ما دمتُ حياً . يا بِكرنا اناطول الذي اخترمَتهُ المنيَّة سريعاً صلِّ لاجلنا . استمدَّ من الله بصلواتك مغفرة خطاياي وعش انت بسلام »

وهذه الشفاعة لم يقصروها على القديسين المتنيّحين بالرب بل يطلبونها ايضاً من الاحياء ليساعدوهم بصلواتهم ان ينالوا النجاة من الطهر . جاء في كتابة مصونة في المتحف اللاتراني في رومية : « الرجاء من كلّ الاخوة الذين يطّلعون على هذه الكتابة ان يطلبوا من الله بان الملحود في هذا القبر يُقبَل عند الله بروح مقدَّسة طاهرة » فهذا ادلُّ دليل على منفعة صلوات الكنيسة لاجل الموتى »

وقد جاء في اخبار القديسة خالدة شهيدة قرطاجنَّة انَّ الله اراها اخاها المرحوم دينوقراطس في حالة الحزن والعذاب لا يستطيع ان يبرّد غليلهُ عند ينبوع هناك فصلّت لاجلهِ وفي اليوم السابق لاستشهادها ظهر لها اخوها شاكراً فرحاً في حديقة

غنّاء ملتحفاً بالنور يشرب بهناء من الينبوع المذكور

فمن لا يرى ما تحتويه كلّ هذه الطلبات والادعية من اعتقاد اصحابها بشفاعة القديسين لا بل جميع المختارين وكم يبطل زعم الهراطقة والبروتستانت الذين ينكرون ذلك كأنّ الكاثوليك باستمدادهم شفاعة اولياء الله يُنقصون شيئاً من جلال الله وقدرته ولا يرون انّ اكرامنا للبتول العذراء وللقديسين يعود الى الله عينه الذي زيّن والدته وقديسيه بتلك الفضائل والنعم التي يلتمسونها منهم

٤ قيامة الاجساد

انّ بعث الاجساد ونشورها لمن الحقائق التي صرّح عنها السيّد المسيح في انجيله ثمّ اعلن بها تلاميذهُ من بعده باوضح كلام واجلى بيان لاسيما القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل كورنتس الفصل الخامس عشر حيث اثبت انّ قيامة السيد المسيح من بين الاموات هي سند ايماننا بقيامة اجسادنا في اليوم الاخير . وقد بيّنت هذه المجلّة الامرين في مقالة مطوّلة مع عدّة تصاوير نُشرت هناك (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٣٧–٣٤٦) وقد اثبتت معها هناك الآثار التي تُرى في الدياميس مؤيّدة لهاتين القضيّتين ومن ثمّ نُحيل القرّاء الى مراجعة ذلك الفصل

ونكتفي ببعض الشواهد على انبعاث الاجساد . فانّ بين الكتابات الضريحيّة للمسيحيين الاوّلين في رومية وغيرها كثيراً ما يدوّنون هذه العبارة : « هذا مرقدٌ لفلان ليوم القيامة . قد أُعدّ كالوجيرو هذا المرقد لوالديه مقدونيوس وزوجينا ليوم القيامة . لحد الجسد في الارض حتى يأتي يوم الفرح بشير القيامة »

ومن ادلّتهم على ايمانهم بالقيامة انهم يستودعون اجساد موتاهم للقديسين لينبعثوا معهم في يوم الدين وقد تفنّنوا بالرموز المشيرة الى قيامة اجسادهم فتارةً يرمزون اليها بصورة النبات او الزهر في فصل الربيع وتارةً بصور بعض الحيوانات التي كانوا ينسبون اليها الخلود او تجديد شبابها كالسمندل والطاووس والنسر ودود القزّ . وربّما رسموا بعض الاحداث الكتابيّة الدالّة على ذلك كنجاة يوسف من جبه ونجاة شمشون من اعدائه في غزّة وكيونان عندما يقذفهُ الحوت وكدانيال عند خروجه من جب الاسود او لعازر اذ يقيمهُ السيّد المسيح من قبره . يشعرون بكل هذه التصاوير انّ الله سيعيد لاجسادهم الحياة ويشركها مع نفوسها بالسعادة الابديّة

٥ المكافأة الحالية

الّا انّ رجاء المؤمنين الاوّلين بقيامة اجسادهم لم تصدّهم عن الاعتقاد بانّ نفوسهم ساعة انفصالها عن الجسد ان لم يكن لها ما تفيه لعدله تعالى في تطهير موقّت تنال حالًا السعادة التامّة في السماء بالتمتّع بنظر الله ومشاهدته وجهاً لوجه . خلافاً لمن يزعم بانّ تلك السعادة لا ينالها الابرار الّا بعد القيامة الاخيرة

ولا ننكر انهُ وقع في الكنيسة الكاثوليكيّة نفسها بعض الجدال في هذا المعنى فميّزوا بين الفردوس وسماء الملئكة فجعلوا الفردوس مقرًّا للنفوس ريثما تجتمع باجسادها يوم القيامة فتدخل سماء الملئكة لتشاهدهُ تعالى في نورهِ الالهي كما هو

على انّ هذا الجدال ما لبث ان بطل بما اتاهُ ذوو القول الصائب من البراهين النقليّة والعقليّة لنقض آراء مخالفيهم واليوم لا يشكّ في الحقيقة اثنان بين الكاثوليك اللهمّ الّا بين الروم الذين يترددّون في هذه المادّة كما في غيرها من الحقائق

ونضرب الصفح عن ادلّة هذه القضيّة اللاهوتيّة والتقليديّة ونكتفي بالنصوص الواردة في مآثر النصرانيّة الاولى فترى تلك النصوص على وتيرة واحدة لا تفرق بين نعيم موقّت نصفيّ وبين السعادة التامّة برؤيا الله عزّ وجلّ فانّ الكتابات المرقومة على ضرائح الموتى في الدياميس تتضمّن كلّها التمنّي ورجاء الحياة بالله والمسيح او بالحياة مع الروح القدس او مع اقانيم الثالوث الاقدس وهذه الحياة تعني بلا شكّ السعادة التامّة بمشاهدة الله في جوهر طبيعتهِ الالهيّة مثال ذلك اثر يوقنديس في مدفن دوميتيلا : « يحيَ يوقنديوس بالآب والابن والروح القدس لانهُ آمن بيسوع المسيح »

والى هذا الباب يعود ما سبق من التماسهم للحياة والراحة والسلام والنور . فان كانت انفس الموتى لا تزال مبتعدةً عن نظر الله فانّ تلك الحياة والراحة والسلام والنور لا حقيقة لها اذ لا تتمّ الّا بمشاهدة الجوهر الالهيّ . فهذه شواهد أُخرى تزيد ما سبق ايضاحاً جاء في مقبرة القديسة بركسيدا عن احد الموتى : « قد حظيت نفسهُ بنور ربّاني » . وورد في مدافن غيرها : « قد فاز دوناطس بالراحة في الله . حازت هيرقلية سلام الربّ »

وكذلك ما استعاروهُ من ارواء العطش بينبوع الماء الحيّ وسدّ الجوع بالوليمة السمويّة . والحظوة بالملكوت . وحضور افراح العرس كلّ ذلك يشير الى بلوغ النفس

الى غاية متمنّاها بقربها من الله الذي وحدهُ يمكنهُ ان يبرّد غليلها ويشبع جوعها. تُضاف اليها النصوص الآتية : « قد كُتب اسمك أيها البارّ في الوليمة السماويّة . فلتكن ارموجينا فائزةً بالوليمة السماويّة »

وجاء في ترجمة القديسين الشهيدين كريس وبابيلس انَّ اغاتنجة كانت حاضرةً استشهادهما فخُطفت بالروح ورأت مائدةً فاخرة معدَّة في السماء لهذين الشهيدين فلما افاقت اخذت تصرخ وتعرض نفسها للجلّادين ليعذّبوها معهما قائلةً : «انَّ هذه الوليمة العظيمة معدَّة لي ايضاً فيجب بموتي ان اشترك بها»

ومثلها الصور المنقوشة في الدياميس حيث تُرى ينابيع المياه يتنعَّم بشربها الحمام المرموز بهِ عن النفس

وممَّا ورد عن الملكوت اثر جوليا إفرستا : « قد قُبلت في ملك المسيح مع القديسين » . ومنها : «استودعَ نفسهُ المختارة الى القديسين في الابديَّة . استحقَّ ان يلج المخادع الملكوتيَّة ويفوز بالملك السماوي . دخلَتْ الى العرس مع العذارى الحكيمات »

فهذه الشواهد كلُّها تصدع بغاية واحدة اي الدلالة على انَّ النفس حظيت بجزائها بعد انفصالها من جسدها وانَّ الجسد سيشاركها يوم القيامة بفرحها ويعاين الله معها

٦ الدينونة العامَّة

انَّ قيامة الاجساد ستعقبها الدينونة العامَّة التي نوّه بها المخلّص في انجيلهِ الطاهر ووصفها وصفاً مدقّقاً ذاكراً سوابقها وتفاصيلها ثمَّ لواحقها بافراز الصالحين عن الطالحين «فيذهب هؤلاء الى العذاب الابدي والصدّيقون الى الحياة الابديَّة » (متى ٢٥ : ٤٦) :

وذكرُ الدينونة الاخيرة متكرّر في الآثار الكتابيَّة القديمة سواء كان في دياميس رومية او في غيرها . منها اثرٌ وُجد في غاليا وهو كتابة يصرّح فيها راقمُها بذكر القيامة الاخيرة : « ههنا يرقد بسلام دلاتا الذي فداهُ المسيح بموتهِ ويتوقّع بفرح يومَ الدينونة العتيدة »

ومن الآثار المكتشفة في مدينة ميلانو ما نصُّهُ معرَّباً : «يفرح المتوفَّى بالروح يوم ينتعش جسدهُ ثانيةً ويقبل من الحاكم العادل جزاء الابديَّة الذي يستوجبهُ» وجاء في

اثر آخر : « اني لأنتظر الجزاء السماوي المعدّ للصالحين »

وكُتب على اثر ثالث : « ليرحمهُ الرب في يوم الدينونة » فالمراد كما يلوح انما هو الدينونة الاخيرة اذ انَّ الدينونة الخصوصيَّة لا تتأخر عن وفاة الميت

وممَّا يُروى في احدى كنائس رومية القديمة : « أيها الداخلون الى هذه الكنيسة صلُّوا لاجل ادردازيو الكاهن الخاطئ ليرحمهُ الرب في يوم الدينونة »

وفي كنيسة القديس فيلكس النُّولي كتابةٌ ضريحيَّة يُقال فيها انَّ صاحب البيعة « يُسَرّ بضيفهِ العزيز (اي الميت) ويستودعهُ الى المسيح وسيصحبهُ الى المحكمة عندما يدقّ النفير الهائل وتتزلزل الارض وتعود النفوس الى اجسادها

وجاء على قبرٍ يرتقي عهدهُ الى ديوقلطيانس سنة ٣٠٣ لفتاة تدعى سَويرة : « انَّ جسدها راقدٌ هناك بسلام ريثما يبعثهُ الربّ الذي خطف نفسها وهذه النفس العفيفة النقيَّة سيرجعها الربّ الى جسدها مزيَّنة بمجد روحاني . قد عاشت تسع سنوات واحد عشر شهراً و ١٥ يوماً »

وعلى عدَّة قبور في دياميس رومية وغيرها الفاظ يَستحلف فيها الكاتبُ اهلَ الارض عن لسان الميت بألا ينتهكوا حرمة قبرهِ فيختمها عادةً بذكر الابديَّة . مثال ذلك : « من دنَّس هذا القبر فليُطرح جسمهُ بلا دَفن ولا يَقُم مع الصالحين »

وممَّا اكتُشف سنة ١٩٠٩ في كنيسة مريم المدعوَّة بالترنستيفيرا كتابة على هذه الصورة : « اني استحلف (كلّ من يقرأ) بسم الاب والابن والروح القدس ويوم الدينونة المرعب ان لا يجسر وينتهك هذا القبر »

هذا فضلاً عن صور قديمة تمثّل الدينونة العامَّة تُرى حتى اليوم آثارها كالصورة الموجودة في كنيسة مار اقليمس حيث استوى المسيح جالساً كحاكم يحفُّ بهِ الرسل وهم جلوس ايضاً على اثني عشر كرسيًّا كما وعدهم في الانجيل (متى ١٩ : ٢٨) ثمَّ تحتهم عن يمين الحاكم نفوس الطوباويين في اورشليم السماويَّة وعن يسارهِ نفوس الهالكين في جهنَّم . وقد ذكر بيدا المكرَّم في القرن الثامن تصاوير قديمة كانت تمثّل يوم الدين

وفي هذه العجالة كفاية لاثبات ما قلنا عن بيان معتقدات الكنيسة الاولى ومطابقة تعاليمها مع تعاليم الكنيسة الرومانيَّة في عهدنا والشكر لله على كلّ حال

مجاراة تسبحة الموتى اللاتينيَّة

(Dies Iræ)

بقلم حضرة الخوري منصور عوَّاد

نظمها بنسبة تذكار الموتى الواقع في ٢ تشرين الثاني

في قبضة الله أنظروني وحدي أُطالَبُ بالديونِ
اليوم يومي فارحموني مَنْ مِنْ يدِ المولى يقيني ؟!

*

قاضٍ ذا لا يُرتَشى غيرَ العدالة لا يشا
الرعبُ في كُلّي فشا وأنا الذي الشجبَ اختشى

*

ما منه مِنْ أحدٍ يصونْ فيمَنْ عليهِ أستعينْ
في وجههِ الكونُ يهونْ مثل الهيمن مَنْ يكونْ ؟!

*

من صوتهِ ارتجَّ الأممْ والطَّود كالوعلِ انهزم
والصخر كالعودِ انقصمْ والبحر داسته القَدَمْ !

*

بالشرّ أيامي قطعتْ يا ليتني منها انتفعتْ
ويلاهُ في يدهِ وقعتْ قد كان ما منه فزعتْ

*

فالقلب من وجلٍ يجفْ والكون رعباً يرتجفْ
لما يشا ان ينتصفْ . في وجههِ من ذا يقفْ ؟!

*

فالشمس تُظلم والبدورْ في ذلك اليوم الاخيرْ

ويطهّرُ الارضَ السعيرْ حَشاً وتنصرم الدهورْ

*

وينادر الكونَ النظامْ وعليهِ ينتشر الظلامْ
والحيُّ يهلك بالتمامْ والناس ترقد للقيامْ

*

تدوي بآذان الخليقهْ اصواتُ ابواقٍ دقيقهْ
فتُفيق في تلك الدقيقهْ من رقدة الموت العميقهْ !

*

اذ ذاك تنفتح القبورْ ويتمّ كالبرق النشورْ
فيقوم بعضٌ بالسرورْ والبعضُ بالخوفِ الكثيرْ

*

فيعود ثمَّ الى الحياةْ من عاش يوماً ثمَّ ماتْ
ويودُّ لو ألفى المماتْ ظنّاً بأنَّ بهِ النجاةْ !

*

وامام كرسيّ القضاء كلٌّ يُساق على السواء
وهناك حالُ ذوي الشقاء في الرعب حالُ ذوي الصفاء

*

فالهولُ يوم الحشرِ يربو على المُستنظرِ
يا للمخافة تعتري أيّا حيالَ المنبرِ !

*

وعليهِ ديّانُ البشرْ بيمينه علمُ الظفرْ
ذاك الصليبُ المحتقرْ والنور منه قد انتشرْ !

*

واذا يجيء على الشعبْ لا من غمامٍ بل لهبْ
وعلى محيّاهُ الغضبْ تغدو الطبيعة في حربْ !

*

بين الصواعق والبروق يـأتي ويسبقهُ الحريق
نظراتـهِ ما مَن يُطيق فنظير عينيـه البريق !

*

فكأنّ ذا القاضي المريع ما كان يسوعَ الوديع
الطفلَ والحملَ الرضيع رجُلَ المصائبِ والدموع !!

*

أنّى من الخُبْرِ الخَبَرْ يا ليت ذلـك يُختَبَرْ
مَن في البريّة قـد سبرْ اشباح ذاك ومـا اعتبرْ ؟!

*

يأتي ويجلس للحساب بالعدلِ يحكم والصواب
وامـامه فُتحُ الكتاب يُجـلي عن الخلق النقاب

*

فيُرى الـذي فعل الورى ممـّا يُرى او لا يُرى
وجميع ما قـدمًا جرى بين الملائك في الـذُرى

*

فيـدين بالنـار البرايا حسَبَ الظواهر والخفايا
ويصبُّ بالقِسط البـلايا يا ويل اصحاب الخطايا !

*

في ذلـك اليوم الشديدْ يُبكى ولـكن لا يُفيد..
ويودُّ لو عُـدِمَ الوجودْ ايٌّ وانّى مـا يُريدْ ؟!

*

فـانا الـذي بالاثم يرضعْ وحيـاته بالوِزْر يقطـعْ
مـاذا اقولُ إذِ واصنـعْ ان كان مثلي البارُّ يفزع ؟!

*

ويـلي انا العبـد الشقيّ من سخطِ مولاي القويّ
ويـلاه مـا لي مِن وليّ إن كان لا يرضى العليّ !

*

أنّى هربتُ انا لـديكْ خيرُ الفرارِ اذًا اليـكْ
يسوع عني ارفعْ يديـكْ فبك انتصرتُ انا عليكْ !

*

في الموقف الآتي الاخيرْ أشفِقْ عليَّ انا الاسيرْ
أتكون ذا الربَّ الخطيرْ وتُخاصم الدود الحقيرْ ؟!

*

أنسيتَ انـك مَن تجسَّمْ حبًّا من العذراء مريمْ ؟!
انسيتَ جسمَك كم تجشَّمْ ربي لاجلي بل تـألَّمْ ؟!

*

أفـأنت يا ربي غريبْ عني وعن ضعفي العجيب
أنسيتَ يَسوع الصـليبْ ودموعَ أُمك والنحيبْ ؟!

*

واذكرْ اذًا انّي اعتمدتُ يسوع باسمـك واعتقدتُ
واكلتُ جسـك واتحدتُ ربّي بهِ لمـا رقدتُ

*

أتروح خلـف النعجـةِ ضلّت وترفض طلبتي ؟!
أفلم يَعُـدْ من رحمـةِ يسوع لي او نعمـةِ ؟!

*

قوّى فؤادي بالرجـاء أن قد دعوتَ ذوي الخطاء
لم تـدعُ يا ربي النقـاء اذ ليس يُعوزهم شفـاء

*

فـانا المَـأوم انا الأثيمْ وانا الـذليل انا السقيمْ
يسوع نفسي بالكـلومْ تَرْحى فعُدْها يا رحومْ

*

يا عادلًا في كل حكمِ دَع لا تحـاكني بجرمي

ان عُدتَ عن صفح وحلم من ذا لديكَ بدون إثم ؟!

*

لولاي لم تتجسّدِ ربّي ولم تتكبّدِ ! . . .
لولا الخطيئة سيّدي مَن كنتَ قل لي تفتدي ؟!

*

يسوعُ انتَ من أفتدى جسدي ونفسي بالرّدى
فجميع أتعاب الفدى يسوع لا تُذهَبْ سدى !

*

رباه هبْ نفسي السلامهْ حسبي لها منها الملامه
قلبي تقطّع بالندامهْ فانظر على وجهي العلامهْ !

*

معْ من تقيمُ على يمينك ربّي أقني يومَ دينكْ
فاكفّ عن طلبي لِدَيْنكْ وأهيم في شكري لعينك

*

ومتى التفتّ الى الشمالْ بالسخط والغضب الحلالْ
وشجبتَ ربيّ بلا محالْ اصحابهُ طبق الفعالْ !

*

وزججتَ في السجن العظيمْ أوّلاء في نار الضريمْ
وختمتَ أبواب الجحيمْ خذني اليك الى النعيمْ !

*

يسوعُ أرقدْ في السلامْ عبدًا احبّك باحترامْ
وعلى يمينك للدوامْ ربّي أقمهُ في القيامْ !

صحيفة من تاريخ لبنان

في القرن التاسع عشر

بقلم الاديب م . ح . اللبناني

« كما تتوالى الاوراق على الشجر في الغابات كذلك اجيال البشر . من الاوراق ما يسقط على الارض ومنها ما تجدد فيها الحياة عند عودة الفصل الجميل فصل ايام الربيع . كذلك نجد اجناس البشر منها اجيال تتجدد وتزهر ومنها غيرها تنتهي وتنقرض »

هذا ما انشدهُ اوميروس في الغناء السادس من ايليـاذته الابدية القرار فعرَّبهُ سليمان افندي البستاني بهذه الابيات :

فقال : « ملامَ اقتصصتَ المبَرْ ونحنُ كاوراقِ هـذي الشـجَرْ
فبعضاً يُبيدُ الهواءُ وبعضٌ على منبت بـانـدِ الـنبتِ غضْ
ففي كلِّ عـامٍ نبـاتٌ أُبيـدا به الغابُ تُنمي ربيعاً جديـدا
وكلٌّ عـلى إثرِ كلِّ مشى فجيـلٌ تلاشى وجيـلٌ نشا »

فمن هذه العناصر التي تنمو وتزدهر من عدّة اجيال عائلة المشايخ الدحداح التي فقدت منذ سنة كاملة احد اركانها ألا وهو المرحوم الشيخ خطار جهجاه الدحداح

سبق لمجلّة المشرق انها نشرت في شهر ايار وشهر حزيران من سنتها الرابعة (١٩٠١) مقالةً عن المرحوم الكونت رُشيد الدحداح أتت في مقدّمتها على بعض تفاصيل عن هذه الاسرة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ لبنـان ولم يزل لهـا فيه وفي عالم الادب شأن يُذكر . والآن قبل ان نقول كلمتنا في هذا الفقيد الذي اشتهر في خدمة الآداب والحكومة فليسمح لنا القارئ اللبيب ان نبدي كلمةً موجزةً عن هذه العائلة وعن لبنان عموماً في هذه التسعين سنة الاخيرة

لمّا تمكّن الامير بشير شهاب الثاني المعروف بالكبير من قمع ثورة ابناء عمه الذين

كان يعضدهم الشيخ بشير جنبلاط وتغلّب على جميع اخصامه فأمر بقتل اعين الامراء عباس اسعد وسلمان وفارس سيد احمد شهاب واقنع والي الشام ووالي عكّا بلزوم قتل وشنق المشايخ بشير جنبلاط وعلي وامين العماد وذلك سنة ١٨٢٥ خلا له الجوّ وصفا له الزمان فأصبح الحاكم المطلق وأمِنَ على مركزه اذ أصبح عبدالله باشا والي عكّا (وهو مرجعه الرسمي) في الحاجة اليه لصداقة الامير مع محمّد علي باشا . فلم يعد يخشى تغيّر خاطر الوزير عليه واصاب من الجاه والسطوة ما لم ينلْ احد قبلهُ مثلها في لبنان منذ عهد الامير فخر الدين الثاني المعنيّ

وكان وقتئذٍ الكاخيةُ عند الامير بشير في بيت الدين اي مدبّرُ امور البلاد المرحومَ الشيخ منصور الدحداح المولود في عرمون سنة ١٧٧٩ ثمّ تربّى على ايدي والدهِ الشهير الشيخ سلّوم الدحداح وقضى مدة طويلة تحت نظارته في خدمة الامير بشير الى ان خلفهُ في منصبه لما اعتزل الاشغال سنة ١٨١٧ بعد ان تقلدها مدة ١٨ سنة . فكانت وفاتهُ سنة ١٨٢٠ . وقد اطنب في مديحه الكاتب الفرنسوي الشهير بوجولا (١ . وكذلك قد اتّسع في مديحهِ الشاعر نقولا الترك معاصرهُ . ففي النسخة الخطية المحفوظة من ديوان هذا الشاعر في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين كثير من المنظومات التي انشدها في مديح الشيخ سلّوم تارةً وحده وتارةً مع ولده الشيخ منصور وجفيده ظاهر بن منصور وحيناً مع كافّة اولاده اي المشايخ منصور وغالب وبشير . وهاك بعضاً من هذه المنظومات : لمّا بنى الشيخ سلّوم دارهُ بين الجديدة وعرمون سنة ١٨١٤ قال الشاعر بلسان الشيخ :

أنشأتُ هذي الدارَ كاملةَ البنا ... من فيض انعام الاله الوافرهْ
واتيتُ ارجو انهُ في تاريخها ... منطلباً اصلي بيت الآخرهْ (١٨١٤)

وقال مؤرّخاً كنيسةً بناها الشيخ سلّوم واولاده على اسم القديس انطونيوس البادواني سنة ١٨١٥ في قرية الجُديدة :

ردُوا لكنيسة القديس واسموا ... لذات المعجزات بلا توانِ
فمن يُسرعْ بايمانٍ اليها ... ينلْ ما يبتغيهِ من الاماني

١) اطلب تأليفه المنون «بالحقيقة عن سوريا» La Vérité sur la Syrie المطبوع سنة ١٨٦٠

يـلوم المهـذب مع بنيـه نشـت واستحكمت حسن المباني
بنو الدحداح أرّخ كنه خير اشادوا يمنة للبادواني (١٨١٥)

وقال يؤرّخ وفاة قرينة الشيخ سلوم المشار اليه الثانية واسمها لؤلؤة وهي شقيقة المرحوم المطران عبدالله بليبل رئيس اساقفة قبرس اذ ذاك والاب اغناطيوس بليبل الذي استمرّ ٢٧ سنة متتالية رئيساً عاماً للرهبنة البلدية المارونية :

يـا رحمة المولى على مثوى به قد أغربت شمسُ الكمال الرايدِ
تلـك الفتاة بليبلٌ روضةٍ قد ازهرت بمناقبٍ وعمائدِ
كم غادرت من بعدها في حسرةٍ انجالها اشبالَ افضل والدِ
منصوركم يرثي وغالبكم جماً امسى يـدَدُ مع بشيرٍ ناشدِ
يا خير لؤلؤةٍ فقدناها وما في العمرِ من سلوى لقلبِ الفاقدِ
الّا الرجاء بأنّها ارّختُ قد طُلبت لاعلا تاج مُلك خالدِ (١٨١٥)

وقد جاء في الديوان المذكور قوله تاريخاً لبناء الدار العظيمة التي شيّدها الشيخ منصور في اسفل عرمون وهي المعروفة بدار العريه (١ :

فخرَ الاكارم قد امرتَ مشيداً بنيان هذي التحفـة المسورهْ
دامت مدى الازمان في تاريخها ترهو بمنصور لهـا منصورهْ (١٢٣٣ هـ)

وقد قال ايضاً فيها وفي قوله تورية باسم ابنه البكر الشيخ ظاهر :

قد شيّد المنصور داراً في حمى يزهو كفردوس حوى عليّـهْ
بسناهـا شمس الضحا والانس لا برحت على طول الزمان مُضيّهْ
باهت بظاهرها المنير وضمنهـا تمّمُ الميمن لا تزال وفيّـهْ
وعلى مدى الايام دامت ارّخوا مامونةٌ محصونةٌ محميّهْ ١٢٣٤

وقال يهنّئ نفسه في مقابلة الشيخ منصور واخيه الشيخ غالب حين حضورهما الى بيت الدين :

ولمّا جاء من كانت عيوني لراهي وجهـه ابداً تُراقبْ
فهنّيت الفؤاد على توالي سريعاً جلّ ما قد كنت راغبْ
وقلتُ جاء منصور حبيبي فقـالوا لي منصورٌ وغالبْ

١) هي الآن مدرسة مارونية ولا خاصة عائلة مراد المرونية الـذين اشتروها من احفاد الشيخ منصور

وقال ايضاً يمدح الشيخ منصور وقد نال بواسطته هبة جزيلة انعم بها عليه الامير بشير وقد ذكر مع الشيخ اخويه غالباً وبشيراً وابنه البكر ظاهراً :

بابي حبيبٌ قد حييتُ بقربهِ ... واقـد اقرَّ الله فيه ناظري
لا زال منصوراً يسود وغالباً ... وبشيرُهُ يـأتي بخير بشائرِ
كم في البواطن بهجة منه اذا ... ما جاء يروي عن صفاء الظاهرِ
وكم اذا ما جاء ينذر بالوصو ... ل ليفيدنا منهُ انشراح الخاطرِ
فعلى المدى لا زال ينمو مقبلاً ... في خير عزٍّ مستـديمٍ وافرِ
في دولة الشهم البشير مليكنا ... ربّ المفاخر ذي الجلال الباهرِ

وقال عن لسان ابنه فتح الله يهنئ الشيخ غالب شقيق الشيخ منصور بولادة ابنه البكر الذي اشتهر فيما بعد باسم الكونت رشيد (١٨١٣) وذكر ايضاً الشيخ ظاهر بكر انجال الشيخ منصور وكان ولد قبله (١٨١٠) :

ولمّا افاض الله من بحر جودهِ ... عليَّ بنطقٍ فيـه قلّدتُ شاعرا
شدوتُ بما قبلي شدا فيه والدي ... وقلتُ مقالاً يجعلُ النظم باهرا
فانّا تباشرنا ببشر ابن غـالبٍ ... كما عند منصور سمعنا البشائرا
وغطى بنجلٍ راشد سالم اسـه ... كما قد اتى المحروسُ بالسعد ظاهرا

وله قصائد عديدة بمدح الشيخ سلوم واولاده الثلاثة تجدها في ديوانه وقد ظلَّ الشيخ منصور في منصبه لغاية سنة ١٨٢٨ . وفيها اراد الامير بشير ان يريح نفسه من عناء الاشغال واذ كان يفضل نجلهُ الامير امين على سائر اولادهِ اراد ان يرشحهُ لإدارة الاحكام فتقلده مهامّ الامور تحت سيطرته . فسلّم الامير امين ديوان الكتابة الى استاذه الشاعر الحصني الشهير بطرس كرامه فلم يبقَ من ثمَّ شغـل للشيخ منصور فاستقال من الخدمة وانصرف الى داره في عرمون بعد ان اثبت لـهُ الامير بشير راتباً يتقاضاهُ كما لو كان في مركزهِ

وقد ورد في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٣٩٤) كيف استدعاهُ الامير بشير لمّا ضاقت عليهِ المذاهب سنة ١٨٤٠ يوم عرض عليهِ السرعسكر العثماني والاميرال الانكليزي الاختيار بين احد الامرين امّا التسليم لدولتيهما والعدول عن مناصرة المصريين مع بقائهِ في امارة لبنان هو ونسلهُ من بعدهِ وامّا ان يُعزل من منصبـهِ . فاستشار الامير الشيخ منصوراً فـاشار اليه بالتسليم . ولمّا اعترض عليـهِ الامير بان العساكر المصريّة

موشكة على خراب بيت الدين ان عدلَ عنها اجابهُ الشيخ : « اذا خربتْ بيت الدين يمكن البلاد ان تجدّدها وامّا اذا خربت البلاد أفتجدّدها بيت الدين؟» على انَّ الامير فضّل رأي كاخيتهِ بطرس كرامه وكان هـذا واثقاً بظفر المصريين فسقط بسقوطهم ونُفي الى مالطة في منتصف تشرين الاوّل سنة ١٨٤٠ ولم يعد الى لبنان

وفي السنة ١٨٤١ دُعي اصحاب الاقطاع من امراء ومشائخ من جميع الطوائف ليتباحثوا في اختيار امير يتولّى الامر في لبنان من آل شهـاب بدلاً من الامير بشير الثالث ابن قاسم ملجم فاختار الشيخُ منصور الاميرَ يوسف سعد الدين شهاب حفيد الامير يوسف الحاكم الشهير

الّا انَّ الدولة العثمانيَّة عيَّنت وقتئذٍ (سنة ١٨٤٢) حاكماً تركياً وهو عُمَر باشا فسعى هذا باختيار موظّفين مسلمين وموارنة ليرضي الفريقين فاتّخذ لمديريَّة الاحكام الكاخيَّة الشيخ منصور الدحداح والشيخ خطّار العماد. ثمَّ انسحب الشيخ منصور بعد قليل وعاد الى دارهِ في عرمون

وفي السنة ١٨٤٣ قُسم لبنان الى قائمقاميَّتين نصرانيَّـة شمالاً ودرزيَّة جنوباً . فكان اوّل قائمقام مسيحيّ الامير حيدر اسمعيل ابي اللمع فهـذا استقدم الشيخ منصور الى بكفيّا ليفاوضهُ في بعض الامور ثمَّ صرفهُ ولم يلبث ان تغيَّر عليـهِ ناقماً لمساعدتهِ خالهُ المرحوم المطران عبدالله بليبل ونيس اساقفـة قبرس على خلاف رضى الامير بتسقيفهِ وهو صاحب مقاطعة القاطع

وكانت وفاة الشيخ منصور سنـة ١٨٦١ في عرمون عن ٨٢ عاماً وكان رافق الامير بشير في سفرتهِ الثـانية الى مصر سنة ١٨٢٢ كما رافقهُ ابوهُ الشيخ سلُّوم في رحلتهِ الاولى الى وادي النيل فحرَّر ماجريَاتها (اطلب تفاصيل هذه الرحلة في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٦٨٧ الخ) . وكان سبق الشيخَ منصورًا (١ الى الابديَّة اخواهُ الشيخ

١) رُزق الشيخ منصور من امرأته ابنـة الشيخ عبّود الدحداح المتوفّاة سنة ١٨٨٠ عن ٩٢ عاماً : ١ً الشيخ ناصر المتوفى سنة ١٨٦٠ بعد أن تولّى مدّةً تدبير مقاطعة عائلتهِ الفتوح . وقد باع اولادُهُ دارهم الكبرى المعروفة بالمريفة فحوّلها بنو مراد الى مدرسة على اسم مار تقولا . ٢ً الشيخ سليم المتوفى سنة ١٨٦٦ في بيروت واحفاده اليوم في بستان العصا من بلاد البترون . ٣ً الشيخ مسعود مات عازبًا في جونية سنة ١٩٠٧ . ٤ً شمس قرينة الشيخ مارون الدحداح المتوفاة سنة ١٨٨١ . ٥ً ملكة قرينة الشيخ لطّوف الدحداح توفّيت سنة ١٩٠٦ عن ٩٢ عاماً

غالب (١ المتوفى سنة ١٨٤٠ والشيخ بشير (٢ المتوفى سنة ١٨٣٩

لا يسعنا ان نذكر كلَّ الذين اشتهروا من المشائخ الدحداحيين وقد روى جناب الاديب الشيخ سليم كثيراً من اخبارهم في المقالة التي جعلها كمقدمة لترجمة الكونت رشيد الدحداح (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٣٨٥–٣٩٦) ونشر هناك ايضاً شجرة العائلة وانا نكتفي بذكر بعض الذين اشتهروا منهم في خدمة الوطن والآداب والدين

فمنهم الشيخ ناصيف اخو الشيخ سلوم الذي تولّى مَسْح ارزاق كسروان وتوفي سنة ١٨١٥ فرثاهُ نقولا الترك بابيات ختمها بهذا التاريخ «قد بتُّ من تشرين اوّلَ في السماء» . وابنهُ الشيخ طنّوس هو الذي قُتل في العاقورة سنة ١٨٤٢ فذهب شهيد وطنيّته اللبنانيّة . واشتهر من احفاده الخوري طوبيا المتوفى شهيد الواجب في الاسكندريّة (١٨٤٩) . والخوري لويس ذو المآثر الطيّبة في خدمة طائفته في رأس بيروت ودير القمر والناصرة († ١٩١٠) . والخوري يوحنّا المتوفى في عين سجاع بعد ان خدم العلم والدين مدّة طويلة († ١٩١٩) . وسبطهُ ابن اخيه مؤسس دير القديس انطونيوس البادوي في عين سجاع . وهو المشروع الذي اخذ ابن اخيه الخوري طوبيا الحالي على نفسه إنجازَهُ وهو لا يزال يسعى في ذلك منذ ١٢ سنة في الولايات المتّحدة الاميركيّة متفانياً في خدمة كرم الربّ منذ سيم كاهناً سنة ١٨٧٨ من يد البطريرك يوحنّا الحاج في عهد اسقفيّته على بعلبك . ومن سلالة ناصيف ايضاً الشيخ خليل الدحداح المتوفى في هذه السنة بعد ان قضى معظم حياته في فلسطين والقدس الشريف مساعداً للشيخ قبلان الآتي ذكرهُ ثم تولّى في عدّة مديريّات في متصرفيّة لبنان القديمة . والمرحوم الشيخ ميسلان اخو الخوري لويس وابو المرحومين سليم

ونسلها اليوم في الكنور وبلاط . ٦ نسيم قرينة الشيخ راجي الدحداح ثم جهجاه الدحداح وهي والدة الشيخ خطار الدحداح الآتي ذكرهُ . ٧ سلطانة قرينة الشيخ نبل الخازن ووالدة سيادة المطران يوسف الخازن الخالي توفيت سنة ١٨٧٩ . ٨ لؤلؤة قرينة الشيخ يوسف غيزان الخازن من غوسطا اوّلاً ثم سرحال رافع الخازن من طونة ثانياً توفيت في جونية سنة ١٨٩٤

١) قد مرّ ذكر نسل الشيخ غالب في ترجمة ابنه الكونت رشيد التي نشرها الكاتب المحقق الشيخ سليم الدحداح . فلتراجع في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٤٩٣–٤٩٨)

٢) خلّف ولدين الشيخ ملحماً التاجر المشهور المتوفى سنة ١٨٩٩ والشيخ اسكندر المتوفى سنة ١٨٩٥ . ماتا ولم يعقبا خلفاً

ودحداح . وقد ارّخ دحداحاً سليم بك تقلا بقوله :

فقدنا بدحداحَ غصناً رطيباً لوّنهُ رياح القضا فالتوى
بكتهُ البيون فلا غروَ إنْ بكت ارّخوهُ لنصن ذرى (١٨٨٦)

واشتهر من نسل الشيخ يوسف شقيق الشيخ سلّوم المتوفّى سنة ١٨٠٥ ابنهُ الشيخ امين تلميذ بطرس كرامه الذي خدم الامير بشير الكبير في بيت الدين ثمّ الاميرين اللمعيين حيدر اسمعيل وبشير احمد ولهُ كتابات وآثار باقية في بكفيا في سراية الامراء توفّي سنة ١٨٧٥ . وفي ديوانيبطرس كرامه والمطران جرمانوس الشمالي قصائد في مدحهِ . وقد تقلّب ابنهُ الشيخ اسد في عدّة مناصب في خدمة لبنان مدّة ٤٧ سنة وكانت وفاتهُ في منتصف شباط ١٩٢١ دون عقب

والشقيق الثالث للشيخ سلّوم هو الشيخ ابرهيم الذي برع في علم الشريعة وتولّى القضاء في عهد الامير بشير الكبير (+١٨٣٤) . وابنهُ الشيخ موسى الذي لقّبهُ معاصروهُ بلسان النصارى اشتهر ايضاً في عهد الامير بشير ثمّ صار كاخية للامير اللمعي بشير احمد قائمقام النصارى الثاني توفّي سنة ١٨٧٣ في بعلبك وقد أرّخ نقولاً الترك الدار التي بناها في عرمون واجرى اليها ماء فقال :

سامي المناقب والسجايا شاد في عرمونَ داراً ذاتَ حسن معجبِ
دامت مباركةً بابراهيمها وبشابهِ موسى الفتى المتهذّبِ
فاقت بماء حين زان جمالها تشييد نادٍ ذي مناخٍ طيّبِ
وبنى سبيلاً محكماً ارّخ لهُ اجرى لنا ماء شهيّ المشربِ (١٨١٦)

وهذه الدار هي اليوم مركز اسقفيّة بعلبك كان اشتراها المرحوم قعدان بك الخازن من احفاد الشيخ ابراهيم بعد سنة ١٨٦٠ ثمّ اشتراها الطيّب الذكر البطريرك يوحنا الحاج في عهد اسقفيّتهِ على بعلبك سنة ١٨٨٥ فجعلها مقاماً لابرشيّتهِ

ومن نسل الشيخ راشد وهو شقيق رابع للشيخ سلّوم حفيداهُ راشد سميّهُ الذي تولّى قسماً من مساحة متصرّفيّة لبنان القديمة وتعيّن مديراً لدير القمر ونواحي اخرى ووكيلاً لقائمقاميّة كسروان وترأس مرّتين مجلس استئناف لبنان توفي سنة ١٨٩٢ . وقبلان الذي استلم مهامّ البطريركيّة اللاتينيّة في القدس وتعاطى امورها الرسميّة مع الحكومة ٣٧ سنة من السنة ١٨٥٢ الى سنة وفاتهِ ١٨٨٩ واسمهُ لا يزال مشهوراً

هناك الى يومنا عند الجميع. وقد أرّخهُ المرحوم موسى صفير بهذه الابيات :

حلَّ المصابُ بآل دحداحٍ فقد فقدوا الذي عقبت طهارةُ قلبهِ
ما زال للانام اعظم قدوة في الفضل حتى حجبوهُ بتربهِ
مالكُ العُلى فيا يؤرخُ قائلٌ قبلانُ قد قبل الرضا من ربّهِ (١٨٨٩)

وكلّ هؤلاء الذين ذكرناهم يرتقي اصلهم الى موسى الدحداح وهو ثالث الفروع الاربعة للدحادحة والاكثر عددًا ولا تخلو الفروع الأخرى من الافاضل فمن الفرع الثاني. كان الشيخ مرعي الذي نُشرت ترجمتهُ في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٤٥٩—٤٦٠) توفّي في الكفور سنة ١٨٦٨ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيه :

مضى الشيخُ مرعي راحلًا عن ديارنا ولكن ضياً بالسماء لهُ قصرُ
همامٌ تلقّى الحادثاتِ بنفسهِ وتمَّ لهُ من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرخ وقل بهِ عليك الرضى والعفو يا أيها القبرُ

وقد ارّخ ايضاً قرينتهُ أمون ابنة حنّا منصور الدحداح .

تركتْ دياو الشيخ مرعي بعلها ومضت الى دار النعيم المزهرهْ
تلك التي تدعى امينة وهي من كلّ العيوب امينةٌ متطهّرهْ
حلّت عليها رحمةُ الله التي تسقي ثراها كالغوادي المطرهْ
ولكل ما عثرت بهِ من هفوةٍ في كلّ تاريخ تمتّ المغفرهْ (١٨٦٦)

ومن احفادهِ الشيخان اسكندر المتوفّى سنة ١٩١٢ والذي تولّى مأموريّات عديدة في القدس ويافا ودمشق وبيروت. ثمَّ الدكتور رشيد تلميذ كليّة الآباء اليسوعيين وهو مقيم في جونية حالًا

ومن هذا الفرع الشيخ سجعان بن بشير الذي حصل على جانب من العلوم الشرعيّة واشتهر بحسن ادارتهِ على عدد كثير من الامراء الشهابيين توفّي في قائمقاميّة قضاء البترون سنة ١٨٩٦ . والشيخ فرنسيس الذي ولّاهُ الامير بشير على بلاد جبيل فتوفي في عنفوان الشباب سنة ١٨٢٥ واخوهُ لطُّوف متولّي مقاطعة النتوح توفّاهُ الله سنة ١٨٥٢

ويشرّف سلالة هذا الفرع حالًا الخوري يوسف الدحداح المرسل البطريركي في اوستراليا حيث خدم طائفتهُ في بيذني خدماً جليلة بنشاط لم يعرف مللًا ولا سأماً

منذ ثلاثين سنة فاكتسب ثقة المهاجرين والوطنيين معاً وقد ألّف بالانكليزيّة كتاباً عن الملّة المارونيّة

وقد اشتهر من نسل ابرهيم وهو الفرع الاوّل من اسرة المشائخ الدحادحة المتوفّى سنة ١٧٣٠ الشيخ فيّاض كان طبيباً وفارساً وادبياً محبّاً للاسفار مشغوفاً بمعرفة احوال الدنيا توفّي في طرابلس سنة ١٨٨٣

وكذلك اشتهر من سلالة وهبة المتوفّى سنة ١٨٠٥ وهو الفرع الاخير من الأسرة الدحداحيّة المرحوم خليل يوسف الدحداح سنة ١٩١٩ المتوفّى في بلاط قريباً من جبيل حيث يسكن اهلهم وكان متضلعاً بالعلوم العربيّة والشرعيّة. ومن اولاده الشيخ درويش احد مأموري ادارة الأمن العام في المفوّضيّة العليا

وكان رأس الفرع الرابع من مشائخ بني دحداح الشيخ منصور يوسف المتوفى سنة ١٧٨٠ مرّ ذكرهُ وذكر اولاده في مقالة المشرق المار ذكرها (٤ : ٣٩٢) . وكان احفادهُ اولاد ابنهِ الوحيد حنّا ثلاثةً الشيوخ منصور المتوفّى اعزب في بيروت سنة ١٨٦٢ ولويس المتوفى في عرمون سنة ١٨٣٥ وجهجاه المتوفّى في قبّ الياس سنة ١٨٤٠ وهو والد خطّار الذي سنترجمهُ قريباً

ومن عائلة آل الدحداح قبل توطّنها عرمون المطران جرجس الدحداح الذي عاش في الجيل السابع عشر. وفي الداقورة كنيسة على اسم الشهيد مار جرجس سعى الدحادحة ببنائها. هذا فضلاً عن وقفيّاتهم نخصّ منها بالذكر وقفيّات سيّدة الحقلة التي يتولّى تدبيرها بيت ديب من دلبتا ومار دومط في البوار التي يديرها بيت ضوء يشهد على ذلك حكم مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ حيث اعترف الآباء وهم السيد البطريرك يوسف التيّان ثم نيافة القاصد الرسولي لويس لوزانّا ويوحنا مارون مطران حماة والوكيل البطريركي بحقوق آل الدحداح بالولاية الزمنيّة على المقامين المذكورين وبالتزامهم المحاماة عنهما وبسائر الامتيازات الممنوحة من المجمع التريدنتيني لاصحاب الولايات وقد تقرّر ذلك بموجب صكّ حُرّر في ٢٦ تشرين الاوّل سنة ١٨١٨ وفقاً لطلب الشيخين فرنسيس وطنوس الدحداح بالاصالة عن انفسهما وبالوكالة عن باقي اسرتهما

ومن اوقاف الشيخ منصور يوسف الدحداح حارتهُ المعروفة بدير البنات التي كان نالها من الامير يوسف شهاب الحاكم اوقفها على الرهبنة اللبنانيّة المارونيّة سنة

١٧٦٠ وهي اليوم مركز الرئيس العام للرهبنة المذكورة . واوقف ابنهُ الشيخ حنّا على الرهبنة ذاتها حارتهُ واملاكهُ الواقعة عند بوّابة جبيل بموجب وثيقةٍ حرَّرها القس ميخائيل خادم البنات في ١٠ آب ١٧١٥ . وعلى باب كنيسة مار جرجس في الكفور الابيات التي تشهد لهم ببنائها :

قامت بسعي بني سليمان الذي هو من كرام عشيرة الدحداحِ
للّابس الظفر الذي بجهادهِ في الارض فاز بمالم الارواحِ
وفتوحُ ذي التاريخ فيها بينةٌ تتلو السلام عليهِ كلّ صباحِ

ومثلها كنيسة سيّدة النجاة القديمة في عين قعبل بالاشتراك مع عائلة قرقاز

وقد بقي ان نذكر ورقةً وقعت في يدنا بختم محمّد منيب امير لواء العساكر الشاهانيّة في ١٩/٥ سنة ٥٨ (كذا) يدّعي فيها كاتبها ان بيت الدحداح اجتمعوا بالدروز فافسدوا البلاد فيحذّر الكاتب مأموريهِ من غشّهم ويثني على المشايخ بيت الخازن ووطنيّتهم ويفوّضهم بالقاء القبض عليهم . الّا اننا بعد مراجعة الورقة المذكورة استدللنا على تزويرها من اوجه عديدة كاستعمالها الارقام الهنديّة على خلاف عادة الاتراك وذكرها الدروز بصفة عائلة وانهم في كسروان وليس منهم فيها احد . امّا الفساد المشار اليهِ فلا اصل لهُ ولمّا يعرّض بأمر يحقّ لآل الدحداح الفخر فيهِ وبهِ خدموا الوطن خدمة تذكر وذلك حركتهم مع الطائفة الدرزيّة ضدّ تنصيب عُمَر باشا وطلبهم بان يُقام حاكم وطنيّ لبناني للحكم على الجبل فتأمّل

وبعد هذا النظر العمومي عن آل الدحداح دعنا نترجم واحداً منهم فُجع بهِ الوطن نزيد بهِ

الشيخ خطار جهجاه الدحداح

هو ابن الشيخ جهجاه المارّ ذكرهُ . كان ابوهُ اشترك في حوادث المختارة سنة ١٨٢٥ فهرب هائماً على وجههِ الى حوران ثمّ الى حمص وحلب وهناك افترق عن صهرهِ الشيخ مرعي الذي سافر الى فرنسة وعاد هو الى لبنان سنة ١٨٣٣ وبعد ان قضى مدّة فيها أبحر الى فرنسة مع شقيقتهِ واولادها ثم اقترن سنة ١٨٣٥ بعد رجوعهِ بنسيم الدحداح ارملة الشيخ راجي الدحداح . فولدت لهُ في شباط سنة ١٨٤٠ ابنها

الوحيد الشيخ خطّار الذي عليهِ مدار كلامنا

وفي سنة مولدهِ حضرت الى جونية اساطيل الدول المحالفة للدولة العثمانيَّة لمطاردة الجيوش المصريَّة المحتلّة في الشام. فنزل الشيخ جهجاه مع رجال الفتوح لمناصرة الدول ومناهضة ابراهيم باشا وحليفه الامير بشير. وكانت الدول المتحالفة اقامت على حكومة لبنان سميَّ الامير بشير الكبير اعني الامير بشير الثالث قاسم ملحم المعروف بابي طحين فرافقه الشيخ جهجاه مع الفتوحيين ومشايخ الدحداح ذوي الإقطاع وتعقَّبوا آثار ابرهيم باشا في رجوعهِ الى مصر عن طريق البقاع. ولمَّا وصلوا الى قبّ الياس مرض الشيخ جهجاه ومات بعد أيَّام قليلة في تشرين الاوَّل من السنة ١٨٤٠ فدُفن في كنيسة انطوش الرهبنة الانطونيَّة

فاصبح خطَّار يتيماً وامُّهُ ارملةٌ لثاني مرَّة في الرابعة والعشرين من عمرها فاجمعت قواها وعُنيت بتربية وحيدها على اصول الدين المسيحيّ وكان اسم الولد في المعموديَّة لويس دعاهُ بهِ ابوهُ ذكرًا لاخيهِ الشيخ لويس المتوفَّى قبل خمس سنوات فاتَّفقت امُّهُ مع سلفها وحماتها على تسميتهِ بخطَّار وحفظ اسم لويس كاسم العماد

وفي السنة ١٨٥٣ ادخلتهُ والدتهُ مدرسة عينطورا للآباء اللعازريين فتخرَّج في آدابها الى السنة ١٨٥٨ . وكانت العادة جاريةً آنئذٍ في تلك المدرسة ان يدخل التلامذة في اوَّل تشرين الثاني فيقضون سبعة اشهر فيها ثمَّ ينتقلون الى ريفون في حزيران الى غاية آب وينصرفون الى اهلهم في شهري ايلول وتشرين الاوَّل للعطلة المدرسيَّة . فكانت والدة خطار لا تصبر على ابتعاد ابنها عنها فكانت تتنقَّل معهُ فتسكن عينطورا وريفون ثمَّ تقضي الفرصة السنويَّة في عرمون مع سلفها او في الكفور عند شقيقتها

انهى خطَّار دروسهُ الثانويَّة في آخر آب سنة ١٨٥٨ على عهد رئيس المدرسة الاب اتيان ديبار (E. Depeyre) الشهير (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٦٣٩) . وكان بلغ بهمَّتهِ عدد تلامذتها المئة فلم يعودوا ينتقلون في شهور الصيف الى ريفون لكثرتهم . وصادف زمن خروجهِ ثورة طانيوس شاهين سعادة وفلَّاحي كسروان على مشايخ بيت الخازن. فخاف آل دحداح ان تمتدَّ الحركة الى عرمون والفتوح فنزل الشاب الى بيروت حيث كانت امُّهُ تسكن وتنتظرهُ بفروغ الصبر . فلمَّا وصل راكباً الى عين

حراش يقوده مكاري من بيت آصاف من عرمون التقى بفئة من رجال الثورة فلاح لهم انهُ من اولاد المشايخ وحاولوا الفتك بهِ الّا انهُ نجا من يدهم برباطة جأش المكاري. واتفق ان زعيم الثورة طانيوس شاهين كان عرفهُ في مدرسة عينطورا فردَّ عنهُ رجالهُ وصرفهُ مكرَّماً بعد ان رغب اليهِ ان يطلعهُ على مضامين بعض الرسالات التي كانت وصلت اليهِ وكان من جملتها كتاب من البطريركيَّة المارونيَّة يلومونهُ فيهِ على تعدّي رجاله على اوقاف دير الزوق الخاصَّة بيت الخازن ويحظرون عليهِ مسّ الاوقاف أيَّةً كانت

قضى خطَّار سنتي ١٨٥٩ و ١٨٦٠ في بيروت لم يرجع الى كسروان لاضطراب احوالها . واتفقَ من البطالة انشأ على حسابهِ مدرسة . وحضر في تلك الاثناء اسطول فرنساوي للدفاع عن نصارى الشام كان يقودهُ الاميرال دي لارُنسيار لينوري فنزل رئيس عينطورا لزيارتهِ واوصاهُ بالشيخ خطَّار فعيَّنهُ كترجمان في خدمتهِ واقامهُ معهُ في بارجتهِ الى نهاية الاحتلال الفرنساوي فسار في صحبتهم الى صيداء والى اماكل لبنان حتى ازمير وكان يأنس بهِ ابنُ اخي الاميرال وهو تربُهُ

وفي كانون الثاني ١٨٦١ اقترن بمريم ابنة خالهِ ضاهر وبعد انصراف الاسطول الفرنساوي استوطن بيروت وسكنها الى آخر الصيف من السنة ١٨٧٣ . ففي اثنائها انتدبهُ ارباب المدارس للتعليم في معاهدهم فعلَّم سنتين في مدرسة الثلاثة الاقمار الارثذكسيَّة وعلَّم في السنة ١٨٦٩ في المدرسة البطريركيَّة للروم الكاثوليك . وكان اخصّ تعليمهِ في مدرسة المرحوم بطرس البستاني الوطنيَّة فدرَّس فيها اللغة الفرنسويَّة عشر سنين وتولَّى نظارة دروسها . وفي اوَّل اندماجهِ فيها حظي بمعرفة المرحوم الامير محمَّد امين ارسلان آخر قائمقام لبنان الجنوبي فاستدعاهُ لتدريس اللغة الفرنسويَّة لشقيقهِ الامير مصطفى فتوثَّقت مذ ذاك الحين الصداقة بينهما وثبتا عليها طول حياتهما

وفي صيف السنة ١٨٧٣ تُلد رستم باشا متصرفيَّة لبنان فعيَّن الامير مصطفى قائمقاماً لقضاء الشوف وعيَّن الشيخ خطَّار رئيساً لكتبة قلم التحريرات الاجنبيَّة فلبث في هذه الوظيفة الى غاية كانون الثاني ١٨٨٠ . وكان مع شغلهِ هذا يتخذهُ المتصرّف غالباً لكتابة اسرارهِ . وقد لعب دوراً يذكر في عهد رؤساء مجلس الادارة الذين لم يعرفوا اللغة الفرنسويَّة كعثمان بك عثمان والامير امين منصور ابي اللمع

وفي آخر كانون الثاني ١٨٨٠ اضطرّتهُ معاكسة بعض الخصوم الى ترك وظيفته فعاد الى بيروت وتعاطى مهنة التدريس في مدارس بيروت المختلفة بينما كان يتولّى التحرير والترجمة في جريدة المصباح في اوّل نشأتها. وكان مع مزاولته التدريس يشتغل بتعريب الجرائد الفرنسويّة وتأليف المقالات لجريدة الجنّة ومجلّة الجنان اللتين انشأهما البستانيّون في اوّل سنة ١٨٧٠ ونشر تحت امضائه تاريخ فرنسا الحديث الى سقوط نابوليون فانقطع عن تتميمه في أيار ١٨٧٣. فتابع سليم بطرس البستاني نشرهُ ثمّ طبعهُ شقيقهُ نجيب سنة ١٨٨٥ الّا انهُ في المقدّمة قد اخطأ بذكره لشغل الشيخ خطّار فلم يذكر لهُ سوى مئة صفحة على خلاف ما ترى في اعداد الجنان الممضاة باسم الشيخ فانّها تبلغ ٢٣٤ صفحة. فاقتضى التنبيه

وفي تشرين الاول ١٨٨٢ طلبته جمعية الروم الارثوذكس الطرابلسيّة وسلّمته ادارة مدرستها الداخلية في كفتين فقضى فيها سنةً وكان ابنه الاكبر المرحوم يوسف استاذًا للفرنسوية فيها تحت ادارته وفي آب ١٨٨٤ عيّنته عمدة المعارف في بيروت التي كانت برئاسة والي سوريا المرحوم حمدي باشا مديرًا بالوكالة للمدرسة السلطانية واستاذًا اول للفرنسوية فيها ثمّ تركها في آخر آب سنة ١٨٨٦ وعاد للتدريس في بيته وفي مدرسة الروم الارثوذكس. وكان آخر عهده بالتعليم فيها فعدل عن مهنة التدريس نهائيًا في اواخر حزيران ١٨٨٧ اذ تعيّن عضوًا لمحكمة قضاء الشوف في لبنان في مدة واصه باشا وقائمقاميّة تلميذه نسيب بك جنبلاط الاولى على الشوف

وفي ايلول ١٨٨٨ نقله واصه باشا الى عضوية محكمة قضاء كسروان وكان القائمقام حينئذ المرحوم الامير يوسف اسمعيل ابي اللمع حفيد قائمقام التسعة الامير حيدر اسمعيل وفي حزيران ١٨٩١ تقرّر اعطاء عضوية محكمة كسروان لطائفة الروم الارثوذكس فأُعيد الشيخ خطار الى عضوية محكمة الشوف فلبث فيها الى ٢٦ تموز ١٨٩٣. وفي تلك الاثناء مات واصه باشا وخلفه نعوم باشا واُسندت قائمقامية الشوف للشيخ سعيد حمدان ثم الى الامير مصطفى ارسلان فارتأى نقل الشيخ خطار الى مديريّة الغرب الشمالي فأدارها الى نهاية شباط سنة ١٨٩٩. وفيها نقلهُ المتصرف الى مديرية حصرون في قضاء البترون فتولّاها الى اواسط شهر آب ثمّ اضطرّ الى مغادرة الوظائف واعتزل الاشغال الى زمن يوسف فرنقو باشا فولّاه مديريّة ناحية الزوق في

تشرين الاوّل سنة ١٩٠٧ . وفي تموز سنة ١٩١٢ عيّنه اوهانس باشا مديرًا لناحية الشحّار بناء على انهاء تلميذه القديم نسيب بك جنبلاط في مدة قائمقاميته الاخيرة وقد كانا اصبحا شيخين متقدّمين في السنّ . وبعد قليل اي في كانون الثاني سنة ١٩١٣ تنحّى نسيب بك عن القائمقامية فخلفهُ في منصبهِ الامير توفيق وكان خصمًا لنسيب بك وللامير مصطفى ولعلمه بالصداقة الحميمة التي تربطها بالشيخ خطّار اخذ يطعن بهِ ويثير عليهِ الضغائن رجاء ان يحملهُ على الاستقالة فخاب املهُ وجنح اخيرًا للحقّ وعرف صدق الشيخ واستقامتهُ فعدل عن مقاومتهِ وتقرّب اليهِ وهو الذي اقنع اوهانس باشا سنة ١٩١٥ بان يرسلهُ مديرًا للغرب الشمالي بدلًا من مديريّة الزوق (كسروان) التي كان الشيخ يفضل الاستقالة عن تدبيرها . وفي اثناء وجوده في الشحّار بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب تمكّن بالجهد الكلّي بابقاء دير الاباء الكبوشيين في عبيه ومدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم في معلّقة الدامور مفتوحتين وبتسليم اصحابهما المذكورين

وكانت الحرب الكونيّة قد اضطرم سعيرها فعملت في قلبهِ تلك المشاهد المفجعة التي أُصيب بها وطنهُ باحتلال الاتراك في لبنان وتأثّرت صحّتهُ من جرّاء ذلك ولاسيما لما كانوا يشيعونهُ من انكسار الفرنسويين اصدقائهِ . وكانت لديهِ آثار عديدة من صداقتهم عزيزة عليهِ فاسرع الى ملاشاتها . وفي منتصف سنة ١٩١٦ قدّم استقالتهُ الى المتصرّف عليّ منيف بك وتوجّه الى كسروان دون انتظار جوابهِ فلم يرضَ المتصرّف بذلك بل امرهُ بالرجوع الى مركزه ولم يبلّغهُ بالاتفاق مع قائمقام الشوف الامير عادل ارسلان امر الوزارة الداخليّة ووزارة الماليّة باحالتهِ على التقاعد فعاد الى المديرية في ايلول مكرهًا . لكنّهُ عاد الى كسروان بالرخصة لمّا توجّه سنة ١٩١٧ علي منيف الى الاستانة بصفة ناظر للنافعة . وبقي هناك طالبًا احالتهُ على التقاعد من الامير فؤاد شهاب قائمقام الشوف وقد كان وقتئذٍ اتمّ السنة ٧٧ من عمرهِ

وظلّ من ذلك الحين ملازمًا بيته تارة في كسروان واحيان قليلة في بيروت متشكرًا بالاستعداد الى ملاقاة ربّهِ وقد كان سروره عظيمًا بحدوث الاحتلال الفرنسوي لانه منذ نشأته ربي على حبّ فرنسا ولكنهُ لم يخرج من عزلته اذ انه لم يعد يفتكر في حوادث العالم هذا . واخيرًا على اثر حادث فجائي وقع لهُ في اواخر تموز ١٩٢٢ لازم الفراش ولكن بدون مرض خاصّ فلم يشأ اطبّاؤه ان يصفوا لهُ

دراه . وفي صباح الثلثاء ٢٢ آب سنة ١٩٢٢ عند الفجر فاضت روحه بعد ان كان اثناء مرضه اتمّ واجباته الدينيّة عدّة مرار وكان الكاهن قد اعطاه المسحة الاخيرة يوم الاحد في ٢٠ منه . ويوم الاربعاء في ٢٣ منه صُلّي عليهِ في جونية ونقلت بعد ذلك جثته الى بلاط موطن قسم من المشايخ الدحادحة فصُلّي عليها ثانية ودفن بعد ذلك في كنيسة القديس الياس خاصّة فرع هؤلاء المشايخ المقيم في بلاط . وقد ابّنه هناك الياس افندي حسّون المعلوف احد اعضاء محكمة كسروان سابقاً وقد نظم الشاعر بولس افندي زين رئيس محكمة كسروان ومحكمة جزين ومدير مطبعة لبنان الرسمية سابقاً هذه الابيات تاريخاً لوفاتهِ

خطّار جهجاهُ دحداحٌ قضى اسفاً عليهِ يبكيه من فرطِ الاسى قلمُهْ
قد كان ذا سعةٍ في العلمِ محترماً مكرّماً والملا الاشرافُ تحترمُهْ
مضى فقيداً حميداً فضلَ خالقهِ ارّخ لهُ فيه اجرُ الحمدِ يتنسّمُهْ (١٩٢٢)

﴿وصف طباعهِ﴾ كان المرحوم الشيخ خطّار مثالاً للجدّ والهمّة محبا للعلم امينا في الصداقة مستقيماً في المعاملات . وقد بلغ من العفّة والنزاهة مبلغاً بعيداً حتى انهُ مات ولم يترك مالاً ولا عقاراً بعد ان كان ورث عن ابيهِ وعن والدتهِ سهماً جيّداً فضلاً عمّا ربحهُ بشغلهِ ايّام تدريسهِ في بيروت وتحريرهِ في صحافتها . وقد اشتهر خصوصاً بثباتهِ على المبدإ واخلاصهِ لاصدقائهِ ونفورهِ من دسائس الاحزاب ولهذا لم ينل ما كان يحقّ لهُ من التقدُّم مع اقتدارهِ على الاعمال المختلفة لعدم انتمائهِ الى ايّ حزبٍ سياسيّ من احزاب لبنان . وزد على ذلك انهُ كان يبغض المباهاة والتداخل بما لا يعنيهِ من الامور . ومن صفاتهِ المحمودة صبرهُ على آلام الحياة وخصوصاً على فقد زوجته (+١٨٨٧) ووالدتهِ (+١٧٩٢) واولاده مسلّماً لمشيئة الله

﴿تديُّنهُ﴾ عُرف الشيخ خطّار بتديُّنهِ وتقاه . فانهُ كان عريقاً في دين اجدادهِ متشبّثاً بتعاليم طائفتهِ قائماً بواجباتهِ الدينيّة احسن قيام . وكان من اقدم اعضاء اخويّة الحبل بلا دنس في دير الآباء اليسوعيين في بيروت وثبت الى آخر انفاسهِ مجاهراً بمعتقدهِ . وعلى دينهِ هذا سعى بتربية اولادهِ

وكان مع قلّة ذات يدهِ كريماً محسناً الى الفقراء . ولمّا أُنشئت في بيروت جمعيّة مار منصور دي بول كان من جملة اوّل الطالبين الانتماء اليها

الشيخ خطّار جمجاه الدحداح

(١٨٤٠–١٩٢٢)

﴿اولادهُ﴾ رُزق الشيخ خطّار من زوجتهِ مريم ابنة خالهِ ثمانية اولاد خمسة ذكور وثلاث اناث . فالذكور مات ثلثة منهم . مات احدهم صغيراً وهو نسيب في الثانية او الثالثة من عمرهِ في رأس السنة ١٨٧٠ ودُفن في كنيسة غبالة . ومات الثاني وهو بكرهُ الشيخ يوسف في ٣٠ ايلول سنة ١٨٩١ في قرية الغيتة وفيها دُفن . وكان يوسف وُلد في ٢٠ آب سنة ١٨٦٤ وتخرَّج في مدرسة عينطورة (١٨٧٦—١٨٨١) فكان من ابرع تلامذتها . علَّم في مدرستي مار لويس غزير وكفتين وكتب في قلم التحريرات الاجنبيَّة على عهد واصه باشا ثمَّ انتدبتهُ حكومة تونس في اواخر سنة ١٨٨٥ كترجمان لمصلحة املاكها فلازم اشغالها نحو اربع سنوات وسافر الى الجزائر وفرنسة واجتمع باقاربهِ فيها فدارت بينهُ وبينهم مكاتبات وقصائد فرنسويَّة . تدلُّ على مقدرتهِ في الكتابة وقد شهد لها رئيس الآباء اللعازريين في عينطورة الاب ساليلج واثنى على براعتهِ وافتخار مدرستهم بمثلهِ وتلطَّف بقبول بعض اشراف الدروز في المدرسة اكراماً لهُ مع عدم استيفائهم لشروطها . وقد ارَّخ وفاتهُ الشاعر عيسى افندي اسكندر المعلوف :

فقدتم بني الدحداح ندباً مهذَّباً فشُقَّت لهُ الاكبادُ والدمعُ مدرارُ
فصيراً ذوي القربى اقول مؤرِّخاً الى جنَّة الفردوس يوسف خطَّارُ (١٨٩١)

امَّا الثالث من ابنائهِ الشيخ خليل فولد في ١٩ تشرين الثاني ١٨٧٧ . تعلَّم في كليَّة الآباء اليسوعيين في بيروت (١٨٨٩—١٨٩٢) ثمَّ درس الفصاحة سنةً في عينطورة . وقضى ثلاث سنوات متنقلاً بين بيروت وسوق الغرب حيث كان والدهُ مديراً . فعاجلهُ الموت وهو لم يتجاوز الربيع التاسع عشر من حياتهِ فتوفي في بيروت في ٢ كانون الثاني ١٨٩٧ . وكان اديباً دمث الاخلاق محسناً الى الجميع عريقاً في التقى ذا رأي صائب مع صغر سنهِ . ولمَّا احسَّ بقرب الوفاة طلب من نفسهِ الكاهن وكان يعزّي اهله وهو على فراش الموت وقد رثاهُ كثيرون من الشعراء . منهم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف فقال من ابيات :

هذا الذي حلَّ الثرى يافعاً فحزنُ اهليهِ مديدٌ طويلُ
لهُ صفاتٌ عزَّزت قدرهُ حسن ذكرٍ كالنسيم العليلُ
فنجلُ خطَّارٍ مضى سائراً عن آل دحداحٍ فزاد العويلُ

لكنَّهُ في جنَّةٍ باسمٌ مُنَبَّثًا فيها بظلٍّ ظالِلْ
يا آله الكرام كفُّوا البكا وكفكفوا الاسى بصبرٍ جميلْ

وقد بقي من اولاد الشيخ خطّار نسيب وهو سميّ الاخ الصغير المتوفّى يقيم الآن في جونية ولهُ فيها صيدليّة . والشيخ سليم المعروف بعلمهِ وآدابهِ ولهُ وظيفة في حكومة لبنان الكبير ولهُ ثلاثة اولاد ذكور

امّا البنات فثلث وكلّهن في قيد الحياة : ايزا ارملة الشيخ راشد بشير الخوري من رشميّا . وامون ارملة الشيخ داود الضاهر وهي مقيمة مع اخويها . وألماسة قرينة الشيخ اسكندر لحود الخوري في رشميّا

﴿ تآليفهُ ﴾ كان الشيخ خطّار في سني تدريسهِ في بيروت . ولعاً بالكتابة والتأليف . وقد ذكرنا ما ادّاهُ من الخدم للصحافة البيروتيّة . وكذلك افادنا احد الاخوة اليسوعيين انهُ اشتغل مدّةً في مطبعتهم . امّا تآليفهُ المطوّلة فلم يُطبع منها سوى تاريخ فرنسة الحديث السابق ذكرهُ . ثمّ تأليف في مبادئ اللغة الفرنسويّة نشرهُ سنة ١٨٨٦

امّا مصنّفاتهُ التي لم تُنشر فتاريخ واسع لفرنسة في اربعة مجلّدات افتتحهُ بذكر الفتح الروماني لغاليا على يد يوليوس قيصر سنة ٥٨ قبل المسيح وانتهى بهِ الى السنة ١٨٨٠ وقد سعى في طبعهِ في المطبعة الادبيّة للمرحوم خليل سركيس ونشر الاعلانات ووصولات الاشتراكات فيهِ الّا انّ مراقبة المطبوعات العثمانيّة في الاستانة لم ترضَ بنشرهِ الّا تحت شروط باهظة استثقلها المؤلف ولم تقبل تفويض فحص الكتاب الى معارف سوريّة ومعارف ولاية بيروت . وأمّا نشبت الحرب العموميّة اضطرّ الى ملاشاة عملهِ لقرب وجودهِ من الديوان الحربي

ومن تآليفهِ المخطوطة عدّة روايات عرّبها من الافرنسيّة ثمّ عُني بتمثيلها كرواية يوسف الحسن ورواية اوغسطس اي سينّا للشاعر كورنيل ورواية استير للشاعر راسين . ورواية افيجيني لهُ ايضاً . وكان يفوّض بنظم ابياتها لبعض الشعراء كالشيخ ناصيف اليازجي والمعلم ابرهيم ناصيف عطيّة وهو لم يزل حيّاً

وقد ترك ايضاً مخطوطين مطوّلين احدهما غراماطيق فرنسويّ والآخر مخاطبات فرنسويّة وعربيّة

وكان المرحوم يُحسن التعليم ويقرّب المعلومات الى عقول تلامذتهِ. والدليل عليهِ المدارس العديدة التي وكلتْ اليهِ هذه المهنة. وكان في الغالب يدرّس اللغة الفرنسويّة. وهو متقنٌ لها ايّ اتقان. وقد اشتهر كثيرون من تلامذتهِ ولبث اكثرهم مخلصين لهُ المودّة كالمرحوم الامير مصطفى ارسلان ونجليهِ الاميرين امين كبير الطائفة الدرزيّة حالًا ومحمّد شهيد الدستور العثماني وكالمرحومين سليم شحاده وعزيز النيماني (من تلامذة مدرسة الثلثة الاقمار) والمرحومين نجيب بطرس البستاني ونسيب بك جنبلاط وجرجي متري سرسق وسليم بك أيوب. وكالوزير العثماني سليمان البستاني ونخله بك التويني (وكلهم من تلامذتهِ في المدرسة الوطنية) وكنعان بك حبيش والمرحوم الامير فريد نجيب الشهاب (من تلامذة المدرسة البطريركيّة). وكدولة محمّد علي بك العابد ناظر ماليّة الاتحاد السوري واوّل سفير كبير عثماني في اميركا. ومحمّد رؤوف بك الأيوبي احد رجال دولة دمشق (من تلامذة المكتب السلطاني) وكالمرحوم الدكتور شمعون بك مويّال اليافوي (من المدرسة الاسرائيليّة) وقد ذكر هذا في جريدتهِ صوت العثمانيّة سنة ١٩١٤ ما يكنّهُ صدرهُ من المعروف لاستاذهِ القديم

هذه نبذة وجيزة زففناها لاهل لبنان الكبير ليقدّروا ما لبعض معاصريهم من الفضل على هذه الاوطان العزيزة فعساها تبعث في قلوبهم الرغبة في خدمتها على مثالهِ بنشاط واخلاص تحت مراعاة الانتداب الفرنسويّ الذي كان هو يتوق اليهِ

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تتمة حرف الكاف

٦٧٨ ﴿كوديس﴾ كذا وجدنا اسمهُ في كتاب في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب: وهو «ردّ على الشرقيّين المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكيّة مؤلفه

كوديس» . وهو منقول الى العربيّة في القرن الثامن عشر

— كورنيليوس الحجري — اطاب الحجري

٦٧٩ ﴿ كوش ﴾ الاب فيلبّوس المرسل اليسوعي توفّي في بكفيّا في ٢٧ آب ١٨٩٥ . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من قاموسهِ العربي الفرنساويّ الذي طبع بعد ذلك في مطبعتنا سنة ١٨٦٢ وهي في مجلّدين مع زيادات شتى

٦٨٠ ﴿ كوكويه ﴾ الفقيه الفرنسوي انطونين (Ant. Goguyer) المتوفّى سنة ١٩٠٩ في مسقط . قضى قسماً من حياتهِ منوطاً بمجلس تونس الشرعي ومحكمتها وألّف عدّة تآليف في الشرع الاسلامي بالفرنسويّة وانشأ مكتبة غنيّة بكتب الفقه العربيّ واورثها من بعدهِ كليّتنا فوجدنا له بعض المخطوطات في مباحث فقهيّة وادبيّات اسلاميّة ومسائل لغويّة تدلّ على براعته في فنون العرب

٦٨١ ﴿ كولين ﴾ الاب فرنسوا الاسبانيّ اليسوعي (F. Colin) المتوفّى في جزائر الفيليبين سنة ١٦٦٠ . ألّف في الاسبانيّة سيرة القديس الفونس رودريكس اليسوعيّ فنقلها الى العربيّة بمساعدة الاستاذ رشيد الشرتوني لاب فكتور دي كوبيه سنة ١٨٨٧ ونشرها تحت عنوان «مظهر الصلاح»

٦٨٢ ﴿ كويرو ﴾ الاب هيرونيموس (P. Jerôme Queyrot) المرسل الفرنسويّ اليسوعي في بلاد الشام المتوفّى في دمشق سنة ١٦٥٣ . ألّف في حلب معجماً في سبع لغات في الفرنسويّة والايطاليّة والفرنسويّة واليونانيّة القديمة والحديثة وفي العربيّة الفصيحة والعاميّة لم يزل مخطوطاً . ولهُ رسائل عديدة كتبها عن الشرق واحواله واديانهِ

٦٨٣ ﴿ كويسه ﴾ هو الاب فرديناندس (فرنسيس) المرسل اليسوعيّ (P. Ferd. Cuisset) المتوفّى في حلب سنة ١٧٦١ . لهُ : ١ً في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الآباء الكبوشيين وفي مكتبتي الموارنة والروم الكاثوليك في حلب رسائل وجّهها الى القسّ ميخائيل جروه كاهن اليعاقبة في حلب وكانت من اكبر الدواعي الى ارتدادهِ الى الكنيسة الرومانيّة فصار بطريركاً على طائفة السريان الكاثوليك . ٢ً ولهُ في مكتبتنا ايضاً كتابٌ في التعليم المسيحي مع قوانين لشبّان اخويّتهِ يرشدهم فيها الى طريقة تلقين هذا التعليم للاحداث

٦٨٤ ﴿كيتون﴾ الاب ريناتوس اليسوعي (P. R. Guitton) المتوفى في المنيا سنة ١٩١٥ . نشر في مصر كتاب تعليم الطقوس لافادة الشرقيين في اللغة الفرنسويّة ثمّ عرّبهُ الخوري جرجس فرج صفير . ومن آثاره رياضة روحيّة للشبّان طُبعت في بيروت سنة ١٨٩٢

٦٨٥ ﴿كيرلُّس﴾ بطريرك الاسكندريّة القديس المتوفّى سنة ٤٤٤ م . لهُ ١ً في المكتبة الفاتيكانيّة (ع ١٢٣) رسالتهُ التي وجّهها الى نسطوريوس . ٢ً لهُ في مجاميع ميامر الآباء في مكتبتنا الشرقيّة وفي مخطوطات مكتبة باريس. (Mss 132[10] 141[3], 151[1], 155[4 et 5], 212[3], 237[1], 263[4 et 5]) عدّة ميامر قالها في الصليب وفي مديح العذراء ودخولها الى الهيكل وموتها وانتقالها الى السماء وفي ختانة الربّ . ٣ً قوانين كيرلس وفصولهُ الاثنا عشر . في مكتبة باريس (Ms, 238 [1]) وفي مكتبة كمبردج (Wright, 3288[6]) . ٤ً تعاليمهُ في الامانة . فيها ايضاً (3288[10]) . ٥ً كتاب السرائر اي نافور القديس كيرلُّس . منهُ نسخ في مكتبة الاقباط في مصر وفي باريس ولندن . ذكرهُ ابو البركات بن كبر في فهرسهِ (Riedel, 646) وذكر معهُ سينوديقات ومقالات في تثبيت الامانة وتقرير الاعتراف . وذكر ايضاً فصولهُ الاثني عشر وكتابهُ المدعو الكنوز المسمى هرمس

٦٨٦ ﴿كيرلس﴾ بطريرك اورشليم القديس المتوفّى سنة ٣٨٦ . لهُ : ١ً ثمانية عشر موعظة منهُ نسختان في مكتبة الموارنة في حلب نسخة منهما تاريخها سنة ١٦٨٦ بالكرشوني كتبها القسّ يوحنّا بن زنده . ومنها نسخة اخرى في مكتبة الكلدان في ماردين . ٢ً ميامرهُ في شرح الايمان (Catéchèses) . بيعت منهُ مؤخّراً نسخة على رقّ من القرن الثاني عشر (Hiersemann, Cat. 500, n° 25) . ٣ً ميامر شتى على الاعياد وعلى العذراء مريم ودخول المسيح الى الهيكل وعلى متى الرسول وعلى التوبة . منها في مجاميع الميامر نسخٌ في مكتبتنا ومكتبة باريس وفي مكتبة البلمند (ع ١٠١)

٦٨٧ ﴿كيرلس البيساني﴾ كان راهباً في بَيسان (Scythopolis) من مدن فلسطين أزهر في القرن السادس . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة سيرة القديس افتيميوس في ٥٢ فصلاً بيع منها نسخة قديمة (Hiersemann, Cat. 500, n° 16) في جملة تراجم بعض

القديسين. وفي مكتبة باريس (Paris, Ms. 257[7]) ترجمة القديس جراسيموس لكيرلس اليساني. وقد مرَّ لنا وصف نسخة اخرى منها في احد اعداد المشرق السابقة (ص ٧٠٧) وعنها نقلنا قصَّة الاسد الشاكر للمعروف

٦٨٨ ﴿كيرلس﴾ بطريرك الاسكندريَّة على الاقباط المعروف بابن لقلق تولَّى بطريركيَّة اليعاقبة في مصر من السنة ١٢٤٩ الى ١٢٥٩ م. لهُ ١ً في المكتبة الفاتيكانيَّة (ع١١٧) كتاب في الفرائض الكنسيَّة في ٢٠ فصلاً كُتب سنة ١٢٨٧. ٢ً ولهُ فيها مقالة عن سيامته (ع ١٦٢). ٣ً وفي مكتبة باريس (Ms. 238[25]) اجوبة على سؤالات عرضها عليهِ المسمَّى خراسطادلو. ٤ً وفيها ايضاً كتاب الاعتراف او التلميذ والمعلم كُتب سنة ١٢٥٥ للميلاد. ٥ً وفيها كذلك (Ms. 251[43]) كتاب قوانين ومقالات شتى في تاريخ سنة ١٢٥٩. ٦ً وذكر لهُ ابو البركات بن كبر (Riedel, 669) «مجادلة مع جماعة من المسلمين بمجلس الملك الكامل بن العادل بن أيوب حضرهُ فيها القس بولس البوشي»

٦٨٩ ﴿كيرلُس طاناس﴾ بطريرك الروم الكاثوليك السادس من اسمهِ (١٧٢٤—١٧٦٠). لهُ في بعض نسخ مكتبتنا بعد رسالة عبد الله زاخر في بطلان طعن الارمن على المجمع الخلقيدوني «جواب البطريرك كيرلُس طاناس الى الحبر الاعظم بنديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥٤ بخصوص قداسة يوحنَّا مارون»

٦٩٠ ﴿كيرلس اسقف الروم﴾ كان يدبِّر كرسيَّ طائفتهِ الاورثذكس في حلب في اواسط القرن التاسع عشر. في مكتبتنا الشرقيَّة مجادلات جرت بينهُ وبين البادري بولس اللعازري بخصوص سلطان الكنيسة الرومانيَّة واحبارها وقضيَّة الانبثاق في تاريخ سنة ١٨٤٧ بنسبة فرار الشمَّاس برثانيوس الى الآباء اللعازريين

حرف اللام

٦٩١ ﴿لابورد﴾ الاب يوسف المرسل اليسوعي (P. Jos. Laborde) المتوفَّى في ٢٠ شباط سنة ١٨٨٤. من مخطوطاته في مكتبتنا مقالة في حالة اليعاقبة في ما بين النهرين طُبعت على الحجر. لهُ في الفرنسويَّة رسائل متعدِّدة دينيَّة واخلاقيَّة كتبها من سوريَّة ومن مدياث في بلاد ما بين النهرين

٦٩٢ ﴿اللاذقي﴾ القسّ سليمان من تلامذة مدرسة البروبغندا كان في اواسط القرن الثامن عشر. من مخطوطاته: ١ً كتاب علم الذمّة استخرجهُ من اللاتينيّة منهُ نسخة في دير الشير تاريخها سنة ١٧٤٣ ونسخة ثانية في دير بزمّار وثالثة في دير الرهبان الشويريين في رومية ورابعة في مكتبتنا الشرقيّة. ٢ً كتاب في التوبة والندامة في ٢٧ فصلاً ترجمهُ ايضاً من اللاتينيّة. منهُ نسخة في مدرسة الصلاحيّة في القدس (Or. Chr., 1914, p. 113)

٦٩٣ ﴿لارّاغا﴾ البادري فرنسيس الدومنيكاني ويدعى لَرّياغا وأريغا (Gonzalès d'Ariga) المتوفّى سنة ١٦٥٧. ألّف باللغة الاسبانيّة كتاباً مختصراً في اللاهوت الادبيّ عرّبهُ احد المرسلين الفرنسيسيين حافظي القبر المقدّس سنة ١٧٤٠ وعنونهُ «بكتاب مختصر قضايا علم الذمّة في خدمة الاسرار البيعيّة اللازمة معرفتها الكهنة للاعتراف. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة تاريخها ٣ ك ٢ ١٧٤٩

٦٩٤ ﴿لاسال﴾ القديس يوحنّا منشئ جماعة اخوة المدارس المسيحيّة المتوفّى سنة ١٧١٩ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٤٦٥). قد عرّب يوسف افندي صفير كتابهُ في تهذيب الاخلاق وطبعهُ في المطبعة العثمانيّة سنة ١٨٩٩

٦٩٥ ﴿لاسيوس﴾ المكرّم لسلاب لاونردس اليسوعي (P. L. Lessius) المتوفّى سنة ١٦٢٣. عرّب الاب بطرس فروماج كتابهُ الجدلي النفيس الذي عنوانهُ «ما هو الدين الواجب التمسّك بهِ» منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة ونسخة في مكتبة الارمن في حلب.

٦٩٦ ﴿لاشيتاردي﴾ هو الكاهن يواكيم طروطي دي لاشيتاردي (Joach. Trotti de la Chétardie) المتوفّى سنة ١٧١٤ لهُ كتاب تعليم مسيحي موسّع عرّبهُ الاب بطرس فروماج دعاهُ كتاب ايضاح التعليم المسيحي طُبع اولاً في الشوير سنة ١٧٦٨ ثمّ في مطبعتنا غير مرّة. منهُ نسخ مخطوطة في مكتبتنا الشرقيّة وفي بيت الشمّاس شكري أيّوب

٦٩٧ ﴿لانكه﴾ هو السيّد جان جوسف اسقف مدينة سواسون (J.J. Languet) المتوفّى سنة ١٧٥٣ ألّف ترجمة القديسة مرغريتا مريم ألاكوك فعرّبها الاب بطرس فروماج سنة ١٧٣٥. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة بيت الشمّاس

شكري أيوب. وقد طُبع هذا الكتاب في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨٦

٦٩٨ «لاونديوس» كان اسقفاً على مدينة نيابوليس في جزيرة قبرس في القرن السادس للمسيح. في مكتبة باريس ثلاث نسخ من كتابهِ في ترجمة القديس يوحنَّا الاسكندري المعروف بالرحوم (S' Jean l'Aumónier)

٦٩٩ «لبَّاد» هو القس جبرائيل بن لبَّاد الحلبيّ من كهنة القرن الثامن عشر. وجدنا لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٧٣) ترجمة رسائل القديس نيلوس في الفضائل نقلها الى العربيَّة سنة ١٧٣١

٧٠٠ «لبَّاوس» هو القس المتني الراهب اللبناني المتوفَّى نحو السنة ١٧٩٠. ويقال لبارس ايضاً. لهُ تعريب كتاب الشهر المريميّ للاب موزرآبي اليسوعي الذي طُبع اوَّلاً في رومية سنة ١٨٣٨ ثمَّ في القدس (١٨٥٣) ثمَّ في مطبعتنا مراراً. ٢ عرَّب ايضاً كتاب القلب المقدس للاب بيتامنتي اليسوعي فطُبع في مطبعة انتشار الايمان في رومية سنة ١٨٤٨ ثمَّ في لندن سنة ١٨٦٠

٧٠١ «لركاري» الاب كتاريوس اليسوعي كان في القرن الثامن عشر. عرَّب كتابهُ الشهير المعروف بالشهير الافخارستي وطُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٠ و١٨٧٦ في آخر كتاب الاب بوهور المسمَّى قوت الحياة للانفس المسيحيَّة

٧٠٢ «لسكاري» اسمه ثوذوروس (Théod. Lascaris) احد ملوك الروم في نيقية. توفي سنة ١٢٢٢ : وجدنا لهُ في بيت بعض الخواص في بيروت «قانون سلام وتهنئة بالفرح لسيدتنا والدة الاله الفائقة القداسة وهو من تأليف الملك الحسن العبادة والجميل الديانة ثوذوروس اللسكاري» مع مدائح وتسابيح

٧٠٣ «لودويكس» فرنسيس من مدينة ارجنتان الراهب الكبوشي (Louis d'Argentan) المتوفى نحو سنة ١٦٨٢. ألَّف كتاباً بالفرنسويَّة في عظائم السيِّد المسيح فعرَّبهُ احد رهبانهم البندري يوسف من مدينة رولي في مدينة حلب سنة ١٧٢١ ودعاهُ «كتاب المخاطبات في عظائم سيدنا يسوع المسيح الذي هو الاله والانسان» منهُ في حلب نسختان الواحدة في مكتبة الموارنة كتبها القس فرنسيس الباني سنة ١٧٢٧. والثانية في مكتبة الدار الاسقفيَّة السريانيَّة. وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة ثالثة نسخها الخوري عبدالله قديد الحلبيّ سنة ١٨٥٢

٧٠٤ ﴿لوقا بن سرابيون﴾ من علماء القرن العاشر . له في مكتبة باريس (Ms. 2772) ترجمة كتاب الاحجار المنسوب الى ارسطاطاليس

٧٠٥ ﴿لومند﴾ الكاهن الفرنسوي شرل فرنسوا (Ch. F. Lhomond) المتوفى في باريس سنة ١٧٩٤ . هو مؤلف مختصر التاريخ المقدس الذي عرّبهُ المرحوم ميخائيل مسابكي سنة ١٨٥٨ ثمّ طُبع مرارًا في مطبعتنا الكاثوليكيّة . وقد جدّد تعريبهُ الخوري ن . بركات . ولومند ألّف ايضاً خلاصة تاريخ الكنيسة الذي عُني بترجمتهِ الخوري يوسف البستاني فطُبع اوّلًا سنة ١٨٧٤ في مطبعتنا . ثمّ طُبع ايضاً في المرسل

٧٠٦ ﴿لويس الكبوشي﴾ كان مرسلًا رسوليًا في حلب في اواسط القرن الثامن عشر . وجدنا لهُ في بيت الاديب نقولا أيوب في حلب كتاباً عنوانهُ « رياضة النفس في النيّة الصالحة عرّبهُ البادري الكبوشي لويس سنة ١٧٤٤ »

٧٠٧ ﴿ليبون﴾ الدكتور اوبرتس (Hubert Lebon) المتوفى في اواسط القرن الماضي . عرّب المرحوم يوسف وردة كتابهُ قوت الارواح فطبعهُ لاوّل مرّة في مطبعتنا سنة ١٨٦٣

٧٠٨ ﴿ليكوري﴾ هو القديس ماري الفونس المتوفى في السنة ١٧٨٧ . تعدّدت تآليفهُ التي نُقلت الى العربيّة : ١ً كتاب اللاهوت الادبيّ الذي عرّبهُ القسّ يوسف عطيّة وطبعهُ في طاميش سنة ١٨٥٧ والاب اومينيا الفرنسيسي وطبعهُ في القدس ١٨٥٨ — ١٨٦٠ . ٢ً كتاب تاريخ الارطقات ترجمة الخوري يوسف الدبس وبطرس عوكر طُبع في طاميش سنة ١٨٦٤ . ٣ً كتاب امجاد مريم عرّبهُ البطريرك مكسيموس مظلوم فطُبع اوّلًا في رومية سنة ١٨٢٧ ثمّ تكرّر طبعهُ في القدس الشريف سنة ١٨٦٦ ثمّ ١٨٨٣ . ٥ً كتاب الاستعداد للموت من تعريبهِ ايضاً طُبع في القدس مثلهُ سنة ١٨٥١ . ٦ً كتاب التأملات اليوميّة لكل أيام الشهر طُبع في رومية وفي القدس وفي مطبعتنا البيروتيّة . ٧ً ومثلهُ كتاب الزيارة اليوميّة لسرّ الافخارستيّا ولمريم العذراء تعريب البطريرك المذكور . ٨ً كتاب الواسطة العظمى لنوال الخلاص الابدي من تعريبهِ ايضاً طُبع في رومية سنة ١٨٤٩ ثمّ في الموصل . ٩ً كتاب الدعوة الرهبانيّة عرّبهُ الاخ يوسف دريان فطبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٨٩ . ثمّ عرّبهُ الخورفسقوفس افرام احمر دقنه فطبعهُ سنة ١٩١٣ بهذا الاسم « كتاب الحياة

الهنيَّة في الدعوة الرهبانيَّة» وفي آخره رسالة الى احد الشبان الباحثين عن دعوتهم . ١٠ً العبادة الثمينة لآلام المسيح واوجاع امّهِ الحزينة بعربهُ المرحوم الاب ادوار سلزاني اليسوعي

٧٠٩ ﴿ليان﴾ جرجس بن نعمة الله ليَّان الدمشقي من اهل القرن الثامن عشر . وجدنا لهُ بين مخطوطات مكتبة مدرسة الثلثة الاقمار (ع ٣٦٠) كتاباً عنوانهُ «البيان في صحَّة الايمان» يردّ فيهِ على المسلمين واليعاقبة والنساطرة

حرف الميم

٧١٠ ﴿مارون الاهدني﴾ هو القس جرجس الماروني من رجال القرن السابع عشر . لهُ كتاب خطّ فيهِ انساب العيال في لبنان نقلها عن مجموعات خطيَّة ومعلومات لسانيَّة ومحليَّة عُرض على البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٧٥ فرجَّح صحَّة اسنادهِ (في كتاب خليل همّام فائز عن البطل اللبناني ابي سمرا غانم ص ٣١٥)

٧١١ ﴿مارون الطرابلسي﴾ هو الخوري يوسف الماروني عاش في اواسط القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ردّهِ على الشمّاس عبد الله زاخر في بيان شرف الرهبانيَّة اللبنانيَّة

٧١٢ ﴿ماري جوزيف﴾ الراهب والمرسل الكرمليتاني المتوفى في بغداد سنة ١٨٩٨ . ذكر لهُ الاب انستاس البغدادي في الشرق (٩ [١٩٠٦] : ٨٤١–٨٤٢) الكتب المخطوطة الآتية هذه اسمائها : ١ً الدليل الجليل في محاسن الانجيل . ٢ً عجائب التنزيل في تأويل بعض مغالق الانجيل . ٣ً التأملات السنيَّة في الايام السنويَّة . ٤ً كتاب السهام الرواعظ في ابسط المواعظ . ٥ً احسن المراعي في سماع كلام الراعي (سيامر لآحاد واعياد السنة) . ٦ً طرد نفثات الشيطان بسماع تراجم ابناء الرحمان (سير قديسين) . ٧ً اخبار اخيار الكرمل . ٨ً ميدان الفوارس في ارشاد اهل المدارس . ٩ً–١٣ خمسة تآليف في الشهر المريمي والعبادة للعذراء مريم وبيان فضائلها

٧١٣ ﴿ماري دي أغريدا﴾ هي الراهبة الفرنسيسيَّة الاسبانيَّة (Marie d'Agréda) المتوفاة سنة ١٦٦٥ . ألَّفت كتاب سيرة العذراء مريم تحت اسم «مدينة

الله السرّية» نقلها الى العربيّة احد الآباء الفرنسيسيين . منها نسخة في مجلّدين في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٩٧–٢٩٨) . ومجلّد واحد في مكتبتنا الشرقيّة

٧١٤ «ماري بن سليمان» احد كتبة الكلدان في القرن الثالث عشر م . ألّف كتاباً دينيًّا في سبعة ابواب و ٣٠ فصلًا دعاهُ كتاب المجدل للاستبصار والجدل . منهُ اربع نسخ في المكتبة الفاتيكانيّة (B.O. III, 444) تاريخ الواحدة منها سنة ١٤٠١ م . ومنهُ نسخة في مكتبة باريس (Bibl. Nat., 190) . ونسخة في مكتبة الكلدان في ديار بكر وفي مكتبتهم في سعرت لعلّها فُقدت في الحرب الكونيّة حيث نُهبت تلك المكتبة الفريدة

٧١٥ «مارين دي براليف» (Marin de Boylesve) هو العالم اليسوعي الفرنسوي المتوفّى سنة ١٨٩٢ م . عرّب المعلّم اسكندر زيادة كتابهُ التذكرة الرفيعة في الديانة الفائقة الطبيعة فنشرهُ في المطبعة العموميّة سنة ١٨٧٢ . وعرّب الخوري فيلبّوس مأوك كتابهُ في الفلسفة وعنونهُ «بكتاب ميزان الحقّ في الفلسفة» في اربعة اجزاء وطبعهُ في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٨٨

٧١٦ «ماليه» الاب بطرس المرسل اليسوعي (P. Maillet) المتوفّى في حلب سنة ١٩٠١ . ألّف ١ كتاب كشف السرّ المكنون عن شيعة الفرامسون طبعهُ بالفرنسويّة والعربيّة سنة ١٨٦٦ . ٢ الادلّة الجليّة في مضارّ الكتب الرديئة طُبع في اللغتين سنة ١٨٨٢ . ٣ الغيرة على النفوس والعبادة لقلب يسوع الاقدس طُبع سنة ١٨٩٢ . وخلّف عدّة متفرّقات في شرح الكتاب المقدّس لم تُطبع

٧١٧ «مانصي» هو الكاهن يوسف مانصي (J. Mansi) من جمعيّة الاوراتوريين المتوفّى سنة ١٦٧٢ . عرّب الخوري انطون صبّاغ في حلب كتابهُ «دعوة الخطأة الى مخافة الله» في ثلثة اجزاء وعدّة فصول سنة ١٧٦٧ . منهُ نسخة في مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب

(لها بقية)

دفائن الخزائن

لجناب الاديب حبيب افندي الزيات

مقدمة

اتفق لجناب صديقنا حبيب افندي الزيات ان يسافر من مصر الى فرنسة فيقيم فيها مدّة . وقد انتهز فرصة وجوده فيها لينقل لمجلّة المشرق فصولاً رائقة من مخطوطات مكتبة باريس العموميّة . فنشكر لجنابهِ لطفهُ هذا ونهدي قرّاءنا تلك الدرر الفريدة تحت عنوان دفائن الخزائن

معلوم وزراء دمشق في الدولة التركيّة المصرية

المعلوم في عُرف كَتَبة الدولة المصريّة هو المرتّب الشهري ويجمعونهُ قياساً على معالم كالرسوم والمراسيم . وليس في كل ما اتّصل بنا من المصنّفات الموضوعة في شرح آداب ديوان الانشاء السلطاني كالتعريف والتثقيف وإجابة السائل الى معرفة الرسائل وصبح الاعشى واشباهها او في كتب التاريخ والتراجم ما يبيّن لنا طرفاً كافياً من احوال الموظفين والوظائف في تلك الدولة التركيّة العربية التي بلغت في عهدها شأواً غريباً من الابّهة والبذخ وارتفاع الشوكة ونظام الملك وتدبير المناصب السلطانيّة وتفردت خصوصاً في معرفة استدرار الاموال من كل مصادرها حلّت او حُرّمت وتقرير الضرائب والرسوم حتى على المنكرات والقبائح كشرب الخمر وركوب الفاحشة (١ مستعينة على ضبط كثير من هذه الوظائف كالاستيفاء والوزارة بكتّاب النصارى ولاسيما الاقباط منهم بعد إكراههم غالباً على الاسلام نظراً لكفاءتهم في هذه الخدم ودُربتهم عليها وطول إدمانهم لها حتى اصابوا باستئثارهم بها حظّاً جليلاً اهاج احقاد المسلمين عليهم فكان الداعي الاكبر لإثارة كل هذه الفتن والنكبات التي كانت تجتاحهم سنةً بعد اخرى كما يتبين للناظر في اخبار تلك الدولة

وبينا نرى كل التواريخ المصرية طافحةً بذكر الملاحم والحروب متوسّعة في شرح

١) طالع السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (المجلدين ١٧٢٥-١٧٣٦ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس المجلد الاول من ٣٥٦ والمجلد الثاني ص ٢٢ و٤٥١)

الفتن والمكايد التي كانت بين كل فترة وفترة تُقعد دولةً وتقيم اخرى. ونشاهد كتب مصطلحات ديوان الانشاء تدقق ما شاءت في تعيين صنف الورق وقطعهِ في المكاتبات السلطانيَّة والنصّ على قِطَّة القلم ولون المداد متحفِّيةً في إطلاق كل هذه الالقاب والنعوت الطويلة الذيول التي كانت اقلام الدواوين تحفي في سردها وترداد مغاليةً في التمييز بينها في مخاطبات ارباب الدولة بين ما كان ملحقاً بياء النسب او مجرّدًا منها كالمجلس السامي (بالتشديد) والمجلس السامي (بدونهِ) وبين ما كان منسوباً الى نفس صاحب اللقب او الى شيء خارج عنهُ كالقاضويّ الذي هو منسوب الى القاضي وهو اعلى من القضائي الذي هو منسوب الى القضاء. لا نكاد نجد في كل تلك الاخبار ووراء كل هذه الشقشقة الّا ما لا يروي غلّة من وصف مناصب الدولة وتعريف حقيقتها ورسومها والنصّ على ما كانت تتفرّع اليهِ من خدمة ونظر وتقف عندهُ من حلّ وعقد وعلى الخصوص ما كان يتقلّب عليها بسط وقبض وينتابها في كل دولة من رفع وخفض بحيث ان كثيرًا منها كوظائف النائب والوزير والناظر والوالي مثلًا كان يختلف مدلولها باختلاف دولها فضلًا عمّا أُهمل منها او فقدَ رتبتهُ ممّا لا يبقى لتعريف ماضيهِ الّا هذه الاشارات المقتصرة في معاجم اللغة وكتب المصطلح الشريف

واشدُّ ما يخفى علينا من تاريخ هذه الوظائف السلطانية الجهة المالية منها كالرواتب التي كانت معيَّنةً لكل من ارباب السيوف وارباب الاقلام كما كانوا يقولون قديماً في التعبير عن ارباب المناصب العسكرية والمدنية . ولا نظن ان احدًا نصَّ على مبلغ ما كان يرد في كل هلال لنائب السلطنة او لوزيرها وناظر نظّارها في المملكة الشامية مثلًا. وقد اطلتُ التنقيب في ما اتّصل بي من مؤلفات كتبة ديوان الانشاء وراجعت ما تناولتهُ اليد من التواقيع والعهود الصادرة باقلامهم في تقليد النيابات والولايات في ذلك العهد لعلّي اظفر فيها بجلاء هذا الغامض فلم القَ حيث اعملتُ النظر منها الّا التقريظ والإطراء والبلاغة في الانشاء ممّا لا يتجاوز الفائدة الادبية واللغوية حتى اذا كنت يوماً اطالع كتاب «اعيان العصر واعوان النصر» لخليل بن ايبك الصفدي المشهور لانقل منهُ ما عسى ان يقع اليَّ فيهِ من تراجم الأسالة (١ النصارى عثرتُ في مطاوي

(١) الأسالة جمع اسليّ وهو كل نصراني او يهودي انتحل دين الاسلام طوعاً او كرهاً ويقال لهُ مسلماني ايضاً. أُحدث هذا اللفظ من باب التعيير والتحقير تمييزًا لهم عن المسلمين بالولادة

كلامهِ عن احدهم « عبـدالله بن تاج الرئاسة الصاحب الرئيس الوزير الكبير امين الدين امين الملك وزير الـديار المصرية والشامية » القبطي الاصل على النسخة توقيع سلطاني لـهُ بنظر النظّار بدمشق مكان الصاحب شمس الـدين غبريال القبطي والأسلمي نظيرهِ من انشاء مؤلف كتاب اعيان العصر نفسهِ صرّح فيه بما لا مزيد عليهِ من البيان والتفصيل بمقـدار معلوم ناظر النظّـار بدمشق في ايام الامير تنكز المشهور . ومن هذا المعلوم قد يمكن ان يُستدلّ بالقياس على نسبة مـا كان فوقهُ او دونهُ من الرواتب . ومن حسن الحظ ان المجلّد الذي ورد فيهِ هذا التوقيع متقن الخطّ جيّد الضبط عارضهُ على الاصل المؤلف نفسهُ كما يؤخذ من الكتابة الآتية لهُ باوّله :

«قرأ عليّ هذا الجزء الثالث وما قبلهُ من اول كتابي اعيان العصر واعوان النصر الامام المحدّث البليغ نور الدين ابو بكر احمد بن علي بن محمد بن ابي الفتح المنذري الحنفي عُرف بابن المقصوص نفع الله بهِ . من اصل كتابي بخطي وانا اعارضه بهـذا الجزء . . . . وكانت القراءة بالحائط الشمالي بالجامع الاموي المعمور بذكر الله تعـالى بدمشق المحروسة

«وكتب خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي الشافعي في سابـع عشر شهر الله المحرم سنة ثمان وخمسين وسبع ماية(١٣٥٧م) حامدًا ومصلّيًا»

ومع هذه القراءة والمعارضة لا يخلو هذا الجزء من اماكن فيها بياض او نقص او اغلاط يسيرة بعضهـا لا محالة من سهو الناسخ ذهـلَ المؤلف عن تصحيحهِ عند المراجعة وبعضها وهو الاقل لا يبعد ان يكون من قلم الصفدي نفسهِ على فضلهِ وجلالة قدرهِ وهي صدى بعض اللهجات والملاحن العامّية وقلّ ان يسلم منها كاتب من كتبة دولة المماليك المصرية

وقد رأيت ان انشر هنا نسخة التوقيع المذكور مع طولهِ لجدّتهِ وخفائه قبل اليوم وعلى الخصوص لبلاغتهِ وفائدته التاريخية وموقعهِ بين آثار دمشق . ومع ان مُنشئهُ لم ينبّه على تاريخ كتابتهِ يُرجّح ان يكون سنة اثنتين وثلثين وسبعمائة للهجرة(١٣٣٢م) وهي السنة التي تنكّر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون على الصاحب شمس الدين غبريال

وورد فيها المرسوم للامير تنكز بالقبض عليه ومصادرته(١ ففيها ولا شكّ ولي الوزير امين الدين ابن تاج الرئاسة مكانهُ بدمشق الى ان لقي مثلَ جزائهِ ومات تحت العقوبة سنة اربعين وسبعمائة(١٣٣٩م). وكان الصاحبان شمس الدين وامين الدين المذكوران لما استسلم الجاشنكير الاميرُ ركن الدين بيبرس النصارى اختبأا نحو شهر بمصر ثم طال عليهما الامر فظهرا وأسلما

التوقيع الشريف لامين الدين القبطي بنظر النظّار بدمشق

قال الصفدي (٢: «ولما رُسم الصاحب امين الدين بنظر النظّار بدمشق كنت اذ ذاك في ديوان الانشاء بالديار المصرية وكتبتُ لهُ توقيعاً شريفاً. ونُسختُهُ: «الحمد لله الذي جعل وليَّ ايامنا الزاهرة اميناً، واحلّهُ من ضمائرنا الطاهرة مكاناً اينما توجّه وجههُ مكيناً، وخصّهُ بالاخلاص لدولتنا القاهرة فهو (٢٥٧° ٢٤°) يقينا يقيناً، وعضد بتدبيرهِ ممالكنا الشريفة فكان على نيل الامل الذي لا يمينُ عيناً، وفجّر خلال خلاله نهرًا اصبح على نيل السعود معيناً مُعيناً، وزيّن بهِ آفاق المعالي فما رجا امرًا الّا وكان فكرهُ صبحاً مبيناً، وجمّل بهِ الرتب الفاخرة فكم قلّد جيدها عقدًا نفيساً ورصّع في تاجها درًّا ثميناً، واعانهُ على ما يتولّاهُ فهو الاسد الاشدّ الذي اتّخذ الاقلام عريناً، نحمدهُ على نعمهِ التي خصّتنا بوليٍّ تتجمّل بهِ الدول، وتغنى الممالك بتدبيرهِ على الانصار والحوَل، ونحمد ايامنا الشريفة عليهِ ايامُ من مضى من الملوك الأُول، وتحل السعود حيث حلّ اذ لم يكن لها عنهُ حوَل، ونشهد ان لا إله الّا الله وحدهُ لا شريك لهُ شهادةً نستمطر بها صوب الصواب، ونرفل منها في ثوب الثواب، ونذخر منها حاصلًا ليوم الحساب، ونعتد برّها واصلًا ليوم الفصل والمآب، ونشهد ان سيدنا محمدًا عبدهُ الصادق الامين، ورسوله الذي لم يكن على الغيب بضنين، وحبيبهُ الذي فضل الملائكة المقربين، ونجيّهُ الذي أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حجّةً على الملحدين، صلى الله عليه وعلى آلهِ وصحبهِ الذين صحبوا ووزروا، وايدوا حزبهُ ونصروا، وبذلوا في نصحهِ ما قدروا،

١) طالع المنهل الصافي لابن تغري بردي من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس الجزء الرابع عدد ٢٠٦٨ ص ٢٠

٢) اعيان العصر واعوان النصر عدد ٥٨٥٩ من المكتبة المذكورة ص ٢٥

وعدلوا فيما نهوا وامروا، صلاةً تكون لهم هُدًى ونورًا اذ حُشروا، ويضوعُ بها عرفهم في الغُرَف ويطيب نشرهم اذا حُشروا، وسلّم تسليماً كثيرًا الى يوم الدين

وبعدُ فان اشرف الكواكب ابعدُها دارًا، واجلُّها سرًّا واقلُّها سِرارًا، وادناها مدارًا واعلاها منارًا، واطيب الجنات جناباً ما طاب ارَجاً وثمارًا، وفُجِّر خلالَهُ كلُّ نهرٍ تروع حصاهُ حاليةَ العذارى، (f° 26 r°) ورنّحت معاطفَ غصونهِ سلافةُ النسيم فتراها سكارى، وتمدّ ظلال القصور فتخال انها على جنّات الانهار تدبّ عِذارًا، وكانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات، وعلى صَفاها تهبّ نسمات هذه السمات، لم يتّصف غيرها بهذه الصفة، ولا اتفق اولو الالباب الّا على محاسنها المختلفة، فهي البقعة التي يطرب لاوصاف جمالها الجماد، والبلد الذي ذهب بعض المفسرين الى انها إرَم ذات العماد، وهي في الدنيا انموذج الجنة التي بها وُعد المتّقون، ومثال النعيم للذين عند ربهم يُرزَقون، وهي زهرة ملكنا، ودرّة سِلكنا، وقد خلت هذه المدة ممن يراعي مصالح اموالها، ويرعى نجوم احوالها، ويدبّر امر مملكتها اجمل تدبير، ويحمي حوزتها وغاشيتها من التدمير، فيديم منها غُفلًا، ويحلّي عُطلًا، ويملأ خزائنها خيرًا اذا ملأنا ساحتها خيلًا ورجلًا، تعيّن ان ننتدب لها مَن خبرناهُ بعدًا وقربًا، وهززناهُ مثقّفًا لدنًا وسللناهُ عضباً، وخبأناهُ في خزائن فكرنا فكان اشرف من تذخّر واعزّ ما نخبا، كم نهى في الايام وامر، وكم شدّ ازرًا لما وزر، وكم غنيت به ايامنا عن الشمس والقمر، وكم رفعنا راية مجد تلقاها عرابةُ فضلهِ بيمين الظفر، وكم علا ذُرى رتب تعزّ على الكواكب الثابتة فضلًا عمن يتنقل في المباشرات من البشر، وكم كانت الاحوال جُمادى فاعادها ربيعًا، غرّد بهِ طائر الاقبال وصفر. وكان المجلس السامي القضائي الوزيري الصاحبي الاميني هو معنى هذه الاشارة، وشمس هذه الهالة وبدر هذه الدارة، نزل من العلياء في الصميم وفخر باقلامهِ التي هي سُمر الرماح كما فخرت بقوسها تميم، وتخنّثت الاحوال في دفاترهِ (f° 26 v°) التي يؤسسها فآوت الى الكهف والرقيم، وقال لسان قلمهِ اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم،

عقم الزمان بان يجيء بمثلهِ ان الزمان بمثلهِ لعقيمُ

وتشبّه بهِ اقوام فبانوا وبادوا، وقام منهم عباد العناد فلما قام عبدالله يدعوهُ كادوا، اردنا ان ينال الشام فضله كما نالتهُ مصر فما يُساهم فيه سواهما ولا يقول لسان الملك لغيرهِ

حللتَ بهذا حَلّةً ثمَّ حَلّةً بهذا فطاب الواديانِ كلاهما

فلذلك رُسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري اعلاهُ الله وشرّفه ان يُفوَّض اليه تدبير الممالك الشريفة بالشام المحروس ونظرُ الخواصّ الشريفة والاوقاف المبرورة على عادة من تقدَّمهُ في ذلك وبحلومه الشاهد به الديوان المعمور الى آخر وقت وهو في الشهر مبلغ اربعة آلاف وست ماية وثلثة وسبعون (كذا) درهماً . تفصيلهُ عن نظر المملكة الشريفة بالشام المحروس اربعة آلاف ومائة وثلثة وثلثين وثُلثين (كذا) . مبلغ الفان وسبع ماية وثلثة وثمانون (كذا) وثُلثين ثمن لحم وتوابل الف وثلث ماية وخمسون درهماً . قمح غرارة ونصف . عن نظر الخاصّ الشريف مبلغ وثمن لحم وتوابله ثلثة ارطال بالدمشقي خمساية واربعون درهماً (كذا) (١ . غلّات عن الوظيفتين تسع وعشرون غرارة . تفصيله : قمح تسع غرائر . شعير عشرون غرارة . اصناف المشاهرة بالوزن الدمشقي : سكّر بياض اثنان وعشرون رطلًا (٢٢ ٥ ٢٧ ٥) ما ورد اوقية ونصف . صابون اوقيّة ونصف زيت طيّب (٢ نصف رطل والكسوة والتوسعة والاضحيّة والأتبان على العادة كمن تقدمهُ في ذلك (٣ . فليتلقَّ هذه الولاية بالعزم الذي نعهده، والحزم الذي شاهدناه ونشهده، والتدبير الذي يعترف لهُ الصواب ولا يجحده، حتى

---

١) يصعب جدًّا ان يكون كتّاب الديوان قد حافظوا دائمًا في تفصيل حساباتهم وسرد ارقامهم على مراعاة قواعد الإعراب ولا شك ان الخطأ فيها كان فاشيًا بين اكثرهم اما جهلًا واما تجافيًا عن الحذلقة والتقعّر . ولذلك جاء في الامثال القديمة «ابردُ ممن يستعمل النحو في الحساب» . ولعلّ لحن الصفدي غير مرّة في ما تقدم هو من هذا القبيل الاخير

٢) الزيت الطيب هو زيت الزيتون خاصةً تمييزًا لهُ عن بقية الزيوت كزيت السلجم والسمسم والكتان وغيرها ولا يزال هذا الاصطلاح جاريًا في مصر

٣) يزيد حساب الصفدي في التفصيل ثُلثي درهم . ولا بأس من مراجعة زيادةً في الكشف والوضوح

٤٦٧٣ درهماً جملة المعلوم

عن نظر الشام ٤١٣٣ ٢/٣ منها

٢٧٨٣ ٢/٣ نقدًا .

٤١٣٣ ٢/٣ ١٣٥٠ ثمن لحم وتوابل

٤٦٧٣ ٢/٣ درهماً ٥٤٠ ثمن لحم وتوابل عن نظر الخاص الشريف وهو ديوان الاملاك السلطانيّة

تثمر الاموال في اوراق الحساب، وتزيد نموًا وسموًا فتفوت الامواج في البحار وتفوق القطر في السحاب ، مع رفق يكون في شدّته ، ولين يزين مضاء حدّته ، وعدل يعون مهلة مدّته والعدل يعمّر ، والجور يدمّر ولا يثمر ، بحيث ان الحقوق تصل الى اربابها ، والمعالم تطلع بدورها كاملةً في كل هلال على اصحابها ، والرسوم لا تزاد على الطاقة في بابها ، والرعايا يجنون ثمر العدل متشابها ، واذا انعمنا على بعض اوليائنا بجُعل (١ فلا تُكدَّر بان تؤخّر ، واذا استدعينا لابوابنا بهم فليكن الاسراع اليه يُخجل البرق المتألق في السحاب المسخّر ، فما اردناك الّا انك سهمٌ خرج من كنانه ، وشهم لا يثني الى الباطل عيانه ولا عنانه ، فاشكر هذه النعم على منائحها ، وشنّف الاسماع بمدائحها ، متحققًا ان في النقل ، بلوغ العزّ والامل ، وانه لو كان في شرف المأوى بلوغ منًى لم تبرح الشمس يومًا دارة الحمل ، فاستصحب الفرح والجذل ، بدلَ الفكر والجدل ، وسِرْ على بركة آرائنا الشريفة وقل : «وفي بلادٍ من اختم بدا» . واختر ما اختارتهُ لك سعادة (٢ المؤبدة المؤيدة فطرفها بالذكاء مكتحل

انّ السعادة في ما انت فاعلهُ وُفِّقتَ مرتحلًا ام غير مرتحلِ

« فما آثرنا بتوجهك الى الشام الّا ليأتيك المجد من هنّا وهنّا ، لانك اذا كنت معنا في المعنى فما غبتَ في الصورة عنّا ، وابسط املك انك اليوم لدينا (٢° 27 ٧°) مكين امين ، ونزّه نفسك فقد أويتَ الى ربوةٍ ذات قرار ومَعين ، والوصايا كثيرة وانت ابن بجدتها علمًا ومعرفه ، وفاوس نجدتها الذي لا يُقدم على امر حتى يعرف مصرفه ، فما نحتاج ان نرشدك منها الى علم ، ولا ان نشير اليك فيها بأنملة قلم ، وتقوى الله عز وجل هي العروة الوثقى ، والكعبة التي من تطوّف بها فلا يضلّ ولا يشقى ، فعُضّ بالناجذ عليها ، وضُمّ يديك على مَعطفيها ، والله يتولى ولايتك ، ويمين دربتك بالامور وعنايتك ، والخط الشريف اعلاهُ الله وشرّفه اعلاه ، حجةٌ لثبوته والعمل بما اقتضاه ، ان شاء الله تعالى »

وغنيٌّ عن القول ان مثل هذا الراتب لم يكن يفي ابدًا بنفقات الوزراء بدمشق

---

١) في الاصل بجعل وهو خطأ ظاهر

٢) كذا في الاصل ولا شك انه سقطت من قلم الكاتب ام المؤلف لفظة بعد قوله «سعادة» ولا يخلو ان يكون الاصل : ما اختارتهُ لك سعادة دولتنا المؤبدة المؤيدة

ومع ذلك لم يكن احدهم يلي هذا المنصب حتى ينكفئ عنهُ بثروة طائلة ومُقتنيات عريضة كانت تترامى شهرتها احياناً الى مسامع السلطان فلا يلبث ان يأمر باعتقال الوزير ومصادرته حسبما نقلنا قبلاً عن الصاحب شمس الدين غبريال سلف صاحب التوقيع في وزارة دمشق . قال ابن تغري بردي: «ورَد المرسوم بالقبض عليهِ فأُمسك بدمشق وأُخذ منهُ اربعماية الف درهم . ثم طُلب الى القاهرة وأُخذ خطه بالف الف درهم (مليون) فأُفرج عنهُ بعد ان وزن المبلغ المذكور ما خلا مائتي الف درهم فاستطلق لهُ قوصون ذلك من السلطان. ثم تغيَّر خاطر السلطان ثانياً وقيل عنهُ ان لهُ ودائع في دمشق فكتب السلطان الى تنكز فتتبَّع ودائعهُ فظهر لهُ شيء كثير . ولمَّا مات سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر لهُ ايضاً جملة مستكثرة (١ »

ولا شك ان هذه الملايين الراهنة كان الوزراء اكثر ما يجمعونها من المظالم ومصادرات الكتَّاب في كل عزل وولاية وعلى الخصوص من التقادم والرُّشى . نعم ان الامير تنكز نائب الشام في ايام شمس الدين غبريال كان قد منع وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملةً وانصف العامَّة والتجار بخلاص حقوقهم من الامراء. ولكنهُ ما عتَّم ان أُصيب بنفس الداء الذي اراد استئصال شأفتهِ . قال المقريزي: «فلما كانت آخر ايامهِ صادَر جماعةً كثيرة من كتاب السرّ وغيرهم ومن الضُّمان والعُرفاء واتَّخذ الاملاك واخذ عدَّة اوقاف من اولاد الملوك حتى كانت غلة املاكهِ كل سنة مائة الف درهم» (٢ . ومن جملة هؤلاء الكتاب الذين استباح اموالهم فريق من اعيان النصارى كانوا في خدمة بعض الامراء وديوان الجيش اتَّهمهم بانهم احرقوا الجامع الاموي سنة اربعين وسبعمائة ليتمكن من نكبتهم واستصفى منهم ما يزيد على مليون درهم بعد ان افحش في تعذيبهم ورسم ان يُعملبوا ويُطاف بهم يومين حول المدينة وفي الصالحيَّة بطولها مسمَّرين على الجمال ثم امر بانزالهم وتوسيطهم اي قطعهم من اوساطهم وهم احد عشر نفراً . واضطرت حينئذٍ طائفة من النصارى ان

---

١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي الجزء الرابع ص ٣٠ ٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المجلد الاول ص ٤٨٨

تدخل في دين الاسلام (١ . قال المقريزي : «فكتب السلطان (الناصر محمد بن قلاوون) الى تنكز يُنكر عليه قتل النصاري وان في ذلك إغراء اهل قسطنطينية بن يَرد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ويأمره ان يحمل ما وُجد لهم من المال» (٢ . وفي هذا القول اشارة الى ان المنكوبين كانوا من نصارى الروم الملكيين وهم اعظم طوائف النصارى بدمشق . فابى تنكز ان يرسل شيئاً من المال فغضب السلطان لذلك . قال ابن قاضي شهبه «وكانت احد ذنوب تنكز عند السلطان» (٣ وما لبث ان امر بالاحتياط عليه ونكبهُ اشدَّ نكبة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

تابع لترجمة ابي زُبَيد الطائي

ومما رواهُ ابو علي القالي في اماليه (٣ : ١٨٣—١٨٥) ورفعهُ الى ابي عبيدة قال : اجتمع عند يزيد بن معاوية ابو زُبَيد الطائي وجميل بن مَعْمَر العذريّ والاخطل التَغْلَبيّ فقال لهم : أيُّكم يصف الاسد في غير شعر فقال ابو زُبَيد : «لونُهُ وَرْد ، وزئيرُهُ رَعْد (وقال مرّة اخرى : زَعْد) ، ورَبْضُهُ شَدّ ، واخذهُ جِدّ ، وهولُهُ شديد ، وشرُّهُ عَتيد ، ونابهُ حديد ، وأنفهُ أَخثم ، وخدُّهُ أَدْرَم ، ومِشفرُهُ أَدْلَم ، وكفّاهُ عُراضتان ، ورِجْلتاهُ ناتئتان ، وعيناهُ وقّادتان ، كأنهما لمحٌ بارق ، او نجمٌ طارق ، اذا استقبلتهُ قُلت أفدع ، واذا استعرضتهُ قلتَ أكوع ، واذا استدبرتهُ قلتَ أصمع ، بصيرٌ اذا استغضى ، هَمُوسٌ اذا مشى ، اذا قفّى كمّش ، واذا جرى طمّش ، براثنهُ شثنة ، ومفاصلهُ مُتْرَعة ، مُضيق لقلب الجبان ، مروّع لماضي الجنان ، ان قاسَمَ ظلَم ،

١) عن السلوك للمقريزي ومسالك الابصار للعمري ودرّة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب الدمشقي وتاريخ ابن اسباط المقريزي ٢) السلوك ص ٩٨٣ ٣) ذيل ابن قاضي شهبة على تاريخ الاسلام للذهبي من مخطوطات باريس عدد ١٦٠٠ ص ٣

وان كابَرَ دَهَم ، وان نالَ غنم . ثمَّ انشأ يقول (من الرجز) :

خُبَيْثٌ أشوسُ ذو تهكُّمِ مشتبكُ الانيابِ ذو تبرطُمِ
وذو اهاويلَ وذو تجهُّمِ ساطٍ على الليثِ الهِزَبْرِ الضيغمِ
وعينهُ مثلُ الشهابِ المُضرَمِ وهامُهُ كالحجرِ المُلَمْلَمِ

فقال (يزيد) : حسبُك يا ابا زُبَيد . ثمَّ قال : قُلْ يا جميل . فقال : يا امير المؤمنين وجهُهُ قَذَغم ، وشِدْقُهُ شَدْقم ، وأنفهُ مُعْرَنْزِم ، مقدَّمُهُ كثيف ، ومؤخرهُ لطيف ، ورَثَبُهُ خفيف ، وأخذهُ عَنيف ، عَبْل الذراع ، شديد النُّخاع ، مُرْدٍ للسباع ، مُضيق الزئير ، شديد المَرير ، أهرتُ الشدقين ، مُتَرَّصُ الخصرين ، يركبُ الاهوال ، ويهتصرُ الأبطال ، ويمنعُ الأشبالَ ، ما إنْ يزالُ جاثمًا في خِيس ، او رابضًا على فَرِيس ، او ذا وَلَغٍ ونَهِيس . ثم قال :

ليثُ عَرينٍ ضيغمٌ غضنفرُ مُداخلٌ في خَلْقِهِ مضبَّرُ
يُخافُ من انيابهِ ويُذعَرُ ما إنْ يزال قائمًا يُزمجرُ
لهُ على كلِّ السباعِ مَفخَرُ قُضاقِضٌ شَثْنُ البنانِ قَسْوَرُ

فقال : حسبُك يا ابنَ مَعْمر . ثمَّ قال : قل يا اخطل . فقال : ضيغمٌ ضِرغام ، غشمشمٌ هَمهام ، على الاهوال مِقدام ، وللأقران هطّام ، ونبالٌ عَنبس ، جريٌ دَلهمس ، ذو صدرٍ مُغرَدس ، ظَلومٌ إهوس ، ليثٌ كَرَوَّس

قُضاقِضٌ جهمٌ شديدُ المَفصِلِ مضبَّرُ الساعدِ ذو تَمَشْكُلِ
شرَنْبثُ الكفَّين حامي أشبلِ اذا لقاهُ بطلٌ لم يَنكُلِ
مُلَمْلَمُ الهامةِ كَمشُ الأرجلِ ذو لَبَدٍ يغتالُ في تمهُّلِ
انيابُهُ في فيهِ مثلُ الأنصُلِ وعينهُ مثلُ الشهابِ المُشعَلِ

فقال لهُ : حسبك . وامر لهم بجوائز

ومن وصفهِ للاسد ما روي في بعض المجاميع المخطوطة (من الرجز) :

كالليث عنده الليوثُ الضَّيْغمِ يُرْضمنَ اشبالًا ولمَّا تُفْطَمِ
فهو يحامي غيرهُ ويحتمي عَبْلُ الذراعَيْن كريهُ الشَّدْقَمِ
ليثُ الليوثِ في الصِدامِ مِصْدَمِ وكَهَمَسُ الليل مِصَكٌّ هَيْصَمِ
ذو جبهةٍ غرًّا وأنفٍ أخثمِ يُكنى من الناس ابا مُحطِّمِ
قَسْورةٍ عَبْسٍ صفيّ الشجعم صَمِّ صِماتٍ مُصْلخِدٍّ صِلْدِمِ
أغضفَ رئبالٍ خِدَبٍّ فَدْعمِ منتشرِ العَرْفِ هضيمٍ هَيْضَمِ
من هيبة المنونِ لم يُجَمْجِمِ رهبةُ مرهوبِ اللقاء ضيغمِ
اذا تناجي النفس قالت صَمِّمِ غمغمةٌ في جَوْفها المغمَّمِ
مُجَرْجِزٌ شأنَ ضرارٍ شيظمِ عند العراك كالقَنيقِ المُلْجَمِ
يفدي الكميّ بالسلاح المُلْجَمِ منهُ بأنيابٍ ولمَّا تُقْضَمِ
تَرى من القَرْسِ بهِ نَضْحَ الدمِ بالنَّحْرِ والشِدْقَيْن لونَ العَنْدَمِ
أغلبُ كم رضَّ انوف الرُّغُمِ اذا الاسود أَحجمت لم يُحْجِمِ

ومما يروى لابي زُبيد ايضاً في وصف الاسد قولهُ (طويل):

يَظَلُّ مُنِبًّا عندهُ من فَرائسٍ رُفاتُ عظامٍ اوغريضٌ مُشَرْشَرِ (١

ومن وصفهِ للاسد مما رواهُ ابن السكيت في تهذيب الالفاظ (ص ٢٨٣) (من البسيط):

اذا تَبَهْنَسَ يمشي خِلْتَهُ وَعِشاً وَعَتْ سواعدُ منهُ بعد تَكْسيرِ (٢

١) الغريض الطريّ من اللحم. والمُشَرشَر المقطَّع المشقَّق

٢) يصف الاسد. تبهنس اي تبختر كانهُ يمشي اي في رملٍ تسوخُ بهِ الاقدام. ووَعَتْ سواعدُ منهُ اي جُبرت بعد كَسْرٍ

وقال ايضاً فيهِ (من الوافر) :

فلمّا ان رآهم قد توافَوْا أتاهم وسط أَرْجُلهم يميسُ(١

وفي اللسان (في مادّة حمر) لهُ ايضاً في وصف الاسد ايضاً (من الطويل) :

اذا عَلِقَتْ قرناً خطاطِفُ كفّهِ رأى الموت رأيَ العينِ اسودَ أحمرا

فهذه الاوصاف ادلُّ دليل على ما قيل عن ابي زُبَيْد انّهُ امتاز بوصف الأُسود. ومن حكمهِ ما رواهُ لهُ البحتري في حماسته (من الطويل) :

عليك برأسِ الامر قبل انتشابهِ وشرُّ الامور الأَعسَرُ المُتَدَبَّرُ

وفي حماسة الخالديين (نسختنا الخطّيّة ٥٩٠) وفي الحماسة البصريّة (١ : ١٥٤ من نسختنا) (من الطويل) :

سأقطعُ ما بيني وبينَ ابن عامرٍ قَطيعةَ وصلٍ لست اقطعُ جافيا
فمن يتبع النعمى بنعمى تربُّها ولا يتبعُ الاخوان بالذمّ زاريا
اذا كان شكري دون فيضِ بَنانهِ وطاوَلَني جودًا فكيف احتياليا

وروى لهُ في اللسان (٦ : ١٠) يمدح الوليد بن عثمان قال ويروى ايضاً للحزين الكناني (من الكامل) :

فالى الوليد اليومَ حنَّت ناقتي تهوي لِمَغبَّ المتون سَمالِقِ (٢
حنَّت الى بَرْقٍ فقلتُ لها قُرِي بعضَ الحنينِ فانَّ سَجْرَكِ شائقي(٣

١) اي لمّا رأى الأسد قوماً مسافرين دخل في وسطهم وهو يتبختر
٢) يقال سَجَرت الناقة اذا مدّت حنينها. والسَّمالِق جمع سَمْلَق الارض التي لا نباتَ لها
٣) وفي التاج (٣ : ٢٥٦) : الى بَرْك. وقُري من وَقَرَ اي اسكني واهدأي. ونصب « بعض الحنين » على معنى كُفّي عن بعض الحنين فانَّ حنينكِ الى وطنكِ شائقي لأنهُ يذكرني اهلي ووطني

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائقِ

ومما رواهُ ابن عبد ربّهِ (العقد ٣ : ١٣٣) لابي زُبَيْد قولهُ يهجو مَن منعهُ صلتهُ (من المنسرح) :

ان كان رزقي اليك فأرمِ بهِ في ناظريْ حيّةٍ على رَصَدِ
ليتكَ ادّبتني بواحدةٍ تجعلها منك آخرَ الأبدِ
تَحلِفَ أن لا تبرّني ابدًا فانّ فيها بَرْدًا على كَبِدي

وروى لهُ ابو عليّ القالي (١ : ٢٩) من قصيدة في رثاء الخليفة عثمان يصف المساحي وهي المجارف التي حفروا بها قبرهُ (من البسيط) :

لها صَواهِلُ في صُمّ السِّلامِ كما صاحَ القَسيّاتُ في ايدي المَصاريفِ
كأنهنّ بأيدي القومِ في كَبَدٍ طيرٌ تكشّف عن جُونٍ مزاحيفِ (١

ولمّا قُتل الخليفة عليّ بن ابي طالب قال ابو زبيد يرثيه (من البسيط) (الكامل للمبرّد ص ٥٥٣) :

انّ الكرامَ على ما كان من خُلُقٍ رهطُ امرئٍ خارَهُ للدينِ مُختارُ (٢
طَبٌّ بَصيرٌ بأضغانِ الرجالِ ولم يُعدَل بحَبْرِ رسولِ الله أحبارُ (٣

---

١) قال القالي : وصفَ مساحيَ . والسِلام الحجارة والصياريف الصيارفة ثمّ شبّه المساحي في ايدي الحفّارين الذين يحفرون قبر عثمان رضي بطير تطير عن ابل جُون اي سُود . والمزاحيف المُعْيِية . وانّما جعلها جُونًا لأنهم حفروا في حَرّةٍ فشبّهَ الحَرّة بالإبل السود . وهذه رواية التاج :

كأنّ اوبَ مساحي القومِ فوقهمُ طيرٌ تنيفُ على جُونٍ مزاحيفِ

٢) قال المبرّد : خارَهُ انّما هو اختارَهُ ٣) اضغان الرجال أسرارُها ومخبّآتها . والحَبْر العالِم

وقَطْرةٌ قَطَرت اذ حان مَوعِدُها وكلُّ شيءٍ لهُ وقتٌ ومقدارُ
حتّى تنصَّلَها في مَسجدٍ طُهُرٍ على إمامٍ هُدًى إن معشرٌ جاروا (١
حُمَّت ليدخلَ جنّاتٍ ابو حسَنٍ وأُوجِبَتْ بعدَهُ للقاتلِ النارُ (٢

ومن مختار شعر ابي زُبيد الطائي داليّتهُ التي قالها في اللَّجلاج. امّا اللَّجلاج المذكور فقيل انهُ اللجلاج بن اوس من انسباء ابي زُبيد وقيل انهُ اخوهُ (المقاصد النحويّة للعيني ٤: ٢٢٢) وقيل بل هو ابن اختهِ اللجلاجُ الحارثي وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث (خزانة الادب لعبد القادر البغدادي ٢: ٦٥٥). وهذه القصيدة انتخبها ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب فنظمها في بعض النسخ في جملة المذهّبات وفي غيرها في جملة المراثي. وقد كنّا نسختاها على نسخ خطيّة في مكاتب اوربّة ومصر وذكرنا رواياتها وبعض شروحها فنثبتها هنا كما وجدناها (من الخفيف):

انَّ طولَ الحياة غيرُ سعودٍ وضَلالٌ تأميلُ طولِ الخلودِ (٣
عِلَلُ المرء بالرجاء ويُضحي غرَضاً للمَنون نَصْبَ العمودِ (٤
كلَّ يوم ترميهِ منها سهامٌ فمُصيبٌ او صَافَ غيرَ بعيدِ (٥
كلُّ ميتٍ قد اغتفرتُ فلا أجـ ـزعُ من والدٍ ولا مولودِ
غير انَّ اللَّجلاج هدَّ جَناحي يوم فارقتُهُ بأعلى الصعيدِ
في ضريحٍ عليهِ عِبءٌ ثقيلٌ (٦ من تُرابٍ وجَندلٍ منضودِ
عن يمينِ الطريقِ عند صَدى حرَّ م انَ يدعو بالويل غيرَ معودِ (٧

١) تنصَّلها يريد استخرجها ٢) حُمَّت اي قُدّرت
٣) ويروى: نيل الخلود ٤) وفي العيني: نصب العمود ٥) يقال صاف السهمُ اذا عدل عن الهدف. وروى القالي في اماليه (٢: ٣٥): برميه منها برشقٍ . . . او ضافَ. وضاف السهمُ كصافَ ٦) العبءُ الحملُ الثقيل ٧) غير معود اي لا يعوده احد. وروى العيني: غير مقود. والحرّان الشديد العطش

صادياً يستغيثُ غيرَ مُغاثٍ ولقد كان عُصرةَ المنجودِ (١
رُبَّ مُتَلجِمٍ عليهِ ظِلالُ م ألموت لهفانَ جاهدٍ مَجهودِ (٢
خارجٍ ناجذاهُ قد بَرَدَ المو تُ على مُصطَلاهُ ايَّ بُرودِ (٣
غابَ عنهُ الأدنى وقد وردت سُمْرُ العوالي اليهِ ايَّ ورودِ
فدعا دَعوةَ المُحَنَّقِ والتَّلـ ـيبُ منهُ في عاملٍ مقصودِ (٤
ثمَّ أنقذتَهُ وفرَّجتَ عنهُ بنَموسٍ او ضربةٍ أُخدودِ (٥
بحُسامٍ او رَزَّةٍ من نَحيضٍ ذاتِ رَيبٍ على الشُجاعِ النجيدِ (٦
يَشتكيها بقَدكَ اذ باشرَ المو تُ جديداً والموتُ شرٌّ جديدِ (٧
فلوت خيلُهُ عليهِ وهابوا لَيثَ غابٍ مقنَّعاً في الحديدِ
غيرَ ما ناكلٍ يسيرُ رويداً سَيرَ لا مُرهَقٍ ولا مهدودِ (٨
ساحباً للِجامِ يقصرُ عنهُ عَرِكاً في المَضيقِ غيرَ شَرودِ (٩

١) عُصرة المنجود اي ملجأ المنكوب . وروى العيني : نُصرة النجود وهو تصحيف
٢) المتلجم الناشب في ملحمة القتال ٣) ويروى: خارجاً . وروى في اللسان (٦: ٥٢) : باوزٌ. قال ابو الهيثم: بَرَد الموتُ على مُصطلاهُ اي ثبت عليه . ومصطلاهُ يداهُ ورجلاهُ ووجههُ وكلّ ما برز منهُ فبَرَد عند موتهِ وصار حرُّ الروح منهُ بارداً . والناجذان السِنَّان اللتان تليان النابين ٤) المحنَّق الخانق . والتليب جمعُ التِّلاب عند المصورة والعامل أعلى الرمح . والمقصود المكسور ٥) ويروى : ونفَّستَ عنهُ . اي انقذت المستغيث بك . والطعنة النموس الواسعة . والاخدود التي تنفذ في مَنْ طُعن بها ٦) ويروى: من حُسام او ضربة . والرزَّة الطعنة . والنحيض السنان المُرهَف . وذات ريب اي يرتاب من شرِّها الشجاع . ويروى: ذات رَيث . والنجيد الشجاع ٧) اي يقول لفارسهِ: قدكَ اي حسبُكَ هذه الضربة وكفتني هذه الطعنة
٨) الناكل المتقهقر . والمُرهَق المغشيّ المكروب . ويُروى: مَهرودِ
٩) ويروى : ساحباً بالباء . ويروى شاحياً باللجام

مستعدًّا لِثأرها ان دنَوْا منـــهُ وفي صَدْرِ نُمْرِهِ كالصَّديدِ (١
نظَرَ الليثُ همَّهُ في فريسٍ أقصَدَتْهُ يدا مجيـدٍ مُفيدِ
ساندوهُ حتّى اذ لم يروهُ شدَّ اجلادَهُ على التسنيدِ (٢
يئسوا ثمَّ غادروهُ لطيرٍ عَكَفوا حولهُ عكوفَ الوفودِ
وهمُ ينظرون لو طلبوا الوِتـــر الى واترٍ شَمُوسٍ حَقودِ (٣
قَحمةٍ لو دنَوا لَثارَ اليهم حَرْشَفٌ قد ثناهمُ لِعديدِ (٤
يا ابن امّي ويا شُقَيِّقَ نفسي انت خلَّيتني لدهرٍ سديدِ (٥
يبلغُ الجُهْدَ ذو الحَصاةِ من القو مِ ومَن يُلفَ لاهياً فهو مُودي (٦
كلَّ عامٍ أُرْمَى ويُرْمَى أمامي بسهامٍ من مُخطئٍ وسديدِ
ثمَّ أوحدتني وأثكلتَ عرشي عند فقدان سيِّدٍ ومَسُودِ
من رجالٍ كانوا جمالاً نجوماً فهمُ اليوم صُحْبُ آلِ ثمودِ
خان دهرٌ بهم وكانوا همُ اهـــلُ عظيمُ القَمالِ والتمجيدِ
مانعي باحةِ العراقِ من النا سِ بجُردٍ تمدو كمثل الأُسودِ (٧
كلَّ عامٍ يَلْثُمْنَ قوماً بكفِّ الدهرِ جمعاً وآخذٍ في مَزيدِ (٨
جازعاتٌ اليهمُ جُشْعَ الاوداةِ تسقى قريباً ضَياحَ المديدِ (٩

١) الصديد الدم والقيح ٢) ساندوهُ اي احلسوهُ لئلّا رأوهُ لم يقوَ على الاستناد
٣) الشَّموس الشرس الخلق ٤) القَحمة المقتحم الشدائد. والحَرْشف صغار الطير ٥) شُقَيِّق تصغير شقيق وهو الاخ. ويروى: يا ابن خنساء. ويروى ايضاً: يا ابن حَسْناء ... يا جلاحُ خلَّيتني لشديد ٦) ويروى: يلفَ واهنًا. وذو الحصاة. الذي يُقاس لهُ الماء بالحجارة عندما يتصافنون عليها الماء
٧) ويروى: مانعي ... بمثل الاسودِ ٨) ويروى: وأخذ حيٍّ مزيدِ
٩) ويروى: خُشْع ... قوتاً صياح المديد

مُسْنِفاتٌ كأنهنَّ قنا الهِنْـدِ ونَسْيُ الوجيفُ شَغْبَ المَرُودِ (١
مُستحيراً بها الهُداةُ اذا يقـطَعْن نجداً وصَلْنَهُ بنجودِ (٢
فانا اليوم قَرْنُ أعضبَ منهم لا أرى غير كائدٍ ومَكُودِ
غيرَ ما خاضعٍ لقوم جناحي حين لاحَ الوجوهُ سُفْعَ الخدودِ
كان عني يردُّ دَرْأَكَ بعدَ م الله شَغْبُ المتصعبِ المِرْيدِ (٣
مَنْ يَكِدْني بسَيِّءٍ كنتَ منهُ كالشَّجا بين حلقهِ والوريدِ (٤
أَسَدٌ غيرُ حيدرٍ ومُلِثٍّ يُطلعُ الخصمَ عَنْوَةً في كُؤودِ (٥
وخطيبٌ اذا تغرَّتِ الأَوْ جُهُ يوماً في مأزقٍ مشهودِ (٦
ومُطيرُ اليدَيْن بالخير للحمـدِ اذا ضنَّ كلُّ جِبْسٍ صَلودِ (٧
أصلَتيٌّ تسمو العيون اليـهِ مستنيرٌ كالبدر عامَ العهودِ (٨
مُعمِلُ القِدْرِ بارزُ النار للضَّيـفِ اذا همَّ بعضُهم بجُمودِ
يعتلي الدهرَ ان عَلا عاجزَ القو مَ وينمي لـلمستمِرِّ الحميدِ
واذا القومُ كان زادُهمُ اللحـمَ فصيداً منهُ وغيرَ فصيدِ

١) ويروى: شُعْثُ المرود المسنفات الخيل المتقدمة وفي اللسان: الشغب المرح. والمَرود والمارد الذي يجيء ويذهب نشاطاً ٢) المستحير المتحيّر. والنجد المكان المرتفع. والهداة الادلاء لها اي صرتُ بعد الميت كالكبش الأعضب الذي لا قَرْنَ لهُ ٣) ويروى: كان مني. الدرء الدفع. والشَغْب تهييج الشرّ. والمِرْيد المبالغة من المارد والشرير
٤) ويروى: من يردني. كاده اي خدعهُ ومكَرَ به. النجا العظم يعترض في الحَلْق والوريد عرق الودَج ٥) الحيدر القسور. والمُلِثّ اللَّجُوج. والكؤود العقبة الشاقّة ٦) تغرّت احمرّت كأنها طُليت بالمُغرة. المأزق المشهود موضع الحرب الشديد القتال ٧) الجِبْس اللئيم. والصَّلود القاسي الذي لا تندى يدهُ بخير ٨) ويروى: اصلتيّاً ... مستنيرٌ. والاصلتيّ السريع. والعهود الامطار

وسَعَوا بالمطيِّ والذُّبل السُّمْرِ لعَمْياءَ في مَفارطِ بيدِ (١
مستحيرًا بها الرياحَ فلا يَجْتابُها في الظَّلامِ كلُّ هَجُودِ
وتخال القريض فيها غناءً للندامى من شاربٍ غِرّيدِ (٢
قال سيروا انَّ السُّرى نُهزةُ الاكياسِ والغَزْوِ وليس بالتمهيدِ (٣
واذا ما اللَّبون سافَتْ رمادَ السحيِّ يوماً بالسَّلْقِ الأملودِ (٤
بدَلَ الغَزْوُ أوجُهَ القومِ سودًا ولقد ابدأوا وليست بسُودِ
ناطَ امرُ الضعافِ واحتفلَ السَّيلُ كحَبْلِ العاديَّةِ الممدودِ (٥
في ثيابٍ عِمادُهنَّ رماحٌ عند جوعٍ يسمو سُموَّ الكُبُودِ
كالبلايا رؤوسُها في الولايا سانحاتِ السُّمومِ سُفْعِ الخُدودِ (٦
ان تَفُتْني فلم أَطِبْ عنك نفساً غيرَ اني أُمَنّى بدهرٍ كَبُودِ
كلُّ عامٍ كأنهُ طالبٌ وِتْرًا الينا كالثائرِ المستقيدِ (٧

هذا ما امكننا ان نجمعهُ من شعر ابي زبيد . ولهُ في المعاجم وكتب الادب ابيات مفردة عديدة يُستدلُّ منها انهُ كان غزير المادَّة ذا قريحة واسعة . ولعلَّ بعض الرواة جمعوا شعرهُ في ديوانٍ فنُقد بآفات الدهر

وبابي زبيد هذا نختم القسم الأوَّل من كتابنا في شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام فننتقل من المخضرمين الى الشعراء الذين برَّزوا في عهد الدولة الامويَّة ان شاء الله

١) العمياء التي لا طريق لها . والمفارط المهلكات . والبيد جمع بَيْداء الفلاة المُبيدة لسالكها
٢) ويروى : وتخال الغريق ٣) ويروى : وليس بالتمهيدِ ٤) اللبون ذات اللبن . سافت شمَّت . والسَّلق التي لا نبات فيها . والاملود الذي لا ورق فيه
٥) ناطَ عَلَّقَ ورفع . والعاديَّة الطريق . . والحَبْل اثر الناس
٦) الولايا جمع وليَّة وهو ما يلي الظهر تحت الكور . والبلايا جمع بليَّة وهي الناقة تحبس عند قبر صاحبها في الجاهليَّة . سانحات مُعْنيات . والسُّموم الريح الحارَّة
٧) المستقيد الذي يطلب القَوَد من غيره

جزيرة مالطة وآثارها القديمة

بقلم الاديب فؤاد افرام البستاني

سبقت مجلة المشرق (٨[١٩٠٥]: ٥٤٥) فذكرت نبذةً عن جزيرة مالطة وجُزُرها الثلث لاقاليتًا وغوزو وكومينا ونشرتْ هناك خارطتها مع بعض صورها واشارت الى من تقلّب فيها من الامم الغابرة

وقد وقفنا على فصل نشرهُ العالم الفرنسويّ فوربان في المجلّة الفرنسويّة « العلوم والرحلات » ضمّنهُ وصفاً حسناً لهذه الجزيرة ولآثارها ومتحفها الذي يديرهُ احد مشاهير علمائها الاستاذ زَمّيت (Zammit) . فأحببنا ان ندوّنهُ هنا معرّباً ببعض التصرُّف

كانت مالطة في اول عهدها قسماً من ارض ضيّقة تصل اوروبة بافريقية . وكان فيها كثير من الانهار العذبة التي بجريانها السريع وحَملها الكثير من التربة الاصليّة نحو مصبّها جمعت على الشواطئ طبقةً كثيفة ينقّب فيها الباحثون فيستدلّون بما يجدونهُ من الآثار على تقلّبات احوال البلد . غير ان هيئة مالطة لم تثبت على هذه الصورة فحصل زلزال قوي نزل بها الى قعر البحر كما تدلّ الطبقة الرملية الموجودة فوق التربة الاصليّة السابق ذكرها . ثم لم تلبث ان عادت مياه البحر الى مقرّها فظهرت الارض متصلةً بالقارتين الاوربيّة والافريقية وفي زمن اتصالها بهما هاجرت اليها حيوانات اوربة وافريقية فاختلطت وتناسلت وتكاثرت . ويُرى تحت ترابها اليوم كثير من بقايا الفيلة العظيمة الجرم والدببة والذئاب وانواع الكركدّن وغيرها من مواليد افريقية . ولم يطُل الوقت حتى ظهر الانسان فملأ كهوف الجزيرة باثاره الظرّانيّة

وكان ان هاج البحر المتوسط فقطع السواعد الارضية بين القارتين وفصَل صقلية عن تونس ثم انتزع من الاولى جزيرتي مالطة وغوزو . ومن ذاك الحين اخذت مالطة اسم جزيرة وبدأ عهدُها السابقُ التاريخ

*

من يلاحظ صخور الجزيرة الظاهرة للعيان يرَ تُلَماً مختلفة العمق تظهر دائماً على

شكل خطين مستقيمين متوازيين . وليس اكتشاف هذه الاخاديد بجديد بل لحظها علماء القرن الثامن عشر لكنهم لم يدركوا المراد منها لانها كثيرة التشعب تسير في كل الوجهات فلا تقف عند حاجز حتى انها كثيراً ما وصلت الى البحر وقطعت الشاطئ ممتدة تحت الماء على الشكل السابق . وبقي سر هذه الخطوط غامضاً حتى دقق الاثريون في درس طبقات الارض واكتشفوا أبنية عظيمة الاحجار عادية الآثار فتبيّنوا في السنوات الاخيرة ان هذه الثلم آثار دواليب مركبات الاقدمين الضخمة التي لتكرار مرورها في الموضع نفسه حفرت فيه تلك الخطوط المتوازية . وهذا ما نراه ايضاً في كثير من طرق الصين القديمة المبنية منذ الوف السنين

ويهتم الاثريون اليوم بوضع خارطة لهذه الخطوط المتشعبة وهم يؤملون بواسطتها اكتشاف المدن السابقة التاريخ التي كانت تنتقل اليها تلك المركبات الضخمة

اما وصول الخطوط الى تحت الماء وظهورها في الشاطئ الآخر وانقطاعها على حافة كل شفير فما يُبرهن انها وُجدت قبل ان طغت المياه على اليابسة ، وبكلمة اخرى ان الجزيرة كانت مأهولة قبل ان فُصلت عن صقلية اي قبل ان صارت جزيرة مستقلة . وهذا يؤيد ما سبقنا الى بيانه ويُظهر ان عمر تلك المدنية يبلغ على وجه التقريب الثمانين قرناً

ومما يؤكد صحة هذا القول ان كثيراً من الخطوط مختفٍ تحت طبقة سميكة من الارض الرملية التي تكوّنت عليها بعد طغيان مياه البحر

يجدر بنا الآن ان نتكلم عن الحفر والآبار العجيبة التي اكتُشفت قبل بضع سنين قرب الخليج المسمّى مرسا سيروكو في جنوبي شرقي الجزيرة . فهذه الآبار تبلغ الستين وهي محفورة حفراً عجيباً في الصخور على شكل قناني مقلوبة ويتراوح عمقها بين خمسة وعشرة امتار . ولا يزال العلماء يتساءلون عن حافريها فمنهم من يقول انهم نفس اصحاب المركبات الضخمة ومنهم من يظنّ انهم اقدم عهداً . وعلى كلٍّ فان وجود بعض الآبار تحت الماء والرمل يبرهن انها حُفرت قبل انقلاب الجزيرة النهائي

ولعشر سنوات خلت كان اعتقاد اكثر الاثريين ان الفينيقيين حفروا تلك الآبار على الشواطئ البحرية إمّا كصهاريج لجمع مياه المطر وإمّا كمطامير لحفظ بعض مؤونتهم كالزيت والحبوب التي كانوا يصدرونها الى البلدان القريبة . وقد دفعهم الى

هذا الاعتقاد وجود آبار تشبهها في بعض شواطئ الجزائر وتونس. غير ان اكتشاف آبار مثلها في قمم الجبال اضعف هذا الاعتقاد ولم يلبث ان زال تماماً باكتشاف الكثير من آثار الهياكل والمدن السابقة لعهد التاريخ مما دلَّ على ان تلك المدنيَّة سبقت زمن الفينيقيين بقرون عديدة

وقد بلغ عدد الهياكل المكتشفة خمسةً : واحدٌ منها وهو المدعو «جيغانتيا» في جزيرة غوزو واربعة في انحاء مالطة وهي : «حجر كيم» و «منيدار» و «كورّاديتو» و «هال تاركسين» وهذا الاخير اكتشفهُ العلّامة زَميت بمعاونة تلاميذهِ المالطيين في سنة ١٩١٦ وسيأتي الكلام عنه بالتفصيل

فابسط هذه الآثار واقدمها يشابه آثار سكان غالية القدماء التي تُرى في بريطانية (فرنسة) وهي مؤلفة من انصاب عظيمة عمودية (Menhirs) او افقية على شكل المذابح (Dolmens) ولا اثر فيها للشغل. ثمَّ يليها آثار غيرها يظهر فيها قليل من الشغل وهو يشبه الاحجار العاديَّة (Monolithes) الموجودة في سهل ساليسبوري (انكلترا). امَّا الهياكل فانها مؤلفة من عدة محاريب بيضويَّة الشكل تختلف ظاهرًا وباطنًا ممَّا يدل على انها ليست صنع مهندس واحد بل مبنية الواحدة قرب الاخرى في عصور مختلفة دون وحدةٍ تربطها

واهمُّ الهياكل المذكورة «حجر كيم» وهذه اللفظة عربية حُرّفت واصلها «الحجر القائم» — ولا يخفى ان في اللغة المالطية كثيرًا من الاصول العربية بل هي اللغة العربيَّة عينها مصحَّفة وممتزجة بالفاظ اجنبيَّة (اطلب المشرق ٨[١٩٠٥]: ٨١٣—٨١٥) — وهو قائم على هضبة في جنوبي الجزيرة تبعد عن شاطئ البحر نحو ١٥٠٠ متر. والهيكل مركب من احجار رُكب بعض على بعض بدون بلاط وسُقفت ببلاط مستطيل جُعلت فوقه قبة مجوَّفة الرأس على شكل قبر او سرير. وقد كانت هذه القبة ولا تزال موضوع اختلاف الاثريين فان البعض منهم يعتقدون ان الاقدمين كانوا يلقون فيها اجساد موتاهم لتأكلها طيور السماء شأن بعض الهنود اليوم. ويقول الآخرون انهم كانوا يضحّون اولادهم ويهرقون دماءهم فتسيل في جوف هذه القبة

وعلى كيلومتر واحد من «حجر كيم» يرتفع هيكل «منيدار» وهو احدث عهدًا بدليل صقل حجارته وآثار النقش الباقية على مذابحه وابوابه

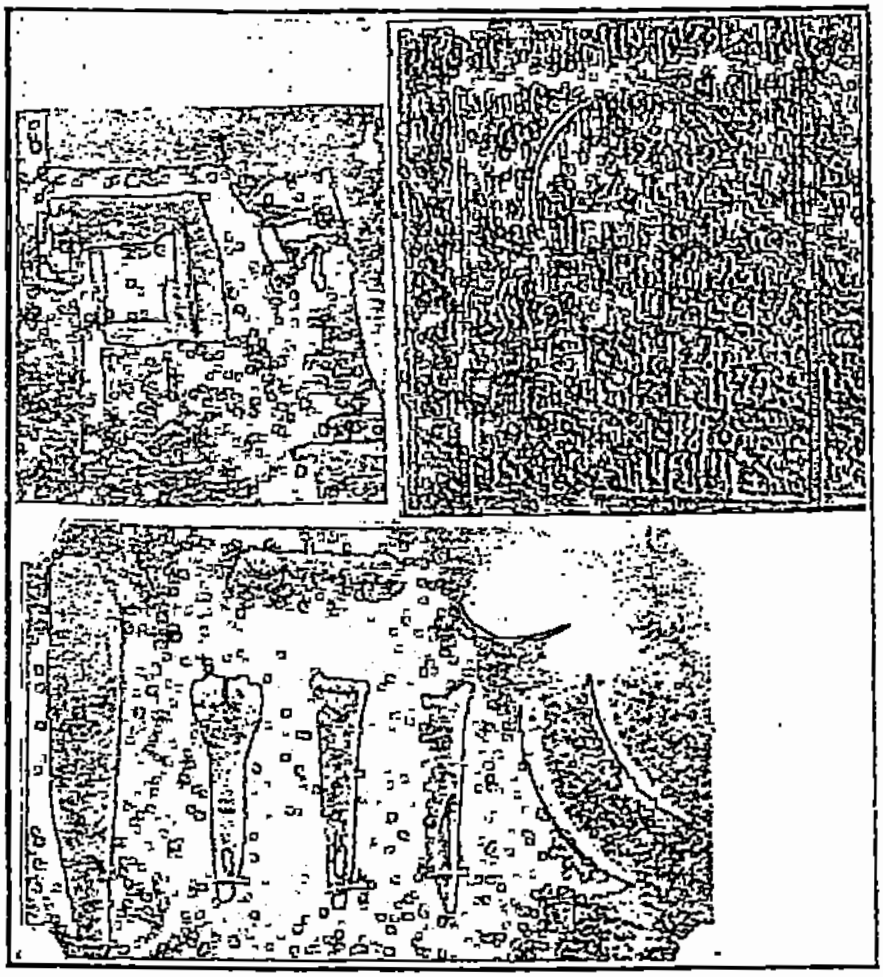

١) نرى في الاثر الأعلى على اليمين صورة الكتابة العربيّة التي وُجدت على ضريح السلاميّ يرتقي عهدها الى السنة ٥٦٩-١١٧٣ م ٢) والاثر الثاني هو المَعبر الذي ينفذ الى المَقدس الداخلي
٣) آثار عَظميّة وُجدت في حفريات مالطة منها ابرتان للخياطة على اليمين

وفي سنة ١٩١٦ بينا كان الاستاذ زمّيت يفتش على هيكل « هال تاركسين » استخرج من الطبقة العليا عدّة اواني خزفية رومانية وفينيقية ، ولما نُزعت تلك الطبقة وجدوا تماثيل صغيرة وعقودًا وجرارًا من الفخار غير متقنة الصنعة فيها عظام بشريّة متكلّسة وحلى من البرونز والعظام وبعض حبوب قمح . وتحت هذه الآثار وجدت طبقة سميكة من الرمال خالية من كل اثر فلمّا سبرها ظهرت بلاطات هيكل « هال تاركسين » المذكور

وعلى اثر هذه الاكتشافات اضطرّ الاستاذ الى تأجيل العمل لضيق ذات يده فبقيت تلك الآثار مهملةً ست سنوات حتى عاد اليها في الخريف الماضي فاتمّ عملهُ وظهر طول الهيكل ٤٠ مترًا وعلوُّ ما يحيط به من الرمال والتراب متران ونصف . وهو مجموعة غرف مختلفة الكبر والارتفاع يتصل بعضها ببعض بواسطة ممشى عريض ينتهي الى غرفة داخلية تدعى المقدس لا يدخلها الّا كبير الكهنة . وفي كل من هذه الغرف مذبح من الحجر المصقول نُقشت عليه صور بعض حيوانات كانوا يقدّمونها كذبائح اخصّها الثور والغزال والتيس ممّا يدل على معرفة ذاك الشعب لهذه الحيوانات الداجنة . ووجد في احدى الغرف قطعة من تمثال كبير قدّر الاثريون انهُ تمثال إلهة الحياة او الهة الخيرات كما دلّت بعض رموز نقشت على قاعدته

وقد ظهر قرب هذا الهيكل هيكل آخر يُدعى « هال — سافليني » ومعناه « المدينة السفلى » وهو مركب من غرف واسعة محفورة في الصخور . وقربه خرائب مدينة تختلف هندسةً وبناء عن كل ما سبق فان آثارها ليست بيضوية الشكل كآثار باقي الهياكل وانما هي مستطيلة ما حمل البعض على الاعتقاد بانها من آثار مدنيّةٍ غير المدنيّات المعروفة اليوم

واكتشف مؤخرًا قاعدة مزهريّة كبيرة كتب عليها اوّلًا اربعة اسطر باللغة الفينيقيّة في مدح « مليكارت » ملك صور . وتحتها ثلاثة اسطر باللغة اليونانيّة حُفرت بعد الكتابة الفينيقية بعدة قرون ذكر فيها اليونان الهم هركول

ومما اكتشف ايضاً كتابة عربيّة وجدت على ضريح وهي بالخط الكوفي وترتقي الى سنة ٥٦٩هـ (١١٧٣م) مسيحيّة وذلك زمن ازدهار المدنيّة العربيّة في تلك الجزيرة

*

فلو امعنّا النظر في اكتشافات الاستاذ زمّيت امكننا ان نؤلّف حلقات تاريخ هذه الجزيرة المتفرقة ، فنرى اوّلًا ان شعباً راقياً ، ربما كان متسلسلًا من حافري الآبار ، بنى هيكل «هال – تاركسين» ونقش حجاره بآلاته الفلارّنيّة التي يرتقي استعمالها الى قبل المسيح بنحو بضعة آلاف سنة اي الى عصر الظرّان المصقول » . ثم اختفى هذا الشعب فهُجر الهيكل زمناً طويلًا تيسّر فيه للرياح ان تجمع فوقهُ طبقة رمال سميكة وخلوُّ هذه الطبقة من الآثار يبيّن خلوّ الجزيرة من الناس طول تلك المدة

وكان بعد زمن طويل ان هبط الفينيقيون مالطة فتأثروا بمنظر ما تبقى من ذلك الهيكل الضخم فجعلوه مكاناً مقدساً يحجّون اليه ويدفنون فيه موتاهم . ويؤيد هذا القول ما وُجد من التماثيل والعظام البشرية المصنوعة في عصر البرونز

اما اصل الشعب الاوّل ومن اين جاء ؟ وكيف اختفى ؟ وكيف خلت مالطة من السكان – وهي على طريق الامم – من اواخر عصر الحجر المصقول اي عصر البرونز؟ فكل ذلك مما خفي عنا تماماً

ويرى الاثريون ان سيكون لمالطة في عالم الاثريات والماديات شأن عظيم لا يقلّ عن غيرها من الدول القديمة والله اعلم

مطبوعات شرقية حديثة

DIE SYRISCHE JACOBOSANAPHORA nach d. Rezension d. Ja'qôb(h) von Edessa mit d. griech. Paralleltext, herausg. von A. Rucker. *Münster in Westf.*, 1923

ليتورجيّة القديس يعقوب الرسول

سبقت مجلّتنا (المشرق ٨ [١٩٠٦] : ٦٧٧) فنشرت فصلًا مطوّلًا في ليتورجيّة القديس يعقوب وصحّة نسبتها اليه وانتشارها في الكنيسة وما اصابها من التغيّرات في مدى الاجيال وفي اللغات العديدة التي نُقلت اليها . وهذا تأليف جديد لاحد

افاضل اساتذة كليّة مونستر في المانية بحث فيهِ بحثاً علميًّا في كلّ ما يختصّ بهذا النافور اليعقوبي وما يُعرف من انتشاره ولاسيما في الكنائس السريانيّة والمارونيّة وكذا بترجماته المختلفة اليونانيّة والكرجيّة والارمنيّة وراجعَ خصوصاً المخطوطات السريانيّة التي تُرى في خزائن الكتب الشرقيّة في رومية ولندن وباريس وقد اختار نسخةً قديمة منهُ منسوبة الى يعقوب الرهاوي احد ملافنة السريان المعدودين في القرن السابع فعُني بنشرها لما في درسها من الفوائد لمعرفة اصول تلك الليتورجيّة قبل ما تطرأ عليها تلك التغيرات المختلفة فطبعها بالحرف الاسطرنجلي ونشر بازائها ترجمة يونانيّة قديمة لحصول الفائدة بالمقابلة واضاف اليهما الروايات والملحوظات العديدة. فجاء كتابهُ من افضل ما يُعرف عن ليتورجيّة القديس يعقوب الرسول . فنشكر حضرة المؤلف على هذا الاثر الفريد . وانّما وهم (ص ١٩) بقولهِ انّ المطران يوسف الدبس طبع كتاب القدّاس الماروني في مطبعتنا فانهُ طبعهُ في « المطبعة الكاثوليكيّة العموميّة » اي المارونيّة ل. ش

Wilhelem Weber: JOSEPHUS UND VESPASIAN. Untersuchungen zu dem iüdischer Krieg des Flavius Josephus. *Berlin, W.Kohlhammer,* 1921, *G^d in-8°, VI-287 pp.Prix:* 6 *fr. suisses*

المؤرخ يوسيفوس اليهودي ووسبيانوس قيصر

قد افادنا صاحب هذا الكتاب عن الطريقة التي توخّاها في عملهِ اذ عارض ما اخبرهُ يوسيفوس في تاريخ حرب الرومان لليهود في سنتي ٦٩–٧٠ بما رواهُ مؤرخو الرومان بلينيوس وتقيتس وسواتونيوس لتظهر بهذه المقابلة نظريّات يوسيفوس الخاصّة والموارد العموميّة التي استقى منها كلّ هؤلاء الاربعة. من المعلوم ان يوسيفوس بيعَ كعبدٍ بعد فتح اورشليم ثمّ اعتقهُ القيصر فتخرّج على الآداب اليونانيّة وانقطع الى التأليف وغايتهُ في كتاباتهِ لاسيما في كتابه المعروف بالحرب اليهوديّة ان يؤلف قلوب امّتهِ فيقرّبها الى الرومان . وقد صنّف هذا الكتاب باللغتين الآراميّة لاهل فلسطين واليونانيّة لليهود المتفرّقين بين الامم وهذه الثانية وحدها صبرت على آفات الدهر . وقد اتّسع فيها في مديح الرومان ولاسيما في اطراء وسبيانوس وابنهِ طيطس ويذكيها عمّا نسب اليهما من المطامع في ضبط زمام المملكة . وهو يصف وسبيانوس كمخلّص

الدولة الرومانيّة من ايدي طاغيتيها نيرون وڤيتاليوس. وليس حكمهُ هذا خاصًّا بهِ وانّما استقاهُ من موارد سابقة عرفها معاصروهُ على رأي المؤلف فاعتبروا وسبسيانوس كمخلّص العالم الروماني. وامّا الموارد المذكورة فالمظنون انّها مذكرات للامبرطور نفسهِ ولابنهِ وليّ عهدهِ يحاول كلاهما ان يحرزا لسلالتهما ثقة كلّ طالبي الهدوء والسلام. ومن ثمّ لا يجوز ان ننسب الى يوسيفوس رأيًا منفردًا مجرّدًا عن كلّ عامل. هذا راي المسيو ڤيبر وانّما يلوح لنا على خلاف ذلك انّ يوسيفوس كان مُخلصًا لرومية لا نيّة لهُ على دفع قومهِ الى الانتقام كما زعم المؤلف ولعلّهُ كتب ما كتب بعد فوز فرنسة الاخير على وطنهِ فنسب الى يوسيفوس ما يكنّهُ في قلبهِ الاب ر. موترد

Pierre Liautey : LE DRAME ORIENTAL ET LE RÔLE DE LA FRANCE, Un vol. in-8°, avec 6 Cartes dont deux hors texte en Couleurs. *Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales*, 1923, *pp.* 259

رواية الشرق التمثيلية

عرف لبنان الكبير مؤلف هذا الكتاب المسيو پيار ليوتي اذ كان في العام الماضي مدير مكتب المفوّضيّة السامية. فصنّف كتابهُ النفيس ذاكرًا فيهِ ما كان من العلاقات بين فرنسة وسوريّة منذ عدّة اجيال واهتمام هذه الدولة الشريفة حاضرًا بان تقوم بمهمّة الانتداب الذي عُهد اليها بعد الحرب الكونيّة مع ما تلقاهُ في عملها من المشاكل الجمّة. وقد كُتب هذا التأليف بقلم سيّال وتزيّن بخارطات بديعة. وفي آخرهِ ملحقات وتقارير مفيدة. وممّا يستحقّ الذكر ما رُوي هناك (ص ١٦٦) عن الامير فيصل كيف عرض على الجنرال غورو ان يساعد الفرنسويين ضد الانكليز فيملّكهم على الموصل. وقد وقع (ص ١٥٤) غلطٌ في اسم راهبات مار يوسف فدُعين (Religieuses de St Joseph de l'Afghanistan) يريد (de l'Apparition) الاب ه. لامنس

René Millet: LES ALMOHADES, Histoire d'une dynastie berbère. 1 *vol., in* 8°, 1923, *Paris. Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales*

دولة الموحّدين

دولة الموحّدين من قبائل البربر الافريقيّة تولّت الامر على بلاد المغرب في القرنين

الثاني عشر والثالث عشر . فالمسيو ماليه الذي كان ممثلاً لفرنسة في تونس زمناً طويلاً خصّ اوقات فراغهِ بدرس تاريخ المغرب ومع كونهِ لم يُعدّ من جملة المستشرقين قد احسن في كتابهِ هذا بوصف الموحّدين ونهضتهم وسقوطهم وقد علّل قصرَ مُلكهم فنسبهُ الى سوء نظام دولتهم وكثرة تقلُّباتهم شأن كلّ الدول التي ظهرت في تلك الجهات (ص ١٣٧) . وهذا ما دعا بهم الى تأليف فرق عسكريَّة من النصارى فكانوا يراعونهم ويشيدون لهم الكنائس ولا يسمحون لنصراني ان يدين بالاسلام وان تنصّر مُسلم فكانوا لا يمكّنون احداً من معارضتهِ في ذلك (ص ١١٥—١١٦) . وهذا لعمري مما لا نجد لهُ من شبيه في كافّة التاريخ الاسلاميّ . الّا انّ تلك الفرق لم تكن لتصون دولة الموحّدين وتتلافى سوء احوالها ه . ل

Poidebard (A.) : Au Carrefour des routes de Perse, I *vol. in*-12, *Cartes et Planches, Paris, Crès et Cie, Prix 8f*

في مفرق طرق العجم

المؤلف مرسل يسوعيّ كان في رسالة ارمينية قبل الحرب يُحسن معرفة المسائل الشرقيَّة فانتدبتهُ الدولة الفرنسويَّة سنة ١٩١٧ الى مرافقة بعثة القوقاز العسكريَّة وكان عُهد اليها درس المواصلات الموجودة او الممكن وجودها بين خليج العجم وبحر قزوين . فاراد الاب بوادبار ان يدوّن اخبار تلك الرحلة التي لا تقلّ مسافتها عن ١٣٠٠٠ كيلومتر . وقد قسم كتابه الى ثلثة اقسام ضمّن في قسمهِ الاوّل سفر البعثة من باريس الى تفليس مارّةً ببغداد . وفي الثاني وصف جغرافيَّة العجم وتاريخها ومسالكها . وخصّ الثالث بما وقع في جهات القوقاز من الملاحم من السنة ١٩١٤ الى ١٩٢١ . وهو حقًّا كتابٌ لذيذ رشيق الانشاء حسن الطبع والتصاوير والخرائط . ومن شأنهِ ان يكشف وجهاً من وجوه المسائل الشرقيَّة العديدة

R. Laurent-Vibert: Routiers, Pélerins et Corsaires aux Echelles du Levant. I *vol. in*-12, *illustré, Paris, Crès et Cie, Prix, 7f*

الرحّالون والزوّار والقرصان في اساكل الشرق

تعدّد في كلّ جيل عدد الغربيين الذين أمّوا البلاد الشرقيَّة امّا للاطّلاع على آثارها ومعرفة اهلها وامّا لزيارة أقداسها او ايضاً لاقتناء اموالها فاختار بينهم صاحب

هذا الكتاب البعض ممّن تفرّدوا بوصف اسفارهم وما جرى لهم في طريقهم من غرائب الامور . وقد وجد في احدهم المسمّى بوزبك (Busbec) فصولاً شائقة دقيقة الاوصاف كثيرة التفنّن واخبارًا غريبة مهيّجة للعواطف ضمّنها كتاباته اللاتينيّة التي حرّرها في غضون سفارتيه الى سلطان الاتراك من قبل الامبراطور . فمن جملة هذه الفصول روايتهُ لحصار الفرنسويين لجزيرة اقريطش وخبر احد اغنياء الفرنسويين المسمّى لويس مارو اسير القرصان وقصّة غويس تاجر مرسيلية وزعيم ادبائها والحبيس الفرنسوي دي شسطويل في لبنان . وهناك تفاصيل ما كان يقاسيه السفراء في الاستانة لفضّ مشاكلهم السياسيّة مع الباب العالي (ص ٢٠ الى غير ذلك ممّا يشوّق القرّاء على مطالعة هذا الكتاب ج . ل

Leonid u. Friedrich : ANGORA. Freiheitskrieg der Türkei. 1 *vol. in*-12, 1923, *Berlin. Vereinigung internat. Verlagsanstalten*

انقرة بعد الاعلان بالصلح

هذه رحلةٌ لالمانيَّين من حزب الفرضويين باشراهما الى انقرة ليدسّا احوال الكماليين لعلّهم يشاركون شيعتهم البولشفيّة في مناهضة دول الحلفاء . فوصفا اخبار سفرهما واجتماعهما في انقرة بعمّال الدولة فوجدا انّ الاتراك ليسوا في الوقت الحاضر براضين بمذهبها ولكنّهما يظنّان انّهم سيوافقونهم بعد زمان . امّا نحن فرأينا انهُ ليس بين الاتراك حزبٌ يميل الى هؤلاء الغالين في الفتن والثورات وان ادّعى بعضهم بذلك قولاً لا فعلاً ه . ل

Denis (E.) : Du Vardar à la Sotcha. 1 *vol. avec portrait de l'auteur*, 1923. *Collection historique, n° 2. Prix 12 f*

في البلاد الصربيّة

توفّي صاحب هذا الكتاب في آخر الحرب العموميّة وهو كان مولعاً بالصربيين ساعياً في تحريرهم . وقد تمكّن قبل وفاته من تأليف جماعة تنشر الآثار الصربيّة . فكانت باكورة همّتهم نشرهم كتابين معتبرين اوّلهما في تمدّن الصرب في القرون الوسطى للكاتب الصربي قسطنطين جيرشك (١ . والثاني هو الكتاب المذكور آنفاً

(١ هذا اسمه : Jircek (C.): La civilisation serbe au Moyen-Age. 1 *vol. in*-8°, 1920, *Collection historique, n°* 1

جمع فيه المسيو «دِني» مقالاته المتفرّقة التي كتبها في وصف الـعرب والمسألة العربيّة. وكانت المراقبة قد ضربت على قسم منها فأعيد المشطوب تتمّةً للفائدة ج.ل

M. Fallex: Atlas de Géographie économique, 70 *cartes et cartons en 6 couleurs. Paris, Delagrave.* 1923, *Prix* 12 *f* + 25%

اطلس جغرافي اقتصادي

قلّما يذكر اصحاب الاطالس الجغرافيّة ما يختص باقتصاد الدول. فالمسيو فالكس احسّ بهذا الخلل فعزم على تلافيه وصنّف هـذا الاطلس الجديد كلحق لأطلسه المدرسيّ العموميّ فاخرجهُ على مثاله بترتيبه وحسن طبعه وتلوينه ليقف مطالعهُ لاوّل النظر على مطلوبه فنوصي به ارباب مدارسنا البيروتيّة لكثرة فوائده ج ل

Elisabeth Leseur: LETTRES A DES INCROYANTS, précédées d'une préface du T. R. P. Garrigon Lagrange. *Paris, de Gigord*, 1923, *in*-12, *XVIII*-380 *pp.* 7*f*, 50

رسائل موجّهة الى زنادقة غير مؤمنين

صاحبة هذا الكتاب مسيحيّةٌ سامية البرّ متلهّبة غيرة لخلاص قريبها لم تزل على رغم مصائبها ترقى في سلّم الكمال وتدعو اليه من استطاعت وقد ألّفت سابقاً ثلثة كتب عنوانها «الجريدة. ورسائل في الاوجاع. والحياة الروحيّة» راجت رواجاً عظيماً. واذ ودّعت الحياة عُني زوجها بجمع ١٠٦ من رسائلها التي وجّهتها الى اشخاص مختلفين مجاهرين بعدم ايمانهم ساعيةً باثبات حقائق الايمان لتردّهم الى الصلاح. والحقّ يقال انّ مساعيها لم تذهب درج الرياح. فالبعض من رسائلها كتبتهُ لزوجها الذي انارتهُ بنور الايمان فزهـد بالعالم بعد موتها وانتمى الى الرهبانيّة الدومنيكيّة وقد صدّر الكتاب الـذي جمعهُ بمقدّمة بليغة بيّن فيها فضائل قرينته وما اودعتـهُ رسائلها من الافكار الصالحة وروح المحبّة المؤثرة في اعماق القلوب حتى تملّكت مقاليدها واجتذبتها الى الدين بعد نفورها. وقد بيّن ذلـك في توطئته الاب غريغون لاغرانج مطرناً تلك الرسائل الفريدة التي حقّها ان تُرقّم باسطر من الذهب

الاب يوسف موخجان

Filleau de la Chaise: DISCOURS SUR LES PENSÉES de Pascal. Introduction et notes de Victor Giraud « *Collections des Chefs-d'œuvres méconnus*». *Editions Bossard, Paris*, 1922-12 *f*es

خُطب في افكار بسكال

قد تعدَّدت المطبوعات في هذه السنين الاخيرة عن النابغة بسكال تذكاراً للمئة الثالثة من مولده . ولم يكتفِ الكتبة بالتآليف المحدثة بل اعادوا ايضاً طبع المنشورات القديمة التي كُتبت في صدده . وها هوذا كتاب صغير الحجم جميل الشكل رائع الصورة قد جمع فيهِ المسيو ڤكتور جيرو أربع خطب او محاضرات القاها بسكال فنشرها المدعو فيليو دي لاشاز . مدارها على الكتاب الجليل الذي كان نوى بسكال ان ينشره للدفاع عن صحَّة الديانة المسيحيَّة . فالخطاب الاوَّل قالهُ سنة ١٦٥٨ مدبَّجاً بقلمهِ السيَّال . واتبعهُ بعد مدَّة بثلثة اخرى كلُّها في الموضوع نفسهِ . وقد صدَّر متولِّي طبع الكتاب هذه الخطب بمقدَّمة حسنة وذيَّلها بملحوظات مفيدة واضاف اليها ترجمة بسكال للسيِّدة پيريه (Mme Périer) مع المقدَّمة التي تولَّى نشرها اصحاب پور رواپال (Port-Royal) فقدَّموها على الطبعة الاولى من تآليفهِ ي . م

اقدم نسخة مخطوطة لكتاب كليلة ودمنة

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

طبعة ثانية مصحَّحة . في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٣ (ص ٢٦٠ + 76)

ليست هذه الطبعة تلك المدرسيَّة التي سبق لنا وصفها في العام الماضي (المشرق ١٩٢٢ ص ٨٢٠) . وانَّما هي الطبعة العلميَّة التي نشرناها سنة ١٩٠٥ نقلاً عن اقدم نسخة مخطوطة مؤرخة وجدناها في دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين وقدَّمنا عليها مقدَّمات وشروحاً طويلة خدمةً للعلم . فهذه الطبعة كانت نفدت فأعدنا فيها النظر وراجعناها على اصلها المخطوط فأصلحنا ما وقع فيها من الاغلاط وكذلك الشروح والملحوظات زدنا فيها وابدلنا بعضها واضفنا الى الكتاب حكماً هنديَّة قديمة رواها ابن مسكويه في القرن العاشر للمسيح ومعظمها من كتاب كليلة ودمنة تدلُّ على ما طرأ على هذا التأليف من التصحيف والتحريف والتبديل حتى لم يكد

يوجد منهُ حاضرًا نسختان خطيّتان متشابهتان. فأملنا أن يتلقى العلماء هذه الطبعة الجديدة كما استقبلوا الاولى فيستفيدوا منها لدرس هذا التأليف الشهير ل. ش

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكيّة (سنة ١٩٢٣ ص ١٦٠)

جمعنا تلك المقالات التي نشرناها تباعاً في المشرق منذ السنة ١٩١٤ الى هذه المدّة الاخيرة فروينا ما دار من المخابرات بين الموارنة واليسوعيين منذ سفارة الاب جوان باطشتا اليانو سنة ١٥٧٨ الى غاية القرن السابع عشر نقلاً عن سجلّات رهبانيّتنا ورسائل آبائنا الاقدمين وغيرهم. فبلغ هذا المجموع ١٦٠ صفحة يتضمّن معلومات كثيرة عن الموارنة في ذاك الزمان ثم تاريخاً ممتعاً للمدرسة المارونيّة المنشأة في رومية تحت تدبير الرهبانيّة اليسوعيّة. وهناك اثران فريدان لم ينشرا سابقاً بالطبع اعني بهما الاوّل الزجليّة اللطيفة التي نظمها القس الياس الغزيري سنة ١٦٦٥ في مديح تلامذة رومية. والثاني قطعة كبيرة من تاريخ تلك المدرسة بقلم الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي يتناول اخبارها من السنة ١٦٣٩ الى السنة ١٦٨٤ شاكرين سيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي وحضرة الخوري عبدالله مسعد اللذين تكرّما بهما علينا. وفي آخر المجموع نظر عامّ في مراكز الآباء اليسوعيين الاولى في انحاء سوريّة واعمالهم الرسوليّة ولاسيّما مع الموارنة وقد خُتم بثلاثة فهارس واسعة لمواد الكتاب

تهذيب النفس

بقلم فؤاد صرّوف. عني بنشره يوسف توما البستاني

طُبع في مطبعة المقتطف في مصر سنة ١٩٢٣ (ص ٧٢)

زعم البحث خاض فيه مؤلف هذا الكتاب فانّ تهذيب النفس محور الحياة البشريّة واصل سعادتها. فتتبّع جناب الكاتب كلّ اطوار حياة الانسان الاولى من طفوليّته الى سنّ البلوغ والشبوبيّة التامّة ودرس غريزة الولد في كلّ طور منها وما

يجب على المهذّب ان يراعيهُ من اخلاق تلميذهِ ليدفعهُ الى ما فيهِ خيرهُ وصلاحهُ وينكّب بهِ عمّا يدفعهُ الى التورُّط في حمأة الشهوات. قد استحسنا آراء الكاتب اجمالاً وكنّا وددنا لو منح الدين جانباً اعظم في تهذيب نفس الولد ليرسخ في ذهنهِ وقلبهِ منذ نعومة اظفارهِ فهو اكبر عامل في تنظيم حياتهِ وكبح نفسهِ الامّارة

تناقص النفوس في العراق : أسبابهُ وطرق تلافيهِ

محاضرة للدكتور حنّا خيّاط مدير الصحّة العام في العراق

طُبعت في مطبعة العراق في بغداد سنة ١٩٢٣ (ص٤٨).

هو بحث تاريخي فيزيولوجي اجتماعيّ بيّن الدكتور حنّا خيّاط خريج كليّتنا ومكتبنا الطبّي عظم شأنهِ في هذه المحاضرة النفيسة. فبعد ان قابل بين عدد النفوس في العراق في العهد القديم وفي زمن الخلافة العبّاسيّة مستنداً في ذلك الى رواية ثقات المؤرخين ونقصها الفاحش في عهدنا انتقل الى التفتيش عن علل هذا التناقص السياسيّة والاجتماعيّة وقد خصّ بينها الاسباب الصحيّة وسوء علاجات الاطباء الدجّالين وتساهُل الادارة في منحهم الأذونيّة في التطبيب وهم يجهلون اصولهُ. وقد اتّسع في ذلك الى ان بيّن الوسائل التي بها يمكن دولة العراق ان تتلافى هذه المضرّات فتهتمّ اهتماماً صادقاً باهل البلاد صغارهم وكبارهم فعسى ان يعود العراق ازدهارهُ السابق بعدد السكّان ونموّ العمران. فنشكر جناب الدكتور على ما كتب فانّهُ اجاد وافاد

ل. ش

تقرير دعوى يرفعهُ الى مقام رئاسة محكمة الجنايات في لبنان الكبير المحامي نجيب خلف. طُبع في مطبعة الجليل سنة ١٩٢٣ ص٥٢

سرّنا النظر في محاماة هذه الدعوى التي اقامها جناب المحامي البارع نجيب افندي خلف وكيل وراثة محمّد سلمان حيدر من دربلا ضدّ علي سليم حسن من بجبوش المتّهم بقتل محمّد المذكور فوجدنا في هذا التقرير مثالاً كاملَ الصفات لحسن المحاماة في الدعاوي الجنائيّة فانّ صاحبهُ دقّق ايّ تدقيق في تفاصيل الجناية وسوابقها

ولواحقها لم يدع باباً للإفلات من حكم العدل. ونؤمل انّ الحكومة تقدّر جرأتهُ في بيان الحقيقة قدرها وتضرب على يد الجاني الاثيم بلا شفقة

الحفلة التكريمية للاستاذ جميل صدقي الزهاوي

طُبعت في مطبعة العراق : بغداد سنة ١٩٢٣ (ص ٧٨)

اراد منتدى التهذيب الذي بشّرنا في تألّفهِ في بغداد ان يباشر اعمالهُ باكرام احد ادباء عاصمة العراق الاستاذ جميل صدقي الزهاوي . وقد طُبع ما أُلقي في تلك الحفلة من الخطب وأُنشد من القصائد لصاحب الحفلة. فنشارك اهل المنتدى بتهانئنا للاستاذ الزهاوي داعين لهُ بخدمة الوطن والآداب الصادقة زمناً طويلاً فلا يخطأ قلمهُ الّا كل ما يسرّهُ ان يراهُ يوم الدين ل . ش

حقيقة الماسونيّة ومنشور غبطة البطريرك

بقلم الخوري يوسف العشيتي

بيروت المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٣ (ص ٢٧)

في هذه النبذة المستلحة اقوى احتجاج على الشيعة الماسونيّة واحسن دفاع عن منشور غبطة بطريرك الطائفة المارونيّة لتصدّيه لها فنوصي كل القرّاء بمطالعتها وتوزيعها . وقد سرّنا ان الحبر الاعظم وجّه مؤخّرًا كتاباً لغبطتهِ يهنئهُ بيوبيليهِ المجيدَين مثنياً على مشروعاتهِ الجمّة ولاسيّما في فتهِ على عضد الماسونيّة وكسر شوكتها

نبذة من وقائع الحرب الكونيّة

بقلم لطف الله نصر البكاسيني اللبناني

بمطبعة الاجتهاد ليوسف ثابت سنة ١٩٢٣ ص ٥٧٥

بلغنا هذا الكتاب وعدد المشرق على وشك الصدور فلم يمكنّا انّ نمعن فيهِ النظر كما يستحقّ حسن الانتقاد الّا انّ ما تيسّر لنا من مطالعتهِ اثبت لنا انّ صاحبهُ

حقّق ودقّق واخذ معلوماته عن مصادر موثوق بها . وبلغ تاريخهُ الى عهد الانتداب الفرنسوي ومن حسنات صاحب الكتاب دفاعهُ عن الاكليروس وبيان مبرّاته العديدة وقت الحرب وذكر ما كان للحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر من العناية بالمنكوبين من اهل لبنان وقد صدّر الكتاب بنحو ٧٠ صورة من مشاهير الحرب وشهدائه . وهو يبيع بليرتين سوريّتين ل.ش

هدايا ارسلت الى المشرق

١ً القبر والامل رواية غراميّة تهذيبيّة بقلم ادوار بستاني . المطبعة البطريركيّة ١٩٢٣ (ص ١٠٧)

٢ً يوبيل زاهيات قلبي يسوع ومريم بنسبة سبعين سنة على نشأتهنّ بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي نقلاً عن مجلّة المشرق طبعت في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٣ (ص ١٦)

٣ً قانون الجمعيّة الخيريّة العامليّة مطبعة العرفان صيداء ١٣٤١ (ص ٢٢)

٤ً محاورة جرت بين شابّين صديقين هما نقولا الارثذكسي ويوسف الكاثوليكي . طبعة ثانية . في المطبعة البولسيّة في حريصا (ص ١٦)

شذرات

﴿ دفاع السائح عن جبران خليل جبران ﴾ وقفنا على العدد الذي حاولت فيه جريدة السائح الاميركيّة الدفاع عن جبران خليل جبران وتزييف مقالتنا في انتقاده (عدد تموز ص ٤٨٧ — ٤٩٣) فنسبنا صاحبها الى التعصّب الذميم وزعم ان « سهمنا وقع على امّ رأسنا » وان « مكروب البغض والانتقام عشّش في قلوبنا » لأن جبران « ان لم يكن من رسل الله فهو من اعوانه » (كذا) وانّ « الله فضحنا فضيحة » لا قائم لنا بعدها . وغير ذلك من « اللطائف والبدائع » الجبرانيّة التي عوّدنا عليها ابناء الارملة وانسابهم من الصحفيّين فنعدّ قدحهم مدحاً

ثمّ (نقول) علم الله انّنا لا نعرف شخصياً جبران خليل جبران ولا شيئاً من صفاته

الذاتيَّة وانَّما انتقدنا بعض ما كتبهُ في كتابهِ المطبوع في مصر حديثاً « البدائع والطرائف » ولم نسند انتقادنا هذا الى التخيُّلات والاوهام لكننا دعمناهُ على كلام ذلك الكاتب وبيَّنَّا ما فيهِ من الثرثرة التي ينخدع بها شبَّان العصر فليُراجع مثلاً فصلهُ في الكمال الذي نقلناهُ عنهُ بحرفهِ وليحكم فيهِ كل ذي ذوق حكماً صائباً فلا نشكُّ انهُ يوافقنا في رأينا عن هذيان كاتبهِ وكذا قل عن قِطَع اخرى نقلناها من كتابهِ بحرفها وزيَّفناها . وما قولنا بما يُشتَمُّ من كلامهِ من الآراء الكفريَّة والاقوال الخلاعيَّة كما بيَّنَّا ذلك بنقل فقرات من كتابهِ؟ . أفكان يمكننا ان نسكت عنهُ ولا ننتصر للحقيقة والدين والادب وهذه غاية دعوتنا ؟

﴿فكاهة مجلَّة سركيس وجهنَّم فرحات﴾ نقل سليم افندي سركيس في مجلَّتهِ ما كتبهُ الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات في معجمهِ « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » (ص ٤٩٧) حيث ورد في جهنَّم ما نصُّهُ : « جهنَّم (مؤنَّثة) مغارة مظلمة في قلب الارض مملوءة ناراً وكبريتاً تسكنها الشياطين والكفَّار والخطأة طولها مئتا ميل وكذلك عرضها وعلوُّها بينها وبين وجه الارض ثلاثة آلاف ميل والداخل اليها لا يخرج منها الى الابد وخلاف ذلك بدعة » . فتنكَّه سليم افندي سركيس (كمألوف عادتهِ) لدى تلاوتهِ هذا الوصف . وسأل صديقهُ الريحاني « ما رأيهُ في هذه الاميال عرضاً وعلوًّا وسماكة ومن اين استقى المطران الجليل هذه المعلومات » ثمَّ خصَّ حقارتنا بالسؤال قائلاً : « وما رأي حضرة الاب شيخو في هذه الحكاية » . فيجيب الاب شيخو انَّ في بعض كلام السيِّد فرحات ما هو منقول عن الانجيل الطاهر ومن انكرهُ فهو كافر اعني ابديَّة جهنَّم . امَّا ما قالهُ عن طول جهنَّم وعرضها وسماكتها فلا سند لهُ لا في كتب الوحي ولا في تعاليم الكنيسة ولعلَّهُ لبعض افراد الكتبة نقلهُ فرحات على علَّاتهِ . وامَّا رأينا في ذلك فانَّنا لا نوافق السيِّد فرحات في اقيستهِ لأنَّ هذه المسافة ليست كافية للفرسون وحدهم وبعضهم يدَّعون انَّ المسونيَّة أُنشئت في الفردوس (مع سطانائيل) فيكون عددهم بلغ المليارات فلو ضوعفت الاميال لما كفت لهم . امَّا اذا اراد السائل ان يتحقَّق صحَّة تلك الاقيسة فما لهُ الَّا ان يوصي احد اصحابهِ الفرسون قبل موتهِ ان يوقفهُ على ضبطها . لان الماسوني محروم من الكنيسة والمحروم هالك لامحالة ان لم يتب قبل موتهِ

﴿ صوت اللحم والدم او زواج الاكليروس ﴾ طبعت مطبعة جريدة الخليج في الاسكندرونة كرّاساً طويلاً غفلاً من اسم كاتبهِ عنوانهُ « الاكليروس بين العزوبة والزواج » يحاول صاحبهُ ان يثبت انَّ الزواج من سنن الله والطبيعة التي تلزم الاكليروس كالعلمانيين . وهو مدَّعى طالما تشبَّث بهِ مَن فضَّل صوت اللحم والدم على صوت الضمير وشرف الكهنوت لاسيَّما ان الكاتب لا يكتفي بزواج الاكليرس قبل انتظامهُ في السلك الاكليريكيّ لكن ايضاً بعدهُ لمن ترمَّل منهم على خلاف كل المجامع وتعاليم الكنيسة الشرقيَّة عينها . فنبدي وجهنا خجلاً لما كتبهُ هناك وخصوصاً لما رواهُ عن المؤتمر الاورثذكسيّ في القسطنطينيَّة انَّ اعضاءها وافقوا على هذا الزواج الباطل وبهِ يزيد انحطاط تلك الكنيسة التي ساد فيها الفوضى وصارت في حالة يرثى لها . امَّا الدفاع عن عزوبة الاكليروس فقد كتبنا فيهِ في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٨٠٠) فصلاً واسعاً فليراجع

﴿ ردود العرفان ﴾ بيَّنَّا لصاحب العرفان في عددٍ اوَّل انَّهُ مخطئ في عدَّة آراء رماها على عواهنها فاجابنا بالشتم والسبّ فأردفنا انَّ هذا لا يزكّيهِ بل يزيد في ذنبهِ فعادت الى عترها ليس وحاول مرَّة ثانية الدفاع عن خطَّتهِ الملتوية . ومن عجيب قولهِ هذه المرَّة انَّه « لم يتحرَّ في اجوبتهِ غير الدفاع عن الحقيقة » . أفدافع عن الحقيقة يوم كتب في مجلَّتهِ ما كتب (ص ٦٦١) ساخراً بوطنيَّة اللبنانيين ومجبّهم لفرنسة المحسنة اليهم كما احسنت الى شيعتهِ ؟ افدافع عن الحقيقة اذ نسب الى الشركات الفرنسويَّة والاجنبيَّة « امتصاص دمائنا » (ص ٦٦٢) ؟ افكان محقًّا لمَّا ذكر محاسن دمشق ولم يجد لفرنسة هناك غير الأوثات والقمامات والاقذار (ص ٦٦٤)؟ وهل انتصر للحقيقة اذ دعا الوطنيين الى نبذ اكرام جان درك وتعظيم « خولة بنت الازور الكندي » التي لا وجود لها الَّا في مخيلة بعض الروائيين (ص ٦٧٩) ؟ او كان احرص على الحقيقة اذ ذكر اسلام سرجون مولى معاوية (ص ٧٠٢) مع اجماع الكتبة على نصرانيَّتهِ ؟ او يريد ان نفضل معهُ كلام ذوي الاغراض من اهل الشيعة في حقّ يزيد بن معاوية (ص ٧٠١) على إمام الزهَّاد الغزّالي ؟ فلينصف المنصفون ويحرص الزين على حسن سمعتهِ لئلَّا ينقلب زاي اسمهِ الى شين .

﴿ المطران مسرَّة في باريس ﴾ سُررنا بما لقي سيادة المطران مسرَّة مطرو بوليت

بيروت على الروم الاورثذكس من الحفاوة والاكرام في عاصمة فرنسة وبمواجهة لاركان دولتها ولاسيما لرئيس الوزارة المسيو برانكاره والجنرال غورو حاكم باريس. وانما دُهشنا لما نشرتهُ جريدة اكسلسيور عن احوال ابرشيَّة بيروت فقال مكاتبها عن سيادتهِ انهُ: «بمثابة بابا» في الشرق وان سلطتهُ تتجاوز حدود لبنان الكبير فتمتدّ على جميع المسيحيين المحيطين بهِ الذين لا يقلّ عددهم عن مليون وخمسمائة الف نسمة وعلى جميع العالم الاسلامي في سوريَّة الذي لا يقلّ عددهُ عن ثلثة ملايين نسمة وانَّ نفوذهُ يمتدّ ايضاً الى مصر على احد عشر مليوناً من المسلمين واثبت المسيو جورى هذا الكلام وهذه الارقام وانهُ ليس على المطران مسرَّة الّا ان يرفع يدهُ الى العلاء حتى ترى وراءهُ ثلاثة ملايين رجل مستعدّين لخدمتهِ ولو أدّى ذلك الى بذل دمائهم امامهُ» فحيَّرتنا كل هذه المزاعم الغريبة مع وصف ما ورد هناك من مشروعات سيادتهِ من مدارس ومياتم ومستشفيات على حسابهِ فكيف نُسبت الى سيادة المطران مسرَّة دون ان يحتجّ على كاتبها. فما قول مواطنينا الروم في كلّ هذه الترّهات والاراجيف؟ (راجع ايضاً جريدة الف باء في عددها ٩٤٣ في ١٧ تشرين الاوَّل)

﴿شعر النفس﴾ هذه ابيات وقفنا عليها في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة وهي لاحد شيوخ الطريقة عند الدروز اسمهُ «ابو ابرهيم اسمعيل بن محمَّد التميمي المكنَّى بصفوة المستجيبين الى دين مولانا الى علم الامام» يذكر فيها الحاكم بامر الله الخليفة الفاطميّ المعتبر عند الدروز كالهٍ متأنس. نرويها بياناً لمعتقدهم:

الى غاية الغايات قصدي وبغيتي ... الى الحاكم العالي على كل حاكم
الى الحاكم المنصور موجوا وأمّموا ... فليس فتى التوحيد فيهِ بنادم
هو الحاكمُ الفردُ الذي جلَّ إسمهُ ... وليس لهُ شبهٌ بفاس بحاكم
حكيمٌ عليمٌ قادرٌ مالك الورى ... يؤانسهم بالاسم المشاع محاكم
غدا السابقَ السامي البهيّ وتالهِ ... مع الجدّ والفتح الجمال الملازم (كذا)
عبيدًا لمولانا خضوعاً لامرهِ ... وكلّ فتى في الدين عبدًا لآدم
هو الواحدُ العالي على كلّ علَّةٍ ... وما غيرُها الّا كعبدٍ وخادم
هو الحاكمُ المولى بناسوتهِ يُرى ... ولاهوتهُ يأتي بحقّ الظاهر

﴿الحساب الغربي﴾ انبأتنا اخبار قبرس بان الاكليروس الاورثذكسي استبدل في غرَّة تشرين الاوَّل الحساب الشرقي بالحساب الغربيّ بينما غبطة بطريرك الروم استصوب عدم قبولهِ في الشام تاركاً الحكم في ذلك للمجمع المسكوني

أسئلة واجوبة

س سأل مستفيد ما هو الداعي لدرس اللاتينيَّة في مدارس الفرنج؟

درس اللاتينيَّة في المدارس الفرنسويَّة

ج لذلك اسبابٌ شتَّى اخصُّها انَّ اللغة الفرنسوية ومثلها اللغات المعروفة باللاتينيَّة كالايطاليَّة والاسبانيَّة والبرتغاليَّة اصلها من اللغة اللاتينيَّة الفصيحة فبدرس هذه اللغة يسهل كثيراً درس اللغات المشتقَّة عنها وتتَّضح للدارس مشاكل عديدة لا يمكنهُ حلُّها بمعرفة الفرنسويَّة وحدها سواء كان من جانب المفردات ام من جانب المركَّبات. فبمعرفته لفظة واحدة لاتينيَّة يدرك معاني عشرات افرنسيَّة مأخوذة عنها. والفرق بينهُ وبين من لم يتقنها كالفرق بين قاطف بعض اوراق الشجرة او اثمارها والحاصل على الشجرة من اصلها. زد على ذلك انَّ درس اللاتينيَّة يمكن الدارس من ترجمة لغة الى لغة بينهما علائق جمَّة وهو من أفيد التمارين لاتقان اللغتين

س وسألنا مدير مجلَّة الحارس بعد ان فنَّدنا ما كتبهُ من حصن البستيل كيف امكن اذن الفرنسويين ان يتَّخذوا فتح هذا الحبس كعيد وطني لو لم يكن ذاك المكان مثلاً للجور والاستبداد ؟

عيد فتح البستيل في ١٤ تموز

ج نجيب اوَّلاً انَّ هذا العيد لم يُقَم اوَّلاً لتذكار فتح البستيل بل لتذكار اعلان الملك لويس السادس عشر والمجلس النيابي بالدستور سنة ١٧٩٠ . ثانياً لا ذكر لعيد وطني ثابت في فرنسة الى عهد نابوليون الثالث الذي جعل عيد السيدة في ١٥ آب كعيد الدولة . ثالثاً عيد فتح البستيل حديث العهد انشأتهُ الجمهوريَّة الثالثة في عهد غمبتا واصحابهِ نكاية في الحزب الملكي سنة ١٨٨٠ فبقي عيداً رسمياً لا يكاد يحتفل بهِ غير الحكومة ومتوظفيها . امَّا العموم فلا يكترثون لهُ غالباً الَّا لانقطاع الدوائر الرسميَّة عن الشغل فيه . ولمَّا اقيم حديثاً عيد القديسة جان درك كعيد وطني عمَّ اكرامها كلَّ انحاء فرنسة دون استثناء. (فليراجع صاحب الحارس معجم لاروس ١٤ : ٥٠٠) وفيهِ كلام عن اعياد فرنسة الوطنيَّة وحداثة عيد ١٤ تموز ل.ش

شمس المدارس

القديس الملفان توما الاكويني

بمناسبة المئة السادسة لتثبيت قداسته (١٣٢٢-١٩٢٢)

المشرق

منارتا الكنيسة الجامعة

القديسان توما الاكويني وفرنسيس دي سال

نظر تاريخي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

وقع في هذا العام تذكار رجلين كبيرين من نوابغ الكنيسة الكاثوليكيّة فتقدَّم الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وامر باكرامهما خصوصاً . نريد بهما ذينك الملفانين العظيمين اللذين شرَّفا عصرهما ببرّهما ووفرة علومهما ودفاعهما عن كنيسة المسيح بإزاء المبتدعين. ومع انهما عاشا في قرون مختلفة فقد تشابها بجهادهما الصالح ونفوذهما لدى اهل زمانهما وموتهما كلاهما في عزّ الكهولة لم يتجاوز اكبرهما سنّ الخامسة والخمسين من عمره . فبهما يصحّ ما ورد في سفر الرؤيا (١١ : ٤) : «هما المنارتان القائمتان امام ربّ الارض فان شاء احدٌ ان يضرَّهما تخرج نار من افواههما وتأكل اعداءهما» وانّما تلك النار نار محبّتهما لله وغيرتهما على شرف الدين. وليس احد منهما غريباً عن شرقنا كما سترى وذلك ما دفعنا الى كتابة صُحُف قليلة تنويهاً بفضلهما

١ القديس توما الاكويني

«الفتى» اكوينو مدينة نزهة لطيفة من اعمال كمبانية جنوبيّ ايطالية في منتصف الطريق بين نابولي ورومية . كان فيها قصر فخم لأسرة عريقة في الشرف تبسط سلطتها عليها وعلى المدن المجاورة لها . ففي هذا القصر ولد توما الاكويني سنة ١٢٢٦

وهي السنة التي فيها توفي وليّ الله فرنسيس الاسيزيّ وتبوأ في فرنسة سدّة الملك لويس التاسع القديس فنشأ في عصر توفّر فيهِ عظام الرجال كاينوشنسيوس الثالث الروماني والبرتوس الكبير الدومنيكاني والقديس بوناونتورا السيرافيمي ودنتي الشاعر الالهي فكان جديرًا ان يُنظم في هذه الطغمة الجليلة فيزيدها مجدًا وبهاء

كان توما صغير اخوتهِ الّا انهُ منذ نعومة اظفارهِ بل قبل بلوغهِ الرشاد شملتهُ نعمة الله الخاصّة. سقطت الصاعقة على غرفتهِ وهو في المهد مع اختهِ فقُتلت اختهُ ولم يُصَب الطفل بأذًى. وقعت في يدهِ ورقةٌ صغيرة كان عليها اسم العذراء مريم فأمسكها ولم يشأ ان تنزعها امُّهُ من يدهِ واذ غصبتهُ على تركها لم يزل يضجّ ويبكي حتى ردّتها لهُ فابتلعها. وكان اذا صاح وعرل في مهدهِ يُعطى لهُ كتاب فيسكت لوقتهِ باسمًا ويأنس بتقليب صحائفهِ

لمّا بلغ توما الخامسة من عمرهِ سلّمهُ والداهُ الى الرهبان البندكتيين في ديرهم الشهير المعروف بجبل كسّين فاذهل الرهبان برزانتهِ وبابحاثهِ عن اسمى عقائد الايمان. وقد صوّرهُ احد المصوّرين البارعين اذ كان في سنّتهِ السابعة وهو يوجّه نظرهُ الى أعماق الفضاء. وحولهُ الملائكة كأنهُ يريد ان يدرك سرّ الذات الالهيّة ومن فمهِ تخرج هذه الكلمات « ما هو الله؟ »

عاد توما الى دار والدهِ بعد خمس سنوات فصادف رجوعهُ مجاعةً مجحفة كادت تُودي باهل اكوينو وملحقاتها فكان والدا توما يلطّفان اوجاع الفقراء بصدقاتهما فقام توما وهو في العاشرة من سنّهِ وتولّى بذاتهِ توزيع خبز الصدقة الّا ان ازدياد عدد المحتاجين اضطرّ اهلهُ الى ردّهم خائبين فكان توما يحتال لمساعدتهم خفيةً عن والديهِ واذ لقيهُ الكونت لندولف ابوهُ يومًا في ناحية وهو حامل الخبز في ذيلهِ سألهُ: ما هذا الذي في ذيلك؟ فتورّد خدُّ الولد وفتح ذيلهُ باسمًا واذا منهُ تتناثر الازهار على رجلَيهِ وعلى قدمَي والدهِ

﴿ الدارس وطالب الرهبانيّة ﴾ اراد لندولف ان ينتح لابنهِ مناصب الدولة الرفيعة فاختار لهُ مدينة نابولي ليتابع فيها دروسهُ العليا وكان هناك كلّيّة جامعة انشأها الامبراطور فردريك الثاني. على انّ نابولي كانت مشهورةً في ذلك العهد باندفاع اهلها ولاسيما طلبة مدارسها الى ضروب الملذّات والخلاعة ولولا نعمةٌ فريدة

من الله والعذراء البتول لما نجا من لهيب الشهوات العالميَّة . فكان شغلهُ الشاغل دروسهُ وإتمام فرائضهِ الدينيَّة فاحبَّهُ لنشاطهِ معلّماهُ بطرس الارلندي وبطرس مرتين وكلاهما من كبار علماء زمانهما فأخذ عنهما الفلسفة والآداب حتى كاد يبلغ مبلغهما فجعلاهُ قدوةً لكلّ رصفائهِ

وأدَّت بتوما ممارسة واجباتهِ الدينيَّة الى ان تردَّد الى كنيسة رهبان القديس دومنيك وتعرَّف بسكَّانها فما لبث ان شُغِف بمحبَّتهم وصار يلحُّ على رؤسائهم بان يقبلوهُ كراهب في ديرهم ولم يزل يكرّر عليهم الطلب حتى اجابوا الى ملتمسهِ وفي احد اعيادهم ألبسوهُ ثوب الرهبانيَّة بحفلة حافلة أثَّرت في قلوب كلّ من حضرها من الاعيان والدارسين

وكان لتدولف في تلك الاثناء قد انتقل الى جوار ربّهِ . امَّا امُّهُ الكونتس تاودورا فانها لمَّا بلغها الخبر أرعدت وأبرقت وتنمَّرت غيظاً وحلفت انها ستثني ابنها عن عزمهِ . فرحلت الى نابولي وهي مستعدَّة لاستعمال القوَّة الجبريَّة ضدَّ ولدها اذا اقتضى الامر لكنَّ توما احسَّ بقدومها ففرَّ هارباً الى دير اخوتهِ في رومية فزاد غيظ الاميرة لخيبتها فسارت الى رومية وطلبت ابنها لكنَّهُ تغيَّب عنها ولم يشأ ان يواجهها خوفاً من نقضها لعزمهِ وطلب من رؤسائهِ ان يذهب خفيةً الى باريس فاذنوا لهُ فعلمت الوالدة بفكرهِ وارصدت لهُ في طريقهِ شرذمةً من الجند تحت قيادة اخيهِ رينالد فهجموا عليهِ واضطرُّوه الى الرجوع الى قصر والديهِ . واذ حاولوا ان ينزعوا عنهُ ثوبهُ الملائكي دافع عنهُ دفاع الابطال فلم يروا بُدًّا من غضّ النظر عنهُ

وهنا حدث ولا حرج بما اصابهُ من المحن في قصر والدهِ فانَّ والدتهُ توسَّلت لتغيير افكارهِ بكل ما اوحى اليها حبُّها الوالدي من وعد ووعيد فحبستهُ في برج معتزل عن القصر لا يدخل اليهِ غير اختيهِ وكانتاهما ساعيةً في دكّ بناء عزيمتهِ فلم تعمل حيلها فيهِ . ثمَّ جاء اخواهُ رينالد وتندولف وتشدَّدا في مصادرتهِ وجرَّداهُ مكرهاً من ثوب الرهبانيَّة وسلقاهُ بالشتم والسبّ فكان توما اشبه بصخر تلاطمهُ الامواج وهو يسخر بها بصبرهِ وجلدهِ وقد أدَّى بهما نزقهما الى ان ادخلاهُ في برجهِ غادةً من المومسات الخالعات فاخذ توما جذوةً ملتهبة كانت هناك ليحرقها بها فهربت مولولةً . فأقفل توما بابهُ ووقع خائر القوى بعد جهادهِ فاستولى عليهِ النعاس واذا بملاكين حضرا

امامهُ وأثنيا على ثباتهِ ومنطقا حقويهِ بنطاقٍ ازال عن قلبهِ كلَّ ميل الى ملذّات الجسد فصارت حياتهُ اشبه بحياة ملاك متقمّص بجسم بشري

وبقيت اختاهُ تنتقدانهِ في حبسهِ الّا انهما بعد ان حاولتا ان توقعاهُ في حبائلهما اصطادهما اخوهما بكلامهِ المملوء عذوبةً وقداسة واقنعهما بأن يزهدا بالعالم ويعيشا لله لاسيما الكبيرة التي هجرت الدنيا ودخلت في دير رهبانيّة العذراء في كابوا واقيمت عليهِ رئيسةً

وعلى يد هاتين الاختين بعد ارتدادهما نجّا توما من حبسهِ بعد سنتين ونصف فدلّتا حبلًا على نافذة برجهِ فنزل متشبثًا بهِ ليلًا وذهب الى نابولي حيث رحّب بهِ اخوتهُ الدومنيكيّون ثمَّ ارسلوهُ الى المانية ليدرس في مدينة كولونية اللاهوت على نابغة عصرهِ البرتوس الكبير وذلك في خريف سنة ١٢٤٤

﴿ الدارس ﴾ التحف توما مدّة دروسهِ اللاهوتيّة بشواعر التواضع والخمول فرارًا من مديح الناس. فكان اذا سمع تعليمًا يفرغ في ادراك كل عوانهِ قصارى جهدهِ فلا يفوتهُ من كبيرهِ وصغيرهِ ذرّةٌ وهو مع ذلك كالأصمّ الاخرس لا ينبس ببنت شفة حتى ظنَّهُ رفاقهُ انهُ غليظ الذهن قاصر الإدراك فلقّبوهُ بالثور الكبير وبالثور الصامت. لكنَّ معلّمهُ كان أعلم بحقيقة امرهِ فقال اذ سمعهم يتهكّمون: انَّ ذا الثور سيُسمع خوارهُ الى اقاصي المعمور

وهكذا كان فانَّ البرتوس بعد سنتين اختبرهُ سرًّا في ايضاح بعض المشاكل فتحقّق انهُ سيفوقهُ علمًا وامرهُ بان يتصدّر في منتدى دعا اليهِ الاساتذة والتلامذة واخذ يعرض عليهِ ادقّ ما في اللاهوت والفلسفة من المسائل التي لا يخوض غمارها الّا اساطين العلم فاجاب على كلّ ما سُئل ببراعةٍ غريبة وملء الحشمة والسذاجة حتى ادهش عقول كلّ سامعيهِ وانقشع في ذلك اليوم الغمام الذي كان يحجب نور « شمس المدارس ». فامرهُ رؤساء رهبانيّتهِ بان يذهب الى باريس ويتقدّم فيها امتحان طالبي الملفنة فأقرَّ شيوخ كليّتها ان ذاك الطالب احرى بان يُعدّ معلّمًا نطاسيًّا منهُ طالبًا بسيطًا فأجمعوا على مقدرتهِ ومنحوهُ ميزة المأذونيّة باجتماع الاصوات

﴿ المعلّم ﴾ ثمَّ عاد توما الى كولونية حيث عُهد اليهِ لاوّل مرّة الجلوس بين اساتذة كليّتها فدرّس اللاهوت بفروعهِ مدّة اربع سنوات جعلتهُ كالسراج على المنارة يضيء

بوهجهِ كلَّ من يستنير بهِ . واخذ مذ ذاك صيتهُ ينتشر في جهات اوربَّة ولاسيَّما في باريس التي كانت في ذلك العهد معدودة كمركز العلوم ومصدرها . وفي اثناء تدريسهِ في كولونية سامهُ كبير اساقفتها كاهناً فزانهُ الكهنوت بنعمتهِ وجعل يمارس كلَّ فضائلهِ على اكمل منوال

ثمَّ طلبهُ الباريسيون ليعلّم في عاصمتهم فيفتخروا بتعليمهِ واجازوا لهُ ذلك دون سواهُ قبل ان يدرك الخامسة والثلثين من عمرهِ . وكان قانونهم يحظر الامر على من لم يبلغ هذا السن فباشر توما بالتدريس في دير رهبانيَّتهِ سنة ١٢٥٢ وهو ابن ٢٦ ربيعاً واذا باوسع قاعة فيهِ بعد ايَّام قليلة قد ضاقت عن الطلبة المتقاطرين لاستماعهِ . بل كان الاساتذة نفسهم وعلية الاكليروس يبادرون الى حضور محاضراتهِ . وكان اذا انتهى من القاء دروسهِ وأوى الى قلَّايتهِ يملي على ثلثة او اربعة من الكَتَبة في ساعة واحدة تعاليمهُ الشفاهية فاذا كتبوها وعدَّدوا نسخها ارسلوها الى انحاء مختلفة حيث كان يقبل عليها الطلَّاب إقبال الجياع على القصاع

وكان علمُ الالهيَّات يتفجَّر من مدارك توما كتفجُّر المياه من اغزر ينابيعها فسألهُ يوماً صديقهُ القديس بوناونتورا واحد اركان علم اللاهوت في رهبانيَّتهِ الفرنسيسيَّة : من اي موارد يستقي تلك المعارف العجيبة التي تخلب عقول سامعيهِ ؟ . فاخذهُ توما الى قلَّايتهِ واراهُ على مكتبهِ صورة المصلوب قائلًا : هاهوذا الكتاب الذي اقتبس منهُ كافَّة معارفي

فيتَّضح من هذا الجواب ان علم توما العجيب كان ثمرة تُقاهُ ووحيهِ تعالى . والحقّ يقال انهُ لم يدع العلم ينفخ قلبهُ ويجفّف ذهنهُ بل كان يغذي نفسهُ بالمواظبة على الاسرار والاستحرار بالصلاة امام المصلوب وبتلاوة كتب الآباء السيَّاح ولاسيما مقالات كاسيانوس الروحيَّة . وكان يضيف الى هذه الممارسات اماتات وتقشفات عظيمة واذا دخل المائدة يبقى فكرهُ غائصاً في النظريَّات الالهيَّة حتى يذهل تماماً عمَّا يتقوَّت بهِ جسدهُ

وكان اعجاب الناس بتعاليم توما في باريس يزداد يوماً فيوماً . الَّا انَّ دماثة اخلاقهِ ووداعة نفسهِ وعذوبة كلامهِ كانت تجذب اليهِ القلوب حتى قلوب اساتذة باريس العالميّين المتاونين حسدًا لتعليم الرهبانيَّات فسمحوا لهُ على خلاف قانونهم ان

يواصل تدريسه اللاهوت فوق ثلاث سنوات

وفي تلك الاثناء باشر بتأليف كثير من كتبه المبتعة التي لا يزال اللاهوتيّون حتى يومنا هذا يلتجئون اليها في فكّ معضلات المطالب وخصوصاً خلاصتهُ اللاهوتيَّة التي اصبحت الدستور المدرسي في الكليّات الكاثوليكيَّة منذ سبعمائة سنة وفيها لباب كلّ تعاليم الرسل والآباء والمجامع المقدَّسة على طريقة منسَّقة

ولم يعلّم القديس توما في باريس وحده بل علّم ايضاً في بولونية ونابولي وكان حيثما يحلّ يسطع نور علمهِ سطوعاً يكسف نور غيرهِ

﴿ مقامهُ في الكنيسة والعالم ﴾ وكان الاحبار الرومانيّون اذا التبس عليهم امرٌ يستضيئون بنبراسهِ فدخل رومة غير مرّةٍ ووعظ في كنائسها وردّ الى حجر الكنيسة بعض ربّاني الموسريين أفحمهم بادلّتهِ اللامعة عن مجيء المسيح وألان قلوبهم الصلبة بلطفهِ ومحبّتهِ . وقصد البابا اوربانوس الرابع واقليمس الرابع ان يقيما توما اسقفاً على بعض الكنائس لولا تمنُّع القديس وتوسلهُ اليهما بان يدعاهُ راهباً بسيطاً.

وكما عرف العلماء ورؤساء الكنيسة فضل توما كذلك ملوك عصرهِ تنافسوا في اكرامهِ . كان اولهم واشرفهم ملك فرنسة القديس لويس التاسع الذي كان يحب ان يجتمع به ويطلب مشورتهُ في تدبير مملكتهِ . وقد دعاهُ يوماً الى مائدتهِ الملوكيَّة فاجاب الى دعوتهِ لكنَّ فكرهُ وقت الطعام كان منصرفاً في دروسهِ وابحاثهِ اللاهوتيَّة ذاهلاً عن الغذاء المادّي واذا بهِ يصرخ قائلاً : هذا برهان يبطل كلّ حجج المانويين . فخجل رئيسهُ الجالس بجوارهِ واعتذر الى الملك عن شتات فكر مرؤوسهِ . الّا ان لويس امر للحال بان يؤتى باحد الكتبة ليدوّن ما عنَّ لتوما من البرهان لنقض البدعة المانوية التي كانت تعيث فساداً في ذلك الزمان في جنوبي فرنسة

وكذلك ملك نابولي كارلوس الاوّل فانهُ سعى جهدهُ ليستدعي توما الى حاضرة ملكهِ ليشرّف مملكتهُ بتعليمهِ في مدارسها وافرز لهُ راتباً من مالهِ الخاصّ . والمدرسة التي كان يتزاحم الطلبة فيها لالتقاط درر تعليمه قد اصبحت اليوم مزاراً مشهوداً يقصدهُ السيّاح تبرّكاً .

﴿ معجزاتهُ ﴾ وقد اراد الله نفسهُ ان يكرم عبدهُ حتى في زمن حياتهِ فاجرى على يدهِ خوارق كمثل ما يُروى عن كبار اولياء الله منها انَّ جمهور الشعب عاينهُ في

كنيسة مار يعقوب في باريس مرتفعاً عن الحضيض غائباً عن حواسه — شفي في رومية مثل السيد المسيح امرأةً من نزيف دمها بمجرَّد مسها لطرف ثوبهِ من ورائهِ — اعاد الصحة للراهب رينو رفيق سفرهِ وهو موشك على الموت — شرَّفهُ الله برؤية القديس بولس الرسول الذي اوحى اليهِ باسرار لم تخطر على بال بشر . وتراءت لهُ والدة الله فاثنت على نشاطهِ وأيدتهُ بنعمة ابنها . بل ظهر لهُ السيد المسيح نفسهُ قائلاً : « لقد احسنتَ يا توما في ما كتبتهُ عن سرّ محبتي فماذا تطلب عن فعلك من الجزاء » فقال توما : « انتَ حسبي يا الهي لا اطلب سواك »

وذلك انَّ البابا هونوريوس اراد ان يقيم في الكنيسة عيداً حافلاً لاكرام القربان الاقدس اجابةً لما اوحى الربّ الى راهبة قديسة تدعى يوليانا طلب اليها السيّد المسيح ان يُحتفل بذكر قربانهِ الاقدس يوم الخميس الواقع بعد ختام جمعة المنصرة فاستدعى البابا القديس توما وامرهُ بان يصنف رتباً وفرائض مستوفية لهذا العيد الجديد ففعل القديس ما أُمر بهِ فجاءت الطقوس والصلوات والتسابيح التي وضعها للقدَّاس وللفرض الالهي آيةً في حسنها لا يتلوها المؤمن الَّا يأخذ منهُ العجب لسموّ معانيها وشريف الفاظها وضبط تعاليمها اللاهوتيَّة فهي ابلغ ردود على ناكري سرّ القربان الاقدس

﴿وفاتهُ﴾ اوحى الله الى عبدهِ توما بقرب وفاتهِ فاعتزل في نابولي في دير رهبانيَّتهِ ليستعدَّ لآخرتهِ وينجز بعض تآليفهِ . لكنَّ البابا غريغوريوس العاشر كان نوى على عقد مجمع في مدينة ليون من اعمال فرنسة لتوثيق عرى الاتحاد بين الكنيستين الشرقيَّة والغربيَّة ولاسعاف الاراضي المقدسة فاراد ان يحضرهُ القديس توما مع القديس بوناونتورا ليجيبا على اعتراضات الروم في بعض عقائد الكنيسة اللاتينيَّة . فلم يرَ توما وهو منتهك القوى بدًّا من تلبية دعوة الحبر الروماني . فما كاد يبلغ منتصف الطريق حتى خارت قواهُ وحلَّ ضيفاً مكرَّماً في مدينة تراسينا في دير رهبان السترسيين فتفاقم عليهِ المرض فأنبأ الرهبان بقرب انحلال جسدهِ فلم يدع اولئك وسيلةً لشفائهِ الَّا انَّ ساعة جزائهِ كانت قد حانت فقبل كل اسرار الكنيسة بخشوع وملء الثقة معترفاً بايمانهِ وشاكراً الله على انَّه بقي راهباً بسيطاً وخادماً لكنيسة المسيح . لفظ القديس انفاسهُ الطاهرة في ٧ آذار سنة ١٢٧٤ وهو في السنة الخمسين من عمرهِ . وقد عرف استاذهُ البرتوس الكبير بوحي من الله ساعة وفاتهِ وهو يقيم في كولونية . ولم

يلبث خبر وفاته ان انتشر في اقاصي البلاد فصرخ الجميع لقد انطفأ بموت توما سراج النصرانيَّة الوهَّاج

﴿تركتهُ العلميَّة﴾ على انَّ ما تركهُ القديس توما من التآليف هو نور متَّقد مُنير يعزّي العالم عن فقدهِ فقلَّما ترى في تاريخ الكون باجمعهِ رجلًا مثلهُ اورث البشريَّة ما اورثهُ الاكويني من اعزّ العلوم وارفعها شأناً وتآليفهُ احقّ من سواها ان تُدعى بدائرة العلوم اللاهوتيَّة والفلسفيَّة يضمّ مجموعها نحو ثلثين مجلَّدًا ضخماً لو قُسمت على سني تدريسهِ (من السنة ١٢٤٨ الى ١٢٧٤) لبلغ عملهُ كلّ يوم من عشر صفحات الى ٢٠ صفحة . فمن آثارهِ شروحهُ المدقَّقة لتآليف ارسطاطاليس . ومنها تفاسيرهُ على الاسفار المقدَّسة . ومنها متفرّقاتهُ في عدد لا يُحصى من المسائل العويصة التي عُرضت عليهِ . ومنها مصنَّفات تقويَّة روحيَّة لطالبي الكمال . وفوق كلّ ذلك تآليفهُ اللاهوتيَّة التي اكسبتهُ في الكنيسة الكاثوليكيَّة افخر الالقاب فدُعي «صخر الكنيسة الاصمّ . عمود الايمان الكاثوليكي . نور المدارس وشمسها . مطرقة المبتدعين . المعلم الملائكي . والعلَّامة بين القديسين والقديس الجليل بين المعلمين» . وقد امتازت بين تآليفهِ اللاهوتيَّة خلاصتهُ المنوَّه بها التي لا تقلّ مطالبها عن الفومئة وثلاثين مطلباً يُعدّ كل مطلبٍ منها كآية في بابهِ فهي كالسلحة التي يتَّخذ منها الكاثوليك سلاحهم لمناهضة كلّ الهرطقات . وقد علم بذلك المبتدعون حتى قال زعيمهم لوتاروس متبجّحاً : «إنفوا توما وانا اخرب الكنيسة» . وقد عرف شرقنا العربي بعض فضل هذه الخلاصة بالقسم الموجز الذي نشرهُ منها السيّد الفضال بولس عوّاد في خمسة مجلَّدات وعساهُ ينجز قريباً عملهُ هذا المفيد

ومن ميزة القديس توما انَّ الاحبار الرومانيّين لم يزالوا الواحد بعد الآخر يعظّمون هذا القديس ويحضّون ارباب المدارس اللاهوتيَّة على اتخاذهِ إماماً في درس الفلسفة واللاهوت وهو افضل مرشد في تعليمها . نخصّ منهم بالذكر البابا لاون الثالث عشر الذي كرَّر مرارًا اوامرهُ بالسير على آثارهِ في كلّ الابحاث الدينيَّة والفلسفيَّة . وقد انتهز الحبر الاعظم الجالس حالًا على كرسي الخلافة البطرسيَّة البابا بيوس الحادي عشر فرصة التذكار المئوي لاثبات قداسة توما الاكويني فامر بان تُقام الحفلات الحافلة لاكرامهِ ونشر تعاليمهِ متعنا الله بشفاعتهِ وارشدنا الى الخلاص بنور تآليفهِ

٨٦٩

رئيس اساقفة جنيفة

القديس الملفان فرنسيس دي سال

بمناسبة المئة الثالثة لوفاته (١٦٢٢-١٩٢٢)

٢ القديس فرنسيس دي سال

وعد ابنُ الله كنيستهُ بالثبوت الى منتهى الدهر فلم يدَعْها يتيمةً في زمن من الازمان واذا استأثر باحد اوليائها اسرع فارسل لها عضداً جديداً على مثال ما قيل :

اذا مات منّا سيّد قام بعدهُ ... لهُ خلفٌ يكفي السيادةَ بارعُ
من ابنائهِ والعرقُ ينمو فرعهُ ... على اصلهِ والعرقُ للفرع نابعُ

وقد قام في الكنيسة في النصف الثاني من القرن السادس عشر والاول من السابع عشر عدد لا يُحصى من نخبة الرجال وابطال القديسين . على انَّ القديس فرنسيس دي سال قد لاح بينهم بنور ألمع واسطع بآثارهِ الجمّة وفضائل حياتهِ وتآليفهِ المختلفة في اللاهوت النظري والادبي وفي الحقوق الكنسيّة والجدال والنسكيّات والارشاد وعلمٍ جرّا

﴿مولدهُ وصباهُ﴾ لاح هذا الكوكب النيّر في سماء الكنيسة في ٢١ آب من السنة ١٥٦٧ في بلاد ساڤوية التي كانت في ذلك العهد مستقلّة يسوسها امراء وطنيّون يُعرفون بدوقة ساڤوية . كان مولدهُ في قصر يدعى سال (Sales) واليهِ نُسب المولود من ابوَين كلاهما من سادة البلاد . لاحت على ملامح فرنسيس اشارات النباهة والذكاء قبل الثانية من عمرهِ . وكان في حركاتهِ وسكناتهِ وعينيهِ من الرقّة واللطف ما يجتذبُ الى كلّ من ينظر اليهِ . وكان لطفهُ هذا الغريزيّ يُبديهِ خصوصاً نحو الفقراء اترابهِ فاذا رآهم اتحفهم بكلّ ما اعطتهُ امّهُ من الصدقات لمساعدتهم وان لم تعطهِ شيئاً شاطرهم اكلهُ الخاصّ فرحاً

﴿طالب العلم﴾ لمّا ترعرع فرنسيس اظهر من النجابة وذكاء الجنان وقوّة الذاكرة شيئاً عظيماً فرأى والدهُ ان يرسلهُ الى باريس الى مدرسة الآباء اليسوعيين لينال فيها من المعارف ما لم يجدهُ في مدرسة ذي وطنه حيث كان اتقن اللغة اللاتينيّة واصاب قصبة السباق بين اقرانهِ

استوطن باريس فلم تشغلهُ ما لقي فيها من الملاهي والملذّات وانّما انصبَّ على درس البيان والفلسفة وتعلّم اللغتين اليونانيّة والعبرانيّة . وكان في سائر هذه الدروس قدوةً لرفقائهِ يتقدّمهم في الاجتهاد والنشاط كما يسبقهم في العبادة والتقى . وكان

مطلّموه ومنهم الاب ، لمدونات ذو الشهرة المستفيضة ونسيج وحده في العلوم الكتابيّة يشيرون الى فرنسيس بالبنان ويحرّضون رفاقهُ على الاقتداء بهِ . وكان الشاب التقيّ قد اتّخذ البتول العذراء كشفيعة خاصّة لدروسهِ فانتظم في سلك ابناء اخويتها واجتهد في اكرامها طاقة جهده لاسيما بعد أن ضايقهُ الشيطان بتجربةٍ شديدة اذ وسوس الى قلبهِ انهُ من عداد الهالكين في جهنّم الى الابد فأُصيب من جرّاء ذلك بانحطاط القوى وبنوع من اليأس والقنوط فلم ينجُ من تلك الازمة الّا بدخولهِ في احدى كنائس باريس المعروفة بكنيسة القديس اسطفانوس دي غراي (S^t. Et. des Grés) وكان هناك صورة عجائبيّة للبتول فانطرح امامها بكل ثقة وتلا الصلاة التي اوّلها « اذكري ايتها البتول » (Memorare) ولمّا انتهى منها خصّص نفسهُ بخدمتها ونذر امامها نذر العفّة ووعد بتلاوة وردّيتها كلّ يوم . فما كاد يتتم صلاتهُ حتى انقشعت عن قلبهِ تلك السحابة وعاد السلام الى نفسهِ والعافية الى مزاجهِ

بقي فرنسيس دارساً في باريس ستّ سنين فنال الاجازة عن نجاحهِ في كلّ علومهِ ثمّ عاد برهةً الى وطنهِ فسُرَّ بمعاينة اهلهِ بعد الفراق كما فرح بهِ اهلهُ وأُعجبوا من براعتهِ لكنَّ اباهُ اراد ان يدرس ابنهُ الحقوق ليمارس فنّ المحاماة في وطنهِ وكانت وقتئذٍ كلّيّة بادروا لها السبق في هذا الميدان يعلّم فيها نخبة من فقهاء عصرهم فاقتنع ابنهُ فرنسيس بان يتفرّغ لهذا الدرس في تلك المدينة فارسلهُ اليها وجعل في خدمتهِ احد حجّابهِ

فباشر درس الشرائع القديمة والحديثة بذات النشاط الذي كان اظهرهُ في باريس الّا انهُ لم ينسَ واجباتهِ الدينيّة ونذرهُ الى العذراء مريم وطلب لهُ مرشداً يقيهِ من عثرات الشباب فوجد راهباً يسوعيّاً كان الكرسي الرسولي عهد اليه بسفارات شتى الى روسيّة والمانية واسوج نعني بهِ الاب انطوان بواسقان الشهير بعلمهِ وتقاهُ وفضلهِ العميم فرضي ان يتولّى ارشاد فرنسيس وما لبث ان علم ما اودع الله قلب هذا الشاب من كنوز النعم وانَّ الله يدعوهُ الى الحالة الاكليريكيّة فساعدهُ على تنظيم حياتهِ واشار عليهِ بدرس كتب اللاهوت لاسيما خلاصة القديس توما وتآليف القديس بوناونتورا ومجادلات الطوبوي بلّرمينوس اليسوعيّ مع مطالعة اعمال بعض الآباء القديسين كيوحنّا فم الذهب واوغسطينوس وايرونيموس وبرنردوس . فكانت هذه الدروس

ترشحهُ لقبول درجة الكهنوت التي كان راغباً فيها لكنَّهُ كتم نيَّتهُ عن والدهِ واتمَّ درس الفقه والحقوق ونجح نجاحاً باهرًا في امتحاناتهِ التي كانت الشرط لقبول اجازة الملفنة ثم خرج من پادوا وزار معبد سيِّدة لورتو فاماطت البتول عن عينهِ حجاب الغيب واثبتت لهُ صحَّة دعوتهِ الاكليريكيَّة ثمَّ انفتل راجعاً الى قصر والدهِ الذي وجد في ابنهِ تحقيق امانيهِ وشرف بيتهِ وامرهُ بان يسجِّل اسمهُ في عصبة المحامين المؤلفة في مدينة شامبيري فوافق اباهُ في طلبهِ ونال بذلك فخرًا كبيرًا في اعين مواطنيهِ لكنَّهُ تصدَّى لوالدهِ بكل قوى نفسهِ اذ اراد ان يقرنهُ بالزواج مع فتاة من اعيان سافوية فكشف لهُ ما عزم عليهِ من حفظ العفَّة ومن خدمة الله في الطغمة الاكليريكيَّة وكان اسقف مدينة جنيفة السيد كلود غرَنيار قد اوحى اليهِ الله بدعوة فرنسيس فقال لكهنتهِ لمَّا رآهُ : « سيكون هذا رجلًا عظيماً وعمودًا للكنيسة وهو الذي سيخلفني على كرسي اسقفيَّتي »

على انَّ والد فرنسيس رأى في عزم ابنهِ خيبة آمالهِ وكاد يتميَّز غيظاً عليهِ لولا لويس ابن عمهِ الذي حاول ان يخمد غيظهُ وذلك انَّهُ كتب سرًّا الى رومية وطلب لفرنسيس ان يقام كرنيس كهنة وطنهِ وبذلك ينال من الشرف الديني ما يعوِّضهُ عن شرف الدنيا الذي يرغبهُ لهُ ابوهُ . فتمَّ الامر على ما أمَّلهُ وجاء الجواب من رومية موافقاً لطلبهِ وما لبث الاب ان رضي بما اصابهُ ابنهُ من شريف المقام ورفعة المنصب . الَّا ان فرنسيس امتعض للامر لنفورهِ من كل جاهٍ عالمي او شرف ديني بيد انهُ وجد في جواب رومية اعلانًا بارادة الله فلم يقاومها

﴿الكاهن والرسول﴾ بادر اسقف جنيفة وخوَّل فرنسيس رتبة الكهنوت في ١٨ كانون الاوَّل سنة ١٥٩٣ وقلبهُ طافحٌ شكرًا لله الذي انعم على كنيستهِ بمثلهِ عاملًا . امَّا الكاهن الجديد فانهُ وقف حياتهُ لمجدهِ تعالى وحدهُ فقط ولخلاص النفوس المفتداة بدم ابنهِ الثمين . واوَّل ما دعاهُ اليهِ اسقفهُ ان يخطب في كنيستهِ فكانت باكورة عظاتهِ ارتداد ثلثة من مشاهير الخطأة . فعرف الشعب نعمة الله اليهِ باقامة فرنسيس راعياً لنفوسهم فكان حيثما يظهر سواء كان في تقدمة الذبيحة ام في منبر الوعاظة او في كرسي التوبة يلتفُّ حولهُ الجمهور ليرتشد بامثالهِ وتعاليمهِ . وكان في كلامهِ من العذوبة والحلاوة والرقَّة ما يؤثر في سامعيهِ ويجتذب اليهِ كلَّ عواطفهم .

وبعد ان اكتسب قلوب اهل المدينة انتقل الى القرى المجاورة فكان إقبال الناس لاستماعه وللتوبة على يده كمثل اهل المدينة ما عزّى قلب الاسقف وجعلهُ يلقي اليه مقاليد التدبير في انحاء ابرشيّته

وكان قسمٌ من تلك الابرشيّة قد حمل عليه دُعاة البدعة البروتستانيّة الجديدة وخصوصاً الشايعون لكلفين فنفثوا في السكّان سمّ ضلالهم ونفخوا فيهم روح العصيان على رؤساء الكنيسة فخلعوا العذار ونادوا بالاصلاح الموهوم وشنّوا الغارة على كلّ من لم ينتمِ الى حزبهم فهدموا الاديرة وقتلوا الرهبان ودمّروا الكنائس وكسروا الصلبان وبقيت البلاد مدّة نحو ١٥ سنة ساحة للحروب بين القوّات البروتستانيّة وجيش امراء سافويةحتى انتهت مناوشاتهم بظفر الكاثوليك الّا ان البروتستانت بعد فشلهم ثبتوا في ذلك الصقع وافرغوا كنانة جهدهم في بثّ دعوتهم بين الاهلين وكان اسقف جنيفة حاول غير مرّة الى ان يردّ تلك الخراف الضالّة الى الحظيرة فذهبت مساعيه سدًى بلا جدوى . ولما رأى ما نال فرنسيس من النجاح بين المؤمنين احيا رجاءهُ بخلاص اولئك الشاردين عن يده . ومع علمه بما ينتظرهُ هناك من العناء والمشقة بل من المخاطر الشديدة عرض عليه التبشير في تلك الجهات . وكان ذلك سنة ١٥٩٤ . اي السنة الثانية بعد ان قلّدهُ الكهنوت

سار فرنسيس كرسول المسيح بلا سلاح الّا صليب ربّه وهو واثق بقدرته فقط في تلك الحرب الروحيّة التي حاول مناجزتها مع الجحيم . وكان بصحبته ابن عمه القانوني لويس دي سال فلمّا أشرف على اقليم شبلاي سرّح نظرهُ في انحائها واذا بآثار خراب صروح الدين الكاثوليكي قد بدت لعيونه جهارًا فاذرف الدموع السخينة وطلب من ربّ الجنود ان يسعفهُ في ما يتجشّمهُ من الاعمال التي ينوء عنها عاتقهُ

ثمّ توجّه توًّا الى مدينة طونون وهي معقل الاراطقة وحصنهم الحصين لم يبقَ فيها من مستقيمي الايمان الّا الزهيد القليل وحيث لم يجد كنيسةً يأوي اليها اخذ يعظ في ساحاتها فانتعش بحضوره قطيع الكاثوليك الصغير الّا انّ زعماء الشيعة الكلوينيّة اخذوا يسخرون منهُ ويلقونهُ بألسنة حداد وينسبون اليه الغايات الدنيّة فلم يدفع القديس عنهُ شرّهم بغير ترس الصبر والوداعة وبذلك استمال قلوب الكثيرين وردّهم الى دين اجدادهم اما المتعصبون منهم فزادوا غيظاً وتآمروا عليه ليقتلوهُ وارسلوا من

ذويهم بعض الاشقياء لتلك الغاية الاثيمة فلمّا رآهم تقدّم اليهم بكل جرأة مصرّحاً انهُ يستعذب ورود الموت في سبيل الدين فتعجّبوا منهُ ولانت قلوبهم واغمدوا سيوفهم. وثبت القديس على بشارتهِ غير هيّاب. واذ بلغ امير ساڤوية ما يحدق بفرنسيس من الاخطار ارسل لهُ حرساً من الجند بيد أنَّ القديس ردهم قائلاً: «اني كرسول دخلت بلاد شبلاي وكرسول اتصرّف فيها» ومدّة نحو سنتين لم يزل يطوف البلاد عرضها وطولها مقاسياً في رسالتهِ ضروب المحن معرّضاً بنفسهِ لاصناف المعاكسات والنوائب التي نجّاهُ منها الله بنوع عجيب بل منحهُ لتأييد كلامهِ ان يُجري امام اعدائهِ معجزات لم يمكنهم جحودها. من ذلك ان والدةً ثكلى كانت حاملة جثّة صغيرها لتدفنها واذا بفرنسيس مقبلٌ صدفةً على طريقها فانطرحت عند قدميهِ صارخةً: «يا رجل الله ردَّ لي وحيدي» فتحنّن عليها وصلّى هنيهةً ثمَّ مدَّ يدهُ الى الولد فاقامهُ حيًّا امام جماعة المشيعين للجنازة فمجّدوا الله واعلنوا بصحّة الايمان الكاثوليكي. اما الكالوينيون فانهم نسبوا فعلهُ هذا الى السحر فضرب العموم كلامهم عرض الحائط. وانتشر اذ ذاك الدين الكاثوليكي انتشاراً عظيماً. ولمّا اتى امير ساڤوية ليزور ذلك الاقليم وكانت نيّتهُ ان يعاقب قوماً من الاراطقة الذين وقف على دسائسهم لم يرَ المبتدعون وسيلةً اقرب لنجاتهم من ان يتوسّلوا الى فرنسيس ليشفع بهم عند الامير ففعل وردَّ الخير بدلاً من الشرّ فتعزّز الايمان المستقيم وفُتحت الكنائس وأُقيمت الحفلات الدينيّة بكل أُبّهة وجلال. وقد بلغ عدد الذين ردّهم فرنسيس الى الكثلكة فوق الستين الفاً وذلك بقوّة تعليمهِ ومثال سيرتهِ فقط. وكان بين المرتدّين كثيرون من الاعيان كرئيس بلديّة طونون والبارون داڤولي (Bon d'Avully) والفقيه الذائع الصيت پيار پونسه (P. Poncet) وكلّهم من اركان الشيعة

وبعد ان انتصر فرنسيس على اضاليل البروتستانت في بلاد شبلاي وجيرتها عزم على اقتحام الهراطقة في حاضرة سويسرة جنيڤة المعدودة منذ ذاك الحين كعاصمة الكالوينيين فدعا علماءهم الى مجادلات علنيّة امام الشعب لبيان الدين الصحيح فافحمهم ولم يعودوا يتجاسرون على منازلتهِ بل كاد يردّ الى الايمان اكبر زعمائهم ثيودور دي باز (Th. de Bèze) فاقنعهُ ببطلان تعاليم كالوينوس وبصحّة معتقدات الكاثوليك لكنَّ ذاك الشيخ ثبت على ضلالهِ خوفاً من مشايعيهِ واستحياء من اصحابهِ

﴿ الاسقف الجليل ﴾ قضى فرنسيس اربع سنوات في شبلاي ولم يشأ ان يبقى عملهُ سطحياً موقتاً ففكَّر في استدعاء الجمعيات الرهبانيَّة ليداوموا على فلاحة حقل ربّ البيت وانتدب لذلك الرهبان الكبوشيين فوكل اليهم رعاية النفوس في مدينة طونون. ثمَّ رأى من الواجب اللازب فتح مدرسة كبيرة لتهذيب ناشئة البلاد فالتجأ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة فاجابوا الى طلبهِ وما عتَّمت مدرستهم أن أتت باثمار جنيَّة

وفي تلك الاثناء اراد امير ساڤوية شرل عمانويل ان يعاين نتيجة مساعي فرنسيس في بلادهِ فقدم الى شبلاي مع سفير البابا الى فرنسة اسكندر دي ماديشيس وكثيرين من علية القوم فحضروا الحفلات الدينيَّة التي اقامها فرنسيس في اوَّل الصوم من السنة ١٥٩٨ واذا بها تشبه ابهى واجلّ ما يُرى في المعاهد الكاثوليكيَّة فاثلج ذلك المنظر صدورهم وبلَّغوا الحبر الحبر الاعظم اقليميس الثامن الذي أثنى على هنَّة القديس اطيب الثناء

ومثلهُ اسقف جنيڤة كلود دي غرنيار فانهُ عظَّم الله وشكرهُ على ذاك الرسول المفضال الذي اقامهُ الله في ابرشيَّتهِ وردَّد كسمعان الشيخ قولهُ: « أطلق الآن يا ربّ عبدك بسلام لان عيناي ابصرتا خلاصك ». وفكَّر من ساعتهِ ان يختار فرنسيس كخلفهِ على كرسي جنيڤة. فما عرف القديس بفكر اسقفهِ حتى انطرح باكياً عند اقدامهِ طالباً بإلحاح ان لا يبهظ عاتقهُ بهذا العبء الثقيل الَّا انَّ الاسقف كان دبَّر الامر مع الكرسيّ الرسوليّ وسفيرهِ في باريس وصدَّق عليهِ امير ساڤوية مسروراً وارسل الحبر الاعظم البراءة المؤذنة بتسقيفهِ فلم يبقَ للقديس الَّا ان يُذعن لارادة الله وسيم اسقفاً نائباً ومساعداً سنة ١٥٩٨. غير انَّ تأثيرهُ بسبب هذا الانتخاب على خلاف رغبتهِ انهك قواهُ واوقعهُ بمرض عضال كاد يُودي بحياتهِ الثمينة وانَّما الله سمع توسُّلات شعبهِ الذي استحرَّ بالصلاة طالباً شفاء رسولهم فشفي بعد قليل على الرغم من قطع الرجاء عن شفائهِ. وما فتئ ان عاد الى اعمالهِ الرسوليَّة

وارسلهُ اسقفهُ الى رومية لحلّ بعض المشاكل فاستقبلهُ البابا اقليميس الثامن كاحد اولياء الله واطرأ بفضائلهِ الرسوليَّة وامتحن علمهُ الواسع امام اهل البلاط البابوي وعلماء حاشية الكثلكة فلم يدع حسن اجوبتهِ زيادةً لمستزيد. وهناك اجتمع فرنسيس بانوار الكنيسة كالطوباوي بلرمينوس والكردينال باروتيوس والمكرَّم انسيما

الاوراتوري وعاد الى سافوية مكرّرًا في طريقهِ زيارتهُ لسيّدة لورتو

واذ نشبت في تلك الفضون الحرب بين فرنسة وامير سافوية كان القديس كالحلقة الذهبية بين وطنهِ ومملكة فرنسة فعرف فضلهُ هنريكوس الرابع ومنحهُ ما شاء لصالح ابرشيَّة انسي وبلاد شبلاي

وكان القديس اذا وجد وقتاً من الفراغ يشتغل بالتأليف فوضع حينئذٍ كتابهُ المتين في المجادلات البروتستانيَّة الذي أيس المبتدعون من تفنيدهِ

في السنة ١٦٠٣ توفي اسقف جنيفة كلود غرنيار وبموتهِ عادت حقوق تدبير الابرشيَّة الى فرنسيس فجدَّد عزيمتهُ على ان يخدمها اخلص خدمة بعد ان كرَّسها للبتول العذراء في يوم عيد حبلها الطاهر من الدنس وهو اليوم الذي استلم تدبيرها. ولعمري انهُ قد قام بوعدهِ اتمَّ قيام فساس تلك الابرشيَّة الواسعة على مثال جهابذة الاساقفة الاوَّلين كالقديسين يوحنَّا فم الذهب وباسيليوس وامبروسيوس واوغسطين مزيّناً شخصهُ الكريم بكل الفضائل التي شرَّفت اولئك الكرام فعطَّر كل البلاد بشذاها الطيّب

وكان اوَّلما فكَّر فيهِ ان يزور تلك الابرشيَّة الواسعة حتى قراها ومزارعها ويُصلح كلَّ خللها ويداوي اسقامها. فكان الشعب يتراكض اليهِ حيثما سار ويرى في كلّ حركاتهِ وسكناتهِ اقتداءهُ التامَّ بسيرة السيّد المسيح وكانوا خصوصاً يتزاحمون في الكنائس لاستماع مواعظهِ وارشاداتهِ المملوءة علماً وتقًى. ولمَّا سار الى باريس لمواجهة الملك هنريكوس قامت المدينة وقعدت لحصولها على زيارتهِ وتنافست كنائس تلك العاصمة في دعوتهِ الى الوعظ فيها تباعاً فردَّ الى الايمان قوماً من سادةٍ وسيّدات كانت البدعة البروتستانيَّة اصطادتهم بحبائلها

وقد شملت عناية فرنسيس في زمن اسقفيَّتهِ كل طبقات رعاياهُ صغارًا وكبارًا فقراء واغنياء نساء ورجالًا اكليروساً وعالميين خصَّ كل قسماً منهم بما يحتاجهُ من المساعدات الروحيَّة والزمنيَّة وصرف نظرهُ خصوصاً الى الانحاء التي كان عدوّ الجنس البشري زرع فيها زؤانهُ ليقتلع اصولهُ الفاسدة. وقد اظهر الله غير مرَّة رضاهُ من اعمالهِ بما كان يسكب عليها من سوابغ النعم وفيض البركات

وكان اساقفة الابرشيَّات المجاورة لابرشيَّتهِ يدعونهُ لمساعدتهم في تقديس نفوس

رعاياهم بالرياضات والوعظ والتعليم فكان القديس يجيب بطيب الخاطر الى دعوتهم

ومن المآثر المعدودة المنسوبة اليهِ تحريضهُ للمؤمنين على المواظبة على الاسرار المقدَّسة ولاسيَّما المناولة المتواترة مناهضاً بفعلهِ البدعة الجنسيَّة وتعاليمها الفاسدة. وانَّما حملهُ على ذلك خصوصاً تعبُّدهُ لقلب يسوع الاقدس الذي كان مزمعاً ان يكشف عن قريب كنوزهُ غير المتناهية لاحدى راهبات رهبانيَّة الزيارة التي اهتمَّ بانشائها كما سترى. وترويجاً لعبادة القربان اقام في انحاء ابرشيَّتهِ شركاتٍ جعل غايتها اكرام السيِّد المسيح في قربانهِ. كما اهتمَّ في امكنة اخرى بتأليف اخويَّات لخدمة البتول الطاهرة. فتيَّرت كلَّ هذه المشروعات وجه ابرشيَّتهِ التي عُرفت مذ ذاك الحين بسباقها في ميدان الخير والصلاح

والى فرنسيس دي سال يعود الفضل في انشاء رهبانيَّة زيارة مريم العذراء المشار اليها والتي اولت كنيسة الله شرفاً اثيلاً بفضائل القديسة جان فرنسواز دي شنتال التي شاركتهُ في انشائها سنة ١٦١٠ وبفضائل عددٍ لا يُحصى من المترهبات فيها خصوصاً القديسة مرغريت ماري ألاكوك تلميذة القلب الاقدس وناشرة عبادتهِ فالقديس فرنسيس وضع لهنَّ قوانين مفعمة حكمةً وتُقًى. منهنَّ في لبنانا دير شهير في عينطورة قد سطَّر احد افاضل الآباء اللعازريين تاريخهُ في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٧٠٤—٧١٠)

واضاف فرنسيس الى اهتمامهِ بالنفوس عنايتهُ بتهذيب العقول فهو اوَّل من انشأ نادياً يجتمع فيهِ طالبو الآداب ليتباحثوا في المعارف والعلوم وقد دعا ذلك النادي «منتدى زهر الآداب» كان يقصدهُ الشبَّان لتثقيف عقولهم في صنوف العلوم كالفقه والفلسفة والرياضيَّات والطبيعيَّات فخرج منهُ عدَّة رجال عزَّزوا الآداب في مواطنهم

يصعب علينا في هذه الصفحات القليلة ان نعدِّد كلَّ اعمال القديس فرنسيس دي سال. بل ان نلمَّ بها الماماً فنكتفي بالقول انَّ في العشرين سنةً من اسقفيَّتهِ احاط نظرهُ بكل الاعمال الشريفة والمساعي الصالحة والمشروعات الخيريَّة لليتامى واللقطاء والعجزة والمنكوبين بالاوبئة والحروب والمجاعات فاطلق عليهِ معاصروهُ اسم الراعي الصالح والحبر الكامل والقديس الكبير ومغناطيس القلوب لا يقصد في كلِّ اعمالهِ غير حبهِ تعالى ومجدهِ الوحيد يحيا لله ومع الله ويتوق الى الموت ليحظى بربهِ الى الابد

وقد استجاب الله دعاء عبدهِ فمات شهيد الواجب وذلك انَّ اميرهُ طلب اليهِ ان يصحبهُ في سفرهِ الى فرنسة لمواجهة الملك هنريكوس فاجاب الى ملتمسهِ مع ما أُصيب بهِ من ضعف القوى وعلل شتى ولم ينقطع في طريقهِ عن خدمة النفوس والاعمال الرسوليَّة حتى اذا بلغ مدينة ليون خارت قواهُ تماماً ثم أُصيب بفالج فالتمس ان تُعطى لهُ كل اسرار البيعة فاقتبلها بكل هدوء واخذ يردّد آيات الشوق الى الله ورغبة التشبُّع بمشاهدتهِ واسلم الروح وعلى لسانهِ اسم يسوع المجيد وذلك في ٢٨ كانون الاول سنة ١٦٢٢ وهو في السادسة والخمسين من عمرهِ وكانت وفاتهُ في دير الآباء اليسوعيين

كان فرنسيس قد اجترح عجائب عديدة في حياتهِ على انهُ في موتهِ بشفاعتهِ عند الله قد اصطنع عدداً اوفر من الآيات وقد فحصها الكرسي الرسولي قانونيًّا فاعلن قداستهُ البابا اسكندر السابع سنة ١٦٦٥

﴿تآليفهُ﴾ لمن العجب العجاب انَّ فرنسيس مع كثرة اشغالهِ وجولانهِ في البلاد وتدبيرهِ لاعمال مختلفة قد صنَّف تآليف يبلغ مجموعها عشرين مجلَّداً بقطع كبير وصفحاتها تنيف على اربعين الفاً . فبعض هذه المصنَّفات عقائديَّة تبحث في حقائق الدين ومنها ادبيَّة في الفروض والواجبات . ومنها وعظيَّة كثيرة العدد . ومنها جداليَّة لتفنيد اضاليل المبتدعين . وبعضها نسكيَّة في كلّ فروع الكمال المسيحي والرهباني والكهنوتي كتآليفهِ في محبَّة الله وكتابهِ في الصليب . وقد اشتهر خصوصاً كتابه المعروف بمدخل العبادة الذي عرَّبهُ الاب بطرس فرومساج اليسوعيّ فتكرَّر طبعهُ في رومية وفي حلب وفي مطبعتنا الكاثوليكيَّة لرغبة الناس في تعاليمهِ الخلاصيَّة

وقد دفعت هذه التآليف العديدة الكرسي الرسولي على نظم القديس فرنسيس دي سال في جملة معلّمي الكنيسة وذلك ببراءة نشرها الطيّب الذكر بيوس التاسع وبهِ اصبح فرنسيس متوَّجاً باكليل القداسة والملفنة

فالشكر كل الشكر للكنيسة المقدَّسة التي ألفتت انظارنا في هذا العام الى هذين الكوكبين المنيرين ليعرف ابناؤها مجد اجدادهم ويجروا على امثالهم فيحيوا فضائلهم ومن اشبه أباهُ ما ظلم

خواطر مصيّف في لبنان

ملحوظات في الحالة الروحية في الجبل

للكاتب الاديب يوسف افندي مدوّر الماروني تريل القاهرة

بعد ان قضيتُ مدّة ثلاثة شهور من الصيف الماضي في لبنان المحبوب وتمتعت بهوائه المنعش، وروّيتُ من مائه البارد العذب، وهُنئتُ بالامن السائد فوق هاتيك الجبال وبين منعطفات الاودية وفي ما انبسط من السهول، ونعمتُ بالراحة والطمأنينة اللتين يشعر بهما من كانت قد اضنته جلبةُ المدن ومتاعب الاعمال فيتمنى لو طالت برهة الصيف وسمح له عمله ان يبقى هناك مدةً اطول ولاسيما في تشرين الاول حيث يكثر العنب ويطيب التين وتصبح المياه اكثر عذوبة ولذا تقول العامة : « اللي ما شبع من حليب امه يشبع من ميّة التشارين . وما بين تشرين وتشرين صيف ثاني » . ولكن هو الواجب علينا بمبارحة تلك البلاد الجميلة الى حيث تنتظرنا الاشغال وبنا ما بنا من الشوق والميل الى لبنان بل نحن نحسد سكان لبنان على ما عندهم من النعم ونعجب كل العجب من ان بعضهم تولّد فيهم حبُّ المهاجرة وتركوا هاتيك البقاع التي يغبطهم بنعمتها سكان البلاد المجاورة

بعد كل هذا احببتُ ان اكتب كلمة في ما شاهدته من التغيُّر والتأخر في الامور المتعلقة بالواجبات الدينية . وان قيل ان هذا الامر ليس من شأني لاني لست اكليريكيًا ولا كاهنًا أجبتُ ان الغيرة على الدين فرضٌ على كل احد لا يُعفى منه لا الاكليريكي ولا العالمي

واني اقسم مقالي الى قسمين : ١ً حالة المعابد والكنائس في الجبل . ٢ً حالة الشعب الروحية .

اولًا حالة الكنائس في الجبل

يظهر ان الخراب المادّي الذي انزلته الحرب بالبلاد كان له القسم الوافر من

التأثير على الكنائس ايضاً . فانك لو دخلت بعض الكنائس في لبنان لا تشاهد فيها النظافة الواجبة لبيت الله ، ولاتشعر فيها بالخشوع الذي يجب ان تشعر به عند دخولك الى معبد ما ، بل يحسُّ الناظر بوحشة ونفور لِما يقع عليه نظره من عدم الترتيب وعدم الاهتمام في تنظيم الهياكل وتزيينها بل يرى نسيج العنكبوت معقوداً سرادقات في منعطفات الحنايا والزوايا ، والمقاعد مبدّدة على غير ما نظام . وهنا قلتُ عندما دخلت احدى الكنائس وشاهدت المقاعد فيها مبعثرة ومقلوبة وبعضها مكسّر : «ما احسن ايام ما كانت الناس تركع على الارض العارية وبعضهم يجثو على «طرّاحة» صغيرة ، ايام كانت الشعرة تفصل بين الرجال والنساء ولم يكن للمقاعد شأن . . »

لاح لي ان في بعض الجهات اظهاراً للاكرام والعبادة يكثرون من رصف صور القديسين بعضها بجانب بعض على درجات المذبح العليا يميناً وشمالاً ، ويا ليتها كانت موضوعة وضعاً مرتباً ، اذ بينها الكبيرة والصغيرة والتي من دون إطار والمقطوع منها جزء والمكسور قطعة من زجاجها الخ الخ . ولست اجد داعياً ولا مسوغاً لرصف الصور على جانبي المذبح . وقد شاهدت وانا اتجوّل في انحاء الجبل في كل كنيسة عدداً كبيراً من الصور معلّقة على الجدران لكن بطريقة خالية من سلامة الذوق ولطافة الترتيب مما لا يهيب بالقلب الى الخشوع . واغرب من هذا انهم في بعض الامكنة يدّعون امام الصورة او التمثال كل ما يُقدَّم لهُ من النذور مهما كان نوعها . نعم لا مانع من وضع ما يقدّمه المؤمنون من الدمى والادوات والحلى في علبة زجاجيّة بجانب الصورة المقدمة تلك هدايا للقديس صاحبها اظهاراً لعاطفة الشكر على النعم واستدراراً لغيرها ، ولكن ربطُ الشمعة مثلاً في ذراع التمثال او تعليق صرّة البخور وما شابهها بجانبه ليس من سلامة الذوق ولا من امارات التمدّن

وبعض الكنائس ليس لها موفه (سكرستيّة) إمّا بسبب الاهمال وإما للفقر وعدم المقدرة على بنيان الموفه ، فتجد آنية التقديس وأدوات الزينة مبعثرة مشتتة هنا وهناك وقد علاها الغبار وامست في حالة لا تليق بخدمة الجلال الالهي . امّا كتب الصلوات الطقسيّة فلا تسلْ عن حالها ، منها المخلّع المتطايرة اوراقه والذي نخر اوراقه العثّ وكلها مشتتة على المنضدة التي يدعونها «بالقرّاية» فوقها وتحتها وقد لعبت بتلك الكتب ايدي الصبيان فاتلفتها

امّا عن ملابس التقديس واغطية المذابح فالسكوت أولى لانّ الكلام عن هذين الشيئين لمؤثر جدًا. اخبرني أحد الكهنة الاجانب الذين جاؤوا الى لبنان في الصيف الماضي قال: «ذهبت صباح يوم لاتلو قداسي في كنيسة القرية فما اشدّ ما كان عجبي اذ لم اجد بين ملابس التقديس «كتونة» نظيفة تصلح لان البسها ، ناهيك بالقطع الصغيرة كالنصيف والصمدة والمنشفة، ولكن ، ربك رحيم ، كنت جلبت معي كتونة خاصة بي فارتديتها وقطعُ التنشيف معي اينما توجهت فلم احفل بسواها. واذ رأيت ما يعلو اغطية المذبح من الاقذار عوّلت على ان اجلب معي في اليوم التالي غطاء افرشه حين قداسي ، وعلى هذا النحو سرتُ حتى بارحت القرية »

هذا جزء من كثير مما يشاهد في كنائس لبنان من عدم الاعتناء بالنظافة والترتيب . وقولي هذا يتناول كثيرًا من قرى الجبل . ولست انكر ان هنالك كنائس يسود فيها النظام وتتجلى فيها النظافة غير انّ حالة كثير غيرها لمّا يستدعي الاسف

ولا يقولنّ القارئ: هو الفقر «سبب كل علة». كلّا يا مولاي: الفقر والحاجة شيء والاهمال وعدم الاعتناء شيء آخر. فاذا كنت فقيرًا ولا يمكنك ان ترتدي ثوبًا ثمينًا فالثوب البسيط الرخيص الثمن الذي عليك تقدر ان تحافظ على نظافته بان تتعهده بالغسل والتنظيف من آن الى آخر. وعليه فليسمح لي كهنة الرعايا والمتولون الوكالة على الكنائس ان اقول لهم ان ليس لهم ولا ادنى عذر في تركهم الكنائس على تلك الحال التي تجعل الاجنبي يسخر بنا ويهزأ بآدابنا

سمعتُ شبان احدى القرى يتحدثون في جمع مبلغ من النقود يضيفونه الى ما في صندوق الكنيسة من المال ليشتروا جرسًا كبيرًا عوض الجرس الحالي. فنظرتُ الى الكنيسة في داخلها فوجدتها محتاجة الى كثير من الامتعة التي هي اكثر اهميةً من تكبير الجرس. اي نعم اني قد لاحظت في جهات كثيرة من لبنان كنائس يعلوها جرس قنطاري وما ينيف عن القنطار وبعضها ذات جرسين وثلاثة ولكنها في الداخل خالية من ادوات الزينة مفتقرة الى آنية تليق التقديس وليس من ينظر الى هذه الحالة السيئة! اذًا ليس للفقر مجال في ما نحن في صدده

فعلى اللبنانيين اذًا ان يمعنوا النظر في الحالة التي صارت اليها كنائسهم وكما انهم

مهتمون في تحسين حالة المصايف ليؤمّ الى جبلهم الاجانب فيجدوا ما تطيب اليه نفوسهم من وسائل الراحة هكذا يجب عليهم ان يُعنوا بتنظيف كنائسهم وتزيينها بكل ما يقدرون عليه فان النظافة والنظام يسدّان ما هنالك من النقص في الادوات والتحف الثمينة . ان بين المصيفين الاجانب كثيرين ممّن هم عريقون في الدين يقومون باتمام واجباتهم نحوه في اوانها . فاذا جاؤوا الكنيسة ووجدوها على الحالة التي وجدنا فيها كنائس بعض قرى لبنان هذه السنة فما يقولون ؟ واية افكار تخطر لهم وهم يعلمون ان الموارنة راسخو القدم في الكثلكة ! أعلى هذه الحالة تكون معابد الكاثوليك ؟ . . .

ثانياً حالة الشعب الروحية

اردنا في المدة التي اقمناها بين ظهراني اللبنانيين وتجوّلنا في انحاء الجبل ان ننظر في الاعمال التقوية والواجبات الدينية وما صار اليها امرها بعد هاتيك الحرب الطاحنة التي نال لبنان من كوارثها مع بُعده عن ساحاتها ما اصاب غيره من البلدان الاخرى حيث كانت الجيوش تتطاحن وتجتاح الارض بخيلها ورجلها ، فماذا وجدنا ؟ رأينا والاسف ملء الفؤاد ان الحالة الدينية في بعض قرى الجبل منحطّة واي انحطاط ! لاحظنا ان الكثيرين ما عادوا يهتمون لحضور القداس ايام الآحاد والاعياد وان هم ساروا الى الكنيسة في مثل هذه الايام فعلى سبيل العادة فقط . لم نجد سوى النزر اليسير من اولئك يحترمون المعابد ! ولم تعد للكهنة حرمةٌ وإهابة لدى الشبان بل لدى الكهول والشيوخ ايضاً . وقليلون ايضاً بل قليلون جداً هم الذين يقتربون من منبر التوبة وبالتالي من المائدة السرّية وجلّهم ان لم اقل كلهم من النساء . ولم يكن من يتناول التناول اليومي تكراراً سوى بعض الفتيان والفتيات من تلاميذ المدارس الذين ما برح لارشاد ونصائح رئيس المدرسة صدًى في قلوبهم يدفعهم الى اقتبال سرّ المحبة العظيم . واما الرجال والشبان والانسات في القرى فقد صار قسمٌ منهم الى حالة سيئة من الفتور واهمال الفروض الدينية . لم نجد في جهة مصيفنا في كسروان سوى اخويتين لقلب يسوع الاقدس وبعض اخويات الميتة الصالحة هي اسم لغير مسمّى اذ انها لا تضمّ الا بضع عجائز النساء اللواتي اذا اجتمعن لتلاوة الفرض لا يعرفنَ كيفية ذلك

سُرنا ايَّ سرور لمـا امر غبطة السيد البطريرك بتكريس الطائفة المارونيـة للقلب الاقـدس بنوع احتفالي وبتجديد هذا التكريس سنويًا ومع ذلك لم نجد في قرى لبنان المارونيَّة اخويات منضمَّة تحت لواء القلب الالهي تُعنى باقامة ساعة السجود التكنيرية ويتقدم افرادها من المناولة التعويضية في الجمعـة الاولى من كل شهر . ليس شيء من ذلك في الجهات التي عرفناها من لبنـان . وقـد كان في بعض قرى كسروان قبل الحرب اخويات على اسم الجبل بلا دنس وكانت تضمُّ عددًا غفيرًا من الرجال والنساء فجاءت الحرب واكلت الاخضر قبل اليابس فانفرط عقد تلك الجمعيات التقوية ! والآن وقد عادت المياه الى مجاريها واضحت الناس في بحبوحة من النعم قد لحظنا مع الاسف انهُ لم يوجد الَّا قليلون اهتمُّوا باعادة تنظيم الاخويات والجمعيات التي كانت فيما سلف من الايام تنشر الثمار اليانعة في حديقة الدين في لبنان ! . . .

والذي زاد في استغرابنا انما هو الاهمال الذي استولى على بعض آبائنا الكهنـة خدمة الرعايا في لبنان . كنا نتمنى ان نحضر زياح القربان الاقدس ايام الآحاد والاعياد فلم نكن نحصل على مشتهانا لانهم ابطلوا هذه العبادة ولم يعودوا يحفلون بها

انه من جملة اوامر السيد البطريرك لكهنة الرعايا ان يقيموا الصلاة الفرضية جهوريًا في مساء كل احد وعيد بطالة ولاسيما في مساء الاعياد الكبيرة . وقد كان قبل الحرب لبعض القرى شهرة عظيمة بهذا الامر من حيث اقامة الصلوات الطقسية في اوقاتها مساء العيد وصباحهُ . امَّا اليوم فكما قلت سلفًا ان كتب الصلوات ليس لها من يفتحها وقد نخرها العث وعلاها الغبار وحاكت عليها العناكب نسيجها . وامسى الاحتفال بالعيد عند اخواننا اللبنانيين قائمًا بقرع الجرس ابتداء من قبل ظهر بيومين العيـد حتى ظهر اليوم التالي بنوع متواصـل على وجه التقريب حتى تصمَّ الآذان ويشمئزّ السامعون من صوت الجرس الامر الذي لا يجري في جهة ما من بلاد النصارى سوى لبنان . اي نعم ان الجرس اصبح لعبةَ الشبان . وممَّا دلَّني على استيلاء الشبان على جرس الكنيسة انهم قبل دنوّ يوم العيد يرقون سطح الكنيسة وهناك يعالجون الجرس مغيّرين له تركيبه او يثقلون «قرمته» او يحلّون سير مضربته وامور اخرى يعرفونها هم حتى يصعب دقُّه ولا يعود «يربّع» الَّا بشقّ النفس وبكبير عناء . ولمَ كل ذلك ؟ لكي يختبروا بعضهم بعضًا فيعرفون من هو القوي الصنديد بينهم وبين شبان القرى

المجاورة الذين يقصدون خصيصاً (لتجربة الجرس)

وعليه فلم يعد الجرس جزءاً من الكنيسة يُقرَع لاستدعاء الشعب بل بات العوبةً في ايدي الشبان وليس ثمّت رادعٌ يردع

وكم من المرات كان الجرس سبباً للنزاع والقتال بين هؤلاء الشبان المتهوّسين فأدّى بهم الخصام الى اشهار السلاح واطلاق الرصاص وتدنيس الكنائس بالشتائم والالفاظ البذيئة وتحويل العيد الى مأتم يسود فيه العويل والنحيب. ولنا بحوادث عشقوت وريفون وقتيل كفرتيه منذ سنتين عبرة وذكرى!..

ولمّا شاهدت هذا الامر العائب سألت: أما من احد ينهي هؤلاء الاغرار عن عملهم؟ ولِمَ لا يوقفهم عند حدودهم كاهن الرعية؟ فأجابني رجل مسنّ: «لم يعد يؤثر في شبان اليوم لا امر الكاهن ولا نصيحة كبير، فحذارِ من ان يسمعك احد منهم فيهينك...» (قلت) فما دام الامر على هذا المنوال لم يبقَ الّا ان تتداخل الحكومة في الحالة وتمنع بقوة رجالها (الامناء) الشبان من قرع الجرس في الاعياد الّا في اوقات استدعاء الشعب الى الكنيسة فتكفي القريةَ مئةُ دق الجرس ونتيجته الوخيمة.

والآن تُرى أتوجد طريقة لاصلاح الفاسد وتقويم الاعوجاج؟ وهل من دواء لهذه الادواء الدينية والادبية؟ أجل، ان العلة لم تستعص بعد والداء ليس بالمزمن فمن السهل استئصاله واصلاح ما افسد. وما الدواء الّا نفخ روح الدين واذكاء ناره في القلوب الفاترة بتأسيس الاخويات الدينية للرجال والنساء وانشاء الجمعيات التقوية للشبان والعمل على ترقية الاخلاق بافتتاح نادٍ ادبيّ في كل قرية كبيرة يختلف اليه رجالها وشبانها حيث يلقي عليهم كاهن عالم او شاب متعلّم محاضرات في المواضيع التي من شأنها ان تميل بهم عن اللهو والاباطيل الى توسيع معارفهم فيقلعون عن تلك عاداتهم الغير المستحسنة ان لم نقل السيئة، وقد لا تخلو قرية، والحمد لله، من عدد غير قليل من هذه الناشئة الناهضة فعلى مثل هؤلاء مهمّة اصلاح اخوانهم وتقويم معوجهم

وهنالك عادة اخرى قبيحة منتشرة الّا انها قديمة العهد فقد عرفناها من قبل الحرب ألا وهي اجتماع الباعة على اختلاف انواعهم في عيد شفيع القرية فيفرشون بضاعتهم وصناديقهم في ساحة الكنيسة وامام ابوابها وبينهم بائع الحلوى وبائع

الاحذية وبائع الفاكهة وصاحب اليانصيب واللاعب «بالنمر» . والذي نعرفه ان هذين النوعين ضرب من المقامرة وقد حرّمتهما الحكومة المصرية فمن يُضبَط وهو حامل « قرش اليانصيب او كيس النمر » ينَلهُ الجزاء الصارم . فما بال الحكومة اللبنانية قد غضّت الطرف عن ذينك اللعبين؟ . قلتُ ان هؤلاء الباعة يجتمعون امام ابواب الكنيسة فيضايقون المارّة والزائرين ويحوّلون ساحة الكنيسة الى سوق عومية ويعمي العيد اذ ذاك موسماً تباع فيه السلع لا عيدًا للقديس شفيع القرية ولا فرصةً لتقديم الاكرام له وطلب شفاعته . ولن اكون مبالغاً إن قلتُ ان اصوات الباعة ومناداتهم كانت تغلب على اصوات المرتلين القائمين بخدمة القداس ! لعمري انه يلزم لهؤلاء الباعة تلك المقرعة التي جرّدها السيد المسيح على زملائهم في هيكل اورشليم قائلًا لهم : بيتي بيت الصلاة . وانتم جعلتموه مغارةً للصوص !

امام كل كنيسة في القرى خلا باحتها القريبة ساحة كبرى خارج السور . أفلا يحسن باولئك الباعين والتجار المتنقلين ان يبسطوا سلعهم هناك بعيدين عن ابواب المعبد ؟ . ومما يستدعي العجب انه لم يوجد بين اكابر القرية واحد استفزّته الحمية الى ابعاد تلك الغوغاء والضوضاء عن الكنيسة اقلّه ساعة الصلاة !!!

فالعمل على إبعاد هذا الحيف عن امكنة العبادة انما هو من واجبات الحكومة ايضاً بان تأمر رجالها بابعاد الباعة عن حوش الكنيسة محافظةً على كرامة المقام وإراحة للمصلين والزائرين كما ترى في البلاد المتمدنة حتى في مصر اذ ترسل مديرية الشرطة ايام الاحاد والاعياد نفرًا من رجالها يقف امام كل كنيسة ومن واجباته المحافظة على السكون ومنع الغوغاء من الدنوّ من المكان

وهنا قبل ختام هذه العجالة لي كلمة بعد في الطقوس الكنائسية واعني بها المارونية لانها الاعمّ في لبنان . فقد حضرت كثيرًا من الاحتفالات البيعية والقداسات الجبرية والاحتفالية غير الجبرية فلم اشاهد في بعضها ما يسمّى وحدة الطقوس

ان للموارنة مئاتٍ للطقسيات منشورة بالطبع غير انهم لا يتبعون في احتفالاتهم نصّ هذه المئاتٍ بل ترى منهم من يعمل ما يتراءى له ولا يبالي بترتيبات الطقس حتى صار لكل كنيسة او لكل قرية طقس ورتب خاصّة بها فامتنعت بذلك وحدة الطقوس

اما المرتلون الذين يقومون بخدمة الاحتفالات فغاية ما يُقال عنهم انهم «بابل» بعينها. لم نسمع في بعض الكنائس مرتلاً متقناً للانغام الكنائسية وليس ثمَّت اثنان يوافقان بعضهما في الانشاد بل امسى الترتيل البيعي فرصة للغواة والمدّعين لاظهار براعتهم ولا رابطة لانشادهم بل «اصبح كلّ يدّعي في معرفة الانغام الامامة ويلبس العمامة» (مقدمة قسطاس المزامير للخوري ج. عزيز) فاختلّ بذلك نظام الطقوس وذهب قوامها ورونقها لاسيما بما يخترعه المرتلون من الاناشيد ذات الالحان العالمية. وقد بلغني ان في غزير جوقةً مؤلفة للقيام بانشاد خدمة القداس الالهي فقصدت استماعها لاختبار مقدرتها في هذا الفن فوجدتها لا بأس فيها على انه يلزم افراد تلك الجوقة شدّة الاعتناء في التوقيع وان يمتنعوا عن التطرف في انشاد بعض المقالات موقعةً توقيعاً عالميًّا. بيد ان هذه الجوقة تدلّ على وجود بعض الاهتمام في الطقوس وقد تبشر بنتيجة حسنة اذا ما اقتدى بها سائر القرى وتألف في كلٍ منها فرقة من الغلمان والشبّان للتمرّن على الالحان الكنائسية بطريقة مضبوطة مع المحافظة على الروح الطقسية

وخلاصة القول ان الطقس الماروني آئل الى الاضمحلال بعد التبلبُل اذا لم يتعهده الرؤساء بعناية خاصة فيعملون على تعليمه في المدارس تعليماً كليًّا نظير كل علم من العلوم وكما ان المدارس تخصص جائزة لكل بارع في علم ما هكذا فلتخصص جوائز للمبرزين في معرفة الطقوس البيعية واتقان الحانها

هذا ما عنّ لي نشره عمّا شاهدت في الوطن العزيز من التأخر في الامور الروحية. وعليم هو الله باني ما قصدت في كلامي الانتقاد محبةً بالانتقاد ولا للتشفي من غيظ وكره فانا ماروني صميم محب للمارونية غيور على سمعتها وهذه هي العاطفة الوحيدة التي دفعتني الى الكتابة اظهاراً للنقص والعيب حتى اذا باناً وعُرف مكانهما امكن اصلاحهما، والرب عليم بالسرائر

— المشرق — نثني على كاتب هذه المقالة ونستوقف انظار اللبنانيين عموماً وكهنتهم خصوصاً ليعيروها بالاً فيرون أن يكون لبنان مع جماله الطبيعي وايمان اهله موضوعاً لانتقاد الاجانب والمسيئين في ربوعه من حيث قلّة اكتراثهم لامور دينهم ونظام كنائسهم وحسن قيامهم بالرتب الطقسية. أفيليق ان تكون بيوت الخاصة انظف واحسن هنداماً من بيت الله. فليحرص اذن اهل لبنان على شرفهم ويظهروا وطنيتهم قبل كلّ بسعيهم في كل ما ينوط بخدمته تعالى وكرامة دينهم وفقاً لما ورد في المجمع اللبناني ومناشير البطاركة الأجلاء من الترتيبات اليعيّة

دفائن الخزائن

لجناب الاديب حبيب افندي الزيّات (تابع)

٢ وصف للمذاهب الملكيّة والنسطورية واليعقوبيّة

لثاودورس ابي قرّة الملكي وعبد يشوع الصوباوي النسطوري وابي رايطة اليعقوبي

رجح كل منهم مذهبهُ دون اعتراض على الآخر

في المكتبة الوطنية بباريس مجموع موسوم بالعدد ٨٢ مخطوط في ٢٠٠ ورقة ناقص من اوله وآخره وبالتالي غُفل من التاريخ كُتب على الصفحة الاولى منهُ بخط احدث من خطوط سائر الكتاب ما نصهُ بلهجتهِ العامية : « كتاب مجموع من اقوال الانبياء من تفسير التوراة من ابو البركات المعتبر ومن آبائنا الرسل ومجادلات في التوحيد لايشوع النسطوري وابو قرة الاستف الملكي وابو رايطة اليعقوبي في الاعتقادات والملل ومن الشيخ ابو الفتح عبدالله بن الفضل وغيره »

وبدء الكتاب : « قال الله لنوح اعمل لك سفينة من خشب ساج قدّام قايين وقومهِ لعل يرجعوا عن خطاياهم وعن عصيانهم الماشيين فيهِ . . . » وبقية الكتاب بخط اقدم لغاية صفحة ٧٢

وفي الورقة ٧٣ « مختصر مسائل واجوبة تكلم بها طيموثاوس الجاثليق في مجلس امير المؤمنين المهدي مرات متفرقة » وهي ٢٧ مسئلة في ٢١ ورقة (٧٣—٩٤) وقد نشرها المشرق (١٩[١٩٢١] : ٣٥٩ ; ٤٠٨)

وفي الصفحة (٩٨—١٠٠) مقالة في الردّ على المنجّمين للشيخ ابي الفتح عبد الله بن الفضل الانطاكي ويتلوها كلام لهُ ايضاً فيما يظهر « في صدور الامور عن مسرّة الله وسياستهِ مع تخليه؟ » (ص ١٠٠—١٠١) يتبعهُ فصل وجيز في تأويل قولهِ « ابي الذي هو ابوكم » وبعد ذلك « نسخة رسالة كتبها مار ايليا مطران نصيبين » للوزير ابي القاسم الحسين بن علي المغربي في نوع الثالوث والتوحيد والتجسد (ص ١٣٨—١٤٤) ناقصة من آخرها . وختام المجموع « كتاب السياسة لارسطاطاليس » (ص ١٥٩—٢٠٠) غير كامل

واهمُّ ما في هذا المخطوط وصفٌ للمذاهب الملكية والنسطورية واليعقوبية

(ص ٩٥—٩٧) غريب في بابه ولا نظن انهُ طُبع قبل اليوم . نقصد بنشره خاصةً الاعانة على جمع آثار اسقف حرّان ثاودورس ابي قرة الملكي . وهذا نص ما جاء فيه بالحرف الواحد

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

قيل ان عبد ايشوع المطران النسطوري وابو قرة الاسقف الملكي وابو رايطة اليعقوبي اجتمعوا عند احد الوزراء فطلب منهم ان يصف كل واحد منهم اعتقاده بقول موجز ولا يعترض احد منهم على صاحبه

﴿فقال النسطوري﴾ : «اقول ان المسيح شخصان شخص لم يزل مولوداً من الآب مساوياً لهُ في طبيعته وجميع صفاته . وشخص انسي مُقتضَب من مريم مساوٍ لجميع الاشخاص الانسية ما خلا اختلاف الخطيئة وان اسم (ܡܫܝܚܐ) المسيح لا يقع على احد الشخصين دون الآخر بل عليهما جميعاً فالمسيح شخصان وطبيعتان إله وانسان . والبرهان على ذلك انّا وجدنا الاشياء اذا اقترنت كانت لا محالة واقعة على جوهر او عرض ولا يخلو ذلك الوقوع ان يكون عامّياً او خاصّياً . وقد اتفقنا ان المسيح ليس بعرض ولا محالة انه جوهر . ووجدنا الجوهر ليس يخلو ان يكون عامّياً او خاصّياً فان كانت الاسماء الواقعة عليهِ وقوعاً مختلفاً من إله وانسان واقعة من طريق جوهر عامّي لزم ان يكون اسم المسيح يعمّ الاب والابن والروح القدس (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) ويعم الناس جميعاً . ولمّا استحال ذلك ثبت ان الاسماء المختلفة انما وقعت على ذات الاشخاص . وهذا يلزمهُ انهُ جوهران شخصان خاصيان جوهر إلهي وجوهر انسي

﴿وقال الملكي﴾ : «اقول ان المسيح شخص واحد وطبيعتان الهية وانسية . فهو بالالهية اله وبالانسية انسان . وهو شخص واحد اله وانسان من جهتين مختلفتين . والبرهان على ذلك انّا قد اتفقنا على ان المسيح واحد اله بالطبيعة وانسان بالطبيعة . ولا يخلو ان يكون الذي هو (ܐܠܗܐ ܒܛܒܝܥܬܐ) الاله بالطبيعة هو الذي هو انسان بالطبيعة او هو غيرهُ . فان كان هو وجب ان يكون شخصاً واحداً الهاً في طبيعته وانساناً في طبيعته وهذا قولنا وان كان الذي هو الاله بالطبيعة غير الذي هو انسان بالطبيعة وكان

هو الاله بالطبيعة هو ابن الله الازلي وكان المسيح إلهاً في طبيعتهِ كان المسيح غير ابن الله . وابن الله غير المسيح وهذا نقض ما عليهِ النصرانيَّة .

﴿وقال اليعقوبي﴾: «أذهب الى ان المسيح شخص واحد طبيعة واحدة (f°96,v°) إلهية انسية لاني ازعم ان الشخص الالهي اتحد بالانسي اتحاداً يزيل التفرقة تسميةً ومعنًى . فهو شخص واحد طبيعة واحدة . والبرهان على ذلك انا قد اتفقنا على ان المسيح واحد في العدد . ووجدنا الواحد في المنطق لا يخلو ان يكون شخصاً او نوعاً او جنساً . ولما استحال بالمقاييس ان يكون المسيح واحداً جنساً او نوعاً بقي ان يكون شخصاً واحداً وطبيعة واحدة . وايضاً لمَّا وجدنا العدد انما يقع على الامور المنفردة بخواصها التي هي اشخاص ووجدنا الشخص الازلي متحداً بالشخص (f°,97,°) الزمني منذ كونهِ استحال منهما الافتراق تسميةً ومعنًى . ولما ارتفع الافتراق بطل اثبات العدد لبطلان علَّتهِ . ولو كان في حال الافتراق اثنين وفي حال الاتحاد اثنين لكان حالُ الاتحاد في حال الافتراق وحالُ الافتراق في حال الاتحاد وهذا محال للتسمية والمعنى .

فاستحسن الوزير ما اتوا بهِ وصرفهم مكرمين . ولله الشكر دائماً (f° 97,v°)

تنبيه للمشرف

في وصف النسطوري واليعقوبيّ لبدعتهما نظر فانَّ النسطوري بجعلهِ السيّد المسيح شخصين قائمين بذاتهما يُبطل كلّ سرّ الفداء اذ يجعل الاتحاد بينهما عرضيًّا فلا يختلف المسيح عن بقيّة الانبياء الذين حلّ فيهم روح الله الَّا اختلافاً قليلًا ولا يمكن ان تُنسب اليهِ افعالهُ الالهيَّة والانسانيَّة كما ترى ذلك في كلّ صفحات الانجيل فانَّهُ هو الاله الذي وحدهُ يبرز كل اعمالهِ بعضها بطبيعتهِ الالهيَّة وبعضها بالانسانيَّة كما تُنسب اعمال الانسان الى شخصهِ وان تنوَّعت فبعضها يصدر من قواهُ الجسديَّة وبعضها من العقليَّة فيقول: أنا افطن وأعقل واشاء كما يقول: انا آكل واشرب وانام . ولم المسيح يُطلق على هذا الاقنوم الوحيد العامل بطبيعتَيهِ

وكذا اليعقوبيّ مُخطئ بقولهِ عن المسيح انهُ طبيعة واحدة وان اصاب بقولهِ انهُ شخص واحد . لأنَّ السيد المسيح يعمل اعمالًا لا يمكن ان تقع منهُ كإلهٍ فانَّهُ بهذه الصفة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يموت . وكذلك لهُ اعمال غيرها لا يقوم

بها الانسان وحدهُ كاحيائهِ للموتى وقيامتهِ من الموت وصعودهِ الى السماء . فلا بُدَّ اذن من افراز الطبيعتين دون مزجهما في شخصهِ الواحد العامل بهما . على انَّ في قول اليعقوبي ما يشير الى ذلك ضمناً وان يخالفهُ علناً وذلك بقولهِ « انَّ المسيح طبيعة واحدة الهيَّة انسيَّة » فانَّ قولهُ « الهيَّة انسيَّة » يقتضي وجود طبيعتين لا طبيعة واحدة لاختلاف اعمالها اختلافاً جوهرياً . فالملكي اذن هو المحقّ بقولهِ انَّ المسيح شخص واحد بطبيعتين الهيَّة وانسانيَّة وهو اعتقاد الكنيسة الكاثوليكيَّة لم تحدْ عنهُ منذ عهد الرُّسل

٣ استخراج الدهن من جثث الموتى بمصر في عهد دولة المماليك

ذكرت الصحف الاوربية في ابان الحرب الاخيرة ان الالمان لمَّا اعوزهم الدهن لانقطاع وروده من الخارج بحصار الحلفاء لهم برًّا وبحرًا عمدوا الى جُثث القتلى عندهم فكانوا يُغلون عليها الماء حتى ينحلَّ ما بها من الدهن ويطفو فيجمعونهُ ويستعملونهُ في حاجاتهم . وقد عَلَت وقتئذٍ ضجَّة الاشمئزاز من استباحتهم مثل هذه المحارم الشنيعة وعُدَّت من جملة فظائعهم ومخترعاتهم القبيحة . على انهم والحق يقال ليسوا اوَّل مَن سنَّ هذه المخزية وابتدع هذه الفاحشة . ولا يخلو ان يكونوا قد تلقَّنوها عن احد علماء المشرقيات عندهم ممن طالع خبرها كما طالعتهُ في بعض المخطوطات العربية المصرية . فقد ذكر المقريزي في جملة الطُرف والغرائب التي شحن بها كتابهُ المخطوط « السلوك لمعرفة دُوَل الملوك » حتى جاء كأنهُ احدى جرائد اليوم في ذلك العصر ما يأتي في حوادث مصر في شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وثمانمائة (١٤٢٥م) قال :

« في هذه الايام عثر بعض الناس بجماعة خزلوا من رِمَم بني آدم شيئاً كثيرًا فحُملوا الى الوالي فما زال بهم حتى اقرُّوا انهم ينبشون الاموات من قبورهم ثم يغلون الميت في الماء بنار شديدة حتى يتهرَّى لحمهُ فيجمعون ما يطفو الماء من الدهن ثم يبيعونهُ للفرنج بخمسة وعشرين دينارًا القنطار . فعُجبوا وفُشي خبرهم بعد ما شاهد الناس رِمَم الموتى والاواني بها الدهن . وحُملت الى السلطان حتى رآها وشُقَّ بها القاهرة » (١

(١) المجلد الثاني من السلوك رقم ١٧٢٧ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس (ص ٣٦٠)

ونكتة هذه النادرة الحرية بالتسجيل في تاريخ تجارة مصر قولهُ «ثم يبيعونهُ للفرنج» ولا شك انهم كانوا يرون ان في حصر بيعهِ للفرنج الكفّار كفّارةً عن هذا الاثم فضلاً عمّا وراءهُ من الربح. وحبّذا لو كان المقريزي نصّ على جنس هؤلاء الفرنج المفرنجين كعادتهِ غالباً في تسميتهم في تاريخه بين جَنَوية وبنادقة وجُرجان وقبارصة وكتَلان او كتيلان وهم فرنج برشلونة (Catalans de Barcelone). ولعلّ الالمان كانوا وقتئذٍ من جملة أكَلة هذا الدهن البشري ولذلك تنبَّه ذكرهُ في أمعائهم لما عضّتهم الحرب الضروس بانيابها والجأهم الجوع الى مراجعة محفوظاتهم التاريخيّة وذخائرهم الصناعية

بين المشرق والسائح

مقدمة

وقف حضرة مدرّس الخطابة في كليّتنا على ما كتبهُ عبد المسيح افندي حدّاد في جريدة السائح التركيّة عن انتقادنا لكتاب جبران افندي خليل جبران المعنون بالبدائع والطرائف فعرض على تلامذتهِ بعد ان اطلعهم على مقالة المشرق وردّ السائح ان يكتبوا فصلاً انتقاديًّا فيها ليمتادوا فنّ الانتقاد الادبيّ والبيانيّ. فوجدنا في ما كتبهُ البعض منهم دليلًا على حصافة عقلهم وشاهدًا على براعتهم في الانشاء بلغتنا العربيّة فاخترنا انتقاد اثنين منهم تنشيطًا لصفّهم

ل. ش

انتقاد اوّل

بقلم التلميذ الاديب فؤاد افرام البستاني

ظهر في اوائل الصيف الماضي كتاب لجبران خليل جبران دُعي «البدائع والطرائف»

تلقّت الجرائد هذا الكتاب — والجرائد قوام الحركة الادبية عندنا — فكان موقفها إزاءه موقفها إزاء كل كتاب جديد يأتيها على سبيل الهدية. اجترأ اكثرها

بقراءة العنوان فطبّلت وزمّرت بذكره وكتبت في تقريظه العواميد الطويلة « معجبة بخيال الكاتب ومقدرته الفائقة وافكاره السامية ما جعل كتابهُ مدرسةً للآداب وواسطةً لتهذيب الاخلاق واصلاح المجتمع . . . » الى غير ذلك من القوالب الفارغة المبتذلة لكثرة الاستعمال ، والتي تجدها مرصوفة على منضدة اكثرية صُحفينا استعداداً لتقريظ كتاب جديد

كتبوا ومدحوا وقرّظوا واكثرهم لم يقرأ بإمعان ما حاول تقريظهُ . ولِمَ كلُّ هذا الاندفاع ؟

لان مؤلف الكتاب جبران خليل جبران . . .

جبران خليل جبران شاعر رسّام بارع ولبنٌ تدير واحد حملة القلم العربي في هذا العصر ولكن كتابه « البدائع والطرائف » يجمع بين الـدرّة والبعرة ومع بدائعهِ التوافه والسفاسف

اذن كان الواجب على جرائدنا ان تحكم فيهِ حكماً منصفاً – وهو امرٌ لم تألفه – ولهذا ظلت تتناقل التقاريظ الفارغة حتى ظهر عدد تموز الاخير من مجلة المشرق واذا فيه انتقاد مفصّل لحضرة مديرها بيّن فيهِ ان « البدائع والطرائف » لا تخلو من نقائص ومعايب كالإبهام ، واللغو والمزاعم الباطلة والافكار الفاسدة

انتقد الاب الكتاب كأديب وككاهن ، فبيّن الخلل في المبنى وفي المعنى واعطى الامثال الصادقة على كل ذلك فأجاد . وكاني به اراد ان يقف موقف الدليل المرشد الى مكان الخطأ مكتفياً بذلك – وهذا واجب عليه – فادّى به موقفه هذا الى الاقتصار في مديح الكتاب دون ان ينكر ما يحتويهِ من بعض الحسنات

ظهر الانتقاد في المشرق فقرأه القليلون لان اكثرنا لم يتعوّد الانتقاد . ثم مرّت الاسابيع والاشهر واذا بجريدة « الشعب » النيويركية نقلت انتقاد « المشرق » واذا بجريدة « السائح » النيويركية ايضاً وقفت على الانتقاد فلم يَرُق في عينها فعلّقت على « هامشها » كلمةً نالت بها من كرامة المنتقد وانكرت عليه مقدرته وحقّهُ مدعيةً انه شاء الحطّ من قدر جبران فمدحه من حيث لم يقصد « فوقع سهمه على امّ رأسه » وذلك بعرض الامثال التي اختارها من « البدائع والطرائف »

عجبتُ لجريدة « السائح » يثور ثائرها لانتقاد كتاب وهي التي بثّت روح الانتقاد

في العالم العربي بما نشرتهُ وتنشره من المقالات الشائقة في هذا الفن لمخائيل نعيمه ووليم كاتسفليس وغيرهما من اعضاء «الرابطة القلمية»

يجوز «للسائح» ان تنتقد شوقي والريحاني وخليل مطران وغيرهم من الشعراء والكتّاب ولا يجوز «للمشرق» ان ينتقد جبران !!!

لِمَ هذا التفاوت في الحقوق ؟

ولِمَ غضبت «السائح» ؟

أَلِأن المنتقد كاهن يسوعي ؟ام لان المنتقَد عليه جبران خليل جبران وهو من «الرابطة القلمية» ؟

أأصبحت الرابطة القلمية فوق كل انتقاد؟ ام اصبح جبران معصوماً عن الخطأ ؟

اذا كان ذلك فلنكسر اقلامنا ولنسلم زمام لغتنا الى الرابطة القلمية باكين على عهد حرية الكلام. وان لم يكن ذلك فليس «للسائح» اقل حق باهانة المنتقِد

عجبت لهذا الحادث ، وحق لي ان اعجب ، لاني اعهد «السائح» — وهي من جرائدنا الراقية — ارفع من ان تتداخل بالشخصيات ، واكبر من ان تنظر بعين التحزب الى انتقاد ادبي لا دخل فيه لصفات المنتقِد والمنتقَد

تقول «السائح» ان مدير المشرق اراد ذمَّ جبران فمدحه فهي تنكر على الاب معرفته وتبرهن على ذلك بنقل تقريظ «المقتطف» للكتاب المذكور ويا له من برهان دامغ ! يُبرهن ، لا عن جهل الاب ، بل عن سهو مقرّظ الكتاب في «المقتطف» اذ نراهُ جارياً في النقد الادبي على طريقة اكثر جرائدنا الغرّاء . . .

انا لا ادافع عن الاب شيخو ولا اتحامل على جبران فان لكل من الكاتبين في عالم الادب مركزاً معروفاً على ذوي النقد ان يقدّروهُ كما يشاؤون . ولكني وقفت على هذه الحركة فوجدت من نفسي دافعاً لعرض افكاري بشأن «البدائع والطرائف» محور الحركة المذكورة

قرأت الكتاب وقرأته فاعجبتني رشاقة جبران في كتابته وشاقني شعوره الرقيق ، وخياله المصوّر ، وبعض انتقاداته للرجال والاعمال . ولكني لم اتمالك من اظهار الاسف والحيرة عند قراءة بعض مقالاته غير المفهومة اما للتطرّف في الخيال ، على مذهب بعض الشعراء ، واما للمغالاة في رقة الشعور حتى يصبح المطالعون —

وهم اقل شعوراً من جبران — عاجزين من فهم المقصود . وما تجاوز الحد سواء كان في الخيال ام في رقة الشعور الّا آفة الشاعر اذا لم يكن له من عقله رادع عن التهوّر

كنت اجهل جبران واحب ان اعرف عنه شيئاً فعرفت — بمطالعتي فصلهُ المعنون «جبران العاشق» — ان الرجل «يعشق الخواطر ، والتصوّرات ، والالوان ، والانوار ، والقدود العارية ، ويعبد الجمال . . .» واردت زيادة ايضاح فسمعته يقول عن نفسه في «المخدرات والمباضع» : «انا متطرّف حتى الجنون ، اميل الى الهدم ميلي الى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدسه البشر وحبٌ لما يأبونه ، ولو كان بامكاني استئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لمَا ترددت دقيقة»

هذا هو جبران كما يظهر في نثره وشعره بل في كل حرف خطَّهُ . فلا نعجب اذن اذا رأينا الافكار الفاسدة تختلط في كتاباته مع النظرات الصائبة فان ما نحسبهُ فاسداً هو صحيح في شرع جبران بل هو اصحُّ مما نراه صحيحاً

جبران يحب الهدم فهو من هذا القبيل يقتفي آثار فلاسفة القرن الثامن عشر ولكنه يختلف عنهم بان هؤلاء كانوا يفكرون بالبناء وجبران لا يرى الآن الّا الهدم والتخريب

لنفترض ان آمال جبران تحققت بهدم الصرح الاجتماعي واستأصل عادات البشر وعقائدهم وتقاليدهم . . . فما تكون حالة المجتمع بلا دين ولا شرائع ولا رابطة قومية ؟

هل نعود نفرق بشيء عن بولشفيك روسيَّة التاعسة ؟

ام هل يكفينا حينذاك «عشقُ جبران للخواطر ، والتصورات ، والالوان ، والانوار ، والقدود العارية» لانهاضنا من هذه الورطة ؟

الهدم حسن وفي بعض الاحيان لازم اذا كان الهادم يقدر على تشييد صرح افضل مما يهدمه . فهل يرى جبران من نفسه هذه المقدرة ؟

نحن بحاجة ، لا الى الهدم ، بل الى تحسين ما عندنا من البناء الاجتماعي ولو كان كوخاً من خشب . . .

. . .

هذا ولا اتعرّض لمذهب جبران الديني فاني لم ارَ لهُ مذهباً محدوداً اذ بينا نراه

يحاول اللحاق بمذهب الحلول والانتشار في مقالته «الله» ينتقل الى «الارض» فيسقط في حضيض الماديين. ثم نشاهده، وقد برّحت به على قوله محبة الله، يقرب الى عالم التخيّلات والاوهام الباطلة ثم يتظاهر بالغيرة على عبادة الله الحقيقية ويحكم على كل العباد بالتزوير والغش والمتاجرة ويقول بانهم لولا خوف الجحيم وحب النعيم لما عبدوا ربًّا ولا صلّوا لإله .

ولعلّ هذا ما حمل جريدة «السائح» على نعت جبران «برسول الله وعونه...» فنعم الرسول ونعم العون !

وكان يودّنا ان نثني على مذهب جبران وطريقته الادبيّة في كتاباته لولا انّنا وجدناهُ فيها ايضاً مغالياً متطرّفاً لا يُحسن الوقوف عند الحدود وقد قيل : احسن الامور اوساطها . ولو احتاج مدير المشرق الى الدفاع وافحام السائح لكفاهُ ما نقلهُ جبران نفسهُ من اقوال الجرائد في نقد كتاباته (ص ١٠١ من البدائع والطرائف) فقالوا: هو (اي جبران) متطرّف بتبادئه حتى الجنون. هو خيالي يكتب ليفسد اخلاق الناشئة. هو فوضويّ كافر ملحد ...»

والعجب كلّ العجب ان جبران افندي يقرّ بصحّة هذه الانتقادات وغيرها فيقول: «هذا بعض ما يقولهُ الناس عني وهم مصيبون (كذا) انا متطرّف حتى الجنون... لا امزج السمّ بالدسم بل اسكبهُ صرفاً غير اني اسكبهُ في كؤوس نظيفة شفّافة»

فما قول صاحب السائح بهذا الاقرار او يليق به بعد ذلك ان يدافع عن جنون جبران. وان شاء هو «ان يشرب سم جبران من كأسهِ النظيفة الشفّافة» فهو وشأنهُ فليشربهُ هنيئاً مريئاً وليدع العقلاء غيرهُ يجنّبونهُ ويحذّرون من شربهِ

انتقاد ثانٍ

بقلم التلميذ الاديب ادوار صعب

حمل الينا بريد اميركا في الآونة الاخيرة جريدة السائح فقرأنا بعلّ الاندهاش المقالة الافتتاحية «على الهامش» المدبّجة بيراع محررها الاديب. واذا بقلمهِ قد جمع هذه المرّة على خلاف عادتهِ

ساءنا وأيم الحق ما جاء بها من الطعن والتعريض في احد افاضل كلّيّتنا ومعلّمينا

الذين أرشدونا في كل مناهج الادب والصلاح فرأينا والحالة هذه أن من واجباتنا ومن واجبات كل ذي ضمير حرّ ويراع متزّه عدم السكوت تجاه هذا التهجّم والتحامل من صحافي اديب على منشئ مجلّة لها مكانتها المعروفة عند الناطقين بالضاد

اما اسباب هذا الخلاف فهو انتقاد مدير المشرق لاحد مؤلفات جبران خليل جبران الذي جمعه وطبعه على نفقته في المدة الاخيرة يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر. وهو كما ارى سببٌ تافه بسيط لا يتطلب هذا الردّ العنيف وقد كان الاحرى بجبران وطفته ان يشكروا الناقد لا ان يستلموا لعوامل غضبهم فيزعقون ويضجّون ويلعنون والامر كما تقدّم في نهاية البساطة. وقبل ولوج قلمنا في هذا الموضوع المهمّ نعرّف الجمهور بجبران خليل جبران المومأ اليه فنقول:

ليعلم القاصي والداني من هو ذلك الذي يحمل هذا الاسم الكريم حفظه الله!! جبران لبناني الاصل ماروني المذهب. ولد في بشري سنة ١٨٨٣ ونشأ فيها تحت سماء لبنان الساحرة. وعلى انقاض العصور السالفة في سفح الارز المهيب! ثم تتلمذ في مدرسة الحكمة فتلقّن عن اساتذتها العربية بيد انه اختص نفسهُ منذ ذلك الحين باسلوب خيالي منمّق لولا انهُ غريب المبنى شارد المعنى ادهش بهِ القرّاء فحكم فريق ان به مسًّا وفريق آخر ان فيه دلائل النبوغ

وقد رأينا كيف ان الحوادث حقّقت الحكمين في آن واحد فنشأ جبران نابغةً وانتهى متعشّاً. ولم يلبث ان ترك المدرسة وهاجر الى باريس حيث تعاطى فنّ التصوير ونبغ في اوائل الامر كما قدّمنا وبعد ان اقام فيها مدة وجيزة هاجر الى الولايات المتحدة فقطن بوسطن زمناً اشتغل فيها بالكتابة والتصوير وبموازرة بعض المعجبين بتفننه توصل الى الشهرة التي سعى كثيراً للحصول عليها. والانكى ان اسلوبه الخيالي قد تمكن من عقول السذّج وخلب البابهم في حين لم يكن يظن انسان بامكان رواج هذه الكتابات المزيفة المفخمة في سوق الادب الكاسد

وحين شعر جبران باستحسان بعض المتهوّسين جمح وتطاول على الرؤساء والرئاسة وعلى الدين والديانة وابتدأ قلمهُ ينشر الفصول الطوال جارياً على خطة امين محمد الريحاني الماروني المذهب الزنديقي المأرب ناكراً كل شيء الّا الماديات ساعياً وراء رسم الصور الخياليّة وربّما عدل الى الخلاعيّة بوجوه مختلفة جاحداً دين أبائه واجداده

وأما كتاباتهُ فلا تخلو من بعض قطع زجاجيَّة لمّاعة يظنّها الرائي من بعيد جواهر حتى اذا فحصها وبحصها تبيَّن لهُ انخداعه بالظواهر . وقد كنّا والحقّ يقال كغيرنا من الناطقين بالعربية توسّمنا في جبران النبوغ في بدء الامر ولكن سرعانَ ما خاب سهم المظنّة بعد أن بانت لنا بكل وضوح افكارهُ ومبادئهُ الفاسدة العقيمة يوشحها بالعبارات المنمقة والخيالات الفائقة ليخفي ما انطوت عليه من السفاسف والترّهات . ولم أرَ لهُ وصفاً اصحَّ ممَّا كتبهُ في وصف الشاعر فذكر اخلاقه وعواطفه وامياله بكل صراحة لكنه اخطأ اذ نسبها الى كل شاعر . ومن قوله في نفسه : «انهُ متطرف بمبادئه حتى الجنون . وانَّ في كتاباته السم في الدسم الخ » أجلْ انه متطرف بمبادئه كثيراً حتى الجنون ولكنه ذو خبل شأن ذوي المعتقد العريضة والاخلاق الشاذّة الذين لا يروقهم احد ولا يسرّهم في العالم شيءٌ يعملون ليلهم نهارهم على نكاية الغير لا حبًّا بالشرور بل حسداً وغيرة وهم على حدّ قول الشاعر القروي :

كل شيءٍ عندي ظلام كأني ناظرٌ من زجاجة سوداء

أجل : ان كتاباته السم في الدسم ولكن لا يشعر بدسمها الّا ذو البُحران الذي ألفَ العلقم فراقه مرُّ الحنظل . وناهيك بتطرف جبران وسمومه فهنالك حشرات مبادئه السامّة التي بثّها في مؤلفاته العديدة قد نخرت وستنخر المئات والالوف من اشجار الاخلاق السليمة والمبادئ السامية فمساها ، ولو بالرغم عن جبران وحوزته ، ان لا تقوى على نخر جذع شجرة الدين الصلب . وعسى تلك الكلمة الحقة الخارجة من افواه ارباب الدين تصمت اصوات يراعه المزعجة

واغرب شيءٍ من جبران هو تهجّمه المتواصل على دينه وهذه النغمة الجديدة لم نكن نظن يوماً اننا سنسمعها من الكاتب الجاهل فكيف بنا وقد سمعناها مراراً من ذلك الذي عهدناه زماناً وسميناه « بالفيلسوف اللبناني » الذي هو ادرى من غيره بحاجتنا الى الدين في هذا العصر الفاسد . كيف لا ! والدين وحده الطبيب الشافي لهذا الاجتماع وهو الرادع المانع عن الموبقات والحافظ ثمرة الاخلاق من شر الفساد . . .

ولعلَّ جبران فاتته هذه الحقيقة الثابتة لانَّ الهوس غشّى انظارهُ ورمى بهِ في وهدة التنوط فاصبح يخاف من الدين ومن ارباب الدين ومن كل ما له علاقة بالدين فعمد الى رشقهم بسهامه غدراً ومحاربتهم بيراعه جهراً لانهم يذكّرونه بمعصياته

وعقوقه ومن ثَمَّ موتٌ فاضمحلال فحشرٌ فدينونة وعلى الجميع البقيــة . ولا لوم ولا تثريب عليه من هذا الباب ! . . .

وعدا عن تهجُّمه على الدين تهجمه على الاخلاق ومحاولته زرع بذور الفساد في القلوب جهد الامكان فمن طالع منًّا كتابه «الاجنحة المنكسرة» يسوءهُ ما ضمَّنهُ من التصاوير القبيحة الشهوانية مثل وصفهُ لمسيح الله تمثال الطهارة تحيط به عشتروت آلهة الدعارة عند الفينيقيين وبضع نساء غاريات

شهد الله انني كنت في عهد نبوغه من عشاق كتابته الفرحين بكل ما تخطُّهُ يراعته القائلين بانها آيات منزلــة هذا قبل ان بان لنا الغثّ من السمين والسراب من الكوثر واتضحت لنا معانيها المبتذلة السخيفة وتراكيبها الخيالية المجونية التي بهرت انظاري كثيرًا من قبل ان افهم معانيها . ولكن عندما حدقت فيها شفَّت لي عمَّا تكنُّه من الالوان القاتمة فانصرفتُ عن قراءة مؤلفاته حينما تحقَّقت بذاتي فسادها وتوصل بي الامر ان مزَّقتها واحدة واحدة . ومع كل هذا لا يعني ان انكر بعض شوارد قلمه تعدّ من محاسن افتنا . ومن البديهي ان العوسج لا يخلو من بعض الزهور فحسنُ عباراته في بعض كتاباته لا ينفي كونها تنبت كثيرًا من الاشواك . ومن تلك الفصول الحسنة العبارة بعض متفرقات مثل فصوله «مات اهلي وانا في قيد الحياة» . و«يوم مولــدي» . و«من انت» . و«الاستقــلال والطرابيش» الى ما هنالك من الثمار الطيّبة التي انبتتهــا تلك العوسجة والتي لا يمكن جناها الّا مخضَّبة بدماء ايدي قطافها

ومن اغرب ما سمعت انَّ بعض المعجبين بجبران ينسبون له الفلسفة ولا ادري ما هي تلك الفلسفة ولعلّهــا كما قيل فلٌّ وسفه اهل تفرُّهم الاقوال المتضاربة المتنافرة والخيالات المتباعدة وانت لو تصفحت تآليفه من اوّلها الى آخرها لما رأيت موضوعاً واحدًا متناسقًا او مبنيًّا على اساس وأصول او محرَّرًا على سياق الكتابات الرصينة الناضجة الى آخر ما هنالك من اللوازم التي يحتاج اليها الكاتب البسيط فضلًا عن الفيلسوف فيشيد مقالة او موضوعه على أسٍ واحد فيأتي بنيانه متين الدعــائم قويًّا وليس مطليًّا بالالوان المزخرفة لا زبدة له ولا موضوع يستند عليه الّا ما تحشره اليراعة على صفحة القرطاس من الجمل المجونية المنمقة تنميقًا شأن فيلسوفنا الناهض ؟

تصنَّح مثلًا كتابه « على باب الهيكل » فتحكم حالًا على كاتبه بالاندفاع في هوة الجنون. وان لم يكن كلّه فعلى الاقلّ نصفه الذي تأكله (على زعمه) نار الحب (والسقيم يعدي السليم). ومن كتاباته التي حشاها بالثرثرة والهذر « العبودية الحرساء » حيث عمد في كل كلمة الى الطعن والسب في اولئك الذين يقضون حياتهم في الزهد والتكفير وعمل الخير. اولئك الاطهار الذين اذا لم ينفعوا الناس فعلى الاقلّ لا يضرونهم شأن جبران وطغمته. وقد دفعه النزق ايضاً الى وصف الكاهن اقبح وصف مبيناً للملإ أن الدين جعل ستراً للفظائع والموبقات (كاقلام بعض الكتبة اللهمّ الذين على شاكلته). الى آخر ما هنالك من التحامل الظاهر ظهور الشمس رأد الضحى...

هذا هو جبران المتفلسف اصفهُ كما يوحيه اليَّ ضميري ولا ناقة لي ولا جمل في الامر. واترك لغيري من الكتبة والنقّاد غربلة محصولاته ونقدها واحدة واحدة. والحكم في بضاعته المبتذلة التي يعرضها على الجمهور المغترّ بها والتخلّص الى ذكر السبب الاول الذي حمل هذا اليراع على دخول هذا الميدان

*

لقد ذكرنا ان فساد مبادئ جبران حمات الاب شيخو الى انتقاده وإماطة اللثام عن تهتكه ومساوئها فوضع مقالة انتقد بها « بدائعه وطرائفه » على صفحات المشرق البيروتيَّة فقامت قيامة السائح عليه وكتب المقالة التي ذكرناها في اول هذه العجالة وحشاها بالتهكُّم والذمّ وقد دفعتهُ حدّتهُ الى ان ناصب الدين العداء (وهي اشرف ذخيرة بقيت لنا سليمة في هذا الشرق) واستهزأ بالكهنة. فكذَّبنا النظر في بدء الامر لعلمنا ان السائح المعروفة بماضيها المجيد وبجهادها الطويل في عالم الصحافة لا تُقدم على مثل هذا الامر الشائن بسمعتها وسمعة مناصريها الكرام! كيف لا؟ وهو يتعلّق بالطعن والنميمة في كاهن فاضل وكاتب جريء جلّ ذنبه المسبب لهذا الغضب العظيم انتقاده لاحد الكتاب المتوسين. ومن المعلوم عند الكل ان لا فلاح للغة قلّ عدد منتقديها وكثر الكتّاب ومجترّي الاعمدة الطوال فيها فانظر كيف ان جريدة من امهات الجرائد تغضب لمثل هذا الامر وتحنق من الانتقاد الادبي الذي هو اشرف فنون الادب

والمدهش ان هذه المقالة المحشوَّة بالطعن والغيبة (وهو ما نربأ بكل يراعة عنهُ)

قرأناها على صفحات جريدة عرفناهـا بالاعتدال ولم نكن لنؤمل قط ان جريدة كجريدة السائح مع ما لمحررها من السمعة الطيّبة في المهجر تتحفنا بمثل هذه المقالة وترضى بان تكون قوساً يطلق نبال رجل كجبران على كاتب معتدل ينتصر للادب والدين . وهو الذي خدم ويخدم لغتنا العربية بتآليف لا ينكر فضلها المنصفون واستحسنها ادباء العصر وارباب المدارس . ومن اغرب الامور اننا لو سألنا جبران وطعنته على من تلقّنوا اللغة وفي اي كتب . لأجابوا بدون شك انهم قرأوا العربية في تلك المصنَّفات واخذوها عن الكهنة رسل الخير أو ارباب الخلافة السوداء على زعمهم !!! . وعندئذٍ يصح قول المزمور بهم : «ملعون كل من شرب من بئر ورمى حجرًا فيها» . وما هو يا ترى سبب هذا الشتم والسبّ ؟

لا شيء ؟ بل لانَّ مدير المشرق حاول ان يصدّهم عن قتل النفوس بسموم مبادئهم الفتاكة وردع يراعتهم عن افساد اللغة النقيّة

ومن الغرابة طعنُ السائح وشتمها الذي دلَّ على عجزهـا ولو شاءت ان تبين للجمهور الحقيقة لوجب عليها ان تردّ الحجة بالحجّة والبرهان بالبرهان كما فعل الاب في انتقاده فعمدت الى تمويه الحقيقة من جميع وجوهها

فهل لجريدة السائح ان تخبرنا أية حجة دفعتها أو برهان زيّفتهُ بل جلّ ما هنالك في اعمدتهـا الطويلة كلمات لم نفهم منها الّا ان انتقاد جبران كان مديحًا له وذمّـه تسبيحاً وانَّ الاب هجا وشتم وليس في كل ما كتبهُ عن جبران كلمة شتيمة او هجو ولم يألف قلم الاب شيخو مثل هذه الجبرانيات بل كل ما هنالك انتقاد حقيقي حريّ بكل اديب ان يجري على مثاله فيه فينفع قومهُ ويخدم لغتـه اجلّ خدمة

ولكن لربما صحّت كلمات السائح في السائح نفسهِ فعظّم وبجّل الاب من حيث لا يدري فجلب نظر الفريق الاكبر منّا الى مطالعة مؤلفاته العديدة وكان الفضل في ذلك للسائح واصبح لنا الحق ان نقول انهُ كان الواسطة في ذكر خدماته السابقة

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تابع حرف الميم

٧١٨ ﴿ مبارك البندكتيّ ﴾ في مكتبتنا الشرقيَّة « كتاب درب الصليب الملوكي » منسوب الى « المعلم مبارك اوثينيا (كذا) راهب من رهبنة ماري مبارك من جبل كسين الفه في اللغة اللاتينيَّة ثمَّ عرَّبهُ احد الرهبان اللبنانيّين الحلبيين عن ترجمتهِ الايطالية . والنسخة في نحو ٣٤٠ صفحة في ثلثة كتب وعدَّة فصول مخطوطة في اواخر القرن الثامن عشر . وجدنا منهُ نسخة ثانية في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب تحت عنوان « طريق الصليب » . امَّا المؤلف البندكتي فلم نقف على اخباره

٧١٩ ﴿ مبارك المتيني ﴾ هو الراهب اللبنانيّ الفاضل الذي نُشرت ترجمتهُ في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٨٥١–٨٦٢) المتوفى في ٩ ايلول ١٩٢١ . وهناك قائمة تآليفهِ التي طُبع منها ترجمتهُ لكتاب الاب قالوي اليسوعي « دستور الرؤساء » ولكتاب « دستور الحياة الروحيَّة » للاب سورين اليسوعي . وممَّا بقي من تآليفهِ مخطوطاً : ١ً « كتاب لاهوت اعتقادي مختصر . ٢ً كتاب الفضائل الرهبانيَّة وهو خلاصة كتاب الكمال المسيحي

٧٢٠ ﴿ مثوديوس ﴾ بطريرك القسطنطينيَّة المتوفَّى سنة ٨٤٦ م لهُ في احد مجاميع اليامر للآباء القديسين في مكتبتنا الشرقيَّة ميمر الاحد الاوَّل من الصوم

٧٢١ ﴿ المجدلوس ﴾ القسّ الملكي المتوفَّى في ديار بكر سنة ٩٩٢م . لهُ في مكتبة مار يوحنَّا الصابغ في الشوير وفي مكتبتنا الشرقيَّة في آخر كتاب درياق العقول لابي الخير الرشيد المتطبب نسخة من كتابهِ « تفسير الامانة الاورثذكسيَّة التي وضعوها الآباء الروحانيين (كذا) بنعمة الروح القدس الثلثمائة والثمانية عشر . وهو شرح حسن لدستور الايمان

٧٢٢ ﴿ محيي الدين العجمي الاصفهاني ﴾ من كتبة النصارى في القرن العاشر

للمسيح . له في مكتبة باريس في احد مجاميعها الموسوم بالعدد ٢٠٢ مقالة في العقل والعاقل والمعقول . وفي مكتبة ليدن من اعمال هولندة لمحي الدين المذكور مقالة اخرى عنوانها «اشرف الحديث في شرفي التوحيد والتثليث» وهي في ستّة فصول في مكتبتنا الشرقيّة منها نسخةٌ منقولة عنها

٧٢٣ ﴿مخلوف﴾ هو السيد بطرس ضو ميط الفوسطاوي الماروني مطران قبرس احد تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية المتوفى في العشر الاوّل من القرن الثامن عشر . من آثاره : ١ً سنكسار بحسب طقس الكنيسة المارونيّة السريانيّة . منهُ نسخة لدى حضرة القسّ يوسف حبيقة الراهب اللبناني . تاريخها سنة ١٦٩٤ بخطّ القس رزق الله بن سركيس من عيلة بيت الشمّاس يوحنّا من قرية بسبعل من زاوية طرابلس الشام في ١٧ شباط . ٢ً له في مكتبتنا الشرقيّة كتاب مفتاح البيعة ألّفهُ المطران بطرس «حين كان في رومية العظمى يرمي الطاعة باسم البطريرك جرجس السبعلاني لقدس البابا اقليموس التاسع . وهو اسئلة واجوبة عن امور دينيّة شتى وشرح مشاكل انجيليّة ومسائل في الكنيسة ورأسها الخ» كُتب سنة ١٦٨٧ بيد القس سليمان راهب من قرية دير الشمس (؟) في بلد جبيل من رهبان دير طاميش بأيّام المطران جبرائيل الذي انشأ هذا الدير والمطران ميخائيل الهتّ معهُ بذلك» يلي هذا كلام عن المجامع المسكونيّة ومقالة عن الكتب المقدّسة وتفنيد للقرآن في عشرين فصلاً . ٣ً له ايضاً في مكتبتنا الشرقيّة كتاب حياة المسيح استخرجها من اللاتيني الى العربي» اذ كان كاهناً سنة ١٦٧٤ . ٤ً ويذكر له ايضاً كتاب الشرطونيّة اعدّهُ للطبع في رومية . ٥ً وألّف كذلك مواعظ منها نسخة في بسكنتا وفي بيت شباب

٧٢٤ ﴿المدوَّر﴾ جميل بن نخله البيروتي المتوفّى في القاهرة في ٢٦ كانون الثاني ١٩٠٧ . له في الآثار القلميّة : تاريخ بابل واشور وحضارة الاسلام في دار السلام على مذهب سياحة اناكرسيس تكرَّر طبعهُ ثمّ مختصر التاريخ القديم وتعريب رواية اطّالا لشاتوبريان . وفي بيت اهله مخطوطات متفرّقة ادبيّة وتاريخيّة وروائيّة

٧٢٥ ﴿مرتينوس﴾ الاب بطرس ماري الموسل اليسوعي في الشام المتوفّى في ١٥ ايلول ١٨٨٠ . له : ١ً في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ مخطوط للبنان بالفرنسويّة في عشرة مجلّدات ونحو ٤٠٠٠ صفحة كبيرة نُشر منهُ بعض فصوله في البشير معرّبة بقلم

المرحوم رشيد الشرتوني ثمَّ طُبعت على حدة بخمسة اقسام صغيرة . ٢ً كتاب تاريخ معابد العذراء مريم ومزاراتها في لبنان في مجلَّد كبير لم يطبع اخذ عنهُ الاب غودار عدَّة معلومات في كتابهِ «مريم في لبنان» (Marie au Liban) . ٣ً صنَّف كتاباً في عبادة قلب يسوع لكلّ أيام شهر حزيران . منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة . ٤ً نشر في مطبعتنا (سنة ١٨٦٣) كتاباً صغير الحجم اودعهُ مجموع غفرانات قربة المنال

٧٢٦ ﴿مردشاه﴾ هو الخوري يوحنَّا السرياني من تلامذة مجمع انتشار الايمان في القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة دير الشرفة «كتاب الارشاد في الايمان الكاثوليكي» (ويدعى اسمهُ هناك مراد شاه) مدارهُ على حقائق الايمان والآداب امر بتصنيفهِ المجمع التريدنتيني . ولهُ ايضاً في مكتبة القس بولس سباط تعريب مختصر اللاهوت الادبي (ROC, XVIII,p, 200, n° 57)

٧٢٧ ﴿مرَّاش﴾ فرنسيس بن فتح الله المتوفَّى في حلب سنة ١٨٧٤ (اطلب ترجمتهُ في كتاب الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ٢ : ٤١—٤٤) لهُ تآليف شهيرة طُبع معظمها كمثل كتابهِ المرآة الصفيَّة في المبادئ الطبيعيَّة وغاية الحقّ ومشهد الاحوال وغرائب الصدف وتعزية المكروب وشهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة والكنوز الفنيَّة في الرموز الميرونيَّة . وقد طبع ديوانهُ مرآة الحسناء في بيروت . منهُ نسخة خطيَّة في مكتبة الوجيه احمد باشا تيمور في مصر . وقد عثرنا لهُ في حلب على بعض متفرقات لم تُطبع

٧٢٨ ﴿مرقص﴾ الانبا . كذا ورد اسمهُ دون زيادة في تعريفهِ في كتاب مخطوط من مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٦٩) عنوانهُ مقالة في الروحيَّات كُتب سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩١م)

٧٢٩ ﴿مرقص﴾ الاب اللعازري . كان في حلب في اواسط القرن التاسع عشر في مكتبتنا الشرقيَّة «رياضة تسعة أيَّام استعداداً لعيد الجسد للاب مرقص اللعازري»

٧٣٠ ﴿مرك﴾ الخوري يوسف الروميّ الاورثذكسي . كان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وجدنا لهُ في مكتبتي الروم الكاثوليك في حلب وفي بعلبك وعند المنسنيور جرجس منش ردًّا على ما كتبهُ الكاهنان الكاثوليكيَّان جبرائيل

جلده ويوسف بابيلا بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن. وعنوان كتابه في مكتبة بعلبك المخطوط سنة ١٨٢٥ « كتاب البرهان الجليّ المتلى لدحض اخوية الخوري يوسف باب البلاء (كذا. يريد بابيلا) تأليف الاب الفاضل الخوري يوسف مرك الطرابلسيّ بروطو سنخلس الكرسي الرسولي الانطاكي البطرسي ». وللقس يوسف بابيلا تفنيد لهذا الكتاب في تأليفه عنوان شرح العقيدة العديمة الدرك بدحض اجوبة الخوري يوسف مرك. وهذا الردّ كتبهُ القس بابيلا سنة ١٧٦٣ « وقفنا على نسخة منهُ عند احد الكهنة

٧٣١ ﴿مركلي﴾ الاب يوسف من رهبان مار فرنسيس عاش في القرن الثامن عشر. لهُ كتاب مخطوط هذا عنوانهُ: « كتاب العاليّ المغصوب من اختصار الزمان لممارسة رياضة عشرة أيام ألّفهُ الاب يوسف مركلي من رهبان مار فرنسيس مع درب صليب وواجبات المشتركين في الرهبنة الثالثة لمار فرنسيس ». منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة كُتبتا في القرن الثامن عشر

٧٣٢ ﴿مزراق﴾ القس ميخائيل من رهبان دير المخلص واحد تلامذة مدرسة القديس اثناسيوس في رومية. عرّب كتاب قوت النفس في آلام السيد المسيح للاب اليسوعي فرنسيس رينالدي وطبعهُ في الشوير سنة ١٧٧٢ ثمّ تكرّر طبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكيّة. منهُ نسخة خطيّة في دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير

٧٣٣ ﴿المسابكي﴾ هو المعلم ميخائيل تلميذ الآباء اليسوعيين في غزير المتوفّى نحو السنة ١٨٧٠. وقفنا لهُ في احدى مكاتب البلدة على تاريخ الكتاب المقدّس مخطوط بيده ومعرّب. ومما عرّبهُ نطبع في مطبعتنا مختصر التاريخ المقدّس للكاهن لوموند ثمّ كتاب القصص والامثال للاب جيرودو ومائة حكاية للقانونيّ شميت

٧٣٤ ﴿مسعد﴾ البطريرك الماروني بولس المتوفّى في ١٨ نيسان ١٨٩٠. طُبع في طاميش كتابهُ الموسوم بالدرّ المنظوم. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة بخط الخوري ارسانيوس الناخوري وطُبع لهُ في رومية ردّهُ على فتح الله مرّاش بخصوص انبثاق الروح القدس من الآب والابن. ولهُ من المخطوطات: ١ً نبذة في تاريخ الاسرة الخازنيّة. ٢ً تكملة تاريخ الطائفة المارونيّة للبطريرك اسطفانس الدويهي. ٣ً رسالة في الملكيّة والموارنة. طُبعت في كتاب المحاماة سنة ١٨٩٩. ٤ً متفرّقات مختلفة

في تاريخ لبنان وأسره موجودة في دار عشقوت الاسقفيَّة

٧٣٥ ﴿مسعد﴾ القس الدمشقي الاورثذكسيّ عاش في اواسط القرن الثامن عشر وعرَّب سنة ١٧٤٧ عن اليونانيَّة كتاب كير اوسطراتيوس ارجنتي الطبيب الساقزي المعنون بالعشاء الربَّاني (راجع العدد ٨١)

٧٣٦ ﴿مشاقه﴾ الدكتور ميخائيل توفي في دمشق سنة ١٨٨٨ . لهُ من المخطوطات : ١ً كتاب حوادث سوريَّة من اواخر القرن الثامن عشر في عهد الجزَّار الى السنة ١٨٧٣ دعاهُ «الجواب على اقتراح الاحباب» منهُ نسخة في مكتبة جناب جرجي بك صفا . ٢ً تاريخ في مشايخ لبنان وعناصره المختلفة . منهُ نسخة في مكتبة الكلية الاميركانيَّة على ما قيل لنا . ٣ً الرسالة الشهابيَّة في الالحان الموسيقيَّة منها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة . وهذه الرسالة قد نشرها المرحوم الاب لويس رنزفال وترجمها الى اللغة الفرنسويَّة واضاف اليها مقدَّمات وحواشي مفيدة . وذُكر لهُ ٤ً في كتاب الروضة الغنَّاء لنعمان افندي القساطليّ «ترجمة البطريرك مكسيموس مظلوم وردّ على ابن الحموية لطعنهِ في المذهب الانجيليّ . ثم الف ٥ً كتاباً مطوَّلاً في الحساب وجداول فلكيَّة شتى

٧٣٧ ﴿المصوّر﴾ الخوري يوسف ابن الحاج انطونيوس تلميذ البطريرك افتيموس الانطاكي واحد كهنة الروم في اواسط القرن السابع عشر . ١ً نقل الى العربيَّة مع البطريرك مكاريوس الانطاكي كتاب تاريخ دوروتاوس مونوفاسية المسمَّى التاريخ الرومي العجيب الجديد الذي هو من عهد آدم الى أيام قسطنطين السعيد منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ٢ً عرَّب كتاب الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم من عهد قسطنطين الى أيام السلطان مراد اتّى جينالا . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . ٣ً عرَّب عن اليونانيَّة كتاب خلاص الخطأة لاغابيوس الاقريطشي . منهُ نسخ عديدة في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت . وفي دار المرحوم بشارة الخوري تاريخها سنة ١٦٦٩ وفي مكتبة القبر المقدَّس في القدس . ومنهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . ٤ً وعرَّب ايضاً لاغابيوس المذكور كتاب الفرائد اللطاف في شروط الاعتراف . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ٥ً ووجدنا لهُ في مكتبة الحفني في دمشق «خبر اوسوبس (Esope) الافريقي وسيرتهُ وهو صاحب الامثال .

استخرجهُ من الرومي الى العربي الخوري يوسف المصوّر

٧٣٨ ﴿مطر﴾ السيد اغابيوس البطريرك الملكي الانطاكي المتوفى في ٢١ كانون الثاني سنة ١٨١٢ . الّف ارشادًا الى معلّمي الاعتراف طُبع في الشوير سنة ١٨٠٤ . وعلى عهده عُقد في دير الترقفة المجمع الانطاكي الذي طُبعت اعمالهُ سنة ١٨١٠ فأبطلها الكرسيّ الرسوليّ . ولهُ رسائل ومناشير لم تُنشر بالطبع

٧٣٩ ﴿المطران﴾ هو الخوري يواكيم من بعلبك تلميذ عبدالله زاخر والمتوفى سنة ١٧٧٢ (وقيل سنة ١٧٦٦) في عكّا واحد علماء طائفته لهُ من التآليف: ١ً كتاب منارة الاقداس في تفسير القدّاس الّفهُ سنة ١٧٥١ . منهُ نسخة في مكتبة الصلاحيّة في القدس (Or. Chr., 1914, p. 117) ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ احداهما سنة ١٧٦٧ وقد طُبع الكتاب في بيروت . ٢ً كتاب الغصن الوريف في معنى التقديس الشريف في ١٩ فصلًا اقتطفهُ من كتابهِ منارة الاقداس . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ونسخة في مكتبة دير الشير . ٣ً كتاب الايساغوجي في المنطق منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . الواحدة منها بخط شاكر شقير سنة ١٨٧٧ . ٤ً التكميل في علم المنطق الجليل . منهُ نسخة في دير الشير . ٥ً الصحيفة العبقريّة في الاصول المنطقيّة الّفهُ في حلب سنة ١٧٥٤ . منهُ عدّة نسخ في مكتبتنا الشرقيّة (نسختان) وفي لندن (Suppl. n° 46) وفي دير الناعمة ودير الشرفة ودير بحرصاف . ٦ً الايضاحات النطقيّة في شرح الاصول المنطقيّة . منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيّة . ٧ً لهُ في مكتبتنا ايضاً سبع مواعظ في آلام السيّد المسيح . ٨ً كتاب مواعظ على اناجيل آحاد واعياد السنة . ذكرهُ المطران عطا في تاريخ الملكيين . ٩ً رسالة مختصرة في الصلاة العقليّة في مكتبة الصلاحيّة في القدس (Or. Chr. 1914, p. 116)

٧٤٠ ﴿الطوشي﴾ الاب بطرس الماروني اليسوعي المتوفى سنة ١٦٢٥ . طبع في رومية باللاتينيّة كتاباً في اصول اللغة العربيّة سنة ١٦٢٤ . ولهُ بين مخطوطات الاسكندريّة من مدن ايطالية غراماطيق سرياني عربيّ (ع ٢) وهو غير غراماطيقهِ بالشعر السرياني الذي ذكرهُ الاب جبرائيل قرداحي في الكنز الثمين . وقد طبع ايضاً في رومية سنة ١٦٢٢ بعض ميامر للقديس افرام

٧٤١ ﴿ مظلوم ﴾ البطريرك مكسيموس الحلبي الشهير المتوفّى في ١٠ آب ١٨٥٥ . طُبع من تعريبهِ (في رومية) من اعمال القديس الفونس ليغوري كتاب امجاد مريم . وواسطة الصلاة العظيمة والرياضة اليوميّة والزيارة للقربان الاقدس . ومن تأليفهِ كتاب الاصول الصرفيّة في القواعد العربيّة وقوانين مجمع عين تراز . وطُبع لهُ (في مطبعة الفرنسكان في القدس) تعريب تاريخ الحروب الصليبيّة . وحقيقة الانبشاق ودحض المصرّ على الانشقاق . وتعريب الاستعداد للموت للقديس ليغوري . وطُبع لهُ (في مطبعتنا الكاثوليكيّة) كتاب كنز العبادة الثمين في اخبار القديسين والنسيقة البرهانيّة في دوام الكنيسة الكاثوليكيّة . ورسالة في دحض آراء محاربي الايقونات . وكتاب المعين الرائق في خلاصة الحقائق وكتاب طريقة البرارة لخادم البشارة . والرسالة الوجيزة البرهانيّة في تبرير الديانة النصرانيّة . وكتاب القائد الامين في اثبات القضايا الخمس المنكرة عند غير الكاثوليكيين . وطبع لهُ (في القسطنطينيّة) رسالة الاعداد الرضيّة في المسائل الفرضيّة في الميراث . ورسالة في دحض الاعتقادات الباطلة . وبعض تآليفهِ المذكورة طُبعت غير مرّة في مطابع مختلفة . اما مخطوطات السيّد مكسيموس التي لم تُنشر بالطبع فهي في حلب في بيت اقاربهِ او في الدار الاسقفيّة هناك وفي بعض مكاتب الطائفة او الخاصّة فهي : ١ً تاريخ الاضطهادات العشرة الاولى . ٢ً اخبار اربعين قديساً من جهابذة الكنيسة الشرقيّة واربعين من الغربيّة . ٣ً اعمال المجمع الاورشليميّ . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . ٤ً ردود على اضاليل البروتستانت صنّفهُ في القسطنطينيّة سنة ١٨٤٧ . منهُ نسخة فيها ايضاً . ٥ً دحض المضل وارشاد الضال . ٦ً مؤلّف تاريخي في سرّ المعموديّة ودحض الارتقة بشأنهِ . ٧ً رسالة في عدم انحلال الزواج . ورسائل اخرى في امور الكنيسة اليونانيّة وقدَم لغتها وخروج الطوائف منها . ٨ً تاريخ الارتقات ودحضها . ٩ً رُتب كنسيّة مختلفة . ١٠ً تعريب السنكسار الرومانيّ . ١١ً مواعظ عديدة في كلّ حقائق الدين

٧٤٢ ﴿ المعقد ﴾ السيد جرمانوس الملكي الكاثوليكيّ منشئ جمعيّة البراسين المتوفّى في ١٣ شباط سنة ١٩١٢ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٤٥٦–٤٦٥) تُعرف مطبوعاتهُ النفيسة الوعظيّة والتاريخيّة والادبيّة والطقسيّة منها الكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام ورحلة الفيلسوف الرومانيّ في ترجمة السيد المسيح

ولورد وفتاتها وحسناء بيروت والسلوة وذخيرة الاصغرين ورفيق العابد وتحقيق الأماني لذوي الطقس اليوناني والميناون ومختصره والسواعي. ومن مخطوطاته التي لم تُطبع فصول ادبيّة وشذرات اخلاقيّة ونكت فكاهيّة باقية لدى تلاميذه يُتحفون بها من وقت الى آخر قرّاءهم في مجلّة المسرّة التي كان لهُ الفضل في انشائها

٧٤٣ ﴿المعلوف﴾ الخوري مرتينوس من تلامذة مدرسة انتشار الايمان في زومية واحد رؤساء الرهبانيّة الحنّاوية المتوفّى في ٢٠ آذار سنة ١٨٨٩ (اطلب ترجمتهُ في كتاب دواني القطوف (ص ٥٣٥—٥٣٧) . طبع في مطبعة الشوير سنة ١٨٤٣ كتابهُ الموسوم بطريقة علم لاجل البروتستانيين. ويُذكر لهُ تعريب بعض الكتب اللاهوتيّة والفلسفيّة املاها على طلبته

٧٤٤ ﴿المعلوف﴾ هو ناصيف اللبناني المتوفّى في ازمير في ١٤ أيار سنة ١٨٦٥ (اطلب ترجمتهُ للكاتب البليغ عيسى افندي اسكندر المعلوف في المشرق ٨[١٩٠٥] : ٧٧٣ الخ). لهُ مطبوعات عديدة تركيّة وافرنسيّة وانكليزيّة وايطاليّة مذكورة هناك (١٠٤٩—١٠٥٠) بينها قسم عربيّ كبادئ للقراءة ومحاورات ومخاطبات وغير ذلك ويُذكر لهُ مخطوطات لم تُطبع

٧٤٥ ﴿المفضّل المصري﴾ هو ابن ابي الفضائل المسيحيّ من كتبة القرن الرابع عشر. ذكرناهُ في باب الفاء (الفضل كما ورد بالغلط في نخبة الخوري قسطنطين الباشا ص ١١) والصواب (المفضّل) هو مؤلف «كتاب النهج السديد والدرّ الفريد في ما بعد تاريخ ابن العميد» منهُ نسخة في مكتبة باريس (Paris,n° 4525) روى فيهِ اخبار مماليك مصر عن عهد الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨—١٢٦٠) الى الملك الناصر بن قلاوون (٧٤١—١٣٤٠)

٧٤٦ ﴿مكاريوس﴾ هو القديس الناسك المعروف بالكبير المتوفّى نحو سنة ٣٩٢م. لهُ في المكتبة الفاتيكانيّة (Vat. 84) درجٌ قديم تاريخ نسخه سنة ١٠٥٥ يحتوي على ميامر القديس مكاريوس ورسائله. وفي مكتبتنا الشرقيّة حكم واقوال شتى للقديس مكاريوس في آخر كتاب ميامر مار اسحق. ولهُ ايضاً فيها كتاب نسكيّات مع نسكيّات مار باسيليوس

٧٤٧ ﴿مكاريوس﴾ البطريرك ابن زعيم الحلبيّ المتوفّى سنة ١٦٧٢ لهُ تآليف

خطّيّة كثيرة لم يُطبع منها الّا الشيء القليل وهذا ما بلغ اليهِ علمنا من مخطوطاتهِ اطلب كتاب الاديب حبيب افندي الزيّات «خزائن الكتب في دمشق وضواحيها» (ص ١٤٠–١٤٣) . ١ً تاريخ وجدول الاربعة البطريركيّات منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدّس في القدس . وفي مكتبة مدرسة البلمند وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة دير الشير وعند الارشمندريت الياس بطارخ . ٢ً سعى مع تلميذه الخوري يوسف المصوّر بتعريب تاريخ دوروتاوس اسقف مونوفاسية اليوناني المعنون «بالتاريخ الرومي العجيب الجديد الذي هو من عهد آدم الى ايام قسطنطين السعيد» منهُ نسخة جميلة في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة المنسنيور جرجس منش في حلب . ٣ً وعني كلاهما ايضاً بتعريب تاريخ متى جيفالا المسمّى السدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم من زمن قسطنطين الى السلطان مراد الرابع . منهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان . ٤ً كتاب النحلة جمع فيهِ اخبارًا متفرّقة دينيّة وادبيّة وتاريخيّة نقلها عن كتب مختلفة وقسمها الى ٢٦ فصلًا . منها نسخةٌ في مكتبتنا الشرقيّة وفي الدار البطريركيّة في دمشق . ٥ً كتاب عجائب العذراء وهي ٦٨ اعجوبة عرّبها البطريرك مكاريوس عن اغابيوس الناسك في الجبل المقدّس (اثوس) . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة . ٦ً كتاب اخبار المجامع المسكونيّة السبعة واسامي سائر رؤساء الكهنة الذين كانوا فيها . منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدّس . ٧ً كتاب الكنوز يشتمل على مقالات نافعة في مضمون الاعياد السيديّة . ٨ً كتاب اخبار قدّيسين كتبهُ في بلاد الكرج سنة ٧١٧٣ لآدم (١٦٦٥م) ٩ً كتب طقسيّة مختلفة ونظنهُ انهُ هو المحفوظ في المكتبة الفاتيكانيّة تحت اسم مجموع ادبيات ودينيّات وطقسيّات كتبهُ في حلب سنة ١٧٥٧ الارنطيوس سالم . ١٠ً ردّهُ على الكلوينيين منهُ نسخة في مكتبة باريس (Ms. 224) . طبعهُ المرحوم الاب انطون رباط في المشرق (٧[١٩٠٤]: ٧٦٦ و ٧٩٥) . ١١ً رحلة مكاريوس الى روسيّة بقلم ابنهِ الشمّاس بولس زعيم . منها ثلاث نسخ في بطروغراد ونسخة في لندن . وقد نقلها الانكليزي بلفور الى الانكليزيّة امّا الاصل العربيّ فلم يُنشر منهُ الّا فقرات منها النخبة التي عُني بطبعها حضرة الخوري قسطنطين باشا في العام الماضي

٧٤٨ ﴿ مكاريوس ﴾ مطروبوليت ديار بكر كان في اواسط القرن السابق

نقل سنة ١٨٥٢ من السلافونيّة الى العربيّة كتاب ملخّص صخرة الايمان في الردّ على البدع تأليف استفانوس ايافرسكي سنة ١٧٢٧ . منهُ نسخة في مكتبة القس بولس سباط (ROC. 1920-1921, p. 302) لعلّها النسخة التي وجدناها في مكتبة المرحوم القس توما أيوب في حلب

٧٤٩ ﴿مكاريوس﴾ الشمّاس منشئ مدرسة بطموس المتوفّى سنة ١٧٣٧ . لهُ كتاب مواعظ مع ردّ على الكنيسة الغربيّة دعاهُ البوق الانجيلي . منهُ نسخة في مكتبة القبر المقدّس (ع٨٩) وهو تعريب الاسقف اثناسيوس مخلّع عربّهُ سنة ١٧٨٠ وقد طُبع في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت في مجلّدين سنة ١٨٨٨ (الهابقيّة)

العرفان وتلامذة اليسوعيين

نظر انتقادي بقلم جناب الشيخ سليم خطّار الدحداح

طاش سهم صاحب العرفان بتحاملهِ على اليسوعيين في ثلثة من اعدادهِ فظنّ انهُ بتهجّمهِ على تلامذتهم يفوز ناجحاً . فجاءت ضربتهُ جائرةً عن الهدف كما في السابق ودونك البرهان على ما نقول :

قرأنا في الصفحة ٧٣ من الجزء الاول من السنة التاسعة لمجلّة العرفان مقالةً عنوانها «في ذمّة التاريخ ما يزعمون» احببنا ان نبدي حكمنا فيها بما يأتي :

كلٌّ يعلم انه في اثناء الحرب العمومية تسابق ابناء البلدان المظلومة التي كانت تحت نير الدول المركزية ونير الاتراك الى بسط مطالباتهم وشرح قضية امّتهم املاً بالفات نظر الحلفاء الى تحقيق امانيهم عند فوزهم النهائي . وفي عداد هؤلاء الشعوب وهؤلاء الكتبة لا بل في مقدّمتهم كان ابناء لبنان خصوصاً وسوريّة عموماً فانهم سواء كانوا في اميركا امفي مصر ام في الاقطار الاوروبية قد دبّجوا المقالات وخطبوا والّفوا الكتب سعياً وراء إدراك متمنّاهم ملتجئين الى صداقة فرنسا وتقاليدها الموروثة مع

اجدادهم ليحصلوا على الاستقلال المنشود. وكان من جملة مَن وضعوا التآليف في هذا المعنى سعادة اغوست باشا اديب سكرتير دولة لبنان الكبير حالاً . فانه كان موجوداً في مصر في مأمورية رئيسية في مالية تلك الدولة التي قضى في خدمتها اكثر من ٣٥ سنة ولانه كان رئيساً لحزب الاتحاد اللبناني فانه وضع في شهر اغسطس من سنة ١٩١٨ تأليفاً افرنسياً دعاه باسم « لبنان بعد الحرب » وقد اعتنت جمعية الاتحاد اللبناني بمصر بتعريبه فنشرته مطبوعاً في حزيران سنة ١٩١٩ معرباً بقلم الشيخ فريد حبيش. وبالطبع قد نشر فيه بعض جداول يبيّن فيها عدد سكان المحلات التي كان يطلبها جبل لبنان بصفة كونها اقساماً طبيعية منه ومتممة له وقد سلك مسلك جميع المؤرخين والجغرافيين — فضلاً عن رسميات الحكومة — بانه قسم هؤلاء السكان بالنسبة الى طوائفهم وفرقهم المذهبية. ولا غرو ان الارقام التي ذكرها كان اكثرها ان لم نقل كلها مغلوطاً وانما رواها على علاتها ولا حرج عليه في ذلك لاسباب عديدة: (اولها) واهمها انه لم يكن يوجد احصاء رسمي مضبوط في عهد الدولة العثمانية — (وثانيها) ان الدولة العثمانية لم تجرِ في احصاءاتها على خطة ثابتة فكانت مثلاً تفرز ابناء الشيعة في لبنان القديم عن بقية المسلمين وتذكرهم باسم متاولة واما في ولايتي بيروت وسورية اي الشام فانها كانت تدمجهم في عداد اهل السنة تحت لفظة مسلمين. وكذلك كانت تفعل مع الدروز فانها كانت تعدّهم وحدهم وتفصلهم عن المسلمين في جبل لبنان القديم وفي جبل الدروز في حوران وكانت على خلاف ذلك في سائر حوران وحاصبيا وراشيا لا تفرزهم عن المسلمين. واما النصيرية والاسمعيلية فالذي يطالع احصاءات الدولة العثمانية وسالناماتها لا يجد لاسمهم اثراً. وذلك لانها كانت تدعوهم جميعهم مسلمين

وان راجعت تآليف الكتبة الاجانب والافراد الخصوصيين تَرَهم على اختلاف عظيم في تقدير عدد اهالي مدن وولايات الدولة العثمانية . لنا في معجماتهم السياسية والجغرافيات أكبر شاهد على صحة ما نقول. أفيجوز لصاحب العرفان ان يلقي الملام على اغوست باشا اديب لانهُ لم يذكر الا ٣٧،١٥٠ من المتاولة في الاحصاءات التي اوردها في احد جداول تأليفه السابق الذكر ؟

كذلك ان حكومة متصرفية لبنان القديمة سواء كان في نظامها الاساسي المصدّق

من الباب العالي والدول ام في قرارات مجلسها الاداري كانت تذكر الطوائف الرئيسيَّة الستَّة وتسمّي ابناء الشيعة رسميًا باسم متاولة . وكان المأمورون من ابناء الشيعة يكتبون بخط يدهم «عضو المتاولة» و«طائفة المتاولة» وعضو «متوالي» وكاتب «متوللي» فلو كان تحت لفظة متوالي ومتاولة ما يُشتَمّ منه شيء من الاحتقار او الامتهان — لا سمح الله — لمّا كانت الدولة العثمانيَّة وهي اسلامية تسمح بذلك ولمّا كان الاعضاء والمأمورون الشيعيون يقبلون به ويكتبونه بخط يدهم . فاي حرج على اغوست باشا ان يذكرهم تحت اسم متاولة ؟ وهل من داعٍ لاستياء صاحب العرفان على سعادته ؟

اخيرًا وهنا وجه المغالطة الذي لا يجوز لمجلّة رصينة معروفة بالتحقيق والتدقيق مثل مجلّة العرفان ان تقع فيه . معلوم انهُ بعد اعلان استقلال دولة لبنان الكبير في ١ ايلول سنة ١٩٢٠ وقع اختيار الجنرال غورو على سعادة اغوست باشا اديب فعيّنهُ ناظرًا (او مديرًا كما كان يقال حينئذٍ) للمالية ثم في ايلول سنة ١٩٢١ نُقل الى امانة السرّ العام لهذه الدولة . وفي المدّة التي انقضت بين ايلول ١٩٢١ وبين ايار ١٩٢٢ أجرت حكومة لبنان الكبير احصاء نفوس الدولة فبلغ مجموع الانفس من ابناء الشيعة مئة الف وخمسة آلاف نفس . فكيف يجوز لكاتب تلك المقالة في مجلة العرفان ان يستغرب وقوع هذه الفروق بين العدد الرسمي وبين العدد الذي نشره اغوست باشا وهو امين سرّ الدولة ؟ هل فات ذكاءهُ وصدقه وصحة نقده ان اغوست باشا طبع كتابه في مصر في سنة ١٩١٨ وهو منفصل تمام الانفصال عن لبنان بسور من النار والمدافع ولا ادنى افادة رسمية بيده وانه لم يصر سكرتيرًا لدولة لبنان الّا منذ ايلول سنة ١٩٢١ وان العدد الرسمي الذي عُرف من احصاء لبنان الكبير لم يثبت الّا في اذار سنة ١٩٢٢ ؟ فيا لله كم من عثرةٍ لا تُقال في قلم صاحب العرفان !

فعلى من تقع تبعة التزوير والتحريف بعد هذا الايضاح أعلى اليسوعيين وتلامذتهم الذين منهم سعادة اغوست باشا اديب ام على هذا المنتقد الذي لم ينظر او لم يشاء النظر الى اختلاف هذه التواريخ ؟ ألا فليتّقِ الله هؤلاء الذين يدّعون السعي باصلاح الامّة ويضعون ذواتهم في مقدّمة الائمة والعلماء ! ألهذا الحدّ تجوز مغالطة الادباء ؟ او ليس «في ذمّة تاريخه ما زعم»

فاين ما يؤخذ به سعادة اغوست باشا اذا سمّى ابناء الشيعة باسم متاولة وكانوا هم يذكرونه عن انفسهم؟

واين تعصُّبهُ وغلطهُ اذ نشر سنة ١٩١٨ ارقاماً لم تُعلم حقيقتها الرسميَّة الّا في اذار سنة ١٩٢٢؟ وكيف يريد حضرة المنتقد ان يعرف المؤلف في ١٩١٨ نتيجة احصاء سنة ١٩٢٢؟ ولو كان المؤلف نشر ما نشر عن تعصُّب لما كان ذكر للروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والدروز ارقاماً تخالف العدد الـذي اثبته احصاء سنة ١٩٢٢

وكيف يزعم ان حضرة المؤلف الكبير قـد تأثر في آب سنة ١٩١٨ ممّا اجراه بعض جهلاء واشقياء جبل عامل في ربيع سنة ١٩٢٠ فافضى به تأثّره الى تزوير عدد المتاولة وتقليلهم ؟ هل يريد ان ينسب له معرفة الغيب ؟

واي حجاب سدله على وجه الحقيقة بعملهِ هذا؟ اليس الحجاب على بصيرة كاتب مقالة العرفان ؟

امّا ما ختم بهِ المنتقد كلامهُ بحق الاباء اليسوعيين فـانّنا نخجل عنه لما قالهُ في حقّهم تهجّماً وافتراء واليسوعيون اسمى من ان ينالهم سهمُ ايّ كان ولهم في عالم الدين والادب مقامٌ يقصر عن ادراكه صاحب العرفان ومن يضرب على وتره

﴿ تنبيه للمشرق ﴾ وقد اضاف صاحب العرفان الى هـذه النبذة الدالّة على استقامتهِ وصواب حكمهِ شذرةً أخرى روى فيها ما كتبهُ في دليل سوريّا بولس افندي مسعد عن المتاولة واخلاقهم وفي كلام الكاتب ما فيه من الانتقاد الذي لا نشاء أن نصوّبهُ او نكذّبهُ . لكن صاحب العرفان على مألوف عادتهِ انتهز الفرصة ليرشق اليسوعيين وتلامذتهم بسهامهِ النافذة فقال: «ومن يدنا من هو بولس مسعد هذا فان كان تلميذ اليسوعيين كزميلهِ معالي الباشا فلا عجب . . . .»

فنجيب ان جناب بولس افندي ليس من تلاميـذنا ولو كان منهم لمَا تبرّأنا منهُ وقد أطلعنا على حسن آدابهِ . فندَع لهُ الحقّ بتبرئة نفسهِ ولا بدَّ انهُ يكون روى في دليله ما بلغ اليهِ علمهُ او نقلهُ عن مصادر ثقة ويكفيهِ ان يذكر لصاحب العرفـان تقليداً لاحتجاجهِ ما كتبهُ اثنان من المسلمين في وقت الحرب بامر عزمي بك والي بيروت ففي دليـل ولاية بيروت القسم الجنوبي (ص ٣١٥—٣٢٠) فصـل عنوانهُ

« ادبيات المتساولة » بشير على صاحب العرفان ان يتأمله فيعدل عن الطعن بتلامذة اليسوعيين الذين بينهم الشيعيون الاشراف والمفتخرون باساتذتهم وقد اثنى عليهم مؤخرًا جلالة شاه العجم عند زيارته لمكتبنا الطبي اطيب الثناء وطلب هو وحاشيته لوائح المدارس اليسوعية ليرسلوا اليها انجالهم كما فعل سابقاً فرمان فرما من كبار دولته واقارب جلالته . فمتى يا ترى يعدل صاحب العرفان الى الانصاف ؟

الكنيسة الكاثوليكية

بإزاء ديوان التفتيش

نظر تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ورد علينا من غدراس بفترح كسروان سؤالان عرضهما علينا الاديب اسكندر افندي عون على هذه الصورة طالباً الجواب عنهما

١ هل الهراطقة الذين كان يُحكم عليهم بالحريق والغريق وبعذابات اخرى متنوعة كانت تلك الاحكام تصدر من ديوان التفتيش المؤسس من البابوات او من سلطة الملوك والحكام ؟

٢ فان كانت تلك الاحكام من الملوك والحكام وهي بالطبع جائرة أما كان يمكن البابوات ان يحتجوا عليها ؟

الجواب

انَّ ديوان التفتيش واحكامهُ على الهراطقة احد التهاويل الثلثة او الاربعة التي لا يزال يردّدها اعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة ويصمّون الآذان عن قبول تفنيدها مهما سعى العلماء الثقات في بيان وجه الحقيقة . ولا شكَّ ان جناب المكاتب تأثَّر ببعض ما ينشرهُ المتشدّقون ليقف على صحّة الامر ويبدي فيهِ حكماً صائباً فتلبّي دعوتهُ بطيب الخاطر . على أنّنا لا نحاول البحث عن هذه المسئلة بكلام طويل تضيق عنهُ صفحات المجلّة وانّما نعرضهُ موجزاً بحيث يكفي لازالة الاوهام الباطلة عن عقل طالبي الحقيقة الذين لا يسعهم مراجعة المظان الواسعة التي ابرزها العلماء الكاثوليك

١ ﴿ ما هو ديوان التفتيش ﴾ هو ديوان شرعي ألّفتهُ الكنيسة البحث عن الاضاليل الدينيَّة ولاسيما الهرطقات المسببة ضرراً عظيماً للايمان المستقيم ولنظام السلطة الروحيَّة بل للهيئة الاجتماعيَّة نفسها

٢ ﴿ما هو اصلهُ﴾ اصلهُ من حيث تلافي شرور الضلال واستدراك التعاليم الكفريَّة يرتقي الى اوائل الكنيسة نفسها اذ انَّ المسيح بتخويلهِ سلطتهُ الالهيَّة لرسلهِ جعل وديعة الايمان في يدهم ليحفظوها ويدافعوا عنها لئلَّا تُصاب بأذى وهو القائل جلَّ اسمهُ (متى ١٨ : ١٧) : «من لم يسمع من البيعة يُعتبر كوثنيٍّ وعشَّار». وفي اعمال الرسل ورسائلهم ما يثبت حرصهم على تلك الوديعة الثمينة وتصدّيهم لمن يخلُّ بها. وكفى بذكر ما كتبهُ بولس الرسول الى تلميذهِ طيطس (١ : ٧–١١) : ينبغي للاسقف ان يعظ بالتعليم الصحيح ويحاجّ المناقضين لأنَّ كثيرين هم عُصاة وذوو كلام باطل وخدّاعون ولاسيما الذين من الختان فينبغي ان تُسدّ افواههم». ومثلهُ في رسالتهِ الثانية الى تيمرتاوس (٢ : ٤) : اكرز بالكلمة وحاجج ووبّخ . . فانهُ سيأتي زمان لا يحتملون فيهِ التعليم الصحيح بل على وفق شهواتهم . . . فيصرفون مسامعهم عن الحقّ ويعدلون الى الخرافات». ولمَّا كان الاساقفة في الكنيسة هم خلفاء الرُّسل ولاسيَّما الحبر الاعظم خليفة هامتهم اقتضى عليهم ان يسيروا في حفظ وديعة الايمان على مثال تلامذة السيّد المسيح وفقاً لما ورد في سفر الاعمال (٢٠ : ٢٨–٣٠) في خطاب بولس الرسول لزعماء كنائس آسية في افسس حيث قال: «احذروا لانفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيهِ الروح القدس اساقفةً لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمهِ فاني اعلم انهُ بعد فراقي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تُشفق على القطيع . . . فاسهروا اذن . . .»

وبناء على هذه المراقبة الجبريَّة والاسقفيَّة عُقدت المجامع المسكونيَّة والمحليَّة لاثبات حقائق الايمان والضرب على يد من ينتهك حماها

٣ ﴿ديوان التفتيش الروماني﴾ ان اتساع حكم الكنيسة الكاثوليكيَّة وانتشارها بين الامم القاصية كان يقتضي بزيادة حرص على سلامة التعاليم المسيحيَّة وتلافي ما ينجم عن المحاكم الاسقفيَّة الخاصَّة من المبالغة في التشدُّد على المتَّهمين بالضلال وبعكس ذلك التراخي في مصادرتهم فحكم رؤساء الكنيسة الاعظمون باقامة ديوان اعلى تُرفع اليهِ الدعاوي المختصَّة بالايمان ليقضي بصحَّة تلك التعاليم فيبرّر قائليها او يزيّفها ويعلن للكنيسة بفسادها ساعياً بانارة القائلين بها ليرتدُّوا الى المعتقدات الصحيحة

وممَّا دفع الاحبار الرومانيين ايضاً الى اقامة الديوان المذكور رغبتهم بان يلطّفوا احكام السلطة المدنية التي منذ عهد قسطنطين وخلفائهِ القياصرة المتنصّرين كانوا

يعتبرون الشرود عن الايمان والمجاهرة بالهرطقة كجنايات دولية لما ينجم عنها غالباً من الفتن فكانوا يحكمون على اصحابها بالعقوبات المادية الصارمة من ضرب وقطع وقتل فان قضاة الدولة حكموا غير مرة بالاعدام على اتباع ماني وغيرهم من الهراطقة . وكانت الكنيسة تأنف من هذه الاحكام فاننا نجد في ما كتبهُ الآباء كالقديس يوحنا فم الذهب والقديس امبروسيوس اسقف ميلانو والقديس مرتينوس اسقف طور في فرنسة رسائل الى الملوك يرذلون فيها تلك الاحكام ويطلبون الاجتزاء بالتأديبات الروحية كالحرم والمنع من الاسرار

الّا انَّ تحامُل الهراطقة على المؤمنين واضطهادهم لذوي الدين المستقيم بيّن لكل العقلاء انهُ لا بُدَّ من ردّ كيد هؤلاء في نحرهم . فانَّ القديس اوغسطينوس الذي كان في اوّل الامر لا يرضى بغير العقوبات الادبية استصوب اخيراً التأديبات المادية كالحبس ودفع الغرامات والنفي الّا انهُ لم يشأ ان يُقتَل احد لمجرَّد الهرطقة . وعلى رأيهِ سار معظم الآباء واللاهوتيين في جهات الغرب . على انَّ الشعب ما كان ليرضى بمثل هذه الاحكام المعتدلة فكثيراً ما كان يثور على المبتدع ويوسعهُ ضرباً وقتلاً الى ان يموت بيدهِ . ثمَّ استفحل الشرّ وزاد الامر تفاقماً بظهور بدع الكثاريين والألبيجيين في جنوبي فرنسة في اواخر القرن الثاني عشر فكانوا اشبه بالبولشفيك يطوفون البلاد ويعيثون فيها فساداً بالنهب والسلب والحريق والقتل بحيث اصبح وجودهم آفةً للهيئة الاجتماعية والنظام المدني . فالتجأ الامبراطور فردريك الثاني بربارومسا الى البابا لوشيوس الثالث واتفقا في توحيد السلطتين الروحية والمدنية للضرب على ايدي هؤلاء الأئمة الغلاة فاجتمع الاساقفة في مدن شتى وألفوا لجاناً للبحث عن اولئك الهراطقة حتى اذا وقفوا على افكارهم السيئة يرفعون دعواهم الى الديوان الاسقفي الذي بعد التفتيش المدقق واثبات جرمهم وعنادهم يسلّمهم الى الديوان المدني الذي لهُ ان يرتأي في امرهم ما يشاء من العقاب حتى الحكم بالاعدام والعقاب بالنار كما كان الامر شائعاً في ذلك العهد . وكان للاحبار الرومانيين مَن يمثلهم في هذا التفتيش . ومن جملتهم كان القديس دومنيك منشئ رهبانية القديس عبد الاحد

على انَّ فردريك الثاني لم يجد في الدواوين الاسقفية غيرةً كافية لكبح الفساد واخذ على نفسهِ ان يدوّن تقريراً شديداً في حقّ الهراطقة ليضع حدّاً لتطاولهم

ورجاساتهم ونشره سنة ١٢٢٠ في ڤينّا فخاف البابا اينوشنسيوس الثالث ثمّ خلفهُ غريغوريوس التاسع ان يستبدّ الامبراطور بمحاكمة الهراطقة وجرمهم قبل كلّ جرم ديني ولذلك عيّن البابا غريغوريوس ناظرًا رسوليًا من قبلهِ ليراقب انحاء البلاد الموبوءة بالهرطقة ويؤلف محكمة لا حكم للاساقفة عليها للتفتيش على نافثي سموم البدع وقطع دوابرهم بتسليمهم للحكم المدني الذي له ان يعاقبهم كيفما شاء . وهذا هو ما عُرف بعد ذلك بديوان التفتيش اناطهُ الحبر الاعظم بالرهبان الدومنيكان سنة ١٢٣٣ ولم يُقم هذا الديوان في كلّ دولة وانّما أُقيم فقط في البلاد التي كان يُخاف فيها من مساوئ اولئك الهراطقة . وكان لهذا الديوان دستورٌ خاصّ في بنود متعدّدة يجب على اعضائه ان يجروا عليها ولا يحيدوا عنها لئلّا يجوروا بحكمهم او يحكموا جزافًا . وكان محظورًا عليهم ان يحكموا بالاعدام على احد بل لم يُسمح لهم باستعمال ادوات العذاب الّا نادرًا جدًّا . وكانوا اذا وجدوا مبتدعًا مصرًّا على عناده وسوء تصرّفهِ حكموا عليهِ ببعض العقابات الروحيّة بل المادّيّة ايضًا كالحبس او الغرامة الماليّة وما كانوا يسلمونهُ الى القضاة المدنيّين الّا اذا كان ذا سوابق وعاد غير مرّة الى مفاسدهِ او كان من زعماء الهراطقة فيُجري القضاة في حقّهِ القانون الشائع في ذلك العهد اعني ان يُحرق بالنار ما لم يَتُب عن كفرهِ وإثمهِ فاذا فعل عُفي عنهُ . امّا عدد الذين اسلمهم ديوان التفتيش الروماني لحكم الديوان المدني فقليلون جدًّا كانوا في ديوان مدينة طولوز بنسبة عدد الواحد الى ٢٤ مجرمًا وكان ديوان التفتيش محصورًا في بعض البلاد فقط ولا يتجاوز حكمهُ الى غير النصارى الخاضعين لرومية . فمن يا تُرى ينكر على الكنيسة سلطتها على محاكمة ابنائها ؟

هذا كان ديوان التفتيش الروماني فانهُ ادّى للكنيسة وللمجتمع الانساني خدمًا لا تُحصى بما منعهُ من الشرور والمظالم وقد اقرّ اعداء الكنيسة نفسهم انّ الذين كان الكرسيّ الرسولي يعهد اليهم رئاسة ديوان التفتيش كانوا رجالًا افاضل وعلماء لا يحابون الوجوه ويجرون في تفتيشهم بكل نزاهة كما انهم حكموا بعدالة القوانين التي وضعها الاحبار الرومانيون لذلك الديوان وصرّحوا بانها مملوءة حكمةً وفطنةً . ولا ننكر انّ في ديوانٍ مثل هذا وُجد في ممرّ الاجيال بعض الافراد الذين تجاوزوا الحدود ونسوا روح الوداعة المناسب لدرجتهم وانّما كان ذلك على طريق الشواذّ وكان

الباباوات اذا علموا بتطرُّفهم كتبوا لهم ووبَّخوهم على فعلهم كما يتَّضح من بعض رسائلهم . امَّا ما يرويه الاعداء في دعوى غليلاي فقد فنَّدناهُ بفصلٍ موسَّع عنوانهُ «صواب الرأي في دعوى غليلاي» (فليراجع في المشرق ٩[١٩٠٦]: ١٧٨–١٨٤ و٥٧٩).

وديوان التفتيش الروماني هو اليوم احد المجامع المقدَّسة في رومية يرأسهُ قداسة الحبر الاعظم بنفسهِ ولهُ كاتم اسرار من الكرادلة . فمن اختصاصات هذا المجمع المحافظة على كلّ امور الايمان والآداب بهِ ينوط الحكم في المرطقات والكتب المحرَّمة وفي المسائل الاعتقاديَّة المتعلقة بالاسرار وخصوصاً بسرّ الزواج

٤ ﴿ديوان التفتيش الاسباني﴾ كثيراً ما يخلط الكتبة بين ديوان التفتيش الرومانيّ الذي مرَّ ذكرهُ وعرفتَ فضلهُ وبين الديوان الاسبانيّ الذي غلبتْ فيهِ السياسة على الدين . والفرق بينهما من وجوه مختلفة من حيث اصلهِ وغايتهِ ووسائطهِ وتدبيرهِ

﴿اصلهُ﴾ يرتقي اصل هذا الديوان الى القرن الخامس عشر أنشئ سنة ١٤٧٨ بإغراء الملك فرديننذ المعروف بالكاثوليكيّ والملكة ايزابيل قرينتهِ وكلاهما من اعظم ملوك زمانهما كفاهما فخراً انَّ كريستوف كولومب تمكَّن بفضلهما من اكتشاف اميركا . فهما اللذان طلبا من البابا سكسطوس الرابع ان يؤلف في مملكتهما ديواناً للتفتيش فرضي بذلك

﴿غايتهُ﴾ كانت غاية ديوان التفتيش الاسباني مضاعفةً دينيَّة من جانبٍ وسياسيَّة من جانب آخر . وجدت الملكة ايزابيل وفرديننذ الملك زوجها بلاد اسبانية لمَّا جلسا على عرش الملك عرضةً للفتن والدسائس هدفاً لاعداء المملكة

وكان العدوّ الاكبر والالدّ العنصرَ اليهودي . فانَّ اليهود كانوا منذ ثلثمائة سنة نموا وتشدَّدوا واحتكروا على معظم ثروة اسبانية بالربا وضروب الدسائس فاستولوا على كثير من مناصب الدولة وبثّوا بين الشعب زوَّان تعاليمهم الفاسدة واباطيلهم المستقبحة . وكان ملوك اسبانية توسَّلوا بوسائل متعدّدة تارةً باللطف والاقناع وتارةً بالعنف والجبر ليردُّوهم الى الايمان المستقيم فأتت مساعيهم احياناً ببعض النتائج الحسنة لاسيما بمساعدة المرسلين والرهبان وخصوصاً بمساعي القديس الدومنيكي ثلسان فيريه رجل العجائب الذي ردَّ الالوف منهم فحسُن تنصُّرهم . الَّا انَّ القسم

الاوفر ما كان يتظاهر بالنصرانيَّة الَّا مُكرَهاً خوفاً من النفي او استصفاء الاموال وكان مثل هؤلاء المتنصرين اعظم شرًّا واوفر خطرًا على الدولة لسيرهم بالمراء والمكر. فلم تجد ايزابيل وفرديننذ زوجها وسيلةً لحفظ البلاد من هذا الداء الوبيل الَّا بانشاء ديوان التفتيش

وكان في الوقت ذاته خطرٌ آخر يتهدَّد الدولة . وذلك انَّ فرديننذ وزوجتهُ توفَّقا في السنة ١٤٩٢ ففتحا غرناطة وهي آخر معقل كان المسلمون ثبتوا فيهِ بالاندلس بعد سقوط بقيَّة بلادهم في ايدي ملوك اسبانية . ثمَّ عرضا على المسلمين احد امرين امَّا البقاء في املاكهم مع التنصُّر وامَّا الخروج من تلك البلاد فرضي كثيرون بان يدينوا بالنصرانيَّة حرصاً على اموالهم . بيد انَّ اولئك المتنصرين لم يرتدُّوا عن يقين وثبتوا باطناً على معتقدهم . ومن ثمَّ اصبحوا باختلاطهم مع النصارى المؤمنين وباشتراكهم معهم بالمعاملات والزواج وكلّ مناصب الدولة حجرَ عثار في سبيل الكاثوليك. فاستدعت هذه الحالة الحرجة الملكين فرديننذ وايزابيل على اطلاق سلطة ديوان التفتيش عليهم ايضاً مع اليهود لسلامة المملكة وحفظ دينها المستقيم

﴿ تدبير ديوان التفتيش الاسباني ﴾ انَّ تدبير هذا الديوان كان في ايدي ملوك اسبانية . كان الحبر الاعظم يعيِّن لهُ رئيساً يتولَّى شؤونهُ مع لجنةٍ خاصَّة من رجال الدين والعلماء يرجع اليهم الفحص عن صحَّة الشكاوى المرفوعة اليهم واستماع الشهود ودفاع المتَّهم عن نفسهِ ليبرزوا الحكم الصائب في حقهِ . وانَّما كان الملك هو الذي يؤلف من اهل دولتهِ شورى لتنفيذ أحكام اللجنة الفاحصة بالعقاب المناسب . وانَّما كان للملك سلطان على اللجنة نفسها في انتخاب اعضائها بل في تغيير رئيسها . وبذلك اصبحت اللجنة غير مرَّة تحت نفوذ سلطة الملوك وآلةً لغاياتهم الشخصيَّة . فاضطرَّ الاحبار الرومانيُّون ان يحتجُّوا على اعمال ذلك الديوان ويبلغوا الملوك عدم رضاهم بها. بل ضربوا بالحرم رئيسهُ كما فعل البابا لاون العاشر الذي حرم رؤساء ديوان التفتيش الاسباني سنة ١٥١٩ وامر احبارٌ غيرهم بان تُرفع دعاوي ذلك الديوان الى الكرسي الرسولي ليبدوا فيها حكماً أعدل وانزه كما فعل البابا القديس بيوس الخامس اذ ابطل حكم ديوان التفتيش بحق برتلماوس دي كرَّانزاس رئيس اساقفة طليطلة الذي كان الديوان حكم عليهِ دون تروٍّ . ولا شكَّ انَّ الديوان الاسباني تجاوز حقوقهُ غير مرَّة

وفضّل اصحابُهُ مشيئة الملك على صوت الضمير . الّا انهُ لا يجوز ان تُنسب الى الكنيسة تلك الاحكام غير المتدنة التي صدرت من الديوان المذكور على خلاف رضى الحبر الاعظم . وكذلك العقوبات التي كانت شورى الدولة تجريها في حقّ المتّهمين بعد فحصهم كان المسئول عنها اهل الدولة خصوصاً فجاروا في حكمهم مراراً

على انّ هذه الاغلاط والمعاملات المذمومة لا تكاد تُحسب اذا قوبلت بالنتائج الحسنة التي صدرت من هذا الديوان الاسبانيّ نفسهِ . فانّهُ ضمّ اطراف الدولة الاسبانيّة وطهّرها من العناصر الغريبة الساعية في فسادها

فلمّا ظهرت البدعة البروتستانيّة واستفحل شرُّها في المانية وانكلترّة وبلاد الشمال وفي قسم كبير من فرنسة فقامت الحروب الدينيّة على ساق ومات بسببها عشرات الالوف ومئات الالوف من الناس بقيت اسبانية في هدوّها وسكينتها ورقيها بفضل ديوان التفتيش

وكذلك لمّا قامت جلبة الجنسيانيّين والفلاسفة الملحدين والثورة الكبرى في فرنسة فسعى دُعاة هذه البدع والمشاغب في القرن الثامن عشر ان ينشروا في اسبانية عدوى اضاليلهم وينفثوا فيها سمومهم كان ديوان التفتيش سوراً منيعاً صان تلك البلاد من مفاسد تلك النزغات وابقى لاسبانية دينها وشرفها

امّا ما يُنسب الى اصحاب هذا الديوان من الاعمال السيّئة وخرق الحدود فانّنا مع تسليمنا ببعضهِ وتقبيحنا تلك المساوي لا بُدّ ان نقول في تلطيف تلك الشكايات :

(اوّلاً) ان ديوان التفتيش الاسبانيّ مع كلّ ما اتاهُ من سوء التصرُّف بسلطتهِ لم يبلغ قطّ ما بلغهُ زعماء الاصلاح الموهوم كاوتاروس في المانية وكالفينوس في جنيفة وهنريكوس الثامن وابنتهُ الملكة اليصابات في انكلترّة مع اعدائهم عموماً ومع الكاثوليك خصوصاً فانّ التاريخ مشحون بالشهادات الناطقة بجورهم وظلمهم وتحاملهم على كل من لا يوافقهم على آرائهم الفاسدة وذلك بمجرّد ارادتهم ودون حكم شرعي

(ثانياً) انّ استعمال آلات العذاب في ديوان التفتيش للحصول على اقرار المذنبين لم يكن امراً غريباً في زمانهِ بل كان القاعدة العموميّة في كل محاكم اوربّة بلا استثناء فما لاعداء الكنيسة يسكتون عن بقيّة الدول ولا يلومون في استعمالها غير ديوان

التفتيش كأنهُ هو المتفرّد باستعمالها ؟ فاين الانصاف؟

(ثالثاً) ومما لا يُنكر ان ديوان التفتيش سبق كل المحاكم الاوربيَّة في إلغاء ادوات العذاب لاستنطاق المجرمين . وهذا ما اقرَّ بهِ المؤرخ لورنت (Llorente) احد اعداء الكنيسة المتوفى سنة ١٨٢٣ في تاريخهِ عن ديوان التفتيش قال: « قد أُلغي ديوان التفتيش منذ زمن طويل استعمال العقوبات الجسديَّة في استنطاقاتهِ » وكان سكسطوس الرابع وهو منشىء الديوان الاسباني اوَّل من احتجَّ على استعمال المصادرات والتنكيل . كما يظهر من رسائلهِ

(رابعاً) وكذلك سجون ديوان التفتيش فانَّ لورنت المذكور يقول عنها انها « كانت عموماً نظيفة خالية من الرطوبة مبنيَّة بالعقود ولم يُثقل فيها احدٌ بالاغلال . وكانت تلك السجون لو قُوبلت بسجون الدول كالقصور بالنسبة الى مساكن العامَّة »

(خامساً) وكذلك يزعم اعداء الكنيسة انَّ عدد ضحايا ديوان التفتيش في اسبانية بلغ عشرات الالوف في زمن قصير والصحيح كما اثبت لورنت انَّ عدد المحكوم عليهم بالاعدام في مدَّة ٣٣١ سنة التي بقي ديوان التفتيش في عملهِ لم يتجاوز ٣٥،٠٠٠ اعني ١٠٥ بالتقريب في السنة . ولم يُحكَم الَّا على نصفهم فقط لسبب جنايات دينيَّة والباقون حُكم عليهم لغير ذلك لان الديوان عينهُ كان ايضاً يبحث في جنايات شتى كاللصوصيَّة والسحر والربا الفاحش . قال المؤرخ الانكليزي كوبت (W. Cobbett) « انَّ الملكة اليصابات الانكليزيَّة مناصرة البدعة البروتستانيَّة قتلت في سنة واحدة اكثر مما ضحَّاهُ ديوان التفتيش في طول مدَّة وجودهِ . ولولا اضطهادات امراء البروتستانت الدمويَّة لما امكنهم ان يمدُّوا سلطتهم على المانية وسواها »

فترى من كل هذه الملحوظات انَّ اعداء الدين لا يرون الخشبة في عينهم وعيون اصحابهم ويحاولون نزع القذى من عين الكنيسة . ففيهم يصح قول الربّ (متى ٧: ٥) : « يا مرائي اخرج اوَّلاً الخشبة التي في عينك ثم تأتي وتنزع القذى من عيني »

ومما سبق يستطيع السائل ان يستخلص الجواب على سؤاليهِ ويردّ على اعتراض المعترضين والسلام

القصيدة

المسماة عند الدروز بشعر النفس

بقلم احد قرائنا الباحثين المدققين

ايها الاب الجليل

قرأت في المشرق الاغرّ الصادر في تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ (ص ٨٧٩) تحت عنوان «شعر النفس» ثمانية ابيات لاحد شيوخ الطريقة عند الدروز واسمه ابو ابرهيم اسمعيل بن محمد التميمي. وهذه الابيات من قصيدة لها منزلتها عند اصحابها فاردتُ ان اقدّمها لكم بتمامها لكي تنشروها كاملةً وقد نقلتها عن الاصل المكتوب بخط الامير شرف الدين عيسى بن شهاب الدين احمد بن زين الدين صالح المتوفى سنة ٨٢٦هـ (١٤٢٣م) بحرفها الواحد :

الى غاية الغايات قصدي ومُنيتي ... الى الحاكم العالي على كلّ حاكمِ
الى الحاكم المنصور عوجوا وامّموا ... فليس فتى التوحيد فيهِ بنادمِ
هو الحاكم الفرد الذي جلّ إسمهُ ... وليس له شبهٌ يقاس بحاكمِ
حكيمٌ عليمٌ قادرٌ مالك الورى ... يؤانسُ بالاسم المُشاع بحاكمِ (كذا)
غدا السّابقُ السامي اليه وتالِهِ(١ (كذا) ... مع الجدّ والفتح الخيالِ الملاومِ (كذا)
عبيدًا لمولانا خضوعاً لأمرهِ ... وكلُّ فتًى في الدين عبدًا لآدمِ (١
هو الواحد العالي على كل علّةٍ ... وما غيرها الّا كعبدٍ وخادمِ

١) يريد تاليه فحذف الياء. والسابق والتالي هما مع آخَر اسمُهُ حارة (كذا بالتاء المربوطة) خلقوا العالم وابرزوهُ من العدم الى الوجود الّا ان حارة راغ بينهما وافسد فطرداه

هو الحاكم المولى بناسوته يُرى ولاهوتُهُ يأتي بكلّ العظائم
الى الحاكم المولى هلمّوا وأقبلوا فتوحيدكم يُصدق(٢ على كل حازم
اذا الحاكم العالي تعالى بموكبٍ فوحّد بعين العلم بين العوالم
تسمّى اماماً والامام فعبده تيقّظ ولا تصغي الى كلّ نائم
وقد ظهر المولى فآنس عبيدَهُ بافعالهم انباً بحكمة حاكم
ظهورًا بافعال العبيد وشكلهم وبأنسهم والخلقُ شبهُ البهائم
اذا بثّنا التوحيد طاشت عقولهم وراموا انتهاشاً مثل نهش الاراقم
سيقطعهم عُظمُ احتجاج مقالنا على عُظمهم قطعاً كقطع الصوارم
هو الحقّ ما قلنا شواهدُهُ أتت تحزّ مقالَ القوم حزّ الغلاصم
تقوم رجال الحق عند قيامهم بقوة عزمٍ في انتهاء العزائم
يُقادون رغماً لا يُجاب مقالهم حُفاةً اسارى في اكفّ الضراغم

وخذلاه فصار ابليس اللعين ويرمز الى هذا ويستدلّ من لفظ حارة فان حروفهُ بحساب الجمّل ٢٠٩ فاذا اسقطناها عشرات بقي تسعة واول حروف التسعة تاء وآخرها تاء (وان كانت مربوطة) وحاوت آخرهُ تاء فيكون ذلك الاول هو ذلك الآخر . كذا في احدى رسائل الدروز من مجموع اوّله «الرسالة الدامغة ردًا على الفاسق النصيري لعنهُ المولى في كل كور ودوره» وكذا في غير كتاب من كتب الدروز وللكلام صلة لا محل لذكرها الآن ولنا نذكرها في مقال آخر ونذكر خبر آدم هذا عندهم وخبر ابليس

١) يريد آدم غير ادم اوّل البشر بل آدم هذا الذي يعنيه هو انسي آدم الصفاء الكلي . قال في الرسالة المستقيمة ما حرفيته : آدم هم ثلاثة آدم الصفا الكلي ومَنْ قبلهُ آدم العامي الجزئي ومَنْ دونه آدم الناسي الجرماني وجميعهم من ذكر وانثى لا كما قال اهل الزخاريف المشوبة انهم من التراب وحاشا الباري سبحانه ان يخلق صفيّه وخليفته من التراب وهو من امهون الاشياء . انتهى

٢) كذا بالسين في جميع كتب الدروز وهو رمز عندهم الى المائة والاربعة والستين . « المكاسرين الدعاة لدين مولانا الحاكم فان حروف سدق بحساب الجمل ١٦٤ وهو عدد هؤلاء الدعاة» كذا في تعليق الامير السيد عبدان التنوخي على بعض رسائل حمزة وغيره

يناديهم الهادي هلمّوا الى الذي جهلتم من التوحيد من كل عالمِ
هلمّوا الى المعنى الخفيّ وحسبكم شواهد ابديها لكم في الدعائمِ
وقلتم بتأويل المعاني ديانةً على غير ما قد قيل من كل قائمِ
ظننتم بان الطفل يبقى لصغرهِ وأنسيتمُ حدَّ البلاغ المكاتمِ(١
وأشركتمُ والشركُ كُنهُ لنطقكم وامواج بحر الشرك بين التلاطُمِ
سيُطلَقُ سيفُ الحق فيكم لجهلكم ويحصدكم كالزرع من غير راحمِ
ويحويكمُ اهلُ الإجابة والتقى وتوحيدهم يربُو على كل غانمِ
ويظهر سيفٌ للتميميّ مُشهَرٌ على جمعكم والفعل من غير آثمِ
وما صفوةٌ للمستجيبين باذلٌ جهادكمُ من غير خوفٍ ملازمِ
ويشفي غليلًا في الصدور مُكمَّناً ويأتي على انسابكم والتراجمِ
وتمشون جهرًا بالغبار لخلفكم وتلقون كل الذلّ من غير راحمِ
سيكظم هذا الشعرُ كلَّ منافقٍ ويزداد كظماً فوق كظم الاكاظمِ

انتهت وجاء في آخرها ما صورته :

«من الشيخ اسمعيل الى جبل السّاق ليقرأ على كل موحد وموحدة ارتضى به المولى سبحانه واشاع بنسخهِ للمستجيبين يتناوضون بهِ نشيدًا في كل يومٍ جديد»

(تنبيه) نقلنا هذه القصيدة على ما بها من المخالفة لاصول اللغة والشعر . ولا يُظن انهُ يوجد نسخة اخرى اكثر ضبطاً . فان ما وقفت عليهِ من كتب الدروز ورسائلهم لم

---

١) يريد ان الناس كانوا يرون الحاكم صغير السنّ وقد وهموا بذلك . قال في الرسالة المستقيمة ما نصه : اول ما اختصر ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار وهو يومئذٍ ظاهر ما يرونه (كذا) العامة على قدر عقولهم ويقولون صبيّ السن وملك المشارقة كافة مع برجوان وابن عمار ملك المغاربة كافة فأمر مولانا سبحانه بقتلهم فقتلوا كالكلاب ولم يختر من تشويش العساكر والاضطراب . انتهى بحروفه

اجد فيه نسخة مضبوطة . والغريب انك لا تجد كتاباً من كتب الدين هذه الا مشكولة ولكن يشكل غير صحيح . وقد وقفت على نحو عدة نسخ قديمة من كتاب مجموع رسائل منها رسالة الغيبة ورسالة الشمعة وميثاق ولي الزمان وخبر اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الحاكم عن امر دينهم وغير ذلك وعلى نسخ من كتب اخرى منها الجزء الاول من سبعة اجزاء ومجموع فيه فتاوى للشيخ الفاضل الكوكباني وغير ذلك وكلها ليس فيها نسخة معربة وهي مشكولة كلها ايضاً ولا تكاد كلمة واحدة يكون شكلها صحيحاً

فدونك هذا المثال المنقول بحرفه وتشكيله عن مخطوط قديم من مخطوطات المكتبة الشرقيّة للآباء اليسوعيين (ص ٢٢٨—٢٢٩) اثباتاً لقولنا :

رِسَالَةِ الهِنْدُ

المَرْسُومه بالتذكار والكتال إلى الشيخ الرشيد المسدد الفضال توكلت على المولي الاله الصدق الحاكم بالحق المعبود بلغات جميع الخلق من العبد المقتني الفصيح والبشير التصبيح المملوك لولي الزمان صاحب الكشف وغيبة الامتحان إلقايم لهداية شيعة التصديق والمنهج ببرهانه إلى التوحيد اوضح طريق إلى الشيخ الرشيد كهف الموحدين المسدد الفضال الحكيم المؤيد الموفق في الاقوال والافعال ابن سومرا جبال السلام عليك وعلى حزب الهدايه قبلك الموحدين ببلد الهند وهنداستان المرتقبين لرفع راية الحق وظهور قايم الزمان الباذلين مهجهم في كفاح أهل الباطل وأبالسة الاديان كعبدالله ابن الليث القاطع لحبايل السلافه الاطهار الموحدين المابين بالسفه والخلاف لأمر المولي إله العالمين . إما بعد فالحمد للمولي الاله المنفرد بمعنى الظهورات الالهيه الحاكم المقدس بلاهوته من حيث هو عن المايه والكميه المنزه بعد وجوده عما تحوط به العقول وتنطق بالالفاظ المنطقيه . . . (وقس عليه بقية الكتاب)

معبد مدفني قديم في حمص

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

نشرت جرائد شتى في اوائل تشرين الاوّل خبر اكتشاف سرب ضمنهُ بناء مزيّن بنقوش وكتابات في حيّ باب السباع في حمص. والسرب المذكور ملك احمد افندي الندّاف الذي احسن فأبقى تلك النقوش كما وجدها وبينها الصلبان وسمح لبعض الزوّار ان يعاينوا تلك الآثار. فبلغ الخبر رئيس الآباء اليسوعيين في حمص حضرة الاب قندلا فذهب بصحبته استاذ مدرستهم المسيو الياس كوست ونزلا الى السرب المذكور ورسما ما فيهِ من الآثار واوعزا الى المصوّر حافظ افندي ديب بأن يأخذ من بعضها الصور الشمسيّة. ثمّ أرسلت الينا كلّ هذه المعلومات التي استفدنا منها لكتابة الاسطر التالية شاكرين لكل من أدّى للعلم هذه الخدمة الجُلّى فانّنا لولاهم لفقدنا كثيراً من تلك النقوش التي سيتلفها الشتاء بامطارهِ رغماً من سعي الحكومة بحفظها وهي قد امرت بطمرها وسدّ البئر التي يُنزل منها اليها. ولعلّ المعلومات التي بلغتنا ستبقى الشاهد الوحيد على تلك الآثار الجليلة

١

هذه صفة البناء المكتشف: هو مربّع مستطيل متوازي السطوح قائم الزوايا قليل الارتفاع طولهُ ثمانية امتار و ٨٠ سنتي على عرض مترين و ٨٠ س وعلوّ مترين وسنتيمترين. ترى في الشكل الاوّل رسمهُ الحضيضي وقطعهُ عمودياً

وكان الداخلون يدخلون الى تلك الحجرة من باب في جنوبيها من احد طرفيها الاصغرين. ويرى الداخل عن شمالهِ من جهة الغرب جداراً غير مثقوب فيهِ ثلث كوًى وسمناها في رسمنا بالاحرف A. B. C. يفصلها عن بعضها دعائم متينة تتّصل رؤوسها ببعضها عند بلوغها العقد المستدير

وكلّ كوّة من الكوى الثلث مزدان بالنقوش يُستدلّ على صورتها بشكلنا الثاني. فترى من فوق قريباً من العقد اكاليل قاتمة اللون يتخلّلها نقوش بيضويّة زرقاء

وخضراء وصفراء وحمراء تمثل فصوصاً من الحجارة الكريمة وفي وسط الاكاليل صليبان حمر في تقاطعهما اوّل حروف اسم السيد المسيح بين الحرفين اليونانيَّين A و ω. ومن تحتها إطارٌ مربَّع مستطيل احمر في ضمنهِ كتابات مسطَّرة ايضاً باللون الاحمر.

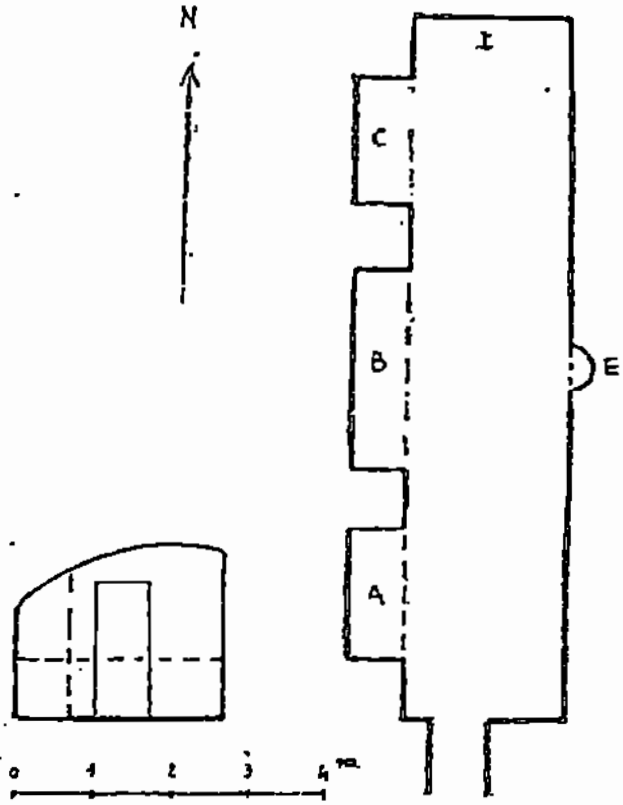

الشكل الاوّل

وتحت الاطار مسطبة صغيرة تعلو عن سطح الارض ٤٠ سنتيمترًا ومن المحتمل انها تربة لاحد الموتى المقبورين هناك

وفي طرف الحجرة شماليَّها عند النقطة التي وسمناها في رسمنا بحرف D كتابة رابعة ملوَّنة ايضاً اثبتناها في شكلنا الثاني. فترى هناك ليس فقط كتابات يونانيَّة ولكن اسطر نجيليَّة ايضاً على يمين الصليب ممَّا رسمهُ الزوَّار القدماء لذلك المكان كما كانوا يفعلون عند افتقادهم للآثار القديمة ولقبور مشاهير الناس. والمرجَّح ان هذه الكتابة

الاسطرنجيلية قد سُطرت هنا بقطعة من الفحم وهي مكتوبة ايضاً فوق الكوّة الموسومة بحرف B حيث امكن حضرة الاب قندلا ان يأخذ صورتها المكبّرة وكلتاهما غير واضحة لم نستطع قراءتهما الا حدساً وكأنّ النصّ من آيات الكتاب المقدّس على ما ارتأى احد كهنة حمص السريان

وليس للجدار الشرقي كوًى شبيهة بالجانب الغربيّ وانّما لهُ فقط في وسطهِ كوّةٌ صغيرة قطرها ٥٥ سنتيمترًا وعمقها ٢٠ س رسمنا شكلها في الصورة الواردة هنا . وكأني بها مِشكاة كانوا يعرضون فيها الصور ومن المرجّح انها كانت مذبحًا بقرب تربة الميت كانت تقدّم عليهِ الذبيحة في التذكار السنوي لدفن الميت . وهذا الذي كان يدعو القدماء الى تدوين سنة ويوم دفن موتاهم بقرب قبورهم فجروا هنا على هذا المجرى

وكان فوق المشكاة المذكورة صليب احمر اللون يحدق بهِ اكليل . امّا باطن المشكاة فكانت تزينهُ صلبان اخرى مع إطار هندسيّ قصَدَ النقّاشُ ان يمثّل بهِ صورة حنيّةٍ تستند الى عمودين

وعن يمين وشمال هذه الكوّة المفردة التي وصفناها كان يوجد ايضاً رسم صليبين احمرين بسيطين منصوبَيْن فوق سعفتَيْن اخضرين من النخل مبسوطين افقيًّا رمزوا بهما الى رجاء القيامة بقوّة الصليب

٢

فمن هذا الوصف الذي قدّمناهُ يتّضح بنوع كاف معنى الاثر المكتشف . فانّهُ كان معبدًا مدفنيًّا في مطمورة تحت الارض كما يُرى اليوم وعلى كلّ حال كان مُظلماً قاتمًا اذ لم يدلّنا مراسلونا على وجود شبّاك او منفذ للنور لكنّ فيهِ فقط جهازًا لتعليق المصابيح . امّا الكوى على جانبي البناء غربًا وشمالًا فانهما يشبهان الشبه التامّ للكوى المدفنيّة (arcosaules) التي هندسها النصارى في الدياميس

وكذلك الكتابات فانّها ضريحيّة نثبتها هنا كما امكنَنا الاطّلاع عليها من مراجعة صورتين شمسيّتين وثلاث نسخ خطّيّة ارسلها لنا حضرة الاب قندلا

فالكتابة المنقوشة في الكوّة الاولى عن شمال الداخل من الباب (في النقطة التي وسمناها بحرف A في الشكل الاوّل) قد انخدع بها بعض زوّار المحلّ فظنّوا

انها تدلّ على مدفن احد الشهداء مستندين الى قراءة سيّئة لثلثة حروف يونانيّة منها. وهذا هو النصّ بأصله اليوناني مع شرحه :

[+] Ανηπαυσατο ο μακαριος Φιλιππος εν μ(ηνι) Αρτεμησιω | ζ: του βπ|
ετους + .

« قد دُفن المرحوم فيلبّوس في اليوم السابع عشر من شهر ارتيميوس (اعني ايّار) من السنة ٧٨٢ (من تاريخ الاسكندر الموافقة للسنة ٤٧٠ للمسيح) »

وتحت الصليب المرقوم في آخر الكتابة اليونانيّة صورة طائر ارادوا به الحمامة المرموز بها الى خلود النفس المسيحيّة

والكوّة الثانية الموسومة بحرف B على رسمنا فيها كتابتان الواحدة منقوشة بالاحمر والثانية منقورة باللون الاسود . فدونك الكتابة الحمراء :

+ Ανηπαυσαν[τ]ο ο μ(ακαριος) (Μελας ? μ(ηνι) Δυστρου β: του επβ |
ετους , και Ουλιας (?) μονχος Μαιου ζ (τω)ν ϛβ ετους.

(تفسيرها) « قد دُفن المرحوم ميلاس (؟) في اليوم الثاني عشر من شهر دستروس من السنة ٧٨٥ (آذار سنة ٤٧٣م) واولياس الراهب في اليوم السابع من ايّار من السنة ٧٩٠ (اعني ٤٧٨ م) »

وهذه الكتابة المرقومة باللون الاسود :

+ Ανηπαυσατο ο μακαριος | Ευσεβις μ(ηνι) Εκατικου κ του α?ω |
ετους +

(تعريبها) «دفن المرحوم اوسابيس في اليوم العشرين من شهر كسانتيوس من السنة ٨٠١ (؟) آذار من السنة ٤٨٩ م (؟) »

امّا الكتابة المنقوشة تحت الكوّة الثالثة فان امطار الشهر تشرين الاوّل الاخير قد اتلفتها تماماً

وتحت الكوّة الرابعة في اقصى الحجرة في النقطة الموسومة برسمنا بحرف D قد نُقشت كتابتان كما ترى في الشكل الاوّل الذي رسمناهُ . على انّ الرطوبة والمطر قد اثّرا في هاتين الكتابتين فطمسا بعضها ومن ثمّ في قراءتنا لها بعض الارتياب

فالكتابة الاولى مكتوبة بحروف كبيرة كما تُرى في اجمل المخطوطات القديمة

+ Ανεπαυσατο ο ευλαβ(εστατος) κ(αι) θεοσεβ(εστατος) δια | κον(ος) ? Ιλλος ? μηνι Δυστρου ζκ τ(ου) ξ(ους) | ετους.

تفسيرها : « الشماس هلوس (؟) ذو التقى والعبادة السامين قد دُفن في اليوم السابع والعشرين من الشهر دوستروس (اذار) من السنة ٧٦٠ (؟) (اعني ٤٤٨ م)

ودونك الكتابة الثانية :

+ Ανεπαυσατο ο θεο[φ]ιλεστατος ..... [μο]ν[α]χος ? π[ρ]ε[σ]βυ-(τερος) ? αρχιμανδριτης αν[αστ|ει]χ[ι]σ[ας ?, τ]ην εν Εε.. α αγιαν μονην εν [μηνι] | ..... α λ του εκω ετους +

« ان الراهب والكاهن والارشمندريت (فلان) المحبوب كثيرًا من الله الذي اقام اسوار الدير المقدَّس (في محل كذا) قد دُفن في اليوم الثلاثين من شهر ... من سنة ٨٢٥ (اعني ٥١٣م)

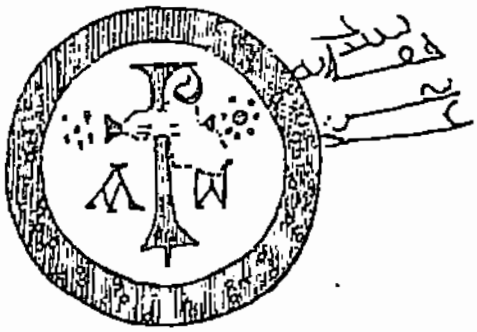

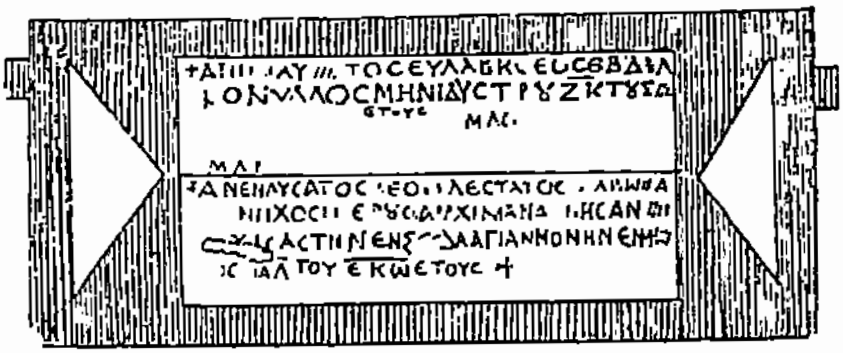

الشكل الثاني

٣

فيستفاد من الكتابات المذكورة آنفاً تاريخ المعبد المدفني الحمصي وغايته .

فالتاريخ يُعرف من اقدم كتابة اكيدة في التُّرَب المذكور وهي السنة ٤٧٠ للمسيح. ومن المرجَّح انَّ تجهيز تلك الحجرة وتهيئتها يرتقي ايضاً الى ذلك العهد. والصليب الذي هناك المشتبك فيهِ اوَّل حروف اسم المسيح قد وُجد سابقاً شبهُهُ في بلاد الشام وبلاد اليونان (١). والنقوش كذلك من الزمن عينهِ

والقبر الذي لهُ شأن اعظم في المدفن المنوه بهِ هو على ما نظن قبر الشمّاس (؟) هلُوس (؟) ومن ثمَّ تكون نقوش الحجرة راقية الى زمن دفنهِ بل قبل السنة ٤٧٠م. ولمَّا توالت السنون اخذ اصحاب المدفن يقبرون في التُّرَب القديمة موتى جدداً. فترى انَّ الكوَّة الثانية الموسومة بحرف B قد قُبر عندها موتى آخرون في السنين ٤٧٣ ثم ٤٥٨ ثم ٤٨٩. كذلك مدفن الشمّاس (؟) هلُوس (؟) قُبر فيهِ ميتان سنة ٤٥٨ (؟) و ٥١٣

فالكتابات الصريحة اذن خمسٌ وارد فيها اسماء ستة من الموتى. بينهم شمّاس واحد ثمَّ رئيس دير كاهن وارشمندريت ثمَّ راهب ولمَّا كان الرهبان لا يُدفَنون قديماً بعيدين عن ديرهم ينتج عن ذلك انَّ المدفن المكتشف حديثاً كان قريباً من احد الديرة ولعلَّهُ كان لاصقاً بكنيسة الدير. فاننا نعلم من التاريخ انَّ الرهبان منذ السنة ٤٠٠ كانوا اخذوا يشيدون الاديرة في وسط المدن. فكان الشعب يُقبل الى كنائسهم ليسمع الانغام الدينية والتراتيل الطقسيَّة ذات الالحان الشجيَّة التي كان مشغوفاً باستماعها. ولعلَّ القديس رومانوس المرتل الشهير مولود حمص تعلَّم في وطنهِ تلك الانغام المطربة قبل ان يتغنَّى بها في كنيسة بيروت لمَّا أُقيم فيها شمَّاساً وقبل ان ينتقل منها الى القسطنطينيَّة عاصمة مملكة الروم. بل من المحتمل انهُ انضمَّ في دير وطنهِ هذا في حمص الى عداد الرهبان متنسكاً

وكان يتقاطر الى كنائس حمص سكانها المؤلفون من عناصر شتى كما كانوا يزدحمون في كنيسة اورشليم. ومما يشير الى ذلك اسم راهب من المدفونين في هذا

---

(١) اطلب معجم الآثار والطقوس D. H. Leclercq: Dict. d'Archéol. chrét. et de Liturgie, s. v. CHRISME, col. 1501 sqq. Cf. J. Laurent: RCH, t. 33, 1899, p. 218.

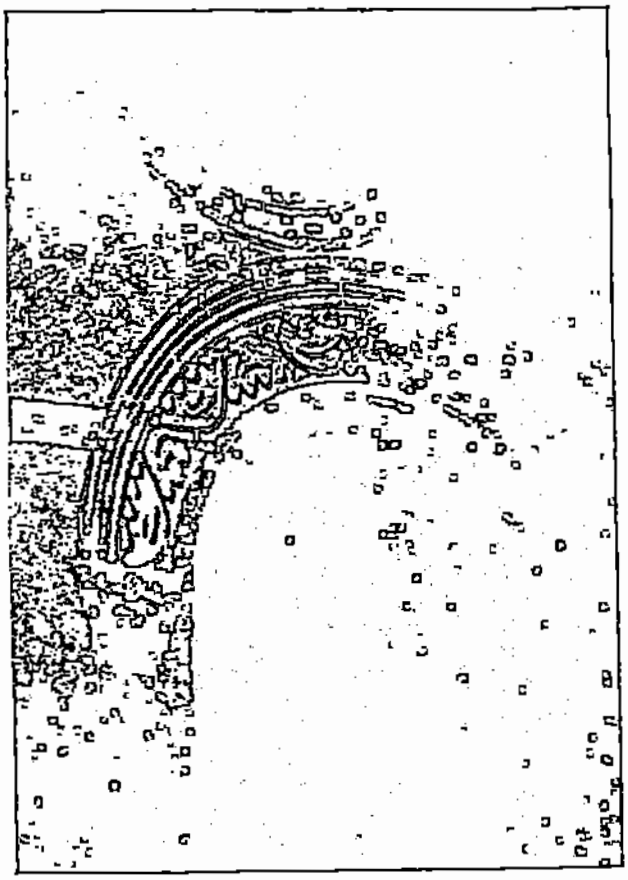

الكوّة المجبّزة في معبد حمص المدفنيّ في جداره الشرقي
(عن صورة اخذ رسمها حافظ افندي ديب)

المدفن وهو يدعى اولياس (Ouliaq) وهذا الاسم غوطي غريب (١ . وكذلك اسم الشمّاس هلوس فانّهُ اسم أُودي الأصل شائع في جهات آسية الصغرى

وهناك ايضاً كاهن وارشمندريت ذهب اسمهُ وهو آخر مَن قُبر في هذا المدفن وذلك في السنة ٥١٣م وكان اقام سور الدير

فترى من كلّ هذا انّ المدفن المكتشف يفيدنا افادات جمّة عن الحياة الدينية في القرن الخامس للمسيح ولاسيّما في مدينة حمص التي نجهل كثيراً من تاريخها النصراني

مطبوعات شرقية جديدة

Bertrand Bareilles : Le drame oriental. D'Athènes à Angora. 1 *vol. in-12, Paris, Editions Bossard*, 1923, *Prix* 7 *f*, 50

رواية الشرق التمثيلية : من اثينة الى انقرة

المسيو بارايل احد الفرنج الذين عرفوا الشرق ودرسوا مشكلاته وهو الذي تشرّف بتعليم جلالة السلطان عبد المجيد الخليفة الحالي وقضى في الاستانة ٢٥ سنة فكتب عن تاريخها القديم تأليفاً سبق لنا وصفهُ (ص ١٧١) وهو يُعدّ نشر مصنّف آخر عن المدينة الحاليّة وسكّانها . امّا الكتاب الذي نحن بصدده فانّهُ ضمّنهُ المعلومات الواسعة عن المناقشات التي سبقت الحرب الاخيرة بين اثينة وانقرة اي اليونان والاتراك . ففي تاريخ هذه المنازعات اشياء كثيرة ملتبسة روتها الجرائد على حسب اهوائها ونزعاتها . فاعاد المسيو بارايل النظر في تفاصيلها مباشراً بسوابقها فوصف احوال اليونان وسياستهم من عهد فنيزيلوس الى غوناريس وفي بلاد ايونية وسياسة البولشفيك المتسترة والكسرة الاخيرة فبيّن كلّ ذلك بايضاح ونزاهة دون ان يمرّه

(١ اطلب بروكوبيوس في كتابه حرب القوط Procop. : De Bello Goth. II, 7, Bonn, p,. 174.

وجه الحقيقة . ومما اعجبنا في هذا الكتاب انّ صاحبه يتكلّم كمسيحيّ مُخلص مفضّلاً على سياسة الدول وانانيّتها انتصار التمدّن الصحيح والعمران الثابت وفوز الدين المستقيم ج . لوفنك

L'Epire, Berceau des Grecs : Photographies de Fr. Boissonnas. Introduction de Baud-Bovy. 1 *vol., gr. in-8°, Genève, Editions d'art Boissonnas*, 1920. 2e *éd.*.

تصاوير بلاد ايبروس مهد اليونان

ان محلّ بواسونناس في سويسرة تخصّص بنشر صور البلاد الشهيرة . فممّا اختاره لهذه الغاية بلاد ايبروس مهد اليونان فرسم منها ٤٧ صورة غاية في الحسن والاتقان وتحت كلّ صورة بيان معناها وخواصّها . وقد قدّم عليها المسيو بود بوفي توطئة شائقة لبيان تاريخ تلك البلاد واوصافها ج . ل

P. Seb. Reinstædler : Elementa Philosophiæ Scholasticæ. T. I et III, Ed. 12., pp. XLVIII-1118 *Fribourg en Brisgau, Herder, Prix* 36 *fr.* 40

اصول الفلسفة المدرسيّة

هذا دستور لتعليم الفلسفة المدرسيّة شائع في جهات اوربّة في مكاتبها الاكليريكيّة وهو اليوم قد بلغ طبعته الثانية عشرة فكفى بذلك تنويهاً بروائجه وفضله . وممّا يُستحبّ في هذا التأليف انّ صاحبه ضمّن في مجلّدين لطيفين في حجم أنيق سائر مباحث الفلسفة بطريقة سهلة حسنة التنظيم مع حياده عن المسائل الفضوليّة القليلة الجدوى . فالدارس يجد فيه ما يشتهيه من مطالب الفلسفة التي يحتاج الى معرفتها مع خلاصة المذاهب الفلسفيّة المستحدثة وتفنيد اضاليلها كاللاادريّة والثبوتيّة والجبريّة الخ . وبه ايضاً يقف على النتائج العلميّة التي بلغ اليها علماء العصر بخصوص علم النفس كما انهُ يستطيع ان يطّلع على بعض الابحاث الجدليّة لاسيّما على البحث في الفرق بين الجوهر والكيان فانّ المؤلف عرض القضيّة بكل اعتدال ذاكراً لكل فريق حججهُ ومثبتاً في الاخير ترجيحهُ لاحد الفريقين . ولعلّ اعتبار المدارس لهذا الكتاب استناد صاحبه الى مجموع التآليف الفلسفيّة المعروف باسم (Lacensis) والى تآليف الكردينال مرسيه الفلسفيّة الاب ي . مونجان

Ducros (L.) : La Société française au XVIII° siècle. 1 *vol. in*-12, *Paris, Librairie Hatier*, 1922

الجماعة الفرنسويّة في القرن الثامن عشر

هذا كتاب يصلح لنوادي التعليم ولاساتذة التاريخ في المدارس البيانيّة واللاهوتيّة. ومن ميزاته انّه استخلص من عدّة آثار مخطوطة ومراسلات قديمة معلومات شتّى وصفها وصفاً متناسقاً لتعريف ذاك القرن مباشرةً برؤسائه اي الملك وحاشيته ثمّ بقيّة طبقات الدولة بحيث يستطيع القارئ ان يحكم الحكم الصواب عن محاسن الجيل الثامن عشر ومعايبه ولا ينسب للعموم ما هو فعل بعض الخاصّة

Bessières (Albert s. j.) : PARVULI. 1 vol. in-12. Etablissements Casterman. Paris-Tournai, 1923, 55° mille, Prix 2 f.

كتاب الاحداث

ينشر اصحاب المطبوعات الموسومة باسم "Hostia" تآليف مختلفة لافادة الذين يهتمّون بتهذيب الناشئة كالاقارب وارباب المدارس والشبيبة المسيحيّة كراريس عديدة يحسن توزيعها في العموم. ومنها هذا الكتاب المسمّى بكتاب الاحداث وفيه قصص شائقة واخبار رائقة ممّا يرشد الكبار والصغار ويعلّمهم حسن تربية الاحداث وتثقيفهم خصوصاً بممارسة فرائض الدين والفضائل المسيحيّة ج. ل

Plomion (Ch.) : ARITHMÉTIQUE, Cours moyen, certificat d'études, 1re partie. 1 *vol. in*-12, *Paris, Librairie Hatier*, 1923

كتاب حساب مدرسي

وضع المسيو بلوميون هذا التأليف لافادة التلامذة الذين يستعدّون لطلب اجازة الدروس الابتدائيّة. فوجدناه غاية في الاتقان من حيث تبويبه وشروحه لسائر القواعد الحسابيّة فقلّما وجدنا من شكله ما يجمع كلّ فوائده ج. ل

النسمات

بقلم سلمى صائغ جمع جرجي نقولا باز

طبع في المطبعة الادبيّة ببيروت سنة ١٩٢٣ (ص ١٨٨)

يسرّنا ان نرى انّ النهضة الادبيّة في عصرنا لم تنحصر في الجنس النشيط فقط بل

امتدّت ايضاً الى الجنس اللطيف. وقد كان لوطننا السوري في هذه النهضة النسائية سهمٌ الاوفر فانّهُ يفتخر بسيّدات جليلات واوانس اديبات أصدرن المجلّات وصنّفن التآليف المستحسنة وألقين المحاضرات العلميّة كمازي يني ونجلا ابي اللمع وماري عجمي وجوليا طعمه وعفيفة صعب. ومنهنّ من شرّفن وطنهنّ في الخارج كريم زياده (مي) في مصر وعفيفة كرم في الولايات المتحدة وسلوى سلامه في البرازيل. وهاءنذا بشاهد جديد ينبئ برقي وطنيّاتنا في عالم الادب ألا وهي السيّدة سلمى صائغ اودعت هذه النسمات جانباً من افكارها السامية وشعورها الرقيق وعواطفها اللّيّنة وهي تُحسن خصوصاً وصف بنات جنسها في احوالهنّ المختلفة كاوانس واخوات وربّات خدور شريفات وضحايا مطامع الرجال وظلمهم وكلّ ذلك بكلام حسن التنسيق لطيف المبنى يسيل رقّةً وانسجاماً. فكم هناك من الفصول البديعة التي قرأناها بلذّةٍ في انشائها العصري البعيد من تهتّك الريحاني وتقعّر جبران. وقد سُررنا خصوصاً بما في كتابتها من روح الدين ونسمات العبادة. ومن ابدع ما رقمتهُ يدها الفصل المُعنون باجراس العيد وجوائز الفضيلة وذكرها لسيّدة حريصا. وبين هذه النسمات فصولٌ أُخرى وطنيّة تبعث فيها الكاتبة في قلوب قرّائها محبّة وطنهم ولغتهم وسياسة بلادهم بالاستقلال ولا بأس في كلّ ذلك لولا شيءٌ من التطرّف في احكامها عن الاجانب وتنفورها منهم مع كلّ ما يؤديهِ الكثير منهم من الخدم لوطنها. فانّ في بعض اقوالها (مثلاً في الصفحتين ١٦٦–١٦٦) ما يشين قلم كاتبة معتدلة مثلها. امّا سؤالها في فصل الغريب (ص ٣٧) عن السبب الموجب لتضحية «اكواب العطور» وملاذّ الحياة عند خيانة الزوج لزوجتهِ فالجواب في قول الانجيل الطاهر «ما يجمعهُ الله فلا يفرقهُ انسان» فلا يقدم احد اذن الى الزواج الّا بعد التروّي ل.ش

رفائيل بطّي : امين الريحاني في العراق

في مطبعة دار السلام ببغداد ٥٩٢٣ (ص ٢٢٨)

نصب الريحاني صنم شخصهِ في العراق ينتظم بخور اهلهِ كما فعل في مصر وكما فعل في اليمن وفي الحجاز فهو كابي «قلبون في كلّ لون يكون» او

كأبي براقشَ كلّ حينٍ لونهُ يتحوّلُ

فتراهُ في مظاهرهِ وازيائهِ وخطبهِ كابي زيد او ابي الفتح الاسكندري مارونيًا مع اهل لبنان ومحمّديًا عند اهل اليمن ونجد والحجاز وعربيًا في العراق وهو في احوالهِ كلها يسخر من الجميع ولا يقصد سوى الشهرة ومديح الجمهور. وما كنّا لنبخل على ثرثرة كلامهِ بالتطبيل والتزمير لولا روحهُ الكافرة التي يبثّها حيثما حلّ وهو يسترها تحت حجاب الوطنيّة ويجعل الدين عدوًّا لحبّ الوطن. وكلّ يعلم انهُ لا يقوم حبٌّ صادق للوطن الّا بالدين مهما تشدّق الريحاني بقولهِ (ص ١٤٤) : « علينا ان نرفع العاطفة الوطنيّة على العواطف الطائفيّة والمذهبيّة والشخصيّة كلّها، علينا ان نقدّم في امور الدنيا الوطنَ على الدين. علينا ان ننسى خارج الكنيسة والجامع والكنيس اننا مسيحيّون او مسلمون او يهود » . ومن ثمّ يسوءنا ان عقلاء البلاد يطرئون مثل الريحاني الذي اثبتنا الحادهُ غير مرّة فيعظّمون من نراهُ احقّ بالاحتقار والامتهان لما يرونهُ فيهِ من شقشقة اللسان ويسمعونهُ من كلامهِ الفارغ ان لم نقل من الهذيان

ماهيّة النفس ورابطتها بالجسد

تأليف ميخائيل يوسف تيسي.

طُبع في مطبعة دنكور الفلاح – بغداد سنة ١٩٣٢ (ص ١٣٧)

دونك احدى ثمرات إلحاد الريحاني. وهو كتاب نشر فيهِ صاحبهُ كلّ مزاعم الماديين فلم يرَ من هو احقّ باهدائهِ الكتاب الّا الريحاني وكلّ طائر يأوي الى شكلهِ. فهنّأهُ الريحاني بجرأة افكارهِ واتت تهنئتهُ برهانًا جديدًا على مناهضتنا لهذا رجل السوء الذي يزرع كفرهُ في تربة بلادنا مهبط الوحي وبيئة الانبياء. ما كنّا لنظنّ انّ عراقيًّا يسطّر كتابًا كهذا يحاول فيهِ بكل قحة نقض تعاليم كلّ الاديان واكبر علماء العالم في حقيقة النفس وجوهرها الالهيّ وروحيّتها وفوقها على المادّة من وجوه شتّى وخلودها فخبط في اقوالهِ خبط العشواء. اذ لم يميّز بينها وبين نفس النبات ونفس الحيوان وجعل اختلاف ميزتها عنهما في اختلاف المادّة التي يرتبطان بها كما انهُ لم يفرز بين اعمال الجسد واعمال النفس وما تستمدّهُ النفس من الحواسّ وما تترفّع بهِ عنها وتقوم بهِ دونها. فكل هذه تعاليم يعرفها صغار مدارسنا ويجهلها التيسي

ويحبّذ الريحاني جهلهُ وسفاسفهُ . صان الله شرقنا العزيز من كلّ هذه الاضاليل والترّهات التي اذا انتشر وباؤها انذرت البلاد بارخم العقبى ل . ش

قصيدة الجماعة في ملبوس الخلاعة

بقلم لطف الله نصر البكاسيني

ان الوطن عرضة للاخطار من طرفين من جانب التعاليم الفاسدة ومن جهة التهتُّك والخلاعة . وعليهِ ندعو كلّ من يصدق في حبهِ ويبتغي رقيّهُ الى التصدّي لكلا الخطرين . والقصيدة المنونة هنا وُضعت لمناصبة ازياء النساء الخلاعيّة التي هي احد اشراك ابليس لهلاك النفوس . وقد وضعها ناظمها باللغة العاميّة لتكون اوقع في قلوب العموم وتصوّر لهم سوء فعلهم

مبادئ العربيّة في الصرف والنحو (السنة الثانية)

المعلم رشيد الشرتوني — كتاب المعلم

بيروت المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٣ (ص ١٦٧)

لا حاجة الى وصف هذه المبادئ التي تكرّر سبع مرّات طبعها . وقد أُضيف اليها الآن كتاب المعلم لاصلاح ما فيها من التمارين البالغ عددها المئتين والسبعة . وذلك توفيرًا للوقت على الاساتذة وازالةً لما في بعضها من المشاكل

كتاب علم الادب . مقالات لمشاهير العرب (الجزء الاوّل)

جمع الاب لويس شيخو اليسوعي . طبعة جديدة

طُبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ (ص ٣١٢)

هذه المقالات من اجود وابلغ ما كتبهُ القدماء في علوم المعاني والبيان والبديع وقد نالت لدى ارباب المدارس والادباء قبولًا واستحسانًا حتى نفدت طبعتها فاعاد جامعها النظر في مطالعتها واصلح ما وقع فيها من الاغلاط وادخل فيها بعض التحسينات

زيادةً للفائدة . على انهُ فضّل هذه المرّة طبعها دون ضبطها بالشكل التامّ كالمرّة الاولى ولا داعيَ موجب لهذا الشغل الثاقل

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

الجزء الاوّل من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠ (سنة ١٩٢٣ ص ١٦٦)

هذه ايضاً طبعة جديدة لهذا الكتاب الذي راجت سوقهُ فلزمنا اعادة طبعهِ . فقام مؤلفهُ بهذا العمل فنقّح واصلح واضاف الى كتابهِ معلومات مفيدة وقف عليها بعد طبعتهِ السابقة او استفادها من بعض الادباء فجاء اوفى غايةً واتمّ كمالاً . هذا فضلاً عن الفهارس المتعدّدة التي جُعلت في ختامهِ تقريباً لفوائده

شذرات

﴿اوّل كليّة جامعة كاثوليكيّة في هولندة﴾ علمنا بمزيد السرور تدشين اخوتنا الكاثوليك في هولندة لكليّتهم الجامعة التي اقاموها في مدينة نيمينغ . وهي الاولى من جنسها امكنهم ان ينالوها بعد الجهد الجهيد من الحكومة التي كان غالب عليها الى هذه السنين الاخيرة الدين البروتستاني على انّ الكاثوليك لا يزالون يوماً بعد يوم يزدادون عدداً وفضلاً فصار ينظر اليهم كل مواطنيهم بعين الاعجاب والثقة . وقد تمّ تدشين الجامعة الجديدة بحفلة قلّما جرى مثلها في تلك البلاد فاتتهم رسائل التهنئة من سائر العالم الكاثوليكي مباشرةً بالحبر الاعظم . وقد نشروا عدداً ممتازاً من جريدتهم اودعوها تلك التهانئ بلغاتها بينها قصيدة سريانيّة لحضرة وطنيّنا القس اسحاق ارملة وقد تعيّن لتدريس العلوم العليا في المدرسة المذكورة اساتذة من مشاهير البلاد واساطين العلم من جملتهم اربعة من اليسوعيين واربعة من الدومنيكان . فأملنا عظيم بحسن مستقبل هذه الجامع لما نعهد في الهولنديين من الجدّ والثبات

﴿خطاب سيادة المطران مسرَّة لشعبه﴾ اطَّلعنا في الهدية على الخطاب الذي القاهُ سيادة المطران جراسيموس مسرَّة في كنيسة طائفته الاورثذكسيَّة بعد عودته سالماً الى كرسيّ ابرشيَّته. فسرَّنا ما اخبر به سيادتهُ عن نجاحه بما توخَّاهُ من سفره الى اميركا. على أنَّنا وجدنا بين تصريحاته ما ذكرهُ عن حضوره في مدينة بورتلند من ولاية اوريكن ما دعاهُ «المجتمع العام لاختنا المحبوبة كنيسة الابسكوباليين الشريفة» ثمَّ ذكر سيادته الجلسات التي استمرَّت ١٧ يوماً ومشاركتهُ لهم في الدينيَّات الى ان قال: «وكلّ ما عندنا الآن ان نقولهُ هو انَّ العلاقات بين الكنيستين حسنة جدًّا والوقت الذي نرى فيه الكنيستين متفقتين تماماً في المبادئ والتعليم لم يعد بعيداً». ومن ثمَّ على قول سيادته اصبح الاتفاق بين الروم الاورثذكس والبروتستانت قريباً

ليسمح لنا سيادتهُ ان نلقي عليه بعض الاسئلة طالبين من لطفه ان يجيبنا عنها:

١ً اتحقَّق سيادته ان السلسلة الكهنوتيَّة الرسوليَّة لم تنقطع في كنيسة الابسكوباليين بعد ان قرَّرت اربع مرَّات الكنيسة اليونانيَّة انَّ هذه السلسلة ليست متَّصلة بالسلسلة الرسوليَّة كما حكم عليها الباباوات؟. ٢ً أيرضى سيادتهُ بأن تتَّفق الكنيسة الاورثذكسيَّة مع الكنيسة الابسكوباليَّة الجارية على مبدأ الحريَّة الشخصيَّة في التعليم والاعتقاد على خلاف الكنيسة الاورثذكسيَّة التي تصرِّح بأنها جارية على تعليم الرسل والآباء والمجامع؟. ٣ً أيعلم سيادتهُ بانهُ بمشاركته الشيعة الابسكوباليَّة يشارك بالوقت ذاته معظم الشيع البروتستانية المشتركة مع الابسكوباليين بالدينيَّات على ما بينها من التناقض في المعتقدات المنافية لايمان الكنيسة الاورثذكسيَّة؟. ٤ً ألا يدري سيادتهُ بانَّ اعضاء الكنيسة الابسكوباليَّة والانكليكانيَّة يقسمون بالطاعة لدستور الايمان الذي قرَّرتهُ الحكومة الانكليزيَّة في القرن السادس عشر المعروف بدستور التسع والثلاثين عقيدة. وكثير من هذه العقائد على طرفي نقيض من تعليم الكنيسة الاورثذكسيَّة؟

هذه اسئلة نؤمل من سيادته ان يجيبنا عليها وقد اثبتناها مطوَّلةً في مقالتنا التي نشرناها في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٨٦٨–٨٧٥) تحت عنوان «الاورثذكسيَّة والانكليكانيَّة» وقد بيَّنا فيها ان اشتراك الكنيسة الاورثذكسيَّة بالكنيسة الانكليكانيَّة تقويض اساس الكنيسة اليونانيَّة ونفي تعاليمها القديمة التي لا يجوز تضحية اصغرها ولو نال العالم كلّه

﴿آثار جبيل﴾ توفّق المسيو بيار مونته استاذ كلّية ستراسبورغ والضليع بالآثار المصريّة الى اكتشاف مدافن جبيل الراقية الى القرن التاسع عشر قبل المسيح فوجد قبوراً لملوكها الّا ان النواويس الخشبيّة الثمينة كانت تلفت بفعل الزمان. وقد وُجدت هناك كتابات هيروغليفيّة ورد فيها اسم ملكي مصر الفرعون منحنمت الثالث الذي تولّى الامر من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٠٠ قبل المسيح والفرعون منحنمت الرابع الذي خلفهُ من السنة ١٨٠٠ الى ١٧٩٢ . وممّا ظهر ايضاً في المدافن المذكورة اثاث بديعة وامتعة ثمينة كثيرة العدد منها خزفيّات كجرار وخوابي ومنها آنية رخام وصندوقة لوضع الحلي كان بقربها انواط وخواتم واسوار وسلسلة ودرع واسلحة وصوالج ذهب وحجارة كريمة كلّها من امتعة الميت الذي كانت تأوي نفسهُ الى القبر وتأنس بما تمتّعت بهِ في هذه الحياة. وذلك على حسب معتقد اهل مصر وعاداتهم التي جروا عليها في سواحل الشام. وسنعود الى وصف هذه الآثار في فرصة اخرى

﴿ارتداد ارشمندريت ارثذكسي الى الكثلكة﴾ في ٦ تشرين الاوّل اعلن الارشمندريت سرجيوس دابيث (Serge Dabith) بارتدادهِ الى الكنيسة الكاثوليكية في باريس في حفلة ترأسها السيد شبتال اسقف ازيُنْدا مفوّضاً من الكرسي الرسولي لهذه الغاية. فحضرة الارشمندريت سرجيوس درس في روسيّة ونال اجازة اللغة في اللاهوت والحقوق ثم تعيّن كخادم السفارة الروسيّة في اليونان مدّة ست سنوات ثمّ أُرسل كوكيل للاوقاف الكنسيّة في جنوبي روسيّة ثمّ عُهدت اليهِ رئاسة كنائس طائفتهِ الارثذكسيّة في النمسة والمجر وبلاد المانية . وهو اوّل ارشمندريت روسي رجع الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة منذ المجمع الفاررنتيني

﴿الوسام المنوح لاستاذ الخطابة في كلّيّتنا﴾ نهنّئ حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة العربيّة في كلّيتنا ومدير محفلها الادبي لما نالهُ من لطف الحكومة الفرنسويّة التي اهدتهُ عن جدارة وسام الجمعيّة العلميّة من رتبة اوفيسيه. وفي صنعها دليل على اعتبارها للآداب العربيّة في بلاد انتدابها وتقديرها لاعمال حضرتهِ الخطيرة. ونهنّئ كذلك تلامذتهُ الذين تخرّجوا عليهِ واختبروا غيرتهُ في تعزيز لغتنا الشريفة فيسرّهم مجازاة الحكومة لاتعابهِ

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد الكهنة أصحيحةٌ هي الكلمة المنسوبة الى لوتاروس «إغطأ كثيرًا وليكن ايمانك ازيد من خطيئتك» وفي اي تأليف من تآليفهِ قال ذلك ؟

كلمة لوتاروس في التحريض على الخطيئة بزيادة الايمان

ج لا سبيل الى إنكار الامر فانَّ لوتاروس فاه بها في رسالتهِ الى تلميذهِ ميلنكتون التي تاريخها في غرَّة شهر آب سنة ١٥٢١ تجدها بين مجموع تآليفهِ الرسميّ في المجلَّد الثاني ص ٣٧ من طبعة ڤات (Watte)

س وسأل احد طلبة كليَّتنا . كيف تكوَّنت البحار وما هو سبب ملوحة مياهها ؟

تكوين البحار وسبب تملُّح مياهها

ج معلوم ان جلّ تركيب الماء من عنصري الهدروجين والاوكسيجين وكانت كرتنا قبل جمودها في حالة غازيَّة يكثر فيها هذان العنصران . فلمَّا رسبت فيها العناصر الثقيلة فتكوَّنت القارَّات تبخَّر عنصرا الهدروجين والاوكسيجين وامتزجا ثمَّ تجمَّدا بطبقات الجوّ الباردة وهبطا على الارض فتكوَّنت منهما البحار . ولمَّا كان معظم الصخور الموجودة على وجه الارض يتركَّب من عناصر يكثر فيها كلورور السوديوم وهو ملحنا الاعتيادي امتزج ذاك الملح بمياه البحر مع قليل من املاح أُخرى غيره

س وسأل حضرة القس فيلبُّس حنَّا واكد حبيش ايكنَّا اثبات اتصال الاسرة الحبيشيَّة المارونيَّة بالمسمّى حُبَيْش بن الاعسم الدمشقيّ تلميذ حنين الطبيب الشهير ؟

حُبَيْش بن الاعسم الدمشقيّ والاسرة الحبيشيَّة

ليس لدينا دليل على هذا الاتصال لاسيما انَّ حبيشاً المذكور كان في القرن العاشر للمسيح واقدم اثر مخطوط يُعرف عن بيت الحبيش لايرتقي الى وراء القرن الخامس عشر . امَّا التقاليد الشفهيَّة فليست مقنعة بغير ادلَّة واضحة . ثمَّ انَّ اسم حبيش كان كثير الشيوع عند العرب (يُراجع تاج العروس في مادَّة حبش) ل . ش

العوامّ لحليم افندي دمُوس (٤٢٣-٤٢٧؛ ٦٢٧) = لبنان الكبير وسوريّة: الانتداب والاستقلال بقلم الشيخ سليم الدحداح (٤٥٤-٤٦٧) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٤٦٨-٤٧٧) = شذرات: تدشين المستشفى الفرنسوي اللاحق بالمكتب الطبي. رشق الماسونيّة بالحرم. اهتداء شاعر ياباني الى الكثلكة. انتقاد المغربيّ. حملة الاحرار (٤٧٨-٤٧٩) = اسئلة واجوبة: جناز البتولات في الطقس المارونيّ. شمسة ملكة العرب. ابن المقفّع والغزّالي (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) المستشفى الطبي الفرنسويّ الجديد: نظر تاريخي اجتماعي للابوين شرل نيرون واميل ريفو (٤٨١-٤٨٦) = بدائع جبران خليل جبران وطرائفهُ: نظر انتقادي للاب ل. شيخو (٤٨٧-٤٩٣) = في البطريركيّة الانطاكيّة بقلم القس اسحاق ارملة (٤٩٤-٥٠٧؛ ٥٠٨: ٥٨٩-٥٩٩؛ ٩: ٦٦٠-٦٧١) = الاب برنردوس فون اليسوعي الانكليزي بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي (٥١٥-٥٢٦) = الكذب بضاعة الفرسون للاب ل. شيخو (٥٣١-٥٤٤) = دخول بطرس الرسول الى رومية للخوري يوسف المشبّق (٥٤٤-٥٤٩) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٥٤٩-٥٥٦) = شذرات: افادتان للسيّد محمّد كرد علي. شكري باشا واليسوعيّون. متسوّلة اسكندرانيّة في لبنان لالياس افندي صيداوي (٥٥٧-٥٥٩) = اسئلة واجوبة: المجاعة الخامسة مدّة سبع سنين في مصر على عهد يوسف. مولد مبتيوس ساويرس. اسم القيصر كركلّا. اسم انطاكية في اميركة الجنوبيّة (٥٦٠)

العدد ٨ (آب) البابا اكليمنضوس الرابع عشر والغاء الرهبانيّة اليسوعيّة: نظر تاريخي انتقادي للاب ل. شيخو (٥٦١-٥٧٣) = المقامة الاورشليميّة لاحد تلامذة اليان في كليّتنا (٥٧٤-٥٧٦) = لبنان الكبير ومتصرّفيّة لبنان القديمة للشيخ سليم الدحداح (٥٧٥-٥٨٥) = انتصار العرفان للوطنيّة والتاريخ للاب هنري لامنس اليسوعي (٥٨٥-٥٨٩) = الجليد الاصطناعي للاب رفائيل نخله اليسوعي (٦٠٠-٦٠٤) = كيف يجب ان اقضي يومي: فوائد صحيّة اخلاقية اجتماعيّة للحكيم امين الجميّل (٦١١-٦٢٢) = كتابة قدّس نقتالي اليونانيّة للاب ربنه موترد اليسوعي (٦٢٣) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٦٢٩-٦٣٦) = شذرات: احتجاج حليم افندي دمُوس على انتقادنا لقاموسه. البتيل في نظر مجلة الحارس. اسماء احرار محفل الحكمة الماسوني. وفاة الاب كولن اليسوعي. انّما الدين ان نعيش كراماً ٦٣٦-٦٣٩ = اسئلة واجوبة: اسم الاندلس. السيد المسيح وميلادهُ البشري. اعمالهُ ليوحنّا المعمدان في حبسه وموته (٦٣٩-٦٤٠)

العدد ٩ (ايلول) يوبيل سنة السبعين في خدمة الوطن والدين: خلاصة تاريخ واعمال راهبات القلبين الاقدسين للاب ل. شيخو (٦٤١-٦٥٦) = ترجمة حياة وتآليف القس بطرس نصري الكلداني للشمّاس عبد يشوع طوياً الموصلي (٦٥٧-٦٦٠) = نفَق تحت نهر السان للاب رفائيل نخله اليسوعي (٦٨٣-٦٨٧) = رحلة رسوليّة في بلاد الجليل الاعلى للاب فردينان توتل اليسوعي (٦٩٢-٧٠١؛ ١٠: ٧٢٧-٧٤٨) = الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة (تتمّة) للاب ل. شيخو (٧٠١-٧٠٧) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧٠٩-٧١٧) = شذرات: فقيد الطباعة الاخ انطون عبد الله اليسوعي. أقسى ام جواسيس. جزيرتان جديدتان. المئة الاولى للجمعيّة

الاسيويّة الانكليزيّة . سرجون الروبي . نسبة الغاية تقدّس الواسطة الى اليسوعيين (٧٧٧-٧٧٩) = اسئلة واجوبة : تعليق نعل الفرس في اهالي البيوت . كتاب السقراطيّة . قرب الشمس من الارض في فصل الشتاء (٦٣٠)

العدد ١٠ (تشرين الاوّل) محاضرة في حمص ومآثرها للاب ل . شيخو (٧٣١-٧٣٦) = وصايا افلاطون لارسطو وارسطو للاسكندر عن كتاب جاويدان خرد لابن مسكويه (٧٥٨-٧٦٣) = الرسول الماني فيليبرت فرو (١٨٢٩-١٩٠٥) للقس بطرس سارة (٧٦٣-٧٧٧) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧٩٠-٧٩٦) = شذرات : كتاب في الفلاحة . مادّيات مصريّة . نكبة اليابان . الحساب الغربي في كنيسة اليونان . تركة فقيد الطباعة الاخ انطون عبدالله اليسوعي (٧٩٣-٧٩٩) = اسئلة واجوبة : الكتب العربيّة القديمة في الجبل . المحافل الماسونيّة في بيروت (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) احوال الآخرة في عرف النصارى الاوّلين للقس جرجس اليان السرياني (٨٠١-٨١٢) = مجاراة تسبحة الموتى اللاتينيّة للخوري منصور عوّاد (٨١٣-٨١٧) = صحيفة من تاريخ لبنان في القرن التاسع عشر للاديب م . ح (٨١٨-٨٢٥) = دفائن الخزائن : علوم وزراء دمشق في الدولة التركيّة المصريّة للاديب حبيب زيّات (٨٤٤-٨٥٢) = جزيرة مالطة وآثارها القديمة للاديب فؤاد افرام البستاني (٨٦٣-٨٦٦) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٨٦٦-٨٧٦) = شذرات : دفاع السائح عن جبران خليل جبران . فكاهة مجلة مركيس وجهنّم فرحات – صوت اللحم والدم او زواج الاكليروس . ردود العرفان . المطران مسرّة في باريس . شعر النفس . الحساب الغربيّ (٨٧٦-٨٧٩) = اسئلة واجوبة : درس اللاتينيّة في المدارس الفرنسويّة . عيد فتح البستيل في ١٤ تموز (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاوّل) منارتا الكنيسة الجامعة القديسان توما الاكويني وفرنسيس دي سال (٨٨١-٨٩٧ = خواطر مصيّف في لبنان للاديب يوسف مدوّر (٨٩٨-٩٠٦) = دفائن الذخائر (تابع) للاديب حبيب زيّات (٩٠٦-٩١٠) = بين المشرق والسائح للاديبين فؤاد افرام البستاني (٩١٠-٩١٤) وادوار صعب (٩١٤-٩٢٠) = العرفان وتلامذة اليسوعيين للشيخ سليم خ . الدحداح (٩٢٩-٩٣٣) = الكنيسة الكاثوليكيّة بازاء ديوان التفتيش (٩٣٣-٩٤٠) = القصيدة المسمّاة عند الدروز بشعر النفس لاحد القرّاء (٩٤١-٩٤٤) = معبد مدفني قديم في حمص للاب رينه موترد اليسوعي (٩٤٥-٩٥١) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٩٥١-٩٥٧) = شذرات : اوّل كليّة جامعة كاثوليكيّة في هولندة . خطاب سيادة المطران مسرّة لشعبه . آثار جبيل . ارتداد ارشمندريت ارثذكسيّ الى الكثلكة . الوسام الممنوح لاستاذ الخطابة في كليّتنا (٨٥٧-٨٥٩) = اسئلة واجوبة : كلمة لوتاروس في التحريض على الخطيئة بزيادة الايمان . تكوين البحار وسبب ملوحة مياهها . حبيش بن الاعصم الدمشقي والاسرة الحبيشية (٩٦٠)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابن مسكويه : وصايا افلاطون لارسطو وارسطو للاسكندر ٧٥٨-٧٦٢
ارسطو وصيَّتهُ للاسكندر ٧٦٠-٧٦٢
افلاطون وصيَّتهُ لارسطو ٧٥٨-٧٦٠
اليان (القس جرجس السرياني) احوال الآخرة في عرف النصارى الاوَّلين (٨٠١-٨١٣)
ارملة (القس اسحاق السرياني) في البطريركيَّة الانطاكية ٤٩٤ ; ٥٨٩ ; ٦٦٠
البستاني (الاديب فؤاد افرام) جزيرة مالطة وآثارها القديمة ٨٦٣-٨٦٦ بين المشرق والسائح انتقاد اوَّل ٩١٠-٩١٤
التميمي (الشيخ ابو ابرهيم الدرزي) قصيدتهُ شر النفس ٨٦٨ ; ٩٤١-٩٤٤
توتل (الاب فردينند اليسوعي) رحلة رسوليَّة في بلاد الجليل الاعلى ٦٦٣ ; ٧٢٧
تورنيز (الاب فرنسوا) لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٦٨
تيمور (احمد باشا) : لهُ بعض الافادات ٣٠٥
جبَّل (الحكيم امين) كيف يجب ان اقضي يومي : فوائد صحيَّة اخلاقيَّة اجتماعيَّة ٦١١-٦٢٣
داغر (القس ليبارس اللبناني) كشف الغطاء عن المحابس والحبساء ١٣٠-١٤٠
الدحداح (الشيخ سليم) لبنان الكبير وسورية : الانتداب والاستقلال ٤٥٤-٤٦٢ = لبنان الكبير ومتصرفيَّة لبنان القديمة ٥٧٧-٥٨٥
الرفان وتلامذة اليسوعيين ٩٢٩-٩٣٣
الدويهي (البطريرك اسطفانوس) تاريخهُ لتلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية ٣٠٩ ; ٣٧٠
دي فراجيل (الاب بطرس اليسوعي) التذكار المئوي لمولد باستور ٢٤١-٢٤٨
ديلنسيغر (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ١٤٨, ٢٣١, ٥٥٠, ٧١٦
الرحماني (القس حنَّا) مأساة غفران الامير ٢٣١ ; ٢٨٠ ; ٣٥٠
الرصافي (معروف شاعر العراق) اثر جديد من شعره ٤٢٨-٤٣٣
رنزفال (الاب سبستيان اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٦٧ , ٣٩١
رينو (الاب اميل) المستشفى الطبي الفرنسوي الجديد ٤٨١-٤٨٦
زيَّات (الاديب حبيب) دفاتر الخزائن : معلوم وزراء دمشق في الدولة التركيَّة المصريَّة ٨٤٤ - ٨٥٣ وصف للمذاهب الملكيَّة والنسطوريَّة واليعقوبيَّة ٩٠٦ استخراج الدهن من جثث الموتى بمصر ٩٠٩
س.م (الاب اليسوعي) ذكر مولد الملحد ارنست رنان ٣٠١ ; ٣٠٠ = طاقة زهور من حدائق العلم : الفلك . الطبيعيَّات . الميكانيك . الطب ٢٥٣-٢٦١ = الديوفون او التلفون اللاسلكي ٢٤٢-٢٤٩ الديناميت : اصلهُ وتركيبهُ ومنافعهُ ومضارُّهُ ٤٠٧-٤١٤
ساره (القس بطرس الراهب اللبناني) الرسول الطلياني : فيليبرت ڤرو ٧٦٣-٧٧٨
سعد (الاديب يوسف بطرس) نجم المجوس في

لبنان ٢٥-٢٨
شيخو (الاب لويس اليسوعي) اصوات الكون في اوّل العام ١-٤ المخطوطات العربيّة الكنيسة النصرانيّة (الحاء والدال) ١٥؛ (الراء والزاي) ١٣٣؛ (السين) ١٩١؛ (الشين) ٢٩١؛ (الصاد) ٣٦٧؛ (الضاد والطاء والظاء) ٤٣٨؛ (العين) ٥٠٨؛ (الغين والفين) ٦٠٥؛ (الفاء) ٦٧٣؛ (القاف والكاف) ٧٤٨؛ (الكاف) ٨٣٤؛ (اللام) ٩٣٠=شعراء النصرانيّة بعد الاسلام: عثمان بن الحويرث ٣٩ الحارث بن كلدة ٢١ ابو القيس صرمة الراهب ٢٤ اكثم بن صيفي ٩٩ عبد المسيح بن بُقيلة ١٠٣ الخرقة بنت النعمان ١٨٣ الزبرقان بن بدر ٢٦٣ عديّ بن حاتم ٣٨٤ سمعان بن عبيرة ٣٨٧ النجاشيّ الحارثي ٤٤٦ جحيّة بن المضرّب ٥٢٦ امرؤ القيس بن عابس ٦٢٥ نائلة بنت الفرافصة زوجة الخليفة عثمان ٦٨٧ ميسون بنت بحدل الكلبيّة ٦٩٠ ابو زُبيد الطائي ٧٧٨؛٨٥٣ = الدنيا والدين في السنة الثانية والعشرين ٤٧-٦٧ = مخطوطان عربيّان من اسفار العهد العتيق ١٤١ - ١٤٧ = الصليب قوّة الله ١٦١-١٦٩= نشرةٌ لتاريخ الدويهي عن تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية ٢٠٩؛٢٧٠ رواية الام الثكلى وسيدة النجاة اللبنانيّة ٢١٦-٢٢٠ نشرة لترجام ايليا الثالث ابن الحديثي في القيامة المقدّسة ٢٤٨ = عاديّات سوريّة ومصر المكتشفة حديثاً ٢٧٥؛٤٦٢ = تطويب العبد الامين الكردينال بلّرمين ٤٠١-٤٠٧= اثر جديد لشاعر العراق ٤٢٨-٤٣٣ قاموس العوام لحليم افندي دموس ٤٣٣ - ٤٣٨ بدائع جبران خليل جبران وطرائفهُ ٤٨٧-٤٩٣ = الكذب بضاعة الفرسون ٥٢١-٥٤٤ = البابا اكليمنضوس الرابع عشر والغاء الرهبانيّة اليسوعيّة ٥٥١-٥٧٤ = بويل الشدة السبعين في خدمة الوطن والدين: خلاصة تاريخ واعمال راهبات القلبين الاقدسين ٦٤١-٦٥٦ = الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٧٠١-٧٠٦= نشرةٌ لقصّة الاسد الشكور ٧٠٧-٧٠٩= عاضرة في حمص وآثارها ٧٢١-٧٣٦ = منارتا الكنيسة الجامعة القديسان توما الاكويني وفرنسيس دي سال ٨٨١-٨٩٧ = الكنيسة الكاثوليكيّة بازاء ديوان انتفيش ٩٢٣-٩٤٠ ولهُ في كلّ اعداد المشرق وصف كتب وشذرات وتعريبات واجوبة شتى
صائغ (القس سليمان) في قرى نينوى سياحة رسوليّة لغبطة بطريرك الكلدان عمانوئيل يوسف ٤١٤-٤٣٨
صالحاني (الاب انطون اليسوعي) انبثاق الروح القدس من الآب والابن ٢٢٨-٢٤١ نشرةٌ للمقامة الاورشليميّة ٥٧٤ اصلاحهُ لبعض روايات نقائض جرير والاخطل ٢٧ شذرات ٧٧
صعب (الاديب ادوار) بين السائح والمشرق: انتقاد ثانٍ ٩١٤-٩١٩
صيداوي (الافركاتي ايلي) متولّة اسكندرانية في لبنان ٥٥٨
طربيا (الشماس عبد يشوع الموصلي) ترجمة حياة وتآليف القسّ بطرس نصري الكلداني ٦٥٧-٦٦٠
العمشيتي (الخوري يوسف) الايمان والعلم اخوان لا يختلفان ٨١-٩٢ دخول بطرس الرسول الى رومية ٥٤٤-٥٤٩
عوّاد (الخوري منصور) مجاراة تسبيحة الموتى

اللاتينيّة ٨١٢-٨١٧
قارئ (ج. ص) القصيدة المسماة عند الدروز بشعر النفس ٩٤١-٩٤٤
لامنس (الاب هنري اليسوعي) انتصار الرهبان للوطنيّة والتاريخ ٥٨٥ ولهُ وصف بعض المطبوعات ٦٩,٧١,١٥١,٢٢١,٢١١,٢١٢, ٤٦٩,٤٧١,٥٥٣,٥٥٤,٧١٣ .
لاي (الاب ادمون) لهُ وصف بعض المطبوعات ٥٥١
لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) لهُ وصف بعض المخطوطات ٦٩-٧١ وفي كلّ اعداد السنة
م . ح (الاديب البستاني) صحيفة من تاريخ لبنان في القرن التاسع عشر ٨١٨-٨٢٥
مظلوم (البطريرك مكسيموس) صورة صكّ وصيّته الاخيرة ١٣-١٤
موترد (الاب رينه اليسوعي) وصف بعض العاديّات السوريّة ٣٨-٤٦ = كتابة قدس نخالي اليونانيّة ٦٢٢-٦٢٥ = تفسيره لبعض الكتابات اليونانيّة ٧٤٢-٧٤٥ = معبد مدفني قديم في حمص ٩٤٥-٩٥١ لهُ وصف بعض التآليف ٨٦٨,٢٩٠
موغان (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٨٧١,٨٧٢,٩٥٣
ن . ص (احد تلامذة البيان) المقامة الاورشليميّة ٥٧٤-٥٧٧
نخله (الاب رفائيل اليسوعي) رحلة شاه العجم ناصر الدين شاه الى اوربّة سنة ١٨٧٣ ٥-١٤ = رقي العلوم في العام الماضي ١١٠-١٢٢ = قذائف الارض والسماء ١٧٠-١٨١ = الاب برنردوس فون اليسوعي الانكليزي ٥١٥-٥٢٦ = الجليد الاصطناعي ٦٠٠-٦٠٤ = نفق تحت قعر البحر ٦٨٢-٦٨٧ لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٧٤,٢٩٢
نيرون (الاب شرل اليسوعي) المستشفى الطبي الفرنسوي الجديد ٤٨١-٤٨٦

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الحادية والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيّة والسريانيّة الخ

ابو مارون (القس مبارك): مجموع اللآلئ من كتابات جهابذة السريان (٧٢)
الافغاني (اسعد وجرجي ولويس): الجزء الثالث من كتاب شمس المنى (١٥٤)
أيوب (القسّ توما): الكنّارة (٥٥٥)
البحرصافي: بسكنتا وما يجاورها (٧٩٣)
البستاني (ادوار): التبر (والامل ٨٧٦)
بطي (رفائيل): ١ً الادب العبري في العراق العربي (٧٩٣) — ٢ً امين الريحاني في العراق (٩٥٤)
البوليّون: ١ً اهمّ الانفصال عن الكنيسة — ٢ً محاورة بين شائين اورثذكسي وكاثوليكيّ (٧١٧)
يوس الحادي عشر: رسالتهُ الاولى الى العالم

الكاثوليكي (٣١٧)
تكريم الحكيم الياس شكرالله (٥٥٦)
تيمي (ميخائيل يوسف) : ماهية النفس ورابطتها بالجسد (٩٥٥)
ثابت (الفس مبارك) : المباركيات ومجموع اللآلئ (٧٣)
الجميّل (الخوري الياس) كتاب الملاهوت النظري : الجزءان السادس والسابع (٣٣٧؛ ٤٧٦)
حبيقة (القسّ يوسف البكنتاوي) : شرح الليتورجيات للقدس يوحنا مارون (٧٤)
حتّي (الاستاذ فيليب) : ١ً اللغات السامية المحكية في سوريا ولبنان — ٢ً السوريون في الولايات المتحدة الاميركية (٣١٢)
حدّاد (سليم امين) : نشرة من الرياضيات التجارية والمالية الراقية (٧١٤)
حسين (الدكتور طه) : تعريب روح التربية للدكتور غوستاف لوبون (٧١٥)
الحويك (منشور السيد الياس بطريرك الموارنة) (١٥٦)
خلف (المحامي نجيب) : تقرير دعوى يرفعه الى مقام رئاسة محكمة الجنايات في لبنان الكبير (٨٧٤)
الخوري (انيس افندي) : كتاب ذخائر المحفوظات (٧١٦)
خياط (الدكتور حنّا) : تناقص النفوس في العراق : اسبابه وطرق تلافيه (٨٧٤)
داغر (القس لبابوس التنّوري) : كشف الغطاء عن عابس لبنان والجباء (٦٣٦)
دليل شركة مصايف لبنان عن سنة ١٩٢٣ (٧٩٣)
الزمخشري (جار الله) طبعة جديدة من اساس البلاغة (٧٤)
ساعاتي (الاستاذ نجيب ميخائيل) : بيضة الفرخة في اللغة والتاريخ والآثار والاقتصاد (٣١٦)
الشرتوني (رشيد) : مبادئ العربيّة في الصرف والنحو . كتاب المعلم للسنة الثانية (٩٥٦)
شيخو (الاب لويس اليسوعي) : ١ً النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة . القسم الاخير مع الفهارس (٧٥) . ٢ً مجموعة اربع رسائل لقدماء فلاسفة اليونان ولابن العبري (٧٠٠) . ٣ً محاورات جدليّة ومجالس دينيّة (٤٧٥) . ٤ً اقدم نسخة مخطوطة لكتاب كليلة ودمنة . طبعة ثانية (٨٧٧) . ٥ً الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر (٨٧٣) . ٦ً مقالات مشاهير العرب على الجزء الاوّل من علم الادب (٩٥٦) . ٧ً الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر الجزء الاوّل ١٨٠٠—١٨٧٠ (طبعة جديدة) (٩٥٧)
صالح (السيدة سلمى) : النسات (٩٥٣)
صاخاني (الاب انطون اليسوعي) : طبعة ثانية للجزء الثاني من روايات الاغاني (٧٣ ؛ ٧١٥)
الصبّاغ (سعيد) : جغرافيّة سوريّة العموميّة المفصّلة (٧٩٥)
صرّوف (فؤاد) : تهذيب النفس (٨٧٣)
صرّوف (يعقوب) : كتاب سرّ النجاح لصموئيل صميلز (١٥٣)
صفير (الخوري جرجس فرج) : المسيح في القرآن (٣٢٥)
صفير (يوسف) : ١ً ترقّي الصغار في دروس الاستظهار — ٢ً الدرّ المنتخب من كتب الادب (٧٩٤)
صوايا (الدكتور جورج) : المناهج الطبيّة لاتقاء الامراض الافرنجيّة (٤٧٦)
طرّازي (الفيكونت فيليب) : تأسيس دار

الكتب الكبرى في بيروت (٧١٦)
المشيق (الخوري يوسف) : حقيقة الماسونيّة ومنشور غبطة البطريرك (٨٧٥)
مؤاد (الخوري منصور) : هل من جزية على الاكليروس او خراج (٢٢٦)
فخري (الدكتور) : كتاب الامراض التناسليّة وعلاجها وطرق الوقاية منها (١٥٤)
قريطم (الشيخ عبد الرحمان البيروتي) : ديوان الدرر الحسان في مدح الاعيان (٦٢٦)
مبادئ القراءة لاحد الآباء اليسوعيين (٧٦٢)
منتخبات البشير (٢١٧؛٥٥٦)
منتدى التهذيب في بغداد (٧٩٥) — حفلة التكريمية للاستاذ جميل صدقي الزهاوي (٨٧٥)
مطامع الصهيونيّة في فلسطين الامس واليوم وغدًا (٢١٦)
مي (الآنسة) : ظلمات واشعّة (١٥٥)
نصر (لطف الله البكاسيني) : نبذة من وقائع الحرب الكونيّة (٨٧٥) = قصيدة الجماعة او ملبوس الملاعة (٩٥٦)
اليزدادي (عبد الرحمان) : كمال البلاغة : رسائل شمس المعالي قابوس بن وشكير (٥٥٥)

٢ مطبوعات اوربيّة

Abdallah Sfer Pacha : Le mandat français et les traditions françaises en Syrie et au Liban (68)
Algrain (René) : Pour qu'on lise les Pères (148)
Albert-Fauro (J.) : L'Egypte et les Présocratiques (630)
Alma Mater. N° V. 1923 (473)
André (P. J.) : L'Islam et les Races (712)
Barollles (Bertrand) : Constantinople, ses cités franques et levantines (471)
— Le Drame oriental. D'Athènes à Angora (956)
Barrès (Maurice) : Taine et Renan (552)
Baudrillart (Mgr A.) : La vertu française vue à l'étranger et de l'étranger (473)
Berloty (B. s. j.) : Bulletin du service météorologique en Syrie et au Liban (553)
Bessières (Albert s. j.) : Parvuli (956)
Bézard (J.) : La sélection par le Latin et la réforme de l'enseignement secondaire (711)
Boissonnas (Fr.) : L'Epire, Berceau des Grecs (952)
Boll (F.) : Carl Bezold (635)
Bonnet (C. s. j.) : Dialectica (468)
Bordeaux (Henri) : Yamilé sous les Cèdres (554)
Boué (Abbé A.) : Récits Bibliques (633)
Bourquard (Mgr) : Petite Bible illustrée (633)
Bouvet (Abbé Maurice) : Histoire Biblique (550)
Braunlich (Dr Ph. E.) : Bistâm ibn Qais (714)
Buday (Ladislas) : La Hongrie après le traité de Trianon (70)
Bureau (Paul) : Introduction à l'étude de la Sociologie : La science des Mœurs (631)
Ceux qui nous mènent (70)
Chabot (J.-B.) : Choix d'Inscriptions de Palmyre (67)
Cheikho (L. s. j.) : Catalogue raisonné des Manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université St Joseph. N° III. (475)
Cordier (Henri) : Mélanges d'Histoire et de Géographie (234)
Corrado Moschitti : Mercati d'Oriente (310)
Denis (E.) : Du Vardar à la Sotcha (870)
Dix (Arthur) : Politische Erdkunde (631)
Dom Leclerq : Les Martyrs, XIV. Corée. — Syrie — Pologne (629)

Douin (G.) : La Campagne de Bouix en Méditerranée (710)
Doyalé (Abel) : Traduction de Lothrop Stoddard. Le nouveau monde de l'Islam (151)
Drieu la Rochelle : Mesure de la France (311)
Ducros (L.) : La Société française au XVIIIe siècle (953)
L'ESPRIT INTERNATIONAL ET L'ENSEIGNEMENT DE L'HISTOIRE (309)
Fallex (M.) : Atlas de Géographie économique (871)
Ferrand (G.) : Traduction du voyage du marchand arabe Sulayman en Inde et en Chine (71)
Ferrière (D^r Ch.) : Entomologie économique (310)
Fillcau de la Chaise : Discours sur les Pensées de Pascal (872)
Firmin Roz : Comment faire connaître la France à l'étranger (235)
Foucauld (Ch. de) : Ecrits spirituels (791)
Fouques Dupare (J.) : La protection des minorités de race, de langue et de religion (152)
Gédéon (E. et G.) : Indicateur Syrien pour 1923 (634)
Géhon (H.) : L'homme né de la Guerre. Témoignage d'un Converti (632)
Georges-Gaulis (Mme Bertho) : Angora, Constantinople, Londres (151)
Gibon (F.) : Petite histoire de la Révolution française (711)
Gillard (Marcel) : La Roumanie nouvelle (470)
Girard (M.) et **Moncel** (H.) : Bibliographie d'Ernest Renan (472)
Godart (Justin) : L'Albanie en 1921 (69)
Gontaut-Biron (Comte H. de) : Comment la France s'est installée en Syrie (232)
Gotze (Alb.) : Die Schatzhöhle (149)
Gronte (Mgr) : Une Mission dans le Levant (309)
Grondijs (Lud. H.) : La guerre en Russie et en Sibérie (150)
Guéry (L'Abbé Ch.) : Quelques semaines en Orient (711)
GUIDE de la Société de Villégiature au Mont Liban (793)
Haviz (Dr. J.) : La part de la Médecine arabe dans l'évolution de la Médecine française (312)
Hassert (Kurt) : Das turkische Reich (709) — Die vereinigten Staaten von America (710)
House (E^d) et **Seymour** (Ch.) : Ce qui se passe réellement à Paris (551)
Jireck (C.) : La civilisation serbe au Moyen-Age (870)
Joly (H.) : Souvenirs universitaires (552)
Kager (R.) : Les Sourciers et leurs procédés (933)
Karam (J.) : Traduction des vies de 2 religieux maronites (716)
Kayser (J.) : L'Europe et la Turquie nouvelle (231)
Kempf (K. s. j.) : Die Heiligkeit d. Kirche in 19 Jahrhundert (230)
— Die Heiligkeit d. Gesellschaft Jesu (230)
Koppler (Dr P. W. von) : Wanderfahrten u. Walfahrten im Orient (550)
Klazen (Dr Luigi el) : I Siromaroniti : la Nazione e la Chiesa (634)
Kreglinger (Richard) : La Religion d'Israël (714)
Lagrange (P. o. p.) : La vie de Jésus d'après Renan (472)
Lammens (H. s. j.) : La cité arabe de Ṭaif à la veille de l'Hégire (148)
Lacroussille (Jeanne de) : La jeune fille pieuse dans le monde (634)
Laserre (P.) : Renan et nous (472)
Laurent-Vibert (R.) : Routiers, Pélerins et Corsaires (869)
Legrand (E.) : Stylistique française (72)
Leonid u. Friedrich : Angora (870)
Leune (Jean) : L'Eternel Ulysse (233)
Leman von Sanders : Cinq ans de Turquie (553)
Leseur (Elisabeth) : Lettres à des Incroyants (871)
Levi della Vida : Bardesano : il dialogo delle Leggi dei Poesi (468)
Liautey (Pierre) : Le Drame Oriental et le rôle de la France (868)
Louis le Fur : Races, Nationalités, Etats (231)
Monetti (Carlo) : L'Anatolia (630)
Martin (Etienne) : Petite histoire financière de l'ancien régime (470)
Melon (J.) : Pour la précision de la Culture esthétique (473)

Moz (A.): Die Renaissance des Islâm (354)
Millot (René): Les Almohades (868)
Mirza Ghulam Ahmad: The Teachings of Islâm (313)
Missions franciscaines Françaises (550)
Mohammad ben Chenob: Abou Dolama poète bouffon (311)
Montaudon (Dr G.): Deux ans chez les Koltchaks et chez les Bolchéviques (234)
Moreux (L'abbé Th.): La Science mystérieuse des Pharaons (769)
Mousset (A.): Le royaume des Serbes, Croates et Bohèmes (552)
Nicholson (Reynold A.): Studies in Islamic Mysticism (469)
Omar Riazim: Angora et Berlin (152)
Pernot (Hubert): D'Homère à nos jours (551)
Pernot (Maurice): La Question turque (69)
Plomion (Ch.): Arithmétique, cours moyen (953)
Plooij Leydes (Dr D.): A primitive text of the Diatesseron (713)
Poidebard (A.): Au Carrefour des routes de Perse (869)
Popper (William): Abu'l Mahasin ibn Thaghri Birdis Annals, vol VI (635)
Prat (F. s. j.): St Paul (549)
Reinstadler (H. Seb.): Elementa Philosophiae Scholasticae (953)
Rucker (A.): Die syrische Jacobusanaphora nach d. Rezension d. Jâcôb (h) von Edessa (766)
Sachau (E.): Albirouni: Chronologie orientalischer Voelker (554)
Schulzers (Friedrich): Die Machtmittel des Islams (553)
Seignobosc (Cne): Cours de Topographie élémentaire (632)
Sevin (J.): Pour devenir Scout de France (712)
Tedjini (B.): Dictionnaire marocain-français (474)
Testore (Celestino, s. j.): Le Missioni della Compagnia di Gesù (791)
Vaccari (Alberto): Le Versione arabe dei Profeti (71)
Weber (W.): Josephus und Vespasian (867)
Viatte (A.): Le Catholicisme chez les Romantiques (231)
Zurcher-Currat: I. Vers l'Avenir-2°/ Sous l'aile de Dieu (634)
Zwemer (M. S.) et Warnery (E.): L'Islam, son passé, son présent, son avenir (470)

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الحادية والعشرين للمشرق

على طريقة حروف المعجم

*آثار نصرانيّة قديمة في سوريّة ٢٨٢—٢٨٣
ابن طولون الدمشقي ٧٦
ابن ملقّن ونسبتهُ الى الغزالي معرفة تركيب الماء ٤٨٠
ابو زُبَيد الطائي الشاعر النصراني ٧٧٨; ١٥٣
ابو القيس صرمة الراهب الشاعر النصراني ٢٤
اثر جديد لشاعر العراق ٤٢٨—٤٣٣
احوال الآخرة في عرف النصارى الاوّلين ٨٠١—٨١٢
ارتداد ارشندريت روسي اورثذكسي الى الكثلكة ٩٥١
اسبانية في العام ١٩٢٢ ٥٦—٥٧

استخراج الدهن من جثث الموتى بمصر ٩٩—١١٠
الاستقلال والانتداب الفرنسوي ٤٥٤—٤٦٣
الاسد الشكور ٧٠٧ — ٧٠٩ اوصاف الاسد ٧٨٠—٧٨٣؛ ٨٥٢—٨٥٥
اسرى طروس والقديسة جان درك ٧٨
اصوات الكون في اول العام ١—٤
افريقية ورسالاتها الكاثوليكيّة ٦٦
أقس ام جواسيس (رودرد) : ٧١٨
اكثم بن صيفي الشاعر النصراني ٩٩—١٠٣
أكليمنضوس الرابع عشر والماء الرهبانيّة اليسوعيّة ٥٦١—٥٧٤
الباية وفوزها بالاستقلال ٥٩
الف باء (الجريدة) : تفنيد زعمها ٢٩٧—٢٩٨
ألقوش : وصف هذه القرية وآثارها ٤٢٤—٤٢٨
المانية في العام ١٩٢٢ ٥٤ — ٥٥ استعمراتها المفقودة ٨٠
امرؤ القيس بن عابس الشاعر النصراني ٦٢٥—٦٢٩
الامّ الثكلى ربيدة النجاة اللبنانيّة ٢١٦—٢٢٠
اميركة الجنوبيّة في العام ١٩٢٢ ٦١
اميركة الشماليّة في العام ١٩٢٢ ٦٠—٦١
امين الدين التيطي والتوقيع له ٨٤٧—٨٥٠
انبثاق الروح القدس من الآب والابن ٢٢١ — ٢٤١
الانتداب الفرنساوي في لبنان والاستقلال ٤٥٤—٤٦٣
انتصار الفرقان للوطنيّة والتاريخ ٥٨٥ — ٥٨٩
الاندلس : اصل هذا الاسم ٦٣٩—٦٤٠
انطاكية وآثارها النصرانيّة ٢٨٢—٢٨٣ انطاكية الاميريكيّة ١٥٩؛ ٥٦٠ سلسلة بطريركيّتها المنوفيسيّة ٤٩٤؛ ٥٨٩؛ ٦٦٠
انطون (الاخ عبدالله اليسوعي) فقيد الطباعة ٧١٧ تركته المطبعيّة ٧٦٧ — ٧٩٩
انكلترة في العام ١٩٢٢ ٥٢—٥٣
انام وملكها ٦٥
ايرلندة في العام ١٩٢٢ ٥٣—٥٤
ايطالية في العام ١٩٢٢ ٥٦
الايمان والعلم اخوان ٨١—٩٣
ايام الخليقة قبل تكوين الشمس ٨٠
ب باريس : وصف ملعبها ١٣
باستور : التذكار المئوي لمولده ٢٤١—٢٤٨ روحه الدينيّة ٨٥—٨٦
باطنايا : وصفها ٤٢٠—٤٢١
باقوفا : وصفها وآثارها ٤٢٣—٤٢٤
برلين سنة ١٨٧٣ ٦—١١
البستيل في نظر الحارس ٦٢٧—٦٢٨؛ ٨٠٠
البصّة وآثارها ٧٤٦—٧٤٧
بطرس الرسول ودخوله الى رومية ٥٤٤ — ٥٤٩
بطرس (القس نصري الكلداني) ترجمته وتآليفه ٦٥٧—٦٦٠
بطرسبرغ وخرابها نيفا ٦
البطريركيّة الانطاكيّة وبطاركتها المنوفيسيّون ٤٩٤؛ ٥٨٩؛ ٦٦٠
بعلبك : تمثال جوبتير البعلبكي ٤١؛ ٢٨١
البقاع وكتاباتها القديمة ٤٠؛ ٤٦٠
البقيعة وآثارها ٧٤١—٧٤٢
البلشيك ودولها الاربع ٥٨
بلجيكة في العام ١٩٢٢ ٥٧
البلقان ودوله ٥٩
بلرمين (الكردينال الطوبوي اليسوعي روبرتس) ٤٠١—٤٠٧
بنو ثعلب : النصرانيّة بينهم بعد الاسلام ١٥٩
بوخه (المسيو يوسف) وصف ما لديه من الآثار ٤٣—٤٦
البورتغال واحوالها السيئة ٥٧
بولونية في العام ١٩٢٢ ٥٨
بيروت : محافل الفرسون فيها ١٦٠؛ ٨٠٠ آثارها

القديمة ٣٧٨
بين المشرق والسائح ٩١٠–٩١٩
درس الحادي عشر : مآثره الطبية ٤٩ – ٥٠
صورته المنقولة بالبالفوتغرافية اللاسلكية ٢٥٦
ت تاريخ واعمال راهبات القلبين الاقدسين بنسبة بوبلهن السجيني ٦٤١–٦٥٦
تدمر والهبا برحول ٣٩
ترجمة وتآليف القس بطرس نصري الكلداني ٦٥٧–٦٦٠
تركيّة في العام ١٩٢٢ ٦١–٦٢
تسجة الموتى اللاتينيّة ومجاراتها بالشعر العربي ٨١٢–٨١٧
التصاوير في الجامع الاموي ٢١٨
التصوير الشمسي الملوّن ٢٢٨
تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية من ١٦٣٩ الى ١٧٠٢ لديماريك الدويهي ٢٠٩:٢٧٠
تلامذة اليسوعيين ومجلّة العرفان ٩٣٩–٩٤٢
التلاميكانيكيّة ورقيّها ١١١
تلّعفر : وصفها ٤٢٤
التلفون اللاسلكي او الراديوفون وترقيه ١١١: ٢٤٢–٢٤٨
تلكيف : وصف هذه القرية ٤١٨–٤٢٠
التنيني (ابو ابرهيم اسمعيل) قصيدته شعر النفس ٨٧٩:٩٤١–٩٤٤
ترت عنخ امون واكتشاف مدفنه ٤٦٢–٤٦٨
توما الاكويني : تذكاره المئوي ٨٨١–٨٨٨
الثيلفوتغرافيّة اللاسلكيّة ٢٥٥–٢٥٦
ث ثابت الكاتب ٧٧–٧٨
ج الجامع الاموي وتصاويره ٢١٨
الجامعة السوريّة (الجريدة) ردّ نقدها ٢٩٧
جان درك واسرى طرسوس ١٧٨ جان درك او خولة بنت الازور ؟ ٥٨٧–٥٨٨:٧١٨
جبران خليل جبران : انتقاد كتابه البدائع والطرائف ٤٨٧–٤٩٢:٨٧٦:٩١٠–٩١٩
جبيل وآثارها ٢٧٨–٢٨٠:٩٥٨–٩٥٩
جحيّة بن المضرّب الكندي الشاعر النصراني ٥٢٦–٥٣٠
جراسيموس القديس والاسد الشكور ٧٠٧ – ٧٠٩
جرترودة (القديسة) الصلاة المنسوبة اليها زورًا ٤٠٠
جزيرتان جديدتان في بحر الصين ٧١٨–٧١٩
الجثّ وآثارها ٦٩٩–٧٠١
الجليد الاصطناعي وفوائده ٦٠٠–٦٠٤
الجليل الاعلى : رحلة رسوليّة الى بلاده ٦٩٣ ; ٧٣٧
الجمعيّة الاسيوية الانكليزيّة وتذكار اسانها المئوي ٧١٩
الجمهوريّة الفضيّة والفاتيكان ٦١
جنّاز البتولات في الدنس الماروني ٤٨٠
جوبتير البعلبكي ٤١:٢٨١
ح الحارث بن الحلّزة : ملحق بديوانه ١٥٧
الحارث بن كلدة الشاعر النصراني ٣١:١٠٩
الحثّيون : اثر لبعض آلهتهم ٤٠ آثارهم في قدس عند بحيرة حمص ٢٨١–٢٨٢
حديقة الحيوانات في برلين ٨–١٠
الحرقة بنت النعمان الشاعرة النصرانيّة ١٨٣ – ١٩١
الحساب الغربي في اليونان ٢١٨:٧٩٧ في قبرس والشام ٨٧٩
الحسابات الميكانيكيّة ٢٥٧–٢٦٠
حشيمة (عبدالله افندي) وقصيدته الكفريّة ٦٢٩
حفلة الاحرار ٤٧٨
حلب كتابها النصرانيّة ٤٣–٤٦
حمص وآثارها ٢٨١–٢٨٢ محاضرة في حمص ومآثرها ٧٣١–٧٣٦ معبد مدفني قديم وُجد فيها ٩٤٥–٩٥١

الحويك (غبطة البطريرك مار الياس) ويوبيله الفضي الذهبي ٧٦
صيدا واحوالها ٦٩٤–٦٩٥
*خ*خرافة تعليق نعل الفرس على البيوت ٧٢٠
خواطر مصنّف في لبنان ٨٩٨–٩٠٥
خولة بنت الازور او جان دارك ٥٨٧–٥٨٨ ; ٧١٨
الخيل : الكتب العربيّة القديمة في وصفها ٨٠٠
*د*الدحداح صحيفة من تاريخ هؤلاء المشايخ في لبنان ٨١٨ – ٨٢٧ الشيخ خطار جهجاه الدحداح ترجمتهُ ٨٢٧–٨٢٥
الدروز : قصيدتهم شمر النفس ٨٧٩;٩٤١–٩٤٤
دفائن الخزائن ٨٤٤;٩٠٦
دمشق : مؤتمر الماسونيّة فيها ٢٢٦ آثارها الاسلاميّة ٢٨٠–٢٨١ اليسوعيّون في دمشق ٧٠١–٧٠٢ معلوم وزرائها ٨٤٤–٨٥٢
دمّوس (حليم افندي) انتقاد كتابهِ قاموس العوام ٤٢٢–٤٢٨;٦٢٧
الدنيا والدين في السنة الثانية والعشرين ٤٧–٦٧
الدويهي (البطريرك اسطفانوس) تاريخهُ للمدرسة المارونيّة في رومية ٣٠٩ ; ٢٧٠
الديناميت : تركيبهُ ومنافعهُ ومضارّهُ ٤٠٧ – ٤١٤
دي لسبس وشاه العجم ١٢
دير مار اوراها ٤٢١–٤٢٢
الدينونة الخاصّة في عرف النصارى الاوّلين ٨٠٥
الدينونة العامّة ٨١١
ديوان التفتيش وموقف الكنيسة الكاثوليكيّة بازائهِ ٩٢٣–٩٤٠
*ر*راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين ويوبيلهنّ السبعيني ٦٤١–٦٥٦
راهبات المحبّة في باريس ١٤
الرُّجُم او الحجارة الجويّة ١٨٠
رحلة رسوليّة في بلاد الجليل الاعلى ٦٩٢;٧٣٧
الرحماني (غبطة البطريرك افرام الثاني) يوبيلهُ الفضي والذهبي ٢٩٧
الرَّدْيوفون او التلفون اللاسلكي ٣٤٣–٣٤٩
رسبوتين الراهب النصّاب ٢٢٠
الرسول الطلياني : فيليبرت فرو ٧٤٣–٧٧٧
الرصافي (الشاعر معروف) : اثر جديد من قلمهِ ٤٢٨–٤٢٢
رنان (ارنست) : ذكر مولدهِ ٢٠٠ ; ٢٠٠ تناقضهُ في آرائهِ ٢٠٠–٢٠٩ شططهُ في طريقتهِ العلميّة ٢٠٠–٢٠٨
رواية البرامكة في كليّتنا ٢١٩
روتشلد وشاه العجم ١٢
الروح القدس وانبثاقهُ من الآب والابن ٢٢١–٢٤١
رومية في العام ١٩٢٢ ٥١ – ٦٠ شيئان حديثان في رومية ٢٢٠
رومية والكرسي الرسولي في السنة ١٩٢٢ ٤٨ مدرسة الموارنة فيها ٢٠٩;٢٧ دخول بطرس الى رومية ٥٤٤–٥٤١
الريحاني (محمّد امين) اسلامهُ ٤٧٨–٤٧٩
*ز*الزبرقان بن بدر الشاعر النصراني ٢٦٢–٢٦٩;٢٩٧;٤٧٩
الزواج : مسائل زواجيّة ٨٠ زواج الاكليروس في طائفة الروم ٨٧٨
*س*السائح دفاع هذه الجريدة عن جبران خليل جبران ٨٧٦ – ٨٧٧ بين المشرق والسائح ٩١٠–٩١٩
سبتيميوس ساويرس ومولدهُ ٥٦٠
سحاتا وآثارها ٧٢٩–٧٤٠
سرجون الرومي النصراني ٥٨٨–٥٨٩;٧١٨
سرقة ادبيّة ٢١٩;٢٩٩
سركيس : فكاهة بحلّتهِ وجهنّم فرحات ٨٢٧
السقراطيّة : ما هو هذا الكتاب؟ ٧٣٠
سمعان بن هُبَيرة الشاعر النصراني ٢٨٧–٢٨٩

سكنيانون المؤرخ الفينيقي ٤٠٠
السودا (يوسف افندي) انتقاد كتابه « بين القديم والحديث » ٤٥٩-٤٦٢
سوريّة وبعض عادياتها ٢٨ - ٤٦ سوريّة وفلسطين في العام ١٩٢٢ ٦٢-٦٤ عاديات سوريّة مكتشفة حديثاً ٢٧٥-٢٨٢ سوريّة ولبنان الكبير ٤٥٤-٤٦٢
سياحة رسوليّة لبطريرك الكلدان في قرى نينوى ٤١٤-٤٢٨
سيّدة النجاة والامّ الثكلى ٢١٦-٢٢٠
ش شاه العجم ناصر الدين ورحلته الى اوربّة سنة ١٨٧٣ ٥-١٤
شعر النفس عند الدروز (قصيدة) ٨٧٩;٩٤١-٩٤٤
شعراء النصرانيّة بعد الاسلام : الشعراء المخضرمون ٢٩;١٩;١٨٢;٢٦٢;٢٨٤;٤٤٦;٥٢٦;٦٢٥;٦٨٧;٧٧٨;٨٥٢
شفاعة القديسين في عرف النصارى الاوّلين ٨٠٧-٨٠٩
شكري باشا واليسوعيّون ٥٥٨
الشمس : قربها من الارض في الشتاء ٧٣٠
شمسة ملكة العرب وذكرها في الكتابات الاشوريّة ٤٨٠
شيلي وزلازلها ٦١
ص صالح بن عبد القدّوس وسينيّته ٢٢٠
صفد واحوالها ٦٩٦-٦٩٩
الصليب قوّة الله ١٦١-١٦٩
الصناعة والصليب ١٦٤-١٦٩
صوت اللحم والدم او زواج الاكليروس عند الروم ٨٧٨
صور وعادياتها ٢٧٦
صيداء وعادياتها ٢٧٦-٢٧٨ اليسوعيّون في صيداء ٧٠٣-٧٠٤
الصين : نجاح الكثلكة فيها ٦٦ عدد اسلام الصين ٢٢٩ جزيرتان جديدتان في بحرها ٧١٨-٧١٩
ط طاقة زهور من حدائق العلم ٢٥٢-٢٦١
الطبّ وترقيه في العام ١٩٢٢ ١١٦-١٢١ ; ٢٦١
طرابلس : اليسوعيّون فيها ٧٠٤-٧٠٥
طربيه (الخوري نعمة الله) وانتقاده ٢٩٨
طرشيحا وآثارها ٧٤٢
طرطوس وكنيستها القديمة ٢٨٠
الطفّاؤون في لندن ١١
طوابع البريد ونوادرها ١٥٨
الطيران وترقيه ١١٥-١١٩
ع عاديات سوريّة ومصر المكتشفة حديثاً ٢٧٥;٤٦٢
العام الجديد واصوات الكون في اوّله ١-٤
عثمان بن الحويرث الشاعر النصرانيّ ٢٩
عبد المسيح بن بُقَيلة الشاعر النصرانيّ ١٠٢ — ١٠٨
عديّ بن حاتم الشاعر النصرانيّ ٢٨٤-٢٨٧
العراق واحواله سنة ١٩٢٢ ٦٥-٦٦
العرب : النصارى بينهم بعد الاسلام ١٥٩
العرس النفسيّ واصله ١٥٨
العرفان : ردود على هذه المجلّة ٥٨٥ ; ٧١٨ ; ٨٧٨;٩٢٢;٩٤٤
العقل الظاهري والعقل الباطني ٢٤٠
العلماء المتديّنون ٨٢-٨٨
العلوم ورقيّها في العام ١٩٢٢ ١١٠-١٢٣ طاقة زهور من حدائق العلوم ٢٥٢-٢٦١
العميان وطريقة جديدة لتعليمهم القراءة ١٢٠-١٢١
عنصر مشعّ جديد : الاميليوم ١١٤
العهد العتيق مخطوطان قديمان من اسفاره ١٤١-١٤٧
عين ابل وآثارها ٧٢٧
غ الغاية تقدّس الواسطة : أقال بهذا احد من

اليسوعيين ؟ ٧١٩
غفران الامير مأساة ذات اربعة فصول ٢٢١ ؛ ٢٨٠؛٣٥٠
غليوم الاوّل امبراطور المانية ٧-٨
*ف*فرحات (المطران جرمانوس) ووصفهُ لجهنّم ٨٧٧
فرنسة في العام ١٩٢٢ ٥٠-٥٢
فرنسيس دي سال : تذكارهُ المئوي ٨٨٩-٨٩٧
فصوطا وآثارها ٧٣٨
فقيد الطباعة : الاخ انطون عبدالله اليسوعي ٧١٧؛ ٧٩٧-٧٩٩
فلسطين في العام ١٩٢٢ ٦٤
الفلاحة : كتاب عربيّ في فنّها ٧٩٦
انفلك : حجم نجومهِ ووزنها ٢٥٣-٢٥٤
فوائد صحيّة اخلاقيّة اجتماعيّة في طريقة قضاء يومنا ٦١١-٦٢٢
فون (الاب برنردوس اليسوعي الانكليزي) ٥١٥-٥٢٦
في البطريركيّة الانطاكيّة ٤٩٤؛٥٨٩؛٦٦٠
فيليبرت فرو الرسول الطلياني ٧٤٢-٧٧٧
فينيقية وعادياتها المكتشفة حديثًا ٢٧٥-٢٨٠
*ق*قارون العرب وكريزوس اليونان ١٥٦
قاموس العوامّ وانتقادهُ ٤٢٣-٤٢٨؛٦٢٧
قدّس تقالي وكتابتها اليونانيّة ٦٢٣-٦٢٥
القدّيسون وشفاعتهم ٨٠٧ حظوة نفوسهم بالمجد عند وفاتهم ٨١٠-٨١١
قذائف الارض والسماء ١٧٠-١٨١
قرطبة : هل احرق الكردينال كسيمنس مكتبتها العربيّة ٧٩؛٣١٧-٣١٨
القطار المدرسيّ ١٢٢
قيامة الاجساد في عرف النصارى الاوّلين ٨٠٨
*ك*كتابة قدّس تقالي اليونانيّة ٦٢٣-٦٢٥
كتابات يونانيّة ولاتينيّة في البقاع وسوريّة ٤٠-٤٣ كتابات نصرانية في حلب والبرج ٤٣-٤٦
الكذب بضاعة الفرسون ٥٣٠-٥٤٤
كرد علي (السيّد) والكردينال كسيمنس ٧٩؛ ٣١٧ ردّ على انتقادهِ لتاريخ سوريّة ٥٥٧-٥٥٨
الكردينال الطوبري بلّرمين اليسوعي ٤٠١-٤٠٧
الكردينال كسيمنس والسيّد كرد علي ٧٨ ؛ ٣١٧
كركلّا واسم هذا النيصر ٥٦٠
كرملس من قرى نينوى وآثارها ٤١٦-٤١٨
كروب ومصنعهُ في آسن ١٠
كسروان : اليسوعيّون فيها ٧٠٦-٧٠٧
كسيمنس الكردينال وتبرئتهُ من حرق كتب العرب ٧٩؛٣١٧-٣١٨
كشف الغطاء عن المحابس والحبساء ١٣٠-١٤٤
الكنيسة الكاثوليكيّة بازاء ديوان التفتيش ٩٣٣-٩٤٠
كنيسة النثار والفوضى فيها ٢٣٩
الكنيسة اليونانيّة واعتقاد آبائها بانبثاق الروح القدس من الآب والابن ٢٣٥-٢٤٨
كولن (الاب الياس اليسوعي) وفاتهُ وآثارهُ ٦٢٩
كولومبية وثلاثتها ١٥٩
كيف يجب ان اقضي يومي ؟ ٦١١-٦٢٢
*ل*اللبّودي (احمد) وتاريخهُ ٧٦
اللاتينيّة ودرسها في المدارس الفرنسويّة ٨٨٠
اللاهوت والصليب ١٦١-١٦٣
لبنان : عابسهُ وحبساؤهُ ١٣٠-١٤٤ لبنان الكبير وسوريّة ٤٥٤-٤٦٣ لبنان الكبير ومتصرّفيّة لبنان القديمة ٥٧٧-٥٨٤ صحيفة من تاريخهِ ٨١٨-٨٣٥ خواطر مصيف في لبنان : ملحوظات في حالة الجبل الروحيّة ٨٩٨-٩٠٥
لندن : زيارة شاه العجم لها ١١-١٢

لوكسمبورج والحزب الكاثوليكي ٥٧-٥٨
ليوتوبوليس وموقعها في مصر ٢٤٠
م الماسونيّة المصريّة والفوضى فيها ٧٨ محافل الماسونيّة في بيروت ١٦٠، ٨٠٠ مؤتمر الماسونيّة في دمشق ٢٣٦ الرموز الماسونيّة ٢٩٩ تاريخها ٤٠٠ وشقها بالحرم ٤٧٨ حفلتها ٤٧٩ الكذب بضاعة الماسونيّة ٥٣٠-٥٤٤ خطة الاشتراكيين والبولشفيك والفاشست على الماسونيّة ٥٥٨ اسماء احرار محفل الحكمة الماسوني في بيروت ٦٢٨
مالطة وآثارها القديمة ٨٦٢-٨٦٦
متسوّلة اسكندرانيّة في لبنان ٥٥٨-٥٥٩
متصرّفيّة لبنان القديم ولبنان الكبير ٥٧٧-٥٨٤
مجاراة تسبحة الموتى اللاتينيّة ٨١٢-٨١٧
مجاعة مصر سبع سنين في عهد يوسف ٥٦٠
المجر في العام ١٩٢٢ ٥٥-٥٦
المحابس والحباء في لبنان ١٣٠-١٤٤
المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة ١٥؛١٢٢ وبقيّة اعداد المشرق
مخطوطان عربيان من اسفار العهد العتيق ١٤١-١٤٧
المذاهب الملكيّة والنسطوريّة واليعقوبيّة ووصفها ٩٠٦-٩٠٩
مراكش وباجا الجديد ٦٦
المستشفى الفرنسي الجديد: تدشينهُ ٤٧٨ وصفهُ ٤٨١-٤٨٦
مسرّة (مطران بيروت على الروم) سياحتهُ في باريس ٨٧٨-٨٧٩ خطابهُ لشعبهِ عند عودتهِ ٩٥٨
المسلمون في بلاد الصين ٢٣٩
المسيح السيّد وميلادهُ البشري وسبب اهمالهِ ليوحنّا المعمدان في سجنهِ ٦٤٠
المشتري البعلبكي وتمثالهُ ٣٥
مصر وفوزها بالاستقلال ٦٦-٦٧ فوضى الماسونية فيها ٧٨ عاديًّا المكتشفة حديثًا ٤٦٢-٤٦٨ مجاعتها سبع سنين في عهد يوسف ٥٦٠ استخراج الدهن من جثث الموتى ٩٠٩-٩١٠
مظلوم (البطريرك مكسيموس) صكّ رسيمتهِ الاخيرة ٩٣-٩٩
معبد مدفني قديم في حمص ٩٤٥-٩٥١
معلبا وآثارها القديمة ٧٤٣-٧٤٦
المغربي (الشيخ عبد القادر) وانتقادهُ الغريب ٣٩٧-٣٩٨؛٤٧٩
المقامة الاورشليميّة ٥٧٤-٥٧٧
مكرسكوب جديد ١١٣
منارتا الكنيسة الجامعة القديسان توما الاكويني وفرنسيس دي سال ٨٨١-٨٩٧
منذر (الشيخ ابراهيم الماسونيّ) تزييف قولهِ ٤٧٩
منغولية الشماليّة واستقلالها ٦٦
الموارنة: استعمالهم الحنطة قديمًا واستبدالهُ بالفطير ١٦٠ الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ٧٠١-٧٠٧ تاريخ الدويهي لمدرستهم في رومية ٣٠٩؛٣٧٠
موناكو وامبرها الجديد ٦٠
ميسون بنت بحدل الكلبيّة زوجة معاوية والشاعرة النصرانيّة ٦٩١-٦٩٣
ن نائلة بنت الفرافصة زوجة الخليفة عثمان الشاعرة النصرانيّة ٦٨٧-٦٩٠
ناصر الدين شاه العجم: نخبة من رحلته الى اوربّة سنة ١٨٧٣ ٥-١٤
النجاشي الحارثي الشاعر النصرانيّ ٤٤٦-٤٥٤
نجم المجوس في لبنان (رواية واقعيّة) ٣٥
النصرانيّة: المخطوطات العربيّة لكتبتها ١٥؛١٢٢ ثم بقيّة اعداد السنة. شعراء النصرانيّة بعد الاسلام ٢٩؛٩٩؛١٨٢؛٢٦٣؛٢٨٤؛٤٤٦؛

٥٢٦;٦٢٥;٦٨٧;٧٧٨;٨٥٣ آثار نصرانيّة
قديمة ٢٨٢-٢٨٣ احوال الآخرة في عرف
النصارى الاوّلين ٨٠١-٨١٢
النفس وخلودها في عرف النصارى الاوّلين
٨٠٢-٨٠٥
نَفَق تحت نهر السان ٦٨٢-٦٨٧
نقائض جرير والاخطل: اصلاح غلط ٧٧
نكبة اليابان ٧٩٦-٧٩٧
النمسة في العام ١٩٢٢ ٥٥
نهضة الاشتراكيين والبولشفيك والفاشست
على الماسونيّة ٥٥٨
النيازك وما يُعرف عنها ١٧٢-١٨١
نينوى وقراها ٤١٤-٤٢٨
هـ الهلال: رأي هذه المجلّة في قارون ١٥٦
هند الصغرى (اطلب الحُرّقة)
الهند في العام ١٩٢٢ ٦٥
هولندة: اوّل كليّة كاثوليكيّة جامعة فيها
٩٥٧
و وصف بعض العاديّات السوريّة ٣٨-٤٦
وفاة الاثري كليرمون فانو ٢١٩
ي الياء العربيّة وتنقيطها في آخر الالفاظ ٢٤٠
اليابان في العام ١٩٢٢ ٦٥-٦٦ اهتداء شاعر
ياباني الى الكثلكة ٤٧٩ نكبة اليابان
٧٩٦-٧٩٧
يرحبُول اله تدمر ٣٩
اليسوعيّون وشكري باشا ٥٥٨ البابا
اكليمنضوس الرابع عشر والنساء الرهبانيّة
اليسوعيّة ٥٦١-٥٧٤ القسم اليسوعي ٥٧٤
اليسوعيّون والطائفة المارونيّة في القرنين
السادس عشر والسابع عشر ٧٠١-٧٠٧
يشوع بن جوزدق ١٦٠
يوبيل السنة السبعين في خدمة الوطن والدين
٦٤١-٦٥٦
يوحنّا المعمدان واعمال السيّد المسيح له في
سجنه وموته ٦٤٠
اليونان وسوء منقلبها ٥٨-٥٩
يحيى بن حرير التكريتي وذكره لنصارى بني
ثعلب

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

الصفحة ١٦ السطر ١٠ «خديد» ويروى «نديد» بالدال = ص ٣٣ س ٨ « المؤخاة » والصواب «المؤاخاة» = ٣٧ : ١٦ «فكم ألنها » ص «ألنّها» = ١٠٦ : ٤ «وارضَيْنَ» ص « وأرضَيْنَ» – ١٥ «من بدور» ص « بُدور» = ١٢٦ : ٩ «رُوويل» هو الاب دِرُويل الذي مرَّ ذكرهُ (ص ٢٠ في العدد ٢٥٠) = ٦٥٣ : ٦ «وفي صفوهِ فضلُ القلوص من السجل» ص «وفي صَفوهِ ... من السَّجل» – ٧ « وعدَّيتُ كلَّ من هواهُ على شغل » ص « وعدَّتْ وكلُّ ...» = ٦٨٠ : ٥ «نحو السنة ١٨٧٠» ص «السنة ١٨٧٠» = ٧٨٦ : ١٨ «اخي حقّ» ص «أبي حقّ» = ٨٢٦ : ٢١ «سنة ١٨٨٥ ص « سنة ١٨٨٠ » = ٨٣٢ : ٢٠ وموت والدته «سنة ١٧٨٢» ص «١٨٩٢» = ٨٥٨ : ٧ « رزّة» ص « زرّة » = ٨٥٩ : ٢ « الليثُ » ص «اليثَ» – ١١ « صُحب» ص «صَحْبُ» – ١٤ «يَلْثُمْنَ» ص «يَلْثِمْنَ = ٨٦١ : ١٠ «لدهرٍ كَبُودِ» ص « كَنُودِ»

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ S' JOSEPH

Vingt et unième Année

1923

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1923

TABLES DES SOMMAIRES

XXIe ANNÉE 1923

JANVIER

Les voix de la Création au 1er jour de l'an (page 1) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le voyage du roi de Perse Nâṣir ed-Din en Europe en 1873 (p. 5) : *P. Raphaël Nakhlé S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite p. 15) : *P. L. Cheikho S. J.*

Sauvés grâce à l'étoile des Mages en 1916 ! (p. 25) : *Mr Joseph P. Saïd*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (p. 28) : *P. L. Cheikho S. J.*

Description de quelques antiquités syriennes (p. 38) : *PP. Seb. Bonzevalle et René Mouterde S. J.*

L'année politique et religieuse de 1922 (p. 47) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (67) = Varia (76) = Questions et Réponses (80)

FÉVRIER

L'union de la Foi et de la Science (p. 81) : *L'abbé Joseph 'Amchiti*

Le dernier testament du Patriarche Maxime Mazloum (p. 94) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite, p. 99) : *id.*

Bulletin scientifique de l'année 1922 (p. 110) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

La Bibliographie arabe chrétienne depuis l'Islam (suite, p. 123) *P. L. Cheikho S. J.*

Les anciens Ermitages et les Ermites du Mont Liban (p. 130) : *P. Libaos Dagher O. S. A.*

Deux anciens Mss arabes du Pentateuque (p. 141 : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (148) =Varia (156)=Questions et Réponses (160)

MARS

La Croix, vertu de Dieu ! (p. 161) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Projectiles des aéroplanes, les étoiles filantes et les aérolithes (p. 170) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens, après l'Islam (suite, p. 182) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Manuscrits arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 191) : *id.*

Renan jugé par lui-même à l'occasion de son Centenaire (p. 201) : *P. S. M. s. j.*

Un fragment de l'histoire du Patriarche Douaïhi sur les élèves du Collège Maronite de Rome (p. 209) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une mère éplorée et la Vierge libanaise : N-D. du Salut (p. 216) : *id.*

Le pardon du prince (tragédie en 4 actes) (p. 221) : *L'abbé Jean Rahmani*

Bibliographie Orientale (230) = Varia (237)—Questions et Réponses (240)

AVRIL

Le Centième Anniversaire de la naissance de Louis Pasteur (p. 241) : *La Rédaction*

Une Homélie inédite du Patriarche Elie III (XII° siècle) sur Pâques (p. 248) : *publiée par le P. Louis Cheikho S. J.*

Nouveautés Scientifiques (p. 253) : *P. S. M. s. j.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : az-Zibriqân (p. 262) : *P. L. Cheikho S. J.*

Un fragment de l'histoire du Patriarche Douaïhi sur les élèves du Collège Maronite de Rome (fin p.270) *id.*

Le pardon du prince (tragédie en 4 actes) (suite, p. 280) : *L'abbé Jean Rahmani*

Les Manuscrits arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 290) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les procédés scientifiques de Renan à l'occasion de son Centenaire (p. 300) : *P. S. M. s. j.*

Bibliographie Orientale (309) = Varia (317) = Questions et réponses (320)

MAI

La Procession du St Esprit du Père et du Fils (p. 321) : *P. Antoine Salhani S. J.*

Le Radiophone ou le Téléphone sans fil (p. 342) : *P. S. M. s. j.*

Le pardon du prince (tragédie en 4 actes) (fin, p. 350) : *L'abbé Jean Rahmani*

Les Manuscrits arabes chrétiens après l'Islam (suite, p. 360) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bulletin archéologique : Syrie et Phénicie (p. 375) : *id.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : 'Adï fils de Ḥatem Ṭay et Sim'ân ibn Hobeira (p. 384) : *id.*

Bibliographie Orientale (390) = Varia (397) = Questions et Réponses (400)

JUIN

La Béatification du Cardinal Bellarmin (p. 401) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Dynamite, son origine, sa composition et ses effets (p. 407) : *P. S. M. s. j.*

Une tournée patriarcale dans les villages de Ninive (p. 414) : *P. Salomon Sayegh*

Une gerbe poétique de Mr Ma'rouf ar Rasâfi (p. 428) : *P. L. Cheikho S. J.*

Critique d'un nouveau Dictionnaire de la langue vulgaire (p. 433) : *id.*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite p. 438) : *id.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : an Naǵâchi (p. 446) : *id.*

La Syrie et le Grand Liban : Mandat et Autonomie (p. 454) : *Cheikh Salim Dahdah*

Bulletin archéologique (suite) : L'Egypte (p. 462) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (468) = Varia (478) = Questions et Réponses (480)

JUILLET

L'inauguration de l'Hôtel-Dieu de France à Beyrouth p. (481) : *PP. Charles Neyron et Emile Rigaud S. J.*

Critique de l'ouvrage de Ǵabrân Khalil Ǵabrân البدائع والطرائف (p. 487) : *P. L. Cheikho S. J.*

Au Patriarcat d'Antioche (p. 494) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 508) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le P. Bernard Waughan S J. (p. 513): *P. Raphaël Nakhla S.J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : Tohayyah ibn al-Moḥarrib (p. 526) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Franc-Maçonnerie, l'éternelle menteuse : (p. 531) : *id.*

L'entrée de St Pierre à Rome (p. 546) : *L'abbé Joseph Amchiti*

Bibliographie Orientale (549) = Varia (557) = Questions et Rponseés (560)

AOUT

Le pape Clément XIV et la suppression de la Cie de Jésus (p. 561) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Séance de Jérusalem (p. 571) : *Un Rhétoricien*

Le Grand Liban et l'ancienne Mutasarrifyah du Liban (p. 577) : *Cheikh Salim Dahdah*

Critique de la Revue al 'Irfan (p. 585) : *P. Henri Lammens*

Le Patriarcat d'Antioche (suite, p. 589) : *L'abbé Isaac Armalé*

La glace artificielle (p. 600) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 605) : *P. L. Cheikho S. J.*

Comment passer ma journée ? (p. 611) : *Dr Amin Gémayyel*

L'inscription grecque de Kadés Nephtali (p. 620) *P. René Mouterde S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : Imroulcais ibn 'Abis (p. 625) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (629) = Varia (637) = Questions et Réponses (639)

SEPTEMBRE

Notice sommaire sur les Religieuses arabes des SS. CC. de Jésus et de Marie (1853 — 1923, p. 641) : *P. L. Cheikho S. J.*

La vie et les œuvres du prêtre Chaldéen Pierre Nasri († 1917 p. 657) : *L'abbé Ebedjésu Tohia*

Le Patriarcat d'Antioche (fin, p. 669) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 682) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le tunnel du Nord-Sud sous la Seine (p. 685) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : Naïla et Meïsoun (p. 688) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion apostolique dans la Haute-Galilée (p. 692) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

La Nation Maronite et la Cie de Jésus, aux XVIe et XVIIe siècles (fin, p. 701) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Lion reconnaissant (*d'après un vieux Manuscrit* p. 707) : *id*

Bibliographie Orientale (709) = Varia (717) = Questions et Réponses (720)

OCTOBRE

Une Conférence sur Homs et ses souvenirs (p. 721) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion apostolique dans la Haute-Galilée (fin, p. 737) : *P. Ferdinand Tuutel S. J.*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islâm (suite, p. 748) : *P. L. Cheikho S. J.*

Deux documents arabes attribués à Platon et à Aristote (p. 758) : *id.*

Un apôtre laïc; Philibert Vrau (1829—1905, p. 762) : *P. Pierre Sarah O. S. A.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm (suite) : Abou Zubeïd at-Ṭayi (p. 778) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (790) = Varia (796) = Questions et Réponses (800)

NOVEMBRE

Les Mystères de la vie future dans la primitive église (p. 801) : *L'abbé Georges Eliah*

Une paraphrase du « Dies ire » (p. 803) : *L'abbé Mansour 'Aouâd*

Une page de l'histoire du Liban au XIXe siècle (p. 818) : *Mr M. H.*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islâm (suite, p. 835) : *P. L. Cheikho S. J.*

Extraits des Manuscrits : La pension des Vizirs de Damas sous les Mamluks (p. 844) : *Mr Habib Zayyât*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm (suite) : Abou Zubeïd at-Ṭayi (fin, p. 852) : *P. L. Cheikho S. J.*

Découvertes archéologiques à Malte (p. 862) : *Mr Fouad. E. Boustany*

Bibliographie Orientale (869) = Varia (875) = Questions et Réponses (880)

DÉCEMBRE

Les Centenaires des SS. Thomas d'Aquin et François de Sales (p. 881) : *P. L. Cheikho S. J.*

Réflexions d'un villégiateur sur l'état religieux du Liban (p. 898) : *Mr Joseph Médawwar*

Extraits d'anciens Manuscrits (suite p. 906) : *Mr Habib Zayydt*

Entre la Revue al-Machriq et le Journal al-Sayeh (p. 910) *MM. Fouad E. Boustany et Edouard Sa'b*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 920) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le 'Irfân et les élèves des Jésuites (p. 929) : *Cheikh Salim Duhdah*

L'Église Catholique et l'Inquisition (p. 933) : *P. L. Cheikho S. J.*

La poésie de l'âme chez les Druzes (p. 941) : *Un lecteur*

Une antique chapelle funéraire à Homs (p. 945) : *P. René Mouterde S. J.*

Bibliographie Orientale (p. 951) : — Varia (957) — Question et Réponses (960).

المشرق

ميمر في عيد ختانة الربّ

منسوب الى القديس كيرلّس رئيس اساقفة اورشليم

تمهيد

تقيم الكنيسة الكاثوليكية في غرّة العام الجديد عيدًا حافلًا لتذكار ختانة السيّد المسيح فتعدُّهُ من اشرف مواسمها السنويّة وما ذلك الّا لأن ابن الله دخل يوم ختانتهِ رسميًّا في شعب اسرائيل المختار وفيهِ استحقّ بسفكهِ دمهُ الزكي لاوّل مرّة ذلك الاسم العجيب اسم يسوع اي المخلّص والفادي الذي « امامهُ تجثو كلُّ ركبةٍ ممَّا في السماوات وعلى الارض وفي الجحيم» (فيلبي ٢ : ١٠)

ففي هذا العيد كانت الكنيسة اليونانيّة تتلو على مسامع المؤمنين ميمرًا لأحد الآباء القديسين وجدناهُ معرَّبًا في نسختين من مجموعات مياميرها السنويّة في مكتبتنا الشرقيّة. وهو يُنسب في الواحدة الى القديس كيرلّس رئيس اساقفة المدينة المقدّسة اورشليم . وفي الثانية الى سميّهِ القديس كيرلّس رئيس اساقفة الاسكندريّة. وقد بحثنا عن اصل هذا الميمر في مجموعة اعمال القديسين اليونانيّة لسيين فلم نجد لهُ اثرًا ولعلّهُ احد مآثرهما المفقودة. وقد ورد هذا الاثر في مخطوطات المكتبة الوطنيّة في باريس في قسمها العربيّ (Paris, Mss 1516 et 2123) وكذلك في نسخة من مكتبة القس بولس سباط (Echos d'Orient, 1923, p. 328) منسوبًا ايضًا الى القديس كيرلّس الاسكندريّ. والله اعلم . وهو على كلّ حال اثر جليل لأيّ منهما كان يستحقّ ان يخرج من زوايا النسيان لاسيما يوم موسمهِ العظيم ل . ش

(ص ٤٠٤) ميمر في الختان لابينا كيرلس رئيس اساقفة المدينة المقدّسة اورشليم قالهُ في ختانة ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد

هـا نحن نبصر الجمع كثيرًا والسامع نشيطاً والكنيسة مملوءة . الّا انّ المعلّم ليس بغنيّ في المعرفة لكنّ المعطي للانسان لساناً وفماً يرزقنا ايضاً معاني صالحة لانهُ قال بلسان النبيّ (المزمور ٨١ : ١١) : « افتح فاك فاملأهُ » . ولأنكم قد قدمتم اجمعين بنشاط الى هذا العيد السيّدي فلنعيّد عيدًا بهيًّا بتسابيح زاهرة ولناخذ في تأمل الامور اللائقة بالاله المكتملة اليوم ونخصّص لذواتنا حقيقة ذلك السرّ لنحفظ امانة الله ووديعتهُ

وذلك انّنا عاينّا منذ يسير طفلًا مضجعاً في مذود وهو عمانويل رأيناهُ مقمّطاً ملفوفاً لنّا بشريًّا ومسبّحاً تسبيحاً الهيًّا من اجناد ملائكة قديسين وهم الذين بشّروا الرعاة بولادتهِ . واليوم نشاهدهُ مطيعاً سُنّة موسى متواضعاً لاوامر الناموس . ولذلك يعلّم بولس الرسول الكثير الحكمة قائلًا (غلاطية ٤ : ٣) : « انّنا لمّا كنّا اطفالًا كنّا مستعبدين تحت اسطقسّات العالم . فلمّا حان (ص ٤٠٥) كمال الازمان ارسل الله ابنهُ مولودًا من امرأة صائرًا تحت الناموس ليبتاع الذين تحت الناموس »

وهذا صار لاجل امرين : (احدهما) لكي يشتري باكمال الناموس الذين هم تحت عقوبة معصية الناموس . والذين لم يكونوا ايضاً يحفظونهُ فافتداهم من لعنة الناموس . (والآخر) لانهُ بطاعتهِ في كلّ الامور لوصايا الناموس وبخضوعهِ للشريعة شفى عصيان آدم كما قال الرسول ايضاً (رومية ٥ : ١٩) : « كما انّ بمعصية انسان واحد صار الكثيرون خاطئين كذلك بطاعة واحد يصير الكثيرون صدّيقين » اي المؤمنين بالمسيح الاله (ص ٤٠٦)

فامّا ان الكتاب الالهيّ يذكر ختانة المسيح فذلك واضحٌ لا شكّ فيهِ وكفى بهِ تفنيدًا للذين يجحدون باقي سياستهِ وحقيقة بشريّتهِ ويلتجئون الى الوهميّة في تجسّدهِ قائلين انهُ لم يأخذ بالحقيقة جسدًا بشريًّا بل وُجد في شكل انسان ولم يكن انسانًا ملموساً بل خياليًّا فالانجيل بذكرهِ ختانتهُ يُفحمهم . وكما انّ دمهُ الطاهر مع الماء الذي خرج من جنبهِ في وقت الصليب بارك الارض التي سقط عليها فهكذا دمهُ يوم ختانتهِ قدّس الارض بما سفكهُ اذ ذاك منهُ على انهُ في يوم قيامتهِ قام بغير نقص في جسدهِ تامّ الخلقة

وامّا قول البشير انهُ دُعي يسوع الذي معناهُ خلاص الشعب فقد دعاهُ بهِ الملاك

قبل ان يُحبَل بهِ في البطن. وقد تمَّ حبَل البتول بهِ عند قولها : « ها انا أَمَة الرب فليكن لي كقولك ». فلما ولد لم يُطاق عليهِ ذاك الاسم حتى خُصَّ بهِ يوم ختانتهِ لانهُ في ذلكَ اليوم خضع لفرائض الناموس فتمَّمها وصنع ذلك بتدبيره لانَّ بهِ كان يليق «ان يَتمَّ كلَّ عدل» (متى ٣: ١٥). ولاجل انهُ اخذ بالحقيقة صورة عبدٍ فلهذا السبب اكمل الواجبات عن الذين هم تحت نير العبوديَّة. ولذلك تراهُ في بعض الاوقات يؤدّي الخراج للجُباة (متى ١٧: ٢٦). فاذا ما ابصرتَهُ حافظاً للناموس فلا تشكك بل افتكر في عُمق التدبير. وكذلك جرى يوم ختانتهِ حيث دُعي يسوع اي خلاص الشعب لانَّ الله الآب لم يؤثر ان يُدعى ابنهُ خلاص الشعب يوم ولادتهِ بالجسد من العذراء لكنَّهُ دعاهُ بهِ في ختانتهِ ليكون خلاص الشعب بدمهِ وليس شعباً واحداً بل كلَّ الشعوب حتى افراد كلَّ امَّة وجميع مَنْ تحت السماء.

فاذا كان امر الختانة هكذا يُكمَّل وبهِ تُقبَل التسمية وتُتمَّم فرائض الناموس فلماذا لم نتسلَّم نحن سُنَّة الاختتان ؟ فما هو الرمز في هذا ؟ واي اسرار توضحها لنا ؟ واي معنًى خفي يبيّن لنا قوَّة ذاك ؟

هاتِ الآن نفتّش ونبصر ما كتبهُ بولس الرسول قال (غلاطة ٥ : ٦) : « انَّ الختانة ليست بشيء ولا الغُلفة » ولعلَّ احداً من المعارضين يقول : ان كان الاختتان ليس بشيء فلماذا امر بهِ إلهُ الكُلّ موسى النبيَّ وحدَّ عقاباً على مخالفتهِ ؟ فأُجيب انَّ في ذلك سرًّا مكتوماً وذلك انَّ السيد المسيح قام في اليوم الثالث من الموتى ومنحنا الختان الذي بالروح لمَّا أَوعز الى رسله القديسين قائلاً (متى ٢٨: ١٩) : « انطلقوا الى العالم اجمع وتلمذوا كلَّ الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن ويعتمد يُدَنْ ».

فانظر هاهنا الى قوَّة السرّ ومجد المُعطي لنا مثل هذه المواهب لانَّ الذي امر بالختان في القديم بموسى هو ذاتهُ أتمَّهُ بنفسهِ ليكمل ما أمر بهِ. والذي اوصى ان يكون الختان في اليوم الثامن هو ايضاً امر بالختان الروحيّ لمَّا ظهر لتلاميذه في اليوم الثامن بعد موتهِ. والذي حدَّ عقاباً على من يخالف شريعة موسى ولم يختتن هو نفسهُ حدَّ ايضاً عقاب الدينونة على من لا يعتمد. لانهُ انَّما اختتن ليكمل الناموس العتيق ويُبطلهُ واعتمدَ ونهج لنا السبيل المؤدّية للخلاص بكرازة الانجيل وشرَّعَ بالناموس

الجديد وحقّقهُ كما يؤكد لنا ذلك يوحنّا الحبيب المتكلم باللاهوت قائلًا (١ : ١٦) : « أنّنا من امتلائهِ اخذنا كلّنا نعمةً بدل نعمةٍ لانَّ الناموس بموسى أعطي والنعمة والحقّ بيسوع المسيح صارا » وكما انَّ يشوع بن نون الذي اذ جلس بعد موسى في البريّة ختَنَ الشعب بسكاكين من الصوّان (يشوع ٥ : ٢) كذلك نحن اذا عبرنا الاردنَ يختننا المسيح بقوّة الروح القدس ليس بقطع البشرة بل بمحو الدنس النفساني. ولذلك اختتن في اليوم الثامن بالجسد لنختتن نحن بالروح بواسطة المعموديّة المقدّسة

فيا لهذا التدبير العظيم العجيب او يا لغنى حكمة الربّ ومعرفتهِ السابقة ! . انَّ الذي هو في حضن الله مساوٍ لهُ في الكرامة الابن المشارك لهُ في الازليّة والرتبة يقدّم ذاتهُ للختان كاحد العبيد مطيعاً ومسلّماً للرسوم الظلّية لكي بهِ وبذاتهِ يقدّمنا لله الآب ويحلّ هكذا اللعنة الصائرة لنا بواسطة المخالفة الجدّيّة وينشلنا من وهدة العصيان الى الاستنارة بالنعمة الجليلة التي تُنال بالامانة الحقيقيّة. وكان الله الآب سبق وبشّر بانبيائهِ القديسين عن ظهور ابنهِ الوحيد لكي يخلّص الضالّين ويُنير المظلمين كما ورد على لسان احد الانبياء قائلًا (اشعيا ٥٦ : ١) : سيقرب سريعاً عدلي وتنكشف رحمتي . فامّا خلاصي فيتجلّى كمصباح » فعدلُ المسيح هو الذي بهِ رُحمنا وتزكّينا واغتسلنا من وسخ الاثم بالامانة اي بايماننا بهِ . وكما انَّ المصباح يتقدّم امام الذين يسيرون في الليل والظلام هكذا صار المسيح نفسُهُ ضياء ونورًا للذين كانوا في الظلمة العقليّة ووضع لهُ اللاهوتُ استنارةً وحكمةً . ولذلك تضرّع الانبياء السعداء ليصيروا شركاء لمثل هذه النعمة قائلين (المزمور ٨٤ : ٨) : «أرِنا يا رب رحمتك وأعطِنا خلاصك»

فهذا الذي كان الانبياء يشتهون ان يروهُ قد ظهر في آخر الازمان وصار نورًا للضالّين في الظلمة وحكمةً وخلاصاً للواقعين تحت نير المحال الذين كانوا عابدين الخليقة دون خالقها وساجدين ايضاً لرئيس الشرّ التنّين اللعين لكنهم دُعوا من الله الآب الى معرفة الابن الذي هو الضياء الحقيقي . لانَّ الله قد خلّص ما تحت السماء بواسطة الابن من اجل انهُ صار مثلنا كما كتب بولس الكثير الحكمة قائلًا (١ طيموتاوس ٢ : ٥–٦) : «إلهاً واحداً متوسّطاً بين الله والناس يسوع المسيح الذي بذل نفسهُ فداء عنّا وانحدر طوعاً من اجل ضعفنا لكي نُضحي اغنياء بفقرهِ» . وقال ايضاً في موضع آخر (افسس ٢ : ١٣) : «انتم الذين كنتم قديماً بعيدين قد صرتم الآن قريبين

بدم المسيح » وقال ايضاً « اني ازيدهم باسم الرب الهم وباسمه يتفاخرون » . وبهذا يعلّم الزبور (٨٨ : ١٦) قائلاً وهو يناجي مخلّص الكل : « يا رب بضياء وجهك يسلكون وباسمك يبتهجون طول النهار وبعدلك يشتغلون وذلك لانك انت فخر قوتهم » وقال ايضاً على لسان اشعيا النبي : « اني اعلّمهم ويتكاثرون والذين في البعد يذكرونني » وتجد النبي ارميا صارخاً ايضاً الى الله وقائلاً : « انت يا رب قوتي وموئلي وملجأي في يوم حزني . اليك تأتي الامم من اقطار الارض ويقولون باطلاً اتخذ آباؤنا الاصنام التي ليست فيها منفعة » فقد نهض كثيرون واقبلوا الى الايمان وارتقوا من العبادة الناموسيّة الى الروحيّة وعوض روح الضلالة الذي كان فيهم اضحوا شركاء الطبيعة الالهيّة وأهلوا لموضع النبوّة راجين اقتناء المدينة العالية اعني مُلك السماء بتعطّف الاهنا وفادينا يسوع المسيح الذي له ولابيه ولروح قدسه المجد والتسبيح الآن والى الابد آمين

آفات السيول وطرق علاجها

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لغتنا العربيّة الجميلة حافلةٌ بالاستعارات المأخوذة عن السيول ، ومنها يُستدَلّ على ان العرب اختبروا اضرارها الجمّة فأطلقوا التعابير المختصّة بها على غيرها من الشرور والآفات الكبرى . نكتفي بهذا المقام بذكر الشيء اليسير من تلك المجازات المستحسَنة المأنوسة حتى في ايامنا . أما اعتادت الجرائد مثلاً التكلّم عن « الاجحاف بالحقوق » في المقالات التي تكشف بها جور الحكّام وتبسط ظلامات الرعايا ؟ والحال ان لفظة « اجحاف » وُضعت في الاصل اللغوي للدلالة على اضرار السيل بحافتَي مسيله وإتلافه التدريجي لهما . ويؤيد ذلك المعنى التعبيرُ الجاري نعني « السيل الجُحاف » او مجرَّد لفظة « جحاف » وهي مرادفة للسيل

هكذا ايضاً نرى العرب الاقدمين بل العصريين يشبّهون الحروب والاوبئة والمجاعات وما جرى مجراها في ازهاق الوف الارواح « بالسيل الجارف » . وانهُ ليخيّل

لنا ان صفة «جارف» لا ترد في كلام الناطقين بالضاد الّا ملازمةً للسيل ، فكأنها مختصة به دون سواها . ولا غرو لانّ السيل يجرف جانبَيْه جرفاً عنيفاً فكأنهُ بجرفة هائلة بيد جبّار اخذ على نفسهِ افناء شوامخ الجبال شيئاً فشيئاً بجرف التربة الطرية والصخور الصلدة من منحدراتها التي تمرُّ بها مجاري السيول

هذا والقصد من صُحفنا التالية العرض الموجز لاضرار السيول وطرق ملافاتها وفقاً لاحدث التجارب . نزفّ هذا البحث لقرّائنا اللبنانيّين في هذا الفصل الشتوي الذي تتواتر فيه السيول ولا يخفى عليهم كم جرّتهُ من الشرور على جبلهم العزيز ولاسيما بعد ان عرّته أيدٍ جاهلة او اثيمة من غابات كثيرة كثيفة كانت تقيهِ وقاية كافيةً من تلك الطامّة الكبرى . فمساهم ينتبهون بما نرويهِ الى تلافي هذه الاضرار فيصونون جبلهم العزيز من شرّها

١ اضرار السيول

يتكوّن السيل الجحاف في الجبال الغزيرة الامطار على الصفة الآتية : تسيل مياه الامطار على المنحدرات دون ان تصادف عقبةً في اندفاقها فتتجمّع بقوّة الجاذبيّة الارضيّة في الاغوار او ، بتعبير ادقّ واعمّ ، في الجهات الاشدّ انخفاضاً . ولأنّ تلك المياه ذات قوّة ميكانيكيّة عظيمة بغزارتها وسرعة اندفاعها فلا تلبث ان تحفر لنفسها مجرًى ضيّقاً في الجهات المشار اليها . وعلى توالي الامطار يتّسع ذلك المجرى تدريجاً بجرف السيل لجانبَيْه وقعره . فالسيل يَنتزع من حافتي الوادي كُتَلاً كبيرة من التربة الزراعيّة المبلولة الفاقدة صلابتها ، ويسحو معها كثيراً من الحصى ، بل يجرف في بعض الاحيان عند طغيانهِ صخوراً هائلة تتدحرج نحو مجراه لعدم رسوخ الارض تحتها ومن حولها . وعلى هذا النمط لا يزال ذلك المجرى يتوسّع بهَدْم جانبيه . ولعمري قد احسن من شبّهه بالطعنة النجلاء في صدر الجبل الرحب على ان لهذه الطعنة مزيّةَ الآكلة التي لا تزال تمدُّ سيطرتها على اجزاء الجسم المجاورة الصحيحة حتى تقوّض اركانهُ بتعميم الفساد في كلّ اطرافهِ

ومما يزيد شرور السيل استفحالاً انهُ يُحدث على جهتَيْ مجراه اخاديد متزايدة متوسّعة ومحاذية لوُجهة مسيلهِ . فمتى ادرك عددُها الوافر وانتفارها النامي حدًّا معلوماً انهار

قسم عظيم من المنحدر المحيط بها بضجة هائلة متدهوراً في السيل ومسوقاً بقوة مياهه العاتية الى اسفل الوادي . امّا البيوت والاكواخ بل الضيع الواقعة احياناً بقربة من ذلك السيل الجحاف فحدّث عن الدمار الشامل المهدّد لها على الدوام ، ولا حرج ! فبمقدار اتساع مجرى السيل وانهيار جانبيه ترى اقرب المنازل قد خلت من سكانها بل ترى شاطئي السيل خاليين من كل مظاهر الحياة النباتية فيهما والصحراء سواء رغماً من جودة التربة الجبليّة وغزارة المياه المجاورة وشدة عناية الفلّاحين . امّا المنازل والمزارع البعيدة عن السيل فلا تلبث ان تدخل في دائرة اجحافه وتدميره ، فلا رجاء يلوح لها في المستقبل وهي كالمحكوم عليه بالاعدام المنتظر ساعته الاخيرة . ومن يحصي عدد القرى التي ذهبت ضحية السيول العرمرميّة في جبال اوربة وغيرها ! حقّاً ان تعدادها ووصف تفاصيل خرابها العاجل ليقتضيان المجلّدات الضخمة ! ومن اغرب ما ذُكر من مثل تلك الدواهي دمار دير سكنهُ رهبان القديس مبارك في الجيل الثالث عشر ولا يشاهد منه السائح في يومنا هذا سوى اخربته وهي على حافّة سيل بجبال الألب اسمه رابيو (Le Rabious)

***

كنا حتى الآن عن الاضرار الجسيمة التي يُلحقها السيل بمنحدرات الجبال . امّا التي يحدثها بانصبابه في الوادي فانها تكاد توازي الاولى وُفوراً وهولاً . واليك بيان ذلك ببعض الايضاح . ان المواد الغزيرة المتنوعة التي يجرفها السيل من جانبيه — كالتربة الزراعية والحصى والصخور الكبيرة — لا يزال يجرّها بقوة مياهه وبسرعة هائلة حتى يبلغ الوادي

عندئذٍ ترسب تلك المواد بينما يواصل السيل سيره وتتكوّم تدريجاً حتى يحصل منها شبهُ تلّ محدّب ومستدير الجوانب فلا يزال يتسع نطاقه بامتداده على ارض الوادي . وهكذا تنقص مساحة هذه الارض الصالحة للزراعة . واحياناً تبلغ تلك التلال «الاصطناعية» مبلغاً عظيماً فنها ما يدرك ارتفاعهُ زهاء سبعين متراً وطول دائرته السفلى بضعة كيلومترات ! وذلك مثلٌ حيّ على مقدرة القوى المستمرّة العمل في خطّة واحدة ، ولو كانت غير شديدة او غير سريعة

يتابع السيل سيرهُ على قمة التل المذكور حافراً عليها مجراه ومندفعاً الى ما ورائها

من الاراضي . على انه ، متى طغت مياهه ، يخرج عن ذلك المجرى فينهمر على جوانب التلّ وهو لا يزال يضخمها باحماله الصخرية والطينية وما شاكلها

خلاصة الايضاحات السابقة ان السيل مضرّ كل الضرر بالجبل حيث لا يزال يجرف منعطفهُ وبالوادي اذ يقلل مساحته الصالحة للزراعة ، وكل ذلك بغضّ النظر عن الشرور المتفاقمة التي يلحقها بمساكن الناس بل باعمارهم في كثير من الظروف

والحالة هذه قد اجهد حكّام البلاد وعلماؤها قرائحهم من قديم الزمان في ايجاد انجع الوسائل لمعالجة ذلك الداء العضال وهاك نتيجة ابحاثهم وتجاربهم المتعددة

٢ تلافي اضرار السيول

ان المتجوّل في جبال الالب يلاحظ من فوره ان اذى السيول يزيد بنسبة قلّة الاشجار وغيرها من المزروعات بل والاعشاب الطبيعيّة . ولا غرو فان جذور النباتات ولاسيما الاشجار تتعمق في الارض وتتفرّع احياناً فيها الى مئات الفروع . وهذه الفروع تزيد التربةَ صلابة وتقيها آفة الانحلال والانهيار بتأثير المياه المطريّة الساقطة عليها . ثم ان غصون الاشجار والوف الالوف من اوراقها تنال حصّة وافرة من تلك المياه فتمنعها عن تبليل الصعيد ، اما الحصة الاخرى فانها تنقص سريعاً بداعي اصطدامها المتواتر بالاغصان والاوراق ومتى ادركت الارض لا تكاد تؤثر فيها تأثيرَ انحلال وذلك للاسباب الآتية : (الاول) ان التربة المسمّدة هي دهنيّة ولها شبه خواص الاسفنج نعني انها تمتصّ المياه وتخزنها بدون فقدان شيء يذكر من تلاحم دقائقها . (الثاني) ان النفايات المتراكمة على الصعيد — وهي عبارة عن الاوراق وتُتف الاغصان الساقطة من ذاتها او بقوة الريح — تقي التربة شرّ المياه فهو لها بمثابة درع كثيف . ويفعل مثل فعلها الطحلبُ المغطّي لجذور الاشجار وللصخور ثم الاعشابُ الكثيرة المشتبك بعضها ببعض على سطح الارض او بجواره

فمن تروّى في اعتبار العوامل السابقة الذكر ادرك كلّ الادراك الخدم الجليلة التي تقوم بها الغابات خصوصاً ، والاشجار وسائر النباتات عموماً ، في ملافاة اضرار السيول الفادحة . ذلك ما حدا فرنسة سنة ١٨٦١ الى ان تعهد الى ادارة الاحراج — وهي من اهمّ فروع حكومتها — ببذل كل رخيص وغالٍ في تشجير الاصقاع الجبليّة

الجرداء باقرب وقت وباستخدام كل الوسائل الفنيَّة الضامنة لنجاح ذلك المشروع . ومن ذلك العهد الى يومنا نعني مدة نحو ٦٢ عاماً قد أتت تلك المساعي المتواصلة المقرونة بنفقات طائلة باشهى الثمار واعظم النتائج . فقد درأت عن جهات كثيرة مهدَّدة بالخراب العاجل آفات السيول الجارفة وجعلتها آهلةً بالسكان وغنيَّة بالاشجار وسائر المزروعات . وقد بلغ فنُّ ملاشاة السيول — او كما يقول الفرنسيون اطفاء السيول (extinction des torrents) — مبلغاً جعله في جملة الفنون الحديثة العهد التي سُجلت اصولها الاكيدة في مئات الكتب ، فلا صعوبة في تلقُّن تلك الاصول ، حتى ولا في العمل بها . اليك الآن بيان الوسائل الاربع الضرورية لملاشاة السيول ملاشاةً تامَّة ومضمونة النجاح :

﴿الوسيلة الاولى﴾ هي اقامة حاجز مستدير حول مصدر السيل . والغرض منه منع القطعان من رعي الاعشاب التي تقي الانحاء ، كما سبقت الاشارة ، وقايةً غير يسيرة من آفات المياه الطرئيَّة

﴿الوسيلة الثانية﴾ هي ان تُزرع تلك البقعة المصونة اشجاراً مناسبة للتربة والمناخ ثم ان تُلقى بين اغراس تلك الاشجار بذور اعشاب ونباتات عشبيَّة (herbacées) شتى

﴿الوسيلة الثالثة﴾ هي زرع شُجيرات عديدة وأدغالٍ ذات جذور ليفيَّة على طول جانبي السيل ، فانها تحول دون انهيار تربتهما بتأثير المياه الغزيرة المندفعة بسرعة شديدة من اعالي القمم

﴿الوسيلة الرابعة﴾ هي اقامة سدود من حجارة او من حُزَم حطب في عرض مجرى السيل لانقاص سرعة مياهه ولاسيما لتمنع رسوب ما تجرّه المياه من المواد الثقيلة كالصخور وما شاكلها

فبعد اجراء تلك العمليات الاربع لا يُخشى اقلُّ خطر من اعتى السيول اذ تراها قد تحوَّلت بفضل ذلك الفن الجديد الغريب الى مجارٍ معتدلة السير صافية المياه خالية من قطع الصخور المضاهية في بعض الظروف لقذائف المدافع بما تحدثه من التدمير الشامل

امَّا نفقات هذه العمليَّات فليست مفرطة بالنظر الى عظيم فوائدها . كانت فرنسة

في اوائل هذا الجيل تُنفق نحو ٢٦٠ فرنكاً لتشجير كل هكتار ، وهو عبارة عن عشرة آلاف متر مربع ، و ١٠ فرنكات لاصلاح كل متر من مجرى السيل . هذا وثمن الارض المنوي تشجيرها كان في الغالب دون ٣٠٠ فرنكات عن كل هكتار

فبإقدام ادارة الغابات الفرنسية على هذه الاشغال الكبيرة والنفقات الطائلة في مجموعها، قد خلّصت من الدمار العاجل مساحاتٍ واسعة من المقاطعات الجبلية العديدة بل جعلتها شيئاً فشيئاً بلاداً خصبةً غنيّة بزراعتها . ففي الاعتبارات والعبر المروية آنفاً موضوع تأمل مفيد لقرائنا اللبنانيين الشديدي الحرص على ترقية مستوى لبنان المادي والادبي . فنسأل المولى ان يرشدهم وسائر مواطنيهم الى انجع الوسائل لوقاية جبلهم المنيع العزيز من آفات السيول بل من كل انواع الشرور

الرسالة الحرفية

للسيد الشريف الجرجاني

توطئة

السيّد عليّ بن محمّد الجرجاني المعروف بالسيّد الشريف اشتهر في العجم في النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة واوائل القرن التاسع (٧٧٩-٨١٦ هـ = ١٣٧٧-١٤١٣ م) وعلّم مدّةً في شيراز وفيها توفّي . له تآليف متعدّدة في العلوم الفلسفيّة والدينيّة واللغويّة نُشر منها بالطبع كتابُ « التعريفات » . ومما وقفنا له بين احد مجاميع مكتبتنا الشرقيّة رسالةُ الحرفيّة التي يشرح فيها معاني الحروف العربيّة على اختلاف اوضاعها واقترانها بالالفاظ المفردة والمركّبة . منها نسخٌ شتّى في خزائن الكتب الشرقيّة في اوربة ومصر والاستانة . ولعلّ نسختنا من اقدمها . وهي مكتوبة بقلم متوسّط بين النسخي والفارسيّ في غاية الاتقان . والحروف مكتوبة بالحبر الاحمر مع خطٍّ احمر لكل مبنى من معانيها . وقد اكل الثتُ اطرافها وثقب اوساطها لقدمها . واذ لم نعرف منها نسخةً مطبوعة احببنا نشرها افادة القرّاء واضفنا اليها بعض الحواشي زيادةً للفائدة ودللنا على المعاني المختلفة بأرقام ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

﴿الألف﴾ في كلام العرب على اثنين وعشرين وجهاً : ١ً الالف الاصلي .

٢ً والالف الوصل . ٣ً والف الفصل . ٤ً والالف القطع . ٥ً والالف الضمير . ٦ً والالف التثنية . ٧ً والالف الواسطة . ٨ً والالف التفصيل . ٩ً والالف التعجب . ١٠ً والالف الاستفهام . ١١ً والالف الانكار . ١٢ً والالف التقدير . ١٣ً والالف الاستقبال . ١٤ً والالف النداء . ١٥ً والالف الندبة . ١٦ً والالف الوقف . ١٧ً والالف الاعراب . ١٨ً والالف البدل . ١٩ً والالف الزيادة . ٢٠ً والالف التأنيث . ٢١ً والالف جمع التكثير . ٢٢ً والالف جمع الاناث . ٢٣ً والالف الصفة

اما ١ً الالف الاصل ففي الافعال مثل أَبَى يأبى(١ . ٢ً والف الوصل مثل ألف أُكتُب وانصُر . ٣ً والف الفصل مثل الالف في نَصَروا وكَتَبوا (٢ . ٤ً والف القطع في أَكرِم وأَنعِم . ٥ً والف الضمير مثل الالف في ضَرَبا وكَتَبا . ٦ً والف التثنية مثل الالف في زَيدانِ وعُمَرانِ . ٧ً والف الواسطة مثل قوله (سورة يس) : أأنذرتهم (٣ . ٨ً والف التفصيل مثل الالف في «زيد أفضل من عمرو» . ٩ً والف التعجب مثل الالف في «ما أحسَنَ زيدًا» . ١٠ً والف الاستفهام مثل «أزيدٌ قائمٌ» . ١١ً والف الانكار مثل قوله تعالى (سورة الصافات) : «أتدعون بعلًا . ١٢ً والف التقدير (٤ مثل قوله تعالى (سورة الاعراف) : «ألستُ بربكم . قالوا : بلى» . ١٣ً والف الاستقبال مثل الالف في أنصُرُ . ١٤ً والف النداء في مثل : أزيد (٥ . ١٥ً والف الندبة في مثل : أزيداهُ (٦ = . ١٦ً والف الاعراب مثل : رأيتُ اخاك» واكرمت أباك» . ١٧ً والالف البدل في مثل «باع وقالَ» (اصلها بَيَع وقَوَلَ) . ١٨ً والف الزيادة مثل : أفعَلَ وفاعَل . ١٩ً والف التأنيث مثل : حَمراء . ٢٠ً والف الصفة مثل : أحمر واصفر . ٢١ً والف جمع التكثير كالالف في منابر ومساجد .

---

١) هذه هي الهمزة . واما الالف الهاوية فلا تقع في اوّل الكلمة

٢) هذه هي زائدة يدعوها بالف الاطلاق . واما الالف الفصل فكالالف الفاصلة بين النونين في يَضرِبنانِّ

٣) هذه الالف تدعى الف التسوية كقولك : سواء عندي أيحيا ام يموت

٤) كذا في الاصل «تقدير» بالدال . ونظن انهُ اراد «التقرير» كما يدلّ عليهِ المثل المضروب

٥) هذا للنداء القريب . واذا مُدَّت كانت لنداء البعيد

٦) اكثر ما يُستعمَل للندبة «وا» كقولك «وازيداه»

٢٢ والف جمع الاناث مثل الالف في مُسلمات ومؤمنات(١

﴿الباء﴾ على خمسة اوجه : ١ باء الاصل . ٢ وباء الوصل . وباء البدل عن الميم . ٤ وباء القسم . ٥ وباء الثمن

١ فباء الاصل مثل الباء في كَتَبَ وضَرَبَ . ٢ وباء الوصل مثل مررتُ بعمرو (٢ . ٣ وباء البدل من الميم مثل «سَبَدَ رأسهُ» معناهُ «سَمَدَ رأسهُ» . ٤ وباء القسم نحو «باللهِ» . ٥ وباء الثمن نحو «اشتريتُ بدرهم» (٣

﴿التاء﴾ على سبعة اوجه : ١ تاء الاصل . ٢ تاء الخطاب . ٣ تاء الزيادة . ٤ تاء البدل عن الواو . ٥ تاء التكلم . ٦ تاء الضمير . ٧ تاء التأنيث

١ فتاء الاصل مثل : ثَبَتَ . ٢ وتاء الخطاب نحو : ضربتَ وضربتِ . ٣ وتاء الزيادة مثل : افتَخَرَ . ٤ وتاء البدل عن الواو نحو : تاللهِ (٤ . ٥ وتاء المتكلم مثل : ضربتُ . ٦ وتاء الضمير مثل : أنت (٥ . ٧ وتاء التأنيث مثل : ضربَتْ (٦

﴿الثاء﴾ على وجه واحد ثاء الاصل مثل عَبَثَ

﴿الجيم﴾ على وجهين : ١ جيم الاصل . ٢ جيم البدل عن الياء (٧ . ١ فجيم الاصل مثل جمع . ٢ وجيم البدل عن الياء مثل قول الشاعر :

يا ربِّ ان كنتَ قلت حُجَّتجْ فلا يزال راجحٌ يأتيك بجْ

يريد : حُجَّتي . . وبي (٨

---

١) هنا لم يذكر امثلةً الّا لاثنين وعشرين وجهاً . وقد نسي ألف الوقف في مثل قولك : أعبدا . وهي لمدّ الصوت بالمنادى المستغاث . وقد فاتهُ ايضاً الالف المبدلة من النون كقوله : لا تعبد الشيطان والله فاعبدا اي فاعبدنْ . وتُبدل الهمزة من الهاء نحو : أرقتُ الماء وهرقتُهُ

٢) وهي باء الجرّ او باء الإلصاق وتأتي للتعدية ٣) وتدعى ايضاً باء المقابلة . وممّا لم يذكرهُ الجرجاني الباء الزائدة كقولك : ليس الله بظالم وأكرِمْ بزيد . وتكون مرادفةً لغيرها من الحروف كمع «اذهب بسلام» وفي «اقمت بالمدينة» اي مع سلام وفي المدينة

٤) هي من حروف القسم ٥) يقال لهذه التاء حرف خطاب

٦) وتأتي وصلة لثمَّ ورُبَّ فيقولون ثُمَّت ورُبَّت . وتبدل من الدال يقال هرَدَ الثوب ومرَّتهُ اذا خرَّقهُ . وسَبَنْدى وسَبَنْتى للنسر ٧) وتبدل الثاء من السين والذال والفاء كقولك : مَلَثُ الليلِ ومَلَسُهُ اي اوّل ظلامهِ . وتَلَعْثَمَ وتَلَعْذَمَ اي توقّف . والمثام والمذام ٨) ويكون بدلاً من الكاف نحو ارتجَّ وارتكَّ وسَهَكَهُ وسَهَجَهُ كحقهُ

﴿الحاء﴾ على وجه واحد: حاء الاصل نحو: فَرِحَ (١

﴿الخاء﴾ على وجه واحد خاء الاصل نحو: فَرَخ (٢

﴿الدال﴾ على وجهين: ١ً دال الاصل. ٢ً ودال البدل عن الذال.
١ً فدال الاصل مثل محدود. ٢ً ودال البدل عن الذال نحو «ادَّكَرَ» (وهي في الاصل اذَّكر بالذال) (٣

﴿الذال﴾ على وجه واحد ذال الاصل نحو ذَكَرَ (٤

﴿الراء﴾ على وجه واحد راء الاصل نحو: ظَهَرَ (٥

﴿الزاي﴾ على وجهين: ١ً زاي الاصل. ٢ً وزاي البدل عن السين.
١ً فزاي الاصل نحو: غَزَا. ٢ً واما زاي البدل عن السين مثل قوله تعالى (سورة الفاتحة): «اهدنا الصراط المستقيم» (٦

﴿السين﴾ على خمسة اوجه: ١ً سين الاصل. ٢ً وسين الطلب. ٣ً وسين الزيادة. ٤ً وسين البدل عن الصاد. ٥ً وسين سوف. ١ً فسين الاصل نحو: حَسَدَ ٢ً وسين الطلب نحو: «استخرجهُ» اي طلب خروجهُ. ٣ً سين الزيادة نحو: استطعمَ. ٤ً سين البدل عن الصاد كسفقَ البابَ اي ردَّهُ. ومثلها صَفَقَ. ٥ً وسين سوف نحو: سَتَنْصُرُ معناهُ سوف تنصُرُ (٧

﴿الشين﴾ على وجهين: ١ً شين الاصل. ٢ً شين البدل عن الكاف.
١ً فشين الاصل نحو: شَمَلَ. ٢ً وشين البدل عن الكاف وذلك خصوصاً كاف المخاطبة فقالوا: رأيتُشي اي رأيتُكِ (٨

---

١) وتأتي الحاء بدلاً من الجيم والعاء نحو. أَحَمَّ الامر واجمَّ اذا حانَ وقتُهُ. وسَبَحَ الرجل وسَبَخَ اذا نام ٢) وتأتي الخاء بدلاً من الجيم والعين والهاء كقولك: خَلَعَ وجَلَعَ اذا ذهب حياؤهُ. وغِطْريف وخِطْريف السيد الكريم. وصَخَدَتْهُ الشمس وصَهَدَتْهُ اذا اشتدَّ عليهِ حرُّها ٣) وتكون بدلاً من اللام والطاء نحو: مَعَلَهُ ومَعَدَهُ اي اختلسهُ. وقَدْني وقَطْني اي حَسْبي ٤) وبدل من الدال كما مرَّ نحو ما ذاق عَدوفاً او عذوفاً اي شيئاً ٥) وتبدل الراء من اللام كطِرْس وطِلْس وهي الصحيفة الممحوَّة. ومَدَر الحمام ومَدَل ٦) الزراط بالزاي لغة في الصراط وهي تُبدل كثيراً من السين «سراط». ثم تكون الزاي بدلاً من الذال والصاد. نحو زَبَرْتُ الكتاب وذَبَرْتُهُ اذا كتبتهُ. وشَزَرَهُ برُمحهِ وشَصَرَهُ اذا طعنهُ برمحهِ ٧) وتبدل السين من الشين نحو جَرْش من الليل وجَرْس اي جانب منهُ ٨) وهذه التي تدعى شين الكشكشة التي تبدل كاف المخاطب شيناً

﴿ الصاد ﴾ على وجه واحد صاد الاصل نحو : صَبَرَ

﴿ الضاد ﴾ على وجه واحد ضاد الاصل نحو : ضَرَبَ (١

﴿ الطاء ﴾ على وجهين : ١ً طاء الاصل . ٢ً وطاء البدل عن التاء . ١ً فطاء الاصل نحو ظَهَرَ . ٢ً وطاء البدل عن التاء نحو اضطَرَّ (٢

﴿ الظاء ﴾ على وجه واحد ظاء الاصل نحو ظَهَرَ (٣

﴿ العين ﴾ على وجهين : ١ً عين الاصل . ٢ً وعين البدل عن الهمزة . ١ً فعين الاصل مثل : عَمْرو . ٢ً وعلى البدل عن الهمزة نحو : ذهب القوم عَباديد وأَباييد (٤

﴿ الغين ﴾ على وجه واحد : غين الاصل نحو غَفَرَ

﴿ الفاء ﴾ على اربعة اوجه : ١ً فاء الاصل . ٢ً وفاء العطف . ٣ً وفاء الجواب . ٤ً وفاء الجزاء . ١ً ففاء الاصل نحو : فَرِحَ . ٢ً وفاء العطف مثل قوله تعالى (سورة آل عمران) : «نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ» . ٣ً وفاء الجواب مثل : اما الضيف فأُكرِمُهُ . ٤ً وفاء الجزاء مثل : «ائتِني فأُكرِمَكَ» (٥

﴿ القاف ﴾ على وجه واحد قاف الاصل نحو : قَهَرَ (٦

﴿ الكاف ﴾ على خمسة اوجه : ١ً كاف الاصل . ٢ً وكاف الزيادة . ٣ً وكاف البدل عن التاء . ٤ً وكاف الخطاب . ٥ً وكاف التشبيه

١ً فكاف الاصل نحو : كَفَرَ . ٢ً وكاف الزيادة كقوله (سورة الشورى) : «ليسَ كمِثْلِهِ شيء» . ٣ً وكاف البدل عن القاف . نحو كَشَطَهُ اي قَشَطَهُ . ٤ً وكاف الخطاب مثل : ضَرَبَكَ ومنكَ . ٥ً وكاف التشبيه مثل قوله تعالى (سورة النور) : كَسَرابٍ بقيعةٍ (٧

---

١) تبدل الصاد من الضاد يقال : ضَافَ السهمُ وصاف اذا عدَلَ عن الهدف . وقبضَهُ وقبَصَهُ ٢) ومنهُ الفَلَط والفَلَت . وترَّت يدُهُ وطرَّت اذا سقطت . وتبدل الطاء من الجيم كقولك بجَّهُ وبطَّهُ اي شقَّهُ . والأطم والأجم الحصن ٣) وتبدل الظاء من التاء نحو اظَّفَرَ واظَّهَرَ ٤) وكذلك تبدل العين من الحاء والغين والهاء . نحو ضَبَحَت الخيل وضَبِعَت اذا عَدَت . ووَغَا القوم ووَاغَم اي ضجَّتهم . وهاثَ فيهِ وعاثَ اي افسد ٥) وهذه الفاء هي الناصبة تنصب المضارع بعدها . وقد جاءت الفاء بدلًا من الكاف كالحَيفة والحيكة اي المدارة . والسافان والسلكان صغار الحجل ٦) القاف تكون بدلًا من الكاف نحو قَحَطَ وكَحَطَ . ودَمَقَهُ ودمكَهُ اذا دفعَهُ في صدرهِ

٧) وتكون الكاف لاحقةً لاسماء الاشارة وبعض الالفاظ نحو : ذلك واولئك ورُوَيْدَك

﴿ اللام ﴾ اللام على اربعة عشر وجهاً : ١ً لام الاصل . ٢ً ولام الزيادة . ٣ً ولام الجنس . ٤ً ولام التعريف . ٥ً ولام التخصيص . ٦ً ولام التمليك . ٧ً ولام الامر . ٨ً ولام التأكيد . ٩ً ولام الابتداء . ١٠ً ولام كي . ١١ً ولام العَرَض . ١٢ً ولام العلّة . ١٣ً ولام المستغيث . ١٤ً ولام التعجّب

١ً فلام الاصل مثل : ليس . ٢ً ولام الزيادة مثل : عَبْدَل . ٣ً ولام الجنس نحو : اشتريتُ الشَّرَةَ . ٤ً ولام التعريف مثل : هذا الرجل . ٥ً ولام التخصيص نحو : الحمدُ لله . ٦ً ولام التمليك نحو : عبدٌ لِعَمرو . ٧ً ولام الامر مثل : لِيَضْرب . ٨ً ولام التأكيد مثل قوله تعالى (سورة المجادلة) : «لَأَغلِبَنَّ انا ورُسُلي» . ٩ً ولام الابتداء نحو : لَزَيْدٌ خارجٌ . ١٠ً ولام كي مثل : أَتى ليَدْرس . ١١ً ولام العَرَض : فليدخل سيّدي . ١٢ً ولام العلّة نحو : «حيلتُهُ لحصول الثواب» . ١٣ً ولام المستغيث نحو : يا لَزَيد . ١٤ً ولام التعجّب نحو : يا لله ويا لهُ رجلاً (١

﴿ الميم ﴾ على اربعة اوجه : ١ً ميم الاصل . ٢ً وميم الزيادة . ٣ً وميم الجمع . ٤ً وميم البدل من النون

١ً فميم الاصل نحو : «رَحِمَ» . ٢ً وميم الزيادة مثل : مَنصور (٢ . ٣ً وميم الجمع مثل نَصَرْتُم . ٤ً وميم البدل عن النون نحو : «ماء آجِم» كماء آجِن اي مستنقع

﴿ النون ﴾ على ثمانية اوجه : ١ً نون الاصل . ٢ً ونون الزيادة . ٣ً ونون العَرَض . ٤ً ونون الاستقبال . ٥ً ونون المخبر عن نفسه وعن غيره . ٦ً ونون التأكيد . ٧ً ونون جمع التأنيث . ٨ً ونون الاعراب (٣

١ً فنون الاصل نحو : نَصَرَ . ٢ً ونون الزيادة نحو : انقطَعَ (٤ . ٣ً ونون العرض نحو : أَلَا تنصرَنَّ . ٤ً ونون الاستقبال نحو : تنصرون (٥ . ٥ً ونون

١) وتكون اللام بمعاني بعض الحروف كالى نحو اوحى لهُ اي اليهِ وكَمَلَى نحو خرَّ للارض جانباً اي على الارض . وكفي نحو مضى لحال سبيلهِ اي في حال سبيلهِ . وكمند نحو كتبهُ لخمسٍ خلونَ من رمضان اي عند خمسٍ من لياليهِ . وتأتي للقسم نحو : لله لأفعلَنَّ بمعنى والله

٢) هذه الميم للصيغة . واما الزيادة فكقولك ابنُم اي ابن وزُرْقُم اي ازرق

٣) زد عليها ميم العوض في اللهمَّ حُذفت ياء النداء فعوّض عنها بهذه الميم المفخّمة . وتأتي الميم للاستفهام بعد حروف الجرّ نحو لِمَ وإلامَ اصلها « ما »

٤) هذه النون لصيغة المزيد اللاتي ٥) الاحرى ان ندعى هذه النون في الافعال الخمسة والمثنّى والجمع السالم زائدةً

المخبر عن نفسه وعن غيره نحو : نَصَرْنا . ٦ً ونون التأكيد كقوله تعالى (سورة آل عمران) : «لأُكَفِّرَنَّ عنهم سيآتهم » ٧ً ونون جمع التأنيث نحو : تَنْصُرْنَ . ٨ً ونون الاعراب نحو : «جآني زيد» (١

﴿ الواو ﴾ على اربعة عشر وجهاً : ١ً واو الاصل . ٢ً واو الزيادة . ٣ً وواو العوض . ٤ً وواو الجمع . ٥ً وواو الضمير . ٦ً وواو العطف . ٧ً وواو الحال . ٨ً وواو الاستقبال . ٩ً وواو الجواب . ١٠ً وواو الاشباع . ١١ً وواو الندبة . ١٢ً وواو ربَّ . ١٣ً وواو الفصل . ١٤ً وواو القسم

١ً فواو الاصل نحو : وَعَدَ . ٢ً وواو الزيادة نحو : عَمْرو . ٣ً العوض نحو : بُوشَرَ . فالواو عوض الالف . ٤ً وواو الجمع نحو : المسلمون . ٥ً وواو الضمير نحو : كفروا . ٦ً وواو العطف نحو : صَلَّى وسَجَد . ٧ً وواو الحال نحو : «ذهب وهو يبكي» . ٨ً وواو الاستقبال نحو : تَنْصرون . ٩ً وواو الجواب : ألا تدخل وأُكرِمك . ١٠ً وواو الاشباع نحو : منهو . ١١ً وواو رُبَّ نحو : «ورجلٍ كريمٍ لقيتُهُ» اي رُبَّ رجل . ١٢ً وواو الندبة نحو : وا اخي . ١٣ً وواو الفصل نحو : قتلتموني . ١٤ً وواو القسم نحو : والله (٢

﴿ الهاء ﴾ على ثمانية اوجه : ١ً هاء الاصل . ٢ً هاء الزيادة . ٣ً وهاء الكناية . ٤ً وهاء الضمير . ٥ً وهاء البداية . ٦ً وهاء التأنيث . ٧ً وهاء الوقف . ٨ً وهاء الغيبة

١ً فهاء الاصل نحو : هَرَبَ . ٢ً وهاء الزيادة نحو : الإقامة . ٣ً وهاء الكناية نحو : يا عبداه . ٤ً وواو الضمير نحو : نصرَهُ . ٥ً وهاء البداية نحو : هاؤلاء . ٦ً وهاء التأنيث نحو : صَغيرَه . ٧ً وهاء الوقف نحو : رَهْ وهِيَهْ (٣ . ٨ً وهاء الغيبة نحو : اياهُ (٤

﴿ الياء ﴾ على اثني عشر وجهاً : ١ً ياء الاصل . ٢ً وياء الزيادة . ٣ً وياء البدل

---

١) هذه هي نون الوقاية في الفعل وبعض الحروف عند اتصالها بياء المتكلم كقلبتني وانصرني ولكنني . ويُضاف الى ما ذكره نون التنوين كما في رَجُلٌ رجلاً رجلٍ وفي حينئذٍ . وتبدل النون من الراء في زُون وزُور بمعنى الباطل والكذب . وتزداد في آخر بعض الاسماء كضَيْفن رفيق الضيف وضَيْوَن السَّوْر

٢) ومما لم يذكره الجرجاني واو المية نحو سرت والليلَ . وتبدل الواو من الهمزة كأرّخ الكتاب ووَرّخهُ واكّدهُ ووكّدهُ . وتبدل منها التاء نحو «التُّكْلان» من وكلَ

٣) وتسمّى هاء السَّكت

٤) والهاء تبدل من الحاء نحو مَدَح ومَدَهَ وفحفح وفهفَهَ وتَمَّم وتَهَمَّم

عن الواو . ٤ً ويا النداء . ٥ً الضمير . ٦ً ويا الاستقبال . ٧ً ويا الاشباع : ٨ً ويا الاضافة . ٩ً ويا الجمع . ١٠ً ويا التصغير . ١١ً ويا النسبة . ١٢ً ويا التثنية

١ً فيا الاصل نحو : رَمَى يرمي . ٢ً ويا الزيادة مثل كَثِير . ٣ً ويا البدل عن الواو مثل بَيِّد وقِيلَ . ٤ً ويا النداء نحو : يا زيد . ٥ً ويا الضمير نحو : تَضربين . ٦ً ويا الاستقبال نحو يَضرب . ٧ً ويا الاشباع نحو : عَلَيه . ٨ً وواو الاضافة نحو : غلامي . ٩ً ويا الجمع مثل : رأيتُ المؤمنين . ١٠ً ويا التصغير مثل : عُمَيْرة . ١١ً ويا النسبة نحو : رجلٌ بصريّ . ١٢ً ويا التثنية مثل : رأيت الغلامَين (١

تمّ والله اعلم بالصواب

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

المطران بطرس ضوميط مخلوف

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب

ان فضل الرهبنة اليسوعية على الطائفة المارونية يبيّنه ما خلا اعمال مرسليها في اقطارنا الشرقية تفوّقها في تهذيب الناشئة الاكليريكية . ولا يخفى مقدار ما آتاه اليسوعيون من الخدمات الجليلة في سبيل تاريخ بلادنا ومعرفة احوالها فان الآثار التي تُبعث من رسمها تشهد على السواء بعطف البابوات على الموارنة وثقتهم بالرهبنة اليسوعية في الامور الهامّة واعتمادهم اياها في تنفيذ مقاصدهم النبيلة

وحسبُ ان نكتب حياة بعض الذين درسوا الفضائل والعلوم الكهنوتية وتلقنوا الغيرة والنشاط في المدرسة الرومانية المارونية الاولى على يد الاباء اليسوعيين فاستفادوا وافادوا طائفتهم بل الكنيسة نفسها بسيرتهم واعمالهم وخلفوا ذكراً طيباً ومآثر خطيرة

---

١) وتبدل الياء من الهمزة كأَلْمِيّ ويَلْمِي والبَرَّان والأَرْقان ورجل أَلَدّ ويَلَنْدَد اي شديد الخصومة . وتبدل من السين في خامي وسادي اي خامس وسادس

ولقد باشرت جمع ما وصلت اليه يدي من الآثار لعلّ المولعين بتاريخ النصرانية في الشرق بل بتاريخ الشرق عموماً ينتهجون طريقاً سلكهُ من قبل اباء الرسالة اليسوعية وتلامذة المدرسة المارونية تتبّعوا المخطوطات والتواريخ واذاعوا امجاد الكنيسة الشرقية

وقد سهل هذا العمل الاباء اليسوعيون اذ خصّصوا لهُ مجلّة المشرق التي بلغت مقاماً رفيعاً في عالم التاريخ بنشرها آثار المتقدمين والمتخلفين وهم يتلقون برحابة صدر ما يُرسل اليهم ممحّصاً مستوفياً شروط النقد التاريخي فيدرجونه فيها تعميماً لفوائده

ولم اتبع في ما عزمت على نشره ترتيباً تاريخيًّا بل رغبتُ في اطلاع القراء على ما تمكنت من تحصيله وما رأيت في اذاعته فائدةً تذكر لمجد الله والكنيسة ومنفعة القراء ديناً وعلماً

واستملتُ دروسي هذه بلمحة عن المطران بطرس مخلوف القوسطاوي الذي تولى تدبير ابرشية قبرس وذكرهُ مؤرخو هذه الابرشية كأنه مطرانان احدهما دعوه المطران بطرس ضوميط والآخر المطران بطرس مخلوف وكلاهما في الحقيقة واحد وقد ورد ذكر المطران بطرس مخلوف في لائحة تلامذة المدرسة المارونية الرومانية الدويهي التي نشرتها مجلة المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٢٠٩ ; ٢٧٠) . وفي تاريخ الازمنة الخطي للمؤلف نفسه وفي زجليّة القس الياس الغزيري التي نشرها الاب لويس شيخو في المشرق ايضاً (٢٠ [١٩٢٢] : ٧٢٤–٧٢٢) ودُعي فيها بطرس القسطاني وفي حياة البطريرك اسطفان الدويهي التي ألفها الطيب الذكر المطران بطرس شبلي وفي كتابات عديدة لا تزال خطيّة توفقت الى جمع شتاتها من هنا وهنالك

١ نسب المطران بطرس

هو سليل عائلة الخوري ضوميط احد فروع عائلة باسيل التي ذُكر عنها انها اتت من مينا طرابلس الى غوسطا كما ورد في وريقة قديمة من مخطوطات المكتبة البطريركية المارونية . وقال المرحوم المطران بطرس شبلي ان اصلها من قصبة اهدن . وسبب هجرها تلك النواحي هو ان بعض افرادها قتل خصمهُ في مينا طرابلس فخافوا ان يثأر منهم ومن عائلتهم اهلُ القتيل فلاذوا بكسروان واستوطنوا غوسطا

وكان الفارّون ثلاثة اخوة عُرفوا جميعهم ببيت باسيل ومنهم الحكيمية والتزيلية وبيت الخوري دوميط وبيت المحاسب . والى بيت باسيل ينتمي بيت بو مخايل سمعان الذين سكنوا في غوسطا وبيت ابو شقرا اسحق الذين استوطنوا غزير ومنهم الراهب حنا (١ المعروف بالبرّي أطلقت عليه هذه الصفة لانه كان يحب العزلة لبس اسكيم الرهبنة في دير قزحيا ثم رحل الى قبرس فقضى فيها مدة ثم جاء الى مار اسيا فدير مار موسى الحبشي فوق بعبدات ثم ساقية المسك حيث توفاه الله ودفن

وكان جدّ الحكيمية وبيت الخوري ضوميط يُدعى يعقوب فالخوري ضوميط ولد مخلوفاً الذي رُزق اربعة اولاد دعي اكبرهم يوسف الذي تزوّج واحتفظ باسم ابيه اما الثلاثة الباقون فترهّبوا اثنان منهم في دير مار شليطا متبس وهما ضوميط ومرقص والثالث أُرسل الى رومية وهو بطرس المترجم . وسيم ضوميط قسّاً وخدم الراهبات في دير حراش حيث رقد بالربّ ودُفن . واما مرقص فارسله البطريرك يوسف ابن حليب الى رومية بعد ان رقّاه الى درجة الشماسية الانجيلية وهناك انتقل الى راحة الصالحين ودفن قرب مار يوحنا المعمدان المبنيّة على اسمه المدرسة المارونية في رومية . ومرقص هذا اسمه مذكور في الشحيمة التي طبعت في رومية في ذلك العهد

وقد جاء في تاريخ الازمنة للدويهي :

« ان البطريرك الجديد (يوسف بن حليب) ارسل سنة ١٦٤٥ قصاده الى رومية القس عبد المسيح ابن الطويل الحدثي والشدياق بطرس بن مخلوف الغوسطاوي ليرميا الطاعة للبابا زخيا العاشر ويهنّئاه بالدرجة السامية ويطلبا منه التثبيت ويلتمسا منه التكرّم على الطائفة بطبع الشحيمة بخط رفيع والقراطيق السرياني الذي ألّفه البطريرك جرجس بن عميرة . وفي شهر ايلول من السنة الثانية اعطاهما على ما يخاطرهما وارسل للبطريرك تثبيتاً وعدّة كاملة مع درع الرئاسة »

فلا ريب ان في ذلك غلطاً ارجّحه من الناسخ الذي بدل اسم مرقص باسم بطرس

---

١) ذكرهُ الدويهي في تاريخ الازمنة سنة ١٦٣٧ قال ما ملخصه : وكان قاطناً في محبة مار مخائيل القسّ حنا بن اسحق بن البرّي من قرية غوسطا . فنفث الشيطان بينهم (المطران برلس السمرا واخيه القس سمعان) بسبب الماء والخربان . . . فقدم القس حنا عرضحال شكاية في رهبان قزحيا الى الامير عساف فارسل هذا اليهم يطلب دراهم واذ لم يرضوهُ اقتادهم الى جبيل حيث عُذّبوا عذابات مختلفة واخذ منهم ٤ آلاف غرش

لان مرقص مخلوف هذا لم يكن مشهوراً عند العموم كاخيه . ويتبيّن لك ان رسول البطريرك يوسف بن حليب هو مرقص لا بطرس من العريضة التي رفعها اساقفة الطائفة الى الكردينال بربيني محامي الموارنة وفيها يعلمونه بوفاة البطريرك جرجس بن عميرة وبانتخاب خلفه يوسف بن حليب في ١٥ آب سنة ١٦٤٤ ويلتمسون مواصلة عطفه عليهم وعلى الطائفة وقد ذكر في هذه العريضة اسم موفدي مجمع الاساقفة لطلب التثبيت فاذا هما يوسف بن ايليا ومرقص راهب القديس انطونيوس . والعريضة المذكورة مذيّلة بتواقيع اسحق مطران صيدا (١ وايليا مطران اعدن (٢ ويوحنا مطران حوقا (٣ وبولس مطران قزحيا (٤ وقد ترجموا من السريانيّة الى اللاتينية

١) نرجح انه اسحق الشدراوي الشهير الذي نشر المشرق رواية رحلاته الى بلاد المغرب (السنة الثانية للمشرق ص ٩٣٩) ومما يؤيد ظننا هو ان البطريرك يوسف بن حليب كان مطراناً على صيدا ورسم على طرابلس في سنة ١٦٤٤ المطران مخائيل سعادة الحصروني . فلو كان الشدراوي باقياً على كرسي طرابلس لما سام البطريرك اسقفاً آخر على الكرسي نفسه . امّا الشدراوي فولده كان في قرية شدرا من بلاد عكار في اواخر الجيل السادس عشر ارسله البطريرك يوسف الرزي الى رومية ليدرس فيها العلوم الكنوتية في المدرسة المارونية التي كان الاباء اليسوعيون يديرونها فنال شهادة اللقنة سنة ١٦١٨ . ثم عاد الى لبنان فتزوّج ثم سيم كاهناً سنة ١٦١٩ وخدم رعية بيروت . وبعد ان توفّيت امرأته أقيم اسقفاً على مدينة طرابلس في ٢٥ آذار ١٦٢٩ فخدم ابرشيته بنشاط وعزّز النصرانية في كسروان وسافر اربع مرات الى اوربة وفي المرة الاخيرة سعى بالقنصلية للشيخ ابي نوفل الخازن وتوفي بها ثم نُقل الى صيدا كما نرجّح . ومات في جبيل سنة ١٦٦٥ ودفن في كنيسة مار يعقوب في سهل جبيل . له تآليف كثيرة عدّدتها مجلة المشرق في السنة التي تقدم ذكرها . ويذكر الدويهي انه مات سنة ١٦٦٣ (راجع تاريخ الازمنة).

٢) ابن الحاج حنا من الصراصرة قضى في القدس نحو ٢٠ سنة واشترى للطائفة دار الازي مع النس انطونيوس الراهب وبامر البطريرك ذهب الى رومية برفقة الاسقف جرجس بن مارون سنة ١٦٠٩ . سيم اسقفاً سنة ١٦٣٨ على اعدن وحلب وتوفي سنة ١٦٥٩ وخدم النفوس بكل غيرة وتقوى وهو الذي فتح سوق القلعة في زغرتا واضافه الى الكنيسة التي ضاقت بالوافدين اليها

٣) هو البطريرك يوحنا الصفراوي اسقف حوقا وذكر الاب طوبيا العنيسي « انه اسقف عرقاء غالطاً . انتخب بطريركاً بعد البطريرك يوسف بن حليب ١٦٤٨ وكان قضى ١٢ سنة في الاسقفية كما ذكر الدويهي في تاريخ الازمنة

٤) هو ابن جلوان السمراني وابن اخي الاسقف مركيس السمراني حبيس قزحيا سيم اسقفاً على قزحيا ١٦٢٦ شكاه ابن البرّي الى الامير عساف هو ورهبانه فاقتيد الى جبيل حيث عذّبه الحاكم ليأخذ منه ٩ آلاف غرش كما ذكرنا ونرجح انه مات سنة ١٦٥٦ لانه في تلك السنة سيم في محله ابن اخيه النس ابرهيم السمراني

مرهج بن غرون تلميذ المدرسة الرومانية وصدّق صحة الترجمة جرجس الحاقلي وبطرس ضوميط . فهل يسوغ القول ان المصدّق هو نفس الوفد ؟

٢ دروسه وسيامته واعماله الاولى

اما بطرس بن ضوميط مخلوف فانتخبه المطران يوسف بن حليب والاب كرتي اليسوعي بناء على امر البطريرك جرجس بن عميره ليذهب الى رومية فيتهذّب في مدرستها فاستصحبه الاب المذكور سنة ١٦٣٩ مع اربعة عشر تلميذاً اختيروا من كسروان وصيدا والجبّة وغيرها . وفي رومية انكبّ بطرس مخلوف على الدروس الاكليريكيّة وبرع فيها كما انهُ تروّض على ممارسة الفضائل الكهنوتيّة ثم عاد الى وطنه في ٧ ت ١ ١٦٥١ ولبس اسكيم الرهبنة في دير مار عبدا هرهريا الذي كان قد خصص من مدّة قريبة للراغبين في العيشة النسكيّة كما روى الدويهي في تاريخ الازمنة . ثم انتقل الى دير مار شليطا مقبس وفيه سيم قسّاً وقضى مدّة من الزمن . وبعد ذلك ارسلهُ الدويهي الى مار عبدا الشعّر المبني على رابية فوق نهر الكلب فاهتمّ بشؤونه كل الاهتمام ومنهُ ذهب الى مار يوحنّا زكريت (١ وموقعه في اسفل القرية المعروفة بهذا الاسم لا يبعد عن مار عبدا الى الجنوب سوى نصف ساعة . فجعل المقام ديرًا واقتنى لهُ رزقاً وجمع لهُ مالاً كما ذكر هو نفسه في مذكراته الخطية المحفوظة عندنا

١) وقفنا على صورة شهادة تاريخها سنة ١٧٨٠ وتمها انقس بولس خادم الدير المذكور واليك نصّها : « وجه تحريره هو ان حقوق اولادنا بيت الكرزل من جهة دير مار يوحنا زكريت لهم عوايد من زمان الذين سلفوا قبلنا وهي لم تتغير وهي شوفتهم وقيمتهم وصلاحهم لان الدير مختص بهم واذا ملّوا من البر او مشيوا في رزق الدير او اخذوا من رزق الدير شيء لم نمنعهم عن ذلك والذي يكون شيخ يقبض البري من المذكورين له على الرئيس كل سنة قرمل عنب والذي يتموّه او ينقطع من المذكورين وله خاطر يقعد في الدير ما عليه مانع واذا جاء احد يترهّب في الدير في زماننا فنشاورهم وان طلعنا من الدير تعطيهم حساب المدخول والمصروف وكتبنا لهم هذه الوثيقة لاجل البيان صحّ صحّ والذي بيدها وضيفة (وظيفة) من الراهبات تضل في وضيفتها حتى تعجز عن ذلك بخاطرها ورضاها صحّ صحّ »

ولكن يظهر ان الذين تسلّموا تدبير الدير لم يقوموا بذلك حق قيام فعهد البطريرك يوسف التيان بادارته الى القس دانيال الجميّل وكيل ابرشيّة قبرس ليصلح حاله وذلك سنة ١٨٠٩ في ٦ ت ١ . وارسل بذلك منشوراً الى اهالي بيت شباب وما يليها كي لا يعترضوا الوكيل بمهمته هذه

ومن يوم عاد الى لبنان اخذ في التنقيب عن الاثار الخطية الموجودة في اديرته من ذلك ما ورد في مذكراته التي اشرنا اليها حيث قال انه وجد في ذلك الدير اي مار يوحنا زكريت انجيلاً قديماً مخطوطاً فعلق عليه الملحوظات الآتية :

« ومار متى : وجدنا لهُ نسخاً مختلفة تفصيل القربانات . في مار يوحنا زكريت وجدنا انجيلين الواحد ٧٨ قربانات والآخر ٨٠ . وقربان ٣٥ في النسخة الواحدة يبتدي من هذا الكلام : « فلما خرج ابصر جمعاً كثيراً فتحنّن عليهم وابرأ اعلام » . والنسخة الاخرى تبتدي بما يتبع : « ولما كان المساء جاء تلاميذه الخ » . وقربان ٣٦ النسخة الواحدة تبتدي من هذا الكلام : والوقت امر تلاميذه ان يصعدوا الى السفينة ويسبقوه الى العبر ليطلق الجموع » . والنسخة الاخرى تبتدي بما يتبع : « وحين صرف الجمع صعد الى الجبل وحده الخ » . قربان ٤١ في الواحدة يبتدي من هذا الكلام : « حينئذٍ اوصى تلاميذه الّا يقولوا لاحد انه يسوع المسيح » . والاخرى تبتدي مما يتبع : « وبدأ يسوع من ذلك اليوم الخ » . قربان ٦١ النسخة الواحدة تبدأ في : « الويل لكم يا كتبة ويا فريسيون يا مرآون لانكم تبنون قبور الانبياء » الخ . الى ذلك الكلام : « لا يترك حجر على حجر الّا وينقض » . والاخرى تبدأ : « من اجل هذه هاءنذا ارسل اليكم انبياء الخ » . الى ذلك الكلام « مبارك الآتي باسم الرب » . وفي قربان ٦٥ يتفق النسختين (كذا) »

ويستنتج مما خطته يد المترجم الفاضل انه طاف اغلب قرى لبنان وجمع او فحص ما وجد فيها من مخطوطات كما فعل في جزيرة قبرس بعد ارتقائه الى كرسي ابرشيتها . وقد رأينا ذكراً لبعض القرى والنواحي التي أتمها في ما كتب وفي سجل حسابات الدويهي . وبين هذه القرى بكفيا حيث وجد شخصية قديمة عند الخوري حاتم من مشايخ بيت الجميّل وكان الخوري يدعى قبل رسامته فيّاضاً وله نسخة حسنة من كتاب « تذكار آلام سيدنا يسوع المسيح » . ثم بجنّس حيث عثر على كتاب قديم سرياني فيه صورة الحلة والكتاب وجده عند خادم القرية المدعو الخوري يوسف . وزار بيت شباب والرومية في كسروان وفيها وقع له ان رأى انجيلاً عند الخوري رزق الله فيه من قربانات القديس متى ٧٤ ومن القديس مرقص ٤٣ ومن القديس لوقا ٧٤ ومن القديس يوحنا ٤٩ ووجد انجيلاً كرشونياً في قرية ايطو (١) ووجد ميمرين لمار يوحنا

(١) كتب على هذا الانجيل ما نصه : « سنة ١٦٦٥ وابنة الملك كرلس قيصر ارسل بدلة اطلس بذهب كسر الى قنوبين مع الشماس جرجس بن ابرهيم العاقوري وحط البطرك عليها حرم انها لا تضهر من قنوبين »

فم الذهب «في الاحد» في قرية دلبتا وفي قرية غبانه حظي بكتاب قداس مخطوط وجد فيه نافور كسوسطس وقد جاء فيه : « الكاهن يقصي (سريانية بمعنى يكسر) الجسد ويجعل الجسد ثلاث جمرات (سريانيّة بمعنى الجزء المكرس من القربان) على الصينيّة والاخرى يمسكها في يده ويضعها في الدم ويرسم الذي في الصينيّة ويقول: ܡܫܠܡܐ ܕܡܪܝܐ . ويرمي الجمرة في الكاس»

وتحتوي مذكرات القس بطرس مخلوف امورًا كثيرة غير هذه سننشر منها ان شاء الله ما تهمّ معرفته

وفي سنة ١٦٦٨ ارسله البطريرك جرجس البسبعلاني الى رومية مع القس الياس عويضه الغزيري(١ ليؤدّيا بالنيابة عنه فروض التهنئة والاخلاص والطاعة للبابا الجديد اقليمس التاسع ويقضيا في الوقت نفسه بعض شؤون الطائفة . ففي غضون اقامته في رومية نقل المتعيّد الشتوي الى اللغة اللاتينية ليُعرض على الفاحصين فيرخّصوا بطبعه . وبقي في عاصمة الكثلكة سنتين اعتنى في خلالها بنسخ الكتب وبامور الطائفة . ومما نقله كتاب ܡܫܚܬܐ ܕܡܪܝܡ ܕܠܐ ܡܬܚܬܡ الموجود في الخزانة البطريركية المارونية وقد جاء في آخره

« انه كمل سنة ١٦٧٠ على يد الخوري بطرس الراهب الماروني في رومية حينما ارسل ليرمي الطاعة للبابا اقليمس التاسع الذي تلاه الله في ٩ ك ١ ١٦٦٩ وقام بعده اقليمس العاشر وفي ايامه كمل هذا الكتاب المبارك المؤلف من الاب القديس البطريرك يوحنا مارون بطرك انطاكية صلاته تحفظنا امين . وكان بطركنا نحن الموارنة بقنوبين حين فراغنا من كتابته البطريرك اسطفانوس ادامه الله لنا زمانًا طويلًا امين . والذي يقرأ يصلي على الخاطي الذي خرطش ولا يتب لانه في ١٥ يومًا كتبه كله في شهر ت ١ . والسلام على والدة الله »

---

١) القس الياس عويضه الغزيري من رهبان مار شليطا مقيس عيّنه البطريرك يوسف بن حليب الماقوري لخدمة الكرسي البطريركي وابقاه البطريرك يوحنا الصفراوي فيها واتخذه له معلم اعتراف وكان ورعًا تقيًا . ارسله البطريرك جرجس البسبعلاني الى رومية مع القس بطرس مخلوف كما رأيت اعلاه ولم نهتدِ الى معرفة سنة وفاته . وقد ذكر حضرة الاب شيخو في المشرق (١٩٢٣) انه يوجد في المكتبة الفاتيكانية كتاب عدده ٢١ خط سنة ١٦٦٩ فيه بعض زجليات لابن القلاعي في المجامع والمرطقات وفي ايمان الموارنة المستقيم وحروب لبنان يليها ثلاث زجليات لناسخ الكتاب القس الياس المذكور في وصف رومية وفي مديح تلامذة المدرسة المارونية الاولى وفي رثاء البطريرك يوحنا الصفراوي

ولما عاد القس بطرس الى لبنان كان الدويهي ارتقى الى الدرجة البطريركية فاتخذه له كاتباً ثم ما لبث ان رقاه الى رتبة الجرديوطية وسهّل له طرق التنقيب والعمل ووكل اليه زيارة الرعية وجمع النورية فانه ارسله في سنة ١٦٧٢ الى جهة الشمال فزار البهاولية (قرب اللاذقية) وقبرس وجمع فيها العشور ووزّع المساعدات كما ورد مفصّلاً في دفتر حسابات الدويهي

وقد استخرج كتاب «حياة المسيح» من اللاتيني الى العربي سنة ١٦٧٤ . وجمع في كتاب دعاه مفتاح البيعة موجود منه نسخة في مكتبة الاباء اليسوعيين الشرقية في بيروت مقالات عديدة ألّفها وافرغها في شكل اسئلة واجوبة باشر فيه بالماء المصلّى ثم تناول الكلام في الانجيل والحبر الاعظم فالكنيسة فشرح مشاكل الانجيل . اما الناسخ فهو القس سليمان من مشمش . ويلي هذه مقالات في المجامع المسكونية ثم في صحة الكتب المقدسة ثم في القرآن وتفنيد مزاعمه واقوال صاحبه في عشرين فصلاً

٣ ترقيته الى الدرجة الاسقفية واعماله فيها

فمثل هذه الاجتهاد كان خليقاً بمكافأة تليق به فسنحت الفرصة للدويهي ان يقدّر اعمال كاتبه بعد انتقال المطران لوقا (١ القرباصي مطران جزيرة قبرس الى رحمته تعالى وكان هذا الاسقف احتمل من الاروام والحكام هو وابناء ابرشيته اضطهادات كثيرة

١) لوقا القرباصي ولد في قبرس في قرية قرباصيا او قرباشا المارونية وارسل الى رومية سنة ١٦١٤ مع الاب بطرس المطوشي القبرسي المارونى الذي دخل الرهبنة اليسوعية . فدرس العلوم الكهنوتية وتهذّب على يد الآباء اليسوعيين ثم عاد الى وطنه ورقي الى درجة الكهنوت وسنة ١٦٢٧ أرسل الى رومية قاصداً باسم الطائفة الى البابا اوربانوس الثامن . وفي الجزيرة تعب كثيراً وخدم النفوس ٤٣ سنة بكل غيرة ونشاط فرقي الى الجرديوطية ثم في سنة ١٦٧١ سامه الدويهي مطراناً على النفوسية عاصمة قبرس وجرى ذلك في دير مار شليطا مقبس حيث كان الدويهي مقيماً . وقد عاونه في سيامة الاسقف الجديد المطارنة جرجس حبقوق وجبرائيل البلوزاني ويعقوب الراهي . لكن المطران لوقا لم يعش غير سنتين في الاسقفية ثم نقله الله الى دار الابرار وبموته اصيب الموارنة في قبرس ببلايا كثيرة واستولى الحكام على املاك الكرسي بدسائس متروبوليت الاروام هيلاريون جيفالا

ففي اليوم الرابع من تموز ١٦٧٤ بحضور المركيز اوليه ده نوانتيل سفير ملك فرنسة في الاستانة رقّى البطريرك الدويهي القس بطرس مخلوف الى كرسي جزيرة قبرس فعاونه في سيامته المطارنة جرجس حبقوق البشعلاني (١ ويعقوب الرامي (٢ وبولس الدويهي (٣ وحنا تولاوي (٤ وجمهور غفير من الاكليرس . اما السفير الفرنسي فانه كان عائداً من رحلته الى الاراضي المقدسة حيث اشرف على تنفيذ العهود السلطانية المقطوعة لملك فرنسة وتفقد شؤون النصارى فمرّ بطرابلس ومنها صعد الى قنوبين كرسي البطاركة ليزور مركز الطائفة المارونية وبيعة فرنسة فاعجبهُ ما رأى من احوال الموارنة وكتب مذكرات حوت خواطره في غضون رحلته . ومما لفت انظاره سذاجة الشعب الماروني وطيب سريرته وتعلقه بالديانة الكاثوليكية وبرونسانه واخلاصه لملوك فرنسة حماة حريتهُ وسلطانه لدى السلطان

وقد وصف المؤرخ المدقق ألبر ڤاندال زيارة السفير ثم قال : «هناك يقيم الموارنة الذين اتخذهم القديس لويس تحت حمايته وتبنّتهم فرنسة . فهرع مقدمو القرى ورجال الاكليرس على اختلاف طبقاتهم الى استقبال اخوانهم القادمين اليهم من الغرب وكان هؤلاء يلبسون مهوتين من نشاط هذا الشعب ذي الاخلاق الرضية الساذجة »

ولما دنوا من قنوبين خف لاستقبالهم البطريرك يحفُّ به مطارنته واكليرسه ودخلوا

---

١) المطران جرجس حبقوق سيم اسقفاً على الفاقورة في ٢٤ آب ١٦٦٨ وسكن قنوبين اوّلاً ثم انتقل الى دير مار شليطا قبس ثم الى ريفون حيث توفي في ٣ آب سنة ١٧٠٣ . ترأس هذا الاسقف مجمع انتخاب الدويهي وعمّر كثيراً واتصف بصفات جليلة وكان يطالع الكتب ويسطّر عليها ما يعلمه من الحوادث وقد ذكر شيئاً عن البطاركة الذين جلسوا على السدّة الانطاكية في ايامه ونشر فقرات له في مجلة المشرق (السنة الخامسة ص ٦٨٨ وما يليها) حضرة الاب ابرهيم حرفوش وقد ورد عنه شيء كثير في «حياة الدويهي» للمرحوم المطران بطرس شبلي

٢) يعقوب الرامي (من رام بلاد البترون) سامه البطريرك يوحنا الصفراوي اسقفاً على دمشق في ١٥ آب ١٦٥٣ خلفاً للمطران يوسف عيسه الكرسداني

٣) بولس الدويهي بن سركيس الدويهي عم البطريرك اسطفان الدويهي الشهير خلف المطران الياس الاهدني الذي ورد ذكرهُ سابقاً على كرسي اهدن سنة ١٦٥٩ وسكن دير مار سركيس راس النهر ومات قبل سنة ١٦٩٠

٤) حنا التولاني اسقف صيدا سيم سنة ١٦٦٩ وتوفي ببعبدات في ١١ نيسان سنة ١٦٨٠ وهو يزور الرعية

بهم الكنيسة المنارة بالشموع بين التراتيل والبخور فرتلوا جميعاً ترنيمة الشكر . ثم ارى البطريرك السفير صورة الملك معلقة على جدار الكنيسة التي سيم فيها المطران بطرس مخلوف

ولما اجتمعوا حول مائدة البطريرك يحيط به اساقفته خيّل لهم انهم ملتئمون «في علّية صهيون» . ثم زار السفير الارز الخالد القائم على جبل المسقية وهناك أعد مذبح احتفل عليه بالذبيحة الالهية البطريرك الذي رافقه في تلك الزيارة

وقد أعجب السفير بتقوى الدويهي ومحبته لفرنسة واسهابه في اطراء حسناتها وافضالها . وقبل ان يغادروا الارز قدم البطريرك للسفير قطعة من لب خشب الارز كي يُحفر فيها رسم الملك لويس الرابع عشر . وخشب الارز بصلابته وعدم فساده ورائحته الزكية يرمز الى الثبات والنقاوة واريج عواطف الموارنة المخلصين لفرنسة كما عُبّر عن ذلك في قصيدة لاتينيّة تليت امام السفير ترحيباً به وثناء عليه

اما الاسقف الجديد فلم يذُر في خلده قط ان الاسقفية محط رحاله وقي اليها ليتمتع بالراحة بل انها مسرح اوسع لغيرته فضاعف اجتهاده في سبيل خير النفوس ومنفعة ابناء ابرشيته بل الطائفة جمعاء . وقد شهد له البطريرك اسطفانوس الدويهي انه «بذل مجهوده في سياسة الرعية وصار له تعب ومعارضة في جزيرة قبرس» من طائفة الروم

وما مرّ شهر على سيامته حتى اكمل نسخ الشرطونيّة وعلّق على كل باب من ابوابها حواشي مفيدة ننقل منها للقرّاء ما توفقنا اليه . فكتب في آخر رتبة تكريس الطبليت ما نصهُ :

« وكان الفراغ من ذلك سنة ١٦٧٤ ربانية في ٢٨ آب في دير قنوبين في القلاية المعروفة بالغال في ايام سيدنا مار اسطفانوس الذي كان حينئذٍ في كسروان وكان حاكم الجبة ناس (من) الدولة وكان آغا في اهدن (يدعى ابرهيم) وكان متكلماً قدامه الشيخ كرم بن صهيون الهدناني (وابو شديد غصيبه بن كيروز البشراني) . وكان محبوساً في طرابلس الشيخ احمد حماده وكان سرحال حاكم بلاد جبيل والبترون ولم يكن يقدر يعمل شيئاً لان كانت ابنته زوجها محبوسين في طرابلس . وملّوا مال الجبّة للدولة تلك السنة وما احد تعارضهم وكان الشيخ ابو نوفل طوّل الله عمره حاكم كسروان ارسل اخذ لعنده البطرك مار اسطفان لانه نزع ثلاً يقوم الحاكم يمسكه ويتكسر ناموسه . وصلّوا على كاتب الاحرف مطران بطرس مخلوف الوسطاوي الكسرواني والله يرحم من يترحّم علينا »

وفي آخر رتبة تكريس الميرون يذكر انه انتهى من كتابتها في ايام البطرك

اسطفانوس ويزيد بالسريانية ما ترجمته «وهو الذي رسمني اسقفاً على قبرس سنة ١٦٧٤ ٤ من شهر تموز»

وكان المطارنة في تلك الايام يقيم اغلبهم بقرب البطريرك وهو يرسلهم مناوبة الى زيارة الرعايا فيتفقدون الشؤون ويجمعون العشور وكان بعضهم يسكن الاديار . اما الذين كانوا يرسمون على كراسي موقعها في خارج لبنان فانهم لم يكونوا يستطيعون المكوث فيها بسبب الظلم وقلة ذات يدهم وتعدّي المراطقة عليهم

فالمطران بطرس مخلوف اقام في الكرسي البطريركي فاستتابه الدويهي مرات عديدة في تتميم الزيارة الرعائية كما رأينا ذلك مسطّراً في دفتر حسابات هذا البطريرك فزار اوّلاً رعيته في قبرس اكثر من مرة (١٦٧٥ و١٦٧٦ و١٦٧٧ و١٦٨٢ و١٦٩٠ و ١٦٩٨) . وكان يثبت الاحداث ويرسم الكهنة وينظر في حاجات الرعية ويجمع «النورية» ويأتي الكنائس والطائفة بالمساعدات التي يرسلها الدويهي الى موارنة قبرس وفي سنة ١٦٧٦ رسم القس عمانوئيل خريستوديا على قرية غمبلين والخوري اندراوس ابن الشماس على قرية قرياصيا (او قرباشا) والخوري عيسى بن مخائيل على قرية اسوماتوس وفي السنة التالية في ٢٤ حزيران رسم الشدياق منصور بن جرجس التولاني كاهناً وعيّنه لخدمة كنيسة غمبلين ورقى الى الدرجات الصغيرة جرجس بن خريستوفي في القرية نفسها . وفي سنة ١٦٨٢ رقى ابن القس يوحنا خادم قرباشا وجرجس التولاني الى الدرجات الصغيرة

وهذه قد وجدتُها مسطّرة في كتب صلوات قديمة كانت موجودة في تلك الجزيرة يوم زرتها في ايار سنة ١٩٠٧ بخدمة الطيب الاثر المطران بطرس الزغبي مطران قبرس

اما سائر الجهات التي زارها المطران بطرس مخلوف فمذكورة ايضاً في دفتر حسابات الدويهي . فانه زار الجبة (١٦٧٩) وبسكنتا ومزارع كسروان (١٦٩٠ و ١٦٩٥ و١٦٩٦ و ١٦٩٧ و١٦٩٨) برفقة الدويهي نفسه وزار بلاد صيدا وبلاد شمال (١٦٩٧) وجاب قاطع بكفيا ثلاث مرات

ويؤيد كلامنا عن تواتر زيارته لقبرس ما جاء في تقرير القنصل الفرنسي سوفان الذي سنذكره حيث قال ان مطراناً كان يأتي كل سنة لتفقد احوال الموارنة في قبرس وكان المطران بطرس في اثناء زياراته المتعدّدة يبحث عن الكتب الطقسية

والمعلومات التاريخية ويحرر كل ذلك في اوراق جمعها كريمة السعدي الحظ بالحصول على بعضها وهي كثيرة الفوائد تتضمن امورًا تاريخية ولاهوتية وعلمية وروحية . وكثيرًا ما كان ينشط المعتنين بهذه الامور ويساعد النساخ فيذكرون اسمه بالثناء.

٤ اهتمامه بموارنة قبرس

وفي سنة ١٦٧٧ اشتدت الحكومة التركية في قبرس على الموارنة بدسيسة متروبوليت الاروام هيلاريون جيغالا الذي كان قد درس في رومية ثم عاد الى بلاده فاستعمل ما اقتبسه من علوم اماكنة الكثلكة . فهذا المتروبوليت اغتصب الاسقفية وتزلّف الى الاتراك وبذل لهم المال ليمكنوه من الاسقفية واموالها ثم عاد بمساعدتهم فتقاضى الموارنة والاروام انفسهم مال الظلم . وكان الحاكم التركي يرى بانبساط ذلك الاسقف يطاطئ الرأس امامه متذلّلًا متوسّلًا ان ينعم عليه ببعض النفوذ لا على الموارنة فقط بل على رعيته عينها

فلمّا أحرج الموارنة حوّلوا انظارهم الى صديقتهم وحاميتهم كسابق عاداتهم وبسطوا ظلامتهم لقنصلها في قبرس وكتبوا الى الحبر الاعظم يتوسّطونهُ فاستنهض همّة لويس الرابع عشر على يد السفير البابوي في باريس فكتب الملك الى ده نوانتيل في ٢٠ ت ١ من سنة ١٦٧٧ يوعز اليه بان يسعى جهده لمساعدة الموارنة على نيل مطاليبهم واهمها ان يُعفوا من ولاية المتروبوليت المذكور وسائر الاروام وتسلّطهم . فلبّى السفير امر مولاه لكن تراجمته الاروام كانوا يوغرون صدر رجال الدولة على الكاثوليك كما لحظ ده نوانتيل نفسه فيمنعونهم عن اجابة طلب السفراء فاعلم الملك بذلك في ١٣ ك ٢ ١٦٧٨ قال : « ان التراجمة الاروام يوسوسون للصدر الاعظم انه من الواجب ان يُذلّل الخاضعون للبابوية لانها دولة اجنبيّة »

وما كان رجال الدولة العثمانيّة يعرفون من احوال الرعية الّا جمع المال فانهُ يوم قدّم السفير للصدر الاعظم تذكرة بخصوص الموارنة سأله : « من هم الموارنة واي بلد يقطنون ؟ »

ولمّا لم يهتم الباب العالي بشكوى الموارنة ازداد جيغالا غطرسةً وجورًا وفرض على الموارنة ضرائب كان يجبيها بواسطة « شوباصية » الحكومة فاستأنفوا الشكوى الى

الكونت ده جيراردين خلف ده نوانتل وكتب اليه الاب ده جردين اليسوعي مادحاً الموارنة وتعلقهم بالايمان القويم وبملوك فرنسة واستنجده ليدفع المظالم. وكان المطران بطرس مخلوف أمّ رومية سنة ١٦٧٩ بعد ان زار موارنة الجزيرة فاغتنم فرصة وجوده في عاصمة الكثلكة ليحمل الكرسي الرسولي والسفارة الفرنسية فيها على بذل ما بوسعها لتخليص رعيته من هذا الجور ويستدل بتقرير القنصل سوفان على مساعي الاسقف الجليل قال في ٢ ايار ١٦٨٦ :

« يوجد ست او سبع قرى مارونية في الجزيرة تدفع الخراج ويأتي كل سنة اسقف لزيارتها. وهذا الاسقف هو تحت حمايتنا وبه اوصانا مجمع انتشار الايمان المقدس . اما الاروام فيبذلون كل ما بوسعهم ضد الموارنة. ومن نحو ٥٠ سنة كانت كنيسة الصليب تخص هذه الطائفة ولم يكن منها عائلة واحدة في القوسية بل يوجد هناك كاهن واحد يقوم بخدمة القنصل الروحية . فهذا الكاهن اتفق مع الاباء الفرنسيسكان واصلح الكنيسة وابقاها في يد هؤلاء الاباء . وقد وافق المجمع المقدس والبطريرك الماروني على ذلك . وفي سنة ١٦٨٤ جعل المجمع المقدس هؤلاء المرسلين تحت ولاية محافظ الاراضي المقدسة عوض ان ينصب عليهم مديراً رسولياً كما جرت العادة . وهؤلاء المرسلون يزورون القرى المارونية يقارن فيها المؤمنين ويسمعون اعترافاتهم فيقضون في القرية بضعة اشهر يقومون في اثنائها بخدمة دينية أعطيت لهم تحت هذا الشرط وموقع هذه الكنيسة في وسط القرى المارونية »

وقد اوفد القنصل كاهنين يحملان المراسيل الى السفير في الاستانة فبلغاها في آخر شهر حزيران من سنة ١٦٨٨ فسعى السفير سعياً متواصلاً لانالة الموارنة مرغوبهم

وكتب بهذا المعنى الى الاب ده جردين المرسل اليسوعي صديق الموارنة الحميم

وقد ورد في عريضة الموارنة التي اثبت نصها المرحوم الاب رباط اليسوعي في مجموع « الاثار الخطيّة » ذكر المظالم التي كان الحكام والاروام ينزلونها بالموارنة ومما قالوه انهم طائفة مؤلفة من ١٥٠ مكلفاً يلتمسون من السفير ان ينجيهم من المظالم التي لا يزال الاتراك والاروام يوقعونها بقراهم وهي ثمانية : كورماجيتي وقرباصية (قرباشا) وسوماتو (السوماتوس) وغميلين وثونو وكليدني وسانتا مارينا وكوشيدا (١) .

١) كل هذه القرى متقاربة موقعها في الشمال الغربي من الجزيرة

وكانت الطائفة من قبل قد أحصيت فبلغ عدد مكلفيها ٥٠٠ (وفي ايام الدويهي كان عدد النسمات ٣ آلاف) يدفع كل منهم خراجاً قدره اربعة غروش فاصبحوا ١٥٠ بسبب وفاة الكثيرين وهجرة الآخرين تخلصاً من الباشا والجور لان جابي الخراج يريد ان يدفع الموجودون عن الاموات والنازحين . فهذا الظلم تطلب الطائفة ان يرفع عنها كما انها تطلب ان لا يُعذَّب الباقون حينما يدفعون الخراج . وكانت جرت العادة ان يدفع كل مكلف للباشا ثلاثة ارباع الغرش اما الآن فيطلب منهم خمسة غروش تجبى عنوةً واقتداراً

وكذلك كان يؤخذ الخراج من المطارنة والكهنة والشمامسة الموارنة الآتين من لبنان مع ان مثل هذا الامر لا وجود له في غير جزيرة قبرس . والمطران الرومي يتقاضى ظلماً مطران الموارنة وكل كنيسة مارونية اربعين او خمسين غرشاً في كل سنة . فهذه المظالم لا قبل للطائفة بها فهي ترجو بلسان موفديها ان يرفع عنها الجور وتُعفى من ولاية متروبوليت الاروام ومن الضرائب المفروضة على كنائسها ومطارنتها واكليرسها وذلك لانهم خاضعون للكنيسة الكاثوليكية وان لا يُكره الموارنة على اقامة فروضهم الدينية حسب الطقس الرومي لانهم ابناء الكنيسة المارونية المتحدة مع كنيسة رومية

(لها بقيّة)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تتمة حرف الميم

٧٥٠ ﴿مكاريوس المصري﴾ هو القديس المعروف بالكبير تلميذ القديس انطونيوس والمتوفّى نحو السنة ٣٩٢م . له في مكتبة بطريركيّة الاقباط في الاسكندريّة نسخة قديمة من عظاته الخمسين لم يُذكر معرّبها . وهي مترجمة عن اليونانيّة

تجدها في مجموعة مين للآباء اليونان (Migne. *PP.*. GG. XXXIV, 450-822) وقد عُني بطبعها في مصر سنة ١٦١٧ للشهداء (١٩٠١م) الاديب يوسف منقريوس. وللقديس مكاريوس في مكتبة باريس (Paris, 253 [3] et [4], 257 [11] et [12]) ميامر وتعاليم نسكيَّة وهناك ايضاً سيرتهُ للراهب سيرابيون (257[9], 259[2]) وكذلك في مكتبة القبر المقدَّس للروم (ع ٢٤ و٤٦) لهُ عظات ورسائل. بعضها في كتاب بستان الرهبان في مكتبتنا الشرقيَّة

٧٥١ ﴿ مكرديج الكسيح ﴾ هو العالم الارمني ابن عبد الله المخلَّع مولود كِلِس المتوفَّى في اواسط القرن الثامن عشر (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٢٧٨ و ٦٩٥). لهُ مخطوطات عديدة لم تُنشر بالطبع : ١ً مصابيح الاحكام الجليَّة في حلّ المشكلات الانجيليَّة. حلّ فيه ١٥٠ مشكلاً كتابياً. قرَّظهُ المطران فرحات في ديوانهِ (ص ٤٦٦). منهُ نسخٌ مختلفة في حلب في مكتبة الموارنة وفي مكتبة المنسنيور جرجس منش ومكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII, 241) وفي بيت الشماس شكري أيُّوب. ومنهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة دير الشير وفي دير بزمّار. ٢ً ظلّ الكمال في تثقيف الاعمال في فضائل السيد المسيح وتعاليمهِ على صورة ١٥ تأمُّلاً. منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة المنسنيور جرجس شلحت في حلب. ٣ً كتاب التبر المكنوز لنفعة الكاروز. وفيهِ مجموع آيات الكتاب المقدَّس على طريقة حروف المعجم لفائدة الواعظين وضعهُ سنة ١٧٠١. منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي دير الشير (نسختان) وفي دير كفيفان للرهبان البلديين وفي مكتبتنا الشرقيَّة. ٤ً كتاب تردُّد النفس مع الله. منهُ نسخة في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة. ٥ً ريحانة الارواح وسلَّم الآداب والصلاح وهو مجموع حكم واشعار زهديَّة في ١٢ فصلاً. منهُ نسخة في مكتبة ڤينا عاصمة النمسة (Cat. Flügel, Ms 497) وفي مكتبة الروم الكاثوليك في حلب ومكتبة القس بولس سباط. وفي مكتبتنا الشرقيَّة (ثلث نسخ). ٦ً كتاب الطبّ الروحاني في الندامة والاعتراف في اربعة اقسام في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٧٦). ٧ً كتاب الاهرامات وهو كتاب لغوي على شكل فقه اللغة والمخصَّص. الهرم الاوَّل في اسماء الموجودات في العالَمين العلوي والسفلي في ٩٣ باباً والهرم الثاني في اسماء آلات

الصنائع والمهن في ٢٧ باباً . والمرم الثالث في العلوم العملية والنظرية في ٢٥ باباً . منه نسخة ضخمة في مكتبتنا الشرقية وفي مكتبة الوارنة في حلب . ٨ً وله مقالات متفرقة ورسائل نثرية وشعرية وقصائد شتى في ديوان الخوري نقولا الصائغ وفي اواخر كتبه السابق ذكرها

٧٥٢ ﴿المكرم﴾ الشدياق يوسف الحلبي من كتبة القرن الثامن عشر . له في مكتبة الوارنة في حلب (ع ٤٦٦) وفي مكتبتنا الشرقية تعريب « كتاب السبع الفضائل والسبع الرذائل » دون ذكر مؤلفه

٧٥٣ ﴿المكرزل﴾ الخوري بطرس المتوفى سنة ١٨٨٨ (اطلب ترجمته في المشرق ٢٠ [١٩٢٢]: ١٠٥٢) ذكر له هناك مخطوطات نفيسة : ١ً تخميس وتشطير ديوان المطران جرمانوس فرحات . ٢ً نظم سفر نشيد الاناشيد . ٣ً تعريب رواية استير شعراً . ٤ً شرح مجلة الاحكام . ٥ً اختصار شروح الشرع الاسلامي . ٦ً اعراب شواهد ابن عقيل ثم قصائد عربية وسريانية وتواريخ شعرية

٧٥٤ ﴿مكسيموس﴾ الراهب القديس المتوفى سنة ٦٦٢م . له في المكتبة الفاتيكانية في رومية نسخة قديمة (Vat. 125) مقالته الشهيرة في مشيئتي المسيح ومباحثته في ذلك مع بيرس البطريرك القسطنطيني محضرة غريغوريوس البطريق (Migne Pr. GG. XIC 287-354) . وفي مكتبتنا الشرقية منه نسختان عربية عبدالله بن الفضل الانطاكي في القرن الحادي عشر للمسيح . ٢ً له ايضاً في مكتبة باريس (Ms 163) وفي مكتبة الوارنة في حلب (ع ٢٣١) ومكتبتي دير الشير والقبر المقدس (عدد ٥٩) « كتاب انشاء ابينا النبيل في القديسين مكسيموس البار في المحبة التي هي اشرف الوصايا وبعث بها الى ألبيديوس وهو ٤٠٠ رأس في اربعة اقسام » . ٣ً وفي مكتبة القبر المقدس ايضاً (ع ٥٩) وصايا اخرى في مائتي رأس . ٤ً وله فيها مواعظ (ع ٤٦) . ٥ً وفي كتاب الحاوي الكبير حكم ووصايا للقديس مكسيموس

← مكسيموس مطران حلب ← اطلب حكيم

٧٥٥ ﴿مكسيموس الوروي﴾ الارشمندريت الروميّ الاورثذكسي المتوفى سنة ١٦٠٢ . له في مكتبة الفاتيكان في رومية (Bibl. Or. II, 517 n° 69)

كتب السلاح القاطع والسيف المرهف اللامع ضد رئاسة الحبر الاعظم عوبدهُ كير خرستودولس اسقف غزّة وكير يواصف بن سويدان العمراني بامر دوسيثيوس بطريرك اورشليم سنة ١٦٩٦ (؟) منهُ ايضاً نسخة في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٥٧) . ولهُ في المكتبة الفاتيكانيّة كتاب آخر ضد اللاتين مع الكتاب السابق لتاريخ النسخة ١٧١٤

٧٥٦ ﴿مكيخا﴾ هو الجاثليق النسطوري المتوفّى سنة ١١٠٩م . لهُ في المكتبة الفاتيكانيّة (Bibl. Or. III, ج 2-594) مقالة ألفها في الابوّة والبنوّة على مذهب دين النصرانيّة ورأي السريان المسيحيين (اعني النساطرة) . ثمّ لهُ ايضاً هناك كتاب آخر في حقيقة الدين المسيحي كتبهُ لاحد اعيان ملّتهِ في العجم

— ملكين — جرجس المؤرخ الطالب ابن العميد

٧٥٧ ﴿ ملاتيوس ﴾ هو بطريرك انطاكية الملكي المعروف بملاتيوس كرمه المتوفّى ١٦٣٦ بعد ان تولّى تدبير الكرسي ثمانية اشهر تحت اسم افتيميوس لهُ في مكتبتنا الشرقيّة تعريب القداس الالهي عن اللغة السريانيّة وكلتا اللغتين في نسختنا . ولهُ في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب وفي مكتبة دير الشير ومكتبة القبر المقدّس في اورشليم كتب طقسيّة كالسنكسار والافخولوجيون وغيرهما من تعريبهِ او تنقيحهِ

٧٥٨ ﴿ملاتيوس سيريغو﴾ البروتوسنجلوس الاورثذكسي المتوفّى سنة ١٦٦٤ في الاستانة . لهُ في مكتبة القبر المقدّس (ع ٨) كتاب البراهين الواضحة السنيّة في الردّ على الآراء الكلفينيّة واللوثرانيّة تعريب البطريرك دوسيثاوس سنة ١٦٩٠ على ما يُظنّ

٧٥٩ ﴿ملاك﴾ الاب انج الكبوشي (P. Ange de Guérande) رئيس الكبوشيين في حلب في العشر الثالث من القرن الثامن عشر . وقفنا لهُ في بيت الشماس شكري أيوب على « كتاب ارشاد المرسلين في خصوص الاشتراك مع الاراتقة في الالهيّات كتبهُ سنة ١٧٢١»

٧٦٠ ﴿ ملاكي﴾ البادري المتوشح باسكيم مار فرنسيس المنتسب الى قرية غزول من قرى منطوا كان مرسلاً في حلب في القرن الثامن عشر . لهُ « كتاب

المحاورات وهي ١٨ محاورة فيما بين المعلم والتلميذ دحضاً للاضاليل اللوترانيّة التي ابتدأ العدو يزرعها في النواحي الشرقيّة. منهُ نسخة في مكتبة الدار الاسقفية في حلب كان الفراغ منها في اوّل نسيم السنة القبطيّة ١٤٥٣ (١٧٣٥ م) . ثمّ نسخة ثانية في اسقفية الروم الكاثوليك في حلب ايضاً . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة تحتوي على ستّ محاورات يقال انهُ ألّفها سنة ١٧٢٢ في الشويا.

٧٦١ ﴿ملوك﴾ الخوري يوحنّا الرومي الكاثوليكي . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسخة خطيّة من كتابهِ المرشد الفضيل لخادم الانجيل . وقد طُبع الكتاب في مطبعتنا سنة ١٨٦٧

٧٦٢ ﴿متاسا﴾ الخوري بولس القوسطاوي المتوفّى سنة ١٩٢٠ نشر بالطبع كتابَي شهر آذار المخصّص لاكرام مار يوسف وشهر حزيران لاكرام قلب يسوع . وقد وقفنا لهُ عند شقيقهِ على مواعظ وكتابات دينيّة

٧٦٣ ﴿مناسا﴾ القس جرجس القوسطاوي اللبناني المتوفّى في دير نسبّيه سنة ١٩٠٨ . لهُ عند حضرة القس طانيوس شبلي الكتب المخطوطة الآتية : ١ً ردّ على الدهريين عنوانهُ كتاب [illegible] ندامى الانسان . ٢ً كتاب سلّم الطلّاب في لغة الاعراب . ٣ً كتاب زامة [illegible] في علم البيان . ٤ً ارجوزة مطوّلة في البيان . ٥ً كتاب تذكرة الخليل في معرفة الخليل وهو ديوان شعر . وقد طُبع له سابقاً كتاب الجدول الصافي في علم العروض القوافي

٧٦٤ ﴿منصور دي بول﴾ هو القديس منشئ جماعة الآباء اللعازريين المتوفّى سنة ١٦٦٠ (اطلب ترجمتهُ التي نشرها في مطبعتنا الدكتور امين جميّل) . عرّب لهُ القس يوسف الشبابي كتاب الحقائق الدينيّة في تهذيب الحياة الروحيّة وطبعهُ في المطبعة العموميّة سنة ١٨٧٦

٧٦٥ ﴿منفريدي﴾ الاب يوسف اليسوعيّ (P. J. Monfredi) المتوفّى سنة ١٩٠٥ طُبع لهُ في مطبعتنا سنة ١٨٨٧ تساعيّة استعداداً لعيد قلب مريم الطاهر في كتاب الكنزين الانفسين

٧٦٦ ﴿منّي﴾ كير منّي البلصري من اهل القرن الثامن عشر . لهُ مجموع القضايا والاحكام في جملة قوانين الرسل والمجامع المقدّسة المسكونيّة والمكانيّة

لبلصمون ويوحنا زوناراس تعريب الياس فخر منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة

٧٦٧ ﴿منياتي﴾ كبير اليًا من جزيرة كاتالينا اسقف كرنيكي من اهل القرن الثامن عشر . لهُ عظات للصوم الكبير عرَّبها من الروميَّة كير تاودوسيوس الدصكالوس بالتماس ومساعدة مكاريوس صدقة . وهي ٢١ عظة منها نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة اخرى في مكتبة الثلثة الاقمار (ع٣٢٣) . وهذه المواعظ قد طبعها حنَّا النجار في مطبعته الشرقيَّة سنة ١٨٧٠

٧٦٨ ﴿المتنَّر﴾ هو حنانيًا الراهب الشويري المتوفَّى في العقد الثاني من القرن التاسع عشر (اطلب المشرق ٤ [١٩٠١] : ٩٦٩–٩٧٣) . هذه المصنَّفات الجليلة التي ألَّفها وتدلُّ على سعة معارفه : ١ً الدرُّ المرصوف في حوادث الشوف وهو تاريخ لبنان وخصوصاً لجبات الشوف من السنة ١٦٢٧ الى ١٨٠٧ وقفنا على نسخة منهُ عند المرحوم القانوني البارع سليم باز منقولة عن نسخة اخرى اثبتنا تاريخها في المشرق (ص ٩٧٢) . وفي مكتبتنا الشرقيَّة قسمٌ منقول عنها . ٢ً تاريخ رهبانيَّته الحنَّاويَّة . ضمَّنهُ كثيراً من المعلومات الدينيَّة عنها وعن سواها وهناك كلام مسهب عن الراهبة هنديَّة عند المرحوم المذكور نقلناها لمكتبتنا الشرقيَّة . ٣ً لهُ في دير الشير كتاب مختصر البيان في مجرى الزمان تاريخهُ سنة ١٨٠٧ وهذا الكتاب قد طبعهُ القنصل هنري تويس في باريس مع ترجمته الى اللغة الفرنسويَّة . ٤ً كان لهُ عند المرحوم الخوري فيلبوس صوايا مقامات بديعة المعاني كما افادنا القانوني جرجي بك صنا الذي اطَّلع عليها . ٥ً ولهُ ايضاً مجموعة امثال تبلغ بضعة آلاف نشر منها قسماً كبيراً الكاتب المجيد عيسى افندي اسكندر المعلوف في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٤١و١٠٣ الخ) . ٦ً ولهُ ايضاً قصائد حسنة متفرِّقة روينا منها شيئاً وبينها الزجليَّات اللطيفة باللغة العاميَّة

٧٦٩ ﴿مورا﴾ هو الراهب الفرنسيسي يوسف دي سان انطونيو (J. Moura) المتوفَّى نحو السنة ١٨٦٠ اتقن العربيَّة على استاذهِ الاب سوزه المتنصِّر واشتغل بالشرقيَّات لهُ في دير رهبانيَّته في غرناطة بعض المخطوطات فنقل الى اللغة البرتغاليَّة رحلة ابن بطوطة وتاريخ روض القرطاس في تاريخ فاس وغير ذلك

٧٧٠ ﴿موسطس﴾ المظنون انهُ من علماء الروم من القرن السادس للمسيح وجدنا لهُ في مكتبة الثلثة الاقمار ثلث مقالات في الآلات المطربة والارغن والجلجل

نشرناها مع صورها في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ١٨–٢٨) ولدينا منها نسخة ثانية منقولة عن احد مخطوطات الاستانة

٧٧١ ﴿موركينا﴾ الاب سجسمندي من كتبة القرن الثامن عشر. وجدنا لهُ معرَّباً كتابهُ تاريخ الفلاسفة في بيت المرحوم حنَّا عورا

٧٧٢ ﴿موزرلي﴾ هو الاب الفونس اليسوعي (A. Muzarelli) المتوفَّى في باريس سنة ١٨١٣. قد عرَّب انقس لباوس المتيني كتابهُ الشهير في الشهر المريمي فطُبع في رومية والقدس وبيروت والموصل (اطلب المشرق ٥ [١٩٠٤] : ٣٨٥–٣٩١)

٧٧٣ ﴿موسخوس﴾ الراهب اليوناني يوحنَّا معاصر القديس صفرونيوس المتوفى قبل اواسط القرن السابع. لهُ كتاب المرج الروحي الذي يُنسب غلطاً الى القديس صفرونيوس وهو في ٦٦ فصلاً منهُ نسخة قديمة في المكتبة الفاتيكانية تاريخها سنة ٦٦٨٥ للعالم (١١٧٧م). وكذلك نسخة اخرى في مكتبة دير الشرفة تحت عنوان كتاب مرج الازهار. وهو يدعى عادةً كتاب البستان في اخبار الرهبان منهُ نسخة بديعة في مكتبتنا الشرقيَّة مع نسبة الكتاب الى القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم. ومنهُ عندنا ايضاً نسخة ثانية هذَّبها المطران سرمانوس فرحات بعد ان كان ناقصاً فقسمهُ بابين في الاخبار النقليَّة في اربعين فصلاً والمواعظ والحكم العمليَّة في خمسين فصلاً ولكل فصل ابواب عديدة فتقدَّم على الكتاب فهرساً مطوَّلاً لا يقلُّ عن ٤٣ صفحة. وتاريخ هذه النسخة (كما ورد في الصفحة ٤٥) سنة ١٦٠٦ (والصواب ١٧٠٦)

٧٧٤ ﴿موسى الاطاشي﴾ هو الكاهن الحدثي اليعقوبي من اهل القرن السادس عشر لهُ في مكتبة الفاتيكان (ع ٧٤) كتاب الحياة وهو يحتوي الدفاع عن مزاعم اليعاقبة في طبيعة المسيح. ولهُ فيها ايضاً تعريب تفسير القدَّاس لبرصليبي وبعض ميامر للآباء القديسين. ولعلَّهُ هو الذي صار بعد ذلك اسقفاً لملتيه في حلب تحت اسم اثناسيوس (ROC, XVII, p. 284, n° 37)

٧٧٥ ﴿موسى بركيفا﴾ هو المفريان المعروف ايضاً بموسى ابن الحجر المتوفَّى سنة ٩١٣م تآليفهُ السريانيَّة شهيرة جدًّا. ومما يُعرف لهُ بالعربيَّة : ١ً شرح الاسرار المقدَّسة بالكرشوني في دير الزعفران. ٢ً وفي مكتبة الفاتيكان وفي دير مار شليطا في لبنان (المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٥٠–٤٥١) ميامر لبركيفا معرَّبة. ٣ً وفي مكتبة

اليعاقبة في القدس كتاب النفس (كرشوني). ٤ً وفي مكتبة اليعاقبة في دمشق كتاب لاهوتي ادبي كُتب سنة ١٧٣٩ يحتوي ٥٦ فصلاً عن النفس و٢٤ فصلاً من الملائكة و٢٤ فصلاً عن الشياطين و١١ فصلاً عن الفردوس وخلقة آدم. منهُ نسخة أخرى في الشرفة في ٦٠ مقالة تاريخها ايضاً سنة ١٧٣٩

٧٧٦ ﴿مونتي﴾ الاب برتلماوس المرسل الايطالي المتوفَّى سنة ١٧٧٨. عرَّب لهُ المرحوم المنسنيور يوسف العلَم كتابهُ مناجاة قلب يسوع لقلب الكاهن فنشرهُ بالطبع

— مونتور — هو الطوباوي الفرنسوي اطلب غريبون

٧٧٧ ﴿ميخائيل الكبير﴾ بطريرك انطاكية المتوفَّى سنة ١١٧١م (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٨٢٤) لهُ التآليف السريانيَّة الجليلة منها تاريخهُ الكبير الذي عُني بنشره الاب يوحنا شابو (J. B. Chabot) مع ترجمته الى الفرنساويَّة. ومن هذا التاريخ ترجمة عربيَّة وجدنا منها ثلاث نسخ بالكرشوني الاولى في دير الزعفران قرب ماردين والثانية في المتحف البريطاني في لندن والثالثة في قرية صدد عند شيخها تاريخها القرن الخامس عشر نسخها احد رهبان دير مار موسى في النبك اسمهُ «ربَّان عبدالله الحلبي من عيلة بيت الشدياق الذي ترهَّب تحت يد اسقف قيصر صروخان الذي ارتسم على كرسي حلب بعد ان خدم كنيسة الشام حين عيَّنهُ مطراناً ابن الحمرو ؟ وتبع رأي الغربيين وارتسم عوضهُ وسكن القدس الشريف سنة ٩٧٢ لليونان (١٢٨٣م)»

٧٧٨ ﴿ميخائيل الاثريبي﴾ يعرف بميخائيل الجميل كان اسقفاً يعقوبيًّا على مليج في الصعيد من كتبة القرن الثالث عشر : ١ً لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة اجوبة على ٣٧ سوءالاً عُرضت عليهِ. ومنهُ نسخة في مكتبة باريس (Paris *Ms* 213[3]). ٢ً هو مؤلف سنكسار الكنيسة القبطيَّة في مكتبة الفاتيكان منهُ نسخٌ تاريخ الواحدة سنة ١٣١٧. ٣ً كتاب الاشعَّة في محاماة البدعة اليعقوبيَّة في ٥٢ باباً (مكتبة الفاتيكان ع ١٠٧). ٤ً ومن كتبهِ المعتبرة كتابهُ المدعوّ «الطب الروحاني» منهُ نسخ شتى : يُعرف منها ثلاث في اوربَّة : في رومية بالكرشوني المكتبة الفاتيكانيَّة (Bibl. Or. I, 630, n° 74) وفي بونة من اعمال المانية (ع ٢٨) وفي برلين . وفي

مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة قديمة حسنة وكذلك في مكتبتي الموارنة والروم الكاثوليك في حلب. وهذه الاخيرة هي « برسم البطريرك اثناسيوس سنة ٧٠٩٥ للعالم (١٥٨٧ م). وقد طبع هذا الكتاب بالكرشوني وترجمهُ الى الالمانيّة الدكتور فرنتز كولن (Dr Fr. Cöln) في مجلّة Cosmos Catholicus في السنين ١٩٠٦ — ١٩٠٨

٧٧٩ ﴿ميخائيل الدمياطي﴾ كان اسقفاً يعقوبياً على دمياط من كتبة القرن الثاني عشر. ١ً له مختصر القوانين الكنسيّة في مكتبة باريس (Paris, 238 [20]) وفي المكتبة الفاتيكانيّة (عدد ١٥٨) . ٢ً رسالتهُ الى ابي الفخر ابن ابي البركات ابن كبر عند نزوعهِ الى الملكيين (في الفاتيكان ١٥٨ وفي باريس ROC, XIV, n° 4728) . ٣ً ذكر لهُ ابو البركات بن كبر في فهرسه (Riedel 654) كتاب «سماء البغية لمن طلب لنفسهِ الخلاص والنجاة يوم القصاص» في خمسة ابواب

٧٨٠ ﴿ميخائيل بن بُدَير﴾ ويروى بُشَير من كتبة القرن التاسع. ذكر في تاريخ بطاركة الاسكندريّة لساويروس ابن المقفّع انّ ميخائيل هذا كتب بعض سير الاباء وعرّب غيرها ، ادخلت في ذلك التاريخ (Cfr. Ms de Paris, 301-302, [illegible] Ms. 977)

٧٨١ ﴿ميخائيل سيميو﴾ الاب المرسل (Michel Simiot) رئيس الآباء اليسوعيين في حلب المتوفى نحو السنة ١٧٠٠ . في كلامنا عن الاب بوزنباون (ع١٣٦) نسبنا تعريب كتابهِ في اللاهوت الادبي الى الاب «ميخائيل نو» لأن النسخ الخطيّة من هذا الكتاب تنسب تعريبهُ الى الاب ميخائيل رئيس الآباء اليسوعيين في حلب ولم نلحظ انّ الاب «نو» سبق زمان الاب بوزنباون والصواب انّ المعرّب هو الاب ميخائيل سيميو الذي كان معاصراً للاب بوزنباون وعاش مدّة بعدهُ

٧٨٢ ﴿ميخائيل الكبوشي﴾ هو المرسل ميخائيل دي ران (Michel de Rennes O.C.) كان في حلب في اواسط القرن السابع عشر. لهُ تعريب كتاب الطقسيّات الروماني وبعض اسفار الكتب المقدّسة كما ورد في تاريخ رهبانيّتهِ

٧٨٣ ﴿ميدالي﴾ هو الاب بطرس اليسوعي (Pierre Médaille) المتوفّى سنة ١٧٠٩ . لهُ في بيت الشماس شكري أيوب في حلب « شرح وجيز في الصلاة

العقليَّة تأليف الاب بطرس ميدالي الراهب اليسوعي استخرجها من الافرنسيَّة الى العربيَّة وكتبها احقر عباد الله من طائفة الموارنة سنة ١٨٠٥، ويليها رياضة تمارس عشرة ايام قبل عيد العنصرة

٧٨٤ ﴿مينوكيوس﴾ هو الاب حنَّا اسطفان اليسوعي (J. E. Menochius) المتوفَّى سنة ١٦٥٥ . له ١ في مكتبة لندن (Suppl. n° 17) شرح كتاب الرؤيا مار يوحنَّا نقلهُ من اللاتينيَّة الى العربيَّة القس بطرس بن يوحنَّا السرياني تلميذ مدرسة انتشار الايمان سنة ١٨٢٤ . ٢ له في دير اللويزة تفاسيره على العهد الجديد معرَّبهُ . ٣ وفي مكتبتنا الشرقيَّة في آخر نسخة من منطق التولاوي رسالة الاب مينوكيوس في علامات الانتخاب (لها تابع)

حفلة ادبية في الكلية اليسوعية

في تعزيز اللغة العربيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ من اخصّ الغايات التي دفعت رؤساء رهبانيَّتنا اليسوعيَّة الى انشاء مجلَّة المشرق في العربيَّة رَفْعَ منار هذه اللغة الشريفة ونشر آثارها وتفنيد التهمة التي اشاعها بعض ذوي الغايات بان الاجانب يسعون في سوم لغتنا خسفاً . وقد رددنا على هذا الزعم الباطل في خطاب افردناهُ لهذه الغاية ونشرناهُ في احد اعداد السنة الاولى من هذه المجلَّة (ص٦٩٩—٧٠٤) فبيَّنَّا في ايّ مقام رفيع جعل رؤساؤنا درس هذه اللغة منذ دخولهم في سوريَّة ولاسيَّما في كليَّتنا البيروتيَّة

ولمَّا عاد بعضهم في السنة ١٩٠٢ وكرَّر هذه الشكاية الباطلة وادَّعى « انهُ لم يرَ مؤلَّفاً عربيًّا خطَّتهُ يد المتخرِّجين في الكليَّة اليسوعيَّة لأنَّها لم تعتنِ الاعتناء اللازم

باللغة العربيّة منذ تأسيسها ، فزيّفنا قوله بذكر ما حضرنا وتتلذ من اسماء المؤلفين المتخرّجين في كليّتنا وفي مدرسة غزير التي سبقتها فكان عددهم تسعين كاتباً (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٩٢٣–٩٣٢) ثمّ بأنّنا هذا العدد بعد التحقيق والتدقيق في السنة ١٩١١ (ص ٣٠١–٣٧٥) الى ١٧٤ كاتباً ذكرنا اسماءهم وتآليفهم كما نفينا اقوال جريدتي الرأي العام (في عددها ٢٩١ و٢٩٢) والمقتبس في عددها (٨٣٦) اذ ضربتا على تلك النغمة وكرّرتا تلك التهمة واليوم يمكننا ان نبلغ هذا العدد الى ما فوق المئتين

وقد لحظ بطلان هذه الشكايات احد ادباء اميركا الكاتب البارع شكري افندي الخوري في تأليفه المعنون «قنبلة صغيرة» فقنّد سنة ١٩١٦ مزاعم من يتهم اليسوعيين في سوريّة باهمال لغتنا العربيّة فقال (ص ٢٧–٣١) :

«قد دفع نكران الجميل اولئك الكتبة الى الحطّ من مقام مدارس المرسلين الاوربيين في سوريّا والتطاول على اهل الفضل الذين علّمونا وحسروا عن عيوننا غشاء الجهل» . . . الى ان قال :

«في (الرهبانيّة اليسوعيّة) تعلّم العلوم بلغة البلاد التي تحلّ فيها واذا كانت لغة البلاد فقيرة بكتب العلم الحديث تعلّم اللغة غنيّة كالانكليزيّة والايطاليّة والافرنسيّة كما في سوريّا تعلّم الرهبنة المشار اليها العلوم العالية باللغة الافرنسيّة لأنّ لغة الدولة الحاكمة (اي تركيّا) لغة تتريّة فقيرة الى حدّ الجوع ! واللغة العربيّة كانت في اول الامر قاصرة بمصلحة الحكومة التي تحاربها ولا تسمح باستعمالها في محاكمها ودوائرها في وسط البلاد العربيّة ذاتها . . .

«وأنكى من كلّ هذا قولهم في تلك الجريدة المشوهة (كذا . يريد جريدة المقتبس) انّ وجود مدارس الاوربيين في سوريّا جعل طلّاب العلم يهملون اللغة العربيّة !! فيا ناكري الجميل في اي كتب درسنم لغتكم العربيّة ؟ اليس في الكتب التي ألّفها اليسوعيّون وطبعوها في مطبعتهم ؟ ومن ألّف معظم الكتب المدرسيّة العربيّة التي تُدرّس في كلّ المدارس في الشرق غير اليسوعيين ؟

ثمّ ذكر بعض التآليف المطبوعة في مطبعتنا فاردف قائلاً :

«اليس في هذه التآليف كلّ روح العرب وعواطف شعرائهم الاوّلين والآخرين ؟ وانّ ما ذكرناه الآن هو جزء من الف . . . واننا نحن اللبنانيين مدينون بنوع خاص الآباء اليسوعيين الذين ألّفوا المجلّدات عن لبنان وتاريخ لبنان وبحثوا في معادنه وينابيعه وطبقات ارضه الخ»

وقد عادت كليّتنا بعد الحرب الى اجتهادها السابق في تعزيز لغة الوطن بدروسها

ومنشوراتها ومطبعتها التي كاد يقضي عليها الاتراك في أيام الحرب الكونية

واليوم ادينا شاهد جديد على ما للعربيّة في كليّتنا من رفيع المنزلة. فانّ حضرة رئيسها لفت نظر الانتداب الى شرف اللغة العربيّة وطلب من المقام الرسميّ ان يُعلن برضاهُ في تنشيط هذه اللغة فيمنح استاذ خطابتها ومدير حفلها الادبي حضرة الاب الخوري مارون غصن وسام الجمعيّة العلميّة فلبّت نظارة المعارف دعوتهُ وكأنها في شخصه زيّنت كلّ صدور اساتذة العربيّة في كليّتنا ليتأكّد للجميع اعتبار فرنسة للغتنا التي كان السبق لعلمائها بنشرها في انحاء اوربّة كما بيّنا ذلك في مقالتنا عن التذكار المئوي للجمعيّة الباريسيّة (المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٦١٢—٦١٩)

ومن ثمّ احبّ طلبة كليّتنا القدماء المتخرّجون على حضرة استاذهم ان يقيموا حفلة تكريميّة ليهنئوهُ بهذا الامتياز ويذيعوا ما للكليّة من الفضل في نشر اللغة العربيّة. وكان بودّنا ان نثبت هنا خطبهم البليغة وقصائدهم الغامرة لولا ضيق المكان. وانّما نكتفي بتدوين خطاب الاديب يوسف افندي غصوب الذي بيّن فيه ما لصاحب العيد من الفضل في تحسين ذوق تلامذته بالانشاء البليغ ذي النصّ الشائق والمبنى الانيق المجرّد عن الالفاظ الغريبة والعبارات الفارغة الخالي من الحشو والتطويل السامج من التكلّف وبرودة الاستعارات فقال لا فضّ فوهُ :

خطبة يوسف افندي غصوب

«لو كان لي متّسع من الوقت لنظمت في تهنئة الاب الجليل قصيدة رنّانة ، ذات قوافٍ طنّانة ، اطول من يوم الجوع ، أُدخل فيها القمر والنجوم والجبال والوهاد والسهول والبحار والى ما هنالك من عوامل الطبيعة من برق ورعد وصفاء وعكر ونسيم عليل وماء سلسبيل فاقول مثلاً :

بدر العُلى ذرّ واهتلّت بواعرُهُ ... والليل قد باء وانجلت مآزره
والصبح اصبح بالانوار مبتهجاً ... وثغر صافي الصفا ضاءت جواهره
وساد لبنان معتزّاً بما شهدت ... عيناهُ منهاً قد راق ناظرهُ

او اقول :

ألا بشّروا لبنان ذرّت ذُكا السعدِ ... وناغى هزارُ الامن بالرغس والرغدِ
وغنّت على الأفنان صادحةُ المنا ... ينيل المنى واليمن في شرف الوفدِ

وارمض في القطب الشمالي بوارق سناها لمن قد ضل عند السرى يهدي
فأجلت لنا لبنان وانثر ثمره وضاءت به الازهار زهرًا من المجد

وهنا بيت القصيد :

وما ذاك الا من جواد وجوده يجودُ بجودِ الجُود جدوى الجدا يجدي

ولكن احمد الله انه لم يقيض لي هذا المتسع من الوقت فنعني من إضافة قصيدة اخرى الى مئات القصائد الفارغة المقيتة التي جاد بها علينا شعراء القرن الغابر وبعض شعراء القرن العشرين الذين يحسبون الشعر نوعاً من رصف ألفاظ لا رابطة بينها ولا معاني فيها

وارجوكم سادتي ان تعتقدوا ان الاشعار التي انشدتها هي لاحد فحول شعراء عصرنا طبع ديوانه في نحو ٥٠٠ صفحة

فالحمد لله اذن أن خلصكم من قصيدتي والحمد لهُ ان منعني نظمها لانها كانت ولا شكَّ اساءت مَن تجتمع الآن لتهنئته فانهُ عنوانُ السهولة في كتابتهِ عدوٌّ للكلام الفارغ والالفاظ الطنانة والقوافي الرنانة وهذي ميزةٌ نحن في حاجةٍ شديدة اليها لننهض من السبات العميق الذي قيدتنا فيه مئات من السنين لهينا بها بقشور الالفاظ عن لباب المعاني

وقد تقدَّمنا خطوةً كبيرة في هذه السبيل وإنا لبالغون غايتها اذا كان في مدارسنا مثل حضرة الاستاذ الذي نحتفل الآن بتهنئتهِ بوسام المعارف الذي اهدته اليه الحكومة الفرنساوية

لم يُسعدني الحظ بان اكون من عداد تلاميذه غير أني قضيت مدة تحت نظارته بين جدران هذا الصرح العظيم المشيد للعلوم والآداب وكانت روحه السامية تحوم من حولنا وتفيض علينا من العواطف الرقيقة والمبادئ العالية وكانت إرشاداته في فنون الكتابة خيرَ دليل لنا الى الذوق السليم والسهولة والانسجام. فكم من مرَّة كان يسدد خُطانا في مطالعة الكتب واتباع ارباب الاقلام حاملي لواء النثر والنظم في ايامنا والايام الغابرة

وكان يظن بعضُ الناس انَّ السهولة في الكتابة والانسجام في التعبير واستعمال الكلام الفصيح القريب المنال ضعفٌ وعجز ولكن فاتهم ان العجز في تنميق الالفاظ والاتيان بالمرادفات والاوابد والشوارد ووحشي الكلام هذا هو العجز بنفسه اذ إن

الكاتب يستر بمثل هذه نقم افكاره وقلة بضاعته فاذا غزرت الافكار وتزاحمت سهل التعبير عنها وجاءت الجمل قوية بنفسها بدون الالتجاء الى الكلام الفارغ

• وقد بلينا في هذه السنين الاخيرة بمرض هو اشد خطرًا على اللغة والآداب الكتابية من المرض الاول وهو التساهل في روح العربية وارغامها للخضوع للتراكيب الغريبة الاجنبية فتقرأ الكتاب من اوله الى آخره فلا ترى فيه من العربية الّا الاحرف وقليلًا من الالفاظ واكثر ما يكون ذلك في ما يسمونه الشعر المنثور . دونك منها مثالًا :

ايه امّ الطبيعة بل امّي . جئتُ اجدّد معك آمالًا وسرورًا . .
سماع قد بدأ الدوري والسنونو بانشاده
سماع انّ من حلق الحسّون الذهبيّ تتدفّق الانغام الفضيّة
انّ الاطيار تدعوك الى تجديد ايمانك وآمالك في الحياة
هي تفتح لك ابواب السماء مغرّدةً ولا تبعدك عنها مهدّدةً
هي تدعوك الى العمل وتنفخ فيك روح الجدّ والامل
اي ربّة الثاب انّ رؤساء هيكلي يردّدون صدى نشيد الربيع لا صدى منطق النوري والمضلات
وشتّان بين النوري والدوري وبين الحسّون والحوري

لا تضحكوا ايها الكرام فمثل هذا اللغط وهذه الثرثرة يسمي بعض المتشدقين عقول الجهّال . وانّما هي طريقة في الكتابة تستر ضعفًا في اللغة وفقرًا في الافكار

• واما هذه المدرسة مدرسة الآباء اليسوعيين وأفتخر اني من خريجيها فقد عملت وتعمل على مقاومة الطريقتين معًا فتهذّب طلابها على التفكر قبل الكتابة وعلى السهولة والوضوح . وكثيرٌ من الفضل عائدٌ في ذلك الى صحة مبادئها وغيرة اساتذتها فنحن نشكر لها فضلها ونسألها المثابرة على خطتها فان فيها كثيرًا من المنعشات للغتنا العربية العزيزة

• اننا نهنئ بشخص حضرة الخوري مارون غصن جميع اساتذة هذه الكلية وننتهز الفرصة لنسدي اليهم شكرنا عن ابناء لغتنا

• اما حضرة الاب المحتفل به فليس اصدق من كتاباته للدلالة على فضله وقد نُشر منها كثيرٌ يتداولها التلاميذ ويتمشون عليها واما مقدرته الخطابية فلا حاجة

الى تعريفها فلا تزال خطبتهُ الاخيرة عن الزواج ترنُّ في أُذنيَّ ولا يزال من سمعها او قرأها يذكرها بالاعجاب والاطناب

«وهنالك دليل على مقدرته في التدريس اطلب من سادتي الرجوع اليه. ألا وهو مقالتان لاثنين من تلاميذه التلميذ الاديب فؤاد بستاني وادوار صعب نُشرتا في العدد الاخير من مجلة المشرق يرى من يطالعها الى اين وصلت درجة الانتقاد والذوق وسلاسة التعبير تحت رعاية هذا الاستاذ اهنئكم. ايها الاب الجليل واطلب المعذرة عن تقصيري في ايفائكم حقكم فان ضيق الوقت الذي حددوه لخطباء هذه الحفلة لم يسعدني باكثر من هذا»

ثمَّ تتابعت الخطب والقصائد من قلم تلامذة حضرة صاحب العيد فأعجب بها الحضّار وتحقّقوا ما للاستاذ خصوصاً وللاساتذة الكليَّة عموماً من الحرص والمقدرة على تدريس العربيَّة. واجتهادهم في تخريج التلامذة على آداب اللغة الوطنيَّة حتى اصبحوا من حملة الاقلام ولم يكد يمرّ على بعضهم منذ خروجهم من الكليَّة سنة او سنتان. وقد روت جريدة البشير بعض المقاطيع من ثمار اقلامهم. ونحن نكتفي بذكر شيء من خطبة استاذهم جواباً على ما قرّظوهُ به واعترافاً بفضلهُ عليهم. قال:

من خطاب حضرة الخوري مارون غصن

ابتِ الرئيس سادتي الكرام إخواني الطلبة

يلذُّ لي في هذه الحفلة العيليَّة، ان أُذكركم بذلك المثل اللطيف، الذي ضربهُ سعدي احدُ مشاهير شعراء الفرس قال: «كنتُ في احدى الحدائق أتنزّه فبصرت امامي بورقةٍ كادت تيبس وشعرتُ انَّ رائحةً ذكيَّة تنتشرُ منها فلمستها واستنشقتها بلذَّةٍ وعذوبة وقلتُ لها: بالله انتِ يا من تنشرين هذا العرف الذكيَّ أأنت الوردة؟ قالت: لا لستُ بالوردة لكني عشتُ زمناً في ظلّها وهذا هو مصدرُ العطر الطيّب الذي أنشرهُ!

فانا ايُّها السادة أشبهُ بتلك الورقة، واذا صحَّ أنَّ لي شيئاً من ذلك العطر الذي نسبتموهُ اليَّ، فليس الفضل في ذلك لي، وانَّما الفضلُ كلُّ الفضل عائدٌ الى تلك

الوردة النضيرة ، بل الى تلك الحديقة الغنّاء ، الحافلة باطيب الازهار وأشهى الثمار ، ألا وهي الرهبانية اليسوعية الجليلة ، التي قيّض لي الله ان اعيش في ظلّها

بل اسمعوا لي ان اترك شاعرَ الفرس ومثله ، مع ما فيه من الرقّة واللطف ، وأعود الى الانجيل الشريف ، الى حيث نجدُ الحياة لكلّ تعليم . ففيه ما ينطبق على موضوعنا هذا كلّ الانطباق ولاسيما في آية الكرمة والاغصان . قال الربُّ يسوع : انّ الغصن لا يستطيع ان يأتي بثمر من عنده ، ان لم يثبت في الكرمة (يوحنا ١٥ : ٤)

أجل أيها السادة اذا كان الغصن اجرد ، لا ورق عليه ولا زهر ولا ثمر ، فلا يُحفَل به ولا يكون فيه للعيون بهجة بل يكون عودًا يابسًا لا غصنًا فيطرحونهُ في النار ليحترق (يوحنا ١٥ : ٦) . أمّا اذا كان موقرًا بالثمار ، فتجتليه العيون ، وتبتهج به الخواطر

فانتم انتمُ الثمار يا أيها الطلبة النبلاء ! وما رونقُ الغصن الّا بامثالكم ! فدعوا الغصن ولو مرّة يترنّحُ ويفتخر أنّما افتخارهُ و بكم ! . .

ولكن من اين للغصن ان تكون له ثمار يجد فيها الفخر ؟ بل من أين له ان يورق ويُزهر ؟؟ من ثباته في الكرمة . لانّ من يثبت في الكرمة يحيا ويأتي بثمر كثير (يوحنا ١٥ : ٥) هذا أيها النجباء هذا سرُّ نضارة الغصن بثماره . فاذا كنتُ انا الغصن ففخري هو انتم ! وسرُّ ما في كليتنا من رونق وحياة يعود الى الكرمة الحقيقية التي هي يسوع الذي باسمه تشرّف اليسوعيّون ! ! فاذا لم يكن لليسوعيين فخرٌ الّا تلقّبهم باسم يسوع لكفاهم . فكيف بهم وقد جمعوا العمل الى اللّقب حتى صار ذكرُ اليسوعي يُعيد الى الذاكرة رسم يسوع قائدهم ومثالهم ! . .

اجل ان ما انتم عليه من الاخلاق الكريمة ، والتهذيب العالي ، والعلم الراسخ ، والتفقّه النيّر في الاعتقاد ، والوطنية الصادقة ، وما لي من القسط الصغير في ذلك انما يعودُ الى ثباتنا في الكرمة اليسوعية

بهذا افتخرُ أنّي ثبتُّ في المحبة والاحترام لهذه الرهبانية الجليلة ، وعكفت على العمل تحت إدارتها الرشيدة ، وسعيتُ في اقتفاء آثار آبائها جهد المستطاع . وهذا الثباتُ قد أورثنيه أبي ، وأورثهُ إيّاهُ جدّي . أمغالاةٌ في ما أقول ؟ لا ! فقد عشت في ظلّ اليسوعيين ستًّا وسبعين سنة : في شخص المرحوم والدي الذي قضى شطرًا كبيرًا

من حياته في خدمة هذه الرهبانية الكريمة . وفي شخص المرحوم عمي اسعد غصن الذي خدم المطبعة اليسوعية ستاً وخمسين سنة متتابعة خدمةً نصوحاً أهلتهُ لنيل وسام الاوفيسيه داكاديمي . وفي سنة ١٨٩٩ اي من اربع وعشرين سنة عقدوا لهُ في صحن المطبعة الكاثوليكية حفلةً شائقة احتفاء بيوبيله الذهبي وبالوسام

وقد عشتُ ايضاً في شخص المرحوم جدي الخوري عبدالله غصن تلميذ عين ورقة الشهيرة . فهو رحمهُ الله كان اوّلَ الكهنة الذين بادروا إلى خدمة الآباء اليسوعيين في مطبعتهم سنة ١٨٤٨ وكانت المطبعة في ذلك العهد حجريّة ، فاستعانوا بهِ للتصحيح والكتابة على الحجر . ومُعظم الكتب التي طبعتها المطبعة الكاثوليكيّة في ذلك الحين هي من خطّ يده وفي المكتبة الشرقية منها امثلةٌ باقية حتى اليوم

وإني لإخالني الآن في تلك الخلة اللطيفة التي عُقِدت للمرحوم عمّي في القرن الغابر فتتجدّدُ في تذكاراتٌ عليبة مقدّسة ، فالتفتُّ حولي فلا أراهم . ولكني اتعزّى بمحافظتي وثبات أسرتي جميعها على خطّتهم المثلى ، فعليها سأجري إلى ما شاء الله!

. . . أجل ايها السادة ، إنّ مَثَلَ اليسوعيين أمامي في الحياة العلميّة والروحيّة والعملية [illegible] تعطي نوراً و[illegible] بعداء ولنفسهم منهاجاً وهذا [illegible] ما في الحياة !

ولكنهم لم يكتفوا بهذا بل شاؤوا إعادة مكافأة الآباء لاهتمامهم بالبنين فسعوا لما انتم به تحتفون

إنّ الحكومة الفرنساوية ، قد تكرّمت وأهدت إليَّ وسام الجمعيّة العلميّة ، فحقٌّ لها الشكرُ والامتنان . ولكن تسمحون لي ان اقول : إنّ الحكومة الفرنساوية ، بعيدة عنّا ، ونظرها لا يخترق أسوار هذا الصرح الذي حبستُ فيهِ نفسي وحبّذا الحبس . فالفضل كل الفضل في هذه المكافأة الادبيّة ، عائدٌ إلى رئيس هذه الكليّة العامرة الذي اصبح فيها نجمها المنير وكوكبها الوهّاج ! فهو الذي اطلع الحكومة الفرنساوية ، على ما يبذلهُ اساتذة اللغة العربية ، من العناية والمجهود ، في إعلاء منار هذه اللغة الشريفة . وطلب الى الحكومة الفرنساوية ان تأتيهُ بدليل جديد يدلُّ على اعتبارها للآداب العربية في هذه الكليّة . وهل يُردّ لرئيسنا طلب ؟ ! فتكرّمت الحكومة بذلك الوسام ، الذي يحقّ ان يُعلّق لا على صدري ، بل على صدر كلّ من رفقائي الاساتذة ، ولاسيما على صدور كلّ من سعوا في هذه الكلية ، ولا يزالون

يسعون في تعزيز لغة البلاد ورفع منارها الذين تشهد لهم تآليفهم المتعددة وكتاباتهم اليومية . . .

لكنّ الآباء اليسوعيين لهم من فضائلهم ومآثرهم ونذورهم ما يُغني عن كلّ وسام

أمّا انا فكلّما ذكرتُ ذلك الوسام، أشعُرُ باضطراب في نفسي. لانّ الوسام عنوانٌ كتبتهُ الدولة، ووضعتهُ على صدر حامله، شهادةً منها للناس ببيان ما انطوى عليه ذلك الصدرُ من فضائل الغيرة والعمل. فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكتوب في القلب، كانت كبائع يغشّ الناس في وضعهِ على قنينة اللّذّ، عنوان ماء الورد

لذلك أسألكم الدعاء، ليجعل الله في قلبي مثل ما في قلوب رؤسائي من عواطف المحبة والغيرة على الدين والعلم والوطن فأواصل العمل معهم على تخريج الشبيبة التي آليتُ على نفسي ان اخدمها ما بقيت فيَّ حياة!

انّ الشبيبة التي نُعلّمها المعارف والآداب والدين، هي وسامي ووسامُ كلّ استاذ

. . .

اما كلمتي للآباء والسادة والخطباء الذين تلطفوا فحضروا وشاركوا طلبتنا القدماء في هذه الحفلة العيلية، فهي كلمتي الحكومة الافرنسية الجليلة صاحبة الغيرة على بلادي ووطني، هي كلمتي لحضرة رئيسنا الوقور، هي كلمتي للطلبة الاعزّاء، هي كلمةُ الشكر والعرفان

صدقة الميلاد

الصدقة تنجي من الموت (طوبيا ١١ : ٩)

بقلم الاديب يوسف بطرس سعد

في جلسة ١٧ كانون الاول من السنة الفائتة ١٩٢٢ التي عقدت في ردهة جمعية القديس منصور دي بول في بيروت اقترح رئيس الجمعية على الحاضرين من اعضائها اقتراحاً تقوياً خيرياً اوحت به نفسهُ الشريفة قال :

« يحسن بنا نحن اعضاء شركة القديس منصور ان يدعو كلٌّ منّا الى منزله ليلة عيد الميلاد الشريف ثلاثة فقراء ويبالغ في ضيافتهم واكرامهم فيتزلهم في فكره منزلة العائلة المقدّسة التي لم يكن لها في مثل هذه الليلة مَن يأويها الى منزله وبذلك نقوم بعمل تقوي خيري لا شك انه يصيب حظوةً لدى الله تعالى »

كان هذا الاقتراح كجذوة اسعرت في افئدة الحضور نار محبة الاحسان وعزم اكثرهم على القيام بهذا المشروع الصالح رغبةً منهم في اتيان المبرّات وتحقيقاً لنيات رئيسهم المفضال

وكانَ اعضاء هذه الجمعية المباركة لم يشاءوا الاستئثار باقتراح رئيسهم فيتمموا هذا العمل المبرور دون سواهم . فانهم سعوا في نشره كلٌّ بين معارفه واقربائه فوقف عليه ذوو الصلاح من اهل المدينة وصادف استحساناً عند كثيرين من العائلات التقيّة

*

كان من جملة الذين عوّلوا على العمل باقتراح رئيس جمعية القديس منصور عائلة عُرفت منذ القدم برسوخها في الدين وإقبالها على الاعمال الخيرية . وكان لهذه الاسرة الفاضلة وحيد عزيز ومعين نشيط قد هاجر من البلاد الى الديار الاميركية منذ نحو عشرين سنة واصاب هناك ثروة واسعة في مزاولة التجارة لكنه حاد بسبب دخوله في احدى الشيع السرّيّة عن جادّة الدين وانهمك في الالحاد والكفر بكل عقيدة وايمان شأن الكثيرين من ابناء وطننا الذين يهجرون الوطن فيستوطنون المهجر وهناك ينبذون التراث الذي خلّفهُ لهم جدودهم الاماجد اعني به وديعة الايمان المقدّس معلقين آمالهم بحطام هذه الدنيا لا همّ لهم الّا جمع المال مهما كلفهم ذلك من التضحية الادبية والدينية

*

نزل صاحبنا سليم في مقاطعة من انحاء البرازيل كثيرة الغابات المشجّرة باشجار المطّاط (الكاوتشوك) واتخذ الاتجار بهذا الصنف الرائج سوقه في العالم كله شغلاً له فكان يقوم في خدمته قوم من العبيد الاشداء البنية من اعلاج تلك البلاد يرسلهم افواجاً الى غابات اشجار المطّاط اثناء اجمة زهيدة حيث كانوا يعمدون الى هذه الاشجار

بباضع مخصوصة فيشرّحون جذوعها مستنزفين ماءها الذي هو المطّاط بذاته وينقلونهُ اليهِ على اكتافهم وهو يصدّره على حالته هذه الى المعامل الاميركية والاوربية فيبيعه من اصحابها باثمان غالية حتى اصبح غنيًّا مشهورًا في تلك الاصقاع

ولا عجب فاللبناني والحمد لله اينما حلَّ اعرب عن ذكاء عظيم وتوفّق في اكتساب الرزق اللهمَّ الّا في بلاده فكم نعهدهُ عاجزًا عن تحصيل ما يقوم باوده . وهذا سرّ لم يتمكن احد من حلّ رموزه رغم معالجته

ففي اوائل كانون الاول من السنة الفائتة اراد وطنيّنا سليم ان يوسّع تجارته هذه وقد ارهقته بالطلب المعامل التي يتعاطى معها والحّت عليهِ ان لايدع وسيلة تمكنه من زيادة الاصدار الّا يستعملها . فلم يرَ بدًّا لارضاء زبائنهِ من ان يذهب هو بذاته الى غابات شجر المطّاط ويتلافى بنفسهِ الصعوبات التي تحول دون الزيادة في الانتاج ليذلّلها بذكائهِ المعهود وان كان دون الوصول الى تلك الغابات خرطُ القتاد وقد طالما وصف لهُ اهوالها عبيدهُ الامناء منها قطعُ نهرٍ يؤدّي اليها والذي ذهب في تيّارهِ بكثيرين من هؤلاء العبيد

*

اخذ صاحبنا الأهبة لسفرهِ وسار مسافة يوم واحد على ظهر دابّه حتى بلغ الى بلدة واقعة على ضفة النهر المراد اجتيازه فاكترى لهُ ولعبيده زورقًا بخاريًا متينًا وسار بهِ يشقّ عباب المياه ، وكان قصدهُ بذلك ان يختبر الامر حتى اذا تهيّأ لهُ اجتياز النهر على ذلك الزورق عمد الى استعمال الزوارق في اجتيازه واستغنى بنقل المطّاط عليها عن كثير من العبيد ، وكان هؤلاء العبيد اعتادوا قطع النهر متكلين على قوة سواعدهم وتفوّقهم في فن السباحة وهم حاملون على اكتافهم نتاج شجر المطّاط

سار بهم الزورق مسافة احد عشر ميلًا بحريًا حتى انتهوا الى الغابات المقصودة وهناك القوا المرساة وتلقّوا الجبال فرحين بنجاح عملهم . وسُرَّ سليم لوفرة ما كان يرجوهُ من الربح بواسطة هذا الزورق الذي يحمل في السفرة الواحدة ما كان يعجز العبيد عن حمله في عدّة سفرات

ولما انتهى العبيد مع سيدهم الى غابات المطّاط ابتدأوا عملهم المعتاد وكان هو يراقبهم علّه يتوفق الى طريقة تزيد عملهم سرعةً فوجدهم بارعين في العمل لا ينقصهم

شي.. فكانوا يعمدون الى جذع الشجرة ويبضعونه عدة بضعات ويتركون ماءها يسيل على الحضيض ويذهبون الى غيرها وهكذا يقضون نهارهم وفي اليوم التالي يعودون الى الشجر المشروط ويلتقطون الماء المتجمد على الحضيض تحت كل جذع. وفي اليوم الثالث يهتمون بنقله الى شاطئ النهر .

وعلى هذا النمط استغرق عملهم لتجهيز محمول الزورق نحو العشرين يوماً وكان عددهم اربعين عبداً ومجموع وزن المقاط يُقدّر باربعين قنطاراً

ففي صباح الخامس والعشرين من شهر كانون الاول أقلعوا بزورقهم قاصدين المدينة التي نزلوا منها فما قطعوا مسافة بضعة اميال عن الشاطئ حتى هبّ اعصار في النهر وهطل المطر بغزارة وهاجت مياهُ النهر وعلت فوق الزورق . فادركوا الخطر المحيق بهم واخذوا يعالجون سير الزورق بما عندهم من الخبرة لكنّ الامواج طغت عليه فانقلب بهم وطرحهم في اليمّ الذي اخذ يتجاذبهم بعنف شديد حتى ايقنوا بدنوّ اجلهم واصبحوا ينتظرون الموت دقيقة بعد اخرى

وكان من اخلاص هؤلاء العبيد لوليّ امرهم ان احدهم عمد الى سيده فحملهُ على ظهره مؤثراً نجاته ولو تكلّف عرق القربة. وما زال يعارك تيّار اليمّ وصاحبنا يتأبط عبده حتى بلغ به نحو غروب الشمس الضفة الثانية من النهر فالقاه هناك على الحضيض خائر القوى من شدّة البرد القارس. وفي اثناء ذلك كان العبيد رفقاؤهُ يصارعون المنيّة يستنجد الواحد منهم الآخر كأنما شعر بخوار قواه رغم كونهم قد اعتادوا اجتياز النهر لشدّة العاصفة. وكانت خسارتهم في تلك السفرة خمسة من رفقتهم خانتهم القوى فابتلعتهم اللجة

*

في تلك الساعة الرهيبة التي مرّت على صاحبنا سليم وهو متشبّث باكتاف عبده وامواج النهر تتقاذفه والريح الصرصر تعمل في جسمه الناعم كانت عائلته في بيروت تقوم حسب اقتراح رئيس جمعية القديس منصور بضيافة ثلاثة من الفقراء يمثّلون العائلة المقدسة محتفين بهم احتفاء بلغ حدّاً لا يجارى . فكانت والدته ووالده وشقيقتاهُ يقدّمون الطعام بايديهم الى اولئك الفقراء مبالغين في اكرامهم ومقدمين عملهم هذا لاجل توفيق وحيدهم ومعينهم المتغيّب عنهم وهم لا يدرون ما يحيق به في

تلك الساعة من الخطر الداهم

اما هو فقد نقلهُ عبيدهُ الى محلهِ سالماً واوّل ما فكّر فيهِ بعد وصولهِ انهُ اسرع فاخبر عائلته بما جرى لهُ مُقرًّا انه بفضل صلواتهم التي لاشك انهم كانوا يصلّونها لاجله في تلك الليلة الشريفة قد وقاه الله من التهلكة

فاجابه والده بكتاب رقيق مطلعاً اياه على ما كانوا صنعوهُ لاجله في تلك الليلة قائلاً لهُ : « إعلم يا بني انهُ قد صحّ بنجاتك قول الملاك رفائيل لطوبيّا البارّ «انّ الصدقة تنجي من الموت» . هذا يقيني ولا إخالك الّا مسلّماً بهِ . اسأل الله بعد ان اشكره على نجاتك ان تكون محافظاً على وديعة الايمان المقدس التي هرق جدودك اللبنانيون دماءهم لاجلها »

لمّا وصل كتاب الوالد الى ابنه وقرأهُ لم يتمالك من سكب الدموع ، دموع الندم على إعراضهِ كل تلك المدة عن فرائض الديانة . وكان لهُ ثلاثة اولاد ابى ان يصبغهم بماء العماد وقد بلغ اكبرهم السنة العاشرة وذلك عملاً بمبدأ الشيعة الكافرة التي كان ينتمي اليها . فاسرع في الحال واستدعى كاهناً وطهّر ضميرهُ وعمّد اولادهُ الثلاثة بعد ان اذن نبذهُ لمبادئ شيعتهِ الفاسدة واقرّ علناً ان الدين هو وحده باب الخلاص والنجاة في هذه الدنيا وفي الآخرة . وكتب لوالدهِ عن كل ذلك واخبرهُ بعزمه على الرجوع الى الوطن لمشاهدته والاشتراك معه بكل ما يقوم بهِ من الاعمال التقوية والخيرية

ولم يمرّ على هذه الحادثة بضعة اشهر حتى انجز سليم وعده لوالده وعاد الى الوطن في اواخر ربيع السنة الجارية لكنه لم يلبث ان اقنع عائلته كلها لتصحبهُ الى حيث تدعوه اشغاله في المهجر فسافر في الاسبوع السابق للميلاد

*

في هذه الليلة ، ليلة العيد ، لا شك ان سليماً وعائلته يقومون بضيافة ثلاثة من فقراء بحارة السفينة المسافرة بهم في عرض البحر الى الديار الاميركية وفاء لما وعد بهِ انهُ لا يدع فرصة عيد الميلاد تمرّ في كل سنة دون ان يكرّر عمل والديه الذي اعتدّه سبباً لنجاتهِ من الهلاك غرقاً في النهر متحقّقاً انّ «حسنة يسيرة تدفع بلايا كثيرة »

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

ختمنا القسم الاوّل من تراجم شعراء النصرانيّة بعد الهجرة فذكرنا منهم خمسة عشر شاعرًا اشتهروا في اوّل الاسلام وفي عهد الخلفاء الراشدين ولا نشكّ في وجود غيرهم ممّن نبغوا في تلك الحقبة ودانوا بالنصرانيّة دون ان يُذكر دينهم فانّ الكتبة القدماء قلّما يكترثون لهذا الامر واذا اتوا بذكره ذكروهُ عَرَضًا كما مرَّ بك في ما سبق وكما سترى في بعض من ندوّن تراجمهم وذلك امّا كرهًا للاعلان بنصرانيّتهم وامّا ظنًّا منهم انّ ذلك معروفٌ لا يحتاج الى التصريح

وما يقال اجمالًا عن الشعراء النصارى في عهد بني اميّة انهم أشعر من السابقين ولعلّ السبب في ذلك ما صارت اليه الدولة العربيّة من السكينة والهدوء بعد حروبها الاولى فانّ الآداب تأنس بالسلام والقرائح تُشحَذ في المقامات الشريفة لدى كبار الرجال وفي قصور الملوك ونوادي الطرب وعند وقوع الامور الخطيرة. فيكتسب شعر الشعراء من تلك المجالس رقّةً وانسجامًا وطباعةً. فترى في قصائدهم مع متانة شعراء الجاهليّة سلاسة شعراء الاسلام كشعر الاخطل وشعر القطامي

ومن خواصّ هؤلاء الشعراء انّك لا تجد في اقوالهم شيئًا من بذاءة ومجون معاصريهم كجرير والفرزدق فكأن دينهم ارشدهم الى العفاف والحياد عن التهتّك والخلاعة

هذا وانّنا في ذكر الذين طُبعت دواوينهم نجتزئ في تراجمهم برواية بعض محاسن شعرهم محيلين القرّاء الى مجموع قصائدهم

١ هُدْبة بن الخشرم [1]

﴿اصلهُ﴾ قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (٢١ : ٢٦٤) : « هو هُدْبة بن كُرْز ابن ابي حيَّة بن الكاهن وهو سَلَمة اسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان » ثمَّ اوصل نسبهُ الى قُضاعة من اكبر قبائل العرب. وفي تاج العروس (١ : ٥١٣) دعا جدّهُ « كُرَيزاً » وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٣٤) ومثلهُ ابن دُريد في الاشتقاق (ص ٤٢٠) انهُ من بني عُذرة احدى قبائل قضاعة. وجعل ابنُ دُرَيد ابا الحيَّة كاهناً ليس ابن الكاهن كما ورد في الاغاني

﴿اسمهُ واسرتهُ﴾ قيل انهُ دُعي بهُدْبة وهو اسم طائر وقيل انهُ من هُدْبة الثوب اي خَمَلهِ وطرَّتهِ . وكان اسم ابيهِ خَشْرَم والخشرم جماعة النحل واميرُها وكان من وجوه رهطهِ بني عامر . امَّا هدبة فكان معروفاً بالشجاعة والنجدة والجلادة والصبر والمروءة. وقال ابو الفرج : « وكان لهدبة ثلثة اخوة كلُّهم شاعر وهم حَوْط وسَيْحان والواسع . واُمهم حيَّة بنت ابي بكر بن ابي حيَّة من رَهْطهم الأدنى وكانت شاعرةً ايضاً » وقد دعاها شارح الحماسة (ص ٢٣٤) باسم [illegible] . [illegible] لهدبة كذلك اختان تُدعى الواحدة سلمى وهي زوجة زيادة بن زيد السياني من بني رَقاش الآتي ذكرهُ والاخرى فاطمة التي تغزَّل فيها زيادةُ فكانت سبب الشرّ بين القبيلتَين

﴿دينهُ﴾ كان هُدْبة نصرانيًّا كما يشهد عليهِ شارح الحماسة (ص ٢٣٥) حيث يدعوهُ زيادةُ هو ورهطهُ بأمَّة المسيح. ولا غرو فانهُ كان من قضاعة التي اثبتنا نصرانيَّتها في كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٢٩, ١٣٧, ٤٥٨) ونصرانيَّة فروعها كتليح وبَهْرَم وبهراء وكلب . وكان هدبة من رَهْط بني عامر النصارى. ولعلَّ اسم الكاهن بين اجداده يدلُّ على كهنوت النصارى لا يُراد به الساحر

﴿اخبارهُ﴾ انَّ غاية ما اخبرهُ القدماء عن هدبة ما جرى بينهُ وبين صهرهِ زيادة ابن زيد من الخلاف والضغائن التي افضت بهِ الى قتل زيادة والى ما لحقهُ هو من

[1] اطلب المجلَّة الاسيويَّة Journal Asiatique, V° série, vol. V, 360-383

القصاص بسببه فأُقيد به على موجب سُنَن البادية وهي بئس السنن

أمّا تفاصيل هذه الرواية المشؤومة فقد وردت في عدّة تآليف كالاغاني (٢١ : ٢٦٤ — ٢٧٠) وشرح الحماسة (٢٣٢—٢٣٦) وكامل المبرّد (٧٦٥—٧٦٨) وغيرهم نختصرها عنهم. روى ابو الفرج (ص٢٦٥) عن عيسى بن اسمعيل : كان اوّل ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط هدبة وبين بني رَقاش وهم بنو قرّة بن خِنْبس بن عبدالله بن ذبيان وهم رهط زيادة بن زيد انّ حوطاً بن خَشرم اغا هدبة راهنَ زيادة بن زيد على جملَين من إبليها وكان مَطْلَقُها من الغاية على يوم وليلة وذلك في القيظ فتزوّدوا الماء في الرَّوايا والقِرَب . وكانت اخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد فمالت مع اخيها على زوجها فوهَّنت اوعية زيادة ففنيَ ماؤه قبل ماء صاحبه ففي ذلك يقول زيادة :

قد جعلتْ نفسيَ في أديمِ مُحرَّمِ الدِباغِ ذي مُزومِ (١
ثمَّ رَمَت في عُرُضِ الدَّيومِ في بارحٍ من وَهَجِ السَّموم
عند اطّلاعِ وَهَجةِ النُّجومِ

وقال زيادةُ ايضاً :

قد علمتْ سَلْمةُ بالعَمِيسِ ليلةَ مَرْمارٍ ومَرْمريسِ (٢
أنَّ ابا المِسْوَرِ ذو شَرِيسِ يشفي صُداعَ الأبلجِ الدِلْبِسِ (٣

(قال) فكان ذلك اوّل ما أثبتَ الضغائن بينهما

ثمّ انَّ هُدبة وزيادة اصطحبا وهما مقبلان من الشام في رَكْبٍ من قومهما . فكانا يتعاقبان السَّوق بالابل وكانت مع هدبة اختهُ فاطمة فنزل زيادة وقال رجزاً اوّلهُ : « عوجي علينا وارْبَعي يا فاطماً » فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأُخته فنزل وارتجز باخت زيادة وكان اسمها امّ الخازم وقيل امّ القاسم . فشتمهُ زيادةُ وسبَّهُ هدبة فصاح بهما القوم وعظاهما حتى امسك كلّ واحد منهما على ما في نفسه وهدبة

١) قال اليزيدي : المحرَّم الذي لم يُدبَغ . والمزُوم الشقوق
٢) العميس موضع . ويروى : الحَميس والحميس . والمَرْمار والمرمريس الشدة والاختلاط
٣) المِسْوَر ابن زيادة فكنّى به

اشدُّهما حنقاً لانهُ رأى انَّ زيادة رَجزَ باختهِ وهي تسمعُ واختُ زيادة عائبة لم تسمع رجزهُ فمضيا ولم يتحاوروا بكلمةٍ حتى رجعا الى عشائرهما

ثمَّ زاد حنقُ رهطِ هدبة اذ سمعوا أذرع اخا زيادة يرجز بزُفَر عمّ هدبة فلم يزالوا يترصدونهُ حتى خلَوا وضربوهُ الحدَّ ضرباً مبرّحاً فراح بنو رقاش وقد اضمروا الحرب

أمّا زيادة وهُدبة فجعلا يتهاديان الاشعار ويتفاخران ويطلب كلّ واحد منهما العلوّ على صاحبهِ في شعرهِ . فممّا قالهُ زيادة قصيدة اوّلها :

أراكَ خليلاً قد عزمتَ التجنُّبا وقطَّعتَ حاجاتِ الفؤادِ فأصحبا

وفيها يقول متفاخراً :

انا ابنُ رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي بنى هادياً يَهدي الفوادي أغلبا
بَنى العزَّ بُنياناً لقومي فاصعَدوا بأسبابهم عنهُ فأصبحَ مُصعَبا
فما إن ترى في الناس امّاً كأمّنا ولا كأبينا حين نَسبُهُ أبا
أتمُّ وأنقى بالبنينَ الى العلى واكرمَ ماً في المناصب منصبا (١
ملكنا ولم نُملَكْ وقُدنا ولم نُقَدْ كأنَّ انا حقاً على ناس تُرَّبا
سآيةُ انّا لا نزيدُ مترحّماً من الناس بعلونا اذا ما تعصَّبا
ولا ملكاً الّا اتقنا ملكهُ ولا سوقةً إلّا على الهَرْجِ اتعبا
ملكنا الملوك واستبحنا حماهمُ وكنّا لهم في الجاهليّة موكبا
تَدامى وأرداناً فلم تَرَ سوقةً توازُنا فاسْتَل اياداً وتغلبا (٢

ولمّا لجَّ الشرّ بين رهط هُدبة ورهط زيادة قال قوم لزيادة لهُ : اهجُ هُدبة وقومهُ . فقال : اني لم ابسط لساني على قوم قطّ الّا جهدوا على تَبلي (ويروى : قتلي) من شدّة هجائي ولكن انطلقوا لتضربهُ . فخرج زيادة في رهط قومهِ فيهم اخوهُ نفّاع يطلبون هُدبة فوجدوا الحيَّ خُلوفاً ووجدوا هدبة واباهُ خشرماً فضربوهما بسيوفهم فاصاب خشرماً شجّاتٌ في رأسهِ ووقع بذراع هدبة حزٌّ وضرب نفّاع برجلهِ ريحانة امّ هدبة فقال قائلهم :

---

١) ويروى : أوفى . . . في المناسب منصبا
٢) ويروى : فلم تك سوقةً . . فاسْتَل زياداً

شَجَجْنا فَخَرَّ مَلِيّاً في الأرض سَبْطاً ونَوَّقْنا هُدْبَةَ اذ مجانا
كذاك البدُ انّ البدَ يوماً اذا رَنَّقْتَهُ بالسيف لانا

فاجابهُ هُدْبة (من الوافر) :

وانَّ الدهرَ موتَنِفٌ طويلٌ وشرُّ الخيلِ اقصرُها عنانا
وليس اخو الحروب بمن اذا ما مرَتْهُ الحربُ بعدَ العَصْبِ لانا

ثمَّ انَّ هدبة جمع رهطاً من قومهِ واصحابهِ فقصدوا لزيادةَ وكانت رَيحانة امّ هُدبة نهتهُ عن الخروج فلم يَنْتَهِ واتوهم ليلاً في وادٍ يقال لهُ خَشُوب وزيادةُ وابياتُهُ على ماء يُدعى سَخنة فضوا حتى بيَّتوا زيادة فلمَّا غشَوْهُ جعل يرتجز ويقول وفي وجزه اشارة الى دين هدبة وقومهِ :

من اينَ جاءت عايرُ القُبوحِ لا مرحباً بأمّة المسيحِ
لن تقبلوا النَّفْلَ مع الفضوحِ ولن تُبيحوا الحيَّ في سَريحِ
حتى تَذوقوا خُدُبَ الصفيحِ (١

وجعل نفّاع اخوهُ يرتجز ويقول :

اني اذا استخفى الجبانُ بالحَذَرْ وكان بالكفّ شهابٌ كالشَّرَرْ (٢
صَدْقُ الفتاة غير شمّاع العَذَرْ حمّالُ ما حُمّلتُ من خير وشرّ

وهي طويلة ثمَّ التقى هُدبة وزيادة فضرب هدبة زيادةَ فأطنَّ داغضةَ رجلهِ اي عَضَلتها فاعتمد على رمح وجعل يُذَبّب بسيفهِ عن نفسهِ حتى غشيَهُ هدبة فصرعهُ وزعموا انَّ زيادة جدَعَ انفَ هدبة في تذبيبهِ عن نفسهِ وضرب القوم زيادةَ حتى ظنّوا انهم قد اجهزوا عليهِ . ثمَّ اتوا منزل أُدْرَع اخي زيادة فصوّتوا بهِ فخرج عليهم فحاضرَهم ونجا منهم فقال هدبة :

---

١) الخُدُب الضرب الشديد . ضربة خدباء ورجل اخدب اذا كان فيهِ عوَج
٢) قال الشارح : الحَذَر المكان المظلم قسّى يوم الغيم اليوم المدر

وكانت شفاء النفس مما أصابها غداتئذٍ لو نلتُ بالسيفِ أدرعا
واقسمُ لو ادركتُهُ لكسوتُهُ حُساماً اذا ما خالطَ العظمَ أمرعا

ثمَّ رجع الى زيادة فوجدهُ صريعاً بين النساء فضرب عاتقهُ بالسيف حتى خرجت الرنّة من بين كتفيه. فانصرف الى اهلهِ فأخبرهم وشبَّت الحرب بين الحيَّين ونأى كلّ واحد منهما عن صاحبهِ

ثمَّ تنحّى هدبة مخافة السلطان واستعدى اصحابُ زيادة عليهِ والعاملُ على المدينة يومئذٍ سعيد بن العاص فارسل الى ابي نُمير عمّ هدبة واهلهِ فحبسهم بالمدينة. فلمّا بلغ هدبة ذلك اقبلَ فأمكن من نفسهِ وتخلّص عمّهُ واهلهُ

﴿هدبة في الحبس﴾ امر سعيد بن العاص بهدبة الى الحبس فلمّا دخلهُ قال (من الوافر) :

ألا نَعَقَ الغرابُ عليكَ ظُهرًا ألا مِن فيكَ من ذاكَ الترابُ
يخبّرنا الغرابُ بنو ستنأى حبائبُنا فقدتُكَ يا غرابُ

وقال ايضاً يذكر عرسهُ (من الطويل) :

ولمّا دخلتُ السجنَ يا امَّ مالكٍ ذكرتُكِ والاطرافُ في حَلَقٍ سُمرِ
وعند سعيدٍ (١ غير أن لم أُبحْ بهِ ذكرتُكِ انَّ الامر يُذكر بالامرِ

وقال ايضاً يعلل نفسهُ بالخلاص (وافر) :

عسى الكَرْبُ الذي امسيتُ فيهِ يكون وراءهُ فرجٌ قريبُ
فيأمَنَ خائفٌ ويُفكَّ عانٍ ويأتي اهلَهُ النائي الغريبُ

وبقي هدبة في حبسهِ وسعيد بن العاص يكرهُ الحكم بين الحيَّين فرفع امرهما

١) سعيد المذكور هنا رجلٌ كان حسن الثغر جدًّا فذكر بهِ ثغرَ زوجتهِ

الى معاوية ويبعث معهم بهُدْبة فوفد الى معاوية وَفْدُ بني رَقاش وفيهم عبد الرحمان بن زيد اخو القتيل . ووفد بني عامر وفيهم ابو جبر عمّ هدبة . فلمّا صاروا بين يدي معاوية قال لهُ عبد الرحمان اخو زيادة : يا امير المؤمنين اشكو اليك مظلمتي وقتل اخي وترويع نسوتي . وتكلّم ابو جبر كأنهُ يردُّ عليهِ فقال معاوية لهُدبة : أخبرني خبرَك فقال هدبة : ان شئتَ أن اقصّ عليك قصّتنا كلاماً او شعرًا فعلتُ . قال : أنشدني فعسى ان استغني عن قصصك بشعرك . فقال هدبة هذه القصيدة مرتجلًا بها ولمبدِ غناء في بيتَيها الأوّلين (من الطويل) :

ألا يا لَقومي(١ للنوائب والدهرِ ... وللمرء يُردي نفسَهُ وهو لا يدري
وللأرض كم من صالحٍ قد تأكّمتْ(٢ ... عليهِ فوارَتْهُ بلمّاعةٍ قَفرِ
فلا تتّقي ذا هيبةٍ لجلالهِ ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يُترَكنَ للفقرِ

ومنها :

فلمّا رأيتُ انّها هي ضربةٌ ... من السيفِ او إغضاء عينٍ على وترِ
عمدتُ لامرٍ لا يُغيّر والدي ... خزايتَهُ ولا يُسدُّ بهِ قبري (٣
وكم نكبةٍ لو انّ أدنى بُرورها ... على الدهر ذلّت عندها نُوَبُ الدهرِ
فان تكُ في اموالنا لا نَضِقْ بها ... ذراعًا وان تقصر أُبَيْنا على القَسْرِ (٤
وان يكُ قتلٌ لا أبا لك تَصطَبِرْ ... على القتل انّا في الحروب أُولو صَبْرِ
رُمينا فرامَيْنا فصادَفَ رَمْيُنا ... مَنايا رجالٍ في كتابٍ وفي قَدْرِ
وانتَ امير المؤمنينَ فما لنا ... وراءَكَ من مَعدًى ولا عنكَ من قَصْرِ

فقال لهُ معاوية : اراك قد أقررت بقتل صاحبهم . قال : هو ذاك . فقال عبد الرحمان :

١) ويروى : لَقَوْمٍ ٢) ويروى : قد تودّأت وتلمّأت
٣) ويروى : ولا تغيّر . الخزاية الاستحياء . اي لا يأنف منهُ ولا يخزى
٤) ويروى : وان صبرٌ فنصبر للصبر

أَقِدْني . فكره ذلك معاوية وضنَّ بهدبة عن القتل فقال معاوية لعبد الرحمان : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم المِسْوَر وهو غلامٌ صغير لم يبلغ وانا عمُّهُ وولِيّ دم ابيه . فقال : « انك لا تؤمَن على اخذ الدِّية او قتل الرجل بغير حقّ أو ما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك والمِسْور احقُّ بدم ابيه اذا احتلم فان شاء قتَلَ وان شاء أخذ العَقْل » . ثمَّ كتب الى سعيد في المدينة ان يحبس هدبةَ الى ان يبلغ ابن زيادة فضمَّنهُ السِجْن وتربَّص بلوغ المِسْور بن زيادة فمكث في السجن ثلاث سنين وقيل ستًّا وقيل سبعاً . وقال هدبة في السجن اشعارًا كثيرة منها ما رُوي عنهُ ومنها ما ذهب . ولمَّا شخص هدبة الى المدينة فحُبس بها قالت أمُّهُ :

أبا إخوتي اهلَ المدينة أكثروا اسيرَكُمُ انَّ الاسيرَ كريمُ
فرُبَّ كريمٍ قد قراهُ وضافَهُ ورُبَّ امورٍ كانهُنَّ عظيمُ
عصا جُلُّها يوماً عليهِ فرانهُ من القوم عيّافٌ أشمُّ حليمُ

قال ابو الفرج : فأرسل هدبةُ عشيرتهُ الى عبد الرحمان في اوّل سنةٍ فكلّموهُ في قبول الدية فامتنع قائلًا :

أبعدَ الذي بالنَّعفِ نعفِ كُوَيكبٍ رهينةُ رمسٍ في تراب وجندلِ
أذكّرُ بالبُغيا على من أصابني وبُغياي اني جاهدٌ غيرُ مُؤتَلِ

فرجعوا الى هدبة بالابيات فقال : لم يزيدني بعد . فلمَّا كانت السنة الثالثة . بلغ المِسْور فارسل هُدْبة الى عبد الرحمان من كلّمهُ فأنصتَ حتى فرغوا ثمَّ قام مغضباً وانشأ يقول :

سأكذبُ اقواماً يقولون انني سآخذ مالًا من دمٍ انا واترُهْ
فاقسمُ لا انسى زيادةَ مرّةً من الدهر الا ريثما انا ذاكرُهْ
وكان ابنُ أمّي لم يُعيَّر بسوءةٍ ولا دنسٍ جرَّبتُ فيما أعاشرُهْ

وقال ايضاً :

يُعزّي عن زيادةَ كلُّ صاحٍ (١ تخلّى لا تؤاتيهِ الهمومُ
وكيف تجلّد الادنَيْنَ عنهُ ولم يُقتَل بهِ الثارُ المُتيمُ
فلو كنتُ القتيلَ وكان حيًّا تجرَّدَ (٢ لا ألَفٌ ولا سَؤُومُ

١) ويروى : تعزّى كلُّ مولًى ٢) ويروى : ولو كنتُ المصاب . . . لشمَّر

ولا جثامةٌ في الرحل مثلي ولا ضرعٌ اذا أمسى تؤوم
ولا هيأبةٌ بالليل ينكسٌ ولا وَرِعٌ اذا يُلقى جَثُوم
غشومٌ حين يعمر مستقادًا وخيرُ الطالبي الوتر الغشوم

ونهض فرجعوا الى المدينة فاخبروه الخبر فقال: الآن يئستُ منهُ. وقيل انَّ سعيد ابن العاص وعدهُ بمائة ناقة حمراء كدية هدبة فلم يقبل وقال: ولو ملأتَ لي قبَّتك هذه مالًا ما فديتُهُ لقولهِ (من البسيط):

لَنَجْدعنَّ بايدينا أنوفكُمُ ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هدَرَا

فسلَّمهُ اليهِ (لهُ صلة)

نظر في سياسة العام المنصرم

لاحد الآباء اليسوعيين

غادرَتنا السنة ١٩٢٣ وآفاقُ السياسة قاتمة مظلمة. كانت المؤتمرات والمفاوضات الدولية تتابعت دون ان تأتي بجدوى تُذكَر الى ان عقدوا في سويسرة مؤتمر لوزان وهم يؤمّلون منهُ خيرًا لكنَّ خاتمتهُ في هذا العام كانت وبالًا على الحلفاء واجهزت على الاقليات الواقعة تحت سيطرة تركيا

ومن سيئاتها أنها كشفت ما بين الدول المتحالفة من التبايُن والاختلاف ما ثبَّت المانيةَ في امتناعها عن التعويضات لفرنسة بما قرَّرهُ لها مؤتمر فرسايل واعترف المؤتمرون بحقوقها. وقد كاد هذا التنافر يُفضي الى قطع العلاقات بين لندن وباريس لولا رجوع عقلاء بريطانية الى السياسة المعتدلة

وكانت في اثنائها الازمة المالية لا تزال تضغط على العالم فلا تكاد تجد بلادًا الَّا تئنّ تحت اعبائها فتعدَّدت الافلاسات وبلغت اعتصابات العُمّال الى غايةٍ مقلقة بينما الديون تبهظ عواتق الدول الكبرى فلا ترى وجهاً لوفائها

اوربة

﴿الكرسي الرسولي﴾ هو الصرحُ المبنيُّ فوق الجبل والسراج فوق المنارة الذي نحوهُ تتّجه انظار العالم حتى الامم غير الكاثوليكيَّة والوثنيَّة فصاحبهُ الامامُ الوحيد الذي يعلو نظرهُ فوق نظر الدنيا ويتجرَّد عن كلّ الغايات البشريَّة فيسعى جهدهُ في اصلاح امور الشعوب. وقد تعترف لهُ دول العالم بمقامهِ الرفيع وهو حبيس الفاتيكان. وقد بلغ عدد الدول التي اقامت لها سفراء لدى كبير الاحبار نيفاً وعشرين دولة . امّا الوفود على رئيس الكنيسة فانّها متواصلة لا يكاد يوجد امّةٌ الّا بادرت بإرسال ممثليها الى رومية العظمى

وقد زار آخرًا شيخ الفاتيكان جلالة ملك اسبانية وعقيلتهُ قاصدين امامهُ بكل مراسيم التبجيل والاتّضاع التي كانت جاريةً في القرون السالفة. معربين بمحبّتهما المخلصة لنائب المسيح وتعلّق شعبهما بشخصهِ الكريم واذعانهما لكلّ تعاليمهِ

وكان سبق ملك اسبانية جلالة ملك انكلترّة جورج الخامس فزار قداسة اني المؤمنين في ٩ أيار فكان لزيارتهِ احسن وقع في نظر شعبهِ من كاثوليك وبروتستانت

وقد زاد تقرّب الحكومة الايطاليَّة من الكرسيّ الرسولي بانّ رئيس وزارتها موسوليني أعلن غير مرَّة بوجوب الاتّفاق مع رئيس الكنيسة وسعى بتقدمة واجبات الاكرام لممثليهِ وبازالة اسباب النفور بين حكومتهِ والحبر الروماني فعسى ان يجد حلًّا لذلك المشكل الذي يحول بين ايطالية ورئيس الكنيسة الكاثوليكيَّة منذ ٥٣ سنة اذ وضعت يدها ظلماً على املاك الكرسي الرسولي

ومن خواصّ خليفة هامسة الرسل انهُ لا يستثني من اهتمامهِ احدًا من الشعوب يشاطرها افراحها واحزانها واذا حلّت باحدها نكبة كان اوّل من يُسرع الى تلطيف اوجاعها واسعافها على قدر امكانهِ كما فعل في نكبة زلازل اليابان . وفي انفجار سدّ غلانو (Gleno) وفي بركان جبل اتنا

وكلّ يعلم اهتمامهُ بروسيَّة منذ جلوسهِ على كرسيّ الخلافة ففي العام المنصرم ارسل لمعالجة الموبوئين في روسيَّة ادويةً بمليونين من الفرنكات ودفع للجنة المهتمَّة باطفال روسيَّة ما يكفي لمعاش مئة وعشرين الفاً منهم على اختلاف اديانهم

وما قولنا بحسناته الى فقراء المانية والنمسة والارمن واليونان البالغة المئين من الوف الفرنكات

وهو مع ذلك لا يزال يرفع صوته الى الامم ويوصيها بالسلوك على روح الانجيل بالاخاء والمحبة ونفي الضغائن المتولدة من الحرب لتعود اوربة الى سلامها ورقيها في معارج الفلاح

﴿فرنسة﴾ رأت فرنسة انَّ ما تطلبهُ من التعويضات والغرامات الحربيَّة من المانية لا رجاء لها في التأسي الَّا بالقوَّة كما كان مؤتمر فرسايل سبق وسمح به. ففي ١١ من كانون الثاني دخلت الجنود الفرنسويَّة والبلجيكيَّة الى مقاطعة الروهر الغنيَّة بمناجم فحمها فاحتلتها واخذت تستثمر فحمها الَّا انَّ المعدنين الالمان امتنعوا من الشغل بامر رئيس الجمهوريَّة في برلين وثبتوا على امتناعهم اشهرًا طويلة حتى اصيبوا بفقر مدقع فلم يرَ ارباب تلك المناجم بُدًّا في الشهرين الاخيرين من الاتفاق مع الفرنسويين وعاد معظم الفعلة الى الشغل فنالت فرنسة بعملها ظفرًا باهرًا وكان ذلك بعزم رئيسها المسيو بوانكاره الذي وجد في سائر الاحزاب السياسيَّة عضدًا وتنشيطًا وثبت على خطَّته على رغم المقاومة التي وجدها في انكلترَّة لدى رؤساء مجلسها لويد جورج وبلدوين وكورزن الذين يميلون تارةً الى اليمين وتارةً الى الشمال ويرون في سياسة فرنسة بخسًا لحقوقهم بل لمطامعهم الاشعبيَّة. وقد صدَّقوا اخيرًا على نظر فرنسة واقرُّوا مرغومين بحسن تدبيرها . وقد تنازلت الدولة الفرنسويَّة عن مطاليبها الاولى اذ تحقَّقت انَّ المانية عاجزة عن وفائها ولو اقساطًا في مدَّة سنوات طويلة. وما تطلبهُ اليوم ٢٦ مليارًا من المارك الذهب وهي حصَّتها التي وافق عليها مجتمع سپا كما انَّها تطلب مراقبة جندية المانية تأمينًا لنفسها من حرب جديدة تنويه المانية اخذًا بثأرها

وقد احتفلت فرنسة في هذه السنة بتذكار بعض مشاهيرها كالمئة الثالثة لمولد الفيلسوف پسكال والمئة الاولى لمولد پاستور وكلاهما من نوابغ الرجال. وكان العقلاء يودُّون لو ضربت الحكومة صفحًا عن مولد رينان ولهُ ما لهُ من السيئات ومناهضة الدين والفلسفة السفسطيَّة

وكذلك أُقيمت الاعياد في قصر تروكاديرو احتفاء باستاذ المكتب الكاثوليكي

في باريس ادوار برنلي صاحب الاكتشافات اللاسلكيَّة والعلوم الطبيعيَّة وذلك بنسبة يوبيله الفضي

وقد شارك السوريُّون اهل باريس بفرحهم لتعيين الجنرال غورو حاكماً عسكرياً على باريس فرأوا في توليتهِ تلك الرتبة الشريفة احسن جزاء لمآثرهِ العديدة

وممن أسفت فرنسة على فقدانهِ في شهر كانون الاوَّل ذاك الوطنيّ العظيم والكاتب البارع موريس بارس من الاكادمية الفرنسويَّة الذي خدم وطنهُ بقلمهِ كما خدمهُ اخلص خدمةٍ بابنهِ في ساحة الحرب . وقد عرف السوريُّون فضلهُ بما كتبهُ عن الشرق . وكان تقدَّمهُ الى الابديَّة رصيفهُ في الاكادمية بيار لوتي الروائي الشهير لولا انهُ بالغ في الدفاع عن تركيا واعمالها فأثار عليهِ احتجاج كثيرين من مواطنيهِ ومن الاجانب . وقد فُجعت ايضاً العلوم الاثريَّة في فرنسة بوفاة احد كبار علمائها المستشرق النابغة كلرمون غانو الذي برع فيها ونال قصبة السبق في حلّ رموز الكتابات الساميَّة في كل لغاتها . وقد خلَّف في ذلك مجلَّدات اكسبتهُ ذكراً مخلَّداً . توفّي في باريس في ٥ شباط مزوَّداً باسرار الكنيسة

﴿ انكلترَّة ﴾ لا ترضى هذه الدولة بسيطرة سواها على سياسة العالم فلا تطيق احداً يجري على غير مبتغاها الَّا انَّ الرياح تجري بما لا تشتهي السُّفن . فوجدت في طريقها من المعاكسات ما لم تحسب لهُ حساباً فانَّها بعد ان عضدت اليونان على تركيَّة وجدت في الاتراك حاجزاً لمطامعها في لوزان . وكذلك في الهند قام في وجهها الوطنيُّون الذين يحاولون الاستقلال من حكمها المستبدّ . ولا يزال المصريُّون يسعون في الانتفاض من بقايا نفوذها

وممَّا يقلقها الاعتصابات المتواصلة التي التجأ اليها العَمَلة في انحاء بلادها . واليوم اصبح المحافظون يوجسون خوفاً من هبوطهم عن رفيع منزلتهم السياسيَّة بما نالهُ الاحرار وممثلو العملة من الفوز في الانتخابات الاخيرة

على انَّ انكلترَّة في كلّ مظاهرها في الخارج ساعية في تعزيز سلطتها بحراً وبراً فانَّها تُعدّ لها من الاساطيل ما يقوى على دفاع مجموع اساطيل غيرها . امَّا مستعمراتها فهي قد توفَّرت لها الى اقصى الحدود . وبمعاهداتها مع ملك الحجاز حسين وولديهِ فيصل وعبدالله جعلت العراق وجزيرة العرب والبلاد الواقعة ما وراء الاردن تحت

حمايتها فضلاً عن فلسطين التي لها فيها الحكم المطلق . ولها في مصر يدٌ قويّة لن تتخلّى عنها مهما تظاهرت بالحياد

﴿المانية﴾ هي في داخلها مضطربة واحزابُها متعدّدة لا تتّفق كلمتها . وقد حصل من جرّاء ذلك حركات ثوريّة في بعض بلادها التي تنفر عن بروسية وتأبى لها الحكم على البلاد . فحدثت فتن شتى في باڤارية وبلاد سكس والانحاء الرينانيّة يريد اهلها لنفوسهم الاستقلال فكان ذلك سبباً لعدّة مناوشات بين الثائرين وحكومة برلين التي أرسلت جيوشاً منظّمة لكبح جماحهم . وكان عدد جنودها بالغاً ٦٠،٠٠٠ فظهر من ذلك ما تكمنه المانية من القوى العسكريّة وتعدّهُ لحرب قريبة مع الحلفاء لتأخذ منهم بثأرها

ونيّات المانية العدائيّة ظهرت في العام الماضي بطرائق اخرى بمقاومتها السلبيّة لاحتلال الروهر وتنشيطها للمعتصبين سرّاً وبنشرها المطبوعات العديدة لتهييج اهلها على الفرنسويين فكانت سبباً لمناوشات وجرائم اوجبت على قوّات الاحتلال التضييق على البلاد المحتلّة

وكانت المانية تحريكاً للضغائن تحتكر كل ذهبها وتجعلهُ في مأمن من الدولة المتحالفة وتزيد يوماً منها بعد آخر في نشر القراطيس الماليّة املاً منها ايضاً ان تنزل قيمة الفرنك في فرنسة الّا انها لم تدرك غايتها في ذلك فانّ المارك الالمانيّ بعد ان راج مدّةً فأخذهُ الاميركيّون بثمن بخس رجاء ان يربحوا منهُ بعد زمن لم يزل في هبوط متواصل حتى صار استعمالهُ ضحكةً فانّ الكيلو من الخبز بيع اوّلاً بعشرين الف مارك ثمّ بلغ مئات الالوف وانتهى الى المليارات . فالمليار من الماركات عاد لا يساوي اكثر من فرنك واحد

وقد توالى في رئاسة مجلس النوّاب في المانية ثلاثة من زعمائها الاوّل كونو ثم ستريسمان ثمّ مركس وكلهم على اختلاف نزعاتهم السياسيّة أجمعوا على تحرير الروهر من الاحتلال ورفض تأدية ما عليهم من التعويضات للحلفاء استناداً الى حجج واهنة ولاسيما زعمهم الباطل انّ المسئوليّة عن نشوب الحرب الكونيّة ليست على المانية

وبينما تدّعي المانية عدم مقدرتها على دفع الغرامة للحلفاء ترى كبار تجّارها عادوا الى معاملاتهم الواسعة وسفنها التجاريّة الكبرى تمخر البحار كما كانت قبل

الحرب . ومعاملها الصناعيَّة لا تكلّ عن الإنتاج وصادراتها تُنقَل الى اقاصي البلاد فيستدل من هذه الثروة على انَّ المانية لا تصدق في مدَّعاها بالعجز . وما لا يُنكر انها تجد في صناديقها مالًا كبيرًا لمصالحها ولتعزيز جيشها ولإعداد مؤونتها الحربيَّة ولتجهيز الطيَّارات الحربيَّة والقذائف السامَّة

وقد ثبتت هذه النيَّات العدائيَّة في المانية مؤخرًا اذ اذنت لولي عهد القيصر السابق ان يعود من منفاهُ في هولندة الى قصره في سيليزية . ولعلَّ اباهُ يلحق بهِ قريبًا . فكان لهذا النبأ تأثير عظيم على المتحالفين واستدلُّوا منهُ على مساعي الالمان باعادة مُلكهم الى سلالة هوهنزلرن . فاحتجَّ الحلفاء على دخولهِ خلافًا لما كان تقرَّر في مؤتمر ترسايل . الَّا انَّ احتجاجهم لم يعيروهُ بالًا

﴿النمسة﴾ قد صارت احوالها في تحسُّن منذ عُهد بامرها الى المنسينيور سيبل (Seipel) فانَّهُ اسرع الى تنظيم ماليَّتها وتدبير مأموريَّاتها والعناية بزراعتها وصناعتها حتى قوي امل العالم الكاثوليكي بان تلك الدولة ستعود بازدهارها الى حالتها السابقة

﴿اسبانية﴾ حصل فيها تقلُّبات سياسيَّة كان سببها هيجان الرأي العام لفشل الجيش الاسباني في مراكش في اواسط شهر آب فألقى الناس العُهدة على الوزارة وبعض ارباب الجيش فقام في برسلونة الجنرال والمركيز بريمو دي ريفيرا واستدعى اليهِ قسمًا من الجيش فضبط ازمَّة التدبير وبرضى الملك الفونس حلَّ مجلس النوَّاب وشورى الدولة المعروفة بالكورتس (Cortès) فأصبح لاسبانية كمثل موسوليني لايطالية ويؤمَّل منهُ إصلاح شؤون وطنهِ

﴿بلجكة﴾ وقع نزاعٌ عظيم بين عنصري اهلها الفلمنكيّ والفالوني بسبب جامعة مدينة غند (Gand) التي كان يرغب الاوَّلون حصر تعليمها باللغة الوطنيَّة اي الفلمنكيَّة والآخرون باللغة الفرنسويَّة وكاد النزاع يُفضي الى ما تسوء عقباهُ حتى انتهت الازمة بالتوفيق بين اللغتين وإلزام الطلبة بهما

ومن المعلوم انَّ بلجكة سائرة يدًا بيد مع فرنسة مطالبةً بحقوقها من التعويضات التي يجب على المانية تأديتها لما اصابها من أذاها باحتلال بلادها وقت الحرب

﴿ايطالية﴾ انَّ تصرُّف الرئيس موسوليني وحزبهِ مع اهل وطنه بالحزم والعدالة احرز لهُ ثقتهم وزاد تعلُّقهم بشخصهِ لعنايتهِ بتحسين امورهم الاقتصاديَّة وتنشيطهِ

للزراعة والصناعة وخصوصاً لاكرامه للدين الكاثوليكي ولأمره بتعليم قواعده في المدارس . وذلك ما حمل الكاهن دون ستورزو على الغاء الحزب الكاثوليكي الذي كان قائماً بتدبيره في الشعب املاً بتعزيز قوى موسوليني والفاشستي . ولما وجد موسوليني في مندوبي المجلس الوطني بعضاً ممن يقاومون سياسته حل المجلس وعين مدة لانتخابات جديدة

واظهر موسوليني سياسة حازمة بازاء اليونان لما تعدى بعضهم على بعثة ايطالية في بلاد ابيرس فقتلوا اصحابها فما كان من الزعيم الايطالي الا ان طلب من الحكومة اليونانية الترضيات والتعويضات واذ رأى في اليونان تردداً وفتوراً أمر باحتلال كورفو ولم تنجل جنودهم عنها الا بعد تقدمة الترضيات والتعويضات المفروضة على اليونان وذلك في ١٩ ايلول بعد احتفال بقداس وجناز لراحة نفوس القتلى في كنيسة اثينة الكاثوليكية

وقد بُليت ايطالية ببعض النكبات كانفجار بركان إتنا في ٢٠ حزيران وانفجار سد بحيرة غلانو في ٨ كانون الاول وقد حصل بسببها اضرار عظيمة

﴿ اليونان ﴾ لم تقر حتى الآن سياستها على قرار بعد حرب المشؤومة مع تركية وكان شغلها الشاغل في اواخر السنة الانتخابات العمومية . وقد طلب المجلس الى الملك ان يبتعد عن البلاد لينتخب الوطنيون بملء الحرية بنوابهم . وقد تأكد رجوع فنيزيلوس لتدبير امور وطنه بفوز حزبه على الجمهوريين

﴿ هولندة ﴾ احتفلت بيوبيل ملكتها ولهلمين الفضي . وفي عهدها بلغت هولندة مقاماً رفيعاً من الرقي . وقد نالت الكنيسة الكاثوليكية سهماً وافياً من النجاح وقد مر لنا ذكر انشاء الكاثوليك لكلية نيمغ

﴿ تشيكوسلوفاكية ﴾ زار رئيس جمهوريتها باريس فاحتفى به الفرنسيون اي احتفاء فكانت زيارته باعثاً لوضع معاهدة بين فرنسة وبلاده للتعاون المتبادل في الشئون السياسية والحربية والاقتصادية المحافظة على السلام الاوربي . وقد اتم المسيو بينس وزير خارجية تشيكوسلوفاكية والمسيو بوانكاره وضع الاتفاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية بين فرنسة وتشيكوسلوفاكية . والمفهوم انها قائمة على غاية سلمية ورامية الى تنفيذ معاهدة فرساي . وتعد هذه الاتفاقات مماثلة للاتفاقات

التي أُمضيت في سنة ١٩٢١ بين فرنسة وبولونية

﴿ يوغوسلافية ﴾ استبشر اهلها بمولد ولي عهدٍ لبلادهم في ٥ ايلول فدُعي المولود الامير بيار كاراجيورجفتش . وفي يوغوسلافية يحاول العنصر السربي الاورثذكسي السيطرة على البلاد فيتصدّى اهل كرواتية الكاثوليك لمطامعه

﴿ بلغارية ﴾ حدثت في وزارتها ازمةٌ في ٥ حزيران انتهت بسقوط زعيمها المفوَّض ستمبولوف الذي قتلهُ بعد أيام اعداؤهُ فاستدعى الملك بوريس لتدبير الامور الاستاذ زنكوف

﴿روسيَّة﴾ لا يزال السوفيات يرعون تلك الدولة بعصاً من حديد يكسرون بلا رحمة شوكة كلّ مناهضيهم ويسعون بتعزيز مبادئهم الثوريَّة والكفريَّة . وقد اختاروا يوم سبت النور للحكم بالاعدام على الاسقف الكاثوليكي بودكياڤكس لمدافعته عن حقوق الكنيسة واحتجاجهِ على بيع املاكها فمات موت الشهداء

﴿بولونية﴾ تسعى الاقليَّات العنصريَّة الموالية لروسيَّة والمانية في معاكسة سياسة الوطنيين. فحصلت بسبب نفوذهم ازمة وزاريَّة فسقطت في ١٥ كانون الاوَّل وزارة ڤيتوس — وقد تقرَّرت في باريس بين الدول المتحالفة في ١٥ آذار حدود بولونية بين روسيَّة وليتوانية وقد ضُمَّت اليها مدينة ڤيلنا الشهيرة

﴿ليتوانية﴾ كانت بولونية والمانية تنازعانها الملك على معاملة مِيمِل المستقلة فارسلت جنودها واستولت عليها عنوةً في ١٥ كانون الثاني فصدَّق موتمر السفراء على فعلها في ١٦ شباط

اميركة الشمالية والجنوبية

﴿الولايات المتَّحدة﴾ توفي رئيسها ڤارن غمليال هردِنغ في ٢ آب ١٩٢٣ فصارت رئاسة البلاد بموجب قوانين الدولة لنائبهِ المستر كلڤن كولدج — في كانون الثاني عادت الى وطنها الجنود الاميركيَّة المحتلَّة في الروهر مع الحلفاء — عزمت مدينة كلڤلند بعد اتفاق اهلها الكاثوليك والبروتستانت على انتداب اليسوعيين لادارة مدرسة جامعة انشأتها هناك . وبها يبلغ عدد المدارس الجامعة التي يديرها اليسوعيُّون في اميركة الشمالية ثلاث عشرة مدرسة عليا (لهُ صلة)

مطبوعات شرقية جديدة

Charles F. Jean : LE MILIEU BIBLIQUE AVANT JÉSUS-CHRIST. I Histoire et Civilisation. *Paris, Geuthner, in-8, pp.* 340

الوسط الكتابي في عهد المسيح

لم يكُ لدارسي الكتب المقدَّسة في فرنسة ندحةٌ عن معرفة الالمانيَّة او الانكليزيَّة لو ارادوا الوقوف على الوسط الذي فيهِ كُتبت الاسفار المقدَّسة لتوفُّر الكتب في هاتين اللغتين عن ذلك الموضوع الذي عنونوهُ في لغاتهم بتاريخ الزمان (Zeitgeschichte) كما ترى في تآليف شورر (Schürer) . وها هوذا كاتب افرنسي وهو المسيو شرل جان حاول ان يسدَّ هذه الثلمة بكتاب واسع صدر منهُ الجزء الاوَّل تحت هذا العنوان « الوسط الكتابي قبل المسيح » جمع فيهِ نتيجة ابحاث العلماء عن تلك الازمنة في التاريخ والجغرافية والآثار الشرقيَّة وبذلك بيَّن كاتبهُ انهُ استوطن الشرق وعرف عُجرهُ وبُجرهُ . فلا بدع انَّ دارسي الكتب المقدَّسة يتَّخذون كتابهُ دستورًا يرشدهم الى كلّ احوال الشعوب ولاسيما الشعب الاسرائيلي فيزيدهم نورًا لادراك نصوص الكتب الالهيَّة الاب مونيه اليسوعي

Baron Descamps : LE GÉNIE DES RELIGIONS. Les origines avec un essai de protologie scientifique sur la vérité, la certitude, la science et la civilisation. 1 *vol. gr.* 8°, 712 *pp.*, 1923, *Bruxelles, A. Dewit et Paris, Alcan.*

روح الاديان

ان مؤلف هذا الكتاب الجليل احد وزراء دولة بلجكة الذي لم تصرفهُ الشواغل السياسيَّة عن التعمُّق في الابحاث الفلسفيَّة . وقد اخذ موضوعاً لكتابهِ نشوء الاديان في العالم وما يجمعها من الاركان الطبيعيَّة . وقد صدَّر ابحاثهُ بمقدَّمة واسعة في احكام الحقيقة والعلم والتمدُّن حتى انتهى الى الدين الذي قصد ان يتتبَّع في العالم نشوءهُ ورقيَّهُ . فاخذ يبحث عن اصولهِ وينقد الآراء الباطلة التي ارتآها البعض ليثبتوا

انَّ أصل الدين ليس هو راسخاً في الطبيعة المخلوقة من الله بل هو اختراع عن البشر فبيّن انَّ البشر قد اتفقوا في وجود الدين وفرائضه القاضية بعبادة الاله وان خدعوا بمظاهره وصوَّروهُ بصور فريَّة كاذبة استعاروا أركانها من الطبيعة ومواليدها او من قوَّاتها الخفيَّة والسحر واسرار العالم العلويّ. وكلّ هذا لا ينفي جوهرهُ الذي جُبل عليه قلب الانسان وان شوَّههُ بتلك الخيالات. فلمَّا ظهر الدين النصرانيّ قشع تلك الظلمات وبنى صرحهُ غير المتزعزع على جوهر الدين الطبيعي ج . ل

PRÆLECTIONES DOGMATICÆ auctore Christiano Pesch, T. 9. De Virtutibus moralibus, de Peccato, de Novissimis, *Editio* 4ª *et* 5ª, *Friburgi Brisgoviæ apud Herder*, 1923, *Prix* 15 *f*.

دروس اللاهوت النظري للاب اليسوعي كرستيان بيش

هذه الطبعة التاسعة التي انتهى من مراجعتها صاحب هذه الدروس اللاهوتيَّة الاب كرستيان بيش اليسوعيّ. ولا حاجة الى اطراء عمله الذي لا يجهلهُ احد من العلماء وفيه يدرس كثيرون من طلبة العلوم الدينيَّة كما يستدُّ من انواره العدد العديد من الواعظين. وهذا الجزء الاخير اجدى فائدةً لهم من سواه اذ يبحث عن الفضائل الادبية الاربع الفطنة والقوَّة والقناعة والعدل ثمَّ عن الخطيئة الفعليَّة والملكيَّة واخيرًا عن عواقب الانسان وكلُّها موادّ يحتاج اليه خطباء الدين. والمؤلف قد احسن في بسط هذه الابحاث وتأييدها بالبراهين العقليَّة والنقليَّة من الكتب المقدَّسة وتعاليم الآباء. وقد زاد في هذه الطبعة الجديدة الدلالة على ما ورد عن كلّ بحث في خلاصة القديس توما اللاهوتيَّة وما حدَّدتهُ الكنيسة في كل قضيَّة الاب يوسف مونجان

Almanach Catholique Français pour 1924 : 1 vol. in-8°, 592 pages, 500 illustrations. Prix 5 f. *Librairie Bloud et Gay, Paris*

التقويم الكاثوليكيّ للسنة ١٩٢٤

هذا التقويم أُنشئ السنة ١٩٢٠ بسعي جماعة من الكاثوليك ذوي الهمَّة والمعارف وهو لا يزال في تحسين متواصل. فانَّهُ في هذه السنة قد بلغ حجمهُ نحو ٦٠٠ صفحة وصورهُ ٥٠٠ صورة مع انَّ ثمنهُ باقٍ على قيمته السابقة اعني خمسة فرنكات وقد افتتحهُ سيادة المطران بودريليار من الاكادمية الفرنسويَّة بمقدَّمة لطيفة. امَّا الكتاب

نجامع لكل ما يجب المطالع ان يعرفهُ عن الاحوال الكاثوليكية في فرنسة ومشروعاتهم الخيرية والادبية والفنية . وهناك ايضاً مقالات مدبَّجة باقلام كتبة ينظمهم الفرنسويون في سلك نوابغهم من اعضاء الجماعات العلمية . منها مقالات في الشعر الكاثوليكي والموسيقى الكاثوليكية والمسرح الكاثوليكي . يضاف اليها فصول علمية وروايات ادبية . فنوصي بهِ كلَّ العيال الكاثوليكية فانهُ مما يزين مكاتبهم ويفكهُ خواطرهم ل . ش

E. Ahlenstiel-Engel: ARABISCHE KUNST. I vol. in-12, Iedermanns Bucherei, illustré, 1923, *Breslau, F. Hirt*

الهندسة العربية

ألَّفت هذا الكتاب سيدة المانية متوسطة المعارف بالشرقيات الَّا انها احسنت بما قيَّدت بهِ نفسها وذلك ان تبيَّن رقيَّ الهندسة والفنون الصناعية في ممالك الاسلام اعني العجم والعراق والشام ومصر والمغرب والاندلس وشفعت اقوالها بتصاوير دقيقة الصنع بالغة الجمال . ومما لحظنا من الاغلاط انها نسبت الى بني امية قصر سامرة وهو بلا شك قصر عباسي . وقد خالطت في الصفحة ٢٢ بين بُصرى الشام وبين العراق . وليس عبد العزيز ابناً لمعاوية (ص ٣٣) بل هو ابن مروان ه . ل

Frank G. Carpenter: THE HOLY LAND AND SYRIA, 1 vol. in-8°, 96 pages d'illustrations et 2 cartes de couleur 1923, *New-York Doubleday Page and Cie, Prix net 4 dolars*

الاراضي المقدسة وبلاد سورية

انَّ مصنِّف هذا الكتاب سائحٌ ألَّفهُ كمألوف عادة السيَّاح الذين ينظرون سطحياً الى ما يعاينونهُ في رحلهم ومن ثمَّ لا ينتظر القارئ وجود معلومات جديدة في كتابهِ وافضل ما في تأليفهِ الفصلان اللذان خصَّهما بالصهيونية وبالمدارس الاميركانية في الشرق . على انهُ زيَّن الكتاب بصور رائعة تأخذ بالابصار . ومما وهم فيهِ قولهُ (ص ١٣٩) انَّ فاطمة ابنة نبيِّ الاسلام قُبرت في دمشق والصواب في المدينة . ولا جرم انَّ ميشال افندي ألوف يشكرهُ على ما تكرَّم بهِ عليهِ من نعت الدكتورية ه . ل

ADDITIONS AUX DICTIONNAIRES ARABES par E. Fagnan, Alger, Jules Carbonel, 1923, in-4°, pp. 193

مزيدات على قواميس العرب

قد شاع بين المستشرقين كتاب للمستشرق الهولندي (R. Dozy) تحت عنوان Supplément aux Dictionnaires arabes طبعهُ في ليدن سنة ١٨٨١ في مجلّدين ضخمين. فذاك التأليف مع ما فيهِ من النقص أدّى للعلماء خدماً مشكورة. وكان في اثناء ذلك يسعى بمثل هذا العمل في الجزائر مستشرق آخر الاستاذ الفرنسوي المسيو فنيان فيدوّن في دفاترهِ كثيراً من الالفاظ التي لم يجدها في المعاجم العربيّة. فلمّا رأى انَّ دوزي قد سبقهُ الى ما يشبهُ عملهُ لم يثبطهُ ذلك عن مواصلة شغلهِ باعمال المفردات التي نصّ عليها رصيفهُ الهولندي. وها هوذا اليوم قد ابرز بالطبع ثمرة شغلهِ الطويل فجعلهُ على نظام القواميس العربيّة الافرنسيّة تابعاً الاصول العربيّة الثلاثيّة. فأمعنّا النظر في مزيداتهِ فاذا هي عبارة عن قاموس واسع بالحرف الناعم صفحاتهُ على عمودين في غاية الجلاء والوضوح. امّا انتقاد هذا الكتاب فيستدعي تخصيص الصفحات الطويلة لاثبات محاسنهِ وشوائبهِ وهو لا يخلو منهما كليهما. على اننا مع تحفّظنا لا يسعنا الّا الاقرار بفضل تأليفهِ وحضّ الأدباء على اقتنائهِ فانَّ الكثير من حسناتهِ يشفع بما فيهِ من النقص والخلل ل. ش

H. Mager : UNE SCIENCE NOUVELLE. La science des vibrations atomiques. 1 *vol. de* XXXVII - 151 *pages et* 50 *figures*, 1923, *Paris, Dunod, Prix* 16 *f*

علم جديد – علم الاهتزازات الدقائقيّة

سبق لنا في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٦٣٣) ذكر مؤلف هذا الكتاب وهو الذي وضع تأليف «مكتشفي المياه الباطنة وطرائقهم المختلفة» وكتابهُ المعنون هنا لهُ بهِ علاقة الّا انَّهُ ارقى منهُ علماً وشأناً فانَّهُ يبحث فيهِ عن الدقائق التي تتألف منها الاجسام. وقد كان العلّامة الايطالي ڤولتا (Volta) اثبت ما بين المعادن المختلفة من الائتلاف بوضعهِ بين معدنين جسماً مبلولاً وبذلك تمّ اكتشافهُ للبطاريّة الكهربائيّة. وامّا صاحب هذا التأليف الجديد فانَّهُ يبيّن بالتجربة انَّ لكلّ دقائق العناصر والاجسام البسيطة دون توسّط بينها قوّةً اهتزازيّة بالغة. وهذه الاهتزازات في الدقائق

ثمَّ في الاجرام المتركّبة منها يمكن الوقوف عليها بواسطة الطيف الشمسيّ فهي اشبه بنعل القطبين من عمود حديدي مُمَغنط . فقطبهُ الشمالي يدفع الاجسام السلبيَّة ذات الاهتزازات المائلة الى المركز بخلاف القطب الجنوبي الذي يجذب اليهِ الاجسام فان اهتزازاتهِ تبتعد عن المركز . ثمَّ ينتقل المؤلف من اكتشافهِ هذا فيخص بحثهُ باكتشاف المياه الباطنة ويدلّ على الطرائق الواجب السير بموجبها لتلك الغاية لا بل لاكتشاف المعادن ايضاً في قلب الارض . ويثبت قولهُ باكتشاف مناجم الفحم في شمالي فرنسة ثمَّ مناجم البوطاسا في جهات الالزاس سنة ١٩٠٤ فكان اكتشافهما صدفةً على يد التناقن طالب المياه . فترى ما لهذا الكتاب من المنافع الجمّة للبحث عن الاجسام المكنونة في قلب الارض ج . ل

G. Carle: L'hydraulique agricole et industrielle en Syrie. 1 *vol.* 8°, *Paris, Société d'éditions Géographiques, Maritimes et Coloniales,* 1923

المياه الزراعيَّة والصناعية في سوريَّة

عهدت المفوَّضيَّة العليا على الانتداب السوريّ الى المسو كرْل الاختصاصيّ سنة ١٩٢٢ درس المياه وتجاريها في سوريَّة فصرف المذكور اربعة اشهر وانتهى من أيار الى ايلول لهذا الامر الخطير وها هوذا قد دوَّن نتيجة بحثهِ في هذا الكتاب وهو اوَّل من فحص المياه السوريَّة فحصاً علميًّا مدققاً فباشر اوَّلاً عملهُ بفحص الطبقات الارضيَّة التي يتكوَّن منها لبنان فوجد في سواحلهِ الطبقة الرمليَّة المتحجّرة التي منها بُنيت بيروت . ثمَّ فوقها طبقة من الاراضي الطباشيريَّة (اي الكلسيَّة البيضاء) يعلوها طبقة ثانية من الحجر الرملي ذي اللونين الاحمر الفاتح والخمري الفاقع . واعلى منهما طبقات من الحوَّارى والصلصال واخيراً طبقات من الكلسيّ الصلب . فالمياه لا تنفذ بسهولة في الطبقات الرمليَّة والطباشيريَّة وعيونها قليلة المياه وانَّما هي ثابتة . امَّا المياه الغزيرة الينابيع فانها تجري في الطبقات الكلسيَّة والصلبة وكثيراً منها في لبنان وجبل الشيخ . وعلى ظنّ المؤلف انَّ ما تحرزهُ ضلوع الجبل من المياه سنويًّا يبلغ ثلثين مليوناً من الامتار المكعَّبة التي تروي جهات البلاد . ويزين هذا الكتاب عدَّة رسوم وخوارط وينتهي بذكر ما كان يسقي مدينة تدمر من المياه في سالف الزمان وما

يوريها حاضرًا . فنشكر باسم السوريين المسيو كرل على هذه الافادات التي قرّرها لنا في كتابهِ هذا ج.ل

Piedallu (André): Le Sorgho, son histoire, ses applications, 1 *vol. gr.* 8°, *illustré*, 1923, *Paris, même Société*

الذُّرَة تاريخها وفوائدها

تفرَّغ مؤلف هذا الكتاب منذ زمن طويل لدرس الذُّرة واصلها واصنافها ومنافعها فوضع هذا التأليف الواسع في وصفها . والذرة الاهليَّة اصلها من ذُرة برّيَّة كانت مستوطنة في مناطق البحر المتوسط وكانوا يدعونها بذُرَة حلب . واهل الشام يطلقون اسم الذرة على الجاورش (maïs) وهو خصوصاً ما يدعوهُ الفرنج باسم سورغو (Sorgho) وهي لفظة مشتقة من اللاتينيَّة (surgo) لطول ساقهِ على بقيَّة الحبوب . واكثر البلاد زراعةً للذُّرة افريقيةُ والهند . وامَّا السوريُّون فيزرعون خصوصاً الدخن والذُّرة البيضاء (millet) . وممَّا يمكنهم ان يستفيدوهُ من مراجعة هذا الكتاب انَّ السورغو يركز في الاراضي اليابسة لتأصل جذورهِ في الارض وغلظ اوراقهِ الحافظة لمائيَّتهِ ولثقل ساقهِ واغصانهِ وهو من اجود العلف للماشية بعد ازدهاره ويستخرج البعض من سوقهِ شراباً لذيذًا والافريقيون جعةً (بيرا) طيبة . ومن سوقهِ هذه يصطنعون معجوناً للورق الكتابي . ويصلح ثمرهُ للمربَّيات وللاصباغ . وقد فصَّل المؤلف كلَّ ذلك في كتابهِ كما انهُ درس آفات هذا النبات والطرائق لعلاجها ج.ل

BULLETIN ANNUEL de la Faculté Française de Médecine et de Pharmacie de Beyrouth, *Année Scolaire* 1922-1923

نشرة المكتب الطبي الفرنسوي السنويَّة

هذه السنة المدرسيَّة السابعة والثلثون لهذا المكتب العامر . يستفاد من نشرتهِ في هذه السنة الاخيرة انَّ عدد الطلبة بلغ في تشرين الاوَّل ٢٠١ منهم للطبّ ١١٩ وللصيدليَّة ٢٢ ولطب الاسنان ٤١ وللقوابل ١٩ وكان عدد الذين فازوا بالشهادات الرسميَّة في فحصهم لدى اللجنة الرسميَّة ٤٤ . وهناك جدول المتخرّجين في المكتب المذكور منذ انشائهِ وعددهم ١٦٧٨ توفي منهم ١١٥ طالباً ونال الدكتوريَّة ٧٦٠ طالباً . وفي النشرة ذاتها خلاصة اعمال الاساتذة والطلبة وتآليفهم وما نالوهُ من

الامتيازات الشرفيّة . فهذه احدى نعم فرنسة العديدة نحو وطننا زادها الله رقياً وعزّاً

اساس البلاغة للزمخشري

طُبع بمطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة (١٣٤١-١٩٢٣) (جزءان)

اهدتنا دار الكتب المصرية العامرة نسخةً من طبعة اساس البلاغة الجديدة التي عُنيت بنشرها فقرّت العيون لنظرها في هذه الحلّة القشيبة والحروف الجليّة والورق الصقيل والحقّ يُقال انّ تأليفاً لغوياً فريداً مثل اساس البلاغة كان اهلاً بمثل هذا الامتياز فنشكر كلّ القائمين بهذا العمل المفيد ونتمنى له كلّ رواج

بسائط علم الفلك وصور السماء

تأليف الدكتور يعقوب صرّوف

طُبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر

منذ نشر الدكتور فان ديك سنة ١٨٧٤ في المطبعة الاميريّة كتابهُ في اصول الهيئة لم يقم كاتب عربيّ يؤلّف في ذلك تأليفاً واسعاً فتصدّى الآن الدكتور يعقوب صرّوف وجمع ما كُتب في هذا الموضوع في اعداد المقتطف المختلفة من المقالات المشتتة ووضعها على صورة منظّمة وابواب متوالية مستفيداً من الاكتشافات الفلكيّة الحديثة واضاف اليها فصولاً جديدة في وصف البروج وصور النجوم البديعة وكثيراً من الرسوم المستجادة مع جدول المفردات الفلكيّة واسمائها الفرنسويّة . فاجاد بعمله وافاد ل.ش

ترجمة الطيّب الآثار المطران باسيليوس حجّار

بقلم الاديب نقولا افندي عوده

طُبع في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢٣ (ص ٨٣)

نشكر الشكر الجميل سيادة مطران صيدا ودير القمر على الروم الكاثوليك

السيّد اثناسيوس خرياطي لتقدمته هذا الكتاب الى ادارة مجلّتنا وفيه ترجمة سلفه الطيّب الذكر المطران باسيليوس حجّار . فسُررنا بمطالعة اعمال ذلك الحبر الجليل في كلّ اطوار حياته ومختلف مناصبه وكفى بالنظر الى ما يزين صدره من الاوسمة للاطلاع على ما نالهُ من الاكرام والاعتبار من الدول المختلفة ومن المراجع الدينيّة والمدنيّة التي خدمها . وفي ترجمته ما يؤيد حكم تلك الدول والمراجع لما يرى من مناقبه الجليلة وصفاته الفريدة لاسيما في خدمة طائفته الكريمة جعلهُ الله قدوةً لامثاله

المواكب لجبران خليل جبران

عُني بنشرها نقولا عريضه

طُبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٢٣ (ص ٣٠)

المواكب! بل قُل هي العناكب ذات النسيج الذى يُضرَب «بمتانته» المثل . والنسيج من قلم جبران خليل جبران وقد عرفتَ سابقاً محاسن نثره وهنا مثال من شعره . فالمواكب قصيدة في نحو مئتي بيت من كلّ وزن ومن كلّ قافية بل قل من كلّ معنًى ومن كلّ لفظ فترى النسيج في لحمته وسداه مثلّثاً مربّعاً مسدّساً مدوّرًا مستقيماً معوجًّا وان طلبت اخيرًا ما هو مقصود كاتبه بقيت حائرًا معجباً بخلط ناظمه وخبطه . يفتتح مواكبهُ بهذا البيت الذي وحدهُ يدلُّ على هوَس ناظمه

الخيرُ في الناس مصنوعٌ اذا جُبروا والشرُّ في الناس لا يفنى وان قُبروا

واعجب من هذا مقدّمات لناشر المواكب مع صورها الخلاعيّة نقولا افندي عريضة الذي يرفع الى السماء ناظم المواكب فيدعوهُ « معشوق الحقيقة ومحبوبتهُ الحكمة . . . همزة الوصل بين القديم والجديد وآل التعريف والدلة الكبرى لتعريف وتشريف اللغة العربية . . رافع الاسم السوري بين الامم الراقية فتأمّل !! ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ً براءة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بمناسبة التذكار القرني الثالث لاستشهاد القديس بوثافاط رئيس اساقفة بولوسك الشرقي الطقس . طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٣ (ص ١٦)

٢ً منشور بطريركي في حياة الشعوب لبطة ماري الياس بطرس الحويك بطريرك انطاكية وسائر المشرق وجّههُ في غرّة ك ١ سنة ١٩٢٣ الى ابناء طائفته الكريمة واعيانها وشعبها. طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٤ (ص ١٦)

٣ً الزواج محاضرة القاها حضرة الاب الفاضل الخوري مارون غصن في نادي اخوية القديس يوسف. نشرها بالطبع يوسف بطرس سعد اجابة لطلب عمدة اخوية القديس يوسف. المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٣ (ص ٢٣)

٤ً الجامعة الاميركية بقلم شكري افندي الخوري صاحب جريدة «ابو الهول» طُبع في سان بولو (برازيل) سنة ١٩٢٣ (ص ٢٠)

٥ً برنامج شركة القديس منصور دي بول في حلب لسنتيها ٢٣ و ٢٤ (١٩٢١-١٩٢٢) طُبع في مطبعة المعارف في حلب سنة ١٩٢٣ (ص ٢٧)

٦ً اعمال المجمع العلمي العربيّ عن سنته الخامسة ١٩٢٣ م — ١٣٤١ و ١٣٤٢ هـ

شذرات

﴿ملحوظات رسالة السلام على المشرق﴾ لا نريد الردّ على ما كتبتهُ رسالة السلام عن مقالة يوسف افندي المدوّر «خواطر مصيف في لبنان» التي نشرناها بعد ان قرأها ثلثة كهنة موارنة فاستحسنوها مُشيرين بتلطيف بعض ما فيها من التعميم ففعلنا. ويظهر من خلال اسطرها ان كاتبها الماروني يريد كلّ خير لطائفته الكريمة لينفي عنها كلّ ملامة من قبل الغرباء والمصطافين في لبنان. وليس الكمال الّا لله

امّا ما ورد في الرسالة من الملحوظات عن كتابنا الرهبانيّة اليسوعيّة والطائفة المارونيّة فيكفينا ان نحيل القرّاء الى ما كتبهُ لنا غبطة بطريرك الطائفة ماري الياس الحويك الكلّي الطوبى وقد نشرتهُ جريدة البشير في عددها الصادر في ١٣ تشرين الثاني تحت عنوان «عطف كريم». وكذلك تلطّف سيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي الجليل فارسل لنا رقيماً ملؤهُ الشكر والتعطّف

﴿سلطانة افرنسيّة في بني عثمان﴾ نشر مؤخرًا الاميركيّ بنيامين مُرْتن (B. A. Morton). كتاباً بالانكليزيّة عنوانهُ (The veiled Empress) روى فيه استنادًا الى اوراق وجدها في سجلّات باريس وغيرها قصّة فتاة اسمها إيه دوبوك

دي ريڤراي (Aimée Dubouc de Rivery) كانت من اسرة فرنسويّة هاجرت الى المرتينيك في اواسط القرن الثامن عشر فوُلدت «ايمه» هناك وأُرسلت الى فرنسة لتتخرّج بالاداب في دير راهبات الزيارة فلمّا اتمّت دروسها انجرت الى المرتينيك عند اهلها نحو السنة ١٧٨٣ الّا انّ قرصان الجزائر ضبطوا المركب الذي كانت فيه «ايمه» واسروا الآنسة وباعوها بثمن غالٍ لما كانت عليهِ من الجمال الفائق فدخلت بين حرم السلطان عبد الحميد الاوّل الذي شُغف بحبّها وقدّمها على سائر ازواجهِ فولدت لهُ ابنهُ السلطان محمود خان الثاني. وفي عهد نابوليون الاوّل خدمت وطنها لدى الباب العالي خدماً مشكورة. وقبل وفاتها طلبت كاهناً كاثوليكيًّا الاب كريزُستوم (فم الذهب) رئيس كنيسة مار انطونيوس في الاستانة فاقتبلت كلّ اسرار الكنيسة فماتت في دينها نحو سنة ١٨١٧ وعمّ الحزن على وفاتها لوفرة فضلها وطيب شمائلها

﴿البستيل ومجلّة الحارس﴾ لا يسعنا تفنيد ما كتبهُ مدير الحارس في عددهِ كانون الاوّل تفنيداً لقولنا عن عيد فتح البستيل لئلّا نحيد عن نقطة الجدال الاصليّة فانّ جنايةً في العدد الرابع من مجلّتهِ (ص ١٤٧) كتب ما حرفهُ :

«كان تاريخها (اي البستيل) علمًا بالاموال والفظائع حتى قيل انّ كل ذرة من ثراها مجبولة مرارًا لا تُعَدّ ولا تُحصى بدموع ضحايا التعصّب الديني والسياسي . . . وعُدّ البستيل رمزًا ابديًّا للظلم والاستبداد فلمّا دكّها الثوّار تنفّست اوربّا الصعداء ونظر محبّو الحرّيّة في كلّ مكان الى الحادث كفاتحة عهد جديد للانسانيّة»

فيا ترى كيف امكن كاتباً كاثوليكيًّا مارونيًّا ان يسوّد قلمهُ بكتابة مثل هذه الاسطر . فايّ ملك من ملوك فرنسة بلغت بهِ الهمجيّة الى هذا الحدّ ألويس السادس عشر الذي في عهدهِ نُتحت البستيل وهو مثال التقى واللطف ؟ ألويس الخامس عشر الذي كان يُدعى ابا الشعب ؟ ألويس الرابع عشر الذي شرّف وطنهُ بمناقبهِ الملوكيّة حتى نُسب اليهِ عصرهُ وكلّ هؤلاء من اكبر المحسنين الى طائفتهِ المارونيّة . — ثمّ انهُ قد اقرّ في عددهِ الاخير كانون الاوّل (ص٣٧) بنقلهِ عن لاروس «انّ البستيل تسع ٧٠ الى ٨٠ سجيناً» فاي دولة حتى اصغر الدول ليس بين سجونها سجن سياسي يسع اكثر كثيرًا من هذا العدد الزهيد — وزد على ذلك ما نقلهُ ايضاً عنهُ «انّ المزجوجين في البستيل كانوا يقطعون عن العالم الخارجي حتى يناهم الناس تماماً» فكيف عرف الناس اذن تلك الفظائع التي زعم صاحب الحارس

بوقوعها في سجنهم ؟ — وليس في ما نقلهُ عن السيّد المطران بودريار ردًّا على المشرق بل تأييدًا لهُ وهو يقول كما كتبنا سابقًا « ان البستيل لم يكن باقيًا فيها سنة ١٧٨٩ الّا بعض السجناء يعاملون بدون قساوة » فلأي سبب اذن هجم عليها الثوّار الّا تعصبًا وهي سجن الاشراف والثوّار اوّل من ضحّوهُ الاشراف فقتلوهم ونفوهم واستصفوا اموالهم . فيا لله كم من التُّهم الباطلة في اسطر قليلة ؟

﴿ شركة انتشار الايمان ﴾ وقفنا على السرور على ما جمعتهُ في هذا العام شركة انتشار الايمان من التبرُّعات في جهات لبنان الكبير وانحاء سوريَّة سواء كان باشتراك المؤمنين ام بالحسنات وقد بلغ مجموعها ٢١،٥٧٠ فرنكًا و٦٠ سنتيمًا . ردّها الله على المحسنين بالبركات والنعم الروحيَّة والزمنيَّة

﴿ اسدٌ حيّ ﴾ نُقل الى متحف الآثار في الشام بمساعدة المفوّضيَّة الفرنسويَّة تمثال حجري من آثار الحثيين ألا وهو اسدٌ عظيم ذو هيئةٍ مهيبة يبلغ طولهُ مترين ونصف في علو متر و ٤٠ سنتي كان في قرية شيخ سعد شرقي اذرع يرتقي عهدهُ الى ما وراء القرن العاشر قبل المسيح

﴿ دواء لعلاج الزكام ﴾ جاء في بعض المجلّات الطبيَّة الفرنسويَّة انَّ طبيبًا فرنسويًّا اكتشف اخيرًا دواء لمنع الزكام وهو استنشاق ملح النشادر فانهُ يمنع حدوث الزكام قبل وقوعهِ ويقطعهُ عند حدوثهِ اذا استنشقه المزكوم مرّتين او ثلاثة

﴿ فضائل الكلاب على كثير ممَّن لبس الثياب ﴾ وقفنا على نسخة من هذا الكتاب النفيس الذي طبعهُ من عهد قريب (سنة ١٣٤١) ابراهيم يوسف بمطبعة محمود توفيق بمصر . وهو الكتاب الذي سبقنا فنشرناهُ مع مقدّمات وشروح في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٥١٥—٥٣٣) عن نسخة قديمة بديعة فليُراجع

﴿ وفاة رجل شريف ﴾ علمنا بمزيد الاسف وفاة رجل الخير الكبير والمثري الشهير المرحوم الكونت جبرائيل اصفر . وكنّا اجتمعنا بهِ في البصرة في رحلتنا الى الهند سنة ١٨٩٥ فوقفنا على فضلهِ ومبرّاتهِ وسمعنا من كثيرين اطيب الثناء على تقاه وكرمهِ نحو ارباب الدين والمرسلين وفي مساعدة كل المشروعات الخيريَّة . توفّي في بغداد في شيخوخة صالحة ومن ميزاتهِ انهُ كان يُحسن الانشاء في اللغات الثلث العربيَّة والافرنسيَّة والانكليزيَّة وكانت لهُ مراكب تجاريَّة تسير بين العراق واوربَّة

﴿ملكا جُبيل﴾ مما استفدنا من حفريات جبيل الاخيرة التي توثق في اكتشاف آثارها الاستاذ بيار مونته اسم ملكين من ملوك جبيل يرتقي عهدهما الى المئة الخامسة عشرة قبل المسيح يدعى احدهما (١) « ابي شامو » والآخر (٢) «إبشيمو ابي» وهنا صورة اسمهما بالحروف الهيروغليفية كما صوّرها بيده الاستاذ المذكور فصوّر الاسم الاوّل تاما والثاني نصفياً

Abi-schamou Yp-schi-mou-abi

﴿كتابة جُبيل الفينيقيّة﴾ ومن الاكتشافات المهمّة التي اصابها المسيو مونته حديثاً في جبيل وجود ناووس عليه نقوش وكتابتان الواحدة هيروغليفية والاخرى فينيقيّة ترتقيان الى القرن الثالث عشر قبل المسيح . ولوجود الكتابة الفينيقيّة شأن عظيم فانّها تبيّن انّ الحروف الفينيقيّة كانت باقية في ذلك العهد كما هي . وبه يسقط مدّعى الملحدين كرينان وستروس الناكرين تمام اسفار موسى زعمهم انّ في زمن موسى النبيّ لم تتألّف بعد الاحرف الفينيقيّة التي منها اشتقّت الاحرف العبرانيّة ومن ثمّ لم يستطع موسى ان يكتب بها التوراة فجاء اكتشاف جُبيل مزيّفاً لمزاعمهم

﴿اصلاح فرنسة لما اخربهُ الالمان﴾ اخرب الالمان في مدّة الحرب في انحاء فرنسة ٧٤١،٩٩٣ بيتاً و ٢٢،٠٠ معملاً فقام الفرنسويّون بنشاطهم المعتاد واصلحوا بمال الدولة كلّ ما دمّرهُ اعداؤهم وذلك في الخمس السنوات الاخيرة فبلغ معدّل ما اصلحوهُ في كلّ سنة نحو ١٤٨،٠٠٠ بيت و ٤،٥٨٠ معملاً وهذا لعمري من المآثر التي قلّما يرى لها شبيه في العالم

﴿وفاة مكتشف اشعّة رونتجن﴾ هو غليوم دي رونتجن الذي اكتشف الاشعّة المجهولة (rayons X) المعروفة باسمه . ولد في ٢٧ آذار ١٨٤٥ ونال مجازاة نوبل سنة ١٩٠١ كانت وفاتهُ في مونيخ في ١٢ شباط الماضي

أسئلة وأجوبة

س كتب مستفيد من البلدة انهُ قرأ في بعض الجرائد الوطنيَّة انَّ الضرورة دفعت الجمهوريَّة اللبنانيَّة الى اصطناع نقود ازوتية فسأل ايمكن صنع هذه النقود

النقود الازوتيَّة

ج معلوم انَّ الازوت غاز من غازات الهواء . وانَّ مركَّباته المتعدِّدة مع الاوكسيجين غازيَّة او مائعة فلا تصلح لصنع النقود . لكنهُ يمتزج ببعض الاملاح والمعادن على انَّ تلك التراكيب قلَّما تصلح لصُنع النقود الَّا ان يكون هناك سرٌّ اكتشفهُ بعض علماء الكيميا المحدَثين فلم نجد لهُ ذكرًا في المجلَّات العلميَّة

س وسأل احد الكهنة من حلب ما هو اصل طلبة العذراء الشائعة في الكنيسة اللاتينيَّة وفي كتب العبادة العربيَّة ؟

اصل طلبة العذراء

هذه الطلبة هي التي تعرف بطلبة سيدة لورات وهي المدينة التي يُكرَّم فيها بيت العذراء الذي فيهِ حُبلت من الروح القدس وسكنهُ ابن الله ثلثين سنة فنقلتهُ اليها الملائكة سنة ١٢٩١ . أمَّا مؤلف هذه الطلبة فهو الكردينال بولس سافلّي امير مدينة البانو سنة ١٤٨٣ فأنشد بها في ذلك المعبد لاوَّل مرَّة وكُتبت على صفيحة من الفضة باقية الى زماننا

س سأل احد قراء مجلة «اصداء الشرق (Echos d'Orient) هل صحيح هو ما ورد هناك (n° 131 Ms. 10. p. 310) في وصف كتاب لداود الانطاكي ان هذا الطبيب الشهير كان نصرانيًا

نصرانيَّة داود الانطاكي

ج ليس هذا صحيحاً ولا شك في اسلامهِ . وترجمتهُ قد اثبتها المحبّي في خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر (طبعة مصر ٢ : ١٤٠) وكانت وفاتهُ في مكة ل . ش

المشرق

الفينيقيّون ومصر

مقتطف من محاضرة الاستاذ بيار مونته

للاب رينه موترد اليسوعي

قد أعجب الذين توفّقوا لاستماع محاضرة الاستاذ بيار مونته في نادي كليّتنا يوم الخميس الواقع في ٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٤ ، ما رأوا في الخطيب من سلاسة الكلام وحسن التعبير في ايضاح بحثه التاريخي عن العلاقات بين مصر وجبيل . ولمّا اختتم فخامة الجنرال قيتا ، تلك الحفلة اثنى على الخطيب ما رآه الحضور في شخصه من العلم البليغ والسذاجة معاً وهو في ربيع عمره . والحقّ يقال انّ المسيو مونته عرف بحسن نظره وتدقيقه ان يستخلص من موضوع غاية في الارتباك والتعقيد معلومات نيّرة عمّا دار قديماً بين اهل فينيقية وقطر النيل من العلائق

*

وكانت هذه العلائق اوّلاً بين البلادين اقتصاديّة كما تشهد عليها الآثار المصريّة المدوّنة على أنصاب الفراعنة التي كانوا يرقّونها بعد انتصاراتهم بالقلم الهيروغليفي كما تُرى في جدران هياكلهم ومدافنهم

وكان اخصّ ما يجذب آل مصر الى مرفأ جبيل ما يلقونهُ هناك من الاخشاب الكريمة والاخشاب البنائيّة التي تُقطع من غابات لبنان فينقلونها الى مصر لحاجاتهم المختلفة كما فصّلتها جريدة البشير في عددها الصادرَين في ٨ و ١٠ كانون الثاني واليها

ألفت النظر فخامة الجنرال ڤيغان لتحريض اهل لبنان على مواصلة تحريج الجبل الذي يُوشر بهِ بفضل الانتداب

على انَّ هذه العلائق الاقتصاديَّة مع عظم شأنها لا تبلغ ما استفدنا من الحفريَّات الحديثة التي تولَّاهـا الاستاذ مونته لمعرفة العلائق السياسيَّة والدينيَّـة بين فينيقية ومصر. فهي توقفنا على معلومات تاريخيَّـة جليلة تحقق وتكمل مـا ورد في الآثار المصريَّة عن ثلاثة ادوار من التاريخ القديم

﴿الدور التاريخيّ الاوّل﴾ اذا رقينـا الى الالف الثالث قبل المسيح في عهـد السلالات المصريَّة الاولى حتى الطور المعروف بالطور الثِّيني (époque thinnite) نسبةً الى عاصمتهم مدينة ثيني نجد المصريين محتلين جبيـل حيث شيَّدوا هيكلاً للمعبودات الفينيقيَّة الوطنيَّة. وقد اهتدى الاثريُّون الى اكتشاف رسم مدخله الفخم (pylone) الذي كانت نُصبت لحراستهِ ثلاثة اشخاص جبَّاريَّة وُجدت محطَّمة كُسرت من وسطها او منتصف سوقها. وكان هناك ايضاً تمثال إلهة فينيقيَّة وهي المعروفة عندهم ببَعْلة جبيل وعند المصريّين بسيّدة جبيل. وقد مثَّلوها جالسةً تُشبه بملبوسهـا إلهة المصريّين المدعوة إيزيس بجلالها وهيبتها وجعلوها في اقصى الهيكل

وكان ملوك مصر يرسلون الى هذا الهيكل تقادمهم الفاخرة بينها الآنية الحجريَّة الصلبة والحجريَّة البيضاء الشفَّافة او البلَّور المنحوتة نحتاً فنيًّا وعلى البعض من هـذه الآنية كتابات هيروغليفيَّة يُستدلُّ منها انها تقدمة الفرعون لآلهة جبيل وعليها كُتب اسمهُ في دائرة بيضويَّة الشكل يدعوها الاثريُّون اطارهُ او قرطاسهُ (cartouche)

على انَّ هذه التقادم التي كان الفراعنة يهدونها لمعبودات جبيل لم تكن خالية من الغرض فانَّ ملوك مصر كانوا يتوون بها انهم اوَّل عبيد تلك الآلهـة وممثلوها على الارض فكانوا يمتون نفوسهم بعبيد آلهة جبيل كمـا كانوا في مصر يدعون ذواتهم عبيد شمس مصر الالهيَّة يشيرون بذلك الى سيادتهم على البلاد فيجاهرون بها منذ الالف الثالث قبل المسيح. وهـذه السيادة القديمة على فينيقية لم يوجد لهـا اثرٌ في كتابات الفراعنة المكتشفة في القطر المصري فاوقفتنا عليها حفريَّات جبيل وذلك الف سنة بنيّف قبل السيطرة المصريَّة التي كنَّا نعرفها سابقاً اعني نحو السنة ١٨٠٠ق م

﴿الطور الثاني﴾ لم تُفدنا هـذه الحفريَّات شيئاً جديداً عن الازمنة التي تبعت

تلك السلالات الاولى الى السلالة المصريّة الثانية عشرة نحو السنة ١٨٠٠ المذكورة

ومما اوقفنا عليهِ المسيو مونته تشييد الفينيقيين هيكلاً لآلهتهم بين القرنين القرن الخامس والعشرين والقرن العشرين قبل المسيح بنوهُ على التلّ المشرف على مرفإهم القديم. وقد استدلَّ على ذلك ليس بكتابة صريحة بل على طريقة الاستنتاج والتطبيق

فلا شكَّ ان معظم بهاء الهيكل المذكور يجب نسبتهُ الى السلالة الثانية عشرة ان بنينا حكمنا على المدافن الملكيَّة المكتشفة حديثاً. فقد وُجد احدها صدفةً بعناية خاصَّة من الله شكرها له الاثريُّون وذلك في السنة ١٩٢٠ لمَّا حدث ذلك الجرف الساحليّ الذي كشف عن مدفن متقور في قلب الصخر فكان هناك ناوُوس كبير من الحجر الاضمّ يعلوهُ غطاء ضخم تزينهُ في زواياه الاربع السنة او مُسَكٌ كألسنة القوائم التي يربط النوتيُّون بها سفنهم كان القدماء يتشبَّثون بها لفتح الناوُوس قبل ان يودعوه جثَّة الميت. وكان في الناوُوس وحولهُ آنيةٌ واعراض شتى ثمينة وُجدت غائصةً في حمأة سوداء كانت ترشَّحت من الخارج الى باطن المدفن على مدى الزمان

امَّا المرتة المدنيَّة فكانوا نقروها في مدَّة حياة الملك وحفروا لها بئرًا عموديَّة في الصخر بلغ علوّها نحو ثمانية امتار ومنها انزلوا الناوُوس بارعاً ثم سدُّوا تلك البئر وملَّطوا فوهتها. وجهَّزوا فوقها حجرةً يجتمع فيها اقارب الملك بعد موته ليقيموا فرائض العزاء. امَّا نقل الميت الى قبرهِ فكانوا يتخذون لذلك مسلكاً آخر فكانوا يحفرون سرداباً ينحني من وجه الارض عن بُعد من المدفن فينفذ الى الحفرة التي أُنزل اليها الناوُوس الفارغ من البئر ثمَّ يطمُّون باب السرداب فيخفى عن العموم. فعلى هذا المنوال بُنيت كلّ مدافن جبيل التي اكتشفها المسيو مونته. وعلى مثالها سبق المصريُّون فبنوا مدافنهم

ولعلَّك تسأل ما هي العلاقات السياسيَّة بين مصر وفينيقية التي افادتنا عنها مدافن جبيل في القرن الثامن عشر. اجبنا انَّ الكتابة التي وُجدت على احد الاواني المكتشفة والراقية الى عهد أمنمحت الرابع تنعت امراء جبيل «بعبيد الاله أمنمحت الكامل فليحيَ الى الابد» فارادوا بلفظ «العبيد» خضوع الامراء للفرعون. وهذه الكلمة ذاتها مرقومة على آثار مصر للدلالة على حكَّام الولايات المصريَّة اي عمَّال الفرعون فيستنتج من ذلك ان الفراعنة كانوا هم الملوك يعدُّون امراء جبيل كعمَّالهم. الَّا انَّ في

الهدايا التي ارسلها الفرعون الى صاحب جبيل فاظهرتها الحفريات انما هي هدايا ملوكية بينها صولجانٌ صبّ على الدهر تُوَيْجُ راسهِ ثم قرص من الذهب تعلوهُ مظلّة من البردي مسبوكة بالذهب ثمّ صحيفة ذهبيّة ايضاً وحلية الصدر من الذهب مزدانة بالميناء البديع كالحلية الصدريّة التي كان يتقلّدها الفراعنة . واخيراً قطعة كبيرة من الذهب عليها اسم ملك جبيل المحفور في وسط إطار على شبه اسماء الفراعنة . فيظهر من هذه الهدايا انَّ ملوك جبيل كانوا في بلادهم اصحاب الامر والنهي والحلّ والعقد وانّهم من الوجه الاقتصاديّ كانوا لا يتنازلون عن اخشاب جبلهم الّا بعد تأدية اثمانها نقداً او مقايضةً بهدايا جواهر ثمينة كما تشير اليها الكتابات . وقد ورد هناك اسم ملكين وطنيين بلفظها السامي اعني ابي شامو وابشيموابي

Ap-schimou-abi Abi-schamou

ابي شامو ابشيموابي هيكل جبيل في العهد اليوناني الروماني

﴿ الدور الثالث ﴾ ثبتت العلاقات بين مصر وجبيل صافية الوداد اهليةً الى القرن الخامس عشر قبل المسيح فقام حينئذٍ فراعنة السلالة الثامنة عشرة ولاسيّما في عهد تحوتمس الثالث فبسطوا ملكهم على سائر فلسطين وسوريّة . فانَّ كتابات تلّ العمارنة التي بينها عدّة رسائل من امير جبيل تدلّ على توّلي المصريين على وطنهِ

ولمّا صار الامر الى ملوك السلالة التاسعة عشرة خفّت وطأة الفراعنة على جبيل فكانت امور اصحابها وفق رغبتهم والدهر لهم مساعداً. هذا ما يستنتج من الحفريّات الاخيرة التي تولّى شؤونها المسيو مونته فكان آخر بئر فتحها هذا الاثري بئرًا واسعة مربّعة الزوايا تزيد جوانبها عن متر ين أفضت بهِ الى غرفة مدفنيّة حيث وجد ثلثة نواويس كان ناوُوسان منها ساذجين لا كتابة عليهما . امّا الناوُوس الثالث فهو من اجمل الآثار واعظمها شأناً وعليهِ تاريخ لا يشكّ المسيو مونته في صحّتهِ فانهُ يرقى الى القرن الثالث عشر قبل المسيح على عهد رعمسيس الثاني يدلُّ على زمان ذلك الناوُوس ما يحتويهِ في باطنهِ او يحدق بهِ . وهو مزدان بنقوش وعليهِ كتابة . ويدّعم الناوُوس على اسدين رابضَين ظهرُ الواحد الى ظهر الآخر بحيث تُرى قائمتا كليهما وفمهما خارجاً عن الناوُوس . وعلى اطراف الغطاء ايضاً قد نقشت رؤوس حيوانات

وعلى جوانب الناوُوس تصاوير وكتابات منقورة فيها . فعلى الواجهة قد مُثّل ملك جبيل جالساً على العرش يحدق بهِ تماثيل ابي الهول المجنّحة كما تُرى في مصر . وامامهُ مائدة عليها التقادم لأنَّ المصريين، وجرى الفينيقيّون على رأيهم، كانوا يزعمون انَّ الموتى يتمتّعون في الحياة الاخرى بالامتعة التي تُرسم صورُها على قبورهم . وعلى هذه المائدة اشكال لاطعمة التي كان الملك يتمتّع بها في حياتهِ . وعلى يمين وشمال الملك قد صوّروا اربع نساء من العوالم الراقيات يأتين الى استقباله واربع غيرهنّ على وجهٍ آخر . ولكلّهن ملابس تختلف عن ثياب نساء مصر لهن قمصان مدرّجة منتشرة وضيّقة في اسفلها

امّا الكتابة فهي من بدائع هذه الاكتشافات الاخيرة فانها مكتوبة بالقلم الفينيقي بحروف جليّة وهي ترقى الى القرن الثالث عشر قبل المسيح وكان اقدم ما وجد قبلها من الكتابات الفينيقيّة لا يكاد يتجاوز القرن التاسع فهي اذن تسبق غيرها باربعة اجيال . وهذه الكتابة التي ترى هنا صورتها ليست كتابة مشوّشة او مضطربة بل هي كتابة ثابتة جليّة الحروف ما يدلُّ على انّها كانت دارجة شائعة قديمة العهد قد اتّخذها الفينيقيّون لضبط حساباتهم ولمعاملاتهم الاهليّة . فنراها اليوم مدوّنة على اثر رسمي اي ناوُوس ملوكي راقٍ الى القرن الثالث عشر بدلًا من الكتابة المسماريّة التي كانت شائعة في القرن الخامس عشر قبل المسيح وبها كُتبت

رسائل تلّ العمارنة وبدلًا من الهيروغليفيّة الشائعة بين المصريين وعمّالهم

وفي هذه الكتابة اسم ملك جبيل المعاصر لرعمسيس الثاني يدعى «اخي رام» اي حيرام وهو سميّ ملك صور صديق سليمان الحكيم ابن داود المذكور في سفر الملوك وهذا حيرام جبيل تقدّم على سميّه بمئتي سنة فعُرف بفضل الكتابة المكتشفة حديثاً

وقد استفدنا ايضاً من هذه الاكتشافات معرفة شيء من الفنّ الفينيقي . فانّ هذه الآثار اثبتت انّ الفينيقيين ابتدعوا لهم فنًّا مستقلًّا استعاروا بعض اصوله من الامم المجاورة وهو لا يخلو مع حسنه من غرابة في الشكل

أمّا ما يختصّ بامر الدين الفينيقي فقد بيّن الاستاذ مونته العلائق بين الاساطير المصريّة الدينيّة ومعبودات جُبيل ولاسيّما بين قصة ايزيس واوزيريس وبين ادونيس (تموز) وعشترت فأثبت أنّ فينيقية لم تستعر معبوداتها من مصر بل هي التي اتخذت في مصر معتقداتها الدينيّة . وقد اسند قوله (اوّلًا) الى بعض الآثار العريقة في القدم التي اظهرتها الحفريّات وتوافقها «نصوص الاهرام» المعروفة فيستدلّ منها عبادة الفينيقيين لزوج المي . و(ثانياً) الى الاقاصيص المصريّة وخصوصاً الى «رواية الاخوين» يتّضح منها انّ العلائق بين ذاك الاله وزوجته هي العلائق التي كانت تُنسب في العهد اليوناني الروماني الى ادونيس وعشترت

فبعد هذا الوصف للآثار التي استخرجها المسيو مونته من مدافن جبيل لا نرى حاجة الى بيان عظم شأنها سواء كان لمعرفة تاريخ فينيقية وتاريخ مصر ام لتاريخ الفنّ الفينيقي بل ستستفيد منها الدروس الكتابيّة ايضاً . فانّها ستُفحم بعض الملحدين الذين كانوا يسخرون من الكاثوليك لاعتقادهم بوضع موسى النبي للاسفار المقدّسة زاعمين انّ بني اسرائيل لم يكتبوا شيئاً من الاسفار المنزلة قبل القرن التاسع السابق للميلاد لعدم اكتشاف الكتابتين الفينيقيّة والعبرانيّة

وفي الختام يجب علينا وعلى كل الوطنيين ان نصوغ آيات الشكر للمسيو مونته الذي رفع منار الفينيقيين وقد جازاهُ الله عن اتعابه بهذه الاكتشافات الجديدة التي ستخلّد اسمهُ بين العلماء . ولولا انصبابهُ منذ عشرين سنة على درس الكتابات المصريّة لما امكنهُ ان يبلغ الى احياء هذه الآثار . فيا ليت بعض الشبان الوطنيين يقتدون بمثله فينقطعوا الى هذه الدروس المفيدة لئلا نكذب المثل ان صاحب البيت ادرى بما فيه

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف النون

٧٨٥ ﴿ناقد﴾ القسّ نعمه السرياني من اهل اواخر القرن السابع عشر. لهُ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٧٤) كتاب مواعظ في عدد ١٦ عظة على مدار اعياد السنة نقلهُ من الافرنسية الى العربيّة القس ناقد بمدينة مرسيليا سنة ١٦٩٧

٧٨٦ ﴿نافيطس﴾ هو كير نافيطس روديوس (الرودسلي) السينائي مطران قبرس الاورثذكسيّ عاش في اواسط القرن السابع عشر. لهُ كتب دينيّة في اليونانيّة عرّبها الياس فخر الطرابلسيّ: ١ً كتاب الجواهر النفيسة في لوازم الكنيسة بحث فيهِ عن الاسرار والوصايا والخطايا ورُتَب الكنيسة عرّبهُ الياس فخر سنة ١٧١٥. منهُ في مكتبتنا الشرقيّة نسختان. تاريخ الواحدة سنة ١٧٢٤. ويوجد نسخاً منهُ في مكتبة دير المخلص (راجع المشرق ٩: ٧٣٤ حيث دُعي غلطاً السينائي) وفي مكتبة المنسنيور جرجس منش في حلب ومكتبة بطريركيّة الروم في دمشق ٢ً كتاب الذمّة في علم الفقه المسيحيّ معرّب ايضاً بقلم الياس فخر في مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسختان. ٣ً ثمّ لهُ فيها ايضاً نسختان من ردّهِ على الخوري يوحنّا قسطنطين الحلبي ناكرًا انبثاق الروح القدس من الآب والابن. عرّبهُ الياس فخر المذكور

٧٨٧ ﴿نافيطس﴾ الحاخام اليهودي المتنصّر. كان في اوائل القرن التاسع عشر. في دير الشير نسخة خطّيّة من كتابهِ المعنون انهدام الديانة العبرانيّة معرّب عن اللغة الصقليّة وقد طُبع هذا الكتاب بالعربيّة طبعاً سقيماً

٧٨٨ ﴿نتنائيل﴾ جرجس من كتبة القرن الثامن عشر. لهُ في دير الشير كتاب تفسير القدّاس في ١٢٢ فصلاً

٧٨٩ ﴿نتنائيل جوهرجيّ﴾ القس الحلبي والراهب اللبناني. كان في القرن الثامن عشر. في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٨١) مجموع ٣٥ عظة تحت عنوان

« العظات الادبيَّة في تهذيب السيرة الروحيَّة »

٧٩٠ ﴿نجار﴾ الدكتور ابرهيم افندي المتوفَّى في بكفيا في ١٢ ايلول ١٨٦٤ (اطلب ترجمتهُ في الطبعة الثانية من كتابنا الآداب العربية في القرن التاسع عشر ص١٠٩—١١٠) هو مؤلف مصباح الساري ونزهة القاري المطبوع في بيروت سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٥م) وهديَّة الاحباب وهداية الطلاب في الطبيعيَّات طُبع في مرسيليا سنة ١٨٥٠ . وله من المخطوطات كتاب الروضة البهيَّة في الحوادث الشرقيَّة ضمَّنهُ تاريخ مصر واخبار الشام الحديثة (اطلب مجلَّة النعمة ١ : ٢٨٠)

٧٩١ ﴿النحو﴾ الاب لاوزدس الفرنسيسي الطرابلسي لا نعرف سنة وفاته . عرَّب سيرة القديس فرنسيس للقديس بوناونتورا فطبعها في القدس سنة ١٨٨٢ . وألَّف كتاب مناط الرغائب في تاريخ قديس العجائب ماري انطونيوس البادوي . طُبع فيها سنة ١٨٩٤

٧٩٢ ﴿نشو﴾ الخوري مسعد نشو الدمشقي الاورثذكسي ايكونوموس الكرسي الاسكندري ومعلِّم كنيسة مصر كان في اواسط القرن الثامن عشر . ١ في مكتبتنا الشرقيَّة ومكتبة الثلثة الاقمار نسخة من مواعظهِ تاريخ الاولى في مصر سنة ١٧٥٢ والثانية سنة ١٧٥٠ . ٢ له في مكتبتنا ايضاً كتاب ردود على عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة ورسومها كتبهُ في مصر سنة ١٧٥٠ . ٣ وقد عرَّب عن اليونانيَّة رسالة الطبيب اوستراتيوس ارجنتي في الردّ على عصمة البابوات كُتب سنة ١٧٥٠

٧٩٣ ﴿نظيف بن يُمن﴾ هو القسّ البغدادي الرومي الملكي المتطبب كان في القرن العاشر اتَّخذهُ عضد الدولة طبيباً له وولَّاهُ بيمارستانه في بغداد . شرح كتب اوقليدوس ونقل عنهُ ابن عسَّال مقالة في الاتحاد في كتابهِ اصول الدين (ص١٥٣—١٥٦ من نسخة مكتبتنا الشرقيَّة)

٧٩٤ ﴿نعمة﴾ الخوري انسطاسيوس الرومي الكاثوليكي توفي في اواسط القرن الثامن عشر له في مكتبة الرهبان الموارنة الحلبيين في رومية (ع٣٢٦) ترجمة الطيب الذكر كير ناوفيطس نصري مطران صيدنايا المتوفى برائحة القداسة في رومية في ٢٠ شباط سنة ١٧٣١ وهي الترجمة التي نشرها المرحوم الاب انطون رباط

٧٩٥ ﴿نعمة﴾ الخوري فلابيانوس الرومي الكاثوليكي من تلامذة مدرسة

القديس اثناسيوس في رومية في القرن الثامن عشر. ذكر له في تاريخ الروم الملكيين (ص ٣٣) ترجمة اللاهوت الادبي للقديس الفونس ليغوري

٧٩٦ ﴿نعمة﴾ الشمّاس الملكي ابن الخوري توما كان كاتباً في الديوان البطريركي للروم الكاثوليكي في حلب على عهد اثناسيوس الدباس الى أيام مكسيموس الحكيم (اطلب ترجمته في المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٩٦—٤٠٥) . وقد جمع في كتاب ما حرّره من الرسالات والوثائق والصكوك والتقارير والمعاريض الخاصّة بالبطريركيّة تحت عنوان «عجالة راكب الطريق لمن يرضى بتقليد التلفيق» . منهُ نسخة في مكتبة المنسنيور جرجس منش في حلب ونسخة اخرى في مكتبتنا الشرقيّة في اثنائها رسالة دعاها «خلاصة حبّ الفؤاد بنصح الآباء للاولاد» في سبعة فصول . وله ديوان شعر منهُ ايضاً نسخة في مكتبتنا ونسخة اخرى في مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII, n° 92, p. 247) تاريخها في سنة ١٧٤٠

٧٩٧ ﴿نعوم﴾ الشمّاس اثناسيوس من الرهبانيّة المخلّصيّة وتلميذ الآباء اليسوعيين في غزير. له في مكتبتنا الشرقيّة تعريب كتاب شرح رسالة الصلاة للاب دنريكس راميار اليسوعي كتبهُ نحو السنة ١٨٥٥

٧٩٨ ﴿النقاش﴾ هارون بن الياس المتوفّى في طرسوس سنة ١٨٠٥ (اطلب ترجمتهُ في كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ١ : ١٠٦—١٠٩) . اشتهر بتمثيل الروايات التشخيصيّة وقد طُبع قسمٌ منها في كتابهِ ارزة لبنان المحتوي على روايات البخيل والمغفّل والحسود على طريقة الروائي الفرنسويّ موليار مع مراعاة عادات الشرق. وقد خلّف رسالات ادبيّة ومنظومات شتى طبع بعضها في آخر ارزة لبنان من جملتها منظومتهُ في علمي العروض والقوافي في نحو مئتي بيت

٧٩٩ ﴿النقّاش﴾ القانوني نقولا اخو هارون المتوفّى في ٤ ك ١ ١٨٩٤ (ترجمتهُ في الآداب العربيّة ٢ : ١٣٢) . هو منشئ جريدة المصباح ومعرّب عدّة كتب قانونيّة عن التركيّة مع شروح وافادات من قلمهِ . وقد وقفنا له عند اهلهِ على مخطوطات شتى متفرّقة كقصائد وخطب ومقالات ادبيّة وكتابات تقويّة منها قصيدة طويلة في التوبة

٨٠٠ ﴿نكتاريوس﴾ كيروكير بطريرك اورشليم الاورثذكسي المتوفّى سنة

١٦٧٤ . هو احد بطاركة الشرق الذين ردُّوا على تعاليم كيرلُس لوكاريس بطريرك القسطنطينيَّة وتعاليمهِ البروتستانيَّة . وكان مع ذلك مناهضاً للكنيسة اللاتينيَّة . ففي مكتبتنا الشرقيَّة من تعريبهِ كتاب قضاء الحقّ ونقل الصدق . وقد طُبع هذا الكتاب في ياسي في بلاد البغدان سنة ١٧٤٢ . ٢ً وهو مؤلف كتاب «جلاء الابصار من غشاء الاكدار» ألَّفهُ باليونانيَّة ردًّا على كتاب الراهب بطرس المرسل اللاتيني في القدس وعرَّبهُ الشمّاس المتوحّد صفرونيوس . منهُ نسختان في مكتبتنا وفي آخر احداهما احتجاج رؤساء الكهنة وغيرهم من الاكليروس قدَّموهُ للملك يوحنّا البالاولوغس على المجمع الفلورنتيني

٨٠١ ﴿نو﴾ الاب ميشال اليسوعي (M. Nau) المرسل الى حلب والى ما بين النهرين . توفّي في باريس سنة ١٦٨٣ . ألَّف كتباً عديدة نعرف منها الكتب الآتية : ١ً كتاب «احتجاج كنيسة الروم المقدّسة عن استقامة ايمانها وجليل اعتقادها» من هذا الكتاب في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان تاريخ الواحدة سنة ١٦٨١ والاخرى ناقصة . ومنهُ نسختان ايضاً في مكتبة دير المخلّص ونسخة في مكتبة الموارنة في حلب . ٢ً ومن المحتمل انَّ كتاب الدلالة اللامعة في الكنيسة الجامعة المنسوب الى المطران افتيموس صيفي هو في الحقيقة للاب ميشال نو (اطلب المشرق ١٥ [١٩١٢] : ٥٧٣—٥٧٧ و ١٦ [١٩١٣] : ١٠٣—١١٥ و ٢٣٥—٢٣٩) . ٣ً وقد كتب بالافرنسيَّة كتاب رحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة . طُبع في فرنسة . ٤ً وصنّف باللاتينيَّة كتاباً في التوفيق بين الكنستين هذا عنوانهُ Ecclesiæ Romanæ Græcæque vera effigies طُبع في باريس سنة ١٦٨٠ . ٥ً وفيها طبع باللاتينيَّة كتاباً في شهادة القرآن بصحَّة الدين المسيحي Religio Christiana contra Alcoranum per Alcoranum pacifice defensa et probata)

٨٠٢ ﴿نوح﴾ هو البطريرك اغناطيوس نوح اليعقوبي من باقوفا في لبنان المتوفى سنة ١٥٨٩ (اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٥١٧) . لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة تاريخ عربيّ من آدم الى زمانهِ (B.O., II, 463, n° 30) . ولهُ ميامر سريانيَّة عند حضرة القس اسحاق ارمله السريانيّ الكاثوليكيّ

٨٠٣ ﴿نوفل﴾ نعمة الله نوفل الطرابلسيّ المتوفّى سنة ١٨٨٧ (اطلب ترجمتهُ

في كتاب الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ٢ : ١٢١ وفي مجلَّة الكليَّة ١٠ : ٨٥) لهُ عدة مطبوعات حسنة كزبدة الصحائف في اصول وسياحة المعارف وسوسنَّة سليمان في اصول العقائد والاديان وصنَّاجة الطرب في تقدُّمات العرب وحقوق الامم ودستور الدولة العليَّة وقوانين المجالس البلديَّة ومعتقدات الأمَّة الشركسيَّة والردّ على الغضنفري. ومما لم يُنشر بالطبع ١ً كتابهُ كشف اللثام عن محيَّا الحكومة والاحكام في اقليمي مصر وبرّ الشام اقتطف قسمهُ الاكبر من تاريخ جودت باشا واليـاس صدقة الطرابلسي وغيرهما. وقد باشر الدكتور اسد رستم بطبع قسمه الاخير مما عاينهُ المؤلف فرواهُ عن معرفة شخصيَّة . ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبة الجامعة الاميركيَّة بخط يده وفي مكتبة المرحوم مراد البارودي. ٢ً–٣ً وفي المكتبة الاميركيَّة ايضاً لنوفل نوفل مخطوطتان أُخريان تبحث الواحدة عن المقايسة وتحتوي الاخرى على قاموس تركيّ عربيّ عنوانهُ « الرسالة الوفية في تعريب اللغة التركيَّة »

٨٠٤ ﴿نوفل﴾ مريم نخاس المتوفَّاة سنة ١٨٨٨ . ألَّفت كتاباً في ذوات جنسها دعتهُ بعرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء لم يطبع منهُ الَّا قسمٌ في مصر سنة ١٨٧٩

٨٠٥ ﴿نيرغت﴾ الخوري الباجيكي (D. Neyraguet) المتوفَّى سنة ١٨٤٥ . قد عرَّب الاب الفرنسيسي لويس ارمنيا كتابهُ مختصر اللاهوت الادبي للقس الفونس ليغوري فطبعهُ في جزئين في القدس سنة ١٨٥٨–١٨٦٠) وعرَّبهُ القس يوسف عطيه فطبعهُ في طاميش سنة ١٨٥٧

٨٠٦ ﴿نيرنبرج﴾ الاب جان اوسابيوس اليسوعي (J. E. Nieremberg) المتوفَّى سنة ١٦٥٨ هو مؤلف كتاب ميزان الزمان الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج فطُبع اوَّلاً في الشوير سنة ١٧٣٤ ثمَّ تكرَّر طبعهُ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة ونقلهُ الى الكلدانيَّة المطران توما اردو فطبعهُ في الموصل سنة ١٨٩٤ . ومما لم يُطبع من تآليفهِ : الكتاب الذي عنوانهُ يسوع الحبيب ومريم المحبوبة عرَّبهُ الاب بطرس فروماج . في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ اربع نسخ تاريخ الواحدة في السنة ١٧٣٨ وكذلك منهُ بعض النسخ في مكاتب حلب وفي مكتبة الشرفة

٨٠٧ ﴿النيروني﴾ هو مرهج بن مخائيل بن غرون الباني المدعو في كتبهِ اللاتينيَّة باسم Faustus Naironus Banensis من تلامذة المدرسة الارونية في

رومية المتوفى سنة ١٧١٢ (اطلب كتبنا الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية ص ١٢٠) له في اللاتينيَّة كتاب سلاح الايمان (Europla fidei) في ايمان الطوائف الشرقيَّة وخصوصاً الطائفة المارونية طبع في رومية سنة ١٦٩٩ وفيه يدافع من ثبات الطائفة المارونيَّة على الدين المستقيم . ومن تآليفه « كتاب موجز عن اصل طائفته وصحَّة ايمانها » . وله قصة استشهاد القديس اوسطاكيوس وكتاب عن شجرة البنّ . وقد طبع مع ابراهيم الحقلاني كتاب المعيد في مجلَّدين وشاركه في طبع التوراة السريانيَّة

٨٠٨ ﴿نيقون﴾ هو « راهب سيق زيثو في سينا ورئيس دير سمعان العجائبي الانطاكي » ازهر في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر . صنَّف كتاب الحاوي الكبير (Pandecte) في علاج ادواء النفس . ثمَّ اختصره بالحاوي الصغير . منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيَّة وله فيها (BO, I, 620 — Vat. Ms. 76) كتاب التيبيكون في جزءين : الجزء الاوَّل في ٤٠ باباً في ابحاث دينيَّة شتى . وهناك باب ادَّعى فيها الردّ على ضلال اللاتين . والجزء الثاني في البدع

٨٠٩ ﴿نيقيفورس﴾ رئيس اساقفة اسطراخان المتوفى في اوائل القرن التاسع عشر قد عرَّب الخوري يوحنَّا حزون مواعظه تحت عنوان بهجة الفؤاد في تفسير اناجيل الآحاد وطبعهُ في جزئين في مطبعة الروم في القدس الشريف . ولنيقيفورس هذا تآليف حسنة كجدول اعمال الآباء وكاشرح لاعمال القديس اسحاق السرياني ومواعظه

٨١٠ ﴿نيقيفورس كسانثوبولس﴾ كان من كتبة الروم في اواخر القرن الرابع عشر . له في مكتبة القبر المقدَّس في القدس الشريف (ع ١٦ و١٧) سنكسار يتضمَّن اعياد التريودي والاربعة الشهور الاولى من السنة

٨١١ ﴿نيلوس﴾ القديس المترهب في جزيرة سينا بعد ان كان حاكماً على الاستانة توفي سنة ٤٣٠م . له في العربيَّة : ١ً مقالة في آلام النفس في ثمانية فصول في مكتبة الخوري بولس سباط ROC. XXXV, 1920 p. 298 . ٢ً وله هناك ايضاً (n° 3 p. 289) قصَّة ابنهِ ثاودولوس الذي اسرهُ عرب البادية في ايَّام الجاهليَّة وحاولوا تضحيتهُ للزهرة معبودتهم . (Migne. PP. GG. vol. 89. col. 678 seq) . ٣ً وله في احدى نسخ مكتبتنا في آخر نسكيَّات مار باسيليوس بعض الميامر

(ص ١٦٠—١٩٢) . وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٧٣) رسائل القديس نيلوس في نحو ٣٠٠ رسالة في اربعة اجزاء في الفضائل عرّبها القس جبرائيل بن لبّاد سنة ١٧٣١

حرف الهاء

٨١٢ ﴿هارون بن عزّون﴾ ويروى عزوركان راهباً في القرن العاشر للميلاد. له تاريخ عام ذكرهُ ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٢٦—١٢٧) وابن ابي اصيبعة في تاريخ الاطبّاء (١ : ٧٢—٧٥) ورويا قطعة كبيرة من كلامهِ نقلاً عن عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع المتطبب

٨١٣ ﴿هانئ﴾ الخوري يوسف الغزيري المعروف اوّلاً بمنصور الحمش المتوفّى نحو السنة ١٨٨٥ . هو مؤلف كتاب منارة الطلّاب في التصريف والاعراب والمقامة الغزيريّة وكلاهما قد طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة وله متفرّقات مخطوطة منها نثريّة ومنها شعريّة يتداولها اهلهُ

٨١٤ ﴿الهزار﴾ هو القوّال عيسى الموصلي السرياني الكاثوليكي من كتبة القرن السابع عشر . (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٩ [١٠٠٦] : ١٠٩٨—١١٠٤) له مدائح وزجليّات واغاني تقويّة وادبيّة في بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيّة وقد نشرنا منها قسماً في المشرق المذكور . وفي بعض اعداد سنتهِ السابعة (ص ١٠٩٠) . ومن زجليّاتهِ نسخة في المكتبة الفاتيكانيّة (BO., II, 503, n° 29) اطلب ايضاً ما رُوي منها في مجلّة المشرق المسيحي (ROC, 1906, p. 251-273) .

٨١٥ ﴿هلّاديوس﴾ تلميذ القديس باسيليوس كان في اوائل القرن الخامس . في مكتبة الخوري بولس سباط (ROC, XVIII, p. 244, n° 73[1] et 248-250) عجائب القديس باسيليوس لتلميذهِ هيلاريوس (والصواب هلّاديوس)

٨١٦ ﴿هنري﴾ الاب جوليان (P. J. Henry) المرسل اليسوعي المتوفّى في حلب في ٣١ تموز ١٨٩٨ خلّف شرحاً على التعليم المسيحي عرّبهُ المعلم نجيب المشلاني

٨١٧ ﴿هوري﴾ الاب يوسف (P. J. Heury) المتوفّى في زحلة في ٢ ك ٢ ١٨٩٧ هو مؤلف كتاب المفردات الدرّيّة في اللغتين الفرنسويّة والعربيّة الذي طُبع اوّلاً سنة ١٨٦٧ ثمّ تكرّر طبعهُ مراراً . ومن خلفتهِ مواعظ ومجاميع تقويّة

حرف الواو

— واصاف — مطران صور البسكنتاوي (اطلب الدبسي)

٨١٨ ﴿وَرْد﴾ هو الخوري اسطفان الماروني من كفرحورة في الزاوية وتلميذ المدرسة المارونيَّة في رومية خوري كنيسة صيداء وكاتب اسرار المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ توفي في اواخر القرن الثامن عشر. من تاليفهِ ١ً كتاب «نزهة العباد» وهو عبارة عن سياحة خياليَّة الى مدن الشقاء والسعادة يباشرها مع رفيق سماوي يدعى حنانيًا يوقفهُ على صفات العالم ومحبيهِ وعن عباد الله. صنَّفهُ السنة ١٧٣٤. من هذا الكتاب نسخة في مكتبة الموارنة في رومية وفي مكتبتنا الشرقيَّة بالكرشوني. ٢ً صنَّف رسالة في شرف الملَّة المارونيَّة ذكرها المطران يوسف الدبس في تاريخ سوريَّة (٨: ٥٧١—٥٧٢) كتبها في صيداء سنة ١٧٣٢. ٣ً وذكر لهُ في كتابهِ سِفر الأخبار في سفر الاحبار تاريخًا عامًّا كتبهُ سنة ١٧٣٣. ٤ً وذكروا لهُ ايضًا كتاب مواعظ

— وُغري — هو الراهب ايثاغريوس الذي مرَّ ذكرهُ في العدد ١٥٥

٨١٩ ﴿ونتيول﴾ هو رفائيل الراهب الفرنسيسي من المرسلين الى الشرق في اواسط القرن الثامن عشر. ١ً عرَّب كتاب مدينة الله التبريَّة وعجيبة قوة الله الكليَّة في سيرة مريم العذراء للراهبة مريم اغريضا (Marie d'Agréda). منهُ نسخة في حلب في بيت الشمَّاس نقولا أيوب. وفي مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسختان الواحدة مكتوبة سنة ١٧٣٠. ٢ً تعريب كتاب احتقار الباطل العالم للراهب ديدكوس ستلا. طُبع في الشوير سنة ١٧٢٩ ثم في القدس

٨٢٠ ﴿وهبه﴾ الخوري الراهب الشويري من اواسط القرن الثامن عشر. لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة بعد تأليف الخوري يواكيم مطران في معنى القداس الشريف ردٌّ على اضاليل البروتستانت والروم (ص ١١٢—١٩٤)

٨٢١ ﴿وهبة الله﴾ جمال الدين من اهل القرن الثالث عشر كنَّا وجدنا لهُ في دير صيدنايا «كتاب قوانين المجامع والآباء عُني بهِ الامير الاجلّ جمال الدين وهبة الله. ونسخهُ لهُ ابو الصفر بن ابي النور بن عيسى بن عمرو النصراني» (اطلب مجلة النعمة ١: ٣١٣)

٨٢٢ ﴿وينا﴾ الاب اليسوعي خريسطوفورس (Christophe de Véga)

المتوفى سنة ١٦٧٢ . قد عرَّب الخوري ابرهيم جلوان السمرَّاني كتابهُ في حوادث الاعتراف . منهُ نسخ خطيَّة متعدّدة . منها ثلاث في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٢٣ وفي مكتبة لندن (Suppl., n° 28) وفي مكاتب حلب الخ . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة طاميش سنة ١٨٦٦ (لها بقية)

نظر في سياسة العام المنصرم

للاب ل . ق . اليسوعي (تتمَّة)

اميركة الشمالية والجنوبية (تابع)

تشبه المكسيكُ في سياستها براكينَها النارية المنفجرة من حين الى آخر كذلك الفتن والثورات بين احزابها تُلقي البلاد في حروب اهليَّة تعرّضها الى الاخطار والدمار

ختمت جمهوريَّة البرازيل حفلات اعيادها لتذكار استقلالها المئوي وقد شارك ارباب الكنيسة الشعبَ البرازيلي في هذه المظاهرات فزادت بهم رونقاً . ومما يجدر بالذكر انَّ رئيس الجمهوريَّة الجديد ارثور برنردس تذكَّر ما للكنيسة الرومانية من الايادي البيض في خدمة وطنهِ فأعلن انَّ كرادلة الحبر الروماني عند قدومهم الى البرازيل سيعاملون كاولياء عهد الدول بذات التشريفات الممنوحة لهؤلاء على ما كان جارياً في زمن استقلال الكرسي الرسولي

مُنيت اميركة الجنوبيَّة في حدود جمهوريَّة خطّ الاستواء بنكبة زلازل هائلة ذهبت بالوف من النفوس ودمَّرت مدينتي كومبال وتشيلي

آسية

﴿الشرق الاقصى﴾ ان حالة الصين تستدعي القلق لما صارت اليهِ تلك البلاد

الواسعة من الفوضى . فان سلطتها المركزيّة في پاكين عاجزة عن ضبط زمام الامر في ولاياتها العديدة وبعض هذه الولايات يضاهي الممالك الكبرى فان ولاية سوتشوان مثلاً يبلغ عدد اهلها خمسين مليوناً من النفوس . فاخذت كلُّ ولاية تدبّر امورها بمعزل عن سواها . وقد تعدّدت عصابات الاشقياء فيتجوّلون في انحاء البلاد ينهبون ويقتلون ويدمّرون وليس من رادع يردعهم . وقد اصبح الاجانب لا يأمنون على حياتهم فيتوسّلون الى حكوماتهم لتمدّ اليهم يد المساعدة . وزد على ذلك الضائقة الماليّة التي صارت اليها الصين لكثرة ديونها ولعجزها عن تأدية رواتب عمّالها وجنودها فقدّم كثيرون منهم استعفاءهم فزادت الفوضى باستقالتهم . وقد عزمت الولايات المتّحدة على ارسال بعض بوارجها انذاراً وتهديداً . والمظنون ان هذا الدواء اقبح من الداء اذ يثير الخواطر على الاجانب في داخليّة البلاد ويعرّضهم الى سوء عقباهُ

امّا (اليابان) فكلٌّ يعلم ما اصاب اهلها من النوائب بالزلازل الهائلة التي دهمتها في اوائل ايلول فانّ تفاصيل تلك الداهية الدهياء تقشعرّ لها الابدان فانّ ثلثي اصبتها طوكيو ذهب ضحيتها اهلها ضحايا تلك النكبة الفادحة سواء كان بهبوط مباني مدينة ام بالتهام النيران . وقد اصبحت مدن يوكوهاما ويوكوسوكا وكاكورا ووادي فارا قاعاً صفصفاً بعد ان كانت من خير زاهرة حافلة بالسكّان . وممّا افادتهُ الاحصاءات الرسميّة ان عدد القتلى لا يقلّ عن مئة الف والجرحى عن مئتي الف وقد بلغ عدد المباني التي خربت بالزلزال او دمّرتها النار او تداعت الى الخراب بطغيان مياه البحر في السواحل نحو ٥٠٠,٠٠٠ دار او معهد . واصبح عدد السكّان الشاردين بلا مأوى قريباً من مليونين ونصف . وقد ذكر من حضر تلك الجائحة ونجا منها انّهم تخيّلوا حدوث الطامّة الكبرى التي ستحلّ على الدنيا في آخر الدهر . وممّا عاينهُ العالم بالاعجاب شهامة اليابانيين الذين لم يستسلموا اليأس بل اسرعوا الى تلافي الامر واصلاح البلاد المنكوبة

﴿آسية الوسطى﴾ قد نالت (الهند الصينيّة) بفضل فرنسة وعمّالها رقياً عجيباً فان اهلها يعترفون للدولة المستعمرة بحسن نظرها وتدبيرها فانّ وارداتها وصادراتها تنمو سنةً بعد سنة نموّاً عظيماً اخذت تلك البلاد وجعلتها في حالة من الخصب قلّما يحظى بها غيرها . وقد أسف الاهلون لموت حاكمها المسيو موريس لنغ الرجل المقدام

والتفاني في سعادة البلاد المودعة تحت نظارته

امّا (الهند) فانّها قائمة قاعدة لتطالب بالاستقلال من الدولة الانكليزيّة . فتتألّف في امكنة مختلفة عصابات لمناهضة العمّال البريطانيين وكسر نير سلطتهم وهم ينسبون الى انكلترّة ما يصيبهم من الآفات ويتشكّون من الضرائب التي تبهظ قواهم ومن احتكار الدولة لكثير من موارد البلاد . على انّ انكلترّة ساعيةٌ في تحسين الاحوال الاقتصاديّة على قدر الامكان بتوفير السكك الحديديّة وتموين البلاد لردّ غائلة المجاعة وعلاج الادواء والاوبئة الفاجئة

﴿العجم﴾ لها في موقعها بين الهند الانكليزيّة وروسيّة البلشفيّة وتركيّة مقامٌ حرج يعرّضها لمطامع تلك البلاد وقد كان موقفها قبل الحرب الكونيّة موقفاً خطيراً حصلت بسببهِ فتنٌ شتّى فضلًا عمّا في إيران من الاحزاب المتباينة التي تعرّض الدولة لحرب اهليّة . فلمّا انتشبت الحرب الكونيّة بقيت العجم متضعضعة بين الحلفاء والاتراك الى ان سقطت روسيّة ودُحرت جيوش الاتراك فصارت الكلمة الراجحة للانكليز . لكن نهضة الاتراك اثارت في القلوب بغض الاجانب وهيّجت الخواطر فانقلبت الوزارات وتغلّبت الاحزاب المتطرّفة ودخل العجم دعاةُ البولشفيك واصبح موقف الشاه حرجاً فخرج من بلادهِ ريثما تهدأ الامور . وقد رأيناهُ في ظهرانينا قبل سفرهِ الى فرنسة التي يُعدّها صديقةً لمملكتهِ خالية من المطامع السياسيّة

امّا دولة افغانستان المجاورة لايران فانّها انقادت لدعوة الاتراك وعقدت معاهدةً مع مصطفى كمال وحكومة انقرة

﴿الحجاز والعراق وفلسطين﴾ هذا هو الحبل المثلّث الذي اعتصمت بهِ انكلترّة لصيانة طريقها الى الهند مورد تجارتها الكبير . وقد سعت في السنة المنصرمة لتعزيز نفوذها في تلك الجهات . امّا فلسطين فقد اعلنت جمعيّة الامم بالانتداب البريطاني عليها في ٢٩ ايلول ولم يكترث الانكليز لما وجدوهُ هناك من المعاكسات من قبل المسلمين والنصارى في سبيل سياستهم الصهيونيّة . وامّا الحجاز والعراق فقد ثبّتت بريطانية العظمى فيهما قدمها بمعاهدات ابرمتها مع الملك حسين وابنهِ الملك فيصل تطمئنها في المستقبل لحفظ نفوذها وتأمين صوالحها السياسيّة والاقتصاديّة . وليست تجد في شقيق الملك فيصل الامير عبد الله في شرقي الاردن ما يستوجب خوفها وهي

التي تنفق عليه من مالها وساعدتهُ لدحر القبائل التي حاولت شنّ الغارات على السلط وعمان . على انّ كثيرين من المسلمين في الهند ومصر لم يشاهدوا بعين الرضى النفوذ البريطاني في جزيرة العرب ويمدّونهُ كسلاسل من حديد تتيّد بها بريطانية تلك البلاد لتجعلها تحت حكمها

أما الصهيونيّون فانّ ما نالوهُ من الامتيازات في فلسطين قد حملهم الى طلب المزيد وقد عقدوا مؤتمرًا في كرلسباد في ٦ آب الى ١٦ منه فشكروا لبلفور مساعدتهُ في دخولهم الى فلسطين وتواعدوا بعقد مؤتمر اسرائيلي دولي قبل ثلاث سنين لتنظيم حكمهم في تلك الاراضي المقدّسة وجمعوا لذلك القناطير المقنطرة من المال

﴿سوريّة ولبنان﴾ لا يخفى على احد ما تبذلهُ فرنسة من المجهود في خدمة وطننا العزيز فانّها في السنين القليلة التي قضاها اربابُها بيننا قد أتت بمآثر جليلة لم يأتها الاتراك في مئين من السنين ولو لم نحظَ بفضلها على سوى الأمان والسلام لاستحقّت فرنسة اجزل الشكر . ولا بأس من وقوع ضائقة ماليّة في جهاتنا فانّ هذه الحالة المشؤومة ليست هي مختصّة بسوريّة وانّما هي حالة الدنيا جمعاء بعد الحرب الكونيّة التي ستنتهي آجلًا او عاجلًا

وقد كان لتعيين الجنرال ڤيغان كخلف لفخامة الجنرال غورو الوقع الحسن في العموم والكلّ شهود على نشاطهِ وغيرتهِ الملتهبة لاصلاح بلادنا بعد ان قتّ على عضد العصابات الاثيمة العائثة في جهات البلاد . فانّ التحسينات العديدة التي جرت في هذا العام بهمّتهِ ستؤول الى تقدّم الوطن . وهو يودّ لو وجد لتحقيق نيّاتهِ مساعدة فعليّة في ارباب الثروة وكبار التجّار . وكثيرًا ما يأسف لما يراهُ من خمود الهمّة في خدمة الوطن ومساعدة الحكومة لانشاء المشاريع العمرانيّة والاشغال العموميّة وتعزيز الصناعة والزراعة وقطع دابر المهاجرة الى خارج البلاد مع اهمال المواطن العزيزة

ومما قرّرتهُ الحكومة المنتدبة لصالح البلاد انشاء خطّ عريض السكك الحديدية بين طرابلس وبيروت مع الامل بتمديدهِ الى حيفا ليلحق بالخطّ المؤدي الى مصر . وكذلك صمّمت النيّة على توسيع مرفأ بيروت وقد وكلت الى لجنة خاصّة درس هذا المشروع الخطير

﴿تركيّة﴾ بعد انتصار جيوشها على اليونان في الاناضول وفوز ممثّليها في مؤتمر لوزان

حيث نالت من الانعام ما لم يكن في الحسبان واطلاق حكمها على الاقليات اخذ مصطفى كمال وحاشيته يهتمون بتنظيم حكم البلاد ، وهناك النقطة الحرجة ، فان العالم الاسلامي لا يشاهد بعين الرضا التقسيم بين السلطة الدينية والمدنية فترى من جرّاء ذلك الاختلافات بين حكم الاستانة وانقرة — وقد بلغ تطرف الكماليين الى انهم جاهروا بالعداوة لكلّ الدول الاجنبية وهم لا يستغنون عنها في معظم شؤونهم الاقتصادية مع ما يبهظ عاتقهم من الديون الطائلة . وسترينا الأيام ما سيؤول اليه امر تركية ولاسيما انّ الدول المتحالفة عادت الى قرارات مؤتمر لوزان وأبت ان تصدّق عليها قبل ان تأخذ العهدة من جمهورية انقرة على وفاء ديونها وتأمين الاقليات ومراعاة حقوق الاجانب

وفي ٢٣ أيار عُقد الصلح نهائياً بين اليونان والترك

افريقية

﴿مصر﴾ هي مبتهجة بعد فوزها بالاستقلال بتوحيد كلمتها واخماد الفتن الناجمة من تطرف بعض احزابها التي لا تهدأ ريثما ترى تحرير القطر المصري من كلّ نفوذ انكليزي . على انّ جلالة ملكها فؤاد الاوّل مع حبّه لوطنه يأنف من تطرّف بعض الاحزاب التي تتجاوز بمطالبها حدود الحكمة والتروّي . وقد عيّنت الدولة ممثلين لامورها لدى الدول الكبرى . وقد سرّنا أن رأينا بعض تلامذتنا نالوا ثقة حكومتهم فوقع عليهم الاختيار لتلك المناصب الشريفة كفخري باشا للسفارة في باريس وزوير باشا في رومية

﴿ مرّاكش ﴾ اجتمع مفوّضو الدول لتسوية مسألة طنجة فجعلوا فيها الحكم للجنة دولية

صارت في مرّاكش منزلة فرنسة معزّزة راهنة بحسن سياسة الجنرال ليوتي الذي فتح لتلك البلاد ابواباً واسعة لاقتصادها وعمرانها فعرف له القوم فضله

﴿الصحراء﴾ يسعى الفرنسويون في مدّ السكك الحديدية في بلاد الصحراء الافريقية لتنظيم المواصلات بين كلّ مستعمراتهم الافريقية وكذا يفعلون ايضاً في بقية مستعمراتهم في النيجر وكمرون . أمّا جزيرة مدغسكر فانها تزيد كلّ يوم ترقياً ونجاحاً بحسن تدبير عمّالهم

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

المطران بطرس ضوميط مخلوف

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تتمّة)

وقد توفق السفير بشيل اهمّ المطاليب فمنع قاضي الماغوصة ان يتقاضى الموارنة خمسة غروش عوض الثلاثة ارباع الغرش المرتبة سابقاً ورُفعت عنهم ولاية اساقفة الاروام وحُظّر عليهم ان يفرضوا ايّ ضريبة على الموارنة وكنائسهم وصدر امر بان يدفعوا خراجهم طبقاً لجريدة الاحصاء الجديدة دون ان يزاد عليهِ ضرائب اخرى . وكذلك حُرّم على الحكام والاروام ان يأخذوا من المطارنة والكهنة والرهبان الآتين الى قبرس او القاطنين فيها خراجاً او ايّ ضريبة سواه

ومما لا ريب فيه هو ان اهمّ تلك الاوامر كان رفعُ ولاية الاروام عن الموارنة واعفاؤهم من الخراج اسوةً بالاكليرس المقيم في سائر ولايات السلطنة العثمانية

وقد كتب السفير الى الملك بتاريخ ١٩ تموز يعلمه بما نال ثم اخبره ان قائمقام الصدارة قال ان الشريعة المتبعة تقضي بان يصير احصاء الذكور كل ثلاثين سنة فيفرض على كل مكلّف اربعة غروش وتجمل القيمة فتدفعها الطائفة او القرية او المدينة دون ما مراعاة الزيادة او النقص المتأتيين عن ولادة او وفاة او نزوح الى ان يُجرى احصاء جديد . ومع ان الموارنة بلغ النقص في عددهم مبلغاً اضطرهم الى دفع عشرين غرشاً عن كلّ مكلّف بدل الاربعة الغروش فلا يمكن تجديد احصائهم بغير ارادة سنية لكنّ السفير واصلَ سعيهُ لانه كان واثقاً ان جلالة الملك يرتاح الى كل مجهود يُبذل باسمهِ لخير النصارى اللاذين بجاه .

وفي كتاب السفير ده شاتونوف الى الملك سنة ١٦٨٨ جاء انه نال امراً يمنع قاضي لفقوسية ان يتقاضى الموارنة الخراج الّا بموجب الجريدة الجديدة وان لا يكرههم على دفع ضرائب غير المفروضة عليهم باوامر سلطانية

٥ معاونته للدويهي واهتمامه بمصالح الطائفة

فما سبق ترى ان الشدائد التي قاساها موارنة قبرس ومطرانهم لم تكن خفيفة الوطأة لكنها ما اوهنت عزيمة الاسقف المقدام ولا اقعدته عن العناية المتواصلة بشؤون ابنائه الروحيين بل بامور الطائفة جمعاء. ولاسيما في تلك الايام التي كان الاضطهاد فيها متفاقماً الى هذه الدرجة

ولمّا اضطر البطريرك الدويهي الى مغادرة كرسيه كان مطران قبرس رفيقهُ في تنقلاته المتكررة واياه كان يعتمد في قضاء مهامّ الوظيفة البطريركية الشاقة فتارة يُرسله الى زيارة ابناء الطائفة في الجبّة والبترون والشوف وعكار وكسروان كما رأينا وتارة يكلّفه تهيئة المواد اللازمة لمقابلة او تصحيح الكتب الطقسية ليؤلف منها كتاباً متقناً صحيحاً يُركن اليه لان كثرة عدد الناسخين والنُسخ كانت قد ادخلت اغلاطاً عديدة حتى كدتَ لا ترى نسخة تنطبق تماماً على الاخرى. وهذا شأن النسّاخ في كل مكانٍ وكتاب حتى في نسخهم الاسفار الالهية

وكان اهتمام الدويهي منصرفاً في بادئ ذي بدء الى الشرطونية التي على صحتها تتوقف صحة الرسامات فأوعز الى المطرانين بطرس مخلوف ويوسف شمعون الحصروني (١) مطران طرابلس بان يجمعا النسخ ويقابلاها ويشفعاها بملحوظاتهما ثم يرفعاها اليه ليعيد النظر فيها ليصدقها ويجعلها دستوراً للمطارنة في الرسامات. فاجتهد الاسقفان في جمع الشرطونيات القديمة وفحصاها وقابلا رتب «الخدم كلها التي تخص الكنيسة المارونية على ما تسلمها الآباء السالفون» وهذه الشرطونية وافق عليها الدويهي وبعثها الى رومية مع المطران بطرس مخلوف سنة ١٦٧٩ وامره أن يلتمس

---

١) المطران يوسف الحصروني. هو يوسف ابن عمه الحصروني أُرسل الى المدرسة المارونية فاكمل فيها دروسه ثم عاد الى وطنه في سنة ١٦٦٨ فاتخذه البطريرك جرجس البسيلاني كاتباً له وفي سنة ١٦٧٠ رقي الى درجة الكهنوت فارسله الى رومية البطريرك الدويهي بعد انتخابه لاجل طلب التثبيت من البابا اقليمس العاشر وبعد رجوعه بسنتين سقفنه على سيدة قنوبين ثم نقله الى ابرشية طرابلس في ١٦ تموز سنة ١٦٧٥ في دير مار شليطا بقبس. له تآليف عديدة منها كتاب علم النيّة وهو مشهور. ونسخ كتباً كثيرة وزار الرعايا وعني بالوعظ وكلفه البطريرك مقابلة الكتب الطقسية مع المطران بطرس مخلوف كما رأيت وقضى نحبه في دير قنوبين سنة ١٦٩٥ في ١١ ك ١ وكان رحمه الله ورعاً وذا غيرة متقدة

من قداسة الحبر الاعظم الرخصة بطبعها على نفقة الكرسي الرسولي لتبقى هكذا محفوظة من التحريف والزيادات

ولهذه الشرطونية نسخة في الكرسي البطريركي الماروني علّق عليها ما حرفيته :

« جعلوا اعتمادهم (اي الدويهي والمطرانان المذكوران) على نسخة ارميا العمشيتي (١٢١٥) والنسخة بخط يد العمشيتي محفوظة في مار مركيس اهدن . قوبلت مع نسخة المطران تادروس المكتوبة سنة ١٦٠٧ يونانية (١٢٩٦ م) في دير سيدة الماقورة وكانت موجودة في دير مار اليشع بشري . ومع نسخة نسخها مرقوس لاسقف عرقا متأوس سنة ١٣١١ وكانت محفوظة في جزيرة قبرس لخدمة مطرانها . ومع التي كتبها الخوري ابرهيم الباني سنة ١٤٩٥ . ونسخة حبقوق الادنيتي (١٥٨١) وهي محفوظة في الكرسي البطريركي . وبنسخة قزحيا التي اختصرها الحبيس مركيس ابن جلوان ١٥٨٤ »

وهذه الحاشية علقها ناسخ الشرطونية المطران يوسف مبارك من غوسطا . وقد نسخ المطران مخلوف كتاب تشمشت سنة ١٦٩٤ فرغ منه في ١١ نيسان يوم احد القيامة في بكنيا في بيت الخوري حاتم الجبيل الذي كان يدعى فياضاً وكان مخلوف عالمه ورسمهُ كاهناً

وفي تلك السنة اكمل المطران مخلوف تأليف السنكسار المعروف باسمه الموضوع على نسق السنكسار الروماني ولنا في هذا المؤلف كلام نوجئه الى فرصة اخرى

ونسخ ايضاً كتاب تشمشت آخر في سنة ١٦٩٥ وذكر في آخره ان في تلك السنة « كان جرد (جراد) لكنه عكر مقطع ضرورته (ضرره) كان مواضع مواضع وكان في مصر فناء وجوع وعمل ابن معن مسعدة على الفلاحين وصار ضيق عظيم من حط المال ومن القرصة ومن قلة مغل (الغلة) . ان القمح كيله كان بقرشين والرز كل اربعة ارطال بغرش وذلك في تموز البيادر واخرتها ما ندري كيف تكون . الله يلطف في عبيده »

وقد ذكرنا في ما تقدم تآليفه الاخرى ومذكراته

وفي سنة ١٦٧٩ اوعز اليه الدويهي ان يذهب الى المدينة الابدية فاستصحب تلامذة للمدرسة المارونية هم مخائيل القبرصي من مطرشي (١ ومخائيل نعيمه

١) مخائيل المطرشي كمل دروسه وعاد سنة ١٦٩٣ في ٥ حزيران وفي سنة ١٦٩٤ في ١٠ نيسان سيم قساً على الكفريات وهي قرية مارونية في شمالي غربي قبرس موقعها قرب دير مار الياس مطرشي الخاص بالرهبان اللبنانيين . وفي سنة ١٦٩٦ ارسله الدويهي الى رومية صحبة القس الياس الحلبي الحدثاني مع الخوري ابرهيم الغزيري . وصل الى قبرس فوجد القس ابرهيم قد سافر مع سبعة اولاد فاستصحب اربعة غيرهم وتبعه فاجتمعا في عاصمة الكثلكة وهيأ الاثنان احرف

الاهدني من بيت امية (١ وتوما القدسي من حصرون (٢ ولدوه الطالع وقع جميعهم في قبضة القرصان وقد نوّه بذلك المطران بطرس مخلوف في مذكراته قال :

«وفي سنة ١٦٧٩ اخذتنا المغاربة بالبحر (الاسر) الى طرابلس الغرب وقتلنا بها شهرين وبيعرًا (اسير) نصرانيًا (كذا) من سفاليه (صقلية) (٣ استفكتنا لاجل وجه الله . يا مسيح اسألك بالحب الذي بينك وبين والدتك انك تفكّه من يسر (اسر) خطاياه كما فكّيت اللص اليمين والخاطية وتسكنه معهم في جنّتك آمين يا رب العالمين »

وكان البطريرك الدويهي وكل الى موفده ان يبسط للحبر الاعظم حالة الطائفة وزوّده عريضة تاريخها الاول في ١٠ ت ٢ سنة ١٦٧٦ ثم عدل عن ارسالها فأرّخها في ٨ ايلول ١٦٧٩ واختار المطران بطرس مخلوف ليحملها وكان معيّنًا لها القس يوسف مونس

انا نورد بعض فقرات منها لان فيها وصفًا لحالة الموارنة في تلك الايام . قال البطريرك الجليل : «وكنت عزمت على نفسي بالقدوم حتى اتبارك من قدسكم واهنّئ غبطتكم بالدرجة السامية والسلطنة العالية لكن ما قدّر الله من كثرة الضنك

الطبع وسارا الى جبل فيكون حيث طبعا بعض كتب بفضل مساعدة وحماية الكردينال عامي الطائفة وترك مخائيل المذكور مصاحف عديدة نسخها بيده بالحرف الكرشوني واغلبها من تآليف الدويهي

١) مخائيل بن نعمه الاهدني درس الفلسفة سنتين ورجع الى وطنه في تاسع سنة بعد دخوله . تزوّج في طرابلس حيث سيم قسًا فخدم الرعية خدمة صالحة وتوفي سنة ١٦٩٨

٢) توما القدسي من حصرون بقي وحده في الاسر بعد خلاص المطران بطرس مخلوف ورفيقيه المتقدم ذكرهما . وقد حاول القرصان ان يحمله على الكفر والاسلام الى الشهوات وعذّبوه كثيرًا فظلّ ثابتًا . وقد تمكّن اخيرًا الذي استفك رفقاءه من ان يستفكه هو ايضًا وفي ٩ اذار ١٦٨١ دخل رومية ودرس الفلسفة واللاهوت وفي السنة العاشرة خرج من المدرسة ورجع الى القدس حيث تزوّج ثم سامه الدويهي قسًا على مغارة الصليب في ٢٨ اذار ١٧٠٠ وفي ٢٠ نيسان ارسله الى محل اقامته واصحبه بكاس وصينية وطبليت وكتاب قداس وتوبة مذهبة لاجل استعمال كهنة الموارنة في القدس الشريف

٣) الاسير النصراني هو ليوناردو غروسو من مدينة مسّينا كان وقع في اسر القرصان فوُكل اليه مصروف الاسرى وتمكن من انقاذهم واستأجر لهم محلاً في مركب متوجه الى ايطالية بعد ان انفق نحو ثلاثة آكياس دراهم لاستفكاكهم وكسوتهم وقوتهم ومصروف سفرهم وقد كافأه البابا اينوشنسيوس مكافأة جزيلة . ولمّا احتفل تلامذة المدرسة في سنة ١٦٨٥ بمرور مائة عام على تأسيسها اطرأوا البابا الذي بفضله انقذ المطران بطرس مخلوف ورفقاءه من الاسر

والاضطهاد الحادث على شعبكم الماروني وخاصة في هذه السنوات الثلاث رأوا من المحن والمشقات ما لم يرَه شعب اسرائيل من الفراعنة. فان ضياع كثيرة خلت وبعض ديورة احترقت والكنائس انهجرت وتقتل شعب كثير والباقي تفرقوا بين الامم الغريبة من تغيير الحكام وقساوتهم ثم دخلت هذه السنة بالجراد الزحاف حتى غطوا وجه الفلك والارض. ثم تبعهم القحط والغلا حتى زادت الاسعار خمسة اضعاف عما كانت اولاً. لكن احكام الباري غير مدروكة ... وبنظركم العام وبحلمكم تتبصروا (كذا) بالرحمة والرأفة على كرسينا وكنائسنا وكهنتنا الذين تحت عبودية البربر فلم يزالوا منذ القديم طائعين لسننكم وداعين لقدسكم بالدوام والبقاء والعلو والارتقا... والواصل الى تقبيل اقدامكم اخونا المطران بطرس مطران الافقسية المكرم هو يخبر قدسكم بسائر احوالنا. فان رسم خاطركم الشريف تشملوه بنظركم الكريم وتفضوه بالعاجل حتى يعاود لرعيته ومهما تفضلتم به علينا ترسلوه معه حتى لا نزال قائمين بهذه الحلة »

اما المطران بطرس مخلوف فلم يصل رومية الّا في العام التابع بسبب وقوعه في الاسر. وقد حظي بالمثول لدى قداسة الحبر الاعظم فشمله بعطفه وانالهُ مطالبهُ وزوده جواباً مفعماً بالعواطف الابوية (٢٠ ت٢ ١٦٨٠) واعطاه مساعدة للكرسي البطريركي (٣٠٧ ريالات).

ومما قاله الحبر الاعظم: « ان الكتابة التي رفعتها الينا على يد الاخ المحترم بطرس ضوميط مطران نيقوسية بمناسبة ارتقائنا الى الحبرية العظمى شملنا منها سرور عظيم لاننا وجدنا فيها عبارة طاعتك الثابتة الدائمة وطاعة طائفتك المارونية الجزيلة التقوى التي لا يتزعزع ايمانها. وبالاستمالة الابوية نشمل طائفتك باسرها وانت قبل الجميع بكل ما فينا من عواطف الحب. ونرغب ان تعلموا وتتأكدوا اهتمامنا الخصوصي لتدبير شؤونكم وان بعد الشقة لا يمنع من ان تكونوا دائماً نصب اعيننا كما سنثبته لكم بالبرهان كلما سنحت الفرصة. وقد ارسلنا اليك الآن شيئاً غير جدير بالذكر علامة رضانا كما ستعرفه من اخينا المذكور الذي اقبلناه بسرور »

وفي اليوم ٢٨ ك ١ من سنة ١٦٨٤ احتفل تلامذة المدرسة المارونية احتفالاً باهراً بمرور قرن على تأسيسها فزينت الكنيسة وفُرشت القاعات بالاقمشة وعُلقت على

الجدران صور الذين نبغوا بين التلامذة منهم ثلاثة بطاركة واثنا عشر اسقفاً من جملتهم بطرس مخلوف وتسعة كهنة. ولمّا انتظم عِقدُ المدعوين قرأ التلامذة التقاريظ الموضوعة في اناث مختلفة فمدحوا البابا اينوشنسيوس الحادي عشر الذي انقذ المطران بطرس مخلوف ورفقاءه من الاسر وخصوا بثنائهم واخلاصهم مؤسس المدرسة البابا السعيد الذكر غريغوريوس الثالث عشر وشكروا للكردينال نزلي محاميها وعدّدوا مناقب التلامذة الذين اشرنا اليهم ومدحوا اجتهادهم في التعليم والتبشير ونشر الايمان وتعزيزه. ورسمُ المطران بطرس مخلوف كان موجوداً في المدرسة الرومانية

قلنا ان حوادث خطيرة جرت في لبنان فعكرت صفاء راحته واقلقت اهاليه واشغلت بال البطريرك والاساقفة واليك وصفها في ورقة استدللنا من بعض الملحوظات انها للمطران بطرس مخلوف اورد فيها سنةً سنةً ما جرى في تلك الايام اي من سنة ١٦٩٣ حتى سنة ١٦٩٨. وها نحن نذكرها صوناً لها من الضياع:

« في تشرين الثاني ١٦٩٣ في ايام مار اسطفان الدنائي الدويهي وفي السنة ركب باشة طرابلس الذي كان اسمه علي باشا على الحمادية وساعدوه الموازنة وابن دندش وامارة الاكراد والمقدم قيديه بن الشاعر وطردوا الحمادية من بلادهم واسبوا نساءهم وطفروا على الثلج من عين بحر وتفدوا في بعلبك وكان ذلك في السنة المذكورة في شهر شباط ولحقهم الباشا على الرم. الرجال الذي لحقهم قتلهم والنساء سباهم وقد تشتتوا في البلدان وثم في شهر (لا ذكر لاسمه) في السنة المذكورة نشوا الدولة وامارة الاكراد جبة المنيطرة والامير محمد الكردي تصافق مع حسين بن سرحان حماده ونصره الله عليه وقتله واخذ راسه الى طرابلس وهذا حسن كان يومئذٍ رئيس الحمادية وتفرقوا الحمادية في البلدان

«ثم في سنة ١٦٩٤ في ايار اجتمعوا الحمادية في ارض جبة المنيطرة وطلع البكارات والدولة وابن دندش وجاؤا الى جبيل من فوق وجاء امارة الاكراد ومقدمين بيت الشاعر وطلعوا على الفتوح ووصلوا الى عين قبيقل واتى سيمين ابن سرحان مع الحمادية رفاقه وقتل من الامارة ثلاثة ومن المقدمين اثنين وصارت بينهم معركة عظيمة وباتت الكسرة على الامارة والمقدمين وطفرهم سيمين حماده. ثم في شهر ايلول في السنة المذكورة راح سيمين ورفاقه الى بلاد جبيل اتوا اليه (رجال) الدولة وابن دندش وابو ابرهيم غلوس وامارة الاكراد ومقدمين تولا وطفروهم من جبيل وقتلوا من رفاقه اناس وجرحوا البعض منهم وهرب الى كروان

سنة ١٦٩٥ حكم بلاد جبيل الشيخ يونس حبيش وكانت يد سيمين حماده معه وكان في الرهينة ابي مطرق سادق حبيش ومات في الحبس والحمادية كانوا مزروعين في جبيل وهذه السنة كانت مرفقة وجاء الجرد في الربيع الا كان عسكره متقطع وكانت ضرورته قليلة. تمت ولله الحمد

«وكان الفراغ من هذا التشتت المبارك سنة ١٦٩٤ في ٢٨ من شهر نيسان المبارك في ايام رئيس

الاباء مار اسطفانوس بطريرك مدينة الله انطاكية وفي ايام الامير احمد آل معن وكان الشيخ برتوفل حصن في غوسطا وبيت حماده كانوا مطرودين من بلادهم وكان رئيسهم سمعين وحسن والده كان قتل من امارة الاكراد وباشه صيدا كان مسك الشيخ حسن بن الشيخ احمد وابن اخيه محمد وحسن مات محبوساً والقوا جثته للكلاب ومحمد كابد بعده محبوساً . تم . . . »

ثم عثر على كتاب آخر لم نعرف اسمه ما يأتي: «وكان الفراغ من هذا الكتاب سنة ١٦٩٥ في كانون الثاني على يد المطران بطرس مخلوف من قرية غوسطا وكان مار اسطفان الهدناني في قنوبين وحصن الخازن كان حاكم بلاد جبيل وقاطع غزير وابن معن كان اسمه احمد وحاكم بلاد الشوف الى جسر المعاملتين وموسى ابن علم الدين التجا لباشة صيدا لانه هرب من الشوف من قدام ابن معن ومسكه عنده باشه صيدا مثل باز . وفي هذه السنة حدث امور جدّية لم نعلم ان كان حدث سابق مثلها وهي ان من الخريف الى يومنا هذا الذي هو يوم من كانون الثاني ما رويت الدنيا مليح ولا جاء عيانة بل نزل مطر مثل مطر الربيع ولا جرى سيل ولا جمعت البيارة ماء وكل موضع معطاش داقوا اهلها المحترة وجاء الى هذه البلاد اي طرابلس الشام وصيدا وما يليها طير غريب وهو من ثلاث جنوس اولاً وزّ برّي وثانياً حمام برّي وثالثاً طير آخر له طنطور مثل القوبار ودويك الجبل . ويجي يفذر القاق امه وهو ناشف ما عليه لحم الّا الجلد والعظم والبعض من سلسلته بيضه وصدره اسود والبعض صدره ابيض ويطير في النهار والليل ويصرخ كيخ ام كيخ ويطول بلظة(؟) . وقد قيل لنا من بعض ناس انه اتى وحش غريب الى هذا البلد وهو بقر برّي بثوب احمر ابلق ونحن لم نره بل قيل لنا من بعض ناس . ومن جهة الحمادية كانوا راحوا على جبة بشري وعلى البترون والكورة والزاوية وبلعوا ناس وقتلوا ناس وعاد ابن معن ردهم وهو اليوم في بلاد بشارة وفي بلد ابن معن مفرقين . وعندما رفعوا الخوازنة ايديهم من جبيل دخلت الحمادية في البلد . وفي الستة عشر من اذار رويت الدنيا ونزلت النهورا الشتوية وطلعت العيون ودارت الطواحين الشتوية ودام المطر ثلاثة ايام والتوت في الساحل موضع ما ضرب من العيانه ظهر عجايب والزرع طلع مقبل تمّ لله الحمد

«وسنة ١٦٩٦ وهذه السنة كان الامير موسى ابن علم الدين في دير القمر وولد الامير بشير كان في المتن وابن معن كان متخفياً والشيخ حصن الخازن كان معه بلاد

جبيل . وبلاد الجبة مقسمة ثلاث قسمات على اولاد كيروز واولاد ابي رزق الترتجي وعلى ابي كرم وابن اخته نخلوس . تم بالخير . سنة ١٦٩٧ من تشرين الثاني وفي ذلك العام اتى الامير احمد الكردي من امارة راس نحاش ومعه الامير احمد ابن علم الدين الى قرية المتين واحرقوها وفتحوا قبر مراد ابن بلمع وكسروا عظامه واحرقوا الكنيسة وفتحوا القبور الذين للنصارى والدروز ونهبوا جميع ما وجدوا وابن معن اختفى لانه طلع امر من السلطنة وجاء في الامر باشا تفتجي يفتش على النصارى ويقتلهم ويسبي بلادهم وابن معن الامير احمد كتب عاصي لسبب انه لقا الحمادية اليه . وعلي باشا كان جاب فيهم امر من السلطنة وجاء هو باشا على طرابلس وطفّر الحمادية من معاملة طرابلس ونجّاهم الامير احمد معن في بلاده وكاتبه علي باشا حتى يطفرهم من بلاده وقبل منه . ومع السعد علي باشا صار وزير وامر في الركبة على ابن معن وانطرد ابن معن من بلاده واختفا ظهر اليمنية واجتمعوا على الباشا التفتجي وحرقوا المتين وحارة المقدّم عبدالله ابن قيدبيه في صليا وما ندري كيف تتم هذه السنة . وبعد ذلك نشوا على وادي التيم واحرقوه ونهبوه وما لحقوا له نسا ولا رجالي وطلعوا كبار الشوف والجرد والغرب والمتن وكسروان وحضروا على الباشا التفتجي وعلى الامير موسى ابن علم الدين ورجعوا بالسلام الى مواطنهم والامير موسى المذكور نزل الى دير القمر وسكن موضع معن وارسل ابنه بشير مع الامير نجم يحكم في كسروان على القاطعين . حكموا اليمنية خمسة شهور وطلعوا من البلاد لا ضربه ولا طعنه ولا كون ولا جمية كما انهم دخلوا بلا معركة كذلك خرجوا ورجع ابن معن الى موضعه في الصيام في شهر آذار (١٦٩٧) . وذكر الدويهي انه مات في ايلول من تلك السنة

تلك كانت حالة البلاد في اضطراب دائم وقلق مستمر فأنى يتأتى لها ان تتمتع بالراحة والسكينة وكيف تسعى في طرق الرقي . الزعماء يتنازعون الارض وما فيها فيخربونها فتصبح بورًا سنين متوالية لفقد الامن والطمأنينة

اما النصارى فكانوا اشبه بكرة تتلاعب بها ايدي الحمادية وولاة الامور الاتراك والدنادشة ومن شاكلهم . نعم ان المعنيين كانوا يحمونهم لكن المعنيين كانوا من المغضوب عليهم كما رأيت يحتاجون الى من يردّ عنهم سخط الدولة العثمانية مع انهم كانوا يسعون لخير البلاد التي يحكمونها واستقلالها وما كان هذا السعي ليرضي

الاتراك . وقد انقرضت اسرتهم بموت الامير احمد بن معن كما ذكرنا

ففي تلك الشدة وجّه البطريرك انظاره الى محامية طائفته الامينة فارسل المطران بطرس مخلوف الى رومية سنة ١٦٩٥ وذهب معه يوحنا مرمغون موفداً الى فرنسة من قبل الطائفة والشيخين حسن وناصيف الخازن. وقد زوّد المطران المذكور رسوله كتابات الى ولي عهد فرنسة قد ذكرنا نصّها في كتابنا «صديقة ومحامية» وقد جاء فيها ما يصف حالة البلاد نعيد ذكره الآن :

«بعد تقبيل الارض بين ايادي حضرتكم الجليلة انه واصل نحو مشرفكم قاصدنا ووكيلنا ووكيل طائفتنا يوحنا مرمغون وحامل مكاتيب امارتنا حسن وناصيف لكي يرمي طاعة للسلطان والدكم وهو رجل من طائفة اصيلة وقد يطلب من السلطان القنصلية لاميرنا حسن كما منّ على اجداده لانه صار علينا ضيق عظيم في هذه البلاد من جهة الاسلام. ونرغب ان يكون بيرق سعادتكم معنا نطلب من جناب حضرتكم ان يكون نظركم على المذكور يوحنا مرمغون وتوصوا فيه عند والدكم الملك العزيز وتشفعوا فيه وتقضوا مصالحه يبقا لكم اجر عند الله ونحن وجميع الطائفة نصلي الى الله تعالى لكي يحفظكم ويمد في حياتكم» . وقد كتب في المعنى نفسه الى الملك وفصّل له المصائب الباهظة التي كانت تفرض على الموارنة وتجبى منهم قسراً

وقد نالت طلبات مطران قبرس والطائفة استحسان الملك فقلّد الشيخ حسن قنصلية بيروت وذلك خلافاً لما كان قرّر في امر ملكيّ صادر بتاريخ ١١ آذار سنة ١٦٨٥ ألا يُعيَّن الاجانب فيما بعد موظفين افرنسيين في الشرق

وقد شاء الملك اكراماً لخاطر تلك العائلة واجابةً لرغبة البطريرك والمطران بطرس ان يتجاوز النظام الذي سنّهُ لكنهُ ابان للشيخ حسن ما يترقبه منه من الاهتمام بامر الديانة والتجارة الفرنسية . وقد اوضح ذلك الوزير ده تورسي في تعليماته الى العمال الفرنسيين في الشرق قال : «ان الملك باعتماده هذا التدبير قصد ان يخفف الشرور والويلات الحالّة بالنصارى الوطنيين ويزيد في منافع رعيّته المتعاطية التجارة في تلك الاسكلة (بيروت)» . وقد نال الشيخ حقّ التمتع بكل ما للقناصل من الامتيازات وخصوصاً الحق بان يقيم له نائب قنصل يفوّض اليه بعض الحقوق في امور معلومة

وفي ٣ تموز سنة ١٦٩٧ اجاب الملك وولي العهد على كتابات المطران بطرس المتولي في تلك الحقبة وكالة البطريركية مدة تغيّب الدويهي ... كسروان. ومما جاء في مرسوم الملك «ان الاعتبار الذي اشعر به نحو جميع الذين ... سكون بالايمان الحق في اي قطر كانوا لا يمكن ان يدع لكم مجالاً للريب بما اشعر ... نحوكم بنوع خاص»

وفي اول تشرين الاول ١٦٩٨ كتب المطران بطرس ... حلوف ثانية الى الملك يطلب منه ان يتكرم براتب على القنصل ويرسل اليه بيرقاً ... (المشايخ الخوازنة) قدامهم لما يخرجون للسفر والقصد من ذلك بيان الود والم... ونشر اسم الملك ثم يلتمس منه ان يكون «حسن نظره على ابن عمه الشدياق ... حامل المودة»

وقد كتب البطريرك الدويهي بالتاريخ نفسه يشكر ... ك انعامه هذا ويقول «بهذه النعمة (اي الانعام بالقنصلية على الشيخ حصن) شرفت ... يدكم الملة المارونية التي من الزمان القديم خاضعة لسنن الكنيسة الرومانية ومستظلة ... بحماية الملة الفرنساوية ولم تزل في جميع صلواتها ليلاً ونهاراً تخشع لاجل انتصاركم ... حتفاظ بلدانكم. والزايد الآن في تشرفكم لعبدكم الشيخ حصن المفوض امور ... ها وله الاهتمام والعناية على رفع شأن البيعة الارثوذكسية وعلى نشر الكتائس و... جميع الذين يلتجون اليها في هذا الجانب حتى ولو كانوا تحت عبودية الامم الغريبة ... لله الحمد وفي نظركم الجليل ديانة السيد المسيح هي مزهرة في كسروان تحت حكمه نوف عن كل اقطار الشرق»

وكان الاب ده بواليفاش رئيس رسالة اليسوعيين في جبل لبنان كتب الى الاب فلوريو وكيل الرسالات في باريس يمدح آل خازن والموارنة ويستفزه ليساعد الرسول على اتمام مهمته

وكان الموفد الثاني الشدياق يوحنا بن الخوري الذي ... ي بالافرنجي جوديسي (ونظن انه من بيت قُدَيسي) ويقول عنه المطران بطرس مخارق انه ابن عمه. فوصل يوحنا في اوائل ك١ ١٧٠٠ الى باريس وما طال به المقام حتى جيب الى بعض مطاليبه وأجل البحث في غيرها. ومن مطالعة جواب بو نشرتران ... ل مطران قبرس تنجلي الحقيقة فان الوزير كتب اليه بتاريخ ٢٩ ك ١ من تلك السنة نفسها ان السلطان لم يستصوب منح الشيخ حصن الاربعة آلاف ثلث «عارفة» ... قنصلية بيروت لانه لم

يكن لتلك القنصلية «علوفة» من قبل ولا الامير ابو نوفل والامير قنصو طلبا ذلك بل كانا يأخذان ما يتقاضيانه اتجار من الرسوم المقررة. لكنه وعد بانه في الزمان الموافق لا يتأخر عن مساعدة الامير حسن وقال انه اوعز الى سفيره في الاستانة بان يعد القنصل والطائفة المارونية «بجميع ما يجي ليده من الامداد» ثم زاد انه وضع بيد الشدياق يوحنا ابن الخوري الختم الشريف الملكي الذي طلبه مطران قبرس

ولا تظنن ان الرسول عاد حالاً الى بلاده بل استمرّ سنة ايضاً في فرنسة ولم يعد قبل اواخر نيسان ١٧٠١ بعد ان نال من جود الملك مالاً وجوازاً لقّب فيه بلقب فارس وزُوّد كتابات للبطريرك ولمطران قبرس تاريخها ٤ اذار ١٧٠١ تحتوي شهادة بحسن سلوك الرسول وفطنته. وفيها اثبت جلالته حمايته للموارنة وقال في كتابه للمطران بطرس: «كن على يقين انني اكون ابداً مستعداً ان اظهر لك في كل فرصة تسنح لي ان مصالح طائفتك ومصالحك خصوصاً هي عزيزة اديّ للغاية» ومثله كتب ولي العهد الى البطريرك والمطران والشيخ حسن

ولا يخالجن فكرك ان كل هذه المهام استغرقت كل وقت المطران بطرس مخلوف فانه ما فتئ ينظر في شؤون رعيته ومصالح الطائفة فانه لما انتقل الحكم من احمد ابن معن الى الامير بشير شهاب سعى المطران المذكور بالحصول على مكتوب حماية الى الديورة وجدنا نصه في مذكراته وهاكه بحرفه:

«سنة ١٦٩٧ رباية حضرة الامير بشير شهاب الذي تخلف الامير احمد بن معن كتب مكتوباً للديورة التي تحت ولايته وهذه صفته:

دير طاميش. دير الحاج سلهب. دير الحراش. دير الراس. دير عنطوره. دير مار شليطا. دير مار الياس غزير. دير مار غبدا. دير الحلقة. دير ريفون. دير عين ورقة. دير حريصة. دير بحردق. دير مار يوحنا زكريت. دير مار انطانيوس دير مار الياس شويا. دير الملكية. دير روميه

الى اعزّ المحبين الطارين والخوارنة والرهبان الذين في الديورة المذكورين المكرمين سلمهم الله تعالى اولاً مزيد الاشواق اليكم في خير وعافية وبعده نعرفكم انكم تكونوا في اشغالكم وتقووا وتعمروا وتجدّدوا وتكونوا طيبين الخاطر من سائر الوجوه والجهات. ولا تقدموا قدامكم الا كل خير وان شاء الله تعالى ما تشوفوا منا الا الحماية والرعاية ومتعاملكم بجاري عوايدكم وما غلّي يتغير عليكم الا وجه المرحوم المغفور له من الله تعالى وكل من صار منه تعدّي على وقفكم تعرفونا فيه حتى نرسل لنطلع من حقه. يكون معلومكم والسلام. وحضرة ولي النعم صاحب الدولة الوزير المحترم ارسل لنا خلعة فاخرة والشرطنامه والسلام»

وفي اثناء وجود رسول الطائفة في باريس تجدّد الاضطهاد في لبنان وقبرس فكتب الدويهي رسالة الى ملك فرنسة وتاريخها آخر تموز ١٧٠٠ جاء فيها :

« ان مال الكرسي الذي كان مرتباً عليه سابقاً الى باشا طرابلس كان مايتي غرش وفي اول ارتقائنا الى درجة البطريركية اوصلوه الى اربعمائة قرش ولم يزالوا عام بعد عام يزيدوه ظلماً وتبريع (تبرّعاً) كما ان هذا البلد الذي نحن فيه كان اولاً ماله اربعة آلاف غرش ثم اوصلوه الى سبعة آلاف ولم يزالوا يزيدونه على خاطرهم لكوننه تحت الضمان » ...

وفي تحرير آخر تاريخه شهر آذار ١٧٠٠ تكرار ما كتبهُ في تموز وقد نشرنا ذلك في كتابنا «صديقة ومحامية»

اما احوال الموارنة في جزيرة قبرس ففصلها المطران بطرس مخلوف في عريضة وجهها الى الملك تاريخها ١٥ ت ١ ١٧٠١ وطلب منه ان ينجي رعيته في قبرس من الجور والاضطهاد. والحق يقال ان الموارنة الذين كان عددهم ٣ آلاف نسمة يوم تولى الدويهي رئاسة اسقفية قبرس اصبح سنة ١٧٠١ خمسمائة نفس كما روى ده غاستين في تقريره حيث قال ان لهم اسقفاً يتعلق امره بالبطريرك اللبناني. وكان حاكم الجزيرة اعتقل بعض الموارنة وارغمهم على دفع ٢٤٠ غرشاً بمثابة خراج مع اننا سبقنا فاوردنا ما كان مفروضاً عليهم وهو لا يتجاوز ٥ غروش عن كل مكلّف

فاهتمّ الملك شديد الاهتمام بامر الموارنة وكتب الى قنصل قبرس (١٧٠٢) يأمره بان يبذل جهده ليخفف وطأة الظلم عن الموارنة قاطني الجزيرة. ولمّا لم ينجح القنصل في مهمته كما كان يشتهي الاسقف المتحرق لوعةً على ابنائه استأنف الراعي الاستغاثة بالملك واتهم القنصل (١٧٠٣) انه لم يُعنَ بامر الموارنة كما يجب ومما قاله انه ما ترك الجزيرة الّا من شدّة الاضطهاد وعدم عناية القنصل به وبرعيته العناية الكافية. وفي ٨ شباط ١٧٠٢ كتب الوزير الى السفير ده فريول يقول له : « ان الاضطهاد كاد يتوقف في قبرس وقد سرّ الباشا بما قبضهُ من الترجمان ومن رجل ماروني ومبلغه ٨٠٠ او ٩٠٠ غرش فلا يوافق الآن ارغامه على ارجاعها لئلّا يستأنف الاضطهاد فالاوفق انتظار فرصة انسب من الفرصة الحاضرة لفتح هذا الباب»

لكن رغم ما كان يبذل عمّال فرنسة من المساعدات لهؤلاء التعساء لبثت حالتهم

لا تتحسن تحسناً يُذكر فاننا نعرف من كتابات القناصل ومفتشي الاساكل ما كانوا فيه من الشدّة. وكان قلب اسقفهم متفطرًا عليهم حتى في مرارة قلبه كان يظن ان الجميع يهملون الاعتناء بامور ابنائه. والسبب في عدم نجاح السفراء والقناصل لدى الباب العالي هو ان انكسارات جيوش لويس الرابع عشر في حرب خلافة اسبانية كانت اخبارها بلغت الى الاستانة فاستخفّوا به ولم يبالوا باقوال ممثليه

وقد كتب ده غاستين الى الملك (٥ ك٢ ١٧٠٧) عن حالة الموارنة بعد ان زار جزيرة قبرس في السنة السابقة فاسهب في وصف شقائهم وقال «انه مع ما الم بهم من الاضطهاد استمروا على تمسكهم بدينهم والتمسوا منه ان ينال لهم رخصة بتأسيس معبد في الملاحة (لارنكا) يقدس فيه كهنتهم ويقضي فيه واجباتهم الروحية الملاحون الموارنة القادمون الى ذلك الثغر من شطرط لبنان. وطلبوا مساعدة قدرها ٣٠٠ غرش بدل تلك التي كان يجود بها عليهم امير سايوديا»

اما الباب العالي فلم يرخص ببناء الكنيسة ولا اعطى بذلك فرمانًا فاضطرّ الموارنة الى الاجتماع في بيت لاقامة فروضهم الدينية. على انه بتوسط السفير أُرجعت الى الموارنة كنيسة الكفريات التي كان اغتصبها اياهم الاروام

وفي ٢ شباط ١٧٠٨ كتب السفير رأساً الى متسلم قبرس لعلّهُ يرأف بحالة الموارنة في الجزيرة فوعده خيرًا

٦ ايامه الاخيرة ووفاته

وفي ٣ ايار سنة ١٧٠٤ نقل الله الى دار الابرار البطريرك الجليل والعالم العلّامة اسطفان الدويهي بعد ان جاهد في كرم ربّهِ جهادًا عظيماً واتحف الطائفة المارونية والكنيسة والعلم بامثال فضائله وثمار علمه وتنقيبه وخلّف ذكرًا مجيدًا وارج فضيلة سامية زادتها المحن بهاء ورونقاً. ولم يكن الاساقفة جميعهم في قنوبين بل الموجودون فيه تركهُ قسم منهم خوفاً من المتاولة وتلافياً لضغطهم وقصدوا الى كسروان فكتب اليهم بولّار قنصل فرنسة في طرابلس يذكرهم بالتقاليد القديمة فجاوبه المطران بطرس مخلوف والمطارنة الذين كانوا في كسروان انهم كانوا تأهبوا للسفر رغم تفرقهم في ابرشياتهم وعجز اثنين منهم ومرض اثنين آخرين لكن وسلّا التقوهم في

الاستاذ شكري فرداحي

بثوب التعليم الرسمي

الطريق كان اساقفة الكرسي في قنوبين بعثوهم اليهم فاخبروهم انهم هم انفسهم صمّموا على مغادرة قنوبين ليتخلّصوا من الحماديين وتدخلهم

وللحال عاد الاساقفة كلهم الى كسروان وعقدوا مجمعهم في دير مار شليطا مقبس وصباح عيد العنصرة من تلك السنة وقع اختيارهم على مطران حلب جبرائيل البلوزاني. وهذا كان متقدماً في السن لكنه كان تقيًّا متصفاً بالفضائل الكهنوتية كما شهد له القناصل والمرسلون وكل الذين عرفوه

اما عميد المطارنة فكان المطران بطرس مخلوف الاقدم عهداً في الاسقفية كما هو بيّن من ترتيب التواقيع في ذيل العريضة التي رفعها الاساقفة والمشايخ واعيان الطائفة الى قداسة البابا طلباً للتثبيت ودرع الرئاسة وتاريخها اول آب ١٧٠٤

على ان الله تعالى لم يطل عمر البطريرك الورع بل نقله الى راحة الصالحين في ٢٨ تشرين الثاني من السنة التالية فالتأم مجمع الاساقفة في قنوبين بعد ان توفق قنصل فرنسة في ان يقنعي الحمادية عن الجوار ويحملهم على عدم التعرّض للانتخابات. وقد استمر الانتزاع عن انتخاب المطران يعقوب عواد الذي كثرت في عهد بطريركيته الاضطرابات وكادت تودي بوحدة الطائفة كما يتبيّن من تقارير القناصل والسفراء والمرسلين. ولذا اخذ الاساقفة يعترضون على انتخابه وفي مقدمتهم المطران بطرس مخلوف والمطران يوسف مبارك مطران صيدا فكتبا الى استيل قنصل فرنسة في صيدا وطلبا منه ان يساعدهما على ابطال الانتخاب فكان جوابه انه لا يستطيع التدخل في امور الكنيسة. فاخلد الاسقفان الى السكينة. اما المطران بطرس مخلوف فصرف ما بقي من حياته في تدبير رعيته في لبنان وقبرس. وذلك واضح من كتابة وزير الملك لويس الرابع عشر الى السفير ده فريول وفيها يقول ان الملك اطّلع على حالة الموارنة في جزيرة قبرس وهي حالة تعيسة. وقد سبق لنا ان ذكرنا ان المطران مخلوف بسط له واقع الحال وتشكّى من اهمال القنصل حماية الموارنة حماية فعلية

ولما علم امراء سابوديا ان المطران مخلوف يلتجئ الى دولة فرنسة ويطلب مساعدتها قطعوا عنه المرتّب الذي كانوا قرّروه لمطران قبرس في ايام الاسقف يوحنا مارون في اوائل الجيل السابع عشر كما يتضح ذلك من كتابات المطران الياس الجميّل الى المجمع المقدس

ولم نرَ بعد سنة ١٧٠٦ غير اثر واحد يدلُّنا على ان المطران بطرس مخلوف كان في قيد الحياة في اوائل شباط ١٧٠٧ وهذا الاثر هو حاشية معلّقة على كتاب قداس مخطوط موجود في الكرسي البطريركي وهاك نصها :

« كان الفراغ من هذا الكتاب المبارك في رابع يوم من شهر شباط سنة ١٧٠٧ بايام رئاسة بطركنا المفخّم مار يعقوب الحصروني في كرسي انطاكية ومطرانا يوسف الريفوني وفي زمان مطارين ايضاً الكرسي مار جرجس الحدناني ومار جبرائيل ومار خيرالله ومار حنا ابن المحاسب ومار بطرس مخلوف وغيرهم »

فاستنتجنا ان هذا الاسقف النشيط استأثرت به رحمة الله ما بين سنة ١٧٠٧ والسنة التالية لاننا وجدنا في عريضة المطران الياس الجميّل مطران قبرس الى المجمع المقدس والى امين سرّه السيّد بورجيا المكتوبة في سنة ١٧٧٤ ان دوق سابوديا قطع الاعانة التي كان خصّصها اجداده بطران قبرس في ايام المطران بطرس ضوميط الذي توفي من نحو سبعين سنة .

والحق يقال اننا لنعجب كيف ان هؤلاء الاساقفة كانوا يبلغون الى هذا العمر مع ما كان يحيق بهم من المحن وما يبذلونه من الجهد وما يعانونه من التعب . أليست يد الله كانت معهم ونعمته تعضدهم فيقووا بصبرهم على احتمال كل هذه المشاق ؟

هذا ما اتصل بنا من حياة هذا الراعي الصالح المجتهد آثرنا نشره تنشيطاً المغرمين بجمع آثار النصرانية في الشرق حتى يبادروا الى طبع ما فازوا به لافادة العموم ولإحياء مجد اولئك الذين في ازمنة عصيبة كانوا مثال الشجاعة المسيحية يقرنون الفضيلة بالعلم والعمل يديرون شؤون رعاياهم بغيرة لا تعرف الملل ويبتثون لاحياء آثار السلف يؤلفون الكتب المفيدة للتاريخ والدين والاداب . وما المطران بطرس ضوميط مخلوف سوى واحد من كثيرين خليق بنا ان ننشر فضله وان نبقي محفوظة آثار غيرته واجتهاده . نفعنا الله بامثاله وصلواته

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١ هُدْبة بن الخشرم (تتمة)

قال شارح الحماسة (ص ٢٣٥) والمبرّد في الكامل (ص ٧٦٥) : فمكث هدبة في السجن ما شاء الله ان يمكث حتى ادرك المِسْور بن زيادة . وجعل عنهُ عبد الرحمان بن زياد يقدم المدينةَ فيكلّمهُ القرشيّون وغيرهم وكان اهل المدينة رأَوا لهدبة لوفائهِ وشعرهِ وانّهُ اوّل مصبور رأوهُ في المدينة بعد زمن النبي صلعم وأضعفوا لهُ (وقيل للمِسْور) الدّيةَ حتى بلغت عشر ديات . وكان ممّن عرض عليهِ الديات الحسين بن علي ابن ابي طالب وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن عمر بن الخطاب وسعيد بن العاص وعمرو ابن عثمان بن عفّان ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش . فأبى الّا القوَد

وروى في الاغاني (٢١ : ٢٨٠) انّ جميل بن معمر العُذري دخل على هدبة السجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد واهدى لهُ بُردَيْن من ثيابهِ كساهُ اياهما سعيد بن العاص وجاءهُ بنفقةٍ . فلمّا دخل اليهِ عرض ذلك عليهِ وسألهُ ان يقبلهُ منهُ . وكان جميل هجا قومهُ بني عامر فردّ هديّتهُ قائلًا : خُذْ بُرْديك ونفقتك فاليك عنّي . فخرج جميل فلمّا صار في باب السجن خارجاً قال : اللهمّ أغنِ عني أجدعَ بني عامر . (قال) وكانت بنو عامر قد قلّت فحالفت لإياد

﴿موت هدبة بن الخشرم﴾ قال ابو رياش في الحماسة (ص ٢٣٦) : فمات عبد الرحمان في تلك السنين قبل احتلام مِسْور بن زيادة . فلمّا احتلم خرج بهِ في تلك الليلة الى المدينة . وفي الاغاني (٢١ : ٢٧١) ان عبد الرحمان لم يَمُت بعد قال : « وذهب عبد الرحمان بالمِسْوَر وقد بلغ الى والي المدينة سعيد بن العاص وقيل مروان بن الحكم

فأخرج هُدبة» . وفي الحماسة «انَّ اخوان هُدْبة من قُريش ارسلوا اليهِ كفناً وحَنُوطاً فأُخرج في سلطان الوليد بن عُتبة بن ابي سفيان فقال هدبة (من الطويل) :

ألا عَلِّلاني قبل نَوْحِ النوائحِ ... وقبلَ اطّلاع النفس بين الجوانحِ (١

وقبل غَدٍ يا ويل نفسي على غدٍ ... اذا راح اصحابي ولستُ برائحِ (٢

اذا راح اصحابي تُفيض عيونُهم ... وغُودِرتُ في لَحْدٍ عليَّ صفائحي

يقولون هل أصلحتمُ لأخيكمُ ... وما القبرُ في الارض الفضاء بصالحِ

وقال لمّا خرج الى القوم وفي قولهِ ما يدلُّ على الورع والتقى المسيحيّ (من الطويل) :

أذا العَرْشِ اني لائذٌ بك عائذٌ ... من النار ذو بَثٍّ اليك فقيرُ (٣

يفيضُ اليَّ الظلمُ ما لم أُصبْ بهِ ... من الظلم مَشْعوفُ الفؤادِ نفيرُ

واني وان قالوا امير مسلَّطٌ ... وحُجّابُ ابوابٍ لهنَّ صريرُ (٤

لأعلم انَّ الامر امرُك إن تَدِنْ ... فربٌّ وان تَغْفِر فانتَ غَفورُ

وقال الرواة : فلمّا كان في الليلة التي قُتل في صباحها ارسل الى امرأتهِ يستقدمها ليودّعها وكان يحبّها ولهُ منها ولدان . فلمّا اتتهُ حادثها وبكى وبكت ولمّا قبّلها سمعت قعقعة الحديد فاضطربت فتنحّى عنها قائلاً (من الطويل) :

لقد زعمَتْ امُّ الصبيَّين انّني ... أفرُّ جَناني وازدهَتْني المخاوفُ

وأدْنيتِني حتى اذا ما جعلتِني ... لدى القلب اذ ذاك استقلَّكِ راجفُ

فان شئتِ والله انتهيتُ وانّني ... لأَنْ لا تَرَيني آخرَ الدهر خائفُ

١) ويروى : قبل صدع الصوادع . ويروى : قبل ارتقاء النفس فوق الجوانح

٢) وقد روى صاحب الحماسة (ص٥٥٨) هذين البيتين لابي الطَّمحان شرقي بن حنظلة التيمي

٣) ويروى : اني مسلم بك . ويروى : اني عائذٌ بك مؤمنٌ مُقرٌّ بزلّاتي اليك فقيرُ

٤) ويروى : اميرٌ وتابعٌ وحرّاسُ ابوابٍ

رأت ساعدَيْ غُولٍ وتحت ثيابهِ جآجيءَ يَدْمى حدُّها والحراقفُ

وقيل انَّ هدبة بعث الى عائشة يقول لها : استغفري لي . فقالت : ان قُتلتَ استغفرتُ لك . قال المبرّد : ولمّا خُرج بهِ ليُقاد بالحَرّة جعل ينشد الاشعار فقالت لهُ حُبّى المدنيّة : ما رأيتُ قلباً أقسى منك أتُنشد الاشعار وانت يُمضَى بك لتُقتَل وهذه خَلفَك كأنها ظبيٌ عطشان تولول (تعني امرأتهُ) . فوقف ووقف الناس معهُ فأقبل على حُبّى فقال (طويل) :

وجدتُ بها ما لم تَجِدْ أمُّ واحدٍ ولا وَجدَ حُبّى بابن أمّ كِلابِ (١
وانّي طويلُ الساعدَيْن شَمَرْدَلٌ على ما اشتهَتْ من قوّةٍ وشَبابِ (٢

فانقمعت حبّى داخلةً الى بيتها فأغلقت الباب في وجههِ . وقال في الاغاني : لمّا مُرَّ بهدبة على حُبّى قالت لهُ : في سبيل اللهِ شبابُك وجَلَدُك وشعرُك وكرمك فقال (من الطويل) :

تَعجَّبُ حُبّى من أسيرٍ مُقيَّدٍ (٣ صليبِ العصا باقٍ على الرَّسَفانِ
فلا تَعجَبي منّي (٤ حليلةَ مالكٍ كذلك يأتي الدهرُ بالحدَثانِ

واخبروا انهُ لمّا خرج بهِ صاحب الشرطة ليُقتل جعل الناس يتعرّضون لهُ ويَخبرون صبرهُ ويستنشدونهُ . فلقيهُ عبدالرحمان بن حسّان بن ثابت الانصاري فقال لهُ : أنشدني يا هُدبة . فقال : أعلى هذه الحال ؟ قال : نعم فانشدهُ (من الطويل) :

وما أتصدّى للخليل وما أرى مُريداً غِنى ذي الثروةِ المتقطِّبِ
وما أتبعُ الألوَى المُدلِّي بودّهِ عليَّ وما أنأى من المتقرِّبِ

١) ويروى : وما وجدتْ وَجدي بها امُّ ٢) ويروى : رأتهُ طويل الساعدين . . . كما انتمشت . ويروى : كما انبعث . فالشَّمَرْدل المَسَن الخَلْق وقيل السريع
٣) ويروى : مكبَّل ٤) ويروى : منهُ

ولا أتّقي (١ الشرَّ والشرُّ تاركي ... ولكن متى أُحمَل على الشرّ أركبِ
ولستُ بِفراحٍ اذا الدهرُ سرَّني (٢ ... ولا جازعٍ من صرفهِ المتقلِّبِ
وما يعرفُ الاقوامُ للدهرِ حقَّهُ ... وما الدهرُ ممَّا يكرهون بمُعتِبِ
وللدهر في اهل الفتى وتِلادهِ ... نصيبٌ كحزِّ الجازرِ المتشغِّبِ
وحرَّبني مولايَ حتى غَشيتُهُ (٣ ... متى ما يُحرِّبْكَ ابنُ عمِّكَ تَحرَبِ

ولمَّا قُدِّم نظر الى امرأتهِ وكانت من اجمل الناس فدخلتهُ غيرةٌ وقد كان جُدع في حربهم فقال (من الطويل) :

أقِلّي عليَّ اللومَ يا أمَّ بَوْزعا ... ولا تَعجبي ممَّا أصاب فأوجعا (٤
فإن يكُ أنفي بانَ منهُ جمالُهُ ... فما حَسَبي في الصالحينَ بأجدعا
وما حسَّنَتْ نفسي لي العجزَ مُذ بَدَتْ ... نواجذُها يَمْجُجْنَ سُمّاً مُلَعَّعا
فلا تَنكحي إنْ فرَّق الدهر بيننا ... أغَمَّ التفا والوجهِ ليس بأنزعا
كليلاً سوى ما كان من حدِّ ضرسهِ ... لدَى الزادِ مِبطانَ العشيّاتِ اروعا (٥
ضروباً بلِحيَيهِ على عَظم زَوْردٍ ... اذا الناسُ (٦ هَشُّوا للفَعالِ تَقنَّعا
أصيبَ لا يُرضيكَ في الحيِّ قاعداً ... اذا ما مشى او قال قولاً تَبلَّعا
وحُلِّي بذي أكرومةٍ وحميَّةٍ ... وصبرٍ اذا ما الدهر عَضَّ فأفجعا (٧
وكوني حبيباً او لأروعَ ماجدٍ ... اذا ضنَّ أعشاشُ الرجال تبرَّعا (٨

١) ويروى : ما اتبغّى . ويروى : ولستُ بباغي ٢) ويروى : مسّني
٣) ويروى : خشيتهُ
٤) ويروى : ولا تجزعي . . . وأوجعا ٥) ويروى : من جذ ضرسهِ أكيبدَ مبطان العشيّة . ويروى : أعيبد مبطان الضحى ٦) ويروى : اذا القوم ٧) ويروى : عضَّ فاسرعا . ويروى : فاوجعا ٨) ويروى : وكوني حنيناً . جاهدٍ . . . اوباش الرجال

وليس اخو الحرب الشديدة بالذي اذا زينَتْهُ جاء (١ للسِلْم أخضعا
ولكن اخو الحرب الحديدُ سلاحُهُ اذا حملَتْهُ فوق حالٍ تشجَّعا
أخو الحرب لا ينآدُ للحرب مَتْنُهُ ولا يُظْهِر الشكوى اذا كان مُوجَعا
ركوبٌ على أثباجها (٢ متخوِّفٌ لعوراتها حتى اذا الثقلُ أضلعا

وختمها بقوله :

فانَّ التُّقى خيرُ المَتاع وانَّما نصيبُ الفتى من مالهِ ما تمتَّعا

فأدركهُ عبد الرحمان بن حسَّان فقال لهُ : يا هدبة تأمرني ان اتزوَّج هذه بعبدك (يعني زوجتهُ وهي تمشي خلفهُ) . قال : نعم ان كنت من شرطها . قال : وما شرطُها . فكرَّر عليهِ الابيات . فمالت زوجتهُ الى جزَّار فاخذت شفرتهُ فجدَّعت بها أنفها وجاءتهُ تدمى مجدَّعةً . فقالت : أتخاف ان يكون بعد هذا نكاح؟ (قال) فرسف في قيودهِ وقال : الآن طاب الموت . وقيل انها فعلت ذلك بحضرة مروان وقالت لهُ : انَّ لهدبة عندي وديعةً فأمهِلهُ حتى آتيهُ بها . فقال : اسرعي فانَّ الناس قد كثُروا . وكان جلس لهم بإزاء دارهِ فمضت الى السوق وانتهت الى قصَّاب وقالت : اعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وانا اردُّها عليك . ففعل فقرَّبت من حائط وارسلت ملعتها على وجهها ثمَّ جدَّعت أنفها من اصلهِ وقطعت شفتيها ثمَّ ردَّت الشفرة واقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت : يا هدبة اتراني متزوَّجة بعد ما ترى . قال : لا . الآن طاب الموت

ثمَّ خرج يرسف في قيودهِ فاذا هو بابويه يتوقَّعان الثكل وهما بسوء حال فأقبل عليهما وقال معرباً عن رجائهِ بالآخرة (من الخفيف) :

أبلِيَاني اليومَ صبرًا منكما انَّ حزناً إنْ بدا بادئ شرّ (٣
لا اراني اليوم الَّا ميِّتاً (٤ انَّ بعد الموت دارَ المستقرّ

١) ويروى : اذا زينَتْهُ كان ٢) ويروى : وحوبٌ على اثباجها
٣) ويروى : انَّ حزناً فلكما اليوم يسرّ ٤) ويروى : ما اظنُّ الموتَ الَّا هيِّناً

إصبِرا اليوم فـاني صـابرٌ كلّ حيّ لقضاء (١ وقـدَر

قال في الاغاني: ندُفع هدبة الى عبد الرحمان اخي زيادة ليقتلهُ فاستأذنَ في ان يصلي ركعتين فأذن لهُ فصلّاهما وخفّف ثمّ التفت الى من حضر فقال : لولا أن يُظنَّ بي الجزَع لأطلتُهما فقد كنتُ محتاجاً الى إطالتهما. ثمّ قال لأهلهِ انهُ بلغني انَّ القتيل يعقُل ساعةً بعد سقوط رأسهِ فإنْ عقلتُ فاني قابضٌ رجليّ وباسطهما ثلاثاً. ففعل ذلك حين قُتل. وقال قبل ان يُقتَل (من الطويل) :

إن تقتلوني في الحديد فانّني قتلتُ اخاكم مطلقاً لم يُقيَّدِ

فقال عبد الرحمان اخو زيادة: والله لا قتلتُهُ الّا مطلقاً من وثاقهِ فأُطلق فقام اليـهِ وهزَّ السيف ثمّ قال :

لقد علمتْ نفسي وانت تعلمُهُ لأقتلنَّ اليومَ من لا ارحمُهُ

ثمّ قتلهُ. هذه رواية من لم يقل بموت عبد الرحمان. امّا حمّاد الرواية فقال انَّ الذي تولّى قتلَهُ المِسْوَر دفع اليهِ عنهُ السيف وقال لهُ: قم فاقتل قاتل ابيك . وفي كامل المبرّد (ص ٧٦٧) انَّ هدبة قـال لابن زيادة: أثبتْ قدميك وأجدِ الضربةَ فـاني ايتمتُكَ صغيراً وارملتُ امّك شابّةً ... مـا اجزعُ من الموت. وفي شرح الحماسة (ص ٢٣٦): انهُ لمّا برَكَ للقتل قامت امرأة زيادة امّ المِسْوَر فـأخذت السيف ثم قالت لابنها: اضرب بابي انت وامّي. فضربهُ ضربةً أبانت رأسهُ. وفي الاغاني : فضربهُ ضربتين فقتلهُ بهما. ووثب رهطُ هُدْبة فنحّوهُ عنهُ حتى دُفن. فقال واسع اخوهُ يرثيهِ (من البسيط) :

يا هُدْبَ يا خيرَ فتيان العشيرةِ مَنْ يُفجَعْ بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا

الله يعـلمُ أنّي لو خشيتُـهمُ أوْأوجسَ القلبُ من خوفٍ لهم فزَعا(٢

لم يقتـلوهُ ولم أسلِمْ اخي لهمُ حتّى نعيشَ جميعاً او نموتَ معا(٣

١) ويروى: لقناء ٢) ويروى: احسنَ القلب. ويروى: اوجعَ القلب. . . جزعا

٣) هذه الابيات تمثّل بها ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن عليّ بن ابي طالب لمّا بلغهُ قتل اخيهِ محمّد (الاغاني)

﴿رتبتهُ بين الشعراء﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (٢١ : ٢٦٤) «هدبة شاعر فصيح متقدّم من بادية الحجاز وكان شاعرًا راويةً كان يروي للمطيئة .. وكان جميل (ابن معمر) راوية هُدْبة» وقد افادنا ابن النديم في الفهرست (ص ٧٨ و ١٥٩) انَّ السكّري «عمل اشعار جماعة من الفحول» ذكر من جملتهم «هُدبة بن الخشرم» وصهرهُ «زيادة بن زيد» ولا بُدَّ ان يكون ديوانهما مفقودًا. وممَّا رُوي عن مروان بن ابي حفصة وعن حمّاد الراوية قولهما (الاغاني ٢٧٥) كان هُدبة اشعر الناس منذ دخل السجن الى أَنِ أُقيد» وفي قولهِ هذا شاهد على ما قيل بانَّ اشعر الشعر ما أنشدهُ صاحبهُ متجرّدًا عن الغايات مندفعًا اليهِ بعواطف غريزتهِ . وحدَّث مصعب الزبيري قال: «كنَّا بالمدينة اهل البيوتات اذا لم يكن عند احدنا خبرُ هُدبةَ وزيادةَ واشعارهما ازدريناهُ وكنَّا نرفع من قدْر اخبارهما واشعارهما ونُعجب بها». وقد امكن القرّاء ان يستدلُّوا على شعرهِ المطبوع في ما مرَّ من اخبارهِ وها نحن نضيف اليهِ ما وجدناهُ متفرّقًا في كتب الادباء لئلّا تأخذهُ يدُ الضياع. فمن ذلك ما رواهُ ابو تمّام في حماستهِ (من الوافر):

انّي من قُضاعةَ مَنْ يَكِدْها ... أَكِدْهُ وهي منّي في أَمانِ
ولستُ بشاعر السَّفسافِ فيهمْ ... ولكن مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوانِ (١
سأهجو مَنْ هجاهم من سِواهمْ ... وأُعرِضُ منهمُ عمَّن هجاني

ومن جيّد شعرهِ قصيدتهُ البائيَّة التي قالها في الحبس جمعناها من كتب مختلفة كأمالي القالي (١ : ٧٢) والحماسة البصريَّة (ص٣٧) وخزانة الادب (٤ : ٨٢–٨٣) (من الوافر):

طَرِبْتُ وانت احيانًا طَروبُ ... وكيف وقد تعلَّاكَ (٢ المشيبُ
يُجِدُّ النأيُ ذكرَكَ في فؤادي ... اذا ذَهِلَتْ على النأيِ (٣ القلوبُ

---

١) السَّفْساف ما لا خيرَ فيهِ من الافعال والاقوال . والمِدْرَه السيّد الذي يُدفَع بهِ الشرّ فينظم امور الحرب ٢) ويروى: تنشّاك ٣) ويروى: عن النأي

يُؤَرِّقني اكتئابُ ابي نُمَيْرٍ (١ فقلبي من كآبتهِ كئيبُ
فقلتُ لهُ هداكَ اللهُ مَهْلاً وخيرُ القولِ ذو اللُّبِّ اللَّبيبُ (٢
عَسَى الكَرْبُ (٣ الذي أمسيتَ فيهِ يكونُ وراءهُ فرَجٌ قريبُ
فيأمَنَ خائفٌ ويُفَكَّ عانٍ ويأتي اهلَهُ الرجلُ الغريبُ
ألا ليتَ الرياحَ مُسخَّراتٌ بحاجتنا تباكِرُ (٤ او تؤوبُ
فتُخبِرَنا الشَّمالُ اذا أتتنا وتُخبِرَ اهلَها (٥ عنَّا الجَنُوبُ
بأنَّا قد حَلَلْنا دار بَلْوى فتُخطِئُنا المنايا او تُصيبُ (٦
فان يكُ صَدْرُ هذا اليومِ ولَّى فانَّ غدًا لناظرهِ قريبُ
وقد عَلِمَتْ سُلَيْمَى انَّ عُودي على الحَدَثانِ ذو أَيْدٍ صَليبُ
وانَّ خَليقتي (٧ كرمٌ وأني اذا أَبدَتْ نواجِذَها الحروبُ
أعينُ على مَكارِمِها وأَغْشَى مكارِهَها اذا كَرِهَ المَحُوبُ (٨
وقد ابقى الحوادثُ منك ركناً صليباً ما تَوَيِّسُهُ الخطوبُ
واني في العظائمِ ذو غَناءٍ وأُدعى للفَعالِ (٩ فأستجيبُ
وأني لا يخافُ الغَدْرَ جاري ولا يَخشى غَوائلِيَ القريبُ
وكم من صاحبٍ قد بانَ عنّي رُميت بفَقْدِهِ وهو الحبيبُ

١) قال اللخميّ : ابو نمير ابنُ عمّهِ كان مسجونًا معهُ . وقيل رجل من قرائبهِ كان يزورهُ في حبسهِ ٢) ويروى : ذو المبج المصيبُ ٣) ويروى : الهمّ
٤) ويروى : لحاجتنا تُراوح ٥) ويروى : فتُبلغنا الشمالُ اذا نأينا وتبلغ اهلنا
٦) ويروى : فانَّا قد نزلنا . . . المنيَّةُ ٧) ويروى : خلائقي
٨) ويروى : اذا هاب المَحُوب ٩) ويروى : وادعى للسَّماح

فلم أبدِ الذي تحنو ضلوعي عليهِ وانني لأنا الكئيبُ
مخافةَ ان يراني مُتكيناً عدوٌّ او يُساءُ بهِ قريبُ
ويَشمتَ كاشحٌ ويظنَّ أني جزوعٌ عند نائبةٍ تنوبُ
فبعدكِ سدتِ الاعداءَ طُرفاً اليَّ ورابني دهرٌ يُريبُ
وانكرتُ الزمانَ وكلَّ اهلي وهرتني لغيبتك الكليبُ
وكنتَ تُقطِّع الابصار دوني وان وغرتْ من الغيظِ القلوبُ
على انَّ المنيَّة قد توافي لوقتٍ والنوائبُ قد تنوبُ

ومما رواهُ لهدبة في الحماسة البحتريّة (ع ٢٤) قولهُ (من الطويل) :

مشيتُ البراحَ للرجال شبيبتي الى انْ علتني كبرةٌ بمشيبِ
فلا تفخروا افواهكم إنني شجاً الى الحَلْقِ والأضراسِ غيرُ حبيبِ
لعمريَ ما شتمي لكم ان شتمتكم بسِرٍّ ولا مشيي لكم بدبيبِ
ولا ودُّكم عندي بملقٍ مضنَّةٍ ولا شرُّكم عندي بجدِّ مهيبِ
فلآنَ عاجلتم رياضةَ مُصعبٍ مُذلٍّ عسيرِ الصُّلبِ غيرِ ركوبِ
وقاسيتمُ غرباً يمدُّ عِنانَهُ كغربِ الفراتِ جاشَ يومَ جنوبِ

ومن روايتهِ (ع ٨٨١ و١٣٨٨) (من الطويل) :

وبعضُ رجاءِ المرءِ ما ليس نائلاً غناءٌ وبعضُ الناسِ(١ أعفى وأروحُ
وآخرُ ما شيءٌ يقولك والذي تقادمَ تناهُ وان كان يفدحُ

١) ويروى : عناء وبعض اليأس

وقد روى ايضاً (ع ١٠٨) وكذلك في اصلاح المنطق (ص١٦٢) (من الطويل) :

وكذّبَ قولَ العائبينَ سماحتي وصبري اذ ما الامرُ عُضْرٌ فأضجرا
واني اذا ما الموتُ لم يكُ دونهُ مَدى الشِبْرِ(١ أحمي الأنفَ أن اتأخّرا

وفيها يقول :

وأبيضَ يُستَسقَى الغَمامُ بوجهِهِ اذا اُختيرَ قالوا لم يَقُلْ مَنْ تَخَيَّرا
من الرافعينَ الهمَّ للذكر والعُلَى اذا لم يَبُؤْ الّا الكريمُ ليُذْكَرا
رُزِينا فلم نَمْتُرْ لِوَقعتهِ بنا ولو كان في حيٍّ سِوانا لأعثرا
وما دهرُنا إلّا يكونُ أصابنا بنَفْلٍ ولكنّا رُزِينا لنَصْبِرا

وروى لهُ ايضاً (ع ١٣٦٧) في ذمّ المزح قولهُ (من الطويل) :

ورُبَّ كلامٍ قد جرى من مُمازحٍ فساقَ اليهِ سَهْمَ حَتْفٍ فعجّلا
فدَعْ عنكَ قُرْبَ المَزْحِ لا تَقْرَبَنَّهُ كفى بامرئٍ وعظاً اذا ما تكمّلا

ومن روايتهِ ايضاً (ع ١٧٣) في استطابة الموت قولهُ (من الطويل) :

مَضى قُدُماً يَدعو الحياةَ عَناهُ ويدعو الوفاةَ الخُلْدَ ثَبْتٌ مُواقِفُ

ومن البحر والقافية ما جاء في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة يصف عفافهُ (ص ٣٦) :

واني لَأَخلي للفتاة فِراشَها وأكثرُ هجرَ البيتِ والقلبُ آلِفُ(٢
حَذارَ الرَّدى او خِشْيَةً أن يَجُرَّني الى مَوْقفٍ أُرْمَى بهِ او أُقاذَفُ

١) ويروى : قدى الشِبْر
٢) ويروى : وأصرم ذات الدَّلّ والقلبُ والهُ . ويروى بعد هذا البيت :
يظَلُّ بها الهادي يقلّبُ طَرْفَهُ من الهول يدعو وَيْلَهُ وهو رهفُ

ومما رواهُ لهُ ايضاً (غ ٥٣٧) (من الطويل) :

صَبُورٌ على مكروهِ ما يَجْشَمُ الفتى ومرٌّ اذا تُبْغَى المَرارةُ مُمْقِرُ

وجاء لهُ في مبادئ اللغة للاسكافي قالهُ وهو سائر الى الموت (من الوافر) (ص٥١) :

أَشُدُّ قِبالَ نَعْلي لا يراني عدوّي للحوادث مستكينا

وفي كتاب مجموع اللطيف (Ms de Paris, 3388, ff. 168a) لهدبة يصف ديكاً صاح في غير وقت الصبح فلمّا رأى الليل كفّ عن الصياح (من الطويل) :

ومستُجْذِلٍ يدعو الصباحَ وقد رأى عرامين مشهورٍ من الصبح أبلقا
الى غير هَيْجاء ضحَتْ غير انهُ دجا فوقَهُ ليلُ التِّمامِ فأطرقا

ومما رواهُ ابو علي القالي في اماليهِ (٢ : ٢٠٦–٢٠٧) في وصيّة عبدالله بن شدّاد لابنهِ محمّد قولهُ : « اي بُنَيَّ : اذا احببتَ فلا تُفْرط واذا ابغضتَ فلا تُشْطِط ... وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري (من الطويل) :

وكُنْ مَعْقِلاً للحِلْم واصفَحْ عن الخَنا فانّك راءٍ ما حَبيتَ وسامعُ
وأَحْبِبْ اذا احببتَ حباً مُقارباً فانك لا تدري متى انت نازعُ
وأَبْغِضْ اذا ابغَضْتَ بُغْضاً مُقارباً فانّك لا تدري متى أنتَ راجعُ

فترى من هذه الامثلة ما طُبع عليهِ هدبة من البلاغة وجودة القريحة والتفنّن في المعاني. وعسى ان يعثر احد الادباء على نسخة من ديوانهِ فيغني بنشرها آثار لغتنا القديمة

(لها بقيّة)

علاج الكَلَب

عند قدماء العرب

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

قد عرف العرب منذ قدم الزمان — ولعلّهم زادوا معرفةً بذلك على سواهم — ذاك الداء العياء الذي تولّدهُ بنهشها بعضُ الحيوانات في هيجانها كالذئب وابن آوى والثعلب ولاسيّما الكَلْب الذي اليهِ نُسب الكَلَب. وهو لعمري من اشدّ وامرّ الادواء التي تصيب بني الانسان حتّى اذا ابتُلي بآفتهِ اختلفت عليهِ نوبات الاوجاع والخَبَل والجنون الى ان يفصم الموتُ حبل حياتهِ فيذهب ضحيّة دائهِ لا محالة

*

ولا نرى حاجةً الى وصف هذا الداء العضال وقد سبق الى تعريفهِ حضرة الاب دي فراجيل (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٩١٢) وبيّن ما احرزهُ لهُ من الفخر بعملاً بهِ الناجع ذاك الذي نقلنا ترجمتهُ الشائقة اعني بهِ لويس باستور (المشرق ١٤ [١٩١١] : ٥١) وذكرنا في العام الماضي ٢١ [١٩٢٣] : ١٢٤١ مذكار المثوي لمولدهِ. وهناك التفاصيل عن اكتشافهِ العجيب لجراثيم الكَلَب مع الطريقة الاكيدة لشفائهِ. فلتُراجع تلك الفصول في مظانّها

وانّما الغاية من كتابة هذا الفصل ان نروي ما ورد عن داء الكَلَب في عهد الجاهليّة وأوائل الاسلام وخصوصاً في شعر فحول الجاهليّة لنَسبر غور اقوالهم ونستخلص منها بعض تخيُّلاتهم لهذا الداء والوسائل لمداواتهِ. فانهم جميعهم بعد حنين ابن اسحاق والرازي وابن سينا عرفوا اعراضهُ اتمَّ المعرفة واجادوا في تشخيص الكَلَب المصاب بهِ من احمرار عينيهِ واسترخاء اذنيهِ واندلاع لسانهِ وكثرة امابهِ وطأطأة رأسهِ وادخال ذنَبه بين رجلَيه ومشيهِ خائفاً كانهُ سكران وطلبهِ للماء وهو يفزع منهُ وحملهِ على كلّ شبح يراهُ فيعقرهُ ويمديهِ بدائهِ الى ان يموت منهُ

على انّ هذه الاعراض لم ترشدهم الى استطلاع حقيقة الداء وبيان جراثيمهِ القتّالة

وبحثوا عن الطرائق لعلاجهِ فذهبوا مذاهب شتى بلغ بعضها النهاية في الغرابة كماجين الثوم والبصل والرُّمّان والخلّ والعسل ومنها ما لا يخلو من بعض المعقول كشَرْط الموضع ليسيل دمُهُ المسموم وكالضماد بدرنبة الذراريح (cantharides) المسحوقة او أكلها في معجون العسل واشياء اخرى كثيرة يطول شرحها مما نقلهُ احد المستشرقين المسيو كاموسي في نيّف ومئة صفحة في عددين من المجلّة الاسيويّة الباريسيّة (١ ودخلت كلّها اليوم في خبر كان

ولعلَّ اقدمَ ما جاء في ذلك ما رواهُ ابن قتيبة في عيون الاخبار (طبعة ستراسبورغ ١ : ٤٦٦) حيث قال :

« بلغني عن الخليل بن احمد انهُ قال : دواء عضّة الكلب الكَلِب الذراريح والعدس والشراب العتيق يُصنَع وقد ذكر كيف صَنعتهُ وكم يُشرَب منهُ وكيف يُتعالج به . . . قال ابو البقظان كان الاسود بن اوس بن الحسرة أتى النجاشيَّ فعلَّمهُ دواء الكَلَب فهو في ولدهِ الى اليوم . فمن وُلدهِ المُحِلّ وقد داوى المُحِلّ عتيبةَ بن مرداس . . . »

*

بيد انَّهُ ورد في الشعر القديم ولاسيَّما الجاهلي وصف علاج يستوقف الابصار فيردّدهُ الشعراء كأنهُ من المبادئ الاوَّليَّة التي لا شبهة في صحّتها فنذكر اقوالهم لعلَّنا نجد لقائليها بعض الصواب . وذلك انهم يزعمون انَّ دم الملوك والاشراف دواء شافٍ للكَلَب . واقدمُ ما نعرف من ذلك ما رُوي عن ابن عبَّاس الكندي يلوم بني اسد على قتلهم ملك كندة حُجر بن عمرو ابي امرئ القيس الشاعر قال :

عَبيدَ العَصا جئتم بقَتْل رئيسكم تُريقون تأمورًا يشفاء من الكَلَبْ

ومثلهُ في القِدَم قول عوف بن الاحوص (الحيوان للجاحظ ٢ : ٣)

دماء القوم للكَلَبي شفاء

وقال عبدالله بن قيس الرقيّات :

عاودَني النِّكسُ فاشتفيتُ كما تشفي دماء الملوك من كَلَبِ

(١ الطب H. Camussi : La Rage et son traitement chez les Arabes, *J. As.*, 8e Serie, 1888[1] 344-400 et 1888[2], 253-304

ثمَّ كثر هذا المعنى وأُطلق على كلّ كريم وشريف. قال المتلمس في بني دارم:

من الدارميّين الذين دماؤهم شفاءٌ من الدَّاء المَجَنَّةِ والخَبَلْ

وزعم انَّ دماء الكرام المُهَراقة في الحرب لا تمتزج بسواها لشرفها فقال:

أَحارثُ انَّا لو تُشَاطُ دماؤنا تَرَيْلَنَ حتَّى لا يَمَسَّ دمٌ دما

وقال بعض المُزَنيّين ويُروى للحطيئة وللقاسم بن خبل:

همُ حلُّوا من الشرف المُعلَّى ومن حَسَبِ العشيرةِ حيثُ شاؤوا
بُناةُ مكارمٍ وأساةُ كَلْم دماؤهمُ من الكَلَب الشفاءُ
فلو انَّ السماءَ دنَتْ لمجدٍ ومَكرُمةٍ دنَتْ لهمُ السماءُ

وقال عبد الله بن زُبير يمدح عبيد الله بن زياد صاحب الكوفة يخاطب ناقتهُ:

حَنَّت لِهُ جعَني خَنفي فقلتُ لها هذا أَمامكِ فالقيهِ فتى العربِ
من خير بيتٍ عَلِمناهُ وأكرمهِ كانت دماؤهمُ أشفى من الكَلَبِ

ومثلهُ للعبَّاس بن مرداس يفتخر بشرف قومهِ:

واني من القوْم الذين دماؤهم شِفاءٌ لطلَّابِ التُّرابِ من الوَغْمِ

ويروى للعاصم بن الفرّيّة قولهُ:

وداويتُهُ ممَّا بهِ من مَجَنَّةٍ دمَ ابنِ كَهالٍ والنِّطاسيُّ واقفُ

وكذلك المخضرمون والمولَّدون. قال الكميت:

احلامكم لسِقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكمُ تشفي من الكَلَبِ

وقال الفرزدق في عشيرتهِ:

ولو تشربُ الكَلْبَى المراضُ دماءنا شفتْها وذو الحَبْلِ الذي هوَ أدْلَفُ

وقال ابن عتين في مدح بعض الكرام :

في ظلّ أبلَج يُستَسقَى الغمامُ بهِ فيستهلُّ ويَستشفي بهِ الكلِبُ

ومثلهُ البحتري يهنّئ بعض الامراء بالاقتصاد :

فليُهنِكَ البُرءُ ممّا كنتَ تألمُهُ وليُهنِكَ الأجرُ عقبى صائبِ الوَصَبِ

لئن فُصِدتَ ابتغاءَ البُرءِ من سَقَمٍ فقد ارقتَ دماً يشفي من الكَلَبِ

فترى انّ هذه الابيات تضربُ كلُّها على وَتَر واحد . وان طلبت لذلك شرحاً اجابوك بفرد لسان انّهم يزعمون انّ دماء الاشراف والملوك تشفي من عضّة الكَلْب الكَلِب . وكانوا اوّلاً يحصرون ذلك في ملوك معلومين كملوك الحيرة بني ماء السماء الناذرة او ملوك غسّان . قال صاحب الاغاني (١٣ : ٣٦) : « كانت العرب تقول : من اصابهُ الكَلَب والجنون لا يبرأ منهُ الى أن يُسقى من دم ملك » . ومثلهُ التبريزي في شرح الحماسة (ص ٧٢٥) : « يقولون انهُ لا دواء للكَلَب انجع من شرب دم ملك . وقيل في دوائهِ ان تُشرَط الاصبع الوسطى من يُسرى رجلٍ شريف ويؤخذ من دمهِ قطرة على تَمرة فيُطعَم المعضوض فيبرأ وقيل انهُ يُسعَط بهِ » . وقد جاء الشفاء مخصوصاً ببعض بني المنذر قال ابن دُريد في الاشتقاق (ص ١٤) : « كان اذا اصاب احدًا من العرب الكَلَب قطروا لهُ دم رجل من بني ماء السماء وهو عامر بن ثعلبة الازدي فيشفى »

ولعلّ القارئ يسأل ما نراهُ من الضجّة في كلّ هذه الشواهد وهل يوجد هناك سرٌّ خفيّ او مزعم باطل . نجيب على ذلك انّ البعض حملوا هذه الاقوال على المعنى المجازيّ يريدون بهِ انّ للملوك والاشراف دماً كريماً لا يصيبهُ فساد حتى انهُ لو مُزج بغيرهِ أصلحهُ . وقد شرحوا ذلك لنوع آخر قال الجاحظ في كتاب الحيوان (٢ : ٣) : كان اصحابنا يزعمون انّ قولهم « دماء الملوك شفاء من الكلب » على معنى انّ الدم الكريم هو الثار المُنيم . . وداء الكَلَب الغيظُ والغضب فاذا ادرك ثأرهُ فذلك هو

الشفاء من الكلب وليس انَّ هناك دماً في الحقيقة يُشرَب » لكنَّ الجاحظ يعترض على هذا الشرح بقول عاصم بن الفريَّة حيث يقول «وداويتــهُ ... دمَ ابن كهالٍ والنطاسيُّ واقف» فدلَّ بهِ انهُ اشربهُ دم ابن كهال بحضور النطــاسيّ اي الطبيب فابرأهُ . قال الجاحظ : ولولا قول عاصم بن الفريَّة «والنطاسيُّ واقفٌ» لكان ذلــك التأويل جائزاً »

ومن ثمَّ يجوز شرح قولهم على المعنى الحقيقي دون المجاز . فانَّ الطبَّ في زماننا قد اثبت شفاء بعض العلل بأن يؤخذ من انسان او حيوان دمٌ صافٍ فيُحقن بهِ العليل فيبرأ . وعلى هذا المعنى يجوز تأويل الابيات السابقة بان يقال انَّ دماء هؤلاء الملوك صافية كريمة ولمَّا مزجوها بدم مُصاب بالكلَب طهَّرت دمهُ وابرأتهُ . ومن هناك انتقلوا الى المعنى المجازي فضربوا المثل بكل شريف وكريم ونسبوا الى دمه شفاء الكلب لشبهِ بدم الملوك صفاء . والله اعلم

وهنا لا نرى بدًّا من ان نروي عن معجم البــلدان لياقوت (٢ : ١٠) ما ذكرهُ عن جُبّ الكَلَب وهي قرية من قرى حلب قال :

حدَّثني مالكُ هذه القرية ابنُ الاسكافيّ وسألته عمَّا يُحكى عن هذا الجب وانَّ الــذي يشربهُ لكلب الكَلِب اذا شرب منهُ برئ فقال : «هذا صحيح لا شكَّ فيه (قال) وقد جاءها منذ شهور ثلاثة اناس مكاريين يسألون عن القرية فدلُّوا عليها . فلمَّا صاروا في صحرائها اضطرب احدهُم وجعل يقول لمن معه : اربطوني لئلاَّ يصل الى احدكم مني اذًى وذلك انهُ قد كان تجاوز اربعين يوماً منذ عُضَّ فرُبط . فلمَّا وصل الى الجُبّ وشرب من الماء مات . واما الآخران فلم يكونا بلغا اربعين يوماً فشربا من ماء الجبّ فبرئا (قال) وهذه عادتهُ . اذا شرب منهُ من لم يبلغ اربعين يوماً برئ (قال) وهذه البئر هي بئر القرية التي يشرب منها اهلها »

وذكر ياقوت ايضاً (٢ : ٦٩) بين الاديرة دير الكَلَب قال «هو بنواحي الموصل بينها وبين جزيرة ابن عُمَر من ناحية باعَذرا من اعمال الموصل لهُ قلالي ورهبان كثير فمن عضَّهُ الكلب الكَلِب وبودر بالحَمل اليهِ وعالجهُ رهبانهُ برئ وان تجاوز الاربعين يوماً فلا حيلة لهم فيهِ»

فالظاهر انَّ لهذه المياه خاصَّةً لشفاء داء الكلَب اما بذاتها وإمَّا ببركة احد اولياء الله . وعلاج النابغة باستور اصبح اليوم النعمة الموحاة من الله لشفاء الكلَب فلهُ تعالى الشكر على ما اوحى بهِ لخير عبادهِ

احوال الدين في السنة الثالثة والعشرين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ اضطراب السياسة العالميَّة وان كانت صداها لا تخلو من تأثير في امور الدين الَّا انَّها لا تقوى على قهر سلطانهِ لان مصدر قوَّتهِ من الله ولا يستطيع ان يقاوم اللهَ بشرٌ فالكنيسة ظافرةٌ ابدًا على رغم تقلُّبات العالم لانَّ «السماء والارض يزولان وكلام الرب لا يزول» . وقد وصف بولس الرسول هذا الانتصار الدائم والفوز المبين مع تبايُن احوال العالم حيث قال (٢ كورنتس ف٦) : «نُظهر في كلّ شيء انفسنا كخدَّام الله بالمجد والهوان . بسوء الصيت وحسنه . كأنَّا مُضلُّون ونحن صادقون . كأنَّا مجهولون ونحن معروفون . كأنَّا مائتون وها نحن احياء . كأنَّا حزان ونحن دائمًا فرحون . كأنَّا فقراء ونحن نغني كثيرين . كأنَّا لا شيء لنا ونحن نملك كلَّ شيء» . ولم تشذَّ السنة ١٩٢٤ عن هذه القاعدة المطَّردة فان كانت الكنيسة لقيت في طريقها ما عثرت بهِ رجلها فانَّ عثرتها لم تثبطها عن السير الى الامام معتمدةً الى قول الربّ لرسلهِ : اذهبوا تلمذوا كل الامم ها انا معكم الى منتهى الاجيال

*

﴿ رومية وحبرها الاعظم ﴾ أعلن قداسة البابا نيَّتهُ باستئناف المجمع الفاتيكاني الذي قُضي على توقيفهِ سنة ١٨٧٠ بدخول الجنود الايطاليَّة الى رومية . وامَّا موعد افتتاحهِ فالسنة اليوبيليَّة ١٩٢٥ . ولا شكَّ في انَّ الكنيسة بمواصلة هذا المشروع الخطير ستنال قوًى جديدة لتعزيز روح الدين ونشر مملكة المسيح . وقد قرَّر كبير الاحبار بهذه النسبة ايضًا انشاء معرض عمومي للرسالات الكاثوليكيَّة في رومية تُعرض فيهِ كل مصنوعات المرسلين في العالم اجمع في جميع الفنون فيتَّضح لدى كلّ زوَّارهِ ما للكنيسة من الفضل العظيم في تنشيط سائر العلوم والصنائع وانَّها لا تزال تمشي في مقدَّمة الشعوب في ترقية المعارف والآداب كما تتقدَّمهم في رفع منار الدين

ومن المعلوم ان القداسة احدى ميزات الكنيسة الكاثوليكيَّة ففي هذا العام المنصرم اثبت الحبر الاعظم قداسةَ بعض اولياء الله بعد الفحص المدقَّق عن سيَرهم

وفضائلهم السامية ومعجزاتهم الاكيدة المثبتة بشواهد لا ريب في صحتها ونخصّ منهم بالذكر تلك الفتاة العجيبة تريزية المنتمية الى يسوع الطفل من راهبات الكرمل المنتقلة الى الله برائحة القداسة سنة ١٨٩٧ . ثم الكاهن السامي الفضيلة ميشال غاريكوي منشىء جمعيَّة كهنة قلب يسوع الذي عطّر ببرارته واعماله قسماً كبيراً من وطنه . ولاسيما الكردينال اليسوعي روبرتوس بلّرمين احد جهابذة الكنيسة في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر الذي احيا بفضيلته وعلمه البليغ ذكر آباء الكنيسة الاوّلين وملافتها النوابغ

وكما اعلن بقداسة هؤلاء المذكورين انتهز ايضاً فرصة التذكارات المئويَّة لبعض مشاهير القديسين ليوجّه الى العالم المسيحيّ براءات تُشيد بثنائهم وتعرض مآثرهم لتكون قدوةً لابناء الكنيسة وهكذا فعل في تذكار القديسَيْن الكبيرين والمالين السابقين توما الاكويني وفرنسيس دي سال اسقف جنيفة . وكلاهما قد شرَّف الكنيسة بل الانسانيَّة كلها بفضله وفضيلته . (راجع مقالتنا عن هذين اللمانين في المشرق ٢١[١٩٢٣]: ٨٨١–٨٩٧)

ولم ينسَ الحبرُ الاعظم الكنائس الشرقيَّة فانهُ اصدر براءةً في ١٢ ت٢ لتذكار مئة سنة لاستشهاد القديس يوسافاط رئيس اساقفة بولوسك الذي مات ضحيَّة غيرته في دفاعه عن الوحدة الكاثوليكيَّة بين الصقالبة وانتهز قداستهُ هذه الفرصة ليدعو الى الحظيرة البطرسيَّة الخراف الضالَّة التي لخلاصها بذل ذاك الراعي الصالح نفسهُ على مثال سيّده سنة ١٦٢٢

وقد تطلعنا بالسرور على ما التمسهُ كثيرون من اساقفة فرنسة من الكرسيّ الرسولي ان يؤلف لجنةً للبحث عن فضائل ومكرمات الطيّب الذكر البابا بيوس العاشر لاثبات قداسته ودرج اسمه بين المطوَّبين

وقد سرَّنا كذلك خبر تشكيل لجنة في رومية ليقام فيها كنيسة على اسم قلب يسوع تكون في عاصمة الكثلكة مزاراً لكلّ الشعوب الكاثوليكيَّة لإقامة الصلاة فيها لاجل ضحايا الحرب الكونيَّة ولتأليف قلوب الامم بالمحبَّة المسيحيَّة بعد نفورها وانشقاقها لغايات بشريَّة

﴿ فرنسة ﴾ الكاثوليكيَّة قد عزَّزت بعد الحرب كلّ مشروعاتها التقويَّة

وانشأت كثيراً غيرها بهمّة اساقفتها واكليروسها الذي يُعَدُّ في مقدّمة الاكليروس الكاثوليكي بغيرته وفضله. وقد وقفنا على مجموع تلك الاعمال الرسوليّة في باريس وحدها فان وصفها منشورٌ في كتاب يبلغ الالف من الصفحات

حسبنا ان نروي ما نقلتهُ عن مجلد رسمي رسالة قلب يسوع عن مدارس الاحد التي انشأتها احدى سيّدات باريس للاهتمام بالاحداث الشاردين لتلقينهم التعليمَ المسيحي وإعدادهم لقبول سرّي التوبة والقربان . وقد ضمّت السيّدة اليها للقيام بهذا العمل ٤٣٠٠ من النساء الغيورات والاوانس يُعنَين حاضراً بتهذيب خمسين الفاً من اولئك الاحداث المهملين .

وفي باريس عُقد في السنة الاخيرة مؤتمر القربان الاقدس في شهر تموز حضرهُ ارباب الكنيسة وخُتم بطواف مشى فيهِ اربعة كرادلة وغبطة البطريرك ديتريوس القاضي وسبعون اسقفاً ومئون من الكهنة وكلهم ببزّهم الدينيّة ونيّف وخمسون الفاً من نخبة المؤمنين بينهم مشاهير الرجال اصحاب السيف والقلم وذوو المناصب العليا من كلّ الدوائر الدينيّة والمدنيّة . فعُدّت تلك المظاهرة انتصاراً باهراً للدين في عاصمة فرنسة .

جرت مخابرات جديدة بين الحكومة الفرنسويّة والاساقفة يؤمَّل منها اتفاق الفئتين بخصوص الاملاك الكنسيّة بحيث لا تضيع حقوق الكنيسة واستقلالها ويبقى للدولة نظرها وذلك بانشاء شركات اسقفيّة (Associations diocésaines)

وقد فُجعت فرنسة عموماً والكاثوليك خصوصاً بوفاة احد رجال الخير ونوابغ الوطن المسيو بول ميشو (Paul Michaud) المتوفّى في ٢٤ ت ٢ ١٩٢٣ بعد ان سعى مدّة ثلاثين سنة بنيّف الى تنظيم فِرَقٍ من الشبّان المتطوّعين ليدرّبهم على كلّ آداب الكشافة الوطنيّة والعيشة المسيحيّة الفضلى فنجح نجاحاً باهراً بعمله فكان في الحرب الاخيرة الوف مؤلفة من اولئك الشبّان الذين شرّفوا وطنهم بمآثر لا يأتيها الّا الابطال . ولمّا مات مُنشئهم حضر الصلاة على نفسهِ ممثلو الحكومة وارباب ونوّاب كلّ الدوائر العسكريّة وعدد لا يقوم بهِ احصاء من كلّ طبقات الشعب

﴿ انكلترة ﴾ الكثلكة فيها في تقدّم دائم لثبوتها على تعليم واحد وايمان واحد بين الشيع التي تتعدّد في بريطانية وتتناقض يوماً بعد آخر . وقد علمنا انهُ لا يمرّ

على الكاثوليك يوم واحد دون ارتداد بعض الضالين الى حجر الكنيسة ليس من الشعب فقط بل من كبار القوم . نخص منهم بالذكر الكاتب الشهير جيلبرت شاسترتن منشىء مجلة (New Witnes) الذي جحد الشيعة البروتستانية وانضوى الى الكنيسة الكاثوليكية جارياً على مثال والده الذي توفي في العام الماضي بعد ان استنار بنور الايمان القويم فكان لاهتداء المستر جيلبرت اصداء بعيدة في عالم الصحافة

وقد اطنبت جرائد انكلترة عموماً على فقيد الدولة واحد كبار اشرافها الدوق دي نورفلك الكاثوليكي ومارشال البلاط الملوكي اشتهر بممارسة كل الفضائل المسيحية وبمبراته المتعددة منها تشييد الكنائس الكبرى ذات الهندسة البديعة على نفقته . وقد ترك في وصيته ٧٥،٠٠٠ ليرة انكليزية للمؤسسات الخيرية

﴿ ايطالية ﴾ أدرك موسوليني ما صارت اليه البلاد من الانحطاط من حيث الدين والأدب بدسائس الماسونية والملحدين فأمر بأن يعاد في مدارس الاحداث التعليم الديني وان ينصب فيها وفي المحاكم تمثال الصليب المبارك . وكذلك ناهض الجرائد الكفرية وضرب الماسونية ضربة مزلزلة اذ اقفل في وجه البنائين الاحرار باب الدخول في جزيرة المعروف بالشست . زد على ذلك ما اظهرته لا تزال الدين وربابه قامت بها حكومته المعتدلة في جملة ظروف . وقد شكره كل ذوي الادب والعقلاء على النشرة التي تقدم بها الى عماله ليتزعوا الصور والرسوم الخلاعية التي تعرض نظر العموم . وكذلك الكتب الفاسدة امرهم بمنع نشرها واتلافها

﴿ اسبانية ﴾ هي المملكة اللاتينية الوحيدة التي تجاهر رسمياً بانتماء دولتها الى الكثلكة فتجري على تواميسها وتتشبث بتعاليمها وقد لاحت شواعر الدين الاسباني لما نقلت الى اسبانية ذخائر القديسين اغناطيوس دي لويولا وفرنسيس كسفاريوس الاسبانيين فنهضت البلاد نهضة الرجل الواحد لاستقبالها برونق وبهاء لم يعهد لها بشبيه . على ان في اسبانية من الاباحيين والشيوعيين قوماً يعملون خفية في معاكسة كل سلطة دينية ومدنية معاً . ومن مآثمهم في العام الماضي اغتيالهم لنيافة كردينال سرقسطة دي سلدافيلا (G. de Soldevila Y Romero) قتل لجرأته في المدافعة عن حقوق الكنيسة وحرمة الآداب

﴿ المانية ﴾ قد شعر البروتستانت في المانية بالسداهية التي حلت بكنيستهم

لسقوط الامبراطور غليوم الذي كان جامعاً لكلمتهم وخافوا ان يزداد عدد المرتدين الى الكنيسة الكاثوليكية فاجتهدوا في العام السابق بضمّ قوى شيعهم وتوحيدها واصلاح بعض شؤونهم الدينيّة بل احبُّوا ان يتعتوا نفسهم بالكاثوليك. لكنّ تلك المساعي لم تأتِ بجدوى وهيهات ان يستطيع البروتستانت ان يؤلفوا جسماً واحداً مع شيوع مبدأ حرّيّة الضمير بينهم

امّا الكاثوليك فانّ قوّتهم بوحدة ايمانهم وخضوعهم لرؤسائهم . وقد استفادوا من الجمهوريّة الالمانيّة الجديدة الحرّيّة التامّة للتبشير والتعليم والتأليف ما لم ينالوا مثلهُ في عهد الامبراطوريّة

﴿ النمسة ﴾ خفّ ايضاً في حكومتها روح المعاداة للكنيسة الذي كانت ورثتهُ من ملكها يوسف الثاني (le Joséphisme) فانّ زعماء دينها اصبحوا اليوم في مقام رفيع اليهم يرنو عمومُ الاهلين بالبصر لتلافي الاضرار الجسيمة التي سبّبتها لهم الحرب الكونيّة . وقد عُقد في مدينة إنسبروك المؤتمر الدوليّ الثالث للشبيبة الكاثوليكيّة كما عُقد في ڤينة مؤتمر الكاثوليك النمسويّين وفي كليهما وجد النمسيُّون مُنعشاً جديداً لآمالهم الطيّبة في مستقبل وطنهم

﴿ المجر ﴾ انّ الاحصاءات الرسميّة التي أُجريت في المجر دلّت على غرّ مواليد الكاثوليك وهبوط عدد البروتستانت . فنسبة الكاثوليك الى مجموع النفوس ٦٠ في المئة والباقون بروتستانت ويهود . وقد بلغ عدد الفرمسون في المجر ٨٠٠٠ لهم نحو مئة محفل والسيطرة فيها لليهود ولاعداء الدين . على انّ الكاثوليك شعروا بما يتهدّدهم من قبلهم من المخاطر فضمّوا قواهم لمناهضة اولئك الغُلاة الاشرار وتأييد دين رسولهم وملكهم القديس استفانوس

﴿ هولندة ﴾ قليلة هي البلاد التي يحظى فيها الكاثوليك بالحرّيّة التي يتمتّع بها الهولنديون الكاثوليك. فانهم قد كادوا ان يبلغوا حُسنَى الاهلين . ومشروعاتهم الدينيّة والادبيّة تشهد لهم بطول الباع في خدمة وطنهم . واليهم يستند المحافظون من البروتستانت لردّ هجمات الشيوعيّين

﴿ اسوج ونروج ﴾ كانت هذه البلاد موصدة في وجه الكاثوليك زمناً طويلاً ولاسيما في اسوج حيث الشرائع الوطنيّة تُشعر الى اليوم ببغض البروتستانت للكنيسة

الكاثوليكيَّة لكنَّ قوَّة الله غلبت ذلك التعصُّب فانَّ نروج منحت الحرِّيَّة للكاثوليك الذين ألفتوا اليهم نظر مواطنيهم بأعمالهم الخطيرة . امَّا اسوج فلا تزال متشبثة بعنادها نوعاً للنفوذ الكاثوليكي الَّا انَّ ما صارت اليهِ الشيع البروتستانيَّة من الانحلال وضعف الدين عزَّز قوى الكاثوليك فيها وقد امكن في العام الماضي الراهبات الكاثوليكيَّات اللواتي انشأتهنَّ القديسة بريجتا شفيعة اسوج ان يُعدن الى وطن منشئتهنَّ ليفتحنَ فيهِ اوَّل دير كاثوليكي

﴿تشيكوسلوفاكية﴾ عقد الكاثوليك مؤتمرهم الاوَّل في اواخر شهر آب في مدينة كرنفكرتس فأتى بنجاح باهر على الرغم من كلّ اعداء الدين الذين افرغوا كنانة الجهد لمعاكستهِ فعرف الكاثوليك قوَّتهم وتضافروا للدفاع عن حقوقهم بازاء المعادين لهم ولاسيما في امور المدارس التي يحاول الملحدون نفيَ الدين وتعاليمهِ عنها

﴿بولونية﴾ تتناصر على حكومتها الكاثوليكيَّة كلُّ اعداء الكنيسة المحدقين بها من بولشفيك وشيوعيين ولاسيما يهود يتهدَّدون وجدانها بدسائسهم ومكايدهم . فانَّ شرطة الدولة السرِّية تكتشف كلَّ يوم مؤامرات جديدة يعتدها اولئك الاشرار ضدَّ الوطن والدين معاً ومن مآثمهم انَّهم نسفوا قلعة ڤرسوڤية بالديناميت وحاولوا نسف جامعتها وانتهبوا كنوز الكنائس وابتزُّوا ذخائرها الثمينة وانتهكوا حرمتها . فترى انَّ الجحيم في العالم كلهِ لا يعرفُ الَّا عدوًّا واحدًا وهو الدين الكاثوليكي

﴿فنلندة﴾ كانت الحكومة المسكوبيَّة أقفلت ابوابها دون النفوذ الكاثوليكي لكنَّ حكومتها الجديدة المستقلة منحت حرِّيَّة الاديان وقد مكَّن رئيسُ جمهوريتها كرل ستالبرج الكرسيَّ الرسولي من الاهتمام بما بقي هناك من الكاثوليك فأرسل لهم قداسة البابا في العام الماضي اسقفاً يرعاهم وهو الاب بوكس من جمعيَّة كهنة قلب يسوع فوجد في فنلندة استقبالًا في غاية الوداد

﴿الولايات المتَّحدة﴾ دلَّت الاحصاءات الرسميَّة على تعدُّد الجنايات في اميركة الشماليَّة فهي تفوق على عدد الجنايات في فرنسة وفي انكلترَّة وقد نسبت الصحافة هذا الخلل الى اهمال التعليم الديني في المدارس الوطنيَّة . امَّا الاساقفة الكاثوليك فانَّهم يجعلون الدين في مقدِّمة اهتمامهم ويجاهدون جهاد الابطال في تعزيزهِ سواء كان في المدارس ام في التربية البيتيَّة

﴿ اوستراليــة ﴾ انَّ ازدهار الكثلكة في اوستراليا ونموّ عدد المؤمنين فيهـا اضطرَّ الكرسيَّ الرسولي ان يزيد عدد ابرشيَّاتها . فأصبح عدد رؤساء اساقفتها خمسةً وعدد اساقفتها خمسة عشر مع نائبَيْن رسوليين . ثمَّ لزيلندة ولطسمانية نظامها الخاص وكذلك جزائر اوقيانية

﴿الارجنتين﴾ هذه الجمهوريَّة معروفة برقيّ الكثلكة في انحائها ورئيسها دي الفيار من رجال التقى والدين . وفي العام الماضي قدَّم للكرسيّ الرسوليّ السيد ميشال دي اندريا ليوليَّة رئاسة الاسقفيَّة على عاصمة الارجنتين بونس ايرس وهو من رجال وطنهِ المعدودين بفضلهِ وفضيلتهِ وهو محامي المهاجرين من الموارنة في تلك الجمهورية

﴿بناما﴾ حاول بعض الملحدين من جمهوريَّة شيلي ان يبثّوا بين اهلهـا روح الكفر فقامت قيامة الكاثوليك وألجأوا اولئـك الكَفَرة الى الفرار . وقد طلبت حكومة البلاد من الكرسيّ الرسولي ان يعيّن لهُ قاصدًا رسوليًّا في تلك الدولة

﴿روسيَّة﴾ اعلن البولشفيك حرباً عواناً على الدين فبنوا حكمهم على الكفر والالحاد وظنّوا انَّ جمهور الشعب يتبعهم في هذه الحملة المستقبحة بعد ان فرَّقوا عليهِ املاك الاغنياء وهيَّجوا مطـامعهُ الّا انَّ القوم عرفوا انَّ السوفيـات يقودونهم الى الهمجيَّة والتوحُّش فاستقبحوا اعمالهم وهم يطالبون اليوم بان تُفتَح الكنائس المقفلة وتُطلق الحرّية للدين . ولو بقي البطريرك تيخون ثابتاً على معاكستهِ للسوفيات لكان ظفر بهم . وقد كان على خلاف ذلك لقتل الاسقف الكاثوليكي السيد بودكيافكس اسوأ تأثير في كلّ الـدول وزاد نفور العالم المتمدّن من البولشفيَّة وسيئاتها حتى خجل السوفيات نفسهم من ذلك الفعل الشنيع الذي جَلَبهم عارًا

﴿الكنيسة اليونانيَّة﴾ كلّ يعلم ما صارت اليهِ هذه الكنيسة المتباهيـة سابقاً باسم البطريركيَّة المسكونيَّة فانَّها اصبحت اليوم فوضى تتلاعب بها الاهواء البشريَّة . يتناوب في رئاستها البطاركة دون ان يستقرّ لهم قرار . والاختلافُ واقع بين اساقفتها واعضاء سينودسها مع تداخل الدولة التركيَّة في امورها حتى اصبح الدين بين اهلها في اسوإ حال وزِدْ الى ذلك تقرُّبهـا من الشيع البروتستانيَّة وتساهلهـا في زواج الاكليروس واستقلال الكنائس الاجنبيَّة عن حكمها حتى أصبح البطريرك المسكوني لا يحكم على ازيد من ثلثمائة الف مرؤوس بعد ان كان ذلـك الحكم يمتدُّ الى

تسعين مليوناً من البشر . فما للكنيسة البوزنطيَّة لا تسمع صوت الراعي الالهي الذي اوحى الى العالم انَّ الثبات للصخرة البطرسيَّة وحدها وانَّ كلَّ بناء خارج عنها صائر الى الهبوط والخراب؟

﴿العراق﴾ عادت الى الموصل رسالة الآباء الدومنيكان التي بدَّدتها تركيَّة يوم دخولها في الحرب مع الدول المركزيَّة فاستأنف الرهبان والراهبات اعمالهم الرسوليَّة تحت نظارة قاصدهم الرسولي الجديد السيِّد دومنيك بيره ذي الباع الطولى في تدبير الامور

احتفل حضرات المرسلين الكرمليين في ١٣ نيسان بتذكار المئة الثالثة لدخول المرسلين الاوَّلين من رهبانيَّتهم في مدينة البصرة التي خدموها بغيرة لا تعرف الملل وبفضلهم خصوصاً بلغت اليوم الى ازدهار الدين فيها . وقد خدموا فيها الوطن كما خدموا الدين فانَّ فرنسة قد اختارت منهم تسعة قناصل لتدبير امورها . ولذلك قد حضر رسميًّا قنصل فرنسة هذه الاعياد مع الكولونل دينسان رئيس دائرة الطيران في سوريَّة

﴿سوريَّة﴾ اخذت الشيعة السوريَّة تعرب نيَّاتها السيئة وتبثُّ روحها الفاسدة . فقام غبطة البطريرك الماروني وحرمها بمنشور جليل ضربةً اليمة واعلن بالحرم على المتشيِّعين بها . فحاول انصارها الدفاع عنها فلم يُجْدِهم دفاعهم نفعاً بل زادهم عاراً وبادر معظم اللبنانيين فاحتجُّوا على سفاهة ابناء الارملة وصرَّحوا بخضوعهم التامّ لرئيس كنيستهم

وقد تسابق اللبنانيُّون في هذا العام لتقدمة التهاني لغبطة مار الياس الحويك بطريرك انطاكية وسائر الشرق بنيَّة يوبيلَيْه الذهبي الكهنوتي والفضي البطريركي وذكروا بالشكر ما ادَّاهُ للكنيسة والوطن من الخدم الجُلَّى التي خلَّدت اسمهُ في تاريخ لبنان — وهكذا جرى لغبطة بطريرك السريان افرام الثاني الرحماني بين اهل ملَّتهِ وقد تلطَّف قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر فكتب لكليهما رقيماً بيدهِ يعدِّد فيهِ مآثرهما الجمَّة ويمنحهما البركة الرسوليَّة

فخر الأحفاد بمآثر الأجداد

من لبناني الى اللبنانيين

بقلم حضرة الخوري يوحنا السبلي المرسل اللبناني

لرجال لبنانَ القَاورْ شدَتِ المواطنُ والمهاجرْ
يا آل لبنان اذكروا م الفينيقِ نادرةَ النوادرْ
كانوا بنهضتهم الى م الأمجادَ بادرةَ البَوادرْ
بلغوا اعاليَ مجدهمْ قبل القياصرِ والأكاسرْ
وضعوا الحروف فأحرزوا علم الأوائل للاواخرْ
وَصَبَوْا الى الاسفار فاخترعوا الملاحة للمسافرْ
لولاهُمُ كولُمبُ ما اذ دَّخر المفاخرَ بالمواخرْ
نشروا الحضارةَ بالبنا عة والزراعة والمتاجرْ
بين المشارق والمغا رب والميامن والميسرْ

...

منهم فراعنةُ الرُعا ةِ رجالُ سيطرة السياطرْ(١
ملكوا الرقابَ يزينُهم تاجٌ ترصَّعَ بالجواهرْ
خفقت بنودُ عروشهم بين الاسنة والبواترْ
فعروشهم في صُوعَنِ شدَّهت مناظرُها النواظرْ
وقلوبهم رقصت على أرزاتنا رَقصَ الزرازرْ
تاقوا الى لبنانهم توقَ الظباء الى الهوامرْ
اهرامُهم لبثت بوا دي النيل عِبرةَ كل عابرْ
اما هياكلهم ففي لبنان مشدَهُ كلِّ ناظرْ
وجُبَيلُ قِبلةُ حجّهم وهضابُ «أفقاها» شعائرْ

١) كانت سلالة الفراعنة المعروفة بالهكسوس اي الرعاة من عنصر سامي او عربي

سادوا وشادوا واقتنوا ما فاق مأملَ كل خاطرْ
ومَضَوا وقد تركوا لنا الآثارَ عُنوانَ المآثرْ

...

وملوكُ قرطاجنةٍ فرعٌ من الفينيق ناضرْ
ضَفَرُوا أكِلَّتَهم وأَنْسِبالُ منهم خيرُ ضافرْ
في كل جيلٍ ذكرُ أَنْسِبالَ كالامثال سائرْ
أسدُ الاسود اخو القيو دِ ابو الجنود يَدُ العساكرْ
قد عاشَ اشهرَ قائدٍ بين المعارك والمعاكرْ
كم عارَكَ الرومان فاعتبروا معاركَهُ بجازرْ
في الحرب صوتُ نبالهِ كالرعد يقصف بالمواطرْ
ووعيدهُ يوم الوغا كِ يلوح أمضى كلّ باترْ
ولصوته في الكرّ زمجرةٌ لها فعل القنابرْ
قد ضمّ من ابنائنا جيشَ التطوّعِ من قساورْ
فاتاهُ اكرمَ جافلٍ زان المُنكّرَ والمساكرْ
وانقاد طوعَ يديهِ واقتحمَ المخاطر خيرَ ظافرْ
ولذاك ذا الصنديدُ طلّ م القاهريهِ اشدَّ قاهرْ

...

تجارُ صيدا كللوا م الفينيقَ بالتيجم الزواهرْ
تجروا واصغرُ تاجرٍ منهم يوازي الفَ تاجرْ
في البحر غاصوا باللآ لىء ثم خاضوا للذرائرْ
غمروهُ حتى قيل صا رالغامر الغمرات غامرْ
جعلوا صفوف سفينهم بين الشواطئ والجزائرْ
مثلَ البرازخ والما بر او كقنطر القوامرْ
والغمرُ خطّط بينها الأ م مواهَ تخطيطَ الماطرْ
سادوا فسامُوا البحر مدًّا ثمّ جزرًا وهو زاخرْ
ساموهُ مدًّا بالاوا مر ثمّ جزرًا بالزواجرْ

بل سكنت أمواجهُ امواجُ فُلكهم الزواخرْ
ملأوهُ فُلكَ تجارةٍ هدأت بها اللُّجَجُ الزواخرْ
شبكتْ ثقوبُ شباكهم حيتانهُ شبكَ العناصرْ
فتمتَّعوا بزيوتها وعظامها مثل الكواسرْ
وتقوَّتوا بلحومها قُوت البواكر والسوافرْ
ولذاك قال البحر: «يا صيدا اخجلي فالحكم جائرْ»

...

تجارُ صورٍ بعدهم عقدوا على الشَّبق الخناصرْ
قرعوا لامرهم ظنا بيبَ العزيمة للتفاخرْ
ان العزيمة عندهم حماء نادرةُ النظائرْ
فتوارثوها كابراً عن كابرٍ صفوِ الاكابرْ
جابوا بسيطةَ عصرهم والعزمُ مأمورٌ وآمرْ
نشروا بضائعهم بها والعزمُ منشورٌ وناشرْ
ملأت قوافلهم فيا فيا وفلكهمُ الغامرْ
رسمت قوافلُ بيدهم حَلَقاتها رسمَ لقناطرْ
خاضوا البحار وفُلكهم ملأت شواطئها بنادرْ
من حضرموت وعدنها ملأوا عنابرهم عنابرْ
ونُضارُ ترشيشَ اصطفوا منهُ انلكهم الاناجرْ
فضلاً عن المشحون منهُ وهو ما يَبني البصائرْ
حاكوا البحارَ حياكةً حسناء تشدهُ كلَّ باصرْ
نسجوا خُطوطَ لجاجها نسجَ الخيوطِ من الحرائرْ
وسفينهم مَكوكُها بين الوارد والمصادرْ
فكأنها من أرجوا نِ نسيجهم نُسجت مَساطرْ
واستعمروا الآفاق يبـ ـنونَ المدائنَ والدساكرْ
وبنَوا معاملَ للنسيـ ـجِ وللزُجاجِ وطبخ آجُرْ
ارضُ المعادنِ صيّرو ها كالتواخر بالخفائرْ

هذا ولما صادفوا الا م بريزَ في أُوفيرَ وافرْ
جمعوهُ حتى احرزوا ما ليس يخطرُ بالخواطرْ
صاغوهُ فأنتغلوهُ بل قد نعّلوهُ ذواتِ حافرْ
فضلًا عن المصكوك منهُ أو المصوغِ من الضفائرْ
ومن الخواتم والسلا سلِ والخلاخل والاساورْ
ومن الرصائع للاسرّ م ةِ والعروش أو الستائرْ

...

فكفى عن الفينيق ما اوردتُ تذكرةً لذاكرْ
ولهم بتعدادِ المفا خر اوّلٌ من دون آخرْ
فبمثلهم يا اهلَ ودّ م ي فليفاخرْ مَن يفاخرْ
«افلستم احفادهم» يا آل لبنان الازاهرْ
فتذكّروا الاجداد يا م احفادُ فخرًا الذواكرْ
فاذا ذكرتمُ فاذكرو هم بالمباخر والمعاطرْ
فتنبّهوا وتشبّهوا وتنزّهوا عن كلّ صاغرْ
وتأثّروا آثارَهم كأجلّ ماثورٍ وآثرْ
حاشا لكم ان تُهملوا شرف المآثر للمآثرْ
أصرتكمُ يا قومُ بالفينيق آصرةُ الأواصرْ
لبنانُهم لبنانكم وهمُ وانتم خير عامرْ
وعليهمِ وعليكمُ بالمجد ظلُّ الارز آزرْ
ونسيمهُ بانوفهم وانوفكم كالمسك ذافرْ
لو كان كلٌّ منهمُ في عصركم عصر البواهرْ
لتقصّدوا قصبَ السبا قِ واحرزوهُ بلا مناظرْ
فعلى مثالهمِ احفظوا بسباقكم نظرَ المعاصرْ
راعوا حضارة عصركم وتجرّدوا اسنى المحاضرْ
فتسنّموا متنَ الفخو م قِ في المكاتب والمحابرْ
وتعمّدوا فصل الخطا بِ على المنابر في الدوائرْ

...

ان شئتمُ نشر الكما لِ تُفاخرون بكل فاخرْ
فكِلُوا الى الانجيل تهـذيبَ البواطن والظواهر
فهو الضمين بنشر ما يطوي الكمالُ من السرائرْ
دستورُ ترقيةِ الما لكِ في العظائم منهُ صادرْ
لا تردروهُ فانَّهُ السقهّار للدُوَل القواهرْ
كم دولةٍ جعلتهُ مر مًى للقذائف والصواهرْ
فأبادها مثلَ العُصا فة يومَ عاصفةِ البيادرْ
كم فيلسوفٍ أمَّ نقضَتَهُ بسفطة المُكابرْ
ورَنا اليهِ بظنّهِ شَرَرًا تبدّدهُ الصوافرْ
فرآهُ شمساً للحقا ئق تستدرُّ بها البواصرْ
ولذاك صدَّ عن المبا حثِ للشتائم والتهاترْ
ولقد رآها لا تقا ومُ في الجدال صفيرَ صافرْ
فرَغا وأتحفَنا مبا دىء كلُّها نفثاتُ شاخرْ
منها التساهلُ بأتبا عِ لاح مجموعَ المساخرْ
فاللاشريعةُ فيه قد وجبَتْ لتحرير الضمائرْ
واللاشريعةُ مبدأٌ كالناهقيّةِ للحمائرْ
هذي نتيجة علمٍ مبـذارٍ من الانجيل نافرْ
أن تُنزلَ الانسان منز م لةَ البهائم بالمعايرْ
اين المطامع والشنا ئع والفظائع في الكبائرْ
اين البلابل والقلا قل والمشاغبُ والشناغرْ
اين التهتكُ والخلا عةُ والمفاسدُ والمعاهرْ
اين التباهي بالعيوبِ واين مَسْرح كلِّ فاجرْ
اين المظالمُ في القضا ء واين مرمحُ كل غادرْ
هذي نراها حيثما الا م نجيل يُنبذ بالزواجرْ
انجيلكم يعلو ولا يُعلى فيه الحقُّ ظاهرْ

اين الامانة والوفـا ء واين نصرةُ كل ناصرْ
اين السكينةُ والسلا مُ واين بهجةُ كلّ خاطرْ
اين المحبّـة والخلو صُ واين ملجأُ كلّ قاصرْ
اين التهلّل في الخطو بِ واين نفحةُ كل صابرْ
اين القداسة والصلا حُ واين عفّـة كل طاهرْ
اين العـدالة في القضا ء واين رحمة كلّ قـادرْ
هـذي نراهـا حيثما الا م نجيـل يَنفُـذُ بالاوامرْ

*

اسمع كلامي يا ابن لبـنان الوطَنَ والمُهاجرْ
بتلاوةِ الانجيل لا بطلاوة التبجيل سامرْ
طوبى لمن يُحيي بها كلَّ الليـالي بالمساهرْ
وبصفوة الآداب لا بصفـاقة الاثواب فاخرْ
وتجنّبنَّ المسكرا ت فانّها سمُّ المآثرْ
ودَعِ التمرّغَ في الفوا حش للخنافس في المقاذرْ
فبَدِّل مُجالسة الذنا بِ على مُجالسة المُقامرْ
وتيقّنَنَّ السمَّ تِر ياقاً تجاهَ فسادِ كافرْ
فتنكّبَنَّ برقّـةٍ والكلُّ بالايناس سائرْ
مَسكُ الكتيبِ للصلا ةِ اهمُّ من مسك الدفاترْ
ان الدفاتر بالصلا ةِ مَضمَ مَجموع الذخائرْ
فتمسّكنَّ بذا وثا قسْ في التبرّع كلَّ باشرْ
وابنِ المدارسَ كالمتا رسِ للصغار وللصغائرْ
واستعبدِ الدنيا لديـنكَ مستعدًّا للاواخرْ
متذكّرًا ما قالهُ قسُّ البلاغة فهو باهرْ
«لمّا رايت مواردًا للموت ليسَ لها مصادرْ»
«ايقنتُ اني لامحا لة حيث صار القوم صائرْ»

خواطر في الموسيقى

للاديب يوسف افندي غصوب

بمناسبة نشر حضرة القس بولس الاشقر كتابهُ في الموسيقى الشرقيَّة

ايتها الموسيقى ! المنتشرة ارواحها في بطون الغابات ، المرفرفة ملائكتها فوق غوارب الامواج ، الكامنة جنودها في جوانب الغيوم

وددتُ لو تُفرغين في شقّ يراعتي من زفير ارواحك، وحنين ملائكتك، ودويّ اجنادك ، لفظاً يكون على الآذان ، كالالحان

لفظاً يُنظَم كاللآلئ ، تُناط بالأجياد

لفظاً يتمُّ بهِ وصفُكِ ، ويحلو بهِ مدحكِ

. . .

ايتها الموسيقى !

انتِ نشيد الطبيعة ، المتصاعد من فجاج الارض، السائر في اهتزازات الاثير ، المتَّصل بعَنان السماء

ليس في الكون من ناطق او جماد ، الّا ولهُ موسيقاه، يترنَّم بها ويرسلها صلاةً الى رب الكائنات :

الطير في وُكناتها ، والامواج المتلاطمة على قائمات الصخور، السواقي في وهادها، والغابات الممتدة في منفسحات الارض، كل الكائنات ، تُصعد اناشيدها في الفضاء ، على اختلاف اصواتها ، وتباين نغماتها

. . .

خرج الراعي ذات يوم يتقدَّمه قطيعه الى منحدَر الجبل

وكان الليل تكاد تذهب بهِ هجمات النور

فالنجوم في ارتعاش واستتار

والطبيعة تنتفض ناهضةً من رقادها

فجلسَ على صخرة ملساء.

وامامه وادٍ لهُ فوهة كفوهة الجحيم ، تأخر فيهِ الليلُ فلا ترى فيهِ الّا ظلاماً

وهناك الى يمينهِ غابةٌ من الصنوبر كانها اشباح هائلة تطلب قمّة الجبال وقريباً منهُ ساقية صافية تنساب مترقرقةً بين مشتبك القصب المائل ، واخذت الطير في نشيدها

وتنهّد الوادي فمرّت انفاسه بين انابيب القصَب وفروع الصنوبر وأصاخ الراعي فاذا اصواتٌ رخيمة ونغمات مختلفة تجتمع مُؤتلفةً وتمتدّ منتظمة، ثم تدور ذاهبة في الفضاء صُعُدًا كأنها بخور يتهادى على اجنحة الهواء ، او كأنهـا ارواح الارض تتسارع الى استقبال ملكة النور

فقال الراعي في نفسه : أمن القصب ينبعث هذا الصوت

ثم عمد الى قصبة فثقبها ونفخ فيها

وكانت أوّلَ آلة من آلات الموسيقى

. . .

واعتلى العربيُّ سنام ناقته ، وسار في الارض يخدُّ في مفاوزها

ومرّت الرياح بين كثبان ارمالهـا ، فاسمعت في سكون الليـل ، تحت السماء الزاهرة ، وفوق بحار الرمال الجامدة ، صوتاً كانهُ زفيرُ الأيامى

فاصغى اليهِ ، وقد انثنى بخمرتهِ ، وارتجفت انياط فؤاده بهِ

فاندفع يدُّهُ حادياً :

خلِّ المطايا تنيم الجنوبا ان لها لنبـأً غريباً

. . .

ايتها الموسيقى !

ضواري الوحوش يسطو عليها الطيفُ اهتزازاتكِ .

وصغارها تسكر بانغامكِ

فالسباع صاغرةٌ تمدُّ آذانها

والافاعي منسابةٌ تدور على نفسها رافعةً رؤوسها

فكيف بالاكباد ، وهو مستودع العواطف ومقرّ الشواعر

. . .

من اقاصي الارض الى اقاصيها
تلقّتكِ الشعوب وتنافست بك الامم
المصريون نقشوا آلاتكِ على راسخات آثارهم
والعبرانيون هدموا بابراقك عاليات الاسوار
واليونانيون فتأوا بك سورة الجحيم
والاعراب روّضوا بانغامكِ ضاريات السباع
داود تغنّى بمزاميره امام تابوت العهد
وهرميس تغنى بالياذته على صخرة امام البحر
والرشيد في عظمة ملكه واتساع قدرته استسلم لنغمات ابراهيم الموصلي

...

فما انتِ ايتها الموسيقى ؟!
أأنتِ خمرةٌ تجتمع عليها القلوب؟
ام لغةٌ تتفاهم بها النفوس ؟
الرقص حركات منتظمة تسرّ بها العين ، وتروّض بها الاعضاء
والتصوير الوان مختلفة وخطوط مرتبة تسرّ بها الطبيعة وتحفظ بها الى قادمات العصور
والبناء عرش الفخار ، وتاريخ الدهر
واما أنتِ فحركات النفس ، وتصوير العواطف ، وعرش القلب
اذا اهتزّت اوتارك ونفخت ناياتك ، سُمع صداها في جوانب الفؤاد ، وارتفعت النفس على اجنحتها الى اعلى مراتب الهناء
انتِ تتلاعبين بالنفوس !
فمن مسرّةٍ الى حزن ومن هوس الى سكينة
كم من مرّةٍ أسلتِ ماء شؤوني ، وانتِ ترافقين ميتاً الى مقرّه الاخير ، ولآلاتك اذين كأنين الثكالى
وكم من مرة ارثيتِ القلوب من صدورهـا ، في مرقص تتدفق فيه نغماتك ، تدفق السواقي ، فوق قاسية الصخور

وكم من مرّة رفرفتِ باجنحة السلام والسكون ، فوق قلوب تهيجت ، واعصابٍ تشنجت ، وعقول تزعزعت

فكنتِ لها كالنسيم العليل ، يهبُّ بعد القيظ ، او كسكون البحر بعد هيجانه

. . .

أما سمعتم ما فعلت بالجنود!! ، تدفعهم دفعاً الى القتال ، وترسلهم سكارى بين مشتبك النصال

دوي المدافع وصفير الرصاص ، صهيل الخيل وصلصلة السيوف ، انين الجرحى وضجيج العساكر ، تنبعث جميعها من ذلك السهل المائج

يصاحبها درداب الطبول ، وصياح الاصوار

فيا لها من موسيقى تكون للجبان شجاعة ، وللشجاع اجنحة تطير به الى حومة الوغى .

. . .

واذا دخلتَ احدى الكنائس «الفوطية»

ووقفت متخشعاً في عظمة سكونها وارتفاع سمائها

واندفعتْ من صدرها اصوات ملائكية

وتنهّد الارغن في انابيبه

فارتجفتْ كأن قد نُفخ فيها روح الحياة ، فتنفّست بين شجيٍّ وفخيم

فاجتمعت نغمات المرتلين ونغمات الآلات

واخذت تطوف في جوانب الكنيسة ، وتتجاوب من حنيّةٍ الى حنيّة ، وتتهادى من سماء الى سماء

تتموج في الهواء كانك ترى ارواحها

تعلو تارة وتنحطُّ اخرى

وتدور كاللولب على نفسها ثم تذهب صُعُدًا كانها تطلب منفذاً الى السماء

وترافقها نفوس العابدين وبخور المذابح

إذن لشعرتَ بسحرها وجلال قدرها

. . .

لماذا ترتفعين الى السماء ايتها الارواح اللطيفة ؟ !
انا هبطتُ من السماء ، والى السماء اعود
انا لغة الملائكة حول عرشهِ تعالى
أسمعنا الله اناشيدك ايتها الموسيقى في جنّات الخلود وامام عرش النور
انتِ على الارض شيء من السماء
ولكن اين انتِ من موسيقى القائلين :
قدوس قدوس قدوس

مطبوعات شرقيّة جديدة

Tharaud (Jèrôme et Jean) : LE CHEMIN DE DAMAS. 1 vol. in-16, Paris, Plon, Prix 7 f.

طريق دمشق

وضع هذا الكتاب الاخوان تارو بدعوة الجنرال غورو الذي عرض عليهما السفر الى سوريّة ليكتبا عنها بقلمهما السيّال كما كتبا عن مراكش. فطافا انحاء بلادنا واختارا بين مشاهدهِ المتنوّعة ما استحسناهُ لقرّائهما فبسطا الكلام في امور شتى مما يجهلهُ العموم في فرنسة من تاريخ وآثار واخلاق. وصفا كلّ ذلك على صورة حيّة مؤثّرة ليس فيها شيء من تصنّع وهوس لامرتين في رحلتهِ الى سوريّة سنة ١٨٣١ . ومما استسلم فيهِ الكاتبان الى مخيّلتهما فتجاوزا حدود الحقيقة ما كتباهُ عن آلهة سوريّة ادونيس وعشتروت ومقام دفنه ج . ل

Colonel Andria: LA VIE MILITAIRE AU LEVANT. En colonne pendant un an dans le Nord Syrien et en Mésopotamie, mars 1920-mars 1921 -siège d'Aintab. 1 *vol.* 8°, *Cartes et Croquis*, 1923, *Paris, Charles-Lavanzelle et Cie*

الحياة العسكريّة في الشرق

قد تشوّهت حقيقة الوقائع التي حصلت من آذار ١٩٢٠ الى آذار ١٩٢١ في

قيليقية وشمالي سوريّة وما بين النهرين بين الفرنساويين والاتراك فخبط بعضُ الكتبة في ذكرها خبط العشواء. ومن ثمّ عمد الكولونل اندريا الذي شهدها عياناً وكان من عمدة قوّادها الى تفصيل تلك الحوادث ليقف الفرنسويّون والسوريّون معاً على حقيقتها فيعرفوا ما كابده وقتئذٍ الجنود الفرنسويون من ضروب الاخطار والاتعاب. وقد ذهب كثيرٌ منهم ضحايا الواجب لاسيما في محاصرة عينتاب وفي اورفة. فعسى الذين بذلوا الحياة لخلاصهم يخلّدون ذكرهم في قلوبهم ج. ل

Grimme (H) : Der Koran. Documente der Religion VII, Verlag von F. Schoening. *Paderborn.* 1923

ترجمة جديدة للقرآن في الالمانيّة

معلوم انّ نقل الكتب من امّة الى اخرى لا يخلو عموماً من المشاكل. وهذا في القرآن اصحّ لان في المصحف الاسلامي اشارات الى حوادث تاريخيّة مجهولة ولان السُوَر قد جُمعت على اختلاف ازمنة تأليفها ولكثرة عبارات القرآن المتكرّرة مع ما فيه من السجع وكلّ ذلك يعوق الاوروبيين من ترجمته. وقد عزم المستشرق غريمه الالمانيّ على إزالة هذه المصاعب بأن ضرب صفحاً عن التكريرات ورتّب السور واقسامها على حسب ازمنتها وسعى الى معارضة السَجع بتقاطيع تقرب منهُ في لغته وهذا اخصُّ ما سبق اليه غيرهُ من نقلة القرآن. الّا انهُ باهماله التكريرات القرآنيّة جعل ترجمتهُ نصفيّة غير تامّة ه. ل

Ganthier (J.) : Petit précis de l'histoire de l'ornement. I L'ANTIQUITÉ - LES ARTS ORIENTAUX. I *vol. gr.* 8° *avec* 44 *gravures et* 12 *planches hors texte, Paris, Plon, Prix* 5 *f.* 50

تاريخ النقش والتصوير. الازمنة القديمة والفنون الشرقيّة

يفيدنا صاحب هذا الكتاب في مقدّمته عن غايته في تصنيفه. اراد ان يلقّن طلبة الفنون الجميلة اخصّ ما يحتاجون اليه في درسها في صفحات قليلة. وقد قام بوعده أوفى قيام فانّ شروحهُ دقيقة راعنة واجاد كل اجادة في انتخاب الصور والنقوش التي اراد وصفها مباشرةً بالتصاوير السابقة للتاريخ ثمّ ما شاع فيها بين الزنوج وفي مصر والشور وفارس وبين اليونان والرومان والهنود والعرب والاميركيّين ج. ل

Littmann (Enno) : Jaeger und Prinzessin, ein neu arabisches Märchen aus Jerusalem. *Kleine texte für Vorlesungen und Uebungen n° 150. Bonn, Marcus u. Weber. Prix*, 1 *Mark or*

قصّة الصيّاد والاميرة

هذه نبذة عربيّة من اللهجة العاميّة الشائعة في القدس الشريف نشرها المسيو ليتمان لدارسي العربيّة في كلّيات المانية ليقفوا على لغة اهل فلسطين. وقد اضاف الى النصّ العربي لفظهُ بالحروف الاوربيّة مع معجم للالفاظ وبيان خواصّها في اللهجة المذكورة

ه. ل

Massis (Henri) : Jugements : Renan, France, Barrès. 1 *vol. in* - 16, *Paris. Plon*, 1923

انتقاد الكتبة الثلثة رينان وفرنس وباريس

كان كتبة العصر الفائت اذا انتقدوا اعمال رجل اجتزأوا بوصف انشائهِ وخواصّ تأليفهِ فيضربون الصفح عن ادبيّاتهِ واليوم ترى المنتقدين لا يكتفون بهذه القشرة الخارجة بل يستبطنون مذهب الكاتب وما يستكنّ في كتابهِ من آدابهِ. وعلى هذه الطريقة قد جرى المسيو ماسّي في انتقاد ثلاثة من مشاهير زماننا اعني رينان وانتو فرنس وموريس باريس. فأثبت انّ رينان ذلّل عبرهُ ما نفخ فيهِ من روح الاسلام بانشائهِ المزوّق الرائق. اما اناتول فرنس فانّ كتاباتهِ تفتح باباً واسعاً للخلاعة فاستحقّ ان تُحرَّم قراءتها على الكاثوليك. امّا باريس فانّ مسيو ماسّي وصف كتاباتهِ التي تلقّى بها دون ذكر ما خدم بهِ وطنهُ كما بيّن الامر الذين كتبوا عنهُ بعد وفاتهِ ج. ل

Manuale Theologicae Moralis secundum principia S^ti Thomae Aquinatis in usum scholarum edidit P. M. Prümmer O. P. *Editio 2^a et 3^a, Friburgi Brisgovium, Herder*, 1923

دستور اللاهوت الادبي بموجب تعاليم القديس توما

قد اصاب هذا الكتاب في المدارس الكهنوتيّة نجاحاً حسناً فتكرّر اليوم طبعهُ وهو في ثلثة مجلّدات ضمّنها مؤلّفها كل التعاليم الكاثوليكيّة بخصوص الآداب والتهذيب والفضائل اللاهوتيّة والادبيّة ولاسيما فضيلة العدل ثمّ الاسرار وما يعود الى خواصّها.

ومما امتاز بهِ هذا التأليف الجليل انهُ يخصُّ قسماً كبيراً من شروحهِ بذكر المبادئ النظريَّة التي يستند اليها التعليم الادبيّ وبها تتَّضح اصولهُ ونتائجهُ . وغنيٌّ عن القول ان حضرة الاب بروّمر مؤلف الكتاب قد جرى في تأليفهِ على تعاليم الحقّ القانونيّ الجديد وهو من مشاهير اساتذة الحقوق الكنسيَّة لهُ فيها كتابٌ ممتع

الاب يوسف موبجان

Enfrey (L. M.): Sous les gonfanons des Croisés. 1 *vol. in*-12, 1923, *Paris, Editions Leroux*, 7 *f*. 50

تحت رايات الصليبيين

هذه عشر قصص ألَّفها المسيو انفري وجعل حوادثها على عهد الصليبيين . فمنها ما هو لطيف رقيق يُسَرُّ بهِ القرَّاء على اختلاف نزعاتهم لحسن مضامينها كقصَّة الراية وقصَّة الوردة الحمراء وقصَّة ابن الصليبيّ وآخر ابناء الجنّ . ومنها ما يحتوي الاوصاف المنافية للآداب والباخسة لحقوق الدين ومن ثمَّ لا يمكننا ان نستصوب الكتاب او نوصي بهِ

Chesterton (G.K.): ORTHODOXIE., traduit de l'anglais par Ch. Grolleau. 1 *vol. in*-16, *Paris, Rouart et Watelin*, 1923

الاورثذكسيَّة

هذا اسم كتاب جديد صنَّفهُ الكاتب الانكليزي الشهير تشسترتون الذي سبق لنا ذكر ارتدادهِ الى الكثلكة فاحبَّ على مثال الكردينال نيومان ان يخبر بطريق معرفتهِ للاورثذكسيَّة اي للديانة الكاثوليكيَّة التي انضوى اليها . فتراهُ في هذا التأليف يصوّر ما اعتراهُ من الشكوك في دينهِ ثم التطوُّرات التي تعاقبت في ذهنهِ الى ان اتَّضحت لهُ حقيقة الديانة الكاثوليكيَّة فنبذ الشيعة البروتستانيَّة وجاهر بايمانهِ . وقد روى كلّ ذلك بانشاء رشيق يأخذ بمجامع القلب . والكتاب فضلاً عن ذلك جامعٌ لمحاسن المطبوعات من ورق وحروف وتجليد ج . ل

Trietsch (Davis): Judische Emigration und Kolonisation. 1 *vol. in*-12, 2e *éd.*, *pp.* 287, *Berlin, Benjamin Herz*, 1923

مهاجرة اليهود واستعمارهم

مصنف هذا التأليف قد اشتهر بكتاباتهِ عن فلسطين ولاسيما بدليلهِ الفلسطيني .

والكتاب الذي نحن بصدده ألفهُ سنة ١٩١٧ وهذه الطبعة الثانية منهُ يبحث فيهِ عن مهاجرة اليهود الى فلسطين منذ السنة ١٨٨٠ حيث ضغطت عليهم روسيَّة واصبحت احوالهم في الضنك والحاجة فتفرَّقوا تحت كلّ كوكب الّا انَّ فلسطين ألفتت انظار كثيرين منهم لما في تاريخ شعبهم من العلاقات بها ولاملهم ان يُعيدوا فيها رونق أمّتهم السابق . وغاية هذا الكتاب ان ينشط الكاتبُ قومهُ اليهود في المهاجرة ويدفعهم الى استعمار فلسطين بالصناعة والزراعة وبقيَّة الاعمال النافعة التي يستطيع المهاجرون القيام بها لتحسين احوالهم الاب كورنز اليسوعي

Colonel Rezanov. L'Idéologie du communisme., 1 *vol. in*-12, *Editions Bossard. Paris*, 1923, *Prix* 2 *f*. 70

نظريات الشيوعيَّة

قليل هم بين العموم الذين يدركون كُنه البولشفيك ويعرفون المبادئ الشنيعة التي بنوا عليها حكمهم . وذلك حتى بين الروس المهاجرين من بلادهم . فالكولونيل ريازنوف الذي درس مذهب السوفيات درساً مدقَّقاً اراد ان يعرض احوال تلك الشيعة الغريبة وينقل مبادئها لتقف البلاد على صحَّتها وتكرهها الكراهة القصوى . فبيَّن ان حكم البولشفيك يستند الى اسوإ ما في قلب الانسان من الاهواء الفاسدة فيدوسون كلّ حقوق البشر لتغليب مطامعهم لا يثنيهم عن مآربهم خوفٌ من الله ولا شريعة ولا ناموس . ولعلَّها هذه المرَّة الاولى نظم الاشرارُ قواهم على هذه الطريقة ليسحقوا كلّ مناوئ لسُلطتهم ج . ل

Homo(Léon): Problèmes sociaux de jadis et d'a présent. *Paris*, *E. Flammarion*, 1922, *Prix* 7 *f*. 50

مطالب اجتماعيَّة قديمة وحديثة

انَّ الذين يعاينون ما صارت اليهِ البلاد بعد الحرب الكونيَّة من غلاء معاش وضنك ونزاع بسبب الايجارات واثمانها الفاحشة يظنُّون انَّ هذه الحالة لم يسبق لها سابق في التاريخ فالمسيو هومو صنَّف هذا الكتاب ليبحث عن احوال الدنيا قبل عهدنا ويعارض بينها وبين احوال زماننا فبيَّن بالنصوص التاريخيَّة انَّ ما نعدُّهُ الآن كأمر غريب حدث في الممالك الكبرى كاليونان والرومان فنقل عن اوثق المؤرخين

اشياء كثيرة يظنها القارئ نبذةً من اخبار زماننا لاسيما في رومية وقت تزاحم الشعوب في ارجائها فكان الخصام بين المستأجرين والمؤجرين متواصلاً لم ينتهِ الّا بحريق رومية ج.ل

Petite Histoire de Syrie et du Liban: Propriété de l'Imprimerie Catholique. BEYROUTH (GRAND LIBAN), *in*-12, 1924, *pp.* 150, *Prix* 2f. 25

خلاصة تاريخ سورية ولبنان

هو الكتاب الذي كان ارباب المدارس يطلبون تأليفهُ بعد المطوَّل الذي نشرهُ حضرة الاب لامنس. فانهُ والحق يقال جامع لكل صفات الكتب المدرسيَّة صورةً ومعنًى بوضوحهِ وتقاسيمهِ وترتيب فصولهِ وتجنيس حروفهِ وفهارسهِ فلا نشكّ انهُ سينال الحظوة في كلّ مدارس سوريَّة

كتاب اللاهوت النظري (الجزء الثالث في كنيسة المسيح)

تأليف الخوري الياس الجميّل دكتور في الفلسفة واللاهوت

طُبع في المطبعة الاهليَّة في بيروت ١٩٢٢ (ص ٢٢٧)

قد اثنينا سابقاً على ثلاثة اجزاء من هذا الكتاب الذي يحتاج اليهِ طالبو الكهنوت في اصقاعنا وهو اوسع وادقّ ممَّا طُبع من جنسهِ سابقاً في بيروت والقدس الشريف ورومية. ومواد هذا القسم لا غنى عنها للشرقيين لمعرفة كنيسة المسيح وخواصها المميّزة لها عن سائر الكنائس المنفصلة ل.ش

[illegible]

دليل الطلّاب سنة ١٩٢٣ (ص ٨٠)

لحضرة القس بولس بدارو الكلداني

اهدانا حضرة القس بولس بدارو استاذ اللغة الكلدانيَّة في مدرسة موصل الاكليريكيَّة مختصراً في تعليم قواعد اللغة الكلدانيَّة صدَّرهُ بمقدمة شعريَّة وصف

فيها الأمّة الكلدانيّة في غابر الزمان وفي الحال الحاضرة . وقسم الكتاب الى اربعة اجزاء . في الحروف والحركات ثمّ في الاسم ثمّ في العدد والضمائر ثم في الفعل . واضاف الى ذلك جدولًا وجيزًا في تعريف الافعال وما يشتق منها . ويزين الكتاب بعض تمارين بين سؤال وجواب في كلتا اللهجتين الكتابيّة والعاميّة . فنثني على همة المؤلف ونتمنى لكتابه هذا رواجًا ق . ٥

كتاب شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الاوّل : الشعراء المخضرمون للاب لويس شيخو اليسوعيّ

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت (ص ٩٦)

هذا كتاب جديد كنّا جمعنا موادّهُ منذ عدّة سنين فلم تسمح الظروف بنشره وقد انتهينا من قسمهِ الاوّل الذي يحتوي على تراجم وشعر خمسة عشر من شعراء النصرانيّة من المخضرمين الذين عاشوا في الجاهليّة واوّل الاسلام فكانوا من نصارى العرب وان اسلم بعضهم بعد ظهور الاسلام غايات عاليّة ل . ش

مختصر التاريخ العام

بقلم عيسى ميخائيل سابا على نفقة وديع سركيس

طُبع في مطبعة جدعون سنة ١٩٢٣ (ص ١٧٦)

كان البعض يبشّروننا بصدور هذا التأليف ويرونهُ افضل كتاب مدرسي لتعليم التاريخ العام للاحداث . فلمّا تصفّحناهُ وجدنا المُثنين عليهِ قد انخدعوا بهِ فانّ اغلاطهُ التاريخيّة لا تُحصى حتى في الامور القريبة من زماننا فيقول مثلًا (ص ١٦٧) انّ تركيّة دخلت في الحرب الاخيرة في « كانون الثاني ١٩١٤ » وهو يريد تشرين الثاني ويقول (في الصفحة ١٤٠) انّ ايطاليّة « قضت سنة ١٨٤٨ على املاك البابا الذي لم يبقَ لهُ ملك زمني » والصواب حدوث ذلك سنة ١٨٧٠ وان دي ليسبس فتح برزخ السويس سنة ١٨١٩ « يريد ١٨٦٩ » . واما كلامهُ عن الحوادث الدينيّة فلا يُعبأ بهِ .

فانَّ ما ذكرهُ من تاريخ العبرانيين لا يروي غليلاً. فلا يكاد يذكر شيئاً عن معجزات موسى النبيّ. وهناك (في الصفحة ١١) اسطرٌ ناقصة يذهب بها المعنى. وليس (كما زعم ص١٢) انتصار داود على جليات هو الذي جعلهُ ملكاً بل كان ملكهُ بالوحي. أمّا كلامهُ عن السيد المسيح وظهور النصرانيَّة (ص٥١) فهو دون ما يذكرهُ عنهما المسلمون والملحدون. واشنع من ذلك ما كتبهُ في احوال البابويَّة (ص ٥٢) وفي الكاثوليكيَّة (ص٩٥—٩٦) وفي ديوان التفتيش (ص٨٦) وكذلك في وصف لوتاروس والبروتستانيَّة (ص٩٥—٩٧) وغير ذلك ممَّا يضطرُّنا الى نفي هذا الكتاب من المدارس الكاثوليكيَّة

تذكرة الكاتب

تأليف اسعد خليل داغر

طُبع بمطبعة المقتطف والمقطَّم بمصر سنة ١٩٢٣ (ص ١٥٠ + ي)

نثني على كلّ من يجاهد في تعزيز لغتنا العربيَّة ويصونها من كل شائبة تبخسها حقَّها وجناب الكاتب المصري اسعد افندي خليل داغر ممَّن ينتصرون لها فقد جمع في تذكرته هذه ٤٣٦ لفظة او عبارة انكر جواز استعمالها على الكتبة. ونقرُّ بانَّ كثيراً من هذه المفردات والمركَّبات مغلوطة لا يصحُّ استعمالها الَّا انَّنا نجد في غيرها ما لا نوافق على وَسْمِهِ بسمة الغلط امَّا لوجودها في الكتب القديمة وامَّا لشيوعها في الاستعمال وقد اثبتنا سابقاً انَّ الاستعمال في كل اللغات لهُ الحكمُ الفصل. فاذا شاعت كلمة او تركيب على أَلسنة الادباء وفي الصحافة ادرجوها في معاجمهم ما لم يعتبر المؤلف لغتنا لغةً ميتة كالسريانيَّة لا يجوز فيها الَّا ما ورد في القواميس وكلّ يعرف نقص قواميسنا وتطوُّرات لغتنا ل. ش

اشهر الخطب ومشاهير الخطباء

تأليف سلامه موسى (طُبع في مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤ ص ١٥٠)

استحسنّا فكرة جامع هذه الخطب التي من شأنها ان ترشد خطباء زماننا الى فنون البلاغة وبينها ما نطق به الرجال المقرَّبون من خلفاء وملوك وقواد جيوش

ومحامون ومندوبو الامم الّا انّنا استغربنا ذكر البعض من تلك الخطب لناس من الطغاة واهل الثورات والفتن كان الاجدر السكوت عنها

ديوان انتقادات على الستّات والخواجات

بقلم لطف الله نصر البكاسينيّ اللبنانيّ

طُبع في المطبعة الوطنيّة (ص ٤٦)

هي زجليّات لطيفة انتقاديّة باللغة العاميّة لقوّال بارع كما انتقاده بثوبٍ من اللفظ الذي يحلو على السنة اللبنانيين ويرشق بسهامهِ المدّعين بالتمدّن المصري ل.ش

شذرات

﴿عدد اليهود بالنسبة الى الدول الاوربيّة﴾ دونك نتيجة ابحاث الاختصاصيين لبيان عدد اليهود بالنسبة الى بلاد اوربّة المختلفة: اليهود في رومانية بنسبة الواحد الى ٧ وطنيين. وفي بولونية الواحد الى ١٣ وطنيًا . وفي المجر الواحد الى ٨٠ . وفي فرنسة بنسبة الواحد الى ٤٥٠ . وفي بريطانية العظمى الواحد الى ٨٠٠ . وفي اسبانية الواحد الى ١٢٠٠ . وعددهم في النمسة يبلغ في ثمنة ١٢ في المئة و ٧ في بقيّة النمسة . وقد احتكر اليهود هناك معظم غنى البلاد . ففي يدهم المصارف والتجارة والسكك الحديدية . وكذلك في رومانية . وقد انتقلوا اليها من روسيّة وغاليسية . امّا عدد اليهود في العالم فيبلغ اليوم ١٥ مليونًا

﴿فكاهة عرفانيّة﴾ ممّا افادت مجلّة العرفان قرّاءها في عددها الاخير ما نرويه بالحرف الواحد :

« هل علمتَ ... انّ عدد سكّان الارض مليار وخمسمائة مليون يموت منهم كل يوم ٣٢ مليونًا وربع مليون »

قلنا وايمُ الحقّ لم نعلم ذلك وكلّ ما كنّا نسمعهُ من المحققين ان عدد الموتى في اليوم يبلغ نحو مئة الف الى مئة وعشرين الفًا . امّا بلوغهُ « كلّ يوم ٣٢ مليونًا وربع مليون » فممّا ترتجف لهُ الفرائص ولو ثبت فقُل على الجنس البشري باسرهِ السلام في

اقلّ من خمسين يوماً وان قال انّما يولد كلّ يوم ما يسدُّ هذا النقص فلا بأس من وفاة هذا العدد العديد . الّا انّ المولودين يكونون بعد خمسين يوماً اطفالاً مرضعين فيتكوّن العالم من مليار وخمسمائة مليون من الصغار الذين يبلغ اكبرهم سنّاً خمسين يوماً وان بقي الموت على هذا المعدّل يموت ايضاً هؤلاء الصغار فتصبح ارضنا بلقعاً صفصافاً بعد مئة يوم . فنرجو من لطف صاحب العرفان أن يحنّ على المعمور ما لم يُرد ان يبشرنا بقرب يوم الدين

﴿الرسالة الحرفيّة﴾ هي التي نشرناها في عدد المشرق الاخير (ص ١٠—١٧) منسوبة الى السيد الشريف الجرجاني وقد سها عن بالنا أننا كنّا نشرناها سابقاً في السنة الحادية عشرة من مجلّتنا فنبّهنا على خطإنا جناب الكاتب البارع احمد باشا تيمور برسالة لطيفة نشكره على ما اودعهُ فيها من الفوائد فننقل هنا كلامهُ :

نشرتم في المشرق الاخير رسالة في الحروف منسوبة للسيّد الشريف الجرجاني اعتماداً على ما جاء في اصلها المخطوط والمرجّح انّ هذه النسبة غير صحيحة لانّ رسالة السيد الحرفيّة في حروف المعاني لا حروف المعجم وهي التي اوردها في حاشيته على المطوّل ثمّ أفردت و اشتهرت [illegible] انّ نسبة العبارة الى مدركتها [illegible] [illegible] شهرة خبراً فهي بعينها التي سبق لكم نشرها [illegible] [illegible] نشرها في [illegible] في شذور اللغة (ص ١٥٩) غير منسوبة في [illegible] نشرها بعد ذلك مجلة العلم (ج ٣ ص ١٢٨) منسوبة كما في اصلها القديم المنشور [illegible] جاء في مجلة لغة العرب (ج ١ ص ١٤٧) . ولا يبعد ان تكون للنظر كما لا مانع من ان تكون الرسالتان كلتاهما للسيد ولكن اشتهرت إحداهما بالنسبة اليه وهي الخاصّة بحروف المعاني ولم تشتهر الاخرى الخاصّة بحروف المعجم بتلك النسبة وان كان المرجّح في هذه الاخيرة انّها لغيره والله أعلم »

احمد تيمور

﴿ وفاة ابن السعود سلطان نجد ﴾ نعت البرقيات مؤخّراً هذا السلطان وعلّلت وفاتهُ بداء السلّ . وابن السعود هذا هو عبد العزيز بن عبد الرحمان بن فيصل الراقي نسبهُ الى محمد بن السعود مناصر الشيخ محمد بن عبد الوهّاب صاحب المذهب الوهّابيّ . تولّى الامر سنة ١٨٩٥ فقضى في امارتهِ على نجد نحو ثلثين سنة فعزّز دولتهُ بازاء مطامع ابن رشيد امير حائل وشريف مكة وملكها الحسين واخذ حذرهُ من الدسائس البريطانيّة . فاصبح في هذه السنين الاخيرة اعظم ملوك جزيرة العرب سطوةً واوسعهم ملكاً واقواهم شوكةً فخافهُ كل اعدائهِ . ولعلّ موتهُ سيحدث في

جزيرة العرب انقلاباً كبيراً (راجع مقالتنا حول جزيرة العرب في المشرق ١٨ [١٩٢٠]:٣٣:١٠٧:١٧٨)

﴿ زعيم الاحرار الاستاذ الاعظم يوسف الحاج ﴾ هذا ماسوني قبح عرضت صورته جريدة المعرض بكل اوسمته ووزراته واوشحته التي تزينه من عنقه الى ساقيه لا ينقصه الا اسوار النساء والخلاخل ليعد كأحد المهرجين على المسارح . وفي المعرض انه غني بفضل الشيخ خزعل امير عربستان . وقد وقفنا على منشور ماسوني سري كتبه في ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٣ عبد المجيد يونس كاتب السر الاعظم وارسله «الى عموم المحافل المصرية» يعلن لهم ان المسمى يوسف الحاج خداع نصاب ومما جاء في المنشور ما حرفه ليعرف السوريون من هو يوسف الحاج ذو الالقاب الماسونية الشرفية التي يطول تعدادها قال بعد بيان مكره ببعض وجوه القوم في حيفا فلسطين ما ننقله عن :

منشور عمومي رقم ٥٣

من السكرتارية العظمى الى عموم المحافل المصرية

« . . . فجمعهم في مساء يوم ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ في صالة اوتيل ماجستيك واجرى تكريسهم هناك واعطاهم اسرار الدرجات الثلاث ووعدهم بانه في خلال اسبوعين او ثلاثة سيرسل لهم شهادة من محفل الحاج بيروت عن اعتبارهم اعضاء بالمشيرة الماسونية وكذا شهادة بذلك ايضاً من المحفل الاكبر وصك من المحفل الاكبر الوطني المصري بتبيتهم واعتبارهم محفلاً مستقلاً وعلى حساب هذه الوعود اخذ منهم بموجب ايصال مبلغ ٤٧ جنيه و ٥٠٠ مليم على ذمة تسديده في الرسوم الماسونية التي تستلزمها الشئون التي وعدهم بها ولكونهم علموا من مصدر اكيد بأن ما وقع منهم هو قليل من كثير مما يأتيه يوسف الحاج المذكور من الاعمال المائلة لما توضح وان عمله هذا لم يكن له صفة ولا سابقة في تاريخ الماسونية وقد طلبوا منا التوسط ليرد لهم يوسف الحاج مبلغ السبعة واربعين جنيهاً مصرياً وخمسمائة مليم الذي سلبه منهم لوجوده الآن بمصر

«فوان كتبنا لهم باللازم في هذا الموضوع الا اننا رأينا من الواجب علينا نحو المشيرة وبنيها ان نخبر جميع المحافل لتكون على علم من امر يوسف الحاج المذكور ولتأخذ حذرها منه ومن امثاله ولذلك اقتضى الشر للعلم بما ذكر والعدم قبول زيارته مطلقاً لانه غير معروف لدى المحفل الاكبر الوطني المصري والرجا تبليغ ذلك لجميع الاخوان — وتفضلوا بقبول تحيات اخيكم المخلص » الامضاء : عبد المجيد يونس كاتب السر الاعظم

هكذا يكون الاحرار . . . والا فلا !

أسئلة وأجوبة

س سأل من النبك جناب اسعد افندي نصرالله: ١ً هل الكتب الدينيَّة غير الكاثوليكيَّة تُحظَر قراءتها على الاطلاق . ٢ً ما هي الكتب او الصحف الدينيَّة المحرومة قراءتها في لبنان العربيَّة . ٣ً هل كل رَقص مختلط بين الشبَّان والشابَّات محظور

الكتب المحرَّمة – الرقص المختلط

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ مطالعة الكتب الدينيَّة الحديثة غير الكاثوليكيَّة هي محرَّمة عموماً على الكاثوليك الَّا الذين يسمح لهم رؤساء الكنيسة بمطالعتها لاسيما ان ضُربت بالحرم بتعيين اسمائها . ويستثنى من هذا الحكم الكتب الدينيَّة التي ثبت خلوُّها من كلّ طعن في الدين او تعليم فاسد . — نجيب على (الثاني) انَّ الكتب العربيَّة التي لا يجوز للكاثوليكي قراءتها هي الكتب الدينيَّة المطبوعة عند البروتستانت او الروم والتي لم يصدّق عليها الاساقفة الكاثوليك . وما الصحف الدينيَّة غير الكاثوليكيَّة [illegible] الاسبوعيَّة . نجيب على [illegible] ان [illegible] خالٍ من كل مسيس للادب او جرى بين الاهل والاقارب من ذوي الضمير والتقى يتسامح به اللاهوتيُّون . امَّا ما كان منهُ مخلًّا بالادب او يعرّض الراقصين للخطأ فلا يجوز البتَّة

س وسأل أصحيح هو تفوُّق الامم السكسونيَّة البروتستانتيَّة على اللاتينيَّة الكاثوليكيَّة؟

الامم السكسونيَّة واللاتينيَّة

ج هذا من مزاعم بعض الكتبة المشغوفين بالتمدُّن الانكليزي او الاميركاني وهناك نظرٌ فان الرقي لا يقوم بالماديَّات بل بالادبيَّات ومن المعلوم انَّ الادبيَّات ما لم ينفث اعداء الكنيسة والفرمسون سمّهم القتَّال بين العموم هي في الامم الكاثوليكية ارقى واشرف . ولا تخلو الامم اللاتينية الكاثوليكية من الرقي المادي ايضاً كما هو واضح من مثال بلجيكة . وافرنسة كذلك غنيٌّ واسع لا يُستخفُّ به . وعلى خلاف ذلك ترى في انكلترة في طبقات الشعب الدنيا فقراً مدقعاً لا تجدهُ بين الامم اللاتينيَّة . فالقول اذن بتفوُّق الامم السكسونيَّة غير ثابت ل . ش

المشرق

البطريرك الماروني وجمال باشا ابّان الحرب

بقلم سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي السامي الاحترام

نسطّر هذه السطور وقلوبنا لا تزال منتعشة بعوامل الفرح والحبور التي حرّكتها في النفوس تلك مظاهرات الاكرام والحبّ والاخلاص البنوي الفخمة التي تبارى في إقامتها اخواننا اللبنانيون والسوريون في الوطن وفي المهجر احتفاء باليوبيل الفضي للشيخ الجليل الجالس على الكرسي البطريركي الانطاكي الماروني منذ ٢٥ سنة . وقد شاءت البلاد بتلك المظاهرات ان تحيي ذكرى المآثر البيضاء والمآتي الغرّاء التي لغبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك في جنب الدين والوطن منذ دخل المقام البطريركي الجليل من اثنتين وخمسين سنة كان فيهما رجل النشاط والعمل وعنوان الفضل والفضائل الكهنوتية ومثال التجرّد والتفاني والغيرة الوطنيّة . وقد وفت الصحف ما تقدّم حقّهُ من الوصف عند ذكرها الاحتفالات التي جرت في ٦ كانون الثاني الماضي

على انهُ ان كان شيخنا الجليل قد صادف في حياتهِ ما لم يصادفهُ غيرهُ من التعزيات ومجالي الاكرام والتجلّة فانهُ قد عرك الاذى بجنبهِ وأصابهُ من الشدائد ما اذاقهُ مرارة الحياة علقماً . غير انهُ في هذا كما في سواه كان يلقي همّهُ على العناية الربانية «فأنجحتهُ في اتعابهِ واكثرت ثمرات اعمالهِ وعند طاعة المستطيلين عليهِ انتصبت لمعونتهِ ووقتهُ من اعدائهِ وحمتهُ من الكامنين له لكي يعلم الجميع ان التقوى اقدر من كل شيء» (الحكمة ١٠ : ١٠—١٢) . واننا بياناً لما تقدّم نقتصر على ايراد بعض ما توقّع لغبطتهِ من الحوادث في الحرب الاخيرة الهائلة فنقول :

*

كان جمال باشا قد تعيّن قائداً عاماً للجيوش التركية المرابطة في سورية وعُهد اليه امر الزحف بتلك الجيوش على مصر فدخل الشام في اوائل شتاء سنة ١٩١٤ . وفور وصوله ابدى عن ارادته في ان يحضر بطريرك الموارنة بذاته ويحييهُ في مدينة الخلفاء . ومعلوم ان بطاركة الموارنة كانوا قد اتخذوا لبنان مقرّاً فكان لهم بمثابة ثاتيكان آخر لم يغادروهُ قطّ الّا للتوجّه الى رومية لزيارة الاعتاب الرسولية . وقد تبيّن من ذلك ما كان يُبطنه الطاغية التركي الذي القى الرعب والإرهاب في سورية مدّة نحو ثلاث سنوات من الشرّ للمسيحيين عموماً وخصوصاً للموارنة وبطريركهم لتعلّقهم الشديد غير المنفصم العُرى بالأمّة الافرنسية المحبوبة

وانّ ما كان يوغر صدر الاتراك ويغلي فيها مراجل البغض الشديد البلاد وسكّانها هو عادةُ تدخّل الدول الاوربية وخصوصاً فرنسا في شؤونها وتمرّد الامراء اللبنانيين على الادارة التركية وذكرى مظاهرة ودّية حديثة العهد كان قد قام بها الاميرال بوه دي لابيرار في ميناء جونية حيث استقبل غبطة السيد البطريرك في دارعة تحفّ بها دوارع الاسطول الفخم استقبالاً ولائياً بالغاً آخر حد الفخامة

واما السيد البطريرك فانه لما تبلّغ مآل ارادة جمال انذر بشيخوخته وبيّن ان تقدّمهُ في السنّ يحول دونه ودون تلبية اشارة القائد العام ويجعل سفرهُ الى الشام واجتيازه الجبال في ذلك الفصل الشديد البرد امراً مستحيلاً . فقبل عذره ذلك على ان يُنفذ من قبله لتحيّة الباشا وفداً مؤلّفاً من جمهور من اعيان البلاد ومن ثلاثة مطارنة (١)

ففعل غبطة السيد البطريرك واستناب عنهُ مع كاتب هذه الاسطر سيادة المطران بولس عواد مطران قبرس والمأسوف عليه كثيراً المرحوم المطران بطرس شبلي الذي لم يلبث ان قُضي عليه بالإبعاد عن البلاد والنفي الى آطنه حيث قضى نحبه بعد سنتين مأسوفاً عليه كل الاسف . وقد توجه الثلاثة المطارنة الى الشام يصحبهم ٢٥ ذاتاً من اعيان المسيحيين في البلاد فقابلهم جمال مقابلةً لم تترك لهم مجالاً الى الشكّ في سوء

(١) جرت تلك المخابرات بين الطرفين بواسطة نجيب باشا ملحم الذي كان قد حضر من الاستانة الى سورية عند دخول تركيا في الحرب

المصير . فقد صرّح لهم اثناء تلك المقابلة انه بنى العزم على تشكيل ديوان عُرفي في لبنان وعلى ارسال الفرقة الرابعة والثلاثين اليه . وقد انقضّ هذا التصريح انقضاض الصاعقة على اعضاء الوفد لانهم رأوا فيه اوّل خطوة الى الغاء استقلال لبنان وامتيازاته التي كانوا يعلّلون النفس باتخاذها وسيلة لحفظ حياد اهله والتخلّص من الاشتراك في تهوّر تركيا في الحرب . فان نظام الجبل الاساسي كان يحظّر على الجنود العثمانيّة الدخول اليه ولا يجيز لها المرور باراضيه الّا بعد موافقة مجلس ادارته . فجاء عزم جمال باشا هذا قاضياً على تلك التدابير التي قرّرتها الدول للمحافظة على لبنان

ومما لا يجهله احد انه لم يكن بين الطوائف الشرقيّة الّا الموارنة وحدهم الذين ظلّ بطاركتهم واساقفتهم من الحرب الاخيرة متمنّعين بتعاضدة فرنسا عن قبول الفرمانات السلطانية خشية ان يكون من ذلك سبيل للاتراك للتدخّل في شؤونهم الدينيّة كانتخابات الاساقفة والبطاركة وتنصيبهم . وقد حرصوا على عاداتهم كل الحرص وحافظوا عليها اشدّ المحافظة . لكنّ جمالًا اغتنم فرصة وجود الوفد في الشام فاستدعى اليه حضرة الخوري بشارة الشمالي (المطران بشارة الشمالي اليوم) النائب الاسقفي للموارنة فيها اذ ذاك وطرح عليه بعض سؤالات تتعلّق بالفرمان ومن جملتها لماذا اساقفة الموارنة يتمنّعون عن طلب الفرمان السلطاني اسوةً بسائر البطاركة والمطارنة في الممالك العثمانيّة . فكشفت هذه السؤالات الى الاساقفة عن نيات جمال الخبيثة

وما كاد الوفد يعود الى لبنان حتى صدر الامر الى المأسوف عليه المرحوم المطران بطرس شبلي لكي يشخص ثانيةً الى الشام ففعل . لكنه ما عتّم ان رجع وبلّغ غبطة السيد البطريرك ان جمالًا يوجب عليه ان يقدّم العرض حالًا لوزارة الاديان في الاستانة ويلتمس منها الفرمانات السلطانية له ولاساقفته . وقد شقّ جدًّا على السيد البطريرك والاساقفة ان يوجدوا في هذا المأزق الحرج لانهم ان صدعوا بامر الباشا ضحّوا ميزةً عزيزةً جدًّا لديهم كانوا قد بذلوا كلّ عزيز في سبيل المحافظة عليها مدّة اجيال عديدة وان لم يرضخوا عرّضوا نفوسهم وشعبهم وبلادهم لسخط من كان يلعب بحياة العباد لعباً . ومع هذا فان غبطة السيد البطريرك حاول التملّص بحجّة ان امرًا هامًا كهذا لا يمكنه البتّ فيه دون استشارة الاساقفة والوقوف على رأيهم وانّ استدعاءهم

وحضورهم لديهِ في تلك الظروف كان من الامور الصعبة بل من المتعذّرة لعدم توفُّر وسائل الانتقال. فلم يَرُق ذلك للباشا بل حدَّد مهلة وجيزة وصرَّح لاحد الاساقفة ولآخر من اعيان الطائفة انهُ اذا لم يبادر البطريرك والاساقفة الى العمل بما اراد قضى بالنفي على جميعهم

وبعد ان تداول السيد البطريرك والاساقفة وامعنوا الرويَّة في الامر رأوا ان لا مناص لهم من الانقياد والرضوخ ريثما يمنُّ الله بالفرج. وبعد مضي شهر واحد وصلت الفرمانات من الاستانة وكأن الاتراك جميعهم كانوا قد اتفقوا على ان يغتنموا كل الفرص لمحاولة الحطّ من كرامة البطريرك الماروني انتقاماً وتشفياً ممَّا كان يصادفهُ من الاعتبار والاجلال من ممثلي فرنسة. فأمسك بكر سامي بك والي بيروت اوانئذٍ فرمانَ السيد البطريرك واوعز اليه ان يحضر بذاته الى بيروت لاستلامهِ فأبى غبطتهُ واصرَّ على إبائه الى ان اضطرَّ الوالي الى تسليم ذلك الفرمان الى المرحوم المطران بطرس شبلي ليتمَّ بايصالهِ الى السيد البطريرك

وقد دار في خلَدنا اوانئذٍ ان الانسانيَّة تتحرَّك عواطفها في قلب جمال ورفاقهِ بعد كل ما جرى فيُقلعون عن تنكيد عيش ذلك الشيخ الجليل الذي أثقل كاهلهُ وقَر السنين وأحنتهُ الهموم والغموم وكاد ينفطر قلبهُ الابوي جزعاً على بنيهِ وبلاده المعرَّضين لسخط وانتقام اولئك الاعلاج. فأخطأنا ظنًّا وبيَّنت لنا الايام ان ذلك النفر كان قد تعرَّى من الشواعر الانسانيَّة ولم يكن يهنأ لهُ عيش الَّا بإرهاب الناس وتكدير عيشهم حتى وإماتتهم. فأتى جمال يقضي فصل الصيف بالزهو واللهو في صوفر واوجب على البطريرك ان يحضر من الديمان اي من مسافة نحو ١٥٠ كيلومترًا للسلام عليهِ في مصيفهِ وقد اضطرَّ السيد البطريرك للقيام بهذا الامر رغماً عمَّا كان فيهِ من المشقَّة لرجل مُسنّ مثله. ولكن الباشا هذه المرَّة احسن استقبالهُ ورحَّب بهِ ووعدهُ بان يردَّ لهُ الزيارة بمركزهِ في الديمان. غير انهُ اخلف في وعدهِ وانفذ من قبلهِ الميرالاي رضى بك قائد الفرقة الرابعة والثلاثين. وامَّا هو اي جمال فلكي لا يقال انهُ جاء خصيصاً لردّ الزيارة للبطريرك واصلَ مسيرهُ الى بشرّي حيث قضى ليلته وعند عودتهِ في اليوم الثاني عرَّج على الكرسي البطريركي

وجعل جمال دأبهُ تعنيف شيخنا الجليل والبغي عليه فكان في كل سنة يستدعيهِ

اليه حيث يكون بعد ان يروّج الاشاعات المتنوّعة حول طلبه

وحدث أن اخترق الاتراك حرمة القنصلية الافرنسية في بيروت وضبطوا كل الكتابات التي وجدوها ففحصوها وكان بينها كتابة وقّعها بعض المطارنة رأى فيها جمال خيانةً للوطن العثماني والقى التبعة كلها على البطريرك واستدعاه اليه. وبعد جدال طويل مع الباشا فنّد غبطتهُ بحكمته المشهورة كل التأويلات وردّ كل التُّهم ثم عاد مع حاشيته الى كرسيّه

وفي شهر تموز من سنة ١٩١٧ تواترت الاشاعات التي تناقلتها الالسن من كل جهة حتى بلغت المقام البطريركي. ومآل تلك الاشاعات ان جمال باشا قرّر طلب البطريرك اليه لينفيهُ الى الداخليّة. ثم ورد الى السيّد البطريرك والى البعض من حاشيته كتابات خصوصيّة تثبت الاشاعات المتقدّم ذكرها فضقنا بالامر ذرعاً وبتنا اياماً على احرّ من جمر الغضا . حتى كانت ظهيرة الحادي والعشرين من الشهر فاذا باحد اركان حرب القائد العامّ المدعو عبد المجيد الروسي الاصل أقبل علينا وبيده تحرير من جمال يدعو به البطريرك الى الحضور لديه بحجّة المخابرة معه قصد ايجاد طريقة لإعاشة اللبنانيين لان الضيق في تلك الآونة كان قد استفحل امره جدًّا وازداد عدد الوفيات من الجوع الى حدّ هلعت له القلوب

وفي الثالث والعشرين من تموز غادر السيّد البطريرك مقرّهُ في الديمان وتوجّه الى بحمدون يصحبه احد المطارنة نوّابه وواحد من الكهنة كتبة الاسرار وعند مقابلته للباشا حادثه هذا بشأن الاعاشة لكنه ادّعى ان شؤوناً عسكرية هامّة تتطلّب ذهابهُ الى الشام ولهذا يرغب اليه ان ينتظره في المحلّ الذي اعدّهُ لهُ ولحاشيته قرب السكّة الحديديّة في قرية بحمدون لكي لا يكلّفه عناء السفر كلّ ما احتاج الى محادثته

هذا ما قالهُ الباشا لكن الحقيقة هي انهُ كان يريد ان يحفظ السيد البطريرك رهينة بين يديه . وعندما علمت عائلة المرحوم فيليب ثابت بالامر قدّمت الرجا الى القائد العامّ لكي يسمح لها بقبول بطريركها الجليل في منزلها في صوفر فقبل رجاءها وظلّ السيّد البطريرك وحاشيتهُ مدّة شهر كامل بضيافة هذه العائلة الكريمة التي توفّرت على اكرام بطريركها وحاشيته اكراماً ليس بعده غاية فنحضها عليه خالص الشكر

توجّه جمال الى الشام وطالت إقامته فيها وبعد وصوله اليها باسبوعين ارسل كتاباً

الى السيّد البطريرك يدعوه فيهِ الى الذهاب الى زحله والسكنى في النزل الذي كان اعدَّه لاركان حربهِ . فجاء هـذا دليلًا على سوء نيَّة جمال ومصداقاً لاشاعة كانت تناقلتها الالسن منذ شهرين من ان النزل المحكيَّ عنهُ كان قد أُعدَّ لسكنى البطريرك الماروني وحاشيتهِ . وامَّا السيد البطريرك فقد اعتذر بلطف عن قبول الدعوة غير ان ابناءه الموارنة هلعت قلوبهم واخذوا يوجسون خيفةً على حياة ابيهم الشيخ .

لكنَّ العناية الربانيَّة الساهرة بعينها اليقظى على محبي الرب وخائفيهِ قيَّضت للحبر الفضال الممثل للكرسي الرسولي المقدَّس بيننا والمشهور بالغيرة والتفاني والجرأة والاقدام المقرونين بسداد الرأي وسيلةً يعزُّ الحصول عليها ابَّان الحرب . وبتلك الوسيلة تمكَّن هذا الحبر المتلهب غيرةً من إنقاذ البطريرك من الخطر الذي كان يتهدَّده فانَّهُ اي نيافة القاصد الرسولي السيّد فرديانو جيانيني كان قد توفَّق بفضل ما لهُ من الحب والاعتبار في القلوب الى الاتفاق مع احد ممثلي الدول المحالفة لتركية على ان يرسل لهُ هذا برقيَّات مُغفلة وهكذا تسنَّى لهُ ان يخبر السعيد الذكر البابا بنديكتوس الخامس عشر بالخطر الذي كان يتهدَّد البطريرك . وبناء على مداخلة قداسته بهذا الشأن مع امبراطور النمسة وحكومة الاستانة صدرت الاوامر الى جمال باشا بوجوب العدول عن الخطَّة المتقدِّم ذكرها وترك البطريرك الماروني وشأنه . واننا لا ننسى ما دمنا في قيد الحياة ما تولَّانا من الحبور الذي لا يوصف عندما جاءنا نيافة السيّد جيانيني الى صوفر حاملًا لنا تلك البشرى وستذكر الطائفة لهُ ولبنديكتوس الخامس عشر هذا الجميل ابد الدهر لأنَّ الفضل بحفظ غبطة السيّد البطريرك الذخيرة الثمينة عائدٌ بعد الله لنيافتهِ وقداستهِ دون سواهما . ويسرُّنا ان نجاهر هنا باعجابنا بمزايا السيّد جيانيني الصديق الحميم في الضرَّاء كما في السرَّاء وباحترامنا الفائق وشكرنا الحميم لهُ

وامَّا جمال باشا فقد ابت كبرياؤه عليه ان يصدع حالًا بالاوامر الواردة اليه من الاستانة بوجوب حفظ كرامة البطريرك الماروني وإخلاء سراحهِ لكنه اخذ مع ذلك يتساهل رويدًا رويدًا لكي لا يقال انهُ عمل باوامر غيرهِ فاجاز لهُ اوَّلًا ان ينتقل من صوفر الى كرسي ابرشية قبرس في قرنة شهوان حيث قضى نحوًا من شهرين ثم في شهر تشرين الاوَّل اباح لهُ الرجوع الى كرسيهِ في بكركي (راجع الملحق)

وفي تلك الغضون تواترت الاشاعة عن استحصال امر الخلاف بين جمال باشا

والالمان وكان ان جاء بيروت وابلغ غبطة البطريرك رغبته في مقابلته . ولما تقابلا قال للسيد البطريرك : اني استدعيتُك ورغبتُ في مقابلتك لانَّ مركزك الادبي ومقامك يسهّلان لك نشر ما انا مصرّح لك به : «علمتَ ولا شكَّ بالاشاعات التي تتناقلها الالسن في هذه الآونة . والحقيقة فيما يقال انَّ بيني وبين الالمان اختلافاً نظرياً فهم يريدون الزحف على مصر وانا ارتأي ان الامر يتعذر علينا لان جنودنا تكفينا للدفاع ليس الّا . واذ ظلّوا مصرّين على رأيهم طلبتُ اليهم ان يتسلّموا القيادة فعيّنوا لذلك احد قوادهم وهو الجنرال فلكنهم ومن المعلوم انّا لم نخض غمار الحرب الّا حبّاً بالتخلص من النير الاجنبي . وقد بيّنت لنا الايام انَّ النير الافرنسي والانكليزي هما اخفُّ جدًّا من النير الألماني فأنشر تصريحي هذا بين قومك»

على ان بطريركنا الجليل ونحن شهود لم يعبأ بالضيم الذي حلَّ به شخصياً بل ما نغّص عيشهُ وأنهك قواه وهدّها هدًّا انما هو الكوارث التي حلّت بشعبه . فما دخلت تركيا في صفوف المتحاربين حتى اعلنت إلغاء الامتيازات الاجنبيّة وضبط عمّالها التحارير الواردة الى لبنان في البريد وتفنّنوا تفنناً غريباً في تأويل كل عبارة واردة من الخارج . وكان اول من ذهب ضحيّة تلك التأويلات المرحوم الخوري يوسف الحايك خادم رعية سنّ الفيل المشهور امره . وقد أمسكت تحارير متعدّدة وحُكم على اصحابها احكاماً متنوّعة حتى انهم اقتادوا المطارنة الى الديوان العرفي لامور تافهة . فهذا كلّه مع ما حدث من الجوع والاوبئة والموت اثّر تأثيراً شديداً في السيد البطريرك الذي حقّ لنا القول عنه مع رسول الامم «انه لم يكن احد يمرض او يُظلَم او يُسجَن او يجوع او يموت الّا ويمرض ويظلم ويسجن ويجوع ويموت معه »

ملحق

قد تفضل نيافة القاصد الرسولي السامي الاحترام واتحفنا بالمعلومات التالية مأخوذة عن سجلّ القصادة الرسولية لذلك العهد :

قد تسنّى دائماً في الحرب الكونية للسيد جيانيني القاصد الرسولي مخابرة الكرسي الروماني برسائل مختومة وبرقيات مُغفلة والفضل في ذلك يعود لقنصلية ايطالية ثم لقنصلية النمسا في بيروت بعد دخول تلك الدولة في صفوف المتحاربين

فالقنصليتان كانتا ترسلان رسائلهُ الى السفارة وهذه تسلمها الى السيد دولشي النائب الرسولي في الاستانة وهكذا أُتيح للسيد جيانيني في تلك السنين الهائلة ان يُطلع الكرسيّ الرسولي على كل ما كان يحدث في سوريّة ولبنان ويستمد منهُ المساعدة

في ٢٠ تموز سنة ١٩١٧ طيّر السيد جيانيني الى السيد دولشي البرقية المقفلة التالية :

«افيدكم انهم أرسلوا من يستحضر البطريرك الماروني وحاشيتهُ . ارجو ان تخبروا رومة بذلك »

وبالواقع انه في ليلة ١٩ و ٢٠ تموز من تلك السنة جاء بيروت من الداخلية ضابط تركي وحلَّ ضيفاً على احدى العيال الوجيهة وقد اسرَّ الى اصحاب البيت بان جمال باشا امره بالتوجُّه الى الديمان واحضار البطريرك وحاشيتهِ الى زحلة حيث كان قد تقرَّر منفاه . فافضى اصحاب البيت بالسرّ الى آخرين وتناول الخبر سيادة المطران شكرالله خوري السامي الاحترام ونقله صباح ٢٠ تموز الى القاصد الرسولي الذي طيَّر من ساعتهِ البرقية المسطَّرة آنفاً وهكذا بلغ خبرُ المكيدة رومةَ قبل ان يغادر البطريرك في ٢٣ تموز مقرَّهُ في الديمان

وفي اليوم نفسهِ اي ٢٠ تموز كتب السيد جيانيني الى السيد دولشي ليؤكد البرقية ويبيّن خطورة الامر بما يبادر الى الذهن من انه اذا تمَّ لجمال باشا اخذ البطريرك من مقرّه لا يعود يكتفي بحفظهِ في رحلة بل ينفيهِ الى مكان اقصى في الداخلية لا يعلمه الّا الله

ثم ان السيد جيانيني ارسل في اليوم نفسه الى الكرسي الرسولي تقريراً تحت عدد ١٠٧٨ وجّهه الى الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان بسطَ فيهِ كلَّ ما تقدَّم ذكرهُ وضمَّ اليهِ نصَّ البرقيَّة والرسالة اللتين ارسلهما الى السيد دولشي

وفي اليوم التالي اي في ٢١ تموز حدث للسيد جانيني ما اضطرب له جداً . . .

وبتاريخ ٣ آب ارسل السيد جيانيني تقريراً تحت عدد ١٠٧٩ اخبر بهِ الكرسي الرسولي ان البطريرك قام من الديمان في ٢٣ تموز ووصل الى بحمدون في ٢٥ منه فاستقبلهُ جمال باشا بالاكرام وحاول ان يؤثّر عليهِ في مسألة الإبعاد وقال « ان القصد من طلبهِ انما هو المخابرة معه بامور تعود بالخير على لبنان» . ثم يذكر التقرير انهُ بعد مقابلتين او ثلاث سافر الباشا الى الشام وترك البطريرك وحاشيته في صوفر حيث

كانوا ضيوفاً على آل ثابت وان هذا في تلك الاثناء كان يفصح للبطريرك بطرق متنوعة عن رغبته في ان يراهُ في زحلة حيث اعدَّ له منزلاً . وقد جاء في البيان عينه ذكر ما كان من التجائهم الى الكذب اذ نشروا في جريدة لبنان الرسمية مقالاً تُرجم الى الايطالية وضُمَّ الى التقرير جاء فيه ان غبطتهُ اعرب عن رغبته في الذهاب الى زحلة . واخيراً يخبر القاصد الرسولي انه في اوَّل آب توجَّه الى صوفر ورغب الى البطريرك ان لا يرضخ للتمايقات الكاذبة بل للقوة فقط وختم التقرير بهذا الدعاء « ساعد الله البطريرك وحاشيتهُ »

وبتاريخ ٩ آب ارسل السيّد جيانيني الى الكرسي الرسولي تقريراً تحت عدد ١٠٨١ قال فيهِ ان جمال باشا عاد الى وظيفتهِ وكتب من الشام الى البطريرك يدعوه للذهاب الى زحلة . وقد ضمَّ الى التقرير نسخةً من كتاب الباشا الذي بهِ يلحّ على البطريرك بالذهاب الى زحله . ولكن بنوعٍ يُستدل منهُ كما يذكر البيان انهُ ذاهب اليها بخاطرهِ ورضاه

ترى لماذا لم يكن الباشا الغدّار يلجأ الى القوّة ؟ ذلك لانه كان السيّد دولشي قد اخبر السيّد جيانيني وبناء على امر الكرسي الرسولي قد اخذوا في الاستانة يبذلون المساعي الحثيثة في سبيل البطريرك . وبتاريخ ١٦ آب ارسل السيّد جيانيني تقريراً تحت عدد ١٠٨٢ اخبر بهِ الكرسي الرسولي ان الحالة تحسَّنت وان جمال باشا مرَّ بلبنان وبعد حديث معه اذن للبطريرك وحاشيته بالانتقال من صوفر الى قرنة شهوان مقرّ سيادة المطران بولس عواد

وفي ٣٠ آب ارسل السيّد جيانيني الى الكرسي الرسولي تقريراً تحت عدد ١٠٨٤ قال فيهِ انهُ بينما كان القائد العام جمال باشا متغيباً عن سوريّة في الاستانة حاول قائد الفيلق الثامن ان يضطر البطريرك الى الذهاب الى زحلة غير انَّ البطريرك تجنَّب الامر بحجّة انحراف صحّتهِ وظلَّ في كرسي سيادة المطران عواد . ويختم السيد جيانيني تقريرهُ بقوله « ومن دواعي العزاء اننا مع هذا كلّهِ لا نراهم يريدون حتى الآن استخدام القوة والضغط . اجارنا الله »

وبتاريخ ٢٢ تشرين الاول اسعد الحظ السيد جيانيني بارسال برقيّة الى السيد دولشي ليرسلها بدورهِ الى رومية ومآلها ان قد أُذن للبطريرك وحاشيته بالرجوع الى الكرسي البطريركي

وبعد ذلك بيومين اي في ٢٤ تشرين الاول ارسل السيد جيانيني تقريرًا تحت عدد ١٠٩١ اثبت فيه الخبر السارّ الذي كان قد طيَّره في برقيته الى السيد دولتي وقال: «اني لما كنت عالمًا بكل ما بذله السيد دولتي السامي الاحترام من المجهودات بناء على امر الكرسي الرسولي للحصول على تلك النتيجة لا ارى بدًّا من إبداء شكري للكرسي الرسولي وللسيد دولتي وللحكومة التركية التي قبلت ذاك التوسُّط»

وفي التقرير عينه يفيد السيد جيانيني الكرسي الرسولي ان قنصلية المانية أطلعته على مقال في جريدة «حرّية فريبورغ» في عددها الصادر بتاريخ ١٨ تشرين الاول جاء فيه ان أخبارًا عارية عن الصحّة ترامت الى الفاتيكان بشأن نفي البطريرك الماروني وان القنصلية المومى اليها بايعاز من سفارتها طلبت اليه تصحيح تلك الاخبار. فالسيد جيانيني اشار الى ما كان غير صحيح في الجريدة السويسريّة وكتب: «اني من جهتي ليس لي ان اكذّب شيئاً ممّا قلتهُ حتى الان لانه عين الحقيقة لكن نيافتكم ابصر فيها اذا كان يوافق ان يُنشر تصحيح في رومة او في جريدة الحرية نفسها وذلك يسرّ ولا ريب المانية والحكومة التركية كما يستدل من إلحاح السفارة على القنصلية بهذا الشأن فلنيافتكم ان تفعل ما تشاء بهذا الخصوص خير الكرسي الرسولي دون اهتمام بمخادمها هذا»

وبتاريخ ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ رفع السيد جيانيني تقريرًا اخبر فيه انهُ قضى يومين في ضيافة البطريرك في بكركي ومن جملة ما كتب في التقرير المذكور قوله «ان رأس الحبر الجليل في صحة جيدة وراحة تامّة لجهة شخصه وهو مستسلم للارادة الربانية وهو لا يفتأ ينطق بالشكر الجزيل للكرسي الرسولي لاهتمامه به في الحوادث الاخيرة ذاك الاهتمام الذي كان من ورائه حُسنُ المعاملة التي عومل بها والسماحُ له بالعودة الى كرسيه. وقد رأيتُ من الواجب عليَّ بان افيدكم عن عواطف شكر هذا الحبر السامي الاحترام وإقراره بجميل الكرسي الرسولي لا بيّن انهُ لا يرى رأي سواه ممّن يريدون ان ينسبوا إنقاذ البطريرك لغير الكرسي الرسولي بل انه اي السيد البطريرك كلّهُ ألسنة شكر تنطق بعوارف الكرسي الرسولي وتدعو بزيادة اعلاء شأنه»

المقتطف والنفس الروحيّة

نظر انتقادي للاب انطون صالحاني اليسوعي

قرأنا في المقتطف (عدد كانون الثاني ١٩٢٤ الصفحة ٨) ما نصهُ :

« لمّا اعلنت السينتلك اميركان انها تعطي الفين وخمسمائة ريال للوسيط الذي يثبت ثبوتاً ينفي كلّ ريب انهُ يستحضر روحاً من ارواح الموتى كما يدّعي الوسطاء تلقينا ذلك بلذّة المسرّة لانه اذا استطاع احد الوسطاء ان يثبت ذلك انجلت مسألة من اغمض المسائل مسألة يسلّم بها كثيرون بطريق الايمان والثقة بما جاء عنها في كتب الاديان ولا ينكرها غيرهم ولكنّهم يرتابون في صحتها او يقولون لا ندري وهؤلاء المرتابون واللاادريون قد يكونون ايضاً من العلماء الذين لا شبهة في ان انكارهم لم يقع لانهم الحجون بل لانّ عقولهم لا تستطيع ان تتصور وجود غير المادّة وخواصها ومن هذه الخواص الحياة والشعور والتعقّل بين ان كثيرين من الذين يعترفون بوجود ارواح الموتى والثواب والعقاب هم من افذ الناس سيرةً وسريرةً »

(نقول) ان قول المقتطف الذي به ينسب إنكار وجود الارواح او الارتياب في وجودها الى علماء هم من اعقل الناس وافضلهم وينسب الاعتقاد بوجودها الى كثيرين يسلّمون به «بطريق الايمان والثقة بما جاء عنها في كتب الاديان» هو قولٌ من شأنه ان يشكك ويلقي الارتياب في العقول بحقيقة وجود النفس الروحية. كأنّ وجودها ليس حقيقة علميّة ثابتة

فلا نرضى بهذا النوع من الكتابة لرجالٍ مفكّرين كاصحاب المقتطف لهم عند القوم اعتبار وتأثير فاذا عرضوا في مجلّتهم الارتياب جزافاً على علّاته في مسألة هي من اهمّ المسائل بذروا الشكّ في عقول كثير من القرّاء ليسوا من طبقتهم في الاطلاع والمعارف ليمكنهم ان يمحّصوا آراء العلماء ويحكموا في صحتها او فسادها فيسلّموا بها او يرذلوها

انّ الذين يقولون بوجود النفس من علماء المسيحيين الكاثوليك والارثذكس والبروتستانت ومن علماء اليهود والمسلمين انما يقولون به ليس مبدئياً «بطريق الايمان والثقة بما جاء عنها في كتب الاديان» لكن خاصةً بطريق العقل والادلّة العقليّة الثابتة وبمعزل عن الكتب الدينية والايمان وان كان الايمان يؤيّد هذه الحقيقة. فالنفس

لا يمكن ان تُكشف بالمكروسكوب ولا تُرى بأشعة رونتجن ولا يعثر بها مبضع الجرّاح ولا تُحلل بالموادّ الكيماويّة لانها روح مخلوقة على صورة الله فهي جوهر روحي بسيط ذو عقل وارادة . وننكر بتاتاً ان التعقّل من خواصّ المادّة . فانّى للمادّة ان تدرك حقائق ادبية . ايمكن للحواس ان تنقه ما هي الفضيلة مثلاً وما هي الرذيلة وما هو العدل وما هو الظلم ثم التصورات الكلية والشاملة كالوجود والحق والجودة والوحدة والقوّة وهلمّ جرّاً

فالعلماء الذين يشير اليهم المقتطف ونحن لا ننكر معارفهم وفضلهم وعلوّ منزلتهم يخصصون كل اوقاتهم لمراقبة كواكب السماء ولدرس طبقات الارض وتركيبها ولفحص النبات وخواصه ولعلم الحيوان والحشرات وطبائعها . ويضنون بتخصيص هُنيهة من الزمان للعلوم المنطقية والفلسفية التي من شأنها ان تجلّي لعقولهم الحقائق الغير المحسوسة . فلا يعيرون مسألة وجود النفس لحظة عين . يعلمون امورًا يُقضى منها العجب ويجهلون غيرها لقلة اكتراثهم لها او لانهم يهملونها وهي احقّ بان تشغل عقولهم لما يترتب عليها من المصير بعد الموت

فان ارتابوا في حقيقة وجود النفس الروحية في الانسان والمبيَّنة عن المادّة او انكروها او شكوا فيها انهم من الزاعمين فادّعاهم ليس حجّة

ثم ألا يوجد بين الكاثوليك والارثذكس والبروتستانت واليهود والمسلمين علماء عديدون هم من اعقل الناس وافضلهم متضلّعون بكل انواع العلوم التي يفتخر بها عصرنا ويسلّمون مع ذلك بوجود النفس لان البراهين الفلسفية الساطعة تقنعهم وتضطرّهم الى التسليم بهذه الحقيقة بمعزل عن الايمان كما ذكرنا . فلماذا ضرب المقتطف عنهم صفحاً ولم يستند الى معتقدهم الفلسفي بل نسب اعتقادهم بوجود النفس الى الايمان فقط والثقة بما جاء عنها في كتب الاديان ؟

وقد قال المقتطف (في الصفحة ١١٠ من العدد ذاته) عن المذهب الروحي والمذهب المادي « يكاد هذان المذهبان يكونان قسيمي رضاع ويظهر ان اكثر الفلاسفة الآن من المذهب الروحي واكثر علماء البيولوجيا من المذهب المادي »

فاذا كان اكثر الفلاسفة وقسم من علماء البيولوجيا يقولون الآن بالمذهب الروحي فالى اي برهان يستندون ألى العلم ام الى الايمان ؟ . لا ريب في انهم يستندون الى

البراهين العلمية العقلية . فلماذا لم يذكر المقتطف ذلك في معرض كلامه عن مناجاة الارواح والنفس الروحية

اما استحضار ارواح الموتى فليس خاضعاً لسلطة البشر وليست الارواح رهينة اوامر المشعوذين بل هي رهينة مشيئة الله تعالى الذي لا يسمح لهم ان يتلاعبوا بالارواح التي خلقها خاطئة كانت حال انفصالها عن الجسد امبارّة . واذا سمح بذلك بعض الاحيان النادرة في ظروف خصوصية لا بحسب ارادة الوسطاء المدّعين استحضار الارواح فلا يسمح بهِ الّا لغاية مقدسة يعلمها الله وحده كما يخبرنا بذلك الكتاب المقدس عن شاول وصموئيل

انّ الفلاسفة والعلماء لا يحتاجون الى استحضار روح من ارواح الموتى لتثبت عندهم حقيقة وجود نفوس الموتى وبقائها بعد الموت ومن ثمّ ثوابها او عقابها حسبما عملت في حياتها في الجسد من خير او شرّ

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٢ موسى بن جابر

﴿ اصلهُ ونسبهُ ﴾ هو موسى بن جابر احد شعراء بني حَنيفة اهل اليمامة . روى صاحب الاغاني (١٠ : ١١٣) ان مسمع بن مالك قسم سائر بطون بكر بن وائل على جُذَمَين جذم يقال له الذُّهلان وجذم يقال له اللهازم فالذُّهلان بنو شيبان بن ثعلبة بن بكر بن وائل وبنو ضبيعة بن ربيعة . واللهازم قيس بن ثعلبة وتيم بن

اللات بن ثعلبة بن عجل بن لجيم وعنترة بن اسد بن ربيعة. (قال) وقد دخل بنو قيس ابن عُكابة مع اخوتهم بني قيس بن ثعلبة. وأمّا حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مُضر. وكانوا لا ينصرون بكرًا ولا يستنصرونهم. فلمّا جاء الاسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لُجَيم فتَهزَموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن نصب بن علي فصاروا جميعاً في اللهازم. وقال موسى بن جابر الحَنَفي الـحُجَيمي بعد ذلك في الاسلام (من الطويل):

وَجدْنا أبانا كان حلَّ ببلدةٍ ... سِوًى بين قيسٍ قيسِ عيلانَ والفِزْرِ (١

برأيتهِ امّا العدوُّ فحولَنا ... مُطيفٌ بنا في مثل دائرةِ المُهْرِ

فلمّا نأتْ عنّا العشيرةُ كلُّها ... أقمنا وحالَفْنا السيوفَ على الدهرِ (٢

فما أسلَمَتْنا بعدُ في يوم وَقْعةٍ ... ولا نحنُ أغمَدنا السيوفَ على وِتْرِ (٣

﴿اهله وزمانه﴾ لم يُفدنا الكتبة شيئاً عن رهط موسى بن جابر. وقد نسبهُ في الاغاني الى سُحَيم وسُحَيم بطن من حنيفة. ودعاهُ ياقوت في معجم البلدان (٤: ٩٥٥) بالعُبَيدي ولعلَّ في قولهِ اشارة الى بني عُبَيدة عشيرتهِ. وقال صاحب خزانة الادب (١: ١٤٦): «ويقال لهُ ابن الفريعة وهي أمهُ. وجاء لهُ في شعرهِ ذكر ابن عمّ يدعى زيدًا وقيل اخوهُ». وقد ذكر التبريزي في حماسة ابي تمام خالَيهِ سرداساً وعامراً

١) سِوًى صفة لبلدة اي متوسطة. والفِزْر لقب لسعد بن زيد مناة. يريد حلَّ بين مُضَر والفِزْر ونأى عن ربيعة لان قيساً والفزر من مضر ٢) ويروى: أنَفْنا قال في خزانة الادب (١: ١٤٧) يقول: «لمّا خذلَتْنا عشيرتُنا وهم ربيعة أكنفنا بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ والصبر واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر. وهذا مثلٌ ضربهُ لاستقلالهم فيما نهضوا فيهِ بعَدَدهم وعُدَّتهم وبلائهم وصبرهم واستغنائهم عن القاعدين»

٣) ويروى: عند يوم كريهة ولا نحن اغضينا الجفون... قال شارح الحماسة (ص١٦): «اي ما خذلتنا عشيرتنا في يوم حرب ولا نحن اغضينا جفوننا على وتر وحقد يعني انهم ادركوا كل ثأر». وهذه الابيات رواها ابو تمّام في الحماسة ليحيى بن منصور الحنفي وقد غلّطهُ ابن رياش واثبتها لموسى بن جابر

ابني شمّاس بن لأي من بني انف الناقة وأمهما من بني المنبر فقال موسى يمدحهما (من الطويل) :

اذا ذُكر ابنا المنبريَّةِ لم تَضِقْ ذِراعي وألقى بأسْتِهِ مَنْ أفاخِرُ (١

هِلالان حمّالانِ في كلّ شَتْوَةٍ من الثِقل ما لا تستطيعُ الأباعرُ (٢

امّا زمانهُ الذي عاش فيهِ موسى بن جابر ففي عهد اواخر الخلفاء الراشدين واوائل الدولة الامويَّة كما يستدلّ على ذلك من بعض اقوالهِ

﴿دينهُ﴾ كانت النصرانيَّة شائعة في بني حنيفة كما اثبتنا ذلك بشواهد عديدة في كتاب النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص٧٢,١٢٩,١٤٩ الخ) وبقيَت على دين النصرانيَّة زمناً بعد الاسلام (ص٤٥٦) . فلا عجب اذ وافق قومهُ موسى في دينهم . وصرَّح صاحب خزانة الادب بنصرانيَّتهِ حيث قال (١ : ١٤٦) : «ويقال كان نصرانيًّا»

﴿شعرهُ﴾ ذكر في الخزانة انهُ كان «احد شعراء بني حنيفة المكثرين» الّا انَّ ما يعرف من شعرهِ لا يتجاوز بضعَ قطَع متفرّقة في كتب الادباء الاقدمين وفي المعاجم ما يدلُّ على انَّهم كانوا يعوّلون عليهِ في فصاحة اللغة . وها نحن نروي ما عثرنا عليهِ من ابياتهِ . فمن ذلك ما ورد في حماسة ابي تمام (١ : ١٥٧—١٥٨) يصف ترفُّع نفسهِ (من الكامل) :

لا أشتهي يا قومِ الّا كارهاً بابَ الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ (٣

ومنَ الرجالِ اسنَّةٌ مَذروبةٌ ومزنَّدونَ حُضورهم كالغائبِ (٤

١) اراد بابني المنبريَّة خاليهِ مرداساً وعامراً ابني شمّاس وكانت امّهما من بني المنبر . يقول اذا ذُكر هذان الرجلان من اهلي لم يُعيِني أمرُ مَن أفاخره بل اردُّهُ على عقبيهِ مُدبراً

٢) اي انَّ الممدوحَين مشهوران يتكلّفان في سنة الجَدْب والمحل وفي المغارم وقرى الضيوف اثقالاً ويصطنعان صنائع ما لو صارت اجراماً ووُزنت لعجزت عن النهوض بها الإبل مع صبرها على ثقل حمولها لانهُ يحملها

٣) ويروى : ألا مكرهاً يقول لا آتي بابَ الامراء ولا اتعرّض لدفاع الحجّاب الّا كارهاً

٤) ويروى : وشهودهم كالغائب . يقول انَّ بين الناس من يشهدون بروضهم ونفاذهم الأسنَّة المذروبة اي المحدَّدة . ومنهم مزنَّدون اي بُخلاء لا فائدة فيهم وسيَّان حضورهم او غيبتهم . المزنَّد مشتقٌ من الزَّند الذي يُضرب بهِ المثل في القلَّة

منهم ليوثٌ لا تُرامُ وبعضُهم . مما قَمَشْتَ وضمَّ حبلُ الحاطبِ(١

ومما ورد في امالي القالي (٣ : ٧٢–٧٣) ما حرفهُ قال : « كتب الحجّاج الى عبد الملك بن مروان أمرَ قطريّ بن الفجاءة المازني (٢ . فكتب اليهِ عبدُالملك : أوصيك بما اوصى بهِ البكريُّ اخاهُ زيدًا . فلمّا ورد الكتاب لم يدرِ الحجّاج ما اوصى بهِ البكريّ فقال لحاجبهِ : نادِ في الناس : مَنْ اخبر الامير ما اوصى بهِ البكريُّ اخاهُ زيدًا فلهُ عشرة آلاف درهم (٣ . فقام اعرابيٌّ قد طالت إقامتهُ وقال : انا اعرفُها . فأدخلهُ على الحجاج فقال : ما قالهُ البكريُّ لزيدٍ؟ . قال : هو موسى بن جابر الحنفيّ قال لابن عمهِ زيد هذه الابيات (من الطويل) :

اقولُ لزَيْدٍ لا تُتَرْتِرْ فإنهم . يرونَ المنايا دون قتلكَ او قَتْلي (٤

فان وَضَعوا حرباً فَضَعْها وإنْ أَبَوْا . فشُبَّ وَقُودَ الحربِ بالحطبِ الجَزْلِ(٥

فان عَضَّت الحربُ الضَّروسُ بنابها . فعُرْضَةَ نارِ الحربِ مِثْلكَ اومِثْلي(٦

فقال الحجّاج : وابيك انّها لهي وقد صَدَق اميرُ المؤمنين «عُرْضَةُ نار الحرب مثلي او مثلُهُ» ثمّ قضى حاجتهُ . ومما رُوي لموسى ايضاً في الحماسة قولهُ (من الطويل) :

١) ويروى : منهم أُسود اي منهم كالأُسود الكاسرة المنيعة ومنهم من تَقَمَّشُهُ اي تلتقطهُ وتجمعهُ في رزمةٍ واحدة كما يَضُمُّ الحاطبُ رزمةَ حطبهِ جامعًا بين الجيّد والرديء . يريد انهُ لا غناء عندهم

٢) وفي حماسة ابي تمّام (ص ١٨٠ انّ الحجّاج كتب ذلك لمّا خلع عبد الرحمان بن الاشعث ابن قيس ، ٣) وفي الحماسة : قضيتُ حاجتهُ

٤) وفي الحماسة : قلتُ لزيدٍ . ويروى : لا تُبَرْبِر . ولا تتَرْتِر . ولا تُبَزْبِزْ . وكلّها بمعنى متقارب اي لا تُكثِر الكلام ولا تُقلقِلْ فانهم لا يَصِلون اليَّ واليك الّا بعد ان نذيقهم كأس المنون . او يكون المعنى : انهم مستعدّون لتضحية نفوسهم لينالوا أَرَبهم منك او مني

٥) في الحماسة روى هذا الشطر هكذا : فعُرْضَةُ عضّ الحرب مثلك او مثلي . فبدلهُ من ثاني شطر البيت التّالي . يقول : ان سالَمِوا فسالِمْ وان أبوا فأَسعِرْ نار الحرب

٦) روى في الحماسة الشطر الاوّل : وان وَضَعوا الحربَ العوان التي تَرى فشُبَّ . . . الحرب الضّروس الشديدة . والعوان التي قُوتل فيها مرّةً بعد أُخرى . اي ان انتشبت نار الحرب فعُرْضَتها مثلك او مثلي . يقال : فلان عُرْضَةُ كذا اي مطيق لهُ قادر عليهِ

أَلَمْ تَرَيَا أَنِّي حَمَيْتُ حقيقتي وباشرتُ حَدَّ الموتِ والموتُ دُونُها(١
وَجَدْتُ بنفسٍ لا يُجادُ بمثلها وقلتُ أَطْمِئِنِّي حين ساءَتْ ظنونُها
وما خيرُ مالٍ لا يفي الذمَّ رَبُّهُ بنَفْسِ امرئٍ في حقِّها لا يُهينُها(٢

وروى ايضاً صاحب الحماسة لموسى (ص ١٨١ — ١٨٢) قولهُ يلوم قومهُ على قعودهم عن نصرتهِ واعتلالهم بالمعاذير الكاذبة (من الطويل) :

ذَهبتُم ولُذتم بالأَمير وقلتمُ تركْنا احاديثاً ولَحماً مُوَضَّعا (٣
فما زادَني الّا سَناءً ورِفعةً وما زادَكم في الناس الّا تَخَضُّعا(٤
فما نَفَرَتْ جِنّي ولا فُلَّ مِبْرَدي ولا أَصبحَتْ طَيْري من الخوف وُقَّعا(٥

وقال يهجو قومهُ لما خذلوهُ (من الكامل) :

كانت حنيفةُ لا أَبا لكِ مرّةً عند اللقاء اسنّةً لا تَنْكُلُ (٦
فرأَتْ حنيفةُ ما رأَت أَشياعُها والريحُ احياناً كذاكَ تَحوَّلُ (٧

١) الحقيقة ما يجب على الانسان حمايتهُ . اي دافعتُ عنها حتى الموت . ودونُها بضمّ النون صفة اي حميتُها والموت قريبٌ منها

٢) اي لا خير في مالٍ لا يصونُ صاحبهُ من الذمّ

٣) قال شارح الحماسة : «يقول التجأتم الى الامير وقلتم تركنا قوماً يقولون ولا يفعلون فهم كاللحم المُوَضَّع تتملّق الأطماع بتناولهِ وأخذهِ . وان رُويت «تُرِكْنا» على البناء على المجهول كان المعنى اذهبتم علينا لمّا اردتم مفارقتنا وخذلاننا وقلتم تُرِكْنا احدوثةً للناس»

٤) قال : «اي فلم يَزِدْني قولكم الّا ارتفاعاً عليّ ولم يَزِدْكم في الناس الّا تذلّلاً لانّ من لا يصلح لعشيرتهِ لا يسكن اليهِ الناس البعداء»

٥) قال : «يجوز انهُ يريد لم يَنخزل لمّا اتيتم واخبرتم اصحابي الذين هم كالجنّ ولا فُلَّ لساني الذي هو كالمبرد ولا ذُعِرَ جأشي فصار طيري واقعةً . يريد ذكاءهُ ونشاطهُ . ويُشبَّه الرجل النافذ في الامور بالجنّي والشيطان . ووقوع الطير كناية عن ضعفهِ» -

٦) نكَلَ جَبُن وضعف . ولا ابا لك تحضيض وليس بدعاء

٧) يقول اصبحت حنيفة بعد مآثرها في الحرب تتقلّب كبعض شايعيها وأنصارها كما يعرض للريح التي تتقلّب احياناً

وروى ياقوت لموسى بن جابر (٤: ٩٥٥) (من المتقارب) :

فلا يَغُرَّنْكَ فيما مَضى مُخيفُ قُرَيشٍ وأَكْثارُها
غداةَ علا عَرْضَنا خالدٌ وسالتْ أُباضٌ وهَدّارُها

يريد محاربة خالد لمسيلمة الكذّاب في قرية الهدّار وبها كان مولدهُ ونشأتُهُ فقتلهُ خالد ودخل اهل قرى اليمامة في صُلح الهدّار. وأُباض وادٍ في اليمامة. وروى لهُ صاحب مجموعة المعاني في باب النجدة والبأس (ص ٣٨) قولهُ (من الطويل) :

وانّا لوقّافون بالمَوْقِف الذي يُخافُ رَداهُ والنفوسُ تَطَلَّعُ
وانّا لَنُعطي المَشرفيَّةَ حقَّها فنقطعُ في أيماننا وتُقَطَّعُ

وفي حماسة البحتري (ص ٧١) روى قول موسى في ترك قطع الاخ القديم المستطرف (من مجزوء الكامل) :

لا كُلُّ مُطَّرِفٍ هَوايَ ولا من طول صُحبةِ صاحبٍ أَقْلي

فهذا كلّ ما صبر على الدهر من شعر ذاك الشاعر المُكثر، والله اعلم

٣ شَمْعَلة التَّغْلبيّ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو شَمْعَلة ويقال شَمْعَل وقد فسّروهُ بالخفيف النشيط. والناقة الشمعلة النشيطة السريعة. والاصحّ على ما نرجح انّ هذا الاسم اعجميّ كاسمعيل. وبهِ عُرف شاعر آخر يُدعى شمعلة بن الاخضر الضبيّ. وأمّا نسبُهُ فالشائع انهُ ابن فائد بن ابي حجوة بن خَيْبَرَى من بني حَدَس بطن من بني لخم النصارى (اطلب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٢٧) واختلف بعضهم في هذا النسب. قال ابن حبيب (الاغاني ١٠ : ٩٩) انهُ شَمْعلة بن عامر بن عمرو بن بكر اخو بني فائد وهم رهط الفُرس. وسمّاهُ في مجموعة المعاني: شمعل بن الحُصَين التغلبيّ

﴿زمانهُ﴾ كان في اواسط عهد بني اميّة اعني في اواخر القرن السابع واوائل القرن

الثامن في أيام عبد الملك بن مروان وبنيه الوليد بن عبد الملك وهشام كما سيتّضح من اخباره

﴿مقامهُ ودينهُ﴾ كان شمعلة رئيساً لبني تغلب ذا قدر عظيم وفضل عميم وهيئة وجمال وبلاغة في القال وشاعرًا ظريفاً وكان نصرانيًا عريقاً في دينهِ كقومهِ التغلبيّين الذين ثبتوا بعد الاسلام على دينهم وكانوا يسكنون الجزيرة وعلى حدود الشام. وكان شمعلة بصفةِ رئاستهِ على بني تغلب يتردّد على عاصمة الشام ويدخل على الخلفاء

﴿ استشهادهُ في سبيل دينهِ ﴾ قال شهاب الدين احمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ ١٣٤٨م) في كتابهِ مسالك الابصار في ممالك الانصار (من مخطوطات لندن Br. Mus., Ms, 575, p. 103-104) : «شمعلة بن فائد ذو نخوةٍ دينيّة، وحميّةٍ جاهليّة، وأنفةٍ أساء فيها النيّة، كان نصرانيًا لهُ أُبهة باديّة، وقدر عظيم في البادية، يُشارُ اليهِ ويُسار، ويُغار لهُ من رآهُ من عاقبة البَوار، والمصير الى النار، فطالبَهُ هشام بن عبدالملك بالاسلام لما رأى من فضلهِ وجمالهِ، وما أعجبَهُ من هيئتهِ وإضاءة حالهِ، وأحبَّ لهُ الدخول في الدين، وان يكون من المهتدين، فامتنع وأبى، واتّبع هواهُ ليكون لجهنّم حطبًا، قال الله تعالى (سورة القصص ع ٥٦) : انّك لا تهدي مَن احببتَ ولكنّ الله يهدي من يشاء. فقال لهُ هشام: إن لم تفعل لأُطعمنّك لحمك فقال شمعلة: «ولو قطّعتني لما اسلمتُ على هذا الوجه. فلمّا خلّى عنهُ قال اعداؤهُ: اطعمهُ هشامٌ لحمهُ. فقال شمعلة (من الطويل) :

أَمِنْ حَزَّةٍ في الفَخْذِ مني تَباشرتْ عداي(١ ولا نَقْصٌ عليَّ ولا وِتْرُ
وانَّ اميرَ المؤمنين وفعلَهُ لَكالدُّرِّ لا عارٌ بما صنع الدرُّ

وقد روى المبرّد في الكامل هذا الخبر ونسبهُ الى عبد الملك بن مروان قال (ص ٥٢٤): «كلّمَ شمعلُ التغلبيّ عبدَ الملك كلاماً لم يُرضِهِ فرماهُ عبد الملك بالجرز فخُدش وهُشم (ويروى: هُتم) فقال شمعل (ثم روى البيتين هكذا) :

أَمِنْ جَذْبَةٍ بالرِّجل مني تباشرَتْ عُداتي فلا عيبٌ عليَّ ولا سُخْرُ

١) جاء في الاصل: غذايَ. وهو تصحيف

فـانَّ امير المؤمنينَ وسيفَـهُ لَكالدَّهر لا عارٌ بما فعلَ الدهرُ

ويروى : أمِن خَدْشةٍ . ورواهُ في مجموعة المعاني (ص١٠٤) : أمِنْ ضربة بالرِّجل . وفي كتاب الآداب لِسَنا الملك بن جعفر شمس الخلافة المتوفَّى سنة ٦٠٨هـ(١٢١١م) في نسخة لُندن (ص ٢٢) ذكر الخبر كما ورد في كامل المبرّد وروى هنـاك : «أمن جذبةٍ بالرجل حين تبصَّرت .. وانَّ امير المؤمنين وفعلَهُ ... »

أمّا في كتاب الاغاني (١٠ : ٩٩) فروى الخبر في مطاوي اخبار اعشى بني تغلب ونسب اليهِ البيتين على هذه الصورة قال : « قال ابن حبيب كان شمعلة بن عامر بن عمرو بن بكر اخو بني نـاند وهم رهط النُّرس نصرانيًّا وكان ظريفاً . فدخل على بعض خلفاء بني امية فقال : أَسلِم يا شمعلة . قال : « لا والله لا أُسلم كارهاً ابدًا ولا أُسلم الَّا طائعاً اذا شئتُ » فغضب وامر بهِ فقُطعت بَضْعة من فخذهِ وشُوِيَت بالنار وأُطعِمَها . فقال أعشى بني تغلب في ذلك :

أمِنْ جَذْوةٍ (١ بالفخذ منك تباشرت عِداكَ فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ

وانَّ أميرَ المؤمنين وجَرْحَـهُ لكالدهر لا عار بما فعل الدهرُ

هذا ما رواهُ العرب . وقد ورد ذكر شمعلة في تاريخ ميخائيل الكبير البطريرك اليعقوبي من كتبة القرن الثاني عشر قال بعد ذكرهِ لاستشهاد رئيس آخر للتغلبيين يدعى معاذًا قُتل لعدم جحودهِ دينهُ وهذا نصُّهُ بالسريانيَّة (٢ : ٤٥١—٤٥٢ ed. Chabot,

وهو ينسب محنة شمعلة الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ولعلَّهُ هو الصواب :

ܡܥܡܠܐ ܕܡܘܡܐ ܕܥܡܪܐ ܕܒܢܝ ܬܓܠܐ ܐܝܟ ܕܟܬܒ ܡܪܝ : ܘܟܕ
ܙܡܠ ܒܗܬܐ ܠܡܠܟܐ ܕܡܪܘܢ ܕܐܬܐ ܠܡܬܩܛܠ ܒܪܚܡܐ ܘܠܡܬܩܛܠ
ܡܫܝܚܐ . ܠܐ ܕܟܬܒ ܡܢܐ ܕܐܡܪ . ܘܡܢ ܕܐܡܪ ܠܗ : ܘܟܕ
ܡܫܬܩܠ ܡܠܟܐ ܕܡܪܘܢ ܕܫܡܥܠ ܒܪ ܥܡܪ ܕܡܢ ܒܢܝ ܬܓܠܐ ܕܗܘ
ܢܨܪܝܐ (والصواب ܕܢܐܕ) ܠܡܢ . ܘܐܡܪ ܠܗ ܡܕܡܐ ܕܐܢܬ ܡܫܬܩܠ
ܕܢܫܬܡܥ ܠܡܠܟܐ ܕܡܪܘܢ ܕܐܡܪ ܠܗ ܡܕܡ ܕܠܐ ܐܢܐ ܡܫܬܩܠ

١) كذا في الاصل . والصواب حذوة بالحاء وهي قطعة اللحم

[illegible]

وهذا تعريبهُ :

« قال الوليد للطوبوي شمل احد التغلبيين : انك من حيث كونك رئيساً على العرب فانك تواليهم جميعاً خزياً اذ تعبد الصليب فاخضع لمشيئتي وأسلم . فاجابهُ الطوبوي شملة : « انَّ مملكتك باسرها كالتراب بالنسبة الى ما وعدنا به السيِّد المسيح . وما يزيدني حرصاً على ديني انني رئيس على تغلب كما قلتَ فان جحدتُ ديني اخاف من ان اكون علَّة لهلاك كثيرين » . فلمَّا سمع الوليد كلامهُ امر بان يسحبوهُ على وجهه ويخرجوهُ واقسم بانهُ سيطعمهُ لحمهُ . الَّا ان ذلك البطل لم يفشل لدى سماعهِ هذا الوعيد فامر الملك الظالم بان تُنزع من فخذهِ قطعة ثمَّ شووها بالنار ودحروها في فمهِ . وقد عاش بعد ذلك الشهيد البارّ وعلى جسمهِ اثر جرحهِ »

وقد روى ايضاً ابن العبري هذا الخبر في تاريخهِ الدنيوي الذي كتبهُ بالسريانيَّة ونشرهُ المرحوم الاب بيجان اللعازري بالحرف الكلداني في ليبسيك سنة ١٨٩٠ (ص ١١٥) ودونك تعريبهُ :

« كان شمل رئيساً على بني تغلب العرب النصارى فقال لهُ الوليد : بما انك رئيس على العرب فانك تسلم بالعار اذ تسجد للصليب ومن ثمَّ افعل ما آمرُكَ به وأسلِمْ . فاجاب شمل : « لا بل بما اني رئيسٌ على كلّ بني تغلب فلذلك اخاف ان اكون سبباً لهلاكهم جميعاً اذ اكفر انا فيكفرون هم بالمسيح » . فلمَّا سمع الوليد كلامهُ امر بان يسحبوهُ على وجههِ ويخرجوهُ وطردهُ مُقسماً بانهُ ان لم يُسلم يطعمهُ لحمهُ . امَّا شمل فلم يكترث لقولهِ فامر الوليد بان تُجزّ من فخذهِ قطعةٌ فشووها بالنار وادخلوها في فمهِ . واذ ثبت على هذا ايضاً طردهُ فبقي حيّاً وكان اثر جرحهِ يُرى في جسمهِ »

ومن ثم يترجَّح رأي هذين الكاتبين في نسبتهما الى الوليد فعلهُ مع شملة وهما اعلم بامور النصارى من سواهما ولاسيما انَّ الوليد كان معروفاً بعاداتهِ للنصارى وقد قتل كثيراً منهم في الجزيرة كما روى المؤرِّخون من الروم والسريان .

(لها بقيَّة)

جاثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني

توطئة

الجاثليق لفظ يوناني (Καθολικός) معناهُ العموميّ ويقابلهُ في السريانيَّة ܩܬܘܠܝܩܐ وفي الارمنية Կաթողիկոս كاثوغكيس وفي اللاتينيَّة Primatus وقد أُطلق هذا الاسم في صدر النصرانيَّة على اربعة كراسيّ كانت تراجع الكرسيّ الانطاكيّ الاثنان في آسيا والبنطس وقد انطمس ذكرهما منذ اجيال والاثنان الآخران بقيا محفوظين حتى اليوم بالتسلسل في بطريركية السريان الشرقيين وهم الكلدان وفي بطريركية الارمن

ولما ظهرت بدعة نسطور بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ وانتشرت في القرن الخامس في أصقاع المشرق وفارس وضربت اطنابها الى ماداي وخورسان وتركستان والهند والصين وقويت شوكتها خصوصاً في العراق في عهد الاكاسرة والخلفاء العبَّاسيين وتغلَّبت على اصحاب الطبيعة الواحدة وهم السريان المنوفستيّون (١ عوّل هؤلاء على إقامة اسقف عموميّ يحاكي جاثليق النساطرة في الرئاسة والسياسة واطلقوا عليهِ اسم مفريان ܡܦܪܝܢܐ وهو لفظ سريانيّ مشتقّ من فعل ܦܪܐ ومعناهُ انشأ وأحدث واستنبط وأثمر فكأنهم قصدوا بذلك انشاء رئاسة حديثة خوّلوها امتيازات تتوسّط ما بين امتيازات البطاركة والاساقفة او قصدوا سلطتهُ في انشاء الكنائس وتسقيف الكهنة فجمعناهُ على مَفارِنة كجاثالقة

واوّل من حاز هذا المنصب لدى السريان المنوفستيّين كان آحو دامهِ (+ ٥٧٥) ولكن لفظ المفريان لم يُطلق بادئ بدء الّا على ماروثا التكريتيّ وقد قلّدهُ هذه الرتبة اثناسيوس الجمّال بطريرك السريان الانطاكيّ (٥٩٥—٦٣١) وفوّض اليهِ

١) المنوفستي (Monophystte) القائل بطبيعة واحدة في السيّد المسيح

سياسة السريان المشرقيّين فنصب كرسيّه في تكريت وأُنيطت به اثنتا عشرة ابرشية اسقفية

ومما اضطرّ السريانَ الى إقامة مفريان في المشرق على ما نرى استبدادُ جثالقة النساطرة بسياسة نصارى المشرق عامّة وتضييقُهم خاصّةً على السريان المنوفستيّين المعاكسين لهم في المعتقد. وزد عليه ان جثالقة النساطرة وكتبتهم وأيمّتهم ووجهاءهم كانوا من المقرّبين في بلاط ملوك الفرس (٢٢٦–٦٣٢) والخلفاء العبّاسيّين (٧٥٠ – ١٢٥٨) وكانت كلمتهم مسموعة في ديوانهم . وقد حدث بين كلتا الطائفتين منذ نشأتهما خصومات دينيّة ومنازعات علميّة وفتن شتى أفضت بهم ذات المرار الى المرافعة الى المحاكم فكبّدتهم خسائر جسيمة وأثقلتهم بكُلَفٍ باهظة أقعدتهم عن الترقّي والنجاح دينيًّا ومدنيًّا

على ان سريان تكريت خصوصاً امتازوا بغيرتهم بالمنوفستيّة وبغضتهم للنساطرة فكانوا يتنكّبون عن معاشرتهم ويشمئزّون من مخالطتهم ويقذفونهم بكلّ سيّئة. وبناء عليه لم يأذنوا لهم البتّة ان يتطرّقوا اليهم او يشيدوا لهم مصلّى داخل بلدتهم فاستوجبوا لذلك ان تُجعل مدينتهم قاعدة للنفارنة منذ القرن السابع

واعلم ان مؤرّخي السريان الشرقيين والغربيّين معاً اعني النساطرة والمنوفستيّين قد أوردوا روايات شتى في سردهم سلسلة الجثالقة الذين تبوّأوا كرسي المدائن منذ اوائل النصرانيّة حتى عهدهم اجلّها وأقدمها سلسلة اساقفة حَدْياب تأليف مشيحا زخا الراهب النسطوري (٥٥٠–٥٦٩)(١) وكتاب المجدل تصنيف ماري بن سليمان وعمرو ابن متى الطيرهانيّ وصليبا بن يوحنان وهم من كتبة النساطرة . بيد ان تواريخهم مشحونة بالاغلاط والروايات المختلقة أو المختلقة

وأفضل مَن كتب في هذا الصدد هو غريغوريوس ابن العبري المفريان السريانيّ († ١٢٨٦) صاحب التآليف الرائعة الكثيرة والتواريخ الصادقة السديدة التي نشرها المستشرقون في بلاد اوربة وأقبل على مطالعتها القرّاء فأحرزوا منها الفوائد الجمّة وأثنوا على ذكاء كاتبها وتوقّد ذهنه وسعة معارفه . ومن اجلّ ما كتبهُ في هذا الباب

(١) نشر هذا التاريخ في مطبعة الآباء الدومنكيين بالموصل القس الفرنسي سكنا سنة ١٩٠٧ اطلب هذه المجلّة ١١ [١٩٠٨] : ٥٤٧–٥٥١

تاريخهُ السرياني البيعيّ الذي سرد في الجزء الاول منه سلسلة البطاركة الانطاكيين ووقائعهم ونظم في الجزء الثاني سلسلة جثالقة المشرق ومفارنة السريان الى عهده(١ . وقد نشرنا عام اوّل على صفحات هذه المجلة سلسلة البطاركة فبقي ان نتحف القرّاء بسلسلة الجثالقة والمفارنة

وغنيّ عن البيان ان المؤرّخين اختلفوا في تحديد سنيّ اقامة الجثالقة الاوّلين ووفاتهم ولاسيما منذ توما الرسول الى عهد فافا الجاثليق (+٣٢٩)فلم نتصدَّ لتصويبهم او تخطيئتهم بل أبقينا ذلك موضوعاً لانتقاد مؤرّخي عصرنا ولاسيما المستشرقين الأفاضل اصحاب اليد الطولى في درس تواريخ الكنائس الشرقيَّة

ولمّا كان مشيحا زخا في تاريخهِ الموأ اليهِ قد أولى المستشرقين ورُوّام البحث عن الكنائس الشرقيَّة فوائد عظمى وسوّغ لهم الإقرار بحقيقة انتشار الدين المسيحي منذ القرون الاولى في بلاد المشرق واضطرّهم الى الاقتناع بصحَّة تسلسل جثالقة المدائن من أدّي تلميذ توما الرسول رأينا ان نقتضب اوّلًا ما أورده هذا الكاتب القديم عن اساقفة حديّاب تعميماً للفائدة ثم نأتي بعد ذلك على سرد سلسلة الجثالقة فالمفارنة خلفاً عن سلف

١ً اساقفة حَدْياب (٢

١ ﴿فقيدا﴾ قال مشيحا زخا ان اوّل من تسقَّف على حديّاب على ما روى هابيل العلّامة كان فقيدا بن يوي الذي وضع عليهِ اليد ادّي الرسول عينه . تنصّر فقيدا نحو السنة ٦٩م وأصابهُ ابواه وأنسباؤهُ بأذًى شديد واعتقلوهُ زماناً . فانهزم وقصد أدّي الرسول معلّمهُ وطفق يبشّر بالنصرانية في ضواحي حَدْياب . وعام ١٠٤ م نصبه اسقفاً فعاد الى بلدتهِ ونصّر ذويهِ وطائفةً من ابناء وطنهِ وتوفي سنة ١١٤ م ودُفن في دار أبويه

٢ ﴿شمشون﴾ فرغ كرسي حديّاب ستَّة اعوام لحرب نشبت بين الفرثيّين

١) طُبع هذا التاريخ في لوفان (بلجكة) مع ترجمتهِ الى اللاتينيَّة (سنة ١٨٧٢-١٨٧٧)

٢) حديّاب (Adiabène) يقال لها اليوم حزّة وكانت مساحتها من نهر الزاب الكبير الى الزاب الصغير ومن دجلة الى اذربيجان وقاعدتها اربيل وكان يخضع لمطرانها تسعة عشر اسقفاً ولمّا بُني الموصل وكثر سكّانها قُسمت ابرشيَّة حديّاب الى قسمين وهما أربيل والموصل . وكانت الموصل تُسمّى قديماً حِسْنا عجرايا

والروم فحمل طريانس عام ١١٥ ودوّخ بلاد ما بين النهرين وحديابِ والمدائن . وعام ١١٧ استرجعها الفرثيون فساد السلام فيها . وذهب اذ ذاك مزرا اسقف بازْبدى (١ الى حديابِ ورسم الشماس شمعون تلميذ فقيدا اسقفاً . فقام شمشون بخدمة رعيّتهِ خير قيام . ولمّا تكاثر عدد النصارى حنق عليهِ المجوس فعذّبوه وجلدوه وأودوا بحياتهِ عام ١٢٣ وهو اوّل شهداء حديابِ

٣ ﴿اسحق﴾ وخلفَ شمشونَ اسحقُ الغيور الذي تَلمذ رقبخت حاكم حديابِ وعمّده خفيةً خوفاً من ملك الفرثيين ولغش الثاني (Vologhèse) فسخط عليهِ المجوس وحاولوا ان يفتكوا بـهِ بدسيسةٍ فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلاً . فصوّبوا سهام سخطهم نحو اسحق وكادوا يفتكون بهِ لولا صدور امر رقبخت بتخلية سبيله . وساس اسحق كرسي حديابِ ثلاث عشرة سنة وتوفّي عام ١٤٨ م وشاد كنيسة في وطنهِ عُرفت باسمهِ حتى القرن السادس

٤ ﴿ابرهيم﴾ وتولّى بعدهُ اسقفيّة حديابِ ابرهيم بن شاليمون . وُلد في حردا قرية بجوار الموصل وتنصّر ابوهُ في عهد الاسقف شمشون . ومـا تسقّف على حديابِ حتى أخذ يجوب الجبال مبشّراً بالنصرانية . ولمّا ثار ثائر المجوس على نصارى أبرشيّته انحدر اليهم وصرف المساعي في كشف الاضطهاد عنهم . ثم شخص الى المدائن في تحف وتقادمٍ الى ملك الفرثيين لعلّهُ يفوز بكتاب توصيةٍ بنصارى رعيّتهِ . لكن نيران الحرب تأجّجت اذ ذاك بين الفرثيين والروم فحصر لوقيوس واروس (Lucius Varus) المدائن سنة ١٦٥ وقهرَ ولغش الثالث فانقلب الاسقف الى حديابِ خائباً . وانتشر في تلك السنة وباء دام ثلاثة شهور جرف خلقاً كثيراً من جملتهم الاسقف ابرهيم . وعند دنوّ أجلهِ وضع يده على نوح شمّاسهِ

٥ ﴿نوح﴾ وُلد في بلدة بصحراء الأنبار وحجّ مع ابويه الى اورشليم حيث تنصّر ثم عاد معهما الى حديابِ وزار ابرهيم سالفهُ فـاحبّهُ جدًّا واصطفاهُ لخدمته ثم نصبه اسقفاً ليخلفهُ . وقاسى نوح شدائد كثيرة فسُجن خمس دفعات وجُلد اثنتي عشرة مرة واتاه الله تعالى موهبة صنع العجائب فشفى ابن رزشاه وجيهَ حديابِ ونصرهُ

١) بازبدى او بيث زبداي بلدة في وادي دجلة بين باعربايا وقردو . وعاصمتها فنك شمالي غربي جزيرة ابن عمر وهي المعروفة اليوم باسم آرخ

ونصر أباهُ ايضاً وطائفة من الاهالي. وسار الى الموصل ونصر خلقاً كثيراً في قرية ريشي. ثم عاد الى ابرشيته وتوفي سنة ١٨١ م وابتنى النصارى فوق ضريحهِ كنيسة سمّوها باسمهِ

٦ ﴿هابيل﴾ وبعد اربعة أعوام اجتمع المسيحيّون سنة ١٨٥ وانتخبوا هابيل وساروا به الى حانيثا (١ فرسمهُ زَخاً يشوع اسقفها. واشتهر بالوداعة ولين العريكة. وقصد ولقش الرابع اذ ذاك مدينة حدياب وحارب نرساي ملكها لأنه أبى الاشتراك معه في محاربة الروم فقتله ونهب مدنه وأتلفها. وتوفي هابيل في رحطا قرية بحدياب في ١٣ ايلول ونُقل الى اربيل قاعدة حدياب

٧ ﴿عبد المسيح﴾ هذا سار الى انطاكية فدمشق حيث تنصّر ثم رجع الى وطنه وزاوَلَ خدمة الكنائس والديورة. ولمّا تسقّف على حدياب صرف كلّ جهده في نموّ ابناء رعيته فازداد في عهده عدد الكنائس والأديار ودبّر الابرشية خمساً وثلاثين سنة وقيل خمساً وعشرين سنة

٨ ﴿حيران﴾ تولّى اسقفيّة حدياب نحو سنة ٢١٦ ويوم الاربعاء ٢٧ نيسان ٢٢٦ تغلّب ازدشير ملك الفرس على الفرثيّين وسحق ممالكهم ونصب عرشهُ الملكي في المدائن. واخذت النصرانيّة مذ ذاك تنتشر انتشاراً عظيماً في المشرق حتى بلغ عدد الاساقفة نيّفاً وعشرين اسقفاً تولّوا رعاية بازَبدى وكركوك وكشكر (٢ وبيث لافاط (٣ وهورمزدشير (٤ وميشان (٥ وحانيثا وحربث جلل (٦ وارزون (٧ وبيث نيقطور (٨ وشرقرد (٩ وبيث مسكينا (١٠ وقطرايا (١١ والديلم (١٢ وسنجار وغيرها. امّا

---

١) بلدة في وادي راوندوز جنوبي العمادية بينها وبين داسان

٢) هي واسط الحالية ٣) هي جنديسابور قاعدة الاهواز وكانت الاهواز تسمّى قديماً عيلام وخوزستان ٤) تسمّى اليوم الاهواز او سوق اهواز ويسمّيها اليونان ديوسوليس ٥) هي مدينة البصرة ٦) مدينة فوق نهر الزاب الصغير

٧) هي سعرد وملحقاتها وكانت مساحتها من دجلة الشرقيّ الى مياه بطمان ومن سعرد الى ميافرقين وتشاهد اخرتها في تل يُدعى خراب باجار حتى اليوم ٨) بلدة شمالي كركوك ٩) كانت في شرقي كركوك في نواحي حربث جلل ١٠) تسمّى ايضاً شكاني على حدود طبرستان ١١) جزائر خليج العجم ١٢) على سواحل بحر قزوين الغربيّة والجنوبيّة

نصيبين وملحقاتها فلم يكن فيها اذ ذاك اسقف بعد . وتوفي حيران الاسقف سنة ٢٥٨ وساس ابرشيتهُ ٣٣ سنة

٩ ﴿شحلوفا﴾ وُلد في بيت أرمايي قرية بين العمادية والموصل ونضر سكان تلّ نياحا على أثر شفائهِ لنكيحا احد وجهائها وخلف سالفهُ في كرسي حديابَ سنة ٢٥٨ وشخص اليه جنزقان القائد المسيحيّ وسأله ان يصحبه الى المدائن كي يتعهّد مسيحيّيها القليلين فسار معه في شتائين من شماسته . فتعرّض لهم العرب وأسروهم اربعة اشهر ثم سرّحوهم . ولما وصل شحلوفا الى المدائن رسم النصارى قسًّا وأقام عندهم سنتين ثم قفل راجعاً الى حديابَ . وزاره شوبحا ليشوع اسقف بازبدى وانطلقا كلاهما الى حربث جَآل ورسونين ورسما هناك اسقفاً ثم توجّها الى شرقرد ونصبا خلفاً لاسقفها . وانتقل شحلوفا الى جوار ربهِ سنة ٢٧٣ وساس رعيّته خمس عشرة سنة

١٠ ﴿آحا دابُوي﴾ رسمه اسقفاً حيرانُ سالفُ شحلوفا وكان ابوه كاهناً في اربيل رزقه الله اربعة اولاد ارتسموا كهنة . ولما توفي شحلوفا اخذ آحا دابوي يرعى ابرشيته بحزم ونشاط . ووافى اليه نحو سنة ٢٨٠ وفدٌ من المدائن يسألونه ان ينحدر ليتقلد احرامهم اسوةً بسالفهِ فاستصحب زخا يشوع اسقف حربث جلل وشبتا اسقف بازبدي وخلوا في العاصمة سنة كاملة يرشدون المسيحيين ويؤيدونهم في الايمان . غير ان نصارى المدائن الحّوا على آحا دابوي ان ينصب لهم اسقفاً فاستشار حَبيّل اسقف شوشان (١ وأقام فافا الارامي ابن عجاي اسقفاً بحضور الاساقفة الثلاثة المشار اليهم . وهذا فافا هو اوّل جاثلقة المدائن على ما صرّح مشيحا زخا وأيّد قولهُ جميع المتضلعين من تواريخ الكنائس الشرقيّة . أما آحا دابوي فحلّت وفاتهُ نحو سنة ٢٩١ وساس ابرشيته ثماني عشرة سنة

١١ ﴿شريما﴾ لما تولّى شريما مطرانيّة حديابَ حاول فافا اسقف المدائن ان يمدّ سلطته الروحيّة على جميع اساقفة المشرق لانهم كانوا يراجعونه في المسائل الدينيّة والمدنيّة . فعارضه الاكليرس والشعب وعاندوه وصمّموا ان يعزلوه وكتبوا في ذلك الى بولس اسقف شوشان والى عقب آلاها اسقف كركوك وغيرهما . فتخوّف فافا

١) هي شوشان (Suze) القديمة تبعد عن جنديسابور ستة فراسخ وكانت لاحقة بمطرانيّة الاهواز

وراسلَ سمدا اسقف الرها (٣١٣–٣٢٤) واساقفة المغرب فحبّذوا طلبه وكتبوا اليهِ ما شرحه : «لما كان في بلاد المغرب الخاضعة لملوك الروم عدّة بطاركة وهم بطاركة انطاكية ورومية والاسكندريّة والقسطنطينيّة لزم ان يكون في بلاد المشرق الخاضعة لسيطرة ملوك الفرس اقلّها يكون بطريرك واحد» فأصبح من ثم فافا رئيساً لجميع اساقفة المشرق (١

على ان المجمع النيقاويّ الذي عُقد سنة ٣٢٥ قرّر في البند السادس «ان لصاحب انطاكية حقّ الولاية على أصقاعهِ بأسرها ولهُ السلطة على مائة وثلاثين اسقفاً ومطراناً لكونه متولّياً فارس وبلاد المشرق ايضاً» . لكنّ ابن العبريّ المفريان السريانيّ المشهور اورد في كتاب الهدايا [ق ٧ ف ١ ص٧٥ من طبع الاب بولس بيجان] نقلاً عن قوانين المجمع المرمأ اليهِ ما شرحه : «قد أُوليَ مطران المشرق الكبير السلطة منذ الآن فصاعدًا ان يرسم مطارنة للمشرق كالبطريرك وان يُنادَى باسمه جاثليقاً ومتى حضر مجمع الغربيين فلهُ حقّ التقدّم على جميع الكراسي المطرانيّة ودرجته ودرجة بطريرك اورشليم على حدٍّ سوًى»

غير ان نصّ ابن العبريّ هذا لا وجود لهُ في الواحد والعشرين قانوناً التي نظمها آباء المجمع المذكور ولكنهُ قد ورد ما يضاهيهِ في القانون الثاني والاربعين من القوانين الثلاثة والثمانين التي أُلحقَتْ فيما بعد على رأي البعض بالقوانين الاولى واليك نصّهُ : «لا يُبطِرك الحبشُ عليهم بطركاً من علمائهم وباختيارهم لان بطريركهم يكون من تحت يد صاحب الاسكندريّة . . . ومتى اجتمع سنودس بارض الروم وحضره فليجلس في المجلس الثامن من بعد صاحب سلوقية اي المدائن وهي بابل العراق لانه أُذن له في تسقيف اساقفة لناحيته ونُهي عن ان يسقفه احدٌ منهم (٢ فمن خالف هذه

١) الى هنا ما نقلناه عن تاريخ مشيحا زخا وفيه المؤونة للوقوف على اخبار جثالقة المشرق الأولين. واعلم ان هذا المؤرّخ قد اورد بعد شريعا اسقف حدياب (+ ٣١٧) تسمة اساقفة خلفوه في كرسيه وهم يوحنان الذي سار الى المدائن لانتخاب خلف لنافا ثم عاد الى حدياب وقُتل شهيدًا (في ١ تشرين الثاني + ٣٤٦) وابراهيم الشهيد (في ٥ شباط +٣٤٧) ومارن زخا الشهيد (+ ٣٧٦) وشوبحا ليشوع (+ ٤٠٧) ودانيال (+ ٤٣١) ورحيا (+ ٤٥٠) وعبوشطا (+٤٩٩) ويوسف (+ ٥١١) وحنانا ٢) يتضح من هذه العبارة ان جاثليق المشرق ان يرسم اساقفة ولكن ليس لاساقفته ان يتصوهُ جاثليقاً لانّ رسامته منوطة ببطريرك انطاكية

السُنة فجماعة السنودس تحرمه» (١

وقد ورد في القانون الثاني الـذي سنه آباء المجمع القسطنطيني سنة ٣٨١ ما نصُّهُ: «ان يدبّر اسقف الاسكندريّة جميع بلاد مصر. واسقف المشرق بلاد المشرق كلّها»

٢ً جثالقة المشرق الى سنة ٥٨١ م

لا مشاحّة ان الدين المسيحي انتشر في بلاد المشرق منـذ القرن الاوّل للتجسّد بساعي توما الرسول وادّي وماري وتلاميذهم ولعلّ قوماً من الفرثيّين والماديّين والعيلاميّين وسكان ما بين النهرين الذين عاينوا الرسل يوم عيد العنصرة في اورشليم (٢ بشّروا الاهلين عند عودتهم الى اوطانهم بالسيّد المسيح فادي العالمين. وقد أيّد ذلك ترتليانس في كتابهِ ضدّ اليهود. وديونيسيوس الاسكندري في منتصف القرن الثالث على ما صرّح اوسابيوس القيصريّ. وبرديصان الرهاوي († ٢٢٢) في كتاب شرائع البلاد. وميخائيل الكبير في سردهِ اسماء اساقفة الرها منذ سلخ القرن الاوّل حتى بدء القرن الثالث (ص ١٨٣ و١٨٥) وأيّد ذلك المجمع الرهاويّ الذي عقدهُ اساقفة ما بين النهرين نحو السنة ١٩٧ على ما كتب اوسابيوس ايضاً. وأُضيف اليـهِ سلسلة اساقفة حدياب على ما ذكرنا آنفاً. ذلك كلّه يثبت ان النصرانيّة لاحت شموسهـا في بلاد المشرق منذ اواخر القرن الاوّل للتجسد وانبسطت أشعّتها على تلك الاقطار في أواسط القرن الثاني

امّا كرسي ساوقية اي المدائن فلم يَرِد ذكره قبل فافا الجاثليق وقد صرّح غير واحد من المؤرّخين ان ماري تلميذ أدّي لمّا وطّن النفس على الدخول الى سَلوقية حالت دون رغبته موانع فقصد كشكر وتلمذ أهلهـا. غير ان التقليد الشائع عند السريان الشرقيّين والغربيّين معاً في القرون المتوسّطة خاصّةً يُوضح ان ماري وخلفاءه اتّخذوا المدائن مقاماً لهم. وها اننا موردون سلسلة الجثالقة فالمفارنة نقـلًا عن ابن العبري المفريان المشهور

١) عن نسخة قديمة مصونة في مكتبة دير الشرفة للسريان الكاثوليك. ويظهر ان ناسخَهُ يونانيّ ملكيّ او قبطيّ وقد ورد فيه اسماء كثيرة بل صفحة كاملة بحروف يونانيّة

٢) اعمال الرسل ٢ : ٩

١ ﴿ توما الرسول اول اساقفة المشرق (١ ﴾ شخص الى بلاد المشرق في نحو السنة الثانية عشرة لصعود الفادي فبشر اهالي ما بين النهرين والفرثيين والماديين والفرس والهنود وعرّج في طريقه على تكريت (٢ فنصر برحدبشابا وأهل بيته وطائفة من السكان . ولما وصل الى الهند أسنى له ملكها ذهباً جزيلاً على ان يشيد له قصراً فخيماً فوزّع الرسول ذلك الذهب على الفقراء والمعوزين فسخط عليه الملك واعتقله في السجن . ثم أطلقه مجازاةً له على إيمانه اخاه واطلق له الحرية لينذر بالمسيح . فجعل يطوف بلاد الهند وينصر اهلها . ولما كان يوماً في الجبال ينصر اهلها وبادره احد الوثنيين فطعنه في جنبه اليمين وقتله فاستحضر الملك جثمانه الى قلمينا ودفنه . وعام ٤١٢م نُقلت عظامه الى الرها في عهد ابرهيم اسقفها فابتنى المسيحيون كنيسة على اسمه ووضعوا عظامه فيها (٣ على ما كتب قرسطا بن لوقا الفاضل (٤

٢ ﴿ أدّي الرسول ﴾ توجّه بادئ بدء الى الرها وتلمذ ملكها ابجر الخامس المعروف بالأسود الذي راسل السيد المسيح فكتب اليه انه سيوجّه اليه احد تلامذته . ولما عاد أدّي الى الرها أبرأ الملك من داء النقرس الذي كان يؤلمه ونصره ونصر جملة من اهل مملكته . وشاد في الرها كنيسة كبرى ثم انصرف الى بلاد المشرق مستصحباً تلميذيه أجاي ومارى فطافوا بلاد نصيبين وآثور وبرماي بكركوك وحديثاب ثم عاد أدّى الى الرها وفيها قُتل شهيداً في ٣٠ تموز

٣ ﴿ أجاي ﴾ سار الى بلاد الفرس بعد استشهاد معلّمه وأنذر بالسيد المسيح فيها وفي آثور وارمينية وماداي وبابل والاهواز والهند ثمّ رجع الى الرها وفيها تمّ استشهادهُ

٤ ﴿ماري﴾ طاف بلاد المشرق مبشّراً بالخلاص . ويُروى ان المسيحيين بنوا في عهد رئاسته ثلاثمائة وستين كنيسة . وقصد المدائن ونصر فيها خلقاً كثيراً وشاد

١) نشر الاب بولس بيجان للمازري سيرته في ١٧٥ صفحة [اخبار الشهداء والقديسين جزء ٣]

٢) اورد ابن العبري اسم تكريت دون غيرها من المدن توطئة لسلسلة المفارنة التي أزمع ان ينشئها فتأمّل ٣) اطلب تاريخ ميخائيل الكبير (ص ١٢٠)

٤) هو فيلسوف نصراني وُلد في بعلبك وتوفّي في ارمينية نحو السنة ٩٢٣م وصنّف نيّفاً وخمسين كتاباً وكان خبيراً باليونانيّة والسريانيّة والعربيّة.

فيها كنيسة سامها خمس عشرة سنة . واستغرقت مدّة تبشيره ثلاثاً وثلاثين سنة وتوفّي في قرية بدرانا

٥ ﴿أبريس﴾ كان من أنساء يوسف خطيب مريم العذراء أوفده ماري معلّمهُ الى انطاكية ونصبه شمعون بن قلاوفا اسقفاً ثم عاد الى المشرق وساس النصارى ست عشرة سنة ودُفن في كنيسة المدائن . وفرغ الكرسي بعد وفاته اثنتين وعشرين سنة

٦ ﴿ابرهيم الاوّل﴾ ينتمي الى يعقوب اخي الربّ سُقف في انطاكية وأُرسل الى المشرق فاحتظى عند ملك الفرس لانهُ أبرأ ولده . وتوفّي عام ١٥٢ وخدم اثنتي عشرة سنة

٧ ﴿يعقوب الاوّل﴾ بعد فراغ الكرسيّ زهاء تسع عشرة سنة نُصب يعقوب اسقفاً في اورشليم وكان من أنساء مار يوسف خطيب العذراء ولمّا اقبل الى المشرق اشتهر بالزهد والقنوط وخدم ١٨ سنة ودُفن في المدائن سنة ١٩٠ تقريباً

٨ ﴿ آحاد آبوي ﴾ وبعد اربع عشرة سنة لوفاة يعقوب الاوّل ساز آحاد آبوي مع قَيشوع تلميذه الى انطاكية طبقاً لمشورة سالفهِ . ولمّا وصلا اليها قبض عليهما صاحب انطاكية ظنًّا منه انهما جاسوسان فصلب قيشوع وفرّ آحاد ابوي الى اورشليم حيث رُسم اسقفاً بتفويض بطريرك انطاكية . ومذ ذاك رخّص اساقفة الغرب لاساقفة الشرق ان يرسموا للمدائن اسقفاً ويسموه جاثليقاً وبطريركاً . وقضى آحاد آبوي نحبه سنة ٢٢٠ ودُفن في المدائن

٩ ﴿ شحلوفا ﴾ وُلد في كشكر وامتاز بعطفه على الفقراء وعنايته بامر المدارس . ولما توفّي سالفه اجتمع اساقفة المشرق ونصبوه جاثليقاً (١ وخدم عشرين سنة وتوفّي في المدائن (٢ واشتهر اذ ذاك ارخلاوس اسقف كشكر الذي جادل مانى الملحد سنة ٢٧٧ وأفحمه وفنّد اضاليله ببراهين دامغة صادعة

١٠ ﴿نافا﴾ هذا هو اوّل جاثلقة المشرق على ما روى مشيحا زخا وأقرّ بهِ الخبيرون بعلم التاريخ . وكان نافا بابليا او فارسيًّا متضلّعاً من السريانيّة والفارسيّة

١) ذكر مؤرخو النساطرة بعد آحاد آبوي توسرصا فشحلوفا ٢) ان ابن العبري بايراده اسمَيْ احاد ابوي اوّلا وشحلوفا بعده يدلّ على استناده الى مصدر يخالف مصدر مشيحا زخا

وحصل لسبب انتخابه خصام شديد بين الاساقفة . ولمّا استلم عصا الرعاية جعل يتحامل على الاكليرس ويرسم اساقفة من دون تروٍّ فالتأم عام ٣١٧ تسعة اساقفة وجملة من الاكليرس يتقدّمهم شمعون برصباعي وتداولوا في المسألة فقرّ رأيهم على عزله ونصب مار شمعون بدلاً منه فامتعض فافا ايّ امتعاض واحتدم غيظاً واتّقد فضرب الانجيل بيده وقال: « تكلّم ايها الانجيل عوضاً عني فقد ضاق ذرعي عن المدافعة » فيبست يده للحال واتّفق الاساقفة على حطّه وعزله . فاستغاث باساقفة المغرب فالتمسوا من قسطنطين الملك ان يساعده فأوفد رسولاً الى شابور الملك يوصيه به . وكتب اساقفة المغرب ايضاً الى اساقفة المشرق في ان يؤدّوا الطاعة للجاثليق حرصاً على الاتحاد والوئام . وتوفّي فافا نحو سنة ٣٢٩ طبقاً لما كتبه مشيحا زخا عن يوحنان اسقف حديايب الذي شخص الى المدائن في تلك السنة لانتخاب خلف لفافا (١

قصائد الخليفة يزيد بن معاوية

نظر انتقادي لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

قد توفّق احد العلماء الالمان المسيو پول شوارتس المعروف بمنشوراته الشرقيّة كنشره لديواني عُمر بن ابي ربيعة ومعن بن اوس مع ترجمتهما الالمانيّة الى اكتشاف مجموع مخطوط وجده في مكتبة الاسكوريال الغنيّة بآثارها العربيّة . فسُرَّ به اذ وجد ضمنهُ اثنتي عشرة قصيدةً او قطعةً من منظومات الخليفة يزيد الاوّل بن معاوية وثاني خلفاء بني اميّة فاسرع الى نشرها ونقلها الى الالمانيّة وصدّرها بمقدّمة مطوّلة في ٢٣ صفحة بحث فيها عن يزيد وعن صفاته الشخصيّة ثمّ عن شعره (٢

فسرّحنا النظر في الكتاب ووجدنا انّ المؤلف الاديب يوافقنا في ما كتبنا عن

١) اطلب هنا الحاشية الاولى من الصفحة ١٨٨

٢) اطلب هذا الكتاب المنون P. Schwarz: Escorial-studien zur arab. Literatur u. Sprachkunde, pp. 28-72, I, 1922, Stuttgart, Kohlhammer. Prix Mark, or. 1,50

يزيد في تأليفنا الاوّل عن معاوية والدهِ (١ (ص ٣٢٥–٤٤٨) ثمَّ شفعناهُ بكتاب منفرد عن يزيد (٢ . وقد اخذنا العجب لضربهِ الصفح عن كتاباتنا وكأنهُ يجهلها على انَّ في سكوتهِ فائدةً حيث لا يستطيع احدٌ ان ينسب اليهِ التأثُّر من مؤلفاتنا فبلغ الى ذات نتائج ابحاثنا مستندًا مثلنا الى الكتبة القدماء الذين استقينا قبلهُ من مواردهم

همُ الكتبة العراقيُّون الذين شنَّعوا يزيد فنبزوهُ بالكافر وبسفَّاك الدماء وذلك بغضاً بالشام. وكمثلنا قد زيَّف المسيو شوارتس هذه الاشاعات الكاذبة والاوهام التاريخيَّة الباطلة. نعم انَّ يزيد لم يبلغ مبلغ والدهِ معاوية في مجاراة الزمان وفي صفاتهِ السياسيَّة الممتازة لكنَّهُ كان متَّصفاً بمزايا الملوك وقد اشبه في ذلك اباهُ معاوية . ولا يجوز ان تُنسب اليهِ النوائب التي وقعت في عهدهِ وانَّما حصلت لسوء احوال تلك الازمنة . وقد عاجلهُ الموت فلم يسمح لهُ ان يضمّد الجراحات التي علَّلها اهل البادية في العراق وفي جزيرة العرب ببطرهم واستعصائهم على اوامرهِ .

امَّا بلاد الشام فكانت في ايَّامهِ تتمتَّع بنعمة الراحة والخصب كما كانت في زمن ابيهِ ولذلك قد حفظت لهُ ذكرًا طيِّباً . ولو شاء القرَّاء ان يتحقَّقوا صدق قولنا فما لهم الَّا ان يراجعوا ما اثبتناهُ عن اوثق الكتبة في تأليفنا المذكور وما أتى بهِ اليوم المسيو شوارتس في الكتاب الذي اصدرهُ حديثاً . فهذه الادلَّة الواضحة سيتلقَّاها السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في دمشق بملء الرضى وان ساءت كتبةَ مجلَّة العرفان الَّا انَّ للتاريخ حقوقاً تعلو ولا يُعلى عليها مهما قامت في وجهها الاوهام

*

هذا ثمَّ انَّهُ لمن الامور الشائعة حبّ الخليفة يزيد الشعر واكرامهُ للشعراء وبذلهُ المال في مجازاتهم . لا بل قد افادنا صاحب الاغاني ابو الفرج الاصفهاني عن بعض منظوماتهِ التي نشر منها مثالًا وخصوصاً البيتين اللذين قالهما عند حصار جيش معاوية ابيهِ للقسطنطينيَّة (الاغاني ١٦ : ٣٣) فلا نرى موجباً لتنكر صحَّتهما كما فعل المسيو شوارتس فان يزيد انشدهما في ساعة غلب عليهِ القصف والطرب ليس تحتهما كبير امر.

ثمَّ انَّ المسيو شوارتس يتخطَّى الى ذكر القطع الشعريَّة التي وجدها في مخطوطة

١) نُشرت هذا العنوان Etudes sur le règne du Calife Moawiah, *Impr. Cath.*

٢) وهذا عنوانهُ Le Califat de Yazid 1er, *Impr. Cath., pp. 531*

الاسكوريال حيث تُنسب الى يزيد فيسعى الى اثبات صحّتها . واني قد دقّقتُ فيها النظر وعلى الرغم من رغبتي في وجود شيء من شعر ذاك الملك الجليل بقيتُ مرتاباً في حقيقتها

انَّ المقاطيع التي اوردها المسيو شوارتس عن نسخة الاسكوريال تدخل في بابَي الخمريّات والنسيب . فامّا الخمريّات فانّنا نعلم ان يزيد كان يعتقر الخمرة مع ندمانهِ ويعرف ما لخمور لبنان والشام من المزايا الطيّبة الّا انَّ بعض ما يُنسَب اليهِ من الاقوال في هذه المقاطيع يُريبنا كقولهِ في القطعة الثانية :

ما حرَّم اللهُ شُربَ الخمرِ عن عبثٍ ... منهُ ولكن يُسَرُّ مودعٌ فيها (١
لمّا رأى الناسَ أضحوا مغرَمين بها ... وكلّ فنٍّ خووهُ (٢ من معانيها
اوحى بتحريمها خوفاً عليهِ بأن ... يُضحُوا لها سُجّدًا من دونهِ تيها

وفي النسيب المرويّ عن ابن معاوية ما يزيدنا ريباً في صحّتهِ فقد جاء في القطعة العاشرة :

وانا ابنُ زَمزَمَ والحطيمِ ومولدي ... بأعلاء مكّةَ والمحلّةُ يثربُ

فانَّ هذا ما يخالف بتاتاً احوال يزيد فان يزيد وُلد في بلاد الشام ولم يسكن مطلقاً المدينة فهل يمكنهُ ان يجهل تاريخ حياتهِ . وهذا ياقوت قد روى في معجم البلدان (٤ : ٥٠٠) بعض هذه الابيات الّا انهُ لم يروِ البيت المذكور . ولا بُدَّ من القول انهُ مصنوع

ثمَّ نرى ايضاً بين تلك المقاطيع شيئاً من التصنّع والتخنُّث لا ينطبق مع متانة الشعر القديم وطبيعتهِ كما ترى في شعر الاخطل نديم يزيد وفي شعر قرينَيه الفرزدق وجرير وغيرهم ممّا لدينا دواوينهم . فان عارضتَ اقوالهم على اقوالهِ المنسوبة اليهِ وجدتَ حالًا فرقاً عظيماً بين لغتهم ولغتهِ . فانَّ شعراء بني اميّة لا يزالون في نظم قصائدهم يحذون حذو اهل الجاهليّة وينطقون بنطقهم ويعبّرون بتعابيرهم . ففي شعرهم بعض الخشونة الفطريّة التي لا تُرى في الشعر المنسوب الى يزيد بل تدلُّ سلاستهُ وانسجامهُ على تطوُّر اقرب من زماننا في عهد بني عبّاس . دونك بعض ما

١) كذا في الاصل ونظنّ انَّ الصواب ان يُقرأ «يسرّ مودعٍ فيها»
٢) كذا والصواب حووهُ بالحاء

أورد منها. قال في وصف الخمر وهو اجدر بأبي نوّاس :

ومُدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملُهُ يدٌ بيضاء
فالشمسُ والحبابُ كواكبٌ والكفُّ قطبٌ والزجاجُ سماء

وروى لهُ في الغزل وهو يُشعر برقّة ابي الوليد الانصاري :

أسرفتُ في الكتمان وذاك مما دهاني
كتمتُ حبَّك حتى كتمتُهُ كِتماني

ومثلهُ قولهُ واصطناعهُ ظاهر :

وقد كُلّلتُ إكليلاً من الياقوت ألوانا
وحولي سادةٌ مثلي عبيداً لي وغلمانا
فما يعظمُ في عيني عظيمٌ كانَ مَنْ كانا

فهذه الامثلة كافية ليحكم القارئ أتصحّ نسبتها الى يزيد بن معاوية. ونحن لا ننكر رقّتها. وانّما نشكُّ في اصلها ولا نظنّ أنّها لذاك القول عنهُ هناك :

والى ابي سُفيان يُعزى مولدي فمن المُشاكِلُ لي اذا ما أُنسَبُ

هيكل الزُّهرة في بيروت الرومانيّة

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

ادخل مديرو متحف بيروت في معهدهم سنة ١٩١٩ مذبحاً من الحجر الكلسي الصدفي وُجد في الباحة المتدّة جنوبي السراية الكبيرة حيث شُيّدت بعد ذلك شركة السكّة الحديديّة «دمشق حوران وتوابعها» مستودعاً لسيّارات الاوتوموبيل . وكان وقتئذٍ كاتب هذه الاسطر اوّل من سبق واشار الى اصحاب الامر ما لهذا الاثر من عظم الشأن وكانت اذ ذاك ادارة الآثار والفنون منضمّة الى نظارة المعارف العموميّة في المفوّضيّة العليا

فعلى واجهة المذبح المذكور كتابة لاتينيّة لا مشكل في قراءتها على هذه الصورة :

VENERIDOM
CANINIA· PR· S· S·
ET· Q· :, ETFIL· MAX
V· L· A· S

تُقرأ كما يلي :

Veneri Dom(inæ) Caninia pr(o) s(alute) s(ua) et Q(uinti) [c(oniugis) ?] et fil(ii) Max(imi) v(otum) l(ibens) a(nimo) s(olvit).

وهذا تعريبها : «كانينيا تفي بنذرها عن طيبة خاطر للزُهرة سيّدتها لسلامها وسلام زوجها كوِنتوس وابنها مكسيموس». فالمذبح اذاً كان وفاء لنذر قامت به المرأة المدعوّة كانينية واسمها هذا اسمٌ روماني اذ كانت من اهل مستعمرة بيروت الرومانيّة. وكذلك الإلهة الزُهرة التي تفي لها بنذرها مدعوةٌ باسم روماني ڤينوس (Venus). وانّما المقصود بهذا الاسم إلهة الفينيقيين عشترت. والدليل على ذلك انها تدعوها بالسيّدة (domina) في هذه الكتابة الراقية الى القرن الثاني او الثالث بعد المسيح. وهو لقبٌ شائع في الكتابات الفينيقيّة التي تطلق على عشترت اسم «رَبّت» اي «سيّدتي» كما يقول السريان «مرتريم» اي سيّدتي مريم

ومما ورد من ذلك كتابةٌ نشرها حضرة الاب سبستيان رونزفال (١ مرقومة على اثر يُدعى «عرش عشترت» مكتوبة عليه تقدمةٌ «الى سيدتي عشترت». فان هذه الالقاب «سيد وبعل ورب» الممنوحة للآلهة كما الالقاب «سيّدة وبعلة وربّة» المخصصة بالإلاهات انّما هي القاب اختصّ بها الساميّون وترجمها اليونان في لغتهم بلفظتي كيريوس (Κύριος) وكيريا (Κυρία) ودلّ عليها الرومان بهاتين اللفظتين dominus و domina وقد ورد لقب (domina) مع اسم «الإلهة السوريّة» اترغاتِس (Atargatis) أَفْيَعَدُ

١) اطاب المشرق (١١ [١٩٠٨] : ١٦٤—١٧١) وهناك صورة العرش. ثم مجموعة المكتب الشرقي = (Mél. Fac. Or. III, 2, 1909. pp. 753 sqq)

عجباً أن منحوها للزهرة او ڤينوس عشترت

فلا شبهة اذن بالإلهة التي رفعت اليها كاهنية صاحبة كتابتنا مذبحها ليقدَّم عليه البخور في أيام الاعياد. وهناك مسألة اخرى تهمّنا معرفتها. أكان هذا المذبح مودعاً في هيكل عمومي او في معبد خاصّ؟ هل كان مقاماً حيث وقع اكتشافهُ او نُقل الى ذلك المكان من محلّ آخر. هذان سؤالان لم نكن لنجيبَ عنهما قبل سنة ١٩٢٢

فانّ في ربيع تلك السنة اخذ العمّالة يحفرون على منعطف التلّ الذي هناك تحت كنيسة الارمن الغريغوريين ليدُّوا المكان لمستودَع الاوتوموبيلات الخاصّة بشركة سكك الحديد دمشق وحلب وتوابعها. فاستخرجوا بحفرهم عموداً طمّروهُ بعد ذلك ثمّ رأوا رأس عمود سيأتي عنهُ الكلام قريباً مع مذبح من الحجر الصدفيّ. فتفضَّلَ صاحب الملك الخواجا اميل ثابت واهدى كلّ هذه الآثار لمتحف بيروت

وكان على هذا المذبح الجديد كتابة نشرها المسيو ڤيرولو رئيس ادارة الحفريّات (١ الذي قدَّم لي منها رسماً حسناً مأخوذاً عن الاصل فقرأت الكتابة وليس اختلاف كبير بين قراءته لها وقراءتي وهذه صورتها الأصليّة مع شرحها :

Mag(nius) Sentius Valens Candidianus qui et S[mi]a, nummular(ius), pro salute sua [et su]orum et Senti Apolinaris [f]ratris sui, v(otum) l(ibens) a(nimo s(olvit).

وهذا تعريبها : « انّ مغنيوس سنتيوس ڤالنس كنديديانوس الملقّب بسيميا الصرّاف قد وفى بطيب الخاطر نذرهُ لسلامتهِ وسلامة عيلتهِ وسلامة اخيهِ سنتيوس ابولينارس »

فلهذه الكتابة شأن كبير اذ تُطلعنا اوّلاً على اخلاق اهل بيروت القديمة في القرن الثاني للميلاد لانّ الكتابة راقية الى ذلك العهد كما يتّضح من جنس الكتابة ومن الاسماء المتعدّدة التي كانوا يتصفون بها في ذلك العهد فجرى بموجبها صاحب الكتابة. ومن جملة تلك الاسماء القابٌ كانوا يتفكّهون بها. فمنها لقب «سيميا» الذي تراهُ بين اسماء صاحب الكتابة ومعناهُ «القرد» وليس هو الاوّل الذي تلقَّب بهذا الاسم فانّ

١) الطلب Ch. Virolleaud: *Comptes-rendus de l'Acad. des Inscr.*, 1922, p.81, n° 3 = *Année épigraphique*, 1923, n° 60

اهل مصر كانوا اطلقوهُ على واليهم الروماني سولبيسيوس سيميليس كما انَّ الشعراء اللاتينيين في رواياتهم التمثيليَّة وسموا بهِ كثيرين من المشخصين. فلم يخجل صاحب المذبح بذكر هذا اللقب فدوَّنهُ في جملة اسمائهِ الشائعة بين العموم

وكان المذكور من اسرة غنيَّة وجيهة وردَ ذكر عشيرتها سنتيا (gens Sentia) في جملة العاديَّات المكتشفة في هيكل دير القلعة (١. فاحد افرادها المسمَّى مرقس سنتيوس امبورس التاجر (M. Sentis Em(porus ?) قد اقام هناك للاله المشتري البعلبكيّ وشريكيه عطارد والزهرة مشهدًا كتذكار لنفسهِ ولمواليهِ وزوجتهِ سنتيا موزا (Sentia Musa). وهناك ايضاً وُجدت قاعة عمود راقية كما يظهر الى ابنة مغنيوس سنتيوس مشيِّد مذبح بيروت. وكانت هذه كما ورد في الكتابة (٢ كاهنةً للامبراطور سبتيميوس سابيرس والقيصر كركلَّا بين تاريخ السنتين ١٩٦ و٢١١م فتُدعى سنتيا مغنيا سيفاره (Sentia Magnia Saephare). واسمُها الاخير سيفاره اسم سامي شاع قديمًا في تدمر وفي جبل لبنان الشرقيّ (جبل الشيخ). وقد انتقل البعض من تلك العيلة الى بلاد نوميديا (٣. بل وجدوا واحدًا منها بيروتيّ الاصل من اقارب النقيه بابنيان الشهير هاجرَ الى الناحية الى مدينة تالموزن (٤

ولعلَّك تسأل من اين حصلت تلك الاسرة على ثروتها؟ فالجواب قريب نالت ذلك بالمتاجرة ولاسيما بصرافة الفضة وقد رأيت في الكتابة السابقة انَّ صاحبها كان صرَّافاً والصرافة تتناول ثلاثة امور مهنة صرَّاف الدراهم ثمَّ مُسلفها بالرِّبا ثم مهنة المستودع ووكيل المال. وعلى هذه الصورة كان السوريُّون يحصلون على غنى وافر ويرتزقون بمهنتهم في البلاد التي يهاجرون اليها. وقد ورد في كتابات يسدوان ابوليناريوس في القرن الخامس نص فكيه يسخر فيهِ ببعض اكليروس زمانه فيقول: (٥ قد اصبح اليوم الاكليريكيُّون يُرابون والسوريُّون يتغنَّون بالمزامير (Fœnerantur clerici, Syri psallunt).

والصرَّاف الذي نحن بصددهِ لم يَفُتهُ في تقدمتهِ ان يذكر مهنتهُ وكان لهُ بذكرها

١) اطلب مجموعة الكتابات اللاتينيَّة (CIL. III. S., 14392 d)

٢) اطلب المجموعة عينها (CIL, III, 154) ٣) المجموعة المذكورة (CIL, VIII, 2560, 20; 4053.) ٤) المجموعة ذاتها (CIL, XIII, 6658)

٥) اطلب رسائلهُ (Ep. I, 8, Migne, P. L., t. 58, 461)

نعم الإعلان لترويج اموره وذلك بازاء الداخلين الى الهيكل ومن ثمّ لا نظنّ انّ المذبح المذكور ومذبح كانينية والاعتمة اللاحقة بهما كانت مودَعةً في معبد خصوصي مع وفرتها وانما كانت في باحةٍ امام الهيكل المشيَّد على قمّة رابيةٍ حيث تُرى اليوم كنيسة الارمن الغريغوريين . فلا مشاحة بانّ الزهرة عشترت كانت هناك معبودةً في هيكلها واليها قدّمت كانينية مذبحها . ولنا ما يؤيّد الامر في بعض نقود بيروت على عهد الرومان فانّ بينها ما يمثّل هيكلًا لعشترت على ربوةٍ في المدينة كما اتّضح ذلك بالآثار التي وُجدت هناك فوصفناها

امّا تاريخ الكتابات المذكورة فانّهُ يرقى الى القرن الثاني او الثالث للمسيح . ولا تُرى صورة الهيكل البيروتي قبل عهد الامبراطور طرايانوس سنة ١١٢ وللهيكل خواصّ يستطيع القرّاء ان يجروا حكمهم فيها بنظر صورتها التي نرسمها هنا مكبّرةً ضعف كبرها الاصلي عن احد نقود المدينة الذي ضُرب في عهد الامبراطور السوري اليغابال (من ٢١٧ الى ٢٢٢م) (١

هيكل عشترت في بيروت

فترى عشترت في هيئة خاصّة (سيتولّى عن قريب وصفها احد اصحابنا) وهي واقفة عند باب هيكلها . ومن المحتمل انّ رأس العمود والمذبح المكتشفين في ملك الخواجا اميل ثابت كانا من جملة آثار الهيكل المصوَّر هنا . والرأس من طرزٍ يعرفهُ الاثريّون باسم القلنسوة (٢ (calathos)

١) G. F. Hill, *Catalogue*, PHŒNICIA. n° 171, p. 97, Pl, X, 7

٢) G. Perrot, *Histoire de l'art*, VII, 636 sq اطلب تاريخ الصناعة

او باسم (Pfeifenkapitell) كما يدعوهُ الالمان (١ . وكان شائعاً في عهد الامبراطور طرايانوس تُرى منهُ بعض الاشكال في بعلبك ودمشق

وفي هيكل عشترت المصوّر آنفاً صورة سُلَّم في اسفل الهيكل بين حرفي ER. B ومن شأنها ان تثير فينا بعض الدهش . ولا شكَّ ان المصوّر اراد بذلك الدلالة على المراقي التي كان يُصعد منها الى الهيكل كما ورد في نقود جبيل — ببلوس وبعلبك — هليوبوليس . وهذا ايضاً يوافق تماماً موقع هيكل عشترت في بيروت كما ذكرناهُ . فاذا ثبت وجود هيكل في اعلى الربوة التي مشيَّدة فيها اليوم كنيسة الارمن فلا شكَّ انَّ اهل المدينة الساكنين في انحائها السافلة لم يمكنهم ان يرتقوا اليهِ الَّا بان يصعدوا على درج نرجح كونهُ من الرخام يؤدي الى مرتفعهِ

اجل انَّ ما سبق لنا ذكرهُ من المكتشفات الجديدة لا يزيل كلَّ شكوك في ما حاولنا اثباتهُ . والامل معقود على وجود آثار جديدة نستدلُّ بها على المراقي التي كان صرافنا البيروتي يصعد منها الى الهيكل فيُسرّ بمشهد ذاك المذبح الذي اوقفهُ عليهِ . ومن المحتمل انهُ كان يجلس هناك عند مائدة الصرافة على ممرّ الزوّار حيث يسهل عليهِ ترويج بضاعتهِ الرنَّانة . وليس هذا مستبعداً في رجل وثنيّ كعشيوس اذ [illegible] الصرافين من اليهود قد نفذوا الى هيكل اورشليم ليتعاطوا اشغالهم فاضطرهم السيد المسيح الى الخروج منهُ بعد ان قلَب موائدهم

تأليفان جديدان

في تاريخ سورية

للمدقق الاديب الشيخ سليم خطّار الدحداح

ما اكثر الذين يتكلَّمون عن سوريَّة واقلَّ الذين يعرفون شيئاً عن تاريخها . فانَّ الذين يتباهون بوطنيَّتهم بالخطب وينشرون على رأس الملا خلوص محبَّتهم لسقط

---

١) اطلب مقالة الالماني فيغند في بعلبك ورومية E. Wiegand, Baalbek u. Rom, *Jahrbuch*, XXIX, 1914, p. 69.

رأسهم ويثرثرون في حقّ الاجانب ويصخبون ضدّ المدارس الاجنبيّة لا يكاد يفي بهم احصاء . على انّنا نسمع جعجعتهم ولا نرى طحنهم وان طلبنا موردًا نستقي منهُ معرفة وطننا فليس لنا الّا استمداد نور هؤلاء الاجانب . وهذا ما اعلنتُ بهِ جهارًا قبل سنتين لمّا نشر حضرة الاب لامنس كتابهُ في تاريخ سوريّة فبيّنتُ انهُ من حيث كونهِ اجنبيًّا كان اجدر من سواه بنشر مثل هذا التأليف فلستُ إذن لآخذ حذري من الاجانب وهيهات ان اخجل من تملّقي بهؤلاء «الدخلاء» بعد ان تخرّجت عليهم في «مدارسهم الاجنبيّة» وهذا لا يعوقني البتّة عن محبّة وطني لبنان وعن السعي الى رفع شأنهِ وتعزيزهِ غير مدفوع الى حبّهِ بالذهب الاجنبي

وقد نرى اليوم واجهاتِ المكاتب قد ازدانت بتأليفين جديدين يسطّران مآثر سوريّة واخبارها

والتأليف الاوّل هذا عنوانهُ : «تاريخ سوريّة منذ الازمنة القديمة الى ايّامنا تأليف س. ناسي»(١ . وقد صدّرهُ المؤلف بهذا الشعار «من سعى الى معرفة وطنهِ قد اعرب بمحبّتهِ لهُ» . وهذا ما يدفعنا الى الظنّ بأن مؤلّفهُ هو احد بني سوريّة . وممّا افادنا بهِ ايضاً انّ الكتاب قد وُضع بموجب لائحة الدروس الرسميّة . وهي افادة تبعث فينا نخوة الوطنيّة اذ يستدلّ بهذا القول على انّ سوريّة لن تعود مجهولة عند اصدقائنا الفرنسويين وانّ بلادنا ستصيب نصيباً من المعرفة بين اقطار العالم

امّا التأليف الثاني فانهُ يُدعى بتاريخ صغير لسوريّة ولبنان في قطع الثمن عدد صفحاتهِ ١٥٠ مع خارطتين طُبع سنة ١٩٢٤ وهو ملك المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت عاصمة لبنان الكبير (٢

*

فما كدتُ اعلم بصدور هذين التاريخين حتى بادرت الى مطالعتهما مع الرغم من

١) وهذا اسمهُ بالفرنسويّة HISTOIRE DE SYRIE depuis les temps anciens jusqu'à nos jours, par S. Nassi, *imprimé chez André Lorulot à Conflans, Ste Honorine (Seine et Oise) avec 42 cartes et gravures*, 1924,

٢) واسمهُ بالفرنسويّة : PETITE HISTOIRE DE SYRIE ET DU LIBAN, in-8° : 150 pages, avec une double carte, 1924 (propriété de l'Imprimerie Catholique à Beyrouth (Gd Liban)

من اشغالي المختلفة . فأمعنت فيهما النظر الى ان بلغت الى نهايتهما . وليست هذه الاسطر التالية سوى خلاصة ملحوظاتي احببتُ ان اكشفها لقرّاء المشرق

قد توخّى الخواجا ناسي غايةً حميدةً اذ حاول ان يسطّر تاريخ وطنهِ واخبار بلادنا السوريّة العزيزة وقد اخذ على نفسهِ ان يُطلع الاوربيّين على امجادها ومآثرها فينبغي على كلّ سوريّ ان يحض لهُ شكرهُ . فليسمح لي مع ذلك ان اعرض عليهِ بكل ادب الملحوظات التالية علّه ينتفع بها في طبعة جديدة

١ً واوّل ما الفت نظري في فصلهِ الاوّل المعنون «بسوريّة قبل التاريخ» قولهُ «انّ الآثار الهيروغليفيّة تصف لنا سوريّة بين الالف الرابع والثالث قبل المسيح «تغطّيها الاحراج من اعلى جبالها الى سيف البحر وتأوي اليها أُسود وغيرها من ضواري الوحوش» فلم نفهم كيف يطبق المؤلف بين وجود هذه الآثار الهيروغليفيّة التاريخيّة في زمن يصفهُ «بسابق للتاريخ» (كذا)

٢ً اورد المؤلف عن قدماء الكتبة في الصفحة ٥ من كتابهِ تقسيم سوريّة الى قسمين سوريّة الشمالية او سوريّة العليا او المجوّفة . وفي فلسطين وعبر الاردن أفلم تكن اقطارها داخلة في سوريّة ؟

٣ً ثمّ لم يُفدنا عمّن اخذ هناك تحديدهُ لسوريّة حيث يقول انّها «كانت تشمل بلاد ما بين النهرين وجزيرة العرب الى البحر الاسود» . فهذا لعمري من غرائب التعريفات الجغرافيّة وعلى ظنّنا انّ المؤلف خلط بين سوريّة وآسية المتقدّمة التي كان اليونان يدعونها باناطولية

امّا ما اثبتهُ الكاتب في تاريخهِ من الاغلاط التاريخيّة فكثير نجتزئ هنا بذكر بعض منها

٤ً زعم في الصفحة ٤٧ «ان مار يوحنّا مارون سكن دير كامولين (كذا) في وادي طرابلس» وكلٌّ يعلم ان مار يوحنّا مارون لم يستوطن مطلقاً دير «قنّوبين» . فان بطاركة الموارنة هم الذين انتقلوا اليهِ وحلّوهُ نهائيًّا فجعلوهُ منذ اواسط القرن الخامس عشر مركزهم الرسميّ

٥ً ذكر في الصفحة ٩٢ «قلعة حوم (Hom) او كرك الفرسان الراكب على كتف صيداء» وهو يريد قلعة الحصن الواقعة بين طرابلس وحمص

٦ً قال (ص ١٤١) انّ الاتراك والانكليز المتحالفين انزلوا الجيوش سنة ١٨٤٠ «في ثغور بيروت وطرابلس وجبيل وبترون» والصواب «في جونية»

٧ً يقول في الصفحة ١٤٤ عن خورشيد باشا «انهُ خاف عمر باشا وانهُ حرّش بين الدروز والمسلمين». ومن المعلوم انّ عمر باشا كان حاكماً على لبنان اللاحق بايالة صيداء. امّا خورشيد باشا فكان رئيسهُ ووالياً على صيداء يركز في بيروت. وامّا تحريشهُ فكان «بين الموارنة والدروز»

٨ً جعل في الصفحة ١٤٦ عبدالله باشا «والياً على دمشق». ولا يخفى انّ والي دمشق ومشير الجيش التركي سنة ١٨٦٠ انّما كان احمد باشا وهو الذي ساءت سمعتهُ وقبح ذكرهُ لِما تولّاهُ من مذابح النصارى في تلك السنة فامر فؤاد باشا باعدامهِ في سهل المرجة

٩ً ثمّ نطلب ما هو سندهُ في قولهِ (ص١٤٧) ان الاسقف الماروني طوبيا «نشر لواء الثورة سنة ١٨٦٣» فهذه اوّل مرّة بلغ مسامعنا خبرٌ كهذا. فليس كاتب روى عن المطران طوبيّا الذي لا يزال كثيرون من مواطنيهِ واصدقائهِ في قيد الحياة انهُ عصى على متصرّفيّ الجبل

١٠ً وفي الصفحة ١٥٨ جعل «في حلب» مركز الديوان العرفيّ الذي حكم باعدام الوطنيين السوريين. وكلّ يعرف ان مركز ذاك المجلس كان «في عاليه» في متصرّفيّة لبنان

١١ً وقد خلط في الصفحة ٩٢ بين طرطوس الواقعة في دولة العلويين وفيما كانت كنيسة الصليبيين وبين طرسوس احدى مدن قيليقية المدعوّة باسم (Tarse) عند الاوربيين

١٢ً قد ادّعى في الصفحة ١٤٣ ان الموارنة بمساعدة الامراء الشهابيّين «بنوا بلدة دير القمر». مع انّ دير القمر مذكورة في تواريخ الصليبيين واليها نقل الامير فخر الدين مقامهُ سنة ١٦١٣ بعد خروجه من بعقلين وذلك قبل مجيء الشهابيّين الى الجبل. (راجع تاريخ الموارنة للدويهي وتاريخ لبنان للشيخ طنّوس الشدياق)

*

١٣ً ومن اوهام المؤلف انهُ لا يميّز بين المدن والايالات مثال ذلك قولهُ عن

جُبَيل (ص٤٦) انّها كانت تشمل قسماً كبيراً من لبنان. كأن جبيل صقعٌ من اصقاع لبنان. ومثلها قولهُ (ص ١٣٤) عن نابوليون انهُ حارب الجزّار « في جبل طابور في بلاد الناصرة » (en Nazareth) فجعل مدينة الناصرة قطراً

ولا يسعنا ان نعدّد ما وقع في هذا الكتاب من الاغلاط المتعدّدة الّا انّ البعض منها يضطرّنا الى احد القولين اما ان المؤلف لم يُعِد النظر في مسودّة كتابهِ قبل طبعهِ وامّا انهُ اكتفى بنقل ما وجدهُ في مطبوعات شتى دون ان يتحقّق صحّتها او يميز بين غثّها وسمينها. ودونك ما يؤيّد حكمنا :

١٤ً قال (ص٧) « انّ الفينيقيّين تكلّموا باللغة الارامية ثم بعد ذلك بالسريانيّة ». وقال في الصفحة عينها « انّ السوريّين كانوا يتكلّمون باللغة القبطيّة » فاي كاتب قال بهذه الاقوال؟

١٥ً جعل (في الصفحة ٢١) بحر الشام « شرقي سوريّة »

١٦ً بين الشيع التي روى إنشاءها في سوريّة (ص ٣٢) « النسطاريّون (Nostariens?) او النصيريون » نقال عنهم انهم شيعة اسلامية وذلك في القرن الخامس اعني قبل ظهور الاسلام بزمن طويل. وما من احد يجهل ان النساطرة (Nestoriens) قوم من مبتدعي النصارى انفصلوا عن الوحدة الكاثوليكيّة سنة ٤٣١ امّا النصيريون ففرعٌ من اهل الشيعة يسكنون في بلاد العلويين

١٧ً لو راجع احد صغار المدارس او فتّش في اي معجم كان لوجد انّ لفظة مونوثليت (Monothélites لا Monothélistes) التي ذكرها في الصفحة ٤٦ لا يُراد بها وحدة الاقنوم في السيّد المسيح وهو تعليم صحيح لا غُبار عليهِ بل معناها « وحدة المشيئة » وهي هرطقة حرمتها الكنيسة

١٨ً وافظع من كلّ ذلك قولهُ (ص ٨٧) عن نظام دستور المملكة الصليبيّة في القدس « انّ الملك مع حاشية من الاساقفة المدعوّة بحاشية رومية (Cour de Rome) كان يعيّن لاورشليم بطريركها » فماذا يريد بتلك الحاشية الرومانيّة التي يجعلها في القدس الشريف؟ أفهذا من التاريخ المدرسيّ او ليس هو من الروايات الخياليّة كرواية المسيو هنري بوردو « Yamilé sous les Cèdres » التي جعلها المؤلف كأحد المصادر التي استقى منها. فلا مراء انّ المسيو « بوردو » سيقضي منهُ العجب اذا رأى

كتابهُ الوافي في جملة التواريخ التي استند اليها المسيو ناسي

١٩ً وبينما هو يستقي من هذه المناهل الصافية ! قد فاتهُ ان يذكر اعظم حادث تاريخي جرى في العالم ووقع في سوريَّة نريد مولد السيّد المسيح في بيت لحم وانتشار تعاليمهِ الالهيَّة في فلسطين وسوريَّة قبل غيرهما من البلدان

*

قد أطلنا الكلام عن كتاب المسيو ناسي المدّعي أنَّهُ وضعهُ على مقتضى لائحة التعليم الرسميَّة . فحان لنا ان نوجّه النظر الى الكتاب الثاني الذي اشرنا اليهِ في اوَّل انتقادنا وعنونهُ اصحابهُ باسم بسيط بعيدٍ عن الفخفخة والجاه

والحقّ يقال ان المطبعة الكاثوليكيَّة بنشرها هذا التاريخ المدرسي قد اضافت خدمةً جديدة الى خدمها السابقة فاستحقَّت عليها شكرنا عودًا وبدءًا . وقد عرف لها ذلك ذوو العقول الراجحة مع نخبة المستشرقين الذين يقرُّون بانها كانت اكبر عامل في نشر الدروس العربيَّة في الشام وبلاد الشرق كما انها بادارة الآباء اليسوعيين اصحابها أهدتنا تاريخًا لبلادنا يفوق على سواهُ . فانَّ التاريخ الذي كان حضرة الاب هنري لامنس الفهُ في مجلَّدين تحت عنوان خلاصة تاريخ سوريَّة، قد عاد الآن على صورة جديدة في مجلَّد واحد يبلغ ١٥٠ صفحة . وقد ضُمَّ عليهِ فصل في مبادئ تاريخ سوريَّة ثمَّ وُضع بموجب نظام التعليم المدرسيّ

وقد راجعناه بكل تدقيق ولحظنا فيهِ اغلاطًا زهيدة ليست ذات شأن ليصدق القول بأنَّ الكمال لله وحدهُ . فمن ذلك : ١ً (ص ١٤ و١٦) انَّ ملك سوريَّة سلوكوس نيكاتور تصحَّف اسمهُ «بنيكانور» . ٢ً قد أبدل عدد ٦ بعدد ٩ غلطًا (في الصفحة ١٢) حيث قيل انَّ السرخدُون أخرب مدينة صيداء سنة ٩٧٩ والصواب ٦٧٩ . ٣ً كذلك لم تقع معركة حطّين بين صلاح الدين والصليبيين سنة ١١٨٩ بل سنة ١١٨٧ (ص ٥٩) . ٤ً جُعل (في الصفحة ١٢٣) الخوري نيقولا الصائغ الراهب الحلبيّ الشهير «بابقًا للمطران جرمانوس فرحات» والصواب انهُ اتى بعدهُ . ٥ً في الصفحة ١٣٣ قيلَ عن الجنرال أَلنبي انهُ خرق صفوف الاتراك في الحرب الكونيَّة ففتح غزَّة ثمَّ يافا والقدس الشريف وذلك سنة ١٩١٨ والصواب ١٩١٧

فهذه الشوائب الطفيفة لا يَكاد يُعبأ بها في كتاب يبلغ ١٥٠ صفحة ويتناول

تاريخ سوريّة منذ الخليقة الى ايّامنا . وعلى رأيي يجب على كلّ لبناني وسوريّ ان يحوز كلّ معلومات هذا الكتاب فانهُ افضل كتاب وُضع للتعليم المدرسيّ وهو يُطلعنا بوجز الكلام عن مآثر وطننا ويوقفنا على ما نلناهُ ونالهُ اجدادنا من كرم فرنسة الحامية والصديقة على مدى الاجيال . فيبعث فينا شكرًا مضاعفاً نحو تلك الدولة التي خلّصتنا من نير الاتراك ونحو معلّمينا الكرام الذين لا يزالون رافعين لواء العلم ومنار الدين

(تنبيه) قد نشرنا بالافرنسيّة في عدد جريدة الريفايل الصادر في ٨ شباط ١٩٢٤ مقالةً انتقاديّة في التاريخين المذكورين

رجل الفضل وضحيّة الجور

المرحوم جبرائيل غرغور

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ بين ضحايا العهد الحميديّ المشئوم بعضاً من نخبة الرجال الذين خدموا الوطن باخلاص ونشاط ثمَّ قلب لهم الدهر ظهر المجنّ فأذاقهم مرَّهُ بعد حلوهِ وعلقمهُ بعد شهدهِ

ومن جملتهم احد اماثل اوطاننا رجل العزّ والمروءة جبرائيل افندي غرغور والد جناب وطنيّنا الفاضل فائق بك غرغور المحامي الشهير . مضى وبقي ذكرهُ محجوباً في صدر اهلهِ اذ لم يسمح جور الاعداء اذ ذاك بنشر اعمالهِ بعد أن نفوه الى اقاصي مملكتهم وأعملوا فيهِ سيف الغدر كالوف عادتهم . واليوم اذ عاد الأمن الى نصابهِ لا يسعنا ان نضرب صفحاً عن ذلك الرجل الهمام وقد أطلعنا آلهُ الكرام على بعض مآثرهِ فنرويها لقرائنا على صفحات هذه المجلّة

*

﴿اصل جبرائيل غرغور ونسبهُ﴾ يرتقي اصل هذه العائلة الى اواسط القرن الثامن

عشر اذ احتلَّ مدينة يافا ليتعاطى فيها التجارة احد ابناء طائفة الروم الكاثوليك المدعوّ ابرهيم غرغور منتمياً كما يُظن الى احد اجداده المسمى غريغوريوس وفي لسان العامة غرغور. ولم يكن اوانئذٍ في يافا رعيَّة من طائفته يخدمها احد كهنتهم. فكان ابرهيم يتمم واجباته الدينيَّة في كنيسة الآباء المرسلين من ابناء القديس فرنسيس دون ان ينتحل الطقس اللاتيني. وكان ابرهيم مثالًا في حسن السيرة والتقوى وعلى سنن الفضيلة ربَّى ابنهُ المدعوّ نيقولا الذي خلفهُ واشبههُ في سلوكه وتقاه كما شهد على ذلك سيادة المطران ڤلردل القاصد الرسولي على سوريَّة في رقيم ايطالي اللهجة كتبهُ سنة ١٨٣١ صرَّح فيه انَّ اسرة نقولا غرغور قديمة العهد ومعروفة بتقاها وانَّ نيقولا كان اذ ذاك ممثلًا لدولة ايطالية في يافا وقد دعاهُ حامي المسيحيَّة. ومثلهُ اعلن الطيّب الذكر البطريرك اكليمنضوس بجوث في اعلامه سنة ١٨٦٣ حيث قال «ان عائلة غرغور من العائلات الاولى الممتازة بالقدميَّة والاعتبار»

وقد توفَّق نقولا في اشغاله التجاريَّة في يافا واقترن فيها بالزواج الشرعي بامرأة فاضلة تدعى مريم ابنة ابراهيم عكّاوي من بنات ملَّته الكاثوليكيَّة

﴿مولد جبرائيل ونشأته﴾ وُلد جبرائيل في ١٣ شباط من السنة ١٨٣١ وجرت حفلة اعتماده بمياه المعموديَّة في كنيسة الرهبان الفرنسيسيين في ٢٠ من الشهر المذكور كما هو مدوَّن في سجلّ كنيسة يافا بيد راعيها الاب ميخائيل الراهب الفرنسيسي ولدينا صورتهُ. وكان وكيلا العماد (العرَّابان) قسطنطي غرغور واختهُ مريم

ولمَّا بلغ الولد اشدَّهُ ارسلهُ والداهُ الى مدرسة الآباء اللعازريين العامرة في عين طورة حيث تلقَّى العلوم الابتدائية وتخرَّج في آداب اللُّغتين العربية والافرنسية الى السنة ١٨٤٤ (١٢٦٠ هـ)

ثمَّ عاد جبرائيل راجعاً الى وطنه واحبَّ ان يدرس الاحكام الشرعيَّة ليتعاطى مهنة المحاماة في محاكم بلاده. ولم يكن في ذلك الوقت مكاتب عموميَّة لتعليم الفقه فرغب الى الشيخ حسين افندي الدجّاني الفقيه الاختصاصي بان يعلّمهُ احكام الشرع واصول الفقه ولهُ فيهما الباع الطولى فرضي بهِ ولم يزل جبرائيل يتردَّد على ذلك الاستاذ البارع حتى اتقن الفقه واصولهُ ونال اجازة معلّمه

﴿وظائفهُ في القدس﴾ كان اوَّل ما عهدت اليه الدولة العثمانيَّة أن استدعاهُ

اربابها في السنة ١٨٤٨ (١٢٦٥هـ) الى القدس الشريف فتعيَّن ملازماً في قلمي التحريرات ومجلس الادارة الكبير فعُرف مذ ذاك ببراعتهِ في اشغالهِ

وفي السنة التالية (١٨٤٩–١٢٦٦هـ) تعيَّن بمصادقة نظارة المالية كاتباً اوَّل لمجلس ادارة اللواء الكبير براتب شهري بالغ الى ٢٥٠ غرشاً وبقي في تلك المأمورية مدَّة استمال في اثنائها جميع رؤسائهِ بصفاتهِ الحسنة وامانتهِ وحذقهِ في مزاولة الامور كما يُستدل عليهِ بالبيورلدي المعطى لهُ في تاريخ ٢٨ محرَّم ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣) من متصرّف القدس وهذا حرفهُ :

صدر مرسومنا الى كلّ واقفٍ عليهِ وناظر اليهِ

ان رافع بيورلدينا هذا « جبرائيل افندي غرغور» كاتب مجلس لواء قدس شريف المذكور بكافَّة مدَّة تصرُّفنا بولاية سنجق القدس وهو مقيَّد بمعاطات (كذا) خدماته بكل امانة وصداقة واستعداد تام ومن اصحاب الدراية بفنّ الكتابة فلذلك مأمول من ذوي الشأن والمروءة والاحسان ابقاء المذكور بخدماتهِ ما دام سالكاً منهج الاستقامة وتأدية الخدامة المفروضة على ذمَّته وبحسب استعدادهِ بخدمتهِ اعطينا بيدهِ هذه شهادتنا من ديوان الولاية قدس شريف ونابلس وغزَّة للعمل بموجبهِ

في ٢٨ محرَّم سنة ١٢٧٠
الامضاء بختم
السيد احمد حافظ

وكان في غضون ذلك بلغ مسامعَ قنصل دولة اسبانية الفخيمة خبر صاحب الترجمة « بيُو دي اندريس غرسيا» (D. Pio de Andrés Garsia) فدعاهُ ليكون ترجماناً اوَّل في قنصليَّتهِ لتضلّعهِ باللغات الاجنبيَّة والوطنيَّة معاً فلبَّى دعوتهُ وتولَّى اشغالها بما عُرف بهِ من النشاط والاستقامة . ولمَّا فارقها زوَّدهُ قنصلها بخطٍّ من يدهِ في الاسبانية يجاهر فيهِ بما اختبرهُ من حسن القيام بكافَّة واجبات مأموريتهِ واحرازهِ لرضاهُ ورضى دولتهِ . ولا يزال الكتاب محفوظاً وقد اطَّلعنا عليه وعلى البيورلدي السابق ذكرهُ

ولم يفارق جبرائيل القدس بل انتقل الى القنصلية الروسيَّة التي انتدبتهُ ليقوم هناك بحاماة تبعتهم لما عُرف بهِ من التضلُّع بالشرع العثماني . فلزم تلك المأموريَّة وتعاطى كل

المحامي البارع وعضو امانة الاستانة

جبرائيل غرغور افندي

١٨٣١–١٩٠٧

مهامّها الى تشرين الثاني سنة ١٨٥٩ (١٢٧٦ هـ) حيث قضت عليهِ الاحوال ان يبرح القدس الشريف ويحضر الى بيروت لاسباب لا محلّ لذكرها. وقد ارسل اليهِ قنصل روسيّة في القدس رقيماً افرنسياً في تاريخ ١٠ تموز ١٨٦٠ موسوماً بالعدد ١١٧ يشهد فيهِ على ما وجدهُ في جبرائيل من «سعة المعارف والحذق التامّ والامانة الثابتة في المهنة الموكولة اليهِ» والكتاب مختوم بامضاء القنصل المسمّى دُرغوبوجينوف (Dorgoboujinof)

سكن بيروت نحو ثلث سنوات الى أنْ قضى فيها الاشغال التي اوجبت مجيئهُ اليها فلمّا اتمّها عاد الى القدس الشريف في ربيع سنة ١٨٦٣ (اواسط ١٢٨٠هـ). وقد احبّ بطريرك الروم الكاثوليك السعيد الذكر غبطة اكليمنضوس بحوث ان يدفع اليهِ اعلاماً لكلّ مطّلع هذا حرفهُ :

انّ ناقل اسطرنا هذه حضرة ولدنا الروحي العزيز الخواجا جبرائيل غرغور هو من ابناء رعيّتنا الاورشليميّة الروم الملكيين الكاثوليكيين المباركة من العيلات الاولى الممتازة بالقدميّة والاعتبار فيما بين سكّان المدينة المقدّسة ويافا وذو دراية في جملة معارف وصداقة وقد حاز المدائح في جملة مأموريات خدم بها لدى الدولة العليّة العثمانيّة وفي قنصليّات بعض الدول الاوروبيّة الفخيمة ويدهِ منهم صكوك اشهادة الحسنة بجودة سراه واستعدادهِ وامانتهِ. فاقتضى والحالة هذه ان نراقدهُ باعلامنا الحاضر مطلعين لدى الجميع حسن صفاتهِ وصداقتهُ وكفاءتهُ في حسن الإقدام بالمهامّ المعتبرة

أُعطي عمّانًا من ديواننا البطريركي في مدينة بيروت في ١٢ نيسان ١٨٦٣

(محلّ الختم) اكليمنضوس البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي وسائر المشرق

*

﴿سفرهُ الى الاستانة واشغالهُ الاولى فيها﴾ رجع المرحوم جبرائيل غرغور الى القدس الشريف وبقي فيهِ بضع سنين يتعاطى اعمال المحاماة مشمولاً بثقة اهل تلك المدينة التي عرفت ما جُبل عليهِ من المناقب الفريدة والبراعة النادرة. الّا انهُ ما لبث ان لقي فيها عنتاً ومشقّات كدّرت صفاء حياتهِ فاضطرّتهُ بل اجبرتهُ ان يغادرها. وكان ذلك سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣م) في عهد السلطان عبد العزيز

فوجّه نظرهُ الى عاصمة البلاد الملكيّة اذ ذاك بدار السعادة وهو يؤمل فيها تمام

النجاح بين ذوات من اعيانها يقدّرون الرجال حقّ قدرهم . فلدى وصوله استأجر لهُ بيتاً في حي بك اوغلي وسكنهُ وحدهُ مع خادمتين ثمّ قدم عليهِ اهلهُ بعد ذلك بزمان

وكان اوّل ما صرف اليهِ همّتهُ التعمُّق في درس التركيّة ليقوى على معاطاة مهنتهِ فيها دون عناء كما كان يتعاطاها في القدس

فلم يخب املهُ فانّهُ اصبح بعد زمن قليل يتكلّم التركيّة بسهولةٍ بل بفصاحةٍ . فشرع ذوو الدعاوى يُقبلون عليهِ لمحاماتهم امام المحاكم في الاستانة فاصابوا بهِ نجاحاً فذاع صيتهُ بين العموم وأُشير اليهِ بالبنان

﴿الصحافي﴾ وكان مع اشتغالهِ بالمحاماة يكتب في الجرائد فصولاً رائقة جلبت اليهِ النظر وأنالتهُ حظوةً كبيرة بين ذوي الاقلام فصادقهُ احرار الاتراك وانتدبوهُ الى الكتاب في منشوراتهم

وكان في ذلك الوقت قد انتشر صيت الكاتب التركيّ البارع نامق كمال بك الذي نال بين قومهِ شهرةً واسعة بكتاباتهِ السياسيّة والادبيّة ففكّر بنشر جريدة دعاها الى مشاركتهِ في تحريرها جبرائيل غرغور . وقد صدرت في اواسط سنة ١٢٩١ (١٨٧٤م) دعاها «عِبْرت» فظهرت فيها مدّة اربعة اشهر مقالات رائعة حُرّة بقلم منشئها الذي كان معدوداً كرئيس الاحرار . وكانت الدولة في تلك الايّام في حالة من الاضطراب تضغط على اقلام الكتبة فقضت بتعطيل الجريدة وبنفي صاحبها . ولا بُدّ ان يكون عَلق في ذهن ارباب الحكومة شيء من التهمة بحقّ شريكهِ غرغور افندي

فعدل المترجم عن الكتابة في الجرائد ولزم مهنتهُ في محاماة الدعاوي الى السنة ١٨٨٦ فرأى ان يستدعي من السلطان عبد الحميد رخصةً لنشر جريدة يوميّة سياسيّة في اللغتين التركيّة والعربيّة . وكان لجبرائيل صديق من حاشية عبد الحميد وهو طبيبهُ دولة ماثروبني باشا . فوعدهُ السلطان بالاجابة الى طلبة غرغور افندي واعطائهِ الامتياز لانشاء الجريدة لولا انّ دسائس اعدائهِ حالت دون تحقيق امنيّتهِ

﴿المحامي﴾ كان جبرائيل غرغور طلق اللسان بليغ العارضة قوي البرهان متقناً للشرع الاسلامي الديني والتركيّ المدني فلمّا باشر في عاصمة الدولة بمحاماة الدعاوى ظهرت لوقتهِ براعتهُ في ذلك الفنّ الذي زاولهُ بنجاح عظيم مدّة نحو ثلثين سنة مع ما

وجدهُ في طريقهِ من الأَخصام الذين كانوا ينصبون لهُ المكائد لينجوا من مزاحمتهِ

ولو اردنا وصف ما ظفر بهِ غرغور افندي من الدعاوى التي تولّى محاماتها في محاكم الاستانة لطال بنا الكلام. وانّما نكتفي بذكر شيء من ذلك على سبيل المثال

واوّل دعوى اعرب فيها عن جدارته التامّة فجعلتهُ في اعين العموم في المركز الاوّل بين المحامين دعوى «سيمون سيمونوفيج» امين صندوق المصرف العثماني المتّهم بسرقة البنك المذكور فجرت محاكمتهُ في محكمة بداية الجزاء في بك اوغلي في شهر ايلول سنة ١٢٩١–١٨٧٤. فتولّى غرغور افندي الدفاع عن المذكور بصورة ادهشت كلّ الحضور وكان بينهم كبار مأموري السفارات واصحاب الصحف وغيرهم من ذوي المقامات الرفيعة فلم يتمالكوا من المظاهرة بإعجابهم ومخالفة القانون الموجب الحضور بالسكوت فهتفوا مرارًا للمحامي وصفّقوا لهُ التصفيق الحادّ فعجز رئيس المحكمة عن إسكاتهم (١

ولم يكن فوز المترجم في العام التالي باقلّ بهورًا في دعوى اخرى قامت بين صاحب جريدة «بصيرت» علي افندي وتيودور افندي قصّاب صاحب جريدتي «استقبال وخيال» وكان صاحب بصيرت يكلّ المحاماة عن دعواه الى غرغور افندي وصاحب استقبال وخيال الى محامٍ شهير حسن فهمي افندي (٢. وكانت مادّة الدعوى عبارة قرآنيّة اساءت جريدة بصيرت في وضعها حيث قالت في وصف ليلة جلوس السلطان انها «كانت ليلةً خيرًا من ليلة القدر بألف شهر» فنُسب صاحبها الى الكفر وطلب قصّاب افندي مجازاتهُ على فعلهِ. ثمّ ألفتَ نظر الحكّام الى المسألة وهي دينيّة محضة والمدافعُ عن خصمهِ مسيحيّ. على انّ تلك الملحوظات لم تؤثر في ارباب المحكمة بعد ان سمعوا دفاع غرغور افندي واقتدارهُ في المحاماة فبرّأوا ساحة علي افندي واجروا الحكم على قصّاب افندي الذي لم يَسَعهُ الّا ان يجاهر بالثناء على غرغور وعلى بلاغتهِ في الدفاع (اطلب الأعداد ٢٧٠ الى ٢٩١ من جريدة خيال) فصدق فيهِ قول الشاعر

«والفضلُ ما شهدت بهِ الاعداء»

ويحسن بنا ان نذكر هنا انّ بعض اخصام غرغور افندي تآمروا عليهِ وأغروا بهِ

١) اطلب العدد ٣٠٥ من جريدة خيال المطبوعة في الاستانة في ٢٥ ايلول ١٢٩١ه

٢) وهو الذي تعين بعد سنوات وزيرًا للعدليّة ووزارات غيرها

الحكّام ليبطلوا قبولهُ في بعض الدعاوى. لكنَّ المترجم استعان باحكام قانون اصول المحاكمات الحقوقيّة الذي نُشر على اثر تلك المناقشات ولم يأنف من اقامة الدعوى على الحكام وكان اوّل من طرق ذلك الباب في الاستانة فربح دعواهُ وجرى الحكم عليهم في تاريخ ١٩ ك ٢ ١٢٩٥ (اوائل سنة ١٨٧٨) . فشكرهُ رصفاؤهُ على فعلهِ لتمكينهم من محاكمة الحكّام في عاصمة المُلك العثمانيّ ان خالفوا القانون

وبقي المرحوم يتعاطى مهنة المحاماة مشهودًا لهُ من ذوي الانصاف بالمقدرة والاستقامة . وكان لا يهتمّ بالحصول على الرتب والاوسمة بيد انّهُ بفضلهِ وجدّهِ استوقف ابصار الدولة فنال من انعامها في ٢٨ جمادى الثانية ١٢٩٧ (حزيران ١٨٧٩) الرتبة الثالثة . ثم وُجّهت اليهِ الرتبة الثانية في ٩ رمضان ١٢٩٩ (تموز ١٨٨٠) ثم الرتبة الاولى من الصنف الثاني في ٢١ ذي الحجّة ١٣٠١ (تشرين الثاني ١٨٨٤) . وجاء في رقعة لمافروديني باشا طبيب السلطان عبد الحميد انَّ جلالتهُ امر بترفيع رتبتهِ الى الاولى من الصنف الاوّل في ٨ شباط ١٨٨٦ . الّا انَّ هذا الامر بقي مكتومًا بمعاكسة اخصام غرغور افندي الى تاريخ ٢٢ محرَّم ١٣١٢ (٢٧ تموز ١٨٩٤) حيث بلّغ ديوانُ همايون بالتاريخ المذكور الارادةَ السنيَّة لغرغور ونُشر الخبر في الجرائد

ومن الامتيازات التي نالها جبرائيل غرغور من السلطان عبد الحميد انهُ تعيَّن من غير طلبٍ منهُ عضوًا في امانة البلدة اي مجلسها (بشهر امانتي) وكفى بذلك دليلًا على ما كان لهُ من الاعتبار في اعين ارباب الدولة العثمانيَّة

وكانت شهرتهُ لا تزال يتّسع نطاقها يومًا بعد يوم . ولنا شاهد على ذلك في ما كتبهُ اليه الطيّب الذكر البطريرك غريغوريوس يوسف ليفوّض اليهِ الوكالة عنهُ في الاستانة وذلك في تاريخ ١٩ ت ٢ ١٨٩٥ وكتابهُ مذيّل بختمهِ وهذا منطوقهُ :

جناب الاجل الكريم الماجد سعادتلو جبرائيل افندي غرغور المحترم السلام والبركة الرسوليَّة

« بناء على ما لنا في شخص سعادتكم من الثقة ومن الاعتقاد بالغيرة الجنسيَّة والحميَّة الملّيَّة وما لكم من الاقتدار والنفوذ المؤيدين دائمًا بالفوز والاقبال ان شاء الله . وبالنظر الى خلوّ الوكالة البطريركيَّة في دار السعادة العليّة برفاة المرحوم المأسوف عليهِ فتح الله افندي وكيلنا قد رأينا ان نعهد هذه الوكالة الى اهليَّتكم المشهورة ولياقتكم المذكورة . وكلّ أملنا

انكم ايها الابن الكريم تتأثون هذه الثقة الابوية بمزيد الاخلاص واجراء الهمم بقضاء صوالح بطريركيتهم التي هي صوالح ملتكم. وليس علينا ان نحرض سعادتكم اكثر من ذلك لانكم ابن الملة بل امتن اركانها. انتم ابن البطريركية وولدنا المخصوصي بل نعدكم حجراً كريماً في تاجنا فما تجرون من الهمم فانهُ اليكم عائد والى جنسيتكم راجع. وما علينا الا الدعاء لله بان يأخذ بيدكم ويوفق مساعيكم. وهذا التقرير الذي يقدم بشأنكم الى النظارة الجليلة سلمناهُ مع هذا الى ولدنا الحبيب فائق افندي ليرسلهُ الى سعادتكم مع اول بريد. واذ نتوقع اخباركم السارة نزودكم الآن ادعيتنا الابوية وبركتنا الرسولية تكراراً

١٩ ت ٢ سنة ١٨٩٥ بيروت — مخلص المتم

غريغوريوس البطريرك الانطاكي الاسكندري الاورشليمي وسائر المشرق

وكان المرحوم لا يقصر خدمهُ على ذوي ملتهِ بل كان كلما استطاع اليهِ سبيلاً يقدم الخدم المشكورة لمن يلتجئ الى همتهِ من اي ملة واي دين كانوا وقد وقفنا في يد ولدهِ فائق بك على الرقعة التالية لاحد اعيان المسلمين نرويها هنا تنويهاً بما كان لهُ من التجلة والاعتبار عند العموم قال :

« أبا فائق اعلم وحق امة العرب اني لا اسمي ايديك البيضاء ما دمتُ في قيد الحياة لانهُ ما رأيتهُ من وفاك قد جعلني غريق احسانك عدمُ رأسمُ واتخذ لك في سورية صديقاً مثلي يفدي روحهُ لقاء صالحك ويستخدم دونهُ اهلهُ وعشيرتهُ وعشيرة اصدقائهِ »

وفي هذا القليل ما يكفي لاثبات مروءة المرحوم غرغور افندي وما كان لهُ من الايدي البيضاء في خدمة مثل الذات المشار اليهِ وغيرهِ كثيرين من ابناء هذا الوطن.

﴿انقلاب الدهر على المترجم بتحامل الاخصام﴾ غنيٌّ عن البيان انَّ الدهر غدَّار يتحامل بالخصوص على ذوي الرفعة والشان اذ لا يطيق ما لهم في وجههِ من السمو والجاه فيبعث في مناوأتهم من لم يتمكنوا من الحظوة بشرفهم. وهذا ما حلَّ بغرغور افندي فانَّ ما نالهُ من الفوز في الدعاوى التي دافع عنها أثار عليهِ بغض المحامين الذين عدُّوا انتصارهُ كتذليل لشخصيهم واهانة لوجدانهم. ومثلهم الذين حُكم عليهم بتلك المحاكمات وكان بينهم قوم من اهل الوطن ممَّن كان أولى بهم ان يفتخروا بنجاح مواطنهم فانحازوا الى اعدائهِ فكلُّ هؤلاء سعوا غير مرَّة لمناهضتهِ وهتك

عرضهِ الّا انَّ دسائسهم في حقّهِ بقيتْ دون مفعول سنين طوالًا لاسيما اذ رأوا ما نالهُ من فضل الذات الشاهانيَّة من الامتيازات

على انَّ السلطان عبد الحميد بلغ في ايّام ملكهِ وخصوصاً في السنين الاخيرة من حكمهِ الى حالة من الخوف على حياتهِ ودولتهِ لم تدع لهُ راحةً ولا قرارًا فبثَّ الجواسيس في كلّ انحاء العاصمة ليوقفوه على كلّ من تقع عليهِ شبهة الفتن او سوء النيَّة . فانتهز اعداء غرغور افندي تلك الفرصة ليوقعوهُ في فخّهم . وحيث كانت الوشاية اقرب طريق للبلوغ الى مآربهم وشَوا بهِ كذباً ونسبوا اليهِ المكيدة ضدَّ السلطان زاعمين انهُ يكتب سرًّا اوراقاً مضرَّة بجلالته وانَّ بيتهُ مملوءٌ بتلك الاوراق. ولا يخفى انَّ محامياً مثلهُ قديم العهد في دار السعادة كانت لهُ مكتبة واسعة ومعظمها عبارة عن وثائق وحجج شرعيَّة واعلامات نظاميَّة واوراق ماليَّة وتعهُّدات متبادلة بينهُ وبين الزعفاء وكانت تُرسل اليهِ الجرائد والمجلَّات لتنفيذ اشغال المراسلين او لصداقة شخصيَّة سابقة

وما زاد الطين بلَّةً انغرغور افندي اصيب في تلك الاثناء بمرض اضطرَّهُ الى ان يأوي الى بيتهِ ويكفَّ موقتاً عن الشغل . فأُرسلت اليهِ بمكيدة من اعدائهِ جرائد سياسية ممنوعة لم يسمح لهُ المرض بكشفها وتسليمها الى المحلّ الايجابي

﴿توقيف غرغور بك ومحاكمتهُ﴾ بلغ امرُ الاوراق مسامع عبد الحميد فصدرت ارادتهُ باجراء التحرّيات المشدَّدة . وقد وصف احد الوطنيين دخول مأموري الحكومة فجأةً في دار غرغور افندي في بك اوغلي في حيّ "آينه لى چشمه" وهو حضرة الوجيه والاستاذ الفاضل نجيب ابو صوّان رئيس محكمة التمييز الاوَّل في لبنان الكبير وكان اذ ذاك في الاستانة ودخل على جبرائيل ليعودهُ في مرضهِ . قال في رسالة كتبها مؤرَّخًا في ٢٩ ت٢ ١٩٢٣ اجابةً الى طلب ابنهِ فائق بك وها نحن ننقل منها تفاصيلها المدقّقة قال :

سيدي الفاضل الافخم فائق بك غرغور دام بالعزّ والنعم

« جوابًا على كتابكم المتقدّم اعرض انَّهُ بين العشرين والثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٠٣ – ولا يخطر اليوم على بالي تمامًا – في اثناء المدَّة التي كنتُ أُداوم بها على المكتب الشاهاني بدار السعادة لتلقّي علم الحقوق وكنتُ مقيمًا في ترل لوكسمبرج . صُدف لي انّي ذهبتُ عند

الساعة السادسة او السابعة افرنجيَّة في ليلة يتخلَّلها المطر لزيارة المرحوم والدكم في البيت الذي كان يسكنهُ في حي آينه لي جشمه في البك اوغلي وراء دار السفارة الانكليزيَّة فوجدتهُ منحرف المزاج يشكو من اوجاع في جسمهِ

« وما كاد يستقرُّ بي المقام لديهِ الَّا ودُقَّ جرسُ القزل ودخل البيت بغتةً خمسة عشر شخصاً او اكثر من مأموري الحكومة اتذكَّر منهم متصرف بك اوغلي حمدي بك ومدَّعي عموميها طانيوس افندي ومأمورين آخرين بينهم قومسيريَّة واتفار بوليس انتشروا في البيت وحولهُ. ودخل الى غرفة الاكل التي كنَّا فيها المتصرفُ والمأمورون الذين في ميَّتهِ وخاطبوا المرحوم قائلين لهُ انَّهم آتون للتفتيش لانهُ نُسب اليهِ انهُ محتفظ باوراق مضرَّة بحقِّ الحضرة السلطانيَّة الخ

« فسلَّمهم مفاتيح الغرف فدخلوها واخرجوا منها بعد مدَّة كتباً واوراقاً وجرائد وضموها في كيسين (جوالين) كبيرين او ثلاثة اكياس وختموها باختامهم وخُتم المرحوم وحملوها بعربات اتوا بها وذهب اكثرهم بعد ان بقي بعض افتار البوليس للمحافظة فاستغنمتُ هذه الفرصة وانسللتُ من هناك وتوجَّهتُ مسرعاً الى نزلي حيثما لبثتُ قليلاً لتمزيق واحراق اوراق كانت تُعدُّ مضرَّةً في تلك الايام السوداء

« ورجعتُ من ثمَّ الى بيت المرحوم استطلعُ خبرهُ فلم أجدهُ فيهِ وعلمتُ انَّ بعض كبار المأمورين المذكورين رجعوا اليهِ بعد ذهابي فامروهُ رغم ضعفهِ وعجزهِ ان يرافقهم الى دار الحكومة فلم يقبلوا لهُ عذراً ولا [illegible] الى خبر منهُ للخادمتين عندهُ ان تُرسلا اليهِ فرستهِ لتوم لانهُ كان قد رُحِّل [illegible] التوقيف. فعدتُ الى منزلي مختشياً الظهور وصرتُ اترقَّب احوالهُ سرَّاً فبلغني انهُ حُكم عليهِ في اليوم الثاني بالحبس والتوقيف. . »

وممَّا تحقَّقهُ بعد ذلك جناب ابنهِ فائق بك انَّ توقيف المرحوم والدهِ كان في ليل ٢٨/١٥ كانون الثاني ١٩٠٢ (١٩ شوال ١٣١٩) . وفي اليوم التالي جرت المحاكمة بصورة خفيَّة وحُكم عليهِ بالحبس مدَّة ثلاث سنوات من تاريخ توقيفهِ وبقي الحكم محفوظاً الى ان حصل ابنهُ المذكور على صورة مصدَّقة عنهُ في اواخر السنة الماضية في ١١ تشرين الاوَّل ١٩٢٣

فممَّا ورد في هذا الحكم ذكرُ بعض جرائد او كتب تبلغ الخمسة عشر عدَّاً وذلك ما وجدوهُ من المحظور في جملة كيسين او ثلاثة اكياس (جوالات) من الاوراق التي ضبطوها. وانَّما هي بعض اعداد جرائد وكُتُب سبقت عهد السلطان عبد الحميد والباقي منها ممَّا حرَّرهُ كتبةٌ من كبار مأموري الدولة ذاعت كتاباتهم لدى الخاصِّ والعامِّ مع اعداد من جريدتي تريبونا الايطاليَّة والماتن الافرنسيَّة وكتاب افرنسي في السياسة العثمانية ولاسيَّما الرسم الفوتغرافي لناظم كمال بك صديقهِ المتوفَّى منذ امدٍ

مديد في الوقت الحاضر فهذا مجمل ما عدّدوهُ في استنطاق المرحوم فلم ينكر انَّ البعض منها كانت عنده وانَّما لم يجد في حفظها محظوراً والبعض الآخر أرسل اليهِ في مرضهِ فلم يمكنه الاطّلاع عليها لتسليمها للحكومة . الّا أنَّ اعداءهُ لم يشاؤوا الّا الحكم عليهِ تشفّياً وانتقاماً وتقرُّباً الى جلالة السلطان واكتفوا في اعلام الحكم بذكر «اوراق فاسدة» دون ان يذكروا عبارة او نقرة في الجرائد والكتب المذكورة تثبت وجود شيء يمسُّ الحضرة السلطانيّة

وفي اليوم التالي لصدور الحكم (٢٩ ك ٢) أُرسل غرغور افندي على باخرة نمساويّة بصفة احد الجُناة مرفوقاً باثنين من الشرطة يحملان المذكرة الآتية من شفيق باشا ناظر الضابطة معرَّبةً :

انَّ جبرائيل غرغور منفصل من عضويّة امانة البلدة ومحكوم عليهِ بالمحاكمة بالحبس مدَّة ثلاث سنوات لاشتغالهِ باوراق مضرَّة وفساديّة . وبما انهُ ذاتاً من ارباب الفساد وبقاؤهُ هنا بنظر الضابطة وُجد غير سالم من المحذور فلاجل اكمال مدَّة محكوميَّتهِ في حبس قسطموني قد صار اغرامهُ محفوظاً ومرفوقاً بالملازم شيرين اغا والجاويش علي بناء بعد اكمالهِ مدَّة الثلاث سنوات في حبس قسطموني تتقرَّر المفصلة الواجب اجراؤها بحقّهِ . . .

﴿نفي غرغور ووفاتهُ﴾ كان جبرائيل يوم حُكم عليهِ بالحبس والنفي بالغاً ٧٢ سنة وبقيت اخبارهُ مذ ذاك الحين مجهولةً الى سنة وفاتهِ وانَّما أطلعنا جناب نجيب افندي صوّان على شيء منها في كتابهِ السابق ذكرهُ قال :

« وبعد ان مرَّ على توقيف المرحوم خمسة ايَّام اذ وصلني كتابٌ منهُ عن آينه بولي على شطوط البحر الاسود خطَّهُ بقلم الرصاص يقول لي فيهِ انهُ كتبهُ خلسةً في بيت الخلاء لانهُ ممنوع عن الاختلاط والكتابة وانهُ فاهي الاحوال في سفرتهِ من الاستانة الى هناك وهو مرفوق بالزاندرمة وانَّ الثلوج تتساقط وانهُ رغم رزح قواه تحت حمل حمَّى تتجاوز درجة الاربعين فانهُ على اهبة السفر ركوباً على الخيل الى قسطموني في الداخليّة وانهُ توسَّل مبثّاً الى الضابط الذي يخفرهُ بأن يؤخّر السفر بالنظر لمرضهِ لوقت آخر وانهُ لا يعلم اذا كان وهو في هذه الحالة من الانحطاط يصل سالماً الى القسطموني وانهُ يرجوني ان اهتمّ بامورهِ وأخابرهُ بطريقة امينة . امَّا هذا التحرير فقد سُلّم اليَّ من احد افراد عائلة نمسويَّة دروثا (Drossa) أرسل اليهِ من احد اقاربهِ وكيل البواخر النمسويَّة في آينه بولي منتوفاني (Mantovani) فجاوبتهُ بالطريقة نفسها . وما كاد يمرُّ وقت قليل على هذه الحادثة والمخابرة وأخذ جواب منهُ عليها الّا وداهمني امر استحضاري امام ناظر الضابطة شفيق باشا — وهو حلبي على ما يلوح بذهني — فافهمني كدرهُ

مني وان البوليس السرّي وقف على مخابرتي مع المرحوم وامرني متهدّدًا ان امتنع عنها . . ولولا المداخلات القويّة التي سمت لصيانتي لاصابني من جرّاء ذلك ضرر فاحش . . . هذا ما رأيتُ ان اعرضهُ بوجه الاختصار . . .

محلّ الامضاء

نجيب ابو صوّان

فلمّا بلغ امر نفي غرغور بك وحبسهِ مسامعَ ابنهِ فائق بك راجع هذا كثيرين من اصحاب المقامات والمناصب راجياً توسُّطهم لدى الحضرة السلطانيّة للحصول على العفو والافراج عن والدهِ الشيخ الجليل. وقد كرّر ثانياً وثالثاً الرجاء على الذين كانوا عالمين حقّ العلم انّ والدهُ لم يألُ جهدًا في خدمتهم وترقّيهم فنال بعضهم ارفع المراتب كرتبة الوزارة وكانوا قبل ذلك يقسمون للمرحوم انهم يقدرونهُ بما عزّ وهان . الّا انّ مساعيهُ لم تأتِ بنتيجة

وبقي المرحوم في حبس قسطموني وفيهِ توفّي بتاريخ ٦ رمضان ١٣٢٥ ١٧ تشرين الاوّل ١٩٠٧ كما ثبت بقيود ولاية قسطموني الرسميّة ومديريّة ايتامها ومحكمتها الشرعيّة . امّا مديريّة الحبس فانها قالت بعدم وجود قيد لاسم جبرائيل غرغور ولا لوفاتهِ ما يدلّ على ان الحكومة او الاستانة كانت مصمّمة النيّة على عدم ارجاعهِ حيًّا للاستانة فأصدرت تعليماتها السرّيّة بقتلهِ ولم يكن هناك مضبطة ولا تقرير طبي بوفاتهِ رحمهُ الله

وقد بارك الله عائلة غرغور افندي ولا يسعنا هنا ان نثني على ولدهِ فائق بك مع ما عُرف بهِ من الفضل والشهرة في هذه المدينة مع خدمهِ المتعدّدة لوطنهِ وخصوصاً مدّة رئاستهِ محكمة تمييز دائرة الاستدعاء . وممّا افادنا عن آثار والدهِ انهُ سعى ليحصل على شيء من اوراق الفقيد ومكتبتهِ فذهبت مساعيهِ ادراج الرياح. ومن المقرّر انهُ كان بين تلك الآثار تآليف نادرة كفى بذكر توراة قديمة وصفناها في العام الماضي في المشرق (٢١[١٩٢٣]: ١٤١–١٤٢) ورسمنا احدى صفحاتها نقلًا عن صورة فوتغرافيّة ارسلها الينا المرحوم شكري باحوط وتاريخ النسخة سنة ٧٥٦هـ (١٣٥٥م). وقد فُقد هذا الكتاب الثمين ويا ليت احدًا يمكنهُ ان يطلعنا على شيء من اخبارهِ

وقد افادنا جنابهُ ايضاً انهُ كان للمرحوم غرغور تآليف بقيت في عالم الخفاء لم يُنشر منها سوى كتاب عنوانهُ حقوق الدول كان وضعهُ مع الكاتب الشهير كمال باشا زاده سعيد بك استاذ حقوق الدول في المكتب الملكي فاتفقا على نشرهِ في الاستانة وقد طُبع سنة ١٢٩٩هـ بامضاء كلٍّ منهما

امَّا باقي تآليف المرحوم غرغور افندي فقد لعبت بها ايدي سبا فانَّ مأموري الحكومة يوم تحرَّوا تفتيش بيتهِ لم يبقوا ولم يذَروا فجميع المخطوطات قد ذهبت ولم يبقَ منها اثر الَّا انهُ وُجد بين الاوراق التي ظفر بها موخَّرًا فانق بك مسودَّات تدلُّ على ان المرحوم شرح باللغة التركيَّة مجلَّة الاحكام العدليَّة شرحاً يمتاز عمَّا سواه فاكتفينا بالاشارة

ونختم هذه الاسطر الوجيزة وهي برضٌ من عدّ شاكرين لمن أتانا بالفوائد السابقة مع الاعلان بحمدهِ تعالى الذي رفع عنَّا نير الحكومة العثمانيَّة الذي ضحَّى في سبيل مآربهِ رجالًا فضلاء كصاحب الترجمة اجزل الله عليهِ ثواب المظلومين وجعلهُ قدوة صالحة في استقامتهِ وبرّهِ لاهل وطنهِ

المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

حرف الياء

٨٢٣ ﴿يارد﴾ السيد جراسيموس مطران صيدنايا ومعلولا وزحلة الارثوكسي المتوفَّى سنة ١٨٩٩ (اطالب الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ٢ : ١١٠) . عُني بتعريب وتنقيح كتب كنيستهِ الطقسيَّة ومن آثارهِ رواية اقرار بيلاطس وتعريب كتاب خلاص الخطأة وخطب دينيَّة

٨٢٤ ﴿البازجي﴾ الشيخ ابراهيم اللاذقيّ الشهير ابن الشيخ ناصيف وقرينهُ في

الكتابة والعلوم العربيَّة توفّي في ٢٨ ك ١ السنة ١٩٠٦ . من اشهر ما طُبع لهُ شرح ديوان المتنبّي المنسوب الى والده وكتابهُ نجمة الرائد في المترادف والمتوارد ولغة الجرائد ورسائلهُ مع انشائه لمقالات مجلّات الطبيب والبيان والضياء وتنقيحه لتعريب الكتاب المقدَّس للآباء اليسوعيين . وقد ابقى بعدهُ معجماً للغة العربيـة لم يتمّ دعاهُ الفرائد الحسان في قلائد اللسان ومتفرّقات شتى نثريَّة ونظميَّة (اطلب ترجمتهُ في كتابنا الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر ٢ : ٢٥–٢٩)

٨٢٥ ﴿اليازجي الشيخ حبيب﴾ بكر الشيخ ناصيف المتوفَّى في سلخ السنة ١٨٧٠ (ترجمتهُ في كتابنا الآداب العربيَّة ٢ : ٣١–٣٢) لهُ ما خلا كتابهُ المطبوع في شرح ارجوزة والده في علم العروض والقوافي الذي سمَّاهُ «اللامعة في شرح الجامعة» تعريب كتاب فنيلون المعروف بقصَّة تلماك لم يُطبع

٨٢٦ ﴿اليازجي﴾ الشيخ خليل المتوفَّى في ٢٣ ك ٢ سنة ١٨٨٩ (ترجمتهُ في الآداب العربيَّة ٢ : ٣٢–٣٥) . طُبع ديوانهُ «نسمات الاوراق» وضبطهُ لكتاب كليلة ودمنة وروايتهُ المروءة والوفاء . ومما لم يزل مخطوطاً كتابهُ « الوسائل الى انشاء الرسائل » وكتاب آخر في الصحيح بين العامّي والفصيح

٨٢٧ ﴿اليازجي﴾ الشيخ راجي شقيق الشيخ ناصيف المتوفَّى سنة ١٨٥٦ لهُ ديوان مخطوط عند الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف

٨٢٨ ﴿اليازجي﴾ الشيخ ناصيف إمام العربيَّة في القرن التاسع عشر (اطلب كتاب الآداب العربيَّة ٢ : ٢٤–٣١) توفي في ٨ شباط سنة ١٨٧١ . مطبوعاتهُ اللغويَّة والادبيَّة مشهورة كمقاماته الخمسين (مجمع البحرين) واراجيزه (جرف الفرا والخزانة) ودواوينه (فاكهة الندماء ونفحة الريحان وثالث القمرين) الى غير ذلك من النثريَّات والمنظومات . ومما لم يمثلهُ للطبع : ١ً ارجوزة عنوانها الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم . ٢ً ومعجم في اعضاء الانسان . ٣ً كتاب لغوي دعاهُ جمع الشتات في الاسماء والصفات . ولهُ متفرّقات ادبيَّة البعض منها بالنثر والبعض بالنظم في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكاتب وطنيَّة واجنبيَّة . وهو منقّح كتاب منتخب الدرر من عظات القديس يوحنا فم الذهب وترجمة الكتاب المقدَّس (طبع الاميركان)

٨٢٩ ﴿اليازجي﴾ وردة ابنة الشيخ ناصيف المتوفَّاة في اواسط كانون الثاني

من السنة الحالية ١٩٢٤ (اطلب كتاب الآداب العربية ٢ : ٣٥) . طُبع لها في بيروت ديوانها المعروف بحديقة الورد ولها رسائل ومتفرّقات مخطوطة

— يا كوبر — اطلب جاكيه في العدد ٢٨٣

— يحيى بن جرير التكريتي — اطلب التكريتي في حرف التاء

٨٣٠ ﴿يحنّا القليوبي﴾ هو يحنّا بن ميخائيل بن صدقة القليوبي القبطيّ من كتبة القرن الثالث عشر . لهُ في مكاتب باريس ولندن واوكسفرد ورومية مقدّمة على اصول اللغة القبطيّة وسمّها بالكفاية (اطلب مجموعة مكتبنا الشرقي MFO,I, 126-128)

٨٣١ ﴿يحيى الاسكندراني النحوي﴾ هو المعروف بيحيى الاسكلاني المعروف عند الغربيين باسم (Joannes Grammaticus او Philoponus) كان في القرن السادس (اطلب في المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٤٧–٥٧) المقالة «يحيى النحوي مَن هو ومتى كان» . كتب باليونانيّة ومما نُقل من كتبه الى العربيّة كتابهُ في حدَث العالم الذي ناقض به برقلس وارسطو القائلين بقدم العالم ذكرهُ ابن العسّال في كتاب اصول الدين وابو البركات بن كُبَر في جدوله (Riedel, p. 651) . وقد وجدنا لهُ في مكتبة بغداد العمومية تفسيرهُ على مقالة الترياق من كتاب جالينوس في المعجونات . وذكر لهُ ابن النديم في الفهرست (ص ٢٤٨) تفسير بعض كتب ارسطو

٨٣٢ ﴿يحيى بن سعيد الانطاكي﴾ كتب في اواسط القرن الحادي عشر . نُشر في مطبعتنا ذيلهُ الواسع على تاريخ ابن بطريق من السنة الهجريّة ٣٢٦ الى ٤٢٥ هـ (٩٣٧–١٠٣٤ م) . نسخهُ الخطّيّة عديدة منهُ نسخة في مكتبة باريس (Cad. 291) وفي مكتبة بطرسبورج (بطروغراد) وفي مكتبة الاديب حبيب افندي زيّات وفي مكتبتنا الشرقيّة . ثمّ للمستشرق الروسيّ فون روزن (von Rosen) فصول منهُ مع شرحها

— يحيى بن سعيد الطبيب — اطلب ابن ماري

٨٣٣ ﴿يحيى بن عديّ﴾ هو الفيلسوف ابو زكريّا اليعقوبيّ المتوفّى سنة ٣٦٤ هـ (٩٧٤ م) لهُ مصنّفات عديدة لاهوتية وفلسفية وادبيّة وتفاسير لكتب اليونان اورد اسماءها ابن النديم في الفهرست (ص ٢٦٤) وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ :

٢٣٥) وجمال الدين القفطيّ في اخبار الحكماء (ص ٣٦١) وهناك ايضاً ترجمتهُ وكذلك في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٣٦٨). ومما يُعرَف لهُ اليوم في المكاتب الشرقيَّة : ١ً في مكتبة باريس (Paris. Ms. 169) مجموعة تحتوي اثنتي عشرة مقالة منها لاهوتيَّة في التثليث والتوحيد والتجسُّد ومنها فلسفيَّة وجدليَّة بينها ردود على علي بن عيسى الجرَّاح وزير الخليفة المقتدر وعلى يعقوب بن اسحاق الكندي واجوبة على مسائل لابي سعيد بن داد عيسى . ٢ً في مكتبة الفاتيكان في رومية مجموعة اخرى اوسع تتضمَّن عشرين مقالة في ابحاث دينيَّة عن المعتقدات والآداب النصرانيَّة البعض منها يشبه ما ورد في نسخة باريس والبعض يختلف . ٣ً كتابهُ في الردّ على بعض النساطرة لعمَّار البصري وابي الفرج ابن الطيب . في مكتبة الشرفة . ٤ً كتاب تهذيب الاخلاق منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . طُبع هذا الكتاب في بيروت وفي مصر وفي آخر كتاب تحفة الازمان في ادب الفتيان . وطُبع معظمهُ في القسم الثاني من كتابنا «مقالات على علم الادب» . ٥ً رسالة في الايمان . منها نسخة في مكتبة دير الشرفة . ٦ً روى لهُ ابن عسَّال في كتابهِ اصول الدين (ص ٥٦–٧٢ من نسخة مكتبتنا) مقالة عنوانها «دليل عقلي في انهُ تعالى يعلَم الجزئيَّات والكليَّات والفرق بين العلمين» . ثم مقالة اخرى (ص ٧٢–٧٧) في حدث العالم والدلالة عليهِ عقلاً ونقلاً وما يتلوهُ من الكلام . ونقل ايضاً ردودهُ على علي بن عيسى الورَّاق . ٧ً الشذور الذهبيَّة في مذهب النصرانيَّة مقتطفات من اقوال يحيى بن عديّ في مكتبة فلورنسة (Bibl. Médicis. 63) . ٨ً نشرنا في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٣٦٨) مقالتهُ المعنونة في صحَّة اعتقاد النصارى في الباريء جلَّ وتعالى انهُ جوهر واحد ذو ثلث صفات . وقد نشر الكاهن اوغستان بيريه (Aug. Périer) ثماني مقالات ليحيى بن عدي مع ردودهِ على الكندي ونقلها الى الفرنسويَّة واضاف اليها درساً على فلسفتهِ (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٦٣١)

٨٣٤ ﴿يسَّى الحمصي﴾ كان في اواسط القرن التاسع عشر . في مكتبة باريس (Paris. Ms. 6255) : «رسالة قادمة من محروسة حمص وهي تأليف الخواجه يسَّى المرتدّ الى حضن الكنيسة الجامعة المتمسّك بمعرفة الايمان الكاثوليكيّ المستقيم وهي جواب رسالة أُرسلت لهُ من محروسة دمشق من يد احد الروم المشاقين

المتمسكين بكبريا. فوتيوس تابعين اقاويله المنحرفة في قواعد الايمان، ناسخها يوسف ابن المرحوم انطون عريجي في السنة ١٨٤٩

٨٣٥ ﴿يعقوب الرهاوي﴾ المعروف بالمفسّر توفّي سنة ٧٠٨م كتب بالسريانيّة. لهُ ميامر عربيّة في المكتبة الاسقفيّة اليعقوبيّة في القدس الشريف. وفيها ايضاً وفي مكتبة دير الزعفران وفي دمشق في كنيسة اليتامى بالسريانيّة والكرشونيّة كتاب علّة العلل (ܥܠܬܐ ܕܥܠܬܐ) في تسع مقالات وعدّة فصول في الاستقصّات ومنطقة البروج وحركات الافلاك والمعادن والانهار والمظاهر الجوّيّة

٨٣٦ ﴿يعقوب السروجي﴾ الملقّب بكنّارة الروح القدس المتوفّى سنة ٥٢١ (اطلب الشرق ٩[١٩٠٦]: ٨٧١—٩٨١) . كتب بالسريانيّة ميامر عديدة منها نسخة على رقّ في مكتبة دير الزعفران بالحرف السطرنجلي في سبعة مجلّدات . وقد طبعها بالحرف الكلداني المرحوم الاب بولس بيجان اللمازري في خمسة مجلّدات في ليبسيك . وكثير من هذه الميامر قد نُقل الى العربيّة. فقد طبع الاقباط سنة ١٦٢١ للشهداء (١٩٠٥م) ٥٨ ميمراً عربيّاً عن بعض مخطوطات دار بطريركيّتهم في الاسكندريّة. ولهُ ميامر أُخرى معرّبة متفرّقة في مكتبتي باريس ورومية واكسفرد ولندن وكمبردج وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة دير مار شليطا (المشرق ٦[١٩١٣]: ٤٥٠) يطول تعدادها وهي تتناول اعياد السيّد المسيح والبتول العذراء والشهداء القديسين ومواضيع ادبيّة روحيّة

٨٣٧ ﴿يعقوب المارداني﴾ من كتبة القرن الثاني عشر. ذكرهُ ابن العسّال في قائمة الكتبة التي قدّمها على كتابهِ اصول الدين ونسب اليهِ كتاب دعوة القسوس

٨٣٨ ﴿يعقوب اليهودي المتنصّر﴾ يُقال انهُ كان في ايام هرقل الملك اي في القرن السابع للمسيح . لهُ كتاب البرهان الّذي بعد تنصّرهِ ليُقنع اليهود بصحّة الدين النصراني. من هذا الكتاب عدّة نسخ خطّيّة معرّبة منها نسخة في مكتبة دير المخلّص وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة باريس ومنهُ في مكتبة القس بولس سباط (نسختان) (ROC, XVII, p. 280 et EO, 1923, p. 312) راجع ايضاً اعمال الآباء الشرقيّين (Patrologia Oriantalis, La DIDASCALIE de JACOB)

٨٣٩ ﴿يعقوب يوسفيان﴾ هو السيّد مطران حلب ثمّ البطريرك الارمني

الكاثوليكي واسمهُ بالارمنيَّة اكوب المتوفى سنة ١٧٥٣ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٥[١٩٠٦] : ٣٦١–٣٦٢) ألف : ١ً دحض اضاليل الارمن الفريفوريين في مكتبة الدار الاسقفيَّة الارمنيَّة في حلب . ٢ً ولهُ هناك كتاب في انشقاق الارمن عن الكنيسة . ٣ً كتاب « الشذور الذهبيَّة في التوبة المرضية وهو تفسير المزمور ارحمني يا الله » طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨١ عرَّبهُ عن تأليف الاب اسكندر اليسوعي . منهُ نسخ في مكاتب حلب وفي مكتبة دير الشير . ٤ً ومن تعريبهِ كتاب منخز الندامة للاب حنَّا جيزو مارياً الكرمليتاني منهُ نسخة في بيت الشمَّاس نقولا ايوب في حلب . ونسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . ٥ً وعرَّب ايضاً كتاب اهل المطهر وعجائب القربان الاطهر لاحد الآباء اليسوعيين كان نقلهُ من الايطاليَّة الى الارمنيَّة السيِّد يونان الطوقاني اسقف سبسطية . منهُ نسخ مخطوطة في مكتبة الموارنة والسريان في حلب وفي مكتبة دير بزمَّار وفي مكتبتنا الشرقيَّة

٨٤٠ ﴿ يواصف ﴾ الراهب اللبناني كان في القرن الثامن عشر عرَّب سنة ١٧٣٠ عن الايطاليَّة كتاب رياضات الاب الكبوشي اونوفريوس بيجيني من بلد بريسيا . منهُ نسخة في مكتبة باريس (تحت العدد ١٢٩)

﴿ يواكيم ﴾ اطلب اسم المطران (ع ٧٣٩)
﴿ يوحنَّا جيزو مارياً ﴾ اطلب جيزو مارياً

٨٤١ ﴿ يوحنَّا الحادق ﴾ القبطي من اهل القرن الثامن عشر . جاء في ملحق مخطوطات باريس العربيَّة (ع ١٧٠٢) انَّ هناك ليوحنَّا الحادق(؟) تاريخاً عامًّا من اوَّل العالم الى عهد الرسل . كُتب سنة ١٥٠٣ للشهداء و ١٢٠٠هـ (١٧٨٦م)

٨٤٢ ﴿ يوحنَّا حبيب ﴾ مطران الناصرة الماروني ومنشئ جمعيَّة المرسلين اللبنانيين توفي في ٤ حزيران ١٨٩٤ . هو معرِّب ومحشي كتاب اللاهوت الادبي للاب غوري اليسوعي الذي طُبع في مجلَّدين . ومن آثار قلمهِ رسائل وارشادات الى ابناء جمعيَّتهِ مصونة في ديرهم ولهُ كذلك قانون للجمعيَّة المذكورة . ويُذكر لهُ شذرات فقهيَّة شتى

٨٤٣ ﴿ يوحنا داليانا ﴾ القسطوري المكنَّى بالشيخ الصالح كان في النصف الثاني من القرن السابع . لهُ كتابات روحيَّة بالكلدانيَّة في مكتبة برلين . ولهُ في العربيَّة في مكتبة الفاتيكان (Bibl. Or., I, 674, n° 9) مواعظ (في عدد ٢٨)

ورسائل (في عدد ١٤٨) وثلث مقالات دينيَّة

٨٤٤ ﴿يوحنا الدمشقي﴾ القديس وملفان الكنيسة المسمَّى ينبوع الذهب المتوفَّى سنة ٧٦٠ . نشر تآليفهُ اليونانيَّة العلامة لوكيان (اطلب مجموعة الآباء اليونان Migne P.G. 94-96) وقد عُرِّب كثير منها: ١ً كتابهُ في الفلسفة والمنطق في ٥٣ باباً منهُ ثلث نسخ خطيَّة في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة باريس (Ms 165[4]) . ٢ً كتابهُ في الامانة المقدَّسة في مئة مقالة كتبهُ الى قزما. منهُ نسخة في المكتبة الفاتيكانيَّة في رومية ثمَّ في باريس نسختان (Mss. 164 et 165[4]) . وفي مكتبة الموارنة في حلب (تاريخها سنة ١٦٦٥) وفي مكتبة الثلثة الاقمار (نسختان) وفي مكتبتنا الشرقيَّة (ثلث نسخ الواحدة مصدَّرة بترجمة المؤلف التي نشرها بالطبع الخوري قسطنطين الباشا) . ٣ً ردّ القديس على النساطرة واليعاقبة منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة ونسخة في مكتبة المنسنيور جرجس منش في حلب. ٤ً لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة (Mai, 323, ع١٧٥) تفنيد لآراء المسلمين اطلب ايضاً (Steinschneider, *Polemische Literatur*, p. 222 et 401) . ٥ً مقالة في اكرام الصور. منها نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ٦ً–٨ً وفيها ايضاً مقالات للدمشقي في الثالوث المقدَّس وفي اقنوم الاله الكلمة الواحد وفي طبيعتَي المسيح وفي الاشياء التي تقتنى . ويمتاص التكلم فيها . ٩ً كتاب برلام ويواصف وهي رواية مصنوعة نُسبت زوراً الى القديس يوحنا الدمشقي. منها نسخ عديدة في مكتبة باريس (Paris, Mss 268-274) ونسخة في مكتبتنا مع تصاوير وفي مكتبة القبر المقدَّس في القدس (ع ١٢٠) . ١٠ً ولهُ في مكتبة باريس (Ms 151[4]) ميمر في عيد بشارة العذراء . ١١ً ومقالة في البتوليَّة

٨٤٥ . ﴿يوحنا دي سوزا﴾ كان مسلماً فتنصَّر في دمشق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وسافر الى لشبونة في البورتغال ثمَّ ترهَّب في الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة. ألَّف معجماً للالفاظ البورتغاليَّة المشتقَّة من العربيَّة فنشرهُ سنة ١٧٨٩ وكذلك عُني بترجمة وثائق عربيَّة ورسائل كُتبت في مراكش وفي جهات المشرق وأُرسلت الى ملوك البورتغال فنشر نصوصها وترجمتها سنة ١٧٩٠

٨٤٦ ﴿يوحنَّا الرحوم﴾ القديس بطريرك الاسكندريَّة المتوفَّى سنة ٦٢٠ . دخل حديثاً في مكتبتنا مجموع للبطريرك مكاريوس بن زعيم يحتوي مسائل كتابيَّة

وطقسيّة وادبيّة عرضها احد القسوس على البطريرك يوحنا الرحوم فاجابهُ عنها. وهذه المسائل تشغل ١١٠ صفحات

٨٤٧ ﴿يوحنّا رعد العاصي﴾ هو الخوري الماروني النزيري المتوفّى سنة ١٩٠٠ (اطلب كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ٢ : ١٠٣—١٠٥) لهُ في بيت اهلهِ ديوان شعر مخطوط روينا منهُ بعض مقاطيعهِ

٨٤٨ ﴿يوحنا السلّمي﴾ او كليماكوس القديس رئيس دير طور سينا المتوفّى نحو السنة ٦٤٩ . لهُ تأليف شهير تلقّب بهِ وهو كتاب سُلّم الفضائل ويعرف ايضاً ايضاً بكتاب الدَّرَج (اطلب مجلّة اصداء الشرق Echos d'Orient. 1923, p. 440 seqq) منهُ عدّة نسخ في المكاتب خمسٌ منها في مكتبتنا الشرقيّة وثلث في مكتبة باريس (Mss, 157°, 161 et 162) وثلث في المكتبة الفاتيكانيّة (ع٣٩٩، ٦٧٢، ٦٧٣). وهذه الاخيرة هي مختصر السلّم «ليوشافاط البسكنتاوي» في القرن الثامن عشر وقد اختصرهُ ايضاً السيد جرمانوس فرحات. في مكتبتنا الشرقيّة

٨٤٩ ﴿يوحنا الصليبيّ﴾ القديس مصلح رهبنة الكرمليين المتوفّى سنة ١٥٩١ : ١ عرّب السيد ابراهيم كوبلي الارمني كتابهُ الصعود الى جبل الكرمل. في مكتبة الدار الاسقفيّة الارمنيّة في حلب (المشرق ٩ : ٤٦٠). ٢ وفي مكتبتنا الشرقيّة كتاب تجرُّد النفس عن الخلائق للارتقاء لكمال حبّ الخالق وكمال اتّحادها بهِ. تأليف الجليل بين القديسين والفريد بين المعلمين الروحيين يوحنا الصليبيّ» لم يذكر معرّبه

٨٥٠ ﴿يوحنّا عبد الاحد﴾ من لاوليانو (Giov. - Domenico da Levigliano) رئيس عام على الاراضي المقدّسة المتوفّى سنة ١٧٨٧ . لهُ تعريب كتاب «نخبة التأملات الرمزيّة بشرح الطلبة المريمية» منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب وفي بيت الشمّاس نقولا ايوب فيها

٨٥١ ﴿يوحنّا فم الذهب﴾ القديس بطريرك القسطنطينيّة وإمام الخطباء الكنسيّين توفّي سنة ٤٠٧م. قد عُرّب كثير من تآليفهِ لاسيما بهمّة عبدالله بن الفضل الانطاكي نذكر هنا اخصّها : ١ شرحهُ لسفر التكوين وستّة ايّام الخليقة . منهُ نسخٌ اقدمُها نسخة مكتبة القبر المقدّس المؤرخة في سنة ٦٧٣٥ للعالم (١٢٢٧) ثمّ نسخة في مكتبة باريس ومكتبة دير البلمند ودير المخلّص ومكتبتنا الشرقيّة وفي

بيت الكركجي في حلب . ٢ً تفسيرهُ لانجيل القديس متى منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة ثم نسخ أُخرى عديدة في رومية وباريس ولندن والقدس وحلب . ٣ً شرح انجيل القديس يوحنَّا . منهُ نسخٌ في دير مار يعقوب في القدس وفي دير البلمند . طُبع في شوير منهُ قسم ثمَّ طُبع في دمشق وبيروت كاملًا . ٤ً شرح رسالة القديس بولس الى العبرانيين . اقدم نسخهِ في مكتبة باريس تاريخها سنة ٦٧٣٤ للعالم (١٢٢٦م) منهُ نسخ في حلب في مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة وفي بيروت في مكتبتنا الشرقيَّة ومكتبة الثلثة الاقمار . ٥ً شرح رسائل اخرى للقديس بولس في المكتبة الفاتيكانيَّة ومكتبة القبر المقدَّس (ع ١٧٩) . ٦ً كتاب الكهنوت الذي طبعهُ عن ثلث نسخ حضرة الخوري قسطنطين الباشا في بيروت سنة ١٩٠٤ . منهُ نسخٌ في حلب في مكتبتي الموارنة (تاريخها سنة ١٦٧٥م) والروم الكاثوليك . ٧ً مواعظ القديس يوحنا فم الذهب في عدد ٨٧ عظة . منها ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة ترتقي اقدمها الى القرن الرابع عشر . ثم نسخ اخرى في مكتبة اليعاقبة في القدس وفي مكتبة دير الزعفران وفي دير اللويزة . طُبعت في مطبعة الاقباط في مصر سنة ١٨٦٦ ثمَّ في مطبعتنا بعد تصحيح عربيَّتها بقلم الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٧٤ ٨ً كتاب الدرّ المنتخب ليوحنَّا فم الذهب يحتوي على ٣٤ مقالة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الكلدان في دياربكر . طُبع في الشهباء سنة ١٧٠٦ ثمَّ جُدِّد طبعهُ في بيروت في مطبعة الروم سنة ١٨٧٢ . ٩ً نحن ايوب الصدّيق تعريب الابوين اليسوعيَّين انطون فنتورا وبطرس فروماج . منهُ نسخ خطيَّة في رومية في مكتبتي البروبغندا والفاتيكان (ع ٦٦٩) وفي دير الشرفة وفي مكتبة الموارنة في حلب . ١٠ً ليتورجيَّة القديس يوحنَّا فم الذهب . منها نسخ عديدة في كنائس الروم كحمص وحماة ودمشق والبلمند وفي مكاتب الاديرة كدير المخلّص والشوير وفي الدار البطريركيَّة للروم الكاثوليك في دمشق ودار اسقفيَّتهم في حلب . وفي مكتبتنا الشرقيَّة عدَّة نسخ منها نسخة بالعربيَّة واليونانيَّة ونسخة اخرى بالعربيَّة والسريانيَّة تاريخها سنة ٧١٦٣ للعالم (١٦٥٥م) . ١١ً عدد لا يُحصى من المياسر المتفرّقة في الكتب الدينيَّة والمجاميع الروحيَّة في المكاتب الشرقيَّة العموميَّة والخاصَّة ومسائل شتى ومقالات مختلفة لم نجد البعض منها اصلها اليوناني كمقالة الحوادث الزائفة من

الشريعة ومقالة في لاهوت السيد المسيح وكلتاهما بين مخطوطات مكتبتنا (اطلب المشرق ١٢[١٩٠٩]: ٢٥٠–٢٥٣)وقد ذكرنا هناك ترجمة حياته لجيورجيوس بطريرك القسطنطينيَّة في القرن الثاني عشر لدينا منها ثلث نسخ الواحدة قديمة ومتقنة جدًّا

٨٥٢ ﴿يوحنا قسطنطين﴾ هو الخوري الكاثوليكيّ الملكيّ الحلبيّ . ألَّف في القرن السابع عشر كتاباً في اثبات انبثاق الروح القدس من الآب والابن سعى بتنفيذه كير ناوفيطوس روديوس الرودسليّ (اطلب العدد ٧٨٦)

٨٥٣ ﴿يوحنا الكرمليتاني﴾ الراهب الحافي من اولاد ليون بفرنسا . كذا ورد اسمهُ في تآليفه ولا نعلم أهو يوحنا الكرملي الملقَّب بالقديسة ترازية الذي كان مقيماً في دير مار اليشاع وتوفّي في رومية سنة ١٦٥٧ . (اطلب تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة للخوري ميخائيل غبريل ٢: ٤٩٣) . او هو يوحنا بطرس المضاف اسمهُ الى امّ الله صاحب المناقشات الدينيَّة في القرن السابع عشر . ومنَّا الَّفه يوحنَّا المذكور : ١ً كتاب المصباح اللامع في تاريخ الجامع . منهُ ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة اقدمها كُتبت سنة ١٧٥٣ . ومنهُ نسخ اخرى في حلب في مكتبتي الموارنة والروم وفي دير المخلّص وفي مكتبة عشقوت(تاريخها سنة ١٦٨٧)وعند القس بولس سباط (ROC, XVIII, p. 240) . ٢ً كتاب النجاح ومصباح الفلاح في المعتقدات والاسرار الكاثوليكيَّة في ٧١ فصلًا على طريق السؤال والجواب . منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيَّة . اقدمُها كُتبت سنة ١٧٥٠ بالكرشوني . ومنهُ نسخة في مكتبة الموارنة في حلب

٨٥٤ ﴿يوحنا نعمة الله﴾ هو اسقف البرلس القبطيّ كان في القرن الثالث عشر لهُ في المكتبة الفاتيكانيَّة(Vatic., Ms, 90)مقالة في قيامة المسيح وقيامة الاجساد كُتبت سنة ١٢١٨ . ولهُ في مكتبة لندن(Br. Mus., Ms 1647) ترجمة القديسة الشهيدة دميانة

٨٥٥ ﴿يوحنا النفس الزكيَّة﴾ (Jean.-Baptiste de St Aignan) رئيس الرهبنة الكبوشيَّة في حلب في القسم الثاني من القرن السابع عشر . لهُ : ١ً في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٨٧) تعريب مواعظ في آلام المسيح واخبار القديسين كتبهُ جبرائيل بن ميخائيل صادر سنة ١٧٣٥ . ٢ً ولهُ ايضاً كتاب الكون والحرب الروحاني في ٦٥ فصلًا عرَّبهُ في السنة ١٦٧٠ . ٣ً وقد عرَّب كذلك سنة ١٦٧٥ كتاب

علم الادب المسيحي (المرشد المسيحي) للاب اليسوعي فيلبوس دوترمان. منهُ نسخة في مكتبة الشمّاس شكري أيوب في حلب

٨٥٦ ﴿يوحنا بن جرير﴾ هو القسّ السرياني الشامي الذي كان في اواسط القرن السابع عشر وعرَّب عن السريانيَّة كتاب الابثيقون لابي الفرج غريغوريوس ابن العبري (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٦٤٩)

٨٥٧ ﴿يوحنا بن سرابيون﴾ عاش في القرن الثاني عشر. ذكر لهُ ابن النديم في الفهرست (ص٢٩٦) كتاشين في الطبّ كبيرًا فصغيرًا نُقل الكبير الى اللاتينيَّة. وقد نشر جناب الدكتور غيغ احد اساتذة المكتب الفرنسوي الطبيّ المفردات العربيَّة الطبية الواردة في كتابهِ فنشرها وشرحها ووضع فهارسها في العربيَّة والفرنسويَّة

Dr P. Guigues: *Les noms arabes dans Sérapion. Paris, 1905*

٨٥٨ ﴿يوحنا بن ساويرس﴾ لهُ في مكتبة الفاتيكان (Var. 117[7] 136[4]) كتاب ديني في بيان صحَّة الديانة المسيحيَّة يدعى كتاب العلم والعمل وهو يشتمل على عشرة ابواب ذكرهُ ابو البركات بن كبر في فهرسهِ (Tiedel, p 661) . وقد ذكر ابن عسّال في مقدَّمة كتابهِ مجموع اصول الدين بين كتبة الاقباط «الشيخ الاجل الرئيس الحكيم الفاضل مصطفى الملك ابو يوسف يعقوب بن جرجس بن سويرس الكاتب» ولم يذكر لهُ تأليفاً ولعلَّهُ ابن اخي يوحنا المذكور (Cat. Br. Mus, p. 758[b])

٨٥٩ ﴿يوحنا بن عيسى﴾ بطريرك النساطرة المعروف بابن الاعرج المتوفَّى سنة ٩٠٥ م لهُ قوانين في مجموعة القوانين البيعيَّة (اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (BO. III[1], 248-252) . ولهُ ايضاً اجوبة على ٢٧ مشكلاً دينيًّا (BO. II, 507 et III[1], 232)

٨٦٠ ﴿يوحنا بن يوسف بن الحرث﴾ القسّ الرومي شارح اوقليدس. كان في القرن العاشر للمسيح ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٢) لهُ في مكتبة باريس (Ms 2457[10]) في احد مجاميعها مسائل رياضيَّة في انقسام خطّ مستقيم ذي نهاية بنصفين وفي المقادير المنطقة والصمَّة

(لها بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

L'abbé Th. Moreux : Les Confins de la science et de la foi. 1 *vol. in*-16, *pp.* 300, *G. Doin, Paris. Prix* 7 *f*

حدود العلم والايمان

يعيّر الزنادقة احياناً المؤمنين جهلهم لترقي العلوم فيزعمون انهم لا يستطيعون لهذا السبب ان يحكموا بالصواب عن حدود العلم الذي ينفي في وقتنا معتقدات الايمان . فهاءنذا باحد كبار العلماء الكاهن موريو مدير مرصد مدينة بورج ومؤلف التآليف العلمية المتعددة قد حاول درس كلّ اكتشافات العلوم العصرية من كيميا وطبيعيات وفلكيات وجيل واصل الهيولي والكهرباء فبيّن ما لكلّ منها من المعلومات المقرّرة مع بيان حدودها التي لا تنافي البتّة حقائق الايمان بل تؤيدها وتصون حماها . فعلى كلّ طالبي الموافقة بين الدين والعلم ان يراجعوا هذا الكتاب ويرتشدوا بانواره

ل . ش

Henri Bordeaux, de l'Académie française. La Glorieuse Misère des Prêtres. (Lettre-préface de S. E. le. Cal Luçon). 1 *vol. in*-8°, *pp. XV*-230, 1923, *Paris, Bloud et Gay.*

شقاء الكهنة المجيد

وما ادراك ما هذا الشقاء ؟ هو حالة الضنك والعوز التي اصبح فيها الاكليروس الفرنسوي منذ الشريعة الجائرة التي قضت بفصل الكنيسة عن الدولة وقُطعت رواتب الكهنة فاصابهم من جرّاء ذلك شقاء عظيم يحتملونهُ بصبر جميل . فاراد الكاتب البارع هنري بوردو من الاكادمية الفرنسوية ان يستنهض همم المحسنين بهذا الكتاب الذي وصف فيهِ ما للاكليروس الفرنسوي من التفاني في خدمة الوطن فضلاً عن كلّ خدمهِ الروحيّة لكافة الفرنسويين فجاء سفرًا جليل أملنا وطيد بانّ صوتهُ يلاقي صدًى في قلوب مواطنيهِ اذا وقفوا على بؤس كهنتهم الذين عُرفوا في كلّ آن بشظف العيش والحنان على البؤسين والفقراء . وقد قدّم الكردينال لوسون على هذا الكتاب مقدّمة صوّر فيها حالة الاكليروس وصفاً مؤثرًا

الاب ديلنسيفر

POLITIQUE ROMAINE ET SENTIMENTS FRANÇAIS par Charles Loiseau. 1 *vol.* in-16, *Paris. B. Grasset, Prix* 6 *f*° 75

السياسة الرومانيَّة والشاعرة الفرنسوية

المسيو شرل لوازو كان في ايام الحرب ممثلًا لدولة فرنسة لدى الكرسي الرسولي فراقب سياسة الفاتيكان في تلك المدَّة وتتبَّعها ايضاً في زمن بيوس الحادي عشر الحالي خلف بندكتوس الخامس عشر وها هو يدوِّن في هذا الكتاب ملحوظاته في هذا الصدد. وما يُقال اجمالًا إنهُ يزكي إمام الاحبار ممَّا نُسب اليهِ من التحيُّز الى دولة دون اخرى ويبيِّن حرَج موقفهِ في تلك الأيام العصيبة وانَّ قصوى غايتهِ كانت تأليف القلوب وملاشاة الحزازات التي تُبعد الدول عن السلم والاتفاق وقد خصَّ الكاتب فصلًا حسناً من فصولهِ في بيان ما يجري حالًا من التقرُّب بين حزب الفاشست والكرسي الرسولي ونتائجهِ في عرف الدول ل. ش

Gaudefroy-Demombynes: I—LA SYRIE A L'ÉPOQUE DES MAMLOUKS d'après les auteurs arabes. 1 *vol.* 8°, 1923. *Prix* 50 *fs* II—LE PÈLERINAGE A LA MEKKE. étude d'histoire religieuse, 1 *vol.* 8°, 1 *Planche, Prix* 40 *f*°, *Paris, librairie orientaliste, P. Geuthner*

سورية في عهد المماليك

الكتابان كلاهما لأحد علماء المستشرقين الفرنسويين غودفروا دي مُومبين مدرِّس اللغات الشرقيَّة في باريس يصف (في الاوَّل) احوال سوريَّة السياسيَّة والاداريَّة والعسكريَّة في عهد دولة مماليك مصر. وقد استند المؤلف في وصفها خصوصاً الى كتاب صبح الاعشى للقلقشندي الذي طُبع حديثاً في القاهرة. فقدَّم على تأليفهِ مقدِّمة واسعة (في ١١٩ صفحة) شرح فيها تأليف دوائر الادارات المصريَّة في ذلك العهد ونظام رتبها الشتَّى واخذ كثيراً من معلوماتهِ ايضاً عن كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار لشهاب الدين بن فضل الله العمري الدمشقي واضاف الى عملهِ شروحاً وتذييلات مفيدة. فنشكر المفوضية العليا على سوريَّة لمساعدتها في نشر هذا الكتاب، كما نثني على المؤلف لحسن ترجمتهِ لنصوص القلقشندي اجمالًا ولتعريف ما ذكرهُ من الاماكن المختلفة وانَّما نأخذ على المؤلف انهُ ضبط الالفاظ العربيَّة سيئاً لاتخاذهِ بلفظ المغاربة فيكتب مثلًا 'in dīr بدلًا من 'ain, daīr . ويجب اصلاح Tibbin

(ص ٢٣٥) والصواب Tibnīn

والكتاب (الثاني) يحتوي تاريخ الحج الى مكة منذ قديم الزمان نقلاً عن مصادر اسلاميّة فيبحث اوّلاً عن الحرَم والكعبة وما حولهما . ثم ثانياً عن مناسك الحج في اطوارهِ المختلفة قبلهُ وفي مدّتهِ وبعدهُ مع بيان اسانيـدهِ في كلّ ما يرويه . وقد أساء كما في الكتاب السابق ضبطَ الالفاظ فكتب توبة (tuba) وعَقيل ('Oqail) وحَوض (Hudh) . ثمَّ انَّ العشرة المذكورين في الصفحة ١٣٩ ليسوا كما ظنّ اوّل صحابة محمد بل العشرة «الموعود لهم بالجنّة» . كذلك (ص ١٧٢) ظن ان الثياب الصحاريّة هي ثياب اهل الصحراء والبادية . والصواب انَّ المراد بها الثيـاب المصنوعة في مدينة صُحار في اليمن الاب هنري لامنس

VADEMECUM THEOLOGIE MORALIS in usum examinandorum et confessariorum, auctore Dominico M. Prümmer O. P., ed. 2ª *et* 3ª, *Friburgi Brisgorum, Herder, Prix* 7 *f*ᵉ *Suisses*

رفيق دارسي اللاهوت الادبيّ والمرشدين

سبق لنا في العدد السابق وصف كتاب اللاهوت الادبي المطوّل لحضرة الاب الدومنيكي برومر . وهذا مختصر تلك الاجزاء الثلثة ضمّنهُ مؤلفهُ لُبابَ ما تحتويهِ في ٥٨٦ صفحة وقد عرف المؤلف ما في هذه المختصرات من النفع للدارسين والمعرّفين كما فعل الابران اليسوعيّان اريغوي (Arregui) وفرّارس (Ferrerès) في اسبانية . فجرى الاب برومر على مثالهما فأحسن وقد امتاز هذا المختصر بجودة طبعهِ وتنظيم ابوابهِ ومتانة مبادئهِ وخلاصة شروحهِ ووضوحها . على انهُ لا يُغني عن درس المطوّلات وانّما يسهّل على الدارسين ومرشدي النفوس مراجعتها عند الحاجة الاب ي . مونجان

Louis XIV: Mémoires pour les années 1661 et 1666, Introduction de JEAN LONGNON. avec un portrait gravé sur bois par André. 1 *vol, in*-16, *Paris, Editions Bossard*, 1923, *Prix* 12 *f*ᵉ

مذكّرات لويس الرابع عشر للسنتين ١٦٦١ و ١٦٦٦

ان تغلّب روح الجمهوريّة في فرنسة كان حجب نوعاً مفاخر الملكيّة الّا انَّ الحق اخذ يعلو ويسطع ببهائهِ . فالمسيو برتران صنّف كتاباً لتمجيد وزير لويس الرابع

«كرلبار». وها هوذا المسيو لونيون قد سعى بتمجيد الملك سيّده بهذا الكتاب الذي يحتوي مذكّرات لويس الرابع عشر السنتين ١٦٦١ و١٦٦٦ ومنهُ يتّضح ما طُبع عليهِ ذلك العاهل العظيم من حب وطنهِ في مجمل اعمالهِ فيثبت ما صنّفهُ سابقاً المسيو بوامي «كتاب خواطر ملوك فرنسة» الذي يثبت لكل ذي عيان تجرُّد اولئك الملوك عن المنافع الشخصيّة وتفانيهم في خدمة وطنهم. ومتى ياوح ايضاً فضل سلالةٍ ملكيّة مسؤولة على جمهوريّة يتنصّل كلّ فردٍ من اصحابها عن المسؤوليّة في اعمالهم ج. ل

Rev. A. H. Sayce, REMINISCENCES, in-8°, 1923, London, Macmillan and C°, Prix 18 sh.

مذكّرات مستشرق

هو المستشرق الانكليزي الشهير «ساس» الذي عند بلوغهِ الثمانين من عمرهِ وبعد اطوار حياتهِ المتعدّدة واجتماعهِ بعلماء العالَمين يروي لاهل عصرهِ اخبارهُ المختلفة منها اشتراكهُ بحفريّات تلّ العمارنة والحفريّات الحثّية ويصف اسفارهُ في انحاء الشرق كالشام والاناضول ومصر حيث «استحلى الوجود». وقد عرف في القدس المؤرّخ شابيرا (ص ١٩٠) وقابل القدس الذي «كان يترنّم على مائدتهِ كرسيّاً فارغاً يمثّلهُ المسيح عند قدومهِ الثاني» (١٩٣) ولا يأنف من بداء فكرهِ بجرأة عن احتلال الانكليز لمصر ولحكم اللورد كرومر مع اقرارهِ بصفاتهِ السياسيّة (ص ٢٨٤). وكما انتقد على غيرهِ اراد ايضاً ان يحكم على نفسهِ وعلى تآليفهِ السابقة التي يستحسن بعضها ويستقبح بعضها الآخر وكذلك يذكر مدافعتهُ عن ارلندة واهلها خلافاً لمواطنيهِ. وفي كتابتهِ تفكّه وانبساط يُسرّ بهما القارئ ه. ل

Earle(E. Mead): Turkey, the Great Powers, and the Bagdad Railway. *London, Macmillan*, 1923, *Prix* 10/6

تركيّة والدول الكبرى وسكّة بغداد

انّنا نثني الثناء الطيّب على هذا الكتاب ومحتوياته فانّهُ لجدير بذلك لِما اودعهُ مؤلفهُ من المعلومات الواسعة وعن حكمهِ الصائب في ما نشرهُ من الآثار فضلاً عن حسن انشائهِ ووضوحهِ. فانّهُ يتتبّع كل تاريخ سكّة بغداد الحديديّة التي كانت في اوّل الامر مسألةً اقتصاديّة لمنفعة تركيّة وترويج التجارة الدوليّة ثمّ تطوّرت اطواراً

مختلفة فاصبحت مسألةً سياسيَّة تحزَّبت لهـا الدول وكانت من اسباب الحرب الكونيَّة . وقد عاد الخلاف بينها بعد الحرب بل زاد تأثرًا لاسيما بعد اكتشاف البترول في جوار ممرّ تلك السكَّة ودخول اميركة في الوسط بمعاضدة الامتياز الذي نالهُ الاميرال تشستر من تركيَّة . فالمؤلف يحذّر وطنهُ من مشاكل المسألـة فتسير بفطنة لئلَّا تحيي المسألة الشرقيَّة وتوقد حربًا عالميًّا جديدة ه . ل

GÉNÉRAL N. GOLOVIN AND ADMIRAL BUHNOV. The problem of the Pacific in the 20th Century, translated by Constantine Nahokoff. 1 *vol*, 8°, 8 *Cartes*. *Prix* 10 / 6, *London*, *Gyldendal*, 1922

قضية البحر المحيط الهادي في القرن العشرين

لِجلدِنْدال في لندن وكرستيانية وكوبنهاغ محلّ اخذ على نفسهِ نقل الكتب المسكوبيَّة والصقليَّة والفنيَّة الى اللغـة الانكليزيَّة . فمن جملة ما نقلهُ احد عمَّالهم قسطنطين ناهوكوف من الروسيَّة كتاب الجنرال نيقولا كولوفين احد مشاهير الحرب الكونيَّة الاخيرة ألَّفهُ مع الاميرال بوبنوف عن مسألة البحر المحيط الهادي التي شغلت مؤتمر واشنغتون في العام السابق وصار اتفاق بين الدول على حصر التسليحات البريَّة والبحريَّة . فمؤلفا هذا الكتاب يدقّقان البحث في احوال الدول التي تقارب المحيط الهـادي ولاسيَّما الولايات المتَّحدة واليـابان فيبيّن انَّ مشاكل كثيرة بقيت في المؤتمر المذكور بلا حلّ وعلى الخصوص مشكل نموّ اليابانيين ومهاجرتهم

Bloch (G.) : L'EMPIRE ROMAIN. Evolution et Décadence. *Paris*, *E Flammarion*. 1923, *Prix*, 7 f°, 50

المملكة الرومانيَّة تطوّراتها وسقوطها

المسيو بلوش ألحق هذا الكتاب بجزء سابق وصف فيهِ الجمهوريَّة الرومانيَّة . والقسم الجديد خصَّهُ بذكر الدولة الرومانيَّة في عهد اوغسطس قيصر ثم بامورهـا في عهد الامبراطرة الى سقوطها . وقد اتى المؤلف لاثبات كلامهِ بمعلومات عديدة وقـد امتدّ خصوصًا في ذكر نفوذ ندوى الشيوخ في اعمال السياسة . ومما نأخذهُ على المؤلف انهُ ذكر النصرانيَّة بين الاسباب التي عألت سقوط الـدولة الرومانيَّة وهي شكاية باطلة استعارها من الكتبة الوثنيين وقد ردّ عليها القديس اوغسطينوس فزيَّفها ونفى اصولها ج . ل

Gouin (François) : L'art d'enseigner et d'étudier les langues, 5e *éd.*, 1 *vol.*, *in*-16, *Paris Fischbacher*, 9 f.

صناعة درس اللغات وتعليمها

هذا كتاب قديم تجدَّد طبعهُ مرارًا لفائدته . فانَّ المؤلف بعد ان اختبر بنفسه ما لقيهُ من الصعوبات في درس اللغة الالمانيَّة بموجب الطرائق التعليميَّة الشائعة كطريقة روبرتسون واولندورف تحقَّق ان الطريقة المثلى هي ملاحظة الاطفال في تعلّم لغة والدتهم وذلك في ثلثة امور جوهريَّة : اوَّلًا تصوير الالفاظ الوضعيَّة وحفظها . وثانيًا إعمال الفكر وتعليق قوى النفس في معانيها . وثالثًا ابراز تلك المعاني بصورة مجازيَّة او رمزيَّة . ويتبع ذلك بدرس اصول اللغة المطلوبة اعني افعالها وتراكيبها . وهو يضرب لطريقته امثالًا في درس اللاتينيَّة واليونانيَّة واللغات الشائعة اليوم . وقد استحسنت وزارة الحرب في فرنسة طريقتهُ وباشرت الجري بموجبها في تعليم اللغة الفرنسيَّة لجيوشها في الجزائر والمستعمرات

A. Dassy : Les maladies des petits animaux domestiques et leur traitement, 1 *vol. in*-16, *Éditions Maurice Mendel, Paris, Prix* 4 f. 50

علل الحيوانات الاهليَّة وعلاجها

في اكثر بيوت الاهلين حيوانات اهليَّة داجنة كالهرّ والكلب والارانب والدجاج والحمام والنحل ودود القزّ ولهذه الحيوانات علل شتى لايدري صاحبها كيف يعالجها . فالكتاب الذي نحن بصدده يفيد عن الادوية الشافية لها ج . ل

ANNUAIRE DE LA SCIENCE ET LA VIE pour 1914, Paris Editions scientifiques de la Science et la Vie, pp. 274, rue d'Enghien, 13 Prix 8 f.

تقويم سنوي لشؤون العلم والحياة سنة ١٩٢٤

ينقسم هذا التقويم الى خمسة اقسام . ففي القسم الاوَّل نظر عن ترقي العلوم المختلفة في العام الماضي . وفي الثاني قائمة المعاهد العلميَّة وجمعيات العلماء . وفي الثالث معلومات وفوائد شتى . وفي الرابع الكميَّات الطبيعيَّة الثابتة والاقيسة الدوليَّة الفرنسويَّة والانكليزيَّة . وفي الاخير لائحة المطبوعات الجديدة . فترى من تعداد هذه الاقسام ما يحتويهِ هذا الكتاب من الفوائد التي لا يحصل عليها الَّا بمراجعة كتب عديدة ج . ل

Mèlanges de l'Université St Joseph. 1° P. Paul Peeters S. J.: La Prise de Jérusalem par les Perses, pp. 42 = 2° P. M. Bouyges: Notes sur les Philosophes arabes connus des Latins au Moyen-Age, pp. 43-94, *Beyrouth. Imp. Cath.* 1924

دخول الفرس الى القدس - معلومات عن فلاسفة العرب

اثران جليلان من الآثار الشرقيّة . الاوّل هو خبر قديم عن فتح الفرس لبيت المقدس سنة ٦١٤ بالعربيّة اعاد فيه النظر حضرة الاب بولس بيترس من جماعة البولنديين وعرضهُ على نسخة الفاتيكان وعلى نسخة اخرى في اللغة الكرجيّة وشحنهُ بملحوظات واصلاحات واسعة . والثاني صلة لما وصفهُ سابقاً حضرة الاب بويج عمّا يُعرف بالعربيّة من مخطوطات ابن رشد . ألحقهُ بمقالتين مُحكَمتين عن كتاب احصاء العلوم للفارابي وعن كتاب النبات لارسطو مع شروح متعدّدة وفهارس واسعة ل . ش

ܟܬܒܐ ܕܡܫܡܥܬܐ ܕܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ

كتاب مبادي اللغة السريانيّة

طُبع في حلب في المطبعة المارونيّة

كان هذا الكُتَيّب قد طُبع سابقاً فجُدّد طبعهُ مع تحسينات وزيادات شتى في مزامير وتسابيح وصلوات كنسيّة . فنحضّ ارباب المدارس والكهنة في انحاء الجبل ان يجعلوهُ في ايدي صغار اللبنانيّين لئلّا يفوتهم تعليم لغتهم الطقسيّة

التعليم المسيحيّ الصغير بالعربيّة والافرنسية

نشرهُ الخوري بطرس فرج كاتب اسرار مطرانيّة دمشق

طُبع في بيروت بمطبعة قوزما سنة ١٩٢٣ (ص 80 + ٨٠)

ذكرنا سابقاً طبعة هذا الكتاب العربيّة وبيّنّا فضلها صورةً ومعنًى وقد احبّ حضرة شارح هذا التعليم وناشره ان يزيدهُ رواجاً فنقلهُ الى الفرنسويّة واضاف اليه ملحقاً في الاعتراف والتناول والصلوات فتضاعفت بذلك فائدتهُ . وقد وقعت في النصّ الفرنساوي بعض اغلاط طبعيّة يسهل اصلاحها نحو (ص 17) à des Apôtres

والصواب à ses Apôtres . (ص43) captême والصواب baptême . (ص٥٢) Consécrition والصواب Consécration . ومما يحتاج الى بعض ايضاح السؤالان ١١٩ و ١٥٧ دفعاً لالتباس . ثمَّ لا يحسن امتزاج الوصيَّة الالهيَّة الثالثة بوصيَّة الكنيسة الاولى (١٤٩)

البطريرك جبرائيل حجولا الشهيد

رواية تمثيليَّة للخوري يوحنا طنوس

طُبعت في مطبعة الاجتهاد ليوسف ثابت سنة ١٩٢٣ (ص٦٦)

ليس بين الروايات التمثيليَّة ما يحرّك القلوب ويُجري الدموع ويبعث كامن الهمم كأخبار الشهداء ولاسيَّما الوطنيين الذين عاشوا في ظهرانينا وشاطروا حياتنا واحرى بهم ذكرًا رؤساء الطوائف واحبارها الاجلَّاء كالبطريرك الماروني السعيد الذكر جبرائيل حجولا الذي استشهد مع رفقته في طرابلس نحو السنة ١٣٦٧ في عهد ملك مصر الاشرف شعبان (لا سحبان كما قال المصحح) . فاحسنَ حضرة الخوري يوحنَّا طنوس باتخاذ هذا الواقع الجليل ليخرجهُ بقلمهِ السيَّال على صورة رواية تمثيليَّة اهتزَّت لها نفوس حضورها طرباً واستفزَّتهم حماساً بما ضمَّنها من الشواعر الوطنيَّة والعواطف الدينيَّة . فنتمنَّى لطبعة هذه الروايات اوسع رواج ل . ش

١ً جغرافيَّة لبنان الكبير وحكومات سوريًا وفلسطين . ٢ً الخلاصة الجغرافيَّة في القارات الخمس والحكومات الشرقيَّة

تأليف يوسف صفير صاحب مكتبة المدارس

طُبعا في بيروت في مطبعة قوزما سنة ١٩٢٤ (ص ٢٢٠ و٧٣)

كتابان مدرسيَّان وضعهما صاحبهما الاديب لافادة الاحداث . والاوَّل اوسع باباً واتمّ اهبة ضمَّنهُ معلومات عديدة عموميَّة وخصوصيَّة عن لبنان وسوريَّة وفلسطين فجاء احسن كتاب مدرسي لتعريف هذه الاقسام الثلثة طبيعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا . وممَّا لحظنا من الاغلاط ذكرهُ للناطورة في سوريَّة ولا اثر لهم اليوم فيها . وكان ارتقاء

نسطور الى البطريركيَّة القسطنطينيَّة سنة ٤٢٨ لا ٤٣١ وانَّما حُرم في المجمع الافسسي سنة ٤٣١ . ثم ان اللغة الارامية هي غير البابليَّة والاشوريَّة—أمَّا الكتاب الثاني وهو الخلاصة الجغرافيَّة فهو دون الاوَّل بكثير وتشوّهه عدَّة اغلاط نذكر بعضها: ليست مدَّة دوران القمر (ص٦) حول الارض ٢٨ يوماً بل ٢٩ بنيّف. مساحة الارض ليست اربعين الفاً من الكيلومترات (ص٦) كما زعم بل نحو ٥١٠ مليون كيلومتر مربَّع. للارض (ص٧) اكثر من حركتين. فروع اللغات (ص١٦) اكثر ممَّا روى. ليس القبطي من اللغات الساميَّة بل من الحاميَّة. وليس السامي والارامي مترادفين. جعل سكان آسية (ص١٩) ٨٥٠ مليوناً وفي (ص ١٥) ٨٠٠ مليون. ليست (ص ١٩) مساحة آسية ٤٤٣ مليون كيلومتر مربع بل ٤٣ مليوناً فقط وغير ذلك ممَّا لا يسعنا تعداده ولا بُدَّ من اصلاحه

ل. ش

شذرات

﴿ نصرانيَّة هُدْبة بن الخشرم ﴾ انكر علينا جناب مدير مجلَّة البصائر (في الجزء الثالث من سنته الثالثة ص١١٥–١١٩) صحَّة نظمنا في عداد شعراء النصرانيَّة هُدْبة بن الخشرم (في المشرق كانون الثاني وشباط) واثبت ذلك بثلثة براهين: خروج هدبة الى الحجّ. ثمّ صلاته ركعتين قبل قتله. ثمّ طلبهُ الى عائشة ان تستغفر لهُ

نقول ان هذه الامور الثلثة لا تكفي لنفي نصرانيَّة هُدْبة التي صرَّح بها زيادة ابن زيد لمَّا حمل عليهِ هُدبة مع رهطهِ من بني عامر فقال كما روى التبريزي في شرح الحماسة (ص٢٣٥):

من اين جاءت عامرُ القبوح لا مرحباً بامَّة المسيح

فكلامهُ هذا شاهد واضح على نصرانيَّة هدبة وقومهِ بني عامر. أمَّا ما قيل عن حجّهِ فانَّ نصارى العرب حجُّوا ردحةً من الدهر الى مكَّة اكراماً لابراهيم الخليل ولِما وُجد في الكعبة من تمثال السيِّد المسيح ومريم العذراء كما ورد ذلك في اقدم تواريخ مكَّة لابي الوليد محمَّد بن عبدالله الازرقيّ (ص ١١١–١١٣). ولنا برهان على

ذلك في حجّ الاخطل الى مكّة بعد الاسلام (ورد ذلك في الاغاني ٧ : ١٧٨) وكلٌّ يعرف انَّ الاخطل كان عريقاً في النصرانيَّة . امَّا صلاة هدبة ركعتين قبل قتله فليست برهاناً على اسلامهِ والنصارى لا سيما الشرقيين كانوا يمارسون الركعات ولا يبعد القول انَّ الاسلام اخذ ذلك عن النصارى . وكذلك طلبهُ الى عائشة ان تستغفر لهُ كان من باب المعرفة او القرابة او الشكر ما لا دخل لهُ في وحدة الدين

وقد اغتنم جناب الكاتب هذه الفرصة لإصلاح عبارة نقلناها عن كتاب الاغاني (١٣ : ١٩ من الطبعة القديمة و١٣ : ١٤ من الحديثة) حيث قيل عن الكعبة في عهد الجاهليَّة : «وكانت للبيت خزانة . . وهو يومئذٍ لاسقف عليهِ» فخُدعنا بطبعتي الكتاب حيث وردت «لاسقف» كلفظة واحدة فاخذناها بمعنى احد الاساقفة النصارى والصواب ان تُقرأ «لا سَقْف عليهِ» كما ورد في اخبار مكّة للازرقي اي مفتوح من اعلاه . على انَّ جناب المنتقد اراد ان يثبت رأيهُ بما لا نراهُ صحيحاً فقال عن بني جرهم انهم سبقوا عهد المسيح فلا يصحّ ذكر النصارى في مكّة في عهدهم . وهو قول ينفيهِ المؤرخون المسلمون الذين ذكروا سلسلة ملوك الجرهميين كابن سعيد وابن خلدون (٢ : ٢٤٥) وابي الفداء (١ : ٧٧) فدعوا السادس من ملوكهم على مكّة عبد المسيح بن باقية فكفى باسمهِ دليلًا على نصرانيَّتهِ . ولو تتبع جناب الافندي تاريخ هؤلاء الملوك وقرب زمانهم من الهجرة لرأى أنهم كانوا بعد المسيح كما اثبتهُ المستشرقون الثقات(١ وان وُجد ملك على مكّة باسم عبد المسيح أفيصعب الاعتقاد بوجود اسقف فيها في ايامهِ؟

﴿ المجمع السابع وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ﴾ بيَّن حضرة الاب انطون صالحاني بمقالة واسعة (في المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٣٢٣–٣٤٤) حقيقة انبثاق الروح القدس من الآب والابن ببراهين مقنعة من آيات الانجيل ومن اقوال الآباء والمجامع لاسيما المجمع المسكوني الفلورنتي (١٤٣٩) الذي فيهِ وحدهُ صار اتّفاق الكنيستين رسميًّا بذلك المعتقد (الأمرقس الافسي) . ومن غريب ما ادَّعاهُ حضرة القس يوسف حبيقة في جريدة العلَم (٢٦ ك٢ : ١٩٢٤) انَّ المجمع المسكوني السابع اي النيقوي الثاني سنة ٧٨٦ صرَّح بهذه الحقيقة فأخذنا العجب من هذا القول وكيف

١) اطلب تاريخ العرب لكوسان دى برسفال Caussin de Perceval : Essai sur l'Hist. des Arabes I, 194-199

جهلهُ فوشيوس ويجهلهُ الروم وهم يقبلون المجامع المسكونيَّة السبعة الاولى

﴿دفاع الحارس عن نفسه﴾ ما اصعب على الانسان ان يقرَّ بغلطه . هذه ثلث مرَّات ننقل للحارس كلامهُ في حقّ ملوك فرنسة فيتنقَّل ويتلوَّى زاعماً « ان نقطة جدالنا في تاريخ البستيل ودكّهِ في ١٤ تموز » . فلعمري لو كان صاحب الحارس اكتفى بهذا لَمَا تعرَّضنا لهُ . وانَّما ساءنا كما يسوء كل عاقل مُنصف وَصْفُهُ للبستيل الحبس السياسيّ البسيط كمعقل الظلم « مملوء من الاهوال والفظائع حتى قيل « انَّ كلّ نقطة من ثراهُ كانت مجبولة مرارًا لا تُعدّ ولا تحصى بدموع ضحايا التعصُّب الديني والسياسيّ . . وان البستيل كان رمزًا ابديًّا للظلم والاستبداد فلمَّا دكّهما الثوَّار تنفَّست اوربَّا الخ » فهذه التهمة الشنيعة تشين كاتبها فلا نرضاها لهُ في حقّ ملوك يعدُّهم التاريخ كفخر بلادهم وآباء شعبهم فضلًا عن احسانهم الينا نحن النصارى الشرقيين عموماً والموارنة خصوصاً كما بيَّن ذلك حضرة الخوري بطرس غالب في كتابهِ « صديقة ومحامية » . امَّا باقي كلام الحارس وتسميماتهُ الباطلة في عرضنا فما كنَّا لننتظرهُ من اديب مثلهِ فنعدُّها شرود قلم فرط منهُ سامحهُ الله

﴿الحرم الماسونيّ﴾ ذكرنا في عدد سابق تلاعب يوسف افندي الحاج بآل اهل حيفا اذ خدعهم باوسمتهِ ووزَراتهِ واوشحتهِ الماسونيَّة ليسلب منهم ٤٧ جنيهاً ونقلنا ما كتبهُ « عبد المجيد يونس كاتب السرّ الاعظم » لسائر المحافل الماسونيَّة ليحذرهم من ذاك النصَّاب المشعوذ . واليوم قد روت الجرائد المحليَّة كتاباً لاحد زعماء الماسونيَّة في بيروت الاخ ه. سعيد صبَّاغة انَّ جميع محافلهم القانونيَّة في لبنان وسوريَّة تتبرَّأ منهُ ومن كلّ اعمالهِ . فصار يوسف الحاج محروماً بجرم الكنيسة وحرم الماسونيَّة . وكانت الماسونيَّة تفتخر بهِ سابقاً فلمَّا سوَّد وجهها (بتخبيصه) رذلتهُ وهذا شأنها مع ابناء الارملة اذا فضحوها وانما هم يجرون على مبادئها الفاسدة

﴿من ثمارهم تعرفونهم﴾ رأت دمشق في الشهر الماضي بعض ثمار الماسونيَّة الطيّبة لمَّا انتحر احد كبار زعمائها الدكتور هوردشيانو فنهضت الماسونيَّة ومشت وسميًّا في جنازتهِ وكان الاحرى بذويها ان ينبذوا شيعةً تؤدي باصحابها الى القنوط والانتحار . وما كان احرى بالاكليروس الاورثذكسي هناك ان يمتنع عن تجنيز احد الغرباء عن كنيستهم الذي مات محروماً وتعدَّى على نفسهِ باثم الانتحار

أسئلة وأجوبة

س سأل من صيداء الفرد افندي نقولا رزق الله : ١ما هي الواسطة لاهلاك الخلد؟ . ٢هل يُعرف كتاب اختصاصيّ في زراعة الخضر في السواحل ؟

الوسائط لإهلاك الخُلد . ٢ كتب زراعة الخضر

ج نجيب على (الاوّل) انّ لاهلاك الخلد آلة خصوصيّة تدعى بالفرنسويّة taupière تُطلب من المحلّات التي تستحضر ادوات الزراعة . ومن الوسائط النافعة ان تُلقى قريباً من اوكاره معجونات او ثمار او قطع لحم تُداف بموادّ سامّة كالزرنيخ والفوسفور والستريكنين فتهلك بازدرادها لحمها . وفي تعنائل فرودة صغيرة ينفذونها في وكر الخلد فيطلقونها عليه . وتربية القنافذ في البساتين تفيد كذلك لاتلافها نجيب على (الثاني) انهُ قد نُشرت بالعربيّة عدّة كتب في الزراعة وكلّها تبحث عن مزارع الخضر وشروطها مثل كتاب بشارة افندي نخول منتخبات الصناعة في فنّ الزراعة (بيروت ١٨٨٤) وكتاب عبد الغني النابلسي عَلَم الملاحة في علم الفلاحة (بيروت ١٢٩٩ هـ) وكتاب احمد افندي حسن : الصناعة في علم الزراعة (مصر في جزئين الخ) . اطلب ايضاً مقالة جليلة للمرحوم سليم اصفر في الزراعة في كتاب لبنان المطبوع وقت الحرب (ص ٣١٥–٣٦٥)

س وسأل من النبك اسعد افندي نصرالله : ١ما رأينا في كتب غوستاف لوبون اهي سائغة ام محظورة . ٢ايسوغ للكاهن ان يمنح الحلّة لرجل لا يرى بوناً بين الكثلكة والبروتستانيّة وعرّض باكثر افراد عائلته لاتحال هذه الشبهة ؟

تآليف غوستاف لوبون – منح الحلّة لمن يساوي بين الكثلكة والبروتستانيّة

ج الجواب على (الاوّل) انّ الدكتور لوبون طبيب وعالم بالطبيعيات فلا بأس من مطالعة كتبه . امّا تآليفهُ التاريخيّة عن التمدُّن بين العرب ففيها من المزاعم التي لا تنطبق على التاريخ وهو ليس من المستشرقين فيجب قبولها باحتراز . نجيب على (الثاني) انّ الكاهن لا يستطيع أن يحلّ في كرسيّ التوبة من لا يفرق بين دينهِ الصحيح والبروتستانية اذا ثبت على اعتقادهِ

ل . ش

المشرق

نصير الكنيسة والدين

الطوبويّ الكردينال روبرتس بلرمين

لمحة تاريخيّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

قد أقامت مدرستنا الكليّة في هذه المدّة الاخيرة اعيادًا حافلة دامت ثلثة أيام بنسبة تطويب وليّ الله وسليل الرهبانيّة اليسوعيّة السعيد الذكر الكردينال روبرتس بلّرمين. فظهرت وَحدة الكنيسة الكاثوليكيّة بعينقها وبيانها مع الخلاف طقوسها الجليلة ورُتبها الشائقة وتحقّقت فيها آية النبيّ داود القائل عنها (مز ٤٤: ١٢) أنّها الملكة التي زُفّت الى عريسها الالهيّ موشّاةً بمختلف الرياش الثمينة. وقد تجارى فرسان البلاغة في منابر الحقّ لإطراء ذلك الرجل العظيم الذي شرّف عصرهُ بعلومهِ وفضائلهِ فعرف جمهور السامعين ما كان لهُ في حياتهِ من المقام الرفيع والمنزلة السامية في كنيسة الله وفي أعين معاصريهِ ثمّ ما شرّفهُ بهِ عزّ وجلّ من الكرامات والمعجزات بعد وفاتهِ

*

قد سبقت لنا في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ٥٧٥–٥٧٩) خلاصة ترجمة هذا الرجل المفضال فنُحيل القرّاء الى مراجعتها كما أنّنا اثبتنا في العام الماضي (٢١[١٩٢٣]: ٤٠١–٤٠٧) حكم الكرسيّ الرسوليّ في سموّ فضائلهِ ونَظْم اسمهِ في سلك الطوبويين الابرار. واليوم نقتصر على وصف ما قام بهِ ذاك الجهبذ الهمام كحامٍ للكنيسة ونصير للتعاليم الكاثوليكيّة

لمّا انضوى بلرمينوس الى الرهبانيّة اليسوعيّة سنة ١٥٦٠ وعمرهُ لا يتجاوز الثاني عشرة سنة كانت الكنيسة هدفاً لسهام اعدائها. فكان لوثاروس († ١٥٤٦) أضرم بسعير ثورته قسماً كبيراً من المانية ونفث كلوينوس († ١٥٦٤) سموم بدعته في ضواحي فرنسة وفي سويسرة وناشبَ هنريكس الثامن († ١٥٤٧) الحرب على الكثلكة فسفك دماء الوفٍ من أنصارها وكلّهم على اختلاف نزعاتهم يتّفقون في محاولة دكّ اساس الكنيسة وثلّ العرش البابوي. فارسل الله عضداً لبيعته القديس اغناطيوس دي لويولا وفرقتهُ التي جعلت دينها ودَيدنها الدفاع عن الصخرة البطرسيّة الموعودة بالثبات على كلّ قوّات الجحيم

وما كان بلرمينوس الّا احد افراد ذلك الجيش المنظّم بيد انهُ من فرسانهِ الابطال تجنّد فيهِ اربع سنين بعد وفاة قائدهِ فكأنّهُ ورث روحهُ الباسلة وتحفّز مثلهُ لردّ هجمات المعادين وكسر شوكة المبتدعين فجاء سلفاً اسمهُ روبرتس اي الشديد القويّ منبئاً عن اعمالهِ. فما كاد ينتهي من دروسهِ اللاهوتيّة وهو لم يتّم بعد سنّة الكهنوت حتى عرف الرؤساء ما خوّلهُ الله من توقّد الذهن وشدّة العارضة ومعرفة آداب الجدال ليُفحم بأجلى البراهين ذوي الشقشقة المموّهة والسّفسطة الباطلة

بلرمينوس في لوفان (١٥٦٩—١٥٧٦)

كانت بلجيكة لوقوعها في حدود البلاد النازعة الى البروتستانيّة معرّضةً لغارات اهل البدع. فأرسل الطوبويّ الى عاصمتها لوفان ليذود عن حياض التعاليم الكاثوليكيّة. وكانت جامعة لوفان قد شربت شيئاً من ضلال كبير زعمائها المدعوّ ميشال بايُوس الذي ضربت الكنيسة تعاليمهُ بالحرم اذ خلط بين خواص الطبيعة البشريّة والنعمة الالهيّة الفائقة الطبيعة فجدّد بدعة بيلاجيوس ومهّد الطريق لاضاليل جنسانيوس. فلمّا جلس بلرمينوس على كرسي التعليم بازائهِ في مدرسة الآباء اليسوعيين نظراليهِ انصار بايُوس بعين الازدراء والتحقير وهو شابٌ ضئيل البنية نحيف الجسم. الّا انهُ بعد ايّام قليلة شاع في المدينة فضلهُ فتقاطر الدارسون لاستماعهِ فوجدوهُ جامعاً بين العلم الواسع والتواضع التامّ ودماثة الاخلاق فأُعجبوا بهِ وشهروا بين اقرانهم جليل مناقبهِ. بل بلغ امرهُ مسامع انصار البدع البروتستانيّة في بريطانية العظمى وهولندة وفرنسة

فقصدوا لوفان لحضور دروسهِ ثم عادوا الى بلادهم وهم لسان واحد في الثناء على سعة معارفهِ وصحّة براهينهِ وكثيرون منهم الذين كانوا يطلبون الحقّ بنزاهة واستقامة ارتدّوا على يدهِ الى حجر الكنيسة الكاثوليكيّة . ومما أكسب لهُ قلوب المشايعين لبايُوس والمتنصرين لاضاليلهِ انّ بلرمينوس كان يأنف عن كلّ ما يمسّ كرامة الاشخاص وانّما كان يكتفي بتفنيد مزاعمهم الباطلة وبتأييد تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة متتبعاً سلسلة عقائدها جيلاً فجيلاً الى ان يبلغ الى عهد الرسل تلامذة المسيح فينجلي لهم الحقّ باتّصالهِ الى معينهِ وينبوعهِ الاصليّ

وكان الطوبويّ مع قيامهِ بوظيفة التعليم يخطب في أيّام الآحاد والاعياد لجمهور المؤمنين المتزاحمين في كنيسة الدير لاستماع كلام الله فيزدادون حماساً في دينهم

بلرمينوس في الكليّة الرومانيّة (١٥٧٦—١٥٨٨)

سبع سنين قضاها بلرمينوس في تلك الاشغال الشاغلة التي كان نطاقها يتّسع كل يوم فيزيد عبئها على عاتقهِ حتى انهكت قواه وخاف الرؤساء على حياتهِ فاستدعاهُ الرئيس العام الى رومية فأنعشهُ هواء الوطن ورأى نفسهُ مستعدّة لأداء خدم جديدة للكنيسة

وكان ارباب مدارس فرنسة وايطالية تلحّ في الطلب لدى المراجع الرسميّة ليُرسل اليها بلرمينوس لكن الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر ورئيسهُ العام الاب مركوريان اذ رأيا ما احرز لهُ استاذ لوفان من الشهرة بالدفاع عن عقائد الايمان بازاء المبتدعين اتّفقا على فتح فرعٍ جديد للتعليم في الكليّة الرومانيّة تُعهد ادارتهُ الى بلرمينوس . فأُنشئ فيها مكتب خاصّ للجدليّات يُفنّد فيهِ رسميًّا وعلى طريقةٍ علميّة كلّ ما ابتدعهُ البروتستانت تضليلاً للعقول . فكان طلبة المدرسة الجرمانيّة والمدرسة الانكليزيّة الذين يتخرّجون في رومية يحضرون تعليمهُ قبل رجوعهم الى اوطانهم ويأخذون عنهُ فنّ الجدال فيتمكّنون من مناهضة المبتدعين في بلادهم . فصار لدروسهِ شهرةٌ طائرة بلغ صداها بعيدًا فكان علماء المدينة والاجانب يتألّبون ليشنفوا الآذان بحضور محاضراتهِ . فتقدّم اليهِ الرؤساء ان يمثّل تلك الدروس للطبع فلبّى الى دعوتهم . وطُبعت تلك المحاضرات في اربعة مجلّدات ضخمة ضمّنها من

الادلّة الباهرة والحجج الراهنة ما ازال كلّ الشُبهات وقشع كلّ الظلمات فانتشر ذلك التأليف في كلّ الانحاء واحتار البروتستانت في امره فعقدوا المجامع وشكّلوا اللجن ووعدوا بالمبالغ الوافرة كلّ من يحاول نقض تلك البراهين وتزييف تلك التعاليم فضاقوا ذرعاً ولم تأتِ كتاباتهم المتعدّدة بشيء يضعف بيّنات ناصر الكنيسة فلم يجد المبتدعون للنجاة من تلك النبال الرشيقة الّا وسيلةً واحدةً بان يستمدّوا من زعماء شيعهم امراً لازباً تحت طائلة الموت بمنع الكتاب عن الدخول الى انحاء بلادهم . ولمّا كان كلّ ممنوع متبوعاً تفنّن الناس في الحصول على ذلك التأليف والتمعّن في حقائقه فارتدّ كثيرون الى ايمان اجدادهم بعد وقوعهم في أشراك البروتستانت حتى انّ احد كبار الكتبيين في لندن صرّح لدى بعض اصحابه بأنّ مجادلات بلّرمينوس اربحتهُ من المال ما لم يكسبهُ ببيع الالوف من المطبوعات

والحقّ يقال انّ تلك المجادلات مع تقدّم العلوم الدينيّة في عهدنا لا تزال كسلحة يقصدها ارباب الدين فيأخذون منها عدّتهم لمحاربة آل الضلال وقد تكرّر طبعها دفعات عديدة حتى في حياة مؤلّفها . فكان المبتدعون يطلقون على المتشبثين بتعاليم البيعة اسم «البلّرميين» وكفى بهِ تنويهاً بعظم شرف كاتبها الذي اوضح كلّ مادّةٍ بادلّة عقليّة ونقليّة يدركها بسهولة العلماء والبسطاء الكبارُ والصغار فيزهق الباطل ويُحصحص الحقّ لكلّ من لا يكابرهُ . ومما يدلّ على حصافة عقلهِ وجودة نظرهِ انّ كثيراً من المطالب التي دافع عنها اثبتتها الكنيسة بعد ذلك ونظمتها بين عقائد الايمان كالحبل بالعذراء مريم بغير دنس الخطيئة الاصليّة وعصمة الحبر الروماني عن الغلط في الايمان والآداب وسلطانهِ الروحي على الدول والممالك وغير ذلك

بلّرمينوس وهنريكوس الرابع ملك فرنسة (١٥٨٩—١٥٩٠)

كان هنريكوس الرابع قبل ان يتبوّأ سُدّة الملك في فرنسة منتمياً الى الشيعة البروتستانيّة . فسعى مدّة عشرين سنة (١٥٦٩—١٥٩٠) الى الجلوس على عرش الدولة لولا العصبة الكاثوليكيّة (la Ligue) التي تصدّت لهُ وكان المنتمون اليهِ ينشرون في تلك الاثناء المنشورات المُذلة ليدافعوا عنهُ باخسين حقوق الحبر الروماني . فوكّل البابا سكسطوس الخامس الى بلّرمين ان يردّ عليها ففعل وخدم الكثلكة في فرنسة

خدمةً مشكورة. على انَّ هنريكوس الرابع لم ينقم عليه فعلَهُ لما رأى من انتصافه ونزاهته ولما اختبرهُ من اعتداله في باريس لما قصدها رفيقاً للكردينال «غايتاني» سفير الحبر الاعظم الى هنريكوس الرابع كما انهُ شكرهُ كأحد المتوسطين للصلح بينهُ وبين الكرسيّ الرسولي ولتأييده ثانياً كملك فرنسة الشرعيّ بعد ارتداده الى الكثلكة

بلرمينوس والدولة البندقيَّة (١٩٠٦)

كما دافع بلرمينوس عن حقوق الكنيسة وهو راهب يسوعيّ كذلك اوقف نفسهُ للدفاع عنها بعد أن نصبَهُ البابا اقليمس الثامن على الرغم منهُ كردينالاً (سنة ١٥٩٩) . فمن ذلك كتاباتهُ المفعمة حكمةً وصواباً على مدَّعيات ارباب دولة البندقيَّة الذين سنُّوا اثناء السنة ١٦٠٥ سنناً جائرة لتذليل الاكليروس والغاء امتيازاته فاستصفوا الاوقاف والقوا في السجن بعض الكهنة وحاكموهم حكماً مدنياً وحاولوا تذكية نفوسهم بمنشورات مخالفة لتعليم الكنيسة . فضرب البابا بولس الخامس بالحرم دولة البنادقة واجاب بلرمينوس على منشوراتهم كاشفاً اقناع عن مزاعمها الباطلة وآرائها السفسطيَّة . فتنمَّر البندقيُّون عليه غيظاً وطردوا من تخومهم الرهبان اليسوعيين انتقاماً منهُ . فامتعض لحكمهم الجائر كلّ ذوي الانصاف الى ان توسَّط في الامر الملك هنريكوس الرابع فأصلح ذات البين

بلرمينوس وملك انكلترَّة يعقوب الاوَّل (١٦٠٧-١٦٠٩)

واشهر من ذاك الردود دفاعُ بلرمينوس عن الكنيسة ضدَّ ملك انكلترَّة يعقوب الاوَّل فانَّ هذا الملك كان اوَّلاً يتولَّى على اسكوتلندة وهو ابن ماري ستورات الملكة الكاثوليكيَّة التي قتلتها ظلماً الملكة اليصابات . فلمَّا دُعي ابنُها الى الملك على انكلترَّة امَّل منهُ الكاثوليك خيراً لكنَّهُ لم يلبث ان خيَّب آمالهم وسار في ظلمهم على طريقة هنريكوس الثامن وابنته اليصابات وكان يتظاهر بمجاملة الكرسي الرسوليّ مموِّهاً عليه وكتب لتذكية نفسه كتباً مُغفلة ملتبسة المعاني وفرض على الكاثوليك قسَماً مخالفاً لدينهم وضميرهم . فقام بلرمينوس وزيَّف تلك الكتابات

وكشف عن خداع كاتبها المتستر تحت اسم مستعار وأنّا عاد الملك وصرّح باسمه واستأنف الكتابة لتبرير اعماله اجابةً بلرمينوس ونقض ما ادّعاهُ انفسه من الحقوق الدينيّة في دولته كما انهُ أبطل تعاليم البعض من حاشية بلاطه الذين انتصروا لهُ

بلرمينوس والاضاليل الغليكانيّة (١٦١٠–١٦١٢)

كان ملوك اوربّة في القرن السابع عشر لما نالوا من السلطة المطلقة كثيرًا ما يُغالون في رفع منزلتهم فيحملهم الطمع لتأييدها على مظاهرة السلطة الكنسيّة وبخس حقوقها الالهيّة. فمن ذلك ما اشاعهُ في فرنسة بعض المتملّقين للسلطة المدنيّة فعظّموها حتى كادوا يرفعونها فوق السلطة الدينيّة وهي النِحلة التي عُرفت مذ ذاك العهد بالنحلة الغليكانيّة (Gallicanisme) لعبت في فرنسة نيّفاً ومئتي سنة دورًا سيئاً فلم تُستأصل جذورها الّا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد اندفع بلرمينوس لتزييف حججها التي تضمّنها كتابٌ طُبع سنة ١٦٠٩ في انكلترّة وفرنسة فنفى تلك المزاعم بتأليف جليل اثنى عليه مرارًا الاحبار الرومانيّون وانّما امتعض منهُ انصار السلطة الملكيّة فمنعوا نشرهُ طاقةً جهدهم

خِدَم شتّى أدّاها بلرمينوس للكنيسة

لم يقتصر بلرمينوس خِدَمهُ للكنيسة على ما سبق ذكرهُ بل افرغ وسعهُ في خدمتها بأعمال أخرى لم تكن دون المذكورة نفعاً كان الطوبويّ يتفرّغ لها في أيام العطلة السنويّة. فمن ذلك ردُّهُ سنة ١٥٨٤ على «متّى فلاك» اللوترانيّ بخصوص انشاء الحبر الرومانيّ للملكة الرومانيّة المقدّسة بعد ان نزعها من ايدي ملوك الروم الذين فشلوا في حمايتها وسلّمها سنة ٨٠٠ لكرلوس الكبير وذلك بكلّ حقّ وصواب استنادًا الى السلطة التي نالها من الله

وفي السنة ١٥٨٥ نشر تفنيدًا لكتاب آخر ابرزهُ البروتستانت دعوهُ «الاتحاد» حاولوا فيه ان يوفّقوا بين شيعهم المختلفة فانتقد بلرمينوس ذلك التأليف وبيّن ما يحتويه من الآراء الفاسدة المضادّة لدستور ايمان الرسل وتعاليم الآباء حتى بلّغ اضاليله الى ما ينيف على السبعين ضلالًا

ومن تآليفهِ للدفاع عن المعتقدات الكاثوليكيَّة ضدّ بعض تآليف اللوترانيين والكلفينيين كتاب في وجوب اكرام الصور المقدَّسة وكتابٌ في سلطان الاحبار الرومانيين في الامور الزمنيَّة

وهو مؤلف ذلك التعليم المسيحيّ المدرسيّ المطوَّل ثمَّ المختصر الذي شاع في معظم البلاد الكاثوليكيَّة ظهر السنة ١٥٩٨ باللغة الايطالية ثمَّ نُقل الى ٥٤ لغةً بينها العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والارمنيَّة والعبرانيَّة والحبشيَّة والفارسيَّة الخ وقد تعدَّدت طبعاتهُ في كلّها فانَّ الترجمة العربيَّة وحدها تكرَّر طبعها عشرين مرَّةً في رومية وباريس وبلجيكة والقدس الشريف وبيروت في مطبعتنا الكاثوليكية فافاد كثيراً لتلقين الاحداث والشبَّان عقائد الدين القويم

وقد اشتغل بلرمينوس بتصحيح الترجمة اللاتينيَّة من الكتاب المقدَّس وعلَّق على طبعتهِ الرومانيَّة مقدَّمةً اوضح فيها بكل حشمةٍ شغلهُ

ومن تاليفهِ المهمَّة التي تشرَّفت بها الكنيسة شروحهُ لمزامير داود في مجلَّد كبير ومنهُ اقتطف الاب بطرس ارنودي الموسل اليسوعي تفاسيرهُ العربيَّة التي طُبعت في بيروت في ثلثة مجلَّدات في المطبعة الخاصَّة

هذا ولا حاجة ان نسرد هنا اسماء بقيَّة تآليفهِ العلميَّة: كقواعاطيقهِ للغة العبرانيَّة. واللاهوتيَّة كتآليفهِ في نعمة المسيح والتوفيق بينها وبين الحرّيَّة البشريَّة. والتاريخيَّة كتراجم الكتبة الكنسيين. والخطبيَّة كمواعظهِ وارشاداتهِ في بلجيكة وايطالية. والروحيَّة كسُلَّم السعادتين وسبعة اقوال المسيح على الصليب وهما الكتابان اللذان عرَّبهما الطيب الذكر المطران غريغوريوس حجَّار رئيس اساقفة صيداء

فمن هذا النظر الاجمالي يتَّضح للقرَّاء ما قدَّمهُ ذاك الرجل فريد عصرهِ من الخدم للدين عموماً وللكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصاً فاستحقَّ ان يُعلن الحبر الاعظم غريغوريوس الخامس بمديحهِ في مجمع الكرادلة اذ نعى اليهم وفاتهُ قائلاً: «انَّ كنيسة الله قد فقدت بهِ رجلاً غاية في الامتياز ولاهوتيًّا مبرّزاً ومحامياً شجاعاً للايمان الكاثوليكي ومطرقةً للمبتدعين وكان مع ذلك متَّصفاً بكمال التقى والفطنة والتواضع والمحبة المسيحيَّة»

المجمع العلميّ العربيّ في دمشق

نظر وطني اجتماعيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لم تتعرّض حتى الآن مجلّةُ المشرق لذكر المجمع العلميّ العربيّ الـذي أُنشئ في دمشق قبل خمس سنين وليس ذلك جهلًا او تجاهلًا يخدمهِ الّا أنّنـا كنّا ننتظر ان ترسخ تلك الغرسة الجديدة في تربتها وتزكو اثمارهـا لنُعمل فيها نظر الانتقـاد لئلّا يُحمَل كلامنا على الهوس والمبالغة ولاسيما انّ اعضاء ذاك المجمع الفضلاء نظمونا على غير استحقاق في سلك جمعيّتهم فينسب القرّاء كلامنا الى غرض في النفس

امّا اليوم وقد ترعرع المولود ولم يعُد يُخاف عليهِ من طارئ يطرأ بوجدانهِ فلا بأس من وصف مآثرهِ وطيب جناه واجالة رائد الطرف في الطور الاوّل من حياتهِ

*

واوّل ما يعنّ لنا في ذكر المجمع المومأ اليهِ استحسانُنا لاختيـار اعضائهِ دمشقَ الغنّاء كمركز لمشروعاتهم ونشر ثمـار افكارهم. وكلّ يعلم ما للفيحـاء من المقام الرفيع في جانب الآداب العربيّة وذلك بموقعها الجغرافي ثمّ بتأريخها واخيرًا بموقفهـا الحاليّ

امّا موقعها الجغرافيّ فانّهُ احقّ من سواه لتأليف مجمع علميّ فان دمشق ليست فقط حاضرة الشام فانّها ايضًا قلبُ العـالم العربيّ لتوسّطها بين الامم الناطقة بالضاد بعيدةً من وطأة الاتراك ومن عجميّة العراق ومن وحشة جزيرة العرب قريبـةً من الاقطار الاوربيّة بفُرضتها بيروت منبسطةً بين جنّاتها الرائعة وانهارها الزاخرة توصلها خطوط سككها الحديديّة بحواضر سوريّة وفلسطين والاصقاع العربيّة

امّا تاريخها فلا يجهلهُ صغير ولا كبير. فانّ فيها قامت الـدولة الامويّة فكانت في دمشق اوّل نهضةٍ للآداب العربيّة المنظّمة ولم يُطمَس قطّ نورها مع علوّ منار بغداد ايّام بني عبّاس وكفى دليلًا على قولنا ما أُنشئ فيها من المدارس المتعدّدة ونبغ فيها من اماثل الادباء والفقهاء والخطباء والمؤرخين ممّن يطول تعدادهم

وكذلك موقفها الحالي يجعلها اجدر من سواها لتعزيز العلوم العربيّة وقد حفلت

فيها اسباب رقيها بوفرة علمائها الناطقين بالضاد وبمطابعها وصحفها ومنشوراتها العربيّة وبمكاتبها العموميّة والخصوصيّة وبأبنيتها العربيّة التاريخيّة من جوامع ومساجد ورباطات وقصور وبمدارسها الوطنيّة والاجنبيّة وفيها مقام بطريركي الروم الكاثوليك والروم الاورثوذكس

وزد على ذلك تنشيط الدولة المنتدبة لكل المشروعات الادبيّة وهي التي عزّزت في بلادها الدروس العربيّة وأحيت كثيراً من دفائنها وقد انشأت في دمشق متحفاً للآثار العربيّة واقامت فيها مكاتب لتخريج التراجمة المدنيّين والعسكريين

فكان ذلك كأنهُ داعياً لتأليف مجمع علميّ عربيّ في دمشق فضلاً عن سواها

ومع حسن اختيار الموقع نجد في تأليف اعضاء المجمع داعياً آخر لنتوسّم فيه الخير فانّهُ يرأسهُ رجلٌ امتاز بمعارفهِ الواسعة ومنشوراتهِ المتعدّدة ألا وهو السيد محمد كرد عليّ الذي تخرّج على الآداب العصريّة ونال حظًّا من اللغات الاجنبيّة واختلط في الحلّ والترحال بالاتراك والفرنسويين والالمان وتجوّل في بلادهم وعاين معاهدهم العلميّة والفنيّة واجتمع بأعيانهم فكان ترشيحهُ لرئاسة المجمع العلميّ العربيّ ثقة بخبرتهِ فأسندت اليهِ تلك المهمّة رجاء ان يقوم بواجباتها مع ما خوّلهُ الله من سعة النظر والنشاط في العمل

وكذلك اعضاء المجمع العلميّ فان في اختلاف عناصرهم من وطنيين واجانب وفي تباين اديانهم من مسلمين ونصارى وموسويين وفي امتياز مناصبهم من ارباب دنيا ودين ضامناً لثبات هذا الصرح العلميّ ورقيهِ فضلاً عمّا يستدعي ذلك من نشر الكتابات في علوم شتى والابحاث في المعارف المتشكّلة الّا السياسيّات والمجادلات لما ينجم عنها من المناقشات والمنازعات وتفريق الكلمة

وازداد المجمع المذكور ثباتاً (كما جاء في لائحة المجمع لسنتهِ الخامسة) بالحاقهِ مؤخّرًا برئاسة الاتحاد السوري السامية التي عُهدت الى أحد نجباء تلامذة كليّتنا البيروتيّة صاحب الفخامة السيّد صبحي بك بركات الخالديّ «فضمنت للمجمع حياتهُ وكانت كلّ حين مهدّدة بالقضاء عليها لأغراض شخصيّة طُبعت عليها لا تهتمّ حتى لمشخّصاتها ومقوّماتها» (نصّ اللائحة) . فقرّرت لجنة المعارف تأسيس «الجامعة السوريّة» مؤلّفةً من المجمع العلمي ومعهدَي الطبّ والحقوق فوافق على الامر فخامة

الجنرال ڤيغان المفوَّض السامي للجمهوريَّة الفرنسويَّة

وقد عرفت الحكومة ما يُبنى على المجمع من الآمال الطيِّبة اذ جَعلت دار الكتب العربيَّة (مكتبة الملك الظاهر) تحت ادارته فوسَّعها ونظَّم شؤونها حتى ضاقت اليوم بمحتوياتها فلابُدَّ من نقلها الى مكان اوسعَ ارجاء واتمَّ اهبةً. وكذلك خصَّ بالمجمع المدرسة العادليَّة المنسوبة الى الملك العادل اخي السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي لقربها من دار الكتب لكي تُعقَد فيها جلسات المجمع وتُقام في احدى ردهاتها الحفلات الادبيَّة كالخطب والمحاضرات والقاء الدروس الليليَّة. وفي بعض غُرف المدرسة عينها عُرضت الآثار القديمة المكتشفة في دمشق وغيرها من انحاء الشام كحوران وتدمر بينها الدُّمى والتماثيل الحجريَّة والاواني المعدنيَّة والزجاجيَّة والخزفيَّة والنقود القديمة والاسلحة. فصار المقام فخماً يقصدهُ الزوَّار والسيَّاح ويثنون بسببهِ على المجمع العلميّ وآلهِ

ولمَّا كان للمجامع العلميَّة لسان حال ينشر اعمالها ويصف مآثرها ويدوِّن ما يأتيها من المراسلات في مواضيع العلوم والفنون مع ما يُلقى فيها من المحاضرات رأى المجمع العلميّ العربيّ ان يُصدر لهُ مجلَّةً تنطق بتاجرَّياتهِ وتُثبت مكتشفاتهِ ومقترحاتهِ

وفي اوائل السنة الحاضرة دخلت المجلَّة في سنتها الرابعة وقد اطَّلعنا على مضامينها فاذا هي تستغرق نحو ١٢٠٠ صفحة والغالب عليها اللغة والمواضيع اللسانيَّة والآثار الخطِّيَّة التاريخيَّة والادبيَّة ووصف البلدان. ومن انفس ما وصفهُ هناك السيد سعيد افندي الكرمي (١ : ٣٢) كتاب الملاحة المعنون بكتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد لابن ماجد من اعيان القرن التاسع للهجرة دخل منهُ نسخة خطِّيَّة في مكتبة الملك الظاهر. وهذا الكتاب قد باشر المسيو غبريال فرَّان (G. Ferrand) بنشرهِ في باريس بالطبع الشمسيّ. وقد ظهر منهُ عدَّة اقسام وسيُلحقهُ متولِّي نشرهِ بترجمتهِ الى الافرنسيَّة ويذيِّلهُ بالملحوظات المهمَّة كما افاد في المجلَّة (١ : ٢٨١) الاستاذ بولس الخولي

ومن وصف الكرميّ (١ : ٦٥) كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي المتوفَّى سنة ١٠٨٩ هـ (١٦٧٨ م) ذكر فيهِ منذ اوائل الهجرة مشاهير المتوفَّين سنةً فسنة مع معلومات اخرى عديدة

ولأديب العراق محمود افندي شكري الالوسي (١١ : ٧٧و١١٠) رسالة في الالوان علّق فيها شروحاً على قصيدة للشيخ علي بن العزّ الحنفي الشهير بالشارح الجارح. كما انّهُ شرح منظومة عمود النسب التي وضعها الشيخ احمد الشنقيطي (٣ : ١٠٥)

ووصف السيد عبد القادر المغربيّ كتاب تهذيب اللغة للازهريّ (١ : ٢٧١) وهو من أمتع كتب اللغة كنّا اطّلعنا في حلب على نسخته المحفوظة في المكتبة الاحمديّة وقد نشر منهُ قسماً صغيرًا المستشرق الاسوجي زترستين — وللسيد المغربيّ ايضاً وصفٌ حسن لكتاب تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي وانتقادهُ لهُ بانصاف (٢ : ١٩٣) - ونشر صديقنا الكاتب الضليع عيسى افندي اسكندر المعلوف رسالة تدبير المنزل المنسوبة لأرسطو الفيلسوف عن مجموعة قديمة من خزانة كتبهِ

ومن المخطوطات النادرة التي نُشر قسمٌ منها كتاب الازمنة لقطرب (٢ : ٣٣ و ٩٥) والكتاب قد دخل بعد ذلك في مكتبتنا الشرقيّة وهو طويل لعلّنا ننشرهُ بتمامهِ

واثبت جناب احمد باشا تيمور (٢ : ٧٣) لمعةً من احد كتب مكتبتهِ الغنيّة بالنوادر الذي عنوانهُ «الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ» لاحد مشاهير الكتبة الشيخ السخاوي المتوفّى سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م)

وقد ذكّرنا الفصلُ المنشور (٢ : ٢٣٦) من « كتاب الانصاف والتحرّي عن دفع الظلم والتجرّي عن ابي العلاء المعرّي» لابن العديم الحلبي المتوفّى سنة ٦٦٠هـ (١٢٦٢م) بما كتبناهُ في المشرق (٤ [١٩٠١] : ١٠٦٨) تحت عنوان : « تبرئة ابي العلاء من وصمة الكفر الشنعاء»

ومن نوادر الكتب الموصوفة هناك (٣ : ٢) كتاب بستان الاطباء وروضة الالبّاء لموفّق الدين اسعد المعروف بابن مطران الدمشقي المتوفّى سنة ٥٨٧ (١١٩١م) وقف على عدّة كراريس منهُ السيد محمّد رضى الشبيبيّ . وهو سفر جليل يتضمّن عدّة معلومات عن اخبار الاطباء القدماء وقد نقل منهُ قطعاً ابن ابي اصيبعة في كتابهِ عيون الانباء في اخبار الاطباء — ومثلهُ شأناً وصفهُ لمجلّدين من تاريخ بغداد لابي بكر الخطيب البغدادي (٣ : ١٢٩و١٦١و٢٦٠)

ومما استفدنا من تعريفهِ ذخائرُ القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفيّ

المتوفى سنة ٨٨٠هـ (١٤٧٥م) وصفهُ الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف (٣:٣٣) ونقل عنهُ نبذًا حسنة — ووصف السيد كرد علي كتاب الباشات والقضاة لمحمد بن جمعة الشاذلي (٣:٧٢) وروى منهُ شذرات عن نسختي برلين ومونيخ — واحسنَ ايضاً بوصف كتاب آخر من مخطوطات برلين وهو كتاب الاعيان للشيخ حسن البوريني الشاميّ المتوفى سنة ١٠٢٤ هـ (١٦١٥م)

تلك مآثر قديمة تولّى اعضاء المجمع وصفها بعد احيائها فافادوا واجادوا

وفي مجلّتهم الابحاث اللغويّة المعتبرة كعثرات الاقلام والإعلام بمعاني الاعلام وتفسير الالفاظ العبّاسيّة في نشوار المحاضرة واللغة والدخيل فيها وخواطر في المعرّبات على الرغم ممّا ورد فيها من التعسُّف الظاهر

ومن المقالات التاريخيّة والجغرافيّة والاثريّة المتعلقة بجباية الشام في الاسلام وحقائق تاريخيّة عن دمشق وحضارتها والمجامع العلميّة في العالم وغابر الاندلس وحاضرها لولا بعض الشطط فيها. وكذلك آثار دمشق والآثار الشرقيّة القديمة ووصف بعض المكاتب العموميّة والخاصّة فكلّ ذلك ممّا يسطّر للمجمع العلميّ الدمشقي تاريخًا جليلًا يخلّد ذكر اهله

وقد سُرونا غاية السرور بما نلتهم من الاستحسان لدى المستشرقين وفي اقوالهم شاهد على حسن حظّهم فيه تنشيط يبعث همّتهم لمواصلة العمل وزيادة تحسينه صورةً ومعنًى . وقد نال البعض منهم من كرم الدولة المنتدبة الاوسمة الشرفيّة الدالّة على ارتياحها الى مساعيهم وتقديرها افضالهم

وفي الختام اننا نتمنّى ان تكون هذه المجلّة كأشباهها في الحواضر الاجنبيّة بحسن انتقاد موادّها وبالتحقيق والتدقيق في بسط مضمونها . وممّا نلفت اليه نظر اربابها إحكام طَبْع الالفاظ الاعجميّة الفرنسويّة والالمانيّة والانكليزيّة التي كثرت في رصفها الاغلاط مع قلّتها فينبو عنها نظرُ الاجانب وما الكمال الّا لله

اسبوع الآلام المقدس

في الكنيستين السريانية والمارونية

بقلم الاديب يوسف افندي المدوَّر

ان الكنيسة المقدسة تدعو الاسبوع الاخير من الصوم باسبوع الآلام ذكرًا لآلام وموت سيدنا يسوع المسيح. وفيه تقيم احتفالات شتى ، منها ما يمثل اعمال مخلصنا له المجد ومنها ما يذكر بذلك سرّ الفداء الثمين ، فاحببتُ ان اتحف قرّاء المشرق المنير بكلمة آتي فيها على ذكر ما يقام من تلك الحفلات عادةً في الكنيستين السريانيَّة والمارونية اللتين وان اختلفتا لقباً فهما متَّحدتان على وجه التقريب في الطقوس والرتب وكلتاهما تستعمل اللغة السريانيَّة مع ترجمة بعض آثارهما الى العربية . فاقول وبالفادي الكريم استعين

١ هيئة الهياكل

اذا دخلتَ ايها القارئ الكريم كنيسةً مارونية او سريانية كاثوليكية يوم احد الشعانين مساء رأيت الهياكل مجلَّلةً بشارات الحداد والصور والتماثيل مغشَّاةً بالستائر السوداء، تلك هي عادة الكنيسة الشرقية بخلاف الكنيسة الغربية التي تستعمل اللون البنفسجي . اما الهيكل الكبير فانهم ينشرون امامهُ ستارًا كبيرًا يستر الحنيَّة العليا وينحدر حتى يغطّي المائدة المقدسة ، مرسوماً في وسطهِ الصليب الخلاصي تحيط بهِ رسوم الآلات التي استُعملت لتعذيب الفادي الالهي ، كالمجالد والحربة والقصبة في رأسها الاسفنجة والمسامير الثلاثة واكليل الشوك والمطرقة والكفّ التي لطمت الوجه الالهي . او مما لهُ تعلّق بالآلام كالسلّم الذي صعد عليهِ لتنزيل جثمان المخلص لهُ المجد . والكلبتين (الكمّاشة) اللتين اتخذتا لقلع مسامير اليدين والرجلين . وزهر النرد الدالّ على قول النبيّ : « اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا » . وكالطست والابريق الدالَّين على غسل بيلاطس يديهِ حين قال : « اني بريء من دم هذا الصدّيق » او انهما يشيران الى غسل السيد المسيح لأقدام تلاميذه بعد العشاء السرّي قبل آلامهِ

وعلى هذا الستار يشاهَدُ رسم الديك الذي صاح حين انكر بطرس سيدهُ وكان صوتهُ باعثاً لتوبة زعيم الرسل وبكائه على إثمهِ البكاء المرّ . والشمس والقمر اللذان شملها الكسوف والخسوف حين أسلم ابن الله المتأنس روحهُ معلّقاً على الخشبة . وتحت صورة الصليب يشاهد الناظر جمجمةً يكتنفها عظمان ، هي جمجمة آدم ابي البشر الذي افتُدي وذريّتهُ بصلب السيد المسيح وموته ، ويقال انها رمز للتقليد القائل بان صليب المسيح رُكّز فوق قبر آدم

وبعضهم يرسمون حيّة في فمها تفّاحة رمزاً للحية التي بها طغى الشيطان امّنا حواء وحملها على معصيةِ الخالق بأكلها من الثمر المحرّم المرموز عنه بالتفّاحة . وبعضهم يرسمون المشاعل والمصابيح التي حملها الجند لمّا جاؤوا ليقبضوا على يسوع والحبال التي ربطوهُ بها ، ومجامر البخور الخ الخ

٢ الرتب والطقوس

تبدأ الكنيستان المارونية والسريانية بتلاوة صلوات اسبوع الآلام من بعد ظهر احد الشعانين ، فالسريان يقيمون بعد غروب الشمس رتبة يدعونها « هجمة العذارى » ذكراً لمثل العذارى الحكيمات والجاهلات الذي اورده السيد المسيح تشبيهاً لملكوت السماوات . امّا قوام هذه الرتبة فهو انهم يشرعون اولاً بتلاوة صلاة مساء الاثنين في كتاب فروض اسبوع الآلام وهو غير الفرض اليومي وبعدها يبدأون برتبة الهجمة حتى اذا وصلوا الى نقطة معيّنة خرجوا بزياح حاملين بايديهم الشموع مرتلين تراتيل ذات انغام محزنة دالّة على التوبة والندامة فيدورون اولاً في صحن الكنيسة دورتين وفي الثالثة يخرجون من بابٍ جنوبي او شمالي وقبل ان يبلغوا الى الباب النصفي يكون واهفُ الكنيسة قد سبق وأوصده ووقف وراءهُ . وعندما يبلغ اليه السائرون بالطواف ينقسمون فرقتين يميناً وشمالاً ثم يتقدّم الرئيس ويجثو على ركبتيه امام الباب . وان كان حبراً فينزع التاج من على رأسهِ ويقول بالسريانية بنغم شجي مستطيل : « افتح لي باب مراحمك » مكرراً كلامهُ ثلاثاً وفي كل مرة يقرع الباب بصليب صغير وبعد المرة الثالثة يفتح الواهف الباب فينهض الرئيس ويدخل امام الشمامسة فالكهنة حسب الترتيب السابق الى امام المذبح حيث يتلون صلاة

الرتبة ثم يمنح الرئيس البركة للحاضرين بعود الصليب الكريم فينصرفون

امّا الموارنة فلا يعملون هذه رتبة هجمة العذارى . الّا انهم يبدأون باقامة صلوات الحاش (لفظة سريانية تأويلها الآلام) من هذه الليلة ايضاً . فيُطلبون كلمة : «هلّلويا» التي معناها التهليل والفرح ، وحيثما تلزم لقيام النغم والوزن يستبدلونها بلفظة : ܚܢܢܝܠܝܣܘܢ (يا رب ارحم) . اما ألحان صلوات هذه السبة فتقال «مشحلفة» اي مغيّرة بألحان محزنة . وينقطع الشمامسة عن قولهم ܒܪܟ ܡܪܝ او (بارك يا سيّد) في بداية ونهاية القطع الفردية والقراءات من العهد القديم واخبار الرسل ورسائل مار بولس وذلك من امارات الحزن الواجب في هذا الاسبوع

امّا صلوات فرائض الآلام فلا فرق كبير بينها في الكنيستين . وهي تُقسم هكذا : صلاة المساء وتقال قبل غروب الشمس وتختصّ باليوم التالي اي انهم يصلّون قبل غروب شمس احد الشعانين صلاة مساء الاثنين . وبعدها صلاة الستار (ܨܠܘܬܐ) تقال بعد صلاة المساء عند الغروب . وكانوا في القديم ايام ازدهار اللغة السريانية يصلّون هاتين الصلاتين متتابعتين وينشدون بعدهما طلبة الآلام ثم يتفرقون على وعد الاجتماع بعد غياب الشمس بساعة او بساعتين لاقامة صلاة الليل . وهذه مؤلفة من اربعة اجزاء يدعونها قومات (ܩܘܡܬܐ) . فالثلاث قومات الاولى تشتمل كل منها على خطبة يقال لها : «حِسّاية» اي الاستغفار ينشدها مَن كان جيّد الصوت يتبعها لحنٌ من الحان مار يعقوب او مار افرام ذو خمسة او ستة ابيات . اما القومة الرابعة فيبدأ بها بصلاة فردية يتلوها الرئيس واخرى يتلوها احد القارئين . ثم تتبعهما «تسبحة الاطفال» التي بدؤها «باركوا الربّ يا جميع مصنوعات الرب» مقسّمة على عدد ابيات اللحن التابع الذي يُقال ما بين جوقين . حتى اذا انتهوا منهما يواصلون انشاد انشودة أُخرى مخالفة للوزن المتقدم تُدعى «سوغيت» (ܣܘܓܝܬܐ) وقد يكون كل بيت من ابيات هذه الانشودة مبدوءاً بحرف من الحروف الابجدية السريانية حسب ترتيبها . فاذا تمّت شرع احدهم بتجويد الحِسّاية تجويداً شجياً وغالباً ما تكون باللغة العربيّة ليفهمها الشعب

وفي ابان ذلك يضع الرئيس او احد الكهنة بخوراً ويبخّر المذابح والشعب ، وكان قديماً ينزل في صحن الكنيسة مبخّراً الشعب يميناً وشمالاً كما هو جارٍ في الكنيسة

اليونانية فأبطلت هذه العادة وصار الكاهن يقتصر على التبخير من وراء البدرابزين في الخورس. وبعد ذلك يقرأون فصلاً من السنكسار اي اخبار الآباء وشذرة من اعمال السيد المسيح وثلاث شذرات من التوراة يسمونها قراءات. وفي غير هذه السبة يبدأ القارئ قائلاً: بارك يا سيد ويختم كذلك كل مقالة فيرفع الرئيس يده ويرسمه باشارة الصليب. اما في اسبوع الآلام فلا يستدُّون البركة وذلك كما ذكرنا آنفاً من امارات الحزن. ثم يقرأون فصلاً من اعمال الرسل وفصلاً من رسالة القديس بولس حتى اذا انتهى القارئ هتف الشمامسة بتسلحين آيةً من مزامير داود او من اقوال الانبياء مقدِّمةً لفصل الانجيل الشريف فالتحين قولهم وخاتمتهُ بلفظتي: «هِمْ هِمْ» بدلاً من هليلويا فينتصب الرئيس ويتلو فصلاً من الانجيل

وعندما ينتهي منه ينزل فيقف عند الدرجة السفلى والكهنة من عن يمينه والشمامسة من عن يساره فيعملون رتبة السجدة لصورة المصلوب المصعود على المذبح وهو مغشّى بالسواد مترنمين ما بين جوقين بالمزمور ١٤٨ الذي اوله: «سبحوا الرب من السماوات» وبعده المزموران ١٤٩ و ١٥٠ وفي آخر كل جزء يقولون «ولك يحق المجد يا الله» ويسجدون مقبلين الارض. فاذا أتموا السجدة عادوا فكمّلوا صلاة الليل قائلين ادعوة من مار يعقوب واخرى من مار افرام. فالاولى يختمونها: «ايها اليهود هوذا يُترك لكم بيتكم خراباً (متى ٢٣: ٣٨)، فلا حبر ولا ملك ولا نبي...!» والثانية يختمونها بما معناه: «قالت البيعة للمسيح اني اذهب معك يا ديّان الاحياء والاموات. وعندما تدين انت الشعب اللعين فلا تحكم عليَّ بحكمك الرهيب» ثم يتبعونها بانشودة الختام (المدراش صحوهلا) ولها اوزان والحان مختلفة. فاذا تمّت صلاة الليل فعند الموارنة تمنح البركة بالصليب المقدس، وهي رتبة مؤثرة تهيب بالقلب الى الخشوع

هكذا كانوا يصنعون في القديم أيام لم يكن للضجر والملل منفذ الى القلوب وكانت اللغة السريانية زاهرةً ولاسيما في جبل لبنان. اما في هذه الايام فحبًّا بالاختصار ولكيلا يتطرأ الضجر الى قلوب الحاضرين امسى كثيرون يبدلون صلاة الليل بصلاة الستار التي هي اقصر الصلوات ولا يقيمون رتبة السجدة للصليب مع ما فيها من الخشوع وما تستدعي من التأثر. وبعضهم يقولون من صلاة الليل القومة الرابعة اي

الاخيرة ليختموها بالسجدة للصليب ضاربين صفحاً عن الثلاث قومات الاولى . ذلك ما يُصنع في كلّ ليلة حتى ليل السبت العظيم . وفي الصباح كانوا يصلّون صلاة الصبح المؤلفة من ٧ الحان بين كل منها وآخر ابتهال وجيز يتلوه احد القارئين بالعربية وبعدها سوغيت ثم حِسّاية وثلاث قراءات من العهد القديم وفصل من اعمال الرسل ومن رسالة مار بولس ثمّ الانجيل . ويختمون الصلاة بانشودة مار يعقوب او مار افرام . وكانوا عند الضُحى او منتصف النهار يصلّون الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة ولكن قلّ من يقيم هذه الصلوات في هذا العصر الذي كثرت فيه الاعمال الدنيوية فشغلت معظم اوقات الناس ، الّا في بعض الاديار والمدارس الاكليريكية العامرة حيث لا شاغل يشغلهم عن إقامة الحفلات والرتب في اوقاتها

وفي بعض الجهات جرت عادة الكنيسة المارونية على عمل رتبة القنديل (١ يوم الاربعاء الذي فيه تذكار ايوب الصدّيق . فبعد صلاة الليل يتّجه الرئيس والكهنة والشمامسة الى امام المذبح الكبير حيث يكون وضع القندلفت مائدة صغيرة عليها طبقٌ فيه سبع فتائل مغموسة بالزيت رمزاً للسُرج السبعة التي رآها زكريا النبي ويوحنا في جليانه . والرتبة مقسمة الى ٧ اجزاء كل منها يشتمل على انشودة وصلاة وفصل من الرسائل وشذرة من الانجيل . فيبارك الرئيسُ اولاً الزيت ثم يبتدئون بالرتبة وكلما انتهوا من قسم شعلوا فتيلةً من الفتائل السبع واخيراً يتقدم الشعب فرداً فرداً حاسرين عن رؤوسهم فيدهن الرئيس جباههم بذلك الزيت قائلاً : « ليكن لغفران خطاياك ولمحو ذنوبك ولصحّة نفسك وجسمك » . والفائدة من هذه رتبة القنديل انما هي التوسل إليه تعالى ان يقبل توبة التائبين ويمنح المرضى الصحة » (كتاب توزيع الاسرار عند الموارنة)

٣ خميس الاسرار

كلّ يعلم ان في مثل هذا اليوم رسم المخلّص له المجد سرّ القربان الاقدس في العشاء السرّي الذي تناوله مع تلاميذه الاثني عشر في علّيّة صهيون . فتذكاراً لهذا الحادث العظيم يقيم السريان في صباح الخميس تداساً كبيراً يشترك فيه كهنة الكنيسة

١) هذه الرتبة جارية ايضاً في اواسط الصوم عند السريان

اجمعهم تمثلاً باشتراك السيد المسيح مع تلاميذه بأكل خروف الفصح ، وعليه فلا يكون هناك سوى قداس واحد عام . فالداخل الى كنيسة السريان يرى في وسط الكنيسة منصةً مرتفعة وُضع عليها مائدة مستطيلة مفروشة مزيَّنة تكفي لان يقف حولها كل كهنة الكنيسة ويحضرون على المائدة آنية التقديس لكل كاهن . وفي الرأس المقابل لجهة الشعب صليب حوله الشموع وبعض الازهار . فاذا حان وقت القداس ارتدى الكهنة ملابسهم الكنسيَّة في خزانة الكنيسة واما الرئيس فان كان حبراً فهو يلبس ملابس التقديس على احد المذابح وحينئذٍ لا يرتدي الكهنة الوشاح الفوقي (الغفارة) بل يحمل كل منهم وشاحهُ على زنده ويأتون فيقفون امام الرئيس فيباركهم وعندئذٍ يضعون الوشاحات على اكتافهم وهي ذات الوان زاهية

ثم يتقدمون الى المائدة فيتخذ كل منهم مكانهُ وحذاءهُ خادمٌ يقدم لهُ آنية التقديس والبخور ويشرعون بالقداس قائلين المقالات الجهريَّة متناوبةً . الَّا انهم في هذا القداس لا يقولون التقديسات الثلاثة : قدُّوس الله الخ بل بدلاً من ذلك يقولون بالسريانيَّة ما معناه : « ايها المسيح الذي بفصحه جدَّد خروف الفصح فبجاه فصحك أبهجنا وارحمنا » مكررين ذلك ثلاثاً . ولا يتبادلون السلام ولا يقول الرئيس : السلام لجميعكم . اما كلام التقديس الجوهري فيتلونهُ معاً بصوت عالٍ وبتأنٍ حتى لا يسبق الواحد الآخر . وفي خلال هذا القداس يوزعون المناولة الفصحيَّة ولا يحصرون التوزيع في واحد منهم بل يناول كلٌّ من المقدِّسين مَن هم حولهُ ووراءهُ . اما الرئيس فيكون قد قدَّس على قربانتين فتناول واحدةً وابقى الثانية ففي نهاية القداس يضعون القربان الباقي في حقَّة ثمينة يحملها الرئيس فيسيرون امامه طوافاً في باحة الكنيسة ثم يعودون الى المكان المعدّ « لحبس » القربان فيضعونهُ هناك ثم يسجدون وينصرفون

اما قولنا « حبس القربان » فهي كلمة اصطلح عليها الشرقيون للتعبير عن الصمدة المزيَّنة التي يعدّونها في جهة من جهات الكنيسة لحفظ القربان اذ ينقلونهُ عن المذبح الكبير . وهذه عادة جرى عليها جميع الطوائف الكاثوليكية شرقية وغربية فهي اذاً معروفة لدى الجميع لا حاجة للاسهاب بشأنها

أما الموارنة فلا يحتفلون بهذا قداس الفصح المشترك مع انه كان في القديم من جملة رتبهم . وقد رأينا في بعض كتبهم الطقسية ما يدلُّ على ذلك . بل ان الكهنة

يقدسون كلٌّ بمفرده متوشحين بملابس التقديس الزاهية اللون خلافاً لسائر ايام الاسبوع . وقد قرأنا في كتاب رتبهم ما نصهُ : « يوم الخميس بعد صلاة الصبح يُنزع السواد من على المذبح الكبير ويُصعد بازائهِ ابيض . . . » فهم وان كانوا قد ابطلوا إقامة صلاة الصبح الجمهورية فما زالوا حافظين عادة نزع الستار الاسود من امام المذبح واقامة قداس صارخ ينقلون في ختامهِ القربان المقدس ليحفظ في المكان المذكور آنفاً للسجود لهُ كل هذا النهار والليل بعده

٤ حفلة غسل الارجل

هي رتبة تمثل غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه من بعد ان تعشوا العشاء السرّي . تصنعها الكنيستان تقريباً على نمط واحد مع فرق جزئيّ ويُحتفَل بها عادةً نحو الساعة الثالثة بعد الظهر . فاذا أزفت هذه الساعة قُرع الجرس ليجتمع الشعب (١

ويكون الواعف قد سبق فجهّز في وسط الكنيسة اثني عشر كرسيًّا في صفّين متقابلين وما بينهما الى الجهة السفلى كرسي كبير وجهه الى جهة المذبح وعليهِ الملابس الكهنوتية . فاذا دخل الكهنة للصلاة يخرج الاثنا عشر تلميذًا من السكرستيا تتقدمهم راية الصليب المقدس فيذهبون يجلسون على كراسيهم في وسط الكنيسة . والكهنة والشمامسة يبدأون رتبة الغسل كما في صلاة الفرض فاذا بلغوا الى رسالة بولس الرسول ينزل الرئيس ومعه معاونان او اكثر الى حيث نُصب لهُ الكرسي الكبير فيرتدي الملابس الكنسية ويجلس على عرشه . والتلاميذ يخلعون احذيتهم من ارجلهم اليمنى فقط ثم يُتلى فصل من انجيل القديس يوحنّا الذي يخبر حكاية الغسل وعند ما يبلغ الكاهن القارئ الى قول الانجيليّ : «قام عن العشاء وخلع ثيابه» يبدأ ينشد هذا الكلام بنغم مستطيل

فينهض حينئذٍ الرئيس ويخلع عنهُ الوشاح الكبير والتاج اذا كان حبرًا متتبعاً كلام الانجيل اي انهُ يعمل كما عمل المخلص اذ اراد غسل ارجل تلاميذهِ فينشد

(١) ان الكنائس الشرقية لم تتفق على خطّة واحدة بشأن دقّ الجرس من خميس الاسرار الى السبت العظيم فمنهم من اتخذوا طريقة الكنيسة اللاتينيّة بألّا يدقوا الجرس كليةً ومنهم من يدقهُ دقّات الحزن كما يُدقّ للميت . ولذلك يحسنون لو منعوا دق الجرس قطعياً

وسطه بمنديل ، ومتى قال الانجيلي : « وصبَّ ماء في مطهرة » ينحدر الرئيس ويجثو على ركبتيهِ امام التلميذ الذي من عن يمينه ، فيصبّ لهُ المعاون الماء على رجل التلميذ وهو يدعكها بالصابون ويغسلها ، فيصل القارئ الى القول : « وكان ينشفها بالمنديل » فيأخذ منشفة من المعاون الثاني وينشف رجل التلميذ ثم يقبلها اقتداء بالمعلم الالهي في ذلك الاتضاع العجيب ، ثم يغسل رجل الثاني والثالث ثم ينهض ويعود الى عرشهِ ويتشح بالوشاح ويجلس . فيصمت قارئ الانجيل والمرتلون يرتلون بيتاً من انشودة عربية بنغم سرياني . فاذا انتهوا اعاد قارئ الانجيل الكلام الاول « قام من العشاء » فينهض الرئيس ويصنع كما صنع اولاً لكنهُ يغسل ارجل الثلاثة الذين عن يسارهِ ويرجع الى عرشهِ والمرتلون ينشدون بيتاً آخر . ثم ينهض عند قول الانجيلي « قام من العشاء » ويذهب يغسل ارجل الثلاثة الباقين في الصف اليميني ويعود الى مكانه

وبعد انتهاء المرتلين من البيت الثالث ، يهتف الانجيلي مكرّراً كلامهُ : « قام من العشاء » فيقوم الرئيس ويجري كالاول ويغسل رجلي اثنين فقط ممَّن هم في آخر صف الشمال فاذا انتهى الى الثالث الاخير الممثل لبطرس وقف هذا وامتنع ، فتجري بينهما المحاورة التي جرت بين السيد المسيح وزعيم الرسل ، فيقول بطرس متعجباً : أنت يا سيدي تغسل قدميَّ ؟ — الرئيس : ان الذي اصنعه لست تعرفهُ الآن لكنَّك ستدركه فيما بعد — بطرس : لن تغسل رجليَّ ابداً — الرئيس : ان لم اغسلهما فليس لك نصيب معي — بطرس : اذاً يا سيدي لا تغسل رجليَّ فقط بل يديَّ ورأسي ايضاً — الرئيس : ان الذي قد اغتسل لا يحتاج الّا الى غسل رجليهِ لانه كلهُ نقي ، وانتم انقياء ولكن لا جميعكم (يوحنا ١٣ : ١٥) . ثم يغسل لهُ رجلهُ ويقبّلها ويرجع الى مكانه وقارئ الانجيل يتمم الفصل والمرتلون ينشدون تتمة الانشودة السابقة . واذ ذاك ينهض التلاميذ ويسيرون امام الرئيس تتقدمهم راية الصليب المقدس عائدين الى الخزانة والرئيس والكهنة يختمون الرتبة بانشاد (ܟܕܡܐ) طلبة مار يعقوب بالسريانية

واعلم انه في يوم خميس الاسرار يُحتفَل في الكرسي البطريركي بتقديس الزيوت : زيت العماد وزيت مسحة المرضى وزيت الميرون . على انها رتبة يقوم بادائها السيد البطريرك او الاسقف نائبهُ فقط

٥ الجمعة العظيمة

ان الكهنة قاطبةً لا يقيمون الذبيحة الالهية في صباح الجمعة العظيمة لان في مثل هذا اليوم قدَّم فادينا الالهي نفسهُ ذبيحةً دموية على جبل الجلجلة لخلاص الجنس البشري. على ان الكنيستين الشرقيتين اللتين نحن بصددهما تحتفلان بقداس رسم الكاس السابق تقديسه. وقوام ذلك انهم يدخلون الكنيسة ساعة شروق الشمس فيقيمون صلاة الصبح. وبعد يتوشح احد الكهنة بملابس التقديس وعند الموارنة يلبس «الغفارة» بدلاً من البدلة اللاتينيَّة ويتقدم وامامهُ الشمامسة والخدَمة الى الهيكل الكبير ويشرع بهذا القداس على حسب نسق خاصّ به في كتاب القداس ولا يُتلى الكلام الجوهري لكنهم يتوجهون حيث القربان محفوظ من يوم الخميس فيخرجه رأس الشمامسة او الكاهن ويسلّمهُ الى الرئيس فيعودون بزياح منشدين اناشيد محزنة حتى يبلغوا الى الهيكل الكبير فيتيمم الرئيس القداس ويتناول هو ويتناول من شاء التناول من الحاضرين. الّا انهم لايتركون شيئاً من القربان وحيثما وُجدت ضرورة لابقائهِ فهم يحفظونهُ في معبد خاصّ او في خارج الكنيسة

٦ رتبة دفن المسيح

تقام تمثيلاً لتنزيل جثمان الفادي الكريم من على الصليب ووضعهِ في القبر. ان هذه الرتبة فيها بعض الفرق بين الطقس السرياني والماروني. ففي الكنيسة السريانيَّة يصدون صليباً عادياً على مائدة المذبح الكبير ومن عن يمينه ويساره شمعتان فقط. امّا شمعة اليسار فتكون مصبوغة بالاسود تمثيلاً للصّ الشمال الذي قطع رجاءهُ ومات فهلك. وامام الصليب يضعون اطباق البخور وآنية فيها العطور والقطن

ويبدأون اولاً بفرض الساعة التاسعة ثم يتبعونها بصلاة الرتبة وعندما يقرأون قصَّة خلاص اللصّ اليميني وهلاك اللص الشماليّ يتقدَّم احد الكهنة فيطفئ شمعة اليسار ويكسرها. ثم يضع رئيس الكهنة بخوراً ويبخر المصلوب هو اولاً ثم يتناوبون التبخير حسب درجاتهم الاكبر فالاصغر وعند تبخير كل واحد منهم ينشد والمرتلين بالسريانية ما ترجمتهُ: «اننا نسجد لصليبك الذي بهِ صار الخلاص لانفسنا، ومع

اللص نهتف اذكرني يا رب اذا جئت في ملكوتك »

ومتى انتهوا من التبخير يسيرون طوافاً في باحة الكنيسة والرأس يحمل الصليب وراء الكل والكهنة يحملون اطباق البخور وآنية الطيب الى ان يصلوا الى منصّة في طرف الكنيسة الغربي يصعد اليها الرئيس فيقدمون لهُ البخور والطيب فيخلط بها الصليب ويلفّهُ بالكتّان ثم يضعهُ في نعش يحملهُ اربعة من الكهنة او من الخاصّة ويكملون طوافهم منشدين الاناشيد المحزنة حتى يصلوا الى الهيكل الكبير فيضعون الصليب في قبر معدّ تحت مائدة المذبح الكبير ويطبقون عليهِ بلاطةً مكتوباً عليها هذه الآية : « يموت الصدّيق مهاناً ويُدفَن مكرّماً ويكون قبرهُ ممجّداً » ويختمونها بالشمع الاحمر

اما في الكنيسة المارونية فبعضهم يقيمون هذه الرتبة قبل الظهر بساعتين اما في المدن العامرة فيحتفلون بها الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهاك ما يجري عادةً : يرفعون فوق المذبح الكبير صليباً كبيراً عليهِ صورة المصلوب مجسّماً قابلاً للفكّ والتنزيل مغطّى برداء رفيع اسود ويفرشون تحتهُ الازهار . وعن يمينهِ ويسارهِ شمعتان فقط مطفأتان فاذا حان وقت الشروع بالرتبة يدخل الكهنة والشمامسة لاقامة الصلاة التاسعة وفيها يقرأون قصّة آلام المخلص وحكاية تنزيل جسده الطاهر ودفنه من كتاب السنكسار . ثم يُقرأ انجيل لوقا المخبر عن خلاص اللص اليميني فتُشعل حينئذٍ الشمعة التي الى يمين المصلوب وتظلّ اليسرى مطفأة . ويكشف احد الكهنة الغطاء عن الصليب . وبعد الصلاة التاسعة يواصلون بصلاة الرتبة . ومتى انتهى الكاهن من قراءة فصل الانجيل المخبر عن موت المخلص وتنزيل جسدهِ المكرّم يرتدي رئيس الخورس ثياب الكهنوت وغفّارة سوداء واثنان من الكهنة او الشمامسة يلبسان درعاً نصفياً وبطرشيلاً من كتف الشمال الى تحت إبط اليمين كالشماس وهذان يصعدان الى جانب المصلوب فيقف كلٌّ من ناحية . فيتلو الرئيس صلوةً لنزع الاكليل وبعدها يرتّل المرتلون ترتيلاً محزناً من الوزن المشهور بـ (ܥܕܢܐ ܕܩܠܝܢ) . وفي اثناء ذلك ينزع الكاهنان الاكليل عن رأس تمثال المصلوب ويضمانه في طبق معدّ لهُ ثم يستتلي الرئيس بالصلاة لنزع مسماري اليدين فيرتّل المرتلون والكاهنان يخلعان المسمارين ويضمّان الذراعين الى الجسم وهكذا يجري لمسمار الرجلين وتوضع المسامير في طبق

كالاكليل . كلُّ هذا واعين الشعب شاخصةٌ لهذا المنظر المهيب مغرورقة بالدموع تخشعاً

ثم يحمل الكاهنان شخص المسيح بين ايديهما ويدفعانه الى الرئيس الذي يضعهُ في النعش المجلل بالزهور فيُحمَل بين اربعة والكاهنان يحملان طبقي الاكليل والمسامير ويطوفون في الكنيسة باحترام والرئيس يضع بخوراً ويُبخِّر النعش وهو سائر امامه بينما المرتلون يرتلون التراتيل المحزنة . ومتى كمل الطواف يضعون النعش على منصَّة امام المذبح وعندئذٍ يصمت المرتلون فيقول الكهنة بالسريانية ما ترجمتهُ : «ايها المسيح الذي صُلبت لاجلنا ارحمنا» مكررينها ثلاثاً وفي كل مرَّة يصنعون مطانيَّةً ويقبّلون الارض . وبعد ذلك يحملون شخص المصلوب الى حيث اعدُّوا لهُ القبر تحت احد المذابح الصغيرة فيضعونهُ فيه بين الازهار ويعلقون فوق القبر لوحةً مكتوبة عليها الآية التي ذكرناها آنفاً . ثم يأخذ كاهن بين يديهِ صليباً صغيراً يعرضهُ للشعب ليقبلوه قبل خروجهم من الكنيسة

وقد اخذ الموارنة هذه رتبة التنزيل عن رهبان الارض المقدسة الفرنسيسيين مع بعض التصرّف . اما في القديم فكانوا يدفنون الصليب بين الازهار كرتبة السريان لكن بدون تحنيط بالبخور والطيب

٧ يوم السبت العظيم

تُقام القداسات في صباح هذا النهار كباقي ايام الاسبوع بالبدلات السوداء — فالموارنة قبل الظهر بساعة يكونون قد نزعوا علائم الحزن من الكنيسة وزينوها بافخر زينة فيأتي الرئيس والكهنة والشمامسة ويقفون للصلاة التي يدعونها صلوة الغفران (ܨܠܘܬܐ ܕܫܘܒܩܐ) وموضوعها الاستغفار عن الذنوب والحث على مسامحة من أذنب وإزالة الحقد استعداداً لعيد قيامة الفادي المجيد . اما أنغام هذه الصلاة فمفرحة يقولون فيها هلليلويا و(ܫܒܚܘܗܝ) . وعند النهاية منها يكون قد حان الظهر فيدقّون جرس الكنيسة ويتلون صلاة التبشير وبعدها يقف الرئيس في باب الدرابزين فيتقدمون واحداً فواحداً ويقبلون يده فيقول لكل منهم : السلام لك . . .

وعند السريان يظلّ احد الكهنة صائماً من نصف ليل السبت الى ما بعد ظهر هذا النهار ونحو الساعة الخامسة يحتفلون بصلاة المساء احتفالاً فخيماً ثم يقيم الكاهن الصائم قداساً صارخاً في تلك الساعة المتأخرة من النهار وكثيرون يتقدمون من المائدة السرّية وهم بعد قائمون على الطوى حتى تلك الساعة . وهذا الاحتفال يصنعه الارمن والكلدان ايضاً (١)

٨ احد القيامة المجيدة

اعتاد الموارنة ان يحتفلوا في القيامة بقداس نصف الليل كما في عيد الميلاد . فاذا حانت الساعة ١١ ليلاً سمعت اجراس الكنائس ترنّ مؤذنةً بقيامة السيد المسيح من بين الاموات . وفي اثناء القداس الكبير يعملون رتبة يسمونها « رتبة السلام » فيفتتحونها بكلام السيد له المجد لتلاميذه : السلام استودعكم سلامي أعطيكم . ويقرأون شذرةً من رسالة بولس الى اهل رومية (١٦ : ١—٢٤) الذي فيها يبعث الرسول سلامهُ وسلام معاونيهِ الى كل من عرفهُ او تعب لاجلهِ . وبعد قراءة فصل من انجيل يوحنا (١٥ : ٧—١٤) الذي يوصي فيهِ السيد تلاميذه بمحبة بعضهم بعضاً كمحبة الآب له ومحبتهِ للآب ، يقصدون جميعاً الى القبر حاملين الشموع المضيئة . فيقف رئيس الخورس ويضع بخوراً ويبخر القبر ثلاثاً قائلاً مع الكهنة ما حرفيّته : ايها المسيح الذي قام من بين الاموات ارحمنا . ثم يكشفون ستار القبر فيأخذ الرئيس الصليب منهُ (يكون الواهف قد سبق ورفع المصلوب الكبير الذي دُفن بالامس ووضع مكانهُ صليباً صغيراً يمكن حملهُ) ويضع عليهِ رداء ابيض ثميناً

ويسير الجميع طوافاً في الكنيسة ويتقدَّم الموكبَ شماسٌ حاملاً صورة القيامة وهم يرتّلون اناشيد القيامة مردّدين التهاليل بقولهم آخر كل بيت هلليلويا . وفي آخر القداس يوزع الرئيس على الشعب الازهار التي كانت في القبر بركةً وتذكاراً

وهذه الرتبة عينها مع بعض التصرّف يقيمها السريان ويزيدون عليها انهم ينصبون الصليب على يمين المذبح الكبير ويظلّ هكذا مدة ٤٠ يوماً اشارةً الى المدة

(١) هذا القداس الاحتفالي كان في اوائل الكنيسة يجري في نصف الليل ثمَّ قدّموهُ الى مساء النهار السابق تخفيفاً على المؤمنين في بلادٍ كان الخروج فيها ليلاً كثير الاخطار

التي قضاها المخلص متردّدًا على الارض بعد قيامته وقبل صعوده الى السماء

هذا ما عنّ لي ذكرهُ بهذا الشأن واني اسأل الفادي الكريم ان يعيد امثال هذه التذكارات الفخيمة والمواسم الجليلة على قداسة إمام الاحبار رأس الكنيسة المنظور والسادة الاساقفة وكلّ ابناء الكنيسة الجامعة سنين كثيرة. وشدَّ ما كان فرحنا عندما قرأنا مؤخرًا بان الكنيسة اليونانيّة قرّرت ان تحذو حذو حكومتها باتباع الحساب الغربي. فمن قريب ان شاءالله لا يعود يُسمع بذلك الفرق المشين بين اعياد الامم المسيحية. واللهَ تعالى نسأل ان يلهم المنفصلين نعمة الانضمام الى وحدة الكنيسة الجامعة ليتمّ ما شاءه قلبه الاقدس بان تُصبح الرعيّة كلها واحدةً لراعٍ واحد

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تتمّة لحرف الباء

٨٦١ ﴿يوساب راهب الاسقيط﴾ في القرن السابع عشر. لهُ في مكتبة باريس (Ms. 280²) اخبار روحيّة

٨٦٢ ﴿يوساب﴾ مطران دَرْجا واخميم كان في القرن الخامس عشر. لهُ في مكتبة باريس (ROC, XIV, p. 176, n° 4711) سبعة وعشرون ميمرًا في المعتقدات النصرانيّة. ثم (ibid., p. 187, n° 4790²) بيان الديانة المسيحيّة وجدال مع بعض المسلمين

٨٦٣ ﴿يوسف الاوّل﴾ بطريرك الكلدان المتوفّى في رومية سنة ١٧٠٧ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٧٨—٨٨٠) لهُ في المكتبة الفاتيكانيّة مقالة في المعموديّة والتوبة

٨٦٤ ﴿يوسف الثاني﴾ بطريرك الكلدان المتوفّى في ديار بكر سنة ١٧١٣

(اطلب ترجمتهُ في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٨١–٨٨٢ و ٤ [١٩٠١] : ٨٥٠–٨٥١) ألّف عدّة كتب باللغة الكلدانيّة (Bibl. Or. III 603-609). ومما لهُ في العربيّة: ١ً المرآة الجليّة في دحض النـاطرة واليعاقبة وصحّة الديانة الكاثوليكيّة ألّفـهُ سنة ١٧٠٦ . منهُ نسخة بالكرشوني في مكتبة كمبردج (Wright, 853-860 Add. 3281) ونسختان في مكتبة الكلـدان في ماردين . ٢ً كتاب المعـالي في شرح الصلوات والطقوس الكلدانيّة في اربع مقالات وعدّة فصول . منهُ نسخة في لنـدن (Suppl. 42) وفي مكتبتنا الشرقيّة بالكرشوني تاريخهُ سنة ١٧٢٩ بيد الشمّاس ميخائيل ابن المطران باسيليوس ابن المقدسيّ غرابيت الساكن قرية عين تنّور . ومنهُ ايضاً نسخة في مكتبة الكلدان في ماردين (Cod. 98[3]) . ٣ً كتاب كنز الاسرار بالكرشوني منهُ نسخة في مكتبة الكلدان في ماردين . ثم نقلَ الى العربيّة والكلدانيّة من اللاتينيّة اعمال احد عشر مجمعاً من المجامع العموميّة . (Addi Scher, Cod. 95) وقد نشر الاب بيجـان الترجمة الكلدانيّة في باريس سنة ١٨٨٨ . وقـد نقل يوسف الثاني عدّة كتب من العربية الى الكلدانية ككتاب الطب الروحي وكتاب المناطيس في السيرة الروحية الخ

٨٦٥ ﴿يوسف اسقف فوّه﴾ عاش في القرن الثالث عشر للمسيح . لـهُ في المكتبة الفاتيكانيـة تعريب كتاب الفردوس العقليّ المنسوب الى القـديس يوحنّا الدمشقي (وينسبهُ بعضهم الى القديس غريغوريوس نيسس) (اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني BO, I, 633, n° 6)

٨٦٦ ﴿يوسف الباريزي الكبوشي﴾ هو الاب الشهير يوسف دي ترمبـلاي (P. Joseph de Tremblay) المتوفّى سنة ١٦٣٨ م لهُ كتاب في طريقة الصـلاة عرّبهُ الاب اغاتنج دي ڤندوم (Hilaire de Barenton: *La France en Orient* p. 123)

٨٦٧ ﴿يوسف النـوعيّ﴾ كذا ورد اسمهُ بدون تعريف آخر . كان في القرن السابع عشر . وعلى ظنّنا انهُ هو الاب يوسف بسُّون الـذي كان مرسلًا في حلب في الشطر الثاني من القرن السابع عشر وتوفّي هناك سنة ١٦٩١ وكان متقناً العربيّة . ١ً في مكتبة باريس (Paris, Ms. 125) خدمة السيدة ام الله مرتريم الدائمة بتوليتها

ألّفها من اقوال الآباء القديسين لمن شاء من المسيحيين. تأليف الاب يوسف اليسوعي.
٢ً في مكتبة اوبسالا (Upsal, Ms. 496) كتاب عن القربان الاقدس وفقاً لتعاليم المجامع في ١٥ باباً مع شروح على الصلاة الربيّة تأليف الاب يوسف اليسوعي. ولعلّ هذا الكتاب هو المعروف بعجائب القربان الذي ورد وصفهُ منسوباً الى الاب يوسف اليسوعي في مجلّة العالم الكاثوليكي (Cosmos Catholicus, 1914, p. 125-126, n° 49) في جملة مخطوطات مدرسة الصلاحية في القدس الشريف

٨٦٨ ﴿يوسف دي رولي﴾ هو المرسل الكبوشي الفرنساوي (P. Joseph de Reuilly) كان في القسم الاوّل من القرن الثامن عشر. ١ً معرّب كتاب بوق السماء المنادي في كلّ اذنٍ صمّاء هم باستخراجهِ في مصر سنة ١٧١٧ وهو في ثلثة اقسام وعدّة فصول. منهُ نسخٌ شتّى في باريس (Ms. 230) وفي مكتبة لندن (Ellis, Or. 5079) ومكتبتي زمّار ودير الشير ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة الخ. ٢ً عرّب ايضاً في حلب سنة ١٧٢٠ كتاب المخاطبات اللاهوتيّة الروحيّة في عظمات السيد المسيح للاب لويس دي ارجنتان. منهُ نسخة في مكتبة الكبوشيين في بيروت وفي مكتبتنا الشرقية ومكتبة نقولا افندي أيوب في حلب

﴿يوسف الثوري الحلبي﴾ اطلب الجزء تحت العدد ١٧٦

٨٦٩ ﴿يوسف اسقف متونيس﴾ كذا ورد اسمهُ ولم نعلم شيئاً عنهُ. في مكتبتنا الشرقيّة رسالة الاب يوسف اسقف متونيس جواباً على كير مرقص مطران افسس في المجمع الفلورنتيني (في القرن الخامس عشر)

﴿يوسفيان﴾ اطلب يعقوب يوسفيان

٨٧٠ ﴿يونس﴾ بطريرك الاقباط في القرن الثالث عشر. لهُ في مكتبة باريس في مجموعة عدد ٢٥١ جدال بينهُ وبين يهودي وملكي

٨٧١ ﴿يونس﴾ الانبا اسقف اسنا. كتب في القرن الثالث عشر ترجمة حياة واستشهاد القديسة ديلاجي على عهد القيصر مكسيميانوس (Paris, Ms. 153 [2])

٨٧٢ ﴿يونس﴾ الانبا اسقف اسيوط من كتبة الاقباط في القرن الثالث عشر كتب اخبار الشهداء الذين قُتلوا في مدينة اسنا. منهُ نسخة في مكتبة باريس (Ms. 780[3]) تاريخها سنة ١٢٣٦ للشهداء (١٥٢٠م)

ملحق

فيهِ اسماء من فاتنا ذكر تآليفهم

(على ترتيب حروف المعجم)

٨٧٣ ﴿ ابن بختيشوع ﴾ جبرائيل المتوفَّى سنة ٢١٣ هـ ٨٢٨ م (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١١٠١—١١٠٢) ذُكر انهُ هناك من الكتب كنَّاش ورسائل طبيَّة ورسالة في الطعم والمشرب وكتاب المدخل الى صناعة المنطق

٨٧٤ ﴿ ابن بختيشوع ﴾ جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع المتوفَّى سنة ٣٩٦ هـ (١٠٠٥م) (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١١٠٤). لهُ كناشان طبَّيان كبير وصغير ورسالة في عصَب العين. ونظنّها انها هي المدعوَّة ايضاً طبّ العين منها نسخة عند الاديب يوسف بك رزق الله شديد اهداهُ اياها الوجيه جرجس بك صفا

٨٧٥ ﴿ ابن بختيشوع ﴾ جيورجيوس بن جبرائيل المتوفى سنة ١٥٢هـ (٧٦٩م) (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١١٠٠) هو الناقل للمنصور كثيراً من كتب اليونان. ولهُ كنَّاش طبي في السريانية

٨٧٦ ﴿ ابيفانيوس ﴾ البطريرك القسطنطيني المتوفَّى سنة ٥٣٥ م. لهُ في مكتبتنا الشرقيَّة بين مجموع قوانين الرسل والمجامع البيعيَّة والملوك مجموعة قوانين في عدد ١٣٧ مادَّةً وضعها للملك يوسطينوس

٨٧٧ ﴿ اسطفانوس القبرسي ﴾ احد تلامذة الموارنة في رومية في القرن الثامن عشر. لهُ تعريب مواعظ الاب بولس سنيري اليسوعي. منهُ نسخة في مكتبة مار عبدا هرهريَّا

٨٧٨ ﴿ اغاتنج دي ثندوم ﴾ هو الطوبوي الكبوشي المُرسل الى الشام ثمَّ المستشهد في الحبشة في ٣ حزيران ١٦٣٨ (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٥١٢—٥٢١). لهُ تعريب كتابين لاحد اخوتهِ الرهبان الاب مبارك الكبوشي كتاب التسليم لمشيئة الله وكتاب طريقة الصلاة (P. H. de Barenton, p. 123)

٨٧٩ ﴿ ألزيار دي سساي ﴾ المرسل الكبوشي (Elzéar de Samsaye)

المرسل في الشام صنَّف معجماً عربيًّا سنة ١٦٦١ (H. de Barenton, p. 123)

٨٨٠ ﴿امفياوشيوس﴾ هو مطران قونية القديس المتوفَّى نحو السنة ٣٩٦م. كان صديقاً للقديس باسيليوس. وفي مكتبتنا الشرقيَّة ترجمةٌ لهذا القديس الَّا أنَّنا لم نجد لها ذكرًا بين اعمالهِ اليونانيَّة (Migne, PG., vol. 39) ولعلَّها من اعمالهِ المفقودة

٨٨١ ﴿اورسين دي بورج﴾ المرسل الكبوشي (P. Ursin de Bourges) كان في اواخر القرن السابع عشر. ذُكر لهُ في قائمة تآليف الآباء الكبوشيين بالعربيَّة: ١ً كتاب ترجمة مار سمعان العمودي. ٢ً ترجمة القديس انطونيوس البادوي (H. de Barenton, p. 123)

٨٨٢ ﴿أيوب﴾ القس توما الحلبيّ السرياني المتوفَّى في ٥ ت ١ ١٩١١. هو معرِّب رواية الكردينال ويسمان الشهيرة باسم فابيولا فطُبعت بالقدس. وطُبعت ايضاً رواية الى اين (Quo Vadis) من تعريبهِ (في حلب) ورواية الكفَّارة (في مطبعتنا). وممَّا لم يتَّصل بعد للطبع عدَّة روايات من تعريبهِ ورسائل ومتفرِّقات عديدة شعريَّة ونثريَّة ولهُ ديوان شعر ومجموعة مواعظ تبلغ المئة دعاها «شبكة بطرس»

٨٨٣ ﴿باز﴾ سعد من أدباء دير القمر توفِّي سنة ١٨٧٢. لهُ ديوان شعر عند اهلهِ ومن نظمهِ اغاني دينيَّة في البتول مريم وفي قيامة لازر وغير ذلك

٨٨٤ ﴿بجيرا الراهب﴾ كان في النصف الاوَّل من القرن السابع. في مكتبة باريس رؤيا بجيرا الراهب (Paris, Ms. 215) ومباحثهُ مع محمَّد نبي الاسلام

٨٨٥ ﴿برنردس﴾ القديس الناسك الشهير المتوفَّى سنة ١١٥٣. وفي احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة «رسالة في كمال العيشة المسيحيَّة للقديس العامل ماري برنردس الناسك» لم يُذكر معرِّبها

٨٨٦ ﴿البستاني﴾ المعلم بطرس المتوفَّى في ١ أيار سنة ١٨٨٣. لهُ ما خلا التآليف المطبوعة الشهيرة كمحيط المحيط وقطرهِ ودائرة المعارف والكتب المدرسيَّة كتابُ بلوغ الارب في نحو العرب لم يُطبع. وكذلك لهُ عدَّة رسائل ادبيَّة وتهذيبيَّة وخطب مخطوطة

٨٨٧ ﴿تالاسيوس﴾ هو القديس الناسك عاش في القرن الخامس للميلاد. في مكتبة دير الشير في اوَّل احد المجاميع المعنون «اقوال ناطقة وآراء صادقة» اقوال

لابينا الجليل في القديسين تلاسيوس تحتوي اربعمائة حكمة في ٤٠٠ باب الباب الاوّل في الحب وضبط الهوى والسيرة العقليّة الخ

٨٨٨ ﴿تقلا﴾ سليم بك منشئ جريدة الاهرام المتوفّى في تموز سنة ١٨٩٢ . ترك من المخطوطات رسائل ادبيّة ونبذًا تاريخيّة وروايات تمثيليّة كرواية مترديات ورواية أيوب البارّ . وقد خلفهُ شقيقهُ بشارة باشا في اشغالهِ الصحافيّة ولا نعرف لهُ مخطوطاً توفّي سنة ١٩٠١

٨٨٩ ﴿الجاويش﴾ الكاتب الاديب فتح الله المتوفّى في ٦ تموز ١٩١٨ . وقفنا لهُ عند آلهِ الكرام على مخطوطات تاريخيّة عن سوريّة وشذرات شعريّة ونثريّة

٨٩٠ ﴿جيغالا﴾ رئيس اساقفة قبرس (Matthieu Tzigala) رئيس اساقفة قبرس من تلامذة مدرسة القديس اثناسيوس في رومية . عرّب البطريرك مكاريوس الحلبيّ في اواسط القرن السابع عشر تاريخهُ الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم من عهد قسطنطين الى السلطان مراد منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة ناقصة . (راجع العدد ٣٥٦)

٨٩١ ﴿خليل الخوري﴾ المتوفّى في ٢٦ ت ١ ١٩٠٧ منشئ حديقة الاخبار ومعرّب كتاب تكملة العبر لصبحي باشا وهو تكملة لتاريخ ابن خلدون . من مآثره المخطوطة كتاب تاريخ مصر كان اقترحهُ عليهِ الخديويّ سعيد باشا فانجزهُ سنة ١٨٦٤ . ولهُ ايضاً مجموعة شعريّة تاريخيّة كبيرة وخطبة في خرابات سوريّا ومقتطفات من تاريخي ابن شحنة وشهاب الدين المقدسي

٨٩٢ ﴿الحدّاد﴾ الاديب نجيب من عين قني في لبنان حفيد الشيخ ناصيف اليازجي توفّي في ٩ شباط ١٨٩٩ لهُ ديوان شعر وروايات ومقالات ادبيّة بعضها لا يزال مخطوطاً . وكان اخوهُ امين ايضاً شاعرًا ناثرًا فتوفّي سنة ١٩١٢

٨٩٣ ﴿حيدر﴾ الامير حيدر الشهابي المتوفّى سنة ١٨٣٤ . هو صاحب كتاب الغرر الحسان في تاريخ جبل لبنان منهُ نسختان في مكتبتنا في عدّة مجلّدات الواحدة قديمة . وقد طُبع الكتاب في مصر بتصرّف

رعد اطلب يوحنّا الماوي
سابا الخوري اطلب الكاتب

٨٩٤ ﴿سركيس﴾ خليل اللبناني صاحب المطبعة الادبيّة ومنشئ لسان الحال المتوفّى سنة ١٩١٥ . لهُ المطبوعات الشهيرة المتعدّدة . امّا مخطوطاتهُ الباقية فبعض كتابات سياسيّة وادبيّة لا تزال في يد ابنهِ الاديب رامز افندي

٨٩٥ ﴿سعد﴾ الخوري الياس تلميذ المدرسة المارونيّة في رومية كان في اواسط القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة مدرسة مار عبدا هرهريا تعريب كتابين للكردينال لمبرتيني (البابا بندكتوس الرابع عشر) في شرح اعياد السيّد والسيّدة وفي تطويب القديسين في مجلّدين ضخمين

٨٩٦ ﴿سيجسموندي﴾ هو الاب اليسوعي سوركينا كان في القرن الثامن عشر . عرّب الخوري سابا الكاتب فلسفتهُ . كانت منها نسخةٌ في تركة القس انطون بولاد فطبعها على الحجر في دمشق طبعةً سيّئة سنة ١٨٥٥

٨٩٧ ﴿عسّاف﴾ انطونيوس جرجس كان في اواخر القرن الثامن عشر . لهُ في مكتبة مار عبدا شرح عوامل الاعراب ملحق لاصول العربيّة المقدسي غريغوريوس نعمه

٨٩٨ ﴿فرج الله الاخميمي المصري﴾ من نصارى الاقباط في القرن الرابع عشر . لهُ في مكتبة باريس (N° s. 250) كتاب جمع القوانين

٨٩٩ ﴿الفغالي﴾ القس انطونيوس اللبناني المتوفّى في اواخر القرن التاسع عشر طُبع لهُ كتاب ينبوع السلوان في زيارة القربان وروضة الازهار في نظم الاشعار . ومن مخطوطاتهِ في يد القس انطونيوس شبلي كتاب البرهان الوطيد في الرد السديد لتفنيد زعم نتنائيل خيخا في نقض رياسة البابا ثم كتاب ترجمان لسان البيان (ارجوزة) . ولهُ قصائد متفرّقة

٩٠٠ ﴿قيساريوس﴾ القديس شقيق القديس غريغوريوس النزينزي المتوفّى سنة ٣٥٨ . عند حضرة القس بولس سباط نسخة من جوابهِ على مئة سؤال عرضها عليهِ بعض تلامذتهِ (*EO* xxvi, p. 333, n° 131)

٩٠١ ﴿لمبرتيني﴾ الكردينال بروسبيروس (ثم البابا بندكتوس الرابع عشر

٩٠٢ ﴿مبارك الكبوشي﴾ كان في اواسط القرن السابع عشر . عرّب لهُ الاب اغاتنج دي قندوم كتابين في التسليم لارادة الله وفي طريقة الصلاة المتوفّى سنة ١٧٥٨ . لهُ في مكتبة مدرسة مار عبدا تعريب كتابيهِ في اعياد القديسين

والسيدة ثم تطويب القديسين في مجلّدين ضخمين عرّبهما الخوري الياس سعد

٩٠٣ ﴿ومنى﴾ بطريرك الاقباط في القرن السابع عشر لهُ في مكتبة باريس (Paris, Ms. 225 et 226) دستور ايمان الاقباط في الردّ على الكلوينيين في ١٨ اثور سنة ١٣٨٨ للشهداء (١٦٧٢م)

٩٠٤ ﴿موسى فرج الله﴾ في مكتبتنا الشرقيّة تأليف لغوي حسن عنوانهُ «كتاب الاجرومي مع اعرابهِ في النحو» ومقالة في العوامل دعاها جزء النحلة وضعهُ «الشمّاس موسى ابن المرحوم الشمّاس فرج الله ابن الخوري يشوع البابلي من آل غنيمة القاطنين دار السلام بغداد تاريخهُ ٢٧ رمضان ١١٢٩ ﻫ (١٧١٦م)»

(التتمّة لعدد آخر)

جثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني (تابع)

١١ ﴿شمعون الاوّل﴾ هو القديس شمعون برصبّاعي (١ المشهور بالفضل والفضيلة . والممتاز بتوقّد الذهن وسعة المعارف . نُصب جاثليقاً وسالفهُ فافا في قيد الحياة . وعام ٣٢٩ أُنيطت بهِ وحدهُ رئاسة المشرق . وهو الذي حتم ان يصلّي الشرقيّون فروضهم الدينيّة ما بين جوقتين مثلما رتّب اغناطيوس النوري البطريرك في انطاكية . وفرض على الاكليروس ان يرتّلوا المزامير غيباً وقسمها الى مراميث (ܡܪܡܝܬܐ) ومرلالات (ܡܪܠܠܬܐ) وحرّج على الراهبات حضور الصلاة القانونيّة وانشاد المداريش مع الرجال عشية الآحاد والأعياد . وصنّف بعض الترانيم والرسائل وعام ٣٤٠ اصدر شابور الملك أمرهُ الى مار شمعون ان يجمع الجزية مضاعفةً من ملّتهِ فانكر عليهِ ذلك فاستشاط الملك غضباً وعوّل على اكتساح جرثومة النصرانيّة من مملكته . فقوّض كنيسة المدائن وامر بالقبض عام ٣٤١ على الجاثليق وعلى اربعة اساقفة وتسعة وتسعين من الاكليرس والمؤمنين وسيقوا الى ليدان بالاهواز . وما

١) اطلب المكتبة الشرقيّة للعلاّمة السمعاني ١ : ١

كادوا يصلون الى العاصمة حتى أُلقوا في السجن جميعاً . ولما كان خميس الفصح وتعذّر على الجاثليق واساقفته اقامة القداس استحضروا خبزاً وخمراً ووضعوهما على ايدي الاكليروس وقدّسوا وقرّبوا جميع المسجونين . وصباح الجمعة العظيمة ساقهم الجند خارج المدينة فتألّب الناس وتقاطروا ليشاهدوهم وكان القديس شمعون إمامهم يتقدّمهم حتى بلغوا الى منقع العذاب فأقبل السيّافون وفصلوهم عشرة عشرة وأبعدوا بهم قليلاً وضربوا أعناقهم (١ . وكان الجاثليق القديس يقبّل جبين واحدٍ فواحدٍ ويشجّعه . وآخر الكل قُتل هو ايضاً وتمّ استشهادهم أصيلَ يوم الجمعة العظيمة . وظلّ الجنود يسوقونهم زرافاتٍ كالغنم الى المجزرة مذ ذاك اليوم حتى الاحد الجديد فسُمّيت لذلك تلك الجمعة جمعة المعترفين . واستغرقت حبريّة مار شمعون الشهيد اثنتي عشرة سنة . ونُقلت عظامه المقدّسة الى مدينة شوشان بعيلام وشيّدت على اسمه كنيسة في ليدان

واشتهر في عهده مار يعقوب اسقف نصيبين (٣٠٩–٣٣٨) الذي سمّاه اوسابيوس فخر اساقفة المشرق وجهبذاً في معرفة الكتب المقدّسة . وهو الذي شاد الكنيسة الكبرى في نصيبين (سنة ٣١٣–٣٢٠) وما برح قبره مصوناً فيها حتى اليوم (٢ . وأجمع الشرقيون على انهُ حضر المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ مع افريم السرياني تلميذه

وعُرف كذلك ميلس اسقف شوشان الشهيد († ٣٤١) الذي صنّف رسائل وميامر شتى . وافرهاط الحكيم الفارسيّ سنة ٣٤٥ صاحب كتاب البراهين الذي رتّب مقالاته على الحروف الابجديّة واضاف اليه مقالةً في المنقود (٣ . وغريغوريوس الناسك في جبل الإزل مصنّف كتاب السيرة النسكيّة (٤ نحو سنة ٣٥٠ . ومار افرام الملفان († ٣٧٣) الذي تُغني شهرتهُ عن وصفه . وقد بلغ عدد الشهداء الذين أُحدِرَت

١) على هذا النسق عينه جرى الاتراك لمّا ذبحوا نصارى ارمينية وما بين النهرين سنة ١٩١٥ وما بعدها كما جاء في كتاب «النصارى في نكبات النصارى» ف ٩ ص ١٦٣

٢) اطلب سياحتنا في طور عبدين (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ص ٨٥٠)

٣) نشرها العلّامة ريت الانكليزيّ سنة ١٨٦٩ وغرانان الفرنساوي سنة ١٨٩٦ ونُقلت الى اللغة الارمنيّة باسم يعقوب النصيبيني سهواً

٤) منهُ نسخة في المكتبة الواتكانية ونسخة ثانية في مكتبة البطريركيّة الكلدانيّة بالموصل

دماءهم حباً للمسيح في تلك الغضون نيفاً ومائة وستين الفاً

١٢ ﴿شَهْدُست﴾ هو ابن اخت القديس شمعون سالفه وتلميذه. وُلد في باجرمي (بكركوك) وقيل في شوشان ونُصب جاثليقاً سنة ٣٤١ بعد ثلاثة اشهر لاستشهاد سالفه. وفي السنة الثانية لحبريته ألقي في السجن مدة خمسة اشهر مع ١٢٨ شخصاً من نبلاء شعبه ثم فتك بهم شابور الملك في المدائن في ٢٠ شباط. ومن قوله المشهور «ان رئيس النصارى هو الله تعالى الذي يُقيم لهم من يشاء. وكما ان البحر لا تنضب مياهه كذلك النصرانيَّة لن تُمحى من الارض»

١٣ ﴿بَر بَعْشَمِين﴾ هو ابن اخت مار شمعون ايضاً وعنهُ أخذ وعليه درس. وخلف شَهْدُست سالفهُ عام ٣٤٣ بحضور طائفة من الاساقفة والكهنة وهو الذي اشار عليهم ان يتزيَّوا بثياب بيض كعامَّة الناس تملصاً من الاضطهاد. وظلَّ الاكليرس الشرقيّ على ذلك الزيّ حتى ظهور بدعة نسطور. وفي ٦ نيسان ٣٤٥ فتك شابور بمائة وعشرين نفراً من كهنة وشمامسة ورهبان وراهبات في المدائن. ثم قبض على الجاثليق وعلى سبعة عشر شخصاً من افاضل اكليرسه واعتقلهم منذ شباط ٣٤٥ الى ١ كانون الثاني ٣٤٦ فاستحضرهم الى ليدان وقتلهم قاطبةً وقتل بعدهم قسماً صالحاً من نصارى بابل والاهواز وكركوك وحنياب وأربيل وما جاورها. وتمادى شابور في التنكيل بالمسيحيين مدة تملكه التي استغرقت اربعين سنة (٣٣٩–٣٧٩)

١٤ ﴿تَوزا﴾ ويُسمَّى ايضاً تومرصا (١ تسنَّم جاثليقيَّة المدائن سنة ٣٦٣ وذلك بعد سبع عشرة سنة لفراغ الكرسيّ (٢ ودبَّر رعيَّته ثماني سنوات وامتاز بالخلال الحسنة والمزايا الشريفة. ولم يأذن الَّا للشيوخ ان يتوشَّحوا بالثوب الرهبانيّ لانتقاص المسيحيين بسبب الاضطهاد. وحانت وفاة تَوزا الجاثليق سنة ٣٧١ ودُفن في المدائن

١٥ ﴿قَيُوما﴾ نُصب جاثليقاً سنة ٣٧٣ وساس كنيسة الشرق بالحزم والنيرة حتى ملك يزدجرد فعقد الصلح مع ارقاديوس ملك الروم بمساعي القديس ماروثا اسقف

---

١) اطلب الحاشية على شجلونا الجاثليق عدد ٩

٢) روى مار ماروثا في أخبار الشهداء ان كرسيّ المشرق ظلّ فارغاً زهاء عشرين سنة. وقال المؤرخ ماري ٢٢ سنة وعمرو بن متى ٣١ سنة وايليا النصيبيّ ٣٧ سنة وغيرهُ ٣٣ سنة

ميافرقين الطبيب النبيل والعلّامة الشهير . وعام ٣٩٩ عقد قيّوما مجمعاً حضره مار ماروثا واساقفة المشرق والحّ عليهم ان يُقيلوه ففعلوا وسمّوا بدلاً منهُ اسحق الاوّل

١٦ ﴿ اسحق الاوّل ﴾ وُلد في كشكر وخُصّ بالذكاء وتوقّد الذهن وخدم سالفهُ قيّوما خدمةً نصوحاً حتى تبوّأ كرسيّهُ سنة ٣٩٩ وفي هذه السنة جلس يزدجرد الاوّل على تخت المملكة الفارسيّة فأحسن الى النصارى ورخّص لهم ان يرمّموا ما تقوّض من الكنائس وأطلق جميع الاسرى

ومذ ذاك عوّل القياصرة على توثيق عرى الاتحاد مع الاكاسرة فاغتنم مار ماروثا تلك الفرصة وقصد سنة ٣٩٩ ارقاديوس الملك(٣٩٥-٤٠٨)وتوسّل اليهِ ان يكتب رسالة توصيةٍ الى يزدجرد ليكفّ عن إلحاق الأذى بنصارى مملكته . ولمّا صار اليه ماروثا وابرأهُ من مرضهِ أجاب الى طلبتهِ . فنقل الى القسطنطينيّة عام٤٠٤ ثم عاد الى المدائن نحو السنة ٤٠٨ وصرف كلّ وسعهِ في اصلاح شؤون الكنيسة الشرقيّة وحضر مجمع سليق(سلوقية)سنة ٤١٠(١واغتنم فرصة اقامتهِ في المدائن فجمع الى الشهداء وكتبها بلهجةٍ بليغةٍ مؤثّرةٍ ونقل شيئاً كثيراً من ذخائرهم الى [illegible] فصار لذلك مدينة الشهداء (Martyropolis)

.ثم توجّه ماروثا ثالث دفعة الى المدائن سنة ٤١٨ فاستصحبهُ يهبالاها الجاثليق الى القسطنطينيّة . وانتقل الى جوار ربّهِ في ١٧ شباط ٤٢٠ . امّا اسحق الجاثليق فحلّت وفاتهُ سنة ٤١٠ ودُفن في المدائن

١) عُقد هذا المجمع بحضور اربعين اسقفاً في عيد الدنح سنة ٤١٠ فتلوا اوّلاً رسالة اساقفة المغرب وهم فرفوريوس بطريرك انطاكية (٤٠٤-٤١٣) وأفاق اسقف حلب (٣٧٩-٤٣٦) وفتيدا اسقف الرها (٣٩٨-٤٠٩) واوسابيوس اسقف تلّا واقاق اسقف آمد . ثم ايّدوا قوانين المجمع النيقاوي وأبرموا الحرم على من لا يعمل بموجبها . ثم سنّوا هم ايضاً واحداً وعشرين قانوناً ورد في القانون ١٢ منها ما شرحهُ : « في الاكرام الواجب للجاثليق الجالس على كرسيّ سليق وقطسفون (المدائن) . قال الاساقفة : اننا نحن اساقفة المشرق وخلفاءنا يجب ان نخضع للجاثليق رئيس الاساقفة مطران سليق وقطسفون في كلّ ما يأمره ويفرضهُ» ونصّوا في القانون ٢١ ما شرحه : «اوّل الكراسي وأقدمها هو كرسيّ سليق وقطسفون (المدائن) وصاحبه هو اوّل المطارنة ورئيس جميع الاساقفة وبليو مطران كشكر الذي . . يحقّ لهُ ان يجلس الى يمينهِ ويتولّى خدمته ويدبّر كرسيهِ بعد وفاتهِ . وبليو مطران بيث لافط قاعدة الاهواز فمطران نصيبين فمطران البصرة فمطران اربيل وحديّاب فمطران باجرمي . . .

١٧ ﴿آحا﴾ او أخي . دُعي كذلك لانهُ كان يكرّر هذه الكلمة في خطبه . وكان معلماً فاضلاً ورعاً مثابراً على الصوم والصلاة محباً للغرباء . ونُصب جاثليقاً بساعي مار ماروثا . وأوفده يزدجرد الملك الى فارس ليبحث عن امتعة ثمينة وجواهر كريمة كانت حُملت اليه من الهند والصين فسلبها اللصوص واحتووا عليها . فقام الجاثليق بهذه الخدمة خير القيام فازداد من ثمَّ حظوةً في عين الملك وأحسن معاملته . واستفرص آحا فرصة وجوده في فارس فنقل اخبار الشهداء الذين قُتلوا ثمَّ في عهد شابور وكتب سيرة مار عبدا معلمه . وطالت رئاستهُ اربعة اعوام وبضعة اشهر

١٨ ﴿يهبالاها﴾ اي عطاءالله . خلف سالفه سنة ٤١٥ واستأثر بالنسك والقنوت فشاد ديرًا في قرية دسكرة بارض بابل وابتنى ديرًا آخر على شاطئ دجلة وأمر الرهبان ان يتلوا المزامير تباعاً دون انقطاع . وفي السنة الثالثة لجلوسه أوفده يزدجرد الملك في تحف وتقادم الى ثاودسيوس الثاني ملك الروم (٤٠٨—٤٥٠) تجديدًا لعهود الصلح بين الدولتين . فأكرم القيصر وفادتهُ وأسنى لهُ العطاء فجدّد كنيسة المدائن ورمم غيرها من الكنائس . وعام ٤١٩ أوفد اليه هذا القيصر صحبة اتاق اسقف آمد كنيسةً جميلة ينقلها معهُ في أسفاره وكانت مصنوعة من جلود مغشّاة من داخل بالذهب والفضّة ومرشّحة بالانسجة النفيسة . وعقد يهبالاها مجمعاً في المدائن سنة ٤٢٠ حضرهُ اثنا عشر اسقفاً أيدوا فيه قوانين مجمع مار اسحق وقوانين المجامع التي عُقدت في الغرب . وانتقل الجاثليق الى جوار ربّهِ سنة ٤٢٠

١٩ ﴿مَعْنا﴾ هذا أسنى لمهرشابور القائد الفارسيّ أموالًا طائلةً . فسعى بنصبه جاثليقاً . وكان خبيرًا بالفارسيّة والسريانيّة واليونانيّة . تلقّى العلوم في مدرسة الرها ونقل كتباً شتى من السريانيّة الى الفارسيّة . غير ان يزدجرد الملك خلعهُ ونفاه الى فارس لانهُ دافع عن القس نرسي الشهيد

٢٠ ﴿بَرْبوخت﴾ تسقّف على كرزون واشتهر بتمرّده على سالفه . ولمّا نُفي الى فارس تقدّم الى مهرشابور المذكور بالهدايا والى بعض الاساقفة بالرشوة فرقّوه الى كرسي المدائن . بيد ان بقيّة الاساقفة استاءوا منه ورافعوهُ الى بهرام الملك فخلعه سنة ٤٢١

٢١ ﴿دَدِيشوع﴾ نصبه جاثليقاً شموئيل اسقف طوس بمشورة بهرام الملك

فعاكسه احد عشر اسقفاً واضطروا بهرامَ فأوثقه وضيّق عليه وعلى الشماري وقرّض بيعاً وديورة كثيرة. ولم يُفرج عنه الا بعد عقد الصلح بينه وبين الروم. بيد ان خصوم الجاثليق استرسلوا في الشغب والنزاع وادّعوا انه خرّم الشرائع وتعاطى الربا والرشوة فضاق ذرعُ الجاثليق عن الدفاع عن نفسه فاستعفى وانفرد في الحيرة. فأرمض ذلك مشايميه وهم ستة عشر اسقفاً وبادروا اليه يلحّون عليه في الرجوع الى كرسيّه. فأخذ الجاثليق يعدّد لهم ما أصابه من النوائب والرزايا الى ان قال: « دعوني أرثي جراحات الكنيسة وأندب دناءة اولادها وهلاكهم » فخرّوا على قدميه متوسّلين اليه ان يعود الى المدائن فاجاب الى طلبتهم وعاد معهم واستلم الرئاسة حتى عام ٤٥٦ وطالت مدّته خمساً وثلاثين سنة. ومنذ ذاك حتم اساقفة المشرق ان لا يرافعوا الجاثليق الى بطاركة المغرب وان لا يعقدوا مجمعاً لمحاكمته

واستُشهد في تلك الغضون خلقٌ كثير أخصّهم مار عبدا الاسقف ورفاقه الاربعمائة والعشرون ومار يعقوب المقطّع في ٢٧ تشرين الثاني ٤٢١ وهرمزد وطاطاق الحديابي. واستشهد بعدهم اساقفة وجماهير من المسيحيّين أناف عددهم على المائة والثلاثين الفاً. اشهرهم يوحنا ومارون الاسمذان وبثيون الذي تكلّل يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاول ٤٤٦

وظهر آنئذٍ نسطور بطريرك القسطنطينيّة سنة ٤٢٨ الموصوف بالتصلّف والعُجب وزعم ان في طبيعتَي السيّد المسيح اقنومين لشخصٍ واحد وأنّ مريم العذراء عليها السلام ليست امّ الله بل امّ المسيح. فعقد الاساقفة مجمعاً مسكونيًّا في افسس سنة ٤٣١ وحرموهُ وعزلوه. وقصّ آثارَهم يوحنا بطريرك انطاكية فعقد مجمعاً في حلب سنة ٤٣٢ حضرهُ جميع اساقفة المشرق وأيّدوا حرم نسطور. وما لبث ان ثار النزاع بدهاء ديوسقورس خليفة مار قرلس في الكرسيّ الاسكندريّ سنة ٤٤٤ فعقد المجمع اللصّي بافسس ودافع عن اوطاخي الزاعم بالطبيعة الواحدة فالتأم الآباء في خلقيدونية عام ٤٥١ وأسقطوهُ وأيّدوا ان في السيد المسيح طبيعتين من دون اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال

ومنذ إذٍ قويت في الرها خاصّةً احزاب الزاعمين بالطبيعة الواحدة فطردوا منها نحو سنة ٤٥٧ كلَّ من تحزّب لنسطور ولاسيما برصوما ومَمّنا ويوحنّان ويولس وفوسي

وابرهيم وميخا وعبشوطا فانهزموا ثانيتهم الى المشرق وصاروا اساقفة وجعلوا يُذيعون بدعة نسطور في أبرشياتهم وعضدهم نرساي الذي فتح مدرسةً في نصيبين وبثَّ في طلبتها بدعة نسطور فأمست والحالة هذه جميع الكنائس الخاضعة لمملكة الفرس نسطوريةً الَّا كنيسة تكريت دون ما سواها

٢٢ ﴿ بابوَيه ﴾ وُلد مجوسيًّا ثم نصَّره احد رهبان دير مار عبدا بدور قني(١ وانقطع الى النسك وانصبَّ على الدرس . فالتأم اساقفة المشرق ونصبوه جاثليقاً سنة ٤٥٧ لكنَّ فيروز الملك قبض عليه واعتقلهُ سبع سنوات وسلب كنيستهُ . ولم يطلق سبيلهُ الَّا بعد ما هادنه لاون ملك الروم سنة ٤٦٤ فاستبدَّ بابويه منذ ذاك بالرئاسة وتحامل على الاساقفة وعزل جملةً منهم . فاستفحل الفساد وتفاقم الشرّ جدًّا وأفضى الامر بالاكليرس النسطوريّ عامَّةً الى اقتراف المنكرات فاغتنم المنوفستيُّون تلك الفرصة وبثّوا مزاعمهم في فارس

فعقد برصوما مجمعاً مشؤوماً لصوصيًّا في بيث لافط بالاهواز عام ٤٨٤ حضرهُ تسعة اساقفة فحرموا المنوفستيين وعزلوا بابويه ورخَّصوا للاكليرس كافَّة ان يتزوَّجوا . فحنق عليهم الجاثليق واستحضر خمسة اساقفة الى المدائن فحرم برصوما وأتباعهُ وكتب الى زينون الملك رسالةً يشكو ما أصابه من الجور والعسف ويسأله ان يكتب الى فيروز الملك ليعدل عن مناصبته ومضايقته . فضبط برصوما الرسالة واوفدها الى فيروز فسخط على الجاثليق وعلَّقه بالاصبعَ التي كان فيها الخاتم الذي ختم به تلك الرسالة وما زال كذلك حتى مات سنة ٤٨٤ وترأس ٢٧ سنةً

٢٣ ﴿ اقاق ﴾ تخرَّج في مدرسة الرها ولمَّا استوى على كرسي المدائن عانده برصوما وأحزابهُ وأرادوهُ على ان يذهب مذهبهم فاطاعهم صاغراً وعقدوا مجمعاً مؤلَّفاً من ٢٥ اسقفاً في المدائن في شباط ٤٨٦ ولم يحضره برصوما مع انَّهم دعوه ثلاث مرار . ورتَّبوا ثلاثة بنود اوَّلها في معاكسة السريان المنوفستيين والثاني في الرهبان والثالث في تأييد مجمع بيث لافط الذي حلَّل للاكليرس الزواج . وتوفي اقاق سنة ٤٩٦ وفيها ايضاً توفي برصوما على ما ذهب غير واحد من المؤرخين

وعام ٤٩٩ اجتمع الرهبان السريان في دير مار متَّى ونظموا اثنين وعشرين بندًا

١) ويقال دورقوني او ديرقوني بلدة الى يسار دجلة فوق بغداد على ثمانية كيلومترات منها

ظلّت محفوظةً الى عهد ابن العبري

٢٤ ﴿بابي﴾ نُصب جاثليقاً سنة ٤٩٧ وفي تشرين الثاني من تلك السنة اجتمع ستة وثلاثون اسقفاً من النساطرة وسنّوا قوانين لزواج الاكليرس وأذنوا للجاثلقة والاساقفة ايضاً ان يتزوّجوا. وتوفّي بابي سنة ٥٠٣

واغتنم السريان المنوفستيون فرصة اختلاف اساقفة النساطرة وتباغُضهم لبثّ تعليمهم في بلاد المشرق بساعي إمامهم شمعون اسقف بيث ارشام بالمدائن . فقصد ملكَ الفرس واستأذنه في التطواف في ارض بابل وفارس لينشر فيها مذهبه . واستحصل من كلّ بلدة قصدَها مضابط ختمها اليونان والارمن والسريان تتضمّن رفض مذهب نسطور. وعاد بها الى كسرى فأيّدها بختمه ودفعها اليه . فرضيها في تكريت لان أهلها كانوا من أشدّ المعاكسين لارتقة نسطور ومفاسد برصوما . ولم يكن حين ذاك اسقف للمنوفستيين في المشرق سوى قاديس اسقف سنجار

٢٥ ﴿شيلا﴾ خلف بابي سنة ٥٠٣ بساعي بوزاق اسقف الاهواز . ولمّا تولّى شيلا الرئاسة نازع السريان المنوفستيين ونفاهم من بلاد الفرس فناضل عنهم زينون وانسطاس (٤٩١–٥١٥) الملكان وساعداهم . ولمّا ملك يوستينوس الاوّل سنة ٥١٨ ضيّق على السريان فقصد نجدةً منهم وفي مقدّمتهم شمعون الارشامي بلادَ العرب والحيرة فعضدهم الحَجّاج بن قيس الحيريّ صاحب المنذر بن النعمان ملك الحيرة واجتذبوا جماعة من العرب الى مذهبهم . فشقّ ذلك على رؤساء النساطرة وادّعوا بان المنوفستيين متحزّبون للروم . فقبض ملك الفرس على شمعون واصحابه واعتقلهم في نصيبين مدّة سبع سنوات . وتوفّي شيلا الجاثليق سنة ٥٢٣

٢٦ ﴿اليشع﴾ كان صهرَ سالفه وقبل ان يتوفّى شيلا حَمُوهُ أوصى الاساقفة ان ينصبوه جاثليقاً . لكن قوماً اصطفوه وفريقاً رفضوه واختاروا نرسي بدلاً منهُ . فتحزّب بيرون الطبيب لأليشع وبوزاقُ اسقف الاهواز لنرسي . وفي نيسان ٥٢٤ نُصب اليشع جاثليقاً وعلى اثر رسامته نُصب نرسي ايضاً فاستحكمت الفتنة بين الفريقين وجعل كلّ منهما يرسم اساقفة على حدةٍ فصار لكل كنيسة اسقفان . ثم تغلّب اليشع على نرسي وسجنه مع جماعة من حزبه . وما عتّم ان أطلقهم كسرى انوشروان . ولمّا توفّي نرسي سنة ٥٣٧ سأل اليشعُ كسرى ان يؤيّده في كرسيّه فرفض

الملك طلبتهُ وعزله ونصب بولسَ اسقف الاهواز بدلًا منه

٢٧ ﴿بولس الاوَّل﴾ سُمّي جاثليقًا سنة ٥٣٧ بأمر كسرى انوشروان . وما لبث ان حلَّت وفاته سنة ٥٣٩ او سنة ٥٣٨

٢٨ ﴿آبا﴾ درس العلوم في نصيبين والرها ونبغ في اليونانيَّة والسريانيَّة والفارسيَّة وسار الى بلاد الروم سنة ٥٣٢ وفاوض سرجيس الراسعَينيّ الفيلسوف والطبيب المشهور في مسألة الاعتقاد . وكان سرجيس صحيح المعتقَد قاوم المنوفستيَّة وانطلق الى انطاكية سنة ٥٣٥ وسار الى رومية وسعى لدى اغابيط البابا بطرد المنوفستيّين اجمع من القسطنطينيَّة

امَّا آبا فلمَّا عاد الى نصيبين فالمدائن وفتح فيها مدرسةً أحبَّه كسرى والنصارى بلغيفهم واختاروهُ جاثليقًا فرُقّي الى كرسيّ المدائن سنة ٥٤٠ . وتعهَّد الابرشيَّات النسطوريَّة وأصلح ذات البين المستحكمة عراها بين الاساقفة ثم انقلب الى المدائن سنة ٥٤١ فكلَّفهُ كسرى ان يرافقه في الحرب فتمنَّع فاضمر لهُ الحقد ونفاه الى اذربيجان وبعد سبعة اعوام عاد الى المدائن . ثم أُلقي في السجن واستاقه كسرى سنة ٥٤٩ الى اذربيجان ثانيةً ثم رجع معه الى المدائن ثم سيّره الى الاهواز سنة ٥٥١ وتوفّي اخيرًا في المدائن في ٢٩ شباط ٥٥٢ . ولهُ تآليف اجلّها رسائلهُ الستّ التي صنَّفها سنة ٥٤٤ ونشرها الاب شابو (l'abbé Chabot) في باريس

٢٩ ﴿يوسف الاوَّل﴾ هذا زاول الطبَّ في بلاد الروم وعالج كسرى فأبرأه . وفي ايَّام ٥٥٢ رُقّي بامره الى كرسيّ المدائن فطغى وبغا وتجبَّر على الاساقفة واسترسل في الاساءة اليهم حتى انهُ أَلقى في رقابهم رَسَنًا وابتنى لهم معلفًا وأرادهم على اعتلاف الشعير كالبهائم ثم حلق رؤوسهم واعمل فيهم الصَّفع . فاجتمع سائر الاساقفة وعزلوه في شباط ٥٦٧ وتوفّي سنة ٥٧٠

٣٠ ﴿حزقيال﴾ خلفَ سالفهُ بعد موته واستصحبه كسرى في رحلاته فسافر معه الى نصيبين ودارا سنة ٥٧٣ يوم نشبت الحرب بينهُ وبين الروم . ولمَّا عاد الى المدائن عقد مجمعًا سنة ٥٧٦ حضره ثلاثة مطارنة وسبعة وعشرون اسقفًا وسنّوا ٣٩ قانونًا اوَّلها في دحض ارتقة الرهبان المصلّين الذين كانوا بحجّة صلواتهم الطويلة

فخامة الجنرال ڤيغان

المندوب السامي على سورية ولبنان ومنظم دولة العلويين

يسترسلون في الفساد والقبائح (١. وقضى حزقيال الجاثليق نحبهُ سنة ٥٨١

الى هنا ما سطَّرهُ ابن العبري عن جثالقة المشرق واستتلى قائلاً : وفي تلك الفضون نُصب يعقوب البرادعيّ (٠٠ ٥٧٨) اسقف الرها مطراناً مسكونيًا اي عموميًا على سريان المشرق والمغرب معاً فتوجّه الى بلاد المشرق ونصب آحادامه مطراناً

(لها بقية)

كتابي

بقلم فؤاد افرام البستاني احد تلامذة الخطابة في كليتنا

لحا الله قوماً يرون ولاينظرون ، ويسمعون ولا يَعُون ، ويقرأون ولايفقهون . .

آلاتٌ متحرّكة يحمل الواحد منهم كتاباً فيقرأ سطورهُ ويخفى عليهِ ما بين تلك السطور . . . يَنهَى منهُ الصفحة فتنتهي افكارهُ مع آخر كلمة منها . . .

قرأتُ كتابي ، ثمَّ قرأتهُ ، وقرأته . وقد قرأهُ الكثيرون قبلي فلم يروا فيهِ ما رأيت . رأوا طبعاً حسناً وقِطَعاً متناسقة فشغفوا بها ولم يمتدّ بهم النظر الى ما وراء ذلك

ما لنا ولهم ، لِندع ما رأوا ونأخذ ما رأيت . فدونكموهُ :

كتابي واضحُ العبارة ، الهيّ الافكار ، سامي التعاليم ، ينقر على اوتار القلب فيولّد منها انغاماً تتّحد بنفس القارئ الفهيم فتؤلف مرتّلاً منمّشاً

هو معزّي نفسي التعِسة في اشدّ احزانها ، ومُسلّي روحي الحزينة آن تنقطع السلوى

هو موضع سرّي ، ومحطُّ ثقتي ، حين تُباح الاسرار وتُفقَد الثقة بين الناس

هو صديقي الامين ، ورفيقي الرؤوف ، وصاحبي المُخلص ، اتّكل عليهِ اذا ما

---

١) ظهرت بدعة المصلّين في ديورة الرها منذ القرن الرابع وكانوا يجوبون المدن والقرى متظاهرين بالنسك والتقشف ويجمعون المال ويرتكبون الفجور تحت ستر الليل . وانتشرت بدعتهم هذه خاصةً في سنجار في القرن السادس ثم امتدت الى حَدْياب وملحقاتها في القرن السابع

توثّرت اواصر الصحبة ، وساءت الرفقة ، وعزّت الصداقة

كتابي ، امينُ سرّي اخلو اليهِ في الليالي الدهماء فيقشع عن قلبي ظلامها ويُظهر امامي النور الساطع . اسألهُ واستفهمهُ كاشفاً له جهلي العميق ، فلا يَشمت بي ، ولا يَنفر مني ، بل يعطف عليَّ بحنوّ ، ويُلقّني اهمَّ ما يراهُ المرء في القلب البشري . يسير بي بين مَهامهِ اخلاق الانسان ، فيجلو المظلمَ ، وينير المدلهمَّ ، ويدلّني على أمثل طريق ، وأقوَم سبيل يسلكها المستفيد بين هواجس الفكر البشري واميالهِ المتشعبة

تشمئزّ نفسي من معاشرة الناس فأسكن اليهِ شارحاً سوء حالي فيبدّد همّي ، ويخفّف اوجاعي ، ويُوسع صدري قائلاً : « أحِبَّ عدوّك ، وأحسن الى مَنْ يُبغضك ، وصلِ لاجل من يُغتابك »

يضيق صدري من كفران الناس فاشكو لهُ همّي فيبسم لي ويعلّمني عمل الخير دون انتظار الجميل قائلاً : « من سألك فأعطهِ ، ومن أراد ان يقترض منك فلا تمنعه ، ومن رام ان يأخذ ثوبك فخلِّ لهُ رداءك ايضاً »

يُبدي اليَّ قريبي استشيط غيظاً وارغب فرصةً أوقع بهِ فيها ثم استشير كتابي فيقول : « اذا خطئ اليك اخوك سبع مرّات في اليوم ورجع اليك سبع مرات فاغفر لهُ . لا تدِنهُ لئلّا تُدان . ولا تقاوم الشرير بل من لطمك على خدّك الايمن فحوّل لهُ الآخر »

ذلك هو كتابي وفيهِ بلسم جراحي العديدة

استشيره اذا ما اردتُ امراً ، او قصدتُ عملاً ، فيبسط لديَّ ، بكل سرور ، كل ما يعلمهُ ويهديني الى سواء السبيل غير عارف للمنّ معنى

أطارحهُ بعض الاحيان ، فيظلّ باسماً مظهراً وراء وجههِ المجعّد بالاسود من تأثير الهموم ، قلباً انقى من الفضّة ولساناً احلى من العسل

كتابي صديق يصمت اذا تركتهُ بل ينطق في سكوتهِ ، ويجيب اذا سألتهُ ، ولا يغضب اذا لُمتهُ

انّى لي مثل هذا الصديق بين الناس وانا

« كم صاحبٍ حرصاً على ودّهِ طلبتُ ان يغفر لي ذنبهُ »

هذا كتابي الصامت وليت لي كتاباً ناطقاً بين افراد الناس بل ليت لافراد الناس كتاباً صامتاً مثل كتابي

وان شئتَ زيادةً في تعريفهِ قلت: هو كتاب البشريَّة جماء، كتاب كل الازمنة وكلّ الامكنة، ولا حاجة الى اضافةٍ في نعتهِ لانهُ وحدهُ هو «الكتاب» وبهِ دعاهُ الغرب (La Bible) او قل «الكتاب المقدَّس»

الكشَّافة

نظر تاريخي اجتماعي لحضرة القس بطرس ساره الراهب اللبناني.

توطئة

لا اجمل من ان نرى ابناء هذا الوطن المحبوب يرغبون في الاقتداء بما في التمدُّن العصري الاوروبي من حسَن ومفيد مُعرضين عمَّا هنالك من المضارّ الوبيلة القاضية على حياتنا الاقتصادية والادبية

يسرّنا وأيمُ الحقّ ان نجد نُخبةً من ناشئتنا المحبوبة تربّى فيها شاعرة الوطنيَّة الحقَّة وتعيد لنا بمبادئها الحسنة واخلاقها الطيبة ذكر اولئك الابطال الذين تفانوا في حبّ وطنهم وصانوا وديعة ايمانهم وحرمة آدابهم. عنيتُ بهم تلك الفئة التي شابهت النحلة التي لا تقع الّا على الزهر لتجني منه العسل فتنتقي من هذا التمدُّن ما هو صالح ومفيد وتعرض عن كل ما هو موبئ مضرّ ملازمةً خطَّةَ الاعتدال في كل شيء

على هذه الخطة تسير فئات منتخبة من الشبان والفتيان في اكثر الممالك ممَّن تمسَّكوا باشرف المبادئ واقومها يُدعَون بالكشَّافة يقتصّ اليوم آثارهم فئةٌ من شباننا وفتياننا النجباء الذين بهم بدأت تباشير الكشَّافة تظهر في هذه البلاد فانَّها

وان تكن بعدُ في مهدها فهي بما فيها من روح وطنية وغاية شريفة لخير النفس والجسد ونفع الفرد والأمّة تُبشّر بحسن المستقبل وتبعث ما فينا من ميت الامل . هذا اذا فقهتَ غاية وضعها ورُوعِيَتْ فيها القوانين والشروط الضامنة نجاحها وخير البلاد التي تنشأ هي فيه

فعلى هذا الامل وخشيةَ ان نلهو بالقشور عن اللبّ اذ نحن مولَعون بكل جديد نقول كلمةً موجزة في اصل الكشّافة وتعريفها اولاً . وفي غايتها ومنافعها ثانياً . وفي أفضليّة الكشافة الكاثوليكية على سواها ثالثاً

١ً اصل الكشّافة وحدُّها

الكشافة بصيغة المبالغة رائدُ الجيش او طليعتهُ وهي تعريب الكلمة الافرنسيّة (Eclaireur) واللفظة الوضعية القديمة سكوت (Scout) ومنها السكوتسم (Scoutisme) من الفعل (Escouter) او (Ecouter) اي أصغى وترصّد كأن الكشافة من شأنه ان يكون متحفزاً ومُصغياً لكل ما يقال لهُ وما يؤمر به وبهذا المعنى تكون طريقة الكشافة قديمة العهد ترتقي الى الاجيال الوسطى وتُطلَق على الفرسان الموقوفين على خدمة بلادهم والمتفانين غيرةً في خير وطنهم فهم حُماتهُ وطلائعهُ . ولفظ سكوت اي الكشافة نُقل الى الانكليزية واصبح أصيلاً فيها وكان الانكليز هم السابقين الى بَعْث هذه الفكرة من مدفن الاعصر الخوالي ووضعها بالعمل بصورتها الحالية ويسمّون العضوَ فيها بُوي سكوت (Boy-Scout) . على ان فكرة السكوتسم الكشافة هي كما قلنا فكرةٌ قديمة من ميزات الديانة المسيحية وهي بالاخص كاثوليكية في اصلها القديم فحقٌ لابناء الكنيسة في هذا الجيل ان يكونوا السابقين اليها والمتفوّقين فيها اذ ان غايتها ومبادئها تُطابق المطابقة التامّة تعاليم الكنيسة . وروحُها روحُ المحبة والفداء . وقد انتشرت في المسكونة كلها فهي تضمّ اليوم تحت لوائها فوق المليونَين من الشبان والفتيان على اختلاف النِحَل والمذاهب من كل كريم النفس ذكي الفؤاد حزوم شجاع

اما الفضل في ايقاظ تلك الفكرة المسيحية الشريفة من رقادها في هذا العصر فعايد الى السير بادين بويل (Baden-Powell) الانكليزي فان هذا الباسل على

اثر رجوعهِ من حرب الترنسفال حوالي سنة ١٩٠٨ انشأ جماعة البوي سكوت من ٢٥ عذراً . فلا يكون للكشافة بهيئتها الحاضرة في عالم الوجود اكثر من خمس عشرة سنة بعد نشأتها في انكلترة . وكانت غاية منشئها تمرين المنخرطين في سلكها وشحذ قواهم المادّية والعقلية لكي يستقبلوا جميع طوارئ الايام وحدثانها بالبأس والشدة وان يروّض اخلاقهم بتربية تُنظم قواهم الادبيّة اذ تجعلها قيد الضمير والشرف

ولمّا خبَرَ العارفون ما في هذه الطريقة من جليل الفوائد سعوا في نشرها وتعزيزها بين اظهرِ مواطنيهم فهي تكاد تكون شاملة اعظم الدول كفرنسة وانكلترة واميركة والمانية وايطالية وبلجكة وغيرها . وقد حدّها القائد الافرنسي مودهوي (Maud-huy) المشهور بعلم الاخلاق والتدريب على طرق الحياة قال :

« ليست الكشافة بجماعة مصارعين فانه وان كان فيها جريٌ وركضٌ وقفز وملاكمة وحركة او تمارين عسكرية فليست غايتها المصارعة ولا هي مدرسة اعدادية حربيّة بل هي قبل كل شيء طريقة تهذيبيّة عمليّة ممتازة لوحدها يتعلمها الانسان ليتدبّر في الحياة ويعمل بروح التفاني على تدبير غيره ومساعدته »

فهذا التدبير الذي يستلزم مرونةً في الجسم وحذاقةً في العقل يوجب في الوقت نفسهِ ان تتوفّر لجماعة الكشافين جميع وسائل الحياة بحيث يكون منهم اناس اختصاصيّون عارفون ببعض الصناعات والمهن اللازمة للمعيشة كالتمريض والتطبيب والتصوير والنجارة والخياطة والطبخ الى غير ذلك من الصناعات والمعارف الضامنة حياة الانسان وارتقاءهُ في المجتمع الانسانيّ

٢ً غاية الكشّافة وفوائدها

ان سنّة الارتقاء من طبع الكائنات بوجه العموم بها تُقبل الى غاية كمالها ببقاء الأصلح منها متوالدةً حيًّا عن حي . على ان الانسان العاقل النازع الى الكمال احقُّ ان يتمشّى على تلك السنة الطبيعية فيبحث في كل ما حواليهِ ويميز في الاشخاص والاشياء غثّها من سمينها وأصلحها واثبتها من فاسدها ودائرها فيعزل كلّ ما هو فاسد ناقص ويحتفظ بما هو صالح كامل . هذه السنة معمول بها في النظامين الادبي والمادي نافذة الحكم في الجماعات كما ان حكمها نافذ في الافراد . ولذلك فالأمة التي تضطرب شؤونها وتهوي الى الانحطاط والدمار لا يستقيم لها حال ولا تستطيع الحفاظ

على كيانها الّا بمساعدة نخبة من المصلحين المهذّبين تعتمدهم في تدبير شؤونها وتقويم اعوجاجها . على هذه الخطة يسير حكماء الناس وعقلاؤهم في كل أمة احتاجت الى الاصلاح وطلبت الارتقاء . وهذه غاية واضعي اساس الكشافة في انتقائهم نخبة من الفتيان ليعلّموهم الحكم على اجسادهم ونفوسهم حتى اذا تمكنوا من ان يحكموا ذواتهم كانوا صالحين لخدمة وطنهم ونفع بلادهم وترقية الشعوب الـذين يعيشون بين أظهرهم

وهذه الغاية اي السيادة على النفس والجسم يبلغها الكشافة بواسطتين هما من اقوى الوسائل واصلحها اردتْ بهما الرياضة البدنيّة والرياضة النفسيّة فانهما من أمسّ ما يحتاج اليه المرء في معترك هذه الحياة اذ هو مركب من الروح والمادّة

﴿ الرياضة البدنيّة ﴾ فالرياضة البدنيّة وقوامها الحركة وتشغيل عضلات الجسم بتكرار الافعال والتمارين اليوميّة لا أفيدَ منها ولاسيما لمن كانت حالتهم او مهنتهم تقضي عليهم بالجلوس الطويل كالدارس والكاتب والصائغ والحائك والخيّاط وامثالهم وقد حبّذ الطب اهميتها وعظم فوائدها فجعلها من القوانين الصحيّة وكثيراً ما وصفها دواء شافياً من بعض الادوية التي استعصى شفاؤها بالعقاقير . قال بعضهم : امنح ندوةً للالعاب تستغن عن مستشفى . وقال الحكيم ابن سينا : ان تارك الرياضة كثيراً ما يقع في الدقّ اي السلّ

لقد احكم اذن واضعو قانون الكشّافة بجعلهم الرياضة شرطاً لازماً لها وقد عرفوا ان للعمل والحركة ضمن حدود الاعتدال ما عدا المنافع الاقتصادية فوائدَ جمّة لا يستغني عنها عضو الكشافة ليكون رجلاً نشيطاً قوياً صبوراً على نوائب الحياة ومشاقّها لان بالعمل والرياضة القوّةَ والنشاط وصيانة الآداب والاخلاق . وما البطالة سوى بَيْئة الرذيلة وما الرذيلة الّا آفة الصحّة . واذا اخذنا الرياضة باتّساع معناها من دون ان نحصرها بقانون بعض التمارين المنظّمة تناولتْ جميع الاعمال اليدوية وبعض الصناعات المستلزمة حركة البدن كلّه مثل الزراعة والبناء والحدادة وغيرها وضمّت ايضاً بعض العادات اللبنانيّة القديمة كدقّ الاجراس ورفع الاثقال (القبات) ولعب الجريد او السباق والفروسة ولعب « الفشخة وقزة » وغيرها من الالعاب المفيدة اذا لزمت حدّ الاعتدال

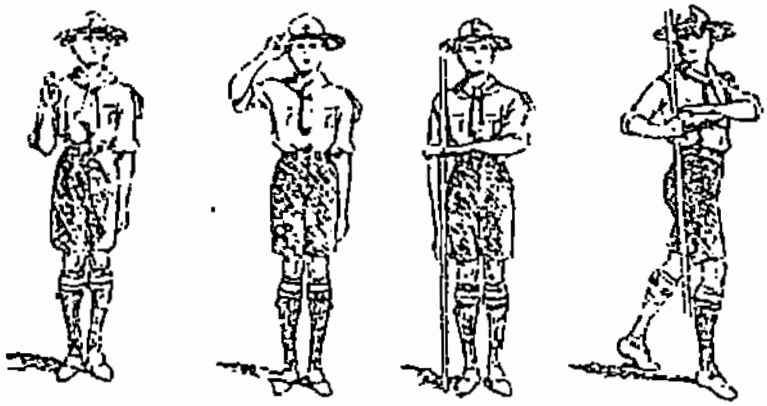

صورة بعض اعضاء الكشافة في تمارينهم

فبفضل هذه الرياضة يكون الكشّافة بمأمن من امراض كثيرة ويزداد نشاطاً وقوّة وعزماً اذ يصبح الجسم اقلّ قبولاً للاوبئة واشدّ مقاومةً لها . كما بيّن ذلك في الفصل الحادي عشر من كتابه علم الصحّة النطاسي الفاضل الشيخ امين الجميّل فانه بما فيه من مقدرة علميّة وغيرة وطنيّة وروح طيّبة يفضل بالاسهاب انواع الرياضة ويذكر شروطها ومنافعها ومضارّ تركها

على ان غاية الكشّافة من الرياضة انما هي احكام العمل واتقانهُ وصيرورتهُ ملكةً صالحة تُقبل صاحبها الى مباشرة اجلّ الخدم وتقويه على اقتحام المخاطر من دون تكلّف ولا صعوبة لاجل القيام بالواجب فيكون الشغل والعمل اليقهُ وخدينهُ كيفما اتّجه شعارهُ «كن مستعدًّا»

﴿ رياضة النفس ﴾ وليس يكتفي قانون الكشّافة بالرياضة البدنيّة وحدها مقتصرًا على بعض التمارين والالعاب فهذه وان تكن من مميزاته ولها فوائدها كما قدّمنا فلا تقوم مع ذلك بالغاية الاولية المقصودة التي هي حسن السلوك والتدبير وتقويم الافعال بمطابقتها لقاعدة الآداب . فليس لتلك التمارين على لزومها ومنافعها الجمة من تأثير على هذه القاعدة اذ لا علاقة لها بالخير والشرّ بل هي مجرّدة عنها فتكون الغاية الاولى للكشّافة كما قلنا ترويض قوى النفس الداخلية بتهذيب الارادة

والاخلاق. ولما رأى منشئو طريقة الكشافة ان الوسيلة الاولى اي الرياضة البدنية قاصرة وحدها عن ذلك الغرض المهمّ وعرفوا ان مثل تلك الالعاب والحركات تشغل الافكار بما فيها من رونق ولذّة عن الغاية التي يقصدونها قيّدوها بالرياضة النفسيّة التي هي اهمّ وانفع

فكما ان رياضة البدن تقوي العضلات وتنشط الجسم وتجلب الصحة كذلك رياضة النفس فانها تثقف العقل وتهذّب الارادة وتقوّم اميال القلب وبذلك يتمّ ترقي الفرد وبه الجماعات والشعوب. فيكون مقياس ارتقاء الشعوب بمقياس ترويض اخلاقهم وتهذيبهم. والانسان كما يقال بأصغرَيه قلبه ولسانه كذلك الأمم باخلاقها. فان فسدت فيها الاخلاق سقطت من سلّم التمدّن الحقيقي الى دركات الهمجية كما قال الشاعر :

وانما الامم الاخلاقُ ان بقيَتْ وان همُ ذهبت اخلاقُهم ذهبوا

وهذا يؤكده الاختبار في كل جيل. فلا بد اذن من ان تُقرَن الرياضة البدنية بترويض قوى النفس فيروّض العقل بالبحث والدرس فيأتي من الاكتشافات بالمعجزات والعجائب مما يدلّ على انه نسمةٌ من حكمة الله وتروض الارادة بتمرينها على الفضائل الادبية والمسيحية من صبر وقناعة ووداعة وطهارة. وترويض القلب يكون بتعديل عواطفه ولجم امياله بحكمة العقل والدين ويُجعل اساس هذه الرياضة معرفة الخالق مصدر كل علم ونور واصل سعادة الانسان

ومثل هذه الرياضة تضمن طهارة الافكار والعواطف وتجلب طمأنينة الضمير وهما لازمتان للنفس والجسم لزوم نظافة الهواء والماء للحياة. ومتى تروّضت الاخلاق وتهذّبت الطباع كان الانسان سعيداً وغيداً نافعاً لنفسه ولابناء جنسه. الى هذه ترمي جماعة الكشافة بما في قلب شبيبتها من نخوة وحمية كما يتبين لك من هذه الوصايا العشر بهذا الجدول :

١ ان الكشافة بعدُ استحقاقه ثقةَ الناس شرفاً وسيماً
٢ يبرُّ بلاده وبوالديه وبرؤسائه ومرؤوسيه
٣ مهنة الكشافة ان يخدم القريب ويخلّصهُ
٤ الكشافة صديق الجميع واخ لكل كشافة

معرض الكشّافة في باريس

مسير الكشّافة الى منازلها

٥ الكشافة انيسٌ شجاع
٦ الكشافة يمثل الله في الطبيعة فيحبّ المزروعات والماشية
٧ الكشافة يطيع بلا تردُّد ولا يدع عملاً ناقصاً
٨ الكشافة رضيُّ الاخلاق مالك نفسه
٩ الكشافة مقتصدٌ ومعتنٍ بغير قريبهِ
١٠ الكشافة طاهر الافكار والاقوال والافعال

ففي نقدنا هذه الوصايا ترى انها ضامنة سعادة الفرد والمجتمع وان لا احوج منّا ومن كل عاقل الى حفظها ووضعها بالعمل. على انها ليست بالشيء الجديد فإنْ هي الّا صورة منقولة عمّا تتضمّنهُ وصايا الله العشر من واجبات الانسان نحو ربّهِ ونفسهِ وقريبهِ فهي من هذا الوجه مَلزمة كل عاقل حكيم ووطني غيور. فبحسب هذه الوصايا يكون الكشافة شهماً كريماً صادقاً مخلصاً طاهر الذيل خدوماً عاملاً باسلاً وديعاً مطيعاً مقتصداً قريباً ومحبوباً من الله. وقد أُطلقت الكشافة على كل جماعة خيرية تتفانى في خدمة الانسانية ورائدها الدين والوطن وقد لُقّب بها الصليبيُّون قديماً وفرسان القديس يوحنا. كما انهُ يمكننا اطلاق لفظ الكشافة من حيث غايتها الاصليّة الاولية على كل جماعة رهبانيّة عاملة على مجد الله وخير القريب

الكشافة والدين

ومن هنا تبيّن ان الكشافة لازمة للدين لا تنفكُّ عنهُ ولا يكون لها قيام وثبات من دونهِ وكيف يمكنها ان تقوم بلا دين وهي تتوخّى الفضيلة وعمل الخير بطريق الاخلاص والتفاني. وهذا يستلزم الكفران بالذات وبالمصلحة الشخصية في سبيل الخير العام. أجل ان التقيُّد بالوصايا التي ذكرناها ممّا يساعد على ذلك لكنهُ لا يكفل النجاح والثبات فان منها ما يلجم اميال الطبيعة ومنها ما يجذبها ويتملقها فتكون بذاتها قاصرة عن الزام الارادة وعن ان تقبل بها الى الغرض المطلوب فالوصيتان الثالثة والرابعة وموضوعهما الخدمة والمحبة المخلصة تحملان الكشافة على ان لا يدع يوماً يمرُّ دون عارفة يأتيها من باب المحبة المجرّدة. غير ان عمل الخير لا يكون مضموناً ومطّرداً ما لم تكن في الكشافة ملكة بها يكون ضابطاً نفسه وسائداً على اميالهِ. ولذلك وجب ان يكون مفتوحاً امامه كتاب الضمير والشرف يقرأ فيهِ لزوم

سلامة الاداب وتهذيب الاخلاق وهذا ما تضمنه لبُّ الوصايا الاربع الاخيرة من السابعة الى العاشرة ضمناً . وموضوعها الطاعة والتسلط على النفس والاقتصاد والطهارة

لكننا لسنا نتأكد هذه الضمانة اذا لم تستند الى دعامة دينيّة وهذا ما يستلزمهُ مبدأ الكشافة كما يُستدل من هذه الابيات للشاعر الانكليزي ليلي بورن (Lily Burn) وقد نُقشت على صفيحة بعنوان « كشافة الطريق » وهي تمثل المسيح ويداهُ الى كتف كشافةٍ يناديهِ ويهمُّ بتسديد خطواتهِ في جادَّة الحياة وهذا تعريبها بالحرف . « مهلًا بُنيَّ وارفع عينيك الى العلاء واستند اليَّ لترى طريقك ابسط يدك يا بني لتعرف هذه الطريق قف هادئاً ريثما يأتيك امري فاني انا الكشافة الرب الحضرة الالهية لا افارقك في كل حال » وها كها منظومةً :

ارفع بُنيَّ الى ربِّ العلا البصرا وشدَّ أزرك بي كي تبلغَ الوطرا
قف هادئاً ريثما يأتيك من لدني امرٌ انا ربُّك الكشافُ سرُّ الورا
ابسطْ يمينك تستكشفْ طريق هدى تسير فيها فلا تعثر بمن عثرا
اني رفيقك أهديك السبيل فلا تخشَ المعاطب يوماً وأمن الخطرا

فمبدأ الكشافة اذن لازم للديانة غير منفكٍّ عنها بل هو من دونها كجسم بلا روح او طير بلا جناح او شجرة بلا ثمر فلا فائدة منهُ تُرجى . وقد فقه ضرورة هذا الامر واهميَّتهُ جميع منشئي خطة الكشافة الحكماء فجعلوه حجر الزاوية في بنايتهم . هذه السنة . والاختبارُ الوضعي الشاهد بهِ مليونان من اعضاء الكشافة المنبثين في انحاء المعمور يعلم ان الكشافة المؤمنة تجد في ايمانها قوَّة وعضداً ادبيا يثبتها في مقاصدها الكبيرة ويذلل لديها وعورة مسالك هذه الحياة فيفوق اعضاؤها غيرهم جرأةً واخلاصاً في عمل البرّ والصلاح . وهذا تعليلهُ ظاهر فان من مميزات الكشافة كما قلنا التفاني والاخلاص في الخدمة وهذا لا يتمُّ لها ولا يثبت بغير الدين . لان روح التفاني المفهوم بهِ الكفران بالذات وتضحية النفع الخاص على مذبح الخير العام يستوجب قوة ارادةٍ عظيمة لا أضمن لها من الدين الذي يسمو بالانسان فوق هذا العالم المادي وينعش فيهِ الحياة الروحية المستمدَّة من تعليم يسوع المسيح رب التفاني ومنقذ البشرية فينصرف العامل الى العمل لغاية سامية منزهة عن المطالب البشرية البحتة ومرماهُ الخير العامّ لا الخاصّ . وبهذا يقوم التفاني الحقيقي وحبّ الوطن كما

ظهر للملأ في القوّاد العظام والجنود البواسل المتدينين الـذين خاضوا معامع الحرب الكونيّة دفاعاً عن وطنهم وأبلوا فيها البلاء الحسن وتفوّقوا بجرأتهم وتفانيهم على من سواهم وذهبت لهم شهرة عظيمة بين جميع الشعوب

ولهذا ترى جميع زعماء الكشافة الحكماء في اعظم الدول قد استندوا على تلك الدعامة المتينة لئلا يبنوا على اساس واهٍ. فان الجنرال الانكليزي بادين بويل المشار اليه اجتمع يوماً على اثر الهدنة في ٢١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ في حفلة حافلة بالكشافة الافرنسية في قاعتها ولمّا نظر الى الاب كورنيت الـذي عرفناهُ عمدةً في الكشافة الافرنسية قال لهُ : « اني شاكر لك يا حضرة الاب على حضورك هنا فانك تمثل لنا المبدأ الديني الذي اردتُ ان اجعلهُ اساساً لعملي »

وربّ معترض يقول : « ان الكشافة تسلك بحسب ناموس الضمير والشرف فكفى بهما رادعَيْن عن كلّ مخالفة للقانون ووعدُ الحرّ دَيْنٌ . فنجيب ان الضمير والشرف رادعان قويّان عن الشرّ فالضمير لهُ لواذعُهُ يُنْخَس بهما عند كل زلة . والشرف له قيمتُهُ ومنزلته يربأ بصاحبه عن الدنايا غير ان الاول وهو فعلٌ باطني وقاعدة قريبة للافعال البشرية لا يمكنهُ ان يستقلّ عن المشترع الاسمى الذي هو الله فـلا يكون مستقيماً صالحاً لقاعدة الاداب والمعاملات الّا اذا كان مرتشداً بنور الايمان بالهٍ عادل يفحص القلوب ويجازي كلًّا بحسب اعمالهِ

أمّا الشرف مع تقديرنا شاعرته التي قلّ مَن حفظها سليمةً كما هي فانهُ مهما كان مبلغ تأثيرهِ لا يتجاوز حدّ اعتبار الناس الخارجي فيستند في الغالب على آرائهم العالميّة المتشعبة ويعتمدها في احكامهِ ومسائلهِ فلا يسلم بها من الاذى وكثيرًا ما يُغضي الطرف عن اشياء مَلومة ويجيز اعمالًا مرذولة في نظر الضمير فيمتنع احياناً ممّا كان محمودًا كريماً في عين العقل والدين اذ يتقيّد باعتبارات وعادات بشرية لا خير فيها . واذا تجرّدت شاعرة الشرف من الدين انكسف سناؤها واضمحلّت شيئاً فشيئاً . ولذلك نقول ان الشرف والضمير بمعزل عن الايمان لا يخرجان عن حيز الطبيعة ولا يزالان متنازعَيْن بعوامل الاميال والاغراض تتسلقها في كل آن اللذة والشهوة وتجذبهما المنفعة الذاتية وتميل بهما مع كل ريح فيظلان قاصرَيْن عن ان يُثبتا الارادة الحرة في عمل الخير

فلا بد اذن لرأب هذا الصدع وملازمة السير في النهج القويم من قوة فوق الطبيعة تتغلب على ما فيها من النزعات المنحرفة وتقوّم اعوجاجها اذا ارادت شذوذًا وما هذه القوة سوى الأيمان برب يُثيب الفضيلة ويعاقب الرذيلة . فالضمير الصالح والشرف الحقيقي قائمان بالدين ولهذا قيل : الشرف من الدين ومَن لا دين له لا شرف ولا ضمير له . ولاجل هذا السبب سارت الكشافة الصالحة على قاعدتي الشرف والضمير مرتبطتين بالديانة الحقّة

الكشافة الكاثوليكية

ولمّا كانت الكشافة بمبادئها القويمة مطابقة لروح المسيح والكنيسة او هي كما تقدّم الكلام فكرةٌ ناشئة من الديانة المسيحية وزهرة جميلة نابتة بين ازهار حقل الكنيسة الكاثوليكية في الاعصر الوسطى حرّثها فرسانٌ اشدّاء وسقوها دماء جهادهم وغذوها روح بسالتهم وتفانيهم لهذا السبب هبّ اليوم الوف من الفتيان والشبان الكاثوليك في جميع الانحاء الى احياء تلك الفكرة وإنماء هاتيك الزهرة وهم اولى لهذه المهمة من سواهم . وقد ابت شجاعتهم ومروءتهم ان يوقفهم في هذا السبيل عائق او يسبقهم في هذا المضمار سابق . فتألفت منهم الكشافة فئة فتيّة نضرة متحدة القلب سبّاقة الى عمل الخير ورافعة الدين والآداب ومحبة الوطن ووقفت سدًّا منيعاً بوجه تيّار الكفر لمناهضة كل مكابر لا يرعى لشرائع الله حرمةً ولا يريد ان يتقيد بغير ناموس الحرية الكاذبة

فالكنيسة الكاثوليكية تُسَرّ اي سرور اذ ترى نخبةً من ابنائها الفتيان الاشداء الازكياء ينضمّون تحت لواء الكشافة الكاثوليكية في كل صقع وبلد ليمثّلوا لمواطنيهم دور المفاداة والمحبة الحقيقية لربهم ولوطنهم . ذلك اشهى ما تتمناه الكنيسة ويرضاه الجالس بالفخر على سدتها البطرسية رأسها المنظور بيوس الحادي عشر وهذا اجمل ما يتعزّى به قلبهُ الابوي في وسط شدائد هذه الايام ومراثرها

اجل ان قداستهُ ينظر بتمام الارتياح الى جماعات الكشافة تتألف في العواصم والمدن معتزلة كل سياسة مرتبطة بربط المحبة والاخاء زاهية زاهرة كما هي في انكلترا تحت رعاية الكردينال بورن رئيس اساقفة وستمنستر . وفي ايطاليا حيث اصبح

الكاثوليك من اصحاب النفوذ والسطوة قامت كشافتهم منظّمة الصفوف سالكة بروح الانجيل على مبادئ الشرف والضمير لا تهاب الموت في الدفاع عن حياض الكنيسة والوطن ولا تكلّ عزيمتها في عمل الخير وخدمة الله والقريب. وكانت مثل هذه الكشافة في المانية

امّا في فرنسة التي لا تزال تذكر كونها ابنة الكنيسة فان الكشافة الكاثوليكية قد تألّفت عصبةً واحدة من عدة جماعات خيرية وعُرفت بتحالف الشركات الكاثوليكية وذلك بسعي القانوني الاب كورنيت يدير شؤونها رجال من الفئتين الاكليريكية والعالمية ممن اشتهروا بفضلهم وسعة معارفهم وهم من مؤسّسي الجمعيات الخيرية او اعضاء الاكاديمية او من الاميرالية والجنرالية منهم الجنرال مودهوي (Gal Maud'-huy) عمدة المؤسسين وقد اثبت قداسة البابا بيوس الحادي عشر جماعتهم وباركها

فالكشافة الكاثوليكية وان تكن حديثة العهد بهيئتها الحاضرة فانها قديمة الايام في اصلها وتاريخها. وقد انتشرت اليوم انتشاراً سريعاً ولها الفوز على ما سواها بما فيها من ميزات في ادارتها وروحها تجديها فضلاً وثباتاً. فانها لا تكتفي بان تراعي شريعة الضمير والشرف بل تعتصم بالله ولا تحيد قيد شعرة عن وصاياهُ وتقوم بجميع واجباتها الدينية وهي تتقيد بوصايا شرف تسع ما عدا الوصايا العشر التي مرّ ذكرها ما يجعلها اشبه بجماعة رهبانية منها بعالميّة. وهذا ما توصي به كل عضو من اعضائها :

١ لا تهمل الصلاة يوماً من الايام
٢ اسمع القداس مصلياً يوم الاحد اينما كنت وايّاً كنت
٣ اياك والكذب كن صادقاً مخلصاً في اعمالك واقوالك وتعلّم ان تكون مسؤولاً عنها
٤ لا يحملنّك الخجل على اخفاء ما انت عليه بل كن فخوراً به
٥ أطعْ لتتعلّم الخدمة فمن لا يطيع الّا نفسهُ لا يخدم غير نفسهِ وهو سواء والعدم
٦ اشتغل كجندي امين للمسيح والكنيسة وللوطن ويجب ان تكون مستعدّاً لما يسألك اياه يوماً هؤلاء الثلاثة اي المسيح والكنيسة والوطن
٧ كن في كلامك ادبياً مهذباً وتنزه عن ان تكون راغباً في ما ليس بنقي طاهر
٨ كن حكيماً وامينًا ثابتاً في عهودك وولائك وتعلّم ان تحفظ سرًّا
٩ إنّ شرف المسيحي ان يعطي ويخدم اسوةً بربه فكن انت صالحاً كريماً خدوماً للجميع ولاسيما للفقراء

ولاجل حفظ هذه الوصايا فُرضت على كل من قبلها قراءةٌ روحية كل يوم

وزيارة القربان المقدس والصلاة الى العذراء مريم والتقرُّب من الاسرار في كل شهر وتعلّم امور الديانة والدفاع عنها لدى الاقتضاء. وان يكون الفتى المنخرط في سلك الكشافة قدوة لغيره في عيلته ومدرسته وبين اقرانه وان يرغب في ما هو شاقّ صعب وان يكون شجاعاً حزوماً وان يتألم من دون شكوى

فعلى هذا الدستور الأدبي يسير اولئك الشبان وبه يكونون رجال جدّ ونشاط لا ينقادون بالدافع الخارجي فقط كالمعاقبة والترغيب بل بدافع داخلي هو دافع الدين والضمير والشرف وما هنالك من الروح العائلي يولّد في كل منهم الاهتمام بشرف الجماعة والمحافظة على سمعتها والسعي في اعطاء المثل الصالح والمنافسة في عمل الخير لتبقى الارادة عاملة ثابتة في طلب الخير الاعظم

ومتى بلغ الشاب في الكشافة الكاثوليكية هذا المبلغ من تهذيب الارادة وتكميلها يقدم على حلف اليمين في حفلة حافلة بعد ان يستعدّ لهُ بالاختلاء مدّة اربع وعشرين ساعة وهذه صورته :

« اني انا الواضع يدي على الراية وعلى ضميري بحضرة رفقائي ورؤسائي ومرشدي اعاهد مقدارَ استطاعتي انا الفتى المسيحي ان اخضع لرؤسائي ونظام جماعتي قدوة الشبيبة وأن احفظ وصايا الشرف وبالاخص ألّا اكذب ابداً وان اكون خدوماً لقريبي شفوقاً على البائسين واجتهد ان اغو في حب الخير حتى احقق في حياتي شعار القدوة المسيحية « المسيح والوطن » . فليبارك الله والكنيسة أبي فعلي هذا ويساعدني على ان اكون براً به »

فعلى الطاعة والعمل والنزاهة والصدق والخدمة ومحبة الله والوطن يرتكز اساس الكشافة الكاثوليكية فما اشرف مبادئها واعظم شأنها

منافعها

في تأليف الكشافة من المنافع ما لا يُنكر فانَّ فيها روح الألفة وما أحوجنا اليها ! روح النشاط والعمل ونحن نكاد نفقدهُ بعد ويلات الحرب الكونية اذ فقدنا اليد العاملة بالموت والمهاجرة ووقوف الحركة ! روح الكشافة الاقتصاد ونحن لا نعرف منهُ الّا الاسم فقط فاكثر اغنيائنا محتكرون مبذرون والمحترفون فينا وهم يكادون يحصلون كفاف يومهم يجعلون مصاريفهم فوق طاقتهم متشبهين باصحاب اليسار والثروة. الكشافة ترجب القناعة اذ لا يجيح قانونها بان يصرف العضو فيها اكثر من

نصف مدخوله اليومي وان يحتفظ بالباقي لخير نفسه وقريبه . ومن لوازمها التدين الصحيح والآداب السليمة فيكون لا اوفق ولا ألزم منها لبلاد هي مهبط الوحي ومسكن الانبيا عاش فيها الاسلاف متصفين بالدين وصون حرمة الاداب . والتاريخ اصدق دليل . ومن روح الكشافة التفاني في سبيل الخير وحب الوطن وهذا ما زال عندنا اسماً بلا مسمًّى ولو لم يكن في الكشافة سوى روح التفاني والمفاداة الذي هو روح المسيح والكنيسة لكفاها ذلك فخرًا فضلًا عن انها بما فيها من روح الالفة والاتحاد تكون صلة متينة بين بلد وبلدٍ ودولةٍ واخرى . وبحيادها عن كل سياسة تزيد توثيق عرى المحبة والولاء بين الافراد والجماعات على اختلاف الجنسية والمشارب

فالكشافة بتذرُّعها بتينك الوسيلتين الضامنتين لها حسن المستقبل والثبات في العمل اي الرياضة البدنيَّة والرياضة النفسيَّة تحفظ اعضاءها شبَّاناً وفتياناً من التعرُّض لاسباب الامراض المضرَّة بالنفس والجسد . وما اكثر الشبان تعرَّضاً لمثل تلك الامراض التي ينتشر مكروبها وخصوصاً في هذه الايام في المسارح والملاهي الخلاعية والالعاب المحرَّمة . وانها بما فيها من القوانين الصحية والتعاليم الاخلاقية تقي الشبيبة من تلك المخاطر وترشد خطواتها في الطريق السويّ لئلا تقع في فخاخ المآثم . وللتي الشابّ الرياضتين المشار اليهما ندحةٌ عمَّا سواها وبهما تحصل له الفائدتان اللازمتان للحياة اي صحَّة الجسد ونضارتهُ وسلامة النفس وطهارتها . فكم تقرُّ العين اذ ترى اولئك الفتيان وقد ضربوا خيامهم البيضاء في منبسط الصحراء وانتظمت اسرابهم صفوفاً تحاكي اسراب الحمام بما فيهم من جريٍ سريع ومنظر بديع وقلب وديع ووجه يطفح بِشرًا وحبورًا وجسم امتلأ حياةً وقوة تأسر بشائق تمارينها النظر وتخلب برائق العابها الفكر فتتضارع الاشبال جرأةً والطيور سرعةً والازهار طهارةً وجمالًا والمتوحدين لله عبادةً وكمالًا

أكرِمْ وأجِلْ بالكشافة الكاثوليكية التي تقرن تلك الرياضة الخارجية بترويض اخلاقها وقيامها بواجباتها الدينية في كل اين وآن . فاذا ارخى الليل سدولهُ وسكنت الطبيعة قامت تلك الكشافة تناجي الله ربَّها من وراء النجوم الزواهر وتمجّده بما فيها من ايمان حي وضمير مطمئن ونفس راتعة بسلام الله . وتنهض عند بزوغ الفجر وقد ذرّت نجمة الصبح فوق الجبال لتحيّي نجمة الاكوان وتضرع اليها وتناديها . وقبل ان

تحلّ الكشافة أطنابها ترفع صوتها الى الله قائلة: «تنازل اللهمّ واحفظنا اليوم اجمعين في حال النعمة وقيّض لكل منا نحن كشافتك ألّا نصرف يومنا الّا بخدمة ونفع قريبنا لاجل محبتك». او تتلو هذه صلاة القديس اغناطيوس: «يا قلب يسوع علّمني ان اكون كريماً سخيّاً وان اخدمك كما تريد وان أُعطي بلا حساب وأن أُحارب لاجلك ولا اهاب العمل غير مبالٍ بالراحة وان اتفانى ولا انتظر من وراء عملي ثواباً غير ارادتك القدوسة»

وهذه صلاة قائد الكشّافة اذا حلّت بقعةً من الارض فقبل ان تضرب الخيام يصلّيها قائلاً:

«يا ربنا وقائدنا يسوع المسيح يا من اخترتني رغم ضعفي زعيماً ووكيلاً لاخواني الكشّافة هبْ لي ان ارشدهم في طريق شريعتك وعلّمني ان ابيّن لهم آثارك الالهية في الطبيعة التي خلقتها وان اعلّمهم ما توجب عليّ وان اقود جماعتي هذه من مرحلة الى مرحلة حتى نبلغ اليك يا الهي في ظلال الراحة والفرح حيث نصبتَ خباءك وخباءنا الى الابد امين»

وكم يلذّ لك ان ترى زمر اولئك الصبيان قائمين للصلاة قرب خيامهم وهم يترنّمون بالاناشيد الوطنيّة والتسابيح لربّ السماء. وأكرم بالفتى الكشّافة الكاثوليكي يذكر على سريره قبل رقاده ثلاثة مبادئ جاهر ان يتقيد بها وهي:

١ً ان يكون متباهياً بايمانه وأطوعَ له من بنانه ما زال في قيد الحياة
٢ً ان يكون ابناً لبلاده ووطنياً صالحاً
٣ً ان يقوم بواجباته وهو في بيته

وهذه المبادئ تجعله ان يفكر دائماً وان يحقق بالفعل ما عليه لعيلته وبلاده وقبل كل شيء لدينه فيكون ولداً صالحاً ووطنياً وكاثوليكياً صادقاً لان هذه ارادة الله فيه ولانه اذا لم يقم بواجباته هذه حُرم الحقّ بان يعتبر نفسه عضواً لائقاً بالكشافة. وأحرِ به ان يذكر وصايا والدته التقية التي علمته منذ الصغر واجباته نحو ربه ونفسه وقريبه بل أحرِ بالام اللبنانية اليوم ان تعلّم ابنها الصدق والشجاعة وتوصيه بما كانت احدى الامهات الفاضلات توصي ابنها قائلة:

«اني اوصيك يا بني بثلاثة اشياء: الاول وقبل كل شيء ان تحبّ الله وتعبده وتخشاه ولا تحنثه ابداً لانامته وجدنا وفيوغيا وتخاص ومن دون نعمته لا نستطيع عملاً صالحاً في هذا العالم. الثاني ان تكون انيساً وديعاً لكل انيس لطيف اذ تنزع منك كل كبرياء. كن متواضعاً ولا تكن غاشماً ولا كذاباً وكن قنوعاً. واياك والحسد والمقوت والمداهنة ونقل الكلام واذا قلتَ

فافعل. ووصيتي الثالثة ان تحسن الى الارامل والايتام وان تتصدّق على الفقراء لاجل وجه الله الكريم هذه وصاياي فاحفظها تكن رجلاً غانماً رضيّ الله ربك ومفيداً لنفسك ولوطنك»

فمتى كثُر ما بيننا عدد امثال هاته الامهات واولئك الشبان الراقين ديناً وعلماً وادباً فُزنا بما نبتغي من الرقي الحقيقي والكشافة الكاثوليكية تضمن لنا ذلك وتسهله وبغير مبادئها لا يمكن او يصعب بلوغ هذه الامنية فكما انهُ لا امل بان نجني من العوسج تيناً ولا من الشوك عنباً كذلك لا يكون رقي صحيح من كشافة او شبيبة لا دين ولا آداب لها . على ان الرقي والتمدن الحقيقي مضمونان بوضع مبادئ الكشافة الكاثوليكية بالعمل فهي والحق يقال ليست شاملة فقط جماعتها بل جميع طبقات الناس اذ يمكننا ان نسمي الكاهن كشافةً بغيرته وتفانيه والحاكم كشافةً بنزاهته وعدله ومثلهم التاجر باستقامته وقناعته والعامل بنشاطه وجدّه واقتصاده والوالدون بقيامهم بمهام العيلة وتربية البنين والابناء بما عليهم من طاعة ومحبة واحترام لوالديهم . فمتى ساد العدل والنزاهة والمحبة والعمل والاقتصاد وبالجملة متى سرنا بحسب تعليم الانجيل اس التمدن والعمران كنا في مستوى ارقى الامم واكثرها حضارةً ونهضت البلاد من كبوتها وانسدّت ابواب المهاجرة وانقطع سيلها الجارف .

فالى الشبيبة العزيزة الناهضة نسوق هذا الكلام مذكرينها — ان كانت من الكشافة — ان ترعى قوانينها وتحفظها بما فيها من حميّة وطنية وروح دينية ملازمةً حدود الفطنة والاعتدال في كلّ شيء . وألّا تلهو بالقشور عن اللب . وان كانت ممن لم ينخرطوا بعدُ في سلك الكشافة نرغب اليها هذه الخطّة الشريفة والمفيدة ونحثُّها على التمسك بمبادئها القويمة اذ تعرض عن كل ما هو منافٍ للدين والاداب وتحذر شرّ المجتمعات الفاسدة والمفسدة التي تقتل روح الوطنية الحقة وتطفئ مصباح الايمان من العقل وتقعد بالارادة عن عمل البرّ والصلاح

كنتُ الصيف الماضي في احد اديارنا لمهمّةٍ رهبانيّة فوافق ان وجدتُ هناك فئة من الكشافة التي يدير شؤونها بعض آباء الرهبانيّة الانطونيّة وما اشدّ ما كان فرحي وابتهاجي لمّا رأيت اولئك الفتيان يأتون من التمارين والالعاب الشائقة ما هو اولى بجنود منظّمة فكان يبرز من صفوفهم فتى هو اصغرهم سناً فيتولّى قيادتهم وتعليمهم . ومما زادني سروراً اني كنت اقرأ على جباههم الوضّاحة آيات المحبة والاخاء وعنوان

الطهارة والنقاء . وما اجمل ما كانت صفوفهم وقد قاموا في الكنيسة لسماع القدّاس وللصلاة يوم عيد انتقال السيدة عليها السلام وقد حمل كل منهم عدّة سفره بعد ان ملأ قلبه من محبة الله وقربه . ولمّا رايتهم يتقدّمون من مائدة الخلاص قلت في نفسي : عسى ان تثبت هذه الاغصان في الكرمة فتستمدّ من مائها روح التقاني والإقدام والشجاعة فتثمر اثمار الصلاح المرغوبة . وعساك يا لبنان المسكين تقوم بها من كبوتك وتنهض بشبيبتك وترى من ابنائك مَن يعيدون لك سالف مجدك وعزّك ! اذ يرتشفون مناهل العلم صافيةً من كدر الكفر والفساد ويكون لهم من متين عقيدتهم وسلامة ادابهم عدّةٌ يخوضون بها معامع هذه الحياة ليخرجوا منها ظافرين بمعونة الله الذي اليه المآل ومنهُ تحقيق الآمال

ما أضيقَ العيش لولا فسحةُ الامل

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٤ اعشى بني تغلب

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ يُطلق اسم الأعشى على نحوٍ من عشرين شاعراً كما ترى في المزهر للسيوطيّ (٢ : ٢٢٩—٢٣٠) وفي شرح شواهد المغني لهُ (ص ٨٦) وفي تاج العروس (١٠ : ٢٤٣—٢٤٤) . وقد كثر التخليط في تعريف اسمائهم وكُناهم وقبائلهم . وربَّما اكتفى الادباء باسم الاعشى دون زيادةٍ في التعريف . وانمّا اشهرهم الاعشى المعروف بالاعشى الاكبر وهو ابو بصير الميمون بن قيس وهو جاهليّ . واسم الاعشى لقبٌ يُطلق على الذي البصر من العشاء وهي ظلمة تعترض العين فلا تُبصر ليلاً

واعشى بني تغلب قد اختلفوا في اسمهِ . جاء في الاغاني (١٠ : ٩٨) : « قال ابو عمرو الشيباني اسمهُ ربيعة . وقال ابن حبيب : اسمهُ النعمان بن يحيى » . وفي الحماسة البصريَّة (١ : ٨٧) « هو ربيعة بن نجران » وفي محلٍّ آخر « هو نعمان بن نجوان التغلبي

واسمهُ ربيعة» . وفي المزهر للسيوطي(٢ : ٢٢٩) : « الاعشى التغلبيّ اسمهُ نعمان بن نجران» وقال في التاج(٩ : ٣٤٤) . «هو النعمان ويقال ابن جاوان وهو في الاراقم» . امّا نسبُهُ فرفعهُ ابو الفرج في الاغاني الى نزار فقال : « النعمان بن عمرو (بن غنم) بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ابي ربيعة بن نزار» . وكثيرًا ما اشاروا اليهِ باسم « التغلبيّ » بلا زيادة

﴿زمانهُ وموطنهُ﴾ قال في الاغاني : « هو من شعراء الدولة الامويّة وساكني الشام اذا حضر واذا بَدا نزل في بلاد قومهِ بنواحي الموصل وديار ربيعة » . ومن المعلوم انَّ ديار تغلب كانت في بلاد ما بين النهرين في جوار ديار بكر في جنوبيّها على ضفّة الفرات الشماليّة من الرقّة والرصافة الى جهات سنجار وانحاء الموصل . عاش في اواخر القرن الاوّل ثمَّ اوائل الثاني للهجرة وفي النصف الاوّل من القرن الثامن للمسيح في عهد الوليد بن عبد الملك وخلفهِ عُمَر بن عبد العزيز

﴿دينهُ﴾ صرَّح بهِ ايضاً صاحب الاغاني بقولهِ (١٠ : ٩٨) : « وكان نصرانيًّا وعلى ذلك مات» . ومثلهُ قال صاحب الحماسة البصريّة(١ : ٨٧) : «وكان نصرانيا»

﴿اخبارهُ﴾ لم نعرف من اخبار اعشى بني تغلب الّا النزر القليل . وانَّما يُستدَلّ من هذا القليل على علوّ مرتبتهِ . فمن ذلك انهُ حظي عند خلفاء بني اميَّة وعند اعيان زمانهِ . روى ابو الفرج عن ابن حبيب وابي عمرو (١٠ : ٩٩) انَّ الوليد بن عبد الملك كان محسناً الى اعشى بني تغلب . وقد مدحَ مسلمةَ بن عبد الملك اخا الوليد وصاحب الغزوات الكثيرة المتوفّى سنة ١٢٣ هـ (٧٤٢م) . وكذلك مدح بعض وجوه زمانهِ كمُدْرك بن عبدالله الكنانيّ

﴿اخلاقهُ﴾ كان اعشى التغلبيّ ابيًّا فظَّ الطباع ذا نخوة لا يرضى بالهوان فمن ذلك ما حدَّث بهِ محمَّد بن حبيب عن ابي عمرو الشيبانيّ (الاغاني ١٠ : ٩٨) قال : « كان اعشى بني تغلب يُنادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم فشربا يوماً في بستان لهُ بالموصل فسكر الاعشى فنام في البستان ودعا الحرُّ بجواريهِ فدخلنَ عليهِ قبَّتهُ واستيقظ الاعشى فأقبل ليدخل القبَّة فمنعهُ الخدم ودافعهم حتى كاد ان يهجم على الحرّ مع جواريهِ فلطمهُ خصيٌّ منهم . فخرج الاعشى الى قومهِ فقال لهم : لطمني الحرُّ فوثب معهُ رجلٌ من بني تغلب يقال لهُ ابن ادعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن ابي سعدة

فاقتحما الحائط وهجما على الحرّ حتى لطمهُ الاعشى ثم رجعا فقال الاعشى (من الوافر):

كأنّي وابنَ أدعجَ اذ دخلنا على قُرَشيّك الوَرِع الجَبانِ
هزَبرا غابةٍ وقصا حمارًا فظلّا حولهُ يتناهشانِ
انا الجُشَميُّ من جُشَم بن بكرٍ عشيّةَ رُعتُ وجهكَ بالبَنانِ (١
فما يَستطيعُ ذو ملكٍ عِقابي اذا اجترَمتْ يدي وجَنى لساني
عشيّةَ غاب عنك بنو هشامٍ وعثمانُ أسْتُها وبنو أبانِ
تروحُ الى منازلنا قريشٌ وانتَ مُخيّمٌ بالزُّرَّقانِ (٢

والحرُّ المذكور هو الامير ابن يوسف بن يحيى بن الحكم بن ابي العاص بن امية من وجوه قريش واليهِ يُنسب نهر الحرّ بالموصل لانهُ حفرهُ (التاج). وقد ولي مصر ثلاث سنين من قبل هشام سنة ١٠٥—١٠٨هـ (٧٢٣-٧٢٦م). وروى ايضاً ابن حبيب عن ابي عمرو قال (الاغاني ١٠: ٩٩): «وكان الوليد بن عبد الملك محسناً الى اعشى بني تغلب فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد اليهِ يمدحهُ فلم يعطهِ شيئاً وقال: «ما ارى للشعر في بيت المال حقًّا ولو كان لهم فيهِ حقّ لما كان لك لأنّك امرؤٌ نصرانيّ» فانصرف الاعشى وهو يقول (الحماسة البصريّة ١: ٨٧) (من الطويل):

لَعمري لقد عاش الوليدُ حياتَهُ إمامَ هُدًى لا مُستزادٌ ولا نَزْرُ
كأنَّ بني مَروانَ بعد وَليدِهم (٣ جَلاميدُ لا تَندى (٤ ولو بَلّها القَطْرُ
وكانوا أناساً يُنتَحَون فأصبحوا واكثرُ ما يُعطونك النظرُ الشَّزْرُ
ألم يكُ عذرًا ما فعلتم بشَمعَلٍ وقد خاب من كانت أمانيُّهُ القَدْرُ

١) اي لطمتُك. وقولهُ «انا جُشَميّ» اي مثلي يفعل ذلك بمثلك (الاغاني)
٢) (قال) الزرّقان قرية كانت للحرّ بسنجار
٣) ويروى: بعد وفاتهِ ٤) ويروى: ما يندى

وكائنْ دفعْنا عنكمُ من عظيمةٍ ولكن ابيتم لا وفاءٌ ولا شكرُ
فان تكفروا ما قد فعلتم فربَّما أُتيحَ لكم قسرًا بأسيافنا النَّصرُ

وشمل الذكر هنا هو الشاعر الذي مرَّ وصفهُ الذي امر الخليفة الاموي بقطع جذوةٍ من فخذهِ اذ لم يشأ ان يجحد دينهُ النصرانيّ (راجع الصفحة ١٧٩ من العدد السابق) . وفي كتاب الاغاني يُنسب الى أعشى تغلب البيتان اللذان رويناهما هناك (ص ١٨٠)

ومما انشده اعشى تغلب قولهُ يذكر وقائع جرت بين بني تغلب وبين شيبان وكان مالك بن مسمع رئيس بني بكر معاوناً في بعضها لبني شيبان فقعد عنهم فقال الاعشى في ذلك (من الطويل) :

بني أُمنا مهلاً فانَّ نفوسَنا تُميت عليكم عَتْبَها ومَصالَها
رعَوْن بلا جهلٍ قرابة بيننا وبينكمُ لمَّا قطعتم وِصالها
جَزى الله شيباناً وتيماً ملامةً جزاءَ المسيء سعيَها وفِعالَها
أبا مِسمعٍ مَنْ تُنكِرِ الحقَّ نفسُهُ وتَعجِزْ عن المعروفِ يَعرِفْ ضَلالَها
أأوقدتَ نار الحرب حتى اذا بَدا لِنفسِك ما تجني الحروبُ فهالَها
نزعتَ وقد جرَّدتَها ذات منظرٍ قبيحٍ مَهينٍ حيثُ ألقت حَلالَها
ألَسْنا اذا ما الحربُ شبَّ سعيرُها وكان سفيحُ المشرفيِّ صِلالَها
أجارَتَنا حِلٌّ لكم ان تنازلوا مَحارِمَها وأنْ تجيزوا حَلالَها
كذبتم يمينَ الله حتى تُعاوِروا صدورَ العوالي بيننا ونِصالَها
وحتَّى ترى عين الذي كان شامتاً مزاحفَ عَقرى بيننا ومَجالَها

﴿شعر الاعشى التغلبي﴾ انَّ القليل ممَّا بقي من شعر الاعشى التغلبي ينبئ بحسن

ذوقه ومتانة نظمه ما يجعلهُ اهلًا بشعراء زمانه المتلقين. وقد تغنّى المغنّون ببعض ما انتجتهُ قريحتهُ فمن ذلك ما روى لهُ صاحبُ الاغاني وهما البيتان التابعان (من الكامل):

دارٌ لِقاتِلَة الغَرانق (١ ما بها غيرُ الوحوشِ خلَت لهُ وخَلا لَها
ظلّت تُسائِلُ بالمُتَيَّمِ ما بهِ (٢ وهي التي فعلَتْ بهِ أفعالَها

قال: «الشعر لاعشى بني تغلب من قصيدةٍ يمدح بها مَسلمة بن عبد الملك ويهجو جريرًا ويُعين الاخطل عليهِ. وفيهِ صوت والغناء لعبدالله بن العبّاس .. وقد بقي من القصيدة المذكورة بعض الابيات رُويت في ديوان الاخطل (ص ٣٢٠–٣٢١ من طبعة الاب انطون صالحاني) وفي الحماسة البصريّة (٢: ١١٧) وهي هذه:

رحلَتْ أُمامَةُ للفِراقِ حِبالَها كَيْما تَبِينُ وما تُحِبُّ (٣ زِيالَها
هذا النهارَ بَدا لها من هَمِّها ما بالُها بالليلِ زال زوالَها
الحسنُ آلفها ببيت ضَجيعِها وتظَلُّ قاصِرَةً عليهِ ظِلالَها (٤
ولَئن أُمامَةُ فارقت او بدّلَتْ وُدًّا بودّكَ ما صَرَمْتَ حبالَها
ولَئن أُمامَةُ ودَّعَتْك ولم تَخُنْ ما قد عَلِمتَ لَتُدرِكَنَّ وِصالَها
إرْبَعْ على دِمَنٍ تَقادَم عهدُها بالجَوْف واستلَبَ الزمانُ جِلالَها (٥
كانت تُريك اذا نظرتَ أمامَها مَجرى السُّموطِ (٦ ومرَّةً خَلْخالَها

١) ويروى: لقاتلة الغرانق ٢) ويروى: ما لهُ
٣) رَحَل الجمَل حطّ عليهِ الرحل. ويروى: زحلت سلامة. ورحلت سُمَيَّة. ويروى: فما تُريد ٤) وفي الحماسة البصريّة بعد هذا «ظلّت تسائل» البيت
٥) إرْبَع اي اعطِفْ رُعْ. والجَوْف اسم مكان واصلهُ المطمئنّ من الارض. وبعد هذا البيتان اللذان فيهما الصوت «دارٌ لقاتلة . . .» ويروى: دِمَنٌ لقاتلة الغرانق . . الّا الوحوش» الغُرْنوق طائر مائي ابيض يشار للشاب الحَسَن. ويروى: بكرَتْ تسائل والجلال القوم الترول
٦) مجرى السُّموط اي موضع القلادة والعُنُق

دَعْ ما مضى منها فرُبَّ مُدامةٍ صهباءَ عاريةِ القَذى سَلْسالِها (١
باكرتُها عند الصباح على نُجَى(٢ ووضعتُ غير جِلالِها اثقالَها
صبَّحتُها غُرَّ الوجوهِ غرانقاً من تغلبَ الغَلْباء لا أسفالَها
إخْتَأْ اليك جريرُ انّا معشرٌ نِلْنا (٣ السماءَ نجومَها وهِلالَها
ما رامَنا مَلِكٌ يُقيمُ قَناتَنا الّا استَبَحْنا خيلَهُ ورِجالَها

ومما رواهُ الجاحظ في البيان والتبيين(١ : ٢١٥)لاعشى بني تغلب (٤ ومثلهُ امين الدولة محمّد الافطسيّ في كتاب المجموع اللفيف(Ms de Paris, 3388, ff. 147v) قولهُ (من البسيط) :

ما ضرَّ عازِي رِزازٍ أن يُفارِقَهُ كَلْبٌ وجَرْم اذا ابناؤهُ اتّفقوا
قالت قُضاعَةُ انّا من ذوي يَمَنٍ اللهُ يعلمُ ما بَرُّوا (٥ ولا صَدَقوا
يزدادُ لحمُ المناقي (٦ في منازلنا طِيباً اذا عزَّ في اعدائنا المَرَقُ
وما خطَبْنا الى قومٍ بناتِهِمُ إلّا بأرْعَنَ في حافاتِهِ الخِرَقُ

واليه نسب ابن عبد ربه في وصف يوم ذي قار الابيات التالية في العقد الفريد (٣ : ١١٧) وفيها ابيات تُروى في معلّقة عنترة (من الكامل) :

ولقد رأيتُ اخالكَ عمرًا مرّةً يَقْضي وضيعَتَهِ بذات العِجْرِم
في غمرة الموت التي لا تشتكي غَمَراتِها الابطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ
وكأنّما أقدامُهم وأكُفُّهم سِرْبٌ تَساقَطَ في خليجٍ مُفْعَمِ

١) بالاقواء . السلال اللينة
٢) النجى جمع نَجْوَة المرتفع من الارض ٣) ويروى : منّا السما ٤) وفي الاصل ابن ثعلبة وهو غلط اصلحهُ الافطسيّ
٥) وفي نسخة باريس : ما برّ ٦) ويروى : لحمُ المنايا

لمّا سمعتُ دُعاةَ مُرّةَ قد علا واتى ربيعةَ في العَجاجِ الأقتمِ
ومُحَلِّمٌ يمشونَ تحت لِوائهم والموتُ تحت لواء آلِ مُحَلِّمِ
لا تَصرِفون عن الوغى بوجوهِهم في كلّ سابغةٍ كلون المِظلِمِ
ودعَتْ بنو امِّ الرقاع فأقبلوا عند اللقاء بكل شاكٍ مُعلَمِ
وسمعتُ يَشكُرَ تدّعي بحُبَيِّبٍ تحت العَجاجةِ وهي تقطرُ بالدمِ
يمشونَ في الحلقِ الجديد كما مشَتْ أُسدُ العَرينِ بيومِ نحسٍ مُظلِمِ
والجمعُ من ذُهلٍ كأنّ زُهاءَهم جُربُ الجمال يقودُها ابنا قَشعَمِ
والخيلُ من تحت العَجاج عَوابساً وعلى مَناسِجِها سحائبُ من دمِ.

وقال في الجاهليّة يشكر ضرائب ومكوس ملوك العرب (كتاب الحيوان للجاحظ ٦: ٤٤) (من الطويل):

ألا تستحي منّا ملوكٌ وتتّقي محارمَنا لا يبرأ الدمُ بالدمِ
وفي كلّ اسواقِ العراقِ إتاوةٌ وفي كلّ ما باعَ امرؤٌ مَكسُ دِرهمِ

وروى له ايضاً (٥: ١٦٩) في وصف القطا قال وهي أجود قصيدة قيلت في القطا (من الطويل):

ثلاثُ مَرَوْراتٍ يُجاذِبُها القطا ترى الفرخَ في حافاتها يتحرّقُ
يظلُّ بها فرخُ القطاة كأنّهُ يتيمٌ يناجيهِ مواليهِ مُطرِقُ
بدَيمومةٍ قد بات فيها وعينُهُ على موتهِ تُغضي مرارًا وتَرفقُ
شَبيهٌ بلا شيءٍ هنالك شخصُهُ يواريهِ فَلْكٌ حولهُ مُتفلّقُ
لهُ مَحجَرٌ نابٍ وعينٌ مريضةٌ وشِدْقٌ بمثل الزّعفرانِ مُخلّقُ

تُناجيهِ كَحلاءُ المَدامعِ حُرَّةٌ ... لها ذَنَبٌ ساجٍ وجِيدٌ مطوَّقُ
سَماكيَّةٌ كَدريَّةٌ عرعريَّةٌ ... شكاليَّةٌ عفراءُ سمراءُ سَمْلَقُ
اذا غادرَتْهُ تبتغي ما يُعيشُهُ ... كفاها رزاياها النجاءُ المبنَّقُ
عدَتْ تستقي من منهلٍ ليس دونهُ ... مَسيرةُ شهرٍ للقطا مُتعلَّقُ
لأزغبَ مطروحٍ بجَوْزِ تَنُوفةٍ ... تَلظَّى سَموماً قيظُهُ فهو أوْرَقُ
تراهُ اذا أمسى وقد كاد جِلدُهُ ... من الحرِّ عن أوصالهِ يتمزَّقُ
غدَتْ فاستقلَّتْ ثمَّ ولَّت مُغيرةً ... بها حين تَرْهاها الجناحانِ أوْلَقُ
تُيمِّمُ ضَحْضاحاً من الماء قد بدَتْ ... دعاميصُهُ في الماء أطحَلُ أطرَقُ
فلمَّا أتتهُ مُقدَحِراً تقرَّبتْ ... تَقرُّبَ مجنونٍ فتَطفو وتغرقُ
تمرُّ وتُلقي في سِقاءٍ كأنهُ ... من الحنظل الرامي جزءٌ مُفلَّقُ
فلمَّا ارتوتْ من مائها لم يكن لها ... اناةٌ وقد كادت من الرمي تَبعقُ
طمَتْ طموةً صُعْداً ومدَّت جِرانَها ... وطار كما طار السحابُ المحلِّقُ

هذا ما أمكننا جمعهُ من آثار ذلك الشاعر وكفى بهِ دليلاً على فضله (لهُ صلة)

سياحة أثريَّة

في ماريا وتابوزيريس الكبرى وخرائب القديس ميناس

للخوري لويس ملحه كاهن موارنة الاسكندرية واحد اعضاء الجمعية الاثرية فيها

ان للجمعية الاثريَّة في الاسكندريَّة غايةً سامية وهي العناية بامر العاديَّات التي

تُكتشَف في دفائن ارضنا سواء كانَ في المدينة عينها او في ضواحيها وارباضها ودرسُها درساً تاريخيًّا اثريًّا . ومن حميد عاداتها انها تدعو كل سنة اعضاءها وعائلاتهم الى سياحة اثريَّة في جهة من الجهات التي اشتهرت بخطورة آثارها وتاريخها . وقد دعتهم هذه السنة الى سياحة من هذا النوع في مدينتي ماريا وتابوزيريس العريقتَين في القِدَم وخرائب القديس ميناس الشهيد المعروف وهي كلُّها في انحاء مريوط . وبما أننا من اعضاء الجمعية المومأ اليها قد لبَّينا تلك الدعوة العلميَّة بطيبة خاطر . ومن ثمَّ فقد رأينا ان ننشر على صفحات المشرق الزاهر تفاصيل هذه السياحة لما فيها من الفوائد الاثرية والتاريخية للقراء الكرام فنقول :

لقد احتشد المدعوون غَلَس الاحد الواقع في ٩ آذار من السنة الجارية في اروقة المتحف الاسكندري وعددهم يربو على المائة وبينهم جناب المسيو برتشيا (M. Breccia) مدير المتحف المذكور ومن المعلوم انَّهُ ممَّن لا يُشَقّ لهم غبار في مضمار فنَّي الآثار والتاريخ . وبعد ان تأهبوا للرحيل ركب جميعهم السيَّارات التي اناف عددها على الاربعين . وما هي الَّا هُنَيهة حتى سار هذا الرَّتل من السيارات يخترق شوارع المدينة الى ان تجاوز محلة المكس

وهناك اخذت تبدو لنا بحيرة مريوط بلونها السَّمَنجوني البديع وحولها من المروج والحقول الخصبة ما يأخذ بمجامع الالباب . كيف لا وقد كسا الربيع تلك المروج حلَّةً زمرُّديَّة اللون تنسقها ازهار الاقاحيّ وشقائق النعمان . فاجتزنا هذه البحيرة التي لعبت دورًا خطيرًا في التاريخ اذ كان في اوساطها خلالَ العصر الروماني اليوناني ثماني جُزُر صغيرة وفيرة الخصب ابتنى فيها قوم من المترين يومئذٍ جواسقَ جميلة طوَّقوها بحدائق غناء لسكنها في اجمل فصول السنة

وكانت تلك البقعة المريوطيَّة التي على عدوة البحيرة غنيةً بزراعة الكروم واشجار الزيتون وكان لها شهرة عظمى بنعومة ورق البردي الذي كان ينمو فيها بكثرة وقد وصف الكاتب اليونانيّ اتينـاي خمر مريوط بعذوبة الحلاوة والخفَّة وطيب الرائحة واثبت الشاعر الروماني هوراس بان الملكة كليوباتره الشهيرة لم تفضل خمرًا في حياتها على خمر مريوط . وقال ڤرجيل الشاعر اللاتيني الكبير ان عنب مريوط كان مشهورًا بنصاعة البياض وزكاء التربة التي ينمو فيها . وقد عثر محمود الفلكي

في تلك الاراضي على بقايا معاصر ومجانع وصهاريج كانت معدّة بلا ريب لصنع الزيوت والخمور لكن اليوم قد غدت هذه المقاطعة مسكناً للبدو الذين يعيشون فيها من الزرع والضرع

وكانت مياه البحيرة قد غاضت في القرون الوسطى الّا ان الانكليز قد اعادوا المياه اليها في موقعة ابو قير المشهورة. اما في الاجيال المسيحية فقد بلغت البلاد الواقعة على شواطئ البحيرة شأواً بعيداً من العمران وقيل انهُ كان هناك للرهبان والنسّاك ما يزيد على ٦٠٠ دير او معهد. وما زلنا الى ان وصلنا الى موقع مدينة ماريا

١ . ماريا وآثارها

كانت ماريا (Marea) هذه حاضرة البلاد المريوطيّة في ايام اليونان والرومان وهي قائمة في شبه جزيرة جنوب بحيرة مريوط وقد ورد ذكرها في تاريخ هيرودوت وفي الكتابات الراقية الى عهد الفراعنة. وكانت تُعدّ في زمانهم من مخافر الحدود المصرية وزعم ايزيدور المؤرخ ان الملك أماسيس شنّ الغارة فيها على باماتيك ملك ليبية وهزمه شرّ هزيمة وذهب فريق من العلماء الى ان ابنهُ اينوروس قد جعلها عاصمة ملكهِ وفيها استعدّ لمحاربة الفرس في مصر السفلى

وقد كان لماريا هذه في ايّام البطالسة اهميّة كبرى من حيث موقعها فانها كانت المستودع الخاصّ لتجارة البحيرة ومقاطعات مريوط كافّة وهي اليوم خراب يباب ينعق فيها الغراب. وبعد ان لبثنا هناك نحو ساعة من الزمن استقلّتنا السيّارات ووجهتنا تابوزيريس

٢ تابوزيريس الكبرى

زعم باكو (١ في كتاب رحلته الى بلاد مريوط انهُ كثيراً ما حاول ان يعثر بين خرائب تابوزيريس (Taposiris Magna) (وهي ابوصير اليوم) على بقايا من المباني المصرية القديمة فلم يجد ضالّته المنشودة. وعندهُ ان قدماء المصريين لم يشيّدوا ابنية ولم يُنشئوا مدناً في البلاد المريوطية قبل احتلال اليونان لها وانّ قبل عهدهم كان

(١ PACHO :Relation d'un voyage dans la Marmarique, *Paris*, 1827

يقطن تلك البلاد قبائل رُحّل وغيرهم من الليبيّين . ولم يُصِب باكو برأيهِ هذا لأن علماء الآثار قد عثروا في جهات مربوط على عاديّات قديمة يرتقي تاريخها الى رعمسيس الثاني مضطهد الاسرائيليين ومن ثمَّ وجب التسليم بانَّ قوماً متمدنين لا رُحّلاً كما زعم باكو قطنوا تلك الجهات قبل اليونان والرومان . وقد روى كليستان بان الاسكندر الكبير قد تفقَّد مدينة تابوزيريس في طريقهِ من الاسكندرية الى هيكل الاله أمون الواقع في صحراء ليبية السحيقة . امَّا الصَّرح الفخم الذي صبر على الزمان في تابوزيريس حتى الآن فانَّما هو هيكل اقامهُ البطالسة للاله اوزيريس وهو ذو شكل مربَّع الزوايا شيَّد المسيحيون في صحنه كنيسة صغيرة في القرون المسيحية الاولى كشفَ الغطاء عنها المسيو بريتشيا ابان الحرب الكبرى وكان طول الهيكل المذكور يبلغ ٨٦ متراً في مثلهِ عرضاً ولم يبقَ منه الَّا جدرانهُ الخارجيَّة . وقد اكتشف هناك ايضاً كتابةً قديمة محفورة في قاعدة تمثال من الحجر الصوَّاني الاسود قدَّمه كهنة ذلك الهيكل الى إلههم اوزيريس

وقد كان لمدينة تابوزيريس من الأهميَّة ما لم يكن لمدينة ماريا المارّ ذكرها على عهد الرومان ففيها كان يقيم والي مصر ويحدي سكَّان اقليم ليبية التابعين لولايته . وفيها ايضاً بنى الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس للميلاد قصراً فخماً لمجلس بلدية تلك المدينة وحمَّامات عمومية عفت آثارها

واذا ما وجَّهتَ نظرك من هذا الهيكل الى جهة الجنوب لاح لك جليًّا سدٌّ يزيد طولهُ على الكيلومتر وهو يتَّجه متوازياً من الشرق الى الغرب الى ان يتجاوز جسراً رومانيًّا قديماً . ومنهُ يتَّضح بان مياه البحيرة كانت واصلة الى تابوزيريس وان هذا السدَّ كان بمثابة حوض للمياه اذ كان لتابوزيريس مرفأان احدهما داخلي لترويج التجارة مع البلاد الكائنة حول البحيرة والآخر للوارد من الخارج والصادر اليهِ . وترى قرب الجسر المذكور أنفاً شارعاً عريضاً محكم التبليط يتَّجه نحو الهيكل بخط مستقيم يتوازى عند سيف البحر . ويؤكِّد البدو الضاربون في تلك الانحاء انه يتصل بشاطئ البحر . والغرض من إقامة هذا الشارع على الوجه الذي وصفناهُ كان بلا مراء لتسهيل المواصلات بين المرفإ البحري ومرفإ البحيرة كما تقدَّم

وفي غربي تابوزيريس برجٌ ذو طابقَين يبلغ مجموع علوهِ ١٧ متراً فالاول منهما

يتألف من سطح ذي اربع زوايا أما الثاني فمثمن الاضلاع وفي الطبقة السفلى المتجهة نحو البحر آثار سلم يتصل بالطبقة العليا . وما لا شبهة فيه ان هذا البرج كان منارة لمرفإ مدينة تابوزيريس . وبعد ان تفقدنا هذه الآثار الجميلة بكل دقة عمدنا الى تناول طعام الظهر جلوساً على اعشاب تلك البرية . ثم استأنفنا ركوب السيارات قاصدين الى خرائب مدينة القديس ميناس (١

٣ خرائب القديس ميناس

سارت بنا السيارات بسرعة مدهشة وكان لمنظر الوهاد والهضاب التي تخترقها اوقع تأثير في النفوس . وما كدنا نبلغ تلك الآثار المسيحية الخطيرة حتى عرتنا مسحة من الخشوع والوقار لدى ذكرنا المعجزات والخوارق التي كانت تجترح على يد ولي الله القديس ميناس الشهيد . ولا مندوحة لنا قبل الشروع بوصف هذه الآثار المقدسة من لمحة وجيزة في حياة هذا القديس العظيم تنويراً لأذهان القرّاء

وُلد القديس ميناس من والدين مسيحيين في مدينة (نيكيو) من اعمال مصر السفلى (٢ في النصف الثاني من القرن الثالث بعد المسيح وقد انخرط في سلك الجندية الرومانية وامتاز بين اقرانه بفضيلته ووطيد ايمانه . وبعد ان خدم بعض سنوات كجندي في الديار المصرية لحق بكتيبته في قونية من اعمال فريجية . ولما اثار ديوكليسيانوس الاضطهاد ضد المسيحيين جاهر ميناس بايمانه . فأخذ رؤساؤه يحثونه على جحد دينه واعتناق الوثنية تارة بالوعيد وطوراً بالتهديد لكن ميناس رفض بتاتاً الرضوخ لأمرهم فدفعوه حينئذ للتنكيل به ثم قطعوا رأسه . وكان ذلك سنة ٢٩٢م . وكان قد رغب الى رفقته قبل موته ان يدفن جسده في بلاد مصر مسقط رأسه فجمعوا بقايا جثمانه التي كانت قد ألقيت في النار بعد قطع رأسه . وعندما عادت فرقة مدينة قونية الى مصر وطنها حملت معها رفات الشهيد ونزلت بها اولاً في

١) لقد اقتبسنا معظم ما اوردناه حتى الآن مما كان يكتبه علينا المسيو بريتشيا من المحادثات الأثرية التاريخية اثناء هذه السياحة العلمية ومن مذكراته الخصوصية ايضاً التي جمعها جنابه في مالطة على حياله وقد تكرم علينا به للاستفادة منه . فنحمده اخلص الشكر ونحفظ له اجمل ذكر

٢) مدينة نيكيو او نيقيو هي بلدة منوف الحالية على الارجح

الاسكندرية ثمَّ جعلتها على ظهر جمل وانطلقت بها الى جهات مريوط واذ بلغوا حدود البحيرة بَرَكَ الجمل ولم يَعُد يخطو خطوةً الى الامام فأدركوا ان في ذلك المكان الكائن بالقرب من ينبوع عذب وجَبَ دفن رُفات الشهيد . ثم ذاع في المكونة ان ماء هذا الينبوع قد تحوَّل الى ماء عجائبي فاخذ الزوَّار والسيَّاح يقصدونهُ مع مَرضاهم واعلَّائهم من كل قطر وفَجّ للاستشفاء . وما عتموا ان بنوا فوق قبره كنيسةً ضاقت بعد حين عن زوَّارها

فاتَّفق انهُ كان للامبراطور اركاديوس ابنةٌ عليلة فاستأتى لها من هذا الماء فبرئت بشربه من علتها حالًا . فامر على إثر ذلك بتشييد كنيسة فخمة هناك (٣٩٥–٤٠٨) طارت شهرتها في القرنين الخامس والسادس لكثرة إقبال الناس عليها . ولم تنحصر عبادة هذا القديس في مقاطعة مريوط بل شاعت في سائر انحاء القطر المصري وافريقية الشمالية وآسية الصغرى وبلاد الغاليين ودَلماسية حتى رومية ايضاً حيث اقامت الجالية الاسكندرية المستوطنة هناك في ذلك العهد كنيسةً على اسم هذا القديس في ايام البابا بيلاج الثاني(١) . فلننتقل الآن الى وصف آثار معابد هذا القديس وما يحيط بها من بقايا الاديرة وصوامع الرهبان

انَّ اوَّل من باشر حفريَّات منظَّمة في مدينة القديس ميناس هو هنريرد زيمان الالماني في خلال سنة ١٩٠٥ فعثر اثناء حفرياته المتتابعة على الكنيسة التي شيَّدها اركاديوس كما مرَّ بك وعلى المعابد الصغرى التي حولها وعلى مدفن القديس نفسه وعلى عدَّة صوامع وصاعات من الدير الذي أُقيم هناك لسكن الرهبان وعلى معاهد أُقيمت خصيصاً لزوَّار الدير المذكور . وهذه كلها أخربةٌ جليلة تنطق بلسان حالها عمَّا كانت عليهِ قديماً من الفخامة وجمال البناء . ويبلغ طول كنيسة اركاديوس ٦٠ متراً في عرض ٢٦ وكان سقفها قائماً على ٥٦ عموداً من الرخام الناصع البياض تعلوها أكلة ذات نقوش بديعة . وكانت جدرانها مصفَّحة بالرخام ويُنحدر في وسطها بدرج رخامي الى سرب فيهِ معبدٌ صغير على ضريح القديس . ولهذا المعبد قبَّة رُصع داخلها بالفسيفساء المموَّهة بالذهب . وترى في صحن الكنيسة ايضاً صهريجاً كان الزوَّار

(١) طالع تأليف المسيو بريتشيا (Alexandria ad Aegyptum) ص١٣١ وما اليها وكتاب الاب برل دورليان الفرنسيسي الصادر حديثاً (Les Saints d'Egypte) مج ٢ ص ٤٨١

يغترفون منهُ الماء العجائبي فيودعونهُ في قوارير فخّارية يأخذونها الى بلادهم . وكانت تلك القوارير تُصنع هناك في أفران خصوصيّة. كشفت آثارها بعثة المنسنيور كوفان(١

امّا مقصورة العماد (Baptistère) فكانت على شكل مربّع الزوايا تعلوها قبة منقوشة بالفسيفساء المذهبة . وكان حوض التعميد فيها مستديرًا مصفّحًا بالبلاط المرمري النفيس . ويؤخذ من المخطوطات القديمة وممّا كشف من الآثار المسيحية المصرية الى الآن بان مقصورة العماد هذه كانت فريدة في نوعها وليس ما يُضاهيها اتقانًا وفخامةً بين ما وُجد من جنسها في وادي النيل حتى يومنا

واذا اضفتَ الى كنيسة اركاديوس المعابد الصغرى التي تحيط بها مع مقصورة العماد المذكورة بلغ طول جميعها ١٢٠ مترًا . وترى الى الآن معها تلف من البلاط وغيره من الحجارة المرمرية التي كانت في تلك المعابد قطعًا كثيرة من الرخام والمرمر مبعثرة هنا وهناك وقد نُقل قسم كبير من ذلك الى متحف فرنكفورت في المانية وقسم آخر يُصان اليوم في ردهات المتحف الاسكندري

امّا الكتابات القديمة التي وُجدت حتى الآن في تلك الخرائب فمعظمها باللغة اليونانيّة مع قليل بالقبطيّة وكتابة وحيدة باللاتينيّة ورد فيها اسم شخص يدعى كاسيانوس وعلى رأي المنسنيور كوفان انهُ غير كسيانوس الراهب الشاب الذي اتى من بيت لحم في السنين الاخيرة من القرن الرابع لزيارة رهبان مصر مع جرمانوس صديقه وقد طفنا في آثار الاديرة الملاصقة لمعبد القديس واذا هي لا نظير لها في كلّ

١) لقد جرت العادة عند قدماء المسيحيين ان يلتمسوا الشفاء لأعلّائهم امّا من ماء ينبوع كائن بالقرب من ضريح شهيد او من زيت المصباح المنار امام قبره . فالزوّار الذين كانوا يؤمّون المزارات الشهيرة كانوا بعد زيارتهم يعودون ومعهم قليل من الماء المبارك كما يصنع زوار مدينة لورد في ايامنا او بقرب يسير من الزيت في قوارير مستديرة (Ampoules) . وهكذا قل عن زوّار القديس مينا فانهم كانوا يأخذون القوارير من الدير حيث كانت تُصنع خصيصًا في الافران التي ذكرناها في المتن . وترى على القارورة غالبًا رسم القديس مينا بزيّ جندي روماني منتصبًا بين جملَين وهو باسط يديه للصلاة . وقد وُجد عدد كبير من هذه القوارير في رومية وافريقية ودلماسية وغيرها دعاها الاثريون قوارير القديس مينا الّا ان اكثرها وُجد في الاسكندريّة قبل اجراء الحفريّات في كنائس هذا القديس . وفي متحف هذه المدينة مجموعة بديعة من هذه القوارير . (انظر معجم الآثار المسيحيّة في مادة Leclercq : *Dict. d'Archéologie Chrétienne, art.* AMPOULE

عاديَّات الاديرة المسيحية القديمة لأنَّ مساحتها مع المعابد تشغل اربعين الف متر مربَّع ولا يصعب على الاثريين تجديد رسم هذه الاديرة وابرازها للعيان . وقد كان بلا ريب لهذه الكنائس والمعابد التي كانت زاهرة في تلك الاحقاب من الصور والتماثيل والادوات الكنسية والمخطوطات ما لا يُعادلهُ ثمن . ولا بدَّ من ان تكون ايدي السلب قد لعبت بقسم كبير منها الَّا ان الامل لا يزال معقودًا بانه اذا استؤنفت الحفريَّات يوماً في تلك الخرائب يعثر المنقِّبون على اشياء كثيرة ذات قيمة (١

هذا وقد غادرنا تلك الجهات الطافحة بالتذكارات التاريخيَّة الجليلة وقفلنا عائدين الى الاسكندرية فوصلناها عند الساعة السابعة مساء شاكرين المولى عزَّ وجلَّ على تسهيلهِ لنا طريق هذه السياحة الاثرية

مطبوعات شرقيَّة جديدة

Jean Lemic S. J. : L'orientalisme oriental au tournant de son histoire. *La Revue Mondiale*, 15 *Mars et* 15 *Avril* 1923

مرابيَّة الشرقيَّة في طورها الاخير

حضر مؤلف هذه المحاضرة الى بلاد الشرق قبل سنتين ليفحص ما صارت اليهِ احوال النصرانيَّة بعد الحرب . فهذه نتيجة ابحاثهِ دوَّنها في المجلَّة البلجيكيَّة العموميَّة وقد قدَّم عليها نظرًا حسناً عن احوال النصرانيَّة في الشرق منذ عهد ملوك الروم ثمَّ في زمن العرب والاتراك وما طرأ عليها من النوائب في تلك المدَّة ثمَّ ألحقها بوصف مدقَّق لما صارت اليهِ في الحرب الاخيرة بظلم الاتراك ثمَّ بعدها بانماش آمالها في الفوز واخيرًا بخيبة تلك الاماني بالفوز التركيّ وضعف اوربَّة في مؤتمر لوزان حتى كادت النصرانيَّة تبلع التراقي في قيليقية والاناضول وما بين النهرين . والله يعلم ما ستكون

(١) من اراد مزيد بيان على ما اوردناه فليطالع كتاب المنسنيور كوفمان وهو :
KAUFFMANN : La découverte des Sanctuaires de S. Ménas dans le désert de Mariotis, *Alexandrie, 1908*

احوالها في مصر والعراق . وذلك كلهُ بسبب الانقسام السائد بين الدول المتحالفة فهي المسئولة عن حالة النصرانيَّة التاعسة ونهضة البربريَّة التركيَّة

ALMANACH CATHOLIQUE de la Syrie et du Liban, 1924, Beyrouth, Impr. Joanne d'Arc de la Mission des Capucins, *in*-8, *pp.* 212, *illustré*

تقويم سوريَّة ولبنان الكاثوليكي لسنة ١٩٢٤

تهنئ حضرات الآباء الكبوشيين بهذه التحفة الجديدة التي اهدوها الوطن العزيز . فانها وان كانت الاولى من جنسها فقد كادت تبلغ الكمال بما ضمَّنوهُ تقويمهم من المعلومات عن الحركة الكاثوليكيَّة في هذه البلاد فتجد هناك طُرفاً شتى عن الطوائف المختلفة عن نظامها واعمالها المجيدة وعن الرسالات اللاتينيَّة واصلها وتاريخها ومشروعاتها العامرة مع ما هناك من المتفرقات النثريَّة والشعريَّة التي يستحبُّها القرَّاء بقلم الكتبة الوطنيين وكهنتنا الافاضل كالخوري دميان رميا والخوري بطرس رفائيل مع تصاوير محكمة الصُنع متصدِّرة بصورتي القديس لويس ملك فرنسة والقديسة جان دارك . وبودنا ان يتجدَّد سنويًّا هذا التقويم المفيد مع اصلاح بعض ما وقع فيه من الاغلاط الطبعيَّة والتاريخيَّة فمن الطبيعيَّات (ص ١٥٩) maitre-Hôtel بدلاً من maître-Autel ومن التاريخيَّات ما جاء عن اليسوعيين في سوريَّة (ص ١٤٣) انهم بعد الغاء رهبانيَّتهم دخلوا في جمعيَّة الآباء اللعازريين ولا سَنَدَ لهذا القول . وكذلك امتزجت اخبار الموارنة (ص١٩٥) في القرن الرابع والسابع وذُكر فيها ساويرس كامبراطور وهو البطريرك الاراتيكي الشهير ل.ش

Le Père Pierre Raphaël: LE CÈDRE DU LIBAN DANS L'HISTOIRE. Beyrouth, in-12, 1924, VI-262

الارز اللبناني في التاريخ

لو لم يكن للارز فخرٌ آخر غير ما ورد من ذكرهِ وتفخيمهِ في الاسفار المقدَّسة لكفاهُ مجدًا بيد انَّ لهُ من المفاخر ما نطقت بهِ اقدم الآثار البابليَّة والهيروغليفيَّة واثبتهُ اوثق تواريخ الشعوب تباعاً الى عهدنا . فهذا ما جمعهُ حضرة مؤلف هذا الكتاب ليظهر فضل ذلك الشجر العادي الذي صبر منهُ الى يومنا شهود ثقات تصرَّح بأدوار

جليلة لعبتهُ اسلافهُ في عالم الصناعة والتجارة والفنون الجميلة . فنحيل القرّاء الى مطالعة تلك الآثار في هذا المجموع المستوفي الّا في بعض فلتات (ص ١٦٣–١٦٧) التي يجب تطبيقها على تاريخ صحيح

Romain Rollaud : MAHATMA GANDHI, 1 vol., Paris, 1924, Delamain, Boutelleau et Cie, Prix 6 f., 75

مهاتما غندي الهندي

قد قام في الهند منذ بضع سنين رجلٌ ذو حزم وعزم اسمهُ مهاتما غندي يدعو اللابين من مواطنيهِ الهنود الى طلب الاستقلال من الحكم البريطاني . وهذا قد تأدَّب بالآداب الاوربيَّة ويتوسَّل لغايتهِ بالوسائل الشرعيَّة نافرًا من الثورة والفتن . وها هو يرى الهنود رهينة امرهِ في انحاء تلك البلاد القاصية يتطاأرون اليهِ بالاعناق . والانكليز قد ألقوهُ في السجن الّا انَّ سجنهُ زاد البلاد تحمُّساً ولا بُدَّ أنْ تأتي دعوتهُ بثمرة . ومن أراد ان يقف على اخبار هذا الرجل الفريد فما لهُ الّا ان يطالع الكتاب الذي وضعهُ رومان رولان الكاتب الفرنسويّ الشهير فانَّهُ من امتع ما كُتب في هذا الشأن

Jean Lescure : Les Crises générales et périodiques de surproduction, 3e *éd.* 1 *vol.* 8°, *Paris, Recueil Sirey*, 1923, *Prix* 30 *f*

الازمات العموميَّة المسبَّبة عن زيادة الانتاج

انَّ الازمات المتواترة والاعتصابات العديدة التي تجري في زماننا استدعت صاحب هذا الكتاب للتفتيش عن اسبابها وطريقة علاجها فوجد ذلك مسبباً عن التوفر في انتاج المحصولات التي يتزاحم العموم في اقتنائها في اوَّل عهدها فينال اصحابُها من الارباح ما يتجاوز الحدود وبما انَّ لكل جيل وادياً يأتي يومٌ تقلّ قيمة تلك المحصولات فيسبب سقوطها تلك الازمات الهائلة التي تُقلق الدول . فالدواء لهذه التقلُّبات ان تتوازن الحالتان بحكمة ذوي الانتاج واعتدالهم ومراقبة ارباب الدول لئلّا يحدث ذاك الانقلاب الفجائي الذي هو معلل تلك الازمات . وهذا الكتاب يهمُّ درسهُ كلَّ الدارسين للمسائل الاقتصاديَّة لاسيَّما في أيامنا حيث اصبح الاقتصاد محوَر الدول وحياة اهلها المادّيَّة

ل . ش

LA POLITESSE FRANÇAISE : Principes de la bonne éducation par un groupe de personnalités du monde. 1 *vol. in*-12, s. *d.*, *Tours*, *Maison Alfred Mame et Fils*

الادب الفرنساوي

يراد بالأدب هنا حسن تصرُّف المرء في عيشهِ الفرديّ ومعاملاتهِ مع اهل بيتهِ واقاربهِ واهل وطنهِ والاجانب بموجب قوانين اللياقة والكياسة المرعيَّة في البيوتات الشريفة . وعند القوم المتهذّبين على اصول المدنيَّة الصحيحة . وقد عُرف الفرنسويون في كلّ ادوار تاريخهم بمثل هذا الأدب حتى ضُرب بهم المثل في ذلك . وهذا الكتاب الذي وضعتهُ جماعةٌ من ادباء الفرنسويين يضمُّ في صفحاته كلّ ما يدخل في هذا الباب من الشمائل الطيّبة والعادات المستحبَّة في كلّ احوال الانسان الاجتماعيَّة وهو يفيد كلّ من ينوي ان يحذو حذو الراقين من آل فرنسة

Fonck (René) : L'Aviation et la sécurité française. 1 *vol. in*-16, 1924, *Paris*, *Editions Bossard*, *Prix* 7 *f*, 50

الطيران وامان فرنسة

المسيو فونك كان في زمن الحرب الكونيَّة في فرقة الطيَّارين نال بمركبتهِ الهوائيَّة فوزًا باهرًا وهو اليوم قد اصبح من مندوبي دولتهِ فلم ينسَ ما للطيران في الزمن الحاضر وفي المستقبل من الشأن العظيم بل يرى ان فرنسة لا يمكنها الاخلاد الى الطمأنينة الّا بتوسيع دائرة الطيران وذلك ما دفعهُ الى تأليف هذا الكتاب لكي يُلفت انظار دولتهِ الى هذه المسألة الحيويَّة فيدلُّ على الخلل الذي لا بُدَّ من اصلاحهِ ويطلب ان تُقام وزارة خاصَّة بالطيران كما في انكلترة حيث دعوها وزارة الهواء (air Ministry) فعسى ان يحظى الكاتب بمرغوبهِ ويبعد بهِ خطر حرب جديدة ج . ل

صديقة ومحامية

تأليف الخوري بطرس غالب

بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٤ (ص ٤٠٣)

ندعو كل المنصفين من اللبنانيين بل من كافَّة السوريين الى مطالعة هذا الكتاب

ليحكموا الحكم العدل في حبّ فرنسة لهذه البلاد وبذلها النفس والنفيس للمحاماة عن ابنائها النصارى عموماً والموارنة خصوصاً. فانّ الآثار التي نشرهـا حضرة المؤلف قد انتقاهـا من اوثق التواريخ ولاسيّما من مخطوطات مكتبـة باريس وسجلّات رهبانيّتنا وكلّها لكتبة معاصرين لا شبهة في صدقهم فجاء الكتاب سفراً جليـلاً يجب على كلّ وطنيّ ان يدرس مضـامينهُ ويحرز فوائدهُ ويعرف نعمة الله اليه اذ جعل الانتداب على سوريّة في عهد فرنسة الصديقة الامينة والمحامية الباسلة ل. ش

معاوية ابن ابي سفيان

تأليف انيس زكرت الصولي

طُبع في مطبعة وزنكوغراف طبّارة في دمشق سنة ١٩٢٤ (ص ١٠٦)

لا يتّفق الكتبة المسلمون في حكمهم على الخليفة معـاوية فمنهم من يترضّاهُ ومنهم من يلعنهُ . ومن ثمّ تيمّنّا بهذا الكتاب وقد أعلن فيه مؤلفهُ إعجابهُ بمعـاوية الخليفة الكبير فصدّق على كلّ آرائنا فيه في كتابنا (Moawiah) نتجرّد عن الاوهام الشائعة في مأتيه ورجع معنا الى المصادر الموثوق بها لا سيما لا ان نهنئهُ بنزاهته. على أننا لا نوافقهُ في قوله عن معاوية انه كان حاكماً على العراق (ص ٥) والجزيرة التي ذكرها قريباً من القسطنطينيّة (ص ٦٣) هي شبـه جزيرة «ارداد» لا «ارواد» كمـا صحّفها كثيرون الاب هنري لامنس

الروايات الثلث : الامير المغتصب . بركليس . التوأمان المتشابهان

عربها عن الانكليزيّة شكري افندي داغر

طبع في المطبعة الادبيّة سنة ١٩٢٣ (ص ٦٨)

أحسن معرّب هذه الروايات انتخابها فكساها ثوباً قشيباً وحاد عمّا يجملها عثرة في سبيل الناشئة فيتفكّه بها القرّاء دون ان يندى جبينهم من سوء آدابها . والاولى منها للكاتب شكسبير الانكليزي الشهير .

يوميّة المسيحي

عُني بنشره احد كهنة الارمن الكاثوليك في حلب

طبع في المطبعة المارونيّة في حلب سنة ١٩٢٣ (ص ١٢٩ + ٦١)

كتاب صغير الحجم لطيف الصورة حسن التجليد جميل الطبع تهنّئ صاحبهُ على

وضعه وقد ضمّنهُ معظم ما يحتاجهُ المسيحي ولاسيما ابن طائفتهِ الارمنيّة من الفرائض الدينيّة وهو يفيد خصوصاً المشتركين في الشهباء باخويّة قلب مريم الطاهر وقد خصّ قسماً كبيراً منهُ لتلك الصلوات منقولةً الى اللغة الفرنسويّة الذين اعتادوا فيها الصلاة. فنوصي بهذا الكتاب كل محبي الطقوس الشرقيّة ونتمنّى وضع مثلهِ في كلّ الطوائف. وهناك بعض صلوات ارمنيّة بحرف لاتيني لا بأس من طبعها بالحرف الارمني فتزيّن الكتاب بازاء شرحها. ثمّ نُلفت نظر المؤلف الى الصلاة التي تقال امام الصلوب (ص ٧٤) فانّ آخرها قد اصلحهُ المجمع المقدّس كما اوردهُ في الترجمة الفرنسويّة (ص ٥٦)

العصبيّة عند العرب

تأليف علي مظهر

طُبع في مصر في مطبعة مصر سنة ١٣٤٢-١٩٢٤

هذا الكتاب عرّبهُ صاحبهُ عن تأليف الماني قدّمهُ لجامعة ڤينّا في العام الماضي ونال بهِ «الاجازة العلميّة». وقد خصّهُ في البحث عن العصبيّة عند العرب وهي المزيّة التي طُبعوا عليها في عيشتهم البدويّة للدفاع عن استقلالهم وهي تعود الى المثل العربي «انصر اخاك ظالماً او مظلوماً» فتتبّع احوال العرب في الجاهليّة والاسلام الى اواخر الدولة الامويّة وبيّن احوال تلك العصبيّة واصلها وخواصّها ومواقعها. وقد لحظنا في الكتاب شيئاً من الالتباس في تحديد موضوعهِ وحصرهِ في نطاق معلوم وربّما خرج عن دائرتهِ لذكر ما لا علاقة فيهِ مع العصبيّة

عُمَر وجميلة او في ربى لبنان

تأليف هنري بوردو وتعريب اسعد داغر

عُني بنشرهِ يوسف توما البستاني في مطبعة العرب (ص ١٨٧)

هو الكتاب الذي ذكرناهُ في المشرق في العام الماضي (ص ٥٥٤) وفيهِ من التخيّلات ما يصدق في اهل لبنان وآدابهم فاستخرجهُ الى العربيّة اسعد افندي خليل داغر وكساهُ بقلمهِ حُلّة شائقة وقد راعى فيهِ ذوق الشرقيين اكثر منهُ امانة التعريب ثمّ انّ صاحبهُ لم يجرِ دائماً بموجب ما اودعهُ في تذكرة الكاتب فيقول مثلاً في الصفحة ٦

«قد ربيتُ في بلاد اعتدتُ فيها على رؤية الجبال حولي» مع كونهِ نظم «اعتاد على الشيء» في جملة اغلاط التذكرة (ع ١٠٠) . وكتب «وطأتُ الارض» وهو وطئ بهذا المعنى . ويستشفّ من وراء تعريبهِ شيء من التعبير الاجنبي ل . ش

شذرات

﴿قانون المطبوعات ومعاقبة سارقيها﴾ يهتمُّ مجلسنا النيابي مع الحكومة المنتدبة بوضع قانون جديد للمطبوعات والصحافة وهو نِعم الاهتمام لئلّا يتجاوز اصحابها حدود الآداب العموميَّة . وهناك امرٌ لا بُدَّ من الانتباه اليهِ سرقة المطبوعات ونشرها سواء اختلسها بعض المتلصصين فنسبها الى نفسهِ ام حاول طبعها دون استئذان صاحبها المحتفظ على حقوقها . فهذا صاحب المكتبة الجامعة في البلدة قد استلب عشرًا من مطبوعاتنا وادّعاها لنفسهِ كما نقدر ان نثبت ذلك بالادلّة الواضحة . فلا بُدَّ ان تستدرك النيابة والحكومة هذا الخلل وتسنّ في قانونهم بندًا خاصًّا بمحاكمة اصحاب هذه السرقات كما هو شائع في كلّ البلاد المتمدنة ونلزمهم بموجبهِ بانَّ السرقات الادبيَّة افظع واقبح من السرقات المادّيَّة

﴿المملكة المنقسمة على ذاتها﴾ بلغنا صدى المنازعات القائمة بين محافل الماسونيَّة واعضائها في البلد . فلا عجب اذ لا يجمع الفرمسون كلمتهم الّا في معاداة الدين والسلطة الشرعيَّة . وفي ما خلا ذلك لا يسعون الّا الى ترويج مصالحهم — وما نراهُ من المخاصمات في ماسونيَّة بيروت قد قسم منذ عدَّة سنين المحافلَ المصريَّة حتى برزت الى العموم واتّصلت بالمحاكم ولا يزال الخلاف سائدًا بين الرئيس الاعظم ادريس بك راغب واخوتهِ حتى ان الماسونيَّة سقطت في اعين الجمهور بعد ان كان يصونها التستّر وراء جدران محافلها . وبها يصحّ قول الرب «انَّ المملكة المنقسمة على حالها تخرب»

﴿مكتشفات جديدة من اعمال القديس افرام﴾ انَّ عددًا عديدًا من تآليف القديس افرام ملفان الكنيسة الكاثوليكيَّة مع كثرة ما نُشر منها بالسريانيَّة واليونانيَّة واللاتينيَّة لا يزال مفقودًا . على انَّ الاثريين لم ييأسوا من استخراج بعضها من زوايا النسيان ومن دفائن المكاتب . فمن ذلك ما وقف عليهِ آخرًا الآباء

المكيتاريون الارمن في مكتبتهم في البندقيّة فانّهم وجدوا بين مخطوطاتهم الارمنيّة شروح القديس افرام على اعمال الرسل للقديس لوقا . وقد ثبت لهم ذلك ببعض المقاطيع التي رواها من ذلك السفر الكتبةُ الذين اتوا بعدهُ وصرّحوا انّها لهُ فوجدها المكيتاريون في نسختهم الخطّيّة فاسرع احدهم الاب اكينيان فنشرها . وينتظر من درسها فوائد جمّة لفكّ بعض المشاكل المختصّة بذلك السفر (ZKT. 1924, 37-58)

﴿فكّ اسرار اللغة الحثّيّة﴾ قد ارشك ان يتحقّق في قراءة الكتابات الحثّيّة قول الانجيل الطاهر « اطلبوا تجدوا اقرعوا يُفتح لكم » فان المستشرقين منذ ثلثين سنة لم يدّعوا باباً الّا طرقوهُ . والظاهر انّ البعض منهم قد اصابوا الهدف لاسيّما المسيو هروزني (M. F. Hrozny) الذي نشر ترجمة الدستور الحثّي الذي وجدهُ الالمان في بوغاز كوي مكتوباً بالحروف الحثّيّة والمسماريّة فجاءت ترجمتهُ متناسقة المعاني تدلُّ على باوغهِ المرمى . وما يزيد العلماء اقتناعاً انّ احد الالمان المسمّى تسيمرن (M. H. Zimmern) شرح ذلك الدستور شرحاً موافقاً لشرح السيد هروزني دون ان يتفقا على ذلك . وممّا ثبت لهما انّ اللغة الحثّيّة تتفرّع من اللغات الهند وجرمانيّة

﴿فكاهات العرفان﴾ تفكّهت العرفان (ص ٣٦١) بحقّ الالمان بقولها انّ اسمهم ورد في القرآن في سورة الم وانّما السانسور الانكليزي بلعَ الحرفين الآخرين — ومن فكاهاتها غير اللائقة ما كتبتهُ (ص ٣٦٠) عن القاضي والملائكة — ومن غرائبها قولها (ص ٣٧٦) « هل علمتَ انهُ كان في رومة عشرة آلاف دير للرجال والنساء » وهي من جملة الخرافات العديدة التي وردت في كتب العرب بوصف رومية — وانّما استحسنّا مقالة العرفان في المبارزة (ص ٢٧٧—٣٨٢) فانّها من افضل ما كُتب في العربيّة من هذا القبيل

﴿داود الطبيب الانطاكي وداود الطبيب النصراني﴾ كتب لنا نعوم افندي جرجس طاماز من مصر انّ داود الطبيب النصراني المذكور في اصداء الشرق (ع ١٣١ ص ٣١٠) هو غير داود الانطاكي الذي ذكرنا في المشرق (ص ٨٠) اسلامهُ . ولعلّ في قول الكاتب صدقاً فنرجو من واصف مخطوط « داود الطبيب النصراني » ان يأتينا بزيادة فائدة عنهُ

أسئلة واجوبة

س سأل مستفيد من حلب : متى ولأي سبب وُضعت الصلوات التي تقال في آخر القداس اي ثلث مرات السلام الملائكي مع «السلام عليكِ يا ملكة الرحمة» والصلاتين الى الله وقديسيه ورئيس الملئكة مار ميخائيل مع النافذة الى قلب يسوع ؟

الصلاة التي تُتلى في آخر القداس

ج وضع هذه الصلوات الحبر الاعظم لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٤ استعطافاً لرحمة الله على الكنيسة في ضيقاتها وتقسيماً على الارواح النجسة . وقد خصّ بالذكر الملاك ميخائيل لأنهُ محامٍ خاصّ لبيعة الله . وأمّا النوافذ الثلث لقلب يسوع الاقدس فقد امر الحبر الاعظم بيوس العاشر باضافتها سنة ١٩٠٦ . ويربح تالي هذه الصلوات ٣٠٠ يوم من الغفران

س وسأل الاديب نعوم جرجي [illegible] كتاب التاريخ من عهد قسطنطين الى زمن [illegible] الذي [illegible] البطريرك [illegible] ذكر في المشرق (٢٣ : ١ ص ٢١ و٢٢) وهل الاصل الرومي مطبوع؟

التاريخ المعرَّب من البطريرك مكاريوس

ج هذا الكتاب لا يزال مخطوطاً وأمّا اصلهُ الرومي طُبع في البندقيَّة

س وسأل من ابركة سليم افندي رزق هل من أملٍ لرجوع اخوتنا المنفصلين الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة ؟

رجوع المنفصلين الى الكنيسة الكاثوليكيَّة

ج نعم أملُنا وطيد في ذلك لانَّ الامم الشرقيَّة المنفصلة تشعر حاضراً بحاجتها الى الاتحاد مع غيرها من الكنائس فتميل تارةً الى الانكليكانيَّة وتارةً الى الشيعة الابسكوباليَّة . على انَّها لن تزال في قلق واضطراب الى ان تعود الى مركز الوحدة كما كانت سابقاً ولن يفصلها عنهُ الَّا امور قليلة هي من السوء الفهم اقرب منها الى الخلاف ولنا في قبولها الحساب الغربي مؤخّراً ضمين على قبولها ايضاً بقيَّة القضايا التي يشهد عليها آباء الكنيسة اليونانيَّة وكتب الروم الطقسيَّة ل . ش

السنة الثانية والعشرون العدد ٥ ايار ١٩٢٤

المشرق

جُبَيْل : تاريخها . أديانها . آثارها

محاضرة القاها في جبيل الاب لويس شيخو اليسوعي

دعتنا في سَلَخ شهر شباط الماضي جماعة قلب يسوع الجبيليَّة الفاضلة لنلقي عليهم محاضرات عن بلدتهم الشهيرة . فأجبنا الى دعوتهم مع قصر وقتنا لرغبتنا في خدمة كل الجمعيَّات الكاثوليكيَّة . فكان مدار كلامنا في ثلث جلسات على تاريخ جبيل . واديانها . وآثارها القديمة . واذ اقترح علينا الحضور بأن ننشر تلك المحاضرات التي القيناها بديهاً بينهم فها نحن نعود فندوّنها ملخَّصةً على صفحات المشرق تعميماً للفائدة

١ تاريخ جُبَيْل

﴿ اسم جُبَيْل ﴾ هو كما لا يخفى تصغير الجَبَل كأنهم ارادوا المقابلة بين البلدة المنتصبة على ربوة والجبل المشرف عليها جنوباً . بيد انَّ هذا الاسم على صورته العربيَّة احدث من صوَر اخرى وردت في آثار بابل ومصر والفينيقيين والعبرانيين . فانَّ الكتابات الهيروغليفيَّة والمسماريَّة تدعو جبيل تارةً باسم جُبْلي وتارةً باسم جُبَل . وفي الآثار الفينيقيَّة والعبرانيَّة يغلب عليها اسم جِبْل او جِبَل . وفيها كلّها تُلفظ الجيم لفظ المصريين لها . وممَّا زعمهُ صاحب دائرة المعارف البستانيَّة (٢ : ٣٩٤) ان اسمها كان اوَّلاً «أفنايا» ولم نجد لهذا القول سنداً يثبتهُ البتَّة . أمَّا اليونانيُّون فبدلوا جيمها باء فقالوا بيبلوس او بوبلوس (Βύβλος، Βύβλος) وحذا حذوهم الرومان فقالوا (Biblos) بيد انَّ هذا الاسم توارى مع هبوط الدولتين وعاد لجبيل اسمها الفينيقي ثمَّ غلب الاسم العربي .

وهو اخصّ بها في صورتهِ العربيَّة يُفرزها عن مُدُن غيرها كجبلَة لواقعة شمالي اللاذقيَّة وجَبَل وجَبْل في العراق وبيلوس القديمة في مصر السُّفلى

﴿ موقع جُبَيْل ﴾ انَّ اقدم الآثار التي ورد فيها ذكرُ جُبَيْل تتَّفق على تعريف موقعها باوصافٍ مناسبة لمبناها الحاليّ ففي رسالات تلّ العمارنة الراقية الى المئة الخامسة عشرة قبل المسيح تشير اليها كمدينة من سواحل الشام . ويصف كتبة اليونان حذاقة ملّاحيها وعدد سفنها واساطيلها . ويعيّن اسطرابون في جغرافيَّتهِ وقوعها في لحف جبل . وذكر اوسابيوس المؤرخ سورها المحدق بها . وحدَّد ياقوت في معجم البلدان بُعدها عن بيروت شرقيًّا ثمانية فراسخ اعني نحو ٣٠ كيلومترًا كما انَّ بلينيوس وبطلميوس اثبتا وجودها بين نهر ادونيس اي نهر ابرهيم وبُتريس اي البترون جنوبي راس شكا المعروف برجه الله (ناو پروسو پون) . فلا شيء اذن يوجب القول بان المدينة كانت في غير مقامها اليوم وانَّما كانت ارحب ارجاء واوسع نطاقًا ولعلَّها كانت تمتدّ من البحر الى الجبل حيث تُرى اليوم قصورًا كما يُستدلّ اليهِ بما وُجد هناك من الآثار القديمة

﴿ قِدَم جبيل ﴾ لو اصغينا الى رواية سنكُنْ يَتُن البيروتي اوَّل مؤرخ جبيل في اواخر القرن الرابع قبل المسيح لقلنا ان جُبيل من اقدم مدن العالم وانَّ بانيها سانُرنس اي زُحل ابو جوبتير اي المشتري كبير الآلهة . وارتأى اسطفان البوزنطي انَّ مؤسسة مدينة جبيل هي بيل او بيلا ابنة ميلة او ملاتوس احد كبار القوّاد . وقيل بل هو بيل من ابطال القرون الخالية الذي أسسها ودعاها باسمهِ

وان عدلنا عن خرافات الاقدمين وأساطيرهم وجدنا لجبيل كما لغيرها من مدن الساحل الشامي دورًا يُدعى بدور الظرّان تدلُّ عليهِ مصانع قريبة منها يوجد فيها حتى اليوم بقايا من الصوّان المنحوت الذي اتَّخذه البشر في اوَّل نشأتهم

امَّا آثار جُبيل التاريخيَّة الاولى فعريقة ايضًا بالقدم يمكننا ان نتتبَّعها الى الالف الرابع قبل المسيح . وكان اوَّل من بسطوا عليها سيطرتهم ملوك الكلدان الاوَّلين . فان التاريخ يذكر منهم في تلك الاحقاب القاصية الملك سرغون الاوَّل الذي زحف الى سوريَّة وتملَّك على سواحلها واجتاز البحر الى قبرس فملكها

ثمَّ صارت جبيل بعد الكلدان الى القبائل الكنعانيَّة التي هاجرت من العراق

مدحورةً بسطوة ملوكها فقدمت الى سوريَّة واستوطنت سواحل الشام واطلقت عليها اسمها فوني (Poeni) او فينيقية واذ كانت أتقنت في بلاد الكلدان فنونهم البنائيَّة عُنيت بتصير المدن وتحصينها واستوقف موقع جبيل نظرها فاتخذتها كقدسها الديني وكعبة آلهتها . وقد اظهرت الاكتشافات المتوالية آثار هيكلٍ فينيقيّ اقامهُ الكنعانيُّون في اواخر الالف الثالث او اوائل الثاني السابق لعهد الميلاد

﴿جبيل والمصريون﴾ والمرجَّح انَّ سيادة الكنعانيين على جبيل ومدن فينيقية ثبتت عدَّة مئات من السنين الى ان قويت شوكة المصريين . وكانت العلاقات بين مصر وجبيل بادئ بدء سلميَّة واقتصاديَّة فيرسل الفراعنة الهدايا لمعابد جبيل وملوكها لحاجتهم الى اخشاب لبنان ولتجهيز اساطيلهم . وقد وُجد شيء كثير من تلك الالطاف في مدافن جبيل ومنها ما يرقى الى فراعنة السلالات الاولى كأُوناس وبابي الاوَّل والثاني . ثم اخذ المصريون يطمعون في وضع اليد على المدينة كما يظهر من كتابة هيروغليفيَّة لاحد ضبَّاطهم الذي يذكر خروجهُ مع مجَّارته لمحاربة الجبيليين . لا بل كتب آخر يُدعى خنوم هوتب انهُ رافق رئيسهُ احدى عشرة مرَّة في سفراتهِ الى جبيل . وقد ورد ايضاً في تلك الكتابات ذكر بلاد نجا او نجو الدالَّة على انحاء جبيل فكان المصريون يقصدونها لابتياع اخشابها كالصنوبر والارز والشربين والعرعر . كما انَّ اسم معبودة جبيل «ربَّة جبلة» او «بعلة جبيل» اي عشتروت قد تكرَّر في الكتابات المصريَّة ودعا الفرعون نفسهُ بعبدها دلالةً الى نفوذه على بلادها او شبه حمايتهِ عليها بل شيَّدوا في جبيل على نفقتهم هيكلاً لمعبودات الفينيقيين (اطلب الصفحة ٨٢) في عهد سلالات الطور الثيني بعد ان خفَّت مدَّةً وطأةُ ملكهم كما سبق وصار الامر الى ملوك وطنيين ظهر اسم ملكين منهم في الحفريَّات الاخيرة «ابي شامو» و«ابشيمو ابي» (اطلب الصفحة ٨٤)

امَّا تملُّك المصريين على فينيقية ونزع استقلالها فانَّما تمَّ تدريجاً في زمن السلالة الثانية عشرة اوَّلاً في زمن الملك أمنحمت الرابع (اطلب الصفحة ٨٣) ثم في ايام ملك تحوتمس الاوَّل ثم تحوتمس الثالث فملكوها مدَّةً ثم استأنف فتحها امينوفيس الثالث وخلفهُ امينوفيس الرابع حتى ثبت ملكهُم عليها في عهد رعمسيس الثاني الذي تُرى كتاباتهُ في صخور مضيق نهر الكلب . وهو يعدد فتوحاتهِ ولعلَّ جبيل كانت فتحت لهُ ابوابها وطلبت منهُ الامان وذلك سببُ سكوتهِ عنها في جملة ما ذكرهُ من المدن

وبقيت جبيل تحت حكم الفراعنة زمناً طويلاً اقاموا لهم فيها نوّاباً من اهلها يدعونهم خزانو . ومما جاء مثبتاً لذلك المراسلاتُ القديمة التي وُجدت في النيوم بين سجلّات الدولة الثامنة عشر . منها عدّة كتابات ارسلها نائب جبيل المدعو ريب ادّي الى الفرعون يعلمهُ بما يحدث في جهاتهِ من الحوادث والفتن ويستصرخهُ ليأتي الى مساعدتهِ لكبح جماح اعداء الدولة

ويثبت ذلك ايضاً النَّصب الذي وُجد على صخر في جبيل يمثل الفرعون في هيئة ملك وعلى رأسهِ الحيَّة الرمزيَّة (uræus) مشيرًا الى سيطرتهِ التامّة على تلك الانحاء

ولم يكُ الجبيليون ليأنفوا من خضوعهم لمصر والمصريّون يرعون مدينتهم ويروّجون تجارتهم ويكرمون دينهم فكان تجّارة جبيل ينقلون الى مصر محصولات سوريّا وينفذون بسفنهم الى مِنف عاصمة وادي النيل . ومثلهم المصريّون يترددون الى جبيل

ثمَّ ضَعُفت مصر بعد رعمسيس الثالث فاصاب الفينيقيّون ولاسيما اهل جبيل استقلالاً نوعيًا . كما يتّضح من كتابة للفرعون سيندس ووزيرهِ هَريور فانهما احتاجا الى اخشاب من احراج جبيل فاوفدا الى ملكها «زكربعل» وفدًا تحت قيادة وَيْنامون فاحبَّ القائد ان يتصرَّف بسلوكه معهُ تصرُّف السيّد مع عاملهِ فانكر الملك لمصر حقًا في ان تسوم الجبليين خسفاً مع اقرارهِ بفضلها سابقاً على حاضرتهِ ولم يرضَ بتجهيز اخشاب الارز الّا بعد دفع المصريين لثمنها

﴿ جبيل والاشوريّون ﴾ على انَّ جبيل بعد نجاتها من رقّ المصريين لم تنجُ من مخالب الاشوريين . فكانت دولتهم قد بلغت في القرن الثاني عشر قبل المسيح شأوًا عظيماً واخذ ملوكها يطمحون بابصارهم الى الشام وفينيقية فزحف عليهما تغلات فلاسر فغزاهما ودوَّن على صخور نهر الكلب ذكر انتصاراتهِ عليهما

ثمَّ وقعت حروب في أشور سمحت لاهل جبيل ان يتفرَّغوا لامورهم سالمين في القرن العاشر لولا انهم كانوا يرون في صور وملوكها بعض السيطرة تضطرّهم الى مجاملتهم والانقياد الى رغائبهم . وفي الكتاب الكريم (٣ ملوك ٥ : ١٨) انَّ حيرام الثاني ملك صور استعمل «الجِبليين» كالصوريين لاستحضار الاخشاب ونحت الحجارة التي طلبها سليمان لابتناء هيكل اورشليم نحو السنة ٩٦١ ق م

وفي اواخر ذلك الجيل قصد شوشنق المدعو في الكتاب المقدَّس شيشاق (٣

ملوك ١١ : ١٠) بلاد فينيقية واستولى على سواحلها وكانت جبيل من جملة فتوحاته التي عدّدها في احدى الكتابات الهيروغليفية

ولم تلبث جبيل ان وقعت في حوزة الاشوريين ففتحها اشور نزير بال (سنة ٨٦٥) ثم سلمناصر (٨٤٩) مع صور وصيدا وبيروت وارواد . وكذلك يذكرها الملكان رمان نيرار (٨٠٩—٧٨٠) وتغلت فلاسر الثاني (٧٣٢) في جملة المدن الخاضعة لها لا بل مشى ملكها أورمَلك مع سنحاريب (سنة ٧٠٠) لمحاربة ملك صور تذليلاً لدولته الضاغطة قبلاً على جبيل . وعلى هذا المنوال فعل بعده ماكيصاف صاحب جبيل اذ حارب صيدون مع اسرحدون ملك اشور

فعزّت جُبيل بقوّة حماتها الاشوريين وحصّنها ملوكها بازاء قبائل الاسقيثيين الذين لم يقووا على فتحها سنة ٦٢٥ . الّا ان المصريين والبابليين عادوا فتنازعوا ملكها في القرن السادس قبل الميلاد فقهرها ملك مصر نيقاو سنة ٦٠٨ ثم استرجعها نبوكدنصر بعد ثلث سنين فعاد الفرعون أوفرا او ابريس فألحقها بدولته ولم تخرج من حكم مصر حتى سقوط بابل وجلوس قورش على عرش الكلدان سنة ٥٣٧ فنظمها كمبيسوس خلف قورش في سلك ايالته الخامسة تحت نظارة بعض مرازبته

﴿ جبيل في عهد الفرس واليونان ﴾ انّ حكم الفرس على فينيقية دام الى بعد الاسكندر بيد انهُ كان ضعيفاً فتمكّن الجبيليّون من الفوز بشبه الاستقلال فان نقودهم الباقية الى يومنا تنبئ بما نالوهُ من الجاه والرفعة في القرن الخامس ق م . فقد وجدوا لملكهم المسمّى «يحومالك» نصباً يذكر فيه جدّهُ الملك ادومالك واباه يحوبعل وقد مُثّل هناك يحومالك في زيّ الفرس . وقد ضرب ملوك جبيل في ايام الفرس نقوداً فضّيّة طُبعت عليها اسماؤهم في القرن الرابع قبل المسيح اخصّهم إلبعال وعزبعال وادرملك واينال . ومن حُسن ضرب هذه النقود يستدلّ على رقي جبيل وخصبها حتى كادت تُضارع بقيّة حواضر فينيقية صور وصيداء وارواد

ثمّ قامت الدولة المقدونيّة على انقاض دولة الفرس بعد انتصار الاسكندر على داريوس كدومان وكان اينال ملك جبيل يحارب في جانب ملك الفرس ويعضدهُ بسفنه الّا انّ واقعة ايسُوس (سنة ٣٣٣) كانت القاضية على داريوس وحلفائه . فما عتم الجبيليون أن طلبوا الامان من الاسكندر بل ساروا معهُ لمحاصرة صور وفتحوها معهُ .

ثم عادوا بعد موت الاسكندر وحاربوها مع قائده انطيغونوس (سنة ٣١٥) بعد ان جهّزوا لهُ بأيام قليلة اسطولاً كبيراً مع اهل طرابلس وصيداء.

وبقيت جبيل مدّة كطُعمة يشتاف اليها خلفاء الاسكندر في مصر وقيليقية فتناوبوا فتحها الى ان استقرّت في حكم الدولة السلوقيّة وألفي حكمُ ملوكها. الّا انّها نالت من فضل متملّكيها إنعاماتٍ خاصّة لترويج تجارتها وتوفير ثروتها. وقد ضرب الملوك السلوقيّون نقوداً على اسم « جبيل المقدّسة » تمثّل هيكلاً من هياكلها مع صورة عشتروت بقربها مقدّمةُ سفينةٍ وعند أقدامها دلفين بحري. وكان يُرقّم لتاريخ ضربها تاريخ الاسكندر او تاريخ اليونان

ذاقت جبيل حلاوة السلام الى اوائل القرن الاوّل قبل المسيح حين تضعضعت امور الدولة السلوقيّة فاغار على جبيل سنة ٨٣ دغران المعروف بالكبير ملك الارمن ثمّ شنّ عليها الغارات قبائل عربيّة اصلها من جبال حوران كانت حلّت بعض مشارف لبنان وهم المعروفون بالايطوريين (١ فكانوا يقتحمون سواحل فينيقية فينهبونها. وقد لقيت جبيل منهم مشقّات فادحة لاسيما من زعيمهم المعروف بديونيسيوس الى أن قدم بمبيُوس الى بلاد الشام وفتحها سنة ٦٤ ق م وتتبّع آثار ذاك الطاغية الى ان اسرهُ وامر بقطع رأسه

﴿جبيل في العهد الروماني﴾ تمتّعت جبيل بالسلام الروماني لاسيما منذ عهد اوغسطس قيصر اذ نبذت حزب خصمه مرقس انطوان الذي كان أقطع جبيل عشيقتهُ كلاوبتره واتّخذت لإكرامه تاريخ انتصاره عليهما سنة ٣١ ق م في أكسيوم (Actium). فاتّسع نطاق ثروتها وبالاخصّ في عهد السلالة الرومانيّة المعروفة بالسورية في القرن الثالث للمسيح في ايّام اليغبال وكركلّا واسكندر ساويروس. واشتهر فيها في القرن الثاني هرنيوس فيلون الجُبَيلي الكاتب والخطيب الذي ألّف كتباً عديدة من جملتها تأريخ فينيقية (قيل انهُ عرّبهُ من تاريخ سنكنيتن) واخبار الامبراطور ادريان وتاريخ المدن ومشاهيرها. الّا انّ كلّ هذه المصنّفات ذهبت بها ايدي الضياع ولم يبقَ منها الّا مقاطيع رواها بعدهُ اوسابيوس وبعض الكتبة اليونان

ثمّ أخذت جبيل بالتقهقر بانتشار النصرانيّة التي قشعت عن اهلها ظلام الوثنيّة وانزلتها

١) اطلب كتاب تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (٢ : ٢٦)

عن ذلك المقام الذي كسبتهُ بدينها الباطل ولاسيما بعد ان امر قسطنطين الكبير بتقويض هياكل الاصنام لما كان يجري فيها من الارجاس . وزاد خمول جبيل بما نالتهُ في ذلك العهد أقرانُها بيروت وصور وصيداء من الامتيازات ونعم المستعمرات الرومانيَّة الى ان حلَّت في سواحل لبنان تلك الزلازل الهائلة التي قلبت مدن الساحل ظهرًا لبطن في اواسط القرن السادس فأثَّرت في جبيل تأثيرًا سيئًا

﴿جبيل والعرب﴾ وكان اهل جبيل حاولوا ترميمها واصلاح امورها اذ مرَّ بها يزيد ابن ابي سفيان فأدخلها مع المدن الساحليَّة في امان العرب بعد فتحهم دمشق حاضرة الشام . لكنَّ ملك الروم قسطنطين اللحياني عزَّز لبنان بفرقة من المَرَدة سيَّرها اليه من جبل اللكَّام فبقيت في حوزتهم الى ان صالح ملكُ الروم الخليفة عبد الملك فاسترجع المردة الى قيليقية وما عتَّم العرب ان بسطوا على سواحل الشام ظلَّ سلطانهم فلم يتقلَّص الَّا بضع سنين في عهد ملك الروم نيقيفورس فوقاس اذ زحف وزيرهُ جان زميساس المعروف بابن الشمشقيق على الشام ففتح كثيرًا من مدنها فصارت جبيل في ملك الروم ١٣ سنة (٩٦٤–٩٧٧) ثمَّ استرجعها العرب الى زمن الصليبيين . ففي السنة ١١٠٤ حاصرها الكونت سنجيل وقاتلها قتالًا شديدًا فلمَّا رأى اهلُها عجزهم عن حفظها سلَّموها للفرنج بالامان فطالبوا اهلها بعشرة آلاف دينار . وبقيت في ايديهم الى أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب ندفعها اليه صاحبُها المسمَّى هوغ دي لمبرياك ليفدي نفسهُ من الاسر بعد واقعة حطين سنة ٥٨٣ (١١٨٧م) فاطلقهُ . واقام صلاح الدين فيها حاميةً من قومهِ الاكراد فباعوها من الفرنج بعد ذلك سنة ٥٩٣ (١١٩٧) فكانت في حوزتهم نحو مئة سنة فاسترجعها الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ (١٢٩٣م) على يد سنقر الشجاعي فهدمها واخرب قلعتها . وفي تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ٤٣) « انَّ سنقر جهَّز علم الدين الداوُدي الى جبيل فاستولى على اسوارها وقلعتها وابقى على اهلها وكانوا من الجنويَّة » . وآثار الصليبيين لا يزال بعضها باقيًا الى يومنا . وعن جبيل في عهدهم كتب الادريسي « انها مدينة حسنة على البحر لها سور من حجر حصين ولها كورة واسعة فاشجار وفواكه وكروم يشرب اهلها من الآبار ولها إرساء وحطّ » . وذكرها قبلهُ ناصر خسرو العجمي سنة ١٠٢٣م في كتابهِ سفرنامه (Ed. C. Schefer, p. 44) فذكر موقعها على سيف البحر وشكلها المثلَّث

الزوايا وسورها الحصين وما يحدق بها من المزارع والاشجار المثمرة كالنخل وغيره واشار الى طيب هوائها وتفتّح ورودها في اواسط شباط

ثم خلفت الدولةُ العثمانيَّة دولةَ المماليك المصريين في الشام فاستولى السلطان سليم الاوّل على جبيل سنة ١٥١٧ وحصّن العثمانيون قلعتها لكن فخر الدين المعني بعد ان تسلّمها بالامان سنة ١٦١٨ امر ابنهُ الامير علي بتدميرها . على انَّ النصارى في ايامهِ قصدوا جبيل وسكنوها لاسيّما لمّا ولّى فخر الدين المعني الشيخ ابا نادر الخازن على بلاد جبيل . ولمّا تولّى الامير منصور بن حسن بن عسّاف في اواسط القرن السابع عشر على شمالي لبنان ابتنى لهُ سرايةً في جبيل . وفي عهد بني العسّاف اشتهر المشائخ بنو الحسامي وكانوا اوّلًا نصارى ثمَّ اسلموا لمّا ضعفت النصرانيَّة في جبيل واليهم يُنسب ترميم القلعة وسورها بعد خرابها . ونهضت جبيل من خمولها في عهد الامير يوسف الشهابيّ الذي تولّى عليها واستقرّ فيها عدَّة سنين فعظم فيها شأنهُ وقصدهُ كثيرون من المشائخ والاعيان من الشوف وكسروان فعُني بإصلاح المدينة وساعدهُ في ذلك كاهنيهِ الشيخ سعد الخوري والشيخ سمعان البيطار الغرطاوي وعزّت بهما النصرانية . الّا انَّ الجزّار أثار على الامير الفتن وامدَّ اخويه الامير سيد احمد وافندي بالجنود لمحاربتهِ في جبيل فحاصرها الامير سيد احمد بعساكر الجزّار لينزعها من يد اخيهِ الامير يوسف . وحصلت اذ ذاك اضطرابات عديدة وقلاقل متوالية وخصوصاً بعد وفاة الامير يوسف مشنوقاً بدسائس الجزّار سنة ١٧٩٠ ثمَّ في عهد الامير بشير الكبير . وفي أيّام ابرهيم باشا حاربت الدول سنة ١٨٤٠ جنودهُ المحتلَّة فيها واطلقت عليها المدافع . فاعتنى صاحب الدولة داود باشا باصلاح القلعة فجعل قسماً منها ثكنة للعساكر وخصَّ القسم الآخر لسكناه

هذا مجمل ما يروى من تاريخ جبيل وفي التقلّبات العديدة التي تناوبت عليها دليل على اعتبار الدول لعظم شأنها وثروتها

٢ً جبيل المدينيَّة

كان الاقدمون يتخذون لأديانهم المقامات التي تحمل النفوس على الهيبة والعظمة كمشارف الجبال والغابات والرؤوس المطلَّة على البحر والاودية العميقة ذات الانهار

الزاخرة فرأوا في جبيل كثيراً من هذه الصفات فاختارها الكنعانيّون ككعبة دينهم وقد استحسنوها ايضاً لوقوعها في وسط بلادهم الساحليّة بين صور واللاذقيّة

وكان اوّل ما اشاعوهُ عنها انها من بناء الآلهة كايل البابليّ والبعل وزحل كرونس فأدّى بهم ذلك الى اعتبار مدينتهم كمقدس يحجّون اليه ويتقرّبون به الى آلهتهم . وكان البَعل زعيم تلك الآلهة ومعناهُ السيّد يمثّل لهم قوى الطبيعة المادّيّة كالشمس والاجرام الفلكيّة النيّرة ويخصّونهُ في كلّ مدينةٍ بخواصّ يمتاز بها عن سواها فيدعى «بعل بك» و«بعل مرقد» المعبود في دير القلعة و «بعل صيدون» الخ . وقد نقل الكنعانيّون عبادة البعل عند جلائهم من جهات بابل وخصّوهُ اوّلاً بجُبَيل وزعموا انها اوّل مدينةٍ بناها هذا الاله

وكان لايل البابلي قرينةٌ تُدعى اشتار او عشتار وهي انثاهُ القاسمة للاهوتهِ . فاتّخذوها في جبيل كمعبودةٍ اكرموها مع البعل . وكذلك تموز وهو شاب بابليّ زعموا انهُ ابن الشمس عشقتهُ عشتار فقُتل في الصيد فنزلت عشتار الى الجحيم فأحيته . وهذه الخرافات ذاتها اشاعوها في جبيل وخصّوا مكاناً لكلٍّ من ادوارها قريباً من الجبل فجعلوا وفاتهُ قتيلاً في احراج لبنان عند قرية غينه حيث ترى صورتهُ مع الخنزير البرّي الذي قتلهُ وصورة عشتارت باكيةً عليه مقنّعةً . ومثلها صورة اخرى في ربوة فوق نهر ابرهيم تُدعى المشنقة وصفها حضرة الاب هنري لامنس في كتابهِ تسريح الابصار (١ : ٣٨–٤١) . ولمّا كانت مياه نهر ابرهيم عند ذوبان الثلوج في اوائل الربيع على قمم لبنان تمتزج بالصلصال الاحمر ادّعوا انّ احمرارها بدم تموز فكانوا يقيمون الرتب المحزنة ويمثّلون دفن تموز ثمّ يغسلون تمثالهُ بمياه النهر ويكسونهُ بثياب فاخرة ويضجّون فرحين لزعمهم انهُ قام حيًا

تلك خلاصة اخبار ذاك المعبود الجبيليّ المثلّث الذي منهُ اخذ المصريّون خرافة الاله اوزيريس والإلهة ايزيس فقسموها بين مصر وفينيقية فارتأوا انّ الإلهة المصريّة ايزيس كانت عشيقة الالهة اوزيريس اله النور فقام على اوزيريس اخوهُ سيت اله الظلمة فقتلهُ وبدّد قطع جثمانهِ فبكت عليهِ ايزيس وما النيل الّا فيضان دموعها لكنّها لم تيأس بل اخذت تبحث عن بقايا اوزيريس فلقيتها في جبيل واعادت لها الحياة . فكان المصريّون يكرمون اذاك مقدس جبيل ويزورونهُ ويعظّمون «ربّة جبيل»

وقد تكرَّر ذكرها في كتاباتهم الهيروغليفيَّة . وكان الفراعنة يقدّمون لعابد جبيل التقادم والنذور وكان الكنعانيّون منذ الالف الثالث قبل المسيح اقاموا لذكر البعل وعشتروت هيكلاً فخماً ومثلهم المصريّون شيّدوا لاكرامهما معبداً وقد وجد الاستاذ مونته آثار كلا الهيكلين في حفريّات هذه السنين الاخيرة

وكما شاعت قصّة البعل وعشتروت وتمّوز في مصر كذلك بنو اسرائيل اثاروا عليهم غضب الله اذ تقلّدوا تلك العبادات السيّئة فاستعاروها من جيرتهم الفينيقيين . وقد أرى الله نبيَّهُ حزقيال (٨ : ١٤) في مدخل بيت الرب «نساء جالسات يبكين على تمّوز»

ولمّا صار الامر في فينيقية الى اليونان اثبتوا تلك العبادات واكرموا البعل باسم زفس اي المشتري وتمّوز باسم ادونيس استعاروا اسمهُ من «ادون» اي الربّ القدير وحوّلوا عشتروت الى ڤينوس اي الزهرة . وجرى الرومان بعدهم على مثالهم

ولم تبقَ تلك العبادات كمهرجان شائق او مظاهرات تقويّة بسيطة بل تحوّلت مع الزمان الى حفلات تغلب عليها المناسك الهمجيّة اذ كان الجموع يوم دفن تمّوز يستسلمون الى ضروب من الجنون فيخدشون ابدانهم ويسفكون دماءهم كما يفعل اليوم اهل الشيعة يوم عاشوراء ذكرًا للحسن والحسين . وكان يُعقب تلك الاعمال ما يخالفهُ تماماً لدى ذكر قيامة تمّوز ادونيس فلا يرعون حرمةً للآداب ويندفعون لكل الرجاسات والمنكرات وقد أدّت بهم هاتان الشاعرتان الى غاية الغلوّ فقدّموا ضحايا بشريّة لمعبوداتهم كما حذا الاسرائيليّون في ذلك ايضاً حذوهم فبكّتهم الله على فعلتهم (مز ١٠٥ : ٣٧) واتّخذوا لهم الومسات للفجور في هياكلهم

وقد انتشرت مع الفينيقيين عبادة تمّوز والزهرة في كلّ انحاء الشرق والغرب ولاسيّما في قبرس التي جعلوا فيها مولد تمّوز وفي جهات اليونان وفي بلاد العرب فكانوا يحتفلون باعيادها الخلاعيّة تحت اسم «ادونيّات» (Adonies) . وفي نقود ملوك جبيل ما يشير الى معبوداتهم

﴿النصرانيّة في جبيل﴾ لا شك في دخول النصرانيّة في جبيل منذ عهد الرسل فان وقوع المدينة على ممرّهم من اورشليم الى انطاكية دعاهم الى تبشيرها . وفي تقليد الكنيستين اليونانيّة والرومانيّة انّ يوحنّا مرقس المذكور غير مرّة في فصول اعمال الرسل كان من السبعين تلميذًا للسيّد المسيح فأقيم اسقفاً على جبيل .

كذا ورد في تاريخ دوروتاوس الصوري (اطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣١١) . ويؤيد ذلك ما جاء في السنكسار الروماني في ٢٧ ايلول حيث يذكر « استشهاد القديس يوحنا الملقب مرقس اسقف جبيل في فينيقية» فيكون دم هذا الشهيد اوّل ما طُهّرت به تلك المدينة من وثنيّتها . ولاكرام هذا القديس أُقيمت كنيسة جبيل الكبرى وكانت صورتهُ فوق مذبحها ثم أُبدلت بصورة القديس يوحنا المعمدان الذي غلب اكرامهُ فيها

وقد تشرّفت جبيل باستشهاد فتاةٍ عذراء واقع عيدها في الكنيسة في ١٣ حزيران ألا وهي القديسة أكويلينة التي يُروى خبر وفاتها في اعمال البولنديين (في المجلّد ٢٣ ص ١٦٥) ويقال هناك انّها كان اصلها من جبيل نصّرها اسقفها اوثاليوس وهي حديثة السنّ فاضطرم قلبها حبًّا لربّها واخذت تدعو مواطنيها الى ايمانها . فبلغ امرها مسامع الحاكم ثولوسيان فسعى بجماها الى جحود دينها لكنّهُ أيِسَ من اقناعها لا بالوعد ولا بالوعيد فأمر بقطع رأسها وماتت في سبيل ايمانها وقع ذلك نحو السنة ٣٠٨م

ثم خفّت وطأة الشرك في جبيل بانتصار قسطنطين الكبير وبمصادرته لبعض مراكز الوثنيّة العريقة بالفساد . ومثلهُ صنع ثاودوسيوس الكبير بعد رجوع انصار عبادة الاصنام الى قيّمهم في عهد يليانوس الجاحد . وفي اعمال المجامع المسكونيّة الاولى نجد تواقيع لبعض اساقفة جبيل منهم باسيليدس في المجمع القسطنطيني الاوّل سنة ٣٨١ واكويلينوس نصير القديس كيرلُس الاسكندري ضدّ نسطور سنة ٤٤٩ وروفينوس الذي حرم اوطيخا في المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ وثاودوسيوس من جملة آباء المجمع المسكوني الخامس سنة ٥٥٣

وفي تلك الاثناء اصيبت جبيل بالزلازل التي كادت تدخلها في خبر كان . ولمّا احتلّها العرب شاع فيها الدين الاسلاميّ منهم مسلمون شيعيّون وهم المعروفون بالمتاولة اصلهم من العجم . ورد في كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (ص ٣٢٧) انّ الخليفة الاموي « معاوية بن ابي سفيان نقل الى جبيل والى مدن الساحل قوماً من الفرس» . وقد ذكر ابو سعيد السمعاني في كتابه الانساب (ص ١٢٢—١٢٣) وياقوت الحموي في معجم البلدان (٢ : ٣٣) بعض الجبيليين الذين اشتهروا بعلم الحديث

ثمّ عاد اليها النصارى في ايام الفرنج وبقي منهم بقايا في الاجيال المتأخرة فاهتزجوا

بالمسلمين . وللرهبان الموارنة اللبنانيين في جبيل مقام (انطوش) نالوه سنة ١٧٦٤ من فضل الامير يوسف مع اديار وارزاق اخرى ثم جعل في عهدتهم كنيسة جبيل الكبرى المعروفة كما ذكرنا بنار يوحنا مرقس بموجب حجة تاريخها سنة ١٨٨٠ه ١٧٦٤ فاصلحوها بالهم . وقرّرهم عليها مطران جبيل السيد انطون محاسب سنة ١٧٦٧ والبطريرك مخائيل فاضل سنة ١٧٩٣ وكان قداسة الحبر الاعظم بيوس السادس منح المؤمنين عن طلب الشيخ سعد الخوري غفراناً كاملاً لمن يتناول القربان المقدس في كنيستهم المذكورة . فباهتمامهم قد اصبح النصارى اليوم تسعة اعشار المدينة وكلهم موارنة متحمسون بدينهم

٣ آثار جبيل واهلها

ان في جبيل من الآثار ما يوليها فخراً على سائر مدن فينيقية وقد سبقتها عهداً فلا يمكننا ان نعددها هنا تاماً وانما نذكرها بالاجمال متتبعين اطوار المدينة منذ اوائل الازمنة التاريخية الى القرون الوسطى

آثار جبيل قبل العهد اليوناني

هذه الآثار مختلفة الاصناف فمنها صناعية ومنها تجارية ومنها ادبية

﴿ الآثار الصناعية ﴾ اولها الآثار البنائية . فمن ذلك (سورها) القديم الذي امتنعت به بحراً وبراً وهو يرقى الى اقدم ازمنة تاريخها . كانت تحميه ابراج دثرت مع الزمان . وهذا السور قد خرب مراراً فرُمّم في عهد الدول المتوالية عليها

ومنها (مرفأها) الذي منهُ خرج تجارتها لاسفارهم وخوضهم البحار . وفيه كانوا يصطنعون اساطيلهم الشهيرة واليه كان يقصد الاجانب من التجار المصريين وغيرهم

ومنها (قلعتها) القديمة التي سبقت القلعة التي تُرى اليوم بقاياها العظيمة وانما دخل فيها مواد من حصنها القديم

ومن آثار صناعة جبيل (مدافنها) فانها تشهد لبراعة اهلها بنقرهم لها في قلب الصخور وتجهيزها على اشكال شتى منها في اعماق الارض ومنها في المغاور مع نواويسها المزدانة بالنقوش والتصاوير والكتابات وفي ضمنها الجواهر والمصاغات الغالية الثمن وتماثيل اصنام وزجاجات للدموع (lacrymatoires) ويحف بها الأثاث والآنية البيتية والادوات المختلفة والاسلحة والتماثيل

ومن اقدم مباني جبيل (هياكلها) اكتشفوا على آثار اثنين منهما الواحد وطنيّ هيكل معبوداتها عشتروت وتموز والآخر مصريّ لذكر ايسيس واوزيريس مع ما كان يزينها من التماثيل والاعمدة وفنون الهندسة

والمرجح القناة التي ترى آثارها حتى اليوم وبها كانت تجري مياه نهر ابراهيم الى جبيل قد بُنيت في هذا العهد

ومع هذه الآثار البنائيّة آثار صناعيّة منها مصريّة كان الفراعنة يرسلونها الى معابد جُبيل منها الدُمى وصور الآلهة المصريّة البشريّة كابزيس والحيوانيّة كالحيّات والخنافس والفرود ومنها الآنية البيتيّة الثمينة من الخزف والرخام والبرونز والمجوهرات الدقيقة الصنع . ومن الآثار المصريّة البديعة التي ظهرت في مدافن جبيل وعاء من حجر كريم يعرف بالاوبسيديان علوه ١٢ سنتمتراً يتّسع في اعلاهُ وقائمتهُ من الذهب وكذلك حلقة في اعلاهُ مكتوبة عليها بعض حروف هيروغليفيّة . وهذا الوعاء قارورةٌ للطيب لم يوجد منهُ في مصر الّا وعاءان يشبهانهِ وهو من عهد الفرعون امنحت الثانية عشرة(١)

ومنها مصنوعات لاهل جبيل تقلّدوا بعملها اعمال المصريين او ابتدعوها بذاتهم كمذابح للتقادم وكتماثيل أُسود منحوتة في الحجر وخزفيّات باحجام واشكال متعدّدة واسلحة كسيوف ودروع وتروس وحليّ بديعة كالاسوار والقلائد والخواتم

ومن آثار الجبيليين «التجاريّة» اصطناع السفن التي خاضوا بها البحار . فكانت اخشاب لبنان من ارز وشربين وعرعر وسنديان طوع امرهم فاستحضروا سفناً لتجارتهم ولاسفارهم الى كلّ انحاء البحر المتوسّط حيث اقاموا لهم مستودعات ليتقايضوا بمحصولات بلادهم والسلع الاجنبيّة . وقد شاع ذكر سفنهم حتى ورد اسمها في كتابات مصر الهيروغليفيّة . وقد اتّخذ الفراعنة منها الاساطيل لحروبهم

«آثارهم الادبيّة» ومما توفّقوا اليهِ قبل سواهم اختصار ما وجدوهُ في مصر من الكتابة التمثيليّة فاتّخذوا منها الحروف الهجائيّة التي شاعت بعدئذٍ باسم الحروف الفينيقيّة . وكان اقدم ما يُعرف منها سابقاً بضع كتابات قصيرة لا ترتقي الى ما وراء القرن التاسع قبل المسيح . واطولها كان من القرن السادس ليحوبعل ملك جبيل وهي تقدمة لبعلة

---

(١) اطلب مجلّة «Syria» IV, 295-311

جبل (عشترت) يهديها الملك . ذبحاً من نحاس وقبّة . وقد اثبتت اكتشافات الاستاذ بيار مونته قِدَمها ورقيها الى ما وراء القرن الثالث عشر قبل المسيح وقد وُجد منها اسطرٌ على الناووس الملكيّ الذي توفّق الى اكتشافه في اواخر السنة المنصرمة . وبها زال ذاك المشكل الذي أراب بعض العلماء في حقيقة كتابة موسى للاسفار المقدّسة بالعبرانيّة وحروفها المشتقّة من الفينيقية . وبها ايضاً تسهّلت معاملات الشعوب وتدوين المآثر الادبيّة على طريقة سهلة قريبة المنال وافرة المنافع . وكانت مجلة المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٢٢٧) قد وصفت كتابةً اخرى فينيقيّة الّا انها احدث زماناً لا ترقى الى ما وراء القرن العاشر ق م. ورد فيها اسم أبيعل احد اهل جبيل وتقدمتهُ لعبوده

ومع الكتابات الفينيقيّة في حفريات جبيل كثير من رموز اللغة المصرية الهيروغليفيّة تفيد الاديان والاخلاق والتاريخ

آثار جبيل في العهد اليوناني

قليلة هي الآثار الجبيليّة في الحقبة المتوسطة بين عهد المصريين واليونان . وانّما لنا شاهدان في الكتاب الكريم عن براعة الجبيليين في الصناعة والتجارة قد مرّ ذكر الاوّل عند كلامنا عن هيكل سليمان . وامّا الشاهد الثاني فورد في نبوّة حزقيال (٢٧ : ٩) حيث صرّح بذكر شيوخ جِبْل (جبيل) وحكمائها وخدمتهم لسفن صور

امّا العهد اليوناني فقد بقي منهُ آثار صالحة . اخصّها كتابات مدفنيّة باليونانيّة ورد فيها وصف تقادم لآلهة جبيل المدعوة الإلهة السماويّة ثم اسماء عدّة من الموتى في جبيل وفي جوارها في قصوبا وارباض المدينة وفي عمشيت . وقد نشر منها رينان قسماً في بعثة فينيقية . ومن هذه الكتابات الضريحيّة باليونانيّة ما رُقم في العهد الروماني ذكراً لبعض المتنيحين من النصارى

ولنا من آثار العهد اليوناني نقود عديدة منها لملوك الدولة السلوقيّة كانطيوخوس ابيفانوس وانطيوخوس اوباتور واسكندر بالا ومنها نقود دالّة على استقلال جبيل

وبين النواويس المكتشفة في جبيل البعض منها يوناني العهد لا تختلف عن اشباهها التي وُجدت في مدن الشام الساحليّة

آثار جبيل في العهد الروماني

الآثار الرومانيَّة في جبيل اوفر فيها من اليونانيَّة . اخصُّها الهيكل الـذي اقامهُ الرومان هناك واثبتنـا صورتهُ في المشرق (ص ٩) وكذلـك وصف حضرة الاب جلابرت تمثالًا لاله البحر الروماني المعروف بنبتون الـذي اكتشفوهُ سنة ١٩٠٣ في بعض املاك الرهبان اللبنانيين (المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٩٢٣–٩٢٨) فبيَّن اصلهُ الروماني

ومن ذلـك العهد الروماني عدَّة نواويس منهـا على شكل الصورة البشريَّة (sarcophage anthropoïde)

وهناك آثار دينيَّة رومانيَّة كتعبدهم لجوبتير بدلًا من البعل كمـا اثبت ذلك بكتابة قديمة حضرة الاب سبشيان رونزفال وبنقوش تنبئ بتعبدهم للشمس (اطلب المشرق ٧ [١٩٠٤] : ٢٢٧–٢٢٩) . ويروي المؤرخون ان القيصر ادريان جـدَّد كثيرًا من ابنية جبيل

ولا شكَّ انَّ الرومان زيَّنوا جبيل بابنية عموميَّة كألوف عادتهم حيثما كانوا يحلُّون كالمسارح والحمَّامات والمعابد الرسميَّة . وحتى اليوم لم يظهر منها الَّا القليل لما أُصيبت به البلدة من نكبات الدهر . ومن المحتمل انَّ بعض كنائس جبيل باقية الى زمن ملوك الروم كمـار يعقوب وفيهـا عمود يُظنّ انهُ كان صومعة بعض النسَّاك وكنيسة القديسة تقلا في هندستهما آثار بوزنطيَّة

جبيل بعد الرومان

سبق ما مُنيت به جبيل من الخراب بفعل الزلازل في القرن السادس فبقيت على حالها من الخمول الى عهد الصليبيين الذين عادوا فرمَّموا قلعتها وحصَّنوهـا في وجه المسلمين . وما يُرى منها اليوم هو من بقاياهم بينها حجارة ضخمة كحجارة بعلبك . وانَّما اضاف اليها المسلمون والاتراك بعض الاستحكامات . وهناك بقايا اخرى كالابراج هي ايضًا من ابنية الصليبيين . واجلُّ من هذه الابنيـة كنيسة جبيل الكبرى مار يوحنَّا فـانَّها من الطرز القوطيّ عمَّرهـا الفرنج والحقوا بها قبَّة فوق حوض للعماد وكلاهما باقٍ الى يومنا . ويوجد آثار كنيسة اخرى للصليبيين شمالي مار يوحنَّا على حجر زاويتها كتابة لاتينيَّة للعذراء مريم تاريخها سنة ١٢٦٣م (بعثة فينيقية ص ١٥٧)

في الصليب الحياة!

أعُـودَ الصليبْ
وعرشَ الحبيبْ
فانت المجيـب
لصوت الورى

أيا فـاديًا للمرء يوم ضـلالهِ ... اتيتُك ارجو الصفح عن سوء مـأثمِ
فـانت دوائي الشافي من كلّ علّةٍ ... وانتَ هـدى قلبي وعقليَ مع في
فـالي سوى نُعـاكَ ولي فقرُني ... الى قلبـك الـامي اسيرُ واتمي
فمن دمـك الحي بقـسّني ارتوى ... وفي جنبك المطعون اخيـا واحتمي

عليك رجائي
فانتَ سمائي
وانتَ لوائي
يوم الوغى

اليك أنادي ... ايا خير فادي
بـلِّ الفؤاد ... فكن لي حمى

وعند الممات اذا حلّ يوماً ... اليـك سأرنو بعين الأمَلْ
وبين يديك سأسلم روحي ... فـاقضي بأمنٍ ودون وَجَلْ

عبادة آلهة سوريين في قرطبة

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

كلّ يعرف ان مهاجرة السوريين عموماً والفينيقيين خصوصاً الى الاصقاع الاجنبيّة قديمة العهد عريقة في تاريخهم . فكانت تجارتهم مع البلاد الغربيّة تدفعهم الى تفقُّدها وربَّما كانوا ايضاً يستوطنونها ويستعمرونها . وقد لمَّح يوينال الشاعر اللاتيني الى هذه المهاجرة السوريّة وحركتها النامية بقوله متهكّماً : « هوذا الفرات ينقل الى نهر التيبر الروماني مياههُ الزاخرة »

ومن ابعد الثغور التي بلغت اليها المهاجرة السوريّة بلادُ اسبانية . فقد اكتشفوا في مدينتها مالقة كتابةً ورد فيها ذكر شركة تجّار سوريّين واسيويين (١ وقد لحظ بدقّة السنيور سولاري (A. Solari) احد اساتذة جامعة بولونية في ايطالية انَّ مناجم الفضّة القريبة من تلك المدينة كانت جذبتهم الى استيطانها

وقد اتى اليوم اكتشافٌ آخر يثبت لنا وجود قوم من السوريين في مدينة قرطبة حاضرة الخلفاء الامويين وذلك قبل دخول المسلمين فيها بنحو خمسة اجيال . فالسوريُّون المذكورون كانوا من المشركين يعبدون اصنامهم الوطنيّة وقد اقاموا لها مذبحاً عليه كتابة يونانيّة عُني آخرًا علماء المانيُّون بنشرها

والكتابة المذكورة تقدمةٌ مصدَّرة بدعاء الى الآلهة وإعلان الدُّعاة بثقتهم بمعبوداتهم . ثم يلي الدعاء اسماء تلك المعبودات بصورتها اليونانيّة مع القابها ثمّ اسمائها الشرقيّة المصريّة او الساميّة . وفي ختام الكتابة شكرُ كتبتها . وهذا نصّها :

Ἐπηκόοις · | εὐεργέταις |
Ἡλίῳ · μεγάλῳ · Φρήν | Ἐλαγαβ[άλ]ῳ ·
καὶ Κύπ[ρι] | YAPI · NAZAIA ·
καὶ | [Ἀθηνᾷ · Ἀλλάθ · Ἀ[φρο]δι[τείκᾳ ?
καὶ Γ ? Ε? .. |
[ἐπη]κόοις θ[εοῖς] |
[εὐ(χῆς) χά]ριν

١) اطلب مجموعة الكتابات اللاتينيّة CIL, II, 251

الى (الآلهة) المتطفين والمحسنين
الى الشمس (الاله) العظيم فران. اليغبال (اله الجبل)
الى فينوس . . .
الى اثينة (وهي) اللات المعبودة في اللاذقيَّة
الى غير . . . ؟
الآلهة المتطفين
تقدمة الشكر (١)

فقد بيَّن ناشرو هذه الكتابة بعلمٍ واسع انَّ الآلهة المذكورين في هذه التقدمة كانوا من جملة معبودات التياصرة الرومانيين في القرن الثالث وخصوصاً الامبراطور السوري المولد أليغبال الذي خصَّ نفسهُ باسم الاله الذي كان هو سادنهُ في مدينة حمص. فهذا المعبود الحمصي الذي كان بتمادي الزمان قد تحوَّل الى صنم الشمس هو اوَّل ما ورد هنا ذكرهُ مع لقبهِ السامي « اله الجَبَل » . ثمَّ اسمهِ المصري «فران» (P. RE) اي الشمس كما كان معروفاً لدى كهنة مصر

ثمَّ اضافوا الى الاله الشمسيّ اسم إلهة كُتب اسمها بصورتهِ اليونانيَّة وهي « افروديت القبرسيَّة» الَّا انَّ شارحي هذه الكتابة لم يقفوا على حقيقة القابها واسمها السامي فنبحث قريباً عن صحَّة رأي العلماء الالمانيين. ويليها اسم معبودة العرب « اللَّات » وهي إلهة الحرب التي يزعم اليونان انَّها الإلهة «أثينة» او مينرفا التي كانوا يصوّرونها حاملةً في يديها الرمح والترس. وهي تُدعى هنا إلهة اللاذقيَّة على ما ارتآهُ العلماء وليست قراءتهم خالية من بعض الشكوك. ولعلَّ اللاذقيَّة المذكورة هي لاذقيَّة سوريَّة الساحليَّة او هي ايضاً اللاذقيَّة اللبنانيَّة (Laodicæa ad Libanum) اعني تلّ نبي مَنْد حيث يرجَّح كون اهلها عبدوا « اللات اثينة » لانَّ قوماً من العرب كانوا قديماً احتلُّوا مدينة حمص ونقلوا اليها عبادة اللات فمن المحتمل انَّ تلك العبادة شاعت ايضاً في اللاذقيَّة المذكورة

والاله الرابع المذكور على المذبح القرطبي لم يُعرف بنوع ثابت لدثور احرف اسمهِ على الحجر. فمن المحتمل انهُ الاله جينياس (Geneas) معبود مدينة تدمر

(١) اطلب مجلَّة السجلَّات الدينيَّة Fr. Hiller v. Gaertringen, E. Littmann, W. Weber, O. Weinreich: ARCHIV FUR RELIGIONSWISS., XXII,1924,pp. 117,ss.

وسهول البقاع (١

فلا ريب انَّ الاربعة الالهة المذكورين في هذه الكتابة مع اسمائهم الساميَّة وما يوافقها من الاسماء اليونانيَّة كأنهم من معبودات سوريَّة المركزيَّة وبالاخصّ معبودات مدينة تدمر. واوَّل دليل الى ذلك انَّ آثارًا كثيرة وُجدت في انحاء حمص وتدمر وردت فيها صور آلهة محليَّة مكتسين بالزي اليوناني او الروماني ومع صورهم اسماؤهم لئلَّا ينخدع الناظر بحقيقة شخصهم. فمن ذلك كتابة محفورة وجدت في حمص نشرها الابوان ه. لامنس وس. رونزفال فتكرَّر عنها الكلام(٢ . ومثلها ايضاً التصاوير البديعة التي اكتشفها حديثاً في الصالحيَّة (٣ بقرب الفرات المسيو برستد (J. H. Breasted) ثمَّ الجنود الفرنسويُّون والمسيو فرنتس كومون (Frantz Cumont). فليس اذن من المستغرب ان يكون السوريُّون المهاجرون الى اسبانية جمعوا ايضاً بين هذه المعبودات الاربعة في كتابتهم او تصاويرهم في مدينة قرطبة الاسبانيَّة

وعلى رأينا انَّ العلماء الالمانيين ليتمان (Littmann) وفيبر (Weber). وفينريخ (Weinreich) اصابوا بنسبتهم هذا الاثر الى زمن سلالة القياصرة المعروفة بالسوريَّة لكنَّهم يغالون بعض المغالاة بقولهم انَّ اللقب YAPI المختصّ هناك بالإلهة افروديت هو اسم أسرة هؤلاء القياصرة المعروفة بثاريوس (Varius). كذلك لا نظنُّ انَّ احدًا من العلماء يوافقهم في قولهم ان الاسم اليوناني NAZAIA المذكور في الكتابة هو عين اسم العزَّة (al-'Ozzā) معبودة العرب

فكيف اذن نفسّر هذين اللقبين الغامضين ؟ ومن هي الإلهة الساميَّة المدعوَّة بإلهة قبرس ؟ انَّنا إن رجعنا الى تخيُّلات اهل ذلك العصر يجب القول بان الإلهة المذكورة بعد ذكر الشمس (الاله العظيم) هي قرينتهُ. ويمكن مقابلتها بالإلهة السوريَّة العظيمة التي يقرنونها في هيرابوليس (منبج) بالاله هَدَد او في بعلبك بالاله المشتري. وكان الرومان يدعونها في بعلبك باسم ڤينوس وهذا الاسم يوافق ما كُتب على مذبح

---

١) اطلب مجموعة المكتب الشرقي P. S. Ronzevalle, Mel. Fac. Or., V, 2, 1912, pp. 200 ss., pl. XV. 2.

٢) Musée Belge, V, 1901, p. 273

٣) اطلب مجلَّة سيريا Syria, III, 17. 206 n° 728; VI, 1902, p. 58

قرطبة . ويدعون ايضاً الإلهة السورية بلقب «الخيّرة المجيدة البالغة اللطف» (١ والمرجّح انّ هذا اللقب قد كُتب على مذبح قرطبة بصورته اليونانيّة YAPI المختصرة من (ε)ὐάρι(στη) اعني الكلّيّة الجود وكانت هذه الالقاب الدالة على المبالغة كثيرة الاستعمال (٢ . وكان اهل تدمر في كتاباتهم ينعتون معبودهم «بالاله المجيد» والاله «المحسن المثيب» والاله «العطوف الرحيم» (٣ . وكذلك اليونان لقبوا الإلهة المصريّة ايزيس (٤ والالهة افروديت (٥ باسم المجيدة (ἀγαθή) . فلا بأس اذن من القول انّ هذا اللقب أُطلق ايضاً في كتابة قرطبة على الإلهة الوالدة المُنسلة

ولهذه الإلهة اسم سامي محجوب تحت صورته اليونانيّة «NAZAIA» ولشرحه يغلب على ظننا انّ خفّار الكتابة كما هو ثابت في عدّة كتابات أخرى لم يحسن قراءة احد حروف هذه الكلمة فابدل النون N من الزاي Z والصواب Nα[ν]αία وهو اسم إلهة شرقيّة تُعرف ايضاً باسم افروديت . وهي الإلهة التي حاول انطيوخوس المعروف بالشهير مضطهد اليهود ان ينهب كنوز هيكلها كما ورد في الفصل السادس من سفر المكابيين الاوّل . وكانت الإلهة المذكورة تُعبد ايضاً في تدمر واسمها في بعض الكتابات الخزفيّة مقرون باسم اكبر آلهتهم كبيل وشمش (٦ وقد ورد ايضاً اسمها بين اسماء تدمريّة (٧ . وممّا وجده العالمان برستد وكومون في الصالحيّة صورة امرأة بل اميرة تدعى هناك «Βιθυναία» اي ابنة ناناي (٨ واننا نعلم بان ارتحشرسيس الثاني كان اشاع صورة هذه الالهة وعبادتها في دمشق (٩ وكذلك تفيدنا معلومات

---

١) في الاصل اللاتيني Deam Syriam benignissimam (P. Nigidii Figuli op., p. 126) . Cfr. Roscher. IV, 1631, Hoefer,

٢) في اللاتينيّة Cf. Jupiter summus exsuperantissimus.

٣) اطلب J. - B. Chabot, Choix d'Inscr. de Palmyre, pp. 65, sqq

٤) اطلب المجلّة الفيلولوجيّة Rev. de Philologie, 1916, p. 62, 101

٥) اطلب ايضاً O. Weinreich, Athen. mitt., 37, 1912, p. 6, n° 62

٦) اطلب Rep. ép. sém., II, 1065, C. Cf. Chabot, op. l., p. 136

٧) اطلب Vogué, Syrie Centr., Inscr. pa. 67, 132

٨) اطلب مجلّة سيريا Syria, III, 1922, p. 198. Cf. IV, 1923, p. 216, n° 27, Cumont.

٩) اطلب F. H. G., II, 508, 16

الكتبة السريان والارمن انَّ الالهة ناناي المذكورة كان السوريون يجعلونها السيارة ڤينوس (١ وانَّ كثيرين من المؤرخين الرومانيين يدعونها افروديت

ومن ثمَّ ترى انَّ قولنا لا يخلو من سند متين اذ ألحقنا باسم الـه حمص الشمسي اليغبال اسم إلهة معبودة في تدمر في وَسَطر تلوح عليه المسحة العربيَّة والاراميَّة . ولذلك نُصلح قراءة السطر الثالث من الكتابة المكتشفة في قرطبة على هذه الصورة :

Καὶ Κύπ[ρι] [ε]ὶ ἀρί[στῃ] Ν[ν]αίᾳ·

« والى ڤينوس نانيا البالغة الجود »

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تابع)

٢ البطريرك جرجس عميرة

وهو اول بطريرك ماروني تخرج في المدرسة المارونية

نسبه

هو جرجس بن مخائيل عميرة (٢ الاهدني من انسباء العائلة الدويهية امهُ تُدعى الحاجة (٣ بسطا ابنة المطران سركيس الدويهي (٤ ابن القس موسى الدويهي ولد

١) اطلب في معجم هرتسوك Baudissin, Herzog-Hauck, R. E., XIII, pp. 636-637

٢) ان عائلة عميرة نزحت من اهدن وكان اقام قسم منها في بجدل معوش على ما ذكر البطريرك بولس مسعد. ويوجد في بكفيا عائلة تُعرف ببيت العميرة ولا نعلم ان كانت نازحة من اهدن . وقد اختلف في لفظ اسم هذه العائلة فالمتعارف عُميرة . اما البطريرك الذي نكتب حياته فانه كان يكتب اسمه باللاتينية والايطالية عَميرَة Amira

٣) كان يُطلق اسم حاجّ او حاجّة على الذين يزورون القدس واستمرّت العادة كذلك حتى ايامنا هذه

٤) معلوم انه يجوز عند الشرقيين ان يسام كاهنًا الرجل المتزوّج دون ان يُلزم بالانفصال عن زوجته . لكنه لا يُرقّى الى الاسقفيَّة ما دامت زوجته حيَّة . فالمطران سركيس المذكور بعد وفاة زوجته سيم اسقفًا سنة ١٥٦٥ خلفًا للمطران انطون الحصروني مطران اهدن

في النصف الثاني من الجيل السادس عشر في قصبة اهدن فسلّمهُ ابواهُ الى خاله القس يعقوب الدويهي (١ الذي اعتنى بتربيته وتلقينه مبادئ العربية والسريانية فنشأ على حب الفضيلة والاعمال الصالحة . وهو المقصود في زَجلية القس الياس عويضه الغزيري بهذه الكلمات : « البطرك جرجس هدناني مشهور بعلم السرياني » . ولمّا رأى البطريرك سركيس الرزي ما تحلّى به هذا الفتى من الصفات الطيّبة ارسله الى رومية في اواخر سنة ١٥٨٣ مع تسعة تلامذة آخرين ليتكملوا جميعاً في الدروس الكهنوتية ويتروضوا على الفضيلة واعمال الرسالة . وقد وكل البطريرك العناية بهم في سفرهم وامر تدبيرهم المادي في رومية الى الخوري يوحنا بن ايوب الحصروني الذي استدعاه الى رومية الكردينال كارافا محامي الطائفة وعهد اليه بمراقبة المطبوعات السريانية في المدينة الابدية وذلك لانه كان ضليعاً في اللغة السريانيّة . واستصحب الخوري يوحنا المذكور رفيقين آخرين هما القس يعقوب ابن سركيس الدويهي وظنّه هو هو خال جرجس عميرة ثم الاخ ابرهيم سمعان من بيت العنيد كما رأينا ذلك في احدى ملحوظات السيد الذكر البطريرك بولس مسعد وكلاهما راهب في رهبنة القديس انطونيوس

اما ارسال هذين الراهبين فجرى تتميماً لما كان قد رسم الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر في براءته (Salvatoris) المؤرّخة في ١٣ ك ٢ ١٥٨٣ حيث فرض ان يُعهد باقامة الطقوس في كنيسة القديس يوحنا الملحق بها الانطوش الماروني الى رهبان القديس انطونيوس الموارنة

اما التلامذة الذين ارسلوا الى رومية مع جرجس عميرة فقد وردت اسماء اربعة منهم في تاريخ الازمنة للدويهي وذكر ثمانية في النقائض الفاتيكانية التي نشرها حضرة الاب شيخو في مجلة المشرق وفي كتابه « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » (ص٧٢) واليك اسماء المعروفين منهم : موسى سعد العاقوري من عائلة عنيسي (٢ وجرجس

١) القس يعقوب الدويهي رئيس دير مار يعقوب في اهدن كان رجلاً تقيًّا تعب كثيراً في بناء الدير وعلم الاولاد ولقن الدروس الكهنوتية اكثر من مائة كاهن ونسخ الكتب . وظن انه هو الذي سافر الى رومية لا يعقوب الحردبني فان تصحيف اسم اهدن Heden التي جُعلت Herden فتح مجالاً لانخداع كثيرين بتعريب الاسماء

٢) موسى العنيدي ولد في العاقورة . ارسل الى رومية سنة ١٥٨٣ كما رأيت اكمل فيها دروسه ثم سيم كاهناً سنة ١٥٩٣ فيها ايضاً كما يستدل على ذلك بكتابة المكرم ابرهيم جرجس الذي طلب

ابن مخائيل الاهدني المعروف بابن عميرة وهو المترجم الآن ثم جبرائيل نعمه (١ الاهدني الذي عاد الى وطنه سنة ١٥٩٠ هو والقس مخائيل صليبا البسلوقيتي وخدما الطائفة خدماً دينية مشكورة ثم بطرس بن جبرائيل المطوشي (٢ القبرسي التابع ابرشية شدرا (عكار) كباقي التلامذة القبرسيين اي يعقوب بن مخائيل مولود الافقسية وحنا بن جرجس مولود فونو وجرجس بن انطون مولود الافقسية ايضاً . ثم سركيس

من وثيقة العام ان يرسل اليه الخوري موسى صاحب الفضل والتقوى وتاريخ الرسالة ١٥ ك ١ ١٥٩٣ . وقد مدحه البابا اقليمس الثامن في رقيمه الى البطريرك سركيس الرزي المؤرخ في ١ نيسان ١٥٩٥ قال : «ويوفقكم باسهاب على رعيتنا التي لا ترمي الا الى منفعتكم ولدنا العزيز الكاهن موسى العنيسي الذي يلفت نظرنا بتقواه وعلمه ونقاوة سيرته» . وعاد الخوري موسى الى وطنه تلك السنة فوكل اليه البطريرك خدمة النفوس ثم سامه اسقفاً ١٥٩٨ على قبرس خلفاً ليوحنا بن اسكيلا وحضر مجمع ضيعة موسى المنعقد في هيكل مرت مورا ١٥٩٨ . وموقع هذه الضيعة في عكار على ما قال الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد . وروى المطران بطرس شبلي ان المطران موسى العنيسي استقال من كرسيه واقيم عوضه المطران جرجس مارون وعما قاله السمعاني في لائحة مطارنة الموارنة في المكتبة الشرقية ان الاتراك والاروام عذبوه كثيراً في قبرس واضطهدوا رعيته وان خصومه سقوه سماً . ولم نقف على تاريخ وفاته . وهو المقصود في زجلية القس الياس عويضه التزيري : وموسى كان من عاقوره . مطران سمعته مشهوره . تلميذ المدرسة المذكورة . في العلوم اللاهوتيه

١) قد اشكل علينا معرفة ما صار اليه امر جبرائيل المذكور وتعجبنا من نسبته الى اهدن لان عائلة نعمه من حصرون ومنها المطران يوسف نعمه الحصروني المعروف بنراسيه Gratia الذي أدى للطائفة خدماً جلّى . وكنا ظننا انه هو هو جبرائيل الصهيوني لكن هذا الاخير مع اتفاق سنة سفره الى رومية مع هؤلاء التلامذة قد روي انه لم يرق الى الكهنوت الا سنة ١٦٢٠ مع ان جبرائيل نعمه كان كاهناً سنة ١٥٩٠ كما ورد في كتابته الى الاب كلوديوس اكوافيفا رئيس الارمنة اليسوعية العام في ٢٩ آب ١٥٩٠

٢) بطرس المطوشي ولد سنة ١٥٥٩ . أرسل الى رومية كما رأيت ودرس في المدرسة الرومانية ودخل في الرهبنة اليسوعية في ١٧ ك ٢ ١٥٩٢ ثم عهد اليه بتدريس اللغة العربية في الجامعة الرومانية Collège Romain ارسله البابا مع الاب ماريانى سنة ١٦١٥ الى الكلدان ليرافقا موفد بطريركهم آدم وبما ارجاع هذه الطائفة الى حضن الكنيسة . ثم جعل رئيساً لرسالة اليسوعيين في صافر ثم عاد الى المدرسة المارونية كمعرّف للتلامذة سنة ١٦٢٢ وانتقل الى راحة الصالحين سنة ١٦٢٥

له كتاب في نحو اللغة العربية وكتاب في اللاهوت الادبي وقد وكل اليه والطوباري بلرمينوس بفحص الشحيم الماروني الذي طبع في رومية سنة ١٦٢٢

الرزي بن موسى اخي البطريرك سركيس . اما العاشر فلا نعلم ان كان هو موقس القبرسي ام جبرائيل الصهيوني على اننا نرجح الاخير لانهُ مذكور في حياته ان ارسل الى رومية وهو في السابعة من عمره وقد ولد سنة ١٥٧٧

وصل هؤلاء التلاميذ الى رومية في اواخر سنة ١٥٨٣ ونالوا شرف المثول بين يدي قداسة البابا والتمسوا منه مكاناً لحلول الغرباء فيه وان يأمر بطبع الكتب اللازمة لصلواتهم فبشَّ لهم قداسته وانزلهم مع رفقائهم في مدرسة حديثي الايمان (néophytes) واقام للغرباء تكية قرب كنيسة مار يوحنا المعروف بالتينة (Della Ficoccia) . على ان هذا الانطوش كان قد امر بانشائه البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة السابقة ورتب له مائتي ريال (Ducats) لنفقاته . ثم في غرة السنة التالية عيّن له محلًا وهو المذكور آنفاً ووضع له قوانين قبل ان يصل التلاميذ المذكورون الى رومية . واقام هؤلاء الفتيان في الانطوش المذكور يحضرون الدروس في الجامعة الرومانية الى ان افرز لهم الحبر الاعظم مدرسة وخصَّص لها ريعاً وسلّم ادارتها الى اباء الرهبنة اليسوعية فكان اول رؤسائها الاب يوحنا برونو رفيق الاب اليسانو في قصادته الثانية لدى الموارنة

اما اعتناء الاباء اليسوعيين بتلاميذهم الموارنة وتعلق هؤلاء بهم فتنبئك عنهما الكتابات التي كان يتبادلها الفريقان وقد نشر بعضها حضرة الاب شيخو في لمحته عن الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية

اما جرجس عميرة فامتاز بتقواه وانكبابه على الدرس فلفت انظار معلميه ونعرف بين الذين اعتنوا بتهذيبه الطيب الاثر الاب موسيو ڤيتالاسكي الذي درَّسه اللاهوت ثم بعد موت الاب اكواڤيڤا انتُخب رئيساً عاماً لرهبنته . وكان بين اتراب عميرة الشاب مافيو بربريني الذي رقي سنة ١٦٢٣ الى الحبرية العظمى ودعي اوربانوس الثامن ومن غريب الاتفاق ان هذا البابا السعيد الذكر والبطريرك جرجس عميرة انتقلا الى راحة الصالحين في اليوم ذاته والسنة ذاتها (٢٩ تموز ١٦٤٤)

ولمَّا مهر عميرة في دروسه وكل اليه امر تدريس رفقائه اللغة السريانية وألح عليه كثيرون بتأليف غراماطيق سرياني فنشط الى العمل ووضع باللغة اللاتينية اصول اللغة السريانية ورفع كتابه تقدمة الى الكردينال كايتاني قيّم الكنيسة الرومانيَّة .

فطبع الكتاب في مطبعة يعقوب لونا سنة ١٥٩٦ بعد ان اجازه مهردار البلاط البابوي الراهب الدومنيكاني توما طرّاق (De Terracina) ويوحنا المعمدان فهد الحصروني الماروني (١ . واما نفقات الطبع فجاد بها فرديننـدوس دوق اتروريا

وقد جاء المؤلف في مقدمته على ذكر الاسباب التي دفعته الى تصنيف هذا الكتاب منها قرار الطيب الذكر البابا اقليمس الخامس ومجمع ڤينة المنعقد في فرنسة بوجوب اقامة معاهد في اوربة تُعنى بتدريس اللغة السريانية فاراد هو ان يبذل جهده في تحقيق نيات الكنيسة المقدسة ثم مدح الكردينال كايتاني فقال : « اني اقدم لك هذا الكتاب كأنهُ ثمرة مقطوفة من شجر ارز لبنان والثمرة صلبة بذاتها لكنك ستسرّ بها بما انها مجلوبة من بلد سحيق وباكورة امثالها . . . لانهُ اول مؤلف من نوعه كُتب في بلاد رومانيَّة في اللغة اللاتينيَّة وهو لا يليق بمقامك بل هو عربون تعلقي واخلاصي الثابتين انا المزمع ان اعود قريباً الى سورية لتوسيع نطاق الايمان الكاثوليكي على قدر استطاعتي »

وقد نشّطهُ الى العمل فائدة الدارسين الاوربيين الراغبين في تعلّم السريانيَّة ومنفعة الموارنة الذين يرسلون الى رومية من سورية وقبرس ليتلقنوا العلوم الكهنوتية في مدرستها . وقد ذكر من لهم الفضل في حمله على هذا التأليف الكردينال باليوتي والمعلم الشهير يوحنا المعمدان ريوندوس . ثم الحق بالمقدمة بحثاً مطولاً في فائدة درس اللغة السريانية وقدسيتها وشرفها

---

١) يوحنا الحوشي الحصروني بن حاتم بن شمعون بن فهد (Leopardus) تلميذ المدرسة الرومانية دخل رهبنة مار عبد الاحد ثم استدعاه البطريرك يوسف الرزي ورقاه هو ويوحنا مخلوف الاهدني الى الاسقفية سنة ١٦٠٣ ثم ارسله سفيراً الى رومية لقضاء مصالح الطائفة وسفّر معه اربعة تلاميذ هم الشدراويان اسحق وسركيس والحصرونيان يوحنا بن الشدياق قورياقوس ومخائيل بن سعاده ابن عم الحوشي وعاد منها سنة ١٦٠٦ . ثم ارسله البطريرك الى حلب حيث نادى باتباع الحساب الغريغوري وكان رؤساء الطوائف المنفصلة دفعوا اربعة آلاف غرش لحريقه فحضر الى المحكمة وافحمهم . وكان واعظاً شهيراً ومؤلفاً مجيداً ترجم الى العربية قسماً من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني وصنف كتاب قطف الازهار في اللاهوت الادبي وفحص غراماطيق عميرة وخدم الطائفة نحو عشرين سنة ومات في رومية في دير صلب مار بطرس ١٦٣٢ . وهو المقصود بقول القس الياس عريضه النزيري في زجليته : ومطران حنا الحصروني : فسّر ناموس كرشوني . راهب حافظ قانوني . دابر يكرز بالرعية

وقرّظ الكتاب الاستاذ بطرس أورتاس الاسباني في منظومة رقيقة المعنى رشيقة المبنى ختمها بحث الشبيبة على اقتناء هذا السفر الجليل الفائدة القريب المنال . ونحا نحوه في المدح كل الذين كتبوا في هذا الموضوع منهم المثلث الرحمات المطران اقليمس يوسف داود في مقدمة كتابه اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية قال: «ومن بعد ابن العبري لم يظهر بين السريان كتاب معتبر في قواعد اللغة السريانية الى ان قام بين امة الموارنة السريانية الغربية الساكنة في جبل لبنان فحولٌ من الادباء الجبرين بهذه اللغة وصنّفوا كتباً شتى في ضبط قواعدها وذلك في القرون الثلاثة السابقة لعصرنا هذا اي السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر منهم جرجس عميرة الذي صنّف كتاباً مشهوراً في نحو اللغة السريانية باللاتينية واسحق الشدراوي ويشوع (الصحيح يوسف ابن حليب) العاقوري وابرهيم الحاقلاني وغيرهم»

وعدا هذا المؤلف قد ذُكرت لعميرة ترجمة «الجديدة الى السرياني» اوردها الخوري يوسف مارون الدويهي في كلامه عن بطاركة الموارنة ولم نفهم ما يقصد بذلك ما لم يكن مراده القول ان عميرة اهتم مع رفقائه بطبع كتاب القداس الماروني في المطبعة الماديشية في رومية تتميماً لرغبة الكرسي الرسولي وكان ذلك سنة ١٦٥٤ فجاءت الطبعة متقنة ذات حرف سرياني جميل ونقوش بديعة . على ان هذه الجمعة لم يسمح باستعمالها بداءة ذي بدء لسببين اولهما انه ترك فيها سهواً نافوراً ديونيسيوس بن حليب اسقف آمد الذي بدوه ܡܪܝ ܕܝܢܝܣܝܘܣ ويشوع بن شوشن . والسبب الثاني هو انهُ ابدلت فيه شيلة الكنيسة السريانية بالتي تستعملها الكنيسة الرومانية وحذفت دعوة الروح القدس وكان اتى هذا العمل الراهب الدومنيكاني الذي سبق لنا ذكره توما طرّاق دون ان يسترخص من الحبر الاعظم او يستشير البطريرك . فرومية حرّمت استعمال كتاب القداس هذا كما ان البطريرك منعه لدن وقوفه على هذا التغيير وحظّر التقديس بموجبه الّا انهُ اضطر بحكم الضرورة ان يبيح استعماله بعد مدة لانهُ لم يكن من واسطة لطبع غيره حالاً (راجع منارة الاقداس ٢ : ١٦٦ و١٦٧ و ٣٢٦ والطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية ٨٧)

وقال حضرة الاب شيخو في اللمحة المنوّه بها ان كتاب القداس هذا اضيفت

اليه ترجمة مار مارون نقلها الى السريانية عن تاودوريطس جرجس الكرمسداني (١ ومخائيل الادنيتي وجبرائيل الصهيوني

ورجع عميرة الى لبنان سنة ١٥٩٥ على ما رواه العلامة السمعاني في ترجمة هذا البطريرك (المكتبة الشرقية ج ١) ويثبت ذلك ما كتبه عميرة في مقدمة غراماطيقه السرياني وهو انهُ ألفهُ قبل رجوعه القريب الى سورية . وعلى كل فاننا نعلم انه كان عاد الى وطنه قبل وصول الابوين ايرونيموس دنديني وفابيوس برونا الى لبنان موفدين من لدن الكرسي الرسولي للاسباب التي سنذكرها . ولا بد لنا من ذكر كلمة عن احوال الموارنة في تلك الايام ليسهل على القارئ اللبيب ادراك بعض الحوادث التي اذا جرّدت مما يحيط بها ويسبقها ويليها تصبح غير مفهومة او تحمل على غير معناها وسنقتصر على الامور الجوهرية مستندين الى تقارير المرسلين والتواريخ المارونية وسواها

لاخلاف في ان حالة الموارنة الزمنية كانت شديدة الاضطراب في تلك الايام بسبب الغزوات المتوالية والبلص والنهب والحريق وما اشبه وكان لا مناص للشعب من اداء الضرائب ومال الظلم ولم يكن رجال الاكليرس في حرز من هذه المظالم . وقد ذكر الاب اليانو في تقريره الى الكرسي الرسولي انهُ رأى بالعيان السيد البطريرك يتوجه الى زيارة الشيخ يوسف حبيش كاخية الامير منصور بن عساف التركماني وينقده قسماً من المال الذي ارسلهُ قداسة البابا مساعدة البطريرك مع الاسقف جرجس البسلوقيتي (٢ ورفيقه الخوري اقليمس (٣ الاهدني من رومية . وكان اذا نزل الموارنة

١) سيأتي ذكر بعض ما عرفناه عنه

٢) جرجس البسلوقيتي مطران دمشق رقاه البطريرك مخائيل الرزي الى مطرانية دمشق سنة ١٥٧٧ وارسله في اليوم العاشر بعد ترقيته الى رومية مع الخوري اقليمس الاهدني لقضاء مصالح الطائفة واداء الطاعة للحبر الاعظم

عاد سنة ١٥٧٨ مع الاب اليانو وقد عاونه في ترجمة القانون قانوناً عربياً الملحقة بمجمع نيقية . واسمه مذكور في اللائحة التي أدرجت فيها القضايا التي ارسلها الاب اليانو الى البطريرك مخائيل الرزي ولما عاد الاب اليانو المذكور من رومية ارفده البطريرك الى طرابلس لاستقباله ثم حضر الاجتماع المنعقد في قنوبين ١٥٨٠ ووقع على ما جاء فيه وحضر انتخاب مركيس الرزي واما موته فترجح انه حدث بعد ذلك بمدة قليلة

٣) اقليمس الاهدني رفيق البسلوقيتي الآنف الذكر الى رومية وبعد رجوعه سيم اسقفاً وذكر اسمهُ في العهد الذي قطعه البطريرك والاساقفة بان يتموا اوامر قصاد الكرسي الرسولي سنة ١٥٨٠

من قراهم الى المدن الساحلية سخرهم اهلها المسلمون لقضاء امورهم واضطروهم الى نقل اثقالهم وامتعتهم وان امتنعوا عن ذلك قضوا عليهم بالاشغال الشاقة في دار الحكومة او في بيوت الخاصة

وكان لا بد للاهالي من الانحياز الى احدى فيئتي البلاد اي اليمنيين ذوي الرايات البيض او القيسيين ذوي الرايات الحمر وكان الامير منصور زعيم الفريق الاخير واليه تنتمي قرى كثيرة. اما الفريق الاول فيتبعه عدد كبير من المسلمين لكنهم في تلك الآونة لم يكن لهم زعيم

ولكثرة الضرائب وثقلها غادر قسم من الموارنة ضياعهم والتجأوا الى بلاد الدروز الذين عرفوا ببسالتهم وعدائهم للاتراك في تلك الايام. وكان قسم قليل من الموارنة يسكن بعض تلك القرى ثابتين على دينهم يؤدون العشور للبطريرك غير انهم في الخارج يتصرفون تصرُّف المسلمين يعتمون بعمامة بيضاء وان سُئلوا عن دينهم اجابوا انهم تابعون الدين الاسلامي وقد عرف هؤلاء بالبياضية . وبسبب انقسام مسلمي زمام البلاد بعضهم على بعض وسرعة تميّزهم على الرجال الذين كانوا يأتمرون بهم كان القلق متواصلاً واستمر الاهالي الى الانحياز الى فريق من الفريقين لئلا يصيبوا فريسة الفريقين وكان ينجم عن ذلك طبعاً دمار الارض ونقص الغلات

ومما يذكر انه في سنة ١٥٩٣ حدث قحطٌ في الاسعار في الشام فبيعت الغرارة بمائة غرش ومات من الجوع اناس كثيرون. ولا عجب فان الرفاه والرقي الاقتصادي لا يكونان الّا في بلاد توافرت فيها اسباب الراحة واستتب النظام

اما من حيث الروحيات فافاض في وصف الحالة الاب اليانو ثم الاب دنديني(١) وقد خطر لنا ان نبسط القراء ما بدا لنا في هذا الموضوع مستندين الى الوثائق التاريخيّة الراهنة لعلّهُ يكون من ذلك فائدة لفقه الامور التي جرت في تلك الازمنة . قال الدويهي في تاريخ الازمنة (وهو مخطوط) انه في سنة ١٥٩٥ سام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسف بن موسى اخيه اسقفاً (على دمشق) وارسله سفيراً الى

ثم عيّن مساعداً للبطريرك وذكر الدويهي وفاته سنة ١٥٩٨ ووصفه بالحازم واصالة الرأي . اوفده البطاركة مرات الى رومية

(١) اطلب حياتها في كتاب الاب شيخو «الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية»

البابا اقليمس الثامن بسبب قضاء امور الطائفة وليهنئه بارتقائه الدرجة المقدسة فاستقبله البابا باكرام وعند عودته ارسل صحبته قسيسين من شركة اليسوعية وهما جيرونيموس دنديني وفابيوس برونا ليتأملا الفائدة التي تصدر من التلاميذ الذين تربّوا في رومية.

وقال الاب دنديني في اخبار رحلته «انهُ كان بلغ مسامع الحبر الاعظم والكرادلة من مدة طويلة بعض الوشايات بحق الموارنة وكان قوم نسبوا اليهم عدّة اضاليل وبدع. وكان الموجودون منهم في رومية يسعون لتزكية طائفتهم الّا ان الامور لم تنجلِ فكان بعضهم ينفي والبعض الآخر يثبت ذلك حتى صعب الوقوف على الحقيقة (في رومية) ... واذ كان الكرسي الرسولي ينفق المبالغ العظيمة لتهذيب احداث الطائفة في المدرسة المنشأة لهم وقد اتى منهم آخرًا الى رومية فريق كبير لا يستطيع معظمهم ان ينكبوا على الدرس لغضاضة سنهم حتى ازدادت النفقات فسبب ذلك بعض الاستياء في الحاشية البابوية ولاسيما انه كان قد بلغهم ان الذين أنهوا دروسهم ورجعوا الى وطنهم في العام المنصرم (١٥٩٥) لم تعهد اليهم وظائف يقومون باعبائها مع كونهم اتقنوا الدروس الفلسفية واللاهوتية وبلادهم بغاية الحاجة الى عملة نشيطين يؤيدون الدين. فبناء عليه عزم قداسة الحبر الاعظم على ان يرسل رجلًا ثقة يبحث بحثاً دقيقاً عن احوالهم الدينية وامورهم الادبية ليوقف عند رجوعه الكرسيَّ الرسولي على ما لحظه وتبيَّنهُ ثم يسعى بحسن اختيار الاولاد الذين يرسلون الى المدرسة المارونيَّة من حيث بلوغهم العمر المناسب ومن حيث توقد الذهن ثم يهتمّ بان يولّى التلاميذ الذين انهوا دروسهم رعاية النفوس وتدبير كنائس طائفتهم» (عن كتاب رحلة الاب دنديني). وفي التعليمات الدقيقة الحكيمة التي زودها الاب كلوديوس اكواڤيڤا راهبيه الفاضلين تجد ما يحسن معرفته والاسترشاد به اذ انه بعد ان فصّل لهما ما يجب عمله تتميماً لاوامر الكرسي الرسولي قال: «انهُ في المعاطاة مع اي كان من الطائفة يجب التذكر انه لا بد من سبق الافتكار ان هذه الطائفة هي كاثوليكية من زمن بعيد جدًّا وهي طائعة ومحبة للكنيسة الرومانية واذا وجد بعض الاضاليل فيما يخص الايمان فذلك يُنسب الى معاطاتها مع سائر الطوائف المجاورة الهرطوقية او المنفصلة لا الى هرطقة تتمسك بها هذه الطائفة»

فاذا قابلت هذه الاقوال بما كان قاله البطريرك يوسف الرزي في عريضته الى الحبر

الاعظم (١٥ آب ١٦٠٣) وهو «ان علّة وجود هذه الاغلاط في الكتب المارونيّة ورواجها بين فريق منهم هو استعمالهم والهراطقة لغةً واحدةً في طقوسهم» سهل عليك ان تدرك الاسباب التي حملت البعض على اتهام الموارنة بالهرطقة ونسبة الاضاليل اليهم وهم يتبرّأون منها بحق لانها ليست لهم حقيقةً ولا هم بها متمسكون

وكذلك زعم كثيرون من الذين اتوا لبنان قبل الاب اليانو ان الموارنة ارتدّوا الى الكنيسة فعيّن الواحد عهدًا لهذا الارتداد خالفهُ فيه الآخر وهلم جرًّا حتى ان بعضهم نسب الى البطريرك جرجس عميرة نفسه هداية طائفته الى الايمان الكاثوليكي . ولما كان اغلب هؤلاء الزائرين يعودون الى الغرب وينشرون فيه رواية رحلاتهم دون ان يدركوا عادات الشرقيين كان يضطرب من مطالعتها فكرُ قرائهم وتشيع كتبهم فيهم لما خصوصاً في رومية رجال الكنيسة الساهرة بعين يقظى على صحة الايمان وسلامة الاداب واستقامة التعليم

فضلاً عن ان بعضاً من موارنة قبرس كانوا قد رفعوا عرائض الى الكرسي الرسولي بما يتهمون البطريرك مخائيل الرزي انه عالمٌ للبعاقبة لانه من قرية بقوفا حيث كان نزل بعض هؤلاء الهراطقة . وكان قد حضر احد اساقفتهم الى قنوبين يوم كان المجمع منعقدًا في ١٦ آب ١٥٨٠ يصحبهُ احد علماء طائفته فعرضا ما عن لهما من الاعتراضات فافحمهما الاب اليانو . لكن اهل عدن كانوا طردوا هؤلاء اليعاقبة من بقوفا من مدة ولم يبقَ فيها غير الموارنة الخاضعين للكرسي الروماني

وقد اتخذ خصوم بيت الرز هذه الحجة مرات كثيرة ليسوّدوا صحيفتهم في رومية مستندين الى ما قدّمنا

فهل من سبيل بعد هذا الى الاندهاش من امتعاض البطاركة الذين قاموا من عائلة بيت الرز الكريمة مما يرشقهم به اعداؤهم من التهمات وهل كان يمكنهم السكوت عن هذا الحيف اللاحق بديتهم وبصيت طائفتهم عموماً

ثم لا بدَّ من التنبيه الى ان بطاركة الطائفة المارونيّة لما كانوا يرسلون الى رومية موفدين ينوبون عنهم بتقديم واجب التهنئة والخضوع للاحبار الاعاظم كلّما تبوأ احدهم الكرسي الرسولي كان بعض المؤرخين يستنتجون ان البطاركة كانوا في جميع تلك الفرص يطلبون التثبيت ودرع الرئاسة او يجحدون هرطقة (لها بقيّة)

المخطوطات العربيَّة لكتَبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمَّة)

زيادات واصلاحات

على من تقدَّم ذكرهم

(اشرنا الى كلّ كاتب بذكر عدده السابق)

١ ﴿آدم﴾ جرمانوس. باع مؤخرًا جناب الكتبي يوسف افندي اليان سركيس انجيلهُ الذي سرد فيه رواية الانجيليين الاربعة من شماس قبطي. امَّا المنشور الذي كتبهُ في ذلك فنشرناهُ في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٦١٩–٦٢٦). وفي مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق نسخة من ترجمتهِ لمجموع المجامع

٣ ﴿ابراهيم الطبراني﴾ من مجادلتهِ نسختان في مكتبة باريس العموميَّة (Paris, Mss 214², 215²) يقال في الثانية انهُ كان راهباً في دير الرها. ومنهُ نسخة في مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII, p. 244, n° 73) وفيها ورد انهُ هو المعروف بابي قرَّة (فيكون غير ثاودورس ابي قرَّة اسقف حرَّان)

١٠ ﴿ابن بختيشوع﴾ عبيد الله. نسخة من كتابهِ روضة الطبيب عند الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف. ثمَّ ان عند الوجيه احمد باشا تيمور نسخة من كتابهِ منافع الحيوان

١٧ ﴿ابن التلميذ﴾ موفَّق الملك. من مقالتهِ في الفصد نسخة في مكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 317, n° 20¹)

١٨ ﴿ابن جزلة﴾ من كتابهِ منهاج البيان نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة. وهذا الكتاب لم يُطبع. وانَّما طُبع في دمشق سنة ١٣٣٣ كتابهُ تقويم الابدان الذي منهُ ايضاً نسخة في مكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 472, n° 110)

٢١ ﴿ابن الخطَّاب﴾ يُدعى ايضاً دانيال بن عيسى. في المكتبة الفاتيكانيَّة (BO, II, 244) وفي مكتبتنا الشرقيَّة ومكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI,

(p. 306, n° 4) نسخة من كتابهِ الاشراق في الاصول الدينيَّة

٢٦ ﴿ابن الزعيم﴾ بولس . روى لهُ حضرة الخوري قسطنطين الباشا نخبةً من سفر والدهِ البطريرك مكاريوس . وجاء هناك انَّ بولس المذكور توفي مسموماً في تفليس في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٩

٣٠ ﴿ابن صليبي﴾ ذكرنا اسمهُ دفعتين هنا وتحت العدد ١٨٦ باسم برصليبي فليراجع

٣١ ﴿ابن العبري﴾ دخلت في مكتبتنا الشرقيَّة مؤخَّراً نسخة من كتابهِ الاحاديث المطربة فنشرناها في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٧٠٩ ; ٧٦٧) وقد ذكر لهُ القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 462, n° 75) كتاباً في شرح الاناجيل مع ديونيسيوس برصليبي ولا نعلم شيئاً من امر هذا الكتاب . وذكر لهُ ايضاً رسالة في النفس في ٢٦ فصلاً غير التي ذكرناها (ibid. p. 300, n° 1) ثمَّ الحقها برسالة اخرى في ٦٥ فصلاً تجدها مع اختلافات عديدة في مقالة ابن العبري التي نشرناها في مجموعنا الفلسفي (ص ٧٦–١٠٢) واضاف اليها كتاباً للمؤلف عينهِ في الحكمة يحتوي على اربع مقالات في المنطق والطبيعيَّات والالهيَّات والادبيَّات . والكتاب حديث كما يظهر من وضعهِ ولا نعلم شيئاً عن صحَّة روايتهِ مع ما يتضمَّنهُ من المواضيع السحريَّة ولعلَّهُ ترجمة عربيَّة من كتابهِ السرياني (ܚܟܡܬܐ ܕܡܫܝܚܐ) الذي ذكرناهُ في ترجمتهِ (ص ٢٦) . ولابن العبري ايضاً في مكتبة الوجيه احمد باشا تيمور نسخة من مختصرهِ الكتاب الفائق في الادوية المفردة (اطلب ترجمتهُ ص٣١)

٣٨ ﴿ابن القف﴾ في دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين نسخة من كتابهِ الاصول في الفصول لبقراط

٤٤ ﴿ابن ماري﴾ روى المنسنيور جرجس منش في الرسالة المصوَّرة (٢٧ ايلول١٩٢٢) انهُ ورد ذكر نسخة من مقاماتهِ في قائمة المخطوطات التي جمعها جبرائيل حوشب مطران حلب على الموارنة

٤٥ ﴿ابن ماسويه﴾ لهُ ايضاً في المكتبة الخديويَّة (اطلب قائمتها ٥ : ٢٢٧) كتاب طبي عنوانهُ «كتاب الازمان وذكر ما استُعمل في كل وقت وآن» ومنهُ نسخة اخرى في مكتبة القس بولس سباط (EO, 1923, p. 462, n° 74) وجاء هناك

اسم الخليفة (Mançourt) كخلف لهارون الرشيد وهو تصحيف (Mamoun) المأمون

٤٨ ﴿ ابن مخلوف ﴾ افادنا حضرة الخوري بطرس غالب في ترجمة حياته المنشورة في المشرق انهُ ألف سنكسارًا على نسق السنكسار الروماني . واما هو السنكسار الذي وقفنا عليهِ آخرًا في مكتبة مار عبدا . ومن المحتمل ايضاً انهُ هو الكتاب الذي دعاهُ ببستان القديسين الذي اشار اليهِ في مقدّمتهِ على سيرة السيد المسيح التي وصفناها . ووقفنا لهُ هناك على ردود كتبهُ لتفنيد اعتراضات بعض المسلمين على الدين المسيحي

٤٩ ﴿ ابن المطران ﴾ وجد الاديب محمّد افندي رضا الشبيبيّ ١٥ كرّاساً من كتابهِ المفقود المسمّى بستان الاطبّاء وروضة الالبّاء (اطلب مجلّة المجمع العلميّ ٣: ٢—٨)

٥١ ﴿ ابن المقفّع ﴾ ساويرس . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة كتاب في اعتقاد اليعاقبة بخصوص الطبيعتين في السيّد المسيح مع الردّ عليهِ في ٢٠ فصلًا لالياس بن فخر

٥٣ ﴿ ابن الناعمة ﴾ في مكتبتنا الشرقيّة ترجمة اثولوجيا ارسطو أصلحها يعقوب ابن اسحاق الكندي لاحمد بن المعتصم وقد طُبعت في برلين سنة ١٨٨٢ بهمّة المستشرق ف . دياتريشي (F. Dieterici)

٥٦ ﴿ ابو البركات ﴾ ابن كُبر المتطبب المتوفّى نحو السنة ١٣٢٥ كان كاتباً للامير ركن الدين بيبرس المنصوري الخفاني وساعدهُ في تأليف كتابهِ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (ROC, 1920-21, p. 373-395) . لهُ في مكتبة اوبسالا نسخة من كتابهِ السلّم الكبير في معجم اللغة القبطيّة

٦٠ ﴿ ابو الخير بن المسيحيّ ﴾ وقفنا ايضاً على كتابهِ الطبي المدعوّ بالاقتضاب عند الدكتور امين جميّل

٦١ ﴿ ابو الخير بن الطيّب ﴾ من كتابهِ دريّاق المقول في علم الاصول نسخةٌ في مكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 337, n° 47)

٦٤ ﴿ ابو سهل الجرجاني ﴾ لدى القس بولس سباط قسمٌ من كتابهِ ديوان الطبّ (EO, XXVI, p. 303, n° 2)

٦٧ ﴿ابو الفرج بن الطيّب﴾ ذكر لهُ ابو البركات في قائمته (Riedel, 653) ما خلا الكتب الموصوفة في هذا العدد مقالةً في التوبة وتحصيل معناها واقسامها في ١٤ باباً. وقد دُعي كتابهُ فردوس البيعة بفردوس النصرانيّة وفردوس الاورثذكسيّة للطائفة النصرانيّة (Ms de Paris, 250¹ et 252²)

٧٠ ﴿ابوجي﴾ الاب اليسوعي. من مخطوطاته ايضاً في مكتبتنا الشرقيّة «كتاب رؤوس التنين السبعة في السبع الخطايا الرئيسيّة. قد فُقد قسمٌ منهُ

٧٢ ﴿اثناسيوس الاسكندري﴾ القديس. في مكتبتنا الشرقيّة نسختان من ترجمته للقديس انطونيوس معرَّبتان بتصرُّف عن تأليف القديس اثناسيوس. وفيها ايضاً نسخة ثانية من كتابهِ الردّ على اليهود. ثم نسختان من الامانة المنسوبة اليهِ (Symbolum Athanasianum) وفي دير الشير من هذه الامانة نسخة كُتبت سنة ١٦٥٠ وقد طُبع في مصر سنة ١٩٢٢ كتاب «نور الانوار في منظر الابرار» يحتوي على رؤيتين عظيمتين للقديس اثناسيوس الرسولي والانبا اغريغوريوس

٧٣ ﴿اثناسيوس الانطاكي﴾ البطريرك. المرجّح انهُ هو معرّب ترجمة القديس يوحنا فم الذهب لجرجس البطريرك القسطنطيني «ويروى الاسكندري» في القرن الثاني عشر. كما انهُ عرّب خطابي القديس في الدفاع عن اوترويوس وفي فضيلة قراءة الكتب المقدّسة وكلتاهما في آخر ترجمة القديس. ثمَّ انَّ في المكتبة الاورنيّة في حلب نسخة من كتابهِ في صناعة الفصاحة

٧٥ ﴿اثناسيوس التوتنجي﴾ مطران طرابلس الرومي الكاثوليكيّ. هو مؤلف مقالة في الحساب الغريغوري الذي طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٨٥٧ وفي آخرها رسالة لهُ في انبثاق الروح القدس من الآب والابن

٧٦ ﴿اثناسيوس مخلّع﴾ توفّي سنة ١٨١٣. لهُ في مكتبتنا الشرقيّة تعريبهُ عن اليونانيّة سنة ١٧٩٩ «لردّ على الكاثوليك دعاهُ «كتاب الجواب في باب الاغتصاب» لكاتب مجهول

٨٣ ﴿ارنودي﴾ الاب اليسوعي. كتابهُ في شرح المزامير المطبوع في المطبعة المخلّصيّة هو مختصر من شرح الطوبوي الكردينال بلرمينوس

٨٦ ﴿الازمرلي﴾ بولس العبراني. من ردّهِ على اليهود نسخة في احد مجاميع

مكتبتنا (ص ٢٩٦–٣٧٢) وقد طُبع هذا الردّ تحت العنوان الآتي : « هذا كتاب تأليف بولس الازمرلي النصيح المسمّى بالبرهان الصحيح في اتيان المسيح » ولا ذكر لمكان الطبع ولا للسنة

٩٠ ﴿اسحاق الكبير﴾ لدى القس بولس سباط مجموعة ميامر بينها ميمران في الموت والتوبة للقديس اسحاق الكبير (EO, XXVI, p. 314, n° XV^le et 1^le)

٩٢ ﴿اسحاق بن جبير﴾ من كتابه مدرك النجاة نسخةٌ في مكاتب اللويزة (فيطرون) وديار بكر (للكلدان) وحلب (للموارنة) . وكذلك نسخة من كتابه العلل لدفع الملل نسخة عند القس يوسف حبيقة الراهب اللبناني

٩٦ ﴿اسكندر﴾ القس اندراوس الماروني . في مكتبة دير كفيفان نسخة من تعريبه لتساعيَّة اكراماً للقديس انطونيوس الكبير ألّفها الاب اليسوعي فرنسيس غلوسيوس بالايطاليَّة . وهذه التساعية اصلح عربيَّتها القسّ نعمة الله الكفري سنة ١٨٧٠ وقد نشرها بالطبع القس افرام الديراني في كتابه العيشة الهنيَّة في الحياة النسكيَّة دون ذكر مؤلفها

٩٧ ﴿اشعيا﴾ القديس الناسك . في مكتبة القبر المقدّس (٤٦) وصايا لقديس اشعيا الناسك

٩٩ ﴿اغابيوس القريطشي﴾ كتابهُ خلاص الخطأة طُبع ملخّصاً في القدس سنة ١٨٨٩ وفي آخره ملحق في اللاهوت الادبيّ للكاهن الروسي كوتشيطوف . امّا كتابهُ الفرائد اللطاف فانّ معرّبهُ «يوسف المصوّر» لا «يوسف صادر»

١٠١ ﴿اغابيوس مطر﴾ يراجع ايضاً العدد ٧٣٨

١٠٥ ﴿اغناطيوس الاورلياني﴾ يُذكر لهُ كتاب في اثبات عقيدة المطهر (H. de Barenton, p. 125) . امّا تعريبهُ لكتاب الاقتداء بالمسيح فقد طُبع في باريس سنة ١٦٩١

١١٤ ﴿اقليميس﴾ في مكتبة القس بولس سباط نسخة من قوانينه الرسوليَّة المختلقة (EO, XXVI, p. 331, n° 40)

١٢٠ ﴿الياس الموصلي﴾ ورد للقس بولس سباط (EO, XXVI, p. 471, n° 108) ذكر نسخة من رحلة القس الياس الموصلي الى اميركة . ومن وصفها يتّضح

انَّها النسخة التي نقل عنها المرحوم الاب انطون رباط طبعتهُ وكان وجد الاصل في مكتبة اسقفيَّة السريان في حلب فاستنسختاها . ومن هذه الرحلة نسخة اخرى في لندن في نظارة الهند وضعها سلامه افندي موسى في المقتطف سنة ١٩٠٩ (ص ٨٦٠و١١١٢)

١٢٢ ﴿الياس بن فخر﴾ الطرابلسيّ . تقرَّبَ من البروتستانت فجعلهُ قنصل الانكليز في حلب ترجماناً لدولته فاظهر المعاداة للكاثوليك . ومن كتبهِ المضادة للكثلكة كتاب «عقد الجمان في نقض الهذيان» في ١٩ فصلاً منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ولهُ فيها ردّ على ساويرس بن المقفع في اثبات طبيعتي السيد المسيح

١٥٠ ﴿ايرودس﴾ انطونيوس . في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من تأملاتهِ وقد قسمها الى خمسة فصول في عدد الهالكين والمختارين

١٥٥ ﴿ايقاغريوس﴾ الراهب . لهُ في مكتبة باريس (Paris, *Ms*, 157³) (ويُدعى هناك وَغري) كتابٌ في شرف العيشة النسكيَّة في ٣٥ فصلاً . يحتوي ايضاً ترجمة المؤلف صنَّفها احد تلامذته .

١٦٢ ﴿بانسيوس الساقزي﴾ كان تلميذ اليسوعيين في رومية في مدرسة القديس اثناسيوس (اطلب ترجمتهُ في نخبة الخوري قسطنطين الباشا من سفر مكاريوس ص ١٣٧) . وذكر لهُ لوكريان (Lequien, *Or. Chr.* II, 620) كتاباً في سرّ الافخارستيَّا

١٦٣ ﴿بابيلا﴾ الخوري يوسف . لهُ في مكتبة دير الشير انتقادات على ترجمة المزامير المطبوعة في الشوير سنة ١٧٤٧ مع جواب عبد الله زاخر على تلك الانتقادات سنة ١٧٤٨ . وقد اوقفنا احد الكهنة الافاضل على كتاب آخر لهُ يُدعى «شرح العقيدة العديمة الدرك بدحض اجوبة الخوري يوسف مرك» يردّ فيهِ على ما كتبهُ ذلك الخوري الروم الاورثذكسيّ لنفي انبثاق الروح القدس من الآب والابن نقضاً لما كتبهُ جبرائيل بن نصرالله جلده تلميذ الخوري بابيلا

١٧٢ ﴿باسيليوس الكبير﴾ القديس . قد دخلت حديثاً نسخة جديدة من اجوبتهِ على مسائل القديس غريغوريوس النزينزي في مكتبتنا الشرقيَّة . ومن مآثرهِ في مكتبة باريس (Ms. 258¹¹) مديحهُ للاربعين شهيداً

١٧٤ ﴿باسيليوس الطوراني﴾ في مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 473, n° 113) نسخة من كتابه مركبة الاسرار العقليّة

١٧٦ ﴿الباني﴾ الخوري يوسف (الطلب المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٦١٢) . قد عرّب ايضاً رسائل القديس بولس لكرنيليوس الحجري. منها نسخة في مكتبة الموارنة في حلب تاريخها سنة ١٧١٥ يقال هناك انهُ «ترجمها لاجل العابد ميخائيل فرحات المارونيّ الحلبيّ»

واملهُ هو معرّب تفسير ٧٥ مزموراً لكرنيليوس المذكور منهُ نسخة في الدار البطريركيّة للروم الكاثوليك في دمشق . وهناك نسخة من تعريبه لتفسير الحجري على رسالة القديس بولس الى الرومانيين. وفي مكتبة مدرسة الصلاحيّة في القدس نسخة من تعريبه لشروح الاناجيل وبعض الرسائل ورؤيا مار يوحنا (Or. Chr., 1914, p. 89) وكذلك نسخة من تعريب بعض الرسائل في مكتبة القس طانيوس شبلي — وفي مكتبة الموارنة في حلب نسخة من تعريبه لكتاب القديسة ترازيا قامة النفس — ومن ترجمته لكتاب ميزان الزمان نسخة بالكرشوني في ديرنا في بكفيا وفي مكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p 469, n° 97). طُبع الكتاب في الشوير سنة ١٧٦٩ — وهو معرّب كتاب تأملات جيتّم المريمة وحماقة الخطأة العظيمة الذي طُبع ايضاً في الشوير سنة ١٧٦٩ . منهُ نسخ خطيّة في مكتبتنا الشرقيّة — ومن ترجمة كتابه «الراهب المشتاق» نسخ شتى في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الموارنة في حلب ومكتبة الروم الكاثوليك في دمشق وعند الشمّاس شكري أيوب والاديب نقولا أيوب . وقد عرّب ايضاً عن اللاتينيّة مختصراً في السبع الفضائل والسبع الرذائل في ١٦ فصلاً منهُ نسخة في مكتبة الموارنة في رومية وفي مكتبتنا الشرقيّة

١٧٩ ﴿مجمع﴾ الخوري ميخائيل . في مكتبة دير الشير نسخة من كتابه «العظات الادبيّة المرشدة والتعاليم الروحيّة المنتقدة»

١٨٦ ﴿برصليبي﴾ عند القس بولس سباط شرح للاناجيل بالكرشوني منسوب الى ابن العبري وبرصليبي (EO, XXVI, p. 462, n° 75) . مرَّ ذكرهُ في حرف الالف (ابن صليبي) في العدد ٢٦

١٩١ ﴿بركلوس الجرماني﴾ ذكر القس بولس سباط ان في مكتبته نسخة

من كتابهِ «الطب الجديد الكيماوي» (ROC, XXII p. 294, ,n° 3) وهو يدعوه هناك Bar Aklis (sic) وهو تصحيف اسم Paracelse

٢٠٩ ﴿بطرس اسقف مليج﴾ في مكتبة باريس بين كتبها السريانيَّة (Paris, Syr., 2326[2]) نسخة من كتاب الإشراف الذي ردَّ فيهِ على الارمن مع شذرات اخرى لهُ

٢١٠ ﴿بطرس الدَّمنتي﴾ نظمهُ ابنُ العسَّال في جملة الذين روى عنهم فسمَّاه القس الاجلّ العالم الراهب بطرس الارمنيّ . ومما ذكرهُ لهُ في لائحتهِ القس ابو البركات ابن كبر (ص ٦٦١) كتاب تصحيح الاعتقاد في آلام سيّدنا يسوع المسيح وبيان الحقّ فيهِ على الوجه الصحيح

٢١٨ ﴿بلّاديوس الراهب اللبناني﴾ وجدنا لهُ في دير الشير كتاب تعاليم رهبانيَّة وجيزة مرتَّبة لارشاد المبتدئين على سبيل السؤال والجواب في ١٥ باباً تاريخهُ سنة ١٧٦١

٢٣١ ﴿بودران﴾ الاب اليسوعيّ . كتابهُ في عواقب الانسان هو غير المذيذ الثاقب في الاربع العواقب . والذي عرَّبهُ هو الخوري بولس ضوء

٢٢٨ ﴿بنيامين﴾ المطران جرجس الاهدني والراهب اليسوعيّ ورد تاريخ وفاته بالغلط سنة ١٧٧٥ والصواب ١٧٥٥

٢٣٦ ﴿بوزنباون﴾ ليس تعريب كتابهِ في اللاهوت الادبي للاب ميخائيل نو اليسوعي لانَّ هذا عاش قبل بوزنباون . وانَّما هو للاب ميخائيل سيمبو (اطلب العدد ٧٨١)

٢٧١ ﴿توما الاكويني﴾ القديس . من ترجمة خلاصتهِ اللاهوتيَّة نسخةٌ مخطوطة في مدرسة عين تراز وفي مكتبة الموارنة في حلب

٢٧٨ ﴿التيَّان﴾ السيّد البطريرك يوسف . ذكر لهُ الخوري غبريل في تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة (٢ : ٢٩٨) كتاباً كبير الحجم يشتمل على عظات وامثال وضعهُ تسهيلاً على الواعظين

٢٨٧ ﴿جراسيموس﴾ رئيس دير مار سمعان . يوجد نسخة من كتابهِ الكافي في المعنى الشافي في مكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 335, n° 49[3])

٢٨٩ ﴿جرجس البطريرك الاسكندري﴾ أصلح : البطريرك القسطنطيني ـ جرجنيوس ـ اطلب غريغوريوس الحبشي (ع ٥٨٢)

٣٠٦ ﴿جيزو ماريا﴾ الاب الكرملي . في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من كتابهِ منخز الضمير

٣١٩ ﴿الحدَّاد﴾ الخوري كيرلُّس . لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك البطريركيَّة في دمشق كتاب السلسلة الذهبيَّة في شرح النسبة المخلصيَّة (في مولد السيد المسيح وطفوليَّتهِ)

٣٢٠ ﴿حسُّون﴾ رزق الله . في مكتبة دمشق للروم الكاثوليك نسخة من كتابهِ حصر اللثام عن الاسلام

٣٢٣ ﴿الحصروني﴾ المطران يوحنَّا فهد بن حاتم الحوشبي . وقفنا لهُ في مكتبة مدرسة مار عبدا على كتاب ضخم مخطوط سنة ١٦٥٠ عنوانهُ مقتطف الاسرار النصرانيَّة

٣٢٤ ﴿الحصروني﴾ المطران يوسف بن نعمة بربور . يروى تاريخ وفاتهِ في ١١ ك١ ١٦٥٥ . ينسب اليهِ في مكتبة مار عبدا كتاب احتجاج الكنيسة اليونانيَّة عن ايمانها . تاريخهُ سنة ١٦٩٤

٣٢٦ ﴿حكيم﴾ السيد مكسيموس البطريرك . في مكتبة باريس (ROC, XIV, p. 176) نسخة من تأليفهِ « ايضاحات يقينيَّة في كينيَّة انشقاق الروم عن الكنيسة الكاثوليكيَّة . وكذلك نسخة من كتابهِ الايضاحات الكاثوليكيَّة في مكتبة الشدياق شكري أيُّوب . ومن تجديداتهِ نسخة في الدار البطريركيَّة الكاثوليكيَّة في دمشق في ١٢ رأساً كُتبت سنة ١٧٣٣

٣٢٨ ﴿حنين بن اسحاق﴾ في مكتبة الوجيه احمد باشا تيمور نسخة من كتابهِ تركيب العين وعللها وعلاجها (مجلَّة المجمع العلمي ٣ : ٣٣٨) ثمَّ نسخة من ترجمتهِ لكتاب جالينوس في الاعضاء الآكلة وفي اسباب الامراض

٣٣٣ ﴿خديد﴾ السيد جبرائيل . ورد اسمهُ ايضاً على صورة « كديد »

٣٤٥ ﴿الدبسي﴾ يواصف البسكنتاوي مطران صور . وجدنا لهُ في مكتبة الرهبان الانطونيانيين في بحرصاف كتاباً في الفلسفة اي الطبيعيَّات والسمع الطبيعي

يبحث عن العالم وأجزائهِ. انتهى من تصنيفهِ في ٢٨ آذار سنة ١٧٣٧ في دير مار بطرس ومرشلّين في رومية

٣٥٦ ﴿دوروتاوس اسقف مونوفاسية﴾ ينسب البطريرك مكاريوس الحلبي اليهِ التاريخ الذي عرّبهُ فدعا القسم الاوّل منهُ التاريخ الرومي العجيب الجديد من اوّل العالم الى قسطنطين. والقسم الثاني دعاهُ الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم. كتب ذلك في اوّل مقدّمتهِ على القسم الاوّل. ثمّ نسب القسم الثاني لمتى جيفالا في نسختنا

٣٦٤ ﴿الدويهي﴾ يوسف مارون في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من رسالتهِ في شرف الرهبانيّة اللبنانيّة في اربعة فصول مع مقدّمة وخاتمة

٣٦٨ ﴿ديونيسيوس الاريوباجي﴾ في مكتبتنا الشرقيّة في بعض مجاميعها «رسالة القديس ديونيسيوس قاضي مجلس العلماء الى ديوفيلوس خادمهِ في مراعاة الكنيسة ثمّ كلامهُ في الخير والشرّ»

٤٠٣ ﴿ستلّا﴾ . في مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق نسخة من تعريب البادري رفائيل ونتايول لكتابهِ في احتقار اباطيل العالم

٤٢٤ ﴿السنيري﴾ الاب اليسوعي . في مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق نسخة من مواعظهِ للصوم عرّبها اسطفانس القبرصي تلميذ رومية . ومن ارشاداتهِ الادبيّة (المواعظ السديدة) في عدد ٨٢ عظة

٤٢٦ ﴿سيرينو﴾ ملاتيوس دخل مؤخرًا في مكتبتنا الشرقيّة كتابهُ «البراهين الواضحة السنيّة في الردّ على الآراء الكلوينيّة واللوترانيّة»

٤٤٦ ﴿الشدياق﴾ الشيخ طنوس . اختلفوا في سنة وفاتهِ قبل سنة ١٨٦٠ وقيل ١٨٦١ و ١٨٦٤ . امّا سليم ابن اخيهِ فارس فكانت وفاتهُ في باريس في ٢٧ ك ٢ سنة ١٩٠٨

٤٥١ ﴿الشرتوني﴾ الشيخ سعيد . لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق كتاب الزهرة العلميّة في الاصول المنطقيّة

٤٨٥ ﴿الصبّاغ﴾ الخوري انطون . لهُ في المكتبة الخديويّة في مصر كتاب تاريخ روسيّة صنّفهُ مع الياس فخر سنة ١٧٧٢ . ولهُ ايضاً ردّ على محاماة يوحنّا باطشتا باذنجانه لايمان الموارنة . وفي مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق مجلّد من

تعريبه لتاريخ الكردينال اورسي

٤٥٢ ﴿شقير﴾ شاكر . يُضاف الى مخطوطاته معجم للمفردات الوضعيّة والاصطلاحات العلميّة بالفرنسويّة والعربيّة

٤٦٢ ﴿شمعون المفريان﴾ كانت وفاتهُ سنة ١٧٤٣ قتلهُ احد امراء الاكراد . وقد ذكر لهُ حضرة القس اسحاق ارملة (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٦٦٣) كتابين آخرين هما كتاب تفسير الصلاة الربيّة والفلس الاخير ثمّ كتاب الدرّ الثمين . وقد دعا كتابيه الاسرار العقليّة وتسبحة الساروفيم بمركبة الاسرار واجنحة السرافين

٤٦٤ ﴿شمّاع﴾ الخوري عمّانويل . كانت وفاتهُ سنة ١٧٩٨ لا ١٧٨٨

٤٩٧ ﴿صفرونيوس﴾ في مكتبة القس بولس سباط نسخة من كتابيه بستان الرهبان والبرهان في تثبيت الايمان (EO, XXVI, p. 332, n° 44 et p. 468, n° 95)

٥١٤ ﴿الطحّان﴾ القس جرجس . لهُ في مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق نسخة من تعريبه لتاريخ كلاوديوس فلوري (Cl. Fleury)

٥٣٤ ﴿عبده﴾ السيّد اغريغوريوس . لهُ في الدار البطريركية في دمشق مجموع مواعظ تاريخهُ سنة ١٨٦٩

٥٣٦ ﴿عبدالله بن الفضل﴾ ومن آثاره ايضاً مقالة في عناية الله في مكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 332, n° 43) وتعريب اجوبة القديس قيساريوس على مئة سؤال (ib., p. 333, n° 45) ولهُ في مكتبتنا الشرقيّة مقالة في قضاء الله وقدره

٥٣٨ ﴿عبد المسيح الاسرائيلي﴾ كان اسمهُ قبل تنصّره « اشير بن لاوي » (Steinschneider: *Polemische Literatur*, p. 116)

٥٥١ ﴿عطا﴾ السيّد غريغوريوس . لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق مجموع يحتوي : ١ً سلسلة البراهين في البطاركة الانطاكيين الكاثوليكيين . ٢ً الجامع الانطاكيّة لطائفة الروم الكاثوليكيّة . ٣ً جدول اسماء مطارنة الطائفة الذين وُجدوا في المجامع

٥٦٢ ﴿عوّاد﴾ البطريرك سمعان . لهُ ايضاً في مكتبتنا الشرقيّة نسخة من

تفسير الانجيل مكتوبة بالكرشوني بخط المرحوم منصور الحكيم

٥٦٧ ﴿عيسى بن علي﴾ في مكتبة الوجيه احمد باشا تيمور نسخة من كتابه تذكرة الكحّالين وهو يُدعى هناك «علي بن عيسى» (مجلّة المجمع العلمي ٣: ٣٣٨)

٥٧٣ ﴿الميطوريني﴾ الشمّاس انطانيوس . في بحرصاف في دير الرهبان الانطونيانيين نسخة من تاريخه

٥٧٤ ﴿غالوزي﴾ الاب فرنسيس كانت وفاتهُ سنة ١٧٥١

﴿فخر﴾ - اطلب الياس (في العدد ١٢٢)

٦٠٩ ﴿فرحات﴾ المطران جرمانوس . لهُ ايضاً كتاب قاعدة حياة النساء الصالحات في مكتبة القس بولس سباط (EO, XXVI, p. 326, Ms 36) . وفي مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق تآليف تقويّة وتأمّلات مختلفة لجرمانوس فرحات

٦٢١ ﴿الفضل بن ابي الفضائل﴾ والصواب «المفضّل» اطلب العدد ٧٤٥

٦٣٧ ﴿القدسي﴾ غريغوريوس نعمة . من شرحهِ للاجرومية نسخة في مكتبة مدرسة مار عبدا

٦٣٨ ﴿قرا علي﴾ المطران عبدالله . في مكتبة مدرسة مار عبدا هرهريًا نسخة من كتابهِ المصباح الرهبانيّ . ومن كتابهِ المدعوّ اسئلة فقهيّة في الشرع تاريخهُ سنة ١٧٣٨ . ولهُ في مكتبة بكركي البطريركيّة مجموع مواعظ بخطهِ . وكذلك لهُ فهرست آيات وحكم من الكتاب المقدس لافادة الواعظين . ولهُ ايضاً افراميّات بالغ عددها نحو الثلثين

٦٤٩ ﴿الكاتب﴾ الخوري سابا . قد عرّب كتاب الفلسفة للاب اليسوعي سيجسموندي سركينا الذي طُبع على الحجر سنة ١٨٥٥ في دمشق

٦٥٧ ﴿كرابس﴾ المطران اغناطيوس . لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق كتاب الفرائض الارشاديّة لبنات الروم الملكيّة

٧١٩ ﴿مبارك المتيني﴾ الراهب اللبناني . في مكتبة القس طانيوس شبلي كتابان من مخطوطاتهِ وهما تعريب كتاب اللاهوت للاب فالوي اليسوعي ثم كتيّب في الشكران بعد التناول للاب غوستاف ڤيلفرانش اليسوعي

٧٣٧ ﴿الصوّر﴾ الخوري يوسف . في دير المخلّص نسخة من كتابهِ « الفرائد

اللطاف في شروط الاعتراف» لاغابيوس القريطشيّ

٧٣٨ ﴿مطر﴾ قد مرَّ في العدد ١٠١ تحت اسم اغابيوس

٧٣٩ ﴿المطران﴾ الخوري يواكيم . في مكتبة دير المخلّص نسخة من كتابهِ الغصن الوريف في معنى التقديس الشريف . وفي المكتبة البطريركيّة للروم الكاثوليك في دمشق نسخة من كتبهِ منارة الاقداس ومن الاصول المنطقيّة ومن مواعظهِ (بخطّهِ)

٧٤١ ﴿مظلوم﴾ البطريرك مكسيموس . لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك البطريركيّة في دمشق خبر انشقاق الروم في ١١ فصلاً . والنسبة البرهانيّة التاريخيّة في الملّة الروم الكاثوليكيّة . ونسختان مخطوطتان من كتابهِ الكنز الثمين في اخبار القديسين . وتعريبهُ لتاريخ القديس الفونس ليكوري في الارتقات . ومجموع من كتاباتهِ ومناشيرهِ عنوانهُ روضة الزهور

٧٤٧ ﴿مكاريوس﴾ البطريرك ابن زعيم الحلبيّ . في مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق نسخة من تعريبهِ مع الخوري يوسف المصوّر لتاريخ الروم

٧٥١ ﴿مكرديج الكسيح﴾ لهُ في مكتبة الروم الكاثوليك في دمشق نسخة من كتابهِ ظلّ الكمال في تثقيف الاعمال تاريخهُ سنة ١٧٢٠

٧٥٤ ﴿مكسيموس﴾ الراهب القديس . في مكتبة القس بولس سباط نسخة من رسالتهِ في المحبة اشرف الوصايا ومن كتابهِ في الله تعالى وصفاتهِ في ٢٠٠ باب (EO, XXVI, p. 467, n° 88)

٧٨٤ ﴿مينوكيوس﴾ الاب اليسوعي . في مكتبة الدار البطريركيّة الروم الكاثوليك في دمشق نسخة من تعريب القس بطرس السرياني (ع ٢١١) لكتابهِ في تفسير رؤيا مار يوحنّا

٧٩٢ ﴿نشو﴾ الخوري سعد . قد طُبع ردّهُ على عصمة البابا في ياسي (رومانية) سنة ١٧٤٣

(التتمّة لعدد آخر)

جثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني (تابع)

٣ً مفارنة السريان من السنة ٥٥٩ الى السنة ٩١٢

٣١ ﴿آحو دامه﴾ هو اول اساقفة تكريت ومنه يتسلسل مفارنة السريان. وانما اختاروا تكريت مركزاً لهم لان سكانها يُغالون ببدعة الطبيعة الواحدة ولم يَدَعوا النساطرة ان يدخلوها بتّة. ولمّا نُصب يعقوب البرادعيّ اسقفاً عامًّا للسريان المنوفستيّين توجّه الى هذه المدينة وأقام لها سنة ٥٥٩ آحو دامه اسقفاً. وذهب غير واحد من مؤرّخي السريان الى ان خرسطفور جاثليق الارمن رسم آحو دامه اسقفاً على باعربايا وأقامهُ يعقوب البرادعيّ مطراناً للمشرق. ولم يكُ قبل ذلك للسريان المنوفستيين في آثور والعراق وفارس سوى اسقفين وهما شمعون الأرشاميّ وقاريس اسقف سنجار المذكورين آنفاً

ولمّا تولّى آحو دامه كرسيّ تكريت أفرغ طاقتهُ في إنجاح مذهبهِ ونصَّر من المجوس خلقاً عديداً وظعن الى بلاد العرب فأيدهم في المنوفستيَّة ورسم لهم كهنة وشمامسة وشاد للرهبان ديرين الواحد في عين قنا والآخر في ضواحي تكريت. وتلمذ ابنَ كسرى انوشروان ونصَّرهُ وسمّاه جورجي فسخط عليهِ الملك واوفد فحزّ هامته يوم الجمعة ٢ آب ٥٧٥ وقيل بل انه توفّي في السجن

٣٢ ﴿قيشوع﴾ خلف سالفه سنة ٥٧٨ وسُمّي أباً عامًّا فنصب اساقفة للكراسي الفارغة ووضع اليد على جملة من الرهبان. وشخص آنئذٍ يشرعيهب اسقف ارزون النسطوريّ الى بلاد العرب وزار نعمان الرابع ملكهم وحاول ان يستميلهُ الى معتقده. بيد ان أخاه أبى الّا البقاء في المنوفستيَّة. امّا اختاه هند وماريا فلبثتا نسطوريّتين واعتمد النعمان سنة ٥٩٤ وتنصَّر معهُ سكّان الحيرة قاطبة وفي مقدّمتهم الحسن والمنذر ولدا النعمان واهل بيتهما(١). وشاد النعمان في حاضرة مملكته الكنائس وتوشّحت هند ابنتهُ بالثوب الرهبانيّ وانشأت ديرين وهما دير سعيد على جانب الموصل

١) اطلب كتاب النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة ١ ص ٩٠)

ودير منصور في نينوى (١ . وكان الحسن اذا دخل الكنيسة يتصدّق على الفقراء والمعوزين بيدٍ سخيّة . وكان اذ ذاك جبرائيل السنجاريّ الطبيب معزّزًا لدى كسرى الملك فسعى بازدهار دير مار متى بالرهبان السريان وبذل قصاراه في إذاعة المنوفستيّة في ضواحي تكريت وآثور وحَدْياب . ولمّا توفّاه الله تضعضعت ديورة السريان وتبلبلت احوال الطائفة . وحلّت وفاة قيشوع سنة ٦٠٩

٣٣ ﴿شمونيل﴾ تولّى رئاسة السريان في المشرق عام ٦١٤ واشتهر في عهده ماروثا التكريتي الذي خلفه فاستدعاه اليه ليقلّده رعاية تكريت فأبى . وتوفّي شمونيل سنة ٦٢٤

٣٤ ﴿ماروثا﴾ وُلد في شوراق قريةٍ من نوهدرا (٢ وتربّى في دير نردس وسار الى الرقّة وبعد ان اقام عشرين سنة في دير زكّى عاد الى الرها وشخص الى دير مار متى بالموصل ونظم لرهبانه طقوساً وقوانين جليلة . ثمّ قصد الكوفة واعتكف في دير شابور ثم عاد الى دير مار متى

وكان السريان اذ ذاك قد انتشروا في حدياب وآثور وانضمّوا الى سريان سمرد وباعربايا (٣ وعانة . ولمّا كانت السنة ٦٣١ اوفد اثناسيوس الجثالق بطريرك السريان (٥٩٥ — ٦٣١) تلميذه يوحنا الى ملك الفرس في بعض المسائل فتعهّد دير مار متى وفاوض خرسطفور مطرانهُ وأدّى رئيسه في الاتحاد مع الكرسي البطريركي فاستدعوا جورجي اسقف سنجار ودانيال اسقف بيث نوهدرا وغريغور اسقف بيث رمّان (٤ ويزدفنه اسقف شهرزور (٥ واستصحبوا ثلاثة رهبان وهم ماروثا وايثالاها وآحا وقصدوا البطريرك وسألوه ان يسمّي اسقفاً للمشرق فاعتذر محتجّاً بان قانون المجمع النيقاويّ لا يُجيز لهُ ذلك لأنّهُ نصّ قائلاً : « متى توفّي رئيس اساقفة المشرق فللاساقفة ان يرسموا رئيساً وأباً عموميّاً يخلفهُ » وبعد أخذٍ وردٍّ اتفقوا على انتخاب

١) اطلب كتاب شعراء النصرانيّة بعد الاسلام (ص ٢٠-٣٩)

٢) نوهدرا كانت تشمل قرية زاخو وما جاورها وكانت مساحتها من الخابور الاصغر الى دجلة

٣) تطلق على الارض الممتدّة من بازبدي وبَلَد الى نصيبين

٤) هي شنّاً وموقعها عند مصبّ الزاب الصغير في دجلة وتسمّى ايضاً بيث وازيق

٥) بلدة بين بلاشير وباجرماي

ماروثا فرسمه البطريرك مفرياناً اي جاثليقاً لتكريت سنة ٦٣٩ وأناط به سياسة كنيسة المشرق وفوّض اليه ان ينصب مطراناً لدير مار متى وقرّروا جميعاً ان يجلس هذا المطران الى يمين المفريان في الحفلات الرسميّة. ثمّ عاد المفريان والاساقفة الى دير مار متى وعقدوا مجمعاً ونظموا اثنتي عشرة ابرشيّة اسقفية خاضعة لكرسي مفريان تكريت وهي: باعربايا وسنجار ومعلثا (١ وارزون وجومل وبيث رامان وكرمي(٢ وجزيرة ابن عمر وبيث نوهدرا وفيروز شابور (٣ وشهرزور والعرب التغلبيّين (٤ وخصّصوا نينوى بمطران الدير. ثم توجّه ماروثا المفريان الى تكريت ورسم ثلاثة اساقفة لسجستان وخراسان وهرات. ورامَ ان يؤسّس كنيسة في الموصل فصدّهُ عن ذلك يشوع الثالث جاثليق النساطرة. وتوفّي ماروثا يوم السبت ١٢ أيّار ٦٤٩ وساس كرسيّ تكريت عشرين سنة. ومن آثار قلمه تفسير الانجيل ونانورة وأناشيد وحثّايات. وقد خلط البعض بين ماروثا هذا اسقف تكريت المنوفستي والقديس ماروثا اسقف ميافارقين الذي سبقهُ بزمان

٣٥ ﴿دنحا الاول﴾ وبعد وفاة ماروثا رأى ثاودور البطريرك (٦٤١—٦٦٧) ان يرسم بيدهِ مفرياناً لتكريت فاوفد الى اساقفة المشرق والرؤساء رسائل أمضاها هو واساقفة المغرب فحواها «انه متى توفّي البطريرك فللمفريان ان يرسم خليفة لهُ وبناء عليهِ فلا يجوز ان يُنصب مفريان من دون البطريرك ولا بطريرك من دون المفريان» فاستصوب اساقفة المشرق هذا الشرط واصطفوا دنحا تلميذ ماروثا السابق ذكرهُ ومضوا بهِ الى البطريرك فنصبهُ مفرياناً وأعاده الى كرسيهِ. فقام برعاية الابرشيّة مدّة عشرة اعوام احسن قيام ولقي حتفهُ في ٣ تشرين الثاني ٦٥٩ ودُفن في ضريح سالفهِ. واتّفق آنئذٍ ان امير العرب توغّر على جرجس جاثليق النساطرة واضطرّه ان يدفع لهُ مبالغ جسيمة والقاه في السجن وقوّض جملةً من كنائس النصارى في الكوفة والحيرة معاً

٣٦ ﴿بَرْيشوع﴾ رقّاهُ الى المفريانيّة عام ٦٦٩ البطريرك سويرا الثاني (٦٦٨—

---

١) معلثا او معلثايا قرية قريبة من دهوك ملاصقة لزاخو ٢) بلدة في نواحي تكريت ٣) والعرب يدعونها الانبار وكانت على ضفّة الفرات الشرقيّة

٤) اطلب تاريخ ابن العبري السريانيّ المدنيّ طبع الاب بيجان ص ١١٥

٦٨٠) وذلك بعد عشر سنوات لفراغ الكرسي المفرياني . وساس المفريان يريشوع ابرشيّته بغيرة ونشاط وأسس في تكريت كنيسة مستظرفة على اسم الشهيدين سرجيس وباخس ولقي ربّه في ١٧ كانون الاوّل ٦٨٤ وخدم خمس عشرة سنة ودُفن في ضريح سالفيه

٣٧ ﴿ابرهيم الثاني﴾ نصبه مفرياناً البطريرك اثناسيوس الثاني (٦٨٤—٦٨٨) وما لبث ان عاجلتهُ المنيّة ولُحد في ضريح أسلافه

٣٨ ﴿داود الاوّل﴾ لمّا توفي ابرهيم الثاني التأم اساقفة المشرق حالًا ورسموا داود الاوّل مفرياناً قبل ان يُنصب بطريرك جديد . وبعد ستّة اشهر انطلق المفريان في قوم من اساقفته الى ديار بكر لانتخاب البطريرك يوليان الثالث (٦٨٨ — ٧٠٩) وهناك توفي المفريان . وظلّ الكرسيّ فارغاً مدّة ستّ سنوات . وفي تلك الفضون التمس رهبان دير مار متى من رئيسهم المطران حنّا ان يرسم اساقفة للابرشيّات المترمّلة فأنكر عليهم الطلب فاوفدوا الى البطريرك يوليان ليرسل اليهم مطراناً محتجّين ان رئيسهم شيخ عاجز عن تمشية أمورهم فاجاب البطريرك الى طلبهم . ولمّا وصل المطران الجديد الى الدير تقاطر الرهبان لاستقباله وحيّوه بالسلام وأدخلوهُ باحتفالٍ فخم . فسمع المطران الشيخ الجلبة واستوضح تلميذه الخبر فقال لهُ : قد جاءنا مطران بدلًا منك . فغادر المطران حنا الدير من فوره وسار الى دير باعربايا قريباً من تكريت . فانتشر للحال الوباء في الرهبان ومات منهم في مدّة اسبوع واحد وثمانون راهباً فتخوّف المطران الجديد وانقلب راجعاً الى ديار بكر فبادر الرهبان الى مطرانهم الشيخ واستغفروه وجاؤوا بهِ الى الدير وأجمعوا على احترامهِ

٣٩ ﴿يوحنا الاوّل﴾ هو رئيس دير مار متى المذكور آنفاً نصبهُ مفرياناً ستّة من الاساقفة في تكريت سنة ٦٨٦ وخدم سنةً وستة اشهر ورسم ثلاثة اساقفة واخترمته المنيّة يوم الاثنين ١٤ كانون الثاني ٦٨٨ ودُفن في كنيسة سرجيس وباخس بتكريت . على ان ابن العبريّ عينه ذكر في تاريخ البطاركة عن سويرا الثاني (٦٦٨—٦٨٠) انه لمّا احتُضر رخّص ليوحنا المفريان ان يحلّ الاساقفة الذين كانوا حرموه وحرّمهم لكونهِ حاول ان يحصر سلطتهم ويمنعهم عن رسامة اساقفة لابرشيّاتهم . فيتحصّل من ذلك ان يوحنّا الاوّل كان قد سُمّي مفرياناً منذ سنة ٦٨٠ وان المقارنة الثلاثة

اعني بريشوع وابرهيم الثاني وداود الاوّل لم يكونوا مفارنة شرعيّين (١

٤٠ ﴿دنحا الثاني﴾ نصبه اساقفة المشرق مفريانًا في ١٣ آذار ٦٨٨ دون استشارة البطريرك يوليان الثالث وعلى رغمهِ لانهُ كان قد اوفد اليهم مطرانًا اجابةً الى طلب بعض الرهبان وظلّوا ممتعضين عليهِ حتى كتب لهم في الصلح فرفضوا ذلك زمانًا ثم توجّه اليهِ المفريان في بعض الاساقفة فثبّطهُ البطريرك عن الرجوع الى ابرشيّتهِ وسمّى بدلًا منهُ باخوس اسقف الكوفة. بيد انّهُ لمّا تولّى البطريركيّة ايليّا الاوّل (٧٠٩—٧٢٣) هادن المفريان دنحا واستصحبهُ الى تكريت وصالحهُ مع الجماعة. واستغرقت مفريانيّة دنحا اربعين سنة وحلّت وفاته في ١٩ تشرين الاوّل ٧٢٨ ولُحد في الكنيسة الجديدة التي شادها في تكريت على اسم آحو دامه رأس المفارنة

٤١ ﴿بولس الثاني﴾ كان رئيسًا على دير كنوش بستجار ورقّاه الى المفريانيّة البطريرك اثناسيوس الثالث (٧٢٤—٧٤٠) ولمّا استلم زمام الرعيّة بذل الساعي في اصلاح ذات البين ما بين التكريتيّين. وراسله صليبا زخا اسقف طيرهان النسطوري في ان يشيّد للنساطرة كنيسة في تكريت فشرط عليهِ المفريان ان يكتب الى قوفريان مطران نصيبين ليردّ للسريان كنيستهم البنيّة على اسم مار ديمط ولمّا استلمها السريان طالب صليبا زخا المفريان ان ينجز وعده فاذن للنساطرة عام ٧٦٧ ان يبنوا لهم كنيسة صغيرة على دجلة خارج سور المدينة. وانقضت ايّام المفريان في ٢٥ آذار ٧٥٧ وساس كرسيّ المشرق تسعًا وعشرين سنة وقُبر في مدفن أسلافه

٤٢ ﴿يوحنا الثاني﴾ اصطفاه رهبان دير مار متى وأرسلوهُ الى البطريرك جورجي الاوّل (٧٥٨—٧٩٠) فنصبهُ مفريانًا سنة ٧٥٧ وفي نواحي سنة ٧٦٨ خرج جورجي البطريرك من سجن بغداد وشخص الى تكريت وعزل المفريان يوحنا لدواعٍ صوابيّة ونصب عوضًا عنه يوسف الثاني

٤٣ ﴿يوسف الثاني﴾ رسمهُ جورجي البطريرك بعد ما عزل يوحنا سالفه وما لبث ان مات فاوفد اساقفة تكريت الى البطريرك قرياقس (٧٩٣—٨١٧) ابن وطنهم يخيّرونه في ان يسمّي لهم مفريانًا ويسألونه ان يشخص اليهم ليصالحهم مع رهبان دير مار متى فاجاب الى التماسهم ونصب لهم الاسقف شربيل مفريانًا ورسم لهم عدّة اساقفة

١) اطلب المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٥٠٣)

٤٤ ﴿شربيل﴾ وُلد في نوسبد قرية بتكريت ونصبهُ قرياقس البطريرك مفريانًا. ولكنهُ ما كاد يستقرّ في ابرشيّته حتى ناهضه اسقف كرمي فتخوّف المفريان وانهزم الى قريتهِ وانزوى في احدى صوامعها وكتب صكّ استقالتهِ وأوفدهُ الى الاساقفة

٤٥ ﴿شمعون الثاني﴾ ما تقلّد المفريانيّة حتى تعصّب عليهِ التكريتيّون فأرسل قرياقس البطريرك وعزله فهاج مناصرو المفريان وماجوا وحرموا البطريرك فحرمهم. وظلّ الشقاق والتحزّب مستحكماً بين الفريقين حتى وفاة المفريان

٤٦ ﴿باسيل الاول﴾ أبصر النور في بلد قرب سنجار ونصبه قرياقس البطريرك مفريانًا على أثر عزلهِ شمعون سالفه. وفي السنة العاشرة لمفريانيّتهِ ضغن عليهِ المسلمون في تكريت ورافعوه الى عبدالله المأمون خليفة بغداد (٨١٣—٨٣٣) فأركن المفريان الى الفرار ولزم بيت أبويه ببلد. وسنة ٨١٨ سار لحضور حفلة رسامة ديونوسيوس التلمحريّ بطريركاً (٨١٨—٨٤٥) ولكن التكريتيّين لسبب تعصّبهم عليهِ منعوه عن ان يضع يده على البطريرك علناً "وانفين المرعيّة وفوّضوا الى ديونوسيوس مطران الرقّة التكريتيّ ان يرسمه. وبعد ذلك عاد المفريان الى مسقط رأسه وقُبض في دير عين قنا خارج بلد. وعُرف في ذلك العهد فافا القس السرياني الذي جادل يشوع برنون جاثليق النساطرة في عبارة يوحنا الانجيلي "الكلمة صار جسداً وحلّ فينا" (١ : ١٤)

٤٧ ﴿دانيال﴾ نشأ في دير برقوم واشتهر بالنسك والزهد ورقّاه الى المفريانيّة ديونوسيوس البطريرك عند عودته من بغداد. وتولّى المفريانيّة اربعين سنة وتوفّي في نصيبين ونُقلت رفاتهُ الى تكريت ودُفن في كنيسة آحو دامه. وفي عهدهِ كان نونا الارخدياقون النصيبينيّ الذي صنّف يوم كان في السجن كتاباً ضدّ توما المرجيّ النسطوريّ وألّف رسائل في القواعد الكنسيّة

٤٨ ﴿توما الثاني﴾ وُلد في تكريت وتنسّك في دير سويرا بالرها. وقلّدهُ المفريانية ديونوسيوس التلمحريّ عام ٨٣٤. ولمّا صار الى مركزهِ عزل جورجي اسقف لجرّين فتحزّب لهُ اهالي قرية كرمي ووشوا بهِ الى الوالي فاعتقلهُ ثمانية شهور ثم سرّحه. وقضى المفريان نحبه يوم السبت ٨ ايار ٨٤٧ وخدم ثلاث عشرة سنة

٤٩ ﴿باسيل الثاني﴾ تنسّك في احد اديار حرّان ونُصب مفرياناً في ٢٣ ايلول ٨٤٨ في كنيسة مار توما بكفرتوت غربي جنوبي ماردين بوضع يد البطريرك يوحنا الخامس (٨٤٧ — ٨٧٤). وعام ٨٥٨ تأججت نيران التباغض والتحاقد بين المفريان والبطريرك فأبطل الاساقفة التكريتيّون المناداة باسم البطريرك في كنائسهم ونصبوا مطارنة لحرّان والرقّة وراس العين وحرموا جميع الاساقفة المشايعين للبطريرك. فعقد البطريرك مجمعاً وحرم المفريان والمفريان ايضاً حرمه. فاستدرك الامر الخليفة المتوكل (٨٤٧—٨٦١) واستدعاهما الى المحاكمة فتغلّب البطريرك وتوجّه الى تكريت لينصب مفرياناً ثانياً فاعترضه التكريتيّون وثبّطوه عن قصده فعمد الى ملكيصاداق الراهب ورسمه مفرياناً تحت السرّ على كرهٍ من التكريتيّين وسافر

٥٠ ﴿ملكيصاداق﴾ وُلد في افريميا قرية بتلّ عفر بجوار الموصل ونصبه البطريرك يوحنا الخامس مفرياناً على ما ذكرنا فشقّ ذلك على المفريان باسيل الثاني وسار الى نصيبين وأقام فيها احدى عشرة سنة وتوفّي في ١٧ تشرين الاول ٨٦٩ وبعد اربعين يوماً توفّي ملكيصاداق ايضاً. فانتهز البطريرك تلك الفرصة تلافياً للشقاق والخصام وعقد مجمعاً عامّاً في كفرتوت في شباط ٨٦٩ حضره اساقفة الشرق والغرب معاً ورتّبوا ثماني مسائل (١ متوسطة بالحقوق البطريركيّة والفريانيّة وهي :

١ً يجب على اساقفة دير مار متى ورهبانه ان يطيعوا مفريان تكريت صاغرين. ٢ً لا يحقّ للبطريرك الانطاكيّ ان يتعهّد أبرشيات تكريت كمن له الولاية عليها إلّا يُكلّف ولا يحقّ للمفريان ان ينشئ بمسائل الابرشيّات البطريركيّة. ٣ً يحقّ للمفريان متى حضر مع البطريرك ان يجلس الى يمينه وان يُنادى باسمه في الحفلات بعده وان يتناول القربان ايضاً بعده. ٤ً لا يجوز ان يُرسم بطريرك الّا بمشاورة المفريان ان كان حيّاً والّا فيحقّ للشرقيين ان يرسموا لهم مفريانًا. امّا انّ المفريان او رئيس المجمع يضع يده على البطريرك وقت الرسامة فنقول: على كلّ من اساقفة المغرب والمشرق ان يختاروا اسقفين وهؤلاء الاساقفة الاربعة يتّفقون على من يضع يده على البطريرك. ٥ً على ابرشيّتي قردو وبازبدي ان تُراجعا المفريان وكذا الامر في نصارى عرب غران ان وافقوا على ذلك. ٦ً يجب ان يلغى كلّ حرم أصدره الشرقيّون والغربيّون معاً. ٧ً يجب ان يُنظر في مسئلة الاساقفة الثلاثة (٢) الذين

(١) اطلب كتاب الهدايا لابن العبريّ ق ٧ ف ١

(٢) المراد بهم اساقفة حرّان والرقّة وراس العين كما ذكرنا آنفاً في المتن. وقد قلّدهم البطريرك بموجب هذا القانون رعاية ابرشيّات أخرى

رسمهم المفريان للابرشيات البطريركية. ٨ اذا عزل المفريان احد اساقفته يلزم البطريرك ان يوافق على ذلك

٥١ ﴿سرجيس﴾ تزهد في دير علوك وارتقى الى المفريانية في بيعة التكريتيين بالرقة سنة ٨٧٢ ولمّا عاد الى ابرشيته تحزّب لاليشع وبرحدبشيا الاسقفين اللذين رسمهما اساقفة المشرق خلافاً للقوانين فضغن عليه التكريتيون وأبطلوا اسمه من الدبتخا. ولمّا نُصب اغناطيوس الثاني بطريركاً (٨٧٨—٨٨٣) من دون حضور المفريان انتقض عليه فأبطل المناداة باسمه في جميع كنائس ابرشيته فثارت من ثم الاحن والفتن بين الشرقيين والغربيين وترافعوا الى المحاكم المدنيّة فاعتُقل البطريرك واساقفته في السجن ولم يُفرج عنهم حتى دفعوا زهاء ألفي ليرة رشوةً. امّا التكريتيّون فتمادوا في الحقد والضغينة على البطريرك حتى وفاته. وما لبث ان مات المفريان ايضاً في تشرين الثاني ٨٨٣ وخدم احدى عشرة سنة

٥٢ ﴿اثناسيوس الاوّل﴾ وُلد في تكريت وتلقّى العلوم في دير بالرها ورُقّي الى المفريانيّة في آمد يوم الاربعا ٨ شباط ٨٨٧ بوضع يد البطريرك ثاودسيوس (٨٨٧—٨٩٠) وهو اليوم الرابع لرسامته بطريركاً. وسرّ السريان قاطبةً بالاتفاق والاتحاد وخلع والي آمد على كلٍّ من البطريرك والمفريان ثوباً ملكيًّا فاخرًا

وتجدّدت اذ ذاك المجادلة بين الاساقفة الشرقيين والغربيين في مسئلة الصلاة ܟܣܘܠܐ ܡܨܠܝܢ (١ فاصرّ اهالي بلدة حَصَص بتكريت على عنادهم واستحضروا الراهب زبينا تلميذ يوحنا الخامس البطريرك ونصبوهُ بطريركاً دخيلاً وهذا البطريرك نصب لهم مطرانًا اسمه قَرْعا وفرعا رسم اسقفاً للموصل يقال له برنصيحا الفصيح تلميذ موسى بركيفا المشهور († ٨٣٣) وحاول زبينا ان يخطف احدى كنائس التكريتيين ويجعلها مركزاً له فلم يتوفّق. امّا اثناسيوس المفريان فحلّت وفاتهُ يوم الاثنين ١٧ كانون الاوّل ٩٠٤ ودُفن في تكريت وترمّل الكرسي بعده ثمانية اعوام

٥٣ ﴿توما الثالث﴾ قصد جبل الرها في عنفوان شبابه واعتكف فيه زماناً حتى استدعاه البطريرك يوحنا السادس (٩١٠—٩٢٢) وقلّده مفريانيّة المشرق عام ٩١٢

١) اطلب المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٥٠٥)

ولم تكد تمرّ على رئاسته شهور اربعة حتى عاجلتهُ المنيّة ودُفن في كنيسة آحو دامه بتكريت

وكان عدد اليونان يومئذٍ قد ازداد في بغداد فارسل اليهم ايليّا بطريركهم الانطاكي اسقفاً اسمه يانّي فعارضهُ ابرهيم جاثليق النساطرة وسأل وزير بغداد ان يأمره بالعودة الى وطنه مدّعياً انهُ يونانيّ واليونان يخالفون المسلمين دينيًّا ومدنيًّا فقال له الوزير: «ان النصارى في البغض للمسلمين هم على حدٍّ سوى» فسكت الجاثليق زماناً ثم استأنف الدعوى واستحضر البطريرك ايليًّا عام ٩١٤ الى بغداد واراده على رقم صكٍّ يصرّح فيهِ بان لا حقّ لهُ ان يقيم جاثليقاً او مطراناً للملكيّين في بغداد بل لهُ اذا دعت الحاجة ان يرسل اليهم تارةً وأخرى اسقفاً ليتعهّد امورهم ويعود الى وطنهِ (لها بقيّة)

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٥٠ اعشى بني ابي ربيعة

﴿اصلهُ ونسبهُ﴾ كان هذا الأعشى معاصراً الأعشى تغلب يشبههُ في دينهِ وانتمائهِ الى الدولة الاموية. اسمهُ عبدالله بن خارجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان. وقد عُرف باعشى ربيعة او اعشى بني ابي ربيعة. وابو ربيعة احد اجدادهِ عُرف بالمُزدلف قال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢١٦): «سُمّي المزدلف لانهُ قال لقومهِ وهو في حرب: ازدلفوا قِيدَ رمحي اي اقتربوا. وانتماؤهُ الى بني

شيبان الذين ثبتوا مدَّةً على نصرانيَّتهم بعد الاسلام. وكنيتهُ ابو عبدالله وجاء في حماسة ابي تمَّام (٢ : ٧٧٣) : اعشى بني ربيعة من بطن منهم يقال لهم بنو أُمامة. وامَّا السيوطي في المزهر (٢ : ٢٢٩) فانهُ زعم انَّ اسم اعشى بني ربيعة صالح بن خارجة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (١٦ : ١٦٠) : « هو شاعر اسلاميّ (اي عاش بعد الجاهليَّة) من ساكني الكوفة وكان مروانيَّ المذهب شديد التعصُّب لبني اميَّة. وقدم الاعشى الشام ودخل على الخلفاء الامويين في دمشق فمدحهم ونال صِلاتهم وقد تردَّد خصوصاً على عبد الملك بن مروان وعلى سليمان بن عبد الملك فعاش الى أيَّام الوليد بن عبد الملك

ومن اخبار اعشى بني ابي ربيعة مع عبد الملك ما اخبرهُ في الاغاني (١٦ : ١٦٣) قال : دخل اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فأنشدهُ قولهُ (من الوافر) :

رأيتُك أمسِ خيرَ بني مَعَدٍّ ... وانتَ اليومَ خيرٌ منك أمسِ
وانت غداً تريد الضِعْف ضِعْفاً ... كذاك تريد سادَةُ عبد شَمْسِ

فقال لهُ : من ايّ بني ابي ربيعة انت ؟ (قال) فقلت لهُ : من بني أُمامة. قال : فانَّ أُمامة ولد رجلين قيساً وحارثة فاحدهما نَجِمَ والآخر خَمَلَ. (قال) فقلت : انا من ولد حارثة وهو الذي كانت بكر توَّجتهُ. (قال) فقام بمخصرةٍ في يدهِ فضربها في بطني ثم قال : يا اخا بني ربيعة هَشُّوا ولم يفعلوا فاذا حدَّثتني فلا تكذبني. فجعلتُ لهُ عهداً ألَّا احدث قرشيًّا بكذب ابداً

واخبر ايضاً ان اعشى دخل على عبدالله وهو يتردَّد في الخروج لمحاربة ابن الزُّبير ولا يجدّ فقال لهُ : يا امير المؤمنين ما لي اراك متلوِّماً يُنهضك الحزم ويُقعدك العزم وتُهمُّ بالإقدام وتجنح الى الإحجام. انفُذْ لنصرتك وأمضِ رأيك وتوجَّه الى عدوِّك فجَدُّك مُقبل وجَدُّهُ مُدبر. واصحابهُ لهُ ماقتون ونحن لك محبُّون. وكلمتُهم متفرِّقة وكلمتُنا عليك مجتمعة والله ما تُؤتى من ضعفٍ جنان ولا قلَّة اعوان. ولا يثبطك عنهُ ناصح ولا يحرِّضك عليهِ غاشٌّ وقد قلت في ذلك ابياتاً. فقال : هاتها فانك تنطق بلسانٍ وَدُود وقلب ناصح. فقلتُ (من الكامل) :

آلُ الزُّبَيْرِ من الخِلافة كالتي ... عجَلَ النتاجُ بحَمْلها فأحالَها

او كالضعافِ من الحُمولةِ جَمَّلَتْ ما لا تُطيقُ فضيَّعت احمالَها
قوموا اليهم لا تناموا عنهمُ كم للغواةِ أطلتمُ إمهالَها
انّ الخلافةَ فيكمُ لا فيهمُ ما زلتمُ أركانها وثمالَها
أمَّوا على الخيرات قفلاً مُغلَقاً فانهَضْ بيمنك فافتتحْ اقفالَها

فضحك عبد الملك وقال: صدقت يا ابا عبدالله انَّ أبا خُبَيب (هذه كنية عبد الله ابن زُبير) لَقُفل دون كلّ خير ولا نتأخر عن مناجزته ان شاء الله ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل». وامر لهُ بصلةٍ سنيَّة

وروى العبَّاس بن هشام عن ابيهِ قال: قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال لهُ عبد الملك: ما الذي بقيَ منك؟ قال، انا الذي اقول(١ (من الطويل):

وما انا في أمري ولا في خصومتي بمهتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي (٢
ولا مُسلِمٍ مولايَ عند جنايةٍ ولا خائفٍ مولايَ من شرّ ما اجني (٣
وانَّ فؤادًا بين جنبَيَّ عالمٌ بما ابصرتْ عيني وما سمعتْ أذني
وفضَّلني في الشعر والـلُّبّ أنّني اقولُ على علمٍ واعرفُ ما اعني (٤
فاصبحتُ إن فضَّلتُ مروانَ وابنَهُ على الناس قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك: من يلومني على هذا وامر لهُ بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وعشر فرائض من الابل واقطعهُ الف جريب وقال لهُ: امضِ الى زيد الكاتب

١) وفي حماسة ابي تمام (ص ٧٧٣) ان عبد الملك قال لهُ: يا ابا المغيرة ما بقي من شعرك؟ فقال: يا امير المؤمنين لقد بقي منهُ وذهَبَ على انّي الذي اقول . . . ٢) ويروى:
وما انا في حقي ولا في خليقتي بمهتضمٍ حقّي ولا فارغٍ قِرْني
(قال) في حقي اي في ما استحقهُ من الناس.
٣) ويروى: من شرّ ما جرى. ويروى: ما جنى. (قال) اي اذا جنى ابن عمّي جناية لم اخذلهُ ولكني ادفع عنهُ ولا الزمهُ جنايتي. وفي هذين البيتين غناء لابراهيم الموصلي
٤) ويروى: وفضّلني في القول . . من اعني

يكتب لك بها واجرى لهُ على ثلثين عبلًا فاتى زيدًا فقال لهُ : ائتني غدًا . فأتاهُ فجعل يردّدهُ فقال لهُ (من الرجز) :

يا زيدُ يا فَداكَ كلُّ كاتبِ ... في الناس بين حاضرٍ وغائبِ
هل لك في حقٍّ عليك واجبِ ... في مثلهِ يرغبُ كلُّ تاعبِ
وانت عَفٌّ طيِّبُ المكاسبِ ... مُبرَّأٌ من عيبِ كلِّ عائبِ
ولستَ ان كفيتَني وصاحبي ... طول غُدوٍّ ورَواحٍ دائبِ
وسدَّةُ البابِ وعنفُ الحاجبِ ... من نعمةٍ اسديتَها بجانبِ

فأبطأ عليهِ زيد فاتى سفيان بن الابرد الكلبي فكلّمهُ سفيان فأبطأ عليهِ فعاد الى سفيان فقال لهُ (من البسيط) :

عُدْ اذ بدأتَ بحُسْنى فانت لها ... ولا تكنْ من كلام الناس هيَّابا
واشفع شفاعة أنفٍ لم يكن ذَنَباً ... فانَّ من شُفعاء الناس أذنابا

فاتى سفيان زيدًا الكاتب ولم يفارقه حتى قضى حاجتهُ . وذكر البلاذري في كتاب الاشراف (ص ٣٤٠) (éd. Ahlwardt, B^d XI,) انَّ اعشى بني ابي ربيعة قال شعرًا يحث فيهِ عبد الملك على بَيْعة الوليد وخَلْع اخيهِ عبد العزيز (من المنسرح) :

ابنُك أولى بمُلك والدهِ ... وعَمُّهُ إذْ عَصاكَ مُطَّرَحُ
ورِثتَ عثمانَ وابنَ حَرْبٍ ومَرْ ... وانَ وكلٌّ للهِ قد نَصَحوا
فعِشْ حميدًا واعمَلْ بسُنَّتهم ... تَكُنْ بخَيْرٍ واكدَحْ كما كَدَحوا

وممَّا روى ابو فراس عن خداش (الاغاني ١٦ : ١٦٣ حماسة ابي تمّام ٧٧٣) ان اعشى بني ربيعة دخل على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال (من الطويل) :

أتينا سُليمانَ الاميرَ نزورهُ ... وكان امرءًا يُجْبَى ويُكرَمُ زائرُهْ

اذا كنتَ بالنَّجوى بهِ متفرّدًا فلا الجودُ مُخليهِ ولا البُخلُ حاضرُهْ (١
كِلا شافِعَيْ سوأَلهِ من ضميرهِ . عن الجَهْل ناهيهِ وبالحِلم آمِرُهْ (٢

فاعطاهُ واكرمهُ وامر كلَّ من كان بحضرتهِ من قومهِ ومواليهِ بصلتهِ فوصلوهُ فخرج وقد ملأ يديهِ

وكان الاعشى في الكوفة لمّا تولّى الحجّاج على العراق سنة ٧٥ هـ فوجد منهُ الحجّاج ما كرههُ . قال ابن حبيب (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : «كان الحجّاج قد جفا الاعشى واطّرحهُ لحالة كانت عند بشر بن مروان . فلمّا فرغ الحجّاج من حرب الجماجم(٣ ذكر فتنة ابن الاشعث وجعل يوبّخ اهل العراق ويؤنّبهم فقال من حضر من اهل البصرة : انَّ الريب والفتنة بدأا من اهل الكوفة وهم اوّل من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية . فقال اهل الكوفة : لا بل اهل البصرة اوّل مَنْ اظهر المعصية مع جرير بن همبان السَّدوسي اذ جاء من الهند . واكثروا من ذلك فقام اعشى بني ابي ربيعة فقال : «أصلَح الله الامير لا بَراءة من ذنبٍ ولا ادّعاء على الله في عصمةٍ لاحد من المصرّين قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك فأبى الله الّا نصرَك وذلك انهم جزعوا وصبرتَ وكفروا وشكرتَ وغفرتَ اذ قدرتَ فوسعهم عفوُ الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا» . فسُرَّ الحجّاج بكلامهِ وقال لهُ خيرًا وقال : تهيّأ للوفادة الى امير المؤمنين حتى يسمع هذا منك كفاحاً

وحدّث حمّاد بن اسحاق عن ابيهِ قال (الاغاني ١٦ : ١٦٢) : بلغ الحجّاج ان اعشى بني ابي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود (٤ فغضب عليهِ فقال يعتذر اليهِ (من الطويل) :

---

١) قال في الحماسة (٧٧٤) : النجوى المسارّة . يقول : اذا وقعتَ في خاطرهِ وانفردت بتناجاتهِ فالجود نُصب عينيهِ والبخل غائب عن همّهِ

٢) وفي الاغاني : «فلا شافعي» وهو تصحيف . (قال) جعل للسؤال شافعين وكلاهما ينهاهُ عن البخل ويأمره بالبذل

٣) الجماجم مكان قرب الكوفة عندهُ كانت وقعة محمّد ابن الاشعث مع الحجّاج سنة ٨٢ هـ (٧٠١م) قيل انهُ دُعي بالجماجم لكثرة من قُتل بهِ فبُني من جماجمهم بناء

٤) عبدالله بن الجارود العبديّ من اهل البصرة خالَفَ الحجّاج بن يوسف والي العراق في امرٍ وتبعهُ وجوه الناس فاقتتلوا قتلاً شديدًا فقُتل ابن الجارود وجماعة من اصحابهِ سنة ٧٥هـ (٦٩٤ م)

أبيتُ كأنّي من حِذار ابن يوسفٍ طريدُ دمٍ ضاقت عليهِ المَسالكُ
ولو غيرُ حجّاجٍ اراد ظُلامتي حمتني من الضيمِ السيوفُ الفواتكُ
وفِتيانُ صدقٍ من ربيعةَ قَصرةٍ اذا اختلفت يومَ اللقاء النيازكُ
يُحامون عن احسابهم بسيوفهم وارماحُهم واليومُ اسودُ حالكُ

فرضي عنهُ . وكان بين اهل الكوفة رجلٌ شهير بفضلهِ وكرمهِ وهو اسماء بن خارجة . اشتهر وفيهِ يقول عبدالله بن زبير يثني على جودهِ :

ألم ترَ انَّ الجود أرسل فانتقى حليفَ صفاءٍ وانتلى لا يزايلُهْ
تخيَّرَ اسماء بن حصنٍ فبُطنت بفعلِ العلا أعيانُهُ وشمائلُهْ
ولا مَجد الّا مجدُ اسماء فوقَهُ ولا جَرْيَ الّا جَرْيُ اسماء فاضلُهْ
تراهُ اذا ما جئتَهُ متهلّلا كأنك تعطيهِ الذي انت نائلُهْ
ولو لم يكن في كفّهِ غيرُ روحهِ لجادَ بها فليتّقِ اللهَ سائلُهْ

وقد امتدح اعشى بني ابي ربيعة اسماء المذكور فأعطاهُ وكساهُ فقال (من الوافر) :

لأسماءَ بنِ خارجةَ بنِ حِصنٍ على عِبءِ النوائبِ والغرامَهْ
أقلُّ تعلُّلا يوماً وبُخلا على السُّؤال من كعب بن مامَهْ (١
ومَصقَلَةَ الذي يبتاعُ بَيعاً رَبيحاً فوق ناجيةَ بن سامهْ (٢

ومن شعرهِ ما رواهُ لهُ الطبري في تاريخهِ يذكر يوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على العجم (من الوافر) :

١) كعب بن مامه هو الايادي الذي اعطى في البرّيّة حصّتهُ من الماء رجلًا طلبها منهُ فمات عطشاً وضُرب المثل بجودهِ ٢) مصقلة هو مَصقلة بن هبيرة البكري (اطلب اخبارهُ في المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٨٢٨-٨٤٢) . وناجية قبيلة من العرب ينسبون الى ناجية بن سامة وقيل بل ناجية أمهم . قال الكلبيّ : جعل الاعشى ناجية رجلًا وهي امرأة لضرورة الشعر . والله اعلم

ونحنُ غداةَ ذي قارٍ أقمْنا وقد شهدَ القبائلُ مُخلبينا
وقد جاؤوا بها جأواءَ فِلقاً مُلَمْلَمةً كتائبُها طَحُونا
لِيوم كريهةٍ حتى تجلّت ظِلالُ دُجاهُ عنّا مُصلتينا
فولّونا الدوابرَ واتّقَوْنا بنُعمانَ بنِ زُرْعةَ أكتعينا
وذُدْنا عارضَ الأحرارِ وِرْدًا كما وردَ القطا الثَّمدَ المَعينا

واعلم انَّ اعشى بني ابي ربيعة يُدعى ايضاً «اعشى شيبان» فيُنسَب الى هذا ما ينسبهُ آخرون الى ذاك فهذا الجاحظ في البيان والتبين (١ : ١٥١) قد نسب الى اعشى بني شيبان ما رواهُ في الاغاني والحماسة لاعشى بني ابي ربيعة. ومن ثمَّ نظنُّ انَّ ما ينسب في بعض التآليف لاعشى بني شيبان هو لاعشى بني ربيعة الشيباني كالذي جاء مثلًا في تاريخ الطبري (٢ : ١١٧٧) وفي كتاب انساب الاشراف للبلاذري (ص ٢١٣) : وهو في معنى ما ذُكر سابقاً من اقوال اعشى بني ربيعة لعبد الملك (من مجزوء الكامل) :

عرفَتْ قريشٌ (١ كلُّها لبني ابي العاصِ الإمارَهْ
لِأبرّها وأحقِّها عند المَشورةِ بالإشارَهْ
المانِعين (٢ لما وَلُوا والنّافعين ذوي الضرارَهْ
وهمُ احقُّهمُ بها (٣ عند الحَلاوةِ والمرارَهْ

وفي حماسة البحتري (ع ٤٨٣) قولهُ في الشماتة وعاقبتها (من الوافر) :

اذا ما المرءُ غالتْهُ شَعُوبٌ فما للشّامتين بهِ خُلودُ
وريبُ الدهرِ بالانسانِ جمٌّ ولا تُنجي من التَّلَفِ الجُدودُ

١) ويروى : عرفت أميّةُ ٢) ويروى : والتابعين
٣) ويروى : وهمُ احقُّ بإرثها

والى اعشى بني شيبان ينسبُ ايضاً في بعض المخطوطات قولهُ في المقايسة بين امور الزمان (من السريع) :

يا أيُّها السائل عن ما مضى من ريبِ هذا الزمنِ الذاهبِ
ان كنت تبغي العلمَ او نحوَهُ او شاهداً يُخبر عن غائبِ
اعتَبِرِ الارضَ باسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وكذلك يُنسب الى اعشى شيبان في كتاب الكتّاب للصولي (ص ١٧٧) قولهُ (من البسيط) :

يا عمرو أقصِد نواك الله بالرَّشدِ وأقرِ السلام على الأبقاء والقَصَدِ(١
وبكِّ عيشاً تولّى بعد جدَّتهِ طابت اصائلُهُ في ذلك البَلَدِ

٥ مَرْقس الطائي

نضيف الى الاعشيَيْن التغلبيّ والشيبانيّ احد الطائيين الذي عُرف في عهدهما وذكر في شعرهِ حرب الحروريّة في ايّام عليّ بن ابي طالب. ألا وهو مَرْقس الطائي. وكفى بأسمهِ دليلاً على نصرانيّتهِ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو احد بني طيّ اليمنيين الذين تكرَّر ذكر تنصّرهم (اطلب كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة (ص ١٢١—١٢٢ و ١٣٢—١٣٣) . امّا اسم مَرْقس هذا فذكرهُ في التاج (٤: ١٦٣) فقال : « مَرْقس كجَعْفَر بفتح الميم والقاف ويقال بضمّ القاف مُرْقُس » (قلنا) وهذا الصواب وهو اسم نصرانيّ صريح

١) ورد هذا البيت في اللسان (٢٠: ٢٢٢) وفي التاج (١٠: ٢٧٦) وروايتها : يا عمرو أحسِن وروى في الصحاح : على الذَّلفاء بالشَّدِ ويروى الزلفاء بالزاي . . على الأبقاء والشَّدِ . قالوا : نواك الله اي حفظك وصحبك في سفرك

وتعريب اسم الانجيليّ الشهير القديس مَرْقُس (١ . (قال) «واسمهُ عبد الرحمان» (قلنا وفي هذا دليل على انَّ النصارى كانوا يتَّخذون لهم اسمَين اسماً في العماد يدلُّ على نصرانيَّتهم واسماً آخر يُعرَفون بهِ . وهكذا كان يفعل بزماننا ايضاً كثيرون من النصارى . وقال في التاج انَّ الصواب في اسمه « عبد الرحمان بن مَرْقُس » امَّا في الحماسة فقال «انَّ اسمهُ عبد الرحمان ولقبهُ مرقس»

وقد ذكر المبرّد نسبهُ في الكامل (٥٦٣—٥٦٤) وابو تمام في الحماسة (ص٢٩٧) قالا : «كان من طيّئ واسمهُ عبد الرحمان احد بني مَعْن بن عَتُود اخي بُحتُر ثم احد حُتَيّ (ويروى حُيَي) بن مَعْن من بني طيّ كابي زُبيد السابق ذكرهُ وقد أجمع الكتبة كلهم بانهُ «شاعرٌ طائيّ» لكنَّهم لم يرووا لهُ من الشعر الّا ابياتاً من الرجز اثبتها ابو تمّام في حماسته (ص ٥٦٣—٥٦٣) قالها في لقاء بني مَعْن الحَرورِيَّة والحروريَّة قوم من الخوارج قاتلوا عليّ بن ابي طالب مع نَجدة بن عامر الحنفيّ نُسبوا الى حَرُوراء قرية تبعد ميلَين عن الكوفة كانوا اجتمعوا فيها فقال مرقس يذكر قومهُ (من الرَّجز) :

قد قارَعَتْ مَعْنُ قِراعاً صُلْبا ... قِراعَ قومٍ يُحسِنون الحَرْبا

تَرَى مع الروعِ الهِلامَ الشَّطْبا ... اذا أَحَسَّ وَجَعاً او كَرْبا (٢

دَنا فما يزدادُ إلّا قُرْبا ... تَمَرُّسَ الجَرْباءِ لاقَتْ جُرْبا (٣

هذا ما امكنَّا الوقوف عليهِ من اخبار وشعر هذا الطائيّ اثبتناهُ هنا مع قلّتهِ

(لهُ صلة)

---

١) ومن الشعراء النصارى الذين ذكرناهم سابقاً في «شعراء النصرانيَّة» (ص ٢٨٢) المرقّش الاكبر . ولهُ ابن اخٍ يُعرف بالمرقّش الاصغر قالوا انهُ دُعي بذلك لبيت قالهُ :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما ... رقَّشَ في ظهر اديم قلَمْ

وامل الصواب انَّ « المرقّش » صورةٌ اخرى لاسم «مرقس»

٢) الشَّطْب السَّبْط العظام الخفيف اللحم . (قال) واكثر ما يستعملون هذا الوصف بالهاء يقولون فرسٌ شَطْبة ٣) اي لا يتأخر عن الدنوّ من العدوّ بل يزداد مع الروع اقتراباً لمحاربتهِ . والتمرّس التحكُّك . اي تمرّس المثل بمثلهِ كالشاة الجرباء اذا لاقت مثلها

نظر في ترقّي العلوم (١٩٢٣—١٩٢٤)

للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ العلوم في عهدنا تقطع ببضعة اسابيع اشواطاً لم تقطعها سابقاً بعدَّة سنين فلا يمكننا ان نحصر في صحائف قليلة ما تضيق عنهُ مجلَّات واسعة . على انَّنا لا نريد ان نحرم قرَّاءنا من بعض ما تهمّهم معرفتهُ

١ فنون الطيران

﴿ الطيران بالادوات المتحرّكة ﴾ هذا الفنّ مع حداثة اكتشافهِ لا يزال يترقّى يوماً بعد آخر حتى كاد يبلغ أوج كمالهِ . وذلك (اوَّلاً) بتحسين ادواتهِ فان ارباب الطيران يجهدون فكرهم في اختراع اخفّ الأدوات المحرّكة واجدرها بقطع المسافات الطويلة واوفرها اقتصاداً لوَقود الغاز او البنزين فتعدَّدت تلك الادوات واختصَّت كل دولة بادواتها واشهرُها الادوات الاميركيَّة والافرنسيَّة

(وثانياً) بسرعة طيرانها . جرت في العام الماضي سباقات دوليَّة بين الولايات المتحدة وفرنسة وانكلترَّة فكان السابق الملازم الاميركيّ موغان (Maughan) فانهُ قطع في ساعةٍ ٣٨٠ كيلومتراً و ٧٠٠ متر

(ثالثاً) بطول مدَّة الطيران دون النزول الى الارض . كان الفوز لامريكيَّين ماك ريدي وكلي (Mac Ready et O. Kelly) فانهما قطعا القارة الاميركيَّة من نيويرك الى كليفرنية (٤،٧٠٠ كيلومتر) بمدَّة ٢٧ ساعة بمعدَّل ١٧٤ كيلومتراً في الساعة — وكذلك الانكليزيَّان سميث ورختر (Smith et Richter) طارا دون مسيس الارض مدَّة ٣٧ ساعة فقطعا ٤،٠٠٠ كيلومتر وكانت في خدمتهما طيَّارة ثانية يستمدَّان منها الوقود اللازم لمحرّكهما من غازات وزيوت ولاسيما من طعام سخن — وممَّا يستحقّ الذكر من هذا القبيل قطع اوقيانوس الاتلنتيكيّ من لسبون الى ريوجانيرو توفَّق اليهِ بعض الطيارين البرتغاليين في ١٧ حزيران سنة ١٩٢٢

(رابعاً) بالارتفاع الى اعالي الجوّ. كان المُجَلّي الفرنسويّ سادي لوكونت (Sadi-Lecointe) فانّهُ ارتفع في طيّارته الى علوّ ١٠،٧٤١ متراً

وانّما كان هذا الارتفاع دون أنتقال. امّا الارتفاع بجسولة وانتقال فنال فيهِ جزاءَ السباق الفرنسويّ كزال (Casale) اذ ارتفع الى علوّ ٤،٩٩٠ متراً حاملاً بطيّارته الف كيلو

٢ ﴿الطيران التجاري﴾ مرَّ في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ١١٦-١١٧) ذكر الطيران التجاري وخطوطهِ المتنوّعة. وقد زاد تحسُّنهُ في العام الاخير من وجوه مختلفة من حيث تحسين المحرّكات وتأمين حياة الركّاب من السقوط ومن الحريق وتجهيز القطارات لراحة المسافرين وتزويدهم بكل ما يحتاج اليهِ الراكب في سفرهِ

وكذلك قد تعدَّدت الخطوط التجاريّة في الهواء. فلبعض منها (دوليّة) كخطّ باريس الى لندن وخطّ «باريس بروكسل امستردام» وخطّ «باريس ستراسبورغ براغ ڤينّة بودبست بلغراد بقرش الاستانة» مع خطّ ثانوي الى ڤرسوڤية فتصل الى عواصم اوربّة المركزيّة والشرقيّة جرائد باريس في يوم طبعها. والبعض (فرنسويّة) تُوصل فرنسة بمستعمراتها الافريقية مارّةً باسبانية. ومنها الى رباط والى كازابلنكا. ففي الخمسة الاشهر الاولى من العام الماضي نقلت طيّارات هذا الخطّ ٩٩٥،٠٠٠ رسالة بزيادة ٥٤٥،٠٠٠ عن تلك المدّة في العام ١٩٢٢. ولفرنسة خطّ ثانٍ من مرسيليّة الى تونس مارّةً بكورسيكا. وخطّ ثالث قريب نجازهُ من كازابلنكا الى دكار. والبعض (المانيّة) او (انكليزيّة) وخطوطها دوليّة. فللمانية مركز من كونسبرغ الى روسيّة وبولونية ودنيمرك وهولندة وانكلترّة وسويسرة والنمسة والمجر. ومركز آخر في برلين الى شمالي اوربّة (دنيمرك اسوج نروج) وشمالي غربيّها (هولندة وانكلترة). والمانية ساعيةٌ حاضراً في تجهيز طيّارات تجتاز الاوقيانوس مارّةً باشبيلية الى بوينوس ايرس فتقطع نحو ١٢ الف كيلومتر بزهاء عشر ساعات

وقد اشتهرت بين الطيّارات التجاريّة طيّارة كودرون (Caudron) ذات الثلثة المحرّكات فانّها تمكّنت من نقل الف كيلو بين بلغراد وبودابست ومثلها طيّارات فرنسويّة وانكليزيّة تسير اليوم بين باريس ولندن سيراً نظامياً. وقد استبشرنا في انحائنا بسير طيّارات البريد بين الشام والعراق ريثما يتمكّن الناس من السفر فيها

٣ ﴿الطيران بدون محرّك﴾ هو فنّ ما كان ليحلم به احد قبل خمس سنين وهو الآن قد اصبح من ارقى الاختراعات وذلك بان يحلّق الطيّار بطيّارته من مكانٍ عالٍ فيطير محمولاً على اجنحة الرياح دون محرّك. وقد اتت عدّة امتحانات بنتائج حسنة. منها في العام الماضي انّ الفرنسوي بربو (Barbot) امكنهُ ان يبقى في الهواء اكثر من ستّ ساعات فقطع مسافة ٢١٢ كيلومترًا فوق اعالي ڤوڤيل (Vauvilles). وانّما سبقهُ في العلوّ الطيّار دِسكان (Descamps) في بِنكرا فبلغ الى علوّ ٥٠٠ متر

٤ ﴿الطيّارات المائيّة﴾ وهي المسمّاة هِدراڤيون (hydravion) فهذه الطيّارات التي وصفها المشرق سابقاً (٢١ [١٩٢٣] : ١١٥) قد اتت ايضاً بما يفوق الامل فانّ طيّارة افرنسيّة ذات محرّكين بقوّة ٥٢٠ حصاناً قطعت بحرنا المحيط في مدّة ستّ ساعات رغماً عن هبوب الريح العاكسة دون ان تنزل في مرافئ البلاد. وقطعت طيّارة اخرى البحر ذهاباً واياباً فسارت سيرًا منظّماً وانّما اصابها بعض الاذى قبل نهاية سيرها

٢ ترقّي السيّارات (الاوتوموبيل)

ليس اكتشاف السيّارات حديثاً وهي ترتقي الى مخترعها كونيو (Cugnot) سنة ١٧٦٩. وانّما بقيت سنين عديدة قليلة الانتشار لارتفاع اسعارها لاسيما لغلاء محرّكاتها كالبخار والبترول. وكانت لا تزال الى اوائل القرن العشرين معدودة بين وسائط البذخ والزهو لا يركبها سوى الاغنياء.

وها هي قد اصبحت اليوم من اسباب المماثلات الماديّة والوسائل الاقتصاديّة وكادت تبلغ الالوف في بيروت وانحاء الشام يركبها وجوه القوم وافراد العامّة. وقد تعدّدت اشكالها فمنها لراكبَين ومنها لأربعة ركّاب واكثر. وكذلك صورها تختلف اختلافاً عظيماً لسعي مخترعيها في تخفيف احتكاكاتها وتقليل اثقالها وسرعة حركاتها فبعضها تجري على دولاب واحد وغيرها على دولابين واكثرها على اربعة دواليب ومثلها المحرّكات وضروب الزيوت المستعملة لتسييرها فمختلفة جدًّا

ولاميركة الشماليّة الفوق على سواها من هذا القبيل فان عدد الاوتوموبيلات في فرنسة كلها بلغ في آخر سنة ١٩٢٢ ٣٦٠،٩٣٧ سيّارة وكان في الولايات المتّحدة

يفوق على ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ وهناك المصانع الكبيرة لتجهيزها فقد اصدرت في العام الماضي نحو مليوني سيارة لكل جهات اميركة واوربة. على انَّ السيارات الفرنسوية تفوقها من حيث حُسن هيئتها ومكانتها . ومما اثبت لها فضلها انَّ احدى سياراتها للمهندس كيغراس (Kégresse) قطعت في افريقية بلاد الصحراء فعادت سالمة . ومثلها سيارات فرنسوية دارت حول فرنسة فقطعت ٤٫٠٠٠ كيلومتر بمعدَّل نحو ٩٠ كيلومترًا في الساعة. ثم أُنشئت سباقات دوليَّة بلغت فيها بعض السيارات ١٨٠ كيلومترًا في الساعة

امَّا المحركات فصار عددٌ كبير منها يجري بقوَّة الكهرباء وفي ذلك ما يضعف حركة السيارات بتقليل اثقالها . ومن التحسينات التي اجراها مؤخرًا المخترعون انهم أراحوا الركَّاب من اهتزازات الاوتوموبيل على الرغم من توعرات الطرق بحيث تبقى المركبة مستقلَّة عن حركات الدواليب في مسالك وعرة فاذا هبطت الدواليب او ارتفعت بقي مقام الركَّاب ثابتًا فلا يكادون يحسُّون بتلك التقلُّبات

ومما يحسن ذكره هنا انَّ الفرنسويين في العام الماضي أمكنهم حرّ الاثقال ونقلها من بلد الى آخر على الاوتوموبيلات بواسطة الكهرباء والفحم الابيض فجاءت تلك الامتحانات غاية في النجاح فرأوا انهم بذلك يوفرون توفيرًا عظيمًا الزيوت والفحم الحجري الذي كانوا يحتاجون الى استجلابه من الخارج بمبالغ باهظة ولاسيَّما ان فرنسة غنيَّة بالانهار فتسهل الاستفادة من قوَّتها لتوليد القوَّة الكهربائية

٣ ترقي التلغرافيَّة اللاسلكيَّة

هذا ايضًا فنّ بديع حديث المهد لا يكاد اكتشافهُ يزيد عن ربع القرن الَّا انَّ ترقيهُ العجيب يفتح كلَّ يوم بابًا لفوائد جمَّة لم تكن في الحسبان لاسيَّما في هاتين السنتين الأخيرين كما ثبت ذلك بالمعارض التي أُنشئت في باريس وفي بعض حواضر فرنسة . وكان ذلك داعيًا لعدَّة امتيازات نالها المسيو ادوار برانلي (Ed. Branly) الاستاذ في كليَّة باريس الكاثوليكيَّة من قبل دولته والدول الاجنبيَّة فأُقيمت لهُ حفلات شائقة اعترافًا بفضله اذ مهَّد الطريق لمركوني فأثبت مبادئهُ بالتجربة

وممَّا بشَّر بهِ مركوني عالمَ العلم في ١٦ حزيران ١٩٢٢ انَّ الانباء البرقيَّة المرسلة

بواسطة التلغراف اللاسلكي يمكنها ان تسير دائرةً حول الكرة الارضيّة كلّها فتعود الى مركزها بسرعة البرق

وفرنسة لا تزال في مقدّمة الدول في تجهيز ادوات التلغراف اللاسلكيّ . فانّ مركزها في سَنْت أَسيز يسبق سواهُ في تبليغهِ الانباء اللاسلكيّة الى اقاصي البلاد

وممّا يستحقّ الذكر في هذا الباب ان العلّامة شربونو (Charbonneau) اكتشف تجهيزًا خصوصيًّا لإرسال الانباء الى غاياتها دون ان يطّلع عليها العدوّ في مسيرها لانّ تموّجات التلغراف اللاسلكي منيرةٌ ينظرها الجميع فلا يلبث العدوّ ان يعرف فحواها . فتمكّن المسيو شربونو من ان يحجب القسم المنير من التموّجات اللاسلكيّة فلا يُبقي منها الّا ما هو غير منظور كالاشعّة التي ما وراء الاشعّة الحمراء فلا تراها العين فاذا سارت من الباعث وبلغت الى غايتها يستطيع العامل الذي هو موكّل بالقابل ان يُعيد الى النظر تلك الاشعّة المحجوبة فيقف على معناها

وقد اكتشف ضابط فرنسويّ آخر طريقة سهلة ايضًا ليحجب النور عن نظر العدوّ بان يُجيز اشعّة الباعث بمركّب من اوكسيد النتنيس الذي يمتصّ الاشعّة المنظورة دون الاشعّة الواقعة ما وراء الاحمر فيكشف العامل ما حُجب منها عن نظر العدوّ

وممّا يعود الى هذا الباب نقل الصور الفوتغرافيّة بواسطة التلغراف اللاسلكي . وقد وصف حضرة الاب رفائيل نخله ما استجدّ من هذا القبيل (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٤٢٤—٤٣٥) . وفي العام الماضي قد حسّن الفرنسويّ ادوار بلان (Ed. Belin) اختراعهُ بحيث اصبح سهلًا نقل الصور الفوتغرافيّة الى مسافات بعيدة بالمجرى الكهربائي الاثيري . فترى اليوم بفضل هذا الاكتشاف عدّة جرائد تصويريّة تنشر ما صوّرهُ الفوتغرافيّون في بلاد شتى بكل سرعة

٤ تحسين التلفون اللاسلكي

التلفون اللاسلكيّ احدثُ عهدًا من التلغراف الاثيريّ الّا انهُ يشبههُ تحسينًا ان لم نقل كمالًا . فمن تحسيناتهِ انّ الاصوات المرسلة من الباعث صارت اليوم تقطع مسافاتٍ بالغة فيسمع الاوربّي ما يُلقى من الخطب ويمثّل في المسارح من الروايات في اميركا كما يسمع الاميركيّ اصوات الاوربيّين . ففي شهر آذار ١٩٢٣ سمع اهل زيلندة

الجديدة حفلةً موسيقيَّة اقيمت في نيويرك وبينها من المسافة ١٥٠٠٠ كيلومتر

ومن تحسينات هذا الفنّ ازالة ما كان يُسمع في الادوات القابلة من الاهتزازات المزعجة والاصوات الحادَّة ذات الخُنَّة المضحكة فأصبحت اليوم تلك الاصوات تبلغ الى السامعين بنغماتها الاصليَّة الصافية ويُضاف الى القابل اداة تقوّي الاصوات وتُجهرها

ومن عجيب الاختراعات الحديثة الراجعة الى التليفونيَّة تجهيز الاميركيين لقطارات السكك الحديديَّة بادوات تربطها بمراكز تليفونيَّة بحيث يستطيع الركّاب مدَّة سفرهم أن يطَّلعوا على اخبار العالم ويحادثوا عُمَّال المركز الباعث وقد حذت فرنسة حذوهم فجعلت ادوات بين خطّ باريس الى بوردو وبين برج ايفل ومركزَي راديولا والمكتب العلميّ الاعلى ليتمتَّع المسافرون بما يشاؤون من الاخبار والمسموعات

وفُجع في العام المنتهي عالمُ العلم بوفاة مكتشف التليفونيَّة الطبيعيّ اسكندر غراهام بل (A. G. Bell) كانت وفاتهُ في ٢ آب

٥ ترقّي السينماتغراف

انَّ الصور المتحرّكة في السينماتغراف كثيرًا ما تحتاج الى من يفسّرها او تكون هي ذاتها حركات خطيب او ممثل لا يُفهم معناها الَّا مع كلامهِ الحيّ . وهذا ما كان يسعى اليهِ الطبيعيُّون في هذه السنين الاخيرة لاسيما لتعليم الدارسين وقد تمَّ فعلًا في العام الماضي باكتشاف عجيب توثّق الفرنسويّ شرل دلاكومون (Ch. Delacommune) بتزويج التلفونيَّة والسينماتغراف بحيث يرتبط كلاهما ارتباطًا تامًّا فاذا تحرَّك السينما سُمع بالوقت نفسهِ الصوت الملائم للصورة البارزة فيهِ . وبهذه الطريقة يمكن السامعون ان يروا معًا صورة الخطيب ويسمعوا صوتهُ ويستطيع التلميذ ان ينظر صورة درسهِ ويسمع صوت المعلّم الشارح لها عند ظهورها

وبهذه النسبة يسرُّنا ان نفيد القرَّاء بما تتناصر فيهِ الدول حاضرًا لكبح جماح الذين يتَّخذون السينما كوسيلة لهتك حرمة الآداب بما يعرضونهُ من التصاوير الخلاعيَّة . وقد حبَّذنا عمل رئيس البلديَّة في الثغر اذ منع ارباب السينما من عرض صورهم قبل ان يفحصها المراقبون الرسميُّون

(لها بقيَّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

DIALECTORUM GRÆCORUM EXEMPLA EPIGRAPHICA POTIORA... edidit **Eduardus Schwyzer.** XVI-163 pp.. in-8°. Leipzig, S. Hirzel, 1923, 10 Marks broché, 12 relié.

اخصّ الكتابات اليونانيّة المختلفة اللهجات

معلوم انّ لقدماء اليونان لهجات مختلفة بين جهات بلادهم فمن هذه اللهجات كتابات عديدة كان نشرها سنة ١٨٧٩ بولس كاور (Paul Cauer) . وهذه طبعة ثالثة من ذلك المجموع المفيد الذي حسّنهُ واكملهُ العلّامة شفيزر حتى اخرجهُ بمخرج جديد فراجع ما اكتشف من تلك الكتابات بعد طبعهِ الاوّل فاضاف اليها ٢١٤ كتابة جديدة لا ذكر لها في مجموعة العلّامة كولتز (H. Collitz) مع فهرس مطوّل للمفردات والاعلام. وممّا تفرّد بهِ هذا المجموع ملحق جمع فيهِ المؤلف ما ورد في كتب الاقدمين من النصوص في اللغات اليونانيّة الدارجة. هذا فضلًا عمّا فيهِ من الفوائد الجمّة التي توقفنا على احوال اليونان القديمة في دينهم ودنياهم وشرائعهم وعلومهم . فنثني اطيب الثناء على مستأنف هذا العمل الجليل الاب ر . موترد

Halkin (Joseph): ATLAS CLASSIQUE, 1re partie, Géographie générale. *Namur, Ad. Wesmael-Charlier*, 1923, *Prix* 8 *f*,

اطلس مدرسيّ

هذا مجموع كبير الحجم لخوارط جغرافيّة لفائدة طلبة مدارس البيان يحتوي على عشرة الواح وفي كلّ لوح عدّة خوارط يبلغ مجموعها ٨٠ خارطة. ففي اللوح الاوّل صورة الارض بتراكيبها والثاني لاحصاء شعوبها ثم لوحان لهيئتها الطبيعيّة والباقي للجغرافيّة البشريّة. ومن محاسن هذا المجموع انهُ يرشد الطالب الى قراءة الخوارط واستحضارها ولا بُدّ ان سيكون لهذا الكتاب نجاح عظيم لحسن طبعهِ وضبط صورهِ. لم نجد ما ننتقدهُ فيهِ سوى اختلاط بعض الالوان ببعضها في الخوارط الملوّنة. كذلك لم يُفرز اللون الدالّ على الكنائس الشرقيّة عن لون الاديان الوثنيّة يع . ل

Michel Féghali et Albert-Cuny. Du Genre grammatical en Sémitique. 1 *vol*, in-16, 1923, *Paris*, *P. Geuthner*.

الجنس الغرامطيقي في اللغات السامية

هذا بحثٌ قلّما خاض فيه لغويّو العرب الذين خصّوا بنظرهم لغتهم دون سواها واذا ذكروا قواعد جنس الاسماء والافعال اقتصروا على اثباتها دون البحث عن اصولها واسبابها وعلاقتها بغيرها من اللغات السامية . فهذا لهذه الثلمة نشر وطنيّنا حضرة المنسيور ميشال فغالي استاذ العربيّة في جامعة بوردو ورصيفهُ ألبار كوني هذا التأليف فحاولا بيان ما يُروى في اللغات السامية عن المؤنّث اللفظي وصوره المختلفة التي كثيرًا ما كانت شبيهة بالمذكر فلم يُفرز الجنسان الّا بتمادي الأيام . وفي هذا الكتاب من الملحوظات الدقيقة التي نُحيل الى مراجعتها قرّاءنا اذ لا يسمح لنا الوقت بالاتساع في التنقيب عنها ل . ش

Tilke (Max): Studien z. Entwicklungsgeschichte d. orient.-Kostüms. 70 *pp.*, 126 *dessins*, *f°*, *Berlin*, *E. Wasmuth A. G.*, 1923, *Prix* 6 *Goldmarks*.

ابحاث في تطوّرات الازياء الشرقيّة

قد تخصّص صاحب هذا الكتاب بدرس الازياء الشرقيّة وملابس الشرقيّين فكتب فيها مجلّدين وهذا كتاب ثالث أُرسل الينا للانتقاد فنقول ان كاتبهُ جمع من المعلومات في تاريخ الملبوسات الشرقيّة منذ قرون البشريّة الاولى الى ايّامنا ما يتعذّر وجودهُ في كتاب آخر فيدرس تلك الازياء مباشرًا بأبسطها ثمّ وصف كلّ قطعة منها كالقميص والسروال واللبود الى الحلل الفاخرة مثبتاً اقاويلهُ بالنصوص القديمة والتصاوير المختلفة المنقولة عن آثار البابليين والحثيين والمصريّين وشعوب اميركة الهمجيين فلا يفوت شيء معرفةَ القرّاء وان اخطأ الكاتب في حكمه عنها وعن حسنها او قبحها ج . ل .

Speleers (Louis): Le Vêtement en Asie Antérieure. in-8°. p. 60 illustré. Extr. des Annales de la Société royale d'Archéologie de Bruxelles, t. XXXI, 1923.

وصف الملبوس في آسية الاماميّة

ليس هذا الكتاب شبيهاً بالكتاب السابق فانهُ يختلف عنهُ اوّلًا بكونهِ حصر

موضوعهُ في بلاد آسية الأماميّة ومنها بلادنا . ثمّ انهُ في أبحاثهِ عن الملبوسات لا يكتفي بوصفها وصفاً سطحياً وانّما يدرس خواصّها وعلائقها مع اخلاق الشعوب واحوال الزمان والمكان . واذا عرَضَ التصاوير القديمة شرح ما يُرى من ملابسها في وقفاتها المختلفة . ومن فوائد الكتاب فهرس امجم الملابس القديمة وتفسيرها ج . ل

Dr S. Guyer: Meine Tigrisfahrt auf d. Ploss nach d. Ruinenstaetten Mesopotamiens. 1 *vol. in-8° illustré*, 1923, *Berlin Verlag D. Reimer-Ernst Vohsen, Marks-or* 4, 80

رحلتي الى وادي دجلة وآثار ما بين النهرين

جمع صاحب هذه الرحلة بين اخبار سفرهِ من بيروت الى بغداد مارًّا باورفة وديار بكر والموصل وهو يف ما شاهدهُ في طريقهِ من الآثار القديمة فيحسن تعريفها ولا غرو فهو من علماء الماديّات . وقد اتّسع خصوصاً في ذكر ركوبهِ الأطواف على دجلة وما شاهدهُ على ضفّتي النهر . وممّا قالهُ عن بيروت انّ منظرها فتّان لا يعادلهُ شيء من مناظر المدن البحريّة حتى ولا نابولي نفسها الاب ه لامنس

J. André : L'Islam et les races, 2 vol., Paris, Librairie Geuthner, Prix 25 f

الاسلام والعناصر

ليس هذا التأليف لبحّاثة مستقلّ بدروسهِ وانّما صاحبهُ راوٍ لما وجدهُ في الكتب الشائعة ينوي بذلك افادة العموم دون الاختصاصيّين فهو يذكر في مجلّد اوّل صاحب الشريعة الاسلاميّة وقرآنهُ ثمّ يصف اطوار الاسلام القانونيّ وفي المجلّد الثاني يتتبّع اخبار الشيع والخوارج والتصوّف ثمّ يصف الاسلام كما هو منتشر في افريقية والهند والصين . وقد افرد فصلاً لحروب الصليب والهلال . . ورأينا في هذا التأليف انّ صاحبهُ اهمل امورًا كثيرة مهمّة فاتتهُ لا ندحة من درسها . والكتاب على كلّ حال مفيد لمن يرغب في الاطّلاع على احوال الاسلام اجمالاً ج . ل

Berthe Georges-Gaulis: La nouvelle Turquie. 1 *vol, in-16*, 1924, *Paris, Librairie Armand Colin, Prix 7f*

تركيّة الجديدة

قد أغريت مؤلفة هذا الكتاب بانقرة والكماليين على مثال سلفها پيار لوتي

فانها جعلت على عينها نظارة تحسن لها كل اعمال الاتراك فهي تجد فيهم كل فضيلة فتطنب في مدحهم . وعلى خلاف ذلك لا تجد في سواهم الا كل سيئة فتسكت عن فظائع الكماليين وتعظم اصغر نقائص اعدائهم وقد عرف الكماليون هواها بهم واذا ما رحلت الى انحائهم فخموها ونفخوها فتنخدع بهم وتصورهم على صورة هي نقض الحقيقة كما تشهد كل الجرائد عن مساوئهم اليومية . ولا ننكر على الكاتبة سهولة انشائها وبراعتها في رواية الاخبار وهذا مما يوجب الحذر من الاذعان الى كلامها المموه

الاب ه . لامنس

A. Conteneau: La Glyptique Syro-Hittite., 1 vol, 8°, 48 Planches, 1922 Paris, P. Geuthner, Prix 40 f

فن الحفر السوري الحثي

ان الآثار التي استخرجها الاثريون في هذه السنين الاخيرة من بقايا الحثيين قد غيرت رأي العلماء في فنونهم الجميلة ولاسيما في حفرهم التصاوير المختلفة التي كانوا يرسمونها في الصلصال الطري . بعد ان كانوا يعجنونه ويستحضرونه على صورة اسطوانات مستديرة او ألواح ساوية . وقد تعددت الآثار التي وجدت من هذين الصنفين فالدكتور كونتنو الشهير بابحاثه الشرقية قد جمع هذه الذخائر العلمية ووصفها وصفاً شائقاً وبين خواصها الفنية فاثبت ان الحثيين لم يحذوا في اعمالهم حذو الاشوريين بل تفردوا بها . وهو يتتبع اطوار تلك الآثار المحفورة التي يدعوها «سورية حثية» لوجود كثير منها في سورية التي ملك على قسم منها الحثيون في الالف الثاني قبل المسيح

ج . ل .

Haumant (Emile): Le problème de l'Unité russe. 1 *vol. in*-12, 4 *Cartes*, 1922, *Paris, Editions Bossard*, *Prix* 4*f*, 50

مسألة الوحدة الروسية

ان الاحوال السيئة التي صارت اليها روسية بتملك البولشفيك من شأنها ان تقلق العالم فيتساءل العقلاء ما سيؤول اليه امرها مع ما فيها من العناصر المختلفة . فهذا البحث قد سعى بدرسه المسيو هومان في هذا الكتاب فأفرد قسماً لكل عنصر من امم روسية كالوطنيين والتتار والبولونيين والروسيين البيض الخ ويعرف

ما لكل منها من الاخلاق والوسائط للفوز بالاستقلال . ويرى ان قسماً من امم روسية يستطيع ان ينفرد بالسياسة وقسماً يستطيع ان يتحد مع غيره على شبه الولايات المتحدة . وان الباقين سيصبحون طعمة في حكم الذين سيغلبونهم بالقوة . وستبينا الأيام ما في هذه التخمينات من الصحة

Bremond(Henri): de l'Académie française.POUR LE ROMANTISME. 1 *vol. in*-16, *Paris, Bloud et Gay*, 1923, *Prix* 10 *f*

الانشاء التخيلي (الرومانتيم)

قد غلب هذا الانشاء على القرن التاسع عشر فانتشر زمناً طويلاً في فرنسة فمنهم من يمدحهُ ومنهم من يقبحهُ فحاول مؤلف هذا الكتاب وهو كاهن من الاكادمية الفرنسوية ان يبيّن ان لهذا الانشاء اجداداً سبقوا القرن التاسع عشر وان فيهِ من الخواص ما لا يسمح برذلهِ ان بقي في حدودٍ معقولة كما اثبتهُ لبعض مشاهير الكتبة

Les meilleurs monologues et poésies à dire par les maitres du genre,recueillies par G. Jaladis 1 *vol, in*-18, 1924,*Paris, Librairie Stock Prix*, 6 *f*, 75

أفضل ما يحفظ من مقاطع وشعر فحول الشعراء

هذا كتاب غاية في الافادة لتلامذة المدارس يجدون فيهِ نثراً ونظماً المقاطيع والقصائد التي اشتهر بها مشاهير الكتبة الفرنسويين تفيدهم اذا درسوها واستظهروها لتحسين ذوقهم

A. DE LORDE ET HENRI BAUCHE : Les Drames célèbres du grand Guignol. *in*-16, *Paris, Librairie Stock*, 1924.*Prix* 7 *f*

مجموعة روايات تمثيلية

ليس تحت هذه الروايات كبير امر وانما وُضعت لتلهية العموم تمثل فيها أفظع الحوادث الفاجعة من فتن وثورات وقتل تثير في ناظريها الخوف والهلع وغير ذلك من الشواعر الباطلة

ج . ل

كتاب اللاهوت النظري : الجزء الثامن في نعمة المسيح

تأليف الخوري الياس الجميّل

طُبع في المطبعة العلميّة في بيروت ١٩٣٦ (ص ٢١٤)

ليس في اللاهوت مبحثٌ أدقّ وأعوص من المطالب المختصّة بنعمة السيّد المسيح ولذلك قد تعدّدت فيها الآراء فنها ما أبسلتهُ الكنيسة الكاثوليكيّة ورذلتهُ كضلال مبين في البيلاجيين والكلوينيين والجنسيانيّين ومنها ما لم تقطع بهِ فتسمح بتعليمه لأبنائها ريثما تتّضح لها الحقيقة بكل جلائها . وفي هذا الجزء من اللاهوت النظري لحضرة الخوري الياس الجميّل المتخرّج في كليّتنا كلام واسع في كلّ ما يختص بالنعمة وكنهها وانواعها واقسامها ومفاعيلها ونسبتها الى الله واهبها والى الانسان قابلها وحرّيّة الله بمنحها وكفاءتها لخلاص الانسان لو شاء ان يستثمرها وكلّ ذلك على اسلوب مدرسيّ قريب المنال ثابت البرهان . وقد كنّا نودّ تعريفاً اكمل للتوماويين والاوغسطينيّين (لا الاغنوسطيين كما جاء في الصفحة ١٠٦) والمولينيين ولمذاهبهم المختلفة

المشرع

ألّفهُ القس بولس سباط (ص ٢١٠)

هذه سبع محاضرات دينيّة يفيدنا حضرة صاحبها انهُ القاها في مصر وسوريّا وفلسطين متوخّياً بها التوفيق بين المسلمين والنصارى فنالت من اقبال الجمهور عليها واستحسانهم لها ما نشّطهُ الى جمعها وطبعها . وقد دعا كتابهُ « المشرع » تفاؤلاً بان يكون لطلّاب الحقيقة موردًا . وهذا ما نتمنّاهُ لحضرتهِ فعسى ان يُقبل عليهِ ايضاً اخوتنا المسلمون ليستضيئوا بنبراسهِ لعلّهم يرضخون لأدلّتهِ ل . ش

تاريخ الموصل

لمؤلفهِ القس سليمان صائغ

الجزء الاوّل : طُبع في المطبعة السلفيّة بمصر سنة ١٩٢٣ (ص ٢٦١)

اخبار الموصل متفرّقة يقتضي جمعها عناء عظيماً لم يثبط عزم احد ابنائها الكرام

حضرة القس سليمان صائغ الكلداني فكدّ ذهنهُ وأسهر عينهُ وتكلّف الابحاث المملّة التي أتانا اليوم بنتيجتها الشائقة في هذا الكتاب الجليل الذي ضمّنهُ زبدة الآثار القديمة والمرويّات المتبدّدة فقسمها على توطئة واربعة ابواب و ٧٤ فصلًا تتبّع فيها تاريخ الحدباء من اقدم عهد بنائها الى يومنا الحاضر فاستوجب ثناء اهلها جميعاً بل شكر سائر محبّي الشرقيّات. وقد وعدنا حضرتهُ بأن يفيدنا في جزء ثانٍ عن احوال الموصل الحاليّة فننتظرهُ بفروغ الصبر لتتمّ بهِ الفائدة

تأريخ هنيبال

عرّبهُ بتصرّف نعوم افندي المكرزل عن المؤرخ جاكوب أبوت

طُبع في مطبعة جريدة الهدى في نيويرك سنة ١٩٢٣ (ص ٢٢٩)

انَّ الحروب الفونيّة بين رومية وقرطجنّة لَمن أفجع الأحداث التاريخيّة وأعملها في القلوب . ومن المعلوم ان بطل تلك الوقائع كان القائد هنيبال الذي أضحى اسمهُ مرادفاً للفروسيّة والوطنيّة الصادقة . وهو احقّ من سواه ان يُتقن تاريخهُ مواطنوهُ الفينيقيّون وما كان الّا غرسةً من الدوحة الفينيقيّة نتهها سواحل افريقية الشماليّة . فنشكر صاحب جريدة الهدى الذي فكّر في تعريب هذا التاريخ الشهير فأجاد صورةً ومعنًى وأحسن تدبيجهُ بقلمهِ السيّال فعسى ان يبعث في قلوب الفينيقيّين الحاضرين روح شهامة هنيبال ويرشدهم الى الاقتداء بآثارهِ في خدمة وطنهم ل.ش

حول الكرة الارضيّة

لواضعهِ حنّا خبّاز رئيس كليّة حمص الوطنيّة

الجزء الاوّل. طبعة ثانية في مطبعة الوطن في سنتياغو تشيلي (ص ٢٩٥)

قليلون هم الوطنيّون الذين طافوا حول الكرة الارضيّة. وعليهِ سيُسرّ القرّاء بما اودعهُ المؤلف في رحلتهِ هذه من الاخبار والاوصاف الشائقة. وفي هذا الجزء تفاصيل سفرهِ الى الهند والصين واليابان سنة ١٩١٧ فضمّنها من المعلومات ما يلذّ ويفيد معاً سواء كان من جهة التاريخ ام من جانب وصف البلدان واخلاق شعوبها . فنشكر

جناب الكاتب ونثني لكتابه رواجاً كبيراً على انا نفيده بان الكنيسة الكاثوليكية اذا تنصَّر احد الوثنيين المتعدّدي الزوجات تسمح له باختيار واحدة منهنَّ أيةً شاء على خلاف ما اجاب القس البروتستاني في قصة سو الصينية (ص١٤٨—١٥٢)

مبادئ وصف ووظائف جسم الانسان

تأليف الدكتور عزيز جرجس

طُبع بالمطبعة الرحمانيَّة بمصر سنة ١٩٢٤ ص ١٤٧

قد قيل عن الانسان انهُ العالم الصغير في العالم الكبير ولعلَّ عكس هذا التحديد أصدق واصحّ وليس كدرس جسم الانسان شاهد يثبت ذلك لولا انَّ اشرف واخصّ ما فيه لا يقع تحت مشرط المشرّحين . وعلى كلّ حال يستطيع مجرّد معرفة الهيكل البشري ان يقفوا في سهم لهذا الكتاب على عجائب الله في هندسة بنائهِ وتركيب اجهزتهِ . وقد أتقن مؤلفهُ اوصافهُ ودقّق في تشريحهِ

اكليل غار لرأس المرأة

بقلم جرجي نقولا باز

طُبع في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت (١٢٦)

هذا الاكليل اللطيف ضفَّرته يد نسائيٍّ شهير طالما سعى بخدمة الجنس اللطيف بقلمهِ الرائع . وجنابهُ لا يرى في النساء سوى محاسنهنَّ في مواقفهنَّ المختلفة يعارضنَّ الرجال في كلّ اعمالهنَّ بينما يغضّ النظر عن مظهر الصورة . ولعلَّهُ يفعل حرصاً على عرضهنَّ وأملاً باصلاحهنَّ فنسأل الله ان يحقّق آمالهُ فنرى قريباً نهضةً نسائيَّة يُسَرّ بها الوطن والدين معاً فتنبذ بنات حوّاء بيننا ما يخلّ بشرفهنَّ من تهتُّك وازياء خلاعيَّة وعادات سيئة فيصحّ فيهنَّ قول الرسول الذي اثبتهُ المؤلف الفاضل كشعار في صدر كتابهِ « امَّا المرأة فهي مجدُ الرجل » وقد لحظنا في بعض رواياتهِ عن النساء ما لا سند لهُ في التاريخ كقصَّة القديسة مريم المجدليَّة وطيباريوس (ص ١٤) وقصَّة ستّ الملك (ص١٨) التي اليها يُنسب قتل الحاكم . وقصَّة استراتونيكي ملكة اشور (!)

ل . ش

يسوع قدوة الناشئة المسيحية

عربهُ عن الافرنسية القس مبارك الحاج البسكنتاوي

طُبع في مطبعة العلم في بيت شباب سنة ١٩٢٣ (ص٢٢٢)

نوصي بنشر هذا الكتاب الصغير في المدارس العموميَّة فانهُ نعم الدليل يرشد به احداث المدارس ليارسوا الفضائل المختصَّة بشأنهم في نعومة اظفارهم فيطبعوها في قلبهم لبقيَّة ايَّام حياتهم وقد قيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر

الكنز الثمين للعابد الامين

جمعهُ ووقف على طبعهِ الاب انطون صالحاني اليسوعي

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص٣٥٦)

كتاب صغير الحجم كبير النفع بل كنز روحيّ ثمين لاهل التقى والعبادة يحتوي اخصّ ما يحتاج اليه المؤمن من الصلوات الفرديَّة او الجمهوريَّة الخاصَّة او العموميَّة بحرف ناعم وتجليد انيق لا يملُّ من حمله الصغير ولا يسأم من تقليب صفحاتهِ الكبير

رواية الامّ الذنبة (رواية واقعيَّة)

تأليف القسّ مبارك ثابت الديواني الراهب اللبناني

طُبع في بيروت بمطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٤ (ص ٦٤)

قال الحكماء عن المرأة انها ملاك او شيطان . وفي هذه الرواية الواقعية التي عُني حضرة الاب مبارك ثابت بتأليفها يلوح الشيطان بكلّ نزغاتهِ ولولا صورة ملاكٍ هناك يكفّر عن الشيطان لالحقنا اللعنة بالمرأة وحيّاها الخناسيَّة

الخائن

مأساة ادبيَّة تاريخيَّة ذات ثلاثة فصول

عرّبها ا . ث ونشرتها مجلَّة الزهرة (حيفا ١٣٩٣ ص ٩٢)

موقع هذه الرواية في ارلندة سنة ١٧٨٥ وُصف فيها تمرُّد ولدٍ على ابيهِ الملك

واخيه وليّ العهد فتدور عليه الدوائر في حين يؤمل الانتصار عليهما . والرواية حسنة التعريب بالانشاء الرائع يتخلّلها شيء عن الشعر

الصحائف بقلم "مي"

طُبعت في المطبعة العالميّة بمصر سنة ١٩٢٤ (ص ٢١٤)

صحائف منتقاة بل صِفاحٌ ملوّنة عرضتها الكاتبة الوطنيّة "مي" على موائد الادباء في مواطن شتى ومجلّات مختلفة فأحبّت ان تجمعها في مأدبة واحدة ليختار منها كلّ قارئ ما يوافق ذوقهُ . والحقّ يقال ان الطاهية بارعة في استحضار أغذيتها الادبيّة لولا انّ تلك الاطعمة أطيب في المذاق منها في نظر الانتقاد . وذلك لانها تغلّب احياناً الشعور النسائي على الحقائق الوضعيّة . ولولا ضيق المكان لاثبتنا ذلك بالامثلة ولا نشكّ انّ كاتبتنا تدرك الامر والنبيه تكفيه الاشارة ل . ش

هدايا أرسلت الى المشرق

١ً منشور نيابة القاصد الرسولي السيّد فرديانو جيانبي في وحدة الكنيسة (طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة)

٢ً رسالة رعائيّة في الآداب المسيحيّة لسيادة المطران اغناطيوس مبارك رئيس اساقفة بيروت المارونيّ (طُبع فيها ايضاً ص ٢٧)

٣ً منشور سيادة المطران باسيليوس قطّان متروبوليت بيروت وجبيل ونواحيها في محبّة القريب (فيها ص ٢٤)

٤ً الدين والادب قصيدة رفعها الى غبطة البطريرك ماري الياس بطرس الحويك البرديوط بطرس حبيقة (فيها سنة ١٩٢٤)

٥ً بيان لمشروع مذبح قلب يسوع الاقدس في كنيسة الارمن الكاثوليك في حلب (فيها سنة ١٩٢٤ ص ٢٤)

٦ً مختصر القانون الاساسي والقانون الداخلي لحزب العمّال العام في لبنان الكبير (طُبع في مطبعة الاجتهاد لسنة ١٩٢٣ (ص ٢٧)

٧ً – ٨ً اعمال وقانون جمعيّة قلب يسوع الاقدس الخيريّة اليافية (طُبعا فيها سنة ١٩٢٤ ص ١٦ و٢١)

شذرات

﴿احتجاج﴾ كنّا وعدنا بأننا لا نُجيب على ما يكتبهُ في رسالة السلام الكاتب « شاكر المارديني » (كذا) الّا انّ ما ورد هناك في العدد الاخير في حقّ الاب جوان باطشتا اليانو يضطرّنا الى الاحتجاج عمّا ابتدعهُ من التُّهم الباطلة التي تثلم شرف احد كبار المحسنين الى الطائفة المارونيّة الكريمة وهو الذي خاطر مرّتين بحياتهِ في خدمتها وأدّى لها من الخدم الجُلّى التي اثبتناها بشواهد البطريركين ميخائيل وسركيس الرزّي وبأدلّة المعاصرين . ولو لم يكن للاب اليانو من الحُسنى سوى مساعيهِ بانشاء المدرسة المارونيّة في رومية التي بواسطتها ذاعت في كلّ انحاء اوربّة شهرة الموارنة لاستحقّ ان يبقى اسمهُ مخلّدًا في قلوب كلّ اهل لبنان . وانّما يسوءنا خصوصاً ذلك الانتقاد الزور الذي شوّه بهِ الكاتب كلّ اعمال الاب اليانو وصوّرها على غير صحّتها فابتخس بالوقت عينهِ شرفَ الكرسيّ الرسوليّ الذي كان الاب اليانو من اجلّ قوّاده فلم يصنع شيئاً الّا بايعاز الحبر الاعظم وبمشورة ومحامي الطائفة المارونيّة الكردينال كرافا وقد اثنى كلاهما على سائر اعمالهِ وحقّقا صدقهُ ونزاهتهُ في كلّ ما قالَ وكتب

﴿الفوضى في الكنيسة الابسكوباليّة في اميركة﴾ نشرت جريدة الرفيل (le Réveil) في عددها الصادر يوم السبت ٢٦ نيسان نبذةً عمّا وقع من الخلاف بين اعضاء الكنيسة الابسكوباليّة في الولايات المتحدة في المدّة الاخيرة . فخاف البعض ان يوقع كلام الجريدة ريباً في عقول الكاثوليك بخصوص معتقدهم في وحي الكتب المقدّسة . فنقول (اوّلًا) انّ هذا الخلاف احد نتائج المبدأ البروتستانيّ المعروف بحرّيّة الضمير في التفسير الشخصيّ للكتاب الكريم فتتناقض الآراء وليس هناك رأس يحكم في الامر حكماً فصلًا ولذلك قلنا لسيادة المطران مسرّة انّ اتّفاق الكنيسة الاورثذكسيّة مع الابسكوباليّين من الامور المستحيلة . ونقول (ثانياً) انّ ما ورد في النبذة المذكورة من الاعتراضات على وحي الاسفار الالهيّة قد حلّها العلماء الكاثوليك منذ مئين من السنين لاسيما في ما يخصّ بتوليّة العذراء مريم التي يسلّم بها المسلمون فضلًا عن المسيحيّين (اطلب المشرق ٣ [١٩٠٠] : ١٠٠٥ و ٤ [١٩٠١] : ٥٠١) وكذلك

ما يقال عن ميكال ابنة شاول (٢ ملوك ٦ : ٢٣) « انها لم تلد الى يوم ماتت » وعنها (٢ ملوك ٢١ : ٨) « انها ولدت خمسة بنين » هو غلط لبعض النسّاخ العبرانيين الذي أُصلح برواية قديمة صحيحة تبعتها ترجمتنا العربيّة فيجب ان يقرأ « ميراب » وليس ميكال كما يظهر ايضاً من الترجمة السريانيّة التي صحّفتها بندّب

﴿ عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن ﴾ كتب حضرة القس يوسف حبيقة في جريدة العلم (ع ٦٥ : ٢٩ آذار) بان المجمع المسكوني السابع النيقوي الثاني اثبت قضيّة انبثاق الروح القدس من الآب والابن . وحاول تأييد قوله بما ذكره صاحب كتاب تاريخ سوريّة (٦ : ٥٥٥) عن الكردينال يوليانوس الذي قدّم نسخة قديمة جدًّا من اعمال هذا المجمع وردت فيه تلك القضيّة صريحاً فراجعنا اعمال المجمع كلّها ولم نجد أثرًا لاثبات هذه العقيدة . أمّا النسخة القديمة المذكورة فقال ما نصّه (في المجلد ١٣ ص ١٤٦٢) انّها كانت « لاتينيّة » ولم يقبلها الآباء اليونان زاعمين انّ اللاتين هم الذين زادوها . وانّما وردت في المجمع المذكور صورة اعتقادهم المعروفة اي « المنبثق من الآب بالابن » لا « من الآب والابن » (ج ١٣ ص ٥٣٧) التي اتّفق عليها الروم واللاتين في المجمع الفلورنتيني . ومثل هذا استشهاد حضرته بدائرة العلوم اللاهوتيّة . ونكرّر لحضرته انهُ ليس لاهوتيٌّ يستند الى المجمع النيقوي الثاني في هذه القضيّة وكفى بهِ دليلًا على بطلان هذا المدّعى

﴿ اهتداء رفيق صيني الى الايمان الكاثوليكي ﴾ تصدّى منذ عهد قريب بعض المعتدين الصينيين وهو الجنرال والمرشال سوكولنغ رئيس شرطة شنغاي فرموهُ بالرصاص فبقي أيّاماً في قيد الحياة وكان المعتني بامرهِ طبيب كاثوليكي يدعى اولستونغ فاهتدى على يدهِ وطلب العماد قبل وفاتهِ فكان لاهتدائهِ وقعٌ عظيم

﴿ الماسونيّة في بعلبك ﴾ انبأنا الثقة بان المحفل الماسوني في بعلبك سارت اليهِ الفوضى فانقسم اعضاؤهُ وبلغت جلبتهم العموم . فهذه ثمرة تلك الشجرة الفاسدة مهما طنطن اصحابُها بشعار « الحرّيّة والمساواة والاخاء » . ومثلها سوء احوال الاحرار في حلب

—﴿ اصلاح غلط ﴾— انّ ما قالهُ في العدد السابق (ص ٣٦١) س ١١–١٢) الاديب يوسف مدوّر عن تناول الحاضرين يوم جمعة الآلام ليس صحيحاً وانّما يتناول يومئذٍ القربان الكاهن وحدهُ — وكذلك وقع التباس (في الصفحة ٣١٧) بين اسمي « اسعد داغر » مترجم قصّة عمر وجميلة و« اسعد خليل داغر » صاحب تذكرة الكاتب . فوجب التنبيه

أسئلة وأجوبة

س كتب الاديب ب . د . قال : « جمعني نادٍ مع بعض الاصحاب وكان بينهم رجل من الاحرار فدار الحديث على الرهبان فادعى الحرّ وهو نصرانيّ انّ الرهبانيّات لا ذكر لها في الانجيل ولا في تاريخ النصرانيّة الاولى . فاتّفقنا على ان نعرض لحضرتكم هذا الشكل راجين من فضلكم ان تجيبونا عنهُ جواباً مقنعاً »

الرهبانيّات في الانجيل والتاريخ القديم

ج نجيب على جناب المعترض أنّهُ لم يميّز بين اصول الرهبانيّات وبين نظامها . امّا (اصولها) فهي بلا شكّ راقية الى السيّد المسيح تشهد على ذلك عدّة آيات من الانجيل الكريم . وكلّ يعلم ان جوهر الرهبانيّات يتوقّف على طلب الكمال بواسطة النذور الثلثة اعني الفقر والعفّة والطاعة التي بها يتجرّد الانسان باختياره عن اموال العالم ويمارس البتوليّة الدائمة ويقبل الخضوع لرئيس شرعي دينيّ . والحال انّ هذه الامور الثلثة قد صرّح بها المسيح غير مرّة أمّا طوب الفقر بالروح (متى ٥ : ٣) أمّا دعا الشاب الطالب منهُ الكمال بقوله : « بع كلّ ما لك واعطه الفقراء واتبعني » (متى ١٩ : ٢١) أمّا وعد من يهجر كلّ شيء لاجل اسمه بالمئة ضعف وبالحياة الابديّة (متى (١٩ : ٢١) الخ . وكذلك العفّة دعا اليها بتطويب انقياء القلوب (متى ٢ : ٧) وهاجري الزواج لاجل ملكوت الله (مرقس ١٠ : ١١) والخاصين نفوسهم لاجل السماء (متى ١٩ : ١٢) . ومثلهما الطاعة في آيات متعدّدة (لوقا ١٠ : ١٦ ؛ ١٤ : ٢٦ الخ) — امّا (تنظيم الرهبانيّات) انّما ابتدأ في اواسط القرن الثالث لاسيما في بلاد الصعيد بهمّة القديسين انطونيوس الكبير وباخوميوس واوجين وغيرهم . لكن العيشة الرهبانيّة المنفردة بخلاف النذور المذكورة فقد شاعت في انحاء الكنيسة حتى في عهد الرسل كما ورد في سفر الاعمال عن المؤمنين الاوّلين (٢ : ٤٥ و ٤ : ٣٤) . وكما يُذكر في تاريخ الشهداء وغيرهم

س سأل احد قرّائنا الكرام أصحيحٌ انّ النور ينبعث في سبت جمعة الآلام في قبر المسيح

النور في قبر المسيح يوم سبت جمعة الآلام

ج هذه احدى الخرافات التي يشيعها بعض ذوي الغايات وقد زيّفناها مراراً في المشرق بشواهد واضحة واقرار الروم انفسهم (اطلب المشرق ١٢ [١٩٠٩] ١٩٣ —

١٩٤ و ٣١٦–٣١٧ ثم ١٦ [١٩١٣] : ١٨٨ – ١٩٧) وفي السماح باشاعتها كمعجزة ما يستدعي الى نسبة الافك والكذب الى النصارى

س وسأل حضرة راعي كنيسة الارمن في دمشق هل افامية هي مدينة حماة ؟

افامية ومدينة حماة

ج افامية او فامية مدينة قديمة جليلة لم يبقَ الّا قليلٌ من آثارها وهي غير حماة واقعة شماليًّا على مسافة نحو ٣٠ كيلومترًا على ضفّة العاصي اليمنى بقربها بحيرة تُنسب اليها وهي شرقيّ اللاذقيّة تبعد عنها نحو مرحلتين وبجوارها آثار قلعة قديمة تُدعى قلعة المضيق يُطلق اليوم اسمها على افامية

س وسأل احد ادباء دمشق أتُعَد التاء في « ذات وذوات » اصليّة او زائدة ؟

التاء في ذات وذوات

ج ليست هذه التاء اصليّة ومن ثمَّ تُكسر تاء جمعها في حالة النصب . قال في اللسان (٢٠ : ٣٤٦) : « يقال : رأيتُ ذواتِ مالٍ فتُكسر التاء في الجمع موضع النصب كما تُكسر تاء المسلمات في قولك « رأيتُ المسلماتِ » لان اصلها هاء لانك اذا وقفت عليها في الواحد قلتَ ذاهْ بالهاء ولكنها لمَّا وُصلت بما بعدها صارت تاء »

س وسأل الاديب انيس زكريا النصولي أطُبع قاموس الجوهري المعروف بالصحاح وابن يوجد منهُ نسخ مخطوطة ؟

صحاح الجوهري

ج جناب السائل كان اسمهُ تصحّف في المشرق (ص٣١٦) بغيبتنا فكُتب « زكرت » وقيل عن كتابهِ في معاوية انهُ طُبع في دمشق والصواب « في بيروت » . امّا سؤالهُ عن صحاح الجوهري فنفيدهُ انَّ هذا القاموس طُبع في طهران سنة ١٨٥٤ ثم تكرَّر طبعهُ في بولاق (١٨٦٥ و١٨٧٥ الخ) . ومنهُ نسخ متعدّدة في كلّ المكاتب الشرقيّة وخصوصاً في المكتبة الخديويّة في مصر . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة ثمينة غير كاملة

ل . ش

المشرق

نظر في الطرفة النفيسة

من

تاريخ الكنيسة المسيحيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

تلطَّف حضرة مؤلف هذا الكتاب الخوري عيسى اسعد فاهدانا نسخةً من تاريخهِ الجديد الذي وُعدنا بنشرهِ منذ السنة ١٩٢٢ . ولم تأخذ عليهِ تأخيرهُ في ابرازهِ بل وجدنا في ذلك دليلًا على تروّيهِ في العمل ونفورهِ من التهوُّر والمثل يقول «ان العجلة من الشيطان» او كما يقول الحلبيُّون «الطعام الطيِّب بطيئاً يطلع»

فكان اذن مأمولنا ان نمتع الابصار بتاريخ لزم صاحبهُ جادَّة الصدق وقاس كل رواياتهِ بمقياس العقل وسبَرها بمكيال الحكمة ولاسيما ان الكاتب احد « الاحرار » بين اهل حمص ولعلَّهُ هو زعيمهم كما يقال

فما اشدَّ ما كان اندهاشنا بعد ذلك اذ قلَّبنا بعض صفحات الكتاب فوجدنا في كثير منها من التحامل على الكنيسة الكاثوليكية الرومانيَّة ما طالما عوَّدنا عليهِ الدُّعداء من البروتستانت واشباههم فقلنا : عادت الى عِثْرها ليس . وانَّما العادة طبيعة ثانية قلَّما يمكن اصلاحها

ومن ثمَّ لم نجد بُدًّا من اجالة نظر الانتقاد الصادق في هذا الكتاب الجديد فنبيِّن بكلام وجيز بعض ما فيهِ من الشطط . قلنا «بكلام وجيز» اذ ليس يمكن بصفحات قليلة أن نفنِّد بندًا بندًا كل ما وقع في هذا التأليف من الاغلاط فانَّ

تفنيدهُ التامّ لا تحصره عدّة مجلّدات ولا نأبى مع ذلك إن طلب منّا حضرتهُ او احد قرّاء كتابهِ ردًّا مفردًا على بعض مزاعمهِ الخاصّة ان نعود الى البحث علميًّا عن تلك المزعومات

١ اسم الكتاب

واوّل ما وقع عليهِ نظرنا اسمُ الكتاب دعاهُ مؤلفهُ «طُرفة نقيّة» فالطرفة ما يُبتدع من المُلَح . ولم نجد في الكتاب سوى منقولات عن تآليف اشاعها خصوصاً اعداء الكثلكة بالعربيّة واليونانيّة والانكليزيّة ولو كان حضرتهُ دلّ في ذيل كلّ صفحة على اسانيدهِ لكان زادنا ثقةً في قولهِ وكانهُ وثق بقرّائهِ فعلم انهم لا يطالبونهُ بمصادر مروياتهِ فيقبلون جزافاً سائر آرائهِ لما يعهدون منهُ من العلم الواسع والنزاهة والاستقامة . وانهم يكتفون بما وضعهُ في صدر الكتاب «انهُ استخلصهُ عن نخبة من ثقات المؤرخين النزهاء»

ثم دُعيَت هذه الطرفة «نقيّة» يريد حضرتهُ انهُ لا يشوبها شيء من المساوئ المشوّهة لحسنها فهي كمرآة الغريبة التي يُضرب المثل في صفائها . وقد ظهر لنا لأوّل وهلة ان تلك النقاوة المزعومة اسمٌ بلا جسم وانّ الجراثيم البوبيّة والميكروبات السامّة معشّشة فيها . فهيهات ان يَصدُق في كتابهِ ما رواهُ في صدرهِ عن عظم رتبة التاريخ وهو احقّ بان يُقال عنهُ ما قالهُ بعض كبار المؤرّخين «انّ التاريخ اصبح في ايدي اهل زماننا مؤامرةً ضدّ الحقيقة» وها نحن نبيّن ذلك في الصفائح الآتية

٢ تاريخ الكنيسة المسيحيّة في عرف الخوري عيسى

واوّل ما يقتضي التنبيه اليهِ انّ الخوري عيسى بوضعهِ هذا الاسم في صدر كتابهِ اراد ان يفيد العموم بانهُ لم يحصر عملهُ في كنيسة واحدة او طائفة خصوصيّة وانّما اراد ان يشمل بتاريخهِ كنيسة المسيح جمعاء اعني كما انشأها الربّ في حياتهِ ووصفها لتلاميذهِ «جماعة بشريّة ألّفها لغاية دينيّة سامية ذات رأس واعضاء خاضعين للرأس» اذ لا تقوم جماعة الّا ان يكون عليها رئيس يسوسها وتنقاد لاوامرهِ . وكأني بحضرة الخوري عيسى جهل ذلك او تجاهل فيذكر اوائل الكنيسة وإنشاءها ويضرب الصفح

عن اقوال المسيح لهامة الرسل: «انت الصخرة ... وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ... ثبّت اخوتك ... ارعَ خرافي ونعاجي» فكل هذه الآيات التي تطنّ لها مسامعُ الشمّ لم تقوَ على ايقاظ فكرة الخوري عيسى. ومجمل ما قالهُ عن بطرس (ص ١٣) «انهُ كان من اكثر التلاميذ غيرةً ونشاطاً وتعيَّن بعد العنصرة لتبشير اليهود» وهو لا يرى كلّ آية من فصول اعمال الرسل الاولى باجمعها لا تنطق الّا عن بطرس ورئاسته: في اقتراحهِ لاختيار متيّاس بعد صعود الربّ. في دفاعهِ عن اخوتهِ يوم عيد العنصرة. في تبشيرهِ لليهود. في تبشيرهِ للامم. في رئاستهِ لمجمع اورشليم. في ذكر كلّ عجائبهِ دون سواه حتى انّ ظلّهُ كان يشفي المرضى. في اهتمام كلّ الكنيسة لامرهِ يوم يزجّهُ اغريباس في الحبس (فليراجع حضرتهُ مقالة الاب انطون صالحاني في رئاسة بطرس في المشرق ٢٠[١٩٢٢]: ٣٣٢–٣٤٧ وليخطّئ حرفاً منها ان امكنهُ) أفهكذا يُكتب تاريخ الكنيسة المسيحيّة؟ ويضلّل رجلٌ عالم قومهُ باخفاء النور عنهم؟

وكما سكت حضرتهُ عن رئاسة القديس بطرس كذلك لم يكد يرى اثرًا لرئاسة خلفائهِ الاحبار الرومانيّين بسلسلة متواصلة من عهد الرسل الى ايّام فوطيوس سواء كان باقرار الآباء عنهم ام باعمالهم الدالّة على تمام سلطانهم. فهو يجهل شهادات اغناطيوس النوراني وايرينيوس في اثره الجديد الذي مرَّ وصفهُ (المشرق ٢٠[١٩٢٢]: ١٣٤–١٤٠) وكلاهما تلميذ الرسل مع شواهد لا تُحصى للآباء الاوّلين كايريناوس وترتليانوس وقبريانوس ويوحنا فم الذهب الخ الخ وكذا اعمال الاحبار الرومانيّين مباشرةً باقليمنضوس تلميذ بطرس وحكمهِ في منازعات اهل قورنتس وغير ذلك من المآثر الجليلة التي ذُكرت في سنتي المشرق (٣[١٩٠٠]: ٢ و ٤٢ ثمّ ٤[١٩٠١]: ٨٠٧) مع ما ورد ايضاً في الآثار المسيحيّة القديمة (المشرق ٦[١٩٠٣]: ٥٧٧) ويشهد عن هذه الرئاسة المسلمون فضلاً عن النصارى بنصوص عديدة (المشرق ٥[١٩٠٢]: ٢١٧) حتى انهم يدعون الاحبار الرومانيين «بطاركة المالكيّين» كما اثبت ذلك مؤخرًا الاديب ح. ز. في جولتهِ مع الهدّية

أفلهذا الحدّ بلغ جهل الخوري عيسى حتى انهُ لم ينبس عن كلّ ذلك ببنت شفة؟ ويا ليتهُ كان سكت فقط عمّا يطعن بفوطيوسيّتهِ الّا اننا نراهُ يتتبّع كلّ عمل

من الاحبار الرومانيين فيشوّهه ويرشقه بالملام وان وجد خللاً عظّمه ونادى بالويل والثبور وشنّع على اصغر قذى يراه في عين الكنيسة الرومانية وهو لا يكاد يشعر بالخشبة بل اضخم الخشبات التي في عين ذويه . فيمكننا ان نبيّن بالبرهان انّ حضرته لم يذكر خبرًا واحدًا من اخبار الكنيسة الكاثوليكية بنزاهة واستقامة . ولعلّ عذره استناده الى مصادر مكدّرة بكلّ اوساخ العداوة الرومية . ولو شاء لوجد حتى بين الروسيين واليونان الاورثذكس من يزكّي الكنيسة الكاثوليكية ويقرّ بما لها من الفضل على العالم اجمع كفى بذكر سولوفياف الكاتب الروسيّ الشهير

وممّا اتخذه سلاحاً لمحاربة البابويّة ما حدث في القرن الرابع عشر من تعدّد الباباوات وهو مشكل . سمح الله بحدوثه وخرجت منه الكنيسة بعد هذه المحنة بقوّة جديدة وكان كلّ فريق بطاعته لاحد البابوات يتبع فيه صوت ضميره لعدم وضوح الامر ولا يشكّ في شرعيّة الواحد منهما . ولكن اين هذا ممّا رأيناه وطالما تكرّر حتى في ايامنا الاخيرة من « تعدّد البطاركة المسكونيين » يُعزل الواحد بعد الآخر حتى عاش اربعة وخمسة بطاركة في وقت واحد لتحزّب السينودس عليهم او اجابةً لطلب السلطة المدنيّة

ولو لم يحجب حضرة الخوري نظره عن النور لكفاه ان يرى العالم كلّه يطأطئ برأسه معجباً امام رؤساء الكنيسة الذين عرّفهم وشرّفوا منذ بيوس التاسع الانسانيّة بتعاليمهم واعمالهم وهو يطّلع كلّ يوم على صحائف الاديان المختلفة . وقد اتفق اليونان مع غيرهم من ذوي الاديان غير الكاثوليكيّة على اقامة تمثال للحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في عاصمة الاتراك دفعوا وحدهم ثمنه من مالهم شكرًا له على مساعدته المنكوبين . وعلى مثاله يجري خلفه بيوس الحادي عشر المالك سعيداً فيعول نحو ١٥٠،٠٠٠ من أحداث روسيّة الاورثذكس

وماذا نقول عن الخدمات المعدودة بالمئات والالوف التي قدّمها في كلّ أين وآن الكرسي الرسولي للافراد والجماعات ولكلّ امّة من الامم من شرقيين وغربيين وليست اوربّة الآثرة تفانيه ومحبّته تشهد عليهما الوف المجلّدات وعشرات ألوفها لمّا خلّص الباباوات اوربّة من البرابرة ومدنّوهم . لمّا وضعوا حدًّا لاستبداد الملوك وظلمهم . لمّا سنّوا الشعوب السنن المسيحيّة . لمّا سعوا بتحضير الامم . فكلّ ذلك لا

حساب لهُ في تاريخ الخوري عيسى . واذا روى منهُ شيئاً نسبهُ الى اغراض دنيَّة !

٣ تاريخ الارثذكسيَّة في عرف الخوري عيسى

وبعد ان صوَّر الخوري عيسى الكنيسة المسيحيَّة بلا رأس وتحامَلَ على الكرسي الروماني فماذا يبقى له من كنيسة المسيح ؟ أكنيستهُ الشرقيَّة ؟ ولكن اذا نزعها عن الكنيسة الرومانيَّة أتبقى كنيسةً للمسيح ؟ فان سلَّمنا لهُ بانها رسوليَّة راقية بسلسلة اساقفتها الى عهد الرسل . فاين وحدتها ؟ وترى اختلافها حتى في الجوهريَّات فبعض الاورثذكس يقبلون اسفار التوراة الثانويَّة كموحًى بها وغيرهم ينكرون ذلك بموجب تعليم البروتستانت . تقبل كنيسة روسيَّة عماد الكاثوليك وتنكرهُ كنيسة اثينة ؟ وغير ذلك من التعاليم المتنافية . واين قداستها ؟ ولم تثبت الى اليوم بفحص قانوني مدقَّق قداسة احد الاورثذكس وصحَّة عجائبهِ . واين خصوصاً كاثوليكيَّتها ؟ وهي تردّد كلَّ يوم في دستورها اليوناني : أومن بكنيسة كاثوليكيَّة (Πιστεύω εἰς Καθολικὴν Ἐκκλησίαν) وباعترافها تحكم على نفسها وعلى ذويها بالضلال

وكفى تسويدًا لصحيفة الكنيسة الاورثذكسيَّة انَّ رؤساءها يتقرَّبون اليوم الى الفرق البروتستانتيَّة وينبذون بفعلهم هذا كلَّ ماضيهم ويُضحّون كلَّ امتيازاتهم (راجع تفاصيل ذلك في تاريخ الخوري عيسى ٣٤٢—٣٤٧)

وكم تذلَّل بطاركتها امام السلطة المدنيَّة فالتمسوا رضاءها صاغرين بدلًا من ان يصونوا وجههم ويذبُّوا عن شرف مقامهم كما تفعل الكنيسة الكاثوليكيَّة بازاء الملوك وقوَّات الارض فانها وحدها عرفت ان تردّد كلمة القديس بطرس بازاء مجمع اليهود : «لا نستطيع» . وكان جزاء خضوع البطاركة المسكونيين للسلطة المدنيَّة ان قطعت غير مرَّة الرؤوس المنحنية امامها

وممَّا يوقفنا على تذلّل بطاركة القسطنطينيَّة للسلاطين بني عثمان انَّ اوَّل بطريرك دخل الاتراك المدينة في ايَّامهِ وهو جنَّاديوس قبل من ايدي محمَّد الفاتح شارات سلطتهِ الدينيَّة كما كان يفعل ملوك الروم قبلهُ (١ ويفتخر الخوري عيسى بهذه الامتيازات (ص ٢٨٢) . دونك صورة البطريرك جنَّاديوس عند اقدام محمَّد الثاني

١) اطلب تاريخ هامر Hammer : *Hist. de l'Empire Ottoman. vol.* III. 2-3

نشرها جول دوفو (J. Duvaux) في تاريخ تركيَّة (ص٢٥) للمؤرخين راول بورديه (R. Bourdier) ولاونزد تشوزكو (L. Chozko) من علماء المستشرقين

تمثل هذه الصورة ما رواهُ المؤرخ اليوناني فرانتزاس (ك ٣ص٦٨) عن البطريرك جرجس سقولاريوس المعروف بجنادیوس لما قلَّدهُ السلطان محمَّد الثاني الفاتح السلطة على رعاياهُ الروم (اطلب تاريخ المملكة العثمانية تأليف هامر ج ٣ ص ٢-٤)

هذا ما اكتسبهُ بطاركة الروم فبدلًا من خضوعهم الاختياري لخليفة المسيح خضعوا مرغومين لخلفاء محمَّد . وقد تكرَّر بعد الحرب الكونيَّة صدى جور الاتراك بمعاملة انقرة للبطاركة المسكونيين . فما قول الخوري بكل ذلك ؟ أيسوغ له الفخر بالكنيسة الارثذكسيَّة؟ او لا يخجل بان يعارض بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية؟ وليس لبقيَّة الكنائس المنفصلة عن رومية حقٌّ اعظم بالافتخار فانها منذ انفصالها عن

كنيسة المسيح الوحيدة لم تزل تتقهقر شيئاً فشيئاً حتى هبطت الى الحضيض واصبحت عقيمة لا روح فيها كالموميا المحنطة لا تجري اليها مائية الحياة الالهية . وعلى خلاف ذلك الكنائس التي جدّدت اتصالها بمركز الوحدة من روم كاثوليك وسريان وكلدان وارمن واقباط وحبش فانها في ازدهار يومي تؤتي بغلاتها الشهية بدلاً من الواحد ثلثين وستين ومئة بعد ان قاسى ابناؤها اشدّ الاضطهادات من اخوتهم المنفصلين ليفوزوا بالاستقلال

٤ الهرطقات الدينيّة في عرف الخوري عيسى

وهنا باب آخر احبَّ الخوري ان يطرقهُ — ويا ليتهُ لم يفعل لشرفهِ — وذلك انهُ اتسع في خلال كتابهِ بذكر البدع التي قامت في النصرانيّة وكان رسول الامم سبق وانبأ ان لا بُدَّ من وقوعها (١ كور ١١ : ١٩) فتراهُ اذا ذكر تلك البدع لم يكد يصف الّا القليل من اضاليلها بل يتقصّد فيها ما يُشتمّ منهُ بعض المعارضة لرومية فللحال يميل مع المبتدعين على عاصمة الكاثلكة ويحبذ افعالهم كشأنهِ على ترتليان (ص ٥٧) المنتمي الى بدعة المونتانيين

ومن ذلك ما كتبهُ عن هرطقات الثانداليين والالبيجيين والبلغاريين والوالديين والبوهيميين والهوسيين وشيع البروتستانت فهو غالباً لا يُحسن وصف تلك البدع وتعاليمها المقوتة ويلوم الكاثوليك في معارضتها وتبشيرها . ولو خصصنا بالذكر ما يقولهُ (ص ٣٨٠ = ٣٨١) في الجنسينيّة والجدالات التي قامت بسببها بين مشايعيها و «الجزويت» لرأيتَ عجائب وغرائب حتى لم يكد يثبت من كلامهِ شيء صحيح . وكثيراً ما ينقل عن غيرهِ من الكتبة دون ان يدرك المسائل فيهرف بما لا يعرف . وكذلك فعلهُ في وصف المجامع المضادّة لسلطة الكنيسة كمجمعي كونستانس وبازل (٢٥٤—٢٥٦) فانهُ دائماً بجانب المضادّين . وكم شطَّ في وصف المجمع التريدنتيني (٣٢٦—٣٣٠) . أمّا المجمع الفلورنسي فان حضرة الخوري انتصر لمرقس الافسسي (٢٢٩—٢٣١) على كل آباء المجمع كأن مرقس الافسسي وحدهُ خلّص الكنيسة التي ضلّت وتقدّس باسرها وبطلت مواعيد المسيح القديس بطرس فقويت عليها ابواب الجحيم

٥ اغلاط مفردة واضحة

رأيت في ما سبق ان حضرة الخوري عيسى جارَ عن الحقّ في عدّة امور اجماليّة واتّبع جادّة الوهم والضلال. وها نحن نعدّد هنا بعضاً من اغلاط تاريخهِ الواضحة وهي برضٌ من عدّ ونقطة من بحر

﴿ الصفحة ١٠ ﴾ ينسب حضرتهُ الحكم في المجمع الرسولي للقديس يعقوب اخي الربّ ولا يقول شيئاً عن رئاسة بطرس عليهِ مع انّهُ هو الذي تصدّر فيهِ وحكم الحكم الفصل الذي صدّق عليهِ يعقوب

﴿ الصفحة ١٥ ﴾ فرق بين يعقوب الصغير ابن حلفى ويعقوب اخي الربّ . والمشهور انهما واحد . ومن سيئاتهِ انهُ جعل يعقوب المذكور « ابناً لحلفى وأحد اولاد يوسف من زوجة سالفة » . وهذا افتراء في حقّ القديس يوسف البتول فنّدهُ حضرة الاب انطون صالحاني في مقالة واسعة ردّ فيها على الارشمندريت الياس زلزل سنة ١٩١٣ . ومثلهُ فعل سنة ١٩١٢ المرحوم المعلّم ظاهر خيرالله عطايا الاورثذكسي في كتابهِ الادلّة الغرّاء (ص ١٩٣—١٩٤) والمذكور كتابٌ واسع في بتوليّة القديس يوسف ردًّا على المطران هواويني ومجلّتهِ الكلمة أطلعنا عليهِ قبل وفاتهِ

﴿ ص ٢٠—٢٤ ﴾ خلط حضرتهُ تاريخ الاضطهادات العشر فجعل الامبراطور ادريان احد المضطهدين ولا احد ينظمهُ في جملتهم وان قُتل في عهدهِ بعض الشهداء في الولايات على خلاف امرهِ . وبعكس ذلك ضرب صفحاً عن اوريليان صاحب الاضطهاد التاسع الذي اصدر فيهِ حكمهُ وان لم تطل مدّتهُ لموت الملك سريعاً

﴿ ص ٢٣ ﴾ ليس بصحيح ما قالهُ عن غاليو كابل (كذا) «انهُ لم يكن يعتقد بصحّة الوثنيّة بل كان من تبّاع فلسفة الاكليكتيك . . وانهُ نوى ان يقرن مذهبهُ بالمسيحيّة» فانّ العالم الوثني لم ينتج رجلًا ادنى من هليغبال شأناً واقبح اخلاقاً واعرق في ادناس الوثنيّة فاشاع في رومية عبادة الحجر الاسود الذي كان هو سادن هيكلهِ في حمص وضحّى لهُ اولادًا صغارًا واتى بغير ذلك من الفظائع التي ادّت الى قتلهِ . ولا عبرة ببعض رتب مسيحيّة تقلّدها فخلطها بعباداتهِ الوثنيّة

﴿ ص ٨١ ﴾ جعل « انتشار الديانة المسيحيّة في الدور الاوّل في المملكة

الرومانية فقط، والآباء الاولون كيوستينوس واوغوبيوس وترتليانوس ويوحنا فم الذهب، يذكرون امماً عديدة تنصَّرت وكانت خارجة عن حدود المملكة الرومانيَّة كالهنود والحبشة والاسقيثيين والاسماعيليين وقبائل البادية حتى الصينيين المذكورين باسم «سير» (اطلب المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧٥٧—٧٥٩)

﴿ ص ١٤٦ ﴾ عجيب ما كتبهُ هناك عن القديس اوغسطينوس انهُ «تطرَّف عن التعليم الحقيقي بشأن سابق التحديد والعناية وانكر حرِّيَّة الانسان» فان هذا افتراء شنيع في حقّ القديس اوغسطينوس الملقَّب في الكنيسة «بمعلم النعمة»

﴿ ص ١٥٢ ﴾ ما رواهُ هناك عن زواج الاكليروس يحتاج الى تفنيد واسع . اطلب ما اثبتناهُ في هذا الصدد في المشرق (٩[١٩٠٦]: ٨٠٠—٨١١) وفيهِ الكفاية لبيان ما صارت اليهِ الاورثذكسيَّة من الانحطاط من يوم سمحت بزواج الاكليروس فقتلت كلّ روح غيرة ونشاط في ذويها . فليهنأ الخوري بعرسهِ ولا يمسّ شرف الكنيسة الرومانيَّة !

﴿ ص ٢١١ ﴾ قولهُ عن «طموح الباباوات الى الرئاسة العامَّة» عارٍ عن كلّ صحَّة فانَّ الباباوات منذ القديس بطرس كانوا يدَّعون بكلّ حقّ بتلك الرئاسة ويجرون عليها فعلًا بالحلّ والربط بموجب اوامر المسيح فلم يحتاجوا ان ينالوا من الكنيسة او من المجامع تلك السلطة كما نالها من فضلهم بطاركة انطاكية والاسكندريَّة ثمّ اورشليم وبعد الجميع القسطنطينيَّة (راجع ثلث مقالات المشرق في هذا الموضوع ٥ [١٩٠٢] : ٤٣٣؛٥٨٨؛٦١٧) . فقول الخوري (ص ٢١٢) «انَّ الامبراطور فوقا إعطى الباباوات الغرض سياسي لقبَ رأس الكنيسة» كذبٌ محض مخالف للانجيل وللتاريخ والتقليد

﴿ ص ٢٢٢ ﴾ قولهُ «بان الكنيسة الغربيَّة . . احدثت عقائد وطقوساً» لا يصحّ الَّا في الطقوس وذلك موكول اليها امَّا «في العقائد» فتهمة الخوري من اكبر اراجيف المعادين للكنيسة الرومانيَّة التي وحدها حفظت وديعة الايمان دون شائبة

﴿ ص ٢٢٤ ﴾ انَّ الاسطر القليلة التي خصَّها حضرتهُ بالحملات الصليبيَّة تُشعر بتعصُّبهِ وتنكرانهِ الجميل للدول الغربيَّة التي لولا حملاتها ما بقي في الشرق نصرانيٌّ حيًّا

﴿ ص ٢٣٠ ﴾ يقول « انَّ البابا (افجانيوس الرابع بعد توقيع جميع الآباء اليونان واللاتين على اعمال مجمع فلورنسة ما عدا مرقس الافسي) شعر بأنَّ الاتحاد بدون رضى مرقس لا يثبت» فيا العجب فايُّ مجمع من المجامع المسكونيَّة خلا من اعتراض بعض المخالفين أفأبطل لمخالفتهم؟فكيف يبطل اذن المجمع الفلورنتيني لمخالفة واحد ؟ انظر يا صاح الى اين يؤدّي التعصُّب وكيف يُعمي الهوى الابصار والبصائر

﴿ ص ٢٤٥—٢٤٦ ﴾ ان القديس غريغوريوس السابع اكبر جهابذة الكنيسة دافع عن حقوقها بازاء الدولة المدنيَّة كالقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس لاون الكبير فيهات ان تمسَّهُ سهام حضرة الخوري الطائشة . واليوم يشهد لهُ البروتستانت انفسهم ويشيدون بعظم نفسهِ ويؤثمون هنريكس الثالث . ومن الخرافات ما ذكرهُ هناك انَّ البابا اوقفهُ « ثلاثة ايَّام بلياليها حافياً صافاً امام قصره»

﴿ ص ٢٤٧ ﴾ ان السلطة الزمنيَّة ليست « ثمرة طموح الباباوات اليها وانَّ اوَّل من جاهر بهذه الفكرة اينوكنديوس الثاني» وكلّ يعلم انَّ الباباوات بلتمس الشعوب وتبرُّع الملوك الفرنج نالوا تلك السلطة بعد حلول البرابرة في ايطالية وفشل ملوك الروم في الدفاع عن رعاياهم . اعني منذ القرن السابع . بل يجوز القول ان مُلكهم الزمني يرتقي الى قسطنطين الكبير الذي تنازل لهم عن سلطتهِ في رومية يوم انتقل الى القسطنطينيَّة . هذا لا يجهلهُ صغار مدارسنا مثل كبار العلماء الأثبات

﴿ ص ٢٥٦—٢٥٧ ﴾ ما قالهُ عن « نوافل القديسين » ونسبتها « الى الافكار البيلاجيَّة » يدلُّ على انَّ الخوري لا يفهم لا ما هي نوافل القديسين ولا ما هي الافكار البيلاجيَّة . امَّا اقوالهُ عن الغفرانات وبيعها بالسيمونيا فنقلها عن مزاعم بروتستانيَّة وسنوضح ذلك ان شاء الله قريباً في المجلَّة فنفرد لهُ بحثاً خصوصيًّا

﴿ ص ٢٦٩ ﴾ هل قرأ حضرة الخوري سطرًا واحدًا من لاهوت القديس توما الاكويني واتباعهِ ليقرّفهم باثم فظيع لا وجود لهُ الَّا في دماغهِ فيقول هناك ان تعليمهم « أضرَّ بالمبادئ الادبيَّة وبرّر كثيرًا من الذنوب » . واين وجد زعمهُ بأنَّ القديس توما مات مسموماً (ص ٢٧٠) فهذه اوَّل مرَّة نسمع بمثل هذه التهمة

﴿ ص ٢٧٠ ﴾ « برنردوس كليروف » تصحيف غريب لاسم القديس برنرد رئيس دير كلارفو (S' Bernard abbé de Clairveaux)

﴿ص ٢٩١–٢٩٢﴾ للخوري هناك اخبار مضحكة في النزاعات التي جرت في القدس بين اللاتين والاورثذكس ذكرتنا بخرافة الذئب المتشكي من ظلم الخروف. ولو اراد حضرتهُ الاخبار الصحيحة عن هذه النزاعات لامكنَّا ان نقدّمها لهُ عن الاوراق الرسميَّة التي تفصّل اعتداءات الروم على اللاتين بفصول تَيمُ رهبان اليونان بسمات ابديَّة من العار . فلدى اللاتين اكثر من ثلثين فرماناً او حكماً شرعيًا تشهد بحقوقهم على الامكنة المقدَّسة وعلى تزويرات الروم لما اعتصموا بهِ لنزع بعض تلك المزارات من ايدي الرهبان الفرنسيسيين بضروب الاعتداءات

﴿ص ٣٣٠–٣٣١﴾ قد شرَّف حضرتهُ هناك « الجزويت » باوصاف منها صادقة ومنها كاذبة كقولهِ « انَّ الجزويتيَّة برئاسة الجنرال المقيم في رومية عبارة عن مملكة ضمن مملكة او بالاحرى كنيسة مستقلَّة ضمن كنيسة » وذلك بعد ان ذكر طاعتها التامَّة للحبر الاعظم . فانظر التناقض !!!

﴿ص ٣٤٤–٣٤٦﴾ يستبشر الخوري بتقرّب كنيستهِ من الانكليكان فنهنئهُ بهذا التقرّب وندعوهُ الى مطالعة ما كتبنا في ذلك في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٨٦٨–٨٧٥) فيرى كبر النعمة التي ينتظرها الاورثذكس باتفاقهم مع الانكليكان. لا جرم انَّها تكون الضربة اللازبة على اورثذكسيَّتهم

﴿ص ٣٤٦﴾ زعم الخوري « ان لاون الثالث عشر نقم على الانكليكان واذاع منشورًا (١٨٩٦) اعلن فيهِ فساد شرطونيَّتهم » . أفهكذا تعرف يا حضرة الكاتب تاريخ ملَّتك حتى انَّك تجهل ان الكنيسة الاورثذكسيَّة نفسها ابت الاعتراف بصحَّة كهنوت الانكليكان لانقطاع السلسلة الرسوليَّة عندهم (اطلب المشرق ٢٠: ٨٧٣–٨٧٤)

﴿ص ٣٧٨﴾ اتى حضرتهُ بضروب التأسف في ذكرهِ الغاء اليسوعيين فزعم انهم تآمروا ضد ملك البرتوغال وانهم سمّموا الحبر الاعظم اكليمنضوس الرابع عشر . فتأمَّل ايها القارئ كيف لم يستحي كاهن يعتبرهُ بعض مواطنيهِ كرجل عالم ومستقيم ان يخطّ بقلمهِ مثل هذه الترّهات التي يخجل من ذكرها اعداء الجزويت . وان شئتَ الوقوف على صحَّة الامر فراجع ما كتبناهُ في العام الماضي عن البابا اكليمنضوس الرابع عشر والغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة في المشرق (٢١[١٩٢٣]: ٥٦١–٥٧٤) وهناك

من الشواهد ما يُفحم كلَّ معاجز. وكفى لتزكية الرهبانيَّة اليسوعيَّة انَّ البابا بيوس السابع لم يجد دواء الجمع من إحيائها لمحاربة الكفر والماسونيَّة ولتهذيب الناشئة

﴿ص ٤٦٠﴾ ينسب حضرتهُ الارساليَّات الكاثوليكيَّة الى مطامع البابويَّة كأنهُ لم يقرأ في الانجيل ما قالهُ الربُّ لتلاميذهِ وخصوصاً لرئيس كنيستهِ: «اذهبوا الى العالم اجمع وعلموهم ما اوصيتكم بهِ» وهي مهنةٌ لم تزل الكنيسة تقوم بها منذ تسعة عشر قرناً فكيف يخطّئها لقيامها بأمر المسيح؟

نضع هنا حدًّا لانتقاداتنا وكان بوسعنا ان نزيد عليها كثيرًا الّا انَّ في ما سبق ادلَّةً كافية على ما قلنا في اوَّل هذا الانتقاد انَّ حضرة المؤلف غطَّ قلمهُ بمداد من الافتراء واستقى موادَّ كتابهِ من موارد عكرة ليس كما قال من ثقات المؤرخين النزهاء

هذا ولا ننكر ان بين فصول الكتاب قطعاً مفيدة كتراجم بعض الآباء الشرقيين والغربيين وتعريف الطوائف الشرقيَّة الّا انَّ هذا القليل الحسن لا يشفع بالكثير الباطل والسلام

الحكمة العيسوية

من نظم الشاعر المُجيد قبلان افندي الرياشي

ارسل جناب الناظم قصيدتهُ هذه الى مجلَّة المشرق فاستحسنَّاها وانَّما اضطرَّنا ضيق المكان الى اختيار قسم منها فقط

طال الوقوفُ على الاطلال في العَلَمِ ... ماذا التأمُّلُ في الآثار والخِيَمِ
أقوَتْ عراصٌ قد استوحشتُ وطأتها ... وتلك من وحشةٍ محجوبةُ النِّعَمِ
لولا التنفُّسُ عن حَرِّ الزفيرِ لَمَا ... هبَّ الهواء على صالٍ من الضَّرَمِ
أو التبرُّدُ بالذكرى لَذبتُ جوًى ... قبل التبرُّدِ من سلسالها الشَّبِمِ
يا جيرةَ الحيِّ ارعاها وارقبها ... في بيتِ لحمَ وما عهدي بمنصرمِ
كم لي على الطُّور او صنعاء جُاجلةٍ ... دمعٌ يروّي ثرى البستان كالعَنَمِ

الى ان قال :

انَّ الشريعة ردعُ النفس عن زللٍ ... ليس الشريعة ما تمنَّتَ من كلِمِ
والدين ما عزَّ بالاحسان جانبهُ ... لا بازديارك بيت القدس والحرَمِ
يا روح ربي ألَا قدَّستَ بينهمُ ... روحاً دعوتَ اليها سائرَ الأُممِ
لبستَ جسماً من العذراء كان لهم ... رسماً وروحُك بالعينين لم تُشَمِ
قال الكتاب وقال الانبياء به ... والوحيُ لولاهُ منذ البدء لم يَقُمِ
وجاء عن بنت داوودٍ مقالُهمُ ... شفعاً وما نسلُ داودٍ بذي عقَمِ
هذي حمامة روح الله طاهرةً ... بل تلك تابوت عهد الله عن أَمَمِ
عرشٌ عليه استوى الفادي فقدَّسهُ ... وهو المليكُ بلا جندٍ ولا حَشَمِ
قد كان في الغار لا في القصر مَوْلِدهُ ... فاين في القصر ما في الغار من عِظَمِ
خرَّ المجوسُ لهُ طفلًا وسبَّحهُ ... رهطُ الرعاة ونادتهُ السما بفَمِ
كأنَّ لا مجدَ الَّا يومَ مولدهِ ... ولا سلامَ سوى من روحهِ بهمِ
عهدي بذي الملك طفلًا لم تذلَّ لهُ ... هامٌ ولا أمَّهُ ساعٍ على قدَمِ
فكان اكبرَ من طفلٍ واعظمَ من ... مولود ذاتِ تقًى بالوزْر لم تُصَمِ
هدى الى غارهِ نجمُ السما وهوى ... نجمُ المنجِّمِ بالآمال والحُلُمِ
ما نالهُ كفُّ هيرودو ولا سَلِمَتْ ... في بيت لحمَ أطفالٌ من النِّقَمِ
أُسرى بهِ الليلَ أمٌّ برَّةٌ وأبٌ ... من بعد رؤيا ملاك الله لم ينمِ
ضجَّ السرير لهُ واهتزَّ جانبهُ ... فعالجوهُ بترويعٍ وسفك دمِ
فالملكُ في أرَقٍ والعرش في قلقٍ ... والطفل في مِصْرَ لم يُدرَكْ ولم يُرَمِ
في الشرق في الغرب عنهُ نبأةٌ سُمِعَتْ ... في الروم في الفرس في الأعراب في العَجَمِ
الناصريُّ الذي ما بالإلهِ بهِ ... في الحقِّ اشهرُ من نارٍ على علَمِ
لله منه صبيًّا وهو منتصبٌ ... في هيكل الله يُلقي ابلغ الحكمِ
ليس ابنَ يوسفَ والعذراء عندهمُ ... مَنْ نال من كلِّ علمٍ اعظمَ القِمَمِ
كم قام من قبل عيسى فيهم رسلٌ ... وانبياء لهُ كانوا من الخدَمِ
وجاء بالسنَّة الغرّاء في حُجَجٍ ... ومعجزاتٍ لها الآيات كالرُّقَمِ
كم اسمعت آيهُ من كان ذا صَمَمٍ ... وأنطقت روحهُ من كان ذا بَكَمِ

وكم رأى نورَهُ الاعمى فسبّحهُ ... وهبَّ حينَ دعاهُ دارسُ الرمم
قد جلَّ عن قولِ لو وصفاً فكان بهِ ... كمالُ اهل السما والارض كلّهم
هو الوحيدُ دعي بابن الاله إلاَّ ... في ذاته من علوّ النفس والشمم
جاء الحنانُ ختامَ العهد فيهِ كما ... جاء العمادُ بهِ بَدْءاً لمختتم
في الماء من طُهرهِ طهرٌ يقدّسهُ ... وفي النسيمات طيبُ الخلقِ والشيَم
كم ميّزتْ شعبَهُ بين الورى سِمَةٌ ... دلّت على لائذٍ بالله معتصم
بالماء والروح نال الشعب صبغتهُ ... وآخرٌ نالها ضرباً من الوسَم
لم يأتهم قارعاً للصدر مبتهلاً ... في ساحة البيت او عالٍ من القمَم
ولا اتى آخذاً بالسيف امّتهُ ... مَن سنَّ سنّتهُ في اللوح بالقلم
ولم يقم داعياً بالله معتزلاً ... في بطن يَهماءَ او في حالق الأُطُم
لكنهُ قد تولّى نافخاً ابداً ... روحاً جديداً فلم يعثر ولم يَهِم
روحٌ لو انَّ الورى في فهمهِ شرَعٌ ... لمّا بصرتَ بشعبٍ فيهِ مقتسم
سما العقولَ سموَّ النفس عن بشر ... علماً وحبَّ العدى عن علم مُحتلم
هذا هو الحبُّ في سرٍّ وفي علنٍ ... حبُّ القريب قريبَ الحبّ لا الرحم
ولم يكن قطُّ سفّاحاً لبيعتهِ ... او غاشماً بشفار المرهفات حمي
بل كان غوث فقيرٍ لا غياث لهُ ... يوماً وغُنيةُ طيّان وبردُ ظمي
كالشمس جلّت عن التعريف سافرةً ... وعن بيان معاني وجهها الوَسِم
سرٌّ خفيٌّ كما تخفى الحياة بنا ... ان حارَ في فهمهِ ذو العقل لم يُلَم
هادي الانام وفاديهم ومُنقذهم ... شرقاً وغرباً اتوهُ طَوْعَ مستلم
لولاهُ ما التأمت للخلق جامعةٌ ... ولم يكن امر دنياهم بمنتظم
ولا استقام لمؤتمٍّ بهِ سَنَنٌ ... من غير ما عملٍ في قولك استقم
لولاهُ لانحطَّ شأن المرء منهزماً ... في إثر منهزمٍ في اثر منهزم
وعاث افراده في الارض واعتطموا ... في بحر جهلٍ بموج الفحش ملتطم
أعلى منارَ الهدى في رأس بيعتهِ ... بالمرسلين فما قولي بنورهم
من قام يعمل يوماً ما يعلّمهُ ... فهو العظيم ألا فانعَمْ بهِ وَعِم
في السِفر عن دينه آيٌ مُنزّلة ... رمزاً لبعثتهِ في الاعصُر الدُهُم

انبأن فيه عن التكوين منذ بدا ... فما كلامك عن عادٍ وعن إرم
تلك الذبائح شفّت عن ذبيحته ... ولم يك العهد لولا عهده ولم
أفصحن عن مولد الفادي وسيرته ... وقوّة السمرات السبع في الهمم
وعن عشاء به ذكرى مشيئته ... وكم شربنا على ذكرى الحبيب كم
وعن جهادٍ وعن موتٍ وعن ظفرٍ ... وعن ظهور وعن برٍ وعن كرم
اين اليهود وشملُ الملك في يدهم ... واين ملكهمُ من بعد خزيهم
دم المسيح عليهم حلّ مذ سفكوا ... دمَ المسيح فسألهم عن مسيحهم
تلك القيامة ما ان عاقها حجرٌ ... ولا جنودُ حفاظٍ من مليكهم
نمت بها حيّة الإيمان مذ دُفنت ... ثلاثةً وارتوت من دمعه السجم
يا ابن السماء وخير الشافعين بنا ... يا سيد الرسل يا مرآة ربهم
يا عارجاً في ذرى طابور مرتقياً ... كما نزلتَ على مرأى عيونهم
خلفت ديناً ورسلاً يكرزون به ... في كل مُصطدَمٍ للهول مقتحم
قلتَ اذهبوا ها انا كالآب أرسلكم ... الى ذئاب بني الانسان كالغنم
فعلموهم كما علمتكم ابداً ... معنى الفضيلة ديناً غير مهتدم
وعمدوهم فمن يَقبل عمادكمُ ... يسلَمْ ومن لم يُعمّد فاءبالندم
اقسمتُ اني وان غادرتكم زمناً ... آتٍ بروحٍ اني فيكم لهديهم

*

لبيك انهمُ أُسدٌ متذوّقةٌ ... يومَ الجهاد اذا حرُّ الوطيس حمي
مشوا يجوبون رُحبَ الارض في عددٍ ... فلّ الجيوش فما جيشٌ بملتئم
وقاتلوا الكفر لا سيف ولا ورقٌ ... ولا هجانٌ مقاذيفٌ بكل كمي
واستقبلوا الموت في لُجّ الدماء فما ... سيبٌ من اليمّ او سيلٌ من القرم
همُ الجنود وابطال السلام فما ... تُعَدّ ابطالُنا في جنب بأسهم
عزّت بهم سُنّة الرحمن وافتخرت ... بكل فردٍ حميّ الجأش محتدم
جادوا بانفسهم ضنّاً بأنفسنا ... فهم بأيدي العدى لحمٌ على وضم
من كان حبُّ العدى في الدين شيمتهم ... تهاهمُ الحبُّ عن قتل لدينهم
تجرّدوا عن حُلى الدنيا وزخرفها ... وضافروا الناس بالاموال والذمم

ونصرةُ البائس المكدود غايتُهم - وخدمة الفقراء الاصل في الخدَمِ
واستبسلوا يلتقون الحتفَ حيث دَعوا الى المسيح بلا رعبٍ ولا سأمِ
كم خانت النار مُصليها بحرقتهم وكم نَبا السيف عنهم يوم ملتحَمِ
طافوا البراري ووعثاء القفار وهم طرائد الدهر في بؤسٍ وفي عُدُمِ
يستنبتون كلامَ الله في مهجٍ نضيجةٍ بعصيرٍ من دمائهمِ
حتى انثنوا وانثنت تهتزُّ رأيتهم في كفِّ مستأصلٍ للكفر مصطلمِ
اعلى الممالكِ اعلاها الصليبُ فلم تَيتم من الحقِّ في عصر ولم تَيمِ
روح الاخاء تمشّى في مفاصلها تمشّيَ الدم او صَوبٍ من الديمِ
فألّفت بين ابناء البلاد على روح التقى وهو عهدٌ غير منفصمِ
واضرمت جذوة الايمان بينهمُ فكان منها احتكاك النار بالسلَمِ
تمحّصت عن لُباب العلم وانكشفت عن زبدة الدين وانصاحت عن القَمِ
لئن يكن دين عيسى بات منقسماً فعنصر الدين فذٌّ غير منقسمِ
شمسٌ تقسّمت الدنيا اشعّتها والشمسُ واحدة في ضوئها العممِ

*

اليك يا سيّد الابرار يا علَمَ الاخيار أرفع صوت البائس الوجِمِ
من لم يكن روحك القدسيُّ سنّته يُضَمْ ومَن شام برقاً منه لم يُضَمِ
يا آتياً في سحابٍ للحساب غداً رفقاً بقولك لا عطفاً بذي نعمِ
لك القضاء لك الميزان يومئذٍ على النبيّين مذ كانوا وصحبهمِ
من لي بنفس عن الاهواء تقلع بي في معزل عن خبيث النفس مجترمِ
هذي عشاريُّ ايامٍ وقد سلفت فأجلي الصُّنع فيها اليوم والترمي
جدّي الى العنصر الاعلى لتمتزجي به وخلّي رغام الارض للرجمِ
ما انتِ الّا ملاكٌ هابط وصبا الى السما لا الى عجراء ذي سلَمِ
ودرّةٌ بدم الفادي مثمّنة فلم أبعها على غَبْنٍ ولم أسمِ
ما انتِ مِلكي وكلّي الآن في يدهِ نقيتُ في دمهِ من لوثة الحُممِ
سيري بافعالك الغراء طائرةً فوق الجوادِ وخلّي الارض للأدمِ
يا نفس عودي الى مرقاك غانمةً وضمي المسيح فهذا خير مغتنمِ

جثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني (تابع)

٤ً ـ مفارنة السريان من السنة ٩١٤ الى السنة ١٢٥٨

٥٤ ﴿دنحا الثالث﴾ صارت اليهِ المفريانيَّة بعد سنتين لفراغ الكرسي ورسمهُ البطريرك يوحنا السادس في تشرين الاوَّل ٩١٤ واخترمتهُ المنيَّة في تكريت في ١٨ تموز ٩٣٤ ورسم سبعة عشر اسقفاً.

٥٥ ﴿باسيل الثالث﴾ كان شمّاساً في كنيسة نصيبين وافضت اليهِ المفريانيَّة في سلخ تشرين الثاني ٩٣٦ ويوم السبت ١١ آب ٩٦٠ انتقل الى جوار ربّهِ ورسم اثني عشر اسقفاً ولُحد في قبر سالفهِ

٥٦ ﴿قرياقس﴾ هو القسّ حوران النصيبيني رسمه البطريرك ابراهيم الاوَّل (٩٦٢—٩٦٣) مفريانًا في مسلخ آب ٩٦٢ وسماه قرياقس. وأدركتهُ الوفاة في تكريت في ٢٧ شباط ٩٧٩ ورسم اربعة عشر اسقفاً

٥٧ ﴿يوحنا الثالث﴾ وُلد في تكريت ثم رحل مع والديهِ الى دمشق الشام واستوطنوها. وفي ٧ آب ٩٨١ استدعاه الى مرعش البطريرك يوحنا التاسع (٩٦٥—٩٨٦) ونصبه مفريانًا لتكريت. فساس ابرشيَّته بهدوٍ وسكينة وأدركهُ الأجل في بغداد في ١٨ نيسان ٩٨٨ ونُقل وفاتهُ الى كنيسة آحوداهه بتكريت

٥٨ ﴿اغناطيوس﴾ هو المعروف بابن قيقي وُلد في الموصل وتولَّى خدمة كنيسة التكريتيين في وطنه ورقَّاه الى المفريانيَّة البطريرك اثناسيوس الخامس (٩٨٧—١٠٠٣) في دير البارد في ١٩ شباط ٩٩١. وسنة ٣٩٢ للهجرة ١٠٠١ مسيحيَّة ثاني الاسبوع الثاني من الصوم الاربعيني أحرق الاسلام كنيسة السريان ببغداد. ذلك ان رجلًا حنبليًا حاول اختلاس ارض ملاصقة للكنيسة فعارضهُ باسيل البزَّاز ابن طاهر السرياني فحنق الحنبليّ وأثار المسلمين فكبسوا الكنيسة ونهبوها واحرقوا ما فيها ثم انقلبوا الى دير الراهبات السريانيَّات ونهبوه ونهبوا كنيستين ايضاً للناطرة.

وعام ١٠٠٣ انحدر المفريان الى بغداد ليرمّم الكنيسة المحترقة فاستقبله النصارى والمسلمون استقبالاً حافلاً أوغرَ صدر ايوذيس جاثليق النساطرة فقصد الخليفة القائم بامر الله (٩٩١—١٠٣١) وادّعى ان المفريان منتمٍ الى بطاركة السريان المتوطنين في بلاد الروم اعداء المسلمين. فاستُدعي المفريان الى المحاكمة وأفتى كلّ من الفقهاء فتوى مختلفة اسفرت عن تقرير الخليفة بأنه ليس لسوى جاثليق النساطرة ان يركز في بغداد وانّ للمفريان ان يتفقّد رعيّته البغداديّة تارةً فأخرى فعاد المفريان الى تكريت وواصلَ رعاية ابرشيّته خمساً وعشرين سنة ورسم اربعة عشر اسقفاً. وبعد هذا هبط من سموّ مرتبته فنقض نذوره ونكث عهوده وارتكب القبيح. فنصح لهُ وجهاء تكريت فلم ينتصح بل تمادى في الفجور وانحدر الى بغداد وأسلم سنة ١٠١٦ وما كاد يتمتّع بكفره وشهوته حتى طفق يجوب الشوارع ويكدّي وينتحب على ما فرط. وصنف ميمراً مؤثراً فيه رثى حاله وارتجله بقوله: «ܡܢܬܠܐ ܕܚܛܝܐ ܕܚܛܝܐ ܗܘܐ ܕܚܛܝܐ ܕܚܛܝܐ ܗܘܐ» اعني: «احتال ابليس بدهائه فصنع عرساً للاثم» وارعوى في آخر حياته وكفّر عن خطيئته.

وكان في ذلك العهد في بغداد عيسى بن زرعة بن اسحق بن مرقس الفيلسوف اليعقوبيّ صنّف خمسة كتب ونقل من السريانيّ الى العربيّ ستة كتب في الفصاحة والطبّ. وكان مولده في بغداد سنة ٩٤٢ ووفاته سنة ١٠٠٧

وعاصره عليّ بن عيسى (ويقال عيسى بن عليّ) الطبيب الذي هجر النسطوريّة واعتنق الملكيّة وألّف كتاب «تذكرة الكحّالين» في مداواة العين. وابو عليّ حسن بن سهل النسطوريّ صاحب الشروح البيعيّة والمنطقيّة. وابو الفرج القس عبدالله ابن الطيّب البغداديّ النسطوري (+ ١٠٤٣)

وفي تلك الغضون تنصّر على مذهب النساطرة ملك الترك بساعي عبد يشوع اسقف مرو النسطوريّ وآمن معه زهاء مائتي الف نسمة (المشرق ١٦[١٩١٣] ٧٦٢)

٥٩ ﴿ اثناسيوس الثاني ﴾ هو عبد المسيح الملطيّ ترهّب في دير بالرها واصطفاه اساقفة المشرق للمفريانيّة ومضى به اثنان منهم الى البطريرك يوحنا ابن عدون (١٠٠٤—١٠٣٠) فرسمه قسّاً مفريانياً سنة ١٠٢٨ وسمّاه اثناسيوس. ولمّا تولّى البطريركيّة ديونوسيوس السابع المعروف بيحيى (١٠٣٢—١٠٤٢) حرد عليه

المفريان اثناسيوس لانهُ نُصب من دون مراجعته وحاول ان يرسم بطريركاً ثانياً . غير ان البطريرك استدرك الامر وقصد المفريان متنكِّرًا وجعل يخدمه فأحبَّهُ المفريان وعوَّل على رسامته شمّاساً فتمنَّع . وبعد تسعة شهور بلَّغهُ انه مزمع ان يرسمهُ اسقفاً لباعربايا فاعتذر . فالحَّ المفريان فاستعفى البطريرك المتنكر . وما تمالك ان كاشفه بدخيلة امرهِ قائلًا لهُ : « اني انا هو يحيى تلميذكم الخاطئ الذي نصبه اساقفة المغرب بطريركاً لانطاكية من دون مراجعتكم وقد قصدتكم لتصلّوا عليَّ وهاءنذا عامل بما تأمرون » . فانذهل المفريان ايَّ انذهال وأفاض بالبكاء وخرَّ على قدميهِ وجعل يقبّل عينه مستغفرًا . وبعد هذا شيَّعه الى دير قرتمين حيث اضطرَّ يوحنا مطران طور عبدين ايضاً ان يتَّفق معه ثم عاد الى تكريت واستأنف البطريرك مسيره الى آمد . وانتقل المفريان اثناسيوس الى جوار ربّهِ سنة ١٠٤١ ورسم تسعة اساقفة

٦٠ ﴿ باسيل الرابع ﴾ بعد وفاة المفريان اثناسيوس توفّي البطريرك ايضاً . فاجتمع اساقفة المشرق ونصبوا باسيل بن قبّاد التكريتيّ مفريانًا سنة ١٠٤٢ فشقَّ ذلك على الاساقفة الغربيّين والتأموا وحدهم ونصبوا يوحنا الحادي عشر بطريركاً (١٠٤٢—١٠٥٧) فتجدّدت من ثمَّ الاحقاد واشتدّت البغضاء بين الفريقين . غير ان البطريرك توصَّل الى اصلاح ذات البين بينهما برسائلهِ الحلوة . ولمَّا عوَّل المفريان على زيارتهِ ووصل الى الجزيرة بادر البطريرك الى ملاقاتهِ واتَّفقا اتّفاقاً تامًّا مع الاساقفة ورقموا ثلاثة صكوك مآلها ان لا يُنصب في المستقبل بطريرك الَّا بحضور المفريان وبالعكس . وحُفظ احد الصكوك في تكريت وثانيها في دير قرتمين وثالثها في الجزيرة . ثم عاد البطريرك الى آمد والمفريان الى الموصل حيث ادركتهُ المنيَّة عام ١٠٦٩ .

٦١ ﴿ يوحنا صليبا الاوَّل ﴾ (١ وبعد ستّ سنوات لوفاة باسيل المفريان وقع الانتخاب على صليبا الباسبريني فرسمهُ مفريانًا عام ١٠٧٥ البطريرك باسيل الثاني (١٠٧٤—١٠٧٥) وسمّاه يوحنا واضاف نصيبين وقِلّث ودارا الى الابرشيّات المفريانيّة وأيّد القانون الذي سنّه سالفه في وجوب حضور المفريان رسامة البطريرك . ثم توجّه

١) يظهر ان المفارنة أخذوا مذ ذاك يضيفون الى اسمهم الاصلي اسماً ثانياً كما جرت العادة عند السريان الى يومنا . وهذا يوحنا هو اوَّل من أطلق عليهِ ميخائيل الكبير اسم مفريان هكذا « ܡܦܪܝܢܐ ܕܡܪܝ ܡܝܟܐܝܠ ܪܒܐ »

البطريرك الى حاح وعاد المفريان الى الموصل وشخص الى دير مار متى ورسم لهُ مطراناً سمّاه طيمثاوس ثم انحدر الى تكريت ودخلها بكبكبة وحفاوة أثارت المسلمين فضجّوا وعجّوا ورجموا المفريان فانهزم الى كنيسة آحوداميه وما لبث ان توجّه الى بغداد . ولمّا عاد الى كرسيّه استبدّ بأوقاف الكنيسة وطفق يُولم الولائم لوجهاء المسلمين ليفوز برضاهم ولكنّهم أبوا الّا الاسترسال في معاداة النصارى ومعاكستهم وأفضى بهم الحقد الى ان قوّضوا كنيسة مار سرجيس وباخس

وظلّ المفريان يوحنا راسخاً في عهوده ومودّته للبطريركين ديونوسيوس السادس واثناسيوس السابع ورافقهما في رحلتيهما . وسنة ١٠٨٩ استحلّ المسلمون كنيسة تكريت الكبرى وملكوها فذهبت نفقات المفريان على مشايخ المسلمين أدراج الرياح . وتضعضعت منذ ذاك احوال السريان بتكريت وتفرّقوا في أطراف البلاد ليفوزوا بالنجاة من الغدر والظلم . واضطرّ المفريان ايضاً ان يغادر كرسيّهُ الى الموصل فسكن في كنيسة مار زينا سبع عشرة سنة حتى اخترمته المنية يوم الجمعة ٢ آذار ١١٠٦ وخدم احدى وثلاثين سنة

٦٢ ﴿ديونوسيوس موسى﴾ ظلّ كرسيّ تكريت فارغاً مدّة سبع سنوات لان وجهاءها لجأوا الى الفرار على اثر الحوادث المشؤومة ضنّاً بحياتهم . وفي ١٥ آب ١١١٢ استدعى البطريرك اثناسيوس السابع (١٠٩١—١١٢٩) راهباً من احد ديورة مرعش يُقال لهُ ديونوسيوس ونصبهُ مفريانا وسمّاه موسى . فكتب صورة ايمانه ودفعها الى البطريرك فأعزّه جداً وأهدى اليه حلّة حبريّة وعكّازاً وبغلين وسيّره الى المشرق . بيد ان طيمثاوس سوغدي مطران دير مار متى عانده وعاكسه لانه لم يكن تكريتيّاً وألغى عادةً جرى اهل القرى بموجبها منذ زمن طويل وهي ان كل قرية كانت تهدي الى المفريان بفلّاحين زيارتهِ اياها . ولمّا قصد المفريان ذلك الدير ليرسم اسقفاً لبلدة بيت نوهدرا ونادى باسمهِ اسقف الجزيرة وقت الرسامة طبقاً للقوانين أرغى الرهبان وأزبدوا وانقضّوا على المفريان وهو في المذبح يحاولون الفتك به وهدّدوا المرتّل ليصمت فتخوّف المفريان وانهزم حالاً الى تكريت فاستقبلهُ اميرها مجاهد وكان ارمنيّ النحلة وأكرمه واستصحبه الى بغداد واستحصل لهُ فرماناً عاد به الى ابرشيّته وطفق يرمّم الكنائس ويُصلح ما تهدّم وارسل في طلب النصارى الفارّين فعادوا الى وطنهم

وفتح المدارس لفتيانهم وارتقت الابرشيَّة في عهده في مراقي النجاح والتوفيق

وارتحل المفريان الى قلعة تلباشر بطلب اميرها الفرنسوي جوسلين لحضور حفلة رسامة يوحنا الخامس عشر بطريركاً فرسمه المفريان في كنيسة الافرنج الكبرى بحضور جوسلين وارباب دولته في ١٧ شباط ١١٢٩ ثم قفل راجعاً الى ابرشيَّته

غير ان الرهبان الماتيين أبوا الَّا التصلّب في رأيهم والمجاهرة بعصيانهم على المفريان ورافعوه الى الوالي وبلغوه بألسنة حدادٍ وخسروه مائة وخمسين ليرة دفعها سريان قرية خوديده القرقوشيُّون بطيبة خاطر اذ كانوا يعزّون المفريان ويحبونه جدًّا. وبعد ذلك تعهَّد المفريان ابرشيَّته وحجّ الى اورشليم ثم قفل راجعاً الى الموصل. فناصبهُ ابن قوتلا رئيس الدير وادَّعى ان له على المفريان بغلًا دَيَةً. فارسل الحاكم واختلس البغل وألغى المناداة باسم المفريان واستنزف منه اربعين ليرة واضطرّه ان يرسم ابن قوتلا مطراناً للدير فرسمه قسرًا عنه. فاستبدَّ ابن قوتلا بالرئاسة وكرّس الميرون خلافاً للاصول ولم يفتر من إزعاج المفريان حتى اذا كان ذات ليلة يشرب على سطح كنيسة برطلّي هو ومعلّم المدرسة سكر المعلّم وتهوّر ومات وما لبث ان مات ابن قوتلا ايضاً بعده بقليل محروماً

وعام ١١٤٢ انحدر المفريان ثانية الى بغداد فأكرمه عبد يشوع جاثليق النساطرة وأتحفه ببدلةٍ ومصنفةٍ وعكّازٍ كمألوف العادة ثم رحل الى موحول وفيها ادركته المنيَّة في ١٧ حزيران ١١٤٢ ونُقلت عظامه الى تكريت. ورسم بطريركين وتسعة اساقفة

وكان في أيَّامه القسّ كسرون الرهاويّ الذي اعتكف في دير مار بهنام بعد ان اقام زمناً في مراغة ونسخ كتباً شتى

٦٣ ﴿ اغناطيوس لازر ﴾ اصطفاه البطريرك باثناسيوس الثامن (١١٣٩—١١٦٦) واستحضره من دير سرجيه بجوباس ورسمه مفريانًا في دير مار اهرون سنة ١١٤٣ وأوفده الى الموصل فرحّب به السريان ثم نزل الى تكريت فبغداد فخلع عليه عبد يشوع الجاثليق بدلة ومصنفة وعكّازًا ثم سار الى موحول وتعهّد كنيسة مار توما ثم عاد الى تكريت. ورام سنة ١١٥٢ ان ينقل كرسيَّهُ الى الموصل فلم يرضَ البطريرك. وسنة ١١٥٣ توجّه المفريان الى ماردين وحضر مجمعاً عقده يوحنا مطرانها (+ ١١٦٦) فأطلعه المفريان على رأيه في ان يستوطن الموصل بدلًا من تكريت فحبّذ المطران

يوحنا فكرته وسأل تمرطاش صاحب ماردين(١١٢٢—١١٥٣) فكتب الى صاحب الموصل ان يحتفي بالمفريان ويقلده ازمّة الامور الكنسيّة في الموصل فاجاب الحاكم الى طلبه وتهدّد بالقتل كلّ من لا يقبلهُ

لكنّ الرهبان المتيّين تعصّبوا على المفريان وجمحوا في العصيان حتى انهم حرّجوا عليهِ الدخول الى ديرهم وتخاصموا على الباب زهاء ساعتين واخذوا بغله ومقدارًا من الدراهم وأدخلوه واحتفلوا بطقس الجلوس على الكرسيّ . وبعد ذلك تفقّد المفريان قرية قرقوش وبرطلّي وبيت دانيال وجرت العادة منذ إذٍ ان يزور المفريان اوّلًا الدير ثم قرية بيت دانيال فقرقوش فبرطلي . وشاد في برطلّي كنيسة كبرى ورمّم كنيسة مار توما ببغداد

وعام ١١٥٩ حاول القس ابرهيم السرياني ان يطلّق امرأتهُ العجوز ويقترن بغيرها فحرمه المفريان فأضمر لهُ الشرّ . واتفق اذ ذاك ان نصرانيًا من تلّ عفر أسلم ولبثت ابنته راسخة في دينها فاستفتوا المفريان في أمرها فأفتى بوجوب بقائها في ديانة اجدادها فقصد القس ابرهيم كتبة المسلمين وبأنهم الامر فحنقوا على المفريان وسجنوه اربعين يومًا ثمّ أطلقوه برشوة . امّا الصبيّة فانهزمت الى اورشليم وترهّبت . ومات القس ابرهيم اشنع ميتة . وقد صنّف البطريرك ميخائيل الكبير ميمرًا وابن الصليبيّ ميمرين في هذا الصدد

وعام ١١٦١ سيّر حاكم الموصل المفريانَ في استفتين الى جورجي ملك الكرج في اطلاق الأسرى المسلمين . فاحتفى بهم الملك بمجالي السرور والاستحسان وانجز مرغوبهم ودفع اليهم الاسرى . وكان المفريان والاسقفان يقيمون الحفلات الدينيّة في كنائس الكرج . ولمّا عادوا الى الموصل أحسّ المفريان بدنوّ الاجل فرام الذهاب الى ملطية وطنهِ ولكنّ المنيّة عاجلته في الطريق ما بين الخل وقرقمين يوم الخميس ١٤ حزيران ١١٦٤ فنقله تلاميذه الى دير الزعفران ودفنوه

٦٤ ﴿يوحنا الرابع﴾ وُلد في سروج ثم ترأس على دير مار يعقوب بالرها . وعلى جزيل فضله وتقواه كان صفرًا من الكتابة . ويوم الجمعة ٦ تشرين الثاني ١١٦٥ قلّدهُ المفريانيّة البطريرك اثناسيوس الثامن وأوفده الى الموصل . ولمّا حضر عام ١١٦٧ رسامة ميخائيل الكبير بطريركًا حرّج عليهِ اساقفة المغرب ان يضع يده على البطريرك وقت

الرسامة محتجين بأنه يجهل القراءة فاعترضهم طيمثاوس اسقف باعربايا وتغلب عليهم فرسمه من ثمّ المفريان وقفل راجعاً الى الموصل . وعام ١١٧١ شنّ الغارة على دير مار متّى زهاء الف وخمسمائة كرديّ ونهبوه وقتلوا خمسة عشر راهباً من جملتهم الراهب متى والحبيس دخا فلاذ الرهبان بالفرار الى الجبل . ولمّا انكشف الاكراد عن الدير عاد الرهبان فجمعوا الكتب ونقلوها الى الموصل . امّا الاكراد فواصلوا الهجوم على القرى المجاورة وسبوا النساء والفتيات والفتيان وقتلوا الرجال وأحرقوا الدور . وعام ١١٧٢ استحلّ المسلمون دير السريان بالجزيرة واعتقلوا مطرانهم فسارع وفدٌ منهم الى بغداد وتحاكموا الى الخليفة المستضيء بالله (١١٧٠—١١٨٠) واسترجعوا الدير وانقذوا المطران . وبعد سنتين توجّه المفريان الى دير الزعفران وحضر مجمعاً عقده ميخائيل الكبير وسنّ فيه اثني عشر قانوناً لدير مار متى وأيّد القوانين السالفة وعددُها اربعة وعشرون . وسنة ١١٧٨ سار نخبة من جماعة حصص الى البطريرك وسألوهُ ان يرسم لهم مطراناً فاستاء المفريان وحرمهم واخيراً عقد البطريرك مجمعاً للنظر في مسئلتهم أسفر عن اتفاقهم مع المفريان . وعام ١١٨٨ استقال المفريان وقصد ديره بالرها معتزلاً ثم عاد الى الموصل . ولما كان ذات ليلة راقداً على سطح كنيسة قرقوش تهوّر ومات حالاً فنُقل الى دير مار متى في آب ١١٨٩ وخدم اربعاً وعشرين سنةً

واشتهر اذ ذاك ابو الحليم ايليا الثالث بن الحديثي جاثليق النساطرة صاحب التراجيم البيعية العربية المشهورة التي استعملها السريان والنساطرة معاً في كنائسهم

٦٥ ﴿ غريغوريوس يعقوب الثاني ﴾ ولمّا توفّي المفريان يوحنا الرابع تسرّع ميخائيل الكبير فنصب ابن اخيه مفريانا في احد قانا الجليل ١١٨٩ وسماه غريغوريوس . فأجمع المواصلة على رفضه وبلّغوا الحاكم ان يحرّج عليه الدخول الى البلد ما لم يرضخ له شيئاً من المال . فأقام المفريان في دير النساطرة المعروف بدير مار ميخائيل على باب الموصل وراسل محيي الدين صاحبها يعدهُ بالف ليرة رشوة ان أذن له بالدخول . فسخط المواصلة ووعدوه بالفي ليرة بنيّف وبادروا الى دير مار متى ونصبوا كريم بن ماسح مفريانا يوم سبت لعازر وسمّوه ديونوسيوس . فشقّ ذلك على غريغوريوس المفريان وارتحل الى تكريت وعيّد فيها عيد الفصرة وفاز برضى الاهلين . امّا ابن ماسح فارسل مائة ليرة رشوة لصاحب تكريت مع رجل موصليّ طويل اللحية

والقامة مشترطاً عليه ان يطرد المفريان . فامتعض الاهالي منه وادّوا المبلغ للحاكم ورجوا ذلك الرجل فاركن الى الفرار . وما لبث ان هجم عسكر الخليفة على تكريت وحصروها فغادرها النصارى وخرج المفريان الى سنجار وحلّ ضيفاً كريماً عند طبيب ماردينيّ كان ذا حظوة لدى الحاكم . ثم عاد الى سنجار فالخابور فنصيبين فدير الزعفران حيث اجتمع بابن ماسح المفريان الدخيل

وعام ١١٩٢ سأل الواصلة مجهدَ الدين خليفةَ محيي الدين ان يرسل في طلب المفريان فعاد الى الموصل وعقد مجمعاً من اساقفة المشرق وأحضر ابن ماسح الى كنيسة التكريتيّين ونزع عنه الثوب الكهنوتيّ . ولبث كذلك ثلاثة اعوام ثم استغاث بالحاكم ووعده بمالٍ جزيل ولكنهُ اخلف وعده فأُلقي في السجن زهاء ستة اشهر فأعتقه المفريان غريغوريوس فتوجّه الى ميافرقين ولبث فيها حتى وفاته ليلة عيد الميلاد ١٢٠٤ فدفنه النساطرة . امّا المفريان غريغوريوس فقضى نحبه في قرية بسنجار في ١٢ تشرين الاوّل ١٢١٥ ونقل جثمانه الى دير مار متى . وهو الذي شاد في برطلّي قلّاية كبيرة واقام فيها خمسة اعوام وكان خبيراً باصناف العلوم وألّف نافوراً اولهُ « ايها الرب الرهيب الجبّار » اجاز استعماله في كنائس المشرق عمّهُ البطريرك ميخائيل الكبير

٦٦ ﴿اغناطيوس داود الثاني﴾ زاول التدرس في دير طفشيش ورقّاه الى المفريانيّة سنة ١٢١٥ البطريرك يوحنا السادس عشر (١٢١٥—١٢٢٠) فأجمعت قلوب ابناء ابرشيّته على احترامه وطاعته . ولمّا توجّه الى تكريت عام ١٢١٨ بادر السريان لملاقاته وهم يترنّمون بالاناشيد السريانيّة والعربية فأرغى المسلمون وأزبدوا محتجّين بأن السريان غنّوا المفريانهم ذات الاغنية التي غنّاها آل يثرب لمحمّد لمّا عاد اليهم من مكّة . ولمّا بلغ الخبر الخليفة الظاهر بالله (١١٨٠—١٢٢٥) أصدر الامر بنهب دور النصارى أجمع . غير ان المسلمين في تكريت اكتفوا باستنزاف عشرين الف ليرة منهم وحلقوا لحى ثلاثة من وجهائهم واعتقلوا المفريان وبعض الوجهاء ريثما يدفعون المبلغ . فتوسّط سريان الموصل لدى بدر الدين لؤلؤ صاحبها فأوفد وأطلقهم . وما وصل المفريان الى الموصل حتى عاكسه شمعون كبير برطلّي ونقم عليه فانهزم الى الخابور فلطيسة . ثم ارتقى الى البطريركيّة عام ١٢٢٢ وهو اوّل مفريان صار بطريركاً . امّا شمعون المذكور فان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قتلهُ مصلوباً في ايلول ١٢٢٠

٦٧ ﴿ديونوسيوس صليبا الثاني﴾ كان اسقفاً على الجزيرة وارتقى الى المفريانيَّة بيد سالفه اجابةً الى طلب الاهالي. ومكث ثماني سنوات في برطلي يخدم رعيَّته بالغيرة. ولمَّا ثار ثائر الاكراد في طور عبدين سنة ١٢٣١ خرج المفريان لمقاتلتهم فاخترط سيفاً وامتطى جواداً وسار في جماعة من النصارى ليزحزح الاكراد عن القرى غير انهُ أُصيب بسهمٍ في قلبه فخرَّ قتيلاً من ساعته في ايلول ١٢٣١

٦٨ ﴿يوحنا اهرون ابن العدني﴾ هو مطران ماردين المشهور بالحذق والذكاء نودي به مفرياناً سنة ١٢٣٢ غير ان الاهالي رفضوه بتاتاً فانحدر الى بغداد سنة ١٢٣٧ ثم عاد الى ابرشيَّته وانزوى في قلَّايتهِ يزاول الدرس والتأليف. وصنَّف ميامر سريانيَّة وليتورجيَّة ورسائل عربيَّة مستبدعة. وفي ٢٣ آب ١٢٤٣ قصد بغداد تكراراً فلم يحتفِ بهِ شمعون بن ستانه مطرانها. وبعد اللتيا والتي توجَّه المطران الى الحديثة وطنهِ. امَّا المفريان فرسم في بغداد الراهب يوسف الماردينيَّ مطراناً للجزيرة وسمَّاه غريغوريوس. واستكتب اذ ذاك المواصلةُ بدرَ الدين رسالة اوفدها مع ابن شمَّاع رئيس الدير يسألون المفريان ان يعود الى ابرشيَّتهِ فكتب اليهم الجواب معتذراً بكونهِ ناذراً الحجَّ الى اورشليم. فرحل اليها من ثمَّ وزار البطريرك داود في انطاكية ثم رجع الى الموصل. ولمَّا نُصب ديونوسيوس السابع المعروف بمنجور بطريركاً في ١٤ ايلول ١٢٥٢ ثقُل ذلك عليه جدًّا لانه لم يُدعَ الى حضور الرسامة فابتدر الى حلب وارتسم هو ايضاً بطريركاً في ٤ كانون الاوَّل ١٢٥٣ بوضع يد باسيل مطرانها

واعلم ان ابن العبري أهمل في تاريخهِ ذكر ما جرى بين الكرسيِّ الرسوليِّ الرومانيِّ وبين البطريرك داود والمفريان يوحنا ابن العدنيِّ من المراسلات والمكاتبات في مسئلة الاتحاد مع ان اغلب المؤرخين المعاصرين قد اوردوا ذلك مثل ريتلد سنة ١٢٤٧ (عدد ٣٧و٣٨) كما جاء في الشرق المسيحيِّ (جزء ٢ عمود ١٣٥٦ ع٢٩) على ان انوكنتيوس الرابع بابا رومية أوفد سنة ١٢٤٧ اندراوس لُنجملو الراهب الدومنكيَّ حاملاً الى البطريرك والمفريان كتاباً يدعوهما به الى تجديد مواثيق الكثلكة فأرسل كلٌّ منهما صورة ايمانهِ الى الحبر الرومانيِّ ووصفاه بكونهِ صاحب كرسي بطرس زعيم الرسل الى ان قالا: «سألتمونا ان نتَّحد معكم. أجل اننا بهذا الاتحاد نتقرَّب الى الله» وبعد ان أمضى البطريرك تلك الصورة أمضاها المفريان ايضاً هكذا: «وانا

الحقير مفريان المشرق يوحنا بن معدني أقرّ ان هذا هو ايماني »

٦٩ ﴿اغناطيوس صليبا الثالث﴾ هو باسيل اسقف حلب حليف ابن المعدني وخصم البطريرك عنجور نصبهُ ابن المعدني عينهُ مفريانًا وأوفده الى الموصل في اسبوع اوشعنا ١٢٥٣ وكان طيّب المحادثة فصيحًا بالعربيّة والسريانيّة متضلّعًا من الطبّ والفلسفة بهيّ الطلعة رخيم الصوت . أحبّهُ الموصليّون حبًّا شديدًا لكنّ الرهبان الماتيّين كعادتهم السيّئة حرّجوا عليهِ الدخول الى ديرهم مشترطين ان يقبّل عتبته ويؤدي لهم بغلًا دية . فوادعهم المفريان ودخل الى الكنيسة . ولمّا اخذوا يتلون رتبة الجلوس على الكرسيّ خرج ابن شمّاع رئيسهم حاردًا وهو يقول لن يجلس المفريان على الكرسيّ الّا بعد استحضار براءة من بدر الدين صاحب الموصل . فاستمرّ المفريان والرهبان داخل الكنيسة صامتين الى نصف الليل فعاد الرئيس واستأنفوا الرتبة . غير انه لما وصل المفريان الى ترتيل انجيل الراعي الصالح (يوحنا ١٠) وقال « من لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف فهو لصّ » أخرج احد الرهبان رأسه من النافذة وقاطعه قائلًا : « كما انك انت ايضًا لم تدخل من الباب بل تسلّقت كاللصّ من جهة اخرى » . فامتعض المفريان ايّ امتعاض وغادر الدير في تلك الليلة عينها وأخذ يطوف القرى ويجمع الاموال لصاحب الموصل فأسنى له القرقوشيّون العطاء اكثر من سواهم فشكر لهم وأثنى على اريحيّتهم وقال لهم : « والهفي عليكم فانكم انتم تخسرون وانا لا انتفع . لان كلّ ما تبذلونهُ يُحمَل الى خزينة السلطان » وتمادى خصوم المفريان في عنادهم وعدوانهم حتى ان احدهم اعني ابا العزّ دقيق الطبيب السريانيّ سعى بهِ لدى الوالي وأهانهُ . فاشمأزّ المفريان من عيشتهِ الضنكة وما مرّت عليهِ السنة والنصف سنة حتى هجر ابرشيّته وعاد الى حلب . وكان ابن العبري يومئذٍ مطرانها فلم يدَعه يقيم في الكنيسة فاستأجر دارًا ثوى بها زمانًا ثم قصد صاحب دمشق واستحصل فرمانًا عاد به الى حلب واستحوذ على الكنيسة . وحلّت منيّته في طرابلس يوم الاربعاء ١٢ حزيران ١٢٥٨ وشيّعه الرهبان والقسوس الفرنج وقسوس السريان ودفنوه في كنيسة مار بهنام

واورد ابن العبري في تاريخه المدنيّ السريانيّ (ص٥٠٦ و ٥٠٧) ان هولاكو بعد ما قوض دولة الخلفاء العباسيّين اوفد جنوده الى تكريت سنة ١٢٥٨ فقتلوا وجهاء

المسلمين ونهبوا اموالهم امَّا النصارى فسارعوا الى كنيسة احودامه الخضراء ولبثوا فيها منذ اوَّل الصوم حتى احد الشعانين ١٧ آذار من السنة المذكورة. فحنق عليهم ابن دوري المسلم ووشى بهم على بناء انهم اخفوا اموالاً طائلة ورافعهم الى المحكمة. ولمَّا احضروا الاموال اصدر هولاكو الاوامر بقتلهم طبقاً لشريعة التتر. فاستاقوهم عشرين عشرين الى القلعة وقتلوهم قاطبة ولم يَذَروا الَّا الشيوخ وقسّيسين فقط. وظلَّ الكرسيّ المغرياني فارغاً مدَّة ستة اعوام.

(لها بقية)

سرّ القربان في الكنائس الشرقيَّة

نظر تاريخي لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لعقيدة سرّ القربان الاقدس مقام رفيع بين العقائد التي ورثتها الكنيسة الكاثوليكيَّة من معلمها الالهيّ ورسلهِ الكرام فبلغت اليها بالوحي في الانجيل الطاهر وبالتقليد المتواتر

ومن مفاخر الكنائس الشرقيَّة التي امتازت بها منذ اوائل النصرانيَّة تمسُّكها الدائم بهذا المعتقد اذ لم يَقُم بينها احد من المبتدعين ينكر هذا السرّ كما حصل في بعض جهات الغرب وذلك في القرن الحادي عشر ببدعة برنجاريوس ثمَّ في القرن السادس عشر بالبدع البروتستانيَّة التي حرَمَ اصحابُها تبعَتَهم من اكبر نعم الله نحو البشر وحالوا بينهم وبين ذاك السرّ الذي بلغت فيهِ محبَّة ابن الله الى أن يعطي جسدهُ الالهي ودمهُ الزكي للمؤمنين بهِ ليمكنهم بذلك الى ان يشاركوهُ بطبيعتهِ الالهيـة كما قال القديس بطرس في رسالتهِ الثانية (١ : ٤)

وقد شعر الملك لويس الرابع عشر ما في اعتقاد الشرقيين عموماً من البرهان القاطع لتأييد هذه الحقيقة في وجه من يجحدها والبعض من طوائفهم منفصلة عن رومية منذ

القرن الخامس. ولذلك تقدّم الى المرسلين اللاتينيّين في انحاء الشرق ليجمعوا الشواهد الناطقة بايمان الطوائف الشرقيّة في سرّ الافخارستيا فلمّا اوقفوهُ عليها امر بنشرها وأفحم بها الهراطقة وارتدّ بسببها كثيرون من الضالّين الى حجر الكنيسة الكاثوليكية

وهذا شهر حزيران نكرّر فيهِ كلّ سنة تذكار جسد الربّ بعيد فخيم ورونق عظيم فيحسن بنا ايضاً ان نذكر ايمان اجدادنا الكرام ليثبت الابناء على تعليم آبائهم ولا ينخدعوا بما يشيعهُ البروتستانت من الاضاليل بهذا الخصوص في انحائنا

وها نحن نبيّن ذلك فنجمع الشواهد الدالّة على ايمان الشرقيين بسرّ القربان وسنقسم مقالنا الى ثلثة فصول فنذكر في الفصل الاوّل اقوال الآباء الشرقيين المنبئة باعتقادهم لهذا السرّ الجليل. ونورد في الثاني شواهد الطقوس الشرقيّة عنهُ. ونختمهُ بفصل ثالث نروي فيهِ الآثار الفنيّة التي تؤيّد ايمان الشرقيّين. ونضرب الصفح عن العاديّات والآثار القديمة الناطقة بايمان قدماء المسيحيين لِما مرَّ من ذكرها في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٦٧٣—٦٨٣) في مقالة سمعتها القس بطرس عزيز (وهو اليوم رئيس اساقفة سلماس الجليل)

شواهد الآباء الشرقيين في سرّ القربان

١ يحقّ لنا ان نفتتح هذا الباب بما كتبهُ اوّل الشرقيّين والاناء المصطفى القديس بولس الذي سرد رواية الانجيل عن انشاء السيد المسيح لهذا السرّ وصرّح بالوقت ذاتهِ عن ايمانهِ وايمان المؤمنين الاوّلين فقال في رسالتهِ الاولى الى اهل كورنتس (٢٣—٢٩) :

«اني تسلّمتُ من الرب ما قد سلّمتهُ اليكم انّ الربّ يسوع في الليلة التي أُسلم فيها اخذ خبزًا وشكر وكسر وقال : خذوا كُلوا هذا هو جسدي الذي يُكسر لاجلكم اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلًا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلّما شربتم لذكري فانكم كلّما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يأتي. فايّ انسان اكل خبز الربّ او شرب كأسهُ وهو على خلاف الاستحقاق فهو يُجرم الى جسد الربّ ودمهِ . . . انّما يأكل ويشرب دينونة نفسهِ اذ لم يميّز جسد الربّ»

فهذه الشهادة الجليلة التي سمعها الشرقيّون من فم اكبر ابناء جنسهم لم تدَع لهم ريباً في معنى كلام الربّ وعن ارادتهِ بتحويل جوهر الخبز والخمر الى جسدهِ

ودمهِ . ولا عجب بعد ذلك ان ترى الآباء الشرقيين يعلنون كالقديس بولس بايمانهم في هذا السرّ

٢ً واوّل من جرى في ذلك على اثرهِ احد تلاميذ الرسل ﴿القديس اغناطيوس﴾ المعروف بالنوراني خلف القديس بطرس على كرسي انطاكية († ١٠٧) . فانهُ يذكر القربان الاقدس غير مرّة ولا شبهة في ايمانهِ بهِ فانهُ في رسالتهِ الى اهل ازمير (اعمال آباء اليونان لمين ٥ : ٧١٣) يقرّف المبتدعين المعروفين بالغنوسطيين لجحودهم هذا السرّ فيقول : « انّ هؤلاء يمتنعون عن الافخارستيّا وعن الصلاة لأنهم لايعترفون بكون الافخارستيّا هي جسد مخلّصنا يسوع المسيح الذي تألّم لاجل خطايانا ثمّ اقامهُ الآب من الموت برأفتهِ » . وفي رسالتهِ الى اهل فيلادلفية (مين ٥ : ٧٠٠) يقول : « اجتهدوا بان تتناولوا قرباناً واحداً لان جسد سيّدنا يسوع المسيح واحدٌ هو كأسهُ واحدة في وحدة دمهِ وهيكلهُ واحدٌ »

٣ً ومنّن شرفوا سوريّة في القرن الثاني للمسيح الفيلسوف المتنصّر والشهيد العظيم ﴿القديس يوستينوس﴾ († ١٦٣) . لهُ شهادة رسميّة في حقيقة سرّ القربان . اوردها في دفاعهِ الاوّل عن النصرانيّة لدى القيصر مرقس اوريليوس حيث قال (مين ٦ : ٤٢٨) :

« انّ الذين ندعوهم شمامسة يحملون الى النائبين الخبز والخمر الممزوج بماء بعد تحوّلهما الى الافخارستيّا . والزاد الذي نحن ندعوهُ افخارستيّا لا يجوز لاحد ان يشترك فيهِ ما لم يعتقد حقائق ايماننا ولم يكن تطهّر سابقاً بماء المعموديّة وجرى بموجب اوامر السيّد المسيح . لأننا لا نتبرّ هذا الخبز وهذا الخمر كطعام بسيط . ولكن كما انّ السيّد مخلّصنا صار جسداً بقوّة كلام الله واتخذ حقيقةً دماً ولحماً لاجل خلاصنا كذلك وفقاً للتعليم الذي تسلّمناهُ يتحوّل طعام الافخارستيّا بقوّة كلمة المسيح الى جسدهِ ودمهِ فيغتذي بها جسدنا ودمنا »

٤ً ويجوز ان نعدّ من آباء الشرق ﴿القديس ايريناوس﴾ († ٢٠٢) وهو تلميذ القديس بوليكربوس اسقف ازمير وتلميذ الرسول يوحنّا الحبيب قبل ان ينتقل الى غاليه ويُسقَّف على كرسي ليون . لهُ في ردودهِ على الهراطقة اقوال عديدة اعلن فيها عن ايمانهِ بسرّ القربان قال (مين ٧ : ١١٢٦) :

« اننا نقدّم لهُ عطاياهُ اذ نؤكّد من جانب اتّحاد كلمتهِ بطبيعتنا البشريّة اتّحاداً وثيقاً ومن جانب آخر قيامة الجسد الذي سيعود الى الاتّحاد مع النفس وكما انّ الخبز الذي اصلهُ من

الارض لا يبقى خبزاً بسيطاً بعد الدعاء الى الله ويتحوّل الى عنصرين احدهما سماوي والآخر ارضي هكذا اجسادنا بقبولها الافخارستيا لا يستولي عليها الفساد الى الابد بل لها الرجاء بالقيامة الى الحياة الدائمة »

ولا نتعرّض لشواهد ترتليانوس والقديس قبريانوس وكلاهما من آباء الكنيسة اللاتينيّة ولنا ما يقوم بدلاً منها في الكنيسة الاسكندريّة شهادة ﴿ اقليمس الاسكندريّ ﴾ († ٢١١م) ففي كتابه المعروف بالمرشد يذكر مفعول الافخارستيّا بشرحه كلمة السيد المسيح «كلوا جسدي واشربوا دمي» (مين ٨ : ٣٢٥ و ٤٠٦) فيقول :

« قد اعطانا الربّ الاغذية الموافقة اذ منحنا جسدهُ وأهراقَ دمهُ . . . ودم الربّ شكلان الواحد بشريّ فدانا بهِ من الهلاك والآخر يمسحنا بهِ . فشُربنا دم يسوع انما هو اشتراكنا بهِ بعدم الفساد فكما ان الخمر تمزج بالماء هكذا يتحد الانسان بالروح . فالخمر يمنح الايمان والروح يمنح النجاة من الفساد فبامتزاج الروح والمشروب تتألّف الافخارستيا تلك الموهبة التي يتقدّس المشتركون بها جسماً ونفساً »

٥ وكذلك ﴿ اوريجانس ﴾ المعلم الكبير معاصر اقليمس الاسكندري ومواطنهُ فهو ايضاً يجاهر بايمانهِ في سرّ القربان الاقدس . فمن اقوالهِ ما ورد في شرحهِ على سفر العدد (مين ١٢ : ٣٩١) حيث يحرّض سامعيهِ على حفظ كلام الله فيتخذ مثلاً لاقناعهم عظمَ اهتمامهم بكرامة جسد الرب قال :

« انكم انتم الذين تحضرون معنا اقامة الاسرار باي احتراس واي اكرام تحفظون جسد الربّ لئلّا يسقط منهُ شيء على الحضيض فتعدُّون نفوسكم مجرمين وذلك بكلّ حقّ اذا جرى ذلك باهمالكم فكم بالاحرى يجب عليكم ان تحفظوا في قلوبكم كلمة الله »

وهو القائل في محلّ آخر من هذا التفسير (مين ١٢ : ٦١٣) :

« انّ المعموديّة كان مرموزاً اليها سابقاً بالبحر (الاحمر) وبالسحابة (في البريّة) امّا الآن فهي تُمنح حقيقةً بالماء والروح . وكذلك أُعطي المنّ سابقاً كطعام بالرمز امّا الآن فيعطى بالحقيقة جسد كلمة الله فانهُ طعام حقيقيّ كما هو ذاتهُ أعلمنا بهِ قائلاً : انّ جسدي مأكل حقيقي ودمي مشربٌ حقيقيّ »

٦ وما اجمل ما قالهُ القديس اثناسيوس يخاطب المصطبغين بالمعموديّة (مين ٢٦ : ١٣٢٥) :

«سترون الشمامسة يحملون خبزًا وكأس وخمر فيجعلونها على المائدة قطالما لا يُتلى عليها صلوات وادعية يبقيان خبزًا وخمرًا. ولكن عندما تُتلى عليها الصلوات الجليلة العجيبة فحينئذٍ يصير الخبز جسد سيّدنا يسوع المسيح ويحتوي الكأس دمهُ»

٧ ونضيف الى هؤلاء الآباء المصريين شهادة احد كواكب نسّاك الصعيد القديس مكاريوس المعروف بالكبير فقد جاء في بعض نسكيّاته ما تعريبهُ (من مجموعة اعماله في باريس ١٨٧٦): اخذ السيد المسيح الخبز والكأس فقال: «هذا هو جسدي وهذا هو دمي. وليس الجسد صورةً ولا الدم رمزًا كما تشدّق بعض الذين ضرب العمى على ذهنهم لكن جسد المسيح الحقيقي ودمهُ الحقيقي»

٨ وما قولنا بلغان الكنائس السريانيّة القديس افرام († ٣٦٣) كفّارة الروح القدس فانّ في مداريشهِ وتسابيحهِ كثيرًا من النصوص الناطقة بايمانهِ في سرّ القربان نختار منها اسطرًا قليلة (اطلب مجموعة لامي ١: ٤٠٦ و٤٢٢) قال بعد ان روى عمل المسيح في العشاء السرّي:

«خذوا وكلوا جميعًا من هذا الخبز الذي قدّستهُ كلمتي. فانا مُعطيكم لا تعتبروهُ خبزًا عاديًا فانهُ بالحقيقة هو جسدي كما قلتُ تستطيع حبّة صغيرة من فتاتهِ ان تقدّس الوف الالوف من البشر وتكفي لتهبَ الحياة لكل من يأكلها»

ثم يروي كذلك تقديس المسيح للكأس كما ورد في الانجيل ثم يردف قائلًا: «امر المسيح تلاميذهُ ان يشربوا وشرح لهم انّ ما يشربونهُ من الكأس هو دمهُ حيث قال: «هذا هو دمي الحقيقي الذي يُهرَاق لاجلكم جميعًا فخذوا واشربوا منهُ كلكم فهو العهد الجديد بدمي وكما رأيتموني صنعتُ هكذا تصنعون لذكري»

٩ ومن ملافنة وطننا العزيز القديس كيرلُس الاورشليميّ († ٣٨٦) فانهُ اغنى الكنيسة بعدّة تآليف اخصُّها شروحهُ للتعاليم المسيحيّة وهي خلاصة الايمان الكاثوليكي. قال (مين ٢٣: ١٠٩٧ و١١١٠):

«ليس خبز القربان بعد ان تُلي عليهِ دعاء الروح القدس خبزًا عاميًا بل هو جسد المسيح. اذ كيف نستطيع ان نشكّ بالامر بعد ان نسمعهُ يقول عن الخبز: هذا هو جسدي؟ او كيف يُنكر انّ في الكأس دمهُ بعد ان قال مؤكّدًا: «هذا هو دمي» ... انّ المسيح يعطيك جسدهُ تحت عرض الخبز ودمهُ تحت عرض الخمر لكي بتناولك جسدهُ ودمهُ تصير شريكًا معهُ وخليطًا بجسدهِ ودمهِ» ... انّنا نؤمن كونهُ حوّل في عرس قانا الماء الى خمر فكيف

لا نقرّ معترفين بانهُ حوَّل الخمر الى دمهِ. فعل الاوّل في وليمة بشريَّة فكم بالحري يجب تصديق قولهِ في هذه الوليمة الروحيَّة التي يقدّمها لابناء الخدر السروي انهُ منعهم بجسدهِ ودمهِ»

١٠ ولنختم نخبتنا هذه من اقوال الآباء ببعض من اقوال القديس يوحنَّا فم الذهب الانطاكي امير الخطباء ورئيس اساقفة القسطنطينيَّة († ٤٧٠) قال في شرحهِ على انجيل متى (متى ٥٨ : ٧٤٣) :

«في الاسرار لا نحصرنَّ نظرنا في ما يقع تحت الحواس فقط بل نوجّه فكرنا الى اقوال الربّ لانَّ كلمتهُ لا يمكنها ان تخدعنا بخلاف حواسّنا التي تنخدع بسهولةٍ. ولانهُ تعالى قال : «هذا هو جسدي» فلنُذعن الى قولهِ آمنين ولننظر اليهِ باعين الروح لانَّ السيّد المسيح لم يعطنا شيئاً محسوساً فقط بل جعل تحت المحسوسات اشياء روحيَّة كلها . . . فبأيّ طهارة يجب ان يكون ذاك الانسان المتمتّع بهذه الذبيحة»

وقال في ميامرهِ على رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتوس (متى ٦٧ : ٢٠٠—٢٠٣) : «ما هو الخبز الذي تشترك بهِ ؟ هو جسد المسيح . وماذا يحصّل المؤمنون باشتراكهم بهِ؟ يحصلون على ان يضحوا كذلك جسد المسيح فلا يبقون اجساداً مختلفة بل يُمسون جسداً واحداً . كما ان الخبز يتركَّب من حبوب عديدة تُعجَن فتصبح خبزاً واحداً . . . ولذلك قد اعطانا هذا الخبز ليكون ذخيرتنا وطعامنا فعبّر بعطيَّتهِ عن محبَّتهِ البالغة نحونا»

هذه الشواهد كافية لإثبات ما سبق لنا من القول عن اتّفاق الآباء في ايمانهم عن حقيقة وجود جسد الربّ ودمهِ في القربان الاقدس وان لم نتجاوز القرن الخامس للنصرانيَّة ولم نذكر كثيرين من الآباء القديسين كغريغوريوس النزينزي واخيهِ غريغوريوس نيصص وباسيليوس وكيرلس الاسكندري وتاودوريطس الخ فانَّ لهم جميعاً نصوصاً واضحة في شأن القربان الاقدس

٢ سرّ القربان الاقدس في الطقوس الشرقيَّة

ليس غرضنا هنا ان نذكر تاريخ الطقوس الشرقيَّة واصل نوافيرها . فانَّها ان لم ترتقِ في صورتها الحاضرة الى اوائل الكنيسة والى عهد الرسل فهي بلا شكّ قد استقت جوهر تلك الطقوس من موارد كان ينبوعها الاوَّل رسل السيّد المسيح لاسيما الناظور المنسوب الى القديس يعقوب الرسول اسقف اورشليم المعروف بابن حلفى

على انّ العلماء في عهدنا اكتشفوا رتباً بيعيّة اقدم عهداً من الطقوس الشرقيّة الحاليّة. واشهرها الكتاب المعروف بتعليم الرسل (Διδαχή) الراقي الى اواسط القرن الثاني ولعلّهُ اقدم من ذلك كان لاكتشافهِ رنّة استحسان بالغة. ومنها المراسيم الرسوليّة من القرن الثالث معما اوردتهُ من ليتورجيّة القديسَيْن اكليمنضوس وهيبوليطس فان في هذه التآليف كلها فصلاً لتقديس الخبز والخمر ليصبحا للمؤمنين طعاماً روحيّاً لا يجوز ان يشترك فيهِ غير المعمّدين. واتّصال هذه الرتب بالعهد الرسوليّ ظاهر مقرّر. ولعلّ الليتورجيّة المنسوبة الى القديس يعقوب هي صدى لتلك الليتورجيّات الرسوليّة القديمة (اطلب مقالة الخوري جدعون ألوسي في هذا الصدد في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٦٧٧—٦٨٧)

فلنذكر الآن بعض الشواهد المقتطفة من الليتورجيّات الشرقيّة الشائعة منذ الزمن القديم بين الطوائف وذلك على حسب ترتيب حروف المعجم

﴿الارمن﴾ تتّصل ليتورجيّتهم بليتورجيّة القديس يعقوب والليتورجيّة اليونانيّة في القرن الرابع. فممّا يتلوهُ الكاهن بعد الكلام الجوهري ما تعريبهُ :

« اللهمّ انّا نسجد لك ونطلب اليك ايها الربّ الرحوم ان تسكب علينا وعلى مواهبك هذه التي نقدّمها الآن الروحَ القدس الذي منك ومن جوهرك منذ الازل والذي بهِ قدّست هذا الخبز ليصير بالحقّ واليقين جسد سيّدنا يسوع المسيح وقدّست هذه الكأس لتصير حقّاً ويقيناً دمَ سيّدنا المسيح محوّلاً اياهما بقوّة روحك القدوس . وامنحنا نحن المجتمعين هنا كلّنا ان نتقرّب الى هذا السرّ فلا يضحي لدينونتنا بل لمغفرة خطايانا والتكفير عنها »

وهذا على سواء في قداس الارمن الكاثوليك والارمن الغريغوريين

﴿الحبش﴾ اخذوا الايمان عن احد مواطنينا السوريين القديس فلجنسيوس في القرن الرابع. وايمانهم في القربان كايمان سواهم من الطوائف لا اختلاف بينهم في ذلك كاثوليكيين كانوا ام يعاقبة. فمن ذلك ما يقولهُ الشعب بعد تلاوة الكاهن الكلام الجوهري على الخبز : « نعم انّا نعترف ونؤمن بان هذا هو حقيقةً جسدك أيها السيد الهنا فنباركك » . وكذلك بعد تقديس الخمر يقول : « امين انّنا نؤمن بانّ هذا هو دمك » ثمّ يقول الكاهن كلمة الربّ : « اصنعوا ذلك لذكري » فيجيب الشعب. « حقّاً انّنا نذكر موتك يا ربّ ثمّ نؤمن بقيامتك المقدّسة وبصعودك العجيب

الى السماء وبمجيئك ثانيةً يوم الدين» ثم يردف قائلاً: فلنتقدّم امام وجه المسيح ونبجّله بايمان فان اجواق ملائكة مخلّصنا واقفةٌ امامهُ وهي تحجب باجنحتها جسدهُ الطاهر ودمهُ الثمين» – وعندما يقدّم الكاهن جسد الرب للمتناولين يقول: «هذا هو خبز الحياة الذي نزل من السماء. هذا جسد عمّانوئيل الهنا الثمين حقيقةً». ويقول عند تقدمة الكأس: «هذا كأس الحياة الذي نزل من السماء. هذا دم المسيح الكريم»

﴿الروم الملكيّون﴾ المتّحدون مع الكرسيّ الرسولي والمنفصلون على حدّ سواء. فممّا يقول الكاهن في ليتورجيّة القديس يوحنا فم الذهب:

«انا اؤمن يا رب واعترف بأنك انت هو المسيح ابن الله الحيّ.. وايضاً اومن بان هذا هو جسدك الطاهر ودمك الكريم. اقبلني اليوم شريكاً في عشائك السرّي يا ابن الله... لا تستنكف ايها الرب منّي انا الخاطئ.. اجعلني مستحقاً ان اتناول من جسدك ودمك المقدّس.. اجعلني مستحقاً حتى بغير دينونةٍ اقتبل جسدك الكريم الطاهر لاجل شفاء نفسي وجسدي»

ويقول في الاودية السابعة:

«ايها المسيح الصالح وحدك فليعمر لي الآن تناولي اسرارك النير المائتة ينبوع الخيرات ونورًا وحياةً ونجاةً من الأهواء وداعياً الى النجاح والنموّ في الفضيلة الالهيّة»

﴿السريان﴾ الكاثوليك منهم كما اليعاقبة لا يختلفون في معتقدهم بسرّ القربان وتحوّل الخبز والخمر الى جسد ودم السيد المسيح بقوّة كلامهِ الجوهري ونعمة الروح القدس. وكتبهم مشحونة بالآيات المثبتة بايمانهم فنجتزئ ببعض ما ورد من ذلك في كتاب الفنقيط في يوم خميس الاسرار:

«في هذا اليوم قال سيدنا لجماعة رسلهِ المحبوبة: اني شهوةً اشتهيتُ أن آكل معكم هذا الفصح قبل ان اتألّم واتمّم النبوّات. في هذا اليوم اخذ سيدنا خبزًا بيديهِ المباركتين فباركهُ وختمهُ وقدّسهُ واعطاهُ لجماعة تلاميذهِ فآمنوا بانهُ هو ابن الله. فلنسبّح ليسوع ملكنا ونسجد لهُ وهو الذي اعطانا جسدهُ المقدّس ودمهُ الذكي فداء لنا... فلسنا اذن نأكل فطيرًا لكن جسدك المقدّس ولا نشتمّ بدم الحملان بل بدمك يا الله الكلمة»

﴿القبط﴾ يرقّون ليتورجيّتهم الى القديس كيرلّس الاسكندري والى آباء الكنيسة اليونانيّة المعروفين بالثلثة الاقمار. فمما جاء فيها بعد تكريس الاقداس قول الكاهن:

« أرسل يا سيّدنا روحك القدوس على هذه المائدة الموضوعة امام مجدك المقدّس ولتكن مذبحاً روحياً لتكميل الذبيحة الناطقة والغير الدموية اي الجسد المقدّس والدم الكريم اللذين لابنك الوحيد وليكن طهارةً ودواء وبركةً روحيّةً لكافّة الذين يدنون منهُ ومجداً وفخراً لاسمك القدّوس »

ويقولون في ليتورجيّتهم المنسوبة الى القديس باسيليوس :

« انّ هذا هو جسد ودم عمّانويل الهنا بالحقيقة . هو الجسد المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا والهنا ومخلّصنا يسوع الذي اخذهُ من سيّدتنا وملكتنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم وجعلهُ واحداً مع لاهوتهِ بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير هو يعطي عنّا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياةً مؤبّدة لمن يتناول منهُ . امين انّهُ هكذا هو بالحقيقة »

﴿الكلدان﴾ ومثلهم النساطرة يعدّ العلماء نافورهم من اقدم النوافير الباقية الى اجيال النصرانيّة الاولى . يقول الكاهن في قداسهم المنسوب الى الرسل :

« هذا هو الجسد الحي والمحيي الذي نزل من السماء واعطى الحياة للعالم كلّهِ اجمع لكي لا يموت من يتناولهُ بل بهِ ينالون الخلاص وبهِ يتطهّرون من خطاياهم ويحيون الى الابد . . . اننا نتقرّب يا ربّ بايمان حي باسمك الى هذه الاسرار المقدّسة . . فلتحلّ علينا وعلى هذا القربان نعمة الروح القدس الجاعل هذا الخبز بقوّة اسمك جسد ربّنا يسوع المسيح حتى ان كلّ من أكل من هذا الخبز بايمان وشرب من هذه الكأس يكون ذلك لهُ لمحو الآثام ولغفران الخطايا ورجاء القيامة من بين الاموات ولخلاص النفس والجسد والحياة الجديدة في الملكوت السماوي »

﴿الموارنة﴾ كالسريان عريقون في ايمانهم منذ اوّل تاريخهم بالقربان الالهي . وقد جمع الطيّب الذكر المطران يوسف الدبس في خطبةٍ القاها سنة ١٨٩٣ في المجتمع الاوخاريستي في اورشليم ثمّ المنسنيور بطرس حبيقة وحضرة شقيقهِ القس يوسف سنة ١٩٠٨ شهادات الكنيسة المارونيّة الصادعة بوجود جسد المخلص ودمهِ في سرّ القربان الاقدس فنُحيل القرّاء الى ما نشروهُ مكتفين بذكر قطعةٍ من الافراميّات التي تقال قبل تلاوة رسالة مار بولس نجعلها مسك ختام هذا الباب :

« لقد حسن لدى الربّ ان يكون ذبيحةً من اجل الأمّة ليُحييهم فسلّط الكهنة بجودهِ على كسر جسدهِ ومناولة دمهِ الحي لليمة خطيئته . يروّع جاوهُ طغمات الملائكة فيقومون على خدمتهِ وتراهُ موزّعاً على بني آدم بنوع عجيب . . قد منح ليمتهِ اسراراً جليلة لا توصف

وخلّصها بآلامهِ واحياها بموتهِ واعتقها بقيامهِ فنأكل جسدهُ ولا نتردّد ونشرب دمهُ ولا نعتري قد تاق الانبياء الى هذا السرّ وها هوذا مستمرٌّ في البيعة خلاصاً للشعوب . كانت ذبائح موسى وهارون وتقادم نوح وابرهيم وملكيصادق صورةً لسرّ جسد ابن الله ودمهِ »

٣ً الآثار الكنسيَّة

في الكنيسة الكاثوليكيَّة ما خلا الآثار الكتابيَّة والليتورجيَّة التي تستند اليها لاثبات اثباتها شواهد أُخرى لا تنطق بالشفاه بل بلسان حالها الّا انَّ نُطقها ذلك بليغٌ يؤثر في حواسّ المؤمن ويحيك في شواعر قلبهِ

فمن ذلك كثير من آثار الدياميس التي مرّ ذكرها مع صورها (المشرق ٤ : ٦٧٣) كالخبزات التي يصلّي عليها الكاهن والسمكة الدالّة الى المسيح والقفف السبع التي كثّرها الربّ وكسطول الحليب بقربها الخراف التي تستقي منها وكذلك زجاجات الخمر المقدَّس والماء الحيّ وغير ذلك ممّا لا تخفى رموزهُ وتصرّح كتابات الدياميس بمعانيهِ

ومن هذه الآثار ذات الكنائس الكاثوليكيَّة التي كانت في كلّ آن ومكان في الشرق والغرب آياتٍ هندسيَّة تشير بنفس بنائها ونقوش هندستها الى الضيف الكريم النازل فيها . ولاسيما الهياكل المثيلة العرش الجالس عليهِ ابن الله بجسدهِ ودمهِ محجوباً وراء الاستار وقُبب القربان او حواجز الايقونستسات . على خلاف معظم كنائس البروتستانت والمبتدعين فانَّها نوادٍ ومسارح اكثر منها كنائس وبيوت الله

ومنها الحلل الكهنوتيَّة من حليّ كبار الاحبار الى ابسط دروع الشمامسة فكلّها ترمز الى جلال السرّ الذي يخدمونهُ وما تستدعي خدمتهُ من الوقار والتبجيل والنقاوة . وبين هذه الحلل ما يتألَّف من أجود وأثمن ما يعرفهُ البشر من ملابس الحرير والكتّان ومن الحليّ المحبوكة بالقصب والمزركشة بالذهب والفضَّة ومن التيجان المرصَّعة بالحجارة الكريمة والمكاكيز المختلفة النقوش والاشكال . ولولا اعتقاد الكنيسة بعظم سرّ القربان وجلال المحجوب تحت اعراضهِ لأنِفت عن هذه الابهة واعرضت عن هذه النفقات الطائلة

وما قولنا بآنية التقديس التي يصطنعها أبرع العمّلة ويصوغونها من اجود المعادن

ولا يدّخرون في استحضارها نفقة او عناءً يخلب منظرها ألباب ناظريها في خزائنها او في المعارض الدولية فيدلُّ جمال فنونها على عظمة المولى المكرَّسة لخدمته

وهذه الآنية كانت في اوائل النصرانية بسيطةً ساذجة لاجل الاضطهادات التي كانت تقاسيها الكنيسة الّا انَّ تلك الآنية نفسها تشهد لايمان اصحابها . منها اكواب زجاجية مصفَّحة بالذهب كانوا يجعلون فيها الخمر المقدَّسة مكتوباً عليها : «اشرب فتحيا» . وفي متاحف الفاتيكان بعض من تلك الآنية المختصَّة بالقربان . وفي متحف حضرة الآباء البيض في الصلاحيَّة في القدس الشريف وفي غيره مصنوعات من الذهب او من الفضَّة تمثِّل الحمام كانوا يجعلون في قلبها القربان الاقدس فيحفظونهُ لحاجة المرضى ولزادهم الاخير .

وكذلك كؤوس التقديس فان بينها ما تُرى عليه كتابات منبئة بايمان ذويها . فمن ذلك كأس راقية الى القرن الخامس وصفها القديس اوبتاتس (ك ٦ ف ٢) كان مرقوم على قاعتها «كأس لحمل دم المسيح» . ومثلها الصينية مع القفص البديع الذي يُحمَل عليها في الكنيسة اليونانية كثيراً ما يُكتب عليه : «ابسط يا رب يمينك على هذا القفص المبارك الذي يحجب تحتهُ دقائق جسدك الطاهر المتأجج الجمرات والذي سوف يقرَّب على الهيكل» — وكذلك ايضاً الاندميني الذي يُبسط تحت الكأس والذي عليه تصاوير قبر المسيح وقيامته

وفي نفس الخبز المعدّ للقربان تُطبع نقوش رمزيَّة الغاية منها إعلان النصارى بايمانهم بسرّ الافخارستيا العجيب

فترى انَّ ايمان الشرقيين منذ عهد الرسل الى اليوم لم يختلف ذرَّةً بخصوص اعتقادهم لسر جسد ودم ابن الله في قربانه يكفي لكل مخالف ان يطالع كتابات آبائهم وان يتصفَّح كتب طقسيَّاتهم او يلقي بنظره الى معابدهم ويعتبر كل تصرُّفاتهم في مزاولة سرّ القربان لكي يقرّ شاء أم أبى بان الشرق لم يحد من هذا القبيل في ايمانه عن الكنيسة الجامعة جعلهُ الله سرّ محبَّته رابطاً بين قلوب كل اهل النصرانية بوحدة الايمان وائتلاف القلوب امين اللهمَّ امين

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تابع)

وقد يكون حمل هؤلاء الكتبة على رأيهم هذا ما يقرأون من صور الاقرار بالايمان الذي كان الباباوات يفرضونه على البطاركة لدن تثبيتهم وهذا امر لا يزال مرعيًا حتى اليوم وفي هذا الاقرار رذلٌ صريح للهرطقات . وكان الاحبار الاعاظم يطلبون ذلك من الاساقفة عموماً ومن بطاركة الشرق خصوصاً لانهم كانوا يخشون من اندساس الهرطقات بين الطوائف البعيدة عن مركز الوحدة الكاثوليكية ولاسيما بعد ان اعلن بطاركة القسطنطينيَّة اتحادهم برومية مرّات ووعدوا بالثبات عليه غير انهم اخلفوا بوعودهم وربما ظن الاحبار الرومانيون ان للقسطنطينيَّة سيطرةً على سائر البطاركة الشرقيين فتُكرههم على الانفصال كما جرى ذلك فيما سبق

على ان هذا كلّه لا يمنعنا من الاعتراف بان اغلاطاً تسرَّبت الى بعض كتب الموارنة ولو لم يحدث ذلك لقلنا ان الله بمعجزة خاصَّة قد حفظ الطائفة المارونية من كل خطأ. على انك لو انعمتَ النظر في احوال الموارنة لرأيت انهم بعطية خاصة من الله تمسَّكوا بالكنيسة الرومانية مع ما كان يحيق بهم من الاسباب التي من شأنها ان تبعدهم عنها. ثم ان الاكليرس عموماً مع اجتهاده وانكبابه على نسخ الكتب وميله الى الحياة النسكية لم يكن ذا تهذيب كافٍ ولا كان باستطاعته ان يكتسب العلوم اللازمة ويروّض عقله على الحكم الدقيق في امور الدين وهي لا تخلو من صعوبة لان اسباب المعيشة لم تكن متوفرة لديه حتى يتفرغ للدرس بل كان الاساقفة انفسهم يضطرُّون الى حراثة الارض ليعيشوا. كما سترى ذلك في عريضة المطران جرجس عميرة الى الحبر الاعظم وفي تقرير رئيس الكرمليين عن حالة الياس مطران اهدن في ذلك العهد . ولو شاؤوا الدرس اين المدارس في الشرق يتلقَّن فيها الاكليرس العلوم العالية وبهم يحيط غير المؤمنين والمبتعدون عن الكنيسة الكاثوليكية ينزلون بهم الشدائد والنكبات فضلًا عن ادّعاء النسّاخ الجهلة . ولدينا على ذلك بينات قاطعة . فكان هؤلاء يبدّلون ويغيّرون من الطقوس والكلمات كما شاءت اهواؤهم ومداركهم

المحدودة . زد على ذلك بُعد الموارنة عن مركز الوحدة وصعوبة الصلات بينهُ وبينهم

ثم ان الموارنة كانوا محتفظين بعادات طقسية شرقية غريبة عن الطقس اللاتيني وعن التهذيب البيعي اللاتيني لكنها غير محرّمة مما حمل بعض الرواة على تعدادها مع الاضاليل كمنح التثبيت بعد العماد فوراً ومناولة الصغار وزواج المرشّحين الكهنوت واحصاء درجة الايبودياكونية في مصاف الدرجات الصغار فهذه كان يرى فيها بعض الوفدين شذوذاً عن ترتيبات الكنيسة الرومانية . وقد يحملهم على تفسير العبارات بغير مدلولها عدمُ تضلعهم من درس اللغتين السريانية والعربية ولا لوم في ذلك اذ لا يخفى ان لكل لغة اصطلاحاً واسلوباً يصعب ان يتمثّلها من كان غريباً عنها

تلك كانت الحالة يوم جاء الاب دنديني ورفيقهُ الى لبنان بعد ان عرّجا على قبرس ووصف اولهما تلك الجزيرة وعدد القرى التي يسكنها الموارنة فكانت تسعة عشر وهي : مطوشي . وفلودي . وسانتامارينا . وشيبو . ويادي قرب خيثرايا . واسوماتوس . وغمبيلي . وكرباصيا . وكورماكيتي . وكازابيفاني . وفونو . وكروشيدا . وكيفالوريزو . وكروشيدا التحتا . وطالا . وكليبيريو . وبيسكوبيا . وغتريا . وفي كل قرية خورنية على الاقل . الفقر ضارب اطنابهُ بينهم . ومما ذكره الاب دنديني انهُ كان لموارنة قبرس اسقف مات من مدة ولم يُقم لهُ خلف ولا ريب انه قد خُدع برواية كاذبة لان اسقف قبرس في تلك الايام كان يوحنا ابن اسكيلا وهو قبرسي توفاه الله سنة ١٥٩٨ فسيم في موضعهِ موسى العنيسي . وكان قد اسلم كثير من نصارى تلك الجزيرة من شدة الجور والاضطهاد

ولما وصل الاب دنديني الى طرابلس ما لبث ان توجه الى قنوبين فبلغها في اوّل ايلول وكان رفيقهُ اصيب بمرض فلم يستطع ان يصحبه . اما الكرسي الرسولي فكان قد عيّن لهما ترجمانين من تلامذة المدرسة المارونية هما الخوري موسى العنيسي الذي كان عاد الى وطنهِ في سنة ١٥٩٥ ويوسف اليان الحلبي الذي سافر معهما من رومية

وما لبث الاب دنديني أن فاتح البطريرك بغرض قصادته وأطلعهُ على نيات الحبر الاعظم وطلب منهُ ان يعقد مجمعاً حافلاً بالاساقفة حتى يفاوضهم في امور الطائفة . فاخذ البطريرك يتشكّى من الذين رموا الطائفة بالهرطقة والضلال واعرب عن غمهِ لان الحبر الاعظم لم يرسل اليهِ سوى براءة بسيطة فكأنه استدلّ بذلك ان

الوشايات به قد كان لها صدى في رومية فسعى الاب دندينى بتطييب خاطره وقدم له ما كان الحبر الاعظم انعم به من انية ثمينة وحلل كهنوتية واسقفية. ثم اتفقا على تأجيل عقد المجمع الى ان تسود السكينة في البلاد والى ان يشفى البطريرك من مرض كان قد ألمّ به

واذا رأى الابوان ان يقضيا تلك الفترة متجولَين في لبنان ليقفا على احواله وشؤون الموارنة وعادات اهل البلاد كما كان فرض عليهما المجمع المقدس والرئيس العام في تعليماتهما وقد عهد البطريرك الى الشدياق يوسف خاطر السمعاني الحصروني قيّم الكرسي البطريركي ومقدّم جبة بشرّي ان يرافقهما في رحلتهما

ففي كل هذه الحوادث لم نرَ لجرجس عميرة ذكرًا في الكتابات وربّما كان ذلك لانه لم يكن بعد رُقّي الى درجة الكهنوت المقدسة مع انهُ كان في وطنه لا يجهل الابوان منزلتهُ

وربّما يكون أهمل امره كما تُرك رفقاؤه جانباً لاسباب لا يصعب ادراكها على من درس الاخلاق البشرية . فان تلاميذ المدرسة الرومانية كانوا يبرحون اوطانهم صغار السنّ يتهذبون في رومية تهذيباً مختلفاً عن عادات بلادهم ثم يعودون اليها فيرون ما فيها من نواقص او تأخر عن حالة اقطار الغرب التي تيسّر لها السعي الحثيث في ميادين الرقي والحضارة . وقد يكون ان بعضهم تجاوز سنّ الحكمة والاحترام الواجب بانتقاد ما لم يُرُقْهُ فتغيّر عليه رؤساؤه ولاسيما ان اغلب هؤلاء كانوا ينشأون في المحابس او لم يغادروا قريتهم او جبلهم بل صومعتهم فيخيّل لهم ان كل جديد بدعة وينظرون شذرًا الى هؤلاء الشبان الآتين اليهم بروح جديد الطامحين الى انتهاج خطة غير المتبعة الى ذلك اليوم فيتحذّر رؤساؤهم منهم ويدعونهم بغير عمل حتى يقنطوا ويقنط امثالهم او يعودوا الى الخطّة القديمة . كما ان المعيشة الصعبة كانت تثبط من عزيمة التلامذة الذين ما كانوا يستطيعون التفرّغ للاعمال الرسولية مع ضرورة اهتمامهم بمعاشهم الزمني

وليس في ما قدّمنا عيب خاصّ بطائفة دون سواها بل هو نقص في الطبيعة البشرية تمتعض ممّا يخالف ما تعوّدتهُ لا علاج له بغير التأمي في معارج الفضيلة . ولا جرم ان قلنا عن التلاميذ الذين كانوا يُتركون بطّالين بعد رجوعهم من رومية انهم

قد عرضوا امرهم للكرسي الرسولي فعمد الى الفحص عن هذا الامر واوعز الى الاب دنديني ان يهتمّ بملافاة الخلل حتى لا تفوت المنفعة المقصودة من تهذيب هؤلاء الشبان. وكان البابا اقليمس الثامن في رقيمه الى البطريرك سركيس الزي المؤرخ في غرّة نيسان ١٥٩٥ مدح الخوري موسى العنيسي ويوسف اليان ورغب اليه ان يستخدم لمنفعة الطائفة التلامذة الذين يتكبّد عليهم الكرسي الرسولي النفقات الطائلة. فبناء عليه عُقد مجمع قنوبين الثاني وقد ذُكرت موادُّه في ذيل المجمع اللبناني الذي ترجمه المثلث الرحمات المطران يوسف نجم

قال السمعاني في كلامه عن عميرة (ج ١ المكتبة الشرقيّة) ان عميرة اشتهر بعلمه وحكمته في ذلك المجمع الذي عقبه انتقال البطريرك سركيس الى راحة الصالحين في ٥ ت ١ (٢٥ ايلول شرقي) ١٥٩٦ (١ وخلفهُ في اليوم التاسع بعد وفاته يوسف ابن اخيه موسى

وكان الاب دنديني بعد وفاة البطريرك سركيس والاحتفال بالصلوة عن نفسه عاد الى طرابلس رغم إلحاح الاساقفة عليه بالبقاء وحضور الانتخاب — متقيّدًا باوامر رؤسائه متجنّباً تجاوُز حدود مهمّته. ولما قام البطريرك الجديد عاد الى قنوبين مع رفيقه وهنّأاهُ ثم اتفقوا على ان يغتنم الابوان فرصة انهماك البطريرك بالقيام ببعض واجبات اللياقة نحو حكام البلاد فيزورا الاراضي المقدسة ثم يعودا اليه فيداولاه مليًا في شؤون قصادتهما. وقد سرد الاب برونو هذه الحوادث في كتاب ارسلهُ الى رئيسه العام تاريخهُ ٢٣ ت١ ١٥٩٦ نورد منهُ بعض فقرات توقفك على حالة الموارنة المعنوية قال:

« ارغب ان اصف لابوتكم بعض اخلاق هذه الطائفة المارونية وايّاها وثلّثها الفريد بالكرسي الرسولي المقدس وليس المقصود من ذلك تنزية قلب ابوتكم التي تحب الطائفة المارونية محبة فائقة بل تتميماً لرغبتكم في الوقوف على بعض امور هذه البلدان حتى يُعلم الجميع كيف

١) أرى انهُ يتيسّر التوفيق بين رواية الدويهي والاب دنديني لان المجمع عقد في ١٨ ايلول شرقي او ٢٨ غربي ودام يومين اي حتى ٢٠ شرقي او ٣٠ غربي. وبعد انعقاد المجمع بسبعة ايام مات البطريرك اي في ٢٥ ايلول شرقي و٥ ت١ غربي وانتُخب خلفهُ بعد موته بتسعة ايام اي في ١٤ ت١ غربي او ٥ ت ١ شرقي. والاب دنديني يقول ان الانتخاب كان في ١٣ والاب برونو انه جرى بعد انتقال البطريرك بعشرة ايام. فلا نرى اختلافًا يُذكر

ان سيدنا وربنا يسوع المسيح يُخدَم حتى اليوم في مكان لا مساعدة بشرية فيه بل تعترض هذه الخدمة موانع جمّة. ان الروح يهبُّ حيث يشاء»

ثم ذكر حالة الموارنة الفقرية بسبب الجور المتواصل واضطرارهم الى دفع المال لا للسلطان وحده بل لسائر الحكام والقضاة المسلمين فاجأ الامر كثيرين الى مغادرة بلادهم والتفرّق بين الامم الغريبة معرّضين ايمانهم للخطر او في الاقلّ للتشويه. ثم قال:

«ان تعلّقهم بهذا الايمان بلغ من السواد الاعظم منهم مبلغاً عظيماً حتى انهم بغية إتقاء هذا الخطر الذي يُعرّضون لهُ بضرب العصي يبيعون ما يملكون بابخس الاثمان مستبقين ما كولهم فقط ويترحون من بلادهم. امّا ايمانهم فانهُ كما ستعلمون ابوتكم منا لدن رجوعنا على ما تعلّمهُ وتكرز بهِ الكنيسة الرومانية المقدسة حتى انني ذهلت كيف انهم بغير معلمين او مبشرين لا الاكليريكيون والاشراف فقط بل العامّة والفلاحون ايضاً متى سمعوا بقضية من قضايا الايمان الكاثوليكي تُتلى عليهم اعترفوا بها حالاً اعترافاً اكيداً مخلصاً واخذوا باحترام كما يقبل عندنا اللاهوتي الضليع. وبعكس ذلك متى سمعوا قضية هرطوقية او ضلالية اشمأزّوا منها وانكروها بعلامات وكلمات تشبه الكلام الذي يلفظ عندنا لمّا يبلغهم خبر الموت»

ثم اسهب الاب المذكور في مدح احترامهم للحبر الاعظم ولكل ما يباركهُ ولموفديهِ ولكل ما يكون مصدره رومية قال: «انهُ لم يرَ شعباً يحترم الاشياء المقدسة كهذا الشعب» ... وذكر انهم يطلبون بركة رؤسائهم قبل سفرهم وانهم قبّلوا اقدام موفدَي الحبر الاعظم رغماً عن ارادتهما. وختم بهذا الكلام:

«اني اقول بكل صدق ان هذه الطائفة بلغت محبتها للحبر الروماني مبلغاً يضطرّني الى الجهر بانني لم أرَ حتى الساعة في اقطارنا من يظهر طاعة للكرسي الرسولي كطاعتهم او تعلّقاً بهِ كتعلّقهم حتى انهم في المجمع الذي عُقد آخراً قال البطريرك علناً: «حيثما يذهب الكرسي الروماني نذهب نحن ايضاً». فاضاف الشدياق وهو اهمُّ رجل في هذه الطائفة (لانهُ مقدّم): «وانا اذهب معهُ حتى الى الجحيم»

اوردنا ذلك ليعتبر الجميع ان الموارنة لم يخلوا يوماً من علامة الكثلكة الخارجة هذه اي الخضوع لرومية في ما ترسمهُ من القوانين وتحدّدهُ من العقائد مع ما تسرّب الى بعض كتبهم من الاغلاط او قالهُ بعضهم عن جهل الحقائق. فان إسراعهم الى امتثال اوامر الحبر الاعظم لغريب عجيب وكافٍ بالاب برونو يقول ان فيهم غريزة خاصّة تحملهم على الانقياد الى ما هو كاثوليكي والى النفور ممّا هو مخالف للكنيسة.

ولا بدع فان سلامة نية هذا الشعب وسذاجة ايمانه أهلاه لان يكون دائماً مستعداً للتسليم دون ما تردُّد بما تأمر به رومية مركز الكثلكة. وقد اتّفق جميع الذين كتبوا عنه انه متحلٍ بهذه الخلّة وهي لا ريب نعمة سماوية

ولمّا عاد الابوان من القدس صعدا توًا الى قنوبين واجتمعا بالبطريرك والاساقفة فاثبتوا جميع ما كان سبقت الموافقة عليه في المجمع المنعقد في ايام سلفه السعيد الذكر وصمّموا على تنفيذ التدابير التي كانوا قد قرّروها ومنها ان يُسام اسقف على قبرس يقيم في الجزيرة لان الموارنة فيها كانوا في حاجة كلية الى رئيس يدير شؤونهم ويجمع شتاتهم ويعزّيهم وينشّطهم ويدافع عنهم في ضيقاتهم كما ان السيد البطريرك بناء على إغراء الاب دنديني عزم على ان يعرض لقداسة البابا ان يعيّن اسقفاً لقبرس يكون من تلاميذ المدرسة المارونية القبرسيين. والى ان يتمّ ذلك قرّر البطريرك ان يرسل مطراناً يزور الموارنة ويطّلع على احوالهم ويوزّع عليهم ما يلزمهم من الآنية المقدسة والكتب الطقسية التي هم بحاجة قصوى اليها. وكان الاب دنديني قد اتى بهذه الكتب من رومية (١

٢ً سيامة عميرة كاهناً واسقفاً واعماله الاولى

وممّا تمّ الاتفاق عليه بين البطريرك والموفدَين الرسوليين ان يُعهد الى موسى العنيسي ويوحنا الحوشبي بخدمة النفوس والطائفة. امّا جرجس عميرة فلبث ينتظر ان تُسنَد اليه مهمّة وما طال الامر حتى اقتنع البطريرك بوجوب تشغيله في كرم الرب لان الاب دنديني الذي كان يعرف مقدرتهُ وعلمهُ وفضيلتهُ الحّ الحاحاً شديداً بسيامته للاستفادة من صفاته الممتازة وهاك ما قالهُ عنهُ :

« ان عميرة كان قد اعتنى بكتاب القداس الذي طبع في رومية لاستعمال الطائفة المارونية والّف غراماطيقاً سريانياً جيّداً طبعهُ في رومية ثم انكبّ على الفلسفة واللاهوت اكثر من سواه »

فهذا ما دعا الاب دنديني على توسّم الخير به ولا نخطئ اذا قلنا ان اساتذة

---

(١) ما استطعنا الاهتداء الى اي طبعة من كتاب القداس بشير الاب دنديني لان طبعة ١٥٩٤ اوقف استعمالها الكرسي الرسولي ليتمّ فحصها امّا البطريرك فكان منها كما روى الدويهي في منارة الاقداس

عميرة كانوا اعطوا الاب المذكور الافادات اللازمة عنهُ ولذا رُؤي اكثر لياقةً من سواه لتأليف كتب كانت حاجة لموارنة اليها ماسَّةً ككتاب حوادث الاعتراف (علم النيَّة) للكهنة والمرقين والتعليم المسيحي للاحداث والجهلة وكتاب توزيع الاسرار والصلوات الفرضية لينظِّمها ويرتِّبها . ثم اردف الاب دنديني ما تقدم بقوله :

« وبما انه (اي عميرة) لم يكن مسلماً فقط بل ممتازاً بتقواه ومخلصاً الكنيسة المقدسة وللكرسي الرسولي قد سعيتُ رغم الماكسات القوية التي اوحت بها اغراض بشرية في ان يرقى الى الدرجات المقدسة ثم الى مقام الاسقفية حتى يستطيع ان ينظم بسهولة اوفر وسلطة عظمى في تلك البلاد رسوم عبادة الله الخارجة بمقتضى الطقس الكاثوليكي الحقيقي وقد سيم كاهناً بوضع يد المطران موسى (١) وبعد ذلك رسمهُ البطريرك رئيس كهنة ثم اسقفاً بمعاونة مطرانين وعهد اليهِ بتأليف الكتب المشار اليها »

ولا يمكن ان نعيِّن يوم تسقيفهِ بنوع اكيد الَّا انهُ لا ريب في انهُ رقي الى درجة كمال الكهنوت قبل ٢٦ك١ ١٥٩٦ لان العريضة التي رفعها الى الحبر الاعظم اقليمس الثامن مؤرخة في ٢٥ منهُ وهي صادرة من قصبة اهدن وفي هذه العريضة من الفوائد ما يحملنا على نشرها مترجمة عن الايطالية كما وردت في مجموع الاثار المارونية للاب طوبيا العنيسي

عريضة المطران جرجس عميرة الى الحبر الاعظم

« ان محبتي واخلاصي الكرسي الروماني المقدَّس والآلاء التي أسبغها عليَّ تضطرُّني الى ان ابسط لدى قداستكم حالة هذه البلاد وخصوصاً حالة وطني اشعاراً بخضوعي واحترامي شأن الابن المطيع . ان هذه البلاد كما عرض لكم الاباء اليسوعيون المحترمون في رسائلهم متضايقة جداً في احوالها الزمنية بسبب استبداد الاتراك وفرضهم الضرائب المتواصلة والبلص والعونيات ولذا سئم السكان الحياة بما انهم اصبحوا ولا رجاء لهم الَّا بمعونة الله ومساعدة المسيحيين الذين يأتون لتحرير هؤلاء التعساء من ربقة هذا

١) هو المطران موسى اسقف بنرّاي ورد اسمهُ في ذيل مجمع قنوبين ١٥٩٦ وفي ذيل مجمع ضيعة موسى المنعقد في هيكل مرت مورا ١٥٩٨ وهذه الضيعة هي في بلاد عكار على ما قال السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد . ولم يكن الرائم المطران موسى العنيسي لانهُ سيم اسقفاً بعد عميرة بسنتين اي ١٥٩٨ كما ورد في تاريخ الازمنة للدويهي

الاسر وثقل هذا النير

« امّا في الامور الروحية فاني اجد هذه الطائفة المارونيّة شديدة التعلّق بالكنيسة المقدّسة الرسوليّة الرومانيّة اولى الكنائس كافّة وامّهنّ . لكني ارى الحاجة الى الفعلة ماسّة لان الحصاد كثير والفعلة قليلون . ومتى رُجد هؤلاء الفعلة ضاقت عليهم اسباب المعيشة فتعذّر عليهم ان يأتوا عملاً مفيداً للنفوس ولولا حالتهم هذه لكانوا يؤدون خدمات جليلة . فازاء هذه الحالة أرى نفسي غير اهلٍ انا الذي منذ برحتُ رومية برضاكم وامركم لم اتلكأ بمعونة الله عن التبشير بكل ما تأمر به رومية وعن اثبات رئاسة الحبر الروماني . . ولا استشهد على صدق قولي غير فادينا ومخلصنا يسوع المسيح الذي تقومون مقامه . ثمّ جاء الآباء المُحترمون اليسوعيون وخصوصاً الاب ايرونيموس دنديني موفد قداستكم الجزيل الاحترام وبمشورته ورأي السيّد يوسف خاطر والسيّد فرج حاكمي هذه البلاد ومديريها واطاعةً للاب دنديني رُقّيتُ الى الدرجة الاسقفيّة رغماً عني وضد ارادتي . فاراني مغموماً ومتعباً في هذه الدرجة . لان الاسقف في هذه البلاد يناله عناء وحيف كثير من قبل الاتراك وغيرهم من القوم الظالمين لذلك اراني عاجزاً عن القيام بوظيفة الاسقف كما هو واجب لنقص هذين الامرين الماديين . ولذا لا استطيع ان اتفرغ لحاجات النفوس مرتاح البال ولا ان اكتب او اترجم من اللغة اللاتينيّة خلاصة الحوادث وسائر الكتب الروحية بل انني مضطر الى الاهتمام بزراعة الارض وما اشبه لا بهمّة الاسقف وذلك مما لا يليق بهذه الدرجة السامية . ثم انهُ ليس لديّ الملابس الحبرية اللازمة بها اقدر ان اقيم احتفالات القداس الحبري والرسامات وسائر الخدمات الاسقفية . فهذه الاسباب وما شاكلها تضجرني وتقلقني وتجعل افكاري في ارتباك وهي نفسها تحملني على الالتجاء الى قداستكم فانكم بصفتكم رئيساً شرعيًّا واباً عامًّا للعالم اجمع ستتنازلون وتمدّون لي يد المساعدة ان شئتم ان اصرف عنايتي الى الاهتمام بالنفوس والى القيام بالمهامّ الاسقفية وتجودون عليّ براتب وان طفيفاً وباللبس الحبري

« ولا ريب ايها الاب الاقدس انهُ سينجم عن ذلك فخر للكرسي الرسولي لاني لست اطلب ما تقدم لمنفعتي بل لاتمكن من سياسة قطيع المسيح الموكول امره الى قداستكم واستطيع تعليمه الامور الضرورية للخلاص وحمايته من الذئاب المحيطة

بهِ ومن الهراطقة والانفصاليين فيتيسَّر لي ان اعيش في هذه البلاد بنوع لائق بالمقام الاسقفي. فان الذين يروني ادافع دائماً عن الشؤون المختصة برومية واعظّمها واكرز بها قبل سواها لا يَدعوني الّا الاسقف الروماني اي الرجل الذي هو بجانب رومية في كل المسائل. فهذا ما يجب عَرْضه لمقام قداستكم فان فزتُ بالمساعدة استطعت ان اخدم هذه البلاد خدمات جزيلة وان انجح دائماً في الامور التي تهمّ الكنيسة الرومانية وان لم افز بشيء اضطررت الى الرجوع الى ايطالية واستحال عليّ النهوض من تحت ثقل هذه الاعباء وعلى كل فاني مستعدٌ لتتميم كل ما تأمر بهِ قداستكم.»

وبالتاريخ نفسه كتب الى رئيس الرهبانية اليسوعية العام الاب كلودويس آكوافيفا المشهور بحبتهِ للموارنة وشرح لهُ حالة البلاد وتمنّى اليهِ ان يؤسس رسالة لرهبنته في لبنان ويرسل اربعة او خمسة من رهبانه يقيمون حيثما يرون ملائماً لعملهم لان البلاد بحاجة اليهم. ثم اثنى على موفدي الكرسي الرسولي الابوين دنديني وبرونو اللذين خلّفا من آثار الحكمة والفضيلة في لبنان ما كان تأثيرهُ جميلاً وثابتاً وختم واصفاً فقر ابرشيتهِ وكنائسها والتمس من الرئيس العام ان يساعده ليحسن القيام بواجبات وظيفتهِ وخلاص النفوس وان يعرض لقداسة البابا حاجاته ويؤيد طلباته لديهِ. وفي واقع الامر نال الاسقف الجديد من مكارم الحبر الاعظم معاشاً سنوياً صُرف لهُ حتى آخر حياته وشملهُ الكرسي الرسولي بعطفهِ وعنايتهِ

اما البطريرك فقلّد عميرة سياسة رعية اهدن فاقام في دير مار يعقوب الاحباش ثم انتقل الى دير مار سركيس رأس النهر ولبث فيهِ الى ان انتُخب بطريركاً

وقد زاره بعد تسقيفهِ مرسلون سيّاح فاثنوا عليهِ كل الثناء. ومما قاله اوجين روجه في كتابهِ «الارض المقدسة»: «انهُ تعاطى في جبل لبنان اكثر من سنة مع السيد الشهير جرجس عميرة الذي رقّاهُ بولس الخامس الى الطرانية على قصبة اهدن مسقط رأسه وقد انعم عليهِ قداسته بنوع خاص (بسبب تقواه وعلمه) بان يحتفل القداس باللغة اللاتينيّة وحسب الطقس اللاتيني وبالسريانية وحسب الطقس السرياني على ايثاره حتى انهُ كان يقيم الذبيحة الالهية حسبما توحي اليه عبادته وتقتضيه الازمنة. وهذا الانعام قلَّ ان ناله غيره»

وقد وَهم الكاتب بقولهِ ان بولس الخامس رقاه الى الاسقفية لانك رأيت من

كتابته انهُ سيم اسقفاً في ايام اقليمس الثامن قبل عهد بولس الخامس بتسع سنوات. اما الانعام عليه بان يقدس حسب الطقسين فلم نجد لذلك ذكراً في غير هذا المؤرخ فلا يمكننا انكاره ولا اثباته

وقد وصفه الاب الفرنسيسكاني جان بوشه قال: «والحق يقال ان كل الافراح التي ذقناها في اهدن في جهة الارز كانت زالت لو لم تنعشها معاشرة سيادة المطران جرجس عميرة الكلي الشرف تلك المعاشرة الروحية العذبة واللذيذة. فان هذا المطران جعل مقامه الاعتيادي في هذا المكان (اهدن) واعماله المقدسة هي من الخوارق وكلامه الفصيح الخارج من فمه تارة بالسريانية او العربية وتارة بالعبرية او بالايطالية يقطع قول كل خطيب»

ولما تولى عميرة ابرشية اهدن كانت البلاد مضطربة ولبنان الشمالي مركز الموارنة الاصلي معرَّضاً لغزوات بني حرفوش ونهب العساكر التركية. وزاد في الضيق شدَّةً خروج الامير فخر الدين الكبير على الدولة العثمانيَّة فتبعه السواد الاعظم من اللبنانيين مؤملين ان يتخلَّصوا بواسطته من صنوف الظلم والاستبداد. ففي سنة ١٥٩٨ اشتبك رجال فخر الدين وجند يوسف باشا سيفا في نهر الكلب فانهزم ابن سيفا وقُتل ابن اخيه الامير علي وتولى الامير فخر الدين حكم بيروت وكسروان سنة واحدة ثم تنازل عنهما لابن سيفا وعاد الى الشوف. ثم انهُ في سنة ١٦٠١ حوَّل يوسف باشا سيفا يوسف وقنصو ولدَي احمد حماده على مقدمي جاج الاربعة الذين كانوا انضموا الى فخر الدين فغدرا ورجالهما بالمقدمين وقتلوهم ونهبوا اموالهم وتولوا على بلاد جبيل

ثم في اوَّل جمعة من شهر حزيران ١٦٠٢ غزا الامير موسى الحرفوش مع جماعته جبة بشري فنهبوها واستاقوا مواشيها واحرقوا ما احرقوا ولم يلقوا مقاومة لان السواد الاعظم من الاهالي كانوا في السواحل منهمكين بموسم الحرير. فجرَّد ابن سيفا على الحرافشة حملةً وزحف على بعلبك فدخلها على حين غرَّة يوم عيد مولد يوحنا المعمدان فنهب وسلب وقتل الذين انحازوا الى الامير فخر الدين ثم نادى بالامان ويا لسنة من امان

وروى الدويهي في تاريخ الازمنة انَّه لما هجم رجال الامير موسى الحرفوش على

جبة بشرّي دخل اثنان منها كنيسة دير مار سركيس رأس النهر في اهدن وطعن احدهما بخنجره ثلاثاً صورة السيدة عليها السلام فيبست يده للحال ومات في تلك الليلة

ومما لا بد من ذكره هو ان الامير فخر الدين تعاقد وزعيم الجنبلاطيين الاكراد احد اجداد آل جنبلاط اللبنانيين المشهورين فمال اليها النصارى واوعز الباب العالي الى ابن سيفا ان يناجزهما القتال وينكل بهما فجرت عدة مواقع انتهت بعقد محاجزة بين الخصوم سنة ١٦٠٥ . ثم ما لبث ابن جنبلاط ان خلع الطاعة . لكن جيش الدولة تمكن من الفوز برجاله واعمل السيف في رقاب الجنبلاطيين . ولما رأى فخر الدين اي منقلب انقلب ابن جنبلاط ارسل يستعطف السر عسكر بالمال والهدايا فعفى عنه وولّى ابنه على سنجقية صيدا وبيروت وغزير لكن البلاد لم تنجُ من البلص والظلم بل تفرقت فيها الجنود وحصل من ذلك ضيق عظيم وبلغ ثمن شنبل القمح اربعة غروش فخربت الاديرة والقرى ومنها حوب وبلمز ورام وتولا وسلب دير ميفوق ودامت الحال خمسة اشهر

وفي كتابة ارسلها يوسف اليان الحلبي الى الكردينال الدوبراندينيفي٢٦ ت ١ سنة١٦٠١وصف مسهب لحالة النصارى في حلب ومما زاد في الطين بلة فشو الطاعون في تلك الحاضرة حتى ان الوفيات فيها كان تحصى بالالوف

اما المطران جرجس عميرة فكان همه منصرفاً الى امور رعيته مع ما كان عليه البلاد من الاضطراب وسعى باقتناء ارزاق وافية لكرسي اهدن حتى يتمكن اسقفها من التفرّغ للاعمال الروحية لا ينهمك بامور المعيشة وعنى بنوع خاص بتعليم الشعب وبتثقيفه وتخفيف ويلاته واعالة الايتام وترميم الكنائس بمساعدة اهالي القصبة

(لها بقيّة)

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٧ نابغة بني شيبان

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (٦: ١٥١) فقال: «اسمهُ عبدالله ابن المخارق بن سليم بن حضيرة بن قيس بن سنان بن حمَّاد بن جارية بن عمر بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن عليّ بن ابي بكر بن وائل» ثمَّ أوصلهُ بربيعة بن نزار. وقد وقع بعض اختلاف باسمهِ ونسبهِ. قال السيوطي في المزهر (٢: ٢٢٩) عن ابن دريد «نابغة بني شيبان جمل بن سعدانة» (كذا). ودعاهُ الزمخشري في الكشَّاف (ص ٤١): «النابغة الذهليّ» وفرق بينهُ وبين النابغة الشيباني الذي يدعوهُ «جمل بن سعد». ودعاهُ صاحب مجموعة المعاني (ص ١٤٠) «عبيدالله بن مخارق» وسمَّاهُ كثيرون «مخارق». وجاء في تاج العروس (٦: ٣٢) انهُ «عبدالله بن مخارق بن سليم بن حصرة (وفي ديوانهِ: خضرة) بن قيس بن شيبان (لا سنان كما ورد في الاغاني) بن حمَّاد بن حارثة (لا جارية كما ذُكر في الاغاني. وروى في ديوانهِ: «بن حارث») ولم يذكر «ذهلًا» في السلسلة

﴿جنسهُ ودينهُ﴾ قال في الاغاني: انهُ «شاعر بَدَوي». كان يُقيم كما نظنّ في حدود الشام مع قومهِ بني شيبان ويتردَّد على مدنها. فهو يذكر في شعرهِ دمشق وبعلبك. امَّا دينهُ فقال عنهُ ابو الفرج: «وكان فيما ارى نصرانيًّا لاني وجدتُهُ في شعرهِ يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى». وكذلك قال الصفدي في الوافي بالوَفيات (Ms de Paris, 2432, f. 79): «قيل انهُ كان نصرانيًّا». ويدعوهُ عبد العزيز بن مروان (الاغاني ٦: ١٥٢) «بابن النصرانيَّة»

﴿زمانهُ واخبارهُ﴾ نبغ نابغة بني شيبان في اواخر القرن الاوّل وفي القسم الاوّل من القرن الثاني للهجرة اعني ختام القرن السابع وفي شطر من القرن الثامن للمسيح. قال صاحب الاغاني: « كان النابغة من شعراء الدولة الاموية وكان يفد الى الشام الى خلفاء بني امية يمدحهم فيجزلون عطاءهُ . . . ومدح عبدالملك بن مروان ومَنْ بعدهُ من ولدهِ »

ومن اخبارهِ مع عبدالملك (٦٥–٨٦ هـ = ٦٨٥–٧٠٥م) ما حدَّث بهِ العُمَري عن الهُنَي (الاغاني ٦: ١٥١) والصفدي في فوات الوفيات قالا: لمَّا همَّ عبدالملك بخلع اخيهِ عبد العزيز وتولية الوليد ابنهِ العهدَ وكان نابغة بني شيبان منقطعاً الى عبدالملك دخل اليهِ في يوم حَفل والناس حواليهِ وولدهُ قدَّامهُ فمثَلَ بين يديهِ وانشدهُ قصيدة طويلة رواها جامع ديوانهِ واقتطف منها ابو الفرج والصفديّ بعضها هذا اوَّلها (من المنسرح):

اشتَفْتَ وانهلَّ دمعُ عينكَ إذْ اضحى قِفارًا من اهلهِ (١ طَلَحُ
بسابسٌ دارُها ومَعدِنُها تُمسي خلاءً وما بها شَبَحُ
كأنَّهُ لم يكنْ بها احدٌ فالقلبُ من قَلْبِ مَنْ نَاءَ قَرِحُ

ثم انتقل من وصف الاطلال الى ابتعادهِ عنها راكباً ناقتهُ السريعة فبلغت بهِ الى الممدوح فقال وهو يذكر انتصار عبدالملكِ على ابن الزبير ويحضُّهُ على تولية ابنه الوليد بعدهُ:

فكم وردْنا من منهلٍ أَبَدٍ اعذبَ ما تستقي بهِ المُتُحُ
آمِلُ فضلًا من سيبِ منتجَعٍ اياهُ يَنوي الثناءَ والمِدَحُ
أزَحتَ عنَّا آلَ الزُّبَيْر ولو كانوا هم المالكين ما صَلُحوا (٢
تسوسُ اهلَ الإسلام عُمْلَتُهم (٣ وانت عند الرحمان منتصحُ
إن تَلقَ بَلْوى فانت مُصطبرٌ (٤ وان تُلاقِ النُّعمى فلا فَرِحُ

١) وفي ديوانهِ: انشفتَ . . . من خلَّتي ٢) وفي الديوان: ولو كان امام سواك ما صلحوا ٣) العُمْلة والعِمْلة أجر العمل ٤) وفي الديوان: فصابرٌ أنتَ

ترمي بعيني أروى على شرف ... لم يودِهِ عاثر ولا لمحوا (١
تبينُ فيهِ عُنقُ الأعاصي كما ... يبينُ يوماً للناظر الصُّبحُ
آلُ ابي العاصِ اهلُ مأثُرةٍ ... غُرٌّ عِتاقٌ بالخيرِ قد نفحوا (٢
خيرُ قُريشٍ وهم أفاضلها ... في الجدّ جدٌّ وان هُمُ مزحوا
أرحبُها ذرعاً وأخبرُها ... انتم (٣اذا القومُ في الوغى كلحوا
أمّا قُريشٌ فانت وازعُها (٤ ... تكفُّ من شغبهم اذا طمحوا
حفظتَ ما ضيّعوا وزندهمُ ... أوريتَ إنْ أصلدوا وان قدحوا (٥
مناقبُ الخير انت وارثُها ... والحمدُ ذُخرٌ تُغلى بهِ الربحُ
آليتُ جُهداً وصادقٌ قسمي ... بربِّ عبدٍ تحنُّهُ الكِرَحُ (٦
يظلُّ يتلو الانجيلَ يدرسهُ ... من خشيةِ الله قلبُهُ طفِحُ (٧
لأبنُكَ أولى بملكِ والدهِ ... وعمُّهُ ان عصاكَ مُطّرَحُ (٨
داوُدُ عدلٌ فاحكُمْ بسيرتهِ ... وآلُ مروانَ كانوا قد نصحوا (٩
فيهم خيارٌ فاعملْ بسُنّتهم ... وأحيِ بخيرٍ واكدحْ كما كدحوا

(قال) فتبسّم عبدالملك ولم يتكلّم في ذلك بإقرار ولا دفع فعلم الناس انّ رأيَهُ خلعُ عبدالعزيز. وبلغ عبدَ العزيز قولُ النابغة فقال: لقد ادخلَ ابنُ النصرانيّة نقمةً

١) وفي الديوان: لبيني أتى . . لم يودِ عاثرٌ ولا لمحُ ٢) روى الصفدي: قد لتحوا ٣) وفي الديوان: واصبرها صبراً ٤) وفي الاغاني: فانت وارثها. تكفُّ عن صبهم ٥) وفي الديوان: إذ اصلدوا وقد قدحوا
٦) وفي الاغاني تصنّع هذا الشطر فرواهُ: لربّ عبدالله ينتصحوا. ورواهُ الصفدي: بربّ عبدالله ينتصحُ. والكِرَح جمع كِرْح وهو الدير وبيت الراهب ٧) وفي الديوان: فهو يتلو. قلبهُ نفِحُ. وروى الصفدي: رقلبهُ قرِحُ. وفي البيت شاهد على نصرانيّة الشاعر
٨) وفي الاغاني: ونجمُ من قد عصاك ٩) وفي الاغاني: ثمّ ابنُ حربٍ فانّهم نصحوا

مدخلًا ضيّقاً واوردَها مَوْرِدًا خَطِرًا وباللهِ عليَّ لئن ظفرتُ بهِ لأَخضبنَّ قدمَهُ بدمهِ

وفي السنة ١٠١هـ(٧٢٠م) تولّى الخلافة يزيد بن عبدالملك فارسل اخاهُ مسلمة لمحاربة يزيد بن المهلّب وكان الخليفة ناقماً عليهِ وهو قد فرَّ من سجن سَلَفهِ عمر بن عبد العزيز وخرج مع آل المهلّب وتفاقم امرهُ فغلبهُ مسلمة وقطع رأسهُ وارسلهُ الى يزيد اخيهِ سنة ١٠٢ (٧٢١م) فدخل النابغة الشيباني عليهِ وانشدهُ قصيدةً في تهنئتهِ بالفتح رواها جامع ديوانهِ وهي تزيد عن مئة بيت واختار منها صاحب الاغاني وصاحب الحماسة البصريّة وغيرهما بعض ابياتها. اوّلها (من الوافر) :

ألا طالَ التنظُّرُ والثواءُ وجاءَ الصيفُ وانكشفَ الغطاءُ

وليس يقيمُ ذو شَجَنٍ مقيمٌ ولا يمضي اذا ابتُغيَ المَضاءُ (١

طِوالَ الدَّهرِ إلّا في كتابٍ ومِقْدارٍ يوافقُهُ القَضاءُ (٢

فما يُعطى الحريصُ غِنًى لحِرْصٍ وقد يُنمَى لذي الجودِ الثَّراءُ

وفي هذه القصيدة حكمٌ جليلة يروي الادباء ابياتاً منها يتمثّلون بها كقولهِ :

غِنى نفسٍ اذا استغنَتْ غَناءُ وفقرُ النفس ما عَمِرَتْ شَقاءُ

اذا استحيا الفتى ونَشا بحِلمٍ وسار الحيُّ خالقَهُ السَّناءُ

وليس يَوَدّ ذو ولدٍ ومالٍ خفيفَ الحِلم ليس لهُ حَياءُ

ومَنْ يكُ حَيّاً لم يلقَ بؤساً يُنخْ يوماً بعقوتهِ البَلاءُ (٣

تَعاوَرُهُ بناتُ الدهر حتى تُثَلِّمَهُ كما انثَلَمَ الإناءُ

وكلُّ شديدةٍ نزلَتْ بحيٍّ سيأتي بعد شدَّتها الرَّخاءُ

---

١) وفي الديوان : اذا ابتغاً (كذا) ٢) وفي التاج(١٠ : ٣٩٦) بمقدارٍ (قال) : والقضاء الحكمُ الفصل وأدان الدين ٣) روى في الحماسة البصريّة (١ : ٢٤٠) : ومن يكُ سالماً . ويروى : ومن يكُ ذا حياً . ويروى : «بحرمته» بدل عقوته

فقل للمتّقي عَرْضَ المنايا(١ تَوَقَّ فليس يَنفعك اتّقاء
ولا تبكِ المصابَ فايُّ حيٍّ اذا ما ماتَ يُحييهِ البكاء
وقُلْ للنفس: مَنْ تُبقي المنايا ؟ فكلُّ الناس ليسَ لهم بقاء
تَعَزَّيْ بالأسى في كلّ حيٍّ فذلك حين ينفعُها العَزاء
ستَفْنى الراسياتُ وكلُّ نفسٍ ومالٍ سوف يبلغُهُ الفناء
يُعمَّرُ ذو الزمانةِ وهو كَلٌّ على الادنى وليس لهُ غَناء
ويَرْدَى المرء وهو عميدُ حيٍّ ولو فادَوْهُ ما قُبل الفِداء
اذا حانت منيَّتُهُ وأَوصى فليس لنفسِهِ منها وَقاء
وكلُّ أخوّةٍ في الله تَبْقى وليس يدومُ في الدنيا إخاء
أَصِبْ ذا الحِلم منك بسَجْلِ وُدٍّ وصِلْهُ لا يكن منك الجَفاء
ولا تَصِلِ السفيهَ ولا تُجِبْهُ فانَّ وِصالَهُ داءٌ عَياء (٢
وانَّ فِراقَهُ في كلّ امرٍ وَصرْمُ حبالِ(٣ خِلَّتِهِ شِفاء
وضيفَكَ ما عَمِرتَ فلا تُهِنْهُ وآثِرْهُ وان قَلَّ العَشاء
ولا تجعَلْ طعامَ الليل ذُخرًا حِذارَ غدٍ لكل غدٍ غِذاء
وكلُّ جِراحةٍ تُؤسى فتَبرا ولا يَبرا اذا جرَحَ الهِجاء
يؤثّر في القلوب لهُ كَلومٌ كداء الموتِ ليس لهُ دواء
من الشعراء أكفاءٌ فُحولٌ وفَرّاثون إنْ نَطقوا أساءوا

١) وفي ديوانهِ: حَدَث المنايا ٢) كذا في حماسة البحتري (ع ٣٢٢) وفي الديوان: فانَّ وصال ذي المِزَيات داء. المِزْية العيب ٣) وفي حماسة البحتري: وقطعُ حبال

فهل شِعْرانِ شعرُ غِناً وحُكْمٍ وشعرٌ لا يَهيجُ بهِ سَواءُ
فان يكُ شاعرٌ يَغوي فاني وجدتُ الكلب يقتُلُهُ العَواءُ

وفيها يقول يمدح يزيد :

أَوْمُ فتًى من الاعياص مَلْكاً أَغرَّ كأنَّ غُرَّتَهُ ضِياءُ
لِأُسْمِعَهُ غريبَ الشعر مَدْحاً وأُثني حيث يتَّصلُ الثناءُ (١
يزيدُ الخيرِ وهو يزيدُ خيرًا وينمي كلّما ابتُغِيَ النَّماءُ
الى الشُّمِّ الشمارخ من قُرَيْشٍ تَحوَّبَ عن ذوائبها العَماءُ (٢
قريشٌ تبتغي المعروفَ قِدْماً وليس كما بَنَيْتَ لها بناءُ
فَضَضْتَ كتائب الازديّ فضًّا بكَبْشك حين لَقَّها اللِقاءُ (٣
وعادتُهُ اذا لاقى كِباشاً فناطَحَهُنَّ قتلٌ واحتِواءُ
أَبَدتَّ عدوَّهم وعفوتَ عفوًا بهِ حُقِنَتْ من الناسِ الدماءُ
سَمَكْتَ لهم بإذْنِ الله ملكاً كما سُمِكَتْ على الارضِ السماءُ
واحيَيْتَ العطاءَ وكان مَيْتاً ولا والله ما حُمِيَ العطاءُ
ففي كلِّ القبائل من مَعَدٍّ ومن يَمَنٍ لهُ ايضاً حِباءُ
وَصَلْتَ اخاكَ وهو وليُّ عهدٍ وعند الله في الصِلة الجزاءُ
نُرَجّي ان تكون لنا إماماً وفي مُلك الوليد لنا الرجاءُ (٤
هشامٌ والوليدُ وكلّ نفسٍ تريد لك الفَناءَ لك الفداءُ (٥

١) وفي الديوان : غريب الشعر غرًّا . . حيث ينتضلُ ٢) قال ويروى : يحوبُ على ذوائبها العماء . والعماء السحاب الرقيق ٣) يريد يزيد بن المهلب . ويروى : بكبشك وهو بنيتهُ اللقاءُ ٤) اراد الوليد ابن الخليفة يرجو لهُ الخلافة بعد ابيهِ بنبذ حقوق اخوي الخليفة هشام والوليد ابني عبد الملك ٥) في الاغاني : تريد لك الفناء (كذا)

وانت ابنُ الخلائفِ من قُريشٍ نَموكَ وفي عَداوتهم إباءُ
إمامُ الناس لا ضَرْعٌ صغيرٌ ولا قَحْمٌ يُثلِمُهُ الزّكاءُ
على الأعياص عندكَ حين تُعْفي لممتدحٍ من الثمن الغَلاءُ
ومحتبطين من بلدٍ بعيدٍ عَبأتَ لهم سِجالكَ حين جاؤوا
كشفتَ الفقرَ والإقتار عنهم فنالوا الخير وانكشفَ الغطاءُ
فعيصُكَ خيرُ عيصٍ في قريشٍ وهم من كلّ سَيئاتٍ بَرَاءُ
أُولاكَ السابقونَ بكل خيرٍ اذا كَذَبَ المُسِقّةَ البُطاءُ

وقد روى البحتري في حماسته (ع ١٢٢٤) بيتين من هذه القصيدة لم نجدهما في الديوان وهما :

وكائِنْ قد تراهُ يُسِرُّ أمرًا عليهِ من سريرتهِ لِواءُ
ومُظهرِ عارفٍ ومُسِرِّ سوءٍ وما يَمحو سريرتَهُ الرِّياءُ

قال ابو الفرج (٦ : ١٥٢) : فامر لهُ (يزيد) بمائة ناقة من نَعَم بني كَلب وأن تُوقَر لهُ بُرًّا وزبيباً وكساهُ واجزل صِلَتَهُ

(قال) ووفد النابغة الى هشام لما ولِيَ الخلافة (١٠٥—١٢٥هـ = ٧٢٤—٧٤٣م) فلمّا رآهُ زجرهُ وشتمهُ ثمّ قال : الستَ القائل :

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تريد لكَ الفَناءَ لكَ الفداءُ

أخرجوهُ عني والله لا يرزأني شيئاً ابدًا . وحرمهُ ولم يزل أيامهُ طريدًا حتى ولي الوليد بن يزيد (١٢٥—١٢٦ هـ = ٧٤٣—٧٤٤ م) فوفد اليهِ ومدحهُ مدائح كثيرة فأجزل صِلَتَهُ

ومما اخبرهُ في الاغاني (٦ : ١٥٣) انَّ ابا كامل مولى الوليد بن يزيد غنّى يوماً بحضرتهِ ابياتاً في مديح الخمرة فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان

فامر باحضاره فاحضره فاستنشده القصيدة فانشده اياها وظنّ انّ فيها مدحاً له فاذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد: لو سَعَدَ جدّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيبان ولسنا نُخليك على ذلك من حظّ. ووصلهُ وانصرف. واوّل هذه القصيدة (من الرمل):

حلّ قلبي من سُلَيمى نَبأها اذ رمَتني بسهامٍ لم تَطِشْ

وفيها وصفُ الخمرة:

أيُّها الساقي سقتْك مُزْنَةٌ(١ من ربيعٍ ذي أهاضيبَ وطَشْ
إمدَحِ الكأسَ ومَن أعمَلها واهجُ قوماً قتلونا بالعَطَشْ
انّما الكأسُ ربيعٌ باكرٌ فاذا ما غابَ عنّا لم نَعِشْ (٢
وكأنّ الشَّرْبَ قومٌ مُوتَوا مَن يَقُم منهم لأمرٍ يرتعشْ
خُرُسُ الألسُن ممّا نالَهُم بين مصدوعٍ وصاحٍ مُنتَعِشْ (٣
من حُمَيّا قَرْقَفٍ حُصَيَّةٍ قهوةٍ حَوْلِيَّةٍ لم تَمتَحِشْ (٤
ينفعُ المزكومَ منها ريحُها ثمّ تشفي داءَهُ ان لم تَنِشْ (٥
كلّ من يشربُها يألَفُها يُنفق الاموالَ فيها كلّ هَشْ

وفيها يقول مفتخراً بقومه بني شيبان:

---

١) وفي الديوان: سقتْهُ مزنةٌ ٢) في هذين البيتين غناء لابي كامل قال في الاغاني ه ولحنُهُ المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى وهو الذي تسمّيه الناس اليوم الماخوري
٣) وفي الديوان: ممّا صاحِم. وفي الاغاني: بين مصروعٍ ٤) المُصَيَّة اي الشبيهة بالمصّ وهو الزعفران. ولم تمتحش لم تصبها النار ٥) وفي الاغاني: تنفي داءهُ. قال في الديوان: لم تَنِشْ من النَّشْوة. وفي قوله نظر. لان النَّشْوة من نَشَا نَشْوا اي سكر. ونشّ هنا مضاعف يقال نشّ النبيذ اذا غلى وذهب ماؤهُ

وبنو شيبانَ حولي عُصَبٌ ... منهمُ غُلْبٌ وليسوا بالقُمُشْ (١
وردوا المَجْد وكانوا اهلَهُ ... فرَوُوا والمجدُ عافٍ لم يُنَشْ (٢
وترى الجُرْدَ لدى أبياتهم ... كرِبابٍ بين صَلصال وجَشْ (٣
فبها يَحْوون اموال العدى ... ويصيدون عليها كلَّ وَحْشْ
دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم ... بالرُّدَيْنيَّات والخيلِ النُّجُشْ
نُنهِل الخَطّيَّ من اعدائنا ... ثمَّ نفري الهامَ إن لم تَفترِشْ (٤
ذاك قولي وثنائي وهمُ ... اهلُ ودّي خالصاً في غير غِشّ
فسَلُوا شيبانَ ان فارقتُهم ... يوم يمشون الى قبري بنَعْشْ
هل غَشِينا مَحْرماً من قومنا ... او جزَينا جازياً فُحْشاً بفُحْشْ

ما احسن هذا الختام وفيه دليل واضح على نصرانيَّة شيبان العاملين بوصيَّة السيد المسيح وامره بمحبَّة الاعداء (لها بقيَّة)

اخلاق ومشاهد

بحث انتقادي بقلم فؤاد افرام البستاني

تلميذ الخطابة واحد اعضاء المحفل الادبي في كليّتنا

اعزُّ مكانٍ في الدُّنى ظَهْرُ سابحٍ ... وخيرُ جليسٍ في الانامِ كتابُ

امَّا السوابح فلا سوابح ، وامَّا الكتب فكثيرة بحمد الله وفضل كاتبيها العديدين

١) وفي الديوان : حولي منهم خَلَفٌ . والقُمُش الرعاف ٢) ويروى : والجودُ عافٍ . لم يُنَش اي لم يُنَل ولم ينقص ٣) وفي الديوان : وترى الخيل . . . كلَّ جرداء وشاحيٍّ هش ٤) اي نسقي في الحرب رماحنا الخطّيَّة من دماء اعدائنا ثمَّ نقطع رؤوسهم ان لم تخضع لنا

الذين لا تكلّ لهم قريحة، ولا يكبو بهم قلم، : كتب عديدة بل اشباه كتب تغزونا حيناً بعد حين فتحتلّ ادبياتنا وذوقنا وتمرح في محيطنا الادبي غير الثابت بعد، فتزيد حالتنا تقلقلاً، وذوقنا اختلافاً

اشباه كتب كرجل الجراد، من مجموعات عقيمة بالية لا فكر فيها ولا إبداع، الى قصص عصرية مزخرفة، منمّقة، ليس فيها من العربي سوى الحروف، الى تخيّلات سامية، فوق طبيعية، فلسفية، أخلاقية، وقولوا ما شئتم، فانّ كثرة النعوت لا تقرّبها من مداركنا لأننا بشرٌ مساكين، وكاتبوها من انصاف الآلهة على زعمهم. وهي لو رآها المتنبي لقال: «وشرُّ جليسٍ في الانام كتابُ»

هذا اكثر ما جنيناه من ثمرات المطابع في السنوات الاخيرة وهو كما ترون مرٌّ أُجاج يروج في اول قطفه بين ايدي الشبان المدّعين حتى اذا عُرفت قيمته الحقيقية اصبح خير معين للصيادلة والبقّالين

أتريد ايها القارئ ان تعرف الكتاب من شبهه ؟

افتح الوجه الاول واقرأه بامعان. فاذا تجاوزتَهُ ولم يعلق بذهنك شيء سوى الالفاظ الرنّانة، والتعابير الضخمة المجوّفة، غالِطْ ذهنك وقل: ربما لم ادرك المعنى. ثم اقرأ وجهاً ثانياً وثالثاً ورابعاً حتى يُفتَح عليك بشيء. فاذا فهمت قل: الحمد لله. وتابع العمل واذا بقيت حيران تهتزّ لرنّة بعض الجمل او القوافي وتطرب — كما يفعل اكثر الناس — لما لا تفهم، قل: هذا شبه كتاب يُرصَف فوق امثاله، أمّا اذا ضجرت عند اول صفحة. فاتركهُ لأن الكتاب جليس مؤنس ولا يجالس المرء مَن يضجره...

*

أُهدي الى محفلنا الادبي كتاب «اخلاق ومشاهد». فقلّبته لاول مرة فرأيت «كتابٌ ادبي اخلاقي انتقادي تأليف يوسف غصوب تصوير عزّت بك خورشيد. مصدَّر بمقدمة من شاعر القطرين: خليل بك مطران». فقلت: طبعٌ حسن، تنسيق جيد، تصاوير رمزية ولم ازدْ لاني قد اعتدت أشباه الكتب المنمّقة المزوّقة. ثم اخذت الكتاب ففتحت الصفحة الاولى وقرأتها فتعرّفت بشابّ طالما رأيتهُ في كل مكان، وسمعتُ به، وانا غير قادر اذ ذاك على تحديده. قرأتُ هذه الصفحة فعرفته حق المعرفة

وارتحت الى اخباره وتتبُّع حوادثه التي كنت اتلوها وفي ذاكرتي بعض الشكّ بانني نظرتُها قبل اليوم. وهكذا حتى مرَّ امامي بشخص هذا الرجل نحو المئة «تُماس» لا يختلفون عن تُماس المؤلف الّا بالاسم وبعض الهيئة الخارجية

ثم جالستُ الكتاب اسبوعين اروّح الفكر في درس اخلاقه وأُبهج النظر في مشاهده وكنت كلما انهيتُ فصلًا انتقلتُ الى تاليه بشوق حتى انتهى وبفكري بعض ملحوظات فقلتُ:

صاحب الكتاب ذو روح انتقادية عصرية يرى الخلل في الاخلاق والمجتمع فيرميه بسهم دقيق قلَّ ان يطيش. يمعن النظر طويلًا فيمَن وفيما يرى فلا تفوته العلامة الفارقة بل يقرنها في مخيّلته بما يكون قد جمعه قبلًا فيؤلف من شتاتٍ متفرقة مثالًا تتجسّم فيه باجلى مظهر كل العواطف المشتركة بينهُ وبين من على شاكلتهِ . وبهذه الواسطة — التي كانت نادرة في آدابنا منذ عهد — نرى بعض ابطال المؤلف تغدو وتروح بين ظهرانينا في كل آن وأين

هاك مثلًا «تُماس» و«الوطني المتطرّف» و«المتنفذ» و«الفيلسوف» و«المسيو لبنان» و«مكتبي افندي» و«طالب الوظيفة» الذي يقول لاقرانه قبل الامتحان :

«انا ما جئت لاقدّم الفحص. انما وجدتُ متّسعاً من الوقت فاحببت ان أُضيّعهُ هنا. ارى اصحابي اولًا واقتل وقتي ثانياً وهَبُوا اني نجحت فانا مستقيل لا محالة لان لديَّ اشغالًا تمنعني عن هذه المهنة»

فاي كلام اصدق من هذا؟ واي درس اوفى لتصوير زهو بعض المعجبين بنفوسهم الموهين على الغير بما ليس عندهم؟ . .

غير ان في هذه الطريقة بعض الخطر . وهو ان الكاتب يجتهد عادةً في جعل بطلهِ الممثِّل الوحيد لعادة او رذيلة او نقيصة . فيغالي في تصويره ، وينفي عنهُ كلَّ ما يؤول الى غير هذا الغرض . فيخرج بهذه الطريقة عن المعقول. امّا صاحب «الاخلاق والمشاهد» فانه نجا من هذا الخطر اذ نراه مع مراعاته تصوير النقيصة او العادة الفارقة في رجلٍ ما لا يحرمه عاداتٍ مختلفةً وفضائل ايضاً بشرط ان لا تتنافر مع تلك النقيصة. وهكذا نرى الثقيل مثلًا «حسن الوجه ، طلق اللسان ، رخيم الصوت ، لهُ نظرٌ في المسائل ، ورأي في الحوادث ، وقد يُصيب الحقيقة . . . ولكنه ثقيل مع

فضله وغزارة علمه » وهذا معقول لان ثقلهُ لا ينفي ما يبقى من المحاسن في هـذا الشخص. ولو صوَّر لنا الاديب هذا الثقيل خالياً من كل صفة حسنة لقلنا: هذا مُحال لا يصدق لاننا لم نرَ مثيلاً لهذا الشخص في علاقاتنا الاعتيادية

*

وللمؤلف نفس رقيقة وشواعر حسَّاسة ترى المؤثر فتتأثر وتؤثر

وقد يحمل هذه النفسَ خيرُ الوطن فتغار على بلادها وبني جنسها وتجتهد في اصلاح ما اعوجَّ من امورهم . وقد تهزُّها الجمالات الدينية او المحاسن الفنية فتفيض شعراً منثوراً تارةً مادحةً الصليب وطوراً متنقلةً على ما لذَّ وطاب من رنَّات الموسيقى. فتحلق في سماء الفن وتقول :

« لماذا ترتفعين الى السماء ايتها الارواح اللطيفة ؟

« انا هبطتُ من السماء ، والىَّ السماء اعود

« انا لغة الملائكة حول عرشهِ تعالى

« أسمعَنا الله اناشيدك ايتها الموسيقى في جنَّات الخلود وامام عرش النور

« انتِ على الارض شيءٌ من السماء

« ولكن اين انت من موسيقى القائلين :

قدوس قدوس قدوس »

وقد ترتفع احياناً من الخبر البسيط الى الامر فيهِ جرحة محزنة تدع مجالاً للتفكر من مثل قوله في فصل «المهاجر» :

« راقبَ النجوم وهي ترتجف في قبَّتها وسألها عمَّا يخبئ له الحظ وراء تلك البحور الواسعة المظلمة . وقد تذكَّر اهله فبكى وسقطت تلك الدموع الحرَّى في اليمّ المضطرب ، واختلطت بكثير من مثلها تسحُّ بها اعين اللبنانيين وهم يرقبون النجوم على ظهور البواخر »

ولا تختص هذه الرنَّة المحزنة بهذا الفصل فقط بل قد تَسِمُ فصولاً عديدة مما يُظهران حقيقة حياتنا المحزنة أثرت في الكاتب فخرجت انتقاداتُهُ من قلبٍ مخلص ومحبٍ وَدود آلمته هذه الحالة فصحَّ فيه قول من قال : انهُ يُضحك ليُبكي

٣٤

وهو ولوع بالوصف حسنهُ وتأمه، اذا اخذ الموصوف لم يتركه الّا وقد اتى على كل علاماته الفارقة

لنتأمل «تُماس» و«الثقيل» و«هند» و«المتنفذ» وغيرهم فترى ان اوصافهم لا تنقص في شيء عن الهيئة الطبيعية. وهذا ما ساعد عزّت بك خورشيد على وضع بعض هذه الاشخاص امام الابصار

وربما اخذ الحالة النفسيّة او العادة المالكة فصوّرها تصويرًا بديعاً يقرأهـا المرء فيخيّل لهُ لمسها. ومن هذا القبيل صورة «مكتبي افندي» وقد زاول مهنته سنين حتى اصبح يشتغل دون وعي :

«اعتاد قلمه كتابة ما يكتب حتى انه لو تُرك وحده لجرى من غير ما خطإ ولا تردُّد»

«ألِف «مكتبي افندي» كل حالـة من حالات حياته حتى انهُ ينهض صباحاً ويأتي مكتبه مهتدياً في طريقه لا يضلُّ فيها. ويكاد يضع رجله في المكان الـذي وضعها فيه اليوم السابق. كل ذلك من غير فكر ولا انتباه كانه في المنام

«ترى كل صباح على الطريق رجلًا يسير الهوينا مِنطرتُهُ تحت ابطه، ورأسهُ ممتدّ فيه عينان تنظران، ولا تريان، لا يلتفت يمنةً ولا يسرة، وترى كل مساء رجلًا آئباً الى بيتهِ ممطرتهُ تحت ابطه ورأسه ممتدّ، فيه عينان تنظران ولا تريان»

وكذلك قل عن هؤلاء الشيوخ العجّز الذين عرفنا اخلاقهم وحادثناهم مرارًا. أفلا يصحُّ فيهم قول المؤلف :

«فهذا يخبرك بسابق عزّه وثروته وانقلاب الدهر عليه، وتكاثُر المصائب ممّا اوصلهُ الى ذلك المأوى. وهناك ترى شاعرًا يسرد عليك قصائده وينحو على النـاس باللائمة لإغفالهم قدره»

ولهُ رغبة في الوصف العصري وتصوير الحالات الحاضرة وقد تحمله هذه الرغبة الى التعلق ببعض الامور الوقتية الزائلة

*

امـا انشاء الكتاب فهو عصري محمود يرمي الى الابتكار وتقطيع الجمل . وهي طريقة طالما نشدناهـا . وقد فهم المؤلف معنى الكتابة فعدل عن تعقيـدات القدماء ، وتكلُّفاتهم اللفظية ، وتنميقاتهم البديعيَّة، ولم يجمح بهِ الخيال الى ما وراء الطبيعية بل ظلَّ في المحيط المتوسّط ، وخير الامور أوساطها ، فجمع فصاحة التعبير الى وضوح المعنى، والمتانة العربية الى الرشاقة العصرية

واني لَتُعجبني ابتداآتهُ اذ يعرض موضوعه بكل تفنُّن ، ويصوّر اشخاصه باقلّ من سطرين من مثل :

«قفل حانوته ، وتأبط مِنطرته وهرول الى البيت مسرعـاً . جريدتُهُ في جيبه ورأسه ممتلئ سياسة »

وقد يصادف هذا التفنن في الختام ايضاً كـما في « الى المصايف» و «العهدة على الراوي» و «بين النعوت والالقاب »

ومن امور التفنن الابتكار في سرد التشابيه الجديدة وهي طريقة حسنة يتوفق فيها بعض الاحيان كقوله : «والجبل يرتدي معطفاً من الالوان»

غير انها تطرّح بهِ في احيان اخرى فيتوصّل الى تشابيه غريبة يتلوها المطالـع فيقف حائراً كأنهُ امام امرٍ غير اعتيادي ثم يسأل نفسه عن قيمتهـا وهل هي من التشابيه الحسنة او السيئة . وهاك امثلة على ذلك اوردها وادع الحكم فيها للقارئ العزيز :

« فخلتُ انهُ احد النحّاص لتأنُّقه في لباسه وتقدُّمه في العمر ورفعه سبَلتَيه كأنه من اقرباء غليوم»

«احذية لّماعة كأنها المرايا»

هذا ولا يسعنا الّا السكوت عن بضع هفواتٍ لغوية فهذا الامر لا يكاد يخلو منه كتاب عربي :

وعلى كلّ حال نشكر المؤلف لانهُ اقرأنا كتاباً ممتعاً وجدنا في كل مقاطيعهِ لذّة وإفادة . وهـا نحن نقتطف شذرات من فصليهِ «الصليب والمبخرة» مـع الصورتين المثلتين لهما . فقال في الصليب (ص ٥١—٥٤) :

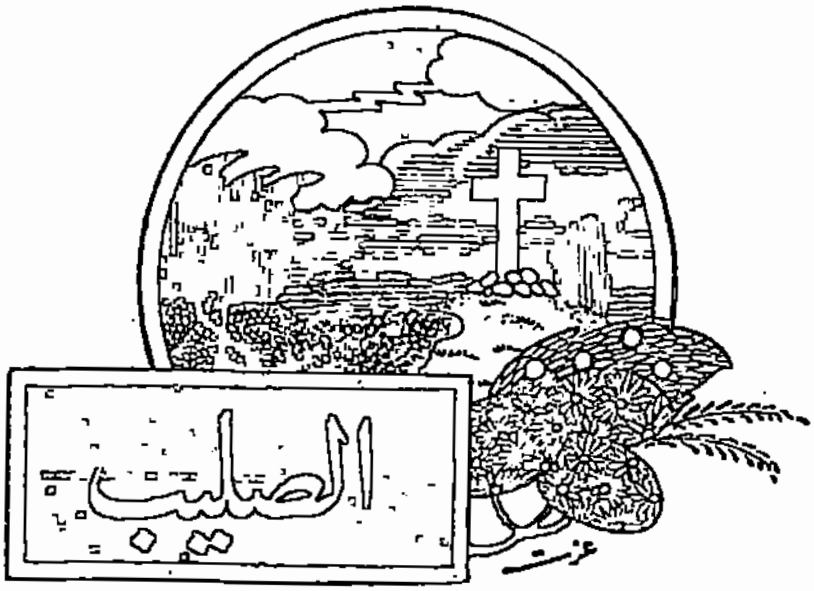

ايها الصليب

رفعوك شارةً للعار، وآلةً للذلّ والعذاب

نصبوك بين استهزاء الجموع، وغضب الشيوخ، وفظاظة الجنود، جعلوا الجلجلة كرسيّك لتشاهد المدينة ذلّك

يمدُّ الشعب اليك يُجمع يديه وينطق الحقد في ناظريه وصُراخهُ قد ملأ الفضاء: ارفعوهُ! ارفعوهُ! . . .

أمَم ولّت وامم ظهرت واصبحت الارضُ مدافن، والصليب خشبة الذلّ والعار منتصبٌ فوق تلك المدافن

أيها الصليبُ المقدّس قد ملكتَ العالم وبسطتَ ذراعيك فوق كلّ مكان

قد فتحت البلدان بالرحمة والعزاء لا بالجيوش والسلاح . . .

في اكواخ الفقراء وفي قصور الاغنياء، في اعناق العذارى وعلى تيجان الملوك، على مكاتب الفلاسفة وفي حقول الفلاّحين، على صدر العلماء وفي مخادع الجهّال، في القرى الحقيرة وفي المدن الخطيرة، في مجاهل الاقطار، وعلى غوارب الامواج في البحار لا تنفتح العين الّا وتكتحل بانوارك الساطعة، ولا ترتجف القلوب الّا لترتشف من ينابيع رحمتك الواسعة . . .

انت شارة الحب، انت شارة التواضع، انت شارة العزاء

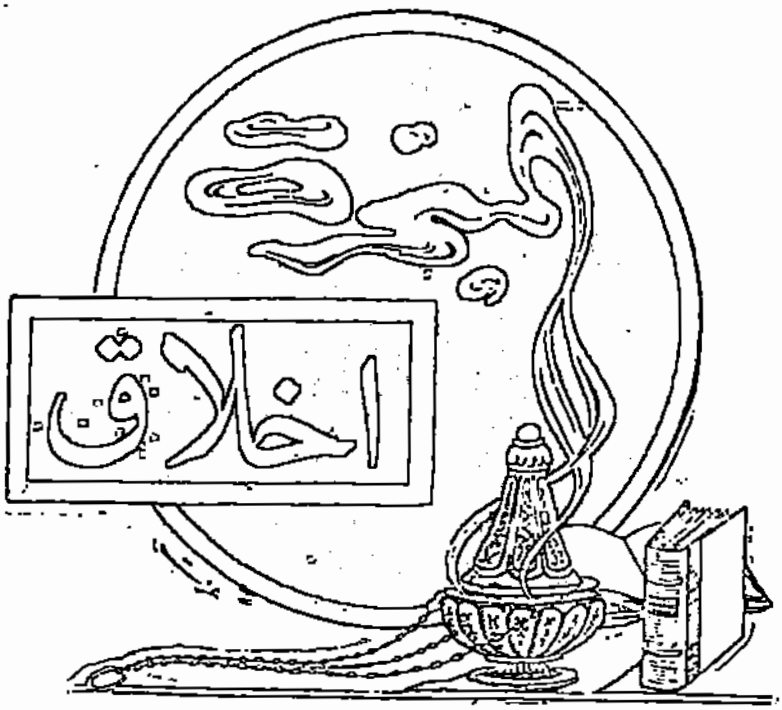

وقال في المبخرة بعد ان وصف تركيبها وبخورها (ص ١٦١—١٦٤) :

هذه المبخرة وان تكن خافية عن البيان لا تُنظَر ولا تُلمَس فهي منتشرة الاستعمال لاسيما في بلادنا السوريّة حيث الاطياب والرياحين تفري بنشق الروائح العطريّة والابخرة الذكيّة ، وقد صاغ كثيرٌ من الكتّاب المباخر وتأبّطوها واوقدوا فيها حتى لا تفوتهم فرصة تسنح ولا تأخذهم غفلة عن تأدية واجب التبخير لكبير او صغير . . .

وهناك داء هو المجاملة ، يقول الكاتب في نفسه : ما ضرّني تحسّنت مقالة هذا ام ساءت لنؤدّ له قسطاً من التبخير فيظلّ صاحبنا ولا نربح به عدوًّا ، ولنتركهُ يخبط في ظلامه

وعلى هذا يختلط الحابل بالنابل ويُصبح كلّ من مسك قلماً كاتباً وكلّ من نظم بيتاً شاعرًا . .

ومن الغريب انّ كل صاحب مهنة او حامل قلم اصبح لا ينتظر الّا المدح والتقريظ وان جاء من العجب العجاب من سقط في الكلام او نقص في الصناعة ، وهو يحسب ان التبخير ضريبةٌ على الكتّاب لا بُدّ من ادائها . . .

وبلغ الحمق ببعضهم الى ان اتخذوا مباخر يبخّرون بها نفوسهم اذ لم يجدوا من يبخّرهم ، وهذه هي الطامّة الكبرى !

نظر في ترقي العلوم (١٩٢٣–١٩٢٤)

للاب لويس شيخو اليسوعي. (تتمة)

٥ العلوم الفلكيّة

انّ درس المجرّة وتركيب النجوم منها قد اتّسع في هذه السنين الاخيرة اتساعاً يُذكر بما جهّزهُ العلماء لاسيما في جهات اميركا من النظّارات الفلكيّة الكبرى التي تسمح برصد كواكب لم يبلغ اليها النظر سابقاً مع مساعدة التصاوير الشمسيّة الدقيقة التي تدلّ على نجوم في اقصى درجات البعد ممّا لا يبلغ نورها الى الارض الّا بعد الوف والوف الالوف من السنين . وقد اكتشف الفلكي الفرنسوي غيليوم بيغوردان (G. Bigourdan) منذ زمن قريب عدّة مجرّات منفردة عن المجرّة الكبرى كما انهُ بالغ في رصد المذنّبات ووجد بعضاً منها لم تُعرف سابقاً

ومن الاكتشافات الفلكيّة الحديثة ما تحقّقهُ الفلكيّان الاميركيّان سنت جون ونيكولسن برصود متوالية عن السيّارة الزُهرة التي كان الفلكيّون يعتبرونها شبيهة بكُرة ارضنا ذات جوّ من غاز الاوكسيجين مع ابخرة مائيّة وغيوم الّا انّ العالمين الوما اليهما حلّلا بالطَيف الشمسي نور السيّارة فلم يجدا فيهِ ميزة الغازين المذكورين ولونهما المعروف فاستنتجا انّ تلك السيّارة لا تصلح كالقمر لمعاش البشر . امّا ما يُرى على السيّارة من شبه الغيوم فملّاهُ بغبار كثيف تنتشر دقائقهُ في الفضاء كما في الزوابع لسرعة حركة الزهرة في دورانها حول الشمس

وممّا روتهُ الجرائد المحلّيّة عن الصحف الاميركيّة انّ بعض علماء الاميركان ساعون في تجهيز مدفع يصوّبون قذائفهُ الى القمر واثقين ببلوغها الى سطحهِ . فان كان الخبر صحيحاً كان فعلهم شاهداً جديداً على تخيّلات الاميركيين الغريبة وتهوّس البعض منهم في طلب الشهرة مهما وجدوا في سبيلهم من المستحيلات . كما فعلوا قبل سنين لمّا صرفوا الملايين وابتنوا البنايات الشاهقة وجهّزوها بالآلات الراصدة لمحادثة اهل المرّيخ فاضحكوا منهم العقلاء

٦ً الآثار الجوّية

في ٢٧ شباط من العام الماضي سقط في الهند قريباً من مدينة كواتّا رجمٌ كبير بلغ وزنهُ ٦٠٠٠ كيلو فسُمع لهُ دويٌّ عظيم

ومن مآثر علماء فرنسة الجوّية اهتمامهم بضبط الساعات في ايالات الدولة المختلفة فربطوا تلك الساعات بمرصد باريس الفلكي بواسطة التلغرافيّة اللاسلكيّة ودقّقوا في ضبطها تدقيقاً بليغاً حصلت منهُ منافع جمّة لتدبير الامور والمعاملات التجاريّة والفوائد الاقتصاديّة

ومن تلك المآثر ايضاً انّ مرصد باريس يفيد المراكز الفلاحيّة كلّ يوم عن تقلُّبات الجوّ والمظاهر الفلكيّة ليقف عليها ارباب الفلاحة والزراعة فيستفيدوا من مطالعها الحسنة او يأخذوا حذرهم من آفاتها القريبة

لا حاجة لذكر الزلازل المرهبة التي حلّت في اليابان في غرّة ايلول الاخير فانّها تناولت ثلث معاملات كبيرة من تلك الدولة فاتلفت قسماً كبيراً من حاضرتيها طوكيو ويوكوهاما واثّرت نكباتها بالصناعة والمعامل المعدنيّة التي تمتاز بها تلك المقاطعات وأضرّت باسطولها في يوكوهاما وذهبت بحياة قريب من مائتي الف نسمة

وأصيبت بعد ذلك عدّة بلاد في اميركة الجنوبيّة وخصوصاً في جمهوريّة شلي بزلازل مرهبة. وامتدّ البحر بأمواجه على سواحل فرنسة فدمّر بعض القرى والمزارع — وكذلك هاج بركان الفيزوف في العشر الثاني من حزيران فقذف بحممهِ الى اعالي الجوّ ثمّ سالت موادُّهُ المصهورة فامتدّت الى مسافة سبعة كيلومترات

٧ً الطبيعيّات والكيميا

قد توفّرت الابحاث هذه السنين الاخيرة في درس اصول الاجساد ودقائقها الاوّليّة فكانت نتيجة تلك الابحاث مؤيّدة لما يعلّمهُ الفلاسفة المدرسيّون وخصوصاً الكاثوليك منهم ان اصول الاجساد تتألّف من مادّة اصليّة وصورة وانّما اختلفوا حاضراً بالاسماء فدعوا تلك الاصول ايوناً والكتروناً تعمل فيهما الكهربائيّة الايجابيّة والسلبيّة مع تبايُنهما في الكم والكيف في حركاتهما جذباً ونفوراً وفي ثقلهما

وامتدادهما. وليس الوقت ببعيد حيث نطّلع على سرّ وحدة المادّة وتطوّراتها في سائر الاجساد

قد اكتشف علماء المعادن في بلاد كونغو البلجيكيّة عنصراً جديداً من الاجسام المشعّة دعوهُ بالـوديت اخذوا يدرسون خواصّهُ ومركّباته

ومن المعلوم انّ اشعّة هذه الاجسام ذات قوّة نافذة عجيبة يتأذّى منها الـذين يستعملونها وقد تمكّن بعض العلماء في اميركة من وضع آلة تحصر قوّة الاشعّة في بعض انابيب بحيث يسهل نقلها دون أذًى واستعمالها عند الضرورة

وقد اسف العالم في ١٠ شباط ١٩٢٣ على فقـد احد اركان علم المشعّات وهو العلّامة الطبيعي رنتجن الذي اليه تنسب تلك الاشعّة العجيبة

قد شاع في عهدنا اصطناع الجليد اي الثلج المجمّد على شبه الاقراص وانّما لم يستطع العلماء ان ينالوا ثلجاً كالثلج الساقط من الجوّ . وها هم تمكّنوا من ذلـك ايضاً بواسطة دولابين متعاكسي الحركة تُجعل بينهما قِطَع الجليد عند فصلهـا من اقراصها المجمّدة فيُضغط عليها وتُنعّم فتعود الى شكل الثلج الجوّي في غاية الصفاء والنقاوة

٨ الصناعة

ان تبريد المساكن في فصل الصيف قد انتشر في بلاد كثيرة وانّما كانوا ينالونهُ بواسطة تبخّر المياه في القساطل الممتدّة في انحاء المسكن . وهـا قد وجدوا طريقة اسهل واقلّ نفقة وذلك بواسطة ضغط الهواء الجوّي في آلات التبريد فانّ الهواء يبرد اذا ضُغط بسرعة ثمّ يدعونهُ يتخلخل ويجيزونهُ في القساطل فتعمل برودتهُ في فضاء المكان وتلطّف حرارتهُ كما يشاء ساكنهُ

وعلى خلاف ذلك قد جرّبوا للوقود بدلاً من قطع الفحم الحجريّ فحماً منمّاً مدقّقاً يتّخذونهُ من اجناس الفحم السافلة القليلة الثمن فيوقدونهُ في المواقد على شرط ان يكون يابساً فيأتي بحرارة كافية لكل الحاجات المطلوبة مع توفير عظيم في النفقات دون ان يحصل منهُ رماد الّا ما لا يُحفل به .

معلوم انّ نوى حبوب العنب تحتوي زيتاً نافعاً يمكن استقطارهُ . ففي جهـات

مرسيلية معمل كبير لاستخراج الزيت المذكور ففي العام الماضي استقطر ٤٠٠،٠٠٠ كيلو من الحبوب فاستخرج منها ٤٥،٠٠٠ كيلو زيتاً ربح منهـا ارباب المعمل بعد حسم النفقات كلها نحو ٨٠،٠٠٠ فرنك . ثمَّ يجوز استعمال الحبوب بعـد استخراج زيتها كسماد للتربة او علف للحيوان

ومن ظريف ما توفقت اليه سيدتان روسيتان السيدة بودكوفسكي وبروسين دي بولنسكا انهما ألبستا بعض النساء ثياباً سوداء وصفراء وعرضتـاهنَّ على مسرح في باريس ثمَّ غيَّرتا نور المسرح اشكالاً والواناً مختلفة كانت تلوح على ثياب تلك النساء فيظهرنَ بهيئات جميلة كأنهنَّ لبسنَ افخر الملابس وازهاها لوناً وذلك بسرعة طرفة العين فيخلب نظرهنَّ الحضور بازيائهنَّ المتواليـة تارةً بيضاً وحيناً حمرًا او زرقـاً او خضرًا او ذات الوان مختلفة غاية في البهاء والرونق وكلّ ذلك بفعل الضياء المتلوّنة المرسلة عليهنَّ فعرف الجمهور ما يستفاد من هذه الاوائح البديعة في المجالس والنوادي والمسارح للتأثير في الناظرين بتغيير الوانها والوان المجتمعين فيها

٩ً الجغرافية

انَّ الجغرافية السياسيَّة لا تزال في تقلُّب دائم فانَّ دولة الجبل الاسود قد قُسِمت بتقرير جمعيَّة السفراء في باريس في تموز ١٩٢٢ بين البانية ويوغوسلوفاكية

وفي اجتماع آخر في شهري شباط وآذار ١٩٢٣ قرَّر السفراء ان تُعطى مدينـة ميمل (Mémel) لليتوانية وثلثا لبولونية وبذلك تعيَّنت الحدود بين روسيَّة وبولونية وبين بولونية وليتوانية

بعد ان نال الاتراك ما لم يكونوا ليحلموا به قبل اسابيع قليلة اخذوا يطمعون بالذراع بعد الكراع فبعد ان حصلوا على قيليقية ومقدونية وازمير جعلوا يطـالبون ببعض جهات سوريَّة وبقسم من العراق مع قلَّة ما لهم فيهما من بني جنسهم

وكانت بعض جهات الحولة والقرى المجاورة لهـا لم تتَّضح تبعتهـا لسوريَّة ام لفلسطين فاتَّفق أولو الامر على ما يرجع منها الى دولة فلسطين فأعطيت لها نهائيًّا

١٠ً الطبّ والصحَّة

تمكَّن طبيبان من مكتب روكفيلر في اميركة من اكتشاف ميكروب النزلة

الوافدة المعروفة بالانفلوينزا في ٣ شباط ١٩٢٣ . تحقّق بعض العلماء ان في تموّجات هرتس الكهربائية تلطيفاً لحالة المصابين بالخرَس والصَّمَم معاً وتمهيداً لعلاجهم . وفيها ايضاً علاجاً لداء السرطان . وكذلك لاشعّة الشمس فعلٌ اكيد في ايقاف انتشار هذا الداء وتلطيفهِ . الّا انَّ فعل الراديوم لا يزال انجع من غيرهِ المهمّ اذا التجأ اليهِ المريض قبل تفاقم الداء كما بيَّن ذلك أرباب مؤتمر ستراسبورج الطبي الاخير . وفي ذلك نعمةٌ للمصابين بالسرطان الذين لا يزال عددهم يزداد فانَّ معدَّلهم في فرنسة كان السنة ١٨٨٧ يبلغ ٨٧ في ١٠٠،٠٠٠ فبلغ سنة ١٩١٣ ١١٤ عليلًا ويقف اليوم على ١٥٠

ومن الامراض الفاتكة بعدد عديد من الاولاد داء ذات الرئة وقد وجد لهُ الدكتور ستادر (Dr Stadre) دواء نافعاً بان يجعل المريض يستنشق اوكسيجيناً صافياً بكميَّة وافرة . امَّا تصفيتهُ فبأن يُجيزهُ في الماء ومنهُ الى رئة المريض فيشفى بهِ . وقد جرّب غيرهُ وسيلةً اخرى بأن وضع على صدر المريض صفائح معدنيَّة اجرى اليها مجرًى كهربائيًا فنال شفاء ذات الرئة

وقد عالج الدكتور كروشه (Dr Cruchet) نقر الدم في شهر حزيران باستبدال دم المرضى بدم الخروف النقي فانتعش الأعلّاء بهذا العلاج

وفي هذا المقام يسرُّنا ان نُعلن للقرّاء ما اكتشفهُ احد مواطنينا نزيل باريس الدكتور فيليب كفوري لعلاج السلّ فانهُ قد اهدانا نسخةً من طريقة شفائهِ لهذا الداء العضال (١) . وذلك بأنهُ يحقن العليل حقناً متواترًا بمصل انسان او حيوان مسلول فانَّ سمّ هذا المصل من شأنهِ ان يقاوم السمّ الذي في العليل بل لا يلبث ان يبطلهُ فتعود الصحّة الى صاحبه . والدكتور طلب حكماً رسميًا من الدولة الفرنسويَّة ولجنتها الطبيَّة على اكتشافهِ لينشرهُ في كلّ الاصقاع . وها نحن ننتظر بفروغ الصبر حكم الاختصاصيين في هذا الشأن ونتمنَّى ان ينال وطننا العزيز شرفاً اثيلًا باكتشاف احد ابنائهِ علاجاً لداء يفتك اليوم بمئات الالوف من البشر

1) Dr Ph. A. Kfouri. Traitement curatif de la Tuberculose par la Plasmatoxinothérapie Polyvalente intraveineuse.

مطبوعات شرقية جديدة

Paul Joüon S. J. Professeur à l'Institut Biblique. GRAMMAIRE DE L'HÉBREU BIBLIQUE. *Rome*, 1923, *gd in-8°, pp. XI-543, plus 1 fasc. des Paradigmes et Index, 8° p. - Prix, 75 lires italiennes*

غراماطيق اللغة العبرانيّة الكتابيّة

لعلّ القارئ يقول: ما الحاجة الى غراماطيق عبراني جديد مع كثرة ما نُشر من هذا القبيل كغراماطيق الاب توزار وغيره؟. نعم لا تنقص الغراماطيقات العبرانيّة المدرسيّة الّا انّ الكاثوليك كانوا يبتغون غير ذلك اعني كتاباً مبنيًا على مبادئ علميّة محضة يرجع اليه الاساتذة والدارسون معاً في مشاكل الكتاب المقدّس يجاري ما نشره من ذلك البروتستانيّان كيزنيوس وكوتش بل يفوقهما. فهذا التأليف الجديد هو الذي يسدُّ هذه الثلمة فاكتسب صاحبهُ بتأليفهِ شكر كلّ محبّي الدروس الكتابيّة لاسيما وانهُ وضعهُ وهو ضعيف البنية منهوك القوى فقاسى في تصنيفهِ مشقّات عديدة. على انهُ لم يحجم عن العمل وهو اقدر عليهِ من سواه بعد ان تعمّق في دقائق اللغة العبرانيّة وعلّمها في كليّتنا البيروتيّة وكتب عنها الفصول الشائقة في مجموعة مكتبنا الشرقي ووضع كتابهُ الجميل في تفسير نشيد الاناشيد. وليست نيّتنا بمدحهِ ان ننفي مراجعة ما كتب غيرهُ من المطوّلات كدروس الدكتور كونيغ (Lehergebäude). كلّا الّا انّ كتابهُ افضل مدخل لتلك المطوّلات واحسن ممهّد لما فيها من الابحاث اذ عرض كلّ ابحاثهِ بطريقة شخصيّة مبتكرة قريبة المنال ادّاهُ اليها عقلهُ الذكيّ. وكم تراهُ يصيب الهدف بشروحهِ وتدقيقهِ في المسائل دون ان يرتبك في معمّياتها وقد فاق على سواهُ في ما يختصّ باصوات اللغة العبرانيّة وتعريف حركاتها ونبراتها وإفراز البعض منها عن البعض ولاسيّما بنظرهِ في مجتلاتها والمقابلة بين مفرداتها. امّا حسن طبع الكتاب وجودة ورقهِ والتفنّن في تركيب اقسامهِ فحدّث عنهُ ولا حرج فانّهُ ينطق بفضل المكتب البابويّ الذي منظوم بين اساتذتهِ حضرة المؤلف ولسنا لنتذهل ان كتاباً مثل هذا يباع بخمس وسبعين ليرة ايطاليّة

الاب ي. ديلنسيغر

PRÆLECTIONES DOGMATICÆ auctore Christiano Pesch. T. I. Institutiones propædeuticæ ad S. Theologiam. I De Christo legato divino. II De Ecclesia Christi. III De Locis Theologicis. 1 *vol.* 8°, 1924, *Freiburg i. Brisgau, Herder. Prix* 15 *f. suisses*

دروس اللاهوت النظري في السيد المسيح والكنيسة والمقدّمات اللاهوتيّة

الاب اليسوعي كرستيان بيش احد كبار اللاهوتيين في زماننا له في اللاهوت النظري كتاب في عدّة مجلّدات اهدانا اليوم الطبعة السادسة من قسمهِ الاوّل وهو لا يزال يراجعهُ ويحسّنهُ ليجعلهُ كاملًا شاملًا لا يفوت طلبةَ اللاهوت شيء من المعلومات التي يحتاجون اليها. ولهذا القسم شأن خاصّ اذ يتناول بابحاثهِ ما يختصّ بدعوة السيد المسيح وانشائهِ لكنيستهِ وبالموارد اللاهوتيّة التي اليها مستند هذا العلم. وكلّ هذه المطالب ممّا يكثر عليهِ الاقبال في عصرنا وفائدتها لهذه البلاد اعظم لتفنيد ما اشاعهُ فيها اعداء الكنيسة وقد استفاد المؤلف من كتاب الاب دربيني (d'Herbigny) عن الكنائس الشرقيّة وهو من أعلم الناس بامورها. فترى ما لهذا التأليف من الصفات الممتازة وهو ثمرة تعليم صاحبهِ منذ ثلثين سنة نفعنا الله زمناً طويلًا بمعارفهِ الاب ي. مونجان

G. H. Becker : ISLAMSTUDIEN, 1er vol. 8°, 1924, Leipzig, Quelle und Meyer

دروس اسلاميّة

صاحب هذا الكتاب احد اساطين العلوم الشرقيّة حاضرًا في المانية وهو منشئ مجلّة «الاسلام» (Der Islam) وقد احبّ ان يجمع في مجلّد منفرد عدّة مقالات صدرت من قلمهِ منذ عشرين سنة كانت متفرّقة في عدّة مجلّات ونشرات. واخصّ ما هناك دروس ممتعة وضعها المؤلف في الخلافة الاسلاميّة وتاريخها وشروطها وتقلّباتها ثمّ في احوال المسلمين الاجتماعيّة والاقتصاديّة في مصر استنادًا الى ما وُجد هناك من الآثار العربيّة المكتوبة على البردي. ثمّ خصّ القسم الاخير بما كتبهُ عن المعاملات بين المسلمين والاقباط النصارى وعن المجادلات الدينيّة التي دارت بين ارباب الديانتين وفيهِ ايضاً معلومات شائقة في تطوّر الدين الاسلامي. وقد خصّ درسهُ الاخير بانتقاد ما كتبتُهُ انا الفقير عن الاسلام وما يتّفق هو عليهِ او يخالفهُ وفي كلامهِ مثال للانتقاد الحسن بين علماء يختلفون رأياً ويتّفقون رغبةً في طلب الحقيقة الاب ه. لامنس

BULLETIN DU SÉMINAIRE ORIENTAL S^t FR. XAVIER, N°XIV, Beyrouth, G^d Liban, 1914-1924, pp. 206

نشرة المدرسة الاكليريكيّة الشرقيّة في كليّة الآباء اليسوعيين في بيروت

ظهرت هذه النشرة ١٣ مرّة قبل الحرب فكانت كلّ سنة تعرض شيئاً من اعمال تلك المدرسة ومن مآثر المتخرّجين فيها وبينهم السادة الاجلّاء من بطاركة واساقفة ومن افاضل الكهنة والرهبان فحُرمنا فوائدها منذ السنة ١٩١٤ وها هي اليوم قد عادت الى النور وفي عددها هـذا الجديد الفصول الشائقة والاخبار الممتعة عن المدرسة المذكورة وما طرأ عليها من النكبات في هذه العشر السنين وقد كلّل الله هام ستّة من كهنتها باكليل الاستشهاد اعاد الله اليها رونقها السابق وزادها نموّاً وفضلاً بحماية شفيعها القديس فرنسيس كسفاريوس ل . ش

Albert Reyval : L'EGLISE ET LE THÉATRE. Essai historique, *in*-8°, *XI*-247, *Paris, Librairie Bloud et Gay*, 1924, *Prix* 10 *f*^r

الكنيسة والمسارح

هذا موضوع يستدعي رغبة القرّاء الى مطالعته لاسيّما انّ واضعهُ المسيو ريفال هو احد الممثلين في مسرح باريس معروف بتشبُّثهِ بالدين . وكلّ يعلم انّ المسارح من جملة الاخطار الادبيّة التي تعثر بها رجل الناشئة . والمسيو ريفال عالم بذلك الّا انّهُ لا يجهل ايضاً انّ للمسارح فضلها ومحاسنها . ولذلك اراد ان يكتب في هذا الخصوص كتابة رجل منصف معتدل . ففي قسم اوّل من كتابهِ يختصر تاريخ التمثيل في المسارح في القرون الوسطى وذلك بتنشيط الكنيسة اذ كانوا يمثلون العقائد النصرانيّة وعجائبها واخبار قديسيها فكان الشعب يتقاطر الى حضورها ويجتني منها اطيب الثمار . فيستنتج من هذا القسم انّ الكنيسة لا تُعادي تمثيل المسارح . ثمّ ينتقل المؤلف في قسم ثانٍ الى التمثيل الحديث وما يعرض على المسارح من الروايات المختلفة بينها الغثّ والسمين فهو لا ينكر انّ بعض ارباب المسارح يغالون في عملهم ويتجاوزون حدود الادب فينحي اليهم بالملامة الّا انهُ يرى ايضاً في بعض ارباب الاكليروس غلوّاً في تأثيم المسارح العصريّة وكنّا وددنا لو شدّد الملام على كثير من المسارح السيئة الخلاعيّة . وفي القسم الثالث يتّسع المؤلف في وصف المسارح الادبيّة كما هي شائعة بين الكاثوليك

في مدارسهم وجمعياتهم ويثني عليها اطيب الثناء ويبيّن فوائدها الجمّة . ولهُ في الختام وصف حسن في مسرح ثاني الذي تمثّل فيهِ آلام السيّد المسيح ومسرح بريطانية في مدينة اوراي (Ste Anne d'Auray) المشهور بتمثيلهِ للاسرار المسيحية الاب ديلنسيغر

Anderson : CONTES, Traduction nouvelle d'après le danois par **Paul Leyssac.** 1 *vol.*, *in*-16, 1924, 8e *éd.*, *Paris*, *Librairie Stock*, *Prix* 6f, 75

قصص اندرسون

ان قصص الروائي اندرسون الدانيمركي (١٨٠٥—١٨٧٥) شائعة في كلّ الانحاء جامعة بين الفكاهة والتعاليم الادبيّة فيُقبل عليها الأحداث بكل شوق وتنطبع تفاصيلُها اللطيفة في اذهانهم طول حياتهم . الّا انّ هذه القصص بقيت في فرنسة قليلة الشيوع حتى نقلها الى الافرنسية المسيو پول ليسّاك فانتشرت انتشارًا عجيباً حتى انّ ترجمتهُ بلغت بعد زمن قليل الطبعة الثامنة ج . ل

LES PROBLÈMES DE L'EUROPE CENTRALE. Conférences organisées par la Société des Anciens Elèves de l'Ecole libre des sciences politiques. 1 *vol. in*-16, *Paris*, 1923, *Librairie F. Alcan. Prix*, 6 f

مشاكل اوربّة المركزيّة

في جامعة فرنسة فرعٌ لدرس العلوم السياسيّة يُعهد الى طلبتهِ البحث في مسائل السياسة الدوليّة . وها هم قد جمعوا في هذا الكتاب ما أُلقي في مكتبهم من المحاضرات الاخيرة ومدارها على احوال اوربّة المركزيّة بعد الحرب الكونيّة وكفى بذكر اسماء اصحاب تلك المحاضرات اشارةً الى عظم شأنها بينهم العلماء ايزنمان (Eisenmann) وبورجوا (E. Bourgeois) وفورنول (E. Fournol) وبونيال (G. Bouniels) ولورين (H. Lorin) فاجادوا وافادوا ج . ل

Hermant(Abel):XAVIER ou les entretiens sur la grammaire française, *Paris*, *Le Livre*, 1923, *Prix* 7 f, 50

محادثات في خراص النراماطيق الفرنسوي

انّ الكلام في اللغويّات ليبوستهِ ثقيل على اسماع الناشئة الّا انّ صاحب هذا

الكتاب تلطّف فكساهُ بثوبٍ قشيب حبّبهُ الى قرّائهِ فجعلهُ على صورة رواية خياليّة مزج فيها المعلومات المفيدة بفنون الفكاهة ليتقن التلميذ دون عناء دقائق لغتهِ الفرنسويّة. والحقّ يقال انّنا وجدنا في هذا الكتاب صورة حيّة لثلث خصال عُرف بها الفرنسويّون اعني الوضوح والرقّة والتخيُّل الشعريّ الاب شرل اليسوعي .

Habib S.Boustani, Président du Parti National Libanais : LIBAN D'ABORD !, *Beyrouth*, 1924, *pp.* 46

لبنان قبل كل شيء

قرأنا هذه اللائحة للمدّعين بالوطنيّة ولا نعلم أنحن في يقظة ام في منام . اخذنا العجب من هذا الحزب الجديد الذي يشبهُ فقيرًا مدقعًا لا خبز لهُ ولا كسوة وهو يتخيل حالهُ في ثروة قارون فيحلم بالقصر الذي سيبيت فيهِ وبالاملاك التي سيتنعّم بها وبالحشم الذين سيقومون بخدمتهِ . فيا لله كيف يتمنّى هؤلاء الاستقلال التام ويطلبون نهاية الانتداب الفرنسويّ وهم لا يرون انّ يوم استقلالهم المزعوم سوف يكون اوّل يوم استعبادهم . وان ارادوا شاهدًا على ذلك فما لهم الّا ان يُلقوا بنظرهم على التنّينَين الفاغرين فاهما شمالًا وجنوبًا ليبتلعا استقلالهم . هذا الى ما في ظهرانيهم من اعداء لبنان الكبير الذي سيضحي اوّل لقمة في فيهم يزدردونها منذ الآن بالأمل . فنعم الوطنيّة وما اشدّ عمى الداعين اليها ! ل . ش

Albert Cim. Le Travail intellectuel, 1 *vol.*, *in*-16, *Paris*, *Librairie Alcan*, *Prix* 8 *f*

الشغل العقلي

ليس هذا الكتاب وهو من منشورات المكتبة الفلسفيّة العصريّة كتابًا نظريًّا وانّما هو كتاب عملي يوضح للكتبة قوانين صحيّة موافقة للاشغال العقليّة يستند فيهِ على امثالٍ من تراجم الكتبة المحدثين . فمن ابحاثهِ أيحسن بالكاتب ان ينبّه عقلهُ قبل الشغل بشرب الدخان او شرب القهوة ؟ اي وقت انسب للتأليف امساء في الليل قبل النوم ام صباحًا عند اشراق الضوء ؟ ما هي الطريقة الاوفق للحياد عن قصر النظر الشائع بين ارباب الآداب ؟ فالجواب على كثير من هذه الاسئلة يجدهُ في ما اساء بهِ بعض الكتبة كبلزاك وجورج سند بطول سهرهما وكألفرد دي موسّه بمعاقرتهِ

المشروبات الروحيّة . وعلى خلاف ذلك يستحسن عمل فكتور هوغو وميشلِه وتوكفيل الذين كانوا ينكبّون على العمل منذ الساعة الخامسة صباحاً . أمّا حفظ البصر فيشير المؤلف الى الكتابة في النهار مع كثرة النور ومطالعة الكتب المطبوعة بحروف مشرقة ذات الاسطر القصيرة الواسعة . وهي نصائح حسنة . أمّا من حيث اسلوب الكتابة فانّ المؤلف يستحسن نظامها ووضوحها لتظهر في الكتابة صورة عقل الكاتب . وفي هذا الباب يهزأ المؤلف ببعض عادات الكتبة السيئة كعادة لامرتين الشاعر الذي كان يكتب دائماً باقلام الرصاص او كمن يكتب بحروف ناعمة لا تكاد تُقرأ . ومنهم من لا يستطيع الكتابة الّا بأحذية الفلّاحين ولا يستطيع آخر من استماع ضرب البيانو فيعدّهُ عذاباً شبيهاً بالقصلة وغير ذلك من العادات المضحكة التي يتفكه بها آل عصرنا عند استماعهم لها الاب رينه موترد

I. K. Kratchkovsky: Abu-l-Faraj al Wa'wa' Damashky. Petrograd, 1914, pp. 378+١٥٤

ديوان ابي الفرج الوأواء الدمشقي

محمّد بن احمد الدمشقي المعروف بابي الفرج الوأواء احد شعراء الاسلام في القرن الرابع للهجرة (†٣٩٠هـ–٩٩٩م) امتدح سيف الدولة ابن حمدان ونال من عطائه ، وشعرهُ كان متفرّقاً منهُ قسمٌ في احد مخطوطات الاسكوريال في اسبانية ومقاطيع عديدة في يتيمة الدهر لابن الاثير وغيره من الأدباء فجمعهُ المستشرق الروسي الهمام اغناطيوس كراتشقوفسكي نزيل كلّيّتنا نحو سنتين قبل الحرب ومدرّس العربيّة بالمدرسة الكلّيّة الامبراطوريّة في بطرسبرج واعتنى بتصحيحه وطبعه وترجمته الى اللغة الروسيّة فجاء سفرًا ضخماً زادهُ جامعهُ حسناً بما اودعهُ من الفوائد العديدة التي كنّا نودّ ان نعمل فيها النظر لولا جهلنا للغة الروسيّة . أمّا النصّ العربيّ فقد طُبع في مطبعة بريل في ليدن وهو مضبوط بالشكل الكامل الذي وقع فيه بعض الاغلاط المخلّة بالوزن ممّا يسهل على جامعه اصلاحهُ ل . ش

Ed. Qibildos. Les patronages et les externats de Lycéens, *br. in-16, s. d., Paris, Lanore et Ducrot. Prix 3 f*

مكاتب الحمايات والمدارس الخارجيّة اللاحقة بمدارس الحكومة

قد تعدّدت في اوربّة مكاتب الحمايات التي يجتمع فيها الاحداث من الصنّاع

وغيرهم وكذلك المدارس الخارجيّة التي انشأها البعض لحفظ آداب الناشئة الذين يختلطون بمدارس لادينيّة . فصاحب هذا التأليف قد بحث عن احوال تلك المكاتب وبيّن فوائدها واضرارها وصَدَعَ بالشروط الوافية لحسن ادارتها لئلّا تحيد عن سواء سبيل الدين والادب ج.ل

كتاب اللاهوت النظري : الجزء التاسع في الاسرار

تأليف الخوري الياس الجميّل دكتور في الفلسفة واللاهوت

طُبع في المطبعة العلميّة في بيروت سنة ١٩٢٤ ص ٤٩٦

يتبع هذا الجزء الجزء السابق في نعمة المسيح وهو يرتبط به ارتباطاً وثيقاً فانّ نعمة المسيح الفائقة الطبيعة انّما تجري الى المؤمنين بسبعة ينابيع زاخرة وهي اسرار الكنيسة السبعة التي عليها مبنى كل حياة المسيحيّ . الّا انّ هناك مطالب عديدة بحث فيها اركان الكنيسة منذ عهد الرُّسل فلم تتّضح الّا بعد توالي القرون وعقد المجامع والمجادلات العنيفة مع المبتدعين . فصنّف اللاهوتيّون الوف المجلّدات الضخمة للدفاع عن الحقيقة . وقد استخلص حضرة الخوري الياس الجميل لباب تلك التآليف في هذا القسم من كتابهِ اللاهوت النظريّ مستنداً في كلّ مطلب من مطالبهِ الى اصدق التعاليم وارجح الآراء مثبتاً اقوالهُ بالادلّة النقليّة والعقليّة معاً فجاء افضل كتاب لاهوتي نُشر الى اليوم في لغتنا العربية . على انّنا لا نوافق حضرتهُ في بعض الامور الثانويّة كقولهِ مثلاً (ص ١٩٩) : « انّ الكنيسة اللاتينيّة منذ الاجيال الاولى لم تكن لتستعمل (كمادّة سرّ الافخارستيّا) سوى خبز الفطير» فانّها استعملت ايضاً الخمير احياناً كما يظهر من عدّة شواهد . وهذا التأليف الجليل يُباع في البلدة بسائر اجزائهِ في مكتبة انطون افندي كنعان وعند المؤلف في دير شويّا ل.ش

امريكا في نظر شرقيّ

بقلم فيليب حتّي دكتور في الفلسفة

عُنيت بنشرهِ ادارة الهلال سنة ١٩٢٤ (ص ٧٨)

من اراد الوقوف على حقيقة طباع الاميركيّ في سائر احوالهِ الافراديّة او

الاجتماعيّة فعليه بمطالعة هذا الكتاب الذي وضعهُ كاتب اديب وفيلسوف نطاسيّ عاش في اميركا ثماني سنين مختلطاً بكل طبقات شعبها في الولايات المتحدة فهو يصف الاميركي وصفاً دقيقاً يكاد القارئ يراهُ امامهُ بالعيان ويرقبهُ في كلّ حركاته وسكناته في شغله المتواصل في صناعته في تجارته في ألعابه في عيشته الاجتماعيّة في طلبه الرقي والنجاح فلا يتمالك القارئ بعد تصفُّحه الكتاب من ان يصرخ انَّ العالم الجديد فاز بحاضر جليل وسوف يفوز بمستقبل اجلّ وابهى. وقد كنّا وددنا لو بحث الكاتب عن حياة الاميركيّ الدينيّة وشيوع الالحاد بين ثلثيها كما تبيَّن بالاحصاء الاخير فان تلك نقطة سوداء ستؤدّي بالاميركيّين الى سوء العقبى ان لم يتداركوها. وكذلك التعليم اللاديني في مدارس الولايات المتّحدة قد افضى بشبيبتها الى حالة سيّئة اهتمَّ لها مؤخّرًا رئيس نيويرك الكاثوليكي واكبر قسّ بروتستانت فيها وحاخام اليهود والوف من السيّدات فخطبوا بهذا الصدد وبيَّن احد كبار رجال الحكومة « انَّ الولايات المتّحدة قد امست الآن البلاد التي لا تضارعها غيرها بكثرة الجرائم » (راجع جريدة البشير في عددها الصادر في ١٣ أيار سنة ١٩٢٤) ل. ش

دليل شركة مصايف لبنان عن سنة ١٩٢٤

طُبع في مطبعة المقتطف بمصر (ص ١٧٦)

هذه مرّة رابعة نُشر فيها دليل شركة مصايف لبنان فظهر بكسوة بديعة تأخذ بالأبصار نمّقتها ريشة عزّت بك مع خارطة صغيرة لبلاد الشام. أمّا مواد الدليل فلم تكد تختلف من موادّه السابقة الّا في بعض اصلاحات وتحسينات جزئيّة وتصاوير جديدة مع مقدّمة حسنة لحضرة يوسف مرزا بك عنوانها في ربوع لبنان ونبذة تاريخيّة للاستاذ داود بك بركات عنوانها « لبنان مصيف مصر من عهد الفراعنة الى اليوم » ومقالة في مميّزات لبنان كمصيف. فما لنا الّا ان نكرّر شكرنا لكل من يقوم بهذا العمل الوطني الصادق ولاسيّما لمدير هذا المشروع العمراني حيدر بك معلوف

ܟܬܒܐ ܕܩܪܝܢܐ ܘܟܬܒܐ ܕܐܢܫܝܕܐ

كتاب القراءة السريانيّة وكتاب الاناشيد الملائكيّة نشرهما في امركة الاديب نعوم بن الياس بلاق سنة ١٩١٧

هما كتابان صغيران وضعهما السرياني الآمدي نعوم افندي بلاق لفائدة احداث ملّته السريانيّة الواحد لتعليم القراءة السريانيــة والانكليزيّة والآخر يحتوي اناشيد مختلفة سريانيّة وتركيّة وعربيّة بحرف كشوني يتغنّى بهــا الصغار في مدارس اهل وطنه فنهنئ جناب الكاتب لسعيه في تعزيز لغته السريانيّة ل . ش

شذرات

﴿ جعجعة الماسونيّة ﴾ توعّدنا توفيق طنوس صــاحب جريدة حيرام المصريّة في ثلثة من اعداده بضربة تكون لازبةً لا يقوم لنا بعدهــا قيام فانتظرنا مطــأطئين برأسنا لنتلقّاها فاذا بالجبل تمخّض بفارة . فاتانا العدد الاخير وفيه ثلثة اعمدة بحرف ناعم قرأناها بتمعّن فسمعنا جعجعةً ولم نرَ طحناً او قل كان الطحن زواناً وتراباً . فبدلاً من ان يفتد سطرًا واحدًا من كتابنــا السرّ المصون في شيعة الفرمسون اشاد بمحــامد الماسونيّة ونثر عليها ازهارًا ذبلت منذ عهد طويل ونطح بقرنه صخرةً « الجزويت » فصدق فيه قول الشاعر :

كنــاطحٍ صخرةً يومًا ليَفلقهــا فلم يَضِرْها واوهى قرنَــهُ الوَعِلُ

وكم في اقواله من الترّهات كقوله انّ بابارات كانوا من الماسونيّة وكلّهم قــد ضربوها بالحرم كما بيّنّا . وكفى بالماسونيّة المصريّة عارًا ما كتبهُ احد ابنائها فاثبتناهُ بحرفه الواحد في المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٧٨–٧٩) فقال « انّ الماسونيّة في مصر منذ سنين عديدة هي من كلّ وجه في حالة من الذلّ يُرثى لها فلم تأتِ بعمل واحد خيري لخدمة الانسانيّة » فقس عليه مفاخر الماسونيّة وطنطن ما شئت بعظمتها فطالما اشبعتنا من اقوالٍ لا فعل وراءها الّا الفتن والمشاغب ومعاداة كلّ سلطة دينيّة وادبيّة

﴿ الكلب اللاديني ﴾ قد أُصيب به المدعو امين الريحاني فانهُ لا يقوم ليخطب في نادٍ الّا وحاول ان ينهش بنابه الدين او ذويه فهذا كان فعلهُ في سائر التآليف التي وضعها فروينا كلامهُ القبيح بخصوص الدين . وهذا ما فعل في سياحته الى العراق وخطبه في بغداد وفي زحلة . وفي حفلتين عُقدتا في الجامعــة الاميركيّة كانت الاخيرة عُقدت

لاكرام احد نوابغ شعراء وطننا خليل بك مطران فلم يخجل ان يشوّه تلك الحفلة بما نفثهُ من سمّهِ الكفري فاستاء من نوبة كلبهِ اللاديني كلّ الحضور . وكان أملنا ان رئيس الجامعة الاميركيّة الذي خطب سابقاً في فضل التعليم الديني ان يحتجّ على هذا الثرثار ويسكتهُ فلا يدنّس مدرستهُ مرّتين بكلامهِ المهين لكلّ دين . ومن غريب الامور انّ صاحب المعرض في عددهِ ٣٠٥ مدح هذا المتفلسف السفساف وشتمنا بما روى عنهُ «انهُ اكثر تديُّناً من الاب شيخو نفسهِ» فبئس ديننا ان كان بلغ الى هذا الحدّ من الالحاد والكفر ويا ويلنا في يوم الدين من ذاك الديّان الذي رماهُ الريحاني غير مرّة بنبالهِ الطائشة فيطالبهُ عن كلّ كلمة باطلة تخرج من فمهِ ان لم يتب توبةً نصوحاً ويكفّر عن الحادهِ

﴿ضحايا البولشفيك﴾ وقفنا على قائمة مَنْ أعدمهم البولشفيك الى اواخر السنة ١٩٢٣ وفيها دليل واضح على همجيّتهم . قتلوا ظلماً ٢٨ اسقفاً ١٢١٩ كاهناً ٦،٠٠٠ معلم او مهذّب ٩،٠٠٠ طبيب ٥٤،٠٠٠ ضابط ٢٦٠،٠٠٠ عسكري ٧٠،٠٠٠ من الشرطيين او الحرس ١٢،٩٥٠ ملّاكاً ٣٥٥،٢٥٠ عالماً او اختصاصياً ١٩٣،٢٩٠ فاعلاً ٨١٥،١٠٠ فلّاح فهذه ثمرة الشيوعيّة والالحاد

﴿اضافة الى ديوان الحارث بن الحلّزة﴾ نشرنا في العام الماضي (المشرق ٢١ : ١٥٦) ملحقاً بديوان الحارث بن الحلّزة الذي اهتمّ بطبعهِ في المشرق (٢٠ : ٥٩١ و٦٩٣) المستشرق الفاضل كرنكوف . وقد وقفنا على ابيات أخرى رواها لهُ ابن الاثير في تاريخهِ (ج ٤ ص ٢٠٠) وزعم انّ بعض اهل الشام وجدها في قصر من مفازة كرمان وقال انها طويلة فلم يروِ منها الّا ما يلي (من الوافر) :

أَيا لَهفاً ويا حَرَباً جميعاً ... ويا حَرَّ الفؤادِ لِما لَقينا
تركنا الدينَ والدنيا جميعاً ... وأسلَمْنا الخلائل والبنينا
فما كنّا بناسٍ اهلِ دينٍ ... فنصبرَ في البلاءِ اذا ابتُلينا
وما كنّا بناسٍ اهلِ دنيا ... فنمنعَها ولو لم نَرْجُ دينا
تركنا دورنا لطعامِ عكٍّ ... وانباطِ القرى والاشعرينا

أسئلة وأجوبة

س سأل الاديب يوسف بطرس سعد : من هما القديستان اجيا وصوفيا اللتان تأسست على اسمهما جمعية خيرية للروم الاورثذكس في بيروت ؟

القديستان اجيا وصوفيا

ج هاتان القديستان لا وجود لهما الّا في شعار الجمعيّة المذكورة. وكلٌّ يعرف انّ اجيا صوفيا (لا اجيا وصوفيا) اسم الكنيسة الكبرى التي بناها الملك يوستنيان في القسطنطينيّة على اسم الحكمة الالهيّة المقدّسة (Ἁγία Σοφία) فالشعار اذن من غرائب التحريف

س وسأل جناب اديب افندي لحود ما هي حدود لبنان الكبير وكم هو عدد سكان سناجقهِ الخمسة

حدود لبنان الكبير وعدد اهل سناجقهِ

ج يحدُّ لبنانَ الكبير شمالاً النهرُ الكبير وجنوباً رأسُ الناقورة بين صور وعكّا وشرقاً قممُ جبل الشيخ وغرباً بحر الشام. على انّ بعض الحدود الشرقيّة لا تزال غير ثابتة. امّا عدد السكّان في الالوية الخمس فكان بموجب احصاء سنة ١٩٢١ لبيروت ٩٤،٤٣٢ نفساً لطرابلس ٣٧،٤١٢ للواء لبنان الشمالي ١٣٦،٤٩٨ للواء جبل لبنان ١٩٩،٨٩٥ للواء لبنان الجنوبي ١٣٠،٣٦١ للواء البقاع ١١١،٨٤٢ فيكون المجموع ٧١٠،٥٦٢ ويدخل في هذا العدد نحو ١٢٠،٠٠٠ من المهاجرين الذين يدفعون الضرائب

س وسأل حضرة القس ابراهيم حرفوش الراهب اللبناني ان نفيدهُ عن حقيقة قطعة سريانيّة وردت في شحيم الموارنة في قرض صباح احد القيامة في اللحن السادس على هذه الصورة :

[illegible]

فطلب ما هي هذه الرسالة التي كتبها يوحنّا الرسول ومن هي السيّدة المشار اليها وما هي هذه الاعياد الثلثة المذكورة ؟

(المشرق) نقترح على احد كهنة الموارنة الجواب على هذا السؤال ثمّ نبيّن رأينا فيه

المشرق

جولة في الدولة العلوية

للاب لويس شيخو اليسوعي

الدولة العلويّة هي ثالثة الدول الوطنيّة السوريّة الداخلة تحت الانتداب الفرنسويّ لكنّ موقعها في اطراف سواحل بحر الشام قريباً من جبال قليلة المنافذ صعبة المسالك مع نفور سكّانها من الاختلاط ببقيّة العناصر السوريّة جعلها كالعادة الحسناء المتستّرة المحصّنة في خدرها لا يعلم الجمهور الّا الزهيد من امورها

وها قد اطّلعنا على دليل صغير نشرتهُ الحكومة الفرنسويّة مؤخّراً مطبوعاً في مطبعتنا الكاثوليكيّة باللغة الفرنسويّة (١ وضمّت اليه خارطة لافادة السيّاح (٢ اشارت فيها الى اهمّ مدن الدولة وقراها وآثارها القديمة مع تعريف مركزها واقضية سنجقيّها وانهارها وجبالها . فكان ذلك داعياً حدا بنا الى كتابة فصل خاصّ بهذه الدولة نستفيد فيه من الدليل المذكور ونشفعهُ بمعلومات أُخرى نستقيها من موارد العلماء والاثريين الذين كتبوا عن تلك الانحاء ولم تزل كتاباتهم مجهولة لدى معظم اهل الوطن

١ معلومات عمومية

﴿اسم الدولة﴾ هذه الدولة تُعرف اليوم بالدولة العلويّة نسبةً الى علي بن ابي

١) هذا اسمهُ : Petit Guide Touristique de l'Etat des Alaouides (SYRIE)

٢) بهذا العنوان Carte Routière et Touristique de l'Etat des Alaouides

طالب رابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة كريمة نبيّ المسلمين . ينتمي اليه العلويّون ويعظّمونهُ بمثابة مشترع الاسلام . وكان الاسم الغالب عليهم قبل هذه السنين اسم النُّصَيْرِيَّة الذي صحَّفهُ البعض باسم الأَنصاريَّة . واشتقاق هذا الاسم على ما رواهُ ابو الفداء في تقويم البلدان عن ابن سعيد من « نُصَيْر مولى عليّ بن ابي طالب » والمرجَّح انهم يُنتسبون الى محمَّد بن نُصير احد اتباع حسن العسكريّ والامام العلوي المتوفى سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٣ م) الذي وصفهُ الكتبة المسلمون باحد غُلاة الشيعة . ومن غريب الاتفاق انَّ بلينيوس الكاتب اللاتيني في القرن الاوَّل للمسيح يدعو في تاريخهِ الطبيعي (٥ : ٨١) اهل افامية (قامة المضيق) بالنَّصريين (Nazerini)

﴿ حدود الدولة العلويَّة ﴾ تمتدُّ هذه الدولة جنوباً الى النهر الكبير المدعوّ عند اليونان بأَلِفثيروس (Eleutherus) اي الحُرّ وشرقاً الى حدود دولة دمشق ثمَّ نهر العاصي وتتاخم شمالًا دولة حلب وغرباً بحر الشام

﴿ مساحتها . جبالها . انهارها ﴾ تبلغ الدولة العلويَّة طولًا من الجنوب الى الشمال نحو ٢٠٠ كيلومتر وعرضاً نحو ٣٠ كيلومترًا فيكون مجموع مساحتها نحو ٦٠٠٠ كيلومتر . امَّا جبالها فسلسلة متواصلة كان القدماء يدعونها باسم برجيليوس (Bargylus) تبتدئ جنوباً عند النهر الكبير وتمتدُّ الى الشمال الغربيّ وهي تدعى هناك بجبل الاكراد ثمَّ تتَّصل بالجبل الاقرع وبجبال انطاكية

وفي دولة العلويّين انهار عديدة تصبُّ في بحر الشام وهي مباشرةً من الجنوب نهر الابرش ونهر عمريت ونهر عمقي ونهر حسين ونهر مرقيَّة ونهر بُوس ونهر خريصون ونهر جوبي ونهر البنّ او الابتر ونهر برغل ونهر المسكين ونهر الروس ونهر المضيق ونهر الصنوبر ونهر الكبير ونهر القنديل . وكفى بعددها دليلًا على خصب تلك البلاد وان يكن بعضها سيولًا تكاد تنضبُ في فصل الصيف . واعظمها النهر الكبير او الابيض وهو غير النهر الكبير (الوثيروس) الفاصل بين لبنان الكبير ودولة العلويين فانَّ نبعهُ في ولاية حلب فيقطع مسافة ٥٦ كيلومترًا ويصبُّ جنوبي شرقي اللاذقيَّة

﴿ تقاسيمها الاداريَّة ﴾ تُقسم اليوم الدولة العلويَّة الى سنجقين . سنجق اللاذقيَّة ومركزهُ اللاذقيَّة . تحت ادارتها ثلاثة اقضية وهي : قضاء اللاذقيَّة وقضاء صهيون

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt et deuxième Année

1924

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1924

وقضاء جَبلة . وسنجق طرطوس وهو ينقسم الى خمسة اقضية : قضاء طرطوس وقضاء مرقب وقضاء العرانيَّة وقضاء صافيتا وقضاء الحصن . وتلحق بالسنجقين جزيرة ارواد المستقلَّة

﴿سكَّان الدولة العلويَّة﴾ هذه نتيجة احصائهم الاخير الذي تمَّ سنة ١٩٢٢ :

العلويُّون	١٥٣,٣٩٨	الروم الكاثوليك	٧٢٥
المسلمون	٥٩,٦٨٩	البروتستانت	٧٠١
الروم الاورثذكس	٣٣,٩٠٣	الارمن الكاثوليك	٦٣٧
الاسماعيليُّون	٥,٥٨٧	الارمن البروتستانت	٤١٢
الموارنة	٤,٤٣٠	اللاتين	١٥
الارمن الغريغوريُّون	١,٦٦٥	المجموع	٢٦١,١٦٢

٢ مدن دولة العلويين الساحلية

مدن العلويين على ساحل بحر الشام اربع : اللاذقيَّة ثمَّ جَبلة ثم بانياس ثمَّ طرطوس

﴿اللاذقيَّة﴾ هي عاصمة الدولة العلويَّة بلغ عدد اهلها في الاحصاء الاخير ٢١,٠٦٦ نفساً وهي احدى المدن العريقة في القدم ترقى الى عهد الفينيقيين كانت تُدعى سابقاً باسم راميثا اي العالية استولى عليها السلوقيُّون فزيَّنها سلوقس نيقاطور (٣١٢–٢٨٠) بالابنية البديعة وحفر مرفأها وخصَّها بانعامات جمَّة ودعاها لاوذيقية باسم والدته لاوذيقة ومنها اسمها الحالي اللاذقيَّة او اللاذقيَّة البحريَّة تميزاً لها عن لاذقية اخرى في لبنان ثمَّ منحوها استقلالاً نوعيًّا فضرب ملوكها النقود على اسمهم . وفي العهد الروماني تناوبت عليها أيام سرَّاء وضرَّاء . وخصب وخمول بسبب ما حصل بين الرومان من المنازعات في انحاء الشام لاسيَّما في عهد كاسيوس وبسيانوس نيجر اللذين نهباها واخرباها وقد اثابها على خلاف ذلك انطونيوس وبوليوس قيصر وسبتيميوس ساويرس لانتصار اهلها لحزبهم ومنحها ساويروس حقوق المدن الرومانيَّة ودعاها سبتيمية الساوريَّة . وتُرى الى يومنا هذا بقايا قوس الانتصار الذي أُقيم ترحيباً به بعد انتصاره على نيجر وقياسهُ في جوانبه ١٥ متراً لهُ واجهة مهيبة بطنوف بارزة واعمدة قورنثيَّة ونقوش محفورة في قلب الصخر . ومن ذلك العهد الروماني الهيكل المشيَّد لاكرام الاله ديونيسيوس او باخوس لهُ الدواري والاعمدة

ذات الاكلّة الجميلة والنقوش البديعة يبعد عن قوس النصر نحو ٥٠٠ متر

وفي اللاذقيَّة من عهد ملوك الروم كنيسة قديمة حوَّلها العرب الى مسجد جامع ولا تزال فيه تصاوير نصرانيَّة على جدرانه وآثار منقوشة على جوانبه

فتح العرب اللاذقية السنة ١٨ هـ (٦٣٧م) فبقيت في حكمهم الى اواخر القرن العاشر فغلبهم عليها الروم ثم عادوا فاستولوا عليها الى ان فتحها الصليبيُّون وأحلّوها بإمارة انطاكية فكانت فُرضتها لحسن مرفإها. والمدينة على منعطف ربوة داخلة في البحر كان يمنعها سورٌ ذو شُرَف وتحدق بها الكروم التي كانوا يعصرون من عنبها خمرًا طيّبة اطنب القدماء في ذكرها

وكان في اعلى المدينة حصنان حريزان تُرى في يومنا آثارهما وكانت في خارج المدينة عند مصبّ النهر الكبير وهم يدعونهُ بالنهر الابيض كنيسةٌ على اسم القديس اندراوس الرسول

ثمَّ نُكبت اللاذقيَّة بويلات الزلازل (١١٥٧و١١٧٠) وكوارث الحروب بفتح السلطانين صلاح الدين الأيوبي (١١٨٨) وقلاوون (١٢٨٦) فخمل ذكرها وجعلها المماليك المصريُّون تحت حكم طرابلس وبقيت كذلك في زمن بني عثمان الى ان فصلها عنها مدحت باشا ومنحها رتبة المتصرفيَّة فنهضت قليلًا من كبوتها وراجت سوق زراعتها ولاسيما تبغها الفاخر. وكانت اللاذقيَّة مع ذلك اشبه بقرية تغلب عليها الاخربة وتشوّهها الاقذار وها هي قد اصبحت اليوم بفضل الانتداب الفرنسوي متناسقة الاحياء منظَّمة الابنية نظيفة الاسواق مُنارة ليلًا بالكهرباء يشرب سائر اهلها المياه الصافية ويتنزّهون الارواح في حديقتين بديعتين والسيّاراتُ توصلها بانحاء الدولة وبالتخوم المجاورة بما أنشئ لها من الطرق ريثما تبلغها السكك الحديديَّة

﴿جَبَلَة﴾ جنوبيّ شرقي اللاذقيَّة على مسافة نحو ٣٠ كيلومترًا منها وهي بلدة صغيرة دعاها قدماء الفرنج Zibel يبلغ عدد سكانها حاضرًا كما ورد في الاحصاء الاخير ٤،٥٦٧ نفسًا وهي مدينة حسنة الموقع جميلة المنظر تحدق بها البساتين وقد نظَّف الانتداب اسواقها القذرة التي كانت معششة فيها الميكروبات وجراثيم الهواء الاصفر. ويدلُّ اسمها على ارتقائها الى زمن الفينيقيين واليهم ينسب مرفأها وقريبًا من البحر شماليَّ المدينة مدافن فينيقيَّة. ومن آثارها مسجد السلطان ابراهيم ولعلّ الصواب

انَّ فيهِ قبر ابراهيم بن الادهم احد زهّاد المسلمين المتوفى سنة ١٦١ هـ (٧٧٨م) على ما روى ابو الفداء في تقويم البلدان فدعاهُ العامّة بالسلطان

وقد تناوب في ملك جَبَلة بعد الفينيقيين ملوك الساوقيين ثمَّ الرومان ومن آثارهم هيكل على اسم الشمس ثمَّ حَلبةُ رياضاتهم والعابهم الباقية الى يومنا. ثم صارت جبَلة الى ملوك الروم فرمَّم الملك يوستنيان ابنيتها . وكانت حصناً للروم لمَّا فتحها العرب . قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥) :

« وبنى معاوية بجبلة حصناً خارجاً من الحصن الرومي القديم وكان سكّان الحصن القديم قوماً من الرهبان يتعبّدون فيهِ على دينهم فلم تزل جَبَلة بايدي المسلمين على احسن حال حتَّى قوي الروم وانتهزوا ثغور المسلمين فكان فيما اخذوا جَبَلة في سنة ٣٥٧ (٩٦٧م) بعد وفاة سيف الدولة بسنة ولم تزل بايديهم الى سنة ٤٧٣ (١٠٨١ م) . . . فوثب عليها ابن ضليمة قاضي جبلة واستعان بابن عمّار صاحب طرابلس فتقوّى بهِ على مَن جا من الروم فاخرجهم منها . . . ثمَّ ملكها الفرنج سنة ٥٠٢ (١١٠٨م) . . . الى ان استردَّها الملك الناصر صلاح الدين في سنة ٥٨٦ هـ (١١٨٨م) »

وفي السنة ١٦٢٤ تولَّى تدبيرها الامير فخر الدين المعنيّ . . ثم بقيت في ايدي الاتراك الى اواخر الحرب الكونيَّة سقيمةً خاملةً وخصوصاً بعد ان فتك باهلها الهواء الاصفر سنة ١٨٧٥ فتكاً ذريعاً فانقذتها فرنسة من سقمها ولا تزال ساعيةً في تحسين امورها. وللسلطان عبد الحميد فضل في ترميم مسجدها واصلاح حمّامها التي تجري اليها مياه نبع النوّار الذي يقطع المدينة ويمرُّ في المسجد ثمَّ يصبُّ في البحر. والسهول المجاورة لجبلة وافرة الخيرات فيها البساتين الكثيرة الاثمار وفيها يُزرَع تبغُها الشهير المنسوب اليها المعروف بابي ريحة. ولها ايضاً المراعي المتجمة تسرح فيها المواشي وكانت ضرائب الاتراك عليها تبلغ في السنة ١٦٠،٠٠٠ قرش بنيف

﴿ بانياس ﴾ ويدعوها العرب بُلنياس وفي كتب الصليبيين Balanaia او Valenie ، يشتقّ اسمها من اللاتينيَّة (Balanæi) اي الحمّامات كان القدماء يستحمُّون فيها . ولعلَّها بُنيت في ايام اليونان . وكان لها في ايَّام النصرانيَّة كنيسة جميلة وحضر اسقفها المجمع النيقوي (٣٢٥) وهي في سفح جبلٍ فوقهُ حصن مرقب على ساحل البحر تبعد نحو ٢٥ كيلومترًا عن جبلة ولها التربة الخصبة والبساتين الطيّبة ذات الاشجار الوارفة الظلال الجنيَّة الاثمار المفرّدة الاطيار يسير في وسطها

نهر بانياس الذي تنبع مياهه شرقي الطريق على مسافة قريبة من البلدة. عدد سكان بانياس بموجب الاحصاء الاخير ١،٢٨٦ . والمسلمين فيها مسجد. أما النصارى فاكثرهم يسكن في قرية قريبة جنوبي بانياس تدعى مساكين للموارنة منهم فيها كنيسة . ولهم كنيسة اخرى في عين صفراء حيث تكثر مزارع الزيتون

﴿ طَرْطوس ﴾ والاصح طَرَطوس ويقال طرسوس واسمها مشتق من «Antaradus» اي المواجهة لأرواد. هي من المدن الساحلية القديمة موقعها بين بانياس على مسافة نحو ٤٠ كيلومترًا جنوبها وطرابلس على مسافة ٥٠ كيلومترًا شماليًا. اقامها اهل ارواد الفينيقيون بازاء جزيرتهم تسويلًا لتجارتهم وزراعتهم. عُني الامبرطور قنسطنسيوس الاول بترميمها فدعاها باسمه قسطنطينة (Constantina) فحصّنها بسورٍ وقلعةٍ ولها الحدائق المحيطة بها . وقد اشتهرت في ايام الصليبيين بنسوجاتها الصوفية . وعدد اهلها اليوم يبلغ ٣،٣٠٧ كما ثبت بالاحصاء الرسمي

﴿أَرْواد﴾ هي الجزيرة الصغيرة التي تبعد عن البرّ بمسافة كيلومترين جنوبي غربي طرسوس يسكنها ٢،٧٣١ نفسًا وفقًا للاحصاء الاخير. وقد لعبت لرواد دورًا مهمًا في التاريخ كصور وصيداء منذ عهد الفينيقيين وحصلت على استقلال نوعي في عهد السلوقيين فضربت على اسمها النقود وكان لها جسرٌ بينها وبين البرّ وكانت مياه البرّ تجري اليهم بقساطل ما عدا ما يجمعونهُ في آبارهم . واشتهر الارواديُّون خصوصاً بالتجارة البحريَّة وقد خصّ النبيّ حزقيال بالذكر الارواديين فدعاهم (٢٧ : ٨) «قذّافي صور» وقال في نبوّتهِ عن صور (٢٧ : ١١) : «بنو ارواد مع جيشكِ كانوا على اسوارك من حولك والابطال كانوا في بروجكِ وعلّقوا تروسهم على اسوارك هم اكملوا جمالكِ» . وقد حارب الارواديُّون مع اليونان والرومان . وكان لارواد سور مزدوج غاية في المتانة يردّ عنها غارات الاعداء ترى الى اليوم آثارهُ . وكانت ارواد مع صغرها كثيرة السكّان شاهقة البنيان. تدلُّ على عمرانها آثار عديدة من اعمدة واخربة وكتابات يونانيَّة ونقود . وكان لها دار ندوةٍ ويملك عليها ملوك وطنيُّون يسوسون اهلها . ومنهم كان جروستراتوس الذي حارب الاسكندر مع الفرس ثمّ اسرع وترضّاهُ بالهدايا لمّا رآهُ ظافرًا فنال منهُ الامان. ولمّا ملك العرب ارواد خرج منها اهلها وامر معاوية بدكّ حصونها وإحراق ابنيتها . ومذ ذاك الحين قلّ سكّانها وضعف امرها

وكانت تابعة لولاية طرابلس

هذه مدن الدولة العلويّة وأمّا مدنها الداخلية فهي كالقرى نذكر البعض منها ممّا له ذكر في التاريخ

٣ قرى دولة العلويين ذات الشأن

قرى الدولة العلوية ومزارعها تنيف على الالف واكثرها للعلويين وللمسلمين ومنها ما يسكنهُ النصارى كالوارنة والروم وبعضها مشترك بين اهل الاديان المختلفة ومعظم السكّان يرتزقون بالفلاحة والزراعة ورعية المواشي وتربية التوت والنحل وعصر الزيت وليس ما يستحقُّ الذكر بين القرى الّا القليل

فمنها مصياف ويقال مصياد وهي قصبة قضاء العمرانيّة يبلغ عدد اهلها ١٫٧٠٠ نفس مبنيّة في لحف جبل. قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢١٩) «مدينة مصياف هي بلدة جليلة وبها انهار صغار من اعين ولها بساتين ولها قلعة حصينة وهي مركز دعوة الاسماعيليّة وهي في لحف جبل اللكّام الشرقيّ»

وغربي مصياف قرية قدموس بينها وبين بانياس وهي مبنيّة على منعطف جبل في قمّته قصر الاسماعيليين القديم يكشف منهُ الناظر على البحر وعلى جبل لبنان بمنظر فتّان يأخذ بالابصار. وقدموس يبلغ اليوم اهلها قريباً من ٩٠٠ نفس لهم مدير

واعظم منها شأناً قرية صافيتا شرقيّ طرطوس عدد اهلها بموجب الاحصاء الاخير ٢٫٨٤٢ نفساً يبلغ منهم الروم نيّفاً والفين ثمّ الروم الكاثوليك ٤٠٠ والباقون علويّون ومسلمون. وهذه البلدة قد افرغ الكابيتان بيزلّا (C^ne Pisella) وسعهُ في اصلاحها وتزيينها ففتح فيها الطرق وغرس الاشجار وجهّزها بالنور الكهربائي وبالتليفون وبمحطّة للسيّارات وفي صافيتا معمل حرير للوجهاء البيروتيين فرعون وشيحا يُصطنَع فيه كل سنة نحو عشرة آلاف كيلو من الحرير. وفي صافيتا والقرى المجاورة يشتغل الاهلون الطنافس الشهيرة (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٨٨٥)

وفي صافيتا كنائس قديمة منها كنيسة على الطرز اللاتيني هي اليوم في ايدي الروم. امّا الروم الكاثوليك فهم يُمنَون حاضراً بابتناء كنيسة جميلة كان باشر بها الطيب الذكر المطران يوسف الدوماني ويسعى سيادة خلفهِ في انجازها

وقريباً من صافيتا قرية كفرون معظم اهلها من الموارنة الاتقياء . ولراهبات قلبي يسوع ومريم فيها مدارس زاهرة . وبجوارها قرية دريكيش التي فيها مياه معدنيَّة شبيهة بمياه فيتل (Eaux de Vittel) الشهيرة في فرنسة

ومن القرى الحربيَّة بالذكر تل كلخ على ممرّ السكة الحديديَّة بين حمص وطرابلس . في شرقيها في البقيع وقعت المعركة بين الفيصليين ودولة الانتداب سنة ١٩٢٠ . ومن مآثر الجنرال بيليوت (Gal Billote) ثم خلفه المسيو كيلا (Cayla) فيها وفي كلّ جهات دولة العلويين الطرقات التي فتحها حتى تسهَّلت المعاملات وراجت الاسواق وتحسَّنت احوال البلاد

٤ الآثار القديمة في دولة العلويين

كانت ارض العلويين ممرًّا لغزاة الشعوب الذين قصدوا فتح بلاد الشام وسواحلها سواءاتوا من جهات العراق ام زحفوا اليها من آسية الصغرى اومن مصر فاستولوا عليها تباعاً من بابليين ومصريين وماديين ويونان ورومان وعرب . على انَّ الأيام ذهبت بكثير من آثارهم فبقي منها القليل الزهيد وها نحن نذكر منها البعض ممَّا وقفنا عليه

﴿الآثار المصريَّة﴾ انَّ ما ثبت للأثري الفاضل المسيو مونتيه عن قدم المواصلات بين دولة الفراعنة ومدينة جبيل يصدق ايضاً على انحاء الدولة العلويَّة ولاسيما عن سواحلها فانَّ رينان في بعثة فينيقية ذكر آثارًا حسنة من العاديَّات المصريَّة وجدها في جزيرة ارواد وفي طرطوس وعمريت

منها كتابات هيروغليفيَّة في ارواد ذكر فيها الفرعون بسماتيك الاوَّل . ومنها تماثيل ودُمًى ورموز مصريَّة على آنية من المرمر الشفَّاف تمثل ابا الهول والحيَّة السلطانيَّة (uræus) التي كانت تجعل فوق تاج الفراعنة . وفي طرسوس وُجدت آثار دينيَّة من معبودات المصريين . وفي عمريت وقفوا على تمائم وحليّ وأثاث عليها علائم مصريَّة بينها كُرةٌ ذات تاج حولها حيَّات يعلوها قرصٌ مجنَّح

وكذلك ورد بين الآثار المصريَّة ذكر قلعة شبتونة في عهد رعمسيس الثاني . وقد تحقَّق ارباب العاديَّات المصريَّة انَّها سبقت الحصن المعروف اليوم بحصن الاكراد الذي جدَّد بناءهُ الفرنج الصليبيُّون

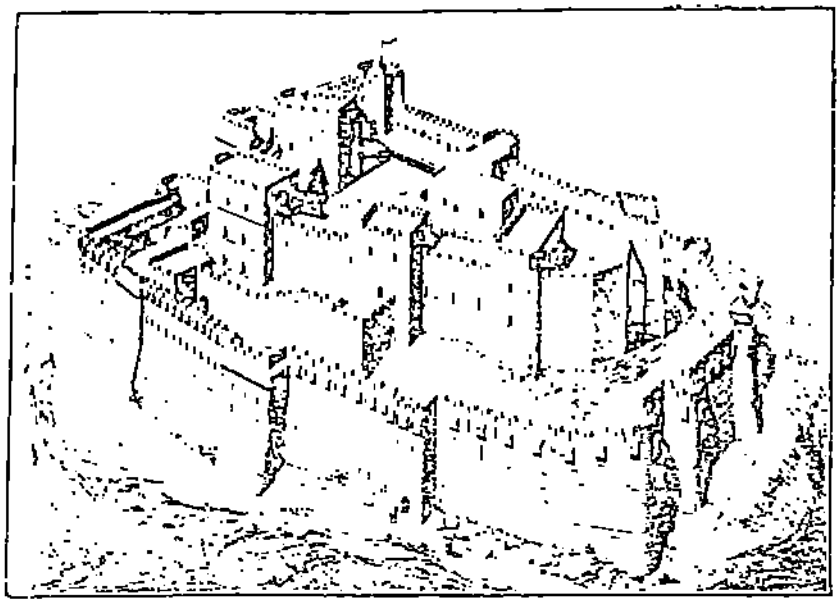

قلعة الحصن وابنيتها القديمة

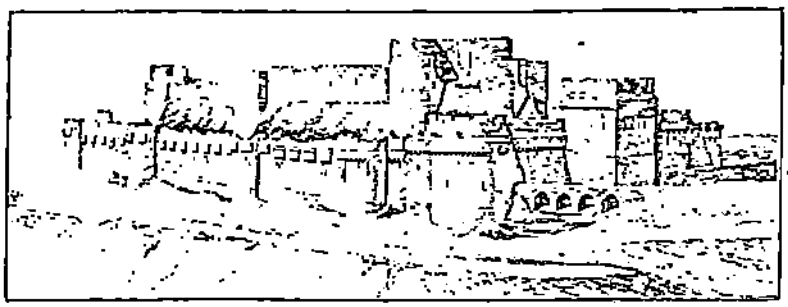

قلعة الحصن في حالتها الحاضرة

LE KRAK DES CHEVALIERS AUTREFOIS ET AUJOURD'HUI

D'APRÈS G. REY

﴿الآثار الفينيقيَّة﴾ هي كثيرة في بلاد العلويين . منها مدافن قديمة كمدفن اللاذقيَّة ومدفن جبلة بعضها منقور في الصخر على صورة اجران فيها آثار كزجاجات المدامع وخزفيَّات وبعضها كآبار يُضجعون فيها الميت . ومن اعظم هذه المدافن مدافن اللاذقية المنحوتة في وسط الصخور على مسافة نحو كيلومتر

ومن آثار الفينيقيين في ارواد وفي بعض الحصون صهاريج محكمة البناء ثمَّ ابنية شتى ذات حجارة ضخمة واعمدة وسوار . وكذلك آثار دينيَّة من معبودات الفينيقيين كتماثيل «عشترت» وانصبة ومقادس كانوا يجعلون فيها عرش «الإلهة السورية» كما في عمريت في بنائها المعروف بالمعبد ذي الآثار الجليلة الباقية الى يومنا

ومنها ايضاً هيكل بتوقيقي (Bœtocécé) الفينيقي الذي يُعرَف بحصن سليمان لا تزال منهُ بقايا صالحة يزورها السيَّاح شرقي شمالي صافيتا وشمالي المشتى

وفي شمالي دولة العلويين آثار هيكلين آخرين مَرْيمين وصهيون وُجدت فيهما مصنوعات دالَّة على العبادة الفينيقية

﴿الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة﴾ الآثار الرومانيَّة تتألَّف خصوصاً من ابنية كانوا يشيدونها لزينة البلاد او لاكرام معبوداتهم كالهياكل والمسارح والقصور الفخمة تشهد على جمالها الآثار التي صبرت على آفات الدهر كما سبق

ومن الآثار اليونانيَّة والرومانيَّة ما عددٌ لا يُحصى من الكتابات العاديَّة بعضها وثنيَّة وبعضها نصرانيَّة وبينها كتابات مدنيَّة نشرها الاثريون كطومسون ورينه دوسو وحضرة الاب لامنس على كثير منها تاريخ السلوقيين . وأمتع هذه الكتابات ما ورد فيها شيء من الآثار النصرانيَّة فتارةً يُذكر فيها اسم «السيد المسيح ابن الله» وتارةً يلتجئ الى قدرته بعض المحتاجين وحيناً يستفاد منها اسماء بعض اعيان الازمنة الخالية من اساقفة وكهنة ومؤمنين . وحيناً آخر تشير الى نذور وتقادم الى بعض اولياء الله كالقديس جاورجيوس وغيره . ومع هذه الكتابات الرموز النصرانيَّة المعروفة كالصليبان وبعض الطيور الرمزيَّة كالحمامة والطاووس وبعض النقوش كالانجير وسعف النخل الخ

﴿آثار الصليبيين﴾ هي كثيرة واخصُّها القلاع المحصَّنة التي شادوها لصيانة البلاد من هجمات الاعداء . نذكر منها اخصَّها . لمَّا دخل الصليبيُّون بلاد الشام في اواخر

القرن الحادي عشر وقعت كل املاك الدولة العلويّة تحت حكمهم وبقيت في ايديهم الى اواخر القرن الثالث عشر الّا بعض السنين كان المسلمون يستولون عليها وخصوصاً في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي

وكانت اوّل آثارهم ان حصّنوا المدن الساحلية في وجه اعدائهم ففتحوا المرافئ او اصلحوها وبنوا لها البروج للدفاع عنها . وكثير من هذه الاستحكامات لم يقوَ الزمان على دكّه الى عهدنا هذا كما ترى في بانياس وجبلة

واعزّ من هذه الابنية الحصون الحربيّة التي بنوها على حدود بلاد العلويين قريباً من النهر الكبير فجعلوها سلسلةً متقاربة بحيث لا يستطيع احدٌ يلحق بها ضرراً

فمنها (قلعة الحصن) التي كانت في عهدة فرسان القديس يوحنّا المعروفين بالاسبيتلار وكان اسمها (Krac des Chevaliers) كانت من احرز الحصون تحميها البروج وعلى جوانبها الحجارة المنحوتة على هيئة منعطف لا يستطيع الجنود ان يرقوا اليها الّا بشقّ النفس وحولها الخنادق العميقة . وكان لها سوران يحدقان بها . وقد استولى عليها السلطان بيبرس سنة ١٢٧١

ومنها (قلعة مرقب) وكانوا يدعونها Margat وهي على قمّة جبل مشرف على بانياس كانت واقعة في ملك امير انطاكية ريموند فأقطعها فرسان مار يوحنّا السابق ذكرهم سنة ١٢٠٧ وكانت من احرز قلاع الصليبيين ذات سورَين متينَين تحرسها بدَنة مفروشة بالبلاط وعدّة ابراج وفي اسفلها صخور ضخمة وكانت هندستها هندسة الحصون الواقعة جنوبيّ فرنسة ممزوجة بالهندسة البوزنطيّة وكان في وسطها معبد واسع مربّع مستطيل يأخذ بجوامع القلب مع بساطته تزينهُ الاعمدة الضخمة . وفي هذه القلعة توفّي ملك الروم اسحاق كومنان سنة ١١٩٥ وكان ريشارد ملك انكلترّة اسرهُ وسلّمهُ لفرسان المرقب . وحاول صلاح الدين وغيرهُ من ملوك المسلمين ان يفتحوا هذه القلعة فاعجزتهم الى ان سلّمها الفرسان للسلطان قلاوون سنة ١٢٨٥ فخرجوا منها بالامان

ومنها (برج صافيتا) شرقيّ جنوبي ارواد كان الصليبيّون يدعونهُ القصر الابيض (Chastel-Blanc) كان يحميهِ فرسان الهيكل وموقعهُ على جبل بين واديين على علوّ ٢٣٠ متراً فوق سطح البحر كان من القلاع التي لا تُنال لوفرة استحكاماتها

المدرَّجة حول جبلها . كان بُناتها الهيكليُّون حذوا في تشييدها حذو البوزنطيين فبنوا لها سوراً مخمَّس الزوايا كثير البروج المربَّعة عميق الخنادق. فتحها الملك الظاهر بيبرس سنة ١٢٧١ فاسر حُماتها وكانت أُصيبت قبل ذلك ببعض الخراب في الزلزلة التي دهمت سواحل الشام سنة ١٢٠٢

وفي دولة العلويين ايضاً (قلعة صهيون) يدعوها الفرنج Saone في جبل داريوس شمالي شرقي اللاذقيَّة كان امراء انطاكية حفروا حولها خندقاً يبلغ عمقهُ ثلاثين متراً في عرض ١٢م وكانت ثلثة اسوار محدقةً بها وباطنها مجهَّزاً بكل عُدَد الحرب. اخذها صلاح الدين عنوةً سنة ١١٨٧ . وقد صبر قسم كبير من سورها وابراجها على الزمان الى يومنا

وللصليبيين قلاع اخرى دون السابقة في الدولة العلويَّة كيحمور وكوابي وكهف وقلعة بني اسرائيل وعُلَيقة مما تدلّ آثارها على شدَّتها

ولهم ايضاً الابنية الدينيَّة منها بيعة السيدة في طرسوس كان الصليبيُّون اقاموها في مكان بيعة اخرى قديمة ينسبون بناءها الى اوائل النصرانيَّة وكان المسيحيُّون يتقاطرون الى زيارتها . فلمَّا فتح صلاح الدين طرسوس أخرب منها جانباً لكن قسماً كبيراً منها لا يزال سالماً فعُني سنة ١٩٢١ المسيو أنلار (M' Enlart) بدرس آثارها والتنقيب عن خواصّها الهندسيَّة كما انهُ خصَّ بنظره بناء دير البلمند فكتب عنهُ فصولاً شائقة ونشر صورهُ المتقنة وكان في أيام الصليبيين ديراً للرهبان البندكتيين

ومن هذه الآثار الدينيَّة ايضاً دير مار جرجس حميراء للروم الاورثذكس فانَّ كنيستهُ على اسم القديس فوقا اقامها الصليبيُّون وفيها من اعمال الهندسة والنقوش الجميلة التي الفتت انظار حكومة الانتداب فاهتمُّوا بامرها . وقد سبق لنا ان كنيستهم في صافيتا هي ايضاً اثرٌ صليبيٌّ وكانت على اسم رئيس الملائكة ميخائيل

٥ العناصر والاديان في الدولة العلوية

قد سبق ذكر الاحصاء الذي توأت تنفيذهُ الحكومة الفرنسويَّة في الدولة العلويَّة

ولا حاجة لوصف النصارى ودينهم فسواء كانوا هناك من موارنة ام روم كاثوليك او اورثذكس فانَّهم حريصون على دينهم عائشون بالوفاق والوئام شاكرون لفرنسة همَّتها في ترقية امورهم وتحسين زراعتهم وصناعتهم . ويؤملون انَّ ما يختبرهُ

الكومندان بيشون (C^nt Pichon) لزراعة القطن يفتح لهم باباً جديداً للارتزاق

واما البروتستانت فليس لهم من النفوذ في الدولة العلويَّة الّا بما ينفقونهُ من المال الوافر ليتقصوا به بعض المحتاجين لاسيما مهاجري الارمن . والبروتستانت هناك كما في غير امكنة من شيع منقسمة

اما المسلمون فمعظمهم في مدن الساحليَّة وفي بعض القرى لاسيَّما الجنوبيَّة يقوم بامرهم شيوخ ملّتهم

اما ﴿النُّصَيريون﴾ فعنصرهم هو الغالب على الدولة العلويَّة ويمتازون عن المسلمين بعدَّة امور ولاسيما بتعظيمهم لعليّ بن ابي طالب فيتَّخذونهُ كزعيم ملّتهم ويكادون يعتبرونهُ بمنزلة الاله ويقرنونهُ بمحمَّد بن عبدالله وبسلمان الفارسي فيجعلونهم كنوع من الثالوث ويختصرون اسماءهم بلفظة عمّس

والرأي الغالب بين العلماء في عهدنا ان منشأهم كان في العراق في القسم الثاني من القرن التاسع للمسيح بدعوة محمَّد بن نُصَير احد غُلاة الشيعة ثمّ بتدبير احد تبعته المسمَّى الحسين بن حمدان الخصيبيّ فانتشروا في جبال اللاذقيَّة وابتنوا الحصون الحريزة فجرت بينهم وبين الاسماعيليين ثم مع المسلمين في عهد المماليك حروب دامية : ولمَّا احتلَّ المصريُّون بلاد الشام اخرب ابراهيم باشا قلاعهم فأخلدوا الى السكينة الّا عُصَباً منهم متفرّقة كانوا يتعاطون اللصوصيَّة

والنصيريَّة فِرَق : الشماليَّة او الشمسيَّة في شمالي جبل النصيريَّة يعبدون الشمس . والكلازيَّة او القمريَّة يعبدون القمر . والكلبيَّة يعبدون الحيوان . والغيبيَّة عَبَدة الهواء . يضمرون تحت هذه الرموز عبادة عليّ بن ابي طالب . ولهم شيوخ يختلفون رتباً اعظمهم الإمام ثمّ النقيب ثمّ النجيب يتولَّون صلواتهم واعيادهم ومحافلهم . ولهم كتب سرّيَّة لا يُطلعون عليها احداً من الغرباء ولا من نسائهم ويزعم البعض ان اسرارهم لا تخلو من المنكر . وبينهم كما بين الدروز طبقة العقَّال وطبقة الجهَّال ويقولون مثلهم بتناسخ الارواح

وقد دخل في دينهم شيء من المعتقدات النصرانيَّة واعيادها واوليائها كعيد الميلاد وعيد الغطاس والشعانين والعنصرة وعيد القديسين يوحنَّا المعمدان ويوحنَّا فم الذهب ويتناولون في مجتمعاتهم الخبز والخمر ويدعون اولادهم باسماء نصرانيَّة . فحمل

كلّ ذلك بعض الكتبة الى القول باصلهم النصراني

وليس لهم مع هذا معابد للصلاة الّا خلوات صغيرة مقبّبة تُرى في اطراف قراهم يجتمعون فيها لمناسكهم . وحاضرتهم مصياف فيها امامهم.

وفي الدولة العلويّة كما رأيت عنصر آخر وهم ﴿الاسمعيليّون﴾ فرقة باطنيّة كانوا في الاصل مع النصيريّة فرقةً واحدة ثمّ انقسموا الى قسمين يعادي كلّ منهما الآخر. والاسمعيليّون ينتمون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وهو سابع ائمة العلويين . كانوا في جهات فارس فتفاقم امرهم فحاربتهم الجيوش الاسلاميّة فهربوا من وجهها وتسرّبوا الى جبال انطاكية ومنها الى جبل السمّاق ثمّ جبال النصيريّة وتمكّنوا من فتح بعض قلاعها بمساعي احد زعمائهم المدعو عبدالله بن ميمون فغلبوا النصيريّة وتحصّنوا في قلعة قدموس ثم في مصياد وكهف ورصافة وبارين وعُرف رئيسهم بشيخ الجبل كان يُسكر تبعتهُ باكل الحشيشة فيدفعهم الى كلّ المنكرات فأطلقوا عليهم اسم الحشاشين الذي اشتقّ منهُ الفرنج كلمة Assassins اي القتلة لكثرة من اغتالوهم وفتكوا بهم . ثمّ اجتمع عليهم المسلمون في عهد مماليك مصر فكسروا شوكتهم . ثمّ قام عليهم النصيريّون فأذلّوهم . وقد بقي منهم القليل في عهدنا في جبال النصيريّة ويُتهمهم العموم باقتراف المحرّمات في اجتماعاتهم السرّيّة

٦ اخلاقهم

انّ انقطاع اهل الدولة العلوية عن مراكز الدولة الراقية كان مؤثّرًا في اخلاقهم وان استثنيتَ منهم النصارى الذين كانوا كالارقّاء في جوارهم كان الغالب عليهم الإباء والأنفة والجور لا يردعهم رادع الّا اذا طاردتهم الجيوش المنظّمة وأعملت السيف في رقابهم . وتساعدهم على نفورهم جبالهم الشاهقة ومنافذها الضيّقة وحصونها المنيعة . على انهم بعد واقعة البقيع وخضوعهم للدولة المتدبة ادركوا ما لفرنسة من الفضل على بلادهم وهم اليوم مسالمون خائفون لهم من الحقوق ما لدولتي دمشق وحلب . ويصحّ ذلك على البكوات والأغوات المسلمين الذين كانوا متصفين بالسلطة والتغلّب يغصبون اموال الناس ويظلمون القرويين ويسخّرونهم لاشغالهم قسرًا . منهم الدنادشة والزعبيّة والتركمان ويسكن اكثرهم في جنوبي الدولة العلوية في تل كلخ

ومشتى لهم المنازل الفخمة والجياد الكريمة لاسيما جنسها المعروف بالصقلاوي . ولهم عناية كبيرة في تربية الخيل

والنصيريون ذوو نشاط يرتزقون بالفلاحة وفي اراضيهم الاراضي الطيبة تأتي بالمواسم من الحبوب والبقول والفواكه لكثرة المياه الجارية من جبالهم . وتزكو في املاكهم اشجار الزيتون والكروم. ويبلغ محصول الحرير نحو ٢٠،٠٠٠ كيلو غرام. ويُنتج السجّاد في بعض قراهم كرارا

امّا العيشة الروحية فهي قليلة الانتشار بينهم ولم يكن لهم المدارس لتهذيب اخلاقهم الّا بعض المكاتب الابتدائيّة واكثرها للنصارى والمسلمين . والحكومة الفرنسويّة مهتمّة في سدّ هذا الخلل فأنشأت في انحاء البلاد بعض المدارس على نفقتها تؤمل من المتخرّجين فيها خيراً لبلادهم . ويثني الناس على مصري زاده برهان الدين بك الذي اصدر مجلّة «العَلَوي» المعتدلة في اللغتين العربيّة والفرنسيّة

وللاهلين في بلاد العلويين عادات تفرّدوا بها تختلف لكلّ قوم منهم في اطوار حياتهم من مولد وزواج وجنازة ففي افراحهم يُركبون المواكب وينشدون الاناشيد ويتغنّون بالاهازيج ويوقدون النيران ويطلقون السلاح ويغالون بالمظاهرات والالعاب وركض الخيل والجريد وضروب حركات الفروسيّة والشهامة . وفي مناحاتهم يعظّمون المصاب ويشيّعون الجنائز بما تلهمهم الاحوال . ويحتفل الزعبيّون في جنائزهم احتفالاً عظيماً فينشرون أعلام الطريقة القادريّة التي يتبعونها فيمشي أمامها المشائخ القادريّة وهم يضربون طبولاً صغيرة ودفوفاً وصنوجاً ويتغنّون بالاغاني الشجيّة ثمّ يزور الاقارب قبر الميت مدّة ثلاثة ايّام صباح مساء .

وبلاد العلويين طيّبة الهواء ولاسيما في اواسطها وشمالها والحرارة فيها معتدلة وفي الشتاء تنزل على جبالها الثلوج وتكثر فيها الانواء وتتناوب عليها الارياح الغربيّة في الربيع والصيف والارياح الباردة الشرقيّة من تشرين الاوّل الى اواخر آذار

والاحوال الصحيّة حسنة بالاجمال الّا في جهات الجنوب فتفتك بها الحمّيات والجدري . وفي أبّان الحرب أصيبت بالمجاعة فذهب عدد عظيم من الاهلين ضحيّتها

والعيشة في اراضي العلويين ساذجة هنيئة يقتنعون بما رزقهم الله ويجهلون البذخ والتهتّك ويسكنون في بيوت بسيطة سطوحها مرصوصة بالحجارة وداخلها قليل

المنافذ وجدرانها خالية من الطلاء . وبعضها اشبه باكواخ منها بمساكن بشر . الّا قصبة صافيتا فانّ اهلها النصارى احرص على النظافة والعيشة المنتظمة وهم بالاجمال ارفع وارقى من النصيريين وعلى الاخصّ الروم ارباب الثروة في تلك الانحاء

والقوم بالاجمال يشكرون فخامة الجنرالين غورو وفيغان لعنايتهما الخاصّة بالدولة العلوية

ما هو رأينا في الشعاع المحرق ؟

لحضرة الاب يوسف بلسّبوا اليسوعي احد اساتذة مدرسة المتاسة الفرنسوية

قد كثر قبل بضعة اسابيع القال والقيل بين العموم في شأن شعاع جديد توفّق الى اكتشافهِ على ما رُوي عالمٌ انكليزي اسمهُ غرنْدل ماتيوس (Grindell Matthews) فطنطنت بهِ الجرائد وعظّمتهُ . ولا غرو اذ ينسبون اليهِ اكتشاف شعاع مُحرق لعلّهُ يُضاهي اكتشاف عالم انكليزي آخر الدكتور هربرت ج . ولس (H. G. Wells) الزاعم بوجود سكان في القمر

يقولون ان الشعاع المذكور وهو احدى آفات الجحيم يقوى على ان يوقد البارود وان يوقف محرّكاً للادوات المنفجرة وان يشعل مصباحاً مشعًّا وان يقتل فارةً وكلّ ذلك من مسافة بعيدة . فكان لهذه المفاعيل العجيبة تأثير عظيم على مخيّلة العموم فيزعم البعض انّ الطيّارات سوف يُذيبها في وقت الحرب هذا الشعاعُ المحرق وان البوارج البحريّة سوف تلتهب وتتلاشى فجأة بالانفجار لا بل سيُفني جيوشاً برّارة دون ان يُسمَع لهُ صوت القذائف او صدى المدافع . فلا ريب انّ كثيرين من القرّاء عند وقوفهم على مفاعيل الشعاع المحرق ارتعدت فرائصهم لدى ذكرها

ذلك ما تناقلتهُ الجرائد وشاع على ألسنة العامّة والعامّةُ كما هو معلوم يتهوّسون لدى استماع مثل هذه الغرائب وتهيج مخيّلتهم بروايتها فيزيدونها غرابة . على ان العلماء لا يتلقون لمثل هذه الاخبار وينتظرون ريثما يوقفهم المكتشف على اختراعهِ فيبرون غورهُ ويبحثون بحثاً تعمّقاً في سوابقهِ ولواحقهِ ويرون رأي العيان صحّة ما يدّعيهِ

المخترع الّا انهم يعلمون حقّ العلم انّ مثل هذه الاكتشافات وان كانوا لا ينكرون إمكان وقوعها لا تحصل على بغتة وانّما هي ثمرة اختبارات متعدّدة وابحاث طويلة تنتضج في وقتها وتأتي مكلّلة لساعٍ متواصلة ودروس عميقة . والدليل على ذلك انّ الاكتشافات الكبيرة كادت تظهر لعالم الوجود في انحاء مختلفة دون اتّفاق سابق بين ارباب البحث في تمريقها لاتجاه فكرة كثيرين اليها

وبناء على ذلك حاول احد علماء مكتب السوربون في باريس المنوط بقسمه المختصّ بالعلوم الطبيعيّة ان يبحث في كلّ ما يُعرَف في الوقت الحاضر من المعلومات الراهنة التي توهّمنا لاكتشاف شبيه باكتشاف المستر غرندل ماتيوس المزعوم . فسرّح النظر في مجموع الاشعّة المكتشفة الى اليوم تباعاً اوّلها تموّجات الدكتور هرتس ثم الاشعّة التي دون الاحمر وبينها الطيف المنظور (وهو لا يصحّ عن شعاع المستر ماتيوس غير المنظور) ثم الاشعّة الواقعة ما وراء البنفسجيّ واخيراً اشعّة رنتجن . فتساءل عن ايّ من هذه الاشعّة تستطيع ان تبرز تلك المفاعيل الغريبة التي يدّعي بها الطبيعيّ الانكليزي

وهنا لا بُدّ من نفي الاشعّة الهرتسيّة لأنها هادئة لا تأتي بعملٍ مؤذٍ ونحن اليوم في وسطٍ تخترقهُ من كلّ جانب اشعّة هرتس المرسلة في الجوّ من مئين من المراكز ولا احد قد تأذّى منها البتّة بل لا نشعر بها . فان كان اكتشاف المستر ماتيوس متوقّفاً عليها لا بُدّ من جمعها وتصويبها الى نقطة معلومة وكلّ ذلك يستدعي تجهيزات سابقة وادوات عديدة غاية في التنظيم والتدقيق

ولعلّ المستر غرندل قصد بشعاعه المحرق الاشعّة التي دون الاحمر فهي اذا امتزجت باشعّة الشمس تستطيع عن بُعد ان تسبّب الحريق . قلنا انّ هذا الامر ليس بمجهول لان ارخميدس الطبيعيّ اليوناني الشهير تمكّن بها على احراق اسطول الرومان اذ كانوا يحاصرون مدينة سيراقوسة . فيَجِبُ انّ اشعّة ارخميدس تستطيع ان تسبّب حريقاً ولكنّها تعجز عن القتل الوحيّ كما يزعم المستر ماتيوس ما لم يقل انّ شعاعهُ بقتل الفارة بحرقها

وان قيل انّ الشعاع المحرق من صنف الاشعّة الواقعة وراء البنفسجيّ . قلنا انهُ قد ثبت بالاختبار انّ لهذه الاشعّة تأثيراً في جهاز الجسد يكون تارةً مفيداً نافعاً كما

يصحُّ في علاج فقر الدم والسَّقم وتارةً مؤذياً ضارًّا كما يجري للمصابين بضربة الشمس. ولكن اين ذلك مما ينسبهُ المستر ماتيوس الى شعاعهِ من القتل الفاجئ حتى ولو كان القتيل فارةً

فبقي الشعاع المجهول الذي يُنسب الى رُنتجن (Rayons X.) أفليس من المحتمل انَّ المفاعيل التي يدَّعيها الطبيعيّ الانكليزي ناتجةً عن هذا الشعاع؟ وان صحَّ ذلك وقفنا على سرّهِ المكنون. ومما لا يُنكَر ان اشعَّة رنتجن لا تستطيع رأساً ان تأتي بالنتائج التي ذكرها المستر ماتيوس وانَّما تستطيع ذلك بالتوسُّط فانَّ اشعَّة ماتيوس باجتيازها في الهواء تكهربُهُ فتجعلهُ بذلك قديرًا على نقل مفاعيل شتى اذ يحصل هناك مجرًى كهربائيّ لا يستحيل عند اشتدادهِ ان ينقل الى مسافة بعيدة ليس فقط تأثيرات شبيهة بما وصفهُ المستر غريندل لا بل مفاعيل أُخرى غير التي رواها

فالمرجَّح اذن عندنا ان الطبيعيّ الانكليزي لم يكتشف شعاعاً جديداً وانَّما اتَّسع في درس اشعَّة رنتجن وبيَّن بعض مفاعيلها الخصوصيَّة الممكنة. ومن ثمَّ لم يبقَ سبيل لاضطراب الجمهور وقلقهِ اذ تصوَّروا انَّ هذا الاكتشاف سوف يقلب ظهرًا لبطن احوال الحرب بنسف ادواتها وقتل محاربيها

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تابع)

وروى الدويهي في تاريخ الازمنة انه في سنة ١٦٠٧ انهارت جدران قلعة اهدن الى الارض وسقط البرج القبلي الذي كان فيه كنيسة فاعتنى الاسقف عميرة مع اولاد القرية بتشييد السور البرّاني وطيَّنوا القبو الجواني وكرسوه على اسم السيدة »

ومما سعى فيه عميرة في مدة اسقفيته ادخال الحساب الغريغوري في طائفته كما روى عنه كل مؤرخيه وقد نال الطائفة ضيق كثير من جراء ذلك خصوصاً في حلب ودمشق

وقد عثرنا على كتابة حرّرها المطران بطرس العاقوري (١ في بعلبك في بيت الشدياق مخائيل بن الياس على انجيل نسخ سنة ١٨٠٣ يونانية (١٤٩٢م) في قرية حدشيت في «جبل لبنان» من يد يوحنا حـ مدمسلا مصحح من حدشيت وهاك ما جاء فيها بحرفه اثبتناه لئلا تفوت فائدته وموضوع الكتاب ادخال هذا الحساب الغريغوري في الطائفة المارونية:

« انه لما كان تاريخ ١٦٠٥ اشترا هذا الانجيل المقدس الشدياق مخايل بن الياس يعرف بابن الشدياق من محروسة بعلبك بثمن ٧٢ غرشاً من القس مخايل البشراني النصف منه والنصف الآخر من مال الجماعة الموارنة الكاثوليكيين التابعين الكرسي البطرسي وتحت امر البابية الاطهار وهو وقف مخلد اوقفه المذكورون اعلاه الى كنيسة بعلبك المعروفة بستنا السيدة بجارة الموارنة صدقة عنهم وعن والديهم وعن اولادهم . وكان كتبة هؤلاء الاحرف نهار الاربعاء في ٢٥ من حزيران ١٦٠٦ . وفي تلك السنة امر قدس سيدنا البطريرك كل طائفة الموارنة ان يعيدوا عيد الرسل مع اخواننا الافرنج كما عيّدوا اولاد الكنيسة وعيدت اهل البلاد كلهم نهار الخميس قبل عيد الطوائف بعشرة ايام: جبة بشري وطرابلس والعاقورة وبلاد جبيل والبترون . وباقي البلاد ما كان وصل لهم خبر عيدوا مع الطوائف وصار خلف بين الطوائف على هذا الامر »

وفي ٢٦ آذار ١٦٠٨ انتقل الى راحة الصالحين البطريرك يوسف الرزي بعد ان أدى لطائفته خدمات جليلة مدة احدى عشرة سنة وكان له دالة على يوسف باشا سينا فنال منهُ اوامر مختلفة مآلها ان لا يُعارض الموارنة في تغيير حساب الصوم والاعياد ولا في امورهم الدينيّة واحوالهم الشخصيّة . واما تعلقه بالكرسي الرسولي فيدلك عليه ادخاله بعض عادات اللاتين في طقس الموارنة الغاها البابا بولس الخامس فيما بعد

ولم يتمّ عقد المجمع الانتخابي في اليوم التاسع بعد وفاة البطريرك كما جرت العادة بسبب اضطراب الاحوال فاستمرّ الكرسي البطريركي فارغاً تسعة اشهر اي الى ١٦

١) هو المطران بطرس بن حلبب العاقوري انتقل الى رحمة الله في قرية البادية ١٦٠٦ ونقلت جثته الى دير جرجس بيروت ودفنت فيه وكان حسن النيرة كثير العبادة صنّف مدائح كثيرة على لحن العرب (الدويهي تاريخ الازمنة)

ت ١ الذي فيه انتخب يوحنا بن مخلوف الهدناني بطريركاً باتفاق الآراء كما جاء في العريضة التي سنذكرها بُعَيد هذا ولولا ظروف ألمحت اليها بعض الرسائل لانتخب المطران جرجس عميرة

اما البطريرك الجديد فاثبته البابا بولس الخامس سنة ١٦٠٩ واوعز الى الكاهن غسبار القبرسي ان يسلمه براءة التثبيت والدرع لان البطريرك عيّنه لذلك وكان ذهب الى رومية بامر البطريرك القس جرجس مارون (١ والقس الياس بن الحاج حنا (٢

---

١) جرجس بن مارون الهدناني ارسله البطريرك يوحنا مخلوف سنة ١٦٠٨ الى رومية لطلب التثبيت مع الخوري غسبار القبرسي والقس الياس بن الحاج حنا والشماس يوسف الكرمداني استصحب ١٣ تلميذاً للمدرسة الرومانية. عاد في السنة التالية ثم سيم اسقفاً على قبرس ١٦١٤ وكانت إقامته في الجزيرة قليلة لان البطريرك كان يعهد اليه بامور كثيرة فانه عاد فارسله الى رومية سنة ١٦١٩ ثم ١٦٣٣ . سعى بعقد معاهدة بين الامير فخر الدين وغراندوق توسكانا والبابا بموجبها تعطى القدس للغراندوق ويُجعل تاديو باربريني ملكاً لقبرس. وله اجتهاد مشكور في نسخ الكتب الف كتاباً في انساب عيال لبنان (فقد) . انتقل الى دار البقاء في اوائل سنة ١٦٣٦ . اطرأ صفاته جبرائيل الصهيوني.

٢) القس الياس بن الحاج حنا عم البطريرك اسطفان الدويهي بن بولس الاهدني من عائلة الصراصرة كان رجلاً عابداً ذا غيرة في امور الدين ربي في دير قزحيا ثم ارسل الى القدس حيث اقام مدة عشرين سنة. ارسله البطريرك مخلوف الى رومية مع الوفد لطلب التثبيت عاد في اواخر سنة ١٦٠٨ ثم اعتنى مع يوسف الكرمداني بنسخ الكتب وتنقيحها. ولما كان كاهناً اخذ منشوراً من البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني وجمع دو والقس يوحنا بزعيني المعروف بالارمني مالاً من الطائفة لشراء محل في القدس فتوفق الى ذلك في سنة ١٦٢٢ التي فيها ذهب القس الياس المذكور وابن خاله القس انطونيوس بن ابرهيم الاهدني الى القدس واشتريا دار لأزّي في محلة النصارى من اولاد حنا بن يعقوب الكسار الماروني الذي كان ترجمان دير صهيون في محلة الرحبة بالقرب من كنيسة مار جرجس الخضر ثم اشترى ايواناً كبيراً من رجل سريانى يعرف بابن الراهبة بـ ١٢٠ غرشاً واضافه الى دار الأزّي واشترط ان يقدم من ريعه مقداراً معيناً لقبر المسيح عن نفس الواقف. وخدم موارنة حلب مدة وفي القدس نسخ الانجيل ورسائل القديس بولس في شهر آب سنة ١٦٢٠ . واتخذه دو شطويل مرشداً له واثنى على صفاته الكهنوتية كاتب سيرة هذا الحبيس . له زجليات في الكرشوني في مار يوسف البار وتاريخ الطائفة في مكتبة باريس (مخطوط ٢٧٥ سرياني) . سامه عميرة اسقفاً ١٦٣٨ على اهدن وحلب فتح سوق الدامة في زغرتا واضافه الى الكنيسة وفي سنة ١٦٥٢ زار موارنة قبرس للتثبيت ورسامة القسوس وسعى بتسفير الدويهي الى رومية وتظن انه هو الذي سعى به لدى نائب دمشق سنة ١٦١٤ بسبب تنبير الحساب : توفي سنة ١٦٥٩

ويوسف الكرمسداني . وقد سلّم اليهم البطريرك ١٣ تلميذاً للمدرسة الرومانية ليوصلوهم اليها امنين

ونعرف عن المطران عميرة في تلك الايام ان كثيرين كانوا يزورونه ليستنيروا بعلمه ويطلبوا مساعدته في اعمالهم وكان هو يغتنم كل فرصة ليعرب للكرسي الرسولي عن شديد تعلقه ويبسط لهُ حالة رعيته ويصف اتعابهُ والمصاعب التي تكتنفه ، من ذلك عريضة الى الحبر الاعظم ارسلها مع الراهب الكرملي الاب فنشنسيوس (منصور) الملقب بالقديس فرنسيس فاطلع عليها قداسته وبعث اليه رقيماً في ١٠ تموز ١٦١٠ اليك ما جاء فيه :

« تلونا رسالة اخوتك واصغينا الى ما عرضهُ ولدنا الحبيب والكاهن الورع المضطرم غيرةً مقدسةً فنشنسيوس الملقب بالقديس فرنسيس من رهبنة الاخوة الكرمليين الحفاة الذي اطلعنا على عنايتك وسهرك على رعاية الخراف الموكولة الى امانتك. فانه قد نالنا تعزية كبرى من اخبار فضيلتك كما اننا نتألم كل التألم للاتعاب والضيقات التي اخبرتنا انك مكتنف بها ولكن بما انك لا تجهل ان المهمة الرعوية مملوءة عناء وانشغال بال كما يؤيد لنا ذلك اختبارنا اليومي نحن الملتزمين بان نعتني لا بكنيسة واحدة بل بالكنائس اجمع فينبغي ان تتعزّى بالثقة الواجب ان نضعها في جود رب البيت الازلي الذي دعانا الى مثل هذه المشاغل. فاننا موقنون انه اذا استمررنا ثابتين واهتممنا بالمتاجرة الجديّة بالوزنة التي تسلّمناها يكون ثوابنا جزيلاً لدى ذلك الغنيّ بالرحمة نظير تعبنا ووفور صبرنا لنؤدّي حساباً رابحاً عنها. ولا نرتاب قطّ ان اخوتك تتمم كل ذلك بتقوى وحكمة ولذا نحبك كثيراً بالرب ونسأل الله من صميم الفؤاد ان يجود عليك بالتعزية في اعمالك الرعائية . وولدنا الحبيب فنشنسيوس الملقب بالقديس فرنسيس حامل رسالتنا اليك يزيدك وثوقاً من محبتنا لك ومن رغبتنا الشديدة في ان تنال كل سلوى في القيام بحقوق وظيفتك الرعوية. فليثبتك الربّ الاله في كل عمل صالح وينظر اليك بحنو انت المجتهد لتمجيد اسمه الكلي القداسة وليزيد نفسك نعمة وفضيلة. اما نحن فبكل حبّ نباركك »

انك تعلم من هذا الرقيم انهُ كان للرهبان الكرمليين علائق مع المطران جرجس عميرة وربما كان لهم رغبة من ذلك الوقت في فتح رسالة في لبنان وستحقّق رغبتهم بعد ارتقاء مطران اهدن الى السدة البطريركيّة

وكانت مهام الوظيفة الرعائيّة تستغرق كل اوقات المطران جرجس عميرة فتشغله عن العناية بتأليف الكتب وفحصها وقد وقفنا على طبعة المزامير الثانية التي انجزت

في مطبعة قزحيا سنة ١٦١٠ وفي مقدمتها اجازة الطبع اعطاها المطران عميرة نتقلها بالحرف مع ما يليها لما فيها من الفوائد التاريخيّة

«انا الحقير بين المطارنة جرجس بن عميرة الحدناني نظرت وقرأت هؤلاء المزامير وما وجدت فيهم شيئاً يضاد الامانة الارثوذكسية لكن نافعين لخلاص نفس من يقرأ فيهم

وبعد ذلك :

«كمل بعون الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب المبارك الذي هو كتاب المزامير المقدس وتسبحة موسى واشعيا والانبياء المكرمين وتسبحة سيدنا وسيدتنا مريم والدة الله وصلاة ابينا القديس ماري افرام السرياني وكان الفراغ منه بتاريخ ١٦١٠ مسيحية ستمائة وعشرة والف في تشرين الثاني المبارك على يد المعلم بنكالي إلي من مدينة كامريتو المحروسة وعلى يدي انا الحقير الضعيف يوسف باسم شماس بن المرحوم القسيس داود المتكنى بعيلة بيت عميسة من قرية كرم سدّي المحروسة والاب القسيس الياس بن المرحوم الحج حنا بن بولس من قرية اهدن والشماس يوسف بن بونان الذين كانوا يشتغلون معنا بهذا الكتاب . اما المعتني بهذا الكتاب وغيره هو الاب الموقر خالي المطران سرجيوس الزيّي مطران الشام المحروسة الذي اجتهد وحمل هذه الحملة الثقيلة ووضع ذاته تحت دين له صورة (معتبر) حتى استطاع يكمل وساق هذا الشغل لكيما انه يفعل امر يكون في اصطلاح وخدمة البيعة المقدسة والامانة المنقية الواحدة الكاثوليكية الرسولية ومنفعة انفس الذين يطلبون الخلاص ونظافة كتب البيعة المقدسة من جميع الغلطات ولكيما ان كل من يقرأ هذا الكتاب وغيره المتشابه فيه يطلب الرحمة في تذكار الخير والبركة لابائه واعمامه المرحومين ذوي الذكر الصالح وهم البطريرك مار ميخائيل والبطريرك مار سرجيوس وفي الاكثر اخيه الاب المرحوم خالي البطريرك مار يوسف الذي كان من ذلك في خاطره كثير يتطف طائفته ورعيته من جميع انواع الرغل ويجعلها تمشي بكلية مع البيعة المقدسة التي بغيرها لم يحصل خلاص للمؤمن كما انه فعل ايضاً في بقية الامور الضرورية التي بها جهر غيرته ومحبته نحو الامانة الارثوذكسية الرومانية التي جهرها وزاد ارتفاع اسم سيدنا الاب المقدس الطوباني الفاقا (بابا) رئيسها نائب السيد المسيح على جميع المسكونة باسرها وهو وحده خليفة مار بطرس الرسول وتعظم شأنه الجليل الموقر في جميع نواحي بلاد الشرق وهكذا بغيرة روحانية واجتهاد وحرص عظيم حتى ان جميع بني البيعة المقدسة وخصوصاً الاباء المبجلين روساها واكابرها فرحون فيها غاية ما يكون بالاكثر سيدنا الاب المقدس الطوباني مار بولس الخامس باسمه الذي حينما انه نظر غيرته ومحبته الصافية نحو البيعة المقدسة ونحو قداسته انشرح كثيراً وجعل لهُ شان وصيت ممدوح الى الابد . وليكن له تذكار ابدي في البيعة المقدسة ارتضت قداسته تأمر من ارتسم من بعده بدرجته يكون يمشي بسيرة غيرته المشهورة . كما ان هذه جميعها هي وغيره ايضاً هو موضوع في مرسوم البركة المكرم الذي ارسله قداسته اخيراً الذي فيه ايضاً انعم عليه بالتثبيت على اسم الكرسي المعظم وهو الكرسي البطريركية الانطاكية

على طائفته وكان انتقاله لرحمة الله في تاريخ ١٦٠٨ ربانية في نهار ٢٦ اذار الرب يجعله في الراحة الابدية في ملكوته السماوية والذي يقرأ في هذا الكتاب المبارك يذكر بالرحمة والذكر الصالح خالي المطران سركيس واخيه خالي العزيز الشدياق الياس ولابيهم المرحوم موسى ولامهم الحجّي المكرمة ولعمهم المرحوم القس جبرايل جدي واولاده العزيزين اخوالي الخوري مخايل واخوته وابن اخيه الشدياق انطونيوس واخيه جرجس ويذكر ايضاً السيد المكرم الشيخ الشدياق خاطر بن المرحوم الشدياق شاهين من قرية حصرون المحروسة والسيد المبجّل الخواجه سمعان مارا الشيخ الموقر الفضيل صاحب الفضل الجزيل والانعام الجميل لجميع الاباء والاخوة المباركين القاطنين في الوادي المقدس وقزحيا وهم الاب الخوري موسى والقسيس ضوميط والحج يوسف والراهب الياس بن المرحوم الحج فارس والراهب مخايل والاب الخوري جبرايل والقسيس مخايل والقس بطرس وارفاقهم. الربّ يثبتهم ويجعل لنا ولهم ولساير بني المعمودية المقدسة في ميثة الخلاص امين والحمد لله وحده دائماً

ارزة بلبنان لطول الدهر تلينا محل الختم هذه شفيعة لنا بالديق (الضيق) تاجينا
وبهم انعام من الشرش علينا صورة اذا استغثنا ومن الضيق تنجينا
في حضنها غيهب والدم يسقينا ارزة انظر امثالي وتأمل معانينا
من صدره الحياة وبحياة يقينا وغيهب واجعل به رجاك رجا البحر والمينا

وحول الارزة والغيهب : Sergius Rizius archiepiscopus Damascenus

بالحبس المكرم الكاين في وادي قوزحيا في جبل لبنان المبارك على يد الحقير يوسف بن عميه باسم شماس في تاريخ ١٦١٠ ربانية »

فكل هذه الاعمال كان يأتيها هؤلاء الافاضل ابان الاضطرابات المتواصلة التي يصور لك هولها ما ذكره التاريخ عن نتائجها الوخيمة فان في مدة ١٦ سنة خربت المظالم نحو ٩٥ الف قرية ومزرعة في السلطنة العثمانية وحدثت مجاعات عديدة وغلاء شديد لعدم تمكن الفلاح من استغلال ارضه التي كانت تحوّل غالباً الى ساحة قتال وكم مرّة نهبت البيوت والاديرة وقطعت الاشجار تشفياً وانتقاماً او تحصيلاً لمالٍ متأخر فان طريقة تضمين البلاد بمبلغ معلوم يقبضه رجال الصدارة كانت تأتي بأوخم العواقب لان الحاكم الضامن كان هو نفسه يلزم اناساً يدفعون له ما نقد الصدرَ الاعظم مع ربحه فتطلق ايديهم في الرعية يمرحون ويظلمون و«يبلعون». ولم يكن الحاكم يبالي بحاجات السكّان ولا يعنى بامورهم بل يعتبرهم مادةً يستغلها ومورداً يرتزق منهُ وكثيراً ما كان يخرج الحكّام على الباب العالي فيوعز هذا الى حاكم مقاطعة قريبة ان يقتص من المارق فتدور رحى القتال في الولايات وتجلب عليها الخراب . وقد

يدعو احد المتقاتلين او كلاهما اهل البلاد الى الانضمام اليه فيبطل كل عمل مفيد ويتفرغ القوم الى النهب والسلب

وقد غادر البطريرك يوحنا مخلوف دير قنوبين فور انتخابه بل نزح من بلاد الجبة الى مجدل معوش بسبب الظلم الفاحش الذي انزلته بالبلاد الجنود التركية المرابطة فيها وبسبب سوء تصرف الشدياق خاطر مقدم حصرون فانه لما كان ذا كلمة نافذة في البلاد سولت لهُ نفسه ان يتجاوز حدوده ويعتدي على حقوق البطريركية فحرمه البطريرك والتجأ الى بلاد الشوف لائذاً بالامير فخر الدين الكبير . فتلقاه الامير بكل ترحاب واكرام وسهّل للنصارى ابتياع قرية مجدل معوش بمبلغ قدره ١٢ الف غرش من سكانها المسلمين الذين كانوا قد انقسموا على بعضهم بعضاً وتفاقمت الحال بينهم فاتفق عقلاؤهم ان يقنعوهم بالهجرة الى ارض اخرى تفصل المتخاصمين بعضهم عن بعض . وقد بنى البطريرك داراً وكنيسة في مجدل معوش واستقام فيها حتى ذهابه لزيارة القدس

ونرجح ان المطران جرجس عميرة صحبه في انتقاله الى الشوف وهناك على ما نرجح ايضاً حظي بصداقة الامير فخر الدين وترجم له عن الايطالية كتاب هندسة في تشييد الابنية والابراج وربما كان الامير قد طلب اليه ذلك ليستعين به على وضع خطط البنايات الفخمة التي شيّدها في مواضع عديدة من سورية ولبنان . وبسبب هذه الخدمة التي ادّاها جرجس عميرة عفى الامير الكرسي البطريركي من دفع الخراج

واما الشدياق خاطر فلم يلبث ان قصد مجدل معوش مع مشايخ الجبة ليلتمسوا من البطريرك مخلوف الرجوع الى كرسيه فاشترط عليهم شروطاً وعدوا بتنفيذها ومنها اعادة المطران يونان السواني ورهبانه الى دير قزحيا ومن ذلك نفهمنا ان هذا المقدم كان طردهم من محبستهم

وفي سنة ١٦١٢ سافر فخر الدين الى ايطالية الى فلورنسة حيث اقام في ضيافة الغراندوق نحو خمس سنوات تمّ لهُ في اثنائها ان يعقد اتفاقاً مع هذا الغراندوق بتوسط المطران جرجس مارون مطران قبرس ولمّا عاد الى بلاده نزل في عكا فاستقبلهُ الامير علي اخوه

وما لبث ان زحف فخر الدين على جبيل فهدم قلعتها وولى على تلك البلاد

الشيخ ابا نادر الخازن الـذي وصفه الدويهي بهذه الكلمات البليغة : وكان الشيخ ابو نادر شديد الغضب وحسن الرضى شجاعاً حازماً منكراً الظلم وحافظاً سر بيت معن

وكان الحبر الاعظم بولس الخامس وقف على ما تحلى به الامير فخر الـدين من الصفات الممتازة وعلم انه يعامل النصارى عموماً وبطريرك الموارنة خصوصاً معاملة حسنة فكتب الى يوحنا مخلوف في ٧ ت ١ سنة ١٦١٠ يثني على الامير ويتمنى ان يثابر على خطته هذه ويوصي البطريرك ان يحافظ على حسن علائقه معه

وحدث في تلك الاونة (١٦١٠) ان بطريرك الكلدان ايليـا ارسل الراهب آدم الى رومية يلتمس من الحبر الاعظم ان يأمر بتعليمه قواعد الـدين الكاثوليكي وكان البطريرك الماروني والمطران جرجس عميرة زوّداه كتابات توصية الى البـلاط الروماني فاقام آدم المـذكور في رومية مدّةً يجادل في امور الـدين ويسترشد باقوال المعلمين الماهرين واخيراً اظهر انه مقتنع وجحد الاضـاليل التي كان الكلدان لا يزالون متقيدين بسلاسلها . فكتب الحبر الاعظم في ٨ نيسان ١٦١٤ الى البطريرك والى جرجس عميرة نائبه، ومن هذا الرقيم علمنا ان يوحنا مخلوف اتخذ عميرة نائباً له، يخبرهما بذلك ويعرب عن سروره بهذه النتيجة ويذكر انهما اوصياه به ثم يثني على يوحنا الحصروني(١

١) يوحنا الحصروني ابن قربانوس من بيت سندوق تلميذ المدرسة الرومانية ارسل اليها سنة ١٦٠٣ مع المطران يوحنا فهد الحصروني . اتقن ترجمة اللغات الشرقيـة وذهب الى باريس حيث عاون جبرائيل الصهيوني في تأليف الكتب وترجمتها فانما نشرا سوية كتاباً في آداب عـادات الشرقيين وترجما جغرافية الادريسي . وصنّف وحده مؤلفات اخرى منها كتاب في الاسرار . قد اخذ الملك على نفسه ان يقوم بنفقتهما واباح لهما ان يقيما في جامعـة فرنسة او في اي محل آخر يوافقهما بشرط ان يترجما الكتب من العربية والسريانية والتركية الى اللاتينية . وعين لهما راتباً مقداره مائتي غرش عدا بعض الدراهم خصصت بنفقاتهما الشخصية (١٦١٨) وقـد عاد يوحنا الحصروني الى لبنان وسيم كاهناً وعلم الاولاد في بقرقاشا فاوفده البطريرك يوحنا مخلوف لتهنئة اوربانوس الثامن بتبوئه الكرسي الرسولي (١٦٢٥) وكان برفقته الاب مفري اليسوعي واثنا عشر تلميذاً للمدرسة فقبله البابا بكل حفاوة واثنى في جوابه الى البطريرك على تقواه وعلمه وارسل معهُ تاجاً وكتباً وانية بيعية ولما عاد يوحنا المذكور رسمه البطريرك اسقفاً معاوناً لـهُ واتخذ السكنى في دير مار جرجس بقرقاشا ومكث في الاسقفية اربعة اشهر ثم انتقـل الى راحة الابرار يوم احد الشانين ودفن في حصرون مسقط رأسه . ذكرهُ انقس الياس الغزيري في زجليته مع كهنة حصرون عموماً : كهنـة من قرية حصرون . حنا رزق الله وآخرون . مخايل وفرحات بغير فنون . ويوسف معهم جملية

واسحق الشدراوي (١ تلميذي المدرسة المارونية اللذين ترجما كل الكتابات اللازمة من الكلدانيَّة الى اللاتينيَّة وبالعكس ومما قالهُ الحبر الاعظم انه كتب اليهما ذلك ليفرحا ويتعزيا بهذا العمل ويهتما لانجاحهِ اهتماماً خصيصاً ويطلب منهما ان يقتبلا آدم المذكور بكل محبة لانه عزيز لديه. وفي كتاب آخر الى البطريرك بالتاريخ نفسه يوصي بالابوين يوحنا مارَيّتي وبطرس المطوشي اليسوعيين اللذين عيّنا لمرافقة آدم المذكور لانه يثق كل الثقة بالبطريرك ولانه يحب هذين الموفدين محبة شديدة

سافر الابوان الى لبنان في غرة ك ٢ سنة ١٦١٥ ولما بلغا الى قبرس طرق آذانهما وهما في الملاحة (لارنكا) ان آدم المذكور لم يفوضه بطريركه باتيان ما اتى من الاعمال بل اختلس خاتم البطريرك ووقع على العريضة المرسلة الى رومية. على ان الابوين واصلا سفرهما الى حلب حيث اجتمعا بآدم فارتابا بمسلكهِ وارادا ان يتأكدا من صدق نياته فلجأا الى المطران جرجس عميرة الذي كان اذ ذاك في حلب يتفقد احوال الرعية (ايار ١٦١٥) وطلبا منه ان يستكشف لهما حقيقة الامر لانه كان لآدم ثقة به ويسأله عمّا اذا كان لهُ ما يتشكى منه وهل ينقصه شيء. لانهما لا يريدان بعد هذا السفر الشاق وهذه الاعمال الّا ان يبذلا كل جهدهما في تتميم اوامر الحبر الاعظم. فاجابهما المطران عميرة بطيبة خاطر الى طلبهما وبصفته صديق الفريقين باحث آدم طويلاً فلم يرَ في اقوالهِ ما يدعو الى قلق بالهما وقد صرح لهُ آدم انه مستعد ان يكتب ما قاله ويختمه بخاتمه

على ان الحوادث اظهرت كذب آدم او انخداعه لان الابوين لم يحصلا على نتيجة من سفرهما هذا بخصوص القصادة الى الكلدان

اما احوال لبنان وما جاوره فكانت لا تزال قلقة فتوقف البطريرك عن سيامة الاساقفة للكراسي الفارغة بعد ان كان قد رقّى الاسقف يوسف بن بشارة من بيت السوق من اهدن (١٦١٠) وجرجس بن مارون (١٦١٤) الذي كان يوفده البطريرك لقضاء مهمات الطائفة فلا يدع لهُ وقتاً للاهتمام بابرشيته. فكتب اليه البابا بولس الخامس يلفت نظره الى هذا الامر ويوصيه بان يرسم الاساقفة للكراسي الفارغة ولاسيما كرسي قبرس وقد سبق لنا فقلنا انها كانت كالفارغة لان اسقفها لم يقم فيها كما ان قسماً من الموارنة

١) سننشر ترجمته على حدة

كانوا بايعاز البعض قد طلبوا من رومية ان ترسم لهم اسقفاً لاتيني الطقس ففعلت واعطته لقب اسقف بافوس لكنه ما لبث ان حدث خلاف بينه وبين الموارنة والفرنسيسكان انتهى بالغاء هذا الكرسي وسنفصل ذلك ان شاء الله في بحث خاص عن موارنة قبرس

ولم تكن الاحوال على اضطرابها (١ لتقعد تلامذة المدرسة المارونية عن مواصلة جهادهم في تأليف الكتب الدينية المفيدة لطائفتهم والمعاجم من ذلك «المنارة السريانية» التي ألفها جرجس الكرمداني (٢ وقد علق على آخرها هذه الحاشية :

«كملت هذه المنارة السريانية على يد احقر وارذل الناس جرجس الكرمداني بن يوسف تلميذ رومية العظمى في سنة ١٦١٩ مسيحية نهار الخميس في يوم ٢١ من شباط نصف النهار في مدينة طرابلس معاملة الشام في بيت الخوري يوحنا المتكنى الملقاش. وصار هذا التعب والاجتهاد جميعه لاجل راغبين العلوم وناحصين الكلام باللغة السريانية ولاجل التذكر الصالح ومجد الله وكان معتني ومهتم معنا محبنا وعزيزنا القس مخايل الحصروني ابن اخي المطران يوحنا الدومتيكاني المشهور معلم وكارز ورسول لبلاد الشام وحلب وطرابلس وبيروت وصيدا وفي زماننا بدينا في جمع امثال وكلام هذا الكتاب ولمّيناه مع اخونا المذكور من كتب توراة الحديثة والشيقة ومن كتاب ܗܘܡܢܐ ܕܦܝܠܘܣܘܦܝܐ وكتاب ܡܐܡܪܐ ܕܐܣܚܩ ومن بعض حسيتونات وكتب آخر فلسفة ومنتيقي ولوغيقو (Logica) وحتى ايضاً من لغات الحصارنة وصار ذلك في تعب شديد طويل بمدة ثلاثين سنة وازيد اعني صرفنا شبوبيتنا وجزء من الشيخوخة في قراية وجمع وتفسير كلام وامثال الموضوعين امامك في هذا الكتاب والله يجازي الخير في الدارين وكل

١) في سنة ١٦١٤ كان فرق الصوم خمسة اسابيع بين الموارنة وسائر الطوائف فوشى بطريرك الروم بالموارنة الى حافظ باشا نائب دمشق فقبض على كاهني الموارنة القس الياس الهدناني وقد سبق لنا تعريفه وعلى القس مخائيل ونظنه الخوري مخائيل تايلا من بقاع كفرا خادم السيدة في دمشق (هو الذي تعرّف اليه الرحالة الايطالي دلّا فالّه Della Valle وذكره في كتابه. نسخ ثلاثة نوافير للخوري رزق الله بن الخوري يوسف الباني تكون لكنيسة حلب . مات بعد ٣٠ نيسان سنة ١٦٣٦) فقدّم القس يوسف حلبي عرضحالاً للنائب طلب فيه ان يجمعه بخصومه فلم يرضَ بطريرك الروم ولذلك سجنه النائب واذن للموارنة ان يبيّدوا بموجب امر بطريركهم

٢) ذكره القس الياس عويضه في زجليته قال : وخوري جرجس بن عنابّ . كان معلم وصاحب جواب . حيث رتّب من علمه كتاب . منارة السريانية . كان رئيس كهنة طرابلس ثم سيم اسقفاً معاوناً للبطريرك وكان الحراطنة يخشونه كما جاء في التقريظ الذي نُظم فيه يوم جرى الاحتفال بمرور مائة سنة على تأسيس المدرسة المارونية . ونسخة من مجموعة هذه التقاريظ النفيسة موجودة في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين

من تعب منا في هذا الكتاب ويرحم والديهم . امين »

وفي سنة ١٦٢٣ قدم الاب عبد الاحد مغري اليسوعي لزيارة الموارنة فاتى الى قنوبين وأدخل اليه من باب مصفح بالحديد بعد ان قرع جُرساً مطلقاً فوقه ولما مثل امام البطريرك قبل يده باطنها وخارجها ورفعها الى جبينه علامة الاحترام كما هي العادة في الشرق ثم قدم كتابات قصادته فاستدعى البطريرك المطران جرجس عميرة وكان نائبه اذ ذاك ليترجمها له وكانت الغاية ان يستصحب معه تلامذة للمدرسة الرومانية فعاد الى رومية مع الخوري يوحنا بن قرياقوس الحصروني في سنة ١٦٢٥ وسفّر البطريرك معهما اثني عشر تلميذاً

وكان انه لما عاد فخر الدين من ايطالية فاستلم زمام الاحكام في لبنان وجواره سادت السكينة فكثر عدد النسّاك وشيدت المعابد والمدارس وقدم الى لبنان عدد من مرسلي الفرنج كالاخوة الاصفرين والكبوشيين فسكنوا في جبة بشري وكتب ده سيزي السفير الافرنسي في الاستانة في كانون الاول ١٦٢٤ الى المطران جرجس عميرة يوصيه بايوين كبوشيين افرنسيين آتيين الى لبنان . وكتب اليه المجمع المقدس ايضاً بناء على طلب ملك فرنسة لويس الثالث عشر كما يستدل على ذلك برسالة الملك الى السفير (١٠ ت ١ ١٦٢٤)

وفي تلك السنة اقام البطريرك مخلوف مدرسة في دير حوقا لتعليم الاحداث وإعداد المتفوقين منهم للمدرسة المارونية في رومية فتقصر بهذه التهيئة مدة اقامتهم في بلاد لم يألفوا مناخها فيُقتصد هكذا بنفقات باهظة تصرف بغير جدوى على الذين يمرضون في رومية او لا يثبتون في دعوتهم . ولا نخطئ بقولنا انه كان للمطران عميرة يد في هذا العمل ولا ريب ان هذه الفكرة الحميدة راقت الحبر الاعظم اوربانوس الثامن فاثبت هذه المدرسة في براءة تاريخها ٢٤ حزيران ١٦٢٥ وعيّن لها راتباً قدره ثلاثمائة ريال وسنّ لها قوانين سديدة وفرض ان تدرس فيها اللغتان السريانية والعربية . اما اللاتينية فتُلقَّن التلامذة الذين يتوسم فيهم النجابة ويرجى بلوغهم الى الكهنوت ليرسلوا الى رومية حيث يكملون علومهم . ويأمر الحبر الاعظم ان يمكن الراغبون في درس التركية والفارسية من تحصيل اصول هاتين اللغتين حتى تتوافر لديهم الوسائط للعمل في سبيل هداية الخارجين عن الكنيسة .

اما الفقراء فيقبلون متى كانوا من اهل الذكاء والاخلاق الطيبة . والموسرون واولاد الاعيان يتقاضون بدل المأكل والملبس . وقد استمرت هذه المدرسة مفتوحة حتى سنة ١٦٣٣ وفيها اقفلت بسبب احوال البلاد والاضطرابات وما اشبه

وكانت تلك الايام شديدة على الاهالي بسبب وباء فتك بالناس فتكاً ذريعاً وفحشت الاسعار من محل الارض حتى ان قلة الزيت بيعت بستة غروش وشنبل الحنطة بغرشين ورطل الحرير الابيض المترك بعشرين غرشاً . وعدّ ابن سيفا شجر الجبة فبلغ عددها في اهدن ٥٠،١٦٥ وكان قصده من ذلك استيفاء رسوم عليها اضافية فرحل الاهالي الى الشام وحلب وغيرهما خوفاً من البلص

اما الامير فخر الدين فاهتم بترقية البلاد في الاقتصاديات وتوفير اسباب الثروة الوطنية فسعى اولاً في ارضاء خليل باشا الذي ولّاه ايالة طرابلس ثم اجرى ساقية القاع وعمّر القليعات في ارض جون عكار ونصب في «المقراق» اربعة عشر الف نصبة توت ونصب بستاناً اكبر في ارض الحيصة (الدويهي)

وفي سنة ١٦٢٧ سيم الخوري يوسف بن حليب العاقوري(١ مطراناً على صيدا ثم جدّد بناء دير مار شليطا مقبس في قرية غوسطا في سنة ١٦٢٨ وهذا الدير جعل كرسياً للبطاركة يوم اصبحت اقامتهم في قنوبين غير مطمئنة

(١ يوسف بن حليب بن المطران بطرس بن الخوري سابا العاقوري من عائلة بيت الاشقر كان ابوه حسن العبادة صنّف مدائح كثيرة على لحو العرب مات في العيدية ودفن في بيروت ١٦٠٥ . اما الخوري يوسف ابنه فعيّنه البطريرك يوحنا مخلوف خورياً لموارنة دمشق وكان فيها سنة ١٦١٤ ثم سامه اسقفاً على صيدا ١٦٢٧ وارسله الى حلب وفيها نسخ كتاب الناموس الذي الفه المطران يوحنا الحصروني . كان شجاعاً متورعاً يحب العلماء غيوراً على امور الدين وبناء الكنائس دافع عن الحساب الغربي ايام كان في دمشق وخاص القسين مخائيل والياس واربعة من اوجه الطائفة من الحبس وبسبب براعته هرب بطريرك الروم خشية الانقلاب في الجدال فاستدعاه النائب وحبسه . وقد احتمل مشقات كثيرة من جهة قرقماس الذي جحد دينه وعذب اولاد الطائفة في دمشق . وقد كرّس كنيسة السيدة في المريانية ٦ تموز سنة ١٦٣٦ ووقف دير حراش الراهبات ولعلم الايتام من اولاد الطائفة ١٢ نيسان ١٦٤١ (مشرق ١٩٠٤ ص٣١٥) . انتخب بطريركاً في ١٥ آب ١٦٤٤ بعد وفاة عميرة وعقد مجمع حراش ٥ ك ١ ١٦٤٤ وقد ارسل الشدراوي الى رومية لقضاء مصالح الطائفة واليه لجأ عبد النال الخيجيان بعد ان جحد ضلال ابائه فارسله الى رومية سنة ١٦٤٦ ودافع بعزم عن حقوق الكرسي البطريركي ضدّ الطامعين به . ألف غراماطيقاً سريانياً طُبع برومية وطبع شحيماً صغيراً . انتقل الى راحة الابرار ٣ ت ٢ ١٦٦٨ ودفن في العاقورة في كنيسة مار بطرس

وفي ٢٥ ت ١ من تلك السنة كتب الحبر الاعظم اوربانوس الثامن الى البطريرك يوحنا مخلوف يثني على الامير فخر الدين ويأسف لعدم تمكنه من مساعدته ليحقق نياته الراقية الى استقلال بلاده ويدعو له بالتوفيق ويبارك الخازنيين والجبشيين ويطري المطران جرجس مارون صاحب المساعي الحثيثة في مصالح الطائفة ويختم بهذه الكلمات التي تدلك على سمو منزلة المطران جرجس عميرة في عيني الحبر الاعظم . «اما نحن فلن ندع مجالاً للكنيسة ان تلومنا على تهاملنا بينما انتم تستصرخون اوربة لانقاذ الشرق بصوت هذا الامير العظيم الشأن (فخر الدين) ونحن نمنح اخوتكم ومطران اهدن نائبكم البطريركي انتما وكيلي المملكة السماوية ونوري الكنيسة الشرقية البركة الرسولية ونعدكما بحمايتنا»

(لها بقية)

المقامة الحيرامية

— نجس بنجس »

بقلم الاديب الاستاذ يوسف غلبوني

(المشرق) ترف هذه المقامة الواقعية الى صاحب الجريدة الماسونية «حيرام» المدعو توفيق طانيوس الذي بعد ان علم مدة في مدرستنا الاسكندرية وحلف مرارًا انه لا علاقة له مع ابناء الارملة خلع العذار وطلق امرأته الصالحة واقترن سفاحاً بنبرها فظن انه باستناده الى الماسونية ونشره جريدة من صبغتها وطعمه « بالجزويت » يرحض صحيفته السوداء . فهيهات ! اما ما نقله عن بعض الملحدين او اعداء اليسوعيين فكذبه ظاهر وفندناه مرارًا بل وعدنا بجائزة من يستطيع ان يثبته بالبرهان

سرت منذ اسبوعين الى ندوة احد اعيان بيروت المسلمين من رجال الحل والربط فبعد السلام دار بيننا حديث صادق نرويه هنا بحرفه الواحد وفيه عبرة لكل معتبر من المشايعين للماسونية

قال الوجيه : ألا تستعد للرحيل من هذه البلاد ؟

قلت : وما الداعي الى الرحيل ؟

هو : لقد قام الماسون واستبشروا بانتخاب المسيو هيريو وانتصار حزبه الموالي للشيعة الماسونيَّة واخذوا ينادون بالويل والثبور مهدّدين المفوّض السامي وحاكم لبنان الكبير وحاكم بيروت والجزويت وسائر رجال الدين بانقراض دولتهم وقيام دولة ابناء الارملة . واذ عرفتُك من اصحاب التقوى والتديُّن ستصيبك ولا شكَّ نبلةٌ من نبال حقدهم واضطهادهم فتضطرّ الى مغادرة وطنك لتنجو من نيرهم . وانا مثلك ساضطرّ الى مبارحة مركزي لكونهم عرضوا عليَّ مراراً قبل الحرب وفي مدّتها ولاسيما بعدها ان ادخل في ظلام ماسونيَّتهم فأبيتُ حفظاً على كرامة استقلال عقلي وصيانة حياتي من شرّ وَصمتهم الوخيمة . فمتى استلموا زمام الامور ينبغي عليَّ طبعاً ان استقيل قبل ان يصدر امرهم بعزلي مع الجنرال وحاكمي لبنان وبيروت وغيرهم ....

انا (وقد تبسَّمتُ مدركاً فكرة الوجيه اللطيفة) : مَنْ كان مثلك مثال الاستقامة وانموذج رجال الضمير وقدوة لاصحاب الحكمة والفطنة والصلاح فعينُ الله ترعاهُ واهل الوطن يباركونهُ والتاريخ يدوّن لهُ مآثرهُ الجليلة واذا ثار عليهِ تيار الماسونيّين فيظلّ يطفو بعناية الله فوق امواج ضغطهم كالزيت رمز الهدوء والسكينة والتفوّق . فمهما يقع فوقهُ يهبط الى الاسفل ويبقى الزيت طافياً صافياً

هو : نحمد الله على كل حال ونضرع اليهِ كي يبعد شرّ الماسونيَّة عن بلادنا فما نراهُ من اعمالها بأمّ العين يناقض بتاتاً ما يتشدَّقون بهِ لخداع اصحاب النيَّات السليمة

انا : كلامكم يذكّرني قول احد وجهاء ملّتكم الذي روت مجلّة المشرق (١٤[١٩١١]: ٩١—٩٣) حديثهُ وكان انخدع بالماسونيَّة ظنًّا منهُ انها جمعيَّة خيريَّة ادبيَّة انسانيَّة فلمَّا اختبرها جحدها ثم مات قبل الحرب وكان يقول دائماً : «الماسونيَّة يمكن تحديدها بهذه الكلمة

اقرأ تفرح جرّب تحزن»

وكان رحمهُ الله يكرّر ايضاً على مسامع الناس : «بيننا نحن الماسون مَنْ اذا مرَّ بقربك وجب عليك ان تَعُدَّ اصابع يدك لترى ان لم يسرق منك احداها . فمنَّا «النصَّاب» واللصّ وهاضم الحقوق والكذَّاب ...»

هو : ويذكرني انا ايضاً هذا القول بكلمة قالها عن الماسونيَّة احد اعضائها وقد توفَّاه الله وهو المرحوم فخري بك الشهير

انا : وهل كان فخري بك ماسونيًّا ؟

هو : نعم ولكنَّهُ ندم على دخولهِ فيها في آخر ايَّامهِ . وممَّا رواهُ عنهُ احد اصحابهِ المخلصين انهُ سألهُ يوماً ما عن الماسونيَّة وما رأيهُ فيها فقال (وذكر الراوي بلغة العامَّة قول فخري بك بحرفهِ الواحد) : عاهدناهم ما نحتيش ولكن هم أوبة نجس بنجس»

(اي عاهدنا ما نحكي شيئاً من اسرارهم ولكن هم شيعة نجس بنجس)

انا : انَّ كلاماً مثل هذا من رجل حرّ الضمير كبير في قومهِ كفخري بك لا يُبقي مجالًا للريب في سوء نيَّة الماسونيَّة واكاذيبها ودناءة اعمالها لانهُ لم يقل كلامهُ عفوًا بل عن اختبار طويل سَبَرَ اثناءهُ غور الماسونيَّة واطَّلع على مكنونات نيَّاتها الفاسدة المفسدة فحكم على الماسونيَّة بكلمة «نجس» اي نجاسة وهو غير هيَّاب . . .

هو : فليسمع ذوو الآذان وليرَ ذوو الابصار وليرو السَّلف للخلف كلام المرحوم فخري بك رجل الجرأة والضمير الحرّ :

الماسونيَّة أوبة نجس بنجس

(المشرق) فليتأمَّل صاحب حيرام هذه الشهادة لاحد ابناء العشيرة وصاحب الدار ادرى بما فيها

الراهب افرام البرموسي والكرسي الاسكندري

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في العدد السابق (ص ٤٠٢) في ردّنا على الخوري اسعد عيسى كلمةً لاحد مشاهير الرجال يقول فيها انَّ التاريخ قد اضحى في عهدنا مؤامرةً على الحقيقة . وفي يدنا الآن كتاب آخر تتصدق فيهِ هذه الكلمة بتمامها نريد بهِ كتاب الخريدة النفيسة

في تاريخ الكنيسة لراهب سرياني يعقوبي يدعى افرام عدلَ عن كنيستهِ اليعقوبيَّة الى كنيسة الاقباط المنفصلة فترهَّب في ديرهم المعروف بالسيدة برموس في برّيَّة انبا مقاريوس. وقد افادنا في ترجمة حياتهِ التي ختم بها الجزء الثاني من كتابهِ لمنهُ لقي في الكنيسة القبطيَّة من المشقَّات ما لم يكن لينتظرهُ من اربابها واتَّسع في ذلك وكشف عن كثير من مساوئ تلك الكنيسة وتفاقُم احوالها ويشير الى تسقيفهِ فيها

ومهما كان من الامر فانَّ الراهب المذكور بعد ان درس على ما روى في تاريخهِ (٢: ٥٦٣) «بعض العلوم في المدرسة الكبرى بمصر واشتغل بها بصفة خوجه بمدرسة الاسكندريَّة» وثِق بنفسهِ واستوفر بضاعتهُ من المعارف ليصنف تاريخاً جديداً للكنيسة ولم يعنونهُ بالطرفة النقيَّة كزميلهِ الحمصيّ بل اتَّخذ لهُ اسم «الخريدة» وهي البكر الحَيِيَّة التي نَعَتها بالنفاسة فبعث في قلبنا الرغبة الى نظر جمال تلك الجريدة وكشف النقاب عن محاسنها

والحقّ يقال انَّنا بعد مطالعتها رأيناها على شاكلة الطرفة النقيَّة كأن التاريخين قُدَّا من نبعة واحدة فقد اتَّفق كلا الكاتبين على محاربة الكنيسة الرومانيَّة امّ كنيستَيهما واصلهما شاءا ام أبيا وان اختلفا نوعاً في منزعهما فالواحد يناضل عن الكرسيّ القسطنطيني وتعاليمهِ الفوطيوسيَّة والآخر يجاهد عن الكرسيّ الاسكندري الديوسقوريّ ليؤيد اضاليل اليعاقبة في انكارهم طبيعتي المسيح اللتين اثبتهما المجمع الخلقيدونيّ ورمى بالحرم جاحديهما

وكنَّا نودّ ان نتتبَّع فصول هذا التاريخ كما فعلنا في انتقاد كتاب زميلهِ غير انَّنا رأينا اغلاطهُ تكاد تزيد على صفحاتهِ فأنى نستطيع تفنيدها بمقالة ولا تكفي لذلك المجلَّدات . . فضلاً عن انَّ كثيراً من مزاعم الراهب البرموسيّ هي ذات مزاعم الخوري الحمصيّ التي زيَّفناها. فانَّ صاحب الخريدة النفيسة ينقّب مثل كاتب الطرفة النقيَّة عن المباحث التي جرى فيها بعض النزاع بين الاحبار الرومانيين ومعاصريهم كمسألة تعييد الفصح بين القديس بوليكربوس اسقف ازمير وبين القديس ڤكتور بابا رومية (ص ١٢٣—١٣٤و١٦١—١٦٢) ومسألة إعادة عماد الهراطقة بين القديس كبريانوس اسقف قرطجنة مع فوميليانوس اسقف قيسرية وبين القديس استفانوس بابا رومية. فانَّ الراهب البرموسيّ بدلاً من ان يقرَّ للحقّ مع رومية كما فعلت المجامع

المسكونيَّة ينتصر المخالفين وهذا دأب كلّ اعداء الكنيسة فانَّ بغضهم لها يحملهم على مناصرة كلّ من يناهضها

فلمَّا كان الامر كذلك ولا يسعنا تزييف مدَّعيات الراهب البرموسي الباطلة ها نحن نكتفي بمسألة واحدة جوهريَّة تكفي لتنقض كلّ بناء تاريخهِ وتدكُّهُ من اصلهِ نريد بها ارتباط الكرسيّ الاسكندريّ بكرسيّ رومية واستمدادهُ سلطتهُ من رأسها الاوَّل القديس بطرس الرسول صخرة الايمان وهامة الرسل ومنبع السلطة في كلّ كنيسة الله بما انهُ المتقلّد مفاتيحها وراعي خرافها ونعاجها وموصد بازائها ابواب الجحيم (متى ١٦: ١٧–١٩ ولوقا ٢٢: ٣٢ ويوحنا ٢١: ١٥–١٧)

١ ترجمة القديس مرقس قبل دخولهِ الاسكندريَّة

نروي هنا ترجمة اوَّل بطاركة الاسكندريَّة الانجيليّ القديس مرقس عن سنكسار الاقباط لئلَّا ينسبنا الراهب البرموسيّ الى التعصُّب . ورد في اليوم الثلثين من شهر برموده القبطيّ الموافق للخامس والعشرين من شهر نيسان الروميّ ما نصُّهُ (١ :

« في هذا اليوم استُشهد مرقس الانجيلي الرسول اوَّل بطاركة الاسكندريَّة وكان اسم ابوهُ (كذا) ارسطوبولس من اعمال الخمس مدن واسم امّه مريم وهي المذكورة في قصص التلاميذ وكان اسم هذا الرسول اوَّلًا يوحنا كما يقول الكتاب انَّ الرسل كانوا يصلُّون في بيت مريم امّ يوحنا المدعوّ مرقس وهذه الامرأة كانت موسرةً فعلَّمت ابنها مرقس اليونانيَّة والافرنجيَّة (يريد اللاتينيَّة) والعبرانيَّة . ولمَّا كبر اخذهُ معهُ برنابا في البشرى لمَّا مضى صحبة بولس . ولمَّا رأى ما حلَّ بهم من الضرب والاهانة تركهم من بمفيلية وعاد الى يروشليم . ولمَّا عادوا (كذا) الرسل الى يروشليم وحدَّثوا بعودة الامم وما اجرى الله على ايديهم من الآيات والعجائب ندم على ما فرط منهُ ثمَّ طلب العودة معهم فلم يفعل (يقبل) بولس باخذهِ لاجل انهُ تركهم فاخذهُ برنابا لكونهِ قريبهُ . وبعد نياحة برنابا مضى الى بطرس برومية وصار تلميذًا لهُ وهناك كتب انجيلهُ واملاهُ لهُ بطرس وبشَّر بهِ في رومية . . . »

فان صحَّ قول السنكسار القبطيّ ولا يبعد ان يكون صحيحاً ينتج منهُ (اوَّلًا) ان مرقس هو يوحنا مرقس المذكور في اعمال الرُّسل (١٢ : ١٢) وهناك يقال عن بطرس الرسول بعد نجاته من سجن هيرودس اغريبا : «ففكَّر وتوجَّه الى بيت مريم امّ

١) راجع السنكسار المذكور الذي نشرهُ بالطبع في مطبعتنا سنة ١٩١٢ الكاهن البلجكي فورجه (SYNAXARIUM ALEXANDRINUM, ed. Forget, II, 95)

يوحنًا الملقَّب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلُّون» . لا بل ينظمهُ كثير من الكتبة الاقدمين في سلك التلامذة الاثنين والسبعين كالمؤرخ الروماني كاليس والقديس باپياس والقديس ابيفانيوس. ومثلهم يقول مؤرخو العرب. جاء في الخطط للمقريزي (١ : ١٨٣) : «ومن هؤلاء السبعين مرقص الانجيلي وكان اسمهُ اوَّلًا يوحنًا»

وعلى قول القديس ابيفانيوس في كتابهِ عن الهرطقات (Migne, P.G., XLI. 900) انَّ يوحنًا مرقس كان من تبعة السيّد المسيح الذين ارتدُّوا عنهُ بعد كلامهِ عن سرّ جسدهِ كما روى القديس يوحنا في انجيلهِ (٦ : ٦٧) وانَّما ردَّهُ اليهِ بعد ذلك القديس بطرس

وينتج (ثانياً) عن كلام السنكسار ايضاً انَّ القديس مرقس هو الذي صحب القديس بولس وبرنابا في بشارتهما في جهات آسية الصغرى. قال (اعمال ١٢ : ٢٥) : «ورجع برنابا وشاول من اورشليم بعد ان قضيا خدمتهما واخذا معهما يوحنَّا الملقَّب مرقس» . وكأنَّهُ تأثَّر ممَّا لقيهُ بولس وبرنابا من الاضطهاد في بمفيليـة فتركهما وعاد الى اورشليم. ثم ندم بعد ذلك على فعلهِ وطلب اليهما بعد عودتهما الى اورشليم ان يلحق بهما فأبى القديس بولس لعدم ثباتهِ في بمفيلية واجاب القديس برنابا. قال القديس لوقا في اعمال الرسل (١٥ : ٣٩) : «فوقع بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر فاخذ برنابا مرقس واقلع الى قبرس»

وينتج (ثالثاً) انَّ مرقس «ذهب الى بطرس برومية بعد وفاة برنابا وصار تلميذاً لهُ» . ومن هذا يتَّضح انَّ الراهب البرموسيّ يناقض تعليم كنيستهِ وهو القائل (ص ٦٠) :

«والانجيل (كذا) يشهد صريحاً باشتراك الرسول مرقس مع بولس وابن عمّه برنابا في البشارة ولم يشهد كذلك باشتراكهِ مع بطرس»

فيظهر بذلك أيها العلَّامة المحقق المدقق شططك البعيد اذ تعزو للانجيل ما لم يقل بهِ الَّا سفر الاعمال ثم تنكر ما يوجبه سنكسار الاقباط الرسميّ القائل بان «مرقس ذهب الى بطرس برومية وتتلمذ لهُ»

ويؤيد قول السنكسار ما يقولهُ بطرس نائب المسيح في رسالتهِ الاولى (٥ : ١٣) : «تسلّم عليكم الكنيسة المختارة التي في بابل ومرقس ابني» . وقد اتَّفق كل المفسّرين على القول بانَّ «بابل» هنا يراد بها رومية مركز الوثنيَّة التي دخلها القديس

بطرس ليرشد اهلها

ومن العجب الذي يدلُّ على تحامُل اعمى من قبل الراهب البرموسيّ انهُ حاول ان يتّخذ هذه الآية كسلاح لهُ على كنيسة رومية فذكرها وضرب صفحاً عن نعتها «المختارة» ثمَّ قال (ص ٦٠) :

« فان كانت بابل هي رومية على حدّ ما يزعمون فيكون جميع ما اراده اخصامهم (يريد اللاتين) بما اوحاهُ الروح القدس وكشفهُ في الرؤيا (يوحنّا ١٨ : ٢-٢٤) عن بابل رومية في محلّهِ . والحقيقة ان تلك بابل هي مصر »

فما ألطف هذا القول وهو اصدق شاهد على ما أُشربهُ هذا الراهب من روح البغض والتعصُّب البليغ اذ لم يميّز بين بابل اي رومية الوثنيَّة ورومية العظمى مقام الكنيسة الكاثوليكية . امّا قولهُ «ان بابل هي هنا مصر» فلا صحّة لهُ اذ لم يدخل بطرس الى مصر ليبشّر بها وهو يقرّ بذلك فكيف يمكن بطرس اذن ان يكتب انَّ ابنهُ مرقس يسلم عليهم الّا لكونهِ مقيماً معهُ في بابل أي في رومية ؟

ويثبت شهادة القديس بطرس عن اقامة مرقس في رومية كثيرون من الكتبة غير المنكسار القبطي من روم وسريان كابن العبري وميخائيل الكبير ولعلَّ الراهب البرموسيّ لا يقبل شهادتهم لاسيما بعد جحوده كنيسته السريانيَّة وانضمامهِ الى الكنيسة القبطيَّة فها نحن نورد لهُ شواهد من كتبة اقباط لا يستطيع انكارها وكلُّها تنفي قولهُ (ص٦٠) بأنَّ « دعاة البابا ذهبوا الى ان مرقس ذهب الى رومية وانَّ قولهم محض كذب» فلننظر من هو الكاذب . قال ساويروس الشهير بابن المقفَّع اسقف الاشمونين في تاريخ بطاركة الاسكندريَّة في الصفحة ١٩ من طبعة العلّامة سيبولد(١ : «وكان مرقس من السبعين تلميذاً . . . ومن بعد ذلك مضى بطرس ومرقس الى اعمال رومية وبشّرا هناك بكلام الله »

وقال ابو بركات شمس الرئاسة المعروف بابن كبر في مصباح الظلمة (نسخة مكتبتنا ص ٩٠) : «ومضى مرقس مع بطرس الى رومية» ومثلهُ في تاريخ ابي شاكر بطرس المعروف بابن الراهب الذي عُنينا بطبعهِ (ص ١٠١) يذكر وجودهُ في رومية

١) راجع كتابهُ Severus ben el Maqaffa' : Historia Patriarcharum Alexandrinorum, ed. C. F. Seybold. I, 18

وغدوهُ منها . وكلّ هؤلاء من الاقباط يوافقهم ايضاً جرجس بن العميد في تاريخهِ

وكما يثبتون وجود مرقس مع بطرس الرسول في رومية كذلك يقرّرون كتابتهُ الانجيل بنظارة بطرس . قال السنكسار القبطيّ في ترجمة القديسين بطرس وبولس في ٥ ابيب (ص ٢٠٥ من طبعة الكاهن فورجه) : «واملى (بطرسُ) مرقسَ الانجيل المنسوب اليهِ » . وقد ورد كذلك في مقدّمة بشارة مرقس في اوّل انجيلهِ في نسخة ناجيل قديمة لاحد الاقباط تاريخها سنة ١٥٠٠ للشهداء في مكتبتنا الشرقيّة : «انجيل ابينا القديس الرسول الانجيليّ الشريف مرقس وهو واحد من السبعين تلميذاً كتبهُ في المدينة العظمى رومية بالروميّة الفرنجيّة وكرز بهِ بطرس ثم كتبهُ مرقس وكرز بهِ » . وقد سمعتَ قولهُ في ٢٥ برموده : «وهناك (اي في رومية) كتب (مرقس) انجيلهُ واملاهُ لهُ بطرس وبشّر بهِ في رومية» . وقال ابن العميد في تاريخهِ ومثلهُ المنجيّ (ص ١٧١) وابن بطريق (ص ١٩٦) : وفي عصرهِ (اي غايس قيصر) كتب بطرس الانجيل ونسب ذلك الى مرقس برومية» . وقد اختصر هذه الشهادات احد كبار المعلّمين الانكليز في القرن السابع القديس بيدا المكرّم بقولهِ ما تعريبهُ :

« ردّ بطرس مرقس الى الايمان فغدا لهُ ابناً امينًا وترجماناً وخادماً صدوقاً وكان بطرس يدعوهُ ابنهُ (رسالة بطرس الاولى ٥ : ١٣) . ورافق مرقس اباهُ الروحي في كل اسفارهِ وكان لهُ مساعداً في بذر الكلمة الالهيّة والتبشير بمجيء المخلّص . ولمّا قامت الكنيسة في رومية طلب المؤمنون من القديس مرقس ان يكتب لهم خبر المخلّص فلبّى طلبهم وجمع ما كان يسمعهُ من عظات بطرس واقوالهِ ولذا لم يذكر ما قالهُ السيّد المسيح في مديح بطرس بل اسهب الكلام في زلّات هذا الرسول . واثبت عامةُ الرسل هذا الانجيل»

فترى يا حضرة الراهب البرموسي انّ ما يقولهُ اللاتين في بشارة القديس مرقس في رومية مع معلّمهِ بطرس وفي كتابهِ الانجيل عن لسانهِ ليس هو اختراعاً من اللاتين بل سبق اليهِ الاقباط الذين تحفّزتَ انت للدفاع عنهم مع جهلك تاريخهم . وما تجهلهُ انت يعرفهُ المؤرّخون المسلمون . قال المقريزي : ومضى مرقس الى بطرس برومية وصحبهُ وكتب الانجيل عندهُ بالفرنجيّة . وقال ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ١٤٨) : كتب بطرس الانجيل بالروميّة ونسبهُ الى مرقس تلميذهِ

٢ بطرس منشئ الكرسي الاسكندري

ليست المقدّمات السابقة الّا توطئة الى اثبات هذه القضيّة التي ذكرها الراهب

البرموسيّ وبنى على نكرانها دفاعهُ عن استقلال كرسيّ الاسكندريّة وعن اضاليل بدعتها اليعقوبيّة . فنقول :

(اوّلًا) انهُ من الايمان بموجب الوحي في الانجيل الكريم ووفقًا لتعاليم الآباء والمجامع المسكونيّة والمحليّة وشواهد التاريخ الصادقة التي لا تُحصى بل بموجب حكم العقل الصائب انَّ السيد المسيح اقام رئيساً اعظم لكنيستهِ في شخص بطرس وخوَّلهُ كلَّ سلطةٍ على اخوتهِ الرسل وعلى كلّ رُعاة الكنيسة فلا بُدَّ ان تُنظَّم كنيسة الاسكندريّة كغيرها في سلك الكنائس التي استمدَّت سلطتها من مركز الايمان ولاسيَّما ان الاسكندريّة وانطاكية كانتا بعد رومية حاضرتَي العالم الرومانيّ

(ثانياً انَّ الآثار الكنسيَّة القبطيَّة تشهد صريحاً بان الكرسي الاسكندري قد انشأهُ القديس بطرس بواسطة تلميذه مرقس

١ ورد في السنكسار القبطي (١ : ٩٦) عن القديس مرقس قولهُ : « ثمَّ مضى بامر السيد المسيح والرسل الى الاسكندريّة فبشَّر فيها » فقولهُ : « بامر الرسل » اراد اوّلًا بطرس الرسول كما هو ظاهر اذ كان معهُ وحدهُ في رومية كما سبق

٢ قال ساويرس بن المقفَّع اسقف الاشمونين في سير الآباء البطاركة الاسكندريين (ص ١٨—١٩) : « ولمَّا كانت السنة الخامسة والثلثين من بعد صعود المسيح انفذ القديس بطرس ماري مرقس الاب الانجيليّ الى مدينة الاسكندريّة ليبشِّر فيها ويكرز بكلام الله »

٣ ولنا على اصل رئاسة البطريركيَّة الاسكندريَّة شاهد لامع في مقدِّمة ابن العسَّال على انجيل القديس مرقس التي نقلناها عن نسخة قديمة وصفناها في المشرق (٤ [١٩٠١] : ١٠٢—١٠٨) يقول فيها ما نصُّهُ :

« مرقس المجتبى كان اسمهُ اوّلًا يوحنَّا كما ذكر لوقا في الابركسيس واسم امّه مريم وهي اخت برنابا مدينتهم قبرص وهو من السبعين تلميذًا وكان بكرًا كتب انجيلهُ بالروي الفرنجي بمدينة رومية في السنة الرابعة من ملك اقلوديوس قيصر بعد الصعود باثني عشرة سنة وبشَّر بها معلِّمهُ بطرس رئيس الحواريين اوّلًا بمدينة رومية . وبطرس لمَّا جعل مرقس بطريركًا على الاسكندريَّة ومصر واعمالها وخمس المدن وهنَّ : برقة وزلَّا وزويلة واوجلَّة وسترَّة وفي افريقيَّة والحبشة والنوبة كان وصول مرقس الى الاسكندريَّة في السنة السابعة من ملك اقلوديوس فبشَّر بهذا الانجيل » . . .

أفسمعت أيها الراهب النخري كيف يقول احد اراكنة الكنيسة القبطيَّة «انَّ بطرس جعل مرقس بطريركاً على الاسكندريَّة ومصر» او تقول انَّ هذا من اكاذيب اللاتين (ص ٦٠) او من اختراعات «الجزويت» (ص ٩٣) وتلاعبهم باقوال الآباء ورؤساء كنيسة الاقباط زه ا زه !

(ثالثاً) وما تقرُّ بهِ الآثار القبطيَّة تصرّح بهِ كتابات الاحبار الرومانيين المشهود لهم بالقداسة والعلم معاً

١ قال البابا القديس جلاسيوس في براءتهِ الشهيرة التي كتبها سنة ٤٩٤ عن كتب الاسفار المقدَّسة القانونيَّة حيث ذكر ايضاً الكراسيّ العظمى وفي مقدَّمتها كرسي رومية (١ :

« والكرسيُّ الثاني هو كرسيّ الاسكندريَّة لان مرقس تلميذ بطرس المغبوط قدَّسهُ باسم سيّدهِ الهامة . . . والكرسيّ الثالث في انطاكية شريف لان بطرس الرسول جلس عليهِ قبل ان يأتي مدينة رومة »

وقال القديس العظيم غريغوريوس المعروف بالكبير في رسالتهِ الى اولاغيوس بطريرك الاسكندريَّة (٢ :

«انَّ بين اسقف رومة واسقفي الاسكندريَّة وانطاكية روابط وثيقة لانَّ المقامين الاخيرين كان المعتني بانشائها بطرس الرسول فزيَّنها وأعارها شيئاً من سموّ رتبتهِ فصارت هذه الكنائس الثلث كالحبل المثلَّث الذي لا ينقطع (ابن سيراخ ٤ : ١٢) لها التقدُّم على جميع الكنائس »

ثمَّ خصَّ بكلامهِ الكرسيّ الاسكندري فقال:

« انهُ معلوم لدى الجميع انَّ القديس مرقس البشير ارسلهُ معلّمهُ بطرس الرسول الى الاسكندريَّة فجرى هكذا وفاقٌ بين الكرسيَّين الاسكندري والروماني شأن الوفاق الذي يجري بين التلميذ ومعلّمهِ »

ومثلهما قال البابا القديس زيتولا الاوَّل في رسالتهِ الى البلغار فانَّهُ ذكرهم في اثناء الكلام بانشاء القديس بطرس لكنيستي انطاكية والاسكندريَّة (Migne. P. L., CXIX, col. 976)

(رابعاً) وما عرفهُ الاقباط والاحبار الرومانيُّون وجهلهُ راهب البرموس ادركهُ

١) اطلب مجموعة الآباء اللاتين لمن Migne. PP. LL. LXXVII, col. 299

٢) مجموعة مين (ibid. LYXVII, col, 943)

المسلمون فاثبتوهُ في تواريخهم القديمة :

١ قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص ١٦٠) :

«انَّ مرقس صاحب الاسكندريَّة .. وصاحب هذا الكرسي بعامة اذ كان خليفة بطرس وان السبب في ذلك انَّ بطرس لمَّا دعا التلاميذ الى ان يسير بعضهم الى الاسكندريَّة بالانجيل الذي كتبهُ ويدعو الناس فزعوا من ذلك لاجل مَن كان بها من الصابئين ... وان مرقس انتُدب لذلك وكان اصغر القوم سنًّا فقالوا لهُ بطرس الانجيل وهما اسمهُ منهُ واثبت فيهِ اسم مرقس وقال لهُ : قد جعلتك الحاكم عليهم فيما تنازعوا فيهِ»

٢ وقال القلقشندي في صبح الاعشى (١٣ : ٢٧٤) :

« وقد كان لبطاركتهم (اي النصارى) في القديم خمسة كراسيّ لكلّ كرسيّ منها بطرك . الاوَّل منها بمدينة رومية والقائم بهِ خليفة بطرس الحواريّ ... والثاني بمدينة الاسكندريَّة والقائم بهِ خليفة مرقس تلميذ بطرس الحواريّ المتقدِّم ذكرهُ وخليفتهُ بها ... وكان اكبر هذه الكراسيّ الخمسة كرسيّ رومية لكونهِ محلّ خلافة بطرس الحواريّ ثم كرسيّ الاسكندريَّة لكونهِ كرسي مرقس خليفتهِ »

فما قولك ايها الراهب البرموسيّ بهذه الشواهد أفترى انَّ «الجزويت» دسُّوها في كتب المسلمين ليخدعوا بها الناس وذلك قبل ظهور الجزويت ببضع المئات من السنين ؟ . وان كان الحق هو الذي انطق كلّ هؤلاء أفلا يحقّ بك ان تقرّ بغلطك وتحضّ ملّة الاقباط على ان تعود الى حجر امّها الكنيسة الرومانيَّة التي نالت منها كل سلطانها ولا تعود تنخدع باباطيل اليعقوبيَّة وتصون نفسها من تعاليم البروتستانت الذين يعيثون في انحائها وكادوا يلتهمونها . وفي تاريخ الراهب البرموسي تفاصيل محزنة عمَّا حدث ويحدث كلّ يوم بينهم من المشاحنات والمنازعات التي يوقد نارها البروتستانت صان الله الكنيسة المرقسيَّة من دسائسهم ومنحها السلام والرقي بنعمة نائب السيّد المسيح وخليفة بطرس منشئ كرسيّها الرسولي

جثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني (تابع)

٥ً مفارنة السريان من السنة ١٢٦٤ الى السنة ١٥٧٥

٧٠ ﴿غريغوريوس يوحنا الخامس﴾ هو ابو الفرج بن اهرون الملطيّ الشهير

بابن العبري نابغةُ عصرهِ ووحيدُ دهرهِ في اصناف العلوم أبصر النور في مَلَطْية سنة ١٢٢٦ ودرس الطبّ والفصاحة والفلسفة على الاستاذ يعقوب النسطوريّ الفصيح . ولمّا بلغ العشرين ربيعاً نُصب اسقفاً لجوباس فلَقْبين فحلب . ثم ارتقى الى السدّة المفريانية في بيعة العذراء مريم بسيس في ١٩ كانون الثاني ١٢٦٤ بوضع يد البطريرك اغناطيوس الرابع (١٢٦٤–١٢٨٣) وكان ملك الارمن وجملة من اساقفتهم حاضرين حفلة الرسامة . ولمّا انطلق الى الموصل سارع الاهالي عموماً لاستقبالهِ وأجمعوا على محبتهِ والانقياد لاوامره وزواجره . ثم انحدر الى بغداد وزار مكيخا جاثليق النساطرة فاحتفى بهِ وأكرمه وأتحفه بحلّة حبريّة بيضاء . وتوافد النساطرة للسلام عليه وحضروا حفلة تكريسهِ الميرون في كنيسة السريان . وما عتّم ان عاد المفريان الى الموصل في الخريف . ثم تنقّل في البلاد وتعهّد مدّة كنيسة تبريز التي شادها باسيل مطرانها († ١٢٧٢) ثم انطلق الى مراغة واقام زمناً في الدير الذي أسّسهُ السريان فيها وابتنى ثمّ قلّاية ومصلّى عام ١٢٧٣ ثم عاد الى بغداد ودشّن فيها كنيسة جديدة لطائفتهِ سنة ١٢٧٤ وكرّس فيها الميرون ورسم جملة من الشمامسة في بيعة مار توما سنة ١٢٧٧ وسار المفريان عام ١٢٧٨ الى تكريت وتفقّد رعيّته فاحتفوا بهِ احتفاء جزيلاً ولاسيما بعد ابتعاد المفارنة عنها منذ ستين عاماً . وحضر ابن العبريّ عام ١٢٧٩ حفلة تتويج احمد ملك المغول في الطاق وفاز منه ببراءة شاهانيّة ثم يتمّم تبريز وانجز بناء كنيستها

ولمّا توفي البطريرك وخلفه اغناطيوس فيلكسين (١٢٨٣–١٢٩٢) في غيبة المفريان اوفد اليهِ الاساقفة رسائل تنصّل واعتذار فكتب اليهم الجواب يقرّعهم ويعنّفهم على فعلتهم غير الناموسيّة . ولكنّه لجنة السلام والوئام تساهل مع البطريرك وأيّده ورقم له رسالة بديعة وصف فيها ما صارت اليه بلاد السريان غرباً وشرقاً من الخراب والدمار في تلك الاثناء بظهور دولة التتر التي قويت شوكتها وانبسطت بسطوتها على اغلب بلاد سورية وقيليقية والعراق

وعام ١٢٨٤ عاد المفريان الى الموصل وشاد ديراً باسم يوحنا بن نجّارا في قرية بيت اكّارا غربي شمالي برطلّي ولمّا شعر بدنوّ الاجل سأله افاضل العرب ان ينقل الى لغتهم تاريخه السرياني فلبّى الطلب ولازم العمل مدّة شهر حتى اتى عليهِ كلّهُ (١ . .

١) هو تاريخ الدول المشهور بفصاحة لغته العربيّة وصحّة رواياتهِ التاريخيّة وقد نشره

وليلة الثلاثا ٣٠ تموز ١٢٨٦ لفظ روحه في مراغة فصلّى عليه اقليرس الناطرة واليونان والارمن والسريان وشيّعوه بحفاوة عظيمة . ولما خلفهُ اخوهُ برصوما في المفريانيَّة نقل عظامهُ الى دير مار متى

وقد خلف ابن العبري لعالَم العلم والأدب تَرَكَةً ثمينة جدًّا تضمَّنت نيفاً وثلاثين كتاباً في علومٍ مختلفة وأبحاثٍ متنوّعة في الدين والكتاب المقدّس والفلسفة والطبّ والتاريخ والعيشة النسكيَّة والنحو الخ الخ ما برح العلماء يتداولونها ويطالعونها بلذّة ويثنون على سعة مدارك كاتبها وغزارة علمهِ ورجاحة عقلهِ (١

٧١ ﴿غريغوريوس برصوما﴾ هو شقيق ابن العبريّ سالفهِ نُصب مفريانًا في ٣ تموز ١٢٨٨ وحاكاه في سياسة الرعيَّة بالجدّ والحزم . وصرف خمس سنوات في مراغة واذربيجان وتبريز تملّصاً من البطريرك ابن وُهَيب الماردينيّ . ولما عاد الى دير مار دانيال المعروف بدير الخنافس أرسل اليهِ البطريرك وفدًا يطلبُ اليهِ ان يكتب لهُ صكًّا بتأييده في البطريركيَّة سنة ١٢٩٨ فاجاب المفريان برصوما الى طلبهِ . وانتقل الى جوار ربّهِ في برطلّي سنة ١٣٠٨ ونُقلت عظامه الى دير مار متى ودُفن في ضريح شقيقهِ وسالفهِ

٧٢ ﴿غريغوريوس متى الاوّل﴾ هو متى بن حنانيا أبصر النور في برطلّي وقرأ العلوم في دير مار متى وتولى رئاسته زماناً . وانطلق عام ١٣١٧ الى ماردين فرسمه البطريرك اغناطيوس الخامس المعروف بابن وُهَيب (١٢٩٣—١٣٣٣) مفريانًا وارسله الى ابرشيَّته . وزار جماعته في تبريز سنة ١٣١٩ وأصلح شؤونها ثم عاد الى برطلّي . ولمَّا تولى البطريركية اسمعيل الماردينيّ (١٣٣٣—١٣٦٦) حصل بينهما نفور طال اربعة اعوام ثم اصطلحا وتوفي المفريان في غرّة سنة ١٣٤٥ ورسم مطرانين احدهما لسنجار والثاني للجزيرة ونصيبين . وقد أعرض مذيّل تاريخ ابن العبري عن ايراد خبر الرسالة التي أوفدها الى هذا المفريان سنة ١٣٣٣ يوحنا الثاني والعشرون بابا رومية

الاب انطون صالحاني اليسوعي في المطبعة الكاثوليكيَّة سنة ١٨٩٠

١) ان حضرة الاب لويس شيخو اليسوعيّ قد نشر على صفحات هذه المجلة في سنتها الاولى اخبار المفريان ابن العبري واطنب الكلام عنهُ وعن مصنّفاتهِ . فنُحيل القرّاء الكرام الى مطالعتها وقد طُبعت على حدة

وفيها أوصاه باسقف تبريز اللاتيني وبالرهبان الذين وجّههم الى تلك الأصقاع لينشروا فيها الايمان الكاثوليكيّ المقدّس واستنهض همّته ليقنع جماعته ويحملهم على الاتحاد بالكنيسة الرومانيّة

وفي عهد هذا المفريان أصدر عليّ باشا الطاغية صاحب الموصل الاوامر بتقويض كنائس النصارى لكنّ الله تعالى لم يذره ان ينجز امنيّته الخبيثة فثار عليه الحاج تاج وقتله قتلة شنعاء. فعاد النصارى الى كنائسهم

٧٣ ﴿اثناسيوس ابراهيم الثاني﴾ وسنة ١٣٥٨ سار البطريرك اسمعيل الى كرمليس بالموصل وتفقّد أحوال دير مار متى فحنق عليه الامير حسن وقصد الدير واضطرّ البطريرك وأكرهه على العودة الى ماردين. فوافاه هناك سنة ١٣٦٠ ديوسقورس يعقوب قينايا مطران الشام وسأله ان يرسمه مفريانًا فأنكر عليه الطلب فقصد الملكَ الصالح صاحب ماردين (١٣١١—١٣٦٣) ورضخ له اربعين الف غرش على ان يُكره البطريرك ليرسمه مفريانًا فتمنّع البطريرك ونصح لابن قينايا ان يعدل عن فكرته. بيد ان ابن قينايا أبى الّا التصلّب في نَيل أربه فسافر الى دير مار متى واجتمع برهبانه السذّج وأرادهم على ان يرسموه مفريانًا ثم أحدرهم الى الكنيسة ودفع لكلّ منهم عكّازًا يقول للواحد: نُبْ عن البطريرك. وللآخر: سُدّ مسدّ المطران الفلاني. ولهذا: قم مقام الاسقف الفلاني. ولذاك: كن بدلًا من الرئيس الفلاني. وعلى هذا المنوال لفّق ابن قينايا من الرهبان بطركًا ومطارنة واساقفة وروسًا. وشمامسة ليرسموه مفريانًا. والأغرب من ذلك كلّه ان اولئك الرهبان لجهلهم معنى ما يقرأون تلوا عليه رسامة الشمامسة عوضًا عن رسامة المفارنة ورسموه على تلك الصورة الغريبة المستهجنة. ولما درى البطريرك بامره أرسل فحرمه وحرم كلّ من جاراه. غير ان ابن قينايا تمادى في غوايته وقصد بطريرك قيليقية فسمّاه مفريانًا في ٢٩ حزيران ١٣٦١ وأعاده الى برطلي فطرده صاحبها الى تكريت ثم انحدر الى بغداد فقتلهُ الفقهاء. واحرقوا جثته وألقوها في دجلة

وبعد هذا كتب سريان المشرق الى البطريرك يخيّرونه في ان يرسم لهم مفريانًا فاجاب الى طلبتهم ونصب لهم الراهب ابرهيم وسمّاهُ اثناسيوس في ١ تشرين الاوّل ١٣٦٥ وكان ابرهيم معتكفًا في دير الصليب قريبًا من باقسيان بطور عبدين ثم

قضى زماناً في دير الناطف فوق دير الزعفران ولما تقلّد الفريانيّة توجّه الى الموصل فبرطلي فكرمليس ولمّا وصل الى دير مار متى رحّب به الرهبان وقبّلوا يده وأجلسوه على الكرسيّ . ثم تعهّد السريان في قرقوش وتكريت وبغداد واربيل . ورام ان يكرّس الميرون سنة ١٣٦٩ فعاكسهُ الرهبان وأبوا عليه ذلك فاستأذن الامير سلطان شاه وكرّسهُ في بيعة الاربعين بكرمليس على رغم من الرهبان . ويوم الاحد ٢٥ آب ١٣٦٩ تجمهر قوم من التتر يقودهم مردنشاه وحصروا دير مار متى ونهبوه واستوطنوه زماناً ثم انكشفوا عنه . وسنة ١٣٧٥ دُمّرت كنيسة اربيل السريانية . اما الفريان فادركته الوفاة سنة ١٣٧٩

٧٤ ﴿ باسيل بهنام الاوّل ﴾ نشأ في حدل قرية بطور عبدين غربيّ آزخ وقرأ العلوم في دير قرتمين وانقطع زماناً الى صومعة مار لوخينا معلّم مار بسّوس الشهيد وأكبّ على الدرس والمطالعة حتى غدا كاتباً ماهرًا وشارحاً بارعاً وخطيباً مصقعاً وصنّف ميامر شتى في مديح مار سابا ومار بهنام الشهيدين . والّف نافورًا نظمه على الحروف الابجديّة . وفي السنة الخامسة والعشرين لفراغ الكرسي الفرياني رقّاهُ ابرهيم بن غريب بطريرك ماردين (١٣٨١–١٤١٢) الى الفريانيّة عام ١٤٠٤ فأجمعت القلوب على حبّهِ واحترامهِ ودبّر ابرشيّتهِ ثمانية اعوام حجّ بعدها الى الاراضي المقدسة ثم خلف سالفه في البطريركيّة سنة ١٤١٢ وقد اشرنا الى اعماله اثناء بطريركيّتهِ في مقالتنا عن البطريركيّة الانطاكيّة (المشرق ٢١[١٩٢٣]: ٥٩٧)

٧٥ ﴿ ديوسقورس بهنام الثاني ﴾ عُرف ببهنام شتّي العربيّ تقلّد الفريانيّة عام ١٤١٥ فلم تطل مدتهُ وحلّت وفاته سنة ١٤١٧

٧٦ ﴿ باسيل برصوما الثاني ﴾ اعتكف في دير مار يعقوب الشهير بقرية صَلَح وأحرز من العلوم نصيباً وافرًا . ولمّا وُجدت فيه الكفاءة رسمه البطريرك بهنام سنة ١٤٢٢ مفريانًا وسمّاه باسيليوس فساس الرعيّة بحنكة ودراية مدّة ثلاث وثلاثين سنة وقُبض في دير مار بهنام سنة ١٤٥٥

٧٧ ﴿ قرلّس يوسف الثالث ﴾ هو المشهور بابن نيسان كان مطرانًا على دمشق الشام ثم نُصب مفريانًا للمشرق سنة ١٤٥٨ بوضع يد البطريرك اغناطيوس خلف (١٤٥٥–١٤٨٤) ولم يمكث في برطلّي الّا زمناً يسيرًا فغادرها الى حمص حيث أدركهُ

الاجل نحو سنة ١٤٧٠

٧٨ ﴿ باسيل عزيز ﴾ هو ابن اخت البطريرك اغناطيوس خلف . وُلد في سعرد وتسقّف على جزيرة ابن عمرو ونصبه خالهُ مفريانًا سنة ١٤٧١ فساس الابرشيّة ستّ عشرة سنة . ولمّا ارتقى يوحنا بن شي الله الماردينيّ الى الكرسي البطريركيّ سنة ١٤٨٤ حرد عليهِ قوم من الاساقفة واستحضروا عزيزًا المفريان الى قرية القصور جنوبيّ ماردين ليرسموه بطريركًا ثانيًا . فاستدرك البطريرك الامر وبادر اليهم في جماعة من الوجهاء والشيوخ واستغفرهم على تسرّعه وخيّر المفريان في السكنى بماردين على ان يتوجه هو الى الموصل . فأبى المفريان وانقلب راجعًا الى ابرشيته مضمرًا الحقد والغيظ لبطريركه . ولبثا على هذه الصورة حتى سنة ١٤٨٦ فأقبل المفريان الى ماردين وكرّس الميرون وسار البطريرك الى الموصل وفعل كذلك ومن ثمّ عادت المياه الى مجاريها وحصل الوفق بينهما . وقضى المفريان انفاسه في ١٠ ايلول ١٤٨٧ ودُفن في دير مار بهنام وبكاه الجميع ولاسيما الرهبان لانه كان يحبّهم ويعتني بأمورهم الروحيّة والزمنيّة . وامتاز هذا المفريان بدماثة الخلق ولين الجانب والغيرة على صيانة القوانين البيعيّة . واكبّ على الدروس الفلسفيّة والفلكيّة والطبيّة فأتقنها ونبغ فيها

٧٩ ﴿ باسيل نوح ﴾ وُلد سنة ١٤٥١ في بقوفا قرية بلبنان ما بين اهدن وبشرّاي وتوجّه منذ نعومة اظفاره الى دير السريان باورشليم وقرأ العلوم على ديوسقورس بن ضوّ التبكيّ مطران السريان المنوفستيين ثم ارتحل الى دير مار موسى بالتبك (١ فترهّب وما لبث ان رُسم قسًّا نحو سنة ١٤٤٩ وأُرسل الى بقوفا مسقط رأسه ليؤيّد فيها مبادئه . فأقام القسّ نوح في الفريديس بارض بان وطفق يبثّ فيها القول بالطبيعة الواحدة وساعده في ذلك موسى بن عطشه المنوفستيّ وزمرة من الرهبان . وكان موسى المومأ اليه قد صنّف كتابًا سريانيًّا وعربيًّا ضمّنه مزاعم اليعقوبيّة وأذاعه في طرابلس ولبنان فاستحسنه المقدّم عبد المنعم ايوب صاحب جبّة بشرّاي والشدياق جرجس بن حسن الصوفيّ النابلسيّ شيخ حدشيت وأخواه الخوري يوحنا والقس ايليا واخذوا يذيعون المنوفستيّة في قرى بقوفا وبان وأهدن وحلند وعين تورين وحدشيت وشخص آنئذٍ الى لبنان قومٌ من يعاقبة صدد وسكنوا حصرون واقبل كذلك القسّ

١) اطلب فهرس مكتبة اوكسفرد (عدد ٥٥) PAYNE SMITH, Catal. Oxon., p. 202.

يعقوب الحبشي في فئة من الرهبان اليعاقبة واستوطنوا دير مار يعقوب باهدن ودير مار جرجس بحدشيت وانضمّ اليهم تسعة رهبان من حردين وبقوفا ولحفد وقرية موسى فرسمهم ديوسقورس مطران القدس قسوساً واعادهم الى لبنان فطفقوا يبثون فيها زعمهم ولقنوا أتباعهم ان يرسموا اشارة الصليب باصبع واحدة ويذكروا ثلاثة مجامع فقط في ذبيحتنا الآباء. وساعدهم عبد المنعم والشدياق جرجس المشار اليهما ووهباهم اماكن لسكناهم وابتنى لهم عبد المنعم كنيسة مجاورة لداره على اسم برصوما

ولما أيقن القسّ نوح البقوفاي بالفوز في نشر مذهبه قصد مدينة حماة فنصبه فيلكسين بن قرمان اسقفها مطراناً لحمص وسناه قرلس فعاد المطران الجديد الى لبنان واستأنف عمله موقناً بالنجاح وبلوغ الارب. غير ان اهالي اهدن لم يتماسكوا ان هبّوا باجمعهم لمعاكسة المطران ومعاداة القائلين بمقالته فثاروا عليهم وهزموهم ودكّوا منازلهم وأخربوا دير النوبة كرسي مفريانهم سنة ١٤٩٢ (١ فاركن اليعاقبة الى الفرار وتفرّقوا في قبرس وحردين وكفرحورا وغيرها. امّا القس يعقوب وأصحابه الرهبان فانهم انهزموا الى دير مار موسى في البرّية (٢

وعام ١٤٨٩ كتب البطريرك يوحنا (١٤٨٤—١٤٩٤) الى المطران نوح واستقدمه الى ماردين ونصبه مفرياناً سنة ١٤٩٠ وبعد اربعة اعوام استأذن المفريان بطريركه في الحجّ الى اورشليم وزيارة أهله في لبنان فاستمهله البطريرك الى الخريف على ان يذهبا معاً الى القدس الشريف ومن ثم يعود المفريان الى لبنان ويستأنف البطريرك المسير الى القطر المصريّ ليتعهّد السريان الذين فيه غير ان المنيّة عاجلت البطريرك في ١ تشرين الاوّل ١٤٩٤ فسارع المفريان نوح الى ماردين ونُصب بطريركاً في احد تقديس البيعة من السنة عينها. وكان هذا المفريان متفنناً بالتاريخ والشعر موصوفاً بجودة الخطّ متضلّعاً من السريانيّة والعربيّة. ومن آثار قلمه ميمره في عيد البشارة ألّفه في الموصل سنة ١٤٩٤ و ٦٨ قصيدةً سريانية وتاريخ مختصر في احوال بلاد ما

١) لخّصنا اخبار نوح المفريان من تاريخ العلاّمة السيد اسطفان الدويهي بطريرك السريان الموارنة المطبوع سنة ١٨٩٠ (ص ١٣٩ و٤١٣ و ٤٤٤) ويُستفاد من قوله «دير النوبة كرسيّ مفرياتهم» ان نوحاً عاد الى لبنان سنة ١٤٨٩ بعد رسامته مفريانًا

٢) هو دير مار موسى الحبشيّ خاصّة السريان الكاثوليك قريباً من النبك

بين النهرين حتى سنة ١٤٩٦ (١

٨٠ ﴿ باسيل ابرهيم الثالث ﴾ وُلد في قلعة المرأة قرية بين ماردين ودير الزعفران ورقّاه سائقه الى المفريانيّة عام ١٤٩٦ وساس رعيّته بغيرة وخدمها خدمة نصوحاً . وحلّت وفاته سنة ١٥٢٧ (٢ وفي عهد هذا المفريان رسم مسعود الزازيّ بطريرك طور عبدين مفريانًا اسمه ملكي أصله من مذيات فنشأت من ثم خصومات شتى بسببه وهو اوّل مفريان رُسم لطور عبدين

٨١ ﴿ اثناسيوس حبيب الاوّل ﴾ أبصر النور في حصن منصور بُلَيدة ما بين ملطية ومعمورة العزيز وارتقى الى المفريانيّة سنة ١٥٢٨ بوضع يد البطريرك عبدالله الاوّل (١٥٢١—١٥٥٧ وحلّت وفاته سنة ١٥٣٣

٨٢ ﴿ باسيل الياس الاوّل ﴾ أُنيطت به مفريانيّة المشرق عام ١٥٣٣ وكان مولده في قرية دير هليا جنوبي ماردين وقد ورد في مخطوط يُسمّى كتاب الرؤوس في الاعتراف ، خاصّة مكتبتنا البطريركيّة بماردين انه نُسخ سنة ١٥٤٦ في عهد البطريرك عبدالله والمفريان ايليا من قرية دير هليا . وورد ما يؤيد ذلك في كتاب مجموعة التراتيم السريانيّة في مكتبتنا بديار بكر المنسوخ في ١٠ كانون الاوّل ١٥٥٥

وكان في عهده مفريان ثانٍ يقيم في نواحي النبك على ما جاء مسطّرًا في جدار دير مار موسى الحبشي وهذا تعريبهُ : «جُدّد هذا البرج في زمان . . . المفريان ميخائيل ابن ابرهيم . . في نيسان ١٥٥١» . وورد اسم مفريان ثالث في تاريخ عُلّق على كتاب الصلوات الفرضيّة في قرية قلث بطور عبدين هذا شرحه : «نُسخ الكتاب سنة ١٥٥٣ في عهد اغناطيوس يعقوب بطريرك صلح والمفريان شمعون المولود في قرية كفر شامع بين مذيات والمحل» فيتحصّل من ذلك انهُ كان للسريان آنئذٍ ثلاثة مفارنة وهم المفريان الياس بالموصل والمفريان ميخائيل بفونيقي والمفريان شمعون بطور عبدين

وفي تلك الغضون أوفد البطريرك عبدالله الاوّل سنة ١٥٥٢ القس موسى المارديني

---

١) اطلب الكتاب ٤٥ من الكتب السريانيّة للمكتبة الواتكانية والمكتبة الشرقيّة للعلّامة السمعاني (٢ : ٤٦٩)

٢) الى هنا ما ورد في تاريخ ابن العبريّ وذيله طبقًا للنسخة التي نشرها في لوفان (بلجكة) سنة ١٨٧٢ العلّامتان لامي وابلوس المستشرقان

الصوريّ الى رومة فقرّر دستور ايمانه وايمان بطريركه امام البابا يوليوس الثالث الحبر الروماني . ومن جملة ما ورد فيهِ قوله :

« ابتهل الى ابي الآباء وراعي الرعاة الحبر الاعظم يوليوس الثالث ان يتعطّف ويتقبّل اقراري بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن بطريركنا . . . الذي امرني ان اقرّ بايمانكم هذا القويم الصحيح . واصرّح بانه يقبل بما اعترف انا بهِ . وقد امرني ان انبسّر اوّلاً ثم اقرّ بهِ . وقد رأيتُ بعد التروّي ان ايمانكم يضارع نبراساً موضوعاً على المنارة لا يحجب نوره ظلام . ولو أمسى العالم كلّه ظلاماً لظلّ ايمانكم منيراً لهُ كالشمس »

٨٣ ﴿باسيل نعمة الله﴾ تولى المفريانيّة في ماردين سنة ١٥٥٥ وساس كرسيّ المشرق سنتين كاملتين ارتقى بعدهما الى السدّة البطريركية ثم انهزم الى رومية حيث انتقل الى جوار ربّه عام ١٥٧٦ وقد اوردنا عام اوّل على صفحات المشرق لسبب انهزامه

وكان الناطرة في هذه الاثناء قد اختلّت امورهم وسئموا معاملة جثالقتهم المتسلسلين بالتراث فتألب قسم صالح من وجهائهم من كلّ البلدان واعملوا الرويّة في كيفيّة التملّص من ربق عبوديّة اولئك الجثالقة واتّفقوا على انتخاب الربّان سولاقا جاثليقاً واوفدوه عام ١٥٥٢ الى عاصمة الكثلكة متوسّلين الى يوليوس الثالث الحبر الروماني ليرسمه فاجاب البابا الى طلبهم ورسمه بيده في ٢٨ نيسان ١٥٥٣ في كاتدرائية مار بطرس وسمّاه يوحنا ووشّحه بدرع التثبيت وزوّده بالبركة والدعاء وألحقه باربع حلل كهنوتيّة مذهّبة وتاج وكاس فاخرين وأعاده الى المشرق سنة ١٥٥٤ فجعل مقرّه في ديار بكر . فضغن عليهِ شمعون دنحا بن ماما جاثليق الناطرة واذاقه الامرّين ولم يكفّ عن الحاق الأذى به حتى قُتل بدهائهِ سنة ١٥٥٥ وهو اوّل بطاركة السريان الشرقيّين اعني الكلدان (١

(التتمّة لعدد آخر)

---

١) الطب مجلّة المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٨٢٢)

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية

للاب لويس شيخو اليسوعي

٧ نابغة بني شيبان (تابع)

قال ابو الفرج (٦ : ١٥٤) وممّا يُغنّى فيهِ من شعر نابغة شيبان وذكر يونس انَّ فيهِ لحناً آخر لابن عائشة. والقصيدة في ديوان النابغة تُنيف على ستين بيتاً اختار منها في الاغاني ثمانية ونتقي منها ما يلي (من مجزوء الرمل) :

ذرفَتْ عيني دموعاً ... من رُسومٍ بخَفيرِ
مُوحِشاتٍ طامساتٍ ... مثل آيات الزُّبُورِ
غَيَّرَتْها في سُفورٍ ... مرّ أيّامَ الدهورِ
جادَها كلُّ مُلِثٍّ ... ذي اهاضيبَ مَطيرِ
واذا النَّكباءُ هاجتْ ... لَعِبتْ فيها بِمُورِ
وجَنُوبٌ وشَمالٌ ... وصَباً بعد الدَّبُورِ
قد اذاعَتْ برسومٍ ... لا تَبينُ لِبَصيرِ
بُدِلَ الرَّبعُ وحوشاً ... من كبيرٍ وصغيرِ
ذاكَ من بعدِ حِلالٍ ... وأنيسٍ وعُمورِ
وهِجانٍ وقيانٍ ... وقِبابٍ كالقصورِ
وخُيولٍ أرِنّاتٍ ... من إناثٍ وذكورِ
وسَماحيجَ سراعٍ ... مثلَ عُقْبانٍ كُسورِ

وحسانٍ آنساتٍ وعَذارى في خُدورِ
قاصراتٍ ناعماتٍ في نعيمٍ وسرورِ
ليس من يذكرُ هذا يا لَقومٍ بصَبُورِ
وكهولٍ قد أراهم كخضاريمِ البُحورِ
ورجالٍ لم يَشيبوا وشِبابٍ كالصُقورِ
كم تَرى فيهم نديماً من رئيسٍ كالاميرِ
ذي عَطاءٍ وغَناءٍ مُحسنٍ نَسجَ الامورِ
قائدٍ جيشاً هُماماً عند حلٍّ ومَسيرِ
لَجِباً يُسمِعُ رِزّاً عند طعنٍ ونفيرِ
فاذا تَندو شباباً كلُّ ميمونٍ هَصُورِ
ركبوا كلُّ عَلَنْدَى ذي أفانينَ صَبُورِ
فاذا لاقوا اسوداً أوعدَتْ أُسداً بزيرِ
طاعَنوا بعد رِماءٍ وضِرابٍ بالذكورِ
ومن الناسِ غنيٌّ ذو سَوامٍ وقُدورِ
ووسيطٌ في زَماعٍ ذو معاشٍ وفقيرِ
كلُّ باغي الخير يوماً راكبُ الهَولِ الكبيرِ

﴿شعرهُ﴾ استحقَّ عبدالله بن مخارق الشيباني ان يدعوهُ قومهُ نابغةً لجودة شعرهِ الجامع بين المتانة والانسجام . وديوانهُ قد نجا من آفات الدهر منهُ نسخةٌ في مكتبة مصر المعروفة سابقاً بالخديويَّة عنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيَّة . وهي

تتألف من ٤٦ صحيفة اعني ٩٢ صفحة وفي الصفحة ١٥ بيتاً ومجموع قصائد الديوان عشرون عدًّا. على انَّ هذه النسخة سقيمة لا بُدَّ من نسخةٍ ثانية لإصلاح ما وقع فيها من التصحيف والتحريف . وهـا نحن نروي منها بعض المقاطيع التي تشهد لقائلها بالذكاء والقريحة الشعريَّة . وقد وجدنا في كتب الادباء ابياتاً ومقاطيع ليست في هذا الديوان فنروي منها ما نرى من ايراده فائدةً . فمن شعر النابغة الشيباني المختار قصيدتهُ البائيَّة في مديح يزيد بن عبدالملك اوَّلها (من البسيط) :

بان الخليطُ فشطُّوا بالرَّعـابيبِ وهنَّ يُوْبَنَّ بعـد الحسن بالطيبِ
فهيَّجوا الشوقَ اذ خفَّتْ نعامتُهم وأورثوا القلبَ صدعاً غيرَ مشعوبِ

وهي طويلة منها قولهُ في كوارث الدهر :

ما يَطلبِ الدهرُ تُدرِكهُ مخـالبُهُ والدهرُ بالوِتْرِ ناجٍ غيرُ مغلوبِ
يُبلي الشبابَ فينفي الشيبُ بهجتَهُ والدهرُ ذو العُوصِ يأتي بالاعاجيبِ
هل من أناسٍ أُولي مجدٍ ومـأثُرةٍ إلاَّ يَشُدُّ عليهم شدَّةَ الـذيبِ
حتى يُصيبَ على عهدٍ خِبـارَهُمُ بالنافذاتِ من النَّبل المَصـاييبِ
انّي وجدتُ سهامَ الموتِ مَعْدِلَها بكل حَتْمٍ من الآجال مكتوبِ
والدهرُ حالانِ همٌّ بعـدَهُ فَرَحٌ وفَرْجـةٌ بعدهـا همٌّ بتغييبِ
من يَلقَ بَلوى يَنَلْهُ بعدَها فَرَجٌ والناس من بين ذي رَوْحٍ ومكروبِ
وبينِ داعٍ الى رُشْـدٍ صحابتَـهُ وبينِ غادٍ وذي مـالٍ ومحروبِ
والعيشُ طِيبـانِ طِيبٌ ثَرٌّ حالبُـهُ وطِيبُ جَـدَّاءَ ذاوٍ غيرُ مَحلوبِ

ومن حِكَمها المصيبة :

عاتبْ أخاكَ ولا تُكثِرْ مَلامَتَهُ وزُرْ صديقَكَ رِسلاً بعد تَغييبِ

وان عُنيتَ بمعروفٍ فقُلْ حسناً ... ولا تَهُنْ عن ذوي ضِغْنٍ لتهييبِ
لا تحمَدَنَّ امرءاً (١ حتى تجرّبَهُ ... ولا تَذُمَّنَّهُ من غير تجريبِ
انَّ الغلام مطيعٌ مَن يؤدِّبُهُ ... ولا يُطيعُك ذو شَيْبٍ لتأديبِ

ومنها في مدح يزيد :

وان رحلتَ الى مَلْكٍ لتمدحَهُ ... فارْحَلْ بشِعْرٍ نقيٍّ غيرِ مَخْشوبِ
وامدَحْ يزيدَ ولا تَظْهَرْ بمدحتهِ ... وقُدْ اوائلَها قَوْداً بتشبيبِ
انَّ الخليفةَ فرعٌ حين تَنسبُهُ ... من الأعاصر هَيْجاً غير مَنْسوبِ
يَنميهِ حَرْبٌ ومَرْوانٌ وأصلُهما ... الى جراثيمِ مجدٍ غيرِ مأشوبِ
ثَمانُ أربعةٌ كانوا ائمَّتَنا ... فكان مُلْكُك حقّاً ليس بالحُوبِ(٢
اعطاكَ مُلكاً وتقوى انت سائلُهُ ... بعد الفضائل مَن اوحى الى النُّوبِ(٣
أبلجُ كالبَدْرِ عالي الهمّ مختلِفٌ ... يُنمَى الى الأبطحيّات المصاعيبِ
بحرٌ نمَتْهُ بُحورٌ غيرُ ساجيةٍ ... تلك المخاصيبُ ابناءُ المخاصيبِ
قومٌ بمكّةَ في بطحائها وُلدوا ... ابناءُ مكّةَ ليسوا بالأعاريبِ
الاكثرونَ اذا ما سال مَوْجُهمُ ... بكلِّ أصيدَ سامي الطَّرْفِ هَبْهوبِ(٤
والضاربون من الابطال هامَهُمُ ... ضرباً طِلِخْفاً وَوَهْكاً غيرَ تذبيبِ(٥
انت ابن عاتكةَ الميمونِ طائرُها ... امِّ الملوكِ بني العزِّ المناجيبِ
اذا الملوكُ جرت يوماً لمكرُمةٍ ... جَرْيَ المحاضيرِ حُثَّتْ بالكلاليبِ

١) ويروى : لا تمدحنَّ فتى ٢) الحوب الإثم ٣) النُّوب النحل
٤) الهبوب الخفيف
٥) الطلخف والطلخف الشديد . وَهَكَهُ هذهُ

جريتَ جَرْيَ عتيقٍ لم يكن وَكِلًا بَذِّ المَناجيجِ سبقاً غيرَ مضروبِ

ومن قصائده الغرّاء داليّتهُ الشهيرة التي اوّلها (من الوافر) :

أَتَصْرِمُ أم تُواصِلُكَ النَّجودُ (١ وليس لها وإن وصلَتْكَ جُودُ

وفيها يقول في وصف حدثان الدهر :

وعَوْضُ الدهر بالانسانِ جَمٌّ فما للشامتين بهِ خُلودُ
وكلُّ مُنعَّمٍ واخي شقاءٍ ومُثْرٍ والمُقِلُّ معاً يَبيدُ
اذا ما ليلةٌ مرَّتْ ويومٌ أَتى يومٌ وليلتُهُ جديدُ
أَباد الأَوّلين وكلَّ قِرْنٍ وعادًا مثل ما بادت ثَمودُ
ولا يُنْجي من الآجالِ ارضٌ يُحَلُّ بها ولا القَصْرُ المَشيدُ
ولا يُحْيي الجبانَ حِذارُ موتٍ ويَبلغُ عُمْرَهُ البَطَلُ النَّجيدُ

ومنها في مدح التقى ومصاحبة الأخيار :

ولستُ ارى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذُخْرًا وعند الله للأَتقى مَزيدُ
فصاحِبْ كلَّ أروعَ دَهْثَميٍّ (٢ ولا يَصْحَبْكَ ذو الجَهْلِ البَليدُ
يرى ما نال غُنْماً كلَّ يومٍ صَفاةً حين تَخْبُرُهُ صَليدُ
وشرُّ مُصاحِبٍ خَلْفٌ قَسِيٌّ ونِعْمَ الصاحبُ الخُلُقُ السديدُ

ومن هجائها :

فما بالي وبالُ بني لَكاعٍ عليَّ لهم اذا شَبِعوا فَديدُ

١) النجود المرأة العاقلة النبيلة ٢) الدهثمي السهل الخُلُق اللين المريكة

اذا ما غبتُ عنهمُ أوعدوني ... واي الناسِ يقتلهُ الوعيدُ
متى ما يسمعوا رزّي يدينوا(١ ... كما دانت لسيّدها اليهودُ
كأنهمُ لقد جشموا وذلّوا ... مخافةَ أن أجدّعهم سجودُ
بهرتُهمُ وأفحمَ ناطقوهم ... كما بهرَ المحمّلةَ الصعودُ(٢

ومن فخرها قولهُ في بني شيبان :

نفى عني العدوَّ قُراسياتٌ(٣ ... قُروم من بني شيبانَ صيدُ
فمنهم حين تنتطح النواحي ... اذا اذُكرَ المآثرُ والعديدُ
فقرورٌ وحارثةُ بنُ عمرٍو ... هما الفرعانِ مجدُهما تليدُ(٤
وبسطامٌ تغمّطَ والمثنّى ... بهِ قُضّتْ من الفرس الجُنودُ(٥
وعوفُ(٦ المأثُراتِ وكلِّ عهدٍ ... وفيٌّ حين تنتقضُ العهودُ
وذو المأنى ابو حربِ بن عوفٍ ... معاذتُهُ تُفكُّ بها القيودُ(٧
وكان الحوفزانُ شهابَ حربٍ ... رئيسَ الناس متّبعاً يقودُ(٨
وفكّاكُ العناقِ ابو ثُبيتٍ ... يزيدُ بعدهُ منّا يزيدُ(٩

---

١) الرزّ الصوت الخفيف تسمعهُ من بعيد

٢) شبّه اعداءهُ بالابل المرقورة تكلّ صعودًا . ويروى : وأفحمُ ناطقيهم

٣) القُراسيات الابل الشديدة الضخمة شبّه بها قومَهُ ٤) هما مفروق من بني ابي ربيعة وحارثة بن عمرو بن ابي ربيعة الشيباني ذو التاج كان على بكر بن وائل يوم أوارة حين قاتلوا المنذر بن ماء السماء ٥) هو بسطام ذو الجدّين . والمثنّى هو ابن حارثة الشيباني

٦) عوف من بني هند ٧) جاء في اصل الديوان : المأنى الانتظار . والمأنى من الأناة والحلم . معاذتهُ اي كان الرجل اذا أثرهُ قال : عُذتُ بفلان وابو حرب هو ابن عوف من بني هند ٨ هو الحوفزان بن شريك واسمهُ الحارث . وابوهُ شريك بن مطر حدّ سمن بن زائدة كان أكبر الناس عند المنذر (الاشتقاق لابن دريد)

٩) ابو ثُبيت هو يزيد بن مسهر من بني همام بن مرّة . ويزيد ابو حوشب ابنهُ

وعُدَّ أبا الوَجيهةِ في نُجومٍ نجومٌ حُمَّةٌ تلك السعودُ (١
قَبيصَةُ وابنُ ذي الجَدَّين فيهم (٢ وأشرسُ (٣ والمُحَيَّةُ والشريدُ (٤
وعمروٌ والأغَنُّ عميدُ حيٍّ وكلٌّ في أرُومتهِ عَميدُ (٥
وسادَ ابنُ القُرَيمِ وكان قَرْماً أخا حربٍ يُشَبُّ لها الوَقُودُ (٦
وحَمَّالُ المِئينَ ابو حِماسٍ اثابَ بها اذا ضَلِعَ اللَّهيدُ
وجادَ ابنُ الحُصَيْنِ وكان بحرًا ولِلْهَزْهازِ عند الجَهْدِ جُودُ (٧
ومَصْقَلَةُ الذي أجدى وأعطى لهُ من مَدِّ عافيةٍ وُرودُ (٨
بهِ عُتِقَ السَّبايا بعد رِقٍّ اذا أبطَتْ فِكاكَهُمُ الوُفودُ
جلودُهُمُ من العَثَراتِ مُلْسٌ نقيَّاتٌ اذا دَنِسَ الجُلودُ
أُولَئكَ أُسرتي سَأذودُ عنهم اذا ما خامَ عنهم مَن يَذودُ
بغُرٍّ من قَوافٍ نافِذاتٍ جَوارِحَ في الصُّدورِ لها خُدودُ
فخَيرُ الشعرِ أكرَمُهُ رجالًا وشرُّ الشعرِ ما نَطَقَ العَبيدُ

١) ابو الوجيهة ركضة بن ركضة بن النعمن وهو من بني سعيد بن همام بن قبيصة بن ابي ربيعة ٢) قال ابن الاثير في المرصّع (ص ٧٠) : « ذو الجدّين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني وهو والد بسطام بن قيس سُمّي به لانهُ كان أسَرَ اسيرًا لهُ فداءٌ كبير فقال رجلٌ : انهُ لذو جَدٍّ في الأسر اي حظٍّ فقال آخر : انهُ لذو جَدَّين

٣) وأشرس من بني هند . والمحيّة من بني ربيعة ٤) الشريد من بني مرّة بن همام وهو خالد بن السفاحة من بني مرّة ٥) الأغنّ احد بني حارثة بن رهل ابو حماس بن زيد بن خُلَيْد احد بني الورثة ٦) ابن القريم من بني تيم بن شيبان وهو سلمة بن ثامة ٧) هو عمرو بن الحصين احد الاحلاف من بني عمرو بن همام . والهزهاز من بني ابن همّام

٨) مصقلة من بني ثعلبة بن شيبان . عافٍ وعافية من عفوتُهُ واعتفيتهُ اذا اتيتهُ

والنابغة من قصيدة يذكر فيها الخالق عز وجل ويحض الانسان على الصلاح (من الطويل) :

وتُعجبني اللذّاتُ ثم تعوجني ... وتستُرني عنها من الله ساترُ
فقلتُ وقد مرّت حتوفٌ بأهلها ... ألا ليس شيءٌ غيرَ ربّيَ غابرُ
هو الباطنُ الربُّ اللطيفُ مكانُهُ ... وأوّلُ شيءٍ ربُّنا ثمّ آخرُ
كريمٌ حليمٌ لا يُعقّب حكمُهُ ... كثيرُ أيادي الخير للذنبِ غافرُ
يُقيم حَصادَ الزرع بعد ارتباعهِ ... فتفنى قرونٌ وهو للزرع آبرُ
ومن يُعنَ بالأخبار عن مَن يَرُومُها ... فإنّي بها قد قلتُ في الشعرِ خابرُ
ألا أيُّها الانسانُ هل انت عاملٌ ... فانّك بعد الموت لا بُدّ ناشرُ
ألم ترَ انّ الخير والشرّ فتنةٌ ... ذخائرُ تجري بهنّ ذخائرُ
ومن يَعمل الخيرات او يَحظَ خالياً ... يُجازَ بها أيّام تُبلَى السرائرُ
وجدتُ الثّرا ثمّ المُصيباتِ كلّها ... يجيءُ بها بعد الإلهِ المقادرُ
فإنْ عُسرةٌ يوماً اضرّت بأهلها ... أتتْ بعدَها من غير شكٍّ ميسرُ (١
ونازلِ دارٍ لا يُريد فِراقَها ... ستُظعنهُ عمّا يريدُ الجرائرُ
ومن يُنصِفِ الأقوامَ ما كان قاضياً ... وكلُّ امرئٍ لا يُنصفُ الناسَ جائرُ (٢
ويُعذَرُ ذو الذنب المُقرّ بذنبهِ ... وليس لمن يُقضي على الذنبِ عاذرُ (٣

(لها بقية)

١) ويروى: انت بعدها عمّا وعدنا الميسرُ ٢) ويروى: لم يأتِ قاضيا . . . لا ينصفُ الله ٣) هذه رواية حماسة البحتري. وفي الديوان: ويُعذر ذو الدين الطلوب الناس عاذرُ بدينهِ. وليس لامرئٍ يظلم

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

اخصّ المخطوطات لأغفال الكتبة

انّ عدداً عديداً من المخطوطات العربيّة لم تُذكر فيها اسماء مؤلفيها ولا تخلو معرفتها من افادة ولذلك احببنا ان نختم مقالاتنا السابقة بذكر اخصّ ما وجدناهُ منها في مكاتب الشرق خصوصاً. ونقسم هذا الباب فصولاً لتسهل مراجعتها

١ ﴿ نصوص الكتاب المقدّس : العهد العتيق ﴾ منهُ نسخ كاملة في دير المخلّص . وفي دير الشير . وفي مدرسة البلمند . وفي مكتبة الموارنة في حلب وهذه النسخة الاخيرة متقنة جميلة الخطّ وانما هي منقولة عن النسخة المطبوعة في رومية سنة ١٦٧٠ . ولا نعرف ما للنسخ الاولى من الخواصّ . وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة تاريخها سنة ٧١٩٨ لآدم (١٦٩٠م) وصفناها في المشرق (٧[١٩٠٤]: ٣٣–٣٧) = وذكر الاب برانتون (H. BARENTON : La France Catholique en Orient. p. 122) ترجمةً عربيّة للكتاب المقدّس لاحد الآباء الكبوشيّين في حلب سنة ١٦٣٣

امّا الاسفار المفردة ففي مكاتب الشرق نسخ عديدة من سفر المزامير منها واحدة على رقّ غزال في مكتبة المرحوم مراد بك البارودي . ونسختان في مكتبتنا الشرقيّة الخ . وفيها خمس نسخ من سفر حكمة ابن سيراخ مع اختلاف في التعريب . وفي مكتبة برلين (Ms 10,173) تعريب النبوات بهذا العنوان « الجوهر المضيء في الستّة عشر نبي . »

٢ ﴿ شروح على اسفار العهد العتيق ﴾ ١) في المكتبة الفاتيكانيّة تفسيران لسفر التكوين يرقى احدهما الى القرن الخامس عشر . وكذلك شرح سفر التكوين في دير الشرفة (لبنان) . ٢) شرح سفر نشيد الأناشيد تعريب احد الآباء الكبوشيّين في حلب سنة ١٧٦٧ منهُ نسخة ايضاً في مكتبة الآباء الكبوشيّين في بيروت وفي مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة الموارنة في حلب . ٣) شرح سفر ايوب في مكتبة المنفيور

جرجس شلحت في حلب . ٤) شروح على المزامير مع مقدّمة في ١٥ فصلاً من القرن الخامس عشر في مكتبة الكلدان في سعرت (ع ١٢٦)

٣ ﴿ نصوص الكتاب المقدّس : العهد الجديد ﴾ وجدنا نسخاً عربيّة متعدّدة قديمة من الاناجيل المخطوطة في رومية في مكتبتي الفاتيكان والبروبغندا وفي دير الزعفران وفي دير البلمند وفي مكتبة القبر المقدّس في القدس وهذه النسخ تتراوح بين القرن الثامن والتاسع عشر . وفي مكتبتنا الشرقيّة خمس نسخ من الاناجيل وصفنا بعضها وصفاً واسعاً في مجموعة مكتبتنا الشرقيّ بعضها منقول عن التعريب الملكي وبعضها عن التعريب القبطي او السرياني . وقد وصفنا في المشرق (٤[١٩٠١]: ٩٧ ثمّ ٧[١٩٠٤]: ٣٧و٧٣ ثم ٨: ٧٢٣و٩٢٩) نسخاً مختلفة وقفنا عليها . وممّا دخل في مكتبتنا بعد ذلك ثلاثة اناجيل كاملة ثمّ انجيل مار يوحنا كُتب سنة ١٠٢٠ للشهداء (١٣٠٣م) ثمّ نسخة جامعة لكل اسفار العهد الجديد الّا رؤيا مار يوحنا جميلة الخط مع عشر صور بديعة ملوّنة تاريخها سنة ١٦٥٣م

٤ ﴿ شروح على العهد الجديد ﴾ ١) في مكتبة القبر المقدّس تفسير مطوّل على الاناجيل . ٢) في مكتبتنا الشرقيّة تفاسير على نصوص الاناجيل والرسائل بحسب الطقس الملكيّ لعلّها لعبدالله بن الفضل الانطاكي

٥ ﴿ تآليف منوطة بالسيّد المسيح ﴾ ١) رياضة جليلة لميلاد سيّدنا يسوع المسيح تأليف احد الآباء اليسوعيين عرّبها عن الطليانيّة القسّ بطرس صادر . منها نسخة في مكتبة الآباء الكبوشيّين . ٢) في مكتبة البروبغندا كتاب عهد سيّدنا يسوع المسيح الذي عمله مع تلاميذه بعد قيامته نقله عن القبطي ابو اسحاق بن فضل الله وكاتبه بالقبطي تماس اسقف سَنْهود سنة ٦٤٢ للشهداء ٩٢٨م . ٣) كتاب رباط المرّ السرّي في آلام المسيح في ٢٦ فصلاً تأليف احد الرهبان الكبوشيّين . منه نسخة في دير الشير وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٤) كتاب تعليم في آلام سيّدنا يسوع المسيح على طريقة السؤال والجواب لاحد المرسلين اللاتين في ١١ باباً منه نسختان في مكتبتنا الشرقيّة من اواسط القرن الثامن عشر . ٥) رياضة لعيد القربان الاقدس في مكتبة دير الشرفة . ٦) مقالة في القربان الاقدس كُتبت في الصعيد سنة ١٣٢٦ في عشرة اجزاء . في مكتبة الفاتيكان . ٧) العبادة لقلب يسوع الاقدس في ١٣ فصلاً

منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي دير الشرفة تاريخها سنة ١٧٢٤ . ٨ً عظتان طويلتان لعيد قلب يسوع الاقدس من الكتاب الذي عنوانهُ : السَّعف المنيف في فنّ الوعظ الشريف . في مكتبتنا الشرقيَّة كُتب في القرن الثامن عشر . ٩ً) رياضة استعداديَّة لعيد قلب يسوع الاقدس . في مكتبتنا الشرقيَّة . ١٠ً–١١ً) كتابان في عبادة مسيحة الربّ التي انشأها ميخائيل الجبيس (١٤٩٠–١٥٢٢) مع بيان تاريخها ورياضاتها التقوية . في مكتبتنا ايضاً

٦ ﴿ تعاليم الرسل والقوانين الكنسيَّة ﴾ ١ً) ديدسقاليَّة الرسل (كرشوني) . في دير الزعفران . ٢ً) القوانين الرسوليَّة والاحكام الدينيَّة . منهُ نسخٌ عديدة في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان (المشرق ٧[١٩٠٤] : ٢٧٩–٣٣١) . وفي دير البلند (ع١٩) وفي مدرسة الثلثة الاقمار (ع ٨٨) وفي دير الشرفة وفي دير الشير . وفي مكتبة برلين (Ahlwardt : Ms 10,180) وفي المكتبة الكزَنتيَّة Bill. Casanatense (ع٧و٨) وفي مكتبة الفاتيكان (ع١٥٦) وفي مكتبة الكلدان في الموصل (ع ٩٠) . ٣ً) الفقه النصراني . مجموع ملكي واسع من القرن الثالث عشر (مكتبة الفاتيكان ع ١٥٤) . ٤ً) مجاميع اخرى لقوانين وسينودسات مختلفة للملكيين والكلدان والسريان (فيها ع ٦٢٧–٦٣٦) . ٥ً كتاب شرع كنسي او الناموس المقدَّس في مكتبة دير مار شليطا (المشرق ٦[١٩٠٣] : ١٢١–١٢٣) . ٦ً) كتاب شرع الكنيسة القبطيَّة يحتوي القوانين الكنسيَّة (٢٢ فصلاً) والمدنيَّة (٢٩ فصلاً) في مكتبة سعرد (ع١٣٤) . ٧ً) كتاب الشرائع او الناموس القبطي بخط قديم عليهِ باللاتينيَّة اسم مكتبة الآباء اليسوعيين . في دير الشير . ٨ً) الفقه الكنسيّ والقوانين البيعيَّة جمعها مقاره الراهب من اعمال الصفيّ بن عسَّال وغيره في مكتبة الفاتيكان (ع١٤٩) . ٩ً) كتاب الناموس وهو مجموع القوانين البيعيَّة ترجمة بطريرك الروم سلوستس الساقزلي . في مكتبة القبر المقدَّس (ع ١) ومكتبتنا الشرقيَّة

٧ ﴿ اعمال المجامع المسكونيَّة والمحليَّة ﴾ ممَّا لا يُذكر مؤلفهُ او معرّبهُ كالبطريرك اثناسيوس الانطاكي والبرديط بطرس الترلوي : ١ً كتاب المجامع البيعيَّة السبعة الاولى . في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان وفي مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٠٣) وفي مدرسة الثلثة الاقمار = ٢ً اعمال المجمع الافسيّ . في دير الشرفة .

وفي مكتبتنا الشرقيَّة (خطّ سنة ١٧٣٣) وفي مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب (ع ١٠٤) = ٣ً اعمال المجمع القسطنطينيّ الثاني. في مكتبتنا الشرقيَّة وفي دير الشرفة = ٤ً اعمال مجمع نيقية الثاني في دير الشرفة = ٥ً اعمال المجمع المسكوني السادس والقسطنطيني الثالث في المكتبة البربرانيَّة (Barberiniana B^ca) = ٦ً اعمال المجمع الفلورنتيني منها نسختان حسنتان في مكتبتنا الشرقيَّة. ونسخة في مكتبة القبر المقدّس وفي مدرسة الشرفة. وفي مكتبة الموارنة في حلب. وفي مكتبة برلين (Ms 10,182). ٧ً) اعمال مجمع الروس الاقليميّ الملتئم في زاموش سنة ١٧٣٠. في مكتبتنا الشرقيَّة ومكتبة الموارنة في حلب. ٨ً) المجمع اللبناني نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيَّة تاريخ خطها سنة ١٧٧٣. ٩ً) المجامع المارونيَّة منها نسخة في الكرسيّ البطريركي الماروني. طُبعت في مطبعتنا. ١٠ً) المجمع الاورشليميّ للروم الكاثوليك سنة ١٨٤٩ في مكتبتنا الشرقيَّة

٨ ﴿ الكتب الطقسيَّة ﴾ الكتب الطقسيَّة في العربيَّة متعدّدة وجدنا منها كثيراً في مكاتب الشرق والغرب فنقتصر هنا على ما يوجد منها في مكتبتنا الشرقيَّة: اوّلاً (كتب الكنيسة اليونانيَّة) ١ً التيبكون. المنسوب تعريبهُ الى السيّد ملاتيوس مطران حلب في السنة ١٦١٢. منهُ ثلث نسخ تاريخ اقدمها سنة ١٧٧٧. ٢ً) التريودي. منهُ نسختان الواحدة مع الاستشراري كتبها يوسف بن الخوري حبيب سنة ٧١٦٩ للعالم (١٦٦١م) في أيام يواكيم مطران بيروت. ٣ً البسار كليتكي اي المعزّي نسخةً تاريخها سنة ١٨٢٩. ٤ً) الانتولوجيون اي ترتيب اعياد السيّدة واعياد العذراء. الجزء الاوّل نُسخ سنة ١٨٤٥. ٥ً) النبوّات نسخة من القرن الماضي. ٦ً) الافخولوجيون في ١٢٥ رأساً ثلث نسخ الواحدة تاريخها سنة ١٨٢١ ونسخة اخرى باليونانيَّة والعربيَّة من القرن السادس عشر في نحو ٦٠٠ صفحة. ٧ً) كتاب شرطونيَّات الكهنوت بالسرّيانيّ والسريانيّ بخطّ ملكي. من القرن السابع عشر. ٨ً) الاورولوجيون اي السواعيَّة ثلث نُسخ. الواحدة كُتبت على عهد البطريرك افتيموس الحموي. ٩ً) القنداق والاغربينا والمطالبيّ وهي صلوات القداس. منهُ اربع نسخ في مكتبتنا. اقدمها نسخة حسنة على حقلين سريانيَّة (بخطّ ملكي) وعربيَّة كُتبت سنة ٧١٠٣ للعالم (١٦٩٥م). ثمَّ نسختان من القرن الثامن عشر كلتاهما عربيَّة

ويونانيَّة . ١٠) ميناون لشهر ايلول مع فرائضهِ الدينيَّة . عناوينهُ عربيَّة وفرائضهُ سريانيَّة بالخطّ الملكي تاريخهُ سنة ٧٠٠٢ للعالم (١٤٩٤م) كتبهُ الراهب والقس يوحنا ابن القس ابرهيم من مدينة قارا . ١١) سنكسار لتذكار القديسين على مدار السنة تاريخهُ سنة ١٧١٢

ثانياً (الكتب الطقسيَّة المارونيَّة) . عندنا منها بالعربيَّة : ١) كتاب القداس (سرياني وكرشوني) فيهِ نافور الرسل ونافور مار يوحنَّا الرسول (القرن الثامن عشر) . ٢) الشحيمة اي الصلوات التي يلتزم بتلاوتها الاكليريكيُّون في اوَّلها مقدَّمة للمترجم . تتلوها تعظيمات ومدائح للاعياد وبواعيث لمار يعقوب . تمَّ استخراجهُ في ٢ أيَّار سنة ١٨٢٧ . ٣) كتاب الحسَّايات المارونيَّة (بالكرشوني من القرن الثامن عشر) . ٤) رتب وصلوات وتقسيمات حسب الطقس السرياني لخدمة الكاهن . ثلاثة بالكرشوني . وفي اوَّل احدى النسخ الكرشونيَّة كلندار قديم فيهِ ذكر برصوما وساويروس (من القرن السابع عشر هو لليعاقبة) والنسخة العربيَّة لاحد كهنة السريان الخوري يولس صبَّاغ (١٨٤٢) . ٥) رتبة زيَّاح الورديَّة وزيَّاح مار مارون وثوب السيِّدة وزياح الصليب . كتبهُ الشدياق بطرس الهاني من عين القبو بالكرشوني سنة ١٨٥٥ . ٦) سنكسار الكنيسة المارونيَّة . الواحد للمطران بطرس مخلوف عند حضرة الخوري بطرس غالب كُتب سنة ١٦٩٤ . والثاني للسيِّد جرمانوس فرحات الشرقيَّة (بالكرشوني) تاريخهُ سنة ١٨٣٩

ثالثاً) الكتب القبطيَّة : ١) كتاب القنديل عربي وقبطي من القرن الثامن عشر . ٢) كتاب الثاردوكيَّات اي التسابيح لاكرام العذراء في شهر كيهك (اطلب في مكتبتنا المشرق ٦[١٩٠٣] : ٥٥٢—٥٤٥) بالعربيّ والقبطيّ

٩ ﴿ميامر للآباء القديسين﴾ ذكرنا منها كثيراً تحت اسماء قائليها فلتُراجع . نضيف اليها مجموعة على رقّ في مكتبة ستراسبورج تحتوي على رسائل وميامر للقديسين انتيوخس واثناسيوس وبرو قلس وينّه (يوحنَّا) بن منصور الدمشقي والقديس اسحاق : ثم في دير الشير اقوال للآباء كالقديس تلاسيوس والبيدوس في مائة رأس . وفي مكتبة الفاتيكان ميامر لاعياد الاقباط (ع ٩١) . ومجموعة من اقوال الآباء الرهبان من كتاب الفردوس وكتاب اقليمقوس في مكتبتنا الشرقيَّة

ومكتبة القبر المقدّس . وفي دير الزعفران قوانين الآباء ووصاياهم مع نسكيّات الآباء كفردوس الرهبان والمرج الروحيّ تاريخهُ سنة ١٦٨٥ . وميامر ليعقوب السروجي وموسى الحجريّ تاريخهُ سنة ١٨٩٠ للاسكندر (١٥٧٩ م) من مكتبة دير مار شليطا (المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٤٥٠) . في مكتبة اليعاقبة في دمشق مجموعة ميامر للقديس كيرلُس الاورشليمي وكيرلُس الاسكندري وافرام وباسيليوس ولقرياقوس اسقف البهنسا . ثم مجموعة اخرى من ميامر مار افرام

١٠ ﴿كتب مواعظ﴾ : ١) استخراج الشهادات النبويّة من الكتب الالهيّة لوعظ الانفس المشتراة بالدماء المندميّة لاحد الرهبان المخلصيّين في ٩٠ باباً منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة كتبها سنة ١٨٥٨ نقولا انطون خلاط . ونسخة اخرى في مدرسة الثلثة الاقمار (ع ٣٢٥) . ٢) المُسعف للمبتدئ الضعيف في فنّ الوعظ الشريف . يحتوي على ٥٢ عظةً كتبها انطون بن يوسف . اندريا في مكتبة الدار الاسقفيّة للسريان في حلب . ٣) وفيها ايضاً ٤٧ عظةً لاحد الكهنة الواعظين في كنيسة مار الياس في حلب . ٤) الارشادات الوطيدة الى محجّة العبادة الاكيدة . في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٥) مواعظ للاسقف متيوس في مكتبة اليعاقبة في القدس . ٦) وفيها ايضاً وفي مكتبتهم في دمشق مواعظ البطريرك شكرالله المارديني وتوما الدمشقي . ٧) مجموع حديث فيهِ عظات عن عواقب الانسان وفي الفضائل الرهبانيّة وتفسير الصلاة الربيّة والعشر الوصايا . في مكتبتنا الشرقيّة . ٨) مواعظ باللغة العاميّة لاحد كهنة الموارنة من تلاميذ رومية . في مكتبة حضرة الخوري بطرس غالب

١١ ﴿كتب اللاهوت والتعليم﴾ ١) مجموع قديم في قضايا الايمان . في دير الشير . ٢) كتاب المصابيح في اربعة فصول : المموديّة والانجيل والصليب والتثليث في مكتبة الفاتيكان (ع ١٢٢) . ٣) وفيها (ع ١٤٥) مجموع يحتوي عدّة مقالات لاهوتيّة في التوحيد والتثليث وسرّ الفداء والطبيعتين من القرن الرابع عشر . ٤) كتاب تعاليم وآداب نصرانيّة معرّب عن اللغة الايطاليّة سنة ١٧٤٠ . في دير بزمّار . ٥) كتاب صلاح الدين وترس اليقين في اخصّ عقائد النصرانيّة . في مكتبة اليعاقبة في دمشق . ٦) تفسير الامانة الكبيرة لاحد الناطرة . يليهِ كتاب فرائد الفوائد لمار ايليا مطران نصيبين . في مكتبتنا الشرقيّة . ٧) شرح مطوّل التعليم

المسيحي في مكتبة السريان في حلب كُتب سنة ١٨٣٠ . وفيها شرح آخر قديم كُتب سنة ١٧٣٨ . ٨) كتاب اسفار الاسرار في ايضاح عقائد النصرانيّة في مكتبة براين تاريخهُ سنة ١٣٤٩ (Ahlwardt, n° 10,183) . ٩) كتاب التلميذ والمعلّم في مباحث لاهوتيّة منهُ نسخة في مكتبة الفاتيكان وفي مكتبة المنسنيور جرجس شلحت ومكتبة الآباء الكبوشيّين في بيروت وفي مكتبتنا الشرقيّة . ١٠) كتاب مسائل لاهوتيّة قديم خلو من اسم مؤلفهِ لعلّهُ لثاودورس ابي قرّة منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة الواحدة قديمة مجلّدة بخشب تاريخها سنة ٧٢١٠ للعالم (١٧٠٢م) كتبها الخوري ميخائيل الراهب ابن الخوري غازي

١٢ ﴿مناشير ورسوم وقوانين مختلفة﴾ ١) منشور اوجانيوس الرابع في اتحاد الكنيستين مع شرح قانون الايمان . في مكتبة الفاتيكان (ع ١٤٨) . ٢) مناشير لاساقفة الروم الكاثوليك في حلب في مكتبتهم فيها . ٣) كتاب ارشاد رعائي للسيّد المطران رئيس اساقفة طورسينا بخصوص الدين المسيحيّ باضافتهِ الى سرّي التوبة والافخارستيّة في مكتبة المنسنيور جرجس شلحت . ٤) قانون راهبات مار انطونيوس الساكنات في دير مار يوحنّا حراش تاريخهُ سنة ١٧٢٧ في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٥٠٦) ٥) فرائض راهبات دير البشارة الباسيليات . في دير الشوير (طبع في رومية سنة ١٧٤٧) . ٦) كتاب رسومات الكمال النساء العابدات . في مكتبة الآباء الكبوشيّين في بيروت . ٧) كتاب زيارة الاسقف سنة ١٧٣٨ على يد الشدياق يوسف ميخائيل عوّاد (مكتبة الموارنة في حلب ع ١٥٦)

١٣ ﴿كتب مجادلات﴾ ١) البرهان اليقين على فساد ايمان المشاقين . في مكتبة الموارنة في حلب (ع ١٤٨) وعند المنسنيور جرجس شلحت . ٢) عقد الاتحاد في تفسير الخمس المواد . في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب (تاريخهُ سنة ١٧٤٩) . وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٣) احتجاج كنيسة الروم المقدّسة في استقامة ايمانها وحسن اعتقادها . في مكتبتنا الشرقيّة كُتب سنة ١٦٨١ وكان في ملك يوحنّا المارونى المكنّى بابن زنده . وفي مكتبة الموانة في حلب نسخة اخرى (ع ٤٧) . ٤) كشف الاستار ورفع حجاب الاسرار . في ثلثة اقسام: الاوّل في القائلين بان الخلاص مربوط على العبادة اليسينيّة (كذا) التي اوجبها رؤساء الكهنة في القسطنطينيّة

على رعاياهم . الثاني يتضمَّن منهج الامانة الاورثذكسيَّة . والثالث نصائح لرؤساء الكنيسة المقدَّسة . كُتب سنة ١٧٠٣ في رئاسة كير كيرلس سليل البطريرك مكاريوس الحلبيّ . في دير الشير . ٥) كتاب في طبيعتي السيّد المسيح . ردّ على اليعاقبة . في مكتبتي الموارنة (ع ١٤٢) والروم الكاثوليك في حلب . ٦) الرفش القدسي لتنقية تبن التقليدات اليعقوبيَّة من حنطة البيادر الانجيليَّة . كُتب في القاهرة سنة ١٨٦٧ . في مدرسة الثلثة الاقمار (ص١٥٠) . ٧) وفيها ايضاً (ع٣٣١) مقدَّمات وختامات لكتاب صخرة الايمان ردًّا على ضلالات كلوينوس ولوتارس عرَّبهُ عن اللغة السلافونيَّة احد مطارنة البطريركيَّة الانطاكيَّة سنة ١٨٥٤ . في مكتبة الثلثة الاقمار . ٨) في مكتبتنا الشرقيَّة ردّ لاحد المرسلين على اعتراضات اليهود على النصارى ثمَّ المراطقة على اللاتين . ٩) مجموع فيهِ الموافقة بين اليعاقبة والنساطرة والملكيين . المكتبة الفاتيكانيَّة (ع ٦٥٦) . ١٠) جدال بين المطران فيلبُّس الارمنيّ الغريغوريّ وباسيليوس الاسقف الكاثوليكيّ سنة ١٨٤٤ صفحاتهُ ٤٠٠ في مكتبة المنسنيور جرجس منش في حلب . ١١) قوَّة الرئاسة : الدرياق الشافي المحمود لاسقام زماننا المفسود في اربعة فصول كُتب سنة ١٧٨٣ . في مكتبة الموارنة في حلب (ع١٩٠) . ١٢) ايقان الطريق الهادي الى ملكوت السماوات ردّ على احد المسلمين في ٣٠ فصلاً . في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت . ١٣) المقاصد السنيَّة في اثبات التثليث والوحدانيَّة . منظومة لتفنيد احد المسلمين . كُتب سنة ١٧٧٣ . في مكتبتنا الشرقيَّة . ١٤) المحاورة الجدليَّة ضدّ البدع الاراتيكيَّة . في مكتبتنا الشرقيَّة . ١٥) مباحثة بين جرجس الراهب الطبراني وثلثة علماء مسلمين في عهد الامير مشتر اخي الملك الغازي الظاهر بن أيوب سنة ٦٦١٥ للعالم . منهُ اربع نسخ في مكتبتنا الشرقيَّة . ونسخ أخرى عديدة في مكاتب حلب والقدس . ١٦) جدال اليهود الجحود . في مكتبة الثلثة الاقمار (ع ٣٦٦) وفي مكتبة الارشيندريت الياس بطارخ . ١٧) كتاب البيان في مختصر الايمان لاحد اليعاقبة . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الفاتيكان (Ms. Vatic., 265) . ١٨) جواب على مكتوب بابا رومية الذي ارسلهُ مع باطشتا الى يواكيم البطريرك الانطاكي . (مكتبة المنسنيور جرجس شلحت . ١٩) دعاوى السيد جرمانوس آدم وسفرهُ الى رومية في مكتبة الموارنة في

حلب (ع ١٥٠) . ٢٠ً جدال بين اثناسيوس جوهر وثاودوسيوس ومكسيموس الانطاكي في امر باسيلوس قلفاط . في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب . ٢١ً نقض العقائد الدرزيّة بايضاح القواعد المسيحيّة . مع كشف الفضائح الدرزيّة ورشف النصائح المسيحيّة ثمّ خريدة المستهزى في تعليم الدرزي في مكتبة الكازانتيّة في رومية (Bibl. Casanatense)

١٤ ﴿عبادة العذراء﴾ ١ً) عجائب العذراء . منهُ نسخ متعدّدة تختلف نصاً وانشاء . ثلث منهُ في مكتبتنا الشرقيّة يُدعى الواحد خلاص الخطأة وفيهِ رواية ٦٨ اعجوبة . ثمّ في مكاتب حلب والقدس ودير الزعفران . ٢ً) كتاب الحجج الراهنة المعتمد عليها اتّكال المؤمنين على سيّدتنا مريم العذراء . بالكرشوني في مكتبة الموارنة في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٣ً) سبعة فصول في احزان سيّدتنا مريم العذراء . في مكتبتنا الشرقيّة . ٤ً) نبذة مختصرة في ثوب سيّدة الكرمل في ١٢ فصلاً بالكرشوني . فيها ايضاً . ٥ً) تقديم الازاهر لمريم ام الاله الطاهر . فيها ايضاً . ٦ً) مجموعة ثلثين اعجوبة من عجائب لورد تُقرأ في الشهر المريمي . فيها ايضاً

١٥ ﴿تراجم قديسين﴾ . ١ً) في مكتبتنا خمس عشرة مجموعة خطّيّة تحتوي تراجم رسل وشهداء وقديسين . سنصفها في المشرق . ٢ً) تراجم شهداء وقديسين في المكتبة الفاتيكانيّة (ع ١٧٠—١٧٥ و ٦٩١—٦٩٨) . ٣ً) سير قديسين سريان واقباط في مكتبة اليعاقبة في القدس (كرشوني وعربي) . ٤ً) سير قديسين كسوسنّة وجرجس الخ في دير البلمند (ع ٢٦ و ٣٩) . ٥ً) مجموعة في اخبار القديسين في الشرفة تاريخها سنة ١٦٥٦ . ٦ً) مجموعة اخرى في دير الزعفران . ٧ً) اخبار قديسين : اوّلها ترجمة القديسة مارينا في انطاكية بيزيديا (كذا) مكتبة الموارنة في حلب . ٨ً) قصص رسل وقديسين وشهداء في مكتبة القسّ بولس سباط (ROC, XVII et XVIII, n°s 2-5, 24, 28, 48, 67-82) . ٩ً مجموعة اخرى في دير الشير كُتبت سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٧٠م) . ١٠ً تراجم قديسين : اوّلها سيرة الجليل في القديسين يوحنّا الانجيلي ثم انستاسيوس وتاوبيستي امرأته وولديهما اغابيوس وتاوكتسطوس في مكتبة المنسنيور جرجس شاحت . ١١ً) وعندهُ سيرة يوحنا الرحوم بطريرك

الاسكندريّة مع سيرة القديس الحارث . ١٢) كتاب مرآة الحكمة الحقيقيّة فيه تراجم بعض القديسين كغريغوريوس وايرونيموس وافرام وفرنسيس . في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت. ١٣) كنوز الرحمة الربانيّة في حياة مريم المجدليّة واختها مريم في ٥٠ فصلاً لأحد الآباء اليسوعيين. منهُ نسختان في مكتبتنا الشرقيّة. ١٤) مختصر سيرة القديسين اليسوعيين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا واغناطيوس وفرنسيس كسفاريوس والشهداء اليابانيين وفرنسيس بورجيا وفرنسيس راجيس لاحد الآباء اليسوعيين في القرن الثامن عشر في مكتبتنا الشرقيّة . ١٥) وفيها تسابيحة لإكرام القديس لويس غونزاغا (غير المطبوعة) . ١٦) تسموية لعيد القديس فرنسيس كسفاريوس. منها نسخ متعدّدة في المكاتب اربع منها في مكتبتنا الشرقيّة تاريخ الواحدة سنة ١٧٥١ . ١٧) كتاب نجعة الجهد والجدّ بقصّة الراهب الكبوجي المرتدّ. في سبعة اجزاء كُتب سنة ١٧٥٠ في مكتبتنا ايضاً

١٦ ﴿كتب روحيّة ورياضات﴾ . ١) رياضة عشرة ايّام لعيد العنصرة واكرام الروح القدس. في مكتبة الشرفة . ٢) تأمّلات في آلام سيّدنا يسوع المسيح وقيامته وصعوده. في مكتبتنا الشرقيّة . ٣) وفيها : طريق الملكوت يحتوي على سبع تأمّلات في حقائق الدين. ثم على سبع اخرى في آلام المسيح. وسبع ثالثة في كلمات الربّ على الصليب. نقلهُ من الايطاليّة الى العربيّة سنة ١٧٩٣ الشمّاس انطون بن القس جرجس داقود الروميّ الملكي الحلبيّ . ٤) كتاب تأمّلات روحيّة لكلّ ايّام الاسبوع لاحد الرهبان الكرمليين الخفاة الفهُ في حلب سنة ١٧٢١ منهُ نسخ خطيّة عديدة في مكتبتنا الشرقيّة ومكاتب حلب. طُبع في الشوير سنة ١٧٣٦ . ٥) قوت النفوس في مخاطبة العريس والعروس لاحد الرهبان الكرمليين. منهُ نسخٌ في مكتبة الموارنة وفي مكتبة الشمّاس شكري ايوب في حلب وفي مكتبتنا الشرقيّة وفي مكتبة اليعاقبة في القدس . ٦) كتاب الروض الروحي فيه تأمّلات لكلّ ايّام السنة. في مكتبة الآباء الكبوشيين في بيروت . ٧) نزهة النفوس ومزيل الخطايا والعكوس. في مكتبة القس بولس سباط وبين مخطوطات باريس (Paris, Ms 4,734) . ٨) مرآة النفوس في الصلاة في سبعة ابواب لاحد الغربيّين. في مكتبة الثلثة الاقمار (ع ٣٧٠) . ٩) رسالة مختصرة في بيان انّ الحياة الروحيّة ملازمة بكثرة

التجارب ومحاربتها . في مكتبتنا الشرقيّة . ١٠) رسالة في بيان قوّة لزوم النذور الرهبانيّة . في مكتبة الموارنة في حلب . ١١) الجمل المفيدة للنفس السعيدة نقلهُ من اللاتينيّة احد الآباء الكرمليين يحتوي على مقتطفات من اعمال القديسة ترازيا . منهُ نسخة في مكتبة الآباء الكرمليين في بغداد وفي مكتبة المنسنيور جرجس شلحت وفي مكتبتنا الشرقيّة . ١٢) تأملات القديسة ترازيا على سبع طلبات الصلاة الربيّة . منهُ نسخة عند حضرة الخوري بطرس فرج صفير وفي حلب في مكتبة الاديب نقولا افندي ايوب . ١٣) كتاب نور الاحياء للراهبة فرنسسكا الكرملتانيّة تعريب احد الآباء الكرمليين . في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٣٢٠) . ١٤) كتاب الاموات وتعريب الاعتناء بنفوس الذين ليس عليهم بالآخرة سوى وفاء القانون . في مكتبتنا الشرقيّة تاريخهُ سنة ١٠٨٨ هـ (١٧٠٠م)

١٧ ﴿كتب تاريخيّة﴾ . ١) كتاب اخبار المرطقات . في دير الشرفة . ٢) كتاب التاريخ المسيحي في مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة القبر المقدّس في القدس . ٣) تاريخ كنائسي اورثذكسي من ميلاد السيد المسيح الى القرن الثالث عشر . في مكتبتنا الشرقيّة . ٤) وفيها تاريخ آخر اورثذكسي للكنيسة من ملك ثاودوسيوس الصغير الى آخر المجمع الفلورنتيني . ٥) وفيها ايضاً كتاب تاريخ للامم القديمة المصريين واليونان والرومان وعرب الجاهليّة (ص٢٥٩) نسخها في عبيه الاديب مخايل شاهين طراد سنة ١٨٥٢ . ٦) وفيها كتاب آخر في تواريخ الامم القديمة اوسع من السابق الى آخر الدولة الرومانيّة متقن الكتابة حديثها . ٧) كتاب تاريخ حلب . في مكتبة باريس (Paris, n° 1683) ومكتبتنا الشرقيّة . هو الكتاب الذي طُبع في مطبعتنا الكاثوليكيّة تحت اسم ابن شحنة وليس هو لهُ . والاصحّ انّهُ للبطريرك مكاريوس ابن زعيم الحلبيّ اقتطفهُ من ابن شحنة وغيره . ٨) حوادث حلب من السنة ١٠١٣ الى ١٢٥٣ في مكتبة القس بولس سباط . (ROC. XVII, p. 283 n° 42) . ٩) ملخّص تاريخ اليونان والعرب وغيرهم . في مكتبة مدرسة الثلثة الاقمار (ع ٣و٤) . ١٠) قتّة الاسكندر في ٣٩ فصلاً كُتب سنة ١١٦٩ في مكتبة المنسنيور جرجس منش وفي مكتبتنا الشرقيّة ومكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII, n° 51) . ١١) تاريخ ديني ومدني لكاتب نسطوري من عهد البطريرك

باباي (٤٦٦–٤٨١) الى البطريرك يشوعياب الحدياني (٦٥١–٦٦٠) . في مكتبة سعرد (ع ١٢٨) . ١٢) تاريخ آخر في جزئين يحتوي اخبار السنين من ٢٥٠ م الى ٤٢٢ . في مكتبة الكلدان في الموصل . منهُ نسخة في مكتبتنا الشرقيّة . طبع هذا التاريخ شهيد دينهِ الطيب الذكر ادي شير مطران سعرد الكلداني . ١٣) تاريخ الهبنة الشويريّة والحليّة . في دير الشير . ١٤) دخول الاتراك في القسطنطينيّة في عهد محمد الثاني . في مكتبة المنسنيور جرجس منش . ١٥) سفر احد موارنة حلب في صحبة السائح الفرنسوي بول لوقا (Paul-Lucas) الى مصر ومراكش ثمَّ الى اوربّة سنة ١٧٠٨ . في مكتبة القس بولس سباط (ROC, XVIII)

١٦ ﴿ كتب ادبيّة شتى ﴾ ١) مجموع شعر فيهِ ١٢١ قطعة . جامعهُ سنة ١١٢٠هـ حنّا ولد المقدسي الياس بن حنّا المعروف بابن الصعيدي . في مكتبة المنسنيور منش . ٢) مجموعان آخران شعريان في مكتبتنا الشرقيّة مع ستّة مجاميع شعريّة عاميّة . ٣) كتاب البستان وقاعدة الحكماء وشمس الآداب في مكتبة باريس Paris. Suppl. n° 4811) منهُ نسخة حسنة في مكتبتنا الشرقيّة كتبت في القرن السابع عشر . وفي مكتبة الفاتيكان (ع ١١١) كتاب البستان في الفضائل في ٧١ فضيلة تاريخهُ من القرن الخامس عشر . ٤) كتاب دليل الاحداث في جزئين لاحد الاخوة المرعيين عرّبهُ المرحوم موسى صفير فطبعهُ سنة ١٩١٢ . ٥) مجموع حكم لفلاسفة اليونان في مكتبة دير مار يوحنا الشوير وفي مكتبتنا الشرقيّة . ٦) في مكتبة الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف كتاب قديم في علم الهيئة على شبه الاكساميرون في ايّام الخليقة مع تصاوير جميلة (تمّ)

مطبوعات شرقيّة جديدة

A. Malvy S. J. : PASCAL ET LE PROBLÈME DE LA CROYANCE. 1 *vol. in-8° raisin — G. Beauchesne, Paris*, 4 *f*., 50

بسكال والمسألة الدينيّة

هذا الكتاب الصغير احد التآليف المتعدّدة التي نُشرت بنسبة تذكار المئة الثالثة

لولد بسكال . وقد قصر المؤلف نظرهُ على امر واحد ذي شأن في حياة ذلك الكاتب الفرنسوي الشهير اعني موقفهُ بازاء الوحي الديني الذي يلوح لنفس الانسان ثمَّ ينمو ويتأصل فيها بتشبُّثها في حقيقتهِ . ففي هذا الكتاب ما يكشف عن بواطن بسكال من هذا القبيل فيأخذ العجبُ القارئَ اذ يجد العلم الواسع مقروناً بالايمان الحيّ . فالاب مالفي بلغ الى اعماق قلب ذاك النابغة ووصف التقلبات التي طرأت على افكارهِ فكان الفوز فيها لروح الدين . فنعم الكتاب الذي يدلُّ على براعة عظيمة في مؤلفه الذي احاط علماً بعُجَر بسكال وبُجَرهِ الاب ادمون لاي

L'abbé Clément: Vie du Cardinal Richard, archevêque de Paris. 1 vol, in-8°., J. de Gigord, éditeur, Paris, 15 f.

ترجمة الكردينال ريشار رئيس اساقفة باريس

الكردينال ريشار زيّن كرسي عاصمة فرنسة نيّفاً وعشرين سنة فتوفي في كانون الثاني ١٩٠٨ . وهذه سيرة حياتهِ كتبها احد مساعديهِ في كلّ مشروعاتهِ الجليلة الخوري كليمان . فمن تصفَّحها لا يتمالك من شكرهِ لله الذي يؤيد كنيستهُ بمثل هذا الحبر الذي جمع فيهِ كلّ صفات الراعي الصالح من همة ونشاط وبذل نفس ودفاع عن حقوق الدين بازاء اعدائه هذا فضلاً عن ممارسته لأسمى الفضائل الكهنوتيَّة التي اهَّلتهُ بعد وفاتهِ لأن يُعرَض على الكرسيّ الرسوليّ الفحص عن اعمالهِ ليُثبت اسمهُ بين اولياء الله س . و

P. Lhande S. J. : Un maitre humaniste, le P. Longhaye. 1 *vol. in-12. J. de Gigord, éditeur, Paris, Prix 6f, 75*

قدوة الاساتذة الاب لونغاي

هو راهب يسوعي اشتهر بفضلهِ وفضيلتهِ وليست غاية كاتب سيرتهِ ان يصف فضائلهُ وحياتهُ الصالحة وانَّما اقتصر على بيان براعتهِ في التعليم اذ عليهِ تخرَّج عددٌ لا يُحصى من الناشئة الكاثوليكيَّة وطلبة الرهبانيَّة فمؤلف هذا الكتاب وصف ما تفرَّد بها ذاك الاستاذ المبرّز في علمهِ وتعليمهِ . وقد ظهر علمهُ بما خلَّفهُ من التآليف العديدة نثرًا ونظماً وكلها موسومة بسمة البلاغة وحسن الذوق والتفوُّق . واما تعليمهُ فقد بيَّن المؤلف خواصَّهُ من حيث آدابهِ النظريَّة والبيانيَّة والدينيَّة فنال السبق

فيها جميعاً . وكل ذلك مبنيٌ على ادلة يشهد على صحتها كلّ من عرفهُ ج . ل

Pierre Lhande S. J. . JEUNESSE. L'âge tendre — L'âge critique — L'âge viril. Petit Code d'éducation au foyer d'après CLÉMENT D'ALEXANDRIE. *Paris, Beauchesne. Prix* 5 *f*

الشبيبة واطوارها وفقاً لتعاليم اقليمس الاسكندري

هـذا دستور لتهذيب ناشئة الشرقيين صنّفهُ احد مشاهير الشرق اقليمس الاسكندري في القرن الثالث للمسيح . وكأني به طبيبٌ نطاسيٌ درس اخلاق مواطنيه فرأى انّ علّتهم التخنّث وحبّ اللاذ فطلب لهما علاجاً ناجعاً . ومن ثمّ تراهُ ينقّب عن احوال الشبّان في اطوار حياتهم وفي مختلف احوالهم اليوميّة فيشير الى مساوئهم ثم يرشدهم الى الصلاح والطريق المستقيم بحيث تُصبح حياتهم بنظامها كالنغمات الموسيقيّة المشنفة للآذان لا ينبو عنها السمع . ويُرى من خلال وصاياه قلبُ الكاهن والقديس الذي يسوق بعواطف الشبيبة الى عالم الارواح ويجرّدها عن دنايا الارض . فقد احسن مؤلف هذا الكتاب بانتقائه لتعاليم ذاك الملفان فجمع بين اللذيذ المشع والمفيد النافع الاب شرل اليسوعي

Arié(Gabriel):Histoire Juive depuis les origines jusqu'à nos jours. 1 *col. in*-8°, *pp.* 415, 1923, *Prix* 12 *f*, 50

التاريخ اليهودي منذ الاصول الى يومنا

قد وضع المسيو أريه هذا التأليف لشبيبة المدارس الاسرائيليّة وهو اوسع من تآليف غراتس (Graetz) وليفن (Leven) فاختار منهما ما راق لهُ . وما يقال اجمالاً عن هذا الكتاب انّ كاتبهُ احد اللادينيّين فجرّد تأليفهُ من كلّ ما يُشعر بالوحي الالهي لموسى وللانبياء . وقد قسم كتابهُ خمسة اقسام خصّ الاوّل منها باخبار بني اسرائيل الى خراب الهيكل والثاني بتاريخهم بعد جلاء بابل . والثالث بعهد التلمود ثمّ القرون المتوسطة واخيراً بالازمنة القريبة منّا وقد اتسع خصوصاً بهذا الجزء الاخير ووصف اعمال جمعيّة التضامن الاسرائيلي العام . وكثيراً ما يتحامل على الكاثوليك زوراً في عدّة مسائل تبع فيها هواهُ وضحّى حقوق التاريخ الصادق فنكتفي بالاشارة ج . ل

A. Thibaudet : La vie de Maurice Barrès. 1 *vol., in-12, Paris,* 1921, *Editions de la Nouvelle Revue Française,* 5e *éd., Prix* 10 *f*

ترجمة موريس بارّس

كُتبت هذه الترجمة في حياة صاحبها فبلغت الطبعة الخامسة . وهي لاحد ارباب النَّقد الصحيح المسيو تيبودِه الشهير بتدقيقهِ وسعة معارفهِ . فاجال نظرهُ في كل منشورات موريس بارّس وبيَّن ما امتاز بها كاتبها بصفة اديب وكاتب بارع وراوي وسياسي ووطني فتتجلى في فصولهِ صورة ذلك الرجل الذي لعب دورًا مهمًّا في وطنهِ . ولم يَفُتِ الكاتب تعريف شواعر موريس بارّس الدينيَّة . ولا بُدَّ أنَّهُ اذا عاد الى نشر طبعةٍ جديدةٍ من كتابهِ يزيدهُ معلومات يستفيدها من تصرُّف بارّس في اواخر حياتهِ ومن مقالات الجرائد والمجلّات عنهُ بعد موتهِ ج . ل

Kawakami, K. K: Le problème du Pacifique et la politique japonaise., 1 *vol.* 8°, *Editions Bossard,* 1924, *Prix* 18 *f*

مسألة الاوقيانوس الهادي والسياسة اليابانيَّة

يخوض مؤلف هذا الكتاب في بحث مرَّ ذكرهُ في وصفنا لتأليف آخر وضعهُ الجنرال كولوثين والاميرال بوبنوف (ص ٢٣٣) ومؤلفهُ ياباني صنَّف كتابهُ بعد مؤتمر واشنغتون فبيَّن حسن نيَّة وطنهِ الذي وافق تماماً مرغوبات المؤتمر ولم يستثنِ الَّا امورًا ثانويَّة لم يبتّ حكماً فيها . وبياناً لذلك اثبت المؤلف جودة خطَّة بلادهِ السياسيَّة في ستَّة فصول خصَّ قسماً منها بالصين وسيبرية . فعسى هذه الايضاحات تزيل ما وقع من الخلاف بين اليابان واميركة في هذه المدَّة الاخيرة لسبب مهاجرة اليابانيين الى الولايات المتحدة ج . ل

Paul Raynal : Le Tombeau sous l'Arc de Triomphe. 1 vol., in-16 jésus. Librairie Stock, 8f, 50

القبر تحت قوس الظفر

هذه رواية تشخيصيَّة تمثل جنديًّا في زمن الحرب الكونيَّة الاخيرة وانَّما تمتاز عن سواها بأن تحيد عن الحبكات الرسميَّة وتقتصر على تحريك العواطف بما يدور بين الممثلين من المباحثات وتبادُل الافكار وبما يجري للجندي من الاعمال في غضون الحرب

بحيث تظهر صفاتهُ العسكريَّة كصبره على نواجع الحرب وحبهِ لوطنهِ وتضحية ملاذهِ قياماً بالواجب . لكنَّنا نؤاخذ على الكاتب بعض ما دسَّهُ في اثناء روايتهِ من الشواعر المنافية للاحساسات السابقة كتفضيلهِ السِلْم على الدفاع عن الوطن وكاستسلامهِ للأقدار بدلاً من الاتكال على الله وكتشبيهِ الجندي في العراك بالحيوان المقود الى المجزرة وغير ذلك مما يضادّ العواطف الدينيَّة فضلاً عن الشواعر العسكرية والوطنيَّة الشريفة الاب ادمون لاي

E. Séguy. Les Insectes parasites de l'homme et des animaux domestiques. *Encyclopédie du naturaliste XVIII*, 1 *vol.cartonné* 30 f°. *Paris, Paul Lechevalier, éditeur, rue de Tournon*, 12

الحشرات المتطفلة في الانسان والحيوانات الداجنة

ان جسم الانسان كجسم الحيوان مستودعان واسعان يحتويان عدداً لا يُحصى من الحشرات المتطفلة المؤذية وليس كلامنا هنا عن الجراثيم الدقيقة والميكروبات غير المنظورة بل عن الهوامّ الصغيرة التي ترعى اجسامنا وتستترف دماءنا كالقمل والبقّ والبراغيث والبعوض . وعليها مدار هذا الكتاب الجزيل الفائدة لاحد كبار الطبيعيين فانَّهُ لم يألُ جهدهُ في درس هذه الحشرات وما اشبهها فوصف طباعها ومفاعيل لُذوعها وبيان الطرائق المختلفة لنفيها والنجاة من اذاها فنوصي ابناء الشرق بمطالعة هذا الكتاب المجمل بمئات من التصاوير فضلاً عن فوائدهِ الجمَّة ج . ل

THE BOOK OF RELIGION AND EMPIRE by 'Alî Tabarî translated by A. Mingana D:D, 1 *vol. in-3°, Manchester at the University Press*, 1922

كتاب الدين والدولة للطبري

الطبري هذا هو طبيب قديم اسمهُ ابو الحسن عليّ بن سهل عاش في اواسط القرن التاسع وصنَّف عدَّة كتب من جملتها التأليف المذكور حاول فيهِ اثبات صحَّة دين الاسلام وتفنيد المعتقد النصراني . وجد منهُ ناشرهُ الفونس منكنا نسخةً في احدى مكاتب الخاصَّة فأبرزهُ بالطبع ثمَّ نقلهُ الى الانكليزيَّة وقدَّم عليهِ بعض الفوائد التاريخيَّة . ولا يسعنا ان نتصدَّى لمزاعم هذا الكتاب وتفنيد حججهِ الباطلة وانَّما نكتفي لبيان بطلانهُ انهُ لاحد اليهود الذي جحد دينهُ وانتمى الى الاسلام

ودخل في خدمة الخلفاء طامعاً بحطام الدنيا وهو يجهل النصرانية جهلاً مركّباً ل.ش

A. Levinson. LA DANSE AU THÉATRE. Esthétique et actualités. 1 *vol. illustré, Paris, Bloud et Gay*, 1924, *Prix*, 10 *f*

الرقص في المراسح

معلوم انّ الرقص احد الفنون الجميلة ومن هذا القبيل يحسن بمعلّميه ان يراعوا فيه قوانينهُ الفنيّة وهذا ما رادهُ كاتب هذا التأليف المسيو لِفنسون الذي صنّف فيه عدّة مقالات نشرها في مجلّات مختلفة. ونحن نوافقهُ على رأيهِ بشرط ان يُنفى من الرقص كلّ ما يخلُّ بالآداب

Almanacco Italiano, vol. XXIX per l'anno bissestile 1924, 1 *vol. in*-12, *R. Bemporad e Figlio, Firenze.*

تقويم ايطالي للسنة ١٩٢٤

هذه السنة التاسعة والعشرون لظهور هذا التقويم الذي يُعتبر في ايطالية كتقويم هاشت في فرنسة. ولعلّهُ اوسع منهُ فائدة واكثر تفنّناً. ففيه من المعلومات ما يصعب على الطالب وجودهُ في غيرهِ فهو اشبه بدائرة معارف يوقفهُ على ما يختصّ بالعيشة العمليّة وبالدوائر الرسميّة وبالاحصاءات الحديثة وبمشاهير المعاصرين وبالاكتشافات العلميّة الجديدة وباحوال الدول والصحافة الخ

La Revue économique internationale, *Bruxelles*

المجلّة الاقتصاديّة الدوليّة

وقفنا على مقالتين جليلتين نُشرتا في عددي آذار وتشرين الاوّل عن سوريّة. الاوّل للمسيو بيار كلارجه (P. Clerget) احد اعضاء البعثة الاقتصاديّة الى سوريّة اختصر فيها احوال بلاد الشام في الانتداب الفرنسويّ وما نالهُ السوريّون من فضل فرنسة. والثانية للاستاذ اشار. معلّم الحقوق الدوليّة في كليّة ليون ذكر فيها عموماً حقوق الانتداب في البلاد العربيّة التي فُصلت عن الدولة التركيّة ج.ل

DICTIONNAIRE ARABE-FRANÇAIS par Bel Kassem ben Sedira, 1 vol. in-16, 1924, pp. 1045, Alger, J. Carbonel

معجم صغير بالعربيّة والافرنسيّة

هذا المعجم ظهر في الجزائر للمرّة الاولى سنة ١٨٨٢ لمؤلفهِ الاستاذ بلقاسم بن

سديرا . فتجدّد اليوم طبعهُ بهمّة الطبّاع جول كربونيل وانّما قد تحسّن كثيراً بعد طبعته السابقة فكاد حجمهُ وموادهُ يبلغان ضعفها السابق . والكتاب قد وُضع خصوصاً لافادة مدارس الجزائر وفيه كثير من الاصطلاحات الجارية هناك وهو لا يخلو من فائدة لمواطنينا ايضاً لدرس اللهجة الجزائريّة . فنوصيهم بمطالعته وهو متقن الطبع مجلّد بقماش تجليداً ظريفاً

LEXIQUE FRANÇAIS-ARABE par le Capitaine Mâamar. 1 vol, in-12, 1923, Saumur, Librairie A. Gendron,

مفردات فرنسويّة عربيّة

قد وُضع هذا الكتاب لفائدة السيّاح والمستعمرين من الفرنسويين والمرابطين من الجنود في الجزائر . يتقدّمهُ بعض المعلومات العموميّة في اللغة العربيّة وخواصّها ثمّ يليها عدّة فصول تحتوي المفردات الاكثر شيوعاً في الجزائر مقسّمة على حسب الموادّ بالفرنسويّة وبازائها الالفاظ العربيّة مكتوبة بحرف افرنجيّ . وفي القسم الاخير عبارات ومحادثات شتى فرنسويّة وعربيّة تنتهي بعدّة الفاظ على ترتيب حروف المعجم يرجع اليها المتكلم

اعمال جمعية الاطباء والصيادلة

الجزء الثاني . مطبعة وزنكوغراف طبّارة سنة ١٩٢٤ (ص ١٤٥)

هي الجمعيّة المؤسّسة في بيروت سنة ١٩٠٩ فضمّت اراكنة علم الطبابة في حاضرة لبنان . وكفى ثناء عليها انّ رئيسها وعميدها هو جناب استاذ المكتب الطبّي الفرنسويّ الدكتور دي برون يؤازرهُ نخبة من الاطباء الذين تغني اسماؤهم عن وصفهم . فقد قرأنا بمزيد الشوق هذا الجزء الثاني من جلساتها الاداريّة من حزيران سنة ١٩٢١ الى غاية ١٩٢٣ وفيها من وصف العلاجات الناجعة والاعمال الطبيّة والجراحيّة العجيبة ما يشهد على براعة اصحابها . زادها الله نموّاً وفلاحاً ل . ش

قرض عيد قلب يسوع الاقدس

حسب طقس الكنيسة السريانيّة المارونيّة

طُبع بالمطبعة المارونيّة في حلب سنة ١٩٢٣ (ص ١٨٨)

نبشّر اخوتنا حضرات الكهنة الموارنة بظهور هذا القرض الالهيّ الذي خرج

فكرهُ من قلب الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات ودبَّجهُ قلم القس المفضال عطاالله زندو الحلبي وسعى باصلاحهِ ونشرهِ السيد الجليل ميخائيل أخرس رئيس اساقفة الشهباء على حلب واثبتهُ غبطة البطريرك مار الياس الحويك الكلي الطوبى لجميع اكليروس طائفتهِ الكريمة . فلا نشكّ انَّ جميع كهنة الموارنة يُقبلون على تلاوتهِ بشوق الأيل الى ينابيع المياه فيستقون من مناهل ذلك القلب الالهيّ الذي سبقت مأتهم في انحاء الشرق واكرمتهُ اكراماً جزيلاً عاد عليهم بالنعم والبركات

دليل المربّي اللبناني في تربية دود الحرير

بقلم الشيخ يوسف فرنسيس ابي جبر الخازن

طُبع بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢٢ ٤٢+30

اطّلعنا حديثاً على هذا الكرّاس الذي نشرهُ صاحبهُ الفاضل قبل سنتين بالعربيَّة والفرنسويَّة ورفعهُ تقدمةً لفخامة الجنرال غورو فشكر لهُ لطفهُ . ومن المعلوم انَّ كل ما يبحث عن تربية دود الحرير لهُ شأن كبير في هذه البلاد فلا شكَّ ان المتعاطين لهذه الصناعة سيقبلون على مطالعة هذا الكتاب الذي يُطلب من المؤلف في غوسطا او في بيروت في مكتبة الخواجا انطون كنعان وثمن النسخة ٢٥ غرشاً سوريًّا ل.ش

لطائف اخباري في متاحف اسفاري

للاديب حنا افندي خبّاز رئيس كلّيَّة حمص الوطنيَّة

طُبع في حمص سنة ١٩٢٣ (ص ٢٢٦)

هو الجزء الثاني من الكتاب الذي عنوانه «رحلة حول الكرة الارضيَّة» لجناب افندي خبّاز الذي سبق لنا وصفهُ (ص ٣٩٣) . وفي هذا القسم من الاخبار الشخصيَّة والاوصاف البديعة والفصول الرائقة ما يجعلهُ خير شقيق لبكرهِ المذكور . وقد اتَّسع الكاتب في وصف اميركة وعجائبها فحقَّق ما كتبهُ رصيفهُ جناب الدكتور فيليب حتّي «امريكا في نظر شرقيّ» . وممَّا تفرَّد فيهِ وصفهُ للبدع البروتستانيَّة ومظاهرها الغريبة وآرائها المضحكة فرواها دون ان يبدي فيها حكماً مصيباً . كذكرهِ للرصليين (ص ١٣٣–١٣٥) وكنيسة الأمّ (ص ١٧٩ – ١٨١) وكنيسة الله

(ص ٢٦١–٢٦٣) وربّما اظهر ميلهُ للكنيسة البروتستانيّة وجاهر عن حبهِ للكسونيّة وافكارها الحرّة وسعيهِ بانشاء كليّة حرّيّة اي لادينيّة مع كونهِ نال في اميركة مساعدات من رجال الدين . وكم لقي من رحلتهِ من محاسن الكثلكة في نيويرك وشيكاغو وانحاء كندا فسكت عنها . واطرأ (ص ١٢٦–١٢٩) كتبة كجبران خليل جبران وامين الريحاني دون تحفُّظ . ومن نقائص الكتاب قلّة ترتيبهِ فيعود مرّتين وثلاث مرّات الى ذكر البلد الواحد ومنها عدم وضوح صور كثيرة من الكتاب وخلوّهُ من فهارس يُرجع اليها ل . ش

المجنون : امثالهُ واشعارهُ

وضعهُ باللغة الانكليزيّة جبران خليل جبران تعريب الارشمندريت انطونيوس بشير
(في مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤)

نعم الهديّة اهدتها مجلّة الهلال الى مشتركيها ! وكأنّ كاتب هذه الفصول السخيفة صوّر ذاتهُ فيها فاختار لنفسهِ اسم «المجنون» كما كان سابقاً صرّح بجنونهِ (المشرق ٢١[١٩٢٣]: ٤٨٩) أفنظلمهُ ان صدّقنا على قولهِ وأكّدنا ان كثيراً من فصولهِ تدلّ على اختلال عقلهِ . والعجب كلّ العجب انّ ارشمندريتاً اورثذكسياً لم يجد كتاباً غير هذا يعرّبهُ ل . ش

نزاهة المشتاق في تاريخ يهود العراق

تأليف يوسف رزق الله غنيمة
طُبع في بغداد سنة ١٩٢٤ (ص ٢١٥)

قد عرف قرّاؤنا الكرام مؤلف هذا الكتاب بما نشرهُ من المقالات الفريدة في المشرق . وها هوذا قد اتحفنا بما هو اغزر مادّةً وأجدى نفعاً نزيد بهِ كتابهُ تاريخ يهود العراق فانّهُ اودعهُ من المعلومات ما لا تجدهُ الّا بشقّ النفس في تآليف اهل زماننا فروى ما امكنهُ من اخبارهم وآدابهم واخلاقهم ومعاملاتهم التجاريّة والصناعيّة منذ اوّل ظهورهم الى يومنا . على انّنا لم نستصوب بعض ما كتبهُ عن العراق وتقاليده في القرون الخالية مع مناقضة اساطيرهِ لما ورد في التوراة وكان لهُ غنى عن التوسّع فيها لقلّة علاقتها مع تاريخ اليهود . فما لهُ والمقابلة بين دين البابليين

والدين الاسرائيلي (٤٥–٤٨) مع ما بينهما من الخلاف ؟ وعلى عكس ذلك قد ضرب الصفح عن طوبيا ودانيال والثلثة الفتية . لم يعش اميانوس ٤٠٠ سنة قبل المسيح بل بعد المسيح (ص ٢١) . لا مناقضة بين نبوة حزقيال وسفر الاشتراع (ص ٨٩) . ليس التلمود كما زعم (٨٣–٨٤) « كنزاً ادبياً واجتماعياً وادبياً » الّا في اعين اليهود . ومما يحتاج اليه الكتاب زيادةٌ في تقاسيمه من ابواب وفصول مع فهارس واسعة للاعلام والموادّ ل . ش

بين الجزر والمدّ

صفحات في اللغة والآداب والحضارة

بقلم «مي» طُبع بمطبعة الهلال في مصر ١٩٣٦ (ص ١٧٦)

يتصرّف قلم «مي» حثيثاً فيخوض في المواضيع المتباينة سائلاً بخفّة وانسجام في كلّ ما تتوخّى وصفهُ . وكأنّها تتوق الى تحقيق شعار أسرتها «الزيادة» وهو شعار الرقي الذي شاع عند اللاتين بلفظ « Excelsior » فيسرّنا ان تطلب الكاتبة «مي» العلوّ والسموّ وانّما نحذّرها عن خطرٍ تتعرّض لهُ باتّساعها في موادّ الكتابة فربّما خسر العقل من التعمّق ما يكسبهُ بالتوسّع وليست الدراري في ضحضاح اليمّ ورقراق المياه بل في قعر البحار «يغوص البحر من طلب اللآلئ» نقول ذلك لا لنضغط على افكار «مي» بل لنلفت نظرها الى ما فيهِ خيرُها . ففي بعض مقالاتها ما يحتاج الى تمحيص كمقالاتها « في عالم الالحان » (ص ١٢١–١٣٠) ومقالتيها « عند العرب » و«لماذا تبقى العربيّة حيّة» فانّ فيها مزاعم ومبالغات لا تنطبق على الواقع . وقد بحثنا في كثير من هذه المواضيع في المشرق وبيّنّا صوابها . ليست الهجرة «من المدينة» (ص ٣٥) بل «الى المدينة» . وقد ذكرت هناك «حثّ النبيّ على طلب العلم» فما لها لم تذكر تحريمهُ العلم على النساء (في الحديث) . اثبتنا غير مرّة بالبراهين القاطعة ان البابا سلفستر الثاني (Gerbert) لم يجتمع بالعرب ولم يأخذ شيئاً من علومهم عنهم فما لها تعود الى هذه الخرافة (ص ٣٠) . فكفى بهذا القليل لضيق المجال . ونشير على الكاتبة الاديبة مراجعة تأليفين جديدين ظهرا مؤخّراً لموريس لندريو وندره سرفيه عنوان الواحد : (M. Landrieux : *L'Islam*) والآخر A. Servier : *La Psychologie du Musulman*

رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

الجزء الاوّل للاب انطون صالحاني اليسوعيّ

طبعة ثالثة . في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت ١٩٢٣ (ص ٢٩٢)

لا حاجة لوصف محاسن هذا المجموع الفريد الذي لم يختلف اثنان في فضله ومنفعته لدرس العربيّة . وما يزيده حسناً ان حضرة جامعه يردّد فيه النظر عند تجديد طبعاته فيجلوه ويصقله ويضبط رواياته ويضيف اليه شروحاً وافادات يشكره عليها الاساتذة وتدفعهم الى تدريسه في جامعات اوربّة فضلاً عن مكاتب الشرق

زبدة البيان او خلاصة تاريخ امّ مدارس سوريّة ولبنان «عين ورقا» لحوراسقف الكنيسة الانطاكية خيرالله اسطفان

طُبع في نيويرك سنة ١٩٢٣ (ص ٦٤)

انّ مدرسة عين ورقا في هذه الاصقاع اشهر من نار على علم . وكفاها فخراً ان عدداً عديداً من جلّة الاكليروس الماروني وادباء العلمانيين منذ السنة ١٧٨٩ الى ايّامنا قد تخرّجوا على اساتذتها شاكرين لفضل العائلة الاسطفانيّة التي حوّلت دير مار انطونيوس السابق الى مدرسة طائفية مجّانيّة . على انّ حدثان الزمان وما طرأ من النكبات على لبنان قد الحق بهذه المدرسة ضرراً احبّ ان يتلافاه غبطة السيد البطريرك وآل الاسرة الاسطفانيّة . فعهدا بالامر الى المنسنيور خيرالله اسطفان في اميركا الشماليّة والناظر العام على المدرسة ان يستندي هناك صدقات المحسنين فيلمّ شعثها ويفي ديونها ويعيدها الى زهوها السابق . حقّق الله نيّاته الشريفة ل . ش

شذرات

﴿ انتشار رسالة قلب يسوع ﴾ كانت اوّل رسالة نُشرت لخدمة عبادة قلب يسوع ابرزها بالافرنسيّة الاب راميار اليسوعي سنة ١٨٦١ في مدينة تولوز ثمّ تبعتها الايطاليّة سنة ١٨٦٤ في رومية ثم الالمانيّة في انسبروك (النمسا) واليوم قد بلغ عدد

الرسالة هذه الرسالات ٥٣ رسالة في كلّ انحاء اوربّة واميركة وآسية وافريقية في ٣٣ لغة منها الصينيّة ولغات الهند وسيلان والبلقان الخ امّا عدد المشتركين فيها فقريب من المليونين . هذا فضلًا عن عشرة ملايين من المشتركين بالاوراق الشهريّة الواردة فيها نيّات شركة الصلاة . فترى كيف بارك الله هذه حبّة الخردل فاضحت دوحةً كبيرة

﴿زيارة الاراضي المقدّسة بالسيّارات﴾ سُررنا ايّ سرور عند اطّلاعنا على نشرة المهام النشيط اسكندر افندي الحانك التي فيها يعرض على طالبي زيارة الاراضي المقدّسة في الجليل والسامرة واليهوديّة ان يقوم هو باعبائهم ذهاباً واياباً حلًّا وترحالًا اكلًا وشرباً وسكناً على شروط معلومة معتدلة . فلا ريب ان يحلّ هذا المشروع محلّ الرضى لدى كثيرين اذا وقفوا على شروطهِ فنحضُّ القرّاء على مخابرة المذكور في محلّهِ في ساحة الشهداء او الاطّلاع على لائحتهِ

﴿زيارة دولة حاكم دمشق لكلّيّتنا﴾ شرّف كلّيّتنا منذ زمن قريب صاحب الدولة حقّي بك المظم وتفقّد كلّ دوائرها فتكرّم وصرّح عن رضاه السامي وانشراح خاطرهِ لكل ما عاين . وقد تلطّف فكتب عن زيارتهِ فصلًا شائقاً عن الكلّيّة ونظامها وتعليمها ومعاهدها المختلفة ومنشورات مطبعتها فأوجب دولتهُ علينا شكرهُ لحسن ظنّهِ في جامعتنا ونحن نعدّ كلامهُ احسن دفاع عنها بازاء حملات بعض الصحافيين الواقفين اقلامهم على خدمة الاغراض الشخصيّة

﴿الزهرة ومنشورات مطبعتها﴾ اتحفنا جناب الاديب جميل افندي البحري نسخة من مجموع مجلّتهِ الزهرة مع ما نشرهُ في مطبعتهِ من الكتب التاريخيّة والادبيّة والروايات فنشكر لهُ هذه الهبة الثمينة وقد زادها قيمةً في عيننا انّ صاحبها يتحاشى في تآليفهِ كلّ ما من شأنهِ ان يمسّ الدين او يخدش كرامة الأدب وفي مجلّتهِ المقالات المستجادة والقصائد المطبوعة والروايات المؤثرة نتمنّى لهُ كلّ نجاحٍ في سبيل الدين والادب والوطن ولزهرتهِ ثباتها على طلاوتها وانتشار عرفها

﴿السلطان سليمان القانوني وقند﴾ سألنا مستفهمين من هو هذا «قند» الذي ذكرهُ الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ (ص ٦٠٥) وروى عصيانهُ على السلطان سليمان فالجواب على ذلك انّ اسم «القند» تصحيف شنيع والصواب «الغزالي» الذي كان حاكمًا على دمشق وهو احد اصحاب قانصوه الغوري الذين خانوه في واقعة مرج دابق

واشهر العصيان واستولى على قلعة دمشق بعد وفاة السلطان سليم فارسل خلفهُ السلطان سليمان القانوني جيشاً ظفر بهِ

﴿الجواب الهادي على النظر الانتقادي﴾ نشر حضرة الخوري عيسى اسعد هذا الكرّاس زاعماً انهُ بهِ يفنّد ما كتبناهُ في انتقاد كتابهِ التحفة النقيّة ولو اردنا تمحيص جوابهِ لأدّى بنا الى جولات واسعة لاتضمّها عدّة اعداد من المشرق بل عدّة مجلّدات وانّما نكتفي بامر واحد عليهِ مدار كلّ الجدال فاذا سلّم بهِ حضرتهُ زال كلّ خلاف بيننا وهو رئاسة الحبر الروماني على الكنيسة جمعاء لا شرفاً فقط بل بالفعل والسلطان. وتلك قضيّة مبنيّة: ١ً على كلام الانجيل الذي هو في يدهِ كما هو في يدنا. فهما صنع لا يمكنهُ ان يمحو منهُ اسم «كيفا» اي الصخرة المُعطى لبطرس ولا «تقليدهُ مفاتيح ملكوت السماوات» ولا «رعاية الخراف والنعاج» ولا... ولا.. ٢ً على تعاليم آباء كنيسة اليونانيّة فانّ شواهدهم العديدة على رئاسة بطرس وخلفائهِ اوضح من الشمس. ٣ً على اعمال اولئك الآباء فضلاً عن تعاليمهم فالى مَن التجأ القديس يوحنّا فم الذهب والقديس اثناسيوس الّا الى الحبر الروماني لمّا حُكم عليهما زوراً؟. ٤ً على كتب الكنيسة اليونانيّة الطقسيّة كالمينايون والتيبكون والتريودي وغيرها فانها حافلة بالشهادات على رئاسة بطرس على الرسل اجمعين وعلى الكنيسة كلّها. ٥ً على خضوع الكنيسة البيزنطيّة لرومة الى عهد فوطيوس والبطريرك ميخائيل كيرولاريوس. ٦ً على شواهد عديدة في كتب المسلمين نفسهم الذين يدعون البابا «بطريرك الملكيّين» كما اثبتت ذلك مجلّة المشرق ردّاً على ابن بطريق. فان كان حضرة الخوري عيسى اسعد لا يقتنع بهذا فهو وشأنهُ فانّ جدال المماحكين عبث وضياع وقت

﴿بعلبك تاريخها وآثارها﴾ محاضرةٌ شائقة ألقاها حضرة الخوري عبدالله نجيم في نادي اخويّة القديس يوسف في بيروت فاصابت استحسان الحضور وودّوا لو تُنشر بالطبع لوفرة موادّها وحسن تنسيقها فلبّى المؤلف طلبهم وابرزها في مطبعة الاجتهاد بغلاف ناصع البياض يمثل اعمدة هيكل بعلبك. وهي لا تقلّ عن ٥٧ صفحة مفعمة بالمعلومات الشائقة

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا ما هي المدن التي ينيف عددها في العالم على مليون نفوس ؟

المدن الزائد عدد نفوسها على المليون

ورد جدولها في مجلّة الاحصائيّات الدوليّة في اواخر السنة ١٩٢٢ كما ترى:

نيويرك	٥,٦٣٠,٠٠٠	بومباي	١,١٧٦,٠٠٠
لندن	٤,٤٨٣,٠٠٠	ريو جانيرو	١,١٥٨,٠٠٠
باريس	٢,٩٠١,٠٠٠	موسكو حاضرًا	١,٠٠٨,٠٠٠
شيكاغو	٢,٧٠٢,٠٠٠	شنغاي	١,٠٠٠,٠٠٠
طوكيو	٢,١٧٣,٠٠٠	ديترويت اميركة	٩٩٤,٠٠٠
فيلدلفية	١,٨٢٦,٠٠٠	همبورج	٩٨٦,٠٠٠
بونس ايرس (ارجنتين)	١,٥٧٧,٠٠٠	فرسوفية	٩٣١,٠٠٠
هنغ كيون	١,٣٢٠,٠٠٠	كلكوتا	٩٠٨,٠٠٠
اوزاكا	١,٢٥٣,٠٠٠	بطرسبورج حاضرًا	٧٠٦,٠٠٠

س وسأل الاديب يوسف افندي صفير أصحيح ان كتاب المزامير العربيّ طُبع لاوّل مرة في مدينة جنوى سنة ١٥١٦ ؟

اوّل طبعة للمزامير العربيّة

ج نعم طُبعت المزامير عربيًا سنة ١٥١٦ في جنوى وانّما طُبعت بالحرف المغربي مع الاصل العبراني . وهذه الطبعة عزيزة الوجود . امّا الطبعة العربيّة الشهيرة بعدها فطبعة باريس سنة ١٦١٤ عُني بها المارونيّان نصرالله شلق وجبرائيل الصهيوني وكانت سبقتها طبعة قزحيًا سنة ١٦١٠ بالسرياني والكرشوني

جواب على السؤال الوارد في آخر العدد السابق

انّ ما ورد في القطعة السريانيّة من شحيم الموارنة عن رسالة مار يوحنا هو تقليد لا أصل لهُ في التاريخ . وكذا يقال عن مضمونها والسيدة المرسلة اليها . هذا التقليد قد ورد ايضاً في منقيط السريان . امّا الاعياد الثلثة فهي ثابتة الى اليوم في عدّة كنائس في ١٥ ك ٢ (سيدة الزرع) وفي ١٥ ايّار (سيدة السنبل) وفي ١٥ آب (سيدة العنب)

ل . ش

المشرق

الامير بشير الكبير المعروف بالمالطي

محاضرة تُليت في نادي كنيسة القديس مارون في بيروت لجمعية القديس يوسف يوم الثلاثاء الواقع في ٢٠ ايار سنة ١٩٢٤

بقلم الشيخ سليم خطّار الدحداح

لمّا انتصر السلطان سليم الاول العثماني في مرج دابق سنة ١٥١٥ على مماليك مصر وضمّ سورية ومصر الى السلطنة العثمانية كافأ امراء لبنان الذين كانوا انضمّوا الى جيوشه في ساحة القتال ونصروهُ على اعدائهِ بان اقرّهم على امتيازاتهم وشؤونهم في انحائهم . وكان المتقدّم بين هؤلاء الامراء الامير فخر الدين معن الاول فظلّ هو وابناؤهُ منذ ذلك التاريخ يتوارثون الحكم في جبال الشوف وما تجاورها حتى سنة ١٦٩٧ . ففي ١٥ ايلول منها مات الامير احمد آخر حكّامهم في لبنان بدون عقب . وقد كان للامير اختٌ تزوّجها امير راشيّا حسين شهاب وابنةٌ اقترنت بامير حاصبيّا موسى شهاب

فاجتمع اعيان البلاد من امراء ومشايخ واسفرت مداولاتهم عن انتخاب الامير بشير من راشيّا وهو ابن اخت الامير احمد المتوفّى . الّا انّ الحكومة المركزيّة لمّا رُفع اليها الامر حكمت بانتقال الامارة والاموال الى الامير حيدر موسى شهاب من حاصبيا بموجب حقوق الوراثة لانه ابن بنت الحاكم المعنّي المتوفى . وبما انه كان حدثاً لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره استقرّ الرأي على ابقاء الحكم في يد الامير بشير ريثما يبلغ الامير سنّ الرشد ويتمكّن من استلام مقاليد الامور . فساس الامير بشير الاوّل امور البلاد بكل حكمة ودراية تسع سنوات الى سنة وفاته ١٧٠٦

حينئذٍ ضبط الامير حيدر ازمّة الحكم لكنَّ امراء الحزب اليمني وهم اعداء المعنيين من قبلهِ قاموا لمحاربتهِ بيد انه انتصر عليهم وابادهم واندثر من بعده هـذا الحزب وذلك في معركة عين دارة سنة ١٧١١ وطال زمن حكمهِ فتوفي سنة ١٧٣٢ تاركاً من زوجاته الشرعيات الاربع تسعة امراء ذكور ينتسب اليهم جميع الامراء الموجودين حالياً في لبنان الصغير القديم وهذه اسماؤهم :

١-٢ الاميران ملحم واحمد (من زوجتهِ الاولى الشهابيَّة ولدا قبل استلامهِ حكم الجبل) . ٣ ثم الامير عُمَر (من زوجتهِ الثانية الدرزيَّة والدة الامير مراد بلمع) . ٤ ثم الامير بشير (من زوجتهِ الثالثة الدرزيَّة ابنة الامير حسين قيديه اللمعي) . ٥-٩ ثم الامراء منصور ويونس وسمن وحسين(١ وعليّ (٢ من زوجتهِ الرابعة شقيقة زوجتهِ الاولى التي تزوجها بعد وفاة اختها)

وكان حينئذٍ جبل لبنان منقسماً الى قسمين : قسم جنوبيّ يمتدّ من قرب صيدا الى وادي العاملتين شمالي جونية يُعرف بمعاملة صيداء وكان حاكمه يدعى بحاكم الشرف وكسروان او حاكم جبل الدروز ومرجعه الى والي صيداء وهـذا القسم وحده كان يحكمهُ المعنيّون ثم ورثهُ الشهابيون . وقسم شمالي حدوده من وراء وادي العاملتين كان يديرهُ امراء ومشايخ يرجع امرهم الى والي طرابلس ويسمّى باسم معاملة طرابلس

وكان اعظم امراء معاملة صيدا حين تولّاهـا الامير بشير الاول امراء آل تنوخ وآل ارسلان الدروز وفيها كثير من المقدَّمين والمشايخ سيأتي ذكرهم في سياق الكلام

كان امراء آل شهاب من أُسرة اسلاميَّة سنيَّة تنتمي الى بني قريش قبيلة محمَّد صاحب الشريعة الاسلامية فيُنَدَّون لذلك اعرق شرفاً من المعنيّين وسواهم من وجوه المسلمين في هذه الديار . ولمَّا استلموا الحكم في معاملة صيدا اقتدوا بخطَّة التساهل التي كان نهجها المعنيون وتقرَّبوا الى نصارى بلادهم وانتقوا سائر كتبة اسرارهم ومدبّريهم ومهذّبي اولادهم ومنفّذي احكامهم من النصارى وخصوصاً من الموارنة . ولكثرة اختلاطهم بهم وقفوا على مبادئ الدين المسيحي وتعاليمهِ ودانوا بهِ الواحد

١) من سلالة الامير حسين سعادةُ الشاب الناهض الامير جميل شهاب ناظر مالية لبنان الكبير حالاً ٢) الامير عليّ اوّل من تنصَّر من الامراء الشهابيين (راجع مقالتنا في تنصُّر الامراء الشهابيين واللمعيين (في المشرق ١٨[١٩٢٠] : ٥٤٧-٥٤٨)

بعد الآخر وذلك في وقت كان الذلُّ مخيّماً فوق النصرانيّة لا شأن فيه للمسيحي ولا اعتبار يعرّض المسلمَ نفسهُ بتنصّره الى اشدّ العذابات والموت. وهذا مما يُبعد الريبة عن غايات بشريّة حملت هؤلاء الامراء على التنصّر

وقد تعاقب بعد وفاة الامير حيدر سنة ١٧٣٢ على حكم جبل الدروز كلٌّ من الامراء ملحم ثم احمد ومنصور سويةً ثم منصور منفرداً ثم يوسف ثاني ابنـاء ملحم المشار اليه وذلك منذ سنة ١٧٣٢ الى ١٧٨٨ وكان الامير يوسف توفّق منذ سنة ١٧٧٠ الى ضمّ معاملتي جبل لبنان تحت سلطته فدبّرهما بشدّة عزمه لكنهُ في السنة ١٧٨٨ وجد نفسهُ عرضة لمقاومة اخوته وثورة الجنبلاطيين ولبغض احمد باشا الجزّار والي عكّا وصيدا وتيقّن ان معظم البلاد غير راضية عن حكمه وقد سئم وضجر من المنازعات التي قاساها مدّة حكمه طال ٢٥ سنة فاشار الى اعيان البلاد ان ينتخبوا لهم حاكماً سواهُ ورشّح لهم الامير بشير بن قاسم عمر وهو اذ ذاك شاب يافع لم يتمّ الحادية والعشرين من عمره. فلمّا انتخبوه سار الى الجزّار ذاك السفاك الذي كان يلعب باموال وارواح سكان فينيقية وفلسطين. فقبلهُ الجزّار وولّاه على جبل الدروز وذلك سنة ١٢٠٣ هجرية الموافقة للسنة ١٧٨٨ مسيحية وهو الامير بشير الثاني المعروف بالكبير وبالمالطي موضوع كلامنا الآن (١

---

(١) ساد الحكم الاقطاعي في لبنان منذ عهد الصليبيين وقد تثبّت بتصديق السلطان سليم العثماني على امتيازات لبنان سنة ١٥١٦. ولمّا استلم الامير بشير الثاني زمام الحكم سنة ١٧٨٨ كان ذوو الاقطاع في الجبل كما يأتي :

اوّلاً في معاملة صيداء ابتداءً من الجنوب

١ المشايخ آل جنبلاط على قضاء جزين الحالي وناحية الشوفيّن وقسم من ناحية اقليم الخرّوب – ٢ المشايخ آل عماد على الرقوب – ٣ المشايخ آل ابي نكد على المناصف والشحّار (لكنّهم فقدوا سلطتهم على دير القمر باقامة الحاكم فيها) وتتمة ناحية اقليم الخرّوب – ٤ المشايخ آل عبد الملك على قسم من الجرد – ٥ الامراء آل ارسلان على قسم من الغرب – ٦ المشايخ آل تلحوق على تتمّة الغرب. وكلّ هؤلاء من الطائفة الدرزيّة – ٧ والمشايخ آل الخوري الموارنة على تتمّة الجرد – ٨ الامراء آل شهاب اسرة الحاكم على الساحل – ٩ الامراء آل ابي اللمع بفروعهم الثلاثة: قايديّه ومراد وفارس على قضاء المتن الحالي (ما عدا ناحية الساحل) ومدينة زحلة. وهؤلاء كانوا من الدروز وقد اخذوا يتنصّرون منذ منتصف الجبل

فمن هو هذا الامير ؟ وما هو ماضيهِ ونسبتهُ الى الامير يوسف ؟ وما هي اعمالهُ مدَّة حكمهِ وكيف انفصل عنهُ واين مات ؟ فهذه سؤالات عوَّلنا على الجواب عنها وكشف النقاب عن حقيقتها لان شهرة الامير بشير في زمن حكمهِ والفخر الذي احرزهُ والبلايا التي اصابتهُ في اواخر حياتهِ قد ولَّدت في نفوس معاصريهِ واخلافهم الشوق الى استطلاع اخبارهِ كما اثارت في اخصامهِ ثائرة الحسد . ولكونهِ كما لبنان خير وشاحٍ من المجد تصدَّى لهُ مناظروهُ ولم يَدَعوا فريَّة الَّا عزوها اليهِ قاصدين بالوقت ذاتهِ ان يَسوموا اهل الجبل خسفاً

١ نسب الامير بشير

قلنا انَّ الامير بشير هو ابن قاسم بن عُمَر الشهابيّ . فجدُّهُ الامير عمر ثالث ابناء الامير حيدر ولدتهُ لهُ زوجتهُ الدرزيَّة التي اقترن بها بعد انتصارهِ في عين داره . ولم تطل مدَّة هذا الامير فانهُ توفّي سنة ١٧٣٦ في الثالثة والعشرين من عمرهِ وتبعتهُ الى القبر بعد قليل زوجتهُ فبقي ابنهما قاسم يتيماً فحضنهُ عمُّهُ الامير ملحم وهو وقتئذٍ حاكم الجبل . فربَّاهُ مع اولادهِ السبعة : محمَّد المولود سنة ١٧٤٤ ويوسف السابق

الثامن عشر الَّا ان حركة تنصّرهم كانت بطيئة وأعرفُ منهم امراء ولدوا دروزاً وتنصّروا في عهدنا — ١٠ المشايخ آل الخازن على نواحي كسروان الاربع الحالية اي الجرود وغوسطا والزرق وجونية اي ما هو معروف بنفس كسروان — ١١ المشايخ آل حبيش على غزير الَّا ان اقامة الامراء في غزير افقدتهم سلطتهم عليها

ثانياً في معاملة طرابلس

١ المشايخ آل الدحداح على الفتوح وبعض قرى بلاد جبيل (وكانت اقامة اكثرهم في عرامون داخل بلاد كسروان المختصة بآل الخازن) — ٢ المشايخ آل الضاهر على الزاوية (وهذه العائلات الاربع من الموارنة) — ٣ المشايخ آل حماده المتاولة على المنيطرة وشمطار والهرمل

وقد كان كثير من الأُسَر من الدروز والنصارى خلاف من ذكرنا عُرفوا بلقب المشايخ الَّا انما لم تكن تحكم اقطاعات خاصَّة بطريق التوارث مثل هذه التي اوردنا اسماءها وكانت هذه الاسر منقسمة سياسياً الى حزبين : اليزبكي وزعيمهُ رئيس المشايخ آل عماد والجنبلاطي وزعيمهُ رئيس آل جنبلاط — وقد كان التكديون ملازمين الحياد يرجّحون كفة الميزان متى ارادوا

ذكرهُ وقاسم سميّهِ وسيد احمد وافندي وحيدر. وكان قاسم عمر اكبرهم سنًّا وقد كافأ عمّهُ بأن خدمهُ افضل خدمةٍ وعضدهُ على اخويهِ الاميرين احمد ومنصور

ولمّا مات الامير ملحم اراد الامير منصور ان يستميل اليهِ الامير قاسم عمر لينصرهُ على اخيهِ احمد فقرنهُ باحدى بناتهِ سنة ١٧٦٢ واقطعهُ بلدة غزير فانتقل اليها بعد اقامته سنتين في بشامون في الغرب وتوطّنها وحكم فيها وهناك رُزق اولادهُ الثلثة حسناً(١٧٦٥)ثمّ ابنةً ثمّ الامير بشيراً موضوع كلامنا الآن سنة(١٧٦٧)

وفي تلك الاثناء كان الامير يوسف تولّى على معاملة الشمال اي طرابلس فتقرّب اليهِ عمّهُ منصور حاكم الجنوب وزوّجهُ ابنتهُ الثانية

٢ مولد الامير بشير واوّل اموره

ولد الامير بشير نصرانيًّا لانّ والدهُ الامير قاسم قبل مولدهِ كان استدعى لديهِ في غزير مطران بيروت المارونى يوسف اسطفان الذي صار بعد ذلك بطريركاً على طائفتهِ وطلب اليهِ ان يعلّمهُ معتقدات الدين الكاثوليكي هو وامرأتهُ وبعد ان فقهها وتحقّق صحّتها اقتبل مع زوجتهِ وولديهِ الاكبرين سرّ العماد. وبعد مدّة ولد الامير بشير فتنصّر كاهلهِ. ولمّا ادركت الوفاة في ١٨ نيسان ١٧٦٧ الامير قاسم ترك سائر اهل بيتهِ نصارى كاثوليكيين موارنة

مات الامير قاسم ولم يترك لاولادهِ ثروةً واسعة لكنّهم لم يكونوا في ضنك من العيش كما اشار اليهِ نجيب افندي باخوس في مقالتهِ عن غزير (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢١١) حيث زعم انّ الامير بشير بعد وفاة والدهِ «ترك هذه البلدة في حالة من الشقاء يسوق ناقةً عليها امتعتهُ» وهو كلام لا يقبلهُ العقل ويردّهُ مقام جدّهِ لأمّهِ وكان حاكماً لجبل الدروز وكانت خالتهُ زوجةَ حاكم معاملة الشمال . . . وقد اقام لهم جدّهم وصيًّا اعتنى بامرهم. ولمّا تزوّجت والدتهم بالامير سيد احمد اخي الامير يوسف نزل بهم الوصيّ الى ساحل بيروت ثمّ تبعوهُ الى بشامون فمزرعة بيت الدين قريباً من دير القمر حيث كانوا يملكون بعض الارزاق. ولمّا بلغ الامير بشير اشدّهُ دخل مع اخيهِ حسن في خدمة الامير يوسف وأبديا في اعمالها الى السنة ١٧٨٨ كل امانة وبذلك تحسّنت حالتهما وتقدّما عند الامير

وفي السنة ١٧٨٧ أرسل الامير يوسف الامير بشيرًا الى حاصبيا بمأمورية هامة اصاب بها النجاح وهناك تزوّج بابنة محمّد اخي الامير يوسف الاكبر وكانت مسلمة مثل اهلها وارملة امير شهابي من حاصبيا وهي غنية فاغنت زوجها بمالها لكنّهُ اغناها بدينهِ ونصّرها فصارت مارونيّة مثلهُ فبارك الله زواجهما ورزقهما ولدهما البكر في تشرين الثاني سنة ١٧٨٨ فدعاهُ قاسماً باسم ابيهِ

ومن هذا ترى بُعد المرحوم ندرا بك مطران عن الحقيقة اذ قال في كتابهِ «سورية الغدء ان الامير بشير كان عقوقاً نحو الامير يوسف رغماً عن انّ هذا كان حضنهُ واعتنى بحداثتهِ على بعد القرابة التي كانت تربطهما» فيا تُرى اي قرابة اقرب بينهما والامير بشير ابنُ ابنِ عمّ الامير يوسف وابن اخت زوجتهِ وزوج ابنة اخيهِ . واين عقوقهُ مع ما نرى من تفضيل الامير يوسف لهُ في اختيارهِ للمأمورية دون سواهُ اذ رأى نفسهُ كما قلنا مضايقاً فتنازل لهُ عن الحكم برضاهُ ورشّحهُ لولاية الجبل ليس لمجرّد القرابة والكفاءة فقط بل تلبيةً لانتخاب الاعيان ورضى الجزّار (اطلب اخبار الاعيان لطنّوس الشدياق ص ٤٢٠ وتاريخ الامير حيدر (ص ٨٥٦ من طبعة مصر) . أفيُنسب العقوق للامير بشير أنْ عاد الامير يوسف بعد ترشيحهِ وانتخابهِ نادماً على اعتزالهِ ومزاحماً لهُ طالباً من الجزّار قتلهُ ليستعيد هو الحكم ؟

٣ حكم الامير بشير (١٧٨٨—١٨٤٠)

حكم الامير بشير ٥٢ سنة ويمكن ان نقسم تلك المدّة الى ثلثة اقسام : القسم الاوّل من السنة ١٧٨٨ الى ١٨٠٧ واكثرهُ في عهد الجزّار . والثاني من ١٨٠٧ الى ١٨٣٢ من توحيد الحكم في الجبل الى الاحتلال المصري . والثالث من ١٨٣٢ الى ١٨٤٠ من دخول المصريين في سوريّة الى نفي الامير بشير

القسم الاول من السنة ١٧٨٨ الى ١٨٠٧

هي تسع عشرة سنة كان احمد الجزّار يتصرّف فيها بسياسة الجبل وسائر فينيقية على هواهُ فيرفع ويحطّ ويقدّم ويؤخّر لا رادعَ لهُ ولا زاجر ليبتزّ اموال الاهلين ويضعف قواهم المادّيّة والادبيّة

وقد اضطرّ الامير بشير في هذه المدّة الى ترك الحكم مرارًا والفرار من الجبل. وقد زُجّ في اثنائها غير مرّة في سجن عكّا هو واخوه وانصاره. نازعه الحكم واغتصبهُ اياه تارةً الامير يوسف ذاته. وتارةً الامير حيدر اصغر اخوة الامير يوسف وابن شقيقها الامير قمدان شقيق امرأته. وطورًا ابناء خالته اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم بسعي مدبّريهم جرجس وعبدالاحد باز

وفي سنة ١٧٩٩ التجأ الامير بشير الى الكومودور الانكليزي «سدني سميث» الشهير الذي قاوم بونبارت في حصار عكّا والى الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا القادم الى مصر لطرد الافرنسيين منها. ولم تسفر رحلتهُ هذه رغماً عمّا لقيهُ من الاعزاز والاكرام لديهما عن نتيجة مرضية لان الجزار بعد نجاته من خطر الافرنسيين لم يكترث بتوصيات واوامر الصدر الاعظم والكومودور. وقد روى اخبار هذه السياحة مدبّر الامير الشيخ سلوم الدحداح الذي رافقهُ فيها وقد نشرتُها في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٦٩٧ الخ) ... الّا ان الله انقذه وانقذ البلاد بوفاة الجزار سنة ١٨٠٤ فنجا الجميع من شرّه. وقد كانت وفاتهُ في اثناء اتفاق جرى بين الامير بشير واولاد الامير يوسف فاستقلّ الاول بالقسم الجنوبيّ ومركزهُ دير القمر والآخرون بالقسم الشمالي ومركزهُ جبيل. لكنّ تدخّل ابني باز بشؤون القسم الجنوبي وتعرّضهما لاعمال الامير هناك والنفوذ العظيم الذي احرزاهُ وما جاهرا بهِ من الاستخفاف بالامير ودُؤوبهما في بثّ الدسائس ضدّهُ كلّ ذلك أثار الخوف في نفسهِ منهما وخشي تقلّب الامراء معلميهم عليهِ فرجّح انّ اقرب وسيلة للتملّص ممّا يحذرهُ إعمالُ السيف والرهبة فقتل الاخوين المدبّرين في يوم واحد وامر بسمل عيون اولاد الامير يوسف واوجب عليهم الاقامة في درعون. فتنكيلهُ هذا ألقى الرعب في قلوب اقاربه وأنصارهم فخافوا بطشه وفتكهُ. واستقلّ في حكومة معاملتي الجبل كافةً

القسم الثاني من توطيد الحكم في الجبل الى الاحتلال المصري (١٨٠٧—١٨٣٢)

صفا الجوّ للامير بشير مدّة ثلاث عشرة سنة (١٨٠٧—١٨٢٠) ونيها تولّى على عكّا رئيسهُ سليمان باشا خالفاً لاسمعيل باشا الذي لم تطل ولايتهُ. وكان سليمان احد ولاة الاتراك المتازين بصفاتهم وكان يحبّ الامير حبًّا خالصاً ويعتبرهُ اشدّ الاعتبار ويجلّهُ كثيرًا. وكذلك الامير بشير لم يضنّ بخدمهِ لحاكم عكّا فاعانهُ في محاربتهِ لوالي الشام

يوسف باشا كنج وفتح اللبنانيون بقيادته عاصمة الشام (١٨١٠) . وفي تلك سنين الراحة وطمأنينة البال تفرّد الامير للمشاريع العظيمة التي اكسبتهُ مجدًا اثيلًا لدى معاصريهِ بما شيَّدهُ من المباني الفخمة في بيت الدين واليها جلب مياه نهر الصفا واتى بغير ذلك من اسباب العمران

لكنَّ الامور انقلبت بوفاة سليمان باشا فخلفهُ في ولاية عكَّا الفتى الغرُّ عبد الله باشا وكان كثير الطمع ساعيًا في جمع المال فاخذ يلقي الفساد بين الناس ليحصل بذلك على الدراهم . فاضطرب الامير لفعلهِ وزاد قلقهُ لمظاهرات واجتماعات ثوريَّة باشرها بعض ذوي الغايات وهي المعروفة بعاميَّة انطلياس قصدوا بها حَصْر سلطة الامير والامتناع عن دفع الضرائب السنويَّة اكثر من مرَّة

وحدث في تلك الاثناء انَّ احد الامراء الشهابيين ارتدَّ عن النصرانيَّة الى الاسلام وقتل والدَهُ وعمَّهُ ثمَّ فرَّ هاربًا الى الشام محتميًا من الامير بشير ومدَّعيًا بانَّهُ يريد الفتك بهِ لرجوعهِ الى الاسلام . فخاف الامير عقبى الامر وترك الحكم للامير حسن علي وسافر الى حوران لكنَّ مدَّة غيبتهِ لم تطل لأنَّ عبدالله باشا رضي عنهُ وامَّنهُ فعاد الى لبنان

ووافق رجوعهُ الى الجبل عصيان عبدالله باشا على السلطان فزوَّر امرًا من اوامرهِ انخدع بهِ الامير بشير فساعدهُ في محاربة والي الشام فكان الفوز لعبدالله باشا بفضل الجنود اللبنانيَّة حيث كسروا في المرَّة الجيوش الشاميَّة . لكنَّ تزوير عبدالله باشا انكشف سريعًا واعتزل الجنلاطيُّون عن الامير فاضطرَّ الى الانسحاب والرجوع الى الجبل حيث قمع الثورة المعروفة بعاميَّة حفد . لكنهُ خاف من الجيوش العثمانيَّة التي سارت الى لبنان للفتك بهِ ولمحاصرة عكَّا والقبض على عبدالله باشا

فخلع الامير بشير نفسهُ وسلَّم الحكم الى الامير عباس اسعد شهاب وسافر الى القطر المصري ملتجئًا الى محمَّد علي باشا وقد رافقهُ مدبّرهُ الشيخ منصور سلوم الدحداح والشاعر بطرس كرامة وكثير من اعوانهِ الدحادحة وغيرهم . فمهَّد لهُ هذا النفيُ الاختياري سبيلَ التناهم مع جدّ السلالة المصرية والاتفاق معه لما كان ينويه هذا من الدخول في الاقطار السورية واللبنانية (١٨٢٣)

ولمَّا عفا السلطان محمود عن عبدالله باشا بواسطة محمد علي الذي تداخل في الامر

اكراماً للامير عاد هذا الى جبل لبنان عن طريق عكا حيث لقي استقبالاً ملوكياً ويوصوله الى الجبل عزم على الفتك نهائياً بجميع مناوئيه وخاصة بالشيخ بشير جنبلاط الذي كان خزّله بعد موقعة المزة سيما ان ثروته العظيمة ونفوذه جعلاه صاحب سطوة تهدّد مركز الامير

وكان الشيخ جنبلاط عالماً بان الامير ناقمٌ عليه ولذلك سعى بان يثبت الامير عبّاس في تدبير حكومة الجبل . ولمّا عاد الامير بشير من مصر وتحقّق الشيخ ما يكنّهُ صدرهُ من الوغر عليه جعل يحرّك الامير عبّاس والاميرين سلمان وفارس سيد احمد ويدفعهم الى محاربة الامير بشير جهاراً وضمّ اليهم الحزبين الجنبلاطي واليزبكي وامدّهم بالاموال فألّفوا جيشاً سار الى بيت الدين ليحاصروا الامير في قصره . لكنّ الامير كان مستعدّاً لاستقبالهم فخيّب آمالهم وردّهم عاجزين عن فتح سرايته وامر ابنهُ الامير خليل بان يخرج الى قتالهم فسار بالجند الى محاربتهم فطردهم وتبعهم ظافراً الى بعقلين وسهول السمقانيّة حتى بلغ المختارة مركزهم الرئيسي فحرقها ودمّر سراية الشيخ جنبلاط وشتّت شملهم . واشار الامير الى حكّام الولايات ليرصدوا المنهزمين فقبضت جيوش الشام على الشيخ بشير واقاربهِ وتبعتهِ من المماديين وساروا بهم الى الشام وعكّا فلقوا فيهما حتفهم ضرباً بالسيف او على اعواد المشانق (١٨٢٥)

. وامّا الامراء الثلاثة عباس وسلمان وفارس الطامعين بالحكم فقد انزل بهم الامير عقاباً شديداً فسُملت عيونهم واصبحوا عبرة للمعتبر . فارتاح حينئذٍ من مناوأة جميع اقاربه واصبح شديد البأس حتى التجأ عبدالله باشا الى سيفهِ فساعدهُ في قمع الثائرين عليهِ في فلسطين كما جرى في مسألة سانور (١٨٣٠) فصار الامير مطلق اليد في حكم لبنان وكبير النفوذ في كافة سوريا

وكان في سنة ١٨٢٨ اراد ان يرتاح من عناء الاشغال فسلّم الادارة الى اصغر ابنائه الامير امين وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة فاتخذ هذا مستشاراً له استاذهُ القديم الشاعر بطرس كرامه

القسم الثالث من احتلال ابرهيم باشا سورية الى نفي الامير بشير

(١٨٣٢ــ١٨٤٠)

هي حقبةٌ وجيزة وقدرُها ثمان سنوات تتناول تاريخ الاحتلال المصري . فعملاً

بالعهود التي كان الامير بشير تعهّد بها حين التجائه الى مصر انضمّ الى الفاتح المصري وساعده على فتح عكا وأسر عبدالله باشا وتدويخ كافّة البلاد السورية . لكنّهُ بسياسته هذه اصبح في يدي الفاتح وطوع امره . وانما ساعدت مخالفتهُ لابرهيم باشا ونفوذهُ لديه على رفع شأن المسيحيين في لبنان وسوريّة فحصلوا على كثير من الحقوق بعد ذلّهم واحتقارهم

وفي سنة ١٨٣٥ ارسل الامير رجال الجبل المسيحيين لمساعدة ابرهيم باشا على فتح اللجا في حوران فكانت تلك الحملة المشؤومة مدعاةً لضغينة دروز حوران على الموارنة ثم زاد الاتراكُ حقدَهم توقُّدًا عند استلامهم البلاد سنة ١٨٤٠ فصار سبباً للحروب الدينية التي ادمت لبنان ولم تزل تدميه منذ ٩٠ عاماً

ثمّ طال عهد الاحتلال المصري واشترك قسم كبير من اللبنانيين المسيحيين واخصُّهم الموارنة مع من حرّكتهم تركيا وانكلترة لمناهضة المصريين وعادت تركيا واعلنت الحرب على محمّد علي فأتت اساطيل الدول الاوربية - ما عدا فرنسة — الى سواحل لبنان وانزلت الجنود في جونية وارسل السر عسكر العثماني والسر نابير (Nappier) الانكليزي بلاغاً الى الامير بشير يطلب حضوره خاضعاً عند السرعسكر قبل عشرة ايام مع وعدهما بتقرير حكمهِ على لبنان مدة حياتهِ وحكم ابنائه بعد وفاتهِ والّا فيُعزَل ويُنفى . فاستشار مدبّريهِ الحالي والسابق فكان رأي بطرس كرامة عدم التسليم لئلّا يخرب المصريُّون بيت الدين وامّا الشيخ منصور الدحداح فاشار بالتسليم قائلًا : « اذا هُدمت بيت الدين فالبلاد تعيدها » . ولكن الامير لم يتمكن من التسليم لاحتلال الجيش المصري بيت الدين ولتشتُّت ابنائه واحفاده مع فِرَق الجيش المصري المحتلّة في انحاء البلاد . ولما فرّت العساكر المصرية من الجبل وامكنهُ النزول الى صيدا مسلّماً للدولة العثمانية كانت المهلة المضروبة قد فاتت فأُخذ اسيرًا وأُرسل مع زوجتهِ الثانية واولاده واكثر احفاده وعدد من اتباعهِ منهم الشاعر بطرس كرامة والشيخ موسى الدحداح الى المنفى في جزيرة مالطة ولهذا لُقّب بالمالطي تمييزًا لهُ عن نسيبهِ الذي عيّنهُ السلطان حاكمًا على الجبل خلفاً لهُ ويدعى الامير بشير قاسم ملحم شهاب وهو الثالث والمعروف عند العامّة بابي طحين . وكان سفر الامير الى مالطة في تشرين الاول ١٨٤٠ فيكون مجموع سني حكمهِ مع ما تخلّلها

من حكم اخصامه الموقت اثنتين وخمسين سنة وكان عمره اذ ذاك ٧٣ سنة

٤ آخر أيام الامير بشير

قضى الامير بشير عشر سنوات في المنفى. فاقام مدةً في جزيرة مالطة حيث كان موضوع اكرام الحكومة الانكليزية والاهلين ثم ضجر من الاقامة هناك فارسل بطرس كرامه الى عاصمة تركية ليرى فيها مجاري الاحوال . فهذا حرّر له ما اقنعه بالمجيء الى استنبول وبهِ تمّت غلطته السياسية العظمى التي كان باشر بها يوم تسليم نفسهِ للسر عسكر في صيدا. وكان الأولى بهِ ان لا ينفصل عن محمّد علي وابنهِ ابراهيم باشا الى ختام الحملة المصريّة لأنهما على كلّ حال ما كانا ليتركاهُ لو بقي على اتحاده معهما ولكانا اشترطا لهُ مع تركية والدول شروطاً موافقةً لمقامهِ او على الاقل لكانا اخذاه واولاده الى مصر وعاملاهُ بما يليق شخصهُ وكافأاهُ عن خدمه الجليلة لهما في لبنان وسوريّة ولكنّ استسلامه الى آراء بطرس كرامه قاده الى ما عمل. وبعد ان اقام احد عشر شهرًا في مالطه سافر مع سائر افراد عائلته وحاشيته واتباعه الى استنبول وهناك وقع في شبكة دسائس ومكر الوزراء الاتراك فاصبح ألعوبةً بين ايدي هؤلاء رجال السياسة المشهورين بخداعهم لاكبر ساسة اوربّة. والتزم باس الحكومة العثمانية ان يتنقّل في البلاد فكان تارةً في زعفران بول وتارةً في بروسه في الاناضول وتارةً في العاصمة ذاتها لكنهُ كان اينما حلّ موضوع اعتبار كبار رجال الدول الاجنبية وسفرائها وكبار وزراء الدولة العثمانية. وقد اشتهرت حادثة استقبال الصدر الاعظم لهُ. اخيرًا مات في استنبول في ٢٩ كانون الاول سنة ١٨٥٠ ودُفن في كنيسة الارمن الكاثوليك بعد مأتم حافل جدًّا وقد أبّنه ورثاهُ الشعراء والخطباء (١

١) تولّى وظيفة الكاتبية اي مدبّر الاحكام (كالسكرتير العام في ايّامنا) عند الامير بشير الثاني هؤلاء الآتية اسماؤهم : ١ً فارس ناصيف وجدعون الترك سويةً وقد عُزلا سنة ١٧٩٥ — ٢ً الشيخ نجم العقيلي درزي من السمقانية وقد عُزل سنة ١٧٩٧ — ٣ً الشيخ سلوم الدحداح من ١٧٩٧ الى ١٨١٧ لمّا استقال لعجزه وشيخوخته وهو جدّ الكونت رشيد — ٤ً وخلفه ابنه الشيخ منصور الدحداح من ١٨١٧ الى ١٨٢٨ — ٥ً الشامر بطرس كرامه الشهير من ١٨٢٨ الى ١٨٤٠ رافقهُ الى استنبول ثمّ تعيّن ترجمانًا في قصر السلطان عبد المجيد بعد سنة ١٨٤٣ وبقي الامير العوبةً يخادعهُ واولادهُ الوزراء العثمانيون بمواعيدهم المرقوبة !

٥ مذهبهُ واعمالهُ في سبيل الدين المسيحي

سبق ان الامير بشير وُلد مسيحيًّا من والدين مسيحيين مارونيين لا ريب في مارونيَّتهما ونصَّر زوجتهُ الاولى ابنة محمَّد الاخ الاكبر للامير يوسف سلفهِ في الحكومة . وقبرُها في سراي بيت الدين والصليب على قبرها . وكان دائمًا لدى الامير في سراي دير القمر ثم في قصر بيت الدين كاهنٌ ماروني لارشاده واقام واجباتهِ وواجبات آل دارهِ . ولمَّا توفيت زوجتهُ الاولى المشار اليها واحبَّ ان يقترن بالزواج ثانيةً بغريبةٍ لا يكون لاهلها سبيل للمداخلة في امور الحكم استحضر من استنبول فتاتين شركسيَّتين اعدَّ احداهما زوجةً لهُ والثانية زوجة لبكر اولادهِ الامير قاسم الذي كان قد ترمَّل مثلهُ فاشترط عليهما التنصُّر فأبت خطيبتهُ مصرَّةً على البقاء على مذهبها فوضعها عند ذلك مع إماء القصر وامرها بالنزول الى المطبخ حتى اظهرت رضاها بان تدرس التعاليم المسيحية وكانت تجهل اللغة العربية فاستحضر لها من دير بزمَّار اسقفًا ارمنيًّا كاثوليكيًّا اسمه المطران يعقوب فعلَّمها الديانة المسيحية باللغة التركية وبعد ان تعلَّمت واقتبلت سرَّ العماد اتَّخذها الامير زوجةً

ولمَّا نُفي من الجبل وسافر الى مالطة والاستانة والاناضول سار بمعيتهِ الكاهن الماروني مرشد القصر وبقي معهُ حتى توفي مزوَّدًا على يده باسرار الكنيسة . وعاد الكاهن مع ارملتهِ الشركسية وبقي في خدمتها الى موتهِ في الجيَّة من اعمال قضاء الشوف . وقبل ان ينجز الامير بناء قصور بيت الدين شيَّد بجوارها كنيسة جميلة على اسم القديس مارون واقام حولها انطوشًا لسكنى الوكيل البطريركي الماروني على ابرشية صيدا وقد كانت حينئذٍ مختصةً بالسيد البطريرك رأسًا . وقد سعى جهدهُ فانتقى لها احد افاضل الكهنة من العائلة البستانية وبتداخله صارت سيامته اسقفًا وهو المطران عبدالله البستاني . وحبًّا منه بتعزيز الموارنة في جنوبي الجبل قد اقنع البطريرك يوسف حبيش بان يحضر الى بيت الدين فكرَّس هو ذاته الكنيسة المذكورة ثم حمله على استبدال ابرشية صيدا بابرشية جبيل والبترون واضحت الاولى ابرشيةً مستقلَّةً وذلك بعد مصادقة الكرسي الرسولي المقدس (١٨٣٤)

وقد كان سبق له انه تداخل في امر البطريرك يوسف التيَّان لأنَّ الامير كان

ناقماً عليه لانحيازه الى أولاد الامير يوسف فاغتنم فرصة انتصاره عليهم وقتله مدبريهم ووجود شكاوى سابقة تقدّمت الى رومية بحقّه فضغط عليه وعلى بعض الاساقفة حتى اضطرّ البطريرك الى الاستقالة (١ وقبل الكرسي الرسولي استقالته (١٨٠٩)

وفي سنة ١٨٢٣ توفّي البطريرك يوحنا الحلو فتداخل الامير بشير مع المجمع الاسقفي الانتخابي . وحمل الاساقفة على اختيار المطران يوسف حبيش مطران طرابلس بطريركاً على الطائفة وقد كان هذا قبل اسقفيته مرشداً لعائلة ابن اخيه الامير عبدالله حسن حاكم غزير . وقد أثبتت اعمال هذا البطريرك العظيم حسن فراسة الامير وحقّقت حسن ظنّه به . كلّ ذلك فضلاً عن البراءة الرسولية التي ارسلها السعيد الذكر البابا بيوس السابع جواباً للامير بتاريخ ١٥ شباط ١٨١٧ والمطبوعة تحت عدد ١٩٠ في مجموعة البرآت الحبرية للموارنة يؤيّد ويحقّق نصرانية الامير وشديد تمسّكه بالمذهب المسيحي الماروني الكاثوليكي المقدّس

وقد اعتنى هذا الامير بالرهبنة اليسوعية . فانه لمّا لم يتمكن المطران مكسيموس مظلوم (قبل ارتقائه الى البطريركيّة) من تأسيس مدرسة اكليريكية في كرسي عين تراز اصبح الابوان اليسوعيان بلانشه وبولس ريكادنّا اللذان كان استحضرهما معه من رومية لادارة المدرسة بدون عمل فاعطاهما الامير قطعةً من اراضيه في معلّقة البقاع حيث شيّدا اول اديار رسالة سوريا المجدّدة (١٨٣٤) وساعدهم في بنائه

وقد ساعد القصادَ الرسوليين وهو الذي مكّن من تنفيذ أحكام مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ بخصوص اديار الطائفة المارونية واوقاف العائلات الخاصّة

وقد كان شديد المحافظة على كرامة الرؤساء الروحيين والانتصار لهم ولمّا قتل

١) هذا البطريرك هو البطريرك الوحيد من عائلة تيّان المعروفة الآن في بيروت وقد اتت اليها من صلبا من قضاء المتن . كما انّ حادثة استقالته بمصادقة الكرسي الرسولي هي الوحيدة من هذا النوع في تاريخ طائفة الموارنة . وقد ادّعى احد المتطفلين على علم التاريخ في بعض جرائد باريس وخلافها ان عند الموارنة كانت البطريركية مقترنة فيما مضى بالسلطة الزمنية فكان البطريرك بوقتٍ واحد امير البلاد والرئيس الروحي الاكبر لها وان هاتين الرتبتين ظلّتا تنتقلان بالارث مدة ستة اجيال في عائلة واحدة هي عائلة تيان من البطريرك الامير الى ابن اخيه جيلاً فجيل الى ان اتصلت بهذا البطريرك المشار اليه وانه هو اعني مختلق هذه البدعة التاريخية اقرب نسيب لهُ وان اخوة البطاركة واقاربهم كانوا يتلقبون بلقب الامارة ! لذلك انتحل لنفسه لقب الامير وراسل الجرائد الفرنسوية حتى تذكر اسمه مرفوقاً بهذا اللقب

الشيخ رستم مرعب الخازن سنة ١٧٩٨ كاهناً من عائلة علّام في جديدة كسروان القى الامير حسن القبض عليه وارسله الى الامير بشير في دير القمر فأمر بقطع يده . وفرّ بنو علّام الى الفتوح ملتجئين بعهدة الدحادحة واستوطنوا الكفور

ولمّا قتل ابناء ابي كشك المعلوف بطريركهم السيّد اغناطيوس صرّوف سنة ١٨١٢ وفرّا الى قبرس ارسل وراءهما درزيًّا اقنعهما بالعودة الى الجبل وحال رجوعهما القى الامير القبض عليهما وشنقهما في بيت الدين مع والدهما

وفي غضون ذلك ثارت الاضطهادات في الشام وحلب على الروم الكاثوليك فاستقبل في الجبل العائلات الهاربة منهم وساعدهم وسهّل لهم الاقامة في الزوق ودير القمر وقرى غيرها من لبنان وذلك سنة ١٨١٨ وما يليها

فلا حاجة بعد هذه الادلّة الى براهين اخرى على تديّن الامير بشير بالمسيحية واثباتاً لمارونيته وتفنيداً لقول القائلين عنهُ انهُ لم يكن لهُ دين يُعرف بهِ فيتظاهر تارة مسيحيًّا وطورًا درزيًّا او مسلماً . وقد كتب بعض الروائيين الفرنسويين في هذا المعنى اشياء كثيرة اشاعها على خلاف الحقّ

٦ حكمه . عدله . حبّه للشعراء والعلم

كان الامير شديد المحافظة على تقاليد جبل لبنان وعادات اهلهِ وامتيازات ذوي الاقطاع . لكنَّ ما اثاروهُ من الفتن وما عاينهُ من تحزُّبات ذوي الاقطاع وعدم امانتهم أوغر صدرهُ منهم وحملهُ على الغاء امتيازاتهم . فلمّا انتصر انتصارهُ العظيم سنة ١٨٢٥ على منافيه وهدم المختارة واباد اخصامهُ واتباعهم حدَّثتهُ النفس بالقضاء على حقوق الأسر اللبنانيّة . فرفع يد المشايخ الجنبلاطيين عن مقاطعاتهم الكثيرة العدد واقام عليها رجالًا من خاصّته حكّاماً موقّتين يعزلهم حين يشاء . منهم يوسف عسّون من دير القمر وحسين حماده الدرزي من بعقلين بعد ان رفعه الى مقام المشايخ . ثم أتبع بقيّة ذوي الاقطاع بالجنبلاطيين فعزلهم جميعاً ونصب عوضهم امراء من اقاربه او رجالًا من خاصّته في الشويفات وعيتات والعرقوب وبتاتر

امّا مقاطعة كسروان فانه قد كان نزع حكم الخوازنة عنها فعلًا منذ استلامه الاحكام باقامة اخيه الامير حسن في غزير حتى وفاته سنة ١٨٠٨ ثم بكر ابنائه

قاسم حتى سنة ١٨٢٣ ثم عبدالله ابن اخيه حسن من سنة ١٨٢٣ الى ١٨٤٠ . ولم يترك لهم الا الزوق. وهكذا فعل في الفتوح بنزع سلطة مشايخ الدحادحة عنها رغماً عن ثقته بهم وكان انتقى منهم اثنين من مدبريه على التعاقب واقام منهم حكاماً ينوبون عنه في البترون والكورة والزاوية وبشري فعهد بحكمها الى احد اقارب بطرس كرامه المسمّى عبّود الدهان وبهذه الطريقة لم يبقَ احد من ذوي الاقطاع حاكماً في مقاطعاته سنة ١٨٤٠ ما خلا الامراء اللمعيين. فاصبح الامير صاحب الحلّ والربط في جبل لبنان لم يعد يجسر احد على مخالفته والوقوف في وجهه في الخمس عشرة سنة الاخيرة من حكمه فتعزّز وزاد بأسه وشرّف الاسم اللبناني في انحاء سوريا حتى عوفي اهل الجبل من دفع الرسوم المطلوبة في مدنها من الغرباء.

وكان الامير بالبناء والبذخ والعظمة فاراد ان يشيّد قصوراً تنطق بسموّ شأنه فترك دير القمر وابتنى له في بيت الدين قصراً شامخاً واسعاً لم يزل حتى الآن طرفة للناظر ومن احسن آثار الهندسة العربية جعله مركزاً لحكومته ومقرّاً لعائلته . وقد بنى بجواره دوراً لاولاده الثلاثة ومنازل للضيوف ولذوي المصالح وعلى الرابية التي تحدّ بيت الدين لجهة الجنوب بنى مصايف معروفة حتى الآن باسم المقاصف . وقد استحضر لها مياه نبع القاع عن مسافة ثلاث ساعات بقناة أخرى بها ان تدعى نهراً ناحيا كثيراً من الاملاك والارزاق وجعل بيت الدين جنّة غناء تشهد الى اليوم بفضله وآثار عظمته !

وقد قرّب اليه رجال الادب والشعر واكرمهم وأعلى منزلتهم عنده فاجتمع لديه من مشاهيرهم نقولا الترك والياس اده وامامهم بطرس كرامه والشيخ ناصيف اليازجي. وقد تثقّف اصغر اولاده الامير امين على يدي بطرس كرامه . وسعى لنشر العلوم والمعارف. ولما رأى افتقار النصارى الى علم الفقه وخلوّ لبنان من متشرّعين ارسل الى صيدا وطرابلس المرحومين الشيخ بشارة الخوري من رشميا وحبيب الخوري من بيت الدين (الشهير بعد ذلك بالمطران يوحنا حبيب) فاتقنا هناك الفقه والعلوم الشرعية وعادا الى لبنان فولّاهما القضاء في قصر بيت الدين . كذلك لما رأى احتياج لبنان لا بل سورية باسرها الى اطبّاء نطاسيين ارسل شبّاناً لبنانيين ليدرسوا الطب في مصر في مدرسة القصر العيني فعادوا بعد حين وكانوا اول الاطباء القانونيين في بلادنا.

وانني اذكر منهم المرحومين الدكاترة يوسف الجاخ وابرهيم النجار المشهور وغالب البعقليني

ونظراً لاستتباب الامن في عهده واشتهار عدالته وحبه للعلم وميله الى تقديم اصحاب العلوم والمعارف فقد تكاثر عدد المدارس في مدة حكمه . ففي ايامه تأسست مدرسة عين ورقة الشهيرة . ثم بعد مدة تحولت اديرة الرومية ومار عبدا هرهريا وريفون الى مدارس اكليريكية بطريركية وقد خرج منها عدد عظيم من البطاركة والاساقفة والكهنة والعلماء في كافة العلوم

وفي ايامه (١٨٣٤) اسس المرسلون اللازاريون مدرسة في ديرهم في عينطوره كسروان وهي التي لم تزل مشتهرة حتى اليوم بمشاهير الرجال الذين تلقوا علومهم فيها

وقد كثر عدد مشاهير السياح الاوروبيين وخلافهم القادمين لزيارته في لبنان وكان يتلقاهم الامير بالرحب والسعة فيعودون الى بلادهم وينشرون محامده . منهم لامارتين الشاعر والسياسي الفرنسوي الشهير الذي زاره في بيت الدين في تشرين الاول ١٨٣٢ فوصفهُ في كتابه «سياحة في المشرق» واطنب في حسن استقباله

وكان الامير بشير ساهراً على عمران البلاد فوصل بيت الدين بكافة اطراف الجبل بطرقات كان يُعنى باصلاحها وترميمها وشيَّد الجسور اهمها جسر الدامور وجسر نهر الكلب شيّده سنة ١٨٠٩ ثم جدّده سنة ١٨١٢ وهو لم يزل حتى الآن يسخر بالعواصف والامطار

وقد حذا الامير حسن حذوه في غزير فابتنى لهُ قصراً واشتراه بعدئذٍ الاباء اليسوعيون واقاموا فيه مدرسة من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٧٥ وهو الآن من اكبر اديارهم في هذه البلاد وبنى محلاً للتجارة معروف باسم قيسارية . وبعد وفاته اقتدى به ابنه الامير عبدالله فشيَّد مصيفاً كبيراً صار منذ سنة ١٨٨٠ مدرسة معروفة باسم المزار

وقد ساد الامن في عهد الامير بشير واشتهر في عدالته اما ما يُنسب اليه من الظلم والقساوة البربرية فهذا فيه تحامل ظاهر لان في كل اعمال حكمه لم ينسب اليه تنكيل المحكوم عليهم والمتهمين او التمثيل بهم الا في حادثتي الامراء اولاد الامير يوسف ومدبريهم ابني باز سنة ١٨٠٧ وابني الامير سيد احمد ورفيقهما الامير عباس اسعد سنة ١٨٢٥ . فقد بيّنا انهُ لم يأتِ هذين العملين الا مرغوماً مضطراً خوفاً من

مزاحمتهم له ونجاة من مكائدهم اذ كانوا يطلبون قتله والفتك به وبذويه كما تبين له ذلك اذ كان سجيناً في عكا. وهب انه افرط في تنكيلهم فله اسوة بشرائع عصره والعادات الجارية في زمانه في الدول المتمدنة عينها كانكلترة والنمسة. ولاسيما انه كان يرى امراء لبنان يأتون من الاعمال الهمجية ما تقشعر له الابدان كالامير يوسف الذي قتل بيده احد اخوته وسمل عيني اخيه سيد احمد وفتك بأحد اخواله وامات الآخر في السجن (له صلة)

مرصد كسارا في لبنان

ملخص عن تأليف جديد

للاب ب. برلوتي اليسوعي *

مقدمة

كانت غاية القديس اغناطيوس دي لويولا في انشائه رهبانيته ان يتفرغ ابناؤها لخدمة الدين والعلم معاً. وكانت اذ ذاك نهضة العلوم الفلكية في اول نشأتها فدخل اليسوعيون في تلك الحلبة ولم يلبثوا أن جروا فيها جري سباق الخيل فنالوا لهم اسماً مخلداً في خدمة الآثار الفلكية كفى دليلاً على قولنا ذكر البعض منهم كالآباء كلافيوس وشينر وبوسكوفتش. ولما ألغيت الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣ كان اليسوعيون وحدهم متولين ادارة ثلاثين مرصداً اعني نحو ربع المراصد المنشأة في ذلك الزمان في المعمور

* ANNALES DE L'OBSERVATOIRE DE KSARA (Liban) publiées par les soins du Directeur, le R. P. Berloty S. J. Docteur ès-Sciences. MÉMOIRES, T. I. 1921. Notice Historique sur l'Observatoire, *gr. in-4°, pp.* 68, 16 *Planches, Imprimerie Catholique*

ولمّا عادت الرهبانيّة الى الحياة سنة ١٨١٤ لم تفتأ ان سارت على تقاليدها العلميّة السابقة . فانشأت عدّة مراصد كادت بعد مائة سنة تبلغ عدد مراصدها القديمة . دونك اسماءها مقسّمةً على قارات المعمور :

﴿اوربّة﴾ للآباء اليسوعيين الاسبانيين مرصدان في طرطوزة وكرتوجا قرب غرناطة . وللآباء الالمان مرصدان ايضاً في فلدكرش (النمسا) وفي فلكنبرغ (هولندا) . وللآباء الايطاليان ثلثة مراصد في رومية ومُندراغونه وفي جزيرة مالطة . وللآباء الانكليز مرصد كبير في ستونيهرست . وللاباء البلجكيين مرصد في لوفان . وللفرنسويين مرصد في جزيرة جرساي الانكليزيّة . وللآباء المجريين مرصد في كالوتشا . وللآباء الهولنديين مرصد في اودنبوش

﴿آسية﴾ للآباء البلجكيين مرصد في كلكوتّا من اعمال الهند . وللآباء الفرنسويين مرصدان في زيكافاي قريباً من شنغاي في الصين

﴿اميركة﴾ للآباء الاميركيين في الولايات المتحدة اربعة مراصد في جورجتَوْن وفي كليفلند وفي اوماها وفي سنتا كلارا . وللآباء الاسبانيين مرصدان في بيلن في جزائر الانتيل وفي مانيلّا في جزائر الفيليبين . وللآباء المكسيكيين مرصد في ساتيلّو في المكسيك

﴿افريقية﴾ للآباء الفرنسويين مرصد في تناناريف في جزيرة مدغسكار . وللآباء الانكليز مرصد في افريقية الجنوبيّة في بولوفايو (زنبيز)

وهاك مرصداً جديداً يُضاف الى المراصد السابقة قيّض الله انشاءهُ للمرسلين اليسوعيين في لبنان . وهو اوّل مرصد أُنشئ حتى الآن في لبنان القديم وهو الثاني في لبنان الكبير بعد المرصد الاميركيّ في بيروت

اوّلاً : تاريخ مرصد كسارا

كسارا كانت في اواسط القرن الماضي قريةً صغيرة في مدخل سهل البقاع وفي لحف آخر روابي لبنان يسكنها بعض الفلّاحين ويعيشون من ارزاقها لولا انّ مياه العين التي بقربها كانت تستنقع في حواليها فتفسد هواءها فاضطرّ السكّان الى هجرها . على انّ تربتها الطيّبة دعت الرهبانيّة اليسوعيّة الى مقتنى تدم منها لزراعة

الكرم فنما فيها وزكا زرعهُ وطابت ثمارهُ وخمورهُ

ولمّا كانت كسارا على علو ٩٢٠ متراً عن علوّ البحر تكشف من بعض الجهات على افق السماء الّا من جهة لبنان وجبل الشيخ وهي قريبة من الخط الحديدي الممتدّ بين بيروت ودمشق في وسطها على التقريب وكثيراً ما يصفو جوّها ليلاً . عليها وقع الاختيار سنة ١٩٠٦ عندما اتّفق الرؤساء على انشاء مرصد في لبنان

معلوم انّ المراصد عموماً تحتاج الى ابنية خاصّة والى ادوات فلكيّة لا غنى عنها للقيام باعمالها المتباينة

١ ابنية المرصد في كسارا

باشر مدير المرصد ابتناء اربعة او خمسة معاهد لا يستطاع دونها العمل . وقبل كلّ استحضر قائمةً او اسطوانة من الحجر المنيع لتحديد الاوضاع الجغرافيّة فتمّ ذلك بعد البحث المملّ في مقاطع الجبل ونحت حجرَين ضخمين رُكّبا على بعضهما ومُكّنا في الارض تمكيناً قويًّا وقد دُعيت هذه القائمة بعَمُود القديس بطرس

ثمّ شُيّدت غرفة صغيرة على اسم القديس يوسف لتودع فيها بعض الادوات وخصوصاً مقياس ثقل الهواء . فتمّت في اوائل كانون الثاني ١٩٠٨

وتبعها مُسقّف مفتوح للهواء من جهة الشمال وُضعت فيه الآلات الرصديّة لظواهر الجوّ وجُعل تحت شفاعة الملاك رافائيل

وكانت البناية الرابعة حجرةً متوسّطة دُعيت بحجرة العذراء طولها اربعة امتار و٩٢ سنتمتراً في عرض مترين و٦٠ س . جُهّزت فيها كوّة لوضع الساعة الدالّة على الهاجرة اي خطّ نصف النهار

وخُتمت هذه الابنية بحفر دهليز لرصد المغناطيسيّة الارضيّة الّا انّ الادوات اللازمة لهذه الغاية دقيقة جدًّا فلم يتمّ تنظيمها الّا بعد عناء طويل وتجهيزات شاقّة . ثمّ أُضيف الى ذلك الدهليز قبّة لتحديد كميّات الدقائق المغناطيسيّة المطلقة مع مختبر للعمليّات الكيموية وللتصوير الشمسيّ ولتركيز مقياس المطر

فكل هذه الابنية لم تنجز الّا تباعاً في بحر السنة ١٩٠٨ حتى اواخرها

وكان الاب القائم بصنعها وتدبيرها الاب برلوتي من علماء الفلك المعدودين ساعده

في عمله بعض اخوته الرهبان اخصّهم الاب يوسف براشه (J. Brachet) الذي توفاه الله بعد سنتين في آب ١٩٠٩ ثمّ الاخوة المساعدون مونين (F. Monin) وغيشار (F. A. Guichard) وبراندون (M. Barrandon)

٢ ادوات المرصد

بلغت الادوات الاولى المستجلبة الى كسارا لمباشرة رصد الفلك نحو الخمسين اختارها الاب المدير بين افضل الآلات التي استدلّ عليها في مراصد فرنسة

فمن ذلك ساعات فلكيّة مختلفة منها دقّاقة ومنها ذات رقّاص ومنها جامعة لأقيسة زمانيّة ومكانيّة شتى فتضبط الوقت النجميّ ومرور النجوم من نقطة الى اخرى مع الدلالة على صعودها المستقيم

ومن الموازين الجوّيّة عدّة ادوات لاقيسة ثقل الهواء بواسطة الزئبق وغيره . وكذلك الادوات المختلفة لقياس الحرارة الجوّيّة ولبعضها جهاز لتدوين حركاتها بذاتها

ومثلها الموازين المستجدّة لقياس كميات المطر والرطوبة والادوات الضابطة لحركة الأرياح ووجهتها وسرعتها مع البوصلات ومقاييس الاستواء والزوايا

ومنها ايضاً مجموع الادوات للتصوير الفلكيّ الشمسيّ مع الآلات الكهربائية المُعينة على العمليات

ومن اخصّ الآلات الفلكيّة التي استحضرها مدير المرصد النظّارات الفلكيّة المختلفة المتباينة الاشكال المختلفة الحجم كنظّارة العبور والنظّارات المجهرة والمكبّرة والسُدُسات لضبط حركات الشمس والسموت . ومنها نظّارة اسطرلابيّة ذات موشور مع نظّارة فلكيّة كبيرة تبلغ عينيّتها ١١٠ ملمترات وقفها احد الاصدقاء على خدمة المرصد

وكذلك جُهّز القبو المغناطيسيّ بآلات عديدة نحاسيّة لقياس كميّات المغناطيس وميوله ذات اليمين او الشمال ولتدوين سائر حركاته

وقد كلّفت كلّ هذه الآلات كلفاً باهظة لم يكن للمرصد ان يقوم بها لولا بعض الاصدقاء والمحسنين الذين حملهم حبّهم للعلم والسوريّة الى مساعدتنا بسخاء

٣ ترقّي المرصد منذ السنة ١٩٠٩ الى ١٩١٤

طفق الاب برلوتي منذ اوائل السنة ١٩٠٩ يشتغل في مرصده مع الاب شرل

كومبيه (C. Combier) ثمّ بعد سفره مع الاب شرل كوست (C. Coste) والاب ميجاسون (P. Méjasson) واحد الاخوة المساعدين فكانوا يضبطون كلّ الظواهر الجوّيّة والآثار الفلكيّة لكنّ اشغالهم كانت توقفهم على حاجتهم الى ادوات جديدة والى اصلاحات للأبنية وتوسيعها فكانوا يسرعون الى سدّ كلّ خلل يطرأ. واذ بلغ خبر مرصدهم الى مراصد اوربيّة مختلفة وطلب اهلها ان يشاركوهم بنتيجة مراقباتهم رأى المدير ان ينشر جريدة منظّمة لبيان اعمالهم - فباشر بطبع تلك النشرة منذ السنة ١٩١٠.

وفي اوائل السنة ١٩١٠ رأى المدير انّ المرصد يقتضيه فرعٌ آخر لضبط حركات الزلازل فسافر الى اوربّة وبحث عن معاهدها الخاصّة بالزلازل وقصد بلاد اسبانية ليزور مرصد الآباء اليسوعيين القريب من غرناطة وفاوض مديرهُ الشهير بدروسه للزلازل الاب تاقرُو نيومان ثمّ رحل الى طوليدو لافتقاد مركزها الزلزلي ومنها الى مدريد لمعاينة مرصدها الاثري وكذا فعل في ستراسبورغ وباريس وفلورنسة ورومية حيث تشرّف بمواجهة الحبر الاعظم بيوس العاشر ونال بركتهُ على عمله كما انهُ عرض على رئيس الرهبانيّة اليسوعيّة العام خلاصة مشروعه فنشّطهُ في مواصلته وتحسينه

ولمّا عاد المدير الى كسارا اسرع الى بناية موافقة لرصد الزلازل فنجزت في الشهور الاخيرة من السنة ١٩١٠ وجُعلت تحت حماية القديس لويس غونزاغا. واتّخذ ايضاً مكاناً اوسع لرصد الآثار الجوّيّة لوفرة ادواتها. وأُقيم فوقهُ الآلة الهوائيّة الدالّة على حركات الهواء المعروفة بابي ريح المدوّنة من تلقاء ذاتها تتلّيات هبوب الارياح

وممّا أُلحق بهذه المصنوعات معملٌ للحدادة لحاجات المرصد اليوميّة وتلافي ما يطرأ على ادواته من الخلل

فمع هذه الابنية والادوات والتجهيزات اخذ العمل يسير سيراً منظّماً من ايلول السنة ١٩١٠ الى تشرين الاوّل سنة ١٩١٤ قام فيها الاب برلوتي بكل اعمال الرصود الجوّيّة والفلكيّة وساعدهُ في العمل مساعدان جديدان الاب يوسف برنتالير (J. Prennthaler) النمساويّ والاخ يوحنّا ساف (J.-B. Saive) الفرنساويّ. وكان الاب المدير في اغلب هذه السنين يتوجّه الى فرنسة في فصل الصيف ليجتمع بارباب الفلك ومديري المراصد والاصدقاء لخدمة مرصده في كسارا ليزيده ترقياً. فمّا توفّق

الى تجهيزه وتنفذ نصبهُ لسواري التلغرافية اللاسلكية الّا انهُ جعلها معهدًا علميا فقط ذا قابل دون باعث . واذ تخوّف الاتراك في الاشهر السابقة للحرب ان تكون كسارا مركزاً لمخابرات سياسيَّة بواسطة التلغراف اللاسلكي طلبوا الغاء ادواته فاتّفق المدير مع قنصل فرنسة في بيروت ونقل تلك الادوات الى الدار القنصليَّة

٤ مرصد كسارا في زمن الحرب الكونية

لمّا انتشبت الحرب الكونيَّة حتى قبل دخول تركيَّة في ميدانها احسّ مدير المرصد ما يتهدّد معهدهُ العلميّ فسعى بتأمين ادواته وإخفائها . وما لبثت تركية ان انحازت الى الدول المركزيَّة فارسل مأمورو ها الى اصحاب المرصد امرًا بان يستعدّوا الى نفيهم في اوروبا لولا انَّ قداسة الحبر الاعظم توسَّط لدى حكومة الاستانة بواسطة سفيره فالتمس للمرسلين الرخصة بالرجوع الى بلادهم . ففعلوا وبقي المرصد في يد الاتراك مدَّة الحرب كلّها اعني اربع سنوات بتمامها . ولمّا وضعت عن اوزارها وتيسَّر الرجوع الى سوريَّة تلطَّفت وزارة الامور الخارجيَّة في فرنسة وامرت بنقل المدير الى الشام على احد المراكب الحربيَّة فكان دخولهُ في كسارا في ١٨ كانون الاوَّل ١٩١٨

ومن اوَّل حلولهِ في ربعها تحقَّق ما دهم المرصد من النكبات حتى كادت تُدخلهُ في خبر كان . وما زاد اسفهُ عليهِ ما علم من امر الاهلين نصارى ومسلمين الذين كانوا اكبر الجُناة عليهِ دون الاتراك وذلك انهم انتهزوا فرصة ابتعاد الجيوش التركيَّة والالمانيَّة قبل احتلال الجنود الانكليزيَّة اذ خلا لهم الجوّ فتحاملوا على ديري كسارا وتمنايل فسلبوا ونهبوا ودمَّروا واحرقوا فتحطَّمت آلات الرصد وتضعضعت واخذ كلٌّ منها ما بلغت اليهِ يدهُ من اثاث وكتب وادوات شتى مفكَّكة مقطَّعة مقسَّمة . فاسرع الى التفتيش عمَّا يمكن تحصيلهُ منها في القرى المجاورة وبيوت العامَّة فجمع منها شيئاً لا يكاد يبلغ خُمسها . ولما عرض الامر على ارباب الامر ارتأى بعض رؤسائهِ ان الأولى ان يُترك المرصد وشأنهُ الّا انَّ غيرهم أفتوا بخلاف ذلك واشاروا الى استئناف العمل مهما كلّف ذلك من العناء والنفقات . فقام الاب برلوتي وجمع بقايا ادوات المرصد لعلَّهُ يتمكَّن في اوربَّة من اصلاحها وسافر الى فرنسة فأعلن لدى المراجع الرسميَّة بما اصاب مرصد البقاع من الآفات وبعزمهِ على تجديده

فوقع كلامهُ احسن موقع في الوزارة الخارجيَّة وساعدهُ المسيو جرج بيكو اوَّل مفوَّض دولة فرنسة على سوريَّة فأوصى بهِ الجمعيَّات العلميَّة ومرصد باريس واهل الجود والكرم من الاشراف فأتتهُ من فضلهم الهبات الماليَّة وهدايا الكتب الفلكيَّة وعدَّة أدوات جديدة غير ما امكنهُ اصلاحهُ من الادوات القديمة فما مرَّت على سفرهِ ثمانية اشهر حتى استحضر ما يلزم لاصلاح الفساد واعادة المرصد الى حالتهِ السابقة . فقضى عامَّة سنة ١٩١٩ وقسماً من السنة ١٩٢٠ لترميم الابنية وتجهيز الادوات وتنظيمها وكان من جملة من اعانوهُ على ذلك بعض عملة الحكومة الفرنسويَّة وجنود الانتداب ما عدا اخوتهُ اليسوعيين

واتاهُ في تلك الاثناء الابوان شرل كومبيه السابق ذكرهُ والاب الارلندي جرج هوران (G. Horan) ليقوما معهُ باعمال الرصد وكلاهما اختصاصيّ متضلّع بالعلوم الفلكيَّة وهما الى اليوم مع المدير اركان المرصد الثلثة الذين يفرغون في خدمتهِ غاية قواهم

والذين يزورون اليوم مرصد كسارا يأخذهم الانذهال من حسن موقعهِ ووفرة ابنيتهِ وابراجه وصروحه والعدد العديد من ادواتهِ لكافَّة الآثار الجوِّيَّة والرصود الفلكيَّة حتى بلغت ضعف ما كانت عليهِ قبل الحرب . فهناك ما عدا جهاز التلغراف اللاسلكي تلفونات مختلفة وآلات لقياس الغيوم والتبخُّر . ثمَّ سوارٍ شتى لقياس الكرة الارضيَّة

وقد زار المرصد فخامة الجنرالين غورو وفيغان والاميرال مورنه وكلُّهم لسان واحد في الثناء على اعمال مديريهِ التي نختم كلامنا بذكر شيء منها

ثانياً : اعمال مرصد كسارا

﴿الاعمال السابقة للحرب﴾ هذه الاعمال مدوَّنة في النشرات التي اصدرها المدير في مطبعتنا الكاثوليكيَّة من شهر ايَّار السنة ١٩١٠ الى ١٩١٤ . فظهرت هذه النشرات اوَّلاً على صورة ورقة مستطيلة مطويَّة اربع طيَّات في صدرها معلومات عموميَّة واصطلاحات مختلفة . وفي داخلها نتيجة ملحوظات آثار المرصد لكل يوم من ايَّام الشهر تتناول أقيسة الضغط الجوِّي (البارومتر) . ثمَّ حركة الرياح وجهاتها . ثم حالة

الغيوم . ثمَّ الحرارة (الترمومتر) . واخيراً الرطوبة او المطر مع ضغط البخار الجوّي . وكلّ ذلك في ثلث ساعات من النهار اي السابعة والثالثة عشرة والتاسعة عشرة ونصف مع ملحوظات اخرى في آخر النشرة . وزيدَ عليها بعد ذلك نشرةٌ لتعريف الحركات الزلزليّة . وتوالت هذه النشرة منذ ايلول ١٩١٠ الى غاية ١٩١٢ . ثمَّ ظهرت في السنتين التابعتين ١٩١٣ و ١٩١٤ الى غاية نيسان على قطع اكبر ذي اربع صفحات مع تحسينات مهمّة تتناول ما خلا المعلومات السابقة آثاراً اخرى كالثلج والبَرَد والجليد والندى والضباب وقوس قزح وهالتي الشمس والقمر والبرق والرعد والفجر الشمالي ونور منطقة البروج

ولمديري المرصد في تلك السنين اشغال اخرى لحسن وضع ادواتهم وضبط اقيستها لاسيما النظّارة الهاجريّة التي حدّدوا لسَمْتها كنقطة ثابتة قبّةَ جامع نبي زاعور الواقع على مسافة ثمانية كيلومترات من كسارا . وكذلك ضبطوا كلّ اقيسة موقع المرصد وادواته والمسافات بين تلك الادوات والمسافات الافقيّة وعيّنوا طول عمود القديس بطرس وعَرْضهُ الشمالي جغرافيًّا

وممّا رصدوهُ في تلك الحقبة الاولى مرور سيّارة عطارد على الشمس وهو أثر نادر فراقبوا النجم بنظارة ذات ٩٥ ملمترًا فعاكستهم الريح اوّلًا وانّما تمكّنوا من رصد السيّارة عند مسيها الثاني للشمس اي المسيس الداخلي الاوّل . على انَّ نتيجة تلك المراقبة لسوء الحظّ قد ضاعت في أيّام الحرب

ومن الرصود المهمّة التي قام بها مدير المرصد مع رفقته رَصْدهم لكسوف الشمس في ٢١ آب ١٩١٤ فكانت نتيجتهُ غاية في النجاح وقد أُرسلت تفاصيلهُ الى جمعيّة العلوم الباريزيّة في تشرين الثاني فشكرت القائمين بهذا العمل . ومن الامتيازات التي نالها وقتئذٍ اصحاب المرصد انواط شرفيّة من اكادمية ليون للعلوم والآداب ومن ادارة جمعيّة الآثار المركزيّة في باريس

﴿اعمال المرصد بعد الحرب﴾ قلنا سابقاً انَّ الحالة السيّئة التي وُجد فيها المرصد بعد الحرب اضطرّت مديرهُ ان يتحمّل مشقّات عديدة لاصلاحه واوجبت عليه اسفاراً متكرّرة ليعيدهُ الى حالتهِ السابقة لابل ليُوسع دائرة اشغاله ويجهّزهُ بادوات جديدة فيأتي بما ينتظر منهُ من الخدم المذكورة والمشكورة . ومن ثمَّ لم يبتدئ بالاعمال المهمّة

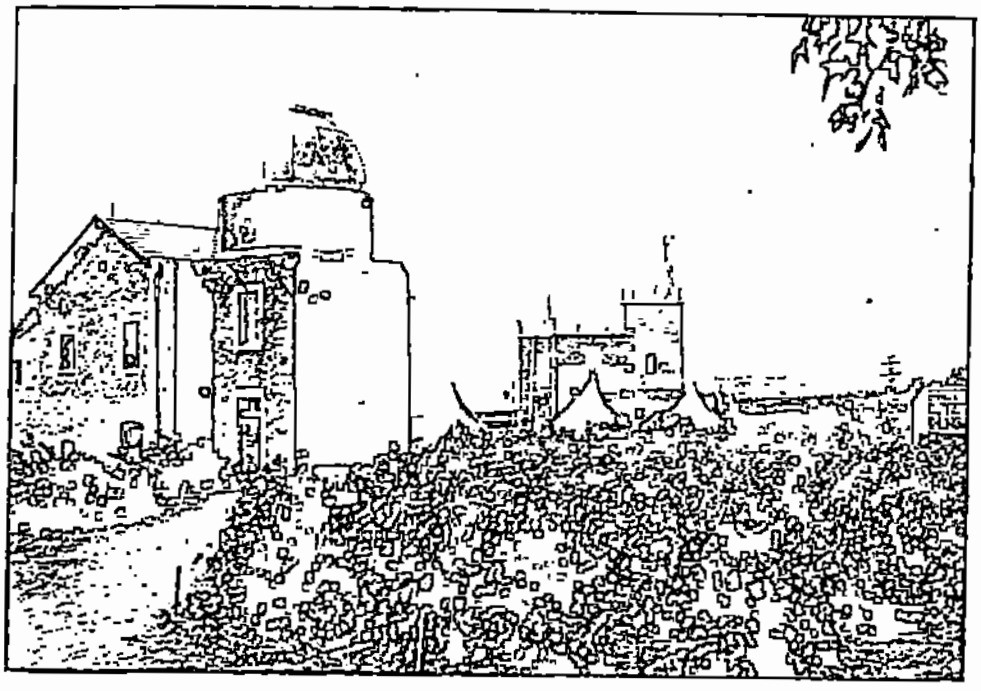

مرصد الآباء اليسوعيين في كسارا (لبنان)
(١٩٠٨–١٩٢٤)

الّا في السنة ١٩٢٠ عند نجاز معاهده وادواته

على انّ المدير لم ينتظر ترميم المرصد وتنظيمهُ النهائي ليخدم العلم والوطن . وذلك انّ اللجنة الفرنسويّة المرافقة للجيش في سوريّة لقياس اراضيه احتاجت الى تعيين رُكن لذلك القياس في سهول البقاع فجاء الى كسارا الكبيتان بول لوموان (P. Lemoine) في سنة ١٩١٩ وفاوض في الامر حضرة الاب برلوتي الذي لبّى دعوتهُ واتّخذ لذلك آلةً صغيرة لقياس الزوايا (théodolite) كانت نجت من الخراب فقاس الزوايا الافقيّة ثمّ الركن المطلوب وارسل الى اللجنة خلاصة ابحاثه

وفي السنة ١٩١٩ ايضاً احتاجت اللجنة السابقة الى الوقوف على الآثار الجويّة في بلاد الاحتلال الفرنسويّ فارسلت احد مأموريها واتّفق مع الاب برلوتي ان يرسل لهُ كلّ صباح اقيسة الآثار الجويّة ليبلّغها الى اللجنة المذكورة ففعل ذلك الى يوم سفره الى فرنسة في أيّار ١٩١٩

وفي تلك الاثناء ادركت بعثة الاقيسة الارضيّة (Mission Géodésique) في سوريّة انّ مرصد كسارا قدير على تحقيق امانيهم وقياس ركن ثابت في البقاع . فاتّفقوا على ان يتّخذوا في كسارا عمودًا لقياس الركن الارضي الذي تعيّنت خطوطهُ على قسمين الواحد جنوبي قريباً من برّ الياس والآخر متوسّط بينهُ وبين القسم الشمالي عند عمود كسارا. والعمود المذكور نجز في اوائل تشرين الاوّل فامكن بذلك قياس الركن المطلوب لكنّ نجاز العمل لم يتمّ الّا باشغال طويلة واقيسة مدققة ارادت اللجنة ان يشترك بها مدير المرصد ورفقتهُ فاجابوا الى ملتمسهم وساعدوهم في اعمالهم مساعدة ثمينة أدّت الى تحديد الركن المطلوب فكان بالغاً ١٢،٦٠٠ متر . فتلطّف الجنرال غورو وارسل الى مدير المرصد رسالةً شكر فيها همّة الآباء وذلك في تاريخ ٣٠ ت ١ ١٩٢٠ . وبقي الآباء بعد ذلك في خدمة اللجنة الى انتهاء اشغالها في اواخر سنة ١٩٢١ بل فُرض عليهم تحديد الطول والسّمت فقاسوهُ فكان الطول مقيساً شرقي مرصد غرينويتش يبلغ ساعتين و ٢٣ دقيقة و٣٣ ثانية و٦٣٨ قسماً من الثانية

فكانت هذه الاعمال وغيرها ايضاً دليلًا نيّرًا على ما يستطيع مرصد كسارا ان يؤدّيه من الخدم لسائر بلاد الاحتلال . ومن ثمّ عزم الجنرال غورو على انشاء دائرة عموميّة لسائر بلاد الشام ولبنان يعود اليها تدوين كلّ الآثار الجويّة فقرّر ذلك

في ٤ تموز سنة ١٩٢١ وجعل مركزها في كسارا تحت ادارة الاب برلوتي ووكل الى النقابة البحريّة الفرنسويّة ان تتخذ لذلك محطّات مختلفة تُرسل معلوماتها الخصوصيّة الى كسارا فيجمعها الاب برلوتي وينشرها في الدوائر الرسميّة . امّا هذه المحطّات فهي اليوم في رأس بيروت وفي دمشق ومسلميّة وسيضاف اليها قريباً تدمر والسويداء. هذا ما عدا ثلاث محطّات بحريّة عُهد بها الى ثلث مراكب بحريّة

فاخذ الاب برلوتي او احد رفقته مذ ذاك الحين يدوّن مجموع تلك المعلومات وينشرها اوراقاً مفردة وهي تجمع في اواخر كلّ سنة في دفتر خاصّ ويُضاف اليها افادات شتى يرجع اليها الاختصاصيّون

فترى من هذا النظر الاجمالي انّ حبّة الخردل التي زُرعت في اواخر سنة ١٩٠٧ قد نمت وبسقت جذورها وامتدّت اغصانها حتى صارت تظلّل كافّة انحاء سوريّة . والامل معقود انّ معهد كسارا العلميّ سيجاري قريباً مراصد اوربّة ويجدي سوريّة فخرًا جديدًا في عالم العلم والمعارف

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تابع)

وفي الرسالة المذكورة امور تحتاج الى تفسير لا يسمح لنا المقام بها لئلا نشرد عن الموضوع بل يكفي ان ننبّه الى ما سبقنا فنوّهنا به عن سعي الامير فخر الدين بواسطة المطران جرجس مارون في عقد تحالف ثلاثي بينه وبين غراندوق فلورنسة والحبر الاعظم

ولما كان ظلم الحكّام قد ارهق النصارى والدروز والمسلمين انفسهم حتى ضاقت بهم الدنيا ذهبوا يطلبون الفرج حيثما لاحت لهم بارقةُ امل وقد فقه الامير فخر الدين المعنى حالة الشعب الروحية فاستفاد بها لتخليص بلاده وانضمّ اليه سكان لبنان وجواره على اختلاف نزعاتهم فانشأ صِلاتٍ حبية مع اولياء الامور في الغرب

بواسطة الاكليروس الماروني والخازنيين على ان عمله العظيم لم يكلل بالنجاح بسبب حسد بعض الزعماء في البلاد وضعف البعض الآخر. فانه بعد ان زحف على بعلبك فطرابلس دون ان يدخلها عاد الى بلاد بشارة وجرت معركة بينه وبين علي بك وغيرهما من الامراء. ففاز فخر الدين وبنى الابراج والقلع في محلات مختلفة في بلاد صفد وبيروت وعظم شأنه. فخافت الدولة سوء المغبّة فجرّدت عليه حملةً بقيادة احمد باشا والي دمشق ونجدتها عمارة بحرية يرئسها جعفر باشا فحاول الامير المقاومة لكنه غلب على امره فالتجأ الى مغارة في اقليم جزين. واما عسكر الدولة فاجتاح البلاد ونهب وحرق اقليم الشوف واستولى على جميع الحصون. وقبض كوجك احمد على الامير فخر الدين في مغارته وذهب به الى الشام ظافراً ثم ارسله الى الاستانة حيث قُتل بعد مدة هو واولاده (١٦٣٥)

اما الشايخ الخازنيون فسافروا الى فلورنسة هرباً من نقمة الدولة ومكثوا هناك سنتين. فتصوَّرْ حالة البلاد اثناء هذه القلاقل المتواترة واحكمْ في الصعوبات التي كانت تكتنف الرعية والراعي على ان الله الذي يُنتج من الشر خيراً قد سخَّر الامير فخر الدين لتنفيذ غاياته الخلاصية فانه جعل في قلبه ميلًا الى النصارى وعطفاً على رؤسائهم وبتساهله بل بتنشيطه تمكن المرسلون من ان ينشئوا مراكز لهم في البلاد التي اخضعها لسلطته. وبناء على العلائق الودية التي كانت تربطهُ ببطريرك الموارنة والمطران جرجس عميرة كتب الحبر الاعظم اليهما في ٢٤ شباط ١٦٣٠ يوصيهما بالمرسلين الكبوشيين الذين كانوا يرغبون في السكنى في لبنان عالمًا ان الامير يصغي الى اقوالها

وهاك ما كتبه الى المطران جرجس عميرة :

« ان الكهنة الكبوشيين يقصدون بناء على دعوة محبتنا الابوية سورية وفلسطين ومصر تلك الاقطار التي سادت فيها قديمًا عوارف السماء ومجد المعجزات واصبحت الآن مكدونة تحت نير الخوارج وغاية هؤلاء الاباء ان يحفظوا النفوس المفتداة بدم المسيح في نعمة التبني فان صعوبة السفر وعظم محبتهم يكسبانهم دون ريب عطف اخوتكم التي لا تستطيع الّا ان تفرح بتعيين الكنيسة الرومانية هؤلاء العملة للجهة الموكولة الى عنايتك . وقد الححنا شديدًا بالتوصية بهذا العمل السماوي على اخينا المحترم البطريرك الانطاكي. فنرغب في هذه الفرصة السانحة ان تُبذل مساعي اخوتك في هذا السبيل وعلى هذه المساعي تعلق بركة الكنيسة

وارتياح الحبر الاعظم . وانك لتغنم ميلنا تاماً اذا اردت ان تمتع بثمار عاملك الغزيرة جميع القائمين بمهام وظيفتهم الرسولية ولاسيما الكبوشيين الفرنسويين . واذ رومية تؤمل منك اتمام هذا الواجب الآمر به الله تعالى نمنح اخوتك بركتنا الابوية ونعدك بمعاوننا الحبرية »

على ان الكبوشيين لم يأتوا لبنان في تلك الاونة ليسكنوا فيه بل انشأوا مراكز في صيدا وبيروت حيث كانوا يقيمون والموارنة احتفالاتهم الدينية في كنيسة واحدة يفصل بينهم جدار لا غير وفي سنة ١٦٢٨ اتخذوا لهم محلاً في عينطورا ثم سكنوا في اهدن وبعد مدة انتقلوا الى حصرون ومنها الى طرابلس وفتحوا مدارس منها واحدة اكليريكية في بيروت لعموم الكاثوليك وللموارنة خصوصاً على ما روى الاب جوزف ده ترامبلاي l'Éminence Grise الذي كان قد عيّن رئيساً لرسالة الشرق في كتابه الى رئيس المجمع المقدس ١ تموز ١٦٢٦ على ان المدرسة لم تثبت طويلاً لان الاضطهاد الذي حلّ بالنصارى بعد اسر الامير وقتله خرّب كل هذه الاعمال واضطرّ الكبوشيين الى هجر لبنان الى مدة غير انهم ما لبثوا ان عادوا اليه

وفي سنة ١٦٣٢ التي توفي فيها المطران يوحنا حوشب الحصروني قدم لبنان عن طريق القسطنطينية ده شطويل (١ الرجل الفرنسي النبيل . وصل الى بيروت في ١١ ايلول ثم برحها في ١٢ منه الى حصرون فتعرّف الى خادم رعيتها وكان ضليعاً في اللغة السريانية فالحّ على ده شطويل ان يمكث عنده فابى لأنّ قصده من المجيء الى لبنان كان الانفراد في احد محابسه والتضلع من اللغتين السريانية والعربية . فلذا توجه الى اهدن كرسي المطران جرجس عميرة «اعلم كل اهل سورية» ليدرس عليه تينك اللغتين . فاستقبله المطران بكل ترحاب ومحبة واستبقاه في ديره اربعين يوماً . وقد دهش بذكائه النادر ورغب اليه ان يسكن في كرسيه بغية ان يحتفظ بهذا الرجل القديس قريباً منه

فرضي ده شطويل ان يقيم في اهدن واتخذ له مرشداً القس الياس ابن الحاج حنا خادم القرية راهب القديس انطونيوس فدرّبه الراهب على العيشة النسكية

ولما علم البطريرك يوحنا مخلوف بقدوم ده شطويل ومنزلته وتقواه اوفد من قبله اناساً ترحبوا به باسم البطريرك . ومثله فعل الاساقفة والاعيان ثم جاءه الى قنوبين

١) انظر ملخص حياته في المشرق وفي النبذة التي وضعها الاب بطرس ساره البتروني

لتقديم واجب الاحترام ثم اختار السكنى في دير سيدة حوقا وبعد ذلك انتقل الى دير مار يعقوب الاحباش فدير مار سركيس اهدن الى ان سيم مرشده القس الياس اسقفاً على تلك القصبة فانتقل الى دير مار اليشع بشري الذي سلّمه البطريرك الى الكرمليين ليصلحوه ويسكنوا فيه وهناك انتقل الى راحة الابرار (١٦٤٤)

وكانت روابط الصداقة متوثقة بين هذا الحبيس الجليل والمطران جرجس عميرة فانهما كانا يتبادلان الاراء في الشؤون الهامة وفي المسائل العلمية وقد تنبأ ده شسطويل ان عميرة سيرتقي الى السدة البطريركية

وفي الواقع انتقل البطريرك يوحنا مخلوف الى راحة الابرار في قرية كفرزينا في زاوية طرابلس في ١٥ ك ١ ١٦٣٤ كما يتضح من مقدمة كتاب الكلندار الذي طبعه الخوري مخائيل سعاده الحصروني ومن كتابات المرسلين. وقد قدّم الدويهي خطأ تاريخ وفاة هذا البطريرك سنة اذ يوجد ايضاً تحرير من البطريرك يوحنا مخلوف الى السيد فوستوبولي مهردار البلاط الرسولي تاريخه ٢٤ ك ١ ١٦٣٣ . فلا يمكن ان يكون قد مات في ١٥ من ذلك الشهر

وكان البطريرك مخلوف لين الجانب كريم الاخلاق محباً للصلح كثير الصدقة اتخذ الطريقة النسكية في جبة قزحيا ثم سامه البطريرك يوسف الرزي اسقفاً (١٦٠٣) وبعد وفاة الرزي اعتلى الكرسي البطريركي (١٦٠٨) فاقتنى له ارزاقاً كثيرة في جبة بشري وفي زاوية طرابلس وقد ذكرنا مجيئه الى مجدل معوش . وقد دبّر الطائفة بكل تقوى خمساً وعشرين سنة بنيّف

٣ بطريركية جرجس عميرة

• وفي اليوم الثاني عشر لوفاة البطريرك مخلوف خلفه المطران جرجس عميرة برضى سادتنا المطارنة واخوتنا الكهنة وبقية المشايخ رغماً عنه وكان مستحقاً هذه الدرجة الشريفة من قديم لاجل فضائله وعلمه المشهور في بلاد الشرق والغرب(١)»

ويُستدل ببعض الكتابات ان البطريرك عميرة سعى ان يمنع تدخل المشايخ والمقدّمين وعموم الشعب في انتخاب البطريرك فلم يُرَقْ عمله الحزب المنحاز اليهم فرموه

١) راجع مقدمة الكلندار الذي طبعه في رومية الخوري مخائيل سعاده الحصروني ١٦٣٧

بقلّة الحكمة وعدم التدبير (١ ولا جرم ان يُنسب الى هذا البطريرك مثل تلك الساعي لانه رأى بعينه ما احتملهُ سالفه من الشدياق خاطر وغيره وما اتاه عاشينا بن شلهوب من ضروب العسف وخَبَرَ ان العلمانيين مهما كانت نياتهم حسنة يصعب ان يحكموا مستقيماً في الامور الروحية . وقد تحمل عادةً تدخُّل الاعيان في الانتخاب بعض المتطلبين على الالتجاء اليهم لنيل الرتب البيعية . ومعلوم ان هذا الامر مخالف لروح الكنيسة المقدسة وكان عميرة قد تشرّب هذا الروح في رومية واجتهد في بثّه في بلاده فصعب الامر على المتنفذين فصوّبوا اليه سهامهم وسعوا في منع تثبيته ولا يبعد ان يكونوا كتبوا بهذا المعنى الى المطارنة الموارنة الثلاثة الذين كانوا في المدينة الابدية وهم سركيس الرزي (٢ وجرجس بن مارون الهدناني واسحق الشدراوي

ونرجح ان المطرانين سركيس الرزي واسحق الشدراوي لمّا بلغهما ان انتخاب عميرة جرى بدون اشتراك العلمانيين اشارا على البطريرك ان يتوسل الى طريقة تزيل سوء التفاهم الحاصل وتسكّن الحالة وذلك قبل ان يذهب الخوري مخائيل سعادة (٣ الحصروني الى رومية لانه ظاهر من التواريخ التي بيدنا ان موفد البطريرك لم يسافر

١) راجع في المشرق ما كتبه المطران جرجس حبقوق البشعلاني بهذا الشأن (١٩٠٢ ص ٦٨٩)

٢) سركيس الرزي بن موسى اخي البطريرك سركيس أرسل تلميذاً الى رومية . اوصى به وبسائر الطلبة عمه البطريرك الاب اليسانو ثم استدعاه في سنة ١٥٩٠ فانضوى الى رهبنة مار انطونيوس في قزحيا ثم جُعل رئيساً للمحبسة وفي سنة ١٦٠٠ سامه عمه اسقفاً على دمشق ثم ارسله الى رومية لتقدمة الطاعة باسمه فاشتغل هناك بطبع الكتب الطقسية المارونية : كتاب القداس وخدمته والشحيم واعتنى خصيصاً بطبع التوراة العربية اللاتينية مات في رومية ١٦٣٨ ووقف متخلفاته لاسماف الطائفة . وكان كثير الرحمة يحب رؤساء الكنيسة الرومانية . وهو المقصود بهذين البيتين من زجلية القس الياس عويضه

نبدي من الحبس سركيس مطران طاهر وقديس رزي اصله في التأسيس تابع امانة رومية حافظ وساعي بتوابين رتبة واعتقاد المؤمنين ومن اخيه لسنا مفترقين عن طوائف الشرقية

٣) الخوري مخائيل بن سعادة بن انطانيوس ابن الشدياق شمعون بن الشيخ فريد ابن عم المطران يوحنا الحوشي ارسل الى رومية سنة ١٦٠٣ هو واسحق الشدراوي واخوه سركيس ويوحنا بن قرياقوس الحصروني اتم فيها دروسه الكهنوتية ثم سيم فيها كاهناً هو وسركيس الشدراوي وعادا الى الوطن . تعيّن لهُ محل اقامة في دير مار جرجس بقرقاشا ليعلم فيه «السرياني والعربي والفرنجي» بامر البطريرك ومشايخ الطائفة ثم جعله البطريرك يوحنا مخلوف خورياً ثم

من لبنان الّا بعد ١٥ حزيران من سنة ١٦٣٥ مع ان الحبر الاعظم العالم بفضيلة عميرة وعلمه وجدارته كان قد اثبته بطريركاً في ١٥ اذار ١٦٣٥ اي ثلاثة اشهر وعشرة ايام قبل سفر الخوري مخايل سعاده كما هو بيّن مما قاله الخوري مخايل المذكور في مقدمة الكلندار ومما ذكره المطران اسحق الشدراوي في مقدمة غراماطيقه المطبوع في رومية ١٦٣٦. ولو كان البطريرك لم يثبت قبل وصول الخوري المذكور لما كنا نفهم ما الداعي الى تأخره في رومية اكثر من سنتين يقضي وقته بتأليف الكتب وطبعها. واعلم ان ما توخته رومية من جعل انتخاب البطريرك مخصوصاً بالمطارنة لم يتحقق تماماً الّا بعد مائة سنة بعد انعقاد المجمع اللبناني

هذا ما عنّ لنا لدن مراجعة ما لدينا من المعلومات عن انتخاب البطريرك جرجس عميرة والحق يقال انه تبوأ الكرسي البطريركي في زمن عصيب وصفه الخوري مخائيل الحصروني في مقدمة كتاب الكلندار المومأ اليه قال: وما عدت قدرت ادير بالي كجاري عادتي الى تعليم وآداب الاولاد لاجل كثرة دقة (ضيقة) ورزايا وضيم تلك الناحية (اي جبة بشري) ولما كان تاريخ سنة ١٦٣٣ التي تقابل ١٠٤٤ هجرية صارت وكبة بامر صلطان (sic) في البر والبحر على الامير فخر الدين بن معن الدرزي فانهزم وانحصر في مغارة جزين وصار على سكان البلاد ضيم عظيم من العساكر حتى كل واحد منا طفر في بلاد وتأسف البلاد على عدل وامان ومسادقة (صداقة) ابن معن مع الفلاح»

وقال مترجم حياة ده شطويل ان الرعية استحوذت على قلوب السكان بسبب غارة العسكر فتفرّقوا وانهزموا ورعاتهم الى الجبال العالية واختبأ البطريرك مخلوف

رئيس كهنة وفي سنة ١٦٣٥ ارسله البطريرك جرجس عميرة الى رومية ليقدم الطاعة للبابا اوربانوس الثامن ويقضي مصالح الطائفة فوصلها في ١٠ ت ١ ١٦٣٦ ونزل في بيت المطران اسحق الشدراوي واهتم جميعهم بقضاء مصالح البطريرك واجتهد الخوري مخايل مع الشدراوي في الغراماطيق والزمه بطبعه ودفع نصف النفقات البالغة ١٥٠ غرشاً. سلمه البطريرك يوسف بن حليب على دير مار جرجس بقورقاشا وطرابلس وجعله مساعداً له سنة ١٦٦٤ في دير مار يوحنا حراش. ألف كتاب الكلندار وطبعه برومية ١٦٣٧. انتقل الى رحمة الله في طرابلس ١٦٦٩ فحملوه الى قنوبين ودفنوه في مغارة القديسة مارينا حسب وصيته. عنه قال القس الياس عويضه:

ومطران مخايل حصروني رتب حساب بالكرشوني وبين فرق الماروني من طوائف الشرقية

في المناور ورافقهم في المرة الاولى الحبيس ده شطويل ثم عاد الامن فاستتب برهة لكن الخوف ما عتم ان استحوذ على القلوب لما بلغ الاهالي ان الامير فخر الدين أسر وأرسل الى الاستانة . لكن البطريرك والمطارنة وده شطويل افرغوا جهدهم في تطيين الافكار ولم يدعوا سكان الجبة يهجرون قراهم مرة اخرى ولم يصب الجبل بأذى . غير ان هذا الخوف المتواصل كان يعرقل كل حركة ويثبط الهمم ويقف حاجزاً في سبيل الترقي والفلاح وقد بذلت الحكومة الفرنسية جهد المستطاع لتوقي لبنان والنصارى من هذه المصائب فامر الملك ١٦٣٤ سفيره بان يسعى لدى السلطان بالحصول على خط شريف الى باشا طرابلس يأمره به ان لا يزعج البطريرك الماروني وشعبه بهذه المظالم وان يلغي كل الضرائب المحدثة بسلطته الشخصية مكتفياً منها بالمال المفروض من قديم الزمان وان يترك الرهبان ورجال الاكليرس وشأنهم طبقاً لاوامر السلاطين . وأمر السفير ان يأخذ نسختين من هذه الاوامر تحفظ واحدة منها عند البطريرك وتسلم الاخرى الى باشا طرابلس ثم ان يفيد الملك عما يكون من تلك التدابير

ولما تبوأ البطريرك عميرة الكرسي البطريركي طلب من الحبر الاعظم ان يثبته في وظيفته كعادة اسلافه فارسل اليه اوربانوس الثامن الذي كان يعرفه حق المعرفة البراءة التي نعربها لما فيها من الالماع الى الحوادث التاريخية التي جرت في تلك الايام . وتاريخ البراءة ٥ آذار ١٦٣٥ لم يذكر فيها اسم موفد البطريرك خلافاً للعادات السابقة فرجحنا ان البطريرك ارسل عرائض الطلب رأساً الى الحبر الاعظم دون توسط وسيط . قال قداسته :

« اوربانوس الثامن عبد عبيد الله الى الاخ المحترم جرجس عميرة بطريرك موارنة جبل لبنان الملقب بالانطاكي رئيس اساقفة اهدن السابق السلام والبركة الرسولية

« ان عناية الحبر الروماني الذي اقامه الراعي السماوي واسقف النفوس رئيساً على جميع الكنائس وسلمه ملء السلطة يتطلب منه اهتمامه بحالة اي كنيسة كانت وسهره عليها ومراقبته اياها ان يتدبر امورها باجتهاد بطريقة الترقية او النقل حسبما تقتضيه احوال الاشخاص والزمان والمكان وفائدة الكنائس نفسها فيعنى بان يولي على كل منها راع كفء . او يرسل اليها خادم حكيم يرشد الشعب الموكول الى عنايته في طريق الخلاص

ويهذّبه ولا يكتفي بادارة اموال الكنيسة بنوع مفيد بل يسعى بطرق شتى الى زيادتها

«ولمّا كنا قد احتفظنا الآن لامرنا وتدبيرنا التسمية للكنائس الفارغة كافة والتي ستفرغ فيما بعد مقرّرين انه باطل ولغو ما يمكن ان يحدث من هذا القبيل مخالفاً لما سبقنا وفرضناه ايًّا كان الفاعل وباي سلطة فعل سواء صدر فعله عن معرفة او عن جهل

«وبما ان الكنيسة البطريركية المارونية في جبل لبنان المعروفة بالانطاكية التي كان يرئسها في حياته الطيب الذكر يوحنا بطريرك الطائفة المذكورة قد اصبحت من مدة محرومة تعزية راعيها بوفاة يوحنا المذكور الذي قضى نحبه بعيداً عن البلاط الروماني فنحن بغية الوصول الى تعيين سريع مناسب لهذه الكنيسة البطريركية تعييناً لم يستطع ولن يستطيع احد سوانا ان يتدخّل فيه في هذه المرّة بسبب المنع الناتج عن احتفاظنا بهذا الامر وقرارنا السابقَين كي لا تعرّض هذه الكنيسة لاضرار فراغ مستطيل قد اعملنا الروّية باحثين بتدقيق ابوي وكلّي وبعد المداولة مع اخواننا الكرادلة لتولية شخص لائق ومفيد على هذه الكنيسة البطريركية فوجهنا اخيراً لحاظنا اليك انت رئيس اساقفة اهدن بعد ان تروّينا شديد التروّي في ما تقدّم حالتك ومعتبرينك محلولاً من وثاق اي حرم او منع او حكم كنسي او تأديب او قصاص صادر من الناموس او من صاحب سلطة باي علّة او فرصة ان كنت معتقلاً بها باي نوع كان

«وذلك قصد ان ينال قرارنا مفعوله واننا بعد مشورة اخواننا كرادلة الكنيسة الرومانيّة المقدسة نخلّك بملء سلطاننا الرسولي انت الذي انتخبه اخواننا المحترمون مطارنة واساقفة الطائفة المارونية واولادنا الاعزاء اكليرسها وشعبها على مقتضى عادات تلك الطائفة من الروابط التي تقيّدك بكنيسة اهدن التي ترئسها وتنقلك بعد التروّي وبملء سلطاننا الى الكنيسة البطريركية المذكورة ونوليك عليها بطريركاً وراعياً مقلّدينك تماماً رعاية وتدبير وادارة هذه الكنيسة البطريركية في شؤونها الروحية والزمنية ومثبتين انتخابك كما هو مذكور ومعوّضين عن نقص المعاملات المستصعب تقديم اسانيدها بسبب بعد مسافة البلدان ومعلنين ان كرسي اهدن قد فرغ بسبب هذا النقل والتولية واثقين ان الذي يسبغ النعم ويجزل الثواب سيرشدك

في اعمالك لتدبّر الكنيسة البطريركية في عهد ولايتك السعيدة تدبيراً مفيداً ناجحاً وتزداد ثمارها الشهيّة روحياً وزمنياً. واذ قبلتَ باخلاص ودون تردُّد نير السيد المسيح الموضوع على كتفك ابذلْ جهدك في ان تقوم بامانة وحكمة باعباء مهمّة العناية والتدبير المذكورين حتى تغتبط الكنيسة البطريركية بأن مقاليدها قد أُلقيت الى يد مدبّر مدرك ومدير مجتهد يأتي تدبيره بالثمار وتكون انت اهلاً لتغنم عدا الثواب الدائم بركتنا وبركة الكرسي البطريركي المذكور والنعم الغزيرة السابغة

« فنريد اذاً ان تُبرز في اول فرصة اقرارك بالايمان بمقتضى الصورة التي وضعها الكرسي الرسولي للشرقيين، بين يدي اخينا المحترم المطران او الاسقف الاقرب اليك. ويجب عليك دون مراجعة ان ترسل الى الكرسي الرسولي في خلال السنة التابعة اقرارك كما ترى هذا نصه مكتوباً بدون ادنى تعديل في خط رسمي اصلي توقّع عليه انت والمطران او الاسقف الاقرب كما ذكرنا. ولا يمكنك مطلقاً ان تستعمل درع الرئاسة قبل ان تبرز هذا الاقرار »

وقد خطر لنا بعد مطالعة هذه البراءة ان الاجتماع الذي عقد في ١٥ حزيران كان القصد منهُ ابراز صورة الايمان امام المطارنة والاكليرس والشعب وارسالها الى رومية كما هو مفروض على البطاركة والاساقفة عموماً وليس استرضاء الذين لم يَرُقهم انتخاب عميرة والى هذا يلمح الخوري مخائيل سعاده بطلبه من الله في اخر مقدمة كتابه «ان يزيل العناد والانشقاق بين الرؤساء.»

واخذ عميرة فورَ انتخابه رغم كبر سنه يسوس طائفته بما كان قد اشتهر به من المحبة والعلم والفطنة « فانه سقى شعبه الذي كان قديماً كاليتيم الذي لا امَّ لهُ يطلب ان يقتات ولو بحليب الغرباء عنه وعن امته ولم يعطَ لهُ ذلك فاغاثه اخيراً ابن عميرة وتلامذة المدرسة الرومانية ... فاقتبل الشعب الماروني عند ذلك الغذاء الكامل والاهتداء الفاضل الذي يكفيهم ويفيض على من في جوارهم » (الدويهي تاريخ الازمنة)

وكانت احوال لبنان الزمنية تعيسة. قال المطران جرجس حبقوق البشعلاني : « انهُ بعد جلوس عميرة بقليل على الكرسي البطريركي صار عليهِ ضنك من جانب دولة طرابلس وكان متولّي ضبط ايالة طرابلس محمد باشا الارنوطي (الارناؤطي) وكان كاخية مصطفى باشا ابنَ الصهيوني فطلبوا البطريرك ابن عميرة يحضر امامهم وعند ما

حضر في صراية طرابلس صار بينه وبين الكاخية حديث فسقط بعثرة منه(١ . . . فلاجل تلك الكلمة حطّ عليه ابن الصهيوني ولم يزل يفتح له مناقب مثلاً ويكلفه حتى بلّصهُ بثلاثة عشر الف غرش أسديّة وكل هذه الخسارة والبلص ما اعتلمنا ولا سمعنا انهُ كلف المطارين ولا اعيان الشعب من ذلك درهم الفرد بل من مال الكرسي تكلّف ذلك (١

«والبطريرك بن عميرة لاجل ازدراه في الرهبان والعشيرة التي كانت بدير الكرسي فلوّا من حواليه ما فضل الّا كاهن يسمّى رزق الله من عين الباردة من بلاد عكّار وراهب لا غير . وكان المطران عبدالله (٢ المتوكل على زمان البطرك حنا بن مخلوف باقي في الحياة فضيّق على ابن عميرة بسبب الخزينة فما امكنه ان يظهر ذلك للبطرك ابن عميرة لانهُ كان غير اهلها من عجزه . كانوا شمامسته يتعانوا الرباب وآلة الطرب لاجل ذلك المطران المذكور اخفى المال عن البطرك وجاب القس سمعان التولاوي وأمّنهُ على ذلك وقال لهُ : «امانة برقبتك لا تظهر لاحد هذا السر الّا بعد موت هذا البطرك » اعني بهِ ابن عميرة

وقد ذكرنا ما كتبه خصوم عميرة تتمة للفائدة غير متنعين بانه استوجب هذا اللوم

واعلم انهُ قبل موت البطريرك مخلوف اي في ١٨ ايلول ١٦٣٤ كان المجمع المقدس قد قرر انشاء سبع مدارس للموارنة اجابة لرغبة البطريرك والمطارنة في الامكنة التي ينتقيها البطريرك وفرض ان تُدرَّس فيها اللغات العربية والسريانيّة واللاتينيّة وان يزورها نائب البطريرك او الاساقفة ويكون الاساتذة فيها من تلامذة المدرسة الرومانيّة وتعيّن ٣٠٠ ريال يرسلها المجمع المقدس لتوزّع على هذه المدارس وان تأخر وصولها ينقدها المعلّمين حارسُ الاراضي المقدسة . والقصد من تلك المدارس تعميم العلم في لبنان والتهذيب الديني وتسهيل اقتباسهما صوناً للناشئة من

---

١) ليس في ذلك ما يلام عليه البطريرك الذي فضل ان ينفق من مال الكرسي ولا يحمل الشعب وقد اشار هو الى ذلك في كتابته الى رئيس الرهبنة البسوعية استاذه السابق كما سيرد

٢) المطران عبد الله الهدناني سيم على قنوبين ١٦٠٢ توفاه الله سنة ١٦٣٨ (١٣ ت ٢) وكان ذا رأي حازم اقتنى للكرسي ارزاقاً كثيرة

خداع المراطقة والحق يقال ان عناية الكرسي الروماني بالطائفة المارونيّة لمساعدتها على حفظ وديعة الايمان والتهذيب البيعي لجديرة بكل تعظيم وشكر (١

اما اسباب القلق في لبنان فكانت الخلاف بين الامير عساف وخلفائه بيت حماده وبين الامير علي السيفي والامير علي بن علم الدين الدرزي وحسن اغا كاخية قاسم باشا حاكم طرابلس. حرق الامير عساف المنيطرة ثم غزا الامير علي السيفي في إعّال على نهر رشعين فغُلب الامير عساف والحسادية وتولى الامير علي طرابلس وجبيل والبترون. «وتوالي الحكّام وتطاحن الاحزاب كثر الظلم وضوعفت الاموال الاميرية وقبض على الرابيط (النسّاك) والرؤساء حتى يقرّوا على رزق بيت معن وبيت الخازن وغيرهم وكان القس حنا بن بهينا الاجباني مترئساً على دير مار مارون (ومص صحنا) في قرية كفرحي فوشي به اهل بقسميا عند ابن سيفا فقبض عليه واهانه وكلّفه فوق طاقته فارتحل عن الدير ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت بقسميا وكان اهلها ملكيّة» (الدويهي تاريخ الازمنة ١٦٣٤)

وسنة ١٦٣٥ ولى مصطفى باشا حاكم طرابلس جبةَ بشري الشيخَ ابا كرم يعقوب ابن الريس الياس الحدثي والشيخ ابا جبرائيل يوسف الهدناني فارتاحت الرعية بعض الراحة. ولما امر السلطان حاكم طرابلس بالزحف على العجم فوّض محافظة البرّ الى الامير عساف فصعب الامر على الامير علي فاغار على قرية اميون ونهبها وبدّد اغلالها (اذار ١٦٣٥) لكن الامير عساف التقى به في قرية غرقية في الزاوية وغلبه ففرّ الى بلاد الدروز ثم اتى بنجدة منها لكنه كُسِر شر كسرة مرّة اخرى في قرية اعتاز من بلاد الحصن. فسببت هذه الاحوال قلقاً عظيماً في البلاد وتحمّل الاهالي مظالم كثيرة

وهرب الى فلورنسة الشيخ ابو نادر الخازن وابنه واخوه ابو خاطر الذين كان يثق بهم الامير فخر الدين ومكثوا فيها سنتين الى ان راقت الاحوال. وانتقل في رومية الى راحة الابرار القس نصرالله شلق العاقوري (٢ واضطرّ البطريرك جرجس

---

١) سنذكر شيئاً عن المدارس في لبنان في مقال مخصوص ان شاء الله

٢) العوري نصرالله شلق من العاقورة تلميذ مدرسة رومية سيم كاهناً واقام في اوربة. اعتنى مع جبرائيل الصهيوني بطبع المزامير بالعربية واللاتينية ١٦١٤ والف كتاب مبادئ اللغة العربية وطبعه في رومية ايضاً ١٦٢٢ وكتاب مدخل اللغة العربية ١٦٢٢ وكتاب رتب الكنيسة

عميرة الى بيع بعض ارزاق الكرسي لدفع اموال الظلم. ومما باعه بيت في بيروت عثرنا على نسخة صك بيعه وهذه حرفيتها:

« باع الحقير في رؤساء الكهنة بسبب الوكالة عن ذمة البطريرك جرجس بن عميرة المكرم بطرك دير قنوبين البيت الذي في مدينة بيروت الموقوف الى قنوبين الى نعمه بن سلامه وشهرته تنيّ عن حدوده بثمن قدره ثلاثون غرشاً من الغروش الكبار الكلابية (ابو كلب) وقبض المذكور البائع من المذكور المشتري القبض الشرعي في المشاهدة والحضرة. والبيع ما صار الّا لانه عادم النفع وهو خراب سقفه بارضه وعلى هذا الامر وقع التحرير في عشرين يوم من شهر كانون الاول من شهور سنة ١٦٣٥. شهود. الخوري يوحنا من قرية ايطو. شهد بذلك ابرهيم بن القيالة. الحاج داود بن ميخا. معتوق بن الحاج صوما. جرجس بن الخوري. الشماس سليمان صبي (خادم) البطرك والمطران » (١

اما المطران البائع فهو المطران يوسف حليب العاقوري مطران صيدا

ولم ينسَ البطريرك معلميه ابّان اشغاله الكثيرة بل كان يراسلهم ويطلب صلواتهم ومساعداتهم

وقد نشر المرحوم الاب رباط اليسوعي رسالة لهذا البطريرك رجها الى استاذه الاب موتسيو ڤيتالاسكي الذي كان انتُخب رئيساً عاماً لرهبنته خلفاً للاب كلوديوس اكوافيفا تاريخها ٨ نيسان ١٦٣٦ جاء فيها ما يدلّ على ان البطريرك كان قد كتب قبلاً الى الرئيس العام المذكور مع مندوبيه يخبره بانه اختير بطريركاً. واليك الآن ترجمة هذه الرسالة المعربة عن اتضاع البطريرك وتعلقه المتين بمعلميه واقراره بفضلهم:

« قد تسلمت بكل سرور كتابك العزيز جداً المعرب عن صحتك فاشكر ابوتك لمحبتها ومودتها نحو شخصي وطائفتي. اما الرغبة في ارسال احداث لتهذيبهم في

الرومانية وترجم سفر ايوب من السريانية الى اللاتينية. وكان ذا رأي سديد اطرأ غيرته البابا ايوشنسيوس العاشر في براءة انشاء مدرسة رابوتا التي خصّص لها ما تركه من ثروة وكانت وافرة على ان هذه المدرسة لم تلبث طويلاً فنُقل تلامذتها (١٦٦٤) الى المدرسة المارونية في رومية. انتقل الخوري نصرالله الى راحة الصالحين سنة ١٦٣٥ في شهر آب في مدينة رومية. قال عنه القس الياس النزيري في زجليته:

الاب نصرالله خوري هو ابن شاق العاقوري كان فهيماً وصاحب شوري خلف مدرسة بكلية

١) في هذا الصك ما ينفي قول الذين زعموا ان جرجس عميرة لم ينتخب بطريركاً الا في ٢٧ ك ١ ١٦٣٥

مدرستنا في رومية فلا تنقضي . ومن جهة الاب رئيس المدرسة فانه لم يرسل حسب المعتاد اجرة السفر ونفقاته لارسال هؤلاء الاحداث فنحن لا يتيسّر لنا ان نقوم بما يقتضيه هذا الامر . اعتقد ان مندوبينا قد قدموا رسائلنا الى ابوتكم الكلي احترامها واخبروكم عن تخلّفنا (على الكرسي البطريركي) بعد موت البطريرك يوحنا الطيب الذكر وكم حلّ بعد موته وانتخاب البطريرك الجديد من الظلم والعونيات والباس والاضرار الفادحة . فارجو من ابوتكم ان تتفضلوا وتعرضوا لقداسته وللمجمع المقدس احتياجنا وفقرنا وعن المال الوافر الذي دُفع ربّي الذي سيكون منه فرصة لخراب هذا الكرسي المسكين . اني اخاطب ابوتكم سرًّا وبكل ثقة بسبب المودّة التي اشعر بها نحوكم وساشعر بها دائمًا كما هو واجب نحو استاذي الذي اعزّهُ كثيرًا وله معروف جزيل عليّ . وابوتكم تتذكر اني انتُخبت من غير استحقاق مني لهذا المقام البطريركي ضد ارادتي كاول ثمرة لهذه المدرسة (الرومانية) في هذه الوظيفة وكثرة اتعاب اباء الرهبنة اليسوعية وهي بالحقيقة «ثمرة شديدة المرارة» . .

ثم يعرب البطريرك عن تعلقه بالرهبنة ويطلب مساعدتها الادبية اي توسط الاب العام لدى قداسته ويرجو اعتناءه المتواصل بالمدرسة ويختم طالبًا صلواته ودعاءهُ

(لها بقيّة)

شهداء المجمع الخلقيدوني في التاريخ

للاب لويس شيخو اليسوعي

سألنا احد افاضل كهنة السريان ماذا ورد في التاريخ عن الشهداء الذين تكرمهم الطائفة المارونيّة تحت اسم تلامذة القديس مارون في غاية شهر تموز ؟

نجيب على ذلك انّ ذكر هؤلاء الشهداء مدوّن في سنكسار الكنيسة الرومانيّة في ٣١ تموز على هذه الصورة : «في سوريّة تذكار الشهداء القديسين الثلثمائة والخمسين الذين قتلهم الهراطقة لدفاعهم عن المجمع الخلقيدونيّ»

وجاء في السنكسار الماروني الذي ألّفهُ الطيّب الذكر السيد بطرس مخلوف

ورئيس اساقفة قبرس على الموارنة ما حرفهُ (عن النسخة التي لدى حضرة الخوري بطرس عالب) :

«اليوم الحادي والثلاثون (من شهر تموز) جهاد الثلاثة وخمسين راهب الذين قتلهم ساويرا في ايَّام الملك انسطاس وهؤلاء كانوا من بلاد الشام من رهبان ابينا البار مار مارون وكان يوم استشهادهم بسنة الخمسمائة وخمسة وثلثين رَّبانيَّة وسبب قتلهم كان لانهم كانوا متمسكين في ما سنَّ وفرض مجمع خلقيدونية»

وفي السنكسار الذي كتبهُ السيّد الجليل جرمانوس فرحات جاء بعد ذكر القديس اغناطيوس دي لويولا الواقع عيدهُ في ذلك اليوم ما نصُّهُ (عن نسخة مكتبتنا الشرقيَّة) :

«وفي هذا اليوم ايضاً ذكر الرهبان الشهداء الثلاثة والخمسين الذين قتلهم ساويروس الاسقف (الدخيل) من تبَّاع اوطاخي وديوسقوروس في ايَّام الملك انسطاس المبتدع لانهم كانوا من رهبان البار مار مارون الناسك متمسكين بايمان المجمع الخلقيدوني المقدَّس وكان ذلك سنة خمسمائة وسبع عشرة للمسيح . ومن هذه الرهبنة ظهر البار يوحنَّا الذي من اجل غيرتهِ في صيانة الايمان المستقيم سيم من الكرسيّ الرسولي اوَّل بطرك على الملَّة المارونيَّة صلاتهُ تكون معنا»

وبناء عليهِ قد بقي تذكار هؤلاء الشهداء شائعاً في الطائفة المارونيَّة الكريمة وهم اليوم يقيمون لهم عيداً في كلّ الكنائس وفيهِ يبطلون عن كلّ الاعمال المادّيَّة . قلنا «اليوم» ولا نعلم العهد الذي فرض الرؤساء تعييدهُ والفراغ فيهِ عن الاشغال وما لا شكَّ فيهِ انَّ العيد لم يسبق زمن اجتماع المجمع اللبناني سنة ١٧٣٥ اذ لا ذكر لهُ في جدول الاعياد الفرضيَّة المذكورة للطائفة (اطلب اعمال المجمع التي عرَّبها المثلث الرحمات المطران يوسف نجم ص ٢٤—٢٩) . وانَّما جاء في جملة مناشير الحبر الاعظم اقليمس الثاني عشر براءة تاريخها ١٥ نيسان سنة ١٧٣٤ يمنح فيها عدَّة غفارين كاملة لرهبان القديس انطونيوس اللبنانيين ولزوَّار كنائسهم في بعض اعياد السنة من جملتها عيد الثلاثة والخمسين شهيداً (ANAISSI: Bullarium Maronitarum, p.238) ثمَّ عاد البابا بندكتوس الرابع عشر وثبَّت تلك الغفارين وشرك بها جميع الكنائس المارونيَّة وذلك في تاريخ ١٢ آب سنة ١٧٤٤ (ibid. p. 316) . ولعلَّ رؤساء الطائفة فرضوا مذ ذاك الحين الاحتفال بعيد هؤلاء الشهداء

ولكن ما هو سند السنكسارات السابق ذكرها في روايتهم عن هؤلاء الشهداء ؟ وما هو اصلهم ؟ وفي اي دير كان سكناهم ؟ ولاي سبب قُتلوا ؟ ومتى واين كان مقتلهم ؟ وما سبب انتمائهم الى القديس مارون ؟ . فهذه مطالب موجودةٌ ضمناً في سؤال الكاهن الذي اقترح علينا الجواب عمّا ورد في التاريخ عن هؤلاء الشهداء . فنجيب عليها باباً باباً

١ ما هو سند السنكسارات في رواياتهم عن الشهداء ٣٥٠

لهذه الرواية سند متين لا شبهة فيه ألا وهي الرسالة التي كتبها باليونانيّة رهبان اقليم سوريّة الثانية الى الحبر الاعظم القديس هُرميسدا وهي تتضمّن مُجمل الاخبار عن تلك الحادثة المفجعة . وقد نُشرت الرسالة المذكورة معرّبةً في تاريخ الطائفة المارونيّة للدويهي (ص ٤١—٤٣) وكتاب مروج الاخبار في تراجم الابرار المطبوع في مطبعتنا (ص ٤٣٥) مع بعض اختلاف في الترجمة . فاجابهم الحبر الروماني على كتابهم وأثنى على صبرهم وشهامة شهدائهم واوقع الحرم على مضطهديهم (MANSI: Conciliorum Collectio, t. VIII, 1024-1030)

ولنا على صدق هذه الرواية شاهد آخر ساطع في العريضة التي قدّمها رؤساء اديار مقاطعة افامية في سوريّة الثانية الى اساقفتهم وقد اشار اليها بارونيوس في ذكر اعمال البابا هورميسدا في سنة رئاسته الخامسة الموافقة لسنة ٥١٨ للمسيح (تحت العدد ٤٨ من طبعة باريس ج ٩ ص ٢٠٧) والعريضة مذكورة في مجموعة المجامع للانسي : ibid) 1023-1030) باليونانيّة مع ترجمتها اللاتينيّة التي بدؤها Docuerunt nos divinæ Scripturæ

ففي هذه العريضة تفاصيل ما قاساه الرهبان الشهداء من الاهانات والعذابات وضروب القتل لدفاعهم عن المجمع الخلقيدوني من قبل الهراطقة اعداء المجمع وهي مُمضاة بتوقيعات رؤساء الاديار ورهبان وكهنة وشمامسة

٢ اصل الشهداء المنتمائة والخمسين

لسنا نعلم اسماء هؤلاء الشهداء ولم يكونوا كلّهم من دير واحد بل من اديرة

مختلفة في جهات افامية ووادي العاصي ويلوح ذلك من نص الرسالة الموجّهة الى الحبر الاعظم القديس هورميسدا قد امضاها عدد عديد من الشهود بينهم خمسة وعشرون رئيساً لاديار شتى بين افامية الى انحاء انطاكية منها ما هو على اسم شهداء او قديسين يونانيين او بلاد اجنبيّة كدير القديس افتيميوس وثلاسيوس واستيريوس ومكسيميوس وزينوبيوس ولورنسيوس ودير الرومانيين ودلماتيوس الخ ومنها ما هو على اسم انبياء او قديسين وطنيين كدير القديسين ايليا وأيوب واشعيا ويوحنا المعمدان ودير السوريّين الخ ومارون وابراهام وقرياقوس. وكذلك اسماء الرؤساء. فمنهم ما اسماؤهم اجنبيّة محضة كاريانوس واغابيتوس وألوتريوس وفوقاس وجنّاديوس ومرقلّوس وزوزيموس وستراتونيكوس واتيكوس الخ وغيرهم يُدعون باسماء شرقيّة كبولس ويعقوب ويوسف ويوحنّا وجرجس وانطون واسحاق الخ. وكثير من رؤساء الاديرة يمضون اسماءهم بذكر رُتبهم الشائعة عند اليونان كارشمندريت وهيغومان

فينتج عن هذه الامضاءات انّ تلك الاديرة المنتمية الى قديسين غربيين والمترئس عليها رؤساء اجانب لم يسكنها رهبان وطنيّون او كانوا فيها عدداً قليلاً وعلى خلاف ذلك الاديرة التي كانت تحت شفاعة قديسين شرقيين كان معظم رهبانها شرقيين. فلا بُدّ اذن ان يكون الشهداء الثلثمائة والخمسون من عناصر مختلفة وطنيّة واجنبيّة معاً

وفي آخر هذه التوقيعات اسم مندوب دير القديس مارون الذي يُدعى « بولس الراهب الابوكريزيار (ἀποκρισιάριος) ويلقّب اسم الدير بالدير الاكسارخي (μονῆς ἐξαρχούσης) المتولي على اديرة سوريّة الثانية. امّا رئيس الدير فيُدعى في محلّ آخر باسم اسكندر ويلقّب ايضاً بالارشمندريت

٣ من قتلهم وما سبب قتلهم

انّ الاسانيد التي اشرنا اليها تصرّح بالامرين ولا تدع شبهة في ذلك. فانّ اصحاب البدعة المنوفسيّة القائلين بطبيعة واحدة في المسيح الذين كان المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع رشقهم بسهم الحرم مع زعيمهم اوطاخي وديوسقورس كانوا وجدوا عضداً جديداً في اوائل القرن السادس بالبطريرك الدخيل ساويروس او ساويرا الانطاكي الذي اختلس البطريركية من السنة ٥١٢ الى ٥١٨ فأثار على

الاورثذكسيين الكاثوليك اضطهاداً دموياً في انحاء سورية . وتحزّب له بعض الاساقفة والرهبان منهم بطرس اسقف افامية (١) الذي في ابرشيته كانت واقعة الاديرة المشار اليها . وكان رهبان اديرة سورية الثانية على خلاف ذلك يذودون عن حياض الايمان المستقيم ويناهضون كلّ اعداء المجمع الخلقيدوني فكان ساويروس وحزبهُ يترصّدونهم ليوقعوا بهم واذ علموا سنة ٥١٧ بأن اولئك الرهبان على وشك المسير الى دير القديس سمعان العمودي الواقع في جهات انطاكية كمنوا لهم في الطريق فلمّا بلغوا الى قربهم هجموا عليهم كالذئاب الخاطفة فاذاقوهم امرّ العذابات وقتلوا منهم هؤلاء الثلثمائة والخمسين وانثخنوا بعضهم بالجراح حتى الذين لاذوا بحمى الكنائس وسيّروا قوماً من انصارهم الى الاديرة فنهبوا وسلبوا واضرموا النار في الاديار والبيع . وكلّ ذلك بغضاً بايمان اولئك الصالحين المدافعين عن تعاليم المجمع المقدّس كما تقرّر ذلك في المجمع الذي عقدهُ في القسطنطينية البطرك القسطنطيني منّاس سنة ٥١٨ وفي رسالة الحبر الاعظم هورميسدا الى آباء المجمع فجدّدوا الحرم على المبتدعين وخصوصاً على ساويروس وبطرس اسقف افامية والراهب زُواراس

٤ متى قتل هؤلاء الشهداء

كان استشهاد الرهبان المذكورين في السنة ٥١٧ السابقة لوفاة الملك انستاس (٤٩١–٥١٨) الذي عُرف بمناهضته للايمان المستقيم وهي ايضاً السنة التي مات فيها ساويروس فدعاهما الله ليؤديا الحساب عن آثامهما ومنهُ يتّضح غلط السنكسار المنسوب الى المطران بطرس مخلوف الذي جعل استشهادهم في السنة ٥٣٥ وفي تلك السنة كان الملك انستاس وساويروس البطريرك الدخيل والبابا القديس هورميسدا (٥١٤–٥٢٢) قد توفّوا كلهم منذ زمن طويل . وقد أحسن السيّد جرمانوس فرحات في سنكساره اذ صحّح ذلك الغلط وجعل استشهادهم في السنة ٥١٧ م

٥ ايهم قتلوا

يقال في ترجمة هؤلاء الشهداء أنهم كانوا من اديار معاملة افامية وافامية هذه

(١) ليس هو بطرس القصّار بطرك انطاكية المرطاوقي كما روى البعض فانّ هذا كان توفي سنة ٤٨٨

مدينة قديمة على العاصي شمالي غربي مدينة حماة واقعة اليوم في دولة العلويين وتُعرف بقاياها بقلعة المضيق. وكان الدير المبني على ذكر القديس مارون بجوار المدينة في وادي نهر العاصي. وقد ثبت هذا الدير زاهراً الى ايام الملك هرقل الذي زاره في اوائل القرن السابع ولعلّهُ بقي الى القرن الثامن والتاسع وفيه يقول المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف (ص ١٦٣):

« هذا الدير شرقي حماة وشيزر ذو بنيان عظيم حولهُ أكثر من ثلثمائة صومعة فيها الرهبان وكان فيه من آلات الذهب والفضّة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن وحيف السلطان وهو بقربٍ من نهر الارنط نهر حمص وانطاكية »

فبتسيير هؤلاء الرهبان من اديرتهم الى دير مار سمعان وهو على مسافة نحو ٨٠ كيلومتراً من افامية كان لا بُدَّ لهم من قطع جبال يسهل فيها على عصابات الاشقياء ان يفتكوا بابناء السبيل كجبال الأكراد وجبل قصير. فلا مراء انَّ ساويروس وانصارهُ كانوا يرقبونهم في تلك الانحاء فوثبوا عليهم وهم رهبان عُزَّل لا سلاح معهم فذهبوا ضحايا اولئك المسح الاشرار المادين للكنيسة وتعاليمها

٦ طازا يقال لهؤلاء الشهداء تلامذة مار مارون

بديهيٌ ان القديس والناسك العظيم مار مارون كان توفي قبل استشهاد هؤلاء الرهبان بنيّف ومئة سنة. وانَّما كان بعض ذوي التقى والصلاح شيَّدوا على اسمهِ دير مار مارون السابق ذكرهُ ولعلّهم نقلوا اليهِ قسماً من ذخائرهِ من جهات قورش التي عندها مات موت الابرار وحُفظت جثّتهُ بكل اكرام. ولمَّا كان بعض اولئك الشهداء من الدير المذكور نُسبوا الى شفيعهِ الذي اتخذوهُ مثالاً لحياتهم النسكيَّة ولاعتصامهم بحبل الايمان القويم فاتوا لاجلهِ ميتة الابطال واستحقُّوا ان يُنظموا في عداد شهدائهِ البلاء. فنِعمَ القدوة يقتدي بها الموارنة بل جميع الكاثوليك اذ يجرون على آثارهم في حفظ ذخيرة ايمانهم والدفاع عنها بازاء كل مناوئيها. آمين

جثالقة المشرق ومفارنة السريان

بقلم حضرة القس اسحق ارملة السرياني (تتمة)

٦ مفارنة السريان من السنة ١٥٧٥ الى السنة ١٨٥٩

٨٤ ﴿ باسيل داود شاه ﴾ هو شقيق المفريان نعمة الله سالفه أفضت اليه المفريانيَّة سنة ١٥٧٥ ولم تطل مدتهُ سوى سبعة شهور فانتُخب للبطريركيَّة في ماردين عام ١٥٧٦—١٥٩١

٨٥ ﴿ باسيل بيلاطس ﴾ وُلد في المتصوريَّة قرية مجاورة لماردين الى غربيها وقرأ العلوم في دير الزعفران. ونصبه سالفه مفرياناً سنة ١٥٧٦ وساس كرسي المشرق خمس عشرة سنة ثم رُقي الى المقام البطريركيّ وأتتهُ المنون سنة ١٥٩٧ . وعُرف في عهده مفريان آخر اسمه ايليا على ما ورد في تاريخ عُلق على كتاب هدايا ابن العبري منسوخ سنة ١٥٩٠ . وكان لهذا المفريان ابن اخت اسمه عبد النور سار الى رومية صحبة المطران موسى وزارا البطريرك نعمه وزاولا اللغة الايطالية فأتقناها . ثم تولَّى الشماس عبد النور تدريس اللغات الشرقية في رومة زمناً وعاد الى وطنه ورُسم كاهناً

٨٦ ﴿ باسيل عبد الغنيّ ﴾ هو شقيق سالفه صارت اليه المفريانيَّة سنة ١٥٩١ . وعام ١٥٩٥ رسمه اخوه عينهُ بطريركاً دخيلاً فرفضه الشعب اجمع لكنه ظلَّ متشفعاً باستيازات المفارنة حتى ادركه الاجل في حلب عام ١٥٩٧ ودُفن في ضريح شقيقه وله نافور بدوه « ܚܘܢܢܐ ܐܚܘܗܝ ܘܡܪܝܡ ».

٨٧ ﴿ باسيل بطرس هداية ﴾ تنتمي أسرته الى البطريرك نعمة الله السالف الذكر. تقلَّد المفريانيَّة سنة ١٥٩٧ ثم نُصب خلفاً للبطريرك بيلاطس سنة ١٥٩٨ بوضع يد المفريان عبد الغنيّ وانقضت حياته سنة ١٦٣٩

٨٨ ﴿ باسيل اشعيا ﴾ نُصب مفرياناً قبل السنة ١٦٢٦ وقد ورد اسمه في كتاب « كنز الاسرار » في شرح الكتاب المقدس لابن العبريّ المنسوخ سنة ١٦٢٦ على هذه الصورة : « نُسخ هذا الكتاب في عهد البطريرك هداية الله والمفريان باسيل

اشعيا . وكان هذا المفريان عالماً فاضلاً وكاتباً ماهراً في العلوم البيعية » (١

٨٩ ﴿باسيل شكرالله الاوّل﴾ هو ابن نعمة الله الدبّاغ من آل صنيعة . أبصر النور في ماردين وتلقّى العلوم الكهنوتية في دير الزعفران . ورسمه سالفه مفريانًا سنة ١٦٣٩ وما مرّ عليه العام حتى صار بطريركاً فزاحمه يشوع بن قشه (٢ الآمديّ زماناً حتى اختلس البطريركيّة سنة ١٦٥٥ وأمسى البطريرك شكرالله بمثابة مفريان حتى اخترمته المنيّة سنة ١٦٦٢

٩٠ ﴿باسيل عبد المسيح﴾ نشأ في الرها ودرس في دير الزعفران ونُصب مفريانًا للمشرق في ٢ ايلول ١٦٥٥ واستحصل فرمانًا بعزل البطريرك او المفريان شكرالله سالفه ودبّر المفريانية سبع سنوات حتى نُصب بطريركاً سنة ١٦٦٢—١٦٨٦

٩١ ﴿باسيل حبيب الثاني﴾ وُلد في مذيات حاضرة طورعبدين وتقلّد المفريانيّة منذ السنة ١٦٦٥ (٣ حتى سنة ١٦٧٤ ثم انتقض على البطريرك عبد المسيح سالفه ونُصب بطريركاً دخيلاً . ثم صار بطريركاً أصيلاً سنة ١٦٨٦ على اثر وفاة سالفه وما مرّت على بطريركيّته سبعة شهور حتى هرول المفريان جرجس الموصلي الى ماردين وارتسم بطريركاً دخيلاً فبقي البطريرك حبيب متولّياً رئاسة طورعبدين حتى أدركه الاجل سنة ١٧٠١

٩٢ ﴿باسيل يلدا﴾ ارتقى الى المفريانية سنة ١٦٧٨ كما يُستفاد من مخطوط (٤ نُسخ في دير مار متى في السنة المرقومة وقد ورد في مخطوط آخر نُسخ في ماردين ما تفصيله : « مضى عبد الكريم الموصلي باخيه كوركيس وابن اختهِ اسحق ابن المقدسي عازر الى دير مار متى لزيارة المفريان يلدا القرقوشي وترسّل اليه ان يقبلهما في الدير . فلبّى المفريان طلبه وبعد قليل رسمهما كاهنين ووجّه القس اسحق الى فارس والقس كوركيس الى حلب . ولما زار هذا السيّد اغناطيوس اندراوس اخيجان بطريرك

١) اطلب فهرس مخطوطات برلين السريانيّة عدد ١٨٣ ص ٥٦٨ و ٥٦٩

٢) ورد اسم يشوع المفريان في عهد البطريرك شمعون سنة ١٦٦٧ في مخطوط مكتبة كمبردج عدد ١٩٨٧ ص٢١٥ ويُستنتج من ذلك ان يشوع بن قشه صار مفريانًا قبل اختلاس البطريركيّة

٣) اطلب فهرس مخطوطات مكتبة اركسفرد عدد ٥٧

٤) اطلب فهرس مخطوطات مكتبة كمبردج عدد ٣٢٨٣

السريان الكاثوليك (١٦٦٢—١٦٧٧) صدّهُ عن اقامة الفروض الدينية في كنيسته فجرد القس كوركيس واكمن له الحقد وانقلب الى ديره وافاد الفريان بلدا بما عرض له . فتوسّل الرهبان الى المفريان ان يرسله مطراناً فانكر عليهم الطلب فاستشاطوا غيظاً وقصدوا مصطفى آغا فأرسل كتاباً يهدّد المفريان ويكرهه على رسامته طبقاً لرغوب الرهبان فنصبه مطراناً للجزيرة وقال له وقت الرسامة « ان مصطفى آغا قد رسمك مطراناً » وبعد ذلك رسم اسحق ايضاً مطراناً لدير مار متى . واتّفق ان رجلاً قدم اذ ذاك من الملبار وعرض على المفريان بلدا ان يرسل الى السريان المقيمين فيها مطراناً خلفاً لعبد الجليل مطرانهم المتوفّى . فلبى المفريان طلبه وسار معه الى الهند يصحبه الرّبان هداية والرّبان جمعة واخوه جمعة . وساس السريان الذين فيها حتى وفاته

٩٣ ﴿باسيل جرجس الاوّل﴾ هو كوركيس الموصليّ مطران الجزيرة المذكور آنفاً أقامه البطريرك عبد المسيح مفرياناً سنة ١٦٨٣ على اثر رحيل المفريان بلدا الى الهند . وبعد اربعة اعوام كتب اليه الماردينيّون ليصير الى دير الزعفران ويتقلد البطريركيّة فبادر الى طورعبدين واستكتب البطريرك حبياً صكّاً فيه صرّح بتنازله عن البطريركيّة ثم استأنف السير الى دير الزعفران ونُصب بطريركاً في ٣٠ نيسان ١٦٨٧ بيد خلفه المفريان اسحق

٩٤ ﴿باسيل اسحق الثاني﴾ هو المطران اسحق الموصليّ رئيس دير مار متى المومأ اليه ارتقى الى المفريانيّة في ٢٣ نيسان ١٦٨٧ اعني قبل رسامة البطريرك جرجس بثمانية ايام . ثم عاد الى كرسيه . وسنة ١٦٩٤ استدعاهُ البطريرك وسيّره الى حلب ليسترجع كنيستها فاعترضهُ السيّد اغناطيوس بطرس شهبادين بطريرك السريان الكاثوليك (١٦٧٨—١٧٠٢) وصرفه عن مقصده فانزوى المفريان زماناً في دار احد اصحابه حتى اخترت عزيمته على الشخوص الى العاصمة حيث استحصل فرماناً بعزل البطريرك بطرس وانقلب الى حلب سنة ١٦٩٥ وقبض على المفريان اسحق بن جُبير[1] وعلى خمسة من الاكليرس وألقاهم في السجن فرشوا صاحب حلب فأفرج عنهم

---

١) هو المفريان الوحيد الذي نُصب للسريان الكاثوليك بعد انضمامهم الى الكنيسة الرومانيّة وقد نشرنا اخباره على صفحات هذه المجلّة (١١ [١٩٠٨]: ٢٨٦) راجع السلاسل التاريخيّة لجناب الفيكونت فيليب دي طرّازي ص ١٢٠

وأطلق سراحهم فغادروا حلب وتفرقوا في البلاد. امّا المفريان اسحق عازر فاستحلّ كنيسة حلب وباع اوانيها وأمتعتها بمبالغ طائلة دفعها كلّها رشوة لارباب الحكومة. وكان السيد بطرس بطريرك السريان الكاثوليك انطلق الى العاصمة واستحصل امراً باسترجاع الكنيسة الحلبيّة بساعي سفير الدولة الافرنسيّة. لكن المفريان اسحق عازر انقلب ثانية الى الاستانة وفاز بامر شاهانيّ يقضي بنفي البطريرك بطرس وأصحابه الى قلعة آطنة والاستيلاء على الكنيسة تكراراً. وكانت الفتن والمشاجرات يومئذٍ قائمة على قدم وساق في طور عبدين حتى ان الاساقفة عقدوا مجمعاً ورسموا مفريانًا اسمه عازر وهذا عازر بعد ان رسم بطريركين معاً وهما دنحا وبهنام فرّ الى اصبهان ثم عاد الى دير الزعفران وأدّى الخضوع والطاعة لجرجس بطريركه. امّا المفريان اسحق فلبث في منصبه حتى ٨ شباط ١٧٠٩ ثم صار بطريركاً († ١٧٢٤)

٩٥ ﴿باسيل متى الثاني﴾ هو شقيق البطريرك اسحق الثاني رسمه اخوه مفريانًا على أثر ارتقائه الى الكرسيّ البطريركيّ سنة ١٧٠٩ وهذا متى كان يبغض الشماس ايليا بن الكزير السرياني الكاثوليكيّ بغضاً شديداً أفضى به الى رفع الدعوى عليه الى حاكم ماردين ودفع له مبلغاً جسيماً على ان يفتك به غيلة لكن الله سبحانه أنقذه من دعائه. وقد نشرت هذه المجلّة اخبار ايليا المذكور وارتداده الى الكثلكة على يد ملكون طاز باز (المشرق ١٢[١٩٠٩]: ٥٩١ الخ). وكان في عهد هذا المفريان مفريانٌ ثانٍ اسمه شمعون كما ورد في تاريخ كتاب نافور خاصّة بيعة الشهيدة شموني بماردين هذا تعريبهُ. نسخ هذا الكتاب شمعون مفريان طور عبدين سنة ١٧٢١ في عهد البطريرك اسحق الموصليّ والمفريان باسيل متى. ومن ذلك يُستنتج ان البطريرك اسحق رسم اخاه متى مفريانًا للموصل وشمعون الطوراني مفريانًا لطور عبدين

٩٦ ﴿باسيل شمعون الثالث﴾ هو المفريان شمعون الطورانيّ نُصب مفريانًا لطور عبدين سنة ١٧٢٠ وصنّف تسعة كتب اوردنا اسماءها على صفحات هذه المجلة (سنة ١٩٢٣ صفحة ١٦٣). وهو الذي زار يوماً السيد ملكون طازباز مطران الارمن الكاثوليك بماردين وعلق يجادله في مسائل الدين بحضور الشماس ايليا بن الكزير الماردينيّ فانتهره الشماس وزجرهُ وعنّفه على كلامه البذيّ واعتراضاته السفسطيّة

فخرج المفريان ساخطاً عليهِ ورافعه الى البطريرك . فأذاقه اعذبةً فادحة وخسَّره مبالغ باهظة أفضت بهِ الى النزوح عن وطنه والفرار الى رومية (١ امَّا المفريان فاقام زماناً في طور عبدين وقُتل يوم الجمعة العظيمة سنة ١٧٤٣ قتله عبد ال آغا الكرديّ لانه لم يجازهِ في امانيهِ المغايرة للشرع

وفي آب ١٧٤٣ حصر نادر باشا بغداد وكركوك واربيل واستحلها ونهب جزيرة ابن عُمر وفتك بمن فيها من النصارى . وشدَّد الحصار تسعة ايام على الموصل فامتنعت عليهِ فانكشف عنها خازياً . على ان النصارى استنجدوا العذراء مريم اثناء الحصار وسألوها النجاة فتراءت لهم وبشَّرتهم بالخلاص . فأمر الحاج حسين باشا حاكم البلد ان يشيد كلّ من السريان والنساطرة كنيسة على اسمها المبارك اقراراً بفضلها فاصاخوا لهُ وابتنى كلّ فريق كنيسة عُرفت بكنيسة الطاهرة حتى اليوم (٢

٩٧ ﴿ باسيل شكرالله الثاني ﴾ كان مطراناً على حلب ونُفي الى جزيرة ارواد سنة ١٧٢٠ مع ابرهيم مطران الارمن ولمَّا عاد الى ماردين نصبه البطريرك اسحق مفريانًا مع ان المفريان شمعون كان بعدُ حيًّا يُرزق . ثم ولَّاه البطريركيَّة في ٢٠ تموز ١٧٢٢ ويُروى ان المفريان شمعون الطورانيّ عينه رسمه بطريركاً بيده سنة ١٧٢٣

٩٨ ﴿باسيل شكرالله الثالث﴾ نُصب مفريانًا سنة ١٧٤٦ بوضع يد البطريرك جرجس الثالث (١٧٤٥—١٧٦٨) وأوفده سنة ١٧٤٩ الى الملبار في زمرة من الاكليرس . غير ان السيد اغناطيوس ميخائيل جروه بطريرك السريان الكاثوليك ذكر في مجادلته الاب فرنسيس رئيس اليسوعية بحلب ما نصُّه «ان ملّي المفريان شكرالله رسول الهند سنة ١٧٥٧ سبقني في مثل هذه المجادلة عينها مع الاب بطرس فروماج اليسوعيّ» . ولمَّا وصل المفريان الى الهند حاول ان يبدّل في قانون الايمان عبارة « كما هو مكتوب » بعبارة « كما شاء » طبقاً لاستعمال السريان النوفستيّين فلم يوافقه المباريّون في ذلك . ثم عرض عليهم قبول مسائل اخرى اعتقاديَّة فتمنَّعوا ورفضوه فانقلب المفريان واصحابه الى ماردين خائبين بعد ما رسم لهم اساقفة وكهنة وشمامسة وابتنى لهم سنة ١٧٥٨ كنائس ومدرسة وتوفي سنة ١٧٦٠

١) اطلب المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٥٩٣—٥٩٤)

٢) اطلب تاريخ السيد ديونوسيوس افرام نقَّاشه مطران السريان بحلب ص ١٨١ ف ٢

٩٩ ﴿باسيل جرجس الثاني﴾ هو ابن الشماس موسى الموصلي صارت اليه المفريانيّة سنة ١٧٦٠ على ما ورد في كتاب «بوق السماء» الموجود في خزانة المكتبة البطريركية بناردين اليك تلخيصه : « كتاب بوق السماء وهو اربعون فصلاً ترجمه في مصر البادري يوسف الفرنساوي الكبوشي سنة ١٧١٧ . نجزت كتابته في ٥ ايلول ١٧٤٦ بيد المطران كوركيس الموصلي ابن الشماس موسى في دير الزعفران »

وجاء في آخر الكتاب ما ملخصه : « انا الحقير باسيليوس جرجس الجاثليق مفريان المشرق ودير الزعفران . لما كنتُ مطراناً نسخت كتاب بوق السماء . وسنة ١٧٦٠ ارتسمت مفريانًا للمشرق ... وبقيتُ في دير الزعفران وفوّضتُ الوكالة على دير مار متى الى ابن عمّي المطران رزق الله . وسنة ١٧٦٢ ذهبتُ الى الموصل ورمّمت دير مار متى وابتنيت له سورًا طوله خمسون ذراعاً وجدّدت بيعة العذراء وبنيتُ باب المذبح من حجر الحلان ورمّمتُ بيت القديسين (مدفن الاكليرس) والهيكل والاروقة وشيّدت سبع قلالٍ فصارت اثنتين وثلاثين قلّاية ثم ذهبتُ الى الموصل ومكثت فيها سنة وعدت الى دير الزعفران سنة ١٧٦٣

وظلّ المفريان جرجس حتى ١٧ آب ١٧٦٨ فنُصب بطريركاً وحلّت وفاته في ٢١ تموز ١٧٨١

١٠٠ ﴿باسيل صليبا الرابع﴾ هو الذي رسم المطران متى ثعلب بطريركاً دخيلاً في قلث سنة ١٧٨٢ على اثر رسامة البطريرك الشرعيّ السيد انطاطيوس ميخائيل جروه في دير الزعفران وكان صليبا مفريانًا في طورعبدين رسمه على ما يتبادر الى الظنّ البطريرك متى عينه قبل خطفه البطريركيّة بأيّام معدودة

١٠١ ﴿باسيل بشارة﴾ نصبه مفريانًا البطريرك متى (١٧٨٢-١٨١٧) وأوفده الى حلب سنة ١٧٩٠ صحبة مطرانين وشمّاسين ليستنزف الاموال من السريان الكاثوليك وغير الكاثوليك ويدفعها رشوة للحكام والمأمورين الذين ساعدوه في رسامته غير القانونيّة . فكتب اليه الحلبيّون يقولون : « نرغب ان لا تطالبونا بما يفوق طاقتنا مع علمكم بانه لم يعد لكم حقّ علينا لاننا خارجون عن حوزتكم ومخالفون لمعتقدكم » . فخرج المفريان بشارة من حلب مأيوساً وقصد دمشق صحبة أعوانه وسارع الى راشيّا مجرّدًا سخطه على سريانها الذين اعتنقوا الايمان الكاثوليكيّ سنة

١٧٨٧ بساعي البطريرك ميخائيل جزوه المغبوط (١ فألقى القبض على وجهاء الطائفة وحبسهم وغرّمهم اموالاً جزيلة وضبط أرزاقهم وضيّق عليهم جداً حتى اضطرّ بعضهم الى الرجوع الى المتوفستية وانهزم بعضهم الى البلاد القريبة . ولم يكتفِ المفريان بذلك بل أدّى رشوةً كبيرة لحاكم القرية فقوّض الكنيسة وانقلب مع اصحابه الى حلب فماردين

وسنة ١٧٩٨ توجّه المفريان والبطريرك معاً الى الموصل وطردوا السريان الكاثوليك من كنائسهم واستولوا عليها . غير انّ المفريان بشارة انتقض على البطريرك متى وجاهر بالعصيان عليه لانه رسم في ٧ تشرين الاوّل ١٨٠٣ مفرياناً ثانياً يُقال له يونان واستحدث المطران بهنام الموصليّ سنة ١٨٠٩ ورسمه بطريركاً سنة ١٨١٠ . ولمّا قُتل هذا البطريرك في دير شمشم اوفد البطريرك متى في طلب المفريان يونان ونصبهُ بطريركاً في ٦ آب ١٨١٨ وظلّ المفريان بشارة حاقداً على البطريرك لسوء تصرّفه واستبداده . وقد ورد في مخطوط نُسخ سنة ١٨١١ ان السريان كان يرأسهم وقتئذٍ ثلاثة مفارنة وهم المفريان بشارة والمفريان يونان والمفريان قرلّس عبد العزيز

وقد قرأنا في كتاب الانجيل المنسوخ في حبسناس سنة ١٨١٤ وفي كتاب الصلوات الفرضيّة في باقسيان ان السريان المنفصلين كان يرأسهم في تلك الاثناء اربعة بطاركة وهم : متى وآحا واشعيا ويوسف . وتوفي المفريان بشارة قبل سنة ١٨١٩

١٠٢ ﴿باسيل متى الثالث﴾ هو المعروف بابن هندوش البنّاء وُلد في الموصل ونُصب مفرياناً في نحو سنة ١٨٢٠ بوضع يد البطريرك جرجس السيّار (١٨١٩—١٨٣٦) ولمّا صار الى الموصل رفضه الاهالي ورذلوه ورافعوه الى الحاكم واضطرّوه ان يلقيه في السجن فاجاب الى طلبهم ثم فكّه ونفاه الى ماردين يخفره جملة من الجند فساقوه الى دير الزعفران موثقاً وسلّموه الى بطريركه ولبث في خدمته حتى اخترمتهُ المنيّة

١٠٣ ﴿باسيل الياس الثاني﴾ هو ابن هندي كرمه الموصلي ترهّب في دير مار متى وترأس على دير مار بهنام وفاز برضا جميع المواصلة فأوفدوه الى ماردين ليرسمه البطريرك خلفاً للمفريان متى في نواحي سنة ١٨٢٥ . وقبل مغادرته دير مار بهنام أخفى

(١ عن رسالتهِ الموجّهة الى الدوكيتّا دي ويلا هرموزا المسطّرة في ١٢ آب ١٧٩٠

الامتعة والكتب وتوجّه الى دير الزعفران فنصبه البطريرك مفريانًا وردّه الى الموصل فقصد من نوره برطلّي في ثلاثين رجلًا مدجّجين بالاسلحة وفي خمسة عشر بغلًا ثم انقلبوا الى قرقوش واستصحبوا نخبة من شبانها وتوجّهوا الى دير مار بهنام فاستخرج المفريان الكتب والآنية الثمينة وحملها على البغال ومضى بها الى الموصل

وكان المفريان الياس كرمه يجامل السريان الكاثوليك ويسايرهم فشقّ ذلك على غير واحد من ملّته فراسلوا البطريرك في الامر فأوفد اليهم المطران الياس مزاوج المعروف بعنكز ووعده بالمفريانيّة على ان يجمع لهُ المال من طائفته ومن السريان الكاثوليك ايضاً . فارتحل المطران الى الموصل وبلغ المفريان الياس كرمه أمر البطريرك بعزله واخذ يستنزف الاموال من كلتا الطائفتين ولمّا استزاد السريانَ الكاثوليك حاكموه الى الوالي واستحصلوا الامر بنفيهِ بمساعي القس يوسف قندي . فخرج المطران عنكز من الموصل مخفورًا بالجنود يوم خميس الفصح . ولمّا وصل الى دير الزعفران بلّغ البطريرك ما عرض لهُ وسلّمهُ ما قبض من الدراهم . وما عتّم ان قلّده المفريانيّة قياماً بوعده . فسخط المفريان الياس كرمه على بطريركه وجاهر بالكثلكة فابتدر المفريان الياس عنكز الى الموصل وارسل قوماً من جماعته الى دار المفريان خصمهِ تحت الليل وهم حاملون المشاعل وطفقوا يضجّون ويعجّون حتى اضطرّوا المفريان كرمه ان يرجع الى كنيستهِ بالترغيب تارةً وطورًا بالترهيب

ولما فاز المفريان عنكز بأربهِ قصد بغداد ليرفع الشكوى على السريان الكاثوليك في الموصل وماردين ويسترجع كنائسهم فسبقه اليها الاسقف بشارة وحاكمهُ عند الوزير وتغلّب عليهِ وعاد الى الموصل ظافرًا . امّا المفريان عنكز فلمّا حبطت مساعيهِ رجع الى ماردين كاظماً غيظه وجعل يفتكر في التنكيل بخصومه فسجن سنة ١٨٢٨ القس ايليا نحيت والخواجا جبرائيل نوري وغرّمهما ستمائة غرش دفعاها وأفلتا . وفي ١٨ حزيران من السنة عينها ضبط كنيسة الشهيدة شموني وطرد منها السريان الكاثوليك وقبض على المطران انطون سمحيري وعلى المطران عيسى محفوظ واعتقلهما في سجن القلعة

ولم يفتر المفريان عنكز من معاداة السريان الكاثوليك حتى اذا كانت سنة ١٨٣١ تجهّز لمعاكسة عبد المسيح مطران ديار بكر الذي تحفّز لخطف البطريركية

فانقضّ عليهِ المفريان عنكز والمطران جبرائيل ليردعاه عن نيّتهِ. غير ان الوالي قبض عليهما واعتقلهما فدفع لهُ المفريان اثني عشر كيساً ونجا بنفسهِ وانهزم الى قرية معصرتا بماردين فلحق به البطريرك جرجس ايضاً . وفي ٦ تشرين الثاني ١٨٣٢ حُبس المفريان عنكز مدّة ثلاثة أيام حبسه حاكم ماردين واستوفى منه عشرة اكياس وأطلقه فانهزم الى الموصل في ايلول ١٨٣٤

اما المفريان الياس كرمه فحلّت وفاته سنة ١٨٣٧

١٠٤ ﴿باسيل الياس الثاني﴾ هو المفريان الياس عنكز الموصليّ المذكور آنفاً ويُعرف بابن النحّات وابن هندي . سمّاه البطريرك جرجس السيّار مفريانًا يوم انفذه الى الموصل ليثأر من سالفه المفريان الياس كرمه سنة ١٨٢٧ تقريباً . ولبث في المفريانيّة حتى سنة ١٨٣٩ فصار بطريركاً باسم الياس الثاني (١٨٣٩—١٨٤٧)

١٠٥ ﴿باسيل حادبشابا﴾ وُلد في أنحل قرية بطورعبدين جنوبي غربي مذيات وهو الذي وضع يده على المفريان الياس عنكز يوم ارتقائه الى الكرسي البطريركي . والظاهر ان احد بطاركة طورعبدين رسمه مفريانًا ولم نقف على سنة رسامتهِ ووفاتهِ

١٠٦ ﴿باسيل بهنام الثالث﴾ هو بهنام بن فيّوقه الموصليّ خدم السريان زمانًا في الرها ثم صارت اليه المفريانيّة سنة ١٨٣٩ بوضع يد البطريرك الياس عنكز واستصحبه في تلك السنة الى الاستانة ليجدّد الدعوى على كنائس السريان الكاثوليك في الموصل ولما توجّه المفريان بهنام الى ابرشيتهِ طفق يساير الجميع ويجاملهم بل كان ينصح لشعبهِ كي يُحسنوا معاملة السريان الكاثوليك ويكفّوا عن إلحاق الاذى بهم . ومن قولهِ المشهور لهم : «ها هوذا كتبكم تؤيّد حقانيّة المعتقد الكاثوليكيّ فاسلكوا بموجبها والّا فاحرقوها» . ولما اراد المفريان ان يلغي بعض اعيادٍ وعوائد قديمة ضغن عليهِ قوم من ملّته وسعوا بنفيهِ الى العمادية فاقام فيها خمسة شهور ثم أُفرج عنهُ وعاد الى الموصل . واتّفق مع وجوه جماعته فكتبوا الى مستر صوتكيت القسّيس الانكليزيّ في الاستانة يطلبون منه مساعدة لافتتاح مدارس الملّة اليعقوبيّة في الموصل (١ . غير ان البطريرك يعقوب والجماعة معاً ظلّوا يعادون المفريان ويحتقرونه . وقد كتب في هذا الصدد رسالة طويلة الى سريان الرها بتاريخ ٢٩ حزيران ١٨٥٨

١) عن مخطوطات مكتبة برلين عدد ٣٣٢ ص ٩٠٢

فيها يتظلم مما لحقه من الضرر والعذاب ويشكو من استبداد البطاركة وعتوهم الى ان قال ما حرفه: «كل ذلك يحدث من ظلم وجور البطاركة المتعرضين . . . فيا ليتهم غيّروا مبادئهم وتمسكوا بالمحبة . . فكنا نتجو من معاملة هذا البطريرك (يعقوب ١٨٤٧—١٨٧١) الذي منذ جلوسه على كرسي البطريركية حتى الآن لا اظن ان احداً احتمل ما احتملناه نحن منه . . . ولو أردت ان اسرد معاملاته واحدة فواحدة لطال بي الشرح. والعارف يكفيه ان يدرك ذلك من حرمه أياي حرماً ساقه الى إبرامه التعرض والزور» . . . وبناء على ما تقدم لبث المفريان بهنام محروماً من يعقوب بطريركه حتى وفاته سنة ١٨٥٩ وهو آخر المفارنة وخاتمتهم. ومنذ ذاك أُلغيت المفريانية عند السريان بعد ما استغرقت الفاً وثلاثمائة سنة بدؤها سنة ٥٥٩ وآخرها سنة ١٨٥٩

على انه لما تولى البطريركية يعقوب الثاني (١٨٤٧—١٨٧١) نصب القس جرجس ابن القس عبد النور مطراناً للموصل فرفضه الاهالي بتاتاً. فرسم لهم مطرانين آخرين وهما بهنام بن عبدالله السمرجي للموصل والياس قدسو لدير مار متى

ولم يستحب البطريرك يعقوب وخلفاؤه الاربعة وهم البطاركة بطرس (†١٨٩٤) وعبد المسيح (†١٩١٤) وعبد الله (†١٩١٦) والياس ١٩١٧ ان يرسموا مفرياناً للمشرق حرصاً على توحيد الرئاسة وتفادياً من المنازعات والخصومات فضلاً عن انتقاص عدد السريان في جميع بلاد المشرق لداعي الحروب والاضطهادات التي أثارها الترك خصوصاً على النصارى في تتالي الاعصار والاعوام

ومما سبق ترى ما صارت عليه احوال السريان اليعاقبة . فان ضروب المنازعات بين البطاركة والمفارين مدة عدة اجيال بلغت الى حد جعلتهم اضحوكة لدى الناس ومعظمهم لا يبلغ الى البطريركية والمفريانية الا بدفع الدراهم والسيمونيا وبتذللهم للولاة المسلمين ولاصحاب النفوذ من جماعتهم فضلاً عن تقلبهم في الايمان مع كل ريح. فيا ليتهم ينتبهون لسوء حالهم فيرجعوا الى حظيرة الايمان البطرسي التي وحدها تعطيهم راحة النفس والسلام . حقق الله قريباً هذه الاماني (تمّ)

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

٧ نابغة بني شيبان (تتمّة)

ومن جيّد شعر النابغة لاميّتهُ التي مدح فيها يزيد اوّلها (من الخفيف) :

أذِنَ البومُ جيرتي بارتحالِ وبيَنٍ مودّعٍ وارتجالِ

وهي طويلة ومن حكمها قولهُ :

يا بُنَيَّ أستمعْ فذا وعظُ شيخٍ عَجَمَ الدهرَ في السِّنينَ الطوالِ
كلُّ عيشٍ ولذّةٍ ونعيمٍ وحياةٍ تُودي كفَيْءِ الظِلالِ
كفَّني الحلمُ والمشيبُ وعقلي ونهى الله عن سبيلِ الضلالِ
وأرى الفَقْرَ والغنى بيد الله م وحَتْفَ النفوسِ في الآجالِ
ليس ماءٌ يَرْوَى بهِ مُتَفَوِّدٌ واتِنًا لا يَغُورُ كالأوشالِ
قد يغيضُ الفتى كما يَنْقُصُ البَدْ رُ وكلٌّ يصيرُ كالمُنْحالِ
فَمُحاقٌ هذا وهذا كبيرٌ بعد ما كان ناشئاً كالهلالِ
ليس يُغني عنهُ النسيجُ ولا البَرْ جُ ولا مُشْفقٌ كريمُ الفعالِ
ليس حيٌّ يبقى وان بلغ الكِبْر م دَ إلّا مَصيرُهُ للزّوالِ
إن تَمُتْ أنفسُ الانام فانَّ م اللهَ يبقى وصالحَ الاعمالِ
كلُّ ساعٍ يسعى ليُدرك شيئاً سوف يأتي بسَعْيهِ ذا الجَلالِ

فهمْ بين فائزٍ نال خيرًا وشقيٍ اصابَهُ بنكالِ
انَّ مَنْ يركبُ الفواحش سرًّا حين يخلو بسرّهِ غيرُ خالِ
كيف يَخلو وعندهُ كاتباهُ شاهداهُ وربُّهُ ذو المحالِ (١
فاتّقِ اللهَ ما استطعتَ وأحسِنْ انَّ تقوى الإلهِ خيرُ الخِلالِ

ومنها في مديح يزيد بن عبدالملك الخليفة :

تبتغي من يزيدَ فضلَ يديهِ اريحيًّا فَرْعًا سمينَ الفَعالِ
حَكَمًا بين الأعاصي وحربٍ (٢ أبطحيَّ الأعمام والاخوالِ
امُّهُ مَلْكةٌ تمتّها ملوكٌ وهي اهل الإكرام والإجلالِ
تلك امٌّ كسَتْ يزيدَ بهاءً او جمالًا يَبُدُّ كلَّ جمالِ
وابوهُ عبدُ المليك نماهُ زادَ طَوْلًا على الملوك الطِوالِ
فهو مَلْكٌ تمتّهُ ايضًا ملوكٌ خيرُ من يَحتذي رِقاقَ النعالِ
حالفَ المجد عَبْشميًّا إماماً حلَّ دارًا بها تكونُ المَعالي
أُعطِيَ الحِلْمَ والعَفافَ معَ الجو دِ ورأيًا يفوقُ رأيَ الرجالِ
وحباهُ المليكُ تقوًى وبرًّا وهو من سُوسِ ناسكٍ وفِحالِ
يقطعُ الليلَ آهةً وانتحابًا وابتهالًا لله ايَّ ابتهالِ
تارةً راكعًا وطورًا سجودًا ذا دموعٍ تَنهَلُّ ايَّ انهلالِ
عادلٌ مُقسِطٌ وميزانُ حقٍّ لم يَحِفْ في قضائهِ للموالي

١) ذو المحال اي شديد العقوبة . ويروى : ذو الجلال . وأراد بالكاتبين ملاكين صالح يطالع يراقبان الانسان لتدوين اعماله الحسنة والسيئة وهما تاكر ونكير ٢) م اجداد بني امية

مُوفياً بالعهودِ من خَشيةِ الله م ومن يُعفِهِ يَكُنْ غيرَ قالِ
مُحسنٌ مُجمِلٌ تقيٌّ قويٌّ وهو اهلُ الاحسانِ والإجمالِ
وهو إن يَعفُهُ فِئامٌ شعوبٌ يبتدي المُعتفين قبل السؤالِ
ويَذُدْ عنهمُ الخَلالةَ منهُ بسِجالٍ تَغدو أمامَ سجالِ

وقال في الخليفة عمر بن عبد العزيز (من الخفيف) :

نحو عبدِ العزيزِ ما تَطعَمُ النَّو مَ ومنها بعد الرَّواح البُكورُ
وهُوَ الثالثُ الخليفةُ لله م امامٌ للمؤمنين امير
ان ارادوا التُّقى بهِ فتَقيٌّ او ارادوا عدلاً فليس يجورُ
ولدتْهُ الملوكُ مَلكاً هُماماً فهو بدرٌ غمَّ النجومَ مُنيرُ
حَكَمياً يُراحُ للمجدِ فَرْعاً موفياً بالعُهود حين يُجيرُ
معشرٌ مَعدِنُ الخلافةِ فيهم بدؤها منهمُ وفيهم تَحُورُ
لا يرومنَّ مُلكَهم آدميٌّ انَّ من رامَ ملكَهم مغرورُ
إبنَ أمِّ البنين انت فتى النا سِ وانتَ الموفَّقُ المأجورُ

ومن مديحهِ للخليفة الوليد (من الكامل) :

تنوي وتنتجعُ الوليدَ خليفةً يُغنى بذلك جُهدُها وجَمامُها
ملكٌ اغرُّ نما لملكٍ كفُّهُ خيرُ العطاء بدورُها وسَوامُها
تَندى اذا بَخلَ الاكفُّ ولا تُرى تعلو براجمَ كفِّهِ إبهامُها
وهو الذي يُمسي ويُصبحُ مُحسناً شتَّى لهُ نِعَمٌ جَدًّا إتمامُها

واذا قريشٌ سابَقَتْك سبقْتها بقديم أولاها وانت قِوامُها
واذا قناة المجدِ حاوَلَ اخذَها فبطولِ بَسْطتهِ يُبَدُّ جِسامُها
انت الذي بعد الاِله هديتَها ان خاطَرَتْكَ بالقداحِ قوامُها
فورثتَ قائدها وفُزْت بقِدْحها وخصمتَ لُدًّا لم تَهُلْكَ خصامُها

قد سبق ما رويناهُ عن ابي الفرج الاصفهاني في نصرانيّة النابغة الشيباني على انَّ في ديوانهِ قصيدةً تدلُّ على انهُ ارتدَّ للاسلام وذلك في قصيدة فائيَّة قالها في مديح الوليد. ومن المحتمل ان الوليد جذبهُ بالوعد او بالوعيد الى جحود دينهِ ولنا في تاريخهِ ما يُثبت تشدُّدهُ على النصارى والله اعلم. وهذه بعض ابيات تلك القصيدة (من البسيط) :

انَّ الوليدَ اميرَ المؤمنين لهُ حقٌّ من الله تفضيلٌ وتشريفُ
خليفةٌ لم يَزَل يجري على مَهَلٍ اغرُّ تَنمي بهِ البِيضُ الغطاريفُ
لا يُخمِدُ الحربَ إلّا رَيْثَ يوقدُها في كلِّ فجٍّ لهُ خيلٌ مَسانيفُ
يحوي سبيًا فيُعطيها ويقسمها ومن عطيَّتهِ الجُرْدُ السراعيفُ
اخزى طَرَنْدَةَ منهُ وابلٌ بَرَدٌ وعسكرٌ لم تَفُزْهُ الغزْلُ الجُوفُ(١
مازالُ مسلمةُ(٢ الميمونُ يَحْصُرها وركنُها بثقال الصخرِ مقذوفُ
وقد احاطت بها ابطالُ ذي لَجَبٍ كما أحاط برأسِ النَّخلة الليفُ
حتَّى علَوْا سُورَها من كلِّ ناحيةٍ وحانَ مَنْ كان فيها وهو ملهوفُ
فاهلها بين مقتولٍ ومُنتَلَبٍ ومنها موثَقٌ في القِدِّ مكتوفُ

١) قال في الديوان : « طَرَنْد ملك الروم » والصواب ان طرندة مدينة كانت على ثلث مراحل من مَلَطية. والجُوف جمع أجوف وهو من لا عقل لهُ ٢) هو مسلمة بن عبدالملك

يا أيها الاجدعُ الباكي لمسلكهم هل بأسُ ربّك عن مَن نام مصروفُ
تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحيةً والله يعلمُ ما تخفي الشراسيفُ
قلّعتَ بيعتهم عن جوفِ مسجدنا فصخرُها عن جديدِ الارضِ منسوفُ(١
كانت اذا قام اهلُ الدين فابتهلوا باتت تجاوبنا فيها الأساقيفُ
فاليوم فيهِ صلاةُ الحقّ ظاهرةٌ وصادقٌ من كتاب الله معروفُ

وختمها بقولهِ :

تمّت قصيدة حقٍّ غير ذي كذبٍ في حُوكها من كلام الشعر تأليفُ

ومما قالهُ في سيرهِ في انحاء الشام (من الوافر) :

أرِقتُ وصاحِبيَّ ببَعْلَبَكٍّ وأرّقني الهمومُ مع التشكّي

ومنها في رسوم الدار واطلالها :

وكم مِن دونها من خَرْقِ تيهٍ ومن رَمْلٍ ومن جبَلٍ ودَكِّ
غَشيتُ لها رسوماً دارساتٍ بأسفَلَ أعلَمٍ من دون أرْكِ
تُغيّرها الرياحُ وكلُّ غيثٍ لهُ حَبَكٌ رُواءٌ بعدَ حَبْكِ
وقفتُ بها ودمعُ العين يجري تحادُرَ لؤلؤٍ من وَهْيِ سِلْكِ
ومن يَسَلِ الرسومَ فلا تُجِبْهُ يَحِنَّ كما حننتُ بها ويبكي

ومن حِكَمِهِ ايضاً ما ورد في اوّل قصيدة ديوانه التي بدؤها (من الطويل) :

---

١) يشير الى ما فعلهُ الوليد اذ إغتصب نصارى دمشق على كنيستهم الكبرى فحوّلها جامعاً (الجامع الاموي)

أرِقتُ وشرُّ الداء همٌّ مؤرِّقُ كأني اسيرٌ جانبَ النومَ مُوثَقُ

وفيها يقول ويؤخذ منهُ انَّ نابغة بني شيبان هو المدعو بالنابغة البكريّ :

وقال العدوُّ والصديقُ كِلاهما لنابغةَ البكريّ شعرٌ مُصدَّقُ
فأحكَمُ ألبابِ الرجالِ ذوو التُّقى وكلُّ امرئٍ لا يتَّقي اللهَ احمقُ
وللناسِ أهواءٌ وشتَّى هُمومُهم تُجمِّعُ احياناً وحيناً تُفرِّقُ
وزرعٌ وكلُّ الزرعِ يُشبِهُ أصلَهُ همُ وُلدوا شتَّى مَليسٌ ومُحمَقُ
فذو الصوتِ لا يجني عليهِ لسانُهُ وذو الحِلم مَهديٌّ وذو الجَهلِ أخرَقُ
ولستُ وان سُرَّ الاعالي بهالكٍ وليس يُنجّيني من الموتِ مُشفِقُ

ومن قولهِ في بلايا الدهر (من الطويل) :

ما الناسُ الّا في رِماقٍ وصالحٍ وما الدهرُ الّا خِلفةٌ ودُهورُ
مَراتبُ إمّا البؤسُ منها فزائلٌ وكلُّ نعيمٍ في الحياةِ غُرورُ
فذو الشرِّ لا يبقى ولا الخيرُ دائمٌ وكلُّ زمانٍ بالرجال عَثُورُ
متى يَختلفْ يومٌ عليك وليلةٌ يَلِحْ منهما في عارضَيْكَ قَتيرُ
جديدانِ يُبلَى فيهما كلُّ صالحٍ حَثيثانِ هذا رائحٌ وبَكُورُ
وأعلمُ أنْ لا شيء يبقى مؤمَّلاً خلا أنَّ وجه اللهِ ليس يبورُ
وكلُّ امرئٍ ان صحَّ او طالَ عمرُهُ الى ميتةٍ لا بُدَّ سوف يصيرُ
يؤمِّلُ في الايّام ما ليس مُدركاً وليس لهُ من ان يَنالَ خَفيرُ
وكائِنْ تَرى من كاملِ العقلِ يُزدرَى ومن ناقصِ المعقولِ وهو جَوِيرُ(١

١) رواهُ في حماسة البحتري (ع ٦٨٦) : وهو طريرُ

ومنهم قصيرٌ رامَ مجدًا فنالَهُ وآخرُ هَيْقٌ في الحِفاظِ قصيرُ
ومن طالبٍ حقًّا بغَمْشٍ يفوتُهُ ويُدركُهُ بالحقِّ وهو ستيرُ

ومن اقوالهِ ايضاً في الدهر وحدثانهِ (من البسيط) :

كم من مؤمّلٍ شيءٍ ليس يُدرِكُهُ والمرءُ يُزري بهِ في دهرهِ الأَمَلُ
يرجو الثراءَ ويرجو الخُلْدَ مجتهدًا(١ ودونَ ما يُرتجى الاقدارُ والأَجَلُ
والدهرُ يُبلي الفتى حتى يُغيّرَهُ كما تغيَّر بعد الجِدَّةِ السَّمَلُ
كلُّ المصائبِ انْ جلَّت وان عَظُمت الّا المصيبةَ في دينِ الفتى جَلَلُ

ومنها في مدح مسلمة بن عبد الملك بن مروان :

يَنوونَ مُسلمةَ الفيّاضَ نائلُهُ وكَعْبُهُ في يَفاعِ المجد معتدِلُ
صُلْبُ القناةِ رباً والحزمُ شيمَتُهُ فليسَ في امرهِ وَهْنٌ ولا هَزَلُ
قضاؤهُ مستقيمٌ غيرُ ذي عِوَجٍ فليس في حكمهِ حَيْفٌ ولا مَيَلُ
القائلُ الفَصْلُ والميمونُ طائرُهُ فليس في قولهِ هَذْرٌ ولا خَطَلُ
لا ينقُضُ الامرَ إلّا ريثَ يُبرِمُهُ وليس يَثْنيهِ عن أمرِ التُّقى كَسَلُ
انَّ الذين بهم يرمون صخرتَهُ لن يبلغوهُ وان عزُّوا وان كَمَلوا
لن يُدرِكوكَ ولم يأحُكْكَ سُوءُهمُ حتى يُولِّجَ سُمَّ الابرةِ الجملُ(٢

ومن قصائدهِ المستحسنة فائيّتهُ التي اوّلها (من البسيط) :

---

١) كذا روى البحتريّ في حماستهِ (ع ١٦٦) وفي الديوان : ذو امل
٢) هو تشبيهٌ مستعار من الانجيل

بانَ السَّفاءُ(١) وأودى الجهلُ والسَّرَفُ ... وفي التُّقى بعد إفراط الفتى خَلَفُ
وقد كساني شيباً قد غنيتُ به ... مرُّ الليالي مع الأيام تختلفُ
قالت ليَ النفسُ سرًّا اذ خلوتُ بها ... والنفسُ صادقةٌ لو انَّها تَقِفُ
انَّ الشبابَ جنونٌ شَرْخُ باطلهِ ... يقيمُ غضًّا زماناً ثمَّ ينكشفُ
ذَرِ الشبابَ فلا تتبع لذاذَتَهُ ... انَّ الذي يتبعُ اللذاتِ مُقترِفُ
من يَعْلُهُ الشيبُ لم يُحدِثْ لهُ عِظَةً ... فذاكَ من سُوسهِ الإفراطُ والعَنَفُ
فلا تَهابنَّ أسفارًا وإن بَعُدَتْ ... إن هابها عاجزٌ في عُودهِ قَصَفُ
قد يَرجعُ المرءُ لا تُرجَى سلامتُهُ ... وقد يُصيب طويلَ القِعْدَةِ التَّلَفُ

ومما يروى لنابغة بني شيبان عبدالله بن مخارق (في حماسة البحتري ع ١٢٧٦) ولم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في سكوتهِ عن جواب الجاهل (من الطويل) :

سأمنعُ نفسي رَفْدَ كلِّ بخيلٍ ... وأحبِسُ نُطقي عن جوابِ جَهولِ
فانَّ الجَهولَ لا يَرُدُّ كلامُهُ ... وليس سبيلُ الجاهلين سَبيلي

وروى لهُ ايضاً البحتري (ع ٢٥٣ و ٨١١) يوصي بمؤاخاة الصالحين والابتعاد عن ذوي النميمة (من الوافر) :

عليكَ بكلِّ ذي حسَبٍ ودينٍ ... فانَّهمُ همُ اهلُ الوفاءِ
وإنْ خُيِّرتَ بينهمُ فَلاصِقْ ... باهلِ العقلِ منهمُ والحَياءِ
فانَّ العقلَ ليس لهُ اذا ما ... تفاضَلَتِ الفضائلُ من كِفاءِ
ولا تَثِقَنَّ بالنمَّامِ فيما ... حَباكَ من النصيحةِ في الخَلاءِ

(١) قال الانباري في الاضداد (ص ٦٥٩) : السَّفاء الخفَّة والطيش ممدود

وأَيقِنْ أَنَّ ما أُفضِي اليهِ من الأَسرارِ مُنكشِفُ الغِطاءِ

وقال الدينوري في تاريخهِ المعنون بالاخبار الطوال (ed. Guirgas, p. 197): «كتب معاوية الى عليّ: انّما مَثَلي ومثل عثمان كما قال مخارق (من الطويل):

فمَهْلاً تَسَلْ عن نصريَ السَّيِّدَ لا تَجِدْ لدى الحربِ بيتَ السَّيِّدِ عندي مُذَمَّما

فكتب اليهِ عليّ: اني عارضٌ عليك ما عرض مُخارق على بني فالج قال (من الطويل):

يا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغَنْ بني فالجٍ حيثُ استقرَّ قرارُها
هَلُمُّوا الينا لا تكونوا كأنكمْ بَلاقعُ ارضٍ طارَ عنها غُبارُها
سَليمُ بنُ منصورٍ أناسٌ أعِزَّةٌ وأرضُهمُ ارضٌ كثيرٌ وَبارُها

وكذلك روى لهُ في اللسان في مادّة نمى (٢٠ : ٢١٨) قولهُ ممّا لا ذكر لهُ في ديوانهِ يصف ما في شعرهِ من الهجو الحادّ (من الوافر):

وقافيةٍ كأنَّ السُّمَّ فيها وليس سليمُها ابداً بنامي
صرفتُ بها لسانَ القوم عنكُم فخرَّتْ للسنابكِ والحوامي

(قال) النامي الناجي. وروى لهُ ياقوت في معجم البلدان (١ : ٧٤٢ و٣ : ٦١ وفي المشترك ص ٦٦) قولهُ (من البسيط):

أرى البَنانَةَ أقوَتْ بعدَ ساكِنِها فذا سُدَيْرٌ وأقوى منهمُ أُقُرُ

(قال) البنانة ارضٌ من بلاد غطفان. والبنانة ايضاً ماء لبني جَذيمة. والسُّدَيْر موضع في ديار غطفان وقيل قاع بين البصرة والكوفة. وأُقُرُ جبل

(لها بقية)

الريحانيَّات المُنتنة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

لكلّ داء دواء يُستطبُّ بهِ إلّا الحماقةَ أعيَتْ من يُداويها

نوطة

انتقدنا سابقاً في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٣٨٩- ٣٩٢ و ٧٠٣—٧١٠) الجزئين الاوَّلين من الريحانيَّات وها هوذا صاحب المطبعة العلميَّة يوسف افندي صادر قد عاد وجدَّد طبعها واضاف اليها جزءين آخرين فأعلن بفعلهِ هذا انهُ يشارك بأفكارهِ ذاك الكاتب المتهتك الذي يرشق بلسانهِ السليط دين اجدادهِ الموارنة ويشتم رئيس طائفتهِ الجليل ولا يحترم شيئاً من تعاليم الكنيسة ومعتقدات الاديان بل لا يكاد يمسُّ موضوعاً لخطابهِ إلّا ينفث فيهِ شيئاً من سمّهِ. وها نحن نبيّن ذلك في الاسطر التالية عن الجزءين اللذين صدرا جديداً ونقدم هذه النبذة الى ابوابهِ ليسهل على القرّاء الرجوع اليها

ولا نظنّ اننا بانتقادنا نُسيء الى صاحب الريحانيَّات وهو القائل عن احد منتقديهِ (٣ : ١٢٤) : « هو عندي من اعزّ الاصدقاء بل اعزُّهم غير مدافع لانه لا يجاملني ولا يداريني ولا يداهنني فلله درُّهُ من صديق يناقش غير عاذر ينبّه ويذكّر ويُنذر »

١ً ملحوظات عموميَّة

انَّ من يقرأ او يسمع شيئاً من كلام امين الريحاني يُصِبهُ شبه الدُّوار لكثرة ما يركّبهُ في الصفحة الواحدة من الافكار المتباينة المتناقضة لا يبالي بصحيحها او فاسدها بصدقها او كذبها فيتنقّل معهُ السامع دون ان يجد لهُ وقتاً ليسيغ غصَّتهُ ويهضم ذاك الطعام الثقيل ويتروّى في حسنه او سوئهِ فينخدع بأهوجةِ كاتبهِ وينبهر بزخرف عباراتهِ. وقد شبَّهنا كتابة الريحاني بدكّان خردجيّ ترى فيها خلطاً من الاثاث والآنية المموَّهة

العتيقة المزيّفة فلا يعلم الناظر ما يختاره منها وصاحبها يندفع في اطرائها والمبالغة في تسويتها

ومما يزيد القارئ انذهالاً ما يراه في كتابات الريحاني من الإشارات المتعددة الى تواريخ الامم واعمال الفلاسفة وتآليف كبار الرجال يتكلّم عنها كأنهُ قضى الحياة في درسها وتمعّن في مضامينها فيحكم كما يشاء في محتوياتها وليس هو في كلامهِ الّا كالببغاء يردّد ما قرأهُ في الجرائد السيّارة او كتب الروايات او اعداء الدين فيعتبر أحكامهم اعتبار الحكماء العقلاء فينغش بها ويغش سامعيهِ والمنتمين اليهِ

٢ الريحاني ووجود الله

يكرّر الريحاني في مقالاتهِ اسمهُ تعالى الّا انّ هذا الاله ليس هو إله النصارى ولا إله المسلمين ولا إله اليهود. ينكر عليهِ اخصّ صفات الله عزّ وجلّ كصفة الخالق بانحيازهِ الى الماديين والدروينيين. وصفة العناية اذ لا يرى في هذا العالم ما يتخيّلهُ من النظام. وصفة الوحي للانبياء وهو يعتبر كلّ الاديان اختراعات بشريّة تتكيّف على كيفيّات مختلفة حسب الامكنة والازمنة. فالبوذيّة والمجوسيّة كاليهوديّة والاسلام والنصرانيّة ليس في جميعها اثرٌ من وحي الخالق

لا بل ليس الاله الذي يذكرهُ الريحاني سوى مجموع المخلوقات فمذهبهُ اقرب الى مذهب الحلول والانتشار منهُ الى مذهب التوحيد. وفي كلامهِ ما يشعر بتألّهِ نفسهِ ففي الصفحة الاولى من الجزء الرابع يناجي الله عزّ وجلّ، بالفاظ ملتبسة من جملتها قول يجعلهُ على لسانهِ تعالى: «انّما انا مصدر الادراك البشري وسأزيدك ادراكاً بأنك جزء مني» فالريحاني اذن هو جزء من جوهرهِ تعالى. اطلب ايضاً ما نقلناهُ عنهُ في وصف الجرذان الذين شبّه بهم البشر لا يعرفون شيئاً من اصلهم وغايتهم فهم في هذا العالم كالجرذان في قبو مظلم تتوالد وتنمو ولا تدرك شيئاً من حالها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٣٨٩—٣٩٠) فاستحقّ بان يُدعى بالجرذون الكبير

٣ الريحاني والدين

قلنا في عدد سابق (ص ٤٧٨) انّ الريحاني مصاب بالكَلَب اللادينيّ يهيج

لكلّ اثر يراهُ من آثار الدين لا بل يتوهم وجود الدين حيث لا شيء ينبه الى الدين كما فعل في خطبه في بغداد ومصر ورحلة وفي جامعة بيروت الاميركيّة فتعرّض للاديان حيث لم يكن داعٍ لذلك. وقد افادنا بالجزء الثالث من ريحانيّاته عن سبب كفره (ص ٤٤) يقول انهُ دعا على ولد من رفقته بالموت فاستجاب الله دعوته. (قال): «وهكذا قد داخل الشكّ ايماني منذ حداثتي» والله اعلم بسبب موت الولد وعلى كلّ حال ان كانت دعوتهُ عليه هي التي عجّلت موتهُ فكان هذا اجدر بتثبيت ايمانه في وجود الله من الشكّ به اذ لولا وجود الله لما استمع دعوتهُ. فبئس صنيعهُ اذن لنبذه دينهُ كما قال (ص ٤٧): «امّا دين اجدادي فقد كان في جيب قباني الذي خلعتهُ يوم ركبت البحر مرتحلاً» (كذا)

ولم يكتفِ الريحاني بخلعه دين اجداده بل تراهُ يصوّب اليه خصوصاً كلّ سهامه فالسيّد المسيح بعينه هو فقط «الناصري» (٣: ٥٨) او «الجليلي» (ص ٥٠) كما كان يدعوهُ يليانوس الجاحد.. يؤكّد ان «قريشاً» اي الاسلام «عليه انتصر» (ص ٥٠) فلا بدّ انهُ سيصرخ يوماً كيوليانوس «قد غلبتَ يا جليليّ»

ويزعم فيلسوف الفريكه (٣: ١١٢) ان في الاسفار المقدّسة اغلاطاً تشوّهها كايقاف الشمس اكراماً ليشوع بن نون (ص ١١٤) قال: وتلاميذ المدارس اليوم يعرفون «انّ الشمس لا تجري ولا تقف». ومع ذلك الكلّ يسمعون الريحاني صباح مساء يقول: قد طلعت الشمس وقد غابت الشمس. وصغار المدارس يعرفون انّ الشمس لا تطلع ولا تغيب وانّما الارض هي الطالعة والغائبة امّا وقوف الشمس فينكرهُ الريحاني لانكاره اي معجزة كانت ولعلّهُ يفسّرهُ تفسيراً سيّئاً

وقد كانت جريدة القبلة في مكّة وبعض جرائد مصر نشرت خبر إسلام الريحاني فكتبنا وقتئذٍ نبذةً (في المشرق ٢١ [١٩٢٣]: ٤٧٨) بيّنّا فيها انّ اسلام الريحاني يشبه نصرانيّتهُ اي اللادينيّة والزندقة. ولنا في جزئي الريحانيّات الجديدين شواهد عديدة على تبجيله الاسلام بغضاً بالنصرانيّة لا اعتقاداً بالاسلام حقيقيّاً

ففي مقالته المعنونة بالكنيسة والجامع يُطرئ بمحاسن المجامع متهكماً كما يظهر من بعض اوصافه «عن المتمدّد على الرخام البارد» وعن «الدرويش المتمتم قائلاً بسم الله الرحمان الرحيم ويعدّد خرزات سبحته حتى تبلغ النفس منهُ درجة الغيبوبة» (٣:

٥٣) ثمّ ينتقل الى وصف كنيسة دخلها في نيويرت فلم يعجبهُ نظامها فانتهى بقوله (ص ٥٩) : « تعالَ يا اخي المسيحي الفقير تعال معي الى الجامع »

واذ دخل يوماً الى مكتبة احد الكتبيين المسلمين (٣ : ١٣٢) افادنا الريحانيّ النصرانيّ الماروني انَّ تلك المكتبة «لا كفر يدنّسها ولا إشراك يباع فيها المصحف والغزالي والبردة والبيضاوي » اراد بالكفر والاشراك دينهُ المسيحيّ فتأمل !

ولا يتوهّم المسلم انَّ إسلام الريحانيّ صحيح فانهُ ينسب المناقضة الى القرآن (٣ : ١١٤) كما ينسبها الى التوراة. وفي مقالته الاولى « نور الاندلس » يجعل في فم ابن الرشد الذي يزعم انهُ تراءى لهُ كلاماً في حقّ الاسلام (٣ : ١٨—٢٥) لا نظنّ ان احد المسلمين يُسَرُّ بهِ ونُخيل اليهِ صديقنا السيد محمّد كرد علي فيرى ما يقولهُ في مفاخر الاندلس

ومجمل القول انَّ الريحانيّ كصيفهِ في المدرسة العلمانيَّة اللادينيَّة (المشرق ١٤ [١٩١١] : ٦١٦) لا يستنكف القول بانَّ « محمَّداً والمسيح وموسى يجب وضعهم في كيس واحد فيلقون في البحر » أفلا ترى سفسافنا يقول (٤ : ٣٢—٣٣) انَّهُ يريد تركيب معتقده بالله من احرف يأخذها عن تعاليم الهنود الوثنيين (الفيدا) والمجوس الفرس (الزند آفستا) وعن الانجيل وعن القرآن مستهزئاً بكل هذه الاديان على سواء

وكم وكم من هذا اللفظ والكلام النجس المبثوث في مقالات الريحاني الذي تشرَّف بزيارتهِ في الفريكة صاحب العرفان المسلم الشيعيّ واطرأ فضلهُ وفلسفتهُ ثمَّ ختم كلامهُ بهذه العبارة اللطيفة (العرفان ٣ : ٢٦٢) « فما قول الاب لويس شيخو اليسوعي عدوّ العلماء المفكرين » فنحن نقول لجناب احمد عارف الزين « ما قولهُ في ما نرويهِ عن الريحانيّ من الآراء الكفريَّة في دينهِ ودينا ألايصدق في حقهِ قول النابغة الشيباني: « وكلّ امرئ لا يتّقي الله احمقُ » فان كان تُقى الله هي عداوة العلم فنرضى ان نُقرَّع بالجهل وندع العلم للريحاني وامثالهِ

٤ الريحاني والفلسفة

دعا البعض الريحانيَّ فيلسوفاً وانَّما هذا اللقب لا يصحّ في شخصهِ الّا بالمعنى الذي قالهُ الشاعر البستيّ :

تقى اللهِ وألزَمْ هُدى دينهِ ومن بعدِ ذا فألزَمِ الفلسفَهْ

ولا تغتر بأناس رفضوا ... من الدين بالزور والسفسفة
ودع عنك قوماً بعيوضا ... فلسفة المرء قل السفة

فهيهات اذن ان يكون الريحاني فيلسوفاً لانَّ تحديد الفلسفة هو معرفة الامور بأقصى عللها ويجهل الريحاني علة العلل الاله الحقيقي كما رأيت وان كان يذكر اسمهُ الكريم بالشفاه فانَّ قلبهُ بعيدٌ عنهُ

وان اردنا ان نفحص مبادئ هذا المتفلسف ونعرضها على محكّ الانتقاد وجدناها والفلسفة الصحيحة على طرفي نقيض : فممَّا يُشتمُّ من معظم مقالات الريحانيَّات المنتنة رائحة الثورة والفتن والعصيان على كلّ سلطة دينيَّة ومدنيَّة . حرّيَّتهُ مطلقةٌ ليس لاحد ان يقيّدها ففي الصفحة ٨٢ من الجزء الثالث يقول عن نفسهِ انهُ «عربي شرقيّ ثوروي . شرقيّ الروح ثوروي المبدأ . . . سلاحهُ من الله» . يقدّس الثورة (ص ٨٥) «في البيت وفي الحريم وفي المعابد» ويدعو (ص ٧٩) «الى التدمير والتخريب بالسيف والمشعل» بل يبلغ الى هذا التجديف الشيطاني فيقول (ص ١٧٩) «انَّ الثورة كلمة الله مجسّدة في الاشياء» وانَّها (ص ١٨٠—١٨١) «ناموس كلّي ازليّ . وسنّةٌ الهيَّة ازليَّة»

فهذه هي فلسفة الريحاني فلسفة الفوضى والعصيان والاستبداد « فلسفة ابليس يومَ تمرُّدهِ على الخالق في السماء بقولهِ : لستُ مطيعاً . راجع مقالات الريحاني : «الثورة الحقيقيَّة وروح الثورة والاخلاق ولا حرّيَّة الّا بالسيف » تجدها كلها ضاربةً على وتر واحد » اي « فلْ سَفَه » كما قال البستيّ

٥ً الريحاني والسياسة

سياسة الريحاني كفلسفتهِ بل هي نتيجة فلسفتهِ تنجم عنها كالزهرة من بزعومها وكالثمرة من زهرتها . كان لبنان منذ سنين من السنين يئنّ تحت نير مماليك مصر والاتراك وهو يطلب الفرج من الله بواسطة الدولة الفرنسويَّة فلمَّا اتتهم وهم يصرخون كما روى الريحاني (٣ : ٩٢) : « لا اطلب سوى الفرج وكسرة الخبز . ليأتِ الفرج ولو عن يد القرود ليأتِ الخلاص ولو عن يد الشياطين » فافرجتهم وارخت خناقهم ومتَّعتهم بالراحة والسلام وهي لا تزال تسعى في سعادتهم . فها هوذا الريحاني السوري اللبناني الماروني ينادي بالويل والثبور ويصف فرنسة ومخلّصيها وصفهُ لأكبر اعداء بلادنا . ففي مقالتهِ التطوُّر والاستقلال (٤ : ٢١٠—٢١٦) ما يستحقّ ان

تجازيهُ عليهِ الحكومة بأشدّ عقوباتها وان يتفل في وجههِ كل وطني عاقل عالم بحقيقة الاحوال ولاسيّما الموارنة الذين يشتم رئيسهم الجليل الـذي بذل نفسهُ في صلاحهم فاسمع كلامهُ :

«لا شكّ عندي انّ سياسة فرنسة السوريّة ستكون الآن فصاعدًا سياسة توحيد لا تفريق. ولا شكّ عندي انّ الامير فيصلًا وهو الزعيم البصير الحكيم يستطيع ان يقف بالمتهوّسين عند حدّ التعقّل والاعتدال . . . اذا تقصّينا الاسباب يتّضح لنا المسئوليّة في بادئ الامر انّما هي على اللبنانيين انفسهم وقد وكلوا امورهم السياسيّة الى رئيس طائفة مسيحيّة فاستحالت المسألة وقد اكتسبت صفة دينيّة احتجاجًا على الاسلام صريحًا جليًّا (!!) ناهيك باسترسالهم الى حبّ فرنسا حتى الهوى (اهوس) حتى الجنون (كذا) . . .

« قد حان لبني لبنان ان يفهموا انّ فرنسا تريد بسط حمايتها في البلاد السوريّة كلها . وانما تلعب بساداتنا اللبنانيين والاكليروس لعب الأكر (كذا) . . . أنّنا نلوم فرنسا على مثل هذه السياسة . . . فلو احسنت فرنسا النصح للبنانيين منذ البدء ولو لم تغالِ الاكليروس اللبناني وتغذّهُ بسكوتها ثمّ بمالها ونفوذها في حماسهِ الطائفي لما حدث ما حدث من المظالم والفظائع في المدن المجاورة المنطقة الشرقيّة فهل كان في سوريا خوف من المصابات قبل سفر البطريرك الماروني الى باريس . . . (ومن ثمّ الذنب على قولهِ عائد الى السيّد البطريرك)

ولهُ في فصل « المردة والصليبيّون » مثل هـذه الاقوال السمجة يحرّش فيهِ بين المسلمين والنصارى ويثير البغض في قلب اللبنانيّين على الصديقة والمحامية بهذه الالفاظ المستقبحة (٤ : ٢١٨)

« هل يظلّ هذا الشعب اللبناني الجامد في بلاده منقادًا الى الاكليروس والى الاعيان عبيد الاكليروس اولئك الذين لا يهمّهم من استقلال لبنان غير ان يظلّوا متبوّئين كرسيّ السيادة قابضين على نفوس اللبنانيين وعقولهم . . . أتتطوّر الامم في سائر العمور عملًا بسنّة الارتقاء ويظلّ اللبناني مقيّدًا بقيود التقاليد العتيقة قيود العصبيّة الطائفيّة قيود صاغها الاكليروس والاعيان في الاجيال الغابرة ولا يزال الاكليروس والاعيان يستخدمونها اليوم لمآربهم الذاتية . انّ وطنيّة فيها مساعدة افرنسيّة دائمة هي وطنيّة فاسدة في بادئ الامر زائلة لامحال في آخرهِ»

فهذه سياسة الريحاني اغراء وتحريش ونكران الجميل لأحبّ الدول واكرمها نحو بلادنا وانزهها في خدمتنا

٦ الريحاني والادب

وليس ادب الريحاني افضل من دينهِ ومن فلسفتهِ وسياستهِ . فتراهُ يجاهر بالقحة والسفاهة او التهكّم البارد . فانهُ في اوّل صفحة من مقالتهِ يقول عن الاندلس (ص٣) : « سمعتُ حمارها وفلّاحها وشريفها يتغنّون بأندلسيا » فترى انّ الريحاني عالم بلغة

الحمير . وفي كعب الصفحة ١١٣ « كلب الكوفي خير من الف صوفي » . وفي الصفحة (٣ : ١٤٦) يشرّفنا نحن اليسوعيين بألطافه الادبيّة فيقول « امّا المستحجرة قلوبهم والمُتجزوتون فانّهم وان انذرتهم لا يؤمنون » وقد شرح في ذيل تلك الصفحة ما يريد بالمتجزوتين اي على قوله المشعوذين فرآنا برآةٍ انعكست اليها نفسهُ . ولا بأس ان يقترح على اهل اللغة ادخال هذه المادّة في لغتنا العربيّة فانّ الاعمى يدعو النور ظلمة كما انّ العليل يرى الحلو مرًّا . وكفى بهذا القليل دليلًا على ادب الريحاني

٧ الريحاني والتاريخ

لو شئنا ان نفتقد اكاذيب الريحاني التاريخيّة لطال بنا المجال . فليفدنا هذا المؤرخ الضليع متى كان « لبني ساسان فضلٌ في بغداد » (٣ : ٢٢) وبغداد بُنيت بعد بني ساسان بزمان . واين وجد « انّ الديانة الكاثوليكيّة اخذت الصوم عن الديانة الوثنيّة » (٣ : ٩٥) . وكيف يثبت (٣ : ٩٥) انهُ « في عهد شرلمان كان يُحكَم بالموت على من لا يصوم صومهُ كلّه ومن اهملهُ مرّة او مرّتين تقلع اسنانهُ !!» . وهناك فصلٌ عن الصوم كلّهُ لغطٌ وخلطٌ وسفاهة . امّا مقالتهُ عن هباسيا والقديس كيرلُس الاسكندري (٣ : ٩٧—١٠٨) فقد فنّدها مدرّس التاريخ في كلّيّتنا (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ١٤٤—١٤٩) بادلّة ساطعة ونسف كلّ ترّهات الكاتب المشعوذ الذي عاد فنشرها في ريحانيّاته ولم يلتفت الى تزييفها

ومن أتفه مقالات الريحانيّ الفصلُ الذي كتبهُ عن « القديس اوغسطينوس والغزّالي » (٣ : ١٠٩—١١٨) فانّهُ قد لاح لنا في كلامهِ عنهما اشبه بالاعمى الاكمه الذي يريد وصف الالوان فيهرف بما لا يعرف

وما قولنا بمقالاته الثنائية على الدكتور شبلي شميّل المادّي الدروينيّ (٣ : ١٥٦) وعن رئيس المحافل الماسونيّة جرجي ديمتري سرسق (١٦١) فان اطراءهُ لمحامدهما لا يستر عن معائبهما وكلّ طير يأوي الى جنسهِ

ولولا ضيق المكان لاتّسعنا في بيان مزايا الريحانيّات التي لم نجد كلمةً اوفى في حقّها من وصفها بالمُنتنة وذلك بالرغم عمّا في بعض الفصول من المحاسن التي لا ننكرها وكنّا نودّ ان نذكرها لو لم يشوّهها الريحاني بما يطمسها ويزيل رونقها

مطبوعات شرقيّة جديدة

Alma Mater : Collegium Urbanum de Propaganda Fide, Roma, Pasqua MCMXXIV-Num. VI

مجلّة مدرسة انتشار الايمان السنوية

هذه نشرة السنة السادسة التي اخذت المدرسة الاوربانيّة تذيعها منذ نهاية الحرب الكونيّة وهي في ترقٍّ مستديم سواء كان بمحاسنها الطَّبعيّة وتصاويرها الجميلة ام بمواضيعها المتفننة التي تتناول مآثر تلك المدرسة الشهيرة وتلامذتها الذين يقصدونها من كلّ الامم ليأخذوا العلوم الدينيّة والادبيّة من مصدرها الصافي الزلال . وانّما نأسف على ضيق المجال الذي لا يسمح لنا بوصف هذا الاثر الجليل الناطق بفضل الكنيسة الرومانيّة وتأثيرها في كلّ دول المعمور بحيث اصبحت قلب العالم المتمدّن ومركزهُ الادبيّ بلا مراء. ل.ش

Kirch (C. s. j.): Enchiridion fontium Historiæ, 4e éd., 1923, Freiburg i. Breisgau. Herder et Cie, Prix 13, 15 (francs suisses)

دليل مصادر التاريخ الكنسيّ القديم

لمّا ظهر هذا الدليل اوّل مرّة سنة ١٩١٠ تهافت عليه محبّو التاريخ فتجدّد طبعهُ مرّتين قبل الحرب وهذه الطبعة الرابعة الجديدة قد حسّنها مؤلفها الاب اليسوعي تحسيناً مهمّاً فزاد عليها عدّة معلومات واعاد النظر في ضبط ترجمة القطع اليونانيّة الواردة فيها. امّا حسن الطبع وجودة الورق وتنسيق الفصول فغاية في اللطف وسلامة الذوق ج.ل

Riess (R. de): Atlas scripturæ sacræ, ed. 3a recognita et emendata studio et labore **Ludov. Heidet.** 1 *vol., pet. in-fol.*, 10 *Cartes, Prix* 20 *frs suisses. Herder*, 1924

مجموعة خرائط الكتاب المقدّس

هذا الكتاب ايضاً من مطبوعات الطبّاع الالماني الشهير هِرْدر قد اجمع دارسو

الاسفار المقدّسة على حسنهِ وتدقيقهِ فتكرَّر طبعهُ وهذه طبعتهُ الثالثة صدرت في السنة الحاليَّة مع تحسينات جديدة منها ذكر اعلام الأمكنة القديمة مع اسمائها الحديثة ومنها الدلالة على أبعاد الامكنة ومسافاتها مع الاشارة الى آيات الكتاب الكريم المنوّهة باسماء البلدان والامكنة . وغير ذلك من الافادات التي لا يستغني عنها طالبو العلوم الكتابيَّة ج . ل

Manuel International des Organisations Catholiques, par l'abbé J. Monti. 1 *vol. gr. in-8°, pp.* 556, *Editions Spes, Prix* 20 *f*

دليل عام لنظام المشروعات الكاثوليكي

طالما أسف عقلاء بلادنا من اكليريكيين وعلمانيين على عدم اتّفاقنا في تنظيم جماعات كاثوليكيَّة عموميَّة فها هوذا كتابٌ يرشدهم الى العمل وضعهُ احد كبار الدُعاة بتأليف مثل تلك الجماعات والدارسين لنظامها . فجمع في كتابهِ هذا ما وقف عليهِ من انشاء وقوانين وتدبير خمسمائة مشروع كاثوليكي في انحاء المعمور بينها المشروعات الدينيَّة والعلميَّة والخيريَّة والاقتصاديَّة . مستندًا الى لوائح رسميَّة حصل عليها في كلّ معهد من المعاهد الموصوفة . والكتاب مصدَّر بصورة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وفي اوَّلهِ مقدّمة لاحد مشاهير اساتذة هولندة ومندوب مجلس الشيوخ في لاهاي المسيو الفونس ستيفر ل . ش

La Nation Arménienne, son passé, ses malheurs par **F. Macler** avec une Carte dessinée par **R. Chichmanian**, 1 *vol. in-8°, pp.* 110, *Paris Fischbacher, Prix* 4 *f*

الامّة الارمنيَّة وما فيها وبلاياها

المسيو ماكلر مؤلف هذا الكتاب من اعلم الناس بتاريخ الارمن الماضي والحاضر فلم يتمالك بعد ما اصيبت بهِ تلك الامّة من الرزايا من تجريد قلمهِ للدفاع عنها فاضاف هذا الكتاب الى تاليفهِ السابقة وبهِ استحقّ شكر العالم المتمدّن فضلًا عن ممنونيَّة الارمن . وقد صدَّرهُ بمختصر اخبار الارمن وتعريف بلادهم وما ادّوهُ من الخدم للدنيا والدين في اطوار تاريخهم . ثمَّ يتّسع بما قاسوهُ في الاجيال الاخيرة من ظلم الاتراك مع سعيهم بالنجاة من نيرهم ما كان سببًا للفظائع الحديثة التي اجراها

اعداؤهم بحقهم وهو يأسف لخيبة آمالهم في انشاء دولة مستقلة بعد مواعيد الحلفاء العرقوبية . وهم اليوم متفرقون تحت كل كوكب الاب تورنبيز

Sokoloff (Nicolas): Enquête judiciaire sur l'assassinat de la famille impériale russe, 1 *vol. illustré*. 1924, *Paris*, *Payot*

بحث قانوني في مقتل الاسرة الامبراطورية الروسية

عُهد الى مؤلف هذا الكتاب وهو من رجال الشرع في مدينة أومسك ان يتخذ كل التحقيقات عن مقتل القيصر نقولا الثاني واسرته في اكاترينبورج لما استولى عليها الاميرال كولتشاك وانتزعها من ايدي البولشفيك . فقام الكاتب بأمورية احسن قيام وبالغ في التفتيش عن كل ظروف تلك الفاجعة التي قطعت حبل حياة رجل عظيم ساس بلاداً واسعاً من اكبر امم الارض . وما هذا الكتاب الا نتيجة ذلك التفتيش الذي سيعول عليه التاريخ في روايته الصادقة المبنية على ادق المعلومات وأوفاها

Lierau (Max): DIE NEUE TURKEI wirtschaftliche Zustaende und Aussichten., 1 *vol.*, 8°, *Berlin*, *Mittler und Sohn*, 1923

تركية الجديدة

هذا تأليف لضابط الماني كان في فرقة مصطفى كمال في ايام الحرب الكونية فدافع مع الاتراك عن مضيق الدردنيل . وقد ساعدته الظروف في تلك الاثناء على الطواف في كل جهات تركية بصفة مراسل للسفارة . وكتابه هذا نتيجة ابحاثه المتواترة فيصف فيه كل ما لحظه من حالة تركية الطبيعية والسياسية والاقتصادية ويخص بنظره الزراعة والتجارة والصناعة فيها ويدل على ما يراه فيها من الخلل . ومما اشار اليه سوء تصرف الكماليين بطردهم نصارى بلادهم الذين كانوا بنشاطهم يخدمون وطنهم اجل الخدم ويستغلون اراضيه التي اضحت اليوم بوراً بغيبتهم ج . ل

SAGERET (E.) : Un Pèlerinage en Orient au lendemain de la Révolution Jeune-Turque. 1 vol, in-8°, 312 pp., Paris, Prix 11 f

رحلة الى الشرق بعيد الانقلاب التركي

قد تعددت الكتب في وصف الشرق الادنى ورحل السياح اليه الا ان لصاحب

هذا الكتاب ميزةً في وصف سفره فانهُ تعمّق في درس الشرق وكتب بعد روية وطول فكر. فوصف ما عاينهُ من البلاد وصفاً مدققاً قلّما يجدهُ القارئ في غيره وقد اتّسع خصوصاً في ذكر الآثار القديمة التي شاهدها في اليونان وسورية وفلسطين

Prof. Giuseppe Gabrieli: MANUALE DI BIBLIOGRAFIA MUSULMANA. Parte 1ª, Bibl. Generale, *Roma, Manuali Coloniale, in-12 pp.* 192, 1924

دليل المطبوعات الاسلامية

سفرٌ جليل نشرهُ احد اساتذة الجامعة الرومانية السنيور غبريئيلي الشهير بمصنّفاته الشرقية. فجمع فيه تحت ابواب مختلفة كلّ ما وقف عليه من المطبوعات الاسلامية او بالاحرى العربية مباشرةً بالمجامع الشرقية والمجلّات والمكاتب العمومية والدواوين العلمية والمصنّفات الادبية التهذيبية العامّة واوصاف المخطوطات وتطبيق التاريخ العربي على التاريخ النصراني ثمّ العلميات والاثريات والفنون المختلفة مع فهارس مطوّلة مفيدة جدًّا. فنشكر حضرة الجامع ونتمنى عن قريب تتمّة عمله الذي يجب ان يتداولهُ كلّ من يتعاطى الدروس العربية

Jules Véran: Comment on devient Député, Sénateur, Ministre. 1 *vol. in-16, Ed. Bossard, Paris, Prix* 4 *f*, 80

كيف يصبح الانسان مندوباً وشيخ مجلس ووزيراً

هوذا كتاب جامع بين اللذّة والافادة وبين الفكاهة والجدّ يصلحُ خصوصاً للقرّاء في زمن الانتخابات السياسيّة. فكاتبهُ من بلاد بروفانسة محبٌّ للمزاح فأحبَّ ان يصف بصورة هزليّة اخلاق كثيرين من طالبي الانتخاب للمجالس الوطنيّة والوسائل التي يتوسّل بها المرشّحون لينالوا غايتهم. وهناك قصص مضحكة وتلاعُب في الاحصاءات العمومية وملحوظات ظريفة في العادات القومية يُستفاد منها مغزًى لطيف لبيان تعريف الحياة الاجتماعيّة في عهدنا ل. ش

Alex. Ribot: LETTRES A UN AMI. Souvenirs de ma vie politique. 1 *vol., in-12. Ed. Bossard, Paris, Prix* 12 *f*

ذكرى حياة المسيو ريبو السياسيّة

شغل المسيو ريبو مناصب مهمّة في حكومة فرنسة حتى صار رئيساً للوزارة وامب

في سياسة وطنه دوراً معتبراً. فاراد ان يدوّن في كتاب خاص لُباب الحوادث التي جرت في ايّام وزارته بياناً لحقائق الامور وتفنيداً لما اشاعهُ خصومهُ في حقّهِ. والكتاب على صورة رسائل مرسلة الى احد اصحابهِ. وفي هذه المراسلات قسم كبير يبحث عن المشاكل الماليّة التي لا تزال في مقدّمة المسائل الاقتصاديّة والتي سعى المسيو ريبو جهدهُ في اصلاحها بمخابراتهِ مع انكلترة واميركا ثمّ يُتبعها بما جرى في ايّام الحرب من الحملة الفرنسويّة في سالونيك وهبوط الملك قسطنطين المشايع لالمانية وأحداث اخرى قرّبت فشل الدول المركزيّة ونهاية الحرب. فالكاتب البليغ يعرض تلك الامور كلّها بانشاء غاية في الوضوح والانسجام كما يحقّ لاحد اعضاء الاكادمية الفرنسويّة. على اننا مع تصديقنا على كلام المؤلف لسنا لنبرّرهُ عن بعض ما نسبهُ اليهِ زملاؤهُ من الاغلاط السياسيّة والله اعلم

Général von Hœppner : L'ALLEMAGNE ET LA GUERRE DE L'AIR. Traduction du Cte de Castelnau 1 *vol. in-8°, Paris, Pryot, Prix 12f*

المانية والطيران في الحرب الكونيّة

معلوم انّ المانية في الحرب الكونيّة قامت بثلث حروب معاً في البرّ والبحر والهواء. فحربُها الهوائيّة قد سطّر تاريخها الجنرال فون هپنر الذي كان رئيس اركانها الاعظم في هذا الكتاب الذي نقلهُ عن الالمانيّة الكرمندان دي كستلنر. ومن اطّلع على هذه الترجمة الفرنسويّة يقف على ما بذلتهُ المانية من النشاط وصرفتهُ من النفقات لترقّي فنّ طيرانها الحربي حتى اصبح في يدها آلةً مهيبة ارتعدت لها فرائص اعدائها لمّا تهدّدت بقذائفها الهوائيّة باريس ولندن. وفي الكتاب وصفٌ مدقّق لجميع اصناف الطيّارات الهوائيّة التي اخترعتها المانية لمحاربة اعدائها وخصوصاً مناطيد زبلين التي لعبت دوراً مهمّاً في الحرب الكونيّة ل. ش

Vincent Huidobro: FINIS BRITANNIE. 1 vol, in - 12, librairie J. Budry et Cie, Paris, 1923, Prix 4 f

عاقبة بريطانية العظمى

ليس هذا الكتاب لسياسيّ حكيم كتبهُ رجلٌ غلب عليهِ الهوس فنظر الى بعض نقائص الانكليز فعظّمها وعمّمها وتحامل بتأليفهِ على دولتهم الكونيّة. ويدفعهُ

بغضهُ لسياسة انكلترة الى ان يُغري بها كلّ اعدائها واهل مستعمراتها من ايرلنديين ومصريين واتراك وهنود حتى الكنديين والاوستراليين وهم على زعمهِ مقيَّدون بقيودها ويخدعون نفوسهم بحريّة كاذبة ج. ل

LE DROGMAN ARABE

الترجمان العربي (الطبعة الرابعة)

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٦٤٦)

قليل من الكتب المصنَّفة لفائدة السيّاح الاوربيين قد بلغت من الرواج ما بلغهُ هذا الترجمان الذي وضعهُ فقيد الأدب الاستاذ يوسف حرفوش ومع حسنهِ منذ اوّل طبعاتهِ قد سعت المطبعة الكاثوليكيّة بتحسين ما يُشار اليها بهِ في طبعاتهِ الجديدة . وهذه الطبعة الرابعة كادت تبلغ الكمال بما أضافهُ اليها حضرة الاب ادمون لاي المستشرق والمرسل اليسوعيّ من القواعد النحويّة وبتنسيق مفرداتها على طريقة سهلة المنال ثم بزيادة عدّة تعابير متداولة بين جمهور الوطنيين ادخلها في قسمهِ الرابع جعلهُ الله وسيلةً جديدةً لتقرُّب القلوب بتقرُّب التفاهم بين الوطنيين والفرنسويين

مقالة في تفتيش الضمير تأليف الاب كليمان بونتنو

نقلها عن الافرنسيّة الاب بطرس الخوري الحاجي اللبناني

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٤ (ص ٦٨)

منذ نشر القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيّة اليسوعيّة في كتابهِ الشهير المعروف بالرياضات الروحيّة قواعد فحص الضمير العامّ والخاصّ انتشرت طريقتهُ هذه في سائر انحاء الكنيسة ولاسيّما بين الرهبان واتقياء المؤمنين وتعدَّدت التآليف الشارحة لهذه القواعد والمعربة عن فوائد ممارستها . والكتاب الذي نحن بصددهِ من أوسع ما كُتب في هذا الموضوع فأحسنَ بتعريبهِ حضرة القس بطرس الخوري الحاجي لتزيد رياضة فحص الضمير انتشاراً في بلادنا . فهي افضل وسيلة للحصول على نقاوة الضمير . ويا ليتهُ عرَّفنا في مقدّمة الكتاب بصاحبهِ الاب بونتنو

ل. ش

المجتبى لابن دريد

طُبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد سنة ١٣٦٢ ص ٩١ + ٨

ليس من يجهل ان ابن دريد من ائمة اللغة يعوّل الادباء على تآليفهِ التي لا يزال قسمٌ كبير منها مخطوطاً والمجتبى مجموع حكمٍ وامثال نقلها ابن دريد من حديث نبيّ المسلمين ومن كلام الخلفاء الراشدين والامويين وحكماء اليونان. ومن هذا الكتاب نسختان سعى بنسخهما والمقابلة بينهما المستشرق الفاضل فرنتس كرنكو فطُبع الكتاب في مطبعة حيدر آباد طبعاً يحتاج الى مراجعة واتقان ويظهر خللهُ من رأس الكتاب فطبع « حامد او مصليا » بدلاً من « حامداً ومصلياً » . وقد جُعل (ص ٤) مولد ابن دريد في خلافة المعتصم بالله سنة ثلاث وعشرين ومائة » والصواب « سنة ثلاث وعشرين ومائتين » الى غير ذلك من الاغلاط الطبعيّة التي تشوّه الكتاب . وتأليف مثل هذا كان الاولى بهِ ان يُضبط كلّهُ بالشكل وان يضاف اليهِ فهرس للاعلام . . وعلى كلّ حال نثني على همّة صديقنا العلّامة كرنكو لاستخراجهِ هذه الدرّة من زوايا المكاتب ل . ش

مطبوعات أُخرى أُرسلت الى المشرق

١ً ﴿ الطلاق عند المسيحيين ﴾ هذه هي الطبعة الثانية من هذه المقالة الجزيلة الفائدة والسديدة البراهين التي نشرها سابقاً حضرة الاب انطون صالحاني في المشرق ثمّ طبعها على حدة فجدّد طبعها لإقبال الناس عليها في هذه الأيام اقتباساً لفوائدها وتفنيداً لسفسطات بعض الكتبة المتشدّقين (صفحاتها ٣٩)

٢ً ﴿ الطرباويّة ترازية الطفل يسوع ﴾ هي الصفحات المعطّرة بشذا فضائل تلك الوردة التي اقتطفها الربّ في ربيع حياتها الرهبانيّة فاستنشق قرّاء رسالة قلب يسوع عبيرها فطلبوا ان تجمع طاقةً زهيّة فتُطبع على حدةٍ لتكون ذخيرة ثمينة في يدهم وقدوةً حيّة لسلوكهم

٣ً ﴿ الرشيد والبرامكة ﴾ ليست روايةً تمثيلية ممّا طُبع الى اليوم تجمع لكل صفات الروايات كرواية « الرشيد والبرامكة » التي وضعها فقيد رهبانيّتنا المرحوم

الاب انطون رباط فانهُ أخرجها على صورة بديعة وبانشاء بليغ مع مراعاة اصدق الروايات واثبت التواريخ. فعرف القرّاء قدرها وذلك ما استدعى الى تجديد طبعها بعد نفاد كلّ نسخها (ص ١٠٩)

٤ً ﴿الضمير﴾ محاضرة أخرى ظهرت في اعمدة البشير بعد ان تلاها صاحبها حضرة القس مبارك ثابت اللبنانيّ في نادي الاخويّة المذكورة. فتكلّف نشرها في مطبعتنا الاديب يوسف افندي بطرس سعد لما تتضمّن من الفوائد الفلسفيّة والاجتماعيّة (ص ١٦)

٥ً فرنسوا دي شطوبل﴾ هي ترجمة ذاك الحبيس الفرنسويّ الوجيه الذي قصد لبنان في القرن السابع عشر فعاش في اهدن وجبل الارز متوحّداً فكان خير قدوةٍ لاهل زمانهِ بفضائلهِ السامية وميتتهِ الصالحة. وهذه الترجمة نشرها اوّلاً في المشرق حضرة القس بطرس سارة رئيس مدرسة الرهبانيّة المارونيّة في بيروت ثم اضاف اليها معلومات جديدة وطبعها على حدةٍ بمساعدة الاديب يوسف بطرس سعد في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٩٢٤ (ص ٥٦)

٦ً ﴿رواية الفراد الكبير ملك انكلترّة﴾ هذه طبعة ثانية لرواية تمثيلية سبق لنا وصفها في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٦٧١) واثنينا على ناسج بردتها شبلي بك ملّاط. وهذه الطبعة الجديدة قام بنفقتها الاديب توفيق افندي كبّوش صاحب مكتبة التوفيق

٧ً ﴿رواية اللصّ الظريف: الماسة الزرقاء﴾ رواية فكاهية بقلم الاديب جميل البحري ألحقها بمجلته الزهرة. وهي مطبوعة في حيفا في مطبعة الزهرة

٨ً ﴿لنا رأينا ولهم رأيهم﴾ هي النظرة الاولى التي نشرها المدعو بابن البطريق تفنيداً على زعمهِ لمنشور غبطة السيد البطريرك ديمتريوس القاضي. ويكفي من يقابل بين منشور غبطتهِ وهذا الردّ ليعرف اين هو الرأي السقيم واين الرأي الصحيح فالى متى يغمض اخوتنا الروم ابصارهم عن الحقيقة الساطعة امام عيونهم فالويل لمن يكابر الحقّ

شذرات

﴿نصب تمثال اليازجي﴾ حضرنا بلذ السرور هذه الحفلة الشائقة التي توفّرت فيها

دواعي الفرح . (اوّلاً) لاجتماع كلمة الوطنيين في اكرام احد ابنـاء بلادهم . فقد التفت حول تمثاله جميع الطوائف والملـل والكلُّ قلب واحد في اجلال مواطنهم . (ثانياً) لجمال الاثر القام تذكاراً للشيخ ابراهيم اليازجي فان تمثاله النصفي البديع يمثله في كهولته اذ كان جامعاً لقوى عقله وجسده وقلمهُ يتدفّق بما يوحيه اليـه فكرهُ الوقّاد وترى عينيهِ مع نظارتيهما تنطقان بغوصهِ في قعر اللغة ليستخرج منهُ درارّيها . والتمثال قائم فوق قاعدة عاليـة حسنة النقش ذات رموز بهيّـة . والاثر عند مفرق طريقين عُليا فسفلى يراهُ كل من يمرُّ بهما ويحدق به درابزون انيق من الحديد . (ثالثاً) لحسن الحفلة التي أُقيمت لنصب الاثر فانها كانت غاية في النظام . خطب فيها الخطباء المفوّهون الفيكنت فيليب دي طرّازي والشيخ امين الجميل وجميـل بك بيهم وحسين بك الاحدب حاكم الادارة في بيروت ونظم شاعر القطرين خليل بك المطران قصيدة غرّاء شنّف بها آذان الجمهور وشكر حضرة الخوري حبيب اليازجي عواطف الحضور باسم أُسرتهِ الكريمة وختم المسيو دي ريفي مشاركاً باسم الـدولة الفرنسويّة للوطنيين في تكريم نوابغ رجالهم وشرّف الحفلة بحضورهِ فخامة الجنرال فندنبرغ مع فرقـة من الجند المشاة والخيالة فضلاً عن علية اكليروس جميـع الطوائف يتصدّرهم سيادة المطران باسيليوس قطّان الذي كان في صباح النهار قدّم على نيّة الشيخ المرحوم قدّاساً حافلاً وفاهَ بخطبة بليغة ثناء عليهِ . (رابعاً) بمعنى تلك الحفلة التي كان المقصود منهـا ليس اكرام رجلٍ واحد بل أُسرة كاملة فاضلة اشتهر كلّ افرادها بعلومهم وآدابهم في مقدّمتهم رأسهـا الجليل الشيخ ناصيف ثمّ شقيقه الشيخ راجي وولداهُ الاديبين حبيب وخليل وكريمتهُ السيّدة وردة المتوفاة حديثاً ولجميعهم آثار مشكورة عدّدناها في تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ثم في كتابنا المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة . ويا ليت يُقام على الاقلّ لوالدهم اثرٌ بقرب اثر ابنهِ اذ لا ينقص فضلـهُ عن فضلهِ في النهضة التي كان هو في مقدّمة الدعاة اليهـا . بل نتمنّى ان يكون الاثر الجديد باكورة آثار أُخرى تُفرَد لها قوائم في حديقـة الحرّيّة التي باشرت الحكومـة باصلاحها فيُجعل فوقها تماثيل الادباء الذين تزدان بهم المكتبة الوطنيّة حالاً فذلـك ممّا يكسو بيروت فخراً لدى جميع القادمين اليها

﴿ تعليم الاناث في الاسلام ﴾ امتعض جناب الاديب عبد القادر المغربي لكلمة

قلناها في انتقادنا لكتاب «بين المدّ والجزر» فنحن لا نريد الدخول في الجدال مع جنابه وانّما نحيلهُ الى كتاب السنّة والكتاب في حكم التربية والحجاب للسيد محمّد ابرهيم القاياتي من علماء الازهر (طبعة مصر ص ١٥٠–١٥١)

﴿المعارف في مصر﴾ قرأنا في عدد المقتطف الاخير (يوليو ص ١٤٨) في مقالة لعبد الرحيم محمود نتيجة احصاء طلبة المدارس في القطر المصري فنثبتهُ هنا لافادة القرّاء :

قد دلّ الاحصاء الذي عُمل في مصر سنة ١٩٠٧ على انّ ٩٦ ٪ من الوطنيين في القطر لا يعرفون القراءة والكتابة ٩٢ ٪ من الذكور و ٩٩ ٪ من الاناث . . . وقال استاذنا الفضال امين باشا سامي في مجلس شيوخنا انّ نسبة من حُرِمَن التعليم من البنات البالغات سنّ التعلّم الابتدائي هي ٩٤ ٪ (فتأمّل)

﴿المؤتمر الماسوني في بعلبك﴾ يُنتظر عمّا قريب عقد المؤتمر الماسوني في بعلبك وهذه مرّة أولى يجتمع ابناء الارملة اجتماعاً رسمياً . امّا غايتهم فهي على ما ورد اليهم من اخوانهم المصريين في كتاب للمحفل الاكبر الوطني المصري انفذه اليهم السكرتير الاعظم محمد رفعت والاستاذ الاعظم السيد علي باشا رفع راية الحرّية والاخاء والمساواة واستئصال جراثيم الادواء الخلقيّة التي تحول دون خفوقها على جميع بلاد الشرق تأييداً لمبادئ الماسونيّة الحرّة التي ترمي الى سعادة الانسانيّة والتبشير بالاخاء العام»

فسنرى ان شاء الله عن قريب ثمرة تلك المساعي الرامية لسعادة الانسانيّة التي طالما طنطن بها الاحرار ولم نذق منها منذ نشأة الماسونيّة غير الكلام الفارغ والمواعيد الكاذبة

﴿محطّة الناصرة للآثار الجويّة﴾ فاتنا في مقالة مرصد كسارا ذكر محطّة جُهّزت في دير الناصرة في البلدة تقوم ثلث راهبات من هذا الدير العامر بتدوين الآثار الجويّة تتقدّمهم حضرة الامّ بتي (la R. Mère Petit) وقد طُبعت هذه الملحوظات بكرّاس خصوصي لسنتي ١٩٢٢ (ص ١٠) وقد ظهر ايضاً كرّاس آخر لارصاد محطّة جديدة الاثريّة الواقعة قريباً من بيروت (ص ١٦١)

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الاديب يوسف افندي صفير : ١ً هل من فرق بين الكنيسة الجيورجيَّة والكنيسة الارمنيَّة الغريغوريَّة نظرًا للطقوس والعادات واللغة ؟ . ٢ً هل يتبع بطريرك الارمن المقيم في اورشليم الكنيسة الجيورجيَّة ام الارمنيَّة ؟

الكنيسة الجيورجية والارمنيَّة

ج للجيورجيين كنيسة وطقوس ولغة تختلف اختلافاً كلّيًا عن الكنيسة والطقوس واللغة الارمنيَّة . موقع بلادهم ما وراء جبال القفقاز وهي متاخمة لارمينية جنوباً . وكانت قبل الحرب داخلة في حكم روسيَّة . وطقوسهم منقولة عن الطقوس البوزنطيَّة ولهم اكليروس اورثذكسي خصوصي . وبينهم نحو اربعين الف كاثوليكي . امَّا بطريرك الارمن في القدس فلا علاقة لهُ مع الكنيسة الجيورجيَّة

س وسأل رئيس الحجابة البطريركيَّة الارمنيَّة في القدس الشريف هل يُعرَف طبيب بغدادي شهير باسم عيسى عالج في قيليقية الامير حتُوم السيواسيّ سنة ١١٩٤ م كما ورد في احد مخطوطات البطريركيَّة الارمنيَّة الاورشليميَّة ؟

الطبيب عيسى البغدادي

ج قد عُرف كثير من اطبَّاء العرب باسم عيسى الَّا انَّ اكثرهم سبقوا القرن الثاني عشر وبعضهم تأخروا عن زمن الامير الارمني المذكور فلا ينطبق تاريخهم مع ما يُروى في المخطوط الارمني

س سأل من الخبك اسعد افندي نصراف أصحيح انَّ الطريقة الماسونيَّة الاسكتلنديَّة معتدلة في معتقداتها تؤمن بوجود الله وخلود النفس الخ

الطريقة الماسونيَّة الاسكتلنديَّة

ج الماسونيَّة في كلّ طرائقها محرومة من الكنيسة وان كان البعض منها اقلّ عداوةً للدين ظاهرًا الَّا انَّ مرجعها الاخير الى نقض المعتقدات الدينية ومعاداة السلطة الشرعيَّة كفى دلالةً على شرّها تستّرها واحتجابها لئلَّا تُفضح اعمالُها بالنور

ل . ش

إصلاح غلط — ورد في الصفحة ٥٦٤ س ١٣ انَّ اولاد الامير ملحم كانوا سبعة والصواب « ستَّة » . وكذلك تحت صورة الامير بشير الشهابي رويت سنة ميلاده ١٧٨٨ والصواب ١٧٨٧

المشرق

شهيد الوحدة الكنسية

في الاقطار الصقلبية

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

وقع في ١٢ تشرين الثاني من السنة الماضية تذكار المئة الثالثة لاستشهاد احد جهابذة الكنيسة الشرقيَّة الصقلبيَّة القديس يوشافاط الراهب الباسيلي ورئيس اساقفة بولوسك. فبهذه المناسبة اصدر الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر براءة وجَّهها الى سائر المعمور الكاثوليكي ذكر فيها خلاصة اعمال ذلك البطل المقدام الذي ضحَّى حياته في سبيل الوحدة الكنسيَّة فكان دمهُ زريعة نامية ثبَّتت قسماً كبيراً من الشعب الصقلبيّ الشرقي في طاعة الكرسي الرسولي في القرنين السابع عشر والثامن عشر بل صبرت على عهد قياصرة روسيَّة على كلّ ما اصابها من الاضطهادات وهي لا تزال كحبَّة الحنطة التي ذكرها السيد المسيح والتي اذا ماتت تأتي بثمر كثير

وهذا الأمل الصالح هو الذي دعا الطيّب الذكر البابا بيوس التاسع الى تثبيت قداسة القديس يوشافاط سنة ١٨٦٨ . والبابا لاون الثالث عشر الى تمجيد رسولي الصقالبة القديسين كيرلُّس ومثوديوس باقامة عيد سنوي لذكرهما في الكنيسة اللاتينيَّة . والبابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً اليوم الى الاحتفال بيوبيل استشهاد القديس يوشافاط المثويّ . وهذا اليوبيل يتناول سنةً كاملة فينتهي في ١٢ تشرين الثاني من السنة الحاليَّة وقد اقيمت ولا تزال مواسم بهجة في رومية وبولونية احتفاءً بذكره . فرأينا

ان ندوّن على صفحات المشرق خلاصة اعمال ووفاة ذلك الرجل الفريد الذي شرّف وطنه باستشهاده وهو اوّل شرقيّ اعلنت الكنيسة الرومانيّة رسمياً قداسته وفرضت على ابنائها ذكر عيده السنويّ

نظر في احوال بولونية في القرن السادس عشر

بلغت بولونية في اواسط القرن السادس عشر اوج مجدها فانّ موقعها في حدود اوربّة المركزيّة وفي جوار الممالك البوزنتيّة بين التمدُّنين الغربي والشرقي انالها مقاماً فريداً فجعلها كالحلقة الذهبيّة توصل بين عناصر متباينة اصلاً ولغةً واخلاقاً لكنّها منتدبة في نظر الله الى الاتحاد والتآخي وذلك بهمّة الشعب البولوني الجامع في دمه مزايا القطبَين

وكانت بولونية منذ خمسة اجيال سائرة في خطّة مستقيمة ساسها اوّلاً ملوك من العنصر المجري ذوو عدل وشهامة (٩٦٤—١٣٧٠) ثمّ خلفتهم سلالة جاجلُون الوطنيّة (١٣٧٠—١٥٧٢) فأولتهم من العزّ والمفاخر ما جعلهم في مقدّمة الدول. فبينما كانت روسيّة إمارةً منزوية في اطراف البلاد والمملكة البوزنطيّة تزيد كلّ يوم ضعفاً وفشلاً كان ملوك بولونية رافعين لواء الدين الكاثوليكي خاضعين لامام الاحبار واقفين بالمرصاد للبدع ليكفّوا عن بلادهم شرورها. وقد امتاز بينهم بالصلاح والبر ملوكٌ نظمتهم الكنيسة في عداد اوليائها كالقديسين لادسلاس وكازمير

على انّ الشعب البولوني مع وحدة عنصره ودينه الكاثوليكي كان منقسماً الى قسمين يكادان يتساويان عدداً ويتبعان طقسين مختلفين نريد بهما الطقس اللاتيني والطقس الشرقي كان لكل منهما كنائسهُ واكليروسهُ ورتبهُ الخاصّة

وكان سبب هذا الخلاف قد نشأ منذ ظهور النصرانيّة في تلك البلاد فان دعاتها اتوها في وقت واحد من جهة القسطنطينيّة ومن جهة رومية وكان المبشّران من جهة بطريرك القسطنطينيّة القديسَين كيرلس وميثوديوس نصّرا قسماً كبيراً من اهل بولونية وبرخصة الحبرين الرومانيّين ادريان ويوحنّا اشاعا بينهم الطقس البوزنطيّ منقولاً الى اللغة الصقلبيّة الوطنيّة على خلاف مَن نصّرهم من دُعاة رومية فانهم تشبّثوا باللغة اللاتينيّة وبالطقوس الرومانيّة وكان ملوك بولونية من جملتهم وبمساعيهم انضمّ قسمٌ كبير من اهل

ليتوانية الى الكنيسة اللاتينيَّة في القرن الرابع عشر

وقد بقي الاتفاق ووحدة الايمان بين اصحاب الطقسين زمناً طويلاً لولا انَّ بطاركة القسطنطينيَّة أَا نشروا راية العصيان على خلفاء هامة الرسل اخذوا يفرغون جهدهم في فصل الكنائس ذات الطقس الشرقي عن مركز الوحدة . على انَّ ملوك بولونية اخذوا حذرهم من ارباب الفساد وصانوا رعاياهم من الشقاق الى ان انقرضت الدولة الجاجلُونيَّة بوفاة سجسموند الثاني سنة ١٥٧٢ فصارت امور الدولة في عهدة امير ترنسلفانية اتيان باتوري (١٥٧٥—١٥٧٨) الذي احسن التدبير كسلفائهِ واحترز من دسائس اليونان الى ان قامت بعدهُ دولةٌ اسوجيَّة مشبوهة بميلها الى المذهب البروتستاني فانتهز الروم والبروتستانت هذه الفرصة ليتسرَّبوا في انحاء بولونية ويزرعوا في الشعب بذور تعاليمهم . لكنَّ الاكليروس اللاتيني ورهبانهُ تصدَّوا لهم وردُّوهم خائبين عن القسم الخاضع لسلطتهم بخلاف التابعين للطقس الشرقي فانَّ روَّاد البطريرك القسطنطيني اندفعوا بينهم كالسيل الجارف واخذوا يصوِّرون لهم الطاعة للحبر الروماني كجحودٍ لدين اجدادهم ويسومون الطقس اللاتيني خسفاً . ومرَّ بهم البطريركان ارميا القسطنطيني ثمَّ يواكيم الانطاكي وغيرهما فجمعوا منهم الحسنات وبغَّضوهم الى تبعة الطقس الغربي حتى قامت بينهم المنازعات والمشاحنات على ساقٍ . وكان البروتستانت الوطنيين يعضدون الشرقيين الذين استنجدوا بالقوزاق وهم جيلٌ من الهمج ممَّن اعتادوا النهب والسلب وسفك الدماء

لكنَّ الله لم يهمل كنيستهُ فاقام بعض رجال الصلاح الذين دافعوا عن الايمان وردُّوا كثيرين من الضالين الى حظيرة الايمان وأثبتوا لهم صحَّة معتقد اجدادهم القديسين الذين لم يجدوا في الطقوس الشرقيَّة ما يبعدهم عن الرضوخ لأحكام الكرسي الروماني المقدَّس . وقد امضى نوَّاب كنيستهم الصقليَّة على صك الاتحاد في المجمع الفلورنتيني فجرى بموجبهِ اهل بولونية دون معارض

ومن هؤلاء العصاميين القديس يوشافاط الذي نحن بصددهِ اختارهُ الله ليكون ركناً للاتحاد فيثبتهُ بقداسة حياتهِ ثمَّ بسفك دمهِ الكريم

حداثة القديس يوشافاط

وُلد يوشافاط في ڤلاديمير حاضرة ايالة ڤولينية من معاملات بولونية السنة ١٥٨٠

من اسرة كونتزيدتس الشريفة فدُعي بالمعموديّة يوحنّا وكان ابواهُ غبريال ومارينا من ذوي التقى تابعين للطقس الشرقي الصقلبي خاضعين بسذاجة لكل رسومهِ . وجدت امُّهُ قلب طفلها مائلاً منذ نعومة اظفاره الى محبّة ربهِ فبذرت فيهِ الزرع الجيّد الذي لم يفسدهُ زوان العدوّ . واذ حملتهُ يوماً الى الكنيسة وقع نظرهُ على صورة المصلوب فطلب الولد معناها فكشفت لهُ سرّ فداء البشر واذا بسهم ناري خرج من قلب المخلص ونفذ في صدرهِ فاضطرم فؤادهُ منذ ذاك حبًّا نحو فاديهِ وودَّ لو يهرق هو ايضاً دمهُ في سبيلهِ . ولمّا ترعرع اخذ يتردَّد الى بيت الله فيقضي فيهِ الساعات دون سأم ثمَّ تعلَّم كل رتب وفرائض الكنيسة الصقلبيَّة فجعل يتلوها كل يوم بمزيد الحرارة . واوحى اليهِ الله شرف الطهارة فرعاها بكل حرص وحاد عن كل ملاهي الاحداث لئلّا تشوه نفسهُ شائبةٌ ما ونذر امام هيكل العذراء نذر العفّة الدائمة فاصبح بكل سيرتهِ قدوةً لرفاقهِ بل للكهول والشيوخ الذين كانوا يأتون الكنيسة ليمتّعوا نظرهم بورعهِ وتقاهُ

وكان احد الاساقفة قد فتح في موطنهِ مدرسة كبيرة فتخرَّج فيها على آداب بلاده وأتقن أصول لغتهِ الصقلبيَّة حتى برع فيها فشهد لهُ اساتذتهُ برقيّهِ في العلوم كما اعلنوا بكمالهِ في الفضيلة . فسُرَّ اهلهُ بنجاحهِ وقصدوا ان يستعينوا بهِ لتجارتهم فارسلوه الى مدينة ثلنا عاصمة البلاد الى احد كبار التاجرين ليتقن في محلّهِ المعاملات التجارية

فلقي المدينة عند وصولهِ في ارتباك واختلاط قد قام على الصقالبة المتّحدين قوم من الاكليروس الوطني والرومي يناصرهم بعض اعيان البلد غايتهم ان يعزّزوا الحزب المنشقّ عن رومية ويستولوا على كنائسهم واموالهم . فلم يجسر احد ان يعارضهم حتى كاد ان يتمّ لهم متمنّاهم فهُجرت الكنائس وخُرقت حرمة الآداب وتعدَّدت المظالم والمآثم التي عجز عن كبحها ارباب الامر

فبقي يوشافاط محتارًا في امرهِ اذ لم يخامرهُ شكٌّ قبل ذلك في صحّة معتقدهِ فاتاهُ بعض الشبّان وعرضوا عليهِ الانتماء الى الحزب الثائر على السلطة البابويَّة فوعدهم بان يجيبهم بعد فحص الامر على ما يلهمهُ ضميرهُ فلمّا التجأ الى الصلاة انار الله عقلهُ وشعر انهُ مدعوّ بالهام الهي الى توثيق عرى الاتحاد بين الكنيسة الصقلبيَّة المعروفة ايضاً بالروثنيَّة والكنيسة الرومانيَّة . فردَّ دعوة اولئك الاغرار وقصد المدرسة الجامعة

التي كان الآباء اليسوعيّون شيّدوها في ثلنا واجتمع ببعض رهبانها وعلى الخصوص برجلين من افاضلها الاب فبريسي والاب غروزفسكي طلب منهما ان يرشداهُ الى ما يفيدهُ الدفاع عن الايمان الكاثوليكي فوجد فيهما خير مساعد على تحقيق نيّاته الشريفة فدرس عليهما الفلسفة واوقفاهُ على ما كتبهُ الآباء اليونان وما ورد في المجامع والتواريخ عن وحدة الكنيسة ورئاسة الحبر الروماني

فشكر يوحنا معلميهِ وعرف ما للرهبانيّة اليسوعيّة من الفضل على بلاده فاحبّها حبًّا عظيماً الى آخر نفس من حياتهِ وكان يلتجئ الى ابنائها في سائر امورهِ لاسيما عند ما رأى غيرتهم على حفظ الطقوس الشرقيّة واهتمامهم بترقية المنتمين اليها وبنهضة اكليروسها من خمولهِ وانحطاطهِ . وممّن اشتهروا بينهم في خدمة البولونيين الشرقيين اميرُ خطباء وطنهِ الاب بطرس سكارغا الذائع الشهرة والاب انطون بوسفين سفير الحبر الاعظم الى قياصرة روسيّة

وكان مطروبوليت كياف يُدعى هيباس بوتسيه رجلًا مرتدًّا عن البروتستانيّة كبير الهمّة في حفظ الاتحاد بين كنيسة بولونية الشرقيّة والكنيسة الرومانيّة الجامعة الّا ان ما كان يجدهُ من المقاومة في الاعيان وفي قسم من الاكليرس كان يثبّط عزمهُ ويعرقل مساعيهُ فسرَّ بما رآهُ في يوحنّا من الاستعداد لخدمة الاتحاد . ومثلهُ بندكتس ثوينا اسقف ثلنا الذي عرف يوحنّا الشاب وقدّر قدرهُ

وكذلك كان يوحنّا يتردّد على رئيس المدرسة اليونانيّة في ثلنا سميّهِ يوحنّا روتسكي وعلى احد مشاهير اساتذتها بطرس اركوديوس وكلاهما من تلامذة اليسوعيين في رومية يتلهّبان غيرةً على حفظ الطقس الصقلبيّ مرتبطاً مع مركز الوحدة الرومانيّة . فكان المترجم يبحث معهما عن خلاص الكنيسة الروثنيّة من مخالب المنشقّين والخوارج وكان اوّل ما اتّفقوا عليهِ وجوب اصلاح الرهبانيّة الباسيليّة في بولونيّة اذ كانت بلغت اسوأ حالة من الفتور ومال كثير من ابنائها الى الشقاق . الّا انّ هذا الامر كان يحتاج الى رجل صميم ذي قداسة سامية وعزيمة قعساء . فشعر يوحنّا كونترفتس انّ الله داعيهِ الى هذه المهمّة وعرض فكرهُ على مرشديهِ وعلى المطروبوليت فعرفوا انّ هناك اصبع الله . ومن ساعتهِ عزم على الزهد في الدنيا وما كان ينتظرهُ فيها من الشرف والجاه العالمي وعدل الى الترهّب بعد ان قرأ الوداع على

صاحب المحلّ التجاري الذي اجتهد عبثاً في إبقائهِ عندهُ ووعدهُ بثروة عظيمة

الراهب والمجاهد

تجرَّد يوحنَّا عن الازياء العالميَّة ودخل في دير الثالوث الاقدس القريب من ثلنا الذي كان مسكناً للرهبان الباسيليين فألبسهُ الثوب الرهباني المطروبوليت يوسيه وبدل اسمهُ يوحنا بيوشافاط فوجد الراهب الجديد في ديرهِ عدداً قليلاً من الرهبان يعيشون بالبذخ والهناء لا يفرقهم عن اهل العالم غير اسكيمهم وكان رئيسهم الارشمندريت صموئيل سبانكسيلو قليل الاهتمام برهبانه يُبطن البغض للاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة

فأحسَّ يوشافاط بما يتهدَّدهُ من المشقَّات والاضطهاد. فلم يتوقَّف على اتمام مقصودهِ فاختار لهُ في الدير غرفة صغيرة بل كوخاً حقيراً حبس نفسهُ فيهِ ملازماً مناجاة الله والدرس وضروب التقشف فلبس تحت الاسكيم مسحاً خشناً وتمنطق بسلسلةٍ حديديَّة مشوكة وجعل مثالهُ القديس باسيليوس منشئ رهبانيَّتهِ ليحفظ بكلّ دقَّة قانونهُ الصارم. وكان في حضورهِ الفرائض البيعيَّة اشبه بملاك منهُ ببشر

فما لبث ان انتشر خبرهُ في المدينة فكان القوم يطلبون زيارتهُ فلا يواجه منهم احداً الَّا دعاهُ الى الله وحبَّب اليهِ الفضيلة ووصف لهُ فضل الانضمام الى الوحدة والطاعة لنائب المسيح وخلف هامة الرسل. فكان لكلامهِ احسن وقع في القلوب وردَّ كثيرين الى حجر الكنيسة

ثم شعر بما تُسبِّبهُ هذه الزيارات من تشتيت الفكر فانتقل الى حجرة اخرى في طرف الدير لزم فيها العزلة التامَّة وكان لا يقبل الاجتماع الَّا بصديقهِ جان روتسكي يفاوضهُ في كلّ امور نفسهِ ويطلب معهُ دواء لداء وطنهِ. واخذ كذلك ينكبُّ على درس اللاهوت استعداداً للدرجة الكهنوتيَّة فاتَّخذ لهُ معلماً الاب فبريني اليسوعي استاذه السابق فلقَّنهُ ذلك العلم تماماً فبرع فيهِ. على انَّ صيت يوشافاط في خلوتهِ المذكورة اتَّسع نطاقاً وزاد اريجُ فضيلتهِ انتشاراً لاسيما بعد ان تسرَّبت الى مسكنهِ فتاةٌ خليعة حاولت بان تجتذبهُ الى الاثم فردَّها يوشافاط خاسئةً خجلةً

قضى القديس سنتين في محبسهِ متحايداً عن الرهبان المتشقين لا يجتمع بهم الَّا

في تلاوة الصلوات الطقسيَّة والفرائض الكنسيَّة وهو يطلب منهُ تعالى ان يلهمهُ طريقة لإصلاح ذلك الدير. فأصغى الله الى دعوتهِ بان جذب صديقهُ يوحنَّا روتسكي الى الترهُّب في ديرهِ وألبسهُ السيِّد يوسبه الثوب الرهباني باحتفال عظيم في كنيسة الثالوث الاقدس في ٦ ايلول ١٦٠٧ ثمَّ نذر في غرَّة السنة ١٦٠٨ ودعا اسمهُ يوسف. فكان لترهُّبهِ شأن عظيم في كلّ انحاء المدينة لِما يعرفونهُ من عظم ثروتهِ وثاقب فهمهِ ووفرة علومهِ. أمَّا يوشافاط فتهلَّل طرباً اذ وجد فيهِ خير عضدٍ في تحقيق نيَّاتهِ البارَّة بخلاف الارشمندريت والرهبان مشايعيهِ فانَّهم تحققوا بان نجمهم قد أفل بطلوع هذا البدر التمّ الذي يفوقهم بعلمهِ وفضيلتهِ ونفوذهِ لدى اهل المملكة

وما لبث بعض شبَّان المدينة ان طلبوا الترهُّب على مثال يوشافاط ويوسف روتسكي وشاركوهما في سيرتها الفاضلة فبلغ عددهم اثني عشر حتى ضاقت بعد قليل عن ضمّهم قلالي الدير فضلاً عن أن قسماً منها كان قد استولى عليهِ الخراب بتهاون رئيسهِ ورهبانهِ القدماء. فتولَّى يوسف روتسكي ترميمها بمالهِ الخاص وبحسنات جمعها من معارفهِ واعيان المدينة واسقفها الفاضل الذي سُرَّ بهذه النهضة اي سرور. وبعد زمن قليل أصبح الدير عامراً زاهياً بكثرة الرهبان تقام في كنيستهِ رتب البيعة الشرقيَّة بمزيد البهاء والرونق والشعب يتقاطر الى حضورها بكل شوقٍ ورغبةٍ. ثم سيم روتسكي كاهناً فضاعف نشاطهُ في خدمة اخوتهِ وممارسة كل الفضائل الرهبانيَّة. فكان مع يوشافاط كفرسي رهان يتسابقان في مباشرة كل اعمال الخير وبقداسة سيرتها المفردة والاجتماعيَّة على مثال قدماء النسَّاك فكان الشعب يباركهما ويشكر الله على ما يعاينهُ من صلاحهما

فلمَّا رأى المشاقُّون ان حزبهم آل الى الاضمحلال بسبب هؤلاء المصلحين تنمَّروا غيظاً وتآمروا مع الارشمندريت صموئيل ومشايعيهِ على يوشافاط وروتسكي وطلبتهم لينفوهم من الدير فيجعلوهُ في قبضة حزبهم. فعهدَ الرئيس الى يوسف روتسكي بمهمَّة في مدينة بعيدة وحاول في غيبتهِ ان يجتذب الى حزبهِ المخالف الراهب يوشافاط فدعوهُ الى مكان منفرد وأقفلوا وراءهُ الباب وألحّوا عليهِ بان ينضمَّ الى حزبهم فينبذ الطاعة للكرسيّ الروماني فأبى القديس كلّ الاباء فاهانوهُ ولطمهُ الرئيس على وجههِ فاحتمل بصبر كل الاهانات اقتداء بالمصلوب ولم يفلت من يدهم

الّا يوعده لهم انّهُ سيفحص الامر أمام الله ويجيبهم حسب إلهامهِ تعالى . وكان في اثناء ذلك خبر اهانات يوشافاط تى الى روتسكي فعاد مسرعاً الى الدير ثمّ بلّغ المطروبوليت يوسيه ما فعلهُ الارشمندريت فعزلهُ من رئاستهِ واقام يوسف روتسكي في مكانهِ

فحدّث ولا حرج بما اثار هذا العمل العادل في قلب صموئيل من الشحناء والبغض فاجتمع بحازبيهِ وتآمروا على الروثانيين الكاثوليك وقبل كلّ على زعمائهم اي المطروبوليت يوسيه والارشمندريت روتسكي والشمّاس يوشافاط وسيّروا الى كلّ الانحاء انصارهم ليهيّجوا الشعب على النُّعاة بالاتحاد مع رومية ونشروا الالوف والربوات من النشرات الكاذبة في حقّهم فصوّروهم كاعداء وطنهم وجحدة دينهم ورشوا بالدرهم الرنّان كثيرين من القُضاة والمندوبين الى المجلس الملكي الاعلى وعلى الاخصّ بعثوا الحقد في قلوب الكهنة العلمانيين فاصبحت البلاد كبركانٍ من النار او كأتون متّقد فحار عمّال الدولة في امرهم وتخوّفوا من حرب أهليّة تقع بين ابناء الوطن . فسعى الملك سجسمند الثالث بتخميد اظاهم واطفاء جمرتهم فلم يزيدوا الّا شراسةً واغتصبوا كنائس المتّحدين وكادوا يفوزون بكل رغائبهم لولا ان المطروبوليت يوسيه لم يدّخر شيئاً من قواهُ للدفاع عن قومهِ وكشف حقائق الامور التي شوّهها باراجيفهم اصحاب الاغراض . فما كان منهم الّا ان دسّوا رجلاً من ذويهم ليغتال المطروبوليت ويقتلهُ فانخدع بقولهم وفتك برئيس الاساقفة وهو راجع الى كنيستهِ فكاد يعدمهُ الحياة لولا نعمة من الله الذي نجّاهُ من سيف ذلك الشقيّ . وانّما قطع لهُ بعض اصابعهِ وجرحهُ جرحاً خفيفاً في عنقهِ فوقع مغشيّاً عليهِ ولمّا افاق غفر لقاتلهِ وقدّم لله دمهُ لخلاص رعيّتهِ

فوقعت هذه الجناية اسوأ وقع في قلوب الرولونيين حتى المعادين للمطروبوليت والحزب الكاثوليكي وعرف الجميع من حرّك الى هذا الاثم الفظيع يد ذلك الشرير فكُبّل الجاني بالاغلال وحكم عليهِ الملك بالإعدام فاسرع الى حبسهِ يوشافاط ليستتيبهُ فباء الرجل باثمهِ ومات نادماً على جريمتهِ . واندرأ الشعب كبيرهم وصغيرهم على المُصلحين اذ عرفوا براءتهم وخباثة اعدائهم فعاد السلام الى نصابهِ واستولى الروثانيّون الكاثوليك على كنائسهم دون مخالف

الكاهن ومختطف النفوس

رأى المطروبوليت بوسيه انَّ السنين قد اثقلت كاهلهُ فاختار برخصة الحبر الروماني يوسف روتسكي نائباً عنهُ وابقاهُ على رئاسة دير الثالوث الاقدس لتهذيب رهبانهِ ثمَّ استدعى رفيقهُ يوشافاط فرسمهُ كاهناً ليقوم في مدينة ڤلنا باعمال الوظيفة الكهنوتية. فما نال المذكور هذه الرتبة حتى كلَّف نفسهُ قضاء كلّ واجباتها

وكان الكهنوت في ذلك الحين قد ذلَّ وحقر في اعين الشعب لان الكهنة كانوا امّيين مرتبطين بالزواج لا يفكرون في شيء الّا في معاشهم وعيالهم فكانوا لا يقدّمون الذبيحة الّا نادرًا ولا يهتمّون بتوزيع الاسرار الّا لمن يدفع لهم اجرة عملهم. امّا الوعظ وارشاد الشعب فيجهلونها تماماً

فنصب يوشافاط نفسهُ مثالاً لكاهن الله واخذ يقدّم الذبيحة الالهية كلّ صباح بتقوى عجيبة كانت تؤثّر في نفوس الحضور وقد شهدوا غير مرّةٍ انهم رأوا فوق كأسهِ صورة الطفل الالهي مجسّماً وعن يمينهِ ملاكاً يخدمهُ. فذاع في كلّ المدينة ذكر قداستهِ واقبل اليهِ الجمهور يلتمسون الاسرار المهملة قبلهم. فكان يوشافاط يجلس الساعات الطوال في منبر التوبة بلا مَلَل ولا سأم. وما كان ينتظر فقط الخطأة ليأتوا اليهِ بل كان يذهب اليهم فلا يخرج من عندهم الّا وقد صالحهم مع ربّهم بالتوبة النصوح. وكان اذا وَهَب لهُ احدهم هبةً ما اجرةً على تعبهِ رفضها رَفْضاً باتًّا بل كثيرًا ما كان يُسعف الفقراء بما لديهِ من المال فأطنب الجميع على تجرُّدهِ ونزاهتهِ

وكان يوشافاط لا يدع فرصةً لتعليم الشعب الحقائق الدينيَّة فكان يخطب فيهم باللغة الصقلبيَّة ببلاغة تحيك في الصدور وتُسيل الدموع حتى انَّ كثيرين اكّدوا بعد موتهِ انَّ الروح الالهي كان ينطق بلسانهِ فلا يستطيع سامعهُ الّا الرضوخ لكلامهِ. وربَّما كان يأتيهِ اعداء الكنيسة من مشاقين وبروتستانت ليجادلوهُ فكان يردّ بكل تؤدة وبالحجج القاطعة على اعتراضاتهم فربح كثيرين منهم للوحدة الرومانيَّة ومن ثمَّ دعاهُ الكاثوليك رسول الصقالبة امّا اعداؤهم فلقبوهُ بمختطف النفوس. وممَّن ارتدّوا على يدهِ اغناطيوس بطريرك موسكو الروسي كان نفاهُ منها ارباب الثورة سنة ١٦١٠ فرحّب بهِ ملك پولونية فطلب ان يسكن في دير الثالوث الاقدس حيث كان

يوشافاط مقيماً ولما آنسهُ واختبر براءتهُ أعلن باغرائهِ تعلُّقهُ بالكرسي الرسولي وردَّ بمثالهِ عدداً غفيراً من اهل الشقاق الى الاتحاد مع رومية. ومات بعد زمن قليل ودُفن بكلّ اكرام في دير الثالوث

وكذلك أنار يوشافاط عقل شابٍ آخر يوناني الاصل من سلالة ملوك الروم المسمَّى عمّنوئيل قنطقوزان فعرف الحقّ وتعلّق بيوشافاط مرشدهِ الى موتهِ

الارشمندريت

وفي اوائل سنة ١٦١٣ فكَّر مطروبوليت كياف هيباس بوسيه في ان ينشر الاصلاح الرهباني في مدنٍ غير ثلثا وكان بعض امراء بولونية الصقالبة المرتدّين الى الكثلكة يرغبون في ذلك ويقدّمون المساكن اللائقة لهذه الغاية فامر المطروبوليت الجديد صديقهُ يوشافاط ان يقوم بهذه المهنة. فاجاب الى امر رئيسهِ وثبَّت اوَّلاً دعائم الاصلاح في دير للراهبات في ثلثا ثم سار الى انحاء ليتوانية في معاملة نوفوغوردك فشيَّد ديراً قريباً من بيتٍ صار بعد زمن قليل بيئة ومعقلاً للاصلاح وكان بقرب الدير كنيسة صغيرة عريقة في القدم استولى عليها الخراب فيها صورة عجائبيَّة للعذراء فرمَّمها القديس ووسَّعها واقام فيها مذبحاً جليلاً للصورة فجدَّد ذكرها في تلك الاصقاع واخذ عبَّاد البتول يكرمونها وينالون نعمها كما كانت في سالف الزمان اذ يقصدها ملوك بولونية ويستشفعون بها. وقد ارسل البابا بندكتوس الثالث عشر اكليلاً من الذهب توَّج به هامتها

وفي تلك الاثناء استأثر الله بعبدهِ هيباس بوسيه رئيس اساقفة كياف في رائحة القداسة بعد ان جاهد خير جهاد في خدمة الكنيسة الصقلبيَّة المتَّحدة فانتدب الكرسي الرسولي نائبهُ يوسف روتسكي ليرأس في بولونية ذوي الطقس الشرقيّ الكاثوليكيّ فكان خير خلف لخير سلف. فوجَّه الى يوشافاط ورفعهُ الى رتبة الارشمندريت ليخلفهُ في دير الثالوث في ثلثا. فعاد اليهِ سنة ١٦١٤ وترأس على رهبانهِ الذين كان بلغ عددهم الستين بعد الاصلاح

قضى يوشافاط اربع سنين في رئاستهِ على دير الثالوث في ثلثا بصفة ارشمندريت مارس فيها كل اعمال البرّ فكان بين تلاميذه على مثال السيد المسيح بين رسلهِ

كصغيرهم وخادمهم يخصهم بمثله اكثر منهُ باوامره يهتم بكلّ واحد منهم اهتمام الاب بابنائهِ ولا يخصّ نفسهُ الّا باحقر الملابس واشظف العيش ممتنعاً عن اكل اللحم وشرب الخمر ومداوماً على لبس المسوح وقمع جسمهِ بالجالد والنوم على الحضيض واحياء الليل بالصلاة. وكان مع فقرهِ لا يردّ مسكيناً حتى فرغ الدير غير مرّة من المؤونة فكان القديس بصلاتهِ ينال من الله بوسائط عجيبة ما يقيت بهِ رهبانهُ فتأتيهم الحسنات والمأكولات بغتةً من حيث لا يدرون. وقد اخبر اصحاب البرّ انّ القديس كان يتراءى لهم في المنام ويعلمهم بضيق رهبانهِ فيسرعون الى مساعدتهم

ومن غريب ما حدث في أيام ارشيمندريّة يوشافاط انّ الابالسة خزاهم الله حاولوا إرهابهُ كما فعلوا قبلهُ بالقديس انطونيوس الكبير فكانوا يظهرون لهُ باشكال مخيفة فيبدّد القديس شملهم باشارة الصليب . ودخلوا الكنيسة ليلةً بجلبة عظيمة وصراخ وتجاديف فظيعة على هيئة مسوخ وحيوانات ضارية يسحبون وراءهم شبحاً هائلاً ملتهباً وزعزعوا جدران الدير كأنهُ زلزال حدث فارتعدت فرائص الرهبان ولم يمكنهم ان يكحلوا عينهم بالرقاد حتى توارى الابالسة عند الصباح وعادوا الى فعلهم هذا مدّة أيام متوالية فاحتار القديس في امرهم لكنّهُ اخذ معهُ احد رهبانهِ واحيا الليل في الصلاة والسجود للقربان حتى اذا كان منتصف الليل رأى ذاك الجرق الجهنّمي يكرّر ضجّتهُ وتهاويلهُ السابقة ويتهدّدهُ ورفيقهُ بالموت الّا ان القديس لم يرهبهُ هذا المشهد المخيف بل اخذ القربان وجرى بهِ نحوهم فزاد صراخهم وعظم تهويلهم وفرّوا هاربين امامهُ حتى خرجوا من الكنيسة واندفعوا الى المقبرة ورموا في حفرة هناك الشبح الذي كان معهم وتواروا عن العيان . ففي صباح النهار سأل القديس من هو المقبور هناك فقيل لهُ انهُ رجل اثيم مات بلا توبة فنُقلت رفاتهُ الى مكان بعيد ورجع الهدوء الى الدير واصحابهِ

وفي تلك الحقبة تعدّدت اديرة الباسيليين المُصلحة بفضل عدّة رهبان عريقين في الصلاح والروح الرهباني خرجوا من دير ڤانا وأسّسوا اديرة في انحاء البلاد فكان مثلهم يحيي الدين والتقى حيثما يحلّون ويدعون الجماهير الى الوحدة مع امّ الكنائس البيعة الرومانيّة . وكان اليسوعيّون عادةً يتولّون تهذيب الناشئة الرهبانيّة الباسيليّة ثم يرسلونهم الى انشاء اديرة جديدة بموجب قوانين الاصلاح التي اتّفق سنة ١٦١٧ على

وضعها المطروبوليت روتسكي ويوشافاط بمساعدة بعض المثلين الكرسي الرسولي

يوشافاط رئيس اساقفة پولوسك (١٦١٨—١٦٢٣)

كانت پولوسك احدى حواضر بلاد ليتوانية الكبرى فرأى المطروبوليت روتسكي انها في حاجة الى راعٍ غيور يبثّ فيها روح الدين ويطفئ جمرة المتمرّدين على السلطة الكنسيّة باغراء البطريرك القسطنطيني ومناصريه فلم يجد رجلاً احقّ برتبة الاسقفيّة فيها من يوشافاط فعرض الامر عليه الّا ان القديس لتواضعه لم يرضَ بذلك الشرف حتى احتاج رئيسهُ ان يأمرهُ بحكم الطاعة ليغلبهُ على إبائهِ فلم يرَ بدًّا من الخضوع لمشيئة الله (٩ ك ٢ ١٦١٨)

مَن لنا ان نصف قديسنا في مقامهِ الجديد فانّهُ وجد ابرشيّتهُ في حالةٍ يُرثى لها لتهاون رُعاتها السابقين الذين اهملوا تدبيرها فدخل الذئاب في الحظيرة وافسدوا خرافها فاستفحل فيهم الشقاق والهرطقة. على انّ سمعة يوشافاط واخبار اعمالهِ كانت ذاعت في پولوسك فهيّأت القلوب لاستقبالهِ فتسابق الاهلون على اختلاف نزعاتهم لاكرامهِ وقد اجتهد عند دخولهِ بان يطيّب قلوب الصقالبة الوطنيين بأبّهة الطقوس الشرقيّة وبذلك افحم اعداء الكثلكة الزاعمين بانهُ أتى ليزيل تلك الطقوس الجليلة. وسعى بتحسين الكنيسة الكاتدرائيّة وجدّد ايقونسطاسيا فأثر ذلك تأثيرًا حسنًا في ابناء ابرشيّتهِ

وكان اوّل ما صرف اليهِ همّتهُ ان استدعى الرهبان الباسيليين من ذوي الاصلاح ثمّ جمع كهنتهُ فوضع لهم قوانين لقداسة حياتهم ولتقديس رعاياهم وجعل لهم رواتب كافية لمعاشهم فاكتسب محبّتهم. وكذلك استحفى عن احوال جميع مرؤوسيهِ ولاسيما الفقراء فكان يسعف الجميع على قدر حاجتهم فينفق من اوقاف الكنيسة عليهم بسخاء بل كان يعتبر مالهُ الخاصّ كملكهم فلا يصرف منهُ الّا الزهيد على نفسهِ وعلى بعض اقاربهِ حتى لامهُ البعض عن تقتيرهِ فأجاب انّ كل ما في يدهِ بعدُ كوديعة مقدّسة لا يجوز لهُ ان يعطيها لغير المعوزين والفقراء. واذ لم يجد يومًا ما يتصدّق بهِ على ارملةٍ فقيرة اخذ الاموفوريون الاسقفي الثمين ورهنهُ ليساعدها

وكانت غيرتهُ على خلاص نفوس رعاياهُ اعظم منها على مساعدتهم المادّيّة

فكان كالراعي الصالح لا يزال في طلب النعجة الضالة الى ان يردّها الى الحظيرة . ولم يخف ان ينزل في ميدان الجدال مع البروتستانت والصقالبة المعارضين لرومية ليكحل نظرهم بنور الايمان . وقد ألف في الصقلبية تآليف عديدة ليوطد العقائد الكاثوليكيّة في اذهان المشاقين منها سفرٌ جليلٌ في رئاسة الكرسي الروماني وزعامة القديس بطرس وبيّن ان الكنيستين الصقلبيّة والروسيّة كانتا في اصلها متّحدتين مع رومية ونقل الى الصقلبيّة تعليم الطرباوي اليسوعي بطرس كانيزيوس

فكانت نتيجة اعماله هذه كلّها انّ الروح الكاثوليكيّة انتعشت في انحاء بلاد ليتوانية وان الروثنيين الصقالبة ادركوا ان ازدهار مأتهم متوقف على اتحادهم مع مركز الايمان في رومية

الشهيد (١٦٢٣)

هذا وانّ اعداء الكثلكة قد اصابهم باجتذاب القديس يوشافاط كثيرين من ذويهم الى الكنيسة البطرسيّة نوعٌ من الخبل والجنون فأقسموا انهم سينتقمون ولو بموته وكان اهل مدينة ڤيتبسك المجاورة لپولوسك اشدّ بغضاً له لما كان يبثّه فيهم المعادون للكثلكة من الضغينة وبالاخصّ بعض الرهبان الخوارج الذين كانوا اسرعوا واختاروا لهم اسقفاً من حزبهم يُدعى ملاتيوس سمورتريكي ليعارض الاسقف الشرعي . فعوّل القديس على زيارة تلك المدينة الواقعة في ابرشيته

فما بلغهم هذا الخبر حتى اضمروا له الشرّ وعقدوا اجتماعاً سرّياً تآمروا فيه على قتله اذا جاء الى مدينتهم . فلم تخفَ مكيدتهم على القديس بل كشفها الله له بكل ظروفها واشار اليها بخطبه الى شعب پولوسك . فسعى كثيرون من اصحابه ان يعدلوا به عن السفر الى ڤيتبسك فكان جوابهُ انهُ مستعدّ لأن يسفك دمهُ لخلاص شعبه وان لا شيء يقدر ان يصدّهُ عن زيارة رعاياه . ولما عرضوا عليه ان يأخذ فرقةً من الجند ليحرسوهُ في الحلّ والترحال لم يرضَ منهم احداً سوى بعض شمامسته للخدمة الدينيّة وقبل سفره عيّن في الكنيسة مكاناً لقبره لعلمه بقرب موته

سافر يوشافاط الى ڤيتبسك في اواخر تشرين الاوّل متمماً في سفره كل فرائض الكنيسة كما في قلّايته . فوصل اليها وقدم الشعب لاستقباله فنزل في الدار الاسقفيّة

بجوار كنيسته وقضى خمسة عشر يوماً لا يألو جهداً في اصلاح امور رعاياه وخدمتهم في كافة الاعمال الرسولية وردّ كثيرين ممّن كان اعداؤهُ غشّوهم باكاذيبهم واجتذبهم الى الاتحاد بالكنيسة البطرسيّة . فزاد بذلك حنق المعادين وارسلوا احد كهنتهم صباحَ مساء ليشتم القديس في دخوله الى الكنيسة وخروجه منها ويوشافاط ساكتٌ عنهُ الّا انّ خدمَهُ لم يطيقوا هذه الاهانات فأمسكوا ذلك الكاهن وحجزوهُ في غرفة هناك بغيبة سيّدهم ولمّا عرف بفعلهم امرهم ان يطلقوا سبيلهُ الّا انّ المتآمرين جعلوا يصرخون ويصخبون ويولولون ودقّوا اجراس المدينة فتألّب الناس طالبين دم القديس واذ حاول بعض خدمه ان يدافعوا عنهُ وهو يصلي في الكنيسة ضربوهم وجرحوهم فقام القديس من صلاته وتقدّم الى اولئك القتلة وقال لهم بصوت لطيف : « لماذا تضربون اصحابي فان كنتم تطلبونني فهاءنذا امامكم » . فما اتمّ كلامهُ حتى وثبوا عليهِ وضربهُ واحد منهم بسيفهِ ضربة شديدة فلقت جمجمتهُ فسقط على الارض منادياً باسم يسوع . فتوالت عليهِ الضربات من كلّ جانب حتى ضرّجوهُ بالجراح وشرّحوا جسدهُ الطاهر فاسلم الروح بين ايديهم ولمّا جرّدوهُ من ثيابهِ وجدوا المسح على جسمه فسحبوهُ الى النهر وعلّقوا المسح في رجلهِ مثقلاً بحجارة ضخمة ورموهُ في مكان عميق ليرسب في قعرهِ ثمّ عادوا ونهبوا كلّ ما وجدوهُ في منزلهِ وفي الكنيسة وكان ذلك في صباح اليوم الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٦٢٣

ومنذ موت القديس صدقت فيهِ كلمة الربّ بان حبة القمح اذا ماتت اتت بثمر كثير فانّ اهل فيتبسك بعد هذا الاثم الفظيع ادركوا قبحهُ واستولى عليهم الهلع وقد رأوا امرأةً منهم أُصيبت بالعمى التامّ لاهانتها لجسمهِ الطاهر . وظهرت في السماء سحبٌ قاتمة في وسطها عمود من النور نزل على بقايا الشهيد ورأى اهل پولوسك في الليلة التابعة لوفاة اسقفهم شبه صليبٍ منير من جهة فيتبسك لم يدروا معناهُ حتى اتاهم نبأ استشهادهِ . وصرخ طفل صغير عمرهُ سنتان : قد مات الاب ! قد مات الاب ! ولمّا سألوهُ من هو ذاك الاب اجاب : هو باني الكنيسة . فعرفوا انهُ يريد رئيس اساقفتهم

وبقيت جثّة القديس محجوبة في النهر الى أن اتى اهل پولوسك وطلبوها فبحثوا عنها لستّة ايّام مضت على وفاة القديس واذا بنور عجيب ظهر على وجه المياه فساروا

نحوهُ فوجدوا الجسم طافياً سليماً دون فساد مع المسح والحجارة في رجلهِ وانما كان اثر الجرح في رأسهِ باقياً والدم يقطر منهُ . فنُقل بكل اكرام موشحاً بالملابس الحبرية الى الكنيسة فعُرض فيها اياماً وكان اهل فيتبسك كقائد المئة والشعب حول صليب المسيح يقرعون صدورهم ندامةً ويذرفون الدموع على ما جنتهُ ايديهم . وكان وجه القديس بهيئاً كانهُ راقد يبسم لمن يأتي مقبلاً رجليهِ ومنهُ تنبعث رائحة البخور

ثمَّ نُقل الجسم بموكب عظيم الى بولوسك ودُفن كاحد اولياء الله في القبر الذي اعدَّهُ لنفسهِ قبل سفرهِ . ولما انتشر في البلاد خبر موتهِ أجمع أهلها من اصحاب واعداء ويهود على براءتهِ وسموّ فضائلهِ وانهُ مات شهيد محبَّتهِ للكنيسة الكاثوليكيَّة . واضحى منذ ذاك قبرهُ مزاراً كان يحجُّ اليهِ المؤمنون ولاسيما المنتمين الى الطقس الشرقيّ وقد ارتدَّ بسبب استشهادهِ الوفٌ مؤلَّفة من اعداء الاتحاد الى الطاعة للكرسي الرسولي فكان بموتهِ ابلغ منهُ في حياتهِ . ثمَّ تعدَّدت بشفاعتهِ الآيات الباهرة والمعجزات المختلفة فارسل الحبر الاعظم لجنةً تبحث رسمياً عن سيرة القديس وفضائلهِ وعجائبهِ فتحقَّقوا ان يوشافاط يستحقُّ ان ينظمَ في سلك الابرار فاثبتهُ البابا اوربانوس الثامن طوبوياً في ٣ ك ١ ١٦٣٩ ثمَّ ظهرت على يدهِ كرامات جديدة منها عموميَّة ومنها خصوصيَّة تستغرق تفاصيلها مجلَّداً ضخماً واخصُّها انهُ ثبَّت الاتحاد مع الكرسي الرسولي بين الروثانيين رغماً عن كل الاضطهادات . فاحبَّ البابا بيوس التاسع ان يُعلن باسمهِ قديساً في عيد الرسولين بطرس وبولس في ٢٩ حزيران سنة ١٨٦٧ فجرت بتلك النسبة احتفالات عظيمة لا شبيه لها على الارض حضرها نحو الخمسمائة من البطاركة والمطارنة والاساقفة والوف من الكهنة والرهبان ومئات الوف من المؤمنين وتخصَّص في كلّ سنة لذكر القديس الشهيد اليوم ١٢ من تشرين الثاني ليكرم في الكنيسة الجامعة

وفي هذه السنة اليوبيليَّة اراد الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ان يُعلن للشرقيين عموماً وللشعوب الصقالبة خصوصاً محبَّة امهم الكنيسة الرومانيَّة فيزيد الكاثوليك منهم تشبُّثاً بها ويتحقَّق المنفصلون انهما لا تزال الامّ الرؤوف الفاتحة ذراعيها لمن خُدعوا باراجيف اعدائها فعقُّوها جاهلين لاحساناتها ولديها وحدها يجدون النعمة والخلاص

الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي

بقلم الشيخ سليم خطار الدحداح (تتمة)

٦ حكمهُ . عدلهُ . حبّهُ للشعراء والعلم (تابع)

قد أجمع معاصرو الامير بشير انهُ بعفافه المشهور ، بآدابه الشخصيّة، باخلاقه، وشهامته، لم يماثله احد في جبل لبنان لا في عهده ولا قبلهُ كان وبقي الى اليوم منقطع النظير

و قدارتفع شأن اللبناني وشأن المسيحي في أيام حكمهِ . وتوصّل هو الى عزّ ومجدٍ لم ينلهما قبله وما نالهما بعده احد في لبنان . فلا عجب اذا احتشدت الشعراء في قصرهِ وترنّموا بمديحهِ ومديح ابنائهِ واحفادهِ . بعد ان كان يُلقى هو وسلفهُ في سجن عكّا صار حين توجّههِ اليها يلقى العساكر موفدةً الى ملاقاتهِ مع الموسيقى على مسافة ساعات من المدينة وتُطلق لهُ المدافع اجلالاً لقدومه ويخرج الوزير بالذات لاستقبالهِ

وقد كان وقوراً مهيباً ذا منظر جليل يدعو الناظر اليهِ الى الاعتبار والاحترام . كما وصفهُ الشاعر لامرتين — وكما افادني عنهُ المرحوم الشيخ الياس مرعي الدحداح وقد جاء بيت الدين خصيصاً سنة ١٨٣٩ ليشاهدهُ . ولمّا دخل على الصدر الاعظم العثماني في استنبول سنة ١٨٤٢ رأى فيهِ من الهيبة ما دعاهُ الى ان ينهض احتراماً لهُ وكلٌّ يعلم ان الصدر الاعظم وعلى الخصوص في ذاك الوقت لم يكن ليقف لاحدٍ من غير الوزراء ولاسيما ان كان الوافد مسيحيًا وبالاخصّ منفيًا

واعظم شهادة على عدالة الامير بشير انهُ بعد ان انزل بالاميرين سلمان وفارس سنة ١٨٢٥ ذلك العقاب الشديد الذي يستشهد به اخصامه على همجيّتهِ دعاهما الى خدمتهِ وعهد اليهما بالوظائف فعُدّت اعادتهما الى الوظائف دليلاً ساطعاً على اعتدالهِ

أمّا مقدرتهُ السياسيّة وتدبيرهُ للامور واتّفاق كلمة الدروز والمسيحيين على الرضى بحكمهِ وعدم الانقياد لغيره فلنا عليهِ شاهد عياني وهو الشيخ مرعي الدحداح : كان هذا الشيخ مدبّرًا للامير عبّاس سنة ١٨٢٢ في غيبة الامير بشير في مصر فلما عاد الى

الحكم امر ابن اخيهِ عبدالله بسجنهِ في غزير ففرَّ الشيخ من السجن ولحق بالامراء الثائرين مع الشيخ بشير جنبلاط وقاتل معهم وبعد تشتُّت شملهم فرَّ هارباً الى حلب فرسيليا وعاش هناك معروفاً بعداوتهِ للامير . فبعد حوادث سنة ١٨٤٠ استدعاهُ الملك لويس فيليب ووزراؤه الى باريس واستطلعوا رأيه بخصوص لبنان فاجابهم : «لا تعود الراحة الى لبنان حتى يُعاد الامير بشير حاكماً على الجبل لأنهُ ما من احد سواهُ يمكنهُ استلام مقاليد الحكم بكل اقتدار ولا يتفق الدروز والنصارى على طاعة احد سواه فهو العادل القادر الوحيد الذي يحترمه الجميع» — هذه شهادة عدوٍّ صادق لو سقط في يد الامير لرفعهُ على الاعواد شنقاً ! وقد تكفَّلت الحوادث التي تتابعت بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠ باثبات شهادته

ثم لا يُخفى ان الشيخ طنوس الشدياق صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان كتب لمحةً عن الاسرة الشهابية تحت مراقبة الامير فارس بيد احمد المشار اليهِ سابقاً فكان يكتب اذن تحت نصّ خصم الامير بشير ومع هذا فانهُ عند ذكرهِ لوفاة الامير بشير قد خصَّهُ بوصفٍ قلَّما يُنعَت بهِ كثير من كبار الرجال فقال ما حرفهُ : « كان (اي الامير بشير) كامل الصفات الحميدة . عاقلاً عادلاً حليماً شجاعاً فاضلاً كريماً ديّناً مهاباً شهماً يقظاً فطناً صادقاً رزيناً حزوماً جبارًا فتَّاكاً صبورًا غيورًا » فما رأيك بصفة « حليماً » يكتبها طنوس الشدياق بنصّ الامير فارس سيد احمد عن الامير بشير ؟ أليست شهادة عدوٍّ واقرار واضح ؟ والفضل ما شهدت بهِ الاعداء

الخلاصة ان الامير بشير الثاني الكبير مع كل ما ارتكبهُ من الاغلاط وما نُسب اليهِ منها حقَّق في شخصهِ مثال الامير الكبير الذي اكسب اللبنانيين والموارنة اعظم فخر وسيبقى الى زمان طويل اعظم رجل اوجدهُ لبنان يليق بنا ان نشيد بذكرهِ ونفتخر بهِ دون سواه . ولا ارى ختاماً لهذه المقالة احسن من الابيات التي وردت في رثاء نظمهُ الشيخ ناصيف اليازجي في الامير سعيد خليل شهاب احد حفدة الامير وقد توفي فجأةً في بيروت ودفن في مقبرة المدوَّر سنة ١٨٥٧ فممَّا جاء فيها في مديح الحفيد المتوفى وجدهِ الشهير واسرتهِ الشهابيَّة قولهُ :

أَجلُّ بني الكرام اباً وجدًّا ... واكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ ... بنوا في المجد اعمدةً طوالا

سليل امير لبنانَ المنادي انا لبنانُ لمّا ملتُ مالا
اذا قلتُ الاميرُ ولم تسمّي فلا يحتاج سامعُك السؤالا
سألنا تحت معنٍ عن نظيرٍ لهُ هل قام فيه قال: لا لا
ستبكيه البلادُ ومَن عليها الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتحصي الناسُ ما فعلت يداهُ ولكن بعد ان تحصي الرمالا

هذا هو الامير بشير درّة الشهابيين فخر الموارنة واعظم رجال لبنان قاطبةً

اولاد الامير وسلالتهُ

نذكر هنا اتماماً للفائدة سلالة الامير الشهابي بشير الكبير . رُزق من زوجته الاولى الشهابية ثلاثة امراء ذكور . ومن السرّيّة الشركسيّة اميرتين فقط وهذه اسماؤهم :

١) الامير قاسم : مات منفيًّا في زعفران بول سنة ١٨٤٦ وعمرهُ ٥٨ سنةً وهو والد الامير مجيد الذي كان مرشّح فرنسة لحكومة لبنان سنة ١٨٦٠ . وسلالة الامير قاسم كثيرة الآن

٢) الامير خليل : كان رجل حرب توفي منفيًّا في استنبول قبل ابيهِ سنة ١٨٥٠ ولهُ من العمر ٦٠ سنة ومن انجالهِ الامير سعيد الذي ذكرنا بعض ابيات الشيخ ناصيف في مديحهِ (١ . وحفيدهُ الوحيد الآن سعادة الامير فائق سعد شهاب الذي كان ناظر الامن العام في لبنان الكبير

٣) الامير امين : مات مسلماً في استنبول قبل ابيهِ ايضاً سنة ١٨٥٠ وكان عمره ٥٢ سنة ولم يترك نسلًا وكانت وفاة والدهم على اثر وفاة اولاده الامراء

٤) الاميرة سعدا : تزوّجها الامير سليم شهاب حفيد حسن شقيق الامير وقد ماتت في الجيّة من قضاء الشوف حوالي سنة ١٨٨٠ ولها حفيد واحد مقيم في بيروت

٥) الاميرة سعود : تزوّجها الامير خليل بشير احمد ابي اللمع من برّمانا وقد

---

١) وقد كان في عداد اولاد الامير خليل الامير سعود الذي تولّى نظارة مساحة متصرّفيّة لبنان سنة ١٨٦٤ وتوفّي مسلماً في بيروت وحفيدهُ حاضرًا سعادة نجيب بك القبّاني نائب رئاسة محكمة التمييز من افاضل رجال القضاء

توفيت في بيروت سنة ١٨٦٠ ودُفنت في قبة خاصة في مقبرة الدوُر وابنتها واحفادها اللمعيون مقيمون في انطلياس وفي جديدة بيروت

جدول

الحكّام من الامراء الشهابيين

١ً	الامير بشير الاول من راشيا	١٦٩٧—١٧٠٦
٢ً	الامير حيدر من حاصبيا	١٧٠٦—١٧٣٢
٣ً	الامير ملحم (بكر ابناء حيدر)	١٧٣٢—١٧٥٤ توفي ١٧٦١
٤ً	الاميران احمد ومنصور سوية	١٧٥٤—١٧٦٢
٥ً	ثم منصور وحده	١٧٦٢—١٧٧٠
٦ً	الامير يوسف ابن الامير ملحم	١٧٧٠—١٧٨٨
٧ً	الامير بشير الثاني الكبير (١	١٧٨٨—١٨٤٠
٨ً	الامير بشير قاسم الثالث	١٨٤٠—١٨٤١

والامير بشير الثالث عزله والي ايالة صيدا المقيم في بيروت بحجّة ضعفه عن ادارة الاحكام وعلى اثر حادثة هجوم النكديين وسائر الدروز على دير القمر فحضر لبيروت ولمّا احتجّ للوالي على هذه المعاملة ارسله منفياً الى الاستانة. فاقام هناك بضع سنوات ثمّ مرض وفقد بصره فسمحت له الدولة بالرجوع الى الجبل فعاش اعمى في داره في بسبنيه. وفي سنة ١٨٦٠ بينما كان منهزماً الى بيروت لحقه بعض الدروز في باتين الحدَث وذبحوهُ واخذوا رأسه الى الشويفات وكان عمره ٨٥ سنة ولم يترك اولاداً ذكوراً وهو آخر الحكّام الشهابيين

ومن هذا الجدول يستدلّ القارىء الكريم على فائدة وجود أُسرة خاصّة للحكم فانّهُ في مدة الـ ١٤٤ سنة التي حكم فيها ثمانية امراء من آل شهاب على جبل لبنان

(١) وقد نازعهُ الحكم الامير يوسف ثم الاميران حيدر ملحم وقعدان محمد ثم اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم ثم الامير عباس اسعد ثم الامير سلمان سيد احمد . ثم الامير حسن علي وسلمان ذاته . ثم الامير عباس اسعد كما مرَّ بك

تولّى ٦٨ والياً على ايالة الشام و ٨٤ والياً على حلب (وذلك دون احصاء سني الاحتلال المصري اي ١٣٠ سنة فقط) واذا اكتفينا بمقابلة مدة حكم الامير بشير الثاني وحدهُ فاننا نجد في مدة الـ ٤٤ سنة من حكمهِ حتى في الاحتلال المصري اي من ١٢٠٣ الى ١٢٤٦ هجرية ٢٣ والياً في الشام و ١٨ والياً في حلب فتأمل !..

ملحق

نظر اجمالي في احوال لبنان والاسرة الشهابيَّة بعد الامير بشير

بعد عزل الامير بشير قاسم شهاب الثالث المعروف بابي طحين اراد الاتراك اغتنام فرصة الحرب بين الدروز والموارنة ليبعدوا الشهابيين عن الوظائف فامر السرعسكر بعزلهم وعيَّن عمر باشا النمسوي الاصل حاكماً على جبل لبنان. فساء هذا التعيين معظم سكَّان الجبل واجتمع اعيان الدروز والموارنة وتشاور ذوو الاقطاع منهم في الامر فاخذ كل منهم يرشّح اميراً من آل شهاب وطلب بعضهم اعادة الامير بشير الثاني. وقد رشّح الشيخ منصور الدحداح الاميرَ يوسف سعد الدين حفيد الامير يوسف . لكنَّ اجتماعهم انفضَّ بلا جدوى

ثم طلب اهل الجبل من الدولة ان تطلق لهم الحرّيَّة لانتخاب حاكمهم فتظاهرت الحكومة بمراعاتهم وقد اشتهر حينئذٍ المرحوم الشيخ رشيد الدحداح بمساعدتهِ للبطريرك يوسف حبيش والحزب الطالب اسناد الحكم الى امير ماروني شهابيّ . وحادثتهُ مع اقاربهِ في غزير مشهورة . فاصابتهُ واقاربهُ من جرّاء ذلك مشقّات يطول شرحها (اطلب تاريخ القاطعة الكسروانيَّة ص ٢٩٩—٣٠٤) فاختبأ الى ان سوّى امرَ قضيته بمداخلة الكرسي الرسولي المقدس والسفارة الافرنسية

ثم اجتمع الدروز والموارنة ثانيةً وانتخبوا الامير اسعد قعدان شهاب حاكماً فاتخذ الشيخَ رشيداً مدبّراً لكن عمر باشا شتَّت شملهم فاضطرَّت الدولة اخيراً الى عزل عمر باشا ولكونها منعت توظيف الشهابيين حرَّكت الدروز الى رفض الطاعة لحاكم ماروني واذ ذاك قسمت حكومة الجبل الى قائمقاميَّتين تفصلها طريق الشام القديمة

فالشمالية دعيت قائمقامية النصارى وعُيّن لها بناء على رأي البطريرك يوسف حبيش الاميرُ حيدر اسمعيل ابي اللمع قائمقاماً. والجنوبيّة دُعيت قائمقامية الدروز وتولّاها الامير احمد ارسلان. لكنّ بلاد جبيل والكورة ضُمّت رأساً لحاكم طرابلس لسبب وجود بعض المسلمين فيها. امّا اهالي دير القمر فانهم لاجل عداوتهم مع مشايخ آل ابي نكد حكّام مقاطعتهم التمسوا إلحاقهم رأساً بوالي ايالة صيداء الذي كان جعل مركزهُ في بيروت. فسُرّت الحكومة بذلك ولبّت طلبهم رافعةً سلطة قائمقام الدروز عنهم معتبرةً ذلك خطوة جديدة للتمكن من ضمّ لبنان الى ايالة صيدا

وقد كان هذا التقسيم سبباً لزيادة المنازعات بين اصحاب المقاطعات الدروز واهالي مقاطعاتهم المسيحيين وكان رجال تركيا ينفخون في النار ليزيدوها ضراماً ويتمكنوا رويداً رويداً من نزع السلطة من ايدي ابناء البلاد بحجّة تعصُّبهم وشدة عداواتهم وبغض بعضهم لبعض. ولمّا حدثت المقاتلة الثانية في سنة ١٨٤٥ بين الدروز والموارنة حضر ناظر خارجية تركيا المسمى شكيب افندي الى الجبل وتولّى بذاته التحقيق وبعد اعادة النظر في تنظيم الحكومة اثبت مبدأ القسمة في الحكومة. ثم ضمّ بلاد جبيل والكورة الى القائمقامية النصرانية وشكّل المجالس في القائمقاميتين وعزل الامير احمد ارسلان قائمقام الدروز وعيّن محلّهُ اخاه الامير امين. وفي سنة ١٨٥٤ توفي الامير حيدر قائمقام النصارى فعيّنت الدولة العثمانية الامير بشير احمد ابي اللمع قائمقاماً خلفاً لهُ. ولمّا توفي الامير امين ارسلان قائمقام الدروز تعين كبير اولاده الامير محمّد خلفاً لهُ سنة ١٨٥٩ وهو في العشرين من سنّه

وقد كان عهد القائمقاميّتين مملوءًا بالاضطرابات والقلاقل وكانت تزيدها سعيرًا دسائس رجال تركيّة. ففي كسروان قامت الاهالي على المشايخ وطردوهم. وفي المتن انقسم الامراء اللمعيّون والاهالي بين مساعدٍ للقائمقام وبين معاكسٍ لهُ فاضطرّ للهرب واقيم الامير حسن من بسكنتا وكيلاً عنهُ. وفي القائمقامية الدرزيّة تفاقمت المشاحنات بين دروز ونصارى الى ان وقعت حوادث سنة ١٨٦٠ المشئومة ولمّا تبيّن ان المذابح تولّاها الجنود حيثما وُجدوا اي في دير القمر وحاصبيا وراشيا ودمشق تداخلت الدول وارسلت فرنسة المنقذة ستة آلاف جندي بامرة الجنرال بوفور وحضرت اساطيل الدول الى مياه بيروت وجاء فؤاد باشا مندوباً سامياً عثمانيًا فاجرى القصاصات

الارهابيَّة في دمشق وبعض المدن والقى القبض على زعماء الدروز ومئات من رجالهم فوُضعوا في السجن . وتألفت لجنة دولية لسنّ نظام جديد في جبل لبنان. وقد كان ممثلو فرنسة يريدون إعادة الحكم الوطني الى جبل لبنان وكانوا يرشحون لذلك المنصب زعيم الامراء الشهابيين وقتئذٍ وهو الامير مجيد حفيد الامير بشير الثاني الكبير قاصدين ان يستمرّ المنصب بالارث في الاسرة الشهابية . ففطن فؤاد باشا للامر وقد كان عيَّن عند قدومه الى سوريَّة يوسف بك كرم وكيلاً لقائمقامية النصارى قصْدَ إثارة الاحزاب بين النصارى لانهُ ليس من عائلات اصحاب الاقطاع فلافاةً لتولية الشهابيين وعد يوسف بك كرم سرًّا بتعيينه حاكماً لكل الجبل اذا تمكَّن من عمل عريضة موقَّعة بامضاءات اهالي الشمال الموارنة يعترضون فيها على ترشيح الامير مجيد وعدم قبولهم بهِ حاكماً . ففعل وقدَّم لهُ عريضة بهذا المعنى عليها الوف من التواقيع التي لا يصعب على وكيل السلطة نيلها خصوصاً من قبل اناس اكثرهم يجهلون القراءة والكتابة . فتسلَّح فؤاد باشا واللورد دوفرين المعتمد الانكليزي بهذه العريضة معاكسةً لقبول مرشَّح فرنسة واستندا عليها لمنع تعيين حاكم وطني . واسفرت المسألة عن تعيين داود باشا على حكومة لبنان الجديدة التي دُعيت متصرفية وذلك في ٩ حزيران ١٨٦١ . وهكذا سقطت امنية فرنسة والموارنة باعادة حكم جبل لبنان بالارث الى امير ماروني وخابت مطامع يوسف بك كرم. كلُّ ذلك بدهاء فؤاد باشا ولسبب اختلاف معتمدي الدول

صدى مذبحة القديس برتلماوس

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كتب لنا قبل اشهر بعض كهنة الاقباط في مصر انَّ احدى الجرائد هناك نشرت فصلاً في مذبحة القديس برتلماوس ونسبت هذا الحادث الى الكنيسة الكاثوليكيَّة وابنائها فطلبوا منَّا ان نميط الستار عن هذه الواقعة ونروي غثَّها من سمينها . فتأخَّرنا

الى اليوم عن الجواب لتظهر مقالتنا في شهر آب الذي في غضونهِ وقعت تلك المذبحة الشهيرة . وها نحن نقسم بحثنا ثلاثة اقسام نبيّن في الاوّل : ما هي مذبحة القديس برتلماوس . وفي الثاني : ماذا كان سببها . وفي الثالث : هل للكنيسة الكاثوليكيّة فيها حصّة

١ ما هي مذبحة القديس برتلماوس

في ليلة اليوم الرابع والعشرين من السنة ١٥٧٢ قبل تبلّج صباح عيد الرسول القديس برتلماوس صدر من بلاط ملك فرنسة شرل التاسع امرٌ فظيع قام بهِ جندهُ وهو اغتيال البروتستانت الفرنسويين وقتلهم في بيوتهم . وكان عدد عديد منهم قد اجتمعوا في باريس ليحضروا حفلة زواج زعيمهم هنري من ناڤارّة الذي صار بعد ذلك ملكاً فعُرف بهنري الرابع مع الاميرة مرغريتا من اسرة ڤالوا

فقُتل في تلك الليلة كثيرون من المنتمين الى شيعة كلوينوس ثم بلغت الاوامر الى مدن اخرى فاستباح الناس دماء البروتستانت في عدّة امكنة وقد اختلف في عدد القتلى في العاصمة وانحاء البلاد فمنهم من بلّغهُ الى ١٥،٠٠٠ بل الى ٢٠،٠٠٠ ومنهم من اهبطهُ الى الفين بل الى اقلّ من ذلك . وما لا شكّ فيهِ انّ البروتستانت سنة ١٥٨٢ أجروا التحقيقات في ذلك لينظموا اسماء القتلى في سنكسارهم فلم يجدوا لكل فرنسة الّا اسماء ٧٨٦ رجلاً منهم ١٥٢ في باريس والله اعلم

تلك هي المذبحة المستقبحة المنسوبة الى القديس برتلماوس لوقوعها في يوم عيدهِ والتي يطبّل ويزمّر بها اعداء الكنيسة الكاثوليكيّة كأنّها هي المسئولة بوقوع ذلك الاثم الفظيع . وما هي في الحقيقة الّا احدى التُهم الباطلة التي يقرّع بها اعداء الدين الكنيسة الرومانيّة فيردّدها الصحافيّون كالببغاء كما يفعلون بديوان التفتيش ومسألة غليلاي وغير ذلك من الاراجيف التي فنّدناها سابقاً

٢ ما هي اسباب مذبحة القديس برتلماوس

انّ السبب الاوّل لوقوع هذه المذبحة انّما هم البروتستانت نفسهم المعروفون بالهوغنوت (Huguenots) فانّهم بانتمائهم الى بدعة كلوينوس وتعصّبهم على

الكاثوليك وارتباطهم سرًّا مع اعداء وطنهم لاسيما مع اليصابات ملكة انكلترة التي دعاها رئيسهم الاميرال دي كوليني(de Coligny) والامير كوندة (Condé) الى مساعدتهم في محاربة الكاثوليك مشترطين على نفسهم بان يسلموا الى انكلترة مدن الهاڤر ودياپ ورُوان بخيانة فظيعة

وكان السبب الثاني ما ارتكبهُ البروتستانت في كل انحاء فرنسة من المآثم المستفظعة فانهم منذ السنة ١٥٦٠ كانوا يطرقون معاملات فرنسة كنورمندية والدوفيناي وبروڤنسة فيقتلون ويسلبون ويحرقون وينتهكون حرمة الكنائس والاسرار ويغصبون الناس باللكم والضرب على حضور خطب رؤسائهم الكافرة حتى انَّ الشعب هاج وماج وقد رأى ضعفاً في الحكومة لكبح جماح اولئك الاشرار عليهم وودّ لو يتاح لهُ ان يعاملهم بالمثل

وكان السبب الثالث للمذبحة المذكورة مذبحةٌ أخرى باشرها البروتستانت غيلةً قبل مذبحة باريس سنة ١٥٦٩ في ذات يوم عيد القديس برتلماوس في مدينة «پو»(Pau) فقتلوا ألفين من اهلها الكاثوليك المستوطنين فيها بأمان . وكان زعيم البروتستانت الكونت مونغمري (Mongomerry) فجاء الى باريس يتبجّح بفعلهِ دون ان يجسر فنقم احد على كسر شوكتهِ

وكان السبب الرابع وهو السبب القريب لمذبحة القديس برتلماوس الباريسيَّة انَّ الاميرال دي كوليني اخذ يتقرَّب الى الملك شرل التاسع ويتحبَّب اليهِ ليجذبهُ الى طرفهِ والى جانب حزبهِ فصالحهم الملك وهو اذ ذاك شابٌ غرٌّ شرس الاخلاق مائل الى الشهوات . وكانت امّ الملك ماري دي ماديشيس ايطاليَّة الجنس رزينة بصيرة في الامور فخافت ان يقع ابنها في شرك اعداء الدولة فانذرتهُ فلم ينتبه فعزمت على قتل الاميرال سرًّا دون ان تكشف قصدها لاحدٍ الَّا ان المكيدة لم تأتِ بنتيجةٍ مُرضية فدخلت على ابنها بغتةً مع وزراء المملكة وضبَّاط الجنديَّة فأنبأتهُ بمقاصد رؤساء البدعة البروتستانيَّة الذين لم يكتفوا بمحاربة الدين وأربابهِ بل دسُّوا مكيدةً لشخصهِ ليسقطوهُ عن عرش آبائهِ . وأمَّن الوزراء على قول الملكة وبيَّنوا الروابط التي تربط البروتستانت باهل شيعتهم في انكلترة وهولندة فتخوَّف الملك من هذه المكاشفات واقنعوهُ بان اقرب واسطة للنجاة من شرّهم ان يسبق ويكيدهم قبل

ان يفتكوا به فأصدر الامر بتلك المذبحة المستقبحة التي سوَّدت صحيفةً من سيرة الملكة ماري دي ماديشيس والملك شرل ابنها وان كان لهما بعض العذر في ما اجتناهُ البروتستانت في حقّ الدولة وكان الاولى بهما ان يدعُوَا الى المحاكمة اولئك المذنبين لولا خوفهما من مؤامرة المبتدعين وتهييجهم لانصارهم

٣ هل الكنيسة مسئولة عن مكيدة مذبحة القديس برتلماوس

يزعم اعداء الدين بان للكنيسة حصَّةً في هذه المذبحة فهي مسئولة عن وقوعها او أنها على الاقلّ صدَّقت عليها وبرَّرتها . فنجيب على الاوَّل ان الكنيسة وارباب جهلوا سلفاً وقوع تلك المذبحة وعلى الثاني انَّهم لم يستحسنوها بعد حدوثها

١ قد جهل ارباب الكنيسة المذبحة قبل وقوعها

١ قد اتَّفق اليوم المؤرخون البروتستانت كما الكاثوليك على انَّ مذبحة القديس برتلماوس كانت امرًا سياسيًا بحتاً لا علاقة لهُ مع الدين كما رأيت من الاسباب التي ذكرناها في الفصل السابق

٢ ان المذبحة المذكورة صارت على بغتة بعد شورى سرِّيَّة لم يحضرها احد من ارباب الكنيسة عُقدت في قصر لوفر مؤلَّفة من الملك والملكة وارباب الجنديَّة ورؤسائها واسماؤهم معروفة في التاريخ . حملهم على المبادرة الى ذبح اعدائهم خوفهم من مؤامرة بروتستانيَّة اشاعوا خبرها غايتُها الفتك بالملك وبكل انصاره فصرخ الملك : ان كان قومٌ من شعبي يتآمرون عليّ ويعمدون الى تقويض سلطتي فما نصيبهم الَّا الهلاك

أمَّا ما جاء في احدى الروايات بان شرل كردينال لورين بارك في باريس خناجر القتلة قبل خروجهم الى ذبح البروتستانت فذلك كذبٌ محضٌ لا سند لهُ اذ كان وقتئذٍ الكردينال المذكور في رومية بعيدًا عن موقع الملحمة

على انَّ البعض احتجُّوا لتهمة الكنيسة برسالة كتبها البابا القديس بيوس الخامس الى الملك شرل يحضُّهُ على محاربة البروتستانت . الجواب على ذلك انَّ الخبر الاعظم لمَّا بلغهُ ما يقترفهُ البروتستانت في فرنسة من المآثم وهدم الكنائس وقتل الكهنة كتب الى الملك شرل في السنتين ١٥٦٩ و١٥٧٠ يدفعهُ الى محاربتهم حرباً شرعيَّة

منظّمة ليعيد السلام الى مملكته ولكنّهُ لم يحملهُ على اغتيالهم وذبحهم سرًّا لا بل اذ أُخبر سنة ١٥٦٧ بانَّ الملك يريد ان يفتك سرًّا باحد زعمائهم كتب اليهِ البابا يقبّح فعلهُ ويردّهُ عن فكرهِ المنافي للعدل. وممّا يدلّ على نيّة الحبر الاعظم انّهُ لم يشأ قتل البروتستانت اغتيالًا انهُ لم يسمح هو وخلفهُ البابا غريغوريوس الثالث عشر بزواج الامير هنري دي نفارة البروتستاني مع الاميرة مرغريتا الكاثوليكيّة وهي الحجّة التي توسّلت بها الملكة لاستدعاء البروتستانت الى باريس والفتك بهم. فلو وقف البابا على فكرها لكان على خلاف منعهِ الزواج سمح بهِ لخداع البروتستانت. فصحَّ اذن قولنا بان ارباب الكنيسة جهلوا مذبحة القديس برتلماوس قبل وقوعها

٢ لم يصدّق الاكليروس الكاثوليكي على حادثة المذبحة بعد وقوعها

هي التهمة الثانية التي وجّهها البعض الى الكنيسة فقالوا: نعم انَّ الاكليروس الكاثوليكي لا نصيب لهُ بملحمة القديس برتلماوس لكنّهُ سُرَّ بها وقدّسها بعد حدوثها. ويؤيدون قولهم على شاهدَين محسوسين الاوّل انَّ اكليروس باريس قدّم ثاني يوم الملحمة فرائض الشكر لله على وقوعها. والثاني انَّ البابا غريغوريوس الثالث عشر كتب الى ملك فرنسة يهنيهِ على ما جرى وصوّر في قاعات الفاتيكان ملحمة القديس برتلماوس. أفليس هذا كلّهُ دليلًا على انَّ الكنيسة الكاثوليكيّة حبّذت هذه الملحمة الشنيعة ؟

نجيب على ذلك انَّ فرائض الشكر لله التي قدّمها اكليروس باريس لم تكن غايتها فرحهم على مذبحة البروتستانت بل اجابة الى ملتمس الملك الذي اشاع في كل انحاء الدولة انّهُ نجا من مكايد اعدائهِ بينما كانوا تآمروا على قتلهِ فسبق واستدرك الامر بردّ كيدهم في نحرهم فطلب من الاكليروس ان يشكروا الله على نجاتهِ ففعلوا

وكذا جرى للبابا غريغوريوس الثالث عشر الذي خُدع برواية السفير دي بوفيليه (Beauvilliers) فان الملك اوفدهُ مسرعًا الى رومية ليخبر الحبر الاعظم بنجاتهِ من المؤامرة التي ابرمها عليهِ اعداؤهُ البروتستانت فأوقع بهم دفاعًا عن نفسهِ. والاوراق الرسميّة التي دارت وتنتذ بين الحبر الاعظم والملك موجودة الى اليوم في سجلّات

الفاتيكان نشرهـا الاثري بوتاريك (D. M. Boutaric) في مجموعة مكتب السجلات سنة ١٨٦٢ (ج ٣ ص ١–٣٧) تثبت جهل البابا غريغوريوس بكيفية الملحمة وانّـهُ تصوّرها كفعل دفاعي. وهذا ما حمل البابا على تهنئة الملك بخلاصه بل اراد ان يخلّد ذكر هذه النعمة برسم الملحمة على جدران الفاتيكان. فالداعي اذن على فرح البابا علمهُ بنجاة الملك ليس بقتل البروتستانت اغتيالاً ولمّا وقف بعد مدّة على حقيقة الامر استقبحهُ وذرف الدموع على القتلى

وممّا يدلُّ ايضاً على براءة الكاثوليك انّهم في امكنة عديدة خلّصوا البروتستانت من المذبحة وخصوصاً في تولوز حيث فتح الرهبان اديرتهم فالتجأ اليها البروتستانت ونجوا من القتل. ودافع عنهم اسقف مدينة ليزيو. وكان البروتستانت في مدينة نيم في السنتين ١٥٦٧ و ١٥٦٦ قتلوا عدداً عديداً من الكاثوليك فأسرع هؤلاء وآووا في بيوتهم الكلوينيين وخلّصوهم من كلّ اذى رادّين الخير بدلاً من الشرّ

ومن غريب ما جرى في تلك الملحمة انّ الجند المرسلين من الملك لقتل البروتستانت قتلوا معهم كثيرين من الكاثوليك امّا جهلاً وامّا تجاهلاً لغايات شخصيّة. واتّخذ اوباش الشعب تلك الحادثة وسيلةً للانتقام وللارباح الخسيسة المستهجنة

ومن العجب العجاب انّ الذين يطنطنون دائماً بمذبحة القديس برتلماوس يضربون الصفح عن ملاحم البروتستانت التي تكاد تُنسي ملحمة باريس كمذبحة البارون ديزادراي(le baron des Adrets)الذي في واقعة واحدة قتل خمسة آلاف من الكاثوليك لدفاعهم عن دينهم . وما قولنا بهنريكوس الثامن ملك انكلترة الذي حكم بالاعدام على ما ينيف على سبعين الفاً منهم . فاين العدل في كل هذه المرويّات ؟

هذه خلاصة اخبار تلك الملحمة الشهيرة التي كانت مؤامرةً سياسية لا دخل للدين فيها على خلاف ما كتبهُ البستاني في دائرة المعارف (٥ : ٢٩٨) وما نشرتهُ زوراً النشرة الاسبوعيّة. وكلّ ما كتبناهُ هذا مبنيّ على اصدق واوثق الكتابات الرسميّة التي ازالت بعد نشرها كلّ شبهة في هذه الواقعة المؤلمة التي رذلتها الكنيسة كما ينفر عنها كلّ صاحب ضمير

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

البطريرك جرجس عميرة (تتمّة)

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب

وكان قد ادرك ما في مساعدة المرسلين من الفائدة الروحية فالحّ عليهم بالمجيء الى لبنان من يوم رقي الى الدرجة الاسقفية ولمّا صار بطريركاً فتح لهم كنائس الطائفة في كل الامكنة التي يقطنها الموارنة كقبرس حيث كان الآباء الكبوشيون يكرزون في كنائس الموارنة « الكاثوليكيين دون سواهم الخاضعين للكرسي الرسولي » (رسالة الاب سنتنيان الى كولبر) . وكذلك جرى في صيدا وحلب

وفي سنة ١٦٤١ تمّ الاتفاق بين موارنة قبرس والفرنسيسكان على ان يستلم هؤلاء كنيسة الصليب في انقسيّة قبرس ويقوموا بخدمة الموارنة

وفي جبة بشري اعطى الكرمليين دير مار اليشاع المهجور ليرمموه ويقيموا فيه وعرض على الآباء اليسوعيين مثل ذلك ورغب اليهم ان يبنوا ديراً في مسقط رأسه اهدن فلم تتحقّق فكرته الّا بعد زمان طويل وبناء على ما عُرف به من الميل الى المرسلين وتقديره اعمالهم كتب اليه الاحبار الاعاظم وسفراء فرنسة في الاستانة ان يساعدهم على انشاء ارساليّات في لبنان وجواره

هذا وكان جدب الارض وقلّة الامطار فضلاً عن الجور تضايق السكان فكان يشكو البطريرك من ذلك في عرائضه الى الحبر الاعظم والى اصدقائه . فانه في سنة ١٦٣٦ نزل برَد في الزاوية في اوّل تشرين الاول ثقل الواحدة اوقية وكان المطر قليلاً « حتى ان الناس اكلت الفواكه على امها في الكوانين وبلغ ثمن شنبل القمح قرشين ونصف القرش » ونزل بالبلاد نكبات من جرّاء دخول عسكر الدولة لاسترجاع المال الذي كان قد ضبطه الامير علي ابن علم الدين على الحكومة فجرت مواقع فوق بكفيا كسر فيها القيسيون اليمنية في ظهور مرحاتا (فوق الشوير قبلةً) ثم في المروج واخيراً طردوهم من بلاد كسروان فانهزموا الى عكار عن طريق الجرد واجتمعوا في عرقا مع رجال الامير علي بن سيفا فتعقبهم عسكر الدولة في طريق الساحل ولحق بهم في نهر البارد فانهزموا ثم كسرهم في ارض جون عكار ونهبت الجنود

اموالهم وسبت حريمهم ثم عُقد الصلح بين الامير علي والامير عساف في قرية المنية وعاد هذا الى بيروت

وفي تلك الاحوال ظهر الامير ملحم بن معن فانهزم ابن علم الدين وتولّى الامير ملحم بلاد الشوف ثم وردت الاخبار ان الحرب نشبت بين كوجك احمد باشا وشاه العجم فطلبت الدولة الذخيرة اثر ذلك القحط وتلك الفتن التي ذكرناها فتسكّرت مدينة طرابلس وبطل البيع والشراء واخيراً رُفع الطلب عنها . لكنّ الحرافشة ارادوا اغتنام الفرصة لاسترجاع بلاد بعلبك فمنعهم من ذلك جيش الدولة وقتل منهم عدداً غفيراً فولّى الباقون الادبار

وحدث خلاف بين السيفلية (بني سيفا) وبيت حماده لان هؤلاء ارادوا الانضمام الى مصطفى باشا متسلم طرابلس واولئك ابوا فقتلوا الشيخ احمد حماده وكاخية مصطفى باشا وجماعته . ثم حدثت وقعة اهمج بين الحمادية وبين الامير اسماعيل ومحمد بن يوسف آغا بسبب حكم جبيل الذي نالهُ اخيراً ابن يوسف آغا

وكان من نتيجة قلة المطر ان ورق التوت بلغ ثمن قنطاره عشرة غروش

فتصوّر رعاك الله حالة البطريرك الماروني وطائفته تتلاعب بهما تلك القلاقل تلاعُب الامواج بالسفينة الصغيرة لا يعرفون كيف يتدبرون حتى يأمنوا شر هذه الاحوال . فضلاً عن انهُ حدث اختلاف بين محبستي دير قزحيا بسبب الماء والرزق الخرب فشكا القس حنا البري رئيس احداهما (محبسة مار مخائيل) امره الى الامير عساف بن يوسف باشا فارسل بكباشياً مع موسى بن دغيم الملكي يطلب دراهم من المطران بولس السمراني رئيس محبسة مار انطونيوس فابى ان يدفع فاستدعاهُ الامير عساف الى جبيل وانزل به انواع العذابات حتى اضطر المطران الى إرضائهم باربعة آلاف غرش والامير نهب دير قزحيا وسلب ما وجد فيه واذاق المطارنة والرهبان امرّ العذابات . على ان الله تعالى انتقم لحبيسه وللموارنة من هؤلاء الغاشمين انتقاماً مريعاً فان الامير عساف عُلّق على برابة قلعة الحصن بامر شاهين باشا وقُتل رجاله شرّ قتلة . ومن هَرب منهم فُتّش عليه في الاديار والقرى وباد بنو سيفا من ايالة طرابلس

ثم لما ولى نائبُ الشام الاميرَ علي بن علم الدين على بلاد الشوف طرد الخوازنة والحبيشية الى بلاد جبيل . وحدث وباء في الماشية فاباد منها قسماً وافراً وجاء الجراد

الّا ان ضرره كان قليلًا ولم يمنع خصب الاغلال فبيع شنبل القمح بثلثين.

وفي سنة ١٦٣٨ قدم السلطان مراد بجيش جرار الى حلب قاصداً بغداد فخاف ابنُ علم الدين والتجأ الى متاولة بلاد بشارة ففاجأهم الامير ملحم وقتل منهم عدداً وافراً فاستنجد ابن علم الدين سكمانيَّةَ الشام وزحف على الامير ملحم فانهزم من امامهم وهجر الشوفَ والغرب والمتن والجرد اهاليها . وفي السنة التالية قتل ابن علم الدين في خلدة احمد آغا الشهابي المعيّن متسلماً لصيدا . وشبت النار في زيتون الكورة فاتلفت منهُ نحو خمسين الف شجرة

فما كانت اعمال البطريرك عميرة في تلك السنوات ؟ لا ريب انهُ كان منهمكاً بدرء الاخطار عن الكرسي البطريركي وعن الطائفة وبسبب الاحوال الصعبة لم يرقَ الى الاسقفية الّا مطراناً واحداً على اهدن هو المطران الياس بن الحاج حنا من عائلة الصراصرة (١٦٣٨) الذي ذكرنا ما عرفنا عنهُ في حاشية سبقت

وفي تلك السنة سُلخت جبة بشري وبلاد جبيل والبترون عن ايالة طرابلس وأُلحقت بالشام. وكان في هذا التدبير بعض الراحة للاهالي لانهم كانوا بعيدين عن مركز الحكومة

اما في خارج لبنان فانه لما جاء السلطان مراد مدينة حلب التمس منهُ موارنتها ان يسمح لهم بترميم كنيسة القديس الياس وبترميم كنيسة باباس فاجابهم الى ذلك فجدّد الموارنة سقف كنيستهم واقام الارمن كنيسة باباس ليكون استعمالها مشتركاً بين الطائفتين

وفي سنة ١٦٣٨ انتقل الى دار الخلود في رومية المطران سركيس الرزّي وقد سبق لنا ان تكلّمنا عنهُ في هذه اللمحة ولم يُرسَم خلف لهُ واستمرّ الكرسي فارغاً حتى سنة ١٦٤٤ وفيها سيم على دمشق يوسف ابن عميمة الكرمسداني. وكان ابن علم الدين يوالي غزواته على مشغرة والبقاع وينهب ما تصل اليهِ يدهُ

ثم حدثت في سنة ١٦٣٩ زلزلة مريعة في ٢٣ ت ١ تكررت ثلاثة ايام فاحدثت اضراراً كثيرة في البر والبحر

وفي تلك السنة قدم الاب جوان باطشتا كورتي اليسوعي يطلب تلامذة المدرسة الموارنة في رومية لان عددهم فيها كان قد قلّ فارسلهُ البطريرك جرجس عميرة الى

كسروان الى المطران يوسف حليب العاقوري واوعز الى هذا الاخير ان يهتمّ باختيار التلامذة وتأهيبهم للسفر فانتقى خمسة عشر هم : فرح النوسطاني مات في البحر . وبطرس مخلوف وقد نشرنا ترجمتهُ في هذه المجلة ويوسف فليفل . وجرجس الحاقلاني . ومخائيل الكرمسداني . ويوسف بن جبرائيل العاقوري . ومخائيل بن داود من بكركي . وجبرائيل بن موسى مهنا . وجرجس بن عفيف من صيدا . وداود بن يوسف من بجدليون . ويوحنا بن الياس من بيت مبارك من بطبحا . ومنصور بن بطرس البانى . وبطرس بن سمعان الطرابلسي (١

وحل بالموارنة نكبة عظيمة سنة ١٦٤٠ يوم زحف رجال متسلّم طرابلس على الجبّة للقبض على الشيخ ابي كرم الحدثي شيخ الجبة لان هذا المتسلّم بعد ان أكرمه تغيّر عليهِ فامره ان ينزل الى طرابلس فتأخر عن امتثال الامر لخوفه فارسل عسكرًا انتهك حرمة الاديار ونهب القرى . ولما رأى ذلك الشيخ ابو كرم ذهب الى طرابلس فما كان من متسلمها الّا انهُ حبسهُ ثم رفعهُ على الخازوق وعرض عليهِ الاسلام فيعفي عنهُ فابى هذا الشيخ الكريم ان يبيع دينه بدنياه فأبقي على آلة العذاب وعليها مات . وجرّدت الدولة حملة على سليمان بن سيفا فهجر الاهالي قراهم واتوا طرابلس ولمّا قتل حميدانُ بن الشمار يمينَ الدين كاتب ديوان الباشا في تلك المدينة جرّد عليهِ الكاخية تجريدةً نهبت حردين وكفور العربة

فاصبحت هذه البلاد التعيسة مسرحاً تمثل عليهِ روايات دموية متتالية فلا يهنأ لاهلها عيش ولا يذوقون راحة فأتى للبطريرك عميرة ان يتفرّغ لمهام وظيفته فانهمكَ

---

١) اعلم ان الدويهي لم يذكر شيئاً الّا عن بطرس مخلوف ويوسف فليفل وجرجس الحاقلاني اما الباقون فمات منهم فرح في البحر قبل ان يصل الى رومية والآخرون لم يتموا علومهم الكهنوتية ولم يفيدوا فائدة تذكر . وقد عرفنا عن يوحنا بن الياس من بيت مبارك انه ذهب الى رومية مع المذكورين ولم يثبت في دعوته بل خرج من المدرسة وذهب الى البندقية حيث استوطن وتزوج . وهذا الامر مذكور في آخر كتاب الصلوات الفرضية الموجود عند الخوري اسقف يوحنا شيرللي الوكيل الاسقفي الماروني في قبرس . وقد جاء فيه ايضاً ان ابرهيم بن الخوري جرجس الترتجي من قرية كليبني درس في رومية ورومية ورجع الى قبرس سنة ١٦٦٨ فرسمه الدويهي كاهناً في ٧ ايار من تلك السنة ١٦٦٣ وبواسطة يوحنا مبارك ارسل كتاب الصلوة الفرضية الى قريته

كان منصرفاً الى تخفيف تلك الويلات وهيهات ان يبالي اصحاب المطامع بما يلحق بالبلاد من الضرر والخراب

ومع ما كانت عليه الاحوال من القلق ، فتنت انظار البطريرك متجهة الى المدرسة الرومانية المارونية يرسل اليها التلامذة الذين كان يرجو من تهذيبهم الاكليريكي وعلومهم خيراً جزيلاً لطائفته ففي السنة التي تقدم ذكرها بعث الى تلك المدرسة مرهج بن غرون الباني (١ اخا نقولا ويوحنا

وفي سنة ١٦٤١ أرسل ايضاً الى رومية اسطفان الدويهي الشهير (٢ الذي كان لفت نظر المطران الياس الاهدني فتنبه فكر البطريرك اليه . ولم يسافر الدويهي وحده بل بعث البطريرك معه يوسف الرامي (٣ واخاه بطرس (٤ ولدي اخت القس سمعان

١) مرهج بن غرون Faustus Nairon ولد في بان (جبة بشري) في سنة ١٦٢٥ ارسله البطريرك جرجس عميرة الى رومية ١٦٤٠ حيث درس العلوم الكهنوتية . رجع الى لبنان فوصله في ١٦ ت ١ سنة ١٦٤٩ مع الخوري مخائيل الحصروني قاصد البطريرك يوحنا الصفراوي . وكان هذا البطريرك في بكفيا فارسل الى لقائهما جمهوراً مع المطارنة والكهنة لانهما كانا آتيين بدرع البطريركية ثم رقاه البطريرك الى درجة القسوسية وبعد مدة اقامه وكيلاً له في رومية وارسله اليها مع اربعة اولاد (١٦٥٠) للمدرسة المارونية . خدم الطائفة وبطاركتها بكل امانة وحكمة . الف كتباً جزيلة الفائدة منها واحد في اصل الطائفة المارونية وآخر في « اسلحة الايمان الكاثوليكي » (Evuplia) كتب سيرة القديس اوسطاكيوس وصنف كتاباً في شجرة البن ومنافع القهوة وعني بتنقيح الاناجيل وسائر اسفار العهد الجديد وبطبعها مع القس يوسف الباني واستهلها بمقدمة جزيلة الفوائد

درّس العربية والسريانية في مدرسة مجمع نشر الايمان وفي دار العلوم العليا . وكان علائق كثيرة بينه وبين العلماء منهم ده لاروك . قال عنه الدويهي انه كان بعيد النظر وصين العقل فنال محبة البلاط الروماني . وقد قرظ الاب مخائيل نو البيوعي كتاب مرهج بن غرون في اصل الموارنة ومثله فعل يوسف الباني في ابيات سريانية تلاعب فيها بكلمتي (مدوم ومدوم) . انتقل الى راحة الابرار سنة ١٧١٢ وله من العمر ٨٧ سنة . وعنه قال القس الياس القزيري :

والكاهنين الحقيقة مرهج ومتى البانية وكلا كرامي البطركية برومية عند البابية

٢) راجع ترجمته للطيب الذكر المطران بطرس شبلي

٣) يوسف الرامي درس الفلسفة سنتين ثم مرض فامره الاطباء بالرجوع الى وطنه فبرح رومية ١٦٤٩ وترهب في رهبنة مار انطونيوس وسيم قساً ثم اعتنى بتعليم الاحداث في عشقوت وبكتا وقبرس وبيت شباب وانشأ في اوائل ١٧٠٢ دير مار جرجس بحردق بارض بيت شباب وسيم عليه برديوطاً وكان طويل الاناة

٤) الشدياق بطرس الرامي تزوج في بيت شباب وفيها مات

التولاوي (١ وبطرس (٢ بن القس ابرهيم امية من اهدن نسيب البطريرك عميرة ووكل امر السهر عليهم الى القس سمعان المذكور فبلغوا رومية تلك السنة في شهر حزيران وكان عمر اسطفان احدى عشرة سنة

ولا تظن ان احوال الموارنة في قبرس كانت افضل منها في لبنان فان الاروام كانوا يُنزلون بهم انواع الحيف ويضطرونهم الى الخضوع لولايتهم ولا تعجب ان كان الضعف البشري استولى على بعض هؤلاء المساكين فخافوا الظلم والعذاب وسلموا اوقافهم للاروام ودفعوا لهم العشور

وكان الخوري جرجس واقاربه (لعله الخوري جرجس الترجي) قد خدعهم الاروام فسلموهم سنة ١٦١٥ كنيسة السيدة في كفالوريزو بعد ان تبعوا طقسهم وخضعوا لاسقفهم فسعى الخوري بطرس خادم تلك القرية جهده لاسترجاع الكنيسة وقد توفق الى ذلك بعد ان انفق مالاً كثيراً اذ نال فتوى تعلن ان الكنيسة للطائفة المارونية لا للخوري جرجس المذكور وارسل الفتوى الى الاستانة موقعاً عليها من علماء كثيرين فحصّل خطاً شريفاً بارجاع الكنيسة الى الطائفة وكان الخوري المذكور ذا غيرة وسطوة

١) القس سمعان بن هارون التولاوي من تلامذة مدرسة رومية رجع الى لبنان ١٦٥٥ ترى رسمه مع مشاهير المدرسة الرومانية أكمل فيها علومه ثم انخرط في سلك رهبان مار انطونيوس وامتاز بسيرته النقية وتوفي برائحة القداسة. ترجم الشرطونية من اللاتيني الى العربي وعنه قال القس الياس القزيري في زجليته المشهورة :

وقسيس سمعان تولاني كان قديس بالرهباني اريده يطلب من شاني حتى انجو من الحنيه
قبره في بشمله موجود بلرق الحايط هو تمدود كنيسة العذرا ام الجود يشفي وجع البردبه
قبره يقصده الاعوام الموجوع فوق منه ينام يوم واحد من الايام يشفيه من كل وجيه
قبل موته بيوم واحد انباه الله واكيد كمنة بتملي فيه تشهد وعيم اكابر مسيحيه
وهو كان معروف بسيرته من الطاعة ومن غيرته حافظ قانون رهبانيته في الطهارة والعفيه

٢) بطرس بن اميه ولد سنة ١٦٣١ ارسل الى رومية سنة ١٦٤١ درس فيها المنطق والفلسفة واللاهوت الادبي ثم اعيد الى لبنان بسبب اعتلال صحته وسيم كاهناً واقام في دير مار قبريانوس في اهدن. كان جميل الخط في العربي والسرياني والافرنجي عيّنه البطريرك الدويهي كاتباً عنده وفي ٣١ تموز ١٦٨٠ رقاه الى مطرانية صيدا بحضور معاونة المطرانين جرجس حبقوق البشعلاني والمطران يوسف شمعون الحصروني فخدم الرعية بكل تقوى ونشاط ثم مرض في البهلولية من اعمال اللاذقية حيث كان البطريرك الدويهي انفذهُ لزيارة الرعية فحملوه الى وادي صفرا حيث انتقل الى دار الخلود في ٦ ايار ١٦٨٣

وقد سبق لنا ان ذكرنا الاتفاق الذي جرى بموافقة البطريرك جرجس عميرة بين موارنة قبرس والفرنسيسكان على ان يتسلّم هؤلاء كنيسة الصليب في الاسقفيّة ليقوموا بخدمتها الروحية لان الموارنة كانوا دائماً قليلي العدد في العاصمة يلجأون الى الجبال بعيداً عن مقامات الحكومة

وجرت في لبنان في تلك السنة مواقع بين المتاولة والامير علي بن علم الدين الدرزي فظفر بهم في وادي غباله وطردهم من تلك البقعة واقام فيها فريقاً من الموارنة . ولم تكن السنة الحالية اوفر راحة على لبنان فانهُ عدا القتال المتواصل بين ابن علم الدين والمتاولة خطر ببال محمد باشا الارناؤوط الذي ولي على طرابلس ان يعمّر قصراً على نهر رشعين ففرض على الرعايا « شاشات وبرابيج » اي ما يبلغ ثمن كل منها وقدرت الشاشة باربعين قرشاً والبابوج بعشرين وسخّر السكّان للبناء وكثر البلص ومحلّ القز حتى ان كثيرين تركوا مواسمهم وبلادهم ورحلوا من الجبة

رغم كل هذه الاضطرابات لم ينثنك البطريرك عميرة عن الاهتمام بالمدرسة الرومانية بل كان يواصل ارسال التلامذة اليها فانهُ في سنة ١٦٤٢ ارسل اليها يوحنا بن غرون اخا مرهج ونقولا فاكمل علمه فيها وتولى تدبير مدرسة راونّا ولمّا ابطلها الحبر الاعظم سُلّمت الى تدبيره خزانة الكتب في مار بطرس (١٦٦٣) بعد موت نسيبه ابرهيم الحاقلاني (١

وفي ما نشره حضرة الاب ابراهيم حرفوش في مجلة المشرق (١٩٠٤ ص ٣١٤ الخ) عن دير حراش ترى ان هذا الدير اشتراه سنة ١٦٤١ المطران يوسف حليب العاقوري بموافقة البطريرك جرجس عميرة ووقفه لا للراهبات فقط بل لتعليم عشرة صبيان ايتام من الطائفة وجعله تحت ولاية البطريرك ورئيس دير مار شليطا مقبس

وفي سنة ١٦٤٣ في ٨ آذار جاء الكرملتان الى لبنان نهائياً واقاموا في دير مار اليشاع بشري الذي وضعه البطريرك والاهالي تحت تصرّفهم

وكتب الاب اميو اليسوعي الى الرئيس العام الاب موتسيو فيتالاسكي يستشيره فيما اذا كان يوافق ان يطلب هو ايضاً من البطريرك الماروني جرجس عميرة احد الاديرة

١) سننشر لمحة عن حياته

المتروكة لكي يصلحه ويقيم فيه مرسلون من رهبنته فلم يستصوب الرئيس العام هذا الرأي

وممّا اقترحهُ الاب المذكور انشاء مدرسة اكليريكية اعدادية للموارنة في طرابلس يهتمّ فيها بتهذيب التلامذة الاباء اليسوعيون وتُسلَّم العناية بالطقسيات والامور المادّية الى كهنة موارنة فيرسَل النابغون من التلامذة الى رومية لتتميم دروسهم. والحق يُقال انها لفكرة جليلة جديرة بكل ثناء وقد كان السيد الياس الحويّك الجالس سعيداً على الكرسي البطريركي الانطاكي قد خطر بباله مثل هذا الفكر واراد ان يحققه باقامة مدرسة اكليريكية في بيروت يشابه تنظيمها ما اقترحه الاب اميو المذكور فحالت دون تتميم رغبة كليهما عقبات

ولمّا تولّى حسن باشا ولاية طرابلس وكان كاخيته ابو رزق البشعلاني انزل هذا الحاكم بالبلاد بلايا كثيرة وحلّ بالرعية ضيق شديد فتشتّتوا من مواطنهم وترك البطريرك قنوبين هارباً الى كسروان والشوف كما فعل سالفه البطريرك مخلوف. وقد ذكر الاب اميو اليسوعي في رسالته المؤرخة في ٢١ آذار ١٦٤٤ انهُ رأى البطريرك جرجس عميرة في بيروت هارباً من جور باشا طرابلس الذي كان يضطهده وقابله الاب المذكور في تلك المدينة واشار عليه ان يكتب الى ملك فرنسة طالباً منهُ ان يوصي به وبطائفته سفيره في الاستانة حتى يحصّل امراً من الصدر الاعظم بكفّ الظلم والاضطهاد. ففعل البطريرك بمشورة الاب وكتب الى الملك فاجابه الى طلبه واوعز الى السفير ان يُعنى شديد العناية بالموارنة واكليرسهم

وفي ١٥ ايار ليلة عيد العنصرة انتقل من دار الشقاء الى دار البقاء الحبيس الافرنسي والعالم الشهير فرنسيس ده شطويل بعد ان قضى في محابس لبنان اثنتي عشرة سنة مثابراً على اعمال التقشف والنسك منقطعاً الى مطالعة الكتب المقدّسة حتى اصبح قدوة الجميع بفضائله ومرجعاً لهم في مشكلاتهم. وكانت روابط الصداقة تربطه بالبطريرك جرجس عميرة الذي أُعجب بصفاته وعمله حتى انهُ كان يستشيره في الامور المعقدة ويطلب صلواته. كما ان الحبيس التقي كان يقدّر فضل البطريرك حق قدره ويثني عليه كل الثناء (١

١) راجع حياة هذا الحبيس التقي في مجلة المشرق للاب بطرس ساره اللبناني (١٩٢٢)

وكان لموت الحبيس المذكور تأثير مفجع في قلوب اهل البلاد وخصوصاً في فؤاد صديقه البطريرك عميرة الذي كانت الشدائد والاضطهادات انهكت قواه فضلاً عن عبء الشيخوخة فما لبث ان برح هذه الفانية هو ايضاً بعد موت صديقه بشهرين ونصف اي في ٢٩ تموز ١٦٤٤ في اليوم الذي انتقل فيه الحبر الاعظم اوربانوس الثامن الى راحة الصالحين فشمل الحزن طائفته ومعارفه العديدين ويكفينا ان نذكر هنا ما وصفه به عارفوه حتى نعلم عظم الخسارة التي حلّت بالطائفة المارونيّة بموته

قال صاحب ترجمة ده شطويل عن هذا البطريرك وفي كلامه موجز حياة عميرة الذهبية المملوءة من اعمال الغيرة: «ان الرجل الشهير جرجس عميرة ارتقى الى السدة البطريركية بفضله وهو الذي كان الموارنة بل شعوب جبل لبنان كلها يعتدّونه كابيهم فانه كان عضد الديانة الكاثوليكية وقام بمهامّ وظيفته سنوات عديدة حائزاً استحسان الجميع عائشاً بزهد كلي دعاه الله اليه ليمنحه جزاء اعماله الصالحة فشمل الحزن والاسف كنيسة جبل لبنان لانها حُرمت اقوى سندلها وخسرت خسارةً تكاد لا تعوّض بما ان الطيب الذكر كان متصفاً بصفات نادرة وحاصلاً على منزلة عالية فانه كان مملوءاً حكمة وعلماً يضيء كالمنارة في كل مكان. بلغ تواضعه واعتداله مبلغاً اكسبه قلوب كل من وصل اليهم نوره. وكان متحلياً بفطنة نادرة لمعرفة الارواح والتمييز بينها تلك الارواح التي ينقاد اليها البشر في اعمالهم وكانت غيرته تتجلى في كل ما كان يبذله من المساعي لحفظ قلوب المؤمنين في جادّة التعاليم الانجيليّة الصحيحة يمزج الصرامة بالرفق فيحمل القلوب الاشدّ صلابةً على الانقياد اليه صاغرة راضية. وكان يعتبر الفقراء اخوته يرقب دائماً حاجاتهم ويخفف من وطأتها قدر المستطاع ويضطرّ الاغنياء بمثله على ان يساعدوهم. وكان راعياً اميناً يرعى قطيع المسيح لا يفتش عن القوت يملاء به جوفه. ولم تكن المشقات وسواها من المتاعب كالسهر الدائم والاهتمام المتواصل المرتبطة بوظيفته لتُقعده عن التفرّغ لعمله وعن التيقظ الواجب ليُقصي الذئاب والاسد الزائرة التي كانت تسعى الى افتراس رعيته. وبوجيز العبارة نقول انه كان راعياً عجيباً ممتازاً بصفات نادرة حتى انهُ خُيّل الى الجميع حين دُفن ان قد أُلحد معه كل الذين كان يمكن ترقيتهم الى البطريركيّة»

والنبذة المستوفاة التي نشرها بعد ذلك على حدة

واطراه الابوان مانيليه وستلّا اليسوعيان ووصفه ده لاروك بقوله انهُ انتخب للبطريركيّة بداعي فضله الممتاز وتفوّقه في اللاهوت وسيرته الطاهرة . وأيد هذه الشهادات الحبر الاعظم الذي دعاه نور الكنيسة الشرقيّة وعمادها في رقيمه الى البطريرك يوحنّا مخلوف واثنى عليه ثناء مستطاباً في براءة التثبيت

وقال عنهُ الدويهي انهُ كان ذا عقل رصين فائق وافر العبادة شديد الغيرة على نموّ الايمان المقدّس أرشد قومه بكل تقوى

وذكر الخوري يوسف مارون الدويهي انهُ سنة انتقل البطريرك يوحنّا الصفراوي ١٦٥٦ الى دار البقاء فتحوا مغارة القديسة مارينا في قنوبين حيث كان يُدفن البطاركة فشاهدوا جسد البطريرك جرجس عميرة بعد نياحته باثنتي عشرة سنة كانه حيّ يُرزق ماسكاً بيده الكأس وعلى رأسه التاج وهو جالس على الكرسي فاخذوا الكأس وابقوها ذكرًا في الكنيسة البطريركيّة

وهاك تقريظه باللغة اللاتينيّة وضعهُ تلامذة المدرسة المارونيّة بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس تلك المدرسة ندرجه باللاتينيّة وننقله الى العربيّة صوناً لهُ من الفقدان وقد وجدناه في كتاب عزيز جدًّا منهُ نسخة في مكتبة الاباء اليسوعيين الشرقيّة

Ales Hospes— Hic lingua praestantior,— An ingenio fuerit, incertum est. — Linguas calluit omnes — Nec immeritò ; — Vitiis olim linguarum confusio : —Virtuti nunc linguarum cognitio debetur.— Ingenio Divinitatis latebras pervasit, — Quin viso caligaret a lumine. — In hoc etiam cum virtute consentiens,— Quod impios hostes habuerit. — Felix quod aliis, sibique imperaret : — Felicior, quod Cœli Vicario, nec citra periculum paruerit.

انصت الينا ايها الضيف (المدعو الى الحفلة)

لا يمكن الجزم في هل تفوّق (الممدوح) في اللغات او بالذكاء . فانهُ امتاز بكل صواب في جميع اللغات . ان بلبلة الالسن سببتها الرذائل في ما مضى واما معرفة اللغات الان فهي ثمرة الفضيلة . انهُ سبر غور العلوم الالهية بذكائهِ دون ان يعمي عمره النور الذي تجلى وهذا ايضاً يتّفق مع الفضيلة انّ المنافقين صاروا لهُ اعداء فكان سعيدًا بتسلّطه على الاخرين كما ملك نفسه بل كان حظه اسمى لانه اطاع نائب المسيح معرّضاً نفسه للاخطار

تلك حياة هذا البطريرك الجليل وهو اوّل البطاركة الذين تهذّبوا في المدرسة

المارونيَّة الاولى فخدم طائفته كاهناً واسقفاً وبطريركاً مدَّة ٤٨ سنة بتآليفه وارشاداته وامثال فضيلته الممتازة. ويزيد فضلَه رواء وعظمتَه سناء المحنُ التي قاساها في سياسة الكرسي الانطاكي

ثم انهُ كان يرغب في اصلاح ما يجب اصلاحه من الشؤون في طائفته فاضطرَّ ان يسلك مسلكاً لم يَرُقْ الذين تعوَّدوا ان يسيّروا البطريرك على مقتضى مشاربهم واغراضهم الزمنية

ولمَّا كان يسعى في توثيق العرى التي تربط طائفته بالكنيسة الرومانية ويجتهد في ان يدخل اليها الاصلاح الواجب حتى تصبح صورة كاملة لتلك الامّ والمعلّمة اقام خصومه العقبات في وجهه ولا يبعد ان يكون قد وُشي بهِ انهُ ممن يريدون ان يخضع طائفته لسلطة اجنبيَّة كما حدث مراراً في تاريخ الطائفة المارونيَّة. وقد سردنا امثالاً لذلك في كتابنا «صديقة ومحامية»

ولذا تعرقلت بعض مساعيه على انهُ لو لم يكن ذا فضيلة فائقة وحكمة نادرة وغيرة رسولية وعلم واسع واهابة عظيمة لتعذَّر عليهِ اتيان عملٍ ما من الاعمال التي تشهد بتفوقه

فذكرُ هذا البطريرك جدير بان يردّده الموارنة بفخر لانهُ شرّف الكرسي البطريركي بمناقبه السامية وجعل للموارنة سمعة طيّبة في الغرب بتآليفه وخدم الطائفة خدمات جلّى فاستحق اطراء الدويهي واستوجب اعجاب الاجانب الذين عرفوه مرسلين كانوا او علمانيين. ولذا نشرنا حياته لئلّا يُطمس على فضل الرجال الذين خدموا وطنهم والكنيسة فتقتني جميعاً آثارهم المجيدة

وليُسمح لنا ان نضيف الى ما تقدم التقريظ الذي استحقهُ المطران بطرس ضرميط مخلوف وقد عثرنا عليهِ في الكتاب الذي ورد ذكره بعد ان كنا نشرنا ترجمة هذا الحبر الابرّ

In sacro S. Antonii Sodalitio - Praeclarissimus Cœnobita—Depressit in claustro animum, — Ut supra mortalem conditionem attolleret. —Plurima extruxit Cœnobia, quibus etiam praefuit.—Sed quamdiu cum eius moderatione pugnandum fuit! — Renuit aliis praeesse, simulque — Dignissimum se facit, vt praesit:—Nihil ab illo magis ex

despicientia factum est, — Quam imperare. — Cœterum ita Cœnobia administravit invitus — Ut vel inde apparuerit, felicissimam esse Rempublicam — Quæ a nolentibus gubernaretur. — Inde Archiepiscopus Nicosiæ renunciatus — A Schismaticis oppugnatus sæpius fuit, — Nunquam expugnatus. — Religionis cultum — Scriptis, colloquiis, sed magis exemplo ampliavit

راهب فريد في رهبانية القديس انطونيوس قد قهر نفسهُ في المحبسة كي يرفعها فوق حالة الانسان المائت. بنى اديرة كثيرة وترأس عليها ولكن كم اقتضى لذلك من التغلُّب على تواضعه. ابى ان يرئس الغير وبالوقت ذاته اهّل نفسه لان يكون رئيساً ولم يكن أكرَه اليهِ من ان يتسلط على الغير فضلًا من انهُ أُرغم على ترؤس الاديرة حتى اظهر بسلوكه ان احوال الجمهور تكون على غاية ما يُرام اذا ادارها من لا يريد السيادة . ثم جُعل مطرانًا على اقفسية فاكثر المتنصلون من اضطهادهِ لكنهم لم يقووا عليهِ. نشر اعلام الديانة وبسط نفوذها بكتاباته ومحادثاتهِ وخصوصاً بامثالهِ

وقد رُوي لنا ان المطران مخلوف مدفون في دير مار يوحنا زكريت الذي كان قد رمّمهُ فاثبتنا ذلك صوناً لهُ من الضياع

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٨ حُنَين الحيري الشاعر المغني

﴿تعريفهُ ودينهُ﴾ قال ابو الفرج في الاغاني (٢ : ١٢٠) : «حُنَين بن بلُوع الحيري مختلفٌ في نسبهِ فقيل انهُ من العباديين وقيل انهُ من بني الحرث بن كعب

وقيل انهُ من قوم بقوا من جديس وطسم فنزلوا في بني الحرث بن كعب فعُدُّوا فيهم. ويكنّى ابا كعب وكان شاعرًا مغنّياً فحلًا من فحول المغنّين ولهُ صنعة فاضلة متقدّمة وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال الى الشام وغيرها وكان نصرانيًا » (١

وقال صاحب مسالك الابصار (Ms du Caire, 336-337) في فصلهِ الذي خصَّهُ بمشاهير اهل الموسيقى : « حُنَين الحيري مُطرب لا يرتفع اليهِ رأس مطرق ، ولا ينتفع معهُ امل متشوّق ، من سُراة اهل الغناء ، وبُراة الطرب للغناء ، يكاد سامعهُ يخرُج من إهابهِ ، ويُحرَق بالتهابهِ ، ما حرَّك عودَهُ الّا فهم ، ولا بثَّ شفتيهِ الّا في نغم ، لو سمعهُ جبلٌ لتحرَّك ، او دخل في أُذن سوقةٍ لظنَّ انهُ قد تملَّك »

﴿اخبارهُ﴾ لحنين الحيري النجفيّ العباديّ اخبار كثيرة تولّى جمعها اسحاق بن ابرهيم الموصلي في كتاب دعاهُ « اخبار حنين الحيري » ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ١٤١) وذكر ايضاً كتاباً آخر مثلهُ (ص ١٤٨ لابي أيُّوب المدينيّ . وبهما دليل على مقام حنين . واليهِ تُنسب الحُنَيْنيّات التي ورد ذكرها في شعر دعبل الخزاعي في هجوهِ لابرهيم بن المهديّ المغني الشهير وكان البعض بايعوهُ بالخلافة فأتاهُ قومٌ ينتجعون عطاءهُ وهو لا يستطيع ان يرفدهم بشيء فقال دعبل يهجو ابرهيم :

يا معشر الاجناد لا تقنطوا ... وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَوْن حُنَيْنيّةً ... يلتذُّها الأمردُ والاشمطُ
والمَعْبَديّاتُ لقوّادكم ... لا تدخلُ الكيسَ ولا تُربطُ
وهكذا يُرزقُ قوّادهُ ... خليفةٌ مُضحَكةُ البربَطُ

قالوا الحُنَيْنيّات اغاني منسوبة الى حنين النجفيّ العبادي المغني الشهير والمَعْبديّات منسوبة الى مَعبَد المغنّي والبربط آلة تشبهُ العود فارسيّ معرَّب (نزهة الجليس ١ : ٢٦٧—٢٦٨)

سبق قول ابي الفرج انَّ حنيناً كان شاعرًا ومغنّياً . امّا شعرهُ فلم يبقَ منهُ الّا القليل . وامّا غناؤهُ فكثير ولهُ الاصوات المتعدّدة التي ذكرها في الاغاني في اماكن عديدة منها . وربّما كان يتغنّى بشعرهِ وهو القائل يصف الحيرة ومنزلهُ بها قال (من المنسرح) :

(١ اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة Jour. As., 1872², 425-433

انا حنينٌ ومَنزلي النَّجَفُ (١ وما نديمي الّا الفتى القَصِفُ
أقرعُ بالكاس ثَغْر باطيةٍ (٢ مُترعةٍ تارةً وأغترفُ
من قهوةٍ باكرَ التجارُ بها بيتَ يهودٍ قرارُها الخزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِبٌ لم تَغذُني شقوةٌ ولا عَنَفُ (٣

فالشعر والغناء كلاهما لحنين

ومن اخبار حنين ما رواهُ عنهُ حماد الراوية قال (الاغاني ٢ : ١٢٢) : قرأتُ على ابي عن المدائني قال : كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيّات . فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقتهُ وحسن قدّهِ وحلاوتهُ وخفّة روحهِ استحلوهُ واقام عندهم وخفّ لهم . فكان يسمع الغناء ويشتهيهِ ويُصغي اليهِ ويستمعهُ ويطيل الاصغاء اليهِ فلا يكاد ينتفع بهِ في شيء . اذا سمعهُ حتى شدا منهُ اصواتاً فأسمعها الناس وكان مطبوعاً حسن الصوت واشتهوا غناءهُ والاستماع منهُ وعشرتهُ وشُهر بالغناء وسهر فيه وبلغ منهُ كثيراً . ثمّ رحل الى عمر بن داود الوادي والى حكَم الوادي واخذ منهما وغنّى لنفسهِ في اشعار الناس فاجاد الصنعة واحكمها ولم يكن بالعراق غيرهُ فاستولى عليهِ في عصرهِ

وجاء في اخبار حنين لابي ايوب المدائني . انّ ابن محرز احد كبار المغنين قدِم وقتئذٍ الكوفة وبها الامير بشير بن مروان وقد بلغهُ انهُ يشرب الشراب ويسمع الغناء فصادفهُ قد خرج الى البصرة وبلغ خبرهُ حنين بن بلُوع فتلطّف لهُ حتى دعاهُ فغنّاهُ ابن محرز لحناً من جيّد الاغاني فسمع حنين شيئاً هالهُ وحيّرهُ فخشي ان يعرفهُ الناس فيستحلونهُ ويستولي على البلد فيسقط هو فقال لابن محرز : كم مَثّلتك نفسك من العراق قال : الفَ دينار . فقال : فهذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في

١) روى البكري في معجم ما استعجم : وداري النجفُ
٢) ويروى : اقعرُ بالكأس بطنَ باطيةٍ ٣) ويروى : فالعيش غضٌّ . لم ينزني

عَوْدتك وبداءتك ودَعِ العراق وامضِ مُصاحباً حيث جئت واحلف انك لا تعود للعراق. (قال) وكان ابن محرز صغير الهمّة لا يحبّ عِشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً فاخذها وانصرف

وقد اخبر حمّاد الراوية عن حنين (الاغاني ٢ : ١٢١) انّ هشام بن عبد الملك حجّ مع عديله الابرش الكلبيّ فوقف لهُ حنين بظهر الكوفة معهُ عودُه وزامرٌ لهُ وعليه قلنسوة طويلة. فلمّا مرّ بهِ هشام عرض لهُ فقال: من هذا؟ فقيل لهُ: حنين. فأمر بهِ فحُمل في محمل على جمل وعديلُهُ زامرُهُ وسيّرهُ امامهُ وهو يتغنّى (من مجزوء الوافر):

أَمِنْ سَلْمى بظَهْرِ الكو فةِ الآياتُ والطلَلُ
يلوحُ كما تلوحُ على جفونِ الصيقَلِ الخَلَلُ

(قال) فلم يزل هشام يستعيدُ الصوت حتى نزل من النجف فامر لهُ بمائتي دينار وللزامر بمائة

واخبر اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٢—١٢٣) انّ والي العراق خالد بن عبدالله القسري حرّم الغناء بالعراق في ايّامهِ. ثمّ أذِنَ للناس يوماً في الدخول عليهِ فدخل حنين ومعهُ عودهُ تحت ثيابهِ فقال: أصلح الله الامير كانت لي صناعة أعودُ بها على عيالي حرّمها الامير فاضرّ بي وبهم. فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عودهِ وقال: هذا. فقال: غنِّ. فحرّك اوتارهُ وغنّى (في شعر عدي بن زيد العبادي):

أيُّها الشامتُ المعيّرُ بالدهـ ـرِ أأنتَ المُبرَّأُ الموفورُ
ام لديكَ العهدُ الوثيق من الأيـ ـام بل انت جاهل مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خالَدْنَ ام مَنْ ذا عليهِ من ان يُضامَ خفيرُ

(قال) فبكى خالد وقال: «قد اذنتُ لك وحدك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا معربداً». فكان اذا دُعي قال: أفيكم سفيه او معربد؟ فاذا قيل لهُ: لا. دخل

ومن ظريف ما روي عن الشعبيّ انهُ قال (الاغاني ٢ : ١٢٣): لمّا ولي بشر بن مروان الكوفة كنتُ على مظالمهِ فأتيتُهُ عشيّةً وحاجبُهُ أعيَن صاحب «حمّام أعين» جالسٌ. فقلتُ: «أعلِمْهُ وخلاكَ ذمٌّ فقد حدثَ امرٌ لا بُدَّ لي من انهائهِ اليهِ» وكان لا يجلس بالعشيّ. فقال: لا ولكن اكتب ما حاجتك في رقعةٍ حتى أوصلها اليهِ. فكتبتُ رقعةً فما

لبث ان خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبي ممّن يُحتشم منهُ. فأذن لي فقال: ادخل. فدخلتُ فاذا بشر بن مروان عليه غلالة رقيقة صفراء وملاءة تقوم قياماً من شدّة الصِقال وعلى رأسهِ اكليل من رَيحان وعلى يمينهِ عِكرمة بن ربعي وعلى يسارهِ خالد ابن عتّاب بن ورقاء واذا بين يديهِ حُنين بن بلُوع معهُ عودهُ. فسلّمتُ فردَّ عليَّ السلام ورحّب وقرّب ثمّ قال: يا ابا عمرو لو كان غيرك لم آذن لهُ على هذه الحال. فقلتُ: أصلح الله الامير عندي الك السترُ لكلّ ما ارى منك والدخول معك فيما لا يجمل والشكر على ما توليني. فقال: كذاك الظنّ بك. ثمّ التفتَ الى حنين وعودهُ في حِجرهِ وعليهِ قباء خشك شوى (وقال اسحاق: خشكون) ومِنَشّة حمراء وخفّان مكعّبان فسلّم عليَّ: فقلتُ لهُ: كيف انت يا ابا كعب؟ فقال: بخير ابا عمرو. فقلتُ: آحزق الزير وأرخ البمّ. فعمل وضرب فاجاد. فقال بشر لاصحابهِ: تاومونني على ان آذن لهُ في كلّ حال. ثمّ اقبل عليَّ فقال: ابا عمرو ومن اين وقع لك حزق الزير؟ فقلتُ: ظننتُ انّ الامر هناك. قال: فانّ الامر كما ظننتَ هناك كلهُ: ثمّ قال: فمن اين تعرف حنيناً؟ فقلتُ: هذا بطّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفهُ. فضحك وغنى حنين فاجاد فطرب الامير وامر لهُ بجائزة ثمّ ودّعتُهُ وذلك بعد ان ذكرتُ لهُ ما جئتُ فيهِ فامر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة اثواب فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منهُ وانصرفت

وقد جرى لحنين مع اهل حمص فصلٌ مضحك اخبر بهِ فقال (الاغاني ٢: ١٢٣): خرجتُ الى حمص التمس الكسبَ بها وأرتاد مَنْ استفيدُ منهُ شيئاً. فسألتُ عن الفتيان واين يجتمعون فقيل لي: عليك بالحمّامات فانهم يجتمعون بها اذا أصبحوا. فجئتُ الى احدها فدخلتُ فاذا فيها جماعة منهم فأنِستُ وانبسطتُ واخبرتهم انّي غريب ثم خرجوا وخرجتُ معهم فذهبوا بي الى منزل احدهم. فلمّا قعدنا أُتينا بالطعام فاكلنا وأُتينا بالشراب فشربنا فقلتُ لهم: هل لكم في مغنٍّ يغنّيكم؟ قالوا: ومن لنا بذلك؟ قلتُ: انا لكم. هاتوا عودًا. فأُتيتُ بهِ فابتدأتُ في هنيّات ابي عُباد مَعْبَد. فكأنّما غنّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغنائي ولا سُرُّوا بهِ. فقلتُ: ثقُلَ عليهم غناء معبد لكثرة عملهِ وشدّتهِ وصعوبة مذهبهِ. فأخذتُ في غناء الغريض فاذا هو عندهم كلا شيء. وغنّيتُ خفائف ابن سُرَيج واهزاج حكَم والاغاني التي لي واجتهدتُ في ان يفهموا فلم يتحرّك من القوم احد وجعلوا يقولون: ليتَ ابا مُنبه قد جاءنا. فقلتُ في نفسي:

أرى انّي سأفتضح اليوم بابي منبه فضيحةً لم يفتضح بها احد قطّ مثلها. فبينا نحن كذلك اذ جاء ابو منبه واذا هو شيخ عليه خفّان احمران كأنّهُ جمّال فوثبوا جميعاً اليه وسلّموا عليه وقالوا: يا ابا منبه ابطأتَ علينا. وقدّموا لهُ الطعام وسقوهُ اقداحاً وخلّتْ انا حتى صرتُ كلا شيء خوفاً منهُ. فاخذ العود ثمّ اندفع يغني

طَرِبَ البحرُ فاعبري يا سفينه لا تشقّي على رجال المدينه

واقبلَ القوم يصفّقون ويطربون ويشربون. ثمّ اخذ في نحو هذا من الغناء. فقلتُ في نفسي: انتم ها هنا لئن اصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة. فلمّا اصبحتُ شددتُ رحلي على ناقتي واحتقبتُ رَكوةً من شراب ورحلتُ متوجّهاً الى الحيرة وقلتُ (من الخفيف):

ليت شعري متى تَخُبُّ بيَ النا قةُ بين السَّدير والصَّنَين
مُحْتَبياً ركوةً وخبزَ رقاقٍ وبُقولاً وقطعةً من نُونِ
لستُ ابغي زاداً سواها من الشا مِ وحسبي عُلالةٌ تكفيني
فاذا أبتُ سالماً قلتُ سُحْقاً وبعاداً لمعشرٍ فارقوني

وقد استطرد صاحب الاغاني (٢: ١٢٥) فروى فصلاً في ذكر الحيرة واهلها ننقلهُ هنا عنهُ قال: كان بعض ولاة الكوفة يذمُّ الحيرة في ايّام بني امية فقال لهُ رجلٌ من اهلها وكان عاقلاً ظريفاً: أتعيبُ بلدةً بها يُضرَب المثل في الجاهليّة والاسلام. قال: وبماذا تُمدَح؟ قال: «بصحّة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلحُ للخُفّ والظِّلف. سهلٌ وجبل، وبادية وبستان، وبرٌّ وبحر، محلُّ الملوك ومزارهم، ومسكنهم ومثواهم، وقد قدمتَها اصلحك الله مُخِفّاً فرجعتَ مُثقَلاً ودُرْتَها مُقِلّاً فأصارتك مُكثِراً». قال: وكيف تعرف ما وصفتَها به من الفضل؟ قلتُ: بان تصير اليَّ ثمّ أدَعُ ما شئتَ من لذّات العيش فوالله لا اجوز بك الحيرة فيه. قال: فأصنعُ لنا صنيعاً واخرج من قولك. قلتُ: أفعل. فصنع لهم طعاماً واطعمهم من خبزها وسمكها وما صِيدَ من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحُبارى وسقاهم ماءها في قِلالها وخمرَها في آنيتها واجلسهم على رقها وكان يتّخذ بها من الفرش اشياء ظريفة ولم يستخدم لهم

حرًّا ولا عبدًا الّا من مولّديها ومولّداتها من خدَم ووصائف كأنهم اللؤلؤ لفتُهم لغةُ اهلها ثمّ غنّاهم حنين واصحابهُ في شعر عدي بن زيد شاعرهم واغشى همذان لم يتجاوزهما وحيّاهم برياحينها ونقّلهم على خمرها وقد شربوا بفواكهها ثمّ قال لهُ: هل رأيتني استعنتُ على شيء مما رأيتَ واكلتَ وشربت وافترشتَ وشممتَ وسمعت بغير ما في الحيرة؟ قال: لا والله ولقد احسنتَ صنعة بلدك ونصرتَهُ فاحسنتَ نصرتَهُ والخروج ممّا قد تضمّنتهُ فبارك الله لكم في بلدكم

وبقي حنين يتردّد في البلاد الى ايّام شيخوختهِ: حدّث شيخ من المكيّين يقال لهُ شريس قال: انّا لبالأبطح (في مكّة) أيام الموسم نشتري ونبيع اذ اقبل شيخٌ ابيض الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو اشدُّ بياضاً ام بغلتهُ ام ثيابهُ فقال: اين بيت ابي موسى؟ فأشرنا لهُ الى الحائط فمضى حتى انتهى الى الظلّ من بيت ابي موسى ثمّ استقبلنا ببغلتهِ ووجههِ ثمّ اندفع يغنّي في شعرٍ لكثير:

أسعديني بدمعةٍ أسرابِ من دموعٍ كثيرة التسكابِ

(قال) ثمّ صرف الرجلُ بغلتهُ وذهب فتبعناهُ حتى ادركناهُ فسألناهُ من هو. فقال: «انا حنين بن بلوع وانا رجل جمّال اكري الابل» ثمّ مضى

وقد اخبر ابرهيم بن المهدي (الاغاني ٢: ١٢٥–١٢٦) بخبر سمعهُ من حفيد حنين قال: كنتُ مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عون العبادي. فأتاني عون بابن ابن حنين بن بلوع وهو شيخ فغنّاني عدّة اصوات لجدّهِ فما استحسنتُها لان الشيخ كان مشوّه الخَلق طنّ الغناء قليل الحلاوة الّا انهُ كان لا يفارق عمود الصوت ابدًا حتى يَفرغ منهُ فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج (في قول عنترة):

فتركتُهُ جَزَرَ السباع يَنُشْنَهُ ما بين قُلّةِ رأسهِ والمعصمِ

فما اذكرُ اني سمعتهُ من احدٍ قطّ أحسن ممّا سمعتُهُ منهُ فقلتُ: لقد احسنتَ في هذا الصوت وما هو من اغاني جَدّك ولا من اغاني بلدك واني لأعجبُ من ذلك. فقال لي الشيخ: والصليبِ والقربان ما صُنع هذا الصوت الّا في منزلنا وفي سَرداب جدّي ولقد كاد ان يأتي على نفس عمّي. فسألتهُ عن الخبر في ذلك فقال: حدّثني ابي انّ عبيدالله بن سريج قدم الحيرة ومعهُ ثلثمائة دينار اتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة وقال: انا رجل من اهل الحجاز من اهل مكّة بلغني طيبُ الحيرة

وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر (من الوافر) :

حَنَتْني حانياتُ الدهر حتّى كأنّي خاتلٌ يدنو لصَيدِ
قريبُ الخطوِ يحسبُ من رآني ولستُ مقيَّدًا أنّي بقَيدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأنفقها معك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف الى منزلي . فسألهُ جدّي عن اسمهِ ونسبهِ فغيَّرهما وانتمى الى بني مخزوم فأخذ جدّي المال منهُ وقال : «موفَّرٌ مالُكَ عليك ولك عندنا كلّ ما يحتاج اليهِ مثلُك ما نشطتَ للمقام عندنا فاذا دعتك نفسك الى بلدك جهَّزناك اليهم وردَدْنا عليك مالك وأخلفنا ما انفقتهُ عليك ان جئتناه . وأسكنهُ دارًا كان ينفرد فيها فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدّي ولا احد من اهلنا انهُ يغني حتى انصرف جدّي من دار بشر بن مروان في يوم صائف مع قيام الظَّهيرة فصار الى باب الدار التي كان انزل ابنَ سريج بها فوجدهُ مغلقاً فارتاب بذلك ودقّ الباب فلم يُفتح لهُ ولم يُجبهُ احد فصار الى منازل الحرَم فلم يجد فيها بنتهُ ولا جواريها ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحاً فانتضى سيفهُ ودخل الدار ليقتل ابنتهُ . فلمَّا دخلها رأى ابنتهُ وجواريها وقوفاً على باب السرداب وهنَّ يومئنَ اليهِ بالسكوت وتخفيف الوطء . فلم يلتفت الى اشارتهنَّ لِما تداخلهُ الى ان سمع ترنُّم ابن سريج بهذا الصوت فألقى السيف من يدهِ وصاح بهِ وقد عرفهُ من غير ان يكون رآهُ ولكن بالنعت والحِذق : « ابا يحيى جُعلتُ فداءك اتيتنا بثلثمائة دينار لتُنفقها عندنا في حيرتنا فوحقّ المسيح لا خرجتَ منها الّا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ بهِ معك» . ثمّ دخل اليهِ فعانقهُ ورحَّب بهِ ولقيهُ بخلاف ما كان يلقاهُ بهِ وسألهُ عن هذا الصوت فاخبرهُ انهُ صاغهُ في ذلك الوقت فصار معهُ الى بشر بن مروان فوصلهُ بعشرة آلاف درهم اوَّل مرَّة ثمَّ وصلهُ بعد ذلك بمثلها . فلمَّا اراد الخروج ردَّ عليهِ جدّي مالهُ وجهَّزهُ ووصلهُ بمقدار نفقتهِ التي انفقها من مكَّة الى الحيرة ورجع ابن سريج الى اهلهِ وقد اخذ جميعُ من كان في دارنا منهُ هذا الصوت

وقال اسحاق الموصلي (الاغاني ٢ : ١٢٥) : لم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى حنين الّا نفرًا من السدريين (١ يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب

١) السدريون قومٌ من العلويين

ومالك بن حمة وكانوا يغنّون غناء الحيرة بين الهزج والنَّصب وهو الى النصب اقرب ولم يَذَروا منهُ شيئاً لسقوطهِ وانهُ ليس من اغاني الفحول وما سمعنا نحن لاحد من هؤلاء خبرًا الّا لمالك بن حمة . وقال اسحاق (الاغاني ٢ : ١٢١) قيل لحنين : انت تغنّي منذ خمسين سنةً ما تركتَ لكريمٍ مالًا ولا دارًا ولا عقارًا الّا اتيتَ عليهِ . فقال : بأبي انتم انّما هي أنفاسي أقسمها بين الناس أفتلوه ونني ان أُغلي بها الثمن

وقال وكيع في خبرهِ عن اسحاق : عاش حنين بن بلوع مائة سنة وسبع سنين وكان يقال انهُ من جديس . (قال) وقيل ايضاً انهُ من لخم وكان هو يزعم انهُ عباديّ واخوالهُ من بني الحرث بن كعب

امّا سبب موتهِ فما حدَّث بهِ حفيدهُ عبيد قال (الاغاني ٢ : ١٢٧) : كان المغنّون في عصر جدّي اربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحدهُ بالعراق والذين بالحجاز ابن سُريج والغريض ومعبد فكان يبلغهم انَّ جدّي حنيناً قد غنى في هذا الشعر (وهو لعدي ابن زيد) :

هلّا بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ ... وكففتَ عن ذمّ المشيب الآيبِ
هذا وربِّ مُسوّفين سقيتُهم ... من خمر بابلَ لذّةً للشاربِ
بكروا عليّ بسحرةٍ فصبحتُهم ... من ذات كرنيبٍ كقعب الحالبِ
بزجاجةٍ ملْ اليدينِ كانها ... قنديلُ صبحٍ في كنيسة راهبِ

(قال) فاجتمعوا فتذاكروا امر جدّي وقالوا : ما في الدنيا اهل صناعةٍ شرٌّ منّا لنا اخٌ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزورهُ ولا نستزيرُهُ . فكتبوا اليهِ ووجّهوا لهُ نفقةً وكتبوا يقولون : نحن ثلاثة وانت وحدك وانت أولى بزيارتنا . فشخَصَ اليهم . فلمّا كان على مرحلتهِ من المدينة بلغهم خبرهُ فخرجوا يتلقّونهُ فلم يُرَ يوم كان اكثر حشرًا ولا جمعاً من يومئذٍ . ودخلوا فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم مَعْبد : صيروا اليَّ . فقال لهُ ابن سريج : ان كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سكينة بنت الحسين (بن ابي طالب) عطفنا اليك . فقال : ما لي من ذلك شيء . وعدلوا الى منزل سكينة . فلمّا دخلوا اليها أذنت للناس إذناً عامًّا فغصّت الدار بهم وصعدوا فوق السطح وامرت لهم بالاطعمة فاكلوا منها ثمّ انهم سألوا جدّي حنيناً ان يغنّيهم صوتهُ الذي اوّلهُ «هلّا بكيت على الشباب الذاهب» فغنّاهم اياهُ بعد ان قال لهم :

ابدأوا انتم . فقالوا : ما كنّا لنتقدّمك ولا نغني قبلك حتى نسمع هذا الصوت . فغنّاهم اياهُ وكان من احسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوهُ فسقط الرواق على من تحتهُ فسلموا جميعاً وأخرجوا اصحّاء ومات حنين تحت الهدم فقالت سكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حنينٌ سرورنا انتظرناهُ مدّة طويلة كأنّا والله كنّا نسوقهُ الى منيّتهِ

وقد ورد في اخبار حنين بن اسحاق المتطبّب (طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٨٩) نقلاً عن كتاب اللهو والملاهي للسرخسيّ انّهُ قال : وافاني في بعض الليالي أيّامَ المتوكل رسلٌ من دار الخليفة يطلبونني ويقولون : الخليفة يريدك . ثمّ وافت بعدهم طائفة ثمّ وافاني زرافة فاخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى ادخلني الى الخليفة فقال : يا سيّدي هوذا حنين . (قال) فقال : ادفعوا الى زرافة ما ضمنّا لهُ . (قال) فدُفع اليهِ ثلاثون الف درهم ثمّ أقبل عليّ فقال : انا جائع فما ترى في العشاء ؟ فقلتُ لهُ في ذلك قولاً . فلمّا فرغ من اكلهِ سألتُ عن الخبر فقيل لي انّ مغنّياً غنّاهُ صوتاً فسألهُ لمن هو فقال : لحنين بن بلُوع العبادي فامر زرافةَ بإحضار حنين بن بلوع العبادي فقال لهُ : يا امير المؤمنين لا اعرفهُ . فقال : لا بُدّ منهُ وان احضرتهُ فلك ثلاثون الف درهم . (قال) فاحضرني ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسهِ من النبيذ وحضرتُ وقد جاع فاشرتُ عليهِ بان يقطع النبيذ ويتعشّى وينام ففعل

(لها بقيّة)

المهاجرة واضرارها

محاضرة القاها الاديب يوسف افندي ابو خاطر في جمعيّة القديس يوسف المارونيّة في بيروت بحضور خليل بك مطران مساء ٢٦ حزيران ١٩٣٦

تمهيد : البلاد بعد الحرب . لماذا نهاجر

وضعت الحرب العالميّة اوزارها فتنفّس الناس الصعداء . وقال ابناء هذه البلاد

هو الهناء أقبل بعد الضيق . وهو الرغد بعد سني البؤس والشقاء.

وكان ان تلك الحرب الطاحنة قد الحقت بالعالم اشدَّ الويلات وأوبل المصائب. وتركت وراءها آثار الدمار والخراب . فقلَّت اليد العاملة لفرط ما أُريق من الدماء في ساحات الوغى ولكثرة مَنْ ذهبوا ضحايا المجاعة والاوبئة . فازدادت الحالة الاقتصادية سوءاً . وعمَّت الضائقة والأزمة فكان لها صدًى مؤلماً في بلادنا. فوقف دولاب الاعمال. وكسدت التجارة . وتراكمت الويلات والمصائب. فتشاءم الناس وقالوا: خابت الآمال فلا فائدة تُرجى من وراء البقاء في بلادٍ ضاقت بها سبل الرزق على ابنائها . وقاموا يركبون متن البحار الى ديار الغربة . ولم يلبث عدد المهاجرين ان ازداد زيادة هائلة حتى اقفرت اكثر القرى في هذا الجبل التاعس فهلعت قلوب المفكرين وتقطَّرت اكبادهم . ووقفت البلاد حائرةً واجمةً امام هذا المشهد الهائل وما زال هذا السيل الجارف يتدفق الى يومنا حتى اصبحت المهاجرة خطراً وطنياً وجب على المفكرين تداركهُ ومنعهُ

ولا اشبه من اخطار المهاجرة المهدِّدة بلادنا بما يهدِّد فرنسة اليوم من نقص عدد المواليد سنوياً . الَّا انهُ شتَّان بين أُمَّة تَعُد اربعين مليوناً من البشر . لها بين امم الارض المقام الاوَّل . لا يؤثر الَّا بطيئاً في كيانها وتقدُّمها نقصان عدد معلوم من سكانها سنوياً. وبين امَّة فقيرة مسكينة قليلة العدد . ما زالت في طور التكوُّن والارتفاع وتتأثَّر بذهاب فردٍ واحدٍ من ابنائها فكيف بها غداً وقد غادرها الفريق الاكبر من سكانها ويتأهَّب الباقون للحاق بهم ؟

حالة المهاجر اليوم

لقد خيَّمت فوق بلادنا بعد هذه الحرب الضروس ازمةٌ اقتصاديَّة زادها المتشائمون هولاً . فخُيِّل الى اللبناني ان المال موجود بكثرة في ارض كولومبوس وان اسباب كسبهِ هناك متوفرة وافية . فهل اللبناني على صواب في نظريته هذه ؟

لقد كان زمن ايها السادة تمكَّن فيهِ المهاجرون من الإثراء بسرعة وسهولة. امَّا اليوم فقد انقضى ذلك الزمن وعادت الامور الى مجراها الطبيعي كما في سائر بلاد الله فليس كسب الاموال هناك هيِّناً بقدر ما نتوهَّم . بل ان دون بلوغ المهاجر الى نيل

قوته الضروري في ديار بعيدة نائية مصاعبَ ومتاعب تخور امامها الهمم وتيأس النفوس وتضمحلّ العزائم

تمثّلوا حالة لبناني مسكين ملأوا رأسهُ خرافات واوهاماً عن احوال اميركا والمهاجرين اليها . وحشوا دماغه اباطيل دفعتهُ الى بيع كل ما يملك في ارض الوطن ليقطع ورقة سفر بالدرجة الثالثة . هبط الى بيروت فتلاعب به سماسرتها ومحتالوها والبسوه ثياباً افرنجية وقبعة اصبح معهما كأحد ممثلي الروايات الهزلية . واستنزفوا آخر فلس في جيبهِ ارواء لمطامعهم — وهم جماعة لا قلب لهم ولا شفقة — ثم قذفوا بهِ على ظهر احدى البواخر وقالوا لهُ : الى حيث . . . .

تمثّلوا حالة هذا المسكين وقد سارت بهِ الباخرة تمخر عباب الاوقيانوس . تهبط تارةً وتعلو اخرى . فيخال لهُ انَّهُ على جبلٍ يسير وسط المياه الزاخرة . الى ان تلقي بهِ في ميناء مرسيليا . فينزل ويتجوَّل في شوارع تلك المدينة فيرى نفسه وحيداً شريداً لا عون لهُ ولا مساعد يقف في احدى الشوارع الكبرى فتتمثَّل امامه قريتُه وحقارتها . ويتمنَّى لو أُتيحت لهُ العودة اليها والوقوف ثانية في ساحتها الصغيرة بين قومه واهلهِ واصحابهِ . فتجول في عينيه دمعة لايلبث ان يمسحها ويشدّد عزيمته ويجدّد قواه . . . . ولكن مالي استوقفكم في مرسيلية ونحن لم نزل في اوَّل الطريق؟

تمثلوا حالة هذا المهاجر المسكين وقد أودع نفسه ثانية لباخرة تحمله بين الماء والسماء . وقد توغَّلت بهِ في اقاصي البحار . الى ان تلقي مراسيها في احدى موانئ العالم الجديد . فيأتيهِ مأمور الفحص والتفتيش . باحثين عن احواله . سائلين عن الاسباب التي حدت بهِ الى طلب الدخول الى اميركا . مدققين في فحص جسده . والويل لهُ ان وجد فيهِ هؤلاء المفتشون اثرًا لعلَّةٍ صحيحة كانت او مزعومة . فانهم يعيدونه حالًا من حيث اتى . لا يبالون أفي جيبه المال الكافي لذلك ام لا . . . .

وهب ان ادارة المهاجرة سمحت لهُ بالدخول الى البلاد الاجنبية . ها هوذا المهاجر اللبناني يتجوَّل في ازقَّة المدينة العظمى وشوارعها حائرًا مبهوتاً لا يعي ما يرى ولا يفهم ما يتجلَّى امامهُ من عجائب المدنيَّة والفنّ الحديث . لقد بهرت عينه مشاهدها حتى انهُ ليتساءل أفي يقظة هو ام في منام . ماذا ؟ أبعد رعي البقر والماعز . وبعد السير عارياً في المروج والحقول ؟ أبعد تنشُّق الهواء الطلق والتمتع بمحاسن الطبيعة ونعم

الله . أبعد تلك المعيشة الهادئة في قريته . ابعد تلك الليالي الجميلة في وطنه . يجد نفسه في مدينة كبيرة بين قوم يجهل لغتهم واخلاقهم وعوائدهم . تحت قوانين صارمة ونظامات قاسية يجب عليه التقيُّد بها . يجد نفسه في بلاد غريبة لا يعرف من سكانها احدًا . في ديار نائية لا عون لهُ بها يُرجى الَّا من الله وما في نفسهِ من عزم وقوَّة ارادة ؟؟؟.

لكنَّ اليأس لم يداخل بعد قلب هذا اللبناني والقنوط لم يستحوذ عليهِ . فالمجال لم يزل امامه فسيحاً . ومن يعلم ؟ فقد يكون لهُ في الغد الغنى المطلوب؟ وها هو في الغد يسعى وراء الرزق . ها هو يدور على البيوت والمخازن . يطلب العمل بتجارة ام باخرى فيرجع بخفي حنين . وقد يمضي الغد يا سادة وما بعده وتمضي الايام والشهور ومواطننا المسكين يسير من سيء الى اسوأ . جهله للغة القوم يمنعهُ من مخالطتهم والاستفادة منهم . وطريقة معيشته الجديدة تشوّش افكاره . ومعالم المدنيَّة القائمة حواليه تذهب بالبقية الباقية من عقله . فيعلم ان ما علّل بهِ نفسهُ من الآمال لم يكن سوى برق خُلَّب . وان البقاء في وطنه عزيزًا مكرَّماً احرى بهِ واولى . فإمَّا ان يقيم هناك عاملًا بسيطاً يتمكن بالكدّ وبعد العناء الكثير والتذلل من كسب قوتهِ اليومي . واما ان يعود ادراجهُ من حيث اتى نادباً زماناً مضى وعهدًا تقضَّى في مزرعتهِ الحقيرة . ذاكرًا ايام الطفولة والحداثة . باكياً على العمر يمضي من غير ما منفعة ولا استفادة

يرجع المهاجر الى وطنه فامَّا ان يعود الى عمله الاوَّل . واذ ذاك فقد افقد نفسه وبلاده ما كان يمكنه ان يفعلهُ في سبيلها مدة غيابه . وامَّا ان تدفعهُ عوامل العنف والكبرياء الى الترفع عن متابعة اعمالهِ السابقة واعمال اهله وذويه . فيقيم في حالة بطالة مخجلة . وكل معيب . يدفع عنهُ عامل الضجر بعادات مشينة استفادها من ديار الغرب وكانت مع الامراض الفتَّاكة التي قد تلحق بهِ إرثهُ الوحيد من تلك السفرة ونتيجة تحمُّله الاخطار والمشاقّ

ولكنني كلمتكم عن حالة مهاجر فرد في مقتبل العمر . غير ان هنالك مثالًا اشدَّ هولًا وادعى الى التألم والتأثر من مصير مواطنينا في تلك البلاد النائية . هنالك آباء يبيعون كل ما يملكونه في ارض الوطن ويهاجرون بنسائهم وصغارهم . هنالك

عائلات بأسرها تنزح عن لبنان الى ديار الغربة . لا يحسب اربابها لحوادث الايام حساباً وضعوا نصب اعينهم ان السعادة كل السعادة في المهاجرة . وقيل لهم ان المال متوفر في اميركا . فباعوا ما يملكونه بالمزاد العلني وبابخس الاثمان . واستسلموا للقضاء والقدر . ويا لتعاستهم ولشقائهم يوم يقفون في ارض الغربة مكتوفي الايدي . ويوم يصرخ في وجوههم صغارهم طالبين القوت . ويوم تعضّهم الحاجة بنابها ولا يجدون من حولهم معيناً او نصيراً !!!

وما قولنا باولئك الذين ينزعون عنهم في المهجر شعائر الايمان الذي رضعوهُ مع الحليب فينقادون الى كلّ افّاك خدّاع واذا عادوا الى الوطن زرعوا بين اهلهِ بذور كفرهم وفسادهم وسلبوا الجيل اثمن كنوزهِ

هذه يا سادة صورة مصغرة لحالة المهاجرين اللبنانيين اليوم . ولا انكر ان كثيرين من ابناء هذه البلاد قد اثروا وتوفّقوا في ديار الهجرة . فرفعوا شأو بلادهم وعزّزوا اسمها وأمدّوا ويمدّون المتخلفين بالمال اللازم لعمران هذا الوطن ورقيه . فضلاً عن اهتمامهم بشؤون بلادهم العامة . وسعيهم المتواصل والمثمر في سبيل تقدمها وفلاحها . ولعلّها هي الفئة التي عناها شاعر النيل بقولهِ عن المهاجر اللبناني :

يمضي ولا حاميةٌ الّا عزيمتهُ وينثني وحلاه المجد والذهبُ

لكنّ هذه الفئة قليلة بالنسبة الى الالوف المؤلفة الذين ذهبوا ضحايا مطامعهم . وكم من الذين توفّقوا في امورهم قد قرّروا الاقامة نهائياً في بلاد المهجر وبعد مدّة ينسون الوطن واهلهُ . وان كانت البلاد مدينةً للبعض منهم بقسم من النجاح والرقي فكثيرون لا يُجدونها نفعاً كبيراً . والاحرى ان نقول انّهم يكسونها ثوباً من الخزي والعار

اللبناني امس واليوم

اللبناني ايها السادة أنوف لا يصبر على ضيم . اللبناني ابيّ النفس عزيز الجانب . اللبناني كبير الهمة نشيط لا تثنيه عن عزمه المصاعب ولا تثبط قواه العقبات الكؤود . لذلك رأيناهُ يضرب في مشارق الارض ومغاربها جادّاً وراء الرزق والمال . لذلك رأيناه ورآهُ العالم باسره يعمل في كل بقعةٍ من بلاد الله بنشاطٍ وتفوّق . شهد لهُ بهما الاوربيون والاميركيون انفسهم

انظروا الى اللبناني من قديم الازمان وسالف العصور يستخرج من صخور هذه الارض وترابها الخيرات والكنوز. انظروا اليه يعيش عزيزاً منيع الجانب. غنياً بقوة الارادة. غنياً بكبر النفس. غنياً بما فيه من ذكاء ونشاط واخلاص. انظروا اليه يعيش ببساطة في تراث آبائه واجداده. لا يعرف الذل ولا الحاجة. يكتفي بالنزر القليل من المال. مع البقاء بين هذه الصخور العزيزة الجرداء. وفي هذه الجبال الشامخة معقله الحصين. وتحت اغصان الارز الباسق المازي بالاجيال والقرون

اجل! هذا هو اللبناني كان قبل نصف جيل لا يدري ما هي المهاجرة. ولا يستفزه داء الطمع الى مغادرة بلاده. ولا يتخلى عن لبنانه ولو منّوه بكل مال الارض. هذا هو اللبناني الذي عرفه التاريخ مذ كان لبنان الى زمن قريب من ايامنا هذه

لكن داء تسلط على العقول. ووهماً ملك افئدة اللبنانيين ونفوسهم. وسوساً نخر في رؤوس ابناء هذا الجبل حمل اللبناني على الاعتقاد ان ارض وطنه قد بارت وادركها الفناء. وان مستقبل بلاده اسود اقتم لا يرجى منه خير ولا نفع. وان ديار الغربة هي الميدان الوحيد الذي تتبارى به العزائم وتتسابق النفوس لنيل السعادة والمال

هواجس يأس من حسن مصير بلادهم حملت اللبنانيين على التأفف والتذمر. هواجس زادها النافخون في بوق التشاؤم هولاً وشدة حملت اللبنانيين على مغادرة هذه البقعة العزيزة ودفعتهم الى ركوب الاخطار وتجشم الشاق. وتضحية ذكائهم ونشاطهم واخلاصهم في خدمة بلاد الاغراب

اجل. ان للبناني همة شماء. ونشاطاً كبيراً لو استعملها وهو في بلاده في سبيل خيرها ورقيها. ولو خصص كل ما اعطي من مواهب الطبيعة ونعم الله لخدمة نفسه ووطنه وهو في قلب جبله الاشم لعاش مكرماً سعيداً

ايها السادة

ما من احد ينكر ان البلاد اليوم في ضائقة كبيرة. وانما الازمة شاملة عامة. كادت تنسيه هناء وطنه ورغد عيشه في بلاده. فالعالم اليوم بركان هائل تغلو فيه مراجل حقد الانسان على اخيه الانسان. والسلم لم يستقر على أسس راهنة بعد. ولا يزال شبح الحرب الرهيب يهدد بالويل والخراب. نعم لا انكر حراجة الموقف. ولكنني اقف صارخاً في وجه المتشائمين اعداء بلادهم ووطنهم فاقول:

« ان حركة الاعمال لم تقف بعد لدرجة لا يُرجى من ورائها مطمح أمـل . ولا يزال ميدان العمل فسيحاً امام كل من وطّن نفسه على العمل والثبات الصحيحين »

« امامكم ايها اللبنانيون البرهان الكبير الدافع على صحّة ما اقول : ان الارمني المهاجر الى هذه الاصقاع يعيش فيها اليوم بمجبوحة وسعـة . وان تسألوا عن السبب قلت : ان الارمني يعمل واللبناني لا يعمل . ان الارمني يرضى بما قسم لهُ الله في هذه الظروف الحرجة واللبناني لا يرضى . ان الارمني يثبت على العمـل وفي صدر اللبناني اليوم عاصفة جعلتهُ

كريشةٍ في مهبّ الريح طـائرة لا تستقرُّ على حالٍ من القلقِ

طلائع العمران . والثقة بالدولة المنتدبة

ايها السادة

لست من المتفائلين في كل شيء وفي كل الظروف . ولست من القائلين بعصر ذهبي مدهش لهذه البلاد تتوفر فيهِ الثروات توفُّراً بالغاً وتزدهر الزراعة والصناعـة والتجارة ازدهاراً لم يسبق لها مثيل ويعيش الجميع في بحبوحة ورغد ما عرفتها بلاد من بلاد الله بعد

ولكنني من الواثقين بحسن المصير . المتيقنين بقرب انقشاع الغمامـة التي غشت سماء هذا الوطن . القـائلين ان الازمة شاملة عامة . المعتقدين اعتقـاداً تاماً بحسن نوايا الدولة المنتدبة واستعدادها الحقيقي للسير بالبلاد في معارج الرقي والفلاح

ليكن لنا ثقة بالمستقبل وبالدولة المنتدبة . ان الحكومة الافرنسية لم تتمكن حتّى الآن من معاونتنا الاقتصادية والعمرانية التامة لانهماكها بامور بلادها وبشؤون سياستها الداخلية والخارجية . ولكنها سحابة صيف ستنقشع وتزول . وها هي طلائع العمران قد اخذت تبدو لنا مبشرةً بقرب تحسُّن الحال

طلائع العمران البادية من وراء استتباب الامن استتباباً تاماً نهائياً تذكر اللبنانيين بعهد الامير بشير وبالمثل المشهور القائل : هنيئاً لمن لهُ مرقد عنزة في لبنان . والامن يا سادة الشرط الاول للرقي والنجاح

طلائع العمران البادية من وراء عزم ولاة الامور على الغاء شركات الاحتكار

وفي رأسهن شركات الريجي والديون العمومية ولا يخفى ما وراء ذلك من الانتعاش الحقيقي لزراعتنا وصناعتنا

طلائع العمران البادية من وراء الاصطياف الذي يسير من حسن الى احسن . بفضل المساعي التي تُبذل لتحسين حالات الطرق . وصيانة الامن . وايجاد الفنادق الفخمة . الاصطياف الذي لن يلبث ان يشغل في حياة اللبنانيين المقام الكبير الذي يجب ان يشغله . لانه مورد رزق اوّلي لهذه البلاد

طلائع العمران البادية من وراء مشاريع الري وتوليد الكهرباء . وخلافها

طلائع العمران الظاهرة من وراء سكة حديد طرابلس — ناقورة . التي ستؤدي لتجارتنا واقتصادياتنا اكبر المنافع واجلّ الخدمات

طلائع العمران الظاهرة من وراء مشروع نهر ابرهيم الذي سيباشر العمل به قريباً . والذي سيدرّ على هذه البلاد لبناً وعسلاً . ويفسح لسواعد عمّالنا وشباننا مجالاً للعمل فسيحاً

طلائع العمران الظاهرة بأبهى مجاليها من وراء زراعة القطن والكتان التي أُجريت اختباراتها في سهول البقاع وعكار وجاءت باحسن النتائج

طلائع العمران من وراء المساعي المبذولة لتسهيل المواصلات الجمركية بيننا وبين الاناضول وفلسطين والعراق

واخيراً طلائع الرقي والعمران . ودلائل الفلاح التي تبعث الى التفاؤل الشديد من وراء عزم ولاة الامور على اعطاء البلاد قانونها الاساسي . ذلك القانون الذي سيضع شكل الادارة النهائي ويفصّل للبلاد من جهة هذه الادارة ثوباً صغيراً لائقاً بها . فتوفر معه من الميزانية مبالغ طائلة تُرصَد للمشاريع الاقتصادية الكبرى

الى اللبنانيين

ايها اللبنانيون : أبعدوا عن افكاركم شبح المهاجرة الرهيب . ها ان ميدان العمل الفسيح قد بدأ ينفتح امامكم . اقنعوا بما قسم الله لكم في هذه الظروف الحرجة . ثقوا بالمستقبل . تفاءلوا بحسن مصير بلادكم

حاربوا المهاجرة باقلامكم وصحافتكم ونواديكم ومدارسكم . حاربوها

وبكل ما اوتيتم من اخلاص لوطنكم العزيز وتعلق به . حاربوا المهاجرة وارقفوا تيارها الجارف فالمهاجرة خطر وطني . وهل بينكم من يتقاعس عن اداء الواجب اذا احاق ببلادكم خطر ما ؟

الى المهاجرين

أيها المهاجرون : ادعوكم الى العودة الى الوطن . لقد اقفرت البلاد من سكانها وحلّ محلّهم خليط من شعوب الارض ومتشرديها

ان البلاد في عهدها الجديد بحاجة الى رؤوس اموالكم وعقولكم . البلاد بحاجة الى خبرتكم ومعارفكم واخلاصكم . البلاد بحاجة الى مؤسسات ناضجة تحدثونها فيها . البلاد بحاجة الى اقلامكم والسنتكم . البلاد بحاجة الى صحافة راقية تنشئونها فيها كما فعلتم في ديار الاغراب . أفليس من وطنكم اصحابُ الاهرام والمقطم والمقتطف والهلال فما لمثلهم لا يعملون في قلب لبنان لخير لبنان ورقيه

البلاد بحاجة الى تلك الحلقة الطيبة التي تؤلف الرابطة القلمية النيوركية والتي اعادت في العالم الجديد ذكرى الاندلس وذكرى الادب العربي المزدهر فيها

البلاد بحاجة الى شاعر بعلبك يصدح فوق افنان بعلبك ويتغنى بلبنان وبامجاد لبنان في قلب لبنان لا في ديار الفراعنة

البلاد بحاجة الى امراء البيان وبلابل المنابر والاعواد يغرّدون في ظلال الارز الباسق لا في حمى الاهرام !

ايها المهاجرون : لقد غادرتم بلادكم في ظروف حرجة وصفها ببلاغته وابداعه شاعرنا الكبير خليل بك مطران في خطابه الاجتماعي الشائق الذي القاه بالامس في الكلية اليسوعية الزاهرة . لقد كان لكم يومئذٍ في المهاجرة عذركم المشروع . اما اليوم فقد زال هذا العذر بزوال الاسباب واصبح من واجبكم ان تلبّوا نداء هذا الوطن الذي يناشدكم العودة الى احضانه

ان للبلاد عليكم حقًّا كبيرًا . انتم حجر الزاوية في بناء الوطن العتيد . انتم قبلة امال المستقبل . انتم روح هذه الامة وقلبها النابض ودماغها المفكر وهل تحيا امة بلا روح ؟

عودوا الى بلادكم اليوم برؤوس اموالكم وحققوا المشاريع الاقتصادية العديدة .

عودوا الينا باقلام كتّابكم وعقول مفكريكم وعاونوا اخوانكم المتخلفين في عمالهم فتسير هذه البلاد متكئة على ذراع الدولة المنتدبة الكريمة نحو الرقي والاستقلال المنشودين

لا تناقض في التوحيد والتثليث

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

قرأنا في العدد الاخير من مجلة المنار المصرية لمنشئها السيد محمد رشيد رضا فصلًا عنوانهُ : « موافقة الاسلام للعقل دون غيره » جاء فيها (ص ١٩٢) ما نصُّهُ :

« من القواعد المقرَّرة عند علماء العقائد الاسلاميَّة أنَّ دين الاسلام ليس فيهِ شيء يحكم العقل باستحالتهِ وانَّ المسلم لا يُكلَّف ان يعتقد ما هو محال عقلاً . . . والقاعدة عند غيرنا بخلاف ذلك (كذا) وهي انهُ يجب الايمان ولو بالمحال وان كان بديهيًّا كالجمع بين النقيضين او الضدَّين المساويين للنقيضين كالتوحيد الحقيقي والتثليث الحقيقي اي كون الاله واحدًا حقيقةً وغير واحد حقيقةً »

فهذا القول كما ترى موجَّه الى ديننا النصراني فيدَّعي الكاتب — سامحهُ الله — باننا في معتقداتنا نجمع بين المتناقضات وضرَبَ على ذلك مثال اعتقادنا بتوحيدهِ تعالى وتثليثهِ فنؤمن على زعمهِ في وقت واحد «كون الاله واحدًا حقيقةً وغير واحد حقيقةً» فما قولنا ؟ أصحيح ان ديننا يوجب علينا «الايمان ولو بالمحال»؟ وأنَّنا في اعتقاداتنا «نجمع بين النقيضين» اللذين لا يمكن التوفيق بينهما ؟

١ امور عمومية

نجيب على هذا (اولًا) انهُ لمن العجب العجاب انَّ ديناً فيهِ بعض العقائد من المناقضات ما فيهِ قد ثبت منذ تسعة عشر قرناً بل انتشر ولا يزال في كل انحاء المعمور (ثانياً) واعجب من ذلك انَّ هذا الدين على الرغم من مناقضاتهِ قد شاع بين

الامم الأرجح عقلاً والارقى تمدُّناً والاوسع نفوذاً كاليونان والرومان والفرنج والعرب (راجع كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة) فدانوا لهُ دون ان توقفهم تلك المناقضات المزعومة مع ما فيهِ من الاحكام والشرائع التي تقاوم كلَّ شهوات الانسان من ضبط الحواس والزهد ولزوم العفاف ومحبَّة الاعداء والصبر على الاضطهادات مما لم يأمر بهِ دين غير النصرانيَّة . وعددهم حاضراً ينيف على ثلث سكَّان المعمور

(ثالثاً) ثمَّ انَّ بين الشعوب المتنصرة قد نبغ فلاسفة نطاسيّون قد جاروا ارسطو وافلاطون وسائر فلاسفة اليونان بل فاقوا عليهم بعلومهم كأوغسطينوس واوريجانس وتوما الاكويني وبسكال ومئين غيرهم تشهد كتاباتهم الباقية الى يومنا على سموّ عقلهم وضلاعتهم في كلّ اصول الفلسفة وفروعها فكيف جهلوا تلك المناقضات التي ينسبها صاحب المنار الى الدين المسيحيّ ولم يرموا بها عرض الحائط ؟

(رابعاً) وليس فقط لم يجدوا اثراً لتلك المناقضات بل اقنعوا بصحَّة دينهم كثيرين من فلاسفة المشركين فردُّوهم الى معتقدهم كديونيسيوس الاريوباجي واثيناغوراس الفيلسوف الاثيني وقبريانوس القرطجني ويوستينوس النابلسيّ فعرفوا الحقيقة وماتوا شهداء في سبيل دينهم . أفكان هؤلاء من العميان فلم يستدلُّوا على تلك المناقضات؟ او كانوا من المجانين ليضحّوا حياتهم لاثبات ما ينفيهِ العقل السليم ؟

٢ من اين اخذ النصارى قولهم بالتوحيد والتثليث

من المعلوم انَّ وحدانيَّة الله قضيَّة تتَّفق عليها سائر الكتب المنزلة ويؤيّدها العقل الصائب بنورهِ الطبيعيّ فضلاً عن الوحي . ولا حاجة لبيان ذلك اذ لا ينكرهُ علينا احد

امَّا التثليث اي كون الله واحداً في ثلثة اقانيم من اين اخذهُ النصارى ؟ أهو اختراع منهم ؟ او هو قولٌ خُدعوا بهِ لا يستطيعون ان يثبتوهُ بدليل فتشبَّثوا بهِ جزافاً وأصرُّوا عليهِ ؟

الجواب على ذلك انَّ ما يخترعهُ الانسان من تلقاء نفسهِ من الخياليَّات والاساطير الباطلة لا يلبث ان يمجّهُ وينفيهُ عنهُ . مثال ذلك ما اخترعهُ القدماء عن آلهتهم فانَّها خُدعت ببهرجتها وتمويهها بعضَ الجهلاء لكنَّها اضمحلَّت بعد ذلك وذابت امام نور

العقل ذوبان الثلج امام نور الشمس واصبحت اضحوكةً يزدري بها اصحابها

فهيهات ان يكون التثليث عند النصارى من هذا النمط فانَّ عقيدةً مثل هذه القائلة بكون الله الواحد هو في ثلاثة اقانيم لا تخطر على قلب بشر وقد بيَّنا سابقاً في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ١٣٢–١٤٥) في ردّنا على محمد طاهر التنير الفروق المتعدّدة الموجودة بين سرّ الثالوث النصرانيّ العجيب وبين الثالوثات والخاموسات والسابوعات النجسة والمملوءة خرافة التي شاعت عند بعض الامم الوثنيّة فلتُراجع

فمن اين اذن اخذ النصارى معتقدهم ؟ اخذوه بلا مراء من الوحي الالهيّ وحدهُ

وهذا الوحي كان ظهورهُ خفيفاً في عهد بني اسرائيل لما كان عليهِ اليهود من الميل الى ارجاس الوثنيين فاخفاهُ الله عنهم لئلّا يسيئوا فهمهُ . وانّما كشفهُ لبعض اوليائهِ منهم كموسى كليم الله الذي اشار اليهِ في مفتتح سفر التكوين حيث ذكر اسمَ الخالق على صورة الجمع «ألوهيم» وروحهُ الذي كان «يرفُّ على المياه» . وكابرهيم الخليل الذي تراءى لهُ الله على صورة ثلاثة شبّان متشابهين فسجد لهم وكلّمهم بالافراد «سيدي» . وكداود في مزاميرهِ (مز ٣٢ : ٦) حيث يقول : «بكلمة الربّ صُنعت السماوات وبروح فيهِ كل جنودها» . وكاشعيا (٦ : ٣) الذي سمع السرافين قدّام عرش الله يثلّثون تسبحتهُ : «قدّوس قدّوس قدّوس» . وآيات اخرى استشهد بها السيد المسيح من العهد العتيق دلالةً على لاهوتهِ (مز ١٠٩ : ١) : «قال الرب لربي اجلس من عن يميني» او على روحه القدّوس (اشعيا ٦١ : ١) : «انَّ روح الرب عليَّ مسحني لأبشر المساكين وارسلني لأجبر منكسري القلوب»

على ان هذه الرؤى والآيات قد كشف الانجيل الطاهر معانيها الخفيّة واظهرها بكلّ جلاء في كلّ صفحة من صفحاتهِ وذلك مباشرةً بتبشير الملاك جبرائيل للعذراء مريم بميلاد ابن الله فذكر الآبَ بقولهِ «فلتِ نعمةً عند الله» وذكر الابن بقولهِ ان المولود فيها «ابن الله سيُدعى» وذكر الروح القدس الذي بفعلهِ ستتمُّ ولادة المسيح اذ يحلّ عليها ويظلّلها بقوّتهِ

وختام الانجيل شبيهٌ بأوّلهِ اذ كانت آخر كلمة قالها المسيح قبل صعودهِ الى السماء لتلاميذهِ : اذهبوا علّموا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس

وبين مُفتتح الانجيل وختامهِ نحو من مئتي آية فيها كلام صريح عن أحد الاقانيم

الثلثة ولاسيَّما عن لاهوت السيد المسيح كما بيَّنَّا ذلك في كتابنا البرهان الصريح في اثبات الوهيَّة المسيح ردًّا على المنار (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٨١ الخ) . فهناك اقوال لا تخطر على قلب انسان لو لم يوحَ بها . فايُّ بشرٍ يا تُرى امكنهُ ان يخترع ما جاء هناك كقولهِ (يوحنَّا ١) : « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله والله كان الكلمة . . . كلٌّ بهِ كُوِّن وبغيرهِ لم يكوَّن شيء ممَّا كُوِّن » الخ . وقولهِ (متى ١١ : ٢٧) : « كل شيء قد دُفع اليَّ من ابي . وليس احد يعرف الابن الَّا الآب ولا احد يعرف الآب الَّا الابن » . وقولهِ (يوحنا ٣ : ١٣) : « لم يصعد احد الى السماء الَّا الذي نزل من السماء ابن البشر الذي هو في السماء » . وقولهِ (يوحنا ١٥ و١٦) : « متى جاء المعزّي الذي أُرسلهُ اليكم من عند الآب روح الحقّ الذي من الآب ينبثق . . . يرشدكم الى جميع الحقّ . لأنَّهُ لا يتكلَّم من عنده . . يأخذ ممَّا لي ويخبركم . جميع ما للآب فهو لي ومن اجل هذا قلتُ لكم يأخذ مما لي ويخبركم » . فنسأل كلَّ رجلٍ سليم النيَّة خالٍ من الاوهام أيمكن مخلوقاً ان يكتب مثل هذا من عندهِ لولا وحيٌ من الله . ولاسيَّما اذا اعتبرنا ان هؤلاء الكتبة كانوا أُميين صيَّادين بكَّتهم السيّد المسيح مرارًا على جهلهم لامور الله

وما كتبوهُ في الانجيل كرَّروهُ وزادوهُ ايضاحاً هم وتَبَعتُهم في رسائلهم . اقرأ مثلًا ما افتتح بهِ بولس الرسول رسالتهُ الى العبرانيين : « انَّ الله الذي كلَّم الآباء قديماً في الانبياء كلَّمنا اخيرًا في هذه الأيام في الابن الذي جعلهُ وارثاً لكلّ الاشياء وبهِ انشأ الدهور وهو ضياء مجدهِ وصورة جوهرهِ وضابط الجميع بكلمة قوَّتهِ وبعد ما طهَّر الخطايا جلس عن يمين الجلال في الاعالي . . . يقول لهُ (الاب) : انَّ عرشك يا الله الى دهر الدهور وصولجان ملكك صولجان استقامة . . . اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك »

فمن كلّ هذا يلوح سرُّ الاله الواحد ذي الاقانيم الثلثة . وبما انَّهُ جاء بالوحي فلا بُدَّ من الايمان بهِ ما لم يثبت لنا صاحب المنار احد شيئين امَّا انَّ هذه الآيات ليست من الوحي وانَّما هي تدليسٌ وكلام زُور دسَّهُ بعض ذوي الغايات خدع بهِ الناس وإمَّا ان لهذه الآيات معنًى غير المعنى الذي يزعمهُ النصارى

(والقول الاوَّل) مردود لانَّ الاناجيل الاربعة القانونيَّة هي وحدها دون

سواها في ايدي المسيحيين منذ عهد الرسل لم يمسّها تغيير ولا تحريف. وقد نشر الاب المرحوم انطون رباط في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٢٤١ الخ) فصولاً واسعة في الانجيل الشريف اثبت فيها «حقيقة نسبة الاناجيل الى كتبتها وتاريخها وبراءتها من التحريف وصدقها» (١ ولا نعلم انّ احداً ردّ عليها في شيء. وممّا رواهُ هناك تعريف عدّة نسخ مخطوطة من الاناجيل سبقت الاسلام بعضها بمئة وبعضها بمئتين بل بثلثمائة سنة يمكن فحصها علمياً وبيان سلامتها من كلّ تحريف. واثبت ترجمتها عن اليونانيّة منذ القرن الثاني للميلاد في اللاتينيّة والسريانيّة والقبطيّة وكلّها متوافقة المعاني مع اختلاف اللغات. ولو افترض انّ تلك النسخ مفقودة كلها لاستطعنا تركيب الاناجيل الاربعة تماماً بجمع ما نصّ عليهِ او استشهد بهِ منها آباء الكنيسة في القرون الخمسة الاولى للميلاد. فكفى بذلك دليلاً على صحّتها كما لو افترض فقدان القرآن فتُجمع آياتهُ من شواهد كتبة العرب الاوّلين فلا بُدّ من القول انّ الاناجيل برينة من كل تزييف وانهُ لا يستطيع احد من العلماء ان يُبطل منها فصلاً ولا حقيقة دينيّة ولا تعليماً ادبيّاً

ولعلّ جناب منشىء المنار يحتجّ ببعض اناجيل كاذبة اشاعها المبتدعون في ازمنة مختلفة لكنّها منذ ظهورها اعلنت الكنيسة فسادها وقد كتبنا فصلاً مطوّلاً عن ستّة عشر انجيلاً من اناجيل الزور (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٩٤—٢٠٥) التي ظهر كذبها لكلّ عيان . منها انجيل برنابا الذي عُنيت مجلة المنار فعرّبتهُ وطبعتهُ ظنّاً منها انها وجدت سلاحاً لمحاربة النصرانيّة وقد بيّنّا لها هناك (ص٢٠٤) انّها خُدعت بالظواهر وانّ الانجيل المزعوم هو لراهبٍ جحد دينهُ في القرن السادس عشر فضمّنهُ كلّ خرافات دماغهِ العليل .

وليس للقول الثاني صحّة اعظم اعني القول بانّ النصارى لم يدركوا معنى تلك الآيات المنزلة بالوحي عن الثالوث الاقدس. لأن تلك المعاني واضحة جليّة مكرّرة تكراراً متعدّداً لا يحتمل شرحها مجازاً . وهكذا فهمها رسل المسيح في تآليفهم وبنوا عليها دستور ايمانهم ووافقتهم الكنيسة في كلّ آثارها الفنّيّة وفي كتاباتها ومجامعها وتعليم كلّ ملافنتها وضربت بالحرم على يد كل من حاول نفي حقيقتها وهي حتى اليوم تفرز من جماعتها كل من ينكرها . فلا سبيل اذن الى صاحب المنار

١) قد طُبعت هذه الفصول على حدة فيمكن الحصول عليها في مطبعتنا الكاثوليكيّة

الى قرع هذا الباب الآخر

فماذا يبقى لهُ ؟ هو قولهُ «انَّ في القول بالتوحيد والتثليث تناقضاً » فكأنهُ يريد ان ينقض تلك الحقيقة من الوجه الفلسفيّ . ونحن نسلّم لهُ جدليًّا بفساد هذا التعليم لا بل بفساد الدين القائل بهِ لو امكنهُ ان يثبت التناقض المزعوم لان التناقض الصحيح في تعليم احد الاديان دليل قاطع على فساد ذلك الدين

ويجب قبل كلّ ان نحدّد ما هو التناقض . التناقض في اللغة التخالُف اشتقَّ من تناقُض الحبل اي انتكاثهِ وانحلال إبرامهِ . وهو في اصطلاح الفلاسفة اختلاف الامرين على وجه لا يمكن الجمع بينهما . وتناقُض القضيَّتين اختلافهما بالايجاب والسلب بحيث يقتضي صدقُ احداهما كذبَ الاخرى كما لو قُلت : الله موجود والله ليس بموجود . والعالم حديث والعالم قديم . هذا واحد وثلثة معاً . ففي كلّ هذه القضايا ينفي احد الوجهين الوجه الآخر فوجودهما معاً من المُحال اي من الباطل الفاسد من كلّ وجه . فوجود الله ينفي عدم وجوده والعكس بالعكس . ومثلهُ حدوث العالم ووحدانيَّة الشيء ينفيان قدم العالم وثلاثية ذاك الشيء بعينهِ . ويُعكس

فهلمَّ نبحث عن معتقد النصارى في التوحيد والتثليث أفي قولهم انهُ تعالى واحد بالطبيعة مثلَّث الاقانيم تناقضٌ حقيقي ؟ قلنا انَّ تحديد التناقض وضع الشيء ايجاباً وسلباً معاً . فمَن من النصارى رعاك الله يدَّعي انَّ الله هو اله واحد وثلثة آلهة؟ وانَّ لهُ جوهرًا واحدًا وثلثة جواهر ؟ وانَّما يقولون استنادًا الى ما اوحى الله اليهم بهِ بواسطة السيد المسيح كلمتهِ المتأنس انَّ الله الوحيد بالطبيعة ذو ثلثة اوصاف نسبيَّة آب وابن وروح قدس يدعونها اقانيم لانها قائمة بتلك الطبيعة الواحدة

يقول النصارى انَّ الله عزَّ وجلَّ الواحد الصَّمد ذا الجلال والكمال والجوهر الفرد الذي لا يُمكن تقسيمهُ او تجزئتهُ البتَّة هو الهٌ عاقل يعقلُ حقيقة ذاتهِ الالهيَّة منذ الابد ومعرفتُهُ هذه لذاتهِ ليست عرضيَّةً اذ لا عَرَض في الله وانَّما هي معرفة جوهريَّة هي صورتُهُ وضياء مجدهِ الجامعة لكلّ كمالاتهِ كأنَّهُ هي وكأنَّها هو . وتلك الصورة هي كلمتهُ القائمة بذاتها التي لا تقع تحت قول : كن . ولأنَّها صادرة عنهُ متولّدة منهُ بطريقة العقل دون حركة ولا زمان ولا مكان ثابتة فيهِ دون انفصال دعوناها كلمةً ودعوناهُ ابًا كما ندعو معقول عقلنا الذي ينتجهُ ذهننا ابنَ فكرتنا او

كلمتهُ تلفظها شفاهنا دون ان تبارح عقلنا وانَّما كلمة الانسان عَرَض وكلمة الله اله كمصدرها تُشبه مصدرَها شبهاً تامًّا وتأخذ عنهُ لاهوتهُ مع كلّ كمالاتهِ. وبما انَّ الابن يشبهُ الآب وهو صورتهُ الجوهريَّة وجب ان تكون بين الآب وكلمتهِ علاقة وهي علاقة الحبّ لتلك الكلمة وحبّ الكلمة الى مُولدهـا . وهذه العلاقة ليست ايضاً عرضاً بل جوهرًا وذلك هو الروح القدس الحبّ المتبادل بين الآب والابن المنبثق من كليهما. فجوهر الآب هو ذات جوهر الابن وكلمتهُ وذات جوهر الروح القدس رابط الحبّ بينهما. فترى انَّ في كلّ ذلك ليس اثرٌ للتناقض

وان قال صاحب المنار انَّهُ لا يدرك هذا السرّ تماماً اجبناهُ أننا نحن ايضاً لا ندركهُ وكفانا ان نعرف حقيقةً انَّ الله أوحى بهِ . او نقيس الله على قصر عقلنا البشري؟ فلو كنَّا ندرك كُنهَ الله لكنَّا آلهةً . وكم من الاسرار يجب علينا قبولها ولو لم يدركها عقلنا . مَنْ منَّا يفهم اسرار الطبيعة الهيولية وكلّ عجائبها ؟ أنفهم حسناً ما فينا من القوى الحسيَّة والعقليَّة ؟ ألايقول المسلمون مثلنا بالبعث والنشور ؟ او ليس ذلك سرًّا؟ أيدركون جيّدًا وحدانيَّة الله وكمالاتهِ ؟ فليذكر صاحب المنار جواب الامـام الغزالي اذ طلب اليهِ الزمخشري ان يشرح لهُ قول القرآن «الرحمان على العرش استوى» فاجابهُ :

قُـلْ لمن يفهمْ عني مـا اقولْ ... أُترك البحث فذا شرح يطولْ
ثمَّ سِرٌّ غامضٌ من دونهِ ... ضُرِبَتْ بالسيف اعناقُ الفحولْ
انت لا تعرف ابـاك ولم ... تدرِ من أنت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكِّبت ... فيكَ حارت في خفاياها العقولْ
اين منك الروحُ في جوهرهـا ... هل تراها او ترى كيفَ تجولْ
انتَ أكلَ الخبزِ لا تعرفـهُ ... كيف يجري فيك ام كيف يزولْ
فـاذا كانت طوايـاك التي ... بين جنبَيْك بها انت جَهُولْ
كيف تدري مَن على العرش استوى ... لاتقُل كيف استوى كيف الوصولْ
فهو لا كيفٌ ولا ابنٌ لـهُ ... هو ربُّ الكيف والكيفُ يحولْ
هو فوقَ الفوقِ لا فوقٌ لهُ ... وهو في كلّ النواحي لا يزولْ
جـلَّ ذاتًا وصفـاتٍ وعـلا ... وتعـالى ربُّنـا عمَّـا تقولْ

نعم القول نعرضهُ على كلّ من يلومنا عن اعتقادنا اسرار الله وان لم نفهمها . وبهِ يتَّضح ايضاً بُطلان قول بعض المتفيهقين انَّ للنصرانيَّة وحدهـا اسرارًا لا يستطيع العقل ادراكها . فان لكلّ دين اسرارًا يعجز العقل عن فهمها . وغاية ما يمكن الانسان

ان يطالب به صاحب الايمان ان معتقدهُ لا تناقض فيهِ وانهُ ورد حقيقةً في الوحي وقد بيَّنَّا الامرين كليهما بقوَّة الله . وان شاء المخالف مثلًا قريباً لمعتقدنا في التوحيد والتثليث أَحلناهُ الى مشاهدة النفس البشريَّة وقواها الثلث العقل والارادة والذاكرة . فالنفس هي العقل وهي ايضاً الارادة وهي ايضاً الذاكرة . والعقل يختلف عن الارادة والارادة تختلف عن الذاكرة ومع ذلك النفس واحدة وان كانت مثلثة القوى . فهكذا الله تعالى واحد في الجوهر مثلث الاقانيم

ملحق

فكاهة دينيَّة للشيخ يحيى بن عديّ

عن مسئلة جرت بين يدي علي بن عيسى الجرَّاح في التوحيد والتثليث

المشرق نورد هنا نبذةً مستلحة نقلناها عن نسختي باريس (Paris, Ms Ar., 101 pp. 307) والفاتيكان (Vat. Ms 134 pp. 21) لها علاقة مع المقالة السابقة . وهي للفيلسوف النصرانيّ الشهير ابي زكريا يحيى بن عديّ من نصارى القرن العاشر للميلاد (+ ٩٧٤) . وهي مسئلة جرت في ديوان عليّ بن عيسى بن الجرَّاح وزير الخليفة المقتدر فدونك نصَّها :

قال ابو زكريَّا يحيى بن عديّ اخبرني بعض اخواني انَّ الوزير ابا الحسن عليّ بن عيسى بن الجرَّاح رضي الله عنهُ وارضاهُ واكرم مآبهُ ومثواهُ استحضر ابا مسلم محمد بن بحر (؟) الاصفهاني رحمهُ الله ليوافقهُ على ما كان يتولَّاهُ من الاعمال . فجرى بينهما خطاب اختلفا في ما يجب فيهِ من الحكم . واتَّفقا على ان يرجعا فيهِ الى من يوثق ببصيرتهِ بأحكام الديوان من كتَّاب الحضرة . فذكر الوزير ابو الحسن بصَّرهُ اللهُ وجههُ رجلًا من وجوه كتَّاب النصارى فقال ابو مسلم الاصفهاني : لا ارضى بهِ لانهُ لا يُحسن الحساب . فقال الوزير منكرًا عليهِ : أتقول في فلان انهُ لا يُحسن الحساب ؟ فقال : نعم لانَّ الواحد عندهُ ثلثة والثلثة واحد . فاستضحكهُ بذلك . وانَّما عنى ابو ابو مسلم بقولهِ وَصفَ النصارى للباريء عزَّ وجلَّ بانهُ جوهر واحد موصوف بثلث

صفات وهي التي يسمّونها الاقانيم

(قال يحيى بن عديّ) : ولو امعن ابو مسلم النظر في ذلك ووفّق الخطأة الحقيقيّة فيه لَظَهَرَ لهُ انهُ على ما يعتقدهُ ويقولهُ أَوْلى بان يوصف بانهُ لا يُحسن الحساب من النصارى. والدليل على ذلك ما انا قائلهُ منذ الآن فاقول: كلّ لفظة امّا ان تكون يُشار بها الى معنًى من المعاني وامّا ان تكون لا يُشار بها الى معنًى. وكلُّ لفظتين يُشار بكلّ واحدةٍ منهما الى معنًى فلا بُدَّ ضرورةً من ان يكون المعنى الذي يُشار اليهِ باحداهما امّا هو المعنى المشار اليهِ بالاخرى. وامّا غير المعنى المشار اليهِ بها. ومن البيّن انَّ الفاظ «الجواد والحكيم والقادر» يُشار بكل واحدةٍ منهنَّ الى معنًى. ومن الاوائل في كلّ عقلٍ صحيح انَّ المعنى الذي يُشار اليهِ بلفظة «جواد» هو غير المعنى الذي يشار اليهِ بلفظة «حكيم» وغير المعنى الذي يُشار اليهِ بلفظة «قادر». ونحن والذي ظنَّ بنا انّنا لا نُحسن الحساب لانّنا نقول انَّ شيئاً بعينهِ يصحُّ ان يوصف بانّهُ شيء واحد ويصحّ بان يوصف بانّهُ اشياء ثلثة مُقرّون بانَّ الباريَ تعالى واحد وموصوف بانهُ جواد وبانّهُ حكيم وبانّهُ قادر. وخصمُنا يقول بانَّ الموصوف بهذه المعاني الثلثة هو هو هذه المعاني وانّهُ وايّاها واحد من كلّ وجه. فيلزمهُ لا محالة ان يكون الذي هو واحد من كلّ وجه هو هو بعينهِ هذه الثلثة المعاني من كلّ وجه. ومن البيّن لمن لم يخرج من عقلهِ انَّ من يقول بانَّ الباريَ الذي هو واحد من كلّ وجه هو هو بعينهِ المعاني الثلثة هو اولى بالوصف بانهُ لا يُحسن الحساب ممّن يقول بانَّ شيئاً بعينهِ هو واحد من وجه وثلثة من وجه آخر. فانّا نحن نقول انَّ الباريَ جلَّ ثناؤهُ موصوفٌ واحد بثلث صفات. فالواحد يوصف بهِ الموصوف والثلثة توصف بها الصفات. فنحن اذن احقُّ بانلا يلزمنا ان نقول انَّ الواحد هو هو من كل وجهٍ ثلثة. وذلك ما اردنا ان نبيّن والشكر لله واهب العقل دائماً ابداً[1]

(المشرق) نحيل القرّاء الذين يريدون زيادة ايضاح في التوحيد والتثليث الى المقالات النفيسة التي نشرناها في المشرق سابقاً لبولس الراهب اسقف صيداء ولعدي بن يحيى ولعبد يشوع وايليا طراني نصيبين وقد طبعناها على حدةٍ في مجموع عنوانهُ مقالات دينيّة قديمة صدرت طبعتهُ الثانية في مطبعتنا الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٠ (صفحاتهُ ١٤٨)

١) هذه المقالة ليحيى بن عديّ هي الخامسة من مقالاتهِ التي نشرها الكاهن اوغستين بيريه (ص ٦٢–٦٨) وبين قراءتَيْنا بعض اختلاف جزئيّ

مطبوعات شرقية جديدة

Wilson (W.) : HISTOIRE DU PEUPLE AMÉRICAIN, traduite par D. Roustan, 2 *vols.*, *gr in-8°*, 30 *Planches hors texte des Présidents des Etats-Unis. Paris, Editions Bossard, Prix* 60 *f*

تاريخ الشعب الاميركي

مؤلف هذا التاريخ هو ولسون ذاك الرئيس الشهير الذي لعب في الحرب الكونيَّة الاخيرة دوراً ممتازاً. على انهُ كاد يموت خاملاً في العام الماضي بعد مرض أليم دهمهُ. ولهذا الرئيس ما عدا خدمهِ السياسيَّة لوطنهِ خدمٌ ادبيَّة ادَّاها للعالم وهو مُعلِّم في احدى جامعات اميركا حيث ألفت اليهِ نظر مواطنيهِ بهذا التاريخ الذي نحن بصددهِ وهو يتألَّف من خمسة مجلَّدات تتناول اخبار شعب اميركا الشمالية منذ اوائلهِ الى مفتتح القرن العشرين. فتتبَّع اطوار سكَّان اميركا وعناصرهم الاصليَّة ثمَّ تأمَّركهم حتى اصبحوا شعباً واحداً يجري ابناؤهُ على خطَّة واحدة الى غاية واحدة معلومة. فالحياة الاميركيَّة صارت تمتاز عن سواها بخواصّ تدلُّ على همَّة قصوى ونشاط عظيم بلغت بهما تلك البلاد غاية العظمة والنفوذ. وهذه الترجمة الفرنساويَّة جديرة بكل ثناء لامانة مترجمها وانسجام كلامهِ معاً الاب جبرئيل لوفنك

Hildebrand Hoepfl O. S. B. : INTRODUCTIONIS IN SACROS UTRIUSQUE TESTAMENTI LIBROS COMPENDIUM. Vol. I. Introductio Generalis, *pp.* 319, *Typographia Pontificia, Romæ*, 1922.—Vol. II. Introductio specialis in Libros *V. T.*, *pp.* 331, *Typis Proto-Cœnobii Sublaci*, 1921. — Vol. III, Introductio specialis in Libros N. T., *ibidem*, 1922

دليل الاسفار المقدَّسة

تحتاج اسفار الكتب المقدَّسة من العهدين القديم والحديث الى مقدِّمات طويلة ترشد الطَّلبة الى معرفة تلك الكتب من وجوهٍ مختلفة كاصلها وكاتبيها ومحتوياتها ولغاتها واشياء كثيرة ترشدهم الى درسها وشرح معانيها. وهذا الكتاب وضعهُ احد الرهبان البندكتيين من اساتذة مدرسة القديس انسلمس في رومية وهو يتألَّف من

اربعة مجلّدات لم يصل الى يدنا منها الّا ثلثة وهي تشهد لصاحبها بسعة المعارف وصحّة الآراء وسلاسة التعبير. وهو يعرض كلّ باب من ابواب كتابهِ مستنـدًا الى اصدق تعاليم الآباء والمفسّرين وبيان ما أتت بهِ الآثار والماديّات تأييـدًا لاخبار الكتب المنزلة. والمؤلف مع حفظهِ للتقاليد الصادقة لا يأنف من تفنيد ما يراهُ ضعيف الحجّة واهي السند فمن ذلك انهُ يعاكس رأي الناسبين الى سليمان الحكيم سفر الجامعة لما في قولهم من المشاكل العديدة. ويا ليت هذا التأليف كان أتقن طبعاً واضبط نصًّا لكان اصاب قصبة السبق على سواهُ الاب يوسف ديلنسيفر

I Dr Marchand: LES FAITS DE LOURDES. Trente Guérisons enregistrées au bureau médical (1919-1922). In-12, *Prix* 7 *f*. = II Gaël (René): LES GRANDES GUÉRISONS DE LOURDES. Celle qui ressuscite, 1 *vol. in*-12. 7e *mille*, *Prix* 5 *f*. = III Henri Lanier (Ch.): SUR LES PAS DE L'IMMACULÉE, *in*-32, *Prix* 1 *f*., *Paris*, *Pierre Téqui Libraire-Editeur*

حوادث لورد وعجائبها الغريبة – على آثار البتول

كنّا نودّ ان يقرأ جحدةُ العجـائب هذه الكتب الثلثة التي وضع اوّلها احد مشاهير الاطباء الدكتور مرشان وصنّف الثـاني والثالث رجلان عالميّان لا يمكن نسبتهما الى المكر او الغايات الدنيّة. فالدكتور مرشان مقيمٌ رسميًّا في لورد يفحص المرضى الذين يأتونهـا طلباً للشفاء بشفاعة مريم العذراء ويدوّن ما يحصل منهُ دون علاج الاطباء بنعمة البتول وحدها وينشرهُ في نشرةٍ خاصّة بذلك. وها هوذا جمع اليوم اخبار ٣٠ شفاء راقبها هو بنفسهِ من السنة ١٩١٩ الى ١٩٢٢ واقرّ كل الاطبّاء انها جرت على طريقة عجيبة بعد اقرارهم بعجزهم عن شفائها طبيعيًّا. فقـد نال هذا الكتـاب من الشهرة مـا افحم كلّ ناكري العجائب الالهيّة – والكتاب الثـاني قد خصّهُ الاديب "رينه غانل" بوصف اعجوبة خاصّة تُعَـدّ من اعظم آيات عصرنا حدثت في ٢٨ آب سنة ١٩٠٨ في شخص مريض كان على قاب قوسين من القبر حتى انهُ لم يبقَ فيهِ الّا نسمة حياة يُنتظَر موتهُ منذ بضعة اسابيع فقام في لورد معافًى وهو الى اليوم بتمام الصحّة يقصّ خبر شفائهِ على كلّ من يشكّ فيهِ – امّا الكتاب الثالث فهو اعمّ مدارهُ على شفاعة البتول ووصف فضائلها التي تفرد من يتعبّد لهـا ويسير

على مثالها الى اوج الكمال ل . ش

Iedermanns Buecherei: VERLAG HIRT IN BRESLAU. = **I Maull :** Griechisches Mittelmeer Gebiet. 13 *Cartes et* 33 *images, Prix.* 3f. 50 *francs suisses* = **II Friederichsen:** Finnland, Estland. Lettland, Litanen, 16 *Cartes, et* 36 *images, même prix* = **III Passage :** Die Landschafts Guertel der Erde. *Carte et* 31 *images, même prix* = **IV Tuckermann:** Osteuropa. 2 *vols avec Cartes et illustr., même prix*

مطبوعات جغرافيّة

في برسلاو من اعمال المانية محلّ شهير يتولّاه ايدرمان وينشر فيه من المطبوعات المفيدة ما اكسبهُ ثقة الجمهور وقد ذكرنا سابقاً بعض منشوراته . فها هو اتحفنا اليوم باربعة مجلّدات جليلة في جغرافية اوربّة وخصوصاً اليونان والخاء بحر بلتيك وعن مناطق الارض واوربّة المركزيّة . فهناك معلومات غاية في الافادة مع مراعاة التغييرات التي احدثتها الحرب الكونيّة . وهذه التآليف كاملة من حيث اتقان طبعها وجودة خرائطها وتصاويرها ج . ل

L'ÉTUDE DE L'ECRITURE S^te dans l'Eglise Syrienne d'Antioche. Par S. B. **Ignace Ephrem II Rahmani.** *in*-12. *Impr. Patr. syr. de Charfé*, 1924, *Prix*, 5 *f*.

درس الاسفار المقدّسة في كنيسة انطاكية السريانيّة

هذه محاضرة نفيسة القاها غبطة السيد الجليل اغناطيوس افرام الثاني الرحماني في عاصمة الكثلكة امام عدد عديد من الكرادلة والاساقفة والعلماء وهنّأهُ على مضامينها قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر . فقد راجعناها بملء اللذّة ولقينا فيها من المعلومات ما لا يجدهُ الباحث في مكاتب واسعة عن احوال الكنيسة الانطاكية في قرون الميلاد الاولى وعن علمائها السريان وخصوصاً عن الدروس الكتابيّة التي شاعت فيها مستندةً الى الترجمة البسيطة الراقية الى اوائل النصرانيّة فعرّف غبطتهُ ما لهذه الترجمة من الخواصّ لايضاح نصوص الكتاب المقدّس المغلقة وضرب على ذلك امثلةً عديدة كما انهُ حفظهُ الله وصف نسخةً من الاناجيل سبقت ترجمة البسيطة ووقف عليها بمراجعة مخطوطات وآثار قديمة فبيّن فضلها على الترجمة السريانيّة التي خلفتها . فنهنئ

شرقنا العزيز الذي يحصي بين علمائهِ رجالًا كنبطتهِ يجارون فطاحل الغرب بقدرتهم العلميَّة

L'Atlantide a-t-elle existé?: par L'Abbé Th. Moreux, I vol. in-12, Paris, G. Doin éditeur, Prix 3 f.

هل وُجدت جزيرة الاتلنتيد

وما ادراك ما جزيرة الاتلنتيد ؟ جزيرةٌ ذكرها القدماء. ومنهم افلاطون فرووا عنها وعن قومها الجبابرة عجائب غرائب كانت تتناقلها الالسنة في أيامهم بعد ان طُمس ذكرها قبل اجيال عديدة فغاصت في قعر البحار. وقد كثرت مزاعم المحدثين عنها فمنهم من ينكر وجودها ومنهم من يؤكدهُ وقد اختلفوا عن موقعها والمظنون أنها كانت قطعة من اميركا. وها هوذا الكاهن مودو مدير مرصد بورج الفلكي في فرنسة قد عاد الى البحث عن تلك الجزيرة فاختصر ما قالهُ فيها التاريخ والعلماء وأبدى هو برأيهِ فيها ونظَمَ كتابهُ في مجموع مطبوعات عنوانها «عجائب الكون»

Catalogus Codicum Latinorum Medii Ævi Bibliothecæ Hafniensis digessit E. Jorgensen. Fasc. 1, in-8, Hafniæ, 1923, pp. 240

مخطوطات مكتبة كوبنهاغن اللاتينيَّة الراقية الى القرون المتوسطة

مكتبة كوبنهاغن الملكيَّة من المكاتب المعتبرة الحاوية مخطوطات نفيسة منها شرقيَّة طُبع وصفُها سابقاً ومنها غربيَّة. وها قد انجز احد علمائها جرجنسن وصف القسم الاوَّل من مخطوطاتها اللاتينيَّة التي تجاري بمحاسنها مكاتب اوربَّة الكبرى. وقد قسمها المؤلف على حسب مواضيعها على تسعة اقسام في موادّ وآثار دينيَّة شتى كالاسفار المقدَّسة واعمال الآباء والتاريخ الكنسي والطقسيَّات الخ وهي لا تقلّ عن بضعة آلاف تتبَّع كلّ مضامينها مفصَّلًا بحيث يحيط الباحث علماً على كلّ فوائدها ل. ش

Robert Vallery-Radot: **La Terre de Vision**, récit d'un Pélerin. 1 *vol. in-16, Paris*, 1924, *Perrin et Cie Editeurs, Prix* 7f, 50

ارض الرؤية

هكذا عنوَنَ كتابهُ المؤلف وهو احد السيَّاح الذي قدم الى بلادنا بعد الحرب الكونيَّة فزار مصر وفلسطين والشام فوصف ما رآهُ فيها وصفاً فكهاً جمع فيهِ بين

الهزل والجد فاستقرى الآثار وروى الاخبار واتسع خصوصاً في تعريف الاخلاق والعادات فكأن الشرق تجلّى لهُ بصورة رؤية خياليّة سلبت عقلهُ فأراد ان ينشر في وطنه تأثير تلك المشاهد في نفسه فأجاد ل.ش

Le Latin. Dix Causeries par J. MAROUZEAU. *Toulouse, la bonne Presse, Paris, H. Didier*, 1923

عشر محاضرات في درس اللاتينيّة

لمّا عادت المعارف الفرنساويّة قبل سنتين الى تعزيز اللاتينيّة في مدارس الدولة نشر المسيو ماروزو هذه المحاضرات ليبيّن فيها لتلامذة مدارس البيان والخطابة منافع درس هذه اللغة الشريفة فيشوّق اليهم درسها. فترى في كلامهِ ما تفرّدت بهِ هذه اللغة وما يوجد فيها من العلاقة مع اللغة الفرنسويّة المشتقّة منها بحيث لا يبلغ الفرنسوي إحكام لغتهِ الّا بمعرفة اللاتينيّة. ومن قولهِ في درسها انّهُ لذيذٌ ممتع اذا انزل الدارس نفسهُ في نفس الكتبة الذين يدرسهم فيحيا بافكارهم واحوالهم وتمدُّنهم ويعيش بوجدانهم فيستحبّ درسَ كتبهم ويستسهل مشاكلها. وممّا يعرضهُ الكاتب على الدارسين لتشويقهم ان يهملوا التعمُّق في درس قواعد اللغة ولا يُعنَوا بالترجمة الافرنسيّة الى اللاتينيّة بل يكتفوا بنقل اللاتينيّة الى الافرنسيّة زاعماً ان « الطريقة الاولى عقيمة يستعملها اليسوعيُّون في مدارسهم » لكنّهُ قد وهَم في قولهِ هذا فانَّ درس اللغات لا بُدَّ لمن يشاء اتقانها من درس قواعدها والنقل منها واليها. وكفى دليلًا على ذلك انَّ تلامذة اليسوعيين كانوا دائماً في مقدّمة العارفين بتلك اللغة يجيدون فيها الكتابة بل ينطقون بها بطلاقة فلمّا أُهملت طريقتهم التعليميّة كادت اللاتينيّة تضمحلّ وتتلاشى في المدارس ؛ الاب كانتاكيس

Aimel (Georges) : La Politique et le réel, 1 *vol. in*-16, *Paris, B. Grasset*, 1913, *Prix* 6 f, 75

السياسة وحقيقة الامور

هذا نظر اجماليّ في امر اجتماعي مهمّ. ما هو القسم الراجع الى السياسة في حياة الامم وما هو القسم العائد الى حقيقة الامور الجارية. فانَّ قسم السياسة محصور في ارباب الامر غايتهم تدبير شؤون الأمّة واحوالها داخلًا وخارجاً. الّا ان هذه الغاية

تحتاج الى من ينفّذ قوانينها بالعمل في افراد الملّة . فمن تُرى يقوم بذلك ؟ . فعلى رأي المؤلف انّ هذا القسم هو حصّة الجمهور طبقاً لمبادئ الجمهوريّات . ولكن هيهات ان يقوى الجمهور على ذلك ما لم يرشده الخاصّة ويكبحوا جماحهُ . فترى انّ رأي الكاتب لا يثبت امام بصر العقل

P. Choisnard. Les probabilités en science d'observation. 1 *vol. in-12, Paris, Alcan*, 1923, *Prix* 8f

الاحكام الترجيحيّة في علم المراقبة

انّ علوماً كالرياضيّات هي مبنيّة على مبادئ راهنة ثابتة لا تلتجئ الى حساب الترجيحات . وبخلاف ذلك علوم أُخرى عديدة كالطبيعيّات والفلكيّات والطب وغيرها لا يمكنها الّا نادراً ان يبتّ المرء فيها حكماً ويثبتهُ على قواعد راسخة لا تتزعزع . فالعلماء في تلك الاحوال يحصون ما يمكنهم تعدادهُ من الترجيحات فانّ رأوها مستندة الى دلائل كافية جروا عليها . وعلى هذا المنوال قد بلغ العلماء الى اكتشافات مهمّة مهّدت السبيل لمعرفة حقائق مقرّرة . ومن اهمل ذلك جار عن طريق الصواب

Bibliothèques Publiques. Traité théorique et pratique, par J. Van Meel, 1 *vol.* 8° *illustré, Anvers*, VERITAS, 1924

المكاتب العمومية

بين العلوم المستجدّة في عصرنا علم ضبط المكاتب العموميّة لتصبح في كلّ موضع آلة سهلة المعالجة ليستطيع الأدباء ان ينتفعوا منها . فمؤلف هذا الكتاب قد أحسن إحساناً تامّاً بوضعه لهُ . فانهُ قد فحص كلّ ما تحتاج اليهِ خزائن الكتب من ابنية وحُجَر وتنظيم الكتب وتدوين اعلامها بحيث ينالها طالبها بسرعة وتخفّ مؤونتها على مأموري المكتبة . وكذلك يدلّ على الوسائط لسلامة الكتب من الحريق والرطوبة والعث وغير ذلك ممّا لا بدّ منهُ لحفظها ج . ل

شهر التكريم لدم الفادي الكريم

تأليف الاب هالز عربّة القس الياس بكيفاري

طُبع في مطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص ١٧٣)

انّ العبادة لدم السيد المسيح من اشرف العبادات الخاصّة بشخصهِ الكريم

كالعبادة الى صليبهِ والى قلبهِ الاقدس . وهذا الدم الثمين قد اهرقهُ الربّ مرارًا في حياتهِ باشر بسفكهِ يوم ختانتهِ ثمَّ في نزاعهِ في بستان الزيتون وفي يوم آلامهِ . ونقطةٌ منهُ كافية لتطهير خطايا العالم وتكفّر عن ذنوب اكبر الأئمة . فلذلك قد خصَّت الكنيسة لذكرهِ اليوم الاوَّل من شهر تموز واخذ كثيرون يكرمونهُ في كلّ ايام ذاك الشهر والكتاب الذي نحن بصددهِ وضعهُ احد الكهنة الاب هالز لهذه الغاية . فدفعت حضرة القس الياس بكيفاوي همَّتهُ لينقل الكتاب الى العربيَّة فتغتذي النفوس الصالحة بتأمُّلاتهِ وصلواتهِ اليوميَّة . فتحضّ كلّ النفوس التقيَّة ولاسيما الرهبان على اقتنائهِ ل . ش

تاريخ الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونيَّة

تأليف الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني

المجلَّد الاوَّل . طُبع في مصر سنة ١٩٣٤ (ص ٤٦٦ + ذيل ٦٠)

يسرُّنا ان نعلن بصدور المجلَّد الاوَّل من هذا التاريخ الكبير المتضمّن لاخبار باكورة الرهبانيَّات المنظَّمة في لبنان . وما كنَّا لنتمالك انذهالًا من سعة العمل لولا معرفتنا بقدرة مؤلفهِ حضرة الاب لويس بليبل الذي تدلُّ صورتهُ في صدر الكتاب على نشاطهِ وطول باعهِ . فانهُ طاف في كل اديرة رهبانيَّتهِ الكريمة ونقَّب في كلّ المكاتب الخاصَّة فجمع آثارًا لا تُحصى نشرها في تاريخهِ هذا الذي يتناول اخبار الرهبانيَّة اللبنانيَّة البلديَّة منذ انشائها سنة ١٦٩٥ الى السنة ١٧٤٤ يتتبَّع حضرتهُ تاريخ السنين فيصف ما جرى في كلّ عام نقلًا عن سجلَّات الرهبنة . ويضيف اليها معلومات عديدة يستفاد منها فوائد جليلة لتاريخ الطائفة المارونيَّة بل لتاريخ سائر لبنان اخصُّها كتابات الرئيس العام توما اللبُّودي ورسالات عديدة لبطاركة واساقفة وكهنة تميط القناع عن عدَّة امور مجهولة او ملتبسة . ولا يأنف حضرتهُ صيانةً لحقوق التاريخ من ايراد نفس الآثار التي تكشف عن الضعف البشري وسوء التصرُّف في بعض الذوات . وان سمح لنا حضرتهُ عرضنا عليهِ بعض الملحوظات لعلَّهُ يجد فيها فائدة لتحسين عملهِ . انَّ كثرة موادّ الكتاب المرصوصة في صفحاتهِ تُعسّر الوقوف

على مضامينهِ فيا ليت المؤلف وضع في اوّل كلّ فصل من فصولهِ خلاصة محتوياتهِ في قلب الكتاب وفي فهارسهِ. انّ الذيل الذي وضعهُ حضرتهُ في آخر هذا الجزء لا علاقة لهُ مع تاريخ الرهبانيّة فكان الاولى إهماله وليس فيهِ شيء جديد عن الطائفة المارونيّة الّا مرّ في كتب عديدة كالحاماة وغيرها — الفهرس الاخير (٤٣٦—٤٦٠) يحتاج الى توسيع وتحسين — نسبة حضرتهِ (ص٩) الى القديس مرقس تأسيس الطريقة الرهبانيّة لا سند ثابت لهُ — قد تشوّهت بعض اسماء الاعلام الغربيّة كالكردينال زناردلي والاب اليسوعي مرقس سيغوران وغيرهما . ولعلّ بعض الحواشي والتذييلات كان الافضل وضعها في آخر الكتاب. وقد استحسنّا الابحاث الثلاثة عشر (٣٩٧—٤٣١) التي نشرها هناك فانّها تعرّف الرهبنة واشغالها ومساعيها الصالحة وخدمها للدين والوطن

كتاب اللاهوت النظري

تأليف الخوري الياس الجميّل (الجزءان الثاني والرابع)

طُبعا في بيروت سنة ١٩٢٣ (ص ٤٩ و ٣١)

قد مرّ لنا وصف بقيّة الاجزاء من هذا المجموع اللاهوتي المدرسيّ فبيّنا ما لهُ من المحاسن وحرّضنا المدارس الاكليريكيّة على اتّخاذهِ دستورًا لتعليم اللاهوت . وهذان الجزءان مع صغر حجمهما يبحثان عن امور جليلة اي الايمان والتقليد والكتاب المقدّس. ففي جزء الايمان يبيّن المؤلف حسنًا انّ ايماننا ليس هو اعمى بل يستند الى مقدّمات صادقة واضحة تجعلهُ معقولًا جديرًا بكل ثناء مع بقائهِ حرًّا فيُثاب على قبولهِ الانسان. وهناك ايضًا فصلٌ حسن عن الموافقة بين الايمان ونور العقل لانّ كليهما من الله مصدر كلّ حقّ. امّا جزء التقليد والكتاب المقدّس ففيهِ من المباحث المعتبرة التي تفند كلّ مزاعم البروتستانت من هذا القبيل. فنكرّر شكرنا لحضرة المؤلف على عملهِ هذا الذي خدم بهِ الاكليروس الوطنيّ اجلّ خدمة ل. ش

تاريخ الطبّ عند الامم القديمة والحديثة

محاضرة للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف اللبناني

طُبع في دمشق (ص ٥٥)

انّ صديقنا عيسى افندي اسكندر المعلوف صاحب مجلّة الآثار وعضو المجمع

العلميّ العربي بدمشق كثير التفنّن في مقالاته اذا تناول موضوعاً كساهُ ثوباً قشيباً من قلمهِ السيّال واخرجهُ على صورة جامعة بين الافادة واللذّة . فهذه محاضرة اولى لهُ عن تاريخ الطبّ القاها في المعهد الطبي الدمشقي فحسبهُ سامعوها انّهُ احد تلامذة بقراط لما اودعها من المعلومات عن هذا الفنّ الراقي وكافي بهم منحوهُ لقب «دكتور» شرفاً . وعلى كلّ حال انهم سيجدون في محاضرتهِ ما يزيدهم رغبةً في درس الطبابة التي بيّن شرفها في خطابهِ البليغ

حكم الفلاسفة

جمع وتعريب بباوى غالي الدويري

طُبع في مطبعة التجارة الكبرى في مصر سنة ١٩٢٤ (ص ١٢٨)

هذه الحكم مجموعة من كتب مختلفة قسّمها جامعها على حسب معانيها الى نحو مئة باب ودلّ في اثر كل حكمة على قائلها . ولا يستحقّ اصحابها الّا القليل منهم اسم الفلاسفة فهيهات ان يُنظَم بين الفلاسفة جورج سند واسكندر ديماس وروسو وتولستوي وماري كورلي الخ . ومن ثمّ تجد كثيراً من هذه الحكم لا توافق مبادئ الحكماء الصحيحة فيجب الانتباه . كفى بذكر اوّل حكمة انتخبها من ملتون : «مَن أعدم كتاباً مفيداً فكأنهُ قتل رجلاً . من يقتل رجلاً يقتل مخلوقاً عاقلاً هو صورة الله واما من اعدم كتاباً نافعاً فقد قتل العقل نفسه » فالمبالغة ظاهرة من هذا الكلام

ل . ش

سعادة الحياة : او «اعملوا ما دام لكم النور»

تأليف الفيلسوف الروسيّ الكونت لاون تولستوي

تعريب بباوى غالي الدويري في المطبعة عينها (ص ١٢٠)

لاون تولستوي احد ارباب الثورة الذي هيّج الشعب الروسيّ بتعاليمهِ الاشتراكيّة على السلطتين الدينيّة والمدنيّة وقد انخدع معرّبُ هذا الكتاب ببهرجة كلامهِ لما وجد فيهِ من آيات الانجيل وغيرها التي يفسّرها تولستوي على هواه . فما ابعدهُ عن الحقيقة بقولهِ في اوّل كتابهِ « ان تولستوي بشر ولكنهُ فوق البشريّة » فقد ادّى الكبرياء

بتولستوي الى ان يُعدّ نفسهُ مصلحاً كبيراً لكنهُ مات بعد ان مهّد الطريق للفوضى والبولشفيّة ل . ش

مبادئ العربيّة في الصرف والنحو

للمعلم رشيد الشرتوني

قارين السنة الثالثة : كتاب المعلم

قد رأت ادارة مطبعتنا الكاثوليكية ان الحاجة اصبحت ماسّة الى كتاب يستعين بهِ الاستاذ على اصلاح ما ورد في التمارين التي اضافها فقيد اللغة العربية رشيد الشرتوني ، رحمه الله ، الى تأليفه « مبادئ العربية » فعمدَت الى طبع كتاب للمعلم أودع الاجوبة على كل ما طُلب من التلميذ من اصلاح واعراب او حلّ سؤال . وقد يغني هذا الكتاب عن المعلم اذا لم يحظَ الدارس باستاذ ماهر يرشده الى الخطأ وطرق اصلاحه . عسى ان تتم بهِ منية الذين اعربوا عن رغبتهم في وضعه فيكونوا ونكون نلنا المرام . جعل الله بهِ الفائدة المبتغاة والسلام ب . غ

هدايا أرسلت الى المشرق

١ً خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت من السنة ١٩٢٣ وهي السنة الرابعة والستون لتأسيسها . طُبعت في مطبعة صادر سنة ١٩٢٤ (ص ٣٤)

٢ً انباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان تأليف القس اسحاق ارملة السريانيّ الكاثوليكي . في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٤ (ص ٥٨) هي المقالة التي ظهرت في عدّة اعداد سابقة من مجلّة المشرق

٣ً كشف الظنون طبعت في فلسطين سنة ١٩٢٤ (ص ١٥)

٤ً اميرة العفاف . رواية تمثيليّة بقلم عيسى ميخائيل سابا . طبعت في مطبعة قوزما سنة ١٩٢٤ (ص ٦٠)

٥ً الكلمة : جريدة شهريّة وضعها حضرة الاب بولس قوشاقجي الارمني الكاثوليكي في حلب من اجل الايتام والاولاد اللقطاء

شذرات

﴿انتقادنا على الريحانيّات﴾ علّقت جريدة الاحرار فصلاً على انتقادنا لريحانيّات

امين الريحاني فتشبّث ببعض القشريّات وعرضت عن الجوهريّات. فمن انتقادها قولها «انّنا حرّفنا الحمّار بالحمار» في نصّ الريحانيّات حيث يقول «سمعت حمارها وفلّاحها وشريفها يتغنّون ب اندلشيا» فما لهُ لم يدفع الالتباس بتشكيل «حمارها» وكلّنا يعلم «نهفات» الريحاني وتسميماتهِ ولاسيّما حبّهُ «للحمار» الذي جعلهُ ممثّلاً لاحد ادوارهِ في كتابهِ السمج «المحالفات الثلاثيّة»

ثمّ قال «انّنا استنتجنا من تبجيل الريحاني للاسلام انهُ يبغض النصارى.. وهما انّ لهُ في المسيح ومبادئه السامية اقوال لن يستطيع اكبر متديّن ان يأتي بمثلها». نجيب انّنا لم نستنتج من تبجيلهِ للاسلام بغضهُ للنصارى. بل استنتجنا من كلامهِ ازدراءهُ لكل دين فاذا مدح في مكان قدح في مكان آخر وبغضهُ للاديان عموماً يلوح من كلّ كتاباتهِ وخطبهِ. وكذلك ليس مدحهُ للسيد المسيح الّا تدليساً وبذاءة وقد احالنا الكاتب الى الريحانيّات ١ : ١١١–١١٢) وهناك فصل كلّهُ خباثة ورذالة جاء فيهِ :

« اذا كان اليهود قد صلبوا المسيح بالجسد منذ تسعة عشر قرناً فالمسيحيون الذين يناخرون الشعوب بمسيحهم يصلبونهُ بالروح كل اسبوع بل كل يوم ولمسر الحقّ انّ من يعبدون المسيح يؤلمونهُ وكل صلاة تصعد من فم المسيحيين ابناء هذا الجيل هي مسمار في صليب المسيح كل تضرُّع من تضرُّعاتهم هو اكليل شوك على رأس سيّدهم. نعم المسيحيّة في حالتها الحاضرة لعدوّة المسيح انّ يسوع وكنيستهُ على طرفي نقيض (كذا) . . .

وكلّ الفصل على هذه الشاكلة فهذا ما عدّهُ منتقد الاحرار «قولاً لن يستطيع اكبر متديّن أن يأتي بمثلهِ» وكان الاولى بهِ ان يسكت عنهُ فلا يسوّد بهِ وجههُ. فانّ لا زنديق ولا كافر رشق السيد المسيح بكلام اشنع ممّا كتبهُ في حقّهِ الريحاني في كتابهِ «المحالفة الثلاثيّة» فغطّ قلمهُ بالسرقين وخطّ بهِ ما لا يخطّهُ الّا الابالسة فسخ كلّ اسرار النصرانيّة وجعل الحبل بالمسيح على خلاف ما يعتقدهُ النصارى والمسلمون بل ما يترفّع عن ذكرهِ كلّ انسان اديب (ص ١٠٥–١٠٧) فما اصدق ما كتبهُ عن هذا الكتاب ذوو الضمير والوجدان :

قال ضومط فاعور : من يكتب هذا يجب ان يُساق الى بيمارستان
قال نقولا عوض : كاتب هذا الكتاب يلزمهُ طبيب يفحص دماغهُ

قال الشيخ فيليب نصار : ملعون ملعون كل من يقرأ او يكتب مثل هذا الكتاب

قال شكري الفريّب : لو كان السوريّون ذوي حماسة حقيقيّة لأقرأوا الكاتب والطابع مقالة حسيّة تعلّمهما كيف يُصان العذراء او المسيح

طبيب سوري : يجب طرد هذا الكتاب عن طاولة كل اديب كما طرد المسيح اللصوص

يوسف الحداري : لو عرف الحمار والثعلب ما يقول بلسانهما هذا المخلوق الساقط لجاءت حوافرهما يبرهنان على انّ احقر الحيوان اسمى من كذا انسان

وزق شمس : الذي يزلّ به اللسان كالريحاني بجوي خذوه عالجه . . . (المرحاض)

وآخر ما كتبهُ المنتقد انّنا اقتضبنا كلام الريحاني وغيّرنا معنى قوله « كلب كوفي خير من الف صوفي » . فالجواب واضح انّ مثلًا كهذا وان قُيّد بشروط لا ينفي سماجتهُ فلا يليق بكاتب اديب ان يسوّد به صفحات كتابهِ والسلام

﴿ارتداد هَنس هرتسل الى الكثلكة﴾ لمّا كتبنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٦٦٨—٧٧٨) مقالتنا في الصهيونيّة بيّنّا انّ اكبر انصار هذه الدعوة كان المجريّ تاودور هرتسل المولود في المجر سنة ١٨٦٠ والمتوفّى سنة ١٩٠٤ . وها انّ الانباء البرقيّة والصُحف الباريسيّة اليهوديّة وغيرها قد نشرت ارتداد ابن ذلك الزعيم المسمّى هَنس هرتسل قد ارتدّ الى الكثلكة في عاصمة النمسة على يد كاهن وُلد ايضاً في الملّة الاسرائيليّة ثمّ دان بالكثلكة وهو الاب شلاسنغر فأقنع هنس بصحّة مجيء السيد المسيح وبلاهوتهِ وحقيقة دينهِ ثمّ عمّدهُ في كنيسة الدومنيكان في فينّة وذلك في ٢٠ تموز الاخير وهو الموافق لليوم الثاني بعد تذكار وفاة والدهِ السنوي الذي احتفل بهِ الصهيونيّون احتفالًا عظيماً في كلّ المعمور . فسبحان الذي ينير بصر العميان ويُلين القلب الصوّان

﴿مستشفى السرطان﴾ نبشّر القرّاء بقرب اعداد بناية جديدة في مستشفى المكتب الطبي الجديد لمعالجة ذاك الداء الفتّاك داء السرطان الذي اخذ ينتشر في هذه البلاد . وسيجهّز المعهد الجديد بكل الادوات والطرق العلاجيّة الحديثة التي توفّق اليها اركان علم الطب ولاسيما بالاجسام المشعّة كالراديوم واشباهه . وهذه حسنة جديدة للدولة المنتدبة التي لا ترى داء الّا تسعى في علاجهِ ولا خللًا الّا تطلب سدّهُ جعلها الله نصيرة لكل ضعيف ومنعشة لكل لهيف

﴿مرشد الامير بشير الشهابي﴾ ذكرهُ جناب الشيخ سليم الدحداح في مقالتهِ الجميلة عن هذا الامير (ص ٥٧٢) وغفل عن ذكر اسمهِ. وهو احد افاضل الاسرة الحبيشيَّة «الخوري اسطفان حبيش من مشائخ غزير» كما افادنا حضرة القس فيلبس حنَّا واكد حبيش قال: «وكان هذا المرشد معروفاً بفطنتهِ ودرايتهِ وتقواه ولهُ نوادر تُذكر مع الامير بالاستانة فانَّهُ مرَّاتٍ عديدة كان يسكن جأش الامير كلَّما طرأ عليهِ حادث مكدّر بعبارات تقويَّة يتحدَّث بها الناس حتى الآن. وهو الذي عاد الى لبنان مع امرأة الامير الشركسيَّة وبقي ملازماً خدمتها حتى ادركتهُ الوفاة في دارها في قرية الجيَّة ودُفن فيها»

﴿عقليَّة الحيوان المزعومة﴾ قرأنا في مجلَّة «المشرق والغرب» المصريَّة فصلاً عنوانهُ «اكتشاف في الانسان: الانتباه الروحي» معرَّبة عن الانكليزيَّة بقلم واصف عبد الملك فيها التباس ظاهر فانَّ الكاتب يميز بين العقليَّة والانتباه الروحي. فيزعم انَّ العقليَّة موجودة في الحيوان كما في الانسان وانَّما يمتاز الانسان بالانتباه الروحيّ. وهو تمييز باطل فليس الانتباه الروحي اي الفكر سوى احد اعمال العقل يلازمهُ حيثما هو موجود. امَّا الحيوان فلا عقليَّة لهُ البتَّة وانَّما لهُ خواصّ واخلاق غريزيَّة طبعها فيهِ الخالق يستخدمها لحفظ كيانهِ وجنسهِ ولا تتجاوز القوَّة الوهميَّة مهما ظهر فيهِ من اعمال الدالَّة على ذكاء ونباهة كما في الكلب وغيرهِ

﴿آخر العالم في خريف سنة ١٩٢٥﴾ هي البشرى التي نشرها للعموم في بيروت «فرع جمعيَّة تلامذة التوراة» البروتستانيَّة يدَّعي اصحابها انَّ العالم سينتهي في السنة المقبلة وهم يبنون قولهم على بعض آيات الكتاب المقدَّس المشبوهة التي طالما انخدع بتفسيرها الباحثون. وهذه نتيجة المبدأ البروتستاني في «حرِّيَّة البحث» تؤدي بهم الى اختراعات دينيَّة غريبة وكلُّهم يسندون آراءهم الى الكتاب المقدَّس وكفى بذلك دليلاً عن ان التوراة وحدها ليست دستوراً كافياً كما يزعم البروتستانت. فلا بُدَّ من كنيسة شرعيَّة معصومة عن الغلط تهدي البشر وترشدهم. نعم انَّنا نريد انَّ البشر يتوبون ويستعدُّون لمجيء الربّ: امَّا اليوم والساعة فاحد اسرار الله التي لم يوحها للعالم. وليست هذه مرَّة اولى نشر فيها بعض المتهوِّسين من البروتستانت اخباراً كاذبة كهذه مرَّ زمانها وثبت بطلانها

أسئلة واجوبة

س سأل حضرة القس يوسف حبيقة متى امر الآباء ان لا يبطل القداس في الآحاد والاعياد والاصوام والاربعاء والجمعة ومتى زال هذا الامر (منارة الاقداس للدويهي ١ : ٢٧٦)

التقديس في الآحاد والاعياد والاصوام

ج انَّ امر الآباء باقامة الذبيحة في الآحاد يرتقي الى عهد الرسل فانَّ القديس يوحنا في سفر الرؤيا (١ : ٩—١١) يدعو الاحد يوم الرب ويصف القديس يوستينوس في القرن الثاني للمسيح ما يجري فيهِ من الاسرار . وفي اواخر القرن الثاني واوائل الثالث عُدَّ يوم الاربعاء والجمعة كيومي إماتة وصوم الاوَّل ذكرًا لبيع يوداس سيدهُ لليهود والثاني ذكرًا لآلامهِ فكانت الذبيحة الطاهرة تقدَّم فيهما ومثلهما الصوم الاربعيني استعدادًا للفصح . امَّا الاعياد المتنقلة كالميلاد والغطاس فصارت تقدمة الذبيحة فيها تدريجًا في بعض الكنائس الى ان عمَّ الاحتفال بها . وكذلك زوال هذا الامر لم يقع في زمن واحد بل بطل بالتدريج ما عدا الآحاد والاعياد . يجد السائل بحثًا واسعًا في هذه العادات الكنسيَّة في معجم الآثار النصرانيَّة والليتورجيَّات Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie في الفصل المعنون FÊTES CHRÉTIENNES

س وسأل حضرة القس بولس ابي نادر رئيس دير نيدة مشموشة : ١ً هل يسع قداساً واحدًا او ثلثة قداديس من يحضر قداس ثلثة كهنة يقدسون على مذبح واحد ؟ ٢ً لماذا لم يذكر القديس بولس برسائله العذراء مريم . ٣ً لماذا يقال لقانون المجمع النيقاوي قانون الايمان مع كونهِ لم يحتوِ كلَّ العقائد المسيحيَّة والاسرار الجوهريَّة

استماع قدَّاس ثلثة كهنة — ذكر العذراء مريم في رسائل القديس بولس — قانون المجمع النيقاوي

ج الجواب على (الاوَّل) لا شك في انَّ القداس الذي يتلوهُ ثلثة كهنة على مذبح واحد هو قداس فردٌ فمن يحضرهُ لا يحضر الَّا قداساً واحدًا . وعلى (الثاني) انَّ القديس بولس لم يُحِطْ بكل تعاليم الكنيسة فلم يجد داعيًا الى ذكر البتول . لا بل ذكرها في رسالتهِ الى اهل غلطية وخصَّها بكونها امَّ الله حيث قال : « ولمَّا بلغ

ملء الزمان ارسل الله ابنـهُ مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس» . نجيب (على الثالث) انَّ قوانين الايمان تختلف كثيرًا بالطول والقصر وبالايضاح والاختصار وقد اكتفى المجمع النيقاوي بذكر اخصّ قضايا الايمان لاسيما التي كان ينكرها الهراطقة في زمانهِ . وفي الكنيسة قوانين ايمان اطول كقانون القديس اثناسيوس والقانون الذي يتلوهُ الاساقفة يوم تسقيفهم والقانون الذي يُفرَض على المرتدّين الى الايمان

س وسأل الاديب عبده افندي غات : هل من علاج يزيل المادَّة الدهنيَّة من العظم؟

ازالة المادَّة الدهنيَّة من العظم

ج افضل دواء لهذا الداء : ١ً شرب مياه ڤيشي او ڤولو المعدنيَّة او مياه عين فالوغا ان تيسَّرت . ٢ً الامتناع عن الاشربة الكحوليَّة الروحيَّة واكل اللحوم لاسيَّما لحم الخراف . ٣ً الاغتذاء بالخُضَر وبالمآكل القَلَويَّة

س وسأل من النبك الاديب اسعد افندي نصرالله : لو حكم الاطبَّاء على مريض بقطع رجلهِ او بعض اعضائهِ نجاةً من الموت وفضَّل المريض الموت على هذا البتر أيُعَدّ عملهُ انتحارًا؟

أيُعَدّ انتحارًا تفضيل المرء الموت على قطع رجلهِ ؟

ج كلَّا ليس هذا انتحارًا اذ لا يضع المريض باختيارهِ فعلًا يؤدي بهِ الى الموت توًّا وانَّما يجد في ألم قطع رجلهِ وما سينتج لهُ عنهُ من المشقَّات ما يعتبرهُ اشدَّ من الموت فيسلم نفسهُ لمشيئة الله

س وسأل ايضًا : أصحيح ما يرويهِ بعض الكتبة عن مظالم القرون الوسطى وانحطاط الاكليروس في تلك الاحقاب

مظالم القرون الوسطى

ج ليس من دهر الَّا لهُ حسناتهُ وسيئاتهُ ولعلَّ حسنات القرون الوسطى تغلب كثيرًا على سيئاتهِ كما يثبت ذلك حاضرًا كثيرون من الكتبة المنصفين ردًّا على بعض الغُلاة من ذوي الغايات الذين غالَوا في تعظيم بعض مآثم القرون الوسطى وسوء تصرُّف بعض الاكليروس ليحطّوا من مفاخر الدين الذي ساد روحهُ في تلك العصور ل . ش

المشرق

مفاخر دمشق المسيحيّة

محاضرة القاها الاب لويس شيخو اليسوعيّ

في معهد الآثار العربيّة في دمشق في ٦ نيسان ١٩٢٤

مقدمة

دمشق حاضرة الشام وجنة الشرق وعروس المدن تباهي بموقعها وانهارها وحدائقها وثمارها أطيب بلاد الله واجملها كما قال شاعرها:

بلادٌ بها الحصباءُ درٌّ وتربُها عبيرٌ والنفاسُ الشمالُ شمولُ
تسلسلَ فيها ماؤها وهو مطلقٌ وصحَّ نسيمُ الروض وهو عليلُ

فلهذه العاصمة من المفاخر ما قلَّ اجتماعهُ لسواها على قول الآخر:

مدينةٌ ليس يُضاهَى حسنُها في سائر الدنيا ولا آفاقها
قد ربَعَ الربيعُ في ربوعها وسبقت الدنيا الى اسواقها
لا تسأمُ العيونُ والانوف من رؤيتها يوماً ولا اشتاقها

فهي عريقة في القِدَم كما يدلُّ عليهِ ذكرُها في سفر التكوين على عهد ابرهيم الخليل (تك ١٤: ١٥) ثمَّ في آثار البابليين والمصريين مع اختلاف قليل في صورة اسمها الهيروغليفي والاشوري ومع اقحام راء فيهِ بالآراميَّة «دَرْمسوق» سواء كان هذا الاسم مشتقًّا من اسم بانيها كما يزعم العرب او من حُسن موقعها فكأنَّ «دمشق» مقلوبة عن «دِمَقْس» وهو الحرير والديباج اشارةً الى بساتينها وغوطتها

ومفاخر دمشق في العهد القديم متعدّدة لا يسعنا وصفها وذلك ما دفع الامم الكبيرة من اموريين وحثيين ومصريين وكلدان ويونان ورومان قبل العرب

والاتراك على ان يطمحوا ببصرهم اليها ليستولوا عليها . وقد استقلَّت مدَّةً فصار ملكها الى سلالةٍ وطنيَّة . وزعم البعض انَّ ابرهيم الخليل عند قدومهِ من بلاد ما بين النهرين جلس على عرشها ردحةً من الزمن

على انَّ هذه المفاخر لم يطمسها الدهر كغيرها من حواضر الشرق كبابل ومنف ونينوى وان فقدت استقلالها فقد استعاضت عنهُ بامجاد اخرى صانتها بكل حرص الى عهدنا ومن اراد تعدادها اتَّسع امامهُ المجال. وكفاها عزًّا انَّها عُدَّت في كل اطوار التاريخ كأس مدن الشام

وقد اقتصرتُ في هذه المحاضرة على مفاخر دمشق النصرانيَّة اعني منذ عهد رُسل المسيح الى عهدنا وذلك بنظر عموميّ يُلمُّ بها إلماماً كما يقتضي المقام

١ اوائل النصرانيَّة في دمشق

قد حظيت دمشق بنعمة الدعوة المسيحيَّة بعد اورشليم(١ وقبل سواها من مدن الشام حتى انَّها سبقت انطاكية نفسها التي دُعي فيها تلاميذ الرب مسيحيين اوَّلاً (اعمال١١ : ٢٠—٢٧) . ولنا على ذلك دليل جليل في ارتداد القديس بولس الذي وقع في السنة الثالثة بعد صعود الربّ وفي سنة استشهاد القديس اسطفانوس . فانَّ هذا الرسول قبل ايمانهِ لم يطلب رسائل من رؤساء كهنة اليهود ليلقي القبض على المسيحيين في دمشق كما ورد في سفر الاعمال للقديس لوقا (٩ : ١—٢) الَّا لعلمهِ بنموّ النصرانيَّة فيها دانوا بها كما يظهر بدعوة مواطنيهم الذين حضروا اورشليم يوم العنصرة عند حلول الروح القدس على التلاميذ فاعتمدوا ثمَّ رجعوا الى وطنهم فبشَّروا بمجيء المسيح . وهناك لقي بولس حنانيًا الذي عمَّدهُ (اعمال ٩ : ١٩) والتلاميذ الذين مكث معهم (٩ : ٢٠) . ثمَّ حصل لدمشق فخرٌ آخر بأن قام بولس فيها أيامًا كثيرة (٩ : ٢٣) مبشرًا بالمسيح بين يهود المدينة فنقموا عليهِ ولولا الاخوة الذين خلَّصوهُ من ايديهم لكانوا قتلوهُ (٩ : ٢٥) وكانت لليهود سطوة عظيمة يبلغ عددهم في الفيحاء نحو خمسين الفًا . وآثار السور الذي دلَّوهُ منهُ في سلٍّ لا تزال باقيةً . لكنهُ بعد سفرهِ الى انحاء

١) في تقليد المسلمين انَّ السيِّد المسيح دخل دمشق وانهُ على منارة جامعها الاموي سيأتي ليدين العالمين

العرب عاد وبشّر ثانيةً في الفيحاء كما اخبرنا هو في رسالته الى اهل غلاطية (١ : ١٧). وجاء في تقليد الكنيسة اليونانيّة كما ورد في كتاب منسوب الى القديس دوروثاوس(١ ان حنانيًا المذكور كان اوّل اسقف على دمشق وليس الامر بمستبعد. وقد اكتسب المسيو دي لوره (E. de Lorey) شكر الدمشقيين بالحفريّات الاثريّة التي باشرها سنة ١٩٢٢ قريباً من معبد القديس حنانيا الذي للآباء الفرنسيسيين فاستخرج آثار تلك

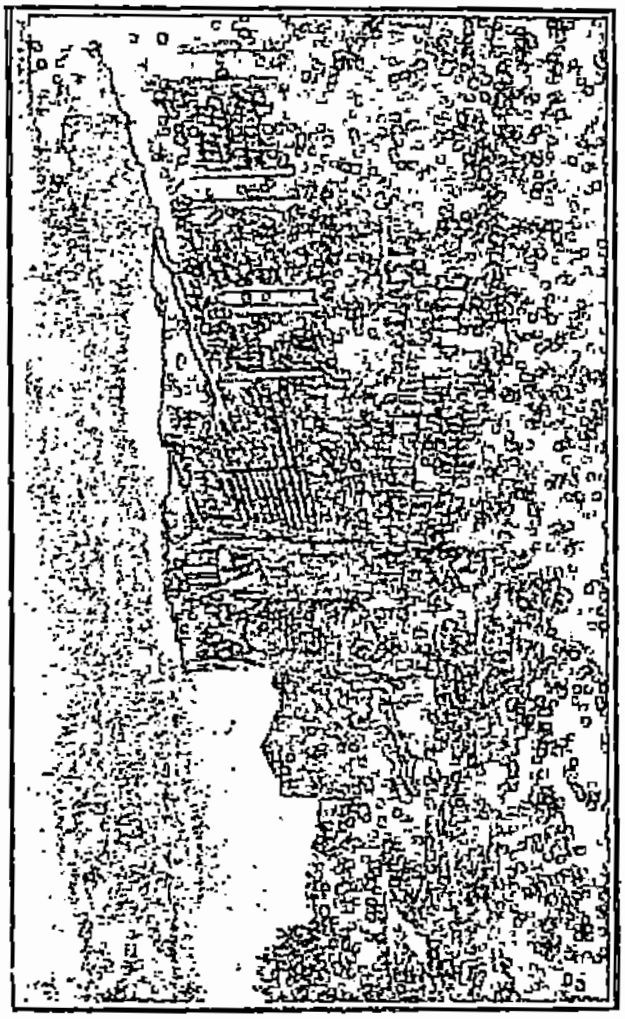

بقايا السور الذي أنزل منه القديس بولس

١) اطلب مجموعة الآباء اليونان لمين (Migne, PP. GG., XCII. 1061)

الكنيسة الملكيّة الراقية الى القرون الوسطى الدالّة على مقام جليل واسع الارجاء محكم الهندسة ذي عمَد ونقوش جميلة

ويُضاف الى هذا الاثر بيت يهوذا الطرسوسي قرب الباب الشرقي الذي عنده نزل ضيفاً القديس بولس يوم اقامته في دمشق (اعمال الرسل ٩ : ١١) شيَّد النصارى هناك كنيسة قديمة ذكرها كوارزميوس في القرن السابع عشر كان المسلمون حوّلوها الى مسجد وقد بقي منها قطعٌ من الفسيفساء.

لا نعرف شيئاً ممّا حلّ بنصارى دمشق قبل انتصار الصليب على عهد قسطنطين. ولا نزلنا مبالغين لو قلنا ان المسيحيين في تلك الحاضرة نالهم من الاضطهادات والمحن ما اصاب اخوتهم في انحاء سوريّة وكان في عهد القياصرة على دمشق من الحكّام الرومانيين الوثنيين رجالٌ مخلصون للدولة مطيعون للامبراطرة في أحكامهم العادلة والجائرة معاً وان كان الدهر قد أباد تلك الاثار وحرَمنا من معرفة تلك الاخبار

وممّا جاء في تاريخ دمشق المدني ان ادريانوس قيصر اقام فيها مدّةً سنة ١٣٠ م ومنحها رتبة عواصم المدن الرومانيّة واضاف اليها سبتيميوس ساويرس نعمةً اخرى نظمها في جملة المستعمرات الرومانيّة وجعلها مركزاً لولاية سوريّة فينيقية وادخل تحت حكمها كل البقاع وجهات حمص وتدمر وافامية فزادت بذلك ثروتها ونمت اعمالها. ولمّا صار الملك لديوقليانوس شيَّد فيها معملاً لصناعة الاسلحة التي شاع صيتُها مذ ذاك العهد. وكان للوثنيين هيكل عظيم على اسم الاله جوبيتر (المشتري) ترى حتى اليوم بعض بقايا قوسَي الانتصار المقامَين على جانبَيه الشرقي والغربي

فلا بدَّ من القول انَّ النصرانيّة لم تنطفئ جذوتها في تلك الحقبة في عاصمة الشام مع ما كان يحلّ بذويها من ضغط الحكّام عملاً باوامر امبراطرة رومية. وقد ارخى خناقهم فيلبوس العربي في اواسط القرن الثالث وهو المولود في عمّان وكان اوّل من تنصَّر من القياصرة على ما روى اوسابيوس

٢ النصرانيّة في دمشق في العهد البوزنطي

ثمّ عاد السلام الى دمشق بانتصار قسطنطين الكبير فازدهرت النصرانيّة وكثر عدد المنتمين اليها من المشركين والدليل على ذلك انّهم شيَّدوا في عهده وعهد ابنه

كنيستين ملكيّتين (باسيليقة) لاقامة الطقوس الدينيّة وكان يسوسهم اسقف يُدعى مغنوس ورد اسمهُ بين آباء المجمع النيقوي سنة ٣٢٥ ولم يزل حيًّا الى سنة ٣٤٠ اذ نراهُ في عداد الاساقفة الذين حضروا في تلك السنة المجمع المنعقد في انطاكية (١

وفي تلك الاثناء ضبط يوليانوس الجاحد ازمّة الملك (٣٦١–٣٦٣) فرَّ بدمشق وأطنب في محاسنها في رسائلهِ لكنَّهُ امتعض من ترقّي النصرانيّة في ارباعها . والمظنون انهُ هو الذي حرَّك اليهود على ايقاد النار في كنيستيها المذكورتين كما اخبر القديس امبروسيوس اسقف ميلانو وكان الجاحدُ حينما يحلّ يسعى في تعزيز الوثنيّة والحطّ من قدر النصرانيّة . تشهد ايضاً على نيّاتهِ السيّئة رسائلهُ الى اهل بُصرى ليحملهم على رئيس اساقفتهم القديس طيطوس . ولم يعاقب اليهود على إثمهم فعاد النصارى بعد موتهِ الى تجديد بناء الكنيستين على نفقتهم الخاصّة

لكن ثاوضوسيوس الكبير عاضهم بعد ذلك بأن ناهض عبَدة الاصنام وحوَّل كثيرًا من هياكلهم الى كنائس وهكذا فعل بهيكل جوبيتر الدمشقي فانَّهُ اعطاهُ نصارى دمشق فجعلوهُ هيكلًا بهيًّا على اسم القديس يوحنّا المعمدان . ولمّا تهدَّم قسمٌ منهُ في عهد ارقاديوس بن ثاوضوسيوس تولّى الملك اصلاحهُ . فانكسرت بذلك شوكة الوثنيّة وارتدَّ حينئذٍ كثيرون من المشركين حتى انَّ المدينة بعد زمن قليل اصبحت كلّها مسيحيّة الّا يهودَها الذين ثبتوا مصرّين على ضلالهم . وارتفع بذلك مقام دمشق في نظام الكنائس وكان رئيس اساقفتها ثُنّيان بطريرك انطاكية مقدَّماً على كلّ اساقفة البطريركيّة المذكورة يُمضي في المجامع بعدهُ . . ونعرف من هؤلاء الاساقفة ثمانية خلفوا مغنوس المذكور فحضر منهم فيلبُّوس مجمع القسطنطينيّة (٣٨٠) ويوحنّا مجمع افسس (٤٣١) وثاودورس مجمع خلقيدونية (٤٥١) واستاثيوس مجمع قسطنطينيّة الثاني (٥٥٣) وغيرهم ممَّن وصفهم حضرة الاب كيرلس شارون في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٩١٢–٩١٤)

وممَّا يشهد على ترقّي النصرانيّة في عهدهم قبل ظهور العرب عدد الكنائس التي تشيَّدت في تلك الاثناء . . فانّنا نشرنا في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٨٠٠–٨٠٣) فصلًا مهمًّا نقلناهُ عن تاريخ ابن عساكر المخطوط في مكتبة الملك الظاهر في دمشق يذكر

(١) اطلب مجموعة المجامع لماني (ج ٢ ص ١٣٠٧)

فيهِ خمس عشرة كنيسة من كنائس النصارى وجدها العرب عند فتحهم دمشق وصالحوا عليها اهلها مع ما جرى في بعضها من الخراب

وكانت للكنيسة الكاتدرائيّة الكبرى الامتيازات الممنوحة لأُمهات الكنائس لها الحمى او الحرَم الذي يلتجئ اليهِ الجناة فلا يجوز قتلهم او اذاهم طالما يأوون اليهِ . وقد نشر قنصل فرنسة سابقاً المسيو نويل جيرون في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٧١–٧٢) صورة كتابة يونانيّة مرقومة على نصب حجري استخرجتهُ شركة الترمواي في بعض اشغالها يستفاد منها انَّ ذاك النصب أُقيم دلالةً على بعض حدود الحمى

٣ دمشق النصرانيّة في عهد بني امية

فتح العرب دمشق بعد واقعة اليرموك تحت إمرة ابي عبيدة وخالد بن الوليد في ايلول سنة ٦٣٥ وتوسَّط في الصلح بينهم وبين اهلها اسقفها الملكي واحد اعيانها وعاملها من قبل الروم المدعو منصور جدّ القديس يوحنا الدمشقيّ فأَمَّن العرب الدمشقيين على ارواحهم واموالهم وكنائسهم . ويقول كتبتهم أنهم اقتسموا كنيستهم الكبرى فاخذوا لفرائضهم الدينيَّة واجتماعاتهم نصفها الشرقي وتركوا النصف الآخر لاهلها . وفي قولهم هذا نظرٌ لان احد زوَّار الفرنج اسمهُ أركولف دخل دمشق ثلثين سنةً بعد الفتح العربيّ فوجد كنيسة القديس يوحنا الكبرى لم تزل كلُّها في ايدي المسيحيين . ويرتأي البرنس كايتاني (Annali dell'Islâm, III, 344-352) انَّ الرواية العربيَّة عن اقتسام الكنيسة ضعيفةٌ حديثة لا سند لها وانَّها بقيت لاصحابها الى أيام الوليد

تولَّى معاوية الحكم على دمشق فصارت منذ ذاك الحين مركزاً للدولة الامويَّة التي قضت عليها الدولة العبَّاسيَّة بعد قرنٍ بنيِّف، واتَّخذت بغداد كعاصمتها

وكان معاوية رجل سياسة بعيد النظر ذا عدل وانصاف فاحسن المعاملة الى النصارى واتَّخذ كثيرين منهم لتدبير امور مملكتهِ . وفي عهدهِ وعهد خلفائهِ اشتهر بنو منصور وكانت أُسرتهم ذائعة الصيت في انحاء الشام تقلَّد منهم البعض المراتب العالية الدينيَّة والعالميَّة كبطريركي اورشليم سرجيوس وايليَّا في زمن ملكي بوزنطية ثاوفيلوس وباسيليوس القدونيّ . وكان منصور ذا ثروة عظيمة ودين صادق اقامهُ هرقل حاكماً على دمشق فلم يزل محافظاً عليها بامانة الى ان ضاقت الاحوال باهلها

وفتكت بهم المجاعة وعجز الملك عن مساعدتهم فطلب الامان لاهلها كما رأيت وخلّص المدينة من القتل والنهب والحريق فنسبهُ زورًا بعض الروم الى الخيانة . وتولّى ابنهُ سَرجه او سرجيوس ديوان الخراج . قال الطبري في تاريخهِ (٢ : ٢٠٥ و ٢٢٨) انهُ «كان كاتب معاوية وصاحب امره». وقال ابو الفرج في الاغاني (١٦ : ٧٠) انهُ كان نديمًا ليزيد بن معاوية ثم كتب على الديوان لمعاوية الثاني ابن يزيد (الطبري ٢ : ٨٣٧) ثمَّ جعلهُ عبد الملك بن مروان «كاتبهُ على الخراج والجند» (ابن عبد ربه ٢ : ٣٢٢) كفى بهذه الشواهد دليلًا على مقدرتهِ وعلوّ شأنهِ وحظوته لدى الخلفاء.

على انَّ الله قد زادهُ نعمةً بأن رزقهُ ابنًا فاق عليهِ عزًّا اعني يوحنا الذي اختارهُ ليشرّف الكنيسة الشرقيَّة بفضائلهِ السامية وعلومهِ الفريدة (١ . جاء في تقليد الكنيسة اليونانيَّة انَّهُ اخذ الفلسفة عن قزما راهبٍ صِقِلّي واحد أسرى العرب اشتراه ابوهُ بمالهِ واعتقهُ وجعلهُ معلّمًا لابنهِ فاخذ عنهُ العلوم الفلسفيَّة وبرع فيها ثمَّ خلف اباهُ في دواوين الخلفاء فخدمهم خدمةً نصوحًا بصفة مستشار (πρωτοσύμβουλος) وهو في الوقت عينهِ يسوس اهل ملّتهِ ويحذّرهم ممّا شاع من البدع كبدعة المشيئة الواحدة في المسيح وبدعة محاربي الصور . ففي ترجمة حياة القديس التي تُعزى الى يوحنا بطريرك انطاكية في القرن العاشر (٢ انَّ كتابات الدمشقي اثارت بغض ملك القسطنطينيَّة لاون الايزوريّ (٧١٧–٧٤١) فسعى بتقليد خطّ يوحنا بن منصور وتزوير كتاب عن اسمهِ يدعوهُ بهِ الى فتح دمشق . فلمَّا وقف عليهِ الخليفة (عمر بن عبد العزيز على ما يُظَنّ) خُدع بهِ فامر بقطع يد كاتبها المزعوم يوحنا لكنَّ العذراء مريم ردَّتها لهُ سالمةً لمدافعتهِ عن اكرام صورها . وكانت هذه المعجزة سببًا لاستعفاء يوحنا من خدمة الخلفاء والزهد في الدنيا بالترهُّب في دير مار سابا قريبًا من اورشليم حيث توفي نحو ٧٤٩ م وفيهِ قبرهُ (٣ . امَّا بيتهُ في دمشق فموقعهُ على ما يُروى في التقليد في مكان دير اليسوعيين حاضرًا

١) يدعى القديس يوحنا الدمشقي في بعض الكتب بابن منصور نسبة الى جدّهِ

٢) راجع ايضًا الترجمة العربيَّة الاصليَّة التي نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا سنة ١٩١٢

٣) اطلب مقالة حسنة في ترجمة القديس للاب الصعودي جوجي (M. Jugie) في اصداء الشرق Echos d'Orient, *Avril-Juin*, 1924

وقد ابقى لنا القديس يوحنا الدمشقي كنوزاً ادبيّة ودينيّة لا تُثمَّن فانّهُ اجاد في كلّ ما كتب نثرًا ونظماً في موادّ فلسفيّة ولاهوتيّة وجدليّة وطقسيّة استحقّ بها ان يُنظم في عداد ملافنة الكنيستين الشرقيّة والغربيّة وقد نُقلت تآليفهُ الى لغات مختلفة من جملتها اللغة العربيّة (١ . ويعتبرهُ اللاهوتيّون الغربيّون كممهّد لطريقة التعليم اللاهوتي المعروفة بالمدرسيّة (Théologie scholastique) التي برع فيها بعد ذلك القديس توما الاكويني . ولهُ الاناشيد والتسابيح الطقسيّة التي تُتلى الى يومنا في الكنيسة اليونانيّة

وقد اثّرت تعاليم القديس يوحنا الدمشقي في بعض معاصريهِ المعدودين كتلامذتهِ منهم قزما الذي ترهّب معهُ في دير القديس سابا ثمّ صار اسقفاً على مدينة مَيوما . ومنهم ثاودورس ابو قرّة اللاهوتيّ الكبير اسقف حرّان صاحب التآليف المتعدّدة في المعتقدات النصرانيّة والمدافعة عنها ضد الهراطقة وغير المؤمنين في اليونانيّة والعربيّة والسريانيّة (٢

وقبل يوحنّا الدمشقي بعدّة سنين اشتهر رجل آخر تفتخر بهِ الفيحاء نعني بهِ القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم فهذا كان مولدهُ في دمشق ثمّ ترهّب في القدس في دير القديس ثاودوسيوس ثمّ اقيم بطريركاً على اورشليم وفي ايّامهِ دخل العرب المدينة المقدّسة وباشارتهِ عدلَ عمر بن الخطّاب عن كنيسة القيامة الى مكان المسجد الاقصى الذي ابتناهُ عبد الملك بن مروان . توفي القديس صفرونيوس سنة ٦٣٨ ولهُ المؤلفات الجليلة من مواعظ واناشيد دينيّة ولاسيما تفنيدهُ لبدعة المشيئة الواحدة مجاراه في ذلك القديس يوحنّا الدمشقي (٣ والقديس مكسيموس المعترف (المتوفّى سنة ٦٦٢) (٤

وليس افتخار دمشق المسيحيّة بقديس آخر دون اعتزازها بالمشاهير السابق ذكرهم ألا وهو القديس اندراوس رئيس اساقفة جزيرة كريت . ولد في دمشق ودرس ثم ترهّب في القدس واقام مدّةً في القسطنطينيّة ثمّ دُعي الى رعاية كنيسة كريت فساسها

١) اطلب كتابنا «المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة» (ص ٢١٧)
٢) اطلبهُ ايضاً (ص ٢٣-٢٤)
٣) الكتاب عينهُ (ص ١٢٤-١٢٥) ٤) الكتاب المذكور (ص ١٩٦-١٩٧)

بكل حكمة وتوفي سنة ٧٢٠ وقيل ٧٢٣ تآليفهُ ايضاً كتآليف القديس صفرونيوس منها ميامر ومنها تسابيح دينيَّة ومنها جدال لتزييف تعليم القائلين بمشيئة واحدة في المسيح

وكانت كنيسة دمشق راتعةً في بحبوحة السلام في أيَّام الامويين الاوَّلين يمارسون فرائض دينهم بحريَّة يشهد على ذلك ما نالهُ الاخطل الشاعر النصرانيّ الكبير من الحظوة في مجالس خلفائهم يدخل عليهم بغير اذن وفي عنقهِ سلسلةٌ فيها صليب ذهب. وبلغ من الرفعة لدى عبد الملك بن مروان الى ان اطاف بهِ في شوارع دمشق ومولاهُ يصرخ امامهُ: هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعر العرب (الاغاني ٧: ١٣٧) وكان الاخطل اذا أتى الشام نزل ضيفاً مكرَّماً في بيت سرجون بن منصور (١٧٤)

وممَّن قصد الى الشام وامتدح خلفاءها من بني اميَّة من النصارى شاعران سبق لنا ذكر ترجمتها (ص ٣٧٢ و٤٤٩ الخ) نزيد بهما اعشى بني تغلب ونابغة بني شيبان فحظيا لديهم ونالا نصيباً حسناً من جوائزهم . ومثلهما القطامي التغلبيّ أمَّ دمشق وعرف فضلهُ وجودة قريحتهِ عبدُ الملك بن مروان وعبد الواحد بن سليمان (الاغاني ٢٠: ١١٨—١١٩ و١٣١)

واشتهر من غير الشعراء في دولة بني اميَّة بعض الاطبَّاء الذين ترجمهم جمال الدين القفطي وابن ابي اصيبعة وغيرهما قال ابن ابي اصيبعة (١: ١١٦): « كان ابن اثال طبيباً متقدِّماً من الاطباء المتميِّزين في دمشق نصرانيّ المذهب ولمَّا ملك معاوية ابن ابي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن اليهِ وكان كثير الافتقاد لهُ والاعتقاد فيهِ والمحادثة معهُ ليلًا ونهاراً وكان ابن اثال خبيراً بالادوية المفردة والمركَّبة » ثمَّ ادَّعى ان معاوية استعان بهِ لتسميم بعض اعدائهِ ولا نعلم ما في هذا الامر من الصحة

وكذلك افاض في ذكر طبيبين آخرين من نصارى دمشق (١١٩—١٢١) اوَّلهما ابو الحكم قال ايضاً انهُ « كان عالماً بانواع العلاج والادوية ولهُ اعمال مذكورة ووصفات مشهورة وكان يستطبهُ معاوية بن ابي سفيان ويعتمد عليهِ . . وعُمِّر طويلًا حتى تجاوز المائة سنة » . ثمَّ ذكر ابنهُ حكماً الدمشقي قال « انهُ كان يلحق بابيهِ في معرفتهِ المداواة والاعمال الطبيَّة والصفات البدنيَّة وكان مقيماً بدمشق وعُمِّر ايضاً عمراً طويلًا »

ومما بقي من آثار النصرانيَّة في عهد الامويين كتابات ومقاطيع مختلفة منها يونانيَّة ومنها آراميَّة وسريانيَّة مكتوبة على رقّ بينها قطع من الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث وشذرات دينيَّة وادبيَّة وقصص رهبانيَّة كانت مكدَّسة في قبَّة على سوار وبسط الجامع الاموي وُجدت في جملتها مزامير عربيَّة مكتوبة بحرف يوناني يُستدلّ بها على لهجة نصارى تلك الاجيال القديمة. ومعظمها اليوم في مكتبة برلين اهداها السلطان عبد الحميد اصحابهُ الالمان (راجع المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٩٦١—٩٦٢)

٤ نصارى دمشق والوليد بن عبد الملك

وكأنَّ هذه الحالة من الهناء والطمأنينة قد كادت تبطل في أيام الوليد بن عبد الملك (٧٠٥-٧١٥) فانَّهُ اغتصب النصارى على كنيستهم الكبرى فحوّلها الى مسجد بمساعدة مائة صانع من بُناة الروم (الطبري ٢: ١١٩٤ وتاريخ ابن عساكر ١: ٢٠٢). وهم الذين زيَّنوا حيطانها بالفسيفساء. قال المقدسي من كتبة القرن العاشر في كتابهِ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ١٥٧):

« وحيطانهُ (اي الجامع الاموي) الى قامتين بالرخام المجزَّع ثمَّ الى السقف بالفسيفساء الملوَّنة في المذهَّبة بصور اشجار وامصار وبلدان وكتابات على غاية الحسن والدقَّة ولطافة الصنعة وقلَّ شجرةٌ او بلدٌ مذكور الَّا وقد مُثِّل على تلك الحيطان وطُليت رؤوس الاعمدة بالذهب وقناطر الاروقة كلُّها مرصَّعة بالفسيفساء »

وقد ظهر كثير من آثار تلك الفسيفساء العجيبة في هذه السنين الاخيرة في مصلَّب الجامع وفي قناطر باب البريد وفي الكوى والشبابيك التي تعلو فوق باب الجامع الاكبر على قناطرها واطرافها وكانت تلك الاعمال قد طُمست بحريق الجامع في عهد تيمورلنك وبما طُليَت بهِ من الملاط والكلس فلمَّا نُظفت وغُسلت سنة ١٩١١ ظهرت بكل بهائها وزهاء الوانها (المشرق ١٤ [١٩١١] : ٦٣٩) فشهدت لبُناتها النصارى بالبراعة في اصطناعها وتنسيقها

بل لا يزال على بعض اطرافها الى يومنا كتابات يونانيَّة تدلُّ على اصل الكنيسة قبل تحويلها الى جامع. منها الكتابة التي فوق مدخل الباب الجنوبي التي تعريبها « انَّ ملكوتك ايها المسيح هو ملكوت جميع الدهور وسلطانك في كل جيل فجيل » (المزمور ١٤٤: ١). ومنها الكتابة التي اكتشفها المسيو دوسو (R. Dussaud)

تحتوي آية اخرى يونانيّة من المزامير (٨٨: ٨) : « انّ الله رهيب في مجلس القديسين جدًّا ومهيب عند جميع الذين حوله »

ومن آثار تشدُّد الوليد على النصارى ما ورد في اخبار رئيس اساقفة دمشق (١ المدعو بطرس كان هذا تصدّى للشيعة المانويّة وجاهر بايمانه في مجلس الوليد فامر الخليفة بقطع لسانه ثمّ نفاهُ الى جهات اليمن فردّ الله عليه مقولهُ واخذ ينطق بطلاقة ويصرّح بايمانه فامر الوليد بقتله

وقد جاء في اعمال القديسين لجماعة البولنديين في يومي ١٩ شباط و ١٤ آذار ذكر شهداء آخرين قُتلوا في عهد الوليد احدهم المدعو بطرس من مَيُومة قُتل في الفيحاء لدعوته العرب الى دينه والآخرون قُتلوا في حرّان كان زعيمهم استاثيوس البطريق

وقد مرّ لنا في المشرق في عدد آذار (١٧٨—١٨١) ذكر شملة التغلبي الذي حاول الوليد (على الارجح) ان يردّهُ عن النصرانيّة فأبى وامر الخليفة بجزّ قطعة من لحمه شُويت فغُصب على اكلها. ولذلك ايضاً نسبنا الى الوليد (ص ٦١٧) اضطرارهُ للنابغة الشيباني الشاعر النصراني ان يدين بالاسلام

هذا ما امكننا جمعهُ من اخبار النصارى في دمشق على عهد الدولة الامويّة

٥ دمشق النصرانية في عهد بني عباس ومماليك مصر

كان انتقال كرسي الدولة من دمشق الى بغداد بفوز بني عباس ضربةً أليمة على سوريّة عموماً وعلى الفيحاء خصوصاً فاصبحت هذه المدينة خاملةً لا نكاد نعرف شيئاً من اخبارها الّا ما حصل من المنازعات بسببها فحكمتها اوّلاً حاكم من بني العباس ثمّ صارت في حوزة الطولونيين والاخشيديين والسلجوقيين ثمّ الفاطميين والايوبيّين ومماليك مصر وتوالت النكبات عليها باختلاف هذه الدول وما اسعرتها من الحروب لاقتنائها وقد نال النصارى قسمٌ كبير من تلك البلايا. فخربت كنائسهم او أُحرقت او حُوّلت الى مساجد كما ورد في تاريخ ابن عساكر (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٨٠٠—٨٣٠) وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسيّ (ص ٦) وروى ابن بطريق (٢: ٨٣) في تاريخ سنة ٣١٤ هـ (٩٢٦م) : « انّ المسلمين ثاروا فهدموا كنيسة مار تقريم الكاثوليكيّة وكانت كنيسة عظيمة حسنة أُنفق فيها مائتا الف دينار ونُهب ما كان

١) اطلب اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., CVIII, 840-841)

فيها من ابنية وحليّ وغير ذلك ونُهبت عدَّة ديارات وخاصَّة دير النساء الذي كان بجانب الكنيسة وشعثوا كنائس كثيرة للملكيَّة وهدموا كنيسةَ النسطوريَّة »

ثمَّ عاد النصارى فجدَّدوا بناءها ولمَّا تولى الامر الحاكم بامر الله امَرَ بهدمها. قال يحيى بن سعيد الانطاكي (ص ١٩٥): كتب (الحاكم) الى دمشق بهدم كنيسة السيدة القاتوليكي وهي كبيرة حسنة فهُدمت » وفي تاريخ البطريرك مكاريوس ان اناساً من نصارى دمشق خرجوا الى بغداد واستغاثوا بالخليفة المقتدر فارسل الى نائبهِ بالشام واعاد بناء الكنائس المهدومة. وفي ايَّامهِ تشتَّت شمل نصارى الشام. قال ابن سعيد في تاريخ سنة ٤٠٤ (١٠١٤ م) يذكر امارة بني الجرَّاح في دمشق : « وعظمت مصادراتهم للناس مرَّة بعد اخرى وتعسُّفهم ايَّاهم فهرب من النصارى المقيمين بالشام خلقٌ كثير وتوجَّه جميعهم الى بلاد الروم وقصد اكثرهم اللاذقيَّة وانطاكية وقطنوها »

وتفرَّق ايضاً اساقفة دمشق الملكيُّون وقد روى القديس الكردينال بطرس دميان خبر احدهم المدعو سرجيوس قال انهُ خرج من دمشق بعد فتحها في عهد الدولة الفاطميَّة سنة ٩٧٤ م وجاء شريداً غريباً الى رومية ونال من جود البابا بندكتوس السابع ان يُنشئ ديراً في رومية عند كنيستي القديسين بونيفاسيوس وألكسيوس وبقي هناك الى موتهِ (المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٩١٥)

وسعى الصليبيون غير مرَّة في فتح دمشق لكنَّهم لم يقووا عليها وانَّما ضربوا عليها الجزية مدَّةً. ودخلها بعد زمن قليل نور الدين ابن زنكي وخلفهُ عليها صلاح الدين الأيوبي وسلالتهُ من بعدهِ. وفي ايَّام السلطان الاشرف موسى سنة ١٢٣٣ التمس الحبر الاعظم غريغوريوس التاسع بان يسكن الرهبان الفرنسيسيُّون في دمشق لخدمة النصارى

وفتح التتر دمشق سنة ١٢٦٠ بالامان فاكرموا النصارى ولمَّا خرجوا ثار عليهم المسلمون (٧٤٠ هـ) ونهبوا بيوتهم وهدموا كنيستهم. واصاب نصارى دمشق محن كثيرة في ايَّام مماليك مصر. ففي ايَّام السلطان قلاوون قُتل في سبيل الايمان مرسلان من رهبان القديس فرنسيس. وفي زمن الملك الناصر سنة ٧٠٠ قُضي على نصارى دمشق بان يعتمُّوا بعمائم سوداء ويخضعوا لاوامر مُذلَّة. وفي ايَّامهِ ايضاً اتَّهموهم بحرق الجامع الاموي فقتلوا البعض وعذَّبوا البعض وغرَّموهم اموالاً وافرة. واستشهد راهبان آخران من الفرنسيسيين. هذا فضلاً عمَّا ذاقوهُ من المرائر مع مواطنيهم

المسلمين عند دخول تيمورلنك والمغول عاصمة الشام وامره بنهبها وحريقها وإعمال السيف في اهلها وجلاء صَنَعتها عنها

وممَّن يذكرهم التاريخ من افاضل نصارى دمشق في أيام الدول المذكورة بعض الاطباء ذوي المهارة في العلاج . نبغ منهم في عهد الدولة العباسيَّة عيسى بن حكم الدمشقيّ . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١٢٠) : «هو المشهور بمسيح صاحب الكنَّاش الكبير الذي يُعرف بهِ وينسب اليهِ » وذكر معالجتهُ لغضيض امّ ولد الرشيد وقال عنهُ « انهُ كان يسلك طريق الرهبان ولا يحمد شيئاً ممَّا يزيد في الباه ويذكر ان ذلك يُتلف الابدان ويذهب الانفس»

وممَّن ذكرهُ ايضاً ابن ابي اصيبعة من الاطباء النصارى ابو الفرج جرجس اليبرودي من نصارى اليعاقبة (٢ : ١٤١) اصاب في دمشق سمعة واسعة وثروةً طائلة بمعالجاتهِ في القرن الخامس للهجرة . وزاد عليهِ شهرةً في دمشق موفَّق الدين بن المطران(٢ : ١٧٥) لولا أنهُ عدل الى الاسلام . ومن مشاهيرهم ابو النجم بن ابي غالب النصرانيّ اخذ الطبّ عن اطباء دمشق وفيها توفي سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٣ م) بعد ان خدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي عندهُ . كما خدمهُ طبيب آخر اسمهُ ابو الفرج النصراني كان متميّزًا في زمانهِ

وفي دمشق ايضاً اشتهر موفَّق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني الملكيّ من أعرف الناس بكتب جالينوس كان مولدهُ في القدس ولازم بها رجلًا فاضلًا وفيلسوفاً راهباً خبيرًا بالعلم الطبيعي متقناً للهندسة وعلم الحساب والفلك ثم قصد دمشق وخدم الملك المعظم عيسى بن ابي بكر بن أيوب الذي كان يعتمد عليهِ في كثير من الآراء الطبيَّة وغيرها . قال ابن ابي اصيبعة (٢ : ٢١٥) وقصد الملك المعظَّم ان يولّيهُ بعض تدبير دولتهِ . . . وكان يعتقدهُ ويكرمهُ غاية الاكرام ويستصحبهُ في اسفارهِ معهُ في محفَّة . توفي بدمشق في عيد فصح النصارى سنة ٦٢٥ (١٢٢٨م) وبها توفي ابنهُ سديد الدين ابو منصور وكان خدم الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى وكان مكيناً عندهُ (٢ : ٢١٦) . وفي دمشق ايضاً توفي ابن القفّ الطبيب الشهير (٦٨٥هـ)

٦ دمشق النصرانية في عهد بني عثمان الى يومنا

دخلت سوريَّة في حكم بني عثمان بعد انتصار السلطان سليم الاوَّل في موقعة

مرج دابق على قانصوه سلطان مصر سنة ١٥١٥ وقتل ابنه الملك الصالح طومان باي سنة ١٥١٦ فحظي النصارى ببعض الراحة . وكان قبل ذلك بطريرك الروم الانطاكي يوخوميوس في القسم الثاني من القرن الرابع عشر رأى ان ينقل كرسي البطريركيّة الى دمشق لما كان اصاب انطاكية من الطوارئ والنكبات . وكان مع وجود البطريرك في النيحاء مطارنة على القلّاية (اطلب المشرق ١٢[١٩٠٩] : ٩١٦–٩١٧) وكان في دمشق ما عدا الملكيين قومٌ من الموارنة ورد ذكرهم في اخبار السيّاح ورسائل المرسلين

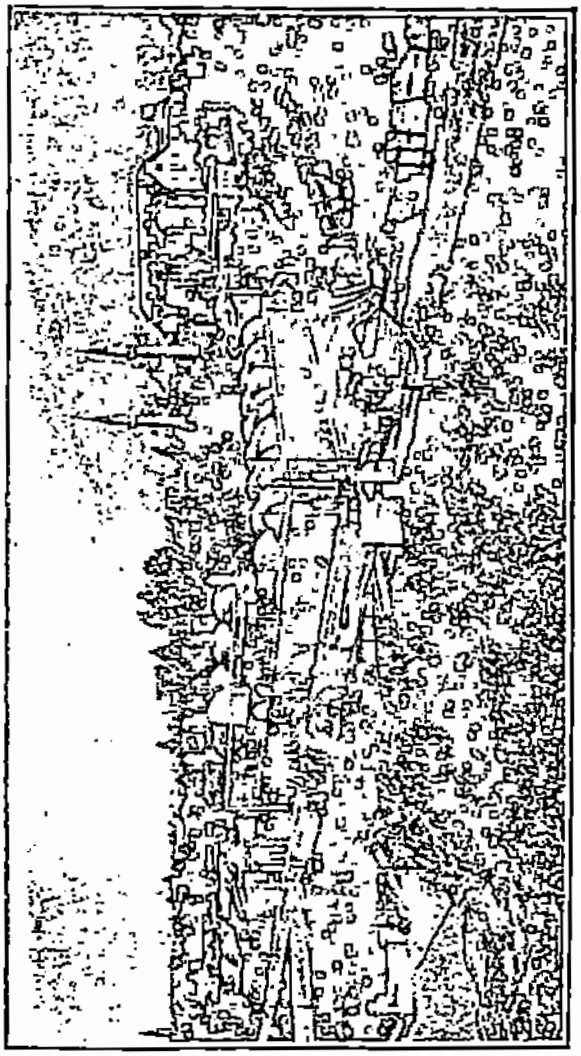

مدخل دمشق

لهم فيها كنيسة صغيرة يخدمها كاهن عالميّ ولا اسقف عليهم . وقد نشر جناب الكاتب المدقق الشيخ سليم الدحداح سلسلة اساقفتهم في المشرق(٧ [١٩٠٤] : ٧٤٨–٧٥٥) اوّلهم المطران انطون سنة ١٥٢٧ وآخرهم سيادة المطران الحالي بشارة الشمالي ولم يسكنوا دمشق

وفي العهد العثماني دخل المرسلون الكبوشيُّون واليسوعيُّون دمشق ليخدموا فيها النصارى مع الآباء الفرنسيسيين فاحرزت النصرانيَّة وخصوصاً الكثلكة بهم رونقاً جديداً . وكان دخول اليسوعيين الفيحاء برفقة البطريرك افتيميوس الحموي آتياً من حلب سنة ١٦٤٣ الى عاصمة الشام ليتبوأ السدَّة البطريركيَّة وكان عرَّفهم حقَّ المعرفة في الشهباء ففتح الاب جيروم كريرو باغرائهِ مدرسةً علَّم فيها الآداب الكنسيَّة والطقوس البيعيَّة وشرح اعمال آباء اليونان فتقاطر اليهِ الطلبة حتى الاكليرس والكهنة . فاضحوا خميرة الروم الملكيين المتحدين مع رومية . وكان اخوتهُ المرسلون يجارونهُ في الاعمال الرسوليَّة كالتبشير وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين والاسرى والعبيد فمات منهم خمسة في خدمة المطعونين . وكذلك تعزَّزت الكثلكة بالمرسلين الكبوشيين حتى بلغ في دمشق عدد المنتمين الى الكنيسة بضعة آلاف . على انَّ نجاحهم هذا كان كحصاد لما زرعوهُ بالعناء والدموع فانَّ رسائلهم المخطوطة تنبئنا بما قاسوهُ من المشقَّات من قبل الاتراك واعداء الكثلكة فتارةً كانوا ينهبون اديارهم وتارة يطالبونهم بالموانات وحيناً يلقونهم في السجون ويغلّونهم بالحديد ويضربونهم بالعصيّ

وقد زادت هذه المصادرات بعد ان اختار لهم الكاثوليك بطريركاً مستقلاً عن بطريرك الفنار خاضعاً لإمام الاحبار نعني بهِ كيرلُّس طاناس فناصبهُ ساوسترس الصاقزلي وهيَّج عليهِ وعلى الحزب الكاثوليكي عمَّال الدولة فذاقوا من جرَّاء ذلك ضروب الاوجاع والبلايا ومنهم من ماتوا شهداء ايمانهم . ولم تنتهِ تلك الاضطهادات والمظالم الَّا في ايَّام الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم لما حرَّر طائفتهُ من نير البطريركيَّة المسكونيَّة

دخل القرن التاسع عشر وامور النصارى في الشام باسوإ حال لنا على ما تكبَّدوهُ من المحن واصناف البلايا شاهدٌ عياني وهو ميخائيل الدمشقي الذي كتب تاريخ حوادث الشام ولبنان من السنة ١٧٨٢ الى ١٨٤١ وهو التاريخ البديع الذي

نشرهُ حضرة الاب لويس معلوف عن نسخة لندن وفيهِ من التفاصيل ما لا يدع ريباً في صحَّة روايتهِ عن فظائع عمَّال الدولة وبطاركة الروم في حقّ الكاثوليك عموماً وفي المرسلين فيغنينا عن المراجعة مع اضافة ما حدث بعد ذلك في السنة ١٨٦٠ من المذابح والنهب والسلب والحريق في الفيحاء وفي لبنان فنضرب الصفح عن ذكرها لشهرتها

ومع هذه المصائب الحالَّة بالنصارى نبغ بينهم رجال فضل واكثرهم من الكاثوليك كميخائيل البحري وبنيهِ عبُّود وجرمانوس وحنا الذين خدموا الدولة بصفة كتَّاب ومدبّري امور وشيَّدوا كنيسةً في دمشق لبني ملَّتهم (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٩—١٢) وكميخائيل الصبَّاغ الذي تخرَّج على الآداب في دمشق قبل ان يهاجر الى باريس ويجاري فيها المستشرقين بمصنفاتهِ من جملتها تاريخ لبلاد الشام اخذتهُ يد الضياع

ولاح بعد ذلك لنصارى دمشق بارقُ أمل في تحسين احوالهم بتوسّط الدول الاوربيَّة وخصوصاً فرنسة فنالوا قسماً من الحرّيَّة والامان تمكَّنوا بهما من اصلاح امورهم الماديَّة والادبيَّة ساعدهم على ذلك اكليروسهم الفاضل والرهبان المرسلون احسن مساعدة فنُتحت المدارس الزاهرة وشُيّدت الكنائس البديعة وأُنشئت المستشفيات والملاجئ وتأسست الجمعيَّات الخيريَّة فبلغت النصرانيَّة في هذه الاعوام الاخيرة رقياً لم تعرفهُ في القرون السابقة . ولكلّ طائفة أُسر واعمال شريفة تنطق بفضلها . واشتهر كثيرون بالصنائع كتطعيم الخشب والحفر على النحاس يُشار اليهم بالبنان كآل النعسان وآل البيطار

وكان للاكليروس السهمُ الأوفى في تنظيم امور ملليهم وتدبيرها ونجاحها نكتفي بالاشارة الى البعض منهم كالسيد البطريرك غريغوريوس يوسف والسيد بولس مسدّيه بين الروم الكاثوليك وكالسيد اقليميس داود من السريان الكاثوليك والخوري موسى كرم من الموارنة وعضدهم في ترقية مللهم رجال افاضل من بيت بولاد وصبَّاغ وسبوفي وكحيل وغرَّة وعنحوري وغيرهم ممَّن تنطق الالسنة بمآثرهم ويقرُّ الجميع بفضلهم هذا ما عدا قوماً من الاحياء المرزوقين الذين يسيرون على آثار اسلافهم ويشرّفون دينهم بتقواهم ومبرّاتهم وهم لفرنسة في انتدابها على الشام خير مسعفٍ لتحقيق حسن نيَّاتها وتأييد طيّب مساعيها في خدمة وطنهم جازاهم الله خيراً

ثمرات الاوراق : فكاهات العرب

منقولة عن مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة

في مكتبتنا الشرقيّة مخطوطات ادبيّة عديدة بينها فصول فكاهيّة اخترنا منها بعض قصصها ترويحاً لنفوس قرّائنا ل. ش

١ ورد في كتاب مخطوط لابن الجوزي ما نصّهُ قال : أجيز ابن حيُّوس على قصيدةٍ عملها الفَ دينار . فتسامع الشعراء وحضر منهم جماعة وعرض كلّ منهم قصيدتهُ فلم يُعطَوا شيئاً . فكتب واحد منهم الى الممدوح :

على بابك المعمور منّا عصابةٌ مقاليسُ فانظُرْ في امور المقاليس
وقد رضيَت هذي العصابةُ كلّها بعشر الذي أعطيتَهُ لابن حَيُّوس
وما بيننا هذا التفاوتُ كلّهُ ولكن سعيدٌ مَن يُقاس بمنحوس

فضحك واجازهم

٢ أتى قومٌ عباديا فقالوا : نحبُّ ان تُسلِفَ فلاناً الف درهم وتؤخّرهُ سنةً . فقال : هاتانِ حاجتان سأقضي لكم احداهما واذا فعلتُ ذلك فقد أنصفتُ . امّا الدراهم فلا تسهُلُ عليّ ولكني اؤخّرهُ سنتين

٣ قيل لاعرابيّ : ما اسمُ المرَق عندكم ؟ قال : السخينُ . قالوا : فاذا بَرَدَ ؟ قال : لا ندعهُ يبرد

٤ قال ابو اسحاق : قلتُ لخنجير توز : لو عدتَني ان تجيءَ ارتفاعَ النهار فجئتَني صلاةَ العصر . قال : جئتُكَ ارتفاعَ العشيّ

٥ روى الجاحظ قال : مرَّ ابن ابي علقمة بمجلس بني ناجية فكبا حمارهُ لوجهه فضحكوا منهُ فقال : ما يُضحككم ؟ رأى وجوه قريش فسجدَ

٦ مات لابن مُقرّن غلام فحفر لهُ اعرابيّ قبرَهُ بدرهمَيْن وذلك في بعض الطواعين فلمّا اعطوهُ الدرهمين قال : دعوهما حتى يجتمع لي عندكم ثمن ثوب

٧ قال ابو الحسن : جاء رجلٌ الى رجلٍ من الوجوه فقال : انا جارُك وقد مات

اخي فلان فسُرْ لهُ بكفن . قال : لا والله ما عندي اليوم شيء ولكن تعهَّدنا وتعود بعد ايام فيكون الذي تحبّ . قال : اصلحك الله فنُمَلِّحُهُ الى ان يتيسَّر عندك شيء

٨ قيل لابن الاصبغ بن ربعيّ : اما تسمع العدوّ وما يصنعون في البحر لمَ لا تخرج لقتالهم ؟ قال : انا لا اعرفهم ولا يعرفوني فكيف أُقاتلهم ؟

٩ افترى رجلٌ أصلع على ديوجانس فأفرَطَ فقال : اني لأغبطُ شعرَ رأسك اذ هرَبَ عن جمجمتكَ هذه الرديئة

١٠ قيل لبعضهم في الحرب : لا تهرب يغضب عليك الامير . فقال : غضبهُ عليَّ وانا حيّ احبُّ اليَّ من رضاهُ عني وانا ميّت

١١ واخبر ابو عبيدة قال : كان بالبصرة رجلٌ من موالي بني سعد يقال لهُ ثبيت وكان كثير الصلاة صالحاً وكانت الاعراب تنزل عليهِ . فنزل بهِ قومٌ منهم ليلةً فلم يُعشهم وقام يصلّي فقال رجلٌ منهم :

لَخُبْزٌ يا ثبيتُ عليهِ لحمٌ احبُّ اليَّ ولو تُلي القرانُ
ثبيتُ تُدَهْوِرُ القرآن حولي كأنك عند رأسي عُقربانُ
فلو اطعمتَني خبزاً ولحماً حمِدتُكَ والطعام لهُ مكانُ

روى القالي في اماليهِ هذه القصة وقال : اختلفوا في العقربان فقال قوم : هو ذكر العقارب وقال قوم : هو دَخَال الأُذن وهو الوجه

١٢ سأل اللغويُّ ثعلب أبا العيد : أَلظبيُ معرفةٌ ام نكرة ؟ فقال : ان كان شوياً على المائدة فهو معرفة وان كان في الصحراء يعدو فهو نكرة

١٣ وعد ابن المدبّر ابا العيناء بغلاً فلقيَهُ بعد ذلك راكباً حماراً فقال لهُ : كيف اصبحتَ يا ابا عبدالله . قال : على حمارٍ اعزَّك الله . ففطن ابن المدبر وقال : تُمسي ان شاء الله على بغلٍ . ثم ارسل لهُ البغل

١٤ قيل لزاهدٍ : ما بالك تُدمِنُ المشي على عصاً ولستَ بكبيرٍ ولا مريض . قال : لا ولكني اعلم اني مسافر وانَّ الدنيا دارُ قُلعة وانَّ العصا من آلة السفر

١٥ تزوَّج مُغَنٍّ بنائحةٍ فقال لها : انَّما الدنيا فرحٌ وحزن وقد اخذنا بطرفي ذلك . ان كان فرح دعَوني او كان حزن دعَوكِ

١٦ دخل لصٌّ على ابن ابي قيس ففتَّش البيت فلم يجد شيئاً . فلما اراد ان يخرج

قال ابو قيس : أغلق الباب خلفك . قال : من كثرة ما اخذتُ حتى تستخدمني

١٧ وروى الحصري في كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر : كان جامع بن وَهب الصيدلانيّ اكثر الناس ديناً واعظمهم غفلةً . اشترى مرّة ثلجاً كثيراً فقيل لهُ . انهُ كثير . فقال : أُريد ان امصّهُ وارمي بثفلهِ

١٨ (قال) ودخل بستاناً له فقال لوكيلهِ : اغرس لي بصلاً بخلّ فانّهُ نافع لاصحاب الصفراء

١٩ (قال) وسقطت ابنتهُ في بئر فقال : يا بنيّة لا تبرحي حتى اجيء بمن يُخرجك

٢٠ وروى ابن الكلبيّ انهُ كان بالمدينة مخنّث يقال لهُ النفاشيّ فقيل لعمر ابن الخطّاب انهُ لا يقرأ من القرآن شيئاً فبعث اليهِ فاستقراهُ أُمّ الكتاب . فقال : والله ما اعرف اقرأ بناتها فكيف الامّ . فقال عمر : انهزأ بالقرآن لا امّ لك . فامر بضربهِ واسلمهُ الى الكتّاب فمكث فيهِ حيناً ثمّ هرب وانشأ يقول :

اتيتُ مهاجرين فعلّموني ثلثَ اسطرٍ متشابهاتِ
كتابَ الله في رقٍّ صحيحٍ وآياتِ القرآنِ مفصّلاتِ
وخطّوا لي ابا جادٍ وقالوا تعلّم سعفصاً وقُرَيْشياتِ
وما انا والكتابُ والتهجّي وما حظُّ البنينَ من البناتِ

٢١ من ظريف ما قال كشاجم في طبيب نصرانيّ يدعى عيسى بن نوح :

عيسى الطبيبُ ترفّقْ فانتَ طوفانُ نوحْ
يأبى علاجُك الّا فراقَ جسمٍ لروحْ
شتّان ما بين عيسى وبين عيسى المسيحْ
هذاك يُحيي لميتٍ وذا يميتُ الصحيحْ

٢٢ وكان ببغداد طبيب اسمهُ النعمان لا ينجح مريض على يديهِ فقال فيهِ بعض الشعراء مضمّناً بيتاً لطَرَفة :

اقولُ لنعمانٍ وقد ساقَ طبّهُ نفوساً تفيساتٍ الى داخل الارضِ
ابا منذرٍ أفْنَيْتَ فاستبقِ بعضنا حنانَيْكَ بعضُ الشرّ اهونُ من بعضِ

٢٣ دخل طفيليّ على اهل البصرة في طعامهم فاستنكفوا منهُ فقال بعضهم :

يمشي الى المدّعاة مستنفراً مشيَ ابي الحارثِ ليثِ العرينْ

لم ترَ عيني آكلاً مثلهُ يأكلُ بالبُسرى معاً واليمينْ
تلعبُ في القصعةِ اطرافُهُ لُعبَ اخي الشطرنجِ بالشاهِ بينْ

٢٤ واخبر ابو علي البصير انهُ نظر الى خُشاخِش المديني يوم عيد الفطر وهو فوق تلّ يصيح صياحاً شديداً فقيل لهُ: ما هذا؟ قال أنعِرُ في قفا شهر رمضان. فغاب ابو علي أيّاماً ثمَّ جاء فانشد:

اقولُ لصاحبيَّ وقد رأينا هلالَ الفطرِ في خلَلِ الغمامِ
غداً نغدو الى ما قد ضمنّا اليهِ من الملاهي والمدامِ
ونسكرُ سكرةً شنعاء جهرًا وننعِرُ في قفا شهر الصيامِ

٢٥ اخبر الرياشي قال: كان ذئبٌ يأتي اهل قُرّان من بلاد اليمامة فيؤذيهم ثمارهم فجاءهم صائد فقالوا لهُ: انَّ ها هنا ذئباً قد لقينا منهُ التباريح يأكلُ شاءنا فان انتَ قتلتهُ فلك من كلّ قطيعٍ شاةٌ. فذهب فحبَلهُ ثمَّ اتاهم بهِ يقودهُ حتى وقفهم عليهِ ثمَّ قال: هذا ذيبكم الذي أكل شاءكم فأعطوني ما شرطتم. فجعلوا يتضاحكون منهُ وقالوا لهُ: كُلْ ذئبك. فأحسَّ منهم بالغدر فقطع حبل الذئب فوثب ناجياً وقال الصائد: ادركوا ذئبكم وانشد:

علّقتُ في الذئبِ حبلاً ثمَّ قلتُ لهُ إلحق بقومك واسلَمْ ايّها الذئبُ
ان كنتَ من اهل قُرّانٍ فعُدْ لهمُ او اهلِ كُثرةَ فاذهبْ غير مطلوبِ
المُخلفين بما قالوا وما وعدوا وكلُّ ما لفظ الانسانُ مكتوبُ
سألتهُ في خلاءٍ كيفَ عيشتهُ فقال ماضٍ على الأعداء مرهوبُ
ليَ الفصيلُ من البُمرانِ آكلهُ وان يُصادفني طفلٌ فهو مصقوبُ
والنخل أرعى بهِ ما كان ذا رُطَبٍ وان شتوتُ فلي شاءُ الأعاريبِ

٢٦ كان عمران بن حطّان قبيح الوجه ولهُ امرأة جميلة المنظر فقالت لهُ يوماً: اني لأرجو ان نكون جميعاً في الجنة. فقال: ولِمَ. قالت: لأنك أُعطيتُ مثلي فشكرت وأُعطيتُ انا مثلك فصبرتُ والصابر والشاكر كلاهما في الجنّة

٢٧ شكا اهلُ بلدةٍ الى المأمون والياً عليهم فقال: كذبتم عليهِ قد صحّ عندي قولهُ فيكم وإحسانهُ لكم. فقال شيخٌ منهم: يا امير المؤمنين فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيّتك قد عدلَ فينا خمس سنين فانقله الى غيرنا حتى يسع عدلهُ الجميع فتربح علينا الكلّ. فضحك المأمون وصرفهُ عنهم

اهتداء كاتبة روسيّة ارثذكسيّة الى الكثلكة

مقالة ترجمها رأساً عن كتابها المنشور بالروسية

الاب رافائيل غاه اليسوعيّ

تمهيد المترجم

على خلاف ما يزعمهُ جمهور الكاثوليك بل الارثذكس انفسهم ليست في حكم العدم حركة اهتداء الروس المنفصلين الى الكثلكة منذ اوائل الجيل المنصرم ولاسيما في اثناء الحرب الكونية الطاحنة وما وليها من الاعوام. ولئلا يُنسب الينا رمي الكلام على عواهنهِ نزيد رغماً من ضيق المقام اثبات قولنا بالشواهد التاريخية التي لا محيص من التسليم بصحتها

نشر الفرنسي رونه دي جُرْنِل (Rouet de Journel) كتاباً عنوانهُ: «مدرسة لليسوعيين في بطرسبرغ» لخّص فيها استناداً الى اوثق المصادر تاريخ ذلك المعهد القصير الحياة حيث تأسس في السنة ١٨٠٠ وزال من الوجود في ١٨١٦. على ان السبب الوحيد لالغائهِ بأمر الحكومة الروسية وطردها اليسوعيين بل نفيهم من العاصمة الى بلاد قاصية هو كونهم اوجدوا ليس بالتعليم الديني المباشر — فقد كان محظوراً عليهم من البدء — بل بواسطة نفوذهم وأمثالهم، حركةً شديدة في كل طبقات الأمة حتى بين اعيانها، حركةَ اهتداء من الارثذكسية الى الكثلكة. فارتعب ذوو الربط والحلّ من انتشار ذلك التيّار الهائل على كل العاصمة ثم على الاقاليم ولم يجدوا سدًّا أمنع في وجهه من الاقفال القسري لتلك المدرسة الشهيرة الحافلة بابناء عِلْية الناس. هاك على سبيل المثل اسماء بعض مشاهير اولئك المهتدين: الامير ديمتري غولتسين وقد صار كاهناً ثم توفي سنة ١٨٤٠ وهو مُرسَل بين القبائل المتوحشة باميركة الشمالية — الاميرة أَلِكسيس غولتسين وبنتها اليصابات — الاميرة حنة بَرْيَتِنسكي = الاميرة ڤاسِلْتشيكوف واختها الآنسة بروتسوف — الاميرة ليزة كوراكين — الكونتة

رَستيتشين — الكونتة تُلستوي وبنتها التي صارت فيما بعد الاميرة لوبومرسكا — السيدة بِتشين امرأة قائد ، الكاتبة الشهيرة التي لم تهتدِ الى الكثلكة الّا بعد الدروس العميقة — اسكندر غولتسين ابن حاكم بارُسلاف

كل هذه الاسماء إنْ هي الّا برض من عدّ ، ومن الغرابة بمكان ان تلك حركة الاهتداءات الشديدة قد وُجدت حينذاك في عاصمة كبيرة لا يتعدّى فيها عدد الكاثوليك نحو خمسة آلاف !

امّا حركة اهتداء الروس الارثذكس في اثناء الحرب الكبرى وبعدها فقلّما وجد لهُ نِدّ في تاريخ العالم ، اليك بعض الادلّة على ذلك :

اولًا جاء من روسيّة الى فرنسة في بحر ١٩٢٣ نبأ عن مصدر موثوق بهِ ان ٢٣ من الاساقفة الروس الارثذكس قد اهتدوا الى الكثلكة في سجنهم قليلًا قبل اعدامهم

ثانياً في السنتين ١٩٢١و١٩٢٢ قد اهتدى الى الكثلكة اكثر من ستين من المهاجرين الروس الارثذكس النازلين اوانئذ في الاستانة

ثالثاً يوجد بين الروس الارثذكس المهتدين في الاعوام الاخيرة نفرٌ من اوسع الناس جاهاً واغزرهم علماً . فانّ فيهم مثلًا الاميرين بطرس ڤلكنسكي وسرجيوس أوروسوف وقد صار هذا يسوعيًا ثمّ الكاتب هَنسكي وقد دخل في الرهبانية ذاتها — رجيدينوف كان قبلًا من اساطين العالم القضائي وهو الآن في مدرسة اكليريكية يستعدّ للكهنوت — والسيد سيباغين العضو السابق في «الدوما» اي مجلس النواب الروسي — والارشيمندريت السيد سرجيوس دابتش. ومن غرابة امره انهُ اوّل حبر روسي ارثذكسي اهتدى الى الكثلكة منذ اكثر من جيلين وقد سبق اهتداءهُ دروسٌ عميقة طويلة فلا بدع أن دهش كل العالم الكاثوليكي من ارتدادهِ فافاضت في وصف تفاصيله امّهات المجلّات الكاثوليكية في الخافقين(١ — نذكر اخيرًا بين اولئك المهتدين الاعلام الكاتبة الروائية المعروفة السيدة نادينة دي لپو دانيلفسكيا (Nadine de Lappo-Danilevskaïa) كان اهتداؤها من نحو عامين وقد نشرت

١) بينما نحن نسطّر هذه الاخبار واذا بجرائد اميركة اتتنا ناشرةً خبر اهتداء السيد الروسي دزوبائي (Mgr Dzoubaï) اسقف نيوأرك الارثذكسيّ الى الكثلكة

بباريس في اوائل ١٩٢٤ كتيباً عنوانه «المهاجرون والكثلكة» ترجمناه حرفياً من الاصل الروسي ولم نزد على متنه سوى عناوين الابواب التي قسمناه اليها لزيادة الايضاح وتسهيل القراءة . نطلب الى المولى ان يبارك على ترجمتنا الصعبة ويجعل منها فخراً للكاثوليك وهدى لاخوتنا الخارجيين عن الحظيرة البطرسية

غريب رواية الاهتداء عن الاصل الروسي

المقدمة

اني اتناول القلم باسم العدل وليس بقصد ان ابرهن على شيء ما او ان اقنع الناس بامر خاص ، فان كل البراهين او طرق الاقناع عادمة الجدوى لدى استخدامها فيما يُلامس اخفى واعمق قوى النفس ، اعني دينها . الدين خارج عن كل المعارف والنواميس البشرية لان كلًّا منّا حاملٌ في ذات نفسه ناموس الدين (١

في الآونة الاخيرة شرعت المسائل الروحية تهيّج انفس المهاجرين الروس فضلًا عن هؤلاء الروس الاشقياء الذين حسب الارادة الالهية لا يفتأون يتألمون في الوطن . وقد طالما استحقت تلك المسائل ان تنال في حياتنا المقام الاول الذي يخصّها وفقاً للعدل . من المجادلات والحملات العنيفة التي يصوّبها الارثذكس ضد الاكليروس الكاثوليكي — وقد جعلت الارادة الالهية المهاجرين الروس في تماسّ معهُ — سوف تخرج الحقيقة في نهاية الامر ظافرةً . فانّ انشقاق الكنيسة هو بإذن الله ولا يستطيع ان يكون بارادته اذ قد حدث انفصال كنيستنا المستمرّ عشرة اجيال ما بين العداوة والمكايد والوشايات والمخادعات السائدة في البلاط البوزنطي وبين الاكليروس الساعي في ارضائه

قد تحوّلتُ او على الاصحّ ، قد رجعتُ الى الكنيسة الكاثوليكيّة لانّ المولى

---

(١) في هذه الاقوال على حرفيّتها مغالاة واضحة . انما مفادها ان العلم والتنقيب وحدهما لا يكفيان للاهتداء الى الدين الحق بل يجب ان تُراد عليهما نعمة الله المقدّسة دائماً لكل ذي ارادة صالحة لأنّ تعاليم الدين القويم تنطبق على نور العقل . وقد بيّنت الكاتبة كل ذلك في الفصل التالي

امرني بذلك ، لان ضميري اقتضى ذلك . حيث كنت لا ارضى بالمداوة لا في القليل ولا في الكثير . ثقُلَ دائماً كلّ الثقل على نفسي ما اختبرتُهُ من عداوة كنيستي ، التي اسسها المخلص الوديع (١) ، للكنيسة الكاثوليكية . فبتجديد اتحادي بالكنيسة المسكونيّة انا اقوم بعمل الخضوع لاوامر المسيح بل تأتي نفسي عمل المسالمة لها

١ً العلم لا يكفي للاهتداء الى الكثلكة ان لم يُقرَن بالصلاة

مَنْ يَدْعُهُ صوت الله ينقدْ طائعاً الى هذه الدعوة مهما وَعُرتْ الطريق . لو كان كل الامر منوطاً بمجرّد البحث المُحكم في تاريخ الكنيسة لاتّضح لزوم كون معرفة الوقائع التاريخية الاكيدة تحثّ كثيرين على العودة الى حضن الكنيسة المسكونية . ومع ذلك فلا مراء انّ بين الروس اناساً علماء مطّلعين جيداً على التاريخ الكنسي وعقائدنا الاساسية غير الحائدة في حقيقتها عن عقائد الكنيسة الكاثوليكية اعني «الارثذكسية» (٢) كما كانت ولا تزال حتى الآن . على ان كثيراً من اولئك العلماء يبقون في كنيستهم القوميّة . فالمنزى انهُ يوجد شيء غير العلم قائدٌ بنا . هذا الشيء هو الايمان الذي لا يهاب احكام الناس ولا المُحقرات ولا التُهم الباطلة في كونه يبيع ضميرهُ هو الايمان الذي لا يخاف سوى الله ويقوّي المرء لاحتمال المحن الارضيّة لاجل ادراك ما يلحقها من بدائع السماويّات

لقد انجلت الحقيقة لفلاديمير سولوفياف (٣) ، نبراس العلم ، في حين درسه التاريخ

---

١) تريد الكاتبة بكنيستها اوّل اهتداء الروس الى الايمان اذ كانت كنيستهم كاثوليكيّة متّحدة مع رومية وثبتت على ذلك زمناً (راجع المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٧٢٢–٧٤١

٢) هذه اللفظة مشتقة من جذرَين يونانيين معناهما القويم الايمان . ولذلك فالكنيسة الكاثوليكية ، لكونها كنيسة المسيح الوحيدة ، جديرة بان تُسمّى ارثذكسية دون سواها . الكاهن الكاثوليكي قبلاً قبل اقوال التقديس يصلي في القدّاس « من اجل كل الارثذكس » مريداً هذه اللفظة كلّ الكاثوليك . لكن اخوتنا المنفصلين قد لقّبوا ذواتهم زوراً بهذا اللقب ولذلك نتحاشى نحن عادةً نسبته الى ذواتنا لمجرد دفع الالتباس وسوء التفاهم . وقد اشارت الكاتبة الحصيفة الى كل ذلك بجعلها لفظة «ارثذكسية» بين قوسين مزدوجين كلّما استخدمتها في الكلام عن الكنيسة الكاثوليكية

٣) احد اشهر علماء الروس الارثذكس المهتدين في الجيل التاسع عشر . من اخطر مؤلفاته

الكنسي واللاهوت ، وبعد طبع مؤلفاته المبرهنة على حقيقة الكنيسة الكاثوليكية قد اتحد هو ذاته بها . فلا لعمري من أسند حجتهُ في صوابيَّة الايمان الى اساس العلم اعني المعرفة البشرية وذلك لانه يمكن المرء حسب رغبتهِ وجود مناقضة لاي برهان كان بيد انهُ من الممتنع وجود حقيقتين متضادتين (١) . وعلى ذلك فمن يريد ادراك الحقيقة لسعادة نفسهِ فهو بالصلاة الحارَّة يدركها لا محالة ، فقد قيل لنا : « اطلبوا تجدوا ، التمسوا تُعطَوا » . المعتقد اعتقاداً مقدساً بصحَّة ايمانه وهو يصلي ويتألم في روحهِ من اجلهِ فليبقَ فيهِ مطمئناً . ذوو الايمان العميق هم في جوار المولى وهو عارف مَن يحسُن لديه ان يقوده الى الحقيقة على طريق معقَّدة ومؤلمة

٢ً لا غنى لنا عن كنيسة المسيح الواحدة فيلزمنا معرفتها

نُسلِّم بان الدَّولة يستحيل وجودها بدون شرائع وفي الآن ذاته كثيرون يرذلون الكنيسة مع انها الشريعة المنظورة لادراك ملكوت الله المقدَّس وغير المنظور . لا غنى عن الكنيسة للنفس المصلِّية الباحثة عن الله ، فان المخلص ذاته اشار الى تلك الضرورة بقوله : « سأبني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » . من لا يؤمن بالوهيَّة المخلص فمن الواضح انه لا يعترف بوجود الكنيسة . من اجله سنصلي نحن المؤمنين بلاهوت المسيح حتى يشفي مخلصنا عمى الذين لا ينظرون

الطيالشة في الاراء هي نتيجة اهمالنا لما يحقّ له المقام الاول في حياة كل منا اعني في ديننا المنحصرة فيه ليس فقط ابسط واعمق فلسفة ، بل اسمى وانقى انواع الجمال الذي اوحى الى النوابغ ما اوحاهم ! المؤمن ايماناً حقيقيًّا متبصِّر في آرائهِ الدينيَّة لعلمه بكثرة ما خفي علينا من عمق الاسرار الالهية المحفوظة في الكنيسة وبكثرة

الدنيسة كتاب عنوانه « روسية والكنيسة الجامعة » بيَّن فيه باجلى البراهين فساد كنيسته الاصليَّة ولاسيما بانقيادها الاعمى الى سلطة القياصرة وتراجم بستبدونها ويتلاعبون بها كيفما شاؤوا وهي راضخة صامتة !

(١) هذه الحالة تبيِّن فساد الاقوال السابقة اذا أُخذت بالمعنى الحرفي . اذن مراد الكاتبة ان الانسان الخاضع لشهواته المنقاد انقياداً اعمى لاغراضهِ عاجزٌ كل العجز عن ادراك اقوى البراهين واسطعها . ففي وسعه ان يجد لكل منها مناقضاً . وما كل ذلك الا لكونه اعمى او بالاحرى متعامياً . ولا اسهل على من يغمض عينيهِ في رائعة النهار من ان ينكر وجود الشمس !

لزوم الصلاة لنا حتى ندرك عتبة دار النور

لا سبيل الى انكار انهُ ليس العلم والفن فقط بل والصناعة البسيطة تقتضي التعليم وبازدياد عمق هذا وإحكامهِ يزيد اتساع الآفاق المنكشفة لدينا في ميدان تعلُّمنا . نحن نحبس ذواتنا عن المجادلة والبرهنة على اي شيء في موضوع قلّت معرفتنا لهُ . فماذا نرى في ميدان الدين اناساً قد استظهروا على الاكثر صلاتين او ثلاث صلوات وهم طائشو الافكار في الكنائس بل بعضهم غائبون عنها بالكلية ، ولم يطالعوا كتاباً لاهوتياً واحداً ، ومع ذلك يعتبرون ممكناً جدالهم واقامتهم الحجة في موضوع ديني ؟ وان نسبوا بعض الاهمية الى جسارتهم او بالاحرى الى جهلهم ، فما ذلك الّا لعجزهم عن تحليل حالتهم النفسيّة في ذلك الجهل . بينما نخجل من قلة تخرُّجنا في العلوم الشائعة قد تعوّدنا ترك التخرّج الديني جانباً والاكتفاء بابسط المعارف الابتدائية . في حين عدم خجلنا من فرط ضيقة آرائنا نتكاسل في تعلُّم الدين الذي علّمنا اياه المسيح . نحن مسيحيون كذبة حيث نُهمل اوامر المسيح بل انّ كثيرين منّا موقنون بانه يسوغ لكل واحد ان يعتقد ما يشاء ، حيث لا حاجة الى اية كنيسة في امر الايمان . على ان انقى انواع الايمان ، ان لم تقده الكنيسة ، يستطيع ان يربطنا ليس فقط بجوهر الخير غير المنظور بل وبجوهر الشرّ غير المنظور . فلكي نرتبط بالمولى بواسطة الايمان يلزمنا التمثل بالمثال الذي اراناه اياه لادراك تلك الغاية (١

تسمية المرء ذاته نصرانياً وكونه ذلك ليسا شيئاً واحداً . فالاول انما هو صورة خارجية ، اما الثاني ففيهِ محتويات روحيّة . لقد كثر فوق الحدّ بين ظهرانينا من هم غير حارّين ولا باردين بل فاترون . فان آمنّا فايماننا ليس حارًّا ولا متحمساً . وان لم نؤمن فلا تهيج نفسنا الشكوك والابحاث ، بل تبقى بليدة في معرفة عدم ايمانها مفضلةً ان تمشي بعينين مُغلقتين الى عتبة الابدية على ان تطلب النور لان كل المطالب تقتضي بذل بعض القوى الروحية

---

١) ما هذا المثال الالهي سوى الكنيسة الكاثوليكية التي قال مؤسسها سيدنا يسوع المسيح لاوّل اساتذتها وهم الرسل : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم . . . كل من يؤمن وتعمد يخلص ومن لا يؤمن يُحكم عليهِ »

٣ حملات الروس المنفصلين على اخوانهم المهتدين الى الكثلكة

السواد الاعظم من القائمين القاعدين عند انتقال اخوتهم الى الكثلكة ليس لهم ادنى إلمام بما هي الكنيسة الشرقية ولا بما هي الكنيسة الكاثوليكية المسكونية « الارثذكسية » (١ . امّا مؤيدات احتجاجهم فمؤسسة على كون الوطني الروسي — وما أدخلَ الوطنيّةَ في هذا الامر ؟ ! — ملتزم بعدم هجران كنيسته ، وعلى انّ روسية من المحال ان تكون الّا ارثذكسية ، وانّ الكاثوليك جميعهم يصيدون ارواح الروس ويشككونهم (لعمري ايمكن تشكيك المؤمن ايماناً حقيقيًا ؟ !) . والآن يُزاد ايضاً على ذلك ان الكاثوليك يدفعون حصةً من النقود لمن يتحوّل الى ديانتهم وان الكنيسة الكاثوليكية قد تداخلت دائمًا بشؤون الدول في حين بقاء كنيستنا على الحياد

لماذا من يخطو الى الكثلكة من الانكليز او اليابانيين او الارمن او اليونانيين لا يغيّر صورته القومية ولا يزال وطنيًا محبًا لوطنه ؟ لماذا يتحتّم على الروسي المنضوي الى الكنيسة الكاثوليكية ان يصير غريباً في بلاده ؟ من قال ان روسية لا تكون الّا مستقيمةَ الايمان ؟ اليس ذاك الذي اقنع روسية انها قديسة وان الشعب الروسي حاملُ الله في صدره ؟ ولكن بايّ المظاهر تتجلى قداسة روسية ؟ ألسْنا جميعنا نحترم اوامر المسيح اكثر من سائر الشعوب ؟ مَن احبَّ الله احبَّ قريبه ايضاً ، فهل اضطرمت في قلوبنا محبة القريب ؟ هل نُبدي حاضرًا هذه المحبة ولو بعضنا لبعض ؟ ولِمَ ندّعي كون شعبنا حامل الله في صدره ؟ هل نسينا الثورة وضروب التوحش في « كالوش وترنوبول » ؟ (قد وُجدتُ في تلك الانحاء عند لَوْذ الجيش بالفرار) . اني لأرتئي ان شعبنا لا يختلف عن اي شعب آخر . ففي حالة السكينة هو صالح ، اللهم في مجموعه ، غير انه قاس وسهل الاستسلام لكل ضروب الخداع السيّئ . أفهل من المستحيل محبّة المرء لوطنه بدون اسدائه المدائح الكاذبة وتكليل هامته بهالة من المجد موهومة ؟

الاكليروس الكاثوليكي الذاهب بيد الاحسان الرحبة لاستقبال المهاجرين المحتاجين الجائعين يبرهن على محبته المسيحية للقريب ، والخير الذي يصنعه محض

(١) راجع الحاشية الاولى المعلقة على الفصل الاول

لكونه مصنوعاً باسم الله وفي سبيل محبته . اما كونه يخدع ويشكك ويؤجر المنتقلين الى الكثلكة فانا التي لم يشككني احد ولم يُدفَع لي درهم واحد سأقول فيما يلي قولاً موجزاً في هذا الصدد . أمّا الجواب على كون الكنيسة الكاثوليكية قد اشتغلت دائماً بشؤون الدول ، فيمكن ملاحظة انه بمجرَّد فضل الاحبار الرومانيين الحاملين على اكتافهم كل وقر القرون الوسطى ، بمجرد فضلهم هم المُشرفين بسلطتهم على الكنيسة وعلى الدول والملقحين التمدن المسيحي في الطبيعة البشرية المتأصلة في الوثنيَّة ، بمجرد فضلهم هم خلفاء الرسول القديس بطرس ، قد صانت الكنيسة وصايا المسيح في نقاوتها السليمة ولم تتغلب عليها ابواب الجحيم . لعمري ما الذي كان نزل بهذه الكنيسة لو ان احبارها لاعظمين بقوا على الحياد واسلموا سلطة الدولة بين ايدي حكَّام لم تزل ارواحهم وثنيَّة على توالي العصور الطوال ؟ لتشريب الدولة بروح المسيح كان من اللازم وجود حاكم من ذات الكنيسة ، حاكم نال حصَّتهُ من نعمة الروح القدس التي وعد بها المسيح ، حاكم حائز على جلال نفوذ السلطة

٤ً اضاليل الكنيسة الروسية المنفصلة

ما الذي كانت صارت اليه الكنيسة الشرقية لو ان رُعاتها لم يتذلَّلوا أمام عواهل بوزنطية الذين لم تزل مستحكمة فيهم روح الوثنية وعوائدها ، لو لم يقابلوا سيئات اولئك الحكام بفرط التسامح ، لو لم تُصبهم عدوى المجد الباطل وحبّ السلطة ؟ وايمُ الحقّ لو ثبتوا في ما يقتضيه مركزهم من سمو الأخلاق على مثال البطريرك اغناطيوس الذي سجنهُ في احد الاديار فوطيوس بمكايده ووشاياته الكاذبة ، لكانت كنيسة المسيح واحدةً حتى الآن ، ولم تشتدّ في روسيَّة الفتاة بفضل الكهنة اليونانيين(١ العداوةُ البلهاء نحو الحبر الاعظم رئيس الكنيسة المسكونيَّة . بينما كانت هذه العداوة غير الخليقة بروح النصرانيَّة تُلقح وتُنمى في افئدة الروس فقدت الكنيسة الروسية شخصيتها واخضعت نفسها بادئ بدء لبطرس الاول مافي البطريركية ومستعبد الكنيسة ، ثم اضاعت بقية سلطتها حيث اعترفت بسلطة السينودس

١) الذين بشَّروا روسية بالدين المسيحي فعلَّموها اضاليلهم مازجين السمَّ بالدسم

الاداري الذي يدير فيه شؤون الكنيسة رجالٌ علمانيون . فالكنيسة في خطتها الضيقة القومية قد جمدت جمود الموت

على ان كل ذلك حوادثُ ماضية غير قابلة الاصلاح ، اعمالٌ تركت بختم لا يُمحى اثرها على صحائف التاريخ الروسي . . . أما صحائفهُ الاخيرة التي تقلّبها يد الابدية فمغمورة بالدماء والدموع وقد فاضت عليها آلام الروس الباقين في روسية والمتشتتين في كل الدنيا . حين تمرّ الاجيال من المحتمل ان يعتبر التاريخ دورنا هذا دورَ انهزام المسيحيين الكذّبة . فاننا نحن العلمانيين الروس بعيدون كثيراً عن وصايا المسيح ، والاكليروس الروسي بقي في عماه او في عناده مصراً على الآراء الارثذكسية المتكوّنة تعمداً (١ في بوزنطية التي ضربتها يد المولى بالقصاص حيث ان كنيسة آيا صوفيا بين ايدي الاتراك منذ ١٤٥٣

٥ المحن الحاضرة ستعيد روسيّة الى كنيسة المسيح الكاثوليكيّة

العميان وحدهم لا يرون ولا يريدون ادراك ان ما يحدث في روسيّة وفي جميعنا ليس صدفةً عادمة المعنى ، وان امواج المحن الطاغية فينا انما هي آلام الجلجلة قصاصاً على خطايانا المستمرّة عدّة اجيال . فبفضلنا ادران خطايانا الارادية وغير الارادية بالاوجاع والدموع والدم نقتبل عماداً جديداً حتى اننا بروح مستنيرة وبقلب طهرتهُ الآلام والدموع نبدأ حياةً جديدة اجدر بالذين اتّسموا باسم المسيح . بعد هذه اعوام صُلب روسية وتكلمنا المؤلم في البلاد الاجنبيّة وفي المساكن الفقيرة سيلزمنا في نهاية الامر الاقتناع بانّ السياسة ومنازعاتنا ومجادلاتنا القليلة النفقة (٢ وحساباتنا وتنظيماتنا ، كل ذلك عاجز امام سلطة الشرّ المظلمة (٣ سلطة ابليس ، سلطة الظلمة انما

١) تعني الآراء المخالفة لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية . والتعمد في صوغ تلك الآراء يعبّر عن فساد نيّة صانعيها

٢) تعني انها لا تقتضي جهداً بليغاً بل هي مجرّد هذيان وشقشقة لسان

٣) كل الامم بل كل الاديان تشبّه الحقيقة والفضيلة بالنور ، اما الضلال والفساد فبالظلمة . لذلك كثيراً ما تسمّي الكاتبة السلطة السائدة في روسية منذ بضع سنوات « السلطة المظلمة » او «القوى المظلمة» او ما جرى مجراها . ولعمري انها لم تخطئ في اعتبار ابليس ملك زمام هذه السلطة وقائد حركاتها وسكناتها

يقهرها نفوذ القداسة ليس الّا . كثيرون الغاية بين اظهرنا شرعوا يفهمون ذلك وقد بدأتْ بدون مراء ، ولو متأخرةً ، نهضةٌ تقودنا الى ضياء الحقيقة ، الى معرفة انهُ لاجل محاربة سلطة الظلمة الطاغية على الدول والمذابح ، يلزم ارتفاعٌ شديد في درجة قوة النور والقداسة باسم المسيح ، بل يلزم جهادٌ صليبيٌ جديد . الجيش المسيحي المرمرم المتحد الاخوي المنتعش بفكرة طاهرة ، الذي لا يُغلب ومعه قوة الصليب ، جيش الكنيسة الواحدة المسكونية ، انما بهذه القوة الكبيرة سوف يُكسر العدوّ ، فيدنو الينا فجر جديد . . . ستقوم روسيَّة من قبرها مغسولةً بدموع عمادها الجديد . اجل سيصير ذلك بل انهُ على مقربة منا فان المواعيد العظيمة للحركات العظيمة لمتدانيةٌ . كل من في روحه يُسلّم بانَّ كنيسة المسيح لا يمكن ان تعادي احدًا — لانهُ حيث يوجد اسم المسيح هناك السِّلم والحب — وبان الكنيسة يلزم انضمام كل افرادها في الوحدة التامَّة كما كان ذلك عشرة عصور منذ تأسيسها ، كل من يسلّم بذلك ينبغي عليه ان يبحث عن طريق المسالمة (١) . من يدرك ذلك ويعترف به فباسم الشرف والذمَّة لا يسعه السكوت بل انه لا يجسر عليه . من اللازم ان يصرخ بملء صوته في هذا الشأن حتى يسمع الصُمُّ دعوتَهُ ، الدعوة الى السِّلم باسم المسيح . . طوبى لموجدي السِّلم لانهم سيُدعون ابناء الله

٦ وصف الكاتبة لاهتدائها

اني ما زلت موقنةً ان معاداة الكنيسة لا يوافق روح تعليم المسيح على اني لم اقرأ في هذا الموضوع الّا الشيء اليسير ولم افكر قطّ في التحوّل الى الكثلكة حيث كنتُ أجلّ ديانتي ورعاتها الذين اعرف بينهم اناسًا ذوي تثقيف روحي سامٍ . ففي العام المنصرم سمعت ببرلين احد رعاتنا يقول ان الانتقال الى الكثلكة انما هو إنكارُ المسيح . هذه الكلمات ادهشتني فقد تعوَّدتُ اعتبار كون كل العالم المسيحي خاصَّة المسيح . من يوم دوّتْ هذه الاقوال في مسمعي بدأ في نفسي عملٌ معقّد ومؤلم . ما كنت اعرف احدًا من الكاثوليك ولم أُبحْ الى احد ببذور الشكوك النامية فيَّ . ذات يوم ترك شخص ما بطريق صدفة غريبة على طاولتي كتابًا للمطران انطونيوس

(١) مسالمة الارثذكس للكنيسة الكاثوليكية بالانضواء اليها

عنوانهُ : محادثات كاهن ارثوذكسي مع احد الاتحاديين (١ بشأن اضاليل اللاتين قرأتهُ فكان التأثير العام مؤلماً بداعي الكلام القارص للغاية والعادم المجاملة الذي صوّر به المؤلف الجدال بين الكاهنين . فكان عندي من الغرابة بمكان تصوُّري راعيَيْن لكنيسة المسيح عاريين عن التواضع بل كأنهما متشاتمان تشاتماً لا يليق بمركزيهما . فكان القارئ يشعر بواضح رغبة الكاتب في حثهِ على عدم احترام الخصم . كان لي المآ واهانةً من انَّ مثل هذه مادَّة الحكم العميقة المعقَّدة المعذَّبة لكل قلب مسيحي قد أُفرغت في قالب تلك الفظاظة العارية عن ادنى تهذيب . في بقية تلك السنة قادني المولى قيادةً واضحة على طريق وعرة ومعقَّدة انتهت بانقلابي الى الكثلكة . لقد صلَّيت كثيراً وباستحرار زاعمةً ان قوى الظلمات تدانت الى روحي . بمقدار ازدياد صلاتي كان يزيد وضوح اظهار الله ارادتهُ لي . طلبت بصفة ادلَّة عليها اشياء كانت تلوح لي مستحيلةً ومع ذلك فقد منحني اياها

في نصف العام الاخير السابق تحوُّلي الى الكثلكة كانت معيشتي غريبةً في محتوياتها ومن الواضح ان الارادة العليا كانت توجهها الى العتبة التي كنت اظنّ قواي غير كافية لتخطيها . كنت اخاطب نفسي بما يوحيهِ عادةً العقل الهلوع : « لماذا اغيّر ديني ؟ اني اؤمن واعترف بلاهوت المسيح ، اني اصلّي اليهِ ، اليس سواء انضواني الى هذه او تلك الكنيسة ولاسيما ان العقائد الجوهرية هي هي تماماً في الكنيستين ؟ فلماذا احطّم ما ألفهُ قلبي من نعومة اظفاري ؟ أمن المعقول إسناد اهميَّة كبرى الى الظواهر ؟ كنت احدّث ذاتي بطرد الافكار المؤلمة وبطلب السلام لروحي المضطربة في حالةٍ وسطى يتضح احتوازها على مواطأة غير مستقيمة مع الذمَّة وشرف النفس . على ان العقل كان لهُ قولٌ وللروح مطلب آخر »

في ذات يوم بصلاة حارَّة قلتُ للمولى اني سأؤمن بانَّ ما سمعتُ هو نداؤه ان كان يقودني الى رومة . مضى على ذلك اقصرُ الزمان وتمَّت رغبتي الشبيهة بما في قصص الف ليلة وليلة . فانني رغم التمرّي بعد هربي من روسية عن كل الوسائل الماليَّة وحرمان

١) هم الروس المنفصلون قديماً العائدون بعد ذلك الى حضن امهم الحنون « الكنيسة الكاثوليكية وهم الآن الوف مؤلفة لهم اكليرس شرقي خاص . وقد اطلق عليهم كاثوليك اوربة اسم «Uniates» الذي عرّبناه بلفظة « اتحاديين »

ذاتي من ألزم الاشياء وجدتُ ذاتي فجأة وعلى طريقة غير مألوفة، في رومة! كنتُ اعرف ايطالية جيداً لاني قبل الثورة سحتُ كثيراً. لكني كلما اتجهت الى رومة حدث حادثٌ ما حالَ دون قصدي فكنت أُرجئ سفري الى العام التالي. اخيراً وقد فهمتُ من عهدٍ عهيد فهماً منطقياً حركة حياتي خطوةً فخطوةً، جزمتُ جزماً واضحاً بان قد قُيّضت لي في رومة ظروفٌ خصوصية. لم يكذبني شعوري السابق اذ قادني المولى الى هذه المدينة العجيبة المقدسة لكيما احسّ من صميم روحي بكامل ألم انفصالي عن الكنيسة الوطنية التي منها نما وتقوّى شعوري الديني، ثم انظر عتبة الباب الذي من ورائه، بقوة غير منتظرة وصانعة المعجزات، قد فاض عليّ نهر من النور والسعادة كبير الى حدّ ان كل شكوكي واسئلتي المعذبة غُرقت فيه فجأةً!

لم اجد كمال توازن النفس فقط بل كأنما انشقّ امامي طرف الستار فادركت اشياء كثيرة مما كان يظهر لي ميتاً غريباً. وبفؤادي وبروحي شبّت بلهيب احرّ محبتي لله ولكل البشر، وارتسمت امامي ارتساماً اوضح صورة كل ما يأمرنا المولى باحتماله، صورة التعامي والتصامّ عن وصايا المسيح التي لا غنى لنا عنها ولاسيما في اوقات معلومة

٧ً آمال الكاتبة في اهتداء روسية الى الكثلكة

سوف يأتي اجل سوف يأتي ختام محنتنا. مثل نوم ثقيل الوطأة ستضمحل سريعاً اعوام الحرمان والمحقرة والشقاء. مثل ظلال الليل ستنقشع قبل الفجر همومنا المؤلمة بشأن الغد، بشأن الخبز اليومي بالمعنى الحرفي. ستذاب الاشعّة الوَجِلة اشعة الشمس الطالعة، وحينئذ، حينئذ ليس قبلاً، سيدرك اولئك الذين يعيشون ليس فقط عيشة المادّة، كم قُسِم لنا من الجمال الروحي السامي في مُرّ منفانا هنا في الغربة، وفي الغربة المعنوية لمن بقوا اطهاراً في الوطن

في المساكن التي تحت جَمَلون البيوت او تحت طابقها الارضي في الاكواخ والسجون قد اذخرنا في ذواتنا ليس فقط كل تذكارات حياتنا الماضية البديعة — وهي باطلة الاباطيل! — بل شهادة ضميرنا على براءتنا امام الله والناس. لم يبقَ لنا مال ولا مركز ولا اسم معروف ساطع ولا مجدٌ، فكيف يعبأ شعب اجنبي بمجد اسم روسي!...

كلّنا ههنا متعفّرون بنفس عفر المهاجرة الكامد اللون . ولكن ، يا اخي ، حين تُطفئ في ساعة متأخرة من الليل مصباحك في حجرتك الضيقة التي لم تألف خشونتها ، وليس ادنى شبه بينها وبين رغد قصرك القديم ، حين تخرّ على ركبتيك امام الايقونة الصغيرة السالمة وحدها في انقلاب الوطن ، حينذاك سيتولّد في روحك الشعور النقي اللطيف بان فقرنا غير المعتاد وغير المقسوم لنا من الهدء بل المرسل الينا بصفة شقاء مقدّر ، بصفة محنة ثقيلة ، بأنّ هذا الفقر يُطهّر ويرفع ويُلين ويُسكّن النفس العارفة قيمتهُ . ففي فقرنا عِطرُ جمال التثقف الروحي ، بفقرنا وذلّنا وصبرنا ستغدو حافلةً صحفُ التاريخ الروسي الذي نحمل الآن وِقرَهُ على اكتافنا التعبة

انما نحن قطيع المسيح المتشتت لكنه غير ضائع ، ونفسهُ يُطهرها المسيح بالآلام . بواسطة هذه الآلام ، وقد سُقينا دموعاً ودماً ، لنتقرب الآن الى المولى بحيث قد شرعت في اعماق نفس كلٍّ منّا عمليّاتُ التجدُّد الروحي . ان كان الشعب الروسي حامل الله في صدره ، وان كان من خصائصهِ ان يُتمّ عملاً كبيراً سنيًّا فقد آن الأوان لذلك . حال كوننا متفرّقين ايدي سبا في العالم وفقراء بالروح ، ندنو الى الملكوت السماوي وسيعطينا المولى اياه . على انه يلزمنا ان نختم صحيفة التعذيب في حياة روسية بفعل حبّ ومسالمة الكنيسة المسيح حتى نصبح في الحقيقة اولاد الله

روسية بتقديمها للكنيسة غصن الزيتون ، رمز السلم ، ستغدو روسية القديسة . فليزهر في روح كل منا هذا غصن السلم ، فيهدينا المولى الى طريق تحقيق السلم ! قادةُ القوى المظلمة قد دهوروا وطننا في الهاوية ، قد أدرنوهُ بتغلبهم ، قد غمروهُ بالوحل والدم بل خنقوا بقهقهة شيطانية صرخات تألّمهِ . ولكن ملاك السلام بهزّة واحدة لجناحيهِ الساطعين سيصعد بروسيّة الى اعالي الكواكب ! بجيش مسيحي واحد ، بكنيسةٍ مسكونية واحدة قد اتحد كل اعضائها في صلاة اخوية ، ستُغلب القوّة المظلمة ، وسيرفع المولى عن جبين روسية اكليلها الشوكي . بحرارةٍ وبدون انقطاع أبتهلُ الى المخلص لكي يفيض في قلوبنا رغبةً شديدة في قطع كل عداوة نحو الكنيسة المسكونية وفي عدم التنقيب والمجاهرة بعيوبها (١ ، لان كل من

١) ليست هذه العيوب في تعاليم الكنيسة الكاثوليكية وقد وعدها المسيح بالعصمة من

يحكم — وفي الغالب بمجرد الاقوال الفارغة — على الكثلكة ويضرم نار العداوة نحوها ، فبذلك العمل نفسه يمس في عين الملا شرف كنيستهِ ونفوذها على الرعيَّة . ليس المطلوب جعل الكنيسة الروسية لاتينيَّةً ، فالطقس الشرقي كما كان حتى زمن الانشقاق ، هكذا يلزم بقاؤه . ليس الكلام على شكل الكنيسة الظاهر بل على جوهرها غير المنظور . لعمري اذا لزم في كل مجتمع بشريّ منتظم سلطةٌ واحدة مؤيَّدة من الشرائع ، فكم بالاحرى يلزم الكنيسة التي لها المسيح رأسها غير المنظور في السموات — ان يكون لها على الارض ، وهي منظورة فيها ، رأس واحد وشامل لجميعها ، لاجل صيانة وصايا المسيح في نقاوتها والمناضلة عنها في وجه اعدائها . في عدم الاعتراف بهذا الرأس الوحيد خفيت هذه الكبرياء التي أوحت بانشقاق الكنيسة . كل من بايمانٍ عميق وقلب وديع وافكار طاهرة حتى في اعماقها ، وبالرغم من كل المطاعن والحملات والشُّبَه الجارحة لحب الذات النبيل ، يسعى الى حيث يقوده الايمان والذمة والشرف ، فانه يسبق التيَّار الذي ستَّجه اتجاهه بلا شكّ حركة الذين لم تنضج الى الآن نفوسهم نضوجاً كافياً . أفلا يتضح لكل ذي عينين ان الجليد قد انكسر وان النهر المتجمد قد شرع يتحرك (١ ؟ . . .

من يحوّل الدين الى تجارة وتحت ظواهره يبحث عن مصالحه الشخصية بدناءة سلوكه يهدم قُدس اقداسهِ ، على انَّهُ لا يولج ادنى ضرر او عدم نظام او تهلكة في مقدس الكنيسة ، لانه ليس من خطر على الشجرة القوية المادَّة فروعها الى السماء من جهة الثمر المتعفن ، فهذا يسقط من الغصن قاطعاً كل علاقة حيوية معه . ان الارادة العظيمة الحكيمة المقدسة تحرّك روسية الجامدة جمود الموت والتعيسة تحريكاً ثابتاً نحو بعثها من الاموات ، نحو اتحادها بالكنيسة المسكونية ، بل عودتها اليها ، وعلى ذلك فمن بايمانٍ عميق طاهر يسبق الحركة العامَّة لا يرتكب اثماً انما يصنع مشيئة الله

٨ رأي الكاتبة في قداسة البابا بيوس الحادي عشر

اني اعرف احد المتعشقين لجبال الالب وهو عالم جَسور قضى كل حياته بين

الضلال . انما الميوب توجد احياناً في اعضاء هذه الكنيسة

(١ في هذه الثنايه الطريفة الملح واضح الى حركة الاهتداءات الى الكثلكة بين اظهر الروس الارثذكس

الكتب . كان ينفصل نفسه عنها قهراً لمجرّد الذهاب الى الروابي فيتساق المنحدرات القائمة عمودياً المغطاة بالجليد ويذوق لذةً شديدة بان يخلو بافكاره امام وجه الله عزّ وجلّ في جليل سكون الصخور الجليدية حيث لا تصل — وهو في غنى عنها — جلبة الارض الحزينة . امام بياض كفن القمم الدائمة الثلوج كانت تخضرّ الارض الباطلة تحت ناظريه ، وعليها تنبسط قبّة السماء البعيدة الشفّافة ، وعلى كل ذلك يمتدّ حضور الله . كان هذا الرجل يتسوّر قمماً اعلى فأعلى على منحدرات الاطواد الزّلقة ، فيوسّع صدره ليتنشّق في رئتيه هواء الثلوج المتخلّل . ولم يكن اوانئذٍ في حاجة الى سوى افكاره المتجهة الى اعالي العلم ، وسوى تداني الله . كان محبوباً من اجل طيبة قلبه ونور عقله المستضيء بالتخرّج في المعارف ، ومن اجل روحه المتقدسة بالتخرج في الايمان العميق - بارادة الله قد التزم

فبدلاً من الكتب المستحبّة ، ان يُحوّط ذاتهُ بسيلٍ دائم من الناس ، وان يتخلّى الى الابد عن جبال الآب المكسو بالثلوج العزيزة لفؤاده . بدلاً من القمم والآفاق اللامتناهية في السموات القاصية ، وسلاسل الجبال ذوات الصبغة اللازوردية الليلكيّة الفائضة عليها مسحة من لون اللآلئ ، بدلاً من نغمات الشفق الاحتفالية المرافقة بزوغ النجمة الاولى الشاحبة الوجه الوجلة كأنها مصباح الصلاة في زرقة الاثير ، بدلاً من غُرر النجر واول اندفاق اشعّته الوردية الذهبية المنعكسة بشكل بلّورات نقيّة من الماس على كتل الجليد التي هي المهود المضطربة للانهار الساقية الارض السحيقة ، بدلاً من جميع ذلك الحبور الفائق كل تعبير ، الموهوب من المولى للانسان الحرّ ، قد امره المولى بان يسجن ذاتهُ على الدوام في قصور شامخة موحشة كان في غنى عنها ، قصور مرّت عليها الاجيال وفي داخلها قد ملأت يد الزمان بكتابتها صُحف تاريخ الارض المعقّد ، الطاهر طوراً والاثيم تارةً . من كل جانب يحيط به المرمر البارد ، الديباج الفاخر ، الحرير الوردي ، التذهيب والفسيفساء . . . ويضغط على روحه عظم المسؤولية عن الحمل الموضوع على عاتقه ، الذي لا مناص له من ضرورة حمله الى الرمق الاخير . كل افكاره ، كل قلبه وكل روحه من الواجب ان يُسلمها لهذه الخدمة الثقيلة . هو الاسير المُحاط بجدران عالية مرّت عليها العصور ، غير المعروف من الجمهور ، هو الذي لا يزال يبارك على البشر ويتضرع من اجلهم ،

وهو لا يستطيع في بعض الاحيان ان يكشف لهم اضاليلهم في تقدير الخير الذي يجتهد في عمله باسم الرب مضموماً الى صلاته وصادراً عن حبه المضطرم للناس. هو المنفرد في جلاله الظاهر الذي روحه في غنى عنه، هو القابل بتواضع قدح الالسنة في حقه، هو الطيّب والوديع القلب: ذلك الاسير هو البابا بيوس الحادي عشر

« صلي من اجل البابا ومن اجلكِ سيصلّي هو ايضاً» : هذه الكلمات العميقة في محتواها الباطن قالها لي بيوس الحادي عشر. في هذه الالفاظ كثير من التواضع والمحبة والاستسلام الى الوظيفة الكبرى والعسيرة التي قُسمت له. هذا هو الذي عن جهل او عن تحريف اثيم للحقيقة، يتهمونه بكونه نسب الى ذاته العصمة من الخطأ ثم القداسة، وهو يطلب من الغير ان يصلّوا من اجله حتى يمنحهُ المولى القوى اللازمة ليسوس بحكمة كل الكنيسة المسكونية، ويحمل على منكبيهِ كل المسؤولية عنها. مع ان ميدان القديس بطرس (١ يفصله عن جميع العالم (٢ يلزم بيوس الحادي عشر ان يعرف احتياجات كل العالم المسيحي، ان يزيل كل زيغان وجميع الاضاليل في وصايا المسيح، يلزمه ان يحفظ في التوازن كفّات ميازين السياسة ويحتمل بالصمت وتامّ الخضوع لارادة العلي عَكر سيل النسيمة البشرية غير المستخفّة المصوّبة الى الفاتيكان من الشتّامين غير المتألمين او الحاكمين عليهِ عن خفّة عقل وتعمّداً

الناس لا يتوغّلون في معرفة احوال نفس صاحب السلطة. فهذه تظهر جذّابة في عين الذين لا يدركون ان السلطة الممنوحة من الله انما هي حمل، لان المولى يسلّمها للذي هو خليق بها اعني الذي يفهم بطلان ملاذّها الموهومة، وفي الآن ذاته يجعل نفسهُ خادماً لها، خادمَ الواجب الاكبر، واجب الفرد نحو الجمهور. رائعة هي سلطة الفرد على كل الكنيسة الارضية، واعظم من الكل هي المسؤولية من طهارة هذه الكنيسة والنضال في وجه اعدائها العلنيين والمستترين. انه لمؤلمٌ منظر اولئك الناس الذين بطياشتهم القاسية المتادة يرشقون بالحجارة ذلك الذي لم يختلس السلطة وفقاً لرغبة فؤاده ولم يتُق اليها بل هو الحامل بتواضع امام السلطة السماوية ثقل صليب

(١ الميدان الشهير الممتدّ امام كنيسة القديس بطرس، وقصر الفاتيكان على جانبه الايمن

(٢ من المعلوم ان البابوات المتأخرين، ابتداء من بيوس التاسع، لم يخرجوا قط من الفاتيكان احتجاجاً منهم على احتلال واغتصاب حكومة ايطالية الدولة البابوية في ١٨٧٠

السلطة الارضية . قد ثقلت على الخصوص هذه المسؤولية في الدور المؤلم الذي نجتازهُ الآن ، دور استيلاء القوة المظلمة على العالم اجمع بقصد جرّ كل ما هو نير الى ملكوت الظلمات

البابا بيوس الحادي عشر يدعو كل العالم المسيحي الى الاتحاد باسم الله ويرسل صلواته الى عرش الباري ويدعو الجميع الى الصلاة من اجل روسيّة التي اختطفتها القوى الشيطانية . من الفاتيكان يتدفق بلا انقطاع سيل المعونة المادية للجياع في روسية وخارجاً عنها : فيجمعون الايتام ويكسونهم ويطعمونهم ويعلّمونهم ويدفئونهم ويدلّلونهم . وفي مقابلة هذا سيل الاحسان المفعم بالمحبة المسيحية ، يتطاير نحو الفاتيكان ليس ابتهال الشكر الحارّ بل النسمة القاسية البلهاء ، تتطاير الحجارة وكُتَل الوحل امع قبول العطايا والاستفادة منها تُرشق الشكايات بفيّات خبيثة : أفهل تستطيع الكنيسة ان تستخدم وسائط الظلمة وهي تصنع الخير باسم الرب ؟

٩ً احسان الاكليروس الكاثوليكي نحو روسية الجائعة المنكوبة

الاكليروس الكاثوليكي يسعى جهاراً في مساعدة الروس ، جهاراً وباسم الله يدعوهم الى الاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية . والخير الذي يصنعه يُسيء البعض نشر الدعوة الكاثوليكية ، وقد نسوا انه بمثله قد أُخضع العالم الوثني . فان استحلّ الروس الارثذكس رشقَ الاكليروس الكاثوليكي بالشكوى من كونه باعانته يجذب المعانين الى الكثلكة ، أفليس ذلك اعظم شكوى على عدم ذمّة الذين يستطيعون بيع دينهم ، فبرشق مثل هذا التجني على الكنيسة الكاثوليكية يمسّ الراشقون سمعة كنيستهم . من المحال شراء الدينَ او بيعه . وليس من كنيسة — وبالاحرى ينطبق كلامي على الكنيسة الكاثوليكية التي لا يقدر احد على انكار سموّ آدابها — في حاجة الى رعايا اشترتهم بالاصفر الرنّان ، لانه من الواضح لكل انسان ، ولو ذي بساطة خرقاء ، ان من يتاجر بدينه ، اعني بذمته وشرفه ، ليس منها على شيء بتاتاً ، فيسهل عليه التحوّل اياباً الى الارثذكسية بقدر سهولة انتقاله منها الى الكثلكة . اذا اتى الناس الى الاكليروس الكاثوليكي وعبروا لهُ عن رغبتهم في التخطي الى الكثلكة فمن الواضح انهُ يضمّهم الى الكنيسة الكاثوليكيّة ، ولكن بعد ايقانه بقدر

الامكان انهم يقبلون الكثلكة عن اقتناع بصحتها . لا احد يستطيع ان يأخذ على نفسه مسؤولية ما هو مسئلة شرف وذمة كل واحد منا . فلو وُجدت في حالك اضطراب الاعمال الدنسة حوادث إغواء الناس بالمال — ويا لها من فضيحة وزلة ! — فقد صدر ذلك الفعل ليس من الكنيسة الكاثوليكية بل ممن يستخدمون اسمها لمصالحهم . فكل الوحل ، كل الفضيحة والاثم يسقط ليس على هامة الكنيسة الكاثوليكية بل على هام الذين يتضح وجودهم خارجاً عن اية كنيسة . حيث كان البشر فهناك الخطيئة، انما الكلام ليس على تصرفات اشخاص منفردين الدنسة بل على الكنيسة المسكونية الكبرى التي ينبغي ان يتحد في حضنها ، ليس الا ، كل المتعطشين الى ملكوت النور والحقيقة ، الى اسقاط السلطة الشيطانية المستولية على العالم ، والى قيامة روسية من الموت ، فانها ستقوم على طريق تقدمة غصن زيتون السلم الى كنيسة المسيح

بعد تحولي الى الكثلكة تمكنتُ من التعارف بالدوائر الكاثوليكية المجاورة للفاتيكان وحيث اني ذات معرفة كافية لاحوال النفوس ، فمن اول وهلة اشعر بادنى تزوير او كذب ، ولو كان مستترًا باكبر مهارة تحت نقاب الاحسان او التمليق . فالحالة هذه اؤكد اني اعدّ نفسي سعيدةً للغاية لو اتّم ابني في المستقبل بملامح روحيّة شبيهة بالتي عرفتها في الدوائر المذكورة . اني اسمع غير مرّة من اناس ذوي اعتقاد راسخ بالارثذكسية ، ان الكهنة الكاثوليك الصانعين كثيرًا من الخير هم رجال قديسون ، وانّ الاطفال الروس المتهذبين على ايدي الكاثوليك لا يُسامون اقل ضغط من قبل مهذبيهم في المسائل الدينيّة . وفي الآن ذاته ارى هؤلاء القائلين هذا القول يبتعدون عن اولئك الرجال القديسين ويخشون نفوذهم . ليت شعري اين التعقل في ذلك السلوك ؟ لقد طمره في الجيل الحادي عشر فوطيوس وكارولاريوس (١) وخلفاؤهما الذين زرعوا ورسخوا اصول العداوة والبغض لرومة ، وللأكليرس البولوني، لاغراض سياسيّة محضة، غذّى الزرع فجعله يتقوّى ويتأصل . الاكليروس الكاثوليكي هو الآن في رفيع المستوى اللائق بدعوته ، والتاريخ النزيه سيُقيّد بدون شك على

(١) بطريرك القسطنطينية الذي تم على يده في اواسط الجيل الحادي عشر انفصال الكنيسة الشرقية عن الكثلكة ، وقد كان سلفه فوطيوس بذل الرخيص والغالي دون تلك الغاية فلم ينلح

صحائفه باحرف من النور اسماء واعماله . البابا بيوس الحادي عشر في دعوته اللطيفة لكل الامم الى مساعدة الروس في روسية وهنا (١ لم يخشَ احتجاج اناس اقلّ رحمة منه ، وقد تذكروا خيانة جيشنا للحلفاء التي اوحى بها اليه البلشفيون . في هذا الشأن يُصرّح الروس الارثذكس بانّ كل ذلك الخير مصنوع بقصد ادناء القلوب الروسية الى الكنيسة الكاثوليكية . أجيب ان كل خير مصنوع باسم الله فقد اوحى به والهمهُ المولى ذاتهُ . لا ارى لنفسي حقّ ذكر اسماء اعضاء الاكليروس المجاورين للفاتيكان الذين التقيتُ بهم في رومة ، وقد خلّفوا بروحي ما لن يُمحى من عاطفة اشدّ الاحترام والحب ، فان سامي تثقُّف عقلهم يساوي رفيع مناقب قلبهم وايمانهم الديني . هناك نظامٌ شامل يُخرج الى حيّز الوجود نماذج بديعةً للتمدّن المسيحي الخالص . فلو انّ الذين في عداوتهم العادمة الاساس — وهم في الاغلب لم تتنح لهم فرصة التعارف بكهنة رهبانيّة اليسوعيين — يرمون هؤلاء بانواع اللوم الطائش ، لو انهم تمكنوا من التداني اليهم على مسافة قريبة ، لكانوا يخجلون ايّ خجل من قدح وطعن السنتهم! كم من القلوب العجيبة الطيّبة ، كم من الاذهان النيّرة قد صادفتُ بين اظهُر اليسوعيين ، كم من الخير يصنعونه ، كم من التمدن الحقيقي يغرسونه في نسل الشبان! فليبارك المولى عليهم جميعاً جزاء لكونهم عُنوا بعدد غير يسير من الاطفال الروس الاشقياء الذين سيجعلونهم رجالاً مستقيمين ، ويعلمونهم حب الله وحب وطنهم اكثر من ذواتهم

الآن يُرمى الاكليروس الكاثوليكي بغير مؤسّس بالملامة على كونهم يجمعون الاطفال الروس حتى يصيّروهم كاثوليكاً . على ان هؤلاء المُذَلّ انفسهم كانوا لا محالة يحكمون عليه بالقساوة لو بقي عادم الرحمة ازاء نصيب اولئك الاطفال الروس الهالكين . يوجد كاهن كاثوليكي يعول بوسائطه الوضيعة عائلة شمّاس انجيلي ارثذكسي لا رزق لها ، ومع ذلك فابناؤها المتهذبون على نفقة ذلك الكاهن يبقون بسلام في الارثذكسيّة ، ولا احد يلقي في ذهنهم فكرة المجاهرة بالايمان الكاثوليكي ان حكم الجمهور دائماً صارم وظالم ان لم يهدِ الطموح الى صافي ينابيع النفس (٢ .

١) تريد الهتدية فرنسة وفيها كتبت هذه الصحائف

٢) هي الايمان والمحبة لله فوق كل شيء ومحبة القريب ، ايًّا كان ، من اجل الله

اعرف كاهناً ايطالياً برومة هو مثالٌ عجيب للنزاهة ، مملوء بالنسيان لذاته والعناية بالروس المحتاجين . كثيرٌ جداً من الروس يعرفون هذا الرجل الساذج المريد خيرهم المستعدّ للصلاة من اجل كلّ منهم ، وللسعي في مصلحة كل منهم من احد اطراف المدينة الى الطرف الآخر ، المُعين اياهم بكل ما لديه من الوسائل الوضيعة ، المستتر في ظل الخفاء ، الصانع الخير حسب وصيّة المخلص بحيث لا تعرف يمينه ما تعمله شماله

كان في وُسعي ان اكرّس عدّة صحائف لوصف الجمال الروحي غير المعتاد المتشح به دير راهبات قلب يسوع الاقدس في رومة ، الواقع في وسط تلّ جانيكولو (Gianicolo) العالي والجدير بان يصوّره المصوّرون ، ولهُ حديقة صموتة رحيبة ذات جدول غير منقطع الخرير في مغارته فهو يذكّر بالابديّة . إخالني اشاهد الآن تلك الراهبات الهادئة الوديعة السوداء الثوب ، الخفيفة السير ، الدائمة الملاطفة ، الدائمة الرأفة ببلايا الناس . إخالني اشاهد رؤوسهن المستورة بالنقاب الاسود ، المخفوضة للصلاة في كنيسة منفردة بديعة ، اشعر بكل عطر جمال تلك الصلاة الصادرة ممّن أسلمن ذواتهن للمولى ليس لمجرّد التأمل فيه بل ومن اجل المساعدة الحقيقية للبشر

من دفعته الاقدار الى جوار الكثلكة الواقفة عند مذابح المولى ، فانهُ يتوجّع ويخجل عند سماعه كل الاكاذيب المناقضة للصواب التي تُكرَّر عن طياشة على آذان الجمهور الروسي . انه يتوجع لان كل نميمة تخفض منزلة الناطق بها ، انهُ يخجل لان تلك الاختلاقات قد بلغت من الفظاظة والجنون مبلغاً يمنع غفران تكريرها لسوى الذين لم يعرفوا شيئاً ولم يقرأوا شيئاً وما لهم من التخرُّج سوى التزر اليسير

الخاتمة

كل ما كتبته قد اندفق من اعماق فؤادي ، قد اندفق مع الصلاة . مع اتياني العميق بان اليراع الذي خطّ هذه الصحائف قد نال بركة الذي كتبتها باسمه . كان من الواجب عليّ ان اغفل ذلك عن عاطفة العدل ، عن عاطفة الصدق ، واني لابذل كل الجهود لكي ترى هذه الصحائف النور . من الاثم ان تُرشق بالحجارة اليد الممدودة لصنع الخير باسم الله ، وهكذا من الاثم ان يبقى صامتاً من شاهد ذلك المشهد

اختم هذه الاسطر بمثل ما افتتحتها به : الغاية من هذا الكتيب هي إرواء العطش

الى الحب ، الحب اللطيف والواسع كلَّ الناس في رحابته ، إرواء العطش الى السلم إرواء الى النور . لقد فني وفقدَ وخسر شخصيته وجمد جمود الموت عالمنا الارثذكسي . فليس فيه شيءٌ من المآثر النقيَّة ، ليس فيه شيءٌ من الاعمال العظيمة باسم الحقّ المقدَّس ، فليس فيه شيء من مفاخر النفس في سبيل حب الله والانسان . انما نحن طائفة عابسة سيئماها الناس بعد زمن يسير ، نعادي بعضنا بعضاً ، ونجرّ ذواتنا جرّاً على الدرب الفاسد الضيّق ، ولا ندري انفسنا الى اين المسير ومن اجل اية غاية ، ولا يُلقي صوتُنا في الفضاء غناء جهيراً قادراً على ايقاظ وهزّ الجمهور الخامد الهمة الفاقد ثقته بذاته لو كان كلٌّ منا يُشعل في قلبه ولو شمعةً صغيرة في سبيل العمل الالهي ، فباي لهيب ساطع كان يستضيءُ كل العالم المسيحي ! في سطوعه المحمرّ كنّا نرى قبّة كنيسة القديس بطرس(١ التي اشرق صليبها مدة عشرة اجيال على نفس كنيستنا المنفصلة(٢ . انما بهذا الصليب سيُجندل العدوّ الغامر روسية بالدم والدموع ، والمندفع كسحابة مهدّدة على العالم اجمع . المدينة المقدّسة الثاوية فيها ذخائر كبيري الرسل ، بطرس وبولس ، العزيزة لكل قلب مسيحي ، تدعونا الى نهضة جديدة ، تدعونا الى كامل الاتحاد بواسطة المحبة الاخوية لكي يتقدّس اسم الله عزّ وجلّ ، لكي يأتي ملكوته

وسيكون ذلك لا محالة . باسم المولى اقول ان ذلك سيكون استفتح في احتدام الصلاة قلوب الباحثين عن الحقيقة والسلم ، وستتمّ النبوّة المحتواة في اسم المدينة المقدسة ٣) Roma, Amor — Rim, Mir

تلك النبوّة المشيرة الى حركتين متبادلتين ، حركة رومة الباسطة يد الرحمة والمحبة نحو روسية ، وحركة روسية المقدّمة غصن زيتون السلم الى رومة . بذلك سيدنو محد

---

١) كنيسة الفاتيكان وهي اعظم معبد في العالم حيث تسع خمسين الف شخص ، وفيها من طرائف الفنون الجميلة ما فيها

٢) تعني ان البابوات الرومانيين خلفاء المسيح على الارض ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية سادوا مدة عشرة اجيال على الكنيسة الشرقية التي شقت عصا الطاعة بعد ذلك

٣) Rim هو اسم رومة بالروسية فاذا قُرئت حروفه عكساً تحول الى Mir ومعنى هذه اللفظة بالروسية هو السلم ، كما ان عكس حروف Roma يأتي بلفظة Amor ومعناها باللاتينية الحبّ

روسية الخالد لانّ الرب قال: «طوبى لصُوجدي السلام فانهم سيُدعون ابناء الله»

نادينة دي لبو دانيلفسكيا
باريس في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٣

*

يسوغ لنا بعد هذه الترجمة الطويلة المجهدة ان نريح القلم لولا رغبتنا في زيادة كلمة موجزة تؤيد كبير آمال المهتدية الروسية النبيلة في عودة وطنها الى الكثلكة. المؤيد الاول هو ان الجرائد والمجلات الروسية الارثذكسية قد نشرت في السنين الاخيرة مقالات ضافيات الذيول في الحاجة الماسّة الى الاتحاد بالكنيسة الكاثوليكية ان ارادت كنيسة روسية النجاة من الدمار العاجل، ومثل ذلك الحادث لم يعهد في الصحافة القديمة. المؤيد الثاني هو تكاثر الاهتداءات في روسية بين افراد الامة ولاسيما بين وجوهها كما سبقت الاشارة في تمهيد ترجمتنا، بل ان اهتداء الجم الغفير دفعةً واحدة قد دخل هناك الى حيّز الوجود. ومن اغرب الامثلة على ذلك كون الكاهن الروسي الارثذكسي بوتابي (Potapi) قد اهتدى سنة ١٩١٨ هو وخمسون الفاً من رعيته في بلدة بُغْدَنُفكا (Bogdanovka) باقليم اوكرانية. وقد تمّ ذلك الارتداد الجمعي الفريد في بابه رغماً من شديد اضطهاد الالمان والبلشفيين المتناوبين الحكم على تلك البقعة. ذلك الحادث هو اجلى دليل على ان الكهنة وبالاحرى للاساقفة السهم الافوز في اجتذاب آلاف مؤلفة من رعاياهم الى حظيرة المسيح الوحيدة. قرّب المولى ذلك اليوم السعيد الذي تنبأ هو ذاته بحلوله حيث قال له المجد (يوحنا ١٠: ١٦): «وحينئذ تكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد»!

الايمان ناقل الجبال

تفسير آية انجيلية للاب لويس شيخو اليسوعي

كتب الينا احد تلامذتنا القدماء : وقع خلاف بيني وبين بعض الاصدقاء في شرح آية الانجيل : اقول لكم لو كان لكم ايمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا واهبط في البحر فانهُ يكون ذلك » (متى ١٧ : ١٩ و ٢١ : ٢١) فكان البعض يقولون : هذا من المجاز ونوع من المبالغة البيانيَّة ويقول غيرهم : بل هذا حقيقة واقعيَّة . فاتفقنا على ان ناقي سؤالنا الى مجلة المشرق مصر ٧ ايلول ١٩٢٤

جواب المشرق

ان استفتينا آباء الكنيسة ومفسّري الانجيل وجدناهم كادبائنا السائلين يختلفون في شرح هذه الآية التي وردت ايضاً في انجيل القديس مرقس (١١ : ٢٣) ورواها القديس لوقا (١٧ : ٥) على صورة اخرى «لقلتم لهذه التينة انقلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم» على انّنا نكتفي الآن بصورة الجبل . وانّما نقدّم على بيان الرأيين ملحوظاً مهماً وهو انَّ السيد المسيح بتشبيهِ الايمان بحبَّة الخردل لم ينوِ بها قلّة الايمان كما يتبادر الى الذهن بل حرارة الايمان لان الخردل مع صغر حبّتهِ حادّ ذو حرارة وحرافة يُتّخذ كرهم لجذب الحرارة

﴿ المعنى المجازي ﴾ امّا قولهُ انَّ ايماناً كحبة الخردل يستطيع ان ينقل جبلاً ويهبط بهِ في البحر فانَّ منهم من يحملهُ على المعنى المجازيّ فيقولون انَّ السيد المسيح اراد بالجبل كل امر عويص اعني انَّ الايمان الحيّ يقوى على ما لا يستطيع بهِ ذوو الايمان الضعيف . ولذلك نراهُ عزَّ اسمهُ كان اذا رأى في من يطلب منهُ نعمة كشفاء علّة او طرد شيطان لا يتأخر عن منحها اذا وجد ايماناً حيّاً في الطالب كما فعل مع المرأة الكنعانيَّة التي شفى ابنتها ومع قائد المئة الذي ابرأ غلامهُ . ويؤيّدون قولهم بمجازات اخرى وردت عن لسان السيد المسيح لا يجوز تفسيرها بالمعنى الحرفي كقولهِ تعالى (متى ١٩ : ٢٤) انهُ لأيسر دخول الجمل في خرم الابرة من دخول الغني في ملكوت السماوات . وكقول يوحنّا في آخر انجيلهِ انهُ لو كُتبت الاشياء التي صنعها يسوع

واحدةً فواحدة لما ظننتُ انَّ العالم كلَّهُ يسع الصحف المكتوبة . فعلى هذا المثال اراد بقولهِ ان ذا الايمان يستطيع بقوّة ايمانهِ ان يأتي بامور صعبة تعاص على من ليس فيهِ روح الايمان . وهذا كقول القديس بولس في رسالتهِ الى اهل فيلبي (٤ : ١٣) : « اني استطيع كل شيء في الذي يقوّيني » ويعود الى قول الملاك جبرائيل الى العذراء مريم (لوقا ١ : ٣٧) . « ليس على الله بامر مستحيل »

وقد خصّص غيرهم هذا المعنى المجازي فلم يطلقوهُ على ايّ امر شاقّ عموماً بل يقولون كما صدّق على رأيهم القديس اوغسطينوس انَّ المقصود بالجبل هنا انّما هو الشيطان عدوّ البشر شُبّه بالجبل لكبريائهِ وعجرفتهِ وتجبّرهِ فيكون المعنى انَّ صاحب الايمان لو تصدّى للشيطان نفسهِ لخزاهُ وقهرهُ . ويردفون قولهم بشرح ما ورد في نبوّة زخريّا (٤ : ٧) حيث يقول الملاك للنبي ان زروبّابل سيقيم الهيكل الذي خربهُ نبوكدنصّر ولو قام في وجههِ جبلٌ لتحوّل الى سهل . قال القديس ايرونيموس والقديس كيرلّس والربّانيّون انَّ الجبل هنا هو ابليس الرجيم الذي سيحاول منع زروبّابل عن تشييد هيكل اورشليم لكنّهُ سينتصر عليهِ ويدحرهُ . دعاهُ جبلاً لعظمتهِ . ولنا في اللغة العربيّة ما يشبه هذا المعنى فانَّ العرب يدعون سيّد القوم جبلاً كما ترى في المعاجم

وقد علّقوا على هذا المعنى المجازي معنًى آخر روحيًّا . قال المفسّر الكبير القديس ايرونيموس : انَّ الجبل في عُرف الآباء الروحيين التجربةُ الثقيلة وخصوصاً تجربة الكبرياء والنخفخة التي يغري بها الشيطان قلب الانسان فيثق بنفسهِ دون خالقهِ . وقد ورد في سيرة القديس فرنسيس الاسيزي ما يثبت صحة هذا المعنى . اخبر ودِّنغ مؤلف ترجمتهِ انَّ ابليس حاربهُ يوماً بتجربة الكبرياء فضايقهُ وعنّتهُ حتى كاد ييأس من غلبتهِ فصرخ الى الله باكياً ليردَّ عنهُ ذلك الوسواس فسمع صوتاً يقول لهُ : يا فرنسيس لو كان لك ايمان كحبّة الخردل وقلت للجبل انتقل لانتقل . فلم يدرك القديس معنى الصوت فقال : وما هذا الجبل يا ربّ ؟ . اجاب : هو التجربة . فصرخ فرنسيس بايمان عظيم وثقة تامة : فليكن لي يا رب حسب قولك . وللحال نجا من تجربتهِ

فترى ممّا سبق انَّ لمعنى هذه الآية المجازي وجهاً صحيحاً وسنداً متيناً

﴿المعنى الحقيقي﴾ ولكن أليس للقائلين بالمعنى الحقيقي دليلٌ ثابت اذ يقولون انَّ الجبل في كلام الربّ هو المرتفع فوق الارض المعروف؟ وإن قيل لهم كيف يقوى

ذو الايمان ان ينقل جبلًا ويهبط به في البحر ؟ أليس هذا من الامور المخالفة للعقل ؟

فيجيب الاولون : كلّا بل هذا من العجائب التي يمكن حدوثها اذا كان للامر موجبٌ معقول . أفهذا أصعب من إحياء الاموات وفتح عيون اكمه مولود اعمى وغير ذلك من المعجزات التي صنعها السيد المسيح وكثيرون من رُسله وقديسيه . فهَبْ ان قوماً وُجدوا في احوالٍ حرجة لا طاقة لهم من النجاة منها الا بنقل جبل من مكان الى آخر والتجأوا الى الله ليُفرج عنهم كربتهم بازاحة الجبل فاذا يمنعهُ تعالى ان يجيب الى دعائهم وينقل ذاك الجبل عنهم ؟ اليس هو خالق الجبال ؟ او ليست الجبال كسائر الارض تحت حكمهِ وقدرتهِ ؟

فيُردف المناقضون فيقولون : لو صَدَقَ قولكم لرأينا صحّتهُ بما يثبتهُ التاريخ . ومع كثرة اصحاب الايمان لم نسمع بجبل انتقل بامرهم

يجيب القائلون بالمعنى الحقيقي : انَّ سبب ذلك ليس قلّة ايمان المؤمنين ولكن لعدم احتياج البشر عادةً الى معجزةٍ كهذه اذ هم في غنًى عنها

ثمَّ يُفحمون الناكرين بذكرهم ما رواهُ اوسابيوس المؤرخ الكبير في تاريخهِ (ك ٧ ف ٢٥) عن القديس غريغوريوس العجائبي اسقف قيسارية استنادًا الى شهادة كاتب سيرتهِ القديس غريغوريوس نيصص . فيُروى هناك انَّ القديس وجد في المدينة مكاناً موافقاً لتشييد كنيسةٍ لشعبهِ الذي ردَّهُ عن الوثنيَّة الّا ان جبلًا هناك كان يعيق بناءها بموجب رسمٍ اشار اليهِ المهندسون . فجاء القديس ليلًا وذكر لربّهِ ما قالهُ في انجيلهِ انَّ الايمان الحيّ يستطيع نقل الجبال . ثمَّ صلّى بكل حرارة واذا بالجبل أفسح لهم بانتقالهِ من مكانهِ وشُيّدت الكنيسة كما ارادوها

قالوا ما صنعهُ غريغوريوس القديس يستطيع رجل الله آخر عند الحاجة ان ينالهُ . وقد روى الرحّالة الشهير مرقس بولس (Marco Paulo) في رحلتهِ خبرًا يشبهُ قال انَّ بعض ملوك التتر كان تنصَّر قومٌ من اهل مملكتهِ فاراد ان يردّهم عن ايمانهم ويثبت لهم كذب ديانة المسيحيين فطلب اليهم ان ينقلوا جبلًا هناك فان عجزوا عن ذلك عرفوا بطلان ديانتهم . فالتجأوا الى الله فلم يُخيب أملهم فاقنعوا الملك بصحّة ايمانهم

واعجب من هذا ما يرويهِ المؤرّخون الاقباط في تاريخهم منهم ابن الراهب من كتبة القرن الثالث عشر الذي نشرنا تاريخهُ سنة ١٩٠٣ (ص ١٣٣) واقدم منهُ

ساويروس ابن المقفع اسقف الاشمونين في تاريخ بطاركة الاسكندرية (ص٥٧٦ من نسخة مكتبتنا الشرقية) كان في القرن العاشر للميلاد وقد روى الواقعة الشمّاس منسى القمص في تاريخه الحديث للكنيسة القبطية (صفحة ١٩٣) ودونك الخبر عن اسقف الاشمونين زويه على علّاته دون ان نقضي بصحّته او ببطلانه. فبعد ان اخبر الكاتب بانتخاب الاقباط لرجل صالح اسمهُ افراهام بن زُرعة جعلوهُ بطريركاً عليهم وروى جملةً من اعماله الصالحة ذكر ما حدث لهُ مع وزير الخليفة الفاطمي المعزّ لدين الله وكان الوزير يهودياً أسلم طمعاً بالمراتب فاثبت البطريرك ظلمهُ وظلم اليهود في جباية الاموال من النصارى فغضب الوزير وطلب للبطريرك عثرةً لينتقم منهُ. قال ساويروس (٥٧٨—٥٨٢):

« وفي بعض الأيام وجد الوزير سبيلًا الى ان قال للمعزّ: مكتوب في الجيل النصارى « انَّ من كان فيهِ مثل حبَّة خردل من الايمان فانهُ يقول للجبل انتقل واسقط في البحر فيفعل» فأمرَ امير المؤمنين رأيهُ في مطالبتهم بتصحيح هذا القول ليعلم انهم على مُحال وكذب وإنّ هم لم يفعلوا وجَبَ ان يُفعَل بهم ما يستحقّونهُ على كذبهم. فوافقهُ الخليفة المعزّ على هذا الكلام وانفذ فطلب الانبا افراهام البطرك وقال لهُ: ماذا تقول في هذا الكلام أهو في انجيلكم ام لا؟ قال البطرك: نعم هو فيهِ. قال: هوذا انتم نصارى وربوات في هذه البلاد فأريد ان تُحضر لي واحدًا منهم تظهرُ هذه الآية على يدهِ وانتَ يا مقدَّمهم يجب ان يكون فيك هذا الفعال والّا أفنيتكم بالسيف

«حينئذٍ بُهت البطرك ونالهُ خوفٌ عظيم ولم يدرِ ما يجيبهُ بهِ. فألهمهُ الله تعالى أنْ قال لهُ: « أمهلني ثلثة أيام حتى ابحث واطلب من الربّ جلَّ اسمهُ ان يُطيّب قلب امير المؤمنين على عبيدهِ » فأمهلهُ وعاد الى منزلهِ بمصر واحضر الكهنة والاراخنة بمصر وجميع الشعب الاورثذكسي وعرّفهم الامر وهو يبكي. وكان بمصر جماعة من رهبان وادي هبيب فجعل على جميعهم قانوناً أن لا يمشي احدهم الى منزلهِ في الثلثة الأيام وان يجتمعوا لمداومة الصلاة في البيعة الليل والنهار ففعلوا ذلك الثلثة الأيام مع لياليها. وأمّا البطرك فلم يفطر فيها بالجملة. وبعضهم كان يفطر من الليل الى الليل على خبزٍ وملح وماء يسير » ولم يزل الانبا افراهام البطرك قائماً يبكي بين يدي الله

سبحانهُ في تلك الأيام ولياليها حتى لم يبقَ فيهِ حركة . وكان هذا الاجتماع المبارك في كنيسة السيّدة بقصر الشمع المعروفة بالمعلّقة . فلمّا كان صباح اليوم الثالث سقط البطرك القديس على الارض من حزن قلبهِ وصيامهِ وتعبهِ وغفيَ غفيةً يسيرة فرأى السيدة الطاهرة مريم وهي تقول لهُ بوجه فرح : ما الذي اصابك ؟ . فقال لها : أما تنظرين حزني يا سيّدتي فانّ ملك هذه الارض قال لي : «إن لم تُظهر لي في هذا اليوم آيةً من الجبل والّا قتلتُ جميع اهل النصرانيّة بديار مصر وأبدتُهم من مملكتي بالسيف . فقالت لهُ السيّدة : لا تخفْ فاني لا اغفلُ عن الدموع التي سكبتَها في بيعتي هذه . قُم الآن وانزل من ها هنا واخرج من باب درب الحديد الذي يؤدّي الى السوق الكبير . ففيما انت خارج تجد انساناً على كتفهِ جرّة مملوّة ماء ومن علامتهِ انهُ بعَين واحدة فامسكهُ فهو الذي تظهر هذه الآية على يديهِ »

«فاستيقظ البطرك للوقت وهو مرعوب وكان غلَس النهار فنهض بسرعةٍ ولم يدع احداً يعلم بهِ حتى وصل الى الباب فوجدهُ مغلقاً فشكَّ في قلبهِ وقال : اظنّ انّ الشيطان قد لعب بي . ثمّ دعا البوّاب ففتح لهُ . وكان اوّل من دخل من الباب الرجل الذي قيل لهُ عنهُ فأمسكهُ البطرك وعمل لهُ مطانيةً وقال لهُ من جهة الربّ : ارحم هذا الشعب . ثمّ اخبرهُ عن السبب في اجتماعهِ بهِ . فقال لهُ الرجل : اغفر لي يا ابي فاني انا خاطئٌ ولم ابلغ الى هذا الحدّ . فعند ذلك اخبرهُ البطرك بما قالت لهُ السيّدة الطاهرة عند ظهورها لهُ ثمّ قال لهُ : ما صناعتُك ؟ فاراد ان يخفيهُ امرَهُ . فجعل البطرك عليهِ الصليب وربطهُ بالحرم ان اخفى عليهِ شيئاً من امرهِ فقال لهُ :

«انا اخبرك بحالي فاني رجلٌ دبّاغ وهذه العين التي تراها فإني قلعتُها لاجل وصيّة الرب عند ما نظرتَ نظرًا فيهِ شهوة ورأيتُ اني ماضٍ الى الجحيم بسببها ففكّرتُ وقلتُ : الاصلحُ لي أنْ امضي الى الحياة بفرد عين كما قال السيد المسيح فذلك خيرٌ من ان امضي الى الجحيم بعينين . وانا في هذا الموضع اجيرٌ لرجلٍ دبّاغ ما افضلُ ممّا اعملُ بهِ في كلّ يوم الّا خبزًا آكلهُ واعطي الباقي للمتورين المنقطعين من الاخوة نساء ورجالاً وهذا الماء استقيهِ لهم كلّ يوم قبل ان اذهب الى شغلي فامضي بهِ الى قومٍ فقراء منهم من لا قدرة لهم على شراءهُ من السقّاء . فنهاري كلّهُ اعمل في المدبغة وفي ليلي قائمٌ اصلّي . فهذه قضيّة حالي فاسألك يا ابي ان لا تُظهرني لاحدٍ فليس لي

قدرة ان احتمل مجد الناس بل الذي اقولهُ لك فافعل بهِ :

« أخرج انت وكهنوتك وشعبك كلهُ الى الجبل الذي يقول لك الملك عنهُ ومعكم الاناجيل والصلبان والمجامر والشمع الكبير وليقف الملك وعسكرهُ في جانب وانا خلفك قائم في وسط الشعب بحيث لا يعرفني احد . وانت وكهنوتك صيحوا قائلين : « يا ربّ ارحم » ساعةً طويلة ثمّ مُرهم بالسكوت والهدو . وتسجد ويسجدون كلهم معك وانا اسجد معكم من غير ان يعرفني احد وأفعلُ هذا ثلث مرّات . وكلّ مرّة تسجد وتقف ثمّ تصلّب على الجبل فسترى مجد الله

« فلمّا قال هذا القول طاب قلب البطرك بما سمعهُ منهُ ثمّ نهض وجميع الشعب معهُ وصعدوا الى الملك وقالوا لهُ : اخرج الى الجبل . فأمر جميع عساكره وخواصهِ ووجوه دولتهِ بالخروج وضُربت البوقات وخرج الملك المعزّ ووزيرهُ معهُ ففعل الاب البطرك كما قال لهُ ذلك القديس ووقف الملك المعزّ واصحابهُ في جانب وجميع النصارى والبطرك في جانب آخر ووقف الرجل خلف البطرك ولم يكن في الجمع من يعرفهُ الّا البطرك وحدهُ وصرخوا : « يا ربّ ارحم » دفعات كثيرة ثمّ امرهم بالسكوت وسجد على الارض وسجدوا جميعهم معهُ ثلاث دفعات وكلّ دفعة يرفع وجههُ ويصلّب فيرتفع الجبل عن الارض فاذا سجدوا نزل الجبل الى حدّهِ . فخاف الملك المعزّ خوفاً عظيماً وصاح الملك والمسلمون « الله اكبر لا اله غيرك » ثم قال الملك المعزّ للبطرك بعد ثالث دفعة : حسبُك يا بطرك قد عرفتُ صحّة دينكم

« فلما هدأ الناس التفت البطرك يطلب الرجل القديس فلم يجدهُ . ثمّ قال الملك للبطرك الانبا افراهام : تمنَّ شيئاً أفعلهُ لك . فقال لهُ : لا اتمنّى الّا ان يثبّت الله دولتك ويعطيك النصر على اعدائك . فقال لهُ : لا بُدَّ ان تتمنّى شيئاً . واعاد عليهِ القول ثلاث دفعات . قال لهُ البطرك : ان كان ولا بُدَّ فانا اسأل مولانا أن يأمر إنْ امكن ان تُبنى بيعة ابي مرقورة بمصر لانهم بعد ان كانوا هدموها لم يمكنونا من عمارتها وجُعلت شونةً للقصب . وكذلك بيعة المعلّقة بمصر في قصر الشمع فانها انهدم من حيطانها شيء كثير واختلّ بعضها فأسألُ الإذن في عمارتها ايضاً

« فامر المعزّ للوقت بتمكينهِ من ذلك واطلق لهُ من بيت المال ما يصرفهُ في العمارة فاخذ السجلّ واعاد المال وقال للملك المعزّ : الربّ يثبّت ملكك وبيتُ المال

احقُّ بهذا المال . فلمَّا قرأ السجلّ عند بيعة ابي مرقورة اجتمع الباعة الذين هناك واوباش الناس وقالوا: لو قتلنا اجمعين سيفٌ واحد ما مكّنا احدًا يجعل حجرًا على حجر في هذه البيعة . فعاد البطرك الى الملك المعزّ فانفذ الملك من يمكّنهُ بالعمل فبنوا فيهِ لوقتهِ ولم يجسر احد ان ينطق بكلمة الّا شيخٌ واحد كان يصلّي باولئك الباعة في ذلك المسجد الذي هناك وهو الذي كان يجمع الجموع ويُثيرهم فرمى نفسهُ في الاساس وقال: أُريد اليوم ان اموت على اسم الله ولا ادع احدًا يبني هذه البيعة . فعلم الملك المعزّ بذلك فامر ان تُرمَى عليهِ الحجارة ويُبنَى فوقهُ . فلمَّا رُمِيَ عليهِ الجير والحجارة اراد ان يقوم فلم يمكّنهُ الاعوان لان المعزّ امر بدفنهِ في الاساس الذي طرح نفسهُ فيهِ . فلمَّا رأى البطرك ذلك نزل عن دابَّتهِ وتطارح بين يدي المعزّ وسألهُ فيهِ الى ان امر بإصعادهِ من الاساس فما صدَّق ان يُفات منهُ سالمًا بعد ان اشرف على الموت . وعاد الملك المعزّ الى قصرهِ فلم يجسر احد بعد هذا ان ينطق بحرف واحد الى ان كملت عمارة البيعة وكذلك بيعة المعلّقة بقصر الشمع وكلّ البيع التي تحتاج الى عمارة فلم يعترضهُ احد في شيء من ذلك» (او)

هذا ما نقلناهُ بحرفهِ الواحد من تاريخ ساويروس بن المقفّع الذي كان معاصرًا للحوادث التي اخبر بها رويناهُ على علّاتهِ دون ان نجزم بصحّتهِ . وكنَّا نودّ لو روى هذا الخبر غير الاقباط الى ان وجدناهُ في تاريخ الشيخ ابي صالح الارمني الذي طُبع في اوكسفرد عن نسخة باريس . وكان هذا المؤلف في اواسط القرن الثاني عشر ففي الصفحة ٤٤—٤٥ ذكر بيعة الشهيد مرقوريوس وذكر هناك كيف جدَّدها الانبا افراهام السرياني وروى قصَّة الجبل المتحرّك بأمانة الدبّاغ . وقد خالف رواية ابن المقفّع في بعض الامور منها انهُ لم ينسب الامر الى الملك المعزّ لدين الله بل لابنهِ العزيز بالله الذي خلف اباهُ سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥ م) وعيَّن الجبل الذي تحرّك بصلاة المسيحيين فقال هو جبل المقطّم والله اعلم

وعلى كل حال يستنتج من هذه القصَّة انهُ ليس بمستحيل على الله لنجاة عبيدهِ من البلايا او لغاية اخرى شريفة ان يسمح بالمعجزات حتى بنقل الجبال ان اقتضى الامر

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فرديناند توتل اليسوعي

ليس يوسعني ان افتتح اخبار رحلتي الى بلاد الجليل بكلام افصح ومعاني ابلغ وأجدر بالموضوع من ان اصدّر مقالتي بمستهلّ الرسالة الرعائيّة التي زفّها صاحب السيادة المطران غريغوريوس حجّار الكلي الوقار الى ابناء ابرشيته في ابتداء الصوم المبارك في هذه السنة ليحثّهم على القيام بواجباتهم الدينية والاقبال على سماع الرياضات التي تفوّض الينا امرها. قال الراعي الغيور :

« تدور السنة دورتها بتوالي شهورها وتعاقُب فصولها . . . وها بعد ايام الشتاء المَطير اذ سُقيت اراضيكم والحمد لله بوابل الغيث بما فيه من بركات السماء وحياة الرجاء . عاد الربيع (او كاد) بتباشيره الجليلة وابتساماته اللطيفة وانغامه العطرة . عاد الربيع حاملاً بين يديه للارض حُلّتها السندسية مرصعةً بازاهيرها النضرة ممّا يترُّ به الناظر وتشرح به الصدور فهو انتعاش الطبيعة وظهور الحياة بعد كمونها فأهلاً به وسهلاً كذا ينادي كل انسان شيخاً كان او شاباً كهلاً او طفلاً »

« ان لنا ايها المسيحيون ربيعاً روحياً ليس ما وصفناه لكم الّا صورةً ضعيفةً لهُ ربيع النفوس بجمالهِ الفتّان وهوائهِ المنعش الفيّاض بالحياة السماوية ربيعنا الروحي ايها المسيحيون هو هذا الزمن المبارك زمن الصوم الاربعيني » . . .

« على انّا لنرط محبتنا لكم ايها الابناء الاعزاء شئنا باسم الكنيسة المقدسة في هذه الايام الخلاصية ان نساعدكم على قهر الشيطان عدوّكم اللدود وكل جنود الخطيئة وعلى تقديس نفوسكم نساعدكم باقامة رياضة روحية لجمهوركم العزيز » . . .

هذا ما كتبهُ سيادتهُ وقد نشرت مجلة «المشرق» الغراء صفحاتٍ من اعمال متروبوليت عكا يفتخر بها كل كاثوليكي لِما يعود على الجسم من البهاء الساطع من الرأس لكنها اقتصرت على ما «استتر» من اعمال المطران وتركت لسواها ان يروي ما شاهده وهو ظاهر للعيان من الاعمال الخيرية المختصة بالطائفة

امّا نحن وقد تجوّلنا في هذه السنة مدةً تنيف على ثلاثة اشهر في اصقاع الجليل ورأينا عن كثب احوال المؤمنين المقيمين في قرى اكثرها بعيدة عن المدن وعن طرق

للواصلات الكبرى فقدَّرنا مساعي الاسقف حقَّ قدرها كيف لا وهو الذي شاد الكنائس واقام عليها الكهنة ورفع عليها لواء الصليب وأنعش روح الكثلكة في قلوب ابنائهِ حتى غبَطهم اخوانهم الروم لا بل المسلمون والدروز نفسهم بما يجدونهُ من عناية راعيهم بهم واهتمامهِ بشؤونهم وبذلهِ النفس والنفيس لصيانة حياتهم وحقوقهم المدنيَّة والدينيَّة معاً

فيتاح اذاً لنا ان نصف ما شاهدناهُ وعرفناهُ ولعلَّهُ لم يسبقنا غيرنا الى طَرْق هذا الموضوع ولاسيما اننا لم نقتصر على تدوين ما يُناط امرهُ بالابرشية العكاوية فقط بل تقصَّينا البحث ايضاً لدى حضرة الاباء الاجلاء خوارنة الرعايا وغيرهم من الادباء عمَّا يفيد القراء عن احوال تلك البلاد وسكَّانها وعن اسماء أُسرها الوطنيَّة وزدنا على ملاحظاتنا الشخصية ما اقتبسناه من مؤلفات الاجانب مما رأيناه منيراً للعقول رائقاً للمطالعة فجاءت مقالتنا صلةً لما نشرناهُ في المشرق في العام الماضي في عددَيهِ ايلول وتشرين الاول

من زحلة الى الشام

﴿معلقة زحلة﴾ عقرب ساعةٍ يتحرَّك وجرسٌ يطنّ ، خمس عشرة دقيقة مضت على الظهيرة ، قطار يصعد من البقاع الى بيروت وقطار ينحدر من روابي لبنان، فأيهما نختار قاصدين فلسطين ؟ فكلاهما يبلغ الغاية وسيَّان السفر عن طريق بيروت او عن طريق الشام لأن السيَّارات اذا قطعت ساحل لبنان الجنوبي بارت بسرعتها القطار الجاري من دمشق الى حيفا عن طريق درعا وسمخ

على ان طبرية وهي اول خطَّة اقرب الينا عن طريق الشام وقد تدعونا الى السفر اليها عن طريق البادية آمالنا بمشاهدة مناظر جديدة وباختبار بعض ما نجهلهُ من احوالها فنستفيد ونفيد ان شاء الله

ركبنا قطار الشام وسرنا . قطعنا سهل البقاع وتوقَّفنا في لبنان الجنوبي فاذا الصخور تحفُّ بنا على الطرفين فتحجب الافق عن العين فمن ثمَّ سنحت فرصةٌ لنتعرَّف بمن حولنا من المسافرين . وراءنا قسمٌ من المركبة الكبرى خُصَّ «بالحريم» . مبرقعات ملتحفات لا يُسمع لهنَّ صوت كأنهن ما كُنَّ . وما بيننا الرجال وامرأةٌ ووالدها

وهي تتجاذب اطراف الحديث بينهُ وبين زوجها وبين المسافرين وهي مكشوفة الوجه ثرثارة كسائر بنات حواء وزوجها يخاطبها ولا يُظهر ادنى استياء لمداعبتها ولدها امامنا . وهذا ما دفع احد المسافرين الى ان يقول جهاراً : «انتم تؤمنونهنَّ وهنَّ يؤمنونكم امَّا عندنا فلا هي تؤمنهُ ولا هو يؤمنها» فوجدتُ في هذا الحديث حلًّا لمشكل طرحتهُ على نفسي يوم رميت نظري على سجلّ الحكومة فصرختُ : ويلاه «ما اكثر عدد المطلَّقات» ؟

بالقرب مني رجل ارمني أرفليّ هرب من وطنه اورفا وقد قتل الاتراك اخوتهُ الستة وضبطوا امواله . ومثلهُ كثيرون يتنقَّلون من محطَّة الى محطَّة بين بيروت ودمشق يلتمسون شغلًا يرتزقون بهِ

بلغنا محطة درغايا وهي واقعة على علو ١٤٠٥ امتار فوق سطح البحر على خطّ تقسيم للمياه . ما وقف بنا القطار الَّا ونفحتنا ريح باردة ذكَّرتنا انَّنا في اواخر شباط وكدنا ننسى الشتاء لما كان لشمس يومنا من الدفاء المنعش . هوذا نهر البردى تحفُّ بهِ الاشجار عاريةً من اغصانها فيُتاح لنا ان نكشف من خلالها على عدة قرى خرج نساؤها يغسلن ثيابهنَّ وينشرنهن على الصخور مغتنمات فرصة شمس الشتاء . وكاني بالقطار يُخفُّ سيره كلما اقتربنا من الحاضرة فنهض المسافرون ينظرون من المنافذ ويمتعون العيون بمناظر دمشق وقد ارسلت عليها شمس الغروب اشعَّتها الارجوانية فذكَّرنا بهاؤها بما يرويهِ المسلمون عن نبيّهم : «عليكم بالشام فانها صفوة الله يُسكِنها خيرتهُ من خلقهِ»

ما اشدّ الموانع التي تعرقل سير المسافرين فان تأشير القنصل الانكليزي على تذكرة المرور يكلّف اكثر ما تتقاضاه ادارة السكة لتحمل الركاب من دمشق الى حيفا فضلًا عمَّا يصادفه المسافر من المصاعب والمماطلة عند عمَّال القنصليَّة . على اننا توسَّمنا بالمحن خيرًا وأمَّلنا منها نجاح رسالتنا لان الخبرة علَّمتنا ان المشاريع الروحية اذا صادفت معاكسة في بدئها آل امرُها الى تعزية وخير اعظم

من دمشق الى طبرية

سافرنا من محطة الحجاز الساعة السابعة صباحاً نهار الاربعاء . القطار يسير بين

دمشق وحيفا ثلاث مرات في الاسبوع الاثنين والاربعاء والجمعة وقيمة ورقة السفر الى حيفا لا تتجاوز ثلاث ليرات سورية . ومعلوم ان السفر بالسيارات من بيروت الى حيفا لا تقلّ نفقتهُ عن ست ليرات سورية

رأيت المتوظفين من الافرنسيين في المحطّات وقد استلموا مهامّ وظائفهم من عهد قريب وسمعت بعض المسافرين يرددون ما قرأوه في بعض الجرائد عن تسليم رأس الخط الحجازي الى الشركة الافرنسية . وممّا طال الجدال حوله ان هذا الخط قد شيّده عبد الحميد لغاية سياسية اكثر منها دينيّة وان مراده به كان تسهيل حشد العساكر وانه اذا خرج عن ادارة الحكومة المنتدبة وقع في ايدي حكومة اجنبيّة معادية لمصالح سورية الخ . . . والقوم يمزجون في كل ذلك الغثّ بالسمين

تحرّك القطار من دمشق وسار في سهل الغوطة الشهير بخصبه وقد زيّنتهُ اشجار الزيتون ومدّ فيه الربيع للمواشي سُفرةً يانعة من الكلإ الكثيف الاخضر غذاء هنيئاً

قطعنا الغوطة فجعل القطار يبطئ في سيره فيما هو يقطع الاراضي الواقعة بين حدود الشام وحوران وكنا نرى يميناً وشمالاً البراري الواسعة تتبسّم لشمس آذار في حقول حوران الحمراء . فاخذ احد المسافرين وهو بدوي من اهل تلك الاصقاع يفيدنا افادات جمة عن اهاليها . وممّا اذكره من كلامهِ قولهُ :

« ان سكان قرى حوران من مسيحيين ومسلمين يتعاطون الفلاحة ورعاية المواشي . وفي نواحي اللجا يقطن اثنتا عشرة قبيلة من العربان ، منهم عدوان وشيخهم طلال . والمراشد وشيخهم احمد الفصن . ورماح وشيخهم صالح العلوان . واللذوق وشيخهم جامد الجفيان . والطبوب وشيخهم ضاهر الغرير الخ . وما بينهم وبين الدروز احقاد وضغائن . وقد قتلوا منهم قوماً كثيراً وهم انفسهم ينقسمون الى حزبين حزب طلال وحزب احمد الفصن »

وقف بنا القطار في «درعا» نحو الساعة الحادية عشرة فرأينا قريباً من المحطة بنياناً جديداً وكنيسة للكاثوليكيين شادتها امرأة افرنسية وفاء لنذر نذرتهُ . وبلغنا ان الفرنسيين يغرسون الاشجار في المدينة ويصلحونها للسكنى فان هواءها طيب وموقعها خطير الشأن وهي على مفارق الطرق بين عمّان وسوريّة وفلسطين

أُعطيت للمسافرين فرصة ليأخذوا نصيبهم من الزاد في الفندق المجاور المحطة .

ثم عدنا الى القطار فمرَّ بنا رجال الشرطة الافرنسيون يتفقدون اوراقنا وما لبث ان سار بنا القطار بين حائطين من الصخور الضخمة . ثم نظرنا فاذا نهر اليرموك احد روافد الاردن يرافقنا وسوف نسير على حافتيه الى آخر الحدود بين سورية وفلسطين. ولله درّ ما هنالك من المناظر الفتانة التي كنا نتمتع برآها بينما كان القطار يتلوّى في ذلك الوادي كالافعى تارةً الى اليمين وتارةً الى الشمال كاشفاً لنا في كل دقيقة منظراً جديداً ومشهداً بديعاً من وادي اليرموك وهو الآن في زمن ربيعه

في القرن السابع للمسيح على جانب هذه المياه جمع خالد بن الوليد جموعه ، وكانت نجدات العرب قد وافتهم من المدينة ، وقهر عسكرُ البيزنطيين وزحف على الشام فكانت تلك الضربة القاضية على ملك الروم في سورية . واليوم نقرأ في الجرائد ان سلاطين بني عثمان العظام سقطوا من اوج عزّهم بعد ان سادوا بلادنا اجيالاً . فسبحان الباقي

وصلنا ﴿الحمّة﴾ وهي آخر محطة تفرقنا عن حدود فلسطين فمرَّ بنا رجال المكوس وافتقدوا امتعتنا

وبعد هنيهة وقف القطار في محطة ﴿ سمخ ﴾ وهي غاية سفري في السكة الحديدية وهناك وجدت مركبة نقلتني انا وبعض الاشخاص الى مدينة طبرية على شاطئ البحيرة فدخلنا المدينة نحو الساعة الرابعة والربع . وكنا قد قطعنا بين الضحى والعصر مسافةً تناهز المئتي كيلومتر

مدينة طبرية

طبرية مدينة صغيرة واقعة غربي بحيرة الجليل ، شتاؤها ربيع ، اذا ارتوت اراضيها اكتست هضابها حلّةً سندسية وترصّعت بالزهور وتعطرت بنفحات النسيم . اما صيفها فلهيبُ نارٍ لاسيما اذا انحبس عنها الهواء وخيّم فوقها البخار المتصاعد من المياه تحت اشعة الشمس المنحدرة من العلو والمنعكسة من الآكام الجرداء المحدقة بالبحيرة

زرتُها في اوائل آذار فألفيتها آهلةً وقد غصت أزقّتها الضيقة بجمهور البائعين والمتسوقين والسيّاح

معظم سكانها يهود وعددهم يناهز ٥٧٠٠ فينقسمون الى اسكناج (وطنيين)

وسفرانيم (مهاجرين) ومن وجهائهم بيت حديف وروبينو وابو العافية. امّا المسلمون فهم ١٨٠٠ ومن وجهائهم بيت طبري وبيت الخرطبيل . والمسيحيون على اختلاف الطوائف ٢٨٠ منهم بيت الغريب وجبران وكفايه وهؤلاء ينتمون الى اصل واحد وهو بيت حواء ومنهم ايضاً بيت معلوف المصلح والعلبوني والبشت والشريخ والقردحجي وكرم ودرويش

تهافت اليهود الاجانب الى طبرية تلبية لدعوة الصهيونية وما بينهم الالماني والافرنسي والاميركاني والروسي والبولوني وقد حفظوا لغتهم والازياء التي تقلّدوها عن بلادهم

والسيادة في طبرية هي لليهود وقد جعلوها قاعدتهم بعد القدس وصفد وقد كان لها في قدم الزمان مدرسة للربانيين شهيرة. واحتكر فيها اليهود المرافق وتسلطوا على سائر العناصر. فلهم الوظائف في الحكومة وهم ارباب الحركة التجارية ولا يكادون يبتاعون شيئاً الّا من اهل ملّتهم

وهذه اثمان الحاجيات في طبرية الآن بالقرش المصري :

الطحين	الرطل	٣½	السكر المكعّب	الرطل	بين ١١ و ١٣
السمن البقري	«	من ٣٠ الى ٣٦	السكر الناعم	«	« ٩ و ١١
اللحم بعظمه	الاوقية	٢½	الزيت	«	٧
اللحم بلا عظم	«	٣	الماء ٦ تنكات من البحر		١
العدس	الرطل	٢و٢½	الماء ٦ تنكات من البع		١
الحمص	«	٢½	البيض ١٢ او ١٥ منهُ		٥
الحليب واللبن الاربع الاواق		١½	البطاطة	الرطل	من ٣ الى ٤
الرز العال	الرطل	١٢و١٥و١٨	السمك	«	من ١٢ الى ١٨

والصيد في البحيرة مباح للجميع. على ان المسلمين والمسيحيين وحدهم يعرفون اصوله ومراكزه فلا يُفسحون لغيرهم سبيلًا اليه. وهم يُصدرون الاسماك يوميًّا الى حيفا ويافا والقدس واغلبها يصطادونه في جهة البحيرة التابعة للانتداب الافرنسي فيؤدّون عنه الضرائب المفروضة

وممّا اشتهرت به طبرية آثارُها القديمة وحمّاماتها. خرجنا من المدينة الى جهة الجنوب وسلكنا الطريق الكبرى فوجدنا عن اليمنة آثار بنايات الاقدمين لا تزال تطلّ على

البحيرة من علو الآكام. ورأينا على الارض وفي المياه قطع عواميد واحجار اقتلعتها الزلازل ورمتها بعيداً وهي الدليل على ما وصلت اليه حضارة السلف في تلك الارجاء.

اما ﴿الحمامات﴾ فمعروفة من القاصي والداني وهي تبعد نصف ساعة عن المدينة يتهافت اليها الناس زرافات ووحداناً وفيها حوضان كبيران الواحد للنساء فقط والآخر للرجال والنساء ولكل من الفريقين اوقات معيَّنة . وفيها مغاطس منها ما يسع بضعة اشخاص ومنها ما لا يسع الّا شخصاً واحداً . والحمّامات مسقوفة بقُبَب فيها عيون زجاج يلج بها النور وليس في البنايات شيء من فن البناء الذي رأيناه في حلب ودمشق

وحرارة هذه المياه المعدنية عند اندفاعها من النبع هي في درجة الستين واكثر (من ميزان سنتيغراد) وتتناهز درجة الاربعين في الاحواض

ومنافع حمّامات طبرية عظيمة شهيرة في تنشيط القوى ومداواة الامراض الجلديَّة ولا يكاد يبقى فيها انسان اكثر من ساعة وربَّ رجلٍ مصاب بالقلب أُغمي عليهِ عند دخولها

وقد ورد ذكر طبرية في تاريخ لبنان لانه لما خرج الوهابيون في اواخر القرن الثامن عشر وحملوا على الشام اضطرب يوسف باشا والي دمشق واستغاث بسليمان باشا والي عكّا وبالامير بشير الشهابي واستنجدهما على الوهابيين . وكان الامير بشير في عزّه فتقدم الى طبرية بخمسة عشر الف لبناني ومعه الشيخ بشير جنبلاط فلم ينتظر الوهابيون قدوم اللبنانيين وولّوا الادبار قبل وصولهم الى طبرية

بحيرة طبريَّة

خرجنا من طبرية قُبَيل الغروب من الجهة الشماليَّة فقطعنا السكة العريضة التي تنحدر من الغرب الى البحيرة فلاحت لنا انقاض القلعة القديمة التي كان ضاهر العمر اولًا ثم محمد علي جددا بناءها ثم دمَّرتها زلازل سنة ١٨٣٧ . هناك نصب اليهود خشبةً لابناء جنسهم لا يتجاوزونها اذا ساروا في يوم سبت فيحفظون سُنَّة أُمَّتهم في المسافة التي يجوز لهم قطعها . بلغنا الى دير راهبات الفرنسيسكانيات فدخلناهُ وجلسنا في الرواق ننظر الى البحيرة

كانت الشمس قد توارت وراء روابي الجليل لكنها تبعث ضياءها في جوف

السماء فينعكس علينا باشعّة بنفسجية زرقاوية تطلي المياه والشاطئ بالوان فتّانة . سكنت الريح فبدت البحيرة هادئةً صقيلة كالمرآة فخاطرنا ذكرُ الرب يسوع الذي اختار هذه البلاد مشهدًا لعجائبه العظمى . فكم من مريض شفي على سيف البحيرة وكم من كلمات طارت من فم المخلص ورفرفت على رؤوس الملإ فأصدت لها الآكام وارسلتها الى اقاصي الزمان والمكان

اليك قصة الصيد العجائبي الاول (لوقا ٥ : ٤—١١)

ولما فرغ يسوع من الكلام قال لسمعان : تقدّم الى العمق وألقوا شباككم للصيد . فاجاب سمعان وقال لهُ : يا معلم انّا قد تعبنا الليل كلّهُ ولم نُصِبْ شيئًا ولكن بكلمتك ألقي الشبكة . فلمّا فعلوا ذلك احتازوا من السمك شيئًا كثيرًا حتى تخرّقت شبكتهم . . . فقال يسوع لسمعان : لا تخف فانك من الآن تكون صائدًا للناس

وهذه رواية الصيد الآخر الذي حدث بعد قيامة الربّ (يوحنا ٢١ : ٣—٧)

« قال سمعان بطرس للتلاميذ : انا ذاهب لاصطاد . فقالوا لهُ : ونحن ايضًا نجيء معك . فخرجوا وركبوا السفينة ولم يصيدوا في تلك الليلة شيئًا . فلما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ ولم يعلم التلاميذ انه يسوع فقال لهم يسوع : يا فتيان هل عندكم شيء من المأكول ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : ألقوا الشبكة من جانب السفينة الأيمن فتجدوا . فألقوها فلم يعودوا يقدرون ان يجذبوها من كثرة السمك . . . »

ولكن شتّان ما بين هدوء البحيرة في هذه الساعة وهيجانها يوم ختام الرياضة العموميّة اذ اصبحنا والمطر يهطل مدرارًا والريح تصفر في شقوق الابواب والمنافذ وتزعزع المساكن على ان ساعة الرحيل ازفت فما عتّم حضرة الاب يوحنا برصا خوري الرعية ان وجد لنا مطية وركبناها وسرنا على سيف البحيرة مدةً قاصدين الى المغار

فتيسر لنا حينئذ ان نشاهد بأمّ العين الزوبعة تتلاعب بامواج خلناها كامواج مضيق المانش بين فرنسة وانكلترة صولةً وعلوًّا فلا عجب أن غرق فيها اثنان من السيّاح مؤخرًا اذ كانا مع صاحب زورقهم في شمالي البحيرة وسطح الماء هادئ لا تجعده نسمةٌ واذا بريحٍ عاصفة هبّت بغتة فقلبت الزورق وما فيه فنجا الثرثي بنفسه سابحًا وغرق السائحان في اليم العجّاج المتلاطم بالامواج

فما كان مشهدٌ اكثر تأثيرًا فينا من المشهد المتجلي امامنا . يساعدنا على استحضار

الرواية الانجيلية (متى ٨: ٢٣-٢٧):

« ولما ركب يسوع السفينة تبعهُ تلاميذهُ واذا اضطراب عظيم حدث في البحر حتى غمرت الامواج السفينة وكان هو نائماً فدنا اليهِ تلاميذه وايقظوه قائلين: يا رب نجنا فقد هلكنا. فقال لهم: لماذا انتم خائفون يا قليلي الايمان. حينئذٍ قام وانتهر الرياح والبحر فحدث هدوء عظيم فتعجب الناس قائلين: اي انسان هذا فان الرياح والبحر تطيعهُ »

ابتعدنا عن طبرية مسافة خمسة كيلومترات فبلغنا قرية ﴿مجدل﴾ وهما مجدلان حديثة وقديمة فالحديثة استعمرها اليهود الصهيونيون وهي بعيدة عن الشاطئ واقعة في سهل جناسر المُخصب اما القرية القديمة فهي امامنا لا يمثلها الّا بعض اكواخ حقيرة بُنيت على انقاض ذات شأن فانَّ المسيحيين ولاسيَّما الصليبيين كانوا يعتبرون هذه القرية كمسقط رأس القديسة مريم المجدليَّة فشادوا كنيسةً في المحل الذي يقدّرون وجود موقع بيتها عندهُ لكن الفاتحين العرب دمَّروا الكنيسة وجعلوها اطلالاً. امَّا الاباء الفرنسيسكانيون فابتاعوا في مجدل ارضاً يسعون بفلاحتها ريثما يتيسَّر لهم ان يبنوا فيها كنيسةً جديدة تذكاراً للقديسة مريم المجدليَّة

ولا ريب في ان السيد المسيح كان يتردَّد على هذه القرية في ايابهِ وذهابهِ بين كفرناحوم مركز تبشيرهِ والناصرة بلدتهِ لان السير كان اقرب اليه عنها من طريق طبرية وهي اذ ذاك مدينة وثنيَّة كان اليهود يتجنبون دخولها. ولما لم يكن طريق طبيعي يصل البحيرة باواسط الجليل الّا الطريق المنحدر من الآكام الى سهل جناسر لمن اراد ان يتجنب طريق طبرية اصبح محسوساً لدينا اننا في سيرنا نتبع الطريق التي سار عليها الرب. لكنَّ الوحل المتراكم فيها في فصل الشتاء المطير ابطأ سيرنا فلم نبلغ المغار الّا خمس ساعات بعد خروجنا من طبرية

وقد اخذت السيارات تقطعها منذ اضطرَّت الحكومة الاهلين على فتح حقولهم لمرورها فتسير حينئذٍ من طبرية الى مجدل الى المغار الى عيلبون الى الناصرة

(لها بقيَّة)

الشاعر صالح بن عبد القدُّوس

نظر تاريخي ادبي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ بين الشعراء الذين امتازوا في اوائل الدولة العباسيَّة رجلًا حكيماً يُشعر ما بقي من نظمهِ بدقَّة فكرهِ وحسن آدابهِ نريد بهِ صالح بن عبد القدُّوس بن عبدالله ابن القدُّوس

على انَّ اخبار هذا الشاعر قليلة مضطربة لا تكاد تروي غليلًا فلا نعلم شيئاً من اصلهِ وموطنهِ وآدابهِ ويؤخذ من كلام الرواة انهُ عاش بالبصرة واحتلَّ دمشق. ومن اعجب ما يروى عنهُ انهُ كان زنديقاً اي كافرًا ودهريا لا يؤمن بالآخرة او انهُ يبطن الكفر ويظهر الايمان او ايضاً انهُ يقول قول الثنوية اي يعتقد مبدأين وهما النور والظلمة. ولم نجد في مقاطيع شعرهِ ما يدلُّ على شيء من ذلك. وينظمهُ غيرهم في جملة المتكلمين اي الفلاسفة الجدليين ودونك ما قالهُ عنهُ القدماء.

روايات القدماء عن صالح بن عبد القدُّوس

﴿الاغاني﴾ ورد في جملة اخبار بشَّار بن بُرْد (٣: ٢٤) ما نصُّهُ قال :

« حدَّث سعيد بن سلام قال : كان بالبصرة ستَّة من اصحاب الكلام عمرو بن عُبَيْد وواصل بن عطاء وبشَّار الأعمى وصالح بن عبد القدُّوس وعبد الكريم بن ابي العوجاء ورجل من الأزد قال ابو احمد يعني جرير بن حازم . فكانوا يجتمعون في منزل الازديّ ويختصمون عندهُ . فامَّا عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال . وامَّا عبد الكريم وصالح فصحَّحا الثنوية . وامَّا بشَّار فبقي متحيِّرًا مُخلطاً . وامَّا الازديّ فمال الى قول السُّمنيَّة وهو مذهب من مذاهب الهند وبقي ظاهرهُ ما كان عليهِ »

وقال عنهُ ايضاً صاحب الاغاني (١٣ : ١٤—١٥) في ترجمة عليّ بن الخليل :

«عليّ رجلٌ من الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني ويُكنى ابا الحسن وكان يعاشر صالح بن عبد القدُّوس لايكاد يفارقهُ فاتُّهم بالزندقة . . . (قال) كان الرشيد قد اخذ صالح بن عبد القدُّوس وعليّ بن الخليل في الزندقة . . فانشدهُ عليّ بن خليل قصيدة فاطلقهُ الرشيد وقتل صالح بن عبد

القدُّوس واحتجَّ عليهِ في انهُ لا يقبل لهُ توبةً بقولهِ :

والشيخُ لا يترك اخلاقَهُ حتى يوارى في ثرى رمسهِ

وقال : انما زعمتَ ان لا تترك الزندقة ولا تحول عنها ابدًا

فيتَّضح من هذه الرواية انَّ صالحًا قُتل في عهد هارون الرشيد ومعظم المؤرخين يذكرون انَّ قتلهُ كان في زمن المهدي . قال اليعقوبي في تاريخهِ (٢ : ١٨٣) :

« وكان المهديّ الحَّ في طلب الزنادقة فأُتي بصالح بن عبد القدُّوس فاستتابَه فتابَ . فلمَّا خرج من عندهِ ذكر لهُ قولهُ :

والشيخُ لا يترك اخلاقهُ حتى يوارى في ثرى رمسهِ

قال : وايك لتقول هذا ؟ فردَّهُ فضرب عنقهُ ولم يستتبهُ

ومثلهُ الاربليّ في خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك (ص ٧٢—٧٣) قال :

« ثمَّ دخلت سنة سبع وستين ومائة فيها دخل جدّ المهديّ في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولّى امرهم عمر الكلوذاني فاخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور فأقرَّ فحُبس فهرب من الحبس . واتُّهم المهدي صالح بن عبد القدُّوس البصري بالزندقة فامر بحملهِ اليهِ فأُحضر فلمَّا خاطبهُ أُعجبَ لغزارة ادبهِ وحسن ثنائهِ فامر بتخلية سبيلهِ . فلمَّا ولَّى ردَّهُ فقال : الستَ القائل « والشيخ لا يترك اخلاقهُ » (الابيات) . قال : بلى . قال : انتَ لا تترك اخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك . ثمَّ امر بهِ فقُتل وصُلب على الجسر . قال ابن ثابت وقيل انهُ بلَغَهُ عنهُ ابيات تعرَّض بالنبيّ صلعم . قال : ويقال انهُ كان مشهورًا بالزندقة ولهُ مع ابن الهذيل مناظرات »

وذكرهُ ايضًا ابو العلاء المعرّي في كتاب الغفران (ص ١٣٩) قال :

« الزنادقة هم الدَّهريَّة لا يقولون بنبوَّة ولا كتاب . . . (ص ١٤٢) امَّا صالح بن عبد القدُّوس فقد شُهر بالزندقة ولم يُقتَل ولله العلم حتَّى ظهرت عنهُ مقالات توجب ذلك ويُروى لابيهِ عبد القدُّوس :

كم أهلكتْ مكةُ من زائرٍ خرَّجها اللهُ واياتها
لا رزَقَ الرحمانُ أحياءها وأشوتِ الرحمةُ امواتها

وقد كان لصالح ولد حُبس على الزندقة حبسًا طويلاً . . امَّا رجوعهُ عن الزندقة لمَّا احسَّ بالقتل فانَّما ذلك على سبيل الخَتْل »

وقال ابن شاكر في كتاب فوات الوفيات (١ : ١٩١) :

« صالح بن عبد القدُّوس بن عبد الله بن القدُّوس استقدمَهُ المهدي من دمشق . قال المَرْزُبانيّ : كان حكيم الشعر زنديقًا متكلمًا يقدّمهُ اصحابهُ في الجدال عن مذهبهم وقتلهُ المهدي على الزندقة شيخًا كبيرًا . وضربهُ المهدي بالسيف فجعلهُ نصفين وعُلّق ببغداد . قال

احمد بن عبد الرحمن: رأيتُ ابن عبد القدُّوس في المنام ضاحكاً فقلتُ لهُ: ما فعل اللهُ بك؟ وكيف نجوتَ مما كنتُ تُرمَى بهِ؟ قال: اني وردتُ على ربٍّ ليس يخفى عليهِ خافية وانهُ استقبلني برحمتهِ وقال: قد علمتُ براءتك مما كنت تُرمى بهِ»

وقال الصفديّ في كتاب نكت الهميان (ص ١٧١):

«صالح بن عبد القدُّوس البصري. قال ابو احمد بن عديّ: كان صالح بن عبد القدُّوس ممَّن يعظ الناس في البصرة ويقصّ عليهم ولهُ كلام حسن في الحكمة فامَّا بالحديث فليس بشيء كما قال ابن معين: ولا اعرف لهُ من الحديث الَّا الشيء اليسير (ثمَّ نقل كلام المرزبانيّ السابق وختمهُ بقولهِ): «وكان قد أضرَّ بآخر عمرهِ». (اطلب القطعة عدد ٧ من شعرهِ)

وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١: ٤٢٠):

«قال خلف بن المثنى: كان يجتمع بالبصرة عشرةٌ في مجلس لم يُعرف مثلهم: الخليل بن احمد صاحب العَروض سُنّي. والسيّد محمد الحِمْيَري الشاعر رافضيّ. وصالح بن عبد القدُّوس ثَنَويّ. وسفيان بن مجاشع صُفري. وبشَّار بن بُرْد خليع ماجن. وحمَّاد عجرد زنديق. وابن رأس الجالوت الشاعر يهوديّ. وابن نظير النصرانيّ متكلّم. وعمرو ابن اخت المؤبذ مجوسيّ. وابن سنان الحرَّاني الشاعر صابئ. فيتناشد الجماعة اشعارًا واخبارًا فكان بشَّار يقول: ايسأتك هذه يا فلان احسن من سُورة كذا وكذا. وبذا المزاح ونحوهِ كفَّروا بشَّارًا»

ونقل هذه الاخبار الدميري في حياة الحيوان الكبرى (١: ٣٣) ويقول هناك انَّ «صالح هذا هو صاحب الفلسفة» (يُراجع ايضاً كتاب الفهرست لابن النديم ص ١٦٣ و٣٣٨). فهذا مجمل ما ورد عن صالح بن عبد القدُّوس في تآليف القدماء. ولعلّ سبب قتلهِ جنوحهُ الى آراء الفلاسفة وفي شعرهِ ما ينفي كفرهُ والله اعلم

مقاطيع من شعر صالح بن عبد القدُّوس

(على ترتيب القوافي)

(١) ليس من مات فاستراحَ بمَيْتٍ ... انَّما المَيْتُ مَيْتُ الأحياء
انَّما المَيْت من تراهُ كئيباً ... كاسفاً بالهُ قليلَ الرَّجاء (١

(٢) لا تَدْخُلَنْ بنميمةٍ بينَ العصا ... ولحانها (٢

١) حماسة البحتري (حب) العدد ١١٢٥
٢) البيان للجاحظ (٢: ٧٠)

(٣) تَوَدُّ عدوّي ثمَّ تزعمُ انّني صديقُكَ انَّ الرأيَ عنك لَعازبُ
وليس اخي مَنْ ودَّني وهو حاضرٌ ولكن اخي من ودَّني وهو غائبُ (١

(٤) من الناس مَن يَصِلُ الأَبعدينَ ويَشْقَى بهِ الاقربُ الاقربُ (٢

(٥) اذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تَقُلْ خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
فلا تحسَبَنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ولا انَّ ما يخفى عليه يغيبُ (٣

قال صالح بن عبد القدّوس وقد اخذهُ ممَّا يروى عن ارسطاطاليس يوم موت الاسكندر فقال: طالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بكلامهِ موعظةً قطّ ابلغ من وعظتهِ اليوم:

(٦) ويتادونهُ وقد صَمَّ عنهم ثم قالوا وللنداء تجيبُ
ما الذي عاق أن تَرُدَّ جواباً أيها القولُ الخطيبُ الاريبُ
ان تَكُنْ لا تُطيق رَجْعَ جوابٍ فَبِما قد تُرَى وانت خطيبُ
ذو عظاتٍ وما وعظتَ بشيءٍ مثلَ وعظِ السكوت اذ لا تجيبُ (٤

وقد اختصر ابو العتاهية قولهُ في هذا البيت:

وكانت في حياتك لي عظاتٌ فأنتَ اليومَ ارعظُ منك أمسِ

(٧) عزاءَكِ أيها العينُ السكوبُ ودمعَكِ انها نُوَبٌ تَنُوبُ
وكنتِ كريتي وسراجَ وَجهي وكانت لي بك الدنيا تطيبُ
فإن أكُ قد ثَكِلْتُكِ في حياتي وفارَقَني بك الإلفُ الحبيبُ
فكلُّ قرينةٍ لا بُدَّ يوماً سيَشْعَبُ إلفَها عنها شَعُوبُ
على الدنيا سلامٌ فما لشيخٍ ضريرِ العَيْنِ في الدنيا نصيبُ
يموتُ المرءُ وهو يُعَدُّ حيّاً ويُخْلِفُ ظَنَّهُ الأَمَلُ الكَذوبُ
يُمَنّيني الطبيبُ شِفاءَ عيني وما غيرُ الاله لها طبيبُ
اذا ما مات بعضُكَ فابكِ بعضاً فانَّ البعض من بعضٍ قريبُ (٥

١) حب (ع ٩٤٩) ٢) حب (ع ٥٦٤) ٣) حب (ع ١٣٢٦)
٤) خزانة الادب ٤: ٢٨٥ ٥) نكت العميان للصفدي (١٧١)

(٨) انَّ الغصونَ اذا قوَّمتها اعتدلَتْ ولا يلين اذا قوَّمتَهُ الخشبُ (١

(٩) قد يجمعُ المرءُ مالاً ثمَّ يُنفقُهُ عمّا قليلٍ فيلقى الذُّلَّ والحَرَبا
وجامعُ العلمِ مغبوطٌ بهِ أبداً فلا يُحاذِرُ منهُ الفوتَ والطَّلبا (٢

(١٠) انَّ اللبيبَ الذي يرضى بعيشتهِ لا مَنْ يَظَلُّ على ما فاتَ مُكتئبا
لا تحترنَّ من الاقوام محتقراً كلُّ امرئٍ سوف يُجزَى بالذي اكتسبا
لا تُفشِ سرّاً الى غير اللبيب ولا الخَرْقِ المشيعِ يوماً اذا غَضِبا
قد يَحقِرُ المرءُ ما يهوى ويركبُهُ حتى يكونَ الى توريطهِ سبَبا
شرُّ الاخلّاءِ من كانت مودَّتُهُ مع الزمان اذا ما خاف او رَغِبا
اذا وترتَ امرءاً فاحذر عداوتَهُ من يَزرَعِ الشوكَ لا يَحصُد بهِ عِنَبا
انَّ العدوَّ وإن ابدى مسالمةً اذا رأى منك يوماً فرصةً وثبا (٣

(١١) ويمنعني التكلُّمُ في كثيرٍ اقولُ لما يكون من الجوابِ
ومَنْ خَشِيَ الجوابَ أقلَّ نُطقاً وان كان المقدَّمَ في الصوابِ (٤

(١٢) واشكُرْ فانَّ الشكرَ من حقٍّ على الانسانِ واجبْ
لا خيرَ في من لا يشكرُ النعمى ويصبرُ في العواقبْ (٥

(١٣) وكلُّ اخي ثرًى يُمسي فقيراً والجميعُ الى شتاتِ (٦

(١٤) وكلُّ جميعٍ في نعيمٍ وغبطةٍ رهينَةُ من عاجلٍ وشتاتِ (٧

(١٥) ولا بدَّ من إتيانِ ما حُمَّ في غدٍ وانَّ قريباً كلُّ ما هو آتِ (٨

(١٦) ربَّ مزاحٍ قد دعا حتفاً الى نفس المازحِ (٩

---

١) حب (ع ١٣٨١) ٢) محاضرات الراغب للاصفهاني (١: ١٧)
٣) الحماسة البصريّة (خط): ٢: ٢٩ – نكت الهميان للصفدي (١٧١)
٤) حب (ع ١٣٢٤) ٥) حب (ع ٥٠٩) ٦) حب (ع ١٠٩٠)
٧) حب (ع ١٠٩١) ٨) حب (ع ١٢٣٥) ٩) حب (ع ١٣٧٣)

(١٧) لا تيأسَنْ عن انفراج شديدةٍ قد تنجلي الغمراتُ وهي شدائدُ
كم كُرْبَةٍ أقسمتُ ألا تنقضي زالت وفرَّجها الجليلُ الواحدُ (١

(١٨) وصافِ اذا صافيتَ بالوُدِّ خالصاً تجدْ مثلَ ما اخلصتَ عنهُ ذوي الودِّ (٢

(١٩) وأدَّبني الزمانُ فليتَ انّي هُجرتُ فلا أزارُ ولا أزورُ
وليتُ بقاتلٍ ما دمتُ حيّاً أقام الجندُ لم قدِمَ الاميرُ (٣

(٢٠) اذا كنتُ ذا لُبٍّ فأيّك والتي اذا ذُكِرَتْ اصبحتَ منها تعذّرُ (٤

(٢١) شرّ المواهبِ ما تجودُ بهِ من غير محمدةٍ ولا أجرِ (٥

(٢٢) أنستُ بوحدتي ولزمتُ بيتي فثمَّ العزُّ لي وثمّا سروري (٦

(٢٣) تجنَّبْ صديقَ السوءِ واصرم حبالَهُ وان لم تجدْ عنهُ محيصاً فدارِهِ
ولله في عَرْضِ السماواتِ جنّةٌ ولكنّها محفوفةٌ بالمكارِهِ (٧

(٢٤) نال على إخوانهِ كلّهم فصار لا يُطرِقُ من كِبْرِهِ
اعادَهُ اللهُ الى حالهِ فانهُ يَحْسُنُ في فقرهِ (٨

(٢٥) واذا أعلنتَ امرءاً حسناً فليكُنْ أحسنَ منهُ ما تُسِرّ
فمُسِرُّ الخيرِ موسومٌ بهِ ومُسِرُّ الشرِّ موسومٌ بشرّ (٩

(٢٦) ولا تَسُمِ الناسَ منك الذي اذا هو نالكَ لم تصطبرْ
ومن يَرْضَ للناسِ من نفسهِ بما هو راضٍ لها لا يَجُرْ (١٠

---

١) حب (ع ١١٩٥) ٢) حب (ع ٢٦٤)
٣) نكت العميان للصفدي (١٧١)
٤) حب (ع ١٣٦١) ٥) العقد الفريد (عف) لابن عبد ربّه (١ : ٢٧٦)
٦) نكت العميان (ص١٧١) ٧) عف (١ : ٢٣٧)
٨) محاضرات الراغب (١ : ١٦٥) ٩) حب (ع ١٢٢٢)
١٠) حب (ع ٢٦٥)

(٢٧) لأَشكرَنَّ هماماً فضلَ نعمتهِ لا يَشكرُ اللهَ من لم يَشكرِ الناسا (١

(٢٨) وانَّ مَنْ ادَّبتَهُ في الصِبا كالعودِ يُسقَى الماءَ في غرسهِ
حتى تراهُ مُورقاً ناضراً بعد الذي ابصرتَ من يَبسهِ
والشيخُ لا يتركُ اخلاقَهُ حتى يوارى في ثَرى رَمسهِ
اذا أرعوى عادَ لهُ جهلُهُ كذي الصبا عاد الى نَكسهِ
ما تبلغُ الاعداءُ من جاهلٍ ما يبلغُ الجاهلُ من نفسهِ
والحمقُ داءٌ ما لهُ حيلةٌ تُرجى كبُعد النجم من لَمسهِ
فألقَ اخا الضِغنِ بايناسهِ لتُدركَ الفُرصةَ في أُنسهِ
كالليثِ لا يَعدو على قِرنهِ الّا على الإمكانِ من فَرسهِ (٢

(٢٩) اذا كُنتَ في حاجةٍ مُرسِلاً فأرسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ
وانْ بابُ امرٍ عليكَ التوَى فشاوِرْ لبيباً ولا تَعصِهِ
وان ناصحٌ منكَ يوماً دنا فلا تَنأَ عنهُ ولا تُقصِهِ
وذا الحقَّ لا تنتقِصْ حقَّهُ فانَّ القطيعةَ في نُقصِهِ
ولا تَحرصنَّ فَرُبَّ امرئٍ حريصٍ مُضيعٍ على حرصِهِ
ولا تَذكرِ الدهرَ في مجلسٍ حديثاً اذا انت لم تُحصِهِ
ونُصَّ الحديثَ الى اهلهِ فانَّ الامانةَ في نَصِّهِ
فكم من فتًى عازبٍ لُبُّهُ وقد تُعجِبُ العينُ من شخصِهِ
وآخرَ تحسَبُهُ أنوكاً ويأتيكَ بالأمرِ من فَصلِهِ (٣

(٣٠) اذا كُنتَ لا تُرجَى لدفعِ ملمَّةٍ ولم يكُ للمعروفِ عندكَ موضعُ
ولا انتَ ذو جاهٍ يُعاشُ بجاهِهِ ولا انت يوم البَعثِ للناسِ تشفَعُ
فعيشُكَ في الدنيا وموتكَ واحدٌ وعُودُ خِلالٍ من حياتكَ انفَعُ (٤

١) حب (ع ٣٦٥) ٢) عف (١ : ٢٧٦) — حب (ع ٥٥) — غاية الارب للنويري (٣ : ٨٢) — الحماسة البصريّة (٢ : ١٧)
٣) الحماسة البصريّة: خط (٢ : ٢٩) — حب (ع ٦٦٤)
٤) حب (ع ١١٣٤) — الحماسة البصريّة (٢ : ١٨٩)

(٣١) اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ (١

(٣٢) مَنْ يَسَلْ يُعطَ ومن يَستفتحِ م البابَ يفتحهُ بطيءٌ او سريعُ
وسَلِ الناس بما تجهلُهُ واستمعْ انَّ اخا اللُّبِّ سميعُ (٢

(٣٣) لا تُذِعْ سِرًّا الى طالبهِ منك انَّ الطالب السرَّ مُذيعُ
وأمِتْ سرَّك انَّ السرَّ إنْ جاوزَ اثنَيْنِ سَيُنْمَى ويَشيعُ (٣

(٣٤) المرءُ يجمعُ والزمانُ يُفرِّقُ ويَظَلُّ يرقعُ والخطوبُ تمزّقُ
ولأن يُعادي عاقلًا خيرٌ لهُ من ان يكونَ لهُ صديقٌ احمقُ
فاربأ بنفسك ان تُصادِقَ احمقاً انَّ الصديق على الصديق مصدّقُ
وزِنِ الكلام اذا نطقتَ فانّما يُبدي عقولَ ذوي العقولِ المنطقُ
ومن الرجال اذا استوت اخلاقُهم مَن يُستشارُ اذا استُشيرَ فيطرقُ
حتى يَحِلَّ بكلِّ وادٍ قلبُهُ فيرى ويعرف ما يقولُ فينطقُ
لا أُلفِيَنَّكَ ثاوياً في غربةٍ انَّ الغريبَ بكل سهمٍ يُرشَقُ
ما الناسُ الّا عاملانِ فعاملٌ قد مات من عطشٍ وآخرُ يغرقُ
والناسُ في طلب المعاش وانّما بالجدِّ يُرزَقُ منهم مَن يُرزَقُ
لو يَرزُقون الناسَ حسبَ عقولهم أَلفيتَ اكثرَ من ترى يتصدّقُ
لكنَّهُ فضلُ المليكِ عليهمُ هذا عليهِ مُوسِعٌ ومضيّقُ
واذا الجنازةُ والعروسُ تلاقيا ورأيتَ دمعَ نوائحٍ يَسترقُ
سكت الذي تبعَ العروسَ مُبهّتاً ورأيت من تبعَ الجنازة ينطقُ
واذا امرؤٌ لسعتْهُ افعى مرّةً تركتْهُ حين يُجَرُّ حبلٌ يُفرَقُ
بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا (٤

(٣٥) انرَضيتَ الصديقَ فاصدِقْهُ في الو دِّ فخير الوداد ما صدقا (٥

---

١) كتاب الحيوان للدميري (١ : ٢٢٢) ٢) حب (ع ٦٨٣) ٣) حب (ع ٢٦٣)
٤) كتاب الحيوان للدميري (١ : ٢٢٢)
٥) حب (ع ٣١٩)

(٣٦) مـا اقربَ النـازلَ بي في غدٍ وان تراختْ دارُهُ عن امَـا (١

(٣٧) انّي لأعرضُ عن اشياءَ أسمعُهـا حتى يَظُنَّ رجالٌ أنّي بي حُمقَا
أخشى جوابَ سفيهٍ لا حياءَ لـهُ فَـلِ يظُنَّ رجالٌ انهُ صَدَقا (٢

(٣٨) لا تنطقَنَّ بمقالةٍ في مجلسٍ تخشى عواقبَها وكن ذا مَصْدَقِ
واحفظْ لسانكَ أن تقول فتُبتَلى انَّ البـلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطقِ (٣

(٣٩) لا تُجدْ بالعطاءِ في غيرِ حقٍّ ليس في مَنعِ غيرِ ذي الحقِّ بُخلُ
انّما الجودُ ان تجودَ على مَنْ هو للجودِ منكَ والبذلِ أهلُ (٤

(٤٠) إنْ يَكُنْ ما بهِ أُصبتَ جليلاً فذهـابُ العزاءِ منـهُ أجَلُّ
كلُّ آتٍ لا شكَّ آتٍ وغـيرُ م الجَهلِ مُغْنٍ والغمُّ والحزنُ فَضْلُ (٥

(٤١) لا يعجبنَّكَ مَنْ يصونُ ثيـابَهُ حذرَ الغُبـارِ وعِرْضُهُ مبذولُ
ولرُبَّمـا افتقرَ الفتى فرأيتَـهُ دَنِسَ الثيابِ وعِرْضُهُ مَغْسولُ (٦

(٤٢) لا أخونُ الخليـلَ في السرِّ حتى يُنقَلَ البحرُ في الغرابيلِ نَقْـلا
او تمورَ الجبالُ مَورَ السحـابِ مُثقَلاتٍ وعَتْ من الماءِ حَمْلا (٧

(٤٣) ولَلصَّمتُ خيرٌ من كلامٍ بآثمٍ فكُنْ صامتاً تسلَمْ وان قُلتَ فاعدِلِ (٨

(٤٤) المرءُ يحظى ثم يسعَدُ حظُّـهُ حتى يُزيَّنَ بالـذي لم يَفعَلِ (٩

(٤٥) لا تَرْضَ للإخوانِ غيرَ الـذي ترضى بهِ إن نابَ امرٌ جليلُ (١٠

(٤٦) عاصِ الهوى انَّ الهوى مَركبٌ يصعبُ بعدَ اللينِ منهُ الـذلولُ

---

١) حب (ع ١٢٣٤) ٢) حب (ع ١٢٧٢) ٣) حب (ع ١٢٦٠)
٤) غاية الارب للنويري (٣ : ٨٢) ٥) منه (٨٣) — الكامل للمبرد (٢٢٧)
٦) فوات الوفيات لابن شاكر (١ : ١٩٢) — نُكت الهميان للصفدي (١٧٢) — مروج الذهب للمسعودي (٧ : ٢٩٢) ٧) حب (ع ٣٤٢)
٨) حب (ع ١٢٤٠) ٩) حب (ع ٨٢٨) ١٠) حب (ع ٢٦٦)

ان يَجلُبِ اليومَ الهوى لذّةً فقي غدٍ منهُ البكا والعويلْ (١

(٤٧) وما غَنِمَ العادي على الناس ظالماً ولا خابَ مظلومٌ عفا حين يُظلَمُ
وما الرزقُ الّا قسمةٌ بين اهلهِ فلا يُعدمُ الارزاقَ مُثرٍ ومُعدِمُ
ولن يستطيعَ الدهرَ تغييرَ خُلقهِ لئيمٌ ولن يَستطيعَهُ متكرّمُ
كما انّ ماءَ المُزنِ ما ذِيقَ سائغٌ زلالٌ وماءُ البحر يلفظُهُ الفمُ (٢

(٤٨) رأيتُ صغيرَ الأمرِ تسمي شؤونُهُ فيكبُرُ حتى لا يُحَدَّ ويعظُمُ
وانّ عناءً ان تُفهِّمَ جاهلاً فيَحسَبُ جهلاً أنّهُ منكَ افهَمُ
متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامَهُ اذا كنتَ تبنيهِ وغيرُكَ يَهدِمُ
متى ينتهي عن سَيِّئٍ مَنْ اتى بهِ اذا لم يكن منهُ عليهِ تَندُّمُ (٣

(٤٩) ألا انّ بعضَ الظَّنِّ اثمٌ فلا تَكُنْ ظَنوناً لما فيهِ عليهِ إثامُ
وانّ ظنونَ المرءِ مثلُ سحائبٍ لوامعَ منها ماطِرٌ وجَهامُ (٤

(٥٠) وانّ لسانَ المرءِ مفتاحُ قلبهِ اذا هو أبدى ما يُجِنُّ من الفمِ (٥

(٥١) وانّ امرءاً لم يَخشَ قبلَ كلامهِ الجوابَ فيَنهى نفسَهُ غيرُ حازمِ (٦

(٥٢) يَشقَى رجالٌ ويَشقى الآخرون بهم ويُسعِدُ اللهُ اقواماً بأقوامِ
وليس رزقُ الفتى من لُطفِ حيلتهِ لكن جدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ
كالصَّيدِ يُحرِمُهُ الرامي المُجيدُ وقد يُرمى فيُرزَقُهُ من ليس بالرامي (٧

(٥٣) أطِلِ الصَّمتَ فانّ الصمتَ حِلمٌ واذا قلتَ فبالحقِّ فقُمْ (٨

(٥٤) فسائِلْ إن مُنيتَ بأمرِ شكٍّ فانّ الشكَّ يقتلُهُ اليقينُ (٩

(٥٥) شرُّ الأخِلّاءِ مَنْ تَسعَى لتُرضيَهُ ولا يزالُ عليكَ الدهرَ غضبانا (١٠

---

١) النويري (٢ : ١٥١) ٢) حب (ع ٥٦٥ و ٨٢٧ و ١١٦٩ – مجموعة المعاني (٣ و ١٦١)
٣) حب (ع ٧٠٧) – الحماسة البصريّة (٢ : ١٧) – النويري (٣ : ٨٢) – امالي القالي (٢ : ٩٦) ٤) حب (ع ١٣٨٢) ٥) حب (ع ١٢٥٢) ٦) حب (ع ١٢٧٢)
٧) النويري (٣ : ٨٢) ٨) حب (ع ١٢٣٩) ٩) حب (ع ٦٨٤) ١٠) حب (ع ٣٦٧)

(٥٦) اذا ما أهنتَ النفسَ لم تلقَ مكرماً ... لها بعد أن عرّضتها لهوان
اذا ما أتيتَ الناسَ بالجهل والخنا ... فأيقنْ بذلٍ من يدٍ ولسانِ
لعمرك ما أدّى امرؤٌ حقّ صاحبٍ ... اذا كان لا يرعاهُ في الحدثانِ
ولا أدرك الحاجاتِ مثلُ مثابرٍ ... ولا عاقَ عنهُ النُّجحَ مثلُ توانٍ(١)

(٥٧) قُلْ للذي لستُ أدري من تلوّنهِ ... أناصحٌ امْ على غشٍّ يداجيني
إني لأكثرُ مما سُمتني عجباً ... يدٌ تشجُّ وأخرى منك تأسوني
تغتابني عند اقوامٍ وتمدحني ... في آخرين وكلٌّ منك يأتيني
هذانِ امرانِ شتّى بونُ بينهما ... فاكفُفْ لسانكَ عن ذمّي وتزييني
ياصاحِ لو كرِهتْ كفّي مصاحبتي ... لقلتُ اذ كرِهتْ كفّي لها يدي
لو كنتُ اعرفُ منك الودّ هانَ لهُ ... عليّ بعضُ الذي اصبحتَ توليني
لا ابتغي وصلَ مَنْ لا يبتغي صلتي ... ولا أبالي حبيباً لا يُباليني
ربَّ امرئٍ اجنبيٍّ عن ملاطفتي ... محضِ الأخوّةِ في البلوى يؤاسيني
ومُلحفٍ بسؤالٍ عن مكاشرةٍ ... مُغضٍ على وغرٍ في الصدرِ مكنونِ
ليس الصديقُ بمن تُخشى غوائلُهُ ... ولا العدوُّ على حالٍ بمأمونِ
أرضى عن المرء ما أصفى مودّتهُ ... وليس شيءٌ من البغضاء يُرضيني(٢)

(٥٨) لا تُكثِرنْ حشو الكلا ... مِ اذا اهتديتَ الى عيونهْ
والصمتُ احسنُ بالفتى ... من منطقٍ في غير حينهْ (٣)

(٥٩) الى الله فيما نابنا نرفعُ الشكوى ... على يدهِ كشفُ المضرّةِ والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحنُ من اهلها ... ولا نحنُ في الاموات منها ولا الأحيا
اذا جاءنا السجّانُ يوماً لحاجةٍ ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا(٤)

واعلم انّ القصيدة الحكميّة المشهورة بالزينبيّة تُنسب على الأصحّ لصالح بن عبدالقدّوس. فمن ارادها يجدها في كتابنا مجاني الادب (ج ٤ ص ٨١-٩١) فلا حاجة الى اثباتها هنا مع شيوعها

١) حب (ع ٦٣٩ و ٨٣٤) – الحماسة البصريّة (٢ : ١٧) ٢) حب (ع ٢٦٣) – فوات الوفيات (١ : ١٩١) – نُكَت الهميان (١٧١) ٣) حب (ع ١٢٣٨)
٤) مروج الذهب للمسعودي (٦ : ٤٠٥) كتاب الغران لابي العلاء (١٤٣)

مطبوعات شرقية جديدة

Ruth : COMMENTAIRE PHILOLOGIQUE ET EXÉGÉTIQUE, par le P. Paul Joüon S.J., Rome Institut Biblique Pontifical, 1924, pp. XI-99

تفسير لغوي وكتابي لسفر راعوت

كنّا نودّ لو يطّلع معلّمو اللاهوت والاسفار المقدّسة في بلادنا على هذا الكتاب ليقفوا على تعمّق علماء اوربّة في درسهم للاسفار المقدّسة فانّهم لا يدعون صغيرة او كبيرة الّا يخوضون في شرحها . وهذا سفر راعوت من اقصر اسفار العهد العتيق كلّفهُ حضرة الاب جوون نزيل كلّيّتنا سابقاً واحد اساتذة المكتب البابوي في رومية فقدّم عليهِ المقدّمات النفيسة لتعريف اصلهِ وغايتهِ وزمانهِ ومؤلفهِ ولغتهِ وترجماتهِ ثمّ شرحهُ شرحاً مدقّقاً ودرس كلّ مشاكلهِ التاريخيّة واللغويّة مثبتاً كلّ اقوالهِ بالادلّة القاطعة . فلا يسعنا الّا ان نشكرهُ الشكر الحميم على هذه التحفة النادرة واليتيمة الباهرة . نفعنا الله بعلمهِ زمناً طويلاً ل.ش

Antoine Yammine: Petite Géographie de la Syrie, du Grand Liban et de la Palestine. *Beyrouth, Librairie Universelle*, 1924 *p.* 32

جغرافيّة صغيرة لسوريّة ولبنان الكبير وفلسطين

ليس هذا اوّل كتاب فرنسوي من جنسهِ فقد كنّا نشرنا للمدارس الابتدائيّة في مطبعتنا مختصراً في جغرافيّة سوريّة مع خرائط طُبع مرّتين . وهذه الجغرافيّة الجديدة لحضرة الخوري انطون يمين اوسع افادةً ضمّنها المؤلّف معلومات هي اجدر بطبقةٍ ارقى من التلاميذ غير الابتدائيّين . وقد اضاف اليها فصلاً في جغرافيّة فلسطين . وممّا لحظناهُ من الاغلاط ذكرهُ (ص ١٣) دولة العلويين في جملة المحالفة السوريّة وهي ليست منها . وقد نسي (ص ٢٠) كركلّا في جملة القياصرة السوريين . وجعل (ص ٢١) جلوس القديس بطرس على كرسي انطاكية سنة ٤٢ م والصواب انّ تلك السنة هي سنة جلوسهِ على كرسي رومية التي رأسها ٢٥ سنة فاستشهد سنة ٦٨ م . لا نعلم من هو الملك الاسد او الاسعد (Malek - el - Asad)

الذي قال عنهُ انهُ بنى مسجداً في بعلبك سنة ١٢٧١ . وقد لحظنا (ص ١١) انهُ كاد ينسخ حرفيًّا ما كتبناهُ في جغرافيّتنا (ص ١٥) . كذلك لم يجرِ على قاعدة واحدة في نقل الاعلام العربيّة الى الافرنسيّة فيكتب الجيم مثلاً تارةً J وتارةً G وحيناً (dj) وقس عليهِ احرفاً اخرى

Abbé E. Wetterlé : La Syrie avec le Général Gourod. 1 *vol. in*-16, *illustré, Paris, E. Flammarion, Paris,* 7 *f*, 50

سوريّة بعيّة الجنرال غورو

كان الكاهن ڤتِرْله احد المبعوثين الالزاسيّين من جملة اللجنة الاقتصاديّة التي دعاها الجنرال غورو لمرافقته الى سوريّة . فعند عودتهِ الى فرنسة اسرع فألّف هذا الكتاب واودعهُ كثيراً ممّا رأى وسمع وفي كثير ممّا رواهُ ما يدلُّ على تهافُت زائد دون تروٍّ وتمحيص ومن ثمَّ لا نوافق حضرتهُ على امور شتّى دوّنها في كتابهِ ولم يتثبّتها ويعرضها على محكِّ الانتقاد . وما عذرهُ في ذلك الّا قصر الوقت الذي قضاهُ في سوريّة وهو يجهل لغة البلاد واخلاق اهلها ج . ل

L'INDICATEUR SYRIEN: ANNUAIRE DE LA SYRIE, DU LIBAN, DE LA PALESTINE, ET DE L'EGYPTE, 1924, par E. et G. Gédéon, *in*-4°, *pp.* 407 + ٣٦٣

الدليل السوري للسنة ١٩٢٤

هذه السنة الثالثة لصدور هذا الدليل الحافل بالافادات الاداريّة والتجاريّة والخلاصات التاريخيّة والجغرافيّة والاحصاءات الرسميّة . وقد اثنينا سابقاً على همّة الاخوين الاديبين الياس وجرجي جدعون لسعيهما بنشر هذا الدليل الذي لا يستغني عنهُ كلّ من يريد الوقوف على احوال وطنهِ واحوال القطرين المجاورين فلسطين ومصر . وهو في اللغتين الفرنسويّة والعربيّة ومن مميّزات دليل هذه السنة خارطة جميلة ملوّنة لسوريّة ولبنان الكبير . فنكرّر شكرنا للاخوين القائمين بهذا العمل الجليل . وقد سُررنا بما اصابتهُ مطبعتهما من الترقّي والتحسينات ولاسيما بما استقدماهُ من الأدوات الطبعيّة الجديدة منها مطبعة للطوابع الاداريّة والاوراق النقديّة واشغال المصارف الخ ل ش

Alchemistische Lehrschriften u. Maerchen bei den Arabern von Richard Reitzenstein, *Verlag von Alfred Topelmann in Giessen*, 1923

الكيميا في تآليف العرب واقاصيصهم

اخذ العرب منذ اوائل دولتهم في عهد الامويين يبحثون عن الاكسير وتحويل المعادن الى ذهب . وقد كتب في ذلك الخالد بن يزيد بن معاوية وتبعهُ كثيرون لا تزال مخطوطاتهم بين ايدينا وصفنا ما يوجد منها في مكتبتنا الشرقيّة . والكتاب الذي نحن بصدده يبحث في ما ورد من ذلك في مخطوطات المكاتب وفي روايات العرب كالف ليلة وليلة وغيرها ويبيّن ما استفاد العلم من تآليفهم تمهيدًا لعلم الكيميا الجديد الذي يبعد عن الكيميا القديمة بُعد الثريا عن الثرى ل . ش

Koester (August) : Das ANTIKE SEEWESEN. 1 vol., 8° carré, 104 illustrations ou planches, Berlin, Schoetz u.Parrhysius, 1923, Prix, 15 Goldmarks

مناظر البحريّة القديمة

هذا كتاب ممتع لاحد علماء الالمان جمع فيه عددًا لا يحصى من المعلومات المتفرّقة عن فنّ الملاحة القديمة وقسم كتابهُ ٢١ فصلًا ذكر فيها اخبار الملاحة عند اقدم الشعوب كالمصريين والفينيقيين وما ورد عنها في التوراة وفي قصائد هوميروس والكتبة الاوّلين . ثمّ انتقل الى وصف السفن القديمة وانواعها وغاياتها واجهزتها من قلوع وسوار ومجاذيف . ثمّ بحث عن اربابها وملّاحيها ووصف الحروب البحريّة وقرصان البحر وكلّ ذلك بتدقيق عجيب يشهد للمؤلف بعلم واسع وعقل ثاقب . ونشكرهُ على الفهارس الحسنة التي علّقها على كتابه ج . ل

Mermeix : FRAGMENTS D'HISTOIRE : VI Le Combat des Trois, *Prix* 7 *f*= VII Au sein des Commissions, *Prix* 10 *f*

شذرات تاريخيّة

المسيو مرمه احد مشاهير الكتبة في فرنسة حاول تصنيف كتاب في عشرة مجلّدات يحتوي اخبار الحرب الكونيّة انجز منهُ سابقًا خمسة مجلّدات وها قد أرسل

الينا القسمان الجديدان منهُ اعني السادس والسابع يصف في الاوّل مؤتمر السلام وما جرى في المباحثات بين ممثلي الدول الثلث الكبرى لويد جورج وكليمنصو وويلسون . وهناك افادات عن امور كثيرة رسميّة مجهولة وخصوصاً عن نفي اللغة الفرنسويّة كلغة دوليّة . امّا الثاني فمدارهُ على اللجن الفرنسويّة التي عُهد اليها تنظيم احوال فرنسة بعد الحرب وصيانتها من اعدائها الوطنيين وغيرهم لتتّخذ الدولة احتياطها من الخوَنة المذيعين لاسرارها كما فعل شرل همبرت . ويثبت المؤلف اقوالهُ بمعلومات استقاها من مصادر موثوق بها

Brutsch (Louis), **Charles Favez et A. Oltramare.** GRAMMAIRE. LATINE. 1 *vol.*, 8°, *Payot*, *Lausanne*, *Prix* 7f, 50

اصول اللغة اللاتينيّة

لا تخلو مدارس اوربّة من كتب في اصول اللغة اللاتينيّة مكتوبة في كلّ اللغات . وهذا التأليف وُضع خصوصاً للمدارس في سويسرة الّا انّ بعض ما دوّنهُ فيه مؤلفوهُ من الابحاث الجديدة كفصل لطيف في تاريخ بعض مفردات اللغة اللاتينيّة وكتعليقات حسنة على حروفها وتراكيبها وعلى اوزان الرومانيين وامثالهم ونقودهم وغير ذلك من الافادات تجعل هذا الكتاب مفيداً لسائر المدارس المهتمّة بتدريس اللاتينيّة ذلك فضلاً عمّا يزينهُ في آخرهِ من الفهارس المدقّقة ج . ل

Ouvrages parus chez PIERRE TEQUI libraire - éditeur, Paris VIe, rue Bonaparte 82, dépôt à Beyrouth à la Librairie CHÉHAB. I Joseph Blanc (Mgr) évêque de Dibon : LES VISIONS DE St JEAN. 1 *vol. in*-12, *Prix* 10 *f*= II Comtesse de Lagrèze-Champol : L'INFIRMERIE DE St LAZARE. 1 *vol. in*-12 *Prix* 3 *f* = III L. Bournet (Abbé) : LA QUERELLE JANSÉNISTE, 1 *vol. in*-12, *Prix* 8 *f* =IV Du Mesnil (Claude): LE LIVRE DE L'AMOUR, in-12, Prix 6 f =Millot (Ch.) : TOUTE GRACE PAR MARIE 1, vol., in-12, 6 f

رؤيا يوحنّا الحبيب – مستشفى القديس لاعازر – محاكمات الجنسيّين – سفر المحبة – مريم ام النعمة

ارسل الى ادارتنا الطبّاع بيار تاكي الكتب المذكورة انفاً نوصي بها قرّاءنا لفوائدها ولقربها منهم في مكتبة الامير شهاب . فالكتاب (الاوّل) صنّفهُ الاسقف

جوزف بلان فشرح فيه على طريقة مستحدثة سفر رؤيا مار يوحنّا الحبيب نظمهُ بالشعر الفرنسويّ ثمّ قسمهُ فصولًا تسعةً بيّن لكل منها غرضهُ ورموزهُ واقوال الآباء فيهِ فاستنتج منها ان الكتاب يتضمّن في طيّهِ خلاصة اخبار الكنيسة وتطوّراتها ومحنها الى انتصارها الاخير على كلّ قوّات الجحيم — الكتاب (الثاني) للكونتسة لاغراز شامبول وصفت فيهِ مستشفى المحبوسين في سجن القديس لاعازر عقاباً على مآثمهم فأنشأت لرضاهم مستشفًى خاصًّا قامت هي وبعض النساء التقيّات بخدمتهم فتمكّنت بلطفها ومداراتها من كسب ثقتهم الى ان ردّتهم الى التوبة والصلاح = الكتاب (الثالث) خصّهُ الكاهن بورنه بوصف ما جرى في فرنسة من المنازعات والمماحكات بسبب البدعة الجنسينيّة التي نفخت روح التمرُّد والعصيان على الكنيسة مدّة نحو مئتي سنة = الكتاب (الرابع) سِفر المحبّة وضعهُ الكاتب كلود دومنيل ليدفع قلوب المسيحيين الى محبّتهِ تعالى وقد اتّخذ لبلوغ هذه الغاية كتاب الاقتداء بالمسيح الذي من شأنهِ ان يبعث هذه العاطفة في من يدرسهُ ويتعمّق في معانيهِ = الكتاب (الخامس) لقانوني شرل ميليو مدارهُ على بحث لاهوتي في مريم العذراء امّ النعم وقسمهُ على ثلاثين باباً على عدد ايّام الشهر المريمي ل.ش

سوريًا ولبنان

تأليف اديب فرحات

طُبع في مطبعة العرفان في صيداء سنة ١٣٤٢-١٩٢٤ (ص ٢٠٠)

اخذ ادباؤنا يكدُّون اذهانهم في تأليف تاريخ الوطن العزيز ووصف انحائهِ. ومن افضل ما صدر مؤخّرًا من ذلك كتاب سوريًا ولبنان ضمّنهُ صاحبهُ دروساً جغرافيّة وتاريخيّة لحكومة لبنان الكبير ودمشق وحلب وبلاد العلويين وجبل الدروز وفلسطين والشرق العربي مع ٨٧ رسماً جغرافيًا وتاريخيًا و ٧ خرائط » وقد كرّر الآن طبعهُ ما يدلُّ على رواجهِ واستحسان العموم لخاميتهِ واعتدال لهجتهِ. وممّا لحظنا فيهِ انّ صاحبهُ اخذ عدّة تصاوير ومعلومات من كتاب لبنان الذي صنّفناهُ زمن الحرب. ولا يخلو الكتاب مع كثرة مرادهِ من بعض الاغلاط التي يسهل اصلاحها في طبعة ثالثة فانّ

اشتقاق سوريّة مثلاً من صور (ص ٧٨) لا سند لهُ . والاضطرابات التي حصلت في الدولة الرومانيّة في القرن الثاني لا تُعدّ شقاقاً كما زعم (ص ٩٨) ولم يكن بطرس السانح ايطاليًا بل افرنسيًا (ص ١٠٧) وغير ذلك مما يطول تعدادهُ

كتاب المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة

جمعها ونظّمها على ترتيب اسماء مؤلّفيها وختمها بفهرستين واسعين

الاب لويس شيخو اليسوعي (المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٤ ص ٢٨٦)

هو مجموع ما يُعرَف من المخطوطات النصرانيّة في مكاتب الشرق والغرب التي امكنتْ الدخول اليها منذ نحو خمسين سنة . فهو يتناول اسماء نيّف و ٩٠٠ كاتب رتّبنا جدول اعلامهم على ترتيب حروف المعجم وعدّدنا ما لكلّ منهم من المصنّفات المخطوطة مع تعيين امكنتها المحفوظة فيها . وفي آخره فهرسان الاوّل لكل الاعلام الواردة اسماؤهم في الكتاب . والثاني لكل فريق من الكتبة حسب رتبهم وطوائفهم ورهبانيّاتهم . ونشكر سلفاً لكل من يوقفنا على معلومات جديدة واسماء مخطوطات لم نُحِطْ بها علماً

مختصر تاريخ سورية ولبنان

لاحد الآباء اليسوعيين

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٤ (ص ١٥٥)

سبق لنا (ص ١٥٤) ذكر هذا المختصر باللغة الفرنسويّة وبيّنّا خواصّهُ الفريدة لتعليم الاحداث . وها هوذا قد عُرّب تعريباً متقناً لافادة المدارس العربيّة . فلا نشكّ انهُ سينال لدى ارباب المدارس الرضى والاستحسان التامّ صورةً ومعنًى ل . ش

الوضيعة في الحكمة الخلقيّة: الحياة الاجتماعيّة — الفردوسيّة والفيصليّة

للدكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس التأسيسي

طُبع في دار الطباعة الحديثة ببغداد ١٩٢٤–١٣٤٢ (ص ٣٦٤ و ٤٨)

يجمع صاحب هذا الكتاب في شخصهِ ثلاث صفات قلّما تُرى مجموعةً في رجل

واحد فهو طبيب نطاسيّ وحكميّ اجتماعي وسياسي بارع تلوح فيهِ هذه الصفات في كلّ صفحة من كتابهِ الحياة الاجتماعيَّة الذي اودعهُ لُباب علم الصحّة وجواهر الحكم والآداب الاجتماعيَّة مع المامهِ باصول السياسة العموميَّة ولولا ضيق المكان لنقلنا فصولاً بديعة من كتابهِ الذي نوصي بهِ ارباب دول سوريَّة ولبنان — كما انَّنا نثني على قصيدتيهِ اليميَّة الفردوسيَّة والداليَّة الفيصليَّة ضمّنهما المعاني الرمزيَّة والآداب الشريفة وشرحهما شرحاً وافياً

مشاكل الحياة بين الشابّ والفتاة

بقلم نقولا يوسف حلبيّ

طُبع في بيروت بالمطبعة العبَّاسيَّة سنة ١٩٢٦ (ص ٢١٥)

يمسّ مؤلف هذا الكتاب عدَّة مسائل في الزواج وسوابقهِ ولواحقهِ كان الاولى بهِ ان يدعها لمن هو اقدم منهُ بالعمر للشيوخ او الكهنة الذين اختبروا اسرار الحياة وذاقوا مرَّها وحلوها . فانَّ مواضيع كهذه لا يُحسن الكلام عنها الَّا من حنَّكتهُ التجارب او من نظر الى الامور نظرًا مجرَّدًا عن الاهواء والاميال البشريَّة وعرف ما لسرّ الزواج من المقام الرفيع في الكنيسة وليس امين الريحاني وجبران خليل جبران ممَّن يُستشهد بها في مثل هذه الابحاث الجليلة . وفي الكتاب بعض صور خلاعيَّة لا يليق نشرها ل.ش

الزواج : السباقات العشر

نشرها بالطبع مقترحها الخوري مارون غصن

بالمطبعة الكاثوليكيَّة بيروت ١٩٢٦ ص ١٧٥

يعرف قرَّاؤنا ما اقترحهُ حضرة الخوري غصن على الادباء في امر الزواج بخصوص الاسباب التي تعوق شأن العصر عنهُ والوسائل الى ازالة تلك الموانع . فاجاب كثيرون الى دعوتهِ وحكمت لجنةٌ خاصَّة لعشرة من الكتبة بالتقدُّم فطبع حضرتهُ هذه السباقات العشر في كتاب مستقلّ وهو يقترح اليوم ان يصوغ احد الكتبة مقالة

مبنيَّة على هذه السباقات لا تزيد على عشر صفحات تعطى الجائزة لمن يصيب فيها قصب السبق وجعل آخر موعد هذه المقالة ختام شهر تشرين الثاني

كتاب جواهر المحفوظات

جزءان جمعها ورتَّبها عيسى ميخائيل سابا

طُبعا في المطبعة العلميَّة في بيروت سنة ١٩٢٤ ص ٦٤ و ٩٦)

هذه منتخبات ادبيَّة شعريَّة ونثريَّة منها لقدماء الكتبة ومنها للمحدثين فالقديمة كلّها منقولة عن منتخبات سابقة شائعة. وامَّا الحديثة فبينها الغثّ والسمين. ومنها ما هو لكتبة قليلي الدين والأدب كامين الريحاني وجبران خليل جبران وقد ادمج الجامع بينها قطعاً من انشائهِ. وفي بعض تلك المنتخبات ما يُشعر بروح الماديين كمقالة جمال الموت لجبران خليل جبران او بلغط المتشدقين كمقالة الريحاني امام تمثال الحرّيَّة. او ما لا يليق ان يُعرض على الاحداث كقصَّة مجرم. امَّا ضبط الكتاب بالشكل ففيهِ من الاغلاط ما لا يُحصى عددًا فيكتب مثلًا «إنشودة» و«كِتَّان» و«إتركوني» و«إحفُروا» و«جُهنَّم» و«نُسيان» الخ الخ ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ً تقرير ادعاء رفعهُ الى محكمة الجنايات في لبنان الكبير المحامي نجيب خلف وكيل ورثة المرحوم رؤوف بك نزهة ضدَّ قاتلهِ كامل بك فريد جنبلاط. مطبعة الجليل. بيروت ١٩٢٤ (ص ٨٨) . هو تقرير بديع يشهد لكاتبهِ بالبراعة التامَّة في فنّ المحاماة

٢ً رواية البرّ البنوي وهي مأساة ادبيَّة ذات ثلثة فصول نقلها الى العربية القس توما ايوب الدرياني المخزومي. طبعت في المطبعة البطريركية بمدرسة الشرفة لبنان ١٩٢٤ (ص ٥٨)

شذرات

«راهبة المحبة روزالي» دعا الله الى جوارهِ الاخت روزالي راهبة المحبة في ٢٦ من ايلول بعد ان خدمت المرضى والفقراء وسائر المنكوبين مدَّة ٣٦ سنةً فكان

لوفاتها صدى حزن واسف في كافّة القلوب ولاسيّما قلوب المساكين والمحتاجين الذين بكوا عليها ولا بكاءهم على اقرب الاقارب . وكان في جملة من حضر دفنها عدد عديد من نساء المسلمين اللواتي شققنَ عليها الجيوب وهنّ معولات صارخات : قد خسرنا أمّنا ونور عيوننا . اسمري انّ في هذه المشاهد يُرى فضل الكنيسة الكاثوليكيّة التي وحدها تنشئ الوفاً وروات من محبّي البشريّة الصادقين الذين يثبتون صحّة دينهم بالعمل وتضحية النفس لا بالطنطنة وشقشقة اللسان . وبينما نحن نرقم هذه الاسطر اذ نُعيت الينا راهبة أخرى خدمت الوطن ٦٦ سنةً بصفة معلّمة ورئيسة عامّة على جمعيّة راهبات قلبي يسوع ومريم نعني بها الامّ مريم فرج صفير من مزرعة كفودبياو توفّاها الله في سلخ شهر ايلول وانّنا ندوّن ترجمتها على صفحات المشرق عند سنوح الفرصة

﴿شناعة دوار هَيُوم﴾ بارك الله في تلك النهضة الباسلة التي اتّفق فيها المسلمون والنصارى للاحتجاج على اليهودي النجس الذي لم يخجل ان يرشق بلسانهِ النذل شخص ابن الله الذي يسجد لهُ او يكرمهُ ثمانمائة مليون من البشر . وفي الوقت ذاتهِ نوجّه نظر المحتجّين الى رجلٍ آخر اقرب منهم وهو المسمّى بامين الريحاني الذي سبق اليهوديَّ وفاه بفمهِ الوقح بنفس الكلام الذي يحتجّ عليهِ اليوم النصارى والمسلمون . ومن العجب انّ كثيرين يعظّمون هذا الانسان وكتاباتهِ وهم يلعنون اليهودي وكلاهما سيّان بالتجديف (يراجع العدد السابق من المشرق ص ٧٥٦–٧٥٧)

﴿ تنبيه بشأن الازياء الخلاعيّة ﴾ صدر هذا التنبيه من دار الاسقفيّة المارونيّة الحلبيّة في ٢٩ آب المنصرم يحرّج فيهِ سيادة المطران الجليل ميخائيل اخرس على مقاتلة الازياء المستحدثة التي لا تخجل بعض النساء من المجاهرة بها فيصبحنَ اضحوكةً للعقلاء وملهاةً للاوباش وعثرة للناشئة وخزياً لاهلهنّ ومهانةً للدين . فما احقّ بهنّ ان تُقفل في وجههنّ الكنائس وتُحظَر عليهنّ الاسرار ويعمل بهنّ سوط السيّد المسيح الطارد من هيكلهِ كلّ رجس ودنس

﴿ الاحرار والمؤامرة على الشرق الاعظم ﴾ نشر مدير جريدة ماسونيّة في الثغر انهُ قد اكتشفوا في رومية مؤامرة على الشرق الاعظم واحال الى شخصنا الحقير لنعلمهُ أنعرفُ من هذا الهجوم شيئاً . فنفيد جناب الكاتب انّ هذه المؤامرة ليست جديدة والهجوم غير مقتصر على الشرق الاعظم في رومية بل يرتقي عهده الى اوّل يوم ظهرت

الشيعة الماسونيَّة لعالم الوجود فان الكنيسة الكاثوليكيَّة تحفَّزت لمناصبتها حيثما وجدت آثارها الكفريَّة والخلاعيَّة وليس مؤامرتها تحت جنح الظلام كأبناء الارملة في محافلهم السرّيَّة بل علناً بموجب امر المسيح الذي وَكل اليها مناهضة كلّ اعمال ابليس ومشايعيه وأعطى ابناءها سلطاناً ان يدوسوا الحيَّات والعقارب (لوقا ١٠: ١٩)

﴿صورة المسيح المزعومة﴾ نشرت مجلة صوت الحقّ في عدد آذار (ص ٢٠٥) نقلاً عن جريدة ايطاليَّة (Testimonio) وتبعتها مجلة الزهرة (ص ١٧٥) نبذةً تحت عنوان «صورة المسيح» يقال هناك انَّ المصوّرين لصورة السيد المسيح اخذوا معلوماتهم لرسم ملامحه الكريمة عن «رسالة محفوظة في الفاتيكان ارسلها الى مجلس الشيوخ الروماني في عهد طيباريوس قيصر رجلٌ اسمهُ بوبليوس لونتليوس» . وكانت سبقت الى تدوين هذا الخبر في ٢٨ نيسان ١٩٠٦ جريدة لسان الحال فكتبنا وقتئذٍ في المشرق (٥ [١٩٠٦] : ٤٣٩–٤٤٣) فصلاً طويلاً بيَّنَّا فيه بطلان هذه الرسالة وكلّ ما يختصّ بها فهي بلا شكّ من الآثار المصنوعة التي لا يُركن اليها

﴿تدشين متحف التاريخ الطبيعيّ في تيان تسين﴾ عُهدت الى ابوين يسوعيَّين الاب تيلهار (Teilhard de Chardin) الدكتور في العلوم الطبيعيَّة ونائب رئيس الجمعيَّة الجيولوجيَّة الفرنسويَّة واستاذ المكتب الكاثوليكي في باريس والاب ليسان (Licent) العالم الجيولوجي مهمَّة علميَّة في انحاء الصين ليجمعا في معاملاتهما القاصية المعروفة باورتوس (Ortos) في جهات مونغولية ما هناك من آثار التاريخ الطبيعي بمساعدة عمَّالها الصينيّين فتجوَّلا في تلك الاصقاع في اشهر السنة الماضية فاكتشفا عدداً لا يُحصى من الظرّان ومصنوعات البشر الاوَّلين ومن الحيوانات القديمة المستحجرة الغريبة وضروب النباتات النادرة بعد أن قاسيا من الاتعاب والمشقَّات ما يعجز عن وصفه اللسان. ولمَّا رجعا الى تيان تسين نظما تلك الآثار في متحف كبير تدشَّن في شهر نيسان الاخير وخطَب اليسوعيَّان ووصفا رحلتهما امام ارباب الحكومة الصينيَّة والجالية الاوربيَّة يتقدَّمها قنصل فرنسة المسيو سوسين (M. Saussine) وقد اثنى جميع الحضور على اليسوعيَّين وذكروا ما للرهبانيَّة اليسوعيَّة في الصين من المآثر العلميَّة الجليلة منذ القرن السابع عشر من عهد الآباء رتشي وشال وڤربيست ويارنين وغيرهم كثيرين

أسئلة واجوبة

س سأل مستفيد من العراق مَنْ هي المرأة النصرانيَّة المدعوَّة بذات الصليب في اخبار الفرزدق ؟

ذات الصليب

ج هي المعروفة بالحذراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني كانت نصرانيَّة تزين صدرها بالصليب فدُعيت بذات الصليب ورد ذكرها في نقائض جرير والفرزدق ويقال هناك (ص ٨٠٨) انها تدعى ذات الصليب وان اجدادها كانوا نصارى وكذلك ذكروا نصرانيَّة جدّها بسطام (ص ٣١٤) ووالدها زيق (٨٢١) خطبها الفرزدق وساق مهرها مئة ناقة لكنها ماتت قبل ان يصل اليها . (يُراجع ايضاً الاغاني ١٩ : ١٨)

س وسأل مستفيد ما هو اصل اسم الشهر « ايلول » وما معناهُ

اصل اسم ايلول ومعناهُ

ج ايلول هو اسم احد الشهور البابليَّة وهو يوافق شهرنا في ترتيب الشهور وقد شاع عند كثير من الشعوب السامية وورد على صورته في سفر عزرا امَّا معناهُ فلا يزال حتى الآن مجهولاً ولعلَّهُ اسم احد آلهة البابليين بلغتهم السومريَّة

س وسأل من النبك جناب اسعد افندي نصرالله . متى بطل استعمال الكتابتين الهيروغليفيَّة والمسماريَّة

زمن بطلان الكتابتين الهيروغليفيَّة والمسماريَّة

ج بطل استعمالها في اوائل النصرانيَّة بنفوذ الكتابة الفينيقيَّة وما اشتقَّ منها من الكتابات الهجائيَّة . ولم يحصل ذلك بغتةً بل تدريجاً الى اواخر القرن الاوَّل للمسيح .

س وسأل آخر ما هو اصل اسم فينيقية

اسم فينيقية

ج هو مشتق من اسم « پوني » او « فوني » الذي كان المصريُّون يطلقونهُ على اهل فينيقية . ثمَّ رأى اليونان شبهاً بين اسم فينيقية واسم شجرة النخلة في لغتهم (Φοίνιξ) فزعموا ان معنى فينيقية بلاد النخل ل . ش

الحبر الاعظم

غريغوريوس الثالث عشر

منشئ الجامعة الغريغورية

السنة الثانية والعشرون العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٢٤

المشرق

بوبيل

الجامعة الرومانيَّة الغريغوريّة

نظر تاريخي اجتماعيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

قد شبَّه الكتاب الكريم اعمال الصالحين بشجرة أصيلة الجذور وارفة الظلّ لا تنتثر اوراقها صيفاً مع شتاء وهي مغروسة عند مجرى المياه . هذا لعمري وصفٌ يصحّ في الوفر من المشروعات الكاثوليكيَّة التي أُنشئت منذ عدَّة اجيال وهي لا تزال الى يومنا في نموّها وازدهارها

وقد ظهر ذلك خصوصاً في هذا العام في رومية العظمى في احدى جوامعها الشهيرة المعروفة بالجامعة الرومانيَّة الغريغوريَّة التي احتفل اربابها بيوبيلها المئوي في ٧ أيار ١٩٢٤ فأقيمت الحفلات الشائقة التي حضرها عدد عديد من الكرادلة والاساقفة وذوي المناصب الشريفة ومعظمهم من المتخرّجين فيها . وقد شرَّفها الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وهو احد تلامذتها ببراءة خصوصيَّة اثنى فيها على خدَمها السابقة والحاضرة وآزر مديريها واساتذتها ببركته الحبريَّة

فبهذه النسبة أحببنا ان ندوّن على صفحات المشرق خلاصة تاريخها واعمالها ليرى القرّاء الكرام ما للكنيسة الكاثوليكية عموماً وللرهبانيَّة اليسوعيَّة خصوصاً من الاهتمام بتهذيب العقول ورفع منار العلوم

العلوم . ثم ثلاث مكاتب أخرى خصوصيَّة كانت الواحدة منها تتألف من ٣٠,٠٠٠ كتاب

وكان الجامعة ايضاً غرفة لكل ادوات العلوم الطبيعيَّة والمكتشفة في ذاك الوقت تُعَدّ من أغنى المعاهد العلميَّة

وقد اقام الاب كلافيوس منذ السنة ١٥٧١ مرصداً لتلك الجامعة اشتهر في كل انحاء اوربَّة برصوده للفلك وللمظاهر الجويَّة كالحرارة وحركات الارياح وثقل الهواء . وقد خلفهُ في ادارته مشاهير الفلكيّين منهم الآباء كلندرتي وشيتر وكونتي وريشباخ . وقد عهد البابوات الى بعض هؤلاء العلماء ادارة مرصد الفاتيكان

وكان في تلك الجامعة الغريغوريَّة متاحف غنيَّة تولَّى جمعها وتنظيمها العلَّامة فريد عصره الاب اثناس كِرْخر مكتشف الفانوس السحري . ثم جرى على منواله الآباء فيليب بوناتي وكونتوشي وريشيوري

هذا فضلًا عن علوم اللغات القديمة كاليونانيَّة واللاتينيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة . وعن المحاضرات العلميَّة والادبيَّة التي كانت تُعقد في مواطن معهودة فيتقاطر اليها كل اعيان رومية وعلماء ايطالية

وكان من الواجب هنا ان نعدّد الرجال العظام الذين تخرَّجوا في هذه الجامعة فشرَّفوا بلادهم بعلومهم ومآثرهم الطيّبة منهم عدد لا يُحصى من الكرادلة والاساقفة والكهنة والرهبان نظمت الكنيسة بعضهم في عداد القديسين كاويس غونزاغا ويوحنَّا بركمنس وليونار دي بوروريس الكبوشي وانَّما نكتفي بذكر الاحبار الرومانيّين الذين تعلَّموا فيها في القرنين السابع والثامن عشر وهم : غريغوريوس الخامس عشر . واوربانوس الثامن . واينوشنسيوس العاشر واكليمنضوس التاسع ثمَّ العاشر . واينوشنسيوس الثاني عشر ثم الثالث عشر . واكليمنضوس الثاني عشر

وكان في رومية معاهد كبيرة لدول مختلفة منها للانكليز وللاسكتلنديين وللايرلنديين ولليونان كان تلامذتهم يأتون صباحَ مساء الى الجامعة الغريغوريَّة ليحضروا دروسها . ومنها كانت المدرسة الارونيَّة الشهيرة التي كانت تحت نظر الآباء اليسوعيين ففي تلك الجامعة اتقن كثيرون منهم العلوم ثم اشتهروا في حواضر اوربَّة

كالسماعنة والحصرونيين وعميرة والشدراوي والحاقلاني ومبارك والباني الخ فكلهم ثمرة الدوحة الغريغوريّة

كبوة الجامعة الغريغورية ونهضتها

ثبتت الجامعة الغريغوريّة في عزّها وشهرتها الى السنة ١٧٧٣ التي فيها اضطرّ اعداء الدين البابا اكليمنضوس الرابع عشر الى الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة (١ ولم يشأ ان يُهمَل ذاك النادي العلميّ الجليل فسلّمهُ الى عدّة من اساتذة رومية وعلمائها وكان معظمهم قد تخرّجوا فيه وعرفوا نظامهُ فاداروهُ بما استطاعوا من الهمّة والحكمة لولا انهم بعد حين ناءوا تحت هذا العبء الثقيل وجاءت الحوادث السياسيّة الفاجعة في عهد الحبرين بيوس السادس وبيوس السابع نفثت في عضدهم وتضعضعت احوال تلك المدرسة وكادت تدخل في خبر كان الى ان أحيا بيوس السابع الرهبانيّة اليسوعيّة وبعثها من قبرها سنة ١٨١٤ وكان فكرهُ ان يُعيد اليها تدبير الجامعة الغريغوريّة لولا قلّة اليسوعيين حينئذٍ فانتظر ريثما ينمو عددهم ويستأنفوا مشاريعهم القديمة فحال الموت دون رغبته

ولمّا تبوّأ الكرسيّ البطرسيّ خلفهُ لاون الثاني عشر سنة ١٨٢٤ كان اوّل ما عوّل عليه ان يعطي القوس باريها فحرّر براءةً اثنى فيها على اعمال ابناء القديس اغناطيوس في سبيل الدين والعلم وسلّم اليهم ادارة الجامعة الغريغوريّة وردّ لها مكاتبها ومتاحفها ومرصدها وجدّد كلّ النعم الممنوحة لها سابقاً وخصوصاً الرخصة بان تمنح اجازة اللاهوت لطلّابها

فرجع اليسوعيون الى مدرستهم بحفلة عظيمة وقعت في ١٧ ايّار من تلك السنة. فتمّ لها في هذا العام مئة سنة فبلغت يوبيلها المئوي الذي اقامت لهُ الافراح في ايار الاخير مدّة ثلثة ايّام كاملة وقد اطنبت الجرائد في وصفها واقرّت بفضل تلك الجامعة التي لم تجد ذرّةً عن خطّة الجامعة السابقة بل أتت بكثير من المشروعات الجليلة التي دعت اليها الاحوال الحاضرة. وقد زارها الحبران العظيمان غريغوريوس

(١) اطلب مقالتنا «اكليمنضوس الرابع عشر والغاء الرهبانيّة اليسوعيّة» في المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٥٦١-٥٧٤

السادس عشر وبيوس التاسع فاستقبلتهما عمدة المدرسة واساتذتها وتلامذتها استقبالهم لاعظم الملوك واكبر السلاطين

على انَّ الجامعة الغريغوريَّة لم تثبت في الصرح الجليل الذي شادهُ لها غريغوريوس الثالث عشر . فانَّ دولة ايطالية لمَّا اغتصبت رومية والاملاك البابويَّة سنة ١٨٧٠ وضعت يدها على ابنية هذه الجامعة ومقتنياتها كالمتاحف والمرصد والمكاتب والجأتها الى ان تنتقل الى محلّ آخر لدولة اجنبيَّة . فاختار رؤساؤها المدرسة الجرمانية المعروفة بالقصر البورومي ولم يُسمح لهم بتدريس الآداب اللاتينيَّة بل حُصر تعليمهم في الدروس الكهنوتيَّة

فاضطربت الامور بهذا الانتقال القسريّ وبعد ان كان عدد طلبة الجامعة الغريغوريَّة نيفاً وسبعمائة هبط في السنة ١٨٧١ الى ١٩٦ فقط . بيد انَّ الآباء اليسوعيين لم تثبط عزمهم الاضطهادات وكثيراً ما تُضاعف همّتهم . وهكذا جرى في تدبير المدرسة الرومانيَّة . فانَّ مدبريها افرغوا كنانة الجهد ليبلغوها الى أوج الرقي وغاية النجاح فلم يخبْ رجاؤهم والدليل عليه ان عدد الطلبة الواردين الى مناهلها اليوم قد زاد كثيراً على عددهم قبل دخول الايطاليين الى رومية فقد بلغوا في اوائل السنة المدرسيَّة ١٩٢٣—١٩٢٤ الى ١١٣٩ دارساً وكلّهم منكبّون على العلوم العليا دون درس الآداب اللسانيَّة . وهؤلاء الدارسون ينتمون الى جميع الدول الاوربيَّة والاميريكيَّة . وقسم كبير منهم ابناء رهبانيَّات وجمعيَّات مختلفة تُنيف على ستين رهبانية او جمعيَّة اكليريكيَّة . فلا شيء اوقع في النفوس من أن يرى المراقب كل صباح هؤلاء الطلبة بثيابهم الخاصَّة وازياء رهبانيَّاتهم العديدة الالوان والاشكال تدلُّ ملامحهم ولهجاتهم على مختلف بلدانهم وهم يهرعون بكل نظام ليحضروا دروس الجامعة الغريغوريَّة

وقد خرج من هذه الجامعة في هذا القرن الاخير كما في القرنين السابقين عدد عديد من مشاهير الرجال الذين يشار اليهم بالبنان في كلّ اصقاع اوربَّة بينهم الكرادلة امراء الكنيسة الرومانيَّة والاساقفة الذين شرَّفوا العالَمين بفضايلهم وفضيلتهم والكتبة المتضلّعين والعلماء المبرّزين . وكفى لهذه المدرسة فخراً انَّ ثلاثة من احبارها الاخيرين تخرَّجوا فيها نريد بهم الطيّبي الذكر البابا لاون الثالث عشر

وبندكتوس الخامس عشر ثم إمام الاحبار الجالس اليوم سعيداً على كرسي الخلافة البطرسيَّة بيوس الحادي عشر . وقس عليهم كثيرين من المعاصرين الذين تدلُّ عليهم آثارهم الجليلة في كلّ الفنون وينشرون حيثما حلُّوا اصحّ التعاليم الدينيَّة والادبيَّة ويوثّقون روابط الولاء والحب مع الكرسيّ الرسولي وائمة الكنيسة

ولا عجب من هذا الإقبال على الجامعة الغريغوريَّة وقد عَلَّم فيها اكبر نوابغ العلوم الكنسيَّة في عصرنا . اشتهر منهم في اللاهوت النظري الكرادلة اليسوعيُّون فرَنزلين ومازّلا وبيليو والآباء بلمياري وسكيفيني وكلوتغن وبيدُوني وپاسّاليا . وفي اللاهوت الادبيّ الابوانغوري وبآريني . وفي الفلسفة تون جيورجي وليبراتوري . وفي الحقّ القانوني الاب تابارلّي والاب فرنسيس ڤرنس الذي صار رئيساً عاماً على الرهبانيَّة . وفي شرح الكتاب المقدَّس الاب كورنلدي وپتريزي . وفي الطبيعيَّات الاب پيانشياني . وتآليفهم تشهد لهم بالتقدُّم على سواهم

أمَّا المرصد الفلكيّ فقام برصوده رجال ممتازون منهم الاب ڤيكو والاب فرّاري ولاسيَّما الخالد الذكر الاب انجلو سكي الذي رويتا ترجمتهُ وخلاصة اكتشافاته الفلكيَّة العديدة بنسبة السنة الخامسة والعشرين لتذكار وفاته (المشرق ٦ [١٩٠٣]: ١٦١–١٧١) . ولمَّا اغتصبت الحكومة الايطالية هذا المرصد ورخَّصت للاب سكي ان يواصل فيه اعماله كعالِم خاصّ لا كراهب يسوعيّ أبى ذلك نافراً وفضَّل ان يحيد عنهُ كاخوتهِ المضطهَدين . وانَّما دُعي اليسوعيُّون بدلاً عنهُ الى ادارة المرصد الفاتيكاني البابويّ فاجابوا بملء الرضى

وكان غيرهم من الآباء يبحثون عن الآثار المسيحيَّة في دياميس رومية فسبقوا العلَّامة دي روسّي بما وقفوا عليهِ من العاديَّات النصرانيَّة الفريدة نخصّ منهم بالذكر الابوين يوسف ماركي الذي عنهُ اخذ دي روسّي وغاروتشي مصنف ستَّة مجلَّدات ضخمة في آثار المسيحيين الاوَّلين . وكان الاب انجلو ماي وخلفهُ الاب هِرْله ينظمان المكتبة الفاتيكانيَّة ويستخرجان كثيراً من كتابات القدماء المفقودة وقد اقيم كلاهما الى منصب الكردينالية

وكان تلامذة الجامعة الغريغوريَّة يستفيدون من علوم هؤلاء الاختصاصيين فيدرسون عليهم العلوم الرياضيَّة وعلم الهيئة وعلم طبقات الارض وعلم الآثار الدينيَّة .

ولا يزال الى يومنا بعض المعلّمين في تلك الجامعة يعتزّون بتدريسها

فحقّ اذن لرؤساء الجامعة الرومانيّة الغريغوريّة ولسائر آلها ان يشكروا الله في هذه السنة على قطعها هذا الشوط من حياتها المستجدّة ويُسرّوا بما ادّتهُ للكنيسة ولعالَم العلم من الخدم الجلّى ويبعثوا همّتهم لمباشرة شوطٍ آخر في هذه الحلبة الجليلة ولنا الامل الوطيد انهُ سيكون اجلّ شأناً واوسع نفعاً . ولهم في براءة الحبر الاعظم التي وجّهها اليهم وعدّد فيها مآثرهم الفريدة احسن ضمين لتحقيق آمالهم لمجد الله الاعظم وخير الكنيسة الاوفر والاعمّ

ونحن الذين نشاهد عن بُعد ما تأتيه الجامعة المذكورة من الفوائد الجمّة لخدمة الدين والآداب نضمّ صوتنا الضعيف ونهنّئ اخوتنا الكرام لبارعهم الى هذه السنة اليوبيليّة ونتمنّى لهم رقياً ونجاحاً متواليَين طالبين من مراحمهِ تعالى ان يحقّق امانينا بشفاعة منشئ هذه الجامعة وحارسها الامين لدى عرشهِ تعالى آمين

اوراق الخريف المتناثرة

بقلم فؤاد افرام البستاني متقدّم النادي العربيّ في كليّتنا

حشد الخريف جنودهُ الجويّة لمحاربة الارض فصفّرت رياحهُ، وزمجرت زوابعهُ، واحتكّت غيومهُ المتكاثفة فسطع البرق، وقصف الرعد، وضُربت الارض بالاعاصير الهائلة فتلفّتها بجبالها الشامخة، وصروحها المنيعة تردُّ الهجمات، وتهزأ بالصدمات. ثم انقشع الضباب واذا بالمعركة تسفر عن سقوط الضعفاء الواقفين في طريق المتقاتلين.. رجعت الجيوش سالمة ولم تترك في الميدان الّا مَنْ لم تدرُ الحربُ في خلده، ولم يفكر عمرهُ في سجالها. تركت الجبال شامخةً، والصروح مرتفعةً، والحصون منيعةً، وألقت في حومة الوغى الاوراق الضعيفة ... نسفت اوراق الاشجار بقوّتها الهائلة

فرمتها متناثرةً في مهابّ الرياح تدور مع تيار الهواء ثم تتساقط رويدًا رويدًا فتغطي الارض بكساء اصفر ذابل

رأيتُ كل ذلك من وراء زجاج نافذتي فشاقني المنظر ودفعني تطايُر الاوراق الى معرفة مَصيرها فخرجت على وجهي لا افكر في شيء حتى رأيتني في العرّية والشمس ترسل اشعّتها المائية الضئيلة فتزيد الاوراق اصفرارًا. هناك وقفتُ مفكرًا وقد تمثّل لي مشهد الفناء فردّدت :

تَثِرَ الخريفُ على الثرى اوراقتي فرأيتُ فيها رمزَ موت حياتي

تأملت طويلًا هذا المنظر والاوراق تتلاعب حولي ولا تدري ان لعبها هذا هو لعب الموت ، وانها مدفونة تحت الثرى منذ اليوم . فكّرتُ وفكرتُ مليًا في هذا الانقلاب السريع ثم سألت نفسي حزينًا :

أوَ ليس في البشرية ايضًا اوراق متناثرة تَغُنها عن قريب ظُلمات الموت ؟ . .

أوَ ليس في المجتمع أناس يشبهون باضمحلالهم البطيء تناثر هذه الوُرَيقات؟ . .

***

قلت ذلك ثم سندتُ رأسي الى يدي وجلست على حجر غطّاه لباسُ الارض الجديد فتمثّلتْ لي اعضاء المجتمع التاعسة واوراقهُ المتناثرة :

رأيت ولدًا لا يتجاوز الربيع الثامن . ناعم البشرة ، اشقر الشعر ، ازرق العينين يجيلهما حوله بخوف وكآبة وعلى ثغره ابتسامةُ المرارة والالم

مسكين فريد ماتت أمّه منذ ثلاث سنين وكان لا يألف النوم الّا على صدرها فضرب موتُها الضربة الاولى في فؤاده اللّين . ثم تزوّج ابوه فضربه الضربة الثانية . ولم يفقَهْ شيء بل شاهد امرأةً تُظهر لهُ الابتسام،وتقبلهُ بشوق وتلاطف ، فكان ينفر منها ولا يفطن للسبب

مضت السنة على ذلك فرزق الاب ولدًا فرح بهالجميع الّا فريدًا لانه عرف حينذاك ان تلك الابتسامات كانت سطحيّة ، عرف ان القبلات العديدة كانت تصنّعًا ومراءاةً ، عرف السرّ في تلك البرودة التي كان يحسّ بها في شوق هذه المرأة ، واخيرًا عرف انها ليست امّه . . . ولاوّل مرّة دخلت الغيرة فؤاده فدخل غرفته

منخفض الطَّرف حزيناً . وظهرت من ذلك الوقت على ثغره تلك الابتسامة المرّة
هذه نفس تاعسة اتاها الحزن صغيرةً وسيرافقها ذكرهُ كبيرةً . . .
هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

اتت ماري عالَمنا ومحبة اللانهاية تجذب قلبها الحسّاس فترفعه الى ما فوق
ترعرعتْ فاكتنفتها العلويات ، وشغلت دماغهـا الافكار السامية ، فكانت بين رفيقاتها كيوسف بين اخوته

دخلت مدرسة الراهبات فاذا هي كالشمس في بُرجها ، والزهرة في كتِهـا . . . اذا تكلمت اصغى رفيقاتها لِما تقول ، وان سكتت تهيَّبنَ سكوتها فجلسنَ امامهـا معجبات . حرَّكت الابتهالات العديدة ما في قلبها من قوى العلاء المكنونة ، فاصبحت ولا غاية لها الّا الاندماج في سلك التضحية العجيب ، وحَمل خشب الصليب ، وراء من مهَّد للمساكين طرق التعزية والخلاص

عرف اهلها بالامر ففار فائرهم ، واضطربوا كما لو ان صاعقة هائلة سقطت على أسّ بنيانهم . هاجوا وغضبوا وطلبوا البنت مرارًا فردَّت ماري رسُلهم خائبين . اخيرًا اتوا الدير في ليلة اثقل ظلامها الجفون فاختطفوا البنت بين لاعن ، وصاخب ، ومجدّف ، فالقوها في حجر امّها ، التي لحبّها السطحي المزعوم ، كانت اشدّ المعارضين والمعارضات عنادًا . . .

قُضي الامر ، وفُتش للمسكينة عن عريس ، فزُفّت اليهِ دون تمحيص في حفلة سُرَّ بها الجميع الّا هي . . . كانت تسمع التهاني العديدة وقلبها يقطر دمًا ، وعينهـا تذرف دمعًا ، متجهةً نحو عريس لا بشري يحيطها بعناية لا تزول

مضى شهر العسل في عُرف الجميع ، وشهر الحنظـل في عرف مـاري ، فاذا بجيب العريس افرغ من فؤاد امّ موسى ، واذا به يشدُّ الرحال الى ما وراء البحار ، حيث يرى الذهبَ مكوَّمًا فيغرف منه ويعود . . .

سنوات ستّ مضت عليها في انتظار خبر من العالم الجديد ولا خبَر . وكانت قد رجعت الى بيت ابيها غريبة مستحيية ، وقد كسر قلبها واثّر الحزن في جسمها فكأنها بنت ستين . ولا تعزية لهـا سوى ما كانت تسمعه من الكلمات القاسية ، والهمسات

الخفية المؤثرة من اللواتي كنَّ يزُرْنها قصد تخفيف عذابها . . . كنَّ يجتمعنَ لتسليتها فيتوشوشنَ ، والله ادرى بوشوشة النساء ، بانهُ تزوَّج هناك ، وانهُ لا يُعرَف لهُ مقرّ . وانه . . . وماري تسمع صامتة . . .

الى ان ضاقت بها حِيَل الاصطبار ، ولم تعُدْ ترى في هذه الارض من ملجأ ، فشخصت ببصرها طويلاً الى العلاء . . ثم قامت ، وتحت ستار الغروب ، انسلَّت وحيدة تقطع الشوارع بقلق وخوف . . ولم تشعر الّا وهي منطرحة على مركع في كنيسة طالما ردَّدت جدرانها صدى صوتها الرنّان . . .

حدَّقت طويلاً بالمصلوب دون ان تقدر على تحريك شفتيها ، حتى جُذبت عواطفها الى ما فوق ونسيت كل ما حولها فلم تنتبه بعد وقت طويل ، الى اطفاء الشمع وقفل النوافذ . . . وبينا هي غرقى بابتهالاتها اذا بيد لطيفة وُضعت على كتفيها ، فافاقت مذعورة ، ولم تلتفت حتى عرفت معلمتها القديمة تنبهها الى الخروج . . . تأملتها وقد جمد الدمع ، وتقلَّص الجفن ، فشهقت شهقةَ التأسف الشديد ، وبصوت جمع نبرات الحدَّة ، واليأس ، والثورة ، صاحت :

آه ! لولا جَوْر الاقارب لعشتُ مثلكِ سعيدةً في ظلّ المذابح وحمى الدير . . . ثم سكتت فجأة مُذعنة لحكم الله القدير واردفت بصوت خافت جافّ :

اللهمّ ! لتكن مشيئتك لا مشيئتي !

هذه مسكينة جنى عليها عناد اهلها وكم جنى عناد الاهل على الابناء ! . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

شعره طويل منفوش ، عيناه غائرتان ، ورأسهُ منحنٍ على منضدة عتيقة فوقها بعض اوراق مبعثرة

جرى قلمهُ طويلاً على قِطَع الاوراق ، فكتب ، واصلح ، وسوَّد ، وبيَّض . . . ثم اخرجها عصماء تختال جمالاً في بردها القشيب

قصيدةٌ قلَّما اخرجت المطابع مثلها ، نسَّقها ونظمها في الظلام ، وكتبها على ضوء السراج تلبيةً لطلب احدى الجرائد ، وقد وعدتهُ بمكافأة جزيلة يحسّن بها احوالهُ . سار بها عند الصباح الى المحرّر ، وقلبه مفعم بالآمال ، فدخل المكتب ووقف وراء

المنضدة ، وقدّمها بيد ترتجف فرَقاً ، وجبينهُ ، على رغم برد الشتاء ، ينضح عرقاً

قرأ المحرّر القصيدة بعدم اهتمام . وبعد تأمل طويل ، فتح شفتيه وقال : بكل أسف . . . — فوجَبَ قلب المسكين خوفاً — بكل اسف اقول اني لا اقدر على نشر هذه القصيدة فان روحها تخالف روح جريدتي ، وقد نسيتُ بالامس ان اشرح لك مبدأنا فالمعذرة . . .

وقبل ان يفوه الشاعر المسكين بكلمةٍ اردف المحرّر ماذًا يده :

مع السلامة ! . ان شاء الله تكون الثانية احسن !

تناول المسكين قبعته التي لم يعُدْ يعرف لونها الاول وخرج والخيبة تُرجف قدمَيه زار عدة جرائد والفشل يرافقه بحجة ان الجمهور لا يفهم القصيدة ، حتى كانت النتيجة ان مدير احداها تقبّل القصيدة مقابل نصف ليرة بشرط ان يتنازل المؤلف عن اسمه

عند ذاك تراجع الشاعر كاسد فقدَ شبلهُ ، وبرقت عيناه بنور غريب فخرج دون ان يسلّم . . . سار مسرعاً الى مرقده وكان قد امسى ولم يذق الطعام بعد . . . فقرأ القصيدة مرّات ومزّقها حنقاً ، وعمد الى قلمهِ فكسّره على المنضدة . . . ثم القى اللحاف على رأسهِ ونام غارقاً في بحار اليأس القاتل . . .

هذا مسكين لم ينصفه الناس فذهب ضحية الامل الباطل والجهل . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

سمالٌ جافٌ يمزّق سكونَ الليل البهيم . . .

أحاتٌ متواصلة تقطع نياط القلب برنينها فتُوقف على الطريق من كان متأخرًا في الظلام

من النافذة الواطئة ، كان يدخل نور القمر بطيئاً فيتماوج فوق سرير ابيض تململَتْ فيهِ فتاةٌ بنت عشرين . تأمّلت البدر سائرًا فتذكرتْ يوم كان خطيبها يشبّهها بالبدر لطفاً وبهاء

كان عهدٌ ومضى . . . ولم تكد تحلم بالسعادة المنزلية حتى رأت حلمها الجميل يتحوّل الى حقيقة هائلة . لم تكد تشاهد النور العائليّ حتى حالت بينها وبين ذلك

النور ظلمات القبر المدلهمة . لم تكد تفكر بحنوّ الامومة حتى فاجأها ملك الموت بقساوة أنستها ذلك الحنوّ

كانت هنريت ذات جمال طبيعي يوقف المستعجل في طريقه . كثُر حولها الطلّاب وهي صغيرة فخشيت على قلبها من الضياع في مجاهل الهوى فاقرّته في محطّة شابّ رُبط اهلها واهله بعرى الصداقة منذ القديم . شابٌ من رآه ورآها في المتنزّهات صاح معجباً :

« فلم تكُ تصلحُ الّا لهُ ولم يكُ يصلحُ الّا لها »

ولكن سرعانَ ما رأت نورَها يتضاءل . . . أحّت ، وتفلت ، وهجرها النوم . . فكان ذلك بدء المرض المشؤوم ، واخذت تسيل كالشمعة الصفراء في مهبّ ريح سموم

أبت نفسها الكبيرة ان تغشّ خطيبها فتركته على الرغم منه ، ودموعها على الخدود ، ورأساهما يلتويان حزناً . ثم رجعت تتململ في فراشها منتظرة سقوط آخر ورقة من اوراق الخريف لتدفن نفسها معها

هذه زهرة نضرة قصفها المرض في عهد الشباب . . .

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع . . .

***

وصل الشيخ يتوكّأ على عكّازه الى المتنزّه . فاحتال للجلوس واسند ظهره الى خرنوبة كبيرة ، وجعل يجيل الطرف في فتيان يلعبون بكُرة القدم ، وبرقت عيناه بنورٍ غير مألوف . سمع ضحكهم وجَلَبة سرورهم ، فتقلّصت شفتاه ، وأحّ طويلاً ، ثم اخرج منديلاً مسح بهِ لؤلؤتين من بقايا دموعٍ اغاضها الحزن والاسى

كان للحزين وحيد يافع لا تشبع العين من النظر اليهِ ، ولا تملّ الاذن سماع حديثه . كان محيي أمل ابيه وموضع تعزيتهِ في هذه الدنيا . خرج من المدرسة ظافراً وقصد الاصطياف وملء النفس آمال . فابى ملك الموت ان يُنعم اياه بهِ طويلاً ، فهوت بهِ سيّارة جموحة في ليلة افل قمرُها وغارت نجومها . . .

واصبح المسكين اذا شاهد النور ظنّ انه يرى ابنه ، واذا سمع تغريد العصافير توهّم محادثة ابنهِ ، واذا تراءت لهُ سيارة من بعيد رجف فرقاً كأنهُ يرى جنازة ابنهِ . حتى اخذت روحه بالرواح ، فجعل يقصد ملاعب الاولاد علّه ينعشها بتذكارات العاب ابنه . . .

هذا مسكين ضربه الحزن في آخر عمره فنغّص عليه الحياة ...

هذه ورقة متناثرة من اوراق المجتمع ...

***

رفعتُ رأسي بعد هذه المشاهد واذا بالظلام قد ضرب سرادقه، فقمت الى مقرّي والنفس حزينة، والقلب كئيب

تناثرت اوراق الشجر! ... ولكنها ستتجدّد عمّا قريب، فتزدهر الغصون في الربيع، وتبدو الطبيعة بثوب جديد قشيب

اما اوراق المجتمع المتناثرة ??? فمتى وكيف تُجدَّد ؟ وما يعيد السرور الى هذا المجتمع الحزين اليوم ؟ وهل لهذا الداء من دواء ؟ ...

وكأنَّ النسيم العليل حمل بلسماً لجراحي الداخلية فهمستُ والابتسام على شفتي: نعم! نعم! ستُجدَّد، ويزدهر المجتمع، وتسري الدماء النشيطة في اعضائنا الذابلة. والمجمع دواء لهذا الداء هو ...

الرجاء

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فرديناند توتل اليسوعيّ (صلة لما سبق)

المغار

موقع المَغار على اكمة الى الجنوب تلوح بيوتها عن بُعد بين اشجار الزيتون والصبّار. ومعظم سكّانها مسلمون يبلغ السنّيون منهم نحو مائتين ومن وجهائهم محمد العايده وفندي محمود. وفي المغار ثمانمائة درزي من وجهائهم يوسف حسين شيخ

الدين والشيخ عبدالله السلامه . امّا عدد المسيحيين في المغار فيناهز ٤٧٠ نفساً كلهم روم كاثوليك ومن وجهائهم سليمان فارس وسكران ريناوي وجبر ابراهيم العرتول وقد خسرت القرية من ابنائها بالمهاجرة وبنكبات الحرب الكونيّة زهاء ٣٠٠ شخص

وفي المغار مدرستان للصبيان تقوم الحكومة بنفقتها الواحدة للمسيحيين موقعها في جوار الكنيسة ويبلغ عدد تلامذتها ٤٤ والاخرى للدروز وعدد تلامذتها ٢٠

ولا شكّ ان المغار اتخذت اسمها من المغائر العديدة الموجودة فيها اتخذ الاهلون قسماً منها لسكناهم . ولهم عينٌ يدعونها عين المنصورة واقعة شمالي شرقيّ القرية على مسافة عشرين دقيقة منها دُعيت بالمنصورة لقربها من ضيعة تسمى منصورة ذكرها "جيرين" في كتابه على الجليل (Guérin, : *La Galilée* I, 120) وقد عدد سكانها ١٠٠ وهم دروز وقد تدلّ فيها غزارة المياه على استيطان الاقدمين لها وتشهد لعمرانهم معاصر الزيت التي لا تزال بادية آثارها في الصخور

وما بين دروز المغار والسنّيين في القرى المجاورة عداوة قديمة طالما سعى صاحب السيادة المطران غريغوريوس حجار باخماد نارها . وقد حدث في مدة الرياضة ان ثلاثة من اهل المغار المسيحيين مرّوا بالقرب من سخنين (وهي قرية اسلامية واقعة شرقاً على طريق عكّا) فاغار عليهم بعض سكانها وسلبوا امتعتهم انتقاماً لبقايا دِيَةٍ كانت لهم على دروز المغار فجعلوا المسيحيين مسؤولين عن تقصير الدروز في دفع حقّ الدم . على ان المظلومين لم يصبروا هذه المرة ايضاً على التعدّي والجور بل ذهبوا حالاً الى عكا ورفعوا شكواهم الى الحكومة لعلمهم بانها تعامل الجميع بانصاف

وقد افادنا حضرة الاب مرقس خوري دير حنّا عن اسباب هذه العداوة بين القومين قال :

حلّ تلك البلاد في اواسط القرن الحادي عشر للهجرة رجل اسمهُ زيدان ولهُ ولد اسمه عُمر ولعمر ولدان ظاهر واسعد فضربوا خيامهم في شمالي سهل البطوف في ارض مسلخيت بالقرب من قرية عرابة وعاشوا بالسلم والوداد مع اهلها السنّيين

فحدث ان مرّ بعرابة شيخ درزي من قرية سلامة وهي اليوم "خربة سلامة" فرأى فتاةً من اهلها فأحبّها فطلبها من اهل قريتها . فاحتار سكان العرابة بامرهم أيستطيعون ان يرفضوا طلب الشيخ دون اثارة غضبه وهل من المروءة والشرف ان

تسلّم تلك النادة الحسناء الى مثل ذاك المسخ فبلغ الخبر زيدان فقال: اني أكفيكم شرّهُ عاهدوني على كتمان سرّي واتباع مشورتي. ففعلوا فقال: ادعوا الدروز ليأتوا ويأخذوا العروس فجاء الدروز على عادتهم يغنّون ويرقصون وبيدهم الاسلحة فاحسن اهل العرابة ضيافتهم واستلموا اسلحتهم وتركوهم يتمتّعون ما شاؤوا بالرقص والمسرّات الى ان احتلك الليل ونام الدروز اجواقاً اجواقاً في بيوت القرية فقام حينئذٍ زيدان مع بعض اشدّاء القوم وذبح الدروز ثم زحف مع اهالي عرابة على قرية سلامة فسبَوا وقتلوا وتملكوا الخيل والحلى والزيتون وقويت اذ ذاك شوكة زيدان وانضمّ اليه كل شارد طريد طمعاً بالغزو والغنيمة

وليس المقام هنا لذكر قصة الزيادنة وكيف آل الامر بهم الى ادخال البلاد في طاعتهم حتى ظهر ظاهر العُمَر فتملّك فلسطين وتهدّد سلطة الاتراك في سورية بل حسبنا اننا ذكرنا اصل تلك العداوة التي لم تهمد بعدُ نيرانها ولا تزال سبباً لاضطراب حبل الامن في البلاد

الرامة

رافقنا من المغار الى بعض الطريق حضرة خوريها الاب سليمان معلوف فسرنا غرباً بميلة الى الجنوب في اراض غُرست زيتوناً وصبّارًا. وجدنا على الطريق دودة حمراء صغيرة فقال لي الاب: انهم يسمّونها دودة المغيط او البلعوث واذا ظهرت بكثرة دلّت على سنة مطر وخير. وبعد ساعة وصلنا وادي السلامة يجري فيه ماء الى طواحين بعضها خراب. وهناك عدة انقاض قال فيها «جيران» (١ انها آثار حصن سلاميس القديمة الذي عزّزهُ يوسيفوس القائد والمؤرخ اليهوديّ ليمنع الرومانيين عن احتلال الجليل (٢

توجّهتُ شمالاً نحو نبع المياه فرأيت الاطلال على طرفي الوادي كالجنّة الغنّاء. ترعى فيها المواشي كلأ الربيع المعطّر الاخضر ثمّ انتهيت الى سهل فقطعت مجرى الماء

١) اطلب كتابهُ في وصف بلاد الجليل (Guérin: *La Galilée*, I., 416)

٢) اطلب كتابهُ في حرب اليهود (B J, II, c. xx)

ودخلت في حقول الرامة نحو الغرب شمالاً الى ان وصلت القرية ساعتين بعد خروجي من المغار

الرامة مبنية جنوباً على قلّة جبل يشرف الناظر من اعاليهِ على بلاد صور وجبال القدس والبحر المتوسط ومدينة صفد وبحيرة طبرية وعلى قرى عرابة وسخنين ودير حنا وعيلبون. من الرجّح انَّ هـذه القرية هي «رامة» القديمة الداخلة في حصة بني آشير

زارها «جيرين» (١ في الربع الاخير من القرن الماضي فلم يجد فيها كاثوليكيين امَّا الآن ففيها كنيسة للاتين وكنيسة للروم الكاثوليك وكنيسة للروم الارثوذكس وليس فيهـا الَّا خوري واحد وهو حضرة الاب الفاضل انطون الحيجي اللاتيني الذي اضافنا في داره واكرم مثوانا وافادنا التعليمات التالية قال: انَّ اغلب السكان مسيحيون منهم ١١٥ روم كاثوليك ومن وجهائهم جميل نخله و ٣٥٠ رومـاً ومن وجهائهم حنا اليعقوب و٨٠ لاتيناً و ١٦٠ درزيًا على التقريب

وقد انشئت الرسالة اللاتينيَّة منذ ١٢ سنة كان يتردد عليهـا الاباء اللعازاريون المقيمون في الطابغة الى ان تعين فيها كاهن من قبل البطريرك الاورشليمي

وعدد المهاجرين يناهز العشرين والبعض من السكان عادوا من المهجر فـابتنوا بيوتاً جميلة جعلت الرامة اشبه منهـا بقرى لبنان الراقية وفيهـا مدرسة ينيف عدد تلامذتها على المئة يهذّبهم ثلاثة معلمين . والاهالي همة ونشاط فانهم حصروا ميـاه النبع وجرُّوها بقساطل الى منتصف القرية فترِدها الفتيات بلا تعب لقربها من المسكن

عيلبون

عدتُ من الرامة الى المغار فختمتُ الرياضة ومنهـا ركبت الى عيلبون فقطعت الحقول جنوباً بين اشجار الزيتون التي حُبس كثير منها وقفاً على كنيسة المغار ثم عبرتُ ساقيةً وحوّلت السير ميمنةً الى ان بلغتُ عين عيلبون بعـد ساعة و ٢٠ دقيقـة وارتقيت الى القرية بعد ساعة ونصف من سفري

قد عُرفت هذه القرية عند القدماء باسم قبور الصدّيقين وفيها يُكرم حتى في ايامنا

١) اطلب كتابهُ في الجليل (٣ : ١٢٥)

قبرٌ يزعمون انه قبر النبي هوشع وقد زرتُهُ في غربي عيلبون وهو عبارة عن احجار ضخمة لا زال بعضها على هيئة نصب بثلاث درجات تبلغ السفلى منها ١٢١ متراً تقريباً من الطرف الشرقي ويقصده العرب فيقبرون موتاهم في جواره ويضعون عليهِ النذور : مناديل وعيداناً من خشب

في عيلبون كنيسة كاثوليكية بناها سنة ١٨٨٤ ابو سعد البنّاء البيروتي وابو نخله الحجار الشويري وهي جميلة على صغرها لأننا وجدنا فيها من النظافة وحسن الاعتناء ما لم نجد مثله في قرى الجليل الّا في قرية دير حنا . فالقربان المقدس لا يزال ليل نهار مصمودًا على الهيكل المغشّى بالكتان الابيض والحرائر . وصحن الكنيسة مكنوس نظيف واثاثها محكم الصنع . وذلك بفضل همّة حضرة الاب الخوري حنا داود المعلم وولده حنا استاذ المدرسة وتمنّينا لو يجري على هذا المنوال كثيرون من خوارنة الرعايا فيهتمون بنظافة كنائسهم وتزيين هياكلها ولو قصدوا لمّا اعتاص عليهم الامر لاسيما اذا استعانوا بخدَم كثير من الراهبات المقيمات في الاراضي المقدّسة

سكان عيلبون اجمعون مسيحيون كاثوليكيون وعددهم ٢٩٠ وجهاؤهم سليمان جرجس زريق وابراهيم الخوري يونس الاشقر (واصله من دير حنا) ودياب سرور (من حوران) وجرجس الشوفاني وداود يوسف العيلبوني

على ان الشيطان طغى احد اهل عيلبون فسوّل لهُ لقضاء شهوتهِ ان يجحد دينهُ ويهجر امرأتهُ الشرعيّة ليأخذ غيرها سِفاحاً . ومن العجب ان احد اساقفة الروم الاورثذكس رضي بتزويجهِ طمعاً بالمال . والتفّ حول العاصي بعض من ذويهِ فركّبوا فوق احد البيوت جرساً على خشبة وارسلوا شاباً لهُ من العمر ١٨ سنة الى الناصرة حيث ارتسم كاهناً وعاد الى عيلبون ليرعى الرعية الجديدة لكن الاجير ما لبث ان ترك خرافهُ ولم يكترث لامرهم . فأحسّ ذوو الالباب منهم بخطإهم وهم يلتمسون اليوم فرصةً ليعودوا الى حجر الامّ الحنون وقد يرون حبّها في قلب سيادة المطران غريغوريوس وكثيرون منهم كانوا يتردّدون على الكنيسة ايّام الرياضة ليسمعوا كلام الله . بل كان المسلمون يأتون ويزورون كنيسة عيلبون ولا احد يزعجهم وكان منهم عدّة رجال يقصدون الكنيسة كلّ مساء لسماع مواعظ الرياضة وكانوا يصغون

باحترام الى الكلام في غاية الانسان القصوى وعن ضرورة الاستعداد للموت ولتأدية الحساب يوم الدين

وقد سنحت لي فرصة ان اجتمع بالواحد منهم فقال لي : « أدخلُ الكنيسة وقلبي قذِر لسود كيدي (واراني يده الفلّاحية السوداء) وأخرجُ بعد الوعظ وقلبي ابيض صافٍ . فيا ليت لنا المسلمين من يرشدنا ويعظنا كما للمسيحيين فلا نعود نكفر ونخطئ» . وسألتُهُ عن رأيهِ في دين المسيحيين ؟ فقال : « دين المسيحيين حسن الّا في امر الزواج فانكم لا تسمحون للرجل الّا بامرأة واحدة امّا عندنا فلهُ ما يشاء من النساء . وقد بلغني ان رجلًا من القرى المجاورة اقترن بثماني عشرة امرأة ورُزق منهنَّ مئة وسبعة وثلاثين ولدًا . فلو كان مسيحيًا لعجز عن ذلك» . فقلت لهُ : «وكم من مسيحيٍ يُرزَق من امرأتهِ الواحدة نسلًا اوفر من المسلم المتعدّد الزوجات . ثمّ ان الراقين من اهل مصر وهي من ارقى البلاد الاسلامية حضارةً شرعوا يطلبون منع الزواج الّا بواحدة . ومثلهم الاتراك الكماليُّون» . فتعجب من كلامي كثيرًا

دير حنّا

لم تكن قرية دير حنا من القرى التي ارسلنا اليها راعي الابرشية لتلقي فيها عظات الرياضة وقد سبق الى ارشادها احد اخوتنا اليسوعيين حضرة الاب دي ڤيلنوف قبل عيد الميلاد الّا اننا زرناها لقربها من عيلبون وتلبيةً لدعوة حضرة الاب خوريها الغيور

يناهز عدد سكّان هذه القرية ٥٢٠ نفساً منهم ١٢٠ مسيحيون و٤٠٠ مسلمون وأعيانهم عبد المجيد الحسين وجابر داود الحبيب وفاضل نجل الامير محمود الفاضل امير قبيلة الفضل

وفي دير حنا كنيسة حديثة العهد اخذوا ببنائها سنة ١٩٠٧ وانتهوا منها بعد سنتين وهي نظيفة يُحفظ فيها القربان المقدس كما في عيلبون

ولمّا دخلنا بيت حضرة الاب الخوري زارنا بعض اهل القرية فرغبتُ اليهم بان يفيدوني شيئاً عن تاريخ بلدتهم فبادر حضرة راعيهم الى تلبية طلبتي وكان قد جمع

ما ثبت لديهِ من التقاليد عن الحوادث التي جرت في دير حنا منذ قرنين فاخذتُ عنهُ ما يلي باختصار

«موقع القرية على قمة رابية يحدُّها جنوباً جبل حزوه ومنهُ يشرف الناظر على البحر الابيض غرباً وسهول حوران وبحيرة طبرية شرقاً. ومن منحدر الرابية الشمالي تخرج عين النجيمية وهي تبعد مسافة ربع الساعة تقريباً عن المساكن يَردُها الاهالي الى ان تشحّ فيعمدون حينئذ الى آبارهم . في شمال البلدة سهل فسيح طوله شرقاً بغرب يزاهي الميلين والنصف وعرضهُ شمالاً بجنوب ميلاً . وفي شرقيهِ بركة شادها بنو ظاهر طولها ٢٥٠ متراً في ٧٠ عرضاً تستقي منها المواشي

«وللقرية اربعة ابراج اثنان شرقيان واثنان غربيان تهدَّم جانب منها . حاصر الجزّار دير حنا وضربها بالمدافع من الشمال فلم يقوَ عليها فعلق بحفر مغارة لعلّهُ يتسرَّب اليها ولا تزال معروفة الى يومنا بمغارة اللغم فلم يفلح بمسعاه الى ان عنَّت لهُ فرصة دخل بها المدينة عفواً

«وذلك ان الرجل الذي كان بنو ظاهر بعد مقتل سعد العمر حاكم دير حنا فوَّضوا اليهِ بامر حماية القرية (وهو على ما يقال من اجداد سليم سعيد البيطار الساكن اليوم في قرية مغار حزور) كان اقام على الاسوار خفيراً من اهل البلد ليسهر ويراقب حركات العدو وصدف ان المفوَّض مرَّ ليلاً يتفقد شؤون الحصن فرأى الخفير نائماً فضربهُ ضرباً مبرّحاً وتهدَّده بالموت. فالقى الخفير بنفسهِ من اعلى السور واستسلم الى الجزار واخبره ان الاهالي في ضيق عظيم يشكون ظلم المفوَّض وهداهُ الى مدخل القلعة . فما اصبح الصباح الّا واحاطت جنود الجزار بدير حنا وتقدَّم واحد منهم ونادى المفوَّض ففتح هذا نافذة غرفتهِ فرماهُ الرجل برصاصة وسلَّمت القلعة فأمَّن الجزار الاهلين على ان يُخلوا المدينة ويحمل كل واحد ما يستطيع من المتاع على ظهرهِ فوضعت النساء حُلاهنَّ في قعر اسرّة الاطفال وأضجعن فيها الاطفال وحملنها على رؤوسهن وخرجنَ

«وكانت هناك كتابة منقوشة على حجر تخلّد ذكر سعد العمر باني قلعة دير حنا ومُشيّد جامعها سنة ١١٤٤ هـ فاقتلع الجزار الحجر المنقوش امَّا الكتابة فاليك نصَّها :

بـاني هـذا الـدير سعـد العمَرْ يرجوك يا مولاي جنة الفردوس تكون المقرْ

بيوتـه وحكره تكون لمجـدهِ غرشاً على كل بيت كبير ونصف على كل بيت صغير
قـد كان للرابوعي فيـهِ تـاريخـه رام فيـهِ كل مجـد واقتـدرْ

واهل الدير الذي بُنيت مكانهُ القلعة أصله من الصليبيين فاقام بنو ظاهر القلعة مكانهُ واحاطوها بسور يبلغ عرضه مترين في المحلات المعرَّضة لهجمات العدو وفي السور ابراج يُصعد اليها بالمراقي وفي داخل القرية ستون بئرًا استعدادًا للحصار وكذلك في السور صهاريج وآبار

ودار سعد العمر في السرايا مساحتها ٧٠ مترًا من الشمال الى الجنوب باربعين من الشرق الى الغرب فيها عدَّة قاعات معدَّة ولها ايوان مع عمودَيْن. وكان البناء ذا ثلاث طبقات من الحجر الاحمر والابيض اليابس وهو منقوش مصقول وقد هُدمت طبقتهُ الثالثة ومعظم بنائهِ الغربي وكانت الطبقة السفلى المعدَّات الحربية والعليا للسكنى يُرتقى اليها بدرج داخل البناء لا يزال موجودًا

ويزعم البعض ان آثار الدير القديم الذي اليهِ نُسبت القرية هي في جوار الكنيسة الجديدة في موضع بيت اولاد محمد ابراهيم نصرد والله اعلم

مرج البطوف

اغتنمنا فرصة إقامتنا في عيلبون للتجول في انحائها فخرجنا صباحاً بصحبة حضرة الاب خوريها وهو شيخ وقور محبوب من اهل قريتهِ وهو بينهم كالقاضي والزعيم سرنا معه نحو الجنوب فاجتزنا حقولًا يحرثها الفلاحون فحيَّيناهم بالتحية الجارية عندهم : «صحَّ بدانهم» فاجابوا «سلم بدانهم»

سلكنا طريقاً ينحـدر من منعطف اكمةٍ فكشفنا على مرج البطوف واسمـهُ الاصلي ابو الطَّوف اشارةً الى كثرة المياه التي تنصبُّ فيهِ من الآكام المجاورة وتتجمَّع بحيث لا يستطيع احدٌ اجتياز مستنقعات المرج . وهذا السهـل من اخصب سهول فلسطين هيئتهُ بيضويَّة الشكل عرضُها الاعرض يتسع من الشمال الى الجنوب مسافة نصف ساعة للماشي وطوله الاطول شرقاً فغرباً لا يُقطع الَّا بثلاثة ساعات وفي وسطه اكمة من صخور تسمى الجلَّات واراضي البطوف ملك اهالي العرابة وسخنين وعيلبون على ان الاكثر خصباً منها يملكهُ المسلمون وكانوا يزرعونها قمحاً وقطناً اما اليوم فلم

نجد فيها الّا قمحاً . وجزء عظيم من اراضي العرابة بوار

دخلنا في المرج فسرّحنا النظر في ارجائه . يحيط بهِ شرقاً عيلبون وخربة ام العمد وشمالاً خربة ياطو وخربة قانا (البطوف) وغرباً كفرمنده وخربة الرومية وجنوباً خربة الرومانية (وهي ملك المطران السيد غريغوريوس حجار) وقريتا العزيز والبعينة

وقد تقصد السابلة الى شفاعمر عن طريق البطوف فيمرون بذيلهِ الشمالي الى كفرمنده الى شفاعُمر ولا تخلو هذه الاصقاع من الضباع والغزلان

خربة امّ العمد

ارتقينا شرقاً الى اطلال تغطيها الاعشاب التي تنتجعها المواشي وارضهـا صخور بركانيَّة ضخمة ترتفع على سياق واحد كأنَّ موجاً عرمرماً تفجَّر بغتةً من بطن الارض فاقتلع الصخور ورماها بعيداً فتجمَّدت وهي تشهد إلى احداثٍ فيهـا الزلزال فعاث في هذه الاراضي ودمَّرها تدميراً

وهذه الخربة احدى المئتين والثلاث الخُرَب التي وصفها العلَّامة جيرين في رحلتهِ الى الجليل وهي أدلُّ دليل على ما نالت هذه البلاد من الرقي والعمران في أيَّام الدولتين اليونانيَّة والرومانيَّة فاصبحت اليوم خراباً يباباً ينعق فوقها الغراب بعد ان قوَّضتهـا الزلازل واغار عليها بنو الصحراء وانَّما بقي منها بعض الآثار الناطقة بمجدها الغابر

ومن اهمّ آثار امّ العمـد معبدها القـديم وهذا اشبه بهيكل كفربرعَم الذي سبق الى وصفـهِ حضرة الخوري ابرهيم حرفوش في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ١٠٣٤—١٠٣٥) . وكانت وجهة هذا البناء من الجنوب الى الشمال ولعلَّـهُ كان ذا خمسة اروقة تفصل بينها صفوف عواميد لا يزال بعضها ملقًى على الحضيض والعمود قطعة واحدة وعلى الارض حتّى مكعَّبة وهي بواقي الفسيفساء التي كانت ارض المعبد مرصوفة بها وهناك ايضاً تيجان عواميد واحجـار كثيرة نُقشت عليها رموز ورسوم منها بشكل الحية ومنها بشكل النجوم تُشبه ما يُرى في غيرها من الاثار كما في قبور شفاعمر ونواها ممَّا يرتقي لعهد واحد . وقد سعى الالمـان في زمن الحرب الكونيَّة ان يصلحوا هذا المعبد ويردُّوهُ الى هيأتهِ القديمة فرمَّموا مدخلهُ وعلى عتبتهِ صورة اسدين يتواجهان

وفي غربي الكنيسة رأيت بركةً رميمة وبالقرب منها عدَّة نواويس ظلت الايام ما نقشه عليها النقَّاش القديم من زخارف وتصاوير. امَّا المدينة التي كانت مبنية على هذه الاطلال فقد لحق بها الدمار وعلى انقاضها نبت العلّيق والعوسج فصحَّ ما عُرفت بهِ اليوم باسم خربة امّ العمد او ان شئت فقل خربة امّ الخراب

وقبل ان نبارحها سرّحنا نظرنا في اربع زوايا الافق فرأينا شمالًا وادي السعد وشرقاً جبل غرين في شماله الشرقي سهل حطين الشهير بوقعة الصليبيين حيث كسر صلاح الدين الايوبي الفرنجَ واسر جيشهم أجمعه وكان العطش قد قتلهم (٤ تموز ١١٨٧) وغنم منهم عود الصليب المقدس وقضى على مملكة اورشليم اللاتينيَّة

وفي جنوبي غربي قرية حطين يكرم اليهود والاسلام قبرًا يزعمون انه قبر النبي شُعَيب حمي موسى وبالقرب منه شرقاً جبل التطويبات الذي اعلن منه المخلص ناموسهُ الجديد وسنَّ شريعة المحبة اسّ الدين الباطن وركن الدين الظاهر ودعامتهُ

طرعان

وبعد ان ختمنا الرياضة في عيلبون سرنا الى طرعان لنباشر مثلها لاهلها فقطعنا آكاماً ووديانًا وتركنا على شمالنا غرين ولوبيا وانحدرنا الى القرية وهي مسيحية اسلامية واقعة جنوبي غربي حطين بين طبرية والناصرة شمالي الطريق وعن قرب من كفرقانا. اهل طرعان نحو ٩٠٠ نفس منهـا المسلمون نحو ٥٠٠ والباقون نصارى يبلغ عدد الكاثوليك بينهم ١٥٠ نفساً ومن وجهائهم بيت مخائيل سلامه وبيت سمعان ورحّال. واوجهُ الروم بيت سعد بشارة . وللمسلمين بيت العدوي وصباح ودحله وغبن والزرعيني

وعند نهاية الرياضة عرض علينا حضرة الاب الخوري سمعان القنواتي دابّته فركبنا وسرنا لنزور جبل الطور

جبلُ الطور — كنيسة التجلي الملوكيَّة

قطعنا مروجاً وآكاماً خيَّم فيها العرب وارسلوا مواشيهم في منعطفاتها وما مرَّت ساعتان الّا ونحن في اسفل الجبل المقدس على السكة التي اخترقها الاباء الافرنسيسيون

تسهيلاً لسير الاوتومبيل ولنقل المواد الضرورية لبناء كنيسة تجلي الربّ يسوع

وكنا كلما ارتقت بنا الخيل من كوع الى كوع على منعطف الجبل الاجرد تلوح لنا مناظر اجمل وتنعشنا نفحات نسيم ابلّ واعطر الى ان بلغنا من القمة ذراها فانشرحت منا الصدور وقرّت العيون

رأينا جنوباً ما بين سهول القمح وشجر الزيتون قرى كفرمصر وندور والداحي ونائين حيث ردّ المسيح الفتى الميت حيًّا الى أمّه الثكلى ، وشرقاً في جوار الاردن والبحيرة وادي البيرة وقرى عديدة كسيرين وعولم والحدثة ثم نهر الاردن وما وراءه وادي الشريعة ومضايق اليرموك ، وشمالاً صفد العليا واطفار الشاغور وعين ماهل وما وراءها جبل الشيخ وقد اكتسى حلّة بهية من الثلوج ، وغرباً مرج ابن عامر وقرى دبوري وكسال وتل العدس والعفوله والخط الحديدي الرابط حيفا بالشام

هذه النقطة من البلاد اختارها الاله المتجسد مشهدًا وشاهدًا لتجليه امام الرسل اصفيائه قال الانجيلي : (مرقس ٩ : ١—٨ ومتى ١٧ : ١—١٣ ولوقا ٩ : ٢٨—٣٦)

وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا فأصعدهم الى جبل عالٍ على انفراد وتجلّى قدامهم وصارت ثيابهُ تلمع بيضاء جدًّا كالثلج واضاء وجههُ كالشمس وتراءى لهم موسى وايليا وكانا يخاطبان يسوع فاجاب بطرس وقال ليسوع : يا ربّ حسنٌ لنا ان نكون هنا فلنصنع ثلاث مظالّ واحدة لك وواحدةً لموسى وواحدةً لايليا . ولم يكن يدري ما يقول لما كان بهم من الرعب وظلّلتهم سحابة وخرج صوت من السحابة يقول : هذا هو ابني الحبيب فلهُ اسمعوا . ونظروا حولهم بغتةً فلم يروا احدًا بعد الّا يسوع وحده معهم وفيما هم نازلون من الجبل اوصاهم ألّا يخبروا احدًا بما رأوا الى ان يقوم ابن البشر من بين الاموات

انتهت الحرب الكونية فاخذ الاب الجليل حارس الارض المقدسة يجمع المبالغ المالية لتشييد كنيسة على الطور تضاهي ابهى البنايات الدينيّة في فلسطين . وشرع العمّال في العمل وقد اوشكوا الآن ان ينجزوه . وقد رأيناهم مئات يحومون كالنحل في خارج الكنيسة وداخلها وما بينهم الايطالي والوطني من ابناء الفن الحذّاق في النحت والنقش وشغل الفسيفساء . اما المهندس الاول فهو بارودزي وقد رتّب البناء على انقاض المعبد البيزنطي القديم ودعائمه واستعمل الطرز الهندسي المألوف في الفن الروماني السوري في عقد القناطر ، وقد جعل للمعبد ثلاثة اروقة وصدّره بغارة على شبه المغارة التي في كنيسة البشارة في الناصرة . وقبل ان يمد المغارة نحو المشرق لاحظ

انها منتوحة ككوة عظيمة على السماء والارض يطل الزائر منها على الآكام والرياض فأبى الّا ان يتركها منتوحة فيخال للناظر في اول لحة ان ما يراهُ فيها هو تصوير اصطناعي ولا يلبث ان يتحقق انها الطبيعة نفسها تشترك معه في الصلاة

والمعبد فخم يغشيه المرمر الابيض ويرى من بعد كأنه طائر عظيم ابيض واقف على ناصية الطور ، بل كأنهُ بقايا السحابة التي سُمع منها صوت الآب

لو اردنا ان نأتي بشيء من تاريخ جبل الطور لطال بنا الامر اذ لا حجر فيه الّا ويذكرنا بأحداث جليلة وقعت هناك منذ عهد بني اسرائيل الى عصورنا الاخيرة . وانّما نكتفي بذكر القتال الشهير الذي وقع ما بين بونبرت والاتراك في هذه الاصقاع لقربه من عهدنا

كان بونبرت قد استولى على مصر وزحف على سوريا وضرب الحصار على عكا في ١٨ اذار سنة ١٧٩٩ فزحف من الشام عشرون الفاً من الاتراك واقاموا في شمالي جبل الطور الغربي فالتقى بهم القائد الفرنساوي كليبر في شرذمة قليلة وكان قد فصل عن الجيش ليراقب حركات العدو واوشك ان يهلك اذ دوت طلقة مدفع بشّرت بقدوم بونبرت فاغار حينئذٍ الافرنسيون على الاتراك وطوقوهم وكسروهم بفضل حنكة نابوليون بآداب الحرب

قضينا في جبل الطور ساعات هنيئة شائقة اوجبت علينا الشكر لحضرة الاب رئيس دير الفرنسيسكان لجميل ضيافته الاخوية وحسن استقباله

قانا الجليل او كفرقانا

قانا قرية شهيرة بالاعجوبة الاولى العلنيّة التي صنعها المسيح اذ حوّل الماء الى خمر (يوحنا ٢ : ١—١٥) وهي ايضاً مسقط رأس نتنائيل الذي دُعي ليدخل في عصافة الرسل الاثني عشر واسمهُ برتلماوس

تبعد قانا ساعة عن طرعان وساعة ونصفاً عن الناصرة وموقعها على الطريق الكبرى يبلغ عدد سكانها ٦٠٠ المسيحيون منهم ١٥٠ روم كاثوليك و ٦٠ لاتين و ٢٥٠ روم ارثوذكس و ١٠ بروتستانت والباقون مسلمون . وينتمي المسيحيون الى بيت الفريب وعقل (وأصلهم من اميون) وخشابون وشحاده ودانيال والمسلمون الى

بيت طاها وحمدان والزريقي وعباس والخطيب والعراودة

ويكرم الزوار في كنيسة الاباء الفرنسيسكانيين المكان الذي تمت به اعجوبة المسيح ويكشفون به من طاقة على ارض الكنيسة القديمة التي بُنيت في القرون الاولى ورُصفت بالفسيفساء ولم يزل مكتوباً فيها بالعبرية اسم المحسنين الى المكان المقدس

ومن اجلّ اثار قانا النبع الذي ورده الخدّام ليملأوا الاجاجين فهو في مدخل القرية الغربي يجري ماؤه ويطفح في حوض من حجر أُخذ من ناووس قديم ووُضع في هذا المكان لتستقي منه المواشي. وهناك ايضاً أجانة يزعمون انّها احدى الاجاجين الستّ التي تحوّل ماؤها خمراً

رينه

موقعها في منتصف الطريق بين الناصرة وكفرقانا . القينا فيها عظات الرياضة للروم الكاثوليك واللاتين معاً ورأينا فيها من غيرة الابوين الخوريين وحسن الاتفاق ما بين الطائفتين ما سرّنا وعزّانا فكان الابوان الجليلان اغناطيوس القادري ومرقس دالمديكو يبذلان سعيهما باجتذاب المؤمنين لسماع كلام الله فكانوا يؤمّون الكنيسة كلّ مساء بعددٍ عديد

كانت رينه خلوًا من الكاثوليك في اواخر القرن التاسع عشر لكن غيرة الاب المرسل اللاتيني مونيه (١٨٧٨–١٨٩٣) ردّت الى حضن الكنيسة كثيرين من اخوتنا المبتعدين عنها. واليك عدد الطوائف المسيحية: الروم الكاثوليك ١٢٦ واللاتين ١٠٠ وكلهم ينتمون الى بيت ابي رحمون وسكران ومنصور وشحاده وموسى وابي حنا يوسف الشائب. ثمّ الارثوذكس نحو مئتين ومن اعيانهم جرجس الخوري وايوب ابو يوسف. اما المسلمون فعددهم ٣٥٠ ومن وجهائهم ديب عبد الرحمان (المختار) ونمر الاحمد علي

تجوّلنا في انحاء القرية فلم نجد فيها من الآثار القديمة سوى عدة نواميس محفورة في زوايا الآكام الّا انه لم يعثر احدٌ بعد على كتابة تفيد شيئاً عن تاريخ البلدة. وانّما ذكر كتبة الفرنج موقعة حدثت في ١ ايار سنة ١١٨٧ في الغرب من عين الجوزة

شمالي ريته قاتل فيها الصليبيون وعددهم ٧٠٠ طليعة جيش صلاح الدين الأيوبي المؤلفة من ٧٠٠٠ جندي فهلك الصليبيون جميعاً الّا استاذ الهيكليّين الاعظم وثلاثة من فرسانه

مشهد

أدّى بنا تجوّلنا الى قرية المشهد وهي جتّ حافر القديمة وطن يونان النبي (٤ ملوك ١٤ : ٢٥) ذكرها القديس هيرونيموس في مقدمته على سفر يونان فقال : «جتّ في حافر ضيعة صغيرة تبعد ميلين عن صفّوري (١ يجدها القاصدون الى طبرية على طريقهم وفيها قبر يونان» . وتقليد الاهلين على اختلاف اديانهم يؤيد هذا القول وكلهم مجمعون على ان في هذه المحلّة مسقط رأس ومدفن النبي يونان

تقرّبنا الى القرية فمرّنا في طريقنا في وسط احد الحقول على حجر من الظرّان المنحوت الراقي الى العهد السابق للتاريخ . وقد افادني رفيقي حضرة الاب دالمديكو انهُ قد اصاب غيرها مرارًا في تلك الجهات . دخلنا القرية وزرنا الجامع وهو قبو بسيط حقير معلّق فيهِ قانوس وفي جانبهِ بعض الكتب الدينيّة . وسألنا عن السكان الوجهاء فذكروا لنا الشيخ عبد الحليم وسليماً العبد ابن الشيخ القديم وفي بيتهِ مضافة لاستقبال الضيوف اذا حلّوا في القرية

والقرية المشهد نبع يشربون منهُ حتى اذا شحّ عمدوا الى الآبار . ثم عدنا الى ريته ومررنا بين حقول القمح واذا اكثرهُ ذاوٍ مصفرّ لأن دودةً عاثت بهِ واذا لم تمطر السماء لتقتلها يُخشَ على تلف معظم الموسم

يافا الناصرة

قبل ان نأتي على ذكر الناصرة مدينة العذراء افضل ان افيد القرّاء الكرام عمّا وجدته في يافا المنسوبة الى الناصرة وهي قرية واقعة في تخوم هذه المدينة غربيًّا لا تبعد عنها الّا ثلاثة ارباع الساعة وهي آخر محطّة ارسلني اليها راعي الابرشيّة

ويافا هذه قرية تدلُّ على قدمها آثارٌ عديدة تُرى فيها كالنواميس المحفورة في

١) تبعد عن صفوري ثلاثة اميال لا ميلين عن المشهد

الصخور وقطع العواميد والتيجان. وبين صخورها حجرٌ نُقش عليه صورة منارة (شمعدان). وقد ذكر المؤرخ يوسيفوس هذه القرية فقال انها كانت مدينة ذات شأن نحو السنة الستين قبل المسيح ثم فتحها الرومان تحت قيادة طيطس فقتل اهلوها بعضهم بعضاً لئلا يسقطوا تحت حكم اعدائهم الوثنيين . ويسكن اليوم في هذه القرية من الروم الكاثوليك ٢٠٠ ومن اللاتين ١١٠ ومن الارثذكس ١٥٠ ومن المسلمين ٣٠٠ وفيها مدرسة للصبيان تحت ادارة الاب الخوري البطريركي اللاتيني ومدرسة للبنات تحت ادارة راهبات الوردية وفيها الآباء الفرنسيسكان كنيسة شادوها على اسم الرسولين يعقوب ويوحنا ابني زبدى

وراعي طائفة الروم الكاثوليك هو الاب الفاضل الخوري مخائيل ابي عراج ومن وجهائهم بيت الزعاتري واصلهم من بني نمر من شرقي الاردن. وغيرهم ينتسبون الى بني هزيم وللاسلام حمولتان حمولة الخطباء واصلهم من الكنير التابع لجبل نابلس وحمولة الخليلية واصلهم من خليل (حبرون) مدينة ابرهيم الشهيرة

باشرنا في يافا رياضة للكاثوليك اقبل عليها جمهور كبير . وكانت النساء في ساعات الفراغ يشتغلنَ بطلاء بيوتهنَّ بالكلس لان الحكومة تهدَّدت بالحبس والجزاء النقدي كل انسان لم يطلِ بيتهُ في برهة ١٥ يوماً حفظاً على النظافة وعلى صحّة الاهلين لان الكلس يقتل الحشرات التي تأوي الى المساكن وتنقل جراثيم الامراض من الاعلاء الى الاصحاء . هذا ولنا كلمة نقولها في شأن البلاد الفلسطينيّة وحكمها

بناء على ما سمعناه وشاهدناه يشكو الجميع من الضرائب الباهظة التي فُرضت على الاهلين فان عبئها ثقيل ينوء دونهُ عاتقهم وحالة الفلّاح لمنا يُرثى لهُ في بعض القرى حيث يضطرُّ الى اقتراض ثمن البذار بالربا الفاحش (اربعة او خمسة بالمئة الى ستة شهرياً) وهو يعلّل امالهُ بربح الموسم ليفي ديونهُ فلا يكاد يحصل على ما يؤمّلهُ ولا طاقة لهُ لتحسين ارضهِ بالوسائل الزراعيّة المستحدثة فهو ابداً مغلوبٌ في امرهِ

على ان الحكومة تسهر بكل حرص على الامن العام فتضرب باشدّ الصرامة على أيدي المعتدين ولرجال الدرك هيبة في اعين العموم والاملاك الشخصية مصونة فلا تدخل بقرة في حقل الّا وصاحبها حُوسب عنها

وقد اظهرت الحكومة همّة يثنى عليها بتنشيط الزراعة وحسبي ان اذكر ما رأيتهُ

في يافا الناصرة فانَّ الاهلين غرسوا فيها مؤخرًا ٣٥٠٠ زيتونة ومن ٥٠٠ الى ٦٠٠ تينة ومثلها التفاح و ١٠٠٠ شجرة لوز و ٣٠٠٠ كرمة ولا شك ان الصهيونية مع ما تُلحقهُ من الاضرار بصالح فلسطين سوف تفيد بعض الافادة لما يبديهِ الفلاح الالماني او البولوني من النشاط في زراعة الاراضي التي حلَّ فيها فيتعلَّم الفلاح الوطني من اليهودي الاجنبي ويأخذ عنهُ همتهُ واساليبهُ فيعيد لهذه البلاد خصبها القديم ان شاء الله

ان المسافر اذا خرج من يافا الناصرة قاصدًا الى حيفا يجد على شمالهِ قريةً يخالها قطعةً من بلاد الفرنج أُلقيت في طرف مرج ابن عامر الشمالي وهي مستعمرة «معلول» اليهودية ابتاعها الصهيونيون من آل سرسق ووزَّعوها على فلاحيهم فاخذ هؤلاء يستثمرونها فكلَّل النجاح سعيهم هناك املاك واسعة على طرف الطريق غُرست فيها اشجار الاوكالبتوس فنمت وارتفعت بسرعة مدهشة وصارت حمايةً للحقول التي وراءها المزروعة باتقان وترتيب . هناك ايضاً صفوف بيوت بُنيت حديثاً تضحك للشمس استقتُها الحمراء بين الرياض الخضراء . يا ليت فلاحنا يرى ويتعلَّم فيصلح احوالهُ

(التتمَّة اعدد آخر)

رسالة

المطريرك ميخائيل جروه السرياني

في

اثبات عقيدة المطهر

هذه الرسالة الفريدة كتبها في دير الشرفة المالك الرحمات البطريرك ميخائيل جروه في غرَّة القرن التاسع عشر بعد ارتدادهِ عن اليعقوبيَّة وأثبت بها حقيقة المطهر من العهد السرياني ومن اقوال الآباء والكتب المقدَّسة . وقد عثر على نسخة منها خطيَّة حضرة القس باسيل بشوري السرياني البغدادي فاعاد فيها النظر وعُني بتنقيحها وارسلها الى مجلة المشرق . فننشرها بنسبة تذكار

الموق الواقع في ثاني يوم من هذا الشهر المبارك

نستمطر عليكم أيها الابناء الاعزاء البركات السماوية ونستمدّ من الله لكم الخيرات الروحية والزمنية ونسأله تعالى بحفظكم ووقايتكم

امّا بعد لمّا كان الله جلّ سبحانهُ قد هدانا الصراط المستقيم ودعانا لرعاية نفوسكم العزيزة المفتداة بدم الحمل الالهي اقتضى علينا من باب الذمّة ان نورد نفوسكم العطشى حياض التعاليم الصافية التي تعلمها كنيسة المسيح الجامعة الرسولية. واول حقيقة نثبتها لكم من طقس كنيستنا السريانية وآبائها وملافنتها وكتبها هي حقيقة المطهر الذي يعبّر عنهُ في السريانية بلفظة شيول (ܫܝܘܠܐ) وبناء عليهِ نقول :

من المقرر المثبوت بالايمان انهُ يوجد ما عدا السماء مقرّ الابرار وجهنم سجن الاشرار محلّ ثالث تسكنهُ انفس صالحة وتقاسي فيهِ عذابات شديدة لكي توفي للعدل الالهي ما عليها من القصاصات الزمنية وهذا المحلّ ندعوه مطهرًا لان النفس تتطهر فيهِ من صدأ نقائصها كما يطهّر الذهب بالكور. ومن المستحيل ان تعرّج نفس الى السعادة وهي ملتطخة باوساخ نقائصها مهما كانت خفيفةً كما يوضحه لنا الوحي بلسان يوحنا في سفر الجليان(٢١ : ٢٧) لا يدخلها شيءٌ نجس. وبفم النبي داود (في المزمور ٢٣ : ٤)عند كلامهِ عن ابدية الابرار التي لا ينالها : الّا طاهر اليدين ونقيّ القلب

فمن هذه الاقوال الالهية يلزمنا القول ان النفس من بعد الموت مكاناً ثالثاً وهذا المكان سواء دعوناه مطهرًا ام سميناه يبوساً وهاوية فالمعنى واحد من حيث الاعتقاد. وفضلًا عن ذلك تؤيد لنا وجود هذا المحلّ القرابين الالهية المقدّمة على المذابح في الكنائس والصلوات من اجل انفس الموتى فهذه لا تقصد الكنيسة بها اسعاف النفوس الموجودة في جهنم النار لان دودهم لا يموت ونارهم لا تنطفئ وكل مساعدة مبذولة لاجلها تعود باطلة وعديمة النفع . ولا تتحرّى كذلك اسعاف الذين ظفروا بالسعادة الخالدة لانهم حاصلون على كمال الغبطة والراحة الابدية بل الاحرى بنا ان نقول اننا في حاجة دائمة الى استمداد شفاعتهم بما انهم المقربون الى عرشهِ تعالى. واذا ما عثرتم بالفاظ في سياق صلواتنا السريانية تشير الى غفران او راحة فهذه لا يمكنكم حملها الّا على الانفس المتعذبة في المطهر ولا تطرقنا الى تخطئة كلام الروح

القدس القائل بلسان صاحب الجليان: (لا يدخلها شيء نجس) وحاشانا من هذا الكفر الشنيع فيلزمنا القول اذن ان القرابين والصلوات المذكورة تقدَّم من اجل اسعاف الانفس المطهرية

١ شواهد طقسيّة في حقيقة المطهر

نضرب من ثمَّ صفحاً عن ذكر شهادة الكنائس قاطبةً وحسبنا ان نورد لكم اقوال كنيستنا السريانية التي تحدَّثت في كتبها الطقسية بهذا الصدد فمن ذلك (اولاً) ان كنيستنا تترنَّم مساء كل احد وعيد وتذكار ممتاز بعد صلاة العطر بما تعريبهُ: « ان ماء الحيوة الذي ارسل من الآب ونضح الفتية الثلثة داخل اتون بابل هو نفسه ينضح الاموات في مخادع الجحيم المظلمة ويغفر نقائص عبيده الذين رقدوا على رجائهِ ويورثهم الملكوت الذي لا يزول ولا يحول »

ألا امعنوا النظر يا ايها الابناء الاحباء بهذه الالفاظ: « ويغفر نقائص عبيده » فمنها تستنتجون ان النفس من بعد الموت تحتاج الى غفران نقائصها وهذا الغفران لا نجده في السماء لانه محلّ الانقياء ولا في جهنم لانه محل العذاب الابدي فاذن المراد بمخادع الجحيم المعدَّة لها عن المحل الثالث وهو الذي ندعوه المطهر

(ثانياً) وقد ورد في جملة الصلوات التي نقولها قول كنيستنا معرَّباً: « المجد لذلك الكلام الذي قاله ربنا في بشارته. ان كلّ من يأكل جسدي ويشرب دمي الحيّ لا اتركهُ بالهاوية لاني لاجله تنازلت وذقت الموت لكي يحيا الى الابد » فتأملوا يا رعاكم الله بعبارتهِ: « لا اتركهُ في الهاوية » والهاوية هنا هي تعريب شيول (ܫܝܘܠܐ) السريانية التي لا يمكننا حملها في هذا الكلام على جهنم كما سبق القول اذ لا مناص للنفس الهالكة فيها فاذن يجب الاقرار صريحاً ان المراد بها هنا محلّ المطهر

(ثالثاً) ترتل كنيستنا في القرمة الثالثة من ليلة الاربعاء البيت الآتي الذي هذا تعريبهُ: « طوبى للذي يقدّمُ الاحياء من اجلهِ القرابين حتى يكتب اسمهُ في علوّ السماء لانهُ ان كان موسى قد رسم اسماء الاسباط بالواح الحجر حتى يستمرّ ذكرها امام الله ثابتاً فكم يجب عليكم ان ترسموا بالمائدة المملوة حياةً اسماء امواتكم حتى اذا ذُكروا في البيعة هنا يُكتبون في علاء السماء ايضاً ويتنعمون مع المسيح عند

مجيئه» . . فمن هذا الكلام نُقيم الحجة لتأييد ما نحن بصدده ونقول : ان كان الاموات لا يحصلون على جدوى من القرابين المقدَّمة لاجلهم فعلامَ تطوّبهم الكنيسة وتوجّه اليهم هذا الاسعاف ؟ بل ما هي الغاية من حثّها المؤمنين بتقديم القرابين عن انفس موتاهم ان كان لا يحصل منها فائدة لها ؟ أفلا والحالة هذه يسوغ لنا اذ ذاك ان ننسب اليها كلاماً تفوّهت به عن غير معنى ؟ ومن منكم تحملهُ الجراءة ان يشين كنيستنا بنسبة كهذه يضحك منها الجهول؟ فيلزمنا القول اذن ان القرابين والصلوات التي نقدّمها لاجل اخوتنا لها فائدة عظمى وفاعلية كبرى لإسعافهم في النيران المطهرية . ولعلَّ معترضاً منكم يذهب الى القول : اذن يُستنتَج من كلام الكنيسة الآنف الذكر ان الانفس لا تلج سعادة الابرار حتى مجيء المسيح يوم القيامة تبعاً لكلامها : «ويتنعمون مع المسيح عند مجيئه» . وعليه نجيب ان كنيستنا تعتقد بخلاص النفس التي تغادر الجسد بحال النعمة حالاً بعد وفاتها ما عليها للعدل الالهي من القصاصات الزمنية في المطهر وهذا يؤيده كلامها الذي اوردناهُ « ويغفر نقائص عبيده الذين رقدوا الخ» . فاذن يجب ان نحمل كلام الكنيسة «ويتنعمون مع المسيح عند مجيئه» على اشارتها الى قيامة الاجساد عند مجيء المسيح الثاني حين تتنعم الانفس الصالحة باتحادها مع اجسادها

(رابعاً) قد جاء مسطوراً في نافورة القداس الالهي الكلام التالي المأخوذ من اقوال القديس افرام السرياني الذي يتلوه الكاهن بعد تشيشت الاموات : «ان كان موسى قد منح الحيرة بدم الحيوانات لروبيل الذي اخطأ (تث ٣٣ : ٦) فكم بالاحرى يُغتفر للموتى المؤمنين بواسطة الذبيحة الحيَّة التي تُذبح من اجلهم » . فهوذا الكنيسة تعلّمنا بلسان احد قديسيها العظام هذه الحقيقة وترشدنا الى الاعتقاد بفاعلية الذبيحة التي بواسطتها تتنشل النفوس من عذاب المطهر الزمني . فايُّ ريب عاد يخامركم من جهة الاعتقاد بحقيقة المطهر ؟ فان كان لذبيحة الحيوانات في العهد القديم هذه الفاعلية لغفران الذنوب فكم تكون الافضلية اعظم لفاعلية الذبيحة الالهية في العهد الجديد فضلاً عن ان تلك ما كانت الا رمزاً للحقيقة ؟

(خامساً) اننا نتلو في فرضنا صباح الثلاثاء بيتاً هذا تعريبهُ : « على جسر النار يجوز الصدّيقون من محلّ الخوف الى الموضع المملوّ حياةً حيث يفرح ابراهيم واسحق

ويعقوب الصدّيقون متنعمين». ففي هذا الكلام الدلالة صريحة على وجود المطهر. فالجسر الناريّ المعبّر به عن المطهر لا يصدق القول به عن جهنم لان المعذبين فيها لا يستطيعون الاجتياز منها الى محلّ الحياة حيث يتنعم ابراهيم واسحق ويعقوب الصديقون. وهذا ما تؤيده لنا قصّة الغني في الانجيل الطاهر الذي طلب من ابراهيم أن يرسل لعازر اليه. فكان لهُ جواب ابراهيم: «ان بيننا وبينكم هوّة عظيمة» (لوقا ١٦: ٢٦) فالمراد اذن بجسر النار المطهر الذي تجتازه انفس الصديقين لكي تتطهر من ادران نقائصها قبل فوزها بالسعادة الخالدة

(سادساً) نصلي في فرضنا السرياني مساء الاثنين هذا البيت معرّباً: «ليكن لنا جسدُك الذي تناولناه ودمُك الحي الذي شربناه جسراً ومجازاً لكي بها ننجو من النار ومن جهنم. ان من امعن النظر في هذا الكلام رأى ان كنيستنا قد ميّزت محلّين مختلفين بقولها: لكي بها ننجو من النار ومن جهنم. فقصدت بلفظة النار الاشارة الى المطهر وبكلمة جهنم الدلالة على حبس الهالكين

(سابعاً) نتلو في فرضنا ايضاً في القومة الثالثة من ليلة الاثنين ما تعريبهُ وهو: «ليس ليلٌ الّا وذكرتُك فيه على مضجعي. وفي الليالي هدأتُ بك لانك مخوفٌ. سمعت صوت دانيال يقول: نهر النار يجري من امامك فيا ويلي اني جائز به وذنوبي كثيرة فان لم تشفع فيّ لدنك نعمتُك فلتُحطني مراحمك واشفق عليّ برحمتك». فلا ريب ان المراد هنا بنهر النار الدلالة على المطهر الذي به تجوز النفس وهي ترتاع من عذاباته نظراً لكثرة نقائصها فتستغيث من ثمّ برحمة مولاها الكريم لكي تفوز بنجاتها في السريع العاجل

(ثامناً) ترتل الكنيسة في الجنّاز الترنيمة التالية على لسان النفس المنتقلة فنرويها معرّبةً: «ان النفس تقول: قدّموا عوضي قرابين لانهُ لا يوجد شيء مفيدٌ لي كجسد الربّ. فلا يفيدني شيئاً البكاء والتنهُّدات بل انّما يفيدني جسد المسيح. وانتم يا ايها الكهنة اذا ما قمتم للصلوة فصلوا من اجلي. لكي انطلق واكون مقبولاً امام منبر المسيح»

ألا انظروا من ثمّ قوّة الاسعافات المقدمة لأجل الانفس المتعذبة في سجن المطهر وتأملوا باستصراخ النفس وهي في عذاب النيران تستمدّ صلوات الكهنة وتقدمة

الذبيحة الالهية لاجلها لتكون لها معراجاً يرقيها الى سعادتها عاجلاً فلم تطلب البكاء والتنهدات لراحتها لان ذلك لا يجديها نفعاً كما تفيدها تقدمة القرابين اعني القداديس الالهية . أفلا ترون هذه الاقوال كلها تنبئ بحاجة النفس الى التطهير من ادرانها . والحال ان هذا التطهير لا تجدهُ في جهنَّم بالوعة الفساد والاوخام فضلاً عن انقطاع كل امل من نيل الاسعاف فيها فيلزمكم الاقرار اذن بوجود محلّ ثالث وهو الذي يُدعى مطهراً

هذا وما اكثر المواضع في صلوات كنيستنا السريانية الطقسية التي تشير الى وجود المطهر وحاجة النفس المسجونة به الى الصلوات والقرابين فنضرب صفحاً عن ذكرها ونكتفي من ثمّ لاجل اقناعكم ان نسرد ما جاء مسطراً في الفصل الثالث والباب السادس من كتاب الحاوي المقبولة نصوصهُ في كنيستنا السريانية اذ قال في سياق كلامه على تطهير النفس :

«اذا ما فاجأ الموت انساناً على حين غفلة وكانت خطاياه عرضيَّةً تُنسَب الى نقص الطبيعة وضعفها فهذه العرَضيات وان كانت تنجّس النفس فيمكن التطهّر منها بواسطة الصلوات والصدقات وتقديم القرابين وسائر الاعمال الخيريّة المصروفة لاجلها . وكلّما تكرَّرت هذه الاعمال تدرَّجت النفس في التطهير وانتقلت من الاوجاع الى الصحة بمقتضى استحقاقها وتخلَّصت من الترسيح (هي لفظة عامية يراد بها السجن) وعليهِ فقد رسمت الكنيسة وحتمت باستمرار ذكر الاموات على المياكل بالصلوات وتقديم القرابين»

وبعد كلام مسهب ذكر الكتاب المشار اليهِ في الفصل المذكور مشبّهاً الهالكين برجُل الانجيل الذي دخل بيت العرس وليس عليهِ لباس العرس فطُرح في الظلمة خارجاً وقال : ان هذا الرجل هو صورة النفس الهالكة التي لا تنتفع من الاعمال الخيرية . ثم اردف كلامهُ وقال : اما الذي يدخل بيت العرس وعليهِ الثياب المثوبة بالاوساخ غير اللائقة بالعرس فان مثل هذا الرجل هو صورة النفس الحاملة نقائصها فيتحتَّم عليها غسلها بزوفى التطهير حتى تعود نقيةً واهلاً للجلوس بقرب الختن السماوي

٣ شواهد الكتب المقدَّسة على حقيقة المطهر

ثمَّ نثبت لكم هذه الحقيقة من الكتاب المقدَّس فنقول : ان السيد المسيح بقولهِ في انجيل متى (١٢ : ١٠) : «كل من يقول كلمةً في ابن الانسان يُغفر لهُ ومن يجدّف

على روح القدس لا يغفر لهُ لا في هذا الدهر ولا في الآتي » . اراد ان يوضح جلياً ان لبعض الخطايا مغفرةً في العالم الآتي . والحال ان لا مغفرة للذين في جهنم . فاذن يجب القول ان المغفرة هي للذين في سجن المطهر في الاخرى . وشرح هذه الايات بهذا المعنى القديسان اوغسطينوس وغريغوريوس . ويؤيد لنا ذلك بأجلى بيان كلام القديس اوغسطينوس في تفنيده زعم يوليانوس القائل بان : «لا غفران للخطيئة من بعد الموت» فقال اوغسطينوس : فان لم يكن غفران للخطيئة من بعد الموت فماذا حمل السيد المسيح الى أن يقول : والمجدف على روح القدس لا تُغفر خطيئتهُ لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر » .

وقال القديس بولس في رسالتهِ الاولى الى قورنتس (٣ : ١١—١٥) : «انه لا يقدر احدٌ ان يضع اساساً آخر سوى هذا الموضوع الذي هو يسوع المسيح . وان بنى احد على هذا الاساس ذهباً او فضّة او حجارة كريمة او خشباً او حشيشاً او قشاً فسيُعلَن عملُ كل واحدٍ . لان يوم الرب سيظهرهُ لانه بالنار سيُعلَن عملُ كل انسان كيف هو فالنار تمتحنهُ » . ان مراد القديس بولس بهذا الكلام ان اعمال النفس المنتقلة سوف تتنقّى بالنار وبعد تطهيرها تفوز بسعادتها والحال ان هذه النار لا تصدق على نار جهنّم فاذن هي نار المطهر

وجاء في سفر المقابيين الثاني (١٢ : ٤٣—٤٦) ما يؤيد هذه الحقيقة باجلى بيان اذ قيل : « انهُ جمعَ الصدقة وارسل الى اورشليم الفَي درهم من الفضّة ليقدّم عن خطايا الموتى ذبيحة لانه مقدّسٌ وصالح الفكر ان نصلي على الموتى لكي ينجوا من الخطايا » . فينتج من هذا الكلام الالهي ان للموتى غفراناً في العالم الآخر يفوزون به بواسطة اسعافات الصدقة والصلوات والاعمال الخيرية المصروفة لاجلهم وهذا كان اعتقاد المقابيين قاطبةً وبني اسرائيل ايضاً لان يهوذا المقابي كان من نسل الكهنة وكان يعمل بموجب سنّة سلفائهِ الاحبار

ويؤيد الحقيقة التي نحن بصددها ما فعله اهل يابيش جلعاد اذ صاموا سبعة ايام لاجل الملك شاول وبنيهِ الذين قُتلوا في حرب الفلسطينيين (سفر الملوك الاول ٣١ : ١٣) . وما عمله داود اذ صام وناح باكياً هو ورجاله على يوناثان ابنه الذي قُتل في حرب الفلسطينيين (٢ ملوك ١ : ١٢) . وما كان في قلوب الرجال الابرار من الرغبة والشوق

لدفن امواتهم في ارض الميعاد حيث كانت تقدَّم لاجلهم القرابين والصلوات والصدقات . فهذه الاعمال الخيرية كلها تشير الى حاجة النفس الى الاسعاف من بعد الموت

ولنا في آيات اخرى من الكتاب الكريم ما يشير الى هذه الحقيقة قال الملك والنبي داود في ضراعته الى الله سبحانه (المزمور ٦ : ٢) : « يا رب لا بغضبك توبخني ولا برجزك تؤدبني » . فشرح القديس اوغسطينوس هذه الآية قائلاً : ان مراد النبي بهذا القول الموحى طلبتهُ النجاة من جهنم وعذاب المطهر فكأنه يقول : يا رب لا بغضبك توبخني في نار جهنم ولا برجزك تؤدبني في نار المطهر . وقال هذا النبي في محلٍّ آخر من زبوره (٦٥ : ١٠—١٢) : « لانك ابتليتنا يا الله واحميتنا كما تُحمى الفضة . أدخلتنا في النخ وجعلت الاحزان فوق ظهورنا ورفعت الناس على رؤوسنا . جزنا في الماء والنار واخرجتنا الى الراحة » . فيراد بالماء من كلام النبي الاشارة الى المعمودية وبالنار الدلالة على عذابات المطهر . وزيدوا على ذلك قول طوبيا لابنه ساعة مماته (٤ : ١٨) : « ضع خبزك وخمرك على مدفن البار . ولا تشرب منهُ مع الخطأة » كانه يقول : اصنع وليمة وادعُ الفقراء ليأكلوا ويشربوا تذكاراً للموتى الذين ينتقلون بنعمة الله من هذه الحياة . واردف قائلاً : « ليصلوا من اجل الموتى ويدعوا لهم بالرحمة »(١ . فان لم يوجد محلٌّ تتطهر فيه النفس فعلامَ نطق روح القدس بلسان طوبيا البارّ وامر بالصلاة من اجل الاموات وباستجلاب الرحمة عليهم من قبل ابي المراحم أفهل يعود كلامهُ جزافاً فحاشا ان تعتقد كنيستنا السريانية بحقائق تجحف بعقيدة الايمان الكاثوليكي . ونقرأ في نبوة اشعيا ما يزيد وضوحاً ايضاحاً اذ قال (٤ : ٤) : « ان الرب يغسل قذر بنات صهيون ويمحو الدماء من وسط اورشليم بروح العدل وروح التوقُّد » . فما هو يا ترى هذا الغسل سوى تطهير النفس من جرائرها « بنار المطهر » كما شرح ذلك القديس اوغسطينوس . وقال ملاخيا النبي في نبوته (٣ : ٤—٢) : « لانه مثل نار الصائغ ومثل عشب القصّار يجلس ويصوغ منقياً الفضة وينقي بني لاوي ويسبكهم بالذهب والفضة » . لمن المحقق ان كلام النبي لا يصدق في هذه النبوة على الذين هم في الحيوة لانه لا يوجد تنقية في هذه الحيوة بين الاشرار والصالحين . وكذلك يقال الامر عن

١) لم نجد هذه الآية في سفر طوبيا الّا في الترجمة السريانية (١٢ : ١٢)

الذين في جهنم لانه لا تنقية هناك للهالكين وليس اهل الوطن السماوي في حاجة الى تطهير لانهم انقياء . فاذا يجب القول ان هذه التنقية والسبك كالذهب والفضة لا تشير الّا الى الانفس التي تتنقّى في النيران المطهرية من ادرانها وتخرج بعدئذٍ خالصةً كالذهب الابريز .

٣ شواهد للآباء القدّيسين في حقيقة المطهر

ثمَّ نثبتُ لكم حقيقة المطهر من اقوال الآباء والمعلّمين . قال القديس غريغوريوس الثاولوغوس : « ان النفس من بعد مفادرتها الجسد معمودية ثانية تسمّى معمودية النار شديدة التطهير تأكل نارُها المادّةَ كما تأكل العشب » . فمن لا يسلّم منكم بانَّ مراد القديس بهذه الالفاظ هو عن حقيقة المطهر لانه لا يمكننا حملها على نيران جهنَّم حيث تمتلئ النفس ظلاماً ولا سبيل لها للخلاص منها

وبهذا المعنى قد تكلّم الثاولوغوس موسى الحجري مطران الموصل في كتابه المسمّى «تفسير اسرار البيعة السبعة» اذ قال في سياق كلامه في مقالة المعمودية : المعموديات ثمانية فاراد بهذه المعموديات اسرار البيعة السبعة مضيفاً اليها معمودية النار التي تطهّر النفس في المطهر

وقد كرّر هذا القول عن المعموديّات الثمانيغريغوريوس العبري في الفصل الثالث من كتاب منارة الاقداس . وذكر هذا المؤلف نفسه معموديّة النار في كتابه المسمّى اتيقون في الفصل الثامن والباب الثالث عن المعمودية قائلاً : « كما ان اسرار البيعة السبعة المعبّر عنها بمعموديات تنقّي النفس من اوزارها فيلزمنا القول كذلك ان معمودية النار تطهّرها ايضاً من اوساخها » . والحال ان معمودية كهذه لا يمكن وجودها في جهنَّم النار كما سبق القول فاذن مراد هذا المعلم بمعمودية النار الاشارة الى المطهر

وقال القديس ديونوسيوس تلميذ القديس بولس الرسول في كتابه الجزء الثالث (ص٧) : « فليصنع الكاهن الموقر صلوةً مقدسة على الميت وليتوسل الى الله الحنون الرؤوف حتى يترك لهُ جميع خطاياه الصادرة منه بسبب الضعف البشري ويقيمهُ ويوقفه بالنور في مكان الاحياء » . وقال القديس اثناسيوس سائلاً هكذا : « هل

تحسّ انفس الموتى بالفائدة التي تحصل لها من صلوات المؤمنين الاحبار» فيجيب : « اي نعم تشعر بذلك من كلّ الوجوه» . والقديس اقليميس تلميذ القديس بطرس الرسول قد ألّف صلوةً تتلى لاجل الموتى في كتابهِ المعروف بكتاب المراسيم القسم الثامن (ف ٤٧) . وكذلك القديس باسيليوس المعظّم ألّف صلوةً لاجل الموتى ورسمها في نافورته . وقال القديس غريغوريوس النزينزي في اواخر العيد الذي كان ألّفهُ لاجل احد اصحابه المتوفى بالربّ : « لنصلي ونبتهل للرب الاله من اجل انفسنا وانفس الذين انتقلوا من هذه الحيوة ووصلوا الى المنزل»

وقال القديس افرام السرياني في ميمره الثالث مؤيّدًا ما نحن بصددهِ : « ألا تخطر ببالك تلك النار التي سنعبر جميعنا فيها . اي نعم اننا اذا ما جزنا في تلك النار سنصبح انقياء بلا معاب ونعرف حينئذٍ ذواتنا مَن نحن لان ذلك اليوم سيُعلن عمل كلّ احدٍ كما جاء مكتوباً : انه بالنار يُختبرَ» . وقال ايضاً هذا القديس في وصيتهِ الاخيرة : « اذكروني يا اخوتي دائماً بصلواتكم لاني قضيتُ حياتي بالباطل وبفعل الاثم »

وشرح القديس غريغوريوس كلام الرسول الى اهل قورنتس الذي مرّ ذكره وهو : ان بنى احد على هذا الاساس الخ . فقال : « ان كلام الرسول بهذه الآية لا يصدق الّا على محلّ المطهر » واستشهد ما اورده الاب تيكُن صاحب كتاب الحاوي في المقالة الثانية والخمسين تأييدًا لزعمهِ . فقال صاحب الكتاب المذكور : « سأل ذات مرةٍ بطرسُ معلمَهُ غريغوريوس قائلًا : أتسمك ان تعرّفني هل يوجد وراء هذه الحيوة نار منطفئة ؟ وان كان لذلك صحّة عرّفني بها . فاجابه القديس غريغوريوس : اعلم يا بطرس ان الانسان بالحالة التي بها يبرح هذا العالم فيها نفسها يقوم يوم الدينونة . وفضلًا عن ذلك يجب ان نؤمن بوجود نار منطفئة قبل الدينونة وهذه النار تشعلها الخطايا الخفيفة نظير كلمة بطالة او ضحك كثير او قلة احتفال الانسان باعمالهِ او اهماله العناية بالبحث عن نقائص اهلهِ او خدمهِ . فمثل هذه الخطايا وان كانت بذاتها خفيفةً فتوجد ثقيلةً بعد الموت نظرًا لقصاصها والوفاء عنها . ما لم يكفّر عنها الانسان وهو في هذه الدنيا فحينئذٍ يؤنس جيّدًا حسب قول الرسول : ومَن بنى على هذا الاساس ذهباً او فضة او حجارة كريمة الخ

وسُئل القديس غريغوريوس ذات مرة: اي خطايا تُغفَر للانسان الخارج من هذا العالم بالموت بواسطة الصلوات والصدقات والقداسات؟ فاجاب مضمناً كلام القديس ديونوسيوس الكبير: ان كانت خطايا الميت خفيفة وعرضية وجدت نفسه نفعاً عظيماً بما يصرف لاجلها من الاعمال المبرورة. وان كانت باهظة ثقيلة فقد أُغلقت ابواب الاسعاف بوجهه. ثم اضاف القديس قائلاً: فالواجب علينا اذن ان نسعى جهدنا ونهتمّ بنفوسنا ما دمنا احياء ولا نعتمد على ما يُعمل من بعد وفاتنا من قداسات وصدقات الخ. وروى اوسابيوس المؤرخ في سياق كلامه عن حياة الملك قسطنطين: ان هذا الملك طلب ان يُدفن في الهيكل المشهور لكي يشترك في الصلوات التي تُتلى هنالك

والقديس ابيفانيوس في كتابه الذي ألّفه ضدّ البدع والهرطقات قد فصّل الصلوات التي يجب تلاوتها لاجل النفس الموتى. وقد حرم هذا القديس آريوس واعتبره هرطوقيًا لكونه انكر الصلوات وجحدها. والقديس باسيليوس الكبير قد أيد في مواضع شتى من تآليفه حقيقة وجود النيران المطهرة بعد هذه الحياة لاسيما في شرحه كلام اشعيا النبي القائل: ان الربّ يغسل دنس بنات صهيون ويمحو الدماء من اورشليم بروح الحكم وبروح الاحتراق. فقال ان روح الاحتراق سيكون بنار الاختبار المطهرة. والقديس غريغوريوس نيصص عنّف الذين ينوحون على اموالهم في احد مياسره عن الاموات. ومثلهُ عمل القديس غريغوريوس الناولوغوس في احدى خطبه لعيد النطقسطي اذ قرّع الذين يتشبثون بالبكاء على الميت ويعرضون عن اسعافه باعمال مبرورة. وقال المعلم تاودوريطس الشهير مؤيد حقيقة المطهر في شرحه رسالة بولس الرسول الاولى الى قورنتس هكذا: نؤمن ان هذه النار التي تنقّي الانفس وتطهرها كما يطهّر الذهب بالكور هي النار المنطفئة

وقال القديس يوحنا فم الذهب في عظته الحادية والاربعين لدى شرحه رسالة بولس الرسول الاولى الى اهل قورنتس هكذا: لا نساعدنّ الميت بالدموع بل بالطلبات والتوسلات واعطاء الصدقات. ثم اردف كلامه قائلاً: لنسعَ جهدنا في اسعاف الموتى ولنقدم الطلبات لاجلهم. وقال ايضاً في عظته التاسعة والستين: لم يسنّ الرسل باطلاً وعن غير جدوى هذه الامور ليكون تذكار الاموات في تقدمة الاسرار المرغوبة لانهم احاطوا علماً بالنفعة الحاصلة لهم منها. والقديس ايسيدوروس البليوسيّ الدمياطي

تلميذ القديس يوحنا فم الذهب بعد ان ذكر كلام القديس غريغوريوس في رسالته الثالثة والخمسين من كتابه الاول اعترض على نفسه قائلاً : لعلّ معترضاً يقول ان المسيح لم يبرهن لنا في انجيله عن وجود مكان من بعد الموت سوى محلّي السماء وجهنّم . فيجيب ان المسيح لم يبرهن لنا في انجيله عن كل امر بتوضيح بل نراه تارةً يدلُّ على شيء ظاهر بتصريح وطوراً على آخر بدلائل وتلويح . وقد دلّنا على وجود مكان المطهر بقوله : كن موافقاً لخصمك ما دمت معه في الطريق . لئلا يسلمك الخصم الى الحاكم والحاكم يدفعك الى المستخرج . وتُلقى في السجن فالحقّ اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس عليك . والحال ان آية السيد المسيح في هذا الكلام لا تتناول الّا الدلالة على محلّ المطهر لانهُ لا يمكننا حملها على جهنّم من حيث سبق الكلام بان لا خلاص للهالكين منها

فاذن ينتج من جميع ما اوردناه من اقوال الكتاب المقدس واللافنة والمعلمين القديسين وجوب الاعتقاد بمحلّ ثالث ما عدا السماء وجهنم بهِ تتطهر الانفس من ادران نقائصها وتوفي ما عليها للعدل الالهي قبل ولوجها جنة الابرار وهذا المحل ندعوه مطهراً . ثم يجب علينا الاعتقاد بان الانفس المطهرية تستفيد من الصلوات والحسنات والقداسات المخصّصة لاجلها كما اتّضح لكم ذلك من الاقوال السالفة

٤ اعتراضات الخصوم

الّا اننا نرى كثيرين من الهراطقة الذين يعترضون علينا بمثل الاعتراضات الآتية ونحن تعميماً للافادة رأينا من المناسب ان ندرجها في ذيل هذه الرسالة مع تفنيداتها باباً باباً فنقول : ﴿اعتراض اوّل﴾ يعترض البعض قائلين : ان نيران المطهر مادية والجوهر المادي لا يؤثر بالجوهر البسيط اي النفس فاذن النيران المطهرية لا تعذّب النفس

﴿والجواب ان يقال﴾ ان الجوهر المادّي لا يؤثر بالبسيط من حيث طبعهِ فسلّم امّا بقدرة الله فنكر . هذا وان العلماء اللاهوتيين وآباء الكنيسة قد ذهبوا اجمع بان النيران المادية في المطهر لها فاعلية لتعذيب النفس بقوتها الطبيعية وذلك بقدرة الله تعالى . وليس في ذلك من امر غريب لاننا اذا تصفحنا الكتاب المقدس رأينا الله سبحانه في اوقات مختلفة قد اخترق نواميس الطبيعة مستخدماً اياها لتنفيذ مقاصده الالهية . فمن جملتها إبطاله قوّة النار في اتون بابل اذ قصد حفظ الاطفال داخلها بلا

احتراق. ومنها قيامة المسيح من القبر حال كونه مختوماً بحجر كبير ودخوله على الرسل والابواب مغلقة الخ. فما لي اذكر عجائب الله لكم ولنا في الامور المختلفة نفسها امثلة تراها تفعل خلاف طبعها الوضعي. فمن ذلك الحديد ان من ذات هذا الجوهر الركوز في الاسفل ومع ذلك اذا ما علاه حجر المغناطيس اجتذبه الى العلو. فاذا وُجد في المخلوقات الطبيعيَّة خواصّ غريبة فلا عجب اذن لو احترقت النفس بنيران المطهر المادّيّة بقدرة الله.

﴿اعتراضٌ ثانٍ﴾ ربّ معترض يقول: ان القاضي يُعدّ ظالماً اذا قبض على مجرمين بذنبٍ ما فعاقب احدهما وترك الآخر دون عقاب. والحال ان الله القاضي العادل يعاقب النفس بنار المطهر دون الجسد مع كونهما مشتركَيْن بالخطية فاذن لا صحّة لتطهير النفس

﴿الجواب ان يقال﴾ ثمّ الكبرى: الحاكم يُعدّ ظالماً اذا ترك احد المشتركين بالذنب دون عقاب وكانَ كلاهما من طبيعة جوهر واحد مسلّم. اما خلاف ذلك فمنكر. والحال ان جوهر النفس وطبيعتها هي خلاف جوهر الجسد وطبعه فليس اذن اثر للجَوْر. وننكر الصغرى ايضاً اي القول بان النفس والجسد مشتركان بفعل الذنب على حدّ سواء لانه من الواضح المعلوم ان النفس هي العلة الفعّالة لكلّ عمل يأتيه الجسد بواسطة قواها الارادية ولها ملء السلطان عليه. وهذا مثبوت بالعمل اذ كلّ انسان يشعر بآلام الغضب والحدّة والميل الفاسد ويحسّ بارتياح الجسد الى انجازها الّا انهُ يشعر من جهة اخرى ان نفسه بقوّة ارادتها الحرّة تردعُ ذلك الارتياح حاكمةً عليه بحفظ شريعة الله فينتج من ثمّ ان الجسد ما هو الّا آلة لانجاز افعال الارادة التي هي احدى قوى النفس. ولزيادة الايضاح نقول على سبيل المثل: لو امتطى فارس صهوة جوادهِ وجَدّ في مواقعة عدوّهِ فادركه وانتصر عليهِ فلمن يُنسب هذا الانتصار؟ اليس للفارس؟ ونقول الامر بالعكس اعني لو خُذل وذُلّ واستحقّ غضب مولاه السلطان فمن يقع تحت طائلة اللوم ويؤاخذ بهذا الذلّ والخذلان أليس الفارس ايضاً لكونه هو العلّة الفعالة. فعلى هذا النسق يجب القول عن النفس فانها تُجزى بحسب اعمالها.

---

١) قد فات غبطة المؤلف ان يستشهد بآية الانجيل الطاهر (متى ٢٥ : ٤١) وفيها يقول: «انّ النار الابديّة معدّة لابليس وملائكتهِ» ومعلوم انّ ابليس وملائكتهُ كلهم ارواح بلاجسم. فان كانت النار تعذّبهم فبديهي ايضاً انها تستطيع ان تعذّب الانفس المطهرية

ان خيراً وان شراً وتنال ذلك على اثر مفادرتها الجسد . فلا يُعد اذن الله جل جلالهُ مخترقاً شريعة العدل لو عاقب النفس دون الجسد حتى يوم الدينونة الاخيرة بما انها علة للشر

﴿اعتراض ثالث﴾ لقد اثبتم وجود المطهر من آية متى الانجيلي (ص ٥ ع٥) في قوله: «كن موافقاً لخصمك ما دمت معه في الطريق لئلّا يسلمك الخصم الى الحاكم ويسلمك الحاكم الى المستخرج وتُلقى في السجن الحقّ اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي آخر فلس عليك». والحال ان هذه الالفاظ لا تدلّ على المطهر لان لفظة حتى في هذه الآية تعليليّة تدلّ على عدم النهاية اي على عذاب دائم. ويثبت ذلك قول الانجيلي عن يوسف ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر اعني ولم يعرفها حتى ولا بعد ولادتها. وقول الكتاب المقدّس عن غراب نوح: ولم يرجع اليه حتى يبست الارض والحال انهُ لم يرجع اليه ابداً. فاذاً المراد بقول الانجيلي: لا تخرج من هناك . . . حتى توفي الخ الدلالة على ابدية ذلك السجن اعني جهنّم وعبثاً تبرهنون بتلك الآية عن المطهر . ثانياً ان لفظة فلس في كلام الانجيلي تشير الى آلام السيد المسيح كما شرح ذلك ديونوسيوس بن الصليبي مطران آمد في كتاب تفسير الانجيل ومثله المفريان شمعون الطوراني فاذن عبثاً تريدون بالفلس التعبير عن النقائص والهفوات وبقايا الخطايا التي تتطهر منها النفس في المطهر حسب ادعائكم

﴿والجواب ان يقال﴾ عن لفظة حتى: ان «حتى» لها معانٍ شتّى فاذا جاءت بمعنى واو عطفية دخلَ ما بعدها بحكم ما قبلها ودلّت اذ ذاك على عدم النهاية كما برهنتم بآية الانجيلي عن مريم الدائمة البكارة وبغراب نوح الذي لم يرجع حتى ولا بعد يبوسة الارض. ثم ان «حتى» تأتي بمعنى انتهاء الغاية وحينئذٍ لا يصلح ما بعدها ان يدخل بما قبلها كقول الرب هنا فليست «حتى» بمعنى التعليلية او العطفية كما اعترض المعترض وهذا امر واضح ان النفس لا تخرج من حبس المطهر حتى توفي او الى ان توفي ما عليها للعدل الالهي. ونجيب على (الثاني) ناكرين تفسير المعترض لكلام الانجيلي بان الفلس يراد به الرمز عن آلام المسيح لان نصوص الكتاب المقدس يقتضي ان تُفسَّر حسب تواقيعها حرفياً بشرط الّا تخالف الاعتقاد او تضاد احدى قضايا الايمان. ثانياً يقتضي ان يكون مناسبة بين الالفاظ المستعارة والموضوع المقول عنه. والحال ان معنى الفلس

يراد به نقائص الانسان وهفواته ولا يوجد تنافر في هذا الشرح من حيث توقيع آية الانجيلي بل بعكس ذلك توجد مناسبة كبرى بين المستعار والموضوع فالاعتراض اذن باطل . وننكر ايضاً نسبة المعترض لابن الصليبي وللمفريان شمعون الطوراني شرح الفلس بمعنى آلام المسيح لان المذكورين قد شرحا هذه اللفظة بمعنى النقائص والصغائر. فهل يا ترى من الممكن ان المشار اليهما يعتبران دم المسيح من جملة النقائص والصغائر على فرض صحة ادعاء المعترض . فضلاً عن انهُ لا يوجد وجه مطلقاً للمشابهة بين الفلس ودم المسيح فاذاً عبثاً ادّعى المعترض بما ادّعى

﴿اعتراض رابع﴾ وربّ معترض يقول ايضاً ان لفظة شيول (ܫܝܘܠ) معناها الجحيم فقط ويؤيد ذلك قول يعقوب ابي الاسباط « ولا تنحدر شيخوختي الى الجحيم » فاذاً عبثاً تريدون بها محلّ المطهر

﴿والجواب ان يقال﴾ ان لفظة شيول (ܫܝܘܠ) لغةً تدلُّ بوجه عامّ على عمق في الارض وبوجه خاصّ تدل على خمسة مواضع في قلب الارض ولا ينكر ذلك من كان لهُ المام بمعرفة اللغة السريانية . (اولاً) تدل على جهنّم الهالكين يثبت ذلك بالآية الواردة في الانجيل الطاهر عن موت الغنيّ الهالك اذ قال عنهُ انهُ «قُبر بجهنم» ففي السريانيّة «قُبر بشيول» (ܘܩܒܪ ܒܫܝܘܠ) . (ثانياً) على حبس الاطفال الذين يموتون بدون عماد وهو معروف . (ثالثاً) على المحل الذي ندعوه مطهراً يثبتهُ قول القديس افرام: « مبارك مطر الحياة الذي نزل ورشّ الانبعاث على المضجعين في شيول » اي المطهر . (رابعاً) على اليمبوس حيث كان الآباء والانبياء محبوسين قبل مجيء المسيح . (خامساً) نأتي بمعنى القبر كما ورد في البيت الذي ترتّلهُ كنيستنا في مساء السبت وهذا تعريبهُ : « كما انّ المطر لا يترك زرعاً في الارض الّا وينتبه كذلك المسيح لا يترك ميتاً في القبر الّا وسيبعثهُ »

فبعد ان اوضحنا لكم بالكفاية عقيدة المطهر الذي فيه تتطهر النفس من خطاياها العرضية وقصاصاتها الزمنية وفنّدنا جميع الاعتراضات التي تَرِدُ علينا من الهراطقة نناشدكم الله من ثم يا ايها الابناء المحبوبون منا بيسوع المسيح بان تتمسكوا بهذه العقيدة وتؤمنوا بها لان الاقرار بها من باب ضرورة الواسطة للخلاص ونحثُّ غيرتكم لأن تطالعوا بامعان رسالتنا هذه وتتأملوا بجميع ما اوردناه بروح التواضع لا بروح

المجرفة بروح الدعة لا بروح الانتقام حتى اذا ما عملتم بمشورتنا الابوية تستجلبون عليكم البركات السماوية وتنالون رضانا. وعليه اننا في الختام نهديكم كبارًا وصغارًا بركتنا الرسولية. ولتشملكم ايضاً بركة الربّ المتعال وتحلّ على جميعكم باسم الآب والابن والروح القدس آمين

ابن تيميَّة والوهَّابيُّون

نظر تاريخي مذهبيّ للاب لويس شيخو اليسوعيّ

انَّ حملة جلالة ملك نجد عبد العزيز بن السعود على الحجاز ودخولهُ الطائف ثم مكَّة لمَّا ألفت نظر العام الى الوهابيين وتعاليمهم التي توافق في امور كثيرة آراء القاضي احمد بن تيميَّة فرغب الينا بعض القرَّاء ان نكتب لهم فصلًا في هذا الامام الشهير وانتماء الوهَّابيين اليهِ. واذ قد سبق لنا مقال واسع في الوهابيين واصلهم وتاريخهم ومذهبهم (في المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٣—٣٥ و ١٠٧—١١٧ و ١٧٨ — ١٨٢) نحيل القرَّاء الى مراجعتهِ ونكتفي هنا بذكر ابي تيميَّة واخبارهِ وآرائهِ الخاصَّة

جاء في تاريخ ابن الوردي (٢ : ٢٨٤) في تاريخ سنة ٧٢٨ ما نصُّهُ بحرفهِ :

« وفيها في ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة (ايلول ١٣٢٨ م) توفّي شيخ الاسلام تقي الدين ابو العبَّاس احمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الاسلام مجد الدين ابن البركات عبد السلام بن عبد الله ؛ ويروى ابن ابي عبد الله محمَّد) بن ابي القاسم ابن تيميَّة الحرَّاني الحنبليّ مستقلًا بقلعة دمشق وغُسِّل وكُفِّن وأُخرج وصلَّى عليهِ اوَّلًا بالقلعة الشيخ محمَّد بن تمام ثم بجامع دمشق بعد الظهر وأُخرج من باب الفرج واشتدَّ الزحام في سوق الخيل وتقدَّم عليهِ في الصلاة هناك اخوهُ والقى الناس عليهم مناديلهم وعمائمهم للتبرُّك وتراصَّ الناس تحت نعشهِ وحُزرت النساء بخمسة عشر الفًا وامَّا الرجال فقيل كانوا مائتي الف وكثر البكاء عليهِ وخُتمت لهُ عدَّة ختم وتردَّد الناس الى زيارة قبرهِ ايَّامًا ورؤيت لهُ منامات صالحة ورثاهُ جماعة »

فيشعر هذا الكلام بخطب جسيم وينعي بوفاة رجل عظيم فمن هو يا ترى هذا

الرجل الذي تهتزّ لموتـه مدينة دمشق وهو مع ذلك يموت معتقلًا كمجرم في قلعتها. فهذا هو السرّ الذي نحاول كشفهُ في الاسطر التالية مستندين في قولنا الى رواة عاشوا في زمانهِ كابن شاكر في فوات الوفيات وشمس الدين الذهبيّ المؤرخ الشهير وابن الوردي وغيرهم

١ مولد ابن التيميَّة وتهذيبهُ

ولد ابن تيميَّة بحرّان من مدن الجزيرة بين الرها والرقّة في ١٠ ربيع الاوّل سنة ٦٦١ (٢٣ ك ٢ ١٢٦٣ م) من أسرة فاضلة عُرف بعض افرادها بالعلوم الفقهيَّة منهم ابوهُ عبد الحليم وجدهُ محمَّد ابو عبد الله الذي ترجم بهِ ابن خلّكان. واسم تيميَّة نسبة الى تيماء المدينة الواقعة على طريق الحجّ وجد فيها جدّهُ فتاةً شبَّه بها ابنةً وُلدت لهُ في غيبتهِ فدعاها تيميَّةً وقيل بل كانت امّهُ تُدعى تيميَّة

انتقل احمد بن تيميَّة وهو صغير مع والدهِ واهلهِ الى دمشق مهاجرين هرباً من التتار الذين زحفوا على وطنهِ. قال ابن شاكر (١ : ٢٥) : « ساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلةٍ لعدم الدوابّ فكان العدوّ يلحقهم ووقعت العجلة فابتهلوا الى الله تعالى واستغاثوا بهِ فنجوا وقدموا دمشق في اثناء سنة ٦٦٧ »

سمع ابن تيميَّة من عدَّة شيوخ في الفيحاء يزيد عددهم على مائتي شيخ فحفظ القرآن وتعلَّم الخطّ والحساب واقبل على درس العربيَّة واخذ يتأمَّل كتاب سيبويه حتى فهمهُ وبرع في النحو ثمَّ اقبل على تفسير القرآن حتى سبق فيهِ وانكبَّ على الفقه وأحكم اصولهُ قالوا : « ادرك من كلّ ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة فاقهم الفضلاء من فرط ذكائهِ وسيلان ذهنهِ وقوَّة حافظتهِ »

٢ علومهُ وتآليفهُ

لو رجعنا الى اقوال مترجمي ابن تيميَّة لأخذنا العجب ممَّا رووهُ عن سعة علومهِ فيكاد كلامهم يذكّرنا بالنابغة الايطالي جان بيك ديلا ميراندول (J. Pic de la Mirandole) (١٤٦٣–١٤٩٤) الذي في الخامسة والعشرين من عمرهِ ادَّعى معرفة كلّ علوم زمانهِ (de omni re scibili) . فنعتَ العرب ابن تيميَّة « بالامام الرَّباني

إمام الائمَّة. ومفتي الأُمَّة. وبحر العلوم سيّد الحفّاظ. فارس المعاني والالفاظ. فريد العصر. قريع الدهر. شيخ الاسلام. قدوة الانام. علّامة الزمان. وترجمان القرآن. علَم الزهّاد. واوحد العباد. قامع المبتدعين. وآخر المجتهدين. صاحب التصانيف التي لم يُسبَق الى مثلها» (ابن شاكر). ومثلهُ قال بل زاد واطنب كثيرون من الشيوخ. قال كمال الدين ابن الزملكانيّ:

«كان ابن تيميَّة اذا سُئل عن فنّ من الفنون ظنّ الرائي والسامع انهُ لا يعرف مثلهُ. وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معهُ استفادوا من سائر مذاهبهم منهُ ما لم يكونوا عرفوهُ قبل ذلك. ولا يُعرَف انهُ ناظرَ احدًا فانقطعَ معهُ ولا تكلّم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع او غيرها الّا فاق فيهِ اهلهُ المنسوب اليهِ. وكانت لهُ اليدُ الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين . . . ولهُ نظمٌ وسط»

قد بلغت تآليف ابن تيميَّة على ما روى معاصروهُ نحو خمسمائة تأليف في ستَّة الاف كرّاس يكتب في اليوم والليلة نحوًا من اربعة كراريس مدارها على جميع المعارف الدينيَّة كتفسير القرآن والحديث والفقه ومسائل الشرع المتنوّعة والردود على المبتدعين. والبعض منها في عدَّة مجلّدات. قال كمال الدين:

«لهُ من المؤلفات والقواعد والفتاوى والاجوبة والرسائل والتعاليق ما لا ينحصر ولا ينضبط ولا اعلم احدًا من المتقدّمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنّف نحو ما صنّف ولا قريبًا من ذلك مع انّ تصانيفهُ كان يكتبها من حفظهِ وكتب كثيرًا منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج اليهِ ويراجعهُ من الكتب»

على انَّ معظم هذه المؤلّفات قد اختطفتها ايدي الضياع فلم يبقَ لابن التيميَّة في زوايا المكاتب الشرقيَّة في الشرق والغرب الّا نحو خمسين كتابًا طُبع منها قريبًا من ربعها ما يدلُّ على قلَّة اقبال العلماء على تآليفهِ بالنسبة الى رغبتهم في تآليف الصوفيين كالغزّالي واصحابهِ

٣ زهد ابن تيميَّة واخلاقهُ

قال ابن الوردي: «نشأ ابن تيميَّة في تصوُّن وعفاف وتعبُّد واقتصاد في الملبس والمأكل . . . ولم يتزوَّج ولا تسرَّى ولا كان لهُ من العلوم الّا شيء قليل وكان

اخوهُ يقوم بمصالحهِ وكان لا يطلب منهم غداء ولا عشاء غالباً وما كانت الدنيا منهُ على بال »

وقال ابن الزملكانيّ : « انتهت الى ابن تيميَّة الامامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والاناة والجلالة والمهابة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصدق والامانة والعفَّة والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله تعالى وشدَّة الخوف منهُ ودوام المراقبة لهُ والتمسُّك بالأَثر والدعاء الى الله تعالى وحسن الاخلاق ونفع الخَلْق والاحسان اليهم »

فترى من هذه النعوت ما كان لابن تيميَّة من المنزلة في قلوب أنصارهِ . على انهم مع هذا الاطراء لم يستطيعوا السكوت عمَّا كان يشيب اخلاقهُ من النقص . قال ابن الورديّ (٢ : ٢٨٨) :

« وكان فيهِ (اي ابن التيمية) قلَّة مداراة وعدم تؤدة غالباً ولم يكن من رجال الدول ولم يسلك معهم تلك النواميس واعان اعداءهُ على نفسهِ بدخولهِ في مسائل كبار لا يحتملها عقول ابناء زماننا . . . وارتفع وانخفض واستبدَّ برأيهِ عسى ان يكون ذلك كفَّارةً لهُ » . . .

وقال فيهِ الرحَّالة ابن بطوطة (١ : ٢١٥—٢١٨) وكان عرفهُ في دمشق وحضر خطبتهُ في جامعها : « تقيّ الدين بن تيميَّة كبير الشأن يتكلَّم في الفنون الَّا انَّ في عقلهِ شيئاً » فيشعر قولهُ بمسٍّ في عقلهِ وغارٍ في تصرُّفهِ

وفي ردودهِ على خصومهِ شيء من العجب والزهد . ومما يروى لهُ قولهُ :

لو لم تكن لي في القلوب مهابةٌ لم يطعن الاعداء فيَّ ويقدحوا
كالليث لمَّا هيبةٌ حطَّ لهُ الرُّبى وعوت لهيبتهِ الكلابُ الشُّبَّعُ

٤ تعليم ابن تيميَّة

انتصب ابن تيميَّة للتعليم اوَّلاً في دمشق وهو في سنّ الشباب قال الذهبيّ في تاريخهِ : « برع ابن تيميَّة في العلم والتفسير وأَفْتَى ودرَّس ولهُ نحو العشرين » . وفي تاريخ ابن الوردي انهُ أَفْتَى ولهُ اقلّ من تسع عشرة سنة (وقيل سبع عشرة سنة) وشرع في الجمع والتأليف ومات والدهُ ودرَّس بعدهُ بوظائف ولهُ ٢١ سنةً وبَعُد

صيتُهُ في العالم فطبَّق ذكرهُ الآفاق واخذ في تفسير الكتاب العزيز ايَّام الجُمَع على كرسيّ من حفظهِ فكان يورد ما يقولهُ في المجلس دون توقُّف ولا تَلَعْثُم وكذلك الدرس كان يورده بتؤدة وصوت جهوري فصيح». وقال الشيخ علم الدين في معجم شيوخهِ: «كان ابن تيميَّة يجلس في صبيحة كلّ جمعة على الناس يفسّر القرآن العظيم فانتفع كثيرون بمجلسهِ وبركة دعائهِ ... واناب الى الله خلقٌ كثير. فسَّر كتاب الله مدَّة سنين من صدرهِ ... بلغ تفسيرهُ اربعين مجلَّدًا. (قالوا) وكان اذا ذكر التفسير بُهت الناس من كثرة محفوظه وحسن ايرادهِ واعطائهِ كلّ قولٍ ما يستحقُّهُ من الترجيح والتضعيف والإبطال وخوضهِ في كلّ فنّ»

٥ مذهبهُ وآراؤهُ

كان ابن تيميَّة على مذهب احمد بن حنبل (١٦٤—٢٤١ هـ = ٧٨٠—٨٥٥ م) احد المذاهب السُّنِّيَّة الاربعة المقبولة في الاسلام تبع في ذلك اباهُ وكان من كبار الحنابلة. والمذهبُ الحنبليّ اقلّ المذاهب شيوعاً واشدُّها استمساكاً بالتقليد وابعدُها من كلّ ابتداع وتجديد. فكان ابن تيميَّة يتشبَّث بآراء ابن حنبل وربَّما غالى فيها واضاف اليها ما عرَّضهُ لمعاداة اهل زمانهِ. قال ابن الورديّ (٢ : ٢٨٧): «بقي ابن تيميَّة عدَّة سنين لا يُفتي بمذهب معيَّن بل بما قام الدليل عليهِ عندهُ ولقد نَصَرَ السُّنَّة المحضة والطريقة السِلَفيَّة(١ واحتجَّ لها ببراهين ومقدَّمات وامور لم يُسبَق اليها واطلق عباراتٍ احجم عنها الاوَّلون والآخرون وهابوا وجَسَرَ هو عليها»

وكان يقول بالتجسيم ويشرح ما ورد في القرآن من الالفاظ المَجازيَّة كوجه الله وعينيهِ ويدَيهِ وجلوسهِ شرحاً حقيقيًّا على خلاف ما هو شائع بين علماء المسلمين ويوافقهم بذلك النصارى في ما ورد منها في التوراة. اخبر ابن بطوطة في رحلتهِ قال (١ : ٢١٦—٢١٧):

«كنتُ بدمشق يوم الجمعة فحضَرْتُ ابن تيميَّة يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم فكان

١) هي طريقة الامام الحافظ صدر الدين ابن سِلَفة الاصبهاني المتوفي سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) وكان من اعيان المشايخ شافعيّ المذهب

من جملة كلامهِ أنْ قال: «انَّ الله يترل الى سماء الدنيا كنزولي هذا» ونزل درجةً من درجات المنبر فعارضهُ فقيهٌ مالكي يُعرف بابن الزهراء وانكر ما تكلَّم بهِ. فقامت العامَّة الى هذا الفقيه وضربوهُ بالايدي والنعال ضرباً كثيراً حتَّى سقطت عمامتهُ وظهر على رأسهِ شاشيَّة حرير فانكروا عليهِ لباسها واحتملوهُ الى دار عزّ الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فامر بسجنهِ وعزّرهُ»

ومن آرائهِ الخاصَّة انكارهُ لما يُعرف عند المسلمين بالاجماع والقياس لاستنباط الاحكام الفرعيَّة من الاصول بالادلَّة المنطقيَّة . واغربُ من ذلك انهُ صنَّف كتاباً في «الردّ على المنطق» فضلاً عن ردّهِ على الفلاسفة . ولعلَّهُ ناقضَ رأيهُ في ذلك بفعلهِ . وكان معادياً للصوفيين ولامامهم الغزالي ولأصحاب الطرائق وفند تعاليمهم ونسبها للشيطان وعلى مثالهِ جرى تلامذتهُ كابي الفرج ابن الجوزي في كتابهِ تلبيس ابليس وابن القيّم الجوزيَّة

وكان ابن تيميَّة من المعادين لشفاعة الاولياء وللسفر لزيارة قبر نبي الاسلام وقبور النبيين وينهى عن شدّ الرحال لذلك

ولهُ آراء أخرى في امور شتى لاسيما في احكام الشرع لا حاجة الى ذكرها

٦ مِحَن ابن تيميَّة

انَّ الآراء التي ذهب اليها ابن تيميَّة قد سبَّبت لهُ من المِحَن ما يطول شرحهُ حتى قيل عنهُ انهُ «لم يَخلُ من فتنةٍ بعدَ فتنة ولم ينتقل طول عمرهِ من محنة الَّا الى محنة» . وكان اوَّل ما أثار عليهِ بغض الأئمَّة معاصريهِ انهُ بيَّن خطأً كثيراً من اقوال المفسّرين واصحاب المذاهب. قال الذهبيّ :

«كان ابن تيميَّة اذا ذُكر التفسير فهو حاملُ لوائهِ . وان عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المُطلَق . وان حضر الحفَّاظ نطقَ وخرَسوا ، واستزاد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا ، وان سُمّي المتكلمون فهو فردهُم واليهِ مرجعهُم . وان لاح ابن سينا يتقدَّمُ الفلاسفة فلَسَهم وبَجَسهم وهتك استارهم وكشف عوارهم . فانَّ سيرتهُ وعلومهُ ومعارفهُ ومِحَنهُ وتنقُّلاتهِ يُحتمل ان توضع في مجلَّدين»

ولعلَّ تفوُّقهُ هذا على اقرانهِ كان سبباً لتحاملهم عليهِ . قال فتح الدين بن سيّد الناس :

دبَّ اليهِ من اهل بلادهِ الحسد ، وأكبَّ اهل النظر منهم بما يُنتقَد عليهِ من امور المنتقد ،

فحنظوا عليه في ذلك كلاماً قد اوسعوه لتلبه سلاماً وفوّقوا لتبديه سهاماً، وزعموا انهُ خالف طرائقهم وفرّق فريقهم فنازعهم ونازعوه وقاطع بعضهم وقاطعوه . ثمّ نازعتهُ طائفة أخرى ينتسبون من الفقراء (الصوفيين) الى طريقة ويزعمون انهم على طريق أرقّ باطن منها واجلى حقيقة فكشف تلك الطرائق ، وذكر لها مزاعم سوابق ، فآضت على الطائفة الاولى من منازعيه واستعانت بذوي الضعف عليه من مقاطعيه، فوصلوا الى الامراء امرهُ، واعمل كلّ منهم في كُفره فكره، فرتّبوا محاضر وسعوا بنقله الى حضرة المملكة بالديار المصريّة فنُقل وأُودع في السجن ساعة حضوره واعتُقل وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قوماً من عمّاو الزوايا والمدارس ، وربّك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون . . . فردّ الله كيد كلّ في نحره، ونجّاهُ على يد من اصطفاهُ والله غالب على امره »

وكانت اوّل محنة اصابتهُ في دمشق لسؤال ورد اليه من اهل حماة سنة ٦٩٨ (١٢٩٩م) في الصفات الالهيّة فأجاب بحسبما لها على ما سبق لنا القول فعُزل لذلك عن التدريس

وفي السنة ٧٠٥ عُقدت لهُ مجالس بحضرة الافرم نائب السلطنة في دمشق فناظر خصومهُ وانحمهم . الّا انّ قاضي الشافعيّة سار به الى الديار المصريّة ليحاكمه عند الملك الناصر وعلماء البلاد فعُقدت لهُ مجالس حاكموهُ فيها على كلامه في الاتحاديّة وطعنه بالمذاهب فحُبس سنة ٧٠٧ بحبس القضاة في جبّ القلعة مع اخويه سنةً ونصفاً . فكان يعلّم اهل الحبس ما يحتاجون اليه من امر الدين ثمّ اخرجوهُ الى الاسكندرية وجعلوهُ في برج حُبس فيه ثمانية اشهر يدخل اليه من شاء . ثم توجّه الى مصر واجتمع بالسلطان في مجلس حفل فيه القضاة واعيان الامراء فأكرم اكراماً عظيماً وشاورهُ الملك في قتل بعض اعدائه فامتنع الشيخ من ذلك وجعل في حلّ كلّ من آذاهُ

ثمّ سكن القاهرة وعاد الى نشر العلوم فجرت لهُ بعد مدّة محنةٌ أخرى لسبب قضيّة شيخ يُعرف بالبكري وغيرها فتوجّه الى الشام صحبة الجيش قاصداً الى العراق فرّ ببيت المقدس ثم رجع الى دمشق بعد غيبته عنها سبع سنين فاستأنف التعليم وتصنيف الكتب وإفتاء الخلق فأفتى في مسائل اوجبت السلطان ان يمنعهُ من الفتوى لكنهُ رجع اليها قائلاً : لا يسعني كتمان العلم . وبقي كذلك سنةً ثمّ حبسوهُ في القلعة خمسة اشهر بنيّف . ثمّ اطلقوا سبيلهُ الى ان حدثت مسألة شدّ الرحال الى قبور الانبياء والصالحين فشنّعوا عليه وجُعل بامر السلطان في القلعة فاقام فيها ومعهُ اخوهُ

يخدمه فاقبل على العبادة وصنَّف تفسيرهُ للقرآن. وكتب في المسئلة التي حُبس لاجلها مجلَّدات فظهر بعضُ ما كتبهُ فآل الامر الى ان مُنع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما عندهُ من الكتب ولم يتركوا لهُ دواةً ولا قلماً ولا ورقة وبقي اشهرًا على ذلك يتعبَّد ويتهجَّد الى موتهِ بعد مرضٍ دام عشرين يوماً فأسف الخلق عليهِ واهتزَّت دمشق لحفلة جنازتهِ فحُمل الى مقبرة الصوفيَّة ودُفن هناك بجانب اخيهِ الامام شرف الدين. قال ابن شاكر في ترجمتهِ (ص ٤١–٤٢):

«حضر جنازتهُ من الرجال والنساء أكثر من مائتي الف وشرب جماعةٌ الماء الذي فضل من غسلهِ واقتسم جماعة بقيَّة السدر الذي غُسل به وقيل انَّ الطاقيَّة التي كانت على رأسهِ دُفع فيها نحو ٥٠٠ درهم وقيل انَّ الخيط الذي كان فيهِ الزئبق الذي كان في عنقه لاجل القتل دُفع فيهِ ١٥٠ درهمًا (كذا!) وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير»

وقال في وصفه انهُ «كان ابيض شديد سواد الرأس واللحية قليل الشيب شعرهُ الى شحمة اذنهِ كأنَّ عينيهِ لسانان ناطقان رَبعة من الرجال»

٧ ابن تيميَّة والبدع والاديان

من راجع جدول مصنَّفات ابن تيميَّة يجدهُ لم يدع بدعةً او ديناً الَّا ناقضهُ وردَّ عليهِ ردًّا مطوَّلًا. وكان شديد التعصُّب يرى عمل السيف في كلِّ من يخالف دينهُ. بل يتشدَّد على ما لا بأس فيهِ كتحريم السَّماع وتحريم الشبَّابة وتحريم لعب الشطرنج وتقديم بَسْط سجادة المصلي قبل مجيئهِ. ومن تآليفهِ «كشف حال المشايخ الاحمديَّة واحوالهم الشيطانيَّة» وردود على القدريَّة والجبريَّة وعلى المعتزلة والاماميَّة والاشعريَّة. وممَّا نُشر لهُ فتواهُ في مقاتلة النصيريَّة والاسماعيليَّة والقرامطة. نشرها المستشرق غويار (St. Guyard) في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (سنة ١٨٧١ ج ١٨ ص ١٥٨–١٩٨) يبيح فيها اموالهم ودماءهم. ولا شك انهم هم الكسروانيُّون الذين ورد ذكرهم في تواريخ المسلمين كالنويري والكتبي. وكان ابن تيميَّة صنَّف فيهم كتابهُ «الردّ على الكسروانيين» وقد ظنَّ بعض كتبة الموارنة ان المقصود هنا بالكسروانيين ابناء طائفتهم وهذا غلط فانَّ الموارنة لم يكونوا في ذلك العهد استوطنوا كسروان. وقد روى ابو الفداء في تاريخ سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥م) وصالح بن يحيى في تاريخ

بيروت تفاصيل حملة المسلمين على كسروان (ص ٤٨-٥١) واهله النصيريَّة الظنّيين، اي الاسماعيليَّة والرافضة. فقتلوا ونهبوا واحرقوا وسلبوا وسبوا واسترقوا

وقد اظهر ابن تيميَّة تحمّسهُ الديني في مناهضة المغول فانهُ كتب ردًّا عليهم ولمَّا قدم التتار سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) الى البلاد الشاميَّة اجتمع باركان الدولة في دمشق ومصر واستصرخ بهم وحضَّهم على الجهاد ولم يكفَّ عن التحريض والتنشيط الى أن تمَّ الظفر لسلطان مصر في وقعة شقحب قرب دمشق سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٣م)

وقد تحكَّك ابن تيميَّة بالنصرانيَّة. فانَّ بين مصنَّفاته كتباً تدلُّ على تعرُّضه للدين النصراني منها الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح في اربعة مجلَّدات ردًّا على بعض رسائل بولس الراهب اسقف صيداء التي نشرناها سابقاً. ومنها كتاب التخجيل لاهل الانجيل. ومنها الرسالة القبرسيَّة وجَّهها الى ملك قبرس ليقنعهُ ببطلان النصرانيَّة. وقد اطَّلعنا على بعض هذه الردود فوجدناها على خلاف ما كنَّا ننتظر من علم ابن تيميَّة فانهُ كثيراً ما يُسيء فهم العقائد النصرانيَّة وينسب اليها ما هي براء منهُ او هي آراء لبعض الخوارج الذين حرمتهم الكنيسة بجامعها. وهو يصف الاحبار والقسيسين والرهبان بل عموم النصارى بالمراءاة والخداع ويزعم انهم ابدلوا دين المسيح وهو لم يعرف من هذا الدين الَّا ما هو دون القليل. ويزعم انَّ هرقل الملك واحبار نجران ومعظم النصارى اقرُّوا بنبوَّة محمَّد فلم يُذعنوا الى الحقّ عناداً او لغايات بشريَّة. ومن عجيب ما يقولهُ في علماء النصرانيَّة (ص ١٧ من الرسالة القبرسيَّة) « انَّ اكثر علمائهم زنادقة » واعجب من ذلك انهُ يعرّف هناك النصارى بعدم اقرارهم بانَّ في الجنَّة « اكلاً وشرباً ولباساً ونكاحاً ! ! » ثمَّ يدعو الى جهادهم. ولو اردنا تخطئة مزاعم ابن تيميَّة في النصرانيَّة لاحتجنا لا لاربعة مجلَّدات بل الى مكاتب واسعة هي والحمد لله مهيَّأة حافلة لمن يريد الاطّلاع على صحَّة دين المسيح كما تسلَّمتهُ الكنيسة منهُ تعالى بلا تغيير ولا تبديل. وليس بحث او مشكل ايًّا كان الَّا وقد اتَّسع فيه علماء الكنيسة في سائر القرون وفي سائر البلدان وفي سائر اللغات فكيف امكن ابن تيميَّة ان يردَّ عليهم وهو يجهل مذهبهم فضلاً عن كتاباتهم والسنتهم وتواريخهم المتواصلة بتقليد متسلسل الى اوَّل النصرانيَّة فطاش اذن سهمهُ وخاب املهُ

٨ ابن تيميَّة والوهَّابيُّون

انَّ بين تعاليم ابن تيميَّة والوهَّابيين علائق واضحة. فقد سبق لنا في مقالاتنا عن الوهَّابيين انَّ زعيمهم عبد الوهَّاب كان على مذهب احمد بن حنبل وكذلك ابن تيميَّة كان حنبليًّا بل غالى في تعليم الحنابلة كما يفعل حاضرًا ابن سعود وحزبهُ وهم من غُلاة الحنابلة يزعمون مثل ابن تيميَّة انَّ الاسلام قد حاد عن سذاجتهِ الاصليَّة التي كان عليها ولذلك يبغضون المتصوِّفين والزهَّاد واصحاب الطرائق المعروفين بالفقراء اوالدراويش. وتعصُّبهم لمذهبهم غاية في الشدَّة والفظاظة كما ذكرنا عنهم في تاريخهم لمَّا دخلوا في اوائل القرن التاسع عشر مكَّة والمدينة فعملوا فيهما ايدي النهب وجرَّدوهما من الهدايا والنذور ومنعوا زيارة قبر نبيِّهم وخلفائهِ الراشدين ونهوا عن شرب القهوة والتبغ فضلًا عن الخمور وعن ملابس الحرير. وقد سعى عبد العزيز بن السعود في تجنيد اهل دولتهِ بان ألَّفهم على هيئة جيش ذي فرقٍ مختلفة تُدعى بالاخوان يستصرخهم ويبعثهم لحروبهِ فيلبُّون دعوتهُ عن طيبة خاطر فعلى هذا المنوال قد وسَّع تخوم دولتهِ حتى صارت الآن تشمل معظم جزيرة العرب من نجد والبحرين والحجاز. وكان الانكليز يؤلِّفون قلبهُ بما يدفعون لهُ من المال ليكفَّ عن محاربة الملك حسين شريف مكَّة فقطعوا عنهُ ذلك الراتب منذ دخل الحجاز وفتح الطائف ومكَّة. والله اعلم بما سيأول اليهِ امر الوهَّابيين اذا ما حاولت بريطانية العظمى محاربتهم ولاسيَّما ان قسمًا كبيرًا من المسلمين مستاؤون من اعمالهم ومن شدَّة تعصُّبهم. وقد شاع آخرًا ان مصطفى كمال والاتراك يتقرَّبون من الوهَّابيين لبغض كلا الفريقين للاجانب فيمدُّونهم بالاسلحة والذخائر الحربيَّة ليتقرَّبوا من بلاد الانتداب فلسطين وسوريَّة

قطرة على غصن

من نظم جناب المحامي نجيب خلف

في رثاء الفتى الذكيّ تلميذ كليّتنا

ادمون بن انطون بك الخوري رئيس محكمة كسروان

اسفي على الغصن النضير اسفي على الظبي الغرير
قد كنتَ ترعى في العيون م وفي القلوب وفي الضمير
وبك المغاني جذلةٌ تهتزُّ من فرط السرور
واليوم خطبُك هدَّنا هدًّا بقاصمة الظهور
فالناس بين تلهّبٍ يُذكيه لعجٌ في الصدور
ومدامعٍ مصبوبةٍ ما اطفأت لهبَ السعير
وتحيُّرٍ لمصيبةٍ أودت بمعقول الصدور
ولكم غدا من مُهجةٍ حرّى ومن قلب كسير

***

ادمونَ نابغة الحداثة م صاحبَ الذهن البصير
ادمون يا نعمَ الفتى المنسوب ذا العقل الكبير

***

قد كنت نورًا في الدنيا و وقد غدت من غير نور
يا بدرَ تمٍّ نقصُهُ اذ تمَّ . ذا شأنُ البدور

اين الفضاضة والرواء م بذاك الجسم النضير

***

وهناك سُقمٌ حار م منهُ كلُّ ذي طبٍّ خبير
وغدا الأساةُ وما لهم علمٌ بما خلفَ الستور
والراء لا يدري من م المرئيِّ شيئاً عن قصور
وتراهُ يرجم بالظنو ن محلَّ الامر العسير
وتراهُ يلعب بالرما ل يهولهُ غوصُ البحور
ولقد كفى جهل الورى أن يجهلوا عُقبى الامور
فمشوا بظلمات الغبا وةِ منذ سالفة العصور
حتَّى بدا ربُّ الخلو دِ مضوِّئاً سُبل النشور

***

انظرون ان الصَّحب نا دوا بالشقاء وبالثبور
انظرون ليس لخطبك م الداهي المعظَّم من جبور
لولا الذي آجا لنا بيديهِ سلطانُ الدهور
ومُقصَّرُ الاعمار او ممدودها بيد القدير
ادمونُ عاريةٌ لديك فردَّ عاريةَ المعير
ان لم تَصبِرْ عن رضاً لم تغتنم اجر الصَّبور

***

هذي الدُّنى ان تَبلُها ليست سوى دار الغرور
والموت لا يُنجيك من أهوالهِ خفر الخفير
وبناء صرحٍ شاهقٍ تلجا اليهِ وشيد سور
فله الدخول الى القصور كما الى كوخ الفقير

لا حاجبٌ من دونـهِ أَوْلا فيعـدُ للدمورِ

***

ان كان آخرةُ الملا ذاك الحدورُ الى القبورِ
فلِمَ الحيـاة وكلُّهـا نَصَبٌ ولو ضنَّ القصورِ
ما قيمة الانسان عقباه م مكـوث في الحفيرِ ؟

***

يا نفس انـك عرضةٌ للموت منـهُ في شفيرِ
يا نفس أَنذَركِ الردى فأصغي الى صوت النذيرِ

***

والنفس ما دامت بهذا م الجسم كانت تحت نيرِ
فاذا هي انطلقتْ غدَت تعدو الى الوطن المنيرِ

***

يا روحَ ادمونِ الى م السموات باسم الله سيري
ان كان نعيُك هـا هنا فهنـاك تبشيرُ البشيرِ

***

ورأيت نفسكَ في الخيا ل فقلت مَلْكٌ في سريرِ
ورأيت روحك طـائرًا ومحلّقـاً فوق النـورِ
ورأيت بالايمان روحك والملائك في الحضورِ
ولك المسيحُ مخلّصٌ وبهِ بـهِ حسنُ المصيرِ

***

دارُ الخلود الملتقى وا فرطَ شوقي للنشور

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

٩ الاخطل التغلبيّ

ليس بين شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام شاعر بلغ مبلغ الاخطل التغلبيّ بجودة شعرهِ ومتانتهِ وغزارتهِ وتفنُّنهِ . وقد اتَّفق على ذلك كل ارباب النقد على اختلاف نزعاتهم واديانهم ومواطنهم . فلا يَسعنا ان نضرب صفحاً عنهُ في ذكرنا لشعراء النصرانيَّة في عهد بني امية وهو شاعرهم غير منازَع يفتخرون بهِ ويحلُّونهُ محلَّ ندمائهم واعزّ اصدقائهم ويجيزون لهُ ما لا يجيزونهُ لسواهُ من اصحابهم

على انَّ احد اخوتنا حضرة الاب انطون صالحاني قد شُغف بهِ وبشعرهِ منذ ثلاثين سنةً فلم يدع كبيرةً ولا صغيرةً من امورهِ الَّا كشف عنها القناع استناداً الى ثلث نسخ من ديوانهِ والى ما ورد من اخبارهِ متفرِّقاً في عشرات من تآليف الادباء وهو لا يزال يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ ليلتقط ما امكنهُ فاتهُ من آثارهِ ويُعدُّ فهارسهُ التي ستكلَّل طبعة ديوانهِ بتاجٍ من الكمال لا نظنُّ ان شاعراً آخر اصاب مثلهُ . وعليهِ لم يبقَ لنا الَّا ان نغرف من هذا البحر الطامي ونستخرج بعض دراريهِ لنصوغ لشاعرنا قلادةً صغيرة محيلين قرَّاءنا الى ما جمعهُ رصيفنا المفضال

﴿اصل الاخطل ونسبهُ وصباهُ﴾ هو ابو مالك غياث بن غوث من قبيلة تَغلب ابن تغلب . كان مولدهُ في اواسط القرن السابع للميلاد نحو السنة ٦٤٠ . ولد في الجزيرة اي ما بين النهرين حيث كانت منازل تغلب في جهات الرقَّة والرصافة . وكان ابوهُ غوث من وجوه قومهِ وامُّهُ ليلى تُعرف بامّ كعب وكانت تحبُّهُ وتُعنى بأمرهِ . وكان الولد اشهب الشعر لطيف المنظر فعلَّقت على صدرهِ صليباً لم ينزعهُ عن صدرهِ

حتى في ايَّام كهولتهِ وعند دخولهِ على الخلفاء فعُرف لذلك بذي الصليب

ما كاد الولد يبلغ اشدَّهُ حتى ظهرت فيهِ ملامح النجابة والذكاء ولعلَّهُ تفقَّه في اصول القراءة والكتابة على بعض كهنة قومهِ . وما يلوح من بعض اعمالهِ في صباهُ انَّهُ كان فرِهاً جريئاً سليط اللسان لا يهاب سطوة اكبر منهُ فلقَّبوهُ بالاخطل اي السفيه . وسَمِع الشعر من بعض مواطنيهِ فتنبَّه اليهِ ذهنهُ ووجد في قريحتهِ شحذاً لقَرْيهِ فقالهُ وهو غلام مترعرع

﴿دينهُ﴾ ولد الاخطل نصرانيًّا وتلقَّن مبادئ دينهِ في حداثتهِ وثبت عليهِ في مدى حياتهِ . والرجَّح انهُ كان على مذهب اليعقوبيَّة الذي كان شاع في قبائل البادية . وكان الاخطل يجاهر بدينهِ لا يعمل فيهِ الحياء البشري . والدليل عليهِ دخولهُ على الخلفاء والصليب على صدرهِ لا يخجل من حَمْلهِ علانيةً . كما انَّ هجاء اقرانهِ الشعراء ولاسيَّما جرير لم يؤثر فيهِ من هذا القبيل . ولمَّا عَرض عليهِ الخليفة عبد الملك ان يدين بالاسلام أبى ونجا منهُ بأبيات هزليَّة . وسمعهُ هشام بن عبد الملك ينشد في قصيدتهِ اللاميَّة قولهُ :

واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالح الاعمالِ

فقال لهُ : هنيئاً لك يا ابا مالك هذا الاسلام . فقال لهُ : يا امير المؤمنين ما زلتُ مسلماً في ديني . ولمَّا دعاهُ بعضهم في الكوفة الى دخول مسجد بني رؤاس ليصلِّي وكان مؤذنهم نادى بالصلاة قال (من الوافر) :

أُصلِّي حيثُ تُدرِكني صَلاتي وليس البِرُّ عند بني رؤَاس

وربَّما قرَّعوهُ بالكفر فكان لا يكترث لشتمهم . وعلى خلاف ذلك كان يرضخ لاوامر رؤسائهِ النصارى ويتقرَّب اليهم في اسرار دينهِ فكان «يقوم بين يدي قسيسهِ لأَخذ القربان» كما بكَّتهُ عليهِ جرير بعد قولهِ (من الطويل) :

وانِّي لقوَّامٌ مَقاوِمَ لم يكن جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومُها

بل كان مع ابائهِ وعزَّة نفسهِ لا يستنكف من تأديب رؤسائهِ لهُ كما اخبره عنهُ

في الاغاني ابو الفرج عن احد الرواة انهُ رأى القسَّ في الجزيرة وقد قبض بلحية الاخطل وضربَهُ بعصاهُ وهو يُصيّ كما يصيّ الفرخ فقال لهُ: اين هذا مما كنتَ فيهِ بالكوفة. فقال لا فُضَّ فوهُ: يا ابن اخي اذا جاء الدين ذَلَّلَنا (الديوان ٣٣٧)

واعجبُ منهُ ما رواهُ هناك ايضاً اسحاق بن عبدالله بن الحارث بن نون عن تذلُّلهِ في دمشق لقسّيسهِ وفي طبقات الجمحيّ (ص ١٤١) لاسقفهِ قال (الاغاني ٧: ١٨٢—١٨٣):

«قدمتُ الشام وانا شابٌ مع ابي فكنتُ اطوف في كنائسها ومساجدها فدخلتُ كنيسة دمشق واذا الاخطل محبوس فجعلتُ انظر اليهِ فسأل عني فأُخبر بنسبي فقال: يا فتى انك لَرجل شريف واني اسألك حاجةً. فقلتُ: حاجتُك مقضيّة. قال: انَّ القسَّ حبسني ها هنا فتُكلّمهُ ليُخلي عني. فاتيتُ القسَّ فانتسبتُ لهُ فرحّب وعظّم. قلتُ: انَّ لي اليك حاجةً. قال: ما حاجتك. قلتُ: الاخطل تخلي عنهُ. قال: «اعيذُك بالله من هذا. مثلُك لا يتكلّم فيهِ فاسقٌ يشتمُ اعراض الناس ويهجوهم». فلم ازل اطلب اليهِ حتى مضى معي متّكئاً على عصاهُ فوقف وجعل يمدّدهُ ورفع عليهِ عصاه وقال: «يا عدوَّ الله أتعود تشتمُ الناس وتهجوهم وتقذف المحصَنات» وهو يتضرّع اليهِ ويقول: «لستُ بعائد ولا افعل» ويستخذي لهُ. (قال) فقلتُ لهُ: «يا ابا مالك الناس يحابونك والخليفة يكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي لهُ (قال) فجعل يقول لي: انَّهُ الدين انَّهُ الدين»

وآثار الدين في شعر الاخطل قليلة سواء كان السبب ضياع بعض شعرهِ ام بالاحرى لعدم وجودهِ داعياً لوصف الدين. وفي ديوانهِ انهُ كان يحلف بالانجيل والقربان. وفي شعرهِ اشارات واستعارات منقولة عن عادات النصارى ومعتقداتهم وقد تكرَّر فيهِ ذكر الانبياء والجنّة والخلود. وقلّما تجد قصيدةً بين قصائدهِ الّا دلّت على تديُّنهِ ان لم تدلّ على نصرانيّتهِ

﴿ اتّصال الاخطل بالخلفاء ﴾ تنقّل الاخطل في البلاد مع قبيلتهِ تغلب الرُّحّل فسكن البادية المجاورة للفرات عند قومهِ بني مالك وعاش مدّة في الحيرة حتى قال عنهُ في الاغاني (٧: ١٧٠) انهُ «كان نصرانيّاً من اهل الحيرة» وقد مرَّ لنا ذكر مرورهِ بالكوفة. ثمَّ نمى خبرهُ الى الخلفاء بني اميّة فرحل اليهم الى دمشق فما لبث ان حظي عندهم اوفر حظوى لمّا سمعوا انشادهُ واختبروا جودة قريحتهِ وغزارة مادّتهِ ورسوخ قدمهِ في صناعة الشعر وابتكارهِ للمعاني البليغة وصوغها في الطف ديباجة من اللفظ. وقد مدح خلفاء الامويين مباشرة بيزيد بن معاوية ثم نظم القصائد الطنّانة

في عبد الملك بن مروان وفي هشام والوليد ابني عبد الملك فأولع الخلفاء بشعره وحملهم تفضيلهم لهُ على غيرهِ الى ان دعوهُ بشاعر بني أُميَّة واكرموهُ اي اكرام واغزروا عليهِ صِلاتهم بل حدا بهم حُبّهم لهُ انهم اتخذوهُ كنديهم ولم يؤاخذوهُ بشربهِ الخمر . وكان عبد الملك خصوصاً معجباً بهِ اخبر ابو عمرو (الاغاني ٧ : ١٧٧—١٧٨) قال : لقد كان الاخطل يجيء وعليهِ جبَّةُ خزّ وحزُّ خزّ في عنقهِ سلسلة ذهب تنفضُ لحيتهُ خمرًا حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن . فلمَّا انشدهُ قصيدتهُ الرائيَّة التي اوَّلها (من البسيط) :

خفَّ القطينُ فراحوا منك او بكَروا وأزعجتهم نوًى في صَرفِها غِيَرُ

قال عبد الملك لغلامهِ : خذ بيدهِ يا غلام فأخرجهُ ثمَّ ألقِ عليهِ من الخلع ما يغمرهُ وأحسِن جائزتهُ . ثمَّ قال : انَّ لكل قوم شاعرًا وانَّ شاعر بني امية الاخطل وفي الاغاني (٧ : ١٧٥) نكتةٌ هزليَّة رواها قبل انشادهِ القصيدة السابقة قال :

« دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشدهُ فقال : قد يَبِسَ حلقي فمُرْ مَن يسقيني . فقال : اسقوهُ ماء . فقال : شرابُ الحمار وهو عندنا كثير . فقال : فاسقوهُ لبنًا . قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : فاسقوهُ عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتُريد ماذا ؟ . قال : خمرًا يا امير المؤمنين . قال : او عهدتني اسقي الخمر لا أُمَّ لك لولا حُرمتُكَ بنا لفعلتُ بك وفعلتُ . فخرج فلقي فرَّاشًا لعبد الملك فقال : ويلك انَّ امير المؤمنين استنشدني وقد صَحِلَ صوتي فأسقني شربةَ خمر . فسقاه فقال : أعدلهُ بآخر . فسقاهُ آخر . فقال : تركتَها يستركان في بطني . أسقني ثالثًا . فسقاهُ ثالثًا فقال : تركتني امشي على واحدة أعدِلْ ميلي برابع . فسقاهُ رابعًا فدخل على عبد الملك فانشدهُ »

قال الاصمعي فلمَّا انشدهُ قصيدتهُ « خفَّ القطينُ » جعلتُ أرى عبد الملك يتطاولُ لها ثم قال : ويحك يا اخطل أتُريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعرُ العرب ؟ قال : اكتفي بقول امير المؤمنين . وامر لهُ بجفنة كانت بين يديهِ فثُنيت دراهم والقى عليهِ خلعاً وخرج بهِ مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعرُ العرب

وكما تفرَّد الاخطل بمديح بني امية قد برَّز ايضاً في مديح كبار دولتهم واعيان زمانهِ كبشر بن مروان والحجَّاج بن يوسف وعِكرِمة الفيَّاض ومَصقلة بن هبيرة

وهمّام بن مُطَرِّف ويزيد بن المهلّب وكثيرين غيرهم . وكانوا كلهم يفضّلون مديحهُ على كلّ نفيس ثمين

جاء في وفيات الاعيان لابن خلّكان (٢ : ٣٥٠—٣٥١) وفي تحفة المجالس للسيوطي (ص ٢٠٢) وغيرهما انَّ الحجّاج بن يوسف حبس يزيد بن المهلّب (والي خراسان) لبقايا كانت عليهِ من خراج خراسان وأقسَمَ ليَستأدي منهُ كلّ يوم مائة الف درهم . فبينما هو يوماً وقد اختلى فيهِ اذ دخل عليهِ الاخطل فأنشدهُ (من الطويل) :

أبا خالدٍ ضاعت خراسانُ بعدكم وقال ذوو الحاجاتِ اين تُريدُ
وما قطَرَتْ بالريّ بعدك قَطرةٌ ولا أخضرَّ بالمَرْوَيْنِ بعدك عُودُ
وما للسرير بعد مُلْكك بهجةٌ ولا لجوادٍ بعد جودكَ جودُ

فقال : يا غُلام أعطِهِ المائة الف درهم وانا اصبرُ على عذاب الحجّاج ولا تُخيب الاخطل . فبلغ الحجّاج فقال : لله درُّ ابن المهلّب لو كان تاركاً للسخاء لتركهُ وهو يتوقّع الموت فعفى عنهُ وخلّى سبيلَهُ (١

﴿ رُتبة الاخطل بين الشعراء ﴾ اذا ما جمعنا ما حكَمَ بهِ ارباب اللغة واصحاب النقد الصحيح عن شعر الاخطل لاتّضح لنا انهُ بلغ رتبةَ اكبر شعراء العرب وكلُّهم ينظمهُ بين فحولهم الاوّلين . وكفى بهِ فخراً ان ابا عَمْر بن العلاء جعلهُ في عهد الاسلام شبيهاً بالنابغة الذبيانيّ في الجاهليّة ويفضّلهُ لصحة شعرهِ . وقد قال عنهُ (الاغاني ٧ : ١٧٤—١٧٥) : « لو ادرك الاخطل يوماً واحداً من الجاهليّة لما فضّلتُ عليهِ احداً » . ومثلهُ ابو عبيدة كان يقول : « شعراء الاسلام الاخطل ثمّ جرير ثمّ الفرزدق . . والاخطل اشبه بالجاهليّة واشدُّهم أسرَ شعرٍ واقلُّهم سقطاً » . وروى ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٣٠١) لمسلمة بن عبد الملك انهُ شبَّهَ الاخطل وجريراً والفرزدق بثلثة افراس تجري في حَلْبة السباق فقال : انَّ الاخطل سابقٌ ابداً في كلّ حالاتهِ بخلاف

١) اطلب ديوان الاخطل (ص ٣٨١—٣٨٢) وراجع ما ورد هناك في نسبة هذه الابيات لغير الاخطل

جرير والفرزدق اللذين يتقدّمان حيناً ويتخلّفان حيناً آخر. وقد خصّوا الاخطل بالتقدّم في الوصف والفخر ومدحوا هجوه فقالوا انهُ كان اخبث الشعراء هجاء في عفاف من الفُحش. والفحش كثير في شعر جرير والفرزدق. وسُئل حمّاد الراوية عن الاخطل فقال: «ما تسألوني عن رجل قد حبّب شعرهُ اليّ النصرانيّة». ثمّ قال: اشعر العرب شيخا وائل: الاعشى في الجاهليّة وهو صنّاجة العرب. والاخطل في الاسلام»

ولمّا كان الفضل ما اقرّت بهِ الاعداء يحسن بنا هنا ان نروي ما اخبر بهِ نوح بن جرير (الاغاني ٧: ١٧٢) قال: بينا انا آكل معهُ يوماً وفي فيهِ لقمة وفي يدهِ اخرى فقلتُ: يا ابتِ انت اشعر ام الاخطل؟ فجرّض بلقمتهِ التي في فيهِ ورمى بالتي في يدهِ وقال: «يا بُنيّ لقد سررتَني وسُؤتني فامّا سرورك ايّاي فتعهّدك لي مثل هذا وسؤالك عنهُ. وامّا ما سؤتني بهِ فذكرك رجلاً قد مات. يا بُني ادركتُ الاخطل ولهُ نابٌ واحد ولو ادركتهُ ولهُ نابانِ لأكلني. ولكنّني أُعنتُ عليهِ بكفر (يريد نصرانيّتهُ) وكبر سنّ»

﴿اخبار الاخطل في حروب قومهِ﴾ لمّا توفّي يزيد بن معاوية الخليفة الاموي سنة ٦٤ (٦٨٣م) اعتزل ابنهُ معاوية الثاني بعد مئة يوم وبايع الناسُ عبد الله بن الزبير في المدينة امّا اهل الشام فبايعوا مروان بن الحكم فكان ذلك سبباً لحرب عوانٍ وقعت بين الخليفتين كان فيها النصر لمروان على خصمهِ في مَرج راهط قريباً من دمشق. وكان التغلبيّون يناصرون مروان بخلاف القيسيين الذين حاربوا مع عبد الله ابن الزبير. فثبتت العداوة مدّةً بين القبيلتين ووقعت عدّة وقائع بينهما كان الظفر فيها سجالاً لاحدى القبيلتين وكان الاخطل يحارب القيسيين مع تغلب ولهُ في وصف تلك الحروب قصائد يصف وقائعها ويذكر فظائع قيس ورؤسائهم كزُفر بن الحارث وعُمير بن الحُباب والجحّاف. وفي احد ايّام هذه الحروب في يوم البشر قُتل ابو الاخطل غياث وقيل بل هو ابنهُ ابو غياث ووقع الاخطل في أسر الاعداء. قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٣١–٦٣٢): «أُسر الاخطل وعليهِ عباءة فظنّوهُ عبداً وسُئل فقال: انا عبد. فخلّي سبيلهُ فخشي ان يُعرَف فيُقتل فرمى نفسهُ في جبّ من جبابهم فلم يزل فيهِ حتى انصرف القوم فنجا. وعظم قدر التغلبيّين في اعين بني اميّة وحملوا ديات القوم. على انّ الاخطل فارت في قلبهِ فائرة الغضب اذ بلغهُ يوماً بعد صلح

القبائل انَّ عبد الملك استنزل زُفر بن الحارث من قصره في قرقيسيا وأقعده معهُ في سريره . فدخل عليه ابن ذي الكلاع وكان قومهُ حاربوا مع تغلب وبني اميَّة فلمَّا رأى زفر على السرير بكى فقال لهُ عبد الملك : ما يبكيك فقال : يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافهِ عليك ثمَّ هو معك على السرير وانا على الارض . قال : اني لم أُجلسهُ معي لانهُ اكرمُ عليَّ منك ولكن لسانهُ لساني وحديثهُ يعجبني . فقال الاخطل لمَّا أُخبر بذلك : أما والله لأقومنَّ في ذلك مقاماً لم يَقُمهُ ابن ذي كلاع ثم دخل على عبد الملك فلمَّا ملأَ عينهُ منهُ قال (من الوافر) :

وكأسٍ مثلِ عين الديكِ صِرفٍ تُنَسِّي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلثاً بغير الماء حاول ان يَطولا
مَشى قُرَشيَّةً لا عَيْب فيها وأرخى من مآزرهِ الفُضولا

فقال لهُ عبد الملك : ما أخرَج هذا منك يا ابا مالك الَّا خطَّةٌ (خَلَّة؟) في رأسك قال : : أجل يا امير المؤمنين حين تُجلس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس :

لعمري لقد أبقَتْ وقيعةُ راهطٍ لمروانَ صدعاً بيننا مُتنائياً
فلا صُلحَ حتى تَنخطَ الخيلُ بالقنا وتثأرُ من نسوان كلبٍ نسائبا
فقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا

(قال) فقبض عبد الملك رجلهُ ثمَّ ضرب بها صَدر زُفَر فقلبَهُ عن السرير . وقال : أذهَبَ اللهُ حزازات تلك الصدور . فقال : انشدُك الله يا امير المؤمنين والعهدَ الذي اعطيتني . فكان زُفر يقول : ما ايقنت بالموت قطّ الَّا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال (الاغاني ٧ : ١٧٦—١٧٧)

﴿ موت الاخطل ﴾ قال حضرة ناشر ديوان الاخطل (ص ٣٧١) : انَّ الاخطل عمّر عمراً طويلاً حتى قيل عنهُ انهُ شيخ قد تحطَّم الاغاني (٧ : ١٧٢) وانهُ « دخل

بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أسنَّ ونفدَ اكثر عمره » (الاغاني ٧ : ٣٨) ووُصف بانهُ «رجل ابيض الرأس واللحية (الاغاني ٩ : ١٦٩) فاستنتج حضرتهُ من هذه الادلَّة ان الاخطل يكون توفي نحو السنة ٦٩٢ ه اي ٧١٠ المسيح . قال حضرتهُ : « الَّا انَّ شوكتهُ في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادَّةً نافذةً يرشدك الى ذلك قصائد درِّيَّة نظم جواهرها في آخر حياتهِ . وكانت وفاتهُ في خلافة الوليد بن عبد الملك ولهُ فيهِ عدَّة قصائد امتدحهُ بها»

وروى صاحب الاغاني (٧ : ٦) انَّ الوليد بن عبد الملك قال لجرير : فما تقول في الاخطل ؟ قال : ما أخرجَ لسانُ ابن النصرانيَّة ما في صدرهِ من الشعر حتى مات » . واخبر ايضاً (٧ : ١٨٠) انهُ لمَّا حضرت الاخطلَ الوفاةُ قيل لهُ : يا ابا مالك ألا توصي؟ فقال (من المتقارب) :

أوصي الفرزدقَ عند المماتِ بأمّ جريرٍ وأعيارها
وزار القبورَ ابو مالكٍ برغم العُداة وأوتارها

﴿ديوان الاخطل﴾ روى ابن الاعرابي في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٧٨ و ١٥٧) انَّ ابا سعيد الحسن المعروف بالسكَّري « عَمِلَ شعر الاخطل وجوَّدهُ » اي ضبطهُ ونظَّمهُ . وانَّما كانت نُسخ هذا الديوان اعزَّ من بيض الأنوق . ولقد كان يُعرف منها الى السنة ١٨٨٧ نسخة وحيدة قديمة في بطرسبورج كان يصعب الاطِّلاع عليها . ففي السنة ١٨٨٧ اهدى الى مكتبتنا الشرقيَّة احدُ الاصحاب عدَّةً من المخطوطات التي كان الحلبيّ الشهير والاديب البارع رزق الله حسُّون نسخها بخطِّهِ الجميل نسخاً بديعاً على ورق صقيل مزيَّن الاطراف بنقوش صناعيَّة رائعة . فكان من جملتها نسخة من ديوان الاخطل منقولة عن نسخة بطرسبورج . فنبَّهَ وجودها خاطر حضرة الاب صالحاني واستفزَّتهُ النخوة لنشرها كأثر فريد في جنسهِ . ثمَّ كتب لناظر مكتبة بطرسبورج المستشرق الطيِّب الذكر البارون فون روزن فتلطَّف وقابل النسخة الحسُّونيَّة على الاصل الذي ترى منهُ مثالًا في صدر طبعتنا . فتحفَّز الاب الغيور بعد ذلك للعمل ونشر الديوان بأُهبة علميَّة مستوفية ضاعفت قيمتهُ فبلغ مع حواشيهِ وملحوظاتهِ المتنوِّعة ٤٠٠ صفحة في اربعة اقسام . هذا فضلًا عن طبعهِ

البديع الذي قلّما يُشبهُ كتاب آخر في مطبوعات الشرق والغرب

ولمّا كانت السنة ١٩٠٥ توفّق حضرة الاب انستاس الكرملي المرسل في بغداد فوجد نسخة مخطوطة من ديوان الاخطل في دار السلام . فتمكّن متولّي طبع الديوان من اقتنائها بهمّة الاب الكرملي فنشرها بتصوير النور وطبع الحجر لما فيها من الزيادات والروايات والشروح التي لا توجد في نسخة بطرسبورج ودلّ على كلّ ذلك بتذييلات وفهارس متقنة . فجاء هذا الاثر طرفةً جديدة تضاف الى السابقة

وبعد ذلك بسنتين أطلع جناب الدكتور الايطالي والمستشرق اوجينيوس غريفيني الاب صالحاني على نسخة ثالثة وُجدت في اليمن ذات فوائد جمّة فرضي ان ينشرها في مطبعتنا كتتمّة للنسختين السابقتين . وقد عُلّق عليها ايضاً كثير من التعليقات المفيدة والفهارس المدقّقة مع المقدّمات المتنوّعة . فزاد اقبال العلماء على هذا الديوان الجميل

ثمّ بلغ حضرة الاب انّ في الاستانة العليّة في المكتبة المعروفة بالعموميّة (ع٥٤٧) نسخةً فريدة قديمة جدًّا بخطّ يقرب من الخط الكوفي من نقائض جرير والاخطل فيها عدّة قصائد ليست في نسخ الديوان او هي اتمّ منها . فلم يصبر عنها حتى تجشّم السفر الى عاصمة الدولة والحربُ على وشك الانتشاب فاستنسخها واعدّها للطبع في بُهرة الحرب فما كادت تحطّ اوزارها حتى باشر بنشرها فجاءت اثرًا رابعاً لا يقلّ ثمنهُ عن الآثار المتقدّمة كما شرحنا ذلك في مقالة انتقاديّة في المشرق (٢٠ : [١٩٢٢] : ١٤٤ - ١٤٨)

ويُضاف الى المطبوعات السابقة ملحقٌ على ديوان الاخطل «يحتوي زيادة ايضاح في الشرح وتصحيح اغلاط ومقابلات وفهارس للاعلام والالفاظ اللغويّة ظهر منهُ قسمهُ الاوّل في ١٠٧ صفحات دقيقة الحروف وسيظهر عمّا قريب ان شاء الله قسمهُ الثاني الاخير . جازى الله اوفر جزاء القائم بهذا العمل الذي تنوء تحت عبئهِ مناكب الفحول (لها بقيّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

Mgr A. Baudrillart : Lettres d'un pèlerin. *in-8° illustré, Paris,* 1924, *Bloud et Gay. Prix* 10 f

رسائل زائر

الزائر هو احد اساقفة فرنسة السيّد المفضال الفرد بودريليار كان في العام السابق قائدًا لجماعة زوّار الاراضي المقدّسة الافرنسيّين وهي زيارتهم الوطنيّة الحادية والخمسون فكان سيادتهُ في كلّ مرحلة من مراحل قومهِ الانقياء يراسل جريدة «لاكروا» الباريسيّة فيفصّل اخبار السَّفر الذين تنقّلوا من اثينة الى القاهرة مارّين في طريقهم ببيروت وازمير ودار السلطنة العثمانيّة ثم رودس وقبرس والناصرة وبيت لحم والقدس الشريف فجُمعت هذه الرسائل في كتاب منفرد مزيّن بتصاوير بديعة. وكفى تنويهاً بقيمة الكتاب انّهُ لاحد اعضاء اكادمية فرنسة ج. ل

Ch. Ayoub : Les Mandats orientaux. 1 vol., gr. in-8°, Paris, Recueil Sirey, 1924, Prix 12 f

الانتدابات الشرقيّة

هذا من أدقّ وأحكم التآليف التي ظهرت الى يومنا في تحديد الانتدابات وصنوفها واوصافها. فانّ مؤلّفهُ جمع كلّ ما ظهر حتى يومنا من المعلومات في هذا الشأن. وقد قسم كتابهُ قسمين بحث في القسم الاول عن أحكام الانتداب السياسيّة والمعاهدات التي جرت في زمن الحرب وبعدهُ بين الدول سرًّا او علانيةً مع معارضة تركيّة لها. وخصّ القسم الثاني بأحكام الانتداب الشرعيّة وهو القسم المبتكر من كتابهِ اذ يبحث عن اصول الانتدابات وقابل بينها في العهد السابق للحرب والزمن التالي لهُ فبيّن انّ الانتدابات الدوليّة كانت قديماً على شكلين اعني الاستعمار والاستقلال النوعي (Mandats B et C) ولم يعرفوا بالانتداب الذي ابتدعوهُ بعد الحرب وجروا عليهِ في فلسطين والعراق وسوريّة فسلّموها الى دولٍ محبّة تسعى في اصلاحها. وغاية هذا الانتداب الحكم الموقّت على تلك البلاد وتدريب اهلها الى الاستقلال

التام (Mandat A) بمساعدتهم في امورهم السياسيّة والاقتصاديّة وحمايتهم من اعدائهم وارشادهم الى ما يؤول الى خير مواطنهم حتى اذا نضجت في قاربهم شروط السياسة الراشدة طاروا بأجنحتهم ودخلوا في دائرة البلاد المنظّمة . على انّ هذا النوع من الانتداب قد جرت فيه على الرغم من عصبة الامم ضروبٌ من الاختلافات لم يمكن إزالتها بسبب المطامع الخاصّة وحتى اليوم قد تغاضوا عن حقوق الاقليات وأضربوا عن رغائب اهلها . وفيه دليلٌ واضح على أنّ تلك الجمعيّات الدوليّة ومجلس الشورى الاعلى لا يستطاع الركون اليهما تماماً الّا اذا عزّزت أحكامها سلطةٌ تقهر المعادين لها وفي آخر هذا الكتاب نصوص الاحكام الانتدابيّة التي نشرتها جمعيّة الامم

Abbé Félix Klein : UNE EXPÉRIENCE RELIGIEUSE, Madeleine Sémer, convertie et mystique (1874-1921). 1 *vol. in*-16, 14e *éd. revue*, 1924, *Paris, Bloud et Gay, Prix* 10 *f*

ارتداد السيّدة مادلين سيمر الى الكثلكة

تربّت هذه السيّدة في مدارس لا دينيّة فتشرّبت روحها الكفريّ وعاشت مُعجبةً بمعارفها واثقة بنفسها . فبقيت على ذلك مدّةً الى ان دهمتها مصائب الحياة فشعرت ببطلان علومها وبضعف قواها ووقفت لاوّل مرّة على شؤون الدين وعظم مقامه في المجتمع الانساني وفي قلوب البشر فانار الله عقلها وارتدّت الى الدين الكاثوليكي القويم سنة ١٩١٤ ولم ترضَ بما منحها الله من موهبة الايمان حتى قصدت ان تجتذب اليه كلّ معارفها فاضحت منذ ذاك الحين كسول واستنفدت معظم قواها في هذه الغاية الشريفة ولم تزل تجمع بين قداسة نفسها وتقديس قريبها حتى ماتت ميتة الابرار . فهذه سيرتها التي راجت اي رواج حتى بلغت اليوم الطبعة الرابعة عشرة ج . ل

J Walther: DAS GESETZ D. WUESTENBILDUNG IN GEGENWART U. VORZEIT. 4te neuarbeitete Auflage mit 203 Abbild., Verlag Quelle u. Mayer, 1924, Leipzig, broché 14 Marks, relié 16 M.

السُنَن الطبيعيّة في تكوين الصحاري

هذا كتاب وافر الصور كثير الفائدة لتاريخ جزيرة العرب . فانّ مؤلّفه تخصّص للبحث عن احوال البوادي والصحاري عموماً في بلاد شتى كافريقية واوستراليا فضلاً

عن جهات العرب فدرس مفاعيل الارياح والشمس فيها . ومما ذكره عن الشمس انها تيبّس الارض فتمنع بيبوستها نموّ النبات فيها وتغطيها برواسب ملحيّة تحول دون استنباتها ومع هذا نرى في الصحاري من الزهور والاعشاب ما يندرُ في غيرها . امّا الاشجار فتتأصل جذورها وتستطيل الى اعماق تبلغ احياناً ٣٠ متراً لتستمدّ منها الرطوبة التي تحتاج اليها . وربّما وقع البذار في ارضها وبقي محجوباً في تربتها سنين متوالية فاذا ما سقط المطر عليها نبتت وسمقت . ومما اثبتهُ المؤلف انّ الصناعة البشريّة تستطيع في بعض الاحيان ان تضيّق نطاق الصحراء فتربح منها قسماً للزراعة كما بيّنا ذلك في كتابنا المعنون «مهد الاسلام» . وعندنا ان البيروتيين يستطيعون ان يختبروا الامر في ما يحدق بمدينتهم من الرمال التي غلبت على جيرتهم بتهاون اجدادهم فيعيدونها الى خصبها السابق

الاب ه . لامنس

I. Les Larmes du Veuvage essuyées par S. Fr. de Sales. Lettres de consolation adressées à des Chrétiens de son temps, avec notes et avant-propos, par Ch. Brunetière, *Nouvelle éd.*, *in*-32, *Prix* 1 *f*r, 50 = II. Eug. Duplessy (Ch.): Histoires de Catéchisme, à l'usage des Catéchistes et des enfants des Catéchismes, 3 *vol. in*-12, *chaque vol.* 6 *f* = III. Almanach de la Bonne Nouvelle, pour l'année 1925. Prix 1 f, 80. *Publications du Libraire - éditeur P. Téqui, Paris, rue Bonaparte* 82, *en vente à Beyrouth à la librairie du Foyer.*

تعزية الارامل – قصص واخبار للتعليم المسيحي – تقويم لسنة ١٩٢٥

هذه ثلثة كتب دينيّة ادبيّة نلفت اليها انظار قرّائنا . اوّلها مجموع رسائل كتبها القديس فرنسيس دي سال لبعض ارامل زمانهِ ليفرج كربتهنّ بعد وفاة ازواجهنّ . واسم مؤلفها يغني عن وصفها ولاسيّما انّ متولي طبعها المسيو شرل برونتيار زادها حسناً بما اضاف اليها من المقدّمات والملحوظات المستحسنة – والكتاب الثاني وُضع خصوصاً لافادة معلّمي التعليم المسيحي ومنفذة دارسيهِ الاحداث . وهو مجموع واسع يحتوي من الاخبار اطربها ومن القصص أبهجها مما اقتطفهُ المؤلف من التواريخ وسير القديسين وكتابات الآباء ورسائل المرسلين . فلا رَيب ان كل من يُعنَى في المدارس بشرح التعليم الديني يُقبل على هذا الكتاب ليقتبس من انوارهِ فيبجّن تعاليمهُ في

قلوب سامعيه . أما الكتاب الثالث فهو تقويم سنوي يُعرَف «بتقويم البشرى الطيّبة» . يحتوي كلّ ما حَسُن وراق من ضروب الفوائد في كلّ فنّ . وقد اصاب في فرنسة شهرةً مستفيضة

COLONNES DANS LE LEVANT, par le Colonel de Génie breveté Normand avec 14 photographies et croquis, dont 2 hors texte, *col. in-12, Paris, Charles Lavauzelle et Cie, Paris, 5 f*

الفرق العسكريّة في المشرق

قرأنا بكل لذّة هذا الكتاب الذي صنّفهُ الكولونل نورمان فوصف فيه سفارتهُ الى الاتراك في ديار بكر ثمّ ما جرى من الحركات العسكريّة في قيليقية ومرعش في محاربتهم مع ما طرأ على الفرنسويين والارمن حينئذٍ من الطوارئ المفجعة التي لم ينجوا منها الّا بعد استنفاد الوسع ورغماً من عدد الاعداء وحوادث الجوّ الشديدة . ويحاول المؤلف تبرئة نفسه ممّا وُجهوا اليه من الملام في محاماة الارمن . فنوصي محبي تاريخ زماننا الحاضر والبلاد القريبة منّا بتمتيع نظرهم في هذا التأليف ل . ش

EIN REFORMENVERSUCH innerhalb d. koptischen Kirche in zwoelften Jahrhundert, von Dr Georg Graf. *in-4*, 1923, *Paderborn, Ferd. Schoeningh*

اصلاح الكنيسة القبطيّة في القرن الثاني عشر

انّ الكنيسة القبطيّة بعد انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكيّة غلب عليها الشعث والفساد لاسيما بعد ما حلّ باصحابها من الضغط وضروب المحن من قبل الدول الاسلاميّة الى أن قام في وسطها بعض ذوي الهمم العالية في القرن الثاني عشر فسعوا في استدراك المساوئ التي طمست محاسن الكنيسة المرقسيّة فعقدوا المجامع وألّفوا الكتب الدينيّة الخاصّة ووضعوا القوانين المختلفة في اصلاح الآداب في ارباب الكهنوت والشعب والمواظبة على الاسرار وتنمية روح الايمان والتُّقى بين المؤمنين . فكل هذه الامور قد وردت متفرّقة في تآليف علماء الاقباط في ذلك العهد . فأحبّ حضرة الدكتور الخوري المستشرق الالماني جورج غراف المعروف بمصنّفاته الشرقيّة ان يدرس تاريخ ذلك الاصلاح ويبيّن اسبابهُ وارباحهُ وسوابقهُ ولواحقهُ فجمع كلّ

معلوماته هذه في كتاب ضخم حافل بالفوائد التاريخيّة والدينيّة المختلفة قلّما فاتهُ شيء من احوال ذلك العهد البعيد . ولا شكّ ان محبّي تاريخ الكنائس الشرقيّة يقدّرون هذا الكتاب قدرهُ ويشكرون صاحبهُ على همّته القعساء ل . ش

Gerhardt (Prof. Oswald) : DER STERN DES MESSIAS, das Geburts u.d. Todesjahr Jesu Christi nach astronomischer Berechnung. *in*-8°, *pp. VI*-144, 1922, *Deichertsche Verlagsbuchhandl., Leipzig*

نجم السيّد المسيح وتاريخ ميلاده

لم يتّفق الكتبة على تحديد سنة مولد السيّد المسيح فكثر في ذلك القال والقيل وهاهوذا كاتب نقّاب الاستاذ جرهاردت قد عاد الى هذه المسألة وسعى ان يثبتها استنادًا الى النجم الذي رآهُ المجوس عند مولده (متى ٢ : ٢) فعلى رأي الاستاذ المذكور ليس هذا النجم نجمًا طبيعيًّا ولا عجائبيًّا وانّما هو مظهرٌ فلكي حدث السنة السابعة قبل تاريخ الميلاد باقتران سيّارتي المشتري وزُحل . وليس هذا الرأي بمستحدث بل يرقى الى الفلكي كبلر الشهير وانّما الاستاذ جرهاردت يعرضهُ على صورة مؤثّرة مستندًا اوّلًا الى تاريخ الاقتران المذكور في الفلك ثمّ يؤيدهُ بمعتقد الفلكيّين البابليين الذين كانوا يُعلنون بان هذا المظهر الفلكي سوف يحدث سنة مولد مخلّص عظيم في اسرائيل لأنّ زُحل على قولهم سيّارة حامية لبني اسرائيل . ثمّ يشفع هذين الدليلين بعدّة آيات في الاسفار المقدّسة تُنبئ بموجب قوله الى هذا الحادث العظيم . ومن ثمّ اكتفى الانجيلي متّى بقوله دون زيادة «ورأينا نجمهُ في المشرق» (ἐν τῇ ἀνατολῇ) حيث حدث الاقتران المنوّه اليه . ويختم الكاتب قولهُ بانّ هذا المعتقد بمولد السيد المسيح السنة السابعة قبل التاريخ المسيحي كان شائعًا في القرون الوسطى بين المسيحيين واليهود الذين كانوا يطبّقون عليه احصاء كيرينوس المذكور في انجيل لوقا (٢ : ٣)

وان طلب القرّاء ما رأينا في قول الاستاذ جرهاردت أجبنا انّهُ عرض مسألتهُ بكلّ دقّة وحذاقة فسُررنا بمطالعة كتابه الدالّ على علم واسع ومعارف شتى الّا انهُ لا يسعنا الرضوخ الى رأيه لاسباب : (اوّلًا) لاستناده الى احصاء كيرينوس الذي لم يتّضح حتى اليوم زمن وقوعه مهما زعم اليهودي أبربا في التلمود . (ثانيًا) ليس من دليل على انّ اليهود كانوا يعتبرون كوكب زُحل كنجم المسيح وليس احد

بين كتبة النصارى الاوّلين يشير الى ذلك . (ثالثاً) وممّا يحملنا خاصّة على نفي رأي المسيو جهاردت انّهُ لا ينطبق على رواية القديس متى فانّ نصّ الانجيل يُشعر بمعجزة باهرة تدلُّ عليها كلّ الفاظهِ فلا اثر هناك لمظهر طبيعيّ كما يزعم الاستاذ وكما ينفيهِ كلّ المؤمنين . الاب يوسف ديلنسيفر .

ALLAH VEUILLE !... roman de G. Zaidân sur la révolution turque. traduit de l'arabe par. M. Y. Bitâr et Thierry Sandre. 1 *vol. in-12, Paris, E. Flammarion, éditeur*, 1924, *Prix* 7 *f*,50

رواية الانقلاب العثماني

كان المرحوم جرجي زيدان يتحف كلّ سنةٍ قرّاءهُ بروايةٍ لطيفة يكسوها بردًا قشيباً من قلمهِ السيّال ويضمّنها حوادث تاريخيّة او خياليّة يُقبل على مطالعتها العموم برغبةٍ . ولعلّ روايتهُ «الانقلاب العثماني» كانت خاتمة تلك الروايات اخرجها على طريقة مؤثرة لقربها من زمانهِ ومعرفتهِ لظروفها . فأحبَّ صديقنا الاديب ميشال بيطار تلميذ كليّتنا سابقاً ونزيل باريس حالًا ان ينقلها مع احد طلبتهِ المدعو تيارّي سَندر الى الافرنسيّة ليُطلعا الفرنسويّين على نتائج افكار اهل الشرق واملّهما زاداها رونقاً بترجمتهما اللطيفة وتطبيقها على ذوق اهل الغرب

ORBIS PICTUS. B^d 19. ASSYRISCHE KUNST von Otto Weber. 1 *vol. in-4°, pp.* 19 *et* 48 *illustrations. Verlag Ernst Wasmuth A.G., Berlin. Prix Goldenmark* 2,10

فنّ النحت والتصوير عند الاشوريّين

يُنشر حالًا في برلين مجموع بديع يشمل نخبةً من كافّة ما اصدرتهُ الدول القديمة من المصنوعات الفنيّة الجميلة . يُعنى بابرازهِ الطبّاع ارنست فسموث . وهذا القسم وهو الجزء التاسع عشر من ذلك المجموع البديع تولّى بيان تاريخهِ مختصرًا احد مشاهير الاثريين او توفير ثمّ شفعهُ بثماني واربعين صورة من اجمل وادقّ ما وُجد في العراق من آثار الاشوريين منها التماثيل الضخمة والتصاوير البديعة المحفورة او النائتة على الصخور الممثلة لكلّ احوال تلك الدولة ومنها ما هو بالالوان الزاهية . فنشكر المؤلف على عملهِ ونثني على محلّ فسموث الذي قام بمثل هذا المشروع العظيم ل.ش

مقابلة بين الحقوق الرومانيّة والحقوق الاسلاميّة والافرنسيّة والانكليزيّة

للاستاذ فائز الخوري

الجزء الاوّل : طبع في المطبعة الحديثة بدمشق ١٩٢٦ (ص ٢٧٦)

هذا اثر من آثار احد مدرّسي الحقوق الرومانيّة في معهد دمشق واحد حكّام الاستئناف في الفيحاء . اطّلعنا على كتابهِ فاستحسنّا غايتهُ ان يعارض الحقوق الجارية في عهدنا بالحقوق القديمة الرومانيّة وهو بحث مفيد يوقف الباحثين على ما بين الشرع القديم والحديث من وجوه الفرق او الاتفاق . امّا مسألة العلائق التي بين هذه الشرائع واشتقاق بعضها من بعض فتحتاج الى نظر أدقّ ودرس اعمق وقد سبق احد المتخرّجين في مدرسة الحقوق الفرنسويّة الاديب لويس دي برزون وردّ في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٨٩٨–٩٠٣) على استاذ آخر من مكتب الحقوق الدمشقي عارف بك النكدي واثبت لهُ اشتقاق كثير من الشرائع الاسلاميّة من الشرائع الرومانيّة فلم يلتفت الاستاذ فائز الخوري الى هذه المقالة ولم ينفِ حججها . وعلى كلّ حال انّنا نثني على تأليفهِ وفصولهِ المختلفة التي تتناول كثيراً من المباحث الشرعيّة وتُطلع على ما بينها من التوافق والاختلاف باباً باباً . وقد وقعت اغلاط عديدة في الاعلام اللاتينيّة والالفاظ الاجنبيّة المذكورة هناك فلا بُدّ من اصلاحها في طبعة جديدة ل . ش

كتاب تاريخ الكنيسة القبطيّة

تأليف الشمّاس منسّى القمص

طُبع بمصر في مطبعة رعمسيس سنة ١٩٢٦ (ص ٢٢٧)

ليس هذا اوّل تاريخ كتبهُ احد الاقباط في عصرنا عن الكنيسة القبطيّة فان الشمّاس فرج جرجس كان سبق فنشر تاريخاً مختصراً في ذلك لكنّهُ اورد فيهِ اموراً كثيرةً لا تخصّ الاقباط فنفاندتهُ من هذا القبيل قليلة . امّا الكتاب الذي نحن في صددهِ فانّهُ اوسع مادّةً واخصّ موضوعاً استمدّ كاتبهُ معلوماتهِ من قدماء الكتبة

وان تعرّض ايضاً الى ما لا علاقة لهُ مع الاقباط من التاريخ الكنسيّ العامّ. وقد جاء في هذا التاريخ كما في تاريخ راهب برموس «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» (راجع الصفحة ٥١١–٥١٨) مزاعم متعدّدة تدلُّ على انَّ الكاتب تغشّى ابصارَهُ النعرةُ القوميَّة. فكلُّ ما كتبهُ عن القديس مرقس والقديس بطرس في كتابهِ (ص ٧–١٢) لا سند لهُ صحيح الّا في مخيّلتهِ وقد اثبتنا لرصيفهِ البرموسيّ شواهد كنيستهِ في انشاء بطرس الرسول لكرسي القديس مرقس في الاسكندريَّة فليراجعهُ ويردّ عليهِ ردًّا علميًّا ليقنعنا بدعياتهِ. ولو شئنا ان نعدّد ما في الكتاب من الاغلاط لطال بنا الكلام وهو كثيرًا ما ينقل دون تروٍّ عن كتبة البروتستانت اكاذيبهم. ولا بُدَّ ان نذكر قليلًا من شططهِ ليعرف القرّاء مبلغ الشمّاس من العلم. لو راجع مقالتنا عن البابا ليباريوس (المشرق ٣ [١٨٩٩] : ٤٤٩–٤٥١) لخجل ان يعود (ص ١٧٠) الى مسألة سقوطهِ وتحقّق ان كنيستهُ القبطيَّة بل كلّ الكنائس الشرقيَّة تذكر في سنكسارتها عيد القديس ليباريوس وتكرمهُ كمعترف بالايمان. — أيستطيع الشمّاس ان يقول لنا من هو «القديس اغناطيوس بابا رومية» الذي ذكرهُ في كتابهِ (ص ٢٦٨) فان اراد القديس اغناطيوس النوراني فهو اسقف انطاكية الذي يُعنَون رسالتهُ الى الرومانيّين «الى الكنيسة الرئيسيَّة» فيقرّ هكذا برئاسة رومية — ومن هو يا ترى «ارهارديوس بيليوس استاذ اللاهوت الادبيّ في كليَّة الجزويت بكان بفرنسة» فهذه اوّل مرَّة نسمع بيسوعيّ من هذا الاسم. واغرب عن ذلك ما رواهُ عنهُ انهُ قال: «انَّ تقدُّم الباباوات منَّةٌ مُنحت لهم من المجامع والقياصرة لا من الله» فنسي الشمّاس كرصيفهِ البرموسيّ وكالخوري عيسى الحمصي قول الربّ لبطرس «انت الصخرة» وقولهُ: «لقد صلّيتُ لاجلك لئلّا ينقص ايمانك» وقولهُ: «ثبّتْ اخوتك». وقولهُ: ارعَ خرافي ونعاجي» اهذا كلّهُ منَّةٌ من المجامع ومن القياصرة؟. وكم من اقوال غير هذه تدلُّ على تعصّبه الذميم كعرده (ص ٤٤٢) الى خرافة البابة حنَّة التي فنَّدناها في المشرق ١٩١ : ١٩٢١ : ٨٥١–٨٥٩) وقس عليهِ كلامهُ البذيء في الكنيسة اللاتينيَّة وفي مرسليها وعاداتها. فنكتفي بهذا القليل ليعلم العموم انَّ بضاعة اعداء الكثلكة زائفة مبنيَّة على جرف هارٍ وحسبنا ان نكرّر للشمّاس ما كتبهُ (ص ٤٩٨) عن قلّة علم الشرقيين مثلهِ ووفرة علم الغربيين حيث قال:

« ومما يؤسف له ان نرى انفسنا اقل غيرة على آثار آبائنا من الغير فالغربيون يعنون بها ويبحثون عنها بحثاً مدققاً ويحفظونها في مكاتبهم ويخرجون النافع منها الى لناظم واما نحن فان لم تصلنا منهم فلا نقف لها على اثر »

فما اصدق قوله وكان الاحرى ان يرتشد به قبل ان يكتب تاريخ امته فيشحنه بالاغلاط والاراجيف الكاذبة وان يسعى باصلاح قومه من علمهم وينقذهم من مخاليب الشيع البروتستانية التي تعيث بينهم وتفسد ايمانهم وتنقض كل تعاليم آبائهم ولاسيما القديس اثناسيوس الذي صرح مراراً قولاً وفعلاً برئاسة الحبر الروماني

بنات الشرق

كتاب قراءة موضوع لمدارس البنات

بقلم الخوري انطون بين اللبناني (مطبعة قزما ١٩٢٦ ص ١٠٠)

اهدانا صاحب المكتبة الشاملة الاديب انطون افندي كنعان هذا الكتاب المطبوع على نفقته ألفه حضرة الخوري انطون بين لافادة مدارس البنات وهو يشتمل على ٢٩ درساً مدارها على آداب الفتيات وما ينبغي لهن ان يمارسنه من الفضائل ويجتنبنه من الرذائل وذلك على طريقة سهلة قريبة المنال. وكنا وددنا لو أفرد بين هذه الدروس درس في الدين وممارسة فرائضه والفتيات احوج الى ذلك من سواهن. ولهذا المجموع ملحق يتضمن اربع رسائل لسيدة فاضلة توجهها الى تلميذة لها قرب عهد زواجها لتحسن ادارة بيتها. وهي لا تصلح الا لمدارس البنات العليا اذ لا يليق ان تعرض مسألة الزواج وادارة المنزل الا لبالغات اوان الزواج. والكتاب مضبوط بالشكل الا الرسائل ولا يخلو التشكيل من بعض الهفوات ل. ش

باقة روايات

بقلم ا. ت

بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٩٢٦ (ص ١٩٩)

هذه الباقة (وان شئت فقل «طاقة» كما نبه اليه صديقنا السيد محمد كرد علي)

مجموعة اربع عشرة رواية من الذ الروايات وأطفها بقلم احد ادباء الوطن (ا . ت) نُشرت اوّلاً في جريدة البشير فسُرَّ بها القرّاء وتمنّوا لو وجدوها مجموعةً في كتاب منفرد فاجابت ادارة البشير الى طلبتهم وها هي قد ظهرت بحلية زرقاء ونقوش زاهية تدعو ناظرها الى تسريح النظر في مضامينها الشائقة . والحقّ يقال انّها اثمن هديّة تقدَّم لاحداث المدارس فيتلونها برغبةٍ لبهجة اخبارها وحسن سبكها وانشائها

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ً مجموعة اعداد مجلة الزهرة لسنتها الثالثة لصاحبها ومديرها المسؤول جميل افندي البحري

٢ً Our Lady Lourdes هي كرّاسة لطيفة تحتوي بالانكليزيّة خلاصة اخبار ظهور العذراء في لورد مع وصف مزاراتها وعجائبها لحضرة الخوري الفاضل فرنسيس شالي كتبها بعد زيارتها الى لورد بصحبة السيد بشارة الشالي مطران دمشق . وطبعها في بوفالو (١٩٢٣ ص ٣٥)

٣ً G. SCHURHAMMER s. j. Vie populaire de S' François Xavier هي ترجمة رسول الهند وابان القديس فرنسيس كسفاريوس لافادة الشعب وهي قد طبعت بعشر لغات . وهذه ترجمتها الفرنسويّة

ВОСТОКОВЕДЕНИЕ
В ПЕТРОГРАДЕ 1918—1922

٤ً كريريسة روسيّة عنوانها العلوم الشرقيّة في بتروغراد من ١٩١٨ الى ١٩٢٢ نشرتهُ مدرسة المستشرقين التابعة للمتحف الاسيوي الملحق بالمجمع العلمي الروسي . فيه انظمة التدريس ولائحة الجمعيات العلمية والمدارس ، وجدول المكاتب والمتاحف ، والمعارض والنشرات السنوية ، والبنايات او التماثيل الشرقية الموجودة في بتروغراد ، اخيرًا اسماء المستشرقين الروس المتوفين حديثًا وجدول اخوانهم الذين لا يزالون في قيد الحياة

شذرات

﴿ملحق بشعر صالح بن عبد القدّوس﴾ وقفنا لصالح بن عبد القدّوس بعد نشرنا شعرهُ في عددنا السابق على ابيات اخرى وجدناها في بعض التآليف القديمة . منها ما رواهُ لهُ الراغب الاصفهاني في كتابهِ محاضرات الادباء كقولهِ (١ : ٣٢٢) :

اللهَ احمدُ شاكرًا فبلاؤهُ حسنٌ جميلْ
اصبحتُ مستورًا معا فى بين أنعمهِ أجولْ

خُلوًا من الاحزان خِفّ م الظهر يُقنعني القليلْ
حُرًّا فلا مَنٌّ لمخلوقٍ عليَّ ولا سبيلْ
ونفيتُ باليأس المُنى عني فطابَ ليَ المَقيلْ

فترى انَّ كلامهُ هذا بعيد عن الزندقة. وروى لهُ قولًا آخر ينفي عن الله تعالى كل مشاركة للانسان الحرّ في عمل الشرّ قال (٢ : ٢٤٤) :

ولا اقولُ اذا ما جئتُ فاحشةً اني على الذنب محمولٌ ومجبورُ

وقال في معناهُ :

لم تخلُ افعالُنا اللاتي نزلنُ بها احدى ثلاث خصالٍ في معانيها
إمّا تفرّد مولانا بصنعتها فاللومُ يسقطُ عنّا حين نأتيها
او كان يشركنا فالأوم يلحقهُ ان كان يلحقنا من لائمٍ فيها (١
او لم يكن لاهي في جنايتها صنعٌ فما الصنع الّا ذنب جانيها

ومن مروياتهِ لهُ ايضاً قولهُ في القبر (٢ : ٢٩٠) :

فيا منزلًا سوّى البلا بين اهلهِ فلم يَستبِنْ فيهِ الملوكُ من السُّوقي

ووجدنا لهُ في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء قولهُ انشدهُ لهُ الخلاوي عن محمّد ابن محمّد البكري في صدق الوداد وكاذبهِ (ص ٧٣) :

اذا كان ودُّ المرء ليس بزائدٍ على مَرحباً او كيف انتَ وحالكا
او القولُ اني واثقٌ لك حافظٌ وافعالهُ تُبدي لنا غير ذلكا
ولم يكُ الّا كاشرًا او محدثًا فأفٍّ لودٍّ ليس الّا كذلكا
ولكن إخاء المرء من كان دائمًا لذي الودِّ منهُ حيث ما كان سالكا

ومن لطيف ما روى لهُ هناك (ص ١٠٥ – ١٠٦) عن منصور بن محمّد الكزبري واليهِ قولهُ في وصف الاحمق :

إحذَرِ الاحمق ان تصحبَهُ انّما الاحمقُ كالثوب الخَلَقْ
كلّما رقّعتَهُ من جانبٍ حرّكتهُ الريحُ وهنًا فانخرقْ

---

١) انَّ في عمل الشرّ قسمين قسم وضعيّ كرفع اليد بالسيف للقتل وتحريك اللسان للتجديف. فذلك لا بأس منهُ يشاركنا الله في عملهِ. وقسم سلبي وهو مخالفة وصيّة الله بالقتل والتجديف وذلك كلهُ من الانسان

او كصدعٍ في زجاجٍ فاحشٍ هل ترى صدعَ زجاجٍ يلتحمْ
كحمارِ السوء ان أقضمتَهُ رمحَ الناسَ وان جاعَ نهقْ
واذا جالستَهُ في مجلسٍ أفسدَ المجلسَ منهُ بالخرقْ
واذا نهنهتَهُ كي يرعوي زادَ شرًّا وتمادى في الحمقْ
عجباً للناس في أرزاقهم ذاكَ عطشانٌ وهذا قد غرقْ

وورد لصالح في كتاب التحفة الناصريّة (ص ١٧٣) في الذمّ :

من يُخبرْكَ بشتمٍ عن اخٍ فهوَ الشاتمُ لا مَنْ شتمكْ
قال شيئاً لم يُواجهكَ بهِ انّما اللومُ على من أعلمكْ

ولصالح ايضاً في كتاب المواهب الفتحية (٢ : ٩٩)

نزاعُ اذا الجنازُ قابلتْنا ونسكنُ حين تخفى ذاهباتِ
كروعةِ ثالثٍ لمغارِ ليثٍ فلمّا غاب عادت راتعاتِ

وجاء في شرح الواحدي على بيت المتنبي (ص ٣٤٤)

ومن العداوة ما ينالكَ نفعهُ ومن الصداقة ما يضرُّ ويؤلمُ

قال أخذهُ من قول صالح بن عبد القدوس :

عدوُّكَ ذو العقلِ خيرٌ من م الصّديق لكَ الوامقِ الاحمقِ

(هذا وقد وقعت غلطةٌ طبعيّة في العدد السابق (ص ٨٢١ س ٢٣) فرُوي : «بين العصا ولحانها» والصواب : «ولحانها» بالهمزة اي قشرتها)

﴿ مؤتمر البروتستانت الاسقفي في اميركا ﴾ روت جريدة البشير عن الاوسرفاتوري روماني لسان حال الفاتيكان انّ شيعة الاسقفيين البروتستانيّة عقدت في فيلادلفيا في الولايات المتّحدة مؤتمرًا حضرهُ نيف و ٧٠٠ راعٍ انكليكاني من هذا المذهب وان «بلّاي» خطيب المؤتمر الخاص وهو من مدينة نيويرك قام خطيباً في الحضور وتلا عليهم التمنيات التالية فقوبل كلامهُ عموماً بتصفيق الاستحسان قال :

« يمكننا جعل ما يأتي كاساس لمفاوضاتنا مع رومية :

١ً قبول عقيدة رئاسة القديس بطرس واحبار رومية واعتبارها صادرة عن وحي الهي ٢ً قبول عقيدة أنّ سلطة الحبر الروماني الشرعيّة مستمدّة من الوحي الالهي وإن تكن اختلفت على ممرّ الازمان من حيث اتساع نطاقها . ٣ً قبول عصمة الحبر

الروماني عن الخطأ باعتبار انها نتيجة تعاليم الكنيسة وبمقتضى ما يحدّدها البابا نفسه اعني العصمة التي تكتسب قوتها من موافقة الكنيسة جمعاء»

(نقول) وهنا فليسمح لنا سيادة المطران جرجس سيموس مسرّة ان نذكّره بقوله لشعبه عند رجوعه من اميركة انهُ سيصير قريباً اتحاد بين كنيسته الارثذكسية والكنيسة الاسقفيّة فندعوهُ اليوم هو وكنيستهُ الى الاتحاد بالكنيسة الرومانية التي اقرَّ المؤتمر الاسقفي برئاستها . فلا شك انهُ يرضى بتمنيات الاسقفيّين وهو الذي حبّذ تعاليمهم واتحد بالصلاة معهم قبل عامين

﴿مركوني في بيروت﴾ قدم العلّامة الايطالي غوليلمو مركوني بيروت للبحث عن بعض شؤون التلغرافية اللاسلكيّة التي بلّغها بعد اكتشاف الفرنسوي برانلي استاذ الكلّية الكاثوليكية في باريس لبدإهِ الاصلي الى تحسينات عديدة حتى اصبحت اليوم احد اركان المواصلات بين كلّ اقطار المعمور

﴿ المرّيخ واقترابهُ من ارضنا ﴾ كانت سيارة المرّيخ في الصيف الاخير اقرب الى ارضنا منها في اي عهدٍ آخر واقترابها لا يحصل الّا نادرًا جدًّا فأمّل الفلكيّون انّهم يكشفون شيئاً من اسرار هذه السيّارة فاستعدّوا لمراقبتها باكبر مراصدهم ولكن اين لهم الاستطلاع على خواصّها وهي ككرة صغيرة كشبه كرى الصغار يراها الانسان على بُعد ستّة كيلومترات؟ . وانّما تحقّقوا انّ بشرًا مثلنا لا يستطيعون فيها الحياة لاختلاف احوالها عن احوالنا ولنقص عدّة شروط من شروط معاشنا . وامّا ما اشاعهُ البعض انّ بعض الراصدين تلقّى من المرّيخ نبأً لاسلكيًّا فهو محض اختلاق بل هو فعلٌ هزليّ لعبهُ بعض الفكهين مزحاً فعمد الى محطّة لاسلكيّة وارسل فيها احرفاً يستفاد من لفزها معنًى بذيئاً ليسخر من الراصدين

﴿ هزليّات العرفان ﴾ ممّا روت مجلّة العرفان في عددها الصادر في تشرين الاوّل (ص ٧٧) انّ بعض العلماء تمكّنوا من نقل الافكار باللاسلكيّ فتعجّبنا كيف نقل الاديب صاحبها مثل هذه الخزعبلات . واعجب منها ذكرهُ لبيض حجّر عمرهُ «اربعون مليوناً من السنين (كذا) اكتشفهُ على قولهِ احد اساتذة شيكاغو . فان كان الخبر صحيحاً فما هي الّا « احدى الخرطات الاميركيّة» التي لا تسلك على عقول الصغار

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد ما هو اصل عيد جميع القديسين الواقع في غرّة تشرين الثاني وما هو معناهُ

اصل عيد جميع القديسين ومعناهُ

ج قد قدّمنا على هذا العيد فصلاً موسعاً في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٩٢٧—٩٤٤) فليُراجع

س وسأل آخر ما الافادة من وحي السيد المسيح في الانجيل لبعض الاسرار الغامضة كسرّ الثالوث الاقدس مثلاً ان كانت تفوق عقلنا ولا ندركها ؟

الافادة من وحي الاسرار الفائقة العقل

ج انَّ في وحي مثل هذه الاسرار منفعةً بل منافع جمّة (اوّلها) اننا نتأكّد وجود السرّ وان لم يُحِطْ بهِ إدراكنا . أفليس شرفٌ لجنسنا ان نعرف وجود شيء من اسرار الله مع قصورنا عن فهمها كما انّنا نُسَرّ بمعرفة وجود عدّة امور طبيعيّة كالكهرباء والجاذبيّة وفعل النفس بالجسد وان تفوتنا اسرار حركاتها ونفوذها . فمعرفتنا شيء ولو زهيداً من امور الله اجدى نفعاً من كلّ العلوم البشريّة . (ثانياً) وليس من الصحيح انّنا نعرف وجودها فقط فانَّ سرّ الثالوث الاقدس مثلاً يكشف لنا سرّ فدائنا على يد الهٍ متأنس كان وحدهُ قادراً على الوفاء عن خطيئة آدم وخطايا البشر . وسرّ القربان يفيدنا تقرّباً من الله حتى نُصبح مشاركين لطبيعتهِ الالهيّة كما قال القديس بطرس . وقس عليها بقيّة الاسرار . (ثالثاً) ولا تبقى معرفة هذه الاسرار منحصرةً في قوّة العقل بل تؤثر ايضاً في ارادتنا وتدفعها الى ممارسة كل الفضائل ومباشرة كلّ عمل صالح فتقدّس نفوسنا . وزد عليهِ (رابعاً) الاجر بايمان الوحي

س وسأل احد الكهنة الموارنة في جونية : ايجوز لكاهن ماروني ان يزيّح القربان الاقدس على الطقس اللاتيني في كنيسة مدرسة لاتينيّة امام حضور من الطقسين

الاشتراك في الطقوس

ج بوجه عمومي لا يسمح للكهنة المزج بين الطقوس وعلى كلّ كاهن ان يلزم طقسهُ وعادات كنيستهِ . امّا مسألة زيّاح القربان على عادة الكنيسة اللاتينيّة فعلى رأينا انهُ يجب على الكاهن ان يراجع في ذلك سيادة مطران ابرشيّتهِ ل.ش

السنة الثانية والعشرون العدد ١٢ كانون الاول ١٩٢٤

المشرق

الغفران وحقيقة معناه في الكنيسة

نظر لاهوتي تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في يوم عيد ميلاد الرب من هذا الشهر سيفتتح قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر السنة اليوبيلية الكبرى في رومية بكل رونق وجلال فيبيح كنوز النعم الرسولية على الوفود المتقاطرة الى امّ المدائن لزيارة كنائسها الكبرى وإكرام ضريح هامة الرسل القديس بطرس ومشهد رفيقه الاناء المصطفى القديس بولس فيرجون الغفران اليوبيلي ويتزوّدون ببركة امام الاحبار

فبهذه الفرصة طلب الينا غير واحد من القرّاء ان نكتب لهم في المجلة فصلاً واضحاً في الغفران وحقيقة معناه في الكنيسة لعلّنا نزيل به ما غلب على عقول الكثيرين من الاوهام من هذا القبيل فنقول :

*

ليس امرٌ أثار على الكنيسة غضب بعض اعدائها كمسألة الغفرانات فانهم قد اتخذوها وسيلة للتشنيع على الاحبار الرومانيين ورؤساء الكثلكة فنسبوا اليهم اختراعها زوراً لأغراض سافلة ومطامع دنيّة لا مسوّغ لوجودها على قولهم لا في الاسفار المقدّسة ولا في عادات قرون الكنيسة الاولى . وزاد صخبهم منذ نشر لوتاروس زعيم البروتستانت راية العصيان محتجاً باعلان الغفرانات في زمانه فأضحى الغفران مذ ذاك الحين هدفاً لسهام الشيع البروتستانيّة ولعلّهُ صار ايضاً حجر عثرة في سبيل بعض الكاثوليك الضعيفي الايمان . فيترتّب علينا اذن ان نبيّن في مقالنا ما هو

الغفران وما أصلهُ ومصدرهُ واسبابهُ ومفاعيلهُ ومن هو المفوَّض اليهِ منحهُ وما هي الشروط لرجهِ

١ الغفران في عرف الكنيسة

الغفران في اللغة الصَّفح والتسامُح . ومثلهُ في اللاتينيَّة ومشتقَّاتها (indulgentia) امَّا في الاصطلاح وعُرف الكنيسة فالغفران هو التجاوز عن العقاب الذي يستحقُّهُ الانسان عن خطاياه بعد ان صُفح لهُ إثمها . وهذا التجاوز تمنحهُ السلطة الكنسيَّة من كنوز البيعة امَّا للاحياء بطريقة المسامحة وامَّا للموتى بشفاعتها الى الله

فترى من هذا التحديد الفرق بين إثم الخطيئة وعقابها . فان الإثم اي الاهانة التي صدرت من الخاطئ نحو العزَّة الالهيَّة بمخالفتهِ وصاياه لا يُمحى الَّا بالتوبة كما يُلغى ايضاً الهلاك الابدي الذي كان يلزمهُ . امَّا العقاب الزمني فهو تكفير موقَّت يجب على الخاطئ ان يؤدّيهُ بعد توبتهِ امَّا في هذه الحياة بالاعمال الصالحة والفرائض التعويضيَّة وامَّا في الآخرة بمقاساة العذابات المطهريَّة . وللكنيسة سلطة بان تصفح عن هذا العقاب الزمني امَّا بالسماح وامَّا بالشفاعة كما سترى

٢ ما هو اصل الغفران وما مصدرهُ

لا بُدَّ لبيان ذلك من بعض المقدَّمات :

١ً انَّهُ من الايمان انَّ الانسان معرَّض للخطيئة بل « ليس انسان لا يخطأ » (٣ملوك ٨ : ٤٦) و« ان قلنا ليس فينا خطيئة فانَّنا نُضلّ انفسنا وليس الحقّ فينا » (١يوحنا١ : ٨) فحكم الخطيئة قد شمل الجميع لم يُستثنَ منهُ الَّا السيِّد المسيح ابن الله ووالدتهُ العذراء مريم بنعمةٍ خاصَّة منهُ

٢ً لا يستطيع احد ان يغفر الخطيئة الَّا الله (مرقس ٢ : ٧) وانَّما الخطيئة تُغفر بالتوبة والندامة القلبيَّة لكنَّ غفران الله للخطيئة لا يُعافي الخاطئ عادةً عن تقدمة بعض الوفاء عنها في هذه الحياة او في الحياة الاخرى وذلك امَّا بما يفرضهُ الانسان اختياريًّا على نفسهِ من العقاب كالصوم والصلاة وامَّا بصبرهِ على ما يرسلهُ لهُ الله من

الاوجاع والبلايا في حياته او بمقاساته آلام المطهر بعد مماته. ألا ترى كيف عاقب الله آدم وحوّاء بضروب المحن والمشقّات والموت بعد ان غفر خطيئتهما وكيف ضرب داود وأمات ولده حتى بعد ان أكّد له النبي ناتان «انّ الله قد نقل عنهُ خطيئتهُ» (٢ ملوك ١٢ : ١٣) . ولنا في سفر العدد (١٤ : ٢٠—٢٣) دليلٌ آخر على ذلك فهناك يُذكر عصيان بني اسرائيل على موسى النبيّ ودعاء موسى الى الله ليغفر خطيئتهم فأجابهُ الربّ : « قد صفحتُ بحسب قولك ولكن حيٌّ انا ولتمتلئ الارض كلّها من مجد الربّ انّ جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتها في مصر وفي البرّية . . . لن يروا الأرض التي اقسمتُ عليها لآبائهم وكلّ من استهانَ بي لن يراها ». فيظهر من هذا جليًا انّ الله بعد غفرانهِ الخطيئة لم يترك العقاب الذي استوجبتهُ . فالوفاء اذن عن الخطيئة المغفورة قسمٌ من التوبة ولذلك يقول الكتاب المقدّس (ابن سيراخ ٥ : ٥) : «لا تكن بلا خوف من قبل الخطيئة المغفورة» فيريد ان نتقدّم عنها ما نستطيع من التعويض والتكفير

٣ً قد اقام الله حتى في العهد القديم كهنوتاً فوّضهُ باعلان غفرانهِ للخطأة على شروط معلومة فكان بنو اسرائيل يأتون كهنتهم فيقدّمون الذبائح لاجلهم ويصلّون عليهم في هيكل الرب وينالون لهم الغفران عمّا فرط منهم من مخالفة الشريعة وذلك مفصّل في سفر الاحبار

٤ً على انّ ذاك الكهنوت الاوّل لم يكن سوى صورة ضعيفة للكهنوت الذي رسمهُ السيّد المسيح وقلّده رسلهُ لاسيما بطرس هامتهم الذي اتّخذهُ صخرةً ليبني عليها كنيستهُ واعطاهُ مفاتيح ملكوت السماوات وجعلهُ الراعي الاسمى لقطيعهِ المختار واعطاهُ لهُ ثمّ لاخوتهِ التلاميذ بعدهُ سلطة الحلّ والربط في كنيستهِ مؤكّداً لهم انّ كل ما يربطونهُ او يحلّونهُ على الارض يكون مربوطاً او محلولاً في السماء . فتنح الغفرانات داخلٌ بلا شك في هذه النعم التي نالها القديس بطرس ثمّ الرسل اخوتهُ خير مرؤوسيهم المؤمنين

فمن هذه المقدّمات يتّضح ان الغفران يعود الى الله سبحانهُ تعالى والى السيّد المسيح الذي أُعطيَ كلّ سلطان في السماء والارض

على انّ هذا الغفران الذي تمنحهُ الكنيسة للتائبين ليس هو مبنيًا على مجرّد كلام

الله دون تعويض آخر يقوم مقام تعويض التائبين فينوب عنهم . وذلك ما يُدعى بكنز الكنيسة الروحيّ . فانَّ الكنيسة بما انها عروس السيّد المسيح السرّيّة قد اختارها كما يقول الرسول (افس ٥ : ٢٥—٢٧) واحبَّها وبذل نفسهُ دونها ليقدّسها ويهديَها لنفسهِ كنيسةً مجيدة لا كأن فيها ولا غضن بل تكون مقدَّسة منزَّهة من كلّ عيب . ثمَّ سلَّمها كلّ استحقاقات حياتهِ وموتهِ وقيامتهِ غير المتناهية لتخصّصها لحاجات ابنائها . وكما ورثت نعم السيد المسيح اضافت الى هذا الكنز الثمين استحقاقات كل ابنائها الذين نشأوا فيها من العذراء مريم والرسل والشهداء والمعترفين والعذارى فانها بموجب شركة كلّ جماعة المؤمنين ابناء الله الذين يتألف منهم جسمها السرّي تستفيد هي من اعمالهم الصالحة واستحقاقاتهم الوافرة كما يستفيد كل عضو من اعضاء الجسد من صحّتهِ ونموهِ فتسدّ بها حاجات اولادها الذين لم يَفُوا عن ديونهم للعدل الالهيّ وتنال لهم من مراحمهِ تعالى ان يقبل قسماً من تلك التعويضات ويغفر للمذنبين ما استوجبوهُ من العقاب عن خطيئتهم بعد غفران ذنبها

٣ تاريخ الغفران في الكنيسة

عرفتَ ما هو اساس الغفران . فلننظر الآن كيف تصرَّفت بهِ الكنيسة منذ اول نشأتها

قد جاء في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس (٥ : ٢ — ٥) شاهدٌ جليل على الغفران فان هذا الرسول كان حرم من جسم الكنيسة واسرارها رجلاً خاطئاً بسبب سقوطهِ في الزنى « فاسلمهُ الى الشيطان لهلاك الجسد ليخلص بالروح » . ثمَّ شفع بهِ مواطنوهُ الى الرسول فمنحهُ الغفران وسامحهُ بالحرم بعد ان كان تاب عن خطيئتهِ قال القديس (٢ كور ٢ : ٦—١٠) . يكفي هذا الانسان ذلك التوبيخ . . فمن سامحتموهُ بشيء فانا ايضاً اسامحهُ لاني ان كنت مسامحاً بشيء فانَّما انا مسامحٌ بهِ من اجلكم في شخص المسيح » فدلَّ بولس الى المسامحة وذلك كتائب السيد المسيح . وكذا تفعل الكنيسة بغفرانها الذي تمنحهُ التائب وتخفّف ما استحقَّ من التأديبات بسبب خطيئتهِ ولو نال الحلّة عنها

وهنا ينبغي ان نذكر شيئاً من العادات الجارية في قرون الكنيسة الاولى بالنسبة

الى التائبين فان قوانينها كانت غاية في الشدّة لتزجر الخطأة وتكفّهم عن اقتراف المآثم لاسيما الخطايا الثقيلة كالتجديف والسرقة والزنى فكان رؤساء الكنيسة يفرزون مثل هؤلاء المجرمين عن شركة المؤمنين فلا يُسمَح لهم بمشاركتهم في الاسرار فتفرض عليهم اصواماً طويلة ولبس المسوح والوقوف على باب الكنائس وفرائض شتى يمارسونها مدّة سنوات عديدة كانت تدوم احياناً الى آخر الحياة. وبعض هذه القوانين الصارمة كانت تُطلق حتى على اجتراح خطايا خفيفة. فانَّ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة عربيَّة قديمة من كتاب الطبّ الروحاني لميخائيل الجميل اسقف مليج في الصعيد من كتبة القرن الثالث عشر هو «مجموع من قوانين الرسل القديسين والآباء الروحيين وممَّن اتى بعدهم من المعلّمين» في ٤٧ باباً دُوّنت فيه التأديبات الكنسيَّة التي تُفرَض على المقترفين ببعض خطاياهم دونك مثالاً منها :

(القاتل) الطالب التوبة يُطرح عليه اثنتا عشرة سنة لا يتقرَّب ويُفرَز ويقف خارج الكنيسة ويعمل كل يوم مائة مطانية(١ . ويا رب ارحم مئة مرة . ويا الله سامحني انا الخاطئ واغفر لي مائة مرة

(الذي يحلف) عليه سنة لا يتقرَّب وفي كل يوم مائة مطانيَّة

(الذي يجحد المسيح وينكر المعمودية ذات الخلاص) فعليه ان يبكي طول ايَّام حياته

(السارق) عليه وصيَّة ثلث سنين ويعمل كل يوم خمسين مطانيَّة ويقف خلف الشعب

(الذي يبغض اخاهُ) يبتعد من القربان المقدَّس ثلاث سنين على ما سنَّتهُ الآباء . واما نحن في زماننا (اي في القرن الثالث عشر) يبقى سنةً ويأكل يابساً ويعمل كل يوم مائة مطانيَّة

(الكثير الكلام) امرت قوانين الابات ان يمنع من القربان ستَّة اشهر . اما نحن في زماننا هذا يبقى ثلثة اشهر ويأكل يابساً في الساعة السادسة وفي كل يوم ١٢٠ مطانية

(المكذّاب) قد سنَّ الآباء عليه ان يبقى ثلثة شهور تائباً باكياً . واما نحن فنحدّ اربعين يوماً يأكل يابساً في الساعة السادسة وفي كل يوم ١٥٠ مطانيَّة

ولم تكن العقوبات في الكنيسة الغربيَّة اخفَّ منها في الكنيسة الشرقيَّة . فانَّ من التجأ الى السَّحرة كان يفرض عليه مدَّة خمس سنوات اعمال توبة شاقَّة — كان المجدّف على الله او على قدّيسيه يوقف مدَّة سبعة آحاد على باب الكنيسة وفي آخرها كان يقوم حافي القدمين وفي عنقه الحبل ويصوم سبع جمعات على الخبز الحاف ويُقيت

١) المطانية لفظة يونانيَّة معناها التوبة ويراد بها السَّجدة والركعة

ثلثة من الفقراء. ومَنْ أبى الخضوع كان يُمنع عن الدخول الى الكنيسة وعند موته يُحرم من الدفن المسيحي — كان الولد الذي يلعن والديه يُحكم عليه بالصوم على الخبز الحاف مدّة اربعين يوماً. وقس على هذا بقيّة الخطايا. وهذه التأديبات وُضعت لخطيئة واحدة فان تعدّدت الخطايا اصبحت حياة الانسان قصيرة عن وفاء تلك القوانين حتى ولو عمّر الخاطئ العمر الطويل

وكان التائبون لا يعودون الى مرتبتهم في الكنيسة الّا بعد ان يقطعوا اربعة اشواط: شوط «الباكين» كانوا يقومون في رواق الكنيسة لابسين المسح والرماد على رؤوسهم يلتمسون الغفران من الداخلين. وشوط «السامعين» كانوا يقومون في اسفل الكنيسة مع الطالبين ولا يحضرون الّا الوعظ ومقدّمات الاسرار الى الانجيل. وشوط «الساجدين» كانوا يحضرون الاسرار وهم منكبّون على وجوههم ساجدين ويتلو عليهم الاسقف صلوات معلومة. وشوط «الواقفين» الذين كانوا يقفون مع المؤمنين ويحضرون معهم الاسرار الّا انهم كانوا يُحرَمون من التقدمة ومن تناول القربان

وعلى هذا المنوال اصبحت التأديبات الكنسيّة عبئاً ثقيلاً لا يطيقهُ عموم الناس. ولمّا كانت الكنيسة امّاً حنوناً لا تريد هلاك اولادها وانّما تبتغي اصلاح سلوكهم وتوبتهم النصوح والتكفير عن ذنوبهم فلذلك توسّلت ببعض الوسائل لترخي خناق اولئك التائبين ولا تلقيهم في اليأس والقنوط

فمن ذلك ان رؤساء الكنيسة كانوا اذا لحظوا في التائبين ندامةً عظيمة وغيرةً في وفاء القانون واصلاحاً تامّاً لسلوكهم تساهلوا معهم وغفروا لهم قسماً من تلك العقوبات الصارمة

ومن الوسائل التي شاعت في ايّام الاضطهادات أنّ التائبين لاسيما الذين كانوا جحدوا الايمان امام الحكّام خوفاً من العذابات كانوا يلتجئون الى الشهداء الذين قاسوا الآلام بثبات لاجل ايمانهم وحُكم عليهم بالموت او بالسجن لاجل المسيح فيطلبون شفاعتهم لدى الرؤساء ليتجاوزوا عن تأديبهم ويعاملوهم بالرفق. فكان ارباب الكنيسة لاجل كرامة الشهداء يصفحون عن التائبين او يخفّفون عليهم التأديبات

وكذلك المحسنون الى الكنيسة الذين كانوا اصابوا كرامةً لدى اربابها كانوا يتوسلون الى الاساقفة ليغضُّوا النظر عن بعض المجرمين فيقبلوهم في الكنيسة بالحلم والرحمة ضاربين صفحاً عن تأديبهم او مكتفين بالزهيد القليل

٤ الغفران بالنسبة الى الآخرة

انَّ التأديبات التي تفرضها الكنيسة على ابنائها التائبين من شأنها ان تقرّب اليهم الوفاء عمّا استحقُّوهُ من العقاب الزمني لعدل الله وبالغفران تخفف عن عاتقهم ذلك العقاب

ولكن يا تُرى ألهذا الغفران فعلٌ في الآخرة؟ أيمكن الكنيسة ان تلطّف ما استحقَّهُ الانسان من العقاب في المطهر لما لم يفِ به في هذه الحياة لعدلهِ تعالى ؟ انَّ بعض المراطقة نكروا مفعول غفرانات الكنيسة في تلطيف تلك الآلام لنكرانهم وجود المطهر . فنُحيل هؤلاء المبتدعين الى مقالة العدد السابق التي اثبت فيها الطيّب الذكر البطريرك ميخائيل جروه حقيقة وجود المطهر عقلاً ونقلاً

فبافتراضنا وجود المطهر لا بُدَّ من القول انَّ سلطان الكنيسة بوضعها الغفران يمتدُّ الى عذابات الآخرة ايضاً وذلك لاسباب :

اوّلاً : انَّ هؤلاء المطهَّرين في حبس المطهر لا يزالون من عداد ابنائها ومن جسمها السرّي المتألف من ثلثة فروع اي الكنيسة المجاهدة على الارض والكنيسة الظافرة في السماء . والكنيسة المتألمة في المطهر فلا تستطيع الكنيستان الظافرة والمجاهدة ان تغضّا الطرف عن اخوتها المتألمين في المطهر

ثانياً : لان الكنيسة المجاهدة هي عروس السيّد المسيح السرّيّة كما سبق فلا يستطيع ان يردَّ لها طلباً لمن ولدتهم لله بالعموديّة وقدّستهم باسرارها وطبعت في نفسهم بالعماد والجهد صورة قرينها الالهيّ

ثالثاً : لأنَّ السيد المسيح خوّلها اسراراً عظيمة وجعل في يدها كنوز استحقاقات حياتهِ وآلامهِ لتخصّصها بمنفعة الاحياء والاموات

رابعاً : ويدلُّ على ذلك انَّ الكنيسة في كلّ اطوار تاريخها وفي كلّ البلاد التي بسطت فيها سلطانها لم تزل تقدّم الصلوات والاصوام والذبائح المقدَّسة وضروب

التعويضات عن المؤمنين المتنيحين بالرب بشركة كنيسته الواحدة الجامعة المقدسة . لنا في اثبات هذه الحقيقة الشواهد الكتابية المدوَّنة في دياميس رومية منذ القرون الاولى وقد نقل كثيراً منها في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٨٠١–٨١٢) حضرة القس جرجس اليان في مقالته عن احوال الآخرة في عرف النصارى الاوَّلين . فهناك عدَّة ادعية عن لسان المرتى يلتمسون بها من اخوتهم الاحياء ان يذكروهم لدى الله وينالوا لهم الراحة الابديَّة من رحمته تعالى . وكذلك في تاليف الآباء القديسين ادلَّة واضحة تصدعُ بهذه الحقيقة (راجع مقالة البطريرك جروه المذكورة)

على انَّنا لا نشبّه شبهاً تامًّا مفعول غفرانات الكنيسة في اولادها الاحياء بمفعولها في ابنائها الراقدين بالربّ . فانَّ سلطان الكنيسة على مؤمنيها في هذه الحياة صريحٌ يدركهم تراً لما أُعطيت بشخص هامة الرسل فانَّها قُلِّدت مفاتيح ملكوت السماوات وانَّ ما تحلُّهُ او تربطهُ على الارض يكون محلولاً او مربوطاً في السماء . امَّا سلطانها على مَن فارقوا هذه الحياة بنعمة الله دون الوفاء التامّ عن خطاياهم الثقيلة المغفورة او عن خطاياهم العرضيَّة غير المغفورة فانَّهُ سلطانٌ ضمنيٌّ يتوقَّف على شفاعتها المقبولة لدى الله المصحوبة بما لديها من كنوز استحقاقات السيد المسيح والقديسين غير المتناهية ولاسيما بتقدمتها ذبيحة جسد ودم ابن الله في القربان الاقدس

وفي كلا الحالين سلطان الكنيسة كلُّهُ من الله لا من ذات نفسها بواسطة ابنه الالهيّ الذي قال لتلاميذه قبل صعوده (متى ٢٨ : ١٨) : «اني قد أُعطيتُ كل سلطان في السماء والارض» (يوحنا ٢٠ : ٢١) : «كما أرسلني الآب انا أُرسلكم ... خذوا الروح القدس مَن غفرتم لهم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم» فان كان سلطان الكنيسة يمتدُّ الى غفران الخطايا فكيف لا يمتدُّ ايضاً الى غفران عقاب الخطايا الذي هو اخفّ من غفران الخطايا نفسها

٥ تطوُّر الغفرانات بتمادي الزمان

رأيتم كم كانت شديدة في قرون الكنيسة الاولى التأديبات الكنسية المفروضة على التائبين . الّا انَّ احوال العالم تغيَّرت كثيراً بعد سقوط الدولة الرومانيَّة وهجوم الشعوب البربرية على اوربَّة حتى ان سياسة العالم انقلبت ظهراً لبطن فوجب على

الكنيسة ان ترتي تلك الامم المستحدثة وتزيل همجيتها وتنفخ فيها روحاً جديدة . ومما لطفت العقوباتُ القانونيَّة التي كانت تلزم بها التائبين لئلا ينبذوا الايمان ويعودوا الى وثنيتهم فجعلت تفرض على طالبي التوبة قوانين لا ينفرون من مباشرتها كالصلوات والإصوام والصدقات الى الفقراء بدلاً من ذرّ الرماد ولبس المسوح والوقوف على باب الكنيسة ومنع القربان

وفي القرون الوسطى وسمت كفّارةً عن الذنوب اعمالاً تقويَّة كزيارة الاراضي المقدَّسة وكنائس رومية وبعض المزارات . وكجلد الجسد بالمقارع او كدفع شيء من الدراهم لبناء الكنائس

ولمّا أُعلن بالحروب الصليبيَّة منحت الكنيسة الغفران عن عقاب الخطايا الذين كانوا يتجنَّدون في جيوش الصليبيين لفتح الاراضي المقدسة . والكنيسة بكل ذلك ترغب بأن تخفف عن ابنائها تبعة خطاياهم فيعرضوا عنها

ثم جاءت اليوبيلات في غرَّة القرن الرابع عشر كلَّ مئة ثمَّ كلَّ خمسين ثمَّ كلَّ خمس وعشرين سنة فاخذ الالوف ومئات الالوف من المسيحيين يتقاطرون الى زيارة ضريح الرسولين بطرس وبولس في رومية فكانت وسيلةً جديدة لربح الغفرانات الممنوحة من الاحبار الرومانيين لزوَّار عاصمة الكثلكة كما انَّهم منحوها ايضاً لزوَّار كنائس اخرى شهيرة بذخائر القديسين وآثار العبادة مثل كنيسة الرسول القديس يعقوب في كمبستال من اعمال اسبانية

وهكذا الكنيسة كانت تتصرَّف بانواع التعويضات وطُرُق التكفير عن الذنوب وانَّما جوهر هذه الانعامات لم يختلف فانَّ الكنيسة بناء على سلطتها الالهيَّة تتسامح عن ما تستحقُّه الخطيئة المغفورة في سرّ التوبة من العقوبات الزمنيَّة بايجاد ممارسات اخرى تقويَّة تقوم مقامها اخفّ عبئاً واسهل وفاء

وهذا ما حملها على اختيار عبادات شتى وضعها بعض القديسين فأغنتها بالغفرانات ليسهل على المؤمنين ربحها بممارستها كعبادة الورديَّة وعبادة درب الصليب والسجود القربانيّ والاخويَّات والشركات التقويَّة وتلاوة صلوات مختلفة علّقت عليها مثل هذه الغفرانات لتتوفَّر لدى المؤمنين وسائط النجاة من العقوبات التي تستحقُّها خطاياهم في العالمين

٦ من هو المفوَّض اليهِ منح الغفرانات

لمَّا كان الاحبار الرومانيُّون هم خلفاء القديس بطرس عامة الرسل ونوَّاب السيد المسيح على الارض اليهم قد أُعطي قبل الجميع السلطان على منح الغفرانات. وهذا السلطان يُعرَف بسلطان المقاليد الرسوليَّة اشارةً الى قول الرب للصفاة « سأُعطيك مقاليد ملكوت السماوات » وقد نال الرسل ايضاً هذا السلطان لان الرب جعلهم « وكلاء اسرار الله » (١ كور٤: ١) . فيستطيع الاساقفة ورؤساء الكنائس ان يمنحوا ايضاً الغفرانات

على انَّ هذا السلطان مقيَّد تحت حكم امام الاحبار الذي لديهِ مستودَع كنوز الكنيسة فيستطيع ان يطلقهُ او يحصرهُ كما يشاء. ومن الحقّ العمومي المعروف انَّ لرئيس الكنيسة الاسمى ان يمنح الغفرانات بكل أصنافها ولاي غايةٍ شاء سواء كان لفائدة الاحياء او لاسعاف الموتى . ثمَّ للكرادلة والبطاركة ورؤساء الاساقفة والاساقفة والنوَّاب الرسوليّين والقضاد الرسولين حقّ بمنح بعض غفرانات جزئيَّة للأحياء فقط في ابرشيَّاتهم وكلّ الامكنة الخاضعة لهم او في الحفلات الدينيَّة التي يرئسونها خارجاً لحضور تلك الحفلات. امَّا المجامع فان كانت مسكونيَّة فلها ان تمنح الغفرانات باشتراكها مع الحبر الاعظم ليس خلواً منهُ . وان كانت مكانيَّة خصوصيَّة فلا سلطة لها على ذلك. انَّما الغفرانات التي يمنحها الرؤساء لا تبطل بموتهم

٧ انواع الغفرانات

تقسم الغفرانات الى غفرانات كاملة وجزئية. فالكاملة هي التي توفي عن سائر التأديبات والعقوبات الزمنيَّة التي استحقَّها الانسان لاجل خطاياه بعد توبته سواء كان في هذه الحياة ام في الآخرة. الَّا انَّ هذه الغفرانات لا يربحها بكمالها الَّا القليلون لعدم استيفاء الكثيرين لشروطها تماماً . والجزئيَّة هي التي تُزيل جزءاً من هذه العقوبات. وانَّما يجب التنبيه على انَّ هذه الغفرانات الجزئيَّة كغفران اربعين يوماً مثلاً معناها اوَّلاً انَّها تعافي الخاطئ عن عقاب قانوني كان مفروضاً عليهِ سابقاً مدَّة اربعين يوماً بازاء الكنيسة

امّا في العالم الآخر ففعولها مؤكّد بيد انّهُ غير محدّد وانّما هو موكول الى رحمة الله

وتُقسم ايضاً الغفرانات الى غفرانات شخصيّة او مكانيّة او وضعيّة فالشخصيّة تمنح لشخص معلوم او لجماعة معلومة لا يربحها غيرهم . والمكانيّة تنوط بمكان مقدّس مثلاً ببعض الكنائس او المزارات التقويّة . امّا الوضعيّة فتمنح لبعض الموادّ المنتقلة كايقونة مقدّسة او صليب او ذخيرة او سُبْحة وما شاكل ذلك

ويقسمون الغفرانات ايضاً الى غفرانات الاحياء التي يربحها المؤمنون لنفسهم وغفرانات الموتى التي يمكن تخصيصها لنجاة النفوس المطهريّة بموجب ما يقرّره مانح تلك الغفرانات

وكلّ هذه الغفرانات كانت تُعلَن في منشورات رسميّة يبرزها في رومية مجمع خاصّ باسم الحبر الروماني ويجدّدها من وقت الى آخر ليستدلّ المؤمنون على صحيحها من باطلها . امّا اليوم فهي منوطة بالمجمع المتقلّد امور التوبة (Pénitencerie) وتُعلَن بنشرة الكرسي الرسولي الرسميّة (Acta Apostolicæ Sedis)

٨ الشروط لربح الغفرانات

لا تُمنَح الغفرانات عفواً دون شروط يُقيَّد بها ربحها وهذه اخصّها :

الشرط (الاوّل) ان يكون الانسان حيًّا مصبوغاً بماء المعموديّة خاضعاً للكنيسة غير مربوط بحرم من رؤسائها

الشرط (الثاني) ان يكون طالب الغفران في حالة النعمة المبرّرة . لان الغفران كما سبق لا يغفر ذنب الخطيئة وانّما يغفر ما استوجبتهُ من العقاب الزمني . وامّا غفران الخطيئة فهو يتمّ بسرّ التوبة وحلّة الكاهن

الشرط (الثالث) ان يعقد النيّة على ربح الغفران على الاقلّ ان تكون لهُ نيّة ضمنيّة عموميّة ان لم تكن حاليّة او صريحة

الشرط (الرابع) ان يتمّم طالب الغفران بذاته الواجبات المفروضة لربحها من صوم او صلاة او زيارة او صدقة . فان خلّ من ذلك شيء امتنع الغفران ما لم يكن موجب لاستبدال شيء من تلك الشروط . واغلب ما يُفرَض على المؤمنين ليتمّموا

بالغفرانات الكاملة ان يرحضوا نفوسهم بسرّ الاعتراف ويعقبوهُ بتناول القربان الاقدس

٩ مفاعيل الغفرانات الصلاحيَّة

انَّ الشروط السابق ذكرها تبيّن بياناً جلياً ما ينجم عن الغفرانات من المفاعيل الخلاصيَّة. نعمْ انَّ غايتها الاولى ان تعافي المؤمنين ممَّا وجب على خطيئتهم من القصاص لاجل تبعتها السيئة بعد غفران الذنب . الَّا انَّ هذا المفعول المرغوب تصحبهُ مفاعيل اخرى طيّبة من شأنها ان ترقّي الحياة الصالحة وتعدّ الانسان الى الكمال المسيحي

فمن مفاعيلها انَّها توجب على المؤمن ان ينزع عن نفسهِ دنس الخطيئة بالتوبة الصادقة وتناول القربان ليكون اهلًا لنعمة الغفران

ومنها انَّها تنعش في قلب الانسان روح العبادة والتقى فتبعثهُ الى ممارسة الاعمال المبرورة والفضائل الالهيَّة

ومنها ايضاً انَّها بما يُفرض على المؤمن من صلوات او صدقاتٍ او فرائض غيرها تعوّدهُ على التجرُّد من الارضيَّات وطلب الخيرات السماويَّة وتمجيد الله واسعاف القريب فتنمو في قلبهِ حياة الله . وهذا يلوح خصوصاً في ربح الغفرانات الكاملة التي لا تُنال الَّا بقطع كلّ علاقة مع الخطيئة وممارسة اسمى الفضائل وارضاها لدى الله لاسيَّما المحبَّة «التي هي رباط الكمال» (كولوسي ٣: ١٤)

١٠ الجواب على بعض اعتراضات لنفي الغفرانات

اعترض اعداء الكنيسة عليها فنكروا شرعيَّة استعمالها فمن ذلك قولهم (اولًا) انَّ التوبة كافية للخاطئ فلا يحتاج الى سواها . فالجواب على هذا الاعتراض قد سبق بما اثبتناهُ من الفرق بين ذنب الخطيئة الذي يُمحى بسرّ التوبة وتبعة الخطيئة اي العقاب الزمني الذي يبقى على الخاطئ فتسامح به الكنيسة بالغفران

يقولون (ثانياً) انَّ الموتى قد خرجوا من حكم الكنيسة فكيف تمنحهم الغفران . الجواب انَّ الكنيسة وان بطَلَ بالموت حكمُها على الموتى الَّا انَّها تعتبر المتنيحين كأبنائها وكقسم من جسدها السرّي فايّ مانع يصدّها من تقدمة استحقاقات آلام

وموت السيد المسيح غير المتناهية واستحقاقات العذراء مريم وجميع ابنائها القديسين للديّان العادل وهو رأسها السرّي ليشمل برحمته تلك النفوس المتألمة أفيمكنهُ ان يردّ طلبتها او يخيّب شفاعتها وهي عزيزتهُ التي وعدها بشخص رسله انّها مهما طلبتهُ بالدعاء تنلهُ ؟

ومن اعتراضاتهم (ثالثاً) ان الغفرانات من شأنها ان تنشط الناس على فعل الخطيئة بسهولة منحها للخاطئ التائب. الجواب اننا لا ننكر انّ الغفرانات تخفف عن عاتق الخاطئ لكنّ التقيدات المتوطة بها هي على خلاف ذلك من الدواعي الفاعلة الى اصلاح سيرته

يقولون (رابعاً) انّ الغفرانات تجارة سائلة لربح مال الناس اذ عُرضت للبيع كالسلع. الجواب على انّ الاحبار الرومانيين في بعض ضيقات الكنيسة ولغايات شريفة منحوها بشرط ان يتصدّق المؤمنون بصدقة اختياريّة لتحقيق تلك الغايات. منها بنيان كنيسة مار بطرس في رومية ومنها القيام ببعض مشروعات خيريّة كانشاء مياتم ومستشفيات وتهذيب الناشئة. وليس في ذلك اثرُ تجارة. وان وقع شيء من هذا القبيل فهو على خلاف نيّات رؤساء الكنيسة وبسبب بعض المطامع الخاصّة التي لا يترتّب عليها قانون ويمجّها ذوق الصالحين وينكرها كل صاحب ضمير

يقولون (خامساً) انّ بين الغفرانات اربعينيّات وسبعينيّات وستين. وكل هذا من الاختراعات الغريبة التي لا سند لها. الجواب على هذا في تعريف عادات الكنيسة الاولى التي كانت تفرض على التائبين قوانين منها اربعينيات الصوم ومنها سنوات محدّدة وغير ذلك ممّا أشرنا اليه. فحفظت الكنيسة الحاليّة هذه النظامات القديمة بمنحها الغفرانات. ولا بأس في ذلك

وخلاصة القول ان الغفرانات مقدّسة صالحة لا غبار عليها في مصدرها وشيوعها يُثبت الوحي والتاريخ قانونيّتها وحسن مفاعيلها لا يحاول اعداء الكنيسة تزييفها الّا زوراً مستندين الى حجج باطلة وما على المؤمنين الّا ان يستعينوا بها لتقديس نفوسهم وخلاص نفوس اخوتهم من عذابات الآخرة ولاسيما الغفران اليوبيلي وهو اعظمها (اطلب مقالتنا في اليوبيل وغفرانه (في المشرق ٤ [١٩٠١]: ١٧٩—١٨٨)

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فرديناند توتل اليسوعيّ (تتمّة)

تمّت مع الصيام المبارك ايام رحلتنا الرسولية في بلاد الجليل فعدنا الى سيادة المطران غريغوريوس حجّار في حيفا وقدّمنا لهُ ثمرة الاعمال وتزوّدنا ببركته . على اننا رأينا ان نضيف الى اخبار رحلتنا هذه معلومات اخرى عن عكا والناصرة وشفاعمر كنّا اجتنيناها في سياحة رسوليّة سابقة باشرناها لخدمة النفوس في تلك المحلّات في اواخر العام المنصرم

عكّا

دعاها الفينيقيون عكُو واليونان بطلمايس والفرنج سان جان داكر (S' Jean d'Acre) والعرب عكا وهي من اقدم المدن الفلسطينيّة عهدًا

عكا من ابنية الفينيقيين جعلوها عند رأس كانوا يتخطون منهُ سفنهم وعند عودتهم من اسفارهم يجرُّونها الى اليابسة . بالقرب منها يجري نهرٌ اسمهُ نهر نعمان عرفهُ الاقدمون باسم بيلوس عند ضفافهِ اكتشف الفينيقيون تركيب الزجاج . قال فيهِ بلينوس : انّ بعض اهل فينيقية اوقدوا نارًا على ضفّة هذا النهر بعود القلى واذا بالرمل الذي هناك تحوّل زجاجاً فانتبهوا للامر وكان ذلك اوّل اصل اكتشاف الزجاج . وما لا ريب فيهِ ان صناعة الزجاج ورقيها ورواجها كلّ ذلك من فضل اجدادنا الفينيقيين الذين سكنوا هذه الديار

في القرن الثاني عشر للمسيح بعد ما فتح الفرنج بيت المقدس ساروا على سيف البحر واخذوا مدن الساحل ومنها عكّا على انها ما عتّمت ان عادت الى يد الاسلام لكن الحملة الصليبيّة الثالثة استردّتها من المسلمين ومعها عود الصليب المقدّس الذي كان حصل في ايديهم منذ وقعة حطّين

واصبحت عكا في عهد الفرنج مركزًا لتجارة الغرب مع الشرق كان يؤمّها

التجار الاوروبيون الكثيرون وربما جمعت في مرفإها مئتي سفينة ولا يزال الخان الموجود فيها الى يومنا بالقرب من الميناء يشهد لرواج سوقها في ذلك العهد

وفي ١٢ نيسان سنة ١٢٩١ حاصرها الملك الاشرف ابن قلاوون فامتنع فيها الهيكليون وكانوا قد ارسلوا النساء والاطفال الى قبرس ثم رأى بعضهم في اواسط ايار ان يستسلموا مع الامان . الّا انّ اعداءهم ما لبثوا ان فتكوا بهم فقتلوهم غدراً فضّل رفقاؤهم متابعة القتال والموت تحت انقاض المدينة (٣١ أيار ١٢٩١)

في سنة ١٧٧٥ سقط ظاهر العمر في عكا بعد ما حكم بلاد الجليل زهاء ربع قرن

وفي ١٨ آذار سنة ١٧١٩ ضرب بونبرت الحصار على عكا وكان الجزّار قد اصلح اسوارها المنيعة وهي من اعمال الصليبيّين وجهّزها بمدافع قويّة يديرها ضبّاط اوروبيون وجعل فيها حامية عديدة تستمد المؤونة بحراً من «سيدنه سميث» كومودور الاسطول الانكليزي. تلك كانت معدّات الدفاع فضلاً عن شدّة الجزار وفظاظة طباعه

امّا الفرنسيون فتأذوا منذ بدء الحصار من قلة المؤونة والذخائر الحربيّة وكانت المدافع التي غنمها الانكليز من اسطول الاميرال «بيره» فاداروها عليهم تعرقل حركاتهم وتمنعهم من التقرب من الاسوار . فما لبث ان فشا الطاعون والتيفوس في مصافّهم فاضطرّ بونبرت الى الاقلاع عن عكا

وفي نيسان سنة ١٨٠٤ مات الجزار ودُفن في عكا في الجامع المعروف بجامع الباشا . زرنا قبره فرأيناه من خلال نافذة الجامع وهو قبر بسيط لا يمتاز عن سواه

وفي ٢٧ ايار سنة ١٨٣٢ فتح ابراهيم باشا عكا بعد ان حاصرها سبعة اشهر ثمّ استولى على سوريّة وتوغّل في الاناضول وتهدّد القسطنطينيّة فاضطرّته الدول الى التنازل عن فتوحاته واظهاراً لعزمها على تنفيذ المعاهدات ارسلت الى عكا في ٢ ت ٢ ١٨٤٠ اسطولاً مؤلّفاً من عشرين مركباً حربيّاً فأمطر على المدينة وابلاً من القنابل

وفي سنة ١٨٤٣ عاد الاتراك واصلحوا اسوارها وحصّنوها حتى أيام الحرب العظمى ولم يفطنوا بان الاستحكامات الضخمة لن تقوم زماناً طويلاً تجاه المدافع الحديثة

امّا في أيامنا فقد اصبحت عكا كخيال بالنسبة الى ما كانت عليه من العزّ

والغنى . ومع ذلك رأيتُ ان أتقصَّى اخبارها واليك ما اتصلت اليه . يتراوح عدد سكانها بين ٦٫٥٠٠ و ٧٫٠٠٠ منهم ٥٥٠٠ مسلم سني ومن وجهائهم عبد الفتاح السعدي وتوفيق عبدالله حقي والشيخ ابراهيم العقي وصالح افندي المحمد وبيت الشاذلية والشرطي والكردي والشيخ اسعد الشقيري مفتي الاوردو الرابع

ويبلغ عدد النصارى نحو ١٣٠٠ منهم ٨٠٠ روم ارثوذكس و ٣٢٠ روماً كاثوليكياً و ٧٠ لاتينياً و ٤٠ مارونياً و ٤٠ بروتستانت والوجهاء من النصارى بيت الخزام وسعد وفرح وكتفاكو وعزام وبجوص وصفدي

ولا يزيد عدد اليهود عن عشرة والايرانيين عن العشرين لان اغلبهم هاجروا الى حيفا لوقوف الحركة التجارية في عكا وشدَّة الازمة فيها

على انَّ الميناء لا تزال تشحن بعض محصولات كالحبوب والزيت والزيتون وتورد الى الداخل فواكه وخضراً وسمكاً وقد بلغت المراكب التي دخلت الميناء في خلال سنة واحدة ٥٦٦ مركباً شراعياً وباخرتين كان محمولها ٦١١٧ ثم ١٠٩٥ طناً

وفي عكا مدرستان تديرهما الحكومة الواحدة للذكور والاخرى للاناث ومدرسة ابتدائية لراهبات الناصرة ومدرستان أخريان للروم الكاثوليك . وفيها مستشفى يخدمه طبيبان وما عداهما خمسة اطباء يخدمون الاهلين . وقد احتلَّ فيها بعض الاومن المهاجرين من بلاد الاناضول

وللروم الكاثوليك في عكا كنيسة جميلة مرَّ لنا ذكرها (في المشرق ٢١[١٩٢٣]: ٧٤٧) وفيها كنيسة للموارنة وكنيسة للاتين ولليهود كنيس واحد

وفي عكا جوامع عديدة اهمُّها جامع الباشا بناه الجزار سنة ١٧٨٠ لهُ صحنٌ مربَّع يحدق به اروقة مسقوفة وفي وسطه شجر البرتقال والنخل والسرو تخيِّم بظلها على قبور باشاوات عكا . وفي داخل المسجد قطع رخام جميلة وعواميد وتيجان وغيرها من الاحجار المنحوتة الثمينة التي اقتلعها الفاتحون من كنائس قيصرية وصور واستعملوها في البناء

وبينما كنَّا نطَّلع على المسجد تقدَّم اليَّ شاب من الدارسين وقال لي : ما بالك لا تدخل تصلي . فادهشني كلامهُ وهو يراني بثوب الكهنوت . فنظرت اليه شزراً فسكت الى ان تقدَّم اليه رجل عاقل وقال لهُ : « اتركه كلٌّ يصلي على دينه »

وفي الجامع مدرسة للعلوم الاسلامية فسألت هل يتاح لي ان ارى المكتبة فتردَّد الشبان الذين كانوا حولي بامرهم ثم دعوني فدخلت غرفة فيها كتب عديدة كلها دينية الّا البعض منها في التاريخ واللغة وقلّما يوجد بينها كتاب حديث . ولمّا طلبت ان أطّلع على قائمة المكتبة قدّم لي خازنها كتاباً فيه ردٌّ على النصارى . فقلتُ : حسبي . وخرجتُ .

وفي الجمعة الاخيرة من الليل بعد صياح الديك استيقظتُ فاذا صوتُ المؤذّن يملأ الفضاء ... داعياً قومهُ الى الصلاة فاسرعتُ الى اقام فرائض الكهنوتيّة واقامة الذبيحة الطاهرة

اقمت في عكا اسبوعين ملقياً فيها عظات الرياضة للسيدات اوّلاً ثم للفتيات وأبتْ تلك المسيحيات الصالحات الّا ان يكون لرجالهنّ واخوتهنّ رياضةٌ خصوصية ففتحتْ راهبات الناصرة كنيستهنّ للرجال الى ان جاءتنا دعوة من السيد غريغوريوس حجّار لنقيم الرياضة في كنيسته الكاتدرائيّة ففعلنا فاستغرقت تسعة ايام ويوم اختتامها صباحاً ودّعنا وجهاء المسيحيين في عكا وسرنا الى الناصرة شاكرين المولى على ما وجدناهُ من مظاهر التقوى والعبادة عند المؤمنين

الناصرة

فيها بشّر رئيس الملائكة جبرائيل سليلةَ ملوك اسرائيل ابنةَ داود السيدة البتول مريم بسرّ التجسُّد (لوقا ١ : ٢٦—٣٩) . منها اشرق على العالم نور الحق سيدنا يسوع المسيح الكلمة الازلي الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس (لوقا ٢ : ١—١٩) وفيها قضى ثلاثين سنة من حياته المحتجبة (لوقا ٢ : ٣٩—٤٠) ثم تردد اليها في ايام حياته العامّة (لوقا ٤ : ١٦) ومنها دُعي ناصريًّا (متى ٢ : ٢٣) كما دُعينا بها نصارى . وكل ما يوجد فيها من آثار مقدسة ومعاهد دينيّة أُقيم تذكارًا لتلك الاسرار المهيبة المدهشة العقول

«هذا الكلمة صار جسداً وحلّ فينا» (يوحنا ١ : ١٤)

هذه هي الكلمات التي يقرأها المؤمنون منقوشة على الرخام في مغارة كنيسة

البشارة الملوكية المبنية على آثار قديمة العهد يعتبرها التقليد منذ القرون الاولى مكان إقامة مريم العذراء لمّا دخلَ عليها الملاك

على عهد قسطنطين بُنيت في هذا المكان كنيسة زارها سنة ٥٧٠ مؤرخٌ غفلٌ يُعرف بالزائر البليزنسي (Anonyme de Plaisance)

وفي سنة ٦٣٦ فتح العرب الناصرة ولم يخربوا معابدها لكنهم ضربوا على زوّارها الضرائب

واخذ الصليبيون الناصرة سنة ١٠٩٩ وجعلوها قاعدةً لإمارة الجليل واقاموا فيها كرسي اسقفية بَيسان وزارها مار لويس ملك فرنسة سنة ١٢٥٢ . وفي سنة ١٢٦٣ دخل الناصرة الملك بيبرس وعاث فيها فساداً ودمّر كنيسة البشارة تدميراً

وفي سنة ١٦٢٠ رسخت في الناصرة قدم الاباء الفرنسيسكان بفضل تعطُّف الامير فخر الدين على المسيحيين وحماية قنصل فرنسة في صيدا.

واظهر ظاهر العُمَر (١٧٥٠—١٧٧٥) إكرامهُ لكنيسة البشارة فكان قنديلٌ يضيء فيها ليل نهار على نفقته . ودخلها ايضاً بونبرت لمّا حلّ الفرنسويون في الناصرة سنة ١٧٧٩ . وفي أيام الحرب الكونية اصبحت المدينة مستودعاً للزاد ودفنوا فيها بالقرب من مستشفى اخوة مار يوحنا الالهي ٤٨ من رجال الطيران الالمان واغلبهم من اشراف بلادهم لا تزال قبورهم في ظلّ الصلبان وقد نُصبت عليها من بقايا اخشاب الطيارات التي هوت بهم الى الموت في ساحة الشرف

لايعني المقام ان اذكر كل ما في هذه المدينة المقدّسة من الآثار الكريمة والمعابد التي يقصدها الزوار من اربعة اقطار المسكونة بل أقتصر على تدوين ما لحظتهُ بعيني واختبرتهُ بنفسي مما لم يُذكر بعد في الكتب الشائعة بين العامة

عدد النفوس في الناصرة ٦،٥٠٠ بحسب الاحصاء العام و ٩،٠٠٠ بحسب تخمين الاهالي يُقدّرون ثلثة اثلاث متساوية من مسلمين وروم كاثوليك واورثذكس

ومن وجهاء الروم الكاثوليك بيت شومر وتابري ومزاوي وسروجي ولحام وزهر وحداد . ومن وجهاء اللاتين بيت صالح وبطحين وطنوس . ومن الموارنة بيت الحلو وشمردق وشكلو ومرشه وجبور . ومن الارثوذكس بيت قعود وفرح والخليفية والحنادسة . ومن وجهاء الاسلام بيت فهوم وعباس وظاهر (الزيادنة)

تجوّلنا في ازقّة الناصرة ابّان حلولنا فيها في اوائل الشتاء فكان الرواج فيها للحدّادين لان موسم الفلاحة كان قريباً وكان اهل القرى المجاورة يأتون المدينة ليصلحوا ادواتهم الزراعية او يشتروا غيرها

وممّا يُلفت النظر أوجُه الاولاد الصبوحة فكأن السيد المسيح اراد ان يدل على سحنة مواطنيهِ شيئاً من طهارة ملامحهِ . وقد عنَّ لي ان ألقي عظات رياضة خصوصية لاولاد مدرسة الروم الكاثوليك وذلك في المعبد الذي يكرمون فيهِ آثار المجمع القديم الذي دخله يسوع وقام فيهِ مرشدًا بين مواطنيهِ كما رواه القديس لوقا (٤ : ١٦—٣١) قال :

« واتى يسوع الى الناصرة حيث نشأ ودخل كعادتهِ الى المجمع وقام ليقرأ . فدُفع اليهِ سفر إشعيا النبي فلما فتح السفر وجد الموضع المكتوب فيه « ان روح الرب عليَّ ولاجل ذلك مسحني وارسلني لأُبشر المساكين وأشفي منكسري القلوب وأُنادي للمأسورين بالتخلية وللعميان بالبصر وأُطلق المهشمين الى الخلاص وأكرز بسنة الرب المقبولة ويوم الجزاء». ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم وجلس وكانت عيون جميع الذين في المجمع شاخصةً اليهِ فجعل يقول لهم : اليوم تمَّت هذه الكتابة التي تُليت على مسامعكم وكان جميعهم يشهدون لهُ ويتعجبون من كلام النعمة البارز من فيهِ ويقولون : أليس هذا هو ابن يوسف . فقال لهم : لا شك انكم تقولون لي هذا المثل ايها الطبيب اشفِ نفسك كلَّ ما سمعنا انك صنعتهُ في كفرناحوم اصنعه ايضاً ههنا في وطنك . وقال لهم : الحقّ اقول لكم انه ليس نبيٌّ مقبولاً في وطنه . . . »

ثمَّ ضرب لهم مثلين مثَل ايليَّا النبي الذي لم يُبعَث في أيام المجاعة الّا الى أرملة صَرفتَ صيداء ومثل أليشع النبي الذي لم يطهّر من البرص غير نعمان السوري

اراد بذلك ان يبيّن لهم عدم استحقاقهم لان يفعل بينهم العجائب ولذلك يختم القديس لوقا كلامهُ بقولهِ :

« فلما سمع هذا الذين في المجمع امتلأوا كلهم غضباً فقاموا واخرجوهُ الى خارج المدينة واقتادوه الى قمة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيةً عليهِ ليطرحوه عنها امَّا هو فجاز في وسطهم ومضى »

وبما ان اليهود بقوا في الناصرة مدة اجيال بعد موت المسيح ولا حرَج عليهم لم يزل مجمعهم هذا معروفاً الى ان حوّلهُ النصارى في القرن الخامس او السادس للميلاد الى كنيسةٍ زارها « البليزنسي » المذكور ومع تطوُّر الايام لم يعتَّ ذكر هذا المكان المقدَّس فقد شاهد فيه كنيسةً احد زوار القرن الثاني عشر . وروى آخر سنة ١٦٥٢

انّ تلك الكنيسة كانت معروفة وعيّن مجاها في «اواسط المدينة»

وفي سنة ١٧٤١ ابتاع الآباء الفرنسيسكان انقاضاً كانت في تلك الارض وشادوا عليها معبداً تنازلوا عنه الى الملكيين بعد ان ربطوهم بالوحدة الكاثوليكية

وفي جوار المجمع القديم بُنيت كنيسة جميلة على اسم البشارة للروم الكاثوليك يقوم بخدمتها حضرة الارشمندريت اسطفان زيتوني تحت رعاية السيد غريغوريوس حجار تسنى لنا ان نلقي فيها قُبَيل عيد الميلاد سنة ١٩٢٢ رياضة للرجال

كنيسة يسوع الصبي الملوكية

في شمالي المدينة الغربي جبل بنى عليه الآباء الساليزيون كنيسة يسوع الصبي يشاهد الناظر من ابراجها مدينة الناصرة وما وراءها جنوباً مرج ابن العامر وقرية نائين ويرى مرفأ حيفا وجبال الكرمل غرباً وجبال جلعاد شرقاً ما وراء بحيرة طبرية

هذه الكنيسة الملوكية آية من فنّ البناء القوطي الخالص (انظر صورتها) رسمها المهندس غوتيه وراقب عمارها احد ابناء الناصرة المعروف باسم داود وعُني بجمع الاموال لعمارها حضرة الاب ريكيه رئيس الساليزيين في الناصرة حالاً

وكلها بُنيت على نفقة السيدة الافرنسية فوش دي سرفيلي والسيد ماكس كارون (Foache de Cervilly et Max Caron)

حالما يدخلها المؤمن يشعر كأن نفسه تمتلئ بروح هذا المعبد روح الطهارة كما يحلم بها احبّاؤها ويعشقونها انيقة بيضاء مجنحة اشبه منها بالارواح. في شرقنا العزيز معابد كثيرة عُني المؤمنون بزينتها وتأنيقها لكني لا اظن ان معبداً منها يرفع القلوب الى ما فوق الزخارف الفنية حتى الكمال الالهي مثل كنيسة يسوع الصبي

تشقّ عواميدها الفضاء رشيقة هيفاء حتى اذا اقتربت من السقف تشعّبت اربع زواياها بخطوط تتسلّق جوف الحنيّة وتمتدّ الى منتصف ظهر العمار حيث تلتقي بخطوط أُخر تأتيها من تجاهها فلا ترسم معها اقواساً كما في الفنّ السوري لكن تنقطع امامها فينتج من قطع الخطوط المنحنية صورة اقواس مقصوفة بنصفها وهذه هي مزية الطرز القوطي (style gothique) الجوهرية في البناء.

ولهُ ايضاً مزايا تفرقهُ عن الفن السوري الشرقي فبينما كنائسنا وغيرها من المعابد

الدينية تظهر بالوان مزخرفة جميلة تحت قبة تحجب منظر السماء وتبهر عيون المؤمنين فتقر لما تعاينه في بيت الله من بهاء وجلال. ترى الكنائس الغربية المبنية على الطرز القوطي بيضاء الداخل بل ومعتمة احياناً حتى اذا ركع فيها المؤمن ورفع رأسه طاش نظره باتباع خطوط العواميد وهي تشق الفضاء كأنها ليس لها قرار فيتذكر المسيحي ان لا مقر له على الارض

وهذا ما يشعر به الزائر اذا دخل كنيسة يسوع الصبي في الناصرة

تمثال يسوع الصبي

وفي صدرها فوق المذبح تمثال يسوع الصبي وهو ابن ثماني عشرة سنة على وجهه امارات الفضائل الالهية الانسانية التي تفرد بها : الطهارة والوداعة والذكاء

ولا تحته شرقية كلوا تحنا بيده الشمال يتكئ على عصاً يعلوهُ الصليب وبيده اليمنى يدعو الشبان ليسيروا معه وكأنَّ رجله اليمنى تتحرَّك للسير

ما اجمل هذا التمثال وما اسمى عاطفة الايمان التي ارحت برسمه لابن الفن . قد اعتاد بعض اهل الشرق (وبئس العادة تسربت الينا من الوثنية من ديانة اللحم والدم) ان يروا في سنّ الصبا سنّ التمتع بالشهوات يا ليتهم يدرون ما في سنّ الصبا من جمال وكمال اذا عرف الشاب ان يحفظ فضيلة الطهارة فليس من بهاء يسبي قلوب الملائكة والبشر كبهاء زهرة الطهارة تلوح على محيا الصبي المسيحي وهو في ربيع العمر . تلك الفضيلة تفوح رائحتها في كنيسة يسوع الصبي في الناصرة وتملأ القلوب لانها على القمم قريبة من السماء بعيدة عن الارض التي يطرقها العامة

وسوف تأتي بدعةً من البدع اذا اقاموا ما بين جدرانها تماثيل للقديسين الذين امتازوا بطهارتهم وعاشوا ملائكةً متقمصين بجسد انسان : كلويس غونزاغا وستانيسلاوس كوستكا ويوحنا بركمنس والطوباوي جبرائيل الأمّ الحزينة والطوباوية ترازية يسوع الطفل . . .

وقد اصبح هذا المعبد مزارًا لزائري الجليل والناصرة ففي ٦ ايلول سنة ١٩٢٢ زارهُ سيادة المطران بودرليار رئيس المعهد الكاثوليكي في باريس مع عدد عديد من المؤمنين وكانوا يحملون سجلًّا ضخماً كتبوا عليه اسماء ثلاثين الف صبي او صبية كرّسوا شبابهم ليسوع الصبي وكان ذاك الحج هو الحادي والخمسون للآباء الصموديين

شفا عُمَر

قد سبق الاديب محمّد سليم الانسي والمرحوم الاب انطون رباط فوصفا شفاعمر وصفاً مطوَّلًا من حيث اسمها وتاريخها وآثارها واخلاق اهلها في المشرق (٨[١٩٠٥] : ١٠٣٣—١٠٣٨) فلا نرى موجباً لتكراره اذ ليس في الاعادة افادة - وانّما يجدر بنا ان نذكر اهمّ أُسرها كما ذكرنا اعيان الامكنة التي زرناها فينتمي النصارى في شفاعمر الى بيوت تلحمه وكركبه وعزّام وحداد وارمله . وزعيم الاسلام فيها محمّد خمادي . وراعي النفوس للطائفة الكاثوليكية هو الاب الفاضل الخوري اغابيوس عطايا المخلصي

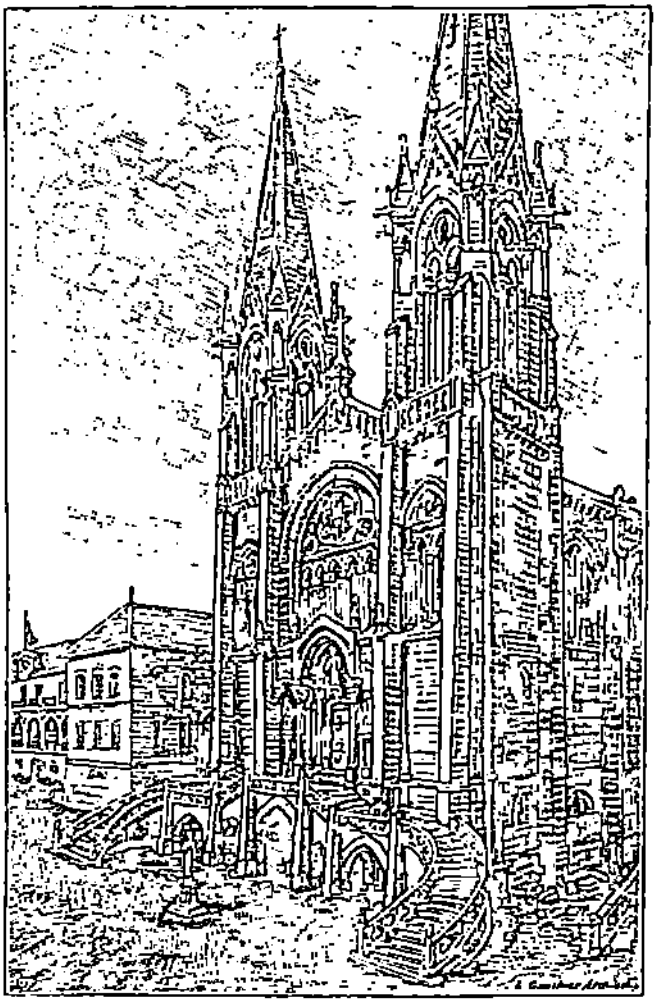

كنيسة يسوع الصبي في الناصرة

وفي شفاعمر مدافن قديمة سبقت عهد العرب قد وصفها حضرة الاب سبستيان رنزفال (Mélanges de la Fac. Or., III, 33*-34*) ونشر صورها وهي منقورة في الصخر . بينها مدفنان في مدخلهما نقوش لطيفة يرقيها حضرتهُ الى القرن السادس للميلاد . وقد بيَّن انها بقايا من الصناعة المسيحيَّة التي شاعت في ذلك الزمان وقابلها بآثار اخرى تشبهها في فرنسة وايطالية وتظهر ما بين هذه النقوش من العلاقة على اختلاف مواقعها

عبلين

لا نجد ما يحسن بنا ان نزيد في وصف عبلين على ما اوردتهُ مجلة المشرق (٨[١٩٠٥] : ١٠٣٤—١٠٣٥) . ومما لم يذكر هناك انَّ هذه القرية وطن الاخت مريم يسوع المصلوب الكرملية المتوفَّاة في بيت لحم في ٢٦ آب سنة ١٨٧٨ وقد فاح من شخصها عطر قداسة لا يزال يزكو مع ذكرها في النفوس التي حظيت بمعرفتها في حياتها او بما بلغها من اخبارها بعد مماتها

على الرغم من متاعب الرياضة وضيقة الوقت رغبتُ ان لا ابارح شفاعمر دون ان أرى رأي العيان ما بقي من بيت خادمة الله المذكورة التي تسمى الكنيسة بفحص سيرتها لتنظمها في مصاف الطوبويين فتكون مجدًا للشرق ورابطة بين قديسي القرون الاولى وبيننا اذ تكون اول شرقيَّة نكرمها على الهياكل من ابناء سوريَّة منذ قرون عديدة

دخلتُ الكنيسة التي تعمَّدت فيها مريم وقسْتُها بخطواتي فاذا طولها ٢٢ خطوة وعرضها ١٢ وسقفها معقود كالقبو وفي وسطها عمود كان عليهِ الجرن الذي فيه صُبغت بماء المعموديَّة اما الآن فوضعوا على العمود غطاء واتَّخذوه كقرَّاءة للصلوات الطقسيَّة . ويوجه الهيكل ستار حديث أهدته راهبات الناصرة لكنيسة عبلين . وعلى الهيكل نفسهِ مدول غطاء آخر أرجواني قدَّمته راهبات الكرمل اكرامًا لاختهنَّ

وقريبًا من الكنيسة آثار بيت جرجس بواردي ومريم شاهين ابوي مريم يسوع المصلوب وهي عبارة عن احجار متراكمة وبقايا درج وقنطرة ما زالت معقودة في الفضاء تحقَّقنا من فحصها انَّها كانت على شبه سائر الساكن في عبلين والقناطر فيها تحمل

السقف وتفصل بين العتبة الواسعة المخصصة للحيوانات والمصطبة العريضة المفروشة للسكان . وهناك قطعة جسر خشب غليظ كبير كان يحمل سقف بيت مريم يسوع المصلوب . وبالقرب من الدار جرن اصله تاجٌ لعمود قديم يروون انهُ كان جرناً يصنع فيه البارود جرجس ابو مريم وتلك كانت مهنته وبها عُرف بالبواردي

وقد بقيت انقاض هذه الدار مهملةً لا يكترث لها احد الى ان شاع صيت قداسة الراهبة فجعل الناس يأتون لزيارة مسقط رأسها الحالي وهو اليوم ملك الخواجا اسعد توفيق من طائفة الروم الكاثوليك وقد انتقل اولاً بطريق الشراء من اسرة بواردي بعد وفاة جرجس بواردي الى المدعو فرح ثمَّ الى اسعد حبيب حتى انتهى الى اسعد توفيق المذكور . وبلغني ان سيادة المطران غريغوريوس يسعى في شراء هذه الارض الحقيرة وبقايا الانقاض حفظاً على ذكر مريم يسوع المصلوب ابنة ايرشيته

واذا صحَّ ما سمعناه عن مصدر يوثق به ان جرجس بواردي ومريم شاهين اصلها من دمشق ومن لبنان وان اصل عائلة مريم من الطائفة المارونية (١) وانها لما حلَّت عبلين ولم يكن فيها كنيسة للموارنة انتمت الى الطائفة الملكية الكاثوليكية فيكون الامر شاهداً جلياً لعناية الله تعالى بكنيسته ووحدتها هو الذي اتخذ له صفيَّةً هذه الابنة التي تقدست في الطائفة اللاتينيَّة وتعمدت في الملكية وفي عروقها دم المارونية فسبحان موحد القلوب

***

بلغنا آخر محطة من رحلتنا في هذا العام بعد ما قضينا ثلاثة اشهر نتجول في الجليل فاختلطنا بالسكان وتعرفنا عن كثب بحضرة الاباء الحوارنة وتحققنا بامّ العين الخير العظيم الذي يحصل في الاراضي المقدسة بهمة الاكليروس ورأينا الموانع التي تحول دون نجاح مشاريعهم نجاحاً سريعاً ثابتاً فيجدر بنا ان نختتم مقالتنا بابداء بعض الافكار التي تدور في خلد كل من انعم النظر في حياتنا الدينيَّة والادبيَّة

(١) ولعلَّ الاصحَّ انَّ اصل والدها من الطائفة المارونيَّة فانَّ حضرة راهبة الناصرة الامّ يكوله (la Mère Bécoulet) افادتنا في مكتوب كُتب من عكا باسمها في ١٤ ت٢ انها سمعت من شقيقة مريم يسوع المصلوب انَّ اصل عائلة ابيها من الطائفة المارونيَّة . فندوّن الخبر دون الجزم به كما بلغنا (المشرق)

كنت اودع اخوتي الكهنة في الجليل وقلبي ملؤه الاحترام لما كنت اجده عندهم من الضنك في العيش والصبر على المحن والهمة في سبيل مصالح رعاياهم فلا يحدث امر ذو شأن في القرى الا ويلجأ اهلوها الى خادم رعيتهم وهو حقيقةً ابوهم ومساعدهم لكن لهذه الحالة خطر يبدو لكل عاقل مفكر . ان وقت الكاهن اقصر من ان يستطيع ان يصرفهُ في مصالح ابنائهِ الزمنية اذ يصعب عليهِ القيام بواجباتهِ الكهنوتية اعني الصلاة والعناية بكنيسته وتثقيف الاولاد بالتعليم المسيحي فربَّ اولادٍ لا يكادون يعرفون الصلوات الضرورية وان لم يكترث بهم الراعي يبقوا جاهلين دياناتهم حتى اذا نشأوا وانهمكوا في شؤون العالم زلَّت قدمهم لادنى عثار في طريقهم . فكم منهم غيَّروا دينهم وذهبوا هذا الى شقاقهِ القديم وهذا الى البدع البروتستانية وقد يتقلَّب الواحد بين المذهبين يوماً مع الكاثوليك ويوماً مع سواهم وذلك لدواعي عالميَّة لا تؤثر عادةً في النفوس المتنورة بحقائق الايمان الصحيح

يا ليتنا نحن كهنة المدن نعرف ما هناك في القرى البعيدة من نفوس مهيلة فداها المسيح بدمه الزكي وليس لها من يرشدها . فنمدّ يد المساعدة الى اخوتنا كهنة القرى الذين يصحُّ فيهم قول الرسول انهم « خدَّام الله في الصبر الكثير والمضايق والضرورات والمشقَّات والجلدات والسجون والاضطرابات والاتعاب والاسهار والاصوام والطهارة والعلم والاناة والرفق والروح القدس والمحبة بلا رياء بكلمة الحق وقوة الله . . . » (٢ كور ٦ : ٤—٧)

وليس الجهل الآفة الوحيدة التي غشيت تلك الاصقاع ولعلَّ ما شاع بين اهلها من الشقاق والخلاف وتفرُّق الكلمة اسوأ واضرّ فانَّ ما كانت عليهِ قسطنطين في القرون التابعة لتنظُّر قسطنطين حيث كان الاهلون على دين واحد خاضعين لكنيسة واحدة ساعين الى غاية واحدة جامعة بين دينهم ودنياهم . واليوم ترى تعدُّد الاديان وتباين الاحزاب واختلاف الكلمة فمن لنا برسول ينشر فيهم دعوة الاتحاد فتصدق فيهم رعيَّة واحدة وراعٍ واحد . فانَّهم كلَّما اقتربوا من الوحدة التي كان عليها آباؤهم ازدادوا رقياً وعمراناً حقَّق الله هذه الاماني قريباً ان شاء الله !

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

الاخطل (تتمَّة)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

﴿ نخبة من شعره ﴾ انَّنا لو حاولنا ان نختار شيئاً من ديوان الاخطل اصابنا ما اصاب تلك الاعرابيَّة التي سُئلت عن اي اولادها احبُّ اليها والافضل لديها فكانت اذا ذكرت الواحد منهم بعد الآخر قالت انَّهُ الاحبُّ اليها والافضل حتى انتهت الى قولها بعد حَيْرتها : انَّهم كالحلقة المُفرَغة لا يُدرى اين طرفاها . فكذلك اذا اعتبرنا قصائد الاخطل وجدنا كلًّا منها جديرة بالذكر لمحاسنها . على انَّنا في آخر امرنا اضطرَّنا ضيق المجال ان نُثبت نُتفاً قليلة من شعره نجعلها كمثال في كل باب

﴿ اقوال الاخطل في الوصف ﴾ للشاعر التغلبي في هذا المعنى اقوال جميلة من الشعر الحرّ حتى قيل عنهُ انهُ فاق على سواهُ من الشعراء بالوصف فلهُ في الزهد (الديوان ١٧٦—١٧٧) (من الطويل) :

أعاذِلَتَيَّ اليومَ وَيحكما مَهلًا ... وكُفَّا الأذى عني ولا تُكثِرا عَذلا

ذَراني تَجُدْ كفّي بمالي فانني ... سأصبحُ لا أستطيعُ جُودًا ولا بُخلا

اذا وضعوا فوق الضريح جنادلًا ... عليَّ وخلَّيتُ المَطيَّةَ والرَّحلا

وأبكيتُ من عِبْانَ كلَّ كريمةٍ ... على فاجعٍ قامت مشقَّقةً عُطْلا (١)

مُدَمَّيةً حُرًّا من الوجه حاسرًا ... كأن لم تُبِتْ قبلي غلاماً ولا كَهلا

١) عبان قوم من بني تغلب . والفاجع امرأتهُ الثكلى . والمشقّقة التي تشقّ ثيابها حزناً . والعطل المجرَّدة من الحُلى

وقد كُنتُ فيما قد بنى لي حافري اعاليَهُ توًّا واسفلَهُ دَحلا (١
فلا انا مجتازٌ اذا ما نزلتُهُ ولا انا لاقٍ ما ثوَيتُ بهِ أهلا
وقد قسَموا مالي وأضحت حَلائلي قد استبدلَت غيري ببهجتها بَعلا
أعاذِلَ انَّ النفس في كفّ مالكٍ اذا ما دعا يوماً اجابت لهُ الرُّسلا
ذَريني فلا مالي يَرُدُّ منيَّتي وما إن أرى حيًّا على نفسهِ قُفلا(٢
وليس بَخيلُ النفس بالمال خالدًا ولا من جوادٍ فأعلمي مَيِّتٍ هَزلا
ألا رُبَّ مَن يَخشَى نوائبَ قومهِ وريبُ المنايا سابقاتٌ بهِ الفِعلا
ويا رُبَّ غادٍ وهو يُرجى إيابُهُ وسوفَ يلاقي دون أوبتهِ شُغلا

وقد اشتهر وصفهُ للفرات عند فيضانهِ (٩٦—٩٧) شبَّه بهِ كرم الخليفة يزيد بن معاوية (من الطويل) :

وما مُزبِدٌ يَعلو جزائر حامرٍ يَشُقُّ اليها خَيزُرانًا وغَرقَدا (٣
تحرَّز منهُ اهلُ عانَةَ بعدَما كسا سُورَها الأعلى غُثاءً مُنضَّدا(٤
يُقَمِّصُ بالملّاح حتى يَشُفَّهُ م الحِذارُ وان كان المُشيحَ المعوَّدا(٥
بمُطَّرِدِ الآذيِّ جَونٍ كأنَّما زَفا بالقراقيرِ النَّعامَ المُطَرَّدا (٦

١) يقول ان حافر قبري قد بناهُ توًّا اي منصوب البناء ودحلًا اي كالسراب تحت الارض
٢) اي يجعل لنفسه قفلًا ليصونها من الموت
٣) ويروى : جلاميد حامر . وحامر ناحية بين منبج والرقّة على شاطئ الفرات . والغرقد كبير الوسج ٤) عانة قرية على الفرات . والغثاء ما يقذفهُ النهر من الزَّبَد ونفايات النبات والاوراق . والمنضَّد المتراكم ٥) يقمّص بالملّاح اي يوقع اضطرابًا في السفينة حتى يُخيف الملّاح من سَوْرتهِ وان كان مشيحًا اي حاذقًا في تدبير السفن
٦) المطَّرد المتتابع . والآذيّ الموج . والجون الابيض المُزبد . وزفا حثَّ . اي يدفع الفرات بامواجهِ المتوالية المزبدة سفينة الملّاح المُشبَّهة بشراعها الابيض طير النعام الناشر جناحيهِ عند طردهِ

كأنَّ بنات الماء في حَجَراتِهِ أباريقُ اهدَتْها دياقٌ لصَرْخَدا (١
بأجودَ سَيْباً من يزيدَ اذا غدَتْ بهِ بُخْتُهُ يَحْمِلْنَ مُلْكاً وسُؤْدَدا (٢

وكم اجاد الاخطل بوصف صيد ثور الوحش فلهُ فيهِ كلُّ حسنة كقولهِ (٢٦٠–٢٦٢) يشبّه ناقتهُ بعد طول سيرها بضمور الثور (من البسيط) :

كأنَّها بعدَ ضمِّ السَّيرِ جَبْلَتَها من وَحشِ غَزَّةَ موشيُّ الشَّوى لَهِقُ (٣
باتت لهُ ليلةٌ هاجَتْ بوارحُها ومُرْزِمٌ من سَحابِ الغَيْنِ يأتلِقُ (٤
يلوذُ ليلتَهُ منها بغَرْقَدةٍ والغُصنُ يَنطِفُ فوقَ المَتْنِ والوَرَقُ (٥
باتَ الى جانبٍ منها يكفُّهُ ليلٌ طويلٌ وقلبٌ خائفٌ أرِقُ (٦
فالقَطرُ كاللُّؤلؤِ المَنثورِ يَنفُضُهُ اذا أقشعَرَّ بهِ سِرْبالُهُ اللَّبِقُ (٧
حتى اذا كاد ضوءُ الصُّبحِ يَفضَحُهُ وكاد عنهُ سوادُ الليلِ يَنطلِقُ
هاجَتْ لهُ ذُبَّلٌ مُسْحٌ جواعِرُها كأنَّما هنَّ من نَبعيَّةٍ شِقَقُ (٨
فظلَّ يَهوي الى أمرٍ يُساقُ لهُ وأتبَعَتْهُ كلابُ الحيِّ تَستَبِقُ (٩

١) بنات الماء الطير . والحَجَرات نواحي النهر . شبَّه الطير بأباريق من الخمر يرسلها اهل دياف الى اهل صَرْخَد وهما قريتان في حوران ٢) البُخت الابل الخراسانية
٣) يقول انَّ ناقتهُ بعد ان اضمر السَّير جَبْلَتها اي بدنها اشبهت ثور وحش يُرى في انحاء غزَّة . وجلدُ شواهُ اي قوائمهُ . مَوْشيّ اي شبيه بالوشي . واللَّهق والَّلهَق الشديد البياض .
٤) البوارح الرياح الشديدة ثمَّ استعار للسحاب عيناً . مُرزِم اي تُسمع صوت الرعد حيناً وتأتلق اي تبرق حيناً آخر ٥) اي يأوي ليلتهُ تحت غَرْقدة اي عوسجة كبيرة يظلّ يترل على جسمهِ منها نقط المطر التي تقطر عليهِ من اغصان الغرقدة واوراقها ٦) منها اي من الغرقدة . يكفُّهُ يقلّبهُ ذات اليمين وذات الشمال لطول الليل ولخوفهِ من الريح والمطر . وهو أرِق اي ساهر يقظان ٧) سربالهُ جلدهُ . واللَّبِق المبتلّ ٨) هاجت لهُ اي ثارت كلابٌ ذُبَّل اي ضامرة . مُسْح جواعرُها اي دقيقة المؤخَّر تشبه بضمورها القنيَّ المتَّخذة من شجرة النَّبع ٩) يهوي الى امرٍ يساق لهُ اي يهبط سائرًا الى موتهِ

يُفَرِّجُ الموتَ عنهُ قد تحضَّرهُ ... وكِدْنَ يَلْحَقْنَهُ او قد دَنا اللَّحَقُ (١
لمَّا لَحِقْنَ بهِ أَنحى بمِغْوَلِهِ ... يَمْلا فرائِصَها من طعنهِ العَلَقُ (٢
فكرٌّ ذو حربةٍ يحمي حقيقتَهُ ... اذا نَحا لِكُلاها الرَّوْقُ يَمْتزِقُ (٣
فهُنَّ من بينِ متروكٍ بهِ رَمَقٌ ... صرعى وآخرَ لم يُترَكْ بهِ رَمَقُ (٤

ومن اوصافهِ قولهُ (ص ٣—٤) في خمر بَيْسان من قرى فلسطين (من الطويل):

وجاؤوا ببَيْسانيَّةٍ هيَ بعدما ... يَعُلُّ بها الساقي ألَذُّ وأَسْهَلُ (٥
فصَبُّوا عُقارًا في الإناء كأنَّها ... اذا لَمَحوها جُذْوةٌ تتأَكَّلُ (٦
تمرُّ بها الأَيدي سَنيحاً وبارحاً ... وتوضَع بالـلُّهْمِ حيٍّ وتُحمَلُ (٧
وتُوقَفُ أحياناً فيَفصِلُ بيننا ... سَماعُ مُغَنٍّ او شِواءٌ مُرَعْبَلُ (٨
فلذَّت لِمُرتاحٍ وطابَت لشاربٍ ... وراجعَني منها مِراحٌ وأَخْيَلُ (٩
فما لَبِثَتْنا نَشوةٌ لَحِقَتْ بنا ... توابعُها ممَّا نُعَلُّ ونُنْهَلُ (١٠

---

١) فرَّجهُ ابعدهُ . تحضَّرهُ اي شعر بحضورهِ . اللَّحَق الإدراك
٢) اغى اليها بمِغْوَلهِ اي قصد الكلاب بقرنهِ . والعَلَق الدم
٣) اراد بحربته قرنهُ . وكذلك الرَّوْق القرن اي كرَّ الثور دفاعاً عن نفسهِ وحماه وقصد كُلاها اي جلد صدورها فامتزقها وخرَّقها ٤) حي اي الكلاب وقع بعضها صريعاً مُدنَفاً وبعضها ميتاً . الرَّمق بقيَّة الحياة
٥) اي انَّ هذه الخمر أطيب اذا كرَّر الساقي سَكْبها فيَعُلُّ بها الشاربين اي يسقيهم ثانيةً
٦) العُقار الخمر العتيقة . شبَّهها في انائها بشعلة من النار المتَّقدة
٧) اي تتناولها الايدي تارة من اليمين وتارة من الشمال . ويُذكر عليها اسمُ الله عند رَفْعها ووَضْعها ٨) اي لا يتوقَّفون عن شربها الَّا لسماع الغناء او لأكل قِطَع من اللحم المشويّ رَعْبَل اللَّحمَ قطَّعهُ لينضج على النار
٩) المِراح النشاط . والأَخْيَل كالخُيَلاء العُجب والكبر
١٠) النشوة السكر . والنَّهَل اوَّل الشرب والعَلَل ثانيهِ

فدَبَّتْ دبيباً في العِظام كأنَّما دبيبُ نِمالٍ في نقاً يتهيَّلُ (١

ومثلهُ ظرافةً وصفهُ (ص٣٢١) للشمل السكران (من الطويل):

شربنا فمتنا ميتةً جاهليَّةً مضى اهلها لم يعرفوا ما مُحمَّدُ (٢
ثلثةَ ايَّامٍ فلمَّا تنبَّهتْ حُشاشاتُ انفاسٍ أتتنا تَرَدَّدُ (٣
حَيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حَشْرٍ أتاناهُ مَوْعِدُ (٤
حياةَ مِراضٍ حَولَهم بعد ما صَحَوْا من الناس شتَّى عاذلون وعُوَّدُ (٥
وقُلنا لِساقينا عليك فَعُدْ بنا الى مثلها بالأَمسِ فالعَوْدُ أَحمَدُ
فجاء بها كأنَّما في إنائهِ بها الكوكبُ المِرّيخُ تصفُو وتُزبِدُ (٦
تفوحُ بماءٍ يُشبهُ الطيبَ طيبُهُ اذا ما تعاطت كأسَها من يدٍ يدُ
تُميتُ وتُحيي بعد موتٍ وموتُها لذيذٌ ومَحياها ألَذُّ وأحمدُ

﴿الفخر﴾ وللاخطل في الفخر (ص٣٠٧) قولهُ يذكر قومهُ (من الطويل):

ولكن لنا بَرُّ العراقِ وبَحرُهُ وحيثُ تَرى القَرقورَ في الماءِ يسبَحُ
اذا ابتدَرَ الناسُ السِجالَ وجدتَّنا لنا مِقدحا مجدٍ وللناس مِقدَحُ (٧

١) شبَّهَ فعل الخمرة في العظام بحركات النمل في نقاً يتهيَّل اي في كثيبٍ من الرمل يَنهار ويتحدَّر ٢) يقول شربنا الخمر فكفرنا وكان الكفر اشبه بالموت . وذلك على سُنَّة العرب في الجاهليَّة اذ لم يبلغهم تحريم محمَّد للخمر . ويروى : خلا اننَّا في موتنا ليس نُلحَدُ ٣) يريد خُمار الخمر ونشوتها اي دام فيهم ثلثة ايَّام الى ان تردَّدت اليهم بقيَّة حياةٍ فصحَوْا منها ٤) يقول ان الحياة التي عادت الينا ليست كالحياة التي سيحيا بها البشر يوم القيامة اذ يُحشرون من قبورهم ٥) يريد انَّ تلك الحياة بقي فيها اثر سكرهم فوجدوا حولهم لمَّا صحَوا قوماً يعودونهم كمراض وقوماً يلومونهم لسكرهم
٦) شبَّهها في إنائها بالسيَّارة المرّيخ التي يضرب لونُها الى الحُمرة
٧) اي اذا فاخرتَنا الناس وجدوا سهمنا من المجد نِصفَ سَهمهم

وانّا لَمَمْدودونَ ما بين مَنْبِجٍ فَنافِ عُمانٍ فالحِمى لِيَ أفيحُ (١

ولهُ ايضاً (ص ١٧٨) في الفخر قولهُ (من الطويل) :

وانّي لَمِنْ عَلْياءِ تَغْلِبِ وائلٍ لأطولُها بيتاً وأثبتُها أصلا

انا الجُشَمِيُّ الرَّحْبُ في الحيِّ منزلاً اذا احتلَّ مَضْهودٌ بِمُضْنيةٍ هَزْلا (٢

وعمّايَ نِعْمَ المرءُ عمرٌو ومالكٌ وثعلبةُ المولى بِمَنْظورةٍ فَضْلا (٣

وقد عَلِمت أفناءُ تغلب أنّني نُضارٌ ولم أنبُتْ بِمَرْقرةٍ أثْلا (٤

وأنّيَ يوماً لا مُضيعٌ ذِمارَها ولا مُفْلِتي هاجٍ هجا تَغْلِباً بُطْلا

ومن فخرهِ (٢٤٩—٢٥٠) استقبالُهُ للضيف في ليلةٍ شاتية (من الطويل):

ومُسْتَنْبِحٍ بعد الهدوِّ دعوتُهُ بصَوْتِيَ فاستَمْشى بِنِضْوٍ تَرَغَّما (٥

فجاء وقد بلّتْ عليهِ ثيابَهُ سحابَةُ مُسْوَدٍّ من الليل أظلما

وفي ليلةٍ لا يَنْبِحُ الكلبُ ضيفَها اذا نُبِّه المبلودُ فيها تَغَمْغما (٦

فلمّا اضاءَتْهُ لنا النارُ واصْطَلى اضاءَت هِجَفّاً مُوحِشاً قد تهشَّما (٧

---

١) اي نحكم على البلاد الممتدّة بين مدينة مَنْبِج الى افناء عمان وخصَّ عمان بالفاف وهي شجرة مُشْوكة تكثر فيها . ثمّ قال ان حمانا أفيح اي اوسع واوفر

٢) المضهود الطريد المقهور . والمُضْنية المُصيبة المُنهكة للقوى . يقول اذا التجأ الى منزلي بئيسٌ وجد عندي منزلاً رحباً ٣) جُشَم وعمرو ومالك وثعلبة كلهم من اجداد الاخطل في سلسلة نسبهِ الى تغلب ٤) افناء تغلب احياؤها . النُّضار الشجر الصلب العود بخلاف الأثْل اي شجرة الطرفاء يكون خشبُها خوّاراً اذا نبت في قرقرة اي ارض ليّنة مطمئنّة ٥) المستنبح الطارق ليلاً الصارخ ليستهدي بنبح الكلاب الى مكان الحيّ . والهدوّ اوّل الليل اذ يهدأ الناس . واستمشى طلب موضع النار وهو مقبلٌ على ناقةٍ نِضْو اي مهزولة لتعبها وهي تترغّم اي تُردّد رغاءها ضيفاً

٦) وصف شدّة تلك الليلة التي يجمد لبردها الكلب فلا ينبح واذا نُبِّه النائم بَلَّدَ في مكانهِ ولصق متغمغماً اي يُسْمع صوتاً ضيفاً ٧) يقول لمّا اثارت نارنا وجه ضيفنا وجدناهُ هجفاً اي غليظاً جافياً . وموحشاً اي باثّاً في النفر مع الوحش

فنبّهتُ سعدًا بعد نوم لطارقٍ ... اتانا ضئيلًا صوتُهُ حين سلّما (١
فقلتُ لهم هاتوا ذخيرةَ مالكٍ ... وان كان قد لاقى لبوسًا ومَطعما (٢
فقال ألا لا تجشموها وانمّا ... تنحنحَ دونَ المُكرَعاتِ لِتُجشَما (٣
واني لحلّالٌ بيَ الحقُّ اتّقي ... اذا نزلَ الاضيافُ ان أتجهّما (٤
اذا لم تذُدْ ألبانُها عن لحومها ... حلبنا لهم منها بأسيافنا دما (٥

﴿المديح﴾ هي قصائد المديح التي قرّبت الاخطل من الخلفاء فرفعوا قدرهُ وخصّوهُ بالطافهم. منها قصيدتهُ الرائيّة في مدح عبد الملك بن مروان (ص ١١٨–١١٢) وفيها يقول (من البسيط):

الى امرئٍ لا تُعدّينا نوافلُهُ (٦ ... أظفرهُ اللهُ فليهنأْ لهُ الظفرُ
الخائضِ الغمرَ والميمونِ طائرُهُ ... خليفةِ اللهِ يُستسقى بهِ المطرُ
والهمُّ بعد نجيِّ النفس يبعثهُ ... بالحزمِ والاصمعانِ القلبُ والحذرُ (٧
والمستمرُّ بهِ امرُ الجميعِ فما ... يفترهُ بعد توكيدٍ لهُ غررُ (٨
وما الفراتُ اذا جاشتْ حواليهُ ... في حافتيهِ وفي اوساطهِ العُشَرُ (٩

١) سعد غلام الاخطل يدعوهُ لخدمة ضيفهِ الطارق ليلاً الخافت الصوت
٢) ذخيرة مالك اي ناقة ادّخرها لابنهِ مالك . يُريد ان يُتحف بها ضيفَهُ
٣) يقول انّ الضيف قال: لا تتكلّفوا مثل هذه الضحيّة لكنّهُ تنحنح اي ردّ ذلك وامتنع ظاهرًا عن تضحية المكرَعات وهي الابل وهو يرغبُ باطنًا بان تُهدى لهُ
٤) يقول اذا حلّ بي الضيف وجب عليّ حقّهُ واحذر ان استقبلهُ بوجه عبوس
٥) اي اذا امتنعت الابل عن إدرار لبنها عقرناها ليشرب ضيفُنا دمها
٦) اي لا تفوتُنا هباتهُ ٧) اي اذا بعثتهُ نفسهُ الى امر جليل اهتمّ بهِ وساعدهُ على القيام بهِ حزمهُ وذكاء قلبهِ وفطنتهِ. والأصمع الذكيّ من كلّ شيء ٨) اي انّ الجميع ثابتون على ولائهِ. فلا تفاجئهُ بعد ذلك تعلكةٌ. اغترّهُ حلّ بهِ بغتةً. والغرر الفاجئة
٩) حواليهُ اي امواجهُ. ويروى: غواربهُ. والعُشَر كبار شجر الغضاه

وذَعذَعَتْهُ رياحُ الصيفِ واضطربَتْ فوقَ الجآجِئِ من آذِيِّهِ غُدُرُ (١
مُسْحَنْفِرٌ من جبال الروم يَسْتُرُهُ منها اكافيفُ فيها دونَها زَوَرُ (٢
يوماً بأجودَ منهُ حين تسألُهُ ولا بأجهَرَ منهُ حين يُجْتَهَرُ (٣

ومن مديحهِ المستحسن قولهُ (ص ٢٤٣–٢٤٦) في احد اعيان قومهِ همّام بن مُطَرِّف التغلبيّ (من الطويل) :

فتى الناسِ همّامٌ وموضعُ بيتهِ برابيَةٍ يعلو الروابيَ طُولُها
فلو كان همّامٌ من الجنّ أصبحَتْ سُجودًا لهُ جنُّ البلادِ وغُولُها
نمَتْهُ الذُّرى من مالكٍ وتعطَّفَتْ عليهِ الروابي فرعُها وأُصولُها
أجادت بهِ ساداتُها فترغَّبَتْ لأخلاقهِ أمجادُها وحَفيلُها (٤
سَبوقٌ لغايات الحِفاظِ اذا جرى ووهّابُ اعناقِ المئينَ حَمولُها (٥
ودَفّاعُ ضَيْمٍ لا يُسامُ دَنيَّةً وقطّاعُ أقرانِ الامورِ وَصُولُها (٦
وأخّاذُ أقصى الحقّ لا مُتهضَّمٌ اخوهُ ولا هَشُّ القَناةِ رَذيلُها (٧
أغرُّ أريبٌ ليس يُنقَضُ عهدُهُ ولا شاهدًا مغبونةً يَستقيلُها (٨

١) ذعذعَتْهُ فرَّقَتْهُ. وآذيُّهُ امواجهُ. والجآجئ صدور السفن الجارية على الفرات. والغُدُر جمع غدير ٢) المُسحنفر السريع الجري. اكافيف الجبال قِمَمُها وتلالها. والزَّوَر المَيْل ٣) الجَهير الجسيم الرائع. واجتهرتُهُ اذا اعجبَكَ حسنُهُ

٤) اي رَغِب الناس كلّهم في خيرهِ. والحفيل الجمع الكثير اي الجمهور

٥) قال شارح الديوان : الغاية الأمَد. والحِفاظ ما وجب عليه ان يحفظَهُ. واعناق المئين جماعتُها فيقول هو حَمول لما يُحمَّل ٦) القِرْن الحبل يريد انّ لهُ القطعَ والوَصْل والامر والنهي ٧) هشّ القناة اي رخوها. ويروى : ذَبُولُها ٨) في الديوان انّ شاهدًا منصوبة على الحاليّة اي لا يشهد خُطّةَ غَبْنٍ ومكر. يَستقيلُها اي تستوجب ان يستقر ظالمُهُ لاجلها

جوادٌ اذا ما أَمحَلَ الناسُ مُمرِعٌ كريم لِجَوْعات الشتاء قَتولُها (١
اذا نائباتُ الدهر شَفَّت عليهم كفاهم أذاها فاستُخِفَّ ثقيلُها (٢
يُهينُ وراء الحيّ نفساً كريمةً لكَبَّةِ موتٍ ليس يُودَى قتيلُها (٣
ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ وانَّ منايا الناسِ يَسعى دليلُها
فإن عاش همّامٌ لنا فهو رحمةٌ من الله لم تُنفَس علينا فُضولُها (٤
وان مات لم تَستبدلِ الارضُ مثلَهُ لأَخذ نصيبٍ او لامرٍ يعولُها (٥

وللاخطل مديحٌ جليل في مَصقلة بن هُبَيرة الشيباني(١٤٣)قد ذكرهُ سابقاً حضرة الاب صالحاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٨٣٨—٨٤١) ورجّح نصرانيّة مصقلة استناداً الى ما رواهُ الطبري في تاريخهِ(١ : ٣٤٣٤—٣٤٣٨)ومنهُ قولهُ (من البسيط) :

دَعِ المُغَمَّرَ لا تسألْ بمَصرَعهِ واسألْ بمَصقَلَةَ البكريِّ ما فعلا(٦
بمُتلِفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا تُهلكهُ النفسُ فيما فاتَهُ عَذَلا (٧
جَزْلِ العطاء واقوامٌ اذا سُئلوا يُعطون زُرْرًا كما تَستوكفُ الوَشَلا(٨
وفارسٍ غيرِ وَقّافٍ بِرَايَتهِ يومَ الكريهةِ حتى يُعمِلَ الأَسَلا(٩

١) أَمحَل الناس أقحطوا. ومُمرِع ذو خصب ونعمة. . وقَتولها اي مُزيلُها بعطائهِ
٢) شفَّت صَعُبت. واستُخِفَّ اي وُجد خفيفاً
٣) وراء الحيّ اي دونَهُ. والكَبَّة الدفعة في القتال. واودى هلك . يقول انهُ يخاطرُ بحياتهِ في سبيل قومهِ ويعرّض بنفسهِ لميتةٍ تخلّد ذكر صاحبها ٤) اي عيشتهُ نعمة من الله لم يبخل الله علينا بفضلها ٥) لأمرٍ يعولُها اي يمسّها . ويجوز يعولها اي يدهمها ويهلكها
٦) المغمَّر الذي فَضَلَهُ غيرُهُ . اراد به القعقاع الهذليّ . واسأل بهِ كأسأل عنهُ
٧) لا تُهلكه النفس اي لا تبكّتهُ ولا تلومهُ عن كثرة ما بذلَهُ جودًا وكرماً
٨) استوكفَهُ استطرَهُ . والوَشَل الماء القليل. شبَّه عطاء غيرهِ بالماء القليل وعطاء الممدوح بالوفرة والكثرة ٩) اي اذا نزل الى ميدان الوغى ونشر رايتهُ في يوم الحرب لا يزال يتقدّم حتّى يطعن العدوّ بأسلهِ اي رمحهِ

﴿الهجو﴾ كما امتاز الاخطل بالوصف والفخر والمديح كذلك صوَّب الى اعدائهِ سهام الهجاء . وقد رأيتَ في اخبارهِ انَّ القسيس والاسقف قد عاقباهُ على تعرُّضهِ لقذف الناس وانَّما هجاء الاخطل مع حدَّتهِ كان مع عفاف لا تكاد تجد لهُ بيتاً بذيًّا ماجناً اللهمَّ الَّا ما ندر على خلاف قِرنَيهِ جرير والفرزدق فانَّ ديوانهما مشحون بضروب الالفاظ البذيَّة والعبارات المستقبحة القذعة . فمن هجاء الاخطل قولهُ (ص ٣٠٥) لعشيرة زهير بن جُندَب (من الطويل) :

لَعمرُكَ انَّا من زُهَيرِ بن جُندَبٍ ... لَدانونَ لو أنَّ القَرابةَ تَنفَعُ
فأمَّا إناءُ الخير منهم ففارغٌ ... وامَّا اناءُ الشرِّ منهم فمُترَعُ

ومثلهُ قولهُ في المسمَّى ابا مروان (ص ٣٠٤) يهجوهُ لبُخلهِ (من الطويل) :

كأنَّ ابا مَروان يُنزَعُ ضِرسُهُ ... اذا القومُ قالوا مَتِّعونا بدِرهَمِ

واوقعُ منهُ قولهُ في بني اسد (ص ٣١٥–٣١٧) وخصَّ منهم خنجرًا (من الطويل) :

بنو أسدٍ رِجلانِ رِجلٌ تَذَبذَبَتْ ... ورِجلٌ اضافَتْها الينا التَّراتِرُ (١
فما الدينَ حاوَلتم ولكن دَعاكُمُ ... الى الدينِ جوعٌ لا يُغَمِّضُ ساهرُ (٢
بني اسدٍ لا تذكروا الفخرَ بينكم ... فانتُمْ لئامُ الناسِ بادٍ وحاضِرُ
بني اسدٍ لا تذكروا المجدَ والعُلى ... فانَّكمُ في السوقِ كُذْبٌ فواجرُ (٣

وقال يخاطب خنجرًا :

أخَنجرُ قد اخزَيتَ قومَكَ بالتي ... رَمَتْكَ فُوَيقَ الحاجبَينِ السنابرُ (٤

١) تذبذبت اي تقلَّبت وذهبت الى غيرنا . والتراتر الشدائد

٢) كان بنو اسد بن خزيمة نصارى فأسلم بعضهم (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ١٢٦، ١٢٨، ١٤٩) ٣) كُذْب مخفَّف كُذُب جمع كَذُوب . ويروى : كذب ساهرُ ٤) يشير الى جُرح اصابهُ في جبينهِ في بعض المناوشات . رماهُ به السنابر اي بنو امّ سَنْبَر من بني نصر بن قُعَين

فلو كنتَ ذا عِزٍّ منعتَ بعضهِ جبينَك أنْ تَدمى عليهِ البصائرُ
فأبدِ لمن لاقيتَ وجهَكَ واعترِفْ بشنعاءَ للذِّبّان فيها مصايرُ (١
أمِنْ عوَزِ الأسماءِ سُمّيتَ خنجرًا وشرٌّ سِلاحِ المسلمينَ الخناجرُ
ولو كنتَ ابصرتَ القنابلَ والقنا وهَبْوةَ يومٍ هيَّجتْها الحوافرُ
برابيةِ الخابور ما أقرنَتْ انا خُزَيْمةُ اذ سارت جميعاً وعامرُ
فما لك في حَيَّيْ خُزَيْمةَ من حَصًى وما لك في قيس بن عَيْلانَ ناصرُ

﴿الاغراء﴾ للاخطل فيهِ اقوالٌ أحدُّ من السهام كفى منها مثلًا قولهُ (ص١٠٥–١٠٦) للخليفة عبد الملك يحذّرهُ من زُفَر بن الحارث الكُلابي احد زعماء ابن زُبَيْر في محاربة بني اميَّة فقال (من البسيط) :

بني أُميَّةَ انّي ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتَنَّ فيكم آمناً زُفَرُ
وأتّخذوهُ عدوًّا انَّ شاهِدَهُ وما تغيَّبَ من اخلاقهِ دَعَرُ (٢
انَّ الضغينةَ تَلْقاها وان قَدُمَتْ كالعَرِّ يكمُنُ حيناً ثمَّ ينتشرُ (٣

﴿النسيب﴾ وقد عرف الاخطل النسيب اللطيف فاجاد فيهِ كما في سواهُ قال (ص ٢١١–٢١٢) في مطلع قصيدتهِ التي مدح فيها عكرمة الفيَّاض (من الطويل) :

ألا يا اسلَمي يا امَّ بِشْرٍ على الهَجْرِ وعن عَهْدكِ الماضي لهُ قِدَمُ الدهرِ
ليالِيَ نلهو بالشباب الذي خلا بمُرْتَجّةِ الأردافِ طيِّبةِ النَّشْرِ

١) المَصير الموقع . يقول لا تستر تلك الشجّة الشنيعة التي يتراكم عليها الذُّباب وبزرها
٢) الدَّعَر الفساد اي انَّ خارجهُ كباطنهِ دغلٌ وفساد
٣) العَرّ الجَرَب . يريد انَّ ضغينة قلبهِ مهما كمنت فانّها ستفشو وتنتشر

أسيلةُ مَجرى الدمع خفّاقةُ الحَشا ... من الهِيف مِبرَاقُ التَّرائبِ والنَّحرِ (١
وتَبسِم عن ألمى شَتيتٍ نباتُهُ ... لذيذٍ اذا جادت بهِ واضحُ الثَّغرِ (٢
من الجازئاتِ الحُورِ مطلَبُ سِرّها ... كبَيضِ الأُنوقِ المستكِنَّةِ في الوكرِ (٣
واني وإيّاها اذا ما لقيتُها ... لَكالماءِ من صَوبِ الغَمامةِ والخَمرِ

﴿الحِكَم﴾ ولا يخلو ديوان الاخطل من الاقوال الحكمية والامثال الصائبة كقولهِ (٢٥٨) (من الطويل) :

وانَّ امرءاً لا ينثني عن غَوايةٍ ... اذا ما اشتهتْها نفسُهُ لَجَهولُ

وكقولهِ (الديوان ٥٥) (من الكامل) :

وصاحبِ صَبوةٍ صاحبتُ حيناً ... فثُبْتَ اليومَ من جَهلٍ وتابا
ونفسُ المرءِ تَرصُدُها المنايا ... وتحذَرُ حولهُ حتى يُصابا
إذا أمَرَتْ بهِ ألقت عليهِ ... أحدَّ سِلاحِها ظُفرًا وتابا
وأعلمُ أنني عمّا قليلٍ ... ستكسوني جنادِلَ او ترابا

وقولهِ (٧٣) (من البسيط) :

اليومَ أُجهِدُ نفسي ما وَسِعتُ لكم ... وهل تُكلَّفُ نفسٌ فوقَ ما تَسَعُ

وقولهِ (١٤٣) (من البسيط) :

وبينما المرءُ مغبوطٌ بمأمَنهِ ... اذ خانَهُ الدهرُ عمّا كان فانتَقَلا

---

١) الاسيلة الصقيلة الخدّين. خفّاقة الحشا اي ضامرة الحشا. والهيف جمع هَيفاء. والترائب جمع تريبة موضع القلادة ٢) اللمى اللثة التي تضربُ الى السواد. اراد بالشتيت الاسنان غير المتراصّة المتراكبة ٣) شبهها بالجازئات جمع جازئة وهي الظبية ووصفها بالعفاف والتحصّن

وقولهِ(١٥٨) وهو مسك الختام (من الكامل).:

والنـاسُ هَمُّهُمُ الحيـاةُ ولا أرى طولَ الحيـاةِ يزيدُ غيرَ خبـال
واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

فنكتفي بهذا القليل علّهُ يبعث في قلوب القرّاء الرغبـة لدرس شعر الاخطل ومعرفـة خواصّهِ ولاسيّما انَّ حضرة متولّي طبعه قد قرّبهُ منهم بتوفير الاسبـاب لاقتباس منافعهِ الجمّة

(لها بقية)

منتخب الغافقي (١

ونصّ تعليقَيْن بآخرهِ في الفِرَق الاسلاميّة

لتوفيق افندي اسكاريوس بدار الكتب المصريّة

كتب حضرة الطّلع يوسف اليان افندي سركيس في مقتطف شهر مارس سنة ١٩٢١ ،قالًا يُعلم القرّاء فيهِ بوجود نسخة مخطوطة قديمة من مختصَر للادوية المفردة جَمْع ابي جعفر احمـد بن مشيد الغافقي (الطبيب الاندلسي المتوفى سنة ٥٦٠ هجرية ١١٦٥م).

وقد ظهر ان للغافقي المذكور من المخطوطات في دور كتب اوربا (٢ ما يأتي :

١) راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (طبع مصر ٢:٥٣) وفي كتاب تراجم اطباء العرب لوستنفلد الالماني (WUESTENFELD : Arabische Aerzte (p. 176 ومن تاريخ الطب العربي لمسيو لوكلرك الفرنسي LE CLERC: Histoire de la Médecine arabe, II, 79

٢) اطلب الجزء الاول من تاريخ الاداب العربيّة لبروكلمان الالماني صفحة ٤٨٨ BROCKELMANN: Geschichte der arab. Litteratur, I,488

(اولاً) الادوية المفردة وهذا المخطوط المفقود هو الـذي كان اختصره الطبيب المشهور ابو الفرج بن العبري المعروف عند الافرنج باسم Abulfaragius واختير فيما بعد لأن يكون « مفريانًا على الشرق» (١ وتوفي لرحمته تعالى سنة ٦٨٥هـ(١٢٨٦م) والمختصر هذا هو المعنون بمنتخب النافقي وجده سركيس افندي في تركة المرحوم اقلوديوس بك لبيب العالم القبطي بعين شمس بمصر واشتراه سعادة احمد تيمور باشا واذ لم تكن منه نسخة بدار الكتب المصرية طلبتُ منهُ نقل صورةٍ منها فتفضَّل باعارتها وقد تمَّ ذلك فاستحقَّ سعادته لفضله وافر الشكر . ودونك عنوان المخطوط : «منتخب النافقي (٢ من الادوية المفردة انتخاب الاب غريغوريوس مفريان الشرق» اوله بعد البسملة : قال ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد النافقي . . . وهي نسخة مكتوبة بقلم عادي في اواخر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٤هـ (٣ فيها ١٤٦ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرًا وقد رُوجعت نسخة دار الكتب بالدقة على الاصل وحُفظت تحت نمرة ١٠٣٢

(ثانيًا) رسالة في الحميات والاورام في عشرين ورقة محفوظة بمكتبة بودليانا باكسفورد (Bibliotheca Bodleiana I, 632)

(ثالثًا) رسالة في دفع المضارّ الكلية للأبدان الانسانيَّة (٤ وقد وقفتُ في آخر منتخب النافقي المنسوخة في دار الكتب على صورة تعليقتين فاحببت ان انقلهما للقراء اتمامًا للفائدة لان مقال حضرة اليان افندي سركيس لم يشر اليهما . قال رحمه الله :

---

١) اطلب ترجمة وتآليف ابي الفرج بن العبري للاب لويس شيخو المطبوعة سنة ١٨٩٨

٢) توجد نسخة اخرى مخطوطة من منتخب النافقي في مكتبة غوتا ورد ذكرها في الجزء الرابع من فهرستها بصفحتي ٣٣-٣٤ تحت رقم ٩٩٩٨ GOTHA: arabische Handschriften, IV ويقول تعليقًا انهُ يوجد مختصر آخر غير مختصر الاب غريغوريوس ابن العبري انتخاب احمد بن علي بن ابراهيم ابن ابي جنوري الاحساني سماه الحكمة والرحمة في الطب في ٦٩٣ ورقة غير سبع ورقات للفهرس بقلم نسخ ومسطرة الصفحة ١٥ فرغ من كتابتها الناسخ لها جبرائيل بن يعقوب المعروف بالمنير الماروني الحلبي بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٦٩٤

٣) فهي اذن مكتوبة سنةً قبل وفاة ابن العبري

٤) يراجع الجزء الاول من فهرس اوكسفرد صحيفة ٦٣٢ نمره ٣,٢,١ باللاتينية وفيه التعريف الكافي الوافي

تعليق مبارك (في الفرَق الاسلاميَّة)

« قد وقع في الاسلام اختلافات كثيرة كما وقع في غيره من الاديان بعضها في الاصول وهي موضوع علم الكلام وبعضها من الفروع وهي موضوع علم الفقه . والاختلافات في الاصول منحصرة في اربع قواعد: الاولى في الصفات والتوحيد . والثانية في القضاء والقدَر .. والثالثة في الوعد والوعيد . والرابعة في النبوة والإمامة . وكبار فرق الاصوليّين ستَّة: المعتزلة والصِفاتيَّة وهما متقابلتان تقابُل التضادّ . وكذلك القَدَريَّة تضادُّ الجَبْريَّة . والمُرْجئة للوعيدة . والشيعة للخوارج . وتتشعَّب من كل فرقة اصناف فتصل الى ثلاث وتسعين فرقة

فصل في فرق الاصوليّين

« امَّا ﴿المعتزلة﴾ فالذي يفرزهم من الاعتقاد القول بنفي الصفات القديمة عن ذات الباريْ تبرّئاً من اقانيم النصارى فمنهم من قال انه عالم بذاته لا بعِلْم وكذلك قادر وحيٌّ . ومنهم من قال انهُ عالمٌ بعلمٍ هو ذاتُهُ وكذلك قادر وحيّ . فالاوّل نَفي الصفة رأساً والثاني اثبات صفةٍ هي بعينها ذات . واتَّفقوا على انَّ كلام الباريْ تعالى مُحْدَث يخلقهِ من محلّ وهو حرفٌ وصوتٌ كُتِب امثالهُ في المصاحف . وبالجملة نفيُ الصفات مقتبَس من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته تعالى واحدة لا كثرة فيها موجبة

« ومن المُعتزلة احمد بن حائط زعم ان المسيح تدرَّع بالجسد الجسمانيّ وهو الكلمة القديمة المتجسّدة كما يقول النصارى . ومن المعتزلة عيسى الملقب بالمزدار بلغ بالقول بخَلْق القرآن وان العرب كانوا قادرين على مثلهِ فصاحةً وبلاغةً لولا أن مُنعوا عن الاهتمام بمثلهِ

« وبازاء المعتزلة ﴿الصِفاتيَّة﴾ وهم ينسبون الى الله تعالى صفاتٍ ازليَّة من العلم والقدرة والحيوة وغيرها . وبلغ بعضهم في اثبات الصفات كالسمع والبصر والكلام الى حدّ التجسيم فقال لابد من إجراء الآيات الدالَّة عليها كالاستواء على العرش والخَلْق باليد وغيرهما على ظاهرها من غير تعرُّض للتأويل . الَّا انَّ قوماً منهم كابي حسن الاشعريّ وغيره لمَّا باشروا علم الكلام منعوا التشبيه وصار ذلك مذهباً لاهل السُّنَّة والجماعة وانتقلت سِمة الصفات الى الاشعرية

« فاما ﴿القدَريَّة﴾ فهم معتزلة ايضاً فانما لُقبوا بالقَدَرية لنفيهم القدَر لا لإثباتهم

أياه فانهم يقولون ان العبد قادرٌ خالقٌ لأفعاله خيرها وشرّها مستحقّ على ما يفعله ثواباً وعقاباً والرب تعالى منزّه عن ان يضاف اليه شرّ وظلم وسمّوا هذا النمط عدلاً وحدّوه بانه إصدار الفعل على وجه الصواب فالمصلحة بمقتضى العقل والحكمة

«وبازاء القَدَرية ﴿الجَبرية﴾ الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ويقولون انّ الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان قدرةً متعلّقةً بذلك الفعل ولا تأثير لتلك القدرة في ذلك الفعل. ومنهم من يثبت للعبد قدرةً ذات تأثير ما في الفعل ويقولون ان الله مالكٌ في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ولا يُسأل عمّا يفعل فلو أدخل الخلائق باجمعهم الى الجنّة لم يكن حَيفاً ولو أدخلهم باجمعهم النار لم يكن جَوْرا بل هو في كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرّف فيما يملكهُ المتصرّف به (١

«واما ﴿المُرجئة﴾ فهم يقولون بإرجاء حُكم صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة اي يتأخّر اليها فلا يقضون عليه بحكم في الدنيا من كونه ناجياً او هالكاً. ويقولون بانهُ لا يضرُّ مع الايمان معصيةٌ وكما لا ينفع مع الكفر ايمان(٢

«وبازاء المُرجئة ﴿الوعيدة﴾ القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار وان كان مؤمناً لكن يكون عقابه اخفّ من عقاب الكفّار

«واما ﴿الشيعة﴾ فهم الذين شايعوا عليّ بن ابي طالب فقالوا بإمامته بعد النبي عليه الصلاة والسلام عليهم وان الامامة لا تخرج من اولاده ويجمعهم القول بثبوت عصمة الايمّة وجوباً عن الكبائر والصغائر وان الامامة ركن من اركان الدين لا يجوز للنبي اغفالهُ ولا تفويضهُ الى العامة

«ومن غُلاة الشيعة ﴿التُّصَيْرية﴾ القائلون ان الله تعالى ظهر بصورة علي ونطق بلسانه مخبراً عمّا يتعلّق بباطن الاسرار وقوم غَلَوا في حقّ ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الالهية

«وبازاء الشيعة ﴿الخوارج﴾ منهم من خطّأ عليّ بن ابي طالب فيما تصرّف فيه ومنهم من تخطّى عن تخطئته الى تكفيره. ومنهم من جوّز ان لا يكون في العالم

١) انّ هذا القول يجعل الله عزّ وجلّ ظالماً اذ يلقي بخلقه دون ذنب منهم في عذابات الجحيم وحاشا الله ان يفعل ذلك (المشرق)

٢) الايمان الصحيح لا يقوم الّا بالعمل الصالح والطاعة لاوامر الله (المشرق)

إماماً اصلاً وان احتجّ اليهِ فيجوز ان يكون عبدًا او حرًّا او نَبطيًّا او قُرَشيًّا اذا كان عادلًا فان عدَل عن الحقّ وجب عزلهُ وقتلهُ. فهذا اقتصاص مذاهب الأصوليين على سبيل الاختصار

فصل في الفروعيين

امّا مذاهب ﴿الفروعيين﴾ المختلفين في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهور منها اربعة : مذهب مالك بن انس ومذهب محمد بن إدريس الشافعيّ ومذهب احمد بن حنبل ومذهب ابي حنيفة النعمان بن ثابت

«﴿واركان الاجتهاد﴾ ايضاً اربعة الكتاب والسنّة والإجماع والقياس وذلك لانه اذا وقعت حادثة شرعية من حلال وحرام فزِعوا الى الاجتهاد وابتدأوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيهِ نصًّا تمسّكوا بهِ والّا فزعوا الى سنّة النبيّ عليه السلام فان رأوا لهم في ذلك خبرًا نزلوا على حكمهِ والّا فزعوا الى اجماع الصحابة المعتنى بهِ لانهم راشدون لا يجتمعون على ضلالهِ فان عثروا بما يناسب مطلبهم اجرَوا الحكم الحادث على مقتضاهُ والّا فزعوا الى القياس لان الحوادث والوقائع غير متناهية والنصوص متناهية فلا يتطابقان فعُلِمَ قطعاً ان القياس من واجب الاعتبار ليكون بصدد كل حادثة شرعية اجتهاد وقياس

«ومن الائمة داؤد الاصفهاني نفى القياس اصلًا وابو حنيفة شديد العناية بهِ وربما قدَّم القياس الجليّ على آحاد الاخبار ومالكٌ والشافعيُّ وابن حنبل لا يرجعون الى القياس الجليّ ولا الخفي ما وجدوا خبرًا او اثرًا وبينهم اختلافات في الاحكام ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات ولا يلزم بذلك تكفير ولا تضليل والله اعلم» اه بحروفه

تعليق مبارك (في ماني)

«في زمن اورلينوس قيصر عُرف ماني الثنويّ وقد كان اولًا يُظهر النصرانية فصار قسيساً بالاهواز وكان يعلّم ويفسّر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين ثمّ مرَقَ من الدين وسمّى اسمه مسيحاً واتّخذ اثني عشر تلميذًا وارسلهم الى بلاد

المشرق بأسرها حتى الهند والصين وزرعوا فيها علم الثنويَّة وهو ان للعالم الهين احدهما خير وهو معدن النور والآخر شرّ وهو معدن الظلمة وانهما تهارجا فانتصر الخير على الشرّ فانتقل الى جهة القبلة ليعمل له هناك عالماً يتسلَّط عليهِ . فلما شرع وعَمِلَ بنات نعش حول القطب الجنوبي كهذه الذي (التي) حول القطب الشمالي اصلحت الملائكة بينهما بان القى الخير شيئاً من نوره على الهيولي فأوجد عالماً قابلاً للكون والفساد وتسلَّط عليهِ الشرّ ولان الخير انما فعل ذلك مجبراً ومكرهاً عاقَ في السماء سفينتين كبيرتين هما الشمس والقمر وصار يجمع فيها انفس الناس ويسترجع نصفه الذي صار الى الشرّ ليجلو الهيولي رويداً رويداً من اثار الخير فيبطل سلطان الشرّ . وكان يقول بالتناسخ وانَّ في كل شيء روحاً منتسخة . وكان يفرط في تمجيد النار ويعظِّم شأنها ويؤهلها للتقديس والتسبيح كل ذلك لنورها وإضاءتها وتوسُّطها في المكان بين الفلكيَّات والعنصريَّات واهل الارض المنخفضة لكونها مظلمة لا يستضيءُ باطنها لا بالفعل ولا بالقوة

«وهذا المذهب قد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني لكن سدَّدهُ بالحجج وقيل ان ملك الفرس قتل ماني وسلخ جلدهُ وحشاه تبناً وصلبه على سور المدينة لانه كان يدَّعي الدعاوى العظام وعجز ابراءهُ (كذا) من مرض له والله اعلم» اه بحروفهِ

وكما استنسخت دار الكتب المصريَّة منتخب الفافقي للمغربان العالم الجليل غريغوريوس فانها تسعى لنقل مثيلهِ من مكتبة غوتا والمختصر الآخر ورسالتيهِ السابق ذكرهما بمكتبة البودليانا تصويراً شمسيًّا احياء لاهل العلم وذكرى لاولي الفضل

عاملٌ نشيط في كرم الربّ

الاب ادوار ميشال اليسوعي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ١٩ آب الماضي دعا الله الى ثواب الابرار احد ابناء الرهبانيَّة اليسوعيَّة الذي

خلّف في القطرين السوريّ والمصري ذكرًا طيّبًا سيبقى مطبوعاً في قلوب كلّ من عرفهُ وعاين اعمالهُ نعني به الاب ادوار ميشال انتقل من هذه الحياة في مدينة القاهرة في الرابعة والستين من عمرهِ قضى منها في خدمة القريب ولاسيما الفقراء والاحداث نيّفًا وثلثين سنةً . فكانت لوفاتهِ رنّة حزنٍ عميقة في صدور البائسين الذين تقاطروا الى إقرانهِ الوداع الاخير ومشوا في جنازتهِ آسفين مُعولين ومردّدين باصوات تُقاطعها الزفرات انّهم فقدوا سندهم واعزّ اصدقائهم

فتعزيةً لقلوب هؤلاء البائسين وصيانةً لذكر الرجل الصالح عوّلنا على تدوين خلاصة سيرتهِ وقد عرفهُ كاتب هذه الاسطر منذ نعومة اظفارهِ فأمكنهُ ان يخبر بنفسهِ ما خصّهُ الله بهِ من المزايا الحسنة والخلال الطيّبة

١ الولد والدارس

أبصر المرحوم الاب ادوار ميشال النور في اللاذقيّة في ٧ تشرين الاوّل من السنة المشئومة ١٨٦٠ بينما كان نصارى دمشق ولبنان غائصين في بحر من الاحزان لِما وقع فيها من المجازر والاعمال الهمجيّة . وكان ابو المولود فرنسويّ الاصل نزيل اللاذقيّة يتعاطى فيها الاعمال التجاريّة مع وطنهِ ويُعنى باستغلال املاك لهُ هناك . فاقترن بفتاة سوريّة رزقهُ الله منها ابنهُ هذا جامعاً لمزايا الفرنسويين والسوريين معاً . وقد دعَواهُ ادوار باسم ملك انكلترّة القديس اذ تمّت حفلة عمادهِ في ١٣ ت١ الواقع فيهِ عيد هذا الملك العظيم وذلك في كنيسة الآباء الفرنسيسيين في اللاذقيّة

نشأ الولد في حجر والديه وكان كلاهما من اهل التقى والصلاح فاخذ عنهما روح الورع وشواعر الدين وامتاز بنشاطهِ ومحبّتهِ لوالديهِ وحسن سلوكهِ بين احداث الجالية الفرنسوية في اللاذقيّة كأسرتي جوفروا ولانوس . فلمّا بلغ الثامنة من عمرهِ اتى بهِ ابوهُ الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير سنة ١٨٦٨ فما لبث ان جذب اليه قلوب رفاقهِ بلطفهِ وتقاهُ وحبّهِ للرياضات البدنيّة التي برع فيها وكنّا حينئذٍ في صفّ الصغار معهُ فنذكرهُ اذ كان يتولّى تدبير الالعاب ونظامها فيتقدّم الجميع في مراعاة قوانينها وتحريك همم رفاقهِ على الفوز في سباقها . وفي غضون العام المذكور تقرّب للمناولة الاولى فأثّر فيهِ هذا السرّ تأثيرًا عجيباً لم يبرح من ذهنهِ طول حياتهِ

. وكان ادوار محبًّا للفنون الجميلة ولاسيَّما الموسيقى فكان احد اعضاء الجوقة الموسيقيَّة ونزل الى بيروت مع رصفائهِ لمَّا وُضع الحجر الاوَّل لكليَّة القديس يوسف في اوائل سنة ١٨٧٣ . امَّا الدروس فكان ادوار متوسِّطاً فيها يجهد نفسهُ في تحصيل العلوم الثانويَّة فنال منها حاجتهُ حتى اتمَّها في السنة ١٨٧٨ في بيروت بعد ان نُقلت اليها مدرسة غزير في خريف سنة ١٨٧٥ . وكان في كلّ مدَّة دروسهِ مثال التقوى والاجتهاد حتى وقع عليهِ غير مرَّة اختيار التلامذة رفاقهِ كرئيس للاخويَّة وكالمستحقّ لجائزة كمال حسن السلوك . وكان اذا رأى بين اترابهِ ولدًا مخالفاً للقوانين لا يخاف من تبكيتهِ ولمَّا وجد يوماً واحدًا منهم شكَّك رفقتهُ بعمل مخلّ للآداب صفعهُ بجماس زاجرًا واستحقَّ بفعلهِ ثناء معلميهِ

وفي تلك الأثناء شعر ادوار بانَّ الله يدعوهُ الى حياة الكمال فطلب ان يتفرَّغ للفكر في دعوتهِ فتحقَّق بعد الفحص المتوالي بانَّ دعوتهُ ان ينتظم في سلك الرهبانيَّة اليسوعيَّة . وفي اوان العطلة السنويَّة عرض الامر على والديهِ فلم تتعرَّض لهُ والدتهُ لِما كانت عليهِ من التُّقى امَّا والدهُ الذي كان يعوِّل عليهِ لضبط اشغالهِ من بعدهِ فاستنكر الامر وأبى ان يسمح لهُ قبل ان يقضي سنةً في البيت ليختبر دعوتهُ ويعرف ما في عزمهِ من الصدق والثبات . لكنَّ الشاب في تلك المدَّة بيَّن بكل سلوكهِ انَّ فكرهُ بالترهُّب راسخٌ في صميم قلبهِ لا يثنيهِ شيء عن ادراك غايتهِ . فخاف ابوهُ وهو من رجال الصلاح ان يقاوم ارادة الله ولم يكتفِ بان يمنحهُ بركتهُ بل اراد كابراهيم الخليل ان يقدِّم هو بنفسهِ ابنهُ محرقةً لعزَّتهِ تعالى فاتى بهِ في اوائل شهر تشرين الاوَّل سنة ١٨٧٩ دير غزير حيث كان فُتح حديثاً مقامٌ لطالبي الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة في سوريَّة

٢ الراهب

لبس ادوار ثوب المبتدئين في ٥ تشرين الاوَّل وباشر امتحانات الرهبانيَّة مدَّة سنتين فكان بغيرتهِ وحرصهِ على اتمام كلّ الفرائض الرهبانيَّة قدوةً لكل من يراهُ . واخذ مذ ذاك الحين يوطِّن نفسهُ على كلّ الفضائل الرسوليَّة فكان مرَّة في الاسبوع يتجوَّل في القرى المجاورة لغزير ليلقِّن احداثها التعليم المسيحيّ ويُعدّهم للتقرُّب

الاوّل من جسد الربّ . فكان الصغار ينتظرون وصولهُ بفروغ الصبر وهم أطوع لهُ من بنانهِ في كلّ ما يعرضهُ عليهم من اعمال التُقى

وفي السنة ١٨٨١ ابرز نذور الرهبانيَّة الأُولى ثمَّ انكبَّ مع رفاقهِ على الدروس البيانيَّة والبلاغة والخطب فتمرَّن عليها مدَّة سنتين واستقى من مواردها ما أهلهُ للخطابة وأصبح ذا عارضةٍ يفوهُ لسانهُ بما يطفح من قلبهِ ولا يبالي كثيرًا بتزويق الكلام وترصيفهِ فيطلب اللبَّ دون القشرة

ثمَّ نزل الى بيروت فتفرَّغ فيها لدرس الفلسفة والرياضيَّات والطبيعيَّات ثلث سنين (١٨٨٣–١٨٨٥) . وفي ختامها أُرسل الى مصر فعُهدت اليهِ في السنة ١٨٨٥–١٨٨٦ نظارة التلاميذ في الاسكندريَّة ثم في القاهرة مدَّة سنتين ١٨٨٧–١٨٨٨ مع تدريس العربيَّة . فلا يزال الشبَّان الذين تخرَّجوا عليهِ يذكرون ما وجدوهُ فيهِ من الرفق وطيب الشمائل الممتزجة بالحزم والتثبُّت بتنفيذ القانون . وكان يحبّب الى الشبيبة الآداب الاجتماعيَّة ويسعى في تقوية ابدانهم بضروب الرياضات البدنيَّة مشيًا وركضًا وطفرًا ليصدّقوا في اشخاصهم تحديد الرجل الكامل : « عقلٌ سليم في جسمٍ سليم » وكان جلّ اهتمامهِ ان يعزّز فيهم قوَّة الارادة ليناهضوا في قلوبهم الاهواء الباطلة ويثبتوا على الصلاح والتماس الغايات الشريفة

ولمَّا قرب أوان كهنوت الاب ميشال أُرسل في خريف سنة ١٨٨٨ الى بلاد الغال شمالي انكلترَّة في مدينة مُولد ليدرس هناك مع رهبان اقليمهِ الفرنسويين الملتجئين الى تلك الاصقاع بعد ان أقفل جول فرّي ديورهم في فرنسة فتفرَّغ للدروس الكهنوتيَّة من لاهوت نظري وادبي وحقّ كنسي وشرح الاسفار المقدَّسة ودرس العبرانيَّة وقضى في ذلك ثلث سنين نال في نهايتها نعمة الكهنوت من يد احد اساقفة الانكليز الكاثوليك الطيب الذكر السيد نَيْت في ٨ ايلول سنة ١٨٩١ . وبها تمَّ استعداد ذاك الجندي الباسل ليخدم الدين والوطن في هذه البلاد ويتاجر بالوزنات التي أُعطيها من سيّدهِ

٣ رسول العَملة والصغار في بيروت

عاد الاب ادوار ميشال بعد كهنوتهِ الى بيروت وقلبهُ مضطرم بحب ذلك القائل

(لوقا ١٢ : ٤٩) : « اني جئت لألقي ناراً على الارض وماذا أريد الّا اضطرامها ». فهي النار التي كان مستعراً بها الكاهن الجديد لخلاص القريب . وكأنّ الله اراد ان يقرّب اليهِ مبتغاه . فلما احتلّ كليّتنا البيروتيّة وجد فيها مرسلاً كان قضى خمساً وعشرين سنةً في خدمة العمّلة الفقراء نزيد بهِ الاب يوحنّا فيروفيش الذي كان جمع شتات هؤلاء المساكين وانشأ لهم اخويّة تحت اسم الامّ الحزينة فكان يهتمّ بنفوسهم وصوالحهم الزمنيّة على قدر استطاعتهِ . الّا انّ ثقل الشيخوخة كان يهظ عاتقهُ فكان يطلب لهُ مساعداً في عملهِ هذا المبرور من ربّ المساكين ومساعد البائسين فوجد في الاب ميشال ضالّتهُ المنشودة وهو في عزّ شبابهِ لا يطلب سوى تضحية نفسهِ في خدمة الفقراء والعمّلة . وسُرّ الرؤساء في وجود رجل مثلهِ للقيام بهذا المشروع الجليل الذي تعدّهُ الرهبانيّة اليسوعيّة من افضل اعمال ابنائها . فلم يخيّب آمالهم وثبت على خدمة هؤلاء الوضعاء عشرين سنة لم يبتعد عنهم الّا مدّة قصيرة ليستعدّ لابراز نذورهِ الاخيرة تحت ادارة رجل قدّيس يُدعى الاب جنياك في مدينة كانتر من اعمال فرنسة (١٨٩٦)

﴿اخويّة الامّ الحزينة﴾ لا شيء يسند قلب العامل والفقير كروح الدين والتقى . فهذا ما حدا بالاب يوحنّا فيروفيش سنة ١٨٦٣ الى انشاء اخويّة دعا اليها العملة وجعلها تحت حماية امّ الاحزان لتكون العذراء مريم مثال الصبر على اتعابهم . وقد بأنّها بهمّتهِ القعساء مبلغاً عظيماً حتى ناهز عدد المشتركين فيها الالفين . وقد مرّ لنا في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٣٢١—٣٣٥) ذكر اليوبيل الخمسيني لهذه الاخويّة مع خلاصة حياة منشئها واعمالها . فهذه الاخويّة عُني بها الاب ميشال اوّلاً كمساعد ثمّ كمرشد من السنة ١٨٩٤ الى ١٩١٢ فكان يتقفّى آثار سلفهِ في خدمة العمّلة والفقراء يتفانى في امورهم الروحيّة والجسديّة . فما كان يُرى الّا على منابر الارشاد او في كراسيّ الاعتراف او في عيادة مرضى اخويّتهِ . وكان في بعض فصول السنة يتفقّد السجون فيدعو المحبوسين الى ممارسة واجباتهم الدينيّة ويوزّع عليهم مع بعض رجال البرّ الصدقات والتذكارات التقويّة . وكان يطوف القرى المجاورة لبيروت ليبعث في القلوب الغيرة على خلاص النفوس وتهذيب الاولاد

وممّا ساعدهُ على تنمية الاخويّة وتعزيز شؤونها حفلات شائقة كان يقيمها في

بعض الاعياد السنويّة منها الطواف بالقربان في الاحد الواقع بعد عيد الجسد كان يتقاطر اليه اهل بيروت وضواحيها فيتمّ برونق عظيم . ومنها الرياضات السنويّة في اوّل الخريف وفي الاسبوع السابق لاحد الشعانين . ومنها اعتمام الاب بجوقة موسيقيّة تُسمع كل احد نغماتها في زياح القربان مع الاغاني التقويّة التي كان يقوم بها بعض الشبّان فيطربون بها مسامع الحضور

﴿المدارس الخارجيّة﴾ كان الاب ميشال في اوّل سنة قدومه الى بيروت مستلماً نظارة فئة الكبار في كليّة القديس يوسف مع خدمته لاخويّة العملة . فاظهر في ادارة التلاميذ حذقاً كبيراً وكان اوّل من دعا الاولاد الى التمارين العسكريّة في ساحات المدرسة . فلم يتردّد الرؤساء في السنة المقبلة بأن يعهدوا اليه تدبير المدارس الخارجيّة اللاحقة بكليّتنا فجعل يصرف في ادارة هذه المدارس كلّ وقت فراغه من اشغال الاخويّة بل ربط العملين الواحد بالآخر ليرشح صغار المدارس للدخول في الاخويّة عند نهاية دروسهم ليثبتوا على الآداب التي تلقّنوها في حداثة سنّهم

ولم يدّخر الاب ميشال وسعهُ في نجاح هذه المدارس المتفرّقة في احياء بيروت وضواحيها وكان عددها ثلاثة فوسّع نطاقها وبلّغها الى ثماني مدارس في حي الدحداح ورأس بيروت والرميلة ورأس النبع والمنارة وفي قريتيّ الشيّاح والحدث وفي فرن الشبّاك . فكان يزورها غير مرّة في الاسبوع ويختار لها المعلّمين الجديرين بنجاحها . ويدعو المدارس المختلفة الى السباقات بين بعضها ليبعث فيها روح المنافسة والغيرة وكان يهتمّ بتمرين الاولاد على الايماء والالقاء في روايات يمثّلونها امام جمهور الناس مع بعض شبّان الاخويّة . وقد استعان بحضرة الخوري يوحنّا طنّوس لتأليف تلك الروايات التي أحرز فيها الممثلون فخراً عظيماً ولا يزالون حتى اليوم يكسبون باستحضارها ثناء كلّ الحضور

﴿جمعيّة شبّان مار لويس غونزاغا﴾ ثم لحظ الاب ميشال انّ كثيرين من الشبّان عند خروجهم من المدارس يصبحون هدفاً لتجارب عديدة تضعف بها عزائمهم فيسقطون في اشراك الاشرار . ففي السنة ١٨٩٧ رأى ان يؤلف منهم جمعيّة جعلها تحت شفاعة قدوة الشبّان القديس لويس غونزاغا وألحقها بأخويّة الامّ الحزينة ووضع لها قوانين مدبجة بروح الحكمة وجعل لها غرضين : مساعدة اعضائها على لزوم جادّة

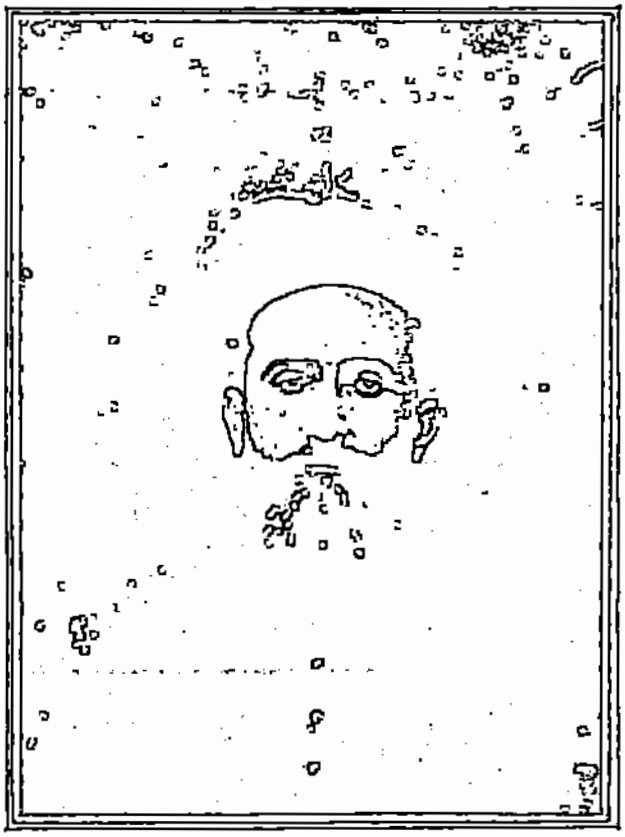

العامل في كرم ربه

الاب ادوار ميشال اليسوعي

١٨٦٠ = ١٩٢٤

الصلاح بالسلوك الحسن وتثقيف عقولهم بالآداب ثمّ الاهتمام باولاد الصنائع المهملين. فقيامًا بالغاية الاولى كان اعضاء الجمعيّة يجتمعون كلّ احد فيتفاوضون بالمباحث الدينيّة والادبيّة والفنّيّة تحت ادارة مرشدهم ويتمرّنون على الخطابة والتمثيل مع نجباء التلاميذ او يقيمون الحفلات العلنيّة يحضرها ذوو الوجاهة والكرم فيوزّعون ريعها على ابناء السبيل . وكان لهذه الجمعيّة عمدتها من كاهن مدير ورئيس ومعاونين ومستشارين وامين صندوق يجرون كلّهم بنظام واتفاق

امّا الغاية الثانية فادركها الاب ميشال بتأليف مشروع حماية اولاد الصنائع

﴿حماية الصَّنعة﴾ وجد الاب ميشال عددًا عديدًا من صغار الفقراء ولاسيما اللبنانيين يتعاطون في بيروت الصنائع الدنيئة ويرتزقون بأعمال نزرة طفيفة ومعظمهم يجهلون القراءة والكتابة . ولا يعرفون من دينهم شيئًا فصرف كلّ مجهوده ليجتذبهم الى باحة الدار الواقعة في جوار كنيسة القديس يوسف ليروّحوا النفس بالالعاب ثمّ يحضروا التعليم المسيحيّ ليستعدّوا للمناولة الاولى ويتعلّم كبارهم مبادئ القراءة والحساب . فكان هؤلاء الاولاد من سائر طلبة الصنائع من سكّافين وحلّاقين وحدّادين وباعة جرائد . كان الاب ميشال يجتمع بمعلّميهم فيعلّمونهم الى حمايته

ومتى توفّق الى اكتساب ثقتهم صبّاغو الأحذية المتبثّون في شوارع البلد فضمّهم الى الصَّنعة واهتمّ بتهذيبهم وتعليمهم . وكان في حفلة مناولة هؤلاء الصغار الاولى يكسوهم ثيابًا جديدة كما انّهُ مرّتين في السنة كان يسحب لهم قرعةً على اقمشة واجواخ وملابس وادوات شتى مفيدة يرجها المثابرون على حضور الاجتماعات الاسبوعيّة

وكان شبّان جمعيّة مار لويس يراقبون هؤلاء الصنعة ويفرغون وسعهم في تربيتهم . وكذلك اعضاء اخويّات كنيسة القديس يوسف الداخليّون كانوا يصرفون زمنًا معهم لترويضهم في الالعاب وتثقيف آدابهم وكان الاكليريكيّون منهم يلقّنونهم حقائق الدين

ومما يُذكر للاب ميشال فيُشكر به توجيهُهُ الحاظ جمعيّة الشبان لمقاومة الماسونيّة فكان يمرّنهم على الخطب والابحاث الدينيّة للدفاع عن العقائد المسيحيّة ومقاومة الروح الكفري وقد تكلّلت اعمالهُ بالنجاح ودبّت الغيرة التقويّة في قلوب شبّان الجمعيّة فاصبحوا يستميتون في سبيل الدفاع عن الدين ولذلك تجمهروا في شهر آذار

سنة ١٩١١ ليلة حاول ابناء الارملة ان يمثلوا رواية اليهوديّ التائه وانضمّوا الى من حذا حذوهم واوقفوا تمثيل الرواية محتجّين على الجوق الممثّل وعلى الحكومة التركيّة المؤذنة بالتمثيل . وقد استيق بعضهم الى السجن بامر الحكومة فلم يُحجموا عن الدفاع بل ازدادوا تحمّساً فاضطرّت السلطة الى اخلاء سبيلهم وعُدَّ عملهم ظفرًا في جانب الدين والادب

﴿السجود الليليّ﴾ هذا السجود كان عُني بإقامته الاب فيرروفيش مع رئيس كليّتنا الاب جوليان هنري سنة ١٨٨٣ فيُعرض القربان الاقدس في كنيسة الكليّة ويسجد لهُ بالتناوب اربعون ساجدًا في مساء ليلة الخميس الى الجمعة الاولى من الشهر تكفيرًا عن الاهانات اللاحقة بقلب يسوع الاقدس . فاستلم الاب ميشال هذا المشروع الصالح وزادهُ نموًّا وكان هو يصرف جانباً من ليلهِ في مشاركة الساجدين واستماع اعترافاتهم . وكان يسعى طاقة جهدهِ في نشر عبادة قلب يسوع ويحرّض على التقرّب المتواتر من مائدة الخلاص

﴿ اعمال شتّى ﴾ وما كانت كل هذه الاعمال لتنفد همّة الاب ميشال فانّهُ لم يعاين مشروعاً صالحاً يسدُّ بهِ خللًا الّا تولّاهُ . فمن ذلك جمعيّتان وسمها باسم القديس فرنسيس كسفاريوس والقديس يوحنّا بركمنس انشأهما بين كبار التلامذة وافضلهم سلوكاً لينشر بواسطتهم بين الصغار روح التقوى ويُعدّهم بتعليم المبتدئين والمشروعات التقويّة والادبيّة لجهاد الحياة عند نهاية دروسهم

ومن منشآتهِ تخصيصهُ في كنيسة الشيّاح باذن كهنتها مذبحاً لاكرام رسول الهند القديس فرنسيس كسفاريوس جعلهُ مزارًا لتلك البلدة وكان يوم عيدهِ في ٣ ك ١ يقيم لهُ حفلةً كبيرة كان اهل البلدة يحضرونها بكل رغبة ويتقرّبون فيها للاسرار المقدّسة وقد بارك الله عبادتهم بان منحهم عدّة نِعَم على يد ذلك القديس سواء كان قبل الحرب ام في اثنائها

وكان آخر ما اهتمّ بانشائهِ مدرسة للصنائع خصّها بتعليم ابناء الفقراء الحرف المختلفة ليفتح لهم باباً للارتزاق ويصونهم من مفاسد الاسواق فاذارها بواسطة بعض المعلّمين مدّة اربع سنوات الى أن وجد لهُ الرؤساء خلفاً جديرًا بمواصلة اعمالهِ وارسلوهُ الى مصر حيث كان اهلها في شديد الحاجة الى مثلهِ

٥ الاب ميشال في مصر

وفي السنة الاولى من وصوله الى وادي النيل سنة ١٩١٢ أرسل الى ديرنا في المنيا كخلف للمرحوم الاب حبيب الموشي في الاشغال الرسولية. فنيطت به الرياضات للكهنة والمواعظ الاسبوعيّة وتوزيع الاسرار وتدبير جماعة الشبّان التي جعلها على مثال جماعته البيروتيّة . وكان يزور مدارس الصعيد ويلقي الارشادات في كنائس القرى ويجتمع بالاقباط المنفصلين ليرشدهم الى حقائق الدين الكاثوليكي فردّ عدداً منهم الى ايمان رسولهم القديس مرقس وكبير معلّميهم القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندريّ العظيم

وبعد تلك السنة استدعاهُ رئيس مدرستنا في القاهرة ليدير فيها الاخويّات والمشروعات الخيريّة التي كان الطيّب الذكر الاب جبرائيل ادّه ادارها بكل غيرة ودراية. فتسلّمها بكل فرح وباشرها بما عُهد فيه من النشاط والتفاني

فمن لنا ان نصف ما قام به من الاعمال الجليلة في العشر السنوات التي قضاها في عاصمة المصريين. فكان يقوم باكراً بعد ست ساعات فقط من النوم فيُسرع الى اتمام كلّ واجباته الرهبانيّة والكهنوتيّة حتى اذا انجزها يتفرّغ الى اشغاله المتعدّدة فكان متولّياً تدبير ثلث اخويّات للرجال والنساء والفتيات فيعظ مراراً في الاسبوع ويجلس الساعات الطوال في كرسيّ التوبة ويشرح التعليم المسيحيّ لخدمة الدير. وكان بقيّة نهاره يقضيه في عيادة المرضى وزيارة الفقراء والمتسترين فيوزّع عليهم ما حصلت يدهُ من الاحسانات والصدقات فلا يكاد يجد ساعةً للراحة. وقد ثبت على خطّته هذه الى آخر حياته مع ما كان يجد في مسيره في شوارع القاهرة من التعب والضنك ولاسيما بعد ضعف مزاجه وثقل السنين والاشغال على كاهله فكان مهما شعر به من المشقّة لا يتأخر عن طلبة محتاج الى خدمته او مريض يطلب اسعافه ولو في ساعات الليل

وكان الرؤساء في اوان الصيف يعرضون على الاب ميشال ان يأخذ نصيباً من الراحة ويهرب من لفحات الحرّ المضنك الى السواحل او الى لبنان فكان يجيب: وكيف أهمل كلّ هؤلاء المساكين دون اسعاف روحي وجسديّ. فكانت نتيجة تلك الاشغال المفرطة أن أصيب في العشر الاخير من آب الماضي بوعكة ثقيلة لم تمهله الّا

بضعة أيام فعرف انَّ اجلَهُ قد قرب فـاقتبل الاسرار المقـدَّسة بكل ورع وتُقى واستعدَّ لمواجهة ربّ العملة الذي فلح كرمَهُ بكل حرص ولم يبالِ بما حمل من ثقـل النهار وحرّهِ (متى ٢٠ : ١٢) فودَّع الحياة وهو واثق بجود الاله الـذي خدمهُ مدَّة نيّف واربعين سنةً. ولا شكَّ في انَّ ربَّهُ الكريم اجزل ثوابهُ في دار الخلود

ولم يكتفِ الذين خدمهم الاب ميشال بالاسف على فقدهِ وانَّمـا ارادوا ايضاً ان يعقدوا لهُ جلسةً تأبينيَّة في بيروت ومصر ردَّدوا في اثنائها محامد ذلـك الرجل الهمام وعظَّموا المصاب بموتهِ شاكرين لهُ مآثرهُ الجمَّة وحسناتهِ المتعدّدة. وقـد حضرنا الحفلة التي اقامتها جمعيَّة شبَّان مار لويس غونزاغـا بناديها في مُمثَّل مدرسة الـدحداح رأسها حضرة الاب ديد رئيس الرسالة اليسوعيَّـة في سوريَّة وخلَفُ الاب ميشال في ادارة اشغالهِ بعد سفرهِ الى مصر فوفوا الفقيد حقَّهُ من الثناء نثرًا ونظماً. وكذلـك وقفنا على الخطب التي فاه بها اصحاب الجلسة المصريَّة فوجدناها كلّها تُشعر بما اختبروه من سجايا الاب المرحوم وتأثير وفاتهِ في قلوبهم فلن ينسوا. فضلهُ عليهم ظالما امدَّ الله في أجلهم. وها نحن نقتطف من جلستي بيروت ومصر بعض ما جادت بهِ قريحة اثنين من اعضائها ولولا ضيق المقام لنشرنا كلَّ خطبهم فنستميح منهم عذرًا لضربنا الصفح عنها

قال الاستاذ الاديب يوسف افنـدي الغلبوني يرثيهِ بقصيـدة عامرة الابيات افتتحها بقولهِ :

ادوارُ ميشالُ كمْ في القبر مختارا رقـاك ربُّك بعـد الفوز أخـدارا
كمْ في الخلود فقـد خلَّدتَ مُتَّجهاً نحو الهيـنِ بالأعمـال آثـارا
بيروت تبكي وفي مصرٍ صدى اسفٍ يُجري مع النيلِ دمعَ العين مـدرارا
ادوارُ ميشال لن ننساك طول مدًى وان نسينا نكُنْ بالفضـل كُفَّارا
قد كُنتَ قلباً لصَدْرٍ يرتجي فرَجاً وكنت عرنًا لدى الضيقات نصَّارا

وختمها بقولهِ :

حيُّوا الفقيد بإخبـاتٍ وتكرمةٍ حيُّوا رئيسكمُ المحبوبَ إدوارا

وقال جناب يوسف افندي راجي سكرتير اخويَّة الحبل بلا دنس بمدرسة الآباء اليسوعيين في مصر :

« سادتي واخواني الاعزّاء : اليوم اقفُ خاشع الرأس امـام جلال الموت ، اندبُ تلـك الهمَّة العالية وقد ذبلت ، وذاك الصوت العالي وقد صمت ،

لقد جاء في النذير بالخطب . فأتيتُ مسرعًا لأودّعهُ الوداع الاخير بانم بدمو الطاهرة التي طالما باركتني وباركتكم ، واشارت الى الطريق القويم أن : اتبعوهُ فهدَتني وهدتكم ، ثمّ عاودتني ذكرى ثلاث عشرة سنة متوالية ، لازمتهُ في خلالها ، فما رأيتهُ يومًا تطرّق اليهِ الملل ، او شكا من كثرة العمل ، بل لا اكون مغاليًا ان قلتُ بأن الفقيد لم يبالِ بجسدهِ بل اضحكهُ في سبيل الله ومرضاتهِ قبل ان عاجلهُ الموت ،

« أجل أضحكهُ واماتهُ في سبيل نشر تعاليم السيّد المسيح الحقّة ، اماتهُ في سبيل إحياء الاخويّات ، والجمعيّات ، والحفلات الدينيّة العديدة ، وفي سبيل البرّ والاحسان . فصدقت فيهِ تلك الكلمة الخالدة . مات في الجسد ليحيا في الروح ، انّ الارواح الصالحة لا تموت

بدأ الفقيد حياتهُ بيننا ، يواصل الليل بالنهار ، لإحياء الاخويّات التي اخذ على عاتقهِ ارشاد ابنائها ، فهي وان كانت زاهيةً بفضل من تقدّموهُ لكن الجهاد الذي جاهدهُ انمى فروعها فازدهت ورواها بعرق جبينهِ فنمت ، فما كان عجبًا ما رأيناهُ يوم مشهدهِ اذ هرع المئات يشيّعونهُ بقلوبهم ودموعهم وزفراتهم . . .

« رأيت النساء والشيوخ يبكونهُ بكاء الاطفال ، رأيتُ النساء والفتيات يذرفن عليهِ الدموع كأنهنّ فقدنَ عزيزًا لديهنّ ، هل أعزّ من هذا الراحل الكريم على قلوبنا ، جنديّ من جنود الكنيسة فقدناهُ بعد ان استبسلَ في الدفاع عنها خمسةً واربعين عامًا ، فوجب علينا رثاؤهُ ، كما حقّ علينا بالامس بكاؤهُ . . .

ثمّ هادئًا في بقعة قدّسها المسيح بزيارتهِ والعذراء بطهارتها والقديس يوسف ببرارتهِ . (يريد مقبرة بستان المطرانيّة) ، ثمّ هادئًا مستريحًا ، انت احسنتَ في الحياة الينا ، احسَن الله في الممات اليك ،

ليلة الميلاد الاولى

عرّبها بتصرّف حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليّتنا

في تلك الايام صدر امرٌ من الامبراطور أوغسطس قيصر باحصاء جميع رعاياه . فانطلق الجميع كلٌّ واحدٍ الى مدينتهِ

وتعيّن ضابطان لمراقبة الاحصاء ، في بيت لحم وللسهر على حفظ الأمن . احدهما يدعى تُركواتس ، من مذهب أبيقور المعروف باتّباع الشهوات ، وعمرهُ نحو خمسين سنة . والآخر يُستى أكتافيوس ، وعمرهُ نحو ثلاثين سنة . وكان هذا جليل المنظر ،

قليل الكلام، لا يكاد يُجيب على احاديث رفيقهِ الّا بكلمة او كلمتين. وكان ،طول هذا السفر، يتأمل في فيافي اورشليم ، وهيئتهُ تدلُّ على انه يفكر في حلّ مشكل اختاص عليهِ

في ذلك الحين ، كانت العيلة المقدسة قد جازت المضايق الممتدّة عند سفح جبل صهيون ، وقطعت وادي قدرون ، وتركت وراءها مدينة اورشليم

نادى تركواتس رجلين من الخفراء السائرين معه ، وامرهما بان يتقدّما الى بيت لحم ، ويعدّا جميع ما يلزم لراحتهم

وكانت العيلة المقدسة اذ ذاك قد وصلت الى ارض الرامة ، التي اشتهرت ببكاء راحيل على بنيها ، والليل قد كسر ظلامه ، فبدت تلك النواحي اوفر خشوعاً منها في غير ذلك الوقت . مرّ الضابطان بقبر راحيل ، فتقدّم الخفراء اليهود ليتبرّكوا بلثم الضريح . فانتهرهم تركواتس وامرهم بالرجوع وقال : « ما أعجب امر هؤلاء اليهود ! وما اعظم اوهامهم ! فأيُّ خرافة اكبرُ من وهمهم بانهم يُرضون الآلهة اذا قدّموا لها التقادم والذبائح ! »

والتفت الى إكتافيوس وقال : « هل انال الحظوة لديك ، ايها الفيلسوف العزيز ، واحصل على جواب ، وهل اصبتُ فيما قلت ؟ »

اجابه اكتافيوس : « لا ! بل قد اخطأتَ كل الخطإ . فانا لست على رأيك »

قال تركواتس : « قد تأكّد لي الآن انك لا تُريد الّا مخالفتي في الرأي ، او ملازمة الصمت . وانا لا إخالك اوفر عبادةً من غيرك . فاني ، منذ عرفتُك في خدمة قيصر ، لم أرك قدّمت للآلهة ولو عصفوراً »

اجاب اكتافيوس : « ذلك من شؤم حظي ، يا تركواتس . ولكن كيف تحسب ان لا نفع للذبائح الّا في مخيّلة بعض الناس ، ونحن نرى جميع البشر يُقبلون على هذه العبادة ؟ . . . لا ! لا ! فانَّ الانسان الخاطئ قد شعر ان لا بدّ لهُ من استرضاء عدل السماء . لذلك نراه ، اينما وُجد ، يلتمس ذبيحة ، ويودُّ ان تكون افضل منه ، فتصير جديرة بعطف قلب الآلهة عليهِ »

اجاب تركواتس ، وهو يُجهد نفسه ليضحك : « أنا مُقرّ بأن ليس لي ذكاؤك . ومهما يكن فلنترك هذه الاوهام ، ولنفكر في ما يجب علينا صنعهُ غداً . امّا الآن فاودّ

منك ان تُطلعني على معنى اسم بيت لحم . فانّ كلّ اسم في لغة هؤلاء اليهود لهُ معنى شعريّ ، وانا اجد في اكتشافه لذّة وتسلية » . والتفت الى الخفراء ونادى : « يا أرام ! تقدّم وقل لي ما معنى اسم هذه البلدة الحقيرة ؟ » . واقبل على اكتاڤيوس وقال ضاحكاً : « سترى ان مدينة اثينة لا تُعدُّ بالقياس الى هذه البلدة شيئاً »

فأسرع ارام الى قرب فرس تركواتس ، وقال بصوت أخنّ : « بيت لحم ، يا مولاي ، معناها بيت الخبز »

قال : « وبعد ؟ »

قال : « وإنّ في هذا الاسم رمزاً الى أنّ بيت لحم ستقوت شعوب الارض كلها »

قال : « وبعد ؟ »

قال : « وان بيت لحم تدعى ايضاً أفراتة ، اي الخصيبة والمثمرة . وهي من نصيب يهوذا . وكان الاقدمون يسمّونها مدينة داوُد ، لانّ نبيّ الله هذا قد وُلد بها »

قال تركواتس : « داود هذا كان احد ملوككم ؟ »

قال ارام : « نعم ، يا سيّدي . وانّ الرّبانيين عندنا يقولون ان داود الحقيقي ، وملك الارض كلّها ، سيولد هنا . وقد وعده الله بان تكون جميع الامم ميراثاً لهُ »

قال تركواتس : « ومتى يولد داود الحقيقي هذا ؟ »

قال ، ووضع يدهُ على حاجبه ليستوضح شيئاً رآهُ في الظلام

اجاب أرام : « انّ حساب اسابيع دانيال يدلُّ على قرب مجيئه » . .

قال تركواتس لاكتاڤيوس : « مَن الماشي امام الخيل ؟ » فرفع اكتاڤيوس رأسهُ ونظر فقال : « ارى رجلاً مسكيناً وامرأة يسيران رويداً وبعد بضع خطوات تُدركهما »

قال تركواتس : « لعلّ هذه المرأة هي امّ مسيحك ؟ »

فانتفض أرام الشيخ لهذه الكلمة الملفوظة بتهكّم ، وقال بصوت تمازجهُ عواطف الايمان والوطنيّة : « قد يكون ذلك ! »

واعاد اكتاڤيوس كلمة ارام بصوت منخفض وقال : « قد يكون ذلك ! » وشعر ان قلبهُ قد اضطرب اضطراباً غريباً . ولحق هو ورفيقهُ ذينك المسافرين . فنادى تركواتس : « من انت يا رجل ؟ »

فالتفت المنادي ، واذا وجهٌ يقطر رقّةً ولطفاً ، وأجاب بالعبرانيّة . ففهم الجواب اكتافيوس وحده ، فقال لتركواتس : « يقول لك الرجل انهُ يُدعى يوسف ، وانهُ ماضٍ مع امرأته الى بيت لحم إطاعةً لامر قيصر »

قال تركواتس : « وما اسم المرأة ؟ »

فكلّم اكتافيوس الرجل وقال : « يسألك الضابط عن اسم هذه المرأة التي تظهر ابنتك لا زوجتك ؟ »

اجاب الرجل بالعبرانية . وترجم اكتافيوس الكلام لتركواتس وقال : « اسمها مريم »

وعند ذلك تحرّكت الخيل وفصلت بين الغريبين . فبقي يوسف قرب تركواتس ، فاخذ هذا يُلقي عليهِ اسئلةً كلُّها بلادة وحُمق . امّا اكتافيوس فأحسَّ بانَّ قلبهُ يتصدّع ، وظهر الاضطراب في وجههِ ، واخذتهُ عواطف لم يتمكّن من ابعادها عنهُ . فقال في نفسهِ : « تُرى ، هل تتحقّق احلامي ؟ . . » ولبث يفكّر في تلك التقاليد التي شغلت عقله منذ حين ، وهي تدلّ على ان قد دنا الزمان الذي يُخصب فيهِ المشرق خصباً جديداً ، ويتولّى قيادة العالم أجمع . . . واستمرّ حيناً يتأمّل في ذلك ويقول : « أحقيقةٌ تلك التقاليد ؟ . . » وهل يتخلّص البشر من التكعُّع في الظلام ؟ . . . وهل يأتي إلهٌ الى الارض ، ويحمل الينا كنوز الحقائق ؟ . . »

ثم التفت الى المرأة وكلّمها بالعبرانية بصوتٍ مخفوض هادئ وقال : « انتِ ، يا من تُدعَين مريم ، لستُ ادري ما يحملني على استفهامكِ عن سرّ ما قُدّر لي . فيا بنت اليهود ، قد قرأتِ كتب انبيائك ، وها انا بين يأسي ورجائهم . فاذا كان عندك كلمةٌ تنيرين بها عقلي ، فلا تبخلي بها عليّ »

فلم ترفض الفتاة سؤال الروماني . فالتفتت وجعلتْ نظر اكتافيوس يقع على وجهها . . . فظهر لها وجهٌ يعجز كلُّ لسانٍ عن وصف بهائهِ الملكي . وقالت بصوت لطيف خاشع : « طوبى للنقيّة قلوبهم فانهم يعاينون الله ! »

بعد هذا لم يعد اكتافيوس يسمع شيئاً . ولم يشعر الّا وهو بغرفة في احد فنادق بيت لحم ، وهو منحنٍ على مرفَع (طاولة) ورأسهُ بين يديهِ . . . ثمّ انتصب فجأةً وخُيّل اليهِ انَّ نوراً عجيباً قشع الظلام . فاسرع الى سطح يُطلُّ على البريّة المجاورة ،

فشاهدها تتألق ضياء ، واحس بان صمت ذلك الليل الهادئ قد انقطع ، واذا انغام بعيدة تحمل اليه هذه العبارة العذبة المؤثرة : « السلام لبني البشر ذوي الارادة الصالحة ! »

. . .

من ذلك الحين ، لم يعد اكتافيوس يبحث ، بل صار يؤمن ويحب . وذلك السلام الالهي لم يفارقه اصلاً . وما مرّ على ذلك الاحصاء شهران حتى مات . . . وآخر كلمة لفظها هي اسم تلك التي صادفها قرب بيت لحم . ففاضت نفسه وهو يقول : « مريم ! »

وبحثوا في مذكرات هذا الروماني الشاب ، فوجدوا أنها انتهت في ٢٥ كانون الثاني وقد ختمت بهذه الكلمات : « طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله ! » ووجدوا في ذيل هذه الكلمات اسم تلك التي قدست شفتيه عند ساعة موته ، ألا وهو اسم « مريم »

(عن رسالة قلب يسوع)

خطة حديثة لتهذيب الناشئة

لحضرة الاب يوسف مناسا اليسوعي

للانسان خواطر تجيش في صدره وافكار تتضارب في رأسه ، ان هو فسح لها حملته الى اقاصي حدود الشطط ، وقذفت به الى مواطن التهوس . شأن امرأة تطرفت بهواجسها مؤثرًا وشردت بتصوراتها . ويا حبذا لو وقفت دون ذلك الحد ، بل راق لها ان تخطو خطوة الى ان تجاهر بتلك المبادئ . فرغبت الى جلة شبيبتنا ان تنكب بهم عن محجة مقاليد اجدادنا ، وتحيد عن افكار قررتها العصور السوالف . وكان أن لحسن طالعها ، مدت اليها الظروف يد الاعانة

حظيت تلك السيدة باقتراح رفعه اليها نادي شبيبة زاهرة في احدى مدننا

العظمى. فلبّت دعوته عن طواعية وارتياح... أمّت ذات ليلة قاعةً رحبة تألّب اليها الشبان من كل صوب فغصّ بهم المكان. وما كانت الّا هنيهة حتى نهضت الخطيبة من صفوف الحاضرين، تتهادى تحت وقر افكارهـا... ثم تسلّقت درج المرسح، واستهلّت خطابها بصوت جهوري ينبعث من صـدر قوي موقن بمتانة الحجّة، واثق بصحة الدعوى....

وخطيبتنا من ذوات الحنكة وربّات الافكار... ممن يُستشفى برأيهن ويُرجع اليهن فيما يهم من الابحاث!... قالت «انها نظرت ملياً في تثقيف الناشئة فشقّ عليها منظر ذاك النهج المألوف، الذي يسلكهُ الوف مؤلفة من الاساتذة وتلامذتهم على غير دراية... فما اجدرنا، معشر الحضارة وارباب الغيرة الملتهمة، ان نعدل عنه جرياً على سُنَن التقدُّم والارتقاء، وخوفاً على احداثنـا اليوم ورجالنـا الغد من التورُّط في الجهالة....»

اياك والعجب يا هذا... فلو ابديت الدهش من مثل تلك التصريحات نسبوك الى غباوة رأي وخُرق عقل... امّا الخبير اللبيب على رأي السيدة المصلحـة فكلها دقّق وامعن في ادارة مدارسنا، زاده ذاك المشهد اسفاً... هنـاك امور يكاد لا يؤسى كَلْمُها ولا تُسَدُّ ثُلمتها... الّا بتقويض صَرح تلك المعاهد، وتشييد غيرها على انقاضها، ولولا ذلك لحملنا تيّار الامور الى وخيم العاقبة

واليك، ايها القارئ اللبيب، شيئاً ممّا قالته الخطيبة في صدد ذاك الأَوَد: «قد سمعتُ الاباء يتأوّهون، بل شاهدت الأمهات يذرفن الدموع مدراراً على مـا لحق اولادهم من الأسقام والعلل، ناهيك بالاسباب: هنـاك بين جدران ساحة يقضي الشابّ معظم وقته في الجهد الجهيد ليتلقّن علوماً عديدة، ويتدرّب على فنونها بالتمارين الشاقّة، من نموذجات يضطرُّ بالكد الى ان يودعها ذاكرته يومياً...، ومن فروض يُكرَهُ على إنجازها... ثم مراعـاة السكوت، ثم المآكل الشظفة، ثم الفحوص وما تقتضيه من التعب والقلق والخوف والحزن، والى غير ذلك ممّا يكدّر على تلك الشبيبة الغضّة صفاء عيشها، ويذهب بنضارتها، الى الامراض التي لا تُعالج، والكآبة التي لا تُكشف!... واهاً لشبيبتنا احدقت بها المحن من كل جانب!.. ويا لها من مدارس حاكت بل فاقت السجن الاسود القاتم والاشغال الشاقة!....

« ولو قابلتَ بين خير تلك المعاهد ونفعها . وقارنت بين شرورها وخيراتها أتعذَّر عليك ترجيح الثانية على الاولى . فكم وكم يجهد التلميذُ خاطرُه ، ويفرغ الآباء اكياسهم وراء تلك الضالَّة المنشودة ! . واي ضالَّة ! ليتها تُجدي ولو قليلًا ! ليتها تفيد ولو ذرَّة ! لاسيما حين ولوج الشاب معرك الحياة . . امري ماذا تجدي آنئذٍ الرياضات العليا ؟ ماذا تجدي ادبيَّات اللغة . وفنّ الخطابة ؟ ماذا يُجدي العروض والفلسفة ؟ ماذا تجدي سوى التشدُّق والتقلسف والتعجرف ؟ فذلك لمَّا يحمل المرء على نبذ البساطة والسذاجة ، ويبعثه على التخلُّق بصفات تُقصيه عن ذويه ! . . . »

هذا ما صرَّحت به الخطيبة وما انها من ذوات الفكر اللواتي لا يرمُقنَ الامور الَّا من وجهتها العمليَّة ، أحبَّت ان تشفع وصف الداء باقتراح الدواء . فارتأت ان التلاميذ لو أُطلق لهم العنان وفُسح لهم في تدريسهم وفقاً لاميالهم ، لترتَّب على ذلك فوائد جزيلة . لان سيرهم هذا من تلقاء انفسهم ، يؤدّي بهم الى درجة شائقة من الرقي والتهذيب ، وربما برعوا فيهما وبرَّزوا . . ولا عجب : أفليس في قلوب هؤلاء الاحداث قوًى أبتْ الَّا الشرّ والازدهار ؟ فانَّى البلوغ اليها لو تصدَّى الاساتذة للناشئة يضغطونها تحت تعاليمهم الباهظة ، ويقسرونها بنير سلطتهم التي ليست على شيء من الفطنة والحرّيَّة والانسانيَّة ؟ . . اوما تظلّ تلك القوى مستكنة في قلوبهم كالنار تحت الرماد حتى الخمول . حتى الموت ! . . (كذا)

وختمت بقولها : عليكم اذن ايها الآباء ان تُصلحوا الخلل وتحسموا الداء ! اولادكم في سجنٍ موثقون هلموا فاكسروا قيودهم ، هيُّوا الى ذاك السجن وانزعوا من شقائه هؤلاء التعساء . اياكم والتقاعد في سبيل تحريرهم ، بل اسرعوا اليهم اشفاقاً منكم على صحَّتهم من ان تعتريها الاسقام فتُنهكها وتفسدها مدى الحياة ! ايها الآباء اتركوا اولادكم يمرحون في الحقول والمروج تارةً يتسلَّقون الاعشاب وطوراً يهبطون في السهول . بين ازهار تنعش بعطرها ، وطيور تطرب بتغريدها ، ومناظر تفتن ببدائعها ، حتى اذا قضوا النهار على ذاك المنوال ، وهمّ اولادكم بالاياب — لو احبُّوا ! — فلا شك انهم يشعرون بانفسهم وقد قطعتْ مرحلةً بل مراحل في طريق الكمال ! . . . ولو تحقق ذاك في بضع ساعات فما عسى النتيجة ان تكون مدة اشهر او سنين ! . . (كذا)

***

أجيل بها من افكار تمكن جأش الآباء وتطمئنهم عن مستقبل اولادهم . وتغنيهم عن بذل المال بكلتا الحفنتين ! أجيل بها من افكار ارتأت الا مناصرة الضعفاء على من اغلظوا عليهم وناق التهذيب ! . .

ولكن وددنا من خطيبتنا لو أشبعت الكلام في ذاك الموضوع ، فجلّته من جميع وجوهه ولو فعلت لهان علينا المقارنة بين تهذيب الناشئة كما ألفناه بمزاياه وعيوبه ، وبين الخطة التي ابتدعتها مع مزاياها وعيوبها . . هب ان لم تخلُ من آفات ! . .

ولعلّ سيدتنا تلطّفت وتلهّبت على مدارسنا لما أوتيت من دماثة الاخلاق وسماحة السجية فلو لم يكن سوى ذلك لأثنينا على لطف طباعها وشيمها المحمودة . . غير ان الخطيبة ركبت الامر على غير بيان فرمت الكلام على عواهنه . وكأني بها اغفلت ذاك المبدأ المنطقي بعد ان تصفّحته في سفر الطبيعة ، وهي تجول في اريافها البديعة ، وهو ان الآفات العرضيّة لمّا لا يُكترث له بالنسبة الى جوهر الامور . فتلك الاعراض ربّما طرأت اليه بعد تكوينه ، او بارحته قبل عطبه . ومن ثمّ تميزت عنه . — ومثل ذلك في كوننا الاجتماعي ، ألا ترى كل ادارة ولو برزت على اكمل منوال ، كثيراً ما تعتريها نقائص تكون تتسرّب اليها من الخارج فتشوّه وجهها ، وتعيق حركتها ، وربما ذهبت بحياتها ، ولو وقف العاقل على جلية الامر لما نسب الى تلك الادارة خللاً اصابها بالعرَض من الخارج

اجل نسلّم بوجود نقائص عديدة جسيمة داخلت ولا تزال تداخل بعض معاهدنا فمنها ما اصبحت عقيمة التنائج ، مضرّةً للهيئة الاجتماعيّة . . . . ولو وددنا لتلك المدارس المتورّطة التملّص من ورطتها ، وأمّلنا لها نجاحاً هي جديرة به ، لوجب ان نُعمل المبضع في اعضائها الفاسدة فنبيد الداء «العرضي» دون ان نهلك معهُ الجسم والحياة . . كما تزعم الخطيبة برأيها المتطرّف

وقد شطّت في غلوائها وبالغت في ضلالتها ، باطلاقها حكمها على سائر المعاهد طُرّاً دون امعان وروية او نسيت تلك المحنّكة أن بلادنا حظيت بمدارس حافلة بالشبيبة توافيها من اقاصي الاقطار ، رغبة منهم في العلوم المتقنة والمبادئ الراهنة ؟ فلو لم تكن المعاهد على شيء من الجد فكيف اصبحت محطّ ثقة الآباء وآمال

الابناء ؟ ولو كانت سجناً تموت فيه الشبيبة وُجوماً،وتذبل على مقاعده زهرتها جزعاً، فما معنى ذاك الحبور والجزل والبهجة التي تبدو على محيا هؤلاء الشبان ؟...وكم وكم شاهدنا اكثرهم ، وهم على وشك الوداع والمبارحة لها ولمعلميهم، يُعربون عن اسفهم وكآبة قلوبهم !..فيتعدون وذكر «سجنهم» يؤانسهم ويسامرهم في حياتهم الجديدة ، يترصّدون فيها فرصة تجمعهم ولو ساعةً باساتذتهم وسالف رفقائهم !... لعمري ما ذاك الامر الخارق ؟ سجين يهوى سجنه . وموثق يحب سلاسله !..

...

وهنا امرٌ آخر لعلَّ الخطيبة لم تقف عليه في تنزاهتها . او ذهلت عن ذكره وهو ان الاعمال تشفّ عن حقيقة علّتها كما ان الثمار تكشف عن طبيعة شجرتها .— قد ثبت لدى كل ذي بصيرة وخبْرة أنعددًا اوفر من ان يُحيطَ بهِ احصاء من متخرّجي مدرستنا بعد ان جاهدوا بعض الجهاد في مضمار الحياة،ما لبثوا بان فاقوا على اترابهم، فحازوا قصب السبق ، وما زالوا يجرون الى ابعد الغايات حتى وصل بعضُم الى ما تمناهُ منها . وكان فوزُ هؤلاء النوابغ للمعاهد التي تخرّجوا فيها اقوى داعٍ للمفاخرة

...

اما الخطة التي فكّرت السيّدة المتشدّقة في تعزيزها فانّنا نخالها من الخوارق. ولو لم يبلغنا عنها ، أنها تعاشر الناس وتؤالفهم ، لقلنا إنها لا تخلو من اللمّم والوسوسة

نسيَتْ ان الفتيان ، مهما أوتوا من العقل والحزم وسائر القوى الغريزية ، فليسوا في غنى عن التثقيف والتهذيب . فانَّ قلوبهم وان لانت وحَسُنت لا يكاد ينمو فيها الزرع الّا وتكتنفه الاشواك فتضيّق عليه حتى تخنقه . لا مشاحّة ان غرائز نفيسة اودعتها العناية الالهية قلوب فتيان وفتيات ان أُهملت لا تلبث ان تفسدها الاميال المنحرفة.. ولا تزال ان تعيث فيها فسادًا حتى تذهب بقوتها ونضارتها وحياتها .— نسيت ان الطبيعة لما فيها من جراثيم الفساد لن تأتي بشيء مستحسن ، لو تُركت وشأنها

وددنا لو فطنت الخطيبة لتلك الحقائق السلامة — وددنا لو باشرت الحقائق البشرية كما يرمقها البشر ، لا من خلال تصوراتها ، بل مباشرةً باعينها — وددنا لو نظرت في الكون بما هو عليه ، من التناسق والتآلف والقوى والآفات — وددنا..—

وليتها بعد سالف تهوّرها في سبيل الضلال، ترجع الى منهج الحق فتهتدي به، وتطاب اليها بالحاح الّا تُلقي لشبانتنا فتُورطهم في الغرور، ولا تسوّل لهم التغرير فيزيغوا عن وضح المحجّة. ثم نوعز اليها ألّا تتأنق من الآن فصاعدًا منابر الخطباء قبل ان تمحص كلامها وتعرضهُ على بودقة السداد ومحكّ الرشد والانتقاد

صورة ايمان السيّد اغناطيوس متى

بطريرك السريان اليعاقبة (١٧٨٢–١٨١٧)

نشرها حضرة القس اسحاق ارمله

تمهيد

في خزانة الكتب خاصّة كنيسة السريان الكاثوليك بماردين صورة ايمان السيّد اغناطيوس متيوس او متّى بطريرك السريان اليعاقبة واقراره بحقائق الكنيسة الكاثوليكيّة. وهي مكتوبة بخطّ يده بتاريخ سنة ١٨١٥ وقد روينا اخباره في المشرق عام اوّل (ص ٦٦٥) وذكرنا هناك هذا الاثر المحفوظ في خزائن الدار البطريركيّة فاستنسخناهُ واليك نصّ صورة الايمان بحروفها ا . ا

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

اعلم ايها الشعب المستفهم أرشدنا الله واياك بنوره الساطع آمين

نبتدئ بوجوب الحمد لله الذي على رجائه ابتدأنا بشرح حقائق الايمان البطرسيّ القاثوليقيّ الذي اعلنهُ الله ذاته للطوباويّ بطرس هامة الرسل وصرّحت به تقاليد السيد المسيح نفسهِ واستودعهُ الى خلفائهِ وهم الاحبار الرومانيّون القائمون والثابتون في الكرسيّ الرسولي الرومانيّ المؤسّس والكائن في بيعة رومية التي شادها المسيح ووكلاؤه اعني الطوباوي بطرس وسائر الرسل. ولذلك اشهد بكلّيّتي وبكلّ عزمي

انَّ كلَّ من هو خارج عن هذه البيعة المقدَّسة الرومانيَّة لا مناص ولا خلاص له البتَّة

﴿امَّا بعد﴾ فاذ كنتُ انا الحقير في رؤساء الكهنة المدوَّن اسمي بذيله مترقباً الفرصة اثناء بطريركيَّتي لاشهار الايمان الارثوذكسيّ القديم الحاوي سبيل الخلاص المستقيم لم يسهل لنا ذلك الى حين شيخوختنا وذلك لسبب السجن والقلق والحوادث المتراكمة علينا ولاسيما لتفاقم الاضطهادات والمجادلات الصائرة بين طائفتنا وغيرها ممَّن كانوا ينسبون الضلال والطغيان في الرأي لطائفتنا السريانيَّة

ولكن بالحقّ والصواب ما انتبهنا الى ضلالة هذا الشعب الغفير ونكرانه حقائق دين المسيح وسُنَنِهِ وابتعاده عن الخلاص بعداً شاسعاً . فابتهلنا عند ذلك الى ابي الانوار ليعين ضعفنا ويؤيّدنا لنتمم بغيتنا ويُيَسِّر لنا سبيل الوصول الى مينا الخلاص ويخمد عنا جميع الغوائل اللاحقة بنا لنستطيع اشهار هذا الايمان الارثوذكسيّ المقدَّس باسعاف المراحم السامية

فحينئذٍ حركتني النعمة السماويَّة لتبيان واثبات الحقائق الدينيَّة وحصلَتْ لي واسطةٍ ملائمة لتكميل مقصودي بوجود غصن ولدنا المبارك المطران بهنام (١ الذي اقناه بأمرنا ومساعينا ووَضع يدنا بطريركاً على هذه الطائفة السريانيَّة المشوشة . وفرحنا جداً لما شاهدنا هذا الاخ يسعى في انتشار الايمان البطرسيّ المقدَّس وفي تكميل أربنا . وسلَّمناه هذه الوثيقة لعلَّهُ بواسطتها تنهدم الحصون ويكون كمال المأمول . وليكن معلوماً ان كلَّ ما اوضحناه هنا لا يقال قسراً او جبراً عليّ بل انَّما اوضحناه تبريراً لذمَّتنا وصيانةً للايمان القاثوليقيّ المقدَّس المثلوب منَّا ظلماً وعدواناً وخشيةً من احكام الله العادلة الرهيبة قاصدين بذلك خلاص نفوس الخراف المستودعة لنا ونجاتها من الهلاك الابدي . ونأمر امراً قاطعاً بالجزم والحرم على كلّ من يقاوم ويضادّ عبوديَّتنا . وليكن ختام خطابنا الى ههنا لانه قد قيل « قليل من الخمير يخمر العجنة كلها » (١ كور ٥ : ٦) وهذا كافٍ لكلّ من يرغب خلاص نفسه . ونسأل الله العناية والتوفيق في الوصول الى كمال المقصود . وها اننا نبتدئ في شرح اعتقاد الايمان الارثوذكسيّ :

(١ اطلب المشرق ١٩٢٣ (ص ٦٦٥)

١ً انا اؤمن ايماناً ثابتاً بجميع ما يتضمّن في قانون الايمان الذي تستعملهُ الكنيسة المقدّسة الرومانية

[وهنا اورد البطريرك قانون الايمان حرفيًّا ثم استتلى قائلًا] :

« اني اكرّم واقبل المجامع العامّة »

٢ً (واقبل) المجمع الاوّل النيقاوي واعتقد بما حكم فيهِ على آريوس المحروم ذكرهُ وان الرب يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد المولود من الآب منذ الازل

٣ً واقبل المجمع القسطنطينيّ الاوّل وهو الثاني بالترتيب واعتقد بما حكم فيهِ على مقدونيوس المحروم ذكرهُ . وان الروح القدس ليس عبدًا او خليقة-بل-هو ربّ والاه ولهُ لاهوت واحد مع الآب والابن

٤ً واقبل المجمع الاوّل الافسيّ وهو الثالث بالترتيب واعتقد بما حكم بهِ على نسطور المحروم ذكرهُ وأقرّ بان اللاهوت والناسوت هما في اقنوم واحد اي في اقنوم ابن الله باتّحاد لا يوصف ولا يُدرك وهو مسيح واحد ولهذا فمريم العذراء الطوباوية هي بالحقيقة والدة الله

٥ً واقبل المجمع الخلقيدونيّ وهو الرابع بالترتيب واعتقد بما حكم فيهِ على اوطيخا وديوسقورس المحروم ذكرهما واقرّ بان ابن الله الواحد سيّدنا يسوع المسيح هو هو كامل باللاهوت والناسوت الاه حقّ من نفس ناطقة وجسد واحد . مساوٍ للآب في الجوهر حسب اللاهوت وهو بعينهِ مساوٍ لنا بالناسوت ومشابه لنا بكلّ شيء ما خلا الخطيئة . وهو مولود من الاب قبل الدهور من جهة اللاهوت . وولد حسب الناسوت من العذراء مريم والدة الله في آخر الأيام من اجلنا ومن اجل خلاصنا . فالربّ المسيح الواحد الابن الوحيد يجب ان يُعرف انهُ في طبيعتين بغير اختلاط ولا تغيير ولا انقسام وقد ثبتت الطبيعتان باقنوم واحد . وهو اقنوم الابن الوحيد الاله الكلمة الربّ يسوع المسيح

٦ً واعترف ان لاهوت سيدنا يسوع المسيح هو غير قابل الآلام والموت كما تحدّد في المجمع المذكور وفي رسالة القديس مار لاون البابا الرومانيّ الذي نادى بهِ الآباء في ذلك المجمع بعينهِ قائلين ان مار بطرس الرسول قد تكلّم بفمهِ . وحُرمت

بذلك التحديد بدعةُ الذين كانوا يزيدون على التقديسات الثلاث « الذي صُلب عوضنا » لانهم بقولهم هذا يعتقدون ان طبيعة الاقانيم الثلاثة الالهية يمكنها ان تتألم وتموت

٧ً اقبل المجمع القسطنطيني الثاني وهو الخامس بالترتيب الذي تكرَّرت فيه قضيّة المجمع الخلقيدوني المذكور

٨ً واقبل المجمع القسطنطينيّ الثالث وهو السادس بالترتيب واعتقد بما حُكم فيه على المنوثليّين القائلين ان في المسيح مشيئة واحدة . واعترف ان في سيدنا يسوع المسيح مشيئتين وطبيعتين وفعلين بلا انقسام ولا تغيير ولا انفصال ولا اختلاط . وان المشيئة الانسانية ليست بمخالفة لارادته الالهية القادرة على الكل بل هي مطيعة لها

٩ً واقبل المجمع الثاني النيقاويّ وهو السابع بالترتيب واعتقد بما حكم فيه على محاربي الايقونات والصور المقدّسة وانه يجب علينا ان نحوي عندنا صور المسيح والعذراء والدة الله وسائر القديسين ونكرّمها

١٠ً واقبل المجمع الرابع القسطنطيني وهو الثامن بالترتيب واعتقد انه بحقّ حَرَم فوتيوس واستردّ القديس اغناطيوس البطريرك

١١ً واني اكرم واقبل المجامع العامّة الاخر التي اجتمعت باذن البابا الروماني حسب القوانين وتثبتت بسلطانه خصوصاً المجمع الفلورنتينيّ . واعتقد بما حُكم فيه اعني ان روح القدس منبثق من الآب والابن ازليًا كأنّهما مبدأ واحد لهُ ولذا فقد زيدت في قانون الايمان « ومن الابن » بكلّ صواب للايضاح

١٢ً اعتقد ان جسد المسيح يتقدّس حقًا في الخبز القمحيّ خميرًا كان او فطيرًا . وان الكهنة ملزومون ان يقدّسوا على كليهما كلّ واحد حسب عادة كنيسته غربيّةً كانت او شرقيّة

١٣ً ثم ان التائبين حقيقة ان ماتوا بمحبّة الله ولم يتطهّروا تماماً تتطهّر ارواحهم في عذابات المطهر . ولكي ينجوا منها تفيدهم معونة المؤمنين الاحياء اعني القداديس والصلوات والصدقات والفضائل والاعمال الصالحة . . . امّا نفوس الذين تطهروا بعد سقوطهم في الخطيئة فانها تُقتبل في السماء وتعاين الله جهرًا . كل واحدة حسب استئهالها . امّا الذين يموتون في الخطيئة الفعلية المميتة او في الاصلية فلوقتهم يهبطون

الى الجحيم ولكن عقوباتهم مختلفة

١٤ً ثم ان الحبر الروماني له الرئاسة على المسكونة كلها . وهو خليفة مار بطرس رئيس الرسل ونائب المسيح حقاً ورأس البيعة جميعها وابو المسيحيين اجمعين ومرشدهم وقد استلم في شخص مار بطرس السلطان الكلي من سيدنا يسوع المسيح ليرعى ويهدي ويدبّر جميع البيعة حسبما يقال في رسائل المجامع المسكونية وفي القوانين المقدسة كما يشهد المجمع الفلورنتيني المذكور

١٥ً واعتقد ايضاً ان نواميس الشريعة العتيقة قد بطلت بمجيء ربنا يسوع المسيح وان تحريم الرسل أكل ذبائح الاصنام والدم المخنوق كان واجباً لتلك الازمنة فقط

١٦ً واكرّم واقبل المجمع التريدنتيني واعتقد بكل ما حكم وشرح فيه خصوصاً في مسئلة ذبيحة القداس والاستحالة

١٧ً واعتقد ان اسرار الشريعة الجديدة هي سبعة وكلها تمنح النعمة . وان المعمودية والميرون ودرجة الكهنوت لا يمكن ان تتكرّر

١٨ً وان المعمودية ضرورية للخلاص ولاجل ذلك يجب ان تُعطى حالاً دون تمهل ولكلّ من كان ان يعطيها في خطر الموت بالمادّة والصورة المفروضة

١٩ً ثم ان رباط سرّ الزيجة لا ينحلّ وان كانت جائزة مفارقة الزوجين بالمضجع والمساكنة لسبب الزنى والهرطقة او لاسباب اخرى ولكل لا يجوز ان يتزوّج احد منهما بآخر

٢٠ً ينبغي لنا ان نقبل تقاليد الرسل والكنيسة ونكرمها

٢١ً ثم ان السلطة على غفران العقوبات قد أبقاها المسيح في البيعة ويفيد استعمالها جماعة المسيحيين للخلاص

٢٢ً اني اقبل ما حكم به مجمع مدينة ترنتو المذكور على الخطيئة الاصلية والتركية وعلى عدد الكتب المقدسة العتيقة والحديثة

٢٣ً اني اقبل واعتقد بما تقبلهُ وتعترف به الكنيسة المقدسة الرومانية واحرم وأرفض وألعن جميع الاضداد والانشقاقات والبدع المحرومة والمرفوضة والملعونة من الكنيسة المذكورة

٢٤ ثم اني احلف واعاهد بالطاعة الحقيقية للبابا الروماني خليفة بطرس الطوباوي رئيس الرسل ونائب سيدنا يسوع المسيح

هذا هو ايمان الكنيسة القدسة الكاثوليكية التي لا يمكن لاحد الخلاص خارجاً عنها. فانا الآن اعتقد به بارادتي واتمسك به بالحقيقة واحفظهُ واعترف به الى آخر حياتي بمعونة الله. واجتهد بقدر قوتي ان كل رعيتي والذين هم تحت تدبيري يتمسكون به ويعلمونه ويكرزونه. وانا هكذا اعد وانذر واحلف هكذا الله يعينني وهذه الاناجيل المقدسة

المقرّ بما فيه

الحقير في رؤساء الكهنة متيوس

بطريرك السريان الانطاكي

جرى ذلك سنة ١٨١٥

[وفي آخر الصك الكتابة الآتية محفورة هكذا على ختم البطريرك متى]

ديار بكر	يا رب سهّل الامور	الموصل
ولورفه	مار اغناطيوس	وماردين
وحلب	بطريرك السريان	ودير الزعفران
والشام	متيوس	

مطبوعات شرقية جديدة

L'Abbé P. Pourrat: La spiritualité chrétienne. I. Des Origines de l'Eglise au Moyen Age, 6e *éd.* — II. Le Moyen Age, 4e *éd.*, *in*-12, *Paris, J. Gabalda, chaque vol.* 10 f.

التآليف الروحية في اوائل الكنيسة وفي القرون الوسطى

حبذا الكتاب الذي لا غنى عنهُ للكهنة والرهبان واهل التُقى ليعرفوا ما نُشر في الكنيسة الشرقية والغربية من التآليف الروحية مع وصفها وتعريف مؤلفيها وتأثيرها في نفوس المسيحيين وذلك منذ نشأة الكنيسة وعهد الرسل الى اواخر القرون

الوسطى في الجيل الخامس عشر . وقد اصاب هذا الكتاب رواجاً عظيماً حتى تعدَّدت طبعاتهُ مع قرب عهدهِ فبلغ الجزء الاوَّل منهُ الطبعة السادسة والجزء الثاني الطبعة الرابعة . ولا يزال مؤلفهُ يزيدهُ تحسيناً في كل طبعة ويستفيد ممَّا يُنشر في العالَمَيْن من هذا القبيل .

Fr. Lemineur: Mystères de la Nature-Lumières de la Foi. 1 *vol. in*-16, *illustré, Paris, de Gigord*, 1922

اسرار الطبيعة وانوار الايمان

قد وُضع هذا الكتاب لافادة الشبيبة فان صاحبهُ يصف لهم على طريقة شائقة اسرار الطبيعة وعجائبها المادّيَّة ثم يرقّي بعقولهم الى ما فوق ذلك من ضياء الايمان . وقد قسم كتابهُ الى ثلثة اقسام وصف فيها قدرة الله غير المتناهية ثمَّ عقلهُ غير المتناهي ومحبّتهُ غير المتناهية فبيَّن ما بثَّهُ في الكون من آثار قدرتهِ ومجالي عقلهِ ومظاهر حبّهِ . وهناك فصول لطيفة في وصف الفلك وفي التاريخ الطبيعي وتاريخ التمدُّن تفيد المعلّمين والمتعلّمين معاً . والكتاب مزيَّن بالتصاوير الحسنة

E. Baudin Prof. à la Fac. de Théologie Cath. de l'Univ. de Strassbourg : L'Evangile. 1 *vol. in*-16, 1922, 2e, *éd.*, *Paris*, *De Gigord*

الانجيل الشريف

غاية مؤلف هذا الكتاب ان يقرّب للعموم مطالعة الانجيل المقدَّس وما يحتويهِ من اقوال واعمال ابن الله ليرتشد بها المسيحي ويتَّخذها قاعدةً لسلوكهِ . فقد نقل النصَّ اللاتيني الى اللغة الفرنسويَّة بكل تدقيق وهو يستفيد ايضاً من ترجمتهِ اليونانيَّة ويضيف اليها شروحاً تاريخيَّة وادبيَّة من شأنها ان تُرسخ تلك التعاليم الخلاصيَّة في الاذهان والقلوب ل . ش

Dom Louismet O. S. B. — Le Mystère de Jésus. Gr. in-16, Paris, P. Téqui; Beyrouth, Librairie Chéhab, Prix 3f, 25.

سرّ يسوع

دون لويسماي راهبٌ بندكتي شهير بتآليفهِ الروحيَّة في الحياة اللدنيَّة وكأني بهِ قد وضع رأسهُ كيوحنَّا الحبيب على صدر سيّدهِ ليكتشف ما يكنّهُ قلبهُ من الاسرار

المُحيية . وها هوذا يحاول ان يُعلن بتلك الكنوز الخفيّة للنفوس المتعطّشة للكمال . ففي تأليفهِ هذا الجديد بعد مقدّمات يبيّن فيها لقرائهِ الطريقة المثلى لاعتبار شخص المسيح والاستقاء من مواردهِ العذبة يتخلّص الى وصف حياتهِ على الارض وما باشرهُ من الاعمال السامية في كلّ اطوار تردّدهِ مع البشر الى موتهِ وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء ثمّ ما نجم عن امثالهِ لنهضة العالم من كبوتهِ ولنشر العيشة الفاضلة في كلّ اقطارهِ وبين كلّ أُممهِ . فهذا الكتاب من شأنهِ ان يعزّز في القلوب محبّة الاله المتأنس ويبعث فيها قوّة جديدة لاقتفاء فضائلهِ الالهيّة . وهو محرَّر بانشاء فنّان غاية في البلاغة والانسجام

Lelong (Mgr) : Catéchisme de la Vie Religieuse 1 *vol. in*-32, *pp.* 216, 2e *éd.*, *Paris et Beyrouth, chez les mêmes, Prix* 2 *f*

تعليم السيرة الرهبانيّة

السيّد لولون كان اسقفاً على مدينة نيفار في فرنسة وكان قبل وفاتهِ وضع كتاباً مفيداً للرهبان جمع فيهِ كلّ الابحاث اللاهوتيّة والقانونيّة التي ترشد طلبة الرهبانيّات الى معرفة واجباتهم ليقوموا بها كما ترغبهُ الكنيسة ويقضي بهِ الضمير . فجدّد خلقُهُ طبع هذا الكتاب وبيّن فوائدهُ الجمّة ل . ش

Tissier (Mgr) : I. Les Femmes de Bien. Leurs influences, leurs prières, leurs vertus. — II. La Doctrine de nos Fêtes, Les Fêtes de circonstances. 1 *vol. in*-12, *Paris, les mêmes, Prix* 3 *f et* 7 *f*, 50

نساء الخير – التعاليم الناجمة عن الاعياد

بين كتبة فرنسة للسيد المنسنيور تيسّو مقام رفيع لكثرة تآليفهِ الاجتماعيّة والادبيّة والدينيّة . وكان أتحف النساء بعدّة مصنّفات راقت لديهنّ مع ما كان يعرضهُ عليهنّ من فرائض الكمال الراقية وها هو قد ألحق كتبهُ السابقة بتأليف جديد من شأنهِ ان ينشّط النساء على كلّ الاعمال الخيريّة بما يعرضهُ عليهنّ من امثال كثير منهنّ ممّن شرفن الدين والوطن بممارسة أجلّ الفضائل — ولسيادتهِ كتابٌ آخر يحتوي خطبهُ التي فاه بها في حفلاتٍ مختلفة واعيادٍ اجتماعيّة كإنشاء مشروع خيري ووضع حجر اوّل لكنيسة وجلوس اسقف جديد وبركة جرس او ارغن وغير ذلك من المواسم

الطارئة عرضاً . وهو الآن يشتغل بتأليف خطب للاعياد الكنسيّة الرسميّة سوف تحظى كتآليفهِ السابقة بما تستحقهُ من الرواج

Feige (Chanoine) : Hâtons-nous de devenir des saints. 1 *vol. in-32, Paris, les mêmes, Prix* 1 *f*

لنسرعنَّ الى تقديس نفوسنا

هو النداء الذي وجّهتهُ الكنيسة الى ابنائها في هذا الشهر المبارك بل توجّههُ اليهم كلّ حين . فاحبَّ القانوني الاب فَيج ان يكرّر ذاك النداء ويتوسّع في معناه فوضع هذا الكتاب الصغير وبيَّن فيهِ الدواعي العديدة التي تضطرّ المسيحي الى نهج طريق القداسة كقصر الحياة ونعم الله اليهِ والدينونة والثواب . فسعى نداؤهُ يلقى آذاناً صاغية بين جميع ابناء الله

Rouzic (abbé) — 1° La Maison — 2° La Mère. 2 vols. in-32, Paris, chez les mêmes, Prix de chacun 5f, 50

١ً البيت — ٢ً ربّة البيت

هوذا كتيّبان صغيرا الحجم كبيرا الفحوى كنّا نودّ ان نراهما في ديوان كلّ البيوت لجليل فوائدهما . فالاوّل يستقري كلّ جهات البيت والثانية مادّياً وروحيّاً واقتصاديّاً على صفة جامعة بين الدقّة واللذّة لو استوفى اهل البيت شروطها اضحى مقدساً وبيئة للسلام والهناء . والثاني دليل مُمتع لربّة البيت فيرشدها الى جميع واجباتها نحو زوجها وبنيها وذاتها ويعظّم مرتبتها بمعرفة شرف الدعوة التي ندبها الله اليها في ذلك اذ تخدم الدين والوطن خدمةً تستوجب لها الثناء قدّام الله والناس ل . ش

P. Bonnetain: Officier et Apôtre, Le Lieutenant Marcel Antoine. 1 *vol., in-12, pp. XXXIV-320.* 1924, *Paris, les mêmes, Paris,7f*, 50

الضابط مرسال انطوان

قد اظهرت الحرب الكونيّة الاخيرة ما في قلب بعض الضبّاط والجنود الفرنسويين من عظم الفضل وسامي الفضيلة . والى مثل هؤلاء نعزي انتصار فرنسة اكثر من سلاحها ومدافعها . ومن جملة اولئك الابطال ضابط يُدعى مرسال انطوان دخل في

هذه الحرب كضابط ملازم واعتبر نفسهُ فيها كرسول يدعوهُ الله بتضحية نفسه وبقدوته الصالحة ليكون مثالاً لجنوده وهكذا كان. وهذه ترجمة حياته التي ختمها بسيرة الابطال والقديسين مما قد كتبها احد رؤساء الكهنة الاب برنتان ليخلّد ذكر ذلك الشهم. وفي الحقيقة لا يستطيع احد ان يطالع تفاصيل سيرة هذا الضابط الا يمجد الله في قديسيه فيصرخ مع النبي (اشعيا ٥٩ : ١) انَّ يمين الرب لم تقصر وهو عجيب في اوليائه

Abbé Ch. Quénet : L'Unité de l'Eglise. Les églises séparées d'Orient et la réunion des églises. 1 *vol. in-12*, 1923, *Paris, de Gigord, Prix* 5 f.

وحدة الكنيسة . كنائس الشرق المنفصلة واتحادها

هذه محاضرات القاها الكاهن كينه في بعض نوادي باريس بحث فيها عن المسائل المنوطة بوحدة الكنائس . افتتحها ببحث لاهوتي عن عمل الروح القدس في جسم الكنيسة ثم أعمل النظر في مسائل تاريخيَّة تتعلَّق بهذه الوحدة كمسئلة رأس الكنيسة واصل الانشقاقات التي حدثت في الشرق لاسيما انشقاق بوزنطية وما طرأ على الكنائس الشرقيَّة من الفواجع المؤلمة . ثمَّ يتخطَّى الى ذكر ما صنعهُ البابوات ليحسموا داء الشقاق ويعيدوا لكنائس الشرق بهاءها المفقود . وهو يؤمّل ان احوال العالم الحاليَّة قد فتحت باباً جديداً لإزالة كلّ سوء فهم بين الشرق والغرب ويحضّ القرّاء على تقريب هذه الوحدة المرغوبة بصلواتهم وتضرّعاتهم . وقد وقع في الكتاب بعض الاغلاط كقوله مثلاً (ص ٥٠) انَّ البابا اناقليتوس عاش في القرن الاوَّل للميلاد والصواب القرن الثاني (١٥٤—١٦٦) — ليس مجمع انطاكية سنة ٣٤٠ الذي حكم زوراً على القدّيس اثناسيوس بل مجمع صور سنة ٣٣٥ . وكان دخول اليسوعيين الى الاستانة مرَّة اولى سنة ١٥٨٣ ليس ١٥٦٤ وهلمَّ جرّا

Abbé J. Calvet: Le Problème Catholique de l'Union des églises. 1 *vol. in-12*, 1921, *Paris, de Gigord*

المطلب الكاثوليكي في وحدة الكنائس

يبحث هذا الكتاب كالتأليف السابق عن اتحاد الكنائس بتركز الوحدة . لا

بل تقدَّمهُ فان صاحبهُ كان اختار هذا الموضوع نفسهُ وعرضهُ على اهل باريس في كنيسة حضرة الآباء اللعازريين وذلك في التساعيَّة الحافلة التي تسبق عيد العنصرة واشاعها قداسة البابا لاون الثالث عشر لاستمداد اتحاد الارواح من الروح القدس . فكان كلّ يوم من تلك التساعيَّة يخطب في الكنيسة ومميزاتها ولاسيما وحدتها كما انشأها السيّد المسيح ثم تتبَّع تاريخ الكنائس وما اصابها من ضربات العدوّ الجهنمي من قبل البدع والهرطقات في انكلترَّة وبوزنطية وروسيَّة ثمَّ يسعى بايجاد الوسائط لشفاء هذا الداء العياء وقد قرب على ظنّهِ وقت الاتحاد . حقَّق الله امانيهُ

Chavannes(E.):FABLES CHINOISES DU IIIe AU VIIe S. DE NOTRE ÈRE, traduites, mises en vers et ornées de 4 dessins, 1 *vol.*, *in*-12 *s. d.*, *Paris*, *Editions Bossard*, *Prix* 4 *f*, 80

امثال صينيَّة

المسيو شافان احد المستشرقين الحاذقين بلغة اهل الصين وآدابهم فاحبَّ ان يختار عدَّة امثال وقصص حكميَّة اقتطفها من كتبهم القديمة التي تتراوح بين القرن الثالث والسابع للمسيح فنقلها الى اللغة الفرنسويَّة ونظمها بالشعر وزيَّنها بتصاوير صينيَّة رائعة من ريشة المصوّرة كربليس . فهذا اثر جميل من الشرق الاقصى يحسن بواطنينا ان يمعنوا فيهِ النظر ج . ل

I S. Le Paslier: 1° UN PARI, pièce en 1 acte (3 f, 50)— 2° LA FOI QUI SAUVE, pièce en 4 actes pour jeunes gens(5 f) = Paul Chanson : St JEAN BAPTISTE, mystère évangélique en 7 tableaux (4 f, 50). *Ed. Spes, rue Soufflot*, 17, *Paris*

ثلاث روايات تمثيلية

انَّ محلّ سپاس اخذ على نفسهِ نشر روايات ادبيَّة يحسن بالشبَّان ان يمثلوها على المراسح . وهذه ثلثة منها . فالروايتان الاوليان : المشارطة والايمان الظافر وُضعتا للفتيات . امَّا الاخيرة : يوحنَّا المعمدان فهي للشبَّان تمثل جهات فلسطين وبلاط هيرودس وما حدث فيهِ من اعتقال القديس الصابغ وموتهِ بدسائس هيروديَّا ج . ل

A. G. Michel: La Dictature de la Franc-Maçonnerie sur la France: DOCUMENTS, *Ed. Spes, Paris*, 1924, *pp.* 94

سلطان الماسونيّة المطلق على فرنسة

قد رفعت الماسونيّة رأسها في فرنسة بعد الحرب لظنّها انّ الكاثوليك يسكتون عن دسائسها. وبئس الظنّ فانّ في فرنسة اليوم نهضةً عموميّة لمحاربة تلك الشيعة الاثيمة التي تتآمر على كلّ سلطة شرعيّة كانت دينيّةً او مدنيّة في محافلها المظلمة. ومن أراد ان يقف على شيء من سيئاتها وتسلّطها الجائر فليراجع هذا الكتاب الذي صدر مؤخّرًا بمساعي بعض ارباب الدين والوطن وهم قد ألّفوا جماعةً تعاهدوا مناصبة الماسونيّة وإماطة القناع عن كلّ خبايا ظُلماتهم ل. ش

Le « KITAB AD-DIN WAD-DAWLAT » récemment édité et traduit par Mr A. Mingana, est-il authentique? par le **P. Maurice Bouyges**, s. j., *Beyrouth*, 1924, *pp.* 16

أموضوعٌ هو او مصنوع كتاب الدين والدولة للطبري ؟

الفونس منجانا كاهن موصلي كلداني جنح الى الشيعة الانكليكانيّة منذ بضع سنوات وهو ينشر في انكلترّة بعض التآليف الشرقيّة التي يعثر عليها هناك. فمن جملتها كتاب الدين والدولة المنسوب لعليّ بن ربّان الطبري فيه ردود على النصرانيّة ويقال في صدره انّ عليًّا هذا ساعده فيه (اي في وضع كتابه) جعفر الامام المتوكل على الله امير المؤمنين، وقد أرسل هذا الكتاب الى مجلّة المشرق فوصفناهُ (ص ٥٥١) وبيّنّا ضعف اعتراضاته على النصرانيّة ولم نتعرّض لبيان صحّة نسبته الى عليّ الطبري. وها هوذا احد اخوتنا قد تنبّه فكرهُ الى فحص هذه المسئلة بعد ان لمّح اليها حضرة الاب بيترس من جماعة البولنديين في نشرتهم البولنديّة (١٩٢٤ ص ٢٠٢) فدرس الاب بويج الكتاب درسًا نعمًا وبحث عن مؤلفه وعن نسخته الوحيدة المنشورة ودقّق النظر في محتويات الكتاب وانشائه وزمانه مع ما قدّم عليه ناشرهُ من المقدّمات فوجد في كلّ ذلك ما يلقي الشبهة في صحّته وكتب هذه الرسالة لانتقاده شارحًا فيها الاسباب التي تحملهُ على الظنّ بان هذا الكتاب مصنوع لا يمكن ان يُنسب لعليّ الطبريّ. ووجّه ملحوظاته الى ناظر خزانة كتب رَيلند التي فيها وُجد الكتاب بعرض

عليهِ شكوكهُ في المسألة وها قد مرَّ عليهِ عدَّة اسابيع ولم ينل جواباً ما يدلُّ على انَّ هناك سرًّا خفيًّا لا بُدَّ من ايضاحهِ

P. H. Lammens s. j. : La Mecque a la veille de l'Hégire. Mélanges de l'Université St Joseph, Beyrouth, t. IX fasc. 3, 1924, pp. 342

مكَّة قُبَيل الهجرة

كان آخر ما وضعهُ حضرة الاب لامنس من التآليف في جزيرة العرب كتابهُ عن مدينة الطائف واحوالها قُبَيل الهجرة (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ١٤٨) . وكان كتابهُ المذكور يستدعي ما يوازيهِ بالمعارضة اعني وصف مكَّة قُبَيل الهجرة . وهو الكتاب الذي انجزهُ مؤخَّرًا واودعهُ من المعلومات الواسعة التي استقاها من مناهل اقدم كتبة العرب الذين تصفَّح مخطوطاتهم فضلًا عن منشوراتهم في خزائن كتب الغرب والاستانة ومصر وراجع كلَّ ما كتبهُ اساطين العلوم الشرقيَّة في انحاء اوربَّة وعرضها على مسنّ الانتقاد فحقَّق ودقَّق ونقَّح واصلح على ما رآهُ اقرب الى الصواب . متَّعنا الله زمنًا طويلًا بمعارفهِ الجمَّة ل . ش

الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي

عُني بتحقيقهِ والتعليق عليهِ عبدالله مخلص

طُبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٢٤ (ص ١١٢)

سفرٌ جليل خلَّصهُ من الضياع جناب الهمام عبدالله مخلص نقلهُ عن النسخة الوحيدة المحفوظة في خزانة الكتب الخالديَّة ببيت المقدس ونشرهُ في المجلَّد الخامس والعشرين من مجلَّة المعهد العلمي الفرنسي المصري للآثار الشرقيَّة في السنة الحاليَّة مع صورة صفحتين من النسخة الاصليَّة وقدَّم عليهِ المقدَّمات الممتعة التي قلَّما نراها في مطبوعات الشرقيين ولاسيما المصريين فعرَّف صاحبَ الكتاب امينَ الدين تاج الرئاسة ابا القاسم عليَّ بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفيّ المصري المتوفَّى على ما روى ابن ميسر سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م) ونقل جميع ما وقف عليهِ من اخبارهِ لاسيما توليتهُ ديوان رسائل الانشاء في ايَّام الخليفتين الفاطميَّين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله . ولم يكتفِ بهذه الفوائد حتى ألحقها بفصل حسن في كبار المؤرخين الذين كتبوا

اخبار الوزراء . أمّا هـذا الكتاب فهو من اجلّ المصنفات وضعهُ كاتب معـاصر للفاطميين عرف امورهم حقّ المعرفة فيتناول اخبار وزراء الفاطميين مبـاشرة بالوزير ابي الفرج يعقوب بن كلّس اليهوديّ الاصل وزير المعزّ لدين الله (٣٦٨–٣٨٠ هـ) الى عهد امير الجيوش بَدْر المستنصري المتوفّى سنـة ٤٨٨ وابنهِ ناصر الـدين ابي القاسم شاهنشاه الذي قُتل سنة ٥١٥ (١١٢١م) مع مختصر في سيرة الخلفاء المستعلي بالله والآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله . ومما يدلُّ على عظم شأن هذا الكتاب رجوع المؤرّخين اليهِ واستشهادهم بهِ كما بيَّن جناب عبدالله مخلص . فلهُ الشكر على نشر هذا الاثر الفريد وعلى مـا علّق عليهِ من التعليقات المديدة ولو ختمهُ بالفهارس لكان ضاعف محاسنهُ وان شاء الله يفعل

بين المحاماة والقضاء او قضيَّة السيّد زخيا

جمع ما عُلِن من واقعاتها وكيلهُ المحامي نجيب خلف

طبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٦٦)

اطّلعنا برغبة على تفاصيل هذه المحاماة التي اخذت دوراً مهمّاً ما كنّا لنظنّ انهُ سيشغل محاكمنا هذا الشغل الطويل والمسألة على ما يظهر لنا بسيطة كان يمكن حسمها بطريقة ودّية فابى المدّعي الّا أن يرفعها للمحاكم . وقد رأينا في دفاع جناب المحـامي نجيب افندي خلف ما اثبت لنا اقتدارهُ على كشف غوامض الامور وبيان حقائقها . فنثني على همّته ونؤمل اختتام هذه الدعوى بحفظ كرامة المدّعى عليهِ المعروف بحسن آدابهِ لدى الخاصّ والعام ل . ش

دليل الحائك

طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت (ص ١١٧)

نثني أطيب الثناء على همّة مؤلف هذا الدليل اسكندر يوسف الحائك الذي لا يدّخر وسعاً في خدمة الوطن بما ينشرهُ من الادلّة لتقريب الاسفار على اهل البـلاد السوريّة والفلسطينيّة والمصريّة . وهذا الاثر الجديد مع فصولهِ الرائعـة ومعلوماتهِ

المتعددة وتصاريره الجميلة ينطق بفضله ويستدعي شكر الجمهور على اعماله جازاهُ الله

المدامع

وهي المجموعة الحاوية لسيرة ومراثي الاب بطرس فضُول

طبع في مطبعة مسامرات المهاجر (ص ٧٨)

فجعت في ٩ أيار سنة ١٩٢٠ جماعة المرسلين اللبنانيين الافاضل بوفاة احد اعضائها الذي كانت تبني عليهِ اطيب الآمال لتقديس النفوس وهو الاب بطرس فضُول الذي توفّاهُ الله في عزّ كهولتهِ في سنّ الثلاث والثلثين من عمرهِ فعظم المصاب على ذويهِ واقاربهِ بعد ما رأوهُ من غيرتهِ ومعارفهِ التي كان استقاها في مدرسة نشر الايمان المقدّس في رومية وبرهن بعد رجوعهِ عن مقدرتهِ على كلّ الاعمال الرسوليّة . فتعدّدت في وصف مناهُ اقوال الجرائد والخطباء والشعراء فاحبّ حضرة الخوري بطرس العنداري ان يجمعها وينشرها ليبقى في الوطن ذكر الصالحين فيُقتدى بآثارهم الطيّبة

ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ مقدّمة كتاب خطط دمشق . تأليف محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق . طُبع في المطبعة البطريركيّة الارثذكسيّة في دمشق سنة ١٩٢٤ (ص ٣٣) . تدلّ هذه المقدّمة على انّ الكتاب سوف يكون من امتع التآليف في وصف عاصمة الشام

٢ الساعة المقدّسة : ماهيّتها . تاريخها . علاقتها برسالة الصلاة وممارستها . نشر في المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص ١٥)

٣ ترجمة الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي . نبذة تاريخيّة بقلم الشيخ سليم خطّار الدحداح . نقلًا عن مجلّة المشرق . طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص ٣٥)

شذرات

﴿الصليب فوق الكابيتول﴾ معلوم انّ الكابيتول اشرف تلال رومية السبعة

كان مشيَّدًا في اعلاهُ هيكل جوبيتر كبير آلهة الرومان فلمَّا تنصَّر قسطنطين جعل فوقهُ صليباً اشارة الى انتصار النصرانيَّة على الوثنيَّة وبقي الصليب في مقامهِ الى ان نزعهُ من مكانهِ سنة ١٨٧٢ بعض اعداء الدين . وها هوذا الرئيس موسوليني قد سمح للجنة كاثوليكيَّة المعروفة بالايمان الروماني ان تُعيد الصليب الى مكانهِ . وقد نجز ذلك بحفلة شائقة جرت بايعاز وزير الداخليَّة السنيور كريونيزي في ٤ من شهر ت ٢ الاخير . وهي خدمة تشكر للرئيس موسوليني كما شكرهُ العموم على اعادتهِ للمدارس تعليم الحقائق المسيحيَّة

﴿ اعتراضات المنار على سفر التوراة ﴾ لصاحب المنار في شروحهِ على القرآن اعتراضات عجيبة ليخطّئ فيها اقوال التوراة . ففي عددهِ الاخير (ج ٢٥ : ٣٢١–٣٤٦) ضروب من الردود على سفر الخروج وضربات موسى العشر المذكورة فيهِ تدلُّ امَّا على جهل وامَّا على تعنُّت فهو يجد فيها عددًا عديدًا من المناقضات والمغالطات التي سبق آباء الكنيسة ومفسّرو الاسفار المقدَّسة فكشفوا غوامضها منذ اوائل الكنيسة فلو شاء صاحب المنار وعرضها على علمائنا لأزالوا اوهامهُ في حقيقة معناها وهو يستعيرها من الملحدين والاباحيين المعادين للوحي فيراها من وراء عيونهم الرمدة

﴿ المتخرّجون في مكتبنا الطبي الفرنسوي ﴾ نشر مكتبنا الطبي الفرنسوي في الثغر جدول اسماء الذين تخرَّجوا في معاهدهِ من اطبَّاء واجزائيين من كلّ الاديان والبلدان منذ الفحص الاوَّل الذي جرى في آذار سنة ١٨٨٧ الى الجلسة الاخيرة التي وقعت في تموز من السنة الحاليَّة ١٩٢٤ فاذا هم يبلغون مع ما يضاف اليهم من حكماء الاسنان في سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ الى عدد ٨١٥ دكتورًا نالوا الشهادة القانونيَّة من لجنة رسميَّة تارةً فرنسويَّة بحتة (١٨٨٧–١٨٩٤ ثم ١٩١١–١٩٢٤) وتارة فرنسويَّة وعثمانيَّة (١٨٩٨–١٩١٣) فكفى بهذا العدد دليلًا على الخدم الجليلة التي ادَّاها المكتب المذكور لسائر انحاء الشرق

﴿ التذكار المئوي الثالث للاب لويس الجسري ﴾ يعتبر الاسبانيُّون الاب لويس الجسريّ اليسوعيّ (١٥٥٤–١٦٢٤) كأحد مشاهير وطنهم لسموّ قداستهِ ونفاسة تآليفهِ . ففي شهر ايلول الماضي اقام لهُ اهل مدينة الوليد (Valladolid) مسقط رأسهِ معرضاً تذكاريًّا للمئة الثالثة من وفاتهِ فجمعوا هناك ضروب الآثار الناطقة بفضل ذاك

الراهب الجليل لاسيّما تآليفهُ المخطوطة والمطبوعة في كلّ اللغات. وقد طُبع جدول المعروضات البالغ عددها ٢٦١ اثرًا. وقد ذكرنا في كتابنا المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة (ص ٨٤) ما يُعرَف لهُ في لغتنا العربيّة من الآثار الخطّيّة وهما كتاب تأمُّلاته لكلّ أيّام السنة وكتابهُ قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت عرّبهما الاب بطرس فروماج اليسوعيّ. وقد طُبع الاوّل في حلب في المطبعة المارونيّة في ثلثة مجلّدات (١٨٦٦) واختصر قسمًا منهُ حضرة الاب اغناطيوس جمجع. وطبع الثاني في مطبعتنا الكاثوليكيّة (١٨٩٥)

﴿ كنيسة راهبات الحرب في واشنغتون ﴾ جمع الاميركيّون على اختلاف نزعاتهم مبالغ طائلة خصّوها بتشييد كنيسة عظيمة تخليدًا لشهامة الراهبات الكاثوليكيّات اللواتي خدمنَ في الحرب الكونيّة الاخيرة الجرحى والمرضى والموتى بتفانٍ لا يلهمهُ الّا الدين وحبّ الله . وقد مثّلوا في واجهة الكنيسة على الرخام صورة اثنتي عشرة راهبة من الاثنتي عشرة رهبانيّة اللواتي امتزنَ في خدماتهنّ اخصّهنّ راهبات المحبّة والكرمليّات والاورسليّات والدومنيكيّات واليوسفيّات وراهبات الناصرة وغيرهنّ وقد كتبوا تحت الصورة انّهنّ قد اسعفنَ المنازعين وعالجنَ المرضى وعزّينَ الأسرى وقدّمنَ للعطاش ماء باسم المسيح . وقد دشّن هذا الاثر الجليل نيافة الكردينال اوكونل وخطب خطبة بليغة بيانًا لفضل الراهبات

﴿ خارطة لبنان الجيولوجيّة ﴾ قد تكلّف حضرة الاب زيوفن احد آباء كليّتنا اسفارًا واتعابًا كثيرة في رسم خارطة مدقّقة لجيولوجيّة لبنان كان ارسل صورتها لمجمع العلوم في باريس فعرف اصحابهُ قدر هذا العمل النفيس ومنحوهُ جائزةً قدرها ستّة آلاف فرنك لنشر الرسم المذكور افادةً لاهل لبنان ولعلماء طبقات الارض فيه. على انّ هذا المبلغ لا يفي بنفقات الطبع فالأمل بدولة لبنان الكبير ان تجود هي ايضًا بشيء من مالها لانجاز هذا العمل

﴿ عاديّات مدينة كيش ﴾ كيش اقدم حواضر الكلدان في ما بين النهرين يُرقى زمانها الى الالف الخامس قبل المسيح فقد اجرى هناك حفريّات حديثة العالم الانكليزي لنغدون (M. Langdon) رئيس البعثة العلميّة المرسلة من قبل كليّة اوكسفرد فوقف على قصر سومريّ لم يستولِ عليهِ الخراب وهو يشغل مساحة بالغة

نحو ثلثة هتكارات وفيه من النقوش الرائعة ما يأخذ بجامع القلوب . وافضل من ذلك مكتبة مسمارية محفورة على الواح الآجر تشغل عدة غرف فيها من الآثار ما سيُقبل عليه العلماء برغبة عظيمة . ومما يستلفت النظر انَّ فيها دليلًا يشرح لكتبة ذلك العصر قواعد اللغة والكتابة السومرية وفي جملتها قلم من العظم كانوا يستعملونهُ في كتابة الحروف المسمارية على الآجر

﴿اعمار البشر والهلال﴾ سُئل صاحب مجلة الهلال (نوفمبر ١٩٢٤ ص ٢١٨) عن اعمار الآباء الاوَّلين المذكورين في سفر التكوين كيف كان ذلك ولماذا يندر اليوم ان يجاوز انسان المئة . فاجاب ان « السؤال لا يقع عند التدقيق من دائرة بحث الهلال لان الجواب عليهِ من اختصاص رجال اللاهوت والاغلب في رأيهم انَّ المقصود بالسنة من حيث مدتها هو غير المقصود بها في عرفنا » . فنقول ان الامر لا يتجاوز معتقد العقل لأنَّ احوال الزمان في تلك القرون الاولى وسذاجة عيشة الآباء الاوَّلين وحسن آدابهم كلّ ذلك كان من شأنهِ ان يطيل اعمار البشر . وقد اطَّلعنا مؤخرًا على مقالة لاحد الاطبَّاء يرتأي فيها بان الانسان حاضرًا لو عاش عيشة ساذجة منتظمة هادئة لامكنهُ ان يبلغ المئتين من السنين فما قولنا بتلك الاعصار التي كانت احوال الطبيعة أضمن لحفظ الحياة (راجع في المشرق ٤ [١٩٠١] : ١٥٢—١٥٥ مقالة للمرحوم المنسنيور يوسف العلم في اعمار الآباء الاوَّلين) . امَّا قول الهلال انَّ اللاهوتيين يقصدون بالسنة غير المقصود في عرفنا فهو مخالف لآيات الكتاب كما ترى في المقالة المذكورة فلتراجع

﴿مشاكل الحياة﴾ لم يَرُق صاحبَ مشاكل الحياة بين الشاب والفتاة انتقادُنا لكتابهِ ولو راجع تأليفهُ بروِيَّة وتأنٍّ لادرك صحَّة حكمنا فيهِ . فانَّهُ في وصفهِ للرذيلة والعشق والخلاعة والموسات يثير الاهواء لا يخمدها وكثير من تلك الاوصاف احرى بدارسي الطبّ منها بشبان ادباء وفتيات خفرات . ومن عجيب اقوالهِ (ص ٤٤) « انَّ الوزيلة (كذا بالزاي) تُحارَب بالزيلة » كأنهُ يقول انَّ النار تُطفأ بالزيت . واغرب من ذلك قولهُ (ص ٧٠—٧١) « بتعقيم المتزوِّجين المعلولين ان لم يُمنع زواجهم بتعطيل مادَّة تناسلهم » وكلّ يعلم انَّ هذا من اكبر المآثم في الزواج افيريد بعد ذلك ان نمدح تأليفهُ ؟ وقد اخذنا عليه استشهادهُ ببعض الملحدين وماذا نقول عن استشهادهِ غير مرَّة بمذكرات بغيّ . وغير ذلك مما يثبت رأينا في كتابهِ ويؤيد حكمنا شاء او ابى

أسئلة وأجوبة

س سأل احد المستشرقين ماذا يُعرف في الشرق عن القديسة الشهيدة بربارة وعن اكرام النصارى لها ؟

القديسة بربارة الشهيدة

ج قد اوضحنا ذلك في المشرق في سنته الاولى (١ [١٨٩٨]: ١١٣١—١١٣٣) ونشرنا مديحها المطوَّل فيه (١٢ [١٩٠٩] : ٩٥٦—٩٥٧) ولدينا في مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ترجمتها سننشرها ان شاء الله عند سنوح الفرصة

س وسأل احد دارسي الكتاب المقدَّس أكان قوس قزح معروفاً قبل ان يجعلهُ الله آية لنوح (تكوين ٩: ١٢—١٦) لعدم ضربهِ البشر ثانيةً بالطوفان

قوس قزح كآية لنوح

ج انَّ قوس قزح مظهر طبيعي يحصل بانعكاس نور الشمس على الغمام. ولا بُدَّ انهُ ظهر في الازمنة السابقة للطوفان وانَّما اتَّخذهُ الله كعلامةٍ تعهَّد بها مشيئتهُ على معافاة الارض عن تجديد الطوفان على وجهها . كما يمكن متعاهدَين ان يتَّخذا كشاهد على صدقهما شيئاً محسوساً سبق عهدهما

س وسأل احد شمامسة حلب ما معنى لفظتين وردتا في خدمة القدَّاس حسب الطقس الماروني المطبوعة في حلب (ص ٤) وهما « سطرمنقالوس » اهما سريانيَّتان ؟

مشكل في خدمة القدَّاس المارونيَّة المطبوعة في حلب

ج هاتان اللفظتان يونانيَّتان (ΣΤΡΑΤΗΓΟΣ ΧΑΛΚΟΣ) وقد كتبتا بحروف عربيَّة ومعناهما «فلنقف حسناً» اي بتُقى وإخبات . ولا نعلم كيف دخلتا في خدمة الطقس الماروني ولم نجدهما في غير الطبعة الحلبيَّة

س وسأل شماس آخر من هم الكاروبيم المذكورون في الكتب المقدَّسة وما معنى اسمهم ؟

الكاروبيم في الكتاب المقدَّس

ج تكرَّر اسم الكاروبيم في اسفار موسى والمزامير والانبياء وقد اختلفوا في اصلهِ ومعناهُ . والمرجَّح اليوم انَّ اللفظة العبرانية כרוב اصلها من الاشوريَّة «كَرُوبو» معناها الكبير الشديد . او «كيروبو» معناهُ الثور المجنَّح كان الاشوريُّون يمثلونهُ لحراسة قصورهم وهياكلهم ورأسهُ كرأس انسان . ويؤيد هذا وصف حزقيال للكروبين في الفصل العاشر من نبوَّتهِ وكل ذلك يدلّ على قوَّتهم واستخدامهم في مباشرة الامور الجليلة

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الثانية والعشرين من مجلّة المشرق ١٩٢٤

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) مبصر في عيد ختانة الربّ منسوب الى القديس كيرلّس رئيس اساقفة اورشليم (١ : ١-١٠) = الرسالة المارفية للسيد الشريف الجرجاني (١ : ١٠-١٦ ; ٢ : ١٥٨) = توابع المدرسة المارونية الاولى : بقلم الخوري بطرس غالب : المطران بطرس ضوميط مخلوف (١ : ١٧-٢٦ ; ٢ : ١٠٠-١١٤ : البطريرك جرجس عميرة ٥ : ٣٤١-٣٥٠ ; ٦ : ٤٢٨-٤٤٨ ; ٧ : ٤٩٧-٥٠٦ ; ٨ : ٥٨٦-٥٩٨ ; ٩ : ٧٠٨-٧١٩) = المخطوطات العربية لكتبة النصرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع) ١ : ٣٠-٣٨ ; ٢ : ٨٧-١٥ ; ٣ : ٢١٨-٢٢٨ ; ٤ : ٢٦٥-٢٦٧ ملحق فيه اسماء من فات ذكرهم ٢٦٨-٢٨١ ; زيادات واصلاحات ٥ : ٢٥١-٢٦٢ اخصّ المخطوطات لاغفال الكتبة ٧ : ٥٢٦-٥٤٧) = حفلة ادبيّة في الكليّة اليسوعيّة في تعزيز اللغة العربيّة (٢٩-٤٧) = صدقة الميلاد (رواية) للاديب يوسف طرس سعد (٤٧-٥١) = شعراء النصرانيّة بعد الاسلام للاب لويس شيخو اليسوعي : شعراء الدولة الاموّية : ١ً هدبة بن الخشرم ٥٢-٦٠ ; ٢ : ١١٥-١٢٥ ; ٣ : ٢٢٧-٢٣٨ ٢ً موسى بن جابر ٣ : ١٧٢-١٧٨ ٣ً شمّلة التغلبيّ ١٧٨-١٨١ ٤ً أعشى بني تغلب ٤ : ٢٩٨-٣٠٥ ٥ً اعشى بني ابي ربيعة ٥ : ٢٧٢-٢٨٠ ٦ً مرقش الطائي ٥ : ٢٧٩ ٧ً نابغة بني شيبان ٦ : ٤٤٩ ٧ : ٨٥٢ ٨ً حنين الحيري الشاعر المتني ٩ : ٧١٩-٧٢٨ ٩ً الاخطل التغلبيّ ١١ : ٩١٧-٩٢٧ ; ١٢ : ٩٦٦-٩٧٦) = نظر في سياسة العام المصرم للاب ل . ق (٦٠-٦٧ ; ٢ : ٩٥-٩٩) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٦٨-٧٦) = شذرات : ملحوظات رسالة السلام على المشرق . سلطانة افرنسيّة في بني عثمان . البستيل ومجلّة الحارس . شركة انتشار الايمان . اسدّ حثّي . دواء لعلاج الزكام . فضائل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب . وفاة رجل شريف : الكونت جبرائيل اصفر . ملكا جبيل كتابة جبيل الفينيقيّة . اصلاح فرنسة لما اخربه الالمان . وفاة مكتشف اشعّة رنتجن (٧٦-٧٩) = اسئلة واجوبة : أيمكن اصطناع نقود ازوتيّة . ما هو اصل طلبة العذراء . نصرانيّة داود الانطاكي (٨٠)

العدد ٢ (شباط) الفينيقيّون ومصر : مقتطف من محاضرة الاستاذ بيار مونته (٨١-٨٦) = علاج الكلب عند قدماء العرب للاب لويس شيخو (١٢٦-١٣٠) = احوال السدين في السنة الثالثة والعشرين لهُ (١٣١-١٣٨) = فخر الاجداد بمآثر الاجداد للخوري يوحنا السبلي المرسل اللبناني (قصيدة) (١٣٦-١٤٤) = خواطر في الموسيقى للاديب يوسف افندي غصوب

(١٤٥-١٤٨) = مطبوعات شرقيّة جديدة (١٤٩-١٥٧) = شذرات : عدد اليهود بالنسبة الى الدول الاوربيّة . فكاهة عربيّة . وفاة ابن السعود سلطان نجد (خبر كاذب) . زعيم الاحرار الاستاذ الاعظم يوسف الحاج (١٥٧-١٥٩) = اسئلة واجوبة : الكتب المحرّمة . الرقص المختلط . الأمم الكنسيّة واللاتينية (١٦٠)

العدد ٣ (آذار) : البطريرك الماروني وجمال باشا ابّان الحرب للمطران عبد الله خوري ١٦١-١٦٧ ملحق لسيادة القاصد فرديانو حيانيني (١٦٧-١٧١) = المتنطف والنفس الروحيّة للاب انطون صالحاني اليسوعي (١٧١-١٧٣) = جثالقة المشرق ومفارنة السريان للقس اسحاق ارملة السرياني ١٨٢-١٩٣ : ٤ : ٢٧٢-٢٨١ ; ٥ : ٢٦٤-٢٧٣ ; ٦ : ٤١٧-٤٢٧ ; ٧ : ٥١٩-٥٢٧ ; ٨ : ٤٠٦-٦١٣) = قصائد الخليفة يزيد بن معاوية : نظر انتقادي للاب هنري لامنس اليسوعي (١٩٣-١٩٥) = هيكل الزهرة في بيروت الرومانيّة للاب رينه موترد اليسوعي (١٩٥-٢٠٠) = تأليفان جديدان في تاريخ سوريّة للشيخ سليم خطّار الدحداح (٢٠٠-٢٠٦) = رجل الفضل والدين وضحيّة الجور المرحوم جبرائيل غرغور للاب لويس شيخو اليسوعي (٢٠٦-٢١٨) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٢٢٩-٢٢٧) = شذرات : نصرانية هدية بن الحشرم . المجمع السابع وانبثاق الروح القدس من الآب والابن . دفاع الحارس عن نفسه . الحرم الماسونيّ . من شارم تمرفوخم (٢٢٨-٢٣٩) = اسئلة واجوبة : الوسائط لإتلاف الخُلد . الكتب الزراعيّة . تآليف غوستاف لوبون . حلّ الكاهن للتساهل في الدين (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) نصير الكنيسة والدين الطوبويّ الكردينال روبرتس بلّرمين لمحة تاريخيّة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (٢٤١-٢٤٧) = المجمع العلميّ العربيّ في دمشق له (٢٤٨-٢٥٣) = اسبوع الآلام المقدّس في الكنيستين السريانيّة والمارونيّة للاديب يوسف المدوّر (٢٥٣-٢٦٥ اصلاح ٥ : ٢٩٩) = كتابي : لفؤاد افرام البستاني (٢٨١-٢٨٣) = الكشافة نظر تاريخيّ اجتماعي للقس بطرس ساره الراهب اللبناني (٢٨٣-٢٩٨) = سياحة اثريّة الى البلاد المربوطيّة الخووي لويس ملحه الكاهن الماروني (٣٠٥-٣١٢) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٣١٢-٣١٨) = شذرات : قانون المطبوعات ومعاقبة سارقيها . الملكة المنتسة على ذاتها . داود الطبيب الانطاكي وداود الطبيب النصراني (٣١٨-٣١٩) = اسئلة واجوبة : الصلاة التي تُتلى في آخر القدّاس . التاريخ المرتّب من البطريرك مكاريوس . رجوع المنفصلين الى الكنيسة الكاثوليكيّة (٣٢٠)

العدد ٥ (ايّار) جُبيل : تاريخها . اديانها . آثارها حاضرة للاب لويس شيخو اليسوعي (٣٢١-٣٢٦) = في الصليب الحياة . له (٣٢٩) = عبادة آلهة سوريين في قرطبة للاب رينه موترد اليسوعيّ (٣٢٧-٣٤١) = نظر في ترقّي العلوم للاب لويس شيخو (٣٨١-٣٨٦ ; ٦ : ٤٦٥-٤٦٩) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٣٨٧-٣٩٦) = شذرات : احتجاج على مزاعم رسالة السلام . الفوضى في الكنيسة الابسكوباليّة في اميركة . عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن . اهتداء رفيق صبي الى الايمان الكاثوليكي (٣٩٧-٣٩٨) = اسئلة واجوبة :

الرهبانيات في الانجيل والتاريخ القديم. النور في الغار المقدس في سبت حمص الآلام. امامية زمدينة حماة. الثاء في ذات وذوات. صحاح الجوهري ٣٩٩-٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) نظر في الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية للاب لويس شيخو اليسوعي (٤٠١-٤١٢ : ٧ : ٥٥٦) = الحكمة اليسوعية من نظم الشاعر المجيد نبلان افندي الرباشي (٤١٣-٤١٦) = سر الفرمان في الكنائس الشرقية للاب لويس شيخو (٤٢٧-٤٣٧) = اخلاق ومشاهد: بحث انتقادي لفؤاد افرام البستاني (٤٥٧-٤٦٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٧٠-٤٧٨) = شذرات: حجة الاسونية. الكلب اللادني. ضحايا البولشفيك. اضافة الى ديوان الحارث بن الحلزة (٤٧٨-٤٧٩) = اسئلة واجوبة: من هما القديستان اجباً وصوفياً. ما هي حدود لبنان الكبير وكم هو عدد اهل سناجقه الخمسة. ما هو معنى قطعة سريانية من شحيم الموارنة (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) جواء في الدولة العلوية للاب لويس شيخو (٤٨١-٤٩٥) = ما هو رأينا في الشعاع المحرق؟ للاب يوسف بلمبوا اليسوعي (٤٩٥-٤٩٧) = القامة الجبرامية «نجس بنجس» للاستاذ يوسف الطبوني (٥٠٩-٥١١) = الراهب افرام البرموسي والكرسي الاسكندري للاب لويس شيخو (٥١١-٥١٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٤٧-٥٥٧) = شذرات: انتشار رسالة قلب يسوع. زيارة الاراضي المقدسة بالسيارات. زيارة دولة حاكم دمشق لكليتنا. الزهرة ومنشورات مطبعتها. السلطان سليمان القانوني وقتد. الجواب الهادي على النظر الانتقادي. بعلبك تاريخها وآثارها (٥٥٧-٥٥٩) = اسئلة واجوبة: المدن الزائد عددها على المليون. اول طبعة للمزامير بالعربية. جواب على السؤال في شرح قطعة الشحيم السريانية (٥٦٠)

العدد ٨ (آب) الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي: محاضرة للشيخ سليم خطار الدحداح (٥٦١-٥٧٧ ; ٩ : ٦١٦-٧٠٧) = مرصد كسارا في لبنان: ملخص من تأليف جديد للاب ب. بيرلوتي اليسوعي (٥٧٧-٦١٦ ; ٥ : ٦٢٩) = شهداء المجمع الخلقيدوني في التاريخ للاب لويس شيخو (٥٩٨-٦٠٥) = الريحانيات المتنة له (٦٢٢-٦٢٩ ; ٩ : ٧٤٦-٧٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٢٠-٦٢٧) = شذرات: نصب تمثال اليازجي. تعليم الاناث في الاسلام. المعارف في مصر. المؤتمر الاسوني في بعلبك. محطة دير الناصرة للآثار الموية (٦٢٧-٦٢٩) = اسئلة واجوبة: الكنيسة الجيورجية والارمنية. الطبيب عيسى البغدادي. الطريقة الاسونية الاسكتلندية: اصلاح غلط (٦٤٠)

العدد ٩ (ايلول) شهيد الوحدة الكنسية في الاقطار الصقلية للاب لويس شيخو (٦٨١-٦٩٥) = المهاجرة واضرارها: محاضرة للاديب يوسف ابو خاطر (٧٢١-٧٢٧) = لا تناقض في التوحيد والتثليث: نظر لاهوتي للاب لويس شيخو (٧٢٧-٧٤٤) ملحق: فكاهة دينية للشيخ يحيى بن عدي (٧٤٤-٧٤٥) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٤٦-٧٥٥) = شذرات: انتقادنا على الريحانيات. ارتداد عن هرتسل الى الكثلكة. مستشفى السرطان. رشد الامير

بشير الشهابي . عقليّة الحيوان المزعومة . آخر العالم في خريف سنة ١٩٣٥ (٧٥٥-٧٥٨) = اسئلة واجوبة : التقديس في الآحاد والاعياد والاصوام . استماع قدّاس ثلثة كهنة . ذكر العذراء في رسائل بولس الرسول . قانون المجمع النيقاوي . ازالة المدّة الدهنيّة عن العظم . أيُعَدُّ انتحارًا تفضيل المرء الموت على قطع رجاء . مظالم القرون الوسطى (٧٥٩-٧٦٠)

العدد ١٠ (تشرين الاوّل) مفاخر دمشق المسيحيّة : محاضرة للاب لويس شيخو اليسوعي (٧٦١-٧٧٦) = ثمرات الاوراق : وكاهات العرب منقولة عن مخطوطات المكتبة الشرقيّة (٧٧٧-٧٨٠) = اهتداء كاتبة روسيّة اورثذكسيّة الى الكثلكة مقالة مرّجمها الاب رفائيل نخله اليسوعي (٧٨١-٨٠٢) = الايمان ناقل الجبال : تفسير آية انجيليّة للاب لويس شيخو اليسوعي (٨٠٣-٨٠٩) = رحلة رسوليّة الى بلاد الجليل للاب فردينان توتل اليسوعي ٨١٠-٨١٨ ; ١١ : ٨٧٥-٨٩٠ ; ١٢ : ١٦٣-١٨٠) = الشاعر صالح بن عبد القدّوس : نظر تاريخي ادبيّ للاب لويس شيخو (٨١٩-٨٣٩) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٨٣٠-٨٣٧) = شذرات : راهبة المحبّة روزالي والامّ مريم فرج راهبة قلبي يسوع ومريم . شاعة دوار هيوم . تنبيه بشأن الازياء الخلاعيّة . الاحرار والمؤامرة على الشرق الاعظم . صورة المسيح المزعومة . تدشين متحف التاريخ الطبيعيّ في تيان تسين (٨٣٧-٨٣٩) = اسئلة واجوبة : من هي ذات الصليب . اصل اسم ايلول ومعناه . متى بطلت الكتابات الهيروغليفيّة والمساريّة . اصل اسم فينيقية (٨٦٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) يوبيل الجامعة الرومانيّة الغريغوريّة : نظر تاريخيّ اجتماعي للاب لويس شيخو (٨٦١-٨٦٩) = اوراق الخريف المتناثرة لفؤاد افرام البستاني (٨٦٩-٨٧٥) = رسالة البطريرك ميخائيل جروه السرياني في اثبات عقيدة المطهر : نشرها القس باسيل بشوري السرياني البغدادي (٨٩٠-٩٠٥) = ابن تيميّة والوهّابيون نظر تاريخي مذهبي للاب لويس شيخو (٩٠٥-٩١٤) = قطرة على غصن رثاء للمحامي نجيب خلف (٩١٥-٩١٧) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٩٢٧-٩٣٦) = شذرات : ملحق بشعر صالح بن عبد القدّوس . مؤتمر البروتستانت الاسقفي في اميركة . مركوني في بيروت . المريخ واقترابهُ من ارضنا . هزليّات العرفان (٩٣٧-٩٣٩) = اسئلة واجوبة : اصل عيد جميع القديسين . الافادة من رحي الاسرار الفائقة العقل . الاشتراك في الطقوس (٩٤٠)

العدد ١٢ (كانون الاوّل) النفران وحقيقة معناهُ في الكتبة للاب ل . شيخو (٩٤١-٩٥٣) = منتخب الغافقي مع تعليقين في الفرق الاسلاميّة وماني لتوفيق افندي اسكاريوس (٩٧٨-٩٨٣) = عامل نشيط في كرم الربّ : الاب ادوار ميشال اليسوعيّ للاب ل . شيخو (٩٨٣-٩٩١) = ليلة الميلاد : تعريب الخوري مارون غصن (٩٩١-٩٩٥) = صورة ايمان السيد اغناطيوس متى البطريرك متى اليعقوبي (٩٩٥-١٠٠١) = مطبوعات شرقيّة جديدة (١٠٠٧-١٠١٥) = شذرات : الصليب فوق الكابيتول . اعتراضات المنار على سفر التوراة . المتخرّجون في مكتبنا الطبي الفرنسوي . التذكار المئوي الثالث للاب لويس الجسريّ . كنيسة راهبات الحرب في

واشنطون . خارطة لبنان الميولوجية . عاديات مدينة كيش . اعمار البشر والهلال . مشاكل الحياة (١٠١٦-١٠١٩) = اسئلة واجوبة : القديسة برباره الشهيدة . قوس قزح كآية لنوح . مشكل في خدمة القداس المارونية المطبوعة في حلب . الكاروبيم في الكتاب المقدس (١٠٢٠)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ابو خاطر (الاديب يوسف) المهاجرة واضرارها ٧٣٧-٧٣٨

ارملة (القس اسحاق السرياني) حثالة المشرق ومقارنة السريان ١٨٢ ; ٢٧٣ ; ٢٦٤ ; ٤١٧ ; ٥١٩ ; ٦٠٤ = صورة ايمان السيد اغناطيوس متى البطريرك اليعقوبي ١٠٠٢-١٠٠٦ لهُ وصف كتب ١٥٥

اسكاويوس (توفيق افندي) : منتخب الفائق مع تعليقين في الفرق الاسلاميّة ومعاني ٩٧٨—٩٨٢

البستاني (الاديب فؤاد افرام) كتابي ٢٨١ ٢٨٢ = اخلاق وشاهد ٤٥٧-٤٦٤ = اوراق الخريف المتناثرة ٨٦٦-٨٧٥

برلوتي (الاب بوناونتورا اليسوعي) مرصد كسارا في لبنان ٥٧٧-٥٨٦

بلسيوا (الاب يوسف اليسوعيّ) ما هو رأينا في الشعاع المحرق ٤٩٥-٤٩٧

توتل (الاب فرديان اليسوعيّ) رحلة رسوليّة الى بلاد الخليل ٨١٠ ; ٨٧٥ ; ٩٥٤

تورنيير (الاب فرنسوا اليسوعيّ) لهُ وصف بعض المطبوعات ٦٢٢

الحرجي (السيّد التريب) : رسالتهُ الحرفيّة ١٠-١٧ ; ١٥٨

جروه (البطريرك ميخائيل السرياني) رسالتهُ في اثبات عقيدة المطهر ٨٩٠-٩٠٥

جبانيني (السيد فرديانو) معلوماتهُ عن خدمة الكرسي الرسولي للبطريرك الماروني ١٦٧-١٧٠

خاف (المحامي نجيب) قطرة على غصن (رثاء) ٩١٥-٩١٧

خوري (سيادة المطران عبد الله الشاب البطريركيّ) البطريرك الماروني وجمال باشا ابان الحرب ١٦١-١٧٠

الدحداح (الشيخ سليم خطّار) تأليفان جديدان في تاريخ سوريّة ٢٠٠-٢٠٦ الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي (٥٦٣ ; ٦٩٦

ديلسيفر (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٣٢٦, ٤٧١, ٤٧٣, ٧٤٧, ٩٣٣

الرباني (الشاعر قبلان) الحكمة العيسويّة ٤١٢-٤١٦

سارة (القس بطرس الراهب اللبناني) الكشّاف نظر تاريخيّ اجتماعي ٣٨٣—٣٩٨

السبعلي (الخوري يوحنّا المرسل اللبناني) فخر الاحفاد بمآثر الاجداد (قصيدة) ١٣٩-١٤٤

سعد (الاديب يوسف بطرس) صدقة الميلاد

(رواية) ٤٧—٥١
شرل (الاب اليسوعي) لهُ وصف كتب ٤٧٤، ٥٤٩
شيخو (الاب لويس اليسوعي) نشرهُ ليسر القديس كيرلس الاورشليمي في ختامة الرب ١-٥ وللرسالة المرقسية السيد الشريف الجرجاني ١٠-١٧ = المخطوطات العربية الكتبة النصرانية (حرف الميم) ٢٠ (النون) ٨٧ (الهاء) ٩٢ (الواو) ٩٤ (الياء) ٢١٨؛٢٦٥ ملحق فيه اسماء من فات ذكرهم ٢٦٨ زيادات واصلاحات ٢٥١ اخص المخطوطات لاغنال الكتبة ٥٢٦ — ٥٤٧ = حفلة ادبية في الكلية اليسوعية في تعزيز اللغة العربية ٣٩—٤٧ = شعراء النصرانية بعد الاسلام: شعراء الدولة الاموية: هدبة بن الخشرم ٥٢؛١١٥؛٢٢٧ موسى بن جابر ١٧٣ شمطة التغلبي ١٧٨ اعشى بني تغلب ٢٩٨ اعشى بني ابي ربيعة ٢٧٣ مرقس الطائي ٢٧٩ نابغة بني شيبان ٤٤٩؛٥٢٨؛٦١٤ حنين الحيري ٧١٩ الاخطل التغلبي ٠١٧؛٤٦٦ = علاج الكلب عند قدماء العرب ١٣٦-١١٣٠ حوال الدين في السنة الثالثة والعشرين ١٢١-١٢٨ = رجل الفضل وضحية الجور المرحوم جبرائيل غرغور ٢٠٦-٢١٨ = نصير الكنيسة والدين الطوسي الكردينال روبرتس بلرمين ٢٤١ — ٢٤٧ = المجمع العلمي العربي في دمشق ٢٤٨-٢٥٣ = جبيل: تاريخها. اديارها. آثارها ٢٢١-٢٢٥ = في الصليب الحياة! (شهر) ٢٢٦ = نظر في ترقي العلوم (١٩٢٣-١٩٢٤) ٢٨١ ؛ ٤٦٥ = نظر في الطريقة العلمية في تاريخ الكنيسة المسيحية ٤٠١-٤٠٨ = سر القربان الاقدس في الكنائس الشرقية نظر تاريخي لامرتي ٤٢٧؛٤٢٧ = جولة في الدولة العلوية ٤٨١-٤٩٥ = الراهب ابرام البرموسي والكرسي الاسكندري نظر انتقادي ٥١١-٥١٩ = الريحانيات المنتنة ٦٢٢-٦٢٩ = شهيد الوحدة الكنسية في الاقطار الصقلبية ٦٨١-٦٩٥ = لا تناقض في التوحيد والتثليث ٧٢٧-٧٤٤ = مفاخر دمشق المسيحية: محاضرة ٧٦١ ٧٧٦ = ثمرات الاوراق: فكاهات العرب ٧٧٧-٧٨٠ = الايمان ناقل الجبال: تفسير آية انجيلية ٨٠٢ — ٨١٠ = الشاعر صالح بن عبد القدوس: نظر تاريخي ادبي ٨١٩-٨٢٩؛٩٢٢ = بوبيل الجامعة الرومانية الغريغورية ٨٦١ — ٨٦٩ = ابن تيمية والوهابيون ٩٠٥-٩١٤ = الغفران وحقيقة معناه في الكتبة ٩٤١-٩٥٥ = عامل نشيط في كرم الرب: الاب ادوار ميشال اليسوعي ٩٨٢-٩٩٣ ولهُ تعريبات وشذرات ووصف كتب في كل اعداد السنة
صالحاني (الاب انطون اليسوعي) المقتطف والنفس الروحية ١٧١-١٧٣
غالب (الخوري طرس المارونى) نوابغ المدرسة المارونية الاولى: المطران طرس ضوميط مخلوف ١٧ : ١٠٠ = البطريرك جرجس عميرة ٢٤١؛٤٢٨؛٤٩٧؛٥٨٦؛٧٠٨
غصن (الخوري مارون) حفلة في قنتنتو بوسام الشرق مع خطابه ٣٩-٤٧ = ليلة الميلاد الاولى ٩٩٣-٩٩٧
غصوب (الاديب يوسف) خطبتهُ في قصة احد الاساتذة ٤١ خواطر في الموسيقى ١٤٥ — ١٤٩
غلمو (الاستاذ يوسف) المقامة الخيرامية ٥٠٩-٥١١
كساشاكيس (الاب طرس اليسوعي) لهُ وصف بعض الكتب ٢٥٠

كورنر (الاب اليسوعي) لهُ وصف مطبوعات ١٥٢
كيرلس الاورشليمي: سيرهُ في حياة الرب ٥٠١
لامنس (الاب هنري اليسوعي) قصائد المليحة يزيد بن معاوية ١٩٣–١٩٥ ولهُ وصف بعض المطبوعات ٢٣١,١٥١,١٥٠,٧٠ – ٩٣٩,٤٧١,٣١٠–٣٨٩,٣١٦,٢٢٣
لوفنك (الاب جبرائيل اليسوعي) نظر في سياسة العام المنصرم ٩٥;٦٠ لهُ وصف مطبوعات في كلّ اعداد المشرق
لاي (الاب ادمون اليسوعي) لهُ وصف كتب ٥٥١,٥٤٨
المدوّر (الاديب يوسف) اسبوع الآلام في الكنيستين السريانيّة والمارونيّة ٢٥٣–٢٦٥
ماجه (الخوري لويس الماروني) سياحة اثريّة الى البلاد المربوطيّة ٢٠٥–٢١٢
مناما (الاب يوسف اليسوعي) خطّة حديثة لتهذيب الناشئة ١٩٧–٢٠٣
موترد (الاب ريته. اليسوعي) ومصر مقتطف من محاضرة الاستاذ بيار مونته ٨١–٨٦=
هيكل الزهرة في بيروت ١٩٥–٢٠٠=
عادة آلهة سوريين في قرطبة ٢٣٧–٢٤١
لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٧٥,٣٨٧
مونخان (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٧١,٣٢١,١٥٢,٦٩
مونيه (الاب اليسوعي) لهُ وصف مطبوعات ٦٨
نخله (الاب رفائيل اليسوعي) آفات السيول وطرق علاجها ٥–١٠ اهتداء كاتبة روسيّة ارثذكسيّة الى الكاثوليكية (معرّبة) ٧٨١–٨٠٢
يحيى بن عدي (الشيخ النصراني) فكاهة ادبيّة ٧٤٤–٧٤٥
يونس (عبد المجيد: كاتب السرّ الاعظم في المارونيّة) رسالتهُ في شعوذة يوسف الحاج ١٥٩

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثانية والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيّة والسريانيّة الخ

ا.ت: الهاني: مأساة ادبيّة تاريخيّة (٢٩٤) باقة روايات (٩٣٥)
ابن بطريق: لنا رأينا ولهم رأيهم (٦٣٧)
ابن دريد: كتاب المجتنى (٦٣٦)
اخرس (المطران ميخائيل): فرض عيد قلب يسوع الاقدس (٥٥٣)
ارمله (القس اسحاق): انباء الزمان في جثالقة المشرق ومقاربة السريان (٧٥٥)
اسطفان (المنور اسقف): خلاصة تاريخ امّ مدارس سوريّة ولبنان عين ورقة (٥٥٧)
اسعد (الخوري عيسى): الطرفة الثمينة من تاريخ الكنيسة المسيحيّة (٤٠١–٤١٢)

اعمال جمعية الاطباء والصيادلة سنة ١٩٢٤ (٥٥٢)
اعمال المجمع العلمي العربي في دمشق عن السنة ١٩٢٣ (٧٦)
اعمال وقانون جمعية قلب يسوع اليافية (٣٩٦)
ايوب (القس توما) : رواية البر البنوي (٨٣٧)
باز (نقولا) : اكليل غار لرأس المرأة ٣٩٤
بباوي غالي الدوبري : حكم الفلاسفة (٧٥٤)
تعريبه لكتاب تولستوي : سعادة الحياة (٧٥٤)
بحري (جميل) : رواية اللص الظريف ٦٢٧
بدارو (القس بولس) دليل الطلاب في اللغة الكلدانية (١٥٤)
بكيفاوي (القس الياس) : شهر التكريم لام الفادي الكريم للاب هالز (٧٥١)
بلاق (نقوم الياس) : كتاب القراءة السريانية (٤٧٧)
بلبل (الاب لويس) : تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية (٧٥٣)
بورس الحادي عشر : براءته في استشهاد القديس بوشافاط (٧٥)
ثابت (القس مبارك الديراني) : رواية الام الذئبة (٣٩٥) — الضمير (٦٢٧)
جبران خليل جبران : المواكب (٧٥) المجنون (٥٥٥)
جرجس (عزيز) : مبادئ وصف ووظائف جسم الانسان (٣٩٤)
الجميل (الخوري الياس) : كتاب اللاهوت النظري (الاجزاء ٢-٩) ٤٧٦،٣٩٣،١٥٤، ٧٥٣
جيانيني (السيد فرديانو) : منشوره في وحدة الكنيسة (٣٩٦)
الحاج (القس مبارك البكتاوي) : يسوع قدوة الناشئة المسيحية (٣٩٥)
الحائك (اسكندر يوسف) : دليل الحائك (١٠١٤)
حتي (الدكتور فيليب) : امريكا في نظر شرقي (٤٧٦)
الحويك (غبطة البطريرك الياس) منشوره لأبناء طائفته (٧٦)
الخازن (يوسف فرنسيس ابي جبر) : دليل المربي اللبناني في تربية دود الحرير (٥٥٤)
خباز (حنا) : اصول الكرة الارضية (٣٩٣، ٥٥٤)
خلاصة اعمال شركة مسار منصور في بيروت للسنة ١٩٢٣ (٧٥٥)
خلف (المحامي نجيب) : تقرير ادعاء (٨٢٧) = بين المحاماة والقضاء او قضية السيد زخيا (١٠١٤)
الخوري (الاب بطرس الحاجي) : مقالة في تفتيش الضمير للاب كليان برنتنو (٦٣٥)
الخوري (شكري) : الجامعة الاميركية (٧٦)
الخوري (الاستاذ فائز) : مقابلة بين الحقوق الرومانية والحقوق الاسلامية والافرنسية والانكليزية (٩٣٣)
داغر (اسعد خليل) : تذكرة الكاتب (١٥٦) — عمر وجميلة او في ربى لبنان (٣١٧)
داغر (شكري) : تعريب الروايات الثلث : الامير المنتصب . بركليس . التوأمان المتشابهان (٣١٦)
الدحداح (الشيخ سليم خطار) ترجمة الامير بشير الشهابي الكبير (١٠١٥)
دليل شركة مصايف لبنان عن السنة ١٩٢٤ (٤٧٧)
(الراهب الباسيلي) : الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة (٥١١-٥١٩)
رباط (الاب انطون) : الرشيد والبرامكة

(طبعة ثانية) (٦٣٦)
الريحاني (امين): الريحانيّات: الجزءان ٣ و ٤ (٦٣٣-٦٣٤)
الزمخشري: طبعة جديدة من اساس البلاغة (٧٤)
سابا (عيسى ميخائيل): مختصر التاريخ العام (١٥٥) اميرة العفاف (٢٥٥) جواهر المحفوظات (٨٢٧)
ساوة (القس بطرس) ترجمة الحبيس الفرنساوي فرنسوا دي شطوبل (٦٢٧)
سباط (القس بولس): المشرع (٢٦٢)
سلامة (الاديب موسى): اشهر الخطب ومشاهير الخطباء (١٥٦)
الشرتوني (المعلم رشيد): تمارين السنة الثالثة على مبادئ العربيّة. كتاب المعلّم (٧٥٥)
شيخو (الاب لويس): كتاب شعراء النصرانيّة بعد الاسلام: القسم الاوّل (١٥٥) كتاب المخطوطات العربيّة لكنيسة النصرانيّة (٨٢٥)
صائغ (القس سليمان): تاريخ الموصل (٢٦٢)
صالحاني (الاب انطون اليسوعي): الكنز الثمين للعابد الامين (٢٩٥) طبعة ثالثة للجزء الاول من روايات الاغاني (٥٥٧) الطلاق عند المسيحيين (طبعة ثانية) (٦٣٦)
صرّوف (الدكتور يعقوب): بسائط علم الفلك وصور السماء (٧٤)
صفير (الخوري بطرس فرج): التعليم المسيحي الصغير بالعربيّة والافرنسيّة (٢٣٥)
صفير (يوسف): ١ً جغرافيّة لبنان الكبير وحكومات سوريا وفلسطين — ٢ً الخلاصة الجغرافيّة في القارات الخمس والحكومات الشرقيّة (٢٣٦)
الصولي (انيس زكريا) معاوية ابن ابي سفيان (٣١٦)
طنوس (الخوري حنا): رواية البطريرك جبرائيل حجولا الشهيد (٢٣٦)
الطوباوية ترازية الطفل يسوع (٦٣٦)
العنداري (الخوري بطرس): المدامع (١٠١٤)
عودة (نقولا): ترجمة المطران باسيليوس حجّار (٧٤)
غالب (الخوري بطرس): صديقة وخادمة (٣١٥)
غراله (الدكتور): ١ً الوضعيّة في الحكمة الخلقيّة: الحياة الاجتماعيّة — ٢ً الفردوسيّة. ٣ً الفيصليّة (١٣٥)
غصن (الخوري مارون): محاضرة في الزواج (٧٦) الزواج: السبافات العشر (٨٢٦)
غصوب (يوسف): اخلاق ومشاهد (٤٥٧ — ٤٦٣)
غنيمة (يوسف رزق الله): نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق (٥٥٥)
فرحات (اديب): سوريّا ولبنان (٨٢٤)
قطّان (المطران باسيليوس): مشورة في محبة القريب (٣٩٦)
قرشاقجي (الخوري بولس الارمني): يوميّة المسيحي (٢١٦) بيان لمشروع مديح قلب يسوع الاقدس في كنيسة الارمن (٣٩٦) — الكلمة (٧٠٥)
كرد علي (السيّد): مقدّمة كتاب خطط دمشق (١٠١٥)
مبادئ اللغة السريانيّة (٢٢٥)
مبارك (المطران اغناطيوس): رسالته في الآداب المسيحيّة (٣٩٦)
مختصر تاريخ سوريّة ولبنان (٨٢٥)
مختصر القانون الاساسي لحزب العمّال (٣٩٦)
مخلص (عبدالله): الاشارة الى من نال الوزارة (١٠١٣)

مظهر (علي): العصبية عند العرب (٢١٧)
الملوف (عيسى اسكندر): تاريخ الطب عند الامم القديمة والحديثة (٧٥٢)
المكرزل (تموم) تعريب تاريخ ميشيال للمؤرخ جاكوب أنوت (٢٩٢)
ملاط (شبلي بك) رواية الفرد الكبير (طبعة ثانية) ٦٣٧
منسّى القسّ (الشماس): كتاب تاريخ الكنيسة القبطية (١٢٢)
مي (مريم زيادة): الصحائف (٣١٦) بين الجزر والمد (٥٥٦)
نصر (لطف الله البكاشي): ديوان النقدات على الشتات والمواجات (١٥٧)
نقولا (يوسف حلبي): مشاكل الحياة بين الشباب والفتاة (٨٣٦)
يمين (الخوري انطون): نبات الشرق (١٣٥)

٢ مطبوعات اوربية

Ahlenstiel - Engel : Arabische Kunst (70)
Almel (G.) : La Politique et le Reel (750)
ALMA MATER. No VI (630)
Almanach CATHOLIQUE FRANÇAIS pour 1924 (69)
ALMANACH CATHOLIQUE de la Syrie et du Liban (313)
ALMANACH DE LA BONNE NOUVELLE (929)
ALMANACCO ITALIANO per l'anno 1924 (552)
André (J.) : L'Islam et les Races (389)
ANNUAIRE de la Science et de la Vie (234)
Arié (Gab.) : Histoire Juive depuis les origines jusqu'à nos jours (549)
Ayoub (Ch.) : Les Mandats Orientaux (927)
Baron Descamps : Le génie des Religions (68)
Baudin (E.) : L'EVANGILE (1008)
Baudrillart (Mgr A.) : Lettres d'un pelerin (927)
Becker (G. H.) : Islamstudien (471)
Bel Kassem ben Sadira : Dictionnaire arabe-français (552)
Berloty (P. B. s.j.) : Annales de l'Observatoire de Kaara (577)
Bittar (M. Y) et Sandre (T.): Allah veuille : .... Roman de G. Zaidan (932)
Blanc (Mgr J.) : Les Visions de St Jean (833)
Bloch (G.) : L'Empire Romain, Evolution et Decadence (233)
Bonnetain (P.) : Officier et Apôtre (1010)
Bordeaux (Henri) : La glorieuse misère des Prêtres (229)
BOZTOKOHEDENIK b. Petrograd (936)
Bournet (L.) : La Querelle janséniste (833)
Boustani (H. S.) : Liban d'abord (474)
Bouygues (P. M. s. j.) : Notes sur les Philosophes arabes connus des Latins au Moyen-Age (235) — Le «Kitâb ad-Din Wad-Dawlat est-il authentique ? (1013)
Bremond (H.) : Pour le Romantisme (391)
Brutsch (L.), Favez (C.) et Oltramare (A.) : Grammaire latine (833)
Brunetière (Ch.) : Les Larmes du Veuvage essuyées par St F. de Sales (929)
BULLETIN ANNUEL de la Fac. Fr. de Medecine et de Pharmacie de Beyrouth (1922-1923) (73)
Bulletin du Seminaire Oriental. N° XIV (472)
Calvet (L'Abbé J.) : Le problème Catholique de l'union des Eglises (1011)
Capitaine Mlamar : Lexique français-arabe (553)
Carle (G.) : L'hydraulique agricole et industrielle en Syrie (72)
Castelnau (Gal de) : traduction de l'Allemagne pendant la guerre par le

(Ed.) von Hoeppner (604)
Chanson (Paul) : St Jean Baptiste, mystère évangélique en 7 tableaux (1012)
Charles F. Jean : Le milieu biblique avant Jésus-Christ (68)
Chavannes (E.) : Fables Chinoises du IIIe au VIIe s. de notre ère (1012)
Chesterton (G. K.) : Orthodoxie (152)
Choisnard (P.) : Les probabilités en science d'observation (751)
Clim (Albert) : Le travail intellectuel (494)
Clément (l'abbé) : Vie du Cardinal Richard (548)
Colonel Andrea : La vie militaire au Levant (149)
Colonel Normand : Colonnes dans le Levant (930)
Colonel Rosanon : L'Idéologie du Communisme (153)
Contenau (A.) : La Glyptique Syro-Hittite (394)
Dassy (A.) : Les maladies des petits animaux domestiques (234)
Dibildos (Ed.) : Les Patronages et les Externats de Lycéens (475)
Dom Loulsmet o. s. b. : Les Mystères de Jésus (1008)
Du Mesnil (Claude) : Le Livre de l'Amour (833)
Duplessy (Eug.) : Histoires de Catéchisme (929)
Earle (E. Mead) : Turkey, the Great Powers and the Bagdad Railway (232)
Enfrey (L. M.) : Sous les gonfanons des Croisés (152)
Fagnan (E.) : Additions aux Dictionnaires arabes (71)
Feghali (M.) et Albert-Cuny : Du genre grammatical en Semitique (388)
Feige (Chanoine) : Hâtons-nous de devenir des Saints (1010)
Fonck (René) : L'Aviation et la sécurité française (315)
Frank G. Carpenter : The Holy Land and Syria (70)
Friederichsen : Finland, Estland, Lettland, Litauen (748)
Gabrieli (G.) : Manuali di Bibliografia musulmana (633)
Gaël (R.) : Les grandes guérisons de Lourdes (747)
Gauthier (J.) : Les arts orientaux (150)
Gedéon (E. et G.) : L'Indicateur Syrien pour 1924 (831)
Georges-Gaulis (Berthe) : La nouvelle Turquie (389)
Gernardt (Os.) : Der Stern d. Messias (931)
Gaudefroy-Demombynes le : La Syrie à l'époque des Mamluks — 2e Le Pèlerinage de la Mekke (230)
Golovin and Bubnov : The problem of the Pacific in the 20 ty Century (233)
Gouin (Fr.) : L'art d'enseigner et d'étudier les langues (234)
Graf (Dr Georg) : Ein Reformenversuch innerhalb d. koptischen Kirche im 12en Jahrhundert (930)
Grimme (H.) : Der Koran (150)
Guyer (Dr S.) : Meine Tigrinfahrt (389)
Halkin (J.) : Atlas Classique (387)
Harfouch (J.) : Le Drogman arabe, 4e éd. (635)
Haumant (Em.) : Le problème de l'unité russe (390)
Hermant (Abel) : Entretiens sur la Grammaire française (473)
Hildebrand Hoepfl o. s. b. : Introductio in Sacros utriusque Testamenti Libros (746)
Homo (Léon) : Problèmes Sociaux de jadis et d'a présent (153)
Huidobro (V.) : Finis Britannia (634)
Jaladis (G.) : Les meilleurs monologues et prèsies (391)
Jorgenson (E.) : Catal. Cod. Lat. Medii Ævi Bibl. Hafniensis (749)
Joüon (P. P. s. j.) : Grammaire de l'Hébreu biblique (470) — Ruth : Commentaire philologique et exégétique (830)
Kawakami (R. K.) : Le problème du Pacifique et la politique japonaise (550)
Kfoury (Dr Ph.) : Traitement de la Tuberculose antique (469)
Kirch (C. s. j.) : Enchiridion Fontium Historiæ eccles. antiquæ (630)
Klein (Abbé Felix) : Une expérience religieuse, Madeleine Sémer, convertie et mystique (928)
Koester (A.) : Das Antike Seewesen (932)
Kratchkovsky (I. K.) : Abul-Faraj al-Wawa Damashky (495)
Lagrèze-Champol (Cesse) : L'Infirmerie de St Lazare (833)
Lammens (P. H. s. j.) : La Mecque à la veille de l'Hégire (1013)

Lanier (H. C.) : Sur les pas de l'Immaculée (737)
Lelong (M.-C). Catéchisme de la vie religieuse (1009)
Lemineur (Fr.) : Mystères de la Nature — Lumières de la Foi (1009)
Le Pailler (S.) : I Un pari, pièce en 1 acte — II La soirée sans, pièce en 1 acte (1012)
Lescure (Jean) : Les Crises de sa production (314)
Levie (Jean s. j.) : Le Christianisme Oriental au tournant de son histoire (312)
Levinson (A.) : La danse au Théâtre (552)
Leyssac (Paul) : Traduction des Contes d'Anderson (473)
Lhande (Pierre s. j.) : Un maître humaniste, le P. Longhaye (548)—Jeunesse (549)
Lieau (Max) : Die neue Turkei (632)
Littmann (Enno) : Jäger und Prinzessin (151)
Loiseau (Ch.) : Politique romaine et sentiments français (230)
Longnon (Jean) : Louis XIV (231)
Lorde (A. de) et H. Bauche : Les Drames célèbres du grand Guignol (391)
Macler (F.) : La Nation Arménienne son passé, ses malheurs (631)
Mager (H.) : Une scène nouvelle (71)
Malvy (A., s. j.) : Pascal et le Problème de la Croyance (547)
Manuel international des Organisations Catholiques (631)
Marchand (Dr) : Les faits de Lourdes (747)
Marouzeau (J.) : Le Latin, dix causeries (750)
Mermeix : Fragments d'Histoire, VI et VII (832)
Massis (Henri). Jugements. Renan, France, Barrès (151)
Maull : Griech. Mittelmeer Gebiet (748)
Michel (A. G.) : La Dictature de la Franc-Maçonnerie sur la France Documents. (1012)
Millot (Ch.). Toute grâce par Marie (833)
Mingana (A.) : The Book of Religion and Empire by 'Ali Tabari (551)
Moreux (L'abbé Th.). Les Confins de la Science et de la Foi (229) — L'Atlantide a-t-elle existé ? (749)
Morton (B. A.). The veiled Empress (76)
Nassi (L.) : Histoire de Syrie depuis les temps anciens jusqu'à nos jours (200 — 206)
Peeters (P. Paul s. j.) : La prise de Jérusalem par les Perses (235)
Pesch (Christian) : Prælectiones dogmaticæ (69 et 471)
Petit Guide Touristique de l'Etat des Alaouites (433)
Petite Histoire de Syrie et du Liban (154), et 200 — 208
Piedalla (Andre) : Le Sorgho, son histoire ses applications (73)
La Politesse française (315)
Pourrat (L'abbé P.) : La Spiritualité chrétienne : I° Des Origines de l'Eglise au Moyen Age. II Le Moyen Age. (1007)
Prummer (D. M. o. p.) : 1° Manuale Theologiæ Moralis (151)
— 2° Vade mecum Theologiæ Moralis (231)
Les Problèmes de l'Europe Centrale (473)
Quénet (Abbé Ch.) : L'Unité de l'Eglise : les églises séparées d'Orient et la réunion des eglises (1011)
Rahmani (S. B. Ignace Ephrem II) : L'etude de l'Ecriture Ste dans l'église syrienne d'Antioche (743)
Raynal (Paul) : Le Tombeau sous l'Arc de Triomphe (550)
Reitzenstein (R.) : Alchemistische Lehrschriften u. Maerchen bei den Arabern (832)
La Revue économique internationale (552)
Reyval (A.). L'Eglise et le Théâtre (472)
Ribot (Al.) : Lettres à un ami (633)
Rioss (R. de) : Atlas Scripturæ Sacræ (630)
Raphaël (P. Pierre) : Le Cèdre du Liban dans l'Histoire (313
Romain Rolland : Mahatma Ghandi (314)
Rouzic (abbé) : 1° La Maison — 2° La Mère (1010)
Sagoret (E.) : Un Pèlerinage en Orient au lendemain de la Révolution Jeune Turque (632)
Sayce (Rev. A. H.) : Reminiscences (232)
Schwartz (P.) : Escorial-Studien

z. arab. Literatur (192)
Schwyzer (Ed.) : Dialectorum Graecorum exempla epigraphica potiora (387)
Séguy (E.) : Les Insectes parasites (551)
Sokoloff (Nic.) : Enquête sur l'assassinat de la famille impériale russe (632)
Spoleers (L.) : Le Vêtement en Asie antérieure (388)
Tharaud (Jérôme et Jean) : Le chemin de Damas (149)
Thibaudet (A.) : La vie de Maurice Barrès (550)
Tilke (Max) : Studien u. Entwicklungsgeschichte d. orient. Kostums (388)
Tissier (Mgr) : Les femmes de Bien — La Doctrine de nos Fêtes (1009)
Trieatsch (Davis) : Judische Emigration u. Kolonisation (152)
Vallery-Radot (R.) : La terre de Vision (749)
Van Meel (J.) : Bibliothèques publiques. Traité théorique et pratique (751)
Véran (J.) . Comment on devient député, sénateur, ministre (633)
Walther (J.) : Das Gesetz d. Wüstenbildung in Gegenwart u. Vorzeit (928)
Weber (O.) : Orbis Pictus, Assyrische Kunst (932)
Wetterlé (Abbé E.) : La Syrie avec le Général Gouraud (831)
Wilson (W.) : Histoire du peuple américain (746)
Yammine (A.) : Petite Géographie de la Syrie, du grand Liban et de la Palestine (830)

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثانية والعشرين للمشرق

على طريقة حروف المعجم

* ا * الآثار الجوية في السنة ١٩٢٣ ٤٦٦
آثار حثية ٧٨
الآثار القديمة في الدولة العلوية ٤٨٨-٤٩٠
آخر العالم في خريف سنة ١٩٢٥ ٧٥٨
آدم رسول بطريرك الكلدان ٥٠٤-٥٠٥
آسية في العام ١٩٢٣ ٩٥-٩٩
آفات السيول وطرق علاجها ٥-١٠
ابن تيمية والوهابيون ١٠٥-٩١٤
ابن جلوان (بولس الطران قزحيا) ٣٠
ابن العبري (غريغوريوس ابو الفرج الجاثليق) ٥١٦-٥٢١
ابن العدني الجاثليق ٤٢٥
ابو الكرم العدني (الشيخ الشهيد) ٧١١
اجيا وصوفيا القديستان المزعومتان ٤٨٠
احوال الدين في السنة الثالثة والعشرين ١٢١-١٢٨
الاخطل الشاعر النصراني : ترجمته ٩١٨-٩٢٦
شعره ٩٦٦-٩٧٨
اخلاق ومشاهد (انتقاد) ٤٥٧-٤٦٤
ادي رسول الكلدان ١٩٠
ارتداد هنس هرتسل الى الكثلكة ٧٥٧
الارجنتين ونجاح الكثلكة فيها ١٢٧
أرواد وآثارها ٤٨٦
اسبانية وسياستها ٦٥ الديانة في دولتها ١٢٤
اسبوع الآلام المقدس في الكنيستين السريانية والمارونية ٢٥٢-٢٦٥

الاسرار الفائقة العقل والمانع من وجودها ٩٤٠
الاسلام وفرقه عن الفاتقي ٩٨-٩٨٢
الاسماعيليون واخلاقهم ٤٩٣
اسوج وتزوج وتنصرها الى الكثلكة ١٢٥
الاشتراك في المقدوس ٦٤٠
اصفر (الكونت حبرائيل المتوفى) ٧٨
اعشى بني ابي ربيعة الشاعر النصراني ٢٧٣-٢٧٩
اعشى بني تغلب الشاعر النصراني ٢٩٩-٣٠٥
اعمار البشر الاولين والهلال ١٠١٦
افامية وموقعها ٤٠٠
افرام (القديس السرياني): اكتشاف سر تاليفه المفقودة ٢١٨
فراغام البطريرك القبطي والعز لدين الله ٨٠٦-٨٠٩
افريقية في العام ١٩٢٣ ٩٩
الماية واحوالها السياسية ٦٤ والدينية ١٢٤
الياس بن الحاج حنا (اسقف اهدن) ٤٩٩
الامم السكونية واللاتينية ١٦٠
الامير بشير الشهابي الكبير ٥٦١; ٦١٦ مرشده الخوري اسطفان حبيش ٧٥٨
اميركة الثالية والجنوبية في العام الماضي ٦٧; ٩٥
انبثاق الروح القدس من الآب والابن والمجمع السابع ٣٢٨:٣٩٨
انتشار رسالة قلب يسوع ٥٥٧-٥٥٨
انتقاد تاريخ الكنيسة المسيحية للخوري عيسى اسعد ٤٠١-٤٠٢:٥٥٩
انتقاد كتاب اخلاق ومشاهد ٤٥٧-٤٦٤
انتقاد الرجائيات ٢٦٢-٢٦٩;٧٥٥-٧٥٧
انتقاد مشاكل الحياة ٨٣٦;١٠١٩
انكلترة وسياستها في العام ١٩٢٣ ٦٢ تقدم الكثلكة فيها ١٢٣-١٢٥
اهتداء كاتبة روسية الى الكثلكة ٧٨١-٨٠٢
اوراق الخريف المتناثرة ٨٦٩
اوربة وسياستها في العام الماضي ٦١-٦٧
الاورثذكس والمسونية ٣٢٩ تزدادهم بين الشيع البروتستانية ٣٣٠
اوستراليا: ازدهار الكثلكة فيها ١٢٧
ايطالية والرئيس موسوليني ٦٥-٦٦,١٢٤,١٠١٧
ايلول: اسمه ومعناه ٨٤٠
ايليا مطران اهدن ٣٠
الايمان ناقل الجبال: تفسير آية انجيلية ٨٠٣-٨١٠
ايوب باشا ووصفه ٤٨٥
البرازيل في العام ١٩٢٣ ٩٥
بزيارة القديسة الشهيدة وآثرها في الشرق ١٠٣٠
برتلماوس: مذبحة القديس برتلماوس ٧٠٣-٧٠٧
برصباي القديس شمعون (الماثليق الشهيد) ٢٧٢-٢٧٣
برصوما السطوري ٢٧٧-٢٧٨
البرموسي (الراهب افرام) والكرسي الاسكندري ٥١١ ٥١٩
البستيل ومراعم جلة الحارس في فظائعها ٧٧, ٢٢٦
البطريرك (جرجس مطران دمشق) ٢٤٧
« (انطيبس الاهدني) ٢٤٧
بشير الامير الشهابي الكبير ٥٦١;٦٩٦
بطرس الرسول مشيء الكرسي البطريركي تلميذه مرقس ٥١٦-٥١٩
بطرس بن اميه (مطران صيداء) ٧١٢
البطريرك الماروني وجمال باشا ابان الحرب ١٦١-١٦٧
بلبك: تاريخها وآثارها ٥٥٦
بلجيكة واحوالها في السنة ١٩٢٣ ٦٥
بلغارية ووزارتها الجديدة ٦٧
بلزمين (المطوبي الكردينال روبرس) ٢٤١-٢٤٧

بناما وترقي الكثلكة فيها ١٢٧
بنو امية والنصرانية في عهدهم بدمشق ٧٦٦–٧٧٠
بواردي (المكرمة مريم يسوع المصلوب الكرملية) ووطنها ٩٦٣–٩٦٤
البولشفيك وضحاياهم ٤٧٩
بولونية وسياستها ٦٧ اعداء دينها الكاثوليكي ١٢٦ احوالها في القرن السادس عشر ٦٨٢
بيروت وهيكلها الروماني للزهرة ١٩٥–٢٠٠
بيوس الحادي عشر ومآثره في العام الماضي ١٢١–١٢٢
ت تاوزيريس الكبرى (ابو صير) وآثارها ٢٠٧–٢٠٩
تدشين متحف تيان تسين ٨٢٩
التذكار المئوي الثالث لسلاب لويس الجسري ١٠١٧
تركية وجمهورية انقرة ٩٨–٩٩
تشيكوسلوفاكية ورئيسها ٦٦ مؤتمر الكاثوليك فيها ١٣٦
تعليم الاناث في الاسلام ٦٣٨–٦٣٩
تفسير آية الانجيل في الايمان الناقل الجبال ٨٠٢–٨١٠
التقديس في تاريخ الكنيسة القديم ٧٥٩–تقديس ثلثة كهنة على مذبح واحد ٧٥٩
التلغرافية اللاسلكية وترقيها ٢٨٤–٢٨٥
التلفون اللاسلكي وتحسين ادواته ٢٨٥–٢٨٦
تنبيه السيد ميخائيل اخرس بشأن الازياء الملائية ٨٢٨
التوحيد والتثليث لا تناقض بينهما ٧٢٧–٧٤٥
التولاوي (القس سمعان) ٧١٢
ترما الرسول وتبشيره في ما بين النهرين ١٩٠
ثمرات الاوراق ٧٧٧–٧٨٠
ج الجامعة الرومانية الغريغورية وتاريخها ٨٦١–٨٦٩
جبل الطور وآثاره ٨٨٤
جبلة ووصفها ٤٨٤–٤٨٥
جبيل: اسماء ملكين من ملوكها وكتابة فينيقية بين آثارها ٧٩ المصريون وآثارهم فيها ٨١–٨٦ تاريخها. ادباؤها. آثارها ٢٢١–٢٢٥
الجرجاني (السيد الشريف): رسالته الحرفية ١٠–١٥
جرجس حبقوق مطران الماقورة ٢٥
جرجس مارون الحدثاني (مطران قبرس) ٤٩٩
الجسري (الاب لويس اليسوعي) تذكاره المئوي الثالث ١٠١٧
الجغرافية في العام ١٩٢٣ ٤٦٧
جمال باشا والبطريرك الماروني أبان الحرب ١٦١–١٧٠
جولة في الدولة العلوية ٤٨٢–٤٩٥
الجوهري ونسخ صحاحه ٤٠٠
ح الحاج (يوسف) زعيم الاحرار النصاب ١٥٩، ٢٢٩
الحارث بن الحلزة: اضافة الى ديوانه ٤٧٩
حبش (الخوري اسطفان مرشد الامير بشير) ٧٥٨
الحثيون: اسد حثي ٧٨ فك اسرار لغتهم ٢١٩ الحجاز والعراق وفلسطين ٩٧–٩٨
حدياب واساقفتها الاولون ١٨٤–١٨٩
الحصروني (المطران يوسف) ١٠١
» (يوحنا قرياقوس) ٥٠٤
» (يوحنا الحوشي الراهب الدونيكاني والاسقف الماروني) ٢٤٥
حلقة ادبية في الكلية اليسوعية في تعزيز اللغة العربية ٣٩–٤٧
الحكمة اليسوعية (قصيدة) ٤١٢–٤١٦
الحمادية وفتنهم في القرن السابع عشر ١٠٥
حنين الحيري الشاعر المتنصر ٧٤٦–٧٥٨

الحيوان وعنايته المرعومة ٢٥٨
بخ* خيانة الرب : ميسر القدس كبرلس في عيدها ١-٥
خطة حديثة لتهذيب الناشئة ٩٩١-٩٩٥
خدمة القداس المارونية (حل مشكل) ١٠٢٠
خطة حديثة لتهذيب الناشئة ٩٩٧-١٠٠٢
الخلد والوسائط لإتلافه ٢٤٠
خواطر في الموسيقى ١٤٥-١٤٩
د* داود الانطاكي ودينه ٣١٦،٨٠
دمشق : مجمعها العلمي العربي ٢٤٨-٢٥٣ زيارة حاكمها لكنيستنا ٥٥٨ دمشق المسيحية ومفاخرها ٧٦١-٧٧٦
دنديني (الاب ايرونيموس اليسوعي) سفارته الى الموارنة ٣٤٨-٣٤٩؛٤٣٩-٤٤٤
ده جردن (المرسل اليسوعي) ٢٩
ده شانوتوف سفير فرنسة في الاستانة ١٠٠
ده نواتل (المركيز اوليه السفير الفرنساوي) ٢٥-٢٧
الدهن وازالة ما دنّس عن العظم ٧٦٠
دوار هيوم والريحاني ٨٢٨
الدويهي (البطريرك اسطفان) ٢٤،٢٧،١٠١، ١١٢-١١٣
* (بولس مطران اهدن) ٢٥
* (القس يعقوب) ٢٤٢
دير حنا في الجليل ٨٨٠-٨٨٢
الدين واحواله في العام السابق ١٢١-١٢٨
ذ* ذات وذوات واناء فيها ٤٠٠
ذات الصليب الحمراء النصرانية ٨٤٠
ر* الرامة في الجليل ٨٧٧-٨٧٨
الراعي وسف الراهب اللبناني ٧١٢
راهبات الحرب وكنيستهن في واشنطون ١٠١٨
رحل الفضل المرحوم جبرائيل غرغور ٢٠٦-٢١٨
رحلة رسولية الى بلاد الجليل ٨١٠؛٨٧٥؛٩٢
الرزي (البطريرك يوسف) ٤٩٨
* (المطران سركيس) ٥٩٠
الرسالة الحرفية للتربيب الجرجاني ١٠-١٧
رسالة يوحنا الرسول الى مريم العذراء ٤٨٠، ٥٦٠
الرقص المختلط ١٦٠
رنجن (علوم مكتشف الاشعة المجهولة) وفاته ٧٩
الرهبانية : ألفا ذكر في الانجيل والتاريخ النصراني القديم ٢٩٩
روزالي راهبة المحبة المتوفاة ٨٢٧-٨٢٨
روسية والسوفيات ٦٧؛١٢٧
روسية والحبر الاعظم في السنة ١٩٢٣ ١٢١
الريحانيات المتنة ٦٢٢-٦٢٩؛٧٥٥-٧٥٩؛٨٢٨
ريف قرية الجليل ٨٨٧
ز* الزراعة والتآليف الباحثة عنها ٢٤٠
الزكام : دواء لعلاجه ٧٨
الزلازل في اميركة الجنوبية ٩٥ في اليابان ٩٦
زمرفن (الاب غدفريد اليسوعي) وخارطته الجيولوجية للبنان ١٠١٨
الزهرة وهيكلها الروماني في بيروت ١٩٥-٢٠٠ حجة الزهرة ومنشوراتها ٥٥٨
زيارة الاراضي المقدسة بالسيارات ٥٥٨
س* ساويروس بن المقفع وروايته في نقل جبل المقطم ٨٠٥-٨٠٩
سر القربان في الكنائس الشرقية ٤٢٧-٤٢٢
السريان : اسبوع الآلام المقدس في الكنيسة السريانية ٢٥٣-٢٦٥
السلطان سليمان القانوني وقتله ٥٥٨-٥٥٩
سلطانة افرنسية في بني عثمان ٧٦-٧٧
سورية ولبنان في العام ١٩٢٣ ٩٨ امورهما الدينية ١٢٨ تأليفان جديدان في تاريخ سورية ٢٠٠-٢٠٦ عبادة آلهة سوريين في قرطبة ٢٢٧-٢٤١

سوقان (قصل قبرس الفرنساوي) ٣٧
سياحة اثرية الى البلاد المربوطية ٢٠٥–٢١٢
السيارات (الاوتوموبيل) وترقيها ٢٨٢–٢٨٤
زيارة الاراضي المقدسة بالسيارات ٥٥٨
السينماتوغراف وترقيه ٢٨٦
السيول وطرق علاجها ٥–١٠
ش الشاعر صالح بن عبد القدوس: اخباره وشعره ٨١٦–٨٢٦؛٩٢٥
الشدراوي (المطران اسحاق) ٢٠
الشرق الاقصى في العام الماضي ٩٥–٩٦
الشرق والغرب رد على هذه المجلة في عقلية الحيوان ٧٥٨
شركة انتشار الايمان ٧٨
شطويل (فرنسوا ده) الحبيس الفرنسوي ٥٨٨،٥٩١–٥٩٢،٧١٥–٧١٦
الشعاع المحرق ورأينا فيه ٤٩٥–٤٩٦
شفاعمر واحوالها ٩٦٣
شلق (الخوري نصرالله) ٥٩٦
شملة التغلبي الشاعر النصراني ١٧٨–١٨١
شهداء المجمع الخلقيدوني في التاريخ ٥٦٨–٩٠٢
شهيد الوحدة الكنسية القديس بوشافاط ٦٨١–٦٩٥
ص صافيتا ووصفها ٤٨٧ برجها ٤١٠–٤٩١
صالح بن عبد القدوس: اخباره وشعره ٨١٦–٨٢٦؛٩٢٥
الصحراء والفرنسويون ٩٩
صدقة الميلاد (رواية) ٤٧–٥١
صدى مذبحة القديس برقلاوس ٧٠٢–٧٠٧
صفير (الراهبة مريم فرج) ٨٢٨
الصلوات التي تتلى في آخر القداس ٢٢
الصليب مصدر الحياة (شعر) ٢٢٦ نصبه فوق الكابيتول ١٠١٦
الصناعة وترقيها ٤٦٧
صورة ايمان السيد اغناطيوس متى البطريرك اليعقوبي ١٠٠٢–١٠٠٥
الصين في العام ١٩٢٣ ٩٥ اهتداء رفيق صيني الى الكثلكة ٢٦٨
ض ضحايا البولشفيك ٤٧٩
ضوميط (المطران طرس محلوف) ترجمته ١٧؛ ١٠٠
ط الطب والصحة وترقي فنها ٤٦٨–٤٦٩
طبرية وجبرها ٨١٤–٨١٨
الطبيعيات والكيميا في العام السابق ٤٦٦–٤٦٧
طرطوس ووصفها ٤٨٦
طرعان في الجليل ٨٨٤
الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية للخوري عيسى اسعد: انتقاد هذا الكتاب ٤٠١–٤١٢
الطيران وترقي فنونه ٢٨١–٢٨٣
ع العاقوري (البطريرك يوسف حلبي) ٥٠٨
عامل نشيط في كرم الرب: الاب ادوار ميشال اليسوعي ١٨٢–٩٩٠
عبدالله بن مخارق: (الطلب التاسعة الثياني)
عبلين وآثارها ٩٦٣
العجم وسياستها ٩٧
العذراء مريم: اصل طائبتها ٨٠ ذكرها في رسائل القديس بولس ٧٥٩–٧٦
العراق ورسالتا الدومنيكان والكرمليتان فيها ١٢٨
العرب: علاجهم للكلب ١٢٦–١٢٠
عكا: تاريخها وآثارها ٩٥٤–٩٥٧
العلوم الفلكية وترقيها ٤٦٥–٤٦٩
العلوم وترقيها في السنة ١٩٢٣–١٩٢٤ ٢٨١؛ ٤٦٥
العلويون وبلادهم واحوالهم ٤٨٣–٤٩٧
علي بن عام الدين الدوزي ٧٠٩–٧١٤

عميرة (البطريرك جرجس) سيرته ومآثره ٢٤١؛٤٣٨؛٤٩٧؛٥٨٦؛٧٠٨
العنيبي (موسى مطران قبرس) ٢٤٢–٢٤٣
عويضة (القسّ الياس النزيري) ٢٢
عيد جميع القديسين واصله ٩٤٠
عيسى البغدادي الطبيب ٦٤
عيشون في الجليل ٨٧٨–٨٨٠
* غ * الغافقي: تعريف كتابه مختصر الادوية المفردة مع تعليقين منه ٩٧٨–٩٨٢
غرغور (المرحوم جبرائيل) ترجمته ٢٠٦–٢١٨
غرندل ماتيوس وشعاءُ المحرق ٤٩٥–٤٩٧
الغفران وحقيقة معناه في الكنيسة ٩٤١–٩٥٣
* ف * فافا اوّل جثالقة المشرق ١٩١–١٩٣
فخر الاحفاد بمآثر الاجداد (قصيدة) ١٣٩
فخر الدين المعني ٥٠٢–٥٠٤،٥٠٧–٥٠٨،٥٨٧
فخري بك ورأيهُ في الماسونيّة ٥١١
الفرق الاسلاميّة في منتخب الغافقي ٩٨–٩٨٢
فرنسة: سياستها في العام الماضي ٦٢ إصلاحها لخرابات الحرب ٧٩ احوال الدين فيها ١٣٢
الفرنسيسيّون في دمشق ٧٧٣
فضائل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب ٧٨
فكاهة دينيّة للشيخ يحيى بن عديّ ٧٤٤–٧٤٥
فكاهات العرب ٧٧٧–٧٨٠
فنلندة والكثلكة ١٢٦
في الصليب الحياة (شعر) ٣٣٦
فينيقية ومعنى اسمها ٨٤٠
الفينيقيون ومصر ٨١–٨٦ اقدم كتابة فينيقية ٧٩
* ق * قانا الجليل ٨٨٦
قبرس واحوال الموارنة فيها ٣٨–٣٠، ١١١–١١٢
القدسي (الخوري توما) ١٠٣
القربان الاقدس في الكنائس الشرقيّة ٤٢٧–٤٢٧
قرطبة: عبادة آلهة سوريين فيها ٢٢٧–٢٤١
القرون الوسطى ومظالمها المزعومة ٧٦٠
قصائد الخليفة يزيد بن معاوية ١٩٣–١٩٥
قطرة على غصن (رثاء صغير) ٩١٥–٩١٧
قلعة صهيون ٤٩١
قلعتا الحصن ومرقب ٤٩٠
قند والغزالي ٥٥٨
قوس قزح كآية لنوح ١٠٣٠
* ك * الكاروبيم في الكتاب المقدّس ١٠٣٠
الكبوشيّون في لبنان ٥٠٧،٥٨٨ في دمشق ٧٧٥
الكتابتان الهيروغليفيّة والمسماريّة متى جاءتا ٨٤٠
كتابي: نظر ادبيّ ٢٨١–٢٨٣
الكتب المحرّمة على الكاثوليك ٦٠
الكرسيّ الاسكندري والراهب افرام البرسومي ٥١١–٥١٦
الكرسي الرسولي في العام ١٩٢٣ ٦١
الكرمسدّاني (الخوري جرجس) ٥٠٦
الكرمليّون في دير مار الياس ٧٠٨
كسارا ومرصدها ٥٧٧–٥٨٦
الكشّافة: اصلها وغايتها وفوائدها وقوانينها مع تخصيص الكشّافة الكاثوليكيّة ٢٨٣–٢٩٨
الكلب وعلاجهُ عند العرب ١٢٦–١٣٠ الكلب اللادبي ٤٧٩
الكنائس الشرقيّة وايمانها بسرّ القربان الاقدس ٤٢٧–٤٢٧
الكنيسة الاسكوباليّة البروتستانيّة واضطراب احوالها ٣٩٧–٣٩٨
الكنيسة الجورجيّة والارمنيّة ٦٤٠
كيش رعاديّاتها العجيبة ١٠١٨

ل لا تناقض في التوحيد والتثليث ٧٣٧–٧٤٥
اللاذقيّة عاصمة الدولة العلويّة ٤٨٣–٤٨٤
لبنان الكبير وحدوده وعدد اهل سناجقه ٤٨٠ احوال لبنان بعد الامير بشير ٧٠٠–٧٠٢ لبنان في القرن السابع عشر: (اطلب ترجمة البطريرك جرجس عميرة) –خارطة لبنان الجيولوجيّة ١٠١٨
اللغة العربيّة وتعزيزها في الكليّة اليسوعيّة ٣٩–٤١
لوقا الفيرمي مطران انفوسية ٣٤
لبنوانية: استيلاؤها على مبل ٦٧
ليس تفضيل الموت على قطع الرجل انتحاراً ٧٦٠
ليوتردو غروسو ١٠٣
م مؤتمر البروتستانت الاستقني في اميركة ٩٣٨
ماري رسول الكلدان ١١٠–١١١
ماريا وآثارها القديمة ٣٠٧
الماسونيّة وابطالها ومآثرها ١٥٩,٢٣٩,٢٩٨, ٦٤٠ انقسام مملكتها على ذاتها ٣١٨ جمعيتها ٤٧٨ المقامة الهيراميّة تجس بنحس ٥١١–٥١٣ مؤتمر الماسونيّة في سلبك ٦٣٩ المؤامرة على الشرق الاعظم ٨٣٨
ماني النّوي وما ورد عنهُ في الفاقتي ٩٨٢–٩٨٣
متى (البطريرك اغناطيوس اليعقوبي): صورة ايمانهِ ١٠٠٣–١٠٠٥
مجدل (قرية الجليل) ٨١٨
المجر واحوالها الدينيّة ١٣٥
المجمع السابع وانبثاق الروح القدس من الاب والابن ٢٢٥–٢٢٦
مجلّة الحارس ومزاعمها في البتيل ٢٢٦,٧٧
مجلّة رسالة السلام وردودها ٧٦ و ٢٩٧
مجلّة العرفان: فكاهاتها ١٥٧,٢١٩,٢٣٩
المجمع الخلقيدوني وشهداؤه ٣٥٠, ٥٩٨ – ٦٠٣
المجمع العلمي العربي في دمشق ٢٤٨–٢٥٢
مخائيل سعاده (المطران) ٥٩٠–٥٩١
المخطوطات العربيّة لمكتبة النصرانيّة (تابع): ٣٠:٨٧:٢١٨:٢٦٥:٢٦٨:٣٥١:٥٢٧
مخلوف (البطريرك يوحنا) ٤٩٩,٥٠٧,٥٨٩
مخلوف (المطران بطرس ضوبط) ترجمتهُ ١٧: ٧١٩–٧١٨:١
المدن الزائد عدد نفوسها على المليون ٥٦٠
مراكش واحوالها ٩٩
مرج الطوف ٨٨٣–٨٨٤
مرصد كسارا في لبنان ٥٧٧–٥٨٦
مرقس الانجيلي وانشاؤهُ الكرسيّ الاسكندري بأمر القديس بطرس ٥١٣–٥١٩
مرقس الطاني الشاعر النصراني ٢٧٩–٢٨٠
مركوني في بيروت ٩٣٩
مرهج بن غرون الباني ٧١٣
المريخ واقترابهُ من الارض ٩٣٩
مريم يسوع المسلوب بواردي ١٦٣
مربوط وآثار بقعتها ٣٠٥–٣١٣
مزامير داود واوّل طبعتها العربيّة ٥٦٠
مستشفى السرطان اللاحق بالمكتب الطبي الفرنساوي ٧٥٧
المسيح هو تعالى مشيّ الرهبانيّات ٣٩٩ لا نور من قبره في سبت جمعة الآلام ٣٩٩ صورتهُ المزعومة لبولبوس لنتولس ٨٣٩
مشاكل الحياة ٨٣٦:١٠١٩
مشاهير النصارى في دمشق ٧٦٦–٧٧٣
مصر في العام ١٩٣٣ ٩٩ مصر والفينيقيّون ٨١–٨٦ المعارف فيها ٦٣٩
المطبوعات: القانون في معاقبة سارقيها ٢١٨
مصياف وقدموس ٤٨٧
المطهر: رسالة البطريرك ميخائيل جروه في اثبات عقيدتهِ ٨٩٠–٩٠٥
المطوشي (بطرس اليسوعي) ٢٤٣,٥٠٥

المطوشي (ميخائيل) ٢ ١-١٠٣
المعارف في مصر ٦٤٩
المعزّ لدين الله الخليفة الفاطمي والبطريرك افرام القبطي ٨٠٦-٨٠٩
المغارقرية في الجليل ٨٧٥-٨٧٧
مغري (الاب عبد الاحد اليسوعي) ٥٠٧
المقامة الحيرامية ٥٠٩-٥١١
المقتطف والنفس الروحية ١٧١-١٧٣
مكاريوس زعيم البطريرك الحلبي وكتاب تاريخه ٢٢٠
المكتب الطبي الفرنسوي وعدول المتخرجين فيه ١٠١٧
مكتبة كيش اوّل مكاتب العالم ١٠١٨
المكسيك وثورتها ٩٥
المنار: اعتراضات هذه المجلّة على سرّ الثالوث الاقدس ٧٢٧-٧٤٥ على سفر التوراة ١٠١٧
المهاجرة واضرارها ٧٣٨—٧٤٧
الموارنة في قبرس في القرن السابع عشر ٢٨-٣٠ ، ١١١-١١٣ ، ٧١٣ سبوع الآلام في كنيستهم ٢٥٢-٢٦٥
موسى بن جابر الشاعر النصراني ١٧٢—١٧٨
الموسيقى: خواطر فيها ١٤٥-١٤٩
موته (الاستاذ بيار) حفريّاته في جبيل ٨١—٨٦
ميشال (الاب ادوار اليسوعي) ترجمته ٩٨٢-٩٩١
الميلاد وليلته الاولى ٩٩١-٩٩٥
ميمر في عيد ختانة الربّ ١-د
ميناس القديس الشهيد وآثار كنيسته القديمة ٢٠٩-٢١٢
نابغة بني شيبان الشاعر النصراني ٤٤٩ ; ٥٢٨ ; ٦١٤
الناصرة مدينة الجليل وآثارها ٩٥٧-٩٦٣
مراقبة الآثار الحوّية في دير الناصرة ٦٢٩
نسطور بطريرك القسطنطينية وانتشار بدعته في الشرق ٢٧٧-٢٧٨
النصرانيّة في دمشق ٧٦١-٧٧٦
نصير الكنيسة والدين الطوبوي الكردينال روبرتس بلّرمين ٢٤١-٢٤٧
النصيريون واخلاقهم ٦٩٢
نظر في سياسة العام المنصرم ٩٥;٦
النفس الروحيّة والمقتطف ١٧١-١٧٢
النقود الازوتيّة ٨٠
النمسة في العام ١٩٢٣ ١٢٥;٦٥
نوح البقوفاوي المغربان اليعقوبي ٥٢٤-٥٢٦
النور في سبت جمعة الآلام في قبر المسيح ٢٩٩
* ه * هدبة بن خشرم الشاعر النصراني ٥٢ ; ١١٥ : ٢٣٧
الهلال واعمار البشر الاوّلين ١٠١٩
الهند الصينيّة ٩٦-٩٧
هنس هرنل وارتداده الى الكثلكة ٧٥٧
هولندة : يوبيل ملكتها والحلبين ٦٦ ترقي الكثلكة فيها ١٢٥
* و * واشنغتون : كنيسة راهبات الحرب فيها ١٠١٨
الولايات المتّحدة في العام ١٩٢٣ ١٢٦;٦٧
الوليد بن عبد الملك ونصارى دمشق ٧٧٠ - ٧٧١
الوهابيّون وابن تيميّة ٩١٤،٩٠٥-
* ي * اليابان وزلازلها ٩٦
اليازجي (الشيخ ابرهيم) : نصب تمثاله ٦٢٧
يافا الناصرة ٨٨٨
يزيد بن معاوية وقصائده ١٩١-١٩٥
يسوع الصبي وكنيسته في الناصرة ٩٦٠
اليسوعيّون في دمشق ٧٧٥ يسوعيّان منشئا متحف تيان تسين ٨٢٩ رصدهم في كارا ٥٧٧-٥٨٦
يوبيل الجامعة الرومانيّة الغريغورية ٨٦١-٨٦٩

يوحنا الدمشقي القديس واسرته ٧٦٦-٧٦٨
يوحنا مطران حوقا ٣٠
يودكيافكس (اسقف روسية الكاثوليكي) واستشهاده عن يد البولشفيك ١٣٧،٦٧
يوشافاط (القديس) شهيد الوحدة الكنسية في الاقطار الصقلية ٦٨١-٦٩٥
يوغوسلافية وعناصرها المختلفة ٦٧
اليهود وعددهم في الدول الاوربية ١٥٧
اليونان في العام ١٩٢٣ ٦٦ الكنيسة اليونانية وسوء احوالها ١٣٧-١٣٨

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

الصفحة ١٥٠ السطر ١٨ « Ganthier » والصواب « Gauthier » ٢٥٢ : ٢٠ « الحجور الاسود » ص « الحجر الاسود » = ٤١٠ : ٩ « هنريكس الثالث » ص « هنريكس الرابع » = ٤٧٣ : ٤ « Anderson » ص « Andersen » = ٥١٠ : ٢٠ « مات قبل الحرب » ص « بعيد الحرب » ٥٥٥ : ١٦ « تراهة المثناق » ص « نزهة المثناق » = ٦٤٠ : ٢٦-٢٧ سنة ميلاد الامير يشبر كانت في ١٧٦٧ = ٨٢١ : ٢٢ « بين العصا وخاخا » ص « بين العصا وخاتها »

TABLES DES SOMMAIRES

XXIIe ANNÉE 1924

JANVIER

Une homélie de St Cyrille de Jérusalem sur la Circoncision (page 1) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les torrents du Liban (p. 5) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

Traité des lettres arabes (p. 10) : *Ach-Charif al Giorgiani*

Quelques célébrités du Collège maronite de Rome : Pierre Makhlouf (p. 17) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite p. 30) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une séance littéraire à l'Université St Joseph (p. 39) : *id.*

L'aumône de Noël (nouvelle) (p. 47) : *Mr Joseph P. Saad*

Les Poètes Chrétiens après l'Islam (suite) : Hodba ibn Khachram (p. 52) : *P. L. Cheikho S. J.*

Revue politique de l'année (p. 60) : *P. L. Q. S. J.*

Bibliographie Orientale (68) = Varia (76) = Questions et Réponses (80)

FEVRIER

Les Phéniciens et l'Egypte, d'après une Conférence de Mr Pierre Montet (p. 81) : *P. René Mouterde S. J.*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite p. 87) : *P. L. Cheikho S. J.*

Revue politique de l'année (fin, p. 95) : *P. L. Q. S. J.*

Quelques célébrités du Collège maronite de Rome : Pierre Makhlouf (fin, p. 100) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Les Poètes Chrétiens après l'Islam (suite): Hodba ibn Khachram (fin, p. 115) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le traitement de la Rage chez les anciens Arabes (p. 126) : *id.*

Bulletin religieux de l'année 1923 (p. 131) : *id.*

Les gloires de la Phénicie (poème, p. 135) : *L'abbé Jean Sab'ili*

Envolées musicales (p. 150) : *Mr Joseph Ghasoub*

Bibliographie Orientale (149) = Varia (157) = Questions et Réponses (160)

MARS

Le Patriarche Maronite et Djamal Pacha durant la guerre (p. 161) : *Mgr Abdallah Khoury*

La revue al-Moqtataf et l'âme humaine (p. 171) : *P. Antoine Salhani S. J.*

Les Poètes Chrétiens après l'Islam (suite) : Mousà ibn Djaber; Cham'ala (p. 173) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Primats d'Orient et les Maphriens p. 182) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Poésies du Calife Yazid Ier (p. 192) : *P. Henri Lammens S. J.*

Le temple de Vénus dans la Beyrouth romaine (p. 195) : *P. René Mouterde S. J.*

Deux nouvelles histoires de Syrie (p. 200) : *Cheikh Salim Kh. Dahdah*

Une victime du régime turc (p. 206) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 218) : *id.*

Bibliographie Orientale (229) = Varia (237) = Questions et Réponses (240)

AVRIL

Le Champion de l'Eglise, le Bx Bellarmin (p. 241) : *P. L. Cheikho S. J.*

L'Académie arabe de Damas (p. 248) : *id.*

Les cérémonies de la Semaine Sainte dans les rits syrien et maronite (p. 253) ; *Mr Joseph Médawar*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (suite, p. 265) . *P. L. Cheikho S. J.*

Les Primats d'Orient et les Maphriens (suite, p. 272) : *L'abbé Isaac Armalé*

Mon Livre (p. 281) : *Mr Fouad E. Boustani*

Eclaireurs et Scoutisme (p. 283) : *P. Pierre Sarah O. S. A. B.*

Les Poètes Chrétiens après l'Islam (suite) : A'cha de Taghleb (p. 298) : *P. L. Cheikho S. J.*

Excursion dans la Maréotide (p. 305) : *L'abbé Louis Malha*

Bibliographie Orientale(312)=Varia(318)Questions etRéponses(320)

MAI

Gébail: histoire, cultes, monuments (p. 321) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Croix principe de vie (poésie) (p. 336) : *id.*

Divinités syriennes adorées à Cordoue(p.337):*P. R. MouterdeS.J.*

Quelques célébrités du Collège maronite de Rome :'Georges Amira (p. 341) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Les Manuscrits des auteurs arabes chretiens depuis l'Islam (suite) : Appendice (p. 351) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Primats d'Orient et les Maphriens (suite, p. 364) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Poètes Chrétiens après l'Islam (suite) : A'châ de Rabi'a et Marc le Tayyte (p. 372) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bulletin scientifique (1923 - 1924) (p. 381) : *id.*

Bibliographie Orientale(387)=Varia(397)Questions etRéponses(400)

JUIN

Une nouvelle histoire orthodoxe de l'Eglise, p. 401):*P.L.Cheikho*

La sagesse du Christ (poésie) (p. 402) : *Mr Qoublan Riachi*

Les Primats d'Orient et les Maphriens (suite, p. 417) : *L'abbé Isaac Armalé*

Le dogme de l'Eucharistie dans les églises orientales (p. 427) : *P. L. Cheikho S. J.*

Quelques célébrités du Collège maronite de Rome : Georges Amira (suite, p. 438) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : Nabigha le Cheibanite (p.449) : *P. L. Cheikho S. J.*

Critique littéraire de l'ouvrage «[illegible]» (p. 457) : *Mr Fouad E. Boustani*

Bulletin scientifique (1923 - 1924) (fin, p. 465) ; *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale(470)=Varia(478)Questions etRéponses(480)

JUILLET

Vue d'ensemble sur l'Etat des Alaouites (p. 481) : *P. L. Cheikho S. J.*

Que faut-il penser du rayon ardent ?(p.495) :*P. J. BlempoisS.J.*

Quelques célébrités du Collège maronite de Rome : Georges Amira (suite, p. 497) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Une Séance antimaçonique (p. 509) : *Mr Joseph Ghalbouni*

Le moine de Baramous et le Siège d'Alexandrie (p. 511) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Primats d'Orient et les Maphriens (suite, p, 519) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam : Nabigha le Cheibanite .suite, p. 528) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Manuscrits des auteurs arabes chrétiens depuis l'Islam (fin, p. 534) : *id.*

Bibliographie Orientale(547)=Varia(557)Questions et Réponses(560)

AOUT

Le grand Emir Béchir Chéhab (p. 561): *Cheikh Salim Dahdah*

Annales de l'Observatoire de Ksara (Liban, p. 577): *P. B. Berloty S. J.*

Quelques célébrités du Collège Maronite de Rome : Georges Amira (suite, p. 586) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Ce que nous apprend l'Histoire sur les 350 Martyrs de Syrie (p.

598) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Les Primats d'Orient et les Maphriens (fin, p. 604) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam : Nabigha le Cheibanite (fin, p. 614) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une publication immorale et tendancieuse (الريحانيات) (p. 623) : *id.*

Bibliographie Orientale (630) = Varia (637) Questions et Réponses (640)

SEPTEMBRE

St Josaphat apôtre et martyr de l'Union chez les Slaves (p. 681) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le grand Emir Béchir Chéhab (fin, p. 695) : *Cheikh Salim Dahdah*

Un écho de la St Barthélemy (p. 702) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Quelques célébrités du Collège Maronite de Rome : Georges Amira (fin, p. 708) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam : Honein al-Hîrî (p. 719) : *P. L. Cheikho S. J.*

L'émigration et ses suites funestes (p. 728) : *Mr Joseph Abou Khater*

La prétendue contradiction entre l'Unité de Dieu et la Ste Trinité (p. 737) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (746) = Varia (756) Questions et Réponses (759)

OCTOBRE

Les gloires chrétiennes de Damas (p. 761) : *P. L. Cheikho S. J.*

Récits facétieux tirés des Mss arabes (p. 777) : *id.*

La conversion d'une dame russe au Catholicisme (traduit du russe, p. 781) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

La foi qui transporte les montagnes (p. 803) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion apostolique en Galilée (p. 810) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

Le poète Ṣâliḥ ibn 'Abd al-Qouddous (p. 819) ; *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (829) = Varia (837) = Questions et Réponses (840)

NOVEMBRE

Le centenaire de l'Université Grégorienne (p. 851) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Feuilles d'automne (p. 869) : *Mr Fouad E. Boustany*

Une excursion apostolique en Galilée (suite, p. 875) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

Un traité inédit sur le Dogme du Purgatoire (p. 890) : *Le Patriarche Michel Giarwé*

Ibn Taymiyah et les Wahabites (p. 905) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Une larme sur un jeune rameau brisé (élégie, p. 915) : *Mr Nagib Khalaf*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : al Ahtal (p. 917) : *P. Louis Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (927) = Varia (936) = Questions et Réponses (940)

DECEMBRE

La vérité sur les Indulgences (p. 941) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion apostolique en Galilée (fin, p. 954) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : al Ahtal (fin, p. 966) : *P. L. Cheikho S. J.*

Un Manuscrit de Ghafiqi (avec extraits, p. 978) : *Mr Tawfiq Askarios*

Un Missionnaire jésuite, le P. Edouard Michel (p. 982) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le premier Noël (nouvelle, p. 993) : *Abbé Maroun Ghosn*

Un plan bizarre d'éducation (p. 997) : *P. Joseph Ménassa S. J.*

La profession de foi Catholique du Patr. Ignace Matthieu (1815 p. 1002) : *Abbé Isaac Armalé*

Bibliographie Orientale (1007) = Varia (1017 Questions et Réponses (1020)

المشرق

مفكّرات السنة الشمسيّة لاهل الكرة الارضية

نظر علمي للاب لويس شيخو اليسوعي

يوم الخميس في غرّة كانون الثاني يدخل العالم في سنة شمسيّة جديدة هي الخامسة والعشرون بعد التسعمائة والالف منذ ميلاد السيد المسيح وهي توافق السنة ٧٤٣٢ لآدم على الحساب البوزنطي و ٧١٢٤ للخليقة حسب الترجمة السبعينيّة والسنة ٥٦٨٥—٥٦٨٦ للحساب اليهودي والسنة ٤٨١٢ للدروزان و ٣١٤٠ لاوهيم الصيني و ٣٤٣٥ لموسى الكليم و ٢٩٥٧ للملك والنبي داود و ٢٦٧٨ لرومية و ٢٢٣٧ لليونان او السلوقيين والسنة ١٦٤١ — ١٦٤٢ هجريّة وفي السنة ١٩٢٥ يقع بدء الصوم يوم الاثنين في ٢٣ شباط وعيد الفصح في ١٢ نيسان. عددها الذهبي في رتبة السنين الدوريّة في كلّ ١٩ سنة هو ٧ وقاعدة القمر في اوّل يوم من السنة هي ٥

فهذا الحساب كما ترى مبنيٌّ كلّهُ على الشمس واليها مرجعنا في معرفة سنتنا بل اليها الفضل في حياتنا كلّها كما عليها يترتّب نظام سنتنا. ولذلك اتخذتها كل الشعوب الراقية قاعدةً لتدبير امورها. وبلغ بالبعض منها معرفتُها الجميل ان وجّهت اليها إكرامها فتمجّست واتّخذتها كمعبودتها السامية بدلًا من ان ترفع عواطف شكرها الى الله الخالق الذي أبدعها وجعلها سراجًا لعالمنا وعلّق عليها منافع ارضنا

فبهذه النسبة احببنا ان نذكر بعض ما تستفيده كرة ارضنا ونستفيد نحن معها من فضل الشمس بعناية الخالق فيزيد حبّنا لذلك الاله الذي سخّر هذا النيّر العظيم لخدمتنا ولولاهُ لتنغّص كلّ عيشنا بل لعُدِمت حياتنا تماماً

***

١ واوّل ما يقضي على كُرَة ارضنا بالشكر للشمس انَّها «ابنةُ الشمس» ومنها كيانها. فانَّها كبقيَّة السيَّارات الدائرة حول الشمس كانت في سالف الاعصار جزءًا من الشمس وبدوران الشمس في الافلاك انفصلتْ عن امّها واستقلَّت بحركتها الَّا ان الشمس لم تزل تضبطها تحت سلطانها فهي تجذبها وحولها تدور ومنها تستمدّ نورها فهي كحاشية ذاك الملك الجبَّار تجري منوطةً بحكمهِ تربطها اواصر الرحم بمُولِدتها

٢ ومن نعمة الخالق انَّ القرابة بين الشمس والارض هي قرابة حبٍّ معتدل فانَّها لا تتحكَّم على الارض تحكُّم العاشق بمعشوقهِ ولا تجعل محبَّتها رخوةً الروابط فتحرمها كثيرًا من عواطف حبّها. فانَّ موقع الارض في النظام الشمسي متوسّطٌ ليست قريبةً كسيَّارتَي عطارد والزُّهرة ولا بعيدةً كبعد المرّيخ ولاسيَّما المشتري وزُحل واورانوس ونبتون. ورتبتُها هذه المتوسّطة تُوليها منافع جمَّة. فلو كانت في جيرة الشمس كعطارد لأحرقت الشمس كل نباتها واهلكت كلَّ نسل عليها. وعطارد تتلظَّى باشعَّة الشمس المتَّقدة فتنالها من حرارتها سبعة اضعاف حرارة الارض كما اثبت ذلك الفلكيُّون. امَّا الزهرة فانَّها وان لم تشعر بلفحات الشمس كشقيقتها عطارد الَّا انَّ وقدات الحرّ عليها ضعف حرارة الشمس على سطح كُرَتنا وهذا ممَّا لا يُحتمل في معظم اقاليم ارضنا

وبخلاف ذلك لو كانت ارضنا على بُعد سيَّارة المرّيخ من الشمس لَما نالها من نورها الَّا ثلث الحرارة التي ينالها المرّيخ فيكون اذن بردُنا قارسًا لم نستطع احتمال وطأتهِ في معظم فصول السنة. وما قولنا لو كانت الارض على المسافة الفاصلة بين الشمس والمشتري فانَّ قوَّة النور والحرارة على سطح السيَّارة المشتري تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ مرة اضعف منها على الارض فسايُّ حيٍّ يستطيع ان يقاسي مثل هذا البرد المهلك ؟. وكم بالحري لو وُجدت ارضنا على مسافة زُحل واورانوس ونبتون من الشمس وكلّها تستمدّ نورها وحرارتها منها فنصيبها منها نصيب الفقير المدقع المائت جوعًا وعطشًا. ومن هذه المقابلة تظهر عناية الله الصمدانيَّة بارضنا وسكَّانها. وبها يصحُّ قول الفلاسفة انَّ خير الامور اوساطُها

٣ ولقام ارضنا في النظام الشمسيّ نعمة ثالثة وهي مدَّة دورانها حول الشمس

وعليها تترتَّب السنة الشمسيَّة . فدوران الارض كما هو معلوم يدوم ٣٦٥ يوماً مع زيادة يتكوَّن منها يوم في السنة الكبيسة . ومن هذا الدوران تتألَّف الفصول الاربعة : الشتاء والربيع والصيف والخريف يتواصل بعضها ببعض وتتناسق تناسقاً بطيئاً ليناً لا يحدث عنهُ ضررٌ بالانقلاب المتسرِّع حتى لو وقع بعض الخلل في تلك الفصول لَلَحِقَنا منهُ اضرار محسوسة كالجدب في الصيف والخريف ثمَّ السيول العرمة في الشتاء والربيع . ألَمْ الآن نظرك على بقيَّة السيَّارات تَرَ فضل حالة ارضنا عليها فانَّ عطارد تدور حول الشمس بنحو من ٨٨ يوماً لا تتجاوز فصولها الاربعة ٢٢ يوماً فناهيك بذلك من تقلُّبات سريعة في جوِّها بموجب اقترابها المفرط من الشمس او ابتعادها عنها اذ تدور حولها كأرضنا على شكل اهليلجيّ . وكذلك الزهرة فانَّها تدور حول الشمس بقريب من ٢٢٥ يوماً فيكون لكل فصل ٥٦ يوماً بنيّف . فانَّ سكَّانها على افتراض وجودهم فيها معرَّضون لآفات التقلُّبات الجويَّة

وعلى عكس ذلك فصول سنة المرّيخ التي يطول دورانُها حول الشمس نيفاً و٦٨٦ يوماً وذلك ما يجعل فصولها الاربعة مفرطة الطول يزيد الفصل عن خمسة اشهر . فلو وُجد البشر على سطحها لَنشأوا وتأقلموا واشتهروا نهاية الفصول المضنية المملة كالخريف والشتاء . وافظعُ من ذلك موقف سيَّارة المشتري التي تدوم سنتها لتقطع سيرها حول الشمس ثلاثين سنةً من سني ارضنا فيكون الفصل سبع سنين وعدة شهور . وما قولنا بزحل واورانوس ونبتون ودورانها في افلاكها البعيدة

٤ ومن النعم الحاصلة لأرضنا من فضل الشمس تحديد ازمنتها وتقاسيم سنتها من ايَّام وشهور وسنين . وذلك كلُّهُ ممَّا يشقُّ ضبطهُ في غيرها من السيَّارات . فانَّ ارضنا توجّه كلَّ يوم احد قسميها الى الشمس بضع ساعات ثمَّ تحوّل اليها قسمها الثاني وبذلك يتمُّ نظام الليل والنهار . فيدعو الليل البشرَ الى السكينة والراحة ويستفزُّهم النهار الى الحركة والعمل . تخفّ عنهم في الليل وطأة الحرّ ويكسوهم النهار بهجةً وينعمهم نشاطاً . يأوون ليلاً الى الخلوة والانفراد ويعودون نهاراً الى حلبة السباق والازدهار . ثمَّ تتناوب ايَّام الاسبوع ثمَّ الشهر الى السنة فيخصّص لبعض اطوارها مواسم ترتبط مع مواقع الشمس في منطقة بروجها

٥ ثمَّ ان لكرتنا الارضيَّة تقاطيع ومناطق مختلفة من اودية وجبال وسهول

ونُجود وقارّات وبحار للشمس فيها فعلها المشكور تحيي التربة بحرارتها وتزكي الزروع بنورها واشعّتها وتمتصّ المياه صيفاً فتحولها الى ابخرة ثمّ الى امطار وثلوج شتاء فتسقي النبات والحيوان وتُخصب سائر البلدان بما يتولّد منها من الانهار . كلّ ذلك بفضل الشمس ونسبة ارضنا الى بُعدها عن مركزها

وما قولنا عن مظاهر اخرى تعلّلها الشمس في ارضنا كهبوب الرياح الناتجة عن تخلّل الهواء بحرارتها فتهجم الرياح حيثما تفرغ الاهوية من البرّ الى البحر ومن البحر الى البرّ ومن الجبال الى الصحاري ومن الصحاري الى الاودية بسرعة تختلف على حسب فروغ الهواء

٦ وكم لنور الشمس في ارضنا من المفاعيل العجيبة في تلوين الاثمار والنبات وجلود الحيوان واجنحة الطيور . وما اجمل المناظر وأفتنها عند شروق الشمس وغروبها اذ تكسو الأفق بألوان حمراء ارجوانيّة ذهبيّة لازورديّة لا تشبع العين من النظر اليها . وكذا قُلْ عن قوس قُزَح اذ ينعكس نور الشمس على الغمام فتنحلّ اشعّتهُ البيضاء الى الالوان السبعة التي يتركّب منها

كلّ هذه العجائب خصّ الله بها ارضنا ولا اثر لها في غيرها من السيّارات لخلوّها من المياه اذ لا جوّ لها كجوّنا . فصدق ما قلنا فيها انّها ابنة الشمس واعزّ المحبوبات اليها

***

وهذه المظاهر كلّها طبيعيّة وانّما عليها تترتّب مظاهر أُخرى اجتماعيّة وادبيّة . فانّ لكلّ دولة ولكلّ دين تظاهرات مرتبطة بالسنة الشمسيّة تحتفل بها في اوقات محدودة . وان قصرنا النظر على الكنيسة الكاثوليكية وجدنا بين رقبها والشمس علائق لطيفة . ولا عجب فانّها تعتبر الشمس كرمز السيد المسيح الذي تدعوهُ شمس العدل وشمس العقول . كيف لا وهو «النور الحقيقي الذي يُنير كلّ انسانٍ يأتي الى هذا العالم» (يوحنّا ١ : ٩) وقد قال عزّ وجلّ عن نفسهِ «انا نور العالم مَنْ تبعَني فلا يمشي في الظلام بل يكون لهُ نور الحياة» (يوحنّا ٨ : ١٢)

وهذا ما حدا بالكنيسة الى ان تجعل فرائضها وصلواتها القانونيّة على نظام حركات الشمس في دورها اليومي . فهي توجّه صلواتها الى المسيح سيّدها شمس البرّ في خمسة اطوار الشمس اليوميّة فتبدأ بصلاة الساعة الاولى عند طلوع الشمس . ثمّ تُعقبها بصلاة

الساعة الثالثة في رأد الضُّحى اذ تبلغ الشمس تمام نورها وحرارتها. وتليها صلاة الساعة السادسة في الهاجرة عند بلوغ الشمس مستوى سيرها في الفلك. وتعود اليها عصراً عند زوال الشمس في اصيل النهار فتلك صلاة التاسعة. ثم تختم النهار عند مغيب الشمس بصلاة الغروب مع الستار. وتدع صلواتها المطوَّلة لثلاث هجعات الليل اذ يتجلى لها ذاك الاله الذي لا تحجب نورهُ ظلمةٌ

واليوم الاوَّل من الاسبوع وهو الاحد معدودٌ كيوم النور وهو في عرف كثير من الشعوب يُدعى بيوم الشمس (dies Solis, Sonntag, Sunday) فالكنيسة خصَّتها بخدمة الله كباكورة الاسبوع وحظرت على ابنائها الاشغال المادّيّة

وكذلك في نظام الكنيسة السنوي ترى اخصّ اعيادها ذات علاقة مع الشمس. فانَّ اوَّل اعيادها عيد ميلاد الربّ جعلتهُ في ٢٥ كانون الاوَّل حيث يقع تقريباً عند الانقلاب الشتوي فيبدأ النهار بالطول ويزداد نور الشمس. وكذا عيد دخول المسيح الى الهيكل في ٢ شباط يدعى بعيد النور لظهور الربّ فيه وهو «النور الذي ينجلي للامم» كما قال سمعان الشيخ (لوقا ٢: ٣٢). ثم [illegible] واقع بقرب الاعتدال الربيعيّ وعلبة نور الشمس في النهار على علمة الليل. وشبه [illegible] تجلي الرب في ٦ آب عند مهمان الصيف اشارةً الى ظهوره في جلاله اذ اضاء وجههُ كالشمس» (متى ١٧: ٢). وفي اواسط ذلك الشهر عيد انتقال العذراء التي قيل فيها انَّها مختارة كالشمس (نشيد ٦: ٩) ورآها يوحنا الحبيب في الرؤيا (١٢: ١) فقال عنها: «وظهرت في السماء آية عظيمة امرأةٌ ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وفي رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً»

فترى ما للشمس من المقام الرفيع في عالم الادب والدين كما في عالم الكون الطبيعيّ فيحقّ على الانسان ان يقدّم لربّ الاكوان الشكر العميم على ما نالهُ ولا يزال ينالهُ من مراحمهِ تعالى بواسطة ذاك النيّر العظيم الذي على الرغم من جمالهِ ليس هو الّا صورة مادّيّة ضعيفة للنور الالهي الذي ينجلي للقلوب في الارض وسيطلع بكلّ بهائهِ ورونقهِ في السماء لابصار الابرار مدى الدهور والاعصار

كوتولنكو

أو عجائب العناية الالهية

بقلم حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليتنا

في اليوم التاسع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩١٧ ، أشرقتْ فوق كرسي زعيم الرُسل في كنيسة القديس بطرس الكبرى برومةَ العظمى ، طلعةُ طوبويٍ جديد محاطةً بهالات التكريم والتعظيم . وما تلك الهالات سوى رمزٍ يرمزُ إلى ذلك المجدِ الدائم ، الذي حازه يوسف مبارك كوتولنكو (Cottolengo) امام الله والناس

فإنّ ذلك العمل الخيريّ العجيب الذي أنشأهُ كوتولنكو في الجهة الجنوبيّة من جبال الألب ، قد ذاع صيتهُ واشتهر ، حتى أنّ كلّ من زار مدينة تورينو لا يتمالك عن أن يقف أمام ذلك العمل دَهِشاً حائراً

ففي تلك المدينة الغاصّة بالاشغال التجاريّة والسياسيّة ، وفي وسط مقاطعة بيامونتي (Piémont) المشهورة بالزراعة والصناعة ، وأمامَ هاتيك الابصار المتنبهة والعقول المنصرفة بكلّ قواها إلى الامور المادّية ، وأمام المتّكلين على العناية البشريّة وحدها ، أنشأ كوتولنكو ملاجئَ خيريّة تضمُّ الآن بين جدرانها ما ينيف على ثمانية آلاف شخص ، تعولهم العناية الالهية وتقيّض لهم القوت اليومي

فلا بدع إذا لقّب الناسُ ذلك العمل العجيب بالاعجوبة الدائمة . فانّ الله لا يزال يصنع في تلك المآوي الخيرية في كل يوم عجائبَ ثلاث : اعجوبةً ماليّة تُجري الرزق على سكان اولئك الملاجئ يوماً فيوماً ، بمالٍ لا يدرون من أين أتى ، ولا ممّن أتى ، ولا كيف أتى . وأعجوبةَ سلامٍ دائمٍ يُرفرف فوق تلك الجماهير . وأعجوبةَ رحمةٍ عجيبة لم تستطع الحربُ الكونية أنْ تخفّفَ مُجراها . وبينا كان العالم أجمع ايام الحرب الاخيرة في شدّةٍ وضيق ، كان هؤلاء الفقراء في رَغدٍ وسعة ، فلم يذوقوا غير خبز الحنطة ولا أعوزهم شيء قطّ

الطوبوي يوسف مبارك كوتولنكو

(١٨٤٢–١٧٨٦)

فهيّا الآن ايها القارئ الكريم، لنطلعك على الاعمال التي أنشأها الله بواسطة عبده كوتولنكو فترى اذ ذاك عجائب العناية الالهية

١ نظرة عامّة

يرى الناظر الى ضاحيةٍ من ضواحي مدينة تورينو حيًّا غريب الشكل، أو قلْ مدينةً، بُنيتْ حيالَ تلك المدينة الكبيرة، يُنيفُ عددُ سكّانها على ثمانية آلاف شخص، في مساحةٍ تبلغ مائتي الف متر مربّع. وقد أحاط بذلك الحيّ سورٌ ضخم، لا أعمدة فيهِ ولا أروقة ولا مخازن. فعندهُ تنتهي أبنيةُ تورينو المشيدة على شكل هندسيّ بديع. لكنّ الزائر لا يصل إلى ذلك البناء الكبير حتى يقف ويقول: تُرى أحصنٌ هذا . . أم معمل . . أم دير؟ فإنّ هذه المدينة السرّيّة قد ارتفعت جدرانها وبدتْ بمظهر يرى الغريبُ فيهِ لغزًا وأُحجيّة

وليس لهذا البناء اسمٌ يدلُّ على شيء عظيم، فقد دعوهُ باسم «كوتولنكو»، وقد يختصرونهُ ويقولون «كوتو»

وما يوسف كوتولنكو هذا سوى اسم كاهن وضيع، وُلد سنة ١٧٨٦ في مدينة «برا» (Bra) من مقاطعة «بيامونتي»، ومات في مدينة كياري (Chieri). وكان قانونيًّا في رعية اسمها جسد الرب (Corpus Domini). ولم يكن لهذا الكاهن صيتٌ عريض وشهرةٌ واسعة، لكنّهُ خلّف بعد موتهِ أعمالًا عظيمة نشرتْ ذكرهُ إلى البعيد. وقد بحثتِ الكنيسة المقدّسة عن حياتهِ واعمالهِ، فأثبتتْهُ بين الطوبويّين ورفعت تمثالهُ فوق المذابح

لكنّ هذا الرجل العجيب، الذي ضارع بإيمانهِ آباء العهد القديم، لم يكن يرضى قطُّ بأنْ يُذكر لهُ اسمٌ، بل كان يودُّ ابدًا أنْ يتوارى في ظلّ ذلك القديس الشهير منصور دي پول مثال الرحمة للاجيال المتأخرة. ولذلك دعا عمله الكبير باسم حقير فوسمهُ بالبيت الصغير (La Piccola Casa)

والبيتُ الصغير هذا، كما سبق القول، اشبه بمدينة، قد اشتملت على حدائق ومعامل ومدارس ومآوٍ ومناسك وأديارٍ واهبات ممرّضات، ومسلاجئ للشيوخ العاجزين، ومنازل للمجانين والبُلْهِ والعُرْج والصُمّ والعميان، ومياتم ومدارس

اكليريكية، وردهات واسعة لإيواء كلّ من نزل به شقاء، ولاسيما لمن كانت حالتهم أدعى إلى النفور والاشمئزاز فأهملهم الناسُ وخذلوهم

وإنّ القلم ليعجز عن وصف ذلك البيت الصغير، وعن كيفيّة قيامه ونموّه المتواصل السريع منذ ٩٠ سنة ونيّف إلى الآن. فهو امرٌ لا تقوى يدٌ بشريّة على النهوض به، لأنّ ذلك البيت الصغير، او قُلْ تلك المدينة الواسعة، ليس لها دخلٌ ماليّ أصلاً، ولا عقار ولا مرتّبات ولا جمعيّات خيريّة منظّمة تسعى لمساعدتها، فهي لا تعيش إلّا من صدقات تدرُّ عليها من غير طلبٍ ولا سؤال، وقد تبلغ تلك الصدقات في بعض الاحايين مبالغ وافرة فتُنفَق كلُّها ولا يُؤذَنُ في استبقاء شيء منها

وليس لهذه «المدينة السرّية» موردٌ خاص من اشغال سكّانها، وما فيها إلّا كلُّ مريضٍ وعاجز. وايّ نتيجة ماليّة تحصلُ من تلك الايدي الضعيفة التي تقومُ ببعض الخدم البيتيّة اليسيرة، من مثل تنقية الحبوب والخُضَر وإصلاح الثياب وترقيعها، بينا أنّ نفقات تلك الملاجئ الخيريّة في كلّ عام تزيدُ على ثلاثة ملايين فرنك

وليس أيضاً في هذه المدينة صناعةٌ سوى صناعة الصلاة ليل نهار، صلاةٌ سداها طلبُ القداسة فقط ولُحمتُها الشكر. وفي إزاء هذه المعامل الروحيّة معمل آخر لا بدّ للهيئة الاجتماعيّة منهُ، فيه تُمارَس الإماتات المسيحيّة تكفيراً عن مآثم البشر. وهنالك أيضاً ديرٌ تخصّص بترتيل الفروض الالهيّة على مثال الحبساء القديسين القدماء.

ولكمْ من زائر وقف أمام تلك المنازل الخيريّة حائراً مدهشاً، ولسانُ حاله يقول: حقّاً ما هذا عملُ بشرٍ!..

ولما بلغ شارلَ ألبر ملك سردينية خبرُ اعمال كوتولنكو تأثّر كلّ التأثّر، وحملتهُ الغيرةُ على أنْ يكون لذلك المؤسّس الوضيع مُعيناً وعضُداً، فاستقدم كوتولنكو وقال له: أودُّ يا حضرة الاب أن تجعل ملاجئك هذه تحت حماية حكومتي، وأنا مستعدٌّ لابذل وُسعي في إعانتها. فاضطرب كوتولنكو وقال: إيذن لي يا مولاي أن اقول لك، إني قد سيّقتُ وجعلتُ البيت الصغير تحت حماية مريم العذراء ورعاية العناية الالهيّة، فلا يسعني أن أعود فانزعهُ منها، لأجعلهُ تحت حماية الحكومة!

وكان كوتولنكو يخاف كلّما زارَ البيتَ الصغيرَ أميرٌ أو رجلٌ عظيم. وكان يقول: أخشى أنْ تغتاظ العنايةُ الالهيّةُ من تصرُّفِ العنايةِ البشريّة

هذا ولا نكتمُ القراء الكرام، أنّنا كنا قد نوينا إطّلاعهم على جميع تلك الاعمال الباهرة، التي انشأها رجل الله، فاستقبلنا العجز عن الاحاطة بجميع ذلك، ورأينا انّ الامر يقتضي مجلّدًا ضخماً لا تسعهُ هذه المجلّة مع كبر حجمها، فاجترأنا بتلخيص شيء من تلك المؤسسات التي كتب عنها مؤرّخون صادقون، زاروا ذلك البيت الذي دعاهُ كوتولنكو صغيرًا، وشاهدوا ما فيه من الاعمال المدهشة الناطقة باعاجيب العناية الالهيّة

ولما كانت ابواب هذه اللاجئ لا تزال مفتوحةً في وجه كلّ زائر، رأينا ان نسير بالطالع الكريم لزيارة ذلك البيت الصغير العجيب

٢ القنطرة الحمراء

هلمّ ايها القارئ الكريم نبدأ بزيارة اقدم محلّةٍ في وسط مدينة تورينو، حيث نرى كنيسة جسد الرب التي شيّدها سكان تورينو، تخليدًا لذكر أعجوبة باهرة صنعها القربان المقدّس. وهي انّ اللصوص دخلوا ذات ليلةٍ احدى كنائس المدينة، وسرقوا كلّ ما فيها حتى حُقّةَ القربان، وجعلوا جميع ذلك في اكياس وفرّوا بها. ولمّا وصلوا الى احدى ساحات البلدة، تحرّكت اجزاء القربان المقدس، وفُتحت الاكياس فطارت في الفضاء، وبقيت محلّقةً في الجوّ حتى اقبل الكهنة في جمع غفير وطوافٍ حافل. ولمّا بلغوا المكان المذكور، سجدوا كلّهم ورفع الكهنة بايديهم كؤوساً مقدّسة فنزلت جميع اجزاء القربان رويدًا رويدًا واستقرّت فيها. وكان ذلك في اليوم السابع من شهر حزيران سنة ١٤٥٣

هذه هي الكنيسة العجائبيّة، التي عُيّن فيها يوسف كوتولنكو كاهناً برتبة قانوني (Chanoine) سنة ١٨١٨

ففي مساء احد ايام ايلول من سنة ١٨٢٧، وصلت الى تورينو امرأة فقيرة حبلى، وهي مصابة بمرض مخطر، فقرعت ابواب مستشفيات المدينة، فلم تجد محلًّا، فجرّت نفسها الى فندق حقير حيث ماتت بعد قليل

وكان كوتولنكو قد اسرع الى هناك، ليساعد المريضة المسكينة ويمنحها الاسرار الاخيرة. ولمّا رآها، وقد ماتت على تلك الحال، بلغ منه التأثر، ولاسيما حين

شاهد صغارها من حولها ينوحون ويبكون ، وزوجها يردّد ويقول : أفي مدينة مسيحيّة كمدينة تورينو لا أجدُ سريراً لامرأتي المسكينة !

فمن تلك الساعة عزم كوتولنكو ان يستدرك الامور ويتلافى باسرع ما يمكن وقوع امثال هذه الفواجع

ولمّا كان المساء أطلع رفقاءهُ الكهنة على ما كان ، فتأثّروا كلّهم ونشّطوه على عزمهِ وسلّموا اليهِ القيام بهذا العمل المجيد

وكان ازاء كنيسة جسد الربّ بيتٌ مؤلّف من ستّ طبقات ، وفي مقدّمهِ قنطرة مصبوغة بلونٍ احمر ، ما جعل الناس يطلقون على ذلك البناء لقب القنطرة الحمراء (La Volta Rossa) . فاستأجر كوتولنكو غرفتين هنالك ، وأقبل اليهِ رجلٌ صالح من تورينو اسمهُ توما رولاندو ، قدّم نفسه لمساعدة رجل الله ، وأسرع فحمل على ظهرهِ الاربعة الاسرّة الاولى لعلاج اربعة مرضى

واخذت العناية الالهيّة تبسط يدها الى هذا « البيت الصغير » كما كان يدعوه كوتولنكو ، فحمل اليهِ شيخٌ مخلّع [illegible] استقبالهُ الطوبي بكل بشاشة وفرح ، وسمّاه « حجر الزاوية » ، وكان ذلك في [illegible] ١٨٢٠

وكان كوتولنكو وصديقهُ رولاندو [illegible] عن المرضى المهملين ليأتيا بهم

وفي ذات يوم قال كوتولنكو لرولاندو : انا عارف أيها الصديق الحبيب انك تحبُّ الخمر الجيّدة ، فها انا اهدي لك منها قنينةً كبيرة ، فهيّا الى شارع « مونكالياري » فتجد هناك مريضاً بائساً ينتظرك ، فكن كألوف عادتك بشوشاً لطيفاً واحملهُ الى القنطرة الحمراء بكلّ نشاط وهمّة

وما هو غير حين حتى عاد رولاندو والعرق يتصبّب من جسمهِ ، وبعد أن القى المريض على السرير أخرج منديلهُ واخذ يمسح العرق عن وجههِ ويقول : لله من خمرةِ هذا القانوني ، ما أطيبها ، لكني اراها مخالفةً لكل الخمور ، فانها تخرج من البدن بدلًا من أن تدخل فيهِ ، ومن محاسنها انها لا تصعد الى الرأس أصلًا

وأخذ هذا العمل يزدهر مسرعاً ، حتى اصبح المستشفى بعوزٍ الى مساعدين . فتقدمت عشر سيّدات من تلقاء أنفسهنّ ، وتعهّدن بخدمة المرضى مع المحافظة على أعمال بيوتهنّ . لكن ذلك لم يكن كافياً لحاجات المستشفى ، فاخذ كوتولنكو يسعى

لتأسيس عمل كان يفكر فيه منذ زمان ، وهو ان يُنشئ على مثال القديس منصور دي بول جمعيّة ممرّضات . فساعدتهُ في هذا العمل سيّدة فاضلة تُدعى ارملة نازي (Nasi) ثمَّ انتظم في هذا السلك عدّة فتيات دعاهنَّ كوتولنكو بنات القديس منصور . امّا الشعب فكان يدعوهنَّ بنات كوتولنكو

وكان الطوبويّ كلّما فرغت غرفة من تلك الدار الكبيرة ، أسرع الى استئجارها حتى استولى على معظم مساكنها . وكان الاطباء والصيادلة يتسابقون الى تطبيب مرضاه ومداواتهم مجّاناً

وكان أصحابهُ يحاولون ان يثنوا عزمهُ عن مواصلة هذا العمل ، حتى انَّ الكهنة رفقاءهُ في كنيسة جسد الربّ ورئيسهم الشانوان ڤالتّي (Valetti) أصبحوا في خوف من ان يعجز كوتولنكو عن القيام بنفقاته الكثيرة . امّا رجل الله فلم يكن يهتمُّ للحال ، وكان كلّما قالوا لهُ انَّ الديون تتكاثر علينا يبتسم ويقول : « لا تخافوا ، فانَّ الله عارفٌ بيوم استحقاقها ، وإنَّ العناية الالهية ساهرة على مَرضانا ، فلن يعوزهم شيء » . وحقيقة الامر انَّ العناية الالهية كانت عند الحاجة تسرعُ الى اعانته باساليب مدهشة عجيبة

ففي سنة ١٨٣١ حدث ان انتشر الوباء المعروف بالهواء الاصفر ، وأصبحت مدينة تورينو في خطر منه . فاضطربت فيها الخواطر ، واقبلت الحكومة تنظر في الاماكن التي يُخشى من ان تكون سبباً في وصول الوباء . فوجدت ان محلّة القنطرة الحمراء ليست من النظافة على ما يُرام ، وان هنالك مستشفى للمرضى ، فأمرت باقفاله حالاً . وارسل وزير الداخلية بالامر الى رئيس كنيسة جسد الربّ ، فأسرع هذا واستقدم كوتولنكو وقال له : كم مرّة قلت لك انَّ مستشفاك هذا سيكون لنا منهُ اضطراب وقلق ، فخذ واقرأ . قال ورفع اليه صورة الامر ، فقرأه كوتولنكو ولم ينله أقلُّ خوف . ولمّا انتهى منه التفت الى رئيسه متبسّماً وقال : « يا ابتِ الجليل ، ان كلامك هذا يدلُّ على انك لست مثلي من قرية « براء » ، وانك لا تعرف شيئاً من اصول زراعة الملفوف . امّا أنا فهذه البلدة وطني وقد طالما سمعت الناس فيها يقولون ، انَّ الملفوف اذا نُقل من محلّ الى آخر ، غا وأخصب والتفّ . وانا أرى انَّ العناية الالهية تريد ان تنقل هذا المستشفى الى غير مكان ليتمو ويزدهر » . فنُقلت المرضى من القنطرة

الحمراء ، ووزّعت على عدة مستشفيات

وكان بعد أيام ، أن لقي كوتولنكو في الطريق فتاةً فقيرة في الثانية عشرة من عمرها ، وقد تخلّى عنها اهلها . فقال لارملة نازي : ما اكثر البنات اللواتي في هذا العمر وفي هذه الحالة ، وما اشدّ الاخطار التي يتعرّضن لها . ثم تبسّم وقال : «انّ غرفنا في «القنطرة الحمراء» قد اصبحت فارغة ، ولا يجمل بنا ان نؤدّي كراءها وهي خاوية خالية . واني ارى انّ العناية تُرسل الينا مستأجرين في هؤلاء البنات ، وأحسبُ انّ هذه الفتاة الصغيرة ستكون حجر الاساس لعائلة جديدة» . وما مرّ على هذا الكلام حين حتى اصبح عددُ هذه العائلة الجديدة ١٢٦ بنتاً

ثم اتّخذ رجل الله غرفاً جديدة في نزلٍ يخصّ ارملة نازي . وكان لا يزال عنده في «القنطرة الحمراء» غرف فارغة . فأنشأ ملجأين جديدين لصغار اولاد العملة : فكان يبقيهم في النهار عنده ويقوم بمعاشهم الروحي والجسدي ، وعند المساء يُعطي كلّ صغير منهم قطعة خبز [illegible] ، ويعود به الى اهله . فنجح هذا العمل الجديد وتفرّعت منهُ اعمال جديدة

ولمّا رأى الطويوي [illegible] لم يعد [illegible] يتنقل [illegible] رضى في منازلهم ، اخذ يزورهم في منازلهم ويخدمهم ويسهر على راحتهم . فمنّ لهُ من ذلك خاصرٌ جديد ، وهو ان يُنشئ جمعية اخوات ممرّضات يَعُدن المرضى في منازلهم . وكان رولاندو الامين يبحث عن اماكن البيوت ، وكوتولنكو يفحص عن حالتها الادبيّة ، حتى اذا رأى أن لا خوف على الممرّضات أرسلهنّ اثنتين اثنتين . وكان رولاندو يُسرج قنديلهُ ويسير امامهنّ في الطرق المظلمة ، وكان لا يتأخّر ايضاً عن مرافقة معلمهِ في امثال هذه الدورات

وقال لهُ كوتولنكو يوماً : انا لا أريد يا رولاندو ان تتشكّى مني ابداً ، فانك رجلٌ نشيط ، طيب السريرة ، ولك عندي مقامٌ ومعزّة ، لذلك رأيتُ أن أهدي اليك ايضاً قنينة من اجود الخمور . وكان رولاندو قد عرف ما خمرة معلّمهِ . فخرجا وعلى اكتافهما أحمالٌ ثقيلة ، حتى وصلا الى بيت خَرِب ، فقال الطويوي : هاك الحمّارة ، فاصعد على هذا السلّم الخشبي ، فتجد في هاتيك الغرفة الحقيرة عائلةً مسكينة ، فأعطها هذا . . وهذا . . وهذا ايضاً

وقد أخبر رولاندو المذكور ان رجل الله كان يسيرُ بهذا السير مراراً في الاسبوع ،

وأحياناً في كلّ يوم، فيتوجّهان الى العائلات المستورة ويُفرجان كربتها

وكان كوتولنكو يطلب من الفقراء المساكين أن يؤدّوا اليهِ ثمن ما يأتيهم بهِ، ولم يكن ذلك الثمن الّا صلاة الشكر للعناية الالهية

وأوحى الله الى عبدهِ كوتولنكو قبل ارتقاء بيوس العاشر الى عرش البابوية بنصف قرن، ان ينشر التناول اليومي ويقوت الاحداث بخبز الحياة. وكانت الاربع والثلاثون عائلة، التي اواها كوتولنكو في «البيت الصغير»، تتناول القربان المقدس في كل يوم

ورتّب كوتولنكو ايضاً عمل السجود للقربان من الصباح الى المساء، وكان ذلك فاتحةً لسجود دائم انشأهُ رجل الله في البيت الصغير

وانّ في كنيسة جسد الرب صورةً جليلة مؤثرة، تُدعى «سيدة النعمة»، تمثل البتول العذراء وهي ترضع طفلها. فامام مذبح هذه السيدة، كان الله يُلهم عبده كوتولنكو ان يؤسس اعماله المجيدة. وامام تلك القنطرة التي لا تزال الى الآن حمراء، يَرَى الزائرُ رُخامةً بيضاء، كتب عليها ما ترجمته :

« في هذا المنزل ابتدأ يوسف كوتولنكو وأسس باربعة أسرّة بيت العناية الالهية الصغير سنة ١٨٢٨ »

(جمعية المسلة في تورينو سنة ١٨٨١)

فلا يقرأ الزائرُ هذا الاثر العهيد حتى يرى فيهِ ذكرًا مؤثرًا

امّا في أيامنا هذه فقد انتقلت تلك العناية العجيبة الى مكان آخر. وما إخالُ القارئ الكريم يتأخرُ عن زيارتهِ. فهيّا بنا اذن الى خارج المدينة، حيث نرى هذا المحل الجديد في ضاحية « وادي الشهداء »

٣ وادي الشهداء

اذا خرج الزائر من بيت « القنطرة الحمراء »، واتّجه الى ناحية اسوار تورينو في الجهة الشمالية الغربية، أطلّ على منخفض من الارض فسيح، يُدعى «وادي الشهداء» (Le Valdocco) ورأى في هذا الوادي ابنيةً شاهقة ومنازل عديدة، جاور بعضها بعضاً، فكانت أشبهَ بمدينة عامرة

وقد طالما سالت دماء المسيحيين في ارجاء هذا المنخفض، أيام كان الاضطهاد يحصد المسيحيين حصداً. ولذلك لقّبوه بوادي الشهداء.

وقد تقلّبت الاحوال بهذا الوادي، فكان قبل ابتناء هذه المدينة فيه ضيعةٌ صغيرةٌ، فيها بضعة بيوت حقيرة وحانات وضيعة، ينتابها الاوباش والسكارى. لكن الدماء المقدّسة، التي سُفكت فيه في سابق العصور، أبتْ ان يبقى هذا المكان المقدّس موردًا للفجور والقبائح. وكأنّ الله اوحى الى عبده كوتولنكو ان يغادر «القنطرة الحمراء» وينتقل ببيته الصغير الى هذا المكان ويؤسّس فيه من جديد بيت العناية الالهية، فيعيد الى «وادي الشهداء» سابق عطره وغابر مجده، ويُصبح «البيت الصغير» عظيماً كبيراً

فاستأجر رجل الله في «وادي الشهداء» بيتاً فيه غرفتان واصطبل. ولم يكن للحكومة ان تمنع كوتولنكو من جعل هذا البيت مأوى للمرضى، لانهُ بعيدٌ عن المدينة ولا خوف [illegible] من ذلك في ربيع سنة ١٨٣٢

منازل العناية الالهية في وادي الشهداء

وبعد أيام جاء ألبر اخو نطوبري. فلما رأى هذا المستشفى الجديد التفت الى أخيه وقال: أراك وقد عُدتَ الى تأسيس المستشفيات، فكأني بك تعرّض نفسك ثانيةً لهزء الناس وسخريتهم. فاجابه كوتولنكو: أجل يا اخي، ثم اشار بيده الى تلك الارض الروحيّة وقال: كأني ارى هذه الساحة الفيحاء وقد تغطّت بمنازل العناية الالهيّة

ولما كانت هذه الضيعة ملجأ الفجّار والسكارى، غضب هؤلاء لمجيء كوتولنكو وراهباته، فاقبلوا يرشقون «البيت الصغير» بالحجارة ويصبّون على الراهبات سيول الاهانات. فثارت الحميّة في صدر كوتولنكو فخرج اليهم يوماً وانتهرهم وقال: «مهلاً سيأتي يوم تتبدّل فيه هذه الرجاسات بقداسة وصلاح، فان الله شيّد في هذا المكان منازل عظيمة، فيها يمجّد اسمهُ القدّوس ليل نهار» وقد تحقّقت النبوءة بعد قليل من الزمان

ولم يمرّ على استئجار هذا البيت أيام. حتى اشترى كوتولنكو بيتاً آخر، وجعل فيه

٢٥ سريراً ، وكتب على بابه باحرف كبيرة : توكلوا عليه في كلّ حين (مزمور ٦١) . وصار عدد المرضى والراهبات يزداد يوماً فيوماً ، حتى اشتهى اولئك الاوباش الذين كانوا يرشقون «البيت الصغير» بالحجارة ان يكون لهم فيه سرير ، وان يحصلوا على رغيف من ارغفة العناية الالهية . وتحوّلت احدى الحانات ، التي كان يتردّد اليها العدد الاكبر من السكارى ، الى مستشفى وكتب على بابه : انّ محبّة المسيح تضطرّنا (٢ قورنتية ٥ : ١٤)

وكان رجل الله كلّما اشترى بيتاً أطلق عليه اسماً جديداً . واليك بعضاً من تلك الاسماء : بيت العناية ، بيت الله ، بيت السيدة ، بيت لحم الخ . . اما هو فاتّخذ له غرفة في احد هذه البيوت دعاها «بيت الايمان» . وكان لا بدّ للراهبات والمرضى من كنيسة . فلم يمض غير سنة حتى شيّد الطوبري معبداً لله

وكان كلّما لاموهُ في اكثاره من قبول المرضى والبائسين أجاب : «ان البيت الصغير» كبيرٌ كبير ، ولسوف يتّسع حتى يصل الى شواطئ «نهر الدورا» وانا لواصلون اليه بمعونة الله»

مضت الاشهر وتتابعت السنون ، فاتّسع «البيت الصغير» وطال ، وتفرّعت منازلهُ حتى كادت تُتاخم شاطئ نهر الدورا الآنف الذكر . فكان البنيان فيه يلحق البنيان سنةً فسنة وهو الآن يسع بضعة آلاف . وقد كثُر بتعدُّد بيوته عدد المرضى اللاجئين اليه فاصبح فيه ٤٣ طبيباً يطببون مجّاناً ويقومون بخدمتهم على احدث منوال وأفخر طراز

واذا نظرت الى ذلك المستشفى المدعو باسم الام الحزينة (Addolorata) ، وهو احدث بناء بُني في «البيت الصغير» ، حسبتهُ قصراً شاهقاً . فهو مؤلف من ثلاث طبقات ، فيه منامات واسعة يسعُ احدها ٧٠٠ سرير ، وردهات عظيمة للصدورين والموبوئين وستّ ردهات لاجراء الاعمال الجراحية وغيرها . وما هذا سوى نعتٍ خارجي لاحد منازل «البيت الصغير» . فهلمّ الآن ندخل فيه ونطّلع على جميع اجزائه

العائلات وطبقاتها في منازل وادي الشهداء

اذا وصلت هذا الى البيت الصغير ، رأيتهُ ينقسم الى محلّتين عظيمتين احداهما للاناث

والاخرى للذكور . وفي كلتا هاتين الحلّتين اقسامٌ عديدة فيها السكّان موزّعون بحسب اختلاف أعمارهم وتنوُّع امراضهم وتغايُر حاجاتهم الروحيّة والزمنيّة، وهم مقسّمون الى ٢٤ عائلة منها ١٤ تحت ادارة الراهبات ، ومن هذه الاربع عشرة سبعُ عائلات تلزم اديارَها ولا تُفارقها اصلًا

فامش الآن في هذه الطرق والازقّة الطويلة احياناً والقصيرة اوقاتاً المتعرّجة تارةً يميناً وطوراً شمالاً ، فهي تستقبلك عند دخولك البيت الصغير ، وانظر الى اليمين واليسار فترى ابنيــة عديدة ، بينهــا القسم الطبّي والقسم الجراحي وبيوت العواجز والكسحان والسقّام والمختبلين والمخلّعين والمُقعَدين والجُدع والصُلم والجُذم الخ

وبعد ذلك ترى عائلةً اخرى تحت حماية القديس لويس ، وهي مؤلّفةٌ من اليتامى والأقطى ، واعمارُ هؤلاء من تسع الى اثنتي عشرة سنة ، ولهم راهبــات يعتنين بهم ويثقّفنهم في مبادئ العلوم والمعارف ويعوّدنهم العيشة المسيحيّة الحقّة

واذا واصلتَ السير في شُعَب احدى تلك الطرق ، رأيت ايضاً محلًّا آخر للبنات . وهؤلاء ايضاً تحت حماية القديس لويس يتعلّمن القراءة والكتابة والحساب ، ويتمرّنن على الاعمال البيتيّة والخاصّة بالمرضى ، فيكون منهنّ ربّات بيوت

واذا ترعرع الفتيان وأنسوا من نفوسهم صوتاً يدعوهم الى خدمة الله ، مكنهم ان يدخلوا مدرسة اكليريكيّة في البيت الصغير جُعلت تحت حماية القديس توما ، وان تعلّموا احدى الصناعات في عائلة اخرى تُدعى عائلة القديس مبارك

واذا شبّ اولئك الفتيان ، وارادوا الرجوع الى اهلهم ، خرجوا وهم يشكرون فضل العناية الالهية التي أهّلتهم للحصول على مراكز بين الناس

أمّا عدد عائــلة القديس لويس فيبلغ بضع مئــات ، بينهم نحو من خمسين اكليريكيًّا . ومن هؤلاء الخمسين يُسامُ في كلّ عام كهنة يزيــدون البيت الصغير حياةً وازدهاراً ، او ينصرفون الى اعمال الرسالة في الابرشيات وخدمــة النفوس في الرعايا وقــد ترقّى بعضهم الى مقام الاسقفيّــة . وكثيرون منهم يعودون الى البيت الصغير اذا شاخوا ، فيقضون آخر حياتهم في هناء وصلاح

ثمّ ترى بعد ذلك اخوة القديس منصور ، وجميع هؤلاء الاخوة اشداء ذوو عافية وقد تخصّصوا بالاعمال التي تتطلّب سواعد قويّة . ولهم كسائر العائلات ساعة خاصّة

للسجود امام القربان ، أمّا عددهم فيزيد على ١٣٠ اخاً ، وتراهم ابداً فرحين بحالتهم الوضيعة

مأوى الصم والبكم

وبقرب هؤلاء ، روضةٌ أخرى ترى فيها اولاداً يلعبون ساكتين . واذا ابصروك رحّبوا بك ، واستقبلوك بتلك الابتسامة اللطيفة التي لا تبرح بادية على شفاه جميع سكان البيت الصغير . لكنك لا تسمع من هؤلاء الاولاد عبارة السلام التي يردّدها جميع عائلات كوتولنكو وهي «الشكر لله» . . لان ألسنة هولاء الصغار لا تقوى على الكلام ، فجميعهم صُمٌّ بُكم . لكنّهم ولو كانوا من اقطار مختلفة ، تعلّموا ان يتفاهموا ويصلّوا ويتكالموا بتلك اللغة التي تشملهم جميعاً ، ألا وهي لغة الخُرسان اعني لغة الاشارة . وتراهم اذا حضروا اجتماعاً او دُعوا الى تمرين عامّ فهموا حالاً ما يُطلب منهم ، واندفعوا يعبّرون عن افكارهم باشارات مختلفة تدهش الناظر . وقد جُعلت هذه العائلة تحت رعاية ذلك المخلّص الحبيب ، الذي جعل الخُرس يتكلمون والصُمّ يسمعون ، وتحت حماية القديس يوحنا المعمدان الذي ارتكض فرحاً وهو في احشاء أمّه

المطاحن والمعاصر والافران وبيوت الصنائع

وترى في احدى شُعب طرقك ، التي انت سائرٌ فيها ، نفقاً تحت قناطر عديدة ، فاذا دخلتهُ أوصلك الى ساحةٍ واسعة هي مَنشرٌ للثياب . واذا واصلتَ السير الى جانب حائط السور ، شاهدت جمعاً غفيراً امام بناء كبير وعليهم ملابس بيضاء ، فاذا دنوت منهم رأيت ان ذلك البياض ناتجٌ عن غبار الطحين المتطاير ، وانك قد وصلت الى طواحين البيت الصغير . امّا الاعمال هنا فكثيرة لكثرة آلات الطحن الكهربائية والبخاريّة ، وكلّها من احدث طراز ، وهم يطحنون فيها حاجة كل يوم في يومه

والى جانب هذا المكان محلٌّ آخر للعجن ، وثلاثة افران يعمل فيها خُرسان أشدّاء تُعينهم ايضاً عائلة العواجز والكُنح ، ولا تزال بشائر المسرّة طافحةً من وجوههم ، وترى الخبز يخرج من ايديهم نظيفاً شهيّاً . ولمّا كان العملة في هذا المحل

كثيرين فلا يشتغلون الا ساعات قليلة ، فاذا انتهوا خرجوا ليرتاحوا في . . . الكنيسة

ولا يمكن ان تجد في البيت انساناً بطالاً ، فالجميع يعملون بقدر استطاعتهم ، فترى هنا رجلاً متنوع الرجل ينفخ بنفخ كبير ، وهناك مُقعَداً يخيط الثياب ، وغيرهما كثيرين يتعاونون بما بقي لهم من الاعضاء السليمة ، على التجليد والنجارة والحدادة وعمل الأحذية الخ

واذا احتاج البيت الصغير الى صنّاع ماهرين استقدمهم من الخارج ، واذا انتهى وقت الشغل ودقت الساعة ، ترك كلُّ ذي عمل عمله ، ونهضوا جميعاً للذهاب الى الكنيسة لأداء ساعة السجود ، فيكون عند ذلك مشهدٌ لطيفٌ مؤثر ، ترى فيه العميان وقد حملوا المُقعدين ، فتشاهد ظهوراً محنيّةً ، وقاماتٍ وقد طالت بما على اكتافها من الاحمال الثقيلة ، فتنظر هذا يُسرع في مشيه ، وذاك يتهادى ، وذاك يدانف ، وغيرهم يكدح كدحاً ، وآخرين يعرجون ، وجميعهم متّجهون الى بيت ذلك الاله الذي يدعو الجميع اليه

دير المبرصين والمجانين

واذا واصلت السير وبعدت عن هذا المكان ، شاهدت بيتاً مغلقةً ابوابه ، فاذا أشرفت من احدى نوافذه ، رأيت على وجوه القوم الذين فيه ، تلك الابتسامة المعهودة ، ممزوجةً بعاطفة تشغل الفكر ، فانّ هؤلاء المساكين قلما يقربهم الناس ، وانّ اصحاب البيت الصغير لا يكادون ، مع جميع ما لهم من العناية والسهر ، أن يستطيعوا تهدئة هؤلاء المُبتلين بالصرع . وقد شاء كوتولنكو ان يكون فرشُ هذا البيت فاخراً ، ترويحاً لبال من هم فيه وتنزيهاً لخواطرهم

واذا جزتَ هذا المكان ، وخطوتَ بضع خطوات ، شاهدت بيتاً آخر يُدعى بيت لحم يسكنه ذوو العقول المريضة . والى جانب هذا البيت بيتٌ آخر ، للذين تشتدُّ بهم اعراض الجنون ، فاذا دنوت منهُ استقبلك صياحٌ وجلبة وضجيجٌ حتى انك لا تكاد تقف هنالك لحظةً ، بينما انك ترى الراهبات يقضين حياتهنَّ فيه

ولا يسع احداً أن يدعو هؤلاء بُلهاً أو مجانين ، مخافةَ أن يخالف الرقّة المرعيّة في جميع ارجاء البيت الصغير . فقد أطلق عليهم كوتولنكو لقب « المحروسين »

أما العناية التي تُبذل ، لإراحة هؤلاء «المحروسين» وتنظيفهم وإطعامهم ، فيعجز القلم عن وصفها . وقد اتّصلت الراهبات ، بأساليب اللطف وافانين الصبر ، الى ان يخفّفن شيئاً من هياج اولئك المتوهين ، وان يؤهّبنهم لتناول القربان الاقدس في بعض الاحوال

قال كوتولنكو : ان ما يعزّزُ البيت الصغير ، ويحبّبهُ الى الله والناس ، انما هو العناية بهؤلاء البُله ، الذين تتخلّى الناس عنهم وطردوهم من منازلهم ، فهؤلاء هم لنا بمثابة مفتجات (كمبيالات) على كرم العناية الالهية . لذلك كان كوتولنكو يعطف عليهم اشدّ العطف ويمازحهم ويُداعبهم

وحدث يوماً أن جاء مطران ڤرسيلّي (Vercelli) ليزور كوتولنكو ، فطلبهُ فوجدهُ في ساحة «المحروسين» ، يُلاعب بالكرة واحداً منهم اسمه دورو (Doro) . وكان دورو هذا آخر وأحطّ انسانٍ في سكان البيت الصغير ، لذلك كان كوتولنكو يحنو عليهِ حنوًّا خاصًّا ، فاضطرّ المطران أن ينتظر نهاية اللعب ، واخذ هو نفسهُ يقيّد بها علامات الغالب والمغلوب . ولبث كوتولنكو يستعمل الحيلة ويُظهر الضعف في اللعب حتى غلبهُ دورو . فاستأذنهُ كوتولنكو اذ ذاك وانصرف مع المطران . ولمّا سُئل كوتولنكو عن ذلك قال : لم أجد من قلبي ان أقطع دور اللعب مخافة ان يغتمّ عزيزي دورو

وكان بين اولئك « المحروسين » رجلٌ زُعنفةٌ قصير او قل مسخاً وحشيًّا ليس لهُ رجلان ، يزحف على الارض زحفاً ويعضُّ كالوحوش الآبدة وكان لا يُقمَعُ ولا ينقادُ لشيء . فتولّى كوتولنكو امر تدبيره فكان يلاطفهُ ويباسطهُ ويقدّم لهُ انواع الحلوى وما زال بهِ على هذا وذاك حتى ظهرت على وجه ذلك المسخ شارات الأُنس فصار يبسم ويهشّ . وواصل كوتولنكو عنايته بتلميذهِ حتى صيّره شبيهاً بانسان

منازل النساء

اند زرنا الآن أيها القارئ الكريم محلّة الرجال ، واطّلعنا بقدر الامكان على حالاتهم المختلفة ، ووقفنا على ضروب العناية بهم . فاتبعني الآن الى محلّة النساء ، وهذه غير قريبةٍ من هنا . فاذا بلغتَ اليها شاهدت جيشاً من اخوات القديس منصور ، وبينهنّ

اخوات القديسة مرتا القائمات بشؤون الطبخ وخدمة المرضى في الخارج

أمّا عائلات النساء في هذه المحلّة، فأشبه بعائلات الرجال، ولكن لمّا رأى كوتولنكو انّ عددهنّ يزداد ازديادًا عظيماً ارسل عددًا من الراهبات الى المدن والقرى وقال لهنّ: «اذهبنَ الى خدمة النفوس، ومتى بلغتنَ سنّ الشيخوخة ترجعن الى البيت الصغير، والسوف يدهشكنّ نموّهُ وازدهارهُ»

العاملات بالخياطة والغسل والطبخ

ثمّ ترى في هذه المحلّة فتيات صغيرات، تحت حماية القديسة جنفياف والقديس لويس، وغيرهنّ تحت حماية مريم المجدليّة، وأخر تحت حماية القديسة كلارا، وهؤلاء يعتنين بالخياطة واصلاح الثياب، وبينهنّ راهبات متثقفات، يقمنَ بشرح التعليم المسيحي، ويرشدنَ النفوس لاقتبال القربان المقدّس، الى غير ما هنالك من جمعيات الراهبات، من مثل جمعيّة القديسة إليانه (Ste Eliane)، اللواتي ينهضنَ بغسيل الثياب، يتثمن هذه الخدمة الوضيعة وهنّ يرتلنَ طلبة السيدة بكل فرح، وغيرهنّ ايضاً تحت رعاية الصليب المقدّس، يعتنين بطيّ الثياب وترتيبها،

وهذه الخدم جميعها تُتمّم بكلّ عناية وتدقيق

أمّا الاطعمة فتُعدّ بكلّ سخاء، وهي من أفخر وألذّ ما يؤكل. وقد طالما ردّد كوتولنكو على مسامع الراهبات هذه الكلمات وهي: حذارِ من التقتير في النفقات، فان الله يُريد ان يعيش فقراء البيت الصغير عيش الهناء والسرور. وأننا في خدمتهم نخدم السيّد المسيح، فالفقراء عندنا هم سادات هذا البيت، فيجب ان يُعتنى بهم أقصى عناية، حتى لا يجد احدٌ سبيلاً الى الشكوى. وتُقدّم لهم القهوة في كل صباح، ممزوجة بحليب صرف لا أثر للماء فيه، ولتكن الاثمار والحلويات من أفخر نوع، واللحوم والخضر من اوّل طبقة، فان الله الذي يحبّ هذا البيت الصغير، يرى كلّ ما نعملُ فيه

أمّا كوتولنكو فكان يعيش عيشاً فقريًا قشفاً.

دير الصلاة والتوبة

وبين جمعيات الراهبات جمعية انشأها ايضاً كوتولنكو، وديرُها على احدى

روابي كافورتو (Cavoretto) ودير آخر يُدعى دير الصلوات ، ففي هذين الديرين وغيرهما يُحفظ الصمت التام ، وتُمارس الاصوام والاماتات ، وتُقام الصلوات المتواترة من اجل راحة النفوس المطهرية ، تعويضاً عن فواحش الناس ، واستمطاراً للنعم الالهية على البيت الصغير وعلى العالم كلهِ

ومن اديار البيت الصغير ، ديرٌ للنساء اللواتي بعد أن خسرن العفاف والطهارة ، رجعنَ الى الله تائبات ، فهنَّ في هذا الدير يمارسن ، بكل طيبة خاطر ، انواع الاصوام والاماتات ، ويواظبنَ على الصلوات تكفيراً عن حياتهنَّ الماضية ، وتعويضاً عن النساء الخاطئات . وكان كوتولنكو قد انشأ هذا الدير في خارج البيت الصغير ، ثم نقلهُ اليهِ

دير الراهبات الخرس

ولا يسعنا السكوت عن ذكر ذلك الدير العجيب الفريد الذي طالما فكَّر كوتولنكو فيهِ ، ووَكَلَ الى خلفهِ الاب انكليسيو (Anglesio) امرَ انشائهِ ألا وهو دير البنات الخُرس . فان خادم الله كان يرى ، بين هؤلاء الخرس في البيت الصغير ، نفوساً تتوق الى حياة الكمال السامية ، وتشتهي ان تكون عرائس السيد المسيح . فتمَّ انشاء هذا الدير في سنة ١٨٤٨ . ولهؤلاء الخرس ، نذور رهبانية كسائر الراهبات ، وهنَّ يُقِمن الصلوات على طريقة خاصَّة مدهشة ، تحت حماية قلب مريم . فاذا انتهزتَ خُلسةً ، ونظرت من خلال ستارات النوافذ ، رأيت رؤوس هؤلاء الخرس محنيَّةً ، تُجللها براقع بيضاء طويلة ، والإبَر تلمع بين اناملهنَّ ، وهنَّ عاكفات على العمل يطرّزنَ الاقمشة الحريريَّة والكتانيَّة ، اللازمة للكنيسة وللملابس الكهنية . واليهنَّ موكول امر العناية بتنظيف بيت الله ، فترى الكنيسة ومذابحها وجميع ما فيها يتلألأ نظافةً واتقاناً وفي الليل يسجدنَ ساعتين امام القربان ، فتحيط بهنَّ ملائكة المذبح وتُصغي الى تلك الصلوات العجيبة التي تقيمها هؤلاء الخرس باشارات مُحكمة رقيقة تحيّر كلَّ ناظر

ومثل هذا الدير دير آخر منفردٌ لا تخرج الراهباتُ منهُ اصلاً وهنَّ يشتغلنَ بالتطريز والتخريم ، وتسافر صلواتهنَّ الى اقصى مكان في المعمور ، وتصل حتى الى مرسلي البلاد الافريقية ، حيث يوجد ايضاً عدد من راهبات البيت الصغير

الخاتمة

هذه هي خلاصة اعمال كوترلنكو ، ولولا ضيق المقام لذكرنا بعضاً من تلك العجائب الباهرة التي صنعها الله على يد عبده ، فيرى القراء انَّ من اتكل على الله لا يخيب

وافضل ما نختم به هذه المقالة كلمة تصف لنا الاعمال الروحية ، التي تقام في كنائس البيت الصغير

قال كوترلنكو : ان العناية الالهية لا تخرج من هذا البيت ، بشرط ان لا تدخله الخطيئة . وان دخلته فلا اعود أضمن بقاء العناية الالهية فيه

لذلك انشأ كوترلنكو في كلّ عائلة معبداً ، فضلاً عن الكنيسة الكبرى ، التي لا تزال الصلوات قائمة فيها ليلَ نهار

فعند الساعة الرابعة والنصف من كلّ صباح ، ينهض الجميع من النوم ويتوجّهون الى الكنيسة الكبرى ، بكلّ خشوع ونظام ، وهم يرتّلون ويسبّحون . ويسير امام كل عائلة صليبها الخاصّ بها . فيكون عدد المجتمعين لا اقلّ من خمسة آلاف شخص

وهذه الكنيسة لا تزال مزدانةً بأفخر الاواني وأعطر الازهار ، كأنها في عيد دائم . وفيها ثلاث باحات عظيمة : باحةٌ يُمنى للرجال ويُسرى للنساء ووسطى للراهبات ، وهذه مفصولةٌ عن جارتيها بشرفات عالية

فاذا دخلوا الكنيسة رتّلوا صلاة الروح القدس ، ثم يقفُ صبيٌّ صغير ، ويبدأ بصلاة الصبح قائلاً بصوت عالٍ : ليكن اسما يسوع ومريم ممجّدين الى الابد . فتجيب تلك الجماهير بهتافٍ واحد ، امتزجت فيه اصوات الرجال والنساء والفتيان والاحداث ويعيدون قائلين : ليكن اسما يسوع ومريم ممجّدين الى الابد . ثم تُقام الذبيحة الالهيّة . وعند التناول يتقدّم اربعة كهنة ، ويوزّعون القربان الاقدس . أمّا المرضى فيحضرون الذبيحة في معابدهم الخاصّة ، ويزيد عدد المناولات اليوميّة على اربعة آلاف وخمسمائة

والى جانب هذه الكنيسة الكبيرة معبدٌ ملاصقٌ لها ، وقد كان هذا المعبد غرفة الكوترلنكو . وعلى ذكر هذه الغرفة المباركة نقول :

كان لكوتولنكو طيرٌ كناريٌ ذو لونٍ جميل وصوت صدّاح، واذ كان رجل الله ساجداً ذات يوم امام صورة البتول، دُعي لبعض الاعمال المعجّلة فعزَّ عليهِ ان يقطع تسبيحهُ فاتى بالكناري وجعلهُ امام البتول وقال لهُ: سبّح مكاني يا كنار

فاندفع الكنار يغرّد ويصدّح الى حين رجوعهِ. وقد أنسَلَ هذا الطائر طيوراً كثيرة وهي لا تزال تتناسل مقيمةً في هذا المعبد. فاذا بلغ وقت التناول في الكنيسة الكبيرة الملاصقة لهذا المعبد، وسكتت الجماهير، اندفعت تلك الطيور تصدح بأصواتها المطربة، فيخيّل اليك انك تسمع الحاناً سماوية

واذا انتهت الذبيحة الالهية، تناوبت العائلات على اقامة السجود للقربان من الصباح الى الساعة العاشرة ليلاً. وحينئذٍ تأتي الراهبات المتعبّدات، مع اللواتي كنَّ يشتغلنَ في النهار، فيتعاقبن على السجود الى الساعة الرابعة والنصف صباحاً. وفوق صحن الخورس متخّتٌ الراهبات المحصّنات، يتناوبن على السجود الدائم

أمّا الاحتفالات البيعيّة العامّة فتقام بأُبهة عظيمة، ويحضرها جميع العائلات فيكون من ذلك مشهد مؤثر خاشع

[illegible] كان البيت الصغير، في جميع الفصول التي يقيمونها ليل نهار الّا شيئاً [illegible] هو ان يُصيّرهم الله قديسين. ثمّ يشكرون للعناية الالهية صدقاتها الوافرة التي تُفيضها عليهم

وأمّا عبارة السلام التي تردّدها عائلات البيت الصغير الوف مرات في النهار فهي: الشكر لله

قال احد الكتّاب الافاضل: انَّ البيت الصغير هو صورة اورشليم السماوية، حيث الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقضي

*

﴿ حاشية للشرق ﴾ نضيف الى المقالة المثبتة السابقة انَّ وفاة الكاهن كوتولنكو وقعت في ٣٠ نيسان سنة ١٨٤٢ كما كان هو سبق وأعلم بها كثيرين من اصحابه. وقد جرت بشفاعته في حياتهِ وبعد موتهِ عجائب وكرامات عديدة من ارتداد خطأة الى التوبة وتوفير اكياس دراهم وغلّات لقوت المساكين ونبوّات عديدة ومعرفة خفايا القلوب وشفاء مرضى الخ دفعت الكرسي الرسولي الى الاهتمام

بفحص سيرته وفضائله فامر البابا بيوس التاسع بمباشرة الدعوى لتطويبه في ١٩ حزيران ١٨٧٧ . وبعد ان ثبت الفاحصين سمو فضائله وصحة معجزاته نظم السعيد الذكر بندكتوس الخامس عشر اسمهُ في عداد الطوبويين وسمح باكرامهِ علانيةً ومن المنتظر ان سيثبتهُ الحبر الاعظم في جملة القديسين فيعمّم اكرامهُ في كل الكنيسة

ومما لم يُذكر في المقالة ما نالهُ كوتولنكو من الامتيازات مع الرغم من نفورهِ عنها . فان الملك شرل البر ملك سردينية خوّلهُ الوسام الكبير المعروف بوسام القديسين موريس ولعازر ولولا خوفهُ من اهانة الملك لردّ حامليهِ اليهِ خائبين وكذلك منحهُ البابا غريغوريوس السادس عشر مع براءة لطيفة نوطاً جميلاً باعهُ كوتولنكو خفيةً ليبتاع بهِ طحيناً للفقراء . ومثلها جمعيّة باريس المدعوّة مونتيون فرنكلين (Montyon-Franklin) بايعاز امير اورليان وهبتهُ النوط الشرفي الذي تخصصهُ باكر المحسنين الى العالم فارسلته لهُ على يد ملك سردينية شرل البر فاتاهُ بهِ ابنهُ ڤكتور عمانويل الذي صار بعد ذلك ملكاً على ايطالية . فتنهّد كوتولنكو صارخاً : « لواهُ متى يحوّل الناس عني نظرهم ويدعوني في خمولي ؟ »

ومما يُعدّ اليوم آيةً متّصلة ثبات اعمال كوتولنكو بعدهُ منذ سنة وفاتهِ الى اليوم اعني نيفاً وثمانين سنة فهي باقية كما كانت بل نامية بشناعتهِ وعناية تلامذتهِ الذين يسيرون على آثارهِ ويجرون على قوانينهِ . فكل من يعاين تلك المشروعات الجبّارية لا يتمالك من ان يصرخ قائلاً : انَّ هنا اصبعَ الله

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١٠ القطامي التَّغلبي

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال عبد الله بن سلّام الجُمحي في كتابهِ طبقات الشعراء

بفحص سيرته وفضائله فامر البابا بيوس التاسع بمباشرة الدعوى لتطويبه في ١٩ حزيران ١٨٧٧ . وبعد ان ثبت الفاحصين سمو فضائله وصحة معجزاته نظم السعيد الذكر بندكتوس الخامس عشر اسمهُ في عداد الطوبويين وسمح باكرامهِ علانيةً ومن المنتظر ان سيثبتهُ الحبر الاعظم في جملة القديسين فيعمّم اكرامهُ في كل الكنيسة

ومما لم يُذكر في المقالة ما نالهُ كوتولنكو من الامتيازات مع الرغم من نفورهِ عنها . فان الملك شرل البر ملك سردينية خوّلهُ الوسام الكبير المعروف بوسام القديسين موريس ولعازر ولولا خوفهُ من اهانة الملك لردّ حامليهِ اليهِ خائبين وكذلك منحهُ البابا غريغوريوس السادس عشر مع براءة لطيفة نوطاً جميلاً باعهُ كوتولنكو خفيةً ليبتاع بهِ طحيناً للفقراء . ومثلها جمعيّة باريس المدعوّة مونتيون فرنكلين (Montyon-Franklin) بايعاز امير اورليان وهبتهُ النوط الشرفي الذي تخصصهُ باكر المحسنين الى العالم فارسلته لهُ على يد ملك سردينية شرل البر فاتاهُ بهِ ابنهُ ڤكتور عمانويل الذي صار بعد ذلك ملكاً على ايطالية . فتنهّد كوتولنكو صارخاً : « لواهُ متى يحوّل الناس عني نظرهم ويدعوني في خمولي ؟ »

ومما يُعدّ اليوم آيةً متّصلة ثبات اعمال كوتولنكو بعدهُ منذ سنة وفاتهِ الى اليوم اعني نيفاً وثمانين سنة فهي باقية كما كانت بل نامية بشناعتهِ وعناية تلامذتهِ الذين يسيرون على آثارهِ ويجرون على قوانينهِ . فكل من يعاين تلك المشروعات الجبّارية لا يتمالك من ان يصرخ قائلاً : انَّ هنا اصبعَ الله

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١٠ القطامي التَّغلبي

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال عبد الله بن سلّام الجُمحي في كتابهِ طبقات الشعراء

(ed. Heli, 121): اسمهُ عُمَير بن شُيَيم بن عمرو احد بني بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنم بن تَغلِب » والقُطامي بفتح القاف وضمها لقبٌ غلب عليهِ وهو اسم من اسماء الصَّقر معناه المحدِّد البصر الى الصيد لقولهِ (من الرَّجز) :

يَصُكُّهنَّ جانباً فجانبا صَكَّ القُطاميِّ القَطا الصَّوارِبا

وقد لُقِّب ايضاً بلقب آخر فدُعي بصريع الغواني لقولهِ (من الطويل) :

صَريعُ غَوانٍ راقَهُنَّ ورُقْنَهُ لَدُنْ شَبَّ حتى شابَ سودُ الذوائبِ

والقطاميّ من الأَراقم والاراقمُ احياء من تغلب يجمعهم هذا الاسم وهم ستَّة جُشم ومالك وعمرو وثعلبةُ ومعاوية والحرث. قيل لهم ذلك امَّا من الرَّقم اي الكثير لعددهم وامَّا تشبيهاً بالأَراقم اي الحيَّات لشبه عيونهم بها . وقد افتخر القطاميّ بنسبتهِ اليهم فقال (من الوافر) :

وَيَرْفِدُني الأَراقِمُ خيرَ رِفْدٍ وشيبانُ بنُ ثعلبةَ الدُّؤُمُ

والقطاميّ ابن اخت الاخطل التغلبي الشهير السابق ذكرهُ

وللقطامي التغلبي سميَّان شاعران مثلهُ الَّا انَّهما اقلّ شهرةً ذكرهما الآمديُّ في كتابهِ المختلف والمؤتلف وكلاهما كان في زمانهِ في عهد بني اميَّة: احدهما القطامي الضَّبعي من ضبيعة بن ربيعة بن نزار كان ابوهُ من اصحاب خالد القسري والي الكوفة . والآخر القطاميّ الكلابيّ واسمهُ الحصين وهو ابو الشرقيّ الوليد بن القطامي

﴿دينهُ﴾ قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ١١٨) : وكان (القطاميّ) نصرانيًّا وهو شاعر اسلاميّ . فقولهُ «كان نصرانيًّا» يثبتهُ : اوَّلاً نسبهُ الى تغلب القبيلة المتحمسة في دينها حتى ايَّام بني عبَّاس . وثانياً قرابتهُ الى الاخطل الراسخ في دينهِ النصراني كما رأيت والقطاميّ ابنُ اختهِ . وثالثاً افتخارهُ بقومهِ ومجروبها ومآثرها ما يدلُّ على مجاراتهِ لهذيبها . رابعاً ولا يخلو شعر القطامي من اشارات الى التوراة والكتب النصرانيَّة (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة (ص ٢٦٣ و ٢٧١)

امّا قول صاحب الاغاني انهُ «شاعر اسلامي» فليس معناهُ انهُ صار مسلماً بل انهُ عاش في الاسلام ولم يبلغ عهد الجاهليّة كالمخضرمين . ولعلّ هذا الذي خدع ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال عن القطامي «كان نصرانيًّا فأسلم» وهو اوّل من قال بذلك وابن عساكر من كتبة القرن السادس للهجرة (توفّي سنة ٥٧٢ هـ) وعنهُ اخذ الذين قالوا باسلام القطاميّ كعبد القادر البغدادي (في الخزانة ١ : ٣٩٣) وصاحب معاهد التنصيص . وقد جنح الى ذلك ايضاً المستشرق الالماني «بَرْث» (Barth) الذي نشر ديوانهُ فعدَّهُ من المسلمين مستشهدًا بابن عساكر . وليس في نسخ ديوان القطامي ما يؤيّدهُ في ذكر نسبهِ الّا انَّ بعض النسّاخ زاد ذلك على هامش نسخة مصر مستندًا الى ابن عساكر . امّا ما ورد في بعض ابيات القطامي من مدح الاسلام والمسلمين فيمكن حَمْلهُ على المجاملة كما ترى في شعر الاخطل

﴿اخبارهُ﴾ لا يُعرف الّا القليل من اخبار القطاميّ أزهر في القسم الثاني من القرن السابع في ايّام الامويين بعد معاوية وكانَ معاصرًا للاخطل وهو اصغر منهُ سنًّا فعاش زمناً بعدهُ ولم يبلغ عهد بني عباس . وللقطامي ذكرٌ في حروب قومهِ التي جرت لهم مع القيسيين ومرَّ وصفها في ترجمة الاخطل (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٩٢٣) . ومن ايّام تلك الحرب يوم ماكِسين ويقال لهُ ايضاً يوم القناطرة . وماكسين قرية لبني تغلب على شاطئ الفُرات تبعد عن رأس العين مسيرة يوم جنوباً وبها حَمَّةٌ . قال البكري في معجم ما استعجم (ص ٥٣٣) : «وبهذه القرية لَقي عُمَير بن الحُباب بني تغلب حين غزاهم فاقتتلوا عند قنطرة القرية وهي اوّل قرية تراجعوا فيها فقُتل فيها من تغلب زهاء خمسمائة وكان رئيسهم ورئيس من معهم من النَّمر وبَكر شُعَيْثَ بن مُلَيل» . امّا في الاغاني (٢٠ : ١٢٨) فيقول انَّ «رئيس تغلب يومئذٍ عبدالله بن شُرَيح بن مرّة . . فقُتل وقُتل اخوهُ» . قال : «وأُسر القطاميّ الشاعر وأُخذت إبلهُ فاصاب عُمَير واصحابهُ شيئاً كثيرًا من النعم . . . وأُسر القطامي أتى زُفَر بن الحرث بقرقيسيا فخلّى سبيلَهُ وردّ عليهِ مائة ناقة كما ذكر ادهم بن عمران العبديّ» فنظم القطامي القصائد في مديح زفر كما سترى

ولم يتّصل القطاميُّ بالخلفاء كمواطنهِ الاخطل وانّما بلغ شعرهُ عبد الملك بن مروان فاثنى على جودة قريحتهِ . وليس في اخبارهِ ما يدلُّ على تقرُّبهِ من الخلفاء على

انهُ جاء في نسخة مصر انَّ القطاميَّ قال في مديح عبد الملك قصيدتهُ الرائيَّة التي اوَّلها (من الوافر) :

أَمِنْ طَرَبٍ بكيتَ وذكرِ أهلٍ ... وللطَّربِ المُتاحِ لكَ اذّكارُ

ولا بُدَّ انَّها أصابت موقعاً لدى عبدالملك وهي عامرة الابيات الَّا انَّنا لم نجد في اخبار القطاميَّ ما يُشير الى دخولهِ على هذا الخليفة ونَيْلهِ سوابغهُ . وفيها يقول ونعم القول :

امبرُ المؤمنين هُدًى ونورٌ ... كما جَلَّى دُجى الظُّلَمِ النَّهارُ
قريعُ بني أميَّةَ من قريشٍ ... همُ السِّرُّ المهذَّبُ والنِّضارُ
وعبدُ المَلكِ المُقتراء طَمْمٌ ... وحِرزٌ ليس مَعْقِلُهُ يُضارُ
وقد حاجَ الخلافةَ ثمَّ حلَّتْ ... بها عند ابنِ مروانَ القَرارُ

امَّا خبر مديحهِ هذا في ابن الكلبي وفي بعض الاعيان كعبد الواحد بن سليمان وهو ابن عم عبد الملك وكأسماء بن خارجة الفزاريّ

﴿شعرهُ وديوانهُ﴾ القُطاميُّ يُعَدُّ بين الشعراء المُقلّين . وقد نظمهُ الجُمحيّ في كتاب طبقات الشعراء (ص ١٢١ – ١٢٢) في جملة شعراء الطبقة الثانية في الاسلام وذكرهُ مع خُداش بن بشر المعروف بالبعيث الدارمي وكُثَيِّر بن عبدالرحمان الخزاعيّ وغيلان الشهير بذي الرُّمة

وقد وصف قدماء العرب القطاميَّ بالشاعر الفحل واستحسنوا شعرهُ . قال الجمحي في طبقات الشعراء (ص١٢١) : كان القطامي شاعرًا فحلًا رقيق الحواشي حُلو الشعر والاخطل أبعد منهُ ذكرًا وامتن شعرًا . وقال ابو هلال (حماسة ابي تمام ص١٧٠) : وكان القطامي فحلًا رقيق الحواشي كثير الامثال . وقال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء (ص٤٥٣) : وكان (القطامي) حسن التشبيب رَقيقهُ . وقال ابو البركات محمَّد الغزّي العامري في كتابهِ تقريب المعاهد في شرح الشواهد (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ص٦١) : هو شاعر اسلاميّ مُقلّ فحلٌ جيد

وجاء في الاغاني (٢٠: ١١٨) عن الشَّعبيّ قال: قال عبد الملك بن مروان وانا حاضر للاخطل: يا أخطل أتحبّ انّ لك بشعرك شعرَ شاعرٍ من العرب؟ قال: اللهمّ لا إلّا شاعرًا منّا مُفدَف القناع خامل الذكر حديث السنّ إن يكن في احدٍ خيرٌ فيكون فيهِ ولوددتُ انّي سبقتهُ الى قولهِ (من البسيط):

يَمْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعلَمُهُ مَن يَتَّقينَ ولا مكنونُهُ بادِ
فهنّ يَنبُذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بهِ مواقعَ الماء من ذي الغُلّةِ الصادي

امّا ديوانهُ فقد صبر على كوارث الزمان. فقد ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون (٣: ٣٠٢) وقد تصفّح هناك اسمهُ «بالقدامي عمير بن سيم» (كذا). وفي طبعة الاستانة (ص٥١٩) «عمرو بن سليم». وفي كلاهما تذكر سنة وفاتهِ في ١٠١ه الموافقة للسنة ٧١٩ م. وديوان القطامي شرحهُ كما يُروى في عرض ديوانهِ ابو سعيد الحسن السكّري. ومنهُ نسختان الواحدة في برلين (Ahlwardt, VI, p. 548) كُتبت سنة ٣٦٤ ه (٩٧٤م) وقابلها ابو علي المرزوقي. والاخرى في المكتبة الخديويّة تاريخها ١٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٢ (١١٨٦ م) وعنها نُقلت نسخة مكتبتنا الشرقيّة

وقد دخلت من شعر القطاميّ قصيدتهُ اللاميّة في جمهرة شعراء العرب فنظمها هناك ابو زيد القرشي في جملة المَشوبات (طبعة مصر ١٥١) ارادوا بها القصائد ذات المعاني المختلطة

وقد اهتمّ بنشر النسخة البرلينيّة المرحوم المستشرق بَرْث (G. Barth) طبعها سنة ١٩٠٢ في ليدن ونقلها الى الالمانيّة وعلّق عليها عدّة ملحوظات مع روايات شتى وجدها في نسخة مصر وفي مخطوطات ومطبوعات الادباء. وها نحن ننقل نُتَفًا منها ونضيف اليها ما وقفنا عليهِ في ابحاثنا الخاصّة عن هذا الشاعر في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة والمطبوعات الحديثة

﴿منتخبات من شعر القطامي﴾ من اجود شعر القطامي لاميّتهُ المعروفة بالمَشوبة. وقد ذكر في الاغاني (٢٠: ١٩) ما كان الباعث لنظمها قال: قال ابو عمرو بن العلاء: اوّل ما حرّك من القطامي ورفع من ذكرهِ انهُ قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحهُ فقيل لهُ انهُ بخيل لا يُعطي الشعراء. وقيل بل قدِمها في خلافة عمر

ابن عبد العزيز فقيل له انّ الشعر لا ينفق عند هذا ولا يُعطي شيئاً وهذا عبد الواحد ابن سليمان(١ فأمدحهُ وكان عبد الواحد ابن عمّ الخليفة عبد الملك بن مروان فمدحهُ بقصيدتهِ اللاميَّة التي اوَّلها (من البسيط) :

انّا مُحَيُّوكَ فاسلَمْ ايُّها الطَّلَلُ وان بَليتَ وانْ طالت بكَ الطِّيَلُ

فقال له : كم أملتَ من امير المؤمنين . قال : أملتُ من امير المؤمنين ان يعطيني ثلاثين ناقة . فقال : قد امرتُ لك بخمسين ناقة موقرة بُرًّا وتمرًا وثياباً . ثم امر بدفع ذلك اليه . وفيها يقول مادحاً عبد الواحد ولقريش :

أهلَ المدينة لا يَحزُنْكَ شأنُهمُ اذا تَخطَّأ عبدَ الواحد الأَجَلُ
امّا قريشٌ فلن تلقاهُمُ أبدًا إلّا وهم خيرُ من يَحفى ويَنتعلُ
الّا وهم حَلَفُ اللهِ الذي قَصُرَتْ عنهُ الجبالُ فما ساوى بهِ جَبَلُ
همُ الملوكُ وابناءُ الملوك لهم والآخذون بهِ والساسةُ الأُوَلُ

وفي هذه اللاميَّة يقول متمثّلاً :

والعيشُ لا عيشَ الّا ما تَقَرُّ بهِ عينٌ ولا حالَ الّا سوف تنتقلُ
والناسُ مَنْ يَلقَ خيرًا قائلونَ بهِ ما يشتهي ولِأُمِّ المُخطئِ الهَبَلُ
قد يُدرِكُ المتأنّي بعضَ حاجتهِ وقد يكون مع المستعجلِ الزَّلَلُ

وزاد في الحماسة البصريَّة بيتاً لم يُروَ في الديوان :

وربَّما فاتَ قوماً بعضُ أمرِهمُ منَ التأنّي وكان الحَزْمُ لو عجلوا

امّا في الاغاني (٢٠ : ١٢٠) فلهذا البيت رواية اخرى عن لسان رجل كان يذيم الاسفار سافر الى الشام ومعهُ اعرابيّ فتمثل ببيت القطامي « قد يدرك الخ » فقال : ما

١) وفي معجم البلدان لياقوت (٦ : ٤٨٩) يدعوهُ عبد الواحد بن الحارث بن الحكم

زاد قائل هذا الشعر على ان يثبط الناس عن الحزم فهلّا قال بعد بيتهِ هذا :

وربّما ضرَّ بعض الناس بُطؤهمُ وكان خيرًا لهم لو أنّهم عجلوا

ولهُ في زفر بن الحرث الكلابي الذي اطلق سبيلهُ من الاسر قصائد عامرة الابيات . اشهرها عينيّتهُ التي افتتحها بقولهِ يخاطب ضباعة ابنة زفر (من الوافر) :

قِفي قبلَ التفرُّقِ يا ضُباعا ولا يكُ مَوْقِفٌ منكِ الوَداعا
قِفي فادي أسيرَكِ انَّ قومي وقومَكِ لا أرى لهمُ اجتماعا
أَلَمْ يَحزُنْكِ أنَّ جبالَ قيسٍ وتَغلِبَ قد تَبايَنَتِ انقِطاعا
أَلَم يحزنكِ انَّ ابنَيْ نِزارٍ أسالا من دِمائهما النِّلاعا

ومنها في شكر زُفر على تخلية سبيلهِ وانعامهِ عليهِ بمائة ناقة :

أكُفرًا بعد ردِّ الموتِ عنّي وبعد عَطائِكَ المائةَ الرِّتاعا (١
إذَن لَهلكتُ لو كانت صِغارٌ من الاخلاقِ تَبْتَدِعُ ابتداعا (٢
فلم أرَ مُنعِمينَ أقلَّ منّا واكرمَ عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيضِ الوجوهِ بني نُفَيْلٍ أبتْ أخلاقُهم الّا اتّساعا(٣
بني القَرْمِ الذي علمَتْ مَعَدٌّ تفرُّعَ قومِها سَعَةً وباعا

وقد مدحهُ ايضاً بداليّتهِ التي يقول فيها (من البسيط) :

من مُبلغٌ زُفَرَ القيسيَّ مِدحَتَهُ من القطاميِّ قولًا غير إفنادِ (٤

١) اكفرًا اي أأجزيك كفرًا . والرتاع الراتعة في المرعى . ويروى : الرباعا اي التي تُنتَج في الربيع ٢) ابتدَعَ الشيء استحدثَهُ اي لو ابتدعتَ فيَّ امورًا صعابًا لهلكتُ
٣) بنو نُفَيْل بن عمرو بن كلاب وهم زُفَر الممدوح
٤) غير إفناد اي لا كذب فيهِ

اني وإن كان قومي ليس بينهمُ ... وبين قومكَ إلّا ضربةُ الهادي (١
مُنّ عليك بما استبقيتَ معرفتي ... وقد تعرّضَ مني مقتلٌ بادِ (٢
فلن أثيبكَ بالنعماء مشتمةً ... ولن أبدّلَ إحساناً بإفسادِ
فإن هجوتُكَ ما تمّتْ مكارمتي ... وان مدحتُ فقد أحسنتَ إصفادي (٣
اذ الفوارسُ من قيس بشكّتهم ... حولي شهودٌ وما قولي بشهّادِ (٤
اذ يعتريكَ رجالٌ يسألون دمي ... ولو أطعتهمُ أبكيتَ عوّادي
فقد عصيتهمُ والحربُ مقبلةٌ ... لا بل قدحتَ زناداً غيرَ صلّادِ (٥
والصيدُ آلُ نُفيلٍ خيرُ قومهمُ ... عند الشتاء اذا ما ضُنَّ بالزادِ (٦
المانعونَ غداةَ الدفعِ جارَهمُ ... بالمشرفيّةِ من ماضٍ ومُآدِ (٧
ايامَ قومي مكاني منصبٌ لهمُ ... ولا يظنّون إلّا انني رادي (٨
فأنتا شني لكَ من غبراء مظلمةٍ ... حَبْلٌ تضمّن إصداري وايرادي (٩
فان قدرتُ على خيرٍ جزيتُ بهِ ... والله يجعلُ اقواماً بمرصادِ

قال الجمحيّ : لمّا سمع زفر هذا البيت قال : لا أقدرك الله على ذلك . وقال يمدح زفر ايضاً (من الرجز) :

---

١) الهادي العنق اي قطع الرؤوس
٢) استبقيت معرفتي اي استبقيتني لمعرفتك أياي اذ ظهر مني ما يستوجب قتلي
٣) الإصفاد العطيّة ٤) الشكة السلاح ٥) يقال صلّدَ الزند اذ لم يخرج ناراً ٦) الصيد الاشراف جمع أصيد . وضنّ بالزاد بخل به
٧) المشرفيّة السيف . والماضي المستقيم والمُآد المُعوّج
٨) يقال أنصبهُ اذا آلمهُ وارجعهُ . ويروى : مُنصبٌ لهم . والرادي الهالك
٩) انتاشني تداركني النبراء الارض . ويروى : من عمًا . ثمّ شبّه مخلصه بحبلٍ مدّهُ الله اليه فتشبّث به ونجا

يا زُفَرُ بنَ الحارثِ ابنِ الاكرمِ قد كنت في الحيِّ قديمَ المقدَمِ (١
اذ أحجَم القومُ ولمّا تُحجِمِ انّك وابنَيك حَفِظتُم مَحرَمي (٢
وحقَنَ اللهُ بكفَّيك دَمي من بعد ما ذَبَّ لساني وفمي (٣
والرمحُ يهتزّ اهتزازَ المِحجَمِ (٤ من بعد ما اختلَّ السنانُ مِعصَمي
أنقذتني من بطلٍ مُعَمَّمِ والخيلِ تحت العارضِ المسوَّمِ (٥
وتغلبُ يدعونَ يا للأرقَمِ (٦

ومن امثالهِ وحكمهِ قولهُ من قصيدة (من الكامل) :

فأرى المعيشةَ انّما هي ساعةٌ فرحٌ وساعةُ كُربةٍ وتَحَنُّقِ
وأرى المنيَّةَ للرجالِ حبائلاً شَرَكاً يُعادُ بهِ لمن لم يَعلَقِ
واذا أصابك والحوادثُ جمّةٌ حَدَثٌ حداكَ الى أخيك الأوثَقِ
فهمُ الرجالُ وكلُّ ذلك منهمُ تجِدنَّ في رُحبٍ وفي متضيَّقِ
انَّ الرجال اذا طلبت نوالَهمْ منهم خليلُ مَلاذةٍ وتعلُّقِ
واخو مُكارَمةٍ على عِلّاتهِ فوجدتُ خيرَهُمُ خليلَ المَصدَقِ

وروى في الاغاني (٢٠ : ١٢٠) منها بيتاً لم يُرو في الديوان

ليت الهمومَ عن الفؤادِ تفرَّجتْ وجلا التكلُّمُ للّسانِ المطلقِ

وقد أنشد الشعبيّ هذه الابيات عند الخليفة عبد الملك بن مروان فاستحسنها

١) ويروى : في الحرب كريم المقدم ٢) ويروى : انت وابناك صُنتم محرمي
٣) ذبَّ حفَّ وذبل ٤) المحجم آلة الحجّام التي تمتصّ الدمَ
٥) المعمَّم السيّد صاحب الراية . والخيل المسوَّم الممتاز بعلامتهِ
٦) يا للارقم يريد الاراقم قوم التغلبيين يدعون بعضهم بعضاً

عبد الملك وقال: أن ثكلت القطاميَّ امُّهُ هذا والله الشعر

ولهُ في الوصف اقوال حسنة منها قولهُ في عجوز من بني محارب نزل عندها ضيفاً فبات بأسوإ ليلة فقال فيها من قصيدةٍ (من الطويل):

وإنّي وان كان المسافرُ نازلاً ... وان كان ذا حقٍّ على الناس واجبِ
ولا بُدَّ أنَّ الضيفَ مُخبرُ ما رأى ... مُخبَرُ اهلٍ او مُخبَرُ صاحبِ
سأُخبرُ بالأنباء عن امِّ منزلٍ ... تضيَّفتُها بين العُذَيْبِ فراسبِ (١
تَقَنَّعتُ في طَلٍّ وريحٍ تلفُّني ... وفي طِرْماءَ غيرِ ذاتِ كواكبِ (٢
الى حَيْزَبونٍ تُوقِدُ النارَ بعدما ... تلفَّعتِ الظلماءُ من كلِّ جانبِ (٣
تصلّى بها بَرْدَ الشتاء ولم تكن ... تخالُ وميضَ النارِ يبدو لراكبِ (٤
فما راعَها إلّا بُغامُ مطيَّةٍ ... تُريحُ بمحسورٍ من الصَّوتِ لاغبِ (٥
فسلّمتُ والتسليمُ ليس يَضُرُّها ... ولكنَّهُ حقٌّ على كلِّ جانبِ (٦
فردَّت سلاماً كارهاً ثمَّ اعرضتْ ... كما انحاشتِ الافعى مخافةَ ضاربِ (٧
فقلتُ لها لا تَفعلي ذا براكبٍ ... اتاكِ مُصيبٍ ما أصابَ فذاهبِ (٨
فلمّا تنازعنا الحديثَ سألتُها ... مَنِ الحيُّ قالت معشرٌ من محاربِ

---

١) العُذَيب ضر في جهات الكوفة وراسب موضع قريب منهُ. ويروى: لمُخبرك الانباء
٢) تقنّع تلفّف بالثوب. الطلُّ المطر الخفيف والندى. والطرماء الليلة المظلمة
٣) الحيزبون العجوز المسنّة. وتلفّعهُ التحفهُ
٤) تصلّى البردَ قاسى شدّتهُ. ويروى: برد العشاء. ويروى ذات العشاء
٥) بغامُ المطيّة صوت الابل وحنينها. وتُريح بمحسور اي تُخرج نفسها الضعيف. واللاغب المُعيي ٦) الجانب الغريب ٧) انحاشت تقبّضت. ويروى: انحازت
٨) مُصيب ما اصاب اي يكتفي بما يصيبهُ من الضيافة

من المُشترين القِدَّ مما تراهمُ جياعاً وريفُ الناس ليس بناضبِ (١
فلمَّا بدا حِرمانُنا الضيفَ لم يكن علىَّ مناخُ السُّوء ضربةَ لازبِ (٢
ألا انما نيرانُ قيسٍ اذا اشتَوَوْا لطارقِ ليلٍ مثلُ نارا لحباحبِ (٣

ولهُ في الحماسة قولهُ (حماسة ابي تمام ص ١٧٠) :

مَن تَكُنِ الحضارةُ اعجبتْهُ فأيُّ رجالِ باديةٍ ترانا (٤
ومَنْ رَبَطَ الجحاشَ فانَّ فينا قَناً سُلْباً وأفراساً حِسانا (٥
وكُنَّ اذا أغرْنَ على جنابٍ وأعوزَهُنَّ نَهْبٌ حيث كانا
أغرْنَ من الضِّباب على حُلولٍ وضَبَّةَ إنَّهُ مَنْ حانَ حانا (٦
وأحياناً على بَكْرٍ اخينا اذا ما لم نَجِدْ الّا اخانا (٧

واستحسن ابن قتيبة للقطامي قولهُ في التشبيب (من البسيط) :

وفي الخدورِ غَماماتٌ يُرِقْنَ لنا حتى تصيَّدْنَنا من كلِّ مُصطادِ (٨

---

١) اشتواهُ اتخذهُ شواء. وافقد الماء من جاد. وريفُ الناس ارضُهُم المخصبة. والناضب الغائر. اي انَّ الذي نزل عندكم نالهُ البرد والجوع وهو ضيف لناس مخصبين

٢) اي لم اجد في ضيافتها امراً موجباً لانني عندها مع حرمانها فولّيتُ ذاهباً

٣) يريد انَّ نارهم لا يُصطلى بها ضيف يأتيهم ليلاً فهي كنار الحباحب اي الدويبة المعروفة بسراج الليل ٤) يقول انّنا ولو كنّا من اهل البادية فلسنا دون اهل الحضر

٥) يقول انَّ غيرنا يربطون الحُمُر لاشغالهم وانّما نحن فُرّاطٌ لنا الرماح السُّلْب اي الطويلة او السالبة للنفوس والخيل المسوَّمة اي المرعية او المُعلمة

٦) يقول هذه الخيل وارباها اذا حمأت على جنابٍ اي ناحيةٍ واحتاجت الى غائم في اي مكان وجدتها تُغير على الاباعد من العرب كقبائل الضباب وهي اربعة ضبّة وضُبَيْب وحِبْل وحُبَيْل. والحُلول الحيّ الذين يحلّون في محلّ واحد. وحان اتى وقتهُ

٧) بكر قبيلة شقيقة لتغلب. يقول اذا لم يجدوا مطلوبهم عند الاباعد عطفوا على الاقارب ولو كانوا اخوانهم ٨) الغمامة السحابة كنّى بها عن المحصّنات بالخدور

يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليس يعلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِ
فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ بهِ مَواقِعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

هذه طرفة من ديوان القطامي تُضيف اليها بعض المقاطيع لم نجدها في الديوان. فمن ذلك ما رواهُ ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص١٢٢) يمدح بهِ اسماء بن خارجة وهي تروى لغيرهِ فقال (من الوافر):

اذا ماتَ ابنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ فلا مَطَرَتْ على الارض السَّماءُ
ولا رَجَعَ البريدُ بغُنْمِ خيرٍ ولا حملَتْ على الطُّهْرِ النساءُ

وروى لهُ في الحماسة البصريَّة (نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ١: ٢٠) قولهُ يذكر يوم ذي قار الذي غلب فيهِ العرب جيوش كسرى قال (من الطويل):

وانَّ نوى الداعي بسَيْبانَ (١ زعزعَتْ رماحٌ وجاشت من جوانبها القِدْرُ
همُ يومَ ذي قارٍ اناخوا فجالَدوا كتائبَ كسرى بعد ما وَقَدَ الجَمْرُ

وروى ايضاً في الحماسة البصريَّة (ص١٣٠) قولهُ يمدح بني دارم (من الطويل):

جزى اللهُ خيراً والجزاءُ بكفِّهِ بني دارمٍ عن كلِّ جانٍ وغارمِ
همُ حملوا رَحْلي وأدَّوْا أمانتي اليَّ وردُّوا فيَّ ريشَ القوادمِ
ولا عيبَ فيهم غير أنَّ قدورَهم على المال امثالَ السنين الحواطمِ
وأنَّ مَواريثَ الأُولى يَرِثونهم كنوزُ المعالي لا كنوزُ الدراهمِ
وما ضرَّ منسوباً ابوهُ وامُّهُ الى دارمٍ أن لا يكون لهاشمِ

ومن حكمهِ قولهُ في فضل الاكتساب باليأس على الطمع. (الحماسة البصريَّة ٢: ٨) (من الطويل):

---

١) سيبان جبل ما وراء وادي القرى (ياقوت ٣: ٢٠٨)

أرى البأسَ أدنى للرَّشاد وانَّما دَنا العَيُّ للانسان من حيثُ يطمَعُ
فدَعْ اكثرَ الأَطماع عنك فانَّها تضرُّ وانَّ البأس لا زالَ ينفَعُ

وفي الحماسة البصريَّة ايضاً (٢ : ٢١٦) بيتان من قصيدته المذكورة في ديوانه (تحت العدد XXI ص ٦١) التي اوَّلها (من الوافر) :

من يكُ ارعادُ الحمى أخواتُهُ فما لي من اختِ عوانٍ ولا بِكرِ

امَّا البيتان ففي وصف الناقة لم يُرويا هناك وهما :

اذا بركَتْ خرَّتْ على ثَفِناتها مجافيةً صُلباً كقَنطرةِ الجِسرِ
كأنَّ يَدَيها حين تجري ضُفورُها طريدانِ والرِجلان طالبتا وِترِ

(لها بقيَّة)

فقيد العلم

السيد ادي شير مطران سعرت الطيب الذكر

بقلم حضرة القس سليمان صائغ الموصلي الكلداني

غني عن البيان ما احدثتهُ الحرب الكبرى من الفواجع والخسائر الفادحة . ومن اشدّها وانكاها فقدانُ رجال العلم والفنون الذين عانوا مشاقَّ الدرس والابحاث الطويلة وعالجوا الكتابة والتأليف وقد حصدهم منجل تلك الحرب الشعواء قبل ان يستكملوا ابحاثهم ويتحفوا العالم بنتيجة مساعيهم وقبل ان يجتني العلم منهم تلك الثمرة المستطابة التي كان يتوقعها بفارغ الصبر .

قد يجد الوطنيُّ مجال الاسف ضعيفاً على الذين خدموا مبدأهم واستعذبوا

أرى البأسَ أدنى للرَّشاد وانَّما دَنا العَيُّ للانسان من حيثُ يطمَعُ
فدَعْ اكثرَ الأَطماع عنك فانَّها تضرُّ وانَّ البأس لا زالَ ينفَعُ

وفي الحماسة البصريَّة ايضاً (٢ : ٢١٦) بيتان من قصيدته المذكورة في ديوانه (تحت العدد XXI ص ٦١) التي اوَّلها (من الوافر) :

من يكُ ارعادُ الحمى أخواتُهُ فما لي من اختِ عوانٍ ولا بِكرِ

امَّا البيتان ففي وصف الناقة لم يُرويا هناك وهما :

اذا بركَتْ خرَّتْ على ثَفِناتها مجافيةً صُلباً كقَنطرةِ الجِسرِ
كأنَّ يَدَيها حين تجري ضُفورُها طريدانِ والرِجلان طالبتا وِترِ

(لها بقيَّة)

فقيد العلم

السيد ادي شير مطران سعرت الطيب الذكر

بقلم حضرة القس سليمان صائغ الموصلي الكلداني

غني عن البيان ما احدثتهُ الحرب الكبرى من الفواجع والخسائر الفادحة . ومن اشدّها وانكاها فقدانُ رجال العلم والفنون الذين عانوا مشاقَّ الدرس والابحاث الطويلة وعالجوا الكتابة والتأليف وقد حصدهم منجل تلك الحرب الشعواء قبل ان يستكملوا ابحاثهم ويتحفوا العالم بنتيجة مساعيهم وقبل ان يجتني العلم منهم تلك الثمرة المستطابة التي كان يتوقعها بفارغ الصبر .

قد يجد الوطنيُّ مجال الاسف ضعيفاً على الذين خدموا مبدأهم واستعذبوا

المنايا في سبيل الذبّ عن الوطن العزيز فذهبوا ضحية تلك العاطفة النبيلة « الموت في سبيل الوطن » فكم منهم قضوا وعلى افواههم ابتسامة الغدر وعلى محياهم تسطع غرّة الشرف . الّا اننا نجد للاسف مجالًا رحباً على رجال من اهل العلم وخدمته الصادقين قضوا لا في ساحة الحرب حيث تُرادف للموت كلمةُ الشرف الاسنى . قضوا ولكن تحت طعنات الغدر غنيمة باردة اغتنمها الظلم وضحّاها على مذبح الأحقاد والبغضاء . ومن اجلّ هذه الضحايا واعظم هذه الخسائر على اهل العلم وخاصّة على الطائفة الكلدانية ابّان تلك الحرب الضروس فقدان احد احبار هذه الطائفة الاجلاء الطيب الذكر السيد أدّي شير مطران سعرت ونواحيها .

حياتهُ

ولد هذا الحبر العلامة في مشقلاوا احدى قرى متصرّفية كركوك (ابرشية كرخ سلوخ) في اليوم الثالث من شهر اذار سنة ١٨٦٧ ودُعي في المعموديّة صليبا ابرهيما ونشأ على مبادئ التقوى والفضيلة . وقد توسّم فيه مهذّبوهُ اخلاقاً مثلى وذكاء فطريًّا فزوّدوهُ بشهادة الحال وارسلوهُ الى مدرسة مار يوحنا الحبيب الكهنوتية الاباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٨٨٠ وهناك قضى مدّة الدراسة . وقد اظهر في اثنائها سعياً ونشاطاً حبّاهُ الى معاليه وبرّز في العلوم واللغات وامتاز خاصّةً بالدروس الفلسفية والتاريخية وأتقن من اللغات الكلدانية واللاتينية والعربية والفرنسية والتركية تكلّماً وكتابةً

انقضت تسع سنوات الدراسة ونال الشهادة فأُسيم كاهناً من يد مار ايليا الثاني عشر عبو اليونان بطريرك الكلدان في اليوم الخامس عشر من شهر آب سنة ١٨٨٩ مع سبعة كهنة آخرين كان بعضهم تخرّج في مدرسة الكلدان الطائفيّة والبعض الآخر في مدرسة المرسلين الدومنيكان ودُعي المترجم يومئذٍ باسم ادّي رسول الكلدان . ثمّ عُهد اليه بخدمة النفوس في ابرشية كركوك بصفة نائب اسقفي . فقام بخدمته احسن قيام وكان يقضي سحابة نهاره في المدارس وخدمة الشعب ويكبّ في ليله على المطالعة والدرس . فتعلّم اللغة العبرانية واليونانية والفارسية والكردية واخذ يفهم الالمانية والانكليزية ليقف على ما يكتبه عامّة المستشرقين الاوروبيين . وقد

قدّر اولياء الامور اتعابهُ وخاصّة فضيلتهُ الحقيقيـة وتقواهُ الصميمي فـاختاروهُ للاسقفية في ١٥ آب ١٩٠٢ واسماه مطراناً على سعرت غبطة مار يوسف عمانوئيـل توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبي في كاتدرائية الموصل في ٣٠ ت ٢ سنة ١٩٠٢ وسُقف معهُ السيدان اسطفان جبري رئيس اساقفة على صوبا (نصيبين) شرفاً والسيد يعقوب اوجين منّا نائباً بطريركيًّا

اعماله وتآليفهُ

قضى السيد ادّي بصفة كاهن مدة غير يسيرة يدير ابرشية كركوك المترملة بوفاة راعيها الثالث الرحمة المطران جبرائيل ادّمو فصرف همته الى ترقية مدارس الابرشية وبذل مساعيه في تهذيب الاخلاق وبثّ روح الايمان وتحريـك عواطف التدين فيما بين ابناء هذه الابرشية . فاسّس جمعيات او اخويات لطبقات الشعب من رجال ونساء تعميماً للفضيلة وترسيخاً للايمان في القلوب وكان يثابر على الارشاد والتعليم في وقت مساعيه بآثار جمّة عادت [illegible] ابناء تلك الابرشية . [illegible] رؤساء اساقفة سعرت احبّ ان يجري على مثال سلفه السيد عمانوئيل يوسف المختار بطريركاً . وناهيك عن المساعي التي بذلها في تلك الابرشية فقـد قطع فيها شوطاً بعيداً في مضمار الرقي والنجاح حتى ازهرت واثمرت ولكنّ الايادي العادية امتدّت اليها فاخترمتها قبل النضج

اما اشتغاله في التأليف فيضيق بنا المجال ان نذكر ابحاثه الهامّة في مجلة المشرق الغرّاء والمجلة الشرقيّة الاسيوية وكان العلماء المستشرقون يقبلون على مطالعة ابحاثه ايّ اقبال ويقدّرون اراءهُ العلميّة حقّ قدرهـا حتى احرز استحسان جميعهم فمُنح وساماً وخُوّل رتبةً في جمعية العلماء المستشرقين . وقـد خدم اللغة الكلدانية خدماً جليلـة فوضع كتباً لقراءة الاحداث على اساليب عصرية منها القطافة (ܩܛܦܐ) وهو كتاب ادبي ممتع جمع فيه احسن ما جادت به قرائح ادباء هذه اللغة . وألّف فيها ايضاً كتاب صلوات ضمّنه اخصّ عواطف الدين وحقائق الايمـان مع تأملات يومية . ثم اكليل مريم (ܟܠܝܠܐ ܕܡܪܝܡ ܕܒܬܘܠܬܐ) وقد جمع فيه شتات مدائح البتول للكتبة الناطرة الكلدان

ونقل ايضاً الى العربية كتاب شهداء المشرق في مجلدين ضخمين وذيّلها بفوائد تاريخية جزيلة النفع وطبعها في مطبعة الآباء الدومنيكان (١٩٠٠–١٩٠٦) وطبع جدول الكتب الكلدانية الخطية القديمة الباقية في الشرق في خزائن البطريركية والمطرانيات والكنائس(١ وغني عن البيان ما لاقاهُ في سبيل ذلك من اتعاب البحث والاسفار. وله كراسة استوفى فيها البحث عن مدرسة نصيبين وهي نبذة تاريخية لا يُستغنى عنها. ثم ألف كتابهُ الشهير في تاريخ كلدو وآثور في ثلاث مجلدات تشتمل على ابحاث علمية وقد انتقد فيها اراء العلماء المستشرقين انتقاداً صحيحاً وطبع منها مجلدين الاول والثاني في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت (١٩١٢–١٩١٣) امّا الثالث وهو اجزلها فائدة لابحاثه المستفاضة في تاريخ الطائفة الكلدانية في الازمنة الاخيرة

١) دونك اسماء هذه الجداول :

1 Catalogue des Manuscrits Syriaques et Arabes conservés dans la Bibliothèque épiscopale de Séert (*Kurdistan*)

2 Catalogue des Mss Syriaques et Arabes de la Bibliothèque du Patriarcat Chaldéen de Mossoul (*Paris. Champion*, 1907)

3 Catalogue des Mss Syriaques et Arabes de la Bibl. de l'Archevêché Chaldéen de Diarbékir (*Journal Asiatique*. 1907², *pp.* 331 *et* 385)

4 Catalogue des Mss Syriaques et Arabes de la Bibl. de l'Evêché Chaldéen de Mardin (*Paris. Champion*, 1908)

ووصف ايضاً مخطوطات متحف بورجيا السريانيّة في رومية

5 Notice sur les Mss Syriaques du Musée Borgia, aujourd'hui à la Bibl. Vaticane (*J. A*, 1909², 249)

ولهُ في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالات عن بعض العلماء الكلدان كداد يشوع قطرايا (Dadiśo' Qaṭraya *J. A*, 1905², 103) ويوحنّان بر بنكايا (*J. A*. 1907². 161)

واعظم شأناً من ذلك تاريخ قديم عربيّ للكنيسة وضعهُ احد قدماء النساطرة

Histoire Nestorienne(*Chronique de Séert*), 2 Parties(*Patrologie Orientale. de Mgr Graffin*), 1907

وممّا طبعهُ في المطبعة الكاثوليكية ايضاً كتابهُ في الالفاظ الفارسيّة الداخلة في العربيّة

التي لم يجمعها لحد اليوم تاريخ انتقادي فقد اعتالته يد الظالم قبل ان يُقدمهُ للطبع ولا نعلم ما جرى به بعد قتل مؤلفه المأسوف عليه

وكان هذا الحبر العلامة قد ساح العواصم الاوروبية وزار المتاحف الكبيرة فاحتفى به العلماء احتفاء دلّ على ما لهُ من المنزلة الرفيعة عندهم. ولما رجع الى سعرت مركز ابرشيته سعى بجمع مكتبة عظيمة حوت انفس الكتب من قديمة خطية وحديثة مطبوعة وضمَّ اليها مكتبة دير مار يعقوب الحبيس (بجوار سعرت) وفيها جملة من الكتب القديمة الخطية. ومن انفسها تاريخ خطي مجهول اسم مؤلفه وقد نقل عنهُ كثيراً في تاريخ كلدو واثور حيث يسميه التاريخ السعردي. وقد زيَّن هذه المكتبة باشهر الكتب العصرية التي ظهرت في اوروبا خاصة التاريخية منها ولا نعلم ما جرى بتلك المكتبة بعد تلك الحوادث السوداء. هل بقيت تلك المجلدات النفيسة محفوظة ام مزقتها الخناجر المخضبة بالدماء او التهمتها النيران. ولا ما جرى باوراقه ومخاميمه التي احيا الليالي ولاقى تعباً [illegible] الايام [illegible] اليوم وقد [illegible] العصر الذهبي؟ اين [illegible] التي [illegible] تنشدها بداوهاك ورشاشاتك محلقاً في الفضاء وغائصاً في اعماق البحار؟

مقتله

كانت بقعة الجزيرة الخضراء قد اصبحت في سني الحرب الكونية حمراء قانئة من دماء المظلومين فكان السيف يحصد رؤوس المسيحيين بغير شفقة ولا رحمة خاصة سنة ١٩١٥ وفيها تنكبت ابرشية سعرت النكبة الهائلة بقتل ابنائها وراعيها المأسوف عليه السيد ادي شير. وهنا نضرب صفحاً عن ايراد تلك الفواجع المزلة التي قرَّحت العيون وادمت القلوب. وقد رأينا بعيننا وسمعنا باذاننا ما تشيب لهوله رؤوس الاطفال فنقتضب ايراد تلك الويلات حذراً من ان نؤلم القراء الكرام ذوي الشواعر الرقيقة بظالم يذوب لها الجماد. وحسبنا ان نواصل البحث في نهاية حياة ذاك الحبر العلامة خادم العلم في ديارنا اجابةً لرغبة الكثيرين ممن عرفوه شخصياً او عرفوه بمؤلفاته وكتاباته ويرغبون في الاطلاع على شكل موته القاسي. لا اعلم أطريق قبلي آخر هذا الموضوع او ان كان قد طرقه هل توصل الى الحقيقة. اما انا فبعد التحقيق من الذين

افلتوا من السيف اهتديت الى احد ابناء هذه الابرشية «داود بن هرمز». ووثقت من صدق مخبره لانهُ كان مرافقاً للمطران الى ما قبل مقتله بايام قليلة وهذا ما رواه:

كانت الصدور موغرة علينا والخناجر عطشى الى ارتشاف دمنا والعيون غضبى تنظر الينا شزراً فكأن السماء قد اصبحت فوقنا نحاساً والارض تحتنا هوّة فارغة. فاصلتوا سيف الظلم على رؤوسنا واستباحوا دماءنا واجروها انهاراً في اسواق سعرت ونواحيها. قتلوا الرجال عن بكرة ابيهم ولم يفلت منهم الا عدد نزر. امّا النساء فهربن الى دار المطرانية ملهوفات وكان الراعي المسكين يستعطف المراجع العالية

يعرف الواقفون على حوادث الشرق المظالم التي اجراها رجال آل بدرخان في جبال الهكارية واطرافها وقد ذكر بعضها المستر لايارد الرحالة الانكليزي في كتابه اثار نينوى. وقد روى ذلك عن خُبر لا عن خبَر اذ كان يومئذٍ يسيح في تلك الاصقاع ولم يزل نفوذ هذه العائلة ورجالها على نواحي سعرت الى زمن الحرب الكونية وكانوا قد امتنعوا من تجنيد رجال عشائرهم وانحازوا عن موالاة الحكومة التركية الى مناصرة الجيوش الروسية المرابطة يومئذٍ على الحدود. فنقمت عليهم الحكومة التركية وعزمت على قمع نفوذهم. وكان راعي ابرشية سعرت قد وثّق عرى العلاقات منذ اول مطرانيته مع آل بدرخان بك صوناً لحياة ابناء ابرشيته وكان اشدّهم صداقة له كامل بك وعبد الرزاق بك اذ عشائرُ البوهتان واعظمها الباتوّيةُ القاطنون في قضاء أرو على مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً عن مركز سعرت. وبتلك العلاقات قدر الراعي الحكيم ان يحافظ على حياة الالوف من المسيحيين القرويين ومعظمهم كانوا يرزحون تحت نير عبودية المتنفذين

ادّعى اولياء الامور بانهم اطّلعوا على مكاتبة جارية بين راعي الابرشية وبين رجال آل بدرخان بك ونسبوا اليه الخيانة ظلماً فاستجازوا دمه ودماء ابناء رعيّته ومثّلوا بهم ذاك التمثيل المريع ولم يكن ذلك الا سبباً متحلّلاً. فان المطران كان قد قطع علاقاته مع آل بدرخان بك لظهورهم بالعصيان على الحكومة ولم يكاتبهم الّا حينما كانت تزين صدورهم اوسمة الدولة وتنهال عليهم رواتب الحكومة. فمتى شتم الحملُ الذئب؟

كانت اواخر شهر ايار سنة ١٩١٥ آخر عهد لتلك الابرشية النبيلة فقد أرهف

السيف وصمّت الاذانَ اصواتُ البنادق في اسواق وشوارع سعرت فجرت دماء المسيحيين فرغاً . ولو القيتَ نظرةً على دار المطرانية لهالك الامر مما تراه من صراخ الاطفال وعويل النساء والمطران حائر بائر قد ارصد باب داره واقام يعزي النساء ويهدّئ جزع الاولاد بينما كان المتصرّف مع بعض الشرطة يقرعون بابهُ ويطلبونه بالحاح . فلمّا حضر امّنه المتصرف واكّد لهُ ورود الاوامر المشدّدة من الباب العالي باطفاء نيران الفتنة وأقنعه بالمسير معه فاطاعهُ وسار الى دار الحكومة وهناك اجرى المتصرف التحقيقات عن علاقته مع آل بدرخان بك فأكد لهُ المطران ان لا علاقة له بهم سوى ما كان قبل ظهورهم بالعصيان وتلك كانت وسيلة لحفظ ابناء رعيته . ثم اطلقه المتصرف مرافقاً ببعض رجال الشرطة غير انه امام دار الحكومة أطلق عليه الرصاص فاصابت الطلقة خادمه فخرّ صريعاً يتخبّط بدمه . اما المطران فحجزوا عليه في دار المطرانية

كانت القوات الروسية ثمة مخيّمة قريباً من سعرت على بُعد بضع ساعات وكانت اصوات مدافعهم ترعد في تلك الاصقاع وتحيي ميت الامال . وكانت الاخبار قد بلغت آل بدرخان بك وبلغهم ايضاً الاخطار التي تتهدد حياة المطران فكتبوا كتاباً وارسلوا الى عثمان آغا على عشيرة الشرون الذين في قرى «طسانوي» يطلب منهُ ان يسعى في انقاذ حياة المطران ويطمعه بالمواعيد والعطايا . فارسل عثمان آغا اخاه محمودًا مع عشرة رجال اكراد شاكي السلاح واثنين من المسيحيين من اهالي قرية حديد . وكان ذلك اليوم وهو السبت يوماً عصيباً زهقت فيه الارواح وأُريقت الدماء.(١ ولم تهدأ هذه المذبحة المريعة الّا بعد حلول الظلام حين بلغ رجال عثمان اغا الى دار المطرانية . فنقبوا الجدار واخرجوا المطران متربياً بزي كردي وساروا به قليلاً عن سعرت ثم شعر به رجال الشرطة فاقتفوا اثرهم وناوشوهم القتال فقابلهم بعض رجال عثمان اغا وهرب البقية بالمطران وقد حمله احدهم لابطائه في السير من تأثير الحزن والتعب

سارت هذه القافلة الصغيرة تحت جنح الظلام سيرًا خبيًا حتى بلغوا «عقبة» مضيق

١) ولخمرة القس اسحاق ارملة فصل حسن مؤثر في مذبحة سعرت في كتابه القصارى في نكبات النصارى (ص ٣٨٦–٣٩٠)

بين جبال جرداء تتلوى امامهُ مياه نهر بوهتان . وهناك وجدوا قارباً فركبوه واجتازوا بهِ النهر وجدّوا بالسير حتى بلغوا طانزي الواقعة بين سعرت والجزيرة (جزيرة ابن عمر) . فاحسن عثمان اغا استقبال المطران وهدّأ روعه . الّا ان متصرف سعرت ابرق الى متصرف الجزيرة يخبره بهرب المطران الى طانزي ويستحثهُ على ارسال سريّة من الجند في طلبه . وكان عثمان اغا قد احسّ بالمكيدة وعرف بالخطر الذي يتهدد ضيفه فارسلهُ الى جبل يشرف على قرية «عينا» وهي تبعد عن سعرت نحو ست ساعات او اكثر . فاقام المطران مع خادمَيه المسيحيين في احد كهوف الجبل مدة خمسة عشر يوماً حتى اقبلت الجنود من الجزيرة . وكان عثمان اغا قد انفذ الى صديقه الحميم رسول اغا (احد اغوات بوهتان) يدعوه الى الاخذ بناصره في دفع الجند عن المسيحيين الملتجئين الى قراهما . فابى ذاك اجابة طلبهِ . وكان الجند قد بلغوا قرية ديراوات المحاذية لقرى طانزي وارسل القائد الى عثمان اغا يتهدّده ويأمره بتسليم المطران فانكر عثمان اغا ذلك . فتقدمت الجنود الى قريته وكان هو قد نجا بنفسهِ وذويه فنهبوها واحرقوها ثم حملوا على المسيحيين واعملوا فيهم السيف ولم يفلت منهم الّا عدد قليل . ومن اشهر القرى المديدة المسيحية التي خربت واقوت صدخ (٤٠٠ نسمة) وقطمس (٦٠٠ ن) ودير مار كوريا (٥٠٠ ن) وتلّا مشاري (٦٠٠ ن) وحديد (٣٠٠ ن) وكديانس (٢٠٠ ن) وبينكوف (١٥٠ ن) ودير شمش (١٣٠ ن) . (هنا تنتهي اخبار داود بن هرمز فانه هرب بنفسهِ من الجبل وبقية الحادثة نقلناها عن ثقات)

مضت خمسة عشر يوماً على الحبر العلامة مختفياً في كهفه يفترش التراب ويتوسّد الصخر . وصباح اليوم السادس عشر بينما كان خادمه خرج ليطلب الماء رأى احد افراد السريّة يحصد حشيشاً للخيل فتعارفا وسألهُ الكردي عن مقام المطران فاعلمهُ الخادم وسار به اليهِ . وكان الخادم قد اضمر في قلبهِ على قتل الكردي حذراً من افشاء امرهم الّا ان المطران زجره وامره بتركه يذهب لشأنه . ولم يمض دقائق معدودة حتى اقبلت تلك السرية الكردية فقتلوا الخادمين ونزلوا بالمطران مغلل اليدين الى قرية عينا حيث كان مقيماً القائد التركي مع بعض رجالهِ . فلم يمهلوه ان يستريح بل ساروا بهِ للحال بعيداً عن القرية قليلاً بين البساتين ثم وقفوا بهِ امام كهفٍ جسيم يتدفق من احدى زواياه ماء زلال . وهناك تنمّرت وجوههم وبدت عليها امائر الغضب

والشر . وقد لمح المطران منهم ذلك وخاطبهم بالكردية واستمهلهم ريثما يصلي (١ وقبل ان يفرغ من صلاته اطلق عليه اولئك الظلمة نيران بنادقهم فخرّ صريعاً امام ذلك الكهف . فجمعوا فوقه حجارة جرياً على عادتهم لتكون تلك القاعة دليلاً على ان تحتها دفيناً قتيلاً . هذه كانت آخرة ذلك العلامة والحبر النبيل الذي خدم العلم خدماً جليلة يقدرها له التاريخ على مر الايام . قضى بين جلبات اولئك الجهنميين ووارت جثمانه ايديهم الاثيمة وما زال الى اليوم مسجّى تحت ظل اشجار الزيتون وسط سكون عميق لا يكدره الا نوح الحمائم وزفرات النسيم فتهتز الاوراق المتبللة بندى الصباح وتنفض ما عليها من قطرات فضية فوق قبر الشهيد

البعثة البابوية الى البلاد السوفياتية

بقلم الاب حنا كرم اليسوعي

كلّ يعرف ما حلّ بالبلاد الروسية من البلايا والكوارث المؤلمة منذ سيطر فيها أزمّة الحكم حزب السوفيات ومشايعيهم من الجيش الاحمر فذهبت باعمار الوف بل الوف الالوف من اهل تلك الدولة الواسعة الارجاء ذات الحول والطول

وقد زادت هذه الرزايا بما اصاب تلك البلاد في السنة ١٩٢١ من المحل والجدب بانحباس الامطار عنها مدّة ستة اشهر فمات الزرع وهلك الضرع في عدة مقاطعات كوادي ڤولغا وجبال اورال القديم واوكرانية فبسطت المجاعة اطنابها على رؤوس اكثر من ٣٠ مليوناً من الاهلين واذا بصراخ البائسين دوت له مسامع الدنيا واقشعرّت الابدان لما كان الموت يحصده كلّ يوم من الوف البشر فاخذت الدول

(١ قال القس اسحاق (ص ٣٨٩) « فجثا وصلّى ثم لبس ثوبهُ وتقلّد صليبهُ وركع وقال : لكم الحرّية ان تفعلوا ما يعجبكم . فأوغلوا في تعذيبهِ وفتكوا بهِ وعادوا بامتعتهِ الى علي والقاضي غير انّ الله جلت احكامهُ انتقم للحال من علي المزور ومن ابنهِ ايضاً فقُتل كلاهما شرّ قتلة

والشر . وقد لمح المطران منهم ذلك وخاطبهم بالكردية واستمهلهم ريثما يصلي (١ وقبل ان يفرغ من صلاته اطلق عليه اولئك الظلمة نيران بنادقهم فخرّ صريعاً امام ذلك الكهف . فجمعوا فوقه حجارة جرياً على عادتهم لتكون تلك القاعة دليلاً على ان تحتها دفيناً قتيلاً . هذه كانت آخرة ذلك العلامة والحبر النبيل الذي خدم العلم خدماً جليلة يقدرها له التاريخ على مر الايام . قضى بين جلبات اولئك الجهنميين ووارت جثمانه ايديهم الاثيمة وما زال الى اليوم مسجّى تحت ظل اشجار الزيتون وسط سكون عميق لا يكدره الا نوح الحمائم وزفرات النسيم فتهتز الاوراق المتبللة بندى الصباح وتنفض ما عليها من قطرات فضية فوق قبر الشهيد

البعثة البابوية الى البلاد السوفياتية

بقلم الاب حنا كرم اليسوعي

كلّ يعرف ما حلّ بالبلاد الروسية من البلايا والكوارث المؤلمة منذ سيطر فيها أزمّة الحكم حزب السوفيات ومشايعيهم من الجيش الاحمر فذهبت باعمار الوف بل الوف الالوف من اهل تلك الدولة الواسعة الارجاء ذات الحول والطول

وقد زادت هذه الرزايا بما اصاب تلك البلاد في السنة ١٩٢١ من المحل والجدب بانحباس الامطار عنها مدّة ستة اشهر فمات الزرع وهلك الضرع في عدة مقاطعات كوادي ڤولغا وجبال اورال القديم واوكرانية فبسطت المجاعة اطنابها على رؤوس اكثر من ٣٠ مليوناً من الاهلين واذا بصراخ البائسين دوت له مسامع الدنيا واقشعرّت الابدان لما كان الموت يحصده كلّ يوم من الوف البشر فاخذت الدول

(١ قال القس اسحاق (ص ٣٨٩) « فجثا وصلّى ثم لبس ثوبهُ وتقلّد صليبهُ وركع وقال : لكم الحرّية ان تفعلوا ما يعجبكم . فأوغلوا في تعذيبهِ وفتكوا بهِ وعادوا بامتعتهِ الى علي والقاضي غير انّ الله جلت احكامهُ انتقم للحال من علي المزور ومن ابنهِ ايضاً فقُتل كلاهما شرّ قتلة

تسعى لاستدراك هذه الآفات المجحفة وكان السابقون في هذه الحلبة الشريفة قوماً من الاميركيين فألفوا لجنة من ١٥٠ شخصاً ثم جمعوا في الولايات المتحدة ٧٠ مليوناً من الدولارات وتقاطروا الى مساعدة اولئك المنكوبين فاتوا بمائة وخمسين مركباً موسوقاً بالمؤن المختلفة وألفوا جماعات من اهل البلاد لا يقلّ عددهم عن ٨٠ الفاً لتوزيع تلك الحسنات فامكنهم ان ينقذوا من مخالب الموت نيفاً وعشرة ملايين من اهل روسية صغاراً وكباراً. وكان مدير تلك الاعمال الجبّارية رجلاً كاثوليكياً عريقاً في دينه وهو الكولونل هسكل (Col Haskell)

ثم خفّت بالاميركان بعثة «الاتحاد الدولي لإنقاذ الاولاد» تحت مراقبة الدكتور نانسن (Dr Nansen). ثم جماعات الصليب الاحمر الدولية فانتشرت هذه الشركات في انحاء روسية وأقاتوا مليوناً و ٢٢ الفاً من الضائرين

ولم يشأ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر ان تغيب الكنيسة الكاثوليكية عن مثل هذا السباق الشريف. ومنذ الشهر آب من السنة ١٩٢١ اخذ يفكر في الوسائل الناجعة لعلاج هؤلاء البؤساء. الّا انّ الموت عاجلهُ دون اتمامهِ لهذه النيّة الجليلة فاراد خلفهُ البابا بيوس الحادي عشر ان يحققها منذ اوائل يوم جلوسهِ المأنوس على كرسيّ ائمّة الاحبار فراجع اولياء الامر في روسيّة ونال بعد اللتيّا والتي جواباً مطابقاً لرغبتهِ في ارسال وفد خصوصيّ الى تلك البلاد مع المساعدات الكافية لجمعة الوف من المتضرّرين فألّف لذلك لجنةً من احد عشر راهباً من اربع رهبانيّات كان منهم ثلاثة يسوعيين تحت نظارة كاتب هذه الاسطر وكان السوفيّات امّروا سبيلنا بجوازات سفر وتذاكر ارسلوها الينا. فابحرنا من مينا باري في ٢٦ تموز راكبين الباخرة «غاليسيا» من شركة «لويد ترياستين» وكانت وجهتنا الى البحر الاسود وطريقنا على الاستانة حيث قضينا يومين وفي ٤ آب بلغنا اودسّا

اودسّا

وجدنا مينا المدينة خالياً وانّما كان في حوضهِ الشمالي مركب اميريكيّ من جمعيّة الحسنات الى روسيّة (ARA) كان عند وصولنا يفرّغ خمسة آلاف طن من الطحين لقوت الجائعين وكان ايضاً بازائنا طرّاد موسوم بالعدد « ٢١٧ » اتى برفقة

المركب المذكور صيانة لرعاياه. فأرست باخرتنا بين السفينتين

وما كادت تثبت في مكانها على مسافة عشرة امتار من البرّ حتى احاط بنا عدد عديد من عمّال السوفيات تسترهم القمصان وهم مشمّرو السواعد متأبطون قساطير دفاتر تؤذن بوظائفهم وكلّهم من الغلمان الشباب لا يبلغ سنّ اكبرهم عمرًا ثلاثين سنةً. وكان حولهم أخلاط من غوغاء الشعب أتوا ليعاينونا وكان الجنود يتولّون حراستهم

وبعد هنيهة صعد العمّال الى ظهر باخرتنا وطلبوا تذاكرنا فصدّقوا عليها وطلبوا ان يعاينوا كلّ امتعة الركّاب وان يدلّوهم على ما يحملونهُ من الدراهم. امّا نحن فلم نرضَ بكيلا الامرين لمجيئنا رسميًّا برضى دولتي السوفيات والكنيسة الرومانيّة لعمل خيري فضربوا عنّا صفحاً. لكنهم دقّقوا في تفتيش امتعة كل المسافرين بحرص عجيب. وامروهم قبل نزولهم الى البرّ ان يدّعوا عند ربّان المركب دراهمهم والغاية من هذا الامر ان لا يبتاعوا شيئاً من اهل البلاد بل يلتجئوا الى البولشفيك وحدهم في بيعهم وشرائهم لتبقى النقود في خزنتهم

ثمّ طلبنا منهم ان يمنحوا لنا بجوازات لننزل فنزور المدينة فوعدونا بها الى الغد لكنّهم لم يقوموا بوعدهم حتى اليوم الثالث واذ صرّحنا لهم بكدرنا لسوء هذه المعاملة ونحن آتون لخير بلادهم فاعطوا الجوازات لاصغر الركّاب دوننا. فلمّا كان اليوم الرابع بلّغونا بسماحهم لنا بالنزول الى المدينة على زورق اتوا به. فسئم البعض منّا من هذا التأخير ولم يشاؤوا النزول. فنزل الباقون فاخذونا الى ديوان المدينة حيث اعطونا الجواز لزيارة البلد. وقد تأكدنا انهم لم يسمحوا باختلاطنا مع اهل البلد قبل ان يراجعوا رؤساءهم في موسكو وذلك كان السبب لتأجيلنا. فرجعنا الى المركب بعد ساعتين ودعونا كبار الموظفين الى وليمة على المركب لنبدي لهم شكرنا عن لطفهم ولو متأخّرًا ونكسب بذلك ثقتهم ونتقرّب اليهم

وقد استفدنا من هذه الاجازات اذ بلغنا انّ باخرتنا التي تُقلّنا الى القرَيم موعد شغلنا لن تُبحر الى سيبستوبول الّا بعد ستة ايّام لسبب اعتصاب البحريين: فانتهزنا هذه الفرصة لتفقّد احوال البلد ونعاين مصائب سكّانهِ. فكان اوّل ما حاولنا زيارتهُ الكنيسة الكاثوليكيّة لنسجد فيها لذلك الذي رحم المساكين وتحنّن

على الجموع (مرقس ٨ : ٢) ونخصّص لهُ خدمتنا ونستمطر نعمهُ على البائسين الذين اتينا لتخفيف آلامهم . فسرنا في شوارعَ على جانبيها الاخربة والجدران المتداعية وقد استولى الدمار على منازلها ومطاعمها ومعاهدها العمرميَّة سواء اصيبت بقذائف الاعداء ام أخربها اهل الثورة او اقتلع الفقراء اخشابها ليصطلوا بنارها . وقد اصبحت تلك الامكنة اطلالًا ومزابل

كنيسة اودسًا الكاثوليكيَّة ذات هندسة بسيطة على خلاف الكنائس الروسيَّة التي تستوقف الابصار بقُبَبها البديعة وحليها الرائعة . فبعد الزيارة لاله القربان طلبنا من الحاجب أن يقودنا الى منزل خادم الكنيسة فرافقنا الى غرفةٍ وجدنا فيها راهبًا كابوشيًا يُدعى فرنشسكو . فلمَّا رآنا وعاين زيَّنا الغريب اخذه الدَّهَش وسألنا متلعثمًا كأنهُ رأى في إثرهِ شُرَطَ البولشفيك : من أنتم وماذا تريدون ؟ فقلنا لهُ : نحن يسوعيُّون ومعنا بعض رهبان ارسلنا الحبر الاعظم لإفاقة المنكوبين من الروسيين . فشدَّ ما كان انذهالهُ لهذا الخبر وهو في بلاد البولشفيك منقطع عن كل ما يجري في العالم . فسألناهُ أليس هو خادم رعيَّة اودسًا فانكر وخاف لئلَّا نكون من جواسيس البولشفيك فلمَّا تحقَّق امرنا قال : او لا تعلمون ما حلَّ بالكاهن المذكور ؟ قلنا : لا . قال : اتانا يوم امس بعد المغرب ثلثة من المأمورين فقرعوا باب غرفتي فلمَّا فتحتها طلبوا ان ادلَّهم على غرفة خادم الكاثوليك ونائبهِ فلمَّا اشرتُ اليهما اعادوني الى مكاني واقام واحد منهم يراقبني وبعد هنيهة قادوا الكاهنين الى حبس الدائرة البولشفيَّة (Tchéka) وقد وجدت غرفتيهما مبعثرتين منهوبتين ولم نعلم سبب توقيفهما واليوم اصبح الناس او كلُّهم في روع وهلع . أمَّا نحن وكنَّا سمنا عن حبس تلك الدائرة وما يجري فيهِ من الفظائع ففكرنا في ما ينتظرنا نحن ايضًا وقد صرنا في حوزة هؤلاء المسج

ثمَّ ودَّعنا الاب فرنشسكو وذهب ليعود احد المرضى فسلَّمنا عليهِ ووعدناهُ بالرجوع اليهِ في الغد . ثم اخذنا نتجوَّل في احياء البلد . فكان منظر مدينة اوديسًا واهلها يفتّت القلب

فكان يخال لنا أنَّنا نسير في مقبرة لا في مدينة عامرةٍ فكان الذين نلقاهم في طريقنا يلوحون لنا شاحبي اللون منهكي القوى ضئيلي الابدان كأنَّ الجوع قد

اضناهم وامتص لحمانهم فلم يدع لهم غير الجلد على العظام وعيونهم غائرة في حجاجها. فكنّا نتساءل أهؤلاء بشر احياء ام بالحري اشباح أموات. وقلما كنّا نجد شيوخاً او كهولاً فلاشكّ انّ الحرب ومدافع البولشفيك والمجاعة قد اكتسحت عددهم الاوفر فلم يبقَ الّا الشبّان الذين احتفظت عليهم الدولة الجديدة ليقوموا باعمالها ويجروا على سُننها. وكنّا في معاملاتنا مع ارباب الدولة لا نكاد نجتمع مع غير الشبّان او الفتيان في مقتبل العمر

وكنّا نرى الازقة والشوارع الاوساخ فيلقي فيها الناس زبلهم وليس هناك عمّال ليقوموا بتنظيفها تلك الروائح الكريهة نافرين منها. امّا اهل البلد فكانوا يسيرو[illegible] لتلك الحالة السيئة يغلب عليهم الهمّ والغمّ فينتظرون الموت المصائب المحيقة بهم

وقد وقفنا على قائمة مو[illegible] في ساحات اودسّا في شهر حزيران فاذا هو ١٣٥ في ٣ حزيران ثم ٨٥ في ٤ منه ثم ١٤٥ في ٥ منه. علم حزّا. اطلعنا على جداول اخرى في جهات روسيّة فاذا كلها تزيد [illegible] ذلك انّ [illegible] ماتوا جوعاً في مدّة ستة اسابيع في اوكرانيا وبلاد الفولغا وبلغ هذا العدد مدة ثلث سنوات ستّة ملايين فكادت تلك الامم [illegible] تحوّل الى [illegible] مقفرة

*

وكنّا اذا عدنا الى باخرتنا في ساعة غدائنا نرى القوم ولاسيما الاولاد يتزاحمون على الرصيف فيصرخون بالروسيّة: عماه قطعة من الخبز! فيتهافتون على ما نلقي لهم من بقايا طعامنا. وكانت قلوبنا تكاد تتفطّر وجعاً اذ نرى النساء واطفالهنّ على الذراع وفي يدهنّ اناء ينتظرن ان يودَعَ فيه شيء من الطعام لقوت صغارهنّ فينظرن اليك صامتات جامدات وعلى وجوههنّ كلّ إمارات الالم. فكنّا نسرع الى إغاثتهنّ فتدلّ دموعهنّ على شكرهنّ لنا

وكنّا احياناً نختلط بهؤلاء المساكين فنلقي عليهنّ بعض السؤالات لنطّلع على حقيقة امورهم. ما اسمك يا ولدي؟ — اسمي ڤالوديا (مصغّر ڤلاديمير) — هل ابوك حيّ؟ — كلّا. مات من الجوع في الشتاء الاخير — وامّك؟ — هي في البيت مريضة بالتيفوس — وهل لك اخوة واخوات؟ — ماتوا كلّهم من الجوع فبقيتُ وحدي

وانت يا بُني ما اسمك ؟ — سرجيوس — وهل ابوك وأمك بخير ؟ — كلّا قُتل ابي في الحرب وماتت امي بالتيفوس في الشتاء — واخوتك ؟ — انا وحدي يتيم وغريب . هربت من ضيعتي لأجد في المدينة أكلاً — وما لك لا تذهب الى جماعة الاميركان ليعطوك معاشاً ؟ — انا عمري ١٥ سنة وهم لا يقبلون احداً فوق سنّ ١٤ . وها قد مرّ عليّ يومان لم أذُق طعاماً — فضمنتُ لهُ طعامهُ في أيام اقامتنا في مرفإ اودسّا

وكان بين هؤلاء الصعاليك فتى يجرح نظرهُ قلبنا . كان لابساً قطعاً من أطمار قميص وَسِخ لا يكاد يستر جسمهُ فكان يسير ذهاباً واياباً على الرصيف لعلّهُ يجد شيئاً يؤكل كفتات من الخبز او رأس سمكة او حُمامة ما نجت من نهَم الكلاب . وكانت الشمس قد غربت فقلتُ لهُ : ماذا تصنع هنا يا بُني قد قرب الليل اذهب الى بيتك — فنظر اليّ بعينين تترقرق منهما الدموع فقال : عمّاهُ حتى الآن ما اكلتُ شيئاً — وما لك لم تأتِ الى المركب فكنّا اعطيناك طعامك ؟ — كنت أريد ان اطلبهُ لكنّ الحرَس كانوا يطردونني ولمّا كان يُلقى اليّ من المركب شيء يؤكل كان غيري يلتقفهُ فيأكلهُ . كان يقول هذا والحُمّى تنفض كل بدنهُ وكان بطنهُ منتفخاً فقلت لهُ : قد اكلت اشياء وخمة . قال : وما العمل وانا اتضوّر جوعاً . فقلت لهُ : هلمّ معي الى المركب فأُعطيك طعاماً . ثمّ تأتي اليّ كل صباح فانا أقوتك . وكانت آذاننا في كلّ مدّة اقامتنا هناك تصطكّ لسماع هؤلاء الصبيان صارخين : نحن جائعون ! نحن جائعون

وكان اذا احتدم الحرّ ونحن في فصل القيظ نرى الاولاد يركضون فتيات الى شاطئ البحر ليستحمّوا فتُعاين ما صارت اليهِ ابدانُهم من السُّهام والضعف . فنمتعض لهذا المنظر المؤلم الذي يمثّل لنا صورة الموتى

وليست المجاعة ضاربةً اطنابها على الفقراء والمساكين فقط فانّ عمال السوفيات نفسهم يعيشون عيشة ضنكة لا تقوى على سدّ عوزهم . فكنّا نرى حولنا وقت غدائنا عدداً من صغار العمّال (tchinovniks) ينتظرون على باب مخدعنا ليلتقطوا شيئاً من بقايا طعامنا . على انّ الدولة لا تبخل باوراقها الماليّة معهم فكلٌّ منهم يصيب ملايين من الروبل ولكن ايُّ قيمةٍ لتلك الاوراق ؟ فالملايين منها لا تكفي لابتياع مأكول بضعة ايّام . امّا العملة الذهبيّة فقد احتكرها ارباب الدولة لمنفعتهم وفائدة

اصحابهم . وقد قال لي رئيس مركب ضبط الفرنسويون مركبة في البوسفور انّ راتبهُ يبلغ ١٤٠ مليوناً في الشهر الّا انّ السوفيات لا يعطونهُ سوى ٢٥ مليوناً التي تساوي مئة فرنك فقط . فكيف المعيشة مع هذا فان كانت هذه حالة رئيس مركب فما قولك بسواه

وفي ١٤ آب تمكّن اخيراً مركبنا من تفريغ بضائعه ووسق غيرها فسار بنا الى سيبستوبول فلمّا اقلع كنا نرى جماهير الشعب وخصوصاً الصغار يصرخون بصوت يثير الرحمة في القلوب : عمّاه عمّاه متى ترجعون ؟

٢ سيبستوبول

هي المدينة التي انتشبت فيها تلك الحرب العوان بين دولة المسكوب والدول الثلث المتحالفة فرنسة وانكلترة وتركيّة وانتهت بفتحها عواناً سنة ١٨٥٥ فاشتهر بالدفاع عنها البطل توتليبن ولا يزال له هناك مشهد يخلّد ذكرهُ وذكر الاميرالين كورنيلوف وناخيموف

وليست سيبستوبول مدينة قديمة وانّما هي الامبراطورة كاترينا احدثتها سنة ١٧٨٦ ودعتها باسم « المدينة الامبراطورية » او « المدينة العظمى » واقامتها شرقيّ اخرية مدينة « خرسون » القديمة عند جون تسطع في مرآة مياهه صورتها البهيّة ويُحدق بها المشاجر فتلوح بمنظر فتّان

وكان السوفيات عارفين بمجيئنا فأتوا ليدعونا الى نزل أعدّوهُ لنا فيه ثلث غرف لثلثة منّا فلمّا وجدونا تسعة احتاروا في امرهم وترجّونا ان نبقى في المركب ريثما يجهزون ستّ غرف اخرى للباقين . وكان لا مندوحة لنا من النزول الى البرّ بعد يومين لانّ باخرتنا « اللويد تريستين » لا تربط في سيبستوبول اكثر من هذه المدّة . ونحن موعودون بوصول باخرة روسيّة تنقلنا بعد ثلثة ايّام الى مدينة ثاودوسية غاية سفرنا الواقعة على مسافة عشر ساعات من سيبستوبول . فعرضنا على ربّان اللويد ان ينزل في ثاودوسية فأبى لما يترتّب عليه من أداء الرسوم الجمركيّة لمرفأ تلك المدينة وهي بالغة ١٢٠٠ ليرة ايطاليّة ولا يؤمل ربحاً كبيراً من تجارتها

فقُضي علينا ان نبقى في المركب ونستعدّ لنقل اثقالنا الى البرّ وهي لا تقلّ عن

٣٦ طرداً مختلفة الكبر والوزن لعلمنا بما نحتاج اليه في روسيّة في الضيقات الحاضرة. فرجونا من رؤساء البلد ان يودعوها في ديوان المرفأ (الكمرك) ليسهل نقلها الى المركب المنتظر بعد ثلثة أيام فاجابوا الى طلبنا

وفي اثناء ذلك احببنا ان نلقي النظر على المدينة واحوالها في عهد السوفيات فقيل لنا ان بلاد القرّيم تؤلف جمهوريّةً صغيرة لها بعض الاستقلال في تدبير امورها وإن كانت مرتبطةً بجمهوريّة روسيّة السوفياتيّة العليا. فانّ لها ادارة احوالها ولجنة تنفيذيّة خاصّة وتفويض تامّ بتجارتها الخارجيّة

وكان اوّل من اتى لاستقبالنا كاتب اسرار الادارة وهو لابس قميصاً شمّر اردانهُ الى كتفهِ فدعاني مع راهب آخر لنركب اوتوموبيلاً ونذهب لزيارة مشهد ترتليين. ثمّ نزل بقيّة رفقتنا فاجتمعنا مساء في المنزل المعدّ لنا. وفكّرنا في اعداد عشائنا وكنّا هنالك عشرة مع ترجمان كان يرافقنا. وبقي اثنان في المركب اذ كانت وجهة سفرهما الى مدينة يربط فيها مركبنا غير ناودوسية

وما سلسنا [illegible] شاء حتى اتانا احد العمّال يخبرنا انّهم قد اعدّوا ١١ عشر غرف نأوي اليها في مدّة اقامتنا في سيدنوبول [illegible] شاء [illegible] دعوتنا [illegible] ثمّ قابلنا بالمعروف في معاملاتنا مع اصحابهِ السوفيات

وقد تعبنا كثيراً قبل ان نجد مأكلاً نظيفاً فانّ اللحم مشبوه واطعمةً اخرى وخمة لا تؤكل فاكتفينا بما وجدناهُ من طبيخ الجزر والبطاطا المشويّة مع فاكهة البلد اللذيذة كالتفّاح والخوخ. وطلبنا شيئاً من الخمر فقدّموا لنا زجاجة منهُ ثمنها مليونان من الروبل (ستّة فرنكات) مع زجاجة من الليموناضة تساوي نصف مليون روبل (فرنكاً ونصف). فكان مصروفنا على عشائنا ٨٠ مليون روبل:

ثم اردنا ان ندفع لصاحب المطعم حقّهُ لكنّنا لم نجد في يدنا شيئاً من اوراق الروس الماليّة ففتّشنا على صرّاف واذ بيهودي هنالك صرف لنا مئة دولار بمئة مليون روبل كلّها اوراق مختلفة القيمة تتراوح بين ٢٥ روبلاً و ٥٠ مليوناً فكانت محفظتنا تضيق عن احراز كلّ هذه العملة. لولا انّ مصاريفنا اليوميّة كانت تخفّفها بزمن قليل. فانّنا كنّا نصرف في اليوم ١١٥ مليوناً الى ١٢٠ مليوناً من الروبل. وكنّا في التالي لا نجد احداً يصرف لنا دراهمنا لخوفهم من ان يرى السوفيات في يدهم نقوداً

فيغصبونهم أيّاها شاءوا ام أبوا

وفي اليوم الثالث من حلولنا في سيبستوبول حضر المركب الروسيّ الذي كنّا في انتظاره وقد دُعي اسمهُ «ايليتش» وهو اسم والد لينين رئيس السوفيات الاكبر. فطلبنا لنا عشرة امكنة في الدرجة الاولى وذلك مجاناً كما صار الاتفاق مع الكرسيّ الرسولي ورئيس الجمهوريّة في موسكو. لكنّ الركّاب كانوا قد سبقونا واحتلّوا تلك الامكنة وبالكدّ والجهد وجدنا امكنة في الدرجة الثانية

ولمّا اردنا نقل امتعتنا المودعة في مستودع الجمرك طلب العمال ان يزوروها على خلاف ما كان الاتفاق مع القاتيكان فقدّمنا لهم قائمة كل طرودنا واثقالنا التي صدّق عليها في رومية ممثّل دولة روسيّة فلم يقنعوا ولم يرضوا الّا بفتحها ليسلبوا منها ما شاؤوا. فتهدّدناهم بالالتجاء الى المراجع العليا واثبتنا لهم انّ معاملتهم هذه اهانةٌ للحبر الاعظم الذي اراد ان يمدّ الى بؤساء روسيّة يد المساعدة ولا بُدّ انّنا نبأنهُ عدم وفائهم بمواعيد دولتهم. فلمّا رأونا مصرّين على مقاومتهم راجعوا بالتليفون رؤساءهم فأتاهم الجواب باطلاق سبيلنا

فركبنا السفينة عصر السبت ١٨ آب واذا هي قذرة خالية ليلًا من النور. امّا غُرفنا فلم نجد فيها لا شراشف ولا لحافاً للنوم ولا ميضأة للغسل حتى سمحوا لنا ان نسكن في محلّ المائدة فأوينا اليهِ وتدثّرنا بثيابنا ليلًا. فاقلعت الباخرة ايليتش التي كان محمولها ٤٠٠٠ طن وسارت سيرًا ليّناً فادركنا بعد اربع ساعات مدينة «يَلْتا» وهي مدينة صغيرة حسنة الموقع جميلة المباني المشيّدة في معاطف جبل يشرف على البحر يصطاف فيها اغنياء الروس وكان فيها للقيصر دارٌ ملوكيّة يسكنها في فصل القيظ مع حاشيتهِ وقد اصبحت البلدة اليوم خاوية خالية

٣ ثاودوسية

وبعد ثلث ساعاتٍ اقلعنا الى ثاودوسية فبلغناها في منتصف الليل. واذا هناك في انتظارنا احد الآباء اليسوعيين الاميركيّين الاب ولش (P. Walsh) الذي سبقنا في رفقة اللجنة الاميركيّة لمساعدة المنكوبين فكان اعدّ لنا سيّارتين من سيّارات لجنتهِ فاقلّتانا وكل اثقالنا الى نزلٍ في المدينة حيث أعدّ لنا عشر غرف لنسكنها مدّة

اقامتنا في ثاودوسية الى ان يتيسّر لنا الرحيل الى مكان شغلنا

فوجدنا تلك الغرف اعشاشاً للبقّ كانت تمتصّ دماءنا فلا يستطاع النوم فيها . وكان في ذاك المنزل قوم من الموسيقيين يقضون ساعات من الليل في نقر كمنجاتهم فيزيدون على عنائنا

وممّا يُضحك لهُ انّ مسهاراً كان خرقَ ثوبي فاردتُ اصلاحهُ فقصدت خادمة المنزل وسلّمتها الثوب لترفأه فطلبت في السوق خيطاً من لونهِ فلم تجد الّا شعر رأسها فخاطت بهِ ثوبي بكل حذق فأعطيتها ثلثة ملايين روبل . ثمّ اتخذناها صانعةً لغسل ثيابنا واصلاح امتعتنا ولما ودّعناها كانت تذرف الدموع لفراقنا

تجوّلنا في ثاودوسية وحصلنا على بعض المعلومات عن تاريخها فاذا هي مدينة قديمة خصبة جرت فيها حوادث جيدة . كان فيها للجنويين اوّلاً ثم للبنادقة مخازن تجاريّة رائجة ولا يزال هناك برج يدعى باسمهم . ومرفأ ثاودوسية من الطف واجمل المرافئ واسع الارجاء كانت تتزاحم فيهِ المراكب التجاريّة التي كانت تنقل منهُ ما بين [illegible] اطنان القمح الكافة [illegible] اما الآن فقد [illegible] فارغاً لا [illegible] فيهِ [illegible] اللجنة الاميركيّة القادمة لإعانة الملهوفين واغاثة الجائعين

وعدد المدينة قد اصبح قسمُها الشمالي خراباً وهناك كانت احياء التتر . وكانت التلال المجاورة للمدينة تظللها غابات الشجر فقُطعت كلّ اشجارها في الشتاء للاصطلاء فاضحت قفراً جرداء . امّا الحقول فمهملة والكروم الممتدّة الى مسافات بعيدة قد غلب عليها الشوك والعوسج وليس من يكترث لفلاحتها . فلا عجب ان ترزح البلاد تحت اعباء المجاعة

وكان الفقراء يتسارعون الى منزلنا كما في اودسّا طالبين كسرةً من الخبز او قليلاً من الطعام . وربّما اختلط بهم بعض ارباب الثروة سابقاً . وكانت بينهم ارملة احد قوّاد الروس الذي قُتل في الحرب وفي يدها قصعةٌ تطلب قوتاً والناس يهزأون بها لاختلالٍ اصاب عقلها من كثرة اوجاعها . فضمنّا لها طعامها . وكذا فعلنا بامرأة احد اساتذة جامعة روسيّة اتت الى هنا هاربةً من المجاعة لتذهب الى الاستانة فمات اوان سفرها وليس من يهتمّ بامرها . وكان بين طالبي المساعدة رجلٌ من الطليان كان سابقاً قنصلاً لدولتهِ ولهُ املاك واسعة فاستلبها كلها السوفيات واخرجوهُ من بيتهِ فنهكت

الاحزان قواهُ واشرف على قطع الرجاء.

وفي غربي المدينة رأس داخل في البحر يشير اليه الاهلون خلسةً ولا يلفظون اسمهُ الّا مهامسة خوفاً من الجواسيس فهناك رمى السوفيات بالرصاص نحو عشرة آلاف من الجيش الابيض اغلبهم من الضبّاط وافاضل دولتهم رحمهم الله

قضينا في ثاودوسية خمسة أيام ونحن نطلب الى اصحاب الامر ان يسهّلوا لنا السفر الى محلّ شغلنا فيُحضروا لنا قطاراً نركبهُ الى حيث تعيَّن شغلنا من قبل دولتهم فلم نزل نلحّ عليهم حتى اجابوا الى دعوتنا. ولما تحفّزنا الى السفر وعرف الناس أننا اتينا لاسعافهم تعدّدت طلبات المحتاجين لكي نرحمهم في ضنكهم. وكان هناك احد الكرواتيين الكاثوليك الذي ساءت احواله بمصادرة البولشفيك فطلب ان يُنظم في دائرة اشغالنا. فأحلناهُ الى السوفيات الذين لهم وحدهم التصرُّف في تعيين مساعدينا (لهُ تتمّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

لمّا كانت الحرب الكونيّة منتشبة وبيروت تحت رحمة الدولة التركية تعيَّن على كلّ ولايتها رجل ذو حزم وإقدام كخلف لسامي بكر بك نعني بهِ عزمي بك. فضبط زمام الامر وجرى في حكمهِ بعدل وانصاف. ولولا تحكُّم جمال باشا عليهِ لملَّهُ كان خفَّف من وطأتهِ ولطَّف نوعاً بعض الفظاظة في طباعهِ (١

---

١) بينما نحن نرقم هذه الاسطر قد علمنا بالاسف وفاة عزمي بك رحمهُ الله رحمة واسعة

الاحزان قواهُ واشرف على قطع الرجاء.

وفي غربي المدينة رأس داخل في البحر يشير اليه الاهلون خلسةً ولا يلفظون اسمهُ الّا مهامسة خوفاً من الجواسيس فهناك رمى السوفيات بالرصاص نحو عشرة آلاف من الجيش الابيض اغلبهم من الضبّاط وافاضل دولتهم رحمهم الله

قضينا في ثاودوسية خمسة أيام ونحن نطلب الى اصحاب الامر ان يسهّلوا لنا السفر الى محلّ شغلنا فيُحضروا لنا قطاراً نركبهُ الى حيث تعيَّن شغلنا من قبل دولتهم فلم نزل نلحّ عليهم حتى اجابوا الى دعوتنا. ولما تحفّزنا الى السفر وعرف الناس أننا اتينا لاسعافهم تعدّدت طلبات المحتاجين لكي نرحمهم في ضنكهم. وكان هناك احد الكرواتيين الكاثوليك الذي ساءت احواله بمصادرة البولشفيك فطلب ان يُنظم في دائرة اشغالنا. فأحلناهُ الى السوفيات الذين لهم وحدهم التصرُّف في تعيين مساعدينا (لهُ تتمّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

لمّا كانت الحرب الكونيّة منتشبة وبيروت تحت رحمة الدولة التركية تعيَّن على كلّ ولايتها رجل ذو حزم وإقدام كخلف لسامي بكر بك نعني بهِ عزمي بك. فضبط زمام الامر وجرى في حكمهِ بعدل وانصاف. ولولا تحكُّم جمال باشا عليهِ لملَّهُ كان خفَّف من وطأتهِ ولطَّف نوعاً بعض الفظاظة في طباعهِ (١

---

١) بينما نحن نرقم هذه الاسطر قد علمنا بالاسف وفاة عزمي بك رحمهُ الله رحمة واسعة

ومما يذكر له فيشكر انهُ قصد ان يرفع منار الولاية الموكولة الى همته ولاسيما مركزها بيروت ، ليزيل عنها ما يشينها ، ويُجلي محاسنها بما يزينها ، فلا تلبث ان تباهي حواضر المدن الراقية بابنيتها الفخمة وشوارعها الفسيحة وحدائقها الغنّاء فتُصبح كتاج على مفرق البلاد الشاميّة وكغرّةٍ على جبهتها . على انهُ لم يحقق من تلك الاماني الّا القسم السّلبيّ بما اخربهُ من الاحياء القذرة وبذلك مهّد سبيلًا للدولة الفرنسويّة لتقيم مكانها المباني الجليلة وتشيّد المعاهد الجميلة على طراز الهندسة العصريّة

وقد سبق لنا في مجلة المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٣٢٩) ذكر امره بتقويض ابنية الاسواق العتيقة التي كانت تعشّش فيها الجراثيم الوبيئة ووقوف العملة على آثار بناء قديم عهد الينا والى الاجزائي المرحوم مراد بك البارودي ان نقدّم لهُ فيها تقريرًا رسميًّا مع وصف ما وجد من الكتابات والخزفيّات والنقوش فلبينا طلبهُ . ثمّ عرض على كاتب هذه الاسطر ان يصنّف تاريخًا مختصرًا لبيروت وآثارها القديمة وسمح لنا وتنذ بمراجعة مكتبتنا الشرقيّة التي كانت أُقفلت منذ اوّل الحرب

وباشرنا بهذا العمل بطيب خاطر وان لم يكن بيننا وبين [illegible] من الاختصاصيين من اخوتنا الرهبان لنقتبس من معارفهم ونسترشدهم فقد تقدّمنا الى رئاستهم . ثمّ انجزنا العمل بعد أشهر وانتظرنا ريثما يطلبهُ الوالي منّا وكانهُ نسي امرهُ لوفرة اشغاله ولاسيما بعد ان دعانا متصرّف جبل لبنان اسماعيل حقّي بك بإغراء رجل شريف من اعزّ اصدقائنا سعادة حسين كاظم بك الى تأليف دليل للبنان وضمّناهُ مع لجنةٍ من الادباء ونُشر في المطبعة الادبيّة فجاء اكبر وأوفى كتاب عن لبنان وسائر احوالهِ

امّا صحائفنا في تاريخ بيروت فبقيت مطويّةً بين اوراقنا حتى ذكّرنا بها احد الادباء وحثّ رجلًا اثريًّا من اهل الانتداب على ان يطالبنا بها ويدعونا الى نشرها في مجلّتنا لعلّها تأتي بفائدةٍ لدارسي تاريخ الوطن . فها نحن مجيبون لطلبتهِ مستميحين عذرًا من قرّائنا الادباء لما يعثرون عليهِ في هذا العمل من النقص والخلل

مقدمة

نظر عامّ في تواريخ بيروت

من العجب العجاب انَّ حاضرة بيروت مع ما طرأ عليها على توالي الدهور من الطوارئ الهامّة وحدث فيها من الوقائع الخطيرة لم يُكتب حتى اليوم تاريخها البهيج. وغاية ما ورد عنها بعض اسطر قليلة لا تتجاوز اذا جُمعت الثلث او الاربع الصحائف تجدها متفرّقةً في بطون تواريخ قدماء الكتبة من يونان ورومان وسريان

ومثلهم العرب فانَّ تآليفهم لا تحتوي عن بيروت الّا الفوائد النزرة التي لا تفي برغبة الباحثين. وقد سعى بينهم سدًّا لهذه الثلمة وتلافياً لهذا الخلل احد ادباء القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد وهو من سُلالة امراء بني الغرب المشهورين بالبُحتُريين يُدعى صالح بن يحيى صنَّف كتاباً وسمّهُ بتاريخ بيروت وقد وجدنا نسخةً فريدةً من تأليفهِ في مكتبة باريس العموميَّة فاستحضرنا رسمها بالتصوير الشمسيّ ثمَّ زيَّنَّا بها جيد مجلّتنا المشرق لمّا ظهرت لاوَّل مرَّة سنة ١٨٩٨ وتابعنا نشرها مدَّة سنتين ثم طبعناها على حدة واضفنا اليها فهارس واسعة وعدَّة معلومات وملحوظات (١

لكنَّ هذا التاريخ في حقيقة الحال مع فوائده لم يذكر عن بيروت الّا ما لايشفي العليل ويروي الغليل. فانَّ صاحبهُ بعد كلام اجمالي عن بيروت وقدَمها وآثارها يتخطَّى الى ذكر بعض التقاليد التي كان يتناقلها اهل زمانهِ ثمَّ ينقل عن مؤرخي العرب ما كتبوهُ عن فتوحات بيروت المتوالية بعد الاسلام وخصوصاً في عهد الفرنج الصليبيين الى ان ينتهي الى تاريخ اجدادهِ من بني الغرب فيفيض في مآثرهم في بيروت وانحاء لبنان

وقد اجتهدنا وقتئذٍ في ان نثبت في ذيل الكتاب ما امكنَّا جمعهُ عن بيروت من كتب التاريخ على قدر ما كانت تسنح لنا الفرصة ويسمح قصر الوقت وتراكم الاشغال

---

(١) وقد اخذ الدكتور لويس ابي نادر ومخائيل مراد صاحبا مجلّة العاصمة المطبوعة في ريوجانيرو في البرازيل بطبع هذا الكتاب في اعداد مجلّتهما نقلاً عن المشرق وكان اولى بهما ان يشيرا الى طبعتهِ المنفردة

وما خلا هذا التاريخ توجد فصول مختلفة في دائرة المعارف البستانيَّة وفي كتب الفرنج من مرسلين او اثريين او سيَّاح وفي برنامجات سوريَّة وبيروت يُستفاد منها بعض المعلومات للازمنة الاخيرة

فكل هذه الشذرات والفوائد المتشتتة لو جُمعت ورُويت منظَّمةً في ابواب مختلفة تأتي بلا شك بالضالَّة المنشودة وتعريف اخصّ ما جرى في بيروت من الاخبار وما اكتُشف فيها من الآثار . فبكل سرور وارتياح نعود اليوم الى هذا البحث اللذيذ ليتألف منهُ خلاصة تاريخ تلك المدينة التي اصبحت اليوم عاصمة لدولة لبنان الكبير فيزيد اعتبار اهلها لها اذا وقفوا على نسبها الاصيل وذكروا ماضيها الجليل

ونقسم هذه الابحاث الى قسمين نخصّ القسم الاوَّل منها باخبار بيروت ومآثرها من قدم الزمان الى ظهور الاسلام . والقسم الثاني بتاريخها منذ الفتح الاسلامي الى ايَّامنا مع ذكر ما عثروا عليهِ من الآثار في هذين الطورَين

القسم الاول

اخبار بيروت ومآثرها في القدم الى ظهور الاسلام

البحث الاول

في موقع بيروت

انَّ الموقع الذي اختارهُ الاقدمون لبناء مدينة بيروت لَمن انسب المواقع لحاضرة كان من شأنها ان تجمع خواصّ حواضر البلاد فانَّها برّيَّةٌ بحريَّةٌ سهليَّة جبليَّة في وسط سواحل فينيقية تتوارد اليها خيرات الاقطار المجاورة على سواء من جهة الاناضول وبلاد حمص وحماة وحلب . ومن الجنوب من نواحي مصر وفلسطين . ومن الشرق من دمشق واحياء العرب . ومن الغرب من قبرس وجزائر البحر

وقد أنعم الله على بيروت باعتدال الهواء فلا يلحق بأهلها أذى البرد القارس شتاء ولا لظى الحرّ اللافح صيفاً فيحميها لبنان عن السَّموم وتلطِّف الريح البحريَّة شدَّة حرارتها في الصيف هذا فضلًا عن قربها من الجبل اذ يستطيع اهلها في أيسر الزمان ان يتمتَّعوا بنسيمهِ العليل ويتهنَّأوا بهوائهِ النقيّ البليل

ويستدلّ على حسنات هذا الموقع من درجات طول بيروت وعرضها فانّ طولها بالنسبة الى سمت باريس شرقيًّا ثلاث وثلثون درجة وسبع دقائق وبعض الثواني . وعرضها اي بُعدها عن خطّ الاستواء نحو الشمال ثلاث وثلثون درجة واربع وخمسون دقيقة فناهيك بذلك دليلًا محسوساً على مميّزات وضعها . ثمّ بقربها نهرُها المسمّى ميغدونيوس (Mygdonius) الذي يخصب ريفها . وكانت مياهُهُ قديماً تجري الى انحائها بقنيّ وقناطر تُرى حتى اليوم آثارها فتزيد اهاليها طيبَ السُّكنى ورغد العيش

ولبيروت راسٌ يدخل في البحر الى نحو تسعة كيلومترات فيجعلها كما قال بعض القدماء كملكةٍ ترتفق الى الجبال وتغسل قدميها في غمر البحر او بالحري كسلطانة تبسط على مملكة البحار سيطرتها المظفَّرة . ومنذ عهدٍ لا يعلم قدرَهُ الّا الله تمدُّها خرافق الرياح التي تهبُّ من جانب مصر بكميّات من الرمل الذي يسهل تحويلهُ الى تربةٍ مخصبة توليها مرافق وخيرات لا تُحصى

البحث الثاني

في جيولوجية بيروت

يرجّح علماء الجيولوجية انّ رأس بيروت كان قبل التاريخ منقطعاً عن البرّ تحيط به مياه البحر على مداره . فلم تزل الرياح الجنوبية تدفع اليه كثباناً من الرمل حتى ألصقتها بالجبل واغنتها بتلك السهول التي تزهو فيها غابات الصنوبر وهي تُعدُّ من اوفر موارد غناها

ويؤيد هذا الرأي ما تحقّقهُ علماء طبقات الارض وبيّنهُ في مجلّة المشرق (١ [١٩١٨] : ٣٩٦) احد اساتذة كلّيّة القديس يوسف الاب زمُوفن حيث قال : « ان الوادي الذي يجري فيه نهر بيروت مع ما يجاورهُ من السهل كان مغموراً بمياه البحر قبل حلول الانسان فيه وكان هناك خور كبير يجمع بين خليج مار جرجس جنوبيّ البلدة ومياه البحر التي يصبُّ عندها وادي شحرور »

واتى بالبرهان على ذلك مستدلًّا بالرواسب البحرية التي تُرى في تلك الجهات في عدة مواضع من سفح لبنان وبقرب سكة الشام الجديدة عند المحل المعروف بلوكندة

المطران حيث توجد قطعة كبيرة من تلك الرواسب تعلو عشرة امتار فوق سطح البحر ومثلها تُلّة مار دمتري والربوة التي عليها بُنيت ثكنة البلدة المحوّلة الى السراية الكبرى فان كلتيهما تتركّب من الرواسب عينها وتربتُها كتلةٌ من الرمل ودقيق الحصى والاصداف البحريّة والحجارة المصقولة باحتكاك مياه البحر كما هو معهود في السواحل

وليس هذا الارتفاع عمل الرياح البحرية فقط بل هو احدى الطوارئ الطبيعيّة بفعل العوامل الباطنة التي ترفع ببطء القشرة الارضيّة وأدلّتها في السواحل كما اثبتهُ الجيولوجيّون عن عموم شواطئ البحار وتبيّنوهُ ايضاً في شواطئ سوريّة وفلسطين

(لهُ بقيّة)

الارزة والسنبلة

بقلم الاديب فؤاد افرام البستاني متقدّم النادي الادبي العربي في كليّتنا

الارزة

حرابٌ خضراء تنطح كبد السماء دقّةً وارتفاعاً
تُلقي عليها شمس الأصيل حُلَل الأرجوان بلا حساب
ويميل بها النسيم فتتماوج خيالاتها على اديم السماء

***

عروقٌ متشعّبة ، ملتفة ، مشتبكة ، تفتّتت عليها قوّات الدهور ولم تتزعزع . . .
اصول راسخة في ارض ما انبتت الّا العظيم . . .
اعضاء مفتولةٌ يخالها الناظر سواعد جبابرة الاقدمين محتبكة للدفاع عن ارض الميعاد . . .

المطران حيث توجد قطعة كبيرة من تلك الرواسب تعلو عشرة امتار فوق سطح البحر ومثلها تُلّة مار دمتري والربوة التي عليها بُنيت ثكنة البلدة المحوّلة الى السراية الكبرى فان كلتيهما تتركّب من الرواسب عينها وتربتُها كتلةٌ من الرمل ودقيق الحصى والاصداف البحريّة والحجارة المصقولة باحتكاك مياه البحر كما هو معهود في السواحل

وليس هذا الارتفاع عمل الرياح البحرية فقط بل هو احدى الطوارئ الطبيعيّة بفعل العوامل الباطنة التي ترفع ببطء القشرة الارضيّة وأدلّتها في السواحل كما اثبتهُ الجيولوجيّون عن عموم شواطئ البحار وتبيّنوهُ ايضاً في شواطئ سوريّة وفلسطين

(لهُ بقيّة)

الارزة والسنبلة

بقلم الاديب فؤاد افرام البستاني متقدّم النادي الادبي العربي في كليّتنا

الارزة

حرابٌ خضراء تنطح كبد السماء دقّةً وارتفاعاً
تُلقي عليها شمس الأصيل حُلَل الأرجوان بلا حساب
ويميل بها النسيم فتتماوج خيالاتها على اديم السماء

***

عروقٌ متشعّبة ، ملتفة ، مشتبكة ، تفتّتت عليها قوّات الدهور ولم تتزعزع . . .
اصول راسخة في ارض ما انبتت الّا العظيم . . .
اعضاء مفتولةٌ يخالها الناظر سواعد جبابرة الاقدمين محتبكة للدفاع عن ارض الميعاد . . .

***

هذا هو الارز . . .

بين يديهِ وقفتُ باجلال ، فأطرقت لا أنبس بكلمة . وامامهُ بقيت متأمـلاً لا أجسر على رفع الصوت . . .

أهابَ بي منذرٌ أنِ المكان مقدَّس فخلعتُ نعليَّ كموسى امام العوسجة وقلت : ممجَّدٌ من تتجلَّى قوَّتهُ بعظائم الطبيعة

انتكرت طويلاً فمرَّت في مخيلتي الوف السنين الغابرة وسياق الاجيال المتتابعة، تسير مستقيمة القامة ، ثابتة الخطوة ، محدّدة النظر حتى اذا وصلت امام الارز حنَت رأسها صاغرةً وواصلَت السير بسكونٍ وسكوت

مرَّ سليمان وقد أُوتيَ الحكمة فاراد تشييد هيكل لإله الحكمة . لم يرَ الَّا خشب الارز يجهزهُ مذبحاً للعزَّة الالهيَّة، ولم يجد الَّا ريح الارز يتصاعد كالبخور ليلاً مع نهار الى عرش اله اسرائيل

عاهد حيرامَ — وما ادراك ما كان حيرام في مملكته — فقطع لهُ مـا اراد من خشب الارز . وكان ذاك البناء الفخم ، وتشيَّد ذاك الهيكل العظيمُ احدى عجائب الدنيا السبع

اقبل الفينيقيون في جلبتهم يتبعون المهـم ملكرت فقلبوا الارض ، وصنعوا الزجاج ،وألَّفوا حروف الهجاء،وحاولوا الطواف مـا وراء البحار فلم يروا الَّا خشب الارز يحملهم في تلك البيداء المتاوجة

مرَّت الايَّام واذا بقوارب الفينيقيين تطوف المتوسّط ، وتؤسـس المستعمرات في اطراف البلاد واقاصي المسكونة اذ ذاك . وكانت قرطجنَّة، عدوَّة رومة ، رفعت عمدَها على سواعد ابناء الارز

. . . وسارت جذوع الارز المجوَّفة ، عائمة على الامواه، تتقاذفها الرياح، وتتلقَّفها الثغور ، حتى وطئت ثلاث قارات العالم فنُودي في كل البلاد باسم الارز . . .

***

سما الارز في طبقات الجوّ فافاق عنجهيَّةَ المُفترين ، وحثَّ طمع الفاتحين ، فاخذوا يشنون عليه الغارة تلو الغارة . ورماحُهم تتكسَّر،وسيوفهم تتثلَّم ، وجموعهم تتبدَّد،

ورؤوس الارز تزداد رفعةً واتساقاً

نفخ العُجب في صدور المقدونيين فاتى الاسكندر مدوّخاً البلاد من يونان الى فارس ، ضارباً الجزية على مختلف الشعوب . غير انهُ مرَّ امام الارز حاسرَ الرأس مفكرًا

من هنا ايضاً مرَّ الرومان بعُدَدهم الهائلة وجيوشهم الجرَّارة

ثم تبعتهم العرب في إثر معاوية الفاتح ، معاوية العظيم ، الذي ارجف الشرق ، وجعل بوزنطية تنظر اليه بقلق وجزع ، معاوية الجبَّار مرَّ حاني الرأس تحت اقدام الارز تاركاً المَرَدة في عُرنهم الامينة

وكان سكونٌ طويل ، حتى ظهرت بين القارتين الراية الحمراء ، راية السلم والفتح والاستيلاء ، فبرز السلطان سليم متمثلاً بيمينه تاج الامبراطوريَّة البيزنطية وبيساره شعار الخلافة الاسلامية ، فارتجفت سورية وتمايلت اغصان الارز كما لو مرَّ عليها نسمٌ لطيف . . . ثمَّ استفاقت كالاوَّل هازئة بالجميع . . .

* * *

رأيت سليمان على [illegible] ! [illegible] العيقيين . . .

رأيت الاسكندر في جيشه ، والرومان في معداتهم ، يجرّرون العزّ ، ويطلبون المجد ولو رقي اسباب السماء . . .

رأيت معاوية في عربه ، والسلطان سليم في تركه وعجمه ، فشهدتُ المعارك الدموية والفظائع الهمجيَّة . . .

رأيت كل هذا وأفقتُ ، واذا الارز لا يزال ارزًا ، واذا البشريَّة لا تزال تمرّ صاغرةً تحت اقدامه . . .

حينذاك مجّدت هذا الثبات ، وسكنت الى قول الشعراء وفي قولهم مفاتيح الحكمة فقلت:

يا بني امي اذا حضرَتْ ساعتي والطبُّ أسلمني
اجعلوا في الارز مقبرتي وخذوا من ثلجهِ كفني

ولكن . . . ولكن قبل ان تُكفّنا بثلوجك الطاهرة ايها الارز ! يا ارز الرب الخالد ، يا ارزًا راسياً منذ الدهور والى الدهور ، يا جسرًا متصلاً بين اللانهايتين ،

علّمنا الصبر على محن الدهر ، وأرشدنا الى الثبات في ديننـا القويم ، وفي وطنيّتنـا الصادقة . . .

يا ارزة لبنان—اجيبي دعاءنا . .

. . .

ومرّ النسيم محرّكاً الاغصان فسمعت صوتاً يتململ بين دقائق الارز :
قد أجبت وأجيب

السنبلة

ثمّ أدرتُ الطرف تحت اقدام الارز فرأيتُ في ظلاله سنبلةً ، ضعيفة بذاتها قويةً بما ظلّلها ، سنبلةً عجيبة بين السنابل ، حملت البرّ في قلبها ، فحنت رأسهـا . فكانت صورةً للضعف في حمى القوّة ، وللصلاح في حراسة الجبروت ، رأت منفذاً على هذه الارض فنبتت . . .

هذه السنبلة الدقيقة ، المستحيية ، هي رمز وطن رأى الصلاح والقيمة والفائدة في العمل الخفي المتواضع ، ورأى في الارز قوّة الله تسند ضعفه في ظلاله ، تقدّم غير طالب الفخار،بل باذلاً الجهدَ في العمل الجدّي ولو خفياً،في التفكير ولو صامتاً . . . فما حانياً رأسهُ في ظلال الارز فلم يجعل ثقتهُ في نفسهِ بل نبذ الفخار الفارغ ليعتصم بركن الهه ويتشبّث بحبلهِ المتين راجياً ان يأتي بشرٍ يربي على الثلثين والستين . . تلك سنبلتنا الخصبة السامية باتّضاعها على رفيقاتها :

فانظر اليهـا في السهو ل تميسُ عجباً وافتخارْ
مالت بهـا ريـح المسا وعـلا محيّاهـا البهارْ

***

ثقلٌ عليهـا ما تكنّ من الحبوب الناضجهْ
ولـذا تراهـا للسكو ن رنَتْ وكانت هائجه

***

ها هي قد ثقلَتْ عليهـا وطأة الحبّ الكثيرْ
تحني بعطفٍ رأسهـا شأنَ المفكّر في الامورْ

***

بينا السنابلُ قربها افتقرتْ الى حبّ الدقيقْ
نسمتْ الى جوّ السما تمتاض بالقدّ الرشيقْ

***

وكذا ترون الناس دَوْ ماً في الحياة ولا غلوّ
رأس المفكّر ينحني والغرُّ يشمخُ للعلوّ

الاداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي

لما انتهينا السنة ١٩١٠ من نشر كتابنا الذي رسمناهُ بالاداب العربية في القرن التاسع عشر كان قصدنا ان نشفعهُ بنظر عامّ عن احوال تلك الآداب وتطوُّرها في اوائل القرن العشرين فلم تسنح الفرصة بتحقيق نيَّتنا وانَّما اكتفينا بان نختمهُ بلحقين او فصلين موافقين لاحوال العشر الاوَّل من ذلك القرن الجديد دعوناهما : الحماسة الدستوريَّة ومنظومات الوقائع الدستوريَّة في اربعين صفحة

لكننا لم نزل مذ ذاك الحين نجمع الموادّ لمواصلة العمل وتدوين اخبار قسم من آداب القرن العشرين اذا امدَّ الله بحياتنا . وها قد بلغنا بنعمتهِ تعالى الربع الاوَّل من هذا القرن فرأينا انَّ هذه الحقبة تستدعي تصنيف خلاصة ما جرى فيها من المشروعات والمساعي لرقي لغتنا الشريفة وما انتجتهُ قرائح الادباء لتعزيزها ورفع منارة آدابها . وها نحن نعرض عليهم هذه المجموعة فعساها تروق في اعينهم وتأتي لهم ببعض الفائدة

ولعلّ البعض منهم ينسبوننا الى التهوُّر والثقة الزائدة بقوانا لما يلزم عملًا مثل هذا من المطالعة الكثيرة ووفرة المعارف وقد اتَّسعت في هذه السنين دائرة الآداب العربية اتّساعاً كاد يستحيل على كاتب حصرها وضمّ اطرافها

بينا السنابلُ قربها افتقرتْ الى حبّ الدقيقْ
نسمتْ الى جوّ السما تمتاض بالقدّ الرشيقْ

***

وكذا ترون الناس دَوْ ماً في الحياة ولا غلوّ
رأس المفكّر ينحني والغرُّ يشمخُ للعلوّ

الاداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي

لما انتهينا السنة ١٩١٠ من نشر كتابنا الذي رسمناهُ بالاداب العربية في القرن التاسع عشر كان قصدنا ان نشفعهُ بنظر عامّ عن احوال تلك الآداب وتطوُّرها في اوائل القرن العشرين فلم تسنح الفرصة بتحقيق نيَّتنا وانَّما اكتفينا بان نختمهُ بلحقين او فصلين موافقين لاحوال العشر الاوَّل من ذلك القرن الجديد دعوناهما : الحماسة الدستوريَّة ومنظومات الوقائع الدستوريَّة في اربعين صفحة

لكننا لم نزل مذ ذاك الحين نجمع الموادّ لمواصلة العمل وتدوين اخبار قسم من آداب القرن العشرين اذا امدَّ الله بحياتنا . وها قد بلغنا بنعمتهِ تعالى الربع الاوَّل من هذا القرن فرأينا انَّ هذه الحقبة تستدعي تصنيف خلاصة ما جرى فيها من المشروعات والمساعي لرقي لغتنا الشريفة وما انتجتهُ قرائح الادباء لتعزيزها ورفع منارة آدابها . وها نحن نعرض عليهم هذه المجموعة فعساها تروق في اعينهم وتأتي لهم ببعض الفائدة

ولعلّ البعض منهم ينسبوننا الى التهوُّر والثقة الزائدة بقوانا لما يلزم عملًا مثل هذا من المطالعة الكثيرة ووفرة المعارف وقد اتَّسعت في هذه السنين دائرة الآداب العربية اتّساعاً كاد يستحيل على كاتب حصرها وضمّ اطرافها

نعم انّنا نقرّ بهذه المشقّة ولم نزل نقدّم رجلًا ونؤخّر اخرى حتى تردّد على فكرنا المثل السائر «ما لا يستطاع كلّهُ لا يُهمل قلّهُ» فان بناء المعارف كصرح شاهق غاية ما يُطلب من كلّ اديب ان لا يضنّ عليهِ بحجر صغير او كبير يزيد في بنيانهِ سموًّا

وممّا ينشّطنا في مباشرة هذا العمل النظر الى ما حرّرهُ البعض من ذوي النجابة والهمّة القعساء فقرّبوا الينا نوعاً القيام بهِ فاننا نجد في ما صنّفهُ في مصر الكاتب الهمام المرحوم جرجي زيدان في كتابهِ تاريخ الآداب العربيــة ونشرهُ في بيروت جنــاب الفيكونت فيليب طرّازي في تاريخ الصحافة العربية معلومات لم نجدهــا في وصف آداب القرن التاسع عشر . وكم نشرت المجلّات والجرائد في القطرين المصري والشامي من فصول حسنة يمكن الاقتباس من انوارها والاستقاء من مناهلها العذبة . فهي قد أحيت ذكر كثير من المعاصرين الافاضل لولاها لبقيت اسماؤهم خاملة مجهولة وحقّها ان يشاد بذكرها لتكون قدوة للناشئة وفخرًا للوطن

وقد قسمنا تاريخ هذه الآداب ثلثة اقسام . فالقسم الاوّل يشمل وصفها وتراجم اصحابها في الثماني السنين الاولى من القرن العشرين من اوّل السنة ١٩٠٠ الى اعــلان الدستور العثماني في ٢٤ تموز ١٩٠٨ . ويتنــاول القسم العشر السنين التالية الى نهــاية الحرب الكليّة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ . ونخص القسم الثالث بالآداب العربيّــة في هذه السنين الاخيرة الى ١٩٢٥

القسم الاول

الاداب العربيّة من السنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٨

الباب الاول

نظر اجمالي في الآداب العربيــة

في بدء القرن العشرين

قد اتّفق ذوو الفراسة وارباب الحكمة والنظر على القول بانّ لكل قرنٍ ميزةً

تفوزهُ من سواه كما انَّ لكلّ دولة وسُلالة سيماء خاصَّة تتَّسمان بها وتفرقهما عن خلافهما

كان القرن العشرون جيل انتباه ويقاظة لاهل الشرق فانهم استفاقوا من سِنَتهم العميقة واستنشقوا رائحة الحريَّة باختلاطهم مع الشعوب لدى نفوذ الاجانب بينهم ومهاجرتهم الى انحاء المعمور فأثَّر ذلك في افكارهم واخذوا يسعون الى اماطة التمائم التي كانت الدولة العثمانيَّة عوَّذتهم بها ونَزْع اللفائف التي كانت قمَّطت بها حياتهم الروحيَّة. وكان اذ ذاك السلطان عبد الحميد في عزّ مجدهِ يسوس رعاياهُ بقضيب من حديد لا يأنف من سفك دماء كلّ من يحاول النجاة من نيرهِ الثقيل

ومن مميّزات هذا العصر اتّساع نطاق العقول بالوسائل الجديدة التي قرَّبت اليها رقيَّها وأثارت بصائرها وشحذت افكارها. واخصّها المدارس التي شاعت في نفس القرى فضلًا عن المدن. بينها الجامعات والمدارس العليا والوسطى والابتدائيَّة كان يتقاطر اليها الاولاد من كل طبقات الاهالي حتى الفقراء والوضعاء. ففتحت لكثيرين منهم سبلًا جديدة للارتزاق بصفة كتبة واطباء ومحامين ومعلمين وتجّار اصوليين جارَوا الغربيين في مضمار الحضارة والتمدُّن. وخرج بعضهم من الجامعات الاوربيَّة فأتقنوا علومها كسائر الغربيين

وكذلك عرف الشرقيُّون ما في الاتّحاد من القوَّة فأخذوا على مثال الغربيّين يؤلّفون الجماعات الادبيَّة لتعزيز اللغة العربيَّة ونشر آثارها. لكنها لم تثبت لعدم اتّفاق اعضائها ولنفور الحكومة منها خوفاً على سياستها

وقد ساعد على ترقي الآداب العربيَّة في الشرق انتشار الصحافة وتوفُّر المطابع والمطبوعات فانَّ العدد العديد من المتخرّجين في المدارس تحفَّزوا للكتابة فانشأوا من الجرائد السيَّارة والمجلّات عدداً كاد لا يفي بهِ احصاء سواء كان في الوطن ام في المهجر وقد بيّن ذلك جناب الفيكونت دي طرّازي في كتابهِ المتع عن الصحافة فعدَّد منها العشرات مع كونهِ لم ينشر بعد ما استجدَّ منها في القرن العشرين. وابرزوا مع المجلّات مئاتٍ من المطبوعات في كلّ علم وفنّ اصبحت المكاتب تضيق عن جمعها. وبين هذه المطبوعات عدد وافر من مخطوطات القدماء كانت ضائعة في زوايا المكاتب استخرجوها من مطاميرها فأتت مساعدةً للنهضة الادبيَّة

ولعلَّ المستشرقين اصابوا قصبة السباق في هذه الحلبة فانَّهم ابرزوا من مكاتبهم تآليف نادرة تهافت على درسها طلبة الآثار القديمة. وقد تنافسوا في نشر هذه الكنوز الادبيَّة في كلّ الدول لم يثبطهم في العمل ما كانوا يجدونهُ من العناء والمشقات وكثرة النفقات . وكانت في الوقت عينهِ مجلّاتهم الاسيويَّة لا تدع بحثاً مهمًّا في سائر فنون الشرق إلَّا خاضت فيهِ وقد احتفل البعض من اصحابها بعرسهم الفضي والذهبي بل بلغ بعضها السنة المئة لانشائها كالجمعيَّتين الاسيويَّتين الفرنسويَّة والانكليزيَّة

وزادت ايضاً في بدء القرن العشرين المكاتب التي تمكَّن الباحثون من مراجعة مخطوطاتها كمكاتب الاستانة والشهباء وبغداد . واتسعت مكتبتنا الشرقيَّة فخُصَّ بها معهد واسع لضيق مكانها السابق فبلغ عدد مطبوعاتها الشرقية ثلثين الفاً فضلًا عن ثلثة آلاف مخطوط من منتخب المصنَّفات العربيَّة الاسلاميَّة والنصرانيَّة

ولحقت المكاتبَ المتاحفُ التي اخذت في اوائل القرن العشرين تُلفت انظار الشرقيين فودُّوا لو تُستحضر لهم متاحف تُجمع فيها الآثار العربية خصوصاً والشرقيَّة عموماً على مثال المتاحف الاوربيَّة فعُرضت في بيروت في باحة السراية القديمة بعض الآثار المكتشفة في المدينة وكان لمتحفي كليَّتي اليسوعيَّة والاميركانيَّة شأن اعظم . وقد ابتنى الاميركان بناية خاصَّة بتلك الآثار احسنوا هندامها وتنظيمها

وكان الاجانب في مصر قد سبقوا الشام الى ذلك بمتحفي الاسكندريَّة والقاهرة استفاد منهما الاثريُّون بما نشروهُ في مقالاتهم الرائقة . ومثلهما متحف الاستانة الذي نُقل اليهِ كثيرٌ من عاديَّات سوريَّة وفلسطين منها التاوُوس المعروف بتاوُوس الاسكندر قُبر فيهِ احد ملوك صيدون

وقد أدَّى امتزاج الشرق بالغرب في اوائل القرن العشرين الى التطوُّر في اساليب الانشاء نثرًا ونظماً فاخذ البعض يُنشئون على منوال الخياليين (les romantiques) بما يدعونهُ النثر الشعري او الشعر النثري فيرصفونهُ كمقطَّعات شعريَّة وينسقونهُ دون ارتباط كبير في المعاني سواء ارادوا ان يتمثَّلوا بالسُّوَر القرآنيَّة او يقتدوا ببعض المُحدثين من كتبة الفرنج

وقد اكتسبَ الشعر من طريقتهم ان خرج من دائرتهِ السابقة الضيقة واخذ اصحابهُ يتفننون في نظمهِ صورةً ومعنًى . فترى الدواوين الجديدة مشحونة بالقصائد

في كلّ الوقائع المستحدثة والحوادث التاريخيَّة والاختراعات الجديدة وتُصوّر كل عواطف الانسان وكلّ مظاهرات الكون. وربَّما تحرَّروا ايضاً فيها عن البحور الشعريَّة فوضعوا طرائق مختلفة لنظم اشعارهم وابراز شواعرهم

وقد اكثروا من وضع الروايات الخيالية ونقلوا ما شاع منها في البلاد الى العربيَّة فغلبت في اذهان الكتبة والقرَّاء قوَّة الاحساسات والشواعر التخيُّليَّة على قوَّة العقل ورزانة الفكر . على انَّ ذوي الذوق السالم واصالة الرأي لم ينخدعوا بهذه القشور وثبتوا على الكتابة السلسة المنسجمة التي شاعت في عصور اللغة الذهبيَّة ففضَّلوا اللبّ على القشر والجوهر على السطحيَّات

(لهُ تتمَّة)

مطبوعات شرقيَّة جديدة

Le Siège Apostolique (359-451) par Mgr Pierre Batiffol. I vol. in-12, pp. VII-624, Paris, Gabalda, Prix 15 f.

الكرسيّ الرسولي من السنة ٣٥٩ الى ٤٥١

هذا التأليف بقلم احد جهابذة الكتابة الفرنسويين في عصرنا المنسنيور باتيفول رئيس جامعة تولوز سابقاً. كان تولَّى درس تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في قرونها الاولى فأنجز منهُ قبلًا الجزئين الاوَّلين كان مدارهما على الكنيسة الاولى الى زمن قسطنطين ثم الى النهضة الاريوسيَّة . وفي هذا الجزء الثالث يتابع بيان احوال الكنيسة الرومانيَّة من عهد قسطنس الثاني نصير اريوس الى فوز البابويَّة في المجمع الخلقيدوني بعد سقوط الاريوسيَّة وحرم البدعتين النسطورية واليعقوبيَّة. والكتاب محرَّر بانشاء بليغ وعلم واسع وتدقيق عجيب لا يدَع للخصم سبيلًا للانتقاد ل.ش

في كلّ الوقائع المستحدثة والحوادث التاريخيَّة والاختراعات الجديدة وتُصوّر كل عواطف الانسان وكلّ مظاهرات الكون. وربَّما تحرَّروا ايضاً فيها عن البحور الشعريَّة فوضعوا طرائق مختلفة لنظم اشعارهم وابراز شواعرهم

وقد اكثروا من وضع الروايات الخيالية ونقلوا ما شاع منها في البلاد الى العربيَّة فغلبت في اذهان الكتبة والقرَّاء قوَّة الاحساسات والشواعر التخيُّليَّة على قوَّة العقل ورزانة الفكر . على انَّ ذوي الذوق السالم واصالة الرأي لم ينخدعوا بهذه القشور وثبتوا على الكتابة السلسة المنسجمة التي شاعت في عصور اللغة الذهبيَّة ففضَّلوا اللبّ على القشر والجوهر على السطحيَّات

(لهُ تتمَّة)

مطبوعات شرقيَّة جديدة

Le Siège Apostolique (359-451) par Mgr Pierre Batiffol. I vol. in-12, pp. VII-624, Paris, Gabalda, Prix 15 f.

الكرسيّ الرسولي من السنة ٣٥٩ الى ٤٥١

هذا التأليف بقلم احد جهابذة الكتابة الفرنسويين في عصرنا المنسنيور باتيفول رئيس جامعة تولوز سابقاً. كان تولَّى درس تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في قرونها الاولى فأنجز منهُ قبلًا الجزئين الاوَّلين كان مدارهما على الكنيسة الاولى الى زمن قسطنطين ثم الى النهضة الاريوسيَّة . وفي هذا الجزء الثالث يتابع بيان احوال الكنيسة الرومانيَّة من عهد قسطنس الثاني نصير اريوس الى فوز البابويَّة في المجمع الخلقيدوني بعد سقوط الاريوسيَّة وحرم البدعتين النسطورية واليعقوبيَّة. والكتاب محرَّر بانشاء بليغ وعلم واسع وتدقيق عجيب لا يدَع للخصم سبيلًا للانتقاد ل.ش

Zwemer (Sam. M.) : The Law of Apostasy in Islam. 1 *vol.* 8°, *s.d., Marshall Brothers, Ltd, London, Prix* 6sh *net*

شريعة الاسلام في جاحديه

يبحث المستر زويمر رئيس البعثة البروتستانيّة في مصر عن موقف الشرع الاسلامي بازاء من يترك الدين المحمّدي . فيثبت تاريخيـاً ان عقاب جاحدي الاسلام هو الاعدام فيستنتج من ذلك سبب قلّة ارتداد المسلمين الى النصرانيّة وعدم نجاح المبشّرين بينهم . فهو يقرّ في ذيل الصفحة ١٦ من كتابه بفشل قومه لديهم . على انّهُ يحصر كلامهُ على البعثات البروتستانيّة وكأنهُ يعتبرها النصرانيّة كلها . ثمّ يبحث بعد ذلك عن الشرائع المتساهلة التي سُنّت في بعض البلاد وما صدر عنها من المفاعيل المرغوبة . وهو يتساءل عمّا اذا تؤثر هذه التحويرات الشرعيّة في القلوب في المستقبل وسوف نعلم أيصبح المتنصّرون من المسلمين في امان على نفوسهم من جهة اهل دينهم ه . ل

M. Gaudefroy-Demombynes et Louis Mercier : MANUEL D'ARABE MAROCAIN, Grammaire et Dialogues. *Nouvelle éd. revue et augmentée par* L. Mercier. 1 *vol.* in-12, *Paris*, 1925. *Prix* 20 *f*

دليل العربيّة المراكشيّة

انّ نفوذ فرنسة في بلاد مرّاكش حدا بالمستشرقين الى تصنيف كتب خصوصيّة لدرس اللغة الشائعة بين اهلها . وها هوذا دليل مساعد على ذلك بما يتضمّنهُ من القواعد والمكالمات في الفرنسويّة والعربية كان ألّفهُ المستشرقان غودفروا دي مومبين احد اساتذة معهد اللغات الشرقيّة الحيّة في باريس والمسيو مرسيه القنصل الفرنساوي في مرّاكش . فراج الكتاب بين العمّال الفرنسويين حتى استدعت الحاجة المسيو مرسيه الى اعادة طبعهِ فحسّنهُ وزاد فيهِ فاصبح دستوراً وافياً لا يستغني عنهُ دارسو لغة تلك البلاد ولاسيما ان الالفاظ العربية مصوّرة ايضاً بالحرف الفرنساوي ل . ش

Amiral Scheer: MÉMOIRES. 1 *vol.* 8°, *illustré*, 1924, *Paris, Payot, Prix* 20 *f*

مذكرات الاميرال شير

قد ذكرنا سابقاً مطبوعات احدى الجماعات العلميّة تحت عنوان « معلومات

ودروس مفيدة لتاريخ الحرب الكونيّة» . وهذا الكتاب الجديد من افضلها وضعهُ الاميرال شير رئيس الاسطول الالماني المختصّ بخوض البحار . فهو مشحون بالمعلومات المفيدة للحركات الحربيّة وتدبير الاساطيل في زمن الحرب . وقد بناهُ المؤلف على ما كان يرسلهُ كلّ يوم من الاخبار البريديّة للعمدة الالمانيّة العليا . وهذه الترجمة الفرنساويّة مصحوبة بملحوظات تزيد في قيمة الكتاب الذي تزينهُ الرسوم والتصاوير والخرائط بعدد عديد . وقد قسمهُ مؤلفهُ الى ثلثة اطوار الحرب : فالطور الاول يتناول السنتين الاوليَين . والثاني يمتدُّ من واقعة سكاغراك الى الحرب بالغوّاصات . والثالث يتّسع في وصف حرب الغوّاصات

F. J. Bonjean et Ahmad Deif : Mansour, Histoire d'un enfant d'Egypte. I *vol. in*-16, *Paris; F. Rieder et Cie*, 1924, *Prix* 7 *f*^s 50

منصور الولد المصري

هذه رواية اخلاقيّة قصد بها مؤلّفاها المقابلة بين التمدُّن الاوربي والتمدُّن المصري الوطنيّ فصوّرا ولدًا ينشأ في عائلة مصريّة فيجري على آدابها ثمّ تجتذبهُ في شبابهِ المدنيّة الاوربيّة فيأنس بها ويسير بموجبها حتى تزول السكرة وتعقبها الفكرة فيعود الى مدنيّتهِ الاولى مفضّلًا لها على سواها . ذلك لباب الكتاب وفي مقابلتهِ هذه بين الحضارة الاوربيّة والحضارة المصريّة خللٌ كبير من عدّة وجوه اذ يجعل كنه التمدُّن الاوربّي في بعض الاعراض التي ليست بجوهرهِ وانّما هي مظاهر تختلف في كلّ مكان وكلّ طبقة من الناس . والمقابلة لا تصحّ في الاعراض لكن في الجواهر ج . ل

J. M. Keynes : La réforme monétaire, traduction de Paul Franck, *Paris, Editions du Sagittaire*, 1924, *in*-16, *Prix* 7 *f*^s 50

اصلاح النقود

ألّف هذا الكتاب بالانكليزيّة كينس احد مشاهير الاقتصاديين . وقد احسن السيو فرنك بترجمتهِ الى الافرنسيّة زيادةً لشيوعهِ وهو يبحث عن تطوُّر النقود وما اصابها بعد الحرب من التقلُّبات الغريبة فيدرس الكاتب اسبابها وما يطرأ عليها من العلل المؤثرة في تغيير قيمتها سواء كان في مواطنها ام في المعاملات مع البلاد الاجنبيّة

او لتلاعب السياسة بها وهو يفتّش على علاج لهذه التقلّبات فتوضع لها قوانين ثابتة تصونها من هذه الأزمات الضارّة ج . ل

Poizat(Alfred):Le Symbolisme, édition revue et augmentée, 1924, Paris, Bloud et Gay. Prix 10 f.

الكتبة الرمزيّون

قد ظهر في فرنسة منذ نحو ثلثين سنة فئة من الكتبة الذين عُرفوا بالرمزيين لما توخّوهُ في كتاباتهم ولا سيما في شعرهم من المجازات الرمزيَّة والخياليات ابعدُهم شهرةً الشعراء بودلار (Baudelaire) وملارمي (Mallarmé) وڤرلان (Verlaine) ورينيه (H. de Régnier) مع بعض البلجكيين والايطاليين. فأحبَّ الكاتب پوازا ان يصف اشياعها ويدرس طريقتهم الكتابيَّة ويبيّن خواصّها وما يفرزها عن سواها من الاساليب الانشائيَّة الشائعة في القرن التاسع عشر وهو ممّن يستحسنونها نوعاً مع انتقاده على بعض شوائبها. امّا نحن فمع شكرنا لمؤلف هذا الكتاب عن فوائده العديدة لا نظنّ ان حياة هذه الطريقة الجديدة تثبت زمناً طويلاً لغالاتها في الرمزيات والمعمّيات

Guilloux (Pierre) : Les plus belles pages d'Ernest Hello 1 *vol. in-16, Paris* 1924, *avec portrait, Librairie Perrin, Prix* 7 *f.*

منتخبات من تآليف ارنست هلّو

ارنست هلّو (+ ١٨٨٥) احد الكتبة الكاثوليك الذين اشتهروا بتآليفهم الدينيَّة والادبيَّة والاجتماعيَّة في اواسط القرن التاسع عشر. إلّا ان اعداء الدين سعوا الى الحطّ من صيتهِ بانتقادهم الجائر. وها انّ احد المنصفين اراد ان ينتصر لهُ وقد اختار من كتبهِ عدَّة مقاطيع نظمها ابواباً مختلفة تثبت للقرّاء فضل ذلك الرجل المظلوم. وفي آخر الكتاب جدول واسع لتآليفهِ يدلّ على تفننهِ وسعة علومهِ ج . ل

L. Zoretti : Leçons de Mathématiques Générales, 2e *éd., revue et augmentée,* 1 *vol., pp.* XX-788 *avec* 235 *figures, Gauthier-Villars Paris,* 1925, *Prix* 60 *f.*

دروس الرياضيَّات العموميَّة

المسيو زورتي استاذ الرياضيَّات في مكتب « كانْ » العلميّ ورئيس المعهد

الاختصاصي في معاملة نورمندية ألّف كتاباً ضخماً في الدروس الرياضيّة العموميّة قدّرهُ العلماء قدرهُ واثنوا عليهِ اطيب الثناء. وها هوذا قد جدّد طبعهُ واضاف اليهِ عدّة معلومات منها وصفهُ لطريقة تعليم الرياضيّات بواسطة الالواح العدديّة (abaques) ويصف ايضاً الطريقة التي اخترعها المسيو مَنيان (Manian) لهذه الغاية بواسطة الرسوم الوضعيّة (intégration graphique) وهي طريقة بسيطة وسريعة الفائدة. وهذا الكتاب من اجلّ الكتب العلميّة وهو واضح جدًّا يسهّل الدرس للطلبة ويساعدهم على استظهار العمليّات الرياضيّة الاب شرل كوست

Harold E. Palmer: A GRAMMAR OF SPOKEN ENGLISH, on a strictly phonetic basis. I *vol.*, 8°, 1925, *Prix* 12 *sh.6.*, *Cambridge. W. Heffer and Sons*

اصول التكلّم باللغة الانكليزيّة

وضع مؤلف هذا الكتاب تأليفهُ للاجانب الذين يقصدون درس الانكليزيّة او تعليمها. ولذلك قد جعل كتابهُ واضح المأخذ قريب المعنى وخصّهُ باللغة الفصيحة دون اللهجات الخاصّة وافرد لهُ باباً مفيداً في لفظهِ صدّر بهِ الكتاب تسهيلاً لطالبيه

ج. ل

G. Noël-Armfield: General phonetics for Missionaries and Students of Languages. I *vol.* 3e *éd.*, *Cambridge, W. Heffer and Sons,* 1924. *Prix* 5 *sh.net*

القواعد العموميّة النطقيّة في درس اللغات

انّ كثيرين اذا درسوا اللغات وعرفوا قواعدها الصرفيّة والنحويّة يشمئزون من متابعة درسها اذ يجدون صعوبةً في لفظها والنطق بها. فهذا هوذا كتابٌ عمليّ يرشد طالبي اللغات الى ممارستها والنطق بها. والكتاب قد وُضع خصوصاً لمواطني المؤلف الانكليز لكنّ ملحوظاتهِ الدقيقة تفيد دارسي ايّ لغةٍ كانت لأنّهُ كتبهُ على طريقةٍ نظريّة علميّة اثبتها بعدّة اشكال تصويريّة ورسوم مدقّقة تقرّب الى ادراكها والعمل بها. وقد بلغ الكتاب طبعتهُ الثالثة لرواجهِ واقبال الجمهور عليهِ

الاب دوبست اليسوعي

SYRIA UNDER MEHEMET ALI by Asad Jibrail Rustum

سورية في عهد محمد علي

يعرف قرّاء مجلة الكلية ما باشر بنشره فيها جناب الاستاذ اسد رستم من مخطوطة تاريخية كانت في خزانة كتب الجامعة الاميركانية ألفها احد وجهاء الوطن نوفل نوفل الطرابلسي واودعها معلومات نادرة عمّا جرى في الشام في عهد محمّد علي وابنه ابراهيم باشا. وقد زيّنها متولي نشرها بمقدّمات وتذييلات شتى ضاعفت قدرها. وهاهوذا اختصر عملهُ في مقالة انكليزية نشرتها مجلة اللغات والآداب السامية في اميركا (The American Journal of Semitic Languages and Literatures) فنثني على همّة الاستاذ ونتمنى ان يثابر على دروسه التاريخية لبلادنا. فانهُ اقدر من سواه في استنباط مكنوناتها ونشر دفائنها

الحقيقة المتسترة. بحث تاريخي فلسفي انتقادي

بقلم الخوري يوسف العشيتي

طُبع في مطبعة قزما في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص ١٣٨)

يسرّنا أن نرى بين الاكليروس الشرقي رجالًا يتحفّزون معنا للدفاع عن الدين وردّ كيد اعدائهِ على نحرهم. وبين أبطالهم وأنشطهم حضرة الخوري يوسف العشيتي الذي قدّس قلمهُ بتخصيصهِ للمسائل الدينية وبيان فضل الدين واهلهِ على الانسانية والعلوم والمشاريع الخيرية والاعمال الاجتماعية مع تفنيد آراء الخصوم. تلك هي الحقيقة المتسترة التي اشار اليها في هذا الكتاب الجديد واماط عنها الحجاب فنشكر الشكر العميم لحضرتهِ ولاسيما عمّا افردهُ في مديح رهبانيتنا جازاهُ الله كل خير وجعل كتابهُ نورًا لكل من يطلب الهدى بقلب سليم ل.ش

قواعد قياسية لحلّ المسائل الحسابية

بقلم القس مبارك الحاج البسكنتاري الراهب الماروني اللبناني

طُبع في مطبعة جريدة العلَم – بيت شباب – لبنان سنة ١٩٢٤ (ص ٩٥)

قد تعدّدت الكتب العربية المدرسية في الحساب. ولعلّ هذا التأليف الجليل من

افضلها وجدناهُ واضح التركيب سهل المنال حسن التقسيم يتناول الاعمال الاساسيّة الاربعة مع كسورها ثم طرائق سهلة لتحويل النقود المصريّة والتركيّة والسوريّة ثم قواعد النسبة والفائدة والشركة ومبادئ الجبر وغير ذلك . وفي كل باب امثلة حسنة مع حلّ مسائلها . بل لا يخلو في آخرهِ من مسائل فكاهيّة يُسَرّ بها الاحداث . فنتمنى للكتاب رواجاً كبيراً ل . ش

التقرير الثالث : اعمال المجمع العلميّ العربي في سنة ١٩٢٤م =١٣٤٢— ١٣٤٣ هـ

هذا التقرير بقلم رئيس المجمع السيد محمّد كرد علي اختصر فيهِ اعمال المجمع الدمشقي في السنة الماضية وبيّن رقيّهُ المتواصل عاماً بعد عام بمنشوراتهِ ونشاط اعضائهِ واتساع معاهدهِ الاثريّة ومكاتبهِ واعتبار العلماء لاشغالهِ

مُختصر كتاب الفَرْق بين الفِرَق

حرّرهُ فيليب حتّي د . ف .

طُبع في مصر في مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤ (ص ٢٠١)

انَّ في معرفة المِلَل والنِحَل التي شاعت في الاسلام فائدةً عظيمة لانها توقفنا على الحركة الفكريّة التي شغلت عقول حكماء المسلمين في مختلف الاجيال وعلى سعيهم في حلّ المشاكل الدينيّة التي كانوا يعثرون بها ليوفّقوا خصوصاً بينها وبين العلوم الفلسفيّة والعقليّة مع ما قاسوه في سبيل ابحاثهم . فكان اوّل ما طُبع منها كتاب الملل والنحل للشهرستاني ثمّ كتاب الفصل في المِلَل والاهواء والنِحَل لابن حزم ثم شفعهما السيد محمّد بدر بكتاب الفَرْق بين الفِرَق ولهُ السبق عليهما ألّفهُ عبد القاهر البغدادي المتوفّى سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٧م) . على انَّ دار الكتب الظاهريّة في دمشق كانت تشتمل على نسخة من مختصر هذا الكتاب جليلة الفائدة ترتقي الى اواسط القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح لاحد الادباء المسمّى عبد الرزّاق بن رزق الله الرَّسْعَني يُستفاد منها اصلاحات وتحسينات شتى للاصل السابق طبعهُ فأحبّ صديقنا الاستاذ فيليب حتي ان ينشرهُ خدمةً للادباء عموماً وللباحثين في الفِرَق الاسلاميّة خصوصاً وعلّق عليهِ حواشي عديدة ومقابلات بالكتب الثلثة السابق ذكرها كما يفعل

كبار المستشرقين في نشرهم الآثار القديمة وختمهُ بالفهارس الحسنة . فنثني على همّة استاذ التاريخ في الجامعة الاميركيّة ونحضُّ ادباء الشرق على احراز هذه الطرفة السنيّة

كتاب علم الادب : مقالات لمشاهير العرب في الخطابة والشعر

جمعها الاب لويس شيخو اليسوعي . طبعة جديدة مصحّحة من الجزء الثاني
طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٤ (ص ٢٤٤)

هذه المقالات لا تحتاج الى وصف خاصّ وهي لافضل كتبة العرب الذين عرفوا ما الخطابة من للفعل في النفوس فوصفوها وصفاً حسناً في اصولها وتركيبها ومفاعيلها . وكذلك الشعر لهم فيهِ اوصاف تدلُّ على دقّة نظرهم وحسن ذوقهم . وهذه الطبعة الجديدة قد اعدنا فيها النظر وراجعناها على اصولها الطبعيّة والخطّيّة . ولم نر داعياً لضبطها كلّها بالشكل وانّما اكتفينا بضبط ما فيهِ بعض الشبهة في المعنى

ديوان وليّ الدين يكن

جمعهُ اخوهُ الاديب يوسف حمدي يكن
طُبع بمطبعة المقتطف والمقطّم في مصر ١٩٢٤ (ص ١٢٧)

طالما متّعنا النظر بمنشورات فقيد الادب وليّ الدين يكن منها نثريّة ومنها شعريّة بل كان في كلّها شاعرًا يترجم لسانهُ عما يكنّ قلبهُ من العواطف المختلفة فسواء كتب في المديح او في الوصف او في الرثاء او في المناداة بالحرّية ترى قلمهُ يصوّر كل احوالهِ تصويرًا محسوساً يتأثر لهُ القاريء فيشاركهُ في عواطفهِ من هزل وجدّ ودموع وابتسام . ويكفي تسريح النظر في قصائد هذا الديوان ليعرف القاريء انهُ بين الاوّلين من شعراء العصر . فالشكر لجناب شقيقهِ الذي جمع هذه الشذور الذهبيّة وقرّبها من محبّي الآداب العصريّة ل . ش

الحماسيّات في النهضة العربيّة

الجزء الاول . نظم محمّد كامل شعيب العامليّ
طُبع في مطبعة العرفان : صيدا ١٣٤٣ (ص٧٦)

هذا ديوان آخر لاحد توابغ الشعراء الوطنيّين الذي يصوغ نظمهُ صوغاً سهلاً منسجماً

ويودعهُ ما يشعر بهِ قلبهُ من الشوق الى الحرّيّة والنفور من الاستعباد على صورة حماسيّة واحيانـاً ثوريّة . وهذا ما نأخذهُ على الشاعر الذي لا يرعى الانصاف في ذمّـهِ للدولة المنتدبة ولا يكاد يرى لها حسنةً مع كل ما افاضتهُ على سوريّة من سوابغ النعم فان وُجد لهـا بعض السيّئات فان حسناتها العديدة تشفع بهـا وتكمّ افواه العاذلين . أفيجهل الشاعر كل ذلك ؟ ل.ش

شذرات

﴿فقيد عزيز﴾ فقدت رهبانيّتنا احد ابنائها العزيزين الذي كانت تعوّل عليـهِ لتعليم الدروس الكتابيّة واللغات الشرقية في نيويرك . نريـد بهِ المرحوم الاب يوسف غريّب من الاسرة الدامورية الشهيرة . فشاركناهـا بالاسى والتلهّف . كان المرحوم هاجر مع قرائبهِ الى اميركا صغيراً وتخرّج في مدارسنا هناك ثمّ طلب الانضمام الى ابناء القديس اغناطيوس واستعـدَّ الاستعداد التامّ لخدمـة النفوس ولاسيما نفوس مواطنيهِ المهاجرين ورأى رؤساؤه وهو شرقيُّ المولد ان يخصّوهُ بشرح الاسفار المقدّسة وتعليم اللغات الشرقيّة فارسلوهُ اوّلاً الى رومية حيث قضى سنةً في درس العبرانيّـة والسريانيّة والعربيّة مع التعمّق في العلوم الكتابيّة ثمّ أتانا الى بيروت على الرجاء انهُ يقضي بيننا سنتين . الّا انّ رؤساءهُ في اميركا استطالوا هذه المدة فاستدعوهُ ليتجز ما بقي عليهِ من الفرائض الرهبانيّـة قبل تخصيصهِ بالتعليم فوجدهُ الله ثمرةً ناضجـة لملكوتهِ قطفها لجنانهِ السماويّة وحرمنا من اجتنائها والتمتّع بطيب جناها

﴿الباقة او الطاقة﴾ كان صديقنا ورئيس مجمعنا العربيّ في دمشق السيد كرد علي في جملة انتقاداتهِ على كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع اخذ علينا استعمالنا كلمة «باقة» بدلاً من «طاقة» . فلم نشأ وقتئذٍ ان ندافع عن فصاحة لفظة «الباقة» لارتياحنا الى كل انتقاد حسن مع اننا كنّا نستطيع ان نذكر جنـابهُ بما ورد في صحاح الجوهري وفي لسان العرب وفي تاج العروس اذ قالوا : «والباقة الحزمة من البقل» .

ويودعهُ ما يشعر بهِ قلبهُ من الشوق الى الحرّيّة والنفور من الاستعباد على صورة حماسيّة واحيانـاً ثوريّة . وهذا ما نأخذهُ على الشاعر الذي لا يرعى الانصاف في ذمّـهِ للدولة المنتدبة ولا يكاد يرى لها حسنةً مع كل ما افاضتهُ على سوريّة من سوابغ النعم فان وُجد لهـا بعض السيّئات فان حسناتها العديدة تشفع بهـا وتكمّ افواه العاذلين . أفيجهل الشاعر كل ذلك ؟ ل.ش

شذرات

﴿فقيد عزيز﴾ فقدت رهبانيّتنا احد ابنائها العزيزين الذي كانت تعوّل عليـهِ لتعليم الدروس الكتابيّة واللغات الشرقية في نيويرك . نريـد بهِ المرحوم الاب يوسف غريّب من الاسرة الدامورية الشهيرة . فشاركناهـا بالاسى والتلهّف . كان المرحوم هاجر مع قرائبهِ الى اميركا صغيراً وتخرّج في مدارسنا هناك ثمّ طلب الانضمام الى ابناء القديس اغناطيوس واستعـدَّ الاستعداد التامّ لخدمـة النفوس ولاسيما نفوس مواطنيهِ المهاجرين ورأى رؤساؤه وهو شرقيُّ المولد ان يخصّوهُ بشرح الاسفار المقدّسة وتعليم اللغات الشرقيّة فارسلوهُ اوّلاً الى رومية حيث قضى سنةً في درس العبرانيّـة والسريانيّة والعربيّة مع التعمّق في العلوم الكتابيّة ثمّ أتانا الى بيروت على الرجاء انهُ يقضي بيننا سنتين . الّا انّ رؤساءهُ في اميركا استطالوا هذه المدة فاستدعوهُ ليتجز ما بقي عليهِ من الفرائض الرهبانيّـة قبل تخصيصهِ بالتعليم فوجدهُ الله ثمرةً ناضجـة لملكوتهِ قطفها لجنانهِ السماويّة وحرمنا من اجتنائها والتمتّع بطيب جناها

﴿الباقة او الطاقة﴾ كان صديقنا ورئيس مجمعنا العربيّ في دمشق السيد كرد علي في جملة انتقاداتهِ على كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع اخذ علينا استعمالنا كلمة «باقة» بدلاً من «طاقة» . فلم نشأ وقتئذٍ ان ندافع عن فصاحة لفظة «الباقة» لارتياحنا الى كل انتقاد حسن مع اننا كنّا نستطيع ان نذكر جنـابهُ بما ورد في صحاح الجوهري وفي لسان العرب وفي تاج العروس اذ قالوا : «والباقة الحزمة من البقل» .

فسكتنا واذا صديقٌ آخر دمشقي نزيل الاسكندريَّة جناب الفاضل حبيب افندي الزيَّات احبَّ ان يثبت صحَّة استعمالنا للفظة الباقة بمعنى طاقة الزهور فنقل لنا عدَّة شواهد من كتاب يتيمة الدهر للثعالبيّ نثبتها هنا شاكرين لمكاتبنا الاديب. فمن ذلك ما ورد للثعالبيّ نفسهِ في عناوين المقاطيع الشعريَّة التي ذكرها. مثالهُ ما قالهُ قبل بيتين لرجاء بن الوليد قال (٤ : ٦٣) : ومن مُلَح رجاء قولهُ «في باقة ريحان». ومثلهُ قولهُ قبل ابيات لابي بكر الخوارزميّ (٤ : ١٥٣) : «ولهُ (اي الخوارزميّ) في باقة ريحان». ثمَّ ذكر جنابهُ ورود اللفظة في شعراء اليتيمة من ذلك قول ابن العبَّاس احمد بن ابرهيم الضبيّ في الثريَّا (٣ : ١٢٣) :

خلتُ الثريا اذ بدَتْ طالعةً في المندسِ
سنبلةً من لؤلؤ او «باقةً» من نرجسِ

وروى جنابهُ عن كتاب ارشاد الاريب لياقوت الرومي (٥ : ٢٤١) قول الشاعر علي بن عبدالله الناشيّ :

وليلٍ توارى النجمُ [illegible] مكتوم [illegible] أرودُ شيوبُ [illegible]
كأنَّ الثريا فيهِ «باقةُ» نرجسٍ [illegible] بها ذو صبوةٍ لحبيبهِ

فنشكر لجنابهِ هذه الملحوظات. ونلحقها بإفادة أُخرى على ما ورد في العدد السابق من المشرق في ما نشرهُ الاديب توفيق افندي اسكاريوس عن الغافقيّ قال:

﴿منتخب الغافقيّ ونصّ تعليقين باثرهِ في الفرق الاسلاميَّة﴾

«كتب توفيق افندي اسكاريوس بدار الكتب المصريَّة مقالةً في المشرق الاخير (٢٢ [١٩٢٤] : ٩٧٨–٩٨٣) وصف فيها نسخةً خطيَّةً من كتاب الادوية المفردة لابي جعفر الغافقي اختصار ابي الفرج ابن العبريّ وجد في آخرها تعليقَين في الفِرق الاسلاميَّة توهَّم جدَّتها وخفاءهما قبل اليوم فعرضها على مجلَّة المشرق دون ان ينصّ على نسبتها الى احدٍ من الغافقيّ او ابن العبري فنُشرا بالحرف. وانا استميح حضرتهُ عذرًا في تنبيههِ الى ان التعليقين المذكورين معروفان منذ القدم لابن العبريّ وكلاهما قد نُشر في كتابهِ مختصر الدول الذي طبعهُ اوَّلًا في اوكسفرد سنة ١٦٦٣ العلَّامة ادورد پوكوك (ص ١٦٦–١٧٢ و ١٣٠–١٣١) ثمَّ جدَّد طبعهُ حضرة الاب

انطون صالحاني اليسوعي سنة ١٨٩٠ في المطبعة الكاثوليكيَّة ورد فيها التعليق الاوَّل في الصفحة ١٦٤—١٦٨ وقد عارضتُ المتنين فوجدتُ متن مختصر الدول اصحَّ في الغالب واتمَّ والفرق بينهما قليل ولا ميزة في مخطوط الغافقي الَّا في مواضع ثلثة الاكثر اهميَّة لها ولا بأس في تحريرها وهي :

١ً قول مختصر الدول (ص ١٦٧) : «وامَّا مذاهب الفروعيين المختلفين في الاحكام الشرعيَّة فالمشهورة منها اربعة». والصحيح طبقاً لمتن الغافقي « فالمشهور منها اربعة »

٢ً وقول مختصر الدول (ص ١٦٧) : « ومالك والشافعي وابن حنبل لا يرجعون الى القياس الجليّ ولا الخفيّ ما وجدوا خبرًا او امرًا ». والمختار كما في مختصر الغافقي : « ما وجدوا خبرًا او اثرًا »

٣ً وقول ماني في مختصر الدول (ص ١٣٠) : «انَّ للعالم الهين احدهما خير وهو معدن النور والآخر شرّ وهو معدن الظلمة وانهما تمازجا فانتصر الخير على الشرّ» والاصحّ كما جاء في ذيل الغافقيّ « وانهما تهارجا » . وهنالك ايضاً الفاظ اخرى يسيرة ربَّما ترجَّح فيها رواية مختصر الغافقي لا أرى حاجةً للتنبيه عليها لابقاء متن مختصر الدول على علّاته دون وهم ولا حرَج

(المشرق) فبعد هذه النبذة الحسنة بقي هناك مشكل نسبةِ التعليقين أهما للغافقي نقلهما عنهُ ابن العبري الذي اختصر كتابهُ الادوية المفردة ام وضعهما ابن العبري عن معلوماتهِ الخاصَّة . فنعرض الامر على احد ارباب البحث لعلَّهُ يثبتهما لاحد الكاتبَين

﴿ تلامذة الجامعة الاميركانيَّة ﴾ نشرت مجلَّة الكليَّة جدول تلامذة الجامعة للسنة المدرسيَّة الجديدة فاذا عدد المتخرّجين فيها في كل فروعها ١١٢٠ اكثرهم المسلمون ٤١١ ثمَّ البروتستانت ٢٠٩ ثمَّ الروم الاورثذكس ١٨٦ ثمَّ اليهود ٩١ ثمَّ الارمن الغريغوريُّون ٧٥ ثمَّ الدروز ٣٦ ثمَّ القبط الاورثذكس ٢٦ ثمَّ الروم الكاثوليك ١٩ ثمَّ الموارنة ١٦ ثمَّ البهائيُّون ١٥ وكذلك الفرنج اللاتين ١٥ ثمَّ الكلدان الكاثوليك ١٢ ثمَّ القبط الكاثوليك ٥ ثمَّ ارمنيَّان كاثوليك ويعقوبيَّان

﴿ موتمر الجغرافية الدولي في مصر ﴾ عرض جلالة السلطان فؤاد الاوَّل على

الدول عزمهُ على عقد مؤتمر جغرافيّ عام في القاهرة بنسبة السنة الخمسين للجمعيَّة الجغرافيَّة المصريَّة وعرض نيَّته على جميع الدول . وقد لبَّى بعضها سريعاً دعوتهُ . والمرجَّح انهُ سيُعقَد في نيسان من السنة الحاليَّة

﴿الاكليريكيُّون مجرَّمون﴾ يوزّع البروتستانت من اصحاب « كنيسة الله » وغيرهم في الشوارع اوراقاً تحت هذا العنوان «الاكليريكيُّون مجرَّمون» شحنوها طعناً في الاكليروس عموماً وخصوصاً في حقّ الكنيسة الكاثوليكية ورؤسائها واتباعها وتعاليمها لما يرون من الحركة بين مشايعيهم للارتداد الى الكنيسة الرومانيَّة التي عرفوا فضلها على شيعهم المتناقضة المتنافرة التي لا تعرف الاتحاد الّا لمحاربة كنيسة المسيح المبنيَّة على الصخرة غير المتزعزعة القديس بطرس هامة الرسل وخلفائهِ الاحبار الرومانيين . فما كان احراهم ان يخرجوا الخشبة من عيونهم قبل ان يستعظموا القذى في عيون غيرهم

فليعلموا انَّ سهامهم طائشة لا تصل لها في القلوب اللهمَّ الّا العميان الذين يغمضون عيونهم عمداً عن انوار الشمس الساطعة . ولا نرى موجباً لتفنيد مفترياتهم التي يعرف كذبها الصغار فضلاً عن ذوي الحيجة والبصائر

أسئلة واجوبة

س سأل احد الاساتذة في الشعر أوَرَد في العربيَّة مصادر على فِعَّال وفِعَيلَى وتِفِعَّال؟ مصادر على فِعَّال وفِعَيلَى وتِفِعَّال

ج ورد بعض الفاظ في العربيَّة على هذه الامثلة بصفة مصادر . ففِعَّال منها مثال في القرآن في سورة النبا مرَّتين (ع ٢٨و٣٥) كقولهِ : وكذَّبوا بآياتنا كِذَّاباً . وجاء ايضاً في كتب اللغة : كلَّمتهُ كِلَّاماً . ومن مصادر فِعَيلَى الدِلَيلَى وهي كثرة العلم بالدلالة . والحِثَيثَى كثرة الحث . امَّا تِفِعَّال فقال ابو العلاء المعرّي في رسالة الغفران (ص ١٠٨) «انَّ هذا المصدر مطَّرد في تفعَّل وان كان قليلاً في الشعر» وروى تِقِرَّاباً لابي زبيد الطائي حيث قال :

الدول عزمهُ على عقد مؤتمر جغرافيّ عام في القاهرة بنسبة السنة الخمسين للجمعيَّة الجغرافيَّة المصريَّة وعرض نيَّته على جميع الدول . وقد لبَّى بعضها سريعاً دعوتهُ . والمرجَّح انهُ سيُعقَد في نيسان من السنة الحاليَّة

﴿الاكليريكيُّون مجرَّمون﴾ يوزّع البروتستانت من اصحاب « كنيسة الله » وغيرهم في الشوارع اوراقاً تحت هذا العنوان «الاكليريكيُّون مجرَّمون» شحنوها طعناً في الاكليروس عموماً وخصوصاً في حقّ الكنيسة الكاثوليكية ورؤسائها واتباعها وتعاليمها لما يرون من الحركة بين مشايعيهم للارتداد الى الكنيسة الرومانيَّة التي عرفوا فضلها على شيعهم المتناقضة المتنافرة التي لا تعرف الاتحاد الّا لمحاربة كنيسة المسيح المبنيَّة على الصخرة غير المتزعزعة القديس بطرس هامة الرسل وخلفائهِ الاحبار الرومانيين . فما كان احراهم ان يخرجوا الخشبة من عيونهم قبل ان يستعظموا القذى في عيون غيرهم

فليعلموا انَّ سهامهم طائشة لا تصل لها في القلوب اللهمَّ الّا العميان الذين يغمضون عيونهم عمداً عن انوار الشمس الساطعة . ولا نرى موجباً لتفنيد مفترياتهم التي يعرف كذبها الصغار فضلاً عن ذوي الحيجة والبصائر

أسئلة واجوبة

س سأل احد الاساتذة في الشعر أوَرَد في العربيَّة مصادر على فِعَّال وفِعَيلَى وتِفِعَّال؟ مصادر على فِعَّال وفِعَيلَى وتِفِعَّال

ج ورد بعض الفاظ في العربيَّة على هذه الامثلة بصفة مصادر . ففِعَّال منها مثال في القرآن في سورة النبا مرَّتين (ع ٢٨و٣٥) كقولهِ : وكذَّبوا بآياتنا كِذَّاباً . وجاء ايضاً في كتب اللغة : كلَّمتهُ كِلَّاماً . ومن مصادر فِعَيلَى الدِلَيلَى وهي كثرة العلم بالدلالة . والحِثَيثَى كثرة الحث . امَّا تِفِعَّال فقال ابو العلاء المعرّي في رسالة الغفران (ص ١٠٨) «انَّ هذا المصدر مطَّرد في تفعَّل وان كان قليلاً في الشعر» وروى تِقِرَّاباً لابي زبيد الطائي حيث قال :

فثار الراجزون فزاد منهم تغبرّابًا وصادفهُ ضبيسُ

وكذلك ذكر التغبرّاق في قول الشاعر :

طيّفُ ابنةِ الحُرّ اذ كنّا نُواصلُها ثم اجتنبتُ بها بعد التغبرّاق

س وسأل احد الكهنة : هل صورة سرّ القربان في القداس «هذا هو جسدي . هذا هو دمي» تُحسب صورةً انشائيّة ام خبريّة . فان سياق كلام الكاهن يدلُّ على انها خبريّة فكيف تمّ الاستحالة بهذه الصورة ؟

صورة سرّ القربان في القدّاس

ج انّ صورة سرّ القربان «هذا هو جسدي . هذا هو دمي» إخباريّة وإنشائيّة معاً . لان السيد المسيح الذي لفظ بهذه الصورة هو نفسهُ قال لتلاميذهِ « اصنعوا هذا لذكري » فبيّن بذلك انهُ جعل ذلك التعبير انشائيًا وان كان الكاهن يقولهُ في سياق كلام خبريّ . وهكذا فهمتهُ الكنيسة والآباء واللاهوتيّون في كلّ الاجيال منذ عهد الرسل

س وسأل من مصر نعُوم افندي طاماز ماذا يُعرف عن الكتب الآتية واصحابها : ١ً رياض الازهار ونسيم الاسحار المعروف بمقامات القوّاس . ٢ً المقدّمة الكافية في اصول الجبر والمقابلة لابي الحسن علي السلميّ . ٣ً الحُكم على قِرانات بطليموس في المثلّثات للخزاعي . ٤ً الرسالة الكافية المعروفة بالهارونيّة لعيسى بن حكم الملقّب المسيح ؟

تعريف بعض المخطوطات العربيّة

ج لا نعرف من هذه الكتب غير الاوّل والرابع . فالاوّل يحتوي تسع مقامات لشمس الدين قاسم بن محمّد الدمشقي الحلبي المعروف بالقوّاس الذي كتب نحو السنة الف للهجرة (١٥٩١م) . أمّا الرابع المنسوب الى عيسى بن الحكم الملقب بالمسيح فصاحبهُ احد مشاهير اطبّاء النصارى في عهد هارون الرشيد ذُكرت ترجمتهُ في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ١٢٠) لكنّنا لا نجد ذكرًا لكتابهِ الرسالة الكافية المعروفة بالهارونيّة . والهارونيّة كتاب في التصريف لغيرهِ ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون (٦ : ٤٧١)

س وسأل احد ادباء المسلمين في البلدة أيوجد نصّ صريح في الانجيل يمنع الإضرار والتسرّي اي تعدُّد الزوجات وأليس هذا أذًى بتقليل النسل وضررًا بالمجتمع البشري ؟

الإضرار في الانجيل وصلاحيّتهُ الزواج المفرد في المجتمع البشري

ج انَّ في الانجيل آيةً صريحة تمنع الطلاق والزواج بالمطلّقة حيث يقول الرب (متى ١٩: ٩): « انا اقول لكم من طلّق امرأتهُ إلّا لعلّة زنًى واخذ اخرى فقد زنى ومن تزوّج مطلّقةً فقد زنى». فلو كان الإضرار مسموحاً بهِ لما امكن السيّد المسيح ان يقول: «مَن طلّق امرأتهُ واخذ أخرى اقد زنى » لو لم ينوِ بذلك مَنع الاضرار . فانهُ يعدّ زنًى الزواج بامرأة بعد طلاق الزوجة الاولى فكم بالحري يعدُّ كزنًى الزواج بامرأة ثانية مع بقاء الاولى. ولذلك يذكّر السيّد المسيح بشريعة الطبيعة الاولى لمّا خلق الله الابوين الاوّلين ويعيدها الى قوّتهما بقولهِ: أما قرأتم ان الذي خلق الانسان في البدء ذكرًا وانثى خلقهم وقال: لذلك يترك الرجل أباهُ وأمهُ ويلزم امرأتهُ فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا . . . وما جمعهُ الله فلا يفرّقهُ انسان» (١

امّا قول السائل بانَّ في منع المسيح تعدُّد الازواج ضررًا بالمجتمع الانساني لتقليله النسل فليس ذلك امرًا ثابتاً فكم زنى من اطفال الامم الذين يفوق عدد اولادها على المتسامحين بتعدد الزوجات وهنا نحن نذكر هنا ما كتبهُ احد مشاهير الاسلام في هذا المعنى نزيد بهِ العلّامة الجاحظ قال: في فصولهِ المختارة (في هامش طبعة الكامل المصريّة ٢: ١٧٥–١٧٦)

«والعجب ان كل جاثليق لا ينكح ولا يطلب الولد وكذلك كل مطران وكل اسقف وكذلك كل اصحاب الصوامع من اليعقوبيّة والقيسين في الديورات والبيوت من النسطوريّة وكل راهب في الارض وراهبة مع كثرة الرهبان والرواهب ومع تشبُّه اكثر القسيسين بهم في ذلك ومع ما فيهم من كثرة النزاة وما يكون فيهم ممّا يكون في الناس من المرأة العاقر والرجل العقيم. على انَّ من تزوّج منهم امرأةً لم يقدر على الاستبدال بها ولا على ان يتزوّج اخرى معها ولا على التسرّي عليها ومع هذا قد طبّقوا الارض وملأوا الآفاق وغلبوا الامم بالعدد وكثرة الولد. وذلك ممّا زاد في مصائبنا وعظُمت بهِ محنتُنا. وممّا زاد فيهم وانى عددهم انهم يأخذون من سائر الامم ولا يعطونهم لان كلّ دين جاء بعد دين اخذ منهُ الكثير واعطاهُ القليل » ل . ش

١) راجع مقالة حضرة الاب صالحاني في الطلاق. (الطبعة الثانية ص ٣٩ . ثمن النسخة ثلثة قروش سوريّة)

المشرق

نظر عام في سابق العام *

للاب لويس شيخو اليسوعي

تمرُّ الاعوام وتمرُّ معها فلا يدوم الَّا الحيّ الباقي الذي يقول عنهُ الكتاب (المزمور ١٠١): «اللهمَّ في البدء اسَّستَ الماوات والارض. هي صنع يديك هي تبلى وانت تبقى وكلُّها تبلى كالثوب وتطويها كالرداء فتتغيَّر وانت انتَ وسنوك لن تفنى»

على انَّ الاعوام اذا مضت تبقى منها ذكراها مدوَّنةً في بطون التواريخ إنْ حسنة وإن سيّئةً فالحسنة يجب على البشر ان يشكروها لهُ تعالى والسيّئة يُقتضى الاستغفار منها والتكفير عنها. وها نحن نروي كمألوف عادتنا في اوائل كل عام اخصّ الوقائع التي جرت في السنة الماضية المدنيَّة والدينيَّة مؤجّلين لعدد آخر ذكر العلوم وترقّيها

اوربّة

﴿الكرسيّ الرسوليّ﴾ كانت السنة الاخيرة سنةً ميمونةً مباركةً وجد فيها الحبر الرومانيّ تعزيةً وسلواناً بما رآهُ عموماً من رقيّ الكثلكة في معظم انحاء المعمور. وقد بلغ قدلستهُ عددَ حاشيتهِ من امراء الكنيسة وكرادلتها الى ٦٦ عدًا النصفُ منهم

* اصلاح غلط جاء في الصفحة الاولى من عدد المشرق الاوَّل للسنة الجديدة ١٩٢٥ انها توافق السنة ١٦٤١–١٦٤٢ هجريَّة وهو غلط ظاهر كان سببهُ انتقال المقاف سهوًا من تاريخ الى آخر. وكان في الاصل انَّ السنة ١٩٢٥ توافق السنة القبطيَّة ١٦٤١–١٦٤٢ والسنة الهجرية ١٣٤٢–١٣٤٣ وقد ابتدأت السنة ١٩٢٥ في ٦ جمادى الآخرة. فوجب التنبيه

ايطاليون والنصف الآخر من دول شتى

وقد توالت في امّ المدائن اعياد شائقة نخصّ منها بالذكر الاحتفال بالمئة السادسة عشر لتدشين كنيسة مار يوحنا اللاتراني التي انشأها قسطنطين الكبير سنة ٣٢٤ . وهذه الكنيسة هي كرسيّ الحبر الاعظم البطريركي التي تُعَدّ في مقدّمة كنائس العالم الكاثوليكيّ وفيها من الذخائر الثمينة والآثار الدينيّة ما لم تحصل عليهِ غيرها

وفي يوم عيد الصعود اعلن بيوس الحادي عشر رسمياً بيوبيل السنة ١٩٢٥ الذي يقع في كلّ ربع قرن وهو اليوبيل الثاني والعشرون منذ انشاء اليوبيلات سنة ١٣٠٠ وقد افتتحهُ بوتبة جميلة حضرها الوف من الزوّار وذلك بفتحهِ الباب الذهبي لكنيسة مار بطرس الذي يبقى مرصَدًا في بقيّة السنين فتحهُ قداستهُ بمطرقة ومالج من الذهب قدّمها اساقفة اميركة لهذه الغاية

ومن حفلات رومية التي باركها الحبر الاعظم وأصدر فيها براءةً خصوصيّة يوبيل الجامعة الغريغوريّة التي كان قداستهُ احد المتخرّجين فيها مع سلفَيهِ لاون الثالث عشر وبندكتوس الخامس عشر فتمّت تلك المواسم البهجة في اواسط أيار الماضي (اطلب المشرق ١٩٢٤ ص ٨٦١–٨٦٩)

وممّا سُرَّ بهِ قلب ابي المؤمنين ما وجدهُ من توجيه نظر معظم الدول الى مقام نائب السيد المسيح حتى اقصاها من كاثوليكيّة وغير كاثوليكيّة كالصين واليابان والحبشة وبعض جمهوريّات اميركة الجنوبيّة . وكم اقبل اليهِ من الوفود والزوّار من انحاء المعمور ليتبرّكوا بلثم اناملهِ ويسمعوا تعاليمهُ الخلاصيّة . وبابهُ لا يزال مفتوحاً للجميع وهو ابو الجميع حتى الصغار والاطفال كاستقبالهِ في ١٠ ك٢ لسبعة آلاف من فتية وفتيات المدارس مع معلّميهم ومعلّماتهم .

وهي محبّتهُ لخلاص العالم ولخير الشعوب التي حدَتْ بهِ الى توسيع نطاق شركة انتشار الايمان ليدعو الى نور الانجيل الامم المتسكّعة تحت ظلال الجهل والموت . فبلغ مجموع حسنات تلك الشركة في العام الماضي ٣٠ مليوناً من الفرنكات . أرسلت منها سوريّة خاصّةً على يد احد ابناء رهبانيّتنا قريباً من ٣٥ الفاً

وتعزيزاً لهذا المشروع الجليل امر قداستهُ بان يخصَّص للرسالات الكاثوليكيّة في سنة اليوبيل معرضٌ واسع يُطلع كل الزوّار على مساعي المرسلين في ترقية الشعوب

دينيًا وادبيًا وماديًا وهو اليوم يستوقف ببدائعهِ انظار كلّ زائريهِ

ولم يفرق الحبر الاعظم محبّتهُ للارواح عن محبّتهِ لسلامة الاجساد فانّهُ مع كونهِ افقر ملوك الارض ارسل الى طرابزون ٥٠٠٫٠٠٠ فرنك اسعافاً لمهاجري اليونان. واهدى مثلها مساعدةً لمنكوبي باريس بعد الفياضانات الاخيرة التي جرت هناك. وقد مرّ لنا ذكر ما يصرفهُ على المتضوّرين بالمجاعة في روسيّة. لا يرى في كلّ ذلك افادةً شخصيّة بل مجرّد خير الشعوب سواء كانوا خاضعين لسلطتهِ ام خارجين عنها

وتسهيلًا لمعاملات الامم مع الكرسي الرسولي قد دُشّنت في الفاتيكان محطّة للتلغراف اللاسلكي تقبل البرقيّات من جميع انحاء اوربّة واميركة. وقد استدعى الحبر الاعظم السنيور مركوني ليتّفق معهُ ويجعل تلك المحطّة عموميّةً تشمل كل البلاد المأهولة

﴿فرنسة﴾ كانت الخمسة الاشهر الاولى من السنة ١٩٢٤ ايّام هدوء وسلام رغماً مما كان شائعاً في الدولة من غلاء العيش بسقوط قيمة الفرنك لمضاربات سيّئة بتعاطاها بعض الاجانب في اميركة و نكتة التي أدّت الى زيادة دَين فرنسية وتوفير الضرائب ما كان سبباً بعد الاستقالة [illegible] الى تاب وزارة المسيو بوانكاره واستعفاء المسيو ميلران رئيس الجمهورية فصبح زمام الامور في ايدي الاشتراكيين والراديكاليين وصارت رئاسة الجمهوريّة الى المسيو غستون دومرغ وأُسندت الوزارة الى المسيو ادوار هِريو

وكان المسيو ميلران مع المعتدلين من مجلس الندوة اثبتوا السفارة في الفاتيكان وعيّنوا لتدبيرها المسيو دوليه. وفي رأس السنة لمّا قدّم المنسنيور سيرّتي سفير الكرسي الرسولي لرئيس الجمهوريّة التهانيَ المعتادة باسم كل رصفائهِ سفراء الدول كان جواب المسيو ميلران انّ رجاءهُ وطيد في دوام السلام وتألّف القلوب. وكرّر الامر المسيو بوانكاره في خطاب القاهُ امام جمعيّة المحالفة الجمهوريّة في ٢٩ نيسان واكد انهُ سيسعى الى توطيد السلام الديني

ومع ما نُفذ وتنفذ من بعض القرارات السابقة المادية للكنيسة ظهر في جملة امور اعتدالُ الدولة في اتّفاقها مع الاساقفة بخصوص تدبير الاوقاف وتأليف شركات مستقلة في نظامها كما رضي بها الحبر الاعظم بعد مخابرات متوالية وتنقيح ما وجدهُ

في تقارير الدولة مجحفاً بحقوق الكنيسة واصدر في ذلك براءة في تاريخ ١٨ ك٢

ومن مجاملات الدولة انَّها سمحت للكاثوليك وارباب المجلس البلدي ان ينصبوا تمثالاً جميلاً للقديسة جان درك على جسر باريس الجديد المسمَّى تورنال (Tournelle)

ومنها الغاء الحكومة ما صدر بحقّ بعض الراهبات البندكتيَّات سنة ١٩١٤ وما ورد حينئذٍ في إقفال مآويهنَّ. كما انَّها رخَّصت لجمعيَّات المرسلين ان يفتحوا في فرنسة اديرةً لطالبي الترهُّب بينهم

ومنها ايضاً امتيازات شرفيَّة عرفت فيها الدولة خدم الاكليروس فقدَّمت اوسمةً ذات رُتب مختلفة من فرقة فرسان الشرف لعدَّة اساقفة ورهبان وراهبات نخصُّ منهم بالذكر رئيس اساقفة باريس الكردينال دوبوا والكردينال رئيس اساقفة اورليان السيّد توشه وحضرة الاب بورتين (P. Burtin) من جمعيَّة الآباء البيض ورئيس مدرسة الصلاحيَّة سابقاً

وسرعانَ ما تغيَّرت هذه السياسة بعد انتخابات شهر ايار وسقوط وزارة بوانكاره وتقدمة ميلران استعفاءهُ. فكان الحزب المتغلب مع الرئيس دومرغ ورئيس الوزارة هريو متطرفاً معادياً للدين مشايعاً للديموقراطيَّة. فكان اوَّل ما عرضهُ هريو على المندوبين تعزيز المدارس العلمانيَّة والغاء السفارة لدى الفاتيكان وتنفيذ الشريعة في الجمعيَّات الرهبانيَّة والغاء امتيازات الزاس ولورين الدينيَّة. فكان لهذا الاعلان اسوأ فعل في قلوب الوطنيِّين ولاسيما الكاثوليك فتحفَّزوا للدفاع عن حقوقهم وألَّفوا الجمعيَّات برئاسة الاساقفة وكبار المأمورين وخصوصاً الجنرال كستلنو وقدَّموا الاحتجاجات القويَّة وانذروا ارباب الدولة باستعدادهم لصيانة حقوقهم حتى بالقوَّة وقد نشروا ذلك الكتاب الذي اشرنا اليه (ص١٠١٣) La Dictature de la Franc-Maçonnerie sur la France مبيِّنين بنصوص عديدة انَّ ما يُعرض على مجلسي النواب والاعيان من الشرائع ليس هو الَّا ما سنَّتهُ الجماعات الماسونيَّة في محافلها المظلمة حرفيًّا. فكان لهذا الكتاب ولاحتجاجات الاكليريكيين الذي كانوا في سلك المتجنِّدين في الحرب الكونيَّة والمجروحين فيها احسنُ وقع لدى العموم. والامل معقود انَّ هذا الحزب لا يثبت طويلاً ما لم يَحِد عن اعوجاجهِ

ومما أثر في الوطنيين ما تهددهم من غلبة الشيوعية والآراء البولشفية على بلادهم ولاسيما بعد قبول المجلس طلب هريو بمصالحة روسية البولشفية واكتشاف فئة كبيرة من البولشفيين في باريس ينشرون تعاليمهم الفاسدة ونقل رفات جوريس الى البنتيون (٢٣ ت٢) . فكل ذلك حرك الاستياء من الحكومة الجديدة واعمالها الآئلة الى تدمير البلاد ودفع الوطنيين الى معاداتها جهاراً

ومما يشكره الشرقيون لفرنسة الحفلة الحافلة التي جرت في ٢٢ شباط في كنيسة باريس الكبيرة المعروفة بالمجدلية (la Magdelaine) ذكراً للاساقفة الاثني عشر الكاثوليك الشرقيين الذين ذهبوا ضحية الاتراك في زمن الحرب فحضر جمهور الشعب رتبة القداس القام على الطقس الماروني وعقبته عظة في منتهى البلاغة للكردينال توشه مطران اورليان في مديح اولئك الاحبار الابرار ضحايا الهمجية والظلم

وقد سعى رئيس اساقفة باريس الكردينال دوبوا مع ثلثة اساقفة وبعض الكهنة في توثيق روابط الولاء والحب القديمة بين فرنسة وبيروتية فعلوا الى تلك [illegible] والاكرام من قبل رؤساء الدو[illegible] الشعب [illegible] دلالاً جلياً على انعطاف قلوب اهل الدولتين

وفي ٢ حزيران فقدت فرنسة احد ابنائها الاعزاء الذين كانوا يسعون الى تمكين قدمها في سورية بمشروعاتها الادبية والخيرية نعني بهالسيد بول هوفلين (P. Huvelin) من اساتذة جامعة ليون واليه يعود الفضل خصوصاً في انشاء مدرسة الحقوق الفرنسوية في الثغر

وفي اواسط كانون الاول توفي في باريس كاهن عظيم الفضل الاب الفانوفي روسلو (Rousselot) معلم الطبيعيات في كلية باريس الكاثوليكية خدم وطنه والعلم باكتشافات كبيرة الشأن لمعالجة الصمم ودرس خواص الاصوات ولتعريف مواقع غواصات العدو في عمق البحر فخلص بذلك سفناً عديدة من مراكب الدولة الحربية التي لولاه كانت تلفت بقذائف الالمان

﴿انكلترة﴾ كان الفوز في انتخابات مجلس النواب في شهر كانون الثاني لحزب العمال بسقوط وزارة مستانلي بلدوين وانتخاب رمساي مكدونلد كرئيس وزارة فكان لهذه الانتخابات في طبقات الانكليز العليا سوء تأثير وهذه اول مرة تصنع

دفّة الامور في ايدي غير المحافظين. لكن موقف الوزارة الجديدة بقي حَرِجاً الى ان اصيبت بأزمةٍ قلبتها مع قلب حزبها وتجدّدت الانتخابات فعاد الفوز للمحافظين في تشرين الثاني واستدعى جلالة الملك جورج الخامس ستانلي بلدوين وعهد اليه تأليف وزارة محافظة

على انّ مكدونلد في زمن وزارته لم يَحِدْ في سياسته الخارجيّة عن طريقة سلفائه فكان بازاء فرنسة والمانية وتركية يعضد دولتهُ ومصالحها طاقة جهده حتى في مطامعها البالغة. وبمساعيه خصوصاً صارت مفاوضة لندن في ١٦ ايلول بعد قرار لجنة "داوس وما كِنّاه" بخصوص استطاعة المانية على دفع التعويضات.. وهناك تقرّر خروج الحلفاء من مقاطعة الروهر في ١٠ كانون الثاني على شروط تعيّنت

وقد حبط مسعى اللجنة المختلطة من فرنسويين وانكليز لفتح النفق تحت مضيق المنش بين الدولتين وذلك بمعاكسة جمعيّة انكليزيّة تدعى جمعيّة الدفاع عن مصالح انكلترّة لزعمها بانّ في ذلك خطرًا على بريطانية العظمى اذا ما انتشبت حرب بين الدولتين

كانت السنة ١٩٢٤ سنة نجاح ورقي للكنيسة الكاثوليكيّة في انكلترّة. وقد جاء في نشرةٍ رسميّة انّ عدد المهتدين الى نور الايمان منذ آخر الحرب قد بلغ سبعين الفاً بينهم عدّة رُعاة من البروتستانت

وممّا يدلّ على نفوذ الدين الكاثوليكيّ انتخاب حاكم كاثوليكي وهو المستر توما وِلْيام لمدينة برمنغام ثانية حواضر انكلترّة وهذه اوّل مرّة يقع الامر منذ انفصال انكلترة عن طاعة رومية ولاسيما انّ اربعة اخماس المدينة من البروتستانت. وقد وقع ايضاً مثل هذا الانتخاب على الكاثوليكي الفرد بارِرْ كحاكم على لندن يساعده معاونان كاثوليكيّان فردريك بَرْتْرُب و ه. دَوْرْ

وقد اظهر الكاثوليك الانكليز حماسهم الديني في عدّة ظروف. ففي ١١ شباط يوم عيد سيّدة لورد اجتمع منهم في كاتدرائيّة وستمنستر ما ينيف على ١٠،٠٠٠ شخص لاكرام البتول فطافوا بتمثالها الذي كان يحملهُ رجال البوليس الكاثوليك يحدق بهم اكثر من الف ولد يتغنّون بمحامد العذراء — وقد زار غيرهم في الصيف معبد لورد في فرنسة في عدد ١٤٠٠ يتقدّمهم خمسة اساقفة مع ١٨٠ مريضاً حُملوا

طلباً للشفاء من سيدة العجائب فنال بعضهم ما أمّلهُ — وحظي ٣٠٠ من البحريين بالمثول أمام الحبر الاعظم في الفاتيكان فرأوا من لطفهِ ما اذهلهم لاسيما اذ قال لهم انهُ هو ايضاً بحريٌّ مثلهم وربّان السفينة البطرسيَّة التي وكل اليهِ المسيح دفّتها

وقد اعلن الكردينال بورن في منشور كتبهُ لرعيَّتهِ ما دار بينهُ وبين رؤساء الكنيسة الانكليكانيَّة من المفاوضات في شأن تقرّبهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة ويحرّضهم على الصلاة لتحقيق هذه النيَّة . وروى لهم في منشور آخر ترقّي الدين الكاثوليكي في ابرشيَّتهِ بنوع عجيب يحيي الآمال ويثلج الصدور — والى نيافتهِ ايضاً يعود الفضل في انشائهِ شركة كاثوليكيَّة تسعى الى تأليف القوى الكاثوليكيَّة في انحاء العالم بمبادلة المخابرات معها في شؤون الدين

ومن ادلَّة الغيرة في قلوب كهنة الانكليز لخلاص اخوتهم المنفصلين انَّ عدداً منهم يركبون في أيام الآحاد والاعياد السيَّارات فيذهبون الى قرى ومزارع بعيدة . فيحوّلون سيَّاراتهم الى معابد يقدّمون فيها الذبيحة الطاهرة ويقومون فيها واعظين للحضور من كاثوليك وغيرهم

أمَّا ايرلندة فان سيدتها لا تزال مصطرمة لكن الدين هو شطر من روحها وحياة ابنائها يرضعونهُ مع الحليب . لا نغالي في القول انَّ لفظة ايرلنديّ مرادفة لكاثوليكي . وقد اسفوا في العام الماضي على فقد احد زعماء كنيستهم الكردينال لوغ (Logue) جاثليق ايرلندة منذ السنة ١٨٨٧

﴿المانية﴾ قد تكرَّرت الانتخابات العموميَّة في اوائل ايار فتأيدت الجمهوريَّة وغلب حزب الوطنيّين المعادين لمعاهدة ڤرسايل على حزب الاعتدال وضبط مقاليد التدبير الكنشلبار مركس وهو كاثوليكيّ المذهب من حزب الكاثوليك المعروفين بالمركزيّين وعددهم ٦٥ مندوباً . وقد ألحّوا على الحلفاء ليخرجوا من مقاطعة الرور واعدين بوفاء التعويضات . فرضي الفرنسويّون والبلجيكيّون وجعلوا موعد خروجهم في ١٠ ك ٢ من السنة الحاليَّة . وكان بين شروط ارتحالهم ان تفتّش لجنة على ما في المانية من العُدَد الحربيَّة لئلا تزيد على ما قرَّرهُ سفراء الدول . فكانت نتيجة هذا البحث انَّ عند الالمان من الاسلحة والعُدَد الحربيَّة ما يدلّ على استعدادهم لاستئناف الحرب أخذاً بثأرهم . ومن ثمَّ أبى الحلفاء الخروج في الوقت المعيَّن ريثما يقوم الالمان

بوعدهم . وقد حصلت مؤخرًا ازمة جديدة في الوزارة فقام ستريسمان لتدبيرها بدلًا من مركس

فترى انَّ امور المانية السياسيَّة لم تزل في اضطراب وبين اهلها المتطرّفون الذين ينوون الاثنار بحرب ثانية . منهم لودندُرف الذي نقم على الكاثوليك لمناقضتهم لآرائهِ فحمل عليهم حملةً شعواء في مونيخ أثارت عليهِ البغضاء وسيَّئت احتجاجات ارباب الدين والعقلاء على شتائمهِ

على انَّ هذه المنازعات السياسيَّة لم تُضعف عزائم الكاثوليك فعقدوا المؤتمرات الدينيَّة والادبيَّة والاجتماعيَّة فبحثوا عن كلّ شؤون الكنيسة والوطن تحت رئاسة كرادلتهم واساقفتهم فضمُّوا قواهم لمناصرة الآداب ومناهضة الفتن الشيوعيَّة والاحزاب الماسونيَّة

﴿النمسة﴾ كانت امور النمسة بهمَّة رئيسها وكنشلياريها المنسنيور سَيبل آخذةً في الاصطلاح وكلّ الاحزاب على اختلاف نزعاتها تقرُّ لهُ بالحكمة وحسن السياسة . لكن محبي الدسائس والفتن لم يمكنهم ان يصبروا على تدابيرهِ الراشدة ففي غرَّة حزيران اطلق واحد منهم رصاصة في صدرهِ كادت تكون القاضية على حياتهِ الثمينة لولا العناية الالهيَّة فشفي بعد مدَّة من جروحهِ وعاد الى معالجة امور وطنهِ الى ٦ ت ٢ حيث قدَّم استعفاءهُ لِما رأى من المعاكسة في تنفيذ احكامهِ خصوصاً في ضبط ماليَّة الدولة . فقام عوضاً عنهُ في ١٩ من الشهر السيد رَنك وهو ايضاً من حزب الكاثوليك المعروفين بالمسيحيّين الاجتماعيّين

وقد تحسَّنت تجارة النمسة البحريَّة في العام الماضي فكادت تساوي تجارتها السابقة للحرب . وممَّا اعانها على ذلك معاهدتها التجاريَّة مع تركيَّة وهي قريبة منها وكانت في زمن الحرب محالفةً لها

﴿ايطالية﴾ رسخت قدم السنيور موسوليني في الانتخابات التي جرت في ٦ نيسان واصبح لهُ الحكم المطلق في تدبير المملكة لولا مغالاة البعض من الفاشست اصحابهِ الذين اثاروا عليهم الرأي العام بعد قتلهم للمندوب ماتيوتّي رئيس الحزب الاشتراكي في ١٠ حزيران فاضطرَّ السنيور موسوليني الى ان يلطّف معاملاتهِ مع الاحزاب المعادية لهُ ويدخل في الوزارة بعض الاصلاحات لكنَّهُ ثبت على وقوفهِ وقفة الحزم بازاء

اصحاب الثورة والفتن والجمعيات الماسونيَّة يتعقَّب آثارهم ويكسر شوكتهم

وممَّا زاد مقام السيِّد موسوليني رسوخاً لدى العموم سياستهُ بازاء اليونان لمَّا انزل الجنود في كورفو ليضطرَّ الدولة اليونانيَّة على دفع ما طلب منها من التعويضات لتعدِّيهم على البعثة الايطاليَّة في ابيروس . وقد استحسنوا ايضاً تدابيرهُ واتِّفاقهُ مع الدولة اليوغوسلافية والانكليزيَّة فتنازلت الاولى لايطالية عن مدينة فيومه والثانية عن بلاد جوبلند في افريقية الشرقيَّة

وقد شكرهُ الكاثوليك لما اظهرهُ هو ووزراؤهُ من الفطنة في قمع الفساد المنتشر في بعض الجهات فامر بمراقبة الشوارع والمسارح والمطبوعات لئلَّا تسري اليها الخلاعة ويُخدش بها وجه الآداب . وكذلك تصدَّى لامر الطلاق ومنع من اسناد الوظائف للمطلَّقين نساءهم والمفرمسون

وعلى خلاف ذلك امر بتعطيل الاشغال العموميَّة في الآحاد والاعياد . وزاد في رواتب ارباب الكنيسة زيادةً لائقة بمقامهم . واتَّفقت الحكومة مع لجنة الكرادلة لاعداد كلّ لوازم الزوَّار المتقرِّبين في السنة اليوبيليَّة لايوانهم ومعاشهم . وسمح رئيسها بنصب الصليب فوق الكابيتول كما كان في عهد الدولة البابويَّة . واعاد في المدارس التعليم المسيحي مقرًّا بما نجم عن اهماله من روح الكفر وانتشار الفساد والفتن

وقد ظهرت ايضاً النهضة الدينيَّة في ايطاليا في العام المنصرم في ٧ ايلول حيث جرى مؤتمر قرباني في بالرمو عاصمة صقلية تناولَ فيه القربان خمسة عشر الفاً من الاولاد وسار في طواف القربان الوفٌ مؤلَّفة من الشعب مشوا في اكرامه ستَّة كيلومترات

وسُرَّ الايطاليُّون الكاثوليك بانشاء جامعة ميلانو الحديثة التي اهداها المحسنون مليوني فرنك وايَّدتها الدولة فمنحت لها امتيازات كلِّيَّاتها الرسميَّة

﴿بلجيكة﴾ تجاهد مع فرنسة في اصلاح ما اختلَّ من امورها باحتلال الاعداء في أنحائها ثمَّ في مطالبتها من المانية بالتعويضات عن الخسائر التي لحقت بها وبإصرارها على احتلال الرهر ريثما تقوم تلك الدولة بمواعيدها

في شهر آذار حصلت ازمة وزاريَّة فوقع الاختيار في ١٠ منه على رئيسها السابق

تونيس وتعيّن للوزارة الخارجيّة المسيو هيمانس بدلًا من جنبار . وقد اثنى العموم على المسيو ديبلواج لخطابهِ النفيس الذي القاهُ في بروكسل في مجلس الاعيان ضدّ شريعة الطلاق

وفي الاجمال يقال ان الكثلكة عالية المنار في بلجيكة والدليل على ذلك انّ عدد تلامذة المدارس الكاثوليكيّة الدينيّة ٣١،٦٤٨ وتلامذة المدارس الحرّة ١٠،٠٠٠ فقط

ومن الادلّة البيّنة على اعتصام البلجكيّين بحبل الدين المواسم الشائقة التي قامت بها البلاد عموماً مع الحكومة بنسبة يوبيل الكردينال مرسيه في شهر أيار . وقد اهدتهُ ايضاً فرنسة اكبر أوسمتها الشرفيّة

وقد ظهرت ثقة الانكليكان بنيانهِ اذ استدعاهُ رئيس اساقفة كنتربوري مع زعيم الانكليكان السيّد هلفاكس وغيرهما الى تبادل الافكار في امور الدين الكاثوليكي . فكانت هذه المفاوضات مزيلةً لمدّة اوهام في امر الكثلكة

﴿اسبانية والبورتغال﴾ انّ الحرب المراكشيّة اقلقت الدولة الاسبانيّة لما لحق فيها الجنود من الخسائر بازاء الوطنيّين المجاهدين في سبيل استقلالهم وربّما يعضدهم ضبّاط من الاجانب مع ما يستحضرونهُ من الاسلحة من المانية سرًّا . لكنّ رئيس الحكومة المطلق السلطة بريمو دي ريفيرا يسوس البلاد بحزم ويتصدّى لمكري مياه السلام . وفي الانباء الاخيرة ان الجنود الاسبانيّة تمكّنت من توقيف حركات العدوّ سابقاً واسترجاع ما فُقد من المواقع التي احتلّتها

وقد صار اتّفاق بين فرنسة وانكلترّة واسبانية بخصوص مدينة طنجة واستقلالها اذا ما تخلّت عنها اسبانية

امّا ﴿البرتغال﴾ فاخذ يصحو نوعاً من سكرتهِ بعد ثورتهِ السابقة فانّ الجمهورية الجديدة قد احسّت بما تحتاج اليهِ من مسالمة الكاثوليك . ومن الادلّة المثمرة بذلك المؤتمر القرباني الذي التأم في مدينة براغة ورأسه بطريرك لشبونة الكردينال بندش فسار في تطوافهِ في آخر يومهِ نحو ٢٠٠،٠٠٠ شخص وتناول القربان ٣،٢٠٠ ولد . فلم يمتّ الدين كما زعم بعض المتشدّقين!

﴿سويسرة﴾ نالت سويسرة شرفاً بنصب مجلس عصبة الامم في مدينتها لوزان

فالعيون ابدًا شاخصة اليها. وفي مدينتها لوغانو عُقد المؤتمر الرابع للمحالفة الكاثوليكيَّة الدوليَّة الذي حضرهُ مندوبون من كلّ الدول وصدّق عليهِ قداسة الحبر الاعظم ببراءة اثنى فيها على هذا المشروع الاجتماعيّ الجليل. ومما اقترحهُ اصحاب المؤتمر نشر مجلّة عموميَّة لتبادل الافكار بين الكاثوليك. ثم انشاء تلفون لاسلكي مع انحاء المعمور للغاية ذاتها. وكان فضلًا عن المؤتمر المذكور مؤتمر آخر خاصّ بالكاثوليك السويسريين. ومن اخبار سويسرة السياسيَّة تولّي الحزب الراديكالي على معاملاتها في ٩ ت٢. ولعلَّهُ يخرب ما ابتناه الحزب الكاثوليكي

﴿ هولندة ولوكسمبورج ﴾ ترقي الكثلكة في هولندة سائر بالتواصل. فانَّ الكاثوليك ينيفون على ١،٩٠٠،٠٠٠ وكانوا قبل مئة سنة نحو ٣٥٠،٠٠٠ فقط لا نفوذ لهم بين مواطنيهم. وامَّا اليوم فتراهم يشغلون المناصب العليا ولهم في مجلس الدولة الكلمة الراجحة مع المحافظين

واخصّ ما عظّم في السنة الماضية الدينَ الكاثوليكيّ في اعين البروتستانت المؤتمر القرباني الدولي وهو السابع والعشرون من جنسهِ جرى في امستردام عاصمة هولندة حضرهُ سبعة كرادلة و١٢ رئيس اساقفة و٣٢ اسقفاً و٢٩ رئيس رهبانيات. وقد ارسل الحبر الاعظم الكردينال ڤان روسوم رئيس مجمع انتشار الايمان لينوب عنهُ في هذا المؤتمر. فكان استقبالهُ في غاية ما يمكن من الرونق والابهة وسارت السفينة التي اقلّتهُ مصحوبةً بمئتي مركب اخر خرجت ترحيباً بهِ واستقبلتهُ في البرّ رسميًّا اعيان الدولة من كاثوليك وبروتستان وجماهير الشعب على ممرّ قاطرتهِ.. وكانت جلسات المؤتمر تقاطعها الحفلات الدينيَّة من جملتها حفلة مناولة الاولاد تقرَّب فيها ١٢،٠٠٠ ولد. واجتمع في نادي امستردام الكبير ٣٥،٠٠٠ لسماع خطبة الكردينال الاخيرة التي عقبها طواف القربان بنظام وتُقى لم تعهد مثلها امستردام منذ عهد انفصالها عن الكنيسة الرومانيَّة. فكان هذا المؤتمر ظفرًا باهرًا للكاثوليك مع انهم لا يزيدون عن ١٥٠،٠٠٠ في تلك العاصمة التي يبلغ عدد اهلها ٦٠٠،٠٠٠ نسمة

وقد فتح اليسوعيُّون في بعض مدن هولندة بيوتاً يقصدها اكليروس البروتستانت ليتبيَّنوا المعتقدات الكاثوليكيَّة ويزيلوا كلّ سوء فهم عنها في عقولهم. وفي اثر هذه

المحاضرات قد ارتدّ منهم كثيرون الى الكثلكة

وامّا ﴿ لوكسمبورج ﴾ فدولة كاثوليكيّة تروج فيها كلّ اسباب الرقي ماديًا وادبيًا ودينيًا . وقد اصاب فيها مؤتمرها القرباني نجاحاً عظيماً

﴿ بولونية ﴾ قامت هذه الدولة حاجزًا قويًا في وجه روسيّة البولشفيّة وقد ارسلت الى رومية سفيرًا السيّد زامويسكي يؤمّل عقد معاهدة دوليّة بين جمهوريّة بلاده والكرسيّ الرسوليّ . امّا رئيس تلك الدولة فيُدعى فوجسيتشكوفسكي من ذوي الحذق في سياسة وطنه والتعمّق في دينه . وقد أيّد مشروع المندوبين في مناهضة طالبي فصل الدولة عن الكنيسة والتعليم اللاديني والزواج المدنيّ

وفي ٣ ايّار عقد الكاثوليك في غنيازنو مؤتمرهم الذي ترأسه الكردينال دَلبور رئيس اساقفة بوزن . ولرئيسي اساقفة فرسوفية السيد كاكوفسكي ورئيس اساقفة كراكوفية والسيّد الامير سابيها في سائر بولونية اعتبار عظيم وكلام مسموع في كل امور الدنيا والدين

﴿ روسيّة ﴾ توفي فيها رئيسها السابق لينين الّا انّ روحهُ الشيوعيّة الوبيلة لم تمت معهُ ولا يزال زعماء الدولة السوفياتيّة ينشرون في بلادهم مبادئهم الفتّالة بل اخذوا على نفسهم ان ينفثوا سمّهم الذعاف في كلّ انحاء العالم فقد بثّوا دعاتهم في الدول الاوربيّة كفرنسة وانكلترّة وايطالية ورومانية وبلجيكة بل في الدول القاصية كالعجم والهند واليابان والصين . واليوم قد انتبه كثيرون من ارباب الدول الى الخطر الناجم عن دعوتهم فاخذوا يبحثون عنهم ويطردونهم ويدرأون عن بلادهم شرّهم . واخذوا اليوم يتفحّصون في الصين نار الثورة فانتشرت الفوضى في البلاد بدسائسهم امّا اليابانيّون فردّوهم خاسرين . بخلاف رئيس الوزارة الجديدة في فرنسة ومشايعيه الذين يعرّضون بلادهم المشيوعيّة بمداراة روسائهم

وفي ١٣ نيسان اطلق السوفيّات سراح السيّد شيبلاك Ciplack بعد اعتقاله زمنًا طويلًا فخرج من روسيّة واستقبلهُ البولونيّون بكلّ تجلّة واكرام . وفي ٨ ايّار وصل الى رومية حيث اوقف قداسة البابا على احوال روسيّة ومظالمها . وقد ساعدت احوال روسيّة المضطربة كثيرين من المهاجرين على التقرّب من الكاثوليك بل على الاهتداء الى دينهم من جملتهم السيّد اسطفان دزوباي مع زهاء من ثلثين كاهنًا روسيًا

﴿اليونان﴾ خرج الملك جورج منفيًا من دولته وألغي حكم سلالة غلوسبورج على تلك البلاد في ٢٥ اذار واصبحت دولة اليونان جمهوريّة بعد تصويت الشعب في ١٦ نيسان

وقد اجتمع المسيو بوليتيس ممثّل اليونان وفتحي بك ممثل تركيّة للمفاوضة في امر رعاياهما ليخرج اليونان من اراضي تركيّة والاتراك من مواطن اليونان. فعرض لهما اختلاف في الآراء رُفع الحكم فيه الى جمعيّة الامم

ومما بعث السرور في قلوب الكاثوليك ان اليونان جروا على التاريخ الغربيّ دينيًا ومدنيًا اللهمّ الّا عيد الفصح الذي ثبتت الكنيسة اليونانيّة على عيده بموجب الحساب القديم. وكذلك قرّرت رومانية والروم في مصر اتّباع التاريخ الغربي فعسى ان يقرّب الامر قلوب الشعوب وينفي عنها حزازاتها السابقة

﴿البلقان ودُوَلهُ﴾ احسنت ﴿رومانية﴾ في مناهضتها للحركة البولشفيّة لكن اكليروسها الاورثذكسيّ اساء بوضع يده على كنائس الكاثوليك في مدينتي شيب وبويانا

في ثاني يوم من شهر [illegible] في سراجيفو نشر ﴿يوغوسلافية﴾ ووزير الخارجية فيها المسيو نينتشيش عن الكرسي الرسولي عقد معاهدة دوليّة فاجاب البابا بيوس الحادي عشر الى رغبتهما. وقد اجتمع الكاثوليك في زغرب تحت سيادة اساقفتهم في ٢٩–٣٠ ك ٢ فتفاوضوا في حلّ المشاكل الدينيّة واصلاح احوال مرؤوسيهم

في ٧ شباط نشر رؤساء اساقفة واساقفة ﴿تشيكوسلوفاكية﴾ رسالة عموميّة للدفاع عن التعليم الديني في المدارس وعن حرّية الدين. ولمّا جرت الانتخابات العموميّة كان عدد المصوّتين لحفظ التعليم الديني ٧٥ في المئة

وفي ١٠ ايار عقد الكاثوليك مؤتمرًا حافلًا في فلهراد حيث قُبر رسول الصقالبة القديس ميثوديوس فبسطوا الكلام عن اتحاد الكنائس مع الكرسي الرسولي وكان المترئس على هذا المؤتمر رئيس اساقفة اولموز وحضره السيّد مرماجي نيابةً عن الحبر الاعظم مع عشرين اسقفًا كاثوليكيًا وعدّة رجال من اعيان البلاد بينهم بعض المنفصلين سرّهم ما وجدوه بين الكاثوليك من سعة الافكار واللطف الجميل

(لهُ تتمّة)

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني

توطئة

يسرُّنا ان ننشر في كل فرصة فضل اولئك الرجال الابطال الذين عطّروا بسيرهم ومآثرهم الطيبة بلادنا الشرقية وبهم توثّقت علائقنا القديمة بالدولة الافرنسية الكريمة. واذا اتينا على نشر مثل هذه التراجم فانما نحن نقدّمها لابناء هذا العصر عبرةً لقوم يفقهون فيجدون فيها درساً لذيذاً ومفيداً يُطلعهم على احوال السلف وحوادث الايام وينكّب بهم عن المسالك المعوجّة الخطرة الى جادّة الحقّ والصواب ويبعث فيهم روح الاستماتة والتفاني في خير الوطن والعمل على الألفة والاتحاد الذي فيه القوة وعمران البلاد ويُقبل بهم الى التحدّي باصحاب الفضل الجزيل فان ذكر مآتيهم الغرّاء والاقرار بجميلهم جميل

فلاجل هذه الغاية قصدنا نشر ترجمة صاحب المبرّات الطيّب الاثر السيد فرنسوا بيكهْ الذي شغل في بلاد المشرق ثلاثة مناصب خطيرة كان في كلّها رجلًا مقداماً ليس لهُ من مقصد في جميع اعماله غير مجد الله تعالى وخير وطنهِ واصدقائهِ الشرقيين فان في ترجمته هذه فائدة للتاريخَيْن المدني والكنسي معاً كما سترى

وقد استندنا في ترجمته هذه على مؤلَّف نادر الوجود يحتوي سيرة السيد بيكه وضعهُ اسقف غراس السيد دَنْتلمي (١ فطُبع في باريس سنة ١٧٣٢ . منهُ نسخة في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين وقد استقى مؤلفهُ اكثر معلوماتهِ من مكتوبات السيد بيكه نفسهِ ومن شيخ فاضل كان في خدمة ذلك الحبر المفضال . واستعان

١) هذا عنوانهُ : Vie de Mgr François Picquet, par *Cl. L. Oct.* D'ANTELMY évêque de Grasse, *Paris* MDCC XXXII

ايضاً ببعض اصدقائهِ منهم المسيو فرنسوا مالفال من مرسيلية الذي نقل لهُ كل ما حوتهُ من المعلومات عن بيكه تواريخ (annales) الآباء المرسلين الكرمليين. وكان من اقوى مناصريه في هذا العمل الاب مرسلينوس رئيس معاملة الارض المقدسة والوكيل العام لرهبانية الكرمليين الذي اخذ كثيراً من مروياتهِ من سجلات مجمع انتشار الايمان بواسطة الكردينال سكريبنتي (Sacripanti)

وقد طالعنا ما جاء عن المترجم في مجموعة الآثار المسيحية في الشرق للمرحوم الاب رباط اليسوعي. وقد ذكره العلامة الدويهي مثنياً على همتهِ العالية وافضاله العميمة (راجع تاريخ الطائفة المارونيَّة وجه ٢٢٩)

ونحن نقسم هذه الترجمة ثلاثة اقسام بحسب الادوار الثلاثة التي تقلَّب فيها المترجم كقنصل دولتهِ ثم حلب ثم بصفة كاهن ومطران واخيراً كسفير فرنسة في العجم

القسم الاول

شبابه وفضيلته

مبادئ حياتهِ

﴿اهلهُ ومولدهُ﴾ وُلد فرنسوا بيكه في مدينة ليون يوم عيد الفصح في ١٢ نيسان من السنة ١٦٢٦ واصطبغ بماء العماد في كنيسة القديس منصور واسم ابيه غودفروا بيكه وامهُ حنَّة دي مونيري وكلاهما من أُسرة عريقة في الشرف والقِدَم قد جمعا بين التقى والغنى الكثير. وكان والده صاحب مصرف في ليون حائزاً بصدقه واستقامتهِ على ثقة جميع المحالّ التجاريَّة في اوربَّة. لكن الله باحكام عنايتهِ الغامضة جرَّدهُ من كل ثروتهِ ولم يبقَ له سوى مال زوجته يستعين به لقيام عيلتهِ المؤلفة من ستة اولاد ثلاث اناث وثلاثة ذكور ثالثهم فرنسوا بيكه صاحب الترجمة

اما شقيقا فرنسوا فبعد ان انجزا دروسهما زهدا في العالم وحدَتْ بهما نعمة الله الى الدخول في رهبانية الكرمليين الحفاة. وترهبت اثنتان من شقائقهِ الواحدة في دير القديس برنردوس والاخرى في دير الزيارة في ليون. وقد ابدى فرنسوا منذ حداثتهِ عما يكون لهُ من مستقبل باهر. وكانت مخافة الله تنمو فيهِ بنموّه في العمر فما بلغ السادسة عشرة حتى ازداد ميلهُ الى الصلاح وظهرت عبادته وتقواه بملازمة كنيسة

بنات مريم التي كانت قريبة من بيتهِ . فكان يحضر اكثر الاجتماعات الروحية والقداس الالهي الذي كثيرًا ما كان يسبق فيخدمه ويُعنَى بتنظيف آنية الكنيسة . وكان ذا مزاج دموي قوي يميل بهِ الى اللهو والملاذ فقمع ميله هذا الردي وصانهُ الله من معاثر الشبيبة التي كان معرَّضاً لها في ليون مسقط رأسهِ وذلك خصوصاً بحياده عن عشرة الشبان النازعين الى الملاهي واللذّات الباطلة

﴿أسفارهُ﴾ انجز فرنسوا دروسهُ الثانويَّة والفلسفية ممتازًا بين اقرانه بما طُبع عليهِ من الذكاء وبانكبابهِ على الدرس بحرص وثبات مع ملازمته لكل فرائض دينهِ الذي كان يقدّمهُ على كلّ مهامّ حياتهِ . واذ لم يكن لابيهِ من سَنَد يستند اليهِ في شؤون عيلتهِ سواه قطعهُ عن الدرس وصرف همّتهُ الى الاشغال البيتيَّة وتدبير المنزل ثمَّ اراد ان يمرّنهُ على الاسفار للمتاجرة مع البلاد الاجنبيَّة . فادَّت بهِ اسفاره الى زيارة رومية وكنيسة لوريتو الشهيرة ومرّ في عودتهِ على اهمّ مدن ايطالية فكان وصولهُ الى وطنهِ بعد اشهر في اواخر سنة ١٦٥٠ . وكان لم يرغب في جميع اسفارهِ الّا ما هو مفيد وشريف كما شهد بذلك رفقتهُ وسطّره هو في مذكراتهِ . وكان في ليون موضوع إعجاب مواطنيهِ لما تحلّى بهِ من الصفات ممتازًا بتقواه وطهارة حياتهِ موجّهاً رغبتهُ الى عمل الخير والقيام بسائر واجباتهِ واتمامها . ولمّا دنا وقت اختياره حالةً من حالات الدنيا لجأ في الصلاة الى إلهام الله تعالى كمألوف عادتهِ معتمدًا على احد المرشدين الاتقياء الفطنين . فلم يرضَ في الحالة التي يختارها في دنياه الّا بما يعود على خلاص نفسهِ غير ملتفت الى خير زمني او شرف او رغد عيش او منفعة شخصية

وكثيرًا ما كان يوجّه نظرهُ الى الترهُّب على مثال اخويهِ واختيهِ اذ كان يرى الدير حمى التقوى ومينا الخلاص يتحصَّنُ بهِ فينجو من شرور العالم ويأمن على خلاص نفسهِ . لكنَّ الله تعالى الذي كانت مقاصده في ذلك الشاب فوق ما كان يتصوَّر اراد ان يضع على المنارة سراجاً لا يرغب الّا في الاختفاء تحت المكيال . فتحوَّل فرنسوا عن فكرتهِ الاولى إمَّا لداعي صحتهِ ومزاجهِ النحيف الذي لا يستطيع ان يتحمَّل العيش القشف في الرهبانيَّة . امَّا حبًّا واحتراماً لوالديه الطاعنين اللذين كان لهما ابنهما هذا عضدًا وحيدًا . فعقد العزم حينئذٍ على البقاء معهما ليساعدهما في جميع حاجاتهما الى ان يرشدهُ الله بنوع صريح الى الحالة التي يختارها لهُ والطريق التي يتوخّاها

﴿ تعيينهُ لقنصلية حلب ﴾ وفي تلك الاثناء عرضت بعض ظروف عائلية اضطرّتهُ الى ان يسافر الى نورمندية وانكلترة وفي عودتهِ اقام مدة في باريس عرف فيهِ اهلها روحاً طيبةً تقرن حميّة الشاب بحكمة الشيوخ. وكان لذلك موضوع اعتبار الكثيرين من اهل الفضل والنبل منهم السيدة الدوقة داغويليون (Mme d'Aiguil-Ion) التي اشتهرت في فرنسة بعظم تقواها وثقوبة ذهنها ومحبّتها لصنع الخير ولتأييد الاعمال الرسولية في داخل الدولة وفي الخارج . فحدث أن فرغت قنصلية حلب سنة ١٦٥٢ بوفاة قنصلها انج بونين (Ange Bonin) المولود في مرسيلية وكانت تلك الوظيفة مطمحاً لابصار الكثيرين لمنافعها الجمّة ولأهمية مركزها لعلاقتها ليس فقط بالتجار الافرنسيين وغيرهم في الشرق بل بعمّال السلطان والباب العالي فضلاً عن انها كانت محطّ رحال التجار الآتين من الشرق الاقصى ومنها الطريق في البرّ الى بلاد العجم وغيرها من الدول الشرقية فكان لا بُدّ لقنصلها ان يكون محنّكاً في الادارة قديراً على احراز الثقة والنفوذ لدى اولياء الامور وجديراً بان يدافع بحزم عن حقوق التجار وينصفهم بعدلهِ واستقامتهِ وينتصر لهم عند الولاة العثمانيين وعمّال السلطان الذين كانوا يظلمونهم . ومن واجبات القنصل القيّم في بلاد غير مسيحية ان يدافع عن النصارى عموماً وكذلك خصوصاً لئلّا يسومهم المتسلطون خسفاً

فتوجّهت الابصار الى فرنسوا بيكه وانتُخب لهذا المنصب الخطير وصدّق انتخابه البابُ العالي لانه رغم كونهِ في السادسة والعشرين من عمره كان متحلياً بجميع الصفات اللازمة لهذا المقام من وداعة تسترقُ القلوب وفطنة نادرة وذكاء غريب ومعرفة واسعة في الادارة . ذلك فضلاً عن خبرتهِ وحسن سيرتهِ وكلاهما يضمن نجاحهُ في مهمّتهِ ويجعلهُ اقوى عضد للدين بمثالهِ الصالح . وقد سبق انّ ميلهُ كان الى خدمة الله في الحالة الاكليريكية او الدعوة الرهبانية اكثر منهُ الى الانشغال في مهامّ العالم فلم يقبل ذلك المنصب الّا اتماماً لرضى والديه اللذين كانا يعلّقان عليهِ الامل بقيام عيلتهما وتلبيةً لرغبة السيدة الدوقة داغويليون محاميتهِ التي كانت تؤمل انه يؤدي في وظيفتهِ خدماً جليلة للكنيسة وللوطن ويربح بذلك ثروة وافرة

وبعد ان عقد العزم على استلام مهمّتهِ رجع الى ليون لوداع والديهِ وما عتّم ان سافر الى مرسيلية حيث كانت السفينة بانتظارهِ فأبحر في شهر ايلول من سنة ١٦٥٢.

وبعد سفر ميمون دام شهرين رست بهِ السفينة في اواخر تشرين الثاني في ميناء الاسكندرونة فاستقبلهُ فيها نائبا قنصليَّة فرنسة وانكلترَّة وتوفَّرا على الاحتفاء بهِ والقيام بضيافته حتى ذهاب القافلة الى حلب التي وصلها بعد سفر ثلاثة ايام

﴿دخولهُ حلب﴾ وكانت حلب في ذلك الحين عاصمة سورية الشماليَّة ومركزًا للباشا حاكم الولاية ولقناصل الدول القائمين بحماية رعاياهم وحريَّة تجارتهم. وكان سكَّانها من مسلمين ونصارى لا يقلُّون عن ثلاثمائة الف نفس وكانت شهرة المسيو بيكه قد بلغت مسامع الحلبيين وعرفوا ما فيهِ من حنكةٍ ودراية ونزاهة واستقامة فنزل في قلوبهم من قبل ان ينزل بين اظهُرهم ولذلك كانوا ينتظرون قدومهُ بذاهب الصبر وقد احتفوا بهِ احتفاء عظيماً . فذهبت قناصل الدول في مقدمة الشعب الى استقبالهِ على مدخل المدينة واتوا بهِ الى دار القنصلية بابهى مجالي الاكرام والاعتبار. بحيث كان يخيَّل الى الناظر على قول شاهد عياني ان ذلك الاستقبال الحافل كان اولى بقنصل جميع الطوائف منه بقنصل دولة فرنسة وحدها. فكان كل الشعب يرغب بهِ وقد أثلجت صدورهم وبسَّت نفوسهم بمرآه كأنهم يشعرون سلفاً بما سيلقون من الغبطة والهناء مدة قنصليَّتهِ فكان يقابلهم بالشكر على تلك المظاهرات الحبيَّة وقد اعتقد جميعهم ان الله ارسلهُ لينقذهم مما كانوا يقاسون من المظالم

وبعد ان قام بالواجب نحو ولاة الامور في البلد وقبل التحيَّات من الاكليروس والمرسلين والتجار اراد ان يقف على احوال التجارة كما تقتضيه وظيفته. فما لبث ان استبطن امرها وسبَّر غورها بثاقب عقلهِ وبُعد نظره الذي اغناه عن البحث والتنقيب. فوجد ان احوال التجارة مختلَّة لسببين هما عدم ثقة التجار وظلم الباشاوات. فعزم ان يصلح كلَّ اختلال رآهُ. وبلوغاً للنجاح في عمله شرع يمنع جور الباشا واستبداده معتقداً انَّهُ اذا كسر شوكة وكبرياء ذلك الظالم سهَّل كل عقبة في سبيل وظيفتهِ واراح الرعية من كل جور وظلم

﴿فرنسوا بيكه وباشا حلب﴾ كان باشا حلب وقتئذٍ يسمى بشيرًا وكان رجلًا جائرًا عاتياً طمَّاعاً بخيلًا اعتاد النهب والسيطرة لاجل جمع الدرهم. على ان رعايا الاتراك كثيرًا ما كانت تئن تحت نير جور الولاة وكان الباب العالي واقفاً على تلك المظالم وسوء الادارة لكنَّهُ كان يغضُّ الطرف عنها تاركاً الولاة يمتصُّون كالعلقة دماء

رعاياهم حتى اذا ملأوا اكياسهم أمر السلطان بقتلهم فيستنزف لخزينته ما اكتنزوه ظلماً كأنهُ بعزلهم او قتلهم يدافع عن الشعب المظلوم. فباشا حلب كان بما فيهِ من شحٍ ووقاحة على شاكلة الحكام سلفائهِ. غير انه اضطرَّ ان يغيّر خطتهُ مع التجار الافرنسيين اللائذين بحماية قنصلهم فرنسوا بيكه الذي مخافة ان يسبق الباشا ويَشي بهِ الى الباب العالي لمقاومتهِ طغيهُ وبغيهُ اسرع واستدرك الامر فشكاه هو واستعان في اثبات شكواهُ بالمسيو دي لاهاي (De la Haye) سفير الملك لويس الرابع عشر في الاستانة وهو من خيرة الافرنسيين. وعرض بالتفصيل كل ما كان يأتيهِ الباشا من المظالم وما يفرضهُ من الضرائب على التجار مما يعرقل التجارة ويضرّ بخزينة الدولة

فلمَّا اطَّلع الوزراء على تلك الشكوى لم يسَعهم الَّا ان يلوموا اشدَّ اللوم مسلك ذلك الباشا لِما الحقهُ من الضرر بحرّية التجارة وامروهُ ان يرعوي عن سوء ادارتهِ وان يقف على خاطر قنصل فرنسة وان يتفاهم واياه بعد ذلك. فما كتسب المسيو بيكه بغيرته وجرأتهِ هذه ثقة الشعب واحترام التجار وكان غير المسيحيين يتعجّبون من استقامتهِ وعدلهِ. فانه جعل وظيفة القنصلية نوعاً من القضاء بحيث يكون للقنصل الولاية على التجار ويحكم في دعاويهم التجارية حكماً جزماً. وكان يُفرغ احكامهُ في قالب اللطف والوداعة حتى مع القضاة العاتين فيكفّهم عن سوء تصرُّفهم ويردّهم الى الصواب. فاصبحت قنصليته كمحكمة كنائسية وهو فيها اشبه براعٍ واسقف منه بقاضٍ وقنصل. قال عنه بعض الثقات: انهُ كان يقوم بهاتين الوظيفتين بوداعة ملائكية وكان الجمهور يشكر الله الذي اعطاهم مثل هذا المحامي المحبوب. وكانت العادة والشريعة تخوّلهُ حقوقاً كثيرة لكنهُ لزم في استيفائها حدّ الاعتدال فنال إعجاب التجار بنزاهتهِ وتجرُّدهِ فقدَّموا فيهِ عريضة شكو بتاريخ سنة ١٦٥٦ يثنون فيها على عدالتهِ وإبائهِ ذاكرين تخفيضهُ الضريبة على اموال التجّار فجعلها نصف غرش بعد ان كانت اثنين بالمئة وانَّ التجارة بعهدهِ راجت رواجاً عظيماً لمنعهِ كلَّ جور من قبَل الباشا وعمّال الدولة. فذهبت له شهرة في انحاء البلاد لم ينلها قنصل سواه. وكان كل ما يأتيهِ في قنصليتهِ من ربحٍ وفائدة يحوّلهُ الى الخير العام وتعزيز الامور الدينيَّة دون ان يفكّر بنفعهِ الخاصّ

﴿دفاعهُ عن حقوق القناصل﴾ وبينما كان التجار يتنعّمون بتلك الاجراآت العادلة عاد الخلاف فتجدّد بين القنصل والباشا . وكان القنصل في موقفهِ هذه المرّة ايضاً ملازماً جانب العزم والحزم . وكان سبب الخلاف ان الرنسيا وتركيا تشاجرا وبعد ان تقاذفا الشتائم وتهدّد احدهما الآخر توصّلا الى الضرب وانجلى العراك عن موت التركي . ولما لم يتمكن اهلُ القتيل من الإثنار لان القاتل لجأ الى القنصلية شكوا امرهم الى الباشا فارسل هذا الى القنصل يطلب تسليم الفريم آملاً من مروءتهِ ان يجيبه بالايجاب ، لكنّ القنصل اجاب بأنهُ لا حقّ لغيرهِ على رعايا ملك فرنسة وانهُ هو الذي يحتكم في هذا الامر وانه لا يستطيع ان يلبّي طلبهُ ما لم يجحف بحقوق وظيفتهِ ، فغضب الباشا من هذا الجواب وارسل على الفور جنداً ليقبضوا على القنصل . فلم يجزع بيكه من هذه المعاملة البالغة بل ظلّ رابط الجأش وهمّ بتسليم قومهِ الافرنسيين بحيث اصبحوا قادرين ان يقفوا وقفة الدفاع بازاء اعدائهم المتآمرين عليهم . فلما رآهم الجند على تلك الأهبة رجعوا أدراجهم ورأى الحاكم عجزهُ عن فضّ ذلك المشكل بالقوة فدعا القنصل الى داره ليتباحثا في الامر ويشرفاهُ بالطريقة الحبيّة . فابى بيكه تلبية الدعوة حذراً من حدوث ما لا تُحمد عقباهُ اذا لحقهُ إهانة او تعدٍّ ما . ولم يقبل الّا بعد الحاح الافرنسيين عليهِ واتخاذه جميع التحوّطات خشيةَ الغدر بهِ . فقابلهُ الباشا مبدياً لهُ استياءه من رفضهِ طلبهُ وعدم تسليمهِ القاتل فقال : « اني لم اعمل الّا بحسب الاصول والاتفاقات الدولية » . وأراه اوراقاً تنصّ على ذلك فكان مقتنعاً لكنهُ طلب ان يُشنق الجاني فأبى القنصل لانه كان ثبت لهُ ان الافرنسي لم يكن مستحقّ الموت اذ كان مدافعاً عن نفسهِ . فنصح لهُ واخرجهُ خفيةً من حلب مخافة ان يُحدث وجودهُ في المدينة بعض المشاكل

ووقع حادث آخر على هذه الشاكلة : قبض الاتراك على راهب كبوشي وجدوهُ يقدّس بعد شروق الشمس ولم يكن ذلك جائزاً للمرسلين في غير معبد القنصلية . فأودعوهُ السجن هو والاخ الخادم واذ دوى القنصل بالامر ذهب حالاً هو وجماعة من الافرنسيين الى السراي وطلب من الباشا الإفراج عن الرجلين فلم يكترث الوالي لكلامهِ فخاطبهُ القنصل عندئذٍ بلهجةٍ خرينة خرّة امتعض منها الباشا فامر بان يقتلوا ذينك السجينين . لكنّ القنصل عرف ان ذلك الامر انما هو وسيلة منهُ

لابتزاز المال فاسترضاه بان قدّم لهُ من الدراهم ما خلّص بهِ السجينين

﴿ لكبة بشير باشا ﴾ وحدث يوماً ان اللصوص المغاربة هجموا على نائب القنصلية الفرنساوي فردّهم بيكه هو ومئتا رجل افرنسي واراح المدينة من شرّهم فآل ذلك الى خجل الوالي الذي تغاضى عن هذا الامر الجوهري . وكان الباب العالي واقفاً على هذا التغاضي ومستاء منهُ فاراد ان يغتال الباشا كما فعل بغيره فرفع هذا راية العصيان وشقّ عصا الطاعة هو وغيره كثيرون من الآغاوات الذين كانوا يخشون ذات المعاقبة اي القتل واقاموا في حلب وضواحيها كما في معقلٍ حصين وكان عدد الثائرين مئة الف مقاتل عسكروا في الصحراء ليجبروا المدينة

فكانت تلك فرصة لا انسب منها لبشير باشا للتمرُّد على مولاه ولينتقم ايضاً من قنصل فرنسة بيكه الذي كان بفضلهِ وجميل فعالهِ كقذًى في عينهِ . لكن الباشا لم يُقدم على ذلك لغاية في النفس فاراد ان يتقرب من بيكه وان يجدّد علاقاتهِ الودية معه اكثر مما كانت مع الباب العالي وقد اضطرّه الى هذه المعاملة ما كان يراه للقنصل من الجرأة وما لهُ من النفوذ والمنزلة عند المسيحيين وعند الافرنسيين الذين كانوا يديرون حركة المدينة بتجارتهم ومعاملهم . فاستشارهُ الباشا في الامر فلم يجنّد القنصل تمرُّده على سيده بل اشار عليهِ بآرائهِ الرشيدة ان يخلص الخدمة للسلطان فذلك اوفق لهُ واسلم للعاقبة

فرضخ الباشا لهذا الرأي السديد الذي حقن الدماء ووقى البلاد من الويلات والنكبات . ولذلك ازداد بيكه اعتباراً وقيمةً في عين الشعب وعرف الباشا نفسه لهذا الاخلاص والمعروف وزاد ولاء نحوهُ ، ودلالةً على حبّهِ لهُ وولائه نصبهُ قاضياً ليحكم في جميع دعاوى المسيحيين السياسية والجزائية . فكان يُجري القضاء بكل نزاهة وعدالة حتى ان غير المسيحيين كانوا يرفعون اليهِ دعاويهم ليحكم فيها لثقتهم بعدالتهِ وفضلهِ وكان يهتمّ لهم ويساويهم بالمسيحيين

ولم يكن يذبي رغم مهامّ القنصلية والقضاء فرضاً لازماً لهُ بصفتهِ مسيحي اي اعمال البرّ والحسنات ، وكان مدخولهُ من وظيفته يساعدهُ على ذلك ولاسيما بعد ان نمت التجارة بفضلهِ وحسن ادارتهِ وكثرت ارباحها . فازدادت مداخيل وظيفته السنوية كثيراً لكنهُ كان يعدُّ كل ما يأتيهِ من المال كنزاً وضعهُ الله بين يديهِ ليعيش بهِ

السماء ويستجلب نعم الله ورضوانهُ عليه . فكان يتصدق على الفقراء في كل يوم وما كانت صدقته تفوت فقيراً في حلب وكان يقتصد في نفقاتهِ ويتخلّى حتى عن ضروريّاته احياناً لكي يحسن الى الفقراء وقد فتح بيتهُ لهم منزلاً من دون تمييز بلادٍ او مذهب كأني به ما اتى حلب ونُصّب فيها قنصلاً الّا ليشتغل ويعمل للمساكين الذين وقف نفسه على مساعدتهم وتوزيع الحسنات عليهم . وكانت صدقاته شاملة تتناول حتّى القرى المجاورة للمدينة

وكان لرغبتهِ في المثل الصالح وعملاً بتعليم الانجيل لم يأنف بما فيه من روح الوداعة والاتضاع المسيحي ان يُدخل وهو في وسط مدينة غير مسيحية عادةً غسل الارجل يوم خميس الاسرار لاثني عشر فقيراً كان بعد الغسل يبسط لهم مائدة انيقة ويخدمهم بذاتهِ ثم يصرفهم موقَرين بالحسنات وذلك تكريماً ليسوع المسيح في اخوتهِ واعضائهِ الفقراء . وكانت تلك الحفلة المؤثرة التي يقيمها كل سنة بكل نظام وترتيب وخشوع تستنزف العبرات من جميع الحاضرين

وإصلاحهُ لا [illegible] المسيحيين [illegible] وكان ينظر بعين دامية الى فقر الكنيسة الشرقيّة الروحي والى حالة المسيحيين المنفصلين عن الكنيسة الرومانيّة الذين لم يكن عندهم من الدين سوى التشوه . والكاثوليك انفسهم ما عدا الموارنة منهم كان قد دبَّ الفساد اليهم وأضرَّ باخلاقهم فأصبح الدين في تلك الارجاء أشبه بقبَس ينطفئ اذا هبَّت عليهِ نسمة محنة خفيفة . فكان يبذل كل المساعي الجدّية لانعاش روح الدين في الشعب للمنفصلين فدعا يوماً بطاركتهم واساقفتهم الى وليمة انيقة مع بعض اعيانهم وخطب مودّتهم بملاطفته اياهم فتركوا الحريّة للمرسلين ليدخلوا بيوت الشعب ويعلموهم تعليم الايمان الحق . وكان القنصل من جهتهِ يقربهم بموالاتهِ اياهم واعطائهم مثالاً صالحاً ويساعدهم في دعاويهم لدى الباشا

وفي تلك الغضون حدث ما وقف عائقاً في نجاح الاعمال الرسولية فكاد يعيد الخلاف بين القنصل والباشا بسبب مدير الجمرك المدعو اسحق اليهودي المذهب المبهور بالاصفر الرنّان فانّهُ إشباعاً لمطامعهِ اراد ان يتقاضى رسوماً فاحشة من التجار الافرنسيين . فعارضهُ القنصل وطلب من الباشا ان يساعده على قمع جشع ذلك اليهودي فلم يسمع لهُ لانهُ كان مرتشياً من اسحق المشار اليهِ الذي تقاضى الرسم كما ارادهُ . فصبر القنصل

على الضيم خشية المنازعة وشكى الامر الى الباب العالي وكان احد الوزراء قد اوغر صدر السلطان على بشير الظالم والثائر . فارسل مرتضى باشا لمقاومته . فأتى هذا حلب بجيش جرّار وما سمع بشير باشا بقدومه حتى خاف وخرج من المدينة الى الضواحي المدعوة جُدَيدة

اما القنصل فامر ان تُحفظ النساء والبنات المسيحيّات في أحياء محصّنة صوناً لحياتهنّ وشرفهنّ . فدخل القائد المدينة ظافرًا واستلم مقاليد امورها وانقاد لهُ سكانها وكان على أتمّ ولاء مع المسيو بيكه لان السلطان مولادُ كان امره بذلك وبان ينتقم من اسحاق اليهودي الجائر وان يخضع ويذلّ ذلك الباشا الثائر . امّا موالاتهُ للقنصل فكانت عظيمة حتى انهُ اراد ان يتقدّمهُ في زيارتهِ لهُ لكن القنصل لم يرضَ بل قام بواجب زيارة الباشا الجديد في السراي هو واعيان الفرنساويين . وكان الباشا مُعجباً بانسهِ ولطفه ومكبرًا قدره وحكمتهُ . وبمصافاة الاثنين سادت الراحة والطمأنينة في المدينة اذ انتصر الحاكم الجديد على الباشا الثائر واعوانهِ وفتك بهم وضمّ جميع الاهلين اليهِ فقدموا له تمام الطاعة والخضوع

وقد ازدادت الصداقة تمكنًا بين القنصل والباشا بحيث تمكّنت الالفة وبطلت الكلفة فلما زار الباشا المسيو بيكه زيارة صديق لصديقهِ عانقهُ وقال لهُ : « عافاك الله يا ابا الدقن الشقراء انك ماهر في ادارتك الامور فاني شاكر لك جدًا » ودعاه أبا الدقن الشقراء لان بيكه تبعاً لعادة البلاد وولاتها كان مُرخياً لحيتهُ الشقراء التي كان يعجب بها الاتراك . وكان الباشا يستشيره في اجراآتهِ وكانا يتزاوران ويتهاديان الالطاف والثياب الثمينة وقد خلع الباشا على القنصل بُردة من حرير زرقاء لا يلبسها في حلب غير المسلمين وقدم لهُ ايضاً جوادًا مطهّماً . وبتمكين الصداقة بين القنصل والحاكم استحكم الولاء ايضاً وحسن التفاهم بين الافرنسيين والمسلمين وزال كل نفور وتباعُد وكانت تضمُّ الطائفتين المجتمعات العمومية والروايات التمثيلية التي كان يتنافس القنصل والباشا في توفير الوسائل لتمثيلها توثيقاً لروابط الاخاء والمودة . وقد حضر الباشا رواية افرنسية سُرَّ جدًا بتمثيلها فأهدى الممثلين الفي ريال مجيدي دلالة الرضاء ومن مجاملاتهِ الخارقة العادة انه اراد ان يكرم صديقه بيكه فعزمهُ الى حفلة شائقة كان دعا اليها بعض اوانس وجهاء المدينة فكان بيكه يجاملهنّ وهو في غضاضة

شبابهِ متصوناً عفيفاً لا يمس زنبقة طهارتهِ اذى. وقدَّم لـه الباشا اثنتين من اجلهنَّ فقال لهُ القنصل: «اني شاكر لك جدًّا هذه المنَّة التي لا استطيع قبولها لاني تقيَّدت بنذر الزهد بالعالم واعتناق الدعوة الاكليريكية» فعجب الباشا من رفضه هذا ومن تلك الفضيلة السامية في من هو غضُّ الشباب وابدى لهُ عن زيادة اعتباره اياه وتعلقه بهِ

وقد بلغت ثقة الباشا وصداقته للقنصل الى حدّ ان اقامه موزعاً العطايا واعتمده في جميع اشغالهِ والقى بيده مقاليد اموره. وكان جميع التجار يهرعون اليهِ في جميع حاجاتهم. فاقامته حينئذٍ هولندة قنصلاً لها في حلب. وقد شهد شاهد عياني غير افرنسي بما كان للاوربيين من الهناء والراحة بفضل نفوذ المسيو بيكه وبغيرة هذا البطل على الديانة والكنيسة. وهذا الشاهد هو الاب ثنسان الكرملي الحافي الذي كتب فيه كتاباً ضافياً خلاصته إطراء اعمال ذلك القنصل الفاضل وغيرتهُ على المرسلين والتجار والرعية بوجه الاجمال ذاكراً اجراآتهِ النزيهة العادلة وما كان لهُ من المكانة والمحبة في القلوب. وقال كاتب آخر من ذات الرهبانية: «ان هذا الرجل المسيحي الشريف الاصل والكثير الغنى مالاً وفضلاً قد غنم محبة الجميع حتى اصبح مالكاً القلوب لا يجاريه في الكرم والسخاء احد». وقد ابان المسيو بيكه في تلك الظروف المؤلمة اي الثورة التي مرَّ ذكرها ان المحبة المسيحيَّة تعامل دون فرق اليهودي واليوناني القريب والغريب بالرفق مساوية بين الجميع ضمن حدود العدالة. ومرماه كان تعزيز الدين وتقدُّمهُ وقد خصص لذلك سني قنصليَّتهِ الست الاخيرة متخذاً جميع الوسائل ليثبت الكاثوليك في الايمان ويردَّ المنفصلين الى الكنيسة الرومانيَّة بما كان يصنعه من الخير مع الجميع وما يؤديه لهم من الخدم عند الباشا

﴿ محبَّتهُ للموارنة ﴾ واوَّل مَن شملهم عطفهُ ومودَّتهُ هم الموارنة من بقايا المسيحيين الاوَّلين فانَّهُ كان يحبُّهم محبَّة الاب لابنهِ ويغمرهم بنعماهُ ويحميهم بحمايتهِ ونفوذهِ ليس فقط في مدينة حلب بل في النواحي الخارجيَّة ايضاً. وكان لهم بواسطة اصحابهِ في الخارج ملاكاً حارساً وقد اوصى اباه بمن كان منهم في ليون وطنهِ لاجل جمع الحسنات من فرنسة للشرق وقد اجاب الاب رغبة ابنهِ وفتح بيتهُ منزلاً لهم ولغيرهم من الشرقيين. وقد اظهر محبتهُ للموارنة بالاخص في سنة ١٦٥٦ على اثر دنث حلّ بكنيستهم. وهو ان بشير باشا السابق ذكرهُ جار على هذه الطائفة فوضع

على كنيستهم ضريبة باهظة وبما انَّ فقرهم لم يكن كافياً لاشباع مطامع ذلك اللئيم ضبط آنية الكنيسة كلّها وما فيها من زينة ريثما يدفعون الضريبة فبات اولئك المساكين في حزن عظيم على عدم تمكنهم من إقامة طقوسهم الروحية بنوع لائق . فكان المسيو بيكه يشاطرهم احزانهم وينكسر قلبه لحالتهم وما كان يستطيع ان يساعدهم ابّان الاحوال المشؤومة . وذلك قبل ان يستتبّ السلام في المدينة بفضل الباشا الجديد فهبَّ لرأب هذا الصدع الذي كان يؤلمه . ومن كتاب له مؤرخ في ٤ اذار سنة ١٦٥٦ الى الكردينال رئيس مجمع نشر الايمان يستدل انه قد عرض للمجمع حالة شقاء اولئك الموارنة الاعزّاء . واستحلفهُ ان يساعدهم في حاجتهم هذه الماسّة فاجاب المجمع طلبه لما كان يسمع ويعرف من غيرتهِ وتفانيهِ ووهب ثلاثمائة ريال مساعدةً لهذا العمل الخيري . ولمّا لم يكن هذا المبلغ كافياً ليفي ما عليهم من ضريبة ليستفكّ آنية كنيستهم اضاف اليه هو مئتي ريال واستردَّ الآنية من يد المغتصب وسعى لدى الباب العالي ووزراء السلطان الى ان يصون الموارنة وكنيستهم من كل حَيف في المستقبل ونجح مسعاه فشكروا لهُ كل الشكر وحفظوا لهُ هذا الجميل وكانوا يعتبرونهُ حامياً عنهم ضدَّ ظالميهم وكان يشملهم بعطف الاب الشفيق

﴿القنصل بيكه واليعاقبة﴾ ثم وجه مساعيهُ الى ارتداد اليعاقبة اي السريان المنتسبين الى يعقوب البرادعي الراهب السوري الاصل تلميذ ساويروس الانطاكي زعيم الاوطاخيين الذي كان افسد بهرطقة اوطاخي في الجيل السادس انحاء ما بين النهرين وارمينية . وكان بيكه يؤمل ارتداد هؤلاء الضالين لما كان يراه فيهم من سلامة الاداب وحسن الاستعداد ويرجو ان يردَّ بواسطتهم السريان المنتشرين فيما بين النهرين اي في اورفا وديار بكر وماردين والموصل وبغداد وغيرها من المدن والقرى وفي سوريّة كدمشق والقدس وطرابلس وغيرها من المحالّ المتعلقة ببطريركية حلب . وكان اليعاقبة وهم في حلب خمسة الاف نفس يتبعون تعليم ديوسقوروس القائل ان ليس في يسوع المسيح الّا طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وكانوا ينكرون المطهر ويقولون بأنْ لا ثواب للاخيار ولا عقاب للاشرار الّا بعد يوم الدينونة وما كانوا يستعملون سرّ الاعتراف صحيحاً ويستشفعون في قداسهم ديوسقوروس وغيره من الهراطقة الذين رذلهم المجمع الخلقيدوني . وكانت القداسة عندهم بتلاوة الصلوات الكثيرة وممارسة

الاصوام والتقشفات الصارمة

فلم يدّخر بيكه وسعاً في استمالة اولئك التائهين في بيداء الضلال مستعملاً جميع الوسائل الزمنيّة والروحيّة اذ يكرمهم ببعض الالطاف ويجمعهم ايام الآحاد والاعياد ويشرح لهم حقيقة التعليم المسيحي الذي تُعلّمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة ويبيّن لهم ضلال البدعة التي هم فيها. فكانوا يتلقّون كلامه بتمام الارتياح والاصغاء ويؤثر فيهم اكثر من كلام احد المرسلين. وتوصلاً الى غايتهِ الشريفة في تعليم اولئك المساكين وإرجاعهم الى حضن امهم الكنيسة الرومانيّة اختار بعض فتيانهم من ذوي القابليّة للعلم والتقوى الصحيحة وارسلهم الى رومية حتى اذا استقوا هناك من منهل العلم والفضيلة اتوا بلادهم ونشروا فيما بين مواطنيهم انوار علمهم ورائحة يسوع المسيح الطيّبة وكان هو يقوم بنفقات سفرهم وتعليمهم اذ لم يكن يهمه بذل المال لنشر الايمان

وقد حاول ان يستميل بطريركهم المدعو شمعون ليزيل كل مانع يمنعهُ من ضمّهم الى الكرسي الرسولي. وتوصلاً الى ذلك كان يدعوه ذات المرار الى تناول الطعام معه ويبدي له من دلائل حبّه وعطفه. وقد وفى عنه ما كان عليه من الدين ولاجل ذلك كان البطريرك يودّ التقرّب منه ويرغب في مصادقته معتبراً اياها شرفاً.

وعلى اثر وفاة رئيس اساقفة السريان اغتنم بيكه الفرصة وطلب من البطريرك ان يقلّده جميلاً عظيماً وذلك بأن يقيم على الكرسي الفارغ مَن فيه الكفاءة فاجابه البطريرك وقد ادرك مراده أنْ اعتلّ على خاطرك. فسُرَّ بهذا الجواب وجمع الاباء المرسلين وخابرهم في الامر وافهمهم ان العناية دبّرت ذلك لان على هذه الفرصة المناسبة يتعلّق عليها ارتداد جميع السريان وسألهم ان يهدوهُ الى من يقوم بهذه المهمة الخطيرة. فانذهل المرسلون من غيرتهِ الغريبة ووجهوا انظارهم الى كاهن سرياني حلبي الاصل يدعى اندراوس قد اعتنق المذهب الكاثوليكي منذ سنين عديدة المرسلين اليسوعيين وبهمة الاب برونو الكرملي الحافي المرسل الشهير الذي مات برائحة القداسة سنة ١٦٦١

(لها بقيّة)

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١١ كَعْب بن جُعَيْل التغلبيّ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال ابن سلَّام في طبقات الشعراء (ص١٢٩): «هو كَعْب بن جُعَيْل (ويقال: ابن جُعَل) بن قُمَيْر التغلبيّ». وفصَّل الطبري في تاريخهِ (١: ٧٤٩) نسبهُ فقال: «كَعْب بن جُعَيل بن عُجرة بن قُمَيْر بن ثَعْلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُبَيْب ابن عمرو بن غُنم بن تغلب بن وائل». وجاء مثل ذلك في خزانة الادب لعبد القادر البغدادي (١: ٤٥٨) الَّا انهُ قدَّم قُمَيْرًا على عُجرة. ثمَّ قال: «ولكعب هذا اخٌ يقال لهُ عُمَيْر بن جُعَل بالتصغير» وقد دعاهُ ابن قتيبة في الشعر والشعراء «عُمَيرَة بن جُعَيل». وهو غير عُمَيرة بن جُعَيل الذي ورد ذكرهُ في المفضليات (ed. Lyall ص٥٢١—٥١٨) وقد روينا شعرهُ في شعراء النصرانيَّة (ص١٩٥) فهذا قد جاء هناك نسبهُ انهُ «عُمَيرة ابن جُعَيل بن عمرو بن مالك بن الحرث بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنم بن تغلب بن وائل» ومثلهُ في خزانة الادب (١: ٤٥٩) ثمَّ قال: «هو شاعر جاهليّ». وكانت امُّ كعب وعميرة تُدعى ليلى وهي من تغلب ايضاً

﴿زمانهُ﴾ عاش كَعْب بن جُعَيل في ايَّام الخلفاء الراشدين وبلغ عهد الدولة الامويَّة ذلك ما يستدلّ اليهِ من شعرهِ واخبارهِ كما سترى. الَّا انَّهُ كان مُسِنًّا في ايَّام معاوية وابنهِ يزيد ولعلَّهُ بلغ الى زمن عبد الملك عرفهُ الاخطل شيخاً في ذلك الوقت

﴿دينهُ﴾ لا نشكّ في نصرانيَّة كعب بن جُعيل وهو من تغلب القبيلة النصرانيَّة وشاعرها كمواطنيهِ القطاميّ والاخطل. وكان مكرَّماً في قومهِ النصارى المتمسين في دينهم. وانما يقال عنهُ انهُ شاعر اسلاميّ كما قيل عن القطاميّ بمعنى كونهِ لم ينبغ في

عهد الجاهلية بل اشتهر في زمن الاسلام. وليس في اخباره وشعره ما يُشعر بتغييره لدينه سوى كلمة سيأتي ذكرها رواها الرواة على صُوَر مختلفة لا يُبنى عليها برهان

﴿اخباره﴾ لا يُعرف من اخبار كعب إلّا ما رواهُ عنهُ الكتبة استطراداً.

روى صاحب الاغاني (٧ : ١٧٠) عن يعقوب بن السكيت انَّ كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب وكان لا يأتي منهم قوماً الّا اكرموهُ وضربوا لهُ قُبَّةً حتى انهُ كان تُعَدُّ لهُ حبال بين وتَدَيْن فتُملأ لهُ غنماً. فاتى في مالك بن جُشَم ففعلوا ذلك بهِ. فجاء الاخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها فسبَّهُ عُتبة بن الرِّعل (ويروى: الوغل) وردَّ الغنم الى مواضعها فعاد الاخطل وأخرجها وكعب ينظر اليهِ فقال: «انَّ غلامكم هذا لأخطل» والاخطل السفيه فقال الاخطل فيهِ:

سُمِّيتَ كعباً بشرِّ العظامِ وكان ابوكَ يُسمَّى الجُعَيلْ
وانَّ مكانَكَ من وائلٍ مكانُ القُرادِ من استِ الجَمَلْ

فقال كعب: قد كنتُ اقول لا يقهرني الّا رجلٌ لهُ ذِكرٌ ونبأ ولقد اعددتُ هذين البيتين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا فغلب عليها هذا الغلام[1]

وروى القحذمي خبر الاخطل على غير صورة قال (الاغاني): «وقع بين ابني جُعَيل (كعب وعميرة) وامّهما دَيْرٌ من كلام فادخلوا الاخطل بينهم فقال الاخطل:

لَعَمرُكَ انّني وابنَي جُعَيلٍ وأُمّهما لَإِسْتارٌ لَئيمُ[2]

فقال ابن جُعيل: يا غلام انَّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك ولولا انَّ امّي سَبيَّةٌ أَمِلكٌ لتركتُ أُمك يجدو بها الركبان. فسُمّي الاخطل بذلك وكان اسم امّهما وامّ الاخطل ليلى»:

وزاد ابن الكلبي عن قوم من تغلب في قصّة كعب بن جُعَيل والاخطل ما حرفهُ (الاغاني): «وكان الاخطل يومئذٍ يُقَرزِم (والقَرزمة الابتداء بقول الشعر) فقال لهُ ابوهُ: أبقَرزَمتك تريد ان تُقاوم ابن جُعَيل وضربهُ (قال) وجاء ابن جُعَيل على تَغنيَة ذلك فقال: من صاحب الكلام؟ فقال ابوه: لا تحفل بهِ فانهُ غلام اخطل ...

(١) روى البيهقي هذا الخبر في كتابهِ المحاسن والمساوئ (ص ٤٦٤) وختمهُ بقولهِ عن لسان كعب «فما رفعتُ رأسي حتى الساعة»

(٢) لإستار فارسيَّة معرَّب جهار اي اربعة. (اطلب ديوان الاخطل ص ٢٩٧)

فانصرف كعب ولجّ الهجاء بينهما »

وروى في الاغاني ايضاً (٤ : ١٣٠–١٣٢) انّ النابغة الجعديّ كان شاعراً متقدّماً وكان مُغَلَّباً ما هاجى قطّ الّا غُلب . هاجى اوسَ بن مَغْراء وليلى الاخيليّة وكعبَ بن جُعيل فغلبوهُ جميعاً . وممّا رواهُ من ردود كعب عليهِ قولهُ (من البسيط) :

اني لَقاضٍ قضاءً سوفَ يتبَعُهُ مَنْ أمَّ قَصْدًا ولم يَعْدِل الى أَوَدِ
فصلًا من القَوْل تأتَمُّ القُضاةُ بهِ ولا أَجُورُ ولا ابغي على أَحَدِ
سادت بنو عامر سَعْدًا وشاعِرَها كما تَسود بنو عبسٍ بني أَسَدِ

وقد اتّصل كعب بن جُعَيل في ايّام معاوية بابنهِ يزيد . اخبر ابن سلّام في طبقات الشعراء (ص ١٠٨) وقد سبق في روايتهِ هذه ابا الفرج الاصفهاني وغيرهُ من الرواة وهو قد توفي بالبصرة سنة ٢٣١ هـ (٨٤٦ م) قال : كان عبد الرحمان بن حسّان ويزيد ابن معاوية يتقاولان فاستفلاهُ ابنُ حسّان فقال يزيد لكعب بن جُعَيل : أَجِبْهُ عنهُ وأَهْجُهُ . فقال : والله ما تلتقي شفتايَ بهجاء الانصار ولكن ادلُّك على الشاعر الفاجر الماهر فتًى منّا يقال لهُ الغوث نصراني (يريد الاخطل) » فهجاهم بابياتٍ شهيرة لا حاجة الى ذكرها

وهذا الخبر عن كعب قد رواهُ في الاغاني ١٤ : ١٢٢) على وجه آخر قال انّ يزيد بلغهُ ان عبد الرحمان شبَّب برملة اختهِ بنت امير المؤمنين معاوية فقال لكعب : اهجُ الانصار . فقال : أفرَقُ من امير المؤمنين ولكن ادلُّك على الشاعر الكافر الماهر الاخطل . الخ

ورواهُ المبرّد في الكامل (ص ١٠١) بما يُشعر بإسلام كعب فروى عنهُ انهُ قال ليزيد : « أأهجو الانصار أزادي انت الى الكفر بعد الاسلام (ويروى : بعد الشرك) ولكن ادلُّك على غلامٍ من الحيّ نصرانيّ كأنّ لسانهُ لسانُ ثور يعني الاخطل الخ

فترى من اضطراب هذه الروايات انهُ لا يجوز ان نقرّر الإسلام لكعب دون بيّنةٍ واضحة ودليل قاطع

ومن اخبار كعب بن جُعَل انهُ حارب مع قومهِ في يوم صِفّين وكان موالياً لبني امية

كالاخطل وسائر عرب الشام في محاربتهم لعليّ . ولكعب في اليوم السابق لتلك الوقيعة رجزٌ رواهُ الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٩٢) :

أَصبحتِ الأُمّةُ في امرٍ عَجَبْ والمُلك مجموعٌ غدًا لمن غلَبْ
اقولُ قولًا صادقًا غيرَ كَذِبْ انَّ غدًا تهلكُ اعلامُ العرَبْ
غدًا نُلاقي ربّنا فنَحْتَسِبْ

وقال ايضاً يصف الفريقَيْن اهلَ العراق مع علي واهل الشام مع معاوية وهذه الابيات كتبها معاوية وارسلها الى عليّ بن ابي طالب لمّا خيَّرهُ برسولهِ بين البَيْعة او الحرب (الكامل للمبرّد ١٨٤ والدينوري ١٧٠ ووقعة صفّين) (من المتقارب) :

أرى الشأمَ تكرَهُ مُلكَ العراقِ (١ واهلُ العراقِ لهم كارهونا
وكلٌّ لصاحبهِ مُبغِضٌ يَرى كلَّ ما كان من ذاك دينا
اذا ما رَمَوْنا رَميناهُمُ ودِنّاهُمُ مثلَ ما يَعْرِضونا (٢
وقالوا عليٌّ إمامٌ لنا فقُلْنا رَضينا ابنَ هندٍ رَضينا (٣
وقالوا نَرى ان تَدينوا لهُ فقلنا لهم لا نَرى ان نَدينا (٤
ومن دونِ ذلك خَرْطُ القَتادِ وضربٌ وطعنٌ يُقِرُّ العيونا (٥
وكلٌّ يُسَرُّ بما عندهُ يَرَوا غثَّ ما في يديهِ سَمينا
وما في عليٍّ لِمُستَعتِبٍ مقالٌ سوى ضَمّهِ المحدثينا (٦

١) ويروى : اهل العراقِ ٢) ويروى في الكامل : يُعرِضونا
٣) هند امُّ معاوية ٤) ويروى البيت :
وقلنا نرى ان تدينوا لنا فقالوا ألا لا نرى ان نَدينا
٥) ويروى : يفضّ الشؤونا ٦) وروى ابن عبدربّه : لمستحدثٍ . . سوى عصمة المحدثينا

وايثاره اليومَ أهلَ الذنوب ورَفْعِ القصاصِ عن القاتلينا (١
اذا سِيل عنهُ زوَى وَجْهَهُ (٢ وعمَّى الجَوابَ عن السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ولا في النُّهاةِ ولا الآمرينا
ولا هو سَاءٍ ولا سَرَّهُ ولا بُدَّ من بعض ذا ان يكونا (٣

وجاء في الكامل للمبرّد (ص١٨٧) وفي الاخبار الطوال للدينوري (ص١٧٠—١٨١) انَّ علياً لما قرأ هذه الابيات قال للنجاشيّ: أجِبْ. فقال (من المتقارب):

دَعَنْ مُعَاوِيَ ما لن يكونا فقد حَقَّقَ اللهُ ما تَحْذرونا
اتاكم عليٌّ بأهل العراقِ وأهلِ الحجَاز فما تصنعونا
على كلِّ جَرْداء خَيْفانَةٍ وأشعثَ هِندٍ تَسُرُّ العيونا
عليها فوارسُ تَحْسِبُهم كأُسْدِ العَرِينَ حَمَيْنَ العَرينا
يرَوْن الطِّعانَ خِلالَ العَجاجِ وضَرْبَ القَوانِسِ في النَّقْع دِينا
همُ هزَموا الجَمْعَ جَمْعَ الزُّبيرِ وطَلْحَةَ والمَعْشَرَ النَّاكثينا
وقالوا يميناً على حَلْفَةٍ لَتُهْذي الى الشامِ حرباً زَبُونا
تُشيبُ النواصيَ قَبْلَ المَشيبِ وتُلْقي الحوامِلُ منها الجَنينا
فان يكرَهُ القومُ مُلْكَ العراقِ فقدْماً رَضِينا الذي تكرهونا (٤

١) وفيه: وايثاره لاهالي الذنوب. قال ابن عبد ربّه في العقد (٣: ٢٧١) اخذ كعب هذا المعنى من قول حسّان بن ثابت لعليّ: انك تقول ما قتلتُ عثمان ولكن خذلتُهُ ولم آمرْ بهِ ولكن لم أنْهَ عنهُ فالخاذل شريك القاتل والساكت شريك الناطق

٢) ويروى: حدا شبهةً. وسيل مخفّفة سُئِلَ ٣) ويروى: من بعد ذا. روى ابن عبد ربه:

ولا هو ناءٍ ولا شرَّهُ ولا آمن بعض ذا ان يكونا

٤) ويروى: وان تكرهوا الملك ملك العراق فقد رضي القومُ ما تكرهونا

فقولوا لـكَعْبِ أخي وائلٍ ومَنْ جعَلَ الغَثَّ يوماً سَمينا
جعلتُم عليـاً واشياعَـهُ نظيرَ ابنَ هندٍ أما تَستحونا

وقد روى البلاذري في كتاب الاشراف(١(ص٢١٢)البيتين الآتيين الكعب في مدح عبد الملك بن مروان (من الوافر):

أميرُ المؤمنين هُدًى ونُورٌ كما جَلّى دُجى الظُّلَم النهارُ
قريعُ بني أُميَّةَ من قُريشٍ همُ السِّرُّ المهذَّبُ والنُّضارُ

وقد سبق في اخبار القطاميّ (ص٢٧) انّ هذين البيتين من جملة قصيدة منسوبة الى القطاميّ رويناهما هنا لعظم شأن راويهما

واتّصل كَعْب بن جُعَل بسعيد بن العاص بن ابي أُحَيْحَة بن سعيـد بن العاص وكان امير الكوفة لعثمان وكان فصيحاً خطيباً قُتل في غزوهِ لطبرستان سنة ٣٠هـ (٦٥١م) واخبر في الاغاني انّ كعباً نزل عليهِ في المدينة. وقد امتدحهُ بشعرهِ وذكر الطبريّ في تاريخهِ (١ : ٢٨٣٨) قولهُ (من الطويل) :

فنِعمَ الفتى اذ جالَ جِيلانُ دونهُ واذ هبَطوا من دَسْتَبَى ثمّ أَبهرا (٢
تعلَّمْ سعيدَ الخَيْرِ أنّ مطيَّتي اذا هبَطَتْ أشفقتُ من أن تُعَفَّرا
كأنّك يوم الشِعْبِ ليثُ خَفيَّةٍ تجرَّدَ (٣ من ليثِ العَرين وأصحرا

وروى الجُمَحيّ في طبقـاتهِ (ص ٧٥–٧٦) انّ الفرزدق لمّا هرب من زياد بن ابيهِ في أيّام معاوية الى المدينة فاستجار سعيد بن العاص فاجارهُ فمدحهُ الفرزدق وكان الحطيئة وكعب حاضرين. فقال الحطيئة : هذا والله الشعر لا ما تُعَلِّلُ بهِ منذ اليوم

١) اطلب Anonyme arabische Chronik, *ed. Ahlwardt*

٢) جيلان حيّ من عبد القيس . ودَسْتَبَى كورة بين الريّ وهمذان في العجم . وأَبهر مدينة في نواحي اصبهان

٣) يوم الشِعْب من أيّام العرب ذكره الفرزدق . ويروى : تجرّى

أيها الامير فقال: كعب بن جُعَيْل فضِّلهُ على نفسك ولا تفضّلهُ على غيرك. فقال: بلى افضّلهُ على نفسي وعلى غيره ادركتَ مَن قبلك وسبقتَ من بَعْدك. وروى الطبري في تاريخهِ (٢ : ١٠٧) هذا الخبر على وجه آخر فقال انَّ كعباً لمَّا سمع شعر الفرزدق قال: هذه والله الرؤيا التي رأيتُ البارحة. قال سعيد: وما رأيت؟ قال رأيت كأني امشي في سكّة من سِكك المدينة. فاذا انا بابن قِتْرَة في جُحر (اي حُفرة) فكأنهُ اراد ان يتناولني فاتَّقيتُهُ (قال) فقام الحطيئة فشقَّ ما بين رِجلين حتى تجاوز اليَّ (١ فقال: قُلْ ما شئتَ فقد ادركتَ من مضى ولا يُدركك من بقي. وقال لسعيد: هذا والله الشعر لا يعلّل بهِ منذ اليوم (٢

﴿شعر كعب وطبقتهُ﴾ قد اخذ الضياع ديوان شعر كعب بن جُعَيْل. امَّا طبقتهُ فهي على قول ابن سلّام (ص ١٢٩) الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين يريد انهُ من الذين لم يشتهروا في الجاهليَّة وقالوا الشعر بعد الاسلام ونظمهُ في جملة الشعراء عمرو بن احمر الباهليّ وسُحَيم بن وَثيل الرياحيّ ثمَّ اليربوعي وأوس بن مَغراء القُرَيعي ثم السعديّ. ثمَّ قال: «وكعب بن جُعَيْل شاعر مُفلق قديم في اوَّل الاسلام». وهو يُدعى في كامل المبرّد (ص ١٨٧) شاعر اهل الشام. وقد ذكر لهُ القدماء ابياتاً متفرّقة نروي بما عثرنا عليهِ منها كقولهِ يمدح قوماً (شرح المقامات للشريشي ٢ : ٨٦) (من الكامل):

لا يَنكُثون الارضَ عند سؤالهم ... لِتَطَلُّبِ العِلَّاتِ بالعِيدانِ
بل يبسطون وُجوهَهم فترى لهم ... عند السؤالِ احسنَ الالوانِ

ولهُ في الرثاء قولهُ في عبيد الله بن عُمر بن الخطّاب لمَّا قُتل في صفّين (سنة ٣٧ هـ ٦٥٧ م) وقد رواهُ الطبري (١ : ٣٣١٥) وياقوت (٣ : ٤٠٣) وكتاب وقعة صفّين (٢١٣ و٢٦٦) (من الطويل):

ألَا انَّما تبكي العيونُ لفارسٍ ... بِصفّين أَجلَت خَيلُهُ وهو واقِفُ

١) وفي الاغاني (٢١ : ١٦٦) ما بين رِجليهِ حتَّى تجاوزهما
٢) وفي الاغاني (٢١ : ١٦٧) : لا ما كُنَّا نُعلّل بهِ انفسنا منذ اليوم

يُبَدَّلُ من أسماءِ اسيافَ وائلٍ وكان فتًى (١ لو أخطأتهُ المتالفُ
تركنَ عُبَيدَ الله بالقاعِ مُسلَباً تَمُجُّ دماً منهُ العروقُ النوازفُ (٢
يَنُوءُ وتملوهُ شآبيبُ من دمٍ كما لاحَ في جيبِ القميصِ الكتائفُ (٣
دعاهنَّ فاستسمعنَ من اينَ صوتُهُ وأقبلنَ شتّى والعيونُ ذوارفُ
يُحَلِّلنَ عنهُ زُرَّ دِرعٍ حصينةٍ ويُبدينَ عنهُ بعدهنَّ معارفُ
وقد صبرَتْ حول ابن عمِّ محمَّدٍ لدى الموتِ (٤ شهباءُ المباركِ شارفُ
فما برحوا حتى رأى اللهُ صبرَهم حتى أُتيحَتْ بالأكُفِّ المصاحفُ
بمَرْجٍ ترى الراياتِ فيهِ كأنَّها اذا اجتنحتْ للطَّعنِ طيرٌ عواكفُ
جزى اللهُ قتلانا بعينَ خيرَ ما جزاهُ عبادًا غادرتها المواقفُ (٥
ألا انَّ شرَّ الناسِ في الناسِ كلِّهم بنو أسدٍ انِّي لِما قلتُ عارفُ
وحالتْ تميمٌ بعدَها وربابُها وخالفتِ الجعداءَ فيمن يخالفُ
معاويَ لا تنهضْ بغيرِ وثيقةٍ فانك بعدَ اليوم بالذلِّ آسفُ

وقال في خزانة الادب (١ : ٤٥٨) : ولكعب هذا اخ يقال لهُ عُمَير بن جُعَيل وهو شاعرٌ ايضاً وهو القائل يهجو قومَهُ (من الطويل) :

كَسا اللهُ حَيِّي تَغلبَ ابنةَ وائلٍ مِنَ اللُّؤمِ اظفارًا بمَلْيا نُصولُها

١) ويروى : تبدّل . . وكان فتى ٢) ويروى : سلباً . ومسندًا يمجُّ نجيعاً . وفي الدينوري : تمجُّ دمَ الخرقِ العروقُ الذوارفُ . ويروى : تمجُّ دماً منهُ . وتمجُّ دماءُ والعروق نوازف
٣) ويروى : يبرُّ ويعلوهُ سآيبُ . . . ويروى : وتغشاهُ . . . اللفائف
٤) ويروى : ابن عمّ نبيّنا من الموت
٥) وروى ياقوت : بصفّين ما جزا عبادًا لهُ اذ غودروا في المزاحف (كذا)

قال ثمّ ندم فقال (من الطويل) :

نَدِمتُ على شَتْمِي المشيرةَ بعدما مضَتْ واستَتَبَّتْ للرُّواة مذاهِبُهْ
فاصبحتُ لا أَستطيعُ ردًّا لِمَا مضى كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ في الضرع حالِبُهْ(١

امّا الجمحيّ فانّهُ يروي هذه الابيات في طبقات الشعراء (ص ١٢٩) لكعب وقد اضاف اليها قولهُ (من الطويل) :

مُعاويَ أَنصِفْ تغلبَ ابنَةَ وائلٍ من الناس او دَعْها وحيًّا تُضارِبُهْ
قليلٌ على بابِ الامير لُبانتي اذا رابَني بابُ الامير وحاجِبُهْ
ولمّا تَدارَوا في تُراثِ محمَّدٍ سمَتْ بابنِ هندٍ في قُريشٍ مَضارِبُهْ

(قلنا) انّ في هذه الابيات نظرًا . فعلى قول صاحب خزانة الادب (١ : ٤٥٨) انّ البيت الذي قيل في هجاء تغلب «كما الله حيّ تغلب» البيت هو لعُميرة اخي كعب ابن جُعَيل المترجَم هنا . ثمّ ذكر (ص ٤٥٩) [illegible] عميرة بن جعل [illegible] نسبهُ وقال عنهُ انهُ «شاعر جاهليّ» على انّنا رأينا هذا البيت عينهُ في المفضّليّات (ص ٥١٨) في مقدّمة خمسة ابيات ونسبتهُ هناك ليست لاخي كعب بن جُعَيل بل لعميرة بن جُعَل بن عمرو الشاعر الجاهليّ . وقد اثبتنا نحن هذه الابيات في شعراء النصرانيّة (ص ١٩٥) لذلك الشاعر الجاهليّ مع ابيات أُخرى نونيّة رواها لهُ صاحب المفضّليّات (ص ٥٢٠—٥٢٢) وذكر منها في خزانة الادب ثلاثة ابيات . فترى ما وقع من الاضطراب في الروايات لسبب اتّفاق الاسماء.

ورُوي ايضًا لكعب في الحماسة البصريّة في باب الرثاء (١ : ٢١٠) (من الطويل) :

برابية الثَّرثار (٢ قبرٌ تُرابهُ يَضُمُّ الغمامَ الجودَ والشمسَ والبدرا
رأتْ تَغلبُ العُلْيا عند مُصابهِ عيونَ الأَعادي نحو أَعينها خُزْرا

١) ويروى : واصبحتُ لا اسطيعُ ردًّا لما مضى كما لا . . .
٢) الثرثار وادٍ عظيم في الجزيرة لبني تغلب يصبّ ماؤهُ في دجلة

وَوَدَتْ نُجومُ الجود يومَ حَمَلْنهُ على النَّعش لو كانت بأجمعها قبرا
مُنافَسةً منها عليهِ وضَنَّةً على الترب ان تمحو المآثر والفخرا
وما بَخَلَتْ عيناي بالدَّمع بعدهُ على هالكٍ الّا ذكرتُ لها عمرا(١

وروى لهُ ايضاً يهجو المُغيرة بن شعبة (٢ : ١٨٢) (٢ (من الطويل) :

اذا راح في قُوهيَّةٍ(٣ فتأزّرا فقلتُ ألا يَسْتَنْ في لبنٍ مَحْضِ
وتَحْسَبُهُ إن قامَ للمشي قاعداً لقلّة مِقْياسَيْهِ في الطول والعَرْضِ
فأقسمتُ لو حُزّت من استكِ بضعةٌ لما انكسرت من قرب بعضك من بعضِ
فيا خلقةَ الشيطان أقصِرْ فانما رأيتُكَ أهلاً للعداوةِ والبُغضِ

وفي معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٧٨) وفي تاريخ الطبري (١ : ٧٤٩) بيتٌ فرد لكعب التغلبي يذكر غزوة الملك تُبَّع الحميري للعراق قال (من الرمل) :

وغزانا تُبَّعٌ من حميرٍ نزلَ الحيرةَ في أهلِ عَدَنْ

والبيت تصفَّح في الطبري فرواهُ مكسوراً

وغزا تُبَّعٌ في حميرٍ حتى نزل الحيرة من ارض عدَنْ

وقد يروى لهُ ايضاً في شواهد سيبويهِ (من الرمل) :

صَعْدَةٌ نابتةٌ في حائرٍ أينما الريحُ تُمِلْها تَمِلْ

قال الصَّعْدة القناة المستوية. والحائر المكان المطمئنّ. شبَّه امرأةً في تأيُّلها بهذه القناة. ويلي هذا البيت اربعة ابيات غزليَّة (خزانة الادب ١ : ٤٥٧) نضرب عنها الصفح (لهُ صلة)

---

١) نظنُّ انهُ يريد عمرًا بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق قتلهُ عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م)

٢) كان المغيرة والياً على الكوفة وفيها توفي بالطاعون سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م)

٣) القوهيَّة الثياب البيض المنسوجة في قُوهستان كورة من العجم

الصهيونية وغاياتها

لحضرة الدكتور فرنتس كسافيه

(المشرق) سبق لنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٧٦٨-٧٧٨) مقالٌ مطوّل عن الصهيونيّة ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وها قد اتحفنا احد اصحابنا في فلسطين الدكتور فرنتس كسافيه بمقالة جديدة تتناول احوال الصهيونيّة خصوصاً بعد الحرب الكونيّة ومصادقة جمعيّة الامم على مواعيد بلفور لتجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود . فنشرها شاكرين لحضرته وهو عالم حق العلم بامور الصهيونيّة ومختلط باهلها ومطّلع على اخصّ كتاباتها . قال حضرتهُ :

مبادئ الصهيونيّة

كان مقصود الصهيونيّة في اوائلها ان تجمع اليهود المتفرّقين تحت كل كوكب في بلاد خاصّة بها . فما لبث زعماؤها أن أحسّوا بما يحول دون ادراك هذه الغاية ومن ثمّ اضطروا بأن يُنشئوا للصهيونيين كلّ ما يمكن من المصانع والمستعمرات ولاسيما في فلسطين والبلاد المجاورة . فحصل بذلك منازعات بين اليهود المستوطنين البلاد واليهود الصهيونيين تغلّب عليها الاميركيّون بما دفعوهُ من الاموال الطائلة لمساعدة الصهيونيّين فانشأوا لهم قبل الحرب في فلسطين المعاهد الواسعة . منها مدرسة في اورشليم لتهذيب المعلّمين ومدرسة تجاريّة . واقاموا لهم في حيفا مدرسةً فنيّة اوقفت الحرب إنجاز مبانيها وهي اليوم تامّة الاهبة . وأسّسوا في يافا المكتب المعروف بمكتب تيودور هرتسل وجهّزوا لهم مطابع تنشر الجرائد العبرانيّة وكتباً أخرى

الصهيونيّة بعد الحرب

كان عدد الصهيونيّين قبل الحرب قليلاً بالنسبة الى اليهود الوطنيّين ولم يزيدوا على ٣٠٠٠٠ في عامّة انحاء فلسطين . فما تمّ هذا العدد ان نما في زمن الحرب . ومن بعده نموّاً عظيماً حتى انهُ ينيف اليوم على المليون (واليهود في العمور يتراوحون بين ١٣ الى ١٥ مليوناً) . وقد نال زعماؤهم للانكليز كالدكتور فيسمان وسبوكولوف ان يصدّق

بَلفور بتقريره الصادر في ٢ت٢ سنة ١٩١٧ رغبتهم في ان يجعلوا فلسطين موطناً قومياً لذويهم وأعلن رسمياً باسماء زعمائهم . وقد دفعت انكلترة دولتي فرنسة وايطالية الى قبول هذا القرار فأثبتتاه مع كونه مجحفاً بحقوقها الراهنة على الاراضي المقدسة . فما لبث ان تحقق فعلاً بعد انتداب انكلترة على فلسطين

طار الصهيونيون فرحاً لهذه القرارات وأمّلوا وضع يدهم قريباً على انحاء البلاد لكنهم وجدوا في طريقهم سكانها العرب من مسلمين ونصارى يبلغ عدد الاولين ٥٨٣،٠٠٠ نفساً والآخرين ٨٥،٠٠٠ وكلهم يد واحدة للدفاع عن حقوقهم بازاء الدخلاء من اليهود الذين زعمت انكلترة رسمياً انّ عددهم كان في السنة ١٩٢٢ ثمانين الفاً . فتحفّزوا لردّ غارات المهاجرين فحصلت بين الفريقين مناوشات شتّى في القدس الشريف وفي يافا وفي المستعمرات الاسرائيلية سالت فيها الدماء . وخصوصاً في شهر أيار من السنة ١٩٢١ في مستعمرة « فتح تقوى » حيث تداخل الجند البريطاني في القتال فنفذوا بين المقاتلين بالسيارات المصفّحة واطلقوا عليهم المقذائف فاسفر النزاع عن ٩٥ قتيلاً منهم ٤٨ عربياً و ٤٧ يهودياً وعن ٢١٩ جريحاً مع ضرب الصفح عمّن اختلسهم اصحابهم فدفنوهم سرّاً . وكانت نتيجة القتال توقيف المهاجرة مدّة الّا انّ قرار بلفور بقي ثابتاً لكنّ انكلترة حصرت نوعاً تحديدها للفظة « الوطن القومي » وافهمت بذلك اصحابها الصهيونيين انّهم تجاوزوا الحدود . ففطن الصهيونيون للامر واخذوا حِذرهم من العرب وحاولوا التقرّب اليهم . لكنّ ذلك لم يثنِ عزمهم عن ما توخّوهُ من تحويل فلسطين الى دولة يهوديّة

مساعي الصهيونيين في اقتناء الاملاك

يفرغ الصهيونيون اليوم كنانة جهدهم لاقتناء ما امكنهم من الاملاك في انحاء فلسطين ليوفّروا بذلك عدد اليهود المهاجرين اليها . وهم يحققون رغبتهم فعلاً بما يسلفهم من المال المصرفُ الوطني الاسرائيليّ والمصرف اليهودي البنائيّ . واليهود يعتبرون ارض فلسطين كملكهم الخاصّ اغتصبها منهم الاجانب فيجب استفكاكها من يدهم فلذلك يدعونها في لغتهم بارض الفدى التي يلزم نزعُها من مالكيها . فالمصرف الوطنيّ الاسرائيليّ يدفع اليهود الى استملاك الاراضي بطريقة خفيّة وهي

على قولهم «وقفٌ لاسرائيل ابديّ لا يجوز تبديلهُ» ثمّ يتبعهُ المصرف البنائيّ فيحمل اليهود في كلّ الاصقاع على المهاجرة الى فلسطين ويسهّل لهم السفر على نفقتهِ ثم يساعدهم على الاستعمار والاستيطان في مواطن اجدادهم بعد نزعها من ايدي الغرباء وتهويدها. فتلك هي الغاية التي يتوخّاها الصهيونيّون بتنمية الاستعمارات اليهوديّة وتقرير اصحابها نهائيًا في فلسطين

واعلم انّ في فلسطين حاضرًا ٨٢ مستعمرة يهوديّة منها ٣٥ قد انشأها المصرف البنائيّ في هذه السنين الثلث الاخيرة ففي السنة ١٩٢٣ انفق لهذه الغاية ٨٠،٠٠٠ ليرة انكليزيّة وفي السنة الماضية بلغت هذه النفقات ١١٥،٠٠٠ ومن ثم ترى انّ المصرف البنائي صلةٌ للمصرف الوطني يتعاضدان ويتكاتفان. فهذا الاخير يجدُّ في استملاك الارض بما يتبرّع بهِ من المال. وذاك يسعى بتعمير الابنية وبسُكناها وانّما يدفع لذلك ما يعشّره من مال اليهود. فبواسطتهِ تُنشأ المستعمرات وتُجهّز بكل لوازم العاش وتُبنى المدارس وتُفتتح المعاهد المختلفة وتُعبّد الطُرق الخ. وهذا المال يجمعهُ زعماء الصهيونيّة في كلّ انحاء المعمور. وبينما انا ادوّن هذه الاخبار علمتُ بان الصهيونيّ اوسيشكين (Ussischkin) يطوف في انحاء اوربة ليجمع هذا المال تاركًا لزعيمهم فيزمان (Weizmann) ان يقوم بهذه الخدمة في اميركا. وخلاصة خطبهِ انهُ يجب على كلّ اسرائيليّ ان يدفع قسطهُ من المال لمفاداة فلسطين ولتعمير ارض الميعاد. بل يتحتّم عليهِ ان يحتال لدى غيرهِ بجمع المال المذكور. وقد نشر ربّي ابراهام اسحاق كوهن حاخام ارض اسرائيل عريضةً في رأس السنة الاسرائيليّة في غرّة تشرين الاوّل يحضُّ كلّ الموسويّين المتفرّقين في العالم باسم الجمعيّة الوطنيّة ويدعوهم الى مساعدة المصرف الوطني ليتمّ بأقرب وقت افتداء الاراضي المقدّسة من ايدي الغرباء. (מידי בנרינכר)

تصريحات الصهيونيين في ياد غاياتهم

ودونك ما كتبهُ مؤخّرًا زعيم الصهيونيّين أوسيشكين في احدى مجلّاتهم عن افتداء اليهود للاراضي المقدّسة (١ قال :

١) اطلب مجلّتهم Jüd. Presszentrale, Zürich, n° 307, 28 Août, 1924

« انّ فلسطين حاضرًا تسمو نموًا سريعًا من جهة السياسة ومن جهة الاقتصاد فمن الواجب اللازب ان شئنا ضمان مستقبلنا ان نسعى في امتلاك اراضيها . لأنّ الاوطان للأكي ارضها وسكّان قراها المتأصلين في تربتها دون سكّان مدنها . وعلى هذه الصورة ترى بلاد تشيكوسلوفاكية وليتوانية وليتونية قد صارت لاهلها التشيكوسلوفاك واللتوانيين واللتونيين اصحاب قراها وارضها مع انّ معظم اهل مُدُنها من العنصر الالماني والروسي الخ . فان لم نمتلك نحن ايضًا اراضي فلسطين ونستعمرها بانشاء القرى فيها فلا أمل من ان نجعل فلسطين وطنًا لنا وستبقى عربيّة . فيتحتّم اذن علينا قبل كلّ شيء ان ننشئ القرية اليهوديّة . وهذه مهمّة جليلة وخطيرة تستدعي الضحايا الماليّة البالغة ثم تلزم اليهود ان يعودوا الى حياتهم القديمة من فلاحة واستعمار بعد ان فقدوها منذ تشتّتوا بين الامم وفقدوا وطنهم الاصلي . فلندع للافراد من اليهود ان ينشئوا لهم «المدينة اليهوديّة» اما نحن الصهيونيين فلنبادر الى تعمير « القرية اليهوديّة» . نعم انّ لنا في فلسطين ثمانين قرية وانّما هذا بدء العمل . فمن الواجب الحصول على الاملاك حاضرًا ولا نؤجّل عملنا . فليس صعبًا على اليهود عاجلًا او آجلًا ان يحتكروا التجارة والصناعة والتعليم ويغلبوا بمئات المهاجرين فلا بأس ان ابطأوا في هذه الاعمال المنوطة بارادتهم . امّا امتلاك الاراضي فليس هو في وسعنا وانّما هو منوط بالبائع . اترى نستطيع اليوم ان نقتني املاكًا واسعة في سويسرة وهولندة وبلجيكة ولو حصلنا على مليارات من المال؟ . فهكذا يقال ايضًا عن فلسطين أن تأخّرنا عن ابتياع اراضيها . فاليوم الامر سهلٌ والفرصة مناسبة وسيصبح غدًا من المحال . ولانها انّنا نرى العرب قد انتبه فكرهم الى صالحهم واخذوا يشعرون بوجداتهم ومن ثمّ نحسب كلّ تأخير في امتلاك الاراضي الفلسطينيّة كجرم لا يُغتفر

وقد صرّح الكاتب نفسهُ عمّا اراد بقوله « ان الفرصة اليوم مناسبة » قال :

« مساحة الارض في فلسطين تبلغ عشرين مليونًا من الدونم (الدونم ٩٤٤ مترًا مربّعًا و ٦٥ سنتيمترًا) فللحكومة منها ثلثون في المائة و ٣٥ املاك للفلّاحين ومثلها للملّاكين الاغنياء . وكان املنا ان تهبنا الحكومة اراضي واسعة فخاب ذلك الامل . فلا يبقى الّا الافندية الاغنياء الذين لا يأبون بيع املاكهم من مشتريها ان وجدوا ربحًا في بيعها . وغايتنا خاصّة امتلاك سهل اسدرلون (مرج عامر) وسواحل البحر والبلاد الممتدّة بين يافا والقدس »

ثمّ اردف قائلًا :

« ولا بُدّ من السرعة لانّنا ان تأخّرنا ولم نستحضر حالًا مبالغ طائلة تفوتنا الفرصة الموافقة ولن نعود نحصل على الاراضي المرغوبة فيصبحنا في فلسطين ما يصيبنا في بقيّة البلاد انّنا نبقى منفردين في احيائنا (Ghetto) . وليس الغاية من سفري الى انحاء المعمور الّا لأنقذ بني جلدتي الصهيونيين وغيرهم من هذا الخطر الجسيم . والمصرف الوطني اليهودي يمثّل شعب اسرائيل لمساعدة افتداء الوطن . ولم يبتدئ بجدّ الشغل الّا من ثلث سنين لانهُ في التسعة عشر عامًا السابقة لم يستخلص الّا ٢٠,٠٠٠ دونم وكان همّهُ الوحيد الاستعمار . امّا في السنين الثلث الاخيرة فانّهُ افتدى ٩٠,٠٠٠

دونم ووضع اساس مشروع الوطن الاسرائيلي في سهول يزرعيل (بني عامر) . ونرادنا اليوم ان نجمع نصف مليون ليرة انكليزية لنشتري مئة الف دونم من الاراضي التي ينبغي استغلالها . وأمَلي أن أحصل منها في اوربَّة على مئتي الف ليرة ومثلها في الولايات المتحدة . فيبقى مئة الف سأجمعها من كندا والارجنتين وافريقية الشماليَّة والجنوبيَّة ومن فلسطين وسوريَّة . وقد باشرنا بتحقيق نيَّتنا في اوائل شهر آب من هذه السنة ١٩٢٤ اذ اقتديناه ٤٠,٠٠٠ دونم من سهول يزرعيل . . وسنفوز ان شاء الله بالضالَّة المنشودة ونشتري مئة الف دونم »

فترى من هذا الكلام ان غاية اليهود القصوى وضع يدهم على فلسطين فاذا ملكوا اراضيها اصبحوا ملوكها بما ينشئونهُ من القرى والمزارع فتخرج من ايدي اصحابها العرب

ومن ثمَّ يلوح ان مستقبَل فلسطين هو اليوم في ايدي العرب لاسيما الافندية من كبار الملاكين الذين يطمع اليهود في ارزاقهم

العوائق في سبيل الصهيونية

ولكن ان حسبنا قيمة ما في يد هؤلاء الملاكين بالنسبة ٣٠ مليوناً من الليرات الانكليزيَّة رقيمة ما تمكنهُ الحكومة مسارياً لهذا الثمن بل بالغاً الى ٦٠ مليوناً فيلزم الصهيونيِّين لوضع يدهم على املاك فلسطين ان يجمعوا ملياراً ونصف من الفرنكات الذهبيَّة . وليست هذه القيمة سهلة الوجود . فمن المرتاب ان يدرك الصهيونيُّون غايتهم

وزد على ذلك انَّ المهاجرين من اليهود الى فلسطين مع كثرتهم وتسهيلات الحكومة في استقبالهم لم يبلغ عددهم ما كان يؤمله زعماء الصهيونيَّة . فانهم كانوا ينتظرون للعشر السنين بعد انتداب انكلترَّة على فلسطين مئتي الف مهاجر وفي الاحصاء الرسمي انهم منذ سبع سنين اربعون الفاً فقط ويدخل في هذا العدد خمسة آلاف منهم كانوا في فلسطين قبل الحرب فيكون عدد الواردين ٣٥,٠٠٠ ومن هؤلاء ١٨,٠٠٠ فقط يشتغلون بالاستعمار . والباقون (١٧,٠٠٠) حلُّوا في تلّ ابيب (Awiw) وفتحوا لهم دكاكين صغيرة وقهاوي يبيعون فيها « الغازوزة » ويضطرُّون الناس الى رفع ثمن ايجار البيوت ويعرقلون معاش السكان السابقين ويلجئونهم الى مغادرة البلاد

ثمَّ ليس المستعمرون كلّهم من ذوي الجدارة فانّما اغلبهم تجّار وكتبة وادباء اخذوا على نفسهم الشغل بالاستعمار ليس طبعاً بل تطبّعاً تنشيطاً لفكر الصهيونيّين.. وهيهات ان يثبتوا على ذلك زمناً طويلاً وان ثبتوا فمَنْ يضمن لنا ثبات اولادهم من بعدهم. ولذلك ترى زعماء الصهيونيّة ممتعضين من الامر يشكون همّة المهاجرين في تحقيق نيّاتهم. وما لا شكّ فيه انّ اليهوديّ لا يحبّ السكنى في القرى وان سكن فيها مدّة غادرها ان وجد فيها أدنى مشقّة فيبدلها بالتجارة الصغيرة. وكثيرون منهم يقدمون الى فلسطين ورأسُ مالهم من مئة الى ثلثمائة ليرة انكليزيّة ومن ساعتهم يبتنون لهم بيتاً بالدَّين ان امكنهم ثمّ يفتحون دكّاناً يبيعون فيه جبناً او ابازير او يتّخذونهُ للحلاقة والتزيين

فلا بُدَّ اذن ان يمضي زمن مديد قبل ان يبلغ عدد اليهود المحتلّين في فلسطين مليوناً فكم ينبغي لذلك من المصاريف التي سيتكلّفها المصرف البنائي اليهوديّ فلا غرو انّها ستبلغ الملايين العديدة من الليرات. ومهما كان اليهودي ذا ثباتٍ في مقاصده ولو مرّت عليه مئات السنين لا بُدَّ ان اليهود المنبثّين في العالم سينفرون عن دفع هذه الاموال دون طائل وافادة (١

الصهيونية السياسية

من المعلوم انّ الصهيونيّة الاقتصاديّة استعداد للصهيونيّة السياسيّة ليصير الحكم في فلسطين لدولة يهوديّة. لكنّنا نشك في نجاح هذه كما شككنا في نجاح تلك. وذلك لان الصهيونيّة السياسيّة لا يمكنها ان تستغني عن القوّات البريطانيّة والجيشُ البريطاني يكلّف الصهيونيّين ملايين من الليرات الانكليزيّة فوق ما يتكلّفونهُ للمهاجرين. فانّ نفقات هذا الجيش بلغت في السنة ١٩٢٢ مليونين من الليرات وفي

---

١) وقد اقرّ الصهيونيّون في المؤتمر الثالث عشر الذي عقدوهُ في كرلسباد سنة ١٩٢٣ انّ عدد اليهود المهاجرين سنويّاً الى فلسطين يتراوح بين ٦ الى ٨ آلاف نسمة. وقالوا « اننا نعجز عن بقاء هذا العدد السنوي ما لم يتبرّع المحسنون عليهم بمبالغ اعظم. وليس لدينا الوسائط لنقدّم للمهاجرين معاشهم وما يحتاجون اليه من الوسائل للفلاحة والتجارة والصناعة. واغلبهم لا مال في يدهم »

١٩٢٣ اكثر من مليون ونصف

فكلّ هذه الاعتبارات تكشف لنا الستار عن احوال الصهيونيّين السيّئة فهما سعوا بتعبية خزائنهم الماليّة وبالقيام بالمشاريع الحاضرة فانّ ذوي العقول الراجحة لا يؤملون خيرًا من مساعي الصهيونيّين وقد وجدنا في كتابات بعضهم اقرارات مثل هذه «انّنا مشرفون على أزمةٍ وافلاس لم يحصل مثلهما حتى الآن في تاريخ الصهيونيّة»

اكان اليهود في حاجةٍ الى موطن قومي ؟

هذا سؤال نختم بهِ مقالنا وقد اجاب عليهِ السنيور الايطالي تريتوني في كتاب حديث عنوانهُ «الصهيونيّة ومشاكلها السياسيّة في فلسطين (١ قال المؤلف : «لا يخفى على احد انّ اليهود منذ نحو الفي سنة لا دولة تجمعهم . فانهم متشتتون بين كل الامم يتمتّعون فيها بذات الحقوق والواجبات التي لاهلها ولا يفرقهم عنها سوى دينهم اي شريعتهم والتلمود . لكن الدين في عُرف الصهيونيّين كما في عُرف معظم الدول الحاضرة هو امر الضمير الخاص . ومن ثمّ ليست غايتهم إحياء «اليهوديّ الديني» بل إنعاش «اليهوديّ الوطني» وقد توالى في التاريخ ذكر أمم تلاشت من الكون انما ذكرهُ لأمّةٍ قامت من قبرها فذلك مما يجهلهُ التاريخ تماماً . فيجب اذن القول بانّ الدولة اليهوديّة ان تمّ انشاؤها فعلًا ستكون كبقيّة الدول مجرّدة عن الدين فيعيش فيها اليهوديّ الموسويّ واليهوديّ النصرانيّ واليهوديّ المسلم واليهوديّ البروتستانت واليهوديّ الملحد كما ترى في انكلترة مثلًا الانكليزيّ البروتستانت والانكليزيّ اليهوديّ والانكليزي الكاثوليكي . فان قال الصهيونيّون : كلّا لا يدخل في هذه الدولة الّا المتديّنون من اليهود الجارين على سُنن دينهم اجبناهم : أفتطردون من دولتكم المنتظرة الالوف المؤلّفة من اليهود الاحرار الفكر المتشيّعين لكلّ الآراء العصريّة؟ أفلعلّكم تفعلون كما فعل اجدادكم في زمن المسيح اذ تهدّدوا كلّ من يؤمن بهِ ان يطردوهُ من مجامعهم ؟»

ولا يذهلنّ احد عن حالة اليهود في فلسطين قبل اعلان بلفور فانّهم كانوا فيها

(١ TRITONI : Il Sionismo e le sue difficoltà politiche in Palæstina

كغرباء. فان مُنحوا الآن وحدهم حقّ السكنى فيها كوطنيّين مع قلّة عددهم وقع الظلم في بخس حقوق الاكثريّة الذين كانوا اهل البلاد الشرعيّين اعني العرب المسلمين والنصارى. فتفضيل اليهود عليهم بحجهم وطناً قومياً جرح أليم في نفوسهم وخطر دائم على استقلالهم لا يستطيعون غضّ الطرف عنها مهما اجتهدت الكلترة بان تلطّف معنى الوطن القومي. فانّ الصهيونيّين يطنون جهاراً بنيّاتهم الصحيحة. ولا أمل البتّة في امتزاج العنصرين العربي واليهوديّ طالما يعتبر اليهود انفسهم كالشعب المختار والعنصر الاشرف ويعتبرون سواهم دونهم رتبةً. والتاريخ اليهوديّ قد بجّن في عقولهم ما رواهُ سفر التكوين انّ اسمعيل واسحاق لا يستطيعان العاش في بيت واحد

وكما انّ الصهيونيّة خطرٌ على العرب المسلمين كذلك خطرها على النصارى واضح وهم يكرمون فلسطين كموقع الاراضي المقدّسة التي قدّسها السيّد المسيح فلو صار الامر في حوزة اليهود أفيُبقون شيئاً ممّا يكرمهُ النصارى؟. وقد رأينا في هذه الآونة الاخيرة الشتائم التي وجّهها بعض اليهود لشخص ابن الله فاثاروا عليهم بذلك بغض النصارى والمسلمين معاً فقامت للاحتجاجات في كلّ ناحية على وقاحة دوار هيوم ولم يسكتوا حتى برز الحكم على صاحب تلك الجريدة بغرامة ماليّة وتخطئة كلامهِ الذي

الختام

فخلاصة الكلام انّ الصهيونيّة خطر مستديم. وليس من وسيلة لإخماد الحركة العربيّة ما دام الصهيونيّون يسعون الى انشاء وطن قومي في فلسطين. وهذا ممّا يلوح كلّ سنة في التظاهرات والاحتجاجات التي يقيمها الاهلون برصانة وثبات في ثاني يوم من شهر تشرين الثاني الذي فيهِ اعلن بلفور قرارهُ المشئوم. ولا امل لليهود انّ يعيشوا يوماً بامان تامّ في موطنهم هذا. وكلّهم ولو بلغ عددهم مئات الوف سيُعتبرون كشوكة اليمة في عين عرب فلسطين. يشاركهما في نفورهما كلّ عقلاء الاوربيّين. وانّهُ لضلال مبين سيّئ العقبى تنشيط الصهيونيّين في مساعيهم وتسهيل المهاجرة الزائدة لليهود نحو فلسطين. ولا بُدّ ان تخيب يوماً آمالُ الصهيونيّة السياسيّة. وعلى كلّ حال انهُ لمستحيل ان تُحلّ المسألة اليهوديّة على هذا المنوال بل ستزيد ارتباكاً وخللاً انار الله بصائر الساعين بهذه الفكرة المشئومة

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثالث

في اسم بيروت

اسم بيروت اسمٌ سامي فينيقي كبقيّة اسماء المدن الواقعة في سواحل الشام بين اللاذقيّة وصور . إلاّ انّ العلماء لم يتفقوا على معنى الكلمة فذهبوا الى آراء شتى . فمنهم من فسّرها بمعنى بيت البرابرة (בריות) اي الابعد والجهد وزعموا انها «بعل بريت» المذكورة في سفر القضاة (٩ : ٤) والكلام هناك على مدينة في السامرة

وقال غيرهم انّها «بَرُوت» (ברות) في العبرانيّة ايضاً بمعنى القُوت والطعام . وظنّ قومٌ انها المدينة بَرُوتا (ברותה) المذكورة في نبوّة حزقيال (٤٧ : ١٦) والصواب انّ موقع هذه كان في شمالي فلسطين

واصحُّ من هذين الرأيين قول من اشتقّ اسم بيروت من الارامية بَروتا (ܒܪܘܬܐ) ومعناها السرو او الصنوبر لوجود اشجارها منذ القدم في جوار بيروت . ويوافق هذا الاسم في الاشوريّة «بُراثو» وفي العبرانيّة (ברוש) قيل انّ بيروت سُمّيت بهذا الاسم تذكاراً للإلهة الفينيقيّة عشترت معبودة بيروت التي كان السرو رمزاً عنها . وهذا الرأي قديم اورده فيلون الجبيلي عن اوّل مؤرخ لفينيقية سنكُن يَتُن البيروتي السابق لعهد المسيح (Historicorum Græc. Fragmenta, II, ed. Didot, p. 136) . وهو يدعوها (βηρουθ) . وتبعهما في هذا الرأي بعض المحدثين من جملتهم الاب بطرس

مرتين اليسوعي في تاريخهِ اللبناني الذي طُبع منهُ بعض الفصول (اطلب تاريخ لبنان ص٣٨٣) . وعشترت هذه هي إلهة العشق والجمال التي عرفها العرب باسم الزُّهَرة او اللات والرومان باسم ڤينوس (Vénus) وسيأتي عنها الكلام في فصل آخر . ولعلَّهم اشاروا بهذا الاسم الى حسن موقع بيروت وجمالها

وقد صدَّق الكاتب اليوناني القديم هستيسون الميلطي على انَّ بيروت دُعيت بهذا الاسم اشارةً الى عشترت لكنَّهُ يشتقّ اسمها من اصل آخر من «بيروت» او «ابيروت» (אבירות) بمعنى القوَّة و«أبير» بالعبرانية القوي الشجاع والحريز المنيع . وربَّما اطلقوا هذا الاسم على الثَّور (المزمور ٢١: ١٣) الذي كان ايضاً من صفات عشترت يصوّرونها وعلى رأسها شبه الثور

وليس بين آراء القدماء رأي أرجح في تفسير اسم بيروت من اشتقاقهِ من البئر وهو يُجمع في العبرانيَّة على «بئروت» (בארות) اي الآبار وذلك لكثرة الآبار التي حفرها الاقدمون في احيائها وضواحيها تُرى الى يومنا آثارها الحسنة تحت المدينة . وكانت مياهها عذبةً يشرب منها حاضراً اهل بيروت قريباً من دير راهبات المحبَّة . ولذلك ارتأى اسطفان البوزنطيّ من كتبة القرن الخامس للمسيح انَّها دُعيت بيروت لعذوبة مائها

وقد ثبت لبيروت اسمُها هذا مع تقلُّب الدول فرواهُ القدماء على صور مختلفة في اليونانيَّة واللاتينيَّة هكذا Berito, Beritho, Biritos, Birthon, Piriton وكثيراً ما يختزل اسمها بعضُ اليونان كنونُس وتاوفان وبروكوبيوس فيدعونها بِرُويا (Βερόη) كما يدعون بهِ مدينة حلب . بل زعم المؤرخ نونُس (Dionysiaques, XLD) ان هذا الاسم سبق بقيَّة اسمائها

وشاع لبيروت بين السريان خصوصاً اسم دِرْبي (ܕܪܒܝ او ܕܪܒܐ) كما يرويهِ بَرْهلول وبَرْعلي في معجمهما . ودِربي احدى مدن اليونان . وقد دعاها اوغسطوس قيصر باسم ابنتهِ يوليا لما خوَّلها امتيازات المستعمرات Colonia Julia Augusta Felix) Berytus)

وفي عهد الصليبيّين جاء في تاريخ غليلموس الصوريّ (ك ١١ ف١٣ ص٤٧١) انَّ بيروت دُعيت قديماً جِرسة (Gerse) او جريس نسبةً الى بانيها من اولاد كنعان بن

حام ولا نعلم من اين اخذ هذه الرواية التي نقلها ايضاً ادريخوميوس (Adrichomius, *Miscellanea*)

البحث الرابع

قِدَم بيروت

لو أَعَرْنا سمعاً الى ما جاء في خرافات الاقدمين من الفينيقيين لَقُلنا انَّ اصل بيروت يتَّصل بعهد الآلهة ويرتقي الى اوائل الخليقة فانَّ سنكُن يَتُن اقدم مؤرخي فينيقية قد روى عنها ما شاع في زمانهِ اي القرن الرابع قبل المسيح فقال (في الفقرة الثانية من تاريخهِ العدد ٨) : انَّ الاله إيل او عِليون وهو اوَّل ملوك جُبَيل اتَّخذ له زوجةً الإلهةَ المدعوة بيروت ثمَّ بنى جنوبيَّ جبيل مدينةً دَعتها زوجتُهُ باسمها بيروت. وقيل بل بيروت اسم ابنتها فدَعَوا المدينة بها

وقال نونُس الشاعر اليونانيّ في كتابهِ عن الإله ديونيسيوس او بخُوس (١ الذي صنَّفهُ في القرن الرابع للمسيح : « انَّ بيروت اوَّل مدينةٍ بناها الاله إيل بنفسهِ وهي وحدها أُنشئت قبل مدن الارض وسبقت الاله فانتون (اي الشمس) الذي يستعير القمر من ضوئهِ »

ثمَّ اردف سَنكن يَتن قائلًا : « انَّ ايل وهب بيروت لاله البحر بوصَيْدون (Ποσειδῶν) الذي يدعوهُ الرومان نبتون (Neptune) وللجبابرة المعروفين بالكبيري (Cabires) الذين اخترعوا فنَّ الملاحة »

فبهذه المبالغات يُستدَلّ على امرٍ واحد لا مراء فيه وهو انَّ بيروت من اقدم مدن العالم وان لم يمكنَّا ان نعرف بالتدقيق زمن بنائها. ولو صحَّ قول غليلموس الصوري بأنَّ بانيها جريس او جرجيس او جرجاش الخامس من بني كنعان المنتسب اليهِ الجرجاشيون في سفر التكوين (١٠ : ١٦) لَثبت انَّها بُنيت بعد الطوفان بزمن قليل اعني في الالف الرابع قبل المسيح

---

١) Nonnus: *Dianysiaques* XLI, 67 et 91

ومهما كان من مزاعم القدماء وآرائهم المتناقضة نستطيع القول بلا شكّ انّ اصول بيروت عريقة في القدم كاد نشوءها يخفى عن ابصار اقدم الكتبة وأدقهم بحثاً. ولا بأس من القول بانّ البشر الاوّلين سكنوها قبل تصيرهم الامصار وإنشائهم المدن في عهد العمران البشري اي في الطور المعروف بالظرّان السابق لطور المادن. والدليل عليه مقرّر راهن يستند الى الآثار التي وقف عليها ارباب العاديّات ومن جملتهم حضرة الاب زمّوفن وبعض اساتذة كليّتنا والمكتب الطبي الفرنساوي. وقد جمعوا قسماً كبيراً منها في متحفيها ومثلهما في متحف الجامعة الاميركانيّة ومتحف بيروت العمومي الحديث. وهذه الآثار عبارة عن قطع من الصوّان وُجدت في طرَفي بيروت قريباً من نهرها ماغوراس (Magoras) وعند رأسها الرملي الممتدّ جنوب المدينة بميلٍ الى غربها. وهذه الحجارة الصوّانيّة مختلفة الهيأة منها ما هو اقدم عهداً وهو الصوّان المنحوت (silex taillés) وغيرها احدث زمناً وهو الظرّان المصقول (silex polis). وبعض هذه المصنوعات هي من عظام الحيوان. وقد اتّخذ القدماء من كليها ادواتٍ عديدة على اشكال متباينة كالسهام والسُّنن والفؤوس والمناشير والمُدى يتوسّلون بها للدفاع عن نفوسهم ولصيد الحيوان ومقاتلة الاعداء ولكافّة امور معاشهم وبَيْنتهم (١

وكانت عيشة اولئك القوم في همجيّتهم الاولى فطريّةً ساذجة فكانوا يأوون الى الكهوف والمغاور في ايّام الشتاء وقد وُجدت بقايا من آثار طعامهم في مغارة انطلياس بينها عظام حيوانات مفقودة في عهدنا كانوا يصطادونها. ويعيشون في بقيّة فصول السنة تحت القبّة الزرقاء او ينصبون لهم خياماً من اغصان الشجر او يتّقون حرارة الشمس بجلود الحيوان. فداموا على ذلك زمناً مديداً حتى عنّ لهم ان يبتنوا عوضاً عنها المساكن البسيطة من الحجار او اللبن

ويؤخذ من اخبار ملوك الكلدان الاوّلين المنقوشة في بلاد بابل بالخطّ المساري ان ملوك تلك الانحاء غزوا غير مرّة القبائل الساكنة في سواحل الشام في الالف الرابع قبل المسيح فبسط ملكهم نيرانهم عليها سيطرتهم ردحاً من الزمان. ولما ضعف سلطان الاشوريين وانتقض حبلهم انتهز الاموريّون المالكون في ما وراء

(١) اطلب في المشرق ١ [١٨٩٨] : ١٧ و٢٦٣) مقالتين للاب زمّوفن في وصف طوريّ الظرّان وعطّافها في بيروت وسواحل الشام

بحيرة لوط فتقرّبوا الى جهات بحر الشام وتملّكوا على سواحلهِ . والرأي الشائع اليوم انّ منهم كان الملك حَمُورَبي وسلالتهُ فسار من بلاد الشام الى بلاد بابل وغلب عليها ملوكها وقهر ما كان في تلك الجهات من القبائل الآراميّة والكنعانيّة التي كانت تسكن السهول المجاورة لخليج العجم فهاجرت هذه العشائر الى جهات الغرب وسكنت مدّةً في براري الجزيرة يزاحم بعضها بعضاً . ولما أنست من احوال الزمان ما يساعدها لاضطراب امر ملوك بابل تقرّبت الى سوريّة الشماليّة وسكنت فيها اعواماً حتى أدّى بها المسير الى سواحل البحر المتوسّط فامتزجت باهلها الاموريين ثمّ غلبت عليهم وكان ذلك في اواخر الالف الثالث قبل المسيح

واستوطنت هذه القبائل خصوصاً القسم المعروف بفينيقية وهو الساحل البحريّ الممتدّ بين اللاذقيّة وصور وعُرفوا بالفونيّين (Pouaniti, Pœni, Pæni) وهو الاسم الذي كان يطلقهُ المصريّون على سكان تلك الانحاء ثمّ تصرّف اليونان بالاسم فدعوا البلاد فينيقية واهلها فينيقيّين مشتقّين الاسم من لفظة يونانيّة معناها النخل (Φοῖνιξ) لانهم وجدوا تلك الجهات كثيرة النخل زاهية باشجارها

ثمّ نمت تلك القبائل وتفرّقت واتخذت كلٌّ منها مستعمرة فقويت شوكتها واصبحت على شبه مملكةٍ صغيرة مستقلّة بالحكم والتدبير عن سواها

واشتهر من هذه الممالك مملكة أرواد ومملكة جبيل ومملكة بيروت ومملكة صيدون ومملكة صور . والمرجّح انّ مملكة جبيل تقدّمت عليها وتفرّعت منها . وكانت بيروت اوّل مستعمرات الجبيليّين جعلوها مملكةً مستقلّة متاخمة لمملكتهم فتكون سبقت مملكة صيدون . وكان طول مملكة بيروت نحو ٣٦ كيلومترًا تمتدّ بين نهرَي الكلب والدامور . كأنّهم جعلوا الكلب حارساً لتخمهم الشمالي فدعوا بهِ النهر . امّا عرضها فكان لا يتجاوز عشرة كيلومترات من البحر الى سفح لبنان

ومع صغر هذه الممالك وضيق ساحتها قد نالت شأناً عظيماً لشهرة اهلها بالتجارة فكانوا يستجلبون برًّا مرافق البلاد الداخليّة الى البحر بواسطة قوافلهم العديدة فينقلونها على سفنهم الى مصر وجهات اليونان وبلاد الغرب وسواحل اوربّة كما تدلّ عليهِ آثارهم هناك ثمّ يأتون بمحصولات تلك البلاد الى فينيقية فينقلونها الى

اقاصي العراق والعجم والهند .. وقد وجدوا في حفريّات جُبيل وسواحل فينيقية كثيراً من مصنوعات المصريين وقبائل اليونان القديمة ومن الآثار الاشوريّة ما يُثبت كون فينيقية كانت بلاداً وسطاً بين اقاصي الشرق والغرب

على انّ تعدُّد هذه الممالك الساحليّة مع صغرها كثيراً ما سبب المنازعات والحروب بين اهلها . فانّ التاريخ القديم يذكر ان مملكة صيداء حاولت مراراً قهر سلطة اهل بيروت واستعبادهم فردّهم البيروتيون خاسرين

وكان صغر تلك الممالك يعرّضها لخطر اعظم من جانب الدول الكبرى . فان ملوك اشور وبابل طمحوا اليها واغاروا عليها مراراً وربّما ضربوا على اهلها الجزية يؤدونها لهم بما يطلبونهُ من الأرز وغيره من الاخشاب اللبنانيّة . وقد ورد اسم لبنان لاوّل مرّة في كتاباتهم المسماريّة على صورة لبناتو اي الجبل الابيض اذ رأوه معمّماً بالثلوج الغرّاء التي تكسوهُ حليةً من البياض اليقق

وكذلك فراعنة مصر منذ سلالاتهم الاولى في اواسط الالف الثالث عرفوا كنوز لبنان المعدنيّة والنباتيّة واكرموا آلهة الفينيقيّين كالبعل وعشترت واقاموا في جبيل هيكلاً لمعبوداتهم الوطنيّة وجد الاثريّون وخصوصاً المسيو بيار مونته بقاياهُ الفخيمة . وكانوا يرسلون لهُ كل سنة التقادم والنذور والآنية الثمينة والألطاف المختلفة التي اكتشفوا منها كثيراً بل ادخلوا في جملة معبودات المصريّين عبادة آلهة فينيقية . فكانوا بهذه المعاملات السياسيّة والاقتصاديّة يُعدّون دولتهم لفتح تلك البلاد كما حدث بعد ذلك في عهد السلالة الثامنة عشرة

وقد ورد اسم بيروت لاوّل مرّةٍ في اثر هيروغليفيّ مصون في المتحف البريطانيّ في لندن يرقى عهدهُ الى السلالة الثانية عشرة وهو عبارة عن كتابة حرّرها احد وجوه المصريّين يصف فيها رحلتهُ الى سوريّة ويذكر جملة ما زار من المدن مبتدئاً بالمدن الداخليّة الى حلبون يريد بها حلب الشهبا . . ثمّ يذكر اخصّ المدن الساحليّة : جُبيل ثمّ بيروت ويدعوها بيروتا ثم صيدون ثم صَرفَت

وقد تكرّر بعد ذلك اسم بيروت في جملة المدن التي فتحها الفراعنة في القرن السادس عشر قبل المسيح لا بل كان المصريون يطلقون على معدن الحديد اسم بضاعة

بيروت « با ان برت » كما اثبت ذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن آثار لبنان (٢٢٢:٢)

فيلوح من كلّ ما سبق انّ بيروت قد حلّت منذ قديم الزمن محلًّا ممتازًا وان اصولها راقية الى الازمنة المظلمة حيث التاريخ كان مختلطاً بخرافات البشر

وان اعتبرتَ ضواحيها الداخلة في مملكتها وجدت ما يؤيد امر قِدَمها . ولاسيما ذلك النُّصب الذي حفرهُ رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان باسم سيسوستريس دلالةً على حلولهِ في سواحل فينيقية وهو اثر جليل في الصخور المشرفة على نهر الكلب حيث تُرى صورتهُ قائمًا بإزاء إلههِ « راع » ساجدًا لهُ وتاريخ الاثر في السنة الرابعة لملكهِ

(لها بقية)

خطر جسيم

او

اللغة العاميَّة

بقلم حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي

فاجأتنا مقالة مستغرَبة ادهشتنا تنبّأ فيها كاتبها بخطر جسيم يتهدَّد اللغة العربية الفصيحة . بل قُل العربية عامَّةً . لان اللغة الفصيحة ليست اللغة التي يحشوها الكاتب الفاظاً وحشية غير مأنوسة لا يُدرك معناها سوى مَن حفظ الكلام العويص . بل هي اللغة التي تتضمَّن الفاظاً تفهمها العامَّة وتستعملها سليمةً من كلّ شائبة خطإٍ ومن الاغلاط المخالفة للقواعد العربية في عبارات واضحة وتراكيب غير معقَّدة تؤدّي المعنى المُراد

والذي يتهدّدنا بهذا الخطر الغير المنتظر اي اندثار اللغة الفصيحة وتغلُّب العاميَّة

بيروت « با ان برت » كما اثبت ذلك حضرة الاب لامنس في كتابهِ عن آثار لبنان (٢٢٢:٢)

فيلوح من كلّ ما سبق انّ بيروت قد حلّت منذ قديم الزمن محلًّا ممتازًا وان اصولها راقية الى الازمنة المظلمة حيث التاريخ كان مختلطاً بخرافات البشر

وان اعتبرتَ ضواحيها الداخلة في مملكتها وجدت ما يؤيد امر قِدَمها . ولاسيما ذلك النُّصب الذي حفرهُ رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان باسم سيسوستريس دلالةً على حلولهِ في سواحل فينيقية وهو اثر جليل في الصخور المشرفة على نهر الكلب حيث تُرى صورتهُ قائمًا بإزاء إلههِ « راع » ساجدًا لهُ وتاريخ الاثر في السنة الرابعة لملكهِ

(لها بقية)

خطر جسيم

او

اللغة العاميَّة

بقلم حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي

فاجأتنا مقالة مستغرَبة ادهشتنا تنبّأ فيها كاتبها بخطر جسيم يتهدَّد اللغة العربية الفصيحة . بل قُل العربية عامَّةً . لان اللغة الفصيحة ليست اللغة التي يحشوها الكاتب الفاظاً وحشية غير مأنوسة لا يُدرك معناها سوى مَن حفظ الكلام العويص . بل هي اللغة التي تتضمَّن الفاظاً تفهمها العامَّة وتستعملها سليمةً من كلّ شائبة خطإٍ ومن الاغلاط المخالفة للقواعد العربية في عبارات واضحة وتراكيب غير معقَّدة تؤدّي المعنى المُراد

والذي يتهدّدنا بهذا الخطر الغير المنتظر اي اندثار اللغة الفصيحة وتغلُّب العاميَّة

عليها هو احد الكتّاب الذين نجلهم وقد عوّدنا على ذوق صحيح وكلام فصيح . ولا ندري كيف انتقل بغتةً من حرّ الى قرّ ومن روضةٍ الى برّ فانخدع بالسراب

نشر حضرة الاب الفاضل الخوري مارون غضن مؤلّفاً جمع فيهِ ما كانت جادت بهِ قريحته من المقالات والمقاطيع نثرًا ونظماً وطُبع سابقاً مفرّقاً في المجلّات والجرائد . وضمَّ الى هذه المجموعة مقالةً في ٢٦ صفحة تردّد كل صفحة منها النغمة ذاتها . ويظهر ان حضرته ابتكر المقالة مؤخرًا فسمّاها « حياة اللغات وموتها » وتكلّم فيها عن «اللغة العامية» . ونعت هذا المقال بانّه «بحث فلسفيّ لغويّ اجتماعي» . فلو كان حذف اللفظتين «فلسفي اجتماعي» لكان اقرب الى الصواب . لانه ليس في المقالة ما يُشمُّ منهُ رائحة البحث الفلسفي والاجتماعي . كأنّ الإكثار من النعوت يُكسب البحث اهميّة ليست فيه

قال حضرته : « هذا بحث جديد لا نذكر انّ احدًا خاضهُ قبل الآن مع ما هو عليهِ من خطورة الشأن في نشوء اللغات [illegible] وشيخوختها وانتشارها »

لا ريب في ان البحث [illegible] حضرته هو جديد لم يطرقه احد من العرب . لا لخطورة شأنه لكن [illegible] من [illegible] في عصرنا . فان حضرتهُ يؤكد لنا انه لا يتمّ الّا بعد بضعة اعصر . فهذا القول ازال خوفنا على العربية الفصيحة وهدّأ روعنا . فيمكننا ان نداوم بدون قلق على اتقانها

ثم ان حضرة الكاتب لا يلتفت في بحثه الى تاريخ اللغة ونشوئها وفتوتها وشبابها . بل نظر الى اندثارها وفنائها فقط . ولا يخفى ان البحث عن اللغة يتطلّب من الكاتب ان يتكلّم عن كل اطوار حياتها لنعلم مقدرتها على الثبات في الحياة او ضعفها الآئل بها الى الممات . لكن هذا البحث يقتضي من الكاتب علماً واسعاً في العربية وتاريخها وفي اللغات السامية القريبة منها

ان السبب الذي اوقع حضرة الكاتب في الخطإ هو انه افترض في العربية لغتين الواحدة فصيحة والاخرى عامّية . وهذا ليس بصحيح . لان اللغة العربيّة هي واحدة . امّا ما يسمّيه حضرته لغة عامّية فليس في الحقيقة الّا الالفاظ والعبارات التي يستعملها الكتّاب والادباء فالعامّة تستعملها ممزوجة بالاغلاط . اما المتأدّبون فيستعملونها مهذّبة

خالية من الخطأ المخالف لقواعد اللغة

وللعامّة ايضاً لهجات في الحركات عند التكلّم تختلف باختلاف البلدان شرقاً وغرباً وقبلةً وشمالاً وجبلاً وسهلاً ومُدناً وقُرى. ولا تكاد هذه الاختلافات تحصى ولا قاعدة لهذه الاغلاط واللهجات تسير العامة بموجبها . وقد اقرّ بذلك حضرة الكاتب اذ قال (ص١٨٩ في آخرها) : « المراد باللغة العامية اللغة التي يُنطَق بها ليس غير والتي لا آداب لها خلافاً للغة الفصحى » . فهذا دليلٌ واضح على ان اللغة العامية ليست لغة قائمة بذاتها اذ لا قواعد لها ولا تتميز عن اللغة الفصيحة الّا بما يخالطها من الاغلاط (١

وتستعمل العامة الفاظاً اجنبيَّة او الفاظاً لا وجود لها في الامّهات اللغويّة . وذلك مأ لجهلها اللغة وامّا لعدم معرفتها ما يقابل الالفاظ الاجنبيَّة في العربية . وهذا وان كان لا يُستحسن لا يمسّ سلامة اللغة وصحيحها لانهُ يسيرٌ بالنسبة الى غنى اللغة العربية . فهو كيسير من الماء في اناء خمر عتيقة لا يؤثر في طيبها ولا في رياحها . ولا مانع من ان يقتبس ايضاً الكتّاب والادباء الالفاظ الاجنبية مع مراعاة بعض الشروط خلافاً لما كتب حضرة صاحب المقالة اذ قال (ص١٩٢) :

---

١) فاذا قيل مثلاً : « اجا هلّق ولاد من المدرسه حظّن قليل في هالدنيه وقالولو لمعلّمن فكرُن عن هالمجلّه » كان كلاماً عامياً لانه مشحون بالاغلاط . الّا ان جميع الفاظه يستعملها الادباء . فيقولون : جاء في هذا الوقت اولاد من هذه المدرسة حظهم قليل في هذه الدنيا وقالوا لمعلّمهم فكرهم عن هذه المجلة » فيكون كلامهم خالياً من الاغلاط فصيحاً يفهمهُ الجميع حتى صغار القرويين الذين لم يدخلوا مدرسةً ولم يسمعوا بشيءٍ من العلوم

وهكذا القول عن العبارة التي ذكرها حضرة كاتب المقالة تبياناً لمقدرة اللغة العامية على التأثير في القلوب وهي : « فرنسا ما في مثلا بالدنيه كلاّه » فاستنتج ان هذه العبارة العامية اثرت اي تأثير في الحاضرين في كنيسة القديس جرجس المارونية . « فهتفت تلك الجماهير العديدة في وسط الكنيسة هتاف الحماسة والفرح وصفّقوا تصفيقاً ارتجّت لهُ ارجاء تلك الكنيسة ارتجاجاً » وعندنا انهُ لو قيلت هذه العبارة هكذا : « فرنسة ما مثلها في الدنيا كلّها » لأحدثت التأثير ذاته لانّ التأثير نتج لا عن اللهجة العامية لكن عن معنى العبارة والظروف . فاذا كانت العبارة المهذبة تؤدي المعنى ذاته وبالالفاظ ذاتها فاذا دفع حضرة الكاتب الى ان يفضّل العبارة المحشوة بالاغلاط على المهذبة . وما الفائدة من ذلك سوى التحريض على ارتكاب الخطإ والحطّ من الآداب . هذا سرّ غامض لا يمكننا فهمه

« ان اللغة العاميَّة يسهل عليها اقتباس الكلمات ايًّا كان مصدرها ولو اجنبيًّا . . . امَّا اللغة الفصحى فلا وجه لها الى الاغتناء الَّا في ان يتواطأ ارباب اللغة فيها على وضع الفاظ جديدة او نحتها من جذر اللغة نفسه . وانَّ في ذلك من الصعوبة ما فيه »

أفيريد حضرتهُ ان يُلتقط التبر على سطح الارض وان تُقطف الزهور والثمار في الطرقات او ان نصادق على مثل هذه الجمل التي تتلفظ بها بعض الاوانس المتفرنجات وقد طرقت آذاننا «عملتُ له بريزانتيه» وما شاكل . فلإغناء اللغة بالفاظ جديدة لمعانٍ وحاجاتٍ حديثة لا بدَّ من الوقت والصبر والحكمة والبحث وتواطؤ الكتَّاب على استعمالها ومصادقة جمعية الآداب او جمهور الادباء . اللهمَّ ان لم يجدوا ما يقابلها في العربية او لم يقدروا على نحت لفظٍ لها من جذر كلمة عربية . امَّا اذا تركنا للعامة إغناء اللغة كما يرتأي حضرتهُ عرَّضنا العربية للفساد والهجنة وكانت الفوضى . هذا ما يرضى بهِ حضرة كاتب المقالة ويحرّض عليهِ ونأباه نحن ونتعرّض لهُ . فهو يسعى لانحطاط اللغة ونحن نسعى لصيانتها وسلامتها وترقيها . ولا ريب في ان الادباء في جميع البلاد العربية يرون رأينا . خلافاً لما قالهُ حضرته اذ كتب (ص ١٨٦) :

« نحن والقرن [illegible] العلماء [illegible] الذين [illegible] حدود [illegible] العدل يأتون على هذه المقالة [illegible] على رأينا [illegible] صحَّة ما جاء فيها . بل قد تدفعهم الحميَّة مناصرتنا في تعزيز اللغة العربية العامية . فيكون لهم ولنا في التاريخ الآتي صفحة مجيدة يقرأها الآتون بالشكر والاعجاب » (١

هذا ما نرتاب بهِ كل الارتياب بل نتحقَّق خلافه فتكون مقالته صفحة سوداء يقرأها اهل زماننا بالدهشة والانذهال ولا يذكرها الآتون بعدنا البتة لانها تغوص كالحجر في بحر النسيان

ويا حبَّذا لو كان صاحب المقالة خاض البحث ليبيّن ما يشوب اللغة العامية من الاغلاط عوضاً من ان يستحسنها . وحبذا لو حرّض العامة وخاصَّة طلَّاب العلم على اتقان اللغة وتحسينها وتجنب ما يحطّ من قدرها ويشينها لكان خدم وافاد وكنَّا لهُ من السامعين الشاكرين . لكنهُ تكلَّم عن اللغة العامية ليرفع منارها ويعلي شأنها على

١) يذكرنا هذا الكلام بالرجل اليوناني الخامل الذكر الذي احرق معبد دلفوس لينتشر صيتهُ في الآفاق عند الناس

ما فيها من الشوائب فيُضعف الرغائب ويثبط عن العمل ويدفع الى الكسل . سامحهُ الله . لكننا في يقين ان مقالته تكون ضربة في الماء ونفخة في الهواء لا تجديه الّا العناء.

وقد حاول حضرته ببراهين سطحية وذلك باللغة الفصيحة لا العامّية (وكان من الواجب عليه استعمالها ليقرن القول بالفعل) فأجهد فكرهُ ليبيّن اندثار اللغة العربية الفصيحة بتغلّب اللغة العامية عليها . والعجب كل العجب انهُ يحرّر ذلك وهو يشاهد رأيَ العين والجميع يشاهدون معه النهضة العظيمة التي نهضَتْها العربية من نحو نصف قرن . نرى المدارس تعمُرُ في كل الجهات . وهي غاصّة بالطلّاب . وتُنشأ المجلّات والجرائد العربية وتُنشر الكتب بالمئات والالوف باللغة الفصيحة وموضوعها علم الالهيات والروحيات والفلسفة والآداب العربية والروايات والتاريخ ووصف الارض وطبقاتها وعلم الهيئة والنبات والحيوان والطب وغيرها من العلوم . وذلك ليس في سورية فقط ومصر وبلاد بين النهرين وجزيرة العرب وفلسطين وسائر البلاد العربية بل في الجزائر ايضاً وتونس ومراكش والهند واميركة وهولندة وفرنسة . ونرى عامة الناس من رجال ونساء وشبان وصبايا ينصبّون بتلهّف ولذّة على مطالعة هذه الكتب والنشرات . ونشاهد ما لم نشاهده في ما مضى الاوانس تُنشئ المجلات وتكتب المقالات المستحسنة في اللغة العربية الفصيحة وتؤلف الكتب المفيدة في مواضيع مختلفة . وتخطب في النوادي وتنشر الروايات ويُقبل الجنس اللطيف فضلًا عن الرجال على قراءتها بمسرّة واعجاب (راجع ما كتبهُ البشير في ٢٢ك٢ ١٩٢٥ عن نهضة الادبيات واقبال الجمهور عليها) . أفليس كل ذلك من الادلّة الباهرة على نهضة عظيمة في اللغة العربية تمّت باقلّ من نصف قرن . فبعد هذا المشهد الجميل يمكن لحضرة الكاتب ان يندب القوم لمناصرة اللغة العامية على الفصيحة

وقد اقرّ حضرتهُ بان اللغة تترقى بترقي الشعب اذ قال (ص ١٨٧) :

« ان كل لغة يتكلّم بها الشعب ولو كان من الهمج تكون حيّة بحياة ذلك الشعب العقلية والادبية فتنمو بنموّها وتتلاشى بتلاشيها . واذا ترقى الشعب مراقي الحضارة ترقّت لغته والعكس بالعكس . وهذا المبدأ لا ينطبق على درجة حياة اللغة فقط بل على نوعها ايضاً . اعني ان حياة اللغة اشبه بمرآة صادقة فيها نرى حياة الشعب وجميع مميزاتها . فاذا كان ذلك الشعب راقياً في الصناعة

او التجارة او الفنون الجميلة او العلوم كثرت في لغته الالفاظ والتعابير المختصة بتلك الصناعة او التجارة الخ »

هذا ما كتبهُ حضرتهُ

ونحن لا نسلّم بالنتيجة التي استنتجها ولا بوفرة الالفاظ الاجنبيَّة التي تدخل اللغة العربية وننكر مقدرتها على تحويل اللغة الفصيحة الى عامية . ولا نوافقه ايضاً في ما يدّعي بان التجار والصنائعيين كالنجّارين والحدّادين وصانعي الاحذية ومن يشبههم يؤثرون في تحويل اللغة العربيَّة كما انهم لم يؤثروا في تحويل اللغة الفرنسية من فصيحة الى عامية . ان العامل القدير على ترقية اللغة هم الكتّاب والادباء . فان كثروا وكثُر قرّاؤهم ترقّت اللغة وان قلّوا او انقرضوا تقهقرت اللغة

ثم ان معظم الالفاظ الدخيلة محصور في فئة من الناس يستعملونها لحاجاتهم الخصوصية (١ في الصناعة او التجارة او التصوير او الطبّ الخ . ولا ننكر ان بعض هذه الالفاظ تدخل اللغة الفصيحة لكن دون ان تؤثر في فصاحتها او تحوّلها الى عامية . فهي كالطعام الذي تتغذى به ويصير جزءاً من جسدنا

هاتِ الآن نفحص ما تؤيّد به حضرة الكاتب ليثبت ان اللغة العربية الفصيحة آيلة الى الفناء لا محالة . قال حضرته (ص ١٨٧) :

«ان كل لغة على وجه الارض ماشية ضرورةً الى الفناء مهما بلغت من المجد والكمال . وذلك لان كلّ حيّ يُولد فينمو فيبلغ اشدّه فيشيب ثم يضعف فيهرم فيموت . تلك هي سُنّة الله في كلّ حيّ ولا يشذّ عنها الّا ما كان غير حيّ كالجماد مثلاً »

كأنّ الجماد لا يفنى ايضاً اذ يتحوّل بالعوامل الطبيعيَّة الى فُتات وحُتات ودُقاق . وقال ايضاً (ص ١٨٨) : « لا بدّ لكل لغة من ان تموت ولو بلغت اسمى درجات

١) صرّح بهذه الحقيقة العلامة انطوان غريغوار المعلّم في المدرسة الملكية في مدينة لياج من اعمال بلجيكة في كتابه عن اللغات قال :

Beaucoup de ces expressions ne sortent pas du milieu restreint dans lequel elles ont pris naissance. Cependant un certain nombre d'entre elles passent dans la langue commune. Ce dernier phénomène s'est produit de tout temps, mais dans une mesure moindre qu'aujourd'hui (ANT. GRÉGOIRE : *Petit Traité de Linguistique*, p.106)

الكمال . فهذا لأنها حية والموت متحتم على كلّ حيّ » . فلماذا لم يقل ايضاً عن اللغة العامية التي هي حية انها آئلة الى الاندثار والفناء كالفصيحة . ولكن لنسمع ما فسّر به حضرته قوله ان كل لغة سائرة الى الفناء قال (ص١٨٧) : « معناه ان كل لغة تتحوّل شيئاً فشيئاً من صورتها الاصليّة الى صورة بعيدة عنها بحيث يسع اللغويين ان يعدّوا هاتين الصورتين لغتين مختلفتين لا لغة واحدة رغم ثبوت علاقة الاشتقاق بينهما » . فليبيّن حضرتهُ بالامثلة ما يؤكده هو وننكره نحن اي ان صورة اللغة العربية العامية هي بعيدة عن صورة اللغة الفصيحة بحيث تُعتبر هاتان الصورتان لغتين مختلفتين . فهذا مما لا يمكنهُ تأييده مهما اجهد نفسه

ثم ان المبدأ الذي قرّرهُ بقوله « ان اللغة آئلة الى الفناء لانه متحتّم على كلّ حيّ ان يموت » . هو مبدأ لا يصدق في اللغات لانه يفترض ان اللغات تحيا كالاجسام الآلية وهذا ليس صحيحاً . فهل يمكن للشيخ الهرم ان يعود شاباً . قال الشاعر :

اترجو ان تكون وانت شيخٌ كما قد كنتَ ايامَ الشبابِ
لقد غرّتك نفسكَ ليس ثوبٌ عتيقٌ كالجديد من الثيابِ

أما اللغة فتراها غالباً بعد انحطاطها لإهمال الآداب وموت الادباء تنهض من كبوتها وتنتعش بعد ضعفها وتترقى بترقّي الحضارة والعلوم . فاللغة لا تموت كما يموت النبات والحيوان بل يموت الشعب الذي ينطق بها . فاذا بقي الشعب العربي في الحياة تحيا لغته ويتجدّد شبابها ولا تنحطّ بل تترقّى بترقي آدابه . واذا انقرض الشعب العربي لا سمح الله وابتلعهُ غيرهُ من الشعوب تموت لغته العربية . كما حدث في برّ الاناضول حيث ابتلع الترك شعبَي الارمن واليونان في غابر الزمان فقضيت او كادت لغة هذين الشعبين في تلك البلاد واخذت مكانها اللغة التركية . وهذا ما حدث ايضاً في البلاد السورية فانهُ لمّا كثر العرب الفاتحون لها وقويت شوكتهم وصارت السلطة اليهم ابادوا اللغة اليونانيّة في المدن السورية واللغة السريانيّة في القرى

فمن المقرر اذاً ان اللغات لا تموت الا بانقراض الشعوب . فما دام الشعب حيّاً فلغتهُ هي ابداً شابّة . هذا ما قرّرهُ الكاتب البلجكي المشار اليه (١

1)Il ne viendra plus à l'esprit de personne, de considérer les langues

ثم ان رأي حضرة الكاتب مردود لسبب آخر. فلو كانت اللغة في نشوئها لامكن القول انها تتحول لكن لا من الكمال الى الانحطاط بل من النقص الى الكمال. امّا اذا كانت بلغت اشدّها اي كمالها فقلّما يطرأ عليها تغيّر او قلّما يؤثر فيها. كما ان الطفل المولود حديثاً تتغيّر هيئتهُ كلّما ترعرع حتى لا نكاد نعرف انهُ هو الذي نظرناه رضيعاً ولكن متى صار كهلاً فهما تغيّرت ملامحهُ يُعرف حالاً انهُ هو هو ولو صار الى الشيخوخة. هكذا اللغات فانها متى ترقّت وبلغت درجة تُذكر من الكمال وأُثبتت في التآليف والكتب كالعربية والافرنسية والانكليزية والالمانية والاسبانية وغيرها فهما طرأ عليها من التغيرات الجزئية والافرادية التي لا بدّ منها بسبب ترقي العلوم والفنون لا يمكن القول انها تتحوّل وتؤول الى الفناء. ولنا مثل في اللغة الافرنسية فان عامة الشعب الفرنسي لا يستطيع اليوم ان يفهم الكتب التي نُشرت بلغته منذ خمسمائة سنة. ولكن بعد ان ترقّت لغته وثبتت بفضل المدارس والكتب وانتشار الآداب في عامّة الشعب. وقد ساعد على ذلك فنّ الطباعة الحديثة التي لم تسق السنة ١٤٤٠ ونفوذ الحكومة ومتوظّفيها فلم يعد يحدث في اللغة تغيّر الّا ما ندر وذلك لاسباب عمومية ونسبية وبلدية وحربية. وهكذا القول عن [illegible] في ايامنا يفهمون ما كتبهُ من نحو ثلثمائة سنة باسكال وفينيلون [illegible] ومسيليون ولافونتين وكورنيل وراسين ولابروياد وغيرهم كثيرون

وهكذا القول عن اللغة الالمانية فانهُ من مائة سنة لم يكن لتلك البلاد الواسعة الارجاء لغة واحدة ولم يكن اهالي سكسونية وبستفالية وباڤارية يفهمون بعضهم بعضاً لان الآداب لم تكن بعد عمّت في تلك الاقطار. ولكن بعد ان انتشرت (وكان بدء انتشارها ترجمة لوثيروس للكتاب المقدس والبروتستان يجمعون على قراءته) واخذ الادباء والكتّاب يضبطون اللغة ويحقّقونها بفتح المدارس ونشر الكتب والجرائد والمجلّات تحقّقت اللغة الالمانية وثبتت وتحلّت بالفصاحة وعمّت البلاد

---

comme des organismes, analogues à des végétaux, à des êtres apparaissant un jour à l'existence, poussant tantôt un organe, tantôt un autre, dépérissant en partie ou en totalité et finissant par succomber. (id. p. 95)

الالمانية فيفهمها الجميع . ولا خطر عليها ان تعود الى اللغة العامية

لا بل متى عمّت اللغة الفصيحة في الأمة فانها تبيد كل اللغات الخصوصية وتميتها سواء كان في فرنسة ام في المانية ام في غيرهما من الممالك . وقد اثبت ذلك الكاتب البلجكي الذي اشرنا اليه (١

ولنا مثال آخر في اللغة العربية وهي من اثبت اللغات فانها في العصر الجاهلي كانت تختلف معاني كثير من الفاظها باختلاف القبائل . ومن هنا اتى تعدُّد الفاظ الاضداد والمرادفات والمعاني المتباينة في اللفظة ذاتها والغير المتفقة مع معنى اللفظة الاصلي الامرُ الذي يحيّرنا لدى مطالعتنا الأمهات اللغوية . ولكن بعد ان كُتب القرآن (والمسلمون دائبون في تلاوته في كل الاقطار) وبعد ان اخذ العلماء يفسّرونهُ وانتشرت الكتب في الحديث . وكتب كثيرون في التاريخ ووصف الارض والطبّ والرياضيات وغيرها من العلوم وضُبطت قواعد العربية وانشئت المدارس وشاعت المخطوطات ثبتت العربية كما يثبت البناء المشيَّد بالحجارة والكلس . فنفهم اليوم كتباً أُلفت من الف ومائتي سنة . وانشاء هذه المؤلفات لا يختلف عن انشاء كتبة عصرنا فيكتب ادباؤنا اليوم كما كتب العرب لفائدة العامّة في جزيرة العرب والبلاد الشامية وبلاد بين النهرين وفارس ومصر وتونس والجزائر ومراكش وطرابلس الغرب . ويتكلم ادباؤنا كما يتكلّم اولئك مع اختلاف يسير في اللهجة واستعمال

1) Malgré le regain de sympathies dont profitent certains patois, on constate qu'ils sont en train de disparaître devant l'influence du français officiel et littéraire. Cette décadence constitue encore un trait commun aux dialectes ; dans tout pays civilisé, avons-nous dit, les patois succombent tôt ou tard. On les délaisse de plus en plus ; les générations nouvelles les dédaignent ; le peuple seul et les populations écartées les conservent, jusqu'à ce qu'ils cèdent la place à une langue unique. De nos jours, cette substitution s'effectue avec une rapidité beaucoup plus grande qu'autrefois : en effet, les relations de province à province deviennent plusi faciles ; l'instruction se répand davantage, grâce à l'école, aux livres, à la caserne, et surtout aux journaux populaires. (p. 102)

بعض الالفاظ الخاصة وهذا لا بدّ منهُ في اقطار تمتدُّ من بلاد فارس الى صعيد مصر ومن عُمان الى الاندلس. فاذا قام اليوم من يتكهن بانحطاط العربية الفصيحة واندثارها وتغلُّب اللغة العامية عليها لا احد يلتفت اليهِ او يُصغي الى اقواله بل يهزُّ عطفَيهِ متبسماً ويقول: سرابُ بِرْقٍ واضمحلّ

ولكن اسمع يا رعاك الله البراهين التي يدعم بها حضرة الكاتب مراده. قال اناره الله:

« ها نحن نثبت ذلك بأجلى البراهين. قلنا ان حياة اللغة تتكيَّف بتكيُّف حياة الشعب الناطق بها. فانّ هذه الحياة الشعبية في تغير دائم لا ثبات لهُ. وانّ كلّ شعب يتقدّم او يتقهقر في الحضارة ويُكثر او يقلّ من علاقاتهِ بسائر الشعوب ويتشدَّد بالسلم او تتجلّ قواهُ بالحروب من مثل الحرب الكونيّة الاخيرة. وهنالك ايضاً الوف من العوامل التي تحدث تغيراً مستمراً في ضروب احوالهِ. فضلاً عن انَّ افراد الشعب تتغير ايضاً على تتابع الاجيال وعلى هذا التغير تتغيَّر الاعضاء الصوتية فينتج عنهُ تغيُّر تدريجي في التلفظ بلسان الشعب. نعم ان كل جزء من هذه التغيرات الطارئة على اللغة الاصلية هو وحدهُ وبذاته لا يكاد يُحسَب لكن تواصل هذه التغيرات الكثيرة ولو مزيَّة يُلبس اللغة الاصليَّة بعد بضعة اعصر صورة جديدة ينتج عنها تغيير [illegible] (ص ١٨٨-١٩٠)

نسمع بجميع ذلك ولا نرى طحناً. فاي تغيّر احدثت في اللغة الفرنسية ام الالمانيَّة ام العربية الحرب الكونيَّة وحرب سنة السبعين وحوادث عديدة طرأت على العالم. واي برهان جليّ يُستنتج من كل ذلك لتبيان تغلُّب اللغة العامية على الفصيحة. وما هي الوف العوامل وكثرة الحوادث المؤثرة في تغير اللغة. فقل لي بحقك ما هذه التغيرات العديدة التي يحدثها السلم او الحرب او هل يؤثر اختلاف الاعضاء والاوتار الصوتية في كيان الالفاظ. واذا تغيَّرت لهجة النطق بالكلمة هل يتغيَّر جوهر الكلمة او معناها

فهذه اللغة الفرنسية قد مرّ على الشعب الذي يتكلَّم بها احوال وحوادث مختلفة لم تمرّ على احد من الشعوب منذ ثلاثمائة سنة فلا احد يقول ان اللغة الفرنسية انحطَّت وتحوَّلت الى لغة عامية بل الجميع يقولون انها ترقَّت وتحسَّنت رغماً عمَّا امتزج بها وهضمتهُ من الالفاظ الدخيلة من لغات مختلفة لحاجات علمية وفنية وتجارية وحربية. وهكذا القول عن العربية بعد ان مرّ على ترقيها الف وثمانمائة سنة

ان الذي خدع حضرة الكاتب هو استعمال العامة مع توالي الزمان الفاظاً دخيلة . فظنَّ ان الدخيل يجعل اللغة الفصيحة عامية . وهذا مما لا نسلّم بهِ . فهذه اللغة الفرنسية مثلاً فانها لغة فصيحة لها قواعدها وشواذّها وكتّابها ومؤلفاتها وهي من اوضح وارقى اللغات . ومع ذلك لا تأنف من اقتباس الفاظ جديدة من اللغات اليونانيَّة واللاتينيَّة والانكليزية والالمانيَّة والايطاليَّة ومن العربيَّة ايضاً يرضى بها الادباء وتُصادق على استعمالها جمعية الآداب ولا احد يقول ان اللغة الفرنسية تحوَّلت لهذا السبب الى عامية . وهكذا القول عن العربية . ولا نعني بالدخيل كل لفظة اجنبيَّة تستعملها العامة لجهلها ما يقابلها في العربية كما فعلت العامة في وقت الحرب عندما استعملوا اللفظة « دُبيه » (dépôt) للمكان الذي جمعوا فيهِ من يُساق الى المعسكر(١ بل نعني الالفاظ المحتاجة اليها اللغة ويستعملها الادباء بتواطؤ لانهم لم يجدوا ما يقابلها في العربية او لم يقدروا على نحت لفظة لها من جذر لفظة عربية تؤدّي معناها . فهؤلاء العلماء المشهورون بتآليفهم الذين كتبوا في العربية من عصور عديدة قد ادخلوا في اللغة الفصيحة الفاظاً عديدة اقتبسوها من اليونانية كاسطرلاب . ومن السريانية كقرقور لنوع من السفن . ومن الفارسية كعسكر وفرسخ الخ . فلم يقم احد في زمانهم او بعدهم ليلومهم ويتهمهم بانهم جعلوا اللغة عامية

وكانَ حضرة الكاتب يعتقد ان الالفاظ الاجنبيَّة تدخل في العربية كل سنة بالمئات والالوف فتحوّل اللغة العربية من هيئة الى هيئة . فهذا قد مضى على الشعب العربي اكثر من خمسين سنة يعيش الفرنج بين ظهرانيهم وينتقل كثير منهم الى البلاد الاوربية والاميركية . فليُعرض لنا حضرته المئات من الالفاظ الاجنبيَّة التي ادخلوها في العربية فأثرت في فصاحة اللغة . فهذه مجلات المقتطف والهلال والمشرق وجرائد الاهرام والمقطَّم ولسان الحال والبشير وغيرها من المجلات والجرائد المعتبرة والمنتشرة في البلاد العربية والتي يطالعها الجميع من متأدبين وعامَّة . فان محرري هذه النشرات يتناولون جميع المواضيع التي يبحث فيها العلماء الاوربيون على اختلاف موادّها ويكتبون عنها . فينشئون بالعربية الفصيحة مقالات ضافية الذيول ويؤلفون الكتب المستحسنة . فلا تستعصي عليهم الالفاظ العربية لتأدية ما يخالج عقولهم من المعاني في

١) وقد ماتت هذه اللفظة ولم تحيَ والادباء يستعيضون عنها باللفظة العربية « المستودَع »

كافة العلوم القديمة والحديثة من علم الفلسفة والالهيات الى علم الهيئة ووصف الارض والنبات والحيوان. وقد يضطرون نادراً الى اقتباس بعض الالفاظ الاجنبيَّة فيكسونها ثوباً عربياً ويخضعونها لقواعد اللغة العربية او يرصعونها في انشائهم كفصّ ياقوت في خاتم ذهب فلم يعترض احد ليقول ان لغتهم عامية او ان الالفاظ الدخيلة حوّلت لغتهم الفصيحة الى عامية

ولدينا ملاحظة نُبديها لحضرة كاتب المقالة وهي انه ناقض ذاته بذاته فيما كتب. فقد قال (في الصفحه ١٨٦ السطر ١٣) « لا بدّ لكلّ لغة عامية من ان تتحوّل الى لغة فصيحة بشرط ان يبلغ الشعب الناطق بها درجة من التقدم راقية » . وقال (في السطر ١٢ من الصفحة ١٨٢) «تزول اللغة الفصحى وترتقي اللغة العامية الى درجة لغة فصيحة» . وقال (في السطر ١٥ من الصفحة ١٨٦) « ان اللغة الفصحى تترقّى ايضاً بترقي التمدن لكنّها لا تستطيع مجاراة اللغة العامية في ذلك الترقي» . فقل لي ناشدتك الله يا حضرة الكاتب اين بقي اثر للغة العامية بعد ان ترقت الى لغة فصيحة . وكيف يمكنها بعد زوالها كعامية اذ انها اضحت فصيحة ان تجاري اللغة الفصحى بل تتغلب عليها . ان [illegible] مبتكر المقالة لا يدرك تماماً ما [illegible] هي اللغة الفصيحة ولا ما هي اللغة الفصحى (ان كان حضرته [illegible] الفصحى . ومن هنا استدرج عقله ومغالطته . فكان يلزمه بادئ بدء ان يحدّد ويبيّن ما هي اللغة العاميَّة والفصيحة والفصحى . فلو كان حدّدها في عقله وفهم ماهيتها لما كان اقدم على كتابة ما كتب . لكنه اقتبس بعض افكار كاشباح لاحت له في غلس الظلام فجمعها وألّفها كما يرسم المصوّر المازح الماجن فيضمّ رأس رجل ذي لحية الى عنق فرس ويكسو بالريش الاعضاء المختلفة وينهي الصورة بجسم سمكة فيكون المجموع صورة مسخ

وما قولك في ما كتبهُ حضرة المنتصر للغة العامية اذ قال (ص ٢١١) :

«لو فرضنا وهذا محال أن هبَّ جميع ادباء المصر لمقاومة قضيَّتنا فنقول ولا نبالغ ان هذه القضية في حد ذاتها لصائبة وان دخولها في حيز الوجود سيلاقي امام الشعب اللبناني اي ٩٥ من المائة فيه اعظم رواج واشدّ نجاح»

« ونضيف على ذلك ونقول اننا في غير حاجة الى من يؤيّد رأينا هذا فانّ في هذه البلاد كما قلنا آلافاً من ابناء لبنان يتضوّرون جوعاً الى آداب راقية قريبة المنال عذبة اللفظ مكتوبة بلغتهم وجميع هذه الشروط لا تجتمع الا في اللغة العامية التي نحن اول انصارها لا بالكلام الفارغ بل بامتن البراهين التاريخية واللغوية والفلسفية »

ينتصب حضرته لمحاربة ادباء العصر (١ ولا يرتاب من نيل الظفر على الجميع . ولكن كم من غازٍ أمّل الكسب والمجد ولم يجد الّا الخسارة واللحد كقول الاخطل :

ويا ربَّ غازٍ وهو يُرجى إيابُهُ وسوفَ يلاقي دونَ أوبتهِ شُغلاً

وما الطف التهمة التي يتهم بها الشعب اللبناني . لكن نسأله متى تحقّق حضرته ان الشعب اللبناني لا يفهم الّا ما يُكتب باللغة العامية . فهذا الانجيل الشريف الذي يُتلى يوميًا على مسامع الشعب فيفهمون كل معانيهِ أباللغة العاميّة كُتب ام باللغة الفصيحة اي المهذّبة . وهكذا القول عن كل الكتب التي طُبعت الى الآن لمنفعة الشعب وانتشرت في جميع الاقطار . وهذه مقالته عن اللغة العامية أللمتأدبين كتبها ام للعامة ايضاً لتفهمها وتعمل بموجبها وتشكر المنتصر لها؟ . فتراهُ كتبها باللغة الفصيحة والفصحى فلماذا ينادي بانّ العامة لا تفهمها ؟

فاذا كان انخدع حضرته بكتاب فنيانوس المكتوب باللغة العامية فليعلم ان هذا الكتاب وُضع لغاية خصوصية توخّاها مؤلفه فأفاد وأجاد . اما صاحبنا كاتب المقالة عن اللغة العامية فانه قصد تعميم المبدإ وتوسيع الطريق والزام الجميع على السلوك فيهِ فاضرّ واساء . فلو كان اقتصر على اتباع طريقة فنيانوس ووضع بعض الكتب باللغة العامية ليعلّم الآداب او ليصف الاخلاق بطريقة هزلية لما كنّا تعرّضنا لهُ بل كنا قرّظنا كتابه ومدحناه . ولا يخفى احدًا ان اللغة العامية لا تليق بكل المواضيع فان معظمها يتطلّب الهيبة والوقار

فاذا كان يرغب حضرتهُ ان يقيت المتضوّرين جوعاً الى الآداب الراقية فليقدّم لهم خبز الحنطة لا الزوان وليكتب لهم باللغة المهذبة مقالات وروايات لذيذة كالتي حرّرها في السنين الماضية في رسالة قاب يسوع فيتهافتون على قراءتها ولا تهافت الجياع على الطعام اللذيذ . والسلام على من اتبع الهدى

١) « لقد كان من نصيبنا أن شهدنا تدرّج الارتقاء الادبي في هذا القطر كأننا في مشهد كبير وجماعة العلماء والادباء يمرّون امامنا بما ترجموهُ وألّفوه وحرّروه كتبًا ورسائل ومقالات فاذا هي مثل هرَم كبير رأسهُ في الحضيض وقاعدتهُ في الاوج واسعة متينة تتناول كل موضوع نظري وعملي من اعلى مذاهب الفلسفة الى ما يختصّ بزرع الحبوب وتربية المواشي» (المقتطف العدد الاول من السنة ١٩٢٥ الصفحة ٣٩) فحضرة الخوري هارون غمن يريد ان ينزل بنا من الاوج الى الحضيض . وهذا عمّا لا يقدر عليهِ ولن يتسنى لهُ

البعثة البابوية الى البلاد السوفياتيّة

بقلم حضرة الاب جان كابلُو اليسوعيّ (تابع)

٤ اوپاتورية

هي المعاملة التي عهدت الينا دولة روسيّة الاهتمام بجياعها من الاولاد في عدد ١٥،٠٠٠ مع معاملة دجانكوي وعددهم اوفر من ١٨،٠٠٠ لكنّ تأخر الحكومة في تجهيز قطارات السفر أجل سفرنا الى ٢٨ آب. فركبنا السكّة في عصر ذلك النهار وجعلنا اثقالنا تحت نظارة جنديّين احمرين دفعنا لكلّ منهما ثلثة ملايين من الروبل. فخدمونا بامانة وانبساط وامّا نحن فلم نجد سوى قطار من الدرجة الرابعة كان فارغاً وانتظر من سواه امكنّا ان نرقد فيه ليلاً. وكان سير القطارات في الساعتين الاوليين بطيئاً ثم اخذت تخفّف سيرها وتتباطأ الى ان سئم الركّاب بطئها فنزلوا يجرون معها على قدام وكان هناك اولاد يرعون المواشي فتركوا بقرهم وجاؤوا ليجلسوا على مواطئ اقدام القطارات وبعد ان قطعوا هكذا ميلاً او ميلين كانوا ينزلون منها ويعودون الى مواشيهم. فقطعنا المسافة الفاصلة بين تاودوسية وسمفيروبول (Simphéropol) وباثنتي عشرة ساعة وهي لا تزيد عن مئة كيلومتر لنفوذ الوقود اللازم لتحريك القطارات

فنزلنا في المحطّة صباحاً وطلبنا اثقالنا فاذا هي مفقودة فأسرعتُ الى رئيس المحطّة لأطالبهُ بها فكان جوابهُ انّ القطار المقلّ لها ليس هناك وانّهُ لا علم لهُ بمجيئهِ ولا إعلان بوصولهِ

فامتعضنا لهذا الامر ايّ امتعاض وسرتُ الى دار الحكومة فعرضت الامر لرئيسها المسيو كريوف فاخذ التليفون وراجع العمّال في جانكوي فكان الجواب انّ حوائجنا هناك في قطار فُصل عن بقيّة القطارات لضعف قوّة البخار عن جرّ القطارات الحاملة الاثقال. فانتظرنا ثلثة أيام حتى حصلنا على اثقالنا. امّا الجنديّان المراقبان لها فبقيا في حراستها مرغومَين فالتزمنا ان نعوّض عليهما اجرة حراستهما في هذه المدّة

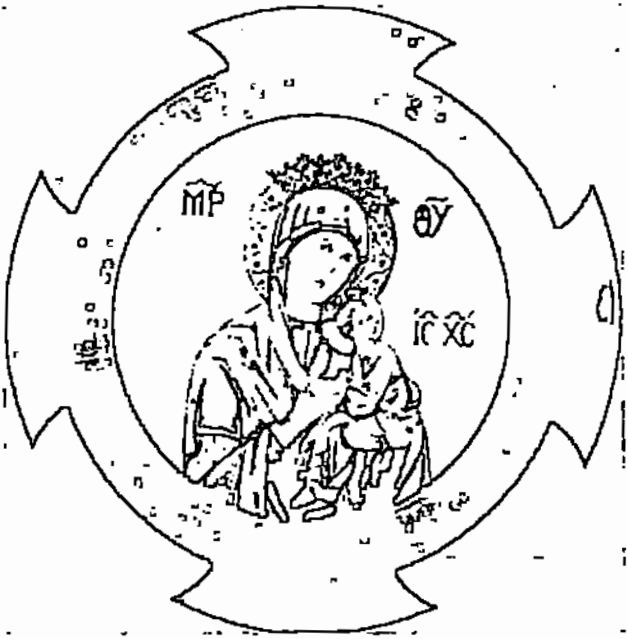

صورة بوزنطية للبتول
كانت اللجنة البابوية تعرضها في مطاعم روسية

اجازة بابوية روسية
معطاة لاعضاء اللجنة المرسلة لمساعدة المنكوبين في روسية

وبينما كنّا في سيمفيروبل لحقنا ثلثة من رفقتنا راكبين السيّارات فعند بلوغهم من المحطة انفرد جنديٌ باحدهم وادخلهُ غرفتهُ الخاصّة ثمّ طلب منهُ وبيدهِ سلاحهُ ان يعطيهُ ثلثين مليوناً من الروبل . فاجاب الاب : ليس معي دراهم فدعني اطلب من رفقائي . لكنّ الجنديّ كان واقفاً على الباب يتهدّدهُ فلم يجد سبيلاً الى الخروج لولا انّ رفيقيهِ وقتئذٍ مرّا بقربهِ صارخَين فخاف الجنديّ على نفسهِ وفتح الباب فنجا الاسير من شرّهِ

كان وصولنا الى اوباتورية في سلخ شهر آب فاسرعنا الى تجهيز مطعمٍ لتوزيع المآكل على الجياع . لكنّ البعض منّا أصيبوا بعلل مختلفة حالت دون السرعة في شغلنا فشعر الواحد بوجع المعدة والآخر بالحمّى والثالث بالمغص فعرفنا ان السبب من مبيعات الروس القذرة ومياه اوباتورية السيّئة التي يأنفها الروس غالباً ويبدلونها بالشاي

ففي ٦ ايلول كان مطعمنا مهيّأً مع المطبخ لاعداد المآكل وتوزيعها . فكان الاولاد يتراكضون حولنا منتظرين طعامهم سدّاً لجوعهم . فكنّا نُلاطفهم ونكلّمهم بلغتهم على قدر استطاعتنا فكانوا يتبسّمون عند سماعهم اغلاطنا ثمّ يصلحونها بلطف وقد سألت بعضهم : اتذهبون الى المدرسة ؟ — نعم — وكيف نجاحكم فيها ؟ — قليل بل عدم : لأن اكثر الاولاد يغيبون امّا لجوعهم وامّا لبرد الطقس وعريهم — ان شاء الله في العام القادم تزيدون نشاطاً ونجاحاً — في العام القادم ستفرغ المدرسة لان الحكومة فرضت على كل ولد مئة مليون روبل في الشهر وأهلنا لا يملكون شيئاً . قال هذا وأردف ملتفتاً الى ولدٍ آخر : ولعلّ هذا يثبت على التعليم . — ولاي سبب ؟ — لانهُ يهوديّ غنيّ جدّاً

وبلغنا انّ السوفيات فرضوا على الاهل تعليمَ اولادهم . الّا ان مدارسهم في اسوإ حال ولاسيما من جهة آدابها فان الفساد غالب عليها لانّ قسماً من معلّميها لا دين لهم يجاهرون بالزندقة والقسم الآخر مع تديّنهم قد حُتم عليهم بان يسكتوا تماماً عن الدين أمام الاولاد الذين لم يبلغ عمرهم الثاني عشرة سنة . على انّ فساد الآداب شائع خصوصاً في مدارس المدن الكبرى كبتروغراد وموسكو

وكان اثنان منّا يتجوّلان في معاملتي اوباتورية وجانكوي ويقيّدان المعلومات عن ضحايا المجاعة فيها فيأتياننا بإفادات ينفطر لها قلبنا حزناً . قالوا انّ بعضهم ينزعون

احذيتهم ويُغلونها بالماء ليجدوا فيها شبه الطعام وكان عدد لا يحصى من الجياع يأوون الى المستشفيات متلاصقين يختلط الاصحاء بالمرضى والموتى

وكان السوفيات قد تعهّدوا بان يعطونا الادوات اللازمة لتوزيع الاطعمة الّا انّهم كانوا يتهاملون ويترفّعون ويتنطّسون ثمّ وكلوا الى احد اليهود خدمتنا فوجدناه بئس الخادم وهو يريد ان يتولّى التدبير بنفسه دوننا ويتآمر على المساكين فيستثني الواحد لانّهُ كان غنيًّا فافتقر ويُبعد شيخاً مسنًّا لانّ الطعام للاولاد فقط ثمّ وجدناهُ يوماً يختلس طحيناً فأمكنّا بعد مدّةٍ ان ننجو من خدماتهِ الثقيلة

وقد جهّزنا الاطعمة لتوزّعها على عدد ١،٢٠٠ ولد تُعطى لهم فئاتٍ فئاتٍ تتألّف الفئة من ثلثمائة ولد . وفي يوم افتتاحنا للتوزيع زيّنّا مطعمنا باكاليل النبات والزهور يعلوها شمار الحبر الاعظم ممثّلاً مفاتيح القديس بطرس والتاج البابويّ المثلّث وفي ادناهُ بالروسيّة : البعثة الكاثوليكيّة المرسلة للشعب الروسيّ من قبل بابا رومية

وكان المطعم يُفتح يوميًّا في الساعة الحادية عشرة فيدخل الينا الفتية والفتيات بنظام اثنين اثنين وفي يد كلّ منهم وعاء اكلهِ . فكنّا نقدّم لكلّ واحد كميّة كافية من البرغل وطاسةً من الشوكولاتا وقطعة من الخبز السميذ الطيّب . وكنا نعرض عليهم بكلام وجيز غاية بعثتنا ومحبّة الحبر الروماني لاولادهِ الروسيّين فيترجم كلامنا احد الحضور

وبعد زمن قليل تعدّدت مطاعمنا في جهات مختلفة حتى بلغناها ٢٣٩ مطعماً في ناحيتي اوباتورية وجانكاوي فقط وكان عدد الاولاد الذين يقتاتون بخدمتنا نحو ٣٣،٤٠٠ ولد

٥ كرسنودار

بعد ان تنظّم عملنا في هذهِ النواحي فكّرنا في فتح مطاعم في جهات أُخرى فكان الآباء السالازيون توجّهوا الى موسكو والرهبان الاسبانيون كانوا يلازمون العمل في روستوف . فدُعينا نحن اليسوعيّين الى كوبان بلاد القوزاق في جهات البحر الاسود وتعيّنت لشغلنا مدينة كرسنودار . فركبنا مركباً روسيًّا أقلّنا في ٨ ت١ الى مدينة نوفوروسيسك (Novorossisk) . فعند نزولنا دخلنا مطعماً قريباً من

البحر لفطورنا. فاذا هو نُزُلٌ للسوفيات وجدنا على جداره صورةً شنيعة تدلُّ على همجيّة القوم فكانوا عمدوا الى صورة بوزنطيّة للعذراء مريم حاملة الطفل يسوع بين ذراعيها وعلى جانبيها ملاكان حاملان آلات الآلام فسخوها مشنعين فجعلوا صورة الرئيس تشرنوف بدلًا من صورة البتول وكولتشاك في مكان الطفل الالهي وفي يده رقٌ كتبوا عليه: اقتلوا الفلّاحين والعمّلة. ووضعوا في يدَي الملاكين رأسي يودنيتش ودنيكين مع اسمائهما. فعرفنا بذلك بغضهم للجيش الابيض القائم لمحاربتهم والروح السيّئة المالكة على افكارهم

على أنهم لم يتأخروا هذه الدفعة في توقيفنا. وفي صباح اليوم التالي ركبنا القطار الى كرسنودار وكنا في طريقنا نقرأ اعلانات السوفيات لنشر مبادئهم فمنها ما كان على صفائح القطارات ومنها على جدران الابنية بينها ما كُتب فيه: حاربوا الدول المتحالفة! يجب أن تحرّروا نفوسكم من ظلم ارباب الثروة والمتمولين! ايها الوطني: هيّا على الشغل! من لا يشتغل لا يستحقّ طعامهُ! وهلمّ جرًّا

بنس الحالة وجدنا فيها اهالي كرسنودار فكنّا نرى العشرات منهم مُتجمعين في الشمس عريانين وسخين شاحبي اللون متراكمين بعضهم على البعض كجثث الموتى ولا احد يحنُّ عليهم

وكان بقرب المحطّة سيّارتان ارسلها رئيس السوفيات لنقلنا الى احد المطاعم الكبرى التي كانوا اغتصبوها من اهلها لزعمهم انَّ كافّة الابنية والاموال تخصّ الدولة دون الافراد فجعلوا ذلك المطعم في خدمتنا

وكانت اوّل زيارتنا لاسواق المدينة لنقف فيها على احوال الاهلين فاذا هناك قومٌ من المنكوبين البؤساء يعرضون على التجار بقايا مالهم وأثاثهم ليعتاضوا عنها قليلًا من الطعام. فهذا يقدّم زوجاً من الجوارب وذاك قميصاً والآخر ثوباً ومعظمهم لابسون الأسمال الرثّة يجاهدون الجهاد الاخير مع الحياة

وفي سوق آخر يبيع الاغنياء ما كان لديهم من الفراء والساعات والمصاغات والكتب وآنية الموائد وهم ساكتون جامدون ينتظرون دون حراك ان يُحسن عليهم احد المشترين لينجوا بثمن تلك المبيعات من عذاب الجوع

على انَّ هذه الاحوال السيّئة كلا شيء بالنسبة الى ما في داخل البيوت من الشقاء

والفقر المدقع. وكانت النساء اللواتي نرسلهنَّ لنقف على حاجات اصحابها يَعُدْنَ الينا وامارات الكآبة على وجوههنَّ فيقلن لنا : انَّنا ما كنَّا لنظنَّ ان اوجاع الناس يمكنها ان تبلغ هذا المبلغ من العدم والشقاء. وهذه بعض الامثال الدالَّة على قولنا

اتتنا يوماً احدى السيدات التي كانت تتباهى عزًّا في نوادي باريس ولندن وهي اليوم تسير حافيةً في الازقة وقد سلبها البولشفيك كلَّ اموالها وهي تأوي اليوم في الليل الى بيت امرأة مُحسنة اليها . فكان قدومها علينا مساء في الساعة الثامنة والنصف. فدعوتها الى الدخول فاعتذرَتْ. فألححتُ عليها فقالت: اني استحي ان يراني احد في نور الضوء لسبب ثيابي الرثَّة. فخرجتُ اليها. فالتمستْ مني ثياباً تقيها من برد الليل لأنها رأت نفسها في الليلة الماضية على وشك الموت بردًا . فأعطيتها قسماً من ثيابي. فعادت بعد ايام شاكرةً لي وقالت أنها تقرَّبت على فيَّتي !

اخبرني بعضهم انَّ في المدينة عيلة احد كبار الجيش القدماء قتيل الحرب كانت امرأتهُ ملقاةً في الفراش فذهبتُ لعيادتها فاذا هي وخمسة من اولادها في غرفة صغيرة. فرأيت في صدر الغرفة صورة العذراء امامها سراجٌ منير. وكان هناك فراشٌ مضجع فيهِ ابنها البكر وعمرهُ ١٧ سنة مصاب بمرض عضال. والابن الثاني في سنّ الخامسة عشرة دخل صانعاً في احد المعامل حيث تتراكم عليهِ الاشغال المضنكة من الصباح الى الساعة الثامنة ليلًا فلا يربح في الشهر اكثر من اربعين مليوناً من الروبل (اعني ٤٠ فرنكاً). وكانت الامّ طريحة الفراش. لِما قاستهُ من التعب المضنك في سبيل عيلتها وكان بين ذراعيها ابنها الصغير وعمرهُ ثلاث سنوات بادية على وجههِ امارات الموت رأسهُ على صدر امّهِ لا يستطيع ان يرفعهُ لضعفهِ فمات بعد قليل. فاسرعنا الى مساعدة هذه العيلة البائسة

ووجدنا في بيت آخر ارملةَ احد الضبَّاط غائصةً في الاوجاع والاحزان اضطرَّت ان تسلِّم ابنها الصغير الى بعض المحسنين اذ لم تجد ما تقوتهُ بهِ وهي تقضي صُلب نهارها في كناسة وتنظيف البيوت لتعيش فقالت لنا: لو شئتُ لعشتُ بأرغد عيش مع المومسات لكني افضل الفقر المدقع . ومع انَّها لم تكتسِ إلَّا بجاجتها من الثياب تعرَّت عن فروة دافئة تُحسن بها على امرأة افقر منها فأصبحت اليوم تقاسي شدائد البرد القارس

فهذه امثلة تبيّن ما تكابدهُ الوف من الأمهات والزوجات اللواتي فقدن رجالهنّ فكنّا لا ندّخر وسعاً لتلطيف اوجاعهنّ وتعزيز فضيلتهنّ وايمانهنّ

ثمّ طلبنا سيّارةً لتزور المستشفيات والمياتم والمآوي . وكان السوفيات انشأوا في كَسْنودار مدرسةً طبيّة وألحقوا بها مستشفى جراحيا . فابتدأنا بزيارته فاذا الطبيب الجرّاح المندوب الى ادارتها من ذوي الفضل والادب لم يسَع السوفيات ان يجعلوا مكانهُ غيرهُ من ذويهم . ففتح لنا كلّ غرف المستشفى فوجدناها غاية في الترتيب والنظام . وكان جعل في قاعة العمليّات الجراحيّة ايقونة السيّد المسيح في آلامهِ ليحتمل الجرحى آلامهم واذا تعجّلهم الموت ماتوا على ايمانهم . فأثنينا كل الثناء على هذا الرجل الصالح الذي لم يشكُ سوى امر واحد قلّة الوسائط والمال لمعالجة المرضى

ثم دخلنا معملاً لاستحضار لقائف التبغ نهبهُ البولشفيك في ايّام الفوضى وتركوهُ مهملاً ثمّ جعلوهُ مأوًى لألف وخمسمائة من المنكوبين الذين قصدوا المدينة لسبب المعاش . يعجز القلم عن وصف ما وجدناهُ في هؤلاء من البؤس والقذارة كدنا نغطس لكراهة روائح ذلك المأوى . امّا سكّانه فاشبه بجثث الموتى منهم بالبشر لما يقاسونهُ من مضض المجاعة والامراض . تدلُّ عيونهم الناعسة وافواههم المتفتّحة على بلادة وحمق . الاولاد اسوأهم حالاً تراهم متكدّسين على الحضيض لا يكاد يستر جسمهم الّا اثواب بالية رثّة يُستشفّ من ورائها منظر اعضائهم الهزيلة الناحلة المنبثة بقرب انحلالها وفنائها

ثمّ سرنا الى دار اخرى جمعوا فيها نحو مئة من الاحداث وجدناهم يلعبون فسُررنا لفرحهم ونشاطهم واقبلوا يسلّمون علينا ورأينا منزلهم نظيفاً الّا انهُ غاية في النقر . نوافذ منامهم مكسّرة لا فراش لهم الّا اسرّة من الحديد خالية من المطارح والبساطات ينام ثلثة اولاد على سريرين يغطّيهم لحافٌ واحد يتكشف غالباً عن اثنين منهم فيقاسيان زمهرير البرد طول ليلهم

وفي اثناء ذلك جاء الى كَسْنودار رئيس السوفيات المقيم في كوبان فذهبنا للسلام عليهِ فقصّ علينا ما يعانيهِ اهل معاملتهِ من آلام المجاعة ما أسال دموعنا رحمةً عليهم . وممّا قالهُ انّ في اقليم كوبان ثلثة ملايين من السكّان وانّ الثُلثين منهم مصابون بالحمّيات الخبيثة والتيفوس والجرَب وليس من دواء لعلاجهم . فألحّ علينا بان نطلب

برقياً من الفاتيكان ادوية . فارسلنا برقية للحال الى الحبر الاعظم نعلمهُ بحاجة هؤلاء المنكودين فكان الجواب ان قداستهُ امر بإرسال ادوية بثمن مليون ليرة ايطالية . فشكرنا اربابُ الحكومة على هذه المنّة واخذوا يعاملوننا بلطف وانبساط وامكنّا هكذا ان نهتمّ بنوع خاصّ بالكاثوليك الـذين هناك وكان خوفهم من السوفيات ضعضع قواهم وكسر اعضادهم

وكنا نودّ ان نتقرّب من الاكليروس الروسي فنزور اسقف المدينة ونقدّم لـهُ ولكنيستهِ خدمتنا ليستفيدوا من وسائل المعاش التي لدينا لكننا أجلنا ذلـك الى الوقت المناسب لاسيما اذ عرفنا ما يشيعونهُ عنا من الاخبار الكاذبة فيزعمون أننـا اتينا لندعو المنفصلين عنا الى طاعة الحبر الروماني ليستعبدهم ويضغط عليهم بسيطرتهِ . وكان غيرهم يقولون أننا نريد تشييد المدارس والكنائس والاديرة الكاثوليكيّة . وكان الاسقف عينهُ وكهنتهُ يحذّرون الناس من مخالطتنا ومن الانخداع باقوالنـا . لكنّ هذه الاشاعات لم تؤثر في الملتجئين الينا

أمّا نحن فبقينا طول زمن اقامتنا بينهم نتصرّف بكل نزاهة وسذاجة لا نفتح معهم مسئلةً دينيّة إلّا اذا بادرونا بها نجيبهم متحايدين عن كل جدال . وكنا غالباً نكتفي بان نرفع نظر الوافـدين الى امور الآخرة ليصبروا على اوجاعهم ويجعلوا ثقتهم بالله وبالعذراء التي يكرمونها اكراماً جزيلاً . واذا ذكرنا الحبر الاعظم لا نـذكر سوى حنانهِ على الشعب الروسيّ وتمنيهِ ان يحظى بالسلام والراحة هذه كانت خطّتنا . على أنّنا لم نكن لننسى خلاص هؤلاء المساكين فنطلب من الربّ ان ينير عقولهم ويردّهم الى الحظيرة البطرسيّة ليتمّ فيهم قول الربّ ان تكون الرعيّة واحدة والراعي واحداً . قرّب الله أيام وحدة القلوب بوحدة الايمان

(لها بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

L'Archimandrite Denis Kfoury O.B.: L'Exemption des Congrégations Basiliennes Melkites, *Beyrouth*, 1924, p. 11

عصمة الرهبانيات الباسيلية الملكية

يتّضح من الحقّ القانوني انّ الرهبانيات اللاتينيّة تتمتّع في الكنيسة الكاثوليكيّة بامتياز العصمة عن سلطة الاساقفة في امور محدّدة تختلف بالكم والكيف حسب المافيات الممنوحة لها من الحبر الروماني. امّا الرهبانيات الشرقيّة فلها عصمتها الخاصّة المقرّرة في قوانينها المثبتة من الكرسيّ الرسولي. ومنها الرهبانيّة الباسيليّة الملكيّة. فانّ عصمتها عن السلطة البطريركيّة والاسقفيّة مدوّنة في براءة بندكتوس الرابع عشر في تاريخ ١١ حزيران ١٧٥٧ التي بدؤها «Ecclesiæ Catholicæ regimini» ثم اعقبها ببراءة اخرى في ١٢ آب وجّهها الى غبطة السيّد البطريرك والساقفة الطائفة ورئيس الرهبانيّة العام فاليهما وحدهما يجب الرجوع في تعريف وتحديد عصمتها. وهو الكرّاس الذي خصّهُ حضرة الارشمندريت ديونيسيوس كفوري لهذه المسألة يبيّن الامر استنادًا الى قوانينهم ما لم يصدر في تحويرها رقيم آخر لحصرها او لتوسيعها ي. م

Edouard Cuq: Les Lois Hittites. 1 vol.in-8°,1924,Paris, Librairie de la Société du Recueil Sirey.Prix 8.f.

شرائع الحثّيين

في السنة ١٩٠٦ وجد الالمان في اثناء حفرياتهم التي أجروها شرقي انقرة على مسافة ١٥٤ كيلومترًا منها في مكان يُدعى بوغازكوي مكتبة الملوك الحثّيين محفورة في نحو عشرة آلاف قطعة من الآجُرّ بالخطّ المسماري ومعظمُها في لغة الحثّيين فكان وجودها داعيًا لكثيرين من العلماء الى درس هذه اللغة المجهولة الى عهدنا. وقد نال بينهم شهرةً واسعة العلّامة التشيكي هرزني (M. Hrozni) الذي سُرَّ في هذه الاشهر الاخيرة لوجوده في مكتبتنا الشرقيّة ما يحتاج اليه في ابحاثه الاثريّة. وقد بلغ هذا الاثري الى حلّ رموز اللغة الحثّيّة بواسطة كتابات اثريّة مكتوبة بالحرف الاشوري في اللغتين البابليّة والحثّيّة ثمّ خصّ عملهُ بدرس الشرائع الحثّيّة

لاختصاصه بالعلوم الفقهية وهو احد معلميها في جامعة باريس . فأحرز له شهرة كبيرة بتفسيره لهذه الشرائع . وها قد اوقفنا اليوم على عمله الاثري الالماني الشهير ادورد كرك فبيّن عظم الفوائد الناجمة عن مقابلة المسيو هرزفي بين شرائع الحثيين وما يوافقها في شرائع الامم القديمة

A. Joffre : Le Mandat de la France sur la Syrie et le Grand Liban. 1 vol, gr. 8°, Lyon, Imprimerie Bascou, 1924 Prix 8f, 72

انتداب فرنسة على سورية ولبنان الكبير

مسيو جوفر احد دكاترة الحقوق والمحامين في مجلس الاستئناف في ليون . فقد خصّ كتابهُ هذا لدرس انتداب فرنسة على سورية ولبنان الكبير . فانهُ بعد مقدّمات مفيدة يبحث فيها عن اصل هذا الانتداب وما فهمهُ مخترعوهُ بوضعهِ يقابل بين الانتداب المذكور والحماية فلا يجد بينهما اختلافاً كبيراً وذلك بطريقة إثباتها ومدّة دوامها وتحقيقها . وبها تنحصر سلطة المنتدَب وتبقى حقوق البلاد المنتدبة مصونة لا ينتهك المنتدَب حرمتها . وكانت الدول سابقاً هي تقرّر حدود هذه السلطة في تقارير رسمية يمضيها ممثلوها . فان تغيّرت اليوم الالفاظ لم تتغيّر الاحوال فانّ مراقبي سلطة الانتداب في الحاضر هي الدول العديدة الممثّلة في جمعيّة الامم تقوم في تقرير انتداب فرنسة على سورية مقام الدول السبع التي كانت قبل الحرب ضامنة لحقوق لبنان وبذلك تزيد هذه الحقوق ثباتاً . وقد بيّن المسيو جوفر كل هذه المعلومات بوضوح عظيم وترتيب في المواد يزيل كلّ التباس ويدلّ على سعة معارف المؤلف في الدساتير الدوليّة ج . ل

Comte R. de Gontaut-Biron. D'Angora a Lausanne: Les Etapes d'une déchéance. 1 *vol in*-16 *avec* 3 *cartes*, 1924, *Paris, Librairie Plon, Prix* 10 *f*.

من انقره الى لوزان او مراحل الهبوط

كان الكونت دي غونتو بيرون سبق واستحقّ شكرنا بكتابهِ المعنون « كيف احتلّت فرنسة سورية » الذي بيّن فيهِ الاغلاط السياسيّة التي وقعت فيها فرنسة والتي تظهر كلّ يوم عواقبها المشئومة . امّا هذا الكتاب الجديد فانّه يفصّل فيها احوال

الشرق ويكشف بعض صحائفه السوداء التي من شأنها ان تبعث في العموم النفور والحمية للدفاع عن مصالح فرنسة بدلاً من تضحيتها بسياسة عوجاء كاذبة . وكثير من المداولات الدولية والمفاوضات الرسمية بقيت محجوبة لم يطلع عليها إلا بعض الافراد فجاء هذا الكتاب مميطاً لكل حجاب ليقف الرأي العام على ما تأتيه الحكومة الديموقراطية من الاغلاط ج . ل

Général Brémond: L'Islam et les Questions Musulmanes au point de vue français. 1 *vol. in*-12, 1924, *Paris. Ch. Lavauzelle. Prix* 5 *f*°

الاسلام والمسائل الاسلامية في نظر الفرنسويين

معلوم ان الجنرال بريمون كان متولياً قيادة الجيوش الفرنسوية في الحجاز وقيليقية . وهذه محاضرة القاها في باريس اختصر فيها وصف احوال الاسلام في عهدنا والمسائل الاسلامية التي يحتاج الفرنسويون الى معرفتها . ومما يبينه في هذه المحاضرة الاضرار الناجمة من الفرض على بعض المستعمرات الافريقية غير العربية ان تتعلم اللغة والكتابة العربيتين لمخابراتها الرسمية بدلاً من لغاتها الوطنية . وهو يعرض امام الدول الاوربية أن تجري ازاء الاسلام على خطة واحدة لما بينها من التضامن

Un Africain: Manuel de politique musulmane. 1 *vol. in*-16, *Paris Éditions Bossard*, 1925, *Prix* 7f, 50

دستور السياسة الاسلامية

هذا الكتاب ' ـنير وضعه احد كبار الضباط الفرنسويين الذي خدم دولته زمناً طويلاً في افريقية الشمالية . ندد فيه بمنشورات بعض الكتبة الذين مسخوا باوصافهم الخيالية وجه الاسلام فتبعوا فيه اوهامهم وجاروا عن الحقيقة (Islamo-manie) كبيار لوتي وفارار (Farrère) ومادام غوليس (Mme B. G. Gaulis) . ومما يقوله هناك ان السياسة التي ينتظرها المسلمون في اوطانهم هي سياسة الأمن والاعتدال والنظام والشدة في قهر المخالفين . ومن الاخطار التي يلفت اليها نظر الحكومة التعليم اللاديني إشاعة بعض الاوهام السياسية العصرية التي لا تنطبق مع احوالهم . والمؤلف ممن يرغبون المحالفة مع تركية ه ل

Capitaine de Vaisseau A. F. A. Carpenter de la Marine britannique. L'Embouteillage de Zeebrugge. 1 *vol. in*-8° *avec* 18 *gravures et une carte hors texte*, 1925, *Paris, Payot, Prix* 10 *f*°

حصر الاسطول الالماني في تيبروج

في مبادي السنة ١٩١٨ كانت الطرادات الالمانية وغواصاتها تتجول في البحار

فتدمّر سفن الحلفاء فلا تبقي ولا تذر. وكان مركز معظم اسطولها في مرافئ بلجكة في تسيبروج وفي بروج كان يجتمع فيهما كلّ يوم نحو ١٨ غوّاصة و ٢٥ طرّادًا. فرأت النقابة البحريّة البريطانيّة انهُ من الممكن حصرها في مرافئها ومنعها من الخروج الى البحر فاستعدّت للامر استعدادًا سريًّا ولم تزل تستحضر لهُ كلّ لوازمهِ حتى اخرجتهُ الى حيز الوجود. وتفاصيل هذه البعثة التي ترأست حبس قوّات المانية البحريّة هي مدوّنة في هذا الكتاب بقلم احد ضبّاط بارجة ڤنديكاتِف (Vindicative) الذي قام بهذا العمل الجليل وهو من الطف ما أتتهُ الى يومنا النقابات البحريّة

Motefindt (Dr Hugo) : Zur Geschichte der Barttracht in alten Orient. 1 *vol.*, 8°, 1923, *Leipzig, Dieterische Verlagsbuchhandlung*

تاريخ الالتحاء في الشرق القديم

للالتحاء اخبار واسعة بين قدماء الشعوب جمعها الدكتور الالماني موتفند مصرّحًا في اوّل كتابهِ بانّ هذا الموضوع غنيٌّ جدًّا. وقد قسم تأليفهُ الى خمسة ابواب بحث فيها اوّلًا عن الوجوه الحليقة ثمّ عن لحى العارضين ثمّ اللحية الكاملة ثمّ اللحية الاشوريّة ثمّ الشوارب بلا لحية. ويقسم كلّ باب الى فصول مختلفة على اختلاف الشعوب الشرقيّة وما حدث ايضًا من ازياء اللحى في كلّ شعب على توالي الزمان. ومما يلوح من هذه الابحاث انّ اهل سوريّة وفلسطين ثبتوا على الإلتحاء الكامل قديمًا. امّا المصريّون والبابليّون فانهم كانوا يحلقون لحاهم وشواربهم معًا. وكان للاشوريين زيٌّ آخر فيتّخذون اللحاء الضفيرة او المدرّجة وذلك بين الالفين الاول والثاني قبل المسيح. وفي آخر الكتاب صور تلك اللحى منقولة عن الآثار القديمة ج. ل

S. Th. Lascaris : La politique extérieure de la Grèce avant et après le Congrès de Berlin, 1875-1881 1 *vol. in*-8°, 1924, *Paris, Editions Bossard. Prix* 15 *f*

سياسة اليونان الخارجيّة قبل مؤتمر برلين وبعدهُ

انّ الست السنين التي حاربت فيها الدولُ البلقانيّة السلطنةَ العثمانيّة من ١٨٧٥ الى ١٨٨١ بقيت اليونان جامدةً لا تلبّي دعوة شقيقاتها لمحاربة تركيّة وذلك لسوء حال ماليّتها ولضعف قوّاتها البرّيّة والبحريّة. ولمّا عُقد مؤتمر برلين لم يُدعَ لها اليونان.

الّا انّ نائب فرنسة ارضى رفقتهُ بان يدعوا وكيلًا اليونان عند تحديد الثغور التركيّة المتاخمة لليونان . فحضرها احدهم ونال من ارباب المؤتمر معظم انحاء تسالية بعد مخابرات طويلة كان يطمع فيها اليونان ببلاد ابيروس ايضاً . وقد عرض المسيو اسكاريس مؤلف هذا الكتاب تطوّرات ذلك المؤتمر الشهير وما وقع فيه من اختلاف الآراء بين ممثلي الدول واحسنَ خصوصاً في وصف موقف اليونان وفوزهم بما لم يحلموا به مع الامل بالحصول على ما هو اوفر

P. G. Heurgren. La poste dans les temps anciens et modernes. 1 *vol.*, 8° *illustré*, *Stockholm*, *C. E. Fritzes*, 1924

البريد في الازمنة القديمة والحديثة

وقع في السنة الماضية التذكار المئوي لانشاء الاتحاد البريدي العامّ . فخصّت المانية لذلك موسماً عظيماً نشرت فيه طابعاً بريدياً خصوصياً يمثل الدكتور استفان رئيس ادارة البريد الالماني الذائع الشهرة . وقد جارتها دولة اسوج فنشرت الكتاب المذكور آنفاً جمع فيه معلومات شتى بخصوص البريد وما استفادت منهُ الدول والمدن الجميلة وقد خُصّ بابٌ لوصف البريد الجوّي بالطيران في الحرب وبعدها مع قائمة لمحصّل البريد الجوّي في السنة ١٩٢٣ . وقد بسط مؤلّفهُ كلّ ذلك باللغة الافرنسيّة وضمّن كتابهُ تصاوير جميلة تدلّ على حسن ذوقهِ وترقّي بلادهِ في الفنون ج . ل

Général Chapel : 1° (La T. S. F. et l'Ether. 2°) La Météorologie de demain. *Conférences tenues, le 7 Nov*. 1923 *et le* 17 *Mai* 1924. *Paris, Gauthier-Villars, brochées.*, *in*-16

محاضرتان في التلغرافية اللاسلكيّة والاثير ثم في الاثار الجوّيّة غدًا

بيّن الجنرال شابل في محاضرتهِ الاولى انّ الاثير لدقّتهِ العظيمة وتخلّلهِ ترتج ذرّاتهُ لادنى حركة فيحصل من ذلك ارتجاجات تؤثر في توازن انحاء الجوّ وتعلّل مظاهر عديدة كان العلماء لا يمكنهم تعليلها كبعض اهتزازات غير قانونيّة تحصل في التلغراف اللاسلكي وبعض الانفجارات الفاجئة في مستودعات البارود واتقاد النار في الاحراج . فيثبت المؤلف انّ حركات الاثير كافية لشرح هذه الحوادث الغريبة لانّ كرتنا الارضيّة محاطة بل غائصة في الاثير الذي يتكهرب بحركة الارض واهتزازات الجوّ فيتّصف بخواصّ جديدة . امّا المحاضرة الثانية فانّ الجنرال بحث فيها عن المواد الفلكيّة المتناثرة

والتي تصادم ارضنا وتلتصق بها وهي بتمادي الزمان ستصبح آفةً لأرضنا فمن الواجب على علماء الآثار الجوّيّة ان يرصدوها ويتلافوا اضرارها

K. Cebrian : GESCHICHTE D. KARTOGRAPHIE. I Altertum, mit einem Anhang (Ptolemaios als Kartograph) von J. Fischer. s. j. 1 *vol.* 8°, *Gotha, J. Perthes*, 1825, *Prix*, 1 *Mark* 55

تاريخ رسم الخوارط

لم يحاول حتى الآن الجغرافيّون ان يكتبوا تاريخ رسم الخوارط فاراد المرسيريان صاحب هذا الكتاب ان يسدّ هذه الثلمة فجمع في كتابهِ ما يُعرَف في القدم من رسم الخوارط في مصر وبين الشعوب السامية وفي اليونان الى زمن ايراتوستان وانشاء المدرسة الاسكندريّة وهذا القسم قد نشرتهُ المجلة الجغرافيّة بوستين (Geographische Bausteine) . وفي آخرِ فصل في بيان ما لبطلميوس الكلوذي من الفضل في رسم الخوارط كتبهُ اليسوعي فيشر وهو ايضاً الساعي الى نشر كتاب المسيو سيريان الذي ذهب ضحيّة الحرب الاخيرة فقُتل في محاربة الروس ج.ل

Indexes to the Mufaḍḍaliyât compiled by A. L. BEVAN, *Gibb Memorial new Series III*, 1924

فهارس المفضّليات

سبق لنا ذكر الطبعة الجميلة من المفضّليات وشرحها التي نشرها في مطبعتنا الكاثوليكيّة الطيّب الذكر السيرْ شرل جمس ليال فحال موتهُ دون طبع فهارسهِ وها قد قام بهذا العمل الجليل المستشرق بيفان فانجزهُ في ٣٦٠ صفحة كلّها فوائد تحتوي على اربع فهارس اوّلها فهرس القصائد الواردة في المفضّليات مع الدلالة على بحرها . والثاني فهرس اعلام الاشخاص والقبائل . والثالث اعلام الامكنة . والرابع جدول الالفاظ المشروحة في الكتاب . ويُختم بافادات جديدة واصلاح اغلاط . فترى الفرق العظيم بين مطبوعات المستشرقين الفخمة ومطبوعاتنا الشرقيّة السقيمة . وكم نحن في حاجة ماسّة للاقتداء بهم ل.ش

تقويم المرآة لسنة ١٩٢٥

مجموعة سنويّة بادارة خليل زينيه

طُبع بمطبعة المقتطف والمقطّم بمصر (ص ٤٠٠)

قد بلغ فنّ التقاويم في اوربّة مبلغاً معتبراً. ومنهم من جعلها شبه دائرة لكل المعارف. وها هوذا تقويم يجاريها في مصر صنّفهُ احد كتبتنا المجيدين خليل افندي زينيه ضمّنهُ ضروباً من الفوائد في كلّ صنف من فكاهات ومتفرّقات جدّية وهزليّة حتى الخرافيّة ايضاً مثل الفراسة ومشاورة البخت. واحسن ما فيهِ قسمهُ التاريخي في مصر والسودان وسوريّة ولبنان وجزيرة العرب ومراكش. مع عدد عديد من التصاوير الجميلة فنهنئ ناشر هذه التحفة الفنيّة ونحضّ القرّاء على اقتنائها

صرخة الى القضاء على القضاء

للمحامي نجيب خلف

طُبع في بيروت (مطبعة [illegible]) سنة ١٩٢٤ (ص ٥٠)

انّ من الصرخات [illegible] تأثير رنينها في الآذان حتى الوَتَرة. وهذه صرخة من جنسها بصوت [illegible] رفع عقيرتهُ اولاً ثم ثانياً الى المحاكم وكأن مسامع القضاة لم تُصغِ اليهِ. فعسى هذه الصرخة توقظ النائمين من سِنتهم وتمنح العدل حقوقهُ

ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — منشور بطريركي في آفة الصر ١٩٢٥ — هو المنشور النفيس الذي وجّههُ غبطة سيّد لبنان البطريرك الماروني ماري الياس حويك الى طائفتهِ الكريمة يحذّرهم فيهِ من روح الكفر ويحضّهم على حفظ كنز ايمان اجدادهم الثمين (طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٥ ص ١٩)

٢ — حياة الطوباوي كوتولنكو او عجائب العناية الالهيّة — بقلم الخوري مارون غصن. هي الترجمة البديعة التي ظهرت في عدد كانون الثاني في المشرق. طُبعت على حدة. تُطلب من المؤلف وثمنها عشرة غروش

٣ — صورة الخطاب — الذي القاهُ في ٢١ شباط ١٩٢٤ حضرة المونسنيور برلس السماني في نادي الكليّة البطريركيّة الفلسطينيّة في فرصة التذكار السنوي الثالث لوفاة الكردينال فرّاري مؤسس الجمعيّة المعروفة باسمهِ. طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في اورشليم ١٩٢٤ ص ١٠ مع عدّة تصاوير

٤ ⟵ عقود الجمان في عيد لبنان ⟶ قصيدة رفعها الى غبطة البطريرك مار الياس بطرس الحويك البرديوط بطرس حبيقة بنسبة العيد السادس والعشرين لارتقائه الى السدّة البطريركية في ٦ كانون الثاني ١٩٢٥ (طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٥)

٥ ⟵ روزنامة فيتل ⟶ تقويم سنوي لطيف للعام ١٩٢٥ قدّمهُ لمجلة المشرق جناب الاجزائي البارع يوسف افندي الجميّل يحتوي مدّة معلومات وفكاهات طبيّة وتصاوير جدّية وهزليّة بخصوص مياه فيتل المعدنيّة في فرنسة . يصحبهُ اعلان يفيد عن مستحضرات طبيّة جديدة في صيدليّته العامرة (طريق النهر)

٦ ⟵ الديوان الشهير في السؤالات والحزازير ⟶ هو كرّاس في ٣٠ صفحة بقلم لطف الله البكاسيني اللبنانيّ يفكّهُ فيهِ خواطر محبّي المعمّيات والالغاز باللغة العاميّة الدارجة

٧ ⟵ الديوان العال في حلّ الحزازير والامثال ⟶ (في ٢٧ صفحة) . للمؤلف عينهِ تابع للكتاب المذكور . يحل فيهِ المعمّيات السابقة الّا البعض منها ممّا يُطلب حلّها مع وضع جائزة لمن يحلّها . وفي اوّل هذا الكرّاس امثال في ٢٢ بابًا دعا كلّ باب مزمورًا (كذا!)

٨ ⟵ The Beginnings of Arabic Lexicogrophy, *by F. Krenkow* ⟶ هذه مقالة عتمة كتبها بالانكليزيّة صديقنا المستشرق فريتس كرنكوف لخصّ فيها تاريخ المعاجم العربيّة الاولى التي سبقت صحاح الجوهري مباشرةً بلغويّات ابي الاسود الدؤلي وكتاب العين للخليل (ص ١٦)

شذرات

﴿المكتبة الامبروسيّة ومديرها الجديد﴾ المكتبة الامبروسيّة في ميلانو من أجلّ مكاتب ايطالية بعد مكتبة الفاتيكان فيها من المخطوطات العربيّة والشرقيّة تآليف يتقاطر الى درسها العلماء من كل البلاد . وفي هذه المكتبة اشتهر قداسة الحبر الاعظم بيوس الخامس عشر قبل ان تُعهَد اليهِ نظارة مكتبة الفاتيكان . وقد عرفنا بالمسرّة ان استاذ الاداب اللاتينيّة في جامعة ميلانو الكاثوليكيّة المستشرق الدكتور جوانّي غلبياتي أُقيم حديثاً حارساً لها فأعطي القوسَ باريها . وحضرتهُ من ذوي المعارف الواسعة في المطبوعات والمخطوطات فلنا الامل انهُ يكون خير خلف لخير سلف .

﴿نشرة المكتب الطبي الفرنسوي السنويّة﴾ وقفنا على هذه النشرة للسنة الثامنة والثلاثين المدرسيّة التي قضاها هذا المكتب من تشرين الثاني ١٩٢٣ الى حزيران ١٩٢٤ . فكان عدد المتخرّجين فيهِ في فروعهِ الاربعة : الطبّ والصيدليّة وعلاج الاسنان وتهذيب القوابل مائتين واثنين . وقد نال في هذه المدّة شهادات الدكتوريّة

٤ ⟵ عقود الجمان في عيد لبنان ⟶ قصيدة رفعها الى غبطة البطريرك مار الياس بطرس الحويك البرديوط بطرس حبيقة بنسبة العيد السادس والعشرين لارتقائه الى السدّة البطريركية في ٦ كانون الثاني ١٩٢٥ (طبع في المطبعة الكاثوليكيّة ١٩٢٥)

٥ ⟵ روزنامة فيتل ⟶ تقويم سنوي لطيف للعام ١٩٢٥ قدّمهُ لمجلة المشرق جناب الاجزائي البارع يوسف افندي الجميّل يحتوي مدّة معلومات وفكاهات طبيّة وتصاوير جدّية وهزليّة بخصوص مياه فيتل المعدنيّة في فرنسة . يصحبهُ اعلان يفيد عن مستحضرات طبيّة جديدة في صيدليّته العامرة (طريق النهر)

٦ ⟵ الديوان الشهير في السؤالات والحزازير ⟶ هو كرّاس في ٣٠ صفحة بقلم لطف الله البكاسيني اللبنانيّ يفكّهُ فيهِ خواطر محبّي المعمّيات والالغاز باللغة العاميّة الدارجة

٧ ⟵ الديوان العال في حلّ الحزازير والامثال ⟶ (في ٢٧ صفحة) . للمؤلف عينهِ تابع للكتاب المذكور . يحل فيهِ المعمّيات السابقة الّا البعض منها ممّا يُطلب حلّها مع وضع جائزة لمن يحلّها . وفي اوّل هذا الكرّاس امثال في ٢٢ بابًا دعا كلّ باب مزمورًا (كذا!)

٨ ⟵ The Beginnings of Arabic Lexicogrophy, *by F. Krenkow* ⟶ هذه مقالة عتمة كتبها بالانكليزيّة صديقنا المستشرق فريتس كرنكوف لخصّ فيها تاريخ المعاجم العربيّة الاولى التي سبقت صحاح الجوهري مباشرةً بلغويّات ابي الاسود الدؤلي وكتاب العين للخليل (ص ١٦)

شذرات

﴿المكتبة الامبروسيّة ومديرها الجديد﴾ المكتبة الامبروسيّة في ميلانو من أجلّ مكاتب ايطالية بعد مكتبة الفاتيكان فيها من المخطوطات العربيّة والشرقيّة تآليف يتقاطر الى درسها العلماء من كل البلاد . وفي هذه المكتبة اشتهر قداسة الحبر الاعظم بيوس الخامس عشر قبل ان تُعهَد اليهِ نظارة مكتبة الفاتيكان . وقد عرفنا بالمسرّة ان استاذ الاداب اللاتينيّة في جامعة ميلانو الكاثوليكيّة المستشرق الدكتور جوانّي غلبياتي أُقيم حديثاً حارساً لها فأعطي القوسَ باريها . وحضرتهُ من ذوي المعارف الواسعة في المطبوعات والمخطوطات فلنا الامل انهُ يكون خير خلف لخير سلف .

﴿نشرة المكتب الطبي الفرنسوي السنويّة﴾ وقفنا على هذه النشرة للسنة الثامنة والثلاثين المدرسيّة التي قضاها هذا المكتب من تشرين الثاني ١٩٢٣ الى حزيران ١٩٢٤ . فكان عدد المتخرّجين فيهِ في فروعهِ الاربعة : الطبّ والصيدليّة وعلاج الاسنان وتهذيب القوابل مائتين واثنين . وقد نال في هذه المدّة شهادات الدكتوريّة

في الطب ٢٨ تلميذاً وفي الصيدلية ٣ وفي طبابة الاسنان ٦ وفي اجازة القوابل ٩

﴿نزاع محفلي صنين والسلام﴾ اوقفنا احد الاصحاب على لائحة ماسونية فيها تفاصيل النزاع الواقع بين محفلي صنين والسلام فيحرم كلٌّ منهما الآخر ويؤثمهُ. فخطر على بالنا قول صاحب المزامير (١٢٦ : ١) : « ان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون» (الاحرار)

﴿ضفدع وزهرة متحجّرتان منذ ملايين من السنين﴾ احبّت مجلّة الهلال رواية الاخبار العجيبة المستغربة ففي عددها الاخير (يناير ص٤٣٢–٤٣٣) صوّرت ضفدعةً متحجّرةً وُجدت في منجم كبريت في اسبانية تظهر فيها عضلات جسمها وتجعُّدات جلدها فزعمت انَّ هذا الحيوان «عاش منذ ملايين السنين» (كذا). ثمَّ انتقلت الى ذكر زهرةٍ اثبتت ايضاً صورتها فقدَّرت عمرها كما قدَّرهُ الاستاذ وبلاند « بنحو ١٠ مليون من السنين » . فترى كيف يتلاعب صاحب الهلال بالملايين كأنها في حسابه ربوات السنين او آلافها. فاين القياس الذي استند اليهِ ؟ ألا يعلم انَّ تحجُّر النبات والحيوان يتمُّ مراراً باقلّ من مئة سنة . وهب انهُ تمَّ بعشرة اضعاف هذه المدَّة فاين نحن من الملايين. والعجب انَّ مجلّة الهلال لم تستنتج من عمر الضفدع والزهرة برهاناً مفحماً للدروينيّين الزاعمين بسُنَّة التحوُّل والتطوُّر. وهاهنا مثلان من بقاء نوعي النبات والحيوان على اصلهما منذ ملايين من السنين لا بل نشرت ما يدلُّ على تناقضها في فصل « لسلامه موسى » عنوانهُ لماذا أُومن بنظريَّة التطوُّر » فجاء صاحبها بالسفسطة التي اعتادها الدروينيّون ولم يثبتوا الى اليوم مدَّعاهم بغير الرهميَّات والظنّيات

﴿قداسة البابا والازياء الخلاعيَّة﴾ لكننا نثني هنا على ما روتهُ المجلّة المذكورة (هلال ديسمبر ص ٣٢٧) عن حملة الكنيسة الكاثوليكيَّة على الازياء الخلاعيَّة واستحسنت دعوة «صاحب القداسة البابا بيوس الحادي عشر جميع النساء الى الاحتشام وعيبهُ عليهم عدم مبالاتهنَّ بالحياء في الظهور امام الناس وفي الكنائس خاصَّةً وتأليف جمعيَّة من النساء في رومية لتحقيق اغراضهِ مع ذكرها الصلاة المرفوعة منهنَّ لهذه الغاية وختمت بقولها : قد وضع البابا وساماً يُعطى للنادي النسائي الذي يخترع لباساً جامعاً للجمال والحشمة» فيا ليت الهلال تعوَّدنا على مثل هذه الاخبار السارَّة في كلّ عدد من اعدادها

أسئلة وأجوبة

س سأل احد المشترقين ما هو المذهب السلفي الذي زعم المسيو لويس ماسينيون في بعض منشوراته انَّ معظم اهل الشام منتسبون اليهِ ومن هو صاحبهُ؟

المذهب السلفي وصاحبهُ

ج المذهب السلفي منسوب الى صدر الدين ابي طاهر احمد بن محمَّد . . . بن ابرهيم سِلَفَهُ الاصبهاني المولود في اصبهان والمتوفَّى في الاسكندريَّة في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) وترجمتهُ في وفيات الاعيان لابن خلكان (éd. de Slane p. 43-44) وليس لهُ مذهب خاصّ كاصحاب المذاهب الاسلاميَّة الاربعة الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي وانَّما كان شافعيّ المذهب إلَّا انَّهُ كان احد الحفَّاظ المكثرين يرجع اعيان الفقه الشافعي الى قولهِ لكثرة محفوظاتهِ ومنشوراتهِ . واسمهُ السِّلَفي نسبة الى احد اجدادهِ المشقوق الشفاه . وسِلَفة بالفارسيَّة ثلث شفاه

س وسأل من مصر الاديب يوسف افندي المدوَّر: أصحيح ما قرأهُ من زمن قريب في المقطَّم ان البابا اقليمس الرابع الذي كان مقترنًا بالزواج قبل دخولهِ في سلك الاكليروس وانتخابهِ للبابويَّة (١٢٦٥-١٢٦٨) منع ابنيهِ عن الزواج ورغمهما على الترهُّب ؟

ج لا سند لهذه الرواية . وعلى خلاف ذلك اثبت المؤرِّخ هنر (H. Hemmer) انَّ الواحدة منهما مابيل (Mabille) ترهَّبت برضاها واقترنت الثانية سيسيلية بالزواج وجعل لها والدها بابنة موافقة لمقامها الوسط . وكذلك ساعد ابنة اخيهِ على زواج قانوني فاين القسر في كلّ ذلك ؟

س وسأل الاديب يوسف افندي صفير : ١ً من هو الكاتب المجريّ صفير . ٢ً من هم الرافضة الكروانيين الذين ردَّ عليهم ابن تيميَّة

ج ١ً لم يضبط السائل اسم الكاتب المجري وانَّما اسمهُ مكس سَفير او صَفير (Saphir) ولد في المجر سنة ١٧٩٥ وتوفي سنة ١٨٥٨ كان يهوديّ الاصل ثمَّ جنح الى المذهب البروتستاني واشتهر في ڤينا بتحرير الجرائد ونظم الشعر الالماني والمجري . ٢ً الرافضة كما جاء في تاج العروس (٥ : ٣٤) فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب ثمَّ رفضوهُ وتركوهُ فدُعوا بالرافضة . وكان منهم قوم في كروان ردَّ عليهم ابن التيميَّة (راجع مقالتنا في ابن تيميَّة) ل . ش

المشرق

حقوق اللغة العامّيّة بازاء اللغة الفصيحة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

قام منذ عهد قريب صديقنا حضرة الخوري غصن احد اساتذة العربيّة الافاضل فتح امام الجمهور في كتابهِ الحديث « درسٌ ومطالعة » دعوى لم تخطر على بال احد حتى اليوم فعرضها على بساط الجدال وكتب هناك (ص ١٨٥—٢١٢) فصلاً مطوّلاً عنوانهُ «حياة اللغات وموتها» وشفع ذلك بملحق ايّد فيهِ رأيهُ بتاريخ اللغات الاجنبيّة وفصول تعليميّة مُنبرياً في كل ذلك للدفاع عن اللغة الدارجة العامّيّة منتصراً على قولهِ لحقوقها المهضومة . وحضرتهُ كما لا يخفى معروف بمقالاتهِ وخطبهِ نثرًا ونظماً في اللغة الفصيحة وبتعليمهِ لها بإتقان حتى لو شرد عنها احد تلامذتهِ وعدل الى ركاكة العوام ونَبْهِ وخجَلهُ

فما أعظم ما كان اندهاشنا اذ رأيناهُ مؤخرًا يعدل عن سواء السبيل فأنذرنا بهبوط اللغة العربيّة الفصيحة وبتبوُّء اللغة الدارجة سدّة الشرف والسيادة بدلاً منها مستنيًا في قولهِ الى ادلّة ظنّها مقنعةً قاطعة وندّد في المحاضرة التي القاها في نادي اخويّة القديس يوسف المارونيّة بالذين يخالفون رأيهُ حتى كاد يعدّهم من اعداء العلم والوطن يؤثرون البقاء على العتيق والقديم في عصرٍ يتسابق فيهِ الناس الى الجديد . ففضّلنا إحالتهُ الى مثل للعامّة اصحابهِ «احفظ عتيقك . جديدك ما بيبقى لك» او بالحري تذكرنا قول القديس بولس الرسول الى اهل غلاطية : «اني لمتعجب كيف تتنقّلون في

الرأي هكذا سريعاً . . كنتم تسيرون سيراً حسناً فما الذي عاقكم» . هـا قد مرَّ على حضرته نحو ثلثين سنة يخدم اللغة العربيَّة الفصيحة لا يبالي باللغة العاميَّة وهو اليوم يدَّعي أنَّنا ظلمنا هذه اللغة فاحتجَّ على ظلمنا لها وأتانا شاكي السلاح ليتصدَّى لكل من لا يرى رأيهُ وكأنَّنا حاولنا تخطئة العامَّة على ملازمتهم لهجتهم واضطررناهم الى تعلُّم اللغة الفصيحة

فبعد ما سرَّحنا النظر في كتابات حضرته للدفاع عن رأيهِ احببنا ان نخصَّ هذه المقالة بتعريف حقوق اللغة العاميَّة بازاء اللغة الفصيحة فنثبت ما لكلتيهما من المزايا او الخواصّ مع بيان حدودهما الفاصلة

١ اللغة العاميَّة ومزاياها وحدودها

واوَّل ما يجب قولهُ لحضرته أنَّنا لم نجهل حقوق اللغة العاميَّة ولا نحاول اضطرار الشعب على ترك لهجته العاميَّة في كل معاملاته لا بل مدحنا مرارًا الذين وضعوا بعض التآليف في اللغة العاميَّة ليتمرَّنوا فيها من الطلاوة والحلاوة في بعض الاحوال فقد ذكرنا منشيء مجلَّة ابي الهول الاديب شكري الخوري في سان باولو البرازيل لمَّا قرَّظنا كتبهُ المختلفة ولاسيما «التحفة العاميَّة» (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٦٢١) و«طولة العمر في حديث ابو يوسف وغر» (٨[١٩٠٥] : ١٨٩) و «رواية يا حسرتي عليك يا زعيتر» ومما قلناهُ في وصف تلك المطبوعات (٥ : ٦٢١)

«يأنف أغلب الكتبة من استعمال اللغة العاميَّة لنشر افكارهم وترويج مقاصدهم على انَّ لهجة العوام في بعض الاحيان اقرب الى نوال المرغوب واقوى نيلًا في القلوب فانَّ الادباء يجدون فيها تفكهة الارواح امَّا الجمهور فيرى صورة حياتهِ اليوميَّة وكلامهِ المطروق وامثالهِ المتادة فتؤثر فيهِ اقوال الكاتب ومضامين تحريراتهِ»

وما قلناهُ عن مطبوعات شكري افندي الخوري قلناهُ ايضاً في فنون المغنّي ومنظومات القوَّالين كوصفنا لكتاب شمس المغنّي الفريدة في المطبوعات الجديدة للقوَّال الشهير خليل سمان الفغالي (المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٩٥٨ ثم ١٠ [١٩٠٧] : ٩٥٥) وقد نقلنا من بعض هذه الكتب امثلةً « دالَّة على تفنُّن اصحابها بالمواضيع وحسن وصفهم للعادات بذوق سليم ودقَّة نظر وكلّ ذلك باللهجة الشائعة في لبنان فيجد

القارىء في كلّ سطر منها مرآة حيّة لاحوال اهل الجبل في كلّ اطوار حياتهم» (٨ [١٩٠٥]: ١٨٩—١٩٠)

وكم نشرنا ايضاً في مجلّتنا من مدائح وقصدان واقاويل عاميّة شتّى لنبيّن لقرّائنا الكرام ما تحتويه اللغة العاميّة من التخيّلات الحسنة والتعابير المبتكرة والحكم والامثال المكنوزة بحلّة لهجة الشعب فنشرنا من (المدائح) مديح القديسة بربارة (المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٩٥٦) ومديحة القديس جرجس (٦[١٩٠٣]: ٣٨٩و٥٢٦) ومن (الحكم) اقوال الغنّالي في الغنى بحبّ الله وفي دحض الطبيعيّين (١٢: ٦٣٣) ومن (الاجتماعيات) زجليّات وقرّاديّات مقولة في تقبيح الماسونيّة (١٤[١٩١١]: ٦٨٧—٦٩٢ و ١٦: ٦٥٦) ومن (الاوصاف) زجليّة الاديب الياس مسابكي في مجلس بلديّة دمشق (١٨[١٩٢٠]: ٦٧١—٦٧٥) وزجلية أخرى نشرها الكاتب المتفنّن عيسى اسكندر المعلوف في وصف الغلاء والجوع منذ مائة وثلثين سنة (١٨: ٣٣٨—٣٤٨) ومناحة جبرائيل القلاعي على رفيقه الاب يوحنا الفريق (١٨: ٢٥٠—٢٥٦) ومنها موشّح عين سير (٨: ١٣٩—١٤١) ومن (الامثال) امثال العوام في الشهور وفصول العام للشيخ انطون افندي جميّل (٨: ٦٦٤و٦٨٧و٨٦٥) وامثال العامّة في بغداد ليوسف افندي غنيمه (٩: ٢٩٧) وامثال عكّار للاب سليمان غانم اليسوعي (٩: ٥٥٥) وامثال حلب للمرحوم القس توما ايوب (١٠ ٨٢٧و٨٧٤و٩٢٥) . ومن (التاريخيّات) زجلية على فتح المسلمين لطرابلس (١٤: ٤٣٣) وزجلية في تلامذة المدرسة المارونيّة في رومية (٢٠: ٧٤٤) ومن (الفكاهيّات) قصيد ابو الركب لاحدى السيّدات (٤: ١٠٠٥) وزجليّة ضيف الليل (البرغوث) في كتاب علم الادب (الجزء الاوّل (٤٢٧—٤٢٩) . ومن (الاخلاق) محاورة الكريم والبخيل لخليل سمعان الغنّالي في مجموع اطرب الشعر واطيب النثر (١: ٣٩٢—٣٩٧) وغير ذلك ممّا يدل على اعتبارنا اللغة العاميّة في بعض المواقع . ولا يُنكر ان في درسها بعض الفوائد

﴿الفائدة الاولى﴾ انّ اللغة العاميّة بلهجتها ولفظها وتعابيرها وتصوّراتها تُطلع نوعاً على اخلاق المتكلّمين بها فبمجرّد استماعها يحكم السامع على بعض طباع اصحابها من خشونة اولين، من ذلاقة لسان او وحشيّة ، من سكنى سهول ومدن (متمدّنين) او جبال وقرى (فلّاحين)

﴿ الفائدة الثانية ﴾ انها تبيّن شيئاً من عنصر المتكلّمين بها ومخالطتهم للاجانب فانّ في لغة لبنان مثلاً بقايا كثيرة من لغتهم السريانيّة القديمة كما اثبت ذلك الاديبان بطرس حبيقة والمنسنيور ميشال فتّالي في تآليفهما . وفي عربيّة اهل ما بين النهرين الفاظ كثيرة كرديّة وتركيّة لمخالطتهم اكراد بلادهم واتراكها . وكذلك في لغة العراق آثار فارسيّة عديدة لامتزاجهم هناك باهل فارس

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ انّ في لغة العوام مفردات شتّى عربيّة او اعجميّة دخيلة لا يعرفها غيرهم وهي الفاظ يستعملونها بينهم اصطلحوا عليها للدلالة على مبيعاتهم وأثاثهم وادوات اشغالهم كالبنّائين والحدّادين والنجّارين والطباخين والتجار والبحريين لا ذكر لها في المعاجم وكتب اللغة ويحسن الاستفادة منها لوصف الصنائع والحِرَف

ولا بأس لو اراد الكاتب ان يمثّل في كتابته شيئاً من اوصاف العامّة ان يجعل في افواههم لهجتهم الخاصّة كما لو صوّر مثلاً فلّاحاً او مكارياً او ولداً من العامّة . ونذكر انّ اوّل من صنع ذلك هو احد الآباء اليسوعيين من رسالتنا السوريّة الاب يوسف دمياني في تقاويم البشير الاولى ١٨٦٩–١٨٧٣ م في اثنا عشر تقويماً التي سواها في سوريّة ذكتب [illegible] عامية وادبية بين معلّم ومكارٍ فكان اسم يتكلّم بلغة فصيحة والمكاري يجيبه بلهجته العاميّة . فشاع اسم المكاري وكان اصله من غزير فتفكّه الناس بلهجته حتى أنِف ممّا لقيهُ من هزلهم واتى الاب متشكياً فقال له : « يا ابونا جرّستنا . دخيلك لا تحطش اسمي في حكاياتك »

ولا نتعرّض الروائيّ ان اراد يكتب رواية هزليّة لو يمثّل على المراسح بعضاً من العامّة ان يفضّل لغتهم على اللغة الفصيحة لغاية صالحة يقصدها . وكذا يقال عن بعض جرائد يحرّرها اصحابها تفكهةً للطبقة السفلى من القوم

بل لا نلوم مرشد الشعب وخطيبهم ومعلّمهم ان يتقرّب اليهم بلغة اقرب من لهجتهم ان استصوب ذلك مع حفظ كرامة الوعظ والتعليم

وقد كتبنا قبل سنتين في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ١٠٤٣–١٠٥١) مقالةً في الوسائل لترقية اللغة العربيّة . ومن جملة تلك الوسائل ذكرنا تمثيلاً « العامّي الحديث » وسوغنا ما كتبناهُ بحرفه :

« العامّي ما ينطق به العامّة وشاع على لسانهم دون الادباء . فانّ للعامّة لغةً خاصّةً لا تخلو في

كثير من منطوقها من وثاقة وسلاسة وحسن ذوق. وليس العامي حديث الوضع في البرية واغا جرى عليه العرب في بدوهم وحضرهم منذ القدم حتى في اوان الجاهلية وبعد الاسلام في كل اطواره الى يومنا »

ثم حرّضنا المجمع العلمي العامّ الذي أشرنا الى انشائه « ان لا يهمل هذا الفرع من اللغة الدارجة فانّ في معرفتها منافع جمّة» ثمّ اردفنا قائلين :

« وتغنيّ عن البيان انهُ من الواجب تمحيص العامّي قبل انتقاء مفرداته ومركّباته وادراجها في اللغة الرسميّة وذلك ايضاً من مهمّات المجمع العلميّ الذي حكمته يرجع كلّ ما يتوط باللغة وتحسينها وتوسيع نطاقها. ولا بأس ان يُسعفهُ الادباء في تآليفهم ومقالاتهم التي ينشرونها في الجرائد والمجلّات فانّ باحتكاك الآراء يسطع النور ويلوح الصواب »

وكان سبقنا الى هذا الموضوع المستشرق الشهير المرحوم مرتين هرتمان فنشر في السنة الاولى من المشرق ١٨٩٨ (ص ٧٦٠و١١٠١) مقالة بيّن فيها اهميّة جمع خواصّ الكلام الدارج» . فيلوح من كل ما سبق انّنا لسنا اعداء العلم ولا اعداء الوطن وانّنا لعارفون مقام اللهجة العاميّة

الّا ان حضرة الاب صالحاني اذ تصدّى لمقالة الخوري مارون غضن لم ينكر شيئاً ممّا سبق وانّما رأى في فصوله المطبوعة في كتابه درس ومطالعة ثم رأينا نحن ايضاً في ملحقه حقوق اللغة العاميّة ما يمسّ شرف ومقام اللغة الفصيحة التي عليها وحدها المعوّل في التعليم والكتابة والمواصلات الرسميّة. ولعلّ حضرة الخوري لم ينو للغة الفصيحة شرّاً ولين احتجاجنا على نيّته بل على ظاهر كلامه

فانّ الفصل الذي عقده تحت عنوان «حياة اللغات وموتها» لا يظهر منهُ كما زعم المسمّى «لسعد نخله» في جريدة الاقبال انهُ يريد به تعزيز اللغة العاميّة فقط بل قصد ان يثبت ان اللغة العربيّة الفصيحة آيلة الى الموت وان اللغة العاميّة مدعوّة الى التربّع مكانها . وقد شعر حضرته بما سيثير كلامهُ في العقلاء من الهيجان ولذلك تراهُ يحترس لنفسه بذكر كلمة توميستكل: «اضرب بشرط ان تصغي اليّ» (ص١٨٥—١٨٦) فقد أصغينا ولسنا نريد ان نضرب بل ان نبيّن الحقيقة بالاعتدال

فما هو يا تُرى معنى ابحاثه في انّ كلّ لغة سائرة الى الفناء وفي ان لا بُدّ لكل لغة عاميّة من ان تتحوّل الى لغة فصيحة وفي ضربه لامثال اللغات القديمة التي بعد

عزّها ماتت وقامت بدلًا منها لغاتٌ قوميّة، أليس كلّ ذلك تمهيدًا لزعمهِ انَّ اللغة العربيّة الفصيحة على مثال تلك اللغات سائرة الى الفناء وهو يُنذرها بموتها ويتكهّن بقيامة اللغة العاميّة مكانها عاجلًا او آجلًا

ومما يؤخذ من كلام حضرتهِ الذي يكرّرهُ مرارًا في فصولهِ انَّ اللغة العاميّة ستصير باهتمامهِ واهتمام امثالهِ من نوابغ الكتبة لغةً فصيحة. فكيف تكون فصيحةً يا رعاك الله إلّا بان تقتل اللغة العربية التي منذ ١٤٠٠ سنة سادت في عالم العلم إلّا بان تقلبها ظهرًا لبطن فتُبطل كل اعرابها وتلغي اكبر قسم من صرفها ونحوها ويكفي للبرهان على قولنا ان نثبت هنا المثل الاوّل الذي ضربه في ملحقهِ (ص٥١) قال :

إمّي

لا تخبروا ان الزمان يبقدر دايمًا يمحي الجمال، ولا البكا والهموم يبقدرو دايمًا يزوّحولو تضارتو: عيدي إمّي عمرا ستين سنه، وكلّ مرا نظرت لَيها وتطلّعت فيها، شوفا عمال تزيد حلاو نظرتي — إذا التفتت، او ضحكت، او بكيت، بتأثير بنفي ألطف تأثير. آخ! إذا رحم ربي لكنت بقدّ كل حياتي وانا إشتغل بسورتا! وقديش بستحلي سورتها . . .

نشدتُك الله ايها القارئ اللبيب أترى ان هذه الرطانة ستُصبح يوماً اللغة الفصيحة التي على قول كاتبنا ستخلف اللغة الكتابيَّة؟ وان ثبت ملكُها ألا تكون القاضية عليها وهو اليوم يزعم انَّهُ لا يُريد لها أذًى؟. فانت في هذه القطعة ما تعلّمناهُ من تصريف واعراب وتركيب جمل فضلًا عمّا فيها من اغلاط الإملاء. أهذه تكون فصاحة لغتنا في المستقبل ان نُقدّم الباء على المضارع ونبدل النون من التنوين ونلغي علامة الفاعل والمفعول والمجرور وان نلاشي الضمائر ونقلب الحروف كما تخطر على بال العامّة فنلفظ الثاء تارةً تاء وتارة سيناً ونقلب اللام راء. ونخلط كلّ الحركات والضوابط بعضها ببعض؟

فيا لله من لغة معدّة للفصاحة ومرشّحة للإمامة بل يا لها من متصلة جزّار لو صار اليها الحكم فعلى لغتنا السلام. فعبثاً يقول اذن حضرة الكاتب انَّهُ يصون حرمة لغتنا الشريفة وهو ينقض ركنها ويثلّ عرشها. ولم يُفِدْه تنصُّل محاميهِ المزعوم اسعد نخله في الإقبال ذرّةً

امّا القواعد التي نشرها في ملحقهِ المذكور في ستّ صفحات (٣٧–٤٢) وهو يزعم «انهُ لم يسبقهُ احدٌ بعدُ الى وضع قواعد الكتابة لأُمّة العامّيّة السوريّة» فانّ كثيرين سبقوهُ اليها واثبتوها مفصّلةً في اصولهم الغراماطيقيّة فانّ في مكتبتنا الشرقيّة تاليف في قواعد لغات العامّة لكلّ انحاء الشرق لبيروت والشام وفلسطين ومصر والعراق وجزيرة العرب والجزائر ومراكش. فادّعاؤه السبقيّة يدلّ على جهلهِ بما شاع وذاع باقلام ماتسون (Em. Mattsson) وماكس لوهر (Dr Max Löhr) وفاهرمند (Wahrmund) وليتمان (Enno Littmann) وماسينيون (L. Massignon) ولندبرغ (Cte Landberg) وسوتسين (Socin) ومَيسنر (Meissner) وفولرس (K. Vollers) وباور (L. Bauer) ودلفين (G. Delphin) وذكر منها شيئاً في مطبعتنا الآباء بلين (Blin) وبلو (Belot) ولويس روتزفال والمرحوم يوسف حرفوش في مقدّمات كتابهِ الفرنسوي (Le Drogman arabe) وغيرهم. فلم يأتِ اذن حضرتهُ امراً إدّاً بل ولا نقطةً من بحر. وفي قواعده ما هو أحرى بان يُدعى «عدم القواعد» فخُذ مثلاً قولهُ في الحروف «انّ الالف تكتب دائماً بصورة الالف ولو كانت منقلبة عن ياء» ويضرب لذلك مثل «الغنى» ولم يُفِدْنا ايَّ «غنًى» أراد أقصد الغنى اي الثروة ام قصد «الغناء» ونسي ان يعلمنا كيف نفرز الواحد عن الآخر. وكذا قل عن «إزن» أراد «المسمع» وكثيرون يقول «ادن» بالدال او اراد «إذَنْ» حرف الجواب؟

وفي المثل السابق «انقلبت اللام راء» (يا رَيت) ونسي ان ينبّهنا في قواعدهِ على ذلك. وكم وكم من الحروف تتشوّه وتتبدّل وهو لم يذكر منها شيئاً

وقس عليهِ بقيّة الفصول وقواعدها فلو اردنا انتقادها لوجدنا في كلّ منها شذوذاً او مطعناً

وقد قصر حضرتهُ الكلام في كتابهِ وملحقهِ على لغة سوريّة وفي قولهِ هذا نظر فانّ قواعدهُ ولو ثبتت لما صحّت الّا على لغة لبنان (مع اختلافاتها من قرية الى اخرى) فهيهات ان تُطلق على لغة حلب وحمص وحماة والشام والقدس ومصر والعراق والمغرب فايّ لغة من هذه اللغات العامّيّة يريد لها الحكم. فكيف لم يفطن حضرتهُ الى ذلك فيثير روح الشقاق بين تلك البلاد أفيظنّ انّ كلّاً منها ستغيّر لهجتها بلغة فصيحة

خاصّة بها فيحصل لنا عشر لغات فصيحة مستقلّة تحتاج الى اتقانها كما نتعلّم اليوم بدلًا من اللاتينيّة اللغات المشتقّة منها كالفرنسويّة والايطاليّة والاسبانيّة والبورتغاليّة والبروفنساليّة الخ . ولو ذكرنا هنا امثلةً من لهجات كل قطر لتأكّد ما بينها من الاختلاف الذي ينفي كلّ واحدة . فليراجع مثلاً ما اثبتهُ حضرة الخوري بولس سلمان من اقوال الساكنين في شرقي الاردن (المشرق ١٧ [١٩١٤] ٢٦٣ و٣٣٣) فكم تختلف عن لهجة لبنان . ودونك مثالًا من عربيّة الجزائر (Delphin, p. 60) :

« الردواد والسوّامة : واحد النهار هما زوج متاع الناس خلطوا للسوق باش يشروا عودة ' صابوا رجل ردواد يبيع في عودة سارموها منهُ قالوا لهُ اشحال تسوى العودة قال لهم أعطاوا خمْ خمْ خمْ . قال الواحد لصاحبوا ايا نمشوا ما بجي يوصل للدين غير اذا احنا كنا شرينا عودة اخرى ومشاوا في حالهم »

وهذا مثال من عربيّة العراق في العدد الاخير من ملحق المجلّة الاسيويّة الالمانية (ص ٨٨) ولا يخفى انّ لفظهم للحروف يختلف عن لفظنا :

« اريد ارقص فالطي ' فاني عن حيلا يا رشيد لازم صير ة فيها بين الصبايا والسيد ازين يا مدموع الضلع ' يا تحق ارفوف اغطا ' اله فيه اخر حزنه بطع يضرب بيها وسطا »

وهذا مثال عربيّة نجد (Socin: Diwan aus Central Arabien, p. 239)

« يا ابيرنا يا اللي تعرف الشاره ' اثر الحنين بالودك ما صار ' لوصار بيدّي واحد هوكاره ' بدعيه مثل الزيد راعي الكار ' يفرح اذا جاء ليله مطاره ' تظلم عليه الدين بيت النار ' اذا ملأ الطاوه وفاح كناره ' ولا وطى عنده فهو مشكاره ' الآنجى اذا مات ما له حاره ' بالآخره يحشر مع الكفّار

وهذا مثال من لغة الحلبيّين في اعراسهم ذكرتهُ مجلّة المسرّة في عددها الاخير (شباط ١٩٢٥ ص٨٢) وسعى في حلّ لغزهِ حضرة القس جبرائيل مجّاش :

وَلَكْ افْ يـاوي ' دُسْ دُسْ ' بروكْ مْنيح ' ها يبا ها

فهذه هي بابل اللهجات فان شاء حضرة الخوري مارون غصن تعزيزها ونشرها كما يريد تعزيز اللهجة العاميّة في لبنان أفيبقى اثر للغة الفصيحة ؟ اتلبس هو اذن عاملًا على التفريق بين العناصر بدلًا من تأليف القلوب وجمعها؟

٢ اللغة العربية الفصيحة

هي لغتنا العربيّة الشريفة التي وحدها يحقّ لها ان تفتخر بسابقها وحاضرها ولاحقها . امّا سابقها فيشهد لهُ عدد لا يُحصى من الكتبة والشعراء والادباء الذين تتواصل سلسلتهم غير المنفصمة منذ عهد الجاهليّة في القرن السادس للمسيح الى ايامنا . ولا نرى في كلّ هذه الاجيال اثرًا مذكورًا للغة العامية مع شيوعها بين جمهور الشعب في انحاء البلاد

وامّا حاضرها فهذه المدارس التي يضيق الاحصاء عن تعدادها والتآليف والجرائد والمطابع والجمعيّات الادبيّة وكلّها تتناصر في درس العربيّة الفصيحة ونشرها . بينما لا ترى للغة العاميّة غير صحيفات قليلة لا تخرج من دوائر ضيّقة للعامّة في بعض المواقف الهزليّة او المقامات الأخلاقيّة . فاين مطبوعاتها الدينيّة والعلميّة والفنّية فكلّها لا أثر لها ولا عين

وامّا مستقبلها فالأمل معقود بانهُ يفوق على ماضيها وحاضرها مع ما نرى كل يوم من اتساع نطاق الآداب وتوفّر عدد الكتبة وازدياد الوسائط للدرس والتأليف وتعدّد الجمعيّات العلميّة والمطابع فلا غرو انّ كل هذه الوسائل تنذر بمستقبل بهيّ سيراهُ من بعدنا اخلافنا ونستبشر بهِ منذ يومنا

وكأنّي بمعترض يقول : هل بقيت اللغة العربيّة الفصيحة على حالها منذ ظهورها ؟ ألم يعترها تغيير كبقيّة اللغات ؟ نجيب على ذلك انّ اللغة العربيّة الفصيحة ليست لغة ميتة وهي على مثال اللغات الحيّة تنمو وتتّسع وتنال من احوال البلاد وعناصر الشعوب التي تتكلّم بها سواعدَ تتّصل بها وتتكيّف بكيفيّتها وتُصبح معها جسمًا واحدًا . وهذا ما تحقّقهُ اللغويّون في كل اطوار عمرها حتى في زمن الجاهليّة فدخلت فيها الفاظ يونانيّة ولاتينيّة وحبشيّة وسريانيّة وعبرانيّة وفارسيّة وتركيّة استعملها الكتبة في تآليفهم بل لا يخلو منها القرآن كما يقرّ بهِ مفسّروهُ . وكذا حدث في بعض قواعدها الصرفيّة والنحويّة يشهد عليها ما دار من الجدال بين البصريين والكوفيين وغيرهم

بيد انّ هذه الالفاظ الدخيلة والتغييرات اللغويّة لم تمسّ جوهر اللغة ولم تؤثر في اصولها والدليل عليهِ ما كُتب من التآليف القديمة والدواوين الراقية الى اوائل الاسلام لا بل الى زمن الجاهليّة فانّنا نقرأها وندرسها ونفكّ اسرارها بما لدينا من المعاجم

وكتب النحو . والماضي يضمن لنا المستقبل . وفي عهدنا وسائط اوسع واوفر لحفظ سلامة اللغة من الزمن القديم لكثرة الكتب المدرسيَّة والمعلمين المجتهدين في تعليمها

وقد وقفت هذه اللغة بازاء اللهجات العاميَّة وقفة الحكيم العاقل لم تأنف من ان تستعير منها بعض ما رأت فيه صلاحيةً للدلالة على المخترعات الحديثة وعلى المسمَّيات الجديدة وذلك الدخيل الذي يُغنيها دون ان يفسدها ولا نأبى ان تحوِّر اللغة الفصيحة فيتَّفق الأدباء على تسهيل بعض قواعدها المرتبكة كما ارتأى صديقنا الدكتور امين الجميّل في مقالته (المشرق ٢٠[١٩٢٢]: ٤٩٥) «الرأي العام في عثرات الاقلام» . اما اذا حاول العامَّة ان ينتهكوا حرمتها برطانتهم فتسدُّ بابها دونهم وتسمهم بسمة العار اللهمَّ إلَّا بعض الزجليَّات والاغاني وما اشبهها تجعل لها حدودًا لا تتعدَّاها

وان عارضنا اللهجات العاميَّة باللغة الفصيحة وجدنا انَّ تلك اللهجات هي التي تترقَّى الى اللغة الفصيحة وتتقرَّب منها مع الزمان فتنال من فضلها اكثر ممَّا تكتسب اللغة الفصيحة من لغات العموم . فهذه مطبوعات عديدة نشرها الأوائل والقدماء . ن و [illegible] خصوصاً في [illegible] كفَّة الزير وبني هلال و [illegible] مع كون عاميَّة اللهجة اقرب كثيرًا من اللغة الفصيحة مما نجده من [illegible] قبل [illegible] في القرون السابقة كما ترى في زجليَّات ابن القلاعي وآثار بعض اهل الشعب في تلك الازمنة . ولدينا شاهد على قولنا في الامثلة العاميَّة التي اختارها حضرة الاب مارون غصن يكفي لها اصلاح قليل لتصبح كلاماً فصيحاً . دونك مثلهُ السابق مع اصلاحه

الرواية العاميَّة	اصلاحها
إمي	أمي
لا تحسبو ان الزمان بيقدر دائمن يحي الجمال، ولا البكا والهموم بيقدرو دائمن يروّحولو نضارتو : هيدي إمي عمرا ستين سنة وكل ما نظرت ليها وتطلّعت فيها بشوفا عمال تزيد جمال بنظري – اذا التفتت او ضحكت او حكيت بتأثير بقلبي ألطف تأثير – آخ يا ريتني مصوّر لكنت بقعد كل حياتي وانا اشتغل بصورتا	لا تحسبوا ان الزمان يقدر دائمًا يحي الجمال، ولا البكاء والهموم تقدر دائمًا تروّح لهُ نضارتهُ : هذه أمي عمرها ستون سنة وكلّ ما نظرتُ اليها وتطلّعتُ فيها اشوفها تزيد جمالًا بنظري – اذا التفتت او ضحكت او حكت تؤثر في قلبي ألطف تأثير – آه يا ليتني مصوّرًا لكنتُ أقعد كلّ حياتي وانا اشتغل بصورتها

فيا لله أكان يلزم كلّ هذا الصراخ والجدال للمدافعة عن هذه اللغة العاميّة ورفع شأنها وهي لا تخالف اللغة الفصيحة إلّا ببعض ما يفسده لسان العامّة. أما كان احرى بالابمارون ان يقول لهم: «انّ اللغة الفصيحة اقرب اليكم من قاب قوسين والدليل انكم لا تجدون فرقاً كبيراً بين الروايتين المذكورتين سواء عُرضت عليكم باللغة الدارجة او باللغة الفصيحة. وهاكم تسمعون كلّ يوم في الكنيسة قراءة الانجيل باللغة الفصيحة ولا احد منكم يطلب ان يُقرأ باللغة العامية وتتلون كل صلواتكم باللغة الفصيحة ولم يخطر على بالكم استبدالها باللغة الدارجة واذا وُجه اليكم رؤساؤكم الاجلّاء مناشيرهم كتبوها باللغة الفصيحة وكلكم يدرك معانيها. وكم تقرأون من الكتب الفصيحة كألف ليلة وليلة وقصّة عنتر فتفهمونها دون صعوبة وكذلك الجرائد لا تفوتكم اخبارُها وكلها فصيحة. امّا الكتب اللغويّة العويصة كالحريري والشعر القديم والكتابات المتصنعة فهذه لم تُكتب إلّا للمتبحّرين في اللغة فلاحاجة لكم اليها. فاثبتوا على لهجتكم في المعاملات واياكم ان تتعرّضوا لمن يكتب او يتكلّم باللغة الفصيحة فلا بأس بعملهِ فانهُ يستفيد ويفيدكم». فلو عرض حضرتهُ المسألة على هذا المنوال لوَفى بالغرَض ولم يستهدف لانتقاد احد من الادباء فجار عن الطريق وتعدّى الخطة المثلى فصوّب اليه المنتقدون سهامهم فأصابت المرمى

ردود

حضرة الخوري مارون غصن

على البشير والمشرق

قد ظهرت في هذه الايّام الاخيرة لحضرة الخوري مارون غصن في الإقبال اولًا باسم المسمّى اسعد نخله (؟) ثم باسمه صريحاً في الاحوال ردودٌ على ما كتبتهُ جريدة البشير في وصف كتابهِ المعنون بدرس ومطالعة وما نشرتهُ مجلّة المشرق تحت عنوان «خطر جسيم او اللغة العاميّة» فاطّلعنا عليها واذا فيها من التسميات والتُّهم التي

فيا لله أكان يلزم كلّ هذا الصراخ والجدال للمدافعة عن هذه اللغة العاميّة ورفع شأنها وهي لا تخالف اللغة الفصيحة إلّا ببعض ما يفسده لسان العامّة. أما كان احرى بالابمارون ان يقول لهم: «انّ اللغة الفصيحة اقرب اليكم من قاب قوسين والدليل انكم لا تجدون فرقاً كبيراً بين الروايتين المذكورتين سواء عُرضت عليكم باللغة الدارجة او باللغة الفصيحة. وهاكم تسمعون كلّ يوم في الكنيسة قراءة الانجيل باللغة الفصيحة ولا احد منكم يطلب ان يُقرأ باللغة العامية وتتلون كل صلواتكم باللغة الفصيحة ولم يخطر على بالكم استبدالها باللغة الدارجة واذا وُجه اليكم رؤساؤكم الاجلّاء مناشيرهم كتبوها باللغة الفصيحة وكلكم يدرك معانيها. وكم تقرأون من الكتب الفصيحة كألف ليلة وليلة وقصّة عنتر فتفهمونها دون صعوبة وكذلك الجرائد لا تفوتكم اخبارُها وكلها فصيحة. امّا الكتب اللغويّة العويصة كالحريري والشعر القديم والكتابات المتصنعة فهذه لم تُكتب إلّا للمتبحّرين في اللغة فلاحاجة لكم اليها. فاثبتوا على لهجتكم في المعاملات واياكم ان تتعرّضوا لمن يكتب او يتكلّم باللغة الفصيحة فلا بأس بعملهِ فانهُ يستفيد ويفيدكم». فلو عرض حضرتهُ المسألة على هذا المنوال لوَفى بالغرَض ولم يستهدف لانتقاد احد من الادباء فجار عن الطريق وتعدّى الخطة المثلى فصوّب اليه المنتقدون سهامهم فأصابت المرمى

ردود

حضرة الخوري مارون غصن

على البشير والمشرق

قد ظهرت في هذه الايّام الاخيرة لحضرة الخوري مارون غصن في الإقبال اولًا باسم المسمّى اسعد نخله (؟) ثم باسمه صريحاً في الاحوال ردودٌ على ما كتبتهُ جريدة البشير في وصف كتابهِ المعنون بدرس ومطالعة وما نشرتهُ مجلّة المشرق تحت عنوان «خطر جسيم او اللغة العاميّة» فاطّلعنا عليها واذا فيها من التسميات والتُّهم التي

أدهشتنا وادهشت كل من قرأها . فرانا مضطرين صوناً لحرمة الحقيقة ان نعلن هنا تفاصيل هذه المسألة الغريبة

يعلم الكلّ انّ حضرة الخوري مارون غصن احد اساتذة مدرستنا الكلّيّة منذ السنين السابقة للحرب وكنّا في كل هذه المدّة نجلّهُ ونثني على همّتهِ في تدريس اللغة العربيّة وكثيرًا ما نشرنا لهُ في جريدة البشير وفي مجلّة المشرق وفي رسالة قلب يسوع مقاطيع شعريّة ونثريّة كان القرّاء يقبلون على مطالعتها بكل شوق . وبياناً لرضى المدرسة من خدماتهِ سعى حضرة الاب شانتور رئيس كليّتنا لدى الحكومة الفرنسويّة فنال لهُ من فضلها وسام اكادمية المعارف الفرنسويّة وعُقدت لهُ وقتئذٍ حفلة شائقة في محفل الكلّيّة وهي التي وصفناها في المشرق في العام الماضي (٢٢[١٩٢٤]: ٣٩–٤٧) بكلام مسهب . ولحضرة الخوري هناك (٤٤–٤٧) خطبةٌ جميلة شهد فيها لنفسهِ خدمتهُ للغة العربيّة الفصيحة واثنى اعطر الثناء على ما لكليّة القديس يوسف وآبائها من الايادي البيض في تعزيز تلك اللغة

وقد ثبت حضرتهُ على هذه الخطّة الى اوائل السنة المدرسيّة الحالية واذا به [illegible] يدفع العامّة لاستعمالها فقط بل ليقيمها مقام اللغة الفصيحة مدّعياً ان هذه اللغة الفصيحة آيلة الى الفناء وانّ اللغة العاميّة ستقوم بدلاً منها ومن ثمّ يجب السعي في تعزيزها ريثما تبلغ غايتها الشريفة من قتل اللغة الفصيحة . واخذ ينشر هذا الفكر بين اصحابهِ ومعارفهِ فبلغنا فكرهُ فلم نكن لنعيرهُ بالاً بل عددناهُ من اضغاث الاحلام التي تعرض احياناً لبعض الكتبة فسكتنا عنهُ

ولمّا كان الشهر كانون الاوّل من العام الماضي فكّر حضرة استاذنا في نشر ما لهُ من المقالات المختلفة في مجلة المشرق وجريدة البشير ورسالة قلب يسوع ليجعلها كتاباً مستقلاً تحت عنوان « درس ومطالعة » وذلك على حسابهِ فعرض الامر على مدير مطبعتنا الذي اجاب الى طلبهِ على شرط ان لا ينشر في كتابهِ الّا ما ورد في المنشورات السابقة التي راقبها مراقبو مطبوعاتنا دون العثمانيّات والجماليّات والعزميّات والدردنيليّات فأكّد لهُ الامر وسلّم مسوّداتهِ للطبع

فلمّا بلغ الى ثلثي الكتاب دسّ فيهِ مقالةً واسعة دون ان يُطلع عليها مراقبي

المطبوعات فأعطاها للصفاف فصفّها وهو لا يدري من امرها شيئاً ثمّ مُثلت للطبع. فطُبع منها جانبٌ كبير واذا باحدنا وقف على ورقةٍ منها فاخذهُ العجب من نشرها واعلم بذلك رؤساءنا فآخذوا حضرتهُ على فعلهِ وطالبوا اليهِ ان يُلغيها ويعوّضوا لهُ عن الخسارة الماليَّة فلم يرضَ ولم يزل يلحّ ويدافع عن رأيهِ قائلاً بانَّ هذا بحثٌ علميّ لا بأس منهُ حتى تركوهُ وشأنهُ بعد ان حذّروهُ من ردود آبائنا عليهِ فقال: انا لا اخاف احداً وسيفوز رأيي عاجلاً او آجلاً

ومن انشائهِ هذا العامّي بعض صفحات ملحقة برسالة قاب يسوع في عددها كانون الثاني استاء لها كلُّ من قرأها حتى قارئيها من العامّة فلم يُسمَح بنشر مثلها في عدد آخر

فلمّا ظهر كتابهُ «درس ومطالعة» وعرضهُ على جريدة البشير للانتقاد مدح مديرها ما فيهِ من المقاطيع الفصيحة ولم يستحسن لهُ ما كتبهُ فيهِ في تعزيز اللغة العاميَّة وسيادتها على اللغة الفصيحة

وممّا أذهلنا وأذهل كل اساتذة كليَّتنا قولهُ في مقدّمتهِ (حتى قبل ظهور الكتاب: «وحسبهُ فالًا بالرواج انهُ ما أنجز طبعهُ حتى اهّلت بهِ ادارة الدروس العربيَّة في كليَّة القديس يوسف» فجعل زوراً بقولهِ هذا كليَّتنا ضمينةً لاقوالهِ ومؤيدة لرأيهِ الفاسد في اللغة العاميَّة

واطّلع حضرة الاب انطون صالحاني على تلك المقالة المستغربة حتى قبل صدور الكتاب فأسرع الى تفنيدها في مقالة واسعة نشرتها في المشرق. فقامت قيامة الاب غصن لهذه الانتقادات التي سبقنا وانذرناهُ بها فحاول الردّ عليها في الجريدة الاسلاميَّة الاقبال وكان ارسل ذلك الردّ بواسطة احد الغرباء وامضاها باسم المدعوّ «اسعد نخله». ثمّ دبّج بقلمهِ والتصريح عن اسمهِ الكريم عدّة مقالات نشرتها جريدة الاحوال وصدى الاحوال وفيها ما فيها

ومن الطاف الكاتب في تلك الردود ما كنّا نودّ ان لا يُشان بهِ قلم حضرة الخوري غصن. فهو ينسب هناك الى البشير التنطّس والتغطرس اذ «يريد ان يعلو صوتهُ اصوات جميع الجرائد حتى في هذه المسألة العلميَّة» وان «يكون حكمهُ في هذه القضيَّة العلميَّة الاجتماعيَّة فوق احكام علماء البلاد وعلمائها» ولهذا يمنع الناس

عن البلوغ «الى تحقيق امر فيه خير ونجاح»

وألطف من ذلك ما وجّهه من الملام والتقريع لحضرة الاب انطون صالحاني فتارةً يقول عن مقالته التي وقعت اطيب موقع لدى كل المطلعين عليها أنها «محشوّة من المغالطات» وانهُ لم «يدرك أنهُ أساء بقضيّته شعباً كاملاً يستميت في سبيل الذود عنها» وتارةً يقول لصاحبها انهُ «قد تسرّع في الحكم» وانهُ «خبط خبط عشواء» وان «جوابهُ غلط في غلط» وانهُ «ضالّ ومضلّ» وانهُ «لم يقرأ مقالتهُ» وانهُ اشتهر بكتابته «كما اشتهر جحا بكسر مزراب العين» (كذا) واقوال كثيرة من هذا الطرز الظريف

ولم يحرم حضرتهُ ضعفنا من تلك الالطاف فاراد ان يصوّرنا لقرّاء الاقبال والاحوال كاعداء العلم والوطن بل نسبنا الى التناقض في الحكم لمديحنا لبعض المطبوعات في اللغة العامية كأنَّ مديحنا هذا يمسُّ شرف اللغة الفصيحة او كأننا حاولنا بذلك دكّ اركانها. ومن العجب العجاب انهُ ينسب الينا ما كتبهُ حضرة الاب صالحاني كأنهُ يحتاج الى قلمنا في كتاباته المشعة

على أننا نذكر لحضرته اقرارهُ بأننا لم نوافقهُ على رأيه في ما يخصّ تعزيز اللغة العامية لتسويدها على اللغة الفصيحة او بالاحرى [illegible] الى دعمه الى هذه الفكرة الباطلة بل بيّن صريحاً بأننا استفرغنا كل جهد لنمنعهُ عن العدول عن رأيه. وفي قوله ما يبيّن لكل الناطقين بالضاد أننا لا علاقة لنا في هذا الرأي ولا جهل وانهُ هو وحدهُ المسئول عنهُ

فلننظر الآن ما اتانا به في هذه المقالات من البراهين اللامعة القاطعة لعلّهُ يثبت لنا ما لم نقتنع به سابقاً. وادلُّ دليل يلتجئ اليه هو انَّ كلّ الجرائد والعلماء استحسنوا رأيهُ. فيكفينا جواباً على هذا البرهان الساطع ان نذكرهُ بما كتبهُ جناب محرّر الوطن حيث يقول لهُ انَّ مديح الجرائد لا يعوّل عليه في وصف ما يُرسل اليها من المطبوعات فقال لا فُضَّ فوه :

«انَّ بعض الصحف السيّارة وقد يكون الوطن من جملتها كتبت في اخبارها المحليّة عن كتابه وربّما مرَّ في ما كتبتهُ بعض كلمات الاستحسان لذلك الاقتراح. غير انَّ هذا لا يعني سوى اعلان نشرتهُ الصحف على علّاته في باب لا يهمّ صاحب الجريدة ومديرها لتمحيصه بل يترك انشاءهُ لغيره من اعوانه الذين يحرّرون الاخبار»

ثمّ قال عن قضيّة تعزيز اللغة العاميّة ما قضى به على ذلك المدّعي الغريب :

« دعا حضرة الخوري مارون غصن بمقالته الى اتخاذ اللغة العربيّة العاميّة وسطاً للانشاء وذلك بتحويل العناية اليها والعمل على احيائها ونهضتها . وهي دعوة مستغربة لم تكن على الرغم من اعتقادنا بحسن نيّة صاحبها تنتظرها من ناطق بالضاد . واغرب منها ان يقول الاب غصن انّ ذوي الصحافة وكبار علماء اللغة يؤيدون رأيهُ على ما فيهِ من غضاضة بشأن اللغة الفصحى . وكلّنا لمّا وقفنا على اقتراح الاب مارون خيّلنا لتقويض اركانهِ »

ثمّ حبّذا عمل الاب صالحاني بردّهِ على فكرة الاب غصن . فماذا يبقى لحضرتهِ من ادّعائهِ باستحسان كلّ الجرائد لكتابتهِ . ولا بُدّ ان تقوم جرائد أُخرى غير الوطن وتضرب على وترهِ . فيفهم وقتئذٍ حضرتهُ من هو « الخابط خبط العشواء . »

هذا في امر الجرائد . بقي كبار المفكرين والعلماء اللغويين ولم يذكر حضرتهُ غير الاستاذ اللغوي الشهير الشيخ عبدالله البستاني ونسلّم معهُ انّهُ « حجّة العربيّة في عصرنا » ولكن ما قابلهُ احد اساتذة كليّتنا وطلب منهُ أهو من رأي الاب غصن حتى تنشر مغتاظاً لاعلانهِ باسمهِ بين انصار اللغة العاميّة وهو منذ اربعين سنة يخدم اللغة الفصيحة وانّما قال للخوري كلمة مجاملة اتّخذها هذا كحجّة . .

ولا نظنّ انّ ما قالهُ غبطة السيد البطريرك لحضرتهِ في هذا المعنى يتجاوز ايضاً المجاملة ولاسيما اننا نرى غبطتهُ منذ خمسين سنةً لم يكتب سطرًا واحدًا لشعبهِ باللغة العاميّة بل كثيرًا ما سمعناهُ يخطب في النادي البطريركي لجماهير الزوّار بلغة ساذجة لكنها فصيحة . وعلى كل حال لن نقتنع منهُ حتى يأتينا بكتابة صريحة من غبطتهِ او من كبار العلماء يؤيدون رأيهُ وقد رأيناهُ غير مرّة مخدوعاً ببعض التقاريظ التي يسمّيها من اصحابهِ فيظنّها حججاً لهُ

ومن براهينهِ الواهية ذكره اللغات الاوربيّة المشتقة من اللاتينيّة ومن غيرها فاراد ان يقيس العربية بها وشتّان بين خمر وخلّ فانّ اللاتينيّة ماتت كلغة الشعب بموت الدولة الرومانيّة وبقيت كلغة الكنيسة والعلماء . امّا الشعب فكانت اللغات على لسانهِ تتكيّف بكيفيّات مختلفة حسب الامكنة والازمنة والعناصر ولم تكن اللاتينية لغتهُ الاصلية وانّما كانت لغات أُخرى كالسلتيّة والسكسونيّة والجرمانيّة الهندية امتزجت بلغة الرومان فلم تثبت تلك اللهجات الّا بتمادي الزمان وبنبوغ الكتبة وفتح المدارس وتأليف الكتب . وساعد الشعوبَ في ذلك انفرادُهم في اصقاع متنائية ودولٍ مستقلة . فاين كل ذلك من احوالنا وتباين شؤوننا !

وقد هرف بما لا يعرف اذ قال: انَّ ديكَرْت وكلوينوس والقديس فرنسيس دي سال اول من وضعوا كتباً افرنسيَّة بالنثر الادبيّ. فانَّ آثار اللغة الفرنسيَّة لا تُحصى منذ القرن الثاني عشر فانَّ ما طُبع منها الى اليوم يبلغ مكتبة واسعة في التاريخ والسير والآداب والروايات النثريَّة والشعريَّة وكفى بذكر البعض منهم كفيلهَرْدوان (Villehardouin) وبنوا دي سانت مور (Benoit de Sainte More) ومتيو دي فندوم (Matthieu de Vendôme) والسير دي جوانفيل (Sire de Joinville) صاحب ترجمة القديس لويس ملك فرنسة وغليلموس الصوري مؤلف تاريخ الصليبيين. وان كان كبار العلماء يفضلون الكتابة باللاتينية فلأن كتاباتهم كانت موجَّهة الى العلماء الذين كانت تجمعهم اللغة اللاتينية والشائعة بين كل الدول. ولمَّا ارادوا ان يُطلعوا عليها العامَّة اخذوا يكتبون ايضاً فيها المواضيع العلمية في الفلسفة واللاهوت والفلكيَّات

وعلى كل حال ليس من شبه بين اللغات المشتقَّة من اللاتينيَّة التي كما قلنا كانت لغة ميتة وبين اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة حيَّة منذ اربعة عشر قرناً لم تحط اللغات العاميَّة الكثيرة من قدرها مع شيوعها. ولو امكنها ان تعزلها عن مرتبتها لحطت لما كانت اللغات العاميَّة سائدة بين الشعب لا تراجمها المدارس والمطابع والادباء بتآليفهم ومنشوراتهم العلميَّة والسيارة فكيف تقوم الآن اللغة العاميَّة وتترقى الى أن تفوز بالسيادة على اللغة الفصيحة

وآخر ما نقوله لحضرة الخوري مارون انَّهُ من العجب ان ينتصر للغة العاميَّة ويعظّم شؤونها وهو يكتب باللغة الفصيحة أفليس يشبه بفعله هذا اولئك الذين يحاولون الكتابة في تزييف المنطق ولا يمكنهم ان يقنعوا برأيهم الَّا بقواعد المنطق؟ وليذكر المثل اللاتيني المدارج بان الكلام يطير والمثل يجذب (verba volant exempla trahunt)

فهذا ما خطر على بالنا ردًّا على حضرة الخوري مارون غصن ونودّ بالختام لو يرعوي عن خطَّة لن تجديَهُ نفعاً ما لم يُرد ان يهيّج الرأي العام ويستهدف لانتقاد كل الادباء والكتبة

صديقي

بقلم التلميذ الاديب فؤاد افرام البستاني

في تعاريج الحياة المظلمة لي نورٌ ساطعٌ لا ينطفي
بين اهوال الشرور المؤلمة هوَ قربي ابدًا لا يختني
سار جنبي للأمام فأراني السبيل
واذا عم الظلام كان لي خيرَ دليل

في طريقي

***

ان أحاط اليأسُ بالقلب شاكيًا امري فيجلو كربي
بلسان الطائق والوجه وابتسام الملك المستعذب
فينتشيني المرام ويُنسيني اذا
خفتُ انواع العدم مبعدًا عني الاذى

ذا صديقي !

***

واذا الافراحُ حلّت في الفؤاد وانقضت عني صنوفُ الترح
وليالي الانس ابدلنَ السُهاد كان مسرورًا لمرأى فرحي
فتولّاهُ الجذَلْ وغدا مبتهجا
مُحييًا في الامَلْ مُنعشًا في الرجا

ذا صديقي !

***

واذا الاحزان في النفس غدَتْ واحاقت بي مراراتُ الشجونْ
وهمومُ القلب عني أبعدَتْ طيبَ عيشي فتمنّيتُ المنونْ
كان قربي قائما فنفى عنّي الكدَرْ
وعداني باسما وسعيدًا في البشرْ
ذا صديقي !

***

دُم لي العمرَ رفيقاً وخليلْ ودليلًا في تعاريج الحياة
واقتبل مني صفاء لا يحول ووداداً خالصاً حتى الممات
واذا الدهرُ تغيّرْ ومُنينا بالبعادْ
انتكرْ بي وتذكّرْ بعض ما في ذا الفؤادْ
يا صديقي !

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تابع)

القنصل بيكه في حلب (تتمة)

﴿القنصل بيكه واندراوس اخيجان﴾ ويؤخذ من بعض كتابات المسيو بيكه انهُ منذ وصوله حلب فكَّر باندراوس اخيجان المرتدّ عن اليعقوبية الى الكثلكة اذ توسَّم فيه الذكاء والتقوى وارسله الى رومية (١ آملًا انهُ سيكون يوماً اسقفاً

١) جاء في ترجمة الدويهي للطيب الاثر المطران بطرس شبلي (وجه٢٤و٢٥) : «ان اندراوس اخيجان المولود في ماردين من ابوين تابعين ضلال البرادعي وساويرا قد ارتدَّ من المراطقة الى

واذا الاحزان في النفس غدَتْ واحاقت بي مراراتُ الشجونْ
وهمومُ القلب عني أبعدَتْ طيبَ عيشي فتمنّيتُ المنونْ
كان قربي قائما فنفى عنّي الكدَرْ
وعداني باسما وسعيدًا في البشرْ
ذا صديقي !

***

دُم لي العمرَ رفيقاً وخليلْ ودليلًا في تعاريج الحياة
واقتبل مني صفاء لا يحول ووداداً خالصاً حتى الممات
واذا الدهرُ تغيّرْ ومُنينا بالبعادْ
انتكرْ بي وتذكّرْ بعض ما في ذا الفؤادْ
يا صديقي !

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تابع)

القنصل بيكه في حلب (تتمة)

﴿القنصل بيكه واندراوس اخيجان﴾ ويؤخذ من بعض كتابات المسيو بيكه انهُ منذ وصوله حلب فكَّر باندراوس اخيجان المرتدّ عن اليعقوبية الى الكثلكة اذ توسَّم فيه الذكاء والتقوى وارسله الى رومية (١ آملًا انهُ سيكون يوماً اسقفاً

١) جاء في ترجمة الدويهي للطيب الاثر المطران بطرس شبلي (وجه٢٤و٢٥) : «ان اندراوس اخيجان المولود في ماردين من ابوين تابعين ضلال البرادعي وساويرا قد ارتدَّ من المراطقة الى

كاثوليكياً على الطائفة السريانيّة . وبعد ان تخرّج اندراوس في العلوم عاد الى حلب وكان ابوه مستاء منه لكثلكته فلم يستطع ان يقيم في حلب . فأتى جبل لبنان وسكن دير قنوبين عند بطريرك الموارنة (١ الذي سامه كاهناً لما رأى فيه من غزارة العلوم ورسوخ القدم في الفضيلة . وكان الكاهن اندراوس في قنوبين لما توجهت اليه الانظار واتفقت جميع الآراء على تسقيفه . ولاجل هذه الغاية دعا المسيو بيكه البطريرك شمعون الى تناول طعام الظهر عنده وبعد الغداء فاتحه بما كان طلبه منه في شأن انتخاب خلف للاسقف المتوفى وقال له : ان الصداقة تخوّله الحقّ بان يقترح عليه ويقدّم له كاهناً سريانياً يكون خير خلف على الكرسي المترملة ولمح بذلك الى اندراوس المشار اليه فقال البطريرك : « انه ليسرني ان اتخذ هذه الفرصة السعيدة لابداء اعتباري لك وتقديري فضلك واني سأستدعي اندراوس واقيمه رئيس اساقفة على حلب »

فسرّ القنصل كل السرور من اجابة طلبه واخبر المرسلين بنجاح مسعاه واقرّ الرأي ان يكتبوا الى البطريرك الماروني في قنوبين ليرقي الاب اندراوس الى الاسقفية [illegible] سده بلا [illegible] من [illegible] بطريرك [illegible] . ارسل القنصل ساعياً الى [illegible] ورده كتاباً (٢ الى البطريرك فيه يطلعه على ما يرى من الاستعداد الحسن في طائفة السريان للرجوع الى حضن الكنيسة وذلك بتدبير عناية الله الذي سمح بموت رئيس اساقفتهم وقيّض له خلفاً اسقفاً كاثوليكياً وانه قد وقع الاختيار برضى شمعون

الوحدة الكثوليكيّة بآية من آيات والدة الهنا الظاهرة عن يد الاب اماتوس (Aimé Chezaud) اليسوعي وبعد جهده الضلال أتى جبل لبنان عند البطريرك الماروني يوسف حليب الساقوري الذي ارسله في ١٦٤٦ الى رومية ليتثبت في الايمان . فاقام في المدرسة سنتين رقيباً على التلاميذ وكان يدرس الناموس الادبي على الخوري جرجس بن عبدالله الحاقلي (وكان من رفقائه في المدرسة العلامة الدويهي)

١) هو البطريرك يوحنا الصفراوي من بيت البواب من صفرا في فتوح كسروان (١٦٤٨–١٦٥٦)

٢) يظهر على ما قال الدويهي ان بيكه كتب غير مرة الى البطريرك بخصوص تسقيف اندراوس فما كان البطريرك يجيبه الى طلبه إلّا بعد توسّط الدويهي نفسه . ولمّا سقف اندراوس اوصاه ألّا يتعرّض لشؤون الموارنة في حلب (راجع ترجمة الدويهي ص ٢٦) .

بطريرك السريان نفسه على الكاهن اندراوس الذي عُرف بفضله وفضيلته منذ اقامته في دير قنوبين. فهو اي بيكه يرجو من البطريرك ان يستقف اندراوس في قنوبين ويرسله حالاً الى حلب

وكان بطريرك لبنان عالماً بشهرة بيكه وغيرته على الدين فلمّا اطّلع على كتابه هذا ذرف دموع الفرح واستدعى اندراوس وكاشفهُ بالامر فابى معتذراً بحداثة سنه وعدم كفاءته لكنّه اضطُرَّ ان يسلّم لارادة الله الملقة اليه بصوت راعيه فرقّاه البطريرك يوحنا درجة الاسقفية يوم عيد القديسين بطرس وبولس في اواخر حزيران سنة ١٦٥٦ وبعد بضعة ايام اتى حلب (١ ليشغل كرسيهُ. ولدى وصوله قدّمه القنصل الى البطريرك هديةً فاخرة فقبله البطريرك مرحّباً به لكنه لمّا عرف من مجرى الحديث انهُ سُقّف من يد بطريرك الموارنة استاء جدًّا وانقلب عليه وما اراد ان يعرفهُ اسقفاً وان اراده الكثيرون من ابناء الطائفة السريانية

فلما درى المسيو بيكه بالامر وعرف ان البطريرك رفض قبول الاسقف الجديد انفذ رسولاً الى القسطنطينيّة وكتب الى الوزير والسفير الافرنسي فاستحصل بواسطتهما من السلطان محمد الرابع امراً باستقبال السيّد اندراوس من جميع طائفة السريان استقبالاً لائقاً بمقام رئيس اساقفة وان يُعترَف به اسقفاً على طائفته وامر الباشا ان يُوقف كل مُعارض وعاصٍ على الاوامر السلطانيّة. فعندها خاب امل البطريرك شهرون وغادر حلب لئلّا يحضر حفلة تنصيب خصمه واستلم الاسقف الجديد كرسيهُ في ٩ آب من السنة نفسها (١٦٥٦) وكان فرح القنصل وجميع الكاثوليك ممّا يعجز عن وصفه القلم

كان اندراوس الاسقف النيور كسراج على منارة يضيء بعمله ومثاله وقد ضمّ عدداً لا يستهان به من اهل جلدته الى الكنيسة الرومانية. فأثار ذلك كامن الحقد والحسد في صدور مناوئيه ودفع ملاكُ الظلام بعض الكهنة الحسودين فروّجوا الاشاعات الكاذبة ولفّقوا التخرّصات الكثيرة وهيّجوا الخواطر على ذلك الاسقف الذي كان

١) قد ارسل ... البطريرك يوحنا الصفراوي اسقفاً الدويهي الشهير ليكون لهُ رفيقاً ومساعداً بالوعظ والارشاد فردّ كثيرين من السريان اليعاقبة وضمّهم مريداً كاثوليكيين (الدرّ المنظوم ١٠٩).

بمسلكهِ الحسن وفضائلهِ الباهرة قذًى في اعينهم وتونيباً لمسلكهم الذميم وقد فازوا بقصدهم الخبيث واوقدوا عليهِ نار الاضطهاد فاضطرَّ ان يخرج من المدينة في ١٥ ايار سنة ١٦٥٧ وان يلتجئ الى جبل لبنان. فاخذ المرسلون يكشفون القناع للشعب عن مقاصد اولئك الكهنة الذين عصوا اسقفهم ولفّقوا في حقّه ما شاؤوا من الاكاذيب. وكان المسيو بيكه ايضاً يعمل على تهدئة الخواطر لكن هيهات ان تُقنع الحججُ والحقائق عقولاً متمرّدةً مشبعة بالاضاليل

وظلَّ اولئك القوم في غيّهم ولم يرجعوا الى رشدهم إلّا بوقوع حادثةٍ مفجعة كشفت عن بصيرتهم ستار الجهل وجعلتهم ان يندموا عمّا فعلوا. وهي ان رجلاً وُجد مذبوحاً في حيّهم وكان القاتل مجهولاً فطلب الباشا منهم دِيَةً خارقة العادة. واذ كانوا عاجزين عن ادائها هرعوا الى بيكه يستجلفونهُ ان يساعدهم. فقابلهم القنصل بلطفهِ المعتاد وافهمهم ان هذا الحادث عقاب لهم عن ذنبهم في طرد راعيهم الذي كان يسعى لتقديسهم وانَّ عليهم ان يُعوّضوا عن مثل هذه الاساءة التي اجرموا بها امام الله في شخص خادمهِ الامين. فاذعنوا لكلامهِ ووعدوهُ بكل [illegible] على شرط ان يساعدهم. وما كان بذلُ المال ليوقفهُ عن اتمام مقصدهِ الشريف في ارجاع تلك الجراف الضالّة فدفع هو نفسهُ الدية عنهم وأسرَّ بيخانه وكرمه قلوبهم حتى صاروا يشتاقون الى رجوع اسقفهم. فوجّه بيكه عندئذٍ بعض اعيان الطائفة الى لبنان يطلبون الى الدباوس ان يرجع الى كرسيه ويقهر مخاصميهِ ويعيد مياه السلام الى مجاريها

واوجب الباشا ان يذهب الكهنةُ المشاغبون انفسهم في هذه المهمة فذهبوا لكنهم لم يفلحوا لان الاسقف ابى ان يترك خلوتهُ التي كان ينعم بها في قنوبين وقال لهم انهُ لا ينتظر اخلاصاً من قوم عاصين برجهين ولسانين. فذهب اليهِ عندئذٍ مرسلو طرابلس وافهموه ان واجب الضمير يقضي عليهِ بالرجوع الى رعيّته فلا يلقيها في ايدي ذئاب خطفة. وقدّموا لهُ حججاً اقنعتهُ بالرجوع، فعاد الى حلب في ١٢ آذار سنة ١٦٥٨ وكان لهُ استقبال حافل من جميع الكاثوليك وعزّزه القنصل بكل ما لديهِ من قوة وهدَّد مخاصميه بالمعاقبة. لكن جند اولئك الكهنة الملحدين بقي كامناً في صدورهم كالنار تحت الرماد فوشوا بالاسقف ثانية الى الباشا انه متواطئ: هو والافرنسيس بحجة الديانة على ان يجعلهم عُداة السلطنة العثمانيّة بجملة المسيحيين

المنبثين في بلاد السلطنة . فاثرت هذه الوشاية، وان من دون مستند ، في عقول بعض زعماء الحلبيين وقاموا على الاسقف فاضطرَّ الباشا ان يلقيهُ في السجن وطلب لاطلاق سراحهِ عشرين الف ريال . غير ان المسيو بيكه توسَّط في الامر واطلع الباشا على سوء نيَّة الهراطقة وشرِّهم فاطلق سراح الاسقف حالاً . ولم يرجع الاشرار عن نصب المكائد ليسلبوا ذلك الاسقف حريته وحياته . اما الرب فكان يحفظه ويؤيده وكثيراً ما انقذه من يدهم بمعجزات ظاهرة كما ذكر حضرة الاب لويس الكرملي المنتسب الى القديسة ترازيا في تاريخ رهبانيَّته . فمنعاً للمشاغب وكفًّا ليد الاشرار في المستقبل استحصل بيكه امراً من الباشا مآلهُ انهُ ، اذا اعتدى الهراطقة على الاسقف واضطروهُ بعدُ الى مغادرة حلب ، تقع المسؤولية على كهنتهم ويؤدون جزاء نقدياً الفي ريال للباشا وخمسمائة للقاضي . وبذلك تسهَّل للمرسلين ان يدخلوا بيوت السريان وان يسمعوا اعترافاتهم في كنائسهم . وبفضل اطلاق الحرية لعمل الرسالة وبارشادات الاسقف الذي كان كابليًا ثانٍ ممتلئاً غيرةً على صيانة قطيعه ارتدَّ كثيرون من المتعصبين للهرطقة الى الكثلكة

ولما كان المسيو بيكه مضطرماً غيرة على ارجاع جميع السريان الى امهم الكنيسة الكاثوليكيَّة كتب الى الكرسي الرسولي يخبرهُ بنجاح الرسالات في اولئك الهراطقة وما يرون من الغبطة في ان يسودهم اسقف كاثوليكي معلقة على علمهِ وفضيلته آمال كبيرة في المستقبل . وبيَّن في رسالتهِ ان موقف الاسقف اصبح معززًا ومعضودًا من الباشا والباب العالي ومستودًا الى اوامر السلطان ضد الهراطقة الحسودين . غير ان هذا لا يُعتبَر شيئاً ما لم يكن ذلك الاسقف مثبَّتاً كراعٍ على كنيستهِ بسلطان راعي الرعاة فيرجو من قداستهِ ان يمنَّ عليهِ بهذه النعمة . وارسل الى رومية بهذه المهمَّة الاب اسكندر الكرملي بعد ان افهمهُ اللازم لاجابة طلبه . لكنَّ المجمع المقدَّس اراد ان يتروَّى في المسألة طويلاً مخافة ان يقع ما تسوء عقباه ولم يستجب ذلك الالتماس الَّا بعد ثلث سنين اذ توجه من قبل المسيو بيكه الاب سيلفستروس الكرملي وكان راهباً فاضلاً وهو الذي توفي في حلب في ٢٤ حزيران سنة ١٦٧٠ بعد اربعين سنة قضاها في رسالة الشرق . فالحَّ هذا الاب بطلب التثبيت مجيباً على جميع ما كان يقف في سبيلهِ من المصاعب وحصل على براءة التثبيت من البابا كما كان يتمنى

وتسلّم المسيو بيكه تلك البراءة في سنة ١٦٥٩ وقدّمها في الحال للسيد اندراوس الذي اقتبلها بمنتهى البهجة والحبور وشرع عندئذٍ يمنح سرّ التثبيت للمرتدّين الى الايمان ويشدّد العزائم المرتخية ويقنع من كانوا يقاومون الحقّ. وقد كتب الى البابا اسكندر السابع كتاباً ضافياً يشكره فيه على ارساله اليه درع التثبيت وعلى شموله هو ورعيّته بعطفه السامي وفيه يبيّن فضل المسيو بيكه والمرسلين الذين كانوا لهُ ذراعاً قوية في جميع اعماله العائدة الى نشر الايمان الكاثوليكي. وسنداً وسلوى في جميع ما لاقاه من المحن ولولاهم لكان فضّل العزلة في جبل لبنان وانه الان قد تقوّى بأيد الله العلوي وبرعاية وبركة قداسة حبر الاحبار. وقد ضمّن ذلك الكتاب كل ما كان في قلبه من شواعر الخضوع والتعلّق المتين بالكرسي الرسولي

وبفضل ذلك الاسقف الغيور وبامثلته الصالحة الجذّابة اعتنق ثلاثة ارباع طائفة السريان المذهب الكاثوليكي. ولزيادة فضله أقيم بطريركاً على اثر وفاة البطريرك شمعون وذلك بمساعدة المسيو بارون الذي كان قد خلف المسيو بيكه بالقنصلية وبمعاونة المرسلين اليسوعيين والكبوشيين والكرمليين الذين كانوا في حلب

وفي شهر آب من سنة ١٦٦٢ اعترفت به الطائفة السريانيّة بطريركاً عليها بعد ان ثبّته البابا وعيّن لهُ معاشاً سنوياً مئتي ريال روماني. ولم تكن مهامّ البطريركية لتُقعد بهِ عن غيرته على نفوس رعيّته وصيانتها كما ان شرف المقام لم يمنعه عن المعيشة البسيطة او الاماتات المتنوعة وكانت خطته هذه تزيد على كرامته ومهابته في اعين الناس فيدعونهُ بالبطريرك القديس(١

ويلوح لنا فضل المسيو بيكه والآباء المرسلين على الطائفة السريانيّة بمّا كانوا يبذلون من المساعي الجدّيّة والاموال الطائلة في رسوخ قدمها في الايمان فانهم قبل

(١) قال عنه الدويهي في مسودّة لتاريخ الازمنة محفوظة في البطريركية المارونية: «كان مستقيم الايمان وذا غيرة جزيلة فربح نفوساً كثيرة للملكوت ووفّى الديون التي كانت على الكنيسة من عهد البطريرك شمعون واستفكّ جميع آنية الكنيسة وكتبها التي كانت مرهونة وجدّد غيرها وترك في الكنيسة اثنين وخمسين قنديلاً من الفضة وصندوقاً مملوءاً من الصلبان وفي مدة بطريركيته لا يلمس جماعته ولا كلّفهم نورية (عشور) كعادة الذين سلفوه ولا جمع صينية ولا رسم شيئاً على توزيع الاسرار. . . وعندما سلم الروح حزنت عليهِ سائر الطوائف واقاموا لهُ جنازة حافلة»

وفاة البطريرك اندراوس احتاطوا السلامر وطلبوا باشارة البطريرك نفسه بطرس اسقف اورشليم (١ ليكون خلفاً للبطريرك اندراوس المتوفى فلا يكون سبيل لرجوع البطريرك اليعقوبي بيد انهُ عاد فتربَّع في البطريركية لان اسقف اورشليم تأخر مجيئه. ومن مراجعة آثار الكنيسة الشرقيَّة للمرحوم الاب رباط اليسوعي (المجلَّد الاوَّل وجه ٩٦ الى ١٠٠) تعلم كم اقتضى من المساعي والمجهودات لارجاع البطريركية الى الكاثوليك

﴿ اعمال بيكه الرسولية ﴾ ولو اتينا على جميع اعمال الغيرة التي قام بها ذلك القنصل الفاضل في خارج حلب ايضاً لضاق المقام عن تبيانها مفصلةً فنجتزي ببعضها وباهمها كما تدلُّ عليها كتاباته الى المجمع المقدس وما كتبه عنه المرسلون. فانه بعد ان ردَّ عدداً وافراً من السريان اخذ يحرض المرسلين على ان يشرعوا في ارجاع غيرهم من المبتدعين. وقد توفقوا بمعونة الله الى ارجاع افراد كثيرين حتى من الاساقفة ومنهم رئيس اساقفة الروم الذي اعترف بالايمان الكاثوليكي بين يدي الاب برونو الكرملي. وقد اقام في مدينة الاسكندرونة كاهناً من المدينة نفسها لخدمة الكاثوليك القليلين فيها الذين رغم حالتهم كانت لهم الحرية في كنيستهم يدقون فيها الجرس وهذا كان ممنوعاً في غير موضع

وقد اتاه اثنان مسيحيان من عرب البادية فارسلهما الى رومية لكي يثبتهما في الايمان ولاجل جمع الاحسان ولدى عودتهما أنس منهما خيراً فاشار عليهما ان يذهبا الى البصرة ويعملا على تهذيب وتعليم ابناء قبيلتهما وقد ارجعا كثيرين بقداسة سيرتهما واعمال غيرتهما

فعرف بيكه بنجاحهما وكتب الى المجمع المقدس يسأله ان يرسل اليها رهباناً لكي يثبتوا المرتدين الى الايمان ويساعدوا ذينك العاملين النشيطين. ولما ابطأ الجواب كتب ثانيةً ملحاً في طلبه لئلا يذهب الابطاء والتأخير بكثير من النفوس المسكينة. وكتب ايضاً مرتين يطالب الجسنات للاب برتلماوس استيلّيني (Stellini) المرسل في

(١) خلف اندراوس وفات بكيدة من جرجس بطريرك اليعاقبة سنة ١٧٠١ ولم يقم بعد ذلك بطريرك على السريان الكاثوليك الى ان انتخب البطريرك ميخايل جروه سنة ١٧٨٣ (راجع ترجمة الدويهي ص ٢٨)

دياربكر لانه كان في حاجة ماسّة وكانت غيرته لا تصبر على التأخير في مثل هذه الاعمال الهامة. وكانت تلك الغيرة تُسعر في صدره نار الرغبة في ان يساعد على ارتداد جميع المسيحيين الشرقيين الخارجين عن الكنيسة

وكان في حلب رجل يسمّى شرف الدين يساعد المرسلين بتعليمه اياهم اللغتين العربية والتركية لكي يتمكنوا من ارشاد الشعب فاستنار بتقرّبه من النصارى وطلب العماد فارسله بيكه الى رومية بكتاب توصية الى الكردينال رئيس المجمع مبيناً لهُ جميل صفات ذلك الرجل وكرم فطرته طالباً اليه ان يبقيهُ في رومية لاجل تعليم التلاميذ المعدين للرسالة في الشرق وبهذا يربح نفسه

﴿ القنصل بيكه واسرى النصارى ﴾ وما كانت اعمال البر والتقوى والغيرة والمحاماة عن الحقوق الدينيّة والمدنيّة لتمنعهُ من اعمال الرحمة والشفقة التي كان يقوم بها نحو اولئك المسيحيين المستعبدين تحت النير التركي. فكان يزورهم من وقت الى آخر ويعزيهم في احزانهم ويساعدهم في حاجاتهم وجعل بيتهُ ملجأً لهم وكان اذا امسى [illegible] من مغضوبي الدولة هم حالاً بتسفيره الى اوربة لدى سنوح الفرصة فيركبه جراداً ويرسله صحبة رفيق خاص الى ميناء الاسكندرونة والى سفن الشرق كان ينقذ اولئك التعساء من نير العبودية الثقيل

وهذا ما فعله سنة ١٦٥٩ مع شاب بولوني كان خادماً لرجل ارمني من طرابزون اراد مولاه ان يبيعه من رئيس الشرطة فخاف ذلك الشاب على ايمانه وقال لمولاه بكل جرأة وبأس: « الموت ولا الجحود » ولاذ بالقنصل بيكه فرحّب به وسرّ منهُ جداً وشراه بمبلغ وافر من المال وبعد ان حرّره امام القاضي قبله في بيته ثم ارسلهُ الى رومية وسأل كاتب اسرار المجمع ان يسفّره الى بلاده بواسطة احد مواطنيه البولونيين الذين في رومية

وقد انقذ من ايدي غير المؤمنين نحواً من مئتي فتى وفتاة كانوا في خطر فقدان ايمانهم كما افاد المسيو بونيون (M. Bugnon) الشاهد العياني في كتاب له من حلب الى المسيو فيرماند (Fermand) رئيس مدرسة الرسالات الخارجية

على ان الاحوال ما لبثت ان اضطربت في حلب لان الصدر الاعظم رأى ما لباشا حلب المرخّص وللقنصل الفرنساوي الصديقين الحميمين من النفوذ والسطوة مما كان

يكسف شيئاً من بهاء الباب العالي فحمله الحسد على ان يوقع بالباشا فارسل اليهِ يأمره بالحضور حالاً فظن الباشا ان ذلك لخيره ولترقيتهِ الى وظيفة اعلى . فاستشار صديقه المير بيكه الذي استبطن ما كان يقصد ذلك الوزير من الشرّ تحت ستار الخداع فاشار على الباشا ان يبحر حالاً الى مرسيلية على سفينة مستعدة للسفر لما كان يرى فيهِ من حسن الاخلاق والميل الى النصرانيَّة فاطاع اشارتهُ لكنهُ تأخر بالسفر . واذ ابطأ عن الاجابة الى امر الصدر الاعظم ارسل الباب العالي كابيجي باشا لكي يقطع رأسهُ لتأخرهِ عن اطاعة السلطان . فهرب الى العجم واحتمى عند حاكم التركمان لكن السلطان ارسل يتعقَّبهُ وما زال في اثره حتى فتك بهِ . فاسف القنصل مزيد الاسف على موت صديقه وكان مفكرًا في الاعتزال عن وظيفتهِ لمثلًا ترتخي بسبب مودَّتهِ للباشا المذكور العلاقات الوديَّة مع الباب العالي . لكن الله جلَّت حكمتهُ أخَّره لمقاصد ربانيَّة الى سنتين

وفي تلك الغضون خرج احد الباشاوات على السلطان سنة ١٦٦٠ واتى يحاصر حلب وضمَّ اليهِ بعض اعيان المدينة فحاربهُ الوزير وكسرهُ وبرجوعه الى القسطنطينيَّة ارسل اسماعيل باشا لزيارة البلاد السوريَّة فاتى اسماعيل مسرعاً الى حلب يهدئ الخواطر ويضرب على ايدي مناصري الثائرين فكانت المدينة ممثلًا فيهِ تمثلت كل المشاهد الدموية الفظيعة مدة عشرة ايام قُطع فيها رأس خمسين متمردًا

﴿ البولوني الشهيد ﴾ وفي هذه السنة نفسها كان شاب بولوني مستخدماً عند احد الاغاوات المسلمين وكان قد جحد ايمانه فراوده يوماً مولاه عن نفسهِ فلم يوافقه على شرّه فتهدَّده بالقتل واستلَّ خنجرًا ليقتلهُ فما كان من البولوني الَّا ان قبض على الخنجر وطعن بهِ احشاء الواثب

ثمَّ فرَّ هارباً من حلب واتى معسكر اسماعيل باشا ولمَّا سئل عمَّا فعل اقرَّ بكل براءةٍ فأُلقي في السجن بامر الباشا وحُكم عليهِ بقطع الرأس . وبينا هو ذاهب لكي يتجرع كأس المنون قال باعلى صوته : « قد اخرجوني عن ديني بالرغم مني لكني الان أسرّ واغتبط بان اموت مسيحيًا فاكفّر بموتي عن خطيئتي » . وقد التقى في طريقه باثنين مسيحيين فقيرين فاعطى احدهما حذاءهُ والاخر منطقتهُ وقال لهما : « صلّيا يا اخوتي لاجلي » . ولما وصل الى منقع الدم رسم اشارة الصليب وقال : « اني

اموت مسيحياً خاضعاً ومتحداً بالكنيسة الرومانيـة » واستقبل الموت بتمام التسليم والفرح حتى ادهش جميع الحاضرين

وكانوا اماتوا في الموضع نفسه عدة مجرمين افترست جثثهم الكلاب في ليلة قتلهم او الليلة التالية ولم تقرب الكلاب من جثة ذلك البولوني فبقيت مدة عشرة ايام في موضعها سالمة غير مشوهة تنبعث منها رائحة ذكية . وهذا الحادث الغريب مسنود الى شهادة اناس ثقات . وكان الجميع مندهلين ومتحيرين من هذا الامر . واتى المسيحيون الى الباشا يسألونهُ ان يسمح لهم بدفن الجثة فلم يرضَ حتى اتاه المسيو بيكه وقدَّم لهُ مبلغاً من المال فاجاب سؤالهُ

﴿داود الشهيد﴾ وفي تلك السنة ١٦٦٠ سعى واحد من الروم يُدعى يوسف برجل من طائفتـه يسمّى داود أقيم بدلاً منهُ لجباية خراج الـدولة . وكان داود ممدوحاً ومشكوراً من الجميع لحسن معاملتهِ واستقامتهِ فأثار هذا الثناء كامن الحقد في قلب يوسف فعزم ان يوقع بداود الذي كان حادّ الطباع ذا مزاج عصبي فاحتال عليهِ يوماً بان حملهُ على الغضب . وبينما هو في ثوران غضبه وقد طار صوابه ألبسهُ يوسف عمامة خضراء لا يجوز ان يلبسها غير المسلمين . فسار بها داود الى بيتهِ وهو لا يعي . وما هي الا هنيهة حتى اتى اليهِ المفتي وزمرة من رعاع القوم في . فاتهم يوسف الخؤون شهدوا عليهِ بلبس العمامة الخضراء مدَّعين انه اسلم وطلبوا منهُ ان ينطق بالشهادتين . فغلت مراجل الغيظ في صدر داود فطرح العمامة بالارض واخذ يقذف خصمهُ بالشتائم ويجاهر بكونهِ مسيحياً لا يحيد شعرةً عن دينهِ وبذلك وقع في الشراك الذي نصبهُ لهُ ذلك الشقي . فرفعوا امرهُ الى الباشا وبالغوا بالشكوى عليهِ فزُجَّ في حبس مظلم وضُقد بالاغلال ثمَّ حُكم عليهِ بالموت ان لم يثبت في اسلامهِ المزعوم فكاد يستسلم الى القنوط واليأس . ولعلَّهُ كان جحد دينهُ لولا التنصل بيكه الذي وقف على امره وارسل سرًّا الى السجين الابَ برونو المرسل الكرملي فوجدهُ في حالة يُرثى لها لا انيس لهُ ولا جليس لكنهُ لم يزل يؤانسهُ ويلاطفهُ حتى انعش قواهُ وثبَّتهُ في ايمانهِ ومنحهُ اسرار البيعة بعد ان اقنعهُ بعقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة

فمذ ذاك الحين تغيَّرت احوال ذلك المسكين وامتلأ قلبهُ فرحاً فاخذ يستعدُّ للموت بل للاستشهاد دون خوف ويرى نفسهُ سعيداً اذ يهرق دمهُ في سبيل دينهِ .

وأتى اليهِ اناسٌ من الاصحاب والاقارب يحضُّونهُ على تضحية دينهِ ان لم يكن باطناً فعلى الاقل بالتظاهر فردَّهم خائبين. ودخلت والدتهُ على الباشا تسترحمهُ لاجل ابنها فلم يُصغِ الى بكائها وعويلها لان ذلك الغدَّار يوسف قد اوغر صدره على داود

وبعد أيام قادوهُ الى محلّ العذاب فطلب قبل ان ينفذوا فيهِ الحكم ان يصلّي قليلاً فجثا على الارض رافعاً عينيهِ وقلبهُ الى السماء وشكر الله على انهُ اختارهُ لان يكون معترفاً بايمانهِ وسألهُ ان يفتح لهُ باب السماء بعد موتهِ كما فتح له باب رحمتهِ في حياتهِ. ولما اتمَّ صلاتهُ استلّ الجلّاد سيفهُ وعصب عينيهِ وحرّضهُ على الخضوع لامر الباشا فكرَّر جهاراً الاعلان بايمانهِ دون سواه فقطع رأسهُ وصار ظافراً باكليل الشهداء.

كانت وفاة ذلك الشهيد في ٢٩ تموز سنة ١٦٦٠ . فرثى لهُ اهلهُ وكل الذين حضروا موتهُ لكنَّهم لثبوا على ثباتهِ وما لبث الله ان مجَّد عبدهُ وذلك انَّ جثَّتهُ الطاهرة بقيت ملقاةً مدَّة ثمانية أيام مع بعض المجرمين الذين قُتلوا جزاء عن آثامهم فافترست الكلاب اجسادهم ولم تمسّ جثة داود بأذى. ولم يأذن الباشا بدفنها الى ان دفع له القنصل بيكه مبلغاً من المال فصار لهُ مأتم حافل حضرهُ بطاركة الروم والسريان والارمن مع خمسة اساقفة وعدد من الكهنة وعرضوا جسدهُ لاكرام الشعب فكان الجمهور يتسابق الى تقبيل رجليهِ ويلتمس شيئاً من قصاصة شعرهِ او ثيابهِ كذخيرة . ثمَّ رافقهُ الى ضريحهِ جمع غفير من كل الطوائف بالشموع والمصابيح وكان اربعة من الاساقفة يحملون نعشهُ ودُفن في مقبرة الروم وتقدَّم القنصل بان يحفروا على قبرهِ اربعة ابيات لاتينيَّة تطرئ شهامتهُ في موتهِ الذي كان لهُ بابَ الحياة وبدلاً من رأسهِ المقطوع نال نعمة الاتحاد بهامة الرسل ورأس الكنيسة المنظور. وقد انتقم الله للبريء من يوسف خصمهِ المنافق الذي تقلَّد مكان داود وظيفة الجباية وانَّما ظهرت خيانتهُ بعد قليل فحُكم عليهِ بالشنق على باب المدينة فقُتل ورُجم بالحجارة بعد موتهِ وكذلك الباشا لم يتمّ سنة ولايتهِ حتى اصدر السلطان الحكم بعزلهِ وبعد ان استدعاهُ الى اسطنبول امر بقطع رأسهِ

فزاد بذلك اكرام نصارى حلب للشهيد لاسيما بعد أن شُفيت والدتهُ من فقدان بصرها فقبلت عيونها بماء الورد الممزوج بدم ابنها فابصرت لساعتها وانضمَّت مع

عائلتها الى حجر الكنيسة الكاثوليكية . وكان للشهيد اخ صغير متقد الذهن زكي القلب ذو تقى وورع فارسلهُ الاباء الكرمليون الى رومية ليتخرج في العلوم الدينية في مدرسة انتشار الايمان ثمَّ دخل الرهبانية الكرملية وتسمَّى باسم ابيهِ داود منتسباً الى القديس كرلوس . وبعد ان تدرَّب على الآداب الرهبانية في ديرهم المعروف بالقديس بنكراس وعلَّم العربية مدَّةً اشتهر بفضلهِ وفضيلتهِ فوضعهُ الحبر الاعظم على منارة الكنيسة بأن جعلهُ نائباً رسولياً على كنيسة ازمير فهدى باعمالهِ وتعليمهِ نفوساً عديدة الى الايمان

وبقي المسيو بيكه مثابراً على اكرام شهيد حلب فاحتفظ لنفسهِ كذخيرة قطعةً من القماش المطرَّز المصبوغ بدمهِ ومصدغةً كان يسند ذلك المترف المجيد رأسهُ اليها في سجنهِ . فكان قنصل حلب يعدُّهما كافخر كنوزهِ واخذهما معهُ الى العجم

وقد جعل الله دم هذين الشهيدين اي الشاب البولوني وداود كزريعة مثمرة ارتدَّ بسببها عدد عديد من الاخوة المنفصلين ولاسيما من اليعاقبة الى حجر الكنيسة الرومانية

ثم تنصل بيكه والكرسي الرسولي ﴿ وقد أطلع المسيو بيكه الكرسي الرسولي على كل هذه الحوادث وخابر المجمع المقدس بخصوص الاسقف الكاثوليكي اندراوس الخيجان السرياني وبيَّن ما لهُ من الايادي البيضاء في خدمة الكنيسة وإفحام الهراطقة في الدفاع عن العقائد الكاثوليكية فنال لهُ ولكهنتهِ مساعدات مالية

فثبت لكلّ اعضاء المجمع المقدَّس ما كان عليهِ قنصل حلب من التقى والغيرة الرسولية واثنى عليهِ الكردينال آزوليني (C^al Azzolini) وكتب في شأنهِ امينُ اسرار المجمع المنسنيور البريزيو « انَّ هذا القنصل ذو تقوى نادرة المثال وغيرة لا تمارى فهو لا يضنّ بمالهِ وتعبهِ لحفظ الايمان ومساعدة المرسلين والاهتمام بكل شؤون الدين » وتمنى لو كان ذلك القنصل مع بقائهِ في منصبهِ يعتنق الحالة الاكليريكية ثمَّ اوعز الى الكرادلة ان يطلبوا من الحبر الاعظم ان يخصَّهُ ببعض النعم ويساعد الاسقف اندراوس اجابةً الى طلبهِ ففعلوا

وقد استحسنوا ما عرضهُ كاتب اسرار المجمع فكتبوا الى السفير البابوي في فرنسة كي يخابر الملك لويس الرابع عشر ويسألهُ أيرضى ان يبقى المسيو بيكه قنصلاً

لو دخل في مصافّ الاكليروس؟. وفي كتابهم ما ينبئ بسموّ اعتبارهم لشخصهِ حيث كتبوا ما تعريبهُ :

ليس للمجمع المقدّس في انماء المعمور عامل يتفانى في خدمة الدين الكاثوليكي كالمسيو بيكه قنصل فرنسة في حلب فانهُ يعضد المرسلين في الشرق بكل قواه ويعزّز بجلهِ ومآثر تصرّفاتهِ الدين الكاثوليكي وقد غنم باعمال غيرتهِ المشهورة رضا الكرسي الرسولي واعتبارهُ الممتاز . ولمّا درى هذا المجمع ان القنصل المنوّه بهِ عازم ان يعود الى فرنسة اراد ان يقنعه بقبول الحالة الاكليريكية وان يرقيهُ فيما بعد لما يرى فيهِ من الاستحقاق الى درجة اعلى اذ يقيمه مشرفاً على الرسالات الشرقيّة وهذا مما يرضي جلالة الملك ويبين لهُ ان الكرسي الرسولي لا فرق عنده بين امّة وامّة بل ينظر الى الاستحقاق الشخصي. والمجمع المقدس يرجو ان يبقى بيكه قنصلاً لاجل نجاح اعمالهِ لأن لهُ بصفة قنصل نفوذاً لدى الباب العالي والسلطان ومن دون بقائهِ في القنصليّة – وان كانت لا تتفق مع الحالة الاكليريكية – لا يكون لهُ النجاح مضموناً . وطلبوا من السفير ان يأخذ رأي الحكومة الافرنسية في هذا الامر» :

ثم اردفوا ذلك الكتاب بآخر مبيّنين فيهِ إلحاح البابا في مسألة القنصل بيكه للحصول على المرغوب بهِ قبل فوات الفرصة لانّ زمن قنصليّتهِ كاد ينتهي وهو يقصد الرجوع قريباً الى فرنسة . وقد شاء الاب الاقدس ان يعتمدهُ في جميع المهامّ الدينيّة في الشرق

وبياناً لاعتبار الحبر الاعظم لذلك الرجل الغيور اهداهُ بعض الالطاف التقويّة واصحبهُ برسالة عبّر لهُ فيها عن عواطفهِ وشكر نيافة الكرادلة وتقديرهم لخدمهِ الجليلة ورغبتهم في بقائهِ في منصبهِ وتمنّى لو امكنهُ ان يأتي الى رومية فيحلّ فيها ضيفاً كريماً ويفاوضهُ في امور الدين الكاثوليكي في الشرق

وفي تلك الاثناء مرّ في حلب عدّة مرسلين كانوا في وشك السفر الى الشرق الاقصى للتبشير بالانجيل وكانوا كلّهم ينزلون ضيوفاً في دار المسيو بيكه فيثنون على مروّتهِ وايمانهِ اعطر الثناء منهم السادة الاساقفة دي لاموت لامبار (de la Motte Lambert) مطران بيروت شرفاً وكوتولندي (Cotolendi) مطران ميتيلوبوليس ودايديه (Deidier) اسقف عسقلان ولهم في تاريخ رحلهم كلام واسع في شمائل قنصل حلب ويتمنّون لو انتظم في مصافّ الاكليروس ليتفرّغ الى اعمال الرسالة ومصالح الدين

ولم يكن بيكه ليذيع نيَّتهُ السابقة ان يخدم الدين في سلك الكهنوت لولا انشغالهُ بأمور القنصليَّة وخصوصاً حبُّهُ البنوي لوالدهِ الطاعن بالسنّ وهو يخاف ان يتركهُ بلا سندٍ. وقد زال خوفهُ هذا اذ بلغهُ انَّ اباهُ بعد موت امرأتهِ زهد في العالم والتجأ الى مصافّ الاكليروس. بل كتب الى ابنهِ يستوضحهُ عن نيَّتهِ فيما اذا كان لا يزال منكرًا في الدعوة الاكليريكيَّة كأخوتهِ وانهُ مستعدٌ الى ان يسلمهُ بعض املاكهِ ليستعين بها لخدمة الرسالة والكنائس الشرقيَّة

فما كان اشدَّ فرح بيكه اذ وقف على كتاب والدهِ فاخذ منذ ذاك الحين يفكر في الوسائل لتحقيق رغبتهِ في خدمة الله بالكهنوت وعقد العزم على ان يذهب الى فرنسة لقبول الدرجات المقدَّسة. فعلم السيد اندراوس اخيجان بقصدهِ فعرض عليهِ ان يقبل من يدهِ الدرجة الاولى الاعداديَّة للكهنوت اعني قصَّ الشعر. فلم يتمالك التنصل من اجابتهِ فاقتبلها منهُ في ١٠ ك ١ سنة ١٦٦٠ في كنيسة الآباء الكرمليين وتسجَّل ذلك في سجلّ رعيَّتهم بما تعريبهُ: «ان فرنسوا بيكه الذي ماثلَ يوحنا الرسول في سنّتهِ وايليا في غيرتهِ ويوحنا الرحوم في كرمهِ قد اقتبل من يد حقارتنا الدرجة الاكليريكيَّة الاولى اي قصَّ الشعر»

﴿ خدمة المسيو بيكه للجائعين والمطعونين ﴾ ومن ثمَّ اخذ المسيو بيكه يعتزل جميع الملاهي العالميَّة زهدًا بالدنيا ويتفرَّغ لكلّ المشروعات الخيريَّة. وقد اتت تلك السنة (١٦٦٠—١٦٦١) شاهدًا باهرًا على سموّ فضلهِ. فانَّ المجاعة كانت حلَّت بسكَّان حلب حتى بيع كيل القمح تسعة اضعاف ثمنهِ وكسدت التجارة وبطل الشغل عن العملة واكثرهم من المسيحيين وزاد الطين بلَّةً بازدياد الضرائب للدولة. فاضطرَّ الفقراء الى بيع امتعتهم وثيابهم ليشتروا بثمنها خبزًا فباتوا في اكواخهم جائعين عريانين وبلغ بهم الشقاء الى ان باعوا اولادهم من المسلمين

فنصب المسيو بيكه نفسهُ وليًّا لاولئك المساكين فكان صباحَ مساء يتجوَّل في بيوت المحتاجين فيوزّع عليهم ما يجدهُ في صندوق القنصليَّة ويجمعهُ من الجاليَّة الفرنسويَّة والمرسلين من الحسنات. وكنت ترى قومًا من الاهلين من كل الطوائف والاديان مزدحمين على بابهِ فلا يردّ احدًا خائبًا. وبلغ مجموع ما انفقهُ في اسبوعين فقط

ثلثة آلاف ليرة، وكان المرسلون يساعدونهُ في توزيع تلك الحسنات وفي عيادة المرضى وعلاجهم

ولم يلبث الوباء ان فشا في الناس بعد المجاعة فكان عدد المصابين يزداد يوماً بعد آخر بالعدوى حتى مات منهم الوف مؤلفة. فاستصحب بيكه اطباء البلد وقسمهم على احياء المدينة وهيأ لهم الادوية التي يجب وصفها للمطعونين وكان القنصل يخاطر بنفسهِ ويتعرض لتلك الوباء غير خائف على حياتهِ

وقد أسف اشدّ الاسف على وفاة الاب برونو الكرمليّ الذي ذهب شهيد محبّتهِ في خدمة المطعونين في ٢٩ حزيران ١٦٦١ وكان القنصل يقول عنهُ قبل موتهِ: «ان مات فقد مات حاب رسولاً غيوراً ونالت السماء راهباً قديساً» وقد تعزّى عن وفاتهِ بما حصل بشفاعتهِ من الكرامات والمعجزات المنبئة عن عظم مجدهِ في السماء. من ذلك ما رآهُ احد الكهنة اليعاقبة من النور على قبرهِ فطلب لاجل ذلك الارتداد الى الكنيسة الكاثوليكيَّة

ثمَّ اخذت تلك الازمة تزول شيئاً فشيئاً وتحسَّنت احوال التجارة وأتت الى مرفأ الاسكندريَّة عدَّة مراكب مشحونة قمحاً فاخذ رسمها ووزَّعهُ على المحتاجين فانفرجت امورهم

ومما يُذكر فيشكر لهُ في تلك المدَّة انَّهُ انقذ ولدَين مسيحيين كان ابوهما أسلم ومات يوم ختانتهِ من الالم فاراد الباشا ان يتبعهُ ولداهُ في اسلامهِ فأبيا واعترفا بكلّ جرأة بايمانهما وقاسيا لذلك آلاماً شديدة وبقيا في الحبس الى ان عُزل الباشا ومات شنقاً في القسطنطينيَّة، فبذل بيكه مالاً للقضاة وأفرج عنهما لكنَّ الاصغر مات بعد قليل لما قاساهُ من الالم مدَّة حبسهِ

وكلّ هذه الاعمال الجليلة التي كان يأتيها بيكه كانت تؤثر في احبار الكنائس المنفصلة عن الكنيسة الرومانيَّة فشهدوا لتعاليمها ومن جملتهم مكاريوس بطريرك الروم فجاهر غير مرَّة بايمانهِ الكاثوليكي

وفي غضون ذلك بلغتهُ رسائل الحبر الاعظم ابفوشفيوس الحادي عشر والمجمع المقدَّس المثنية على همّتهِ وخدمتهِ للكنيسة فسرَّ رغبتهما في ذهابهِ الى رومية. فاخذ يستعدّ للسفر واوَّل ما احبَّ استدراكهُ ان يختار لهُ خلفاً في منصب القنصليَّة فوقع

نظرهُ على تاجر افرنسي كان مكرَّماً في الشهباء لتقاهُ وحسن مزاياهُ . وهو فرنسوا بارون (Fr. Baron) فانتدبهُ الى هذه الرتبة فكان خير خلف لخير سلف

﴿ سفر المسيو بيكه من حلب الى رومية ﴾ ولمَّا شاع خبر سفر القنصل بيكه من حلب عُدَّ الامر كخطب أليم وبليَّة عوميَّة فكان رؤساء احبار الشرقيين واعيان البلد يزورونهُ ويعلنون باسفهم لفراقهِ . وكثيراً ما كانت تمتزج عبراتهُ بعبراتهم

واذ كان بيكه معوَّلاً على الذهاب الى رومية اختار عدداً من اولاد المرتدين حديثاً الى الايمان الكاثوليكي ليتخرَّجوا في مدارس رومية ثم يعودوا فيخدموا مواطنيهم . وصحبهُ ايضاً كاهن من اليعاقبة كان انضمَّ الى الكثلكة يدعى عطاء الله مع شابٍّ ارمني اراد ان يتلقَّن العلوم في عاصمة الكثلكة ثم يسعى الى ارتداد الغريغوريين في الشرق

وكان آخر كلام بيكه عند وداعهِ لاهل حلب النصارى ان يعيشوا بالمحبة والاتحاد ويتمسَّكوا بعرى الايمان . ولما سار متوجهاً الى الاسكندرونة شيَّعوهُ الى خارج المدينة وهنا توارى عنهم حتى رافقتهُ قلوبهم وباتوا يبكون فراقهُ بدموع سخينة

ابحر بيكه مع رفقتهِ في اوائل كانون الثاني سنة ١٦٦٢ وكان سفرهم ميموناً مدة بضعة ايام لكنهم التقوا وهم على مسافة بضعة اميال من مالطة بخمسة مراكب لقرصان البحر من طرابلس الغرب فخاف الركاب من ان يقعوا بين ايدي اولئك الاشقياء . امَّا خادم الله المسيو بيكه فلم يجزع بل ذهب الى غرفة القبطان واخذ يصلي ثم عاد يشجع كل المسافرين فهبَّت في الحال ريح اضطرت القرصان ان يغيروا طريقهم فنجا المسافرون من شرهم . ثم عصفت زوبعة وهاج البحر وكادت السفينة تغرق فبادر بيكه الى الصلاة وبتوسله الى العذراء مريم والى القديس يوسف هدأ النوء العاصف وزال الخطر

ورست السفينة في مالطة وبما انه كان على المسيو بيكه في طريقه بعض المهام التي تستلزم وقتاً طويلاً ارسل الاولاد الذين اتى بهم من حلب مع احد اعوانهِ الى رومية وصرف هو شهر شباط بين مالطة ونابولي . وفي اوائل اذار وصل رومية حيث كانوا ينتظرون قدومهُ بذاهب الصبر

(لها بقيَّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الخامس

مبادئ تاريخ بيروت

ثبت لنا من آثار بيروت انها مدينة في القدم حتى انها تضاهي قدم مدن [illegible] لكنَّ تاريخها لا يُعرف منهُ شيء. وانها تسبق القرن الخامس عشر قبل المسيح وهذا لعمري امرٌ يكفيها فخرًا وفضلًا على كثير من عواصم البلدان في البسيطة جمعاء.

ولا مراء في ان بيروت قبل ذلك العهد شاركت فينيقية في سرائها وضرائها في حُلوها ومرّها لاسيما في ما نالها من غزوات ملوك الكلدان الاوَّلين الذين احتلُّوا سواحل الشام وغارات القبائل الاموريَّة التي ضربت فيها اطنابها

امَّا تاريخها في عهد المصريين فكشفتهُ لنا دفائن ارض مصر منذ ٣٧ سنة فقط حيث وقف الاثريون على سجلَّات الملكين امينوفيس الثالث وابنهِ امينوفيس الرابع من سلالة الفراعنة الثامنة عشرة في القرن الخامس عشر قبل المسيح . وقد اكتُشفت تلك الآثار سنة ١٨٨٨ في تلّ العمارنة في جوار مدينة اسيوط في الفيُّوم حيث يوجد اخربة مدينة قديمة كان الفراعنة اتَّخذوها في ذلك الزمان كرسيًّا لملكهم ثمَّ استولى عليها الخراب فنُقدت آثارها ومن جملتها السجلَّات التي اكتشفها صدفةً احد الفلَّاحين وهي منقوشة بالحرف المساريّ على قطع من الآجرّ . امَّا لغتها فهي اللغة الفينيقيَّة . وكان للفراعنة في دواوينهم نُقَلةٌ ينقلون لهم الى اللغة المصريَّة مضامين تلك الكتابات

وقد ورد في تلك الآثار اسماء بعض مدن فينيقية ومن جملتها اسم بيروت على صورة «بيروتا» وقد مرَّ في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٧٨٥–٧١٤) لحضرة الاب لامنس فصل مستجاد في ما ورد عن لبنان في الآثار المذكورة . وهي عبارة عن مراسلات لأمراء وطنيين كانوا عمّالًا للفراعنة كالولاة يُعرَفون باسم «خزّانو» ويكاتبون مواليهم الملوك ويفيدونهم عما يجري في بلاد فينيقية الموكولة الى تدبيرهم ليكونوا على بصيرة من امرها

وكان اسم احد هؤلاء الولاة «كريب ادّي» أُقيم اميرًا على جبيل . وقد ورد في مكاتباته الى الفرعون اسم مدينة بيروت فيصفها كمدينة حرزة وكفُرضة بحريّة مهمّة ويذكر سفنها التجاريّة وبوارجها الحربيّة ويروي انها خرجت لمحاربة بلاد أُموري مساعدةً لأمير جبيل ريب ادّي فغلبتها

ومما جاء هناك ايضاً رسالتان لاحد امراء بيروت اسمهُ «أُمونيرا» يخبر فيها ملكهُ الفرعون عن خروجهِ لمحاربة اعداء الدولة بخيلهِ ورَجلهِ وعرَباتهِ ويبشّرهُ بفوزه بهم . وفي كلامهِ اشارة واضحة الى مناعة بيروت في ذلك الزمان وعلوّ مقامها ورقيّ تجارتها وسعة ثروتها . على انَّ كلامهُ يُشعر بسيادة امير جبيل على بيروت

بقيت بيروت تحت حكم فراعنة مصر يحيا أهلها بحياة فينيقية ويرتعون مثلها في ظلّ الدولة المصريّة وهي مصونة شمالًا بجبلها في مضيق نهر الكلب حيث رسَم رعمسيس الثاني سنة ١٣٨٨ ق م صورتهُ مع كتابة هيروغليفيّة تتضمّن ذكر تقدمتهِ لإلهه «فتاح» . وهناك صورة اخرى تمثّل ايضاً احد فراعنة مصر بازاء الاله عشتون . ثمَّ صورة ثالثة يُرى فيها فرعون آخر منتصباً يقرّب قربانهُ لاله الشمس «راع» . وكان يصونها جنوباً وجود مدينتين عامرتين واسعتي الثروة والجاه اعني صيداء وصور كانتا تثيران اكثر منها مطامع الدول الكبرى . فكان خمولها نجاةً لها . ولعلّها اصابت نوعاً من الاستقلال في اواخر الالف الاول قبل المسيح في أيام حيرام الاوّل وحيرام الثاني ملكي صور وفي عهد داود وسليمان ملكي اسرائيل

البحث السادس

بيروت في عهد الاشوريين واليونان

جيَّش الاشوريّون جيوشهم في القرن التاسع قبل المسيح وزحفوا الى بلاد الحثّيين

في جهات الفرات وشمالي سورية ثمّ اندفعوا كالسيل الجارف الى بلاد الشام وفينيقية ففتحها ملكهم سلمنآصر الثاني (٨٦٠–٨٢٥ ق م) ثمّ غزاها بعده سلمنآصر الثالث (٧٨١–٧٧٢) ثمّ اشوردان الثاني (٧٧١–٧٥٤) وتغلات فلآسر الثالث (٧٤٥–٧٢٧) ثم سلمنآصر الرابع سنة ٧٢٥ ثم سنحاريب سنة ٧٠١ ثمّ ملك بابل نبوكدنصر الثاني (٦٠٦–٥٦٢) . ولم تسلم بيروت من غاراتهم كما تدلّ عليه الصور الخمس والكتابات المطموسة التي نقشها اولئك الغزاة على الصخور المشرفة على نهر الكلب . ومن المرجّح انّ بيروت عند مرورهم في أوباعها فتحت لهم ابوابها سلماً مفضّلة اداء الجزية مع الامان على فتحها عنوة

وقامت بعد دولتي اشور وبابل دولة ماداي والفرس في اواسط القرن السادس قبل المسيح فبقيت فينيقية خاضعة لحكمهم وكان الفرس يحسنون الى اهلها العاملة ويسعون الى تحسين تجارتها وملاحتها فاستعانوا بسفنها لفتح سواحل الشام وآسية الصغرى . وكانت بيروت راقية في صناعة السفن وتجهيزها لقرب الغابات والاخشاب الجيدة من مرفئها فكانت سفنها مع سفن جبيل وصيداء وصور تؤلف اساطيل عظيمة مالت في خدمة ملوك فارس وماداي شهرة كبيرة

وفي نقود بيروت ما يثبت قوتها البحرية وانها تمثل إله البحر بوسيدون (Posei-don) وهو بعل بريت واقفاً عند رأس السفينة في احدى يديه صورة الدلفين او احدى بنات البحر بَرُوَه (Beroe) وفي الاخرى الشوكة المثلثة . ومنها ما تمثله جالساً على مركبة تجرّها اربعة رؤوس من الخيل . فكل ذلك اشارة واضحة لمقدرة بيروت في النقابة البحرية سواء كانت مجهزة للحرب او مستحضرة للتجارة البحرية

ولمّا انتقض حبل الدولة الماديّة اخذت المدن الساحلية تسعى كلٌّ منها الى الاستقلال وتوسيع مملكتها بقهر جاراتها فكانت تتنازع الحكم على بيروت تارة جبيل وتارة صيدون . فكان البيروتيّون يجتهدون في استبقاء حريتهم او يجارون احوال الزمان الموافقة لمصالحهم . وانما دين الجبليين كان مؤثراً فيهم فشاعت بينهم عبادة البعل وخصوصاً عبادة الإلهة عشترت التي تُرى صورتها على بعض نقودهم القديمة

ولعلّ ما اصابته صور وصيداء من العمران والرقيّ في القرنين السادس والخامس قبل المسيح كشف نوعاً رونق مدينة بيروت فقلّما تجد لها ذكراً في آثار ذلك العهد .

على انّ احد سيّاح اليونان المسمّى سيلاكس (Sylax) اتى الى فينيقية في القرن الرابع قبل المسيح وتجوّل في مدنها الساحليّة واجتاز بيروت فوصفها بهاتين الكلمتين قائلاً: «ان بيروت مدينة ومرفأ» ولم يزد على ذلك شيئاً وبها نستدلّ على أنّ الخراب لم يستولِ على بيروت كما ظنّ بعضهم

البحث السابع

بيروت في عهد السلوقيين

سار اسكندر الكبير المقدوني المعروف بذي القرنين الى فتح سوريّة بعد انتصاره على الفرس في معركتي ايسوس في حدود سوريّة وقيليقية (سنة ٣٣٣ ق م) وإربيل في العراق (سنة ٣٣١) فاخضع سوريّة وعاصمتها دمشق وفينيقية ولم يُقم في وجهه غير صور الحصينة فملكها عنوة بعد ان حاصرها اربعة اشهر

ولا ريب في خضوع بيروت لسلطة الاسكندر كما يثبت ذلك ما ضُرب فيها من النقود باسم ذلك الفاتح الشهير(١ . ثمّ صارت بعد موته لخلفائه فملكها اوّلاً قائده بطلميوس صاحب مصر وانتزعها من يده سلوقوس فدخلت في مملكة السلوقيين ملوك الشام وعاد البطالسة فملكوها ولبعضهم نقود مضروبة فيها كبطلميوس الثالث أورغاتيس الاوّل (٢٤٧–٢٢٢ ق م) وكبطلميوس الخامس ابيفانيوس اي الشهير (٢٠٤–١٨١) الى ان صارت نهائيًا في حوزة السلالة السلوقيّة لمّا بسط انطيوخوس الثالث الكبير سلطانه على كلّ تخوم فينيقية بعد انتصاره على بطلميوس ازياتور سنة ١٩٨ ق م الى سنة ١٧٥

وفي زمن هؤلاء الملوك السلوقيين خاصّة انتشر في بيروت وفي سائر فينيقية التمدّن اليوناني وشاعت بين الخاصّة اللغة اليونانيّة وتوفّرت في لبنان وسواحله الآثار الفنّية المستعارة من اليونان كالكتابات والهياكل والأبنية الفخمة والتماثيل والحلي والأدوات الصناعيّة والنقود والصكوكات التي نشر كثيراً منها احد اساتذة مكتبتنا

١) اطلب كتاب نقود الاسكندر لمولّر L. Muller: Numismatique d'Alexandre p. 310

الطبي سابقاً الدكتور جول روفيه (D' J. Rouvier) خصّ الكل مدينةٍ جدولاً منفرداً بينها نبذة حسنة عن مسكوكات بيروت مع صورها وتاريخها اليوناني ٣١٢ ق م

وكذلك شاعت في بيروت وسواها حتى في أيام حكم الرومان الازياء اليونانيّة والديانة اليونانيّة والنقوش والكتابات اليونانيّة على النواويس حتى اسم بيروت ظهر بزيّه اليونانيّ (BHPYTOC او BHPYTIWN). ومن كلّ ذلك عدّة آثار وجدت في بيروت وجوارها كما في غيرها من المدن الساحليّة وقد اخذ المتولّون نظارة الآثار يجمعون في متحف المدينة قسماً صالحاً منها. على انّ نقود بيروت الاولى التي ضُربت من السنة ١٩٨ الى ١١١ ق م قد كُتب عليها اسم بيروت باليونانيّة والفينيقيّة ثمّ اكتفوا بعد ذلك بالاسم اليونانيّ

ويستفاد من ضرب بيروت لنقودها كونها نالت في زمن السلوقيين نوعاً من الاستقلال منحهُ ملوك سوريّة لبعض مدن فينيقية وهو الاستقلال الاداريّ تحت حمايتهم. وقد عرفت بيروت لملوكها الشرعيين هذه المنّة كما يُروى ذلك في تاريخها ويحقّ لها ان تفتخر بهِ وقد اثبتنا الخبر في كتاب لبنان (ص ٢٣٥) بما معناهُ:

قام سنة ١٤٦ ق م رجلٌ اسمهُ اسكندر بالا (Alex Bala) يدّعي الملك لنفسهِ فنشبت بينهُ وبين الملك السوري ديمتريوس النسائي فيلاتور حروب عوان دافعت فيها بيروت عن حقوق ملكها بشهامة ومروءة فكان الانتصار حليفاً لديمتريوس. ألّا انّ تريفون (Tryphon) وزير اسكندر بالا تحزّب بعد موت مولاه لابنهِ انطيوخوس السادس المسمّى ديونيسيوس ليجلسهُ على كرسيّ المملكة ويملك باسمهِ. ولعلمهِ بامانة بيروت واهلها لملكهم اغار على مدينتهم ليثأر منهم واخرب ابنيتها وحرقها بالنار سنة ١٤٠ ق م فذهبت ضحيّة وفائها. على انّ تريفون نال جزاءهُ بعد قليل فغلبهُ انطيوخوس سيداتس اخو ديمتريوس ومات طريداً خاملاً

وقد ذهب بعض المحدثين الى انّ بيروت بقيت على خرابها نحو مئة سنة واستندوا لاثبات رأيهم الى عبارةٍ وردت في كتاب الجغرافي اليوناني اسطرابون حملوها على غير معناها الصحيح وزعموا لتأييد رأيهم انّ الاثريين لم يكتشفوا اثراً لبيروت في تلك الحقبة. لكنّ الدكتور جول روفيه قد اماط القناع عن صحّة الامر وبيّن ان بيروت لم تبقَ على خرابها زمناً طويلاً ولعلّ تريفون لم يخربها تماماً. فعاد اليها اهلها ورمّموها

او جدّدوا بناءها واطلقوا عليها اسم لاوذيقية فينيقية او لاوذيقية التي لكنعان (١ ، ويثبت الامر عدّة نقود تمثل رمز بيروت اي عشترت على رأس سفينة مكتوب عليها هذه الحروف اليونانيّة (ΛΑΦ) مختصر «لاذيقية فينيقية» (Λαοδικεία ἡ ἐν Φοινίκῃ) كما رواها المؤرّخ ابيان (Appien) وفي بعضها باللغة الفينيقيّة (לאדך אש בכנען) وقد راجت هذه النقود بين السنتين ١٧٦ الى ١٢٣ ق م اعني مدّة ٥٣ سنة

ووقف الدكتور روفيه على اثر آخر يثبت رأيهُ في انّ بيروت لم تبقَ خراباً بل كانت عامرة . وذلك وزنٌ قديم لبيروت تاريخهُ سنة ١٢٨ ق م عليه شعار المدينة واسم محتسبها المدعوّ نيقون وكفى بذلك دليلًا على انّها كانت في ذلك العهد مدينة تجاريّة . وقد اثبت الدكتور صورة ذلك الوزن مع شرح كتابته في اوّل عدد للمشرق في السنة الاولى (ص ١٧—٢٠)

لكنّ ما قالهُ جناب الدكتور روفيه في ثبات مدينة بيروت لا يصدق لهُ عن رأيٍ آخر حيث يقول انّ الذين عادوا فجدّدوا ابنية بيروت بعد خرابها عدلوا عن موقعها السابق القريب من نهرها الى الجنوب على بُعد نحو ١٠ كيلومترات فبنوها عند الخان الجديد بين وادي الشويفات ونهر الغدير . وقد وجد هو في ذلك المكان آثارًا قديمة من مصكوكات يونانيّة ورومانيّة وخزفيّات ونقوشاً مختلفة وهو يزعم ان بيروت المستحدثة كانت هناك وعليها يُطلق اسم لاوذيقيّة كنعان . وهذا الرأي على ما نرجّح ليس بصحيح فانّ بيروت بقيت في مكانها . امّا الآثار المذكورة فتدلّ فقط على وجود بلدةٍ هناك وهي احدى المدن الصغيرة التي كانت تتوسّط بين بيروت وصيداء وقد جاء في كتب جغرافيّي اليونان انّ عددها كان بالغاً نحو العشر بقي منها خلدة والدامور

وفي زمن السلوقيين اشتهر في جبيل اوّل مؤرّخ لبلاد فينيقية العلّامة سَنكُنْيَتُن البيروتيّ الذي بقي من تاريخهِ الضائع عدّة فقرات ذكرها لهُ فيلون المؤرخ مولود جبيل ونقلها اوسابيوس القيصري وكفاها بذلك فخرًا

١) راجع مقالة الدكتور روفيه التي عنوانها Une Métropole phénicienne oubliée LAODICÉE, Métropole de Canaan ومقالة المسيو روسّل (P. Roussel) في نشرة المراسلة اليونانيّة Bulletin de Correspondance hellénique, 1911, p. 535-446

ومع تغلب اللغة اليونانية بين الطبقة الراقية من الشعب لم تزل الفينيقية دارجة بين العامة في بيروت ولبنان ولاسيما في داخلية البلاد

وفي اوائل القرن الاول قبل المسيح ضعفت دولة السلوقيين باستسلام ملوكها الى اللذات ورفاهية العيش بعد الحروب الاهلية المتشبة في ظهرانيها فاضطربت الامور ووقع الخلاف بين مدن السواحل فخاف الاهلون من الفوضى ودعوا ملك ارمينية دغران لتدبير الامور بينهم فقلدوه الحكم عليهم وتمتعوا مدة في ظل السلام. لولا ان بيروت وبخاراتها الشمالية الى الرأس المعروف برأس الشقعة كانت معرضة لغارات قبيلة الايطوريين الذين استولوا على ذلك الرأس وتحصنوا فيه وكانوا يتجسسون السواحل المجاورة من طرابلس الى بيروت فينقضون منه كالسباع الضواري فيسبون ويسلبون ويعودون بالغنائم الى مركزهم آمنين الى أن حاربهم القائد الروماني بومبيوس سنة ٦٣ وشتت شملهم في البلاد (١) (لهُ صلة)

البعثة البابوية الى البلاد السنوفياتية

بقلم حضرة الاب جان كابلو اليسوعي (تابع)

روستوف

بينما كنا نستنفد وسعنا في اسعاف الجائعين في محطة القريم وكستودار كانت فرقة اخرى من الرهبان اليسوعيين الاسبانيين اتخذت لها مركزاً لعملها مدينة روستوف الواقعة على ضفة نهر دون (Rostow-sur-le-Don) وعندها مرفأ بحر ازوف. وكانت هذه المدينة قبل الحرب زاهرة عامرة واسعة التجارة فاضحت بعد الحرب ملجأ لكل الاشقياء المتقاطرين اليها طلباً للقوت من وادي فولغا ومن معاملة تسارتسين (Tsaritsine) والاصقاع المجاورة لبحر قزوين

(١) اطلب تاريخ الابتكار في ما يختص بلبنان من الآثار للاب لامنس (٢: ٣٦)

ومع تغلب اللغة اليونانية بين الطبقة الراقية من الشعب لم تزل الفينيقية دارجة بين العامة في بيروت ولبنان ولاسيما في داخلية البلاد

وفي اوائل القرن الاول قبل المسيح ضعفت دولة السلوقيين باستسلام ملوكها الى اللذات ورفاهية العيش بعد الحروب الاهلية المتشبة في ظهرانيها فاضطربت الامور ووقع الخلاف بين مدن السواحل فخاف الاهلون من الفوضى ودعوا ملك ارمينية دغران لتدبير الامور بينهم فقلدوه الحكم عليهم وتمتعوا مدة في ظل السلام. لولا ان بيروت وبخاراتها الشمالية الى الرأس المعروف برأس الشقعة كانت معرضة لغارات قبيلة الايطوريين الذين استولوا على ذلك الرأس وتحصنوا فيه وكانوا يتجسسون السواحل المجاورة من طرابلس الى بيروت فينقضون منه كالسباع الضواري فيسبون ويسلبون ويعودون بالغنائم الى مركزهم آمنين الى أن حاربهم القائد الروماني بومبيوس سنة ٦٣ وشتت شملهم في البلاد (١) (لهُ صلة)

البعثة البابوية الى البلاد السنوفياتية

بقلم حضرة الاب جان كابلو اليسوعي (تابع)

روستوف

بينما كنا نستنفد وسعنا في اسعاف الجائعين في محطة القريم وكستودار كانت فرقة اخرى من الرهبان اليسوعيين الاسبانيين اتخذت لها مركزاً لعملها مدينة روستوف الواقعة على ضفة نهر دون (Rostow-sur-le-Don) وعندها مرفأ بحر ازوف. وكانت هذه المدينة قبل الحرب زاهرة عامرة واسعة التجارة فاضحت بعد الحرب ملجأ لكل الاشقياء المتقاطرين اليها طلباً للقوت من وادي فولغا ومن معاملة تسارتسين (Tsaritsine) والاصقاع المجاورة لبحر قزوين

(١) اطلب تاريخ الابتكار في ما يختص بلبنان من الآثار للاب لامنس (٢: ٣٦)

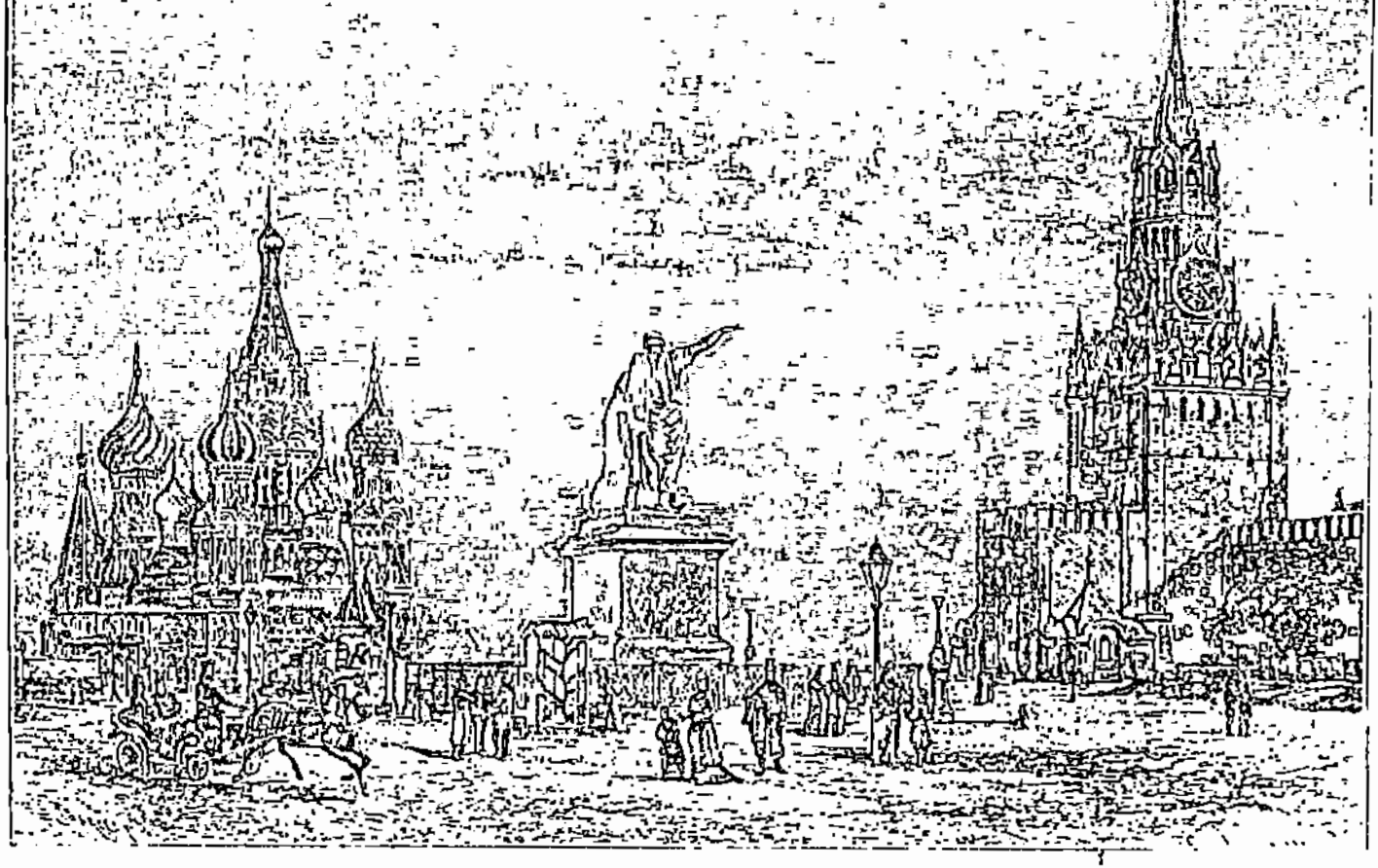

ساحة موسكو المعروفة بالساحة الحمراء

تجد عن شمالك كنيسة القديس باسيليوس وعن يمينك باب القيامة وفي الوسط تمثال محرّرَي روسيّة مينين وپوجرسكي

КАТОЛИЧЕСКАЯ МИССИЯ ПОМОЩИ

AIDE PONTIFICALE EN RUSSIE

PXI

РИМСКИЙ ПАПА = = РУССКОМУ НАРОДУ.

الشعار البابوي

المعروض

في مطاعم الوفد الروماني

المرسل لاسعاف الجوعى في روسية

فاهتمت الدول المحسنة باعانة هؤلاء المنكوبين فقسمتهم اقساماً من انحاء شتى لكل دولة قسماً فاخذ الاميريكيون والايطاليون ذوو الصليب الاحمر والدكتور نانسن يتسارعون في انقاذ هؤلاء المساكين من مخالب الموت

فلما وصلت البعثة البابوية سلموها قسمها الصالح فكانت تعنى بتوزيع الاطعمة على نيف واربعة آلاف ولد، وانشأت مستوصفاً لعلاج المرضى لاسيما المصابين بحمى الملاريا وكانت ايضاً تطعم الاهلين من التيفوس والجدري. ومن علاجاتها الحقانات لدفع الجراثيم الوبيئة بلغ عدد المستحصين بهمتها ١٣٢٫٥٠٠ شخصاً. وفتحت معملاً لتعليم بعض الصنائع للاولاد

اورمبورج

بلغ مستامع الجمهورية التترية في اورمبورج (Orembourg) الواقعة بين نهر فولغا وجبال اورال ما أتت به البعثة البابوية من المساعدات لذوي البأساء فارسلت الى رئيسها تطلب اليه باطلاح ان يرسلوا الاولاد الذين هناك لا عضد لهم ولا سند وعددهم ينيف على عشرين الفاً سيموتون لا محالة ان لم يسرعوا الى اغاثتهم: فلبى طلبهم الاب النمزعي كلاغر (P. Gallagher s. j.) واخذ على كاهل البعثة البابوية تموينهم. ومنذ الشهر شباط سنة ١٩٢٣ اصبح هؤلاء البائسين على مأمن من حياتهم

موسكو

بُليت حاضرة موسكو كبقية مدن روسية بآفة المجاعة بل أصيبت ببلايا اعظم لوفرة عدد سكانها البالغ على ما يقال نحو مليونين ونصف من النفوس. فكنت ترى الوفاً من الاهلين المتضورين من الجوع يسيرون في الساحات ذهاباً واياباً يطلبون خُمامة يسدّون بها جوعهم بينهم الاولاد واليتامى الشاردون يحتالون على الباعة ليتشلوا امتعتهم فيرتزقوا بها.

ولو دخلتَ البيوت لوجدت حالة اهلها اسوأ وأفجع فالصغار يُعولون طالبين القوت وكثيرون منهم طريحو الفراش تنهك قواهم الامراض المختلفة ينتظرون الموت وليس من يُعنى بامرهم ويرثي لاوجاعهم

وكانت المدينة على سعتها قد ضاقت عن السكان لكثرة من يأتيها من القرى والمدن المجاورة رجاء ان يلقوا فيها اسعافاً فكانوا يأوون الى قارعة طريق او قرنة بيت او في زاوية كنيسة او في اقبية مظلمة وهم متكدسون يزاحم بعضهم بعضاً

وقد بقيت اللجنة البابوية نحو شهر قبل ان تجد لها منزلاً لتوزيع احساناتها

وكانت الحكومة قد اقامت في موسكو شركة يجول اعضاؤها في احياء المدينة ليجمعوا من يرونه من الاولاد المهملين المعرّضين للموت . فكانوا جمعوا منهم الوفاً مؤلفة من فتية وفتيان بلغ عددهم نيفاً وعشرين الفاً وادخلوهم في مآوي واسعة خصّوها لتلك الغاية وكانوا اذا اتوا بهم عرّوهم من اسمالهم فيغسلونهم ويكسونهم بثياب نظيفة ويفرزون الاصحاء عن المرضى ويوزّعون عليهم بعض المآكل الّا ان تلك العناية كانت قاصرة لا تفي بالغاية المرغوبة :

فشكر الله اربابُ تلك المآوي لمجيء اللجنة البابوية وعهدوا الى اعضائها اسعاف ستّة آلاف من اولئك المنكوبين ثمّ زادوا هذا العدد حتى بلغ عشرة آلاف ثم خمسة عشر الفاً . ففتح اربابُ الوفد البابوي مطاعم متنقلة كانوا يوزعون فيها المآكل كما فعل اخوتهم في اوبتورية وانحاء القريم

ولم يكتفوا بذلك بل اخذوا يطوفون في البيوت التي يدلّونهم اليها لمساعدة سكانها المدنفين وكانوا ايضاً يزورون ملاجئ أخرى كانت الامهات يودعن فيها اولادهنّ في النهار ليشتغلن في المعامل ويكسبنَ شيئاً من الدراهم للمعاش . امّا الصغار فكانت بعض المرضات يراقبنهم طول النهار ريثما تعود امّهاتهم في اوّل الليل ويستلمنهم فكان الآباء ينتابون تلك الملاجئ ويلطّفون اوجاع اولئك الصغار بالقوت الكافي

وكان في موسكو عدد عديد من طلبة المدارس الجامعة ومن المتخرّجين بالمدارس الطبيّة ممّن لا راتب لهم للمعاش فهؤلاء بانتشار المجاعة اضحوا في اقصى الحاجة الى القوت اليوميّ . وكانت ملازمتهم للدرس والطبابة المجانيّة انهكت قواهم فأصيب كثيرون منهم بالسلّ . فلمّا درت اللجنة البابويّة بامرهم خصّتهم بعنايتها واسعفتهم على قدر استطاعتها

وممّا اهتمّت به البعثة البابويّة تجهيز كثيرين من الفقراء بالاثواب الدافئة وهم

في بلاد يقرس فيها البرد اشدّ قرس مدّة ستة اشهر وتجمد الانهار وتتراكم الثلوج. فأنفقت كثيراً من مالها لذلك ولجلب الادوية للمرضى

فكان مجموع الذين ساعدتهم البعثة البابويّة في اواخر السنة ١٩٢٢ والنصف الاوّل من السنة ١٩٢٣ مائة وسبعين الفاً باركوا اسم البابا المحسن اليهم المتحنّن عليهم كما تحنّن سيّدهُ على الشعب المرافق لهُ في البرّية فوفّر لهم الخبز لئلّا يخوروا في الطريق

نظر عامّ في فظائع المجاعة في بعض انحاء روسية

كان بودّنا ان نلحق هنا نظراً اجمالياً على عموم روسيّة بعد ذكرنا بعض اعمال البعثة البابويّة ملخّصة ليقف القرّاء على تلك الفاجعة الهائلة التي دهمت روسيّة وذهبت بارواح قسم كبير من اهلها. لكننا نكتفي بذكر البلاد التي رأيناها عياناً فيقيسون عليها بقيّة انحاء الدولة.

﴿اوكرانية﴾ كان عدد اهل حاضرتها خرسون ١٥٠،٠٠٠ ولا يتجاوز اليوم عددهم ٣٥،٠٠٠ والباقون ذهبوا ضحيّة الجوع او هاجروا الى بلاد اخرى — فقدت بلدة اوساتوفا (Oussatowa) ثلث اهلها بالمجاعة. وقرية كويلنيك (Kouyalnik) بقي من سكّانها ٤٢٠ وكانوا قبل ذلك ٨٠٨ . وبين الاحياء ٨٠ يتيماً مات أبواهم

﴿القريم﴾ في عدّة مياتم حافلة بالاولاد اودت المجاعة والامراض اكثر من ثلثيهم . وجدوا في مدينة بولكافا في ليلتين ٢٤٠ ولداً مصرّعين ماتوا فريسة البرد والجوع

في وادي ڤولغا وجيرته كان عدد الموتى من الجوع في ستة اسابيع ١٨٠،٠٠٠ نسمة. وكان مجموع الذين حصدهم الموت بمنجله في مدّة شهرين نيّفاً وستة ملايين .

وقد قيل في الجرائد المحليّة انّ الجوع وحدهُ فتك في روسيّة بنحو ١٤ مليوناً من اهلها

وقد ذكرت الجرائد ايضاً ان بعض جهات روسيّة قد صارت قاعاً صفصفاً ينعق فوقها الغراب. وليس الباقون اسعد حظّاً من المائتين فانّ عدد الصغار اليتامى في الدولة كلها بلغ مليونين ونصف مليون وكثيرون منهم يهيمون تائهين في البراري والحقول على وجوههم امارات الموت يقتاتون ببعض الاعشاب البرّية او بقشور الاشجار وهشيم الاوراق فلا يلبثون ان يودّعوا الحياة

نعم انَّ البعثات الخيريَّة لا تزال تشتغل لنجاة الجوعى الَّا ان اعمالها مع سعتها ليست بوافية المرام فانَّ فصل الشتاء الحاضر قد جدَّد فتكات المجاعة وأنذرت الجرائد بويلات جديدة حتى ان بعضها صرَّح قائلًا انَّ هذا الشتاء سوف يودي بخمسة او ستَّة ملايين آخرين من الجائعين. وقد احصوا عدد الأولى في شمالي شرقي جبال اورال فاذا هو ينيف على ٢٠٠،٠٠٠ نسمة ومات في الجنوب من قبائل البشكير والجرغيس ١٥٠،٠٠٠ وحتى اليوم لا تزال المجاعة ضاربة اطنابها في تلك الدولة المشئومة

ويتَّفق ذوو الخبرة وارباب الاقتصاد انَّ هذا المشكل الكبير لن تُفكَّ أُربته الَّا بالزراعة. على انَّ الزراعة تحتاج الى البذار والى ادوات الفلاحة والدواب. وقد هلك بالحرب والجوع نصف الخيل حتى انَّ بين ١٥ مزارعاً لا تجد فرساً الَّا لواحد منهم. وكم تلفت ادوات الفلاحة فكُسرت وأُوقدت بها النار فرارًا من البرد

فانَّ روسيَّة قد بلغت درجةً من الهبوط لا نهضة لها منهُ إلَّا بمساعدة الدول الاوربيَّة فان كانت اوربة محتاجة الى روسيَّة فانَّ حاجة روسيَّة الى اوربة أمسّ وألزم. فالرجاء كل الرجاء ان الدول تتناصر في اعادة روسيَّة في دسم الاوربة بكثرة مع مقاومة مبادئ البولشفيك المقتالة التي لا يمكننا ان تسود في بلد إلَّا ان تفشي فيه روح التجرُّد والتفاني في خدمة الوطن ومناصرة القريب لتنفق بين الجميع وسائل المعاش وتروج محصولات الوطن ويسود السلام الثابت الذي لا قوام لهُ إلَّا بممارسة الفضائل المسيحيَّة ليس ببعض توازُن القوى كما يزعم المتشدِّقون

وهو السلام الذي طالما دعا اليه الاحبار الرومانيُّون وخصوصاً الطيِّب الذكر بندكتوس الخامس عشر وبيوس الحادي عشر المالك سعيدًا. وقد قرَّرا في مناشيرهما ما يمكنهُ ان يعيد للعالم خلاصهُ بتضحية روح الانانيَّة وتسويد التعاليم الانجيليَّة. فعبثاً تطلب الامم سلاماً خارجاً عن الدين وتعاليمه الخلاصيَّة

نظر عام في سابق العام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمة)

٢ اميركة واوقيانية

﴿الولايات المتحدة﴾ وقعت وفاة رئيسها السابق وودروف ولسون في ٧ شباط ١٩٢٤ . كان مولده سنة ١٨٥٦ . وترأس على الولايات المتحدة سبع سنين من ١٩١٣ الى ١٩٢١ . وبفضله دخلت اميركة في الحرب الكونيَّة فكانت لهُ فيها كلمة راجحة من ١٩١٧ الى ١٩١٩ . وانَّما يؤخذ عليهِ في خطبتهِ عن تحرير الشعوب بعض الآراء الملتبسة التي هيَّجت العناصر المختلفة الى طلب الاستقلال

وقد هيَّج اليابان على اميركة ما سنَّهُ مندوبو الولايات المتحدة بخصوص المهاجرة في ١٣ أيار اذ حُصر عدد المهاجرين ونُفي اليابانيُّون من الامتيازات الممنوحة للاوربيين . فاحتجَّت اليابان على الولايات المتحدة لسبب استثنائها عن غيرها من الدول ولا يزال النفور قائماً بين الدولتين

ومن اخبار الولايات المتَّحدة انتخاب الرئيس كولدج (Coolidge) الجمهوري في ٤ تشرين الثاني اصاب ٣٧٩ كرسيًّا أمَّا خصمهُ داڤس الديموقراطي فلم ترد كراسيهُ على ١٣٩ . والرئيس الجديد ممَّن يقدرون قدر الكنيسة الكاثوليكية

كان لارتقاء السيد هايس رئيس اساقفة نيويرك والسيد جورج موندلين رئيس اساقفة شيكاغو الى منصب الكردينالية وقع عظيم في كلّ انحاء اميركة الشماليَّة وعُدَّ انتخابهما كشرف عظيم شمل الاميركيين اجمالًا . فقامت البلاد وقعدت لاستقبالهما عند عودتهما من رومية استقبالًا باهرًا كان اشبه بمهرجان الملوك وكبار الرجال :

ومن الاخبار السارَّة التي تدلُّ على رجوع عقل الاميركيين اجتماعٌ خطيرٌ عُقد باتفاق رؤساء الاديان ليبحثوا عن الدواء الناجع لحسن تربية الناشئة وآدابهم . فكان يمثّل الكنيسة الكاثوليكيَّة رئيس اساقفة نيويرك وحضر معهُ اكبر ممثلي الكنائس البروتستانتيَّة مع حاخام اليهود . فكانت نتيجة اجتماعهم انَّ الشبيبة ليس يردّها الى

سواء السبيل والعيشة المنظمة والآداب الاجتماعيَّة ألا الدين فطلبوا الى ارباب الدولة ان يعزّزوا في المدارس التعليم الدينيّ ويحظروا على الملاحدة نشر آرائهم الفاسدة بين الاحداث والشبان . وقد أُنشئت جماعة لمناهضة الكتب الفاسدة المخالفة لروح الدين والمنافية للآداب

ويسرُّنا ايضاً ما نراهُ في الولايات المتَّحدة من نجاح المشاريع الكاثوليكيَّة وتقدير اعيانها للمشاريع الكاثوليكيَّة . وقد سبق لنا ذكر الاثر الجليل الذي أُقيم لتمجيد الراهبات اللواتي خدمنَ في زمن الحرب الجرحى والمرضى وتفانينَ في مساعدة الجنود المادّيَّة والادبيَّة

وقد عرفنا بمزيد الفرح انَّ السوريّين المهاجرين يبارون الاميركيين في انشاء الجمعيَّات الخيريَّة والتهذيبيَّة كالجمعيَّة المنعقدة في بروكلين لتعليم صغار المهاجرين التعليم المسيحي . وكذلك شكرنا همَّة المحسنين لبناء كنيسة للروم الكاثوليك في نيويرك كان تدشينها في ٢٢ حزيران برونق عظيم وحفلة شائقة أُعجب بها الاميركيُّون

﴿كندا﴾ لا تزال احوالها الدينيَّة والدنيويَّة في نجاح . وللكاثوليك الكلمة العليا في تدبير البلاد ورقيّها وهم يبلغون اليوم نيفاً وثلاثة ملايين وكانوا نصف مليون قبل مائة سنة يرعاهم ثلاثة اساقفة وسبعة كهنة . أمّا اليوم فيتولّى خدمتهم الدينيَّة ٣٨ رئيسَ اسقف او اسقفاً مع نائب رسولي واكثر من الف كاهن مع عدد عديد من الرهبان . والمنتظر قريباً ان يعلن الحبر الاعظم بتطويب الستَّة اليسوعيين الذين استشهدوا في القرن السابع عشر بين قبائل كندا الهمجيَّة

﴿اميركة الجنوبيَّة الوسطى﴾ خمدت نوعاً نار الثورة في (المكسيك) وقد عقد الاساقفة مؤتمرًا قربانيًّا جدَّدوا فيه تكريس البلاد للقلب الاقدس في ٧ تشرين الاوَّل

﴿البرازيل﴾ حصل فيها في ٧ تموز ثورة من قبل الحزب العسكريّ فاستولى الثائرون على سان باولو وأُصيب اهلها ببلايا وخسائر عديدة ونُهبت مخازن بعض السوريين الذين نجوا من تلك الكارثة بالفرار . ثمَّ عادت الحكومة فكسرت شوكة الثورة

وقع في هذه السنة يوبيل الكردينال دي ألبوركي رئيس اساقفة ريو دي جانيرو . فهنَّأهُ رئيس الجمهوريَّة وعامَلهُ معاملتهُ لسفراء الملوك

توفي في البرازيل في اواسط السنة المنصرمة الاب الكبوشي دانيال دي سَمارات (de Samarate) بعد ان خدم المصابين البرص سنين عديدة فنشا اليهِ دائهم وتناثرت لحانهُ حتى انهُ لم يَعُد احد يعرفهُ وقيل عنهُ انهُ لم يبقَ فيهِ شيء حيّ الا عقلهُ فات شهيد محبَّتهِ

﴿الشيلي﴾ في ٩ ايلول وجَّهت اللجنة العسكريَّة الى السيد ألِسَّاندري رئيس الجمهوريَّة رسالةً تهديديَّة اضطرَّتهُ الى تقديم استعفائهِ لكنَّ الامور تحسَّنت فعاد الى منصبهِ

احتفلت جمهوريَّة ﴿خطّ الاستواء﴾ في عاصمتها كويتو باليوبيل الذهبي لتكريسها لقلب يسوع على يد رئيسها الخالد الذكر غرسيا مورينو فتجدَّد بذلك حماس اهلها الديني — ولما حصلت فيها بعض الزلازل التجأوا الى قلب الربّ فنجوا من نكباتها وابدوا شكرهم لهُ بطواف عموميّ غاية في الرونق

﴿بوليفية﴾ تستعدّ لعيد تذكار استقلالها قبل مائة سنة وقد اتَّفق اهلها على تكريسها لقلب الاهي

سبقت ﴿كولومبية﴾ بوليفية وفي ٤ نيسان تلا رئيسها صورة تكريس البلاد أمام شخص المصلوب في حفلة لم يُعهَد لها مثال. وفي كولومبية تألفت جمعيَّة من الشبان الكاثوليك يُعرفون بفرسان السيد المسيح ويسعون السعي الحسن في كلّ اعمال الخير ومناهضة الماسونيَّة

﴿اوستراليا﴾ يقرّ ارباب دولتها بان جانباً كبيراً من رقيها العظيم اصابتهُ بفضل الكاثوليك الذين كانوا سنة ١٨٣٠ بضع مئات أُرسلوا الى اوستراليا كمتام لمتفاهم ولم يكن لهم سوى كاهن واحد لخدمتهم وهم اليوم مليون ومائتا الف نفس يرعاهم في دينهم تسعة رؤساء اساقفة وستَّة اساقفة وقد شيَّدوا في هذه المدَّة ٢٫٢٠٠ كنيسة وكهنتهم نحو الف وخمسمائة

وفي اواسط الصيف طلب بعض مندوبي المجلس الاعلى ان تعترف الحكومة بقانونيَّة الزواج المدنيّ فردّ طلبهم القسم الاكبر من المتديّنين

﴿اوقيانية﴾ كانت جزائرها قبل مائة سنة لا تعرف اسم الفادي وكنيستهُ. وهي اليوم تحصي عدد الكاثوليك في ارجائها فبلغوا ٢٧٠٫٠٠٠ تحت تدبير ٢١ نائباً

رسولياً و٦ وكلاء رسوليين و٦٠٠ مرسل او كاهن

٣ اسية

فلنبدأ بالشرق الاقصى :

﴿الصين﴾ كانت في العام الماضي مسرحاً للمنازعات المختلفة ولاسيما بين اهل الشمال واهل الجنوب . صارتدبير امورها في اواسط شباط في يدي الفريق «تساوكون» فاعلنوا به رئيساً على جمهوريتها فلنتيب لمساعدته كمستشير السيد فابريغ (M. Fabre-gue) النائب الرسولي في معاملة تشالي وارسل الى الحبر الاعظم رقيماً بيده يصرح فيه باكرامه لشخصه الجليل . فانتهز الاساقفة المرسلون تلك الفرصة وعقدوا في ١٥ من شهر ايلول مجمعاً دينياً بحثوا فيه عن كل احوال الرسالات الكاثوليكية في تلك الجهات

على انّ احوال السياسة عادت فاضطربت في اوائل الخريف فوقعت حرب اهلية بين ارباب الدولة ورؤساء الجيوش . فقلب الوزارة في بكين الجنرال «فنغ يوسيانغ» وعزل رئيسها «او باي فو» فاضطر رئيس الجمهورية «تساوكون» الى تقدمة استعفائه

ثمّ ثارت الجيوش الشمالية في منشورية تحت قيادة رئيسها تشانغ تسولين وسارت في اواسط ايلول الى بكين وحصلت في جوار شنغاي بينهُ وبين جيوش او باي فو معركة دموية انتصر عليهم تشانغ وهرب اوباي فو . ثمّ حصل بعض اتفاق بين الرئيسين فنغ وتشانغ . وفي اثناء ذلك كان رئيس جيوش آخر «سان يات سن» يفتك ببكنتون ويملأ بلادها خراباً . واضطرت الدول الاوربية الى ان ترسل سفنها الحربية لحراسة ذويها

وقد اتضح اليوم ان لروسية يداً في هذا الحوادث فانها ارسلت دعاة البولشفيك الى تلك الجهات فبثوا في جيوشها واهاليهم روحهم الشريرة وقد أرسلت بعثة خصوصية الى بكين يرئسها كراخان لترويج غاياتها السيئة . وكذلك المانية ساعية الى التقرب من الصين رجاء ان تكون من جانبها في حرب مستقبلة . وقد ارسلت كميات كبيرة من الاسلحة خفية الى جيوشها الثائرة . وثبت للحلفاء انّ الجنود الصينية مسلحة ببنادق موزر وفي حكمها مدافع كروب

وبين كلّ هذه الحركات والهيجان تجري اعمال رسل المسيح الى الامام ولا يزال

عدد المكثلكين ينمو ويقوى والكاثوليك حاضراً في الصين ٢،٢٠٠،٠٠٠ يخدمهم ٢،٦٠٠ مرسل منهم ١،١٠٠ كهنة وطنيون تخرّجوا على يد المرسلين

وهذا النجاح الديني في الصين انما هو ثمرة دماء الشهداء فيها . فقد حكم الصينيون بالموت على ١١٨ شهيداً في اثناء القرن التاسع عشر منهم سبعة اساقفة و٨٤ كاهناً وثمانية رهبان غير كهنة و١٩ راهبة . أما جنسيتهم فكان بينهم ٧٨ فرنسوياً و ١٩ ايطالياً و١٦ بلجيكياً وخمسة هولنديين والمانيان واسباني واحد

﴿اليابان﴾ شعر اليابان بزلازل جديدة في العام السابق في جوار توكيو.

قد امتعضت الدولة من معاملة اميركة بخصوص المهاجرين من بلادها الى اميركة باستثنائهم عن سواهم وقدّم وزراؤها احتجاجاً على ذلك ولاسيما انّ اليابانيين قليلو العدد في اميركة . ولمّا قامت في ٩ حزيران وزارة جديدة وقع الانتخاب لرئاستها على الفيكونت كاتوفو الذي اعلن بمناوأته للولايات المتحدة ولاستعداده ادراكاً لهذه الغاية ان يتّفق مع السوفيات في روسية وكانت اليابان سابقاً ردّت الدعوة البولشفيّة ورفضت خطرها

احوال الدين في اليابان على نجاح . فانّ [illegible] تقرر [illegible] في احتيار دينهم . وقد سبق انها ساعية الى انشاء سفارة يابانيّة لدى الفاتيكان لا تكترث لتمنّع بعض المتعصبين لمذهبهم الوثني

وتنبئنا الاخبار عن المرسلين انّ عدد المتنصرين في نموّ حتى كاد يبلغ مئتي الف

ومما يبهج القلب انّ حاكم اقليم يانكوشي اهدى الكاثوليك قطعة من الارض ليقيموا فيها اثراً للقديس فرنسيس كسفاريوس رسول اليابان الذي كان بشّر في تلك المدينة . وقد قدّم كثيرون من اشراف اليابانيين والوزراء وغيرهم مبلغاً من المال لتشييد الاثر المذكور وهو عبارة عن صليب من الحجر الصوّان بين ذراعيه تمثال القديس فرنسيس

﴿الهند الصينية﴾ منذ احتلّت فرنسة تلك البلاد وبسطت عليها حمايتها اخذت تترقّى كل يوم في معارج الفلاح . فانّ تجارتها وصناعتها ومعاملاتها قد اتّسعت اتساعاً عظيماً فتُحت لها الطرق ومُدّت السكك الحديديّة وجُهّزت لأنهارها السُفن التجارية وبُنيت الجسور ولا ينقصها شيء من الاختراعات الحديثة من اسلاك تلغرافيّة

وكهربائية لاسلكية وعجلات وسيارات . وقد أقيمت لها مزخرًا محطة لاسلكية تجمع بينها وبين عواصم فرنسة . وليست نية فرنسة استعمار تلك البلاد وانما تريد ان ترشح أهلها للاستقلال كما تفعل في هذه البلاد

وقد كان حكام الهند الصينية في انام وقوصنصين وتونكين يضطهدون النصارى ويذيقونهم العذابات المرة قبل قتلهم فمات الوف مؤلفة منهم شهداء ايمانهم . واليوم بحماية فرنسة ترى الاهلين يقبلون الى الايمان بطيب الخاطر فينمو قطيع المسيح بنوع عجيب حتى بلغ عدد الكاثوليك حاضرًا ١،٢٠٠،٠٠٠

﴿الهند﴾ يبلغ اهلها ١٥٠ مليونًا نصفهم تقريبًا مسلمون . ومعظم الباقين وثنيون . أما الكاثوليك فنحو مليونين . والهنود في يومنا يتشوفون الى الاستقلال ولا يألون جهدًا في طلبه بما استطاعوا من الوسائل . وجازاهم ان يكسروا النير الانكليزي الذي يستثقلون وطأته . فترى المسلمين منهم والوثنيين يتكاتفون ويتناصرون في طلب الحرية . واشتهر احد زعماء الهنود المسمى غندي بمدافعته عن حقوق مواطنيه بمقاطعة الانكليز وبالامتناع عن معاملتهم . وقام البرهماني موتيلال نهرو يلقي المحاضرات المهيجة التي تحضرها الجماهير المؤلفة . وقد ارادت الحكومة ان تمنعها بالقوة فأطلق الجند بنادقهم على الجمع في مدينة امريسور فقُتل نحو ٤٠٠ هندي . وقد اهتمت الجرائد لهذا الفعل حتى عدوه من الاعمال المهيجة التي زادت نفور الاهلين من الدولة التي يسوسها الهند ليدفع كتائب الملك

وقد بُليت نواحي الهند الشمالية في العام الماضي بالسنة والجدب حتى أودت المجاعة بكثير من سكانها . أما الانحاء الجنوبية فأصيبت جهات مدراس بفيضان الانهار التي امتدت في مسافة نحو مائتي كيلومتر فغمرتها بالمياه فخربت بسببها الاسلاك الحديدية وانقطعت اسلاك التلغراف وبطلت المعاملات بين المدن

وفي ٧ آب توفي مهراجة ترافنكور السيد « سري راما ڤرما » المتولي هناك منذ السنة ١٨٨٥ . وبلاده هي التي بشرها القديس توما الرسول ثم القديس فرنسيس كسناريوس في اواسط القرن السادس عشر . وكان هذا الامير تربى في انكلترة وقد اشتهر بين رعاياه بحسن الاخلاق والعدل فكانوا يهابونه ويحبونه معًا . وقد قام بالامر بعده اصغر اخوته

ومما روت الجرائد عن الهنود الذين تمذهبوا بالمذهب الانكليكاني انهم طلبوا ان ينفصلوا عن الكنيسة الانكليكانية التي في انكلترة ليستقلوا بتدبير امورهم الدينية وحدهم

﴿العجم﴾ قد سبق لنا ذكر الحركة البولشفية في العجم وخروج جلالة الشاه احمد منها مارًّا ببيروت. وكان تألف في غيبته حزبٌ من الجمهوريين يريدون سقوط الملكية كان في مقدمتهم رئيس الوزارة رضا خان مع نحو ٥٠ من المبعوثين عزموا على خلع الملك ونصب ابنه في مكانه وعمره سنتان فقط. وكانوا على وشك اعلان الجمهورية لولا انَّ ارباب الدين ورؤساء الشيعة تعرَّضوا لهم ومنعوهم فبقيت الامور على حالها

ومن المعلوم انَّ دولتَي روسية وانكلترة كانتا تتنازعان للفوز والسيادة في العجم وكذلك المانية كانت قبل الحرب تزاحم الدولتين في مطامعها ثمَّ عادت بعد الحرب تناصب النفوذ البريطانيَّ الَّا ان اهل العجم حريصون على استقلالهم ينفرون من دسائس الاجانب. وعلى كلّ حال انهم يفضلون المعاملات التجارية مع فرنسة لخلوها من كل طمع سياسي

ومما اثبت تقدُّم العجم في الصنائع المعرض الاول الذي أُنشئ في طهران في اواخر السنة ١٩٢٣ عُرضت فيه مصنوعات البلاد ومحصولاتها المختلفة فتقاطر اليه الزوَّار واخذهم العجب من غنى الدولة ومصنوعاتها الحريرية والقطنية والخشبية والمعدنية والتصويرية العجيبة لكبار المصوِّرين مع ما تحتويه البلاد من ضروب البترول والبتين والعطريات الى غير ذلك من المجموعات التاريخية والآثار القديمة التي اثار نظرها في صدور الوطنيين حبَّ وطنهم والحماس في الدفاع عنهُ

﴿العراق﴾ نُشرت في العام المنصرم تقارير المعاهدة التي امضاها ممثل بريطانية العظمى سير برسي كوكس ومندوب العراق عبد المحسن السعدون في ٢٥ آذار ١٩٢٤. وبموجبها تنال انكلترة عدة امتيازات عسكرية واقتصادية بدلًا من حمايتها عن مملكة العراق وصوالحها. وذلك الى ان تدخل العراق في جملة الدول التي لها نائب في جمعية الامم او الى زمن قرار الصلح مع تركية وعلى كلّ حال الى مدة لا تتجاوز اربع سنوات

انَّ العراق بفضل الدولة المنتدبة تزداد كل يوم ثروتهُ . يساعدهُ على ترقيهِ الاقتصادي السكك الحديدية التي أُنشئت فيهِ مؤخرًا وهي تبلغ ١،١٨٥ كيلومترًا بينها فرعان عرضهما متر فقط والبقيَّة عرضها واسع قانوني . واخصّ هذه السكك سكة مكينة الى غربيّ بغداد ثمّ سكة شرقاط الى شمالي بغداد المتصلة بسكة خانكين عند حدود العجم . وقد بلغت في السنة الاخيرة مدخولات البصرة ٢٠٠،٠٠٠ طن وصادراتها ٢٥٠،٠٠٠

وفي العراق جمعيات اثريَّة تستخرج من عمق الارض عاديَّات دول العالم الاولى في تلك الانحاء . وهي عبارة عن كتابات منقورة في الآجرّ يرتقي بعضها الى الالف الرابع قبل المسيح

ومن اهمّ الامور التي تشغل حاضرًا افكار اهل العراق مسألة الموصل التي يدَّعيها الاتراك محتجين لترجيح رأيهم بان اكبر عنصر اهلها تركيّ . ومعظم العراقيين معادون للاتراك . وسوف نرى كيف ينتهي هذا المشكل السياسيّ

﴿جزيرة العرب﴾ قد جرى فيها في السنة ١٩٢٤ حوادث سياسيَّة هامَّة . كان الملك حسين ينوي في توسيع مملكة الحجاز فيضمّ اليها الجهات الواقعة في شرقي الاردن الى انحاء الشام فاتى الى عمّان ليتَّفق مع ابنهِ الامير عبد الله وذلك في اواسط كانون الثاني

وقد عضدتهُ اوَّلًا انكلترة لكنَّها اهملتهُ وشأنهُ اذ شعرت بانَّهُ يطلب لنفسهِ الاستقلال دون مساعدتها . فادَّعى بحقوق الخلافة ونزع عن مملكة الحجاز عقبة وتبوك فالحقها بدولة الاردن ليكون لها مجاز الى البحر

على ان ملك نجد العزيز بن سعود انكر عليهِ ادَّعاءهُ بالخلافة وحشد الجيوش لمحاربتهِ فانتصر عليهِ مرارًا ودخل الطائف في ٢٥ ايلول وبعد ان تفاوض في رياض مع قومه سار الى مكة . فلمَّا اقترب منها تنازل الملك حسين عن الملك في ٣ تشرين الاوَّل لابنهِ عليّ وسار الى العقبة . لكن ابن سعود حارب عليًّا ودخل مكة في ١٥ تشرين الاوَّل ففرَّ عليّ الى جدَّة وتحصَّن فيها ثم حاول انتزاع مكة من ابن سعود فلم يفلح . ولمّ المدينة وجدَّة تقيان قريبًا في ايدي ملك نجد الذي طلب من المسلمين عقد مؤتمر عامّ للنظر في امر الخلافة . وقد اتى مؤخرًا وفد من مسلمي الهند

لمصالحة الحجاز ونجد فعاد الى بلاده دون جدوى وبقي الخلاف على ساق

﴿فلسطين﴾ قد سبق الشرق في عدد شباط وافاد القرّاء عن مسألة المهاجرة الصهيونية. وممّا اعلنت به عصبة الامم رغبتها في ان يُحصر عدد المهاجرين لئلّا يحصل لفلسطين بتزاحمهم اضرار اقتصاديّة وادبية

واحتجّ الفرنسويون في ندوتي الشعب والشيوخ على تنازل فرنسة عن حقوقها القديمة على فلسطين. وقد كان لها منذ عدّة قرون النفوذ والسيادة في تلك الجهات بمعرفة واقرار كل الدول الاوربيّة

ومن اخبار فلسطين الدينيّة زيارة الكردينال بورن للقدس الشريف في اواخر شباط الماضي ومعهُ ١٦٠ من زوّار الانكليز

وكان الكردينال اوكونيل عهدَ اليه الحبر الاعظم مراقبة احوال الكثلكة في فلسطين فعاد الى رومية وأطلع قداستهُ على نتيجة تفتيشهِ فكرّر البابا رجاءهُ لدى أولي الامور في الكثرة بمراعاة حقوق الكاثوليك في حيات فلسطين وصيانة الامكنة المقدّسة

وفي غرّة حزيران دشّن الكردينال جيورجي المندوب السامي كنيسة التجلي المشيدة حديثاً على جبل الطور. وفي ١٥ منهُ كرّس كنيسة اخرى جميلة الهندسة في مقام الجسمانية حيث صلّى السيد المسيح ليلة آلامهِ. فكان العيدان في منتهى الرونق حضرهما الوف من الزوّار

وفي ٢٢ آب تعيّن السيد غودريك كين الانكليزي الوطن مساعداً لبطة البطريرك الاورشليمي

﴿تركيّة﴾ كانت السنة ١٩٢٤ احدى السنين ذات الشأن في تاريخها فانّ حكومة انقرة قرّرت في ٣ آذار عزل السلطان عبد المجيد الثاني والغاء الخلافة ونفي ٧٢ من امراء وامبرات بني عثمان. فتبدّد الامراء في البلاد وأتانا منهم ضيوف حلّوا في انحاء الشام بالكرامة. وسار عبد المجيد الى سويسرة حيث احتجّ على نفيهِ ورفع امرهُ الى مؤتمر عام للمسلمين طلب منهم عقدهُ

وفي ٧ نيسان قضت انقرة باقفال المدارس الاجنبيّة الدينيّة فشمل الامر ٣٨ مدرسةً يبلغ عدد تلامذتها ١٤٫٠٠٠ تلميذ فكان لهذا الحكم اسوأ وقع في بعض

الدول ولاسيما فرنسة وايطالية . واذا تحوّرت المسألة بواسطة النائب الرسولي والمفوّض الفرنساوي وعادت الاحوال الى مجاريها بعد ستّة اشهر في ٢٢ تشرين الاول

وفي ١٤ من نيسان أمضى مجلس انقرة قرارات معاهدة لوزان

ثمّ تابع المجلس خطّتهُ في فصل الدين عن امور السياسة وامر بتوقيف رئيس الطريقة في قونية ومحاربة المشايعين لهُ . وكذلك مدّ يدهُ الى الاوقاف والغى مجلس الشرع فاناط امورهُ بوزارة العدلية فحصل من جرّاء ذلك بين اتراك الاستانة وانقرة منافرات ومنازعات ادّت الى انشاء احزاب جديدة . منها عسكريّة ومنها مدنيّة

وسعى البولشفيك في موسكو الى محالفة الاتراك فبثّوا في الاستانة تعاليمهم ونفثوا في بعض اهلها سمومهم فزاد الخلاف . وكذلك عاد الاتراك الى معاهدة المانية في اواسط شهر نيسان

امّا الاحوال الاقتصاديّة فأصيبت بأزمة عظيمة وبالخصوص بعد ان اضطرّوا اليونان الى الخروج من اراضي الدولة . وكانوا مع الارمن افضل عمّلة في استثمار الغلّات وعمران البلاد فأصبح قسم كبير من الاملاك مهملاً قفرًا فغلبت المجاعة في الاستانة على اهلها واحتاجوا الى صرف المبالغ الوافرة لجلب الحبوب من الخارج . فسبّبت كلّ هذه الامور استياء في الدولة وحصل في مجلس انقرة انقسام حتى استعفى بعض وزرائهِ فاختاروا نجي بك لرئاستهِ بدلاً من عصمت باشا

ورأى اليونان من معاملة الاتراك لمواطنيهم غضاضةً في حقوقهم وبالاخصّ لسبب حكمهم على بطريرك الفنار بالخروج من الاستانة فالتجأوا الى عصبة الامم وتأهبوا للدفاع عن شرفهم لكنّ الاتراك ثبتوا على خطّتهم لا يكترثون لتهديد اثينة

﴿سوريّة﴾ كانت السنة المنصرمة سنةَ سلام ورقي . فانّ المندوب الاعظم الجنرال ڤيغان عرف بحسن نظرهِ وسعة ادراكهِ وشدّة عزمهِ كيف يؤلّف القلوب ويرقّي البلاد الموكول انتدابها الى دولتهِ

فبهمّتهِ تحسّنت الزراعة الوطنيّة التي عليها المعوّل في ثروة البلاد فلم يدّخر وسعاً في ترقية المزروعات والمصنوعات . منها القطن الذي فتحت زراعتهُ باباً واسعاً للغنى خصوصاً في انحاء دولة حلب . وكذلك زراعة التوت سهّلت الدولة توفير أنصابهِ وباعتها بأزهد ثمن لنموّ صناعة الحرير

وقد بلغت ميزانيّة دولة سوريّة للسنة ١٩٢٤ ٦،٨٠٠،٠٠٠ ليرة سوريّة منها لدولة لبنان الكبير ٢،١٥٩،٤٠٠ ليرة

ومما وفّر لسوريّة ارباحاً بالغة تسهيل المعاملات التجاريّة برّاً مع بغداد وولاية العراق حتى زادت في اواخر السنة ١٩٢٣ صادرات الشام زيادةً كبيرة على السنة ١٩٢٢ فبلغت ٦٧،٢٥٦،٤٠٠ فرنك وكانت في السنة السابقة ١٠،٠٠٠،٠٠٠ فقط. أمّا لبنان فانّ الاصطياف في جباله كان في العام الماضي نعمةً مشكورة اصابها اهلهُ نفكروا بتوفير الوسائط التي ترغّب الغرباء الى قضاء الصيف في انحائه

وزاد الامان بفضل المندوب السامي بمناهضة العُصَب اللصوصيّة فلم تزل القوّات العسكريّة تتأثر اعقابها حتى كادت تتلاشى . ولمّا زار الجنرال ڤيغان السير هربرت صموئيل المفوّض السامي في فلسطين اتّفق معهُ في محاربة اللصوصيّة على حدود البلدين فكان اتّفاقهما ضربةً لازبة على تلك العصابات وبات الامن مخيّماً على البلاد

ومن المشاريع الآئلة لتحسين الزراعة مشروع نهر ابراهيم ونهر [illegible] وتجفيف مستنقعات البقاع فكل هذه الاعمال وغيرها اذا تمّت ستأتي بنتائج [illegible] لاهل لبنان

وكان حاكم لبنان الكبير الجنرال [illegible] يداً واحدة مع المفوض الاسمى لتدبير الامور وتنفيذ المشروعات الوطنيّة فعرف له الاهلون فضلهُ شاكرين

وفي ٢٦ حزيران اعلن الجنرال ڤيغان توحيد دولتي حلب ودمشق لما يُرجى من ذلك الاتّحاد من الفوائد المتبادلة ولاسيما بعد ما أُعيدت العلائق التركيّة مع سوريّة بسبب مصادقة تركية على معاهدة لوزان

وكانت السنة ١٩٢٤ منشطةً لهمّة الاثريين فان الحفريات الاثرية كانت متواصلة في جبيل وفي كفرجزّة قريباً من صيداء وفي جهات صور وحوران وحمص وانطاكية وسلوقية وقد نُقلت بعض الآثار المكتشفة الى متحف بيروت فتقاطر اليه الزوّار

وكذلك كان للدين مقامهُ الجدير به . فانّ أيّام الصوم الكبير كانت مبعثاً لروح التقى في كلّ الانحاء وقد لحظ ارباب الدين انّ المؤمنين اقبلوا على الرياضات الروحية وممارسة الاعمال التقويّة بنشاط غير معهود سابقاً . وقد أثنى كل الواعظين على غيرة الاهلين في كلّ مكان خصّوهُ بعنايتهم . وكذلك شكروا اريحيّة المؤمنين لما بذلوهُ بطيب الخاطر من المال لمشروع انتشار الايمان ولاثر شهداء الحرب ولاثر قلب يسوع

ولما قرب ختام السنة وردت الأنباء بتغيير المفوَّض السامي الجنرال تيغان فأسف الجميع على فراقهِ وقد اظهروا لهُ من آيات شكرهم يوم وداعهِ ما كان احقّ باحد الملوك . واُسند من بعدهِ امر البلاد الى مفوَّض آخر حضرة الجنرال سرّاي الذي وصل الى بيروت في اليوم الثاني من العام الجديد

٤ افريقية

﴿مصر﴾ كان موعد انتخابات الوزارة في ١١ كانون الثاني فنال اسعد زغلول باشا ١٨٨ صوتاً على ٢١٤ فسقطت وزارة ابراهيم باشا وعهد الملك فؤاد الى زغلول تأليف وزارة جديدة فتمّ الامر في ٢٨ من الشهر . ثم وقعت الانتخابات لتأليف مجلس الشيوخ في ٢٣ شباط فكان الفوز ايضاً حليفاً لحزب زغلول باشا . ولما عُقدت الجلسة الاولى لدار الندوة صرّح الملك برغبتهِ في تحرير بلادهِ من نير الاجانب يريد الانكليز

وكان زغلول يفرغ كنانة جهدهِ لتُعطى مصر استقلالاً تامًّا ويُعاد اليها الحكم على دولة السودان وفي شهري حزيران وايلول سافر الى انكلترّة وفرنسة ليثبت حقوق وطنهِ على السودان لكنهُ لم يلقَ بين الانكليز غير اذنٍ صمّاء . ولمَّا عاد الى بلادهِ ورأى ما يحول وطنهُ عن كسر شوكة بريطانية قدَّم استعفاءهُ فلم يقبلهُ الملك وبقي مدافعاً دون حقوق وطنهِ بازاء بريطانية الى ان حدث ذاك الجرم الفظيع الذي اقترفهُ بعض الدارسين وهما اخوان عبد الفتّاح وعبد الحميد عناية رميا سردار السودان سر لاي ستاك فقُتل فزادت الامور ارتباكاً وطلبت انكلترّة تعويضات ثقيلة واشترطت شروطاً باهظة مسَّت كرامة الدولة المصريَّة اخصُّها وضع يدها نهائيًا على السودان ومراقبة احوال مصر وتوقيف كثيرين من أصحاب زغلول . ولم تهدأ الامور نوعاً إلَّا باسناد الوزارة الى رجل معتدل من تلامذة كليتنا احمد باشا زيور . والامل معقود بعد اكتشاف المجرمين أن تخفف بريطانية شيئاً من ضغطها على دولة مصر

وكانت امور الدين في مصر في هذه المدَّة على رضى اربابها . وكان جلالة السلطان انتدب كعضو مسيحي ممثلاً للاقباط السيد اغناطيوس قلاده برزي فلم تطل مدَّتهُ حتى استأثر الله بهِ في ١٩ كانون الثاني من السنة الحاليَّة وهو ممَّن تخرَّجوا في كليتنا في بيروت كان معروفاً بفضلهِ وسعة علمهِ

﴿الحبش﴾ قدم الى اوربة وليّ عهدها الامير تغاري ابن راس مكونين وابن اخي النجاشي منليك فزار الحبر الاعظم في رومية في ٢١ حزيران واكّد لقداسته عن حمايته للكاثوليك في مملكته وهم نحو ٢٥،٠٠٠ واهداهُ هدايا ثمينة من بلاده. ثم رحل الى باريس فصار له فيها استقبال جليل وسعى عند مروره في اورشليم الى استرجاع قسم من الدير المعروف بالسلطانيّ الذي يملكهُ الاقباط فضلًا عن معبد للحبش يعرف بمعبد القديسة هيلانة

وعند رجوع الامير الى بلاده اتّفق مع الملكة زَوْديتو بتنفيذ عدّة اصلاحات مفيدة لوطنه تجاريًا واقتصاديًا وكَلَ امرها الى بعض البلجيكيين والسويسريين

﴿مراكش﴾ جاهدت قبائل الريف لحفظ استقلالها في طنجة وجوارها بمحاربة الاسبانيين. فنال منهم بعض النجاح البطلُ الوطني عبد الكريم لكنّ الاسبانيين انتصروا عليه اخيرًا

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

١٢ العُدَيْل بن الفَرْخ

﴿نسبهُ﴾ هو العُدَيْل بن الفَرْخ (وروى في الاغاني «الفَرَج» وهو تصحيف) ابن معن بن الاسود بن ربيعة بن عِجْل البكريّ. وقال في تاج العروس: «وفي بعض النسخ «العديّ» بلا لام وهو صحيح» فيكون اسمهُ عديا وكان يلقَّب بالعبّاب. قال في الاغاني (٢٠: ١١): «وكان له ثمانية اخوة وأُمهم جميعًا امرأة من بني شيبان منهم

﴿الحبش﴾ قدم الى اوربة وليّ عهدها الامير تغاري ابن راس مكونين وابن اخي النجاشي منليك فزار الحبر الاعظم في رومية في ٢١ حزيران واكّد لقداسته عن حمايته للكاثوليك في مملكته وهم نحو ٢٥،٠٠٠ واهداهُ هدايا ثمينة من بلاده. ثم رحل الى باريس فصار له فيها استقبال جليل وسعى عند مروره في اورشليم الى استرجاع قسم من الدير المعروف بالسلطانيّ الذي يملكهُ الاقباط فضلًا عن معبد للحبش يعرف بمعبد القديسة هيلانة

وعند رجوع الامير الى بلاده اتّفق مع الملكة زَوْديتو بتنفيذ عدّة اصلاحات مفيدة لوطنه تجاريًا واقتصاديًا وكَلَ امرها الى بعض البلجيكيين والسويسريين

﴿مراكش﴾ جاهدت قبائل الريف لحفظ استقلالها في طنجة وجوارها بمحاربة الاسبانيين. فنال منهم بعض النجاح البطلُ الوطني عبد الكريم لكنّ الاسبانيين انتصروا عليه اخيرًا

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

١٢ العُدَيْل بن الفَرْخ

﴿نسبهُ﴾ هو العُدَيْل بن الفَرْخ (وروى في الاغاني «الفَرَج» وهو تصحيف) ابن معن بن الاسود بن ربيعة بن عِجْل البكريّ. وقال في تاج العروس: «وفي بعض النسخ «العديّ» بلا لام وهو صحيح» فيكون اسمهُ عديا وكان يلقَّب بالعبّاب. قال في الاغاني (٢٠: ١١): «وكان له ثمانية اخوة وأُمهم جميعًا امرأة من بني شيبان منهم

أسود وكان شاعرًا فارسًا وسوادة وشَمْلة (وقيل سلمة) والحرث وكان يقال لامهم درمنا »

﴿دينهُ﴾ كان العديل من قبيلة عجل الثابتة على نصرانيّتها حتى بعد الاسلام فقال الأَبيرد يهجوهم :

بنو عِجْل أذلُّ من المطايا ومن لَحْم الجزُور على الشِّمام
تُحيَّا المُسلمون اذا تلاقَوْا وعِجْلٌ ما تُحيَّا بالسلام

وكذلك بنو شيبان الذين منهم كانت أُمهُ . وفي ترجمتهِ انهُ هرب من الحجّاج الى بلد الروم ولجأ الى قيصر . ولولا نصرانيّتهُ لما فعل

﴿اخبارهُ﴾ جاء في الاغاني (٢٠ : ١٢) ما نصّهُ : « كان للعُدَيل واخوتهِ ابن عمّ يُسمّى عمرًا تزوّج بنت عمّ لهم بغير امرهم فغضبوا ورصدوهُ ليضربوهُ . فخرج عمرٌو ومعهُ عبدٌ لهُ يُسمّى دابغًا فوثب العُدَيل واخوتهُ فاخذوا سيوفهم فقالت أُمهم : اني اعوذُ باللهِ من شركم . فقال لها ابنها اسود : واي شيء تخافين علينا فوالله لو حملنا اسيافنا على هذا الحَنْو حَنْو قراقر لما قاموا لنا . فانطلقوا حتى لقُوا عمرًا . فلمّا رآهم ذُعر منهم وناشدهم فأبوا فحمل عليهِ سوادةُ فضرب عمرًا ضربةً بالسيف وضربهُ عمرو فقطع رجلهُ فقال سوادة (من الوافر) :

ألا مَنْ يشتري رِجْلًا برجلٍ تأَنّى للقيام فلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ : إضرب فانت حرّ . فحمل دابغ فقتل منهم رجلًا وحمل عمرٌو فقتل آخر وتداولاهم فقتلا منهم اربعة وضرب العُدَيلَ على رأسهِ . ثم تفرّقوا وهرب دابغ حتى اتى الشام فداوى ربَضَةُ بن النعمان الشيباني للعُدَيل ضربتهُ ومكث مدّة . ثمّ خرج العديل بعد ذلك حاجًا فقيل لهُ انّ دابغًا قد جاء حاجًا وهو يرتحل فأخذ طريق الشام وقد اكترى . فجعل عُدَيل عليهِ الرَّصَد حتى اذا خرج دابغ ركب العُدَيل راحلتهُ وهو ملثم وانطلق يتبعهُ حتى لقيَه خلف الركّاب يحدو بشعر العديل ويقول (من الرجز) :

يا دارَ سلمى أقفرتْ من ذي قارْ هل فيكِ يا قِفارَ الدار من عارْ

وقد كُسِينَ عرَقاً مثلَ القارْ يَخرجنَ من تحت خِلالِ الأَوبارْ

فلحِقَهُ العُدَيل فحبس عليهِ بعيرهُ وهو لا يعرفهُ ويسير رويدًا ودابغ يمشي رويدًا وتقدَّمت إبله فذهبت وانما يريد ان يباعدهُ عنها برادي حنين . ثمَّ قال العُدَيل والله لقد استرخى حقَب رحلي أنزل فأغيّر الرحل فتُعينني . فنزل وغيَّر الرحل وجعل دابغ يعينهُ حتى اذا شدَّ الرحل اخرج العُدَيل سيفهُ فضربهُ حتى برد ثمَّ ركب راحلتهُ فنجا وانشأ يقول (من الطويل) :

أَلَم تَرَني جَلَّلتُ بالسيفِ دابغاً وان كان ثأرًا لم يُصِبهُ غليلي
بوادي حُنَينٍ ليلةَ البدرِ رُعتُهُ بأبيضَ من ماء الحديدِ صَقيلِ
وقلتُ لهم هذا الطريقُ امامكم ولم آلُ اذ صاروا لهم بدليلِ

وفي ذلك يقول جرثومة العنزي الجلاني :

ان امرءًا يجني الكرام ولم يَكُنْ من الشرِّ إلّا دابغاً لَلَئيمُ
اتطلبُ في جُلّانَ وِترًا ترومهُ وفاتكَ بالأوتار شرٌّ غريمُ

يجيب على ما هجا به العديل قومهُ حيث قال :

أهاجي بني جُلّانَ اذ لم يكُن لها حديثٌ ولا في الاوَّلين قديمُ

قالوا واستعدى مولى دابغ على العديل الحجّاجَ بن يوسف وطالبهُ بالقَوَد فيهِ فهرب العُدَيل الى بلد الروم . فلمَّا صار الى بلد الروم لجأ الى القيصر فآمنهُ فقال في الحجّاج (من الطويل) :

أَخوفُ بالحجّاج حتى كأنَّما يُحرِّكُ عظمٌ في الفؤادِ مَهيضُ
ودونَ يدِ الحجّاج من ان تنالَني بساطٌ لايدي الناعجاتِ عَريضُ
مَهامِهُ اشباهٌ كأنَّ سَرابَها مُلاءٌ بأيدي الغاسلات رَحيضُ

فبلغ شعرُهُ الحجّاجَ فكتب الى قيصر: لتبعثنَّ بهِ او لأغزينَّك جيشاً اوّلُهُ عندك وآخرُهُ عندي. فبعثَ بهِ قيصر الى الحجّاج

(قال) فخرج العديل يريد الحجّاج فلمّا صار الى بابهِ حجبَهُ الحاجب فوثب عليهِ العُدَيل وقال: انّهُ لن يدخل على الامير بعدَ رجالات قريش اكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب. فنازَعَهُ الحاجب الكلام فأحفظهُ وانصرف العُديل عن باب الحجّاج الى يزيد بن المهلّب فلمّا دخل اليهِ انشأ يقول (من الطويل):

لئنْ أرتجَ الحجّاجُ بالبُخل بابَهُ فبابُ الفتى الازديّ بالعُرف يُفتَح
فتًى لا يبالي الدهرَ ما قلَّ مالُهُ اذا جعلَتْ ايدي المكارمِ تسنَحُ
يداهُ يدٌ بالعُرفِ تنهبُ ما حوَتْ وأخرى على الأعداء تسطو وتجرَحُ
اذا ما اتاهُ المُرملون تيقّنوا بأنَّ الغنى فيهم وشيكاً سيَسرَحُ
أقام على العافين حُرّاسَ بابهِ يُنادونَهم والحرُّ بالحُرّ يَفرَحُ
هَلُمّوا الى سَيبِ الامير وعُرفهِ فانَّ عطاياهُ على الناس تُنفَحُ
وليس كعِلجٍ من ثمودٍ بكفّهِ من الجود والمعروفِ حزمٌ مطرَّحُ

فقال لهُ يزيد: عرّضتَ بنا وخاطرتَ بدمك، وبالله لا يصل اليك وانت في حيزي. فامر لهُ بخمسين الف درهم وامر لهُ بافراس وقال لهُ ألحقْ بعَلياء نجدٍ واحذَر ان تلحقك حبائلُ الحجّاج او تحتجنك حاجتُهُ. وابعثْ اليَّ في كلّ عامٍ فلكَ عليَّ مثل هذا. فارتحلَ. وبلغ الحجّاج خبرهُ فأحفظهُ ذلك على يزيد وطلب العديل فقاتَهُ فاستاق ابلَهُ واحرق بيتَهُ وسلب امرأتَهُ وبناتهِ واخذ حُليهنَّ. فقال العديل (من الطويل):

سَلَبتَ بناتي حُليَهنَّ فلم تَدَعْ سِواراً ولا طَوقاً على النَّحرِ مُذهبا
وما عزَّ في الآذانِ حتى كأنّما تُحلّى بالبيضِ الاوانسِ دَبرُبا

عَواطِلُ لا إن ترى بخدودها قُسامَةَ عُتْقٍ او بَنانًا مُخضَّبا
فَكَّكتَ البُرينَ عن خِدالٍ كأنها برادِيُّ غيلٍ ماؤُهُ قد تَنَضَّبا
من الدُّرِّ والياقوتِ عن كل حرَّةٍ ترى سَمْطَها بين الجِمانِ مثقَّبا
دَعونَ امير المؤمنين فلم يجبْ دعاءً ولم يُسمعن امًّا ولا أبا

قال ابو عمرو الشيباني (الاغاني ٢٠: ١٣) : « لمَّا لجَّ الحجَّاج في طلب العُدَيل لفظَتْهُ الارض ونبا به كلُّ مكانٍ هرب اليه . فاتى بكر بن وائل وهم يومئذٍ بادون جمعٌ منهم بنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكر فشكا اليهم امرَهُ وقال لهم : انا مقتولٌ أفتسلمونني هكذا وانتم اعزُّ العرب؟ . قالوا : لا والله ولكنَّ الحجَّاج لا يُراغَمُ ونحن نستوهبك منهُ . فإن اجابَنا فقد كُفيتَ وان حادَّنا في امرك منعناك وسألنا امير المؤمنين ان يَهبك لنا . فاقام فيهم واجتمعت وجوهُ بكر بن وائل الى الحجَّاج فقالوا لهُ : ايُّها الامير انَّا قد جئنا جميعًا عليك جنايةً لا يُغفَر مثلُها ونحن قد استسلمنا وأتينا بايدينا اليك فإمَّا وهبتَ دُهلَ ذنبَ ذنبٍ وإمَّا عاقبتَ فكُنتَ المسلِّط الملك العادل . فتبسَّم وقال : قد عفوتُ عن كل جرمٍ الا الناسق العُدَيل . فقاموا على ارجلهم فقالوا : مثلُك ايُّها الامير لا يستثني على اهل طاعته واوليائه في شيء . فان رأيتَ ان لا تكدِّر مِنَنك باستثناء وان تهَبَ لنا العُديل في اوَّل من تَهَبُ . قال : قد فعلتُ فهاتوه قبَّحهُ الله . فأتوهُ به . فلمَّا وقف بين يديهِ انشأ (من الطويل) :

ها أنا ذا ضاقت بيَ الارضُ كلُّها اليكَ وقد جوَّلتُ كلَّ مكانِ
فلو كنتُ في نَهلانَ اوشُعْبَتَيْ أجا لَخِلتُكَ إلَّا ان تَصُدَّ تراني

فقال لهُ الحجَّاج : أنشِدْني قولَكَ :

ودون يدِ الحجَّاج من أنْ تنالني (البيت)

فقال : لم أقُلْ هذا ايُّها الامير ولكني قلتُ (من الطويل) :

اذا ذُكِرَ الحجَّاجُ أضمرتُ خيفةً لها بين أحشاء الضلوعِ نفيضُ

فتبسّم الحجّاج وقال: أولى لك فخلّى سبيلهُ وعفا عنهُ وفرض لهُ وتحمّل دية دابغ في مالهِ. ومما أنشدهُ ليسترضي الحجّاج عند قدومهِ العراق قولهُ (من الطويل):

دَعُوا الجُبنَ يا أهل العراق فإنّما يُهانُ ويُسبَى كلُّ من لا يُقاتلُ
لقد جرّد الحجّاجُ للحقّ سيفَهُ ألَا فاستقيموا لا يَبلَنَّ ما بِلُ
وخافوهُ حتى القوم بين ضلوعهم كتَزوِ القَطا ضُمَّتْ عليهِ الحبائلُ
وأصبحَ كالبازي يُقلّبُ طَرفَهُ على مرقبٍ والطيرُ منهُ رواحلُ

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ اشتهر الهُذَيل في زمن الدولة الامويّة والمروانيّة وهو من رهط ابي النجم العِجلي. وكان شاعراً مُقِلّاً الّا انّ شعرهُ حسن مطبوع. ولهُ في المديح اقوال مشهورة منها لاميّتهُ في الحجّاج لينال الصفح عن هجائهِ فقال (من الطويل):

فلو كنتُ في سَلمى أجا وشِعابها لكان لحجّاجٍ عليّ دليلُ (١
بَنى قبّةَ الإسلام حتى كأنّما هدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
اذا جارَ حكمُ الناس ألجأ حكمَهُ الى اللهِ قاضٍ بالكتاب عَقُولُ
خليلُ امير المؤمنين وسيفُهُ لكلّ إمام صاحبٌ وخليلُ (٢
بهِ نصرَ اللهُ الخليفةَ منهمُ (٣ وثبّت ملكاً كاد عنهُ يزولُ
فانت كسيفِ اللهِ في الارض خالدٍ (٤ تَصولُ بعَونِ اللهِ حين تصولُ
وجازيتَ اصحابَ البلاء بلاءهم فما منهمُ عمّا تحبُّ نَكُولُ
وصلتَ بمُرّانِ العراقِ فأصبحتْ مَناكبُها للوَطء وهي ذَلولُ
أذقتَ الحمامَ ابنَيْ عُبادٍ فاصبحوا بمنزل موهونِ الجناح ثَكولُ

١) يريد جبال طيء في نجد. ويروى: عليّ سبيلُ ٢) ويروى: مصطفى وخليلُ
٣) ويروى: الإما عليهمُ ٤) تلميح الى خالد بن الوليد الملقّب بسيف الله

ومن قَطَرِيٍّ نلتَ ذاكَ وحولهُ كتائبُ من رجّالةٍ وخُيولُ (١
اذا ما أتت بابَ ابنِ يوسفَ ناقتي أتت خيرَ منزول بهِ ونزيلِ
وما خفتُ شيئاً غير ربّيَ وحدهُ اذا ما انتحَيْتُ النفس كيف اقولُ
ترى الثَّقَلَيْنِ الجنَّ والإنس اصبحا على طاعة الحجّاج حين يصولُ

وروى ابو تمّام في الحماسة لهُذَيل العجلي قولهُ في الفخر وقيل انها لابي الأَخيل العجلي (من الطويل) :

ألا يا أَسلَمِي ذاتَ الدَّماليجِ والعقدِ وذاتَ الثنايا الغُرِّ والفاحم الجَعْدِ (٢
وذاتَ اللِثاتِ الحُمِّ والعارض الذي بهِ ابرقَت عَمْدًا بأبيضَ كالشَّهْدِ (٣
كأنَّ ثناياها اغتبقْنَ مُدامةً ثوَتْ حِجَجاً في رأسِ ذي قُنَّةٍ فَرْدِ (٤
جرى بفَريقِ العامريّة غُدْوةً شواجِجُ سودٌ ما تُعيد وما تُبدي
اذا ما نَعَقْنَ قلتُ هذا فراقُها وان هنَّ لم يَنعِقْنَ سكَّنَ من وجدي
لعلَّ الذي قاد النوى ان يَرُدَّها الينا فقد يُدني البعيدَ من البعدِ
وعلَّ النوى في الدار تجمعُ بيننا وهل يُجمَع السيفانِ ويحكَ في غمدِ (٥
لعمري لقد مرَّت بيَ الطيرُ آنفاً بما لم يكن إذ مرَّتِ الطيرُ من بُدِّ (٦

١) ابنا عباد والقطري بن الفجاءة ممّن خرجوا على دولة الامويين ظفرا بهم العجّاج . وفي بعض هذه الابيات الاقواء
٢) الدماليج جمع دُمْلوج وهو العَضُد . والفاحم الشعر الاسود
٣) اللثات متساوز الاسنان والحمّ جمع أحَمّ اي اسود ويروى : الحُوّ من الحُوَّة اي السُّمْرة . والعارض الناب
٤) الاغتباق شُرب العشيّ . ثمّ وصف تلك الخمرة بانها مخبّأة في الدنان
٥) هذه الابيات الاربعة ليست في النسخة المطبوعة وهي في نسخة خطيّة قديمة في مكتبتنا الشرقيّة ٦) يشير الى عادة العرب في مراقبة الطير فيتيمّنوا بها ويتشاءموا

ظَلِلتُ أُساقي الموتَ إخوتيَ الأُولى ابوهمُ ابي عند المزاحةِ والجدِّ(١
كلانا ينادي يا نزارُ وبيننا قَناً من قنا الخَطِّيِّ او من قنا الهندِ
قُرومٌ تَسامى من نزارٍ عليهمِ مضاعفةٌ من نَسجِ داوُد والسُّندِ(٢
اذا ما حملنا حملةً مَثَلوا لنا بمُرْهَفَةٍ تُذري السواعدَ من صُعْدِ(٣
وان نحنُ نازلناهمُ بصوارمٍ رَدَوْا في سرابيلِ الحديدِ كما نَرْدي
كفى حَزَناً أن لا أزالَ أرى القنا تَمجُّ نجيعاً من ذِراعيَ ومن عَضْدي
لعمري لئن رمتُ الخروجَ عليهمِ بقَيْسٍ على قيسٍ وعَوْفٍ على سَعْدِ
وضَيَّعتُ عمرًا والربابَ ودارماً وعَمْرَ بن أُدٍّ كيف اصبرُ عن أُدِّ
لكنتُ كمُهْرِيقِ الذي في سقائهِ لِفَراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ
كمرضعةِ اولادٍ أُخرى وضيَّعتْ بني بطنها هذا الضَّلالُ عن القصدِ
فاوصيكما يا ابني نزارٍ فتابعا وصيَّةَ مُقْضي النُّصحِ والصِّدْقِ والوُدِّ
ولا تَعلَمنَّ الحربُ في الهام هامتي ولا تَرْمِ بالنَّبلِ وَيحكما بعدي
أما تَرْهبانِ النارَ في ابنَيْ أبيكما ولا تَرْجوانِ اللهَ في جَنَّةِ الخُلْدِ
وإني وان عاديتُهم وجَفَوْتُهم لَتألمُ مما عَضَّ أكبادَهم كِبْدي
فانَّ أبي عند الحِفاظِ أبوهمُ وخالُهم خالي وجدُّهم جدّي

وهي طويلة تجدها في جملة ابيات الحماسة

(لها بقيّة)

١) ويروى اساقي الهمّ . وساقاهُ شاركهُ في سقيهِ
٢) ينسب العرب اصطناع الدروع للنبي داود ولاهل بلاد السُّند . ويروى : والسُّدِ
٣) المرهفة السيوف المرقّقة . وتُذري تسقط . ومن صُعْد اي من اعلى

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

نظر عام (تتمة)

ومن مميزات اوائل القرن العشرين اتساع نطاق الآداب العربيَّة فانَّ تلك النهضة التي شملت اوَّلاً مصر والشام وبعض العراق اخذت تنتشر بفضل المواصلات والمهاجرة الى انحاء السودان ومرَّاكش وتونس وطرابلس الغرب وبلغت انحاء اميركة الشماليَّة والجنوبيَّة وبالاخص نيويرك والبرازيل. فكثرت المطبوعات وتوفَّرت الصُّحف السيَّارة

وكان من يسة تلك المنشورات انَّها تحرَّرت من كلّ مراقبة فكان اصحابها يعرضون افكارهم بكلّ حُرِّيَّة لا يخافون تقييدًا في بسطها . فنالها بذلك بعض المحاسن وبعض المساوئ فامَّا المحاسن فبكونها خاضت كلّ المواضيع السياسيَّة والادبيَّة والتاريخيَّة والفنيَّة مُطلقة العنان لكلّ العواطف والتخيُّلات لا تخشى انتقاد الاعمال المذمومة ضاربةً على ايدي كلّ ظالم حتى من السلاطين. وامَّا المساوئ فلانَّ بعضاً من الكتبة لم يقفوا على حدود الاعتدال والانصاف فلاموا غير مَلُوم وحمدوا غير حميد وانتقدوا ليس لاصلاح فاسد او تقويم معوجّ بل لغايات شخصيَّة سافلة. وصوَّبوا سهامهم للدين وارباب الكرام واستعاروا من الماسونيَّة ومن بعض المذاهب البروتستانيَّة مغالاتهم في مناهضة التعاليم المسيحيَّة الكاثوليكيَّة فهاموا في بيداء اوهامهم وتاهوا في مهامه جهلهم

ومن مساوئ ذاك الانتشار البعيد ما اصاب اللغة من آفة الفساد وذلك بتوفُّر الالفاظ الاجنبيَّة والاساليب الغربيَّة. وربَّما وضع الصحافيُّون والمعرِّبون في نقلهم عن

اللغات الاوربيَّة مفردات مختلفة لمسمًّى واحد لاسيما للمخترعات الجديدة. فاضطربت بخلافهم افكار القرَّاء. واسوأ من ذلك اغلاط وسقطات لغويَّة شاعت في الجرائد والتآليف المستحدثة فقام بعض الادباء كالمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي ينتصرون لآداب اللغة ويزيِّفون ما رأوهُ مخالفاً لاوضاعها ولعلَّهم لم يلزموا في انتقادهم الطريقة الوسطى والخطة المثلى فقام غيرُهم يردُّون عليهم ويثبتون صواب تلك التعابير. فبقيت هذه المناقشات عقيمةً اذ لم يوجد مجمعٌ علميٌّ يقضي بين المتناقشين فيفرز بين الغثّ والسمين وينفي الباطل ويقرِّر الحقَّ المبين

وقد اخذت النهضة الادبيَّة في بدء القرن العشرين تتَّصل ايضاً بالجنس اللطيف فانَّ فئةً من السيدات حاولنَ كتابة فصول ادبيَّة شعريَّة ونثريَّة في الجرائد السيَّارة في اواخر القرن التاسع عشر كريانا مرَّاش ووردة اليازجي ووردة الترك بيد اننا لم نطَّلع على جريدة او مجلَّة نلن لهـا الامتياز باسمهنَّ قبل القرن العشرين غير مجلَّة الفتاة التي ظهرت في مصر في ٢٠ نوفمبر من السنة ١٨٩٢ لصاحبة امتيازها هند نوفل ثم مجلة مرآة الحسناء للسيدة مريم مزرعة كان اوَّل صدورها في مصر سنة ١٨٩٦ ثم مجلة انيس الجليس لالكسندرا افيرينو صدر اوَّل عددها في الاسكندريَّة في نهاية كانون الثاني من السنة ١٨٩٨ وتبعتها في حقبة التي نحن بصددها مجلة السيدات والبنات للسيدة ماري فرح نشرتهـا ايضاً في الاسكندريَّة في اوَّل ابريل من السنة ١٩٠٣ ثمَّ فتاة الشرق للسيدة لبيبة هاشم سنة ١٩٠٦ في مصر وهي لا تزال ثابتة الى الآن

وممَّا ساعد القرن العشرين في ترقيه في الآداب ظهور بعض النوابغ الذين تكاتفوا وتناصروا لرفع منار العلوم سبقوا عهده ببضعة اعوام او وافقوا طلوع هلالـه فكان لهم في نهضته فضل مشكور. وسنأتي على ذكرهم في اثناء المقالة

امَّا الآداب العربيَّة في اوربَّة فكانت في اوائل القرن العشرين ثابتةً على سيرها الحثيث بهمَّة جمعيَّاتها ومدارسها الشرقيَّة. فانَّ عدد المستشرقين كان يزيد يوماً بعد آخر وكان البحَّاثون منهم يطَّلعون كل يوم على كنوز ادبيَّة جديدة في البلاد التي يتَّصل اليها النفوذ الاوربيّ كتونس ومرَّاكش وبعض جهات الهند والسودان. فنشروا منها قسماً كبيراً في حواضرهم. وجاراهم علماء الشرق فابرزوا الى عالم الوجود مخطوطات عديدة كانت مطمورةً في زوايا النسيان. وكفى دليلًا على ذلك لوائح عديدة

كانت تطلع القرّاء مرارًا في السنة على ما يُنشر منها بالطبع . كتعريف المطبوعات الشرقيّة في برلين ولائحة مطبوعات الشرق في لندن وهناك الاعداد الضافية الدالّة على تلك الحركة العلميّة

وها نحن نتّبع في تاريخ هذه الحقبة الاولى سياق كتابنا «تاريخ الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر» فنذكر اوّلًا أدباء المسلمين ثم نلحق بهم أدباء النصارى ونختم بذكر المستشرقين

١ ادباء الاسلام

﴿السيد الافغاني﴾ يسرّنا ان نفتتح باسمه الكريم هذه الحقبة الاولى وان كانت وفاتهُ سبقتها قليلًا اذ لم نستوفِ حقَّهُ في كتابنا عن أدباء القرن التاسع عشر . هو السيد جمال الدين الافغانيُّ الاصل مولود اسعد آباد سنة ١٢٥٤ ﻫ (١٨٣٨م) درس في كابل ثمّ في الهند على علمائها ثمّ سافر الى مصر والى الاستانة حيث قدَّر رجالُ الدولة قدرهُ وجعلوهُ احد اعضاء مجلس المعارف فاجتهد في توسيع نطاقها لكنَّ أُولي الامر تخوَّفوا من حرّيّة افكاره فأجاروهُ الى هجر العاصمة والالتجاء الى وادي النيل سنة ١٨٧١ فحلّ في القاهرة ضيفاً كريماً واقبلَ على العلوم العصريّة حتى بلغ منها مبلغاً عظيماً وعُرف بفيلسوف الشرق . فالتفَّ حولهُ كل طالبي الترقّي والتحرُّر فكان يبعث فيهم بلهجته وخطبه وكتاباته روح الاستبداد فنُفي الى بلاده سنة ١٨٧٩ فاحتلّ حيدر آباد وسكن في كلكتّا في زمن الثورة العرابيّة . ثمّ سافر الى اوربّة . وانشأ في باريس مجلّة العروة الوثقى مع صديقه الشيخ محمّد عبده المصري ساعياً الى توحيد كلمة المسلمين . ثمّ تنقّل في البلاد الاوربيّة الى ان استقدمهُ ناصر الدين شاهُ الى طهران وجعلهُ وزير الحربيّة فلم تطل مدّتهُ في تلك الوزارة فسافر الى روسيّة ودخل الى باريس وشاهد معرضها سنة ١٨٨٩ وعاد الى ايران باغراء الشاه فعُني باصلاح امورها فخاف ارباب الدولة من تطرُّفهِ فأبعد مريضاً الى حدود تركيّا وسكن مدّة البصرة الى ان استدعاهُ السلطان عبد الحميد الى الاستانة سنة ١٨٩٢ واسكنهُ في بعض قصورها فبقي فيها مكرَّماً الى سنة وفاته بداء السرطان في ٩ اذار سنة ١٨٩٧ . امّا آثارهُ الكتابيّة فهي مفرّقة في صُحُف زمانهِ . نشر منها الشيخ محمّد عبدُه رسالتهُ في نفي مذهب الدهريّين وقد اثنينا عليها مرارًا ونقلنا عنها فصولًا شائقة (لها بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

L. de Grandmaison: Jésus dans l'histoire et dans le mystère. *in*-12, *VII*-77, *Paris*, *Bloud et Gay*, 1925, 3 *f* 50

يسوع المسيح في التاريخ والسرّ

قال سمعان الشيخ لمريم العذراء في الهيكل عند تقدمة ابنها (لوقا ٢ : ٣٤) : « انهُ سيكون هدفاً للمخالفة » وعموم التاريخ يصدّق هذه النبوّة كلّ يوم فان السيد المسيح منذ اوّل النصرانيّة الى عهدنا لا يزال هدفاً للتارمة . فبينما يسجد لهُ عبيدهُ ويسبّحون اسمهُ ويرتشدون بتعاليمهِ الالهية ترى غيرهم يصوّرونهُ على حسب اهوائهم كنُتْر لا يفكّهُ البشر بل يدّعون انّ تاريخهُ باجمعهِ احدى الخرافات البشريّة . وبلغ بهم تكرانهم الى ان ينكروا وجودهُ ويحاولون اثبات رأيهم ببعض آيات الكتاب التي يحرّفون معانيها الواضحة طبقاً لاوهامهم وكفرهم . وها هوذا كتاب صغير الحجم جوهري المعنى لاحد كبار الكتبة من الرهبان اليسوعيين الاب دي غران ميزون يبيّن لهم الحقيقة مثل الشمس في رابعة النهار ويسدّ امامهم كلّ طريق ليقرّوا بالحقيقة ويزيّف كلّ مغالطات اعدائها ج . ل

Jules Maurice : CONSTANTIN LE GRAND. L'origine de la Civilisation Chrétienne, *in*-8°, *Paris*, *Ed. Spes*, *pp. XI*-307

قسطنطين الكبير : اصل التمدّن المسيحي

هذا الكتاب خلاصة دروس عميقة لم يزل المؤلف المسيو موريس يُتابعها منذ ثلثين سنة . وقد اتحف العلماء بكتابهِ الفريد في نقود قسطنطين الكبير في ثلثة مجلّدات . وها هوذا اليوم يقدّم لنا ترجمة ذلك الملك الجليل حافلةً بكل ضروب المعلومات فيصف لنا اول امبراطورة رومية المسيحيّين في اطوار حياتهِ الملكيّة بازاء الكنيسة . فبعد ارتدادهِ الى النصرانيّة سنة ٣١٣ برؤيا الصليب في فضاء الجوّ لم يصطبغ حالاً بمياه العموديّة وكان يحضر رتب الكنيسة كاحد الطلبة في خارج بابها . وانّما الشعب المسيحي منذ ذلك الحين لقّب «بعبيد الاله» وقد استحقّ هذا الاسم بعدّة

اعمال تدلُّ على ايمانهِ . فانهُ ترك تدبير امور الدولة الخارجيَّة لاحد نوَّابهِ ليديرها على نواميسها الوثنيَّة . اما هو فخصَّ بنفسهِ تنظيم الجيش وادارة الدوائر الملكيَّة في بلاطهِ ومن جملتها شورى الدولة المتألفة من اعيان البلاد والاساقفة فكانت ترافقهُ حيثما سار وتشاركه في تدبير مملكتهِ يربطهم بشخصهِ بدلًا من القَسَم الوثني السابق قَسَمٌ جديد مبنيٌّ على الضمير والوجدان والشرف المسيحيّ . فكانت نتيجة هذا التدبير روحٌ جديدة ونظام جديد ثبتا في المملكة حتى بعد سقوطها بهجوم البرابرة عليها . فمن بلاط قسطنطين صدرت تلك الفروسيَّة وتضحية النفس لخير العموم التي ورثها بعد الرومان ملوك فرنسة الميروفنجيُّون والامبراطور كرلس الكبير وعمَّت بعدهم العالم الاوربّي وما ذلك الّا التمدُّن المسيحي . فهذا ما بيَّنهُ صاحب هذا الكتاب باجلى بيان واقطع برهان الاب رينه موترد

Nikos A. Beos (Βέος) : Die Inschriftenaufzeichnung des Kodex Sinaïticus græcus, 508(976)und die Maria-Spilaïotissa-Klosterkirche bei Sille (Lykaonien). (Texte u. Untersuch zur Byzantinisch-neugrichischen Philologie I). *Berlin-Willmersdorf*, 1922, *In*-8°, 89 *pp.*

كتابات يونانيَّة واثار قديمة

وصف الدكتور نيكوس بيس اربع كتابات يونانيَّة ورد ذكرها في احد مخطوطات طورسينا اليونانيَّة . وهذه الكتابات موجودة في كنيسة يونانيَّة مشيَّدة في قرية سيلّا الواقعة شرقيَّ غربي قونية على مسافة عشرة كيلومترات منها . والكنيسة على اسم سيدة المغارة هناك . وكتابتان منها مؤرختان الواحدة في السنة ١٠٦٨—١٠٦٩ والاخرى في ١٢٨٨—١٢٨٩ ب م وفي جدران الكنيسة وفوق مذابحها تصاوير من ذلك العهد كانت باقية الى سنة ١٩٢٢ قبل حرب تركية واليونان . وقد وصفها المؤلف بعد غيرهِ من العلماء مستندًا في تعريفها الى احد سكان مدينة قيسريَّة ومن جملة تلك الصور صورة القديس خاريتون المتوفى سنة ٣٩٥ المنسوب اليهِ بناء ذلك الدير . وفي الكنيسة اثار اخرى تمثل اخبارًا انجيلية يدلُّ فنُّها على نفوذ الفنّ السوري والفلسطيني . والدكتور بيس قد احسن في وصف هذه الآثار واضاف اليها معلومات مفيدة عن تاريخ ملوك ذلك الزمان من السلجوقيين الذين يُذكر احدهم المسمَّى السلطان

مسعود في الكتابات الموصوفة وهو السلطان مسعود الثاني كيكاوس (١ ر . م

I Jean Rivière: St BASILE ÉVÊQUE DE CÉSARÉE, 1925 = = II Ph. E. Legrand: St JEAN CHRYSOSTÔME, 1924 Les Moralistes Chrétiens, 2 vol., in-16. Prix de chaque vol. 10 f., Paris, Gabalda

اساتذة الآداب المسيحيّة

باشر محلّ غابلدا في باريس نشر مجموع من تآليف اساتذة الاداب المسيحيّة الشرقيّين والغربيين . وقد وكل هذا العمل لبعض الاختصاصيين فكلّ منهم يفرد درساً لاحد مشاهير النصرانيّة المعروف بتعاليمه الادبيّة مقدّماً على درسه بعض الافادات التاريخيّة ثمّ ينتخب بين تآليفه ما يحسبهُ جديرًا بالاعتبار ويذيّلهُ بما يراهُ مفيدًا للقرّاء . وممّن وصفوا سابقاً اعمالهم من فلاسفة اللاتينيين القديس ارغسطينوس والقديس توما اللاهوتي والقديس فرنسيس دي سال وسواريس وبسكال . وكذلك اختاروا بعض آباء الشرق ومعلّميه . من جملتهم القديسان باسيليوس الكبير ويوحنا فم الذهب المذكورين هنا وعما قليل سينشرون تعاليم القديس يوحنا الدمشقي . فيتبيّن لقرّاء عظم اثر الآداب المسيحية في القرون السابقة ويتأكّد انّ تلك الآداب هي هي في عهدنا لم تختلف مع تباين الزمان ج . ل

Dr Berthold Altener. DIE DOMINIKANERMISSIONEN DES 13 JAHRHUNDERTS. Breslauer Studien zur histor. Theologie. *in-8°, Habelschwerdt, Frankes Buchhandlung, Prix* 10 *Marks*

رسالة الرهبان الدومنيكان في القرن الثالث عشر

قد جارى الرهبانُ الدومنيكان الرهبانيّةَ الفرنسيسيّة الجليلة في غيرتها فنشروا مثلها الديانة المسيحية في الرسالات الاجنبيّة الّا انّ اخبار تلك البعثات الدينيّة حتى يومنا الحاضر مجهولة غالباً . فسُررنا بمطالعة هذا الكتاب الذي اتانا بفوائد تاريخيّة واسعة عن اعمال الدومنيكان في الاراضي المقدسة وكان لهم فيها اربعة اديرة في القدس

---

١) اطلب ما كتبهُ حضرة الاب دي جرفانيون في هذا المعنى في آثار كليّة القديس يوسف (ج ٨ ص ٤٥٢)

الشريف وعكّة وطرابلس وانطاكية . وقد وقع الانتخاب على كثيرين منهم للبطريركية والاسقفيات اللاتينية . وقد نوّهتُ في كتابي تاريخ سورية (La Syrie, I, 260, 264) يذكر احدهم وهو الاب الشرقيّ الاصل غليلموس الطرابلسيّ . ومن فوائد التأليف الجديد معلومات تاريخيّة عن بلاد الشام حيث جدّ وكدّ هؤلاء الرهبان في نشر الدين والآداب بين النصارى والمسلمين . وكثيراً ما اختارهم الاحبار الرومانيّون كسفرائهم الى ملوك الدول الاسلاميّة . وفي ذيل الكتاب الاسانيد التي عليها بنى المؤلف كلّ خبر من اخباره الاب هنري لامنس

LA PARURE DES CHEVALIERS par 'Ali ben 'Abderrahman ben Hodeïl. Texte et Traduction française par Louis Mercier Cousul de France. *in-4°, pp. XV-502, avec 23 photos et 11 dessins. Paris, Geuthner*, 1922-1924

حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الاندلسيّ

انّ الحروب المتوالية التي اعلن بها العرب لفتح البلدان ولمحاربة اعداء دولهم ما كانت لتفوز بالظفر لو لم يكن العرب الملم بالعُدَد الحربيّة كالاسلحة والخيل والادوات القاهرة لقوى العدوّ . ولذلك ترى بينهم قوماً خصُّوا نظرهم بتلك العُدَد ولاسيما الخيل المعدّة للقتال . ومن أمتع ما جاء من ذلك كتاب لاحد علماء الاندلس كادت يد الضياع تأخذهُ لولا همّة احد قناصل فرنسة الكرام المسيو لويس مرسيه نزيد به كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الاندلسي من علماء القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للمسيح في عشرين باباً ضمّنها ما امكنهُ من المعلومات عن الخيل واصنافها وخواصّها وتربيتها والمحاربة عليها بالاسلحة العربيّة . وقد وجد نسختين من هذا الكتاب الفريد الواحدة قديمة نشرها بالتصوير الشمسي بحرفها المغربي الجميل . ثمّ عرف انّ من الكتاب نسخة اخرى في مكتبة الاسكوريال فتجشم السفر الى مدريد لمعارضة نسخته عليها فاستمدّ منها رواياتها واصلاحاتها . وما اكتفى بذلك بل نقل الكتاب الى الافرنسية واضاف اليه عدّة معلومات كجدول التآليف التي بحثت عن تربية الخيل والاسلحة وفهارس واسعة وتصاوير عربية رائعة

A. Siegfried: L'ANGLETERRE D'AUJOURD'HUI, son évolution économique et politique. *in*-16, *Ed. Crès, Paris*, 1924, *Prix* 7 *f*, 50

انكلترة الحاضرة: تطوّرها الاقتصادي والسياسي

مؤلف هذا الكتاب احد الاختصاصيين في العلوم الاقتصادية وكتابهُ المعنون هنا من ادقّ واوضح ما كُتب عن حالة انكلترة الاقتصادية. فبيَّن انَّ الحرب الكونية أثّرت في تلك الدولة تأثيرًا سيئًا ظهرت علاماتهُ بأزمة غلاء العيش وإضراب العمّلة عن الشغل وبلوغ حزب العمّال الى رئاسة مجلس النوّاب. ففي احوال الدول عدم توازن فتارةً تجنح الى حرّية المعاملات وتارةً تميل الى حماية تجارتها الوطنيّة. واضطرابها هذا إنما فعلُ صدًى في الخارج المعمور لاتساع املاكها وتفوّق تجارتها ويعرّضها لتطوّرات لا يدركها الذين لا يعرفون حالتها الباطنة

Bonvalot (Gabriel): Les Chercheurs de route, MARCO POLO. *in*-16 *illustré. Cartes, Paris, Editions Crès*, 1924

البحّاثون عن الطرق: ماركو بولو

المسيو بونفالو احد الرحّالين المحبّين للاستطلاع. وقد حدث له مرض مزمن اضطرّهُ الى لزوم داره فانتهز الفرصة لدرس تاريخ الرحّالين الاقدمين ومنهم ماركو بولو الشهير الذي بلغ مع اخيهِ الى قاب الصين ودوّن تاريخ رحلتهِ والعجائب التي وجدها في اسفاره. فجمع المؤلف كتاباتهِ فاستخلص منها معلومات شتّى لاسيما بخصوص الابازير وتربية دود القزّ فعرضها على القرّاء وذيّلها بالحواشي المفيدة. وقد بقي الاخوان ٣٥ سنةً غائبين عن وطنهما فلمّا عادا اليهِ معهما ربحا من الاموال الطائلة أدهشا مواطنيهما فاعتبروهما كرجلين عائدَين من عالم الاموات الى عالم الاحياء. ج ل

Dévigne (Roger): Un Continent disparu. L'ATLANTIDE, sixième partie du Monde. *in*-16, 1925, *Paris, Ed. Crès et Cie*, *Prix* 7 *f*, 50

الاتلنتيد او القارة المفقودة

سبقت مجلّة المشرق (٢٢[١٩٢٤]: ٧١٩) فاللادت قرّاءها عن الجزيرة او القارة المعروف بالأتلنتيد التي ذكرها القدماء ومنهم افلاطون في كتابيهِ تيماوس وكريتياس ثم ضاع اثرها وبين العلماء المحدثين جدالٌ في صحّة وجودها وموقعها فمنهم من ينكر

ومنهم من يثبت . وقد عاد المسيو ديفيني الى هذا البحث وهو ممّن يقرّرون وجود تلك القارة ويأتي بادلّة مختلفة لاثبات قوله يستعيرها من العلوم الجغرافية والجيولوجية وجنسيّة الامم ويضيف اليها روايةً اشاعها بعضهم في تحقيق الخبر . لكنّ ذلك كلّه لا يقنعنا تماماً فنراهُ احرى بالخياليّات

LA VIE SUR MARS, par l'abbé Th. Moreux. Editions «Res Mirabilis» Paris, Gaston Doin, 1924. Prix 3f

الحياة في سيّارة المرّيخ

تقرّبت السيّارة المرّيخ من ارضنا في الصيف الاخير فوجّه الفلكيون نظّاراتهم اليها ليكتشفوا شيئاً من احوالها المجهولة . على انّ قُربها هذا كان لا يزال على بُعد ٥٥ مليوناً من الكيلومترات لا يسمح بتأكيد اشياء عديدة ينسبها اليها العلماء حدساً وظنّاً . وهذا الكتاب وضعهُ الكاهن مورو رئيس مرصد بورج واحد كبار الفلكيّين تتبّعَ فيهِ اقنية المرّيخ وبحورهُ المزروعة ويرجّح عدم وجود الاحياء مثلنا فيهِ لعدم موافقتهِ لحياة كحياتنا ولعلّهُ لا جوّ لهُ وان وُجد لهُ جوٌّ لا يصلح لجنسنا وانّما يرى ان في قطبَيْه ثلوجاً وافرة وفي اوديتهِ بعض النباتات الضئيلة ج . ل

SCRITORI CRISTIANI ANTICHI: n° 6, Ubaldo Faldati: Espozizione della predicatione apostolica = n° 9 Aug. Faggiotti: L'Eresia dei Frigi = n° 11 Ern. Buonajuti: Detti estracanonici di Gesù. *Editions de La « Libraria di Cultura, Rome*, 1933-1925

الكتبة المسيحيّون الاقدمون

هو مجموع يُعنى بهِ محلٌّ في رومية مضمونهُ كتابات النصارى الاقدمين ظهر منهُ حتى اليوم من السنة ١٩٢٣ الى ١٩٢٤ تسعة تآليف مهمّة لتعريف احوال الكنيسة في اوائلها . وهذه ثلثةٌ منها نذكرها اشارةً الى طريقتها فالاوّل (ع ٦) كتاب قديم فُقد اصلهُ وقد ذكرهُ اوسابيوس القيصري في تاريخهِ يحتوي « خلاصة تبشير الرُّسل » وها قد وُجدت ترجمتهُ الارمنيّة في دير اشياتزين البطريركي وهي نسخة قديمة راقية الى القرن الثالث عشر نقلها السنيور فلداتي الى الايطاليّة وزيّنها بالحواشي والمقدّمات الواسعة . ويبحث الكتاب الثاني (ع ٩) عن بدعة قديمة تُنسب الى اهل فريجية وجدوا

بعض آثارها المفقودة. امّا الثالث (ع ١١) فيشتمل على الاقوال المنسوبة الى السيد المسيح في الكتب المصنوعة (الابوكريفا) وفي تآليف آباء الكنيسة وكتبتها القدماء وهي مع سكوت الانجيل عنها لا تخلو من بعض الفوائد الادبية. وبعض هذا الحكم قد انتشرت في الكنيسة وذكرها كثيرون من الكتبة المسيحيين والوعّاظ ج. ل

L'ONOMOSTICON D'EUSÈBE dans une ancienne traduction syriaque par S. B. le patriarche Ignace Ephrem II Rahmani

أعلام البلدان لاوسابيوس

بين التآليف المفيدة لتاريخ الكتب المقدّسة والتاريخ الكنسي كتاب صغير الحجم جزيل الفائدة ألّفهُ اوسابيوس القيصري المعروف بابي التاريخ الكنسي دعاهُ بأعلام البلدان واصلهُ باليونانيّة وقد نقلهُ القديس ايرونيموس الى اللاتينيّة ونُسخ هذا الكتاب المخطوطة نادرة وقد وقع فيهِ عدّة تصحيفات. وها قد توفّق غبطة السيد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني الى قطعة مهمّة من هذا الكتاب في السريانية ترتقي الى القرن الرابع عشر وتحتوي على ١٠٠ اسماء بلدان نشرها غبطتهُ في مجلة الشرق المسيحي وبيّن ما فيها من الاضافات والروايات. أُريلة بعض مشكل الاصل وترجمها الى الافرنسيّة. وقد ساعد غبطتهُ في هذا العمل بعض علماء روميّة المنسنيور نيران ناظر الكتبة الفاتيكانيّة والاب اليسوعي بَرّو والاب ر. ديفريس. فجدّدا العمل وبارك الله في العمّلة ل. ش

Melchior M.Antuna: Abenhayan de Cordoba y su Obra historica *Madrid, Impr. de l'Escurial.* 1925, *pp.* 96

ابن حيّان وتآليفهُ التاريخيّة

ابن حيّان احد مشاهير المسلمين في الاندلس ازهر في القرن الخامس للهجرة وقد صنّف من الكتب النفيسة والتواريخ الواسعة عن بلاده ما دفعَ الكتّاب على اطرائها. والكتاب المضنون آنفاً قد وضعهُ حضرة الاب ملكيور أنطونا وصف فيهِ مآثر ذلك الرجل الكبير معدّدًا ما لهُ من المصنّفات منها كتابهُ المقتبس في تاريخ الاندلس في عشرة مجلّدات وكتاب المبين في تاريخها ايضاً في ستين مجلّدًا وغير ذلك مما اخذتهُ يد الضياع. فنشكر حضرة الاب الذي احيا ذكر احد نوابغ وطنهِ ونتمنى ان يباشر احد

الاسبان بنشر بعض تلك الآثار الثمينة

Henri du Passage : Le Secret des Loges. Paris, in-4, Spes, pp. 45. *Prix* 2, *fr* 50

محتويات كتاب سلطان الماسونيّة

ذكرنا في المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ١٠١٣) التأثير العظيم الذي أحدثهُ الكتاب المسمّى «بسلطان الماسونيّة المطلق على فرنسة» وما يحتويهِ من اسرار الشيعة واقوالها المنقولة عن احدث منشورات ابناء الارملة وهذا الكتاب الجديد انّما هو تجريد ذلك الكتاب وبيان غاية تلك الاقوال والخطب التي يخطبها الفرمسون في محافلهم وهي آئلة الى تدمير كل سلطة دينيّة وادبيّة وشرعيّة ليصير كل تدبير الدولة في ايدي ابناء الشيعة فيحكموا الحكم المفصل في امور العباد لا رادع لهم ولا زاجر. فنوصي بهذين الكتابين كل من ينخدع بالشيع الماسونيّة فيقف على مكنوناتها ولا يلومنا ان نحن ناهضناها على قدر استطاعتنا ل. ش

Julius Ruska : Arabische Alchemisten: I Chalid ibn Jazid ibn Mu'âwija — II Giafr al Sadiq der sechste Imâm. *in*-4°, *Heidelberg, Carl Winter*, 1924, *pp.* 56 *et* 128×62

الكيميويّون العرب: خالد بن يزيد وجعفر الصادق

انّ الدروس الكيميويّة في عصرنا بلغت مبلغاً عظيماً جعل لعلم الكيميا مقاماً رفيعاً في العلوم الطبيعيّة. على انّ العلماء اخذوا يبحثون عن اصول هذا الفنّ بين اليونان والعجم والسريان والعرب. فنشروا ما وقفوا عليهِ من ذلك واخصّهم العلّامة الكيميوي برتلو (Berthelod) الذي ابرز ثلثة مجلّدات ضمّنها ما وقف عليهِ في كتب السريان والعرب فنقل الاستاذ هوداس (Houdas) تلك الآثار الى الافرنسية. على انّ العرب ينسبون الى خالد بن يزيد بن معاوية تآليف شعريّة ونثريّة في هذا العلم منها بعض المخطوطات في مكتبتنا الشرقيّة. وكذلك ينسبون شيئاً منها لجعفر الصادق. وها هوذا الاستاذ روسكا قد خصّ نظرهُ بتآليف هذين الكاتبين فبحث عن مصنّفاتها ليثبت ما في نسبتها اليهما من الصحّة وعن محتويات تلك التآليف. ومن المعلوم انّ العرب كانوا يطلبون قبل كلّ شيء الاكسير لتحويل المعادن الى ذهب

فاستدلوا بذلك على بعض خواصّ الاجسام . ولعلّهم اخذوا ذلك من السريان . وما لا شك فيهِ انّ كتبة العرب يذكرون الراهب مارينوس كمعلّم خالد بن يزيد . والمسيو روسكا لم يجد برهاناً مقنعاً لاثبات ما يُنسَب اليهِ فلم يقطع بذلك حكماً

درس ومطالعة

للخوري مارون غصن : الجزء الاوّل

طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٥ (ص ٢٧٢)

استحسنّا معظم ما جمعهُ حضرة الخوري في هذا الكتاب من اقوالهِ الشعريّة والنثريّة فانّها جديرة بالمطالعة . على انهُ كان من الواجب عند تعريبهِ بعض مقاطيع كتبة الفرنج ان يذكر اسماء مؤلفيها فلا يكتفي بقولهِ في اوّل الكتاب اجمالاً انهُ عرّب . فانّ للكتبة الاجانب حقّاً بان يأخذوا عليهِ الصفح عن اسمائهم . ثمّ انّ في هذا الكتاب قسماً (ص ١٨٥—٢١٢) اثبتنا فيهِ رأينا في المقالة الاولى من هذا العدد فلتراجع

مفكّرات هند

طُبعت سنة ١٩٢٤ (في مطبعة القديس بولس في حريصا ص ٢٨٧)

كنّا نودّ لولا ضيق المكان ان نتّسع في وصف هذا الكتاب الذي يذكّرنا بذينك الشيخين الطيّبي الاثر اللذين بكينا على غصن شبابهما المتقصف فيليب وفريد الحازن وكان هذا الثاني احد تلامذة الفقير فحفظ لهُ ذكرًا خالدًا . وفي مفكّرات هند قلبُ الزوجة ونخوة الكرام وإباء المظلومة . فنشكرها على ما دوّنت في هذه المفكّرات من تاريخ المرحومين وكتاباتها التي يذكّرنا بعضها بخواطر الشهداء وشهامة الاسود . جازاهما الله في جنانهِ افضل جزاء ل . ش

لولا المحامي

رواية تمثيليّة لسعيد افندي تقي الدين

طُبع في مطبعة وزنكوغراف طبّارة سنة ١٩٢٤ (ص ٣٨ × ١١٢)

في هذا الكتاب قسمان قسم يحتوي مقدّمة لطيفة في شروط التمثيل سرّنا ما

وجدنا فيها من النظر الثاقب في هذا الفنّ الذي لا يزال في طفوليّته في انحاء الشرق . والقسم الآخر رواية تمثيليّة ضمّنها الكاتب كثيراً من احوال الوطن مدّة الحرب الكونيّة وختامها نجاة بطل الرواية على يد احد المحامين «ولا المحامي» . فنثني على براعة الكاتب وحسن ذوقه في تقسيم الادوار وسياقها

من دقّ الباب سمع الجواب

بقلم المفوذ ياقون ميخائيل عبد المسيح مصركي

طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف سنة ١٩٢٥ (ص ١٨)

المفوذياقون ميخائيل عبد المسيح مصركي احد اليعاقبة الذين تجلّت لهم حقيقة الديانة الكاثوليكيّة في القدس الشريف فاغتاظ لارتداده اسقفهم وحرمهُ يوم عيد الميلاد . وفي هذا الكراس احتجاج المتكثلك على ذاك الراعي الجاهل مثبتاً لهُ ضلال اليعاقبة بادلّة اخذاً من النهار . وكان يكفيه لتبرير نفسه ان يذكر للسيد انطوان خلفهُ المطران الياس هلولي جحد قبلهُ اليعقوبيّة وانضمّ الى الكثلكة ثمّ عاد الى قيئه ل . ش

شذرات

﴿تكرار شكر﴾ يكرر الحقير مدير المجلة شكرهُ لكل من تلطّفوا وقدّموا لهُ تهانيهم شفاهيًا او كتابيًا او برقيًا وفي حفلة العيد بنسبة يوبيله الذهبي وهو يرى نفسهُ قاصرًا عن اداء واجبات معرفة الجميل اليهم فيطلب الى الله ان يثوب عنهُ بجزائهم فيمنحهم سعادة الدارين

﴿الاسفار المقدّسة المحذوفة من التوراة البروتستانيّة﴾ لمّا نشر الاميركان قبل ترجمتنا الجديدة توراتهم العربيّة ضاربين فيها الصفح عن الاسفار القانونية الثانويّة التي وسموها بسمة «ابو كريفا» كأنّها غير موحى بها تعرّض لهم الروم الاورثذكس فطبعوا تلك الاسفار في المطبعة الوطنيّة في بيروت واثبتوا وحيها بشواهد تاريخيّة قديمة . فطبعت الاسفار المحذوفة تحت عنوان «كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة المقبولة من الكنيستين الشرقيّة والغربيّة» وذلك باذن غبطة كيريوس كيريوس ايروتارس

وجدنا فيها من النظر الثاقب في هذا الفنّ الذي لا يزال في طفوليّته في انحاء الشرق . والقسم الآخر رواية تمثيليّة ضمّنها الكاتب كثيراً من احوال الوطن مدّة الحرب الكونيّة وختامها نجاة بطل الرواية على يد احد المحامين «ولا المحامي» . فنثني على براعة الكاتب وحسن ذوقه في تقسيم الادوار وسياقها

من دقّ الباب سمع الجواب

بقلم المفوذ ياقون ميخائيل عبد المسيح مصركي

طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف سنة ١٩٢٥ (ص ١٨)

المفوذياقون ميخائيل عبد المسيح مصركي احد اليعاقبة الذين تجلّت لهم حقيقة الديانة الكاثوليكيّة في القدس الشريف فاغتاظ لارتداده اسقفهم وحرمهُ يوم عيد الميلاد . وفي هذا الكراس احتجاج المتكثلك على ذاك الراعي الجاهل مثبتاً لهُ ضلال اليعاقبة بادلّة اخذاً من النهار . وكان يكفيه لتبرير نفسه ان يذكر للسيد انطوان خلفهُ المطران الياس هلولي جحد قبلهُ اليعقوبيّة وانضمّ الى الكثلكة ثمّ عاد الى قيئه ل . ش

شذرات

﴿تكرار شكر﴾ يكرر الحقير مدير المجلة شكرهُ لكل من تلطّفوا وقدّموا لهُ تهانيهم شفاهيًا او كتابيًا او برقيًا وفي حفلة العيد بنسبة يوبيله الذهبي وهو يرى نفسهُ قاصرًا عن اداء واجبات معرفة الجميل اليهم فيطلب الى الله ان يثوب عنهُ بجزائهم فيمنحهم سعادة الدارين

﴿الاسفار المقدّسة المحذوفة من التوراة البروتستانيّة﴾ لمّا نشر الاميركان قبل ترجمتنا الجديدة توراتهم العربيّة ضاربين فيها الصفح عن الاسفار القانونية الثانويّة التي وسموها بسمة «ابو كريفا» كأنّها غير موحى بها تعرّض لهم الروم الاورثذكس فطبعوا تلك الاسفار في المطبعة الوطنيّة في بيروت واثبتوا وحيها بشواهد تاريخيّة قديمة . فطبعت الاسفار المحذوفة تحت عنوان «كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة المقبولة من الكنيستين الشرقيّة والغربيّة» وذلك باذن غبطة كيريوس كيريوس ايروتارس

بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي». فطبعوها عن نسخ قديمة وقابلوها على الاصل اليوناني ونقّح إعرابها الطيب الذكر «العالم الفاضل الشيخ ناصيف اليازجي». وهذه الاسفار عشرة: سفر طوبيت وسفر يهوديت وتتمّة سفر استير وسفر حكمة سليمان وحكمة يشوع بن سيراخ ورسالة ارميا النبي ونبوّة باروخ وتتمّة سفر دانيال وسفرا المكابيين الاوّل والثاني

ومن غريب ما وقفنا عليه مؤخّرًا انّ الاقباط الاورثذكس سرقوا هذه الطبعة بعينها وادّعوها لنفسهم سنة ١٦٢٨ قبطيّة و١٩١١ مسيحية دون تغيير حرف منها بل لم يخجلوا في العنوان والمقدّمة ان ينسبوا تلك الترجمة الى مخطوطات من مكاتبهم ساكتين عن سرقتهم المستقبحة. والمقدّمة المذكورة ممضاة بيد صاحب جريدة عين شمس الاثريّة. وفيها ذكر حقارتنا واسم الاب الكسيس مالون

﴿عهد محمّد نبيّ الاسلام الى الارمن﴾ اوقفنا احد كهنة الارمن على نسخة من عهد منسوب الى نبيّ الاسلام محمّد بن عبدالله كتبهُ على ما يقال لأمّة الارمن. وهذه النسخة منقولة عن نسخة قديمة بقلم المدعو محمّد بن عليّ المشهور بلّا جاي القاطن بمدينة آمد (ديار بكر) المحروسة وصدّقها تقيّ الدين فضلي زاده القاطن بمدينة الرها. والعهد المذكور أعطي على ما يُقال هناك يوم الاثنين من ذي الحجّة الحرام سنة اثنتين للهجرة. وبعد فحص هذا الأثر رأينا انّهُ مصنوع لا صحّة لهُ ويشبه الشبه التام (إلّا في بعض العبارات في اوّله) تلك العهود التي أثبتنا زورها في مقالتنا المعنونة «عهود نبيّ الاسلام والخلفاء الراشدين للنصارى» في المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ٦٠٦–٦١٨ و٦٧٤–٦٨٢)

﴿الحكومة الايطالية والرهبانية اليسوعية﴾ علمنا بمزيد الفرح ان الحكومة الايطالية ردّت للرهبانيّة اليسوعيّة ديرها الروماني الكبير الذي وضعت عليه يدها ظلماً سنة ١٨٧٠. وفي هذا الدير غرفةُ القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيّة اليسوعية في اواسط القرن السادس عشر وهو ملاصق لكنيستهم «يسوع» الواسعة الارجاء من اكبر كنائس رومية. ويلحق بهذا الدير مرصد كبير اشتهر فيه كثيرون من الرهبان الفلكيين وكان آخرهم الاب انجلو سكّي الذائع الشهرة

﴿معايبنا المعدودة﴾ نشكر لطف كاتب المقتطف (فبراير ١٩٢٥ ص ٢٣٤) على تهنئته بيوبيلنا الذهبي وعلى نظمه معايبنا في جملة المعايب المعدودة ونحن نكرّر كل يوم مع صاحب المزامير ان آثامنا تزداد على عدد شعر رأسنا . على انَّ جناب الكاتب نظم في جملة تلك المعايب « انتقادنا على الماسونيَّة » أفلمأله الى اليوم وهو احد ابناء الارملة يجهل ما تكنُّهُ اسرار تلك الشيعة ؟ فما لهُ لم يزيّف ما نقلناهُ عن اربابها ؟ فالرجاء ان يلغي ايضاً هذا العيب من معايبنا المعدودة كما انَّنا ننظم بين حسناته اقوالهُ في روحانيَّة النفس وتجرُّدها عن المادَّة (ص١٥٢) على خلاف ما كان يكتبهُ سابقاً . لكننا نحصي في جملة معايب المقتطف المعدودة تصحيف بعض اسماء الاعلام في مقالة تاريخ تطوُّر الفكر العربي (ص ١٤٨) حيث ورد اسم الحارث بن كلدة» مصحَّفاً بابن « قلاده » وليس لـلم ابنهِ «النذر» بل «النضر» وهو « شاناق الهندي » لا « شاناك »

﴿ اثران زائفان عن موسى واغوسطس قيصر﴾ نشرت المجلَّة الشهريَّة التي ظهر اوَّل اعدادها في فبراير ١٩٢٥ (ص ٢٠و٣٧) اثرين الواحد عنوانهُ « كتب بيد موسى الكليم لوح عجيب » والآخر « امر عال روماني نظم الشأن بكلامها رائف فان اللوح المكتشف في جبل سينا المنسوب الى موسى لم يحلّ احد سرّ كتابته حتى اليوم . وكذلك الاثر الآخر المنسوب الى اوغسطوس قيصر في شأن السيد المسيح ليس لهُ نصيب من الصحة وقد راجت سابقاً عدَّة كتابات مصنوعة من هذا الصنف . على انَّنا استحسنَّا في المجلَّة الشهريَّة كثيرًا من موادّها الادبيَّة والفنيَّة

أسئلة واجوبة

س سائل مستفيد من حلب : ١ ما اصل كلمة مرفع . ٢ لاي سبب يبتدئ الشرقيّون صومهم يوم الاثنين والغربيون يوم الاربعاء بعدهُ . ٣ لاي سبب يُدعى الصوم الصوم الحسيني اصل كلمة مرفع – بدء الصوم عند الشرقيين والغربيين

ج كلمة « المرفع » دخيلة لا ذكر لها في المعاجم القديمة . وضعها النصارى اختصارًا بمعنى « مرفع اللحم » اي ترك اكلهِ . وفي كتب العرب يقال « تنخّس

النصارى، اذا تركوا أكل اللحم . أمّا مباشرة الشرقيين للصوم يومين قبل الغربيين فلانهم لا يصومون في بعض الاعياد الواقعة في الصوم كعيد البشارة وعيد القديس يوسف امّا الغربيّون فيصومونها . وهذا الصوم يُدعى الخمسيني اعتبارًا لكلّ ايامهِ مع آحادهِ الى الفصح ويعرف بالاربعيني اشارة لأيام صومهِ دون الآحاد

س وسأل الاديب نعوم فائق : ١ً ما معنى اسم (بوذا) معبود الهند والصين وهل اصلهُ من السريانيّة نحمهوا ؟ . ٢ً اين طُبع كتاب مُعجَم ما استعجم ؟ . ٣ً هل طبع جزء ثانٍ لكتاب القس يوسف حبيقة الدوائر السريانيّة ؟

اسم بوذا . معجم ما استعجم . الدوائر السريانيّة

ج نجيب على (الاوّل) انّ اسم بوذا ليس سريانيًا بل سنسكريتيًا ومعناهُ فيها الفهيم العاقل من الاصل «بوذ» بمعنى أدرك وفَهِمَ — وعلى (الثاني) انّ معجم ما استعجم طُبع في غوتنغن في المانية سنة ١٨٧٦ بهمّة المستشرق الكبير فيستنفلد (Wüstenfeld) — وعلى الثالث ان القسم الثاني من دوائر السريانية طُبع سنة ١٩٠٤ في المطبعة اللبنانيّة .

س وسأل احد الكهنة من هي القديسة صوفيًا المكرَّمة في قرية البوار (لبنان)؟

القديسة صوفيًا

ج اشتهرت عدّة شهيدات باسم صوفيًا واهلّ اشهرهنّ القديسة صوفيًا المستشهدة في رومية في القرن الثالث للمسيح مع بناتها الثلث أمانة ورجاء ومحبّة وعيدها واقع في الكلندار الماروني في ١٧ ايلول ل . ش

س وسأل احد السيّاح الى تدمر أذكرت هذه المدينة في الكتاب المقدّس ؟

تدمر وذكرها في الكتاب المقدّس

ج جاء في سفر الملوك الثالث (٩ : ١٨) والأيام الثاني (٨ : ٤) انّ سليمان الحكيم «بنى تدمر في البريّة» فغلب الظنّ انّها هي مدينة تدمر الشاميّة . ويرجّح اليوم بعض العلماء انّ تدمر المذكورة في التوراة مدينة فلسطينيّة بُنيت في براري تلك الاصقاع . وهي تسمّى في سفر الملوك تمرَ (תמר) ل . ش

المشرق

روايات مورخي العرب

في صوم النصارى وفصحهم

جمعها الاب لويس شيخو اليسوعي

ان في تآليف قدماء كتبة العرب مرويّاتٍ لطيفة عن اعياد النصارى وعاداتهم في مواسمهم المختلفة تشهد على معتقداتهم واخلاقهم في عهد الاسلام كما انها تصرح عن آراء اولئك الكتبة في تلك المذاهب. فحسبنا ان نجمع هنا ما قالوه في صوم النصارى وجمعة الآلام وعيد الفصح الى العنصرة وهي الاعياد المعروفة في الكنيسة بالاعياد المتنقلة التي يختلف وقوعها كلّ سنة باختلاف وقوع الفصح في الاحد الاوّل الواقع بعد الاعتدال الربيعيّ وهو في هذه السنة في ١٢ نيسان على حسب التاريخ الغربي والاصلاح الغريغوريّ

واخصّ الكتبة الذين نقلنا عنهم هذه الروايات هم ابو جعفر الطبري من اقدم مؤرخي العرب ثم ابو الريحان البيروني من كتابه الآثار الباقية ثمّ شمس الدين الدمشقي من كتابه نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر ثم ابن الاثير من تاريخه الكامل وابو الفداء وابن الوردي وابن خلدون من تواريخهم ثم المقدسي من كتابه الموسوم بالبدء ثمّ المسعودي من كتابه التنبيه والاشراف ثم القلقشندي من كتابه صبح الاعشى ثمّ ابن الحاج من كتابه المدخل نروي نصوصهم بحروفها ونذيلها ببعض الملحوظات عند اللزوم. أمّا طقوس النصارى ورتب الكنائس الشرقيّة والغربيّة في تلك الازمنة فقد سبق لنا ذكرها في مقالة واسعة (المشرق ١٠[١٩٠٧]: ٢٨٩—٣٠٤)

١ الصوم الكبير

اوردنا سابقاً في المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٤٤–٣٤٧) فصلاً بديعاً عن الحساب الفصحي وبدء الصوم عند النصارى رويناهُ عن كتاب البيروني «الآثار الباقية» فلا حاجة الى تكريره . فنضيف اليه ما يأتي نقلاً عن تاريخ ابي الفداء (١ : ٩٥) مع روايات تاريخ ابن الوردي (١ : ٨٠) قالوا :

«صوم النصارى الكبير تسعة واربعون يوماً اوّلها يوم الاثنين وهو اقرب الاثنين الى الاجتماع (١ الكائن فيما بين اليوم الثاني من شباط الى اليوم الثامن من آذار . فايُّ اثنين كان اقربَ اليه إمّا قبل الاجتماع وامّا بعده فهو رأسُ صومهم . ولصومهم ضابطٌ اصحُّ من هذا وهو ان يُنظَر الى الدَّنح (٢ وهو سادس كانون الثاني في اي شهر هو من الشهور العربيَّة ثمّ يُنتقَل الى السابع والعشرين من الشهر الغربيّ الذي يليه من حين رؤية الهلال فان كان يوم الاثنين فهو رأسُ الصوم . وفِطرُهم ابداً يكون يوم الاحد الخمسين من هذا الصوم . وسبب تخصيصهم هذا الوقت بالصوم انّهم يعتقدون انّ البعث والقيامة تكون في مثل يوم الفصح وهو اليوم الذي قام فيه المسيح من قبره بزعمهم»

وقال شمس الدين الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨٠) عن اهل حماة انهم «يبطلون اوّل يوم صوم النصارى ويقولون قد طاموا يتلقّون الراهب» . فترى انّ عادة استقبال الراهب في اوّل اثنين الصوم قديمة وليست مخصوصة بلبنان

٢ احد الشعانين او عيد الزيتونة

قال ابو الفداء في تاريخه (١ : ٩٥–٩٦) : «ومن اعياد النصارى الشعانين الكبير وهو يوم الاحد الثاني والاربعون من الصوم وتفسير الشعانين التسبيح (٣ . لان المسيح

---

١) الاجتماع (Conjonction) عند اهل الهيئة كناية عن وقوع الشمس والقمر في نقطة واحدة من فلك البروج

٢) الدنح بالسريانية وهذا الظهور يراد به يوم عيد الغطاس لظهور السيد المسيح فيه للعالم

٣) الشعانين لفظ مشتقة من هوشعنا العبرانية ويقال سعانين بالسين وهي الكلمة التي حيّا بها اهل اورشليم السيد المسيح يوم دخوله المدينة والهيكل ظافرًا بعد ان اقام لعازر من الموت

دخل يوم الثمنية المذكور الى القدس راكبَ اتانٍ يتبعها جحشٌ. فاستقبلَتهُ الرجال والنساء والصبيان وبايديهم ورق الزيتون. وقرأوا بين يديهِ التوراة (١ الى ان دخل بيت المقدس واختفى عن اليهود يوم الاثنين والثلثاء. وغسل في يوم الاربعاء (٢ ايدي اصحابهِ وارجلهم ومسحها في ثيابهِ (٣ . وكذلك يفعلهُ القسيسون باصحابهم في هذا اليوم. ثمَّ أفصح يوم الخميس بالخبز والخمر »

وقال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨٠) : « عيد الزيتونة ويسمّونهُ الثمانين يعني التسبيح فيعملونهُ يوم الاحد سابع احد من صومهم . وطريقتهم فيهِ ان يخرجوا بسَعَف النخل من الكنيسة وهو يوم ركوب المسيح الحمارَ ودخولهِ صهيون ببيت المقدس يأمرُ بالمعروف ويَنهى عن المنكر والناس يسبّحون بين يديهِ الله »

وقال ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٩) : « تخرج النصارى في عيد الزيتونة في موضع يقال لهُ المطَرِيَّة (٤ الى بئر هناك يسمّى بئر البلسم وهي معروفة مشهورة. فيجتمع اليها في ذلك اليوم في الغالب جمعٌ كثير من القبط وغيرهم من بلاد كثيرة يأتون اليها للغسل من مائها »

٣ الخميس الكبير او خميس العهد

قال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨١) راجع ايضاً صبح الاعشى للقلقشندي (٢ : ٤١٧) : « الخميس الكبير ويُدعى خميس القدَس وهو خميس العهد يُغسَل قبل الفصح (كذا) بثلثة ايام وسمّهم (وسنّتهم) فيهِ ان يأخذوا اناء ويملأونهُ ماء ويزمزمون عليهِ ثمَّ يغسل بهِ البطريرك ارجل جميع النصارى الحاضرين . ويزعمون انَّ المسيح عليهِ السلام فعل هذا بتلاميذهِ في هذا اليوم يعلّمهم التواضع . واخذ عليهم العهد ان لا يفترقوا وان يتواضع بعضهم لبعض . والعامّة من النصارى يسمّون هذا الخميس خميس القدَس وهم يطبخون فيهِ العدس على ألوان »

١) والصواب انَّ دخولهُ هذا في اورشليم مجدّداً كان بشّر بهِ الانبياء سابقاً في التوراة

٢) والصواب : يوم الخميس ٣) والصواب في المنديل الذي اتّزر بهِ

٤) قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٥٦٤) : « المطرِيَّة من قرى مصر عندها الموضع الذي بهِ شجر البلسان الذي يُستخرَج منهُ الدهن (اي البلسم) فيها والخاصيَّة في البئر يُقال ان المسيح اغتسل فيها». وللبرعيين الان هناك بستان وكنيسة قديمة يزورها السيّاح والحجّاج

وقال المقريزي في الخطط (١ : ٤٩٥) : «خميس العهد ويسميه اهل مصر من العامّة خميس العدس . ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادَوْن فيه . وكان من جملة رسوم الدولة الفاطميّة في خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خرُّوبة وتفرقتها على جميع ارباب الرسوم»

وقال ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٥) عن خميس العدس : «ان نصارى مصر كانوا يستعملون العدَس المصفّى ويتحرَّونهُ في ذلك اليوم وكانوا يزعمون انَّ من لم يفعلهُ منهم تشوَّش هو واهلهُ» . (قال) : «ومن عاداتهم في ذلك اليوم خروج النساء لشراء البخور والخواتم وغيرهما فتجدهنَّ في ذلك اليوم في الاسواق اكثر من الرجال . . . ومما احدثوهُ فيه استعمال البخور لهنَّ ولغيرهنَّ من الرجال فيبخرون بـه ثمَّ يتخطَّونهُ سبع مرَّات . ثمَّ ينفضون عليه ايديهم وارجلهم ويتفلون عليه ويزعمون انَّ ذلك يصرفُ عنهم العين والكسل والوعكة من الجسد ويتكلَّم من يَرْقي البخور بكلام لا يُعْرَف . . . » وهذه كما ترى من خرافات عامّة الاقباط

٤ ماء الخميس وجمعة الآلام

قال الطبري في تاريخه (١ : ٧٣٥—٧٣٦) : «حدَّث عبد الصمد بن معقل انهُ سمع وهباً (بن المنبه) يقول ان عيسى بن مريم صلَّى الله عليه وسلَّم لمَّا اعلمهُ الله انهُ خارج من الدنيا جزع من الموت وشقَّ عليه فدعا الحواريّين فصنع لهم طعاماً فقال : احضروني الليلة فانَّ لي اليكم حاجة . فلما اجتمعوا اليه من الليل عشّاهم وقام يخدمهم . فلمَّا فرغوا من الطعام اخذ يغسل ايديهم (١ ويوضّئهم بيده ويمسح ايديهم بثيابه (٢ فتعاظموا ذلك وتكارهوهُ فقال : ألا من ردَّ عليَّ شيئاً الليلة ممَّا اصنع فليس مني ولا انا منهُ . فأقرُّوهُ (٣) حتى اذا فرغ من ذلك قال : أمَّا ما صنعتُ بكم الليلة ممَّا خدمتكم على الطعام وغسلتُ ايديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة . فانكم ترون أنّي خيرُكم . ولا يتعظَّم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسهُ لبعض كما بذلتُ نفسي لكم . وامَّا حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخّر

١) والصراب ارجلهم ٢) بالمنديل الذي كان متزرًا به

٣) قال هذا لبطرس لمَّا أنف من غسل يسوع لرجليه

أَجلي (١ . فلما تعبوا انفسهم للدعاء وارادوا ان يجتهدوا اخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلةً واحدة (٢ تُعينوني فيها . فقالوا : والله ما ندري ما لنا . لقد كنّا نَسمَر ونُكثر السَّمَر وما نُطيق الليلةَ سمرًا وما نُريد دعاء إلّا حِيلَ بيننا وبينَهُ . فقال : يُذهَبُ بالراعي وتتفرّق الغنم . وجعل يأتي بكلام مثل هذا ينعي به نفسهُ

«ثمّ قال : الحقّ ليكفرنَّ بي احدُكم قبل ان يصيح الديك ثلث مرّات وليبيعَنّي احدكم بدراهم يسيرة وليأكلنَّ ثمني . فخرجوا متفرّقين

«وكانت اليهود تطلبهُ فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا : هذا من اصحابهِ فجحد وقال : ما انا بصاحبهِ فتركوهُ (٣ فلما أصبح (٤ اتى احد الحواريين الى اليهود فقال : ما تجعلون لي ان دَلَلتكم على المسيح . فجعلوا لهُ ثلثين درهمًا فاخذها ودلّهم عليهِ وكان شُبّه عليهم قبل ذلك (٥

«فاخذوهُ فاستوثقوا منهُ وربطوهُ بالحبل فجعلوا يدورونهُ ويقولون : انت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تنتح (كذا) نفسك من [illegible] الحبل [illegible] ويبصقون عليهِ ويلقون عليهِ الشوك (٧ حتى اتوا بهِ الخشبة التي اراد[illegible] ان يصلبوهُ عليها فرفعهُ الله اليهِ وصلبوا ما شُبّه لهم انهُ توفّاهُ الله سبع ساعات من النهار (٨ ثم احياهُ الله . وفُقِدَ الذي كان باعهُ ودلّ عليهِ اليهودَ فسأل عنهُ اصحابهُ فقالوا : قد ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسهُ فقال : لو تاب لتاب الله عليهِ (٩ واستوهبهُ يوسف

١) لم يطلب المسيح تأخير اجلهِ وانّما اوصى ثلثةً من تلاميذهِ ان يسهروا معهُ ويصلّوا لئلاّ يدخلوا في التجربة ٢) بل ساعةً واحدة

٣) لم يأخذ اليهود سمعان بطرس وانّما جحدهُ في دار قيافا صباح الجمعة

٤) والصواب : لمّا أمسى وأَلْيَلَ

٥) هذا ما يقولهُ المسلمون ولم يتّفقوا على كيفيّة هذا التشبيه ولا بمن شُبّه والنصارى مع اليهود ينكرون ذلك والشواهد على قتل المسيح لا تُحصى وكان بشّر بهِ دانيال والمسيحُ نفسهُ

٦) قالوا هذا وهو على الصليب : ان كنتَ ابن الله فانزل عن الصليب فنؤمن بك

٧) بل كلّلوهُ بالشوك

٨) بل بقي السيّد المسيح ميتًا من عصر يوم الجمعة الى صباح الاحد اذ قام بقوة لاهوتهِ من بين الاموات

٩) لم يحتج السيد المسيح الى السؤال عن يوداس وانتحارهِ فكان هو نفسهُ اشار اليهِ سابقًا

النجار وهو ابن عمّ مريم امّ المسيح(١ من قائد اليهود هيرودس واسمهُ بيلاطس (٢ فدفنهُ في قبر اعدَّهُ لنفسهِ . وزعمت النصارى انهُ مكث في القبر ليلة السبت ونهار السبت وليلة الاحد ثمَّ قام صبيحة يوم الاحد الذي يفطرون فيهِ . ويسمّون ليلة السبت بشارة الموتى بقدوم المسيح»

﴿وهذه رواية ابن خلدون﴾ في تاريخهِ (٢ : ١٤٧) قال: «شرَّع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائر القُرُبات وحلَّل وحرَّم وأُنزل عليهِ الانجيل (٣ وظهرت على يديهِ الخوارق والعجائب وشاع ذكرهُ في النواحي واتَّبعهُ الكثير من بني اسرائيل فخافهُ رؤساء اليهود على دينهم وتوامروا في قتلهِ . وجمع عيسى الحواريين فباتوا عندهُ ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم بما استعظموهُ قال: انَّما فعلتهُ لتتأسَّوا بهِ . وقال بعظهم: ليكفرنَّ بي بعضكم قبل ان يصيح الديك ثلاثاً (٤ ويبيعني بعضكم بثمن بخس وتأكلوا ثمني (٥ ثمَّ افترقوا . وكان اليهود قد بعثوا العيون عليهم . فاخذوا شمعون من الحواريين فتبرَّأ منهم وتركوهُ (٦

«وجاء يهوذا الاسخريوطي وبايعهم على الدلالة عليهِ بثلثين درهماً واراهم مكانهُ الذي كان يبيت فيه (٧ واصبحوا بهِ الى فلاطوس النبطي (٨ قائد قيصر على اليهود . وحضر جماعة الكهنوتيَّة وقالوا : هذا يُفسد بيتنا (ديننا) ويحلُّ نواميسنا ويدَّعي المُلك فاقتُلهُ . وتوقَّف فصاحوا بهِ وتوعَّدوهُ بابلاغ الامر الى قيصر فأمر بقتلهِ . وكان عيسى قد ابلغ الحواريين بانَّهُ يُشبَّه على اليهود في شأنهِ فقُتل ذلك الشبه وصُلب(٩

---

١) ليس يوسف النجَّار هو الذي استوهب جسدهُ من بيلاطوس بل يوسف الرامي ولا نعلم شيئاً من قرابتهِ الى مريم امّ يسوع

٢) كلّ يعلم ان بيلاطوس كان والياً رومانياً على اليهود وامَّا هيرودوس فكان ملكاً يهودياً على الجليل ٣) اي بشَّر بهِ

٤) قال هذا لسمعان بطرس ٥) هذا لم يقل بهِ السيد المسيح

٦) سبق انهم لم يأخذوا شمعون اي سمعان بطرس وانَّما جحد ربَّهُ ثم ندم على خطيئتهِ

٧) والصواب انهُ اتى بالجند الى بستان الزيتون حيث امسكوهُ وقادوهُ الى حنانا ثم الى قيافا ٨) كذا والصواب البُنْطي

٩) والامر على خلاف ذلك فانَّ المسيح كرَّر مراراً على تلاميذهِ انهُ سيُصلب ويُقتل ثمَّ يقوم في اليوم الثالث كما تنبَّأ عنهُ الانبياء. فايُّ حاجة الى شبهٍ يُقتل بدلاً منهُ ؟

واقام سبعاً (١ . وجاءت امهُ تبكي عند الخشبة (٢ فجاءها عيسى وقال: ما لكِ تبكي (تبكين) قالت: عليك (٣. قال: ان الله رفعني ولم يُصِبني الا خير وهذا شيء شُبه لهم (٤ وقولي للحواريين يلقوني بمكان كذا . فانطلقوا اليهِ وامرهم بتبليغ رسالتهِ في النواحي كما عَيّن لهم من قبل»

﴿رواية ابن الاثير عن آلام المسيح﴾ قال ابن الاثير في الكامل (١ : ١٢٥) : «قيل انَّ عيسى استقبلهُ ناس من اليهود فلمَّا رأوه قالوا: قد جاء الساحر . وقذفوهُ هو وامهُ فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءهُ ومسخهم خنازير (٥ . فلمَّا رأى ذلك رأسُ بني اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتلهِ فاجتمعوا عليهِ فسألوهُ فقال: يا معشر اليهود انَّ الله يبغضكم . فغضبوا من مقالتهِ وثاروا اليهِ ليقتلوهُ . فبعث اليهِ جبريل فادخلهُ في خوخةٍ الى بيتٍ فيها روزنةٌ في سقفها فرفعهُ الى السماء من تلك الروزنة . فامر رأسُ اليهود رجلاً من اصحابهِ اسمهُ تطلياوس(٦) ان يدخل اليهِ ليقتلهُ فلم يرَ احداً والقى الله عليهِ شبه المسيح فخرج اليهم فقتلوه عيسى وقتلوهُ وصلبوهُ(٦ . وقيل ان عيسى قال لاصحابهِ: أيكم يحب ان يُلقى عليهِ شبهي وهو مقتول؟ فقال رجل منهم انا يا روح الله فأُلقي عليهِ شبهه [illegible] ان شُبه بعيسى وصُلب رجل اسرائيلي اسمهُ يوشع ايضاً (٧»

ثمَّ يروي ابن الاثير بقيَّة اخبار المسيح كما رواها الطبري الَّا انهُ في اثناء كلامهِ كأنَّهُ نسي ما روى سابقاً عن الشبيه بالمسيح فيقول:

«وقيل انَّ اليهود لمَّا دلَّهم عليهِ الحواري (اي يهوذا الاسخريوطي) اتَّبعوهُ واخذوهُ من البيت الذي كان فيهِ ليصلبوهُ فأظلمت الارض وارسل الله ملائكةً

---

١) اي اقام سبع ساعات ميتاً والصواب انهُ بقي ميتاً الى صباح الاحد حيث قام من الاموات

٢) ليس شيء في الانجيل عن بكاء مريم وانما كانت واقفة عند صليبه

٣) هذه الرؤيا كانت لمريم المجدليَّة لا لمريم امّه

٤) كل هذا مخالف للرواية بالانجيل قالوهُ نفياً لقيامتهِ

٥) هذا من خرافات بعض اناجيل الزور

٦) هذه روايات غاية في الغرابة نتعجَّب كيف يذكرها ابن الاثير مصدّقاً

٧) وليست هذه الرواية أقلّ غرابةً من السابقة . وكلّ ذلك لينفي الموت عن المسيح وتُنفى قيامتهُ وهي اكبر آيات لاهوتهِ (راجع كتابنا) «البرهان الصريح في لاهوت المسيح»

فحالوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذي دلّهم عليه فاخذوهُ ليصلبوهُ فقال: انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوهُ وصلبوهُ عليها ورفع الله المسيح اليه بعد ان توفاهُ الله ست ساعات وقيل سبع ساعات ثم احياهُ ورفعهُ »

امّا ابو الفداء فقال في تاريخه (١ : ٩٦) : ومثلهُ ابن الوردي ناقلًا عنهُ (١ : ٨٠) : «ثمَّ خرج المسيح ليلة الجمعة الى الجبل فسعى به يهوذا احد تلامذته الى كبراء اليهود واخذ منهم ثلثين درهمًا رشوةً ودلّهم عليه فألقى الله شبه المسيح على المذكور (١ فاخذوهُ وضربوهُ ووضعوا على رأسه اكليلًا من الشوك وأنالوهُ كل مكروه وعذّبوه بقيّة تلك الليلة اعني ليلة الجمعة الى ان اصبحوا فصلبوهُ بزعمهم انهُ المسيح على مضي ثلاث ساعات من يوم الجمعة على قول متى ومرقس ولوقا . واما يوحنا فانهُ زعم انهُ صُلب على مضي ست ساعات من النهار المذكور (٢ ويسمّى جمعة الصلبوت . وصُلب معهُ لصّان على جبل يقال لهُ الجمجمة واسمهُ بالعبرانيّة كاكله (والصواب الجلجلة) وماتوا على ما زعموا في الساعة التاسعة

قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص١٢٥) : « ولسبع عشرة سنة خلت من ملكه (اي من ملك طيباريوس قيصر) وفي السنة ٣٤٢ للاسكندر بن فيلبّس الملك وهو عندهم منهُ (كذا) في مثل اليوم الذي أُهبط فيه آدم من الجنّة . ومات ودُفن وقام وانبعث من بين الموتى حيًّا »

٥ سبت النور

قال القلقشندي في صبح الاعشى (٢ : ٤١٧) والدمشقي في نخبة الدهر (ص٢٨١)

١) اي على جوذا الاسخريوطي وما أسهل ما كان عليهِ ان يثبت لليهود هويّته بان يقول : لستُ انا المسيح ولا انا ابن الله كما هو يقول ولستُ ملكًا كما قال لبيلاطوس فقتلهُ جوذا بدلًا من المسيح من اغرب الغرائب بعد ان سبق المسيح وكرّر غير مرّة لتلاميذه خبر قتلهِ صلبًا وقيامتهِ كما ورد في نبوّات اشعيا وارميا ودانيال وغيرهم (راجع آباءنا في المشرق ٧[١٩٠٤] : ٢٤٣-٢٤٤) ثم في كلامنا عن الوهيّة المسيح في موته (١٦[١٩١٣] : ٨٦٤)

٢) ليس تناقض في رواية الانجيليين فانَّ متّى ومرقس ولوقا جعلوا موت المسيح على صليبهِ الساعة الثالثة بعد الظهر على مقتضى حساب العبرانيين والشرقيين أمّا يوحنا فحسب النهار كالرومان واليونان فجعل صلبهُ الساعة السادسة اي في وقت الظهر وموتهُ في الساعة التاسعة وهي الثالثة لبني اسرائيل

صورة رؤساء كلية القديس يوسف

منذ انشائها الى اليوم

(١٨٧٥ – ١٩٢٥)

«هو قبل الفصح بيوم. يقولون انَّ النور يظهر من مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتعل منهُ مصابيح الكنيسة (القلقشندي: كنيسة القيامة (١ بالقدس) ويحملون نارهُ في الشموع الى بحر نيطش والى جزائر بلاد الفرنج»

وهنا يذكر في صبح الاعشى خدعة الروم في ايقاد تلك المصابيح. وقد فنَّدنا زعمهم سابقاً غير مرَّة واثبتنا اقرارهم بالتمويه على الشعب (المطلب المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ١٩١–١٩٢ و ٣١٦ ثمَّ ١٦ [١٩١٣]: ١٨٨–١٩٧)

وقال ابن الحاج في المدخل (١: ٣١٦): «ومما يفعلونهُ في سحر ذلك اليوم (اي سبت النور) وهو انهم يجمعون في امسه ورق الشجر على انواعها حتى الريحان وغيره فيبيتونها في اناء فيه ماء. ويغتسلون بهِ ثمَّ يأخذون ما اجتمع من غسلها ويلقونهُ في طريق المسلمين ومفرق الطريق ويزعمون انَّ ذلك يُذهب عنهُ الامراض والاسقام

«ومن ذلك اكتحالهم في صبيحة ذلك اليوم بالسذَّاب او الكحل الاسود او غيرهما. ويزعمون انَّ من اكتحل من ذلك يكتسب نوراً زائداً في بصره

«ومن ذلك انَّ من كان منهم يشتكي بحكَّة يخرج في ذلك اليوم الى ظاهر البلد على شاطئ النيل فيغتسل... ويزعمون انَّ الغسل في ذلك اليوم نشرةٌ ورُقيةٌ. وتدَّهنُ نساؤهم بالكبريت ويقعدن في الشمس اكثر نهارهنَّ

«ومن ذلك ما يفعلونهُ من شرب الدواء في ذلك اليوم ويزعمون انَّ شرب الدواء فيهِ ليس كغيره من الأيام تعظيماً لهُ»

٦ عيد الفِصح او القيامة

قال المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (٤: ٤٧): «عيد القيامة هو اليوم الذي يزعمون انَّ عيسى عليهِ السلام خرج من قبره بعد ما قُتل ودُفِنَ»

وقال القلقشندي في صبح الاعشى (٢: ٤١٥): «الفِصح وهو العيد الكبير عندهم يعملونهُ يوم الفِطر من صومهم الاكبر ويزعمون انَّ المسيح قام فيهِ بعد الصلوت بثلثة أيام وخلَّص آدم من الجحيم». وقال (١٣: ٢٧٢): «ثمَّ رآهُ بطرس الحواريّ واوحى اليهِ وانَّ أمهُ جمعت لهُ الحواريين فبعثهم رُسُلاً الى الاقطار للدعاية الى دينهِ»

١) القامة الربل. كذا ابدلوا اسم كنيسة القيامة تعصُّباً

وقال شمس الدين الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨٠) : « عيد الفِسْح (كذا) وهو الكبير يقولون انَّ المسيح قام فيهِ بعد الموت والصَّلب بثلثةِ ايَّام وخلَّص آدم من الجحيم . واقام في الارض اربعين يوماً آخرُها يوم الخميس ثمَّ صعد الى السماء.

«وفي هذا العيد (اي الفصح) تُبطل اهل حماة مدَّة ستة ايَّام اوَّلها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلثاء ثالث الفِسْح (الفصح) . وتنتقشُ فيهِ النساء وتَلبس الكساوى الفاخرة ويصبغون فيهِ البيض ويعملون الاقراص والكعك والمسلمون اكثر من النصارى . ويَرِد الى حماة اهلُ سائر البلاد المجاورة لها مثل حمص وشَيْزَر وسَلَمْيَة وكفرطاب وابو قُبَيْس(١ ومِصْياف والمَعَرَّة وتيزين والباب وبُزاعة والقوعة (٢ وحلب . ويطلعون جميعاً الى العاصي . ويضربون(ويضرب)لهم اهل حماة على شطوطهِ خياماً . ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تتهتَّك الخلائق . ويمضي لهم ستة ايَّام لا يُرى في الوجود مثلُها »

وقال ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٥) عن عاداتهم في الفصح : « ومن ذلك صبغُهم فيهِ البيض ألواناً لاولادهم وغيرهم وتعدَّى ذلك في الكثرة الى ان صار المقامرون يلعبون بهِ جهاراً ولا احد فيما اعلم ينكر عليهم »

٧ الاحد الجديد

ودعاهُ القلقشندي (٢ : ٤١٨) « حدّ الحدود» قال « وهو بعد الفصح بثمانية ايَّام يعملونهُ اوَّل احد بعد الفِطر . لأنَّ الآحاد قبلهُ مشغولة بالصوم وفيهِ يجدِّدون الآلات وأثاث البيوت . ومنهُ يأخذون في الاستعداد للمعاملات والامور الدينوية»

وقال المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (٤ : ٤٧) : «وبعده (اي بعد الفصح) بثمانية ايَّام عيد الجديد (كذا) ويزعمون انهُ اليوم الذي ظهر فيهِ عيسى لتلامذتهِ بعد ما خرج من القبر» (٣

---

١) ابو قُبَيْس حصن بقابل شيزر (ياقوت)

٢) تيزين قرية بنواحي حلب ومثلها الباب وبزاعة والقوعة قرى بين حلب ومنبج

٣) ظهر السيد المسيح لتلامذته يوم عيد الفصح . ثم عاد اليهم في الاحد الجديد ليثبت قيامتهُ لتوما الرسول

وقال ابو الفداء في تاريخهِ (١ : ٩٦) : ولهم الاحد الجديد وهو اوّل احد بعد الفطر ويجعلونهُ مبدأ للاعمال وتاريخاً للشروط والقبالات »

٨ عيد الصعود

قال المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (٤ : ٤٧) : وبعدهُ « اي بعد عيد الفصح بثمانية وثلثين يوماً عيد الشُّلاق (١ ويزعمون انهُ اليوم الذي صعد فيه عيسى الى السماء »

وقال القلقشندي في صبح الاعشى (٢ : ٤١٦) : « خميس الاربعين ويسميهِ الشاميُّون الشُّلاق وهو الثاني والاربعون (كذا) من الفِطْر يقولون انَّ المسيح عليهِ السلام تسلَّق فيه من تلاميذهِ الى السماء بعد القيامة ووعدهم بارسال الفارقليط وهو روح القدس عندهم »

وقال ابو الفداء (١ : ٩٦) وابن الوردي (١ : ٨٠) : « ولهم (اي النصارى) عيد الشُّلاقا ويكون يوم الخميس (والصواب الخميس) بعد الفطر باربعين يوماً وفيهِ تسلَّق المسيح فصعد الى السماء من طورسينا (٢

وقال المسعودي في التنبيه والاشراف (١ : ١٢٥) وصعد (اي المسيح) الى السماء ولهُ ثلث وثلثون سنة ولا يصعد عندهم الى السماء الَّا من نزل منها (٣ . . والنصارى تصوم الاربعاء لانَّ يشوع وُلد فيها (كذا) والجمعة لانهُ صُلب فيهِ عندهم تطوُّعاً لا فريضةً »

قال الطبري (٧ : ٧٣٧) : « ثمَّ اهبطهُ الله (يريد المسيح) على الارض فاشتمل الجبل حين هبط نوراً فجُمع لهُ الحواريُّون فنبَّئهم وامرهم ان يبلّغوا الناس عنهُ ما امرهم الله بهِ

« ثمَّ رفعهُ الله وكساهُ الريش (كذا) وألبسهُ النور وقطع عنهُ لذَّة المطعم والمشرب (كذا) وطار مع الملائكة فهو معهم (٤ فصار انسيًّا ملكيًّا سماويًّا ارضيًّا . وتفرَّق الحواريُّون حيث امرهم »

---

١) الشُّلاق كلمة سريانيَّة (ܫܠܝܚܐ) معناها الصعود

٢) والصواب : من طور زيتا اي من جبل الزيتون قرب اورشليم

٣) ورد هذا في انجيل يوحنَّا (٣ : ١٣) ٤) بل هو فوقهم جميعاً

٩ عيد الخمسين اي العنصرة

قال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨١): عيد الخمسين وهو العنصرة يعملونهُ بعد خمسين يوماً من عيد القيامة يقولون انَّ الروح القدس حلَّت في التلاميذ شبه ألسنة نارية وتفرَّقت عليهم ألسنةُ الناس فتكلَّموا بجميع الالسنة وراح كلّ واحدٍ منهم الى بلاد لسانهِ الذي تكلَّم به يدعوهم الى دين المسيح »

وقال ابو الفداء في تاريخهِ (١ : ٦٩) : « عيد الفنطي قُسطي وهو يوم الاحد بعد السلاقسا بعشرة ايَّام واسمهُ مشتقّ من الخمسين بلسانهم (١ وفيهِ تجلَّى المسيح لتلامذتهِ (٢ وهم السليحيُّون (٣ ثم تفرَّقت السنتهم وتوجَّهت كلّ فرقةٍ الى موضع لغتها »

هذا مجمل ما وجدناهُ في تآليف المسلمين وفيهِ كما ترى اشياء كثيرة موافقة للاناجيل والتاريخ ومنها غيرها ما لا يتَّفق معها نُقلت غالباً من اناجيل الزور التي وصفناها سابقاً في المشرق (١١ [١٦٠٨] : ١٩٠)

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تابع)

الكاهن والاسقف

﴿ السيو بيكه في رومية ﴾ لما وصل السيو بيكه رومية نزل في قصر مجمع

١) اللفظة يونانية (πεντηκοστή) ومعناها الخمسون

٢) بل بالاحرى تجلَّى الروح القدس الذي يُدعى ايضاً بالبارقليط المرسل من السيد المسيح كما وعدهم فحلَّ عليهم بشبه السنة نارية

٣) السليح كلمة سريانية معناها الرسول

٩ عيد الخمسين اي العنصرة

قال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨١): عيد الخمسين وهو العنصرة يعملونهُ بعد خمسين يوماً من عيد القيامة يقولون انَّ الروح القدس حلَّت في التلاميذ شبه ألسنة نارية وتفرَّقت عليهم ألسنةُ الناس فتكلَّموا بجميع الالسنة وراح كلّ واحدٍ منهم الى بلاد لسانهِ الذي تكلَّم به يدعوهم الى دين المسيح »

وقال ابو الفداء في تاريخهِ (١ : ٦٩) : « عيد الفنطي قُسطي وهو يوم الاحد بعد السلاقسا بعشرة ايَّام واسمهُ مشتقّ من الخمسين بلسانهم (١ وفيهِ تجلَّى المسيح لتلامذتهِ (٢ وهم السليحيُّون (٣ ثم تفرَّقت السنتهم وتوجَّهت كلّ فرقةٍ الى موضع لغتها »

هذا مجمل ما وجدناهُ في تآليف المسلمين وفيهِ كما ترى اشياء كثيرة موافقة للاناجيل والتاريخ ومنها غيرها ما لا يتَّفق معها نُقلت غالباً من اناجيل الزور التي وصفناها سابقاً في المشرق (١١ [١٦٠٨] : ١٩٠)

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تابع)

الكاهن والاسقف

﴿ السيو بيكه في رومية ﴾ لما وصل السيو بيكه رومية نزل في قصر مجمع

١) اللفظة يونانية (πεντηκοστή) ومعناها الخمسون

٢) بل بالاحرى تجلَّى الروح القدس الذي يُدعى ايضاً بالبارقليط المرسل من السيد المسيح كما وعدهم فحلَّ عليهم بشبه السنة نارية

٣) السليح كلمة سريانية معناها الرسول

انتشار الايمان حيث قدّموا له كل لوازم الضيافة وقد احتفى به كل الاحتفاء. كاتب اسرار المجمع وجميع رؤساء الدوائر والكهنة وبعد ان استراح من تعب السفر تشرّف بالتبرك بلثم اقدام قداسة البابا اسكندر السابع الذي استقبله بكل هشاشة وحبّ واكرام ذاكراً له خدمه في جنب الكنيسة. ثم سأله عن احوال الديانة في البلاد المشرقية وعن الوسائل لنمو الايمان ورسوخه في القلوب. فبسط رجل الله لدى قداسته مفصّلاً كل ما سُئل عنهُ مما يختص بالحالة الحاضرة والوسائل اللازم اتخاذها لثبات المؤمنين. وكان قداستهُ يسمع له مرتاحاً الى حديثه مدة ثلاث ساعات. ثم ارسله بحسب العادة المألوفة الى المجمع ليطرح على بساط البحث كل ما يريد بسطه

وبينا هو في رومة اتاه من والده المسيو جوفروا، الذي كان اعتنق الحالة الاكليركية، كتاب فيه يعين له المجعول (البنفيش) الذي ذكرناه سابقاً غير انهُ لم يكن مرتاح الضمير والبال من جهة قبوله درجة قصّ الشعر من يد البطريرك اندراوس لانه اقدمَ عليها من دون الاذن من اسقفه الشرعي فلزم ان يصحح هذا النقص في ٢٧ اذار سنة ١٦٦٢ بعد التماس الأذونية من اسقف ليون لانه من رعيته

ولما ثبتت عزيمته ورسخت قدمه في الحالة الاكليريكية تفرّغ الى تشرّب الروح الكهنوتي في تلك المدينة المقدسة وذلك بمجالسته ومعاشرته الاشخاص المتازين بتقواهم وعلمهم اذ كان يرتشد بكلامهم وامثلتهم. وقد تعلّق بالاخص بكاهنين فاضلين من اساتذة مدرسة البروبغنده هما الاب باتريسيو (Patritio) الملفان في اللاهوت واستاذ الحق القانوني والاب فابريس بوليشي (Fabrice Pauluci) ودامت مواصلتهُ اياهما مدى الحياة. وكان كلاهما يعتبر جداً فضيلة المسيو بيكه ولا يخشيان ملاماً في قولهما انهُ قديس

ولما انفكّ رجل الله بيكه ان يُربي فيه شاعرة التقوى والعبادة مدة اقامته في رومية بزيارته الدياميس حيث مدافن الشهداء وتردده الى جميع المحالّ المقدسة في داخل المدينة وفي خارجها. ثم قام بواجب الزيارة للكرادلة ولجميع حاشية البلاط البابوي الذين في مجالستهم اياه تحققوا بالفعل ما كانوا يسمعونه عنه. وتعرّف الى كثيرين من الاحبار ولم تكن غاية صداقته لهم الّا ليوصيهم بكنيسة حلب

وفي ٢٨ ايار حضر جلسة عقدها اعضاء المجمع المقدس بسط فيها كل ما عرضهُ

على البابا مما يختص باحتياجات ومهام كنائس الشرق. وقد امر نيافة الكردينال (Alberici) تلاوة الرسالة التي كتبها بطريرك السريان في حلب الى المجمع عن سفر المسيو بيكه كما ذكرت آنفاً فارتاح الكرادلة الى سماعها والى مطاليب بيكه في شأن تلك الكنائس ولاسيما كنيسة حلب

وبعد ان قام بمهمته تزوّد بركة الاب الاقدس الذي ودّعه كما استقبلهُ بالعطف والاكرام وانعم عليهِ بلقب حاجب بابوي فغادر رومة الى فرنسا في اول حزيران وزار في طريقه كنيسة سيدة لوريت بشعائر الخشوع والاحترام. كما زار سيدة الملائكة في آسيز وضريح القديس انطونيوس في بادوا

ووصل اخيراً ليون في اواخر السنة فاستقبله ابوه بما لا يمكن اللسان ان يصفهُ من عواطف الحب والفرح وهرع الى زيارته جميع اعيان المدينة وما كانوا يشبعون من رؤيته ومحادثتهِ واكرامهِ معجبين بوطنيتهِ وفضيلتهِ

وما لبث طويلاً حتى ذهب الى استلام املاكهِ التي منها محمولهُ. ثم اتى مرسيليا [illegible] حلب [illegible] المسيو فرنسوا [illegible] بيكه كان يجمع وهو ضريح ما تصل اليهِ يدهُ من المذكرات التي ساعدت كثيراً الى تأليف ترجمته هذه

واذ كان في مرسيلية اتاه احد المسلمين ومعه ولداه كان قد وجّه بهم اليهِ من حلب خلفهُ المسيو بارون لانهم رغبوا ان يتنصّروا. وكان ذلك الرجل قد ضحّى بجميع امواله وبوظيفة كانت لهُ في جيش السلطان قام فيها نحو ٣٠ سنة فتخلّى عنها قصد ان ينضمّ الى دين يسوع المسيح. فقبله بيكه باحشاء المحبة وسرّ بهِ كثيراً وهمّ في ان يعوّضهُ من كل ما تركهُ اكراماً ليسوع المسيح

﴿سيرة المسيو بيكه الصالحة في وطنهِ وقبولهُ الدرجات المقدّسة﴾ كان المسيو بيكه يكره العيشة العالمية وضوضاءها فاعتزل عن مدينة ليون وسكن في البستان الذي قدّمهُ لهُ ابوهُ فعاش في الزهد والتقى. لكنّ عرف فضيلتهِ زاد انتشاراً فقصدهُ ذوو الصلاح ليستفيدوا من تعاليمهِ وامثالهِ ومن جملتهم احد الكهنة الافاضل المدعو برشاردو الذي كان يضارعهُ غيرةً وتقى فقضيا الساعات الطوال في المناجيات الروحيّة

وكان اصدقاء المسيو بيكه يلحّون عليهِ بقبول الدرجات المقدسة فتردَّد في الامر طويلاً وهو لا يرى نفسهُ اهلاً لها الى ان رضخ لمشورة مرشدهِ فسافر الى مرسيلية واختلى مدَّة في مدرستها الاكليريكيَّة استعداداً لتلك النعمة وفي ٢٢ك١ سنة ١٦٦٣ منحهُ مطران مرسيلية السيد اسطفان بوجيت (Puget) الدرجات الصغرى مع الشدياقيَّة الرسائليَّة

وفي ٧ حزيران من السنة التالية اقتبل درجة الدياكونيَّة اي الشماسيَّة الانجيليَّة وسيم كاهناً في ١٣ من السنة نفسها. وهو في كلّ هذه المدة غائص في بحر التأملات يستعظم نعم الله اليهِ ويتفانى تذلُّلاً وتواضعاً امام العزَّة الالهيَّة معلناً بحقارتهِ ودناءتهِ. ولم يشأ ان يقدّم ذبيحتهُ الاولى الَّا بعد ان خصَّ لها اسبوعين مستحرًا بالصلاة ومنكبًّا على اعمال العبادة والتقشُّف فاحتفل بالقداس الاوَّل في ٢٦ تموز في كنيسة المدرسة الاكليريكيَّة المذكورة. وفي الرسائل التي كتبها في تلك الآونة ادلَّة باهرة على سموّ فضيلتهِ وعمق اتضاعهِ وشكرهِ للرب الذي دعاهُ الى تلك الدعوة الجليلة. وقد شهد معارفهُ انَّ حياتهُ مذ ذاك الحين اصبحت اشبه بحياة ملاك منها بانسان

﴿اعتبار ارباب الدنيا والدين لبيكه﴾ ومع انَّ بيكه كان يكاد لا يرى لنفسهِ فضلاً كانت عيون رؤساء الكنيسة وارباب الدولة متَّجهة اليهِ. فانَّ كولبرت وزير الملك لويس الرابع عشر ارسل اليهِ يطلب مشورتهُ في احوال تركية التي كانت في اثناء ذلك طمعت بفتح بعض البلدان فتهدَّدت مملكة النمسة فاستنجد امبراطورها بملك فرنسة. فكتب بيكه في ذلك تقريرًا واسعاً بيَّن فيهِ حقيقة الامور واوضح للوزير الخطَّة التي يجب ان تجري عليها فرنسة مع النمسة لحفظ شرفها وصوناً لدين نصارى الشرق ونجاتهم من ظلم ولاة الاتراك واوضح في تقريرهِ بنودًا تُطالَب بها تركيَّة في معاملاتها مع سفراء فرنسة وتجارها لحفظ امتيازاتهم الممنوحة بمعاهدات سابقة

وممن استنار بانوار بيكه للوقوف على آرائهِ السديدة الكردينال شيجي (Chigi) ابن شقيق البابا اسكندر السابع وكان اتى الى فرنسة بصفة قاصد لدى الملك لويس الرابع عشر فاجتمع في مرسيلية ببيكه وابدى لهُ كل عطف وارتياح على مثال عمهِ الحبر الاعظم وانقاد الى آرائهِ في عدَّة امور وأنالهُ ما طلبهُ بشأن رجل ارمني كان

اسيرًا في رومية فأطلق سراحهُ واعادهُ الى وطنهِ

والى الاب فرنسوا بيكه التجأ تجّار مرسيلية ليقفوا على صحّة شكايات رفعها بعض الفرنسويين من حلب على المسيو بارون خلفهِ في القنصليَّة فازال تلك التُّهم وبيَّن براءة القنصل وحسن سياستهِ واثبت ان تلك المدَّعيات الباطلة لقوم من ذوي الغايات السافلة فأذعن اليهِ أُولو الامر واثبتوا المسيو بارون في منصبهِ

على انَّ الملك لويس الرابع ووزيرهُ كانا يفضّلان رجوع بيكه الى حلب فطلباهُ الى باريس وفاوضهُ الوزير في الامر وكانت الدوقة داغويليون المحسنة اليهِ تؤيد رأي الوزير وتعدّد خدمات بيكه للدين والوطن معًا في مدَّة قنصليَّتهِ

امَّا بيكه فانَّهُ كان يجد في كهنوتهِ مانعاً من الرجوع الى ذلك المنصب الجليل لئلَّا يتلبَّك بامور العالم. لكنهُ لم يشأ ان يبتّ الامر بنفسهِ بل رجع الى مرشده الاب باتريسيو وطلب اليهِ رأيهُ في رجوعه الى القنصليَّة وسألهُ ان يتخابر في ذلك مع اصحاب الصلاح والرأي مصرّحاً عن استعدادهِ للانقياد الى مشورتهم وهو لا يطلب سوى [illegible] الدين. ثمَّ تأجل الامر وأمرضوا عن بيكه بعد ان برأ صديقهِ [illegible] من كل ما نسب اليهِ زورًا وابقاهُ في منصبهِ معزّزًا ومكرَّمًا

﴿اهتمام الاب بيكه بكنائس الشرق﴾ لم يشأ الاب بيكه ان يصرف نظرهُ عن خدمة الشرقيين وهو بعيد عنهم فسعى الى جمع الحسنات لطوائف حلب ولمَّا التأم المجمع العام الذي عقدهُ الاكليروس الفرنساوي في ذلك الحين بسط امامهم ما كان عليهِ المسيحيون في حلب من الفقر المدقع فتوفَّق لجمع مساعدات وافرة ارسلها الى رؤسائهم وكذلك عُني بإسعاف المرسلين في بلاد الصين فأُجيب الى طلبهِ

وكان في زمن اقامتهِ في ليون جاعلًا بيتهُ منزلًا للكهنة الغرباء الآتين من الشرق والمرسلين المارّين في وطنهِ وكانوا جميعهم يجدونهُ كريمًا مضيافاً يقوم بسائر حاجاتهم. وكثيرًا ما كانوا يلوذون بهِ ويلتمسون حمايتهُ لدى ارباب الدولة فيعضدهم بما لديهِ من النفوذ. ومن آثار غيرتهِ انَّهُ ساعد الاب قزما (Morizio Côme) احد كهنة الروم لجمع الصدقات في ليون وفي باريس ليفتح في الاسكندريَّة مدرسةً لطائفتهِ. ثمَّ اشار عليهِ ان يذهب الى رومية واوصى بهِ قداسة البابا والكرادلة فلاقى منهم

كل عطف ورغبة لولا ان الظروف لم تسمح لهُ بتحقيق امانيه

ولـلاب بيكه تخدمةً اخرى جليلة قدَّمها للكنائس الشرقيَّـة بل للكنيسة الكاثوليكيَّة جمعاء. وذلك انَّ احد دعاة البروتستانت وزعمائهم جان كلود (Jean Claude) كان ألَّف كتاباً شحنهُ بالاضاليل المنافية للمعتقدات الكاثوليكيَّـة. وخصوصاً لسرّ القربان الاقدس وادَّعى في اثناء كلامهِ انَّ الكنائس الشرقيَّـة تنفي وجود السيّد المسيح في هذا السرّ. فتصدَّى لهُ بعض الكتبة وألَّفوا كتاباً زيَّفوا فيه تلك الاكاذيب دعوهُ الديمومة في الايمـان (Perpétuité de la Foi) كان متولياً نشرهُ الجنسيانيّ انطوان ارنود (A. Arnaud). فبلغ الخبر الاب بيكـه فكتب اليه من ليون في ٢٦ آب سنة ١٦٦٧ ما تعريبهُ:

« عرفتُ انك ضمَّ في طبع كتاب جليل في الدفاع عن سر القربان ضد الاضاليل والاكاذيب التي شحنهـا الواعظ كلود كتابه ضد ثبات وديمومة الايمان بهـذا السرّ العظيم. فرأيتُ ان من واجباتي ان انبّهك الى بذاءه الباطل في قوله ان المسيحيين الشرقيين لايعتقدون حقيقة وجود المسيح في القربان وذلك كذب وبهتان لانه من المؤكد الثـابت ان جميع مسيحيي الشرق حتى الهراطقة منهم المعتصبين ضد الكنيسة الرومانية يعتقدون كحقيقة ايمانية وجود يسوع المسيح في الافخارستية واستحالة الخبز والخمر الى جسده ودمه الاطهرين على اثر كلام التقديس حالاً. فاني اقمتُ بين اظهرهم تسع سنين ودارت بيني وبينهم المجادلات المتنوعة وكثيراً مـا دخلتُ كنائسهم ورأيت فيهـا سرّ القربـان مصـوناً ومعبوداً ومكرماً تحت شكلي الخبز والخمر يسجدون لهُ سجودهم لله نفسه. واذا اراد خصمنا شهادات مكتوبة اتيتهُ بها عديدةً من جميع بطاركة الطوائف من روم وارمن وسريان ويعـاقبة ونـاطرة ومن الاقباط الذين يعتقـدون الحقيقة عينها. وكانت اعظم مذمَّة عندهم لبعض الافرنسيين الكلوبيين ان ينعتوهم باسم جاحدون تلك العقيدة الثابتة واني آمل ان تأتي هذه الشهادات طبق مرادك ومراد السادة معاونيـك في ابراز تأليف هام للكنيسة، فاتمنى لهُ رواجاً عند جميع المسيحيين وفوزاً وانتصاراً للحق على الباطل ». . .

ولما وقف المسيو ارنود(١ وهو من عمدة ذلك المؤلف الجليل، على اقتراح المسيو بيكه بعد ان كان عرف مكانته وشهرته في البلاد الشرقية اتخذها فرصة سانحة

١) انطوان ارنود أحد اللاهوتيين الجانسيتيين ولد في باريس ١٦١٢ وتوفي في بروكسل. اورد رسالة بيكه الاولى في كتابه الخامس الذي فيه الى بالادلة الصريحة على اتفاق الكنائس الشرقية مع الكنيسة اللاتينية في حقيقة سرّ الافخارستية

بها طلب منه ان يأتيهُ بكتابات من اولئك البطاركة تثبت معتقدهم في سر الافخارستية فكتب حالاً الى بطاركة حلب واتاه منهم ثلاث شهادات على احسن صورة: الاولى من بطريرك الارمن بتوقيع ثلاثة اساقفة وكثير من وجهاء وكهنة طائفته، والثانية من الطائفة السريانية بتوقيع البطريرك اندراوس واهمّ خوارنة حلب وكهنتها والثالثة من نائب بطريرك الروم العام لغيب البطريرك نفسه. وبهذه الشهادات اقرار صريح ان تعليمهم كتعليم الكنيسة الرومانية نفسه في الافخارستية. فارسل المسيو بيكه تلك الشهادات الى طالبها مع رسالة بتاريخ ١٧ آب سنة ١٦٦٨ فيها يبيّن صفات موقعيها والاسباب التي منعت بعض البطاركة من التوقيع بانفسهم والمح بالاخصّ الى ان مقدّمي تلك الشهادات وان كان بعضهم من خصوم الكنيسة الكاثوليكية والمنفصلين عنها فهم على اتفاق تام معها في حقيقة سر القربان

فكان المسيو ارنود مقتنعاً بتلك الشهادات وقد ذكر في الكتاب ١٢ من مؤلفه رسالة بيكه مع الشهادات كلها (راجع الديرمة في الايمان ك ٥ صفحة ٥٤٩ وك ١٢ صفحة ٨٢) ونُسخ تلك الشهادات محفوظة في مكتبة سان جرمان في باريس اثراً حياً يشهد بغيرة المسيو بيكه وبصدق معتقد الكنيسة الشرقية واتفاقها مع الكنيسة الغربية في تلك الحقيقة الجوهرية

وهو ايضاً الذي سعى الى إلغاء كتاب آخر باسم رجل يدعى انستاس ضمّنهُ القدح بتعاليم الكنيسة الرومانية فتمكّن من جمع نسخه وملاشاتها فوقى كثيرين من البسطاء السقوط في اشراك المبتدعين

﴿ مرض الاب بيكه ووفاة والده ﴾ وكان بيكه مع نحافة جسمه ينكبُّ على الاشغال المختلفة بنشاط عظيم لم يكترث لما يتهدّدهُ من انتهاك القوى ففي السنة ١٦٦٦ اعترتهُ حمّى خبيثة لازمتهُ نحو سنة كاملة وهو يواصل اشغالهُ بحزم عجيب لاسيما خدمتهُ لراهبات الزيارة اللواتي كنَّ اتخذنهُ كرشد لهنَّ يلقي عليهنَّ العظات في اوقات معيَّنة ويُعنى بتدبيرهنَّ الروحي فقضى بخدمتهنَّ اربع سنوات

وكثيراً ما كان الاب بيكه يذهل عن اموره الشخصيَّة ليهتمَّ بوالده الجليل الذي كان اربى على الثمانين فكان لا يدّخر وسعاً في خدمته وبالخصوص لما رآهُ قد ادركهُ العلل في اواخر سني حياته فقام بجميع ما تقتضيه واجبات أبرّ الابناء نحو

والده حتى آخر انفاسه وتعزّى بان رآهُ مسلماً الروح بين ذراعيه مزوّداً بجميع اسرار البيعة مبدياً من عواطف التقى ما يدلُّ على رسوخهِ في الفضيلة وقدّم لراحة نفسهِ الصلوات الحارّة والذبائح الطاهرة

﴿ عيشتهُ النسكيّة ﴾ ثمَّ عُني بامر شقيقتهِ فتنزّل لها عن معظم ارث ابيهِ وقرنها بسرّ الزواج باحد وجهاء مدينة ليون وفضلائها المسيو دي لاشنبر . واذ رأى نفسهُ مُعتقاً من هموم الدنيا انحاز الى مدرسة القديس ايريناوس الاكليريكيّة فقضى فيها سنةً تفرّغ في مدّتها للصلاة والدرس طالباً الى الله ان يلهمهُ الطريقة التي يريد ان يسلكها لخدمتهِ تعالى ولخلاص القريب . ثمَّ رأى في شوارع ليون وطنهِ عدداً عديداً من الفقراء والعمّال منهمكين في امور دنياهم لا يكادون يفكرون في شؤون نفوسهم فاخذ يجمع صغارهم فيلقّنهم مبادئ الدين ويعلّمهم الصلوات ويتصدّق الى اهلهم بما بقي لهُ من مجعول ابيهِ ويدعوهم الى حضور الرتب الكنسيّة واستماع المواعظ وكثيراً ما كان يلقي عليهم الارشادات التقويّة فارتدَّ كثيرون منهم الى التوبة عن يدهِ

ومن اعمالهِ المبرورة انّهُ زيّن كنيسة رعيّتهِ بالآنية الثمينة واقام بقربها داراً لسكنى الكهنة وخدَم الكنيسة وجعل بيتهُ موئلاً للتعساء ومستشفى للمرضى وملجأً للفتيات اللواتي انتدب لتعليمهنَّ احدى السيّدات . واذ رآها متوانيةً في مهنتها حوّل المدرسة الى مأوًى لاعانة الفقراء . وكان في كل تصرُّفه مثال الوداعة واللطف صابراً على الاهانات والشتائم محسناً الى اعدائهِ ومبغضيهِ

وقد امتحنهُ الله في تلك الغضون ببلايا شتى تلقّاها من يد الله بالصبر الجميل لاسيما اذ بلغهُ انَّ رأس مالهِ الذي تركهُ في حلب عند تنزّلهِ عن القنصليّة فقد تماماً بسوء معاملة تجّارها فتحمّل ذلك دون تذمّر راضياً باحكام الله

واستاء خصوصاً مما اخبروهُ عن احد الكهنة الشرقيين المسمّى نعمة الله راشد فانهُ اذ كان متوجّهاً الى فرنسة وقع اسيراً في ايدي القرصان فبذل الاب بيكه غاية المجهود لينقذهُ من هذه المحنة الى ان تمكّن من جمع ثلثمائة ليرة من اصحابه اضاف اليها ٧٠٠ اخرى من ماله الخاص فافتداهُ من اسرهِ . فقدم الكاهن الى ليون ليشكر المحسن اليهِ . فانزلهُ بيكه في بيتهِ شهراً كاملاً ثمَّ ارسلهُ الى رومية ليشكر المجمع

المقدس ثمَّ يعود الى حلب ليشتغل فيها في خير مواطنيهِ وردّ الضالّين منهم الى حجر الكنيسة

فكانت اعمالهُ هذه تزيد اعتبارهُ في قلوب جلّة الاكليروس وسألهُ السيد فريدون امين سرّ الكردينال ريشليو ان يتتلمذ لهُ ويسترشدهُ لامرهِ فعاشا زمناً عيشة النُّسّاك يتسابقان الى مراس اسمى الفضائل الكهنوتيّة

﴿الاب بيكه ورسالة اليسوعيين في العجم﴾ ذاع في الشرق خبر اهتمام بيكه بالرسالات الكاثوليكيّة ومساعيهِ في إسعافها وكان لليسوعيين رسالة في العجم ردُّوا فيها الى الكنيسة كثيرين من اهلها الارمن الغريغوريين . فاخذوا يكاتبون الاب بيكه يوصونهُ بامورهم ويطلبون مساعدتهُ لسدّ حاجاتهم . وفي ترجمة الاب بيكه رسالة من رئيس دير اصبهان الاب مرسيه (P. Mercier) الى بيكه في السنة ١٦٧٣ يثني فيها على غيرة كاهن ارمني مولود حلب يدعى «ثيبديك» كان تخرّج في مدرسة انتشار الايمان في رومية فارسلهُ المجمع المقدس الى العجم ليساعد المرسلين في خدمة الارمن غريغوريين فردّوا منهم عدداً وافراً بل اثمروا ليطريركهم صحّة المعتقدات الكاثوليكية فاجتذبوهُ الى الايمان واقنعوهُ بالذهاب الى رومية في صحبة بعض الاساقفة لاداء الطاعة للحبر الاعظم . فطلب الاب مرسيه مساعدة بيكه لتسهيل سفر البطريرك لئلّا يستاء من غيابهِ شاه العجم ويرجوهُ ان يتوسّط لدى ملك فرنسة في باريس والحبر الاعظم في رومية كي يكاتبا ملك العجم في امر هذا البطريرك وينالا رضاهُ في سفر البطريرك المذكور

فتلقّى بيكه هذه الاخبار بلذّة المسرّة ثمَّ اخذ يسعى لهذا الامر الخطير لدى اصحابهِ في رومية وفي باريس ليطلعهم على ما اخبرهُ بهِ المرسلون وبعد التروّي في الامر اتّفق مع المجمع المقدّس على مكاتبة البطريرك وتحريضهِ على البقاء في بلادهِ بين شعبهِ ليجذبهم بكلامهِ ومثالهِ الى الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكيّة ونبذ اضاليل الارمن الغريغوريين وهو يعدهُ بخدمتهِ وبالنظر في شؤونهِ

وممّا فكروا فيهِ وقتئذٍ ان تُفتح في رومية مدرسة خصوصيّة للارمن يتخرّج فيها نخبة من اولادهم حتى اذا اتقنوا فيها العلوم ورسموا كهنةً يعودون الى اوطانهم ويشتغلون بارتداد اهلها الى كنيسة رومية امّ الكنائس

على انَّ هذهِ المدارس لو أُنشئت في بلاد الغرب لكانت معرَّضةً لمشاكل مختلفة لبُعدها عن مواطن الارمن وقد خشي بيكه من ان تكون ايضاً تلك المدارس هدفاً لاضطهاد يثيرهُ غير المؤمنين او المراطقة او تُفتح مدةً يسيرةً ثمَّ تبطل لخلوّها من المساعدات المالية كما حدث لمدرسة تفليس التي انشأها الآباء الكبوشيون باغراء احد افاضل الفرنسويين السيد غرولوت (Grelot) فسقطت بعد حين اذ لم تعضدها صدقات المحسنين. ومن ثمَّ تأجل فتحُ تلك المدرسة

﴿بيكه وبطريرك الكلدان﴾ وممَّن التجأوا الى عناية بيكه في ليون سنة ١٦٧٢ الكلدان الكاثوليك المقيمون في ديار بكر فانَّ المرسلين الكبوشيين فيها توفَّقوا الى هداية كثيرين من النساطرة الذين جاهروا بايمانهم وادَّوا الطاعة للحبر الاعظم وكان في مقدَّمتهم رئيس اساقفة آمد يوسف الذي جحد البدعة النسطورية وكره اضاليلها واخذ يحضُّ ابناء ملَّتهِ على اتباع مثلهِ والخضوع للكرسي الرسولي ومواطئة الاسرار فبلغ امره بطريرك النساطرة اليا الثامن في الموصل فاسرع وقدم ديار بكر واخذ يفرغ كنانة جهدهِ ليردَّ المتكثلكين الى النسطورية فلم يفلح لا بالوعد ولا بالوعيد فاخذ يضطهدهم ولاسيما مطرانهم ورسولهم يوسف فعرَّضهُ لضروب المحن والمصادرات وسلَّمهُ الى ولاة الدولة مثيراً لغضبهم بالرشوة فزجُّوهُ بالسجن واذاقوهُ امرَّ العذابات لكنَّهُ ثبت في ايمانهِ. وقد نشرت مجلة المشرق (١٩[١٩٢١]: ١٢٤–١٣٨) ترجمة العجيبة لتلميذهِ باسيليوس عبد الاحد مطران آمد تحيل القرَّاء الى مراجعتها فيتحقَّقون ما كان الكاثوليك يقاسونهُ في ذلك الزمان من اصناف العذاب في سبيل ايمانهم.

ثمَّ تمكَّن هؤلاء المتكثلكون من اظهار صحَّة معتقدهم امام الدولة واختاروا لهم باذن الحبر الروماني يوسف رئيس اساقفتهم بطريركاً وهو الذي عُرف بيوسف الاوَّل. واخذوا يسعون في طلب تصديق السلطان انتخابهُ والاعتراف بهِ بطريركاً مستقلاً بفرمان شاهاني: غير انَّ النفقة على هذا التقرير وقفت عقبةً في سبيلهم فلجأوا الى الاب بيكه وسألوهُ ان يطلب لهم المساعدة من فرنسة ليفوزوا بمرادهم. فكتب رغم الضائقة المالية التي اصابت فرنسة على اثر حروب لويس الرابع عشر مع دول اوربة (١٦٧٣–١٦٧٥) يستنديء اكفَّ اهل الخير والاحسان وسأل ايضاً المساعدة

من البروبوغندا فجمع اكثر من مائتي ليرة واودعها عند الرهبان الكبوشيين في الاستانة لاستخراج الفرمان السلطاني

وفي اثناء ذلك اتى يوسف الاول الى رومية ليخابر الحبر الاعظم في امر طائفته فارسل الاب بيكه الى اصحابه هناك يوصيهم بذلك الرجل الشهم ويطرى سموّ فضيلته وثباته في الايمان . وألحّ في إنالته مطلوبهُ ليرجع سريعاً الى كرسيّه لئلّا يحصل بتأخره ضررٌ لطائفته المرتدّة حديثاً . وكتب الى البطريرك يشجعهُ ويوطّد رجاءهُ بادراك امانيه . واذ لم يكن مجموع المساعدات لطلب الفرمان كافياً لم يزل الاب بيكه يستنفد الوسع حتى جمع المبلغ اللازم وهو لم يقلّ عن الف وثمانمائة ليرة وحظي بالفرمان فجلس يوسف بالفخر والامان على كرسيّه في آمد واتى من الاعمال الشريفة ما ورد في سيرته السابق ذكرها وعاينها الاب بيكه عند مروره في ديار بكر كما سنذكرهُ في وصف رحلته الى العجم

﴿انتداب الكرسيّ الرسولي للاب بيكه بصفة نائب رسولي للشرق﴾ انّ كل المساعي الطيبة والمآثر الجليلة التي كان يأتيها [illegible] والكنائس الشرقيّة كانت تستوقف ابصار المجمع المقدس [illegible] الى [illegible] كنائب رسولي في جهات الشرق

واوّل ما حدا به الى تحقيق نيّته هذه انّهُ رأى السيد المسمّى بلاسيد لويس دو شمان (Placide Louis du Chemin) الذي كان سيم مطراناً على بغداد قد تأخر عن السفر الى مركزه لاسباب شتى فأضحى غيابهُ عن كنيسته خطرًا مجحفاً بمصالح الدين . ففكّر في تقليد النيابة عنهُ الاب بيكه باشارة سفير الكرسي الرسولي في باريس وكاد يخرج فكرهُ هذا الى حيز الوجود لولا تمنّع رجل الله من قبول كلّ منصب شريف في الكنيسة فلم يشأ رؤساء الكنيسة ان يرغموهُ على الامر فانتظروا فرصة أخرى لإدراك غايتهم وهم يعلمون حقّ العلم مقدرتهُ في تدبير شؤون الطوائف الكاثوليكيّة في الشرق مع معرفته للغات الشرقيين ونفوذه عندهم

وظنّ الاب بيكه انّهُ اذا تفرّغ في وطنه للاعمال الرسوليّة يتملّص من المناصب الجليلة وشرف الاسقفيّة فانتظم في سلك بعض الكهنة الذين كانوا يطوفون المدن والقرى للإنذار والوعظ وتوزيع الاسرار فنال بينهم شهرةً عظيمة ببلاغته الغريزيّة

وخصوصاً بفضائله السامية التي كانت تحبّبهُ الى الجموع

وتولّى في الوقت ذاته اجابةً الى دعوة اسقفهِ الرئاسةَ على دير كبير للراهبات. فاتّخذ لتدبيرهنَّ كلّ الوسائل الآئلة الى تقديس نفوسهنَّ والقيام بكل واجبات دعوتهنَّ فنمَّ بعد قليل عبير فضائلهنَّ فزدنَ عدداً وفضلاً إلّا انَّ الاب بيكه لم يسلم في عملهِ هذا من معاكسة بعض الاشخاص الذين جاهروهُ بالعداوة وقذفوهُ بالشتائم فصبر على تُهَمهم وسوء معاملتهم مدّة نحو خمس سنوات كان فيها رئيساً على ذلك الدير

ولمّا كانت السنة ١٦٧٥ رأى المجمع المقدّس في رومية انَّ تعيين الاب بيكه للنيابة الرسوليّة في ما بين النهرين اصبح امرًا لازباً فاتاهُ الامر بالطاعة الى ارادة الله وقبول النيابة المنوّة وذلك ببراءة رسوليّة مؤرخة في ١٥ ك٢ من السنة ١٦٧٥ . وتعيَّن لهُ في غاية تموز من السنة كرسيُّ سيزاروبوليس في مقدونية فأُطلق عليهِ اسمُها شرفاً مع راتب يبلغ ٣٠٠ ريال روماني

فلم ير بيكه بدًّا من التسليم الى مشيئة الله مع نفورهِ من الوظائف جاعلاً كلّ ثقتهِ بذلك الذي يقوّي الضعفاء ويغني المساكين فيذلّل امامهُ ما ينتظرهُ في سبيلهِ من العقبات وضروب المشاكل واخذ يستعدّ لقبول الدرجة الاسقفيّة منتظرًا اوامر رومية لتعيين زمن سفرهِ .

الّا انّ ما جرى في تلك الاثناء من الحوادث سنة ١٦٧٦ في رومية بموت البابا اقليمس العاشر وانتخاب خلفهِ اينوشنسيوس الحادي عشر مع المشاكل التي وقعت بين الكرسي الرسولي والملك لويس الرابع عشر صرفت نظر المجمع المقدّس عن سفر بيكه فبقي مرتاباً لايعرف ما ينبغي عليهِ فعلهُ حتى اختار لهُ احدَ الآباء الكبوشيين الاب فرنسيس دي ڤورياس (Fr. de Vaureas) الذي رضي ان يرافقهُ الى ما بين النهرين وارسلهُ الى رومية ليستطلع الامور ويفيدهُ عن نيّات الحبر الاعظم . فدخل هذا الراهبُ على ارباب الدولة البابويّة ثم تمكّن من مواجهة إمام الاحبار فكانوا كلّهم لساناً واحدًا في الثناء على بيكه وتقدّموا اليهِ بالسفر الى بغداد بعد سيامتهِ اسقفاً

فسُرَّ بيكه بهذا الجواب الصريح وقضى السنة ١٦٧٧ في تدبير كلّ امورهِ فتنزّل عن كلّ حقوقهِ في مجمول وظيفتهِ ووزّع على الفقراء والمحتاجين ما بقي في

يده من وراثة والده . وفي ١٦ ايلول من السنة ١٦٧٧ اقتبل في مدينة إكس من ايدي رئيس اساقفتها الكردينال غريمالدي الدرجة الاسقفيَّة في حفلة نهاية في الرونق حضرها كثيرون من اعيان الدولة ووجوه الاكليروس واعرب هو فيها عن تواضعه واستعداده لبذل النفس والنفيس في خدمة الكنيسة . وكان عمرهُ وقتئذٍ بالغاً السنة الثانية والخمسين

فلم يبقَ لهُ في وطنه ما يعيقهُ عن السفر إلَّا انتظارهُ لتجهيز السفينة التي كان تقرَّر ان يركبها والتي تأخَّرت الى ربيع السنة ١٦٧٨ وكأنَّ تأخُّرهُ هذا وقع بعناية خاصَّة من الله ليحضر وفاة شقيقته زوجة المسيو دي لاشمبر . فكان وجوده في فرنسة مرهماً لأوجاع قرينها . ومع اسفه الشديد على فقدها ازيد حبه لها نسي حزنهُ ليعزّي زوجها ويلهمهُ صبراً جميلاً على موتها

(التتمَّة لعدد آخر)

المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما

١٥٢٤ – ١٩٢٤

للاب جبرائيل لوفنك اليسوعي

ان التاريخ قد نظم منذ القرن السادس عشر فاسكو دي غاما في عداد كبار المكتشفين مع كريستوف كولمبوس وماجلان (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣١٦–٣١٨) فهم الثلثة النوابغ الذين بفضلهم انفتحت طرق البحار ومهَّدوا سبل المعاملات بين اقاصي العالم واوربَّة فاتى عملهم بتفاعيل ذات شأن لم يُفنها الزمان.

فلمَّا توفَّق دي غاما الى فتح طريق جديدة الى الهند مارَّة جنوبي افريقية دائرة حولها خوَّل لوطنه كنوزاً ثمينة ربحها بالتجارة مع اقاصي الشرق فبلغ خصباً ورقياً لم ينلهما غيرهُ . وفي الوقت ذاته ضرب ضربةً أليمة على تجارة البنادقة ودولة المماليك في

يده من وراثة والده . وفي ١٦ ايلول من السنة ١٦٧٧ اقتبل في مدينة إكس من ايدي رئيس اساقفتها الكردينال غريمالدي الدرجة الاسقفيَّة في حفلة نهاية في الرونق حضرها كثيرون من اعيان الدولة ووجوه الاكليروس واعرب هو فيها عن تواضعه واستعداده لبذل النفس والنفيس في خدمة الكنيسة . وكان عمرهُ وقتئذٍ بالغاً السنة الثانية والخمسين

فلم يبقَ لهُ في وطنه ما يعيقهُ عن السفر إلَّا انتظارهُ لتجهيز السفينة التي كان تقرَّر ان يركبها والتي تأخَّرت الى ربيع السنة ١٦٧٨ وكأنَّ تأخُّرهُ هذا وقع بعناية خاصَّة من الله ليحضر وفاة شقيقته زوجة المسيو دي لاشمبر . فكان وجوده في فرنسة مرهماً لأوجاع قرينها . ومع اسفه الشديد على فقدها ازيد حبه لها نسي حزنهُ ليعزّي زوجها ويلهمهُ صبراً جميلاً على موتها

(التتمَّة لعدد آخر)

المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما

١٥٢٤ – ١٩٢٤

للاب جبرائيل لوفنك اليسوعي

ان التاريخ قد نظم منذ القرن السادس عشر فاسكو دي غاما في عداد كبار المكتشفين مع كريستوف كولمبوس وماجلان (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣١٦–٣١٨) فهم الثلثة النوابغ الذين بفضلهم انفتحت طرق البحار ومهَّدوا سبل المعاملات بين اقاصي العالم واوربَّة فاتى عملهم بتفاعيل ذات شأن لم يُفنها الزمان.

فلمَّا توفَّق دي غاما الى فتح طريق جديدة الى الهند مارَّة جنوبي افريقية دائرة حولها خوَّل لوطنه كنوزاً ثمينة ربحها بالتجارة مع اقاصي الشرق فبلغ خصباً ورقياً لم ينلهما غيرهُ . وفي الوقت ذاته ضرب ضربةً أليمة على تجارة البنادقة ودولة المماليك في

فاسكو دي غاما

منقول عن صورته الاصلية التي نشرتها مجلة الجرنال الجغرافي الانكليزية

مصر فكان المصريون يقطعون البحر الاحمر بالسفن العربيّة ويتنفذون منهُ الى الهند فينقلون ثروتها الى بلادهم فيبتاعها البنادقة باسعار متهاودة ويأتون بها الى اوربّة فيبيعونها بأثمان غالية رابحين . فوجود رأس الرجاء الصالح كسر في عضد المتاجرين بالبحر الاحمر ولم يزل هذا الممرّ كاسدًا الى ان فُتحت ترعة السويس سنة ١٨٦٩ فرجعت الحركة الى الهند على طريق مصر

والمجد في هذا الانقلاب يعود لفاسكو دي غاما لمروره قبل سواه حول افريقية الجنوبيّة . ولذلك ارادت دولة البرتغال ان تقيم الحفلات الباهرة في ٢٩ كانون الاوّل من السنة السابقة ١٩٢٤ كما مجّدت شاعرها كاموئنس (Luiz Camoens) في السنة ذاتها وهو الذي نظم في أنشودته الشهيرة المعروفة باللوسياد (Lusiades) مفاخر فاسكو دي غاما . ففي ذلك اليوم احتشدت جماهير الشعب عند مشهده الذي اقامهُ ذكرًا لهُ الملك مانويل الاوّل في ليشبونة . وجرى هناك مهرجان عظيم اطرأوا فيهِ مآثر دي غاما ثمَّ دشّنوا اثرًا آخر على طراز هندسي بديع وضعوا حجرهُ الاوّل عند المرفأ الذي ركب منهُ ذاك المكتشف سفينتهُ التي قطع بها لاوّل مرّة طريق رأس الرجاء الصالح

وقد قسمنا هذه النبذة قسمين نروي في اوّلها قصة اكتشاف طريق الهند ونصف في الثاني اخلاق المكتشف والفوائد التي نجمت عن اكتشافهِ

١ اكتشاف طريق الهند بحرًا

لا تُعرف تمامًا سنة مولد فاسكو دي غاما قيل انهُ ولد سنة ١٤٦٩ في مدينة بحريّة تدعى سينس وقيل في سنة اخرى وكانت اسرتهُ من اشراف بلاد البرتغال . فنشأ شابهُ في خدمة وطنهِ بصفة ضابط بحري في سواحل افريقية الشماليّة . وكانت البرتغال في ذلك العهد تجاري اسبانية في السيادة على البحر . فامتاز فاسكو بحذقهِ في السياسة البحريّة

وكان وقتئذٍ يملك على البرتغال ملك واسع المدارك يوحنا الثاني يطلب لوطنهِ املاكًا جديدة ليزيدها ثروةً ومجدًا . وكان يرى بازاء دولتهِ ممالك افريقية والبحار تكتنفها شرقًا وغربًا فيتساءل عمَّا اذا يمكن ان تبلغ سفنهُ الى اقصى جنوبها فتدور

حولها فتصعد حتى تبلغ الهند. وكان لا يُعرف قبل ذلك طريق آخر الى الهند بحرًا الّا البحر الاحمر الذي منهُ كانت تسير سفن المصريين والاتراك الى جهات الهند فتبادلها محصولات بلادها وتستجلب باثمان بخسة افاويه الهند وابازيرها فتبيعها البنادقة في الاسكندرية. ولم يكن هذا الفكر خطرَ لاوّل مرّة على بال الملك بل كان سبقهُ اليه الملك هنريكس المعروف بالبحّار سنة ١٤٦٠. ثمّ عاد خلفهُ الفنس الخامس وعرضهُ على اهل دولتهِ سنة ١٤٨١. ثمّ اراد يوحنّا الثاني ان يخرجهُ الى حيّز العمل فجهّز سنة ١٤٨٧ سفناً عهد تدبيرها الى بحّار شهير يُدعى برتلمي دياز ليتحقّق الامر فأبحر مستكشفاً سنة ١٤٨٧ حتى بلغ اقصى جنوب افريقية الى الرأس الذي استبشروا بهِ فدعوهُ برأس الرجاء الصالح

وفي السنة ذاتها دخل بورتغاليّان مصر وسارا برًّا منها الى جهات الصومال فأبحر احدهما المدعو بدرو دي كوفلهام (Pedro de Covilham) الى الهند ونزل في ملبار ثمّ ركب البحر منها الى سواحل افريقية الشرقية فبلغ ناحية سُفالة الواقعة على الدرجة ٢٠ من العرض الجنوبي فتحقّق من اهلها موقع جزيرة مدغسكار والبلاد الساحليّة شرقي افريقية فكتب في ذلك تقريرًا واسعاً للملك يوحنّا الثاني يؤكّد لهُ إمكان استدارة افريقية بحرًا من غربها الى شرقها بحيث تستطيع المراكب اذا واصلت سيرها قرب السواحل ان تصعد الى جزيرة مدغسكار والى نواحي سفالة فتبحر منها الى الاوقيانوس الهندي ثمّ الى الهند

على ان هذه المعلومات بقيت حبرًا على ورق في زمن الملك يوحنا الثاني لمرض اصابهُ فشغلهُ عن اثباتها الى ان قام خلفهُ مانويل الملقّب بالسعيد فنالهُ الفخر بتحقيقها والانتفاع بها

فاسرع هذا الملك وامر بتجهيز سُفن متينة وخفيفة معاً جامعة لكل اسباب الراحة والمناء تقوى على الاسفار البعيدة. فاستحضرَها بُناتُها كما شاء. وتألّف منها اسطول صغير ذو خمس مراكب كان اهمّها ثلثاً على اسماء رؤساء الملائكة سان غبريال وسان ميكال وسان رافائيل. فأقام لكل منها ربّاناً وعيّن فاسكو دي غاما رئيساً لتلك البعثة فنشر رايتهُ على السفينة سان غبريال وهي اكبرها. واتّخذ لهُ كربّان بدرو دي أنيكار الذي كان رافق برتلمي دياز الى رأس الرجاء الصالح. امّا

دياز فركب ايضاً سفينةً برفقة فاسكو دي غاما إلّا انهُ كان موجّهاً الى ناحية اخرى الى ساحل الذهب للاستكشاف على مناجمها الثمينة

كان فاسكو دي غاما يوم سفرهِ في عزّ كهولتهِ دون الثلثين من عمرهِ وكان اقترن بالزواج مع احدى سيّدات بلاط الملك. وكان هو شديد البنية رَبعة القامة ذو هيبة تبدو على وجههِ علائم العزم والإقدام كأنّهُ خُلق للرئاسة والتدبير وهو مع ذلك عسر القياد سريع الغضب. وكان فاسكو رجلاً متديّناً دعا قومهُ ليلة سفرهِ الى زيارة معبد قديم للعذراء مريم يُعرَف بسيّدة بيلم (N. D. de Belem) ليجعل سفرهم تحت شفاعة سيّدة البحار. وكان عدد المسافرين من رؤساء ومرؤوسين ١٦٠ رجلاً

وكان سفر الاسطول في ٨ تموز ١٤٩٧ يرأى جماهير الشعوب وهتافهم فساروا جنوباً تدفعهم ريح موافقة الّا انّ الانواء البحريّة وتقلّبات الجوّ لم تسمح لهم بالبلوغ الى رأس الرجاء الصالح الّا بعد اربعة اشهر بنيّف فبلغوهُ في ١٣ تشرين الثاني وقطعوهُ في ظهر ذلك اليوم لاوّل مرّة فنال الركّاب لذلك فرحٌ عظيم فعُدّ بجملة الايّام المشهودة والمواسم المعدودة

بيد انّ الاسابيع التالية كانت صعبةً شديدة فقضى ارتماليون اوّلاً ١٣ يوماً في جونٍ هناك يُدعى «سان براز» نصبوا عند ساحلهِ صليباً كبيراً وبعد ان خذوا فيهِ نصيباً من الراحة واصلحوا امورهم واصلوا السير حتى بلغوا يوم عيد الميلاد ١٤٩٧ المدينة التي دعوها ناتال باسم العيد (Natalis Domini) فرفعوا عليها راية ملك بورتغال. ثم بارحوها صاعدين الى الشمال ومحاذين سواحل افريقية الشرقية وبلاد كفريرية فكانوا يسالمون اهلها ويبادلونهم محصولات البورتغال

وقد لقي دي غاما في سيرهِ هذا عناء كبيراً وذلك اوّلاً بما لقوهُ من انواء البحر الشديدة ثمّ من مجاريهِ الماكسة وأُصيب النوتيّون بداء فقر الدم (scorbut) فأضربوا عن العمل فاضطُرّ دي غاما الى اكراههم على الشغل فرسا حيناً عند مصبّ نهر زمبيزة ووجد في اهل تلك البلاد نفوراً اذ ارادوا ان يمنعوهم من التموين من الماء الشروب فحاربهم واقام هناك مخفراً ومستودعاً تجاريًا

ثمّ وصل دي غاما بسفنهِ الى بلاد موزمبيك في ١٠ آذار فرسا عند مدينة ساحليّة تُدعى سُفالة يذكرها ياقوت في معجم البلدان كآخر ما يُعرف من ارض الزنج ويذكر

ذهبها الشهير. ولم يجد فيها البرتغاليون ما أمّلوهُ من حسن المعاملة وحاول ملكها ان يغدر بهم ويضلّهم في طريقهم الى الهند فاخذوا منهُ حذرهم وقاوموهُ

ثم وصلوا الى مُنبَسه في ٧ نيسان فرحّب بهم اهلها واتوهم بثمارها. فانتعش الرضى بنسيمها العليل وجودة هوائها. وتحقّق فاسكو هناك انهُ لم يضلّ عن طريقهِ. وسافر من ممبسة الى مَلَنْدي الواقعة على الدرجة ٣ من العرض الجنوبي فبلغها في ١٥ نيسان في يوم عيد الفصح فاكرم ملكُها مثواهم وقدّم لهم ما يحتاجونهُ لسفرهم وعيّن لهم دليلاً عارفاً بطرق البحر يصفهُ البرتغاليون كهندي من كَزُرات ويدعونهُ Malemo Cana (او Canake وهو تصحيف اسم «المعلّم» اما «كانا» فهي لفظة هندية معناها «المنجّم» لاستدلالهِ على طريقهِ بمراقبة النجوم. واليوم قد تحقق المسيو فرّان (G. Ferrand) انّ الدليل المذكور كان مسلماً من اهل عمان يدعى احمد بن ماجد ذكرهُ قطب الدين النهروالي في كتابهِ البرق اليماني الذي انتقدهُ العلّامة سلفستر دي ساسي (١)

وقد اكتشف المسيو فرّان الكتاب النفيس الذي ألّفهُ دليل فاسكو دي غاما فنشرهُ مؤخرًا وباشر بترجمتهِ الى الافرنسية وعنوانهُ كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد. وكان كاتبهُ ابن ماجد يلقّب بعلم البحر لخبرتهِ الواسعة في قطع البحار. كان ورث علمهُ عن ابيهِ وجدّهِ وقد عرفهُ الاتراك قبل البرتغاليين وقد ذكرهُ البحّار التركي سيدي علي في مذكراتهِ البحريّة التي وردت في المجموع المعروف بالمحيط المؤلّف سنة ١٥٥٤ : ومما يقولهُ هناك عن ابن ماجد انهُ كان مولودًا في جُلفار التي سماها عن ذكرها اصحاب الخوارط وقد ذكرها صاحب تاج العروس فقال انها في نواحي عمان. وهي في الواقع فرضةٌ من ساحل عُمان الغربي عند مضيق بحر العجم وهي اوّل ما يلاقاهُ المسافر عند اجتيازهِ من بحر عمان الى بحر العجم واسمها في خوارط الانكليز رأس الخيمة وهي بلدة يبلغ عدد اهلها نحو الف نسمة (٢) وكان ابن ماجد كتب ادلّة مختلفة بينها دليلان في مكتبة باريس العموميّة برقم ٢٢٩٢ و٢٥٥٩ وصفها المسيو فرّان لاسيما الثاني منها (غ ٢٥٥٩) الذي اهتمّ بنشرهِ وقد قال عنهُ

(١) اطلب Notices et Extraits, IV, 179, p. 412 sqq

(٢) اطلب SPRENGER: die alte Geographie Arabiens, Bonne. 1875 = A. Handbook of Arabia, I, 342

انهُ من ابدع التآليف ضمَّنهُ المعلومات الوافية عن كل جهات بحر الهند وطرقهِ وعن المواسم والرياح المختلفة وعن المرافئ التي يحتلها الركّاب مع بيان عرضها وذلك بكل تدقيق يُنتظر من كاتبي ذلك العهد (١

فهذا هو الدليل الذي اصابهُ فاسكو دي غاما ففحصهُ فحصاً مدقّقاً وألقى عليهِ أسئلة عديدة وطلب منهُ الخارطة التي كان يستدلُّ بها لاسفارهِ الى الهند والادوات التي كان يستعملها لمعرفة علوّ النجوم. فبعد الاحفاء في البحث تأكّد انهُ وجد بابن ماجد خيرَ دليل للبلوغ الى أربهِ وأسرع الى الاستفادة من خبرتهِ فسيَّر اسطولهُ الى سواحل الهند وذلك في ٢٤ نيسان ١٤٩٧ (٢ . وفي ٢٧ أيار من السنة بلغ قالقوط من سواحل ملبار في عرض الدرجة ١١ الشمالية. فكان وصولهم اليها بعد ٢٦ يوماً من ملتقى واحد عشر شهراً منذ سفرهم من لشبونة

وكانت قالقوط وقتئذٍ مدينة كبيرة رائجة الاسواق تتقاطر اليها كل محصولات الهند الثمينة كالابازير والافاويه والاعطار واللآلئ والحجارة الثمينة. وكانت مراكب التجار تتزاحم في مرافئها فربّما بلغت من ٥٠٠ الى ٧٠٠ مركب فلقي البرتغاليون تجاراً قصدوها من انحاء شتى بينهم البلجكيون (من بروج) والبنادقة. وكان المالك على قالقوط رجل من الهنود يدعونهُ سامودري او سامودري راجا

فثبت لدى فاسكو دي غاما انهُ اصاب الهدف. وكان وصولهُ الى قالقوط مبعثاً لاندهاش العرب فاظهروا للبرتغاليين استياءهم وسعوا الى إثارة ملك الهند عليهم فجاهرهم بالعداوة واضطرَّ فاسكو الى استعمال القوّة وضرب المدينة بالسلاح ثم تركوا المدينة فلم يقووا على ابتياع ما شاؤوا من اسواقها الّا بعض طرودة من الابازير وقليلاً من الحجارة الكريمة واللآلئ فاكتفوا بذلك ولاسيما انَّ سفنهم كانت صغيرة ولم تكن غايتهم المتاجرة بل الاستطلاع ففازوا باقصى مرغوبهم

ثمَّ عاد فاسكو دي غاما أدراجهُ مسرعاً الى لشبونة فبلغها في اواخر آب ١٤٩٩

---

١) وفي مكتبة المجمع العلمي في دمشق نسخة اخرى شبيهة بنسخة باريس الثانية (ع ٢٢٩٢) ذُكرت في اعمال المجمع (عدد شباط ١٩٢٢). وقد وُجدت نسخة ثانية ايضاً في جدّة كنسخة العدد ٢٥٥٩ الّا انها ناقصة

٢) الجلب BANOS: Da Asia, Decade I, Livre IV, Ch.VI, pp. 319-320 éd.1779

بعد ان قضى اشهرًا في البحر لسكون الريح وفقد فوق المئة من نوتيّته بداء فقر الدم. فحدّث عن فرح الملك مانويل واهل البرتغال لاكتشاف هذه الطريقة الجديدة الى الهند ولا حرج. وما لبث في السنة المقبلة ان جهّز اسطولاً ثانياً مركّباً من ١٣ مركباً جعلهُ تحت قيادة كبرال فأبحر الى الهند في ٩ آذار ١٥٠٠ ثمّ شفعهُ باسطول ثانٍ خرج من لشبونة في ٥ آذار ١٥٠١. وفي السنة ١٥٠٢ استدعى ثانيةً فاسكو دي غاما وارسلهُ الى الهند ليقطع الطريق بين مصر والهند فيطارد سفنَ المصريين ويمنعها من الخروج عن البحر الاحمر وسفنَ الهنود ليصرفها عن الدخول اليه. فكتب سفير البنادقة الى رئيس جمهوريّته يُعلن لهُ بان هذه البعثة هي بمثابة حرب ضد الاتراك

فترى ما بلغهُ ملوك البرتغال في مدّة خمس سنين فقط فانّهم ماطلبوا اوّلاً سوى اكتشاف طريق الى الهند وحاولوا بعد اكتشافهِ المتاجرة مع غيرهم من التجّار. وفي البعثة الاخيرة قصدوا الاحتكار على محصولات الهند والغاء كل مزاحمة في متاجرتها ليتفردوا في الانتفاع من تلك الكنوز وبيعها للاقطار الاوربية. ولذلك ترى الملك مانويل في رسالتهِ الى وكيل البندقيّة في بلاط اسبانية يمازحهُ بقولهِ انّ البرتغاليين وفّروا على مواطنيهِ الاسفار الى مصر فيمكنهم ان يبتاعوا محصولات الشرق منهم بلا عناء. فعلم البنادقة انّ تجارة الهند تحوّلت الى سواهم

والحقّ يقال انّ طريق الهند الجديدة زعزعت اركان الجمهوريّة البندقيّة حيث أفقدتها معظم ثروتها. ولم يسعها ان تجاري دولة البرتغال التي تغلبها قوّةً ونفوذاً. وكانت هي متوسّطة بين مصر والاقطار الاوربيّة فيبتاع تجّارها محصولات الهند ضعف قيمتها من ايدي العرب في جدّة او في عدَن او في مصر ويؤدون لديوان الاسكندريّة ضرائب جديدة عليها فيبيعونها اخيرًا باثمان فاحشة. مثال ذلك ان رطل الزنجبيل كان يُباع بقنطار بأربعة عشر فرنكاً. وكان العرب يبيعونهُ في الاسكندريّة بثمانية وثلثين فرنكاً ونصف فاذا ابتاعهُ البنادقة طلبوا فيهِ نحو مئة فرنك

فلمّا صار البرتغاليّون يجلبون تلك الافاويه والعطور رأساً من الهند امكنهم بيعها في اسواقهم باثمان متهاودة. وعلى عكس ذلك اخذت سلع الهند تقلّ في الاسكندريّة وفي بيروت وترتفع اسعارها لقلّتها فلا تنقل سفن البنادقة سوى ربع ما

كانوا يتـوقونهُ سابقاً فيها من بضاعة الهند مع زيادة فاحشة في الاسعار . فما لبثت ان كسدت اسواق البندقيَّة وصار تجَّار الالمان وغيرهم يقصدون اسواق البورتغال عادلين عن متاجرة البنادقة

وكان القائد كبرال قد عاد بعد بعثتهِ وسفنهُ موسقةٌ بضروب محصولات الهند . ومثلهُ فاسكو دي غاما بعد رحلتهِ الثانية فانهما موَّنا بلادهما بنحو ثلثين الف رطل من الافاويه والعطريَّات وخمسة آلاف طنّ من البهار وبكتيَّات وافرة من القرفة والجوز الهندي والزنجبيل ومن الحجارة الكريمة والدراري الثمينة . وصارت تلك البضائع تباع بنصف ثمنها ويربح البرتغاليُّون بيعها ارباحاً وافرة

وكانت رحلة فاسكو دي غاما الثانية الى الهند رحلة ظافر لم يَشُبها شيء من المكدِّرات السابقة . وكان في طريقهِ يقرِّر سيادة البرتغال على البلاد التي تعرَّضَ لهُ امرازها في بعثتهِ الاولى كسفالة وموزمبيك ورفع العلم البرتغالي على انحائها واحرق في طريقهِ سفينةً مصريَّة انتقاماً لسوء معاملتهم لهُ في قالقوط . ثمَّ صار الى هذه المدينة ليطالب بدم بعض اصحابهِ الذين اغتالهم ملكها زاموري فضربها بالمدافع واحرق مرفأها واضطرَّ ملكها الى طلب التنزُّل عن عرشهِ وحال دون السفن الاجنبيَّة عن دخولها ومتاجرتها فانتشر الخبر في انحاء الهند فهلع اربابها وقبلوا سيادة البرتغاليين عليهم وأدَّوا لهم جزيةً . ثمَّ سار الى كوشين وكان ملكها تريومبارا ضرب عهداً مع كبرال فجدَّد المعاهدة ووضع الشروط الموافقة للمتاجرة بينهُ وبين دولة البرتغال . ومنذ ذلك الحين اصبحت المعاملات التجارية بين الهنود والبرتغاليين نظاميةً سلميةً وترك الاسطول تحت قيادة نائبهِ «فيسنته سودره» وعاد الى ليشبونة حيث اعلم الملك مانويل بان سيادة البرتغال على الهند اصبحت ثابتةً راهنة لا يناويها عدوّ

ولم يَعُد فاسكو دي غاما الى الهند بعد ذلك بل بقي لا يتعاطى امور الدولة طول أيام الملك مانويل . ولمَّا قام خلفهُ يوحنَّا الثالث اراد ان يُسند اليهِ امارة البحر في الهند ويجعلهُ نائبهُ في الشرق فانتدبهُ لهذه المهمَّة سنة ١٥٢٤ فصار لهُ حيثما ذهب استقبال جديرٌ بمقامهِ ولمَّا وصل الى مدينة غوا استحسن موقعها وعلم ما ستبلغهُ من المجد ثمَّ ابحر الى مدينة كوشين فما كاد يطأها حتى أُصيب بداء عياء أودى بحياتهِ فدُفن هناك مكرَّماً وأُقيم لهُ مشهد فخم في مدينة ترافنكور ثمَّ نُقلت رُفاتهُ بعد

سنوات الى لشبونة فاستقبلها الملك واعيان الدولة وجمهور الشعب بما تستحق من تظاهرات التجلة والاكرام وقُبر في معبد بجوار قصره الذي كان يسكنهُ قبل سفرته الاخيرة

وكان الملك مانويل قبلهُ قد منحهُ لقب « دون » الشرفي وخوَّلهُ دوقية فينيراس مع امتيازات شتى تمتَّع بها زمناً واورثها بنيهِ من بعدهِ

٢ صفات الرجل وثمار اعماله

قد سبق ان فاسكو دي غاما كان رجلًا مقداماً ذا همَّة قعساء لا تثبطهُ الاخطار ولا تثني عزيمتهُ المصاعب وذلك ما مكَّنهُ من تنفيذ مقاصده . وكان بعيد النظر للامور يتقصَّى في البحث عن سوابقها ولواحقها واذا باشرها يلازمها ويدفع مرؤوسيه على عملها ريثما يبلغ الى تحقيقها . ومما يُخبر عنهُ في رحلته الثالثة انهُ حدثت لهم زلزلة ارتجفت لهُ فرائص جميع رفقته . فالتفت اليهم قائلًا ألا ترون انَّ البحر نفسهُ يضطرب هلعاً امامنا فكانت تلك الكلمة اشبه بما فاه بهِ يوليوس قيصر في بعض اسفاره البحريَّة اذ كادت سفينتهُ تغرق فصرخ : لا بأس عليكِ فانكِ تنقلين لقيصر »

ومن صفات دي غاما الحسنة حبُّهُ الخالص لوطنهِ كان يتفانى في رفع شأنهِ وتعزيزهِ . وان تصدَّى لهُ معادٍ في سبيلهِ تنمَّر غيظاً وربَّما تجاوز الحدود في مقاومتهِ وتذليلهِ . وكان في ساعة غضبهِ يكاد ان يلتهم المحرَّك اغيظهِ . وكان مع ذلك في حياتهِ الاجتماعيَّة دمث الاخلاق لين العريكة ذا هيبة ووقار

وما لا شكَّ فيهِ انَّ الخدمة التي قدَّمها لوطنهِ بفتح طريق الهند خدمةٌ لا تُقدَّر فانَّها جعلت للبرتغال مدَّة سنين عديدة رتبةً رفيعة بين الدول الاوربيَّة . بل كانت خدمتهُ هذه عائدة الى منافع اوربَّة جمعاء والى عموم الدنيا اذا امتزجت مذ ذاك الحين الدول الاوربيَّة بالشرق الاقصى ونال كلٌّ قسم منها خيرات الآخر . فما تمتعت ثروة اوربَّة من محصولات الهند واليابان والصين . واكتسب الشرق شيئاً من تمدُّن الغرب ورقيهِ في ملكي الدنيا والدين

ومن مجاسن صفات فاسكو دي غاما روحهُ الدينيَّة فانَّهُ كما رأيت التجأ الى معونة العذراء قبل سفرهِ لفتح طريق الهند . وكانت غايتهُ بسلوك الطريق الجديدة

الى الهند ان يفتح للتبشير بالدين النصراني باباً واسعاً وللمرسلين وسائل سهلة لبعثاتهم الرسولية متمثلاً في ذلك بمثل كولمبوس الذي بتفتيشه عن عالم جديد كان يقصد انتشار دين المسيح بين غير المؤمنين

والحق يقال ان الرسالات الكاثوليكية اصابت بعد زمن قليل نجاحاً عظيماً فقام المرسلون من الرهبان الدومنيكان والفرنسيسيين وركبوا سُفُن البرتغال واسبانية ودخلوا بين شعوب متكعة في ظلال الموت بعبادتها للاوثان وسجودها لأخس المخلوقات وجعلوا يدعونهم الى الدين الحق

وقد زاد نور النصرانية سطوعاً بعد قليل في تلك البلاد لما انشأ اغناطيوس دي لويولا رهبانيته وبث ابناءه في الشرق الاقصى . وكان الذي دعاه الى هذا العمل المبرور هو يوحنا الثالث ملك البرتغال الذي كان انتدب قبلاً فاسكو دي غاما الى امارة الهند فاتاه القديس فرنسيس كسفاريوس وركب سفنه الى الهند في ٧ نيسان ١٥٤١ ونشر بتبشيره واعماله وعجائبه اسم السيد المسيح في انحاء الهند واليابان ودل اخوته على طريق الدين وصبغ بمياه المعمودية مليوناً من البشر وذلك بمدة عشر سنوات فقط . ثم [illegible] ومدة مئتي سنة اخصبوا تلك الاراضي القاحلة بعرق جبينهم وباهراق دمائهم [illegible] الكنيسة الله شعوباً لا يُحصى عددها جدد كثيرون منهم فضائل المسيحيين الاولين وثبتوا في سبيل ايمانهم الى آخر نفس من حياتهم بل صبروا على كل العذابات وفضلوا الاستشهاد على جحود دينهم

وكل ذلك كان سببه فتح طريق الهند بحراً ريثما تُفتح ترعة السويس فتقصر الطريق وتنمو الرسالات الكاثوليكية النمو العجيب الذي نشاهده في ايامنا . والمبشرون هم الذين لا يطلبون من عملهم لا ربحاً ولا فائدة زمنية كالدول الاوربية بل يهتمون في خلاص اخوتهم من بني البشر لينقذوهم من رق عبودية ابليس ويفتحوا لهم ابواب الملكوت بمعرفة خالقهم الذي تأنس حباً بنفوسهم التي افتداها بدمه الثمين

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١٢ العُدَيل بن الفرخ (تتمة)

وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد (٣: ١١٧-١١٨) وابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢٤٥) للعديل قوله يذكر يوم ذي قار وحضور بني شيبان وعجل فيه (من البسيط):

ما أَوْقَدَ الناسُ من نارٍ لِمَكْرُمَةٍ إلّا اصطَلَيْنا وكُنّا مُوقِدي نارِ
وما يَعُدُّون من يومٍ سمعتَ بهِ للناسِ أَفْضَلَ من يومٍ بذي قارِ
جئنا بأَسلابهم والخيلُ عابسةٌ لمّا استلَبْنا لِكِسْرى كلَّ أَسوارِ(١

ومن جيد شعر العُدَيل قصيدته اللامية التي يمدح فيها قبائل وائل ويذكر دفعها عنه ويفتخر بها فقال (الاغاني ٢٠: ١٤-١٦) (من الكامل):

صَرَمَ الغَواني واستراحَ عَواذلي وصحَوْتُ بعدَ صَبابةٍ وتَمايُلِ
وذكرتُ يوم لوى عُنَيْق(٢ نسوةً يَخْصُرْنَ بين أَكِلّةٍ ومَراجلِ
لَعِبَ النعيمُ بهنَّ في أَطلالهِ(٣ حتى لَبِسْنَ زمانَ عيشٍ غافلِ

١) ويروى: يوم استلبنا
٢) لوى عُنَيْق مكان بينو. ويروى: لوى عُنَيق ٣) ويروى: في اظلاله

يأخذنَ زينتهنَّ أحسنَ ما ترى ... واذا عطلنَ فهنَّ غيرُ عواطلِ
واذا خبأنَ خدودهنَّ أرينني(١ ... حدقَ المها وأخذنَ سهمَ القاتلِ
ورمينني(٢ لا يستترنَ بجُنَّةٍ ... الّا الصَّبا وعلمنَ اين مقاتلي
يلبسنَ أردِيَةَ الشبابِ لأهلها ... ويجرُّ باطلهنَّ حبلَ الباطلِ (٣
بيضُ الأنوق بكسرهنَّ ومن يُرد ... بيضَ الأنوقِ فوكرُها بمعاقلِ(٤
ورآك اهلكَ منهمُ ورأيتهم ... بفروع أرعنَ فوقها متطاولِ
واذا سألتَ ابنَيْ نزارٍ بيننا ... مجدي ومنزلتي من ابنَيْ وائلِ
حدبت بنو بكرٍ عليَّ وفيهمُ ... لهمُ المكارمُ بالعديدِ الكاملِ(٥
خطروا وراني بالقنا وتجمعتْ ... منهم قبائلُ أردفوا بقبائلِ
انَّ الفوارس من لُجيمٍ لم تزلْ ... فيهم مهابةُ كلِّ ابيضَ فاتكِ
مُتعمِّمٍ بالتاج يسجدُ حولهُ ... من آلِ هوذةَ للمكارم حاملِ(٦
او رهطِ حنظلةَ الذين رماحُهم ... سمُّ الفوارسِ حتفُ موتٍ عاجلِ
قومٌ اذا شهروا السيوفَ رأوا لها ... حقًّا ولم يكُ سلُّها للباطلِ
ولئنْ فخرتُ بهم لمثلِ قديمهم ... بُسِطَ المفاخرُ للِّسانِ القائلِ

---

١) كذا روى الحصيري في زهر الآداب (١ : ٨٤) . وفي الاغاني : واذا جنان خدودهنَّ أرينا. وهو تصحيف
٢) روى الحصيري : يرمينا
٣) روى الحصيري : ذيل الباطل وقد غنّى ابن سريج بالايات الاربعة السابقة
٤) يشير الى المثل : اعزُّ من بيض الأنوق
٥) وفي الاصل : والعديدُ الكاملُ
٦) يشير الى هوذة بن علي سيّد بني حنيفة النصراني المعروف بذي التاج (اطلب كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٢٦٣)

اولادُ ثعلبةَ الذين لِمثلِهم حِلمُ الحليمِ وردُّ جهلِ الجاهلِ
ولِمجدِ يشكرَ صورةٌ عاديّةٌ وأبٌ اذا ذكروهُ ليس بخاملِ
وبنو الفزارِ اذا عددتَ صنيعَهم وضحَ القديمُ لهم بكلِّ محافلِ
واذا فخرتَ بتغلبَ ابنةِ وائلٍ فاذكرْ مكارمَ من ندًى وأوائلِ
ولتغلبَ الغلباءِ عزٌّ بيّنٌ عاديّةٌ ويزيدُ فوقَ الكاهلِ
تسطو على النعمانِ وابنِ محرّقٍ وابنَيْ قطامِ بعزّةٍ وتناوُلِ
بالمقرباتِ يبنَ حولَ رحالِهم كالقِدِّ بين أجلّةٍ وصواهلِ
اولادُ أعوجَ والصريحِ (١ كأنّها عِقبانُ يومِ دُجنّةٍ وتحايُلِ
يلحظنَ بعد أزورهنَّ على الشبا علقَ الشكيمِ بألسُنٍ وجحافلِ
قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عنوةً (٢ وقنا الرماحِ تذودُ وِردَ الناهلِ
منهم ابو حنشٍ وكان بكنيةٍ رَيَّ السنانِ وريَّ صدرِ العاملِ (٣
ومُهلهلُ الشعراءِ ان فخروا بهِ وندى كُلَيبٍ عند فضلِ النائلِ (٤
حجبَ المنيّةَ دون واحدِ أمّهِ من أنْ تبيتَ وصدرُها ببلابلِ
وأبى مجالسةَ الشبابِ فلم يكن يستب مجلسُهُ وحقَّ النازلِ
حتى أجارَ على الملوكِ فلم يدعْ حدَباً ولا صعرًا لرأسِ مائلِ
في كلِّ حيٍّ للمذيلِ ورهطِهِ نِعمٌ واخذُ كريمةٍ بتناوُلِ

١) اعوج والصريح فرسان من الخيل الاصيلة يضرب العرب بكرمهما المثل
٢) قتل عمرو بن كلثوم التغلبيُّ ملكَ الحيرة عمرَ بن هند
٣) ابو حنش كنية عصم بن النعمان التغلبي قتل شرحبيل بن الحارث لقتله اخاهُ لامّهِ ذا الشُّنَينة
٤) اطلب اخبار كليب والمهلهل في شعراء النصرانيّة

بِيضٌ كرائمُ رَدَّهنَّ لعُنوةٍ أَسَلُ القَنا وأخذنَ غيرَ أراملِ
ابناؤهنَّ من الهُذَيل ورَهطِهِ مثلُ الملوك وعِشنَ غيرَ عوامِلِ

وقد روى له في الاغاني (٢٠ : ١١) ابياتاً فيها غناء لمعبد (من الطويل) :

فان تكُ من شَيبانَ أُمي فانني لأَبيَضَ من عجلٍ عريضُ المَفارِقِ
وكيفَ بذِكرَى امِّ هارون بعدما خبَطنَ بأيديهنَّ رَملَ الشقائقِ
كأنَّ نقاً من عالجٍ آزرَتْ بهِ اذا الذِّلُّ ألهاهُنَّ شدَّ المَناطقِ
وانّا لَتُغلي في الشتاء قدورَنا وتَصبِر تحتَ اللامباتِ الخوافقِ

وقد روى الاصمعيّ انَّ الشاعر الراجز ابا نجم قال للهُذَيل : أرأيتَ قولك (فان تكُ من شيبان أُمي البيت) أكنتَ شاكًّا في نسبك حين قلتَ هذا . فقال له الهُذَيل : أفكنتَ شاكًّا في نفسك او شاعرك حين قلت :

أنا ابو النجم وشعري شعري قد دَرَّ ما تحتَ صدري

فأمسك ابو النجم واستحيا — ومن مديح الهُذَيل ما قاله في رجلَين عُرفا بشرفهما وضرب المثل بكرمهما وهما حوشب الشيباني وعكرمة بن ربعي الفيّاض . روى عنهما صاحب الاغاني ما حرفهُ قال (٢٠ : ١٩١٨) :

«كان حوشب بن يزيد الشيباني وعكرمة بن ربعيّ يتنازعان الشرف ويتباريان في الطعام ونَحر الجزُر في عسكر مُضَب . وكان حوشب يغلب عكرمةَ لسَعَة يده . (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بُختر . . . بسفانٍ دقيق فأتاهُ عكرمة فقال له : اللهَ اللهَ فيَّ قد كاد حوشبٌ ان يستعليَني ويغلبني بمالهِ فبعني هذا الدقيق بتأخير ولك فيهِ مثلُ ثمنهِ ربحاً . فقال : خذهُ . واعطاهُ اياهُ فدفعهُ الى قومهِ وفرّقهُ بينهم وامرهم بعجنهِ كلّهِ فعجنوهُ كلّهُ ثمَّ جاء بالعجين كلّهِ فجمعهُ في جرّةٍ عظيمةٍ وامر بهِ فغُطّي بالحشيش . وجاء برَمكة فقرّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأفاتَ ثمَّ ركضوها بين يديهِ وهو يتبعُها حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورّط

في العجين وبقيا فيهِ جميعاً. وخرج قومُ عِكْرمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين أدركوا فرس حوشب فقد غرق في خميرة عِكْرمة. فخرج الناس تعجُّباً من ذلك اذ تكون خميرةٌ يغرق فيها فرس. فلم يبقَ في العسكر احد الّا ركب ينظر وجاؤوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبينُ منهُ الّا رأسُهُ وعنقهُ. فما أُخرج إلّا بالعَتَد والحبال وغلب عليهِ عكرمة وافتضح حوشب فقال العُديل بن الفرخ يمدحهما ويفخر بهما (من الطويل):

وعِكْرِمَةُ الفيَّاضُ فينا وحَوْشبٌ هما فَتَيا الناس اللَّذا (١ لم يُعَمَّرا
هما فَتَيا الناس اللذا لم يَنَلْهُما رئيسٌ ولا الأَقْيالُ من آلِ حِمْيَرا

وقال غيرهُ في حوشب:

وأجْوَدُ بالمال من حاتمٍ وأَفْخَرُ للجُزْرِ من حوشبِ

وقد مدح العُديل رجلاً آخر سيّداً على بني ربيعة بن نزار اسمهُ مالك بن ربيعة ابن مِسْمَع لاذ بابيهِ بنو تميم والأَزد لان والي الكوفة زياداً حمل مالاً من البصرة الى مُعاوية فخرم عرب ربيعة فاستغاثوا بربيعة بن مسمع فارسل ابنهُ مالكاً فلحق بالمال وردَّهُ وانفقهُ في الناس حتى وفاهم عطاءهم فما راجعهُ زياد. ثمّ ولي حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة فجمع هو ايضاً مالاً ليحملهُ الى ابيهِ فاجتمع الناس الى مالك واستغاثوا بهِ ففعل مثلَ فعلهِ بزياد فقال العديل قصيدتهُ التي اوّلها (من الطويل):

أَمِنْ مَنزلٍ من أُمّ سَكْنٍ عَشيَّةَ ظَلِلتُ بها ابكي عليهِ مُفكِّرا
معي كلُّ مسترخي الإزار كأنَّهُ اذا ما مشى من جِنْ غِيلٍ وعَبْقَرا
مُنيخي المَطايا لا يُبالي كلاهما مُقَلِّصةً خوصاً من الأَيْنِ ضُمَّرا

ومنها في مديح بني مسمع ومالك (عمدة بن الرشيق ٢: ٦ والاغاني ٢٠: ١٧):

١) اللذا مثنّى اللذي بحذف نونها للشعر

بني مِسْمَعٍ لولا الإلـهُ وانتمُ بني مِسْمعٍ لم يَنكرِ الناسُ مُنْكَرا
اذا ما خَشينا من امير ظُـلامةً دعونا أبا غسَّانَ يومـاً فمسكرا
ترى الناسَ افواجاً الى بابِ دارهِ اذا شـاء جاؤوا دارعينَ وحُسَّرا

ومما يُروى ايضاً من شعر العُدَيل بن الفرخ ما قالهُ في رجل من بني عجل يدعى جبّارًا كان رجل من بني العَبّاب من رهط العديل اصاب انفهُ (من الطويل):

ألم تَرَ جبّارًا ومارِنَ أنفِهِ لهُ ثُلَمٌ يَهْوِينَ ان يتخَنَّما
ونحنُ جدَعْنـا أنفَهُ فكأنَّمـا ترى الناسَ أعداءً اذا هو أطلعـا
كُـلوا أنفَ جبّارٍ بِكارى فانَّما تركناهُ عن فَرْطٍ من الشرّ أجدعا
مَعـاقدُ من أيـديهم وأنوفِهم بِكارى وثِيباً تَرْكب الحَزْنَ طُلَّعا

وكان رجل من رهـط العُدَيل ضرب ايضاً يد وكيع احد بني الطاغية وهمـا يشربان فقطعها وانتزعا فقال العُدَيل في ذلك (من الطويل):

تركتُ وكيعاً بعد ما شابَ رأسُهُ أشلَّ اليمينِ مستقيمَ الأخـادعِ
تَشَرَّبْ بها وُرْقَ الإفالِ وكُلْ بها طعامَ الذليل وانْحجِرْ في المَخادعِ

فلمّا قال هذا الشعر يفخر بقطع انف جبّار ويد وكيع حلف رهطهما ان يقطعوا انفهُ ويدهُ دونَ مَن فعلَ ذلك بهم. فهرب العديل وابوهُ الى بني قيس بن سعد ولجأا الى عُتَيْر بن جُبَيْر. فقال بنو قيس بن سعد الفرخ بن العُدَيل أنصِف قومك وأعطِهم حقّهم. فركب اليهم الفرخ ومعهُ رجلان من بني الحارث اسمهما حسّان ودينار فأسرتهُ بنو الطاغية وانتزعوهُ من الرجلين وتوجّهوا به نحو البصرة. فرجع الرجلان الى قومهما مستنفرَين لهم فركب النَّفير في نَهْب بني الطاغية فادركوا منهم رجلًا فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيرًا واخذ ابنَ العديل منهم فاطلقهُ فقال ابن العديل يمدح بني قيس ويهجو بني طاغيـة (من الطويل):

ما زال في قيسِ بن سَعْدٍ لِجارِهِمْ على عَهْدِ ذي القَرْنَينِ مُعْطٍ ومانعُ
هم استَنقذوا حسَّانَ قَسْرًا وأنتمُ لئامُ المَقامِ والرماحُ شوارِعُ
غدَرْتم بدينارٍ وحسَّانَ غُدْوَةً وبالفَرْخِ لمَّا جاءَكم وهو طائعُ
فلولا بنو قيسِ بن سَعْدٍ لأصبحَتْ عليَّ شِدادًا قبضُهنَّ الاصابعُ
ألا تَسألون ابْنَ المُشَمِّتِ عنهمُ جمامةُ والحيرانُ وافٍ وظالعُ

ومما روى ابو الفرج في (الاغاني ٢٠ : ١٩) عن الاصمعي انهُ قال: دخلتُ على الرشيد يوماً وهو محموم فقال: أنشِدْني يا اصمعي شعرًا مليحاً. فقلتُ: أرَصيناً فَحلاً يريدهُ اميرُ المؤمنين ام شجيًا سَهلاً. فقال: بل غزلاً بين الفحل والسهل. فانشدتُهُ للفرخ بن العُدَيل العجلي (من الطويل):

صحا عن طِلابِ البيضِ قبلَ مَشيبهِ وراجَعَ غَضَّ الطَّرْفِ فهو خفيضُ
كأنّي لم أرْعَ الصِّبا ويروقني من الحيِّ أحوَى المُقْلتَين غضيضُ
دعاني لهُ يوماً هوًى فأجابَهُ فؤادٌ اذا يَلْقى المِراضَ مريضُ
لِمُسْتَأنِساتٍ بالحديث كأنَّهُ تهامِلَ غُرٌّ بَرْقَهنَّ وميضُ

فقال لي: أعِدْها. فما زلتُ اكرّرها عليهِ حتى حفظها

ولهُ في العتاب ما رواهُ صاحب الحماسة البصريَّة (ص ٢٤٤ من نسخة مكتبتنا) وذلك انهُ كان مدَح مع الفرزدق قوماً من رهطهِ فوصلوا الفرزدقَ دونهُ فقال (من الطويل):

أفي الحقِّ ان يُعطَى الفرزدقُ حُكْمَهُ وتَخرُجُ كفّي من نَوالكمُ صُفْرا
أهُمْ فَيَثْنيني أواصرُ بيننا وأيدٍ حِسانٌ لا أؤدّي لها شكرا

ومما يُستشهد بهِ من شعر العُدَيل في كتب اللغة قولهُ (من الرجز):

اوعـدَني بالسجن والأداهمِ رِجلي ورِجلي شَثْنَةُ المناسمِ

قالوا الأداهم القيود من خشب جمع أدهم . اي تهدّدني بالسجن وتهدّد رجلي بالقيود وانّما رجلي شثنة المناسم اي غليظة الباطن لم تؤلمها القيود

ومن رَجَز العديل رائيّتُهُ التي مرَّ ذكرهـا وهي كثيرة الابيات ذكر منهـا ابن قتيبة في الشعر والشعراء قوله :

يا دار سَلْمى اقفرت من ذي دارْ(١ وهل بإقفـار الـديار من عـارْ

ثم ذكر وصفهُ للابل :

قواربَ الماء سَوامي الأبصـارْ وهنَّ يَنهَضْنَ بدَكْـداكٍ هارْ(٢

أوْرَقَ (٣ من تُرْبِ العِراقِ خَوّارْ وقـد كُسِينَ عَرَقـاً مثلَ القـار

يخرجُ من تحتِ خِلال الأوْبارْ

﴿وفاة العُدَيل في البصرة﴾ روى في الاغاني (٢٠ : عن محمّد بن سلّام قـال : قَدِمَ العديل بن الفرخ البصرة ومدح مالك بن مِسْمع الجَحْدري فوصَلَهُ فاقام بالبصرة واستطابها وكان مقيماً عند مالك فلم يزل بهـا الى ان مات . وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما ولدَتْ مثلَ العُدَيل جليلةٌ قديماً ولا مستحدَثاتُ الملائلِ
وما زال مُذ شدَّتْ بداهُ إزارَهُ يفتّحُ الابوابَ بكرُ بن وائلِ

هذان البيتان لم يُرويا في ديوان الفرزدق

(لها بقيّة)

---

١) ويروى : من ذي قار

٢) القوارب جمع قارب وهو طالب الماء ليلاً . والدكداك الارض الغليظة والهار المتداعي يريد الارض التي تجرفها السيول

٣) الأزرق الذي لونهُ لون الرماد

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

اقترح عليّ بعض الافاضل أخصّهم جناب الفيكونت دي طرّازي امين دار الكتب الكبرى ببيروت ان اكتب نبذةً تاريخيّةً في آثار السريان في القطر المصري ادوّن فيها ما خلّفوهُ هناك لعالم العلم والادب من المآثر وأثبت ما رواهُ في هذا المعنى الكتبة القدماء لاسيما السريان والكلدان واليونان والعرب

ففكّرتُ اوّلاً في سَرْد ذلك التاريخ في الازمنة التي سبقت عهد السيد المسيح بانتشار الشعوب الآرامية ولغتهم الى بلاد بعيدة حتى وادي النيل . ثمّ أجّلتُ هذا البحث لوقت آخر وقصرتُ نظاري على اخبار السريان في مصر بعد الميلاد وما دار بين القطرين من العلائق الخطيرة والصلات المتينة . ونحن نُطلق هنا لفظ السريان على الآراميين [illegible] الشرقيين . هم الكلدان و[illegible] العربيين الذين [illegible] في سورية [illegible] يجاورها من بلاد ما بين النهرين [illegible] الفرات . ولغة كلا العنصرين واحدة اي السريانية الشرقيّة وهي الكلدانيّة والسريانية الغربيّة . وهما لهجتان متقاربتان لكلٍّ منهما خواصّ تضاربت الآراء في ايّتها الاصحّ والأفصح . وقد أصبح اسم السريان بعد تنصّرهم مرادفاً لاسم المسيحيين منهم وبقي اسم الآراميين دالّاً على الوثنيين بينهم

١ : ذكر علائق السريان الاولى مع المصريين

معلوم ان اوّل انتشار النصرانيّة في عهد الرسل كان في فلسطين ثمّ في ما يجاورها من بلاد الشام ومصر وكانت العلائق بين سوريّة ووادي النيل متواصلة يوميّة فلا عجب ان نرى قوماً من السريان نزلوا الى مصر فاستوطنوها في قرون النصرانيّة الاولى كما هو الواقع في ايّامنا . وكذلك المصريّون كانوا يقصدون فلسطين وسوريّة لغايات دينيّة او مدنيّة . وقد ذكر سفر اعمال الرسل (٦:٩) الاسكندريّين واهل قيرينيـة

من جملة مضطهدي القديس استفانوس في اورشليم . وكذلك ذكر اوسابيوس القيصري سفر اوريجانس المعلّم مرّتين الى جهات الشام وكان السريان ينقلون الى لغتهم اعمال علماء المصريين كما انّ المصريين كانوا يستفيدون من اعمال السريان ولاسيما ترجمتهم للكتاب المقدّس المعروفة بالبسيطة التي نظر فيها اوريجانس وقد لقيها لدى امرأة ارملة على ما كتب اوسابيوس القيصري . روى ذلك ابن العبري في مقدّمته على كتابه «كنز الاسرار»

٢ : السيرة النسكيّة بين المصريّين والسريان

يحقّ للبلاد المصريّة ان تُباهي بلدان العالم طُرًا بنشوء العيشة الرهبانيّة فيها فكم الوفًا من النسّاك والعبّاد ظهروا فيها بعد القديس انطونيوس وعبّقوا براريها بعبير فضائلهم . قال مار يوحنّا الذهبيّ الفم (١) : « لو قصدتَ يا هذا برّيّة مصر في يومنا لوجدتَها تفوق الحدائق نضارة بزهور قدّيسيها وجمهور نسّاكها . فالسماء بنجومها وكواكبها اقلّ بهاء من مناسك مصر وصوامعها . والخبير بسالف عوائد المصريين اذا وقف على تبدّل حالتهم اعتقد الاعتقاد التام بقوة السيد المسيح »

وما لبث ان اجتذب شذى فضائلهم عددًا من اهل سوريّة فارتحلوا الى مصر وانتهوا الى الصعيد وعاينوا عجائب الله في سيرة اولئك الملتكة المتقمّصين بالجسد البالغ عددهم ألوفًا مؤلفة فانتظموا في سلكهم وتقلّدوا سيرتهم الفاضلة ثم عوّلوا على نشرها في بلادهم

وكان الغرباء يقصدون تلك البراريّ المقدّسة من كلّ انحاء المعمور . على انّ السريان هم من اوّل الذين ضاهوا المصريين بنسكهم وقشفهم وقد نقلوا شيئًا كثيرًا من اخبارهم واذاعوها في بلادهم وأديارهم . اخصّها كتاب الآباء المصريين المعروف ببستان الرهبان للاسقف نَلّد او بلّاديوس نقلهُ الى السريانيّة في القرن السابع عنّيشوع السرياني النسطوري بمشورة جرجس الجاثليق . وقد نشر هذا الاثر المجيد الاب بولس بيجان اللعازري سنة ١٨٩٧

(١) اطلب كتاب بستان الرهبان . طبعة الاب بيجان (ص ٩٩٦ و ٩٩٧)

ومما جاء في الكتاب المذكور (ص ١٧٥—١٧٨) انَّ قوماً من السريان الاتقياء ارتحلوا الى القطر المصري ليتعرَّفوا بنسَّاكه ويتبرَّكوا منهم ومن جملتهم مار افرام الملفان المشهور فقال عنهُ ما ملخصهُ :

«سار مار افرام في الطريقة الروحية سلوكاً قوياً وآتاهُ الله تعالى موهبة العلوم الالهية والطبيعية . واشتهر باغاثته فقراء الرها ابان الغلاء وخلف تركة ثمينة لعالم العلم والدين» وقد جاء في سيرة حياته (١ انهُ انطلق الى مصر مستفسراً عن الأنبا بيشاي . ولمَّا احتظى بمشاهدته اخذا يتفاوضان بالسريانية والقبطيَّة . واقام مار افرام في دير الانبا بيشاي اسبوعاً كاملاً ثم اخذ يطوف برّيَّة الصعيد مدة ثمانية اعوام يعلّم طريق الحقّ ويرشد الاريوسيّين ليرعووا عن غيّهم ثم عاد الى الرها وطنه»

وتعهَّد برّيَّةَ الصعيد ميلسُ اسقف شوشن الشهيد (٢ فانهُ بعد ما حجَّ الى اورشليم يتمّ الاسكندرية وزار اونوميوس تلميذ مار انطونيوس واستمرَّ ثم سنتين ثم عاد الى بيت رُزَيق وطنه . وتعهَّد برّيَّةَ الصعيد ايضاً مارُ ميخا (٣ وانزوى في صومعة ضيقة مدة خمس عشرة سنة ثم سار الى دارا [illegible] الى الشرق ومرَّ بدير ماردين واستأنف السير الى قرية [illegible] بالموصل [illegible] دير [illegible] في ناحيتها الشرقيَّة

ومن السريان الذين تعهدوا برّيَّة الصعيد وطورسينا ابرهيمُ الكبير النسطوري (سنة ٥٠٣—٥٨٨) الذي وُلد في قرية بكشيكر ونصَّر في الحيرة خلقاً كثيراً ثم انطلق الى طورسينا وصعيد مصر وتلقَّن من رهبانه القوانين النسكية وعاد الى نصيبين وابتنى ديراً في جبل الإزل . وهو الذي صنَّف طقساً خصوصياً لحلق رؤوس الرهبان على هيئة اكليل تمييزاً لهم من الرهبان السريان المنوفستيّين وانشأ لهم سنة ٥٧١ قوانين نشرها الأب شابو في رومية سنة ١٨٩٨

ومنهم جنّي الكشكريّ والراهب حايا الكشكري ويوحنا مؤسس دير بنقل وقفريانس (٤ فهؤلاء وغيرهم حجّوا الى اورشليم وزاروا جبل سينا وتعهّدوا برّيَّة

١) سير القديسين (٣ : ٦٤٠)

٢) سير القديسين (٢ : ٢٦٥) ٣) سير القديسين (٣ : ٥٢٤)

٤) كتاب العفّة طبع الاب بيجان ص ٤٥٣و٤٥٧ وتوما المرجي (ص ٣٥٣)

الصعيد وتبرّكوا بأضرحة الاباء النساك المشهورين ثم عادوا الى اوطانهم

واورد توما المرجيّ النسطوري عن ماران زخا اسقف الحديثة (١ ما ملخصه : «انطلق يوماً ماران زخا الى جبل بقرية زيني فصادف شيخاً جليلاً يرعى الابل وسمعه يترنّم بانشودة عيد القيامة التي بدؤها «ܐܝܟ ܕܩܡܬ ܡܫܝܚܐ ܡܢ ܩܒܪܐ» فصوّت به الاسقف وأوقفهُ وحيّاه بالسلام وتوسّل اليه ان يعرّفه أصله وفصله . فقال له الشيخ بالعربية ما نصّهُ : «قم يا راهب ما لي ولك . مُرَّ بسلام من مكاني» . قال له : الاسقف ماران زخا اذاً كيف تعرف العربية؟ والحّ عليه في الجواب وألحفَ . فكشف له الشيخ دخيلة أمره واوقفهُ على صحة خبره قال : اعلم يا مولاي اني انتُخبت منذ اربعين سنة اسقفاً لشعبنا السرياني المنتشر في القطر المصريّ . ولمّا خرجتُ يوماً في جماعتي الى البرّية لنصلّي صلاة المطر ثار شذاذ العرب ووثبوا عليّ واستاقوني الى خيمهم وانهزمتْ جماعتي عائدة الى مصر . أمّا انا فما زلتُ منذ اذ ارعى الابل كما تراني حتى اليوم . فبكى ماران زخا واستودعهُ الله وانصرف . وعاد اليه في القابل متشوقاً الى مشاهدته فألفاهُ قد مات فأخذ عباءتَيه وانقلب بها الى الحديثة»

٣ : القديس اوجين والرهبان المصريّون بين السريان

ولعلّ ما رآهُ النسّاك المصريّون من إقبال السريان على الترهّب هو الذي دفع بعض اساطين الرهبنة في وادي النيل الى ان يقصدوا بلاد السريان لينشروا بينهم العيشة النسكيّة . واشهرهم هو القديس اوجين المصري

كان اوجين تلميذ فاخوم من اكبر زعماء الرهبان في مصر (٢ فهجر وادي النيل في اختيه تقلا واسطرطانيس وفي فئة من تلاميذه وارتحلوا الى بلاد المشرق يدعون الى النسك والزهد فنصّروا جمهوراً عديداً من الوثنيين وابتنوا اديارًا عظيمة ذكرنا منها عدداً في مقالتنا «سياحة في طور عبدين» التي نشرناها في مجلة المشرق عام ١٩١٣ .

---

١) توما المرجيّ (طبع الاب بيجان ١٣٤-١٣٥)

٢) سير القديسين (٣ : ٢٨٦ طبع الاب بيجان)

وكان من جملة اولئك الرهبان مار شابطا المشهور (١ الذي اعتكف بادئ ذي بدء في دير مار فاخوم بمصر خمس سنوات ثم انزوى في احدى المغاور عشر سنوات ثم رافق اوجين الى جبل الازل . ومنهم دانيال الطبيب (٢ المصريّ النحلة الذي ترهب في دير مار فاخوم ايضاً عشر سنوات ثم شخص مع مار اوجين الى بلاد المشرق وشاد ديراً كبيراً على نهر مَلْثايا . ومنهم يونان القبرسي (٣ الطبيب النطاسي الذي ارتحل الى مصر واقام فيها خمس عشرة سنة ثمّ انضمّ الى مار اوجين وسار الى المشرق . ومنهم مَلكي القُلزميّ المصري (٤ ابن اخت مار اوجين الذي أقبل مع خاله واليشع شقيقه الى جبل الازل وشاد فيه ديراً جليلاً ما برح حتى يومنا في حوزة السريان (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٨٤٥) . ومنهم فولا المصريّ صاحب دير جاسناس بطورعبدين . ومنهم فنحاس صاحب دير حاج بطورعَبْدين ايضاً الذي انضوى الى مار اوجين (٥ وقتل شهيداً في فَنك وبُني على اسمه ديران . ومنهم ميخائيل واخته سيراس صاحبا دير مار ميخائيل جنوبي ماردين . ومنهم يعقوب الجبيس المصري صاحب دير حاج المشهور في طورعبدين (٦ الذي تكمّل في عهد وهران (٤٢٠—٤٤٠ [illegible] ايبول . ومنهم ابرهيم النطي رئيس دير مار اوجين بجبل الازل (٥ [illegible] وخليفته ابرهيم الاورشليمي وسلاوا سنة ٦٤٣ (٧ وقس على هؤلاء المشاهير ثلاثة رهبان مصريّ عادوا وطنهم الى طورعبدين وانقطعوا الى العبادة في دير قرتمين المعروف بدير العُذر فثار بهم الفرس واخذوا رؤوسهم قاطبة وما برح السريان يذكرونهم حتى اليوم ويستشفعون بصلواتهم

فممّا اوردناه يتّضح جليًا تعرّف السريان بالمصريين وامتزاج المصريّين بالسريان واختلاف بعض الفريقين الى اديار البعض ومواصلاتهم المتواترة حتى القرن السادس . ونختم هذا الفصل بما ورد عن القديس بطرس الشهيد بطريرك الاسكندريّة فقد جاء في سيرة حياته (٨ انهُ جال في بلاد ما بين النهرين وزار سوريّة وفينيقيّة وفلسطين

١) سير القديسين (١ : ٤٢٦) ٢) سير القديسين (٤ : ٤٨٤)
٣) سير القديسين (١ : ٤٧٢) ٤) سير القديسين (١ : ٤٢١)
٥) سير القديسين (٤ : ٢٠٨) ٦) المشرق (١٦ : [١٩١٣] : ٦٧٣)
٧) المشرق (١٦ : [١٩١٣] : ٨٤٩)
٨) سير القديسين (طبع بيجان ٥ : ٥٤٢)

كما يستنتج من خطبته البديعة التي قال فيها ما ملخصه : « تعرفون يا اخوتي كيف كان سلوكي معكم هذه المدة الطويلة وما تكبدتُ من عبدة الاوثان اذ كنت اتنقل من مكان الى مكان وأجول في بلاد ما بين النهرين وسورية وفينيقية وفلسطين. وكنت أواصلكم اذ ذاك بالرسائل لاثبتكم في الدين المسيحي... وقد كتبتُ جملة رسائل من بلاد ما بين النهرين الى الاساقفة المسجونين وهم : فيلاوس وهسوخيوس وفاخوم وثاودرس وشجعتهم على احتمال النكال والعذاب » (١

٤ : ظهور البدع في القطر المصري وامتدادها الى القطر السوري

لم يبقَ مسيحيو مصر راسخين في مبادئ الايمان القويم وثابتين على التعاليم الرسولية والتقاليد الابوية التي أخذوها عن إمامهم مرقس الانجيلي وخلفائه الافاضل لكنهم تهوَّروا في مهواة البدع والشقاق وضلّوا سواء السبيل وخلعوا الطاعة للكرسي الروماني. فظهر فيهم سابيليوس وكان أصلهُ من ليبيا بمصر وزعم باقنوم واحد للثالوث الاقدس ثمَّ ابوليناريوس الاسكندري وادّعى بان الروح القدس أصغر من الابن وان الابن اصغر من الآب. غير ان أشهرَ الملحدين كان اريوس القس الاسكندري (+ ٣٣٦) الذي احدث الشقاق في بيعة الله فحرمهُ الآباء ال٣١٨ في المجمع النيقاري سنة ٣٢٥ وقرّروا ان ابن الله عزَّ وجلَّ مولود منذ الازل ونظموا قانون الايمان وأمروا باستعماله في الكنائس . وظلّت البدعة الاريوسيَّة ضاربةً أطنابها في الاسكندريَّة قائمةً على ساق وقدم في مصر وامتدَّت الى انحاء سوريَّة حتى ان الاساقفة الارثذكسيين طُردوا من تلك الاقطار وأُقيم بدلًا منهم اساقفة صغار متهتكون جرّدوا سيف سخطهم نحو المسيحيين الارثذكسيين واذاقوهم من الاهانات والحبس والاضرار ألوانًا

وظلَّت بدعة اريوس منتشرة في القطر المصري حتى ظهر نسطور بطريرك القسطنطينيَّة سنة ٤٢٨ واذاع هرطقته المشهورة التي شاعت في اصقاع الشرق فعقد الآباء مجمعًا في افسس سنة ٤٣١ وحرموه ونفاه ثاودسيوس الملك الى احد ديورة

١) تاريخ اوسابيوس ك ٩ ف ٦ ص ٥٢١

انطاكية ثم توجه الى مصر على ما روى اغلبُ المؤرخين الشرقيين اذ قالوا « بعد ما عُزل نسطور نُفي الى صعيد مصر » . وقال الشيخ ابو صالح الارمني (ص ١٠٦) : وقُبر نسطور المخالف الذي كان بطريرك القسطنطينية في مدينة أخميم منفياً اليها بعد سبع سنين في سنة ٥٣١ (كذا) واذا مطرت المطر تحجب عن قبره ولا تنزل عليه . . . » وروى ميخائيل الكبير (ص ١٧٥) وابن العبري في عهد يزحنا بطريرك انطاكية : « ان نسطور نُفي بأمر الملك الى مدية اودسيا بمصر » . وقال ابن العبري في تاريخه المدني السرياني (ص ١٣٥) : « اشتهر جبرائيل بن بختيشوع الطبيب النسطوري في عهد هرون الرشيد (٧٨٦–٨٠٩) واتفق ان احد النساطرة الذين زاروا مصر قال يوماً لجبرائيل المذكور : ان يعاقبة مصر يسخرون من نسطور ويرجمون قبره ويدّعون ان المطر لا ينحدر عليه . فقصد جبرائيل الخليفة واستحصل منه رسالة الى صاحب مصر يوصيه ان يسعى بارسال عظام نسطور الى بغداد لتُدفن في كنيسة كوخي الكبرى »

وكتب المقريزي (ص ٤٨٨) ان نسطور نفي الى صعيد مصر فنزل مدينة اخميم واقام بها سبع سنين ومات فدُفن بها » وأيد ذلك ابن العبري ايضاً في تاريخه (ص ٣٦ من نسختنا)

على ان بدعتي اريوس ونسطور ما لبثتا ان انتشرتا في القطر المصري وقامت مقامها البدعة المنوفستية وانتشرت انتشاراً عظيماً وقويت شوكتها وما برحت قائمة في مصر حتى اليوم . وكان ديوسقورس منشئها († ٤٤٤) ومبتدعها يناضل عنها ويسعى في نشرها وتبعه في رأيه هذا الشعب السرياني في سورية وما بين النهرين ومنذ ذاك اصبحت العلائق ما بين الاقباط والسريان موثقة العرى غير منفصمة . ولمّا عُزل سويرا بطريرك السريان الانطاكي توجّه الى مصر عام ٥١٩ واقام فيها تسع عشرة سنة يطوف مع بعض الاساقفة ويجول من دير الى دير ويتنقّل من مدينة الى مدينة حتى أتتهُ المنون في سكوت بالاسكندرية في ٨ شباط ٥٣٨ وقد ورد في المخطوطات السريانية انشودة يتداولها السريان اليعاقبة هذا شرحها : « يا مصر قومي رحّبي بسويرا المنفيّ من بلدهُ وافتحي له ابوابكِ واكنسي شوارعكِ ليدخل اليك ويطرد منك تعليم نسطور الوقح » لكنّ مصر لم ينلها خير كبير بشيوع بدعة اوطيخا بدلاً من نسطور وبعد وفاة سويرا نصب السريان المنوفستيون يعقوب البراذعي استقف الزهاء

مطراناً عمومياً فاخذ يطوف بلاد سورية يذيع فيها الزعم بالطبيعة الواحدة. ثم ارتحل الى وادي النيل ورسم بيده في الاسكندرية فولا الحبشي بطريركاً للسريان ٥٤١—٥٧٥

وكان فولا اسكندري الاصل وتلقّى العلوم في دير الجبّ الخارجي في انطاكية وأتقن اليونانية والسريانية. ولمّا رسم بيده ثاودورَ بطريركاً للاسكندرية امتعضَ المصريّون واستحضروا مطرانَين وارادوهما على نصب فطرا او بطرس الجاهل بطريركاً دخيلاً. فنتجت من جرى ذلك شرور عظيمة استغرقت ثمانية أعوام وأسفرت عن انقسام المصريّين الى فرقتين فرقةٍ مشايعة لثاودور وفرقةٍ لفطرا وأفضى البغض بفطرا الى ان حرم فولا بطريرك انطاكية واسرع فرسم سبعين مطراناً في ايام معدودة ومات لثلاث سنين من بطريركيّته. امّا اهل الاسكندرية فأصرّوا على رفض ثاودور البطريرك واقاموا دميانس السرياني النحلة بطريركاً عليهم وما كاد يتربّع في كرسيّه حتى حرم فولا بطريركَ انطاكية كما حرمهُ سالفُهُ ايضاً وعوّل على اقامة بطريرك عوضاً عنه. غير ان الاساقفة ثبّطوه عن انجاز أُمنيّته. وفي تلك الغضون عاد يعقوب البراذعي ثالث دفعةٍ الى الاسكندريّة متجسّماً ومتحنّطاً يصحبه توّابهُ وجماعة من الاساقفة اصحابه ونزلوا سنة ٥٧٨ في دير مار رومانس فتوفي بغتةً يوحنا اسقفُ قرقين فسرجيسُ وكيل يعقوب فيعقوب فشمّاسُهُ. على ان هؤلاء الاربعة وهم عمدة المنوفستيّين عاجلتهم المنيّة في مدة عشرة ايام لا غير. وعلى اثر ذلك كتب دميانس السرياني بطريرك الاسكندرية رسالة تعزية اوفدها الى اساقفة سورية وجماعتهم وحرّضهم على قبول البطريرك فولا الحبشي. ثم توجّه بنفسه الى انطاكية في اثنين من اساقفته يريد ان يرسم سويرا الاشمث بطريركاً للسريان في كنيسة مار بطرس غير انه لم يستطع الى ذلك سبيلاً فانقلب الى الاسكندرية خائباً.

ثم كتب دميانس البطريرك الاسكندري رسالة الى بطرس القلّيقي بطريرك السريان الانطاكي (†٥٩١) فيها دحض ارتقة يوحنا وفروبا وسأل بطرس البطريرك ان يؤيد قوله فأبى عليه ذلك. فاستشاط البطريرك دميانس غضباً وحنقاً عليه ولبثت المنازعات بينهما قائمةً على قدم وساق حتى وفاتها. ولمّا تولّى بطريركيةَ السريان اثناسيوس الجمّال (٥٩٥—٦٣١) عادت المياه الى مجاريها وحصل الاتّفاق التامّ ما بين الكرسي

الاسكندري والانطاكي كما سترى. وعلى هذا الاسلوب تغلّب اليعاقبة على جميع كنائس مصر واقاموا بها منهم اساقفة. فارسل اليهم اهل بلاد النوبة في طلب اساقفة فبعثوا لهم. فصار اهل النوبة من ذلك العهد يعاقبة(١). وقد ايّد ذلك ابن العبري في كلامه عن سرجيس التلي († ٥٤١) بطريرك السريان المنوفستيين قال ما شرحه: «لم يكتفِ السريان بإذاعة مقالتهم في القطر المصري بل ارفدوا القس يوليان شماس تاودسيوس بطريرك الاسكندرية الى بلاد الحبشة فاذاع فيها بدعة الطبيعة الواحدة وبذر في القلوب البغضاء للمجمع الخالقيدوني وظلّ ثمّ سنتين يقصد الصهاريج ويمتد الناس كل يوم من الساعة الثالثة الى العاشرة حتى تنصّر على يده ملك الحبشة وأرباب دولته وخضعوا باجمعهم للبطريرك الاسكندري(٢)». فاذا صدقت هذه الرواية كان الفضل في تنصّر الحبشة واخضاعهم لبطريرك الاسكندرية عائداً ايضاً الى السريان.

٥: كتبة السريان المنوفستيين في القطر المصري

ولما تغلّبت المنوفستية في الاقطار المصرية على ما رأيتنا من ائمة السريان يتوافدون الى الاسكندرية ليستقوا من مناهل مكاتبها الشهيرة ويعلموا فيها اللغة اليونانية وسائر العلوم الرياضية والتاريخية واللاهوتية. وقد تضلّع اغلبهم من هذه اللغة بحيث اننا لا نكاد نرى كاتباً سريانياً منوفستياً الا وله إلمام بها. واليك اسماء بعض الكتبة السريان الذين قصدوا تلك المدينة واستفادوا من أسفارها او قرأوا على علمائها

فمنهم اسطفان بَرصُدَيلي(٣) الرهاوي الذي قصد مصر وتخرّج بالعلوم والمعارف ثم سار الى اورشليم وعاد الى وطنه وصنّف مقالات وشروحاً كثيرة ونقل كتاب هيروثاوس وما زالت ترجمته مصونة في دار الكتب الكبرى بلندن وفي المكتبة الشرقية في بيروت. وهو الذي اشتهر بزعمه ان اعذابات جهنم نهاية فدحض اوهامه العلامة يعقوب السروجي († ٥٢١) وفيلكسين المنبجي († ٥٢٣).

١) المقريزي (ص ٤٩٣)

٢) التاريخ الكنسي في حياة سرجيس التلي

٣) روى اسمه ميخائيل الكبير هكذا ([illegible])

ويُروى انَّ آبا جاثليق السريان النساطرة (٥٣٦–٥٥٢) توجّه في العلّامة توما الرهاويّ الى الاسكندرية ومصر حيث فسّرا الكتبَ المقدسة وتلمذا جملةً من الوثنيين والمنوفستيّين فضغن عليهما الاهالي وطردوهما

وجاء عن مارا اسقف آمد السريانيّ المنوفستيّ انهُ لما نُفي الى بلاد العرب سنة ٥١٩ سأل الملكة ثاودورا ان ينتقل الى الاسكندريَّة سنة ٥٢٦ فاكبَّ فيها على العلوم وفسَّر العهد الجديد وفيها قضى نحبهُ

وورد في مخطوط لندن (عدد ٨٥٢ ص ٩٠٧) ان فولا الاسقف السريانيّ المنوفستيّ الذي اشتهر سنة ٥٢٨ « ترجم الكتب المقدَّسة ونقلها من اليونانيَّة الى السريانيَّة» وقيل بل ان فولا المذكور ترجم العهد القديم وتوما الحرقليّ ترجم العهد الجديد . ويُستفاد من مخطوط لندن (عدد٥٣) المنسوخ سنة ٧٠٣ م « ان الكتاب المقدَّس نُقل عن الهكسَبْلة اليونانيَّة (١ الى السريانيَّة في شباط سنة ٦١٦ م في دير الانطونيّين بقرية اناطرن قريباً من الاسكندريَّة ذلك بامر البطريرك اثناسيوس († ٦٣١) ومشورته وفي عهد ثاودور رئيس الدير»

وفي الاسكندريَّة ايضاً درس زكريَّا البليغ اسقف ملطية السريانيّ نحو سنة ٥١٥ وكان مولده في قرية قريبة من غزَّة بفلسطين وقرأ النحو والفصاحة في الاسكندريَّة وزاول علم الشرع في بيروت وصنّف تاريخاً سريانيًّا مهمًّا اقتطف منهُ مؤرّخو السريان اخبارًا كثيرة واتخذوهُ قاعدة لتأليف تواريخهم

وارتحل الى الاسكندريَّة توما الحرقليّ السرياني اسقف منبج واقام زماناً في دير الانطونيّين حيث اكبَّ على تنقيح كتاب العهد الجديد سنة ٦١٦ (٢ وهذه الترجمة اشتهرت لدى السريان المنوفستيين واستعملوها في طقوسهم . واستصحب توما الحرقلي جملة من اساقفة السريان الى مصر واقاموا فيها مدَّةً ثمَّ عادوا الى كراسيهم (٣

١) الهكسبلة (Hexaple) كتاب لاوريجانس جمع فيهِ ستَّة نصوص من الأسفار المقدَّسة ليقابل بينها

٢) في المكتبة الارغسطينيَّة برومية نسخة من هذا السفر ورد فيها ما شرحهُ: نُقل كتاب الاناجيل الاربعة بدقَّة من اليونانية الى السريانية في ايام فيلكسين اسقف منبج . وقابلتهُ انا توما بثلاث نسخ يونانية في دير الانطونيين بالاسكندريَّة العظمى سنة ٦١٦ م

٣) تاريخ ميخائيل الكبير (ص ٣٩١)

وقصد الاسكندرية ايضاً يعقوب الرهاوي († ٧٠٨) المشهور وأتقن فيها اليونانيَّة ثم عاد الى سورية وارتسم مطراناً للرها سنة ٦٧٧ ودرّس اليونانيَّة في دير اوسيبونا بانطاكية احدى عشرة سنة

وتوجّه الى الاسكندرية ايضاً الربّان حنين بن اسحق († ٨٧٣) السرياني النسطوري وكان مولده في الحيرة وقصد بغداد وقرأ على يوحنّا بن ماسويه ثم ارتحل الى الاسكندرية وبرع في اليونانيَّة حتى استسهل النقل منها الى السريانية ومن السريانيَّة الى العربية وصنَّف كتباً شتى أخصُّها كتابه في الطب

وكان كتبة السريان وأدباؤهم يوفدون الى وجهاء الاسكندرية رسائلَ بالسريانيَّة ليؤيّدوهم في المنوفستيَّة. ومن جملتهم يعقوب السروجي العلّامة الذي كتب رسالة الى القنص باسًا ورسالة الى قورا الرئيس والقنص على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٦٧٢ ص ٥٢٣) وهو يتضمّن احدى واربعين رسالة وستّ خطب صنّفها كلّها بالسريانيَّة يعقوب السروجي الى مسأ اليه ونسخها يوسف الداراوي سنة ٦٠٣ م في بريّة الصعيد. وقد ورد في مخطوط [illegible] ذكر رسالة وفدها بطريرك السريان (١) الى دير الانطونيّين والى ايسيدور وثيودور ورسالة أخرى وفدها البطريرك عينه الى جماعة الاسكندرية (له صلة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثامن

رقيّ بيروت في عهد الرومان

دخل الرومان بلاد الشام سنة ٦٤ ق م واستولى قائدهم بمبيوس على اقطارها

---

١) لعله اثناسيوس الجبّال († ٦٣١)

وقصد الاسكندرية ايضاً يعقوب الرهاوي († ٧٠٨) المشهور وأتقن فيها اليونانيَّة ثم عاد الى سورية وارتسم مطراناً للرها سنة ٦٧٧ ودرّس اليونانيَّة في دير اوسيبونا بانطاكية احدى عشرة سنة

وتوجّه الى الاسكندرية ايضاً الربّان حنين بن اسحق († ٨٧٣) السرياني النسطوري وكان مولده في الحيرة وقصد بغداد وقرأ على يوحنّا بن ماسويه ثم ارتحل الى الاسكندرية وبرع في اليونانيَّة حتى استسهل النقل منها الى السريانية ومن السريانيَّة الى العربية وصنَّف كتباً شتى أخصُّها كتابه في الطب

وكان كتبة السريان وأدباؤهم يوفدون الى وجهاء الاسكندرية رسائلَ بالسريانيَّة ليؤيّدوهم في المنوفستيَّة. ومن جملتهم يعقوب السروجي العلّامة الذي كتب رسالة الى القنص باسًا ورسالة الى قورا الرئيس والقنص على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٦٧٢ ص ٥٢٣) وهو يتضمّن احدى واربعين رسالة وستّ خطب صنّفها كلّها بالسريانيَّة يعقوب السروجي الى مسأ اليه ونسخها يوسف الداراوي سنة ٦٠٣ م في بريّة الصعيد. وقد ورد في مخطوط [illegible] ذكر رسالة وفدها بطريرك السريان (١) الى دير الانطونيّين والى ايسيدور وثيودور ورسالة أخرى وفدها البطريرك عينه الى جماعة الاسكندرية (له صلة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثامن

رقيّ بيروت في عهد الرومان

دخل الرومان بلاد الشام سنة ٦٤ ق م واستولى قائدهم بمبيوس على اقطارها

---

١) لعله اثناسيوس الجبّال († ٦٣١)

ثمّ ضبط ايضاً سواحلها وجعل فينيقية احد اعمالها مبيدًا لسلطة السلوقيين فيها . وكان ملكهم آنئذٍ انطيوخس الثالث عشر الملقّب بالأسيويّ وكان ضعيف الهمّة خائر القوى فلم يجسر ان يقوم في وجه الرومان

وكأنّ الرومان عرفوا ما تستحقّهُ بيروت من الرعاية وانها قابلةٌ للرقي فوجّهوا اليها منظرهم واخذوا يزينونها بالبنايات الفخمة المتنوعة . وممّا حدا بهم الى ذلك انّ الفينيقيّين كانوا يعتبرونها مدينةً مقدّسة خصّوها لاكرام البعل المسمّى على اسمها بعل بيروت او بعل بريت وقد اقاموا لهُ هيكلًا كبيرًا على الجبل المشرف على مدينتهم في بيت مريّ وهو هيكل دير القلعة المكرّس لبعل مَرْقد الذي كان الفينيقيّون يحجّون اليهِ ثم حسّنهُ الرومان وزادوا في ابنيتهِ واعتبروهُ هيكلًا لجوبتر البعلبكيّ

ولمّا صار الامر لاوغسطوس قيصر خصّ بيروت بألطاف وهبات لم ينعم بها على غيرها . فولّى عليها القائد مرقس وسبسيانوس اغريبا بعد ان أزوجه بابنتهِ جوليا . وكان صهره مولعاً بالابنية الفخيمة . فلمّا تقلّد ولاية بيروت شملها بسوابغ النعم وجعلها من المدن الاوّليّة الراقية واستدعى اليها فرقتين من الجيوش الرومانية احتلّتا فيها وهما الفرقة الخامسة المعروفة بالمقدونيّة (Legio Macedonica) والفرقة الثامنة المنسوبة الى اوغسطوس قيصر (Legio Augusta) فأضحى لها ذلك ميزةً على بقيّة المدن الساحليّة . ثم منحها اوغسطوس امتيازات المستعمرات الرومانيّة وخوّل اهلها حقوق الوطنيّة وكان ذلك السنة ١٥ ق.م وسمّاها باسم ابنتهِ جوليا (Colonia Julia Augusta Felix Berytus) اي مستعمرة جوليا اوغسطا السعيدة بيروت وضرب باسمها نقودًا بيروتية على هذه الصورة(١ . وقد وجدت كتابات حجريّة على الصورة عينها وكذلك ورد في تاريخ بلينيوس الطبيعي (٢ ما يؤيد الامر فانهُ قال عن بيروت : « انها مجاورة نهر ماغوراس الجاري اليها من لبنان وهي مستعمرة تُدعى باسم جوليا السعيدة »

ولمّا رأى هيرودس الكبير ملك اليهود محبّةَ اوغسطوس لبيروت سعى هو ايضاً

١) اطلب مجموعة الكتابات اللاتينية CIL, n°s 161 etc

٢) اطلب كتابهُ Plinius : Hist. Nat. V, 17

الى تحسينها . وقد اخبر يوسيفوس في تاريخ الحرب اليهودية(١ انهُ شيَّد في بيروت النوادي الواسعة والأروقة الرحبة والهياكل والاسواق الفاخرة والحمامات والمخازن التجارية . فتقاطر الى بيروت كثير من الرومانيين والاجانب فاستوطنوها وزادت بهم حسناً وعمراناً . وفي مجلس بيروت جمع هيرودس محفلاً من الفقهاء والاعيان لمحاكمة ولدَيه اسكندر وارسطابولس ابنَي زوجتهِ مريَمْنة المكابيَّة فحكم عليهما بالموت وقتلهما ظلماً (٢

وورث هيرودس اغريبا الاول وهو حفيد هيرودس الكبير حبَّ جدّهِ لبيروت فزانها بمبانٍ جديدة وصَفَّها يوسيفوس المذكور في تواريخهِ (٣ فقال انَّ هذا الملك بالغ في اكرام اهل بيروت فشيَّد لهم مسرحاً كان يفوق على مسارح مدن كثيرة بجمالهِ وفخامتهِ وكذلك بنى لهم ميداناً فخماً وملعباً للحيوانات ومعاهد اخرى لم يدَّخر في بهائها شيئاً من مالهِ ليبلغها من المحاسن اجلَّها . وبعد إنجازها دعا الاهلين الى تدشينها فاقاموا لذلك مواسم واعياداً [illegible] في ترويجها البالغ الوافرة فثَّلوا في المسرح التـ[illegible] المحتفلة وتعدَّدت فيه الملاهي وتنوَّعت اصناف الآلات المطربة وتفكيهاً للحضور حكم على ١٤٠٠ من اصحاب الجنايات بان ينقسموا قسمين يقاتل بعضهم بعضاً ففعلوا حتى قُتلوا عن بكرة ابيهم . وتمَّ ذلك في الميدان الذي اعدَّه لتلك المبارزات القبيحة والمظنون انَّ موضع هذا المشهد كان على شاطئ البحر بقرب ميناء الحصن المعروف بخان الصاغة حيث يُرى شيء من آثارهِ باقياً الى اليوم

وفي هذا الميدان نفسهِ نادى الجنود الرومانيُّون بقائدهم فسبسيانوس امبراطوراً بعد وفاة نيرون فبايعهُ امراء الجيش والولاة وسار من هناك الى رومية ليتولى فيها زمام الملك . وفي الميدان عينهِ احتفل ابنهُ طيطوس بعيد مولد ابيهِ بعد فتحهِ لاورشليم بما لا مزيد عليهِ من الأُبهة والمجد وامر بقتل جمٍّ غفير من اسرى اليهود ارضاء وتفكيهاً للشعب

ثم خلف هيرودس اغريبا الاول ابنهُ هيرودس اغريبا الثاني فولَّاه الرومان

---

١) راجع كتابهُ Fl. Josephus. B.J. XXI, 11

٢) اطلب كتاب يوسيفوس الماديات اليهودية id. Ant. Jud., XV et XVI

٣) في تاريخهِ الحرب اليهودية B. J. VII, 5

قسماً من سورية المجوّفة اي بلاد البقاع التي كانت حاضرتها عَنجر المعروفة سابقاً باسم كَلسيس (Chalcis) مع بلاد البثنيّة شرقي دمشق. فجرى على مثال والدهِ في تزيين مدينة بيروت بالآثار الجميلة مع انها لم تكن داخلةً في تخوم مملكتهِ فنصب فيها التماثيل ونقل اليها صور مشاهير القدماء من انحاء المملكة وشيّد فيها ٦٤ نادياً جديداً منها بناية المجلس البلدي التي يُستدلّ على شيء من آثارها عند باب الدركة بقرب رجال الاربعين واقام في مسرحها المشاهد السنويّة فصارت الملاعب والاعياد تحاكي في بيروت مواسم رومية ذاتها. وكان يوزّع على البيروتيين بسخاء القمح والزيت حتى اسرف في ذلك ولامهُ اهل دولتهِ لبذله خزائن المملكة في سبيل مدينة خارجة عن حكمهِ(١

وقد بقي من تلك المباني العجيبة الى يومنا آثار تنبئ بعظم شأنها أخصُّها اعمدة وسوارٍ ضخمة ورؤوس أكلة منبثّة في انحاء المدينة او غائصة في بعض سواحل البحر وربّما يستخرجونها بالحفر عند فتح السكك. وكان عددها يبلغ الالوف في القرون السابقة كما يشهد على ذلك السيّاح في رحلاتهم

وما لا شكّ فيهِ انّ بيروت كانت مزدانة في عهد الرومان بأروقة مشيّدة على سوارٍ ضخمة كانت تمتدُّ على طول المدينة وتبلغ الى نهرها فيتجوّل الناس في ظلّها صيفاً وشتاء. ومنها الآثار السابق ذكرها

وقد بقي من عهد الرومان في بيروت كتابات مختلفة منها مدفنيّة يرقى بعضها الى القرون الاولى للنصرانية باليونانيّة واللاتينيّة على بعضها رموز نصرانيّة كالصليب وسَعَف النخل ومنها مدنيّة وادارية كالانصاب الدالّة على مسافات الطريق الرومانيّة (milliaires) وكالآثار لشكر الآلهة لنعمة نالها عبَدَتُهم او لمديح بعض الرؤساء(٢. ومعظم تلك الآثار لاسيما الأعمدة التي كانوا يزينون بها الهياكل والنوادي العموميّة كانت من الحجر المخبّب المعروف بالغرانيت كانوا يجلبونهُ من مصر بعناء كبير. وبعضها من الرخام الوطنيّ الذي تُرى الى يومنا مقالعه في الجبل

١) تاريخ الحرب اليهوديّة B. J., XX, IX, 4

٢) اطلب مجموعة المكتب الشرقي MFO II², 535-540

البحث التاسع

ديانة اهل بيروت

سبق انّ للفينيقيين مزاعم خرافيّة تجعل بيروت كاحدى مدنهم المقدّسة وكان إلههم الكبير البعل خصّوا عبادتهُ بمسحة وطنيّة تفرزه عن عبادة المدن الساحليّة الاخرى. فكانوا يعبدونه تحت اسم بعل بريت مرجعهُ الى البعل الاعظم كبير آلهة الفينقيين وانّما خصّوه في كل مدينة بصفات لم يُعرف بها في سواها. وان استقصينا البحث عن ذاك المعبود الاصلي ظهر لنا جليًا انما المَعْنيّ به الطبيعة الهيولية بكل قواها فتُبدع وتُفني وتنشئ وتلاشي وتُحيي وتُميت. وكثيرًا ما تخيّلوا انه الشمس الفلكيّة فاقاموا لها مواسم الافراح في الربيع عندما تعود الطبيعة الى حياتها فتحييها بواسطة حرارتها. ولذلك اتّخذوا ايضاً النار رمزًا عن الاله الشمس فعظّموها كاحد اركان الطبيعة وقدّموا لها الذبائح والقرابين المختلفة بل لم يأنفوا ان يضحّوا اطفالهم الصغار لاكرامها وارضائها

واذ كان الفينيقيون يعتبرون البعل ذا مبدأين ممتازين احدهما فاعلٌ والآخر مفعولٌ جعلوا الفاعل ذكرًا والمفعول انثى. وكما ان البعل كان لديهم كالاله العظيم كذلك اعتبروا عشتاروت كالإلهة الكبرى وربما أضافوا اليها إلهًا ثالثاً يدعونهُ طورًا ملكرت وتارة اشمون واحيانًا تموزاو أدونيس

ولمّا رسخ قدم الرومان في سواحل فينيقية ورأوا فيها معبودات الفينيقيين لم يشاؤوا ان يعترضوهم في عبادتهم وانّما ذهبوا الى أنّها هي هي معبودات الرومان. ولنا على ذلك دليل محسوس في هيكل دير القلعة الذي كان مزارًا لاهل بيروت ومحجّهم الرسمي ففيه كان للفينيقيين معبدٌ كبير تُرى اثارهُ باقية حتى اليوم وهناك عبدوا البعل المسمى بعل مَرقد اشتقاقاً من لفظة فينيقية معناها الرقص واللهو كانهم كانوا هناك يجتمعون ليستلموا الى الملاهي والقصف

فلما استولى الرومان على برّ الشام اعتبروا هذا المعبود كالههم الاكبر وهو جوبتر اي المشتري. والدليل عليه كتابات شتى ذُكر فيها المشتري بعل مرقد كأنّ الاسمين لمسمًّى واحد

Maximo. Optimo. Jovi. Balmarcodi.

وكذلك اعتبر الرومان الآلهة الفينيقية عشتروت كالهتهم المسماة جونون المدعوة عندهم إلهة السماء. وكان الفينيقيون ايضاً يسمون عشتروت ملكة السماء. نصّ على ذلك سفرُ ارميا النبي (ف ٧ ع ١٨) ومن الادلة على الامر كتابات عديدة لاتينية وُجدت في دير القلعة ورد فيها مصرحاً اسم «جونون» وقد اعتبروا في كتابات غيرها عشتاروت كالزُهرة المسماة عندهم ڤانوس (Vénus) يؤيد ذلك كتابتان وُجدت الواحدة قرب الشويفات والاخرى في بعلبك ورد فيهما مع جوبيتر اسم ڤانوس ليس جونون. وفضلاً عن ذلك جاء في هاتين الكتابتين اسم الاله ثالث به يتم عدد الثالوث البعلبكي الذي كان يُعبد ايضاً في دير القلعة وهو الاله مركور اي عُطارد. وقد اثبت ذلك حضرة الاب لويس جلابرت في مجموعة المكتب الشرقي(١ والاديب الفاضل ميخائيل افندي موسى الوف في دليل بعلبك. امّا اسم هذا الالهُ الثالث عند الفينيقيين فلم يُعرف صريحاً حتى الآن (راجع مجلّة المشرق السنة العاشرة (١٩٠٧ ص ١٥٨—١٦١)

وكان لكل هذه المعبودات اعياد مختلفة في فصول السنة يحتفل بها الفينيقيون عموماً والجبيليون والبيروتيون خصوصاً. وقد وصفها الاب هنري لامنس في كتابه تسريح الابصار في ما [illegible] من الآثار

على ان هذه الاديان الكاذبة اندثرت مع ظهور المسيح في الحلول والتنهقر ولدينا عدة شواهد تثبت كون بيروت نالها عاجلاً شيء من انوار الدين المسيحي منذ اول ظهور النصرانية. ففي تقليد قديم اثبتهُ الراهب الدومنيكاني بُرخارد في القرن الخامس عشر وقبلهُ كاتب الماني يدعى بيتنباخ (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٨١—٩٨) يلوح منهُ بان السيد المسيح بلغ حتى ثغر بيروت لما بشّر بالانجيل في تخوم صور وصيداء كما روى الانجيليّان متى (١٥ : ٢١) ومرقس (٧ : ٢٤)

وقد بحث في هذه المسألة الاب ألفرد دوران اليسوعيّ في غضون وصفهِ لرحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٣١) فادّعى ان السيد المسيح دخل ثغر بيروت واثبت ذلك استناداً الى آية القديس مرقس حيث يقول في انجيلهِ (٧ : ٣١) انّ يسوع بعد خروجهِ من صور «مرّ في صيداء وجاء فيما بين المدن العشر الى بحر الجليل» فبيّن انّهُ لم يرجع القهقرى ليذهب الى المدن العشر لكنهُ

(١ اطلب Mélange de la Fac. Oriantale

ذهب توًّا اليها على طريق مستقيم فقطع لبنان على السكّة الرومانيّة التي كانت تؤدي من بيروت الى دمشق . وبهِ يزيد رجوح التقليد الراوي لدخول السيد المسيح في بيروت. فتكون عاصمة لبنان نالها شرف خاصّ ينظمها في جملة الاراضي المقدّسة

وما لا شبهة فيهِ انّ الرسل الحواريين في اسفارهم الى انطاكية وعودتهم منها لاسيما بطرس الصفا وبولس الرسول اجتازوا في بيروت غير مرة. ولا يقبل العقل انهم اهملوا دعوة اهلها الى النصرانيّة . وفي المنقولات عن قدماء المؤرّخين انّ بطرس الهامة عند مروره ببيروت جعل عليها اسقفاً يدعى كوارتوس (Quartus) وهو المذكور في رسالة بولس الى اهل رومية (١٦ : ٢٣) وكانت اسقفية بيروت خاضعة في اوّل امرها لكرسي صور لكنّ رقيًّا في الحضارة وشهرتها في العلوم دعت ملوك برزنطية الى الانعام عليها فجعلوها كرسيًّا مطروفوليطيًّا وذلك في اواسط القرن الخامس بفضل الملكين ثاودوسيوس الثاني المعروف بالصغير وفالنتينان وألحقا بها اساقفة جُبيل والبترون وطرابلس وعَرقة وطرسوس . ومما يشهد لرقي النصرانيّة في بيروت ما ورد في تاريخ ساويرس الانطاكي لزخريا المعروف بالخطيب حيث يروي انّ في تلك المدينة كانت ستُّ كنائس مسيحيّة الواحدة منها باسم الرسول يهوذا او تَدّاوس احد تلاميذ المسيح وزعموا انه استشهد في بيروت. وقيل بل هو يهوذا احد السبعين تلميذًا

وتشيّدت احدى تلك الكنائس تذكارًا لحادث ذكره صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ثم صارت بعدئذٍ في ايدي رهبان الفرنج قال صالح (ص ١٧) : « ويزعمون ايضاً انهُ كان بكنيسة الفرنج ببيروت قونة خشب فيها صورة مصوّرة ضربها بعض اليهود بسكّين فصارت تنزف دماً ثم نقلت هذه الصورة الى القسطنطينيّة فبنوا عليها كنيسة يعظمها الفرنج». يشير صالح الى معجزة جرت على ما زعموا في القرن الخامس وخبرُها مدوّن في مجلة اعمال القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة . والصواب انّ كاتبهُ راوٍ اخر سنيُّهُ عاش بعده . وفي اعمال المجمع النيقاوي الثاني ورد ذكر هذه الايقونة التي كانت اولًا ببيروت ولها عيد يُحتفل بهِ في كنائس الشرق والغرب ويذكرهُ السنكسار الروماني ويعيّنهُ في ٩ من تشرين الثاني . والمرجح انها لم تكن ايقونة بل صليباً وقد يدّعي اهل بَلنسية في اسبانية انّ ذلك الصليب لا يزال عندهم يكرمونهُ الى ايامنا هذه وقد اثبتنا في مجلّة المشرق تفاصيل خبرهِ (لهُ صلة)

قصيدة

في مدح ابراهيم باشا المصريّ

توطئة

في مكتبتنا الشرقيّة مخطوط صغير طولهُ ٢٠ سنتمترًا في عرض ١٣ س مجلّد بمُقوّى (كرتون) احمر مع شقّة من الورق الملوّن. لا تتجاوز صفحاتهُ ستّ صفحات وجدناهُ في المكتبة الخفنيّة في دمشق سنة ١٨٨٧ فاشتريناهُ. امّا مضمونهُ فقصيدة قيلت في مديح ابراهيم باشا المصريّ لمّا فتح سوريّة سنة ١٨٣١ وهي قصيدة عامرة الابيات متينة التركيب تبلغ ٦٨ بيتًا قد كُتبت في مخطوطنا بخطّ نسخيّ بديع بالحرف الاسود مع شروح لبعض الفاظها في خلال الابيات بالحرف الاحمر على ورق صقيل ابيض ضارب الى الاصفرار. امّا تاريخها فلم يدوَّن في اوّلهِ ولا آخرهِ وانّما يرجَّح ان صاحبها انشدها ابراهيم باشا ابن محمّد علي عند فتحهِ الشام في سنة ١٨٣٢ او ١٨٣٣. وكذلك لم يتّضح لنا اسم ناظم هذه القصيدة ما لم يكن المسمّى «امين محمّد العطّار» الذي طُبع خاتمهُ في صدر الكتاب وفوق الخاتم بالحبر الاحمر «ملكة امين العطّار» ولا نعلم من امرهِ شيئًا. وعلى كلّ حال رأينا ان ننشر هذا الاثر الادبيّ والتاريخيّ لئلّا تأخذهُ يد الضياع وفيهِ اشارة بيّنة الى انتصار ابراهيم باشا على جزيرة العرب ل. ش

الله اكبرُ جاء النصرُ والظفرُ ... والأمنُ واليُمنُ لمّا ساعدَ القدَرُ
واخضرَّ رَوضُ الأماني فهي حاليةٌ ... كأنّما جرَّ فيها ذَيلَهُ الخَضِرُ(١
وأشرقَ المجلسُ المسعودُ طالعُهُ ... بطَلعةٍ عن سَناها الطَّرفُ يَنحَسِرُ
اعني الوزيرَ الذي أعتابُهُ وَزَرٌ(٢ ... بهِ الوزارةُ كالعَلياء تَفتخِرُ
اذْ للوزارة ناموسٌ بهيبتهِ ... أحياهُ لمّا رآهُ وهو مُحتضَرُ(٣
ما زال منذُ غدا التوفيقُ يصحبُهُ ... لبَيضةِ المُلكِ والاسلامِ(٤ يَنتصرُ

١) الحالية المزيّنة. والخضر البقول ٢) الوَزر الملجأ
٣) يقول انّ للوزارة مقامًا جليلاً كاد قبلهُ يتلف فأحياهُ
٤) بيضة الملك والاسلام حوزتهما

العدلُ يُنشَرُ في ديوانهِ ابداً والشرعُ يأمرُ والصَّمصامُ ينتظرُ
والحقُّ يعلو على الاخصامِ قاطبةً والعلمُ مُحترَمٌ والمالُ محتقَرُ
مَن يَغرسِ العدلَ يَجنِ النصرَ عن ثقةٍ والعدلُ يُثمِرُ ما لا تُثمر الشجرُ
تعظيمُ العلمَ عن فضلٍ ومعرفةٍ ما عظَّمَ العلمَ الّا مَن لهُ خطَرُ
كَمْ في السماء نجومٌ طالَ ما أَفَلتْ وللعلوم نجومٌ ليس تَنكدِرُ(١
صدرٌ ولا ضَجَرٌ فِكرٌ ولا حَصَرٌ نُطقٌ ولا هَذَرٌ مجدٌ ولا بَطَرُ
معارفٌ صدرَتْ عنها عَوارِفُهُ إذْ صَدرُهُ البحرُ لكن لفظُهُ الدررُ
الفاظُهُ وزُلالُ الماء بينها تمازُجٌ ونسيمُ الرَّوضِ والسَّحَرُ
لا يستطيع انصرافاً عن تأمل ما يُملى ويُكتَبُ لا سَمعٌ ولا بصرُ
يَطوى محاسِنَهُ والطيُّ يَنشُرها كما تَبَرَّجَ(٢ في أكمامهِ الزَّهَرُ
مفاخرٌ ليس يُخفيها تواضُعُه وللصباحِ ظُهورٌ ليس يُستتَرُ
ذِكرى مناقبهِ في شرح سيرتهِ مطوَّلٌ لكنِ التَّخليصُ مختصرُ
ان طالعتْ كُتبَهُ اعداؤُهُ كَسَرتْ فِقارَ أظهُرهم من خوفهِ الفِقَرُ(٣
من كلِّ معنًى بديوانٍ يقومُ لهُ قلبُ المخاطَبِ اجلالاً وينفطِرُ
حصنُ العُقابُ غدا من خوف سطوتهِ يَرتجُّ من قبل ان تنتابهُ النُّذُرُ(٤
فسلَّموهُ واخفى الجَرسَ هاربُهم انْ صرصرَ البازُ اخفى سَجعَهُ النُّغَرُ(٥
وفرَّ قعدانُ والاقوامُ تَعذُرهُ اذ فرَّ من أسدِ غضبانَ يَنتصِرُ(٦

١) أَفَلَتْ اي غابت ويقال انكدرت النجوم اذا تناثرت
٢) تبرَّج تباهى وازدانَ ٣) فِقَر الكتاب مقاطيعهُ وسجعاتهُ
٤) حصن العُقاب كان في جهات نجد احتلَّهُ ابراهيم باشا
٥) الجَرَس الصوت الخفيّ. والنُّغَر البلبل وفرخ العصفور
٦) قَعدان احد امراء العرب هزمهُ ابراهيم باشا. وانتصَرَهُ كسرَهُ

يهتزُّ في جَفْنه والدارُ نازحةٌ شوقاً الى وَدَجيهِ الصارمُ الذكرُ(١
قد كان في صيتهِ للقوم مَوْعظةٌ ليت السفيهَ بغير السيفِ يتزجرُ
تخافتوا بينهم إذ زارَ ارضَهمُ بالدارعين فلَوْ صَلُّوا(٢ لما جَهَروا
إنْ مرَّ منهُ خيالٌ في خواطرهمْ ذابتْ مرائرُهم وانحلَّتِ المِرَرُ(٣
توحَّشوا فَرَقاً حتى موارِدُهمْ ما أَسأَرَ البقرُ الوحشيُّ والحُمُرُ(٤
فهاربٌ بجوارِ الرَّألِ معتصمٌ وآخرٌ بوجارِ الضبِّ مُنجحرُ(٥
لولا المفاوزُ وارَتْهمْ لما وَأَلوا هيهاتَ لمْ يَنجُ مَن ميعادهُ سَقَرُ(٦
فالذلُّ إن صبروا والرُّعبُ ان نفروا والقتلُ ان ظهروا والنارُ ان قُبروا
امّا العُصاةُ فقد ماتوا وما دُفنوا خوفاً وامّا الأُولى دانوا فقد نُشروا
وحاربَتْهُ بنو حَرْبٍ فأوردهم من المنيّة وِرْداً ما لهُ صدرُ(٧
فاصبحتْ جثثُهم في البيد ساقطةً كما تساقطَ من اغصانهِ الثمرُ
حتى اذا احمرَّتِ الصفراءُ من دمهم وسالَ في كلِّ وادٍ جدولٌ كَدِرُ
زارَتْهمُ النارُ في الدنيا معاجلةً تلك الربوعَ بما خانوا وما فجروا
تحصَّنوا بالجبال الشامخات فما اغنتْ مَعاقِلُهم عنهم ولا الحذرُ
أخفاهم الرُّعبُ والتأمينُ اظهرهم لمّا استغاثوا فما غابوا ولا حضروا
كان السبيلُ الى البيت الحرام وقد تفاقمَ الامرُ صعباً كلُّهُ خطرُ(٨

١) الوَدَج عرق الاخدع في العنق ٢) . صَلَّ صوَّتَ . والدارع لابس الدرع
٣) المرائر جمع مريرة وهي العزيمة وعزّة النفس . والمِرَر جمع مِرَّة وهي قوّة الخَلْق وشدّته
٤) يقول ان اعداءهُ تفرّقوا في البراري كالوحوش حتى اصبح شُرْبهم ما أَسأَر اي ما أبقاهُ لهم من الماء البقر وحمرُ الوحش
٥) الرأل ولد النعام . ووجارِ الضبِّ وكرُهُ . وانجحر دخلَ فيهِ
٦) وأل نجا . وسقر اسم لجهنم
٧) بنو حرب كانوا موالين للوهابيين في جزيرة العرب فكسرهم ابراهيم باشا لما سار الى محاربة الوهابيين
٨) كان الوهابيّون استولوا على مكّة وتضرّر بهم الحجّاج في سيرهم الى الكعبة

حتى الطوافُ على طَيْفِ الخيالِ بما ظنّوا محالاً فخاب الظنُّ بل خسروا(١
ووكّلَ اللهُ بالحجّاج مشكِلاً عليهِ لا الخوفُ يَثنيه ولا الخَوَرُ(٢
يرعاهُمُ بجَنان كلُّه هِمَمٌ بلا فُتورٍ وطَرْفٍ كُحْلُهُ سَهَرُ(٣
يَهنيه إكرامُ وَفْدِ الله فهو له ذخيرةٌ عند ربِّ الوفد تُدَّخَرُ
جبالُ زادٍ ببحر الآل تحملُها سفنٌ وما ثَمَّ ألواحٌ ولا دُسُرُ(٤
وبالرَّوايا مياهٌ في المفاوزِ من افواهها كالسحاب الجُون تنهمرُ(٥
قُلْ للاعاريب كم رُومٍ وكم عجمٍ راموا الثبات له يوماً فما قدروا
فلا يغرّنكمُ بُعْدُ الديار فما على الأجادل بُعْدٌ حين تبتدرُ(٦
لا غَرْوَ فالاكرمُ المِغوارُ يُذكر في القابه الغُرِّ والالقابُ تُعتَبَرُ(٧
وخيلُهُ لا تَزالُ الدهرَ مُلجَمةً لا الوَهْمُ يلحق مَسْراها ولا النظَرُ(٨
تسيل كالبحر الّا انها ابداً نيرانُ حَرْبٍ على الاعداء تستعرُ
سياطُها العَتْبُ في الغارات ان فترَتْ والخيلُ تُعتَبُ فيما قرّرَ الاثرُ(٩
عَزَّتْ لديه نواصيها فقد غَبَطَتْ جباهَهُنَّ خُدودُ الغيدِ والطُّرَرُ(١٠

١) اي كان المسلمون يفوزون من الطواف حول الكعبة حتى زعموا انهُ امر خيالي محال لكن الممدوح خيّب آمال الاعداء بفتحهِ طريق الحجّ

٢) المتكل عليهِ هو الممدوح

٣) اي انهُ يجعل السهرَ بمثابة الكحل لعينيهِ

٤) يقول انه نقل الزاد الى مكّة على سفن لا تجري على البحر بل في البرّ حيث لا تحتاج الى الواح ولا جسور. اراد بالجبال المدعوّة بسفن البرّ حيث السرابُ يشبهُ ماء البحر

٥) الروايا قِرَبُ الماء. وتنهمرُ تنصبُّ

٦) الاجادل جمع أجدل الصقور وتبتدر تبادر وتسرع

٧) المغوار الكثير الغارات

٨) مسراها سَيْرُها. اي انَّ خيلهُ مستعدّة للقتال وعددها لا يُحصى

٩) اي انَّ خيل الممدوح اذا فترَتْ لا تحتاج الى السياق والضرب. فتُعتَب اي تزيل العتابَ وتُرضي راكبها. يشير الى قول الحديث: عاتبوا الخيل فانّها تُعتَب

١٠) نواصي الخيل شعر رؤوسها. وغبطهُ حسدهُ والغيد جمع أغيد الناعم. والطُّرَر جمع طُرَّة ناصية الجواري تكون على شبه العَلَم

مِنْ كلّ طِرْفٍ اذا ما الطَّرْفُ عاينَهُ تقسَّمتْ لَبَّهُ الاوضاحُ والغُرَرُ(١
اذا جَرَى الماءُ من أعطافهِ عَرَقاً يكاد يُقْدَحُ من أحداقهِ الشَّرَرُ
أعدَّ للحَرْبِ قلباً ما بهِ وَجَلٌ ومدَّ للمجدِ باعاً ما بهِ قِصَرُ
قَرْعُ القَنا وزئيرُ الأُسْدِ يُطربهُ عند الملاحِمِ لا كأسٌ ولا وَتَرُ
ان كرَّ يوماً رأيتَ الهامَ طائرةً كما تدحرجَ في ميدانها الأُكَرُ(٢
من تحتهِ البرقُ الّا انّهُ فرسٌ في سرجهِ اللّيثُ الّا انّه بَشَرُ
لا يُشهِرُ السيفَ في خَطْبٍ يُحاوِلهُ الّا على وَقْعةٍ تزهو بها السِّيَرُ(٣
سيفٌ تبسَّمَ لمّا أن بَكَوا جَزَعاً كأنّما دَمُهم في خدّهِ خَفَرُ(٤
لو لم يكن في الطباعِ البَغْيُ ما طُبعتْ زُرْقُ الأسِنَّةِ والهنديّةُ البُتُرُ(٥
استقرِ آيةَ انزلنا الحديدَ تجدْ في طيّها حِكَماً فيهنّ مُعتَبَرُ(٦
كم أساءَ ذوو جَهْلٍ فعاقبَهم بالحلم والحلمُ يستبقي بهِ الظَّفَرُ
يُنزّهُ الحلمَ عن رأيٍ يسدّدهُ والبحرُ يعلو وما مِنْ طبعهِ الكدَرُ
قد عدّنا صَفَداً من قبلِ مِدحتهِ من بعد أن كانت الأصفادُ تنتظرُ(٧
جَنى علينا رَعاعٌ اصبحوا هَمَلاً فنحن من اجلهم نُجفَى ونَعتذرُ(٨
أحيِ القرائحَ معروفاً ومعرفةً لا يَنبت الزرعُ ما لم يَهطُل المطرُ

---

١) الطِرْف الكريم من الخيل. والاوضاح التحجيل في قوائم الفرس. والغُرَر البياض في جبينه

٢) الأُكَر لغةٌ في الكُرَة التي يلعبون بها شبّه بها الرؤوس المجندلة في الحرب

٣) اي اذا باشر المحاربة سُطّرت وقائعهُ في السير فتفتخر به

٤) الخَفَر شدّة الحياء. اي احمرار وجهه من دماء اعدائهِ يشبهُ ما اتّصف به من شدّة الحياء

٥) اي لولا جَوْر الاعداء لما صُنعت السيوف الهنديّة. والبُتر جمع باتر السيف القاطع

٦) يشير الى قول القرآن في سورة الحديد (٥٧ : ٢٥) : وانزلنا الحديد فيهِ بأس شديد

٧) الصَّفَد العطاء. اي سبقت هباتهُ طالبي معروفهِ

٨) الرَّعاع سَفَلةُ القوم. والهَمَل بلا راع

وامتازَ رَسمي بهِ والشمسُ ترفعُ عن ارض المذلّة طلّاً حطّهُ السَّحَرُ(١)
فضفتُ للشكر عنّاً طالما وأدتْ(٢) ابكارَهُ قلّةُ الاكفاء والغيرُ
ولستُ امدح الّا عن مشاهدة والخبرُ يثبتُ ما لا يثبت الخبرُ
ما الفخر في الملبس المنسوج من ذهب لباسُ اهل العُلى ما تنسجُ الفكرُ(٣)
لا زال منتشراً بعد الدُّعاء له في كل قطر ثناءٌ نشرُهُ عطرُ(٤)

وفي آخر القصيدة ما حرفهُ :

اللهمَّ أَيِّدْ دولتَهُ وايّد عزيمتَهُ واجعل يومَهُ خيراً من امسهِ وأدِمْ حراسةَ مجدهِ ونفسهِ بحرمة سيّد المرسلين صلّى الله عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ اجمعين

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿الشيخ محمّد عبده﴾ لا يجوز ان نفرق بين جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمّد عبده . فانّهما سيّان في النهضة الادبيّة التي حدثت في الشرق الاسلاميّ . ولد الشيخ عبده في اواخر سنة ١٢٦٦ ه (١٨٥٣م) في شنبرا من مديريّة الغربيّة في

١) الطلّ الندى . حطّهُ السَّحَر اي ينزل عنه السَّحَر
٢) الوأد في الجاهليّة دفن الاناث احياء . اي كنتُ اخفي أبكارَ مدحي قبل حضرة الممدوح من قلّة الكفؤ ومن الغيرة على المدح لغير اهله
٣) اي ما يكسوهم به الشعراء من المديح والثناء
٤) النَّشر الرائحة

وامتازَ رَسمي بهِ والشمسُ ترفعُ عن ارض المذلّة طلّاً حطّهُ السَّحَرُ(١)
فضفتُ للشكر عنّاً طالما وأدتْ(٢) ابكارَهُ قلّةُ الاكفاء والغيرُ
ولستُ امدح الّا عن مشاهدة والخبرُ يثبتُ ما لا يثبت الخبرُ
ما الفخر في الملبس المنسوج من ذهب لباسُ اهل العُلى ما تنسجُ الفكرُ(٣)
لا زال منتشراً بعد الدُّعاء له في كل قطر ثناءٌ نشرُهُ عطرُ(٤)

وفي آخر القصيدة ما حرفهُ :

اللهمَّ أَيِّدْ دولتَهُ وايّد عزيمتَهُ واجعل يومَهُ خيراً من امسهِ وأدِمْ حراسةَ مجدهِ ونفسهِ بحرمة سيّد المرسلين صلّى الله عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ اجمعين

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿الشيخ محمّد عبده﴾ لا يجوز ان نفرق بين جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمّد عبده . فانّهما سيّان في النهضة الادبيّة التي حدثت في الشرق الاسلاميّ . ولد الشيخ عبده في اواخر سنة ١٢٦٦ ه (١٨٥٣م) في شنبرا من مديريّة الغربيّة في

١) الطلّ الندى . حطّهُ السَّحَر اي ينزل عنه السَّحَر
٢) الوأد في الجاهليّة دفن الاناث احياء . اي كنتُ اخفي أبكارَ مدحي قبل حضرة الممدوح من قلّة الكفؤ ومن الغيرة على المدح لغير اهله
٣) اي ما يكسوهم به الشعراء من المديح والثناء
٤) النَّشر الرائحة

مصر ودرس مبادئ العلوم الدينيَّة والفقهيَّة في طنطا ثمَّ في الازهر لكنَّهُ لم يجد في شيوخها واساتذتها ما يأنس بهِ عقلهُ حتى قدم الى مصر جمال الدين الافغاني سنة ١٢٨٨ (١٨٧٥م) فحضر دروسهُ مع بعض ادباء مصر وشُغف بتعليمه واخذ عنهُ المنطق والفلسفة وارتوى من روحهِ حتى قام مكانهُ بعد ان أُبعد الافغاني وعُهد اليهِ التدريس في المدارس الاميريَّة فازدحم الطلَّاب لاستماعهِ وحرَّر في الوقائع المصريَّة مقالات أثَّرت في مواطنيهِ كان يدعوهم فيها الى الاصلاح . وفي تلك الاثناء وقعت حوادث عرابي باشا وحوكم هو بسببها وحُكم عليهِ بالنفي . فجاء سوريَّة واقام فيها ستَّ سنوات انتدبهُ في اثنائها رئيس رسالتنا الى شرح مقامات بديع الزمان فلبَّى طلبهُ وأحكم تفسير تلك الطُرَف اللغويَّة التي راجت رواجاً عظيماً فتكرَّر طبعها

ثمَّ سافر الشيخ عبده الى باريس وفيها اجتمع باستاذهِ الافغاني فنشرا « العروة الوثقى » التي مع قصر زمانها اصابت بين المسلمين شهرة كبيرة . وكان الشيخ مدَّة اقامتهِ في عاصمة فرنسة وقف على تمدُّن الغرب ورقيهِ وخمود الشرق وخمولهِ لاسيما بعد ان درس اللغة الفرنساويَّة واطَّلع على كنوزها الادبيَّة . فكان يتألَّم غيرةً لاصلاح امر وطنهِ . ثمَّ اجازوا لهُ بالرجوع الى مصر فتقدَّم لحكومة [illegible] مستشاراً في محكمة الاستئناف وعضواً في مجلس ادارة الا[illegible] [illegible] رئاسة الافتاء في الديار المصريَّة سنة ١٣١٧ (١٨٩٩م) فقام بواجبات منصبهِ احسن قيام الى سنة وفاتهِ سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥م) وهو لا يزال يدعو الى اصلاح الدين وذويهِ . وقد ألَّف كتباً عديدة اكثرها دينيَّة كتفسير القرآن والرسالة في التوحيد . وبعضها منطقيَّة وادبية واجتماعيَّة . ومما لم تستحسنهُ لهُ كتابهُ الاسلام والنصرانية . وفيهِ اشياء كثيرة لا توافق تعاليم النصرانيَّة اخذها عن بعض اعداء النصرانيَّة او حملها على غير معناها . ولو راجع في ذلك علماء الدين المسيحي لوقف على الصواب

﴿محمود باشا سامي البارودي﴾ هو ايضاً من اركان النهضة الادبيَّة في اواخر القرن السابق وغرَّة القرن الحالي . كان من مولَّدي الجركس وكان ابوهُ حسن بك من امراء المدفعيَّة في الجيش المصري . ولد ابنهُ محمود في القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠م) ثمَّ تخرَّج في المدارس الحربيَّة في مصر وتلقَّن فيها مبادئ العلوم فأحرز منها قسماً حسناً وانَّما تغلَّب عليهِ الادب وأُغرم بالشعر العربي واتقن اللغتين التركيَّة

والفارسيَّة وتقلَّب في المناصب العسكريَّة وحارب مع الاتراك في الحرب الروسيَّة سنة ١٨٧٧ وكانت مصر انفذت لمساعدة الدولة العثمانيَّة نجدةً كانت فرقتُهُ من جملتها فكُوفي لحسن بلائهِ برتبة اللواء وتعيَّن سنة ١٨٧٩ مديرًا للجهة الشرقيَّة ثم تولَّى نظارة الحربيَّة ثمَّ الاوقاف ثمَّ المعارف. وكان لهُ يد في الثورة العرابيَّة فنُفي الى سيلان ثم عُفي عنهُ وعاد الى وطنهِ وانقطع فيهِ الى الآداب الى سنة وفاتهِ وكفَّ بصره في اواخر حياتهِ. وهو احد امراء الشعر العربي الحديث يُعَدّ شعرهُ من الطبقة الاولى مع القليل من معاصريهِ من شعراء مصر وشعرهُ يجمع بين السهولة والمتانة

ومن آثارهِ مجموع نفيس دعاهُ مختارات البارودي في اربعة اجزاء ضمَّنهُ اطيب قصائد قدماء الشعراء قسمها الى ستة ابواب واسعة. ودونك مثالًا من شعرهِ قال يرثي زوجتهُ وهو في المنفى :

وردَ البريدُ بغير ما أمَّلتُهُ ... تعِسَ البريدُ وشاهَ وجهُ الحادي
فسقطتُ منشيًا عليَّ كأنَّما ... خشَّتْ صميمَ القلبِ حيَّةُ وادي
وَيلُمِّهِ رُزْءٌ أطارَ نعيُهُ ... بالقلبِ شُعلةَ مارجٍ وقَّادِ

ومنها :

أسليلةَ الفرعَين ايُّ فجيعةٍ ... حلَّت لفقدكِ بين هذا النادي
أعزِزْ عليَّ بأن أراكِ رهينةً ... في جوف أغبرَ قاتمِ الأسوادِ
او أن تَبِيني عن قرارةِ منزلٍ ... كنتِ الضياءَ لهُ بكل سَوادِ
لو كان هذا الدهرُ يقبلُ فديةً ... بالنفس عنكِ لكنتُ اوَّلَ فادي
قد كدتُ اقضي حسرةً لو لم اكُنْ ... مترقبًا لُقياكِ يومَ معادِ
فليكِ من قلبي التحيَّةُ كلَّما ... ناحت مطوِّقةٌ على الاعوادِ

وقال يصفُ حالتهُ في منفاه الى سيلان (وهي سرنديب القدماء) .

لم يبقَ لي اربٌ في الدهر اطلبُهُ ... الَّا مصاحبةَ حرٍّ صادقِ الخالِ
وابن أدرك ما أبغيهِ من وطرٍ ... والصدقُ في الدهر أعيا كلَّ محتالِ
لا في سرنديبَ لي إلفٌ أجاذبهُ ... فصلَ الحديثِ ولا خلٌّ فيرعى لي
ابيتُ منفردًا في رأس شاهقةٍ ... مثلَ النُّظاميِّ فوقَ المَرْبِإِ العالي

اذا تلفّتُّ لم أبصر سوى صُورٍ في الذهن برسمها تنأشُ آمالي
تغنو بيَ الريحُ احيانًا ويلحفني بَرْدُ الظلال ببُرْدٍ منه أسمالي
فلو تراني وبُرْدي بالندى لَثِقٌ لخلتني فرخَ طيرٍ بين أدغالِ
لا يستطيعُ انطلاقًا من غيابته كأنما هو مقولٌ لعقالِ

﴿ عبد اللطيف الصيرفي ﴾ هو شاعر مصري معاصر لسامي البارودي كاد يجاريه في سنتَي مولده ووفاته . ولد في الاسكندرية سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) وتوفي سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤م) تعلّم في المدارس الاهليّة حتى أتقن اللغة العربية والحساب والانظام وبرع بالخطّ فدخل في دواوين التحريرات وخدم حكومة وطنه زمنًا طويلًا ثمّ اشتغل بفنّ المحاماة الى سنة وفاته . صنّف ديوانًا نشره بعد وفاته ابنهُ عبد العزيز وهو مجلّد واسع في ٢٢٠ صفحة طُبع سنة ١٣٣٥ هـ (١٩٠٨م) وشعرهُ سهل وسَط لا يخلو من بعض الرقّة والتفنّن وكذلك نثرهُ لهُ منهُ فصول ومراسلات ومداعبات مسجّعة

وهذا مثل من شعره قالهُ يهجو احد العمّال في دمنهور :

كانت دمنهورُ لنا مهدَ المحاسن والظرائفْ
لا زال ما رقّت عُديرها ربّ النسائفْ
خيرى الخلائق احمد مُحيي المآثر والمعارفْ
وسمت لنادي فضله اهلُ الفضائل والعوارفْ
فاستأسدت بني جم وظللتُ ألتقط الطرائفْ
واقول قد سعدت دمنهورُ ورافت كلَّ طائفْ
لكن جا كلبٌ عَقُورٌ قد بدت منه المخاوفْ
لا زال يطفح كاسرًا فيسوء جالسها وواقفْ
حتى غدت موبوءةً بوجوده والكلُّ واجفْ
فمن الذي يأتي لنا ما دام فيها الكلبُ عاطفْ
ألا وبستورٌ لهُ في كل آونةٍ مساعفْ
ولربما لم يجده تطبيبهُ والداء نافقْ
فالله يخفي رسمهُ منها فتأخذهُ المتالفْ
لأكونَ اوّل آمنٍ واكونَ آخرَ من يجازفْ

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Joseph Huby: VERBUM SALUTIS «Collection de Commentaires sur le Nouveau Testament. I COMMENTAIRE DE L'EVANGILE SELON St MATTHIEU par le P. Alfred Durand. 1 vol., pp. XIV-500, 3e éd. 1924. II COMMENTAIRE DE L'EVENGILE SELON St MARC par le P. J. Huby. 1 vol., pp. XIX-430, 2e éd. 1924 *Paris, Gab. Beauchesne, rue de Rennes*, 117

تفاسير على انجيلي القديسين متى ومرقس

قد باشر الآباء اليسوعيون في باريس منذ عهد قريب طبع مجموع نفيس اطلقوا عليه اسم «كلمة الخلاص» وهو نعم الاسم والمسمّى يريدون به اسفار العهد الجديد وخصوصاً الاناجيل الاربعة المقدّسة اتّفقوا على تفسيرها تفسيراً وافياً مبنيّاً على اصدق ما ورد في كتب الآباء واللاهوتيين وارباب اللغة والاكتشافات الحديثة يستفيد منهُ طلبة المدارس ومحبُّو الشروح الكتابيّة حائدًا عن الابحاث العقيمة مزيلًا للمشاكل العصريّة. والذين يقومون بهذا العمل كلّهم من الاختصاصيين الذين استوطنوا الشرق زمناً وعلّموا عدّة سنين شرح الاسفار المقدّسة. وقد ظهر من هذا المجموع شرح انجيلي القديس متى والقديس مرقس تولّى نشر الاوّل حضرة الاب الفرد دوران فنقلهُ عن الاصل الى اللغة الفرنسويّة نقلًا مدقّقاً وبليغاً معاً ثمّ ألحقهُ بتفسير واسع نظري وعمليّ لا يفوتهُ شيء ممّا وضعهُ العلماء اجمالًا على بساط البحث فيوضح كلّ مسألة بحيث يقتنع من ادلّته كلّ طالب الحقّ. امّا انجيل القديس مرقس فالساعي الى نشره حضرة الاب هوبي وقد صوّر في تفسيره لهذا الانجيل صورة عقله الذكيّ ونفسه التقيّة فجمع بين بلاغة التفسير ودقّة المعاني لاسيما المعاني التقويّة التي يمكن استخلاصها من تعاليم الربّ يسوع. وكلاهما يتحاشى الجدال ويفضّل بيان الحقيقة بهدوء وسكينة. وقد تلقّى الجمهور هذا العمل بكلّ الرضى حتى ان الشرحين تكرّر طبعهما بزمن قريب. وعمّا قليل سيصدر شرح انجيل القديس لوقا لاختصاصيّ آخر حضرة الاب ڤالنسان وشرح انجيل مار يوحنا للاب دوران. ولا نأخذ على هذه

المطبوعات شيئاً سوى دقّة حروفها ورقّة ورقها فيا ليت المتولّين لنشرها يصلحون ذلك في ما ينوون نشره قريباً الاب يوسف ديلنسيغر

MÉLODIES LITURGIQUES SYRIENNES ET CHALDÉENNES recueillies par DOM JEANNIN O. S. B. : MÉLODIES SYRIENNES. I Introduction musicale, *in-4°, pp.* 305, 1924 *édit. Leroux, Beyrouth, Imprimerie Catholique*

الالحان الموسيقيّة في الكنيستين السريانيّة والكلدانية

هذا اوّل كتاب علمي يصدر في الالحان الدينيّة السريانيّة بهمّة حضرات الآباء البندكتان دون جانّان ومساعدة اخويه الراهبين دون بوياد (Don J. Puyade) ودون لاسال (Dom A. Chabas Lassalle) وليس هذا القسم سوى مقدّمة جميلة وافية في الموسيقى الدينيّة في الكنائس السريانيّة تبلغ ٣٠٥ صفحات من قطع الربع شرح فيه المؤلفون كل ما يُعرف من اوزان الموسيقى الكنائسيّة والحانها وقواعد انغامها فأحسنوا ما شاؤوا. وقد سُررنا بانّ تأليفهم هذا نال رضى الحبر الاعظم والحكومة الفرنسويّة تخصّ بمساعدتها. ويا ليت يقوم احد كهنة السريان بتعريب هذا الكتاب الجليل. وقد تشرّفت مطبعتنا الكاثوليكية بنشر هذه الطرفة الجليلة. وعمّا قليل ان شاء تصدر الالحان الكنسيّة مضبوطةً بالعلامات الموسيقيّة وبذلك يتوارثها الخلف دون ان يصيبها فساد كما نرى في الالحان الشرقيّة

G. Levenq S. J. : La Première Mission de la Cie de Jésus en Syrie 1626-1774. I *vol. in-8°. Beyrouth. Impr. Catholique*, 1925, *pp.* 97

تاريخ رسالة اليسوعيين القديمة في سوريّة

لم يُكتب حتى اليوم تاريخ لرسالتنا القديمة في سوريّة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ففكّر حضرة الاب لوفنك ان يسدّ هذا الخلل بهذه الخلاصة التي تتبّع فيها اجمالاً اعمال الرهبانيّة اليسوعيّة من مبادئها سنة ١٦٢٥ الى السنة ١٧٧٤ حيث أُلغيت ببراءة البابا اقليمس الرابع عشر. ومع كونها مختصرةً فهي تشمل مجمل اعمال الرهبانيّة في أديرتها الخمس: حلب ودمشق وصيداء وطرابلس وعنطورا. مع ذكر مشروعاتها المختلفة لخدمة الكنائس الشرقيّة في سوريّة ومشاهير رهبانها كالآباء اميو وشيزو وكويرو وفروماج. وفي آخر الكتاب فهرس واسع للاعلام والمواد ل. ش

René Basset: MILLE ET UN CONTES, RÉCITS ET LÉGENDES. I Contes merveilleux, Contes plaisants. 1 *vol. in*-8°, 552 *p. Paris, Maisonneuve*, 1924, *Prix* 55 *f*°

الف رواية ورواية

قد فُجعت الدروس الشرقية آخرًا بوفاة مؤلف هذا الكتاب المستشرق الكبير رينه باسيه بعد ان خدم في الجزائر الآداب الشرقية مدة سنين طويلة. وهذا الاثر الاخير هو مجموع فريد من تآليف عربية عديدة يبلغ عددها نحو الثمانمائة اختار منها روايات وقصصاً ونوادر في عدد ١٠٠١ معارضاً بذلك كتاب الف ليلة وليلة وقد نقل تلك المنتخبات الى اللغة الفرنسوية واشار الى اصلها وذيّل كل قطعة ببعض الملحوظات المفيدة. وهذا القسم الاول لا يحتوي الّا ٢٢٩ قطعة وهو متقن الطبع محكم الترجمة الفرنسوية يفيد كلّ من يسعى الى نقل المنتخبات العربية الى الافرنسية. فنتمنى للكتاب رواجاً كبيراً بين الشرقيين والمستشرقين وننتظر بفروغ الصبر صدور الاجزاء التالية منهُ ل. ش

Baraude (Henri): AUX PAYS DU MIRAGE, SYRIE ET PALESTINE. 1 vol. in-8°, Paris, 1924. 16 planches en couleur. Société d'éditions géogr., maritimes et coloniales

رحلة الى بلاد السراب : سورية وفلسطين

هذه رحلة تضاف الى الرحل العديدة التي يصنفها السيّاح بعد تجوّلهم في اصقاعنا. والحقّ يقال انّنا لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر وانّما المؤلف يصف لنا غالباً عواطفهُ لدى مشاهدته البلاد. لكنّنا استحسنّا تصاوير الكتاب الملوّنة التي رسمها بيده. وقد وقع في تآليفهِ عدّة اغلاط فانهُ (ص ٥٠) يجعل بيروت عاصمة سورية. وكتب اسم غزير Ghazis واسم افقا Aphoca وزعم انّ آثار جبيل هي في متحف اللوفر في باريس. وخلط (ص ١٥٨) بين خارطة الشام وجزيرة العرب ج. ل

Hederer (Charles, Docteur): L'ILE DU CHATEAU - ROUGE (CASTELLORIZO). Extrait de la Revue Maritime. 1 *vol. gr. in*-8°, 1924, *Paris ibid.*, *Prix* 3 *f*°, 50

جزيرة القصر الاحمر (كستلوريزو)

هذه الجزيرة احدى جزائر بحر سفيد الصغير لا يزيد طولها على سبعة كيلومترات

وعرضها على اربعة احتلّها الفرنسويّون في أيّام الحرب الكونيّة بعد احتلالهم ارواد وهي قريبة من برّ الاناضول من القاطعة المعروفة عند اليونان بليقيـة (Lycie) . فؤلف هذا الكتاب يصف لنا الجزيرة وتاريخها القديم واخلاق اهلها وما صنعته فرنسة لخيرهم عند احتلالها فنُزعت منها بعد الحرب

Ducrocq (Geoges): Le Journal de Soleiman. 1 *vol. in*-12,*s. d.*,*Paris, Rouart et Watelin*

مذكّرات سليمان

سليمان اسمٌ لشابٍّ من العجم تخيّلهُ الكاتب المسيو دوكرو ونسب اليهِ الاكتتاب في الجيش الفرنساوي ثمّ الرجوع الى وطنهِ العجم في بدء الحرب الكونيّة فيدوّن هناك مذكّراتهِ ويقصّ لمواطنيهِ ما وجده في فرنسة من الاشخاص والاعمال والاخلاق وذلك بطريقةٍ مبتكرة بهجة فكهة وانشاء عصري منسجم يسيل رقّةً وعذوبة . فقد قرأناهُ بكلّ شوق ورأيناهُ يفوق على كتاب منتسكيو الذي عنوانهُ « الرسائل الفارسيّة» (Lettres Persanes) فتمنّى لهذا الكتاب كل رواج ونحضّ كاتبهُ على ملازمة الكتابة [illegible]

Gilbert Gile-Nicaud. Le rai[illegible] m[illegible]ieux [illegible] Fulletier Doisy. *Paris-Tokio en avion*, 66 *Photogr. et C[illegible]tes, in*-1[illegible] *Paris, Plon*

الطيران من باريس الى توكيو

روت الجرائد في العام الماضي الشوط العجيب الذي قام بهِ الطيّار بلّتيه دوازي بين باريس وتوكيو عاصمة اليابان . وهذا الكتاب قد خُصّ بوصف هذه الرحلة الجوّيّة . وبيان فوائدها من الوجه الاقتصادي ومن الوجه الادبيّ . فالاقتصادي للمعاملات الماديّة بين فرنسة والشرق الاقصى والادبيّ لافادة اليابانيين من التمدّن الاوربّي ولمعرفة الاوربّيين باخلاق اليابانيّين وشؤونهم . وقد مدح احد المحامين الصينيّين في ثنتاي هذه الرحلة قائلاً : لو رأينا في جوّنا كثيرين من جنس « دوازي » لعرفنا فضل فرنسة على سواها من الدول ج . ل

Comte J. Du Plessis. La vie héroïque de Jean Du Plessis, Commandant du Dixmude 1892-1923 *in*-16, *s. d.* 2 *Grav. hors texte et* 2 *Cartes, Paris. Plon*

سيرة البطل جان دوبلّس

في اواخر كانون الاوّل من السنة ١٩٢٣ تناقلت الجرائد خبرًا مفجعاً وهو سقوط

الكومندان جان دوبلسي في شواطئ صبلية من المركبة الهوائية المرسلة لاستكشاف اواسط افريقية . فاسف الجميع لفقدان هذا الضابط الشهير في ريعان شبابه . وقد تشرفت جنازته بحضور كبار دولة فرنسة واشرافها فقال في رثائه وزير البحرية : «قد فقدنا اليوم فضائل رجل قديس وايمان رسول . فانَّ حياته وموته يدلان على شهامة بطل » وليس هذا المدح كلاماً فارغاً . فانَّ ترجمة حياته التي نحن بصددها قد كتبها ابوه الاسيف فيلوح منها صدق الثناء الذي قاله وزير البحرية . فان جان دوبلسي كان كاثوليكياً عريقاً في دينه وبطلاً شهماً في خدمة وطنه ج . ل

Joseph-Barthélemy : Le Gouvernement de la France. I vol. in-8°, nouvelle éd., Paris, Payot. 1924, Prix 12 f°

الحكومة الفرنسوية

يبحث مؤلف هذا الكتاب عن الحكومة الفرنسوية من حيث تركيبها ودوائرها ونظامها ويتتبع دستورها وقوانينها التي بموجبها يُساس الشعب الفرنسوي وما جرى عليها من التطورات والتحويرات مع وصف قوانين الانتخابات السياسية وقوانين الضرائب . فهو كتاب فريد في جنسه كتبه احد الاختصاصيين الذي هو عضو من اساتذة الحقوق والعلوم السياسية في باريس واحد مبعوثي مجلس الامة لم يَفُتهُ شيء عن تعريف احوال دولته . ولعلهُ اوّل كتاب يحيط علماً بكل امور فرنسة الادارية فلا غنى عنهُ لكلّ طالب الوقوف التامّ على تركيب الحكومة الفرنسوية ل . ش

Boyer d'Agen : Ave Cæsar. I vol., Paris, 1925 à la Sinie, Société moderne d'impression et d'édition

السلام لقيصر

المسيو « برايه داجن » من كتبة فرنسة البليغين قد اشتهر خصوصاً بدرس تاريخ الرومان وسياستهم . وهذا الكتاب الجديد قد بيّن فيه كيف اتّصلت الدولة الرومانية الى اوج عزّها لا ينقصها شيء من وسائل التمدّن المادي وكيف سقطت بغتةً لخلوّها من تلك الحياة الادبية الباطنة التي لا ثبات للدول دونها . وبينما كان العالم الروماني على شفير الفناء قام من بين خرابه ذاك الفرعُ الصغير فرع الدين النصراني الذي نما وامتدَّ ظلّهُ الى كافة انحاء المعمور . والمؤلف يستند لاثبات حقيقة كلامه الى

بعض المكتشفات الحديثة التي ترقى الى قرون النصرانيّة الاولى ل . ش

Louis de Launay: La Terre, sa structure et son passé. 1 vol. in-16, Paris, Callection Payot. Prix 5 f

الارض: تركيبها وما فيها

قد ألّف المسيو دي لوناي سابقاً كتابين في جيولوجيّة الارض وفي تاريخ الارض. وها هوذا اشفعهما بكتاب ثالث هو تتمّة الاوّلين شحنهُ بفوائد لا تُرى الّا مفرّقة في سواه وكفى القول لتعريف المؤلف بان نقول عنهُ انهُ احد اعضاء اكادمية العلوم في باريس . فهو يفتتح كتابهُ بوصف موقع الارض نسبةً الى الاملاك وكيفيّة تركيبها اصلًا الى زمن جمودها وتصلّبها ثمّ يتخطّى الى ذكر طبقاتها وهيئتها الطبيعيّة ثم يذكر ما جرى فيها من المظاهر والتقلّبات في باطنها وخارجها الى ان اصبحت على صورتها الحاليّة مع قاراتها وبحورها ومواليدها الثلثة من جماد ونبات وحيوان وما تحجّر منها. فترى كم يحتوي هذا الكتاب من الابحاث الشائقة التي يتعطّش القرّاء الى الوقوف عليها ل . ش

M. Neveu-Lemaire : Principes d'hygiène et de médecine. 1 *vol. in* - 8° *illustré*, 1925, *Paris, Société d'édit. géogr., marit. et coloniales, Prix* 17 *f*

مبادئ صحيّة وطبيّة

ألّف هذا الكتاب طبيب رحّالة سافر الى المستعمرات الاجنبيّة وخصوصاً المستعمرات الواقعة في دائرة الانقلاب فبحث عن الامراض التي تحدث في تلك الجهات واسبابها وعلاجها واضاف اليها معلومات جمّة عن عادات اهلها وما فيها من النباتات الطبيّة والجراثيم المعدية. فجاء تأليفاً غاية في الافادة ليس فقط لتلك المناطق البالغة الحرارة لكن لكل البلاد الحارّة عموماً كسوريّة ومصر فيقدر الوطنيّون ان يستفيدوا من ملحوظاته ج . ل

Guyon (René): Anthologie Bouddhique. 2 *vols. in*-16. *Paris, Éd. Crès et C*ie, 1924, *Prix* 13 *f*

منتخبات من التآليف البوذيّة

كان محل كراي في باريس نشر سابقاً منتخبات من كتب المذاهب الوثنيّة المختلفة.

وقد خصّ هذين الجزئين بالمذهب البرذي اختارهما من اخصّ التآليف البرذيّة. وقد قدم موادّهما على ابواب شتى كحياة بوذا وتعاليمه وملّته والمرويّات عن تاريخه وتاريخ تبعته. وقد صدّر هذه المنتخبات بمقدّمة حاول منها تعظيم بوذا ومخلّصه. لكنّ من يطالع هذه المنتخبات يجد بوذا وشيعته ومذهبهُ اجدر بالازدراء والاحتقار لسخافة صاحبها وغرابة تعاليمه. فهيهات ان تروي غليلًا لطالب الحقّ ج. ل

كتاب التأملات اليوميّة في الحقائق المسيحيّة

للاب شيقاسي خوري اسقفية سان كلود: المجلّد الثالث

تعريب القس مبارك ثابت الديراني طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٣٥ (ص ٥٠٢)

سبق لنا وصف المجلّدين الاوّلين من هذه التأملات اليومية التي يحتاج اليها المسيحيون عموماً والاكليريكيون خصوصاً. وهذا المجلّد يحتوي ٩٢ تأملًا للاسابيع الثلثة عشر الواقعة بعد العنصرة. وهذه التأملات حسنة التقسيم غزيرة المادّة متينة تفي وهي تصلح للقراءة الروحية اليومية بما تتضمّنه من التعاليم الخلاصية. [illegible] حضرة القس مبارك على مواصلته لتعريب هذه التأملات ونؤمل من نشاطه ان يلحقها قريباً بالمجلّد الاخير وبهِ يتمّ الدور السنوي. والكتاب غاية في الرخص (٢٠ ق س) يُطلب من مؤلفهِ في مدرسة الرهبان اللبنانيين في بيروت او من مطبعة الاجتهاد. ويا ليتهُ طُبع على ورق اصفق ل. ش

كتاب العفاف للاسقف جيرو اسقف ڤالنس

تعريب الابوين برنردوس وبطرس الاهمجيين اللبنانيين

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٣٤ (ص ١٤٠)

ما احوج هذا العصر الفاسد الى العفاف والطهارة. فانّ روح العالم كلّهُ متّجهٌ الى الشهوات الدنيئة واطلاق العنان للنفس الامّارة فاحسن حضرة الابوين برنردوس وبطرس بتعريبهما هذا الكتاب لاحد احبار فرنسة الاجلّاء. وفيهِ كلّ ما من شأنهِ ان يعزّز طهر القلب وتقاوة النفس ويقبّح الاميال المنحرفة والاعمال الدنسة ويردّ

على الاعتراضات الباطلة التي يلوذ بها الشهوانيون لتزكية نفوسهم والاستسلام الى اهوائهم مع بيان العلاج لذلك الداء العياء بذكر خوف الله وعقابه النفوس الاثيمة وبالالتجاء الى نعمته واسراره للنجاة من ذلك النير الباهظ الذي يهبط بالانسان الدنس الى قعر الذلّ والعار حتى في هذه الحياة

النعمان ملك الحيرة في بني شيبان

رواية ذات اربعة فصول لحضرة الخوري يوحنّا طنوس

طُبعت في مطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٤

قد امتاز حضرة الخوري يوحنّا طنوس منذ سنين طويلة بتصنيف الروايات التمثيلية التي يُحسن صوغها ويحكم تنظيمها وسياق ادوارها فيحضرها الجمهور بكل شوق ويستفيدون من تمالينها الادبيّة دون ان تُخدَش آذانهم بكلمة ماجنة او يقع نظرهم على ما يستهجنهُ البصر العفيف. وهذه رواية النعمان من هذا النمط وهي تصوّر احد ملوك الحيرة النعمان ربّ الخورنق والسدير بعد قتلهِ لعديّ بن زيد في موقف حرج فيطلب منهُ الانتقام زيد بن عدي وأبيّ حفيدهُ والموالون لهما من العجم بينما يناصرهُ ويدافع عنهُ بنو بكر والمنتمون اليهم الى ان تدور عليهِ الدوائر. وكنا وددنا لو تُقدّم على الرواية مقدمة تذكر خلاصتها التاريخيّة ل. ش

كتاب الاصنام لابن الكلبيّ

تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا

المطبعة الاميريّة بالقاهرة سنة ١٣٣٢–١٩١٤

كنا أيسنا من الحصول على هذا الكتاب المطبوع قبل عشر سنين فأتحفتنا بهِ آخرًا دار الكتب الخديوية. فاقبلنا على مطالعتهِ بكل رغبة فاذا هو اثر جليل لاحد قدماء الكتبة وقف على نسخة وحيدة منها جناب المحقّق المدقق الاستاذ احمد زكي باشا فنشرها نشرًا متقنًا وذيّلها بالملحوظات المشبعة بل ضاعف قيمتها بما تقدّم عليها وألحق بها من المعلومات الممتعة عن ابن الكلبيّ وسيرتهِ وتآليفهِ وخصوصاً عن

كتاب الاصنام ثمَّ عن الأدباء الذين ورد ذكرهم في كتاب الاصنام كراوي الكتاب المرزباني وناسخهِ الجواليقي وغيرهما هذا مع فهارس واسعة . فجاء الكتاب سفرًا جليلًا تردان بهِ مكاتب الشرقيين والمستشرقين كما تحلَّى جيدها بطبعة الموما اليهِ لكتاب التاج في اخلاق الملوك للعلَّامة الجاحظ

ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان

للقس بطرس نصري الكلداني

طُبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين (مجلَّدان ص٥٩٩ و ٦٤٨ ١٩٠٥-١٩١٣)

قد تلطَّف غبطة السيد عمانويل يوسف توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبى فأهدانا نسخةً من هذا التاريخ النفيس الذي ضمَّنهُ مؤلفهُ المرحوم (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٦٥٧-٦٦٠) معلومات تاريخيَّة واسعة عن تاريخ الكلدان والسريان منذ عهد الرسل الى ايامنا . على انَّ الحرب الكونيَّة لم تسمح له بانجاز المجلَّد الثاني فوقف عند اخبار القرن التاسع عشر في عقدهِ الرابع فتضاءل الاشواط الصعبة ولم يبقَ سوى تاريخ الازمنة الاخيرة . لكنهُ سدَّ نوعًا النقص الباقي من تاريخ كلدو واشور للمثلَّث الرحمات مطران سعرت اذي شير وقد احسن القس نصري بجمعهِ بين تاريخي الكلدان والسريان لما بين الطائفتين من العلائق الوثيقة ولامتزاجهما غالبًا في العراق وما بين النهرين . اثاب الله كاتبهُ على هذا العمل المأثور ل . ش

شذرات

﴿ رسالتان رعائيَّتان ﴾ بمناسبة الصوم الاربعيني نشر نيافة القاصد الرسولي السيد فريديان جيانيني وسيادة المطران باسيليوس قطان رسالتين رعائيَّتين الواحدة في التساهل الديني والاخرى في الصدق وهما مختلفتان لفظًا متَّفقتان معنًى فانَّ الاولى تشجب ذاك التسامح الزائد الذي يتستَّر تحت كنف المجاملة والاتحاد الوطني ليضحِّي المبادئ الدينيَّة والوحي الالهي فيفضي الى الكفر والزندقة الساعية اليها الشيعة

كتاب الاصنام ثمَّ عن الأدباء الذين ورد ذكرهم في كتاب الاصنام كراوي الكتاب المرزباني وناسخهِ الجواليقي وغيرهما هذا مع فهارس واسعة . فجاء الكتاب سفرًا جليلًا تردان بهِ مكاتب الشرقيين والمستشرقين كما تحلَّى جيدها بطبعة الموما اليهِ لكتاب التاج في اخلاق الملوك للعلَّامة الجاحظ

ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان

للقس بطرس نصري الكلداني

طُبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين (مجلَّدان ص٥٩٩ و ٦٤٨ ١٩٠٥-١٩١٣)

قد تلطَّف غبطة السيد عمانويل يوسف توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبى فأهدانا نسخةً من هذا التاريخ النفيس الذي ضمَّنهُ مؤلفهُ المرحوم (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٦٥٧-٦٦٠) معلومات تاريخيَّة واسعة عن تاريخ الكلدان والسريان منذ عهد الرسل الى ايامنا . على انَّ الحرب الكونيَّة لم تسمح له بانجاز المجلَّد الثاني فوقف عند اخبار القرن التاسع عشر في عقدهِ الرابع فتضاءل الاشواط الصعبة ولم يبقَ سوى تاريخ الازمنة الاخيرة . لكنهُ سدَّ نوعًا النقص الباقي من تاريخ كلدو واشور للمثلَّث الرحمات مطران سعرت اذي شير وقد احسن القس نصري بجمعهِ بين تاريخي الكلدان والسريان لما بين الطائفتين من العلائق الوثيقة ولامتزاجهما غالبًا في العراق وما بين النهرين . اثاب الله كاتبهُ على هذا العمل المأثور ل . ش

شذرات

﴿ رسالتان رعائيَّتان ﴾ بمناسبة الصوم الاربعيني نشر نيافة القاصد الرسولي السيد فريديان جيانيني وسيادة المطران باسيليوس قطان رسالتين رعائيَّتين الواحدة في التساهل الديني والاخرى في الصدق وهما مختلفتان لفظًا متَّفقتان معنًى فانَّ الاولى تشجب ذاك التسامح الزائد الذي يتستَّر تحت كنف المجاملة والاتحاد الوطني ليضحِّي المبادئ الدينيَّة والوحي الالهي فيفضي الى الكفر والزندقة الساعية اليها الشيعة

الماسونيّة . اما الثانية فتؤيد الصدق المسيحي وتنفي كل مماراة وكذب ليسير المسيحي بالنزاهة والاستقامة على موجب وصايا السيد المسيح وتعاليم الكنيسة والآباء وادلة العقل الصائب . فنوصي جميع القرّاء بهذين المنشورين النفيسين ليحرزوا فوائدهما الجليلة

﴿ظهور العرفان وغرائبهُ﴾ تهنئ صاحب العرفان لظهور مجلّته بعد انحجابها اشهراً وفيها ما فيها من المقالات اللغويّة والتاريخيّة والادبيّة التي تروق القرّاء مطالعتها وقد استحسنا فيها خصوصاً مقالة الغريب الفصيح في العامي وذلك يؤيد ما قلناهُ سابقاً في فائدة درس اللغة العاميّة لا لاقامتها مقام اللغة الفصيحة بل لاجتناء بعض خواصّها . لكننا مع شكرنا لصاحب العرفان مضامين مجلّته المستحسنة أسفنا لآثار تعصبه الذميم الذي كنّا ظننّا انهُ يحيد عنهُ . فمن ذلك ما قالهُ عن اليسوعيين لدى مروره على تعنايل وكسارا فروى ما حرفهُ : « وقيل لنا انَّ هذه الاملاك الواسعة صادرتها الحكومة العثمانيّة من الوطنيّين واعطتها لليسوعيين في حادثة الستين ارضاء لفرنسة وهكذا المحترمون يأكلون خبزهم بعرق جبينهم »

فكم وكم من الاكاذيب في هذه الاسطر القليلة . فانَّ ارض كسارا قد اشتراها اليسوعيّون بمالهم . امّا ارض تعنايل فكانت ارض مشاعة للدولة العثمانيّة وهي سبخة تغمر قسماً كبيراً منها المستنقعات واعطتها الدولة العثمانيّة لماش ثلثمائة من اليتامى الذين ذهبوا ضحيّة مذابح سنة الستين . وكان حقّ اليسوعيين ان يطالبوا بها كتعويض عن نهب وحرق ديرهم في زحلة وقتل خمسة من رهبانهم وها قد مرَّ عليها ٦٥ سنة يسعى اليسوعيون في حرثها واستثمارها فصارت الى ما هي مجدهم وكدهم . فيرى بعد هذا صاحب العرفان انَّ تهكُّمهُ بحقّ اليسوعيين اصدق ممّا ظنّ فانهُ هكذا « يأكل هؤلاء المحترمون خبزهم بعرق جبينهم »

ومن تعصّب صاحب العرفان الذميم قولهُ في حقّ ذلك المفوض السامي الجنرال ڤيغان الذي عرف الجميع فضلهُ إلّا احمد عارف الزين فكتب (ص ٣١٠) عنهُ « ومع انَّ الرجل كان ممدوح السيرة فلم نرَ انهُ عمل عملاً محسوساً » أيا ترى أكان ممكناً لرجل ان يأتي باعمال محسوسة كما اتى ڤيغان مع قصر زمانه بيننا . الّا انَّ صاحب العرفان يغشي بصره فيجحد وجود النور — وما علمهُ ولم نعلمهُ قولهُ لقارئه (ص ٥٢٨) :

«هل علمت ان الاسبانيين لما استولوا على قرطبة حرقوا مليوناً وخمسين الف مجلّداً من كتب المسلمين واتلفوا سبعين الف مكتبة من مكاتب الاندلس كما قال فندي في تاريخه» فهذه هي الخرافة التي عشّشت في عقول بعض الكتبة وقد اثبتنا مراراً كذبها ولكن لا صوت لمن تنادي. فليراجع ما كتبناه في هذه السفاسف الصبيانيّة ردّاً على صاحب المقتبس في المشرق ٢١ : ٣١٧–٣١٨ و١٣ [١٩١٠] : ١٥٨–١٦٠ و٢٠ [١٩٢٢] : ٦٦٨ و٧٤٩ وقد زادها صاحب العرفان خرافةً على خرافة فزعم ان الاسبان «اتلفوا ٧٠،٠٠٠ مكتبة (كذا)». ثمّ استند في قوله الى فندي في تاريخه فنطلب اليه ان يفيدنا من هو هذا «فندي» الذي لا وجود له الّا في دماغ صاحب العرفان. وكفى بذلك دليلاً على صدقه في هذه الروايات فليدعُنا جنابهُ بعد هذا «بالتمسّ المتعصّب» كما قال عن حقارتنا (ص ٣١١) فاننا نفضّل التعصّب للحقيقة الجليّة الواضحة على التعصّب الاعمى الذي ينكر نور الشمس. ولنا ملحوظات غير هذه على اعداد العرفان الجديدة فنكتفي اليوم بما قلنا

﴿احتجاجنا على التعليم العالمي اللاديني﴾ نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت الحبر الجليل السيد انطونيوس بارك رئيس اساقفة بيروت على [illegible] معه على ما فاه به حاكم لبنان بامر المدارس العالمية اللادينيّة التي استحسن طريقتها في حيادها عن الدين زاعماً انها هي التي تصلح لهذه البلاد وتؤلف بين عناصرها المختلفة وتجمع القلوب في حبّ الوطن ومتّهماً على عكس ذلك زوراً المدارس الدينيّة بالقاء بذار التفريق بين المواطنين كأنّ الاديان ليست اكبر عامل على الاتّفاق واقوى دافع الى بذل النفس والنفيس في خدمة الوطن. وبهذه المناسبة نحيل قرّاءنا الى مقالة كتبناها في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٦٢٠–٦٢٦) ثمّ طبعناها على حدة وبيّنّا فيها انّ المدارس العالمانيّة هي منبع كثير من الشرور بتعاليمها الناقضة لاركان المجتمع الانساني. وان قول اصحابها بانهم يضربون الصفح عن الدين كذبٌ محض وانّ التعليم اللاديني شاء اصحابهُ ام أبوا هو ضرورةً عاملٌ على تقويض اساس الدين وبذر الروح الكفري

﴿رئيس الرهبان المرسلين في اليابان﴾ هو الاب سوره (Soret) الذي قدّمهُ الامير ياماموتو الى وليّ عهد اليابان في ٢٦ كانون الاوّل الاخير فسُرَّ باستقباله واثنى على اعمال رهبانه واهداهُ وسام الشمس من رتبة كومندور. وفي ذلك دليل واضح

على اعتبار اليابانيين للكنيسة الكاثوليكيَّة ولممثليها

﴿من هو الرأس تغاري﴾ ذكرنا في العدد الاخير سفر وليّ عهد الحبش الى رومية وباريس وقد قلنا انهُ ابن الراس ماكونين وابن اخي منليك وقد وقفنا على سبب تقرُّبهِ من الكاثوليك واكرامهِ للحبر الاعظم . وذلك انَّ اباهُ كان رُزق عشرة بنين فماتوا كلهم صغاراً فلمَّا ولد تغاري وبلغ الرابعة من عمرهِ اخذهُ ابوهُ وقدَّمهُ للسيد تورين (Mgr Taurin) النائب الرسولي على رسالة الكبوشيين في الحبشة قائلاً : لم يبقَ لي احد من اولادي غير هذا فاسلّمهُ الى يدك لكي تحفظهُ لي ولوطني . فاخذهُ السيد الجليل وقبّلهُ ثمَّ نزع عن صدره صليبهُ الاسقفي وجعلهُ في عنق الصبي ثمَّ عُني بتربيتهِ فنشأ محبًّا للمحسن اليهِ وللرسالة الكاثوليكية

﴿ملحوظات على بعض مزاعم الكليَّة﴾ قرأنا في عدد الكليَّة الاخير (شباط ١٩٢٥ ص ١٧٨) في مقالة الاديب انيس افندي النصولي :

« كانت (الكلية اليسوعيّة) تعلّم باللغة العربية اوَّلاً فعدلت عنها بعدئذٍ الى اللغة الفرنساوية وبذلك تكون ايضاً قد وهت لغة الوطن بسهم صائب اذا لم يتدارك ابناء البلاد حقوقهم بمطالبتهم التدريس في لسانهم »

فنقول لجناب الكاتب انَّ كليَّتنا لم تغيّر مطلقاً خطّتها في تدريس العلوم العصرية فانَّها دائماً درَّستها باللغة الفرنساويَّة فلم تحرِ بذلك على مثال الجامعة الاميركيَّة التي علَّمت بضع سنين بالعربيَّة ثمَّ عدلت الى الانكليزيَّة . وامَّا السبب بل الاسباب التي دفعت مدرستنا الاولى في غزير ثم خليفتها في بيروت الى التدريس بالفرنساويَّة انَّ العلوم العصريَّة تأتينا من اوربَّة وخصوصاً من فرنسة مع كتبها المدرسيَّة المتجدّدة والمحسَّنة سنةً بعد سنةٍ مع اصطلاحاتها وادواتها ومجلّداتها العلميَّة . فلو درَّسها اليسوعيُّون بالعربيَّة لضاقت بهم طرق التعليم واكتفوا بالمطبوعات العلميَّة العربيَّة القليلة والقاصرة التي طُبعت في مصر ثمَّ في المطبعة الاميركانيَّة البيروتيَّة ومعظمها لم يُطبع الَّا طبعة واحدة في مدَّة خمسين سنةً فيفوتها معظم الاكتشافات العلميَّة بعد زمن قليل . وما عدلت الجامعة الاميركانيَّة الى التدريس بالانكليزية الَّا للاسباب ذاتها . فكان نظر اليسوعيين أصوب وادقّ

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد قرّاء مجلة المقتطف عن رأينا في ما ورد في عددها الاخير (مارس ١٩٢٥ ص٣٤٦) حيث جاء لصاحبها جواباً على من سألهُ: «يوجد شيء من لا شيء: ما حرفهُ: «اذا اطلقنا كلمة الشيء على القوّة الكهربائيّة صحّ القول انهُ لا يوجد شيء من لا شيء واذا لم نحسب القوّة شيئاً صحّ وجود الشيء من لا شيء وحينئذ يصحّ قول الفلاسفة انَّ الخالق اوجد المادّة من لا شيء لانه اوجدها من القوّة»

وجود شيء من لا شيء على رأي المقتطف

ج رأينا انَّ هذا الجواب احد اغلاط المقتطف المعدودة. والحقّ يقال انّنا لا نفهم كيف تكون الكهربائيّة قوّةً وتكون مع ذلك لا شيء. فان هذا نفس التناقض. وان عُدَّت الكهربائيّة شيئاً ولا بدَّ من القول بهِ وقيل انَّ الخالق كوَّن منها المخلوقات نُفي في الوقت ذاتهِ خلق الله العالم من العدم ولا يكون تعالى الّا مركباً ومهندساً استعان بالقوّة الخارجة عنهُ لتكوين المخلوقات وتكون هذه القوّة مساوية لهُ في القِدَم وهذا ما يزعمهُ الملحدون

س وسأل من الموصل حضرة القس بطرس سابا: انَّ الآية المرويّة في انجيل متى (٢٧: ٩) بخصوص حقل الدم الذي ابتاعهُ رؤساء اليهود بالثلاثين فضّة المردودة من يهوذا الاسخريوطي منسوبة هناك لارميا النبي والحال هي للنبي زكريا (١١: ١٢) فكيف جرى هذا التبديل؟

آية زكريا منسوبة لارميا النبيّ في انجيل متى

ج أصحّ جواب على هذا المشكل انَّ متّى لم يصرّح باسم نبيّ لا زكريا ولا ارميا. وانّما قال «كما جاء في النبيّ القائل» والدليل على صحّة هذا الجواب انَّ الترجمة السريانيّة المعروفة بالبسيطة الراقية الى اواخر القرن الاوّل او اوائل القرن الثاني لم تنسب الآية لاحد من الانبياء. ومثلها عدّة نسخ لاتينيّة مخطوطة والنسخة الفارسيّة في بوليغلوتّة فالتون — وينتصر البعض هذا المشكل بقولهم انَّ متى اراد خصوصاً الاشارة الى حقل الفخّار المذكور في ارميا ١٨: ١ و١٩: ٢ و٣٢: ٦ ولو كان اللفظ اقرب الى آية زكريا

ل. ش

المشرق

يوبيل
كليّة مار يوسف الذهبي

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعيّ

جاء في سفر الاحبار (٢٥: ١٠) قول الرب لبني اسرائيل عن لسان عبدهِ موسى الكليم : « قدّسوا سنة الخمسين » فقام شعب الله المختار بما أمرهُ الرب وجعلوا تلك السنة يوبيلًا اي سنة افراح وسرور شاركهم فيها كلّ المبؤوسين حتى العبيد والغرباء.

ذلك اليوبيل الدينيّ ورثتهُ كنيسة الله الجامعة من كنيسة الشعب الاسرائيلي فتراها تحتفل بهِ احتفالًا رائعاً في بعض السنين يهتزّ لجلالهِ العالم الكاثوليكي فيتقاطر الى اورشليم الجديدة رومية العظمى ليجدّد حياتهُ الروحيّة عند قبرَي هامتي الرسل ويشدّد اواصر ايمانهِ بقرب الصخرة البطرسيّة التي لا تقوى عليها ابواب الجحيم منتعشاً ببركة

إمام الاحبار الذي لا يزال بطرس حيًّا في شخصهِ الكريم

*

وقد استعارت الشعوب والجماعات بل بعض الافراد من الذوات هذهِ العادة الحسنة ليذكروا في بعض الحُقَب من حياتهم الشعبية او الشخصيَّة ما اصابوهُ من النعم وازدان بهِ تاريخهم او ما باشروهُ لخير وطنهم وخلَّفوهُ من المآثر الطيّبة . فتنتعش الذكرى قواهم وتدفع بهم الى مضاعفة همّتهم في خدمة وطنهم بالاعمال الشريفة

فما كان أحرى بكليَّتنا الجامعة أن تقف هنيهةً في سيرها بعد خمسين عاماً لتلقي نظرها على هذه الحقبة الطويلة فتذكر الحلبة التي جاهدت فيها جهاداً صالحاً ليس لمقاتلة الاعداء بل لمناهضة الجهل والضلال ولتهذيب الناشئة الوطنيَّة لتؤازرنا في خدمة بلادها وتعزيزها شؤون الهيأة الاجتماعيَّة التي تقوم على ركني الدين والعلم

ومن ثمَّ رأينا ان نخصِّص قسماً من عدد مجلّتنا الحاضر لذكر كليَّتنا ليحيط بها علماً قرَّاؤنا الكرام فيشاركونا بالشكر لله عمَّا أنعم عليها في شوطها هذا ويرفعوا الى عزَّتهِ اكفَّ الدعاء لتثابر على خطتها في خدمة الدين والوطن بل يزيد رؤساؤها واساتذتها همَّةً في ما هم سائرون بهم الى عملهِ عزَّ وجلَّ وفي تحقيق آمال جمهور من مساعيهم الحسنة . وسنقسم هذه المقالة الى ابواب مختلفة شاملة ايرادها

١ تاريخ أبنية الكليَّة

سبقت كليَّتنا مدرسةَ غزير التي فُتحت اوَّلاً سنة ١٨٤٣ لتهذيب الاكليروس الشرقي من سائر الطوائف الكاثوليكيَّة . وما لبث ان طلب الينا نزلاء الشام من الاوربيين ثم الاهلون من الوطنيين ان نلحق بتلك المدرسة قسماً لتهذيب اولادهم فتمَّ الامر نحو السنة ١٨٥٠ . وكان عدد وافر من التلامذة الخارجيين من بلدة غزير ونواحيها يُقبلون على دروس تلك المدرسة التي اشتهرت في انحاء لبنان وجهات الشام ومصر ومنها خرج في مدَّة السنين الاثنتين والثلثين التي ثبتت فيها (١٨٤٣ — ١٨٧٥) عدد مذكور من رجال الدين والدنيا الذين شغلوا في الوطن وخارجاً عنهُ المناصب الشريفة بينهم البطاركة والاساقفة الاجلَّاء والكهنة والرهبان والقناصل وعمَّال الدول واعيان الوطنيّين والاجانب ولم يزل يذكرها بالخير كل من تخرَّجوا فيها

على انَّ مدرسة غزير لوقوعها في الجبل بعيدًا عن مراكز الاشغال ولضيق ابنيتها ما كانت لتفي برغوب منشئيها لاسيا اذ رأوا انَّ الارساليَّة الاميركيَّة اخذت في بيروت تزداد نفوذًا وجاهًا بكليتها البروتستانيَّة التي كان يتردَّد اليها عددٌ من ابناء الكاثوليك فيمارسون رتبها الدينيَّة ويعدلون شيئًا فشيئًا عن دين آبائهم المستقيم الى الاضاليل البروتستانيَّة وحرِّيَّة الضمير. فكان ذلك الداعي الاكبر الى نقل مدرسة غزير الى بيروت بعد ان تجوَّل منشئها الاب امبروسيوس مونو مدَّة سنتين في انحاء اميركا يلقي المحاضرات عن الشرق ويجمع حسنات المحسنين للغاية المذكورة

كان ابتياع الاملاك التي في مكانها بُنيت الكلية عن يد رجل الهمَّة والنزاهة المرحوم درويش تيَّان وهي تبلغ مساحتها ١٧،٠٠٠ متر كان معظمها مزروعاً بالتوت مع بعض الابنية الصغيرة اللاحقة بها وضمنها سبع آبار ماء شروب فهُدمت الابنية وبوشر بالعمل في اوائل تشرين الثاني من السنة ١٨٧٤ بعد ان أُقيمت حفلة حافلة دينيَّة لوضع الحجر الاوَّل حضرها ممثلا الكرسي الرسولي والدولة الفرنساويَّة. وكان الرؤساء استمدُّوا من الباب العالي بواسطة سفير فرنسة فرماناً لمعهدهم الجديد الَّا انَّ احوال الاستانة في ذلك العهد لم تسمح بالحصول عليهِ فتمَّ العمل قبل الفوز بهِ بحماية القنصل الفرنساوي الطيِّب الذكر المسيو روستان وتساهل والِيْ سوريَّة محمد حالت باشا واسعد باشا خلفهِ

وكان مهندس ابنية الكلية احد الآباء اليسوعيين الذي عُرف سابقاً ببراعتهِ الفنِّيَّة وهو الاب فرنسيس كسناريوس بَلّيو (Fr.-X. Pailloux) فتولَّى هذا العمل الكبير بنشاط غريب وانتهى منهُ باقلَّ من سنتين. واذ لم يبلغ بالحفر الى الصخر استعاض عنهُ بركائز قويَّة مجبولة بالملاط الفرنجي وجعل البناء على طول ١٠٣ امتار وعرض ١٨ مترًا وزانهُ بواجهة ذات تقاطيع وخطوط جميلة مع بساطتها كما يليق بمعهد رهباني والبناء على ثلث طبقات تنتهي الطبقة العليا بشُرُفات لطيفة على شبه القصور. ومَدَّ على جانبيهِ جناحين في طول ٥٧ مترًا تتوسَّط الكنيسة بينهما على طول ٥٠ مترًا في عرض ٢٠م وعلوّ ١٧ م. وهي ثلثة اسواق على طراز شرقي جامع بين الطرازين الغربي والبوزنطي يسندها ١٥٠ عمودًا من الرخام الوطني المجلوب اليها من مقطع دير القلعة الذي منهُ أُخذت عواميد هيكل جوبيتر البعلبكي في ذاك الجبل. وأُفردت

بين الابنية وفي مقدمة الكلية وفي المرتفع الذي وراءها سبع ساحات لراحة التلامذة وألعابهم الرياضية . ومع رحب هذه الابنية ما عتمت ان ضاقت على الطلبة الوافدين الى المدرسة . وكان طابقا جناحيها بقيا دون نجازهما فأتمهما الرؤساء سنة ١٨٨٢

وفي تلك الاثناء انتدبت الدولة الفرنسوية رسالتنا الى ادارة مكتب طبي فألحقت بالكلية بناية جديدة في جنوبيها خُصَّت بالدروس الطبية فجُهزت معاهد مختلفة لكل فروعها من طبّ وجراحة وصيدلة ومعالجة كهربائية

وبعد زمن قليل سنة ١٨٨٥ تبرّع احد المحسنين بمبلغ من الدراهم تمكن رئيس المدرسة من اقتناء الاملاك الواقعة غربيّ المدرسة فبُنيت فيها مدارس مجانية لتعليم اولاد العامة اللغتين العربية والافرنسية ومبادئ العلوم وأُقيم فوقها معاهد دروس للكلية . وبُني لمستودع ورق المطبعة ولاشغالها المختلفة بناء خاصّ كانت اليه في حاجة ماسة

ثمّ اتسعت دائرة اشغال المدرسة بنموّ عدد الطلبة وانشاء فروع جديدة للتعليم وبحضور كهنة ودارسين من مدارس اوربة لينقلوا في آنية الى الدروس الشرقية . فلم يرَ ارباب الكلية بُدّاً من تشييد معهد جديد ذي طابقين بُني في مكان بقايا من ابنية قديمة كانت مستودعاً لورق المطبعة ولتعليم الموسيقى

وفي السنة ١٩٠٥ بعد انشاء المكتب الشرقي اتسعت مكتبة الكلية وزاد عدد تآليفها زيادةً لم تكن في الحسبان فعزم رئيسها الاب هنري غراسيان ان يفصل المكتبة الشرقية عن المكتبة الغربية فخصّ بهذه الاخيرة منساماً واسعاً كان للطلبة الاكليريكيين وابتنى لهم منساماً جديداً فوق درسي التلامذة الداخليين خلف الكنيسة . فبقيت المكتبة القديمة كلها للمطبوعات الشرقية التي أُلحق بها بعد خمس سنين ثلث غُرف من الغرف التي بازائها

وفي العقد الثاني من القرن الحالي رأت عمدة الدروس الطبية ان البناية التي احتلتها سنة ١٨٨٢ أصبحت حرجةً لا تفي بحاجات ذويها فعدا بهم الامر الى استئداء كرم محبي ترقي الشرق وصرف ذخيرة من مالهم الى اشتراء الاملاك الواقعة على ممرّ طريق الشام قريباً من مقبرتي الروم الكاثوليك والموارنة الجديدتين . ووكلوا الى حضرة الاب يوسف ماترن ان يتولى هندسة مدرسة طبية واسعة يُقام لكل فرع منها

معهدهُ الخاصّ فوُضع حجرُها الاوّل في ٢١ تشرين الثاني برونق عظيم وحضور ارباب الامر من دولتي فرنسة وتركيّة ولجنتيها الفاحصتين وكان يرئس الحفلة الدينيّة نيافة القاصد الرسوليّ مع ممثلي كل الطوائف الكاثوليكيّة. ولم يكد يتمّ على هذه الحفلة سنة كاملة حتى دُشنت المدرسة بأُبهة شبيهة بالعام السابق في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٣

وكان رؤساء المدرسة يريدون ان يلحقوا بها مستشفًى كبيرًا استحضروا لهُ ملكاً واسعاً على مسافة نحو ميلٍ منها شرقيًّا فأتت الحرب الكونيّة فحالت دون المباشرة بهِ ووضع الاتراك الايدي على جميع موادّهِ

ولمّا وضعت الحرب اوزارها كان اوّل فكر الرؤساء أن يحقّقوا تلك النيّة الّا ان ضيق يدهم كان يحول دون رغبتهم لولا كرمُ فخامة الجنرال غورو المفوّض السامي على الانتداب الافرنسي الذي تبرّع بما بقي لديهِ من مالية الانتداب لهذه الغاية. فدُشّن هذا المستشفى في العام الماضي بعد ان قام بهندستهِ حضرة الاب ماترن مع رجال الفنّ فاستوفوا كل لوازمهِ وهذه السنة الثانية لتمشية اشغالهِ

وفي الزمن عينهِ أُقيم معهد آخر في دائرة مدرسة الطبّ أُلحق بها لطبابة الاسنان ولفنّ التوليد فنجز مع المستشفى. وقد خصّت اللجنة المقامة لإكرام باستور قسماً من المال الذي جمعتهُ تعزيزًا لمكتشفاتهِ لاقامة مستشفى خاص بمعالجة داء السرطان. وارباب المدرسة قد باشروا بهذا البناء في جوار المستشفى الكبير وسينجز قريباً ان شاء الله

امّا ابنية المعهد الطبي القديمة المجاورة للكلية جنوبيًّا فخُصّت بمدرسة الحقوق التي انشئت سنة ١٩١٢ ثمّ أُلحق بها مدرسة للفنون الهندسيّة مع مكتب اعدادي لكليها

امّا الكلية فرأت ايضاً منذ عامين حاجتها الى نادٍ واسع او مسرح مبنيّ على اصول النوادي العصريّة تُقام فيهِ الحفلات المدرسيّة وتمثّل فيهِ الروايات الادبيّة يحضرها جمهور من اهل المدينة. فما لبث ان خرج هذا الفكر الى عالم الوجود بهمّة رئيس كليّتنا حضرة الاب شانتور وحذاقة المهندس البارع فؤاد افندي خوري

واليوم يشتغل جناب المهندس ببناء آخر ذي ثلثة طوابق فوّض اليهِ حضرة

الرئيس تشييدهُ لحاجات المدرسة المستجدَّة من مدارس ودروس وقاعات اشغال مختلفة

٢ دروس الكلّيّة وامتيازاتها

لما تمَّ بناء كلية القديس يوسف البيروتيَّة في خريف السنة ١٨٧٥ انتقل طلبتُها من قرية غزير الى حاضرة بيروت فاستُئنفت الدروس. ولم تختلف في السنين الاولى عن دروس مدرسة غزير إلَّا انَّ المدرسة كانت نالت من فضل الكرسي الرسولي بوساطة رئيسها العام الاب امبروسيوس مونو اسم الكلّيّة الرسميّ. وهي اوَّل مدرسة نالت ذلك في الشرق. وكان شاع هذا الاسم قبلها عن الكلّيّة الاميركانيَّة التي كان اصحابها يدعونها «بالمدرسة السوريَّة البروتستانية» (The Syrian Protestant College) الى ايَّام الحرب فنالت الاسم رسميًّا بعد الحرب كما روت في مجلّتها «الكلّيّة» وسبق لنا ذكرهُ. واليوم قد اخذ الكتبة يفرقون بين اسمَي الكلّيّة والجامعة وهو اصطلاح حديث

وكانت دروس كلّيتنا تشمل فضلًا عن دروس اللغات اللاتينية والافرنسية واليونانية والعربية والانكليزية علوم الفلسفة والرياضيات والطبيعيات والكيميا. وكان طالب الكهنوت يتفرَّدون مدَّة ست سنوات الى درس الفلسفة واللاهوت النظري والادبي والحقّ القانوني وتفسير الاسفار المقدَّسة وعلم العبرانيَّة مع درس لغاتهم الطقسيَّة

فرفع الاب ريمي نورمان خلفُ الاب مونو سنة ١٨٨١ عريضةً الى مقام الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يطلب من قداسته ان تمنح كلية بيروت طلبتها الاكليريكيين شهادتي المأذونيَّة ثم الملفنة اي الدكتوريَّة في الفلسفة واللاهوت مع الامتيازات المتعلّقة بها. فاجاب إمام الاحبار الى طلبته بعد ان تحقَّق اهليَّة المدرسة واساتذتها بذلك. فكان اوَّل من حظي بهذا الشرف احد افاضل الرهبان البلديين الطيب الذكر الاب مبارك سلامة المتيني فتسلَّم شهادة الملفنة في حفلة شائقة بحضور نيافة القاصد الرسولي ولفيف المعلمين والتلامذة سنة ١٨٨٣

وكذلك المكتب الفرنساوي الطبي بعد خروجهِ من قاطات الطفوليَّة في السنين

الاربع الاولى تنظَّمت فيهِ الدروس وأُجريت الفحوص كالماهد الاوربيَّة الكبرى فمنحت الدولة الفرنسويَّة طلبَتهُ شهادةً لم ترضَ بها الدولة العليَّة الَّا بعد امتحان شفاهي قدَّموهُ في الاستانة مدَّة عشر سنين (١٨٨٨–١٨٩٨) ثم اتَّفقت الدولتان الفرنسويَّة والتركيَّة على ان ترسل كلتاهما لجنةً تشتركان بالفحص ومَنح الشهادة فجرى ذلك منذ السنة ١٨٩٩ . وكانت دروس المكتب تترقَّى شيئاً فشيئاً حتى جارت المكاتب الاوربية الراقية فصار تعليمها يجمع بين علم الابدان وتركيبها وعلم تركيب العظام وعلم قيام الحياة اي الفيسيولوجيا والطبابة الباطنة والجراحة وتركيب الادوية وعلوم النبات والحيوان والجراثيم المعدية وعلم الصحة والكيميا والطبيعيات والتوليد والصيدلة وعلم علاج الكلَب والكهربائيَّة الطبيَّة . وقد سبق لنا القول انَّ لغة التدريس لسائر العلوم العصريَّة انَّما كانت الافرنسيَّة لنقص اللغة العربية عن تأديتها

وكانت الكلية تمنح اوَّلاً شهادةً من رؤسائها لدارسيها العلمانيين فالتمست من الدولة الفرنسويَّة ان تمنح دارسيها العلوم الثانويَّة المدرسيَّة اجازةً كاجازة الباكولوريَّة الفرنسويَّة . ويجوز اليوم للطلبة ان ينالوا اجازة الكليَّة او اجازة الدولة كما يشاؤون فيتمتَّعون بانعاماتها

ومن الدروس العليا التي استجدَّت منذ عهد حديث مدرسة الحقوق أُنشئت سنة ١٩١٣ بمساعي كليَّة ليون التي أَشركتها بامتيازاتها واخذت على نفسها تجهيزها بسائر لوازم التعليم حتى تجاري كل رصيفاتها الاوربية . على ان تدبير هذه المدرسة كتدبير المكتب الطبي تبقى ازمَّتهُ في ايدي الآباء اليسوعيين . أمَّا دروس الحقوق فتشتمل على درس الحق المدني والفقه الروماني وقوانين الاحكام والجزاء والتجارة والاقتصاد الدولي والفقه الاسلامي بالعربية

وأُلحق بمدرسة الحقوق سنة ١٩١٩ مدرسة هندسيَّة كانت دروسها محصورةً اوَّلاً في صفٍّ واحد وهي اليوم ثلثة صفوف تتناول كل العلوم النظريَّة والعمليَّة التي يحتاج اليها المهندسون . وفي المدرسة معامل مجهَّزة بكل الادوات المختصَّة بالاعمال الهندسيَّة . واذا نال الطلبة شهادة المدرسة لهم ان يتلقَّنوا في مدرسة ليون المركزيَّة معارف فنيَّة اختصاصيَّة . والمدرستان كلتاهما اي الحقوق والهندسة تدوم دروسها ثلث سنين

فبهذه العلوم العليا الخمسة اي الفلسفة واللاهوت والطبّ والحقوق والهندسة امست كلّية القديس يوسف جامعةً كرصيفاتها الاجنبيّة. وممّا خُصّت به قبل الحرب مكتبٌ شرقيّ لتعليم اللغات الشرقيّة القديمة اي العربيّة والسريانية والعبرانية والحبشيّة والقبطية مع درس الآثار اليونانية والرومانية. وقد تخرّج فيها عدّة علماء يعلّمون اليوم اللغات الشرقيّة في جامعات اوربّة واميركة فاتت الحرب واضطرّتنا الى الغائه ريثما تلجئ الظروف الى استئنافه. وانّما منشورات المكتب لا تزال تظهر في اوقاتها وقد بلغت اليوم عشرة مجلّدات ضخمة

٣ فروع الكلّيّة

﴿المدرسة الاكليريكيّة﴾ هي الاصل الاوّل للكلّية اليسوعيّة. كان انشاؤها في غزير سنة ١٨٤٣ ضئيلةً سقيمةً شأن اعمال الله الخطيرة. وها قد مرّ عليها ٨٢ عاماً فتكون سبقت كلّ المدارس الاكليريكية المنشأة بهمّة المرسلين في الشرق اعني قبل مدرسة الدمنيكان في الروم والكبوشيين في الاستانة والآباء الفرنسيين القدس الشريف. وانّما خلفت مدرسة اكليريكيّة قديمة فتحها اليسوعيّون في القرن الثامن عشر في لبنان في عينطورا أداروها نحو خمسين سنة قبل الغائها وهبانيّتهم سنة ١٧٧٣

وكانت الغاية التي دعت الاب مكسليان (منصور) ويلّو الى فتح مدرسة غزير الاكليريكيّة تهذيب اكليروس شرقيّ لكل الطوائف الشرقية يتشرّب المتخرّجون فيها روح الكثلكة الصميم مع احرازهم للعلوم الكهنوتية الراقية. وكان الآباء المتولّون لهذا العمل يعتبرونه كأخصّ واشرف مشروعاتهم في خدمة الكنائس الشرقية مؤمّلين من امتزاج ابناء الطوائف المختلفة ان يشملوا بمحبّتهم سائر اهل وطنهم ويسعوا في توحيد كلمتهم وتأليف قلوبهم وتوثيق عُرى ارتباطهم بالكرسي الرسوليّ

وقد أفرز للاكليريكيين معاهد منفردة ونظامٌ خاصّ يجرون عليه مدّة الاثنتي عشرة سنة التي يقضونها عادةً في المدرسة لا يمتزجون بالطلبة سواهم الّا في المدارس. وفي زمن دروسهم يتدرّبون على سائر اعمال دعوتهم من مباشرة الرياضات التقويّة

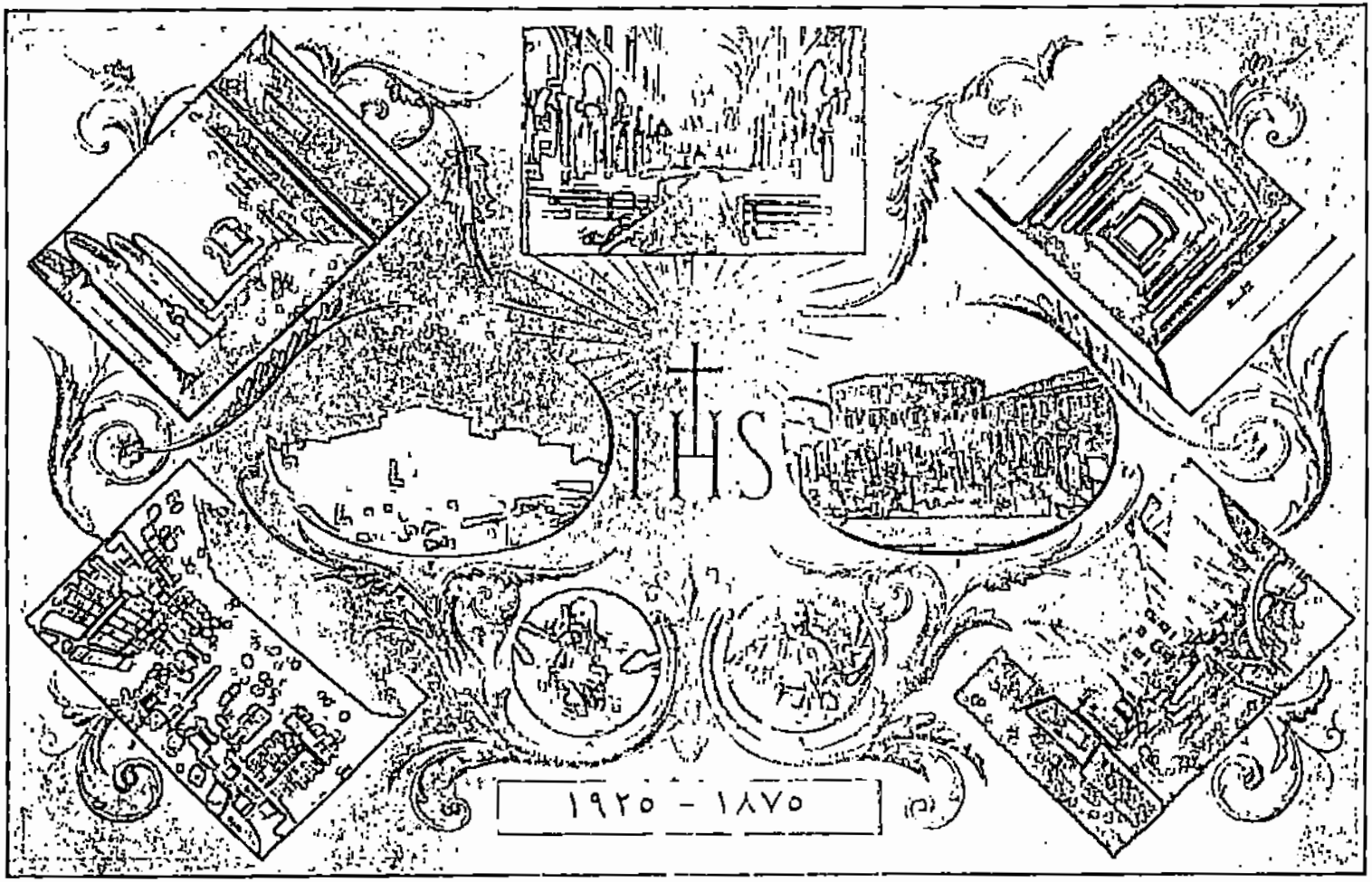

١ مكتبتنا الطبي ٢ مدرستنا الكليّة ٣ كنيسة كاتنا ٤ المشفى الاول ٥ المشفى الاوسط ٦ المكتبة الشرقيّة ٧ المطبعة الكاثوليكيّة ٨ الاب مونو مثلث الكليّة ٩ الاب بالبرمهندسها

وعلم الوعظ وتعليم الصغار الواجبات المسيحية وخدمة الفقراء

ولمـا نُقلت المـدرسة من غزير الى بيروت لازمَ الاكليريكيون فرائضهم الخصوصيّة تحت نظارة مرشدهم القائم بتهـذيبهم وسائر امورهم . وقـد انتهزت الرهبانيّتان المارونيّة اللبنـانيّة والباسيليّة الشويريّة فرصة وجود مـدرسة بيروت الاكليريكيّة ففتحت كلتاهما للشبان من رهبانهم ديرًا يأوون اليهِ ويقومون فيـهِ بممارسة قوانينهم ويحضرون دروس الكلية مع الاكليريكيين

واليوم قد بلغ عدد الذين خرجوا من المـدرسة الاكليريكية فتفرَّغوا لخـدمة طوائفهم نيّفًا واربعمائة اكليريكي بينهم ثلثة بطاركة و ٢٤ اسقفًا والباقون كهنة وقد توفي من مجموعهم نحو ١٣٠ اسقفًا او كاهنًا

وقد مرَّ على المدرسة الاكليريكية ايّام عصيبة احتار الرؤساء في اعاشة طلبتها كما جرى في الحرب السبعينيّة بين فرنسة والمانيـة (سنة ١٨٧٠—١٨٧١) وفي الحرب الكونية الاخيرة مع التلامذة الذين تعذَّر تسفيرهم الى اوطانهم

والمدرسة الاكليريكيّة منذ السنة ١٩٠١ تنشرُ خصوصًا ظهور مثا اربعـة عشر عددًا تُدوَّن فيها الاخبار المنوطة بالمدرسة ومآثر تلامذتها الحاضرين والغائبين مع الرسائل التي يكتبها القدماء وتراجم المتوفّين منهم

وممّا يُذكر لقدماء المتخرّجين في المدرسة فيُشكر وضعُهم لعدد عديد من التآليف الدينية والعلميّة والادبيّة التي نشروها في مواطنهم فذكرناها في لائحة كتبة الكلية التي جدَّدنا طبعها مؤخرًا

﴿المدرسة الاهليّة﴾ هذه المدرسة لتهذيب الناشئتين الوطنيـة والاجنبيّة كان اوّل انشائها في غزير سنة ١٨٥٥ فأفرد جانبٌ من ابنية ذلك الدير للداخليين منهم قسمٌ وقسمٌ آخر للخارجيين . فاقتضى وجودهم تشييد معاهد جديدة وتنمية عدد المعلّمين من آباء واساتذة علمانيين واصبحت ارساليّتنا السوريّة في عُهدة الآباء الفرنسويين بعد ان كان يرئسها الآباء الايطاليّون فصارت اللغة الفرنسويّة لغة التدريس بدلًا من الايطالية فاتّسعت شهرة مدرسة غزير حتى في البلاد الاجنبية . وقد بلغ عدد الدارسين في اواخر سني المدرسة قبل انتقالها الى بيروت نيّفًا وثلثمائة طالب . وكان التلامذة يقبلون الى تلك المدرسة من كلّ انحاء سوريّة ومن فلسطين ومصر والاناضول . وكان الخارجيّون

يأتون من القرى المجاورة فيبيتون عند اهل غزير ويرجع بعضهم الى اهلهِ يوم السبت مساء الى صباح الاثنين

ثمَّ صار للمدرسة الاهلية المقام الاوَّل لمَّا نُقلت الى مدينة بيروت فكان عدد الداخليين في سنتها الاولى ٩٨ طالباً والخارجيين ١٦٨ وفي السنة الحاليـة بلغ عدد الداخليين ١٩٦ يضاف اليهم الاكليريكيون ٦٣ وعـدد الخارجيين ١٨٠ فيكون مجموعهم ٧٣٩ طالباً بينهم ١٩٥ يدرسون الدروس التهذيبيَّة الراقية والباقون الدروس الثانويَّة العامَّة . امَّا من حيث اديانهم وطوائفهم فقسمهم الاكبر من الكاثوليك : الارمن (٢٧) الروم الكاثوليك (١٢١) السريان (١٦) الكلدان (٢٠) اللاتين (٦٧) الموارنة (٣١٧) مجموعهم ٥٦٨ . والقسم الآخر نصـارى غير كاثوليـك : الارمن الغريغوريون (٣) البروتستانت (٤) الروس الارثذكس (١) الروم الارثذكس (١٣٠) مجموعهم ١٣٨ . ثمَّ غير النصارى : الدروز (٧) الموسويون (١) المسلمون (٢١) = ٢٩

والعناية الكبرى في هذه المدرسة مصروفة الى تهذيب طلبتها دينيًّا وادبيًّا . وانَّما تُترك الحرِّية التامَّة لغير النصارى في مذاهبهم الدينيَّة . امَّا الكاثوليك فانَّ الآباء لا يدَّخرون وسعهم في تأصيلهم بروح الدين والتقى ودَفعهم الى المواظبة على الاسرار المحيية ولهم الاخويَّات المرعيَّة لمن امتاز بينهم بتديُّنهِ وحسن سلوكهِ

وللمدرسة الاهليَّة محافل ادبيَّة منها للغات الاوربيَّة ومنهـا للعربيَّة تُقسم الى محافل لغويَّة ومحافل بيانيَّة لها جلَساتها النظاميَّة وحفلاتها العمومية ومنها يُتَّخذ غالباً المشخصون للروايات التمثيلية في بعض مواسم العام التي يُدعى اليها وجوه البلد واهل التلامذة

ولا تُهمل المدرسة تلامذتها بعد انتهائهم من دروسهم فتدعوهم الى الجمعيَّات التقويَّة والخيريَّة . وتخصص لبعض غرفاً لدروس ليليَّة واجتماعات ادبيَّة يتباحثون فيها عن العلوم الادبيَّة والاجتماعيَّة ويلقون المحاضرات العلميَّة ولهم هناك مكتبة غنيَّة بالكتب والمجلَّات التي يحتاجون اليها للتعمُّق في ابحاثهم

﴿المكتب الطبي﴾ كان انشاؤهُ سنة ١٨٨٣ باتفاق رئيس الرسالة اليسوعيـة مع ارباب الحكومة في فرنسة التي كان يرئسها وتتنذ لاون غامبتا ويرئس وزارتهـا جول فري . وتوسَّطَ في هذا الاتفاق قنصل فرنسة العـام في سوريا المسيو بتريونيو

ومعتمدها في تركيّة المسيو دي تورسي. فرضيت الجمهوريّة الفرنساويّة بان تخصص لمعلّمي المكتب وأشغاله في كل سنة ٩٩،٠٠٠ فرنك بشرط ان تكون في عهدة الآباء اليسوعيين يديرها احدهم بصفة كنشليار. فتُح في تلك السنة وكان عدد معلّميه اربعة وتلامذته احد عشر. ثمّ اتّسع نطاقهُ وشُفع بعلم الصيدلة سنة ١٨٨٩ ولم يزل يترقّى سنةً بعد سنة حتى بلغ عدد معلّميه في سنة الحرب اثني عشر اربعة منهم يسوعيّون يضاف اليهم عشرة رؤساء اشغال في علاج المرضى وكان عدد الطلبة ٣٠٥ للطبّ و ٥٠ للصيدلة. وفي السنة ١٩١٣ انشئ مكتب لعلاج الكلب عُهد تدبيره الى احد الآباء حضرة الاب دي فراجيل

وبطلت المدرسة الطبيّة مدّة الحرب الكونيّة لكنّ الدولة التركيّة سنة ١٩١٦ نقلت اليها مدرستها الطبية الدمشقية وانتفعت بما وجدتهُ في مكتب بيروت من المعاهد والادوات وكان التعليم بأمرها باللغة التركية

ولما انتهت الحرب قبل دخول الدول المتحالفة فكّرت عمدة المدرّسين التركيّة في نقل اثمن الادوات والتجهيزات الطبيّة الى الاستانة فاودعتها الصناديق ونقلتها الى المحطّة فلم يسمح الوقت بتحقيق نيّاتها وعاد الآباء والمعلّمون بعد اشهر الى اشغالهم وتدبير دوائرهم المختلفة

ولمدرسة الطبّ المكاتب والمتاحف والمعاهد العلميّة الجليلة فانّ مكتبتها الطبيّة تحتوي نحو ٣٠،٠٠٠ من التآليف الطبيّة والمجاميع الطبيّة النادرة. ولها حديقة نباتية كبيرة جامعة لضروب النباتات الاهلية والغريبة ولاسيما الطبية(١ انشأها حضرة الاب اليسوعي لويس بولموا فبلّغها برعايته وعنايته الغاية في الرقي والحسن فتأخذ بمجامع ابصار الذين يزورونها

وفي المدرسة مجموعة ثمينة من حشائش سوريّة في ١٥٠ مجلّدًا أهدى قسماً منها المكتبَ الطبيَّ الحشائشيُّ المرحوم مسيو بلّش (M' Blanche) قنصل فرنسة سابقاً في اللاذقية

وفي هذا المكتب مجموعة من الظرّان المنحوت والمصقول الراقي الى عهد القبائل الاولى التي سكنت سواحل الشام جمعها الاب رينه داريب (P. R. Desribes) .

١) اطلب وصفها في المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٢٧٧-٢٧٨

ومثلها مجموعة أخرى في الكلية عُني بجمعها حضرة الاب زُموفن وبعض الرهبان

وفي المكتب عينه متحف يشتمل على عدّة آثار من المواليد الثلثة اي المعادن والنبات والحيوانات. وخصوصاً على أمثلة شتى من تشخيص الجسم البشري واعضائه وتصوير علله كالامراض الجلدّية وامراض العيون الخ

وفيه ايضاً معهد للادوات الكهربائية المناسبة للدروس الطبيّة يتولّى ادارتها حضرة الاب موريس كولنجت الاختصاصي

وقد كان عدد دارسي الطبّ في السنة الماضية ١١٧ تلميذاً منقسمين بين السنين الخمسة على حسب ترتيب دروسهم و٢٢ طالباً من طلبة الصيدلة. وبلغ عدد دارسي طبّ الاسنان للسنين الثلث ٤١ طالباً ودارسات فنّ التوليد ٩

امّا عدد الذين تخرّجوا في المكتب الطبي منذ انشائه فيبلغ ٧٦٠ طبيباً قانونيًّا. يزاولون في انحاء الشرق بل في الشرق الاقصى ومنهم عدد عديد في اميركة وافريقية وحتى في جهات اوربة فيخدمون بجدّهم وعلمهم صوالح فرنسة وينشرون علومها ويشيدون بفضلها

وقد جاء تشييد المستشفى الجديد الذي وضع رسمه حضرة الاب ماترن منشطاً لكل اعمال الرحمة. ففي غرّة السنة ١٩٢٩ نُقل المرضى من مستشفى القديس جرجس الذي كان مستأجرًا لتمريضهم بعد الحرب الى المعاهد الخاصّة بهم فقامت بخدمتهم راهبات القديس يوسف بنشاط وتفانٍ عجيبين لا يأخذهما الملل ولا يضعفهما السأم

وهناك ايضاً مستوصف يتقاطر يوميًّا اليه الاعلّاء من كل صوب ليستشيروا الاطبّاء الذين يتناوبون في فحص امراضهم ويوزّعون على الفقراء منهم الأدوية المجّانيّة

﴿مدرسة الحقوق﴾ أحرِ بها ان يُشادَ مثلُها في بيروت لتخلف مدرسة الحقوق الرومانية السابقة التي أعلت منارها فذاع صيتُها في كلّ العالم من القرن الثاني للمسيح الى اواسط القرن السادس حيث ابادتها الزلازل المتتالية مع المدينة كلّها. فقامت المدرسة البيروتية الجديدة لتحيي تلك الآثار الدارسة فكان الفضل في ذلك لغرفة التجارة القيمة في حاضرة لبنان ولاسيما لرجل الهمّة القعساء فقيد العلم والادب المسيو هرڤلين (Huvelin) الذي لم يألُ جهدًا حتى حقّق مرغوبهُ بإنشائها وكادت الحرب

الكرنية تطمس آثارها لولا ثبات ، وتسيها . فما كادت ان تولي مديرة حتى تنظمت وتحسنت . وها هي ذه اليوم يلقي الدروس الحقوقية فيها اربعة من علماء الحقوق القانونيين الفرنسويين يرئسهم مدير فرنساوي وكنشلبار يسوعي يساعدهم استاذان وطنيان لتعليم الفقه الاسلامي وشرح الدستور الوطني . ولعلم الحقوق مقدمات يقوم بها احد الآباء اليسوعيين مع تعريف الفرائض والواجبات التي هي كأساس ذلك الفن . وتتولى لجنة خصوصية يعينها في فرنسة وزير الامور الخارجية تحت نظارة احد معلمي مدرسة ليون . امّا عدد التلامذة فكان في السنة المدرسية ١٩٢١–١٩٢٢ نحو المئة . ثم بلغ في العام الماضي ١٣٦ طالباً . وقد اخذ البعض من الذين اتموا دروسهم في مكتبنا يشغلون المناصب القضائية المهمة . امّا عدد الذين نالوا اجازة الأذونية فكانوا في السنة ١٩٢٠ ثلثة عشر ثم ١٧ في السنة ١٩٢١ ثم ١٩ ثم ٢٠ ثم ٢١ للعام الماضي

﴿مدرسة الهندسة﴾ يدرّس فيها ستّة معلمين اثنان منهم يسوعيان نالوا جميعاً اجازة الدولة الفرنسويّة الرسميّة . يساعد هؤلاء الستّة في تعليمهم ثلثة معلمين لبعض الحق [illegible] الاخير [illegible] لجنة يعينها المؤتمن السامي [illegible] سورية ويختار رئيسها . امّا عدد التلامذة فبلغ في السنة الاخيرة ٢٤ دارساً . وقد نال اجازة المدرسة ١٤ طالباً وكلهم قد تعيّنوا لادارة اشغال هندسيّة مهمّة في سورية ولبنان والبعض في فلسطين والسودان

﴿مرصد كسارا﴾ قد مرّ لنا في العام المنصرم (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٥٧٧–٥٨٦) وصف هذا المرصد فيكفينا حاضراً ان نقول انّ ذاك المعهد العلمي ظهر الى حيز الوجود في اواخر سنة ١٩٠٧ بهمّة مديره الحالي حضرة الاب بَرْلوتي الفلكي الشهير فهو الذي اختار له موقعهُ في منعطف التلال التي تنحدر من لبنان الى سهل البقاع على علوّ ٩٢٠ متراً فوق سطح البحر حيث يصفو اديم السماء في معظم فصول السنة

كان حضرة المدير في السنين السبع التي سبقت الحرب استنفد القوى في تشييد ابنية المرصد وتجهيزه بالآلات الرصديّة بعد تجشُّم الاسفار المتوالية الى اوربّة والاتعاب الشاقّة . وباشر مع البعض من اخوته الرهبان الارصاد الجوّية بمثابة المراصد المنظّمة فنشر لوائحها تترى فكان الامل معقوداً على قرب توسيع اعمال هذا المعهد العلميّ

الخطير فجاءت الحرب وتلاعبت ايدي الاتراك والجهلاء بمحتوياته . فلمّا عاد اليه مديرهُ سنة ١٩١٨ كاد ييأس من اصلاحه

على انّهُ شدَّد العزيمة واستأنف العمل تدريجاً وصبَّر النفس على الاسفار وقرع ابواب الجمعيَّات العلمية لينال شيئاً من حسناتها فلم يخب أملهُ فساعدته اريحيَّة الاكادمية الفرنسوية في اصلاح الخراب والتعويض عن الادوات الرصديَّة المفقودة فامكنهُ بعد ثلث سنين ان يُعيد المرصد الى حالته بل يوسّع دائرة اعماله ويزيدهُ رقياً وكمالاً

والمرصد اليوم يشمل عدَّة ابنية مستقلَّة خُصَّ كلٌّ منها ببعض اعماله المنقسمة الى اربعة اقسام أعني رصد الظواهر الجوية والمغناطيسية والزلازلية والفلكية

فهناك بناء خاصّ ذو غُرف متعدّدة أُودعت فيها موازين ثقل الهواء (البارومتر) واقيسة رصد الرياح وادوات تدوين حركات الزلازل ومن جملتها غرفة واسعة للمكتبة الفلكية وحجرة للشغل والدرس

وتمَّ استحضار البناء الخاص برصد الزلازل في تموز من السنة ١٩٢١ فلم تنتهِ السنة حتى بلغت عدد الزلازل المرصودة الى ١٠٤ بين كبيرة وصغيرة

وقد أُضيف الى المكان المختصّ برصد الظواهر الجوية مسافةٌ مكشوفة لميزان المطر ومسقفٌ لموازين الحرارة والرطوبة والتبخر

وقد أُفرد لرصد الفلك بناء آخر في اعلاه برجٌ مقبَّب بقبَّة دائرة على نفسها وتحت القبة نظّارة فلكية استوائية تبلغ فتحتها ٢٠ سنتمترًا . وفي اسفل البناء مختبرٌ كيموي وحجرة فوتغرافية وغرفة نُظّمت فيها المحرّكات المولّدة للكهرباء ومعمل ميكانيكي ومحلّ للنجارة

وللمغناطيس وادواته بناء ثالث حيث حُفر لها دهليز منفرد عُزل عنهُ الحديد تماماً

وقد تعيَّنت حجرة صغيرة وضعت فيها السُّدُسات لضبط حركات السُّموت فتحتها ٥٥ ملمترًا . وبقربها الرقّاصات وآلات اقيسة الزمان وادوات التلغراف اللاسلكي . وهناك ايضاً قائمتان من الحجر المنيع لتحديد الاوضاع الجغرافية واحدى القائمتين قد جُهّزت لخدمة جيش الشرق لتدوين الاقيسة الارضيّة التي تولّى رصدها . وهذه النقطة

هي المركز الفلكي الذي تمنّ لبعثة الجيش المذكور في سورية

والقائمون بتدبير مرصد كسارا يدوّنون كل يوم ارصادهم ثلث مرّات كانوا ينشرونها في نشرة خاصّة أبطلت في وقت الحرب وقد استبدلوها بمجموعة سنويّة ظهر القسم من مجلّدها الاول

والمرصد يشارك بعثة جيش الشرق لتقرير النقط البدائيّة من خارطة أقيسة ارض سوريّة وقد قرّر معها قياس قاعدة ١٢،٥٠٠ متر بين برّ الياس ورياق. وكذلك أخذ على عهدته نشر اقيسة الظواهر الجوّية في سوريّة كما صدّقت عليه المفوّضيّة العليا. ويساعد المحطّات المعيّنة لتدوين تلك الظواهر بعناية الفرقة البحريّة في سوريّة

﴿خزائن كتب الكلية﴾ لكليّة القديس يوسف مكاتب مختلفة منها صغيرة ومنها كبيرة. (فالصغيرة) تألّفت لافادة التلامذة. فلكل قسم منهم مكتبتهم في قاعات دروسهم تنطبق على سنّهم وصفوف مدارسهم. معدّل كل مكتبة الف كتاب. يطالعونها في اوقات الفراغ والراحة. وللمدارس العربية ايضاً مكتبة عمومية تحت نظر مدير دروسهم تبلغ ٨٠٠ مجلّد. امّا الاكليريكيّون فلهم مكتبتان الواحدة عمومية واسع تنيف على الفي مجلّد والاخرى خاصّة بدارسي الفلسفة واللاهوت حافلة بكتب نطاسي الفلاسفة واللاهوتيين. فيبلغ مجموع هذه المكاتب الصغرى نيّفاً وعشرين الف كتاب

واعظم منها شأناً المكاتب الكبيرة. فللطبّ كما سبق مكتبة تحتوي ٣٠،٠٠٠ مجلّد. ولمدرستي الحقوق والهندسة مكتبة حديثة العهد ضمّنها نحو ٥،٠٠٠ مجلّد. ولمعلّمي الكلية مكتبة مدرسيّة يبلغ عدد كتبها نيّفاً وعشرة آلاف مجلّد فيها ما يحتاجون اليه لدروسهم الشخصية ولتعليم صفوفهم

وللآباء في الكلية مكتبتان عظيمتان غربية وشرقية لكلّ منها معهد خاصّ. فالغربية في غربيّ جنوبيّ طابق المدرسة الثاني يقدّر محتويات كتبها نحو ٣٠،٠٠٠. فيها مجاميع ثمينة كمجموع اعمال الآباء اليونان لمين (Migne) في ١٦١ مجلّدًا ضخماً واعمال الآباء اللاتين له في ٢٢١ مجلّدًا ومجموع تراجم القديسين للبولنديين في ٦٤ مجلّدًا كبيرًا ومجموع اعمال المجامع المسكونية والمحليّة لمانسي في ٥٠ مجلّدًا كبيرًا ومجموع اعمال لساطين اللاهوت كالقديسين توما الاكويني وبوناونتورا وعشرات غيرهم تبلغ

كتبهم الضخمة مئات من المجلدات وكذلك تآليف مفسّري الكتب المقدّسة وكبار المؤرخين. ولكل علم منشوراته القديمة والحديثة يستدل عليها بفهارس منظّمة وهناك عدّة دوائر علوم ومعاجم مختلفة. هذا فضلاً عن مجموع مجلّات افرنسية شهيرة كمجلّة العالَمَين (Revue des Deux Mondes) ومجلة المراسل (le Correspondant) ومجلة الابحاث (les Etudes) ومجلّة التمدّن الكاثوليكي (Civiltà Cattolica) ومن كتب تلك المكتبة الخطيرة مجموع اعمال كتبة اليونان والرومان من الفلاسفة والمؤرخين والجغرافيين والادباء المطبوعة بمطبعة ديدو (F. Didot) الشهيرة

امّا الشرقية فهي اوسع مكاتب الكلية مادّةً واعظمها جدوى اذ تتناول جميع علوم الشرق وهي لا تقلّ عن ٣٥،٠٠٠ مجلّد باشرنا بجمعها منذ ٤٥ سنة. وقسمها الاكبر مختصّ بالمطبوعات والمخطوطات العربية فالمطبوعات نحو ١٥،٠٠٠ مجلّد مدارها على كل العلوم الدينية والمدنية والنصرانية والاسلامية المطبوعة في كل انحاء العالم شرقاً وغرباً. والمخطوطات عددها ٣،٢٠٠ بينها المصاحف والمخطوطات الملوّنة والمصوّرة والتآليف النادرة الفريدة في كل صنف من العلوم وبعضها مخطوط بقلم مؤلفيها او قريب من عهدهم ومن جملتها مخطوطات على الرقّ باليونانية والاسطرنجيلية ومنها بالكلدانية والسريانية والفارسية والتركية والحبشية والقبطية والارمنية. وقد نشرنا بالافرنسية ثلثة اقسام في ٢٠٨ صفحات وصفنا فيها ٣٣٦ مخطوطاً من الكتب التاريخية والجغرافية والرياضية والفلكية والطبيعية والكيموية والطبية. وعما قليل سيصدر وصف المخطوطات الكتابية والفلسفية. وقد أُفرد لكل هذه المخطوطات غرفةٌ أُلحقت بالمكتبة الكبرى

وفي المكتبة الشرقية معظم ما طُبع باللغة السريانية والكلدانية وفي الطقوس الشرقية. وفيها ايضاً مجموع كبير من المطبوعات الفارسية والتركية والعبرانية والارمنية والسنسكريتيّة والقبطيّة والحبشيّة وبعض الكتب الصينيّة واليابانيّة

ومن فرائد المكتبة مجموع اوصاف مخطوطات اوربة الشرقية كباريس ولندن وبرلين وفينة ورومية وليدن وبطرسبورج واوكسفرد وكمبردج

وتمتاز المكتبة بكتب الآثار والفنون الجميلة الشرقية. منها المطبوعات عن آثار مصر وبابل واشور بالحروف الهيروغليفية والمسماريّة وعن الآثار الفينيقية والحثّية

واليونانية واللاتينية مع المجاميع المختصة بها والمنشورات المصوَّرة التي اصدرها ارباب الحفريات والبعثات الدولية واسفار الرحالين القدماء والمحدثين الى انحاء الشرق

ومن مميزات المكتبة الشرقية مجموعة نحو ١٥٠ مجلة في كل ابواب العلوم الشرقية كالمجلات الاسيوية الفرنسوية والالمانية والانكليزية والاميريكية والايطالية ومجموعة المجلة الاثرية (Revue Archéologique) ومجموعة المجلات الفلسطينية الانكليزية والالمانية ومجلتي الشرق المسيحي واصداء الشرق وغيرها كثير قد جُمعت في غرفة خصوصية لضيق المكتبة الشرقية الكبرى عن إحرازها

وكذلك هناك غرفة ثالثة لاحقة بالمكتبة الشرقية غنية بالمطبوعات المتوطة بالاديان وبالاسفار المقدَّسة في اللغات الشرقية والغربية من جملتها مجموعة الكتب المقدَّسة في سبع لغات المطبوعة في لندن سنة ١٦٥٧ (Polyglotte de Walton) وصورة النسخة السريانية للكتب المقدَّسة المحفوظة في ميلانو ومطبوعات اخرى عديدة بينها (في المكتبة الشرقية) صورة المخطوطة الفاتيكانية للاسفار المقدَّسة (Codex Vaticanus) [illegible] الى اقرب [illegible] للميلاد

وللمكتبة الشرقية تسع دوائر للعلوم في لغات شتى: دائرتان للعلوم الكتابية واربع دوائر للعلوم الاثرية والتاريخية ودائرة للعلوم العصرية. ودائرة لمجموع العلوم اليهودية (the Jewish Encyclopedia) ودائرة للعلوم الاسلامية

امَّا تاريخ المكتبة الشرقية وجمع مؤلفاتها فيرتقي الى السنين الاولى من الكلية حيث جمعنا في غرفة شغلنا بعض المطبوعات الشرقية التي كانت سابقاً في مدرستنا الغزيرية مع عشرة مخطوطات الى خمسة عشر مخطوطاً متفرقة في الكلية. ولم نزل مذ ذاك الحين نسعى في استحضار المطبوعات الوطنية والاجنبية امَّا بطريقة الشراء وامَّا بالمبادلة بمطبوعاتنا وقد تلطَّفت الحكومة الافرنسية فاهدتنا كثيراً من مجاميعها الثمينة الى ان ضاقت الغرفة عن ضمها فنُقلت الى غرف اوسع مراراً ثمَّ أُفرد لها قسم من المكتبة الغربية حتى اضطرَّ الامر الى نقل المكتبة الغربية الى بناية جديدة واستقلَّت عنها المكتبة الشرقية كما هي اليوم

ولمَّا وقعت الحرب الكونية أُصيبت مكاتبنا ببعض الاذى ولاسيما المكتبة الشرقية التي نقلت الحكومة التركية كثيراً من مطبوعاتها الى الاستانة . وكان قسم

من مخطوطاتها ومطبوعاتها مستودعاً لامانة بعض الأهلين فخيّب واحد منهم أملنا ونشر الخبر فوضعت الحكومة يدها على تلك الودائع ولم تَعُد الى مكانها إلّا بعد فقدان عدد عديد من تلك الكنوز وبينها ٥٢ من المخطوطات الثمينة

فهذا نظر اجمالي في مكاتب كلية القديس يوسف توهّل اصحابها للكتابة والخطابة في سائر المواضيع العلمية وهي لا تضنّ بها على غير اصحابها من العلماء والباحثين اذا التمسوا ذلك من رؤساء المدرسة ولا يخلو يومٌ إلّا يأتينا بعضهم فيأخذهم العجب من غنى مكاتبنا التي يجدون فيها غالباً ما لم يحصلوا عليه في غيرها

﴿ المطبعة الكاثوليكية ﴾ هي ملحقة بكلية القديس يوسف وان تكن سبقتها باثنتين وعشرين سنة. فلمّا أُنشئت الكلّية نُقلت ايضاً المطبعة من مكانها في حيّ العيني وأُفرد لها بناء كبير جنوبي غربيّ الكلية. ومنذ ذاك الحين جارت الكلّية في رقيّها وتحسين أدواتها وسبك حروفها. فكان الفضل في ذلك لرئيس رسالتنا الطيب الذكر الاب امبروسيوس مونو ولفقيد الطباعة وقدوة العَمَلة الاخ ماري الياس اليسوعي المرتدّ عن الاسلام (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٤ [١٩٠١]: ٨٦٥–٨٧٢) .

وفي هذه السنين الخمسين الاخيرة صدر معظم مطبوعاتنا الجميلة كالكتاب المقدّس في ثلثة اجزاء وكالمعاجم المختلفة في العربية منها اقرب الموارد والمنجد وفي العربية والافرنسية والعربية والانكليزيّة والافرنسية والعربية الصغيرة والكبيرة وعدّة مطبوعات مدرسية منها في العربية كالقواعد الجلية ومجاني الادب وعلم الادب ومنها في اللغات الاوربية كالافرنسية واللاتينية والسريانية والقبطية والحبشية لافادة المستشرقين. ومنها تاريخية وادبية كمختصر تاريخ لبنان وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى وتواريخ ابن العبري وابن بطريق ومحبوب المنبجيّ وابن الراهب وتواريخ هلال الصابي وابن القلانسيّ وابن عُمر الكندي ومجمع البحرين ومقامات بديع الزمان ورسائله وروايات الاغاني. ومنها شعريّة كديوان الاخطل ونقائضه وكنظم امثال الميداني (فرائد اللآل) وكشعراء النصرانية ودواوين الخنساء والسموءل وسلامة بن جندل وابي العتاهية وعمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة ومراثي شواعر العرب والمفضّليات مع شرحها. ومنها لغويّة كفقه اللغة والالفاظ الكتابية وتهذيب الالفاظ

ومن هذه المطبعة صدرت جريدة البشير منذ السنة ١٨٦٩ ومجلة المشرق من السنة

١٨٩٨ ومجموعة المكتب الشرقي من السنة ١٩٠٦ ورسالة قلب يسوع من السنة ١٩٢٠ . وممن لم تنسَ فضلَهُ ما نسيتَ ذلك المرسَلُ الغيور ورجلُ الله الاب يوحنا بلو الذي ادار المطبعة سنين عديدة ونشر فيها كثيراً من التآليف المفيدة الدينيَّة والمدرسية (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٧ [١٩٠٤]: ١١٤–١١٥)

وكان في مدَّة الخمسين السنة نعم المساعدَين لترقية المطبعة وتحسين حروفها الاخ المرحوم انطون عبدالله اليسوعي (اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣]: ٧١٧و٧١٧–٧٩٩) والمرحوم حنَّا علَّام

وساعد في تأليف مطبوعاتها وتصحيحها ما خلا الآباء المرحومون الشيخُ ابراهيم اليازجي والشيخ سعيد الشرتوني وشقيقهُ رشيد. وحرَّر غيرهم جريدة البشير تحت ادارة الآباء كالمرحومين جرجس زوين والخوري يوسف البستاني ورشيد الشرتوني

ولو اردنا ان نشمل بنظر واحد منشورات المطبعة الكاثوليكية لوجدنا أنها نشرت ٢٧ كتاباً في الاسفار المقدَّسة ومتعلقاتها و٢٢ كتاباً من الصلوات و٢٥ كتاباً في التعليم المسيحي و ١٩ كتاباً في عبادة قلب يسوع و ٢٣ كتاباً في العبادة للسيدة العذراء مريم و ٢٥ كتاباً في تراجم القديسين و ٤٥ كتاباً في تفنيد الاضاليل والدفاع عن العقائد الكاثوليكية و٣٤ كتاباً في الطقوس الشرقية والقوانين الرهبانية و ١٠ كتب في المواعظ و ٣٧ كتاباً في التاريخ والسِّيَر و ١٧ ديواناً شعريًّا و ٤٧ كتاباً في مبادئ القراءة. وتعليم العربية و ١٢ معجماً عربيًّا واعجميًّا و ٣٧ كتاباً في اللغويَّات و ٣٢ كتاباً لتعليم اللغة الافرنسية والايطالية والانكليزيَّة و ٣٥ كتاباً من الروايات و ٢٣ كتاباً في السريانية والكلدانية و ٢٧ كتاباً في اللغات اللاتينية والافرنسية والتركية والارمنية والقبطية والحبشية. و ١٠٥ كتب شتى . هذا فضلاً عن ٥٠ مجلَّداً من مجموعة البشير و ٢٣ مجلَّداً من المشرق و ٥ مجلَّدات من رسالة قلب يسوع و ٩ مجلَّدات من آثار المكتب الشرقي

فمن هذه اللائحة ترى صدق ما نظمهُ المرحوم المنسنيور يوسف العلم في وصف المطبعة الكاثوليكية فقال في سنة يوبيلها سنة ١٩٠٣ :

أكرِمْ بمطبعةٍ قضتْ من عهدها خمسين عاماً بالمعارف زاهرهْ
واليومَ ذا يوبيلُها متقبَّلٌ منَّا التهاني من قلوبٍ شاكرهْ

كيف السبيل الى قضاء حقوقها فَرْضَ الثنا وحقوقُها متشابرهْ
وعلومُها وفنونُها وصفوفُها بصنوفها مثلُ البحار الزاخرهْ
وبريدُها يبدُو بطلعة مشرقٍ وبشيرُها تهوى النفوسُ بشائرهْ
هيَّا بنا ندعو طوابعها التي منها تلقَّينا العوارفَ ماطرهْ
فانطبعَنْ منَّا الثناء عِدادَ ما طبعت صحائفُها الحروفَ الوافرهْ
قُلْ انما طبَعاتها بقلوبنا لا تُمحى والنفسُ منَّا ذاكرهْ
ان الديانة والعلوم واهلها تُهدي الثناء لفضلها مُتفاخرهْ
خيرُ العوارفِ بالمعارف لا سوى هذي تدوم مع الدهور معاصرهْ
قد يُفقَدُ المال العزيزُ وانما العلم الشريفُ لهُ الحياةُ مضافرهْ
انَّ المطابعَ للعلوم جداولٌ تجري الى كل الورى متشاطرهْ
لكنما خيرُ المطابع ما غدَتْ للدين والآداب عيناً ساهرهْ
للعلمِ بالوَحيِ الكريم علاقةٌ ترعى جوانبَها العيونُ الطاهرهْ
ما كلُّ من قال القصائدَ شاعرٌ والحكمُ في هذا الأذنِ شاعرهْ
يا أيها الرحمانُ صُنْ جمعيَّةً عقدَت عُرى الآمالِ بابن الناصرهْ
باسمِ لهُ دُعيَت تتيهُ تعزُّزاً لاسمِ لهُ تعلو الخلائقُ صاغرهْ

٥ اعمال الكلية في الخارج

لم تحصر كليَّة القديس يوسف اعمالها ضمن مدرستها بل تولَّت كثيراً من المشروعات الدينيَّة والتهذيبية والخيريَّة كان لها تأثير عظيم في خير القريب وصالح العموم. فها نحن نذكر شيئاً من ذلك

١ المشروعات الدينيَّة

من اخصِّها الاخويَّات التقويَّة التي يقوم بتدبيرها آباء الكلية وهي متعدِّدة فمنها ما هو للرجال ومنها ما هو للنساء

﴿اخوية الحبل بلا دنس﴾ هي اخوية الرجال لذوي اليسار من اهل التجارة واصحاب الاملاك أُنشئت منذ السنة ١٨٤٩ فبلغت اليوم يوبيلها الماسي. فكان اوَّل

مَنشاها في ١٥ نيسان من تلك السنة باتفاق ذوي الوجاهة المرحومين درويش غنطوس تيّان وعبد الاحد خضرا واسكندر برتران والشيخ الياس مرعي الدحداح ورزق الله خضرا مع الاب هنريكوس دي برونيار (H. de Prunières) فاختاروا اكرام العذراء تحت سرّ الحبل بها البريء من الدنس وذلك خمس سنين قبل تثبيت هذه العقيدة الكاثوليكية ونالت من مراحم رئيس الرهبانية اليسوعية العام في رومية الاشتراك مع الاخوية الرومانية الاصلية وأمّ باقي الاخويات منذ نحو اربعمائة سنة لتتمتّع بجميع انعاماتها واختصاصاتها وغفارينها

ومنذ ذاك الحين لم يزل عدد المشتركين ينمو فيمارسون بكلّ نظام اعمالهم التقويّة تحت نظارة احد آباء الكلية وكانوا كلّ سنة ينقطعون لرياضة روحية قبل احد الشعانين ويزورون مرّة احد معابد العذراء خارج البلد ويثابرون على اسرار الكنيسة ويسعون الى نشر السيرة الصالحة بين اهلهم ومعارفهم ويتولّون كثيراً من اعمال الخير بين مواطنيهم وخصوصاً نحو الفقراء والمحتاجين والمحبوسين . وكان اجتماعهم في الاخوية الى اختلاف طوائفهم يوثق روابط الحبّ والاخاء بين الكاثوليك ويعتم لديهم العبادة لقلب يسوع الاقدس والبتول البريئة من دنس الخطيئة الاصلية

وفي السنة ١٨٩٩ دعاهم مرشدهم الاب استانسلاوس شيخو الى حفلة العيد الخمسيني فاجتمع منهم في ١٠ حزيران عدد وافر ضاقت بهم اعظم ردهات الكلية وأقيمت الرتب الدينية الجليلة برئاسة سيادة القاصد الرسولي ومُنحت بركة الحبر الاعظم لاعضاء الاخوية بموجب براءة ارسلها لهم قداسته في ذلك النهار . ثمّ تبادلوا ارقّ عبارات التهاني وقضوا يومهم في الفرح الروحي ذاكرين ما جرى عن يدهم في ذلك نصف القرن من الاعمال المأثورة لخلاص نفوسهم وخير قريبهم معدّدين خصوصاً مبرّات المتنيحين منهم بالربّ وشاكرين للبتول شفاعتها وسوابغ نعمها

وفي وقت الحرب الكرنية خمدت نوعاً حركة الاخويّة بوفاة كثيرين من اعضائها لكنها لم تبطل وعادت النار الكامنة تحت الرماد الى نورها بعد فوز الدول المتحالفة ودخول فرنسة في ربوعنا

﴿اخويّة العملة﴾ هي اكبر اخويّات الكليّة . ابتدأ في تأليفها سنة ١٨٦٣ احد رهبانها الاب يوحنا فيروفيش في ديرنا القديم في الحيّ الصيفي لاصلاح العملة من حمّالين

وبنّانين وباعة وخدّام اذ رآهم مهملين وهم كما يقول الانجيل المقدّس كالخراف التي لا راعي لها فتحنّن عليهم على مثال سيّده الالهي . فلم يزل يجدّ ويكدّ ويحرّك كل ساكن الى ان جمع البعض منهم واحسن اليهم فكانوا اوساطاً بينهُ وبين زملائهم . وما عتّم ان جمع منهم العشرات ثمّ المئات وسعى الى ارشادهم وجلبهم الى ممارسة فروض الدين فأضحوا مثالاً وقدوة صالحة للعملة حتى أُشير اليهم بالبنان

وقد اتّخذ لهم شفيعةً لاخويّتهم البتول امّ الاحزان ليجدوا في اوجاعها سلواناً وتعزيةً في اتعابهم . تفنّن في ايجاد الوسائط لإحراز ثقتهم ولدفعهم الى الحياة الفضلى كالاعياد البهجة والاغاني التقويّة المطربة وتشنيف آذانهم بالادوات الموسيقية وكان يهتمّ باشغالهم ويتوسّط لدى ارباب الامر في شؤونهم ويعود المرضى منهم ويُحسن الى المنكوبين ويُعنى بتربية صغارهم ويمشي مع رجالهِ في جنازة المائتين منهم فكانت هذه ووسائط أُخرى مدعاةً الى نجاح تلك الاخويّة التي بلغ في بعض الاوقات عدد المشتركين فيها قريباً من الالفين . وقد خلفهُ بعد وفاتهِ سنة ١٨٩٨ رهبان من اخوتهِ تأثّروا آثارهُ وقرّروا عملهُ منهم الاب ادوار ميشال الذي نشرنا ترجمتهُ مؤخّراً (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ١٨٣–١٩١) وحضرة الآباء جول كسانتي وابيل ديد ورزق الله ثابت مع بعض افاضل الكهنة من تلامذتنا الاكليريكيين كالخوارنة يوحنا طنّوس وبطرس فرج ويوسف فارس

ولاخوية الام الحزينة مآثر عديدة منها دينيّة كالسجود الليلي في ليلة الجمعة الاولى من الشهر للقربان الاقدس وكاقامة بعض حفلات دينيّة لاكرام جسد الربّ ولسيدة الاوجاع شفيعتهم بطرافين جليلين وكنشر العبادة لقلب يسوع وكزيارة سنويّة كانوا يباشرونها الى القدس الشريف والاماكن المقدّسة عند سنوح الاحوال السياسيّة . ومنها خيريّة واجتماعيّة كعيادة المرضى مع مرشدهم وزيارة المحبوسين والاحسان اليهم في بعض فصول السنة وخصوصاً في ايّام الصوم المبارك ليقرّبوا اليهم ممارسة فرائضهم الفصحيّة وكاهتمامهم بصغار الصدّمة وتعليمهم المبادئ الدينيّة واعدادهم للمناولة الاولى . ومن اخويّتهم تفرّعت جمعيّة الشبّان تحت حماية القديس لويس غونزاغا التي جعلت غايتها هذه الاعمال الخيريّة

ولما كانت السنة ١٩١٣ احتفلت الاخويّة بيوبيلها الذهبي فتألّف لحضور اجتماعات

العيد اكثر من ألف اخ من المشتركين بها أتوها من أحياء بيروت ومن قرى لبنان فرأوا رأيَ العين ما صارت اليه تلك حبّة الخردل الصغيرة اذ بلغت نموّ الاشجار الباسقة المظلّلة لالوف من طيور السماء في الوطن وفي دار المهجر. وقد خصّصنا وقتئذٍ مقالة واسعة لذكر هذا المشروع الخطير وتاريخ مُنشئهِ ووصف ثماره الجنيّة (في المشرق ١٦ [١٩١٣]: ٣٢٩ ٣٣٥)

واليوم بعد خمود نيران الحرب التي لم تطفئ تماماً تلك الجمرة المتأججة ترى في كنيسة كليّتنا أيّام الاحد عند الظهر المئين من الاخوة يمجّدون الله والعذراء أمّهم بتسابيحهم وشواعرهم التقويّة

﴿اخويّة الشبّان﴾ أنشئت السنة ١٨٨٢ لفائدة الشبّان بعد نهاية دروسهم وانضمّ اليهم طلبة الطبّ. وكان منشئ هذه الاخويّة الاب المرحوم يوسف زال (J. Zelle) الذي أدّى للناشئة خدماً مشكورة هو وخلفهُ الاب راي (J. - B. Rey) فأعدّا للوطن العزيز رجالاً كانوا له عضداً في المشروعات الوطنيّة وشرفاً بحسن سلوكهم وفضائلهم الاجتماعيّة وقدوةً لامثالهم من الشبّان

﴿جمعية قلب يسوع للسادة﴾ هذه الجمعية قد همّ بانشائها حضرة الاب كاتن سنة ١٩١٠ مختصّة بنخبة من الرجال ذوي الفضل السابغ والرغبة في الصلاح حُدّ لها عددٌ لن تتجاوزهُ. وغايتُها اهتمام ذويها بكل ما يؤول الى مجد الله وخير القريب ومناصرة الدين والآداب الصالحة. ولهم ايضاً مجتمعهم الشهري في معبد خاص لممارسة فروضهم الروحية يعقبهُ اجتماع آخر يتفاوضون فيهِ عن كلّ ما من شأنه ان يساعد على النهضة الدينيّة بين العموم ولاسيما بين ذوي الاعتبار والوجاهة ويتّخذون الوسائط لتنفيذ نيّاتهم المقدّسة

﴿اخوية الميتة الصالحة﴾ أنشئت بعد اخويّة الحبل الطاهر باثنتي عشرة سنة (١٨٦١) لتقديس حياة النساء بالعيشة البارّة واعدادهنّ للميتة الصالحة. فألحقت بالاخويّة الامّ في رومية تحت شفاعة القديس يوسف. وقد نمت هذه الاخوية نموّاً عظيماً بهمّة مرشديها الاباء فيلبّوس كوش واستانسلاوس شيخو وسيرافيم سكوتي وهنري شبران وانطون صالحاني الذي لم يزل على إرشادها منذ السنة ١٩٠٥. وينيف عددها اليوم الخمسمائة بعد ما أُصيبت في وقت الحرب من الجمود. ولهذه الاخويّة

اجتماعاتها المنظَّمة في كل اسبوع ورياضاتها السنويَّة واعيادها الرسميَّة لاسيما عيد القديس يوسف شفيعها في ١٩ آذار حيث يتجدَّد تكريس العائلات والاطفال الاحتفالي لحمايته . وفيها تجري الممارسات التقويَّة في الاشهر الثلثة اليوسفي (في آذار) والمريمي (في أيار) وشهر القلب الاقدس (في حزيران)

وفي السنة ١٩١٢ بلغت الاخويَّة يوبيلها الذهبي فأُقيمت لذكره اعياد شائقة رأسها سيادة القاصد الرسولي وتشرَّفت بحضور اسقفين وكثير من جلَّة الاكليروس ووجوه المدينة

﴿اخويَّة الصانعات﴾ في بيروت عدد جزيل من الصانعات ومعظمهنَّ من لبنان يقلن من جبلهنَّ وهنَّ غالباً ساذجات القلب طاهرات الذيل وافرات التقى فاذا اختلطن باهل المدينة كثيراً ما يتعرَّضن لاخطار جسيمة تؤدي بهنَّ الى ما لا تُحمَد عاقبتهُ وينتهك حمى عفافهنَّ . فهذا ما دفع في ٢٣ آذار السنة ١٩١١ حضرة الاب صالحاني الى انشاء اخويَّة خاصَّة بالصانعات ليصون نفوسهنَّ من كل شائبة تمسّ شرفها ويزيدهنَّ تُقى وصلاحاً لخيرهنَّ الشخصي ولفائدة البيوت والعيال التي ترغب في استخدامهنَّ . وقد نالت هذه الاخويَّة الاجازة الرسميَّة من رومية في ١١ ك ٢ سنة ١٩١٢ بوضعها تحت حماية سيدة الجبل بلا دنس والقديسة حنة امّ والدة الله . فاقبل على الانتظام في سلكها عدد وافر من الصانعات يجتمعن كل خميس لاداء فرائض الاخويَّة . ولهنَّ ايضاً رياضتهنَّ السنويَّة ويوم خاصّ لزيارة بعض معابد البتول في خارج البلد وقد أعربن غير مرَّة عن كرم نفسهنَّ بعضد المشروعات الدينيَّة والخيريَّة كمشروع الاشتراك بنشر الايمان المسيحي في البلاد الاجنبيَّة وكمساعدة الفقراء . وقد رأيناهنَّ آخرًا قد اكتتبن ليقدّمن للشيوخ العجّز في دار راهباتهم مأدبةً على نفقتهنَّ حضرنها وقُمنَ بخدمته جازاهنَّ الله خيرًا

﴿جمعية قلب يسوع للسيدات﴾ أُنشئت هذه الجمعية منذ اوائل الكلية بهمَّة رئيس رسالتنا الطيّب الذكر الاب امبروسيوس مونو تشترك فيها نخبة من سيّدات البلد وطنيَّات واجنبيَّات . واجتماعهنَّ شهريٌّ في يوم الجمعة الاولى من الشهر يحضرن القدَّاس ويواظبن على الاسرار ويصغين الى إرشاد مرشدهنَّ ويُختم الاجتماع بمنح بركة القربان والغاية من انشاء هذه الجمعيَّة بثّ روح الدين والتقى في أسر القوم الشريفة .

وعددهنّ اليوم يقرب من الثمانين ويزيد عددهنّ في رياضتهنّ السنويّة

﴿شركة الورديّة المقدّسة﴾ في عهد قصادة الطيب الذكر سيادة المطران شرل دوقال سنة ١٩٠١ أنشئ في كنيسة كليّتنا فرعٌ من شركة الورديّة المقدّسة (Archi-confrérie du St Rosaire) فوّض اليه منح كلّ الانعامات والامتيازات الممنوحة من الاحبار الرومانيين لمركز هذه الشركة في رومية . ومذ ذاك الحين تُقام الرُّتب الخاصة والطواف الاحتفالي لاكرام سيّدة الورديّة في الاحد الاوّل من كل شهر وقد بلغ عدد المشتركين بهذه الجمعية عدّة مئات من المؤمنين

٢ المشروعات التهذيبية

كما عُنيت كليّة القديس يوسف ببثّ روح التقى ورفع منار الدين كذلك جعلت ديدنها نشر الآداب والمشروعات التهذيبيّة

﴿المدارس العمومية للفتيان﴾ لا يحتاج كل الاولاد الى التعمّق في الدروس واحراز العلوم الراقية . وهذا ما دفع كليّة القديس يوسف الى انشاء مدارس مجانيّة لصغار العامّة ليأخذوا من العلوم ما يكفيهم لحاجاتهم اليوميّة كالقراءة والكتابة ومبادئ اللغتين العربيّة والافرنسيّة واصول الحساب والجغرافية والتاريخ . ففتحت لهذه الغاية ثلث مدارس في احياء البلدة في رأس بيروت وفي حيّ الدحداح ثمّ في حيّ الغيراط خلفتها مدرسة الرميلة . ثمّ فُتحت مدارس أخرى في خارج المدينة في قراها المجاورة كفرن الشبّاك والشيّاح . وقد بلغ عدد الطالبين في هذه المدارس اللاحقة بالكليّة نحو الثمانة فتعمّم التهذيب الديني والعلمي بين الجمهور

﴿مدارس الاناث﴾ قد كانت الارساليّة اليسوعيّة منذ السنة ١٨٥٣ رأت الحاجة الماسّة لتربية فتيات الاناث في انحاء الشام وخصوصاً في لبنان فانشأ اثنان من رهبانها الاب ريمون (سليمان) استاف (R. Estève) والاب بولس ريكادنّا (P. Riccadonna) جمعيّتين رهبانيّتين وطنيّتين لسدّ هذا الخلل الواحدة في بكفيّا تحت اسم «المريمات» لسواحل لبنان وشماله خصوصاً والاخرى في معلّقة زحلة تحت اسم «راهبات قلب يسوع» للبقاع وجهات الشام وقد روينا خلاصة تاريخها واعمالها في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٦٤١–٦٥٦) بمناسبة يوبيل السنة السبعين لانشائها مع ذكر

العديد البليغ من المدارس التي تولّينَ ادارتها

ثمَّ رأى الرؤساء انَّ في توحيد الجمعيَّتين خيرًا اعظم فتمَّ ذلك بعد محنة موقتة وأُطلق عليهنَّ اسم راهبات قلبي يسوع ومريم فتنظَّمت جماعتها واستأنفتا العمل بنشاط جديد . وكان لبيروت نصيبها من هنتهنَّ لاسيما بعد ان شيَّد حضرة الاب اوغسطين تردي لهنَّ ديرًا خاصًّا على مقربة من الكليَّة ووضع لهنَّ قوانين ورسوماً جرينَ عليها ثم عُرضت على الكرسي الرسولي بعد تحريرها فثبَّتها . وقد بلغ عددهنَّ اليوم ٢١٤ راهبة منهنَّ ٢٠ مبتدئة يسكنَّ ٣٩ ديرًا في انحاء سوريَّة ولبنان ويهذّبن نيفاً و٥٫٠٠٠ فتاة في ٤٢ مدرسة

﴿التعليم المسيحي﴾ هذا من اخصّ وسائط تهذيب الناشئة وهو ممَّا يتفرَّد لهُ بعض آباء الكليَّة وطلبة الفلسفة واللاهوت الاكليريكيُّون في مدارس بيروت وجوارها وفي مآوي العجَز والاحداث وكذلك تلامذة الكليَّة الكبار من ابناء الاخويَّات يجمعون بعض الايتام والفقراء ويحسنون اليهم ويعلّمونهم الفرائض الدينيَّة ويؤهّلونهم لاقبال الاسرار

٣ المشروعات الخيريَّة

ليست هذه من المهمات الخاصَّة بالكليَّة لانقطاعها الى غير ذلك من الاشغال على انَّها لم تتنكَّب عن هذا الامر وهي تنشطهُ على قدر استطاعتها .

﴿شركة مار منصور دي بول﴾ معلوم انَّ هذه الشركة مستقلَّة في اعمالها . على انَّ اليسوعيين في بيروت كانوا من اعظم مناصريها فانَّ انشاءها في بيروت كان اوَّلاً في دير الآباء اليسوعيين القديم بحضور الاب ريمون استاف الذي رأس اوَّل حفلاتها الرسميَّة في ٧ أيار سنة ١٨٦٠ . ثم توالى اليسوعيون في خدمة اعضائها كالاب هنري دي برونيار والاب فرنسيس بَدُور والاب بولس غرنيه . وكثيرًا ما كان رؤساء الكليَّة يسعفونها بالحسنات لتقوم بواجباتها كما انَّ الآباء كان يقيمون الرتب الدينيَّة في اجتماعات الاخوة ويشتركون بتهذيب اولاد الجمعيَّة

﴿راهبات العجَز﴾ لمَّا احتلَّت راهبات العجَز ربوع بيروت اسرع رؤساء الكليَّة الى اسعافهنَّ ماديًّا وادبيًّا . ولم يزالوا على خطتهم هذه الى اليوم . بل يعوّدون تلامذتهم

على اعمال الرحمة فيقودون البعض منهم في اوقات محدَّدة ليوزّعوا على اولئك البائسين ما جمعوهُ من رفقتهم الدارسين من الحسنات . وفي بعض المواسم يقدّمون لهم الطعام ويخدمونهم على المائدة ويفكّهون ارواحهم بالاغاني والروايات الهزليَّة

﴿خدمة المرضى﴾ في المستشفى الذي انشئ في العام الماضي لحاجات مدرسة الطبّ يقوم الآباء في خدمة المرضى الروحية ويعودونهم مرارًا في الاسبوع ويشاركون الاطبّاء في معاينة الاعلّاء الذين يأتون الى المستوصف هناك ويحاولون علاجهم

﴿خدمة الارمن المهاجرين﴾ لما احتلَّ الارمن ربوع بيروت بعد نكباتهم ونفيهم من بلادهم خصَّص رؤساء الكلية اثنين من رهبانهم لخدمتهم مع احد الكهنة المتخرّجين في مدرستهم الكليَّة . فما ألوا جهدًا في تلطيف اوجاعهم وخدمتهم الدينيَّة فاقاموا لهم معبدًا كبيرًا وفتحوا لاولادهم المدارس وتوسَّطوا لدى ارباب الامر لينالوا الاسعافات والانعامات التي يحتاجون اليها

٦ الرجال ومآثرهم

لم تكن كليَّة القديس يوسف لتقوم بمشاريعها الخطيرة التي سبق ذكرها لولا ما قيَّض الله لها من الرجال ذوي القدرة والهمّة البعيدة والحزم الثابت . فيسوغ لنا ان نفرد بابًا لذكر البعض منهم ولاسيما الذين استأثر بهم الله فأنابهم عن حسن اعمالهم

وقبل كلّ يجب الشكر لذينك الرجلَين الفاضلين اللذين بمساعيهما خرجت الكلية الى عالم الكون اعني بهما الاب امبروسيوس مونو (المتوفّى في ٨ ايلول ١٨٩٨) . والاب كسافيه بالّيو († ٨ ك٢ ١٨٨٧) . فكان للاوّل منزلة كبيرة بين اخوته الرهبان فوقع عليهِ الاختيار مرارًا لمناصب الرهبنة الشريفة وكان الاجانب يجلّونهُ ويعتبرونهُ اعتبارهم لكبار الرجال ويلتمسون رأيهُ في مشاكلهم فيقدّمونهُ على سواهُ . ولمَّا خلف في رئاسة رسالتنا السوريَّة العامَّة الطيّبَ الذكر الاب كوترله (F.X. Gautrelet) ادرك للحال حاجة الكاثوليك في بلاد الشام الى كليَّة كبيرة واخذ على نفسهِ تحقيق نيَّتهِ على الرغم من العوائق التي كانت تعترضهُ في سبيلهِ فوقع الامر طبقًا لمرامهِ بل بلغ حيث لم تبلغ الآمالُ والهمّم

أمّا الاب باليو (Fr. - Xav. Pailloux) فكان في اوّل الامر منقطعاً للاشغال العقليّة والتأليف في الابحاث الدينيّة والاجتماعيّة وكان درس الهندسة واصول فنّ البناء فتفرّد بها. ومن آثاره البديعة كنيسة الآباء اليسوعيين الكبرى في ليون يعدّها ارباب الهندسة كآية في الهندسة الدينيّة. ولهُ تأليف جليل في قطع كبير مزيّن بالرسوم والنقوش البهيّة بحث فيهِ عن هيكل سليمان وسعى بتصويرهِ فاستحسنهُ كثيرون من الاختصاصيين. فهذا هو الراهب الذي انتدبهُ الاب مونو لهندسة كليّة القديس يوسف التي تُعدّ من اجمل ابنية بيروت بواجهتها المهيبة ومعاهدها المختلفة وكأنّهُ اراد قبل كلّ ان يوفّر لها النور والهواء. ويلطّف فيها لفحات الحرّ في فصل القيظ. وقد عُني خصوصاً ببناء الكنيسة التي يأخذ منظرها بالابصار فتراها اهلاً ببيت صلاة يرتفع فيها قلب المؤمن الى الله بالورع والتخشّع دون ان ينشغل عقلهُ بالعرضيّات والزوائل

﴿رؤساء الكليّة﴾ كان اوّل رؤساء لكليّة القديس يوسف الاب اوغستينوس تردي (Aug. Tardy) تعيّن لذلك في ٣٥ ايار ١٨٧٦ فقدم بيروت بعد افتتاح المدرسة بمدة [illegible] فلسطين روده (A. Rodet). [illegible] الحديد [illegible] في الدرج استقبل حافل حضرهُ التلامذة بفرقتهم الرسمية ونوبتهم الموسيقيّة

ثمّ عُهد برئاسة الكليّة للاب رامي نورمان (R. Normand) سنة ١٨٧٨ الى ١٨٨١. لكنّ الحبر الاعظم لارن الثالث عشر انتدب في اثناء رئاستهِ رهبانيّتنا الى فتح ارساليّة جديدة في بلاد الارمن فوُكل الى الاب نورمان بان يذهب الى جنوبي اميركا فيعظ ويلقي المحاضرات ويجمع ما امكنهُ من صدقات تلك البلاد لمساعدة هذه الارساليّة. فناب عنهُ في مدّة غيبتهِ لسياسة الكليّة الاب يوسف روز (J. Roze) ثم الاب ادوار سازاني (E. Sâlzani)

وفي ١٧ نيسان ١٨٨١ ترأس على الكليّة الاب هنري ج. (Henri Julien) فدبّرها احسن تدبير ووسّع نواديها ونظّم تعاليمها وبلّغها مقاماً لم تعهدهُ سابقاً

وبعد ثلث سنين عاد الى الرئاسة الاب تردي (٢٩ تموز ١٨٨٤) فوجّه عنايتهُ خصوصاً الى الملحقات بالكلية كمدارس اولاد العامّة ومدارس راهبات قلبي يسوع ومريم ثم انتهى زمن رئاسة الاب تردي فقام بعملهِ في تدبير الكليّة الاب فرنسيس

ترّاس (P. F. Terrasse) وذلك في تاريخ ٢٦ ايلول سنة ١٨٨٧ . وفي الوقت عينهِ صار تدبير الارساليَّة الى يد الاب فيليبار برنارده (Ph. Bernardet) فتضافر كلاهما في تعزيز سائر امور مهمّتها في الكليَّة والارساليَّة

وفي السنة ١٨٩٠ في ٢٢ ايلول منها ارتأس على الكلية احد ابناء الوطن المرحوم الاب جبرائيل ادّه فكانت معرفتهُ للبلاد وحسن سياستهِ في تدبير المدرسة ومجاملتهُ لأولي الامر ولعموم الاهل قد حبَّبتهُ الى الجمهور وصرف عنايةً خاصَّة كسلفهِ الاب هنري الى تعزيز تعليم اللغة العربية

وطالت رئاسة الاب ادّه الى ٣ آب سنة ١٨٩٧ حيث ضبط ازمّتها حضرة الاب كاتن وكلّ يعرف ما طُبع عليهِ من سعة الادراك وحسن السياسة وما لهُ من الاعتبار لدى ارباب الدنيا والدين فيذكرون بلسان واحد ايَّام رئاستهِ بالخير

ثمَّ عُهدت الى حضرتهِ رئاسة الارساليَّة جمعاء فاستناب لادارة الكلية كنيسها الخاصّ في ٢٧ آب ١٩٠١ الاب لاون كلار (L. Clerc) وفي عهدهِ أُنشئ المكتب الشرقيّ فكان الاب كاتن متولياً لنظارتهِ بصفة كنشايار يساعدهُ في التعليم ستَّة من الآباء. فكان لهذا المشروع موقع حسن لدى محبي الدروس الشرقيَّة فقدم لحضور تعليمها نحو ١٥ من المترشحين لتدريس اللغات الشرقيَّة في كليَّات اوربَّة

في السنة ١٩٠٤ في ٢٥ آب قدم من فرنسة لرئاسة الكليَّة رجلٌ مشبع من العقل وهو خطيب بليغ الاب هنري غريسيان (H. Gressien) وكان متأهباً غيرةً لتقدُّم الكليَّة ماديًّا وادبيًّا . فساسها مدَّة ثلث سنوات بحزم كلّي ومشيئة نافذة لا يضعفها عائق . وكان المذكور مولعاً بالفنون الجميلة يتقن التصوير والهندسة فرأى حاجة الكلية الى معاهد جديدة فلم يزل يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ حتى وجد لهذه الأربة حلًّا واغنى الكليَّة بنوادٍ أفرجت لزمن عن ضيق ابنيتها

ثم أُصيب الاب غريسيان بوجع في عينيهِ اضطرَّهُ الى الرجوع الى فرنسة فقام بعملهِ ثانيةً حضرة الاب كاتن متنزّلًا عن الرئاسة العامّة لحضرة الاب ادوار ڤان دي بوت في ١٣ آب ١٩٠٧ . فدبَّرها بهمّتهِ ودرايتهِ المعهودتين الى السنة ١٩١٠ فسُند تدبير الكليَّة في ٢٢ آب منها الى حضرة الاب انطون فوجول(A. Foujols) الذي ساسها بكل حكمة وتفانٍ الى سنة الحرب وهو لم ينثنِ عن خطتهِ المستقيمة مع ما كان

يتوقعهُ من المخاطر القريبة بل لم يُحجم عن فتح المدرسة للسنة الجديدة وسحاب الجوّ يبرق ويرعد سياسةً . على ان الامر كان تُقضي وما لبثت الحكومة ان اعلنت بالحرب للدول المتحالفة ماشيةً مع الدول المركزيّة . فأقفلت الكليّة وتفرّقت عمدتُها

اربع سنوات بكت الكليّة على اصحابها الى ان احتلّ الحلفاء ربوع بيروت في اوائل تشرين الاوّل فجاء احد ضبّاط الفرنسيس بغتةً الى باب المدرسة وتقدّم الى المحتلين فيها بالخروج . فخرجوا في صباح ١١ ت ١ وعاد من حضر من اليسوعيين الوطنيّين الى ديرهم وقضوا شهراً في تنظيفهِ من الاقذار وإصلاح ما خرب من ابنيتهِ

وفي يوم عيد الميلاد ١٩١٨ سُررنا بقدوم حضرة الاب شانتور وكان تعيّن كرئيس عام للرسالة السوريّة منذ ١ تشرين الثاني وكان بمجيئهِ حضرة الاب كاتن بصفة رئيس الكليّة فكان حضورهما مدعاةً لفرح الاهلين وحياةً مستجدّة للكليّة بعد موتها . فأسرع كلاهما وأنعشا تلك الروح الجامدة واقبل الاهلون بابنائهم واثقين بحسن تربيتهم كما عهدوهم سابقاً قبل تلك الحرب الضاربة على تعليم الناشئة وتهذيبها

دامت رئاسة الاب كاتن الثالثة الى ٢٨ آذار ١٩٢١ فدُعي الى رئاستهِ السابقة على المكتب البطريركي . وصارت الكليّة منذ ذاك الحين في عهدة حضرة الاب شانتور وقام مقامهُ في الرئاسة العامّة على الرسالة حضرة الاب ايبل ديد . فوافقت رئاسة الاب شانتور السنة اليوبيليّة . وهو نعم الاتفاق لما لحضرتهِ من الايادي البيض في خدمة الكليّة منذ اربع سنوات بنيّف

﴿مشاهير اليسوعيّين﴾ نقصر كلامنا على المتوفّين دون الاحياء . ولا نذكر غير بعض الافراد الذي عرفناهم شخصيًّا فيمكننا ان نشهد لهم بالفضل

واوّل من نحبّ ان ندوّن هنا اسماءهم بعض الذين عطّرونا بشذى برارتهم وفضائلهم . منهم الاب بطرس مرتين († ١٨٨٠) صاحب تاريخ لبنان فانّنا عرفناهُ سنين طويلة فوجدنا سيرتهُ وتصرّفهُ اشبه بسيرة وتصرّف قدماء النسّاك لا يعرف إلّا الصلاة والشغل — والاب كوترلي (Fr. X. Gautrelet) من كبار المتعبدين لقلب يسوع وذو الفضائل السامية التي دوّنها في كتاب واسع احد رهبانهِ . وكتبهُ الروحية تُشعر ايضاً بقداسة نفسهِ (توفي سنة ١٨٨٦) — ومنهم الاب سمعان كورنو (Sim. Corneau) المتوفّى في تمنايل في ٢٤ ك ١ ١٩١٠ فانّهُ كان معروفاً عند العموم

بتواضعهِ العميق فيُدعى برجل الله وابي المساكين. وكانت القداسة تلوح في كلّ شخصهِ واعمالهِ واقوالهِ. ومنهم الاب بطرس سورانيا (P. Soragna) ذو الاصل الشريف والنفس الزكيَّة والفضل العميم. لمَّا انذرهُ الطبيب بقرب وفاتهِ قبَّلهُ معدًّا ذلك كبشرى عظيمة — ومنهم الاب يوحنا بلو الذي اجمع كلّ من عرفهُ من الرهبان اخوتهِ ومن الغرباء بسموّ فضلهِ وبساطة قلبهِ ومواظبتهِ على الشغل وخدمة القريب دون انقطاع على آخر انفاسهِ († ١٩٠٤) ومنهم ثلاثة اخوة مساعدين كانوا بيننا مثال حيّ للفضائل الرهبانيَّة: الاخ انطون طالون († ٢٣ حزيران ١٨٨٨) والاخ فرنسيس مرسيه († ١١ ايلول ١٨٨٩) والاخ ماري الياس († ٩ ايلول ١٩٠١)

وكما امتاز هؤلاء بسموّ فضلهم قد برز غيرهم باعمالهم الرسوليَّة كالاب يوسف لابورد (٢٠ شباط ١٨٨٤) الذي انشأ رسالةً في بلاد بين النهرين في مديات وردّ كثيرين من اليعاقبة بعظاتهِ وعجائبهِ وقاسى الاضطهاد لاجل غيرتهِ — وكالاب فرنسيس بَدُور (Fr. Badour) الذي طاف لبنان مع السيّد شرل لافيجري بعد حوادث سنة ١٨٦٠ لمساعدة المنكوبين والعناية باليتامى (٢٠ حزيران ١٨٨٩) — والاب لويس ابوجي (L. Abougit) رسول بكفيّا وكسروان († ١٦ تموز ١٨٩٥) مع الاب ريمون (سليمان) استيف († ١٠ ك١ ١٨٧٣) وكالاب ارسانيوس مِرل (Ar. Merle) الذي قضى سنين عديدة في حوران ساعياً الى خلاص الدروز وتربية ناشئتهم († ٩ شباط ١٩١٦) — والاب يوحنا فيروفيش رسول العملة في بيروت († ٤ ايلول ١٨٩٨) — والاب يوسف برنييه (J. Barnier) المرسل الغيور في العكّار وبلاد العلويّين وجهات حمص وطرابلس ولهُ هناك آثار مشهورة من غيرتهِ وصلاحهِ († ١٠ ت٢ ١٩٠٠) — والاب سيرافيم سكُرني الذي تنقَّل مرشدًا وواعظاً في كلّ انحاء لبنان وبلاد البشارة († ٢٥ آب ١٩١١) وكلّ هؤلاء اشتغلوا مدَّةً في كليَّة القديس يوسف

امَّا المتازون بعلومهم في هذه الحقبة الحسينيَّة فليسوا اقلّ عددًا كما تشهد لهم مؤلفاتهم. فمنهم من خلّفوا التآليف اللاهوتيَّة والفلسفيَّة كالاب راجيس شامبون (R. Champon) المتوفى في († ٨ ك١ ١٨٨٣. والاب فرنسيس ديجاك (Fr. Desjacques) († ١٠ ت١ ١٨٩٠). والاب لاون قنسان († ٣ ك١ ١٨٩٨)

وخلّف غيرهم الآثار التاريخيَّة النفيسة كالاب بطرس مرتين صاحب تاريخ لبنان

في عشرة مجلدات ضخمة (لم تُطبع) . والاب انطون رباط († ١١ أيار ١٩١٣) جامع الآثار التاريخيَّة للنصرانيَّة في القرون الثلثة السابقة والاب فردريك بوفيه مؤلف تاريخ سوريَّة (طُبع على الحجر) والاب لويس ابوجي كاتب مقالات تاريخيَّة عديدة

ولغيرهم تآليف حسنة في الآثار القديمة والحديثة والاسفار كالاب يوسف ڤان هام († ١٣ آب ١٨٩٩) والاب يوسف لابورد والاب ميشال جوليان († ١ ك ٢ ١٩١١) صاحب التآليف المتعدّدة في الرياضيّات والتاريخ والاسفار والآثار . وكالأب هنري دي فونكلايه (H. de Fonclayer) رفيق الكونت دي شامبورد في زيارة الاراضي المقدَّسة († ٢٨ حزيران ١٨٩٢)

امّا اللغويّات والآداب فيشهد على نشاط ارساليَّتنا فيها العدد العديد من المطبوعات التي ابرزتها مطبعتنا الكاثوليكية فسبق لنا تعدادها

﴿تلامذة الكليَّة﴾ منهم من تخرَّج في مكاتبها الفنيَّة كالطب والصيدلة والحقوق والهندسة ولهم نشرتهم الخاصة لا نرى حاجة الى ذكرهم هنا . ومنهم من درس في الكليَّة في مكاتب الشرقي او في غيرها [illegible] في المكتب الشرقي خرج نحو [illegible] استاذاً في جامعات اوروبة ومدارسها العليا في ايطالية (رومية) والمانية (مونيخ) والنمسة (انسبروك) ، هولندة (مانستريخ)

وامّا العلميَّة فتضيق الصحائف عن ذكر تلامذتها يكفي ان نشير الى البعض منهم ممَّن طبَّق ذكرهم البلاد فمن الاكليريكيين غبطة السيّد عمانويل يوسف توما بطريرك بابل على الكلدان وستَّة من السادة رؤساء الاساقفة ثلثة موارنة وثلثة اقباط . وعدَّة كهنة افاضل ارمن وسريان وقبط وكلدان ولاتين وموارنة . ومن العلمانيين يذكر الجميع بالخير المرحومين الشيخ فريد الخازن والاستاذ نجيب حبيقة وشهيد الدستور الامير محمود ارسلان . وامّا الافاضل من الاحياء المرتزقين فنضرب الصفح بالاسف اختصاراً عن اسمائهم الكريمة مكتفين بذكر صاحب المعالي رئيس الوزارة المصريَّة احمد باشا زيور وصاحب الفخامة رئيس الدولة السوريَّة صبحي بك بركات . رحم الله المتوفَّين وجعل الاحياء فخراً وسنداً للوطن والدين

يا جنّة العلياء !

بمناسبة تبويل كلية القديس يوسف الذهبي

في المشرقين نشرتِ نورَ هداكِ والغربُ عبّاقٌ بطيب شذاكِ
يا جنّةَ العلياء هل من جنّةٍ تُهدي الى العلياء مثلَ جناكِ
روّحتِ صدرَ الدينِ حتى شاقهُ ما تحملُ النسماتُ من رَيّاكِ
من حولكِ الانهارُ يجري ماؤها مُتدافعَ التيّارِ فوقَ ثراكِ
حتى زكتْ فيكِ الغصونُ وناطحتْ قِمَمَ الجبالِ وهامةَ الأفلاكِ
فالعلمُ لاحتْ في البلاد بُدورُهُ مُذ فاضَ في جوّ البلادِ سَناكِ
كم من فتًى حاز العُلى من بعد ما أرواهُ من لبَنِ العُلى ثدياكِ
كم من فتًى نظّمَ الحُلى في نحرهِ لمّا ملأتِ من الجواهر فاكِ
كم من فتًى قد صار سيّدَ قومهِ وفؤادُهُ يهفو الى مرآكِ
يُثني عليكِ وقلبهُ بكِ هائمٌ ولسانُهُ لهجٌ بنشر حِلاكِ
لكِ مُهجةُ الأمّ الرؤوم وطالما أنسى حنانَ الأمّهات هواكِ
إن يُكبرِ الناسُ الوفاءَ فإنّما قد أكبروا عند البلاء وفاكِ
فلكم أعنتِ على الزمان وصرفهِ وبذلتِ في مَدَدِ الضعيف قواكِ
أو ينكرُ الشرقيُّ ما أوليتِهِ مما يُخلّدُ في الورى ذِكراكِ
أو يجحدُ الأبناءُ فضلَكِ والعدى شهدوا بما قد أغدقتْ كفّاكِ
كم من يتيمٍ كان عالةَ قومهِ فغدا إمامَهُمُ بفضلِ غذاكِ
كم جاهلٍ امسى منارَ بلادهِ بعد اقتباس العلم في مغناكِ
رشفَ المعارفَ وهو رَيّانُ الحشا حتى ارتوى من ماء عينِ سَناكِ
كم تائهٍ أمسى على نهج الهدى لمّا تكحّلَ طرفُهُ بهُداكِ
لولاكِ ساد النيُّ في اصقاعنا فطعنتِ حبّةَ لبّهِ بقناكِ
للحكمة الغرّاء فيكِ مَناوِرٌ وخاجةٌ تهدي الى مِناكِ

٢٣

للعلم والآداب فيكِ مَشارعٌ سكرَتْ بسَلسَل مائها أبناكِ
سقياً لِمن ترعاهُ عينُكِ في الدُّجى وتقودُهُ للمفخَراتِ يداكِ
رمقتْكِ لاحظةُ السماء من الصِبا ورقت من الزلل الذميم خُطاكِ
فنهجتِ في دنياكِ اقوم منهج وتبعتِ ما يَرضى بهِ مولاكِ
من يتبعِ الحقَّ المُبينَ فانما يطأُ الغُواةَ كما وطئتِ عداكِ
يا غابةَ الآسادِ كم من جحفلٍ قد سار للهيجاء تحت لِواكِ
خاض المَعامعَ بين أطراف الظُبى تحميهِ من عُصَبِ الفساد ظُباكِ
أسارةَ الأبحار هل من مركبٍ الّا اهتدى في شرقنا بضياكِ
فلأنتِ مرفأنا الامينُ فإنْ سطا جيشُ المعاطب نحتمي بحماكِ
ولأنتِ معقلنا الحريزُ اذا عدا يوماً علينا في الوغى أعداكِ
لماذا أذواء الفرس [illegible] وحزرُها لم تخشَ غيرَ دواكِ
يُعيي الأساةَ الداء [illegible] أمياكِ داء [illegible] نهاكِ
لم تحفلي بالنازلاتِ صواعقاً والعاصفاتُ تهبُّ حول فِناكِ
إن كان قلبُكِ في النوائب جندلاً أفيستطيع الحاسدونَ أذاكِ
يا نجمةً عَشِقَتْ محاسنَها العُلى إنَّ العُلى منذ الصبا تهواكِ
آثارُكِ الحسناء قد رُقِمَتْ على ألبابنا تُحزي الذي عاداكِ
لو لم يكن للماقتين غشاوةٌ تُعمي العيونَ لأعظموا مسعاكِ
سيري على منحاكِ تحرسُكِ العلى فالشرقُ يرفع شأنهُ منحاكِ
وأطوي من الأعصار ما شاء الألى يرعَونَ بالمُهجاتِ عهدَ ولاكِ
ابداً تتوقُ الى لِقاكِ عيونُنا وقلوبُنا تحلو لها نجواكِ
وعلى رضاكِ دماؤنا موقوفةٌ والموتُ عذبٌ في سبيل رضاكِ
نفديكِ بالأرواح غاليةً ولا نهوى سوى أن نستميتَ فداكِ
يوبيلُكِ الذهبيُّ قد نشر المنا في كل قلبٍ شاعر بنداكِ

الخوري بطرس البستاني استاذ البيان في كلية القديس يوسف

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تتمّة)

الاسقف والقاصد الرسولي

﴿السفر من مرسيلية الى حلب﴾ مرّت السنة ١٦٧٨ على السيد فرنسوا بيكه وهو في انتظار موعد السفر كأنّهُ يتقلّب على جمر الغضا . فانحاز الى مزرعتهِ واقام مختلياً فيها

وفي تلك الغضون مُني بوفاة المسيو غردون تلميذهِ الذي كان اجتمع بهِ ليتفرّغ معهُ الى الامور الروحيّة . مات عن ٨٤ سنة ملأها اعمالَ برّ وقداسة واوصى في وصيّتهِ الاخيرة أن تُوزَّع ورثتهُ على الفقراء وعهدَ بتنفيذ وصيّتهِ الى السيّد بيكه . فأسف هذا كثيراً على وفاتهِ وأنفذ كل مرغوباتهِ

وقد أتتهُ ايضاً في زمن إعدادهِ لسفرهِ براءة من البابا يوسّع لهُ سلطتهُ ويقيمهُ زائرًا لثلث سنين على قبرس وحلب وطرابلس ولبنان وعلى جميع الامكنة الواقعة في استقيّة نخشيفان في العجم فزادهُ هذا العبء الجديد تشوّقاً الى السفر للقيام بواجبات مهمّتهِ وقد عيل صبرهُ في انتظار السفير الذي كان قصد السفر على سفينة للملك ماخرة الى الشرق

لم يحضر سفير الملك لويس الرابع عشر الى مدينة طولون التي منها كان السفر الى ارخبيل اليونان فوريّة الّا في اوائل ايلول من السنة ١٦٧٩ فاسرع السيد بيكه ليرافقهُ واخذ بصحبتهِ ثلثة كهنة من جماعة الاوراتوريّين ارادوا ان يسيروا في رفقتهِ ولم يقبل لخدمتهِ سوى خادم واحد

ركب في ١١ ايلول ١٦٧٩ مع حاشيتهِ السفينة المدعوّة باسم القديس

اوغسطينوس فوجد فيها الشقاليه دَرْفيو (Ch. d'Arvieux) الذي كان تعيَّن لقنصلية حلب خلفاً للقنصل بارون وهو صاحب تلك المذكّرات الشهيرة الموسومة باسمهِ في ستّة مجلّدات بديعة عن الشرق واحوالهِ المختلفة. أمّا السفير المرسل الى الباب العالي فكان اسمهُ دي غِلْياراغ (de Guilleragues) وقد ركب سفينة خاصّة الملك

بلغت السفن جزيرة مالطة في ٢٦ من الشهر بعد عاصفةٍ شديدة انهكت قوى السيّد بيكه إلّا انّ ما لقيهُ في الجزيرة من الاكرام والعناية لدى الرهبان الكرمليين اراحهُ قليلًا. وقد سُرَّ في ديرهم لوجودهِ بين رهبانهم ابنَ داود الشهيد الحلبيّ الذي مرَّ لنا خبر وفاتهِ الصالحة وذكر ولدهِ الذي كان هو سعى الى تسفيرهِ الى فرنسة وترهبهِ. وزار في الجزيرة رئيس فرسان القديس يوحنا واعيان البلد فبالغوا بالاحتفاء بهِ ورافقوهُ الى المحلّ الذي احتلّهُ القديس بولس الرسول كما ورد في سفر الاعمال (٢٨: ١–١٠) فطلب الى الله ان يشركهُ بغيرتهِ الملتهبة

استأنفت السفن سيرها في ٦ ت ١ وضمَّ اليها سفن غيرها حتى بلغ عددها عشرين مركبًا وتميّزت بجملتها الماونة قرب الجزائر الذين كانوا يطاردون السفن الافرنسيّة فنجوا من شقائهم إلّا ان الانواء البحريّة التي ثارت عليهم كادت تُودي بحياتهم فتفرّقت بعض سفنهم وصدم بعضها صخور الجزائر فتحطّم وكادوا ييأسون من الخلاص الى ان بلغوا احدى جزائر اليونان جزيرة سيفالونية فمكثوا فيها ثمانية أيّام ينتظرون هدوء البحر. وكان السيّد الاسقف بيكه خائر القوى فلقي هناك قليلًا من الراحة ومع ضعفهِ لم يشأ ان يهمل تقدمة القداس يوماً واحدًا

ثمَّ واصلت السفن سفرها الى جزيرة سريغو (Cerigo) حيث ودَّع السفير السيّد القاصد ليسافر الى الاستانة على سفينتهِ الملكيّة. اما سفينة السيّد فرنسوا بيكه فسارت الى جهات سوريّة فوصلت الى الاسكندرونة في ٦ ت ٢ فنزل المدينة وقضى في احدى مزارعها عشرة أيّام ريثما تتألّف قافلةٌ لتسافر الى حلب

فلمّا انتظمت سافر بصحبتها مارًّا على انطاكية فامتعض من نظرهِ لتلك الحاضرة الشهيرة التي كانت من اكبر حواضر النصرانيّة وهي الآن شبه قرية ذليلة لم يبقَ من كنائسها الشهيرة الّا الأنقاض

ما عرفت حلب بقدوم قنصلها القديم بعد غيبتهِ ١٨ سنة حتى هبَّت كبارها

وصغارها على اختلاف الملل والمذاهب الى استقباله بأبهى مجالي الفخر والابتهاج. والقلم يعجز عن وصف ما كان يخالج قلوب اهل الشهباء من شواعر المحبة والاعتبار نحو من عرفوهُ مثال التفاني وعنوان الشرف والاستقامة وآية السخاء والكرم وعون التاعس وسلوان البائس. ولم يكن هو دونهم فرحاً عند رؤيتهم وقد اتاهم اليوم كرسول السلام

وانّما امتزج فرح السيّد بفقد اثنين من الثلثة الكهنة الذين صحبوه فقضى واحدٌ نحبهُ عند وصولهِ حلب واضطرّ الثاني الى الرجوع الى وطنهِ لجهلهِ لغة البلاد فبقي معهُ واحدٌ الاب كزمون الذي رافقهُ الى العجم فكتب الى رئيسهم العام يطلب قدوم غيرهم

﴿السيد بيكه في حلب﴾ قضى فيها نحوًا من سنتين بصفة زائر رسولي نَعِمَتْ فيهما حلب وسكّانها بحضورهِ واستفادوا من اعمال غيرتهِ وتفانيهِ كلّ الافادة اذ صرف المجهود في تثبيت ابناء الكنيسة بالايمان وردّ المنفصلين عنها الى حظيرتها

وقد مرّ لنا ذكر نصارى حلب وحنان السيد بيكه على اهلها الموارنة في عهد قنصليّتهِ ودفاعهِ عنهم واطرائهِ لمحامدهم وخصوصاً لثبات تعلّقهم بالكرسي الرسولي ووجد عند عودتهِ انهم لا يقلّون عن متنيّ عيلة . فحرص على شؤونهم وشمل بعنايتهِ اهل لبنان بصفة كونهِ زائرًا رسوليًّا لهُ

وكان الروم اوفر عددًا من سواهم بين الطوائف المسيحيّة يتراوحون بين ثمانية عشر الى عشرين الف نسمة . وقد وجدهم السيّد بيكه منقسمين الى حزبين ينتمي كلّ منهما الى بطريرك خصوصي يُدعى الواحد كيرلس وهو حفيد البطريرك مكاريوس بن زعيم والآخر ناوفيطوس مطران حماة وكان كلاهما اخرج فرمانًا من الاستانة لنفسهِ وتناقم الشرّ ودامت الفتنة عدّة سنين الى ان سعى السيّد بينكه الى اصلاحهما فتنازل ناوفيطوس لخصمهِ على شرط ان يفي لهُ ديونهُ

وكذلك الارمن وعددُهم من عشرة آلاف الى ١٢ الفاً تقرّب اليهم ليثبّت لهم ضلالهم في قضية طبيعتي السيّد المسيح

امّا السريان فكان بطريركهم اندراوس اخيجان توفّي قبل وصولهِ بنحو سنتين فاختار الكاثوليك بمساعي المرسلين الكبوشيّين واليسوعيين خلفاً لهُ اغناطيوس بطرس

شاهادين اسقف القدس. ثمَّ نال لهُ المرسلون من رومية الدرع المقدَّس لتثبيتهِ . فلمَّا وصل السيّد بيكه في تلك الاثناء الى حلب عُقدت لهُ حفلة تقلَّد فيها الدرع المقدَّس بحضورهِ وحضور اساقفة جميع الطوائف بالحلل الحبريَّة. وخطب السيد بيكه بالعربية مثنياً على فضائل البطريرك وداعياً للطائفة السريانيَّة بالنجاح . ثمَّ تصدَّى السيد المذكور لمساعي حبيب الاسقف اليعقوبي الذي ارسلهُ بطريرك اليعاقبة لمناهضة البطريرك بطرس فأشار عليهِ بيكه بالسفر الى الاستانة لكي ينال بواسطة سفير فرنسة فرماناً يثبتهُ في رتبتهِ . فحصل على ما طلب وعاد ظافرًا الى حلب(١) وارسل الى البابا اينوشنسيوس الحادي عشر صورة ايمانهِ واعلن بشكرهِ الى السيد بيكه ثمَّ دعاهُ ليرئس حفلة عيد البشارة في كنيستهِ . فتوثَّقت عرى الصداقة بينهُ وبين السيد البطريرك وكتب في امرهِ الى جلالة الملك لويس الرابع عشر فارسل لهُ إحساناً يبلغ مئتي ريال

ومن المساعي الطيّبة التي تكلَّفها السيّد بيكه اصلاح خلاف كان وقع بين المرسلين اليسوعيين والفرنسيسيين بخصوص خدمة معبد القنصليَّة في حلب فعرض الامر على رومية ثبتَ فيهِ حكمها

ومن اعمالهِ المشكورة ايضاً في حلب تثبيتهُ للعابدات اللواتي كان الكبوشيون نزلوا ارشادهنَّ وكنَّ نحو عشرين عابدة فادخارهنَّ في عداد راهبات رهبنتهم . فزارهنَّ الاسقف بيكه وألقى عليهنَّ ارشادًا بليغاً ثبَّتهنَّ فيهِ على دعوتهنَّ . فشكَرْنَهُ شكرًا جزيلًا لتلطُّفهِ

وكان السيّد بيكه لا يدع فرصةً لالقاء الواعظ في كنائس حلب وكان على الاخصّ يهتمّ بشرح التعليم المسيحيّ في الشعب لما كان يراهُ من جهلهم لحقائق الدين . فكان الجمهور يتقاطر الى استماع كلامهِ والارتشاد بتعاليمهِ

﴿سفر السيّد بيكه من حلب الى العجم﴾ كان نصارى العجم من ارمن وسريان ونساطرة يكاتبون السيّد بيكه ويطلبون اليهِ ان يعجّل فيذهب الى جهاتهم ليُعنى بامورهم الروحية . وكانت هذه ايضاً نيَّتهُ إلَّا انهُ لم يحصل على الجواز من الدولة لسفرهِ فطلب من ملك فرنسة ان يُعيّنهُ سفيرًا خارق العادة لدى شاه العجم . فصادف اقتراحهُ هذا استحساناً في باريس ورومية معاً وكتب الملك لويس في ذلك الى سفيرهِ

(١) اطلب السلاسل التاريخيَّة للفيكنت فيليب دي طرّازي (ص ٥٩–٦٨)

في الاستانة والى شاه العجم موصياً بهِ وواعداً بتقدمة بعض الهدايا

﴿مرورهُ في ديار بكر﴾ ولمّا استحضر كلّ معدّات السفر غادر حلب في اواسط نيسان ١٦٨١ وكان فراقهُ مُرًّا على الحلبيين ووداعهم لهُ مؤثرًا ايَّ تأثير . وبعد مسير خمسة عشر يوماً وصل ديار بكر في غرّة ايّار فاستقبلهُ السيد يوسف بطريرك الكلدان واساقفة الارمن والمرسلون الكبوشيّون استقبالًا تجلّت فيهِ مظاهر العظمة والتكريم اللذين اشترك فيها جميع الطوائف على اختلافها . ودعاهُ مطران الارمن الى قداس حافل خطب فيهِ عن فضائل السيّد بيكه وشبّههُ بملاك مرسل من الله لتعزية شعبهِ

امّا البطريرك يوسف الاوّل فقام مع كلّ طائفتهِ بخدمتهِ مدّة حلولهِ في ديار بكر . وكان القاصد الرسولي يجلّ ذلك الحبر القديس ويثني الثناء التامّ على ثباتهِ في الايمان على الرغم ممّا لقيهُ من الاضطهادات وضروب المحن من خصومهِ النساطرة الذين تآمروا على قتلهِ غير مرّة . فكان مرور السيّد بيكه في آمد عضدًا جديدًا لروحهِ وللقطيع الصالح التابع لهُ وخطب مبيّناً اضاليل بدعة نسطور وصحّة تعليم الكنيسة . وقد كتب السيد بيكه رسائل الى رومية يتّسع فيها عن محامد البطريرك يوسف . واستطاع دون ان يساعده وفاء الدين على كرسيّه . وقد عاش البطريرك زمناً بعد ذلك . ثمّ طلب من الكرسي الرسولي الاستقالة عن البطريركيّة لعجز الشيخوخة وذهب الى رومية وفيها مات ميتة الابرار سنة ١٧٠٧ ودُفن في مصلّى مجمع انتشار الايمان (١

سافر الاسقف بيكه من ديار بكر في ٧ حزيران مع حاشيتهِ وترجمانٍ قدّمهُ لهُ الآباء الكبوشيّون وهو كاهن سرياني كاثوليكي من ماردين يُدعى سَفَر يعرف اللغات العربيّة والتركيّة والفارسيّة والارمنيّة وكان على جانب عظيم من التقوى . فاقتبلهُ رجل الله بلذّ الرضى وجعل اليهِ تدبير امور منزلهِ فقام بهذه الوظيفة بكل دقة وامانة بل افاد التاريخ بما دوّنهُ عن رحلة السيد بيكه وتفاصيل اعمالهِ

كان سفر السيّد بيكه على طريق ارزروم الى اريفان فقطعهُ بسبعة عشر يوماً

(١) اطلب ترجمتهُ لتلميذهِ باسيليوس عبد مطران آمد (في المشرق ١٩ [١٩٢١] : ١٣٤–١٣٨)

متحملاً بصبر عجيب مشاقّ السفر . فاستقبلهُ بارزروم اسقفا الارمن الكاثوليك والغريغوريين واعيانهما فوجدوا في لطفهِ ما عطّر لسانهم بثنائهِ واهداهم بعض الكتب التقويّة والجدليّة في لغتهم

وكان يودّ لو يبقى مدّة في ارزروم وهي من حواضر تركيّة لكنّهُ راى انّ عمّال البلاد يطمعون في هباتهِ الماليّة لما رأوهُ من بهاء موكبهِ وحاشيتهِ فعدل الى دير منفرد للارمن ينتظر القافلة التي تسير بهِ الى تبريز . فوجد هناك الاسقف قرتان الكاثوليكي الذي كان تخرّج في مدرسة انتشار الايمان فرحّب بهِ واكرم مثواه

ثمّ انضمّ الى القفل وسار بمعيّتهِ فنزل في احدى مراحلهِ ديرًا آخر للارمن على ضفّة نهر دجلة يُعرف بدير القدّيس يوحنّا الصابغ كان يرئسهُ مطران يدعى اسحاق فأراه كنيسةَ الدير وهي من اجمل كنائس الارمن وقد كان اخرب جانباً منها تيمورلنك في اواخر القرن الرابع عشر غير ان كرم امير تلك البلاد المدعو محمّدًا وهو من اصدقائهِ أنفق عليها من مالهِ فرمّمها واصلحها . وعند خروجهِ من الكنيسة عاين جمهورًا كبيرًا كان اجتمع في ساحتها لسُوقٍ شهيرة كانت تقام هناك . ورأى على جدار الكنيسة كتابةً ارمنيّةً كان يؤخذ من مؤدّاها انّ ذاك البناء راقٍ الى عهد الاسقف اسرائيل في القرن الخامس للمسيح وانّ رسول الارمن القديس غريغوريوس المنوّر كان صبغ هناك بمياه المعموديّة ١٢،٠٠٠ من الوطنيّين في عهد الملك تيريدات

ثمّ سار اسقف سيزاروبوليس مع القفل فبلغ بعد يومين الى قصر يُدعى « عين قلعة » وكان مُلكاً لبايزيد احد امراء الدولة العثمانيّة . وهو من اجمل الابنية مشيّد فوق صخرٍ عالٍ ولهُ القاعات الفخمة والاروقة الواسعة . فلمّا نزلوا الى العتال ليستقضوا الرسوم المعتادة . فاستعدّوا لأدائها واذا برُسُل غير الاوّلين أتوا واستدعوا الاسقف الى دار بايزيد امير القلعة وهو شيخ وَقُور فاضل فصعد الى قصرهِ مع حاشيتهِ وترجمانهِ وقلبهُ يُوجس خوفاً من تلك الدعوة لئلّا يسومهُ الامير خسفاً . على ان الامر كان على خلاف ما توهّمهُ فبسط الامير قلبهُ واجلسهُ قربهُ وجاذبهُ اطراف الحديث ثمّ دعاهُ الى عشاء فاخر واكرمهُ اكرامهُ لأعظم الامراء وألحّ عليهِ في ان يقيم عندهُ مدّةً فاعتذر بكونهِ مضطرًا الى السفر . وعرض على ترجمانهِ الكاهن سَفَر ان يقيمهُ في قصرهِ مدبّرًا ومعلّماً لاولادهِ فشكرهُ مُعرباً عن اسفهِ لعدم الاجابة الى طلبهِ

وهو في خدمة الاسقف . ثمَّ ودَّعوا الامير وانضمّوا الى القافلة في الساعة الثالثة من الليل

﴿ وصولهُ الى نخشيڤان ﴾ وما لبث ان انقسم القفل فذهب معظمهُ على طريق تبريز وعدل الاسقف وحاشيتهُ الى طريق اريڤان مارًّا على مدينة «وُشا كيليسه» الواقعة على حدود العجم حيث سُرَّ باضافتهِ ثلثة ايام اساقفةٌ ورهبانٌ ارمن باسيليون في دير على اسم القديس غريغوريوس المنوّر . ثمَّ وصل بعد ستَّة ايام الى مدينة اريڤان وهي من قصبات بلاد العجم في ارمينية العليا . ولما بلغ حاكم البلد خبرُ قدومهِ أرسل يدعوهُ الى منزلهِ فضافهُ احسن ضيافة مدَّة خمسة ايَّام . وكان سفرهُ منها في غرَّة آب الى نخشيڤان وهي مدينة كبيرة يزعم الارمن انها اوَّل مدينة بُنيت عقيب الطوفان وكانت تخص الاتراك فطردهم منها ملك العجم الشاه عبَّاس ودمَّر ابنيتها . فلم يَبِتْ فيها السيّد بيكه وانَّما زار واليها فقط وتابع سيرهُ الى مدينة اباتير وهي اعظم مدينة يسكنها الارمن الكاثوليك في تلك الانحاء يسوسهم فيها اسقف من طائفتهم . فاسرع الاهلون الى استقبالهِ باهازيج الفرح وساروا بهِ الى دير الارمن حيث نزل ضيفاً كريماً

وتلك المعاملة قد توفَّر فيها عدد الكاثوليك وهم يمارسون واجباتهم الدينيَّة بكامل الحرِّيَّة منذ اربعمائة السنة . والفضل يعود في ذلك الى فرع من رهبنة القديس دومنيك يُعرف رهبانُها بالأخوة المتَّحدين يرتقي تاريخهم الى زمن البابا يوحنا الثاني والعشرين الذي بلغهُ سنة ١٣١٨ انَّ قسماً من البلاد الواقعة تحت حكم التتر في ارمينية لا راعيَ لهم ويطلبون مَن يخدمهم في الروحيَّات فارسل البابا المذكور بعض الرهبان الدومنيكان اليهم وسَقَّف واحداً منهم على مدينة مراغة اسمهُ برتلماوس البولوني الملقَّب بالاباليانى فسار اليهم مع اخوتهِ واجتذبهم الى الايمان القويم بكلامهِ وقداسة حياتهِ وردَّ احد رؤساء اديرتهم المدعو اسحاق وامير مدينةٍ تُدعى كرنة المدعوّ جرجس فساعدهُ كلاهما في نشر الدين الكاثوليكيّ بين مواطنيها

وكان للامير ابنٌ اخ يدعى يوحنا . فهذا عرف انَّ اقرب وسيلة لتثبيت الايمان في تلك الانحاء ان يُنشئ رهبنةً جديدة متَّحدة مع رومية دعاها باخوة القديس غريغوريوس المتَّحدين ثبَّتها البابا يوحنا ورأس عليها يوحنا المذكور وسمح لهم بان يجروا في ترتيبهم

وقوانينهم على نظام قوانين الرهبنة الدومنيكيَّة. ثمَّ التمسوا من البابا اينوشنسيوس السابع بعد مدَّةٍ ان يعتبرهم الدومنيكان كأحد فروع رهبانيَّتهم ودُعي اقليمهم «اقليم نخشيڤان»(١

فحلَّ اسقف سيزاروبوليس بين اولئك الرهبان الذين تهلَّلوا فرحاً لقدومهِ. وكان اسقف نخشيڤان قد توفي منذ ثمان سنوات ففوَّضهُ البابا اينوشنسيوس الحادي عشر ان يقيم لهُ خلفاً ويزور تلك المقاطعة. ولمَّا جمع الرهبان وكهنة الرعايا اصحاب الاصوات وطلب اليهم ان يختاروا لهم اسقفاً اجمعوا على انتخاب السيِّد بيكه ولم يريدوا غيرهُ الى ان اقنعهم ان يختاروا لهُ مساعداً يستنيبهُ عنهُ في تدبير تلك الابرشيَّة التي كان عدد اهلها نحو عشرين الفاً فاختاروا لتلك النيابة احدَهم الراهبَ «سبستيان كتاب» الالماني الاصل. فلمَّا سُقف وتسلَّم تدبير رتبتهِ قام السيِّد بيكه وتجوَّل في انحاء تلك المعاملة يزورها ويرشد شعبها ويشرح لهم كلَّ يوم التعليم المسيحي ويثبِّت بالميرون صغارَهم ويُصلح ما طرأ عليهم من الخلل ويتوسَّل الى امراء البلاد بان يكفُّوا عن اولئك الكاثوليك معاملاتهم الظالمة في دفع الاموال الاميريَّة ومعاقبتهم بالحبس والضرب. وطلب الى شاه العجم ان يُبطل سُنَّةً جائرة كان سنَّها قبلاً وفتحت باباً واسعاً للجَوْر وذلك انهُ امر بان يُعطى كلُّ من يُسلم مارقاً من دينه حقوقَ الوراثة على كلِّ اموال عيلتهِ. فخدع طمعُ المال كثيرين فأسلموا. فتوسَّط الاسقف الى شاه العجم ونال منهُ الغاء تلك السُّنَّة العظيمة

﴿سفر الاسقف بيكه الى اصفهان﴾ قضى السيِّد بيكه في ابرشيَّة نخشيڤان خمسة اشهر وهو يطوف في تلك الجهات لا يكاد يذوق راحةً والجميع يتقاطرون اليه يعرضون عليهِ كلَّ مهامّهم المادّيَّة والروحيَّة فكان يقضي الايام في خدمتهم بلطف وتفانٍ استعبد بهما قلوب الجميع

ولمَّا حان الوقت لسفرهِ وكان قد قرب فصل الشتاء رأى الاهلون انحرافاً في صحَّتهِ فتوسَّلوا اليهِ بان يؤخر سفرهُ الى الربيع ولم يزالوا يلحُّون عليهِ ذاكرين لهُ الاخطار التي تحيق بالمسافرين في ذلك الفصل حتى اجاب الى ملتمسهم ثمَّ تحقَّق قولهم بما قاساهُ

١) قد نشر حضرة الاب تورنيزر تاريخ هذه الرهبانيَّة في مجلَّة الشرق المسيحي
F. Tournedize : Les Frères Uniteurs ou Dominicains arméniens (ROC 1921)

في ابارنير من نفحات الرياح ومعرّة البرد فتراكمت الثلوج وانقطعت المواصلات بين انحاء البلاد وكان لا يكاد يستدفئ وهو ينام على الحضيض ويسكن في غرفة رطبة باردة ويقيم باكرًا الذبيحة الالهية في الكنيسة حيث كان يجمد شكلُ الخمر في كأسه

ومع هذا لم ينقطع عن الشغل بل كان يقضي نهارهُ إمّا بالصلاة وإمّا بالكتابة والدرس عند فراغهِ من خدمة الاهلين. وفي تلك المدّة رُقّي الى درجة الكهنوت بعض الرهبان الدومنيكيين وكرّس في يوم خميس الاسرار الميرونَ المقدّس واحتفل برتبة غسل الاقدام وقام بنفسهِ يخدم على المائدة الفقراء الذين غسلَ ارجلَهم. ثمّ احتفل معهم بعيد الفصح احتفالًا باهرًا وكان وقوعهُ في تلك السنة في ٢٩ آذار

وفي غضون ذلك اتاهُ كتاب من الملك لويس الرابع عشر في طيّه كتاب آخر الى شاه العجم يخبره بان الهدايا المرسلة ستصلهُ قريبًا. فاستعدّ لسفرهِ وبعد قليل توجّه الى اصبهان مارًا في طريقهِ على تبريز. وكان يسير في رفقتهِ راهبان من الدومنيكيين احدهما رئيس رسالة نخشيفان والآخر رئيس دير ابارنير. وعرّج في طريقهِ على بعض الامكنة اجابةً لرغبة السكّان وزار في بلدة اغوليس كنيستها البديعة وتبارك باكرام ذراع القديس تريا الرسول المصون بين ذخائرها. واقام حفلة الاعياد الفصحيّة على حساب الشرقي

وكان بلوغهُ الى تبريز في ٢٨ نيسان وهي من حواضر تلك البلاد ومن اوسع مدن الشرق تجارةً. وكان للآباء الكبوشيين فيها دير فحلّ عندهم ضيفًا جليلًا. وبعد ان سلّم براءةً من المجمع المقدّس لاسقف تبريز الارمني وتحقّق صدق ايمانهِ اقام في كنيستهِ قداسًا حبريًّا حضرهُ جمهور غفير فألقى عليهم عظةً نفيسة فسّرها لهم ترجمانهُ الكاهن سَفَر. ثمّ زار حاكم المدينة فتحفّى بهِ وبالغ في اكرامهِ ودعاهُ الى تناول الطعام على مائدتهِ. فشكرهُ السيّد الاسقف وطلب اليهِ ان يخصّ بنظرهِ الكاثوليك الذين تحت امرهِ. وقد جرت في تبريز كرامةٌ على يدهِ اذ شفى بصلاتهِ رجلًا من الارمن الغريغوريين من وجع اليم في اذنيهِ وردّهُ بذلك الى الايمان الكاثوليكي

قضى السيّد بيكه شهرًا في تبريز. ولما سافر منها وعرف الحاكم انهُ مُرسل كسفير ملك فرنسة الى سيّدهِ الشاه اضطرّهُ ان يقبل في رفقتهِ مهندارًا يمهّد لهُ طريقهُ. غير انهُ استاء من سوء معاملة المهندار للسكّان فردعهُ الاسقف الصالح واوجب عليهِ

ان يردّ لهم ما اغتصبهُ من مالهم . ولمّا عرف الاهلون نزاهتهُ وفضلهُ اقبلوا على اكرامه في المدن التي مرَّ فيها كسلطانيَّة وقمّ وقاشان

﴿السيد بيكه في اصبهان﴾ وصل السيّد بيكه الى اصبهان بعد ٤٢ يوماً قضاها في طريقهِ فصار لهُ عند دخولهِ استقبال حافل من قبل الدولة واهل المدينة وخصوصاً من الكاثوليك . فلمّا دخلها اخذت سلامهُ فرقةٌ من ضباط البلاط الملوكي وسازوا به الى قصر أعدُّوهُ لهُ وحاشيتهِ على نفقة الدولة

اصبهان عاصمة العجم وحاضرة المملكة ومركز الشاه يحيط بها سورٌ منيع وهي متَّصلة بمدينة جولفا (جي) مقرّ الارمن يفصلها عنها نهرُ زَندران الذي فوقهُ جسرٌ محكم الصنع . وفي جانبي الطريق الى المدينة اشجار وارفة الظلّ وحدائق غنّاء للشاه . امّا اهل المدينة فمسلمون من اهل الشيعة

كان هذا السفر الطويل أنهك قوى الاسقف فاعتلّ أيّاماً ولزم الفراش وكذا اصاب بعض رفقتهِ منهم الكاهن كزمون الذي عرض لهُ داء عياء ففُجع الاسقف بوفاتهِ بعد شهر ونعاهُ الى جماعتهِ في باريس طالباً ان يرسلوا لهُ كاهناً آخر عوضاً عنهُ

ولمّا تعافى السيد بيكه اجتمع بالمرسلين اليسوعيّين والكبوشيّين في جُولفا واستطلعهم طلع احوالهم وعلم منهم ان رسالتهم تبعث الامل في ارتداد كثيرين من المنفصلين الى الوحدة الكاثوليكية . ثمَّ خصَّ قسماً من زمانهِ لزيارة ارباب الطوائف واعيانها وهو في انتظار الهدايا التي بشَّرهُ الملك لويس الرابع عشر بارسالها الى الشاه ليمكنهُ ان يزورهُ رسمياً . وكان الشاه منشغلاً وقتئذٍ هو وحاشيتهُ باستقبال ملك التتر الذي تنازل عن عرشهِ لشقيقهِ ومرَّ باصفهان ليذهب الى مكّة ويقوم بفريضة الحجّ . فامر الشاه لاكرامهِ بمهرجان عظيم وجرت مناورات وألعاب فروسيَّة وغيرها تقاطر الناس لمشاهدتها وتبادل الملكان الهدايا الفاخرة ودامت تلك الاعياد أيّاماً الى ان سافر ملك التتر مشيَّعاً بموكب عظيم

﴿زيارة بيكه لشاه العجم﴾ على انَّ السيّد بيكه لم يمكنهُ بعد ذلك ان يتأخر عن المثول امام الشاه عبَّاس فبأنهُ أسفهُ عن عدم ورود هدايا ملك فرنسة وطلب ان يعيّن لهُ يوماً يدخل عليهِ فيقدّم لهُ فرائض التجلّة والاكرام فسُرَّ الشاه بطلبهِ

وقرَّر لمثواهِ يوماً من اعيادهم دعاهُ فيه الى مأدبة فاخرة مع جميع سفراء الدول في اصفهان

. فاستعدَّ السيد بيكه لهذه المواجهة واضطرَّهُ المرسلون وجميع النزَّالة الاوربيَّة في اصفهان الى ان يتَّشح بثياب من الديباج والقصب كسفير ملك فرنسة مع نفورهِ من هذه الملابس ورافقهُ ستَّة من الفتيان البسوهم الحرير واركبوهم بخدمتهِ ممتطين الخيل المطهَّمة عليها السروج المزركشة . وفي الموعد المضروب سار السيد بيكه بموكب حافل الى قصر الملك مارًّا بشوارع المدينة حتى بلغ الى ميدان رحب الارجاء تحيط بهِ الابنية الفخمة على احسن طراز شرقيّ يسكنها حرَم الملك وحشمهُ . وامام الابنية رواق جميل على جانبه المخازن المشحونة بكل اصناف التحف الشرقيَّة والعجميَّة . وفي الصدر قصر الملك وواجهتهُ مزدانةٌ بالقاشاني الملوَّن المنقوش بنقوش غاية في الحسن والتفنُّن . وامام القصر جوادُ الملك مسرج بوشيٍ من الذهب والجواهر وبقربهِ أسود ونمران وفيلة مربوطة بسلاسل فضيَّة بينها الحيوان المعروف بوحيد القرن

فلمَّا بلغ الركب مراقي القصر انشقَّ [illegible] قاعة كان يجتمع فيها سفراء الدول فجلس في مكانٍ أعدَّ لهُ . وما [illegible] ان أو[illegible] يران من قبل الملك فأدخلا السفراء الواحد تلو الآخر الى قاعة المقابلة واذا هي مزدانة بافخر الرياش مفروشة بطنفسة من الدمقس قطعة واحدة وسقفها منقوش بالنقوش الخالبة للابصار باللونين الذهبي والسنجرفيّ وفيها المرايا الجميلة تنعكس فيها صور القاعة . وفي وسط ذلك النادي حوضٌ كبير يقيس نحو ستَّة اقدام مربَّعة على كل زاوية منهُ عمود محلَّى بالذهب يعلوهُ مصباح من البلَّور . والماء ينور منهُ على ابهى مثال

وكان الملك جالساً في صدر القاعة على عرش مرصَّع بالحجارة الكريمة وعلى جانبيهِ سبعة وزراء واثنا عشر من الفتيان حسان المنظر . فدخل السيد بيكه في اثر الجميع ومثَلَ امام الشاه منحنياً باحترام ثمَّ قدَّم لجلالتهِ كتاب ملك فرنسة بغلاف ثمين وفاه بخطاب بليغ معرباً عن غاية سفارتهِ وهي رغبة مولاه في توثيق عرى المودَّة والعلاقات القديمة بين المملكتين . واتَّسع في ذكر ما للشاه من المحامد والصفات ودعا لهُ بتأييد الملك وتخليد عرشهِ اسعاداً لرعيَّتهِ وتمجيداً لوطنهِ

ولما اتمّ السيد بيكه خطابهُ تقدّم الكاهن سَفَر نفسَره للشاه بالتركيّة فهشّ الملك لاستماعهِ ثمّ قرّب الخطيبَ الى شخصهِ ليحدّثهُ ويسألهُ عن احوال اوربّة وعن صحّة ملك فرنسة وجميع احوال مملكتهِ فاجاب السفير عن كلّ ذلك بالتفصيل وعند النهاية من الكلام دعاهُ الى الجلوس على دكّةٍ لطيفة من العاج عليها قطيفة مزركشة بالذهب. ثمّ عزفت الموسيقى واتوا ببساط هندي ثمين بُسط امام السفراء وصُفّت فوقهُ صحاف المائدة من الذهب الابريز لكل سفير صحيفة. وكانت الاطعمة والخمور من افخر ما يعهدهُ الملوك

وبعد الغداء استأذن السيّد بيكه وخرج من عند الشاه مع جميع السفراء والكل منذهلون ممّا لقيهُ السفير الفرنساوي من حسن المعاملة فزاد بذلك اعتبارهُ لدى الجميع وتوفّرت لديهِ الوسائل لتعزيز اعمال الرسالة فأصلح ما أمكن إصلاحهُ وكتب الى المجمع المقدّس يقترح عليهِ اصلاحات اخرى تضمن توحيد قوى الكاثوليك ونجاح امورهم في المستقبل. ومن جملة ما طلبهُ انشاء مدرسة اكليريكيّة في تلك الربوع

ومما توفّق في نيلهِ من تعطّف الشاه ان يُبطل عادةً اتّخذها من اسلافهِ وهي انهُ كان في كلّ سنةٍ في عيد الدنح يختار اربعة من فتيات النصارى فيضمّهنّ الى حرمهِ او يقدّمهنّ الى اصحابهِ مُعلناً بإسلامهنّ

قضى السيّد بيكه سنتين في اصفهان. ناشراً علَم التقوى والغيرة بين الجميع. وفي اثناء اقامتهِ هناك قدِم الابوان المرسلان «روك وساسون» اللذان كان طلبهما لمرافقتهِ وكانا حاملَين خبر تعيينهِ اسقفاً على بغداد لوفاة اسقفها لويس دوشمان المار ذكرهُ. وفي الوقت عينه وردت عليهِ براءة البابا اينوشنسيوس الحادي عشر تُشعرهُ باليوبيل القرني فاستنسخها وذيّلها بتوصيات منهُ ووجّهها الى بغداد وتبريز والبصرة وشيراز والى بلاد الكرج واعلن هو بها في اصبهان منتحاً ذلك اليوبيل في جولفا باحتفال عظيم في كنيسة المرسلين اليسوعيين فاقبل جمهور المؤمنين الى ربح تلك النعمة الجزيلة وقاموا بكل شروطها وكان السيد بيكه تقدّمهم بوفائها صائماً ثلثة ايام. وبهمّتهِ وارشاداتهِ في اصبهان ردَّ الى حجر الكنيسة بعضاً من المراطقة الكلوينيين وانقذ من سجن البطريركِ الارمني العازر الاسقفَ قارتان الكاثوليكي الذي كان وشى بهِ اعداؤهُ ودفعوا البطريرك الى حبسهِ وهو بريء الساحة

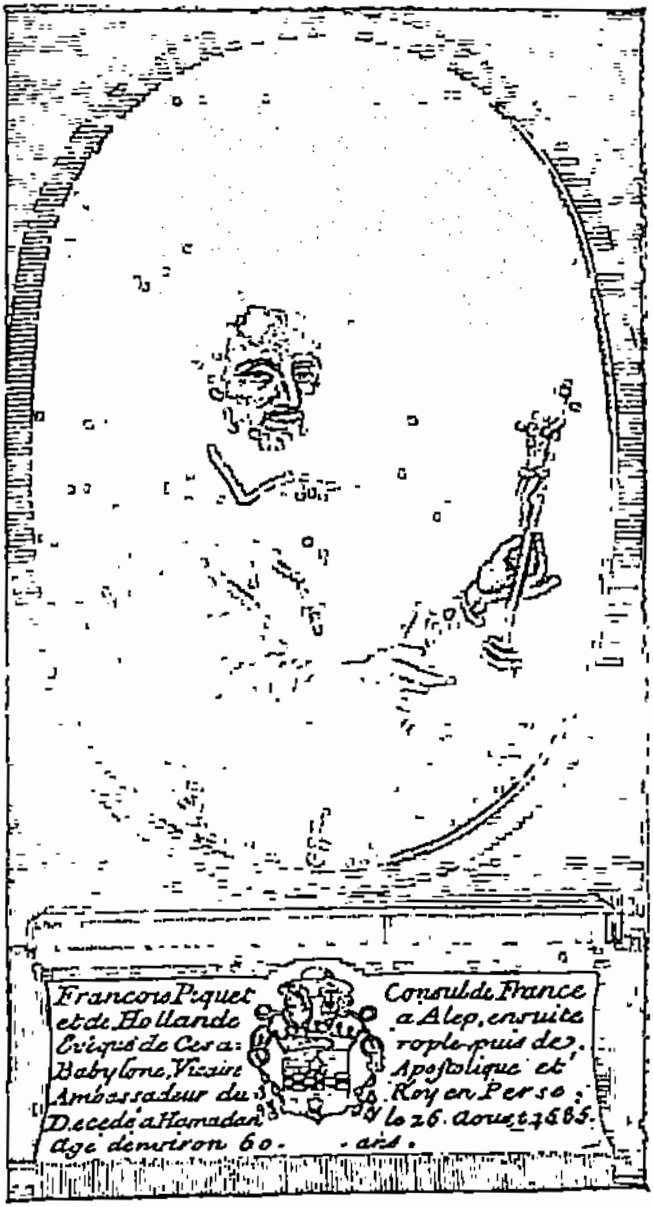

الاسقف فرنسوا بيكه († ١٦٨٥)

(عن صورة قديمة)

كان السيد بيكه ينتظر بفروغ الصبر ورود الهدايا الموعود بها من قبل ملك فرنسة حتى فرغ صبره ووجد عند الشاه بعض النفور من ذلك التأخر الى ان قدم اخيراً من باريس الابوان اليسوعيان لونجو وبوتيه (Longeaux et Pothier) في ١٥ ت ١ حاملين تلك الهدايا بعد ان صرفا سنة كاملة في سفر قاسيا فيه اشق الاتعاب واعظم المخاطر . ثم نظم تلك الهدايا وارسلها مع كتاب الى الملك صحبة امين اسراره الاب سفر واليسوعيين الوافدين وكان الشاه وقتئذٍ خرج يتفقد الجيش فاستقبلهم بتمام الارتياح واحتفى كثيراً باشخاصهم وضرب لهم خيمة بقرب خيمته في وسط المعسكر واكرم ضيافتهم . وكانت الهدايا تتألف : ١) من ساعتين كبيرتين تعينان حركات الشمس والقمر صباح مساء مع حركات السيارات وعلاقات بعضها الى بعض مع تدوين ازمنة الايام والشهور والسنين . ٢) من مرآة صقيلة مركبة من معادن مختلفة . ٣) من أسطرلابين من البرونز المموه بالذهب مع الارقام اللاتينية والعربية . ٤) واخيراً ثمانية مجلدات رسمت عليها رسماً جميلاً قصور فرنسة الملوكية وآلة مرلي الشهيرة وتحف فرسالية مع كتاب من خط يد الملك جاء فيه بعد المقدمات ما تعريبه :

« ان رعايتنا وحمايتنا لجميع النصارى الراتعين في ظل دولتك الرفيعة الشأن وخصوصاً الارمن الكاثوليك القاطنين مقاطعة غشيفان حملتنا كما حملت سلفاءنا من قبل ان نبدي لجلالتك عاطفة شكرنا عماً يلاقي رعاياك النصارى من حسن المعاملة بناء على توصياتك الى من يتولون امرهم . وبما ان حكام المقاطعات يبدلون احياناً بمن لم يكونوا قد وقفوا على افكار جلالتك ومقاصدك في الشؤون التي عنيتها فاننا نسر ان تصدر إرادتك بتجديد اوامرك وتوصياتك الاولى لاولئك الحكام ليظل الارمن الكاثوليك شاعرين برعايتك وعنايتك . ونحن آملون ان تبسط دولتك حمايتها على جميع كنائس النصارى وترعى وتكرم بالاخص اسقف سيزاروبوليس حامل كتابنا هذا اليك وهو سفيرنا في بغداد ليعمل ما استطاع على توثيق عرى المودة وحسن المواصلة بين المملكتين لتكون علاقاتنا دائمة ابدية كما نتمنى . ولنا ملء الثقة ان تشمل جلالتك بعنايتها الرهبان الافرنسيين المتيمين في مملكتك وبنوع اخص اليسوعيين الذين نعزهم معزة خاصة ثم الذين يكونون ممثلين لديك في غيبة مطران سيزاروبوليس ذات اعتبارنا وحبنا لك . ولسنا نشك ان تكون عظمتك واثقة باخلاص عاطفتنا هذه التي نبديها في كل فرصة تسنح . وعليه نسأل الله ان يزيدك عظمة وتأييداً ويوليك آخرة سعيدة »

تحرر في قصر القديس جرمانوس في ٢٠ آذار سنة ١٦٨١

لويس

وقد اجاب الشاه الى ملك فرنسة جواباً لطيفاً على يد الاسقف بيكه وسلّمهُ هدايا ثمينة من طنافس عجميّة ومنسوجات وطنيّة غيرها . ودونك ما كتبهُ بعد السلام:

« ايها الامبراطور لويس يا من انت فخر الملوك بالجلال والعزّة والمجد والغبطة التي فيك . يا من لهُ المقام الاعلى كالمنازل الاثني عشر السماوية ولهُ حميّةُ الاسد في المعارك . يا من يشرق ببهائهِ على العرش الملوكي القائم فيه جلاله فوق جميع الملوك والامبراطرة المسيحيين اكراماً وسؤدداً . يا عاهل مملكة فرنسة الاعظم اننا نتهي الى جلالتك اننا حظينا من يد مطران سيزاروبوليس بكتابك اللطيف الذي حمله الينا وهو يبرهن عن اخلاصك ومودتك لنا وتوثيقك عُرى الاتحاد الذي كان بين آباء جلالتك واسلافنا الاماجد . فان ذلك الكتاب قد جدَّد في قلبنا عاطفة الحنان والمحبة القديمة والجديدة . وبما انك اوصيتنا بالنصارى الارمن الذين في مقاطعة نخشيفان بعبارات تستدعي التفاتنا ، فنحن نقول انه قد يحدث احياناً ما لا نريد عند تبديل الحكام بغيرهم ممن لا يكونون واقفين على توصيات جلالتك وعلى اوامرنا فلا يراعون الارمن . اما من جهة طلبك لإصدار امر اوضح واجزم في شأن مطران سيزاروبوليس والمسيحيين الاوربيين الكاثوليك الرومانيين وبالاخص الآباء اللابسين الثوب الاسود (اليسوعيين) فنجيبك بان ذلك قد ادركه فينا الملوكي الثاقب . . . [illegible] قد اصدرنا حكماً قاطعاً وخ[illegible] [illegible] الخاصة في [illegible] اما [illegible] قبلاً في كتابنا الاول هذا الشأن . و[illegible] الا [illegible] الجازم بكل ما فيهِ من قوّة يقوم بتنفيذهِ الحكام الجدد [illegible] كان [illegible] بعض المساعي في هذه البلاد فأصدرنا لنصدر اوامرنا فيقوم بها عمالنا وخدّامنا [illegible] ظل الله على الارض . واننا نتمنى لك كل ما ترغب من الخير والتوفيق ! »

والكتاب مذيَّل بختم الشاه رُسمت عليهِ هذه الكتابة : « الشاه عبّاس خادم عليّ وليّ الله » وعلى دائرة الختم اسماء الاثني عشر اماماً . وقد أُودع الكتاب في علبة ثمينة مربعة الشكل مغشاة بقماش ثمين مربوطة بشريطتين ذهبيتين في طرف كل منها رمّانة جميلة . واذ سلم الشاه كتابه الى السفير بيكه قال لهُ : « احمل هذا الكتاب الى صديقنا ملك فرنسة وسلّم عليهِ من قبلنا » ثم اوصى بان يرافقهُ احد الملازمين حتى همدان وان يجهّزوا لهُ عشرين جملاً وثمانية رؤوس من الخيل لاجل خدمهِ وحمل امتعتهِ

فشكر المطران للشاه تنازله وانعطافهُ وسألهُ الاجازة له بالسفر وللايرين اليسوعيين الاقامة في اريفان لاجل عمل الرسالة فاولاه كل ما طلب ورخّص للمرسلين بانشاء مراكز جديدة في جولفا وهمدان وان . واهم تلك المراكز دير الآباء اليسوعيين

في اريفان التي هي على مسافة من جبال ارارات واكثر سكانها من الارمن الغريغوريين ومنهم رهبان القديس باسيليوس القاطنين دير القديس غريغوريوس المنوّر في اتشميازين مركز بطريركهم ولذلك كان قصد السيد بيكه من نزول الآباء اليسوعيين ما بينهم ان يردُّوا اولئك الرهبان اذ على ارتدادهم يتعلق ارتداد بقيَّة الارمن

ما كاد السيّد بيكه ينتهي من هذه المهمَّة حتى عوَّل على السفر الى بغداد ليتولى فيها اشغال كرسيّهِ . واختار لمسيرهِ طريق همدان وهي في منتصف الطريق الى بغداد ناوياً ان يسكن فيها ريثما تأتيهِ اجازة الباب العالي للدخول فيها . فكان خروج الاسقف من عاصمة العجم في ٢٠ أيار مصحوباً بدموع الكاثوليك واسف كلّ من عرفهُ

﴿السيّد بيكه في همدان﴾ تُقطع الطريق بين اصفهان وهمدان بخمسة عشر يوماً إلَّا انَّ الملازم رفيقَ الاسقف بطمعهِ الاشعبيّ كان سبباً لتأخيرهِ في الطريق فلم يبلغ همدان الَّا في ١٥ حزيران فخرج لاستقبالهِ اسقف الارمن اسطفان وشعبهُ وفي مقدمتهم نائب حاكم البلد لغيبة سيّدهِ الحاكم في اصفهان وانزلوا السفير في دار اعدُّوها لهُ . واخذ الناس يتردَّدون اليهِ فرأى ان دارهُ قد تضيق عنهم فابتنى غرفاً بقربها باللبن وخصَّ منها غرفةً واسعة جعلها معبداً لصلاتهِ . فكان اذا انتهى من فرائضهِ الدينيَّة يستقبل الوافدين وكان اكثرهم من الارمن الغريغوريين فجعل يرشدهم ويثبت لهم صحَّة الايمان الكاثوليكيّ فردَّ منهم كثيرين . لكنَّ اسقفهم امتعض من ذلك واعلن الحرم على من يزور السيّد الاسقف ونشر في حقّه الاراجيف حتى لم يَعُد يجسر احد على زيارتهِ إلَّا خفيةً وفي ظلمة الليل . وكان الاسقف الارمنيّ وشى بهِ الى نائب الحاكم وشكاهُ بزعمهِ انهُ يخدع الناس ويجعلهم فرنجاً . فصبر السيد بيكه على هذه الوشاية مدَّة ثمَّ كتب الى اصفهان يعلم حاكم همدان بسوء تصرُّف نائبهِ فأرسل للحال وعزلهُ واقام بدلاً منهُ نائباً آخر واوصاهُ بمجاملة السيد بيكه واكرامهِ . فخفَّت وطأة الاضطهاد وعاد الناس الى مقام الاسقف الصالح يرتشدون بامثالهِ واقوالهِ فعزَّى الله قلبهُ بارتداد كثيرين من الارمن الى ايمان القديس غريغوريوس ومنهم بعض وجوه الاكليروس

وفي اواخر شهر آب دعا السيد بيكه امين سرّهِ الكاهن سَفَر وطلب منهُ ان يسير الى باريس لينقل الى الملك لويس باسمهِ هدايا ملك العجم وسلَّمهُ رسالةً الى

جلالتهِ مع رسائل اخرى الى كلّ اصحابهِ . فشقّ هذا الامر على سَفَر اذ لم يشأ ان يفارق سيّدهُ لكنهُ رضي حبًّا بهِ ان يقوم بهذه الخدمة وسافر بزيّ تاجر من تجار البلاد . فلمّا وصل الى حلب سالمًا ألحّ عليهِ ابناء وطنهِ وقنصل فرنسة مع سائر الاكليروس بان يقبل درجة الاسقفيّة على ماردين قبل مواصلة سَفَرهِ فقبلها في الاحد الاوّل من الصوم من السنة ١٦٨٥ ثمّ ابحر من الاسكندرونة الى فرنسة

﴿مرض السيد بيكه ووفاتهُ﴾ وكان السيد بيكه في تلك الاثناء قد شعر في شتاء السنة ١٦٨٥ بضعفٍ عظيم في قواهُ حتى تأكّد قرب وفاتهِ قبل بلوغهِ بغداد فأخذ يستعدُّ لآخرتهِ فاهتمّ اوّلًا بامور الرسالة وكان اتاهُ مرسلان آخران درسا الارمنيّة فاقرّ المرسل «روك» في همدان وارسل الى قزوين رفيقهُ سَنسون ففتح هناك رسالة اتت بعد قليل باثمار طيبة . وكان كتب وصيّتهُ الاخيرة في ٩ ايلول سنة ١٦٨٤ وفي مضامينها شاهد حيّ على تجرُّدهِ واتّضاعهِ العميق جاهر فيها بانهُ يريد «ان يموت ابن الكنيسة الرسوليّة الرومانيّة خاضعًا لقداسة البابا ومُسلّمًا بكل ما حدّدتهُ الكنيسة من قضايا الايمان دون تمييز ولا استثناء» . وصرّح بارادتهِ ان يكون دفنهُ دون مأتم حافل وان يقبر في مقبرة الارمن اذ لم يكن للكاثوليك سواها . ثمّ بيّن حسنات لاقامة القدّاسات عن نفسهِ واوصى بكل ما يملك من ثابت ومنتقل لمن يقام من الاساقفة خلفًا بعدهُ وبخلوّهم للمجمع المقدّس . وعهد بتنفيذ وصيّتهِ الى رفيقيهِ الابوين روك وسنسون . وكانت الوصيّة موقعة باسمهِ هكذا : «فرنسوا بيكه اسقف بابل ونائب رسولي على العجم»

وفي اوائل شهر آب ثقلت عليهِ وطأة المرض وهو مع ذلك لا يكفّ على قدر استطاعتهِ عن تقدمة الذبيحة او تناول القربان وعيّد مع المرسلين عيد انتقال العذراء بعد ان عمّد ابنَ تاجر سوريّ من طائفة الروم كان وُلد في همدان

وبقي اياماً خائر القوى يستعدّ للاقاة ربّهِ بكل هدوّ وراحة وتسليم الى ارادة الله رغمَ اوجاعهِ المؤلمة حتى كان ظهر اليوم ٢٦ من آب وكانت حاشيتهُ حولهُ فبارَكهم البركة الاخيرة وبعد قليلٍ لفظ روحهُ الطاهرة بتمام الهدوّ والسكينة ولهُ من العمر ٥٩ سنة واربعة اشهر

وقد أُقيمت لهُ جنازة حافلة كما يليق بمقامهِ حضرها ارباب الدولة والارمن حتى

الذين كانوا ناصبوهُ في حياتهِ فقُبر كما شاء في المقبرة الارمنيَّة. لكنَّ جماعة اعدائهِ عادوا بعد حين وانقلبوا على المرسلين وطلبوا ان تُنقل رفات السيد بيكه من مقبرتهم فنُقلت الى معبدهِ. واذ فتحوا وقتئذٍ تابوتهُ رأوا يمينهُ سالمةً كأن الله اراد ان يبيّن للجميع رضاهُ من تلك اليمين المباركة آلة البرّ والحسنات. وكفى دليلًا عن عظم شأن الاسقف بيكه ما كتبهُ عنهُ الفارس دَرْفيو خلفهُ في قنصليَّة حلب ورفيق سفرهِ من مرسيليه قال: «كان بيكه رجلًا عجيباً في خدمة ربّهِ وخدمة مليكهِ» فكأنهُ يترجم لقول الشاعر العربي

ما أجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا

ونسأل الله في الختام ان يقيّض للدولة الفرنسويَّة امثالًا من هؤلاء الابطال الذين بأعمالهم وعرق جبينهم قامت بنايةُ نفوذها في ديارنا الشرقيَّة بارك الله بكر الكنيسة الكاثوليكيَّة وجعلها ركناً لكل عمل خير فانَّهُ السميع المجيب

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث التاسع

ديانة اهل بيروت (تتمة)

ومع هذه الادلَّة على انتشار الدين المسيحي في بيروت نجد للوثنيَّة آثارًا باقية الى

الذين كانوا ناصبوهُ في حياتهِ فقُبر كما شاء في المقبرة الارمنيَّة. لكنَّ جماعة اعدائهِ عادوا بعد حين وانقلبوا على المرسلين وطلبوا ان تُنقل رفات السيد بيكه من مقبرتهم فنُقلت الى معبدهِ. واذ فتحوا وقتئذٍ تابوتهُ رأوا يمينهُ سالمةً كأن الله اراد ان يبيّن للجميع رضاهُ من تلك اليمين المباركة آلة البرّ والحسنات. وكفى دليلًا عن عظم شأن الاسقف بيكه ما كتبهُ عنهُ الفارس دَرْفيو خلفهُ في قنصليَّة حلب ورفيق سفرهِ من مرسيليه قال: «كان بيكه رجلًا عجيباً في خدمة ربّهِ وخدمة مليكهِ» فكأنهُ يترجم لقول الشاعر العربي

ما أجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا

ونسأل الله في الختام ان يقيّض للدولة الفرنسويَّة امثالًا من هؤلاء الابطال الذين بأعمالهم وعرق جبينهم قامت بنايةُ نفوذها في ديارنا الشرقيَّة بارك الله بكر الكنيسة الكاثوليكيَّة وجعلها ركناً لكل عمل خير فانَّهُ السميع المجيب

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث التاسع

ديانة اهل بيروت (تتمة)

ومع هذه الادلَّة على انتشار الدين المسيحي في بيروت نجد للوثنيَّة آثارًا باقية الى

القرن السادس للمسيح . وقد سبق لحضرة الاب رينه موترد في المشرق(٢٢[١٩٢٤]: ١٩٥—٢٠٠) وصف هيكل وثني كان مقاماً جنوبيّ السراية الجديدة على منعطف التلّ الراقي من باب يعقوب الى كنيسة الارمن الغريغوريين . وكان الهيكل المذكور على اسم «الزُّهَرة السيّدة» اي معبودة الفينيقيين عشترت . وبقربهِ وُجدت كتابات راقية الى اواخر القرن الثاني او اوائل الثالث . وقد نُشرت صورة ذلك الهيكل مكبَّرةً عن بعض نقود بيروت (ص ١٩٥)

وفي ترجمة ساويرس الانطاكيّ لزخريّا الخطيب افادات عن بقايا بيروت الوثنيّة في عهدهِ اي في اواسط القرن الخامس وذكر هناك شيئاً من عاداتهم ومآتمهم واشتغالهم بالسحر ونفور الناس عنهم لخبثهم وسوء تصرُّفهم (١

وكذلك الكتابات المدنيّة والتذكاريّة والآثار الفنيّة المكتشفة في بيروت وفي جوارها ولاسيما في جهات بيت مري وعند دير القلعة معظمُها لعبَدَة اوثان تتراوح بين القرن الثاني الى السادس للميلاد . ولعلّ المدينة لم تنبذ تماماً العبادة الوثنيّة قبل الزلازل التي كادت تطمس آثارها الى آخر الدهر

على انّ الوثنية [illegible] بيروت لم تأتِ فيها على ما يظهر بعاملات [illegible] من مقدرة النصارى واضطهادهم [illegible] نجدهُ في غيرها من المدن الساحليّة التي كثُر فيها الشهداء وجاءت اخبارهم في صفحات التاريخ لاوسابيوس القيصري وغيرهِ كجبيل وصور وقيسريّة

اما ما يُخبر عن استشهاد القديس جرجس فيها فهي رواية لا يمكن القطع بها ويدَّعي الكتبة وقوعها في عدَّة اماكن كنيقوميدية ولُد (قرب يافا) وغيرهما . فضلاً عمَّا في قصَّة التنين من الغرابة

البحث العاشر

مدرسة الفقه الروماني في بيروت

وممَّا ألفتَ الى بيروت أنظار العالم الروماني مدرستُها الفقهيَّة التي احرزت لها مجداً

١) اطلب هذا الكتاب وترجمتهُ بالافرنسيَّة F. Nau : Vie de Sévère, pp. 49-68

اثيلاً يفوق على مجد رومية والقسطنطينيَّة عينها. قيل ان اغسطوس قيصر بعد انتصاره على مرقس انطوان خصمهِ في اكسيوم اجتاز في بلاد الشام واعجبهُ موقع بيروت فأنعم عليها بفتح هذه المدرسة الفقهيَّة. وليس لنا على ذلك برهان قاطع. والمرجَّح ان هذه المدرسة أُنشئت في اواخر القرن الثاني للمسيح لمَّا صارت الدولة الرومانية في عُهدة سلالةٍ تُعرف بالسوريَّة وكان اول ملوكها سبتيموس سافيرس (١٩٣—٢١١م)

وما لا شبهة فيهِ انَّ مدرسة بيروت الفقهيَّة كانت عامرةً في اوائل القرن الثالث كما روى الامرَ احد مشاهير المتخرَّجين فيها القديس غريغوريوس العجائبي في اواسط القرن الثالث. وكذلك شهد على وجودها احد الجغرافيين اليونان في تاريخ سنة ٢٣٩ للمسيح فقال: «ان بيروت جامعة لتعاليم كل الشرائع الرومانية (١)»

وقد انشأ الرومان مدارس غيرها في رومية والاسكندريَّة وفي قيصرية فلسطين وفي اثينة ثم (في القرن الرابع) في حاضرة القسطنطينيَّة وانما بيروت امتازت بمدة قصيرة بل برزت وفاقت على تلك المدارس حتى مدرستَي رومية والقسطنطينيَّة

ولعلَّ بعض فقهاء السوريين الذين امتازوا في المئة الثانية والمئة الثالثة للمسيح م الذين استوقفوا انظارَ معاصريهم على بيروت وما ازدانت بهِ من المفاخر. منهم بابنيان (Papinien) الفقيه الشهير الفينيقي الاصل وأُولبيان (Ulpien) الصوري وبوليوس بولس (J. Paulus) الحمصيّ. فهؤلاء قد بلغوا ذروة المجد بعظم فضلهم وسعة مداركهم تشهد لهم بقايا عديدة من مآثرهم صبرت على آفات الدهر. وكان ديوقلسيانوس الملك اعفى دارسي الفقه في بيروت من الضرائب العموميَّة تنشيطاً لهم فراجت فيها سوق الآداب ايَّ رواج

وممَّن اطنبوا في وصف مدرسة بيروت الفقهية وأثنوا عليها جميلاً كاتبٌ لاتيني وضع في اواسط القرن الرابع تأليفاً وصف فيهِ خواصَّ البلدان عنوانهُ صورة العالم كلهِ (Expositio totius mundi) فلما اراد تعريف بيروت (قال: «انها المدينة الوافية الكمال مَوقعاً وحضارةً» ومن جهة الاداب العلميَّة ذكر «انَّ فيها مدارس لدرس الحقوق حسب الدستور الروماني واليها يتوارد الطلبة افواجاً من كل صقع ومنها

(١ Geogr. Minores. II, 517, : « Berytus... auditoria legum habens, per quam omnia Romanorum judicia stare videntur.»

يخرج المحامون القانونيّون لمحاكم العالم كله» . وقد دعاها الملك يوستنيان في دستوره القانوني: «امّ العلوم وظلّ الشرائع» . وقال يوحنا اناطوليوس : «انّها كرسيّ الآداب والنعم» . ولقّبها القديس غريغوريوس العجائبي «بالمدرسة الرومانية المحضة ومركز شرائع رومية الثابت» . وقال الشاعر نونّس : «انها موطن الحقوق ومدينة الفقهاء ومُرضعة الحياة باللّين والتؤدة»

وقد ابقى لنا التاريخ اسماء بعض معلّميها وهم كيرلُس وديوستان ودُمنينوس واودكسيوس ولاونطيوس . ثم اشتهر منهم اناطوليوس ودوروتاوس . وألّف كيرلُس كتاباً مدرسيًّا يُعرف بالتحديدات الفقهية وهو من التآليف المُمتعة

ولما جلس الملك يوستنيان على منصّة الملك في القسطنطينيّة اراد تهذيب الشرائع الرومانيّة وتنظيمها وحَصر ابوابها فانتدب نخبة فقهاء ذلك العصر ليقوموا بهذا العمل الجليل واستدعى من جملتهم ثلثة اساتذة من مدرسة بيروت فساعدوهُ في عملهِ مساعدةً هامّة وهم اودكسيوس واناطوليوس ودوروتاوس فأنجزوا في سنين قليلة تلك المهمّة المتعبة كطُرفة ذلك العهد وأبرزوا الدستور اليوستنياني في كل اقسامهِ وفروعهِ فأخرجوهُ في كتب معلومة عوّلوا عليها في درس الفقه مذ ذاك الحين . واحدُ اقسام ذلك الدستور المعروف بالمنظّم (Digesta) قام بهِ اودكسيوس البيروتي وحدهُ . فعُدَّ عمل يوستنيان احدى نِعَم دولتهِ واضحى كاساس الدروس الفقهية في كل الدول التي جاءت بعدهُ وركن الشرائع المستحدَثة . وفضلُ بيروت ظاهر في هذا المشروع العظيم

ثم رأى يوستنيان ان يصلح المكاتب الفقهية فألغى منها مدارس قيصريّة واثينة والاسكندرية ولم يُبقِ منها الّا ثلثاً وهي رومية والقسطنطينيّة وبيروت . وكان الملك يختار لها معلّميها ويُجري عليهم الجرايات . وكان لبيروت خمسة اساتذة على عدد السنين الخمس اللازمة لإحراز الدروس الفقهيّة . لكلّ سنةٍ استاذ . فيخرج التلامذة بعد ان ينالوا الشهادة من اساتذتهم مستعدّين لكلّ الامور الشرعيّة متقنين لحقائقها ودقائقها اتمّ الاتقان

وان سأل السائل كيف كانت معيشة الطلبة المتقاطرين الى بيروت من انحاء الدولة أجبنا انّهم كانوا أحرارًا يتّفقون في الغالب مع الاهلين فيسكنون في بيوتهم

ويبيتون عندهم ليلاً ثم يتردَّدون الى المدارس في ساعات التعليم. ولا يخفى ان تزاحم الشبان المطلَقي الحريَّة في حركاتهم وسكناتهم كثيرًا ما يقودهم الى ردغات المآثم حتى ولو كانوا من اهل الصلاح فما ظنُّك بهم ان كانوا مائلين الى الاهواء الباطلة يسعون في إغواء رفقتهم الى حمأة الفساد ولاسيما في عهد الوثنيَّة؟ فانَّ الكتبة المعاصرين كاوسابيوس القيصري وغريغوريوس العجائبي يدعون بيروت «مصيدة النفوس البارَّة» لكثرة ما فيها من دواعي الفجور فان هواءها الطيِّب وحدائقها وحمَّاماتها ومقاصفها وملاعبها كانت مَدْعاةً الى اللهو وارتكاب المحرَّمات. وقد شبَّهها غريغوريوس العجائبي بساحرةٍ تفتن عقول الاحداث وتهوي بهم الى قعر الفساد

ومما كان يزيد مدينة بيروت عثرةً لذوي الصلاح ما أُقيم فيها من هياكل الاصنام التي تعظِّم الشهوات البشرية وتؤلِّه المنكرات. فكان الوثنيون يجاهرون بعبادة عشتروت إلهة الزنى وباخوس إله الخمر والقصف وكان يخدمُ هياكلَهما سَدَنةٌ يتاجرون بالعهارة حتى ان الشاعر اليوناني نونس نعتَ بيروت في اواخر القرن الرابع ببلاط عشتروت وبمقام اللذَّات البهيمية وهيكل المرَح والبطَر

ثم افاض في وصف حدائق بيروت وغاباتها الصنوبريَّة وما يُشرف عليها من الرُّبى الزاهية والمشارف المزدانة بالآثار والابنية الفخيمة منها هيكل جوبيتر البعلبكي في بيت مري الذي كان يتوارد اليه الزوَّار من انحاء فينيقية. وكانت كل هذه الاماكن مجلبةً للتنعُّم ورفاهية العيش والخلاعة تجذب اليها قلوب الشبيبة جذب المغناطيس للحديد.

ولما تغلَّبت النصرانيَّة على المدينة بعد قسطنطين الكبير وثاودوسيوس لم تزل العثرات العديدة في سبيل الشبَّان ولم ينجُ منها الَّا القليلون كأمفيان الشهيد الذي كان قدوة أترابه ومثالهم الحيّ. ولنا على معيشة الدارسين في بيروت شاهدٌ عياني كان في القرن الخامس وهو زكريَّا الاستاذ الذي كتب بالسريانيَّة سيرة ساويرس الانطاكي ووصف سلوكهُ في بيروت اذ كان يدرس فيها الحقوق (سنة ٤٨٧–٤٨٨) وقابل بين رزانته وتزيّ رفقته الشبان كما رُوي ذلك في مجلة المشرق في سنتها السادسة عشرة (ص ٩٣٠–٩٣١). وهناك لمحة عن تنظيم المدارس ودرجاتها وترتيب صفوفها ومعلميها وخُصَّ منهم بالذكر لاونطيوس بن افدوكسيوس وغير ذلك من التفاصيل

التي تمثل لنا بكل دقة حياة المستفقهين في اواخر القرن الخامس للمسيح

ومما افادنا كتبة ذلك العهد ان مدارس بيروت ما كانت مقتصرة على علم الفقه بل كان الاحداث يعكفون ايضاً فيها على العلوم الادبية بفروعها كاللغة والادب والفلسفة. الّا انّ شهرتها في الفقه كان يُضرَب بها المثل في العالم الروماني باجمعهِ. وبقيت مدارس بيروت زاهيةً عامرةً الى اواسط القرن السادس حيث نُكبت بالزلازل وكوارث الدهر كما سترى

(لها بقيّة)

الاداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ابرهيم بك المُوَيلحي﴾ في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين وقعت ايضاً وفاة احد اعيان المصريين الذين احرزوا لهم ذكرًا في عالم الادب نعني بهِ ابرهيم المويلحي المولود في مصر سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦ م) والمتوفى سنة ١٣٢٢هـ (٢٩ ك٢ ١٩٠٦ م) تقلّب في عدّة اعمال وغلب عليهِ الادب والسياسة فخدم وطنهُ مصر في ايّام الخديو اسماعيل باشا ورافقهُ بعد استقالتهِ الى اوربّة فكان امين اسرارهِ وسكن مدّةً باريس ونابولي معهُ ثمّ تردّد مرارًا الى الاستانة فحظي بالنعم السلطانيّة والرتب عند عبد الحميد. وانشأ عدّة جرائد مثل الخلافة في نابولي والرجاء في باريس ونزهة الافكار ومصباح الشرق في القاهرة ولهُ عدّة مقالات في الصحف العربيّة غيرها. وكان لم يستقرّ على خطّة مع كونهِ شديد الذكاء بليغ الانشاء كثير التفنّن مُرّ الانتقاد وهو منشئ جمعيّة المعارف لنشر الكتب المفيدة. ومن آثارهِ كتابهُ الشهير «ما هنالك» وصف فيهِ اسرار يلدز وسياسة السلطان عبد الحميد ولهُ شعر قليل وانشاؤهُ اقرب

التي تمثل لنا بكل دقة حياة المستفقهين في اواخر القرن الخامس للمسيح

ومما افادنا كتبة ذلك العهد ان مدارس بيروت ما كانت مقتصرة على علم الفقه بل كان الاحداث يعكفون ايضاً فيها على العلوم الادبية بفروعها كاللغة والادب والفلسفة. الّا انّ شهرتها في الفقه كان يُضرَب بها المثل في العالم الروماني باجمعهِ. وبقيت مدارس بيروت زاهيةً عامرةً الى اواسط القرن السادس حيث نُكبت بالزلازل وكوارث الدهر كما سترى

(لها بقيّة)

الاداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ابرهيم بك المُوَيلحي﴾ في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين وقعت ايضاً وفاة احد اعيان المصريين الذين احرزوا لهم ذكرًا في عالم الادب نعني بهِ ابرهيم المويلحي المولود في مصر سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦ م) والمتوفى سنة ١٣٢٢هـ (٢٩ ك٢ ١٩٠٦ م) تقلّب في عدّة اعمال وغلب عليهِ الادب والسياسة فخدم وطنهُ مصر في ايّام الخديو اسماعيل باشا ورافقهُ بعد استقالتهِ الى اوربّة فكان امين اسرارهِ وسكن مدّةً باريس ونابولي معهُ ثمّ تردّد مرارًا الى الاستانة فحظي بالنعم السلطانيّة والرتب عند عبد الحميد. وانشأ عدّة جرائد مثل الخلافة في نابولي والرجاء في باريس ونزهة الافكار ومصباح الشرق في القاهرة ولهُ عدّة مقالات في الصحف العربيّة غيرها. وكان لم يستقرّ على خطّة مع كونهِ شديد الذكاء بليغ الانشاء كثير التفنّن مُرّ الانتقاد وهو منشئ جمعيّة المعارف لنشر الكتب المفيدة. ومن آثارهِ كتابهُ الشهير «ما هنالك» وصف فيهِ اسرار يلدز وسياسة السلطان عبد الحميد ولهُ شعر قليل وانشاؤهُ اقرب

الى الانشاء العصري لا تصنُّع فيه كمن سبقهُ . وانما يزينهُ بالنُكَت البديعة والمعاني المستطرفة . ومما وقفنا لهُ من قلمهِ ما كتب في «الانشاء والعصر» وهو كلام طويل ينتقد فيهِ خمول المصريين بصناعة الانشاء مع تزايُد المطابع وانتشار التعليم وكثرة المدارس ويبحث عن اسباب انحطاطها فقال في ذلك:

« انما السبب عند جمهور الباحثين هو سوء طريقة التعليم والتلقين للعلوم العربيَّة بين طلبة المدارس وضعف العناية في اختيار الكتب النافعة للتدريس . وليس هذا في نظرنا السبب الوحيد لما نشاهدهُ من التأخر والانحطاط في صناعة الانشاء والتحرير وقلَّة العاملين فيها فذلك مهما جئتَ بهِ من التحسين والتعديل لطريقة التعليم لا ينفع في ملكة الانشاء في أذهان التلاميذ التي عليها المعوَّل في حسن الصناعة لانَّ المدَّة لدرس اللغة العربيَّة في المدارس لا تكفي لغير الحصول على اصول اللغة وقواعدها ولا تفيد لتكوين الملكة لشيء صالح . ولا يخفى عن علمك انَّ الطالب يتجرَّع هذه القواعد والاصول في الدرس ولا يكاد يسيغها ولا يتناولها الَّا كما يتناول المحموم مرَّ الدواء ولا تمكث في صدره الَّا وينا يحجُّها عند اخذ الشهادة . . .

«على مثل هذا يخرج المتخرِّجون في المدارس سواء الفائز منهم بالشهادة والخائب فيها ثمَّ ينصرف كل واحد منهم الى الاشغال التي تلهيه عن كلّ صحيفة وكتاب ولا يجد امامهُ مجالاً لتنمو ملكة الكتابة . . . اما اذا ابتلاهُ الله بالدخول في خدمة الحكومة فقُل يا ضيعة العلم والادب ويا بؤس صناعة الانشاء والتحرير ويا زوال مدنية الافصاح والا . . . اذ يلتقي هناك لساناً جديداً ولغةً حديثة لا يُجدي فيها الى قاعدة ولا ترتبط برابطة ولا تقبل امة البرارة . . . ولو انهُ ذهل يوماً وجاء في بعض عمله بجملة صحيحة وعبارة مستقيمة في اللغة واعرب عن ذلك اللسان المصطلح عليهِ شيئاً قليلاً لأصبح عرضةً للتهكُّم عليهِ والاستهزاء بهِ بين العمَّال فيعمد الى التوبة من الذنب . . . ويأخذ بلسانهم فيأمن من مكرهم . . .

«ومن سوء الحظ لم تلتفت الجرائد السيَّارة الى اتقان صناعة التحرير ولم تعمل لهذا المقصد النبيل ولم يرَ اربابها ان يُتعبوا انفسهم ويكدُّوا خواطرهم التفنُّن في بلاغة القول وفصاحة التعبير وانتقاء الالفاظ وتنويع التركيب وتجديد الاسلوب وما شابه ذلك من محاسن هذه الصناعة التي تتوق للنفس وتطرب اليها القلوب . . . فينبغ فيهم النوابغ من الفصحاء والبلغاء ويكثر بيننا عديد الكتَّاب والادباء . . . وفاتهم انَّ الواجب على الكتَّاب المجيدين الذين يضعون أنفسهم امام القارئ في موضع الهادي والمرشد ومقام المربّي والمعلّم ان يرتقوا بذهن القارئ الى درجة اذهانهم لا أنهم ينزلون بافكارهم الى درجة افكاره . . . »

ومن فصولهِ الحسنة ذكرهُ في كتابهِ «ما هنالك» (ص ١٣٠–١٣٢) لموكب السلطان عبد الحميد في الاستانة يوم الجمعة (السلاملك) تلك حفلةٌ حضرناها مرَّة فأحسن المويلحي بوصفها قال :

« واذا صدرت الارادة السنيَّة بتعيين مسجد صلاتهِ اجتمعت العساكر في ساحة المسجد امام باب السراي واصطفَّت صفوفاً مضاعفةً بعضُها وراء بعض. وفي هذه الاثناء تتسابق مركبات المُشيرين والوزراء والمشائخ والاجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من علية قومهم الوافدين على الاستانة في قاعة الجيب الهايوني المطلَّة على تلك الساحة التي لا يسع السامع فيها قيلًا ولا صهيلًا الَّا صليل الاسياف وترديد الانفاس هيبةً واجلالًا وانتظارًا واستقبالًا لإشراق نور الحضرة السلطانيَّة. فاذا حان وقت الصلاة اشرقت المركبة السلطانيَّة المذهَّبة كالشمس ضياء من مطلع السراي تحمل الإمام نائب الرسول صلعم ويجلس امامهُ الغازي عثمان باشا. والمشيرون وكبار رجال المابين حافُّون من حول المركبة مشاةً خُشَّع الابصار ترهقهم ذلَّةٌ من جلال تلك العظمة الإلهيَّة وهم في غير هذه الساعة اكاسرةُ الزمان وقياصرة الرومان كبرًا وجبروتًا وكلهم في امواج الملابس الذهبيَّة يَسْبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ الالباب حتى انَّ الناظر ليكاد يوالي الحمد لله تباعًا على ما منحهُ للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الملَّة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين . . . فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون في القلب كانت كبائر يفشُّ الناس بوضعهِ على زجاجة الحالّ عنوان ماء الورد . . . ثمَّ تسير المركبة بالعزّ والاجلال والسعادة والاقبال تحسدها الكواكب وتحفظها المواكب . . ثمَّ يصعد السلطان الى المكان المخصَّص لصلاتهِ فيصلّي فيهِ وحدهُ وصفوف العساكر العثمانيَّة واقفون في تلك الساحة ينتظرون تشريف جلالتهِ للسراي بعد تأدية الصلاة . . »

ومن أدباء المسلمين ايضاً المتوفَّين في اوائل القرن العشرين بعض الذين تركوا آثارًا قليلة من اقلامهم ﴿كوفاء افندي محمَّد﴾ المتوفَّى سنة ١٣١٩ (وقيل ١٣٢٢) (١٩٠١—١٩٠٤) كان امين المكتبة الخديويَّة دونك مثالًا من رسائلهِ يهنئ بعض السادة بالعيد :

«كيف أهنئك وَحْدي وانتك العالَمُ في واحد . لقد انطلقت الالسن بتهنئتك حيث اجمعت القلوب على محبَّتك . وقد وافانا يومُ العيد الاكبر فالناسُ بين مهلّل ومكبّر . وهذا الربيعُ قد احتفلَ بيُمْنِ طالعك السعيد فنشر على الرُّبى مطارفهُ السندسيَّة ورفع أعلامهُ الزَّبرجديَّة . وبعث برسول النسيم الى الروض فتلقَّاهُ بوجهٍ وسيم وتثغر بسيم ونثر من الزهر النضير دراهم ودنانير ورقصت الغصون فغنَّت الطيور فوق الافنان بفنون الالحان فهكذا تكون اشارات التهاني وان لم تفِ بوصفها الالفاظ والماني واليةً بمن أولاك رفعةً تصافحُ السماء وولاك رتبةً لا تُدانيها الجوزاء انَّ صحيح الفهم في دارك عُلاك لَمليل وانَّ اللسنَ وان شحذَ اللسان في وصف مجدك لَكليل والسلام»

ومنهم ﴿مصطفى بك نجيب﴾ المتوفَّى سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢) وكان رئيس قلم

بنظارة الداخليَّة وهو احد الادباء الفضلاء الذين اشتهروا بفصاحة القلم ونشر المواعظ وجليل الحكم فمن قولهِ نبذة وصف فيها الفونغراف قال :

« الفونغراف مثال القوَّة الناطقة ، من غير ارادة سابقة ، يتلفظ الالفاظ اقتطافاً ، ويختطف الصوتَ اختطافاً ، . . أشدّ من الصَّدى في فعلهِ ، في اعادة الصوت على أصلهِ ، كأنهُ الوَتَر عن يد الضارب ، والقَصَب عن فم القاصب ، يحفظُ الكلام ولا يبيدهُ ، ومتى استعدتَهُ منهُ يعيدهُ ، كأنَّما حفظُ الوديعة ، في نفسٍ طيعة ، فلو تقدَّمَ لهُ الوجود في مرتبة الزمن لأسمعنا كلام السيد المسيح في المهد ، وصوت ألعازرَ من اللَّحد ، وكانت استودعتْه الفلاسفةُ حكمتَهم ، وأنشدوهُ كلمتهم ، فرأينا بهِ غرائب اليونان ، وبدائع الرومان . . . نديمٌ ليس فيهِ هفوةُ النديم ، وسَمير لا يُنسب اليهِ تقصير ، تُسكتهُ وتستعيدهُ ، وتدنيهُ وتستجيدهُ ، وتنقصهُ وتستزيدهُ ، وهو في كلّ هذهِ الاحوال ، راضٍ بما يقال ، لا يكلُّ من تحديث ، ولا يَملُّ من حديث ، نمَّامٌ كما ينمُّ لك ينمُّ عليك ، وينقل لغيرك كما ينقل اليك ، فهو المتكلم بكل لغة المحدّث عن كل انسان ، المؤرخ لكل زمان ، الشاعر الناثر المغنّي العازف ، لا تعجزهُ العبارة ولا يُجهدهُ الأداء ، ولا يضرّهُ اختلاف شكل ، ولا تباينُ اصل ، بل تعدَّت شدَّةُ حفظهِ البشريَّة من اللغات ، الى حفظ اصوات العجماوات ، الى تركة اصطكاك الجمادات

« عائشة التيمورية » هي احدى النساء العلمات التي تفرَّدن في الآداب في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين فتوفيت في صفر من السنة ١٣٢٠ (ايار ١٩٠٢) وكان مولدها في القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠م) ووالدها اسمعيل باشا تيمور وامُّها جركسيَّة . أحبَّت منذ صغرها العلم والادب وبعد ان اقترنت بالزواج ثمَّ ترمَّلت انصرفت الى الآداب وبرعت بنظم الشعر في اللغات الثلث العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة . وقد طُبع ديوانها العربيّ المسمَّى حلية الطراز فأثنى عليهِ الادباء طيّب الثناء وشفعتهُ بكتاب نتائج الاحوال فاقبل عليهِ العلماء ايضاً واطرأوا صاحبتهُ . وممَّن قرَّظ كتاب حلية الطراز وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي فقالت :

حبَّذا حليةُ الطراز أنتَ من مصرَ تزهو بالدرّ المنظوم
حليةٌ للعقول لا حليةُ الوَشْي وكثرُ المنطوق والمفهوم
انشأتهُ كريمةٌ من ذرات م المجد والفخر فرعُ اصلٍ كريم
قد اعاد الزمانُ عائشةً فيها فعاشت آثارُ علمٍ قديم
هي فخرُ النساء بل وردةٌ في جيدِ ذا العصر زُيِّنتْ بالعلوم
فأدام المولى لها كلَّ عزٍّ ما بدا الصبحُ بعد ليلٍ بهيم

وقالت في تقريظ نتائج الاحوال :

هذا الكتابُ الذي هام الفؤادُ بهِ يا ليتَني قلمٌ في كفِّ كاتبهِ

ودونك امثلةً من شعر عائشة تيمور قالت في الفخر :

بيد العفافِ أصونُ عزَّ حجابي وبصحتي أسمو على أترابي
وبفكرةٍ وقّادةٍ وقريحةٍ نقّادةٍ قد كُمِّلتْ آدابي
فجعلتُ مرآتي جبينَ دفاترٍ وجعلتُ من نَقْشِ المِدادِ خطابي
ما عاقني خجلي عن العلْيا ولا بذلُ الخمارِ بلمّتي ونقابي
عن طيِّ مِضمارِ الرهانِ اذا اشتكتْ صعبَ السباقِ مطامحُ الركّابِ
بل صولتي في راحتي وتفرّدي في حُسنِ ما أسعى لغيرِ مآبِ

ومما قالتهُ ترثي ابنتها وكان موتُها في رمضان :

طافت بشهرِ الصومِ كاساتُ الردى سَحَرًا واكوابُ الدموعِ تدورُ
ومضى الذي اهوى وجرَّعني الأسى وغدتْ بقلبي جُذوةٌ وسعيرُ
ناهيكَ ما فعلتْ بماءِ حشاشتي نارٌ لها بين الضلوعِ زفيرُ
اني ألِفتُ الحزنَ حتى انني لو غابَ عني ساءني التأخيرُ
قد كنتُ لا ارضى التباعدَ برهةً كيف التصبُّرُ والبعادُ دهورُ
ابكيكِ حتى نلتقي في جنّةٍ برياضِ خُلدٍ زيّنتْها الحُورُ
هذا النعيمُ بهِ الأحبّةُ تلتقي لا عيشَ إلّا عيشُهُ المبرورُ
واللهِ لا اسلو التلاوةَ والدُّعا ما غرّدت فوقَ الغصونِ طيورُ

ولعائشة تيمور قصائد مختلفة في الاوصاف والاخلاق والغزل والمديح وانما اخذت في كلّ ذلك أخذ كتبة زمانها فلم تُعالج المواضيع المبتكرة . وكذلك نثرُها في نتائج الاحوال لا يخلو من التصنّع في نظم سجعاتهِ . هذا فضلًا عما يحتويهِ من التخيُّلات والاقاصيص المصنوعة التي قصدت بها ترويح الافكار وتلهية الاحداث .

وفي هذه الحقبة ذاتها فقدتْ مصر قوماً من مشاهير اطبّائها الذين كانوا أغنوا الطبَّ الوطني بمؤلفاتهم بعد ان تخرَّجوا على اطبّاء نطاسيّين من الاوربيين . منهم محمد

باشا الدري» و «احمد بك حمدي الجرّاح» وقد اتقن كلاهما علم الطبّ في باريس. وقد ألّف الاوّل «تذكار الطبيب» وألّف مطوّلًا في الجراحة وكتب تاريخ الأسرة الخديويّة. كانت وفاتهُ في مطلع القرن العشرين. وصنّف الثاني في اعمال الجراحة ونشر جريدة طبيّة دعاها المنتخب. كانت وفاتهُ سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م). ومنهم الدكتور «محمّد بك بدر» تخرّج في فنّ الطبّ في انكلترّة وهو مؤلّف كتاب «علم الشفاء والمادّة الطبيّة وكتاب شرح الادوية الجديدة وكتاب الصحّة التامّة. توفي سنة ١٩٠٢. وكان محمّد بك بدر اشتغل في المانية بالفلسفة الاسلاميّة ودرس هناك اللغات الساميّة وباشر بتاريخ فلاسفة الاسلام ومؤلفاتهم منذ ظهور الاسلام الى اليوم ولا نعلم أُنشر بالطبع. وهو الذي نشر كتاب ابي منصور عبد القادر البغدادي «الفرق بين الفرق»

ومنّن درسوا الطبّ في المانية «حسن باشا محمود» لهُ مصنّفات عديدة في الامراض العصريّة كحمّى الدنج والهيضة وخصّ بدرسهِ ادواء وطنهِ كالدمّل المصري والطاعون الساري ومن تآليفهِ الحسنة كتابهُ الخلاصة الطبيّة في الامراض الباطنيّة. وتفقه ايضاً في اوربّا غير مرّة. مثل «عبد الرحمن بك الهراوي» صاحب تأليف في الفيسيولوجية توفي سنة ١٩٠٦. و«الدكتور سليمان نجاتي» الذي تخصّص بمعالجة الامراض العقليّة وألّف كتاب «اسلوب الطبيب في فنّ المجاذيب». كان وفاتهُ سنة ١٩٠٧

واشتهر في العلوم الفلكيّة «اسماعيل باشا الفلكي» الذي درس الرصد في مرصد باريس وادار في مصر المرصد الفلكيّ وكان ينشر تقاويمَ ارصادهِ الفلكيّة الرسميّة في اللغتين العربيّة والافرنسيّة. ومن تآليفهِ: «الآيات الباهرة في النجوم الزاهرة» توفي سنة ١٩٠١

فترى انّ العلوم العصريّة كانت مدينةً خصوصاً لاوربّة حيث تخرّج فيها المصريون ثمّ نشروها في وطنهم إمّا بالتدريس في القصر العينيّ وإمّا بالمزاولة والتأليف فكانت سبب نهضةٍ علميّة معتبرة تتمتّع اليوم مصر بثمرتها

أدباء الاسلام في الشام والعراق

وبينما كان المصريّون يحاولون كسر اغلال التقليد القديم الذي كان يضايقهم في

الكتابة ويحول بينهم وبين الرقي المصري. كان اخوانهم في الشام يجاهدون للحصول على حرية كافية ليتزعوا عنهم ضغط نير الاتراك فيطلقوا العنان لاقلامهم للبحث في المسائل الاجتماعيَّة والاصلاح السياسيّ. وفي مقدّمتهم :

﴿عبد الرحمان الكواكبيّ﴾ وُلد في حلب سنة ١٢٦٥هـ(١٨٤٩م) من اسرة آل الكواكبي القديمة التي اليها تُنسب في الشهباء المدرسة الكواكبيَّة . وفيها تلقّى العلوم اللسانيَّة والشرعيَّة وبعض العلوم الحديثة ثم أُنِس بالكتابة فحرّر عدّة جرائد كالفرات والشهباء والاعتدال وخدم الدولة متقلّباً في عدّة مناصب علميَّة وادارية وحقوقيَّة الّا انَّ ما طُبع عليهِ من الإباء والنخوة ودقّة النظر وحبّ الانتقاد في العصر الحميدي حمل اعداءهُ الى الوشاية بهِ الى المراجع العليا فزُجَّ بالسجن وجُرّد من املاكهِ. ثمَّ خرج سائحاً الى البلاد وطاف جانباً من افريقيَّة وجزيرة العرب حتى توغّل في صحاريها وبلغ اليمن ثمّ رحل الى الهند وسكن آخراً في مصر وفيها توفي سنة ١٩٠٣ . ومن آثارهِ ما يثبت لهُ سعة اطّلاعهِ على تاريخ الشرق ولاسيما تاريخ الممالك العثمانيَّة فعرف ادواءها وحاول علاجها كالافغاني. ومما ألّفهُ في ذلك كتابهُ «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» وكتاب «امّ القرى» نظر فيهِ الشيخ محمّد عبده. وكان الكواكبي مع انفتهِ من الاستبداد رقيق الجانب عطوفاً على الضعفاء والمساكين

﴿محمّد رشيد الدنا﴾ وقد اسفت بيروت في اوائل القرن العشرين على فقدها لهذا الكاتب الضليع في السنة ١٩٠٢ (١٣٢٠هـ) وهو احد تلامذة المعلّم بطرس البستاني في مدرستهِ الوطنيَّة. خدم الحكومة التركيَّة عدّة سنين ثمَّ استقال من مناصبها ليخدم وطنهُ بالتحرير فانشأ جريدة بيروت سنة ١٨٨٦ وادارها الى سنة وفاتهِ وكان معتدل الطريقة في سياستهِ فأمن نكبات الدهر. وكان يرتشد بآراء شقيقهِ الاكبر السديد السيّد عبد القادر وصارت الجريدة بيروت من بعدهِ في عهدة اخيهِ محمّد امين

نضيف الى أدباء المسلمين في الشام ﴿السيد ابراهيم الطباطبائي﴾ من مشاهير ادباء العراق قضى نحبهُ سنة ١٩١٣هـ (١٩٠١م) في النجف وفيها كان مولدهُ سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) كان إمام النهضة اللغويَّة في وطنهِ بين صدور الشيعة. ولهُ ديوان شعر طُبع في صيداء تلوح فيه الاساليب البدويَّة القديمة وكان مُغرًى بغريب اللغة

وترى ذلك في معظم اشعاره . وقسم كبير من قصائده في الغزليات . ومن حسن قوله ابيات ذكر فيها الاحباب وأيام الانس :

أخيَّ هل راجعٌ ليلٌ فينظمنا ... بشطِّ دجلةَ نظمُ العقدِ اخوانا
أحبابَنا ان نحنُ فيكم وسائلُنا ... فحسبُنا كلَّ شيءٍ بعدكم هانا
ان فرَّق الدهرُ ما بيني وبينكمُ ... فقد صحبتكمُ دهرًا وأزمانا
تركتُ في النجف الامل لصحبتكم ... صحبًا وأهلاً واوطانًا وجيرانا
عوَّضتموني عن اهلي وعن وطني ... بالأهل أهلاً وبالأوطان اوطانا

ومن حكمه :

ما كلُّ من صحبَ الاخوانَ جرَّبهم ... لا يُعرَفُ الخِلُّ إلَّا بالتجاريبِ

وقال في محاسن الشعر :

للشعر حُسنانِ لا تعدوهما جهةٌ ... حسنٌ بمعنًى وحسنٌ بالاساليبِ

(البابلية)

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

٦ اتحاد بطاركة السريان وبطاركة الاقباط ومراسلاتهم

ظلَّت البطريركية الاسكندرية وشقيقتها البطريركيَّة الانطاكيَّة في اوَّل امرهما محافظتَين على عهودهما للبطريركية الرومانيَّة مقرَّتين بفضل منشئها مار بطرس الهامة مطيعتَين لخلفائه في الكرسي الروماني حتى ظهور البدعة المنوفستيَّة في اواسط القرن الخامس وقد صرَّح الاحبار الرومانيون برفعة شأن هذين الكرسيين المجيدين فكتب

وترى ذلك في معظم اشعاره . وقسم كبير من قصائده في الغزليات . ومن حسن قوله ابيات ذكر فيها الاحباب وأيام الانس :

أخيَّ هل راجعٌ ليلٌ فينظمنا ... بشطِّ دجلةَ نظمُ العقدِ اخوانا
أحبابَنا ان نحنُ فيكم وسائلُنا ... فحسبُنا كلَّ شيءٍ بعدكم هانا
ان فرَّق الدهرُ ما بيني وبينكمُ ... فقد صحبتكمُ دهرًا وأزمانا
تركتُ في النجف الامل لصحبتكم ... صحبًا وأهلاً واوطانًا وجيرانا
عوَّضتموني عن اهلي وعن وطني ... بالأهل أهلاً وبالأوطان اوطانا

ومن حكمه :

ما كلُّ من صحبَ الاخوانَ جرَّبهم ... لا يُعرَفُ الخِلُّ إلَّا بالتجاريبِ

وقال في محاسن الشعر :

للشعر حُسنانِ لا تعدوهما جهةٌ ... حسنٌ بمعنًى وحسنٌ بالاساليبِ

(البابلية)

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

٦ اتحاد بطاركة السريان وبطاركة الاقباط ومراسلاتهم

ظلَّت البطريركية الاسكندرية وشقيقتها البطريركيَّة الانطاكيَّة في اوَّل امرهما محافظتَين على عهودهما للبطريركية الرومانيَّة مقرَّتين بفضل منشئها مار بطرس الهامة مطيعتَين لخلفائه في الكرسي الروماني حتى ظهور البدعة المنوفستيَّة في اواسط القرن الخامس وقد صرَّح الاحبار الرومانيون برفعة شأن هذين الكرسيين المجيدين فكتب

اينوكنت الاول سنة ٤٠٩ الى اسكندر اسقف انطاكية « ان كرسيك الانطاكي لم ينل هذا الامتياز الفاخر الا لانهامة الرسل تبوأه اولاً(١ » وكتب البابا جلاسيوس سنة ٤٩٤ : « ان الكرسي الثاني هو كرسي الاسكندرية لان مرقس تلميذ بطرس قدسهُ باسم سيده الهامة . . . امّا الكرسي الثالث فهو الانطاكي لان بطرس الرسول جلس عليهِ قبل شخوصه الى رومية(٢ . وكتب القديس غريغوريوس الكبير بابا رومية الى ألوجيوس اسقف الاسكندرية : « ان بين اسقف رومية واسقفي الاسكندرية وانطاكية اتحاداً وثيقاً لان بطرس الرسول اعتنى بانشائها فزيّنها وأعارهما شيئاً من سموّ رتبتهِ فصارت هذه الكنائس الثلاث كالحبل المثلث الغير المنقطع وغدا لها التقدم على جميع الكنائس(٣ »

وحبّذا لو بقيت هذه الكراسي الثلاثة ثابتة على الحبّ والوداد باجمعها (٤ غير ان عدوّ الخير والدين أبى إلّا ان يفصل الكرسيّ الاسكندري والانطاكي عن الكرسي الروماني فأصبح الكرسيّان متّحدَين قلباً وقالباً وصار بطاركتها يراسلون بعضهم بعضاً ولاسيما حين ارتقائهم الى الكرسي البطريركيّ تأييداً لاتفاقهم . وبناء عليهِ اخذ بطاركة السريان الانطاكيّون منذ انفصالهم عن الكرسي الروماني يكتبون صورة ايمانهم ويرسلونها الى البطريرك الاسكندري ليؤيّدها . وقد اورد الشماس منّي في تاريخه ما يصرّح بذلك فذكر (ص ٣٤٤) ان البطريرك يوحنا الثاني († ٥١٧) لمّا تولّى بطريركيّة الاسكندريّة تبودلت الرسائل بينهُ وبين سويرا الذي اشتهر بالتعصّب للطبيعة الواحدة . وكتب ديوسقورس الثاني († ٥٢٠) رسالة ايضاً الى سويرا فاجابه انهُ مشترك معه في الامانة (ص ٣٤٦) واقتصّ اثره تيموثاوس الثالث († ٥٣٦)

وكان فريق من بطاركة السريان يسير الى مصر لذلك السبب عينه . كذا صنع اثناسيوس الاول بطريرك السريان(٥٩٥–٦٣١) المعروف بالجمّال فانهُ لما بلغهُ ان

١) مجموعة الاباء اللاتين لمين (٢٠ : ٥٤٨)

٢) مين (٥٩ : ١٧٠) ٣) مين (٧٧ : ٢٩٤)

٤) بعد انفصال بطريرك السريان وبطريرك القبط المنوفسيّين عن الكرسي الروماني ظلّت طائفة كبيرة في كلتا الحاضرتين اعني في الاسكندريّة وانطاكية ثابتة في المعتقد الارثذكسيّ يراجع بطاركتها بطريرك رومية جرياً على تقاليد أسلافهم وعُرفوا منذ إذٍ ببطاركة الملكيّين

انسطاس نُصب بطريركاً للاسكندرية (٦٠٣–٦١٤) شخص اليه في خمسة من اساقفته وزمرة من قسوسه ورهبانه وحمل اليه التحف والهدايا فخرج البطريرك الاسكندري ماشياً في اكليرسه وتلقاه بالتسبيح والفرح وحلّ البطريرك واصحابهُ ضيوفاً كراماً عنده مدة اربعين يوماً. وكتب البطريركان كلاهما صكاً صرّحا فيه باتفاق البطريركيتين في المعتقد المنوفستي وامضاه اوّلاً انسطاس واساقفته سنة ٦١٦ على هذه الصورة : « انسطاس برحمة الله اسقف الاسكندرية أوافق على هذا الصكّ واثبت هذه التعاليم . . . واعتبركم يا اثناسيوس رئيس الكرسي الانطاكي أخاً روحياً وأقسم لكم بيمين الشركة والاتحاد في الرأي . . . واختم هذا الصكّ انا واساقفتي » . وقد كتب نصّ هذا الصكّ بالسريانية ميخائيلُ الكبير في تاريخه (ص ٤٠٠) وعلى هذا المنوال تمّ الاتحاد والاتفاق ما بين الكرسيّين واقام البطريركان واكليروسهما الصلاة معاً وتناولوا الاسرار المقدّسة وخطب فيهم البطريرك اثناسيوس خطبةً بليغة . ولمّا توفي انسطاس وولي بعده اندرونيقس اوفد الى البطريرك اثناسيوس المذكور رسالةً قرّر فيها الاتحاد ما بينهما

وبعد اندرونيقس تولّى بطريركيّة الاسكندرية بنيامين السرياني عاهد المسلمين واتّفق معهم وسلّمهم الاسكندرية وبلاد مصر سنة ٦٤٠ فأكرموه واحسنوا اليه وأفازوه بامانيه . قال المقريزي (في الخطط ٢ : ٤٩٢) :

« ان ارض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونةً بالنصارى وهم على قسمين متباينَين في اجناسهم وعقائدهم احدُهما اهل الدولة وكلّهم روم . . . وعدّتهم تزيد على ثلاثمائة الف رومي . والقسم الآخر عامّة اهل مصر ويقال لهم القبط وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميّز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الاسرائيلي . . . وكلّهم يعاقبة . فمنهم كتّاب المملكة ومنهم التجّار والباعة ومنهم الاساقفة والقسوس ونحوهم . . . ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدّاً . . . ثم صار القبط عوناً للمسلمين على الروم . . . وكتب عمر لبنيامين . . . اماناً في سنة عشرين (٦٤٢م) . . . فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر وديارها كلّها وانفردوا بها دون الملكيّة »

فاضطرّ قورس بطريرك الملكيّين ان ينهزم الى القسطنطينيّة وتضعضع امر الملكيّين في الاسكندرية ، ولم يبقَ منهم سوى طائفة نزرة في القرى والضياع التي على شاطئ النيل (١ واستلى المقريزي (ص ٤٩٣) قوله بقوله :

(١) ميخائيل الكبير ص٤٢٢ وتاريخا الزهاوي (ص١٦١) وابن العبري المدني (ص ١٠٢)

« من عهد عمر بن الخطّاب (٦٣٤-٦٤٤) الى خلافة هشام بن عبد الملك († ٧٤٣) غلب اليعاقبة على كنائس مصر. . . اما الملكيّة فان ملك الروم لاون اقام قسيا (قِسّا) بطرك الملكيّة بالاسكندرية في سنة ٧٢٥م) فمضى ومعهُ هديّة الى هشام . . . فكتب لهُ بردّ كنائس الملكيّة اليهم فاخذ من اليعاقبة كنيسة البشارة. وكان الملكيّة اقاموا سبعاً وسبعين سنة بغير بطرك في مصر من عهد عمر بن الخطّاب الى هشام. . . وفي ايام المأمون (٨١٣ – ٨٣٣) مضى بطرك الملكيّة الى بغداد فكتب له الخليفة بردّ كنائس الملكيّة التي تغلّب عليها اليعاقبة بمصر فاستردّها منهم واقام في بطركيّة الملكيّة اربعين سنة ومات »

وقال ابن العميد (ص ٤٥ من نسختنا في الشرفة):

« اخذت الملكيّة جميع الكنائس التي كانت لليعقوبية ومذ ذلك الوقت صار كرسي البطاركة اليعاقبة في دير ابو مقار »

امّا بطريركيّة الاقباط وبطريركيّة السريان اليعقوبيّتان او المنوفستيّتان فظلّتا ثابتتين على عهودهما فان ايليا الاول بطريرك السريان († ٧٢٣) اوفد رسالة الى البطريرك اسكندر الثاني († ٧٢٦) في الاتحاد صحبة استفانس احد اساقفته فقبلها بفرح وكتب الى البطريرك الانطاكي جواباً (١

ولما تولّى بطريركيّة السريان ديونوسيوس التَّلْمَحْري (٨١٨–٨٣٧) أمر محمد اخو الامير عبدالله صاحب مصر سنة ٨٢٥ بتقويض كنائس السريان في الرها فارتحل البطريرك ديونوسيوس الى القطر المصري يصحبه شقيقه ثاودسيوس مطران الرها ليدافع عن الكنائس المشار اليها. ولما وصل البطريرك الى مصر خرج النصارى وعددهم زهاء ثلاث ربوات وحيّوه بالسلام واحتفى به يعقوب بطريرك الاسكندريّة واساقفتهُ ورحّبوا بهِ مُدّعين «انهم لم يشاهدوا بطريركاً سريانيّاً حلّ في ارض مصر منذ عهد سُويرا († ٥٣٨)» وفاتهم ما جرى للبطريركين اثناسيوس الجمّال وانسطاس من الاتفاق لدى مواجهتهما في الاسكندريّة كما ذكرنا آنفاً فيُستدَلّ من ذلك ان القبط يومئذٍ كانوا جاهلين تواريخ أجدادهم غير خبيرين باحوالهم وأخبارهم

وبعد هذا قصد البطريرك ديونوسيوس الاميرَ عبدالله بن طاهر صاحب مصر فطفق الامير يعاتبه عتاباً حبيّاً ويقول: كان الاولى لك ان تكتفي بارسال كتاب منك الينا تورد فيه مسألتك فكنا نجيب الى طلبتك. قال له البطريرك: «ان ثاودسيوس

١) تاريخ القبط (ص ٤١٢)

مطران الرها قد قدم اليكم ليحتج على محمد عاملكم في الرها لانه أمر بتقويض كنائسنا اما انا فقد أقبلت الى مصر لأتعهد أمور الجماعة على ان شؤون الطائفة باسرها منوطة بي. فما كان من الامير عبدالله الا أن كتب صكاً يأمر بترميم ما قُوّض واوفد الى عامله يأمره بذلك ويحرّضه ويحضّه على مسايرة النصارى ومجاملتهم .

فاخذ البطريرك تلك التوصية شاكراً للامير فضلهُ وحفاوتهُ وعاد الى ابرشيّته مسروراً ظافراً واستلم الكنائس المغصوبة . ولما كانت السنة ٨٣١ استصحبهُ الخليفة المأمون الى دمشق ومصر وكلّفه ان يصالح النصارى الاقباط . فوصل البطريرك ديونوسيوس الى مصر فخرج يوسف بطريرك القبط الى الفسطاط واستقبله ومضى به الى البشمور حيث كان النزاع والاختلاف قائماً على قدم وساق . فخرج الوجهاء لاستقبالها وجعل البطريرك ديونوسيوس ينصح لهم ويرشدهم حتى أطاعوا صاغرين . وجعل يوبخ الاقليرس خاصةً على بعض عوائد ذميمة سَرَت فيما بينهم اخصُّها انهم كانوا يبالغون في طمعهم بمال الشعب فيجمعونهُ من اي وجه كان ويؤدّونه للبطريرك لينصبهم اساقفة او مطارنة اذ كان يتعذر على اي كان ان يرتسم مطراناً قبل دفعه للبطريرك مائتي ليرة او ثلاثمائة ليرة ذهباً

وكتب ديونوسيوس البطريرك فصولاً ضافية وصف فيها ما شاهدهُ في وادي النيل من الغرائب والعجائب ولاسيما أهرامها العريقة في القدم ومن جملة ذلك قوله : «ان هذه الاهرام مبنيّة بحجار ضخمة كالرخام تحاكي حجار بعلبك المثلّثة طولُ الحجر الواحد زهاء ستين ذراعاً في ست اذرع عرضاً في مثلها سُمكاً وعلى راس الهرم كرسي من حجر طوله عشر اذرع فيكون علوّ الهرم كله سبعين ذراعاً (١ منقوشة فوقه من علوّه الى اسفله صور أصنام وكتابات حبريّة تتعذر قراءتها على علماء عصرنا(٢ »

وواصل بطاركة السريان والاقباط المراسلات حتى القرن الثاني عشر . فان يوحنا الرابع (٧٧٦–٧٩٩) كتب الى جرجس بطريرك انطاكية (٧٥٨–٧٩٠) يجدّد فيها

١) ان الاهرام الكبيرة ثلاثة وهي في الجيزة اكبرها هرم شيوبس طولهُ وعرضهُ الآن ٧٤٤ قدماً وعلوّه ٤٥٠ قدماً والثاني طوله وعرضه ٦٩٠ قدماً وعلوّه ٤٤٦ قدماً . اما الثالث فهو اصغرها . اما ابو الهول فطوله ١٩٠ قدماً . ويوجد غيرها من الاهرام الا ان ما ذكرناهُ منها اعظم شأناً . اما الكتابات التي رُقمت عليها فقد فكّها العلّامة الفرنسوي شمبوليون منذ مئة سنة بنيّف

٢) اطلب تاريخ الزهاوي (ف ٢٠٨ : ٢٢٥

اتحاده معه في الامانة وكان البطريرك جرجس قد أُلقي في السجن وجلس عوضه ابن احدى حظايا الخلفية ... ولما أُطلق من السجن كتب الجواب الى البطريرك الاسكندري (١ . وكتب يوحنا الخامس بطريرك انطاكية رسالة حبّية الى يوسف بطريرك الاسكندرية وارسلها مع مطرانَي حمص وحماة فتلقّاها بسرور وقرأها على مسامع الشعب وكتب لهُ جوابها

وقد ورد في مخطوط مكتبة كمبردج (عدد ٣٢٨٨) وهو كتاب اعتراف الاباء (ص ٩٣١) نتفٌ من رسائل عديدة تداولها بطاركة الاسكندرية وانطاكية . منها رسالة الانبا يوحنا بطريرك الاسكندرية الى قريافس بطريرك السريان الانطاكي (+٨١٧) . ورسالة قريافس المذكور الى الانبا مرقس بطريرك الاسكندرية . ورسالة ثاودوسيوس بطريرك السريان(+٨١٥) الى الانبا ميخائيل بطريرك الاسكندرية . ورسالة ديونوسيوس بطريرك انطاكية (+ ٩٠٩) الى الانبا خاييل بطريرك الاسكندرية . ورسالة غبريال بطريرك الاسكندرية الى يوحنا (السادس) بطريرك انطاكية (+ ٩٢٢) ورسالة الانبا قزمان الى باسيليوس الاوّل (+ ٩٣٥) وجوابها . ورسالة الانبا مقار بطريرك الاسكندرية الى يوحنا السابع بطريرك انطاكية(+٩٥٣) . ورسالة ديونوسيوس الثالث (+ ٩٦١) الى مينا بطريرك الاسكندرية . ورسالة مينا المذكورة الى يوحنا التاسع(+٩٨٦) وجوابها . ورسالة يوحنا المذكور الى مينا البطريرك وفيها يستشيره في الذهاب الى القسطنطينية للنظر في مسائل الدين . ورسالة فيلتاوس بطريرك الاسكندرية الى ديونوسيوس الرابع (+ ١٠٤٢) والى اثناسيوس السادس (+ ١٠٦٤) وجوابها . ورسالة يوحنا الثاني عشر (+ ١٠٧٣) الى زخاريس بطريرك الاسكندرية وجوابها . ورسالة الانبا سانوتيوس بطريرك الاسكندرية ومصر الى ديونوسيوس الخامس (+١٠٧٩) . ورسالة الانبا خرسطودولس الى يوحنا الرابع عشر (+ ١٠٨٧)

ولما ارتقى ميخائيل الكبير الى الكرسي الانطاكي على السريان سنة ١١٦٧ ارسل صورة ايمانه الى بطريرك الاسكندرية طبقاً لعادة اسلافه . ذلك كلّهُ برهان مقنع على اتحاد الكرسيّين وعلى اتفاق كلمتها في الرأي والمعتقد (لهُ صلة)

١) تاريخ القبط (ص ٤٣٦)

مطبوعات شرقية جديدة

PUBLICATIONS PIERRE TÉQUI. Paris, rue Bonaparte, 82. S'adresser à Beyrouth à la Librairie Chéhab «le Foyer»

I Mgr Laveille et l'abbé C. Collin: Gabriel Deshayes et ses familles religieuses. *in*-8°, *pp.* 580, *Prix* 12 *f*

سيرة جبرئيل ديزهاي وجمعياته الرهبانية

هذه سيرة احد كهنة فرنسة الذي توفي منذ نحو ٨٠ سنة فأدّى لدينه ولوطنه خدماً متعدّدة سواء كان باعماله الشخصيّة ام بالجمعيّات الاربع التي انشأها فادارها بغيرة عجيبة. فانّ من يطالع هذا الكتاب يأخذه الدهش لدى نظره رجلاً واحداً امكنهُ القيام بكل هذه المشروعات التي دبّرها بحكمة وثبّت اركانها حتى انّها لا تزال بعد موته زاهرةً نامية. فشكرًا للسيّد لاڤايل وللكاهن كولين اللذين خلّدا بهذا الكتاب ذكر ذاك الرجل العظيم والكاهن القديس

II R. P. Jouhó: Une Mystique dominicaine la Vénérable Mère Agnès de Langeac, *in*-12, *Prix* 6 *f*

الراهبة المكرّمة اغنس دي لنجاك

هذه زهرة اخرى نمت في حديقة كنيسة فرنسة في القرن السابع عشر جعلت همّها العناية بتقديس الكهنة وساعدت المسيو اوليه (Olier) منشئ جمعيّة سان سولپيس في تهذيب الاكليروس. فادراكاً لهذه الغاية قدّمت نفسها وراهبات ديرها «لنجاك» كضحايا لله كي ينلن منهُ تعالى بصلواتهنّ واصوامهن وتقشّفاتهنّ تلك النعمة الجزيلة التي رقّت الاكليروس الفرنسوي الى اوج الكمال. وفي تفاصيل هذا الكتاب ما يكشف القناع عن فضائل تلك الرئيسة وسموّ قداستها كما انهُ يدلّ على عظمة الدعوة الاكليريكيّة وشرفها ل. ش

III R. P. Ed. Hugon: L'Apostolat Missionnaire de la France. I *vol. in*-12, *pp.* XXV-310, *Prix* 7 *f*

روح الرسالة في فرنسة

كلّنا يعلم ما لفرنسة من الفضل في خدمة الارساليّات في العالم وما تتكلّفهُ لنشر

الدين في انحاء المعمور سواء كان بجسناتها ام بغيرة ابنائها. وها هوذا كتاب ممتع يبيّن ذلك باجلى دليل اذ يصف اعمال المرسلين الفرنسويين في جميع اقطار العالم فيردون الى الايمان القويم كلّ سنة الالوف المؤلّفة من الوثنيين ومن الضالّين . وحيثما ترسخ قدمهم ترى التمدّن الحقيقي يسير بجانبهم فيزول الشرّ وتنمو الآداب وتزدهر الفضائل ويبارك الشعوبُ الكنيسةَ اصل كلّ خير وصلاح. نحضّ كل القرّاء على مطالعة هذا الكتاب ليقفوا على فضل الكنيسة الكاثوليكيّة وخصوصاً على مرسليها الفرنسويين الذين بعرق جبينهم وبدمائهم يزرعون الزرع الجيد في حقل ربّ البيت ثم يحصدونه بالفرح

IV **Arnaud d'Agnel** (Abbé) et d'Espeney (Docteur): PSYCHOLOGIE ET PSYCHOTÉRAPIE ÉDUCATIVES. *In*-12, *pp.* 608, *Prix* 12 *f*.

فنّ تربية النفوس وعلاجها

هذا فنّ جديد قلّما يُعنى به مهذّبو الشبيبة من اهل واقارب واساتذة فاجتمع كاهن وطبيب ليدرسا درساً تامّاً وافياً النظر في احوال الاحداث وطباعهم وتنازعهم وحركاتهم وسكناتهم وسائر امياله [illegible] هذا الكتاب الممتع الذي يحسن [illegible] العيال والمدارس ان يرتشدوا به في تهذيب الشبيبة. فان مؤلّفيه درسا موضوعهما من كل وجوهه وبحثا عن كل قوى النفس والجسد وخواصّها في الصغار ودلّا على الطريقة لتنميتها وتحسينها وعلاج ادوائها. فيا حبّذا لو يجعل المتولون لتربية الاولاد هذا الكتاب كدستورهم اليومي في عملهم المتوقّف عليه مستقبل الوطن فيتكيّف بكيفيّتهم ان خيراً وان شرّاً ل. ش

Const. G. Papadopoulos: Les Privilèges du Patriarcat Œcuménique dans l'Empire Ottoman. *Gr. in*-8°, *pp.* 386, *Paris*, *Guillon*, 1924

امتيازات البطريركيّة المسكونيّة في الممالك العثمانيّة

انّ احوال البطريركيّة الاورثذكسيّة الحاضرة في الاستانة دفعت صاحب هذا الكتاب الى تصنيفه وهو يُقسّم الى ثلثة اقسام: بحث في القسم الاوّل عن اصل الامتيازات الممنوحة من السلاطين لبطاركة الفنار منذ فتح القسطنطينيّة سنة ١٤٥٣.

وفي الثاني عن مضامينها سواء كان من جهة الدين ام من جهة التدبير والقضاء. وخصّ القسم الثالث بالماكسات التي قامت في وجه تلك الامتيازات قديماً الى معاهدة لوزان الحاضرة. وليست هذه المعلومات مجهولة وانما جمعها المؤلف من كتب شتى تقريباً لطالبيها وتسهيلاً لمراجعتها فربح بذلك شكر الباحثين عن هذه المسألة العويصة. على انّنا وجدنا خللاً كبيراً في طبعها فكثرت فيها الاغلاط لفظاً ومعنى. وزد على ذلك انّ المؤلف اتّسع في امور دقيقة قليلة الفائدة يملّ منها القارئ. وقد نقل نصوصاً سقيمة لم يُحسن انتخابها فعرضها دون انتقاد كالمنقول عن احد كتبة اليونان المعروف بعاداته للكنيسة اللاتينيّة وللبسوعيين خصوصاً وهو باباريغوبولس (Páparrigo-poulos). ومن اغلاطه ما نقله عن الكاتب الجليل ڤندال (A. Vandal) فنسبهُ الى القرن التاسع عشر وهو يصحّ فقط عن عهد لويس الخامس عشر وغير ذلك ممّا يُضعف ثقة القرّاء بهذا التأليف الضخم الاب جان كابلّو

R. P. Millon S. J. Pour mieux communier. Méditations quotidiennes sur l'Eucharistie. *In*-32. 1924, *Edit. Spes, Paris, Prix*, 5 f.

تأمّلات للاستعداد الى المناولة

ان تواتر الشبيبة لتناول القربان يقلّل فيها الاستفادة من هذا السرّ العظيم ان اكتفت بتلاوة بعض الصلوات المعتادة. فسدّاً لهذا النقص وضع الاب مِليون اليسوعي هذا الكتاب ليجد فيه المتقرّب كلّ يوم بعض الافكار التقويّة يغذي بها نفسهُ قبل المناولة وبعدها. وهي تأمّلات وجيزة يحسن بقارئها ان يمعن فيها النظر بعد عباراتها فيطبّق عليها عواطف نفسه ج. ل

Vezinet (F.): Le XVII° siècle jugé par le XVIII° : recueil de jugements littéraires et annotés. 1 *vol. in*-8°, 1924, *Paris, Vuibert*

أحكام القرن الثامن عشر في القرن السابع عشر

زعم بعض المتطرّفين انّ القرن الثامن عشر كان لفرنسة عصر رقيّها وعظمتها وهذا حكمٌ يردّهُ كبار الكتبة من ذلك القرن فانّهم يقرّون بتفوّق القرن السابع عشر. ولمّا كان الفضل ما يقرّ به الاعداء قد جمع المسيو ڤزينه في هذا الكتاب احكام اساطين القرن الثامن عشر كڤولتير ولاهرب وشمفرت ودالمبار وغيرهم التي

يصرّحون فيها بتقدّم سُلفائهم من مالبرب وكورنايل وراسين وموليار ولافونتان وبرالو الخ. ففي هذه الشواهد اللطيفة افضل دفاع لذلك العصر الذهبيّ الذي يحقّ لفرنسة ان تفتخر بهِ على سواه ج. ل

LES FLOTTES DE COMBAT pour 1925. 1 *vol. album*, (*Société d'Editions Géogr., Marit. et Coloniales, Paris. Prix.* 25 *f*

اساطيل الحرب

كان الملازم دي بالنكورت (de Balincourt) ينشر كلّ سنة كتاباً يصف فيهِ الاساطيل الدوليّة الى السنة ١٩١٧ فبطلت نشرتهُ وقتئذٍ وها هي اليوم قد عادت الى الظهور بعناية عمدة البحريّة العامّة. ولا شكّ انّ كلّ الذين تهمّهم امور الحروب البحريّة سيقبلون عليها ليقفوا على كلّ احوال الاساطيل البحريّة وما نالها من الرقي في هذه السنين الاخيرة في كلّ دولةٍ مع التحويرات التي قضت بها الاتفاقات الدوليّة في واشنغتون. وفي الكتاب عدّة تصاوير تمثّل معظم السفن المستحدثة بلوانٍ وتبيّن خواصّها. وذلك في مجموع لطيف حسن التجليد مُتقن الطبع ل. ش

C^t Malinov d G[illegible] Syrie Textes divers : Notions de Grammaire d'arabe parlé et Savoir-Vivre Musulman. *Damas, Impr. moderne K. Tawil, - Paris. Librairie Geuthner.* 8°, *pp. XLII*-145 *et* 159

دليل المترجم في سوريّة

منذ حلول جناب الكومندان مالينجو ربوع سوريّة لم يزل يسعى الى اتقان لهجة سوريّة العامّة ليتمكّن بذلك من مخالطة الاهلين ثمّ ليمهّد السبيل لمواطنيهِ كي يترجوا بهم فتحصل المنافع بالاشتراك في العمل. وهذا الكتاب ثمرة اتعاب جنابهِ قدّم عليهِ فصلاً واسعاً شرح فيهِ خواصّ اللغة العاميّة واختلافها عن اللغة الفصيحة فجاء بفوائد كثيرة لم يفطن لها حضرة الاب غصن في قواعدهِ الوجيزة. ثمّ ألحق بهذه النظريّات مفردات وتعابير ومحادثات وقطعاً شتّى مع تصوير لفظها بالحرف الفونجي وترجمها الى الافرنسية ليستفيد منها الوطني والاجنبي معاً. فترى ان غاية جنابهِ من وضع هذا التأليف غاية عمليّة خصوصاً لا يريد ان يمتهن بها اللغة الفصيحة التي

سيخصّها بتأليف آخر قريباً. ومع هذا القسم من كتابهِ قسمٌ ثانٍ اودعهُ كثيراً من الفوائد الجغرافيّة والتاريخيّة والعادات الشائعة في سوريّة ولاسيما بين المسلمين. ولعلّ جنابهُ بالغ نوعاً في ذلك بوصفهِ ما لا يحتاج اليهِ العموم وهو خاصّ بالشرع الاسلاميّ او بالاطبّاء. وللكتاب غلاف جميل وانّما اساء الطبّاع بتصحيف بعض الفاظهِ. وما الكمال الّا لله ل. ش

ETAT DU GRAND-LIBAN. Annuaire Médical pour 1921-1924. *Impr. Cath.*, 1925, 4°, pp. 89 *avec* 8 *Graphiques*

نشرة طبيّة لدولة لبنان الكبير لسنيها ١٩٢١–١٩٢٤

تلقّينا بلّ الشكر نسخةً من هذه النشرة الحافلة بالمعلومات عن كل احوال لبنان الطبيّة للسنين الاربع الماضية. وسنتّسع في بيان خواصّها لدى اطلاعنا على ترجمتها العربيّة قريباً ان شاء الله

L'AMI DE LETTRE, Année littéraire et artistique pour 1925. *In*-16, 1925, *Paris, Editions G. Crès et Cie*

صديق ليتره: نشرة ادبيّة وفنّيّة

للمجلّات الفرنسويّة الكبرى نشراتٌ ملحقة بها مختصّة بالاداب والفنون. من جملتها النشرة المعنونة «بصديق ليتره» تذكاراً للكاتب ليتره الشهير بتآليفهِ الفنّيّة. وهي قد بلغت سنتها الثالثة فاطّلعنا على اعدادها للسنة الحاضرة فوجدناها كثيرة المعلومات غنيّة بالاوصاف الفنّيّة على انّنا وجدنا بين تصاويرها ما لا يليق عرضهُ على الشبيبة ج. ل

Alfred Poizat: Pour l'Humanisme. *In*-16 *s. d., Editions Spes, Paris, Prix* 8 *f*

لخدمة الأدبيات المستحدثة

هذا مجموع مقالات متفرّقة نشرها المسيو پوازا في عدّة جرائد ومجلّات تتناول اوصاف مشاهير الكتبة الفرنسويين منذ القرون الوسطى الى عهدنا فيفرد لكلّ منهم درساً خصوصيًّا ويُبدي فيهم رأيهُ من حيث إنشائهم وطريقتهم الكتابيّة ويقابل

القدماء منهم بالمحدثين ليبيّن ما يوجد بينهم عن ائتلاف الافكار وتباينها. وقد وجدناهُ متطرّفاً في أحكامهِ فلا يجوز قبولها دون تحفُّظ ج. ل

Giuseppe Stefanini : I POSSEDIMENTI ITALIANI IN AFRICA. Libia, Eritrea, Somalia. *Gea, Collezione d. Monografie Geografiche, n° 3, Firenze, C. Bemporad e Figlio*, 1923, *Prix Lire* 7, 50

املاك ايطالية الافريقيّة

سبق لنا ذكر كتاب اناطولية الجغرافيّ الذي صدر من مجموع الطبّاع غيا (Gea). وهذا كتاب آخر مثلهُ فائدةً اودع فيه المؤلِف كل ما يُحتاج الى معرفته عن املاك ايطالية في افريقية اعني ليبيا واريثريّة وصومالية وهي بلاد لاتزال في الغالب مجهولةً. وممّا استحسناهُ الخارطة الملوّنة المودعة فيهِ لبحر اريثريّة مع ستّ خوارط اخرى سوداء.

ALMANACCO ITALIANO 1925, *in*-12, *Firenze*, R. *Bemporad e Figlio Prix, Lire* 6

تقويم ايطالي لسنة ١٩٢٥

ذكرنا في العام الماضي (المشرق ٢٢: ٥٥٢) هذا التقويم ووفرة معلوماتهِ وانتشارهُ في ايطالية وغيرها وهذه السنة الثلثون لظهورهِ وهو لا يقلّ فائدةً عمّا سبق فانّ فوائده عمليّةٌ يوميّة لا يُستغنَى عنها في كلّ فصول السنة مع ما يحتويهِ من النظامات الدولية والاحصاءات المختلفة ج. ل

محاضرات المجمع العلميّ العربي بدمشق : ١٣٤٣—١٩٢٥ (ص ٣٧٥)

الجزء الاوّل : المطبعة الحديثة في دمشق

هذا مثال جديد من همّة اعضاء المجمع العلمي العربي في الفيحاء يحتوي على ١٧ محاضرة ممّا القاهُ اصحابهُ الافاضل ليستمتعوا بمضامينها القرّاء بعد ما شنّفوا بها مسامع الحضور. وكفى بالدلالة على عظم شأنها اوّلاً ذكر الخطباء الذين فاهوا بها وكلّهم من ذوي الاداب الراقية والمعارف الواسعة ثمّ التنويه بمواضيعها التي تتناول العلوم المختلفة من تاريخ وأدب وطب وحقوق واجتماع واقتصاد وصناعة. نفع الله ابناء الوطن باعمال المجمع العلميّ زمناً طويلاً

الانتداب وروح السياسة الانكليزيّة

لراشد افندي طبّاره

طُبع في مطبعة طبّارة سنة ١٩٢٥ (ص ٢٦٨)

المؤلف احد طلبة كليّتنا هو مأذون معهدَي العلوم السياسيّة والحقوق في باريس فأحبَّ ان يجعل باكورة تآليفهِ النظر في الانتداب الحديث الذي اتّفقت عليهِ الدُّول بعد الحرب. وقد مرَّ لنا فيهِ كلام سابق وبيَّنّا خواصَّهُ وحقوقهُ وانَّما خصَّ جناب الكاتب درسَهُ بالانتداب في نظر انكلترَة التي تطمح الى وضع يدها على البلاد التي تحكم فيها . وفي كلامهِ ما يُشعر بنفورهِ من الانتداب فيعدُّهُ كنوع من الاستعباد. وعلى ظنّنا انهُ يبالغ في حكمهِ خصوصاً في جانب فرنسة التي يعدُّ المنصفون انتدابها نعمةً ريثما تقوى البلاد على سياسة نفسها. وعلى كلّ حال لا ننكر ما افرغهُ المؤلف من المجهود في درس هذه المسألة وبيان نتائجها

كتاب باقة ورود

جمعهُ ورتَّبهُ فرج روحايا

طُبع بالمطبعة السريانيّة الكاثوليكيّة في بغداد سنة ١٩٢٤ (ص ٤٠٠)

نعم الكتاب شكلاً وصورةً ومعنًى اودعهُ جامعهُ التقيّ افضل الصلوات والرياضات والتأملات والاناشيد التي يستحبّها المؤمنون لاسيما من اهل العراق . والكتاب مُتقن الطبع بإطار لكل صفحاتهِ مع عدّة تصاوير تقويّة . يُطلب من حضرة الخوري عبد الاحد جرجي مدير نشرة الاحد في المطبعة المذكورة وثمنهُ بغلاف مع اجرة البريد ١٢ فرنكاً

مجموع الصلوات والعبادات والشركات التقويّة والاناشيد الروحية

لاستعمال تلامذة المدارس

طُبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٢٨٣)

وهذا كنز آخر للمتعبّدين وُضع خصوصاً لطلبة المدارس فيحتوي ما يروق للناشئة في رياضاتهم التقويّة. والدليل على اقبالهم عليهِ نفود طبعه بتجديد هذه الطبعة التي اضاف اليها جامعها الفاضل حضرة الاب ي. علوان كثيراً من الصلوات ل. ش

شذرات

﴿المناولة الفصحية في الطوائف الشرقيَّة﴾ ارتاب البعض في جواز المناولة الفصحيَّة لذوي الطوائف الشرقيَّة في غير طقسهم حتى ارجبوا عليهم الخطأ المميت ان خالفوا. فوجَّه القاصد الرسولي في مصر السيد اندريا كاسولو الى جميع رؤساء الطوائف الكاثوليكيَّة في القطر المصري رسالةً تلقَّاها من المجمع المقدَّس الموكول بامور الكنائس الشرقيَّة تاريخها ٢٢ آذار الاخير جاء فيها : « انَّ ما سُنَّ في الحق القانوني الجديد بخصوص المناولة الفصحيَّة في الفقرتين ١ و٢ من القانون ٨٦٦ يُطلَق على المؤمنين المنتمين الى الطوائف الشرقيَّة المختلفة كما يُطلق على اللاتين» . وهذا تعريب القانون المذكور : ١ً يجوز لكل المؤمنين من أيَّة طائفة كانوا ان يتناولوا القربان المقدَّس من باب التقوى على الطقس الذي يريدونهُ . ٢ً ولكن ليحرُص المؤمنون على ان يوفوا وصيَّة المناولة الفصحيَّة كلٌّ على طقسهِ . والجواب المذكور صدَّق عليهِ قداسة الحبر الاعظم في مقابلة ١٩ شباط الماضي بعد ان بُحثت فيهِ لجنة كرديناليَّة خاصَّة (راجع عدد البشير الصادر يوم الثلثاء في ٢١ نيسان وفيهِ نصُّ الجواب بحرفهِ في اللغة الايطاليَّة)

﴿تأريخ جديد للبنان﴾ سُررنا بما اعلن به جناب ابرهيم بك الاسود من نشرهِ قريباً تاريخ جديد للبنان ولعلمنا بقدرة المؤلف وسعة اطلاعهِ على احوال لبنان واعتدالهِ في الحكم عن امور الجبل لا نشكُّ في انَّ الكتاب سيكون وافياً بالمرام. فنتلقَّاهُ بالسرور والشكر

﴿اليوبيل الذهبي للشيخ عبَّاس﴾ بلغنا انَّ السيد المفضال الشيخ عبَّاس الازهري بلغ سنة يوبيلهِ الذهبيَّ فتألَّفت لجنة خصوصيَّة لتهنئته بهذا العيد البهيج فنضمُّ صوتنا الى اصوات اصحابه وتهانئنا الى تهانئهم وقد عرفنا ما لجنابهِ من الفضل الكبير والخدم المتعدِّدة في جانب الآداب . جزاهُ الله خيراً عن مساعيهِ الطيِّبة واطال بقاءهُ لشرف الوطن

﴿كتابات سينا﴾ خُدع بعض المتسرِّعين الى حلِّ رموز الكتابات المكتشفة في

جبل سينا قبل بضع من السنين فوجدوا شبهاً في بعض حروفها بالحروف الارامية فبنوا على ذلك الاوهام الغريبة فمنهم من رقّاها الى عهد موسى النبيّ بل ادّعوا انها تحتوي تاريخهُ وتاريخ بني اسرائيل . والصواب انَّ هذه الكتابات لم يُعرَف حتى اليوم شيء صحيح من امرها ولم يتوفَّق احد الى قراءتها والى بيان مضامينها

﴿الاب اليسوعي مَرْكِت ومدينة شيكاغو﴾ الاب مركِتْ مُرسل فرنساوي يسوعي في اميركة الشمالية واوّل اوربّي اكتشف سنة ١٦٨٢ نهر مسيسيبيّ ونزل على شواطئ بحيرة مشيغان فابتنى اوّل كوخ لسكنى البيض في المكان الذي مبنيَّة فيهِ مدينة شيكاغو البالغ عددها اليوم مليونين من البشر . وفي خطاب حديث ألقاهُ رئيس الولايات المتحدة السيد كولدج أطرأ ذلك الرسول المتفاني وبالغ في الثناء عليهِ

﴿تطرُّف مجلّة العرفان﴾ ذكرنا في عددنا السابق ما اتت بهِ مجلّة العرفان من الغرائب في اليسوعيين وسكناهم ارض تعنايل وكارا وفي نسبتها الى الجنرال ڤيغان خلوَّه من «عمل محسوس» وفي زعمها «انَّ الاسبانيّين حرقوا مليوناً وخمسين الف مجلّدًا من كتب المسلمين» (كذا) وانهم «اتلفوا سبعين الف مكتبة من مكاتب الاندلس» (كذا) واستشهد بكاتب لا وجود لهُ في الكون دعاهُ «فندي» (كذا) . ولما فندنا هذهِ المزاعم التي يظهر بطلانها لاوّل وَهلة لكلّ عاقل التجأ صاحب العرفان كعادتهِ الى الجلبة والصراخ ورمانا بالتعصُّب . فان كان هذا هو التعصُّب فما أرضانا بهِ وما أحلاهُ في عيننا فليَدَعْنا ما شاء «بالقس المتعصب» ويفتخر بتساهلهِ المعروف . أمّا قولهُ «انّنا لعناهُ» وخالفنا بذلك وصيَّة السيّد المسيح فذلك من سفاسفهِ المألوفة ليستر عن القرّاء عجزهُ عن الجواب

﴿العلم والتخيّل﴾ افتتحت مجلّة المقتطف عددها الرابع في ابريل بمقالة في «اصل الانسان» افتتحها كاتبها بقوله :

« مسكنا القلم ونحن بين عاملَين عامل القيام بحقّ العلم . . وعامل النظر الى الذين يسوءهم ان يقال لهم ان الانسان في جسمهِ حيوان مثل سائر انواع الحيوان ولو كان ارقى منها كلها وهو بالعقل لا بالجسم انسان فرأينا الوفاء بحقّ العلم اولى »

فيا حضرة محرّر المقتطف ايّ فيلسوف بل ايّ انسان عاقل تنكر عليك « انَّ الانسان بجسمهِ حيوان » وانهُ «بالعقل لا بالجسم انسان» ؟ وكيف يقول دوكتور

بالفلسفة مثل هذا القول ؟ أو يجهل احدٌ التحديد الفلسفيّ للانسان «انهُ حيوان ناطق» . او قولُك هذا من العلم الذي تريد الوفاء بحقّهِ ؟ . لا نخالك تجهل يا جناب الكاتب انَّ المسألة بيننا وبين الدروينيّين ليست هذه بل إثبات تسلسل الانسان من الحيوان . والفرق بين المسألتين كالفرق بين الثريّا والثرى . فمتى امكن صاحبَ المقتطف او صاحبَ مجلّة الهلال (راجع مقالتهُ في وجود الحلقة المفقودة في ابريل ص ٧٣٥) او كاتبَ الكليّة (في عدد آذار ص ١٩٣ : مذهب النشوء) ان يثبتوا لنا انَّ يوماً من ايّام الدهور السابقة نشأ حيوانٌ ناطق من حيوان غير ناطق وابتدأ بتركيب جملةٍ صغيرة من مبتدأ وخبر كقولهِ مثلاً «انا جائع . انا عطشان» عدلنا الى رأيهم . ولولا ذلك ثبتنا على معتقدنا بانَّ الله هو المكوّن الاوّل للجسم البشري كما هو المكوّن الوحيد لنفس الانسان . وكأن صاحب المقتطف شعر بشططهِ فصوَّر لنا صورة انسان وحشيّ شبيه بالقرد مع والدٍ صغير . ونبَّه القارئ بقولهِ «انَّ كلّ ذلك تخيُّل» فان كان تخيُّلاً فكيف يجعلهُ من العلم ؟

﴿مشهد موريس بارس في كليّتنا﴾ اطّلع تلامذة كليّتنا القدماء على ما قالهُ موريس بارس (Maurice Barrès) من مشاهير اعضاء المجمع العلمي في باريس والمتوفّى حديثاً عن وطنهم لبنان فاكتبوا ليفيدوا لهُ مشهداً شكراً لهُ على حسن ظنّهِ ببلادهم وذكرهِ بالخير لاساتذتهم اليسوعيين . وسيدشّن المشهد في ٣ من هذا الشهر في مسرح الكليّة يوم يوبيل الكليّة الذهبيّ

ثلثة آثار نفيسة

١ ﴿التضحية بطلها يوسف الشنتيري﴾ هو الخطاب الذي القاهُ جناب الحكيم امين الجميّل في ١١ ت ٢ سنة ١٩٢٤ في ردهة اخويّة القديس يوسف فأحيا بهِ مآثر يوسف الشنتيري ذاك البطل الذي دافع مع الطيّب الذكر ابي سمرا غانم عن حقوق وطنهِ فخلّد كلاهما لهُ ذكراً لا يمحوهُ الدهر (نقلاً عن مجلّة المسرّة . ص ٢٩)

٢ ﴿انشودة العرس في الشهباء﴾ بقلم القسّ جبرائيل بخاش طُبعت اوّلاً في مجلّة المسرّة فأماط حضرتهُ النقاب عن رموزها الخفيّة ببيان اصلها السريانيّ

٣ ﴿خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن السنة ١٩٢٤﴾ طبعت في مطبعة مكتبة صادر سنة ١٩٢٥ (ص ٥٣)

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا هل كان للرهبانيّة اليسوعيّة في رسالتها الاولى في القرن السابع عشر دير في بيروت . ومتى دخلتها في رسالتها الجديدة في القرن التاسع عشر ؟

الرسالة اليسوعيّة في بيروت

ج كانت بيروت في القرن السابع عشر بلدةً صغيرةً قليلة النصارى يخدمهم من المرسلين الفرنج بعض الآباء الكبوشيين . امّا اليسوعيّون فكانوا يسكنون في صيداء وطرابلس وعين طورا واذا مرّوا ببيروت نزلوا ضيوفاً على الآباء الكبوشيين وفي ديرهم مات ميتة الابرار رئيس رسالتنا الاب يوحنا اميو (J. Amieu) في ٦ ت٢ ١٦٥٣ ودُفن في مقبرة الموارنة القريبة من كنيستهم القديمة . وفي القرن الثامن عشر استأجر اليسوعيّون نزلاً كانوا يحتلّونهُ من وقت الى آخر فيعظون في كنيسة الموارنة المجاورة لكنيسة الروم بل كان اسقف الروم يدعوهم للوعظ في كنيسته وفيها وعظ الاب بطرس فروماج . امّا احتلال اليسوعيين في بيروت في الرسالة الجديدة فوقع سنة ١٨٤١ في ارض واسعة كانت خارج اسوار المدينة شرقيّها . كان ابتاعها الاب مكسليان ريلو البولوني المعروف بالاب منصور في السنة ١٨٣٨ فتمّ بناء الدير وفتحوا فيه مدرستهم الاولى

س وسأل شمّاس حلبي مستفيد ما الفرق بين الشماس والشدياق وهل يدلّ كلا الاسمين على درجة خصوصيّة في الكنائس الشرقيّة كما في الكنائس الغربيّة

الشمّاس والشدياق

ج المعنى الشائع اليوم لهذين الاسمين لا يكاد يتجاوز معنى المنتظم في سلك طلبة الكهنوت . وان طُلب منّا معناهما بالحصر أجبنا انّ الشمّاس لفظة سريانيّة (ܫܡܫܐ) معناها في الاصل الخادم ثمّ أطلقوها على خادم الكنيسة عموماً ثمّ على المرتبط باحدى الدرجات السابقة للكهنوت وخصوصاً خادم القدّاس ومساعد الاسقف من درجة الشمامسة السبعة الذين اقامهم الرسل ومنهم القديس اسطفانوس (اعمال ف٦) . امّا الشدياق فلفظة يونانيّة اصلها ابوديا كون (ὑποδιάκονος) اي دون الشماس وتحت تدبيره ودرجة الشماس بمعناها المحصور تُعدّ من الدرجات العليا في الكنائس الشرقيّة والغربيّة فلا يجوز الاقتران بالزواج معها . امّا درجة الشدياق فهي من الدرجات العليا في الكنيسة الغربيّة ومن الصغرى في الشرقيّة

ل . ش

المشرق

المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر

في القاهرة

للاب جبرائيل لوفنك ممثل كليّة القديس يوسف

تلقّت كليّتنا البيروتيّة بالشكر في اوائل السنة الجارية دعوة اللجنة المؤلفة في مصر لتنظيم هذا المؤتمر فلم يشأ رؤساؤها ان تتأخر عن ذلك الاجتماع الخطير فعرضوا على كاتب هذه الاسطر ان يلبي الدعوة فيمثل الكليّة بصفته مدرّس الجغرافية والتاريخ. فتحفّزنا الرحيل في ... وانتقلنا بسكّة حديد فلسطين الى القاهرة في ٣٠ من الشهر. وكان حضرة الاب بولوتي مدير مرصد كسارا تعيّن كذلك لحضوره فقصد مصر بحرًا فبلغها بعد افتتاح المؤتمر الذي وقع في اصيل النهار من يوم الاربعاء اوّل شهر نيسان حيث اجتمع اعضاء المؤتمر في نادي الاوبرا المصريّة الواسع الارجاء. وقد اجلسونا على دكّة مرتفعة حول رئيس المؤتمر الجنرال فاكلّي (Gal Vacchelli) وكان على جانبيه تلميذ كليتنا سابقاً ورئيس الوزارة المصريّة حاضرًا صاحب الدولة زيور باشا ورئيس لجنة تنظيم المؤتمر صاحب الدولة عدلي يكن باشا ورؤساء وفود اربع دول اي الاميركيّة والفرنسويّة والايطاليّة واليابانيّة. وما لبث ان دخل جلالة ملك مصر فؤاد الاوّل فاستقبلهُ الحضور باصوات الفرح وشارات التجلّة فاعلن باللغة الفرنسويّة افتتاح المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر.

لمحة في المؤتمرات الجغرافيّة الدوليّة

وقبل ان نسرد كلامنا عن جلسات المؤتمر وما دار فيها من الابحاث لا بُدَّ ان

نذكر هنا خلاصة تاريخ المؤتمرات الجغرافيَّة الدوليَّة والداعي الى عقد هذا المؤتمر الاخير في القاهرة فنقول :

انَّ اتساع العلوم الجغرافيَّة في هذه القرون الاخيرة ولاسيما اكتشاف اواسط افريقية في القرن التاسع عشر استدعى الدول الى ان تجمع قواها في درس كرتنا الارضيَّة وتعريف ما اودعهُ فيها الله من الاسباب لترقية البشريَّة ماديًّا واقتصاديًّا وادبيًّا. فكان نعم الفكر سبقت اليهِ بلجكة فعرضت حاضرتها انترس ليجتمع فيها علماء الدول فيتباحثوا في كلّ ما ينوط بالعلوم الجغرافيَّة فكان اوَّل مؤتمر دولي عُقد هناك في السنة ١٨٧١ واجمع اعضاؤهُ على ان يستأنفوا عقدهُ كلّ ثلاث الى خمس سنوات. وقد اشتهر بين هذه المؤتمرات المؤتمر الثامن في واشنطون سنة ١٩٠٤ وتبعهُ التاسع في جنيفة سنة ١٩٠٨ فكان التمام الاخير في رومية سنة ١٩١٣ . ولكل هذه المؤتمرات مجموعة تروي تاريخها وآثارها . وذلك فضلًا عن مؤتمرات أُخرى خاصَّة ببعض الدول مفردةً باشرت بها المانية سنة ١٨٨١ ثمَّ فرنسة ثم ايطالية كلّ منها لأملاكها ومستعمراتها الخصوصيَّة

وكان المنتدبون الى المؤتمر العاشر في رومية اتَّفقوا في آخر جلساتهم في ٣ نيسان على ان يجعلوا المؤتمر الحادي عشر في بطرسبرج (اليوم بطروغراد او بطروليتين) سنة ١٩١٦ وذلك تلبيةً الى دعوة دولة روسيَّة التي بلَّغهم اياها الجنرال سكوكلسكي (Gal Schokalsky)

لكنَّ الانسان في التفكير والله في التدبير . فلمَّا كانت السنة ١٩١٥ وتنازلت لجنة التنظيم المتألفة لمؤتمر رومية عن سلطتها القانونيَّة للجنة الروسيَّة كانت الحرب الكونيَّة قد انتشر سعيرها الى معظم جهات اوربَّة . فلم تستطع روسيَّة تحقيق نيَّتها فاضطرَّت لجنة رومية ان تنتظر فرصةً اوفق لعقد المؤتمر ومدينةً اصلح لذلك المشروع الدولي الخطير

فرَّت السنون وحطَّت الحرب اوزارها ولم تجد اللجنة المذكورة طريقة لحلّ ذلك المشكل ولاسيما ان الحرب كانت وضعت حواجز بين الدول المتحالفة الظافرة والدول المركزية المادية المغلوبة فكيف بدعوة المتحالفين لاعدائهم وان لم يكن عداء في العلم ؟

وكانت الدول المتحالفة في اثناء ذلك استقلَّت بالعمل واجتمع اعضاؤها اوَّلًا في

لندن في تشرين الاوّل سنة ١٩١٨ ثم في باريس في تشرين الثاني منهُ ثم ثالثاً في بروكسل في حزيران سنة ١٩١٩ ليؤلفوا شورى دوليَّة للابحاث الجغرافية ويسعوا الى تأليف جمعيَّة دوليَّة غايتها درس المباحث المنوطة بالجغرافية. فقرَّروا بدلاً من المؤتمر الجغرافي الدولي تأليف ما دعوهُ بالاتحاد الجغرافي الدوليّ L'Union Géographique internationale عُهد اليهِ ان يضمّ الى جمعيَّة واحدة الجمعيَّات الخاصَّة في كل دولةٍ للبحث في الشؤون الجغرافيَّة الدوليَّة التي تحتاج الى مساعي دول شتى ولإعداد مؤتمرات دوليَّة مجدَّدة. وكانت اربع دولٍ بلجكة وبريطانية العظمى وفرنسة وايطالية قد تكاتفت لإتمام ذلك العمل

اختيار مصر للمؤتمر الجغرافيّ الدولي الحادي عشر

بينما كانت لجنة مؤتمر رومية والاتحاد الجغرافي الدولي يطلب كلاهما استئناف المؤتمرات الجغرافية الدوليَّة كانت مصر نالت استقلالها وجلس على عرش ملكها جلالة الملك فؤاد الاوّل فاراد ان يزين دولتهُ بفخر جديد وانتهز لذلك فرصة اليوبيل الذهبي لانشاء الجمعيَّة الملكيَّة الجغرافيَّة المصريَّة التي كان انشأها في عصر صاحب الجلالة والده الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ فرأى ان يعرض على لجنة رومية ان تستأنف مؤتمراتها في عاصمة وادي النيل وبهِ يتضاعف فرح المصريين بيوبيل جمعيَّتهم الذهبي وبضيافة علماء الدول في ربوعها لدرس الابحاث الجغرافيَّة الدوليَّة

فكان لهذه الدعوة الملكيَّة احسن وقع لدى اعضاء لجنة رومية فاجابت بكل طيب خاطر ملتمس جلالة الملك فؤاد ونُشر جوابهم في نشرة الجمعيَّة الجغرافيَّة الايطاليَّة (١ واعلن الملك انَّهُ يجعل الاحتفالين تحت رعايتهِ ثمَّ بادر الى تأليف لجنة لتنظيمها

على انَّ الاتحاد الجغرافي الدوليّ كان في اثناء ذلك جارياً على ما قرَّرهُ في لندن وباريس وبروكسل فعقد اجتماعهُ الاوّل في بروكسل في ١٥ و ١٦ نيسان سنة ١٩٢٤ وحضرهُ ممثلو ثماني دول بلجكة واسبانية وفرنسة وبريطانية العظمى وايطاليـة

١) اطلب النصّ فيها Bolletino della Reale Società Geografica Italiana, 1922, n° 3-4. pp. 106 et suiv.

واليابان وبولونية والبرتغال تحت رئاسة الجنرال ڤاكلي خلف البرنس رولان بونابرت المتوفى حديثاً

فحصل من وجود هاتين الجمعيتين بعض الفضول فكان لا بُدَّ من ادغامها لتوحيد القوى ومنع الشقاق واهتمَّ للامر بعض رجال برضى من الفريقين فكانت نتيجة توسُّطهم انَّ اللجنة المنظِّمة للمؤتمر في مصر قبلت حكم جمعيَّة الاتحاد الجغرافي عليها ورضيت جماعة الاتحاد الجغرافي بان تُدمَج في جمعيَّة المؤتمر الدولي . وبهذا الاندماج اصبح المؤتمر المصري معدودًا كالمؤتمر الدولي الحادي عشر على ما صرَّح به رئيسهُ الجنرال ڤاكلي ورئيس الاتحاد الجغرافي معاً فقال انهُ آخر حلقة من سلسلة المؤتمرات الدوليَّة العشر التي نشأت سنة ١٨٧١ في انفرس والحلقة الاولى لسلسلة جديدة تبتدئ بالمؤتمر الحالي وبيَّن الامر في خطابه قائلاً :

« ان مهمَّة تنظيم المؤتمرات الجغرافيَّة الدوليَّة سابقًا كانت تنتقل من دولة الى اخرى . وكانت الجمعيَّات الجغرافيَّة المختلفة تُنمّى في كلّ بلاد بهذا التنظيم وبذلك كان ينتقل مكتب المؤتمرات الدوليَّة من عاصمة الى أُخرى . نعم انَّ القوانين لم تكن لتختلف الَّا انَّهُ كانت لكل مؤتمر صورة خاصَّة . فكان لهذا الاسلوب فوائد من بعض الوجوه . لولا انَّهُ كان يؤدي في بعض الاحيان الى تنقيص الصبغة الدوليَّة المحضة والعلميَّة الصرفة التي ينبغي ان تتكيَّف بها هذه الاجتماعات الجغرافيَّة التي تُعقد في اوان معلومة

« وكان من نتائج الحرب الكونيَّة التي من دأبها ان تقطع الصلات الودّيَّة بين الدول انَّها اضعفت ايضًا العلاقات التي كانت تجمع علماء كلّ الدول في مجتمع واحد كما في عائلة واحدة . فرأينا لدى استئناف صلاتنا انَّ اختباراتنا السابقة ونظر احوال العالم الجديدة تدفعنا الى تجديد تلك الصلات وتوفيرها واستدعاء هيئات جديدة في تنظيمها »

الجلسة الافتتاحية وخُطبها

وكان اوَّل من خطب بعد اعلان افتتاح المؤتمر صاحب الدولة عدلي يكن باشا رئيس لجنة تنظيم المؤتمر وقد ألقى خطابهُ بالافرنسية شاكرًا لجلالة الملك تقليدهُ رئاسة اللجنة وذاكرًا ما كان لوالده اسماعيل باشا من الفضل بتأسيس الجمعية الجغرافيَّة في مصر . ثمَّ رحَّب بالمندوبين لحضور المؤتمر وخصَّ بالذكر اعضاء الاتحاد الجغرافي الدولي لجميل مساعدتهم في ازالة العقبات بينهم وبين لجنة المؤتمر الدولي

العاشر حتى نالت مصر شرف انعقاد المؤتمر في ربوعها وهو شرف قد استحقَّتهُ بما لطلبها من الفضل في الاكتشافات الجغرافيَّة

وعقبهُ في الخطاب الجنرال ڤاكلي فسرد بالايطاليَّة تاريخ المقاولات التي أدَّت الى استئناف المؤتمرات الدوليَّة السابقة للحرب مستبشراً بانعقادهِ في مصر وفيها نبغ جغرافيُّون ذوو شهرة واسعة كاراتوستينيس وبطلميوس بحيث يصحّ القول انَّ مصر كانت مهد علم الجغرافية كما أنها ارتشدت منذ قديم الزمان بمعارفها الجغرافيَّة لسياسة بلادها ولفتح البلاد البعيدة

ثم تلاهُ المندوب الاميركي الاستاذ ستيفنسن (Stevenson) فخطب بالانكليزيَّة في تاريخ علم الجغرافيَّة منذ اوَّل نشأتهِ المستدلّ عليها باقدم الكتابات كالاسفار المقدَّسة وشعر هوميروس في اسفار عوليس متتبعاً اثار اولئك الكتبة الى عهد اليونان والرومان والسريان ثمَّ العرب مبيناً انَّ لكل منهم فضلهُ من هذا القبيل

وخُتمت هذه الجلسة بخطابين افرنسيين الواحد لاحد اعضاء المجمع الفرنسوي والمعلم في مدرسة فرنسة العليا المسيو پليو (Mr Pelliot) والآخر لصاحب الدولة زيور باشا ذكر فيه اتحاد مصر الجغرافية وفضل اسماعيل باشا ونجلهِ الملك فؤاد الاوَّل في ترقية مصر وفضلها على الجمعية الجغرافية المصريَّة

وفي مساء النهار دعا جلالة السلطان المندوبين للمؤتمر الى بلاطهِ في عابدين وتحفَّى بهم وآنسهم . فكان هذا المفتتح للمؤتمر مدعاةً لسرور المندوبين الذين استبشروا بأوائلهِ خيراً

تعريف المندوبين والحضور

كان عدد هؤلاء المندوبين يبلغ على ما جاء في قرار رسمي نحو ٥٤٠ على انَّ كثيرين منهم لم يحضروا وانَّما اكتفوا بتسجيل اسمائهم بين المشتركين باعمالهِ وكان الحاضرون منهم بين ٣٠٠ الى ٣٥٠ . ولعظمهم شهرةً في عالم العلم والادب . وكانت البلاد الممثَّلة في المؤتمرة لا تقلّ عن ٣٣ بلداً . ثلثة منها في افريقية : مصر والجزائر ومراكش . وخمسة في آسية : سوريَّة وفلسطين والهند والعجم واليابان . وثمانية في اميركة : الولايات المتحدة والارجنتين والبرازيل وكندا وشيلي والمكسيك والپيرو

واوروغواي . و١٧ بلداً من اوربة : بريطانية العظمى وفرنسة واسبانية وايطالية وبلجيكة واسكتلندة واليونان وهولندة وايرلندة وليتوانية وبولونية والبرتغال وسويسرة ومونا كو وتشيكوسلوفاكية ويوغوسلافية . وقد امتازت بين هذه البلاد بعدد الممثلين فرنسة وايطالية وبولونية . فانَّ البولونيين وحدهم كانوا ٦٣ منهم ٥٠ من الاختصاصيين . وكان ما عدا الممثلين للدول بعض العلماء المرسلين الى المؤتمر باسم الجمعيَّات العلميَّة والكليَّات الجامعة . فكان ينوب عن الجامعة الاميركيَّة في بيروت الاستاذ أسد افندي رستم كما مثَّل الفقير عن كليَّتنا اليسوعيَّة

وكان يحضر الاجتماعات قومٌ من الادباء المحبّين للابحاث الجغرافيَّة بينهم السيّدات والاوانس . وكان بعضهم اتوا من البلاد الاجنبيَّة مستفيدين من الشروط الاستثنائيَّة الممنوحة لمن يحضر المؤتمر فقصدوا مصر لزيارة آثارها وطافوا البلاد باسعار متهاودة

اعمال المؤتمر

كانت مدَّة المؤتمر تسعة ايَّام قضاها المؤتمرون بين اشغال انتدابهم وبين حفلات اليوبيل الخمسيني فنذكر اوَّلاً اعمال المؤتمر ونشفعها بذكر الحفلات اليوبيليَّة

فكان اوَّل ما فكرت فيهِ لجنة تنظيم المؤتمر المركبة من ٣٣ عضواً انها وضعت برنامجاً لاعمال المندوبين وقسَّمت الابحاث الجغرافيَّة على خمسة اقسام لكل قسم منها رئيس ومكان معيَّن لاجتماعات اصحابهِ حيث تُلقى المحاضرات ويتباحث الحاضرون بما يتوط بمادَّتهم . وكانت المحاضرات التي استحضرها خطباء المؤتمر لا تقلُّ عن ١٢١ محاضرة كانت تتناول كلَّ العلوم الجغرافيَّة وفروعها الراجعة الى هذهِ الابواب : ١ً الجغرافيَّة الطبيعيَّة وما يلوح في ارضنا من الظواهر الجوِّيَّة : من حرّ وبرد وامطار وزلازل وبراكين نارية الخ . ٢ً الجغرافية البيولوجيَّة اي الحيويَّة التي تتناول المواليد الثلثة اخصّها النبات والحيوان . ٣ً جغرافية الانسان ايما يختصّ بهِ من حيث التاريخ والانتشار والعناصر . ٤ً جغرافية الاكتشافات من الرحَّالين والسيَّاح في مجاهل البلاد . ٥ً الجغرافية الرياضيَّة لاستحضار رسوم الارض وخرائطها واقيستها . ٦ً الجغرافيَّة الاجتماعيَّة والبحث في اوضاع المدن ومناطقها وسكَّانها ومواصلاتها . ٧ً الجغرافيَّة التاريخيَّة وما لكل شعبٍ من الحصَّة في ترقيتها . ٨ً وآخرها فنّ تدريس الجغرافيـة

وتصنيف الكتب لتعليمها في المدارس وتعميمها بين الشعوب

فمن مجرّد تقسيم هذه الموضوعات ترى ما كان للمؤتمر من عظم الشأن وها نحن نذكر على سبيل المثال بعض المحاضرات التي أُلقيت في اقسام المؤتمر الخمسة :

— القسم الاول — خطب المستر بَلّ (G. Ball) في ترقّي الابحاث من الصحاري المصريّة — وماك ليود (M. N. Mac Leod) في اصطناع خارطة للارض يكون مقياسها واحدًا من المليون — وبحث السنيور ريكياري (G. Ricchieri) عن اتّفاق الدول حاضرًا في رسوم اعماق البحار واسمائها

— القسم الثاني — حاضرَ المستر بوليغ (H. Baulig) في رسم جوانب استواء الاقطار — وتكلّم المسيو كوله (L. W. Collet) في البُحيرات والمسيو مونتاندون (Montandon) في توحيد الابحاث العلميّة لدرس الآفات الجغرافيّة — وبحث السير جون بارّي (Sir John Parry) في علاقة وصف المياه بفنّ الجغرافيّة — والاستاذ دي مرتون (E. de Martonne) في البلاد التي لا تنفذ مياهها الى البحر . والاستاذ مارينلّي (C. Marinelli) في السيول المنصبّة في البحر المتوسّط والعلاّمة دي مرجري (E. de Margerie) في خارطة افريقية الجيولوجيّة

— القسم الثالث — من المحاضرات التي جرت فيه محاضرةُ المسيو برتو (J. Barthoux) في مسالك الصحراء قديمًا . ومحاضرة المستر نيمكونا (S. Niemcowna) عن اختبارات علميّة في السياحات الجغرافيّة . ومحاضرة المستر رومر (E. Romer) في رسم الخرائط الاقتصاديّة . ومحاضرة المسيو ديمانجون (Demangeon) في نفوذ تقسيم الاراضي الزراعيّة في تأهيل البلاد

— القسم الرابع — خطب المستر فلور (E. F. Fleure) في تجارة اوربّة المجاورة للاتلنتيك قبل زمن التاريخ . وخطبنا نحن في التقلّبات التي جرت في اهل لبنان في القسم الثاني من القرن التاسع عشر . وبحث الاستاذ ستوليغو (K. Stolyhwo) في سحنة قدماء المصريين كما يُستدلّ على صورهم في مدافن مصر . وخطب الاب بوفيه لابيار اليسوعي (Bovier-Lapierre S. J.) من محطّات طرّانيّة اكتشفها شمالي حلوان وشمالي غربي مصر . والاستاذ الرومي ارفانيتاكي (G. Arvanitaki) في تأثير العنصر اليوناني في تمدُّن مصر الحديثة

— القسم الخامس — حاضر المسيو بلّيو في العلاقات القديمة بين مصر واقاصي الشرق . والسنيور فورلاني (G. Furlani) عن الخارطة التي يُرى رسمها في جغرافية الادريسي — والسنيور جاكوبوزّي (N. Jacopozzi) عن رواية دخول القديس فرنسيس الاسيزي على الملك الكامل في مصر . وتكلّم حضرة الاب الكسيس مالون اليسوعي من جغرافيّة سفر الخروج . والسنيور كلدريني (A. Calderini) في جدول اسماء البلدان المصريّة على عهد اليونان والرومان

فأُلقيت هذه المحاضرات وغيرها كثير في كل دائرة

وعُقدت اجتماعات أُخرى عموميّة كان مدارها عن شؤون المؤتمر العامّة والاعياد

الحسينية وتسهيل سبل التعارف والتعاون بين العلماء المختلفي البلدان . وكان اخص هذه الجلسات العمومية الجلسة الختامية في نادي الجمعية الجغرافية في آخر يوم المؤتمر في عصر الخميس ٩ نيسان وفيها تُلي على مسامع المندوبين اقتراحات تقرَّرت في كلّ لجنة من لجنات الاقسام الخمسة . هذه خلاصتها :

١ً من المرغوب ان تُنشر في كلّ سنة قائمة دوليَّة لكل التآليف الجغرافيَّة وان يُعهد بذلك الى الجمعيَّة الجغرافيَّة الفرنسويَّة التي انضمَّت اليها جمعيَّتا الاميركان والطليان الجغرافيَّتان

٢ً ان تُعقد لجنة خاصَّة في البحث عن خارطة ذات قياس ١ من المليون ليتقرَّر فيها ما يُعرَض عن هذا الامر لأعضاء المؤتمر الآتي الذي سينعقد في انكلترَّة سنة ١٩٢٨ كما اتَّفق عليه اعضاء الاتحاد الدولي الجغرافي

٣ً تجهيز ادوات السينما لعلم الجغرافية

٤ً جمع الفوائد المنبثَّة في الاوراق الموجودة في الدول المختلفة بخصوص المعلومات عن مصر في العهدين اليوناني والروماني (اقتراح السيّد كابوڤيلّا G. Capovilla)

٥ً تمنَّى السنيور فورلاني ان تُنشر الخرائط التي في جغرافية الادريسي بهمَّة الجمعيَّة الجغرافيَّة المصريَّة الملكيَّة تحت رعاية جلالة الملك فؤاد

٦ً تمنَّى غيرهم ان تُنشر بتمامها لائحة سُبور الارقيانوس التي عليها المستند في وضع خارطة غور هذه البحار

٧ً رغب الاستاذ ديمانجون في ان المؤتمر الآتي يصرف همَّتهُ الى درس المساكن البريَّة في خارج المدن

٨ً وطلب آخر نشر خارطة دوليَّة مورفولوجيَّة كان اتَّفق على وضعها مؤتمر جنيفة

٩ً وتمنى المؤتمر ان تنشر لائحة المسيو دي مارتون في المناطق التي لا تجري مياهها الى البحار

١٠ً ورغبوا ايضاً في تأليف لجنة دوليَّة للبحث في احوال البحر الاحمر

الحفلات العيدية

لخّصنا اعمال المؤتمر الجغرافي. فبقي لنا ان نذكر ما جرى في اثنائه من الحفلات البهجة سواء كان في ضيافة اهل المؤتمر ام في ذكرى اليوبيل الخمسيني للجمعيّة الجغرافيّة المصريّة الملكيّة

والحقّ يقال انّ جلالة السلطان وروساء لجنة التنظيم لم يألوا جهدهم في ايناس اهل المؤتمر وترويح بالهم من اتعاب السفر والشغل فانّ جلالة الملك فؤاد دعاهم الى بلاطهِ ليقضوا فيهِ ليلةً ساهرة ثمّ قدّم لهم عند الاهرام حفلة شاي توفّرت في كلتا الدعوتين اسباب الفرح

أمّا اللجنة فانها قامت احسن قيام بواجبات الضيافة. فانّها كانت اعدّت للمندوبين معاهد شغل مجهّزة بكل لوازم الكتابة والراحة بقربها مطعمٌ ثم مكتبٌ للبريد ومحطّةٌ تليفونيّة. وكانت السكك الحديديّة بتوسّط اللجنة منحت اوراق سفر المندوبين من الاسكندريّة الى القاهرة ومن فلسطين الى مصر بنصف القيمة. وكذلك احسنت تقسيم الجلسات وفرقت بينها بساعات فراغ لزيارة كلّ اثار مصر كالمتحف المصري ومصر العتيقة والمتحف العربي والمكتبة الملكيّة والقامة وشجرة (جتيزة) العذراء في المطريّة

وخصّ عصر الخميس الواقع في ٤ نيسان الحفلة باليوبيل الخمسيني للجمعيّة الجغرافيّة المصريّة. فتمّ ذلك في قاعة الجمعيّة حيث تصدّر رئيس امناء جلالة الملك بالنيابة عنهُ ثم مندوبو المؤتمر واعيان الدولة يتقدّمهم صاحب المعالي ذو الفقار باشا مع اعضاء الجمعيّة المصريين فعقدت هناك حفلة شائقة تجلّت فيها كل مظاهر الولاء والانس وألقيت الخطب البليغة مباشرةً بخطاب رئيسها المسيو فوكار (M' Foucart) الذي ذكر تاريخ تلك الجمعيّة ومآثرها. ثم عقبهُ روساء وفود الجمعيّات الجغرافيّة في لندن وباريس ورومية والمفوّض الاميركي في مصر واطرأوا كلهم اعمال الجمعيّة المصريّة واتّسعوا في ما ادّتهُ للعلوم الجغرافيّة من الخدم المشكورة التي تنطق بها مجلّتها الرسميّة. وقد خصّ المفوّضُ الاميركيّ خطابهُ بشخص حُسنَيْن بك الرحّالة المصري الشهير واهداهُ باسم الجمعيّة الجغرافيّة بفلادلفيا ارفع نوطٍ لهذهِ الجمعيّة وهي مدالية

«ايشا كنت كين» واعلن الجنرال فاكلي انَّ مجلس الاتحاد الجغرافي عيَّن حسنين بك كنائب رئيس الاتحاد. ثمَّ أُلقيت خطب اخرى فاه بها مندوبو بعض الدول كان آخرهم مندوب الدولة اليابانيَّة الذي تكلَّم بالانكليزيَّة

وكانت حفلة المؤتمر النهائيَّة ايضاً من الحفلات الفخمة بيَّن فيها اولاً صاحب السعادة مصطفى ماهر باشا نائب رئيس لجنة اعداد المؤتمر بخطاب عربي ما جرى في هذا المؤتمر من الابحاث الدوليَّة الخطيرة. وشكر الجنرال فاكلي المصريين ما لقيهُ المندوبون من الحفاوة في مدينتهم ولاسيما من جلالة الملك واعضاء الجمعيَّة الجغرافيَّة ما دلَّ دلالةً واضحة على نهضة الأمَّة المصريَّة ورقيها في معارج الفلاح. وأمَّن على كلامهِ كل اعضاء المؤتمر وهكذا خُتم هذا المؤتمر الجليل. وارفضَّ سلك المؤتمرين

على انَّ كثيرين من المندوبين بعد ختام المؤتمر أحبوا ان يزوروا بعض نواحي مصر. وكانت لجنة تدبير المؤتمر اعدَّت للمؤتمرين ثلاثة اسفار على شروط معلومة فالسفر الاوَّل لزيارة البحر الاحمر على الطريق التجاريَّة التي كان يسلكها قدماء المصريين للمتاجرة مع الشرق الاقصى. والسفر الثاني لزيارة واحة خرجا. والسفر الثالث الى الاقصر وهيكلها الشهير فرجعوا واثانهم يلهج بحامد الدولة المصريَّة وبمآثر احفادهم الفريدة

صدى

يوبيل كليَّة القديس يوسف الذهبي

للاب لويس شيخو اليسوعي

تبارك الله في اعمالهِ وتعالى في سُبُلهِ! ها قد نجزت اعياد كليَّتنا البيروتيَّة فلا نتمالك عن تأدية الشكر لذاك الاله الذي دونهُ لا يثبت بيتٌ على دعائمهِ ولا تنجو مدينةٌ من اعدائها. فلهُ وحدهُ يحقّ كلّ مجد والى عرشهِ يُرفع كل دعاء

«ايشا كنت كين» واعلن الجنرال فاكلي انَّ مجلس الاتحاد الجغرافي عيَّن حسنين بك كنائب رئيس الاتحاد. ثمَّ أُلقيت خطب اخرى فاه بها مندوبو بعض الدول كان آخرهم مندوب الدولة اليابانيَّة الذي تكلَّم بالانكليزيَّة

وكانت حفلة المؤتمر النهائيَّة ايضاً من الحفلات الفخمة بيَّن فيها اولاً صاحب السعادة مصطفى ماهر باشا نائب رئيس لجنة اعداد المؤتمر بخطاب عربي ما جرى في هذا المؤتمر من الابحاث الدوليَّة الخطيرة. وشكر الجنرال فاكلي المصريين ما لقيهُ المندوبون من الحفاوة في مدينتهم ولاسيما من جلالة الملك واعضاء الجمعيَّة الجغرافيَّة ما دلَّ دلالةً واضحة على نهضة الأمَّة المصريَّة ورقيها في معارج الفلاح. وأمَّن على كلامهِ كل اعضاء المؤتمر وهكذا خُتم هذا المؤتمر الجليل. وارفضَّ سلك المؤتمرين

على انَّ كثيرين من المندوبين بعد ختام المؤتمر أحبوا ان يزوروا بعض نواحي مصر. وكانت لجنة تدبير المؤتمر اعدَّت للمؤتمرين ثلاثة اسفار على شروط معلومة فالسفر الاوَّل لزيارة البحر الاحمر على الطريق التجاريَّة التي كان يسلكها قدماء المصريين للمتاجرة مع الشرق الاقصى. والسفر الثاني لزيارة واحة خرجا. والسفر الثالث الى الاقصر وهيكلها الشهير فرجعوا واثانهم يلهج بحامد الدولة المصريَّة وبمآثر احفادهم الفريدة

صدى

يوبيل كليَّة القديس يوسف الذهبي

للاب لويس شيخو اليسوعي

تبارك الله في اعمالهِ وتعالى في سُبُلهِ! ها قد نجزت اعياد كليَّتنا البيروتيَّة فلا نتمالك عن تأدية الشكر لذاك الاله الذي دونهُ لا يثبت بيتٌ على دعائمهِ ولا تنجو مدينةٌ من اعدائها. فلهُ وحدهُ يحقّ كلّ مجد والى عرشهِ يُرفع كل دعاء

غير أنهُ لا يسوغ ان تذهب هذه المراسم البهجة دون ان تُبقي اثرًا في النفوس ويُدوَّن ذكرها على صفحات القلوب . وهي الغاية التي نتوخاها بكتابة هذه الاسطر لنودع في خلالها خلاصة ما جرى في هذا اليوبيل المبارك

﴿الاستعداد اليوبيل﴾ اراد رؤساء الكليَّة ان يتأهب ذووها لهذا العيد تأهبًا وافيًا لئلا ينقصهُ شيء من اسباب الكمال مادّيًا وادبيًا وانذروا بهِ ممثلي السلطتين الدينيَّة والمدنيَّة فتنطَّقت واجهة الكليَّة بنُطق من الاسلاك الكهربائيَّة وبها ازدان تمثال القديس يوسف شفيع المدرسة

وأُقيم عند اقدام شخص القلب الاقدس في اسفل الباحة الوسطى نصبٌ من الرخام الابيض ذكرى السنة الخمسين رُقم عليها آية باروك حيث يصف النبي نجوم السماء بقولهِ (٣٥:٣) انها « اشرقت متهلِّلةً » (luxerunt cum jucunditate) مشيرًا بذلك الى نجوم الارض الناطقة التي استنارت بنور الدين والعلم في الكليَّة ثمَّ افاضت نورها على بني اوطانها

وأعدَّت المطبعة اثرًا جميلًا يأخذ بالابصار يتضمَّن على ورق صقيل بحرف لطيف تاريخ الكليَّة وما يدخل في نطاقها من المشاريع الدينيَّة والدوائر العلميَّة والتهذيبيَّة والخيريَّة التي عدَّدناها في عدد المشرق السابق وعلى وجههِ الشعار الموصوف عن نبوَّة باروخ

وكذلك ظهر في بيرامون العيد عدد ممتاز من جريدة البشير الغرَّاء يزين جوانبهُ إطار من الذهب فيهِ ذكر الحفلة اليوبيلية ومعناها والدواعي الدائمة الى اقامتها شكرًا لهُ تعالى وتنشيطًا لمواصلة المساعي في خدمة اعزّ الغايات اعني الدين والوطن

وفي يومهِ لاحت ايضًا مجلة المشرق مزدانة بحلَّة بيضاء قشيبة في اعلاها صورة الكليَّة مصغَّرة تحت شعار الرهبانيَّة اليسوعيَّة لمجد الله الاعظم وفي صدر العدد تاريخ الكليَّة ووصف مبادئها واتساع نطاقها وترقيها حتى بلغت كمالها في اليوم الحاضر

والصحافتان كلتاهما تزدهي بقصيدة عصماء من نظم حضرة الخوري بطرس البستاني استاذ البيان في الكليَّة وسمها بجنَّة العلياء وعدَّد فيها بابيات عامرة ما يُعزى للكليَّة من المناخر والخدم في سبيل الدين والوطن

وفي مساء ذلك البيرامون اجتمع الطلبة وقت الغروب في باحة الدار تحفُّ بهم

اكاليل الزهور والرايات الملوّنة الخافقة فوق رؤسهم والانوار الكهربائية الساطعة وبازانهم تمثال القديس يوسف الواقع عيد حمايته في غد فترنّموا بمحامده واشادوا بشفاعته. وأسمعهم احد الخطباء ما ذكّرهم باسلافهم الذين تخرّجوا في الكلية وما نال السلف والخلف من النعم التي أسبغها عليهم مربّي العائلة المقدّسة في هذه الخمسين السنة وصرّفهم وقلوبهم تنتظر بفروغ الصبر غدًا العيد ليشاطروا ارباب المدرسة افراحهم لمرور نصف قرن عليها ولعلّ القليل منهم يعاينون موسماً آخر خمسينيًّا مثلهُ

صباح العيد وحفلاتهُ

ما كاد يبلج ضوء السحر حتى اخذ المؤمنون يتوافدون على كنيستنا جماهير مجمهرة فرجدوها تميس بابهى حلاها من الزينة على مدارها عقودُ الرياحين وسعف النخل والشارات الرمزيّة والبنود والاعلام الخافقة على جدرانها. فزادهم منظرها ورعاً وخشوعاً وتوفّر عدد المتقرّبين من كرسي التوبة ومائدة الخلاص

وانما [illegible] الرسمية كانت الساعة [illegible] وفيها غصّت الكنيسة على رحبها باحضور [illegible] وسلفها وبقي مئون منهم تحت رواقها. وكان في صحنها كراسي لاعيان الانتداب. في مقدّمتهم ممثل المفوّضيّة العليا سعادة الوزير المسيو دي ريفي وسعادة الاميرال دي كرياديك دي كيريران قائد الاسطول الافرنسي في مياه الشرق وغيرهما من ذوي المناصب العليا والاعيان الفرنسويين والوطنيين في جملتهم اساتذة معاهد الكليّة الاطبّاء واساتذة الحقوق والهندسة وكلّهم ببزّهم الرسميّة. وكانت أقيمت في الخورس كراسيّ للسادة اساقفة الطوائف الشرقيّة وممثليها في بيروت يتقدّمهم سيادة المطران عبدالله الخوري ممثلاً صاحب الغبطة بطريرك الطائفة المارونيّة الجليل

فلمّا أزفت الساعة وتقدّم الى الهيكل جمهور المتولّين للخدمة الدينيّة التي قام بها حضرة رئيس الآباء الكبوشيين بغيبة نيافة القاصد الرسولي تجلّى المذبح بطرفة العين بالشموع الموقدة وتردّت جدران الكنيسة بثوب من النور اخذ بهاؤهُ بمجامع الابصار وصدح المرتّلون باصواتهم الشجيّة الموقعة بنغمات الارغن فأدّى الحضور لربّ الكون ما يحقّ لهُ من السجود والاكرام

وبعد تلاوة الانجيل تسنّم المنبر حضرة رئيس كليّتنا الاب كلود شانتور فكان

المترجم عن عواطف سائر القوم اذ رقي بفكره الى السماء والى ربّ كل عطيّة صالحة وموهبة كاملة فرفع اليه آيات الشكر لإيحائه بتشييد الكليّة ورعايته لها بعين ساهرة حتى نمت كحبّة الخردل وأصبحت شجرةً باسقة فاتت بما ينتظر منها من ثمار الصلاح لخير هذه الاوطان. ثمّ وجّه نظره الى الكرسي الرسولي وخلفاء هامة الرُسل الذين قدّروا اعمال الكليّة واسبغوا عليها اخصّ النعم. وعلى مثالهم توّابهم الأجلّاء القضّاد الرسوليّون وذوو الغبطة والسيادة من ارباب الكنائس الشرقيّة فكثيراً ما أيّدوها ببركتهم وخصّوها بطيب ثنائهم. ولم يَنْسَ ممثلي الدولة الفرنسويّة المحبوبة التي بمساعداتها وتنشيط قناصلها بلغت الكليّة ما بلغت من النجاح والرقي

ثمّ شخص الى اشباح اولئك العمّالة النشيطين والمرسلين الغيورين الذي بكدّهم وعرق جبينهم وفروغ قواهم توأوا نظارة هذه المدرسة فاتوا كالجنود البُسّل في سبيل الواجب وخلّفوا رايتهم الظافرة لمن أتوا بعدهم فتقلّدوا آثارهم

وختم بذكر اولئك المئين بل الالوف الذين تخرّجوا في الكليّة فكانوا بعد خروجهم منها فخراً لوطنهم وتاج عزّ لاساتذتهم الذين سُرّوا كما يُسَرّ الآباء بابنائهم الصالحين وتمنى للأحداث منهم ان يسيروا على مثال القدماء في سُبل البرّ والشرف لمجد خالقهم ولخدمة وطنهم العزيز

كانت تلك ساعةً ترفّع فيها الحضور عن حضيض الدقماء الى جنّة العليا. وخُتمت بتسبحة الشكر التي بلغت مع قلوب المسبحين الى عرش سيّد الاكوان. فما كان أحلاها وأهناها

وعَقِب هذه الرتبةَ الدينيّة السنيّة حفلةٌ أخرى أعدّها تلامذة المدرسة القدماء وحضرها نخبةٌ من ارباب الدين وعلية القوم في مسرح الكليّة لتدشين اثر تذكاري لذلك الكاتب البارع وفقيد الوطن والآداب موريس بارس احد اعضاء الاكاديميّة الفرنسويّة الذي زار كليّتنا في السنة السابقة للحرب واثنى في كتابه الاخير المعنون باسم « Enquête aux pays du Levant » على المرسلين الفرنسويين في الشرق عموماً وعلى الآباء اليسوعيين خصوصاً واطرأ لبنان وسكّانهُ بعبارات مؤثرة اختارت منها لجنة التلامذة القدماء كلمةً اختصر فيها مديحهُ للبنان الماضي والمستقبل فوَسَمَ

تربتهُ بالارض الغنيَّة بالآثار والحافلة بالزروع المخصبة(١ . والاثر عبارة عن صفيحة من المرمر الابيض ضُفر حولها نقشٌ انيق من المقرنص والكتابة مرقومة باحرف ذهبيَّة في اسفلها تقدمة تلامذة الكليَّة القدماء . فدُشن الاثر بما يليق من الرونق والبهاء . وتُليَ في سببهِ ومعناهُ خطابان بليغان لحضرة رئيس الكليَّة وللشابّ الشهير بآدابهِ وبلاغتهِ ميشال افندي شيحا فارفضَّ القوم يثنون على حميَّة خرّيجي الكليَّة وشاكرين لصاحب الاثر تخليدهُ في كتابهِ لمديح لبنان واهلهِ

مساء العيد

أشبه مساء العيد صباحهُ بأبَّهتهِ ومجالي افراحهِ . ففي الساعة السادسة مساء جمت وليمةٌ فاخرة نحو اربعمائة وخمسين من افاضل بيروت واماثلها ديناً ودنيا جلسوا على موائد نُصبت في ساحة الدار الواسعة الارجاء كلٌّ على حسب مقامهِ امامهم طاقات الزهور وفوق رؤوسهم اقواس مجدولة من الرياحين وضروب النبات يتخلَّلها سُرُجٌ من الانوار الكهربائية المنعكسة الاشعَّة على وجوه الحضور

فناهيك بما توفَّر من اسباب الفرح والهناء لدى اجتماع كل اصحاب الكليَّة وخرّيجيها ممَّن لهم في كلّ مَنزع سهمٌ وفي كل حَلبةٍ مُجَلٍّ فأحيا وجودهم هناك ذكرى صباهم وما أعذب على القلب تذكار الصبا اذ لم يكدّر صفاء عيش المرء ويترنَّق هناؤهُ بصروف الدهر ! فكان كلّ يذكر رفيقهُ باتذتهِ وناظريهِ واترابهِ ودروسهِ فتهيج فيهم عواطف الشكر والولاء والسرور فيتمنَّون لو عاد أوان الصبا وربيع الحياة حيث لا همٌّ يقلقهم ولا غمٌّ يزعجهم يجد الطالب في كتبهِ اطيب أنيس وفي رفقتهِ خير نديم وجليس

وكان الذّ من المطاعم والخمور ما فاه بهِ بعض الخطباء تنويهاً بمحامد الكليَّة وارباب . وانَّما يجب التقديم على الخابهم ذكر الرسالة التي تلطَّف غبطة السيد الكلي

---

١) وهذا كلامهُ بحرفهِ : Notre pensée la plus pure, héritière d'Athénes, de Rome et de Paris, s'inscrit par les soins de nos Maitres, dans l'âme reconnaissante des enfants du Liban

«Liban, terre de Souvenirs et pleine de Semances»

الطربي البطريرك مار الياس الحويك تلميذ مدرسة غزير السابقة الكلية بيروت فوجهها الى عمدة الكلية على يد صاحب السيادة المطران عبدالله خوري ممثله الذي تلاها بحرفها الواحد واذا هي طافحة بعبارات اللطف والتعطف يسرد فيها غبطته ما أدّته الرهبانية اليسوعية للوطن العزيز وخصوصاً لطائفته الجليلة ولشخصه الكريم من الخدم المتعددة بمعاهدها الدينية والعلمية والتهذيبية الى ان قال في الختام :

« وبما اني لبناني المولد ومُنصّب على رئاسة اساقفة أمتي الكاثوليكية ومَنُوط منذ نعومة اظفاري بحب فرنسة وغاياتها النبيلة ها انا ذا عند قرب مساء حياتي أقصد باسم لبنان واسم الكنيسة التي انا افتخر بكوني خادمها الامين وولدها الخاضع ان اقدم بمناسبة هذا العيد الخمسيني مع واجبات التهاني والشكر تأكيد صدق أدعيتي لسعادة حضرتكم ولرقي رهبانيتكم الجليلة ونجاح سائر اعمالكم »

وبعد تلاوة السيد عبدالله الخوري هذا الرقيم اللطيف شفعه بكلام يُعرب عن اعتباره لاعمال الكلية القديس يوسف ولخدم الرهبانية اليسوعية نحو لبنان عموماً والموارنة خصوصاً ومُعلناً باسم مواطنيه انهم لا يفارقون ابناء القديس اغناطيوس في جهادهم للدفاع عن الكنيسة وعن تعاليمها الالهية فيستضئون بانوار الكلية كما تستضئ السفينة بالمنارة في مخر البحار

وكان وقع خصوصي في قلوب الحضور لخطاب سعادة الوزير المسيو دي ريفي اذ هنأ الكلية لبلوغها يوبيلها الذهبي فهذّبت في هذه المدة دون ملل سلسلة متواصلة من شبيبة الشرق وهي تُشربهم افاويق العلوم وتوحي اليهم بأمثال معلميهم محبة فرنسة وصرح بان نفوذ فرنسة الادبي في هذه الاصقاع انما حصلت عليه بواسطة مدارس المرسلين عموماً والكلية اليسوعية خصوصاً . وهنأ معاً الآباء والاساتذة والتلامذة لتحقيقهم هذه الغاية الشريفة وشكرهم جميعاً على مساعيهم الطيبة في ذلك . وناهيك بهذا الاعلان الرسمي تفنيداً لما يشيعه بعض المتشدقين وذوي الغايات الدنية بحق الرهبانية اليسوعية واعمالها الشريفة

وكان يودّنا لولا ضيق المجال ان ندرج هنا خطاب المسيو انطون مازاس احد اساتذة مدرسة الحقوق الفرنسويّة اذ اشاد بذكر الرهبانيّة اليسوعيّة الذي كان هو احد تلامذتها في مدينة ليون وبيّن انّ خطة التعليم والتهذيب التي يجري عليها اليسوعيّون في اى بلدٍ كان هي الخطّة المثلى التي بها يحسنون تربية الناشئة فلا يكتفون باثارة العقول بل يسعون في تهذيب الاخلاق وتمكين الارادة وإعداد الرجال لجهاد الحياة. فتلك الخطّة قد عرفها هو في ليون وقد وجدها هنا في بيروت فسلّم اولادهُ ليتخرّجوا بموجبها في المهجر كما هو تخرّج برشدها في وطنه

ولا يسوغ لنا ان نضرب الصفح عن خطاب زعيم الشبيبة الناهضة وفخر كليّتنا ميشال افندي شيحا امين اسرار جمعيّة التلامذة القدماء. فانهُ ذكر ما وجدهُ مع رفاقه في تربيتهم في الكليّة من الوسائل التي حبّبت اليهم ذاك المعهد والقائمين بتدبيره وعزّزت في قلوبهم محبّة فرنسة التي مثّلوا بحياتهم صورة مزاياها الطيّبة ونشروا بتعليمهم امجادها الرفيعة وذلك ما يفعم صدورهم شكرًا نحو آباء الكليّة ويبعث في ارواحهم الإعجاب بعظم اعمالهم

وفي اثناء الوليمة قام احد الآباء فوزّع على كلّ من الضيوف تزيين جميلين يحاكيان ذكر هذا العيد. الواحد هو الاثر الطبعيّ الذي سبق لنا وصفهُ المحتوي لتاريخ الكليّة وصور معاهدها. والآخر كرّيسة ذات غلاف منقوش بالذهب يمثّل صرحاً فخماً وضمنهُ اناشيد رواية عتليا التي سنذكرها وهي مطبوعة طبعاً بديعاً

وبعد الوليمة صعد المدعوون الى اعالي المدرسة واذا بشرفاتها وتقاطيع جدرانها تشعّ بانوار مختلفة الالوان كادت تحوّل الليل الى النهار يعلو فوقها الصليب المنير وتخفق عن جانبيهِ الأعلام الفرنسويّة واللبنانيّة. بينما كانت الاسهم النارية تنقل الى عنان السماء مع ابصار الناظرين عواطف قلوبهم الى ربّ العلاء. وكان اهل البلد يمتّعون النظر من انحاء المدينة بما يرون من هندسة الزينة النوريّة وجماهيرُ منهم امام رتاج الكليّة يهتفون لها هتاف الاستحسان ويطيّرون الى الجوّ المناطيد المضيئة تحملها الريح الى ضواحي المدينة. وقد ترجم المحامي نجيب افندي خلف عن شواعر العموم اذ نظم في تاريخ الكليّة هذه الابيات :

لله كلّيّةٌ قامت على عَمَدٍ من الفضيلةِ والعِرفان والادبِ
فتلك جنّاتُها ترهو بأنجمها وتلك افلاكُها تردانُ بالشُهبِ
ورِفدُها سار في الشرقين منتشراً ونورها مُشرقٌ في العُجم والعربِ
خمسون عاماً ينالُ الخلقَ نائلُها قد صِيغَ تاريخها صوغاً من الذهبِ
(١٩٢٥)

ولم يسمح قصر الزمان بان تُمثَّل في ذاك اليوم المشهود الرواية المعدَّة لهذا الموسم الفخم فضُرب لتشخيصها موعد الاحد التالي في الساعة الثالثة مساء حضرها يومئذٍ جلّة الاكليروس القانوني والعالمي واصحاب الكليّة من آباء واساتذة وطلبة الفروع العلميّة والطبيّة والفقهيّة والهندسيّة. فدام تمثيلها اربع ساعات. ولسنا مبالغين لو اكّدنا بانّهُ لم يبلغ في الشرق تمثيلُ روايةٍ نظيرها جامعة لكلّ اسباب الكمال:

١ من حيث «اختيار الموضوع». كيف لا والرواية لاحد شعراء فرنسة المفلقين جان راسين الذي يُضرب المثل في نظمهِ لانسجامهِ ومتانتهِ وسلاسة تراكيبهِ. والرواية «عتليا» الممثَّلة هنا من اجود رواياتهِ وانفسها استوفى فيها كلّ شروط الروايات فاقتبس مادّتها من اخبار التوراة ودون ان يمسّ جوهرها ابتكر لها ادوارًا موافقة لاحوال ذاك الزمان وسبكها سبكاً جميلاً فمثّل فيها اشرف الافكار وارق العواطف. فصوّر لنا بصورة محسوسة جبرًا غيورًا في خدمة ربّهِ اميناً لملكهِ ثمّ سلطانةً مستبدّةً خالية من كلّ وجدان مضحّية كلّ شيء لمطامعها ثمّ يتيماً ابن ملوك راضعاً لحليب التقى تحت كنف الكهنوت ثمّ رجلاً اثيماً مارقاً من دينهِ منغمساً في حمأة الشرّ لادراك شهواتهِ الدنيّة. وغير ذلك من المحاسن التي جعلت هذه الرواية اثرًا فريدًا من آداب العصور المتأخرة حتى قيل انهُ لو لم يكن للفرنسويين اثرٌ غير رواية عتليا لحقّ لهم ان يفاخروا بها سواهم من الشعوب

٢ من حيث «تمثيلها» فانّنا نقول ولا نخشى لومة لائم انّ التلامذة النجباء القدماء والحاضرين الذين قاموا بتمثيل هذه الرواية وفي مقدّمتهم المركيز جان دي فريج وفوا كل دور اقاصي حقوقهِ كأنّهم تجسّموا ارواح الاشخاص الذين نابوا عنهم

فصوّروهم بحركاتهم وسكناتهم ونبرات اصواتهم صورةً حقيقية لا تخلّ عن اصلها ذرّةً حتى سمعنا من حضروا تمثيل الرواية في عاصمة فرنسة قائلين: لم نجد في ممثلي مسارح باريس ما يستطيعون ان يفتخروا به على ممثلي كليّتكم

٣ من حيث « هيئة المسرح وملابس الممثلين » فانّ الآباء الذين تولّوا تدبير الرواية راجعوا لتمثيل هيكل اورشليم اصدق ما روى عنهُ الاثريّون فصوّروهُ على حسب بنائهِ واروقتهِ وسراديهِ ومدخلهِ. وكذلك ازياء الممثّلين فكان على رأس كبير الاحبار تاجهُ الموصوف في سفر اللاويين وعلى صدره الافود المزيّن بالاثنى حجرًا كريمًا على عدد اسباط اسرائيل وفي وسطهِ المنطقة الثمينة . وكذلك اللاويّون بملابسهم الكتّانيّة واغطية رؤوسهم . كلّها بموجب وصفها في التوراة . وخلاصة القول انّ الحضور وجدوا نفسهم في وسط اورشليم وارباب وهيكلها كما كانت في القرن الثامن قبل المسيح

٤ من حيث « الاناشيد » التي جمع فيها راسين اشرف المعاني في ابلغ الشعر وافصح اللفظ من وصف عظمة الخالق وذكر نعمهِ نحو بني اسرائيل والالتجاء اليهِ في الخطر وثقة الابرار بمعونتهِ ضد ظلم الظالمين للنجاة من مكائدهم ولهذه الاناشيد الاغاني الشجيّة والموسيقى المطربة المؤثرة في مجامع القلوب

فهذه بعض مزايا رواية عتليا التي حضرنا تمثيلها يوم الاحد في ١٠ ايار وفيهِ وقع عيد القديسة جان دارك فتكرّر في الليل تنوير المدرسة . ثمّ أُعيد تمثيلها مرّتين في الاحد التالي ثم يوم عيد صعود الرب فحضرها المدعوون من التلاميذ القدماء واهل التلامذة واصحاب الكليّة فكان حكمهم في محاسنها موافقاً لما سبق لنا في هذه العجالة .

وكان سلك ختام هذه الاعياد ثلثة انباء برقيّة وردت على رئيس الكليّة اوّلها وارفعها شأناً برقيّة من قبل قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر مجيباً بواسطة وزير دولتهِ نيافة الكردينال غسباري على برقيّة طيّرها في ٦ من شهر آب الى بلاط الفاتيكان حضرة الاب شانتور وكاتب اسرار جمعيّة التلامذة القدماء كان هكذا منطوقها:

« بمناسبة بلوغ كليّة القديس يوسف السنة الخمسين من انشائها يرسل اساتذتها وتلامذتها القدماء الى قداسة الحبر الاعظم عواطف

شكرهم العميم واكرامهم الجزيل» شانتور خاشو
بيروت ٦ أيار

فكان جواب امام الاحبار بما تعريبهُ :

«ان الاب الاقدس اذ يذكر بكل مسرة الخدم الثمينة التي خدمت بها كلية بيروت العلم والدين يرسل بكل حب ورضى بركته الرسولية بمناسبة الاحتفاء بيوبيل تأسيسها الخمسيني» الكردينال غسباري

وفي الوقت عينهِ ابرق نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني ذاكرًا جواب الحبر الاعظم بقولهِ :

«اني سعيد بان ابلغ لي تبليغكم ان الاب الاقدس بمناسبة يوبيل كليتكم يجود ببركة خاصة على رئيس الكلية واساتذتها وطلبتها والمتخرجين فيها جيانيني

وكان حضرة الرئيس يوم تدشين أثر موريس بارس افاد بالخبر برقيًا قرينته الكريمة السيدة بارس على هذه الصورة

«بنسبة تدشين الاثر لموريس بارس يقدّم تلامذة كلّيّة القديس يوسف الى قرينتهِ السيدة بارس شواعر إعجابهم وعواطفهم الموقّرة»
شانتور خاشو
٦ أيار

فاجابت السيدة الاسيفة باسم اسرتها :

اننا لمتأثرون من اكرام كلية القديس يوسف لموريس الذي اعلن بانها منار البحر المتوسط الادبي ونعلن بشكرنا الوقور بارس

هذا ونضرب الصفح عن حفلة العاب رياضيّة قام بها لفيف تلامذة الكلية في ٢٤ من الشهر قدّموها لاساتذتهم والجمهور من الاهلين واصحاب الكلية

جعل الله هذه الاعياد افضل خاتمة لليوبيل الخمسيني المنتهي وأسعد فاتحة لخمسينية أخرى نتمنى لناشئتنا ان يحضروها بالفرح وينوبوا عن المتوفين باداء فرائض الشكر لذاك الذي يبلى كلُّ شيء امامهُ وهو وحدهُ الحيّ الباقي

نوابغ المدرسة المارونيّة الاولى

المطران اسحق الشدراوي

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب

١ وطنه ونسبه

شدرا مسقط راس اسحق الشدراوي قريةٌ صغيرة في بلاد عكار مبنيّة على جانبي وادٍ يُطلق عليه اسمها ويصبُّ ماءه في النهر الكبير المعروف عند القدماء باسم إلوتِرُس (Eleutherus) الذي جُعل منذ اعلان استقلال لبنان الكبير حدًّا فاصلًا في الجهة الشمالية بين الحكومة الجديدة وحكومة العلويين. وتبعد القرية المذكورة عن مصبّ النهر بُعدها عن بحيرة قدس اي نحوًا من ٢٣ كيلومترًا. أما مدينة طرابلس فبينها وبين شدرا نحو ٤٤ كيلومترًا وهي واقعة الى الجنوب الغربي منها

سكّان القرية مؤلفون من نحو مائة عائلة اكثرها من الروم الارثوذكس ومن بقي مسلمون. اما الموارنة فكان آخر من قطنها منهم الخوري سمعان الذي أكره وعائلتهُ على هجر بلدته من أمد غير بعيد فنزح الى عيون الشعراء في قضاء الحصن التابع لدولة العلويين. وسبب عمران تلك الجهة خصب اراضيها ووفرة محصولاتها من الغلال والبقول ونتاج المواشي

وعلى مسافات قريبة لا تزال مقامات يحجُّ اليها سكان القرية والجوار كمقام أبي هُرَيرة والنبي يحيى وما شاكل وحولها اشجار تقادَمَ عهدها فاصبحت موضوع احترام الناس يجتمعون في ظلّ اغصانها أيام العطلة والتنزّه

وأمّا تاريخ بناء القرية فلا نعلم عنهُ شيئاً سوى ان حوادث جرت في تلك الاقطار تدلّنا على انها ليست بحديثة. وقد اصابها نصيب وافر من النكبات التي حلّت بتلك الجهات وسبب ذلك وقوعها في وادي النهر الكبير على الطريق المؤدية من الداخلية الى الساحل. ونذكر من تلك النوائب اجتياح أقوش الافرم الضَّنيّة وعكّار ثم معركة

جرت بين الفرنجة والملك المظفّر ملك حمص. وزحف الملك الظاهر البندقداري بجنوده الى عكار (١٢٦٦) ونهبهُ شدرا وتخريبه اياها. ذلك فضلًا عن الزلازل التي دمرت تلك البقعة وكانت كثيرة تتلو الواحدة الاخرى. وكان لجور الحكّام تأثير فعّال في تنفير السكان وحملهم على تفضيل ارض الغربة على وطنهم الجميل. فعكار كلبنان كان يلجأ اليهِ المنهزمون من وجه الفاتحين الذين اسعدهم الحظ فملكوا البلاد السهلية المجاورة فكانوا اذا استتبَّ لهم الامر في البقاع او السواحل عمدوا الى اذلال الجبليّين لئلا يقلقوا راحتهم ويغزوا البلاد المفتتحة او يلتجئ اليهم اولئك الذين ارهقهم الظلم فابوا ان يخضعوا رقابهم لنير الفاتحين

وهكذا لمّا استولى المسلمون على سورية طمحت ابصارهم الى عكار ثم جاء الصليبيون فاجلوهم عنها وعقبهم المصريون فاسترجعوها. على ان الاتراك ما لبثوا ان طردوهم واقطعوها لاغاواتهم وبكاواتهم فاستبدُّوا بها واستنزفوا مال اهاليها. ولو لم تكن البلاد غنيّة لما اقام فيها بشر بل كانت امست قاعاً صفصفاً ينعق فيهِ البوم

اما زمن نزول الموارنة على عكار فنرجح انهُ تمَّ قبل عهد الصليبيين بمدة لأنَّ التواريخ تذكر وجودهم في تلك البقعة يوم مرَّ جيش غودفروا ده بوليون وتشير الى مبادرتهم الى نجدته بالرجال والذخيرة وتقديمهم له اناساً يرشدون قومهُ الى المعابر حتى يصلوا آمنين الى القدس محطّ رحالهم

وكانت شدرا تابعة ابرشية عكار وعرقا على ما نظنّ. ونذكر من اساقفة تلك الابرشية المطران متاوس الذي عاش في الجيل الثالث عشر والمطران انطون الحصروني الذي لُقّب في كتابات الفرنجة برمونيا Remolia[1]. امّا عرقا فلا يزال يلقّب بلقبها

---

١) ربّما كان المطران انطون الحصروني ينتسب الى عائلة بيت الارملة في بلدته. ونعرف من اخباره ان البطريرك شمعون الحدثي رسمه مطرانًا سنة ١٥٢٣ على كرسي قنوبين وركل اليهِ زيارة موارنة حلب ودمشق وجبة بشري وعكار. ثم اوفده الى قبرس لتفقد شؤون موارنتها فعمّر دير مار جرجس طالا وكنيسته. وفي سنة ١٥٢٤ اوفده البطريرك موسى المكاري الى رومية ليستمدّ له درع التثبيت فاعتقله الفرسان وكان البطريرك اوعز اليهِ ان يمرّ بالثغور العثمانية لغرض سياسي ذكره في كتابتهِ الى كارلوس الخامس امبراطور النمسا. وسلبه الفرسان كل ما بيده ثم اطلقوا سبيله مقابل مبلغ وافر من المال. ولمّا بلغ رومية مثَلَ بين يدي الحبر الاعظم اقليمس السابع فنال حظوةً لديهِ ثم اجابه الى ملتمسه وانعم عليهِ انعامات وافرة ومنح البطريرك

الاسقفي اساقفة الموارنة

ومن تلك الابرشية البطريرك موسى العكاري من الباردة الذي انتقل الى راحة الابرار سنة ١٥٦٧ . وقبله البطريرك يوسف من شدرا وهو الثالث والثلاثون من بطاركة الموارنة على ما جاء في سلسلة بطاركة الموارنة الفاتيكانية الموضوعة باللغتين العربية والايطالية ولا نعلم ما لها من القدر لدى العلماء

ولقد أشكل علينا فهم ما ورد في المخطوطة الفاتيكانية التي رواها الاب لويس شيخو في كتابه «الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية» (ص ٧٢) حيث قيل عن تلامذة المدرسة المارونية القبرسيين انهم كانوا من جزيرة قبرس من ابرشية شدرا . فهل كانت شدرا كرسي مطرانية الحقت بها جزيرة قبرس واي متى كان ذلك ومتى بطل ؟ تلك اسئلة لا سبيل للجزم بها الان . عسى ان يتوفق المنقبون الى حل هذه المشكلة . انما ما نعلمه عن الموارنة انهم كانوا يقطنون قرى كثيرة عامرة في بلاد عكار واهمها القبيات ومنجز والباردة وشدرا وشويتا والبهلولية وبترزلا وعرقا وبينو الخ

وكان في قرية شدرا كنيستان اولاهما كُرّست بتكريم العذراء المجيدة وتُعرف بكنيسة السيدة والدة الله ذكرها كتاب الجنازات المخطوط الموجود في المكتبة الوطنية الفرنسية عدد ١٢٥ الذي نسخه الراهب حنين سنة ١٥٥٥ لتلك الكنيسة . والكنيسة الاخرى أقيمت للقديس جرجس الشهيد وبقربها دير . قال الدويهي ان العرب كانوا يدعون هذا القديس «ابو بلوطة» من شجرة البلوط الكبيرة التي كانت قدام باب الدير . وكان القديس يصنع خوارق كثيرة في ذلك المقام فكبرت ثقة النصارى والمسلمين به حتى انهم كانوا يضعون في الدير غلالهم في اكياس دون

ورفده امتيازات عديدة وسلّم المطران منشوراً لجمع الاحسان في بلاد النصارى وكان البطريرك كأنه ان يطلب حماية الملوك المسيحيين فاستحسن ان يلتجئ الى اشدهم بأساً في ذلك الوقت وكان كارلوس الخامس ملك اسبانية وعاهل النمسة فتوجه المطران انطون لمقابلته وقدّم له عريضة يستنجده لتحرير النصارى (وقد وهم الاب اليسوعي المكمّل لمجموعة الاثار الخطية في اخر المجلد الثاني ص٦١٦ في ظنّه ان القديسين هم الكهنة) . ثم في سنة ١٥٣٧ بعد عودته من رومية على ما نظن جاء الى حلب كما ذكر هو نفسهُ فاشترى الدار التي بجانب مار الياس واضافها الى الكنيسة وذكر الدويهي وفاتهُ سنة ١٥٣٩ على اننا اطلعنا على ورقة تدل على انه كان حياً في السنة التالية . والله اعلم

ان يقفلوا الابواب او يقيموا عليها حارساً وما كان احد يسرق منها شيئاً. وقد سادت نيأت بعضهم فحاولوا اختلاس الغلات المودعة في حماية القديس فعميت ابصارهم وما استطاعوا ان يهتدوا الى الباب (تاريخ الازمنة الخطي ١٥٥٧)

فالدير والمعبد كانا قد خربا من شدة الظلم واضطر الموارنة الى هجر القرية فالتزم البطريرك موسى العكاري ان يعقد اتفاقاً مع البطريرك الملكي دوروتاوس الثالث يوم اجتمعا في داريا الزارية سنة ١٥١١ ليخلص البقية الباقية من طائفته في تلك الجهات. ومفاد الاتفاق على ما ورد في سيرة البطريرك مكاريوس الحلبي (ص ٣٣) ان يكون الروم والموارنة شيئاً واحداً ويقضي كهنة الطائفتين احتياجات الرعية دون فرق ورخص بالزواج بينهما على ان تبقى كل طائفة على اعتقادها القديم وعلى عاداتها وطقوسها

ولكان يذهلنا هذا الاتفاق للاشتراك في الدينيات لو لم نكن نعلم ان البطاركة الملكيين قد تردّدوا مراراً في تلك الازمنة بين الكثلكة والانشقاق على انه مع ذلك حدثت مخالطة في الدينيات لم يهتم بها اذ ذاك الرؤساء الشرقيون جدّ الاهتمام فاسفرت عن نتائج سيئة العاقبة، حتى ان الكاثوليكيين تساهلوا في ما لا يستطيعون التساهل فيه واصبحوا مهيئين لانكار لأن يتناسوا الفروق الاعتقادية بينها امراً لا يؤبه له ويجعلوا لكل الاختلافات ولو جوهرية منزلة واحدة من الاهمية والاعتبار

ومهما يكن من الامر فان الاتفاق المنوه به لم يدم عهده. قال الدويهي ان مطران الملكية في سنة ١٥٥٠ طمع بموارنة عكار وعرقا واخذ النورية منهم سبع سنوات بل استولى على كنائسهم فسعى البطريرك موسى العكاري في سنة ١٥٥٧ لدى القاضي والامراء وكان بنو سيفا يحكمون تلك البلاد فنال منهم امراً بتجديد عمار دير مار جرجس شدرا المتقدم ذكره وبجمع النورية سبع سنوات لقاء ما كان جمعه مطران الملكية وكانت شدرا اذ ذاك تابعة لحصن الاكراد كما ورد في حاشية كتاب «الناموس المقدس» الذي خطه الشدياق الانجيلي سمعان الحدشيتي وكان الكتاب في حوزة الشدياق ابرهيم ابن الشماس يوحنا ابن الفحل من قرية شدرا

٢ مولد الشدراوي وسفره الى رومة ودروسه

هذا ما توصلنا الى معرفته عن القرية التي اصبح اسمها مشهوراً بميلاد اسحق

الشدراوي فيها سنة ١٥٩٠ . فانّه لما ترعرع وتوسّم فيه رؤساؤه النجابة والميل الى الفضيلة والدرس ارسلوهُ سنة ١٦٠٣ الى المدرسة المارونية في رومية واليك رواية سفره كما اوردها هو نفسه في مقدمة غراماطيقه السرياني قال :

« والذي نعلم به محبتكم الواثقة وامانتكم الصادقة هو انه لمّا كان تاريخ سنة ١٦٠٣ مسيحية ارسل المرحوم البطرك يوسف بن الرزّ المطران المرحوم يوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم لحضرة بابا رومية الذي في ذلك الزمان كان اقليمس الثامن لاجل قضاء مصالح الطائفة وبعث معه اولاد اربعة ليتعلّموا في المدرسة التي البابا غريغوريوس الثالث عشر صاحب الذكر الصالح عمّرها في مدينة رومية للأمّة الموارنة . واسامي الاولاد يوحنا بن الشدياق قورياقوس ومخائيل بن سعاده من قرية حصرون . فيوحنا بعد ما رجع للبلد ارتسم مطرانًا من البطرك يوحنا ابن مخلوف المرحوم الهدناني . ومكث في المطرنية اربعة شهور وانتقل الى ضيعته حصرون . ومخائيل ارتسم قسيسًا في مدينة رومية ولما رجع الى البلد صار خوريًا من البطرك يوحنا المذكور ولما توفّي على الكرسي الانطاكي سيدنا البطرك جرجس ابن عميرة الهدناني سنة ١٦٣٦ مسيحية في ٢٧ ك ١ ارسلهُ قاصده حتى يرمي الطاعة ويقضي لهُ مصالح غيرها عند سيدنا البابا اوربانوس الثامن وصار ذلك سنة ١٦٣٥ مسيحية في ١٥ حزيران . واسم الاولاد الاثنين الاخرين هو سركيس واخوه الفقير اسحق من قرية شدرا . فسركيس ارتسم كاهنًا في مدينة رومية وبعد ما رجع للبلد ومكث نيف نحو ثلاث سنوات عاد الى مدينة نابولي ومن هناك دخل الى بلد فرنسة وهو الآن (١٦٣٦) في بلد اسبانية في مدينة غرناطة طيّب بخير وعافية »

ثم تطرّق اسحق في مقدمته هذه الى ذكر ما عمله هو وسيرد ذلك بالتفصيل في وقته مردفينه بما اتّصل بنا من المعلومات المستقاة من مصادر اخرى . وقد اتفقت رواية الشدراوي هذه مع ما سرده الخوري مخائيل سعاده الحصروني في مقدمة الكلندار على انهما اختلفا في تاريخ انتخاب البطريرك جرجس عميرة ونظن ان ذلك نتج عن غلط مطبعي في مقدمة الكلندار المذكور ليس الّا

ولم يكن اسحق من الطلبة المتوانين بل انصبّ بكل قواه على العلم دون ان يهمل التقدّم في الفضيلة . ومن دلائل نشاطه انه ما اكتفى بان يخصّص اوقاته بمطالعة الدروس المفروضة والتعمّق بها بل اجتهد في ان ينفع تلامذة المدرسة بمعارفه ويسهّل على المستشرقين الاوربيين تعلّم السريانية كما صرح هو نفسه في مقدمة الغراماطيق الذي وُصف بالاسحاقي نسبة اليه قال :

٣ تأليفه للغراماطيق السرياني واشغاله في رومية

« واما انا الفقير لمّا كنت اتعلم في المدرسة ارسل عمي المطران يوحنا الشدراوي المرحوم

يقول لي اني من كل بد وسبب اعمل وانتخب كتاب غراماطيقاً سريانياً لاجل عازة (حاجة) ومن شأن معونة هؤلائك الذين يرغبون في ان يتعلموا ويفهموا هذا اللسان المبارك الذي السيد المسيح وامهُ ورسلهُ وتلاميذهُ شرّفوه وقدّسوه ونطقوا به مثلما ذكر بعض معلمين ونصارى بلاد المشرق في قداديسهم وصلواتهم الالهية مستعملينه ليلاً ونهاراً. فاعتنيت بتعب عظيم وجمعت هذا الغراماطيق. ولمّا كملت علمي وارتسمت ملفاناً في بلد الافرنج طلب مني مدبّر المدرسة الذي كان القسيس يعقوب كسيون من جماعة اليسوعيين حتى قبل ما ارجع البلاد اعمل نسخة الكتاب ابقيه لتلاميذ المدرسة يتعلمون فيه فصنعت كذلك ثم سافرت للبلاد. . .»

وقد نشّطهُ ايضاً في تأليف الغراماطيق السيد فرنسيسكو إنقولي امين سر مجمع نشر الايمان المقدّس حاثّاً اياه ان يجعل كتابه مختصراً جامعاً مدرسياً على خلاف النسق الذي اتبعه البطريرك جرجس عميرة في غراماطيقه المعدّ للعلماء اكثر منه للتلاميذ. ولم يُطبع هذا الغراماطيق الا سنة ١٦٣٦ بناء على الحاح الخوري مخائيل سعاده رفيق الشدراوي في المدرسة والشماس جبرائيل ابن الخوري يوحنا عواد الحصروني وقد ذكر المؤلف مبلغ ما انفقه على طبعه فكان ١٥٠ غرشاً تبرّع بنصفها الخوري مخائيل المرقوم

ولما كان الشدراوي في رومية كلّف مجمع نشر الايمان ان ينقل هو ويوحنا الحصروني من اللاتينيّة الى الكلدانية ومن الكلدانية الى اللاتينية كل الوثائق التي حرّرها الكرسي الرسولي ليسهّل على الكلدان امر رجوعهم الى الايمان والاعتراف به على ما تأمر الكنيسة الرومانية. فاتمّ التلميذان النشيطان هذا العمل بكل امانة فشهد لهما بذلك البابا بولس الخامس في رسالته الى البطريرك يوحنا مخلوف ونائبه المطران جرجس عميرة وتاريخها ٨ نيسان سنة ١٦١٤ ومما جاء فيها:

«وقد كان مفيداً جداً لتتميم هذه الاعمال ولذا موجباً لارتياحنا الكلي الجهدُ المشترك الذي بذله ولدانا الحبيبان يوحنا الحصروني واسحق الشدراوي تلميذا مدرستنا المارونية اللذان ترجما كما يجب بكل امانة واجتهاد جميع الكتابات اللازمة من اللغة اللاتينية الى الكلدانية ومن الكلدانية الى اللاتينية. وهذا نطلعكم عليه لتعزيتكم الخاصة ولتمنوا كل العناية بان تساعدوا في هذا العمل متى علمتم انكم اشتركتم فيه بعض الاشتراك»

اما هذه الكتابات فهي رسائل ثلاث لايليا بطريرك الكلدان منها اثنتان جمعيتان ثم اعترافه بالايمان ثم البراءة الرسولية وما أُلحق بها. أضف اليها اعمال مجمع آمد

التي طُبعت باللاتينية بعناية الاستاذ بولس سترُزّا القائل في مقدمة هذا الكتاب « ان المترجم هو الرجل التقي العالم اسحق الشدراوي الماروني الملقان في اللاهوت وتلميذ المدرسة المارونية» وكان الحبر الاعظم نفسه في رسالته الى بطريرك الكلدان (٣ حزيران سنة ١٦١٧) يوصي بالتراجمة الذين تعبوا كثيراً في هذه الخدمة ١

وترجم الشدراوي ايضاً قصيدةً لايليا المذكور مطلعها : « ايها المؤمنون بالله واحد مثلث الاقانيم» مدح بها الحبر الاعظم

وكان جبرائيل مطران مدينة حسن كيفا نظم قصيدتين بعد اختتام المجمع الانف الذكر مدح بها البابا بولس الخامس فنقلها الشدراوي الى اللاتينيّة وطبعها الاستاذ سترُزّا المذكور ومطلع القصيدة الاولى : « ان بطرس قد ارسلك شمساً في فلك الكنيسة ونوراً لكل الجماعات واباً لكل الاباء» ومطلع الثانية : « الى الشمس الكاملة التي تنير الكنيسة باشعّتها »

فيظهر لك مما تقدم ان الشدراوي مكث في رومية نحواً من ١٥ سنة حصّل في اثنائها العلوم واستعدّ اكمل الاستعداد للدرجات المقدّسة ونال شهادة اللغة في العلوم اللاهوتية والفلسفية وألقى على تلاميذ المدرسة دروس اللغة السريانية وهي تلك التي جمعها في ما بعد في غراماطيقهِ المشهور

٤ عوده الى وطنه وسيامته كاهناً ثم اسقفاً

وفي عام ١٦١٨ عاد الى لبنان وكان له من العمر ٢٨ سنة فرقّاه المطران جرجس عميرة الى الدرجات الصغار في السنة التالية وكان قد تزوّج قبل ذلك. ثم رقّاه البطريرك يوحنا مخلوف الى درجة الكهنوت وقلّده خدمة الموارنة في مدينة طرابلس فقام بها خير قيام مدة عشر سنوات (١ رُقّي في اثنائها الى رئاسة كهنة تلك المدينة . وفي خلال ذلك توفيت زوجته بعد ان رُزق منها اولاد نعرف منهم الشدياق يعقوب والشماس يوحنا

وفي ٢٥ آذار سنة ١٥٢٩ سامه البطريرك يوحنا مخلوف مطراناً على كرسي

١) لا نعلم الى اي امر استند المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس في قوله عن الشدراوي انه خدم مدينة بيروت مع ان المطران اسحق نفسه يقول انهُ خدم طرابلس

قنوبين وسلّمهُ تدبير ابرشية طرابلس. فاخذ يزور الرعية الموكولة الى عنايته غير ان السيد البطريرك نظراً لعظم ثقته به كان يوعز اليه ان يتفقد الابرشيات الاخرى الخاضعة لسلطانه البطريركي

وقد تقدّمنا فقلنا ان المطارنة كانوا يسامون على كرسي قنوبين ويُرسلون الى زيارة الرعايا وجباية النورية (١ وقد اوضح ذلك العلامة الدويهي في كتاب الاحتجاج قال في ردّه على التهمة التي موضوعها ان البطريرك يتفق هو والمطارنة على شيء معلوم لقاء الرسامة: «ان العادة في سيامة الاساقفة وتصريفهم ان البطاركة لم يصرّفوهم في الرعايا المتسامين عليها لكثرة الظلم بل الذين لا ديورة لهم ولا املاك ثابتة يشارطونهم على العشر في جمع العشور من الشعب فيخصّهم الثلث مما يجمع والثلثان يكونان للبطريرك»

وفي السنة التي سيم فيها الشدراوي اسقفاً ارسلهُ البطريرك يوحنا مخلوف الى حلب فاستقبله الموارنة فيها بكل ترحاب واجلّوا وفادته فاهتمّ بقضاء مصالح الطائفة في تلك المدينة وقد ذكر رحلته [illegible] في تلك السنة في ٢٧ حزيران نزل مطراً غزيراً في حلب وهو امر عجيب. أمّا مصالح الطائفة وكان افرادها قليلي العدد فهي الوقوف على احوالها الروحية وتثبيت الاحداث وفحص الاوقاف وازالة اسباب الخلاف وكان قد تفاقم لاسيما بين الكهنة. ودعا البطريرك الى ارسال الشدراوي اتصافه بالتقوى والعلم والحكمة وعدم وجود اسقف لحلب مقيم فيها. فقام المطران بهذه المهمة احسن قيام وجمع النورية كالمعتاد وتفقّد شؤون الرعية فعظمت هيبته لدى الجميع وافتخر به الموارنة «فصار له اعزاز كثير منهم»

وفي السنة التالية فشا وباء الطاعون ففتك بالسكّان فتكاً ذريعاً وكان الكهنة يتفانون في خدمة المرضى ويبذل اليسوعيّون جهدهم لاعانة المصابين الروحية والزمنية فاكتسبوا القلوب بعد ان كانت نافرةً منهم بسبب ما اشاعه عنهم خصومهم من وطنيين واجانب (٢ ولا يبعد ان يكون المطران اسحق سعى هو ايضاً الى ازالة

---

١) ان النورية عين مقدارها في ذلك الوقت [illegible] غرشاً عن كل سنة تدفع للكرسي البطريركي

٢) حصل ذلك بدسائس البندقيين المحتلّين في حلب فانهم كانوا معادين لليسوعيين بغضاً

اسباب النفور التي اوجدها اولئك ولاسيما انهُ كان لا يجهل فضل معلميهِ وفضيلتهم ففتح للمرسلين اليسوعيين باب كنيسة الموارنة المقامة على اسم النبي الياس العظيم وتيسر لهم ان يؤسسوا اخوية للرجال ومدرسة للاحداث وان يؤلفوا الكتب الروحية والعلمية او يترجموها

وفي تلك الاثناء نظم الشدراوي قصيدتين احداهما في مدح البابا اوربانوس الثامن والثانية في البطريرك يوحنا مخلوف الذي رسمهُ اسقفاً . وكلتا القصيدتين في مكتبة مجمع نشر الايمان في رومية

وبعد ان قضى ما نُدب اليهِ عاد الى لبنان واستأنف فيهِ اعماله الرسولية الى ان ضاق العيش على النصارى عموماً والموارنة خصوصاً في انحاء الجبل وسواحله غب ان تغلَّبت الدولة على الامير فخر الدين الكبير وتحالفت عليهِ الجيوش العثمانية واعوانها ابناء سيفا وسائر خصومه . ومعلوم ان النصارى بل سكان جبل لبنان عموماً مالوا الى الامير فخر الدين واستبشروا بحكمه لانهم في ايامهِ ذاقوا طعم الراحة التي حُرموها مدة اجيال وتمتَّعوا بالعدل وخيَّمت فوق ربوعهم السكينة . فلما غُلب الامير على امره اخذت الدولة وخصومه يتقصَّون ممن لاذوا بهِ وانحازوا اليهِ كبارًا وصغارًا . وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في ترجمة البطريرك جرجس عميرة على اننا حبًّا بزيادة الافادة عن احوال البلاد نورد ما كتبهُ الدويهي في تاريخ الازمنة عن تلك الحقبة المشؤومة التي كاد يتحقق فيها استقلال لبنان التام لو لم تتغلب على افكار الامير فخر الدين مطامع تجاوزت الحدّ ففرَّق قواتهِ في معاقل عديدة بعيدة بعضها عن بعض ولو لم يسُد بين الزعماء الحسد والمزاحمة على الوظائف عن طرق غير مشروعة بل مضرَّة باستقلال البلاد ومستقبله . قال الدويهي :

« وفي سنة ١٦٣٣ كانت الركبة على الامير فخر الدين وذلك انهُ لما كثرت المعروضات فيهِ الى السلطان مراد امر كجك احمد ان يجرد الجيش للقبض عليهِ

وفي ربيع الاول الموافق لشهر ايلول خرجت الدولة من الشام بعسكر عظيم في نهار الاربعاء فكبسوا بلاد ابن الشهاب وغزوا وادي التيم ونهبوا وحرقوا وقتلوا ثم نزلوا الى الخان الجديد تحت حاصبيا . فاخذ خبرهم الامير علي وهو في صفد فزحف مع رجاله من صفد فبات في

بالحبر الاعظم الذي كان حرم جمهوريَّتهم لابتغائها حقوق الكنيسة وكان اليسوعيُّون يدافعون عنها فقطع البندقيون المواصلات الرسميَّة مع رومية وطردوا اليسوعيين

بانياس ثم قام ليكبس عسكر الدولة فبلغه عند الصبح فغُلب على امره وقُتل قسمٌ من رفاقه وانهزم الباقون

ثم قدم جعفر باشا قبطان البحر في الاغربة الى مينا طرابلس ثم الى بيروت فجمع السيفية واصحاب الاغراض جيشاً كبيراً وجاؤوا على طريق البحر فانهزم المنيون من وجههم وتشتتوا ايدي سبا. فالامير حسن ابن الامير فخر الدين احتمى مع كاخيته الشيخ ابو نوفل نادر الخازن في قلعة المرقب (في عكار) والامير ملحم ابن الامير يونس التجأ الى آل طربيه والامير فخر الدين ادخل عياله الى منارة نيحا (قرب جزين) واختبأ مع الشيخ ابي نادر ومسرور آغا وابي علوان وابي صافي في منارة جزين. اما كجك احمد فسار الى صيدا وكتب الى الامير يونس ابن من يؤمّنه وفي حال حضوره قتلهُ. ثم غزا جيش الدولة بلاد الدروز فنهبوا وقتلوا ثم استولوا على جميع القلاع واقطعوا بلاد الشوف الامير علياً ابن علم الدين اليمني. ثم توفقوا الى القبض على الامير حسين والشيخ ابي نوفل الخازن فارسلوهما الى حلب. وبعد ذلك حاصروا قلعة نيحا ومنارة جزين فاكتشفوا (بدسيسة) على القناة الموصلة الماء الى القلعة فرموا فيها الاقذار وافسدوا الماء فلم يعد من سبيل الى المقاومة ولاسيما ان العملة الذين كانوا بامر قائد الجيش العثماني اخذوا في قطع الصخر من فوق المنارة ومن اسفلها وواصلوا العمل حتى انتهوا اليها في اخر جمادى الثاني فملكوها فشُدّ الامير فخر الدين واولاده منصور وحيدر وبيك وكواخيه ابا نادر الخازن ويوسف اغا بالوثاق وارسلوا الى دمشق»

اما الامير ملحم فاسلمه آل طربيه الى كاخية كجك احمد ابرهيم باشا. حل الى ... ان اث في قراخان تمكن الامير من الهرب فطرح نفسه في النهر فحدثت الجيوش طالبه فلم تفلح. ا هو فاستفاد بظلام الليل لينجو بنفسه الى عرنته (قرب دمشق) وهناك اختفى ثلاثة اشهر عند شيخ القرية الذي كان من غرض بيت معن

اما الشيخ ابو نوفل فهرب من حلب وكفل الامير علي اليمني الشيخ ابا نادر فاطلق سبيله من قلعة الشام. ومسرور اغا كفله يوسف اغا فسلموا جميعاً

«اما الامير فخر الدين واولاده فارسلوا الى استانبول حيث حُجز عليهم. لكن الامير ملحم لما علم ان الامير علياً اليمني يسعى في ابادة بيت معن واتباعهم لم يطق صبراً فجمع رجاله وهجم على اليمنية في قرية المقيرط فوق مجدل معوش فظفر بهم وقتل منهم عدداً كبيراً وكان بين القتلى كاخية كجك احمد باشا. فانهزم ابن علم الدين الى طرابلس ومنها الى الشام. ثم بعد ان نجده كجك احمد باشا قصد الى البقاع وغدر برجال الامير ملحم في قب الياس فقتل منهم مقتلة فاضطرّ الامير ملحم الى الاختفاء في الشوف. وتجدّدت الشكوى الى الباب العالي على الامير فخر الدين فامر السلطان بقتله. وتولى السيفية ايالة طرابلس واليمنية بلاد الشوف واخذوا ينتقصون عن مشايخ بيت معن ليفنوهم عن بكرة ابيهم. ولما كان النصارى من حزب بيت معن لاجم لقوا منهم كل عدل وعطف اخذ الغالبون يتعقبونهم فتفرّقوا رجالهم في البلاد ينهبون ويسلبون بداعي التفتيش عن البقية الباقية من آل معن واتباعهم

وقد لخص الدويهي هذه الحالة فقال :

ومن كثرة المكاره والاغراض كثر الظلم وكلّفوا الرعايا عرض المال سالّين وقبضوا على المرابط (الجباه) والرؤساء لكي يقرّوا على رزق ابن مسن وبيت الخازن وغيرهم. وكان القس حنا بن جبنا الاجباني مترئساً على دير مار مارون ريش مُران في قرية كفرحي فوشى به اهل بقسبا الملكيون (وكانوا من الروم الأرثذكس) عند ابن سيفا فقبض عليه واهانهُ وكلفهُ فوق طاقته فارتحل ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت ايضاً بقسبا »

اما موارنة الشمال ففروا الى الجبال العالية (راجع ما كتبناه في حياة عميرة ص٦٦ و٦٧) وكذلك نال المرسلين اضطهادٌ عظيم في كل سورية وقد اتُّهموا بانهم عضدوا الامير فخر الدين على الاستقلال

ومن جملة الذين هربوا من لبنان لانهم عُرفوا بحسن علاقتهم مع الامير فخر الدين ومشايخ بيت الخازن المطران اسحق الشدراوي فانه توجه الى حلب مع بنيه وعدد كثير من الموارنة حتى لا يقعوا في قبضة والي دمشق كجك احمد المستشيط غضباً على الامير ملحم واعوانه . فالعناية الالهية التي تُنتج من الشر خيراً سمحت بذلك لان احوال موارنة حلب كانت مضطربة في تلك الايام بسبب الاختلافات الحاصلة بينهم وبين كهنتهم . وكان هؤلاء من قرى لبنان المختلفة يلحقون برعيتهم النازحة الى المدن كما يستدل من جدول الكهنة الذين خدموا موارنة حلب في تلك الازمنة. فجاء المطران اسحق رسولاً يلقي السلام ويزيل دواعي الشحناء بحكمته وسلطته فاخذ الله بيده فتوفق الى تهدئة الخواطر. على انه لما اراد ان يضع حداً لسلطة المتقدمين في الكهنة لم يرضَ هؤلاء بما وضعه من الترتيبات لانها كانت تقلل من حقوقهم على ما زعموا فالتمسوا من البطريرك وكان لا يزال يوحنا مخلوف في قيد الحياة ان يقيلهم من وظائفهم . اما المطران اسحق فبرح حلب ليتعاطى الامر بنفسه ويوقف البطريرك على مجرى الحوادث الانفة الذكر وعلى تلك المشكلات لكنه علم وهو في الطريق انه لن يستطيع التخلص من يد الاتراك الواقفين له بالمرصاد ليبتزوا ماله ويضايقوه فعاد الى حلب واقرّ على الذهاب منها الى رومية رأساً رغم ما كان يتوقعه من المشقات في سفره

وقد اطلعنا في رسالة تاريخها ٢٤ ايلول من سنة ١٦٣٤ بعثها الاب مانيليه المرسل اليسوعي في حلب الى رئيسه العام الاب موتسيو ڤيتلّاسكي على بعض الاسباب التي

تعلل تلك الاضطرابات في حلب» فقال انه يحزنه ان يرى هذه القلاقل في بيت الله وما سببها سوى بُعد القطيع عن السيد البطريرك وحرمانه اسقفاً بل رئيساً يرشده ويزجره عند الاقتضاء. ان البساطة شاملة وهي قلّ ان تختلف عن الجهل ولولا وجود الاسقف المشار اليه (اسحق الشدراوي) لما سمع الشعب كلام الله فانه لم ينثنِ عن الارشاد والوعظ في كل المدة التي قضاها في حلب. فلذا لا بد لكل ابرشية من اسقف خاص يعنى بامورها ويشؤون ابنائها الروحية ولاسيما مدينة حلب حيث يحيط بالموارنة هراطقة مختلفو النحل فيخشى من ان ينضم منهم نفر الى المنشقين وقد ضلّ بعضهم وانحازوا الى الهرطقة»

ثم أثنى الاب المذكور اطيب الثناء على المطران اسحق وقال انه لو أُلقيَت على عاتقه مطرانية حلب لنال تعيينه استحسان الجميع ولعمل هو خيراً كثيراً ففاحت من سيرته رائحة المسيح الطيبة » فانه ملفان في اللاهوت رصين حكيم تقي يعرف تمام المعرفة واجبات الاساقفة. فاني لا اوصي به فان له من شمائله الغراء خير موصٍ وقد عرفتموه تلميذاً لابناء رهبانيتنا وللمدرسة المارونية» . وختم الاب المذكور رسالته طالباً من رئيسه العام ان يهتمّ بامر الشدراوي وبأمر رفاقه الذين استصحبهما الى رومية ليتهذبا في المدرسة المارونية

وقبل ان يسافر الى رومية رأى المرسلين اليسوعيين في ضيقة فاقرضهم مئتي ريال ليفرّج في كربتهم على ان يستوفيها من الرئيس العام في رومية. وقد ذكر في مقدمة غراماطيقه سفره هذا فقال:

« ومن هناك (اي من حلب) ثبت النصيب ورجعت الى مدينة رومية وكان وصولي اليها باول يوم من سنة ١٦٣٥ مسيحية وحيث معي ولديَّ الاثنين الشماس يعقوب واخاه الشماس حنا وهما الان في المدرسة يتعلمان وان يطاعان (كذا) ثمرة صالحة لخدمة الله تعالى »

ونعرف من كتابة الاب مانيليه ان المطران اسحق سافر بعد ١٩ ت١ من تلك السنة لان الرسائل التي كلفه تسليمها للرئيس العام خمسٌ تاريخ الاخيرة منها ما تقدّم

وحدث انه في اثناء سفره انتقل البطريرك يوحنا مخلوف الى راحة الصالحين وخلفه جرجس عميرة الاهدني الذي نشرنا ترجمته قبلاً. فما علم الاب مانيليه بهذا النبإ المفجع حتى بادر الى توصية الرئيس العام بالمطران اسحق الشدراوي لانه رجل عالم

وتقي في مقتبل العمر (١٥ سنة) بعكس عميرة الذي كان متقدماً في السن وان يكن كالشدراوي متضلعاً من العلوم وراسخاً في التقوى. على ان البطريرك جرجس عميرة كان قد انتخب في ٢٧ ك ١ من السنة الفائتة اي قبل رسالة الاب مانيليه بنحو ٢٥ يوماً فلم يرق انتخابه بعض المتنفذين فكتبوا الى الكرسي الرسولي يعترضون كما سبق لنا ان رويناه في حينه وارسلوا يخبرون المطارين الموجودين في رومية وهم سركيس الرزي مطران دمشق ورئيس رهبنة مار انطونيوس وجرجس مارون مطران قبرس واسحق الشدراوي مطران طرابلس

وقد طالعنا فيما خلفهُ المطران جرجس جبقوق في مذكراته، وكان خصم البطريرك عميره، ان المطران اسحق الشدراوي كان في مقدمة الذين طالبوا موفدَي البطريرك بوثائق الانتخاب ومكاتيب المشايخ والاعيان واضطروهما الى العود الى لبنان للحصول عليها. على ان براءة التثبيت التي ارسلها اوربانوس الثامن للبطريرك عميره في اذار ١٦٣٥ اي بعد مرور شهرين على انتخابه تدلُّ على ان كل الدسائس ذهبت ادراج الرياح وان المطران اسحق الشدراوي لم يلتفت الى الشكاوى ولا اعارها اهتماماً كما ترى من مقدمة غراماطيقه. فضلاً عن ان الخوري ميخائيل سعاده لم يُرسل الى رومية الا في ١٥ حزيران من تلك السنة فيكون تثبيت عميرة سبق ارسال الموفد البطريركي بنحو ثلاثة اشهر بنيف. ثم ان تلك العرائض كان العلمانيون مصدرها دفعهم الى توقيعها وارسالها بعض الذين لم يَرُقهم انتخاب عميرة وهو احد تلاميذ المدرسة الرومانية المختلف عنهم بتهذيبه وعلومه. فانهم خافوا على نفوذهم ان يخفّ وروحهم ان تضعف كما ان العلمانيين المتنفذين رأوا سيطرتهم قد زالت في انتخاب البطريرك فامتعضوا وحاولوا ان يسترجعوا ما كانت العادات انالتهم اياه

ولما كان الشدراوي ممن لم تَفُتهم اسرار هذه المناورات نبذ العرائض وبذل جلّ عنايته لمساعدة الخوري مخائيل سعاده في قضاء مصالح البطريرك و«بامره». واحلّ في بيته ضيفاً مكرّماً الخوري مخائيل المذكور ورفيقه الشماس جبرائيل ابن الخوري يوحنا عواد الحصروني وكانوا جميعاً متعاضدين على خدمة البطريرك والطائفة

وفي اثناء اقامة الشدراوي في رومية وبناء على الحاح معارفه وتصريحهم ان ما القاه من الدروس السريانية يجب ان يُجمع في كتاب لما يُرجى منه من الفوائد لكل

من ينطق باللسان السرياني او يستعمله وخصوصاً طائفة الموارنة والمستشرقون تعاون المطران اسحق والخوري مخائيل المذكور على طبع الغراماطيق الذي اطلق عليه اسم الغراماطيق الاسحاقي الخوري مخائيل المرمأ اليه وابرهيم الحاقلي

وفي سفرته هذه قضى مدة في ميلانو درّس فيها اللغة السريانية ورتب مكتبتها

فما تقدم ومما سيتبع يتبيّن جلياً ان ما كتبهُ «الفارس دارفيو» (Chevalier d'Arvieux) عن الشدراوي مصوّرًا اياه متسوّلاً يدور اوربة لجمع الفلس(١ لا يقوى على نقض ما جاء في الكتابات العديدة التي يُثنى فيها اطيب الثناء على صفات هذا الحبر المفضال التقي الذي اضطرّ بحكم الظروف الماكسة لهُ ان يبتعد عن ابرشيته للتخلص من اضطهاد الحكام والخصوم او للسعي في امور هامّة تنفع طائفته بناء على ايعاز رؤسائه

وقد عاد المطران اسحق الى الوطن قبل سنة ١٦٤٢ او في غضونها لاننا وقفنا على صورة صكّ لابي سلامه عويضه من دلبتا به يوقف املاكه بكاملها على دير مار شليطا مقبس « على يد المطران اسحق وذلك سنة ١٦٤٢ وكان شهود الصكّ احدهم الشماس يوحنا ابن المطران اسحق والاخر الخوري يوحنا من اصنون

وقد تأكد لنا ان المطران اسحق هجر جهات لبنان الشمالي وطرابلس مركز اسقفيته الرسمي واتى كسروان وكان ولده الشدياق يعقوب مع ابنيه فضل الله ولطف الله استوطنوا زوق مصبح. ويزعم المطران جرجس حبقوق ان المطران اسحق هو الذي حمل اولاده على المجيء الى تلك الجهة وجدّد لهم فيها رزقاً وحارات وغير ذلك من ماله(٢ (لها بقيّة)

---

١) اطلب مذكراته Mémoires, II. 366-369

٢) يوجد الى اليوم حارة في زوق مصبح تُعرف بحارة المطران ترى في الطريق المؤدية الى عنطورا متى وقفتَ قرب دير البشارة للروم الكاثوليك. ويقال انّ تلك كانت حارة المطران اسحق الشدراوي

حفلة زواج الاله جوبيتر في هيكل دمشق

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

أنّنا نستطيع بفضل الآثار الباقية من سالف الاعصار ان نتخيَّل ما امتاز بهِ هيكل دمشق القديم من المحاسن البهيَّة ونقف على ما كان يألفهُ اهل الفيحاء الوثنيّون من العادات في القرون الماضية . والشكر كل الشكر للافاضل الذين يطلعوننا على الآثار الجديدة التي يحصلون عليها فنحيط بواسطتها علماً ببعض ما نجهلهُ من تاريخ دمشق في العهد الروماني

١ فمن هذه الآثار كتابةٌ رسمناها تحت رقم ١ كان سبق وادنغتون (Waddington) فنسخها عن اصلها الموجود في الجامع الاموي الكبير الذي بُني في مكان الهيكل الوثني السابق . فالكتابة باللغة اليونانيَّة قد تلف قسمٌ منها . والكلام هناك عن رجلٍ يلقَّب بالصغير اشارةً الى سميٍّ لهُ آخر يُدعى بالكبير . ففي السطر الثالث من الكتابة وصفٌ لهُ عن حالتهِ بهذهِ الاحرف الباقية (νομφος Διός) بسقوط حرف او اكثر من الاصل فزعم المسيو ودّنغتون انهُ يجب ان تقرأ هكذا [ἄ]νομφος Διός فقال ان معناها «أعزبُ الاله جوبيتر» وهو لعمري تفسير بعيد مُبهم ولا بدّ من البحث عن إصلاح غير هذا فيجب على ظنّنا ان تُقرأ الكتابة هكذا :

[Ὁ δεῖνα ν]εώτερος, | [ὑπὸ] τῶν ἱερέων | [παρά]νυμφος Διός | [ἐπι-]κληθεὶς, ὑπο | [σχόμενος... ἀνέθηκεν]

فيحصل منهُ هذا المعنى «انَّ فلاناً المعروف بالصغير يقدّم للهيكل تقدمةً شكرًا لنعمةٍ نالها من كهنتهِ وهي انهم منحوهُ ان يمشي بصفة « خادم شرَفي » في موكب زواج الاله جوبيتر والالهة خطيبتهِ الذي يُحتفَل بهِ في كل سنةٍ

وكان المقيمون لهذا العيد يجرون في نظامهِ على عادات اليونان في حفلاتهم الدينيَّة . فكانوا يحتفلون بزواج الاله جوبيتر احتفالهم بزواج البشر . فكما انهم كانوا في زواج الناس يُجلسون الخطيبين على عَجَلةٍ فاخرة فينقلونها الى منزلها الجديد كذلك

. . . . . .
. . . . ΕΩΤΕΡΟΣ
. . . ΤΩΝΙΕΡΕΩΝ
. . . ΝΥΜΦΟΣΔΙΟΣ
. . ΗΛΗΘΕΙΣΥΠΟ
. . . . . .

(1)
Wadd. 2550

ΤΩ
ΑΡΓΥΡΩ
ΝΗΤΟΣ
ΜΙ

(2)

ΕΤΟΥΣ ϛ ΟΥ
ΠΑΝΗΜΟ
ΘΚΑΝΤΙΟ
ΟΣ ΣΕΛΑΛ
ΑΝΟΥΣΕΤ
ΛΕΥΤΗΣΕ
ΕΤΩΝ Ζ

(3)

ΤΟΥΣΔΟ
ΟΡΝΙΛΑ
ΔΔΙΝΟΓΥ
ΣΟΒ
ΕΛ
ΝΕΤ
ΝΓ

(4)

فعلوا بآلهتهم» . فانَّ الاثريّين قد وجدوا في مدينة اماثونت في جزيرة قبرس كتابةً يُذكر فيها فتيان تعيَّنا بصفة فتية شرف في موكب زواج الهَيْن (١

ولا غرو ان اهل دمشق جروا على مثل هذه العادة في مدينتهم لان هيكلهم كان مختصاً بعبادة إلهٍ وإلاهة كانا في الاصل الهَيْن وطنيَّين اعني بعل شمين وعَتَرْغاتيس فانقلبا في أيام الدولة اليونانيَّة الى الهين يونانيين زفس (Zeus) وهيرا (Héra) ثمَّ اصبحا رومانيَّين جوبيتر وجونون . وكانت اعياد زواج هذين الالهين منتشرةً في كثير من البلاد . وقد افادنا المؤرخ إليان (Elien) انَّ الاساطير السوريَّة كانت تجعل وقوع زواج زفس وهيرا عند نبع نهر خابور . فالمرجَّح (٢ اذن انَّ الكتابة اليونانيَّة التي نحن بصددها تشير الى مثل هذه الاعياد في هيكل دمشق الذي شاع ذكر جمالهِ بين القدماء الى عهد يوليانس المعروف بالجاحد وانَّ صاحب الكتابة كان حصل على هذا الشرف بان يرافقَ الالهين في حفلة زواجهما بصفة « اشبين » للعروسين

٢ ومن الكتابات اليونانية التي تفضَّل حضرة القانوني هاناور (J. E. Hanauer) فارسلها الينا على يد حضرة الاب جلابرت صورة كتابةٍ وُجدت في دمشق في ايام الحرب الكونيَّة عند باب توما (اطلب العدد ٢ في صورة الكتابات)

وقد اعلمني جناب الدكتور پرپولاني انَّ قطعة السارية التي كانت محفورة عليها هذه الكتابة وجدت مع عدَّة نواويس عند مدخل المدينة قريباً من الجسر الممتدّ فوق نهر بَرَدى الى باب توما . والكتابة على ما يظهر تشير الى اثر مندفن على الغالب كان رُقم عليهِ اسم صاحبهِ . فالكتابة تُعلن بانَّ الاثر الذي كُتبت عليهِ هو ملكٌ لرجلٍ ابتاعهُ بنقود صحيحة :

[Γαύ]τῳ او [Τούτ]ῳ | ἀργυρῶ | νητος | [εἰ] μί(?)

اي « اني خاصَّة فلان اذ انَّهُ ابتاعني بنقود جيدة »

٣ و٤ ثمَّ قد اوقفني جناب الاديب عيسى اسكندر معلوف احد اعضاء المجمع العلمي العربي اذ كنتُ في دمشق على كتابتين مدفنيَّتين دخلتا في آثار متحف المجمع

(١ اطلب P. Perdrizet, BCH, 1896, p. 351, 1

(٢ اطلب معجم الآثار اليونانيَّة واللاتينيَّة Dict. des Antiquités, III, p. 178, b *Graillot*.

وجدوها في حيّ المدينة المعروف بالعصرونيّة فوجدنا فيها اعلاماً عربيّة ويونانيّة ولاتينيّة يلوح منها امتزاج التمدّنات الذي كان يجري في الشام في القرن الثاني بعد المسيح

فالكتابة الاولى (اطلب في الصورة العدد ٣) هذه صورتها :

Ἔτους ϛο[υ΄]? | Πανήμο[υ] | θκ΄ Ἀντίο[χ] | ος Σελα[μ] | άνους ἐτ[ε] | λεύ-τησε [ν] | ἐτῶν ξ.

تفسيرها : في السنة ٤٧٦ في التاسع والعشرين من شهر پانيموس (الموافق لاحد شهري أيار وحزيران من السنة ١٦٥ بعد المسيح) قد قضى انطيوخوس بن سيلامانيس نحبهُ وعمرهُ ٦٠ سنة بنيّف

والكتابة الثانية (اطلب العدد ٤ من الصورة) هذه حرفهُ :

[Ἔ]τους ϐο [υ΄?] | [Σατ]ορνίλα? [Κ][λ]αδι(ά)νο[υ? γυ] [νὴ ? Σοβ[έου ἐ-] | τ]ελε[ύτησ] | [ε]ν ἐτ[ῶν] νγ΄

تفسيرها : «في السنة ٤٧٤ (١٦٣ بعد المسيح) قضت ساترونيلّا ابنة كلوديانوس (؟) نحبها وعمرها ٥٣ سنة

٥ وفي متحف المجمع العربي ايضاً كتابة اخرى مدفنيّة للمدعو «زبيداناس زبدى» (Ζεβιδάνας Ζαβδᾶ) نشرها الاثري ليتزبرسكي(١ وقد وفقنا بفضل جناب الاديب عيسى معلوف على اصلها فانها قد وُجدت في الخاء الزبداني . فانَّ هذه الاسماء الثلثة اي اسم البلد زبداني مع الاسمين المرقومين في الكتابة اي زبيداناس وزبدى كلها مشتقّة من اصل واحد سامي والمرجّح انَّ ورود هذه الاسماء في تلك الناحية دليلٌ على انّ هناك سكنت قبيلة العرب المعروفة بالزبديين (Ζεβεδαῖοι) التي ورد ذكرها في سفر المكابيين الاوّل (١٢ : ٢٤–٣٢) مشيراً الى مقامها بين حمص ودمشق . وجاء في بعض الكتابات التلموديّة في مجلّة تآنيث (٢ ان تلك القبيلة كانت تسكن قريباً من كلسيس اعني في الجبل الشرقي اي تقريباً في نواحي الزبداني

---

١) اطلب المجلة *Ephem. f. sem. Epigraphik, III, p. 190*, y

٢) 1 Mac. 12 : 24-32 ; Magillath, Taanith. § 33 ; Schuerer, I, 238, n° 34

كاهن الله

بقلم فؤاد افرام البستاني

تقدمة لمتخرّجي المدرسة الاكليريكيّة في كليّة القديس يوسف الآباء الافاضل انطون عبد وفرنسيس ايوب وابراهيم مبارك وجورج مشلاني وبولس هنديه ويوسف تفتيان وعمّانويل ترزيان بمناسبة سيامتهم الكهنوتية في ١٦ و ١٧ أيار ١٩٢٥

بين الضجيج والازدحامْ وعراك ابناء الانامْ
هبّت به روحٌ فهامْ يرنو بعيدًا للأمامْ
كالضائع الساهي!

صوتٌ أهابَ بسامعيهْ نورٌ ألمَّ بناظريهْ
حبٌّ تملّك أصغريهْ فغدا وذي الدنيا لديهْ
ألعوبةُ اللاهي

لا تضطرب فانا الطريقْ نحو الكمالِ ولا رفيقْ
غيري يقودك هل تُفيقْ حرًّا من النوم العميقْ
تقفو خُطى اللهِ؟

وانا القيامة والحياةْ مني ومن غيري الممماتْ
ان كنت ترغب في النجاةْ اكفر بكلّ الترّهاتْ
بالعزّ والجاهِ!

تركَ الشبيبةَ والمشيبْ في اللهو والعيش القشيبْ
ترك القريب مع الغريبْ ومشى وقد حمل الصليبْ
ذا كاهن اللهِ!

يا مَنْ ظمئت الى المياهْ لابأس في عطش الشفاهْ
انظر لقلبك قد كواهْ ظمأٌ فان تطلب رواهْ
زُرْ كاهنَ اللهِ

يا من بهِ ان حلَّ داء فَقَدَ السكينة والرجاء
ألمُ الجسوم لهُ دواء ا لمْ وابغِ للنفس الشفاء
من كاهن اللهِ

واذا احاط بك الخطرْ فشكوت بؤساً او كدرْ
لا تيأسنَّ فكل شرْ يُضحي خفيفاً ان تَزُرْ
بهِ كاهنَ اللهِ

نور لمؤاسي والدليلْ في السير ان فقدَ السبيلْ
ونور المعزي والكفيلْ بسعادة العيش الجميلْ
في جنة اللهِ

***

بالله يا من بالصليبْ عقدَ الرجاء فلن يخيبْ
جعلوك للنفس الطبيبْ فاشفِ القريب مع الغريبْ
يا كاهنَ اللهِ

حتَّى اذا حان الأوانْ ودعاكَ ربُّك ذو الحنانْ
ليثيبَ نفسك في الجنانْ فامتَعْ دواماً بالأمانْ
في مَقدِس اللهِ

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

١٣ العجّاج بن رؤبة

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ هو عبدالله بن رؤبة بن حنيفة احد بني تميم يُكنَّى ابا الشعثاء والشعثاء ابنتهُ . وقد سُمّي العجّاج ببيت قالهُ في مديح قومهِ :

فعرفوا ألّا يُلاقوا مَخرجا او يبتغوا الى العمادِ دَرَجا
حتى يَعِجَّ عندها مَنْ عَجْعَجا

وكان يلقَّب بعبدالله الطويل واكثر سكناهُ البصرة فنُسب اليها

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ عاش العجّاج في عهد بني امية فمدحهم ونال صِلاتهم وقد عرف منهم يزيد بن معاوية وسليمان بن عبد الملك وبشر بن مروان بن الحكم ومدح عاملهم على العراق الحجّاج بن يوسف وغيره من اعيان زمانهِ كعُمر بن عبيد الله بن معمر والي البصرة وكان عبد الملك بن مروان قد وجّههُ لقتال ابي فُدَيك الخارجي الحروريّ فاوقع بهِ وباصحابهِ سنة ٧٣هـ (٦٩٢م) فمدحهُ العجّاج بارجوزة طويلة في نحو مائتي بيت

امّا شعرهُ فقد اشتهر فيهِ بقصائدهِ الرجز فانّهُ كان هو وابنهُ رؤبة من كبار الرجّازين وفصائحهم وقيل ان الأغلب العِجلي والعجّاج وابا النَّجم العجلي اوّل من اطالوا المقطّعات ونظموا الاراجيز المطوّلة . وقد اخبر ابو الفرج في الاغاني (١٨ : ١٢٤) عن ابن دريد انهُ قيل ليونس النحوي : من اشعر الناس ؟ قال العجّاج ورؤبة . فقيل لهُ : لِمَ لَمْ تُعنَ بالرَّجاز . ؟ فقال : «هم اشعر من اهل القصيد . انّما الشعر كلام واجوَدُهُ

اشعرُهُ". ثم ذكر مثالًا من شعرهما بيَّن فيهِ ما لهما من الفضل وجود القريحة

﴿اخبارُهُ﴾ عاش العجّاج في البصرة وفي البادية المجاورة لها في أيام الخلفاء الراشدين ثمّ في عهد بني امية. وكان موالياً للامويين ولعلّهُ حارب مع جيوشهم اعداء دولتهم كما يستدلّ من اوصافهِ لحروبهم. وقد مرَّ بدمشق ودخل على خلفائها وحضر مع الشعراء بعض المجالس الادبيّة التي عُقدت فيها. ووقعت بينهُ وبين ابي النجم الراجز مفاخرات كان يدّعي كلّ منهما الفضل على الآخر

وممّا لا ريب فيهِ انَّ سمعة العجّاج انتشرت في انحاء العرب وكان الناس يتناشدون شعرهُ فنقلهُ عنهم اللغويُّون واستندوا اليهِ في نوادر كتب اللغة

وممّا اخبرهُ الاصفهاني في الاغاني متفكّهاً (١٨ : ١٢٤) انَّ راجزاً من اهل المدينة جلس الى حلقةٍ فيها الشعراء وبينهم العجّاج وابنهُ رؤبة وهو لا يعرفهما فقال: «انا ارجزُ العرب انا الذي اقول :

مروانُ يُعطي وسعيدٌ يمنعُ مروانُ نبعٌ وسعيدٌ خروعُ

وَددتُ اني راهنتُ من احبَّ في الرجز لأنّا ارجز من العجّاج فلمّا قامت البصرة بعث بي بنيّة. فأقبل رؤبة على ابيهِ فقال: قد والله نصرك ابو ليلى عليهِ العجّاج فقال: ها انا ذا. العجّاج فهلُمّ. وزحف. فقال المدني. واي العجّاجين انت. قال: ما خالتُك تعني غيري انا عبدالله الطويل (وكان يكنّى بذلك). فقال لهُ المدني: ما عنيتُك ولا أردتُك. قال: وكيف وقد هتفتَ باسمي. فقال: او ما في الدنيا عجّاج سواك ؟ قال: ما علمتُ. قال: ولكني اعلمُ واياهُ عنيتُ. قال: فهذا ابني رؤبة. فقال: اللهمَّ غفرًا ما بيني وبينكم عملٌ وانّما مُرادي غيركما. فضحك الحلقة منهُ وكفّا عنهُ

وكان العجّاج يقيم في مِربَد البصرة من اشهر محالّها وبها كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء فيقوم بينهم العجّاج محتفلًا عليهِ جبّةُ خزٍّ وعمامة خزٍّ على ناقةٍ لهُ قد اجاد رحلها فينشد الناس

وعاش العجّاج الى ايّام الوليد بن عبد الملك فمات نحو السنة ٩٠ هـ (٧٠٩م)

﴿دينهُ﴾ ما كنّا لنجسر ان ننظم العجّاج في سلك شعراء النصرانيّة لولا كلمةٌ وردت في شعرهِ تدلُّ على انّهُ دان بالنصرانيّة وان يكن بعد ذلك عدل الى

الاسلام. وهذه الكلمة هي مطلع قصيدته الرائيّة الشهيرة حيث يقول :

الحَمْدُ لله الذي اعطى الشَّبَرْ

فشرح البعض لفظة «الشَّبَر» بمعنى الخير والعطيّة اي الحمدُ لله موزّع الخيرات والعطايا . الّا انّ للفظة معنى آخر قديماً ورد في شعر عدي بن زيد الشاعر النصراني الشهير حيث يصف امانتهُ نحو النعمان (شعراء النصرانيّة ص ٤٥٢):

لم أُخنْهُ والذي أعطى الشَّبرْ

فورد هناك شرح الكلمة «بالانجيل والقربان». وكذلك قال ابن السكّيت في اصلاح المنطق (في الطبعة المصريّة ص ١٦٩) : «وقيل في الشَّبَر ما هنا انّهُ القربان». فعديّ اذ أقسَم بالشَّبَر اراد أجلّ ما لدى النصارى في دينهم وهو القربان. وقد زاد العجّاج على قول عدي اذ خصّ الحمدلة في مقدّمة قصيدته وبراعة استهلالها بمنحة الله للشَّبَر فلا يُريد ايّ عطيّة كانت بل اكبر هبات الله التي هي عند النصارى الانجيل والقربان

ويؤيّد ذلك الشرحُ الوارد في لسان العرب(٦ : ٥٩) وفي تاج العروس(٣ : ٢٨٩) لبيتي عدي والعجّاج : «الشَّبَر شيء يتعاطاهُ النصارى بعضهم لبعض كالقربان يتقرّبون به او القربان بعينه. ونقل الصاغاني عن الخليل انّ الشَّبَر شيء تُعطيه النصارى بعضُهم بعضاً كأنّهم كانوا يتقرّبون به . . . وقيل الانجيل»

فترى من هذه الشروح انّ العجّاج وعدي بن زيد ضربا عن وَتر واحد وانّ كليهما يدين بالنصرانيّة. واللفظة على ما نظنّ سريانيّة فان كانت بمعنى الانجيل فهي «ܫܒܚܬܐ» يراد بها البشرى وهذا معنى لفظة الانجيل في اليونانيّة. وان كانت بمعنى القربان فهي «ܫܘܒܚܬܐ» ومعناها القوت والغذاء اي قوت النفس والقربان

هذا ولا نجهل انّ بعض الرواة رووا كلمة العجّاج «بالجَبَر وبالخَيَر» وكلاهما بعيد او تصحيف فالجَبَر الاثر او السرور امّا الخَيَر على فَعَل او الخِيَر على فِعَل بلفظ الجمع فلا ذكر لهما في المعاجم . ما لم يُقَلْ انّ الخِيَر جمع خِيَرة اي المختار ولا شكّ في انّ العجّاج نظر الى قول عديّ السابق ذكرهُ . ولاسيّما انّ اقدم رواية هي «الشبر» راقية الى الخليل في القرن الثاني للهجرة

ولسنا نقصد بقولنا هذا ان نصرانيّة العجّاج كانت خالصةً لا غبار عليها فكما ترى هنا اثر نصرانيّتهِ تجد ايضاً في شعرهِ آثارًا اسلاميّة منها في قصيدتهِ الرائيّة المذكورة حيث يذكر نبيّ الاسلام بقولهِ:

محمَّدًا واختارَهُ اللهُ الخِيَرْ فما وَنَى محمَّدٌ مذ ان غفَرْ
لهُ الالهُ ما مضى وما غبرْ ان اظهر الدين بهِ حتى ظَهَرْ

وقيل (في الاغاني ٢١: ٨٥) انَّ العجّاج انشد ابا هُرَيرة صحابيَّ محمّد قولهُ الذي وصف فيهِ الخالق واعمالهُ ويوم الحساب واهوالهُ:

الحمدُ لله الذي تَمَلَّتِ بأمرهِ السماءُ واستقلَّتِ
بإذنهِ الارضُ وما تَعَنَّتِ أرسى عليها بالجبال الثُّبَّتِ
وَحَى لها القرارَ فاستقرَّتِ ربُّ البلاد والعباد القُنَّتِ
والجامعُ الغَيْثَ غَيَاثَ المُنْبِتِ(١ والباعثُ الناسَ ليوم المَوْقِتِ
بعد الممات وهو مُحيي المُوتِ يوم تُجزى النفوسُ ما أعدَّتِ
من نُزُلٍ(٢ اذا الامور غَبَّتِ من سَعي دنيا طالَ ما قد مُدَّتِ
حتى انقضى قضاؤها فأدَّتِ الى الاله خَلْقَهُ اذ طمَّتِ(٣
غاشيةُ الناسِ التي تَغَشَّتِ(٤ يوم يرى المرتابُ أن قد حَقَّتِ
اذا رأى مَتْنَ السماء انْفَدَّتِ وَحيَ الالهِ والبلادَ رُجَّتِ
وهو الذي أنعمَ نُعمى عَمَّتِ دافعَ عني بنُقَيرٍ(٥ مُوتَتي

١) المُنْبِت الذي اصابهُ الجَدْب من احنَتَ القوم اذا اجدبوا
٢) النزل طعام الضيف يريد بهِ الاعمال الصالحة
٣) اذ طَمَّتهم اي دفنتهم في التراب
٤) الغاشية الهلاك. وتغشّاهُ غطّاهُ ٥) النُّقَير تصغير نَقَر هو فَقْد المال

بعد اللّتيّا واللتيّا والّتي (١ اذا علَتها أنفسٌ تردّتِ
فارتاع ربّي واراد رحمتي ونعمةً أتمّها فتمّتِ
فردّها عني وقد أعدّتِ أظفارَها وتابَها وحدّتِ
فأساً ومِسحاةً لتحتِ جبلتي

فلمّا سمع ابو هريرة انشادهُ قال: اشهد انك تؤمن يوم الحساب. وللعجّاج آثار دينيّة تراها آنفاً

﴿ديوانهُ﴾ قد نجا ديوان العجّاج من الضياع. وكان اوّل من اهتمّ بجمعهِ الاصمعيّ وابو عمرو الشيباني كما روى ابن النديم في الفهرست (ص١٥٨). وامّا اخبارهُ واخبار ابنهِ رؤبة فجمعها عبد العزيز الجلودي من اهل البصرة. وفي المكتبة الخديويّة نسخة من هذا الديوان نقلها العلّامة وليم بن الورد (W. Ahlwardt) فنشرها مع ترجمتها الالمانيّة في برلين سنة ١٩٠٣

وها نحن نقتطف من اراجيزهِ بعض المقطّعات تنويهاً بفضلهِ فمنها قولهُ مستنيباً ومستغفراً ثمّ ذاكراً ويلات الحرب:

يا ربِّ ربَّ البيتِ والمُشرَّقِ والمُرقِلاتِ كلَّ سَهبٍ سَملَقِ (٢
ايّاكَ ادعو فتقبَّلْ مَلَقي (٣ فاغفرْ خطاياي وثَمِّرْ وَرَقي
انّا اذا حربٌ غدَتْ لا تتّقي دَيناً ولا مستأخِراً لم يَلحَقِ
تَرُدُّ حدَّ النابِ منها الأزرَقِ في كلّ يومٍ كاللّياحِ الأبلَقِ (٤
والحُمْسُ قد تعلمُ يومَ مُلزَقِ انّا نقي احسابَنا ونَمتقي (٥

١) اللّتيّا والتي المصيبة والدامية
٢) المُشرَّق مطلّى اليد. ومُرقلات السَّهب اي الابل الخاطمة الفلاة. والسَّملق الصحراء
٣) اي تقبَّلْ دعائي
٤) الناب الأزرق اي ذو الزَّرَق وهو طول الثنايا العليا على السُّفلى. واللياح الصبح والأبلق الذي يختلط سوادهُ ببياضهِ ٥) الحُمس جمع أحمس الشجاع. المُلزق القتال. ونَمتقي نختبهُ

بالمشرفيات افتخارَ الأحمقِ اذ همّتِ الذهلانُ بالتفرّقِ(١
بعد جخيفِ البغي والتمنّقِ دارت رحانا ورحاهم تستقي(٢
سجالَ موتٍ مَنْ يَخُضها يغرقِ

وقال يذكر حُسن سيرتهِ وعفافهُ :

يا ربِّ اذ شددتني عِقالا ولو تشاء أسرعَ انحلالا
ان كنتَ قد غيّرتَ حالي حالا من كِبَرٍ قد أوهن الأوصالا
فلم أكُن استنطقُ العُذّالا من أن يَرَوني للخنا قوّالا
ولم أكن لجارتي غوّالا ولم أكن في جَنْبها جَهّالا
ولم أكُنْ أخادعُ الضلّالا ولا لِما حرّمتَهُ أكّالا
ولا لبيتِ جارتي خَتّالا بعد انصرام ابتغي الإدغالا(٣
تبغياً ما ليس لي حلالا على لإنه الباعثِ الأثقالا
يُعقبني من جنّةٍ تظلّالا(٤ وقد يثيبُ الصابرَ النوالا

ومن اقوالهِ ايضاً يذكر صفاتهِ تعالى :

فالحمدُ لله العليِّ الأعظمِ ذي الجبروت والجلالِ الأفخمِ
وعالمِ الإعلانِ والمكتّمِ وربِّ كلِّ كافرٍ ومُسلمِ
والساكن الارض بأمرٍ مُحكمِ بَنى السماواتِ بغيرِ سُلّمِ

١) اراد بالأحمق الذي لا يُبالي بأهوال الحرب. وبالذهلان الجُبناء
٢) الجخيف الافتخار الباطل. والرحى حومة الحرب
٣) الختّال المخدّاع. والإدغال الخيانة ٤) التظلّال من المصادر النادرة كالتظليل

وربِّ هذا البلَدِ المحرَّمِ والقاطناتِ البيتَ غيرَ الرُّيَّمِ(١
من عهد ابرهيمَ لمَّا تُطْسَمِ

ومن مديح العجّاج قوله في يزيد بن معاوية :

فقد رأى الرَّاؤون غيرُ البُطَّلِ أنَّك يا يزيدُ يا ابنَ الأَفْحَلِ(٢
اذ زُلزِلَ الاقوامُ لم تُزَلزَلِ(٣ عن دينِ موسى والرسول المُرسل
اذ طارَ بالناس قلوبُ الضُّلَّلِ(٤ قتلًا وإضرارًا بمن لم يُقْتَلِ
وكنتَ سيفَ الله لم يُفَلَّلِ يَفرَعُ احياناً وحيناً يَختلي(٥
سوالفَ العادينَ هَذَّ المُنْصُلِ والهامَ والبِيضَ انتقافَ الحَنظَلِ(٦
حتى ارفأنَّ الناسُ بَعدَ المِجْوَلِ وبعد تَشْوَالِ الحروبِ الشُّوَّلِ(٧
تفادياً منك ولم تُنَلِّلِ

وقال يمدح الوليد بن عبد الملك وكان يكنى بابي العبّاس :

كم قد جَسَرْنا من عَلاةٍ عَنْسِ كَبْداءَ كالقَوْسِ وأُخرى جَلْسِ(٨

---

١) الرُّيَّم جمع رائم من رام المكان اذا فارقهُ
٢) الأفحل الاكرم ٣) زُلزِل القوم اضطربوا
٤) الضُّلَّل جمع الضالّ المتشتت المنهزم
٥) فَلَّلَ السيفَ كلَّمهُ. ويَفرَع يعلو فوق رؤوس العدوّ. ويختلي يجزّ ويقطع
٦) السوالف مفعول يختلي جمع سالفة وهي صفحة العُنق. والهَذُّ القَطْع السريع. والمُنْصُل النصل البرّي وانتقافَ الحَنظَل كسرهُ من حبّهِ استعارهُ لكسر الرؤوس
٧) ارفأنَّ سكن وهدأ. المِجْوَل كرّة الحرب. وتَشْوال الحرب هيجانها
٨) جَسَرَ العَلاةَ اي ساقَ الناقة سَوْقًا شديدًا. والعَنْس الناقة الصلبة الجسم . ويقال قوسٌ كبداء اذا ملأ مقبضُها الكفَّ. والناقة الجَلْس الرثيثة الجسم

حتى احتضرنا بعد سَيرٍ حَدْسِ إمامَ رَغْسٍ في نِصابٍ رَغْسِ(١
رأسَ قوامِ الدينِ وابنَ رأسِ خليفةً ساسَ بغير فَجْسِ(٢
في قِنْسِ مَجْدٍ فاتَ كلَّ قِنْسِ(٣ ملَّكهُ اللهُ بغير نَحْسِ
قد علمَ القدُّوسُ رَبُّ القُدْسِ انَّ أبا العبَّاس أولى نَفْسِ
بمعدِنِ المُلكِ كريمِ الكِرْسِ فُرُوعهِ واصلهِ المُرَسّي(٤

وقال في بني مَرْوان :

انَّ بني مَرْوانَ ضَرَّابو البُهَمْ والقاتلون من عَصَى اذا اعتَقَمْ(٥
دينـاً سوى الحقِّ الى أمرٍ أمَمْ كلُّهمُ يُنمَى الى عِزٍّ أشَمْ(٦

وقال يفتخر بقومهِ :

قد علمَتْ بكرٌ وسعدٌ تغلبُ تَدْرَى اذا يُرِنَّ مأتَمُهْ(٧
نطعنُهُ نَجلاءَ فيها ألَمُهْ يجيشُ من بين تراقيهِ دَمُهْ
كمِرجَلِ الصَّبَّاغِ جاشَ بَقَّمُهْ(٨

١) السَّبر الحَدْس هو السريع . واحتضَرَ كحَضَرَ . الرَّغْس النعمة والبركة خصَّها بالإمام اي الخليفة الوليد . والرَّغْس المشي البطيء من الإعياء
٢) الفَجْس الكبر والتعظُّم
٣) القِنْس أهل الرأس والذؤوبة
٤) كريم الكِرْس اي كريم الاصل . والمُرَسّي المتأصّل
٥) البُهَم الشجاع . اعتقم الرجل الى الشرّ تردَّد اليه
٦) الامر الأمَم الواضح البيّن . والأشَمّ العالي الشرَف
٧) يُرِنّ مأتَمُهُ اي يكون لموتهِ رنّة حزن وصراخ
٨) الطعنة النَّجلاء الواسعة . وجاش الدم انصبَّ بغليان . ثم شبَّهُ بغليان خَشَب البَقَّم الذي يطبخهُ الصبَّاغ ليصبغ بطبخهِ

ومن حسن اقواله وصفهُ الليلة قضاها بالالم والسهاد :

وليلةٍ منَ الليالي مَرَّتِ بكابدٍ كابدتُها وجَرَّتِ(١
كَلْكَلَها لولا الإلهُ ضَرَّتِ في ظُلَمٍ أزلَّها فزلَّتِ(٢
عنّي ولولا اللهُ ما تجلَّتِ بتُّ لها يَقْظانَ واقْسَأَنَّتِ(٣
اذا رجوتُ ان تُضيء أسودَّتِ دون قُدامي الصُّبْحِ فارجحَنَّتِ(٤
منها عَجاساءُ اذا ما ألتجَّتِ حَسِبتُها ولم تَكُنْ كَرَّتِ(٥
كأنَّما نجومُها اذ وَلَّتِ زَوْرًا تباهي الغَوْرَ اذ تدلَّتِ(٦

ومن اقواله الدينيَّة قولهُ يذكر العمل الصالح وجزاءهُ عند الله :

يعلَمُ والعالِمُ لا كالأَجهَلُ أنَّ حسابَ العَمَلِ المُحصَّلِ
والأَولى منْ غِبِّ الامورِ الأُوَلِ عند الاله يومَ جَمْعِ العُمَلِ
بمَجْمعِ الحساب والمُزَيَّلِ(٧ وأنَّ خيرَ الخَوَلِ المخوَّلِ
فَلْذُ العطاء في الحقوقِ النُّزَّلِ

وقال في مثل ذلك :

لا اشتمُ المرءَ الكريمَ المُسْلما ولا أرى شَتْمَ البريء مَغْنما

١) الكابد المكابدة والمشقَّة
٢) الكَلْكَل الصدر. واستعار جرّ الداهية بكلكلها لطول مصائبها . وأزلّها اي الله أزلّتها وغمّاها . ٣) اقسأنّت اشتدّت وصعُبت
٤) قُدامي الصبح لوائحهُ الاولى . ارجحنّت مالت واهتزّت
٥) العجاساء ظلمة الليل. والتجّت اي التبست واشتدّ ظلامها
٦) ولّت زَوْرًا اي ولّت يزوّرها اي صدرها ٧) المُزيَّل هنا المختار

ولا ابنِ عمّي أن أراهُ مُفحَما وجارةُ البيتِ أراها مُحرَّما(١
كما قضاها اللهُ إلّا إنّما مكارمُ السَّعي لمن تكرَّما
مَخافةَ الله وعلماً انّما يجزي المُجازي عاملاً ما قدَّما

ومن التشابيه النصرانيّة قولهُ يصف بقرة وحش :

واعتادَ أرباضاً لها آرِيُّ من مَعْدِنِ الصِّيرانِ عُدْمُلِيُّ
كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ وبيعةً لسُورها عِلِّيُّ(٢

فمن هذه الامثلة يلوح للقرّاء ما صار اليهِ شعر الرَّجز في عهد بني امية اذ بلغ الغاية من المتانة والتبسُّط وكان للعجّاج في ذلك السهم الفائز وعلى اثرهِ جرى ابنهُ رؤبة من بعدهِ وعاش الى زمن دولة بني عبّاس ولا نعرف من نصرانيّتهِ شيئاً كما ظهر من شعر والدهِ وامّهُ [illegible] يثبت على [illegible] او جمع بينهُ وبين الدين المحمدي كما وقع لغيرهِ من نصارى [illegible] لم يستقرّوا على رأي فتقلّبوا على حسب احوال الزمان والله اعلم

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

ثم ان كتبة السريان لم يغفلوا من ذكر بطاركة الاقباط في تواريخهم فسردوا فيها

١) المُفحَم المنقطع صوتهُ لكثرة البكاء . مُحرَّم اي معدودة حراماً

٢) اي اعتاد هذا البقر السَّير في نواحيَ ذات بطون وحزون ووصفهُ بكونهِ من خير الصيران . والصيران جمع صَوْر وهي جماعة البقر . والعُدملي المتقدّم في السنّ . ثمَّ شبَّههُ بالنصراني المتردِّد في الاعياد الى كنيستهِ ذات السور المرتفع العلي

ولا ابنِ عمّي أن أراهُ مُفحَما وجارةُ البيتِ أراها مُحرَّما(١
كما قضاها اللهُ إلّا إنّما مكارمُ السَّعي لمن تكرَّما
مَخافةَ الله وعلماً انّما يجزي المُجازي عاملاً ما قدَّما

ومن التشابيه النصرانيّة قولهُ يصف بقرة وحش :

واعتادَ أرباضاً لها آرِيُّ من مَعْدِنِ الصِّيرانِ عُدْمُلِيُّ
كما يعودُ العيدَ نصرانيُّ وبيعةً لسُورها عِلِّيُّ(٢

فمن هذه الامثلة يلوح للقرّاء ما صار اليهِ شعر الرَّجز في عهد بني امية اذ بلغ الغاية من المتانة والتبسُّط وكان للعجّاج في ذلك السهم الفائز وعلى اثرهِ جرى ابنهُ رؤبة من بعدهِ وعاش الى زمن دولة بني عبّاس ولا نعرف من نصرانيّتهِ شيئاً كما ظهر من شعر والدهِ وامّهُ [illegible] يثبت على [illegible] او جمع بينهُ وبين الدين المحمدي كما وقع لغيرهِ من نصارى [illegible] لم يستقرّوا على رأي فتقلّبوا على حسب احوال الزمان والله اعلم

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

ثم ان كتبة السريان لم يغفلوا من ذكر بطاركة الاقباط في تواريخهم فسردوا فيها

١) المُفحَم المنقطع صوتهُ لكثرة البكاء . مُحرَّم اي معدودة حراماً

٢) اي اعتاد هذا البقر السَّير في نواحيَ ذات بطون وحزون ووصفهُ بكونهِ من خير الصيران . والصيران جمع صَوْر وهي جماعة البقر . والعُدملي المتقدّم في السنّ . ثمَّ شبَّههُ بالنصراني المتردِّد في الاعياد الى كنيستهِ ذات السور المرتفع العلي

زمان وفاة البطريرك السلف وزمان خلفه . وحسبنا ان نورد نتفاً منها نقلاً عن تاريخ ميخائيل الكبير قال (ص ٤٥٢ و٤٥٣) ما شرحهُ :

« الى هذا العهد (سنة ٧١٥م) اعتاد مؤرخو السريان ان يكتبوا اسماء رؤساء الاساقفة الذين تولوا رئاسة الكراسي الاربعة المقدسة اعني الكرسي الروماني والاسكندري والقسطنطيني والانطاكي . . . روماً كانوا ام يونانًا . . . وبعد هذا العهد لم نعثر في كتب من سلفنا على سلسلة اساقفة رومية والقسطنطينية . فان الاسلام لمَّا استولوا على سورية ومصر اهمل مؤرخو السريان ذكر الاساقفة الخلقيدونيين (الارثذكسيين) واكتفوا بذكر اساقفة مصر وسورية لأن شعبنا السرياني يشغل كلا القطرين السوري والمصري»

وبناء على ما تقدّم فقد اورد ميخائيل الكبير وغيره من المؤرخين السريان اسماء بطاركة الاسكندريّة في كتبهم واساطيرهم . قال ميخائيل (ص٤٠٣) : توفي انسطاس بابا الاسكندرية وخلفه اندرونيقس . . . فبنيامين . وقال (ص٤٣٥) : لما تولى بطريركيّة انطاكية سويرا بن مشقا سنة ٦٦٨ ارتقى الى الكرسي الاسكندري اغاثون . وخلفه يوحنا . وولي بعده شمعون ثم اسحق (ص ٤٤٧) ثم الكسندروس († ٧٢٧) (ص ٤٥٠) وخلفه قزما (ص ٤٦٢) . وقال (ص ٦١١) : توفي اثناسيوس السابع سنة١١٢٩ . وفيها توفي ايضاً مقاريس بطريرك الاسكندرية . وقال (ص٦١٣) : خلف قرلس مقاريس († ١١٢٩) وولي بعده ثاودرس وعُزل ونُصب بدلًا منهُ ميخائيل فجبرائيل قال : « وكان هذا خبيرًا بالعربية واصبحت هذه اللغة في عصره لغة المصريين فصرف الهمّة في نقل العهدين وسائر الكتب الطقسيّة الى العربية»

ولمَّا تولى بطريركيّة الاسكندريّة ايوانس اوفد الاسقف بطرس الشيخ الى ميخائيل الكبير بطريرك السريان حاملًا اليه رسالة بالقبطية والعربية فحواها الاعتقاد بالمنوفستيّة

وممَّا يدلّ صريحًا على اتحاد القبط والسريان ان نسّاخ الكتب السريانيّة في سالف الزمان أرّخوا سنة نسخهم مخطوطاتهم بذكر البطريرك الانطاكي والبطريرك الاسكندري معاً فقد ورد في مخطوطات لندن (عدد ٦٢٦ ص ٤٩٨) انهُ نُسخ سنة (٨٣٧ م) في طورلاها بانطاكية عند دير فسيلتا في عهد ديونوسيوس الاوّل († ٨٤٥) ويوسف بطريرك الاسكندريّة . وفيها (عدد ٧٥٢) انَّهُ نُسخ سنة (٨١٦ م) في برّية مقاريس في عهد قرباقس البطريرك († ٨١٧) ومرقس بطريرك الاسكندرية .

وقس عليه العدد ٧٨٠ المنسوخ في عهد بطريرك السريان ديونوسيوس ويعقوب بطريرك المصريين. والعدد ٧٨١ المنسوخ سنة ٨٢٣ م في عهد يعقوب المذكور وقد جاء فيه ايضاً ذكر قوسما بطريرك الاسكندرية ويوحنا بطريرك انطاكية. وورد في مخطوط لندن (العدد ٧٨٢) انهُ نُسخ سنة ٨٣٣م في عهد ديونوسيوس الانطاكي ويوسف الاسكندري. وجاء في مخطوط لندن (العدد ٨١٧) المنسوخ في حرّان سنة ٩١٣ م انه كتب في عهد يوحنا الانطاكي وجبرائيل بطريرك مصر.

وورد في فهرس مخطوطات لندن (ص ١١١٦) ما تعريبهُ: « نُقلت سيرة مار يوحنا الصغير من العربية الى السريانية في برية الصعيد سنة ٩٣٦م في عهد باسيليوس الانطاكي ومقاري الاسكندري ». وورد في رسائل مار بولس (عدد ١٤٧ ص ٩٤) انهُ نُسخ في حزيران ١٢٥٤م في زمان بطريرك انطاكية واثناسيوس بطريرك الاسكندرية. وجاء في مخطوط لندن (عدد ٢٦١) انهُ نُسخ في دير قرقين سنة ١١٨٢ في عهد ميخائيل البطريرك الانطاكي ومرقس بطريرك مصر

وقس على ذلك مخطوطات سريانية [illegible] منسوخة في بلاد السريان او في مصر فيها يذكر اسم [illegible] السريان والاقباط وعلى انتشار السريان في وادي النيل

٧ً مبادلة السريان والقبط بالبطاركة

اتّضح مما قدّمنا اتفاق السريان والاقباط واتحادهم. ونضيف الى ذلك ان كنيستي الاسكندريّة وانطاكية المنشقتين عن سائر الكنائس الرسوليّة تبادلتا بنصب البطاركة لكرسيّها عربوناً لحبّها. فقد ذكر السلف ان فولا او بولس الحبشي (+ ٥٧٥) ثاني بطاركة السريان المنوفستيّين الانطاكيّين كان اصلهُ من الاسكندريّة ودرس في دير بانطاكية وأتقن السريانيّة واليونانيّة وارتقى الى البطريركية الانطاكية بوضع يد يعقوب البرادعي وبحضور ثاودوسيوس البطريرك الاسكندري. ولمّا حاول التخطّي من الكرسي الانطاكي الى الكرسي الاسكندري سخط عليه يعقوب البرادعي وزملاؤه وثبّطوهُ عن انجاز رغبتهِ وتوفي في دير للراهبات بالقسطنطينية

وتقلّد البطريركيّة الانطاكية على السريان ايضاً ثاودور (٦٤٩—٦٦٧) الذي

وُلد في صعيد مصر وقرأ العلوم في دير قنسرين قرب حلب وساس البطريركية السريانية ثماني عشرة سنة وتوفي في دير قنسرين عينه

وتولى الكرسي الاسكندري في مصر عدّة بطاركة كانوا من العنصر السرياني او مولودين في بلاد السريان أشهرهم دميانس الذي ذكرنا أخباره في ما سبق وارتحل الى سورية وشخص الى الرها وتفقّد احوال أخيه الذي كان متولياً امرها من قبل الحكومة

وكان الانبا سيمون الاول بطريرك الاسكندرية الثاني والاربعون (١ مولوداً في احدى مدن الشرق سرياني الجنس يعقوبيّ المذهب وجاء به ابواه الى الاسكندرية ووضعاه في دير الزجاج اكراماً لجسد سويرا المدفون فيه . ولمّا اتمّ فيه دروسهُ رسمه اغاثو البطريرك († ٦٧٧) قسّاً . . . فأمر الوالي باحضاره وسأله عن جنسه فقال انهُ سريانيّ . ولما توفي البطريرك اسحاق في عهد والي مصر عبد العزيز بن مروان اتفق جميع الاساقفة والوجهاء وقالوا للامير: «سلّم الكرسي لسيمون فهو مستحق للبطريركية» فسمح لهم ان يقيموه بطريركاً (سنة ٦٨٩) . . وكتب رسالة في الاتحاد الى يوليان الثالث بطريرك السريان الانطاكيّ (٦٨٨-٧٠٩) وارسلها مع اساقفته . . . فرحّب بهم البطريرك واعاد له الجواب . وما عتّم ان ضجر منه الكهنة ومضى قوم منهم الى بعض السحرة فاخذوا سمّاً ووضعوه في اناء ليقتلوا البطريرك فلم يفلحوا . وكان نصارى الهند وقتئذٍ ولاسيما الملباريّون يرسلون الى بطريرك انطاكية ليرسم لهم اساقفة . ولمّا تعذّر عليهم الذهاب الى بلاد سورية قصدوا الاسكندرية وسألوا البطريرك سيمون ان يرسم لهم اسقفاً فتخوّف من صاحب مصر ورفض طلبتهم . وتوفي سيمون في سلخ القرن السادس ودُفن في دير الزجاج (٢

وقد ورد في تواريخ بطاركة الاقباط ذكر البطريرك ابرام او افرام السرياني المعروف بابن زرعة وهو الثاني والستون في عدد البطاركة خلف مينا في البطريركية سنة ٩٧٦ م٣٦٥ واقام ثلاث سنين وستة اشهر يسوس الكرسي الاسكندري .

---

١) ابو صالح الارمني ص ٦٧

٢) اغلب تاريخ القبط للشماس منسّى (ص ٢٩٠-٢٩٢)

ولقي حتفه مسموماً وقد جاء في سيرته (١ ما ملخصه : « لما تنيح الانبا مينا ... اجتمع اساقفة كورة مصر من الريف والصعيد وكتاب مصر وكهنة الاسكندرية .. واختاروا للبطريركية رجلاً تاجراً سريانياً اسمه ابرام بن زرعة وكان بمصر . فاجتمعوا في بيعة سرجيس وباخس بمصر بقصر الشمع وانتخبوه ومضوا به الى الاسكندرية وجعلوه بطركاً »

واعلم ان قصر الشمع كان يُدعى باسم بابيلون وهو واقع في طرف مصر العتيقة الى جنوبيها على مسافة ٣٠٠ متر من ضفة النيل الشرقية . وهناك سورٌ مرتفع ذو منظر غريب مفرزٌ عن المنازل المجاورة له (٢ وكان القبط يجتمعون فيه لانتخاب بطاركتهم وكانوا يقيمون فيه حفلة شائقة لتنصيبهم حتى أصبح كعاصمة دينية يأوي اليها الاقباط . امّا البطريرك ابرام السرياني فقد أولى البطريركية الاسكندرية فضلاً وسنياً فجدّد عمارة بيعة مرقوريوس الخطيرة على شاطئ النيل وكان حريصاً على حفظ القوانين البيعية خبيراً بالقواعد الدينية جادل الملك المعزّ بحضور العلامة ساويرس اسقف الاشمونين المعروف بابن المقفع ومات اخيراً مسموماً كما ذكرنا . وهو الذي ادخل في الكنيسة السريانية فرض صوم نينوى الذي يصومه السريان ويحافظ عليه الاقباط حتى اليوم

وكان مرقس الثالث بطريرك الاسكندرية سرياني النحلة ايضاً وهو المعروف بابن زرعة تولى البطريركية سنة ١١٦٦ وقام بواجباته واشتدّ الخلاف بينه وبين مرقس ابن قنبر الذي عدل الى الملكية وتوفي سنة ١١٨٩

ولما تولى بطريركية الاسكندرية كرلس الثالث (١٢٣٥–١٢٤٣) تحامل على زميله اغناطيوس داود بطريرك انطاكية فعيّن مطراناً قبطياً سماه مطران سوريا وارسله الى اورشليم ... وكانت مصالح القبط قبل هذا العهد في اورشليم موكولة الى الكنيسة السريانية ... فأدّى تدبير كرلس هذا الى افساد العلاقات الودّية القديمة وفصم عرى الاتحاد الذي كان بين السريان والاقباط . غير ان اساقفة مصر عارضوه في

---

١) منها نسخة في مكتبة باريس (عدد ٦٥ ص ٣٢) ونسخة في مكتبة جناب التيكونت فيليب دي طرّازي

٢) المشرق ٥ [١٩٠٢] : ١٤٥

الامر واضطروهُ الى ان يرسل مندوباً الى بطريرك انطاكية الذي كان وقتئذٍ في اورشليم يطلب اليهِ الاعتراف بالمطران الذي ارسله. فأبى اغناطيوس بطريرك انطاكية... ونصب مطراناً لكنيسة الحبشة اسمه توما وبذلك صحَّ فيهِ المثل «الحديد بالحديد يُفلَح» (تاريخ القبط ص٥٥٨ وابن العبري ص٦٥٩)

ونضيف الى ذلك اسماء بعض بطاركة السريان المتأخرين الذين جرت لهم علائق مع البطاركة المصريين. فقد جاء عن شمعون الطور عبديني اسقف جزير انهُ بعد وفاة فيلكسين بطريرك السريان في قيليقية وسورية توجه الى مصر وارتسم بطريركاً سنة ١٤٢١ بوضع يد بطريرك الاقباط غبريال الخامس (١٤٠٩–١٤٢٨) وبعد ان اقام زماناً في القطر المصري حجَّ الى اورشليم وفيها توفي سنة ١٤٤٥. وكتب البطريرك اغناطيوس يوحنا ١٨ المارديني الى المفريان نوح البقوفاوي يستمهلهُ زماناً حتى يذهب كلاهما معاً الى اورشليم ثم يستأنف البطريرك المسير الى مصر لتفقد شؤون ابناء طائفتهِ السريانيَّة فيها

فيتحصَّل من ذلك ان السريان كانت لهم منذ قديم الزمان ابرشيَّة معتبرة في وادي النيل ولكنهم لم يستصوبوا فيما نرى ان يقيموا لها اسقفاً خصوصياً دلالةً على احترامهم للبطريرك الاسكندري واعتقاداً منهم بانهُ يدبّر السريان ويسوسهم ويعتني بهم اعتناءهُ بطائفتهِ القبطيَّة

٨ً الطقس السرياني والطقس القبطي والحبشي

لا شكَّ ان الطقس السريانيَّ هو أصل الطقوس البيعيَّة اجمع كما قرَّر ذلك الكتبة البيعيّون والمؤرّخون المدققون لان اوَّل كنيسة انشئت في اورشليم ثم في انطاكية وكانت السريانيَّة اللغة الدارجة في الحاضرتين كلتيهما فاحتفل آباؤنا الرسل الاطهار فيها الحفلات الدينية باللغة السريانية(١

(١) في هذا القول نظر ندع الحكم الفصل عن صحَّتهِ للعلماء الأثبات. يراجع معجم دون كبرول Diction. d'Archéologie et de Liturgie, I², col. 2427-2439, *Liturgie d'Antioche* راجع ايضاً في المشرق (٨ [١٩٠٥]: ٦٧٧–٦٨٧) مقالة حسنة في صحَّة نسبة ليتورجية القديس يعقوب اليهِ (المشرق)

ويظهر صدق هـذا القول لمن يمارض ليترجيّة مار يعقوب السريانيـة بليترجية الكنيسة القبطيّـة فيرى مشابهتها ويستنتج من ذلك ان لليترجيـة السريان والقبط مصدرًا واحدًا او ان الليترجيّة الاسكندريّة اقتضبت صلواتها توًّا عن ليترجية مار يعقوب وهو الرأي الاصوب

وقد عارض غبطة السيّد اغناطيوس افرام الثـاني بطريرك السريان الانطاكي صلوات الليترجيّة السريانيّة بصلوات الليترجيّات القبطيّة فألفى اغلبها إلمّ نقل كلهـا مطابقة بعضها لبعض(١ ففي ليترجية باسيليوس القبطيّة مثلًا نرى صلاة السلام موافقة لليترجية باسيليوس السريانيّة والصلاة الثانية منقولة عن ليترجية اثناسيوس السريانيّة. وفي ليترجية قرلس القبطية اربع صلوات منقولة عن ليترجيـة يوحنّا السرياني اسقف بُصرى في القرن السابع

وقد نقل ائمة السريان الى لغتهم جملة من ليترجيّات القبط كليترجية مار مرقس وليترجيات اثناسيوس وديوسقورس وطيمثاوس بطاركة الاسكندريّة

وممّا يبرهن على اتحاد الكنيستين القبطيّـة والسريانيّة ان بطـاركة السريان واساقفتهم اذا رسموا شمّاساً او قسًّا او اسقفاً يتقـدّمون اليـه بان يؤدّي الخضوع والطاعة لكلا البطريركين الانطاكي والاسكندري (٢

وزد عليه ان القبط ما برحوا حتى اليوم يذكرون في قـدّاسهم سويرا بطريرك السريان الانطاكي بعد مرقس البشير وقبل اثناسيوس وكرلس الاسكندريّين . فقد ورد عندهم في قدّاس باسيليوس (ص ٢٣٢ من الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢) : «واذكر يا ربّ . . . البطريرك القدّيس ساويرس ومعلّمنا ديسقرس والقديس اثناسيوس وبطرس الخ» . وكذا ورد ذكره ايضاً بعد مرقس البشير (ص ٣٥٤) . وقد ورد في الكتاب المذكور (ص ٣٥٦) ذكر يخبس كاما القس . . . واوكين . . . وانبـا برصوما وافرام وماروتا السريان . . . وانبا برصومـا العريان . وذكر (ص ٣٧٣) ساويرس بطريرك انطاكية . وقس عليه (ص ٤٥١) في قدّاس غريغوريوس ثمّ (ص ٣٥٥ و ٥٩٩) في قدّاس كرلس وفي هذا القدّاس عينه نرى (ص ٥٦٣) صلاة الصلح للبطريرك ساويرس

١) اطلب كتابه «المباحث الدينيّة في الليترجيّات الشرقية والغربيّة ص ١٧٢–١٨٤

٢) راجع صورة الايمان بالسريانيّة التي يضطرّ المرتسم ان يتلوها قبل رسامته

ثم ان القبط يعيّدون لساويرس على مدار السنة اعيادًا كثيرة منها عيدان في شهر توت وعيد ثالث في شهر بابه ذكرًا لدخوله ارض مصر . وعيد رابع في شهر هتور(١

وقد ورد في فهارس الاعياد القديمة عند السريان ذكر للانبا مقاريس في ٢٤ آذار ويوحنا الصغير في ١٧ تشرين الاوّل ويوحنا الحبيس في صَلَع في ١٨ ايلول والانبا شنودين في اول تموز والانبا بيشاي والآباء المصريين بلفيفهم في ٢ تموز (٢

وقد اورد شرّاح الاسرار عند السريان كيعقوب الرهاوي ولعازر اسقف بغداد ويوحنا مطران ماردين والمفريان ابن العبري وغيرهم نتفاً كثيرة من طقوس الكنيسة الاسكندريّة استحسنوا بعضها . واشاروا الى عوائد قبطيّة كثيرة مطابقة او مخالفة لعوائد السريان . فقد اورد يعقوب الرهاوي في شرحهِ القداس : « ان آباء كنيسة الاسكندريّة حتموا ان تُتلى اولًا صلوات التذكارات (اعني الانبتخا) ثم يُحتفل برتبة القداس » وما برحوا على ذلك حتى اليوم . وقال ايضاً « ان الكاهن في الطقس الاسكندري يحيّي الجماعة اثناء القداس بقوله لهم « الربّ مع جميعكم » (٣

وذكر يوحنا اسقف دارا السرياني انه يجب على الكاهن المقرّب ان يضع ثمانية اغطية على المذبح يستر باثنين منها الصينيّة والكاس ويوزّع الستة الباقية على المؤمنين ليمسحوا بها شفاههم بعد تناولهم القربان . وهذه العادة جارية حتى اليوم في كنائس القبط

ثم ان القربانة عند القبط تشبه قربانة السريان باستدارتها وحجمها وتجزئتها وصلبانها وهم يباركون الخبز المبارك على الخمير كالسريان ويوزّعونه على المؤمنين في نهاية القدّاس ويفرزون غرفة قريبةً من الكنيسة لخبز القربانات . امّا الطابع فهو من الخشب عند كلتا الطائفتين . وزيّ أحبار القبط وقسوسهم كزيّ احبار السريان وقسوسهم وبدلتهم كبدلة السريان بلا فرق

---

١) اطلب كتاب شرح رسائل مار بولس لاحد الاقباط خاصّة مكتبة دير الشرفة للسريان وسيأتي وصفه في محلّه

٢) مخطوط خزانة الكتب في دير الشرفة المنسوخ سنة ١٥٢٩ م وكتاب الحمامة المنسوخ سنة ١٥٩٠

٣) ص ٣١ من نسختنا

وقد نقل القبط شيئاً كثيراً من تآليف السريان واستعملوها في ليترجياتهم كميمر ليعقوب السروجي السرياني ورتبة الكسر ܡܪܡܐ لديونوسيوس يعقوب ابن الصليبي (+١١٧١) واولها ܡܫܒܚ ܠܡܢ ܕܐܬܝܠܕ مع تتمتها كلها وقد عنونها الكاتب هكذا: «قسمة سريانيَّة تُرجمت من القدّاس السرياني الى العربية ثم من العربيَّة الى القبطيَّة»(١ ونُشر في مصر سنة ١٩٠٣ بنفقة ميخائيل اثناسيوس القبطي ثمانية وخمسون ميمراً ليعقوب السروجي نُقلت عن السريانيَّة الى العربيَّة بعبارةٍ ركيكة غير مهذَّبة يعتاص على القارئ فهمها

وقد استقبح كتبة السريان شيئاً من عوائد الاقباط على ما اورد يوحنا مطران ماردين (+ ١١٦٦) في رسالته الى يشوع وقد لخصها ابن العبري ايضاً عن سقراط المؤرّخ في تاريخه البيعي لدن كلامه عن فابيانس الاوّل بطريرك انطاكية قال :

« ان النصارى في الاسكندرية ومصر والصعيد لا يجتمعون ايّام السبت والاحد لقضاء خدمة الاسرار المقدَّسة بل يجتمعون ايّام الاسبوع. ولا يتناولون الأسرار كسائر المسيحيين بل يتقرّبون وقت العشاء بعد ما يأكلون ويشبعون. ويتلون الكتب المقدّسة في الاسكندرية يومي الاربعاء والجمعة ويشرحها لهم العلماء منهم. ويشتركون عامّةً في الحفلات الدينيَّة الّا في اقامة القدّاس تلك عادة قديمة في الاسكندرية. ويصطفّون لقراءة الكتب وشرحها كائناً من كان من الحضور ومن المؤمنين. ولا يجوز للقس ان يلقي موعظة في كنيسة الاسكندرية وهي عادة ألفوها من عهد اربوس القس الذي أقلق الكنيسة وأزعجها »

وكانوا يخلطون الزيت والملح في عجين خبز القدّاس وقد جرت بسبب ذلك مجادلة عنيفة بينهم في عهد يوحنا برشوشان بطريرك السريان + ١٠٢٩ وخرستودلس بطريرك الاقباط

وقد نقل السريان عن القبط طقس رسامة الرهبان على ما ورد في المخطوطات السريانيَّة القديمة المنسوخة قبل القرن السادس عشر بهذا العنوان : « طقس اسكيم الانبا انطونيوس المنقول من القبطية الى السريانية » ثم «طقس القنديل حسب عادة السريان وحسب رأي القبط »

وقد ألحق كتبة السريان بكتاب الهدايا وهو كتاب الشرع عند السريان اليعاقبة

١) اطلب الخولاجي القبطي ص١٣٧ و ٧٣٦

تأليف المفريان ابن العبري نُتفاً من قوانين الرسل نقلاً عن كتبة الاقباط تتعلق بامتيازات البطاركة وكراسيهم وقد نشرناها على صفحات المشرق (١٦[١٩١٣]: ص٦٦٧) ومن جملة ذلك قولهم: « أمر الرسل القديسون والآباء الارثذكسيّون ان يكون البطاركة اربعة ... واولهم ورئيسهم بطريرك رومية وله الرئاسة على كلهم لكونه خليفة بطرس رئيس الرسل في الكرسي الروماني السامي الرفيع ... وثانيهم بطريرك الاسكندريّة ... ورابعهم بطريرك انطاكية »

وقد نقل السريان عن القبط بعض ميامر وصلوات روحيّة كصلاة فولا البسيط تلميذ الانبا انطونيوس وتسبيحة الانبا سرابيون وصلاة الانبا مقاريس (١ ونبذة في تهذيب الراهب تأليف ايوّني رئيس دير طورسينا

ومما يدلّ على امتزاج القبط بالسريان استعمالهم كلمات سريانيّة في طقوسهم وليترجياتهم كقولهم «طوبانيّتين» بدلاً من «طوباويّتين» و«طوباني» بدلاً من طوباويّ. و«نيّح» بدلاً من «أريح» و«لتأتِ ملكوتك» بدلاً من «ليأتِ». و«الاخذ» عوضاً عن «التناول» وهو معرّب ܐܚܕܐ بالسريانيّة. وقد ورد في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢ على رغم تنقيحهم إياه كلمات شتى منقولة عن السريانيّة كلفظ شماس وفعل رَشَمَ ورُشومات ولِقان ومعمودية وميرو وابهاتنا (ص ٥١) وعتيد (ص ٨٦) وتنيّحوا (ص ٥٠) وغير ذلك. لا بل يستعملون في لهجاتهم كلمات سريانيّة حتى اليوم ومن ذلك ما اورده الشماس منّي في تاريخه كقوله «حياصاته» وحياصة (ص ٣٢٤) من ܚܨܪܐ السريانيّة اي الزنّار والراهبة بسيمة (ص ٧١٠) من ܒܣܝܡܬܐ ويسمّون بطاركتهم انبا من ܐܒܐ

وما قلناه عن الطقس القبطي يصدق في الطقس الحبشي فقد وُجد على ما يظهر كتبة سريانيّون اشتركوا مع من ترجموا العهد الجديد الى اللغة الحبشيّة. ويدلّ على ذلك وجود الفاظ سريانيّة في تلك الترجمة نحو هيانوت (٢ ܗܝܡܢܘܬܐ اي الايمان.

١) اطلب ܕܟܪ ܒܡܫܐ خاصّة مكتبة الشرفة المخطوط سنة ١٦٩٦ م

٢) عُرف في القرن الثالث عشر اسقف كاثوليكيّ للحبشة اسمهُ تقلا هيانوت (المشرق ٦: ١١٦ و١١: ٩٢) ولمّا انشأ الحبشة دولة وطنيّة نصرانيّة سنة ٩٧٢ ملّكوا عليهم ملكاً اسمه تكلاهيانوت + ٩٩٢ (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ١٢٠) وما برح هذا الاسم شائعاً بين الحبشة حتى اليوم

على ان بعض دعاة النصرانيَّة في بلاد الحبشة كانوا سريانيّي النحلة واللهجة. ولا يزالون حتى اليوم يستعملون في قداسهم ليترجيَّة يعقوب السروجي السرياني فضلًا عن صلوات سريانيَّة كثيرة ترجموها وألحقوها بليترجيَّاتهم . كما ان القبط ايضاً ظلوا يترنَّمون في كنائسهم عند خاتمة صلاة المساء بالطلبة السريانيَّة التي بدؤها ܡܪܝܡ ܡܠܟܐ ܕܥܠܡܐ ܘܡܫܝܚܐ مع التريساجيون واضافتهم «يا من صُلبتَ لاجلنا»

فهل من دليل أوضح على مشاركة السريان والاقباط في طقوسهم البيعيَّة وعوائدهم الدينيَّة وعلى اتّفاق الطائفتين واتّحادهما

(لهُ بقيَّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الحادي عشر

تجارة بيروت وصناعتها في أيَّام الرومان

غنيٌّ عن البيان ان بيروت من اصلح مدن فينيقية للمعاملات التجاريَّة لحسن موقعها على شاطئ البحر متوسِّطةً بين فلسطين وقيليقية مجاورة لسوريَّة المجوَّفة اي البقاع وللاقطار الحلبيَّة وهي فُرضة دمشق وبازاء قبرس ليست بعيدة عن وادي النيل . فقد ادرك القدماء ما لهذه الخواصّ من المنافع الاقتصاديَّة الجمَّة . على انَّها لم تبلغ قطّ من رواج تجارتها ما افادتهُ في عهد الرومان

على ان بعض دعاة النصرانيَّة في بلاد الحبشة كانوا سريانيّي النحلة واللهجة. ولا يزالون حتى اليوم يستعملون في قداسهم ليترجيَّة يعقوب السروجي السرياني فضلًا عن صلوات سريانيَّة كثيرة ترجموها وألحقوها بليترجيَّاتهم . كما ان القبط ايضاً ظلوا يترنَّمون في كنائسهم عند خاتمة صلاة المساء بالطلبة السريانيَّة التي بدؤها ܡܪܝܡ ܡܠܟܐ ܕܥܠܡܐ ܘܡܫܝܚܐ مع التريساجيون واضافتهم «يا من صُلبتَ لاجلنا»

فهل من دليل أوضح على مشاركة السريان والاقباط في طقوسهم البيعيَّة وعوائدهم الدينيَّة وعلى اتّفاق الطائفتين واتّحادهما

(لهُ بقيَّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الحادي عشر

تجارة بيروت وصناعتها في أيَّام الرومان

غنيٌّ عن البيان ان بيروت من اصلح مدن فينيقية للمعاملات التجاريَّة لحسن موقعها على شاطئ البحر متوسِّطةً بين فلسطين وقيليقية مجاورة لسوريَّة المجوَّفة اي البقاع وللاقطار الحلبيَّة وهي فُرضة دمشق وبازاء قبرس ليست بعيدة عن وادي النيل . فقد ادرك القدماء ما لهذه الخواصّ من المنافع الاقتصاديَّة الجمَّة . على انَّها لم تبلغ قطّ من رواج تجارتها ما افادتهُ في عهد الرومان

فلما بسطت رومية ظلّ رعايتها على بيروت جعل عمّالها ينشطون اهلها في تعزيز متاجراتهم . وقرّبوا لهم الامر بجلب المياه الجبليّة وفتح الطرق بينها وبين البلاد المحيطة بها . وبقايا تلك المشروعات لا تزال ظاهرة حتى يومنا على ساحل البحر وفي جهات لبنان والبقاع . فذلك ما جعل بيروت في مقدّمة مدن فينيقية كما صرّح بالامر أميان مرشلّان في تاريخه (١ حيث يقول : « انّ اجلّ مدن فينيقية بيروت وصور وصيداء » وبعد اطرائه لمدارس بيروت وسَبْقها في تعليم الفقه يردف قائلًا : « انّ الترفّه ورغد العيش ومجالي الأبهة كل ذلك غالبٌ على بيروت »

واخبر صاحب وصف البلدان الغُفْل (Anon. Orbis descriptio, 25) انّ منسوجات بيروت من الصوف والكتّان كانت مشهورة في كلّ الاصقاع . وفي ايّام ملوك الروم وخصوصاً في عهد يوستنيان « صارت بيروت مركزًا لتجارة الحرير والاشغال الحريريّة (٢ » ولم يعارض بيروت في ذلك سوى مدينة صور

وقد ذُكر في الكتابات اليونانيّة (CIG. n° 5842) احدُ البيروتيين كبائع الحرير (sericarius) . ووُصف غيرهم بالصبّاغين ما يدلّ على وجود الصباغات في بيروت لصبغ الارجوان والاقمشة

وكانت المعاملات التجاريّة في عهد الرومان متواصلةً بين سواحل الشام وبلاد ايطالية وغالية فكانت محصولات سوريّة تُعرض في اسواق تلك البلاد وكان للسوريين شركاء يسكنون هناك لترويج بضائعهم وعُملاء ينقلون محصولات الغرب الى انحاء الشام . وقد وقف الاثريّون على عدّة كتابات جاء فيها اسماء تجّار من فينيقية وسوريّة كانوا يقطنون بلاد الغرب . فمن ذلك كتابة لاتينيّة وجدت في مدينة بوزولة (CIL, X, 1634 Puteoli, Pouzzoles) ورد فيها ذكر تجّار بيروت الساكنين هناك Berytenses qui Puteolis consistunt وذلك في عهد القيصر ترايانوس في اوائل القرن الثاني للمسيح

وممّا يشهد على اتّساع المتجر في بيروت العدد الوافر من اليهود الذين كانوا

---

١) اطلب Amm. Marcellin., *Hist.*, *XIV*, n° 8

٢) اخبر بذلك المؤرخ بروكوبيوس في كتابه المعروف بالتاريخ السرّي (Historia Arcana, 25)

يتعاطون فيها التجارة في عهد الرومان يدلّ على ذلك كتابات مدفنيّة وجدت في المدينة لاهل مذهبهم

وكذلك اشتهرت بيروت بخصبها ووفرة غلّات أرباضها وقد اتّسع في ذلك الشاعر نونُس في كتاب الديونيسيّات (١ فوصفها باوصاف قلّ ما وُصفت بها مدينة غيرها وهو يدعوها « بِرُوَيه » وينعتُها « بملكة الحياة وظئر المدن وفخر الملوك ومَعْهد إلهة العدل وسُور الفقهاء ومركز السرور ونجم لبنان» ويطرئ كرومها التي تكسو رُباها بثوبٍ سندسيّ يروق للعين وتُعصر من ثمارها «خمرة الإله بخوس » . وقد امتدح ايضاً بلينيوس الطبيعيّ (٢ عِنَبها اللذيذ وخمرتها الطيّبة (Berytia vina) . وكذلك وصف الشاعر العربيّ خمر بيروت وقراها فقال :

وسَبِيئَةٍ من قِرَى بيروتَ صافيةٍ . عَذْرَاءَ قد سُبيت من ارض بيسانِ

ولا رَيب في اغتناء بيروت بزيتها مع ما يُرى من كثرة اشجار زيتونها وآثار معاصرها القديمة

وقد ساعد على زهوها ونموّ غلّاتها ووفرة بقولها وبُسوق نخلها واشجارها ابتناء الرومان لتلك القنيّ المحكمة التي كانت تأتي بالمياه اللبنانيّة الصافية الى بيروت بعضها من نهرها ماغوراس والبعض الآخر من نبع العرعار فوق قرية بعبدات من مقاطعة المتن الشمالي . ولم تزل آثار تلك القنيّ باقية الى عهدنا . فعند نبع العرعار قبو وبقايا حَوض وقنيّ تشهد على ذلك . ثمّ يمكن الاستدلال على القني المذكورة في انحاء ممرّها في الرُّوَيسة قريباً من بعبدات . وفي القشى شرقيّها قريباً من طريق العجلات ثم في الرصيف شرقيّ قرية برمّانا ثمّ بينها وبين بيت مري في المكان المعروف بمعصرة الحريق حتى تبلغ دير القلعة . وفي تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ١١—١٢) ما يؤيد ذلك فانهُ يقول عن تلك القناة انها «من العمائر العجيبة وكانت تجري من مكان يسمّى العَرعار من ارض كسروان قيد اثني عشر ميلاً» . فبتلك المياه خصبت تربة بيروت حتى توفّرت محصولاتها ونُقلت الى البلاد الاجنبيّة

ومما خُصّت به بيروت منذ الزمن القديم غاباتُها . فمنها ما كان يزين جبالها المشرفة

١) اطلب Nonnus : *Dionys., XLI, ed. Didot, p. 343-344*

٢) Pline, HN, V, c. 17

عليها كالارز والشربين. ومنها ما كان يظلّل حدائقها المحيطة بها كالنخل وكان يكثر فيها وكذلك التمر والذي زعموا انّ من اسمه بالعبرانيّة اشتقّت بيروت اسمها كما سبق. ومثلهُ الصنوبر الذي اتّسعت غاباتهُ حول بيروت وورد ذكرهُ في قدماء الكتبة. فانّ الشاعر نونّس مثلاً قد أطنب في القرن الرابع للمسيح في مدح غابات صنوبر بيروت في قصيدتهِ الثانية والاربعين من ديوانهِ المعروف بالديونيسي (Dionysiaca, XLII). وبقيت تلك الغابات الى ايّام العرب فذكرها الشريف الادريسي في جغرافيّتهِ المعنونة بنزهة المشتاق في اخبار الآفاق وذلك في القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح حيث قال: «لبيروت غيضةٌ من اشجار الصنوبر سَعَتُها اثنا عشر ميلاً في التكسير تتّصل الى نحو لبنان»

ومما رُوي في تاريخ غليلموس الصوري انّ الصليبيّين لمّا حاولوا محاصرة بيروت عمدوا الى اخشاب غاباتها فجهّزوا منها المجانيق والادوات الحربية. وقد ورد ايضاً في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ٥١—٥٢) ما صنع الامير الكبير يَلْبُغا العُمَري في يوم من السنة ٧٦٧ (١٣٦٥م) اذ «أمَرَ سيف الدين بيدَمُر الخوارزمي بالتوجه الى بيروت ليعتر من غاباتها مراكب كثيرة حمّالات وشوانيَ لفتح قبرس» قال: «فحضر الى بيروت وأحضر صنّاعاً كثيرين من سائر الممالك فكانوا جمّاً غفيراً وقيل انهُ لم يُعهد قطّ عمارةٌ مثلها عظماً وسرعةً وكثرةَ صنّاع وقوّةَ عزم. وعمّر بيدمر بظاهر بيروت مسطبةً وعُرفت بهِ الى الآن وكانت المراكب تُعمَل بها على بُعدٍ من البحر» ثمّ ذكر ما صُرف عليها من المال الكثير الذي ذهب سدًى لوفاة الامير يَلْبغا

واهلَ كثرة ما قُطع من تلك الاشجار لابتناء السفن كاد يُتلفها. فانّ احد السيّاح الالمانيين ذكر سنة ١٤١١ انّ سعة غابات بيروت ميلانِ فقط. ومن المعلوم انّ هذه الغابات تُنسب حتى يومنا الى الامير فخر الدين وانّما هو اهتمّ فقط بتجديدها وتوسيعها. وما يُرى منها الى اليوم بقايا تلك الغابات الشهيرة وهي كافية لتبيّن لنا إعجاب القدماء بمحاسنها ومنافعها حتى انّ الشاعر لامرتين الفرنسوي في اواسط القرن الماضي اشاد في ذكرها بل بالغ في وصفها حتى نُسب الى الغلوّ والتطرّف

وكذلك كان البيروتيّون يتاجرون بالمعادن التي كانوا يستخرجونها من لبنان اخصُّها النحاس والحديد. امّا النحاس الذي تكرّر ذكرهُ كاحد معادن لبنان في

الكتابات المصرية والاشورية فانهُ قد أصبح اليوم اثرًا بعد عين امّا لنفوده من لبنان وامّا لمتاجرة الفينيقيين بهِ قديمًا ثم عُدولهم عن جلبهِ. امّا الحديد فشاع مدّة اجيالٍ طويلة استخراجهُ من مناجم بيروت حتى انّ قدماء المصريين دعوا الحديد باسم «با ان بَرْت» اي «معدن بيروت»

ولدينا في كتب جغرافيّي العرب وسيّاحهم عدّة شواهد تثبت استخراج الحديد من مناجم بيروت. فمن ذلك ما جاء في كتاب المقدسي احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ١٨٤) انّ «معادن الحديد في جبال بيروت». وقد ذكرهُ من بعدهِ الشريف الادريسي فقال: «وبقربة من بيروت جبل فيهِ معدن حديد طيّب جيّد القطع يُستخرج منهُ الكثير ويُحمل الى بلاد الشام» ومثلها ما قالهُ ابن بطوطة في رحلتهِ (١: ١٣٣ من الطبعة الباريسية): «وسرنا الى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الاسواق وجامعها بديع الحسن. وتُجلَب منها الى الديار المصريّة الفواكه والحديد» فجمع ابن بطوطة بين مواليد بيروت النباتيّة ومرافقها المعدنيّة. ذلك فضلًا عما كانت ترزق بهِ بصيد الاسماك وتستخرجهُ من الاصداف البحريّة لصبغ الأرجوان كصور وصيداء.

فبكل هذه المحصولات مع حسن موقع المدينة وصفاء جوّها وكثرة خيراتها اوقفت بيروت انظار اوغسطوس قيصر فخوّلها امتياز المستعمرات ونعتها بالسعيدة ودعاها باسم ابنتهِ جوليا مشعرًا باسم عمّهِ يوليوس قيصر ومضيفًا اليها اسمهُ الشخصي اوغسطوس كما سبق. وعلى هذه الصورة ضُربت النقود البيروتيّة الى اواخر القرن الثالث. وكثيرًا ما كانوا يصوّرون على تلك النقود جنديًا يفلح الارض لان اوغسطوس قيصر كان اقطع كثيرًا من املاكها جنودهُ الذين نصروهُ في واقعة اكسيوم

وقد بيّن حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار (١: ٢٧) ما نالتهُ بيروت بارتقائها الى رتبة مستعمرة رومانيّة من الامتيازات الخاصّة منها معافاة اهلها عن دفع الجزية. ومنها استقلالها النوعي اذ لم يَعُد يحكم عليها ولاة رومانيّون بل اضحت كدولة صغيرة في ضمن الاملاك الرومانيّة في الشرق تتصرّف باحكامها كالعاصمة نفسها. وانّما كان يُعنى بسياستها حاكمان (duumvirs) اليها يفوّض تدبير

الامور لها الحلّ والعقد والامر والنهي كقناصل رومية المختارين لسنة. وكان للمدينة دار ندوة يجلس فيه للبحث عن صوالح العموم مئة من رؤساء الاعشار (décurions). وكان لبيروت كما لرومية ساحة كبيرة (Forum) يجتمع فيها جمهور الاهلين فيسمعون خطب الرؤساء ويقفون على تقارير المندوبين وكانوا يختارون وحدهم ولاتهم وحكّامهم دون ان يتداخل عمّال رومية في شؤونهم إلّا اذا ثارت بينهم الفتن وافترقت كلمة السكان بالشغب

فكل هذه الامتيازات الفريدة زادت في سعة بيروت ووسّعت نطاق معاملاتها ولعلّ معظم الآثار التي تُرى الى اليوم في جهاتها او تُستخرج بالحفريّات متّصلة بالعهد الروماني والبوزنطي لاسيما النواويس الحجريّة او الرصاصيّة التي وُجدت في شرقيّ المدينة وغربيّها على بعضها كتابات يونانيّة ولاتينيّة

وبعض هذه الآثار من بقايا قصور او عمائر لذوي الثروة واليها اشار صالح في تاريخه حيث يقول :

« ومما يدلّ على كبر بيروت وسَعَتها ما يجد الناس في الحدائق بظاهرها من الرخام وآثار الدائر القديمة ما طولهُ قرب من ميلَين اوّلهُ مكان يسمّى بلَيْدة وذو قية غربي البلد [illegible] اما مقارب النهر شرقيّ البلد فانما عمّروا السور اختصروهُ على القدر الذي هو عليه اليوم »

ومن الراجح انّ كثبان الرمل التي تمتدّ اليوم في غربيّها وجنوبيها لم تكن في عهد الرومان قد سُبّحت بسكنها تلك الجهات لما اعتادهُ الرومان من تشجير البلاد ونَصب الغابات التي هي اصلحُ السدود في وجه الرمال البحريّة فضلًا عن منافعها الصحّية والاقتصاديّة. وكانت بيروت تزدهي ببعض الجُزُر الصغيرة المجاورة لها والتي يشير اليها في القرن الرابع نونُس الشاعر (Dionys., XLI. fis) حتى وصف بيروت بالمدينة المزدانة بالجزر (εὔνησος) وقد ثبتت بعض هذه الجزائر الى القرون الوسطى اذ نسفتها الزلازل(١

فهذا بعض ما اوقفتنا عليه الآثار عن احوال بيروت وتجارتها وصناعتها في عهد الرومان وملوك بوزنطية الروم قبل حدوث تلك الزلازل التي كادت تقضي على بيروت في القرن السادس (لها بقية)

١) اطلب تسريح الابصار (٣ : ١٨)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ ادباء النصارى في الحقبة الاولى من هذا القرن

١ً أدباء مصر النصارى

جارى أدباء النصارى في مصر ادباءها المسلمين ولعلَّهم كان لهم التقدُّم في تلك النهضة الادبيَّة . على انَّ ذلك الفضل يعود خصوصاً الى نصارى الشام الذين لم يجدوا في وطنهم ما رغبوا فيهِ من سعة الحال وبسطة العيش والحرِّيَّة المعتدلة فهاجروا الى مصر ليستمتعوا فيها بحضارتها تحت نظارة بريطانية العظمى . وما لبثوا ان تخصَّص بعضهم ممَّن تخرَّجوا في مدارس الاجانب في الشام للكتابة فنبغوا فيها كما تشهد لهم تآليفهم والصُّحف التي تولَّوا ادارتها فنهجوا الطريق في ذلك لاهل مصر . وها نحن نذكر الذين اشتهروا في تلك الحقبة الاولى

﴿عبدالله مرَّاش﴾ توفي في غرَّة القرن العشرين في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٠ في مرسيلية وكان مولدهُ في حلب في ١٤ أيَّار ١٨٣٩ وهو اخو فرنسيس الذي مرَّت لنا ترجمتهُ بين أدباء القرن التاسع عشر وكلاهما من أُسرة فاضلة عُرف اصحابها بفضلهم ورقي آدابهم . تخرَّج عبدالله في الشهباء في مدرسة الآباء الفرنسيسيين ثمَّ تعاطى التجارة فيها مدَّةً واتَّسع في اعمالها وسافر الى انكلترَّة عميلًا لشركة من التجار في منشستر فاجاب ثروةً واسعة . ثمَّ عدل عن التجارة واشتغل بالآداب في باريس وفي انكلترَّة وحرَّر في جرائدها العربيَّة كمرآة الاحوال لرزق الله حسُّون ومصر القاهرة لاديب اسحاق والحقوق لميخائيل عوزا وكوكب الشرق لاحد الفرنسويين وقضى

اواخر سني حياته في مرسيليا . وكان عبدالله مرّاش يشبه رزق الله حسون في درسه للغة العربية ومعرفة تاريخ العرب والبحث عن الآثار العربية في مكاتب لندن وباريس ونسخه عنها ما يراهُ من نوادرها جديراً بالذكر ينقل ذلك بخط بديع . وكان عبدالله ضليعاً بالانشاء العربي يُحسن الكتابة ويحرص على وضوح معانيها وله فصول رائعة في الاخلاق والآداب وانتقادات حسنة على منشورات المستشرقين ورسائل شتى في العلوم العصريَّة والاحوال السياسيَّة . وتعريبات لبعض كتابات الفرنسويين (اطلب الضياء ٢ : ٣٤٤ و ٤٩١)

وممَّن اشتهروا في مصر من اهل الشام المرحوم ﴿بشارة تقلا﴾ اخو سليم وقرينهُ بإنشاء الصحافة والتأليف . ولد في كفرشيما في ٢٢ آب ١٨٥٢ وتوفي في ١٥ حزيران ١٩٠٢ عُرف منذ حداثته بتوقُّد الذهن ودرس في المدرسة الوطنيَّة ثمَّ في المدرسة البطريركيَّة وعلَّم مدَّة في مدرسة عين طورا . ثمَّ لحق سنة ١٨٧٥ بأخيه الذي كان سبقهُ الى الديار المصريَّة فأنشأا هناك في اوائل آب من السنة ١٨٧٦ جريدة الاهرام ثم صدر الاهرام وكابدا بسبب الجريدتين عدَّة مشقَّات ومضايقات لما نشراهُ من المقالات الحرة وانتقاد اعمال الحكَّام والدفاع عن حقوق المصريين واستعانا بحماية فرنسة لردّ غارات من يتعرَّض لهما . وسافر بشارة غير مرَّة الى اوربَّة وزار عواصمها ثم رحل الى الاستانة ونال من امتيازات سلطانها فضلاً عمَّا نال من انعامات فرنسة كوسام جوقة الشرف ووسامات غيرها من الدول . ثم عاد الى مصر ووسَّع دائرة جريدة الاهرام فوصل بجدهِ ونشاطهِ الى ان اصبحت بفضلهِ في مقدَّمة الجرائد المصريَّة وقد خدم بها صوالح المصريين بازاء الاحتلال البريطاني وانتصر لفرنسة وحقوقها . أُصيب في اواخر عمرهِ بداء القلب فرجع الى سوريَّة انتجاعاً للشفاء فتوفي في وطنهِ

وخدم مصر شابٌّ آخر فات في عزّ شبابهِ نعني بهِ ﴿خليل الجاويش﴾ المولود في بيروت سنة ١٨٧٢ والمتخرّج في مدارسها وخصوصاً في المدرسة البطريركيَّة حيث درس العربية على الشيخ ابراهيم اليازجي ثمَّ انتقل الى مصر وخدم في حكومتها بضع سنوات . ثمَّ تولى في الاسكندريَّة رئاسة تحرير جريدة الاهرام عدَّة سنين الى ان شعر بانتهاك القوى فعاد الى لبنان رجاء ان ينعش بهوائهِ قواهُ فلم يجد ما أمَّلهُ فعاد الى مصر وتوفي في حلوان في ٢١ شباط ١٩٠٢ . ألَّف روايات ادبيَّة ومنظومات شعريَّة

نُشر بعضها في مجلّات مصر

وفي مصر كانت وفاة احد مواطنينا السوريين ﴿نقولا بك توما﴾ ولد في مدينة صيداء سنة ١٨٥٣ ودرس في مدرستها للآباء اليسوعيين ثمَّ صار من اساتذتها وعلَّم في بعض مدارس لبنان حتى انتقل الى مصر سنة ١٨٧٤ فانتظم مدَّة في سلك عمّال دولتها ثمَّ تسنَّى لهُ السفر الى باريس فاجتمع فيها باصحاب النهضة كالسيد الافغاني والشيخ محمد عبده وكتب عدَّة مقالات نشرها في جريدة مرآة الحال ثمَّ عدل الى فنّ المحاماة ولم يزل منكبًّا على درس اصولها ومشكلاتها حتى برع فيها وانشأ مجلّة الاحكام المصريَّة فزادت بها سمعتهُ واقبل عليهِ الجمهور فعدل عنها ولزم المحاماة حتى عُدَّ من نوابغها سالكًا فيها بكل جرأة الى ان اضطرَّتهُ الامور مع انتهاك الصحة الى السفر الى اوربَّة وفيها كانت وفاتهُ في ٢٥ آب ١٩٠٥ . كان نقولا بك في مرافعاته في القضاء بليغ الكلام يتدفَّق في بسط الدعوى وبيان غثّها وسمينها لا يتلجلج لسانهُ في شرحها وتطبيقها على القوانين الشرعيَّة وفيهِ قال بعض الشعراء :

أيها الطالبُ البيان وعلم المنطقِ الحقِّ نصَّهُ والنُّقولا
لا تجدَّ السُّرى وحسبُكَ مصرٌ لبلوغ المنى وفيها نِقولا

وفي السنة التالية في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٦ ذهب الموت بحياة سوري آخر أدَّى في مصر خدماً مشكورة للآداب العربيَّة وهو ﴿الدكتور نقولا غر﴾ احد مراسلي مجلّة المقتطف . كان مولدهُ في حاصبيّا سنة ١٨٥٨ واتت بهِ أمُّهُ مع اخوتهِ الى صيداء ثمَّ الى بيروت بعد ان قُتل والدهم في حوادث السنة ١٨٦٠ فتربَّى نقولا في لمدارس الانكليزيَّة ثمَّ في الكليَّة الاميركيَّة وفي السنة ١٨٧٦ درَّس في احدى مدارس دمشق ثمَّ عاد الى الكليَّة فدرس فيها الطب ونال شهادتها ولهُ في مجلّة الطبيب فصول طبيَّة تشهد لهُ بحسن النظر والذكاء . ثمَّ رحل الى مصر وتعاطى فيها الطبابة منتظماً في سلك الجيش المصري منتقلاً معهُ الى اصوان فوادي حلفا . ثمَّ سافر الى اميركة وواجه رئيس الولايات المتحدة ونشر تفاصيل رحلتهِ اليها في مجلّة المقتطف وكذلك رحل الى ارتريا والحبشة فحرَّر اخبار سفرهِ اليها مع ما وجدهُ فيها ممَّا يلذُّ القرَّاء من الامور الطبيعيَّة واخلاق البشر . وكأن هذه الاسفار أثَّرت في صحَّتهِ بحيث لم تنجع

في علاج دائه حيلة الاطبّاء. وكان اتى بيروت مؤملاً الشفاء فزاد مزاجهُ انحرافاً فرجع الى مصر وتوفي فيها بعد قليل

وفي ٢٤ ك ٢ ١٩٠٧ قبضت المنون روح احد ادباء بيروت المستوطنين للقاهرة وهو «جميل بك نخله المدوَّر» من اسرة معروفة في الشام بفضلها وادب اصحابها. وكان المذكور مولعاً بالتنقيب عن آداب العرب وتاريخ الامم الشرقيَّة القديمة. فصنَّف في حداثته تاريخ بابل واشور وسبكهُ سبكاً حسناً واخرجهُ بعبارة بليغة وعرَّب كتاب التاريخ القديم ورواية «أتالا» لشاتوبريان. وانَّما افضل تآليفه كتابهُ حضارة الاسلام في دار السلام روى فيهِ على صورة رحلة خياليَّة لبعض اهل الشيعة ما ورد في تآليف المؤرخين والادباء عن احوال المملكة في ايَّام هارون الرشيد وهو فكر حسن اقتبسهُ الكاتب من احد ادباء الفرنسويين المدعو برتلمي الذي روى على هذه الصورة سفر احد الاجانب المدعو اناكرسيس (Anacharsis) الى جهات اليونان قبل وفاة الاسكندر واستحسنهُ من عادات اليونان واخلاقهم وعلومهم. ومثلهُ سفر تلماك [illegible] وهذه نبذة من تلك الحضارة تطلعك على أسلوب كاتبها البارع ضمَّنها وصف زبيدة ام جعفر زوجة هارون الرشيد بنت جعفر بن المنصور وام الخليفة الامين (ص ٢-١-١٥٣) :

«واني كنتُ رأيتُ لهُ (اي للرشيد) في تدبير المملكة ذلك التصرُّف الجميل فاني ما وجدتُهُ لهُ في تدبير اهل بيتهِ ومواليهِ وانَّما يرجع الرأي في ذلك الى زوجة امّ جعفر وهي انفذ نساء العبَّاسيين كلمةً في الدولة. وقد ربَّت في مهاد الدَّعة والدلال كما يشير اليها اسمها. فانَّما سمَّاها ابو جعفر جدُّها بزُبَيدة لنضاضة بدنها وقد كان يُرقصها تمثُّلاً بها وينظر الى غضاضتها وملاحتها فسمَّاها زبيدة لذلك (١). فلمَّا بنى بها الرشيد وجدها طرفة حديث ومصدرَ رأي جميل لم يرَ بُدّاً من الانقياد اليها في قضاء جميع ما ترومهُ من الحوائج. ومن ذلك انَّهُ مكَّنها من بيوت المال فأنفقت من سعة ما ينيف عن ثلاثين الف الف دينار (٢). فبنت مسجداً مباركاً على ضفَّة دجلة بقرية من دور الخلافة يسمَّى بمسجد زبيدة. ومسجداً سامي الحُسن في قطيعتها المعروفة بقطيعة امّ جعفر (٣) بين باب خراسان وشارع دار الرقيق (٤) وحفرت بالحجاز

١) الاغاني (٩: ١٠٣) والشربيني (٢: ٢٤٥) والحصري (٢: ٢٣٦)

٢) في المسعودي (٢: ٢٢٧) انما كانت من الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدَّمها احد من نظرائها

٣) ياقوت (٤: ١٤١)

٤) ابن خلكان (١: ١٨٤) والمستطرف (١: ٢٨٩)

العين المعروفة بعين المشاش (١) وعبّدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل ووعر حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة فبلغ ما انفقتهُ عليها الف الف دينار. وهذا من الاعمال التي لم تباشرها امرأة في الاسلام إلّا الخيزران امّ الرشيد . . . فان لم يكن عند زبيدة من الدل ما بلغ هذا القدر الجسيم فانّ لها في السياسة رأياً تسمو بهِ الى التداخل في امور الدولة كأفطن ما يكون من الرجال »

وقد امتاز بين السوريين المهاجرين الى مصر ﴿ الشيخ ابراهيم اليازجي ﴾ فانّهُ بشهرة اسم والدهِ الشيخ ناصيف وشهرتهِ الشخصيّة وتآليفهِ كان من اعظم المساعدين على نهضة الآداب العربيّة في القطر المصري وفيهِ كانت وفاتهُ في ٢٨ كانون الاوّل سنة ١٩٠٦ . ولا نعود هنا الى ذكرهِ بعد ما وفّيناهُ حقّهُ في كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (٢ : ٣٩ - ٤٠) مع سائر الاسرة اليازجيّة . وقد ذكرنا في المشرق (٢٢[١٩٢٤] : ٦٣٧ - ٦٣٨) حفلة نصب تمثالهِ (لهُ صلة)

مطبوعات شرقية جديدة

Fr. Porché: La Vierge au grand cœur. *Paris, Grasset*, 1925, *in-12, Prix 7 f.*,50

العذراء السامية القلب

هذه رواية تمثيليّة شعريّة وضعها المسيو پورشه موضوعها جان درك تحت عنوان «العذراء السامية القلب» فبسط مآثرها منذ دعوتها الى انتصارها وموتها . ولا ننكر انّ المؤلف تعمّق في درس جان درك وعواطفها وفضائلها الّا انّنا وجدناهُ مخطئاً في امرين : الاوّل بكونهِ افرط في الرؤى السماويّة التي يشخصها امام الحضور والثاني انهُ لم يختم الرواية بما ينتظر من تمجيد القديسة جان درك في استشهادها ج . ل

Georges Goyau: FRÉDÉRIC OZANAM. Paris, Payot, 1 vol. in-16, 1924, Prix 5 f.

ترجمة فردريك اوزنام

مرّ لنا في المشرق غير مرّة ذكر فردريك اوزنام فخر الكثلكة بل مجد الانسانيّة

(١) المسعودي (٢ : ٤٠٢) وابن جبير (١٧٢) والشريشي (٢ : ٢٤٥)

العين المعروفة بعين المشاش (١) وعبّدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل ووعر حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة فبلغ ما انفقتهُ عليها الف الف دينار. وهذا من الاعمال التي لم تباشرها امرأة في الاسلام إلّا الخيزران امّ الرشيد . . . فان لم يكن عند زبيدة من الدل ما بلغ هذا القدر الجسيم فانّ لها في السياسة رأياً تسمو بهِ الى التداخل في امور الدولة كأفطن ما يكون من الرجال »

وقد امتاز بين السوريين المهاجرين الى مصر ﴿ الشيخ ابراهيم اليازجي ﴾ فانّهُ بشهرة اسم والدهِ الشيخ ناصيف وشهرتهِ الشخصيّة وتآليفهِ كان من اعظم المساعدين على نهضة الآداب العربيّة في القطر المصري وفيهِ كانت وفاتهُ في ٢٨ كانون الاوّل سنة ١٩٠٦ . ولا نعود هنا الى ذكرهِ بعد ما وفّيناهُ حقّهُ في كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (٢ : ٣٩ - ٤٠) مع سائر الاسرة اليازجيّة . وقد ذكرنا في المشرق (٢٢[١٩٢٤] : ٦٣٧ - ٦٣٨) حفلة نصب تمثالهِ (لهُ صلة)

مطبوعات شرقية جديدة

Fr. Porché: La Vierge au grand cœur. *Paris, Grasset*, 1925, *in-12, Prix 7 f.*,50

العذراء السامية القلب

هذه رواية تمثيليّة شعريّة وضعها المسيو پورشه موضوعها جان درك تحت عنوان «العذراء السامية القلب» فبسط مآثرها منذ دعوتها الى انتصارها وموتها . ولا ننكر انّ المؤلف تعمّق في درس جان درك وعواطفها وفضائلها الّا انّنا وجدناهُ مخطئاً في امرين : الاوّل بكونهِ افرط في الرؤى السماويّة التي يشخصها امام الحضور والثاني انهُ لم يختم الرواية بما ينتظر من تمجيد القديسة جان درك في استشهادها ج . ل

Georges Goyau: FRÉDÉRIC OZANAM. Paris, Payot, 1 vol. in-16, 1924, Prix 5 f.

ترجمة فردريك اوزنام

مرّ لنا في المشرق غير مرّة ذكر فردريك اوزنام فخر الكثلكة بل مجد الانسانيّة

(١) المسعودي (٢ : ٤٠٢) وابن جبير (١٧٢) والشريشي (٢ : ٢٤٥)

باجمعها. وقد سُررنا لمباشرة الكاتب الفرنسوي الشهير جورج غرايو احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة ترجمة حياته ونظمهِ لهُ في جملة «كبار رجال فرنسة». وهو يستحق ذلك من وجوه عديدة فانَّ اوزنام كان احد نوابغ زمانهِ كما تشهد عليهِ تآليفهُ الفريدة وكان رجلًا متعمقاً في دينهِ الكاثوليكي بل رسولًا غيوراً بين مواطنيهِ. ومن اكبر صفاتهِ انهُ تفانى في الاحسان الى كلّ ذوي الفاقة والتعساء. ولو لم يكن لهُ غير انشائهِ لجمعيَّة القديس منصور دي بول لكفى تخليداً لذكرهِ. وكلّ هذه الصفات قد ابرزها كاتب ترجمتهِ محلّاةً بقلمهِ السيَّال وبيَّن انَّ الكنيسة الكاثوليكية اذ تحاول الآن بنظمهِ بين اولياء الله تحرز لها فخراً جديداً ل. ش

C. J. Howarth. The Mediterranean. 1 *vol.*, *in*-12, 1922, *Oxford*, *Clarendon Press*.

البحر المتوسط

لقد خُصَّ البحر المحيط بميزةٍ طالما لحظها المتقدمون وتلك هي مشاركة الشعوب العائشة على شواطئهِ في دائرتهِ بتمدُّن متشابه وعيشة قومية متماثلة. وهذا ما اراد اثباتهُ صاحب هذا التأليف الجديد بفصولهِ العشرة التي بحث في الاربعة الاولى منها عن المسائل العمومية كجغرافية البلاد واحوالها الجوِّيَّة ومرافقها وتاريخها. وخصَّ الستة الفصول الاخيرة بالدول الساكنة في جوار البحر المذكور اعني اسبانية وفرنسة وايطالية والبلقان والاناضول وسوريَّة والبلاد الافريقيَّة. فوجدنا الكتاب مع وجازتهِ شاملًا لما يستحبُّ القرَّاء معرفتهُ ج. ل

G. Levenq S. J. : La Nouvelle Mission de la Cie de Jésus au Liban et en Syrie 1831. *Beyrouth*, *Impr. Cath.*, 1925, *in*-12, *pp.*67

إرساليَّة الرهبانيَّة اليسوعيَّة الجديدة الى لبنان وسوريَّة

مرَّ لنا في عدد سابق (ص ٣٩) وصف موجز جديد وضعهُ حضرة الاب لوثنك في تاريخ رسالة الرهبنة اليسوعية القديمة في سوريَّة. وها هوذا قد الحقهُ بموجز آخر في تاريخ الرسالة اليسوعيَّة المستجدَّة في هذه الاصقاع اعني منذ السنة ١٨٣١. وكان المرحوم الاب ميشال جوليان ألَّف في ذلك تاريخاً مطوَّلًا في مجلَّدين طبعهُ سنة ١٨٩٨. وهذا الموجز الجديد قد طُبع على صورة اجماليَّة مع جداول ورسوم توقف القرَّاء بنظر

واحد على اعمال الارساليّة في هذه الحقبة الجديدة مع تتمّته لتأليف الاب جوليان

Léon Homo: L'Empire Romain. Le gouvernement du monde, la défence du monde, l'exploitation du monde. 1 *vol. in-8°, Paris, Payot*, 1925, *pp.* 394, *Prix*, 20 *f*

الدولة الرومانيّة وسياستها العالميّة

ليست دولةٌ ملكت انحاء المعمور كالدولة الرومانية وعرفت بحسن سياستها ان تحفظها تحت حكمها مدّة عدّة اجيال . والمسيو لاون هومو استاذ الآداب في جامعة ليون واحد اعضاء مدرسة رومية الفرنسويّة الشهير بتآليفهِ عن تاريخ رومية صرف نظرهُ في هذا الكتاب الى درس المملكة الرومانيّة ليعرّف الطرائق التي امتازت بهِ عن بقيّة الدول في سياستها فقسم كتابهُ ثلثة اقسام بحث في اوّلها عن ملوك رومية من عهد اوغسطوس قيصر الى سقوط الدولة الرومانية . وبيّن في الثاني نظام الرومانيّين في سياسة مملكتهم الواسعة . وخصّ الثالث باستثمارهم للبلاد وانتفاعهم من مرافقها وختم ذلك [illegible] الى سقوط تلك الدولة العظيمة [illegible] وحكم الفيلسوف [illegible]

Jean Maxe. L'Anthologie des Défaitistes. *Paris Editions Bossard*, 9 *forts vols. in-12*, 1200 *pages*, *Prix* 18 *f*

مختارات الحزب الشيوعي

انّ الحركة الشيوعيّة التي ظهرت في العالم في ايّام الحرب بانتصار البولشفيك ثم انتشرت في انحاء اوربة حتى نفثت سمّها في فرنسة استدعت نظر احد اساتذة الفلسفة المسيو جان ماكس فتخصّص لدرسها منذ اوّل ظهورها وكتب في ذلك كتابات عديدة ليقي البلاد من شرّها. وفي الكتاب الذي نحن بصددهِ بيّن ما أُصيبت به فرنسة من هذا الداء العضال فجمع المعلومات المتعدّدة ليثبت انتشاره بواسطة بعض المشايعين للبولشفيّة لاسيما من الصحافيين الذين روّجوا هذه الافكار السيّئة بكتاباتهم حتى فاز الحزب الشيوعي بانتخاب المسيو هريو وانصاره في العام الماضي فترى فضل هذا الكتاب فانّهُ كدستور الناهضين لذلك الحزب الاثيم لا غنى لهم عنهُ ل.ش

Prezzolini (G.): Le Fascisme. Traduit de l'italien par G. Bourgin. 1 *vol. in*-12. *Paris, Ed. Bossard, Prix* 9 *f*

تعريف الحزب الفاشستي الايطاليّ

هذه ستّ سنوات مرّت على السنيور موسوليني والحزب الفاشستي الذي يرئسهُ فاحتار البعض في تطوُّراتهِ واختلاف بعض مناهجهِ مع ما اداهُ لايطالية من الخدم المشكورة التي يحسدهم عليها غيرهم من اهل اوربّة ويتمنَّون انشاء ما يشبههُ في بلادهم . وها قد اتّسع في تعريف هذا الحزب السنيور بريزوليني وهو ادرى الناس بهِ فنقل المسيو بورجين كتابهُ الى الافرنسية . وقد امعنَّا فيهِ النظر فاذا هو يفرق بين نظريّات هذا اللفّ وعمليّاتهِ . فبيّن ان نظريّات الفاشستيّين متقلقة غير ثابتة الى اليوم يتقلّبون في آرائهم مع تقلُّبات الاحوال . امّا العمليّات فانّهم اعاروا السمع لذوي الادراك فأصلحوا كثيرًا من النقص الطارئ على سياستهم السابقة من حيث الدين والآداب والدفاع عن الوطن والاقتصاد وان حادوا في بعض هذه الاعمال عن سواء السبيل . وعلى كلّ حال يمكن القول انّهم طبّقوا اعمالهم على حاجات بلادهم فلا يجوز لغيرهم ان يقتدوا بهم دون فطنة ومراعاة لأخلاق البلاد ل . ش

Regling (Dr Kurt). Die antike Munze als Kunstwerk. (=«Kunst und Kultur», Bd V) *gr.*8° *carré. pp.*148 *et* 40 *planches phototypiques reproduisant* 903 *monnaies.—Berlin, Schoetz et Parrhysius.* 1925. — *Prix* 12 *Marks.*

فنّية النقود القديمة

يتولّى مكتبُ شوتس في برلين نشر مجموع نفيس وسمهُ باسم « صناعة وتمدُّن » وفي سلكهِ يُنظم هذا الكتاب الجديد الذي وضعهُ الهر رغلنغ مدير فرع المسكوكات والنقود في متحف القيصر فردريك . وليست غايتهُ من وضعهِ احصاء تلك النقود بل تعريف فنونها الجميلة منذ نحو المئة السابعة قبل المسيح الى اواخر العهد القديم المعروف بالمدرسيّ . وقد تفرَّد واضعهُ بتصنيفهِ لم يسبقهُ اليهِ غير الانكليزي غردنير (Gardner) في كتابهِ المعنون بتصاوير النقود اليونانيّة نشرهُ سنة ١٨٨٣ فأضحى اليوم عتيقًا قليل الفائدة . والكتاب الجديد يُقسم الى اربعة اقسام يتناول الاوّل وصف النقود الاولى المعروفة الى نحو السنة ٤٨٠ ق م والنقود التي ضُربت في ايّام

النهضة اليونانيّة بعد انتصار اليونان من الفرس وتعدُّد النقود في كل انحاء البحر المتوسط حتى آسية الصغرى وسوريّة . والثالث منذ عهد الاسكندر وفي أيام الجمهوريّة الرومانيّة . والرابع الاخير يصف النقود المضروبة في عهد قياصرة رومية . والمؤلف كثير الخبرة في الفنون الجميلة عموماً وعليها يطبّق درسهُ للفنون النقوديّة ويثبتها بحُسن نظرهِ ودقّة اطلاعهِ . وقد أعجبنا خصوصاً ما أثبتهُ المؤلف عن اصل عدّة تصاوير ورموز تُرى في النقود كصور الاسود والثيران والطيور الجارحة . على أنّنا نظنّ انّ قليلين هم الذين سيقلّبون صحائف هذا الكتاب الذي يحتاج القرّاء لفهمهِ مراجعة تآليف الفنون الجميلة ومعرفة اللغة اليونانيّة . وممّا سهاه المؤلف عن ذكرهِ بين الكتب المفيدة من هذا القبيل تأليف المسيو انسون في النقود اليونانيّة (ANSON : Nimismata græca, 1910-1916) مع ما فيهِ من المعلومات الواسعة

الاب سبستيان رنزفال

J.Rouch : Les méthodes de prévision du temps. 1 *vol. in*-12, *Paris, Libr. Alcan*, 1924, *Prix* 10 *f*.

السبق الى تعريف احوال الجوّ

قد اول الناس منذ قديم الزمان ان يستطلعوا احوال الجوّ ليعرفوا ما سيؤول اليه من مطر او صحو من برد او حرّ . فعزم المسيو روش على جمع آراء البشر في ذلك وفحصها فحصاً نظريًّا مدققاً فذكر ما يتناقلهُ الناس عن تأثيرات القمر والشمس والنجوم وعن صورة النبات وحركات الحيوان فاثبت بعد استقرائها انّ هذهِ العلامات كلّها قلّما تصدق في تعريف تقلّبات الجوّ سلفاً مهما زعم اصحابها الأمّيون . ثمّ انتقل الى الطرائق العلميّة المبنيّة على رصد الهواء وثقلهِ وخفّته في البارومتر ومراقبة تقلّبات الجوّ وهبوب الرياح الخ فبيّن ان هذه الرصود ايضاً لم تأتِ حتى اليوم بالنتائج المنتظرة وذلك لجهل العلماء كثيراً من نواميس الفضاء الجوّي ج.ل

Abbé Th. Moreux: Tables de Logarithmes à 5 décimales et Tables diverses. 1. *vol, in*-12, *Paris. Gaston Doin, éditeur.*

جداول انساب اعداد ذات خمسة ارقام عشريّة

ان درس انساب الاعداد اي اللوغرثمات مع فوائدهِ قليل الانتشار بين الطلّاب

لصعوبة مزاولته . فذاك ما حدا بالكاهن الفلكيّ الشهير الاب مورو ان يضع كتاباً في هذا المعنى يقرّب فهمهُ الى الطلبة ليستمتعوا بفوائده دون مشقّة كبيرة . وعلى رأينا انهُ اصاب بعمله الهدف فانّ المبتدئين اذا نظروا في كتابه يرتشدون شيئاً فشيئاً الى هذا العلم . امّا الذين تقدّموا فيه فانّ الكتاب يوفّر عليهم بجداوله المتعدّدة زمناً ثميناً فلا يحتاجون الى عمليّات طويلة مملّة . وفي مقدّمته فصل ممتع يوضح فيه فوائد الانساب وكيفيّة استعمال جداولها . وقد زاد الكتاب فائدةً باضافته اليه جداول المربّعات والمكعّبات الاب انطون غرانج

P. J. Alouan Missionnaire Lazariste COURS GRADUÉ DE TRADUCTION pour les classes supérieures, 1re *Partie*, *Livre de l'Elève*, *Beyrouth*, *Impr. Cath.*, 1925, *in*-16, *pp.* 96

مرقاة المترجم للصفوف العالية في اللغتين الفرنسيّة والعربيّة

قد باشر حضرة الاب يوسف علوان بطبع كتاب غاية في الافادة لطالبي الترجمة من الافرنسيّة الى العربيّة ومن العربيّة الى الافرنسيّة . وضعهُ خصوصاً لفائدة صفوف المدارس العليا . والكتاب سيكون في ثلاث مراقي متدرّجة تتناول كل اصناف المكتابات والمراسلات . وقد اطّلعنا على القسم الاوّل منهُ فوجدناهُ على تمام ما يُرام جامعاً لما يرغبهُ التلامذة لاتقان الترجمة سواء كان بالمفردات ام بالتعابير والتراكيب الانشائيّة . وعمّا قليل سيشفعهُ حضرتهُ بكتاب المعلّم . فنثني على نشاطه ونتمنّى لكتابه رواجاً وانتشاراً واسعاً وثمنهُ لا يزيد على ثلاثة فرنكات ل . ش

قلادة الذهب في فرنسا والعرب — حُبك الدراري

نظم الخورفسقفوس جرجس شلحت السرياني الحلبي

طُبعا في مصر في مطبعة رعيس سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣٣ (ص ١٦ و ٨٦)

هذان اثران جديدان من نظم فخر الكنيسة السريانيّة في حلب الخورفسقفوس جرجس شلحت المحترم . ففي الاثر الاوّل زيّن جيد فرنسة بقلادة ادبيّة تفوق على القلائد الذهبيّة فذكر مفاخرها ثمّ انتقل الى وصف مآثر العرب فقابل بينها وبالمقابلة صحّ بعض الشبه بمزاياهما الطيّبة — امّا الاثر الثاني فنظمهُ حضرتهُ قصيدةً غرّاء ذات

سبعة فصول شكا فيها الى الله حالهُ وجعلهُ كخاتمة كتابهِ النجوى فعساهُ يفوز برغوبهِ من نشرهِ ويغني بكتابهِ الفريد الآداب النصرانيَّة

نزعة الفكر الاوربي ونهضة فرنسة العلميَّة في القرن التاسع عشر: تلخيص عن مقالات تيودور مرتز

رسالتان بقلم اسماعيل مظهر

طُبعتا في مطبعتي جريدة المصباح ودار الكتب المصريَّة ١٩٢٣–١٩٢٥ (ص ٨٦و٥٢)

يجبُ الشرقيُّون الاطلاع على ما يخالج صدور ارباب اوربة وقادة العالم وزعماء التمدُّن الحاضر. فهذا ما حدا بالاديب اسماعيل مظهر ان يختصر مقالات لاحد مشاهير الكتبة الانكليز «جون تيودور مرتز» الذي كتب «تاريخ الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر» وهو كتاب كثير الفوائد الَّا انَّ فيهِ من المزاعم ما لا يصدّق عليه المتدبرون ومن [illegible] بالكل [illegible] قدمهُ [illegible] المطالعة. وكذلك [illegible] في [illegible] تُطلعنا على فصل عليه فرنسة في القرن التاسع عشر وهو بحث جليل لكنَّنا لسنا لنشاء ان نُعزي تلك الحركة العلميَّة الى الثورة الفرنسويَّة. ثم انَّ في الرسالتين قد تشوَّهت الاعلام المكتوبة بالحرف الاوربي فلا بُدَّ من اصلاحها في طبعة ثانية ل. ش

السرطان: اعراضهُ وعلاجهُ والوقاية منهُ

وضعهُ الدكتور محمَّد عبد الحميد بك

طبع في مصر في مطبعة المعارف سنة ١٩٢٥ (ص ٧٢)

انَّ انتشار داء السرطان يستلفت حاضرًا انظار الاطبَّاء فيطلبون علاجاً ناجعاً للمصابين بهِ والامل معقود بوجودهِ قريباً ان شاء الله. على انَّ ابحاث ذوي الهمَّة قد اتَّصلت الى بعض النتائج التي يعرضها في هذا الكتاب الدكتور محمَّد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وكبير جرَّاحيهِ في مصر وقد اختصر فيهِ ما يختصّ بتشخيص الداء واعراضهِ وعلاجهِ والوقاية منهُ. وقد تولى طبعهُ نجيب افندي متري صاحب

مطبعة المعارف في مصر وقد اعلن انهُ يعطيهِ مجاناً لكلّ من يطلبهُ من مطبعتهِ ومكتبتهِ جازى الله خيراً المؤلف والمحسن

خلاصة الابحاث في علم الميراث

تأليف الارشمندريت يوسف ابو طبر

طُبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص ١٢٤)

ليس من المسائل القضائيَّة مسألة مرتبكة كمسألة تقسيم الميراث بين قرابة الميت واهلهِ وهذا كتابٌ جمع فيهِ كاتبهُ اقرب واصدق ما وجدهُ في الشرع وقد بنى ابحاثهُ على المذهب الحنفي المعوَّل عليهِ في هذهِ البلاد فعساهُ ينهج الورثة طريقاً سهلاً للوقوف على حقوقهم لا يترك بينهم سبيلاً للنزاع

كتاب مجموع الالفاظ السريانيَّة من العربيَّة العاميَّة في ما بين النهرين وخصوصاً العاميَّة الآمديَّة

تأليف نعوم فائق بن الياس بالاك الآمدي

طُبع في نيويرك سنة ١٩٢٤ (ص ٣٩٤)

نعوم افندي الآمدي يُحسن اللغة السريانيَّة ويستحبُّ آثارها. وها هوذا قد ألف كتاباً نفيساً جمع فيهِ الالفاظ العربيَّة الجارية على السنة العامَّة في ما بين النهرين وجهات ديار بكر والتي استعاروها من السريانيَّة فرتَّبها على طريقة حروف المعجم فبلغ عددها ١٥٢٧ اسماً ذكر المؤلف لفظها وبيَّن اصلها السرياني. وقد وهم الكاتب في نسبة بعض المفردات الى السريانيَّة وهي امَّا يونانيَّة وامَّا فارسيَّة. وعلى كل حال نشكرهُ لخدمتهِ اللغة السريانيَّة بهذا الاثر الجميل ويا ليتهُ كان طبعهُ بحروف أجلى واشرق واضاف اليهِ الفهارس المفيدة ل: ش

الموسيقى الشرقيَّة: ماضيها. حاضرها. نموُّها في المستقبل

بقلم محمد افندي كاملُ حجَّاج

طبع في الاسكندريَّة في مطبعة جريدة البصير سنة ١٩٢٤ (ص ٥٢)

انَّ من يقرأ اخبار المغنين كما رواها ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني يأسف

على نقد هذا الفنّ الذي اصبح اثراً بعد عين . وهذه نبذة حسنة لمحمّد افندي كامل حجّاج تثبت الامر بما رواهُ كاتبها عن ماضي الموسيقى الشرقيّة في الجاهليّة وعصور الاسلام الاولى اذ بلغت الموسيقى اوج كمالها في العراق والشام ومصر والاندلس ثم عن سقوطها في الازمنة الاخيرة وختمها ببحثٍ عن الوسائل لتجديد هذا الفنّ الجميل . فعسى صوتهُ يجد اذناً صاغية لدى ارباب الامر وهو حريّ بذلك وقد شرّفت جمعيّة اصدقاء الموسيقى بحثهُ فمنحتهُ الجائزة الاولى

كتاب نهج الكمال في الصلاة العقليّة للكهنة

تأليف القس اغناطيوس الحانك الشبابي الراهب الحلبي اللبناني

طبع في بيروت بمطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٥ (ص ٢٧٢)

جاء في سفر ارميا النبي (١٢ : ١١) : « قد خُرِبت الارض كلّها لانهُ لا انسان يتأمّل في قلبهِ » فان كانت هذه عاقبة كلّ نفس ساهية عن التأمّل في قلبها فما قولنا عن الكهنة الذين هم ملح الارض ونور العالم ؟ وحياة الكاهن متوقّفة على روح الصلاة ومناجاة الله ومن ثمّ نجد كلّ عمل يساعد الكهنة في تتميم فرائضهم الروحيّة ولاسيما الصلاة العقليّة وهذا الكتاب الجديد لَمِمّا يقرّب الى الكهنة تتمّة هذه الفريضة وهو يشتمل على ٣١ تأمّلاً على عدد أيام الشهر وفي كل تأمل ما يكفي لتغذية نفوسهم ولاسيما ان لم يجتزئوا بقراءتهِ فيتمعّنوا في معانيهِ ل . ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — « المدارس العلمانيّة » — تنتهك حرمة الأديان والآداب والوطنيّة . بقلم الاب الفاضل يوحنّا الحاج رئيس كهنة كاتدرائيّة القديس جرجس المارونيّة . مقالات ظهرت في جريدة البشير . بيروت . بالمطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٥ (ص ٣١)

٢ — « الدنيا والدين » — في ترجمة السيّد فرنسيس يكه قنصل حلب ومطران سيزاروبل والنائب الرسولي في العجم . للاب بطرس ساره البتروني رئيس مدرسة الرهبان اللبنانيين الموارنة في بيروت . ظهرت تباعاً في اعداد المشرق . طُبعت في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٥٩)

٣ — « تقرير اعمال الجمعيّة الخيريّة » — لطائفة السريان الكاثوليك بحلب (من ٩ آب

١٩٢٢ الى ١ ك ٢ ١٩٢٥ . طُبع في مطبعة العصر الجديد بحلب (ص ٣٥)

٤ — اعمال جمعيّة قلب يسوع المبرّئة اليسافيّة — لسنة ١٩٢٤ . طُبع في المطبعة البطريركيّة اللاتينيّة في القدس الشريف (ص ٢٢)

٥ — البيان السنوي — لمجلس ادارة المعهد العلميّ ببغداد سنة ١٩٢٣–١٩٢٤ . في مطبعة الفلاح ببغداد (ص ١٤)

شذرات

﴿التهاني اليوبيليّة﴾ بلغتنا بعد كتابة فصلنا السابق «صدى يوبيل كليّة القديس يوسف الذهبي» رسالة لغبطة السيد الكلي الطوبى اغناطيوس افرام الثاني الرحماني البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك الى رئيس كليّتنا يهنئهُ ببلوغها السنة الخمسين من عمرها ويثني اطيب الثناء على مشروعاتها المختلفة وخدمها الممتازة للدين وللوطن فتلقّينا هذه الرسالة بملء الشكر داعين لغبطتهِ بطول العمر والتوفيق في كل اعمالهِ الرسوليّة لخير طائفتهِ الكريمة ولخدمة الوطن العزيز

وقد وقفنا ايضاً على برقيّة صاحب المعالي احمد زيور باشا الى الرئيس الموما اليهِ في ٢٦ أيار يُبدي فيها اسفهُ الشديد لعدم تمكّنهِ من حضور الاعياد الخمسينيّة ومصرحاً بانهُ «لن ينسى ابداً اساتذتهُ الكرماء الذين نشروا في العالم بتربيتهم وتعليمهم جميع الفضائل المأثورة والمبادئ العظيمة التي تأتمُّ بها الانسانيّة»

﴿تثبيت قداسة الطوبوي بطرس كانيزيوس﴾ كان الطيّب الذكر الحبر الاعظم بيوس التاسع في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤ ادرج اسم سليل الرهبانيّة اليسوعيّة ورسول المانية وسويسرة في القرن السادس عشر بطرس كانيزيوس في سجلّ الطوبويين وها هوذا اليوم قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بعد ما جرى على يد الطوبوي من المعجزات الباهرة قد نظمهُ في عداد القدّيسين فاهتزّت المانية والنمسة وهولندة وسويسرة طرباً لهذا النبإ البهيج . والامل معقود بأن يُعلَن بهِ ايضاً معلّماً للكنيسة لوفرة تآليفه الدينيّة والعلميّة والادبيّة التي جعلتهُ سراجاً منيراً لاهل عصرهِ . وسنأتي ان شاء الله بترجمتهِ عند الاحتفال بتعييدهِ في كليّتنا

﴿العصاة الراعويّة﴾ قد ألّف الجاحظ الكاتب العربي الشهير رسالةً في العصاة

١٩٢٢ الى ١ ك ٢ ١٩٢٥ . طُبع في مطبعة العصر الجديد بحلب (ص ٣٥)

٤ — اعمال جمعيّة قلب يسوع المبرّئة اليسافيّة — لسنة ١٩٢٤ . طُبع في المطبعة البطريركيّة اللاتينيّة في القدس الشريف (ص ٢٢)

٥ — البيان السنوي — لمجلس ادارة المعهد العلميّ ببغداد سنة ١٩٢٣–١٩٢٤ . في مطبعة الفلاح ببغداد (ص ١٤)

شذرات

﴿التهاني اليوبيليّة﴾ بلغتنا بعد كتابة فصلنا السابق «صدى يوبيل كليّة القديس يوسف الذهبي» رسالة لغبطة السيد الكلي الطوبى اغناطيوس افرام الثاني الرحماني البطريرك الانطاكي على السريان الكاثوليك الى رئيس كليّتنا يهنئهُ ببلوغها السنة الخمسين من عمرها ويثني اطيب الثناء على مشروعاتها المختلفة وخدمها الممتازة للدين وللوطن فتلقّينا هذه الرسالة بملء الشكر داعين لغبطتهِ بطول العمر والتوفيق في كل اعمالهِ الرسوليّة لخير طائفتهِ الكريمة ولخدمة الوطن العزيز

وقد وقفنا ايضاً على برقيّة صاحب المعالي احمد زيور باشا الى الرئيس الموما اليهِ في ٢٦ أيار يُبدي فيها اسفهُ الشديد لعدم تمكّنهِ من حضور الاعياد الخمسينيّة ومصرحاً بانهُ «لن ينسى ابداً اساتذتهُ الكرماء الذين نشروا في العالم بتربيتهم وتعليمهم جميع الفضائل المأثورة والمبادئ العظيمة التي تأتمُّ بها الانسانيّة»

﴿تثبيت قداسة الطوبوي بطرس كانيزيوس﴾ كان الطيّب الذكر الحبر الاعظم بيوس التاسع في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٦٤ ادرج اسم سليل الرهبانيّة اليسوعيّة ورسول المانية وسويسرة في القرن السادس عشر بطرس كانيزيوس في سجلّ الطوبويين وها هوذا اليوم قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بعد ما جرى على يد الطوبوي من المعجزات الباهرة قد نظمهُ في عداد القدّيسين فاهتزّت المانية والنمسة وهولندة وسويسرة طرباً لهذا النبإ البهيج . والامل معقود بأن يُعلَن بهِ ايضاً معلّماً للكنيسة لوفرة تآليفه الدينيّة والعلميّة والادبيّة التي جعلتهُ سراجاً منيراً لاهل عصرهِ . وسنأتي ان شاء الله بترجمتهِ عند الاحتفال بتعييدهِ في كليّتنا

﴿العصاة الراعويّة﴾ قد ألّف الجاحظ الكاتب العربي الشهير رسالةً في العصاة

وفوائدها. وانّما الكنيسة الكاثوليكيّة جعلتها في ايدي أحبارها تنويهاً بسلطتهم وارشادهم لقطيعهم الروحي ودفاعاً عنهُ بازاء الذئاب الخاطفة. وقد أحبّت نخبة من شبيبة الطائفة المارونيّة في بيروت ان يقدّموا لسيادة راعيهم الجليل المطران اغناطيوس مبارك عصاةً لطيفة من خشب الابنوس في رأسها قبضة من الذهب منقوش عليها الارز والنخيل وتاريخ التقدمة في ١٧ ايّار سنة ١٩٢٥ مؤذنين بها إعجابَهم بشهامته في الدفاع عن حقوق الدين ومبادئ التهذيب المسيحي. وقد عقدوا لذلك حفلةً شائقة في قاعة كاتدرائية القديس جرجس تُلي في اثنائها رقيم غبطة السيد البطريرك الماروني الكلي الطوبى مملئاً باستحسانه لغيرة رئيس اساقفة بيروت الجليل

﴿ الاحتفاء بالكردينال اهرله ﴾ هو الاب اليسوعي الذي تولى نظارة المكتبة الفاتيكانيّة نيفاً و٢٥ سنة فوقف في خدمة الانوف من زوّارها المقتبسين من انوارها. وقد ألف في اوقات الفراغ تآليف جليلة دينيّة وتاريخيّة وكتابيّة في مجلّدات ضخمة عديدة التفت اليها انظار اساطين العلم. فأحبّ قداسة الحبر الاعظم بمناسبة بلوغ الكردينال اهرله السنة الثمانين من عمره ان يُقام له حفلة يُدعى اليها علماء اوربة في ٤ تشرين الثاني الاخير وقد تخلّف امام الاحبار عن حضور الحفلة بنفسه وسلّب فيها خطاباً بليغاً مطوّلاً عن سلفه في ادارة المكتبة الفاتيكانيّة واهداهُ خمسة مجلّدات ألّفها العلماء لاكرامه تحت عنوان مطبوعات شتى (Miscellanea) اودعوها منشورات علميّة من صنف تآليف الكردينال ثمّ قال له: «انّها ألّفت لاكرامك (Tibi) ووضعها اصحابك (Tui) وانّها احقّ بان تُدعى اعمالك (Tua) لانتظامها في شاكلة مطبوعاتك وكثيراً ما نُقلت عن تآليفك (De Tuis)». فكان كلام إمام الاحبار اعظم ثناء قيل في احد كرادلة الكنيسة

﴿ انتقاد على انتقاد القس منسى يوحنّا ﴾ كتبنا في العام الماضي المشرق (٢٢ [١٩٢٤]: ٥١١–٥١٩) فصلاً مطوّلاً رددنا فيه على الراهب افرام البرموسي وما كتبهُ في تاريخه المكتبة القبطيّة بخصوص الكرسي الاسكندري الذي ذكر ارتباطهُ بكرسي رومية واستمداد القديس مرقس سلطته من هامة الرسل القديس بطرس. ولم نتعرّض هناك لأغلاط تاريخيّة عديدة واضاليل هرطوقيّة ظاهرة وردت في الكتاب لنحصر كلامنا في هذه المسألة الجوهريّة التي بثباتها تتداعى كل مزاعم

الراهب البرموسي . فبعد أن مرَّ على مقالتنا نحو عشرة اشهر واذا بكرَّاسة « بقلم القس منسى يوحنا راعي الكنيسة القبطيَّة الارثذكسيَّة بلوي» عنوانها « ردّ على انتقاد الاب لويس شيخو اليسوعي لكتاب تاريخ الكنيسة القبطيَّة » فكفى بهذا العنوان تضليلًا للقرَّاء. كأنَّنا رددنا على الكتاب في سائر ترَّهاته وسفاسفه والمجلَّدات الضخمة لا تكفي لذلك وانَّما قصرنا نظرنا على مسألة واحدة . فراجعنا الانتقاد لنرى كيف يفنّد القس منسى يوحنا تلك البراهين اللامعة والنصوص المنقولة عن كتب الاقباط الطقسيَّة وعن مؤرّخيهم الأثبات بل عن المؤرّخين المسلمين انفسهم فاذا بهِ سكت عن كلّ ذلك ليدخل في ابحاث شتى سنخوضها معهُ ان شاء بعد تفنيدهِ لادلَّتنا او بالحري لكتب كنيستهِ ولمؤرخي طائفتهِ . وهذا الكرَّاس الجديد مجموع تلفيقات واكاذيب يخجل العلماء لوجودها مرقومةً بيد كاتب صادق بعد ان دحضوها مرارًا دحضاً مطوَّلًا علميًّا فعاد اليها القسّ منسي نقلًا عن كتب البروتستانت واعداء الكنيسة الرومانيَّة فعرفنا بكل ذلك انَّ حضرة القس لا يطلب الحقيقة بل الاغضاء عن نورها لئلَّا يقرَّ بضلالهِ

﴿ اكتشاف آثار سابقة للتاريخ في مصر ﴾ قد توفَّق الاب اليسوعي بوفيه لابيار (Bovier - Lapierre) الى اكتشاف محطَّات اثريَّة قديمة سابقة للتاريخ منها (اوَّلًا) محطَّة للظرَّان في سهل العبَّاسيَّة شمالي شرقي القاهرة وجد في اعماقها وعلى سطحها امثلة عديدة من الظرَّان المنحوت على اختلاف اجناسهِ . و(ثانيًا) محطَّة اخرى ظرَّانية وبعدها في جبل احمر المجاور للبحر الاحمر تمتدّ الى قرب الغابة المستحجرة . ثم (ثالثًا) محطَّة ثالثة مثلها ظرَّانيَّة في جبل المقطَّم عند بركان رينبَوم (Volcan de Rennebaum)

وكلّ هذه المحطَّات شمالي شرقي القاهرة في الصحراء العربيَّة ثمَّ وجد في الصحراء الليبيَّة شمالي غربي القاهرة بين اهرام الجيزة وابي رواش محطَّة رابعة من الظرَّان المنحوت

وممَّا اكتشفهُ وتولى حفريَّاتهِ بمساعدة طاهر افندي العُمري في كانون الثاني من السنة الحاليَّة آثار بلدة قديمة كانت مسكنًا للناس الاوَّلين في الازمنة السابقة للتاريخ بقرب مصبّ وادي حوف شمالي حلوان وهناك ايضاً محطَّة ظرَّانيَّة ومدافن عريقة في القدم في ضمنها هياكل موتى مُقعية (مقرفصة) مع آنية قديمة جدًّا . وقد اكتشف مؤخَّرًا انصاباً (dolmens) عاديَّة وهي اوَّل ما يُعرف من جنسها في مصر

أسئلة وأجوبة

س سأل من مصر جناب نسُّوم افندي بحري هل بحث العرب عن قوانين لمنع الحروب وهل لهم مؤلفات في هذا الصدد. وهل جروا على قواعد مقرَّرة في حروبهم ؟

القوانين الحربيَّة عند العرب

ج غاية ما يُعرَف من احوال العرب في حروبهم قبل الاسلام انَّهم خصُّوا اربعة اشهر من سنتهم القمريَّة للسِّلم ثلثة منها متتابعة وهي ذو القعدة وذو الحجَّة ومحرَّم والرابع رجب بين جمادى الآخرة وشعبان. وليس هذا مبنيًّا على نصٍّ مقرَّر وانَّما كان تقليدًا قديمًا يجرون عليهِ بين القبائل. فاصبح الامر عادةً مألوفة ارشدتهم اليها الطبيعة ليقوموا بامور دينهم ودنياهم من حجٍّ ومعاش. وكان الامر محصورًا في جزيرة العرب. وكذلك في الا[illegible] على تلك ما [illegible] الى محاربة غيرهم من الدول. على انَّ التاريخ يروي [illegible] سواء كان في الجاهليَّة [illegible] في الاسلام

س وسأل الاديب يوسف افندي صنبر من هو «علي بن زبر النصراني» المذكور في الرسالة العذراء التي نشرتها مجلة المقتبس في سنتها الرابعة (ص ٥٥٨)

من هو علي بن زبر النصراني

ج نظنُّ انَّ هذا الاسم مصحَّف ولعلَّهُ «علي بن ربن» كما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٣١٦) حيث ذكر لهُ كتابًا فقال: «كتاب عليّ بن ربن النصراني في الآداب والامثال على مذهب الفرس والروم والعرب. كتاب ترجمتهِ نوادر اهل الشَّرَفيَّة ونوادر اوساط الناس ونوادر السَّفلة والوضعاء». والقرينة في الرسالة العذراء تدلُّ على انَّهُ هو المشار اليهِ اذ نقل صاحبها وهو احد قدماء الكتبة كلامًا لعليّ بن ربن المذكور تقرأ في الرسالة العذراء «علي بن زبر» ولعلَّ القراءة الصحيحة «عليّ بن زبن» الذي جاء ذكرهُ على هذه الصورة في معجم البلدان (٢: ٦٠٨) قال انهُ كان كاتبًا للمازيار صاحب طبرستان المتوفَّى سنة ٢٢٦ هـ (٨٣٠م) وكان حكيمًا محصِّلًا ولهُ تصانيف في فنون عديدة»

ل.ش

المشرق

التذكار المئوي السادس عشر للمجمع المسكوني النيقوي الاوَّل

لحضرة الاب فرديناند توتل اليسوعي

ليس في تاريخ الكنيسة الجامعة في القرون الاولى من انشائها حادث اعظم شأناً وأعمّ نطاقاً في نتائجه من المجمع المسكوني الاوَّل الذي عُقد في عهد قسطنطين الكبير في مدينة نيقية في اواسط السنة ٣٢٥ فلم يشأ قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ان تمرّ هذه الفرصة السانحة دون ان ينتهزها ليذكّر بها العالم الكاثوليكي بل النصراني باجمعهِ وفيهِ ظهرت وحدة الكنيسة بكل بهائها ولاح ايمانها بتلك العقيدة الجوهريَّة التي عليها مبنى كلّ المعتقدات النصرانيَّة اعني لاهوت ابن الله وميلادهُ منذ الازل من جوهر أبيهِ دون اختلاف وميزة في الزمان والطبيعة مع تمييز كلّ منهما والروح القدس بالاقنومية. ومن ثمَّ امر بان يُحتفل في يوم عيد العنصرة في آخر الشهر المنصرم بتذكار هذا المجمع في كلّ انحاء العالم الكاثوليكيّ وقد تقدَّم قداستهُ الجميع بتقدمة الذبيحة المقدَّسة في كاتدرائيَّة القديس بطرس في رومية على هذه النيَّة في اليوم المذكور

فما عرف احبار الكنائس الشرقيَّة الكاثوليكيَّة ما قرَّرهُ نائب السيد المسيح حتى اسرعوا الى الاجابة الى رغبتهِ نخصّ منهم بالذكر غبطة صاحبي الطوبى بطريركي انطاكية الماروني والسرياني مار بطرس الياس الحويك ومار اغناطيوس

افرام الثاني الرحماني اللذين وجّها الى اكليروسيهما رقيماً اوعزا فيه ان يحتفوا باقامة الذبيحة الالهيّة في احد العنصرة او الاحد الثاني ليشاركوا الحبر الروماني في شكره لله على تلك النعمة السابغة التي نالتها كنيسة الله في نيقية واستمداداً لمراحمه كي يزيد في قلوب المؤمنين موهبة الايمان وكي يجمع الرعايا المتفرّقة في رعية المسيح الوحيدة التي يرئسها خليفة هامة الرسل

وقد عرف الاخوة المنفصلون خطورة هذا الواقع الجليل اعني تذكار المجمع النيقوي فعرض بطريرك الفنار على بطريركي الروم في الاسكندريّة والقدس الشريف ان يعقدوا لذلك مجمعاً دعاهما اليه. فتلقى البطريركان دعوتهُ بالنفور وردّوها بالاباء معلنين باستقلال كنيستهما وعزما على ان يعقدا دونهُ مجمعاً في القدس وظهر بذلك لكل العيان ما هي عليه الكنائس الشرقيّة المنفصلة من الانقسام بازاء الكنيسة الكاثوليكيّة ورئيسها المسموع الكلمة حتى اقاصي العالم

وها نحن نفرد في هذه المجلة مقالة خاصّة لذكر ذلك المجمع فيعرف القرّاء ما يستحقهُ من الاعتبار ونحيل اصواتهم الى اسرت اجبارهم ونشاركهم في استمداد روح الايمان والوحدة بشفاعة البابا في مندور قداسة البابا بيوس الحادي عشر. وسنقسم المقالة ابواباً مفصّلة ليحيطوا بها علماً عن ذات المجمع وسوابقه ولواحقه واختلاف احواله

١ ما هي نيقية

نيقية مدينة من آسية الصغرى في الاناضول كانت قاعدة اقليم بيثينية بجوار البحيرة المدعوّة اسكانيوس. كان اسمها انتيغونية فلمّا تولّى إصلاحها ملكها لَيساك دعاها نيقية باسم امرأته. وكانت نيقية مدينةً عامرة في عهد الرومان وفي زمن ملوك بيزنطية فتحها الملوك السلجوقيون سنة ١٠٧٦ فجعلوها قاعدة مملكتهم ثمّ الصليبيّون ثمّ الروم الى ان اخذها الاتراك عنوةً في القرن الرابع عشر فدعوها ايزنيك فاستولى عليها الخراب وقد زارها الرحّالة ابن بطوطة في العقد الثالث من القرن الرابع عشر ووصفها بما يلي :

«لا يستطاع دخولها (اي ابزيك) الّا على طريق واحدة مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد وبذلك امتنعت هذه المدينة. والبحيرة محيطة بها من جميع الجهات وهي خاوية على عروشها (سورة البقرة ع ٢٦١) لا يسكن بها إلا اناس قليلون ... وعلى المدينة اسوار اربعة بين كلّ سورَين خندق وفيه الماء ويُدخَل اليها على جسور خشب متى ارادوا رَفْعَها رفعوها وبداخل المدينة البساتين والدور والارض والمزارع فلكل انسان دارهُ ومزرعتُهُ وبستانه مجموعة وشربها من آبار قريبة. وبها من جميع اصناف الفواكه والجوز والقَطْلُ عندهم كثير جدًّا رخيص الثمن ويسمون القطل قطنه (بالنون) والجوز القوز (بالقاف) وبها العنب العذاري لم ارَ مثلهُ في سواها متناهي الحلاوة عظيم الجرم صافي اللون رقيق القشر للحبّة منهُ نواة واحدة»

فهذه المدينة تشرَّفت بمجمعَين عظيمين الاوّل هو الذي نحن بصدده والثاني هو المسكوني السابع المعقود لمناهضة محاربي الصور في القرن الثامن للمسيح. ولعلّ السبب لاختيار هذه المدينة لهذين المجمعين وقوعها في وسط البلاد على ممرّ المسالك الرومانيّة الكبرى التي كانت تقطعها وقربها من عاصمة المملكة قال ابن الهروي (اطلب معجم البلدان لياقوت ٤: ٨٦١) يذكر مجمعها :

«مدينة نيقية من اعمال اسطنبول على البرّ الشرقي وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملّة المسيحيّة وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر ابًا يزعمون ان المسيح عليه السلام كان معهم في هذا المجمع وهو اوّل المجامع لهذه الملّة وبه اظهروا الامانة التي هي اصل دينهم وصُوَرهم وصُوَر كراسيهم بهذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتناء عظيم»

٢ً ما معنى المجمع المسكوني

معلوم ان الكنيسة المسيحيّة يسوسها الحبر الاعظم ولفيف الاساقفة ولذلك ترى في تاريخها ذكر عدّة مجامع مكانيّة في الشرق والغرب كان يلتئم فيها الاساقفة لاغراض شتى دينيّة امّا لنفي بدعة وامّا لتأييد حكم وايضاح حقيقة وامّا للمفاوضة في بعض شؤون المؤمنين. وقد بقي من هذه المجامع آثار عديدة وقوانين جمّة جرى عليها المؤمنون في اصقاعهم المختلفة. وقد بلغ في بعض هذه المجامع عدد الاساقفة مئة بنيّف كمجمع انطاكية مثلًا الذي حرم فيه الآباء بولس السَّمَيساطي وثيس اساقفة هذه المدينة سنة ٢٦٧ فانّ احد قدماء الكتبة يزعم ان عددهم بلغ ١٨٠ اسقفًا. وقد اثبت البابا القديس فليكس الاوّل اعمال هذا المجمع

على انَّ هذه المجامع المكانيَّة الخاصَّة مع عظم فائدتها لم تشمل منافعها سائر انحاء المعمور حيثما كان انتشار الايمان المسيحيّ . فكان لا بُدَّ من مجامع أخرى عموميَّة او مسكونيَّة يلتئم فيها الاساقفة من معظم انحاء العالم للنظر في امور الدين العموميَّة وقطع دابر الاضاليل . ولم يصحّ ذلك الَّا بعد خمود الاضطهادات ضدّ الكنيسة واعلان قسطنطين الامبراطور بنصرانيَّته ليحمي ذمارها ويسوّل لها القيام بمهمَّتها في الارشاد والتعليم ويسخّر لأربابها عمّال السكك الرومانيَّة ومركباتها البرّيَّة ومراكبها البحريَّة

٣ ماذا كان الداعي الخاصّ لعقد المجمع النيقويّ

انَّما كان الداعي الخاصّ لعقد هذا المجمع بدعة آريوس في زعمه عن تكوين كلمة الله الازليَّة في بدء الزمان وتنكرانه لالوهيَّة السيد المسيح ابن الله الوحيد

ولايضاح هذا الامر نقول انَّ الكنيسة استنادًا الى وحي الله في الانجيل والى تعليم رُسله الاطهار الست ايمانها منذ انشائها في انَّ السيد المسيح كلمة الله الحي الله حقّ في طبيعتين الهيَّة وانسانيَّة . كتب لا وقد ورد صريحًا في الانجيل المقدس (يوحنا ١ : ١—٣) : « في بدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله . . . وكلّ به قد كوّن . وبدونه لم يكوّن شيء » وهو القائل (يوحنا ١٠ : ٣٠) : « انا والآب واحد » . وقال (١٤ : ٦) : « انا الطريق والحقّ والحياة » وقال (١١ : ٢٥) : « انا القيامة والحياة من آمن بي لن يموت الى الابد » . ونصوص أخرى كثيرة لا يمكن فهمها مجازًا بل تُعلن بلاهوت ابن الله المتأنس . ومثلها اقوال الرُسل في رسائلهم كقول القديس بولس (رومية ٩ : ٥) : « ومنهم (اي من اليهود) المسيح بحسب الجسد الذي هو على كلّ شيء إله مبارك مدى الدهور » وقال (عبرانيُّون ١ : ٢—٣) عن السيد المسيح انَّ الله « به انشأ الدهور وهو ضياء مجده وصورة جوهره وضابط الجميع بكلمة قوَّته » ومثلهُ ليوحنَّا في رسالته الاولى (٥ : ٢٠) : « نحن في الاله الحقيقي في ابنه يسوع المسيح . هذا هو الاله الحقيقي والحياة الابديَّة » وكذلك في سفر الرؤيا (٢١ : ٦) : « انا الالف والياء البداءة والنهاية »

فلم يبقَ ريب بعد هذه الآيات للشكّ في لاهوت السيّد المسيح . وهذا الايمان

الموروث من فم ابن الله ومن آيات رسله الكرام هو الذي علّمهُ الآباء بعد الرسل ولأجلهِ سفك الوف بل الوف الالوف من الشهداء دماءهم بطيب القلب . فكيف اذن نكر آريوس هذا التعليم الحقّ وعدل الى الضلال ؟

الجواب على ذلك انّ آريوس ليس هو اوّل من ذهب الى نكران لاهوت السيد المسيح كلمة الله وانّما اخذهُ من بعض المبتدعين الذين سبقوهُ . ولعلّ السبب الاوّل لهذه البدعة انّ بعض المتنصرين الاوّلين ممّن كانوا درسوا في الاسكندريّة تآليف افلاطون وتلامذتهِ ولاسيما اليهودي فيلون اذ وجدوا فيها ذكر «الكلمة» وهي على قول الافلاطونيين اوّل مخلوقات الاله الاعظم امّا جوهرٌ دون جوهرهِ وامّا قوّة من قوّاتهِ فطبّقوا عليها كلام القديس يوحنّا الانجيلي في اوّل بشارتهِ والفرق بينهما ظاهر فجاروا عن الحقّ واشتطّوا . فمنهم كان بولس السميساطي السابق ذكرهُ الذي زعم ان السيّد المسيح انسان محض وانّما حلّت عليها الكلمة وسكنت فيهِ ليس جوهريًّا بل عرَضاً بنفوذها وقوّتها . فتصدّى لهُ علماء امائل كالقديس غريغوريوس العجائبي اسقف قيصريّة واخوه ايزيدوروس وفرمليانوس القيصري ومكسيموس البصري وغيرهم من رؤساء الكنيسة ونفوهُ عن كرسيّهِ

بيد ان هذا الداء لم يُحسَم تمامًا في انطاكية فقام بعدهُ احد كهنتها المدعوّ لوسيانوس وكان معلّماً في كنيستها فانكر مساواة الابن للآب في جوهرهِ وفي ازليّتهِ فأُفرز لذلك مدّةً عن شركة الكنيسة الى أن ارعوى عن قولهِ تائباً ثمّ قُتل شهيدًا في سبيل الايمان

وكان تخرّج على لوسيانوس كثيرون من مواطنيهِ ومن الغرباء واطّلعوا على كتاباتهِ واستقوا الضلال منها ومن جملتهم آريوس الاسكندريّ . وكان هذا رجلًا فخُوراً متبدّاً برأيهِ معجباً بعلمهِ ومعارفهِ الفلسفيّة وأكبّ على درس كتابات فيلون اليهودي فأحيا تعاليمهُ في «الكلمة» ومنزلتها الدانية بالنسبة الى الله الآب الذي هو وحدهُ الله وما الكلمة اي الابن إلّا صنيعهُ وبهِ خلقَ جميع المخلوقات . فشاع هذا التعليم وراق في اعين الذين تنصّروا في عهد قسطنطين من علماء الوثنيّة

فلمّا وقف القديس بطرس بطريرك الاسكندريّة على تعليم آريوس وكان اذ ذاك شمّاساً وماهُ بالحرم . ثمّ تظاهر بالتوبة في عهد خلفهِ الاسقف اكيلّاس (سنة ٣١٢)

فاصلحهُ مع الكنيسة وسامهُ كاهناً. إلّا انهُ عاد الى قيئهِ بعد وفاة اكيلّاس وجلوس القديس اسكندر على كرسيهِ وكان آريوس يؤمل ان يُنصب اسقفاً بدلاً منهُ فحملهُ الحسد الى ان يناصبه ويزيد تمادياً في غيّهِ. ولم يزل يتفاقم الشرّ ويستفحل الضلال وينتشر حتى لم يَعُد ممكناً شفاءهُ الّا بالتئام مجمع مسكوني

وقد اختصر المقريزي في الخطط (٢ : ١٨٥) سبب اجتماع مجمع نيقية بقولهِ :

«وسببهُ انَّ الاسكندروس بطرك الاسكندريّة منع اريوس من دخول الكنيسة وحرمهُ لمقالتهِ ونقل عن بطرس الشهيد بطريرك الاسكندريّة انه قال عن اريوس انَّ ايمانهُ فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة. فمضى اريوس الى الملك قسطنطين ومعهُ اسقفان فاستغاثوا بهِ وشكوا الاسكندروس فامر باحضارهِ من الاسكندريّة فحضر هو واريوس وجمع لهُ الاعيان من النصارى ليناظروهُ. فقال آريوس : «كان الآب اذ لم يكن الابن ثمَّ أُحدِث الابن فصار كلمةً فهو مُحدَث مخلوق فوَّض اليهِ الآب كلَّ شيء فخلَقَ الابنُ كلَّ شيء من السماوات والارض وما فيها فكان هو الخالق بما اعطاهُ الآب. ثمَّ ان تلك الكلمة تجسَّدت من مريم ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً. فاذاً المسيح مَعْنيان كلمةٌ وجسدٌ وهما جميعاً مخلوقان». فقال الاسكندروس: أيّما اوجب عبادة مَن خَلَقَ او عبادة من لم يَخلُق؟ فقال اريوس : بل عبادة من خَلَقَنا اوجبُ. فقال الاسكندروس : «فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادتهُ اوجب من عبادة الآب الذي ليس بمخلوق بل تكون عبادة الخالق كفرًا وعبادة المخلوق ايمانًا وهو اقبحُ القبيح». فاستحسن الملك قسطنطين كلام اسكندروس وامرهُ ان يحرم اريوس فحرمهُ وسأل اسكندروس الملك ان يُحضر الاساقفة. فامر بهم فاتوهُ من جميع المملكة واجتمعوا بعد ستة اشهر بمدينة نيقية»

وخلاصة مذهب اريوس انهُ جعل كلمة الله خليقةً من الخلائق وبقولهِ هذا قوَّض اركان الدين المسيحي بملاشاة سرَّي التجسُّد والفداء.

٤ من هو الذي تولّى جمع مجمع نيقية ورئاستهُ

انَّ في قول المؤرخين ان قسطنطين امر باحضار الاساقفة فجمعهم في نيقية نظرًا يؤخذ منهُ انَّ ملكاً زمنيًّا تولّى امرًا دينيًّا على خلاف ما امر بهِ السيّد المسيح الذي اعطى لكنيستهِ وقبل الكلّ للقديس بطرس هامة الرسل هذه السلطة اذ جعلهُ الصخرة المبنيَّة عليها كنيستهُ ومنحهُ رعايتها والحلّ والعقد في الارض والسماء.

والحقيقة في ذلك انَّ قسطنطين لم يتفرَّد بفعلهِ هذا دون تفويض الحبر الاعظم

فعل في ذلك عمل المساعد ليس عمل الرئيس فانَّ اجتماع اساقفة من كلّ انحاء العالم كان يستدعي من الهمم والنفقات ما لم يمكن ان يقوم بهِ غير ملكٍ مسموع الكلمة في دولتهِ

والحقّ يقال ان مجمع نيقية عُقد برضى الحبر الروماني رأس الكنيسة القديس سلوستروس وباذنهِ وبرئاسة ممثليهِ . لنا على ذلك شواهد قديمة صادقة على الرغم من فقدان بعض اعمال هذا المجمع ورسائل الملك قسطنطين

والشاهد الاوَّل هو ما ورد في الكتاب الحبري (Liber Ponrificalis) من اجلّ الكتب الكنسيَّة واقدمها الذي قام بطبعهِ المنسنيور والعلّامة الاثري دوشان (Duchesne, I, 75) فيقول صريحاً : «وفي عهد البابا سلوستروس عُقد مجمع نيقية برضاه (cum ejas consensu)

والشاهد الثاني ما اعلن بهِ آباء المجمع المسكوني السادس والقسطنطيني الثالث وذلك في السنة ٦٨٠ حيث كان معظم آباء المجمع من اليونان وبينهم وبين رومية منافرات ومع هذا لم يتردّدوا عن القول : « انَّ قسطنطين الملك الكبير وسلوستروس الجزيل الاكرام قد جمعا في نيقية [illegible] والجليل الشأن » (١

والشاهد الثالث ما قاله احد كبار اساقفة الروم في القرن التاسع ثاودوروس ابو قرّة اسقف حرّان في ميمره في صحّة الدين المسيحي (المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٧٠٢) : «او ما تعلمون ان اريوس حيث خرج انما اجتمع الجمعُ عليهِ بامر اسقف رومية فطرحهُ المجمع المقدّس وابطل اراسيسهُ »

وما يقولهُ هنا ابو قرّة يكرّرهُ بكلامهِ عن كل مجمع من المجامع التالية مصرّحاً بانهُ « جُمع بامر اسقف رومية »

وكذلك ورد في اعمال آباء المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع سنة ٤٥١ في رسالة القديس لاون الكبير الى آباء المجمع حيث يُصرّح قائلاً : انهُ «دعا هذا المجمع العامّ بامر الامراء المسيحيين وبرضى الكرسي الرسولي ثم يقول :

« اني وجهت هذه الرسالة الى محبتكم لتعلموا ايها الاخوة ويعلم لفيف المؤمنين اني لستُ فقط مثبتاً ما امضاهُ وسُلنا بل أثبت بنفسي وسلطتي ما قرّرتم بخصوص امور الايمان . . فيُقطع من

١) اطلب مجموعة المجامع للمنسي (المجلّد ١١ الحقل ٦٦١)

الكنيسة كلّ المشابين لنسطور ولاوطيخا ولدسقورس »

وقد جاء في البندكتاريون من كتب الروم الطقسيّة (طبعة القبر المقدّس في اورشليم سنة ١٨٨٨ : ص ١٩٢) في احد الآباء : «انّ مشاهير الآباء في نيقية كانوا سلبسترس رئيس كهنة رومية وميطروفانيس القسطنطينيّ كان مريضاً فحضر هذان بواسطة نوّابهما الخ» ففي شهادته عن نوّاب الحبر الاعظم دليل على رضاه به. امّا حضور مطروفانيس بنوّابه فليس بصحيح لان قسطنطينيّة لم تصبح عاصمة للشرق الّا سنتين بعد المجمع النيقوي اي السنة ٣٢٨ ولا ذكر لاسم ميطروفانيس بين آباء المجمع

هذا ولم يلتئم المجمع النيقوي فقط برضى الحبر الاعظم بل تولّى ايضاً رئاسته بقاصده الرسولي اوزيوس اسقف قرطبة وكاهنيه ڤيتوس وڤنسان

وممّا يثبت قولنا اوّلاً ان جيلازيوس اسقف سيزيقة من كتبة القرن الخامس في شروحه على اعمال المجمع النيقوي يذكر انّ الرئاسة فيه كانت لاوزيوس الاسبانيّ. واليه يشير القديس اثناسيوس في كتاب هربه حيث يمدح اوزيوس ويعظمه ويصرّح بانه شيخ جليل تولّى رئاسة عدّة مجامع ، فقال (١ :

ἐπιφανὴς ὁ γέρων. Ποίας γὰρ οὐ καθηγήσατο συνόδους

ثمّ ثانياً نجد في اوّل جدول الآباء الذين امضوا اعمال المجمع النيقوي اسم اوزيوس مقروناً مع اسمي ڤيتوس وڤنسان وليس هناك مسوّغ لتقديم اسم اسقف اسباني بسيط على اسمي بطريركي الاسكندريّة وانطاكية وكلاهما حريص على حقوق سيادته في الشرق لو لم يكن اوزيوس معروفاً لدى الجميع كممثّل لاوّل كرسي اسقفي في العالم

ولنا مثال على هذه الرئاسة البابويّة في مجامع أخرى مسكونيّة فانّ في رسالة آباء المجمع الخلقيدوني الى البابا القديس لاون الكبير يصرّحون لهُ بانهُ كان بينهم بواسطة رسله « كما الرأس هو بين الاعضاء » (ὧν σὺ μὲν ὡς κεφαλὴ μελῶν)

ومن البديهي انّ قسطنطين لم يشأ ان يتداخل في شؤون المجمع صوناً لحرّية

١) اطلب مجموعة الآباء اليونان P. G., XXV, col. 649

الآباء فيكون طلب من البابا سلوستروس ان يعهد برئاسة المجمع الى اوزيوس صديقهِ ومستشارهِ الذي كان قد اطّلع على خفايا المسألة الاريوسيَّة في سفرهِ سابقاً الى الاسكندريَّة فأتى تعيينهُ موافقاً لمصالح الكنيسة والمملكة معاً (١

٥ً من كان آباء المجمع النيقوي

لم يبلغ الاساقفة ان الايمان في خطر الّا وبادروا للدفاع عنه باصواتهم كما دافعوا عنه بدمائهم في ايام الاضطهاد الحديثة العهد وكان البعض منهم لا يزالون يحملون في جسدهم آثار ما تكبَّدوه من العذابات في سبيل المسيح كبفنوس اسقف ثيبة الذي اقتلع الوثنيون عينه وعقروا أُربتهُ وحكموا عليهِ بالاشغال الشاقة. وبولس اسقف قيصرية الفراتية الاجذم. والبعض هجروا مناسكهم ليشهدوا للحق بلسانهم كما كانوا يشهدون له بفضائلهم كيعقوب اسقف نصيبين الشهير بشظف عيشه وتقشفهِ اللابس ثوباً من وبر الابل وشعر الماعز والمقتات باعشاب البرية وكان قد قضى سنين عديدةً حبيساً في الصحراء بين الجزيرة والروم. وبطمون اسقف هرقلية في وادي النيل الراوي [illegible] وعن ابيهم انطونيوس. وسبيريدون مثال الدعة والوداعة [illegible] راعياً قبل سيامته اسقفاً فهاجمه اللصوص يوماً ليسرقوا مواشيهُ فقال لهم: ما بالكم لا تطلبونها مني فتحصلون عليها عفواً وعن راحة ضمير. ونقلاوس اسقف ميرة العجائبي وغيرهم خطباء وعلماء كتيودورس الطرسوسي الانطاكي المنشأ. وليونطيوس القيصري استاذ القديس غريغوريوس النازيانزي. واوستاثيوس الانطاكي. ومكاريوس الفلسطيني. ومركلوس الانقري. والرجل العظيم الاسكندر بطريرك الاسكندرية وبعيته اثناسيوس شمَّاسهُ الشهير بنبوغهِ وشدة عزمه مع ما كان عليهِ من غضاضة السنّ ونحافة الجسم

وبين هؤلاء الاساقفة الممثلين لكنائس الشرق كان اساقفة غربيون وهم يمثلون كنائس الغرب بدروت الهرقلي وبروتوجين السرديقي واسكندر التسالونيكي(٢ واوستورجيوس الميلاني وكيتون الصقلي ونيكاز البروفنسي وسيسيليان القرطجني.

---

١) اطلب تاريخ دي برولي DE BROGLIE: L'Eglise et l'Empire Romain an IVe Siècle, II, 20

٢) بقيت تسالونيكة تحت ادارة الحبر الروماني زمناً طويلاً

وفي مقدمتهم كلهم كان الوند البابوي الذي اتينا بذكره. وما عدا اساقفة الشرق والغرب كان هناك اثنان من اقاصي البلاد الاجنبيَّة الواحد فارسي واسمه يوحنا والثاني غوطي واسمه تيوفيلوس. فهؤلاء اجمعون اتوا المجمع ممثلين للعالم المسيحي وانضمُّوا الى اخوتهم ولم يكونوا يعرفونهم سابقاً الَّا بما سمعوه من اعمالهم وفضائلهم فشملهم فرح عظيم عند اجتماعهم وتحقَّقهم انهم متحدون بايمان واحد على اختلاف اصلهم ولغاتهم ولهجاتهم فذكروا حلول الروح القدس يوم العنصرة حيث أُعطيت للرسل موهبة الالسنة وسبَّحوا الله منشئ الكنيسة وحافظها على ما بذله من العناية نحوها حتى اخرجها من عهد الاضطهاد الدموي ظافرةً مفتخرةً بالبنين الذين ولدتهم بالمسيح

ولم توصَد ابواب المجلس في وجه العامّيين من اهل العلم والفلسفة فانهم دخلوا المجمع وجعلوا يحدثون الاباء ويجادلونهم واغتنم آريوس فرصة تلك الحرية ليدعو بعض الوثنيّين لنجدته فلبَّوا الدعوة عن طيبة خاطر لما كانوا يرجونه من انحطاط المسيحية اذا ساد فيها التحزُّب والشقاق فضلاً عمَّا كانوا يشعرون من الميل الى تعاليم اريوس لانها كانت تؤدي في نهاية الامر الى الاعتقاد بان المسيح ليس هو الَّا اشبه بآلهة الوثنيَّة لا يفوقهم الَّا بسمو طهارته وسناء فضائله

وكان آريوس يؤمل الفوز من غير كفاح لو لم يكن في مصافّ الاباء الارثوذكسيّين الشماس اثناسيوس فكان على قصرِ قامتهِ وضعف بدنهِ يقوم في وجه آريوس ويفند اضاليلهُ ويُفحمه في محضر من الجمهور فتسودُّ له وجوه الهراطقة وتتهلَّل لهُ وجوه الآباء.

ولم يكن كلام البسطاء من الاساقفة باقل تأثيراً على القلوب من كلام العلماء فقد يروى عن احدهم انه تلبَّث بالجدال مع احد الوثنيّين لكنه جزم حديثه بغتةً وقال: «يا عزيزي لقد بسطنا لك اكثر من مرة ان لا سبيل للاستفهام عن غوامض الدين اذ ليس هناك كَيْف ولا أَيْن» فاقتنع الفيلسوف وقد نوَّر الله قلبه فنبذ اضاليله وتنصَّر

٦ قسطنطين في المجمع

وكانت العوائق قد حالت دون وجود قسطنطين في نيقية عند وصول الآباء اليها ولم يؤمّ المدينة الَّا في منتصف حزيران سنة ٣٢٥ فافتتح المجمع بحفلة حافلة

وصفها اوسابيوس القيصري احد مؤرخي المجمع فقال :

«دخل الآباء قاعة المجمع وقصد كل واحد منهم كرسياً من الكراسي التي أُعدَّت في اطراف المكان وانتظر صامتاً حضور الملك وما عتَّم ان تقدَّم الحشم الملوكي من الموظَّفين المسيحيين وأُنبئ بحضور الامبراطور فنهض آباء المجلس وبرز قسطنطين وكان رشيق القامة جميل الطلعة مهيباً وقوراً عليه ثوب ارجواني موشَّى بالذهب والاحجار الكريمة فاجتاز القاعة مطرقاً بعينيه الى الارض وقد افاض الاحتشام المسيحي على هيبته من الدعة والتواضع ما زادها عظمةً وجلالاً . ولمَّا بلغ صدر المجلس التفت الى الاباء وانحنى كانه يستأذنهم ثم جلس على العرش الذهبي المعدّ له وجلس الاساقفة من بعده»

ونهض الاسقف الذي كان عن يمين الملك ولعلَّهُ اوسابيوس القيصري نفسه لأنَّهُ ذكر الحادث وسكت عن الاسم ورحَّب بالملك وهنأه فاجاب قسطنطين بكلام ملؤه اللطف وكان ينقله ترجمان من اللاتينية الى اليونانيَّة

«شكرًا لله تعالى على ما خوَّلني من النعم على ان أُشاهد الذي من اجتماع عرآكم وأُشاهد اتفاقكم من الشتات في الكنيسة فهو اخطر شأنًا واعظم شرًا من الحروب والمنازعات ولا همَّ يشغلني ويعكر صفاء حياتي كهذا الهم . . . يجب ان تتحد قلوبكم بنعمة لرغائبي فترى السلام يسود بينكم انتم الذين انتظمتم لخدمة الله لتكونوا رسل السلام . . . »

وبعد ان افتتح قسطنطين المجمع بصفة رئيس شرفي لم يزل يحضر جلساته تاركاً ادارة المناقشات اللاهوتية الى الآباء وكان يكتفي بان يساعد على حفظ النظام بحضوره فيتدخَّل في المناقشات تارةً ليستميد اقوال الخطباء فيمحصها ويلطِّفها وتارة ليهدّئ الخواطر لئلا ينقلب الجدال الى نزاع . على ان الرئيس الشرعي المطاع من الجميع كما روينا انَّما كان اوزيوس القرطبيّ المفوَّض لهذه المهمَّة من قبل القديس سلوستس البابا

٧ آريوس في المجمع

وكان المجلس قد انقسم منذ البدء الى حزبين متطرفين حزب اسكندر بطريرك الاسكندرية ومركاس الانقري واثناسيوس وسائر من اعتنق الايمان التقليدي

تمسكاً بالعقائد التي سبق وعلمها الرسل في قانونهم المختصر وحزب اوسابيوس النيكوميدي وماريس الخلقدوني وغيرهما من انصار اريوس الذين جعلوا يطلبون اعادة النظر في قانون الايمان الذي ورثه الشعب المسيحي عن الرسل

ولم يكن لاريوس الحق بالجلوس بين اباء المجمع لانه لم يكن اسقفاً لكنه ما لبث ان دُعي اليه ليدافع عن ذاته. فوقف المبتدع في وسط الاساقفة وقفة عنيد متمرّد واخذ يبسط تعاليمه عن رباطة جأش وثقة بالنفس وكبرياء لانه كان يعتبر ذاته نابغة زمانه فأعلن بحضرة الآباء الاجلاء «ان الكلمة ليس الهاً لانه لم يكن منذ الازل بل خرج من العدم كسائر الخلائق وان هذا الاسم الذي يطلق عليه اعني الكلمة قد اعطي له مجازاً وتجمّلاً وان الحكمة المنسوبة اليه لا تمكنه من معرفة الآب بل لا تؤهله الى معرفة جوهر نفسه

ولم ينتهِ آريوس من كلامه الّا وبدت على ملامح الاباء امارات الدهشة والامتعاض وجعل البعض يسدّون آذانهم لئلّا يضطروا الى سماع التجديف واستولى الاستياء حتى على حزب اوسابيوس نصير اريوس على انهم تدخلوا لدى قسطنطين لئلا ينفي آريوس على الفور وسعوا بأن يفسحوا مجالاً للجدال لئلّا يتفرط عقد المجلس ولا يُحصل منه انتصار الحق وتزييف الباطل. امّا اثناسيوس فانهُ قام يحاجُّ المبتدعين ويُلجئهم الى الاعتراف بايمانهم بلا مواربة ولا كتمان فيختاروا ان يكونوا امّا مناصرين للتعليم التقليدي واما اخصامه

على ان الآباء لم يحكموا بامر آريوس الا بعد الفحص وعن تروٍ وبعد ان دعوه مرارًا الى المجلس وسمعوا حججه وبراهينه وقد لقي صبرهم وطول اناتهم مع المبتدع ما يعظمهم في عين التاريخ اذ لم يستنكفوا من مقابلة اريوس ومناقشته ومعاملته بالحلم لعلّهُ يرعوي عن غيّه

وكانوا قد عهدوا الى اثناسيوس بالكلام عنهم وبترجمة افكارهم لطول باعهِ في الجدال وفي شرح العقائد العويصة وبينما كان آريوس يسند تعاليمه الى مذاهب الفلاسفة كان اثناسيوس يبني قاعدة الايمان على الوحي وعلى سر الفداء قائلاً : «ان كل اساس ديننا مبني على سرّ الكلمة المتجسد ليفدي البشر ويجعلهم ابناء الله ويؤلههم. فكيف يؤلههم ان لم يكن هو نفسه الهاً ؟ وكيف يجعلهم ابناء بالتبنّي ان

لم يكن هو ابناً بالطبيعة ؟» وكان يرشق اريوس بهذا السهام : «ان كان الكلمة مخلوقاً فاي حاجة الى خالقه لان يخلق به العالم وكيف لا يستطيع ذاك الخالق كما يزعم آريوس ان يخلق العالم ؟ وان كان العالم مخلوقاً بالكلمة فلماذا لا يكون مخلوقاً بالله توًّا؟

٨ القانون النيقوي

ورأى الآباء ان اسهل طريقة لحل المشكل تكون في وضع صورة لعقائد الايمان تشرح قانون الرسل ثمَّ تُعرض على المجمع حتى اذا صادق عليها باسم الكنيسة الجامعة قدمها للمبتدعين واضطرهم اما ان يعترفوا بها ويقبلوها واما ان ينكروها فيُفصَلوا عن شركة الكنيسة وتحلّ بهم القصاصات

وادرك هؤلاء مراد الاباء فجعلوا يلتمسون حيلة ليتملّصوا من ايديهم دون ان يرعووا عن رأيهم الفاسد. فاقترح اوسابيوس النيقوميدي زعيمهم ان يصاغ قانون الايمان النيقوي من عبارات تؤيّد كلها من الاسفار المقدسة وكانت غايته في ذلك ان يترك مجالاً للجدال في معانيها لان العبارة يؤولها بايجاز فيتاح لاريوس وحزبه ان يقبلها بمعنى واحد وينكرها بمعنى آخر ويكون في مأمن من سلطة المجمع دون ان ينبذ تعاليمه. وكاد الاباء ينقادون لرأي اوسابيوس لولا تدخّل الشماس اثناسيوس وكشف القناع عن حيل الاريوسيّين. وقد روى في مؤلفاته ما جرى في جلسات المجمع في هذا الشأن فقال :

اظهر الاباء ميلهم الى قبول هذه العبارة : «ان الكلمة هو من الله» (ἐκ τοῦ Θεοῦ) فأخذ الاوسابيّون يتهامسون ويقولون : «أليس كل شيء من الله ونحن وجميع المخلوقات من الله ؟ الم يقل القديس بولس : «الكل من الله» (٢ كور ٥: ١٨) ؟ ثمَّ عمد بعضهم ان يعبروا عن فكرهم بأقوال اخرى من الرسول : «ان الكلمة هو قوة الله وصورته الازلية وهو مشابه للاب بكامل التشبيه ولا يعتريه تغيير وهو اله حق» فلحظوا ان الاوسابيين عند قراءة تلك الايات كانوا يتغامزون ويقولون ما بينهم : «اجل نرضى بان تطلق هذه الايات على ابن الله لان الكتاب المقدس يطلقها على ابن آدم ايضاً. الم يسمِّ الانسان صورة الله ومجده ؟ (١ كور ١١: ٧)» وبلغ الكفر من بعضهم انهم صاروا يتهكمون ساخرين ويقولون : «ألا يدعو النبي يوئيل الجراد ذاته «قوة الله» (يوئيل ٢: ٢٢) وكان غيرهم يلفتون النظر الى كلام بولس الرسول «لا شيء يفصلنا من محبة المسيح» (روم ٨: ٣٥) اننا نحن الاحياء دائماً (٢ كور ٤:

ويستنتجون منه ان عدم التغير والابدية يُنسبان الى المخلوقات فلا بأس من نسبتها ايضاً الى الكلمة وهو مخلوق»

فحسماً لهذه المماحكات عرض الآباء على اتخاذ هذه العبارة ان الكلمة ليس هو مخلوق وانه من جوهر الله (ἐκ τῆς οὐσίας τοῦ θεοῦ) وكادوا يدرجون هذه العبارة في نص قانون الايمان وكان اثناسيوس قد صدّق عليها اذ رفع احد الاباء صوته وهو على ما يظهر اوزيوس القرطبي رئيس المجمع واقترح عليهم لفظةً مركّبة دالّة تماماً على معتقدهم وهي اومواوسيوس (ὁμοούσιος) اي من ذات جوهر الآب

وحبذا الاقتراح لان تلك الكلمة كانت جاءت على فم اوسابيوس النيقوميدي في خلال المجادلات اذ قال: «اذا اعترفتم بان ابن الله هو غير مخلوق فالاحرى بكم ان تدعوه (ὁμοούσιος) اي من جوهر الآب وما من مناص للاريوسيين من تأويلها الّا بمعناها الفلسفي الذي لا يحتمل مجازاً» والحقّ يقال ان تلك اللفظة اوفق من سواها للدلالة على معتقد الكنيسة وقد علّق القديس اثناسيوس عليها هذا الشرح فقال:

«ان اباء المجمع دعوا الابن اومواوسيوس اي ان لهُ وللآب جوهراً واحداً ليعلنوا بأنه لهُ ذات جوهر الاب وليس هو شبيهاً به فقط وان عدم التغير في الابن ليس كعدم التغير المنسوب لنا وان ميلاد الابن من الآب هو غير ميلاد البشر من الله وان الكلمة هو في الآب والاب هو في الكلمة فالاب اذن هو الله والكلمة هو اله ولا تمييز بينهما الا في الاقنومية»

طمع آريوس في ادراك الاسرار الالهية وفي تفسير سر الثالوث لئلا يمازجَ على زعمهِ البسيطَ تركيبٌ ولم يفطن ان البسيط الكامل تقصر العقول المخلوقة عن وصفهِ وادراك كنههِ ولم يؤدِّ بهِ جهاده الّا الى نقض سرّ التجسّد السامي الذي تلقّيناهُ عن الاسفار الموحى بها وهو ان الله بفيض جودهِ تنازل الينا حتى يرفعنا اليه. فجاءت كلمة اومواوسيوس مكذبةً لتعاليم آريوس ومُعربة عن الايمان الارثودوكسيّ اعراباً وافياً فاستحسنها الاباء اجمعون

وكان اوزيوس واثناسيوس قد سعيا في انشاء صورة مطوّلة لقانون الايمان فانجزا عملهما وعرضاه على المجمع واليك تلك الصورة الاصلية

«نؤمن باله واحد، آب ضابط الكل، خالق كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الذي هو وحده مولود من الآب اي انه من جوهر الاب، اله من اله،

نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود ، غير مخلوق ، من ذات جوهر الآب (ὁμοούσιον Πατρί) الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الارض : الذي نزل من السماء من اجلنا ومن اجل خلاصنا ، وتجسد ، وصار انسانا ، وتألم ، وقام في اليوم الثالث ، وصعد الى السماء وسوف يأتي ليدين الاحياء والاموات . وبالروح القدس . »(١)

وخُتم القانون النيقاوي بصورة الحرم التالي :

« واما الذين يقولون : بانه (اي ابن الله الكلمة) كان زمان لم يكن فيه وانه لم يكن قبل ان يولد ، وانه خرج من العدم ، او انه من غير جوهر الآب او ان ابن الله هو مخلوق وانه غير معصوم من كل شائبة بل معرَّض للتغيير فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الكاثوليكية »

فصدَّق الآباء على قانون ايمان المجمع هذا ووقعوا اسماءهم عليه الا اثنان ثيوناس المَرْمري وسيكوندوس البَطْلماني . على ان اوسابيوس وغيره من انصار آريوس لم يستحيوا من الخداع والغش في وقت توقيع اسمهم فانهم لاحظوا انه بدسيس حرف واحد على لفظة اموأوسيوس (ὁμοούσιος) تنقلب الكلمة الى اوموريوسيوس (ὁμοιούσιος) بتغيير معناها فيصير «مشابه في الجوهر» عوض «من ذات الجوهر» فرسموا « اليوتا » اي الصغيرة في حرف الكلمة على القرطاس الذي قدَّموه لهم معللين انفسهم بانه من انصارهم لكن تلك الحيلة السافلة جلبتهم عاراً ولم تُجدهم نفعاً لان [illegible] شرع في العالم بصورته الارثوذكسية المعروفة الى يومنا

وفرح قسطنطين فرحاً عظيماً لما اطلع عليه وقال «ان لفي هذا النصّ من البيان ما يضع حدًّا لكل جدال وليس هو من اعمال البشر انما هو صنيع الروح القدس» وامر بنفي آريوس وانصاره

هذا ما رواه الكتبة الثقات عن المجمع النيقوي وكاد يوافقهُ ما ذكرهُ كتبة العرب في هذا المجمع كالشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ١٧٤) والمقريزي في الخطط (٢ : ٤٨٦) وابن خلدون في تاريخه (٢ : ١٥٠) قال المقريزي : يذكر قول الثلثمائة والثمانية عشر آباء نيقية قالوا :

«الابن مولود من الآب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصارا واحداً وهو المسيح هذا قول الثلثمائة والثمانية

١) ان قانون الايمان الشائع بين الشرقيين هو في جوهره قانون نيقية مع ما اضافهُ اليه آباء مجمع القسطنطينية الاول

عشر. وامر بهم قسطنطين فأنزلوا في اماكن واجرى لهم الارزاق وامرهم ان يتشاوروا حتى يتبين لهُ صوابهم من خطإهم فثبت الثلثمائة والثمانية عشر على قولهم المذكور»

واختلف باقيهم فمال قسطنطين الى قول الاكثر واعرض عمَّا سواه واقبل على الثلثمائة والثمانية عشر وامر لهم بكراسي واجلسهم عليها ودفع اليهم سيفهُ وخاتمهُ وبسط ايديهم في جميع مملكته فباركوا عليهِ ودفعوا لهُ كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيهِ ما يتعلَّق بالمحاكمات والمعاملات

واردف ابن خلدون (٢ : ١٥٠) :

« ونُفيَ اريوش وأُشيد بكفرهِ وكتبوا العقيدة التي اتَّفقَ عليها اهل ذلك المجمع ونصُّها عندهم وهو (اطلب الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٧٤) . . « نؤمن بالله الواحد الاحد الآب مالك كل شيء وصانع ما يُرى وما لا يُرى وبالابن الوحيد ايشوع المسيح ابن الله بكر الخلائق كلها مولود وليس بمصنوع إله حقٌّ من إله حق من جوهر ابيه الذي بيدهِ أُتقنت العوالم وكل شيء الذي من اجلنا ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد من روح القدس وولد من مريم البتول وصُلب أيَّام فيلاطوس ودُفن. ثمَّ قام في اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين ابيهِ وهو مستعدٌّ للمجيء تارةً أُخرى للقضاء بين الاموات والاحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من الآب . وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسيَّة مسيحيَّة جاثليقيَّة وبقيام ابداننا وبحياة الدائمة ابد الابدين »

٩ ملحقات باعمال المجمع

كاد مشروع المجمع ينجز لولا مشاكل ثانويَّة استوقفت نظر الآباء فسعوا الى فضِّها حسماً للشقاق والخلاف

١ فمن ذلك مسألة مليطيوس اسقف نيكوبوليس في صعيد مصر كان في أيَّام الاضطهاد وفي غيبة القديس بطرس البطريرك الاسكندري سقَّف دون رخصةٍ عدداً عديداً من الكهنة وولَّاهم على الكنائس التي كان اساقفتها محبوسين فحصل بذلك اضطراب بعد نهاية الاضطهاد . وصمَّم مليطيوس واساقفتهُ على خطئهم الى ان عالج المجمع ذلك الداء بالحلم واستتابوا المذنبين عن تصرُّفهم

٢ وكانت في الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة مسئلة أُخرى تشغل الافكار وتدفع المؤمنين الى النفور وتلك مسئلة وقوع الفصح الذي لم يتَّفق بعض الشرقيين في اقامة عيدهِ مع الكنيسة الرومانيَّة او كانوا يقيمونهُ في يوم فصح اليهود . وقد بسطت مجلة المشرق هذا الخبر في سنتها الثالثة ١٩٠٠ (ص ٤٤٥-٤٤٦) ثمَّ بيَّنت (٥[١٩٠٢]:

٣٢٦–٣٣٢) كيف اتّفق آباء المجمع النيقوي على طريقة توحيد الفصح بموجب ما تُعيّنهُ كنيستا رومية والاسكندريّة

٣ ووضع المجمع قوانين شتى جدَّد بعضها عن قوانين قديمة واوجب حفظها ثمَّ اتّخذ تدابير جديدة بخصوص الاساقفة وانتخابهم وكراسيّهم وسيرة الكهنة وبخصوص عقد المجامع المكانيّة وعزوبة الاكليروس وسكناهم مع الاهل والغرباء الى غير ذلك. وبين هذه القوانين البند السادس وهو يشير الى السلطة البطريركيّة المعطاة لاسقفي الاسكندريّة وانطاكية على مطارنة بلادهما بموجب تقرير لاساقفة رومية . فينتج من هذا البند ان الكنيسة الرومانيّة كانت تثبت حقوق ولاية كنيستي الاسكندريّة وانطاكية وتعلن بذلك سيادتها العامّة على الكنيسة

واعلم انَّ قوانين المجمع النيقوي الراهنة عشرون عدًّا . وقد وُجد في بعض المخطوطات العربيّة وغيرها ثمانون بندًا منسوبة الى المجمع النيقوي كان اوّل من وقف عليها الاب جوان باطشتا اليانو اليسوعي وجدها في مكتبة بطاركة الاقباط في الاسكندريّة ونقلها الى اللاتينيّة فكتب [illegible] في صدر [illegible] تابلا [illegible] قطعة ترجح منها انها مصنوعة ليست لآباء المجمع النيقوي وان يكن بعضها موافقًا لافكارهم

ختام المجمع

وما اشدَّ ما كان فرح قسطنطين لما رأى ما اتى به المجمع من الاعمال المفيدة لخير البلاد وسلامها فجمع الآباء قبل ان ينصرفوا وهنأهم وشكرهم وقدَّم لهم الهدايا والحسنات لكنائسهم وكان يخاطبهم بدعة ولطف ويقول لهم : «انتم اساقفة الكنيسة في داخلها امّا انا فأسقفها في خارجها»

فرجع الآباء النيقويون الى بلادهم وحملوا الى مشارق المسكونة ومغاربها اعمال المجمع وطبعوا ذكره في قلوب الشعوب

وما زالت الكنائس الشرقيّة تذكر سنويًا الآباء النيقويين بعيد خاص وتترنّم بظفر الكنيسة الجامعة على اريوس وقد يطيب لنا في الختام ان نورد عن البنديكتاريون (طبعة القبر المقدّس في القدس ص ٢٤١) ما نعتبرهُ كخلاصة مقالتنا

«علمٌ يا محافل المستقيمي الرأي لتعيّد اليوم للتذكار السنوي الذي للاباء المتوشحين بالله الذين من سائر المسكونة اجتمعوا في مدينة نيقية المضيئة لان هؤلاء دحضوا آريوس الردي ذا الاعتقاد الكفري ورذلوه بحسن عبادة وسموه من الكنيسة الجامعة بموجب المجمع وعلّموا الكل ان يعترفوا جهاراً بمساواة ابن الله في الجوهر والازلية قبل كل الدهور وضعوا ذلك بتحرير وحسن عبادة في قانون الايمان فلذلك نزمن نحن اذاً ونقتني اعتقاداتهم الالهية ونعبد الابن بتحقيق مع الاب والروح الكلي قدسه ثالوثاً متساوياً في الجوهر بلاهوتية واحدة»

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العباسيّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

تمهيد

قد تعدَّد الكتبة النصارى في زمن بني عبَّاس (١٣٢–٦٥٦هـ = ٧٥٠–١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدتهم في بغداد عاصمة العراق. على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليه الآداب العربيَّة امسَّ حاجةً فانقطعوا الى العلوم الفلسفيَّة والطبيَّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تآليف اليونان وكثيراً من تآليف الرومان والسريان الى العربيَّة فوسَّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهَّدوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيَّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيَّة وفنونها اللسانيَّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعت كثيراً منها. وها نحن في هذا الجزء ندوّن ما وجدناهُ من ذلك متفرقاً في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليَّة

«علمٌ يا محافل المستقيمي الرأي لتعيّد اليوم للتذكار السنوي الذي للاباء المتوشحين بالله الذين من سائر المسكونة اجتمعوا في مدينة نيقية المضيئة لان هؤلاء دحضوا آريوس الردي ذا الاعتقاد الكفري ورذلوه بحسن عبادة وسموه من الكنيسة الجامعة بموجب المجمع وعلّموا الكل ان يعترفوا جهاراً بمساواة ابن الله في الجوهر والازلية قبل كل الدهور وضعوا ذلك بتحرير وحسن عبادة في قانون الايمان فلذلك نزمن نحن اذاً ونقتني اعتقاداتهم الالهية ونعبد الابن بتحقيق مع الاب والروح الكلي قدسه ثالوثاً متساوياً في الجوهر بلاهوتية واحدة»

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العباسيّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

تمهيد

قد تعدَّد الكتبة النصارى في زمن بني عبَّاس (١٣٢–٦٥٦هـ = ٧٥٠–١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدتهم في بغداد عاصمة العراق. على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليه الآداب العربيَّة امسَّ حاجةً فانقطعوا الى العلوم الفلسفيَّة والطبيَّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تآليف اليونان وكثيراً من تآليف الرومان والسريان الى العربيَّة فوسَّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهَّدوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيَّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيَّة وفنونها اللسانيَّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعت كثيراً منها. وها نحن في هذا الجزء ندوّن ما وجدناهُ من ذلك متفرقاً في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليَّة

١ ابو قابوس الشاعر النصراني

﴿اصلهُ وجنسهُ﴾ لا نعلم عن اصل ابي قابوس وجنسهِ الّا القدر القليل الذي لا يروي غليلًا. وجدنا في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميّة (Ms de Paris, 2107, ff. 41) الذي عنوانهُ احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمّد البلوي انّ ابا قابوس كان اسمهُ عمرو بن سليمان وابو قابوس كنية. والقابوس في اللغة الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. وبهِ تكنى ابو قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المقريّة للادهمي (Ms de Paris 3245, ff.) انّهُ كان حيريًا. وقد تصفّح هذا النسب في تحفة المجالس للسيوطي (ص ١٧٥) فسمّاهُ ابا قابوس الحميري وكان ينتمي الى بني شيبان

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ عاش ابو قابوس في عهد هارون الرشيد في اواخر القرن الثامن للميلاد ولم يُؤرَّخ لولادته وموته تاريخ. اما دينهُ فالنصرانيّة لا شك فيه كما صرّح كثيرون من المؤرخين والشريشي في الحماسة (ص ٣٣) قال: «كان ابو قابوس الشاعر رجلًا نصرانيًا من اهل الحيرة» وبذا قال الشريشي في شرح مقامات الحريري (١: ٦٤) وابو بكر احمد البغدادي في تاريخ بغداد في مكتبة باريس (Ms, de Paris, 2128, ff. 80) وغيرهم

﴿اخبارهُ﴾ كان ابو قابوس شاعرًا منقطعًا الى البرامكة كالرقاشي الشاعر واشجع السلمي وجحظة البرمكي. وتقرّب بهم الى الخليفة هارون الرشيد. ومن اخباره ما رواهُ صاحب تاريخ بغداد ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ص ٨٣ من نسخة باريس) قال: «قال ابو قابوس النصراني: دخلتُ على جعفر بن يحيى في يوم بارد فاصابني البرد فقال: يا غلام اطرح عليهِ كساء من أكسية النصارى. فطرح عليَّ كساء من خزّ قيمتهُ الف دينار. (قال) فانصرفتُ الى منزلي فاردتُ ان اكتسيهُ في يوم عيدٍ فلم أُصِبْ لهُ في منزلي ثوبًا يشاكلهُ فقالت لي بُنيَّة لي: اكتب الى الذي وهبهُ لك حتى يرسل اليك بما يشاكلهُ من الثياب فكتبتُ اليهِ (من الطويل):

ابا الفضل لو أبصرتَنا يومَ عيدنا ... رأيتَ مباهاةً لنا في الكنائس

فلو كان ذاك المِطرَفُ الخزُّ جُبَّةً لَباهيتُ اصحابي بها في المجالسِ
فلا بُدَّ لي جُبَّةٌ من جِبابكم ومن طَيلَسانٍ من خيار الطَّيالسِ
ومن ثوبِ قُوهيٍّ وثوبِ غلالةٍ ولا بأس إنْ أتبعتَ ذاك بخامسِ
اذا تمَّت الاثوابُ في العيد خمسةٌ كفَتْك فلم تحتَج الى لبس سادسِ
لعمرُك ما افرطتُ فيما سألتُهُ وما كنتُ لو افرطتُ منهُ بآيسِ
وذاك لانَّ الشعرَ يَزدادُ حمدُهُ اذا ما البلى أبلى جديد الملابسِ

قال فبعثَ اليهِ جعفر حين قرأ شعرَهُ بتخوتٍ خمسة من كل نوع تختاً.

وجاء في اخبار البرامك للبلوي وفي شرح مقامات الحريري للشريشي (١ : ٦٤) انَّ يحيى بن خالد كان اذا وعد انجز وينقدُ سريعاً ما وعد. ومن اقوالهِ : من لم يَبِتْ مسروراً بوعدٍ لم يجد للصنيعة مطعماً. فدخل عليهِ ابو قابوس النصراني فانشدهُ (من البسيط) :

رأيتُ يحيى أتمَّ اللهُ نعمتَهُ عليهِ يأتي الذي لم يأتِهِ أحدُ
يَنسى الذي كان من معروفهِ ابداً الى الرجالِ ولا يَنسى الذي يَعِدُ

فاجازه يحيى بجائزةٍ سنيَّة وقضى حوائجهُ

﴿ديوانهُ وشعرهُ﴾ لم نجد في مخطوطات المكاتب ولا في كشف الظنون للحاج خليفة ذكراً لديوان صنَّفهُ ابو قابوس الحيري. وانَّما جاء في فهرست ابن النديم (ص ١٦٣) في باب اخبار العلماء وما صنَّفوهُ من الكتب ما حرفهُ : « ابو قاموس الشيباني مائة ورقة » يريد انَّ ديوانهُ يبلغ مائة ورقة. اما قولهُ « ابو قاموس » فتصحيف « ابو قابوس » كما يظهر. ومنهُ يستدلُّ على انهُ كان من بني شيبان الذين كانوا يحتلّون الحيرة

ومن شعرهِ ما رواهُ ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني (٣ : ١٢٦ – ١٢٩) ذكر مهاجاة ابي قابوس العتابي وتحامل ابي العتاهية على ابي قابوس قال : لمَّا هاجى ابو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي جعل ابو العتاهية يشتم ابا قابوس

ويضع منهُ ويفضّل العتابي عليهِ فبلغهُ ذلك فقال فيهِ (مجزوء الكامل) :

قُلْ للمُكَنّي نفسَهُ متخيّرًا بمتاهِيَهْ
والمُرسِلُ الكلِمَ القبيحَ وعَنْهُ أُذْنٌ واعِيَهْ
ان كنتَ سِرًّا سوأتني او كان ذاكَ علانيهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا لِ وامِّ زيدٍ زانيَهْ

يعني امّ ابي العتاهية وهي امّ زيد بنت زياد فقيل لهُ : اتشتمُ مسلماً ؟ فقال : لم اشتمه وانّما قلت :

فعليك لعنةُ ذي الجلا لِ ومن عَنينا زانيهْ

وافضلُ من ذلك قولهُ لمّا اوقع هارون الرشيد بجعفر قال البغداديّ : « وما انقضت الأيام حتى قُتل جعفر بن يحيى وصُلب عند جسر بغداد فرأوا ابا قابوس تحت جذعهِ يزمزمُ فاخذهُ صاحب الحرَس وادخلهُ على الرشيد فقال لهُ : ما كنت قائلاً تحت جذع جعفر ؟ قال : اتُنجيني منك للصدق ؟ قال : نعم . قال : ترحّمتُ والله عليهِ . ثمّ انشدهُ يشفع عندهُ للفضل بن يحيى (من الوافر) :

أمينَ اللهِ هَبْ فضلَ بنَ يحيى لنفسك ايها الملكُ الهُمامُ (١
وما طلَبي اليك العفوَ عنهُ وقد قَعَدَ الوشاةُ بهِ وقاموا (٢
أرى سببَ الرضى عنهُ قويًّا على اللهِ الزيادةُ والتّمامُ
نذرتُ عليهِ فيهِ صيامَ شهرٍ فان تمّ الرضى وجبَ الصيامُ
وهذا جعفرٌ بالجسر تمحو محاسنَ وجههِ ريحٌ قتامُ
اقولُ لهُ وقتُ لديهِ نصباً الى ان كاد يفضحني القيامُ

١) ويروى : أيّها الفضلُ الهمامُ
٢) ويروى : وقد قعد الوشاةُ بنا

أمـا واللهِ لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفـةِ لا تنـامُ
لَطَفْنا حول جِذْعِكَ واستلَمْنا كما للناس بالحَجَر استلامُ (١
فـما شاهـدنا قبلك يا ابنَ يحيى حُسامـاً فَلَّـهُ قبـلًا حسامُ (٢
عُقابُ خليفـةِ الرحمـان فخرٌ لمن بالسيفِ عـاقبـهُ الحِمامُ (٣
على الدنيا وساكنها جميعاً لـدولـةِ آل برمـكٍ السلامُ

قال ابن الرشيق في العمدة (ص ٣٣): وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنـه وروِيّه ومعناهُ احدهمـا لاشجع السُّلَمي والآخر لسليمان (الاعمى) اخي (مسلم بن الوليد) صريع الغواني فالناس فيه مختلفون وهذه صحّتهُ. (قال) فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامر العظيم من الشناعة والرثاء.

واردف البغدادي قائلًا: «ولمّا سمع هارون الرشيد هذه الابيات اطرق مليًّا ثمّ قال: رَحِمَ اللهُ ابي جعفر. يا غلام نادِ بامان ابي قـابوس وألّا يُعرَض له ووصّى حاجبهُ ألّا يحجبهُ عنهُ

هـذا ما رواهُ ابن الرشيق وابو بكر البغداديّ. وقـد ذكر في الاغـاني (١٥: ٣٦) اربعة من اواخر ابيات القصيدة الميميّة السابقة للرقاشي الفضل بن عبد الصمد الشاعر. وروى عنهُ انهُ قـال تلك الاشعار عند جـذع جعفر وان الرشيد احضره كما مرَّ الخبر عن ابي قابوس ثمَّ سألهُ: وكم كان يجري عليك؟ قال: الف دينار في كل سنة. قال: فانّا قد اضعفناها لك

وقصيدة ابي قابوس مرويّة ايضاً في كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام من مخطوطات ليدن (Ms Leiden, CCCCXI ff. 107) لعميد الدين ابن الغانم مسلم

---

١) ويروى: بالركن استلامُ
٢) رواهُ في العُمدة:
وما ابصرتُ قبلك يا بن يحيى حسامًا قدَّهُ السيفُ الحسامُ
٣) ويروى: عانقهُ الحمامُ. ويروى: اوضعهُ الحمامُ ويروى: حسامًا حتفهُ السيفُ الحمامُ

بن محمود الشيرازي أما رواية القصيدة لسليمان الاعمى فوردت في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣: ٣٢) على الصورة الآتية نذكرها تتمة للافادة :

هدا الخالونَ عن شجوى وناموا وعيني لا يُلائمها منامُ
وما سَهَري بأني مستهامٌ اذا سهرَ المُحِبُّ المُستهامُ
ولكنَّ الحوادثَ أرّقتني فبي أرَقٌ اذا انقطعَ الغَمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضرمُ نارٍ وللعَبَراتِ من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعاً ودولة آلِ برمكٍ السلامُ
جزعتُ عليك يا فضلَ بن يحيى ومن يجزع عليك فلا يُلامُ
هوَتْ بك انجمُ المعروفِ فينا وزرَّ بفقدك القومُ اللئامُ
وما ظلَمَ الالهُ اخاك لكن قضاءٌ كان سبَّبَهُ اجترامُ
عقابُ خليفةِ الرحمان فخرٌ لمن بالسَّيفِ صبَّحهُ الحمامُ
عَجِبتُ لما دها فضلَ بن يحيى وما عجبي وقد غضبَ الإمامُ
جرى في الليلِ طائرُهم بنحسٍ وصبَّحَ جعفراً منهُ اصطلامُ
ولم أرَ قبل قتلك يا ابن يحيى حساماً قدَّهُ السيفُ الحسامُ
برَتْ بن الحادثاتُ لهُ سهاماً فنالَتْهُ الحوادثُ والسهامُ
وانَّ الفضلَ بعد رداء عزٍّ غدا ورداؤهُ دالٌ ولامُ
فقل للشامتين بهِ جميعاً لكَمْ امثالها عامٌ تعامُ
امينَ الله في الفضل بن يحيى رضيعك والرضيعُ لهُ ذِمامُ
ابا العبَّاسِ انَّ لكل همٍّ وان طال انقراضٌ وانصرامُ
ارى سببَ الرضاء لهُ قبولٌ على الله الزيادةُ والتمامُ
وقد آليتُ معتذراً بنذرٍ ولي فيما نذرتُ بهِ اعتزامُ
بان لا ذقتُ بعدكمُ مُداماً وحرمني أن يناولني المدامُ
أألهو بعدكم وأقرُّ عيناً عليَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وفضلٌ اسيرٌ دونهُ البلد الشآمُ
وجعفر ثاوياً بالجسرِ بَلَّتْ تعاسَتُهُ السمائمُ والغمامُ
أُمرُّ بهِ فيغلبني بكائي ولكنَّ البكاء لهُ اكتتامُ
اقول وقتُ منتصبٍ لديهِ الى أن كاد يفضحني القيامُ

اما والله لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ
لَقَبَّلنا رُكن جيذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ

وقد روى في جمهرة الاسلام (63 .f) رثاء آخر لابي قابوس قالهُ في اخيهِ سعيد ويروى هناك انَّ الاصمعيَّ فضَّلهُ على شعر محمَّد بن مناذر بل على شعر جرير والفرزدق والاخطل اوَّلهُ (من الطويل):

فما أمُّ سَقْبٍ اودَعتهُ قرارةً من الارض وانساخت لتَروى وتهجعا

الى ان قال بعد وصف حزن الناقة على حوارها بتسعة عشر بيتاً:

بأوجعَ مني يا سعيدُ تحرُّقاً عليك ولكن لم أجدْ عنك مدفعا
فلو أنَّ شيئاً في لقائك مُطمعٌ صبرتُ ولكن لا ارى فيهِ مُطمعا
فأقسمُ لا تنفكَّ نفسي شجيَّةً عليك ووجهي حائلَ اللون أسفعا
وقد كنتُ ألحي مَنْ يبكي لمصيبةٍ فها انا ذا قد صرتُ ابكي وأجزعا
وقد قرَّعتني الحادثاتُ وزرتُها بثكلك حتى لم اجد لي مقرعا
وقد كنتُ مغبوطاً وقد كنتُ مُصعَباً فاصبحتُ مرجوماً لفقدك أخضعا
وقد كنتَ لي أنفاً حمياً فغالني بك القَدَرُ الجاري فأصبحتُ أجدعا
فلو انَّ طوداً من تِهامةَ ضافهُ من الوَجد ما قد ضافني لتضعضعا
فيا سيِّداً قد كان للحيِّ عصمةً ويا جبلاً قد كان للحيِّ مَفزعا
رُزيتُ بهِ خير الرزايا ولم أجدْ لهُ خلفاً في الغابرين فأقنعا
وأبيضَ وضَّاحِ الجبين كأنَّهُ سنا قمرٍ أوفى مع العشر أربعا
قطيعَ لسان الكلب عن نَبح ضيفهِ موطَّأَ اكنافِ الرواقِ سميدعا
ومجتنباً للقول في غير حينهِ حِفاظاً وقوَّالاً اذا قال مصقعا

يصونُ بِبَذْلِ المالِ نفساً كريمةً وعرضاً حمى عن كل سوءٍ ممنَّعا
فتى الخير لم يهجُم بغَدْرٍ ولم يُعَبْ بعَجْزٍ ولم يَمْدُدْ الى الذمّ إصبعا
ولا غابَ الّا نافسَ القومُ بينهم ولا آبَ إلّا كان للحيّ مِقْنَعا
وما زال حمّالًا لكلّ عظيمةٍ الى ان قضى من نحبهِ مذ ترعرعا
فتى كان لا يدعو الى الشرّ نفسهُ فان جاءهُ الشرُّ امتطاهُ فأوضعا
ويركبُ صعبَ الامر حتى يَرُدَّهُ على عَقِبٍ منهُ ذَلولًا موقَّعا
رأتهُ المنايا خيرَنا فاخترمْنَهُ وكنَّ بتعجيلِ الأخابر سُرَّعا

ومنها :

تَرى الناسَ ارسالًا اليهِ كأنما تضمَّن ارزاقَ العُفاةِ لهم معا
فمن صادرٍ قد آبَ بالريّ حامدٍ ومن واردٍ شاحٍ بفيهِ ليَكْرعا
ويوماً تراهُ يسحبُ الوَشْيَ غادياً ويوماً تراهُ في الحديد مقنَّعا
اذا نال من اقصى مدى المجد غايةً سما طالبًا من تلك اسنى وأرفعا
أَجلَّ عن العُور الهواجر سمعَهُ ووقَّرهُ مِنْ ان يُقالَ فيسمعا
له راحةٌ فيها حباً لصديقهِ وأخرى سقَتْ أعداءهُ السمَّ مُنقعا
فما فُجع الاقوامُ من رُزْئها لكَ بأعظمَ ممّا قد رُزئتَ وأفظعا
ومن طاب نفساً عن اخٍ لوداعه فما طبتُ نفساً عن اخي يومَ ودَّعا
فوا عجباً للارض كيف تأَلَّبتْ عليهِ ووارَتْ ذلك الفضلَ اجمعا
ويا بؤس هذا الدهرِ من ذي تلوُّنٍ وذي فجَعاتٍ ما أَفظَّ وأفظعا

هذا ما انتخبنا من هذا الرثاء وهو يبلغ ٩٠ بيتاً

(له بقيّة)

نوابغ المدرسة المارونيّة الاولى

المطران اسحق الشدراوي

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تتمّة)

ولما انتقل البطريرك جرجس عميرة الى دار البقاء حضر الشدراوي مجمع انتخاب خلفه البطريرك يوسف ابن حبيب العاقوري وكان مطراناً على صيدا وقد وجدنا اسم المطران اسحق في عريضة طلب التثبيت وفيها ذُكر انه مطران صيدا فاستنتجنا انهُ نُقل الى كرسي تلك المدينة ورسخ ذلك في ذهننا من سيامة الخوري مخائيل سعاده مطراناً على طرابلس في تلك السنة ١٦٤٤

وكان البطريرك الجديد كلفهُ ان يحمل الى الحبر الاعظم عرائض انتخابه وعبارة خضوعه وطلبه التثبيت فاعتذر الشدراوي في ابتداء الامر ولذلك ارسل البطريرك الخوري يوسف ابن ايليا ابن الطويل الحدثي (١) والراهب [illegible] دير مار شليطا مقبس ومن رهبنة مار انطونيوس وهذا الراهب كان شقيق المطران بطرس مخلوف

---

(١) عبد المسيح بن ايليا ابن الطويل الحدثي ارسله البطريرك يوحنا مخلوف الى رومية سنة ١٦٠٨ مع اثني عشر تلميذاً ثلاثة منهم قبرسيون وثلاثة من العاقورة وستة من اهدن. وبعد سنتين مات بعضهم ورجع بعضهم الى الوطن قبل ان يتسنّوا علومهم بسبب الامراض وثلاثة فقط اكملوا دروسهم وعادوا الى الوطن وهم يعقوب من العاقورة الذي ترهّب في رهبنة مار فرنسيس ويامين والشماس عبد المسيح المذكور الذي تزوّج قبل ان يقبل درجة الكهنوت. وفي سنة ١٦٣٠ حضر الى بلاد صيدا المطران يوسف العاقوري ابن المطران بطرس ليجمع الذرية. جاء الى مزرعة عين ابل في بلاد بشارة التابعة مدينة صفد وجمع العشور وطلب من جماعة الشماس عبد المسيح الحدثية ان يزوروا بيت العذراء في الناصرة. ولمّا عاد من الزيارة الى عين ابل التمس منه جماعة الحدثية المذكورون ان يرسم لهم كاهناً فرقى الشماس عبد المسيح المذكور الى الدرجات المقدسة ودعاه يوسف. وبقي في هذه الخدمة الى سنة ١٦٤٥ اي السنة التي ارسله البطريرك فيها وهو المطران الذي رسمه كاهناً الى رومية العظمى ليطلب لهُ التثبيت ودرع الرئاسة فوصلها في ٣ تموز سنة ١٦٤٥ ومن كثرة الضيق التزم هذا الكاهن ان ينتقل الى بلاد صفد. ولم نقف على سنة وفاته

ثم ما لبث الشدراوي ان عزم على السفر الى رومية (ما بين ١٦٤٦ و١٦٤٧) فكلفه البطريرك قضاء بعض مصالح تخص الطائفة لم نعرف من تفاصيلها شيئاً اكيداً انما استفدنا من الحوادث التي تبعت ان الضيق المتواصل كان قد اعيى البطريرك والطائفة من جرى تقلب الاحوال وتغيير الحكام فاوعز الى المطران اسحق ان يتوجه الى فرنسة عن طريق رومية ليلتمس تجديد حماية الملك المسيحي للطائفة المارونية كما فعل اسلافه فيما مضى. فالبطريرك عميرة طلب تلك الحماية بناء على تشويق الاب اميو المرسل اليسوعي فنالها في حين الضيق وقبله كان البطريرك يوحنا مخلوف اوعز الى المطران يوحنا الحصروني ان يسعى للحصول عليها فتوسط هذا الاسقف الكردينال دوبرون (Duperron) سفير فرنسة لدى الكرسي الرسولي (١ وسبق الاثنين الى التماس الحماية البطريرك مخائيل الرزي في سنة ١٥٧٥ فأرسل عريضةً الى الملك هنري الثالث يستنجده ونسخة عريضته هذه ضمتها العلامة السمعاني الى الاوراق التي جمعها في المكتبة الفاتيكانية على ما ذكره هو نفسهُ في لائحة المخطوطات الشرقية

وكان قد زار قنوبين بعد تلك الايام السفير سافري دِه برف ليقف على احوال الموارنة ويطلع عليها هنري الرابع مليكه وكان ذلك سنة ١٦٠٥

وبعد ان وصل المطران اسحق الى رومية باشر باصلاح الشحيمة (كتاب فرض الموارنة) هو والخوري يوسف الطويل كما صرّح هذا في مقدمة تلك الطبعة وساعد موفدي البطريرك على قضاء مصالح الطائفة ثم قصد الى بلاد فرنسة سنة ١٦٤٨ مسلحاً بكتابات من الحبر الاعظم الى الملك يطلب منه مساعدة الموارنة. واما المطران اسحق فلم يحجم عن ان يستندي أكف المحسنين ذوي الجود ومكث في باريس نحو سنة يسعى في غضونها للحصول على مبتغاه فتوسل الى الملك ان يُجدِّد حماية فرنسة للطائفة المارونية لان الجور كان قد ارهقها بل ارهق جميع كاثوليكيي الشرق والمرسلين. وقد وفقه الله الى نيل متمناه فدفعت اليه كفيلة الملك باسم ابنها لويس الرابع عشر براءة ملكية ذكرنا تعريبها في كتابنا «صديقة ومحامية» تاريخها ٢٩ نيسان ١٦٤٩ وبهذه البراءة يضع الملك في حمايته السيد البطريرك والاساقفة والاكليرس وعموم الشعب وخصوصاً

١) قال المطران يوحنا الحصروني في رسالته الى الكردينال المومأ اليه ان علائق الموارنة والفرنسيين قديمة وهي ليست علائق صداقة فقط بل اواصر قرابة من عهد الصليبيين

الساكنين في جبل لبنان . وخصت البرآة المطران اسحق بتوصية لمأموري الدولة العثمانية ليبذلوا له المساعدة في كل اموره . وذكر على هامش البرآة انها « أعطيت بناء على توسط المطران اسحق رئيس اساقفة طرابلس »

وفي سفره هذا مرّ بسيراقوزة فمسينة واتى بحراً الى نابولي فرومية . ثم ذهب الى البندقية فبادوى وفرونه ومنتوا مقام دوق مانتوا وكان من المحسنين اليه ومن هناك اتى الى برغامو فميلانو حيث كلفه الكردينال فردريك بورُمه مطرانها ان يدرّس السريانية وان يجدّد تنظيم مكتبة المدينة الغنية بانواع الكتب والمخطوطات

ثم اتى الى تورينو مقام دوق سابوديا المحسن الى اسقف قبرس المارونى لانه كان يلقب هو ايضاً بامير قبرس كما ترى في المذكرات المرتقية الى ذلك العهد . وفي تورينو مكث اكثر من اربعين يوماً قضاها في دير رهبان القديس عبد الاحد فبعثت اليه قرينة الدوق وهي شقيقة ملك فرنسة خدمةً (مالاً) وزوادته للطريق حتى باريس

ولا يذهلنك ان ترى المطران اسحق يلقب بلقب مطران طرابلس حتى بعد سيامة المطران مخائيل سعاده الحصروني على تلك الدينة لان تلك الالقاب لم تكن لها الزامات حقيقية ثابتة كما نبهنا الى ذلك مراراً . ان اسباب ترك المطران اسحق مدينة طرابلس لا تخفى على الباحث فانه كان من اصدقاء الامير فخر الدين وانصاره كسائر المسيحيين الذين اجتذبهم الامير بعطفه . فلما انكسرت شوكة الامير قام خصومهُ على انصاره فلاذوا بكسروان بحمى الخازنيين الذين ما زال الامير ملحم يكرمهم وينعت لاقوالهم . وكان الشدراوي باتفاق الرأي مع السيد البطريرك يسعى لتعزيز جانب الخازنيين لعلّهما يستطيعان ان يجعلاهم حكاماً للبلاد مستقلّين عن الدولة فيستريحون وقد ذكرنا في « صديقة ومحامية » ما بذل من الجهد في هذه السبيل . فانهما ان لم ينالا للخازنيين الحاكمية فقد توفقا ان يحصلا لهم قنصلية فرنسة في بيروت

وقد سبق لنا ان ذكرنا في حياة البطريرك جرجس عميرة انشاء مدرسة اكليريكية في لبنان كانت قد تداولتها الخواطر وحثّ عليها الحبيس ده شاسطويل وراقت البطريرك جرجس عميرة فكتب الاب اميو اليسوعي الى الحبر الاعظم يعرض له هذه الفكرة ويبيّن منافعها . ولا بأس ان عدنا الى هذا الموضوع ثانية فاسهبنا لما فيه من الفائدة . بدأ الاب اميو يُعرب عن ارائه لتهدئة بال الموارنة حتى لايتوهّموا ان المشروع

يقصد منه التسلط على طائفتهم وتغيير طقوسهم بل انهم اتوا البلاد ليكونوا بمنزلة مساعدين للكهنة في خدمة النفوس وارشادها في طريق الخلاص ولا هم يطمعون بوظيفة كنسية او رتبة شرفية او ولاية على وقف. ويظهر من هذا الكلام ان بعض ذوي الاغراض كانوا يسعون ليقلقوا فكر الموارنة فيصورون لهم ان المرسلين الاجانب انما جاؤوا البلاد ليستبدّوا بكل امر ويخضعوا الطوائف الشرقية لسيطرتهم. وتلك اختلاقات لم يتفرد بها ابناء عصرنا بل وجدت في كل مكان وزمان

ثم تطرق الاب اميو الى ذكر المدرسة الاكليريكية فقال:

اظن انه سيروق جدًّا غبطة البطريرك ما كان يرغبه اليه بنوع خاص السيد ده شاسطويل وكانت رغبته هذه معلومة لدى اساقفة الطائفة ومقبولة لديهم ويرتئي الجميع ان من ذلك منفعة سهلة المنال قريبة الحصول وكان المجمع المقدس اراد ان يتمها من زمن بعيد وهو ان يُقام مدرسة اكليريكية لتهيئة الاحداث لمدرسة رومية وراوانًا ليس في جبل لبنان نفسه لسبب حملات الدروز بل في مدينة طرابلس عند سفح هذا الجبل

«وقد علمت من الكتابات الآتية من رومية انه يُستبقى شهريًا خمسون ريالًا لمدرسة الموارنة الرومانية لان عدد التلاميذ ليس مكتملًا. فهذا المبلغ كاف لتربية عشرين تلميذًا في طرابلس حيث يستطاع تلقينهم القراطيق وآداب الكتابة في السريانية واللاتينية. اما الذين تظهر عدم كفاءتهم لاكمال دروسهم البيانية فانهم يُعادون الى اهلهم دون تكبيد نفقات سفرهم والذين ترى فيهم الاهلية يمكن ارسالهم الى رومية او راوانًا لتعلُّم الفلسفة واللاهوت. ولما كنا قد فتحنا ديرًا في طرابلس واخذ البندقيون وغيرهم يظهرون لنا العطف وكان يعيش معنا الشماس موسى الماروني الطالب الدخول في رهبنتنا وهو يعرف جيدًا السريانية يقرأها ويكتبها حسنًا نستطيع من اليوم أن نعنى بهذه المدرسة الاكليريكية. هذا اذا تمت سائر الشروط الاخرى وراق ذلك الكرسي الرسولي. على أننا نفضل أن لا نهتم نحن اليسوعيين باكل التلامذة ولبسهم بل فليعين لهم السيد البطريرك قيمًا يعنى باعاشتهم وكسوتهم على طريقة بلادهم وله تدفع مرتبات التلاميذ كل ثلاثة اشهر من قبل المدير وأود أن نؤمّن بتثقيف التلامذة حسب عادات رهبانيتنا حتى لا يقول الموارنة اننا نأكل مال التلامذة ونحن نتفرغ بنوع افضل للعناية بهم متى جُرّدنا من هذا الهمّ»

لكن هذه الفكرة لم تتمّ لاسباب لم نتوصل الى معرفتها. فبقيت الحال على ما كانت عليه ولم يفُز تلاميذ رومية بغيتهم هذه لاننا لا نرتاب في تحبيذهم المشروع بعد

ان رأوا كثيرين من الطلبة يعودون الى اوطانهم قبل نهاية علومهم سواء كان لمرض طرأ عليهم او لاختلاف المناخ والمعاش او لحنينهم غير المعقول الى مسقط رأسهم. فكان المجمع المقدس ينفق نفقات وافرة ليحصل على نتيجة لا توازي ما يتكبده في هذا السبيل

وما كان موافقاً في تلك الاونة لا يزال كذلك حتى اليوم لان الاسباب التي حملت على بسط هذا المشروع ما برحت هي تدفع الى تحقيقه ليقوم مقام المدارس الاكليريكية العديدة التي يختلف نسق احداها عن الاخرى ويفترق تعليم بعضها عن بعض. ولا نتردد في القول ان المطران اسحق الشدراوي كان ممن يرغبون في ان تبرز هذه الفكرة الى عالم الوجود وتنفذ مع ما تتطلبه من التعديل ان وجد ثمت موجب لذلك

وكان المطران اسحق بعد عوده من بلاد الفرنجة قد استأنف اعماله الرعائية زائراً كارزاً مثبتاً مزيلاً الخصومات. وحول سنة ١٦٥٢ زار جهات صيدا وتفقد شؤون الرعية ونعلم ذلك من رسالة للاب بوارسون رئيس رسالة اليسوعيين في سورية في ذلك الوقت ذكر فيها اعجوبة صنعتها والدة الله الجيدة في معبدها في دربشين واثبت حقيقة حدوثها الاسقف اسحق حين اقامه في صيدا

واليك حكاية هذه الاعجوبة: «حدث ضاعون في تلك الحقبة فهرب السكان عن بكرة ابيهم ولما درى بذلك تركيان كانا مقيمين على مقربة من القرية بادرا الى الكنيسة فخلع احدهما الباب ووثب الآخر على صورة السيدة العذراء وكانت صغيرة ومزقها اربباً اربباً لكنه ما عتم ان قضى نحبهُ حالاً في تلك الساعة في المحل ذاته والاول ما كاد يبلغ الى بيتهِ حتى رأى حصانه قد فطس في الليل السابق. وهكذا نال كل واحد منهما جزاء فعلته على قدر ما اشترك بهذا التهجم على صورة والدة الله»

ثم ان السيدة نجت من الوباء احد التجار في صيدا فاصطنع صورة اخرى وضعوا في محل الاولى (نقلاً عن كتاب الاب غودار «مريم في لبنان» ص ٥٢)

وليس عندنا حادث مخصوص نذكره في تلك الآونة سوى ما جرى لابي رزق البشعلاني وعيلته مع حاكم طرابلس (١٦٥٣—١٦٥٤) نرويهِ باختصار عن الاسانيد التي وقعت في يدنا:

ان ابا رزق ينتسب الى قرية بشعلي مسقط رأسه اتخذه حسن باشا والي طرابلس

كاخيةً له (١٦٤٣) ثم أُقيل بعد عود محمد باشا الارناووط الى الولاية على انهُ عزل ثانيةً في سنة ١٦٤٩ وتولى طرابلس عمر بك فاستعاد ابا رزق الذي نصب اخاه ابا صعب شيخاً على جبة بشري وفي سنة ١٦٥١ كان لا يزال متسلماً امور الايالة الى ان تغلب عليه ابن الصهيوني فنصب مكانه وصادره واضطهد اعوانه. وفي سنة ١٦٥٣ قبض محمد باشا الارناووط على الشيخ ابي رزق لوشاية شكوهُ بها انه جمع بني حبيش في داره لكي يفتكوا بمحمّد باشا ولم يكن داعي الاجتماع سوى الاحتفال بعرس احد اقارب بني حبيش فامر الباشا بالقبض عليهم جميعاً وبسجنهم في القلعة وكانوا تسعين نفساً. اما دار ابي رزق فنُهبت واموالهُ سُلبت ثم ورد الخبر بعزل محمد باشا فتوجه الى حماة لجباية الاموال فاستصحب ابا رزق والسجناء. ثم دعا ابا رزق للحساب عما دخل عليه من المال وخوّنه باثني عشر الف غرش على ان الوالي الجديد قره حسن اعاد الحساب فوجد ان المكسور على ابي رزق اربعة آلاف وخمسمائة غرش فقط فدفعها عنه ابن الصهيوني وأخلي سبيله وسبيل السجناء. وكان عزم الوالي الجديد ان يعهد اليه بتدبير اموره لكن وصول قبجي من قبل الباب العالي حاملاً الامر بقتل ابي رزق حال دون رغبة قره حسن فاشار عليه ان يفتدي حياته فاذعن الى رأيه ودفع الف غرش للقبجي فعاد هذا الى الاستانة. اما ابو رزق فرجع الى طرابلس مع الوالي الجديد والتزم منه جبلة واللاذقية واوصى اخاه قبل ان يسافر الى محل التزامه ان يهرب باولاده الى بلاد ابن معن فشقّ ذلك على الباشا فخاف ابو رزق ان يضرّه فتزوج بامرأة موسى باشا. وفي سنة ١٦٥٤ جُعل بشير باشا نائب حلب وزيراً فقصده ابن علم الدين وابن الصهيوني ليمدّا الركبة على الامير ملحم الذي كسرهم عند وادي القرن. واما الوزير الجديد فتوجه الى الاستانة ولما وصل الى ادنه تقدمت اليه شكاوى بخصوص ابي رزق انهُ من مناصري ابن معن وانهُ ارسل اولاده الى حكمه فامر الوزير بقتله وجرى ذلك في اوائل اذار من تلك السنة في مدينة قيه »

اما حالة الموارنة عموماً فوصفها القنصل فرنسوا بيكه بقوله : « قد اوقرت ضرائب الاتراك الفاحشة كواهل الموارنة وهم هدف دائم لمظالمهم. والعذاب يلقاه الاكليرس اشد واعظم ولاسيما في جهة بشري الخاضعة لباشا طرابلس حيث الاديار خربت وبادت »

ولم يرَ القنصل علاجاً نافعاً لهذا الحال سوى حرمان الاتراك الولاية وتسليمها الشيخ ابا نوفل الخازن وكان البطريرك متفق الرأي مع القنصل وكتب مثله الى الملك يطلب الطلب نفسه. وقد كلّف هذه المهمّة الخوري سركيس الجمري الذي كان من تراجمة البلاط الملوكي ومعلّمي اللغات الشرقية في باريس (وقد سيم مطراناً في ما بعد) لكنهُ لم ينجح في نيل ما طلب من الملك فاقتضى الحال بعد عوده ان يرسل المطران اسحق الشدراوي واليك مختصر رحلته نقلاً عما كتبهُ هو نفسهُ حفظاً لهذه الوقائع (١

سافر الشدراوي بامر البطريرك يوحنا الصفراوي ليأتي بالقنصلية على مدينة بيروت للشيخ ابي نوفل الخازن من لدن ملك فرنسة فركب في ٦ شباط ١٦٦٠ من ثغر طرابلس سفينة فرنسية ربانها يُدعى البارون ريفردوى فبقي في البحر ٢٧ يوماً وصل بعد انقضائها الى ليفورنو. ثم بعد شهر قصد الى بيزا ومنها الى فلورنسة وكان حاكمها الغرندوق فرديناند الثاني ده مديسيس فبرح تلك العاصمة الشهيرة الى سيانا فانتهى الى رومية في آخر يوم من شهر نيسان من تلك السنة. والغاية من تعريجه على رومية كانت ان يلتمس من البابا ان يصدر تكاليف توصية [illegible] الى [illegible] الخازن يقدمها لملك فرنسة حتى يرضى بتعيين ابا نوفل قنصلاً للدولة الفرنسية في بيروت

وما مضى نصف شهر على اقامته في رومية حتى فشا وبء الطاعون فيها فنحجر على سكانها واتخذ مثل هذا التدبير في سائر بلاد النصارى. فاضطرّ المطران اسحق ان يلبث في رومية سنتين لا نعلم حقيقة ما اتاه في خلالها من الاعمال انما نرجح انهُ تخصص بالتاليف فانا نعرف من تصانيفه كتاب لاهوت وضعهُ على نسق الاسئلة والاجوبة بحث فيه عن الخلق واعمال الايام الستة والفردوس الارضي والخطيئة الاصلية والفردوس والجحيم والمطهر وقيامة الموتى والدينونة الاخيرة وله مقالة لاهوتية مخطوطة في مدرسة مجمع نشر الايمان ولعلها تلك التي وجدناها في دير سيدة اللويزة

ولما كانت غيرته شديدة على طائفته اعتنى كل الاعتناء بامورها في مركز الرئاسة العليا وسعى لينال من الحبر الاعظم الرسائل اللازمة للملك العريق في المسيحية فلم يبخل عليه بها

١) اطلب «رحلة المطران اسحق الشدراوي الى فرنسة في المشرق (٣ [١٨٩٩] : ١٣٩–١٤٥) وهناك صورتهُ

ولما تقلّص ظلّ الوباء وفُتحت الطرق برح الشدراوي رومية الى نَزْني فَسولْتو فنولينيو فكامرينو فاشراتا ومرّ بريكاناتي الى لورِت حيث يكرّم بيت العذراء مريم عليها اشرف السلام واقام هناك اربعة اشهر الشتاء بسبب الثلج والبرد وكان متقدّماً بالسن اي ابن سبعين سنة ولهذا لم يستطع ان يسافر مستعجلاً . وبعد انقضاء الشتاء رحل الى أوزيمو وبازي وانكونا وسينيغاليا وسيزارو وريميني وراونّا حيث مكث اربعين يوماً في المدرسة التي انشأها القس نصرالله شلق الحاقوري فرقّى مدبّرها القس متى بن مخائيل الباني الى الكهنوت وجرجس المقير وبولس الى الشدياقية وكان قد استصحبها قبل هذه السفرة من كسروان ووضعها في تلك المدرسة

ثم رحل من راونّا الى ايرلا فبولونية وهناك ثبّت الاحداث والفتيات على مرّتين فبلغ عدد الجميع نحو ٥٥٠٠ ورسم اكثر من ١٥ شماساً وشدياقاً فأكرمت وفادته في تلك المدينة الى ان برحها الى فلورنسة في هودج استأجره له وكيل المطران ليريحه في سفره . ومكث في فلورنسة ١٧ يوماً في دير رهبان القديس عبد الاحد . وبعد تلك الاستراحة توجه الى بيزا بطريق النهر وواصل السير الى ليفورنو حيث قضى ٢٧ يوماً سافر بعد انقضائها الى مرسيلية على «غليون» انكليزي

واقام في مرسيلية ٤ ايام في دار الخواجه بدوق (ربما بُطق) ابي السيدين كرم واخيه انطون القاطنين بيروت في ذلك الوقت . ثم برح مرسيلية الى افينيون (وكانت المدينة لم تزل ملك البابا) فمكث فيها ١٧ يوماً عند رهبان القديس مار عبد الاحد . ومنها ركب مركباً على نهر الرون الى ليون فبلغها بعد عشرة ايام وقضى فيها مدة سام في خلالها عشرة قسوس يسوعيين وقسّاً عالميًّا . وبعد ذلك سافر الى شالون في النهر وفي تلك المدينة استأجر عربة اوصلته الى اورسر ومنها الى باريس حيث اقام شهرين ينتظر عود الملك من الحرب (ولم يذكر اي حرب) . ولمّا عاد الملك حظي المطران اسحق بمقابلته بعد ثلاثة ايام فنجح في مسعاه ونال الرتبة القنصلية للشيخ ابي نوفل وبراءتها فخفّ مسرعاً الى مرسيلية مغتبطاً بنتيجة عمله ولاسيما حينما كان يتذكر انه قضى سنة كاملة في باريس في سفرته الاولى قبل ان ينال تجديد الحماية في سنة ١٦٤٩

ولما وصل الى مرسيلية وجد سفينة فلمنكية مسلحة بستة وثلاثين مدفعاً فانتظر ميعاد سفرها ٤٢ يوماً فركب البحر ووجهتُهُ طرابلس الّا ان الريح عاكست السفينة

تجاه جزيرة كورسيكا فردّتها الى ميناء ليفرنوثم ما لبثت ان سافرت الى مالطة فوصلتها بعد ستة ايام واقام المطران في تلك الجزيرة خمسة ايام سافر بعد انقضائها الى طرابلس فاستقام سفره ٢٢ يوماً دون ان تزعجهم الريح

ولما بلغ الى طرابلس استأجر زورقاً بسبعة غروش وجاء ليلًا الى جونية ومنها الى زوق مصبح حيث تقيم عائلته. ففرح الشيخ ابو نوفل بوصوله فرحاً عظيماً لاسيما مذ عرف انه آتٍ اليه بالقنصلية وصار له استقبال حافل في كسروان حيث «فلح كرم الرب بنشاط وعزّز النصرانيّة لا بتعليمه وفضائله وغيرته فقط بل بمساعيه المشكورة لتأييد طائفته وتفريح كربتها»

ولمّا شاع خبر نجاح المطران اسحق اخذ آل خازن يستعدون للاحتفاء بالرتبة التي حصلوا عليها فقُرّر ان تُتلى البراءة في كنيسة بيروت حيث مركز القنصلية. وبعد ثمانية ايام احتشد في الكنيسة الفرنج مع جمع غفير من الموارنة فقرأ امامهم البراءة المؤذنة بتعيين الشيخ ابي نوفل قنصلًا للامة الفرنسية وكان يقال له قنصل الملك في تلك الايام ثم خطب مهنئاً وبارك البزّة لوسية وفي حالة حمرا والسها القنصل الجديد بين هتاف الحاضرين وتهليلهم. (انظر نصر ابي كتابها «صحة ومحامية»)

وفي ذلك اليوم صنع الشيخ ابو نوفل وليمة حضرها الفرنج والنصارى والمسلمون وكان الفرح شاملًا

وتسلّم القنصل الجديد مهامّ وظيفته في اليوم العشرين من كانون الثاني سنة ١٦٦٣. ولا حاجة بنا الى اطراء صفات الشيخ الكريم فان المطران اسحق الشدراوي يصفهُ بانهُ «قائم بناموس النصارى في نظر الله والاميرين احمد وقرقماز معن»

وقد انهى رواية سفراته بتعداد الباباوات الذين رآهم وحظي بمخاطبتهم وهم اقليمس الثامن (١٦٠٤—١٥٩٢) ولاون الحادي عشر (١٦٠٥—١٦٠٤) وبولس الخامس (١٦٢١—١٦٠٦) واوربانوس الثامن (١٦٤٤—١٦٢٣) واينوشنسيوس العاشر (١٦٥٥—١٦٤٤) واسكندر السابع (١٦٦٧—١٦٥٥) وكان لا يزال متربعاً في كرسي الرئاسة البطرسية في الوقت الذي كتب فيه الشدراوي خبر رحلاته

اما البطاركة الذين تولوا الكرسي البطريركي في ايامه فهم سركيس الرز ويوسف الرز ويوحنا مخلوف الذي رسمهُ قسًّا وخوريًّا ومطرانًا ثم البطريرك جرجس عميرة

ويوسف بن حليب العاقوري ويوحنا الصفراوي وجرجس البسبعلي ابن الشيخ رزق الله من اعيان زاوية طرابلس

وفي سفره الاخير (١٦٦٠) كان البطريرك اوصاه بان يتعاون مع يوسف الكرمداني على طبع القنقيط (اي الصلوات الفرضية على مدار السنة) في رومية العظمى كما انهُ كان قد ساعد الحاقلي في طبع قسم منه سنة ١٦٥٠

وفي تلك السنة التي استلم فيها الشيخ نوفل القنصلية نقل الله عبده الى راحة الصالحين في مدينة جبيل وكانت الاسفار والاعمال الرعائية قد اضنكته فدفن في مار يعقوب خارج المدينة فعمّ الحزن عليهِ نظرًا لما كان متحلياً بهِ من الفضائل والعلم

وقد مدحهُ جميع الذين عرفوه. فالبطريرك اسطفان الدويهي قال عنه «انه تعب في الوعظ وفي بنيان النصرانيَّة في كسروان» وقال عنهُ في رسالته الى المطران جرجس حبقوق عن العشور «ولا مطارنة هذا الزمان اجلّ من المطران اسحق». ومعلوم ان كان يوجد في ذاك الوقت مطارنة اجلّاء للغاية. فانه كان قاعد بذاته بدون رعية. ووصفهُ المطران جرجس حبقوق بقوله «وكان متسلماً رعية ومهتم بخلاص النفوس لانه كان معلماً ثقيلًا (بارعاً جدًّا) وعند وفاته اولاده استولوا على متخلفاته ولم يعارضهم احد بشيء لا بطريرك ولا غيره»

اما الاب مانيليه فقد سبق لنا ذكر ما نعته به من انه عالم جليل واسقف فاضل حكيم رصين

وقال عنه الاب پوارسون في رسالته المؤرخة في سنة ١٦٥٣ انه متفوق بالعلم والفضيلة. ويدلُّك على تحليهِ بهذه الصفات تكليف البطاركة واعيان البلاد اياه قضاء المهمات الصعبة سواء كان في وطنه او في البلاد الاوربية وانكبابه مع كل ذلك على التصنيف من يوم تضلّع من دروسه ورأى انه يستطيع ان يفيد بني جلدته والاوربيين انفسهم وقد سبق لنا ذكر مؤلفاته ونزيد عليها كتاباً له في الاخلاق ذكره المؤرخون ولم نقف لهُ على نسخة

ولما احتفل في رومية بمرور مائة سنة على تأسيس المدرسة المارونية عُدَّ الشدراوي بين نوابغ تلك المدرسة وخُصص لهُ تقريظ في المجموعة التي طبعتها المدرسة بتلك المناسبة وقد اخذنا عنها نص ذلك التقريظ واليك نصه وترجمته :

Vel hoc uno maximus—Quod Frederico Cardinali Borromeo percarus — In Mediolanensi Accademia— Syriacis et Jurisprudentiæ disciplinis excultus— Eam nactus est gloriam—Ut litterarum parentem dixerint non alumnum — Merito igitur ambigas — Majoremne Insulis contulerit — An retulerit dignitatem.

وهذه ترجمتها :

«حسبه مجداً انيلاً انه كان عزيزاً جداً لدى الكردينال فردريك بورمه ولما كان متضلعاً من اللغة السريانية والعلوم القانونية قد بلغ درجة من الشرف في الجامعة العلمية في ميلانو حتى قيل عنهُ انه ابو الاداب لا رضيعها. فيحق لك ان تحجم عن الحكم في ما اذا كان (الشدراوي) نال من الجُزُر فخراً اعظم ام جلّلها بحلة ابهى واجمل»

نفعنا الله بذكرى فضائله وجدّه وعلمه

فائدة : قد اطلعنا على مقالة يراعة الاب فكّاري اليسوعي الاستاذ في المعهد الكتابي استفدنا منها ان المطران سركيس الرزي مطران دمشق الذي ادعاه مجمع نشر الايمان لمؤسس حديثاً قد يمكنه فحص كتب الشرقيين قبل طبعها قد عين رئيساً للجنة لفحص نسخ الكتاب المقدس الحطية العربية وكان الاعضاء منصور شلق الماقوري والابوين هيلاريون رنكاتي وتوما ده نوفارا . ولمّا توفرت الصعوبات قرر المجمع المقدس ان تترجم النسخة التي قرّرها المجمع التريدنتيني (Vulgate) وعهد بالعمل الى اللجنة المرقومة التي كانت تجتمع مرتين في الاسبوع في دار المطران سركيس الرزي المذكور في رومية وصدر امر بان يسهّل لهذه اللجنة الاطلاع على المخطوطات الموجودة في المكاتب الفاتيكانية والماديسية والتمبسيا . ولما توفي المطران المذكور ٩ اب ١٦٣٨ كان قد صحّح ستة كتب حفظت في مكتبة كازاناتي . فاقتضى التنبيه الى ذلك لزيادة الفائدة

تصحيح غلط . وقع غلط مطبعي في ذكر تاريخ سيامة الشدراوي مطراناً فقد جاء انهُ سيم سنة ١٥٢٩ والصحيح ١٦٢٩

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثاني عشر

مشاهير بيروت قبل العرب

لم تخلُ بيروت من مشاهير عظام شرَّفوهـا بآثرهم في الزمن الذي سبق عهـد الاسلام منهم وثنيون ومنهم مسيحيون

[illegible] الدولة الرومانيَّة الّا [illegible] الفينيقي الذي عاش قبل المسيح بزمن طويـل حتى زعم البعض انـهُ [illegible] النبيّ. قالوا ذلك حدساً وانّما هو الّا وهمٌ لا سند لهُ والعلماء يرجحون اليوم انهُ عاش في القرن الرابع قبل المسيح ولد في بيروت وصار كاهناً للاوثان وانّما كان عارفـاً بامور بلادهِ فدوَّن تقاليد قومهِ واخبار وطنهِ فاخذتها يدُ الضياع إلّا ما نجا منها منقولاً في كتب الفيلسوف الجبيليّ فيلون وفي تاريخ اوسابيوس القيصري لاسيما مـا رواهُ من اساطير القدماء وخرافاتهم

ولعلَّ فينيقيًّا آخر من بيروت اسمهُ «مناسياوس» او منسّى (Mnaseas) تقدَّم عهد السيد المسيح روى لهُ القدماء كتاباً في الخطابة وفي المفردات اليونانيَّة

وامَّا بعد المسيح فان بيروت قد تشرَّفت بعددٍ من العلماء منهم فلاسفـة ومنهم لغويُّون وبعضهم فقهاء واطباء

فمن الفلاسفة اشتهر في القرن الاوَّل للميلاد «اغناطيوس ثسالر» (Egnatius Celer) من الفلاسفة الرواقيّين كان مولدهُ في بيروت ثمَّ رحل الى رومية في عهد نيرون

واصاب فيها بعض السمعة بخطبهِ في دواوين المحاماة

وفي اواخر ذلك القرن واوائل القرن الثاني للمسيح في عهد القيصرين ترايانوس وادريان عُرف الفيلسوف البيروتي ﴿هرميبوس﴾ (Hermippus) كان هذا تلميذًا للفيلسوف فيلون الجبيلي وانحاز مثلهُ الى مذهب افلاطون. ألّف باليونانيّة كتباً في التنجيم وتفسير الاحلام

وكان قريباً من زمانهِ احد مواطنيهِ الفيلسوف ﴿ثاودورس﴾ المولود في بيروت في اواسط القرن الثاني تشيَّع مثلهُ لمذهب افلاطون في الفلسفة

وفضَّلهُ في الشهرة معاصرهُ ﴿كالفيسيوس تورس﴾ (Calvisius Taurus) ولد ونشأ في بيروت ثم تخرَّج في رومية واعتنق مذهب افلاطون ومن تآليفهِ كتاب الفرق بين تعاليم ارسطو وافلاطون وشرح بعض مصنَّفات افلاطون وكتب في الاجساد الهيولية والارواح المجرَّدة

ومن مشاهير الكتبة في القرن السادس احد علماء الطبيعة المسمّى ﴿اناطوليوس بندانوس﴾ (Anatolius Bindanus) كان بيروتيًا والّف كتاباً في تاريخ الطبيعة في عدَّة مجلّدات

امّا اللغويّون فاصاب بين الرومان سمعةً واسعة الاستاذ البيروتي ﴿مرقس فاليريوس بروبوس﴾ (M. Val. Probus) من اهل القرن الاوّل للميلاد فبرَز في المعارف اللغويّة والفنون الادبيّة وقد اطراهُ المؤرخ اللاتيني سويتونيوس في كتابهِ عن اللغويين الرومانيين. وقد تفرَّغ بروبوس لتنقيح كتب اللغة وشرح قصائد الشعراء اللاتينيّين كفرجيليوس وهوراسيوس وصنَّف التآليف المتقنة في الفصاحة والبيان والخطابة واصول اللغة اللاتينيّة وخاض في ابحاثٍ اخرى ادبيّة شاع بها فضلهُ واحرز لوطنهِ بيروت ذكرًا طيّباً

وفي زمنهِ كان اللغوي ﴿لوبركوس﴾ (Lupercus) البيروتي المولد اخذ عنهُ الرومانيّون في عهد كلوديوس قيصر في اواسط القرن الاوّل فألّف كتباً عديدة في اللغة اليونانيّة وكتب ايضاً عن مصر ووصف بعض مدنها

امّا الاطبّاء فلم يُعرف منهم سوى اسطراطون (Strato) البيروتي ألّف كتباً في معالجة الادواء امتدحها جالينوس في كتبهِ

وقد مرَّ ذكر الفقهاء الذين اشتهروا في بيروت بين اساتذة مدرستها الفقهيَّة الشهيرة اذ كانت في عهدة الرومان الوثنيين وكان هؤلاء يعلّمون فيها ولم يكن اصلهم منها. وسنذكر قريباً الذين اشتهروا منهم في العهد المسيحي

أمّا مشاهير بيروت المسيحيُّون فمعظمهم ممَّن تخرَّجوا في مدارسها وان لم يُعَدُّوا من مواليدها. فمنهم احد كبار اساقفة الكنيسة الشهير بمعجزاته القديس غريغوريوس العجائبي درس في بيروت الفقه الروماني مع اخيهِ ثاودورس في اواسط القرن الثالث ثم سُقف على مدينة قيصريَّة فردَّ اهلها الى النصرانيَّة

وفي مدرسة بيروت تخرَّج احد شهداء الكنيسة في اواخر القرن المذكور امفيان او افيان مع اخيهِ اداسيوس. وُلدا في ياغا من اعمال بمفيلية في آسية الصغرى ثمَّ قدما بيروت طلباً للعلوم فانصبَّ اداسيوس على علم الفلسفة والآداب وتخصَّص امفيان بدرس الحقوق ومنحهُ الله في تلك المدينة نعمة الايمان واضحى فيها قدوة الدارسين لا يأخذهُ في دينهِ لومة لائم الى ان ختم حياتهُ بالاستشهاد في مدينة قيصريَّة فلسطين وكان ذهب اليها ليواصل دروسهُ على احد اساطين العلم الاسقف بمفيل فارز ثم كلسيانوس ومكسيموس حتى اذا بلغا مناهضة النصرانيَّة رأوقهُ حاكم المدينة اوربانوس وعرض عليهِ جحود ايمانهِ فأبى كل الاباء فقُتل شهيداً(١)

وفي بيروت ايضاً درس في القرن الخامس اخوان آخران اسمهما يوحنا واركاديوس نشر الخوري الالماني جورج غراف (G. Graff) قصَّتهما العجيبة (في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٦٩٥—٧٠٦) عن احد مخطوطات المكتبة الفاتيكانيَّة القديمة المكتوب سنة ٨٨٥ م

وقد افادنا المؤرخ زكريا الخطيب في ترجمة ساويروس الانطاكي انهُ درس معهُ الحقوق الرومانيَّة في بيروت في اواخر القرن الخامس للمسيح واتانا في تاريخهِ بعدَّة معلومات عن مدرسة بيروت الفقهيَّة واساتذتها وسيرة طلبتها وعن طريقة التعليم في معاهدها ونظامهِ

١) اطلب تفاصيل اخبار حياتهِ وموتهِ في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٦٨٤ و ١٠٧٦) بقلم الطيب الذكر الاب فردريك بوفيه احد اخوتنا المرسلين والمتوفَّى شهيد محبَّتهِ في خدمة الجيوش في الحرب الكونيَّة سنة ١٩١٦

امّا اساتذة بيروت النصارى الـذين اشتهروا بالتعليم في مدرستهـا الحقوقيّة فكثيرون منهم في اواسط القرن الخامس ﴿اودكسيوس﴾ لهُ شروح على متن بعض الكتب الفقهية . خلفهُ في التعليم ابنهُ ﴿لاونتيوس﴾ الذي ورد ذكرهُ في تاريخ زكريّا الخطيب السرياني بين اخبار ساويروس الانطاكي سنة ٤٨٧ فعلّم نحو خمس عشرة سنة ثمّ رُقّي الى مناصب دولية شريفة كحاكم ديوان الشرق (præfectus prætoru) ورئيس العسكر (magister militum) وخوّلـهُ الامبراطور انستاس رتبـة البطارقة (١

واشتهر في القرن السادس بين اولئك الاساتذة الفقهاء ﴿ديوستينس ودُمنيتوس وكيرلُس﴾ وقد أَلّف هذا الاخير دليلًا لتعليم الحقوق كان الطلبة يتهافتون عليهِ لحسن نظامهِ ووضوحهِ

واشهر منهم ﴿اناطوليوس ودوروثاوس﴾ اللذان استدعاهما الامبراطور يوستنيان لاعادة النظر في الشرائع الرومانيّة وتنقيحها وتنظيمها وتبويبها كما مرَّ فاستحقّا شكر الملك وكلّ الاساتذة والمتعاطين فنّ المحاماة

ولم يُذكر في بيروت الى أيام العرب سوى عشرة اساقفة (راجع مقالتنا في اسقفيّة بيروت (في الشرق ٨ [١٩٠٥] : ١٩٣–١٩٦) اوّلهم كوَرْتوس تلميذ الرسل وعاشرهم ثلاسيوس في القرن السادس واكثرهم شايعوا الاحدى بدعتي اريوس او اوطيخا اللهمّ الّا تيموثاوس احد آباء المجمع القسطنطيني الاوّل (سنة ٣٨١) ويوحنّا في اواخر القرن الخامس الذي ناصَبَ بعض الاشرار الذين كانوا يتعاطون اعمال السحر في بيروت وهو الذي ساعد الناسك رُبولا السميساطي في بناء دير في الجبل قريباً من بيروت . كما ذُكر في الميناون اليوناني في اليوم ١٩ من شباط (٢

وفي الميناون المذكور في اليوم التاسع من تشرين الثاني ذكر القديسة ﴿مطرونا﴾

---

١) اطلب ترجمة ساويروس في مجلة الشرق المسيحي ; (ROG, IV, 343; 543 et V, 71 293) ثمّ مقالة المسيو كولينه (M. P. Collinet) عن لاونتيوس المذكور C^ES R^IUS de l'Acad des Insc. et Belles Lettres, 1921, p. 77-84

٢) اطلب اعمال القديسين للبولنديين (Acta Sanctorum, 19 Février, p. 136-137)

التي شيَّدت مع ابنتها تاردوطا في حمص اولًا ثم في بيروت ديرًا للراهبات تقدَّست فيها عدَّة عذارى

فهؤلاء بعض الذين وجدنا لهم آثارًا في بيروت ولا جرم انَّ كثيرين غيرهم شرفوها باعمالهم فقُقدت اخبارهم مع ما اخنى عليهِ الدهر واضاعهُ

البحث الثالث عشر

خمول بيروت بنكبات الزلازل

انَّ المقام الرفيع الذي بلغتهُ بيروت في عهد الرومان بترقيها المدنيّ والادبيّ جعلها في مقدمة مدن الشرق تمشي الثنيان مع انطاكية والاسكندريَّة. وكان بصرُها يطمح الى ما فوق ذلك لولا ما دهمها من النكبات في اواسط القرن السادس للميلاد نعني بذلك الزلازل الهائلة التي حلَّت بها في تلك المدَّة ولاسيما زلزال سنة ٥٥١ م الذي أهبطها الى الدقعاء وشوَّه كل خاص بها فأصبحت اشبه بتلال من الردم والخراب (١

على انَّ ذلك الزلزال لم يكن من سوابق انذارت غير مرَّة البيروتيين بالخطر الذي يتهدَّدهم ليكونوا منهُ على حذر

واوَّل زلزال ورد فيهِ ذكر بيروت رواهُ المؤرخ اليوناني تاوفان في السنة ٥٨٣٤ للعالم وقال هناك انَّها توافق السنة ٣٣٤ للميلاد (٢ ثمَّ وصف الزلزال بما تعريبهُ:

«وفي اثناء ذلك حدث في بيروت من مدن فينيقية زلزلة هائلة خرب بها قسم كبير من المدينة فذُعر بسببها كثيرون من المشركين الذين هناك وطلبوا الدخول في الكنيسة واعدين بحفظ رسوم الدين النصراني. لكنهم بعد فروغ الخطر عدلوا الى رتب دينية مختلطة تقلَّدوا فيها رتب الكنيسة»

وما لبثت بيروت فاصلحت شؤونها ورمَّمت ابنيتها وعادت الى ما كانت عليهِ من العزّ والبهاء.

وذكر مؤرخو اليونان زلزالين آخرين في سنتي ٤٩٤ و٥٠٢ دمَّرا سواحل

---

١) اطلب في المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٩٧١ مقالة حضرة الاب لامنس «الزلازل في بيروت»

٢) هذا الحساب على بناء انَّ وقوع سنة الميلاد في ٥٨٠٠ للعالم واتاريخ القسطنطيني يجعلهُ عادةً في السنة ٥٨٠٨

الشام وقوّضا مدينتي صور وصيداء. إلّا ان بيروت لم ينالها من تلك الآفة الّا ضررٌ قليل اخصّهُ سقوط كنيس اليهود فيهـا في ٢٢ آب من السنة ٥٠٢ على مـا رواهُ المؤرّخان زوناراس ومالالا

وكأنَّ تلك الكوارث كانت كمقدّمات لشرور اعظم توالت في فينيقية عموماً وبيروت خصوصاً في اواسط القرن السادس . وكان اوفرها تأثيراً واوسعها خرابـاً الزلزال الذي حدث سنة ٥٥١ للمسيح وقد فصّل المؤرّخون خبر تلك الجائحة الهائلة التي عمّت مدن ساحل الشام ودمّرت كلّ انحاء بيروت وابنيتها قيل انَّ البحر جزَر الى مسافة ميل من الشاطئ ثمّ ارتدّت امواجهُ كطود شاهق واغرقت كل السفن ثمّ انقضّت على البلد فلم يسلم منها بناء. قال ميخائيل الكبير في تاريخهِ (٢ : ٣١١) :

« لمّا حدث ذلك الزلزال في بيروت ومدن فينيقية اندحرت المياه بأذن الله الى مسافة ميلين فانكشفت اعماق البحر وظهرت فيهِ سُفن مشحونة بالبضائع ومال كثير فحمل الطمع الاهلين ولم يردّهم الخوف فتقاطروا ليحرزوا تلك الكنوز فحملوها راجعين بسرعة الى دورهم واذا بالمياه عادت بغتة فاغرقتهم جميعاً . اما الذين كانوا على الساحل فهربوا لينجوا بنفسهم من الغرق إلّا ان جدران الابنية المتساقطة بفعل الزلزال قتلتهم فماتوا تحت الردم وانتشر الحريق في المدينة بعد خرابها مدّة شهرين فحوّل مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس »

دُكّت ابنية بيروت الشامخة واصبحت قاعاً صفصفاً وهلك تحت انقاضها جمٌّ غفير من الاهلين والاجانب الساكنين فيها . وقد اذاقت المنيّة كأسها المرّ نخبة الشبّان المتقاطرين اليها لدرس الحقوق في مدرستها الرومانيّة التي كانت تاجاً بهيًّا على مفرقها تُباهي بهِ اعظم المدن اخواتها

ولم يرضَ ارباب الامر ان تبقى في قبرها فاسرعوا الى اصلاح ابنيتهـا وترميم معاهدها وكانوا في اثناء ذلك نقلوا مدرستها الفقهيّة الى صيداء ثم اعادوها الى بيروت بعد سنين قليلة على الرغم من زلزال آخر حـدث سنة ٥٥٤ . ثم عـادت الامور الى مجاريها واخذت الدروس تسير سيرها القانونيّ بحيث استبشر الناس ببلوغها عظمتها السابقة واذا بحريق هائل نشب في احيائها سنة ٥٦٠ فكان لها كثالثة الاثافي وختام هلاك المدينة في ذلك القرن فصرخ احد المعاصرين يرثيها وجعل الكلام عن لسان بيروت فقالت :

« ويلاه انا اشأم المدن حظاً واسوأها حالاً رأت عيني جثث ابنائي متراكمة في ساحاتي دفنتين في ظرف تسع سنين رماني فولكان (اله النار) بسهامه المتقدة بعد ان صدمني نبتون (اله البحر) بتياره الهائل . وأسفي على جاني السابق طمسهُ الدهر فأحالني الى رمادٍ . فيا عابري الطريق ابكوا لسوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلّة »

وبقيت بيروت مسجّاةً بكفنها مطمورة تحت رمادها ردحاً من الدهر كما اشار الى ذلك السائح انطونين المعروف بالشهيد لمّا اجتاز بجوارها في اواخر ذلك القرن السادس قال :

« وصلنا الى المدينة الفائقة الجمال بيروت التي فيها كانت قبل هذه السنين تلك المدرسة الحقوقيّة الذائعة الصيت . وهي الآن قد استولى عليها الخراب » . والحقّ يقال انّ بيروت بعد تلك النكبة لم تَعُد الى رونقها السابق مع نهضتها في القرون الوسطى في عهد الصليبيين وفي زمن مماليك مصر . فبقيت كمدينة صغيرة حتى اشرق عليها نور القرن التاسع عشر فنفضت عنها ثوب خمولها وجلست ثانية على منصّة المجد . والامل معقود على رقيها الثابت بفضل فرنسة وليّة امرها وصديقتها وحاميتها

(لها تتمّة)

لائحة للاصطياف في لبنان

لجناب المهندس اميل افندي خاشو

لمّا عُرضت قبل ثلث سنين ميزانيّة لبنان الاقتصاديّة ولحظنا عجزها البالغ الى ما يزيد عن ٥٠٠ مليون فرنك ألحنا في لزوم تنمية الاستنتاج بالفلاحة ورأينا انّ في ذلك النجاة من موقفنا الحرج . وهاك اليوم قد دخل في الحساب عاملٌ غير منتظر لعلاج دائنا الاقتصادي وإنْ ذاك الّا الاصطياف . ولسنا نجهل ان الاصطياف لا

« ويلاه انا اشأم المدن حظاً واسوأها حالاً رأت عيني جثث ابنائي متراكمة في ساحاتي دفنتين في ظرف تسع سنين رماني فولكان (اله النار) بسهامه المتقدة بعد ان صدمني نبتون (اله البحر) بتياره الهائل . وأسفي على جاني السابق طمسهُ الدهر فأحالني الى رمادٍ . فيا عابري الطريق ابكوا لسوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلّة »

وبقيت بيروت مسجّاةً بكفنها مطمورة تحت رمادها ردحاً من الدهر كما اشار الى ذلك السائح انطونين المعروف بالشهيد لمّا اجتاز بجوارها في اواخر ذلك القرن السادس قال :

« وصلنا الى المدينة الفائقة الجمال بيروت التي فيها كانت قبل هذه السنين تلك المدرسة الحقوقيّة الذائعة الصيت . وهي الآن قد استولى عليها الخراب » . والحقّ يقال انّ بيروت بعد تلك النكبة لم تَعُد الى رونقها السابق مع نهضتها في القرون الوسطى في عهد الصليبيين وفي زمن مماليك مصر . فبقيت كمدينة صغيرة حتى اشرق عليها نور القرن التاسع عشر فنفضت عنها ثوب خمولها وجلست ثانية على منصّة المجد . والامل معقود على رقيها الثابت بفضل فرنسة وليّة امرها وصديقتها وحاميتها

(لها تتمّة)

لائحة للاصطياف في لبنان

لجناب المهندس اميل افندي خاشو

لمّا عُرضت قبل ثلث سنين ميزانيّة لبنان الاقتصاديّة ولحظنا عجزها البالغ الى ما يزيد عن ٥٠٠ مليون فرنك ألحنا في لزوم تنمية الاستنتاج بالفلاحة ورأينا انّ في ذلك النجاة من موقفنا الحرج . وهاك اليوم قد دخل في الحساب عاملٌ غير منتظر لعلاج دائنا الاقتصادي وإنْ ذاك الّا الاصطياف . ولسنا نجهل ان الاصطياف لا

يدخل في حيز العمل بالفلاحة لكنهُ شبيه بهِ بما يؤديهِ للجبل من المبالغ المالية فانَّ لبنان قد ربح بهِ في الصيف الماضي ما يساوي خمسين مليوناً من الفرنكات وذلك ما يضيف على مالية لبنان الكبير

فهذا ما حدا بنا الى كتابة فصل في شأن الاصطياف ليقف القرَّاء عمَّا يستفاد بهِ من المنافع التي بها يُسَدّ بعض الخلل من تأخر الصناعة في لبنان وبذلك نستطيع ان ننظر الى مستقبلنا بثقة واطمئنان

مرَّت علينا سنتان منذ صرف ذوو الامر نظرهم الى تنشيط الاصطياف فأتى فعلهم رهين الاشارة بل فاق املهم في العام الماضي. وذلك ما يستدعي اهتمامنا لئلَّا تخمد هذه الحركة فلا نكتفي بالصراخ والجلبة بل نسرع الى العمل فنضع اليد على الجراث. ولا يخفى علينا انَّ اللبنانيين ذوو جدّ ونشاط يتلقَّفون الفُرَص للربح السريع لكنها ستفوتهم ان لم يُراعوا الاحوال ويسعوا في تحسينها. فلا يكفيهم ان يحوّلوا الى منازل للسكنى اصغر الفنادق واحقر الخانات. ان لم يضحُّوا القوى جميعهم رجالاً ونساء لاتخاذ الوسائل الفعَّالة لتنظيم احوال الجبل وتوفير اسباب الهناء التي من شأنها ان ترغب المصطافين الى سكناه

وها نحن نبسط هنا رأينا في هذا الامر الهامّ ليبحث فيهِ اصحاب الرأي العام فيقفوا على اضمن الوسائل واقربها للفوز بالمرام. وتسهيلاً للامر نقسم كلامنا الى ثلثة اقسام نخصُّ القسم الاوَّل بمنطقة السواحل من خلدة الى جونية وجبيل. ونفرد القسم الثاني للجبل. وفي الثالث نتكلَّم عن زحلة وبعلبك ومدن الداخليَّة. وانَّما نبتدئ بالبحث عن الامور العموميَّة التي تشمل كل انحاء الاصطياف

١ مسائل عموميَّة في الاصطياف

انَّ الاصطياف في لبنان لا يقوم الَّا بالتجوُّل في انحائهِ. ولا تجوُّل دون وسائل للتنقل والمواصلات. فلا بُدَّ اذن من شوارع وطرق وهذا كلُّهُ يتمُّ فقط بالمال والنفقات

ولا يكفي لذلك ما كان ينفقهُ اجدادنا. فانَّ ما نصرفهُ اليوم في احد مشروعاتنا كان اجدادنا يستطيعون ان يملكوا بثمنهِ معاملةً واسعة

﴿الضرائب﴾ ولقائل ان يقول واين نجد المال للقيام بهذه النفقات ؟ الوسيلة الاولى والكبرى هي زيادة الضرائب . ولا عجب فان الدول اصغرها واكبرها لا تحيا الّا بما تفرضهُ على سكّانها من الضرائب . ثمَّ انَّ الضرائب في لبنان بالنسبة الى ما يدفعهُ الاوربّي لدولتهِ كادت لا يُعبأ بها . وما لا شكَّ فيهِ ان المثرين بيننا لا يدفعون من الضرائب ما يوازي ثروتهم ولاسيما انَّ الاغنياء في بلادنا كثيرًا ما كانوا يحرّرون نفوسهم من أداء الضرائب إمَّا بالرشوة وإما بالمجاملة والنفوذ حتى انهُ ثبت انَّ ثلث الضرائب كانت تبقى في اكياس اصحابها .

فان شئنا اذًا ان نُنظَم في عداد الدول المتمدّنة فلا مناص من تضحية المال والتفاني في سبيل الخير العام . وعلى ارباب الثروة ان يُقبلوا بطيب الخاطر على هذه الخدمة لوطنهم ناظرين الى ما يتكبَّدهُ اخوتهم الاوربيون من الضيق في جانب المساعدة العموميَّة حتى انَّ «شدَّة لعب الورق» التي تباع في بلادنا بفرنك تكلّف الاوربّي عشرة فرنكات مع كونها مصنوعة في بلاده

وهنا دعوني اقصّ عليكم استطرادًا ما حدث لي في باريس قبل اربع سنوات . استدعتني احدى الشركات الكبيرة الى مكتبها في شارع سان جرمان فاخبرتني انَّ العوض السامي التمس منها ان تباشر بعض الاعمال في سوريَّة وخصوصاً في شارعي فوش وألبي في بيروت . فسألوني ما رأيي في ذلك وكم يُباع متر الملك المربَّع فاجبتهم ان اصحاب الملك يطلبون في المتر من ٤٠ الى ٤٤ ليرة مصريَّة ما كان يبلغ وقتئذٍ الى ٢٥٠٠ فرنك تقريباً . فما سمعوا هذا حتى نفروا من ذاك المشروع صارخين انَّ شارع سان جرمان ذاتهُ في باريس لا يساوي هذا الثمن واين منهُ شارعا فوش وألبي ؟ فكانت النتيجة انَّهم رفضوا الشغل بتاتاً

وقد أدَّت حالتنا الماليَّة الى امرين غريبين فانَّنا نستقرض المال بربًى يبلغ ٢٠ الى ٢٥ في المئة ونضع رأس مالنا في المصارف بواحد بل بأقلّ من واحد في المئة . وذلك بمنتهى الغرابة

وما لا شكَّ فيهِ ان ميزانيَّة لبنان الكبير لا تفي بمشروعاتهِ العموميَّة كما لا تقوم ميزانيَّة البلديَّة بنفقات اعمالها . فانَّ لبنان الكبير يمنح للنافعة ستة ملايين من الفرنكات من ميزانيَّتهِ البالغة ٤٠ مليونًا يزاد عليها مليون آخر للزراعة . وهذا المبلغ دون القليل

لا يكاد يفي بالاشغال البسيطة ولستر عيوبنا . فانّى له ان يساعد على نهضة البلاد وترقيتها . فها ان الاصطياف قد اكسب لبنان في العام الماضي خمسين مليوناً من الفرنكات . أفلا يجوز للحكومة ان تخصّ منها بواسطة الضرائب خمسة ملايين تُصرَف في المشروعات العموميّة وفي الخير العام ؟ وان نَفَرَ اللبنانيّون من ذلك فقل على وطننا السلام

﴿القرض﴾ على انّ الضرائب ذاتها لا تَسُد حاجاتنا فلا بُدّ من الاستقراض لكنّ الاستقراض لا يتمّ إلّا اذا تأكّد القارض انهُ سينال ربحاً من وراء قرضه . والضرائب العموميّة هي التي يُرهَن بها قرضهُ

على انّ القرض الذي تكرّر فيهِ القال والقيل لم يتقرّر حتى اليوم اذ لم يتّفقوا على اي عملةٍ يُستند القرض أعلى الذهب ام الورق ؟ يريدون نقوداً ثابتة القيمة والذهب وحدهُ على رأيهم هو ثابت القيمة . وفي قولهم هذا نظر لان النقود الذهبيّة عينها لا تخلو من التقلّبات ورُبَّ دولةٍ قريبةٍ منّا لم تنل بها مرغوبها . ثمّ انّ الورق كما يهبط يمكنهُ ايضاً ان يتصاعد ثمنُهُ فيبلغ الى قيمة ثابتة وعلى كل حالٍ لنا اسوةٌ بفرنسة التي تخاطر بماليّتها ولعلّها قريباً تقوى على تمكين ماليّتها فان مشينا معها وجدنا لنا ضميناً لاقتصادنا فلا نؤخّر مشروعاتنا التي نؤمل منها سدّ عجزنا المالي

﴿المشروعات اللازمة﴾ فان افترضنا القرض المذكور دونك الاعمال التي تستوقف النظر بعد تخصيص ٤٠ الى ٥٠ مليوناً لاعمال السقي والزراعة واوّل كل ذلك ﴿الأنزال﴾ . فانّ الافراد الذين كنّا ننتظر منهم القيام بهذا العمل لم يحقّقوا املنا فلا بُدّ من قيام الحكومة بهذا المشروع الجلل . وقد اراد حاكم لبنان الكبير ان يفضّ هذا المشكل فاستدرك الامر في بيروت وحدها والّف في ذلك الشركات فقامت بهمّتها ابنية جديدة تصلح لسكنى المصطافين والمسافرين

لكنّ الجبل في حاجة ماسّة اليها فان كانت هذه الأنزال قد كفت للعام الماضي فانّها ستضيق قريباً على المصطافين فلا بُدّ من اعداد غيرها . افيكفي في كل بلدة نُزُل او نُزُلان لكل منها مئة غرفة ان بلغ عدد المصطافين ١٥٫٠٠٠ وان تزايد هذا العدد حتى يبلغ ٣٠٫٠٠٠ او ٤٠٫٠٠٠ فهيهات ان يفي لبنان بالغاية المنشودة

فعلى الحكومة اذن ان تطلب حلّاً لهذه الأزمة ولا نرى في الضرائب التي

وضعتها على المقامرات سدًّا كافياً لهذه الثلمة مع نفور كل الادباء عن السماح بها لانها تشين سمعة لبنان. ومن ثمَّ سُرَّ ارباب الدين والادب لمَّا أبطل الحاكم العامّ الرخصة بالمقامرة واقفل دورَها. والحقّ يقال انَّ هذا الداء العُضال كان أصبح حجر عثرة في سبيل العموم ليس فقط اغنياء القوم ولكن ايضاً العَمَلة وذوي الحرف والصنائع فكانوا يدخلون تلك المعاهد فيصرفون رواتبهم حول البساط الاخضر بل يرهنون ما لديهم من المال حتى أثاث بيوتهم ويعرّضون عيالهم للفقر المدقع

فبئس اذن الارباح التي تُنال من ترخيص هذهِ المقامرات ولا يقولنَّ احد انَّ الانزال في حاجة اليها لتقوم بمعاشها فهذا قول لا سند لهُ . وكذلك لا صحَّة لزعم الزاعمين انَّ الغرباء يحبّون هذه المقامرات والصواب انَّ معظم الذين يتعاطون اللعب انَّما هم الوطنيُّون الذين نُفث فيهم هذا السمّ وجعلوا المقامرات ديدنهم واكسبوا الوطن سمعةً سيّئة في اعين المصطافين

وعلى كل حال ان كان لا يمكن حسمُ الداء فلتُحصَر حدودهُ لئلَّا ينتشر داؤهُ وتتَّخذ الوسائل لكبح جماحهِ وان امكن ان يستفاد منهُ بعض الخير لمنفعة العموم كما في باريس حيث وضعت الحكومة ضرائب على المراهنات (Pari-Mutuel) تخصّصها لمساعدة الاعمال الخيريَّة

وقبل كلّ ان لم ترَ الحكومة بُدًّا من فتح مكان للمقامرات فلتتخذ لذلك محلًّا رسميًّا مجهَّزًا لتلك الغاية لا يدخلهُ غير اهل الثروة دون الرعاع والعُمَّال وسائقي العربات. كما صرّح لي بذلك احد المصطافين المصريين. اقول هذا لا تحبيذًا للمقامرات بل اختيارًا للشرّ الاخفّ بين الشرَّين

دَعْنا نعود الى موضوعنا فندلّ على توزيع المالية لتنشيط الاصطياف

﴿الطرق وتوثيرها﴾ لتحجير الطرق وتوثيرها شأن عظيم وذلك يقوم خصوصاً باختيار الحصى الذي تنقمهُ المعادل الضخمة فيتحوَّل الحصى الى مسحوق ناعم ينتشر في الهواء فيعمي السابلة بغبارهِ او يشوّه بشرتهم لاسيما بعد الحرب وقد توفَّرت في مدننا السيَّارات والاوتوموبيلات

وقد ثبت اليوم بالتجربة ان الحصى المأخوذ من الحجارة الكلسيَّة لا يوافق لتوثير الطرق وتمهيدها لوفرة ما يثور في الجوّ من غبارهِ فيجب العدول عنهُ الى

الحجارة البركانيَّة سواء كانت من الغرانيت او من الحُمَّر وكلاهما قريب المنال تنقلهُ المراكب مع اعتدال ثمنهِ

فلنقابل الآن ما يكلّف التحجير بالحجارة الكلسيَّة وبالحجارة البركانيَّة ولنعتبر مثلًا طريق بيروت الى عاليه مباشرة من فرن الشبَّاك عند رأس الترامواي والمسافة بينهما ١٥ كيلومترًا و ٦ امتار عرضاً . فان المتر المربَّع باعتبار سمك الحصى ١٢ سنتمترًا يكلّف ٩٠ قرشاً سوريًّا بالحصى الكلسي و ٣٣٠ قرشاً بالحجر البركاني اعني انَّ كلفتهُ تبلغ تقريباً اربعة اضعاف الحجر الكلسي فتكون كلفة تحجير طريق بيروت عاليه ١٣٫٥٠٠ ق س بالحجر الكلسي و ٤٩٥٠٠ بالحجر البركاني لكنَّ الحجر الكلسي لا يثبت اكثر من سنة واحدة بينما يداوم الحجر البركاني على الاقلّ ثلاث سنين ونصفاً ويغنينا عن الغبار فالفضل اذن لهُ على الحجر الكلسي

ومن هذا يلوح اضطرارنا الى ماليَّة كبيرة مدَّة اربع او خمس سنوات متتالية الى ان تُصلح طرقنا العموميَّة البالغة ٤٠٠ كيلومتر فيرتاح المصطافون الى نظرها والسير فيها . وهذا المبلغ على رأينا ينبغي ان لا يقلّ عن مليون ليرة سوريَّة اي نحو ٢٥ مليوناً من الفرنكات . فمن هذا القبيل لا مناص من افتتاح قرض باسرع وقت . فالعمل العمل فقد شبعنا من الكلام والمفاوضات الفارغة

٢ بيروت والاصطياف

معلوم انَّ المصطافين والسيَّاح لا يقصدون بيروت إلَّا ليقضوا فيها يوماً او يومين بل ساعات قليلة فهي في طريقهم اشبه بالمحطَّة في السكك الحديديَّة ينزلون فيها ريثما يواصلون مسيرهم الى الجبل او الى الداخليَّة

ولكن ناشدتك الله ألا تستحقّ عاصمتنا ان تستوقف زمناً اطول أبصار الزوَّار لما خصَّها الله بهِ من المناظر الجميلة كحسن الموقع وانبساط الاحياء على الرُّبى متدرّجةً وواجهة البيوت العامرة والقرب من البحر واشراف الجبال المحدقة بها وطيب هوائها . فلا جرم انَّ ذلك كلَّهُ من شأنهِ أن يبهج الناظر . لكنَّ هذه المحاسن كلها مطموسة بما يلقاهُ الغريب في شوارعها من الاوساخ وقلة النظام فانَّ بعض احياء البلد تتراكم فيها الاقذار ولا ترى للعموم حديقةً يقرُّ اليها نظرهُ ولا شجرة يستريح في ظلّها . نعم

انَّ هذا كان حظ بيروت خصوصاً في العهد التركيّ لكنَّ الداء لم يُعالج العلاج الكافي بعد الحرب بما يُنسب الى بلديَّتنا من التقاعس ولعلَّهُ لا يُرجى لهُ شفاء الى ان يهتمَّ وجوه البلد بعلاجهِ فيسعون الى اختيار رجال ذوي همَّة وإقدام يقومون بواجباتهم في المجلس البلدي

قل لي رعاك الله اي ترقٍّ ونجاح يؤمّلان من مجلس بلدي يدخلهُ العطّارون وباعة الخيل ولا وجود بينهم لمهندس وعالم بالبناء . نعم انَّ بين المستشارين البلديين من شعروا بهذا النقص وعرضوا اصلاحهُ . الّا انَّ صوتهم كان كضربة في الماء او نفخة في الهواء . واحسن طريقة لتحسين ادارة البلديَّة ان يُختار اعضاؤها مناصفةً كما في الاسكندريَّة قسم منها منتخب وقسم معيَّن

ومن المعلوم ايضاً ان ادارة النافعة التي تعيَّنت منذ زمن قليل للاشغال العموميَّة غير كافية ولاسيما ادارة الهندسة البنائيَّة التي لا يكاد يُعرف لها وجود والنافعة هي التي تتولَّى اشغال الهندسة فتأمر وتنهي وتصدّق على رسوم البناء واطرازهِ وتشيّد المعاهد العموميَّة وليس في دائرتها رجلٌ مسئول . وقد سمعت انها ترتين شارع فوش بالمبالغ في ذات الهندسة الشرقيَّة فشيّدت لها الابنية الالمانيَّة العربية

ثم ان ادارة النافعة مرتبطة بالمجلس البلدي في كل امورها حتى انها لا تستطيع ان تصرف ايَّ مبلغ كان دون مضبطة منهُ . فينتج عن ذلك اضرار جمَّة فانَّ ادارة الاشغال العموميَّة تحتاج الى استقلال تامّ فتُعيَّن لها ميزانيَّتها الخاصَّة مع وضع لائحة مدقَّقة للاشغال المطلوبة كاصلاح الابنية وتنظيم الشوارع وانشاء الاقنية لتصريف الاقذار ومجارز الخ

فمن اراد ان يدرك سوء حالة الهندسة البلديَّة عليهِ ان يتفقَّد أحياء المدينة المستجدَّة فيجدها بلا ترتيب ولا نظام . فان حي مدرسة الصنائع والفنون مثلاً الذي يُبشر بانشائهِ منذ عشرين سنةً وكان حقُّهُ ان يكون حيًّا بالغاً نهاية الحسن هو اشبه بمساكن الزنوج لا نظام فيهِ ولا هندام أُقيمت فيهِ الابنية كما خطر على بال اصحاب الملك

وما قولنا عن شوارع المدينة وطرقها التي تحتاج سريعاً الى التوسيع فلو جروا في اصلاحها على نظام وتتبَّعوا بالترتيب حيًّا بعد آخر مباشرين مثلاً بشارع البريد لينظّموا

ابنيتهُ تنظيماً نهائيًّا ثمَّ يتبعونهُ بشارع جورج بيكو الخ كما اشار عليهم صديقنا يوسف افندي افتيموس لادركوا الغاية المنشودة فتراهم على خلاف ذلك مرتابين متحيّرين لا خطَّة لهم ثابتة في العمل

ولا اتعرَّض هنا لاقنية القاذورات ومصارفها لان درسها يستدعي بحثاً خصوصيًّا وبلغني ان اصحاب الفنّ ساعون في اصلاحها قريباً . ومعلوم ان على تنسيقها يتوقَّف كثير من الاصلاحات البلديَّة وتنظيف شوارع المدينة

فلنفترض اصلاح هذه الاقنية ولنلقِ النظر على مستوى الطرقات التي لم يتَّفقوا حتى الان على نوع تبليطها . وقد تعهَّدت شركة الترامواي بتبليط خطوطها فنشكرها على هذه الخدمة وأملنا ان لم تتباطأ في انجازها . ثمَّ نقترح عليها ان تمدّ خطوطها في احياء جديدة على الاقلّ في حيّ الاشرفية وحيّ المصيطبة وتسعى في ان تجعل اسلاكها لاحقة ببعضها دائرةً حول المدينة

هذا عن شوارع الترامواي وما قولنا عن بقيَّة الطرق ؟ كيف يجب تبليطها ؟ يتسارع البعض ويجيبون فلتبلَّط كالطرق العمومية السابق ذكرها بالحجر البركاني لكنَّهم لا يفطنون انَّ احياء بيروت على شكلين منها سويَّة يصلح لها هذا الحجر لولا انهُ غالي الثمن ومنها منحنية لا يوافقها هذا الحجر لانهُ صقيل زلج لا يصلح للمركبات فانَّ الخيل لا يمكنها السير عليهِ لاسيما اذا سقط المطر

واشار بعضهم الى التبليط بالخشب وانَّما هذا ايضاً ذو كلفة بالغة تأباها ميزانيَّتنا فيبقى التبليط المعروف بمكادام الممزوج بالقطران او التبليط بالبيتون المختلف التركيب وكلتا الطريقتين حسنة والمصريون قد استحبُّوا الشكل الاوَّل فلا بأس من استعمالهِ وعليهِ جروا في بيروت في حيّ الفرنسويين الَّا انَّهم لم يراعوا فيهِ الاقتصاد

ومع اصطلاح ارباب الفنّ على تبليط حسن واقتصادي للطرقات لا بُدَّ من عمَّالة عديدين لمراقبة الطرق دواماً

﴿المجازر والمسالخ﴾ تحتاج مسئلتها الى شركة تهتمّ بها من حيث النظافة والاقتصاد فانَّ دماء المذابح تذهب هدرًا فتسيل الى البحر ويستطاع الاستفادة منها كسماد حسن للفلاحة

﴿الحدائق العمومية﴾ هذه مسألة حيوية . فان الحديقة العمومية مع نقصها تحولت الى معرض واليوم تسعى الايدي في قلبها ظهراً لبطن ولا نعلم من هو الرأس المعنى باصلاحها وتحسينها . وكانوا فكروا سابقاً بانشاء حدائق غيرها ولم تخرج تلك الافكار الى عالم الحقيقة بل تصرفت الحكومة على خلاف الحقوق بتلك الباحة الواقعة غربي السراية القديمة وكان حصل الاتفاق على تحويلها الى جنينة عمومية

وما قولنا بتلك المنازل القذرة الواقعة في وسط المدينة حيث تُعلن العمارة بكل مساوئها فتشوه بيروت وتجعلها كمدينة الفجور والخلاعة في عين الغريب فيرى المرسات راتعات في البيوت الجميلة وهو مع ذلك يسمع العموم يتشكون من غلاء الايجار

فترى كم هي عديدة احتياجات بيروت لو اراد اهلها ان تستلفت انظار الغرباء ليقصدوها ويطلبوا فيها الاقامة

﴿غابة الصنوبر والبارك﴾ ولعلّ ضواحي بيروت اغنى بالمنتزهات من داخلها . لبيروت غابة صنوبر شاع ذكرها في كتب التاريخ ولو شاء ارباب الامر لجعلوها جنة غناء . وقد تألفت لذلك شركة تدعى بشركة البارك فكان المأمول من عنايتها ان تجعل تلك الناحية جنة يلجأ اليها الجمهور ويجدون فيها ما تأنس به نفوسهم من خضرة واشجار وبرك ونوافير وبحيرات ويستنشقوا الهواء الصافي إلا انها عدّدت فيها المباني دون نظام فتحت المقاهي والنوادي للاجتماعات والمقامرات وخصصت المساحات الخالية لسباق الخيل وللترويضات البدنية

وقد وضعت البلدية حالاً على بساط البحث مسألة تحويل المقابر الاسلامية القديمة الى حديقة يُبنى في وسطها نزل كبير ومسرح عمومي لعرض السينما وهو فكر حسن والافضل عندنا لو جُعلت تلك الساحات منتزهاً عمومياً واسع الارجاء يقصده الناس لتسريح البصر وترويح البال واستنشاق الهواء النظيف

ثمّ انّ الاتراك في زمن الحرب فتحوا ثلثة شوارع جديدة تُعرف اليوم بشارع فوش وألنبي وفخر الدين ابتاعوا من اصحابها على جانبيها عشرين متراً كبقية الشوارع . ثمّ ان بين شارع فخر الدين وشارع المستشفى العسكري الموازي له يبقى خمسون متراً نُزع عشرون منها عن اصحابها فلو نزعوا الثلثين متراً الباقية أصبح طول الشارع ٣٠٠ متر وامكن انشاء حديقة تبلغ سعتها ١٥٠٠٠ متر مربع تكون

كجنينة للبلد وكخير جيرة للسراية الكبيرة وتلاشي من الوجود تلك الاحياء القذرة. امّا قيمتها فلا تكون عبئاً على مالية بيروت لان املاك البلديّة في تلك الانحاء لوقوعها وسط بيروت سوف يزداد ثمنها فتُباع باغلى قيمة

وان لم ترضَ البلديّة بحلّ المشكل على هذه الصورة فعليها ان تنزع الاملاك الواقعة بين شارعي ألبي وفخر الدين من اصحابها. فان فعلت طهرت البلد من اقذر احيائه حيث تعشّش كل الجراثيم الوبيئة وقد تفقّدتُ تلك الجهات في أيام الحرب بامر الوالي عزمي بك فوجدتها اكواخاً في منتهى القذارة والاتساخ فمن ذلك مطمورة من اوخم المطامير سمعتُها عشرة امتار كان يأوي اليها سبعة اشخاص. وذلك الحيّ يسودّ الى اليوم وجه حاضرتنا ووجه البلديّة التي تضرب الصفح عنهُ. وكنّا عرضنا على عزمي بك وقتئذٍ ان يبني لسكنى اهل ذلك الحيّ مباني نظيفة في جهات الرمل ويخرب هذا الحيّ الشائن فيبيع قسماً منهُ ويخصّ القسم الآخر بانشاء حديقة جميلة. فرضي عزمي بك بفكرنا ولولا نهاية الحرب لكان اخرجهُ الى حيز العمل

فهذه مقترحات نعرضها على ارباب الامر يمكنهم ان يباشروا بتحقيقها بتاتاً على قدر ما تسمح به حالة بيروت الماليّة في السنين التالية

﴿سواحل لبنان﴾ وليست بيروت وحدها تستحقّ الالتفات في سيف البحر. ففي شمالها الخليج اللطيف المنسوب الى القديس جرجس ثمّ عدّة قرى طيّبة المناخ كدورة وانطلياس وضبيّه وسربا وخصوصاً جونية يجمع بينها خطّ الترامواي. ولا شكّ انّ الاقبال عليها سوف يزيد ولاسيما اذا ابدلت شركة الترامواي المحرّك البخاري بالكهرباء فينتقل القطار مراراً في النهار بينها

وغنيّ عن القول ان جونية خصوصاً من اصلح المقامات في كلّ حين وهي في الشتاء خيرُ منزل لسكّانها اذ هي في عمق خليج مستورة عن الريح الشماليّة مخفورة بجبال كسروان التي تكسوها ابهى حُلّة سندسيّة. فمن الواجب اللازب اذاً ان تُفرغ كنانة الجهد في تحسينها وتوفير اسباب هنائها. وقبل كل يجب ان يُشيَّد هناك نزلٌ تُفرَد فيه نحو ٣٠ غرفة مؤثّثة حسنة الهندام. فلو حصلت جونية على ذلك لزاد الشوق الى سكناها. وهكذا حصل لعدّة مدن ساحليّة في فرنسة بعد ان كانت خاملة

وقبل ان نبارح السواحل ينبغي ان نذكر ما نوتهُ شركة مصريّة يرئسها جناب

نجيب شكور باشا منذ ٢٠ سنة فانَّها تريد ان تحوّل الى واحٍ بديع في ارباض البلد الفسحةَ المعروفة بالاوزاعي في بئر حسن حيث كان يجري سباق الخيل . فنعم الفكر نتمنى إخراجهُ الى حيز العمل باقرب وقت لان ذاك المكان بيبوسة هوائه وجودة مناخهِ يفضل على سكنى بيروت

٣ً الاصطياف والجبل

هلمَّ الآن بنا نصعد الى لبنان ذاك الجبل الشهير المعمَّم بالثلج المتمنطق برونق الربيع والخريف في اوساطهِ والمتلظي في حضيضهِ بحرارة الصيف . فان تبعتَ آثار المصطافين رأيتَهم يؤمّون ناحيتين خصوصاً اعني عاليه وبحمدون وصوفر من جهة وبيت مري وبرمّانا وبكفيّا والشوير من جهة اخرى . امَّا المصريون منهم الذي لا شغل لهم في بيروت فانَّهم يفضّلون المراكز البعيدة إمَّا الارز وجهاتهِ وامَّا جزين وانحاءها ونعمَّ ما يعملون بابتعادهم عن لبنان المركزي فينجون من مطامع بعض اهلهِ الذين يزيدون بغير فطنة كل سنة قيمة استئجار بيوتهم فينفّرون المصطافين ويعرّضون نفسهم للخسارة فيكون مثلهم مثل صاحب الدجاجة ذات البيض الذهبي حيث شقَّ حوصلتها طمعاً وفقد بيضهُ

وعلى كلّ حال نرى المصطافين يتزاحمون في جهات عاليه وصوفر حتى اصبحت تلك الجهات مدناً عامرة فيفقد المصطافون ما يحتاجون اليهِ من السكينة . ولا ننكر ما لعاليه خصوصاً من الفضل بحسن موقعها وقربها من محطَّة السكة الحديدية ووفرة المتنزهات الواقعة بجوارها . الَّا انَّ لجهات بيت مري وبرمّانا وبكفيّا والشوير فضلاً ايضاً بمناظرها ومناخها ولطف اهلها ولاسيما بهدوئها وابتعادها عن الجلَبة والضوضاء والمقامرات . لكنَّ طريق العجلات والاوتوموبيلات غير محكمة كثيرة الحفر والوعر لا يقطعها المسافر إلَّا تردَّى من غبارها بثوب ابيض مع قلَّة السيَّارات فيها بالنسبة الى عاليه

فيا لله ما أبعدنا من ترقّي البلاد المتمدّنة فاني كنت في العام الماضي راكباً اوتوموبيلاً توقّل الى اعالي جبال الاردين والبيريناي فخفتُ ان يصيبنا في تلوّياتها واعوجاجاتها بعض الضرر فكان سفرنا اهنأ سفر فتذكّرت ما يتهدّدنا من الاخطار

في لبنان كلّ مرّة نرقى الجبل مع اعوجاجات طرقه واكواعها وعثراتها المتعدّدة وذلك لجهل مهندسيها في توسيعها بدلاً من توفير لَيّاتها ذهاباً واياباً دون فائدة إلّا اطالتها

هذه ست سنين يتباحث فيها اصحاب الامر عن انشاء طريق من بيروت الى بيت مري تقصّر الطريق السابقة نحو ثلثة كيلومترات ويقلّل نحو اثنتي عشرة من اعوجاجاتها و«اكواعها» مع تحسين الباقي منها على طريقة فنّية وحتى اليوم لم يتّفقوا على عملها مع انّ تخطيطها قد تمّ وبوشر باصلاح نحو كيلومترين منها. وكلّ يعلم ما وراء إنجازها من المنافع الجمّة للمصطافين وهي من افضل مقامات الاصطياف لولا نقص الماء في تلك الجهات. وقد اثبتنا ان المياه كثيرة فعلى الشركة التي تألّفت لجلب المياه من ينابيع لبنان العليا ان تسرع الى العمل فتقوم بوعدها

هذا وكنا قبل الحرب فكرنا مع بعض اصحابنا ان نجهّز في لبنان مُصَعِّدَين بتوازن الاثقال (funiculaires) الواحد من نهر الموت الى برمّانا والآخر من جونية الى حريصا فجاءت الاوتوموبيلات تغنينا في الحاضر عن هذا الهمّ لكنّ الاوتوموبيلات تستدعي اصلاح الطرق فطريق بيت مري الى برمّانا وبكفيّا لا تزيد نفقتها على ١٥،٠٠٠ الى ٢٠،٠٠٠ ليرة سوريّة وهذا قليل بالنسبة الى منافعها للوطن لاسيما ان اهل تلك القرى تعهّدوا بدفع نصفها فيبقى ٢٥،٠٠٠ ليرة سوريّة على ميزانيّة لبنان الكبير. ثمّ يجب مراقبة واصلاح الطريق من بحنّس الى ظهر الشوير ومسافتها من ١٢ الى ١٥ كيلومترًا لتوسيع اكوائها ويوتّر وعَرْها ويُمنع اصحاب الكروم عن اختلاس جانب منها

وهذا ما يختصّ بلبنان المركزيّ. ويبقى تعديل الطريق المدعوّ بطريق اعالي لبنان والغاية منهُ ان يجاري الطريق العموميّة ويجمع بين كل المشارف والقرى التي تنفذ اليها. ولا يُنكر ما في انشاء مثل هذه الطريق من المحاسن بحيث تتّصل كل طرق لبنان ببعضها فتصبح كدوائر مقفلة. لكنّ هذا الفكر لم ينضج حتى اليوم ولا بُدّ لهُ من درس وبحث مدقّقين. وأمسّ من هذه الطريق حاجةً تحوير الطرق الحاليّة واصلاحها على طريقة معقولة فنّيّة من تسوية وتقصير وتنظيف وفي ذلك اقتصاد واضح على ميزانيّتنا

وكثيرًا ما تأتينا طلبيّات بعض اهل القرى الصغيرة الذين يقترحون على الحكومة

انشاء طريق قريب منها. فذلك من النوافل التي لا تستحق اعتباراً ومن هذا القبيل ما طلبهُ البعض من انشاء طريق الى قمة صنين فينسون الكأس الباهظة التي تُقتضى لكل ذلك دون منفعةٍ تُذكر. وكم من السيّاح يحبّون التجوُّل في اعالي الجبل إمّا مشياً وامّا راكبين الخيل والدواب فيتهنأون بمشاهد الجبل واستنشاق نسيمهِ البليل بكل تؤدة وراحة. كما جرى لي في الصيف الماضي حيث تفرَّعتُ صنين ماراً بمروج وبسكنتا فقضيتُ راكباً بغلاً اربع ساعات من اهنأ الاوقات

٤ الاصطياف والبلاد الداخليّة

دَعْنا نجتاز الى ما وراء ظهر البيدر فنبلغ الى البقاع حيث نجد في طريقنا زحلة معروفة لدى الجميع فلا حاجة الى بيان احوالها. وليست كذلك بعلبك التي تجتذب اليها الغرباء من كل البلاد. فهناك آثار جليلة قلّما يُرى مثلها في غير بلاد الّا انّ الدهر لا يزال يعمل فيها فعلهُ فيحوّلها الى اخربة ويشوّه محاسنها. فلا بُدَّ من تشكيل لجنةٍ تفحص الامر وتستدرك الخلل قبل ان يتفاقم بسقوط بعض الاعمدة والسواري التي لا بُدَّ من دعمها وتمكينها فوق قواعدها. ويكفي لذلك حاضراً من ٣٠،٠٠٠ الى ٤٠،٠٠٠ فرنك. وقد تألّفت لجنة لانشاء متحف هناك وعلى رأينا انّ مراقبة آثار هيكل بعلبك لئلّا تلحق بها آفات الزمان افضلُ من كل المتاحف. ولا يخلو لبنان من لجنة لجمع العاديّات وصيانتها فمن الواجب ان توجّه همّتها الى ذلك وتواصل اعمال البعثة الالمانيّة التي ادّت خدماً مشكورة في زمن الاتراك. وان احتاجت الى بعض الاختصاصيين فلتسعَ بانتدابهم الى هذا العمل الشريف وتحتَطْ بهِ من كل وجوههِ. فانَّ لجنة مركَّبة من ذوي الاختصاص يمكنها ان تؤدي للبلاد خدماً مشكورة سواء كان في مراقبة آثار بعلبك ام آثار الدولة عموماً لتسعى بشؤون الفنون الجميلة في بلادنا فتبعث الرغبة في قلوب الغرباء عموماً والعلماء خصوصاً الى السياحة في مواطننا. ومن ذلك العناية في غابات الجبل وتشجيرهِ والسعي الى نفي المواشي المضرّة ولاسيما المعز المشؤوم. كما اني ألفت نظر ذوي الامر الى صيانة الطيور واتخاذ كل الوسائل لحفظها ومنع صيدها ليس فقط في زمن الربيع لكن طول السنة ريثما تنمو وتزداد فانها وحدها تنعش حقولنا وتطرب مسامعنا في قفارنا فضلاً عمّا تتلفهُ من الحشرات

الضارّة والديدان المؤذية

هذا وكان بودّي ان اتابع نظري الى غير انحاء من الداخليّة لكنّ ذلك يستدعي درساً خصوصيًّا. إلّا اني في الختام لا يمكنني الّا ان ارجو الرجاء الحميم من كل الضابطين لزمام امورنا ان لا يألوا جهدًا في كل ما يزيد بيروت رقيًّا. وها قد اضحت اليوم فرضةً ليس لدمشق فقط بل للعراق والى جهات العجم. فبفضل المواصلات اخذ البغداديون يرسلون اولادهم الى مدارس بيروت ومعاهدها العلميّة فبلغ عددهم في العام المنصرم الى ٢٥٠ تلميذًا. وقد اتانا ايضاً مؤخرًا كثيرون من اهل العراق ليقضوا عندنا فصل الصيف فكل هذه المواصلات فتحت باباً جديدًا لمستقبل بلادنا كما انّها تستوجب اهتماماً جديدًا بكل شؤونها فيتمتع الغرباء برافقها ويقفون على فضل انتداب فرنسة في ربوعها فيزيد اعتبارهم لتلك الدولة التي ترفع حيثما تحلّ منار التمدّن والعمران

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

٩ كنائس السريان القديمة في القطر المصريّ

يتلخص ممّا اوردناه حتى الآن ان وادي النيل كان حافلًا بالشعب السرياني حتى القرن السادس عشر وما بعده وكان لهم فيهِ عدّة كنائس معتبرة بقيت منها بقية حتى اليوم وأخرب المسلمون منها عددًا وافرًا. قال المقريزيّ (الخطط ٢: ٤٩٦) ما نصهُ:

« ان الحاكم بامر الله كتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعمّ الهدم فيها من سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) حتى ذكر من يوثق به في ذلك انّ الذي هدم الى آخر سنة ٤٠٥هـ (١٠١٤م) بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل... نيّف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على اوقافها وكانت اوقافًا جليلة على مبانٍ عجيبة... وفي هذهِ الحوادث أسلم كثير من النصارى »

الضارّة والديدان المؤذية

هذا وكان بودّي ان اتابع نظري الى غير انحاء من الداخليّة لكنّ ذلك يستدعي درساً خصوصيًّا. إلّا اني في الختام لا يمكنني الّا ان ارجو الرجاء الحميم من كل الضابطين لزمام امورنا ان لا يألوا جهدًا في كل ما يزيد بيروت رقيًّا. وها قد اضحت اليوم فرضةً ليس لدمشق فقط بل للعراق والى جهات العجم. فبفضل المواصلات اخذ البغداديون يرسلون اولادهم الى مدارس بيروت ومعاهدها العلميّة فبلغ عددهم في العام المنصرم الى ٢٥٠ تلميذًا. وقد اتانا ايضاً مؤخرًا كثيرون من اهل العراق ليقضوا عندنا فصل الصيف فكل هذه المواصلات فتحت باباً جديدًا لمستقبل بلادنا كما انّها تستوجب اهتماماً جديدًا بكل شؤونها فيتمتع الغرباء برافقها ويقفون على فضل انتداب فرنسة في ربوعها فيزيد اعتبارهم لتلك الدولة التي ترفع حيثما تحلّ منار التمدّن والعمران

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

٩ كنائس السريان القديمة في القطر المصريّ

يتلخص ممّا اوردناه حتى الآن ان وادي النيل كان حافلًا بالشعب السرياني حتى القرن السادس عشر وما بعده وكان لهم فيهِ عدّة كنائس معتبرة بقيت منها بقية حتى اليوم وأخرب المسلمون منها عددًا وافرًا. قال المقريزيّ (الخطط ٢: ٤٩٦) ما نصهُ:

« ان الحاكم بامر الله كتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعمّ الهدم فيها من سنة ٤٠٣هـ (١٠١٢م) حتى ذكر من يوثق به في ذلك انّ الذي هدم الى آخر سنة ٤٠٥هـ (١٠١٤م) بمصر والشام وأعمالهما من الهياكل... نيّف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على اوقافها وكانت اوقافًا جليلة على مبانٍ عجيبة... وفي هذهِ الحوادث أسلم كثير من النصارى »

فيُستفاد من قوله ان هذا الحاكم عينه قوّض جملة من كنائس السريان واضطرّ طائفةً منهم الى الاسلام فأسلموا واخذوا في الانتقاص وما زالوا هكذا حتى تبعوا الاقباط في لغتهم وعاداتهم كما سبقوا وتبعوهم في مذهبهم واستبدّ الاقباط ببقيّة كنائسهم ولم يعودوا يجسرون ان يدّعوا بها او يتداخلوا بشؤونها وأوقافها

وبالرغم من ذلك كلّه فقد بذلنا جهدًا جهيدًا في التنقيب عن الكنائس السريانيّة القديمة فاهتدينا بعد العناء الجزيل الى الوقوف على ثماني كنائس جليلة للسريان عثرنا على اسمائها لدن مطالعتنا التواريخ الصحيحة واستقرائنا الحواشي التاريخيّة الملحقة بالمخطوطات السريانيّة القديمة وها انا نسرد اسماءها نقلًا عن اولئك الكتبة الثقات وعن تلك الاسفار النادرة المثال

فقد كان للسريان في فسطاط[1] مصر كنيسة كبيرة باسم مار يوحنا على ما ورد في مخطوط مكتبة لندن (عدد ٢٤٣) المؤرخ سنة ٨٦٢ م في كنيسة مار يوحنا بفسطاط مصر

وكان للسريان كنيسة ثانية في الفسطاط على اسم والدة الله على ما ورد في حاشية عُلّقت على تاريخ كتاب ميامر يعقوب السروجي (عدد ٦٣١ من فهرس مخطوطات لندن) هذا تعريبها «ارسل هذا الكتاب شمعون بن قرياقس التكريتي . . . الى كنيسة والدة الله التي تخصّ التكريتيّين في فسطاط مصر» . وورد في المخطوط (عدد ٣٣٦) ما شرحهُ «وقف ابن سهاون هذا الكتاب وكتابين آخرين . . . لاستعمال كنيستنا في الفسطاط» . على ان المؤرخ الرهاوي السرياني صرّح بوجود كنيستين للسريان في الفسطاط ابتناهما اثناسيوس ابن جوميا الرهاوي السرياني قال ما تعريبهُ :

«ان عبد الملك بن مروان (+ ٧٠٥) استدعى الى دمشق اثناسيوس ابن جوميا لما بلغهُ عنه من طول الباع في العلوم ورسوخ القدم في السياسة وأوفده الى مصر صحبة عبد العزيز أخيه الفتى وأوصاه به ونصبهُ مدبّرًا للقطر المصري واناط به أمر الحلّ والعقد . وولّى أنجاله على بلاد

---

١) روى الشيخ ابو صالح الارمنيّ (ص ٢٨) «ان عمر بن العاص والعرب الواصلين معه . . . وصلوا الى قصر مبنيّ بالحجارة بين الصعيد والريف سُمّي بابلون . . . وسمّوا ذلك المكان الفسطاط بلغتهم وتفسير هذه اللفظة الخيمة . وكذلك مقرّ الجمع (الشمع) بمصر سمّوه فسطاط بابلون» وقال ميخائيل الكبير (ص ٦١٩) بابلون اعني الفسطاط وكذا ابن العبري (ص ١٠٣) كما ذكرنا

جوندا . فظلّ اثناسيوس وأسرته في مصر احدى وعشرين سنة وكان يجلّ الاكليروس ويكرمهم وصرف المساعي الطيّبة في انشاء الكنائس وبذل الصدقات للبنائين والارامل وشاد كنيستين كبيرتين في فسطاط مصر . . . » (١

وذكر المقريزي كنيسة ثالثة للسريان في القطر المصريّ (٢ : ٥١١) قال :

« كنيسة بومنا (لعلّها تحريف يوحنا) هذه الكنيسة قريبة من السدّ فيما بين الكيمان بطريق مصر وهي ثلاث كنائس متجاورة احداها لليعاقبة (القبط) والاخرى للسريان والاخرى للارمن »

وذكر المقريزي للسريان كنيسة رابعة على اسم ماروثا قال (ص ٥١٧) :

« كنيسة ماروطا (ماروثا) القدّيس بناحية شمطا . وهم يبالغون في ماروثا هذا وكان من عظماء رهبانهم وجسده في انبوبة بدير بوبشاي من برّية شيهات يزورونه الى اليوم » . على ان دير الانا بيشاي المذكور كان يخصّ السريان كما سترى »

واورد المقريزيّ ايضاً (ص ٥١١) ذكر كنيستين في الخندق ظاهر القاهرة احداهما على اسم جبرائيل الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس . ويتبادر الى الظنّ ان احداهما كانت للسريان لانهم يعظّمون مرقوريوس ويعتنون بذكره وقد اقاموا على اسمه ديراً في القطر المصري كما سترى

اما الكنيسة السادسة فقد ورد اسمها في مخطوط لندن (عد ٣٢٢) على هذه الصورة : « نُسخ الجزء الثاني من كتاب الصلوات الفرضيّة السريانيّة سنة ١٠٠٧م في برّية الصعيد في عهد داود رئيس دير والدة الله . . والقس عبدا راهب كنيسة مصر » ولم يذكر الكاتب اسمها . وهذا الكتاب كان يستعمله كهنة هذه الكنيسة في صلواتهم القانونية

وكان للسريان كنيسة سابعة في سنموطية بمصر ذكرها الشيخ الفاضل جرجس ابن العميد ابي الياسر ابن ابي المكارم بن ابي الطيّب بن قرونية بن طيّب بن يوسف التكريتي السرياني مكمّل تاريخ ابي جعفر الطبري المطبوع سنة ١٦٢٥ بهمّة المستشرق ارنيوس في ليدن (ص ٢٩٩ و ٣٠٠) بقوله :

« وفي ايام الآمر بالله (١١٠١–١١٢٠) قدم من تكريت رجل نصراني سريانيّ تاجر اسمه

---

١) التاريخ الرهاويّ (ف ١٤٩ ص ١٨٩)

طيّب بن يوسف ومعهُ اعمال كثيرة من . . . الحرير عمل الهند واليمن . . . فقدم للخليفة من اجودها . . . وانعم عليه بقرية من اعمال الخوف اسمها جيدة بجاورة لدماص . ولمّا مات الخليفة الامر بالله انتقل الشيخ طيّب وسكن سنوطية وتزوّج ورزق ولدًا سمّاه قرويشة ومات الشيخ طيّب ودفن بكنيسة سنوطية . . .

ثم استتلى المؤرخ :

« امّا قرويشة فاشتغل بصناعة الكتابة وتصرف في الخدم الديوانية ورُزق ولدًا سمّاه ابا الطيّب باسم جدّه . وكان كاتبًا حاذقًا لبيبًا ورحل الى القاهرة واجتمع بالاكابر . . . فاستخدموه صاحب ديوان العربية . . . واقام سبع سنين واشهرًا . ورغب في الزراعات وكثرة المواشي . . . حتى صار ماله عشرين الف دينار . . . وكان له خمسة اولاد فصار منهم اربعة اساقفة واصغرهم ابو المكارم كانت له مواشي وزراعات وخلايا نحل تزيد على الف خلية . وتزوّج اخت المكين سمعان بن كليل . . . من اهل ميكائيل بشو . . . وخدم سمعان بديوان الجيش في ايّام الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٦٩-١١٧٣ ثم ترك الخدمة وترهّب بدير ابو يحنّس القصير بجرية الاسقيط بوادي هبيب . وولد ابو المكارم بن ابي طيّب ثلاثة اولاد النجيب ابو الفضل والعميد بو الياسر والد المؤرخ والمخلص ابو الزهر . وتوفيت زوجته فترهب وتوفي سنة ٦٠٦-١٢٠٩ واستخدم العميد بو الياسر في ديوان الجيش موضع خاله المكين سمعان . وكانت سيرته بين العالم مثل سيرة الرهبان القدّيسين . . . واقام بديوان الجيش ٤٥ سنة ومات في صفر (٦٣٦-١٢٣٨) وترقي الشيخ جرجس ابن العميد المؤرخ سنة ١٢٧٣

اما الكنيسة الثامنة فقد شادها التكريتيّون على اسم مار بهنام الشهيد تيمّنًا به لانه استُشهد في أوطانهم . وموقع هذه الكنيسة في مصر العتيقة قرب مقبرة اللاتين في يومنا . وقد ذكرها مخطوط مكتبة برلين (عدد ٢٥٩ ص ٧٩٠) المنسوخ سنة ١٧٣٤م على هذه الصورة « اوقف هذا الكتاب على بيعة القدّيس الشهيد . . . مار بهنام بمصر المحروسة » وتلي ذلك هذه العبارة : « نظر في هذا الكتاب . . . الراهب هندي بن اسحق الموصلي خادم دير مار بهنام المكوّن في محروسة مصر القاهرة سنة ١٧٩٦م » . وظلت هذه الكنيسة في حوزة السريان حتى تولى ادارتها وخدمة شعبها الربّان الياس ابن اميرخان الدياربكريّ السريانيّ الكاثوليكيّ الذي اوفده الى القطر المصريّ في ٦ تشرين الثاني ١٧٧٤م السيّد غريغوريوس يوسف قدسي مطران اورشليم († ١٧٩٧) كما يتّضح جليًّا من هذا الاعلام المحفوظ في خزائن الكتب بدير الشرفة وقد نشره جناب القيكونت فيليب دي طرّازي في كتابه « السلاسل التاريخيّة » (ص ٣٨١) واليك نصّهُ :

المجد لله دائماً

بسم الازليّ السرمدي الواجب الوجود الضابط الكلّ

غريغوريوس مطران اورشليم وابناء السريان وهو يوسف الحقير

اعلام لكلّ ناظر اليه وواقف عليه: انا قد رقّينا ولدنا الحبيب الربان الياس ابن امبرخان الديار بكرلي من درجة القسوسية الى وظيفة الحورنة على مذبح القديس مار جنام الكائن بحروسة مصر لكي يخدم حضرة اولادنا السريان المباركين القاطنين بالمدينة المذكورة بكافة لوازمهم الروحية. وصرّفناهُ في خدمة الاسرار الالهية ان يقدّس ويعرّف ويعمّد ويكلّل ويمسح ويتمّم جميع لوازمهم الروحية كما يجب من غير مانع. جعل الله ذلك عليه مباركاً. وقد تمّ ذلك بكنيسة السيدة بدير القديس مار افرام (الرغم بجبل لبنان في قرية الشبانيّة) في اليوم السادس من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٤م.»

فهذه الكنيسة قد اغتصبها الاقباط من السريان وبدّلوا اسمها الاصلي باسم مينا واستدّوا بها استبدادهم بسائر الكنائس والأديار التي كانت تخصّ السريان في وادي النيل

١٠ اديار السريان في القطر المصري

امتاز السريان منذ تنصّرهم بالرغبة في التقشف والنسك والزهد في حطام الدنيا والانقباض عن الناس والانقطاع الى الله عزّ شأنه فانتشرت الطريقة النسكيّة في بلادهم منذ مبادئ القرن الرابع وبلغت اوج الكمال في القرون المتوسّطة وأسّسوا ديورة ومعابد شتى نبغ فيها انام اتقياء وجهابذة نبلاء اتّصفوا باصناف المعارف وامتازوا باحلى الخلال المسيحية فأولوا العالم فضلاً واستوجبوا أطيب الثناء والشكر

على ان السريان كانوا قد شادوا مائة واربعة وعشرين ديراً في سوريا الجنوبيّة وردت اسماؤها واسماء رؤسائها في مخطوط لندن (عدد ٧٥٤ ص ٧٠١–٧١٤) المنسوخ نحو السنة ٥٧٠ م وقد وقّع هؤلاء الرؤساء اسماءهم في تلك الرسالة باللغة السريانيّة الّا ثمانية عشر منهم فقط امضوا اسماءهم باليونانية

وكان للسريان في براري ما بين النهرين وضواحيها وجبالها كنائس عديدة وديورة شتى أخنى عليها الدهر وصارت الى الضعضعة والدمار خصوصاً بعد ظهور الاسلام.

وقد اورد القلقشندي ما يؤيد هذا الكلام بقوله(١ : «وكان بالرها كنيسة عظيمة وفيها اكثر من ثلاثمائة دير للنصارى». قال في تقويم البلدان: «وهي اليوم خراب». يعني في اثناء الدولة الناصرية. ثم عمرت بعد ذلك. قلتُ: وهي اليوم عامرة آهلة». وقد ذكر المؤرخ الرهاوي عدداً من تلك الاديار وقال: «انهُ كان يعتكف فيها في القرن الرابع تسعون الف راهب(٢» وقد نشرنا على صفحات المشرق عدداً غفيراً من تلك الاديار التي تفقَّدناها بنفسنا ووصفنا ما كانت عليه من العزّ والشرف وما صارت اليه من الذلّ والدمار (٣

أمّا السريان الشرقيّون وهم الكلدان فقد ذكر لهم يشوع دناح صاحب كتاب العفّة زهاء مائة واربعين ديراً أنّها أئمة الرهبان في بلاد المشرق القاصية وفي فارس وبلاد العرب. وقد ذكر ايضاً توما المرغيّ النسطوري صاحب كتاب الرؤساء عدداً عديداً منها. وكلا الكتابين نشرهما الاب بولس بيجان اللازاري سنة ١٩٠١ وقد حدث لهذه الاديار ايضاً ما حدث لاديار السريان الغربيّين من الحيف والتعدّي والخراب

ولم يكتفِ السريان بتأسيس الاديار في أوطانهم بل قصدوا القطر المصري للاخذ عن رهبانهِ كما ذكرنا وشيَّدوا في براريهِ المقدَّسة اديارًا كثيرة اشتهر امرها وذاع في الآفاق ذكرها لِما نجم عنها من الفوائد الدينيَّة وما ابقته لعالم الادب من الآثار التاريخيَّة. وها اننا نسرد ههنا اسماء بعض تلك الاديار التي وقفنا عليها ملتمين بذكر ما جرى لها وما حلّ بها

اوّلاً دير مار رومانس الكبير المعروف بدير قسين (٤ . حلّ فيه يعقوب البراذعي إمام السريان المنوفستيين وفيه لقي حتفه هو واصحابه كما ذكرنا آنفاً (عدد ٤)

ثانياً دير بو ساويرس اوّل بطاركة السريان المنوفستيين الذي سار الى مصر كما

١) صبح الاعشى (٤ : ١٣٩)

٢) تاريخ الرهاوي (ف ٣٤ ص ١٠٨)

٣) اطلب مقالتنا في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٧٦٠) ورحلتنا في طور عبدين (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٥٦١-٥٧٨، ٦٦٢-٦٧٥ و٧٢٩-٧٥٤ و٨٢٥-٨٥٤)

٤) ميخائيل الكبير (ص ٣٦٥)

ذكرنا سنة ٥١٩ واقام فيها تسع عشرة سنة يجول من دير الى دير حتى وصل الى وادي هبيب منهزماً (١ ولمّا اخترمته المنيّة (+ ٥٣٨) شاد السريان فوق ضريحه ديراً فخماً سمّوه باسمه تيمّناً . وقد ذكره المقريزي بقوله :

«كان ساويرس من عظماء الرهبان فضل بركاً . وظهرت آية عند موته وذلك انه انذرهم لمّا سار الى الصعيد بانه اذا مات ينشقّ الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرّها . . ولمّا تمّ ذلك . . . علم رهبان هذا الدير بان ساويرس قد مات فأرّخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسمّوا الدير حينئذٍ باسمه (٢»

ثالثاً دير الزجاج درس فيه سيمون السرياني الذي تولى بطريركية الاسكندرية كما اوردنا آنفاً

رابعاً دير شمران ويُسمّى دير برصوما في حدود ناحية طرّا ذكره المقريزي (ص ٥٠) وقال انه : «مبني بالحجر واللبن وبه نخل وعدّة رهبان . . . وكان يُعرف قديماً بدير مرقوريوس (٣ او مرقوره . ثم لما سكنهُ برصوما بن اتيان عرف بدير برصوما»

خامساً دير الانطونيين . موقعه في قرية اناطون بالاسكندرية كان مورد الكتبة وطلاب العلوم السريانية وكانوا يستقون من مناهل كتبه وادبه قصده برصوما الحرقلي السرياني اسقف منبج في اوائل القرن السابع واكبّ فيه سنة ٦١٦ على تنقيح ترجمة العهد الجديد المنقولة من اليونانية الى السريانية . وصار اليه كذلك يعقوب الرهاوي + ٧٠٨ وغيره من ائمة السريان واكملوا فيه علومهم . وقد ورد ذكر هذا الدير ايضاً في مخطوط لندن (عدد ٨٥٣ ص ١٥٢) المنسوخ سنة ١٠٨١ م على هذه الصورة : «رسالة كتبتها حقارتنا (لعلّه اثناسيوس الجمّال بطريرك السريان) الى دير الانطونيين . الى ايسيدور وثاودور . . . مع نبذة من الرسالة التي كتبناها الى جماعة كنيسة الاسكندرية»

سادساً دير الخندق . كان مشيّداً على جانب مصر على ما ورد في تاريخ مخطوط لندن (عدد ٣١٨ ص ٢٥٨) وهذا تعريبه :

---

١) المقريزي (٢ : ٤٨٦) ٢) المقريزي (٢ : ٥٥٦)

٣) ورد ما يؤيد ذلك في مخطوط سرياني نُسخ في الدير المذكور سنة ١٣٦٥ م وهذا المخطوط يخصّ اليوم مكتبة الكلدان بماردين (عدد ٨٩) وفيه ان هذا الدير موقعه في جبل تورا وهي تصحيف طرّا

« انتهى نسخ الكتاب سنة ١١٦٦م كتبه وجلّده الراهب ابرهيم بن فولوس الغزاز بساعي السيدة عزيزة مربّية الملوك ومضيفة الغرباء ومشيّدة المذابح ومؤسسة الكنائس . . . وقد نُقل هذا الكتاب من كنيسة السريان في نابلس . . . واشتراه الربّان عزيز البرطلي في دير الخندق على جانب مصر سنة ١٠٩٧ وهي السنة الاولى لفتح اورشليم الهائل »

وذكره المقريزيّ (ص ٥٠٧) بقوله :

«دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريّها عمّره القائد جوهر عوضاً عن دير هدمه في القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر حيث البئر التي تُعرف الآن ببئر العظمة وكانت اذ ذاك تُعرف ببئر العظام من اجل انه نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق . ثم هُدم دير الخندق في ١٤ شوال سنة ٦٧٨-١٢٧٩م في ايّام المنصور قلاوون . ثم جدد هذا الدير . . . وعمل كنيستين»

فمن قوله عوضاً عن دير هدمه نستنتج انّه كان للسريان دير آخر مجهول اسمه عوّضه القائد جوهر وابتنى دير الخندق عوضاً عنه

سابعاً دير مار ثاودور . كان موقعه في الجبل الغربيّ ورئيسه لاونطي السرياني على ما وصفه مخطوط لندن (عدد ٣٤)

ثامناً دير مار مايكيل . كان هذا الدير في برية ماريس وقد ورد اسمه في مخطوط لندن (عدد ٧٥٢ ص ٦٦٦) على هذه الصورة : « اعتنى بهذا الكتاب . . . متى وابرهيم التكريتيان وانتهى نسخهُ سنة ٨١٦ م في برّية ماريس في دير مار مايكيل في عهد قرياقس بطريرك السريان († ٨١٧) ومرقس بطريرك الاسكندريّة

تاسعاً دير الانبا مقاريس . قال المقريزيّ (ص ٢ : ٥٠٨) :

« هو غير دير ابي مقار الكبير حيث كان يُرسم بطاركة الاسكندرية . وكان فيه من الرهبان الف وخمسمائة لا تزال مقيمة به . . . والمقارات ثلاثة اكبرهم صاحب هذا الدير ثم ابو مقار الاسقف »

وكان احد هذه الاديار الثلاثة يخصّ السريان وهو يبعد زُهاء ثلاث ساعات عن ديرهم الشهير المبني على اسم والدة الله . ويؤيد ذلك ما جاء في « كتاب المداريش مجموعة المخطوط سنة ٧٩٨ م في برية الصعيد في دير الانبا مقاريس (١ واعتنى باستنساخه « الانبا يوسف رئيس دير السريان المعروف بدير والدة الله في الصعيد »

عاشراً دير الانبا فولا . كان الى جانب دير مار انطونيوس وكان يحتوي على

١) اطلب فهرس مخطوطات لندن السريانية (عدد ٣٠٩)

مكتبة سريانيَّة معتبرة فاستحلّه الاقباط واستبدُّوا بمكتبته. ويؤيد ذلك ما ورد في حاشية عُلّقت على كتاب اسحق النينوي النسطوري (١ المصون في مكتبة لندن (عدد ٦٩٥ ص ٥٨٠) هذا شرحها :

« فليعلم اخوتنا الرهبان السريان القاصدون هذا الدير من بعدنا ان دين الانبا فولا القريب من دير مار انطون كان يخصّنا ايضاً وكان يشتمل حتى اليوم على كتب سريانيَّة عديدة فضبطه الاقباط واستحلّوه واستبدُّوا بكتبه ولم يتيسَّر لاحد منَّا ان يعارضهم او يحاججهم فيفكّه من يدهم ويردّه الينا . . »

حادي عشر دير الانبا انطونيوس. انهزم اليه قسطنطين رئيس دير والدة الله في صعيد مصر تفادياً من قيل الرهبان وقالهم وتملّصاً من فتنهم وفيه قضى أَجلهُ وخلّف بعض المخطوطات السريانيَّة (فهرس مخطوطات لندن عدد ٦٩٥)

ثاني عشر دير الانبا بيشاي. لهذا القديس اعتبار جزيل ومنزلة كبرى لدى السريان وقد زاره مار افرام السرياني على ما وصفنا وحادثهُ وظلّ السريان يكرمونهُ ويعزّزون ذكرهُ حتى ابتنوا لهم ديراً على اسمه . وكان مولد بيشاي في قرية بمصر تُدعى بسنيا وورق الله والديه سبعة ابناء كان هو اصغرهم ولمَّا كبر وترعرع قصد برية شهيات (٢ وزاول درس الكتب المقدَّسة ثلاث سنوات ثم انزوى في مغارة حقيرة وانضمَّ اليه كثير من الزهاد وضاع اريج قداسته في برية نيطرون وزاره مار افرام السرياني ومكث عندهُ اسبوعاً . ثم ارتحل بيشاي الى ماريس اي ثبانس واخذ يعلّم رهبانه عقائد الدين وتراءى له السيد المسيح وشجّعه على مواصلة اعمال التقشف ووعده بان سيكون له دير في الصعيد يؤمّه الكثيرون ويدعون باسمه . واقام القديس بيشاي في تلك البرّية ستين سنة غير السنين التي قضاها في ماريس وتوفي في ٨ آب وهو يقابل ٢ تموز (٣

---

١) نشرنا اخباره على صفحات المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٢١٥

٢) برية شهيات تعريف بحرية الاستيط والصعيد موقعها في وادي حبيب وهو وادي النيطرون وتسمى ايضاً ميزان القلب كما عرّفها السريان بقولهم « ܡܝܙܢܐ ܕܠܒܐ ܘܡܫܬܐܠܐ ܕܫܗܕܐ ܘܡܫܬܐܠܐ » وكان في هذه البرية قديماً مائة دير ثم صارت سبعة . . . وقد خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون الف راهب بيد كل واحد عصا فسلّموا عليه وكتب لهم كتاباً هو عندهم (المقريزي ٢ : ٥٠٨)

٣) اطلب سيرة القديسين طبع الاب بيجان بالسريانية ٣ : ٥٧٢-٦٣٠

البابا ليباريوس – البابا حنة – بطرس الرسول في رومية

ردّ على القس منّى يوحنا

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

يسوءنا ان ندخل في الجدال مع كتبة لا يطلبون الحقّ ولو ظهر لهم للعيان فيلتجئون الى المماحكات ويستقون حججهم من ذوي العداوة والغايات . فهذا القس منّى يوحنا صنف كرّاساً ذا ٢٤ صفحة ادّعى فيهِ انهُ يردّ على انتقادنا ليس لكتابهِ تاريخ الكنيسة القبطيّة الذي كنّا نجهلهُ وتتنذ بل لكتاب الراهب البرموسي «الخريدة النفيسة» الذي تعدّدت فيهِ الاغلاط التاريخيّة واللاهوتيّة فاكتفينا بتفنيد مسئلة واحدة جوهريّة من شأنها ان تنقض كلّ مزاعمهِ وهي مسئلة الارتباط بين كرسي رومية وكرسيّ الاسكندريّة ولم نستند في ردّنا إلّا الى اقوال الكنيسة القبطيّة نفسها فكنّا في انتظار جواب ذاك الكاتب ليقرّ بضلالهِ ويُذعن الى صوت كنيستهِ وآبائهِ . واذا قد انتصر لهُ بعد مضي عشرة اشهر القسّ منّى يوحنا وادّعى انّ ردودنا كان على كتابهِ تاريخ الكنيسة القبطيّة الذي طلبناهُ من مصر واطّلعنا عليهِ فاذا هو ضارب على وتر واحد مثل الراهب البرموسي . فشحن كتابهُ مزاعم عديدة يقتضي تمحيصُها وتفنيدها المجلدات الضخمة وما نسي الّا نقطة الجدال على ارتباط كنيسة الاسكندريّة بكرسي رومية امّ الكنيسة الاسكندريّة شاء المكابرون ام أبوا ما لم يُبطل الراهب البرموسي او نصيرهُ القس منّى ادلّتنا الساطعة

على انّ الكرّاس الجديد قد زاد الطين بلّةً بما اودعهُ صاحبهُ من المزاعم الواهية التي يخجل الكتبة الاثبات الاستناد اليها وهذه ثلثة منها نذكرها كمثل للدلالة على ضعف برهان القسّ منّى ان لم نقل على جهلهِ وسوء نيّتهِ

﴿١ مسئلة البابا ليباريوس﴾ ادّعى القسّ منّى انّ هذا البابا جحد الايمان وأمضى صكّاً اريوسيّاً وحكم على القديس اثناسيوس . وهذا المدّعى قد زيّفناهُ في مقالة سابقة رددنا فيها على المنار البيروتي ردّاً مفحماً في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٤٤٩–٤٥١) مستندين الى بيّنات اكبر علماء زمانّا العلماء البولنديين الذين اثبتوا انّ الاقوال

المنسوبة الى القديسين اثناسيوس وايلاريوس دسّها الاريوسيّون فلا يجوز التعويل عليها (١ . وكفانا برهاناً على قولنا انّ الكنائس كلّها على اختلاف نزعاتها تقيم عيدا لهذا القديس فالكنيسة اليونانيّة والسريانيّة في ٢٧ آب والكنيسة اللاتينيّة في ٢٣ ايلول والكنيسة القبطيّة في ٩ تشرين الاوّل. وجاء ذكرهُ في كلندار الاقباط بهذا الوصف «القديس ليباريوس المحامي عن الايمان» وكذلك في ميناون الروم الكبير «عيد ابينا القديس ومعترف الايمان ليباريوس اسقف رومية». وجاء في رسائل الحبرين الاعظمين اللذين خلفا القديس ليباريوس اي انستاس الاوّل وسيريسيوس مديح لايمان ليباريوس وطيب ذكره . ومثلهما اثنى عليه القديسون امبروسيوس وباسيليوس وابيفانيوس ثمّ تاودوريطس فيصفونهُ باوصاف الطوبى والقداسة وسعادة الذكر والثبات العجيب في الايمان . وهذا كلّهُ ينفي ما ادّعاهُ القس منسّى مخالفاً لكنيستهِ وكنيسة الله الجامعة ومنضمّاً للبروتستانت اعداء كنيستهِ وكنيستنا . فتأمل

﴿٢ البابا حنة﴾ هي المسئلة الثانية التي اوردها القس منسّي في كرّاستهِ ظنّاً منهُ انهُ يسودّ وجه الكنيسة الرومانيّة ولم يسوّد غير وجهه بذكرها . وهي خرافة اثبتنا اصلها ونصلها وخلوّها من كل اساس حتى لم يجسر اليوم رجلٌ عاقل من ذكرها وانوّ اعداء الكنيسة فضلاً عن اصحابها ببطلانها . فلا نريد ان نضيع الوقت بتكرار ما فندناهُ سابقاً . فلتراجع مقالتنا «خرافة البابا حنة» في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٨٥٤—٨٥٩) جواباً على ما اقترحهُ علينا احد ادباء البروتستانت ابرهيم افندي الرشي . . فكيف لم يخجل القس منسى من الرجوع الى قيّمهم سامحهُ الله

﴿٣ رئاسة القديس بطرس على كرسي رومية﴾ هي المسألة الثالثة التي عالجها القس منسى يوحنا ايرشق بها تعليم الكنيسة الجامعة المعلنة بان القديس بطرس دخل رومية وانشأ فيها كرسيّهُ الروماني المتولي على كراسي الكنيسة باجمعها . والادلّة على هذه الحقيقة ثابتة بشواهد خمسة عشر جيلاً الى ان قام البروتستانت وحاولوا نقضها كمألوف عادتهم ليس لبيان حقيقة مجهولة بل مكابرةً وعناداً

فاي برهان يمكنهُ ان يقنعك يا حضرة القس منسى للتسليم بهذه الحقيقة ؟

---

١) راجع المجلد السادس من شهر ايلول البولنديين وفيهِ (ص ٦٢٢-٥٧٢) مقالة مفعمة بالادلّة والبيّنات لتفنيد جحود القديس ليباريوس

١ أتريد ﴿ التأريخ ﴾ فهذه سلسلتهُ الراقية الى زمن الرسل وقرون الكنيسة الاولى كلّها بلسان واحد تشهد لهذه الحقيقة مباشرةً بالقديس اغناطيوس النوراني رئيس اساقفة انطاكية الذي في رسالتهِ الى اهل رومية (مجموعة الآباء لمين ٥ : ٨٠٨) يقول لهم انهُ «لا يريد ان يأمرهم كما امرهم الرسولان بطرس وبولس» (οὐχ ὡς Πέτρος καὶ Παῦλος διατάσσομαι ὑμῖν) . ومثلهُ اكليمنضوس تلميذ بطرس وخلفهُ على كرسيّهِ الروماني الذي ذكر الرسولين بطرس وبولس بين شهداء رومية في اضطهاد نيرون (مين ١ : ٢١٧) ويقول عنهما انهما « كانا لدينا افضل قدوة واحتملا ما يلزم الناس وقاسيا ضروب العذاب» . ومثلهما پاپياس تلميذ يوحنا الرسول الذي اثبت اوسابيوس المؤرخ (مين ٢٠ : ١٧٢) شهادتهُ عن تبشير بطرس في رومية . وكذلك ايريناوس في القرن الثاني (مين ٧ : ٨٤٥) يُفحم الهراطقة والمبتدعين باحالتهم الى « كرسي رومية الذي انشأهُ الرسولان المجيدان بطرس وبولس» . ثمَّ يذكر لينوس اوَّل خليفة بطرس . وكذا تجد مثل هذه الشواهد في الآباء القدماء كاقليمس الاسكندري واوريجانوس الخ الخ . وقد عيَّن اوسابيوس اوَّل مؤرخي الكنيسة (مين ٢٠ : ١٧٢) واوروسيوس (مين ٣١ : ١٠٧٥) الزمن الذي دخل فيهِ بطرس رومية اي في اوائل ملك كلوديوس . ولا ننكر ان القديس بطرس بشَّر في غير بلاد بعد دخولهِ الى رومية وقبل استشهادهِ فيها

٢ اتريد ﴿ شواهد الكنائس الشرقية ﴾ فانها جميعاً دون شذوذ تصرّح بما تنكره يا حضرة القس . فلو كان لحضرتك ادنى اطلاع على ما رواهُ اصحابك اليعاقبة المنوفستيُّون كابي الفرج ابن العبري وديونيسيوس برصليبا وميخائيل الكبير وبركيفا لما فاتك اقرارهم بهذه الحقيقة . ومثلهم النساطرة كطيموثاوس الكبير واليا الصوباوي وسليمان البصريّ وعبد يشوع وعمرو بن متى وتوما المرجي . وقد جمع شواهدهم البطريرك الكلداني الطيب الذكر عبد يشوع خياط . ولا يصعب علينا ان نأتي بشواهد عديدة من آباء اليونان وكتبهم كالقديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وفي سنكسارات هذه الكنائس وكتبها الرسمية كالمينايون والفنقيط والكاز فكلّها مشحونة بذكر بطرس هامة الرسل واوَّل اسقف رومة . تُراجع هذه الكتب خصوصاً في صلواتها يوم عيد القديسين بطرس وبولس في ٢٩ حزيران

٣ وهل تفضّل يا حضرة القس منسى ﴿شواهد كنيستك القبطيّة ومؤرخيها﴾ فراجع اليوم الخامس من شهر ابيب (٢ : ٢٠٥ من طبعة الكاهن فورجه) حيث يقال «ان بطرس دخل رومية وكرز فيها وعلّم وآمن على يده اكثر اهل رومية فقبض عليه نيرون الملك وامر ان يُصلب الخ» وكذلك جاء في اليوم السابع من مسري (٢ : ٢٥٩) : «صار (بطرس) خليفة برومية له الرئاسة على كافة رؤساء الدنيا». وان شئت مؤرخي كنيستك فهذا ابن المقفّع اسقف الاشمونيين مؤرّخ بطاركة الاسكندريّة (١ : ١٨) من طبعة العلّامة سَيْبولد» يقول صريحاً : «مضى بطرس ومرقس الى اعمال رومية وبشّرا هناك بكلام الله . . . ثم انفذ القديس بطرس ماري مرقس الاب الانجيلي الى مدينة الاسكندرية» ويسهل علينا ان نأتيك بشواهد اخرى من ابن العسّال وابن العميد وبهِ كفاية لمن لا يغضّ نظرهُ عن الحقّ

٤ ولعلّك تقنع ﴿بالشواهد الاثريّة﴾ فانزل معنا الى دياميس رومية تجد هناك عدداً لا يُحصى من الآثار منها صريحة لا سبيل الى نكرانها ومنها رمزيّة لا يشكل على احدٍ فهمُها وكلّها تتعلق بمجيء بطرس الى رومية ورئاستهِ واعمالهِ وموتهِ . وصور القديس امّا وحدهُ وامّا مع القديس بولس لا يكاد يضمّها احصاء والبعض منها يرقى الى اوائل القرن الثاني للمسيح قد اكتشفها كبار الاثريين كبرلسدّتي ودي روسي وغاروتشي وغيرهم . وقد نشر حضرة الاثري الاب لويس جلابرت اليسوعي مقالة ممتعة في هذا الشأن (المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٥٧٧ – ٥٨٥) فليراجعها القس منسّى ولينظر كم يرتكب شططاً في اقوالهِ

٥ ما لم يطلب منا حضرة القس شواهد من غير النصارى . فدونك ﴿شواهد من المسلمين﴾ وقد جمعناها في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٢١٧ – ٢٢٤) وهي لخمسة عشر كاتباً من اشهر كتبة الاسلام واقدمهم كابن رسته († ٢٩٥ – ٩٠٨) في كتاب الاعلاق النفيسة وابي جرير الطبري († ٣١٠ – ٩٢٢) في تاريخهِ . والمسعودي († ٣٤٦ – ٩٥٧) في مروج الذهب وفي كتابهِ التنبيه والاشراق . والاصطخري († ٣٥٠ – ٩٦١) في مسالك الممالك . وابن حوقل († ٣٨٠ – ٩٩٠) في المسالك والممالك . والثعلبي († ٤٢٧ – ١٠٣٥) في قصص الانبياء . والشهرستاني († ٥٤٨ – ١١٥٣) في كتاب الملل والنحل . والشريف الادريسي († ٥٦٠ – ١١٦٥) في نزهة المشتاق . ثمّ ياقوت وابن الاثير وابو

الفداء وابن الوردي وابن بطوطة وابن خلدون والمقريزي . فاذا يطلب القس منى بعد كل هذه البراهين ؟ وهل يفضل عليهم اعداء كنيسته البروتستانت لمجرد بغضهم لكنيسة المسيح الحقيقية التي ضربت اضاليلهم بالحرم وبذلك خدمت كنيسة القديس مرقس كما دافعت عن حقوق الايمان ؟ فالى متى ينخدع المنفصلون بترّهات المتشدقين ؟

مطبوعات شرقية جديدة

Chr. Pesch S. J. : PRÆLECTIONES DOGMATICÆ t.2. De Deo Uno et Trino. *Ed.* 5ª *et* 6ª, *Marks* 10, 40 — II. COMPENDIUM THEOLOGIÆ DOGMATICÆ. *t.* 2, *ed.* 3ª, *Marks* 7, 40, *Herder*, *Freiburg in Breisgau*,

دروس لاهوتية في توحيد الله وتثليث اقانيمه . ثم مختصر اللاهوت النظري

ان رضى ارباب المدارس بتآليف حضرة الاب پيش اليسوعي لمّا ظهرت لاول مرّة قبل ٣٠ سنة لم يخمد مع الزمان فترى طبعاتها تتوالى [illegible] لا يزال يعيد فيها النظر لاصلاحها وتحسينها . فهذه الطبعة [illegible] صفحة عن الطبعة السابقة . نخص بين هذه التحسينات ذكره قبل كل قضية لاهوتية رتبتها في المعتقدات الكنسية أهي من الايمان او ثابتة فقط بتعليم اللاهوتيين او هي موضوعة على بساط البحث والجدال — وللاب پيش كتاب آخر الجزء كذلك طبعته الثالثة وهو الجزء الثاني من مختصره للاهوت النظري . الذي وجدنا فيه تحسيناً محسوساً على الطبعة الثانية لاسيما في عرضه للادلة على صورة مدرسية مدققة خالية من التوافل الزائدة . على اننا كنا نود لو اقتصر على بعض آيات الاسفار المقدسة وأوضح قوتها من البرهان فذلك أفضل من عرض كثير منها دون الدلالة على ما فيها من الحجة لاثبات القضايا ولعله ترك الامر لعناية المعلمين . وقد احسن باضافة لائحة الكتب التي يحق على الطالب ان يراجعها بعد كل مادة الاب ف . تورنيز

Hermannus Dieckmann: DE ECCLESIA, tractatus historico-dogmatici. tom. I, de Regno Dei, de Constitutione Ecclesiæ. *in*-8°, *Herder*, 1925. *pp.* XXI-555, *Prix* : 14 *Marks*.

دروس لاهوتي نظري تاريخي في الكنيسة ونظامها

الاب ديكمان اليسوعي من اساتذة اللاهوت الممتازين . وضع هذا الكتاب في

الفداء وابن الوردي وابن بطوطة وابن خلدون والمقريزي . فاذا يطلب القس منى بعد كل هذه البراهين ؟ وهل يفضل عليهم اعداء كنيسته البروتستانت لمجرد بغضهم لكنيسة المسيح الحقيقية التي ضربت اضاليلهم بالحرم وبذلك خدمت كنيسة القديس مرقس كما دافعت عن حقوق الايمان ؟ فالى متى ينخدع المنفصلون بترّهات المتشدقين ؟

مطبوعات شرقية جديدة

Chr. Pesch S. J. : PRÆLECTIONES DOGMATICÆ t.2. De Deo Uno et Trino. *Ed.* 5ª *et* 6ª, *Marks* 10, 40 — II. COMPENDIUM THEOLOGIÆ DOGMATICÆ. *t.* 2, *ed.* 3ª, *Marks* 7, 40, *Herder*, *Freiburg in Breisgau*,

دروس لاهوتية في توحيد الله وتثليث اقانيمه . ثم مختصر اللاهوت النظري

ان رضى ارباب المدارس بتآليف حضرة الاب پيش اليسوعي لمّا ظهرت لاول مرّة قبل ٣٠ سنة لم يخمد مع الزمان فترى طبعاتها تتوالى [illegible] لا يزال يعيد فيها النظر لاصلاحها وتحسينها . فهذه الطبعة [illegible] صفحة عن الطبعة السابقة . نخص بين هذه التحسينات ذكره قبل كل قضية لاهوتية رتبتها في المعتقدات الكنسية أهي من الايمان او ثابتة فقط بتعليم اللاهوتيين او هي موضوعة على بساط البحث والجدال — وللاب پيش كتاب آخر الجزء كذلك طبعته الثالثة وهو الجزء الثاني من مختصره للاهوت النظري . الذي وجدنا فيه تحسيناً محسوساً على الطبعة الثانية لاسيما في عرضه للادلة على صورة مدرسية مدققة خالية من التوافل الزائدة . على اننا كنا نود لو اقتصر على بعض آيات الاسفار المقدسة وأوضح قوتها من البرهان فذلك أفضل من عرض كثير منها دون الدلالة على ما فيها من الحجة لاثبات القضايا ولعله ترك الامر لعناية المعلمين . وقد احسن باضافة لائحة الكتب التي يحق على الطالب ان يراجعها بعد كل مادة الاب ف . تورنيز

Hermannus Dieckmann: DE ECCLESIA, tractatus historico-dogmatici. tom. I, de Regno Dei, de Constitutione Ecclesiæ. *in*-8°, *Herder*, 1925. *pp.* XXI-555, *Prix* : 14 *Marks*.

دروس لاهوتي نظري تاريخي في الكنيسة ونظامها

الاب ديكمان اليسوعي من اساتذة اللاهوت الممتازين . وضع هذا الكتاب في

بيان حقيقة الكنيسة وصفاتها. فانجز القسم الاول منهُ وقد تحقَّقنا بمراجعتهِ مقدرتهُ في الابحاث اللاهوتيَّة فشوَّقنا الى قسمهِ الثاني الذي سيبحث فيهِ عن نظام الكنيسة ودرجاتها ورؤسائها وتعليمها. كما يستدلّ عليهِ من مقدَّمتهِ التي اودعها نظرًا عموميًّا عن مضامين كتابهِ وطريقتهِ في ابحاثهِ عن التآليف التي استند اليها لاثبات قضاياه. ومما امتاز بهِ انهُ جمع بين الحقائق اللاهوتيَّة والآثار التاريخيَّة التي توافقها لاسيما الحديثة الكشف. وقد وجدنا ادلَّتهُ ثابتة مقنعة لمن يطلب الحقّ وقد اتَّسع خصوصاً في القضايا التي ينكرها البروتستانت مع الاشارة الى اضاليل الروم والشرقيين التي يُحيل القرَّاء في دحضها الى تآليف الاب دربيني (d'Herbigny) عن الكنيسة. ومما لحظناهُ في هذا الكتاب بعض الاطالات الناقلة ثمَّ ينقصهُ شيء من الوضوح في بعض الابواب ويا ليتهُ كان قدَّم على كلّ فصل صورة محتوياتهِ مع بيان رتبتها في سلَّم المعتقدات. وكذلك رأينا براهينهُ موضحة باسهاب فلو عرضها على طريقة مدرسيَّة جامعة مانعة لظهرت قوَّتها بكل جلاء. الاب جان كابلُو

Dr Jac. Schmitt: Manna quotidianum Sacerdotum.3 *vols, in*-12, 5e *éd., Herder et Cie, Fribourg. Prix* 14 *Marks.*

المنّ اليومي للكهنة

هو المنُّ الذي وصفهُ السيد المسيح اعني سرّ قربانهِ الاقدس الذي بهِ تنوط كل الحياة الكهنوتيَّة. فان الاب شميت صاحب هذا الكتاب جعلهُ بوفرة مضامينهِ كدستور الكهنة اليومي يستقون من مواردهِ ما ينعش فيهم روح العبادة في اقامة الرتب الكنسيَّة ولاسيما تقدمة الذبيحة الالهيَّة. ومن حسناتهِ تأملات وجيزة لكل ايام السنة يستعدُّ بها الكاهن لتقديس حياتهِ وافادة المؤمنين المتعبدين للقربان الالهيّ. والكتاب غاية في الاتقان من حيث طبعهِ وجودة صورتهِ ج. ل

G. Dujarric: Manuel de Chronologie de l'Histoire de France. 1 *vol. in*-12, *Paris, Albin Michel éditeur, Prix* 7 *f*. 50

دليل سباق اخبار تاريخ فرنسة

قد وجدنا في هذا الدليل ما كنا نتمناه من المعلومات العموميَّة والخصوصيَّة الَّا بعض الاسهاب في وصف الحرب الكونيَّة الاخيرة. ومما استحسناه ما ادرجه المؤلف في كتابهِ عن تواريخ الازمنة التي شاعت بين الامم وجداول عديدة تحتوي ذكر ملوك الدول ورؤساء حكوماتها ثم مختصر اخبار الحروب والمعاهدات التي جرت في العالم

مع تعريف دساتيرها وشرائعها . وفي آخر الكتاب فهارس مدقّقة على ترتيب حروف المعجم . والكتاب لطيف الحجم جميل الطبع قليل الاغلاط الطبعيّة

ROMA. PIANTA MONUMENTALE CON 300 ILLUSTRAZIONI. Edizione Maglione e Strini, *Roma*, 1925, *Prix* 5 *lires*.

رسم مدينة رومية مع ٣٠٠ صورة من ابنيتها وآثارها

نُشر هذا الرسم بنسبة السنة اليوبيلية حيث يتوارد الى رومية الالوف المؤلفة من الزوّار . وهو يشمل كل انحاء المدينة المقدّسة حتى قصورها المشيّدة فوق آكامها الى شواطئ البحر . ومن مميزاته تعريف موقع كل اثر مع بيان خواصّه الهندسيّة . هذا فضلًا عن عدّة فوائد لا يستغني عنها الغرباء جمعها صاحب هذا الكتاب في ١٦ صفحة فأجاد

André (Louis): HISTOIRE ÉCONOMIQUE depuis l'Antiquité jusqu'à nos jours. 1 *vol. in*-16, 3° *éd.*, 210 *pp.*, *Paris*, *Libr. Alcan*, *Prix* 9 *f*.

التاريخ الاقتصادي منذ الازمنة القديمة الى يومنا

لم يقصد مؤلف هذا الكتاب الاتساع في تاريخ الاقتصاد في القرون السالفة انما عرضهُ ملخصاً لناشئة وطنهِ وهذا ما دفعهُ الى ان يجعل لفرنسة القسم الاوفى في درسهِ ويقتصر في بيان احوال الدول الاوربيّة سواها . بيد انَّ كتابهُ لا يخلو من منافع عديدة لغير مواطنيهِ ايضاً وخصوصاً لاساتذة التاريخ الذين يكتفون بنظر عمومي عن طرائق الاقتصاد في سائر انحاء العالم ج . ل

Christo M. Macri . L'organisation de l'économie urbaine dans Byzance sous la dynastie de Macédoine (867-1057). 1 *vol. gr.in*-8°, *Paris*, 1925, *Librairie R. Guillon*, *Prix* 15 *f*.

تدبير الاقتصاد المدني في بوزنطية

كان التاريخ البوزنطي قبل خمسين سنة مجهولًا فيرميه الجمهور بسهام الملام والاحتقار . ومنذ ذاك الحين توفّرت التآليف التي اظهرت بوزنطية في هيئة جديدة . يؤيد هذا الحكم احد المخطوطات المكتشفة حديثاً في مكتبة جنيفا يعرف «بكتاب المحتسب» ويحتوي على تفاصيل خطيرة في احوال بوزنطية الاقتصاديّة على

عهد السلالة المقدونيّة التي ضبطت هناك زمام الحكم . ويفسّر تنظيم النقابات وعلائق الافراد مع الحكومة في الصناعة والتجارة . وعلى هذا الكتاب بنى المسيو كرستو مكري تأليفه الذي نحن بصدده فاستخرج فوائده لمنفعة اهل زماننا . على انّ الكاتب اجنبيّ لم يحسن الكتابة في الافرنسيّة فلم يوضح عن افكاره بجلاء . ولو استند الى ما كتبهُ في ذلك بعض المتضلّعين من المستشرقين لأصاب الهدف . ومن فصوله الحسنة الفصل الباحث عن تجارة القزّ والحريريّات في ذلك العهد ج . ل

LE COMTE ALBERT DE MUN: sa vie publique, par Jacques Piou, 1 *vol.*, *in*-8°, *pp.* 356, *Ed. Spes*, *Paris*, 1924, *Prix* 15, *f*°

ترجمة الكنت البير دي مون

قليلون في فرنسة الرجال الكاثوليك بين العاملين الذين أدّوا خدماً جليلة للدين والوطن معاً كالكنت البير دي مون . فهذا البطل المقدام منذ الحرب السبعينيّة الى الحرب الكونيّة كان كروح كلّ المشروعات الكاثوليكيّة يحييها بمثله وينعشها بخطبه البالغة من البلاغة والتحمّس اقصى الدرجات فانّهُ جاهد الجهاد الحسن واستحقّ اعتبار اعدائه فضلاً عن اصحابه وابقى لهُ ذكراً طيّباً أحبّ ان يخلّد عرفهُ احدُ اصحابه ورفيقهُ في جهاده عن صوالح الكنيسة وفرنسة الكاثوليكيّة وهو الخطيب المصقع والكاتب المُجيد «جاك بيو» . وقد جاء كتابهُ في وقته اذ يحاول اعداء الدين تجديد حملاتهم على الكنيسة ولا يحجمون عن تعريض وطنهم لاخطار الشيوعيّة . فنعمَ العمل وحبّذا الكاتب ل . ش

Eugène Tavernier. CINQUANTE ANS DE POLITIQUE. : L'œuvre d'irréligion. 1 *vol. in*-8° *s. d.*, *Paris*, *Ed. Spes*, *Prix* 15 *f*°

خمسون سنة في السياسة اللادينيّة

هذا كاتب آخر من المجاهدين في سبيل وطنهم ممّن عرفوا أتمّ معرفة تاريخ فرنسة ومعاصريهم . اراد ان يبين في هذا الكتاب الضربات الاليمة التي دهمت فرنسة في نصف القرن السابق حيث تحزّب اعداء الدين واستفدوا القوى لدك اساسه وتقويض اركانه في قلوب الشبيبة فانّهم وان لم يدركوا كل مبتغاهم قد زرعوا في نفوس الناشئة بذور الكفر والخلاعة وأعدّوا لوطنهم مستقبلاً سيئاً ولاعدائه أملاً

قويًا في مناهضته . ولئلّا ينسب احدٌ الكاتب الى المبالغة والغلوّ قد اسند كتابهُ الى كلام الرجال الموثوق بهم فبيَّن ما للقوم من النيّات المستقبحة التي وضعوا لها لائحةً يسعون كل السعي في تغليبها وهي اذا تمّت اوقعت فرنسة في دركات الخراب ل . ش

Henri de Regnier. de l'Acad. française. Scènes MYTHOLOGIQUES suivies de petites fables modernes. 1 *vol. Paris*, 1924, *Soc. d'édit. «Le Livre»*. *Prix* 6 *f*, 75

مشاهد اساطير الاوّلين

ليس تحت هذا الكتاب كبير امر . ولولا ان صاحبهُ من اكاديمية فرنسة لبقي خاملًا مجهولًا . فانهُ عرض فيهِ خيالاتهِ عن احوال القدماء في خرافاتهم الدينيّة والحقها بامثال حديثة مبتكرة لا تزيد الكتاب نفعاً يُذكر ج . ل

Benda (Julien) : Lettres à Mélisande pour son éducation philosophique. 1 *vol. in*-16, *Paris. ibidem*, *Prix* 7 *f*, 50

رسائل الى ميلزندة لتربيتها الفلسفيّة

انّ [illegible] عادةً [illegible] يلا [illegible] [illegible] بندا صاحب هذا [illegible] ان يقرّب اليهنّ الابحاث الفلسفيّة فتخيّل سيّدةً نصّاً يعرض عليها مسائل فلسفيّة قريبة المنال ممّا يستحقّ الاعتبار في نظر النساء كمعرفة الخاصّ والعام وخواصّ النفس والاحساسات والغايات الخ . وذلك بانشاء سهل يمزج فيهِ الفكاهات التي من شأنها ان تثير رغبةً في مطالعة الكتاب . هذا فضلًا عن ظواهرهِ اللطيفة من حجم وورق وحروف طبعيّة ل . ش

ELÉMENTS DE MATHÉMATIQUES SUPÉRIEURES (Cours de Mathématiques Générales) par **H. Vogt.** 1 *vol. in*-12, *Paris, Vuibert*, 12e *Éd.*, 1925, *Prix* 40 *f*

مبادئ الرياضيّات العليا . الدروس العموميّة

عديدة هي التآليف المختصّة بالرياضيّات العموميّة ممّا وُضع لافادة الطبيعيين والكيميويّين وتلامذة مدارس الهندسة . وبينها ما هو حسن جدًّا ومن جملتها الكتاب المعنون آنفاً كما تشهد لهُ طبعاتهُ الاثنتا عشرة . وهذه الطبعة الحديثة تستوجب الثناء

بما أُضيف اليها من التحسينات بل الأَولى ان يقال ان مؤلفها المسيو فوغت اخرجها على صورة جديد غاية في الحسن والذوق فانهُ ألفت النظر الى بعض المسائل الحسابيّة المهمّة كاحصاء القراطع واتسع في شرح القضايا العويصة التي تمتاص على الطلبة وتفنّن في التمرينات التي تسهّل حلّ المشاكل الحسابيّة للدارسين الذين يُحرمون من تعليم المعلّمين. وعلى رأينا ان المؤلف قد اصاب الهدف وعرف السير في الطريق الوسطى مبتعدًا عن الاسهاب المملّ والتقصير المخلّ ومجتهدًا في كل صفحاته بان يثبت بين العلم والعمل ولعلّهُ بنظره هذا قد اكتسب ثقة الدارسين الاب انطون غرّنج

COURS GRADUÉ DE TRADUCTION pour les Classes Supérieures dans les deux langues française et arabe par Joseph Alouan missionnaire Lazariste, 1re Partie, Livre du Maître, *Beyrouth. Impr. Cath.*, 1925, *pp.* 91, *Prix* 6 *f*

مرقاة المترجم للاب يوسف علوان المرسل اللازري

هو الكتاب المدرسي الذي اشرنا اليهِ في عددنا السابق واثنينا على مؤلفه وهذا القسم هو كتاب المعلم الموافق لهُ يترّب للاساتذة عملهم باصلاح ما في كتاب التلميذ من المشاكل. يُطلب من مؤلفه وثمنهُ ٣٠ قرشًا سوريًا

كتاب كنز البراهين

تأليف فوزي الساعاتي

طُبع بمطبعة الفيحاء في الشام سنة ١٣٤٣

يدّعي صاحب هذا الكرّاس انهُ جمع في مقالته كنزًا من البراهين ولا نراهُ إلّا مجموعًا من السفسطات يقتضي تفنيد كل سطر منهُ مقالةً منفردة فان كان صاحبهُ يريد الجدال فلا نأباهُ على شرط ان يُحصَر في نقطة واحدة ومسألة منفردة ولا ينتقل الخصم منها الى سواها حتى يقتنع على صحتها الفريقان. فكم وكم في هذا الكرّاس من المزاعم الباطلة والحجج الواهنة في تأليف الانجيل والمعتقدات النصرانيّة كالتوحيد والتثليث والتجسُّد والفداء وغير ذلك ممّا رواهُ عن اعداء النصرانيّة او اهل الشيع والمبتدعين . وقد رددنا في الشرق على بعض هذه الاضاليل كاثبات لاهوت السيد

المسيح (في ردنا على المنار المصري) وكتثليث الاقانيم في الاله (ردًّا عليه وعلى التنير) وكصحّة الاناجيل المقدّسة . وكل ذلك بادلّة واضحة وبراهين عقلية ونقلية ولم يَقُم احد من المسلمين لتفنيدها . وعندنا انّ الجدال بالكتابات لا يأتي بنتيجة بل يفضي الى نضال وشتام ويزيد سوء الفهم بين المجادلين فان كان احد يطلب الحقيقة فليعرض مشاكلهُ على من لهُ قدرة في حلّها ويطلب من الله ان يزيل من فكره الشكوك ويؤهلهُ الى معرفة الدين الحقّ دون مكابرة ولا عناد . هذا وليس في فكرنا ان نصدّق على ما يكتبهُ المبشّرون الاميركان في هذا الشأن مع ما في شيعهم المتعدّدة من المناقضات وانّما نتكلّم عن كنيسة المسيح الوحيدة المقدسة الكاثوليكية التي حفظت وديعة الايمان كما تسلّمتها من السيد المسيح ورسله على الرغم من كل البدع التي تعرّضت لها فاتت البدع والوديعة لا تزال سالمةً ثابتة في ايدي كنيسة الله لم تُصَبْ باذى وهكذا ستبقى الى منتهى الدهر لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه

ل . ش

فتاة الناصرة

رواية تمثيلية في اربعة فصول . تأليف الخوري بولس البستاني
طبع بالمطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٢٥ (ص ٧٤)

انّ في احداث الاسفار المقدّسة موارد لا تنفد لمن يريد تأليف روايات تمثيليّة شعريّة او نثريّة . فانّ الشاعر الاسباني كلدرون ألّف نحو ثلثمائة رواية بناها كلها على بعض اخبار الكتاب المقدّس . ومن ثمّ قد استحسنّا اختيار حضرة الخوري بولس البستاني لاخبار سرّ مولد السيّد المسيح فبنى على تفاصيلها الواردة في الانجيل رواية شائقة دعاها فتاة الناصرة ضمّنها اخبار البشارة بيوحنا المعمدان ثمّ بالسيّد المسيح الى مريم العذراء وشفعها بذكر مولد يسوع في بيت لحم ومجيء المجوس الى اورشليم وسجودهم للربّ وختمها بقتل هيرودس للاطفال وبموته عقيب فعله الاثيم وبنجاة العائلة المقدّسة من ظلمه فيظهر ملاكان يقول اولها : مات الظلوم حسرةً وكمدا . ويردف الثاني : عاش المسيح المرتضى مؤيّدا . فنهنئ حضرة المؤلف على تصنيفه هذه الرواية التي يحسن بطلبة المدارس ان يمثّلوها في موسم ميلاد الربّ فلا شكّ انها تروق مشاهدها في اعين الحضور وتشنّف مسامعهم بنثرها السلّال وشعرها الاصيل ل . ش

الحياة النباتيَّة

بقلم امين الغريّب صاحب مجلة الحارس

طُبع في بيروت في مطبعة جان درك سنة ١٩٢٥ (ص ١١٠)

يعلم القرَّاء كم يحتاج الوطنيّون الى كتب علميَّة في لغتهم. فهذا كتاب يسدُّ بعض تلك الثلمة وضعهُ احد ادبائنا المعروفين بالهمَّة وسعة المعارف اخذ تبويبهُ عن المؤلف الانكليزيّ جرانت ألن وبنى معظم فصولهِ على اساسهِ واضاف اليهِ ما اقتبسهُ من التآليف الحديثة للنباتيّين وغيرهم فاخرجهُ على صورة جامعة بين الفائدة واللذَّة. ونقترح على جنابهِ ان يختصرهُ ويجعلهُ كتاباً مدرسيًّا ذا اسئلة واجوبة مزداناً بالتصاوير

كتاب خطط الشام

الجزء الاول: تأليف محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربيّ

طُبع في المطبعة الحديثة بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥م (ص ٣٠٨)

جمع المقريزيّ في كتابهِ الخطط والآثار من الاخبار والمعلومات عن مصر ووادي النيل ما لا يُقدَّر ثمنهُ. فصاحبُ جناب السيد كرد علي ان يجاريهُ برسم خطط الشام وآثارها وهو نعم الفكر الذي لا يمكن ان يقوم بهِ غير الجهابذة مثلهُ لما يُحتاج اليهِ من المعارف الواسعة والمطالعات العديدة في اللغات الوطنيَّة والاجنبيَّة. وقد سبق جنابهُ ونشر قائمة المصادر التي استند اليها في كتابهِ ولعلَّهُ كان زادنا افادةً لو وضع في ذيل كلّ صفحة اسماء الكتب التي رجع اليها في كلّ فصل خاصّ. وعلى كل حال اننا نشكر سيادتهُ على هذا العمل الجليل. ولنا فيهِ ملحوظات نؤجلها الى فرصة أُخرى فنفرد لهُ مقالةً خاصَّة ان شاء الله نبيّن فيها حسنات الكتاب وبعض ما وقفنا عليهِ من النقص وليس الكمال إلَّا لله

ل. ش.

مقالة في الوحي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٧٠)

انَّ للابحاث الدينيَّة رجالها الذين عرفوا صحيحها من باطلها وسمينها من غثّها.

والعجب ان بعض المتهوّسين ممّن لا إلمام لهم بها يحتكّهم اللسان فيكتبون في العقائد الدينيّة ويشطّون في بيانها شططاً بعيداً. فمن ذلك ما قرأناه في بعض الجرائد عن الوحي وحقيقته وإمكانه وضرورته ما يناقض تماماً تعاليم الكنيسة وأربابها. فتزييفاً لهذه المناسف حرّر حضرة الاب شرل ابيلا عدّة مقالات نشرتها مجلّة المشرق بيّن فيها المؤلف ما يجب على كل عقل صائب ان يقبلهُ من هذا الوجه او يحجّهُ على حسب ما قرّرهُ الآباء وكبار اللاهوتيين استناداً الى الاسفار المقدّسة والتقاليد المتواترة فجمعنا تلك الفصول ونشرناها على حدةٍ ليسهل على القرّاء الرجوع الى فوائدها. ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — برنامج جمعية اخوية الفقراء لسنتها الثامنة والعشرين ١٩٢٤ — وهي قد صرفت في سبيل الخير ٣٦٥,٦٥٠ قرشاً سورياً جازى الله كل المحسنين اوفى جزاء.

٢ — التحفة الادبيّة — من اعمال الجمعيّة الانطونيّة بيت لحم لسنة ١٩٢٤—١٩٢٥ طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسكان في القدس الشريف. بلغت واردات الجمعيّة ٥٢,٦١٠ قرشاً صرفت منها في سبيل البرّ ٢٥,٣٤٢ قرشاً

٣ — اخاص العواطف — هو مجموع لطيف من قصائد عامرة الابيات رثاء اساتذة وتلامذة مدرسة ميفوق اي قدس الاباتي بغداس الاسقف طوبس داعر التشوري رئيس الرهبانية اللبنانيّة العامّ بمناسبة عودته من زيارة رومية العظمى لحضور حفلات يوبيل سنة ١٩٢٠ المقدّسة طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة. بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٢٤)

٤ — ديوان الملّاط — بلغ الى يدنا بعد نجاز صفحات المشرق فنرجئ الكلام عنهُ الى عدد آخر

٥ — مناهج الكمال في اسس الخصال — يحتوي على بعض فصول ادبيّة تأليف عمر علي اسماعيل معلّم مدرسة شحيم في اقليم الخرّوب. طُبع في بيروت بمطبعة الانتصار سنة ١٩٢٤ (ص ٣٦)

شذرات

﴿افادة عن علي بن زيز النصراني﴾ لما سألنا الاديب يوسف افندي صفير أن نفيدهُ عن المسمّى علي بن زيز النصراني الذي ورد ذكرهُ في مجلّة المقتبس (٤: ٥٥٨)

والعجب ان بعض المتهوّسين ممّن لا إلمام لهم بها يحتكّهم اللسان فيكتبون في العقائد الدينيّة ويشطّون في بيانها شططاً بعيداً. فمن ذلك ما قرأناه في بعض الجرائد عن الوحي وحقيقته وإمكانه وضرورته ما يناقض تماماً تعاليم الكنيسة وأربابها. فتزييفاً لهذه المناسف حرّر حضرة الاب شرل ابيلا عدّة مقالات نشرتها مجلّة المشرق بيّن فيها المؤلف ما يجب على كل عقل صائب ان يقبلهُ من هذا الوجه او يحجّهُ على حسب ما قرّرهُ الآباء وكبار اللاهوتيين استناداً الى الاسفار المقدّسة والتقاليد المتواترة فجمعنا تلك الفصول ونشرناها على حدةٍ ليسهل على القرّاء الرجوع الى فوائدها. ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — برنامج جمعية اخوية الفقراء لسنتها الثامنة والعشرين ١٩٢٤ — وهي قد صرفت في سبيل الخير ٣٦٥,٦٥٠ قرشاً سورياً جازى الله كل المحسنين اوفى جزاء.

٢ — التحفة الادبيّة — من اعمال الجمعيّة الانطونيّة بيت لحم لسنة ١٩٢٤—١٩٢٥ طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسكان في القدس الشريف. بلغت واردات الجمعيّة ٥٢,٦١٠ قرشاً صرفت منها في سبيل البرّ ٢٥,٣٤٢ قرشاً

٣ — اخاص العواطف — هو مجموع لطيف من قصائد عامرة الابيات رثاء اساتذة وتلامذة مدرسة ميفوق اي قدس الاباتي بغداس الاسقف طوبس داعر التشوري رئيس الرهبانية اللبنانيّة العامّ بمناسبة عودته من زيارة رومية العظمى لحضور حفلات يوبيل سنة ١٩٢٠ المقدّسة طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة. بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٢٤)

٤ — ديوان الملّاط — بلغ الى يدنا بعد نجاز صفحات المشرق فنرجئ الكلام عنهُ الى عدد آخر

٥ — مناهج الكمال في اسس الخصال — يحتوي على بعض فصول ادبيّة تأليف عمر علي اسماعيل معلّم مدرسة شحيم في اقليم الخرّوب. طُبع في بيروت بمطبعة الانتصار سنة ١٩٢٤ (ص ٣٦)

شذرات

﴿افادة عن علي بن زيز النصراني﴾ لما سألنا الاديب يوسف افندي صفير أن نفيدهُ عن المسمّى علي بن زيز النصراني الذي ورد ذكرهُ في مجلّة المقتبس (٤: ٥٥٨)

وبيّنا تصحيفهُ « بابن رين » في فهرست ابن النديم (ص ٣١٦) و« بابن زين » في معجم البلدان وفاتنا ان نذكر صورة ثالثة وردت في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ٣٠٩) ولعلّها هي الصواب فدعاهُ ابن رَبَّن الطبريّ وقال اسمهُ ابو الحسن علي بن سهل ثمّ روى عنهُ انهُ كان كاتباً لمازيار بن قارن وانهُ اسلم على يد المعتصم وادخلهُ المتوكل في جملة ندمائه . فهذا ما نبّهنا اليهِ جناب عبّاس إقبال سكرتير البعثة العسكريّة الايرانيّة في باريس في كتاب حرّرهُ في بيروت في ١٢ حزيران ١٩٢٥ . هذا وقد مرَّ لنا ذكر علي ابن ربَّن في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٥٥١ و١٠١٣) حيث ذكرنا كتاب الدين والدولة الذي نسبهُ اليهِ الفونس منكنا ثمّ رجّح حضرة الاب موريس بويج كونهُ من الكتب الموضوعة ويؤخذ من كلام ابن ابي اصيبعة انهُ كان يهودياً فأسلم

﴿الاستاذ المغربيّ ونصرانيّة العجّاج﴾ اخذ علينا ذو الفضيلة الاستاذ المغربيّ في عدد ٩ حزيران من الف باء نَظْمَنا العجّاج بن رؤبة بين شعراء النصرانيّة وحاول تفنيد زعمنا بقولهِ انَّ كلمة الراجز « الحمدُ لله الذي أعطى الشبر » التي استندنا اليها لاثبات نصرانيّة العجّاج إمّا رواية غير صحيحة وامّا انّها لا تدلُّ على دين قائلها النصرانيّ . فجوابنا على (الاوّل) انَّ رواية « الشبَر » راقية على قول الصاغاني في تاج العروس (٣ : ٢٨٩) الى الخليل وهو من اقدم اهل اللغة في الاسلام ويستدلّ على صحّتها انّها مقتبسة من بيت لعدي بن زيد النصراني . ونجيب على (الثاني) انَّ معنى لفظة « الشبر » ليس الانجيل فقط بل القربان ايضاً كما اثبتنا الامر عن قدماء الكتبة وعن اصل الكلمة السرياني وجناب الاستاذ المغربي لم يُبطل حجّتنا في ذلك . ثمّ لم نقل ان العجاج كان نصرانيًّا ومسلماً في وقت واحد وقلنا انهُ عدل الى الاسلام بعد نصرانيّته وان يكن حفظ شيئاً من دينهِ الاصلي في شعرهِ بعد اسلامهِ

﴿ العيد الذهبي للشيخ الازهري﴾ كان الرؤساء اجابةً الى جمعيّة قلب يسوع في جبيل اوفدونا في اواسط حزيران لترئس حفلات عيدهم السنويّة فلم نحظَ بحضور اليوبيل الذهبي المقام في البلدة اكراماً للاستاذ الرئيس الشيخ احمد عبّاس الازهري لتقرّب الاجسام كما تقرّبت القلوب بوقوع الموسم الحسيني لكلينا في عام واحد . على انّنا عهدنا الى الاستاذ يوسف الغلبوني ليقوم بهذا الواجب بدلًا منّا بتقدمة تحيّتنا الزميل الكريم وقد افادنا جنابهُ انها وقعت موقع الاستحسان لدى صاحب العيد

أمدَّ الله في حياتهِ وجعلهُ سنداً لكل مشروع يؤول الى مجدهِ تعالى وخير الوطن

﴿معلم جديد للكنيسة﴾ لمَّا ذكرنا تثبيت قداسة بطرس كانيزيوس اليسوعي عقدنا الامل على قرب الاعلان بهِ ايضاً كلفان الكنيسة ومعلمها وهي ميزةٌ خاصَّة لا يمنحها الاحبار الرومانيُّون إلَّا لبعض الافراد الذين برَّزوا بتآليفهم الدينيَّة والادبيـة فشرَّفوا بها كنيسة الله. وها قد تحقق الامل وجاهر قداسة الحبر الاعظم بان مؤلفات القديس كانيزيوس العديدة أهَّلتهُ لهذا الشرف الاثيل. وسنذكر ان شاء الله تلك التآليف عند احتفال كليتنا بتثبيته

﴿شهداء كندا﴾ استشهد للرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمانيـة كهنة كانوا حاولوا التبشير بالايمان بين قبائل همجيَّة تعرف بالايروكوا (Iroquois) في كندا فنظمهم نائب المسيح البابا بيوس الحادي عشر في جملة الطوبويين في ٢١ حزيران الماضي

﴿وفاة سليمان افندي البستاني﴾ بلغتنا برقية من بروكلين نيويرك في اوائل الشهر الماضي تنعي الى البلاد وفاة العلَّامة سليمان باشا البستاني فكان لهذا النبإ الفاجع سوء تأثير في قلوب كل الذين عرفوا الرجل كعالم نحرير وكاتب بليغ وشاعر مفلق وسياسي محنك. ولا شكَّ انَّ ذكرهُ سيبقى مخلَّداً في وطنهِ بل بين الناطقين بالضاد. وسنفرد لهُ فصلاً ان شاء الله في جملة مشاهير القرن العشرين ونحيل القرَّاء الى المقالة المستماحة التي كتبها حضرة الاب خليل اده في وصف الاليـاذه (المشرق ٧ [١٤٠٤] : ٨٦٥ و ٩١١ الخ) والى وصفنا لكتابه عبرة وذكرى (المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٧٣)

﴿آثار جديدة لحمورابي﴾ عرف القرَّاء ما كان لاكتشاف شرائع حمورابي ملك بابل من الشهرة والشأن العظيم في عالم العلم. وقد وقف الاثريُّون لهُ منذ عهد قريب في سنكره على ٤٣ رسالة كتبها على الآجرّ في السنة التاسعة والعشرين من ملكه وانفذها الى وكيلهِ شمش حاسر يأمرهُ ان يتولى ادارة الاملاك التي انتزعها من الملك ريم سين ملك لرسا بعد ان غلبهُ في الحرب. وفي الرسائل فوائد جمة عن زراعة اهل ذلك الزمان واستثمارهم للارزاق وتقسيم الغلَّات على اصحاب المملكة لاسيما الجنود. ويضاف الى تلك الرسائل رسائل اخرى وجَّهها عمَّال الملك الى مأموريهِ في الشؤون عينها. وهي الآثار الاولى من جنسها ترقينـا الى الالف الثالث قبل المسيح وقد نشرهـا العلَّامة تيرودانجن (Thureau - Dangin) وفسَّرها واضاف اليها عدَّة ملحوظات مفيدة

أسئلة وأجوبة

س سأل المسمَّى باسم رينه (René) هل يوجد بين القديسين من دُعي بهذا الاسم ليستشفع به؟
القديس رينه

ج قد اشتهر في اواسط القرن الخامس للمسيح اسقف على أنجه احدى مدن فرنسة. ولد سنة ٣٩٥ بعد ان نالتهُ أُمهُ العاقر بدعاء القديس موريل اسقف المدينة. ولما كان في السابعة من عمرهِ أُصيب بمرض عُضال ذهب بحياتهِ لكنَّ الاسقف المذكور عاد فأحياهُ وعُني بتربيتهِ فخلفهُ سنة ٤٢٥ على كرسيهِ. ثمَّ استثقل اعباء الاسقفيَّة وعدل الى العيشة النسكيَّة قريباً من مدينة سورنتو من اعمال ايطالية فقضى نحو عشر سنين في ممارسة كلّ فضائل النسَّاك وتوفي سنة ٤٥٠ فنُقل جسدهُ الى كرسي اسقفيَّتهِ في فرنسة ل.ش

س وسأل من عين ابل جناب الاديب بطرس بركات: ١ً أيجوز لمرأة ارملة ان تطالب بوراثة زوجها الثاني بعد ان تقيدت بالوعد عند الاقتران بهِ بعد وفاة زوجها الاوَّل انما تتنازل عن كل حقوق الميراث اذا ما توفي قبلها. ٢ً أتخطئ اذا نكثت بوعدها وطلبت بعد موت زوجها نصيباً من ارثهِ استناداً الى الشرع المدني. ٣ً وهل يعتبر الشرع المدني ذلك التعهُّد او يبطلهُ لمخالفتهِ لقوانينهِ. ٤ً وان كان الورثة اعطوا المرأة مبلغاً لتتنازل عن حقوقها ثمَّ ظهر بطلان الزواج أيجوز لهم المطالبة بالقيمة المدفوعة لها؟
اسئلة عن وراثة امرأة ارملة من زوجها الثاني

ج يجب التمييز في هذه المشاكل الوراثية بين واجبات الضمير وقوانين الشرع ومن ثمَّ نجيب على (الاوَّل) انَّ على الزوجة بحسب الضمير ان تقوم بوعدها فلا تطالب بالارث بعد وفاة زوجها الثاني. وعلى (الثاني) انَّ في نكثها لوعدها خطيئةً إلَّا اذا طرأ عليها طارئ الفقر فلم يبقَ لها معاش الَّا من ارث زوجها فلها ان تُطالب بهِ بعد ان أصبحت معهُ جسداً واحداً بالزواج بل يليق بالورثة من باب المحبة ان لم يكن من باب العدل ان يُعنَوا بامرها عطفاً. وتجيب على (الثالث) انَّ الشرع لا يعتبر تلك الوعود عادةً ما لم تكن مسجَّلة في صكوك رسميَّة بشهود امام القضاة فان ابطلوا وعدها وحكموا لها فبحسب الضمير يجب عليها ان تردَّ المال للورثة كما وعدت. وعلى (الرابع) انَّ لهذا الامر وجوهاً كثيرة لا يسع البحث فيها حاضراً ن.خ

المشرق

خطط الشام

نظر انتقادي لحضرة الاب لامنس اليسوعي

ذكرنا في العدد السابق (ص ٥٥٦) ظهور الجزء الاوّل من هذا التأليف واشرنا الى ما عن لنا فيهِ من الملحوظات لمدَّنا تقدمها لمؤلفهِ البارع وقد تولّى هذا الانتقاد حضرة الاب لامنس وليس من يجهل طول باعه في معرفة تاريخ الشام ل . ش

هذا تاريخ جديد للشام له فضل ظاهر على ما طُبع سابقاً في الـ ية من هـذا القبيل . واوّل ما يدعو القارئ الى اعتبارهِ اسم مؤلفهِ ومقامهُ اعني بهِ السيّد كرد علي رئيس المجمع العلميّ العربي في دمشق

١ ملحوظات عموميَّة

ويلوح من اوّل الكتاب انَّ جناب السيّد مصنّفهِ سعى الى جمع موادّهِ الواسعة من المخطوطات والمطبوعات المتعدّدة . فانَّ في صدرهِ قائمة مطوّلة عدَّد فيها تلك التآليف البالغة ٦٩٥ عدداً . وهذه بلا مراء تحفةٌ جديدة لم يسبقهُ اليهـا كتبُنا . وكيف لا يُسَرّ المطّلع على تلك اللائحة اذ يرى بعد تعداد المصادر العربيَّة والتركيَّة التي استند اليها اسماء مئة تأليف لكتبة الفرنج استقى المؤلّف من مواردها

على انَّ هذا التأثير الطيّب في ذهن القرّاء يضعف نوعاً اذا مـا دقّقوا النظر في القائمة المذكورة . فلا يكفي ذكر بعض التآليف الاوربيَّة دون الدلالة على الطبعة التي روى عنها الكاتب مع ذكر عدد مجلّداتها . ثمَّ انَّ بين المطبوعات الاوربية المـذكورة

ما لم يَعُد لهُ قيمة البتَّة. فانَّ معجم بوليه (Bouillet) اصبح من المنشورات المنسيَّة. وليس بين العلماء المستشرقين حاضراً من يستند الى تاريخ العرب لسديليو او الى تأليف غستاف لوبون الذي هو معروف كمؤلف اجتماعي ليس كعالم باحوال الشرق. وقس عليهِ تآليف مثلها كان الضرب عنها اولى وافضل. وعلى خلاف ذلك نرى جنابهُ ساكتاً عن عشرات من الكتب الجليلة التي نشرها عن الشرق عموماً واحوال الشام خصوصاً كثيرون من المستشرقين في الالمانيَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة. ألا يَرى مثلاً السيد كرد علي ما افادنا البرنس كايتاني (Caetani) في الثلثة المجلَّدات الضخمة (Annali dell'Islam) التي جمع فيها اقدم واصدق المعلومات عن فتح العرب للشام. وكذلك لا يستطيع حاضراً احد الكتبة ان يوضح تاريخ الدولة الامويَّة ما لم يطَّلع على ما كتبهُ في هذا الصدد المستشرق الالماني ڤلهوسن (Wellhausen). ألمس مكتبة المجمع العلمي في دمشق خالية من تأليف الدوق كايتاني وهو احد اعضاء ذاك المجمع المنيف. وقد اقام لهُ علماء القاهرة سنة ١٩٠٨ حفلةً حافلة حضرها النقير كاتب هذه الاسطر مع صاحب خطط الشام فكيف لم يذكرهُ في قائمة كتبهِ ؟

ومع ايراد جنابهِ لهذه القائمة العموميَّة كنَّا وددنا لو اشار في ذيل كتابهِ في المسائل الخصوصيَّة الى التآليف التي بنى عليها معلوماتهِ مع ذكر المجلَّد والصفحة فلا يكتفي بكلام عامّ كقولهِ «قال بعضهم» فيحرمنا السهولة لمراجعة تلك المصادر المبهمة فلا نعلم من هو القائل أهو الطبري او احد المحدَّثين كسبيرو او سيديليو الخ. وكان الامر امسَّ حاجةً في تأييد الآراء التي تفرَّد بها المؤلف او خالف العلماء الثقات فلو فعل لأثبت لنا انَّهُ سبرها بمعيار النظر والانتقاد فينجو من ملامة الذين ينكرون عليهِ مراجعتهُ للكتب التي اشار اليها

٢ ملحوظات خصوصيَّة

لا نحاجُّ السيد كرد علي في اطرائهِ للعنصر العربي بين عناصر الشام واسهابهِ في بيان عظم شأنهِ فانَّ منزلتهُ بين قومهِ تشفع في بعض ما لهُ من المبالغات فضلاً عن انَّ غايته في تأليف كتابهِ انَّما هي رفع مقام ذلك العنصر ادبيًّا وسياسيًّا. على انَّنا لا نستطيع ضرب الصفح عما كتبهُ في الصفحة ٦٥ حيث ورد «قال وكانت دمشق منازل

غسّان» فمن هو هذا «القائل» وكيف يثبت ولاية ملوك غسّان على دمشق ولو راجع جنابهُ ما كتبناهُ في هذا الشأن وعن جلّق في ردّنا على الاديب امين خيرالله (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٤٣٨–٤٤٢و٦٥٨–٦٦٢) لما عاد الى هذا البحث. ونفضّل عليهِ قولهُ في الشروط القاسية التي اشترطها العرب على اهل سوريّة فكتب عنها قائلًا انها:

«من قبيل ما يقرّرهُ الفاتحون من الاحكام العسكريّة او الادارية العرفيّة كما يسمّونها اليوم وهي لا يخفى تختلف باختلاف الامم والحالات وليست اصلًا من اصول الدين»

وقد استصوبنا بالحري التمييز الذي صرّح بهِ الكاتب في كلامهِ عن المنازعات التي قامت بين العلويين والامويين (ص ١٦٦–١٦٧) فقال:

«الخلاف بين الامويين وخصومهم من العلويين... ما هو الّا خلاف سياسي نشأ من النزاع على الملك وليس من الدين في شيء»

الى آخر ما هناك من النظر الدقيق والتمحيص والتحقيق. وعلى ظنّنا انّ هذه الملحوظات السديدة لن تروق في اعين اصحاب الشيعة من كتبة العرفان وغيرهم إلّا انّ الانصاف دعا السيد كرد علي كما يقول الى درس المسئلة ليكشف الحقيقة دون ان يثير في النفوس احقادًا. وهذا ما اتّصلنا اليهِ بعد دروسنا المطوّلة عن خلافة معاوية وابنهِ يزيد. وجناب الكاتب مثلنا لم يحجم عن تبرير الخليفة يزيد بن معاوية والدفاع عنهُ (ص ٢٦٧) كما مدح ايضاً الامويين والمروانيين ورجالهم فقال (ص ١٦١) عن المروانيين:

«وكانت دولتهم عربيّة صرفة سارت مع المدنيّة اشواطًا مع اشتغالها بالفتح. وكان اكثر ملوك الامويين من الحزم والعلم وحسن السياسة والادارة على جانب عظيم، والبوّاس منهم معاوية وعبد الملك وهشام. وليس كالوليد في باب الاضطلاع بما يعمر البلاد، ولا مثل عمر بن عبد العزيز في تطهير المملكة من المظالم واحياء سُنن العدل والمراحم، ولا كسليمان في بُعد النظر، وما منهم إلّا العالم والشاعر والخطيب والسياسي، وقد فُتحت عليهم الاقطار فنشروا فيها اللغة والدين على أيسر سبيل، وهذا ممّا لم يوفّق الى مثلهِ غيرهم ووضعوا أسس النظام في الممالك التي دوّخوها وعرفوا ما يصلحها... هذا وقد كثر المخلصون لدولتهم الى اواخر ايامهم وقلّ المنتقضون عليهم المتوثّبون على خلافتهم»

ولهُ (في الصفحة ١٦٤) كلام في مشاهير الرجال في عهد بني اميّة وقوّادهم

فأحسن وانما أخذنا العجب من سكوته عن القائدين الكبيرين زياد بن ابيه والحجاج ابن يوسف . أفيكون خاف من انتقاد بعض المتطرفين الذين يحملونهما كهولة الصبيان ولهما ما لهما من الفضل على الدولة الاموية

وقد سها جنابهُ بقوله (ص١٤٥) ان الغذقونة التي غزا بها الروم يزيد بن معاوية «من قلقية» . والصواب انها مدينة خلقيدونية الواقعة بازاء الاستانة . وكذلك قرية بوصير التي بها قُتل الخليفة مروان بن محمد ليست في الصعيد (كما قال في الصفحة ١٦١) وانما هي قريبة من القاهرة (١ . وكذلك ورد في الصفحة ذاتها «انَّ عَلَم بني أميَّة نُصب في بكين عاصمة الصين» وهو حادثٌ كنا نجهلهُ ويا ليت السيد كرد علي اثبت في ذيل الصفحة الى اي تأليفٍ اسند هذا القول مع بيان مجلّدهِ وصفحتهِ

٣ ملحوظات اخرى

يؤخذ من كلام جناب مؤلف الخطط (ص ١٠١) ان عهد الملك الروماني كان نكبةً على بلاد الشام . ومن قولهِ ان الرومان :

«كثيرًا ما كانوا يبيعون ابناءهم (يريد ابناء اهل الشام) ليوفوا ما عليهم من الاموال وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق وجفت الايدي عمَّر الرومان ما عمَّروا من المعابد والمصانع في الشام»

فمن يقرأ مثل هذا الكلام يخال لهُ انَّ سوريَّة اصبحت في اسوإ حال في زمن الدولة الرومانيَّة وفقدت كلَّ حقوقها لديها وهذا لعمري حكمٌ يخالف كلَّ ما كنَّا نعرفهُ عن احوال الشام وترقيها في العهد الروماني حتى ان اوثق الكتبة يدعون طور الملك الروماني في الشام «عصر سوريَّة الذهبي» وعلى كل حال انهُ لَامرٌ مقرَّر انَّ بلاد الشام في ايَّام الرومان بلغت درجةً من الحضارة لم تعرفهُ قبلهم ولا بعدهم . كان عدد سكَّانها ضعف عددهِ في يومنا . وكانت تخومها تتَّسع يوماً بعد يوم بأمان ثغورها . كانت اراضيها مخصبةً وافرة الغلَّات ومدنها من اكبر المدن وارقاها تمدُّناً كانطاكية وافامية وقيسريَّة وتدمر وغيرها مما اصبح بعضها اليوم قرىً حقيرة او قاعاً بلقعاً . وكان

١) راجع كتابنا La Syrie I, 105

يزين تلك المدن آثار نفيسة يحتار العقل لحسن جمالها وبراعة هندستها . وكانت قرى عامرة قد تشيّدت في البوادي القحلة التي لا يسكنها اليوم سوى الاعراب الرُّحّل وكان الامان باسطاً ظلّهُ على كل انحاء البلاد . ومما يشهد على فضلهم ازدهار الفنون الجميلة على مثال ارقى الشعوب منها الابنية الفخمة والمسارح واقواس الظفر التي لا تزال بقاياها تنطق برقي تلك الاعصار وبعلوّ همّة الرومان

كانت الدول السابقة قليلة الاهتمام بالابنية ذات المنافع العامّة فسدّ الرومان هذا الخلل بفتح الاقنية لجرّ المياه الى المدن العامرة ومدّوا الجسور فوق الانهار وفتحوا مرافئ للسُّفن او وسّعوا المرافئ القديمة. وكل هذه الآثار الجليلة استفادت منها الدول التي بعدهم كدول العرب والمماليك والاتراك ويا ليتها عرفت ان تحفظها وتصونها من الخراب الذي استولى عليها . وما قول صاحب خطط الشام بالضياع والقرى المدمّرة التي تُرى آثارها في جهات سوريّة الشرقيّة خصوصاً أليس الزمان بُناتها ؟ . ذكر التاريخ رجلاً من عرب حوران جلس على العرش القياصرة كما تبوّأتهُ دولة سوريّة حمصيّة الاصل فهل يمكن جنابهُ ان يذكر لنا رجلاً سوريّ الاصل جلس على عرش سلاطين الاتراك او خليفةً سوريًا بين بني اميّة ؟ فيا ترى كيف جعلتَ سوريّة في هذا الحد من الانحطاط في عهد الرومان وكل شيء ينطق برقيّها وعظمتها من عدد سكّان وخصب زراعة ورواج صناعة ومدن عامرة وغنى وبذخ في المعاش وامان وترشّح الى اسمى المناصب في الدولة !. فان كان هذا الانحطاط فكيف يكون الارتقاء ؟ وما هي شعائر الرفعة والحضارة ؟

هذا ثمّ اننا في بعض مقالاتنا التي نشرناها في المشرق (٢٠[١٩٢٢] : ١٦٤—١٧٢) كنّا حذّرنا (ص ١٧٠) السيّد كرد علي من ارهام الارقام في مؤرخي العرب وبيّنا ما هم في ذلك من العجائب والغرائب التي تنفي كلّ الحقائق التاريخيّة . وكأنّ كلامنا لم يلقَ عند جنابهِ اذناً واعية . فانهُ عند ذكرهِ فتوح العرب الشام يزعم ان عدد الجيوش البوزنطيّة كان بالغاً ٢٤٠،٠٠٠ حتى ٤٠٠،٠٠٠ (خطط الشام ص ١١٢ و١١٦) . وهذا العدد من الجند لم تكد الدولة الرومانيّة كلّها تبلغهُ في اوج عزّها على عهد اوغسطس قيصر . على انّنا نشكر حضرتهُ لضربهِ الصفح عن ملايين الكتب

التي زعم بعضهم سابقاً ان الصليبيين اتلفوها عند فتحهم لطرابلس (١ وانما اكتفى بنقل ما كتبهُ القلانسي في ذيل تاريخ دمشق (ص ١٢٥) وهو احد المعاصرين لفتح طرابلس — وكان حفظهُ الله أجاد لو اصلح ما كتبهُ سابقاً عن قتل الصليبيين لمئة الف رجل من اهل معرَّة النعمان وبيَّنا لهُ غلوَّهُ الظاهر في هذا الاحصاء الباطل (المشرق ٢٠ : ١٩٧٢) ونقلنا لهُ كلام ابي العلاء المعرّي وهو اشهر من نار على علم عن حقارة وطنهِ (المشرق ٢١ : ٥٥٧) لا بل زاد جنايةً في الطين بلّة فذكر (ص ٢٨٠) دخول الفرنج الى المعرَّة وقال :

« فاستولوا عليها ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا منها ما يزيد على مئة الف انسان في اكثر الروايات (كذا) وسبَوا مثلهم . . »

فجعل مدينة المعرَّة الصغيرة من أمهات المدن كدمشق وانطاكية . وكنَّا استعظمنا عدد قتلى المعرَّة الذي ذكرهُ ابن ابي شحنة (ص ٢١٧) وهو هناك عشرون الفاً واليعقوبي يقول عنها في جغرافيَّتهِ (ص ٣٢٤) انها كانت مدينة خراباً . فما قولنا الآن من مئة الف قتيل يُضاف اليهم مائة الف اسير فيرى القرَّاء كيف ان حنا [illegible] انها كانت بلدة حقيرة (une bicoque) . ولا نزيد بقولنا هذا [illegible] الصليبيين لانهم كانوا يجرون في ذلك الزمان على سُنَّن الدول المحاربة . ولم يكن العرب من هذا القبيل ألطف من سواهم في معاملتهم الأسرى الذين لم يمكنهم ان يفدوا نفسهم بالمال او لم يرضوا بجحود دينهم . ومن اراد الوقوف على تلك المعاملات فليراجع اصدق واقدم تواريخ الاسلام اعني تاريخ ابي جرير الطبري (الجزء الثاني ص ٧٢٣ و٧٥٠ و٨٥٣ و١٢٠٧ و١٣٣٨ و١٥٩١ و١٩١٠ الخ الخ) يجد هناك من انواع الفظاظة ما يشفع باعمال الصليبيين

ولمَّا كانت اميال جناب صاحب خطط الشام على هذا المنوال فلا عجب ان نراهُ مبالغاً في كثير من ارقامهِ . فانَّهُ مثلاً (ص ٨٥) يجعل عدد المسلمين حاضراً ٣٥٠ مليوناً ولعلَّهُ رأى في كلامهِ اعتدالاً بالنسبة الى الـ ٣٦٠ مليوناً المذكورة في مجلَّة المنار

١) اطلب في المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٤٠٧-٤١٣ مقالتنا التي عنوانها «الصليبيون ومكتبة طرابلس»

(٥ : ٦٠٥–٦٠٧) وفي كلا القولين غلوٌ ظاهر ينيف على مئة مليون فانَّ مجلة العالم الاسلامي (Moslem World, 1923, p. 283) استناداً الى ادقّ احصاء أُجري مؤخرًا تجعل عدد المسلمين نحو ٢٣٤ مليوناً . كذلك الناطقون بالضاد الذين جعل السيّد كرد علي هناك عددهم ٦٥ مليوناً لعلّهم لا يزيدون على نصف هذا العدد. فانَّ العلّامة لويس ماسينيون (L. Massignon) المعروف بحبه العظيم للمسلمين يؤكد في مجلة العالم الاسلامي (Revue du Monde Musulman LVII p. 3) انَّ العرب الاصليين يبلغون فقط ١٢ مليوناً وان المستعربين ٣٤ مليوناً . وعندنا انَّ في احصائه هذا بعض المغالاة. وعلى كل حال لا يمكننا ان نبدي حكماً فصلًا في هذه الاحصاءات الى ان تتمّ بموجب قوانين مدقّقة

ولو كنّا نودّ لو ذيّل جناب الكاتب خططهُ ببعض افادات تاريخيّة وجغرافيّة على احداث رواها على علّاتها وجاء فيها اسماء ملوك او قوّاد اجانب لم يُعرف لهم خبر الّا في اقاصيص لا يوثق بها كالروايات المنسوبة للواقدي وغيره . فمن هو مثلًا ملك الروم قسطومس (ص ١٣٤) مكاتب معاوية ؟ ومن هو (ص ١٤٩–١٥٠) قلقط البطريق ؟ ومَن من الرواة الثقات روى اخبارهُ ؟ وكذلك بعض اخبار المَرَدة رواها عن كتبة محدَثين لا نجد لها سنداً في مؤرّخ صادق . ومثلها بعض ما رواهُ عن الصليبيّين كان يحتاج الى مزيد انتقاد وانصاف

هذا ولا يمكننا ان نتتبّع اقوال المؤلف صفحةً صفحة لاثبات او نفي كلامه وفي ما قلنا كفاية ليرى القرّاء انَّ في كتاب الخطط ما يستوجب النظر وإعمال الفكر قبل الاستسلام الى مضامينه جزافاً . وهذا لا يمنعنا ان نقرّ بفضل كاتبه الذي تأنّق في انشائه وأحسن تقاسيم تأليفه وروى الاخبار بأسلوب واضح سهل المنال . ورجاؤنا ان يواصل الكاتب عملهُ بما عُرف من النشاط فيزيدهُ حسناً ليجد فيه العلماء ما يؤملون من المعلومات الصادقة المبنيّة على الحقيقة التي هي وحدها ضالّة الكتّاب المنشودة . ولنا في مقدّمة السيّد وتقدمة كتابه الى احد مشاهير ادباء العصر حضرة احمد تيمور باشا افضل ضمين لنجاح عمله

التليفونية اللاسلكية في سورية ولبنان

لحضرة الاب يوسف بلمبوا اليسوعي(١

المهندس القانوني المرخَّص من مكتب باريس
والضابط سابقاً في المحطَّات التلغرافيَّة اللاسلكيَّة المرتبطة بمكتب باريس

منذ اشهر عديدة كان محبُّو التليفونيَّة اللاسلكية يلتمسون من جانب مفوَّضيَّة الجمهوريَّة الفرنسويَّة العليا الرخصة لجلب أدوات التليفونية المذكورة ليتلهَّوا بمزاولتها ويختبروا صحَّة ما كانت تنقلهُ لهم الجرائد والمجلَّات ومنشورات البلاد المختلفة من عجيب فعلها

وها قد اصدرت الحكومة قرارين اجابةً لطلبهم . والقرار الاوَّل المرقوم بالعدد ٢٩٥ صدر في تشرين الثاني ١٩٢٤ يقضي بالسماح لمن يريد لجلب الادوات المذكورة كما كانت القوَّات العسكريَّة قرَّرتهُ في زمن الحرب . ثم تبعهُ في شهر كانون الاول من السنة قرار ثانٍ (عدده ٣٠١٠) يفصِّل قوانين المحطَّات التليفونيَّة القابلة

وقد ذكرت الجرائد القرار الاول في وقته أمَّا القرار الثاني فانه ظهر في زمن كانت افكار الجمهور منصرفة الى امور شتى فلم يُعيروهُ بالاً وضربوا عنهُ صفحاً وهو مع ذلك يستحقّ الاعتبار وهذا ما دفعنا الى كتابة هذا الفصل

ولبيان الامر يجب التمييز بين الادوات القابلة والادوات الباعثة

فبخصوص الادوات القابلة ينطبق القرار في وجوهه العموميَّة على قوانين الشريعة الفرنسويَّة ما خلا بعض الاختلافات العرَضيَّة وفقاً للظروف المحلِّيَّة . فانَّ من اراد ان يجلب مثل هذه الادوات يكفيه ان يطلب الرخصة بذلك فيسجَّل اسمهُ ويدفع ٢٥ قرشاً سوريًّا حقّ التسجيل . وهي كلفة زهيدة جدًّا

---

(١) هذه المقالة معرَّبة عن الافرنسية كما ظهرت في نشرة التعليم Bulletin de l'Enseignement في عددها الثامن ايَّار ١٩٢٥ (ص ٤٦٧-٤٧٢)

امّا ما يخصّ الادوات الباعثة فانّ الفرق بين القرار المذكور والشرع الفرنسوي مختلف كلّ الاختلاف. فانّ من يرغب في فرنسة ان يجهز لنفسه ادوات تليفونيّة باعثة يُشترط عليه ان يطلب الرخصة بذلك ويدفع منة فرنك وان لا يزيد المحرّك الكهربائي دون اذن خصوصي على قوّة منة قياس (Watts) كما انّ طول الموجة يجب ان لا يتجاوز مئتي متر. وذلك بموجب قرار صدر في ١٨ حزيران سنة ١٩٢١

امّا سوريّة ولبنان فانّ الادوات الباعثة (حتى لغاية ارسال برقيّات فرديّة) ممنوعة منعاً قاطعاً. وان وجدت الحكومة اداةً منها صادرتْهُ وعاقبت صاحبهُ بالحبس وبدفع جزاء نقديّ

ولانّ السوريين واللبنانيين قد نالوا السماح بجلب ادوات قابلة يحسن بنا ان نفسّر لهم ما يرجونهُ من فوائد تلك الادوات وما هي الظروف الزمنيّة والمكانيّة التي تمكّنهم من الانتفاع بها. ومن ثمّ نقسم درسنا قسمين نخصّ القسم الاوّل بالمحطّات القابلة والقسم الثاني بالعوائق التي تمنع المحطات من قبول الاصوات والنغمات

١ً المحطات القابلة

المحطّات القابلة لا يمكنها ان تتناول النغمات الموسيقية الّا من اميركة ومن اوربّة لانّهُ ليس حاضراً في كل انحاء الشرق محطّات تبعث تموّجاتها الى انحاء الجوّ

ثمّ انّ المحطات الاميركية لا تفيد الشرقيين افادةً تُذكر مع كثرتها وحسن اجهزتها والسبب هو اختلاف الساعات بينها وبين الشرق فانّ الانغام الموسيقيّة الصادرة في اميركة تبلغ الى آذان الشرقيين في الساعة الثانية بعد نصف الليل وهي ساعةٌ قلّما يحبّ الناس ان يصغوا اليها سمعاً بتضحيتهم هناء منامهم. فتبقى الانغام الاوربية واخصّها الفرنسويّة والانكليزيّة والبلجيكية والايطالية والالمانية الى غيرها ممّا ليس تحتهُ امر كبير كالانغام الدنيموركيّة والهولنديّة والروسيّة لان السامع يحبُّ اذا سمع الاصوات والانغام ان يفهم ايضاً معاني اقوالها في لغة يدركها

فان اقتصرنا على الانغام الاولى يجب على صاحب الادوات القابلة ان يعرف انّ الاختلاف بين ساعات انكلترة وفرنسة وبين ساعات سوريّة يبلغ ساعتين. فلو أُقيمت مثلاً حفلة موسيقيّة الساعة الثامنة مساء في انكلترّة او فرنسة على حسب

معدَّل زمن غرينويتش فان نغماتها لا تُسمع في بيروت الّا في الساعة العاشرة. واطرَب هذه النغمات في فرنسة نغمةُ باريس الباعثة التي تبتدئ الساعة التاسعة فيسمعها اهل سوريّة الساعة الحادية عشرة مساء

٢ العوائق التي تمنع المحطّات من قبول النغمات

هذه المسئلة تستدعي بحثين ليقف القارئ على صحتها. وقبل بَسْطها اني اقدّم عليها هذه المشابهة: لو سألني احد أتسمع دقّات هذه الساعة ؟ فانها خفيفة جدًّا. انّ جوابي على هذه السؤال يختلف على حسب الظروف فان كنتُ في غرفةٍ معتزلة تستر الاقمشة جدرانها بحيث لا يبلغ اليها صوت من الخارج اجبتُ : نعم اني اسمع هذه الدقّات على الرغم من ضعفها. ولكن لو عرض عليَّ السائل ذاك السؤال في احد شوارع بيروت كشارع الحرّية حيث تُسمَع جلبة الناس وحركات الاوتوموبيلات والترامواي أجبتُ : كلّا لا اسمع تلك الدقّات وآذاني تصمُّ من كثرة الاصوات المحيطة بي. وعلى هذا نقول

(اولًا) انّ استماع الانغام الاوربية [illegible] يمكن استماعها ان كان القابل مفرزًا لا تشوّشهُ الاصوات الغريبة فان الاختبارات التي اجراها في المحطات العسكرية اللاسلكيّة اللازم ديفو (Lt. Devaux) في مرصد كاره ثمّ المسيو ديلاني (M. Delagne) في المحطة اللاسلكيّة الشرقيّة (Radio-Orient) أدّت الى النتيجة الآتية : في بعض الليالي الهادئة التي تُسمع فيها الاصوات الفضوليّة امكننا استماع الانغام الاوربية بنوعٍ كافٍ وبتجهيزات قليلة اعني بواسطة كاشف ذي انعكاس مع مصباح معظِّم الاصوات قليل التواتُر . ولعلّ الذين يسمعون لاوّل المرّة هذه الالفاظ الاصطلاحية لا يدركون معناها لاوّل وهلة لكنهم سيألفونها قريباً آن شاءوا التمتُّع بادوات التليفونيّة اللاسلكيّة

وان سأل السائل وهل يتمُّ شرط هذا الهدوّ الليلي عادةً ؟ اجبنا : انّهُ لسوء الحظ لا يتمُّ بسهولة وذلك لان هذه الاصوات الفضوليّة تكاد تكون متواصلةً لا تبطل الّا قليلًا نحو مرّة واحدة بالشهر نسبةً الى الانغام البعيدة المسافة. وليست هذه الاصوات ناتجة من اصوات الشوارع التي يمكن إبطالها بالعزلة والستور وانّما هي

طلقات كهربائية تتفجر في الفضاء او في الارض. ثمَّ ان هذه الطلقات تبعث في الجو تموُّجات هرتسيَّة يبلغ صوتها الى ادوات القابل كتموُّجات المحطة الباعثة نفسها. فيسمع المصغي اليها صفيرًا وتفلات وتفرقعات يسعى الآن العلماء الى نفيها فاصابوا بعض النجاح في التلغرافيَّة اللاسلكيَّة دون التليفونيَّة التي يبقى اصحابها معرَّضين لهذا الخلل

(ثانيًا) وان سأل السائل أيوجد املٌ وطيد في قبول الانغام الموسيقيَّة الاوربيَّة بطريقة شائقة ومتواصلة؟ اجبنا هذا ممكن على شرط اتخاذ الاحتياطات لبلوغ الغاية المقصودة ولولاها لأصبحت تلك الاصوات الرخيمة متقطعةً لا قيمة لها في جانب الفنّ. امَّا الاحتياطات الواجب استعمالها فهي:

١ً ان تُستقبَل الاصوات على اطار فذلك افضل من السارية. نعم انَّ للسارية قوَّةً اعظم في التقاط الاصوات إلَّا انَّها معرَّضة ايضًا اكثر منها لآفة الاصوات الفضوليَّة وعلى خلاف ذلك تتأثَّر الاصوات الفضوليَّة اكثر من الاطار بضعف التموُّجات الواردة. وبالاجمال يجب القول انَّ التشويش الحاصل في القابل بالاصوات الفضوليَّة يزيد على قدر ارتفاع الجهاز لاصطياد التموُّجات. فليُجعل اذن الاطار مرتفعًا قليلًا فوق الادوات القابلة. وكذلك فلينتبه صاحب القابل الى اللواحق والى الادوات الخازنة للكهربا. فانَّها بطولها تصبح مرارًا عديدة ناقلةً للاصوات الفضولية. فلتكن اذن هذه اللواحق اقصر ما يمكن

٢ً فلتُتَّخذ أجهزة بالغة في تفخيم الاصوات وذلك لانَّ المسافة بين الباعث والقابل تزيد مرارًا على ٤٠٠٠ كيلومتر ولانَّ القابل كما سبق هو إطار والاطار يتلقَّى الاصوات بضعف فالآلة المضخمة للاصوات الموسيقيَّة ربَّما غلبت تلك الاصوات الفضوليَّة ان كانت لا تُلاشيها

ويجب ان تكون الآلات المعظِّمة للاصوات بالغة التواتر التي عادةً لا تزيد قوَّة الاصوات الفضوليَّة بخلاف الادوات الضعيفة التواتر التي تنسيها. فان السامع قليلًا ما يتمكن من إدراج اكثر من طبقة واحدة ذات التواتر الضعيف في اطاره. بخلاف الادوات البالغة التواتر فانه يجوز توفير طبقاتها المفخمة للاصوات وهي عادةً بعدد المصابيح المثلثة المجاري الكهربائية التي ترافق المحطة. وعلى هذا اذا سألنا احدكم

يلزم من المصابيح لتُدرَك اصوات الباعث نجيبهُ : انهُ لا يمكن تعيين المصابيح المذكورة لان اجهزتها تختلف ولكل جهاز مصابيح خاصّة (وكلامنا هنا عن الادوات الحسنة التركيب الوافية لشروط البناء) مثال ذلك جهاز مولّد للكهرباء صغير الحجم يُدعى بالهيتيرودين المضاعَف (double hétérodyne ou superhétérodyne) فانَّ مصابيحهُ متعدّدة وليس تعدُّدُها برهاناً على وفرة إحسانها . لان الغاية من توفير مصابيحها هي لتخصيصها . وقد سعيتُ غير مرّة في ان اسمع انغام باريس الموسيقية المشعَّة بجهاز الهيتيرودين المضاعف ذي تسعة مصابيح فلم انجح وقد سمعتُها جيداً بجهاز آخر ذي اربعة مصابيح مع انَّ الاوّل ذو قوّة اشدّ

فمن سأل اذن كم يقتضي مصباح لتُسمَع الاصوات في سوريّة على الاطار ؟ نجيبهُ ان هذا يختلف على اختلاف تركيب الآلات وقد يطول بنا الكلام لو استقرينا كل صنوف التجهيزات . والاوفق ان يطلب المشاغلون بهذه الآلات رأي الاختصاصيين عند الحاجة

٣ ومن المستحسن اتخاذ ادوات من الشكل المعروف بالتخصيصي او الانتخابي (sélectif) التي لا تُسمِع [illegible] يُدوزَن معها القابل . وذلك لان تموُّجات المحطات المختلفة ليست من جنس واحد بل تتنوّع كانواع الالوان . والتشبيه بها يتمّم التشبيه . فليُدوزَن اذن القابل بلواليبه على تموُّج خاصّ . وان كان من شكل الادوات الاختصاصية يتفرّد لقبول التموُّج الذي دُوزِنَ لهُ وليس لغيره وان لم تختلف التموُّجات عن بعضها إلّا يسيراً . وهذا من الامور الواجبة لان السامع يريد ان يسمع اصواتاً بالغة اليه من مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر وبما انَّ المحطات الباعثة كثيرة العدد في هذه الدائرة تتعدَّد ايضاً الاصوات في اذن السامع وتختلط حتى تصبح كريهة السمع ما لم يخصّص آلته بواحد منها

٤ ومما ينبغي اللحاظ اليه حادثٌ غريب يعرف بغشيان التموُّجات (éva-nouissement des ondes) او تلاشيها (fading) مما يُشعَر به في سوريّة على التموُّجات البالغة ٤٠٠ متر . والحادث المذكور يجري هكذا : يبلغ الى السامع اصوات محدودة مثلاً من لندرة على تموُّجات ٣٦٥ متراً فيُحسن اولاً سمع تلك الاصوات ثم بعد قليل تضعف كأن قابلهُ تشوّش ثم يزيد ضعفها الى ان تتلاشى تماماً . فيظنّ السامع

انهُ لم يُحسن دوزنة قابلهِ ويريد ان يغيّر حركات اللوالب فيبطل الدوزان ففي هذه الظروف الواجب عليهِ ان يلوذ بالصبر وما تمرُّ عليهِ بعض الثواني إلّا فتعود الاصوات بل تزيد قوّةً على ما كانت الى ان تضعف ثانية في مدد مختلفة . فهذا الحادث لم يتفق العلماء حتى اليوم في بيان سببهِ والارفق ان يختار صاحب الآلة اداةً بطول تموُّجات تعاكس هذه التقلُّبات واحسنها التي تُدوزَن مع المحطة الباريسية الباعثة (Radio-Paris) او شلمسفورد (Chelmsford) . ومما يثبت بالاختبار في الأيام التي تقوى الاصوات الفضولية المزعجة انَّ التموُّجات القليلة الطول وحدها تبلغ الى القابل . ومن هذه الملحوظات يتَّضح لمحبي الادوات التليفونيَّة انهُ يبقى في الفنّ معمّيات قليلة الوضوح

وهذه مشورة انصح بها محبي التليفونيَّة اللاسلكيَّة ان يأخذوا حذرهم من باعة الادوات بل اكرر عليهم النصيحة ثانياً وثالثاً . والسبب من ذلك انَّ هذا الفنّ أُصيب بنوع من الأزمات فازدادت الطلبات على اصحاب المعامل واذ قصروا عن اجابة الطلب طمحوا بالربح القريب وتهافتوا على اصطناع الادوات اللاسلكيَّة فتوفَّرت البضاعة في كل صقع الّا انَّها كانت مخلَّة قليلة النفع لم يربح مجهّزوها إلّا لعنات الذين ابتاعوها فدُعوا باصوص التليفونيَّة المشعَّة . ولا نظنُّ انَّ اهل سوريَّة ولبنان افلتوا من اشراك هؤلاء القرصان

وممَّا زاد في خيبة طالبي الادوات التليفونيَّة انَّ ما شاع منها كان من جنس الادوات المناسبة لبلاد مستحضريها لا تصلح لبلاد بعيدة عن المحطات الباعثة الى مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر . وكم خُدع المبتاعون بما يرونهُ من الاعلانات المطنطنة المضاة باسماء بعض الافراد الذين كتبوها مجاملةً للباعة او تحقَّقوا صحَّتها لغاية مخصوصة لا توافق سواها

ويسوءنا ان تكون مبادئ التليفونيَّة المشعَّة مصحوبة بالخيبة والنفور في هذه البلاد . ومن ثمَّ نختم مقالتنا بكلمات ثلاث تكون خلاصة ما شرحنا قبلاً : على طالبي التليفونيَّة ان يحذروا وان يفطنوا وان يصبروا . فلا يُسرع الزبائن الى مشترى الادوات إلّا بعد النظر والاختبار ريثما تكون بالغت التحسين الراهن بمراقبة العلماء الاثبات

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

ويظهر ان الانبا بيشاي أسس اديارًا شتى. قال المقريزي (٢: ٥٠٧):

«الدير الاحمر يُعرف بدير ابي بشاي وهو دير لطيف مبني بالطوب الاحمر. وابو بشاي هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده (شنودين) وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب. ولهُ دير آخر في برية شيهات»

وقال في محلّ اخر (٢: ٤٩١):

«أقيم على البطريركية (الاقباط) بنيامين بطركًا... فمسّ الدير الذي يقال له دير ابو بشاي ودير سيدة ابو بشاي وهما في وادي صبب»

على ان هذا الدير الثاني [illegible] في برية شيهات كان في حوزة السريان على ما أيد المقريزي عينه (ص ٥٠٩) قال:

«دير بازاء دير بو بشاي... ملكته رهبان السريان من نحو ثلاثمائة سنة وهو بيدهم الآن»

فيتّضح مما ذكرنا ان السريان كان لهم دير في الصعيد على اسم الانبا بيشاي وقد ورد ذكرهُ في جملة من مخطوطات مكتبة لندن كمخطوط (عدد ٢٢٠) المنسوخ سنة ٨٢٤ ومخطوط عدد ١٤٧و٢٢٢. وقد صرّح مخطوط لندن (عدد ٩٦١ ص ١١٣٩) المؤرّخ في سنة ١١٩٩م باسم هذا الدير واختصاصه بالسريان. وعلّق الناسخ على كتاب معانيث سويرا سنة ١٢٢٢ ما شرحه (عدد ٤٣٨): «ونُسخ الكتاب في برية الانبا مقاريس بدير والدة الله القريب من دير الانبا بيشاي» وورد ذكرهُ في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ سنة ١٢٩٢ ما تعريبه: «دير والدة الله في برية الصعيد بناحية دير الانبا بيشاي». ولعمري لو لم يكن هذا الدير للسريان لما تصدّوا لذكره وعرّفوا بكون موقعه قريباً من ديرهم الشهير المؤسس على اسم والدة الله

وقال المؤرخ رمزي ثادرس القبطي في الجزء الرابع من كتابه «الاقباط في القرن العشرين» ما ملخصه :

« ثالثاً : دير انبا بيشواي . يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنّس كاما المشهور بالسريان يحتوي على كنيسة كبيرة متّسعة وعلى يمينها كنيسة الانبا اسخيرون وغربها كنيسة مار جرجس وعلى يسارها كنيسة الانبا بنيامين البطريرك الاسكندري . ويشتمل قصر هذا الدير على ثلاث طبقات بها كنيسة باسم العذراء وكنيسة باسم ميخائيل الملاك . . . واوقاف هذا الدير تقدّر بمبلغ ٦٧,٤٧٠ جنيهاً . . . مشتركة بالنصف مع دير السيدة وابي يحنّس كاما »

فبقوله «انه يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنّس كاما المشهور بالسريان وان اوقافه مشتركة مع اوقاف دير السيدة » يؤكد ان هذا الدير كان للسريان كما صرّحنا اعلاه

ثالث عشر : دير الانبا يوحنا الصغير . ورد ذكره في تاريخ مخطوط لندن (عدد ١٤٧) المحتوي على رسائل مار بولس بالسريانيّة هكذا : « انتهى هذا الكتاب في حزيران ١٢٥٤ في دير الانبا يوحنا الصغير ابي المتوحدين في برية الصعيد بارض مصر . . . كتبه بهنام الراهب السجستاني . . . في عهد ديونوسيوس بطريرك انطاكية (+ ١٢٦١) ومار اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة والربّان يشوع القسّ رئيس هذا الدير الذي يخصّ السريان »

وقد جاء ذكر هذا الدير عينه في مخطوط مكتبة اوكسفرد ايضاً (عدد ٣٢ ص ٩٥) المنسوخ سنة ١٢٤٦ م

رابع عشر : دير الاقليم . ذُكر في مخطوط لندن السرياني عدد (٨٣٢ ص ٨٦٥) بما تعريبهُ : « انتهى تأليف القديس يوحنا الناسك المعروف بالشيخ سنة ١١٧٢ م في برية مصر داخل دير الاقليم بوادي بهري

خامس عشر : دير مريم العذراء والدة الله . هو غير دير والدة الله في الصعيد الذي سيأتي وصفه على حدة . وكان موقع هذا الدير في الجزيرة باقليم الاسكندرية على ما صرّح تاريخ مخطوط لندن (عدد ٩٥٣ ص ٩١٣) وهذا تعريبهُ : « انتهى نسخ الكتاب سنة ١٠٨١ م في دير القديسة والدة الله بالجزيرة التي باقليم الاسكندرية بساعي مار موهوب ومار فهد وابنيها يوحنا ومنصور » . وقد ورد ما يحاكي هذا التعريف في مخطوط لندن (عدد ٢٢٥) المنسوخ سنة ١٠٨٩ م

سادس عشر: دير مار يونان. وصفهُ مخطوط لندن السرياني (عدد ٧٨١ ص ٧٦٦) المشتمل على «مجموعة الرهبان المصريين» على هذا النسق «وقف هذا الكتاب اسحق ودانيال وشليمون الرهبان في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس... في عهد قزما (الثاني) بطريرك الاسكندرية ويوحنا [الخامس] بطريرك انطاكية ٨٧٤م» وقد ورد ذكره على هذا المنوال ايضاً في مخطوط لندن (عدد ١٠١٤ ص ١١٩٥) بقوله: «وقف هذا الكتاب مع تسعة كتب اخرى اسحق ودانيال وشليمون المترهبون في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس مصر سنة ٨٤٩ م

سابع عشر: دير الانبا صموئيل. ويُعرف بدير القلمون وهو على مقربة من دير ابي مقار. كان من اجلّ الاديار وأوفرها عمراناً واكثرها ارزاقاً واملاكاً. ذكرهُ ناسخ النوافير السريانيَّة على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٧٢ ص ١١) هكذا: «بسم الله رجانا. هذا الكتاب وقف مؤبد على دير القديس انبا صموئيل المعروف بالقلمون. كتب هذه الوقفية يوحنا الراهب السرياني من ماري اوحين» وقد وصفه المقريزي (٢: ٥٠٥) بقوله

«هذا الدير [illegible] يتوصل [illegible] منها الى الفيوم ... بُني على اسم صموئيل الراهب [illegible] في [illegible] ما بين عبدي ومحمد ... وفيه قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان [illegible] لياصر [illegible] ايضاً عين ماء تجري وفي خارجه عين اخرى وبهذا الوادي عدة معابد قديمة ثم وادٍ يقال له الأمبلح فيه عين ماء تجري ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها. وخارج هذا الدير ملّاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيعمّ تلك الجهات»

ثامن عشر: دير مار جرجس. ابتناه السريان الشرقيون اعني النساطرة على اسم مار جرجس وقد ذكره الشيخ ابو صلح الارمني[1] (ص ٥٤) قال:

«دير النسطور على اسم مار جرجس وهو من العمارة المتينة المحكمة ومن المتنزهات المشهورة الموصوفة. وكان الشيخ ابو الفضائل النسطوري... اهتمّ بعمارة ما تشعّث منه وجدّده احسن عمارة بالحجر المنحوت وكان فيه عدة كبيرة من رهبان النسطور... ولهذا الدير ارض للزراعة ملك للدير... وصار هذا الدير الى القبط بمصر في بطريركية الانبا مرقس بن زرعة وهو الثالث والسبعون في عدد البطاركة وقدّس فيه... سنة ٨٩٩ للشهداء. وسنة ٥٧٦ هجريّة ١١٨٠ م»

---

١) لعله صموئيل او شموئيل مؤسس دير قرقين بطور عبدين في اواخر القرن الرابع على ما ذكر ابن العبري في تاريخه الكنسي. اطلب المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٨٢٨)

هذه ثمانية عشر ديراً ابتناها السريان في وادي النيل وثوى بهـا رهبانهم احقاباً كثيرة ولعلّ الباحث يقف على غيرها ايضاً متى أتعب خاطره وكلّف نفسه مشقّة التفتيش عنها في الاسفار القديمة والمخطوطات العتيقة . وفي ما اوردناه مؤونة كافيـة للاقتناع بما كان للسريان من الكلمة والاهمية ورفعة الشأن في وادي النيل

١١ً دير السريان الكبير في صعيد مصر

المشهور بدير والدة الله

كان هذا الدير متحفة الاديار السريانيّـة في القطر المصري وكان غاصاً بالرهبـان الاتقياء الاذكياء الذين أفادوا المؤمنين بسيرتهم القشفة وأغنوا ارباب العلوم بمؤلفاتهم النفيسة ومخطوطاتهم النادرة . ويغلب على الظنّ انهُ أُسس قبل السنة ٦٠٣ على مـا يُستفاد من مخطوط لندن (عد ٦٧٢) المنسوخ في هـذا الدير العام سنة ٦٠٣م وهو يتضمّن ميامر يعقوب السروجي العلّامة الشهير . ويتّضح من مخطوط مكتبة باريس (عـدد ٧٢ ص ١١) المنسوخ سنة ٧٢٠ م ان رهبـاناً سريانيّين وافوا من تكريت واشتروه — او ان شئت فقل فكّوه — من يد القبط بعد ما استوا لهم اثني عشر الف ذهب . وكان يشويه يوم عزّه مئات من الرهبان . وقد ذُكر في مخطوط لنـدن (عدد ٩٥٠ ص ١١١) المنطوي على اخبار القديسين ان سبعين راهباً سريانيًّا كانوا منقطعين فيه الى عبادة الله . وكان يزور هؤلاء الرهبان مطارنة اورشليم السريان حيناً بعد حين ويتفقّدون احوالهم . وظلّ هذا الدير الشهير على رقيّه وبسطته حتى سنة ١٥٩١ فصمّم اغناطيوس بطرس الرابع بطريرك السريان ان يتعهّد شؤونه ولكن المنيّـة عاجلتـه وصرفته عن انجاز رغبته فأوفد الى رهبانه طائفة من المال اسعافاً لهم

والفضل في تعزيز هذا الدير عائد الى الرهبان السريان التكريتيـين والى تجّارهم الذين كانوا يتوافـدون اليه منذ القرن السابع حاملين اليه المخطوطات السريانيـة النفيسة . وكان يقصـده ايضاً عدد كثير من الرهبان من مـا بين النهرين وفونيقي وفلسطين وسورية وغيرهـا فيتزوّون فيه او في ما جاوره من الاديار معتكفين على العبادة والقنوت . ومن جملة ذلك ان اثني عشر رجلًا وافوا الى هذا الدير من سورية في نيسان سنة ١٢٠٦ كما ورد في مخطوط لندن (عدد ٢٣)

وكان هؤلاء الرهبان يتشاغلون اثناء الفراغ من الفروض الرهبانية بالتأليف والنسخ يبيّضون ويسوّدون وينقّحون. وكانوا يدرسون ايضاً اللغة القبطية وينقلونها وقد نقلوا عنها شيئاً الى السريانيّة. وجاء في مخطوط لندن (عدد ٩٦٣) ما تعريبهُ عن السريانيّة: «كتبنا ما وجدنا في كتب كنيسة مار بطرس في عكّة وارسلناه مع الربّان عزيز... وطلبنا سيرة مار فاخوم سواء كانت بالعربية او بالقبطية لننقلها نحن الى السريانية فلم نعثر عليها». هذا ما كتبهُ يوحنا السجستاني الراهب السرياني

وقد ادّى رؤساء هذا الدير ورهبانه خدماً جُلّى للدين والعلم معاً. وها اننا نسرد هنا اسماء بعض رؤسائه تخليداً لذكرهم مقتطفين شيئاً من اخبارهم عن مخطوطات مكتبتهم الشهيرة التي افردنا لها فصلاً خصوصياً:

١ً اوّل من تولى رئاسة دير والدة الله على ما تيسّر لنا الوصول اليه هو ماروثا ابن حبيب الرئيس الكبير سنة ٧٢٠ م وقد وصفه مخطوط باريس (عدد ٢٧ ص ١١) على هذه الصورة: «دأوا على التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من القبط باثني عشر الف دينار ذهب بهمة مار ماروثا ابن حبيب الرئيس الكبير». على اننا قلنا آنفاً ان هذا الدير كان قد تأسس قبل سنة ٦٠٣ م فقول الناسخ «اشتروه» يدلّ على ان القبط استحلّوه فسعى السريان بجمع مبلغ من المال واسترجعوه

٢ً المطران سويرا قرياقس عُهدت اليه رئاسة هذا الدير سنة ٧٧٣ م على ما صرّح به مخطوط لندن (عدد ١٠٣٣ ص ١٢٠٠)

٣ً الانبا يوسف أُنيطت به الرئاسة على هذا الدير سنة ٧٩٨ م كما ورد في مخطوطات لندن (عدد ٣٠٩)

٤ً ابن عيدي رئيس دير والدة الله. كذا ورد اسمه في مخطوط لندن (عدد ٧٨١ ص ٧٦٦) المنسوخ سنة ٨٦٦ م في عهد يوحنا بطريرك انطاكية ٨٤٧ (+ ٨٧١) وتزما بطريرك الاسكندرية

٥ً القس يوحنا بن مقاري. عُقدت لهُ الرئاسة على هذا الدير نحو السنة ٨٩٤ م طبقاً لما ورد في مخطوط لندن (عدد ٥٦٨ ص ٤٥٠)

٦ً القس موسى النصيبيني. هو الذي سعى بفكّ هذا الدير من الرهن وارتحل الى بلاد السريان وجمع المخطوطات السريانيّة ونقلها اليه وقد عُقدت لهُ الرئاسة على

هذا الدير نحو السنة ٩٢٠ وسنفيض في وصفه في الفصل التالي في كلامنا عن مكتبة هذا الدير

٧ً الاب صليبا. أفضت اليه الرئاسة على هذا الدير في عهد البطريرك ابرهيم الاول (٩٦٢—٩٦٣) طبقاً لما ورد في مخطوطي لندن (عدد ٣٤٧ وعدد ٣٥٢)

٨ً الاب داود. تولى رئاسة الدير سنة ١٠٠٧م على ما نص تاريخ مخطوط لندن (عدد ٣٢١)

٩ً الاب يوحنا. هو شقيق الاب داود سالفه. خلفه في رئاسة الدير بعد السنة ١٠٠٧ كما ذكر مخطوط لندن (عدد ٣٢٢)

١٠ الاب باسيل. أنيطت به رئاسة الدير سنة ١٢٢٢ م في عهد القمص الرّبان يوحنا. وكان هذا القمص رئيساً على دير آخر للسريان لم يذكر الناسخ اسمه (مخطوط لندن عدد ١١٩). ولم نعثر على اسماء رؤساء هذا الدير في الفترة التي تخللت ما بين السنة ١٠٠٧—١٢٢٢

١١ً الرّبان يشوع القمص. تولى امور الدير منذ السنة ١١٣٧م على ما صرّح به مخطوط لندن ايضاً (عدد ١٧٧) حتى السنة ١٢٥٤ على ما ذكر مخطوط لندن ايضاً (عدد ١٤٧ ص ٩٤) وكان اصله من زرجل قرية قريبة من حصن كيفا على دجلة

١٢ً عبد المسيح القمص. ذكرهُ مخطوط لندن (عدد ٥١٠) هكذا: «عبد المسيح رئيس دير سيدتنا بالبرية المقدسة المعروف بدير السريان سنة ١٤٨٣م في عهد الانبا متاوس بطريرك الاسكندرية»

١٣ً المطران ساويرس قرياقس. ذكره مخطوط لندن (عدد ٣٩٩) هكذا: «انتهى هذا البيتكاز (ܒܝܬܟܙ) وقد نسخهُ رئيس الدير ابونا القديس... المطران مار ساويرس قرياقس من جبل لبنان من مقاطعة طرابلس... جرى ذلك في دير والدة الله ببرّية الصعيد الذي يخصّنا نحن السريان المحسودين وذلك سنة ١٤٩٢ م وفي هذه السنة حدث وباء هائل وطاعون قتّال في ارض مصر فتك بعدد لا يُحصى من البشر»

١٤ً المطران ساويرس. تولى رئاسة الدير في ١٥ اذار ١٥١٦ طبقاً لما جاء في مخطوط لندن (عدد ٦٥) الذي علّق عليه غريغوريوس مطران اورشليم القائدة المشار اليها

١٥ً الاب لعازر . انتُخب رئيساً للدير بعد المطران ساويرس وقد جاء ذكره في مخطوط لندن (عدد ١٠١٣)

١٦ً و ١٧ً قسطنطين الاول وقسطنطين الثاني . ذُكر اسمهما في مخطوط لندن (عدد ٦٩٥ص٥٨٠) على هذه الصورة : « نسخ الرَّبان متى الطور عبديني كتاب اسحق النينوي . . . في عهد قسطنطين الاوّل لا الثاني . لان هذا الدير تولى رئاسته رئيسان باسم قسطنطين . وقسطنطين الاول بعد ما شبع من الرئاسة اعني من فِتَن الرهبان وتحزُّباتهم . . . انهزم الى دير الاب انطونيوس مستصحباً هذا كتاب ماراسحق ليقرأ فيه ثم يردّه الى الدير . غير ان المنية بغتتهُ في ذلك الدير فظلَّ فيه هذا الكتاب مع غيره من الكتب »

هذا ما تيسّر لنا الوقوف عليه من اسماء الرؤساء الذين تولّوا امور هذا الدير الشهير الذي لبث في حوزة السريان حتى القرن الغابر فاستحلّه القبط وملكوه ولعبوا بما بقي من آثاره السريانية غير ان الزائر يرى فوق مذبح كنيسته حجرًا نُقش عليه بحروف سطرنجيلية ما ترجمته : « شُيّد هذا البناء في عهد القس موسى النصيبيني رئيس الدير » اعني في القرن العاشر . وقد شاهد هذه الكتابة وغيرها من الكتابات السريانيّة المنقوشة في جدران الدير حتى اليوم كثيرٌ من الزوّار فاتادونا عنها

على ان المؤرّخ رمزي تادرس القبطي احجم عن ذكر ذلك في وصفه هذا الدير المجيد كما سكت ايضاً عن وصف آثاره ومكتبته الشهيرة . واليك ما كتبه عنه في مؤلّفه « الاقباط في القرن العشرين » قال :

« جاء المستر تاتام السائح الانكليزي الى القطر المصري سنة ١٨٣٧ (والصحيح سنة ١٨٤٣) فاخذ ثلاثمائة قطعة من المخطوط اليدويّة المكتوبة على رقّ غزال خلاف عدد عظيم من الكتب المهمّة التي لا تقدَّر قيمتها والتي كانت تُعَدّ الاثر الباقي للمكتبة القبطية(١) (والصحيح السريانية) في دير السريان . وقد نُقلت هذه التحف الى انكلترا . واول ما يراه الزائر دير

---

١) ان المؤرخ رمزي تادرس لم يورد خبر هذا الدير ومكتبته بدقّة وامانة اسوةً بالمؤرخين الثقة ذلك رغبة منهُ ان يخفي عن القرّاء ما كان للسريان من الاهمية والاعتبار سواء كان في القاهرة ام في برارتها وقد أشرنا في المتن الى ما ارتكبه من الشطط والغلط اماً جهلاً او تجاهلاً منه

السيدة بالبراموس ثم دير السيدة وابو يحنس كما المشهور بالسريان (١ فدير ابو مقار فدير الانبا بيشاي »

« اما دير السيدة وابو يحنس كاما (وهو دير السريان المعروف بدير والدة الله على ما وصفناه آنفاً) فيشتمل اولاً: على كنيسة للعذراء بالمغارة وبها ايقونة قديمة جداً تمثلها وعليها رسم خروف من الاسفل. وثانياً: على مغطس في وسطهِ رسم صليب (هذا يوافق لتقاليد السريان وعوائدهم الطقسيَّة التي اتخذوها عن السلف وهي ان يضعوا في جرن العماد صليباً كما شهد لذلك مار افرام في مداريشه) قائماً على قاعدة مدرجة وعلى قمته المقدسة رسم العين وعلى جانبيهِ عمودان. ثالثاً: على كنيسة الاربعين شهيداً بسبسطية (الذين لهم مقام معتبر لدى السريان). رابعاً: على مقبرة الانبا مرقس مطران الحبشة. خامساً: على كنيسة العذراء ايضاً بها ايقونات كثيرة من العاج مطعَّمة في خشب الصنوبر وبينها ايقونة مار مرقس على حجاب الهيكل مع ايقونات ديوسقورس وسويرس وابي يحنس (الذين لهم الرتبة الاولى عند السريان). وفي هذه الكنيسة صور الاثني عشر رسولاً وعلى باب الهيكل منقوش بالتطعيم صور العذراء والمسيح ومرقس وديوسقورس وسويرس الخ.. وبالخورس الداخلي مغطس اللتان [illegible] وبه اعمدة من الرخام صغيرة الحجم والطول وُضعت منذ ثلاثمائة عام (اعني منذ كان هذا الدير في ملك السريان وحوزتهم وهم الذين وضعوها). وفي غربهِ غرفة المائدة وطولها خمسة عشر متراً في عرض متر. وفي جنوبه محلّ كان مختصاً لعبادة الانبا بيشاي (كما صرَّح بهِ ايضاً نساخ الكتب السريانية) وفي الدير كنيسة صغيرة باسم ابي يحنس شرقي الشجرة المنسوبة الى مار افرام السرياني (وهو دليل آخر على ان هذا الدير كان للسريان) وقصر فخم ملاحق للبوابة العمومية ارتفاعه اثنا عشر متراً وبه خمس طبقات في اسفلها طاحون للدقيق. وفي الطبقة الرابعة كنيسة باسم الملاك ميخائيل ومكتبة الدير. وباب القصر. اما سور الدير فعلوّه اثنا عشر متراً وعرضهُ نحو ثلاثة امتار. امّا اوقاف الدير فقيمتها ١٨٠٠ جنيهاً وايجارها ٤٥٥ جنيهاً مع اشتراكه بالنصف في اوقاف دير انبا بيشواي (لان هذا الدير كان ايضاً للسريان كما اوضحنا)

وذكر الاب ميشال جوليان اليسوعي في رحلته الى صعيد مصر سنة ١٨٨٢

١) تكفي هذه النسبة لتأييد حقوق السريان على هذا الدير

(ص ٣٠ عد ١٠) من النصّ الافرنسي ما تعريبهُ بتلخيص :

« لما وصلنا الى دير السريان استقبلنا رئيسُ القمص ميخائيل وهو شيخ عجوز واحتفى بنا نائبهُ فأرانا في ساحة الدير البرّانية الشجرة العجيبة المشهورة بشجرة مار افرام السرياني وهي تحاكي شجرة تمر هندي لها اغصان فنواء تظلل البناء باسره وتتخلل اوراقها الخضراء عناقيد زهور جميلة . وروى لنا الرهبان القبط ان مار افرام السرياني لما دخل الكنيسة ليصلي ترك عصاه خارجاً على بابها ولما خرج من الكنيسة ألفاها قد اخضرّت ومنذ إذٍ جعل الرهبان يسقونها حتى اصبحت شجرة عظيمة وارفة الظلّ تكسو الدير كله وما برح الرهبان القبط حتى اليوم يتلون تحتها صلواتهم الفرضيّة عند غروب الشمس »

واردف الاب جوليان :

« ان دير السريان هذا يحاكي دير البرموس واغلب بنائه معقود بقناطر وقبب طبقاً لعوائد السريان ومعاهدهم »

وناهيك ان الاقباط بعد ما استولوا على هذا الدير الجليل جعلوه معهداً لرهبانهم ومدرسة لاكليرسهم فتخرّج فيهِ عدّة من بطاركتهم واساقفتهم وكهنتهم . ومما يستحقّ الذكر ان البطريرك غبريال السابع (١٥٢٦—١٥٧٠) ترهّب في دير السريان ببرية شيهات وعمّر ديري القديس انطونيوس والقديس بولا بعد دمارهما وكانا يخصّان السريان كما ذكرنا

وفي عهد يوحنا الـ١٧ (١٧٢٧—١٧٤٥) انشأ جرجس السروجي السرياني امير قومهِ كنيستين في كل من الديرين المشار اليهما(١

ثمّ ان غبطة السيد كرلس الخامس بطريركهم الحالي تلقّى العلوم في هذا الدير سنة ١٨٤٤ ثم صار كاهناً وانتخب بطريركاً سنة ١٨٧٥ . وفي هذا الدير عينه تهذّب الانبا اسحق مطران البهنسا . وبني سويف وارتسم اسقفاً سنة ١٨٩٩ ثم مطراناً سنة ١٩٠٦

فيجدر بالطائفة القبطية الجليلة ان تؤدي للسريان شكراً جميلاً وامتناناً جزيلاً لان نفراً من بطاركتها واساقفتها تلقوا العلوم في ديرهم السرياني

١٢ مكتبة دير والدة الله السريانيّة في صعيد مصر

كان السريان منذ اول امرهم مولعين بالعلوم مغرمين بالتأليف والتصنيف مشغوفين

١) تاريخ القبط (ص ٦٣٣)

بنسخ الكتب وجمعها حريصين عليها حرصهم على اثمن الجواهر وأسنى التحف وقد ورثوا هذه الحلة الشريفة عن آبائهم وأجدادهم وملوكهم العظام الذين استنبطوا صناعة الكتابة وزيّنوا قصورهم الفخمة بالمكاتب المعتبرة كما ذكرنا . وكانت لهم مدارس شهيرة ومعاهد علمية كثيرة رضع فيها افاويق العلوم عدد عديد من افاضل الكتبة وصنفوا اسفاراً عديدة نادرة غدت دستوراً لمن جاء بعدهم . غير انه لسوء الحظ لم يصلنا من تلك الاسفار الّا النزر القليل ككتاب احيقار ورسالة مارا بن سرابيون . والسبب في ذلك ان السريان لما اعتنقوا الدين المسيحي ساقهم غلوّهم بديانتهم الى اتلاف ما ورثوه عن اجدادهم من المتروكات العلمية لانطوائها على المبادئ الوثنية (١

وزد عليه ان الملوك الوثنيين اتلفوا عدداً من تلك الاسفار كما افتعل ديوقلطيانس في السنة التاسعة عشرة لملكه اذ تقدّم الى جميع البلاد الخاضعة لدولته بتقويض كنائس النصارى واحراق كتبهم (٢ بل افضى الامر بالمسيحيين الى احراق كتب الكنيسة المقدسة الالهية في عهد قسطنطين عينه على ما ذكر اغابيوس المؤرخ الرومي المنبجي في تاريخه . بل ان الغيرة الدينيّة حملت السريان في العصور المتأخرة على القاء كتبهم للنار في بلاد العراق والهند وغيرها لاحتوائها تعاليم المبتدعين والاراتقة . على ان السريان لمّا هجروا النوفسية واعتنقوا الايمان الكاثوليكي في قرقوش سنة ١٧٨٠ طرحوا في بئر كنيسة الطاهرة بالموصل جميع الكتب السريانية الحاوية شيئاً من تلك البدع . وكانت مجلدات كثيرة جدًّا تنطوي على مسائل مهمّة واخبار تاريخية ومباحث علمية في كل فن ومطلب

ومما يذعو الى الاسف ان مكاتب السريان في عواصم سورية كانطاكية ودمشق خصوصاً لم يبقَ منها اثر وقد اورد الكاتب المجيد حبيب الزيّات في كتابه « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » فصلًا ممتعاً في مكتبة دير الشاغورة بصيدنايا التي كانت تشتمل على مخطوطات شتى سريانية وملكية ويونانية وغيرها افضت اللثامة بل الحماقة براهبات الدير الى احراقها واتلافها وقد روى جنابهُ الخبر في المشرق (١ [١٩١٠] : ٣٣٣)

---

١) راجع ما ذكرناه هنا (عدد ٤)

٢) اوسابيوس ك ٨ ف ٣ ص ٤٦٥

وقد وجد حبيب افندي الزيات (ص ١١٨) مخطوطين سريانيين احدهما منسوخ سنة ١٤٣١م سلما من الحريق

وكان بعض هذه المخطوطات قد انتُهب وبعضها نُقل الى خزائن الكتب في اوربة والى مكاتب دمشق وغيرها. على ان السلطان عبد الحميد أذن سنة ١٩٠٩ للجنة من اعيان المسلمين وعلمائهم ففتحوا مكتبة الجامع الاموي بحضور البارون فون سودن الالماني والدكتور ڤيوله فعثرا على قطع متعددة من الاسفار المقدسة باللغة السريانية الفلسطينية. ثم ظفر الدكتور بلحق لها ووجد صحائف كثيرة من الرقّ باليونانيّة واللاتينية والسريانية نُسخت منذ القرن الخامس (١ (ص ٤). وكان في دير القديسة تقلا ايضاً مكتبة سريانية احرقها احد اساقفة الروم الارثذكس لكرهه اللغة السريانية (ص ١٦٠) ولمّا احترق الجامع الاموي سنة ١٨٩٣ التهم شيئاً من الكتب وتُلف ايضاً منها شيء كثير في خريف سنة ١٨٦٠ (٢

امّا المسلمون فان ضربنا الصفح عمّا اخبره كتبتهم عن احراق مكتبة الاسكندرية الشهيرة (٢ فقد ذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٣٦٢) «ان صلاح الدين الايوبي لما فتح مدينة آمد اي ديار بكر سنة ١١٨٣م وجد في المكتبة الف الف واربعين الف مجلّد (٣ استحوذ عليها برمّتها ودفعها الى كاتبه القاضي الفاضل فحملها الى مصر

الى هذا الحدّ اتّصل السريان من الرغبة في العلم والتأليف وقد ظلّوا متمسكين بتقاليد اجدادهم على رغم ما ألمّ بهم من الحيف والعسف وما انتابهم من الغير والآفات والنهب والسلب والحريق فتوفّرت لديهم خزائن الكتب المشتملة على نفائس التآليف ونوادر المخطوطات. وكانوا اذا رأوا الملوك والولاة يحاولون سلبهم خزائنهم يحتاطون لها وينشطون لحملها الى بلاد اهلها متمتّعون بالراحة والطمأنينة. وبناء عليه نرى جملة من اصحاب الهمّة والنشاط قد جمعوا عددًا كثيرًا من هذه المخطوطات ونقلوها رويدًا رويدًا الى دير والدة الله الذي سبق آباؤهم فشادوه في صعيد مصر فاجتمع فيه في مدّة ليست بيسيرة الوفٌ من الاسفار السريانية تتضمن

١) الطب المشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٦١ و ٥ [١٩٠٢] : ٩٧

٢) المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٤٧-٥٧ ٣) كذا ورد الخبر فنرويه على علّاته

شيئاً كثيراً من اسفار العهدين الاقدسين ومن الكتب المزورة والليترجيات والصلوات القانونية والقوانين البيعيَّة والمقالات الدينيَّة واللاهوتية والفلسفية والمنطقية والعلمية والتصانيف الكثيرة في الطبّ والفلك والطبيعيات والتاريخ والنحو الخ مما يدهش العقول ويشده الالباب ويضطر ذوات العالم للاقرار بحذق السريان ورسوخ قدمهم في اصناف العلوم

وهذه المخطوطات النفيسة يرتقي عهد نسخ بعضها الى القرن الخامس والسادس مما يندر وجوده اليوم في أعظم دور الكتب وأهمها . ومنها ما كُتب باصله السرياني لاستعمال الطوائف السريانية والمارونية والملكية والكلدانية ومنها ما نُقل عن اليونانية والقبطية والعربية الى السريانية

أمّا الفضل في جمع هذه الكتب الثمينة النادرة فعائد الى القسّ موسى النصيبيني الذي تولى رئاسة دير والدة الله نحو سنة ٩٢٠ فتكبَّد مشاقّ الاسفار وركب متن المخاوف والاقطار وجال في بلاد سورية وما بين النهرين والعراق بغية الافراج والتوسعة عن رهبان هذا الدير وكانت تراكمت عليهم ديون باهظة عجزوا عن تأديتها . فاضطرّ رئيسهم الغيور القس موسى ان يرتحل الى تلك البلاد ويجوّل فيها مدّة ستة اعوام (١ متنقلاً من بلد الى بلد لا يفتر من الالحاح في استمداد الغوث لاسعاف الدير فتيسَّر له بعد جسيم العناء ان يوفي الديون ويوسّع على الرهبان ويخفّف عنهم وطأة الذلّ ويخلّد له ذكراً طيباً جميلاً

واغتنم هذا الرئيس الغيور الفرصة ليجمع اثناء رحلته الكتب الثمينة وينقلها الى ديره بصعيد مصر . وكان وصوله الى بغداد سنة ٩٢٧ (٢ فجمع اذ ذاك مائتين وخمسين مجلداً ضخماً من الصحف السريانية القديمة اشترى اغلبها بمبلغ وافر واستحصل قسماً صالحاً منها بمثابة هدية او وقف لديره (٣

وعام ٩٣٢ عاد القس موسى النشيط الى صعيد مصر ظافراً غانماً حاملاً تلك الكنوز اليتيمة (٤ وانشأ لها قاعة خصوصية ونظمها تنظيماً محكماً فاقبل الرهبان

١) مخطوط لندن عدد ٣٦

٢) مخطوط لندن ٧٦٩ ص ٧٤٠ من الفهرس

٣) مخطوطات لندن عدد ٥٤٧ و ٥٨٨

٤) مخطوط لندن عدد ٩١١

على التقاط فرائدها واقتباس فوائدها وجعلوا ينقلون عنها كتباً شتى خطّوها بيدهم حتى اصبح عددها مع تعاقب الزمان يربو على الالف مجلّد. وصرف آباء الدير ورهبانه العناية في صيانة تلك الآثار فجلّدوها وجدّدوها. وقد قرأنا في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ في هذا الدير سنة ١٢٦٢ حاشية أُضيفت اليه فيما بعد هذا تعريبها : «تجدّدت هذه الكتب وتجلّدت سنة ١٤٩٢م» ثم وردت فيه هذه الفقرة :

« انا العبد الحقير القس توما الماردبني لمّا دخلتُ دير العذراء بصعيد مصر رأيت في مكتبته صحفاً كثيرة مكوّمة بلا حساب ولا عدد فنظّفتها ونفضتها ورتّبتها وأحصيتها فكانت اربعمائة وثلاثة مجلّدات فرتّبتها في برج القلعة سنة ١٦٢٤ »

وقد صرّح الاب جوليان اليسوعي في رحلته الى هذا الدير (ص ٢٤ عدد ٧) انه كان يحتوي على برج فيه مكتبة ذكرها الاب سيكارد C. Sicard الرحّالة اليسوعي الشهير (ج٣ ص ٢٧٩) بقوله :

« ان العلامة يوسف السمعاني المارونى وكيل المكتبة الفاتيكانية برومية توجّه سنة ١٧١٥ لزيارة اديار النطرون بصعيد مصر فاشترى جملة من تلك المخطوطات واستنسخ منها كتباً تعذّر عليه اشتراؤها لان الرهبان لم يكونوا ليستغنون عنها ولو بوزنها ذهباً »

وما عدا ما جمعه القس موسى فقد كان يقصد هذا الدير جملة من الرهبان السريان من اطراف سورية وفلسطين وما بين النهرين والعراق ولاسيما من تكريت كما اشرنا حاملين اليه كتبهم لتلاوة الصلوات او للمطالعة او لئلّا تأخذها يد الضياع او يثور ثائر الاكراد والاتراك فيعبثون بها ويحرقونها كما احرقها من قبلهم مَن ضارعهم في الهمجيّة. وكان نفر من اولئك الرهبان يستعذب الاقامة في هذا الدير او في ما جاوره من اديار السريان او يعيّنهم البطريرك او الرئيس لخدمة النفوس في احدى كنائس مصر السريانية

ومن ثمّ فقد نُقلت الى هذا الدير الشهير عدّة صحف مهمّة من بلاد السريان كتكريت (٢٢٠) (١ وقرقوش (٣٢١) وراس العين وقرقيسيا (٣٠٦ و٣٠٧) والرقّة (٣٣١) وتلّ موزل وتلّ بسم (٢٤) ودنيسر (٢٢٦) والابراهيميّة (٣٢٩)

١) الارقام تدل على عدد فهرس الكتب السريانية المخزونة في دار الكتب الكبرى بلندن

وباسبرينا (١٠٣٣) ودير مار ملكي (٢٢٦) وقلث (٣٠٢) وقرى طور عبدين (٨٤١) وتلّ كمثرى(٤٠) وحصن كيفا (٨٣) (٢ وبعيتل بحمص (١٣٥) وحارستا (٥٢٩) وحلوجا بسروج (١٤١) وسجستان (١٤٧و٤٦٩) والرها (١٦٩الخ)وزرجل (١٨٩) والمعدن (٢٢٥) وبَلَد وسنجار (٢٤٣) ورعبان عند الخابور (٢٩٥) وحصن زيد (٣٢١) ومرعش (٣٢٣) ودير زغل بتدمر (٥٨٥) وطورلاها بانطاكية(٦٢٦) وكنيسة القيامة ودير السيدة باورشليم(٦٢٩) ونابلس (٣١٨) وعكّة (٩٦٣) والبقاع (٣٩٣) الخ الخ

ومن هذه المخطوطات ما نُسخ في دير والدة الله عينه كما ألمنا كمجموعة للرهبان (٧٨١) نُسخت سنة ٨٢٣ وقس عليها المخطوطات (١٧٦ و ١٨٩ و ٢٠٩ و ٢٢٨) وغيرها

واوّل من احسّ بهذه التحفة الثمينة كان الاحبار الرومانيون فاوفدوا الى القطر المصري بادئ ذي بدء القس الياس اليسوعي الماروني فاستحصل عددًا تزرًا من الكتب حملها الى رومية . ولما تولى رئاسة الكرسي الروماني اقليمنس الحادي عشر اوفد سنة ١٧١٥ المونسنيور يوسف سمعان السمعاني العلّامة الشهير الى وادي النيل فاشترى قسماً صالحاً من هذه الاسفار السريانية ونقلها الى عاصمة الكثلكة وكتب في وصفها مقالةً رنانة نبّهت افكار علماء اوربا ولاسيما الانكليز فنهضوا نهضة اليقظان وقصدوا هذا الدير وبذلوا كل غالٍ وثمين حتى اشتروا ما تبقّى فيه من الكتب وحملوها برمّتها الى لندن ونشروا فهرسها في ثلاثة مجلّدات وصرّحوا بما لها من الأهمية وما تضمّنته من الفوائد العلمية والتاريخيّة

ومن هذه الكتب النادرة ما اخذه بطاركة السريان عينهم او نقلوه الى بلاد اخرى فقد ورد في الجزء الثاني من خطب سويرا (عدد ٦٨٦ ص ٥٤٧) المنسوخ في دير شيلا بسروج سنة ٥٦٩م ان ميخائيل الكبير († ١٢٠٠) تصفّحه وعلّق عليه هذه الحاشية : « استحضرنا هذا الكتاب من مصر الى سورية وحتمنا ان يبقى

٢) قد ورد ذكر هذه البلاد والقرى في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٧٢٠ و ١٦ [١٩١٣] : ٥٦١ وما يتبعها

مصوناً في دير برصوما بلطية في القلاية البطريركية ... كتبنا ذلك بيدنا سنة ١١٩٠ »

ومنها مخطوطات نُقلت الى دير مار مرقس باورشليم اخصُّها واقدمها كتاب بيتكاز ܒܝܬܟܙܐ يرتقي عهده الى القرن الحادي عشر. وقد ورد فيه انه كان يخصّ دير والدة الله بصعيد مصر وان «القس موسى النصيبيني رئيس الدير نقل اليه من بلاد ما بين النهرين ثلاثمائة وخمسين مجلّداً سريانياً»

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة باريس كما يُستفاد من فهرسها المطبوع سنة ١٨٧٤ واخصها كتاب العهد العتيق (عدد ٢٧ ص ١١) نُسخ سنة ٧٢٠م. وقد ورد فيه ما شرحه: «وهبهُ لدير برية الصعيد في مصر رهبان تكريتيون يلتمسون الصلاة والدعاء لجميع التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من الاقباط بمبلغ اثني عشر الف دينار بمساعي ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير»

ومنها كتب نُقلت الى برلين على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٩٩ فقد جاء (في عدد ٨ ص ١٧) ان ذلك السفر وهو كتاب الانجيل كان يخصّ دير والدة الله في برية الصعيد. وقس عليه كتاب الهدايا لابن العبري المنسوخ سنة ١٣٧٤ «في دير والدة الله ام الحياة المعروف بدير الناطف فوق دير الزعفران..» وقد نُقل الى دير والدة الله بالصعيد ثم دخل في حوزة دار الكتب ببرلين

ومنها مخطوطات نُقلت الى اوكسفرد على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٦٤ (عدد ٣٢ ص ٩٥) المشتمل على كتاب انجيل يوحنا ورد فيه ما شرحه: «انتهى انجيل يوحنا سنة ١٢٤٦ في دير الانبا يوحنا ببرّية الصعيد في عهد اثناسيوس بطريرك السريان المصريين... بأمر الاسقف مرقس. كتبه خبيب للرّبان اسحق اخيه»

ومنها ما نُقل الى مكتبة كمبردج على ما جاء في فهرسها المطبوع سنة ١٩٠١ فقد ورد في العدد (٣٢٨٠) المنطوي على تفسير اعمال الرسل ورسائل مار بولس انهُ نُسخ في ٢٢ ايار ١٦٠٧م في برية الصعيد قرب وادي نيطرون في دير والدة الله مريم المشهور بدير السريان. وهو ديرهم حقًّا كما يصرّح بذلك سجلّ الدير بقوله: «ان تجّاراً تكريتيين اشتروه باثني عشر الف دينار ذهب. كتب هذه السطور غريغوريوس

بهنام مطران اورشليم ، ومن ذلك يتضح جليًا ان الاقباط كانوا ينوون منذ القرن السابع امتلاك هذا الدير واغتصابه من السريان اصحابه وما برحوا يقلقون رهبانه ويُغتنونهم حتى استحلّوه في السنين الاخيرة

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة ميلان بايطالية واخصها نسخة نادرة المثال للكتاب المقدّس بالسطرنجيلية تتضمّن اسفار العهد العتيق برمّتها القانونية وغير القانونية واليك فهرس ما جاء في هذا المخطوط العجيب تكملةً للفائدة(١ :

« التكوين . الخروج . الكهنة . العدد . تثنية الاشتراع . أيوب . يشوع . القضاة . صموئيل الاول والثاني . المزامير (٢ . الملوك الاول والثاني . الحكمة اي امثال سليمان . سفر الحكمة . الجامعة . نشيد الانشاد . اشيا . ارميا . رسائل ارميا وباروخ . رسالة ارميا . رسالة باروخ الاول . رسالته الثانية . حزقيال . اسفار الانبياء الاثني عشر : هوشع . يويل . عاموس . عوبديا . يونان . ميـ ناحوم . حبقوق . صفنيا . حجاي . زكريا . ثم دانيال . راعوث . سوسن . استير . جوديت . ابن سيراخ . اخبار الايام الاول والثاني . رؤيا باروخ بن نريا المترجم من اليوناني الى السرياني . صلاة باروخ وهي ٨٥ فصلاً . عزرا الاول (السفر المدعو شلاتيل) . عزرا الثاني . كلام يحيا بن حاتيا . سفر المقابيين الاول . الثاني . الثالث الرابع في المقابيين واسم . ميمر على خراب اورشليم ليوسيفوس . خمسة الكتاب بقوله «اتى كتاب المقابيين وهو خمسة اسفار الثلاثة في المقابيين والرابع في شموني واولادها والخامس في خراب اورشليم »

وقد ورد في آخره ما تعريبه : «هذا الكتاب يخصّ دير والدة الله في برية الصعيد ولا يجوز لاحد ان يخرجه منه ابدًا » ثم ورد فيه ايضاً : «اذكروا ابا علي زيكري بن يوحنا الذي اشترى هذا الكتاب . . . ليطالعه الرهبان القاطنون دير والدة الله ببرية الصعيد » . ثم جاء فيه بخطّ احدث من السابق : « اقتنى هذا الكتاب الراهب عبد المسيح بن هيتم بن داود . الدمشقي » ويليه ما شرحهُ جُلّد هذا كتاب العهد العتيق سنة ١٠١٦م جلّده يعقوب الخاطي »

ومما يقضي بالعجب ان بعض الكتب التي كانت في هذا الدير قد نُقلت او بالحري أُعيدت الى بلاد ما بين النهرين . من ذلك مخطوط سرياني يخصّ اليوم مكتبة

---

١) وهي النسخة التي طبعها بالنور والحبر الكاهن العلّامة تشريانى (A. Ceriani) في ميلانو سنة ١٨٧٦ في مجلّدين

٢) وردت فيه هذه التعريفة «تسابيح داود المفرقة من اللغة العلسطينية وقد استخرجت من العبراني الى اليوناني ومن اليوناني الى السرياني»

الكلدان بماردين يشتمل على نسخة من رسائل مار بولس واعمال الرسل والرسائل القانونية كتبت سنة ١٠٦٢ للشهداء و ١٣٤٦ م موسومة بعدد ١٩ ورد فيها ما شرحه : « نُسخ هذا الكتاب في دير مرقوريوس بمصر في طرا » . ويلوح من بعض صفحاته ان ايدي النساطرة واليعاقبة تداولته . وقد عُلقت عليه حواش وتنبيهات تشير الى الطقسين النسطوري واليعقوبي

على ان في القاهرة حتى يومنا كتباً سريانية قديمة ذات قيمة واعتبار مخبأة في بيوتات الخاصة او في بعض المكاتب والمتاحف . ومما يؤيد قولنا ان القس بولس سباط السرياني الحلبي صاحب المكتبة الخطية قد عثر في هذه السنة ذاتها على مخطوط سرياني يرتقي عهد نسخه الى القرن الثامن او التاسع يتضمن الاناجيل المقدسة حسب الترجمة الحرقلية السريانية

(لها بقية)

نبذة في حياة الطيب الأثر

الاب مارون ايطو الراهب اللبناني

بقلم القس طانيوس شبلي اللبناني

لقد توفي في السنة الماضية راهبٌ من خيرة أبناء رهبانيتنا اللبنانية عنينا به الاب مارون ايطو المشهور في رهبانيتنا بتقواه وفضيلته وخدمته لمطبعة دير مار انطونيوس قزحيا . فاحببنا ان نكتب كلمة موجزة عن حياته الصالحة تثبيتاً لذكره على صفحات المشرق الاغرّ « وذكر الصدّيق يدوم الى الابد »

وُلد هذا الراهب الفاضل في قرية أيطو من معاملة الجبّة من ابوين تقيين رُبياه تربية مسيحية حقيقية حتى اذا بلغ السادسة عشرة من عمره الهمهُ الله تعالى الى الترهب فقصد دير مار شليطا القطارة وانضمّ الى اخوانه المبتدئين فكان لهم خير قدوة بمثله الصالح . ولمّا تمّت سنتا تجربته نذر النذور الاحتفالية والبسهُ الاسكيم الملائكي

الكلدان بماردين يشتمل على نسخة من رسائل مار بولس واعمال الرسل والرسائل القانونية كتبت سنة ١٠٦٢ للشهداء و ١٣٤٦ م موسومة بعدد ١٩ ورد فيها ما شرحه : « نُسخ هذا الكتاب في دير مرقوريوس بمصر في طرا » . ويلوح من بعض صفحاته ان ايدي النساطرة واليعاقبة تداولته . وقد عُلقت عليه حواش وتنبيهات تشير الى الطقسين النسطوري واليعقوبي

على ان في القاهرة حتى يومنا كتباً سريانية قديمة ذات قيمة واعتبار مخبأة في بيوتات الخاصة او في بعض المكاتب والمتاحف . ومما يؤيد قولنا ان القس بولس سباط السرياني الحلبي صاحب المكتبة الخطية قد عثر في هذه السنة ذاتها على مخطوط سرياني يرتقي عهد نسخه الى القرن الثامن او التاسع يتضمن الاناجيل المقدسة حسب الترجمة الحرقلية السريانية

(لها بقية)

نبذة في حياة الطيب الأثر

الاب مارون ايطو الراهب اللبناني

بقلم القس طانيوس شبلي اللبناني

لقد توفي في السنة الماضية راهبٌ من خيرة أبناء رهبانيتنا اللبنانية عنينا به الاب مارون ايطو المشهور في رهبانيتنا بتقواه وفضيلته وخدمته لمطبعة دير مار انطونيوس قزحيا . فاحببنا ان نكتب كلمة موجزة عن حياته الصالحة تثبيتاً لذكره على صفحات المشرق الاغرّ « وذكر الصدّيق يدوم الى الابد »

وُلد هذا الراهب الفاضل في قرية أيطو من معاملة الجبّة من ابوين تقيين رُبياه تربية مسيحية حقيقية حتى اذا بلغ السادسة عشرة من عمره الهمهُ الله تعالى الى الترهب فقصد دير مار شليطا القطارة وانضمّ الى اخوانه المبتدئين فكان لهم خير قدوة بمثله الصالح . ولمّا تمّت سنتا تجربته نذر النذور الاحتفالية والبسهُ الاسكيم الملائكي

الاب مارون ايطو (١٨٣٨—١٩١٤)

القس برزدوس ايطو رئيس الدير في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٥٦ وكان عمرهُ ١٨ سنة ثمَّ أرسل الى مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان فدرس فيها اللاهوت واصول اللغة السريانية والعربيّة على احد اساتذتها الطيّب الذكر القس ميخائيل غوش التنُّوري. وفي

٢٤ من نيسان سنة ١٨٦٢ رقّاهُ الدرجات الكهنوتيّة المطران يوسف المريض في دير السيّدة بكركي بامر السيّد البطريرك بولس مسعد بعد ان فُسّح لهُ من عجز العمر: وفي اليوم التالي سامهُ كاهناً وفي ١٢ حزيران من السنة المذكورة نال التفويض من السيّد البطريرك بسماع الاعترافات

وبعد سيامتهِ كاهناً تسلّم وظيفة الخياطة بدير سيّدة ميفوق ثلاث سنين ثم عُهدت اليهِ ادارة مطبعة دير قزحيّا فنشط الى اتقان مهامّ وظيفتهِ هذه . فصبّ لها حروفاً جديدة جميلة عربيّة وسريانيّة ووضع «ابّايات وامّايات» جاءت تحفةً في ظرف نقشها وسبكها . فطبع فيها الشحيمة ثلاث طبعات وخدمة القدّاس والشبّة طبعتين وكتاب الانجيل وغراماطيق القس نعمةالله الكفري . وقد اتقن تجليد الكتب اي اتقان فكانت في مطبوعاتها ناطقة بجهدهِ وجدّهِ وتعبهِ في طبعها وتجليدها . وقد ادار شؤونها ٥٥ سنة بهمّةٍ لا تعرف الملل لا يسأم ولا يتضجّر من العناء والتعب فبلغت بعنايتهِ واجتهادهِ مبلغاً سامياً من النجاح . وتخليداً لذكرهِ واعترافاً بجميلهِ واخلاصهِ عليها وُضعت في ادارتها صورة لهُ مكبرة وظلّ رحمه الله مهتمّاً بها الى آخر ايامهِ

ولما رأى فيهِ رؤساؤهُ الصفات [illegible] الرهبانيّة [illegible] التي تؤهلهُ لوظائف عند الرئيس العام الاب ادرام جميع البشرّاوي مع مدبريهِ جلسة بدير سيّدة طاميش في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٧١ قرّروا لهُ فيها حقّ الاقتراع في انتخاب الرئيس العام في المجمع العام وابلغهُ ذلك بكتابٍ جاء فيهِ: «قد تداولنا بمجمعنا المدبرين بعد الجلسة الخامسة من مجمعنا العام . . . فيما يلاحظ الاشخاص المستحقين الارتقاء للرئاسات وباقي وظائف رهبنتنا فوجدناكم اهلاً لان تكونوا من اباء المجمع العام مجازاةً لاتعابكم وصفاتكم الممدوحة نظراً لغيرتكم على مجدهِ تعالى وخير الرهبنة روحيّاً وزمنيّاً . ولكي تبقوا بوظيفتكم الناجحة بشخصكم (اي ادارة المطبعة) فبرأيٍ واحد قد اخترناكم ان تكونوا من اباء المجمع العام وانعمنا عليكم الصوت فيهِ رسماً . . . .»

وقد ترأس رحمهُ الله على عدّة اديار . دير عشاش سنة ١٨٧٧ و ١٩٠١ فرتّمهُ ووفى دينهُ . ودير سيدة ميفوق ١٨٧٤ (وكيل رئاسة) وعلى دير قزحيّا اربعة مجامع غير متتابعة في ١٨٨٠ و١٨٨٥ و١٨٩٤ و١٩١٠ فوفى ديونهُ واشترى لهُ ارزاقاً واسعة

ولم تكن مهامّ رئاستهِ لتشغلهُ عن ادارة المطبعة والاهتمام بها . وترأس ايضاً على دير سيدة النجاة في بصرما فشيّدهُ بالآجرّ وغرس لهُ حرجَ صنوبر وتوكّل على دير مار سمعان القرن للراهبات مجمعيّن اي ست سنين وحفر في جنبه بئرًا وسيعة

ولما ثقلت عليهِ عوارض الشيخوخة ولم يعُدْ قادرًا على ادارة الوظائف الرهبانية التمس من رئيسنا العام الاب اغناطيوس داغر التنُّوري الكلي الاحترام ان يعفيهُ من وكالة دير القرن ويسمح لهُ بالسكن في دير مار انطونيوس قزحيًا ليقضي بقية حياتهِ فيهِ . فكتب اليه الاب العام الجواب التالي المؤرخ في ١٧ تموز سنة ١٩١٥

بعد الترجمة : «وصلنا كتابكم الذي فيه تعرضون عن عجزكم الطبيعي والمرض الذي اصابكم وعن عدم قدرتكم على القيام بوظيفتكم وتترجون بان نرسلكم الى دير قزحيًا لتقضوا لحياتكم فيه فكلّ ذلك صار معلومـاً . فنحن قد تكدّرنا للغاية لعجزكم ولما اصابكم من المرض وعليهِ قد استجبنا ملتمسكم وارسلنا لكم مأذونيّة لكي تكونوا في دير قزحيًا لتقضوا فيهِ ما بقي لكم من العمر وتنضمّوا الى اجدادكم الرهبان القديسين . وقد كتبنا الى حضرة رئيس الدير ليقوم بواجبكم ويسهر عليكم وذلك لما لكم من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة والخدم الجليلة في جانب الرهبانية ولاسيما في دير قزحيا ومطبعتهِ . فنحن نقدّر حياتكم الرهبانية الثمينة التي قضيتموها بخدمتها حقّ قدرها ونسأل الحق سبحانه من صميم الفؤاد ان يكلّل حياتكم باكليل ميتة ابرار الرهبنة . وقد ارسلنا ولدنا الاخ ... ليتقيّد بخدمتكم وبما تأمرونه بهِ ... ولا يلزم ان نحثّكم على ان تقدّموا اوجاعكم وامراضكم مع اوجاع وآلام سيدنا يسوع المسيح الذي حملتم نيرهُ الطيّب من صغركم . فاطلبوا منهُ ما كان يطلبهُ من ابيه السماوي وهو : «يا ابتاهُ فلتكمل مشيئتك .. بيدك اسلّم روحي ...»

فحالما وصلهُ امر الرئيس العام توجّه الى دير قزحيا وانقطع كل الانقطاع الى اتقان واجباته الروحية . فكان يُكثر من زيارة القربان المقدس وتلاوة السبحة الوردية متفرغاً الى عبادته تعالى مستمدًّا الى ملاقاته شاكرًا لهُ السرّاء والضرّاء . وقضى فيهِ بعد نزوله من دير القرن تسع سنين مجاهدًا في كرم ربّهِ الى ان توفاه الله في ٤ نيسان سنة ١٩٢٤ لينيلهُ في السماء جزاء خدمتهِ لهُ . وقد حضر حفلة جنازه

عددٌ وافر من العلمانيين والكهنة الخوارنة وابنهُ حضرة القس لويس البتروني اللبناني معددًا فضائلهُ الرهبانية ودفن في مقبرة الدير مغمورًا بسيول العبرات وتصعيد الزفرات. فكان رحمهُ الله وديعاً لطيفاً حسن المعاشرة محبوباً ومعتبراً من رؤسائهِ واخوانه الرهبان تلوح على وجههِ سمات التقوى والقداسة. كافأهُ الله في سعادته الابدية اجزل مكافأة

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ اسحق بن حُنَين

﴿اصلهُ ودينهُ﴾ هو ابو يعقوب اسحق بن ابي زيد حُنَين بن اسحق العبادي. كان ابوهُ حنين من اشهر اطبَّاء عصره واجلّهم خدَمَ هارون الرشيد والخلفاء بعده. ونقل الى العربيَّة كتباً عديدة من تآليف اليونان. وكان عباديًّا والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيَّة بالحيرة كما ورد في المعاجم العربيَّة وغيرها. والنسبة اليهم عِبادي قال الشاعر يصف عباديًّا ساقي الخمرة:

يسقيكها من بني العباد رَشاً منتسبٌ عيدهُ الى الأحدِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن العبريّ في تاريخ الدول (ص ٣٥٢). وكان لحنين ولدان داود واسحق فأمَّا اسحق فخدم على الترجمة وتولَّاها واتقنها واحسن فيها وكانت نفسهُ أميَل الى الفلسفة واما داود فكان طبيباً للعامَّة. وقال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ١٨٨): «كان لحنين ولدان داود واسحق وصنَّف لهما كتباً طبيَّة في المبادئ والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس. فأمَّا داود فاني لم اجد لهُ

عددٌ وافر من العلمانيين والكهنة الخوارنة وابنهُ حضرة القس لويس البتروني اللبناني معددًا فضائلهُ الرهبانية ودفن في مقبرة الدير مغمورًا بسيول العبرات وتصعيد الزفرات. فكان رحمهُ الله وديعاً لطيفاً حسن المعاشرة محبوباً ومعتبراً من رؤسائهِ واخوانه الرهبان تلوح على وجههِ سمات التقوى والقداسة. كافأهُ الله في سعادته الابدية اجزل مكافأة

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ اسحق بن حُنَين

﴿اصلهُ ودينهُ﴾ هو ابو يعقوب اسحق بن ابي زيد حُنَين بن اسحق العبادي. كان ابوهُ حنين من اشهر اطبَّاء عصره واجلّهم خدَمَ هارون الرشيد والخلفاء بعده. ونقل الى العربيَّة كتباً عديدة من تآليف اليونان. وكان عباديًّا والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيَّة بالحيرة كما ورد في المعاجم العربيَّة وغيرها. والنسبة اليهم عِبادي قال الشاعر يصف عباديًّا ساقي الخمرة:

يسقيكها من بني العباد رَشاً منتسبٌ عيدهُ الى الأحدِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن العبريّ في تاريخ الدول (ص ٣٥٢). وكان لحنين ولدان داود واسحق فأمَّا اسحق فخدم على الترجمة وتولَّاها واتقنها واحسن فيها وكانت نفسهُ أميَل الى الفلسفة واما داود فكان طبيباً للعامَّة. وقال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ١٨٨): «كان لحنين ولدان داود واسحق وصنَّف لهما كتباً طبيَّة في المبادئ والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس. فأمَّا داود فاني لم اجد لهُ

شهرةً بنفسهِ بين الاطبّاء ولا يوجد لهُ من الكتب ما يدلُّ على براعتهِ وعلمهِ وان كان الذي يوجد لهُ انَّما هو كنَّاش واحد . وامَّا اسحق فانَّهُ اشتهر وتميَّز في صناعة الطبّ ولهُ تصانيف كثيرة ونقل من الكتب اليونانيَّة الى العربيَّة كتباً كثيرة الَّا ان جُلَّ عنايتهِ كانت مصروفة الى نقل كتب الحكمة مثل كتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء» . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٨٠) : «وكان اسحق قد خدم مَن خدم ابوهُ من الخلفاء والرؤساء وكان منقطعاً الى القاسم بن عُبيد الله (وزير المعتضد بالله) وخصيصاً بهِ ومتقدّماً عندهُ يُفشي اليهِ اسرارهُ» . وقال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠١) ولحق اسحقَ في آخر عمره الفالجُ وبهِ مات وتوفي ببغداد في أيَّام المقتدر بالله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٨ (٩١٠—٩١١م)

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٥) : «كان اسحق في نجار ابيهِ في الفضل وصحَّة النقل من اللغة اليونانيَّة والسريانيَّة وكان فصيحاً بالعربيَّة يزيد على ابيهِ في ذلك . . . ولهُ من الكتب سوى ما نقل من الكتب القديمة كتابُ الادوية المفردة على الحروف . كتاب كنَّاش الخنّ . وكتاب تاريخ الاطبّاء» وقال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٠—٢٠١) «ولاسحق حكايات واشعار مستظرفة ونوادر» . ورد هذا في نسخة برلين (Ms de Wetzstein, 323, fol. 182v) . وذكر من كلامهِ قولهُ «قليلُ الراح صديقُ الروح وكثيرُها عدوّ الجسم» . ثم قال : ومن شعرهِ يذكر كبار الاطبّاء ويفتخر بالطبابة (من الطويل) :

انا ابنُ الذين استُودِعَ الطبُّ فيهمُ ... وسُمِّي بهِ طفلٌ وكهلٌ ويافعُ
يُبَصِّرني آرِسْتَطاليسُ بارعاً ... يقوّم منّي منطقٌ لا يُدافعُ
وبُقراطُ في تفصيل ما أثبتَ الأُلى ... لنا الضرُّ والاسقامَ طبٌّ مضارعُ
وما زال جالينوسُ يشفي صدورَنا ... لِما اختلفَتْ فيهِ علينا الطبائعُ
ويحيى بنُ ماسَوَيْهِ وأَهْرُنُ قبلَهُ ... لهم كتبٌ للناس فيها منافعُ
رأى انَّهُ في الطبِّ نيلَتْ فلم يكن ... لنا راحةٌ من حفظها واصابعُ

(قال) ونُقلت من خطّ ابن بُطلان في رسالتهِ المعروفة بدعوة الاطباء انَّ القاسم ابن عُبَيد الله وزير المعتضد بلغهُ انَّ ابا يعقوب اسحق قد شرب دواء مُسهِلاً فأحبَّ مداعبتَهُ وكان صديقاً لهُ فكتب اليهِ (من المزج) :

أبِنْ لي كيف أمسيتَ وكم كان من الحالِ
وكم سارت بك الناقةُ نحو المنزل الخالي

فكتب اليهِ اسحق بن حنين (المزج) :

بخيرٍ كنتُ مسرورًا رخيَّ الحالِ والبالِ
فأمَّا السَّيرُ والناقةُ والمُرتَبَعُ الخالي
فإجلالُكَ أنسانيهِ يا غايةَ آمالي

ثمَّ ذكر لهُ تآليف غير السابقة منها كتاب فيهِ ابتداء صناعة الطبّ واسماء جماعة من الحكماء [illegible] كتاب الادوية المفردة في كل مكان . وكتاب اصلاح [illegible] المسهلة واختصار كتاب اقليدس وكتاب الهولات وكتاب ايساغوجي وهو المدخل الى صناعة المنطق واصلاح جوامع الاسكندرانيين وشرح جالينوس لكتاب [illegible] لأبقراط ومقالة في الاشياء التي تفيد الصحة والحفظ ويمنع من النسيان ألّفها لعبد الله ابن جمعون وكتاب الادوية المفردة ومختصر كتاب صنعة العلاج بالحديد وكتاب آداب الفلسفة ومقالة في التوحيد

٣ سعيد التُّستري النصراني

﴿نسبهُ واخبارهُ﴾ اسمهُ ابو الحسن (ويروى : ابو الحسين) سعيد بن ابرهيم التُّستري نسبةً الى تُستَر او شوشتر من مدن خوزستان في العجم . ورد ذكرهُ في الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ١٣٤) : «قال ابن التستري . . . ويكنى ابا الحسين كان نصرانيًا . قريب العهد من صنائع بني الفرات وهو وابوهُ يلزم السَّجع في مكاتباتهِ» . ونقل الصفدي هذا الوصف في وافي الوفيات (Ms. de Paris, 706, fol. 130') وروى

عن ياقوت «انهُ كان يكتب لعليّ بن محمّد بن الفرات ، وزير المقتدر بالله . واخبر هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص٣٣ éd. Amédroz,) انهُ لمّا أوقف الخليفة المقتدر سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) ابا الحسن عليّ بن الفرات قُبض على التُنتري مع مولاهُ واعتُقل عند نصر الحاجب . ثمّ أُفرج عنهُ وعاد مع ابي الفرات الى ديوان الكتابة ثمّ اعتُقل كلاهما ثانيةً سنة ٣١٢هـ (٩٢٢م) بعد وزارة ابن الفرات الثانية . وقد ذكرهُ الصابي في تاريخهِ (ص ٢٤٠) في جملة من كان يحضر مائدةَ الوزير ابن الفرات وما كان يجري فيها من العادات اللطيفة والآداب الشريفة في اكلهم وشربهم واصناف طعامهم وتأنّقهم في مجالس الانس

﴿أدبُهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النديم (ص١٣٤) : « وللتُنتري من الكتب كتاب المقصور والممدود على حروف المعجم وكتاب المذكّر والمؤنث على ذلك الترتيب . وكتاب الرسائل في الفتوح على هذا الترتيب ورسائل مجموعة في كلّ فنّ » . وقد نقل الصفدي قولهُ هذا بالحرف عن ياقوت ثمّ اورد لهُ مقاطيع شعريّة كما يلي . قال يحضّ المرء على تسرية الهمّ عن نفسهِ (من السريع) :

ما لك قد هيّمك الهمُّ وضلَّ منك الحزمُ والفهمُ
لو رُمتَ ان يبقى الأذى ما بَقي لا فرحٌ دامَ ولا غمُّ

قال الصفدي : قلتُ : مثلهُ قول القائل :

لا تسألِ الدهرَ في ضرّاء يكشفها فلو سألتَ دوامَ البؤس لم يَدُمِ

ثم اورد لهُ في الغزل (من المقتضب) (١ :

قلتُ : زُوري . فأرسلتْ : أنا آتيك سَحْره
قلتُ : بالليل كان أخفى وأدنى مَسَرّه
فاجابت بحجّةٍ زادت القلب حَسْره :

١) هذه الابيات وما يليها في نسخة خطية من مكتبتنا الشرقية فيها شرح شواهد التلخيص (ص ١٤٥)

انا شمسٌ وانّما تطلعُ الشمس بُكْرَه

بكرة اي غدوةً . وروى ابو الحسن احمد بن عليّ البتيّ الكاتب عن ابيه قال: كنّا عند ابي الحسين سعيد بن ابرهيم كاتب ابن الفرات فغنّت ستارتُهُ (من الخفيف):

وعَدَ البدرُ بالزيارة ليلًا فاذا ما وفى قضيتُ نذوري
قلتُ: يا سيّدي لِمَ تُؤثِرُ اللّيـلَ على بَهجة النهار المنير
قال لي: لا أُحبُّ تغيير رَسْمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

فاختلفت الجماعة لمن هذا الشعر . فقال بعضهم للناجم . وقال قومٌ للعباس وذكروا جماعةً فقال سعيد: هو لي. ثمّ انشدنا (من الخفيف):

قلتُ للبدر حين غاب: زُرْني وأشمتِ الهجرَ بالقلى والتجافي
قال: اني مع الظلام سآتي فانتظرني ولا تخفْ من خلافي
قلتُ: يا سيّدي فألّا نهارًا فهو أدنى لقُرْبةِ الائتلافِ
قال: لا استطيعُ تغييرَ رسمي انّما البدرُ في الظلام يوافي

(قال) وكنتُ نقلتُ الابيات عن نسخةٍ صحيحة مقابلةً وارى الصواب في البيت الاوّل

«وأشمتِ الوَصْلَ بالقلى والتجافي»

وقد جمع المعنيين ابو العلاء المعرّي في قولهِ:

هي قالت لمّا رأت شيبَ رأسي وارادت تنكّرًا وازورارًا:
انا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شيبك والصبحُ يطردُ الانوارا
قلتُ: لابل اراك في الحسن شمسًا لا تُرى في الدجى وتبدو نهارا

٤ ابو الحسن بن غسّان

﴿اسمهُ ودينهُ﴾ قال جمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٤٠٢) انهُ ابو الحسن (ويُروى الحُسين) الطبيب البصريّ. ودعاهُ ابن بطلان في كتاب دعوة الاطباء (ص ٩٠) بابي غسّان. وجاء ذكرهُ في تاريخ فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (ص ٩٦ ed. Gismondi) فكنّاهُ بابي علي بن غسّان وروى هناك نصرانيّتهُ وما انفقهُ على نجاز بناء دير مار فثيون في بغداد وذلك سنة ٣٤٣ هـ (٩٥٣م). فتبيَّن من ذلك انهُ كان نصرانيًّا كلدانيًّا من النساطرة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن القفطي (ص ٤٠٢): «هذا رجلٌ طبيب من اهل البصرة يعلم الطبّ ويشارك في علوم الاوائل وخدَمَ بصناعتهِ ملوك بني بويه وعلى الخصوص عَضُد الدولة فنّاخسرو». وفنّاخسرو هذا هو المعروف بابي شجاع من الملوك البويهيين وممدوح الشاعر المتنبي توفي في ٨ شوال سنة ٣٧٢ (٩٨٢م). وقال عنهُ ابن ماري في المجدل (ص ٩٦) انهُ كان «كاتباً لركن الدولة» وركن الدولة هو ابو عضد الدولة كان تولى اوّلًا على اصبهان ثمَّ خلف اباهُ في تدبير الدولة في بغداد بعد اخيهِ مؤيد الدولة توفي سنة ٣٦٦ (٩٧٦م)

﴿أدبهُ وشعرهُ﴾ قال جمال الدين القفطي (ص ٤٠٢): وكان لابي الحسن هذا ادبٌ متوفر وشعرٌ حسن فمنّا قالهُ لعضد الدولة عند مسيرهِ الى بغداد (من المتقارب):

يسوسُ المالِكَ رأيُ المَلِكْ ويحفَظها السيد المحتَنِكْ
فيا عَضُدَ الدولةِ أنهَضْ لها فقد ضُيِّعَتْ بين شَشٍّ ويكْ

شَشٌّ وَيكْ عددان فارسيّان معناهما في لعب النرد (الطاولة) ستّة وواحد. قال ابن القفطيّ: «وذلك لانّ عزّ الدولة بختيار الذي اخذ عضد الدولة الامر منهُ كان لَهِجاً بلعب النرد». قال: ومن شعر ابي الحسن ايضاً في بختيار الذي اخرجهُ عَضُد الدولة عن العراق يهجوهُ ويستهجن عزمَهُ ويستضعفهُ:

اقام على الاهواز سبعين ليلةً يدبّر امر المُلك حتى تدمّرا

يدبّر امرًا كان اوّلهُ عمًى وأوسطهُ بلوى وآخرهُ خرا

ومما ورد لابن غسّان في كتاب دعوة الاطباء وهو يدعوهُ هناك بابي حسّان بن غسّان (ص ٩٠) قولهُ في احكام الدهر والموت (من الخفيف) :

حكمُ كأسِ المَنون أن يتساوى في احتساها الغبيُّ والألمعيُّ
ويَحُلَّ البليدُ تحت ثرى الأرْ ضِ كما حلَّ تحتها اللوذعيُّ
اصبحا رُمّةً ترايلَ عنها فعلها الجوهريُّ والعرَضيُّ
وتلاشى كيانُها الحيَواني وتوارى تقديمها المنطقيُّ

٥ الموصلي النصراني

هكذا رواهُ البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (ص ٦٩–٧٠ ed. Schwally) ولم نزدهُ بيانًا وهو كما يظهر من شعراء اواخر القرن الثاني واوائل رابع للهجرة لان البيهقي الذي ذكرهُ عاش في ذلك العهد ثم ذكر له ابياتًا في مديح بني هاشم (من الطويل) :

عَدي ونُعَيمٌ لا أحاولُ ذكرَهُمْ بسوءٍ ولكني محبٌّ لهاشمِ
وهل تأخذَنيَ في عليٍّ وحُبِّهِ اذا لم أعِثْ يوماً ملامةُ لائمِ
يقولون . ما بالُ النصارى تُحبّهُ واهلُ التُّقى من مُعربٍ وأعاجمِ
فقلتُ : لهم اني لأحسبُ حُبَّهُ طواهُ إلهي في قلوبِ البهائمِ

٦ يحيى بن عدي

﴿نسبهُ وزمانهُ ودينهُ﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٦٤) وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٦١ وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٣٥)

هو ابو زكريّا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريّا المنطقي نزيل بغداد واليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكميّة في زمانه. قرأ على ابي بشر بن متى بن يونس (الفيلسوف النصراني) وعلى ابي نصر الفارابيّ وعلى جماعة في وقتهم وكان نصرانيًّا يعقوبي النِّحلة». قال القفطي (ص ٣٦٣–٣٦٤):

«مات الشيخ ابو زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٦ هـ وهو لثلث عشرة من آب سنة ١٢٨٥ للاسكندر (٩٧٦م) ودُفن في بيعة القطيعة ببغداد وكان عمرهُ ٨١ سنة شمسيّة ورأيت في بعض التعاليق بخطّ من يُعنى بهذا الشأن: وفاتهُ كانت في اليوم المقدَّم ذكرهُ من الشهر المقدَّم ذكرهُ من السنة ٣٦٣ (٩٧٤م)»

﴿اخبارهُ وآدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة: «كان يحيى جيّد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدت بخطه عدّة كتب». وقال القفطي: «كان ملازماً للنسخ بيده كتبَ الكثير من كل فنّ وكان يكتب خطًّا قاعدًا بيّناً». قال ابن النديم: «وعاتبتُهُ على كثرة نسخه فقال لي: من اي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري؟ وقد نسختُ بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتُها الى ملوك الاطراف وقد كتبتُ من كتب المتكلّمين ما لا يحصى. ايدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقلّ». ثمّ عدَّد له جمال الدين القفطي كتباً كثيرة ألّفها في المنطق وابواب الفلسفة او عرّبها عن ارسطاطاليس وغيره من اليونان. وله عدّة فصول حسنة في الدفاع عن العقائد النصرانيّة وتفنيد من تعرّض لها وقد نشرنا شيئاً من ذلك في المشرق سابقاً(١)

وقد وقفنا على فصل كتبهُ عن يحيى شهابُ الدين العمري صاحب مسالك الابصار (نسخة المكتبة الخديويّة ص ٣٣٦–٣٣٧) قال في باب طبقات الاطباء:

«ومنهم يحيى بن عدي ابو زكريّا المنطقي حكيمٌ علمُهُ والرَّدّ شيئان، وقلمُهُ والبرق سيّان، كان اوّل حاله عالماً في ملّته، ومعلّماً لاهل قبلته، وعُرف بالمنطق مع انهُ بعض علومه، ومن جملة ما دخل من الخصائص في عمومه، وأضاءت لهُ من الادب لُمَع غُمت فضائله، وغمت هلالهُ والبدور الكوامل بفضائله»

---

(١) اطلب ما نشرهُ حضرة الكاهن اوغست بيريه (Aug. Périer) من ترجمة يحيى وتآليفه اللاهوتية (المشرق ١٩ [١٩٢١]: ٦٢١)

وليحيى بن عديّ شعر قليل منهُ قولهُ في مَن يردُّ اعتقاد اسرار الدين لعدم فهمها (Paris, Ms 101, f 45r) (من البسيط) :

أَفْعَمْتَ فَحْصَ المعاني عن حقائقها فلم يَبِنْ لك اذ لم تُحسِن النظرا
فالشمسُ تخفى على من ليس ذا بَصَرٍ وليس تَخفى على من أُعطيَ البَصَرا

وحدث الآمدي ابو الحسين انهُ سمع من ابي علي بن زرعة تلميذهِ يقول: انَّ ابا زكريا يحيى بن عدي وصّى اليهِ ان يكتب على قبرهِ حين حضرَتهُ الوفاة وهو في بيعة توما بقطيعة الدقيق هذين البيتين (من الخفيف) :

رُبَّ بيتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومُبقًى قد مات جهلًا وعيًّا
فاقتنوا العلمَ كي تنالوا خلودًا لا تَعُدُّوا الحياةَ في الجهل شيًّا

٧ ثابت بن هارون

﴿نسبهُ واخبارهُ وشعرهُ﴾ هو ابو نصر ثابت بن هارون النصرانيّ الرقّيّ العراقيّ. قال ابو الحسن علي الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٤م) في كتابهِ دمية القصر وعصرة اهل العصر (Flügel, Ms de Vienne, I, 367, f. 46-47) : «ومن شعراء العراق ابو نصر ثابت بن هارون الكاتب النصراني». وعرّف زمانهُ بما كتبهُ في اواسط القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح ولم يذكر شيئًا من اخباره ثم قال: ومن شعرهِ قولهُ في من يحجب بابهُ (من الوافر) :

على رَبعٍ يحقُّ بهِ الحجابُ ويُغلَق منهُ دونَ الخير بابُ (١)
سأهجُرُ كلَّ بابٍ رُدَّ دوني اذا ما ازورَّ او خُشِيَ الحجابُ

ثمَّ ذكر لثابت بن هارون الرقّيّ رثاء قالهُ في المتنبّي الشاعر (المتوفّى سنة ٣٥٤هـ

١) ويروى: دون المرّبان

(٩٦٥م) وهذا مما شذَّ عن الثعالبي (١ وذهب عنهُ شعرهُ . واذا كان المتنبي في طبقات يتيمتهِ من العصريين فالذي بعدهُ ممن يُهدي المرثية اليهِ وينوح مع وُرّق الحمام عليهِ أولى بان يُعَدّ من الطبقة . وقد عرض عليَّ ابنُ الشيخ ابي الحسن علي بن يحيى الكاتب في ديوان الحضرة «ديوانَ المتنبي» مُحلّى الظهر بتوقيعَين لهُ خطَّهما بيمينهِ واثبت بهما أسماع هذا الفاضل اشعارَهُ منهُ مرّتين فرنّيتُ وعرض مجموعهـا على سمعهِ كرّتين . وجرى بعد حصوله تحت كلاكل الأجل المتاح ، وتصديقهِ قولهُ في ترك مهجتهِ سائلةً على كلّ الارماح ، على قضيّة كرم العقل واستثار الامير عضد الدولة على فاتك وبني اسد» . وهذا رثاؤهُ للمتنبي (من الكامل) :

الدهرُ أخبثُ (٢ والليالي أنكدُ ... من ان تعيشَ لأهلها يا احمدُ
ذُقتَ الكريهةَ بغتةً وفُقِدتَها ... وكريهةُ فَقْدِكَ في الورى لا يُفقَدُ
قُل لي ان اسطعتَ الكلام (٣ فإنني ... صَبُّ الفؤادِ الى خِطابك مُكمَدُ
رَثَيتَ بعدكَ شاعرًا بالله لا ... لم يبقَ بعدكَ في الورى مَنْ يُنشِدُ
ما كان تاركَكَ الزمانُ لاهلهِ ... انَّ الزمان على الغريبة يحسدُ
قصدَتْكَ لمَّا أنْ رأتكَ نفيسَها ... بُخلًا بمثلكَ والنفائسُ تُقصَدُ
غدرَ الزمانُ بهِ فجارَ ولم تزلْ ... ايدي الزمان بأسهِ تستنجدُ
لَقيَ الخطوبَ فبذَّها (٤ حتى جرى ... غلَطُ القضاء عليهِ وهو تعمُّدُ

وقال يستثير فيها ابا شجاع عضد الدولة على فاتك وبني اسد :

صَهْ (٥ يا بني اسدٍ فاستُ بنجدةٍ ... آثرتُ فيهِ بل القضاءُ يُقيَّدُ

١) يريد انَّ الثعالبي سها عن ذكر ثابت بن هارون فلم ينظمهُ في جملة الشعراء في كتابهِ يتيمة الدهر

٢) ويروى : الدهرُ أنكى ٣) ويروى : الخطاب . ويروى : الجواب

٤) ويروى : وبَذَّها ٥) ويروى : مَهْ

يا ايها الملكُ المؤيَّدَ دعوةً ممَّن حَشاهُ بالأَسى تتوقَّدُ
هذي بني اسدٍ بضيفك اوقعَتْ وحوَتْ عطاءَك اذ حواهُ الفرقَدُ
ولهُ عليك بقصدهِ يا ذا العلا حقُّ التحرّمِ والذمامُ الأوكَدُ
فارعَ الذمامَ وكن لضَيفك طالباً انَّ الذِمام على الكريم مؤيَّدُ
وأرعَ الحقوقَ لقصدهِ وقصيدهِ عضدَ الملوكِ فليس غيرُكَ يُقصَدُ
واذا المكارم والمحامدُ أُسندَت فالى الامير ابي شجاعٍ تُسنَدُ

٨ بشر بن هارون

﴿اصلهُ ودينهُ واخبارهُ﴾ هو ابو نصر بشر بن هارون النصراني العراقي . وهو كما يلوح لنا من قرابة ثابت بن هارون السابق ذكرهُ . وكان لبشر اخوان ابرهيم وجابر ذكرهما الطبريّ في تاريخهِ (٣ : ١٥١١ و١٥٢٤) وقال هناك بشر وابرهيم كانا كاتبين لمحمَّد بن عبدالله بن طاهر الامير والي العراق من قبَل المتوكل . واخبر انهُ في السنة ٢٤٩ (٨٦٣ م) شغَبَ الجند والشاكريَّة في بغداد وانتهبوا الدواوين وقطعوا الدفاتر فالقوها في الماء وانتهبوا دار بشر وابرهيم ابني هارون النصرانيَّين كاتبي محمَّد ابن عبدالله وذلك كلُّهُ في الجانب الشرقيّ من بغداد . ثمَّ ذكر جابرًا اخاهما وقال عنهُ ان محمَّد بن عبدالله وجَّههُ الى طبرستان لبعض امورهِ

قال الصفدي في الوافي بالوفيات (Ms de Paris, 706, fol. 130.) : كان ابو نصر بشر بن هارون النصراني كثير الهجو للوزراء والرؤساء فمن هجاهم ابو نصر سابور بن ازدشير وزير شرف الدولة ابن عضد الدولة بن بويه المولود سنة ٣٣٦ والمتوفى سنة ٤١٦ هـ (٩٤٧–١٠٢٥ م) وكان سابور قليل الالفاظ جافي الاقوال دقيق الخطّ منتظمهُ قصير التوقيع مختصرهُ كثير الشرّ مخوف البطش شديد التأثر في المعاملات والميل الى المصادرات . فقال بشر يهجوهُ (من الكامل) :

سابورُ وَيْحَكَ ما أخسَّكَ م ما أخصَّكَ بالعيوبِ
وأكَدَّ وَجْهَكَ بالشناءة م ةِ للعيون وللقلوبِ
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم م كيف يحسُن في القطوبِ

واخبر ابن حمدون في تذكرته (Ms British Museum, Or. 3179, fol. 98) قال: حضر يوماً بشر بن هارون وجماعة من الكتّاب في دار محمّد المهلّبي الوزير بحيث يراهم ويسمع كلامهم وهم لا يشاهدونهُ فانشأ احدهم يقول:

سِبالُ الوزيرِ سبالٌ كبيرُ

فقال الآخر:

وعقلُ الوزير وفعلٌ صغير

فقال بشر بن هارون:

زيادةُ هذا بنقصان ذا كما طال هذا النهارُ القصيرُ

فخرج اليهم المهلبي وشاتمهم وجلس معهم ومازحهم واجاز كلَّ واحدٍ

وجاء في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ابي المحاسن (طبعة نيويرك ص ٥٩) وفيها (اي سنة ٣٨٥–٩٩٥م) توفي بشر بن هارون ابو نصر النصراني الكاتب وكان شاعرًا هجّاء خبيث اللسان كتب مرّة الى ابرهيم الصابي (السريع):

حضرتَ بالجسم وقد كنتَ لو بالنفس لمّا ترَني حاضرا
أنطقني بالشعر حبّي لكم ولم اكن من قبلها شاعرا

فكتب اليه الصابي تحت خطّه: «ولا بعدَها»

(لها بقية)

في غياب الطبيب !

بقلم الحكيم امين الجُميّل

الانسان في كلّ آن وبكلّ مكان عرضةٌ للطوارئ من الخارج وللمفاجاءات من الداخل . فهي تأتيه من كلّ صوب ومن كلّ نوع . وهو هدَفٌ لها مهما يُبالغ في اجتنابها . وقد لا يمنع الحذرُ القدَرَ وربّما ساق الحذر ، ان كان على غير اصوله ، الى الوقوع في الضرر

وهَبْ ان فاجأت الطوارئ فما يكون العمل ؟

انّ لكل امرٍ أُسلوبَهُ وطرُقهُ وغايتهُ فإن أُهملت او أُسيء استعمالُها اصبحت وبالًا وأدّت الى علّل شتّى بل الى الموت . واليك البيان ببعض الامثال :

هذا زيدٌ أُصيب بجرح واذا بعجوز أسرعت الى نسيج العنكبوت فلصقتهُ على الجرح وذلك النسيج كما لا يُخفى مستقرٌّ للغبار المشحون بالجراثيم المولّدة للتقيّح والتعفّن والحمرة والغنغرينة والمؤدّية الى اشدّ العلل حتى البَتر . وبعلّة هذه المداواة العادمة الفطنة اصبحت مصيبة زيد الصغيرة بليّة كبيرة بما جابَهُ ذاك الغبار من الارتباكات والاختلاطات

وهذا بولس اذ كان يشتغل في الحديقة وخزتهُ شوكةٌ فسال دمُهُ وبادر لايقافهِ الى قبسة تراب فذرّهُ عليهِ . فما مضت ايّام قلائل حتى ظهرت فيهِ اعراضُ الكُزاز (le tétanos) الداء العُضال . ولا عجب لانّ جرثومتهُ كثيرًا ما تعشّش في التراب

ولدت الجارتان مرتا ومريم في يوم واحد وظروف متشابهة وكانت مولّدة مريم (دايتُها) باقية على عاداتها القديمة لا تبالي بالنظافة وتستهزئ «بموضة» التطهير . فما لبثت مريم ان أُصيبت بحمّى النفاس فماتت ولحقَها ولدها . امّا مرتا فاستعانت بقابلة قانونيّة تعلّم اظفارها وترتدي بثياب بيضاء طاهرة وان دفعت الحاجة الى معاونة النساء طهّرت يديها ولا تمدّها الى مكان الّا اذا سبق غسلُهُ او تطهيرهُ . فقامت مرتا سريعاً من نفاسها بتمام النشاط والصحة ولم تشعر البتّة بدرجة من الحمّى

فلمثل هذه الاحوال واستدراكاً لما يحدث عن جرح وكسر وغرق وحرق واغماء

والختناق وغيرها من الآفات رأينا ان ننشر على صفحات المشرق ما ينبغي للعامّة ان تعرفهُ أتمّ المعرفة لتتقيَّد بهِ قبل وصول الطبيب او عنـد غيابهِ او عدم وجودهِ . وبديهي انَّ دقيقة تأخير او برهة اهمال قد تذهب احياناً بسنين من العمر او تفضي باشهُر من الاوجاع او تفضي الى التلف والتشويه . والاسعاف على غير اصولهِ إجحاف يذكّرنا بذاك الدب الشفيق الذي عمد الى بلاطة ليزيل عن وجه صاحبهِ ذُبابةً فشجَّ بها رأسهُ

وزِدْ عليهِ انَّ الطبيب لا يرافقنـا حيثما اتجهنا وليست الادوية والعقاقير رهينـة امرهِ اينما وُجد . امّا الطوارئ والمخاطر فهي على عكس ذلك لُحمة الحياة وسَداها . وكفى هذا السِفر نفعاً أن يجد فيهِ القرّاء فصلًا جديدًا من «علم الصحة» وحلقةً من سلسلة «علم الوقاية» المنشورَين سابقاً

١ اعتبارات اجماليَّة وملحوظات اوَّليَّة

[illegible] وهدوء البال في هاتين الحالتين من احوال النفس المقام الاوَّل في كلّ الطوارئ . فانّنـا على قدر مقابلتنا الامور المفاجئة بهدوء ورباطة نفس ننال قسطاً وافرًا من شروط النجاة وتتوافر شروط السلامة . وبعكس ذلك مَن يُضيع رشدهُ قد يُضيع عمرهُ

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العَجز ان تكونَ جبانا

ان اراحةَ الفكر والقلب واجبة كراحة الجسم ومداواة العضو المصاب . بيد انَّ ثبات الجأش وشدَّة العزم وكلاهمـا كفيل بالنجاح والسلام في كثير من امور الحياة لا يحصل عليهما الانسان الّا بالتربية والمزاولة الطويلة على تعدُّد الحدثان مـع الحرص على نقاوة الضمير وصبرِ النفس الى العلاء حيث مصدر الحياة والأمل ومهبط القوَّة والرجاء .

أعرفُ مُرسَلًا مشهورًا بورعهِ كما اشتهر بكبر نفسهِ وشدَّة عزيمتهِ . فاذ كان يوماً يقيم ذبيحة القدّاس فاجأتهُ سكتةٌ شلَّت خدَّهُ وعينهُ . ففقه حالًا الخطر لكنَّهُ بعد ان تفكَّر هنيهةً ورأى نفسهُ مستعدَّةً لكل طارئ شدَّد قلبَهُ وتابع صلاتهُ بكل

طمأنينة ثمّ ثبت مثابراً على اعماله العاديّة بكل نشاط ونجا من تلك الازمة

فبمثل هذه الطمأنينة في النفس والطهارة في الضمير نودّ ان يقابل الجميع حوادث الحياة . وبنفس الاضطراب والذعر عند وقوع تلك الطوارئ . وكذلك يجب على مَن حضر وتولّى اسعاف المصاب ان يظهر بمظهر الهدوء والاطمئنان فينعشهُ وينهض همّتهُ ويخفّف عليهِ المصيبة . مع الاسراع الى اتخاذ كل الوسائل الموافقة لحالتهِ

﴿ التطهير ﴾ ليس الضرر والخطر في ذات الهرس او الجرح او الحرق الذي يُصاب بهِ الانسان ولا في الرصاصة التي طرأت ما لم تنفذ في بعض الاعضاء الحيويّة كالقلب او بعض نقط النخاع او شريان عظيم . وانّما الخطر ان يَفتح ذاك الجرح او القذيفة منفذاً لولوج الجراثيم المرَضيّة . والبرهان على ذلك انّ جرّاحي عهدنا بعد اكتشافات باستور يُقدمون بكل طمأنينة على اعظم الاعمال الجراحيّة فيشقّون البطن (في عمليّة الفتق اليوميّة) ويكشفون الدماغ ويخيطون القلب بدون ان يُصاب العليل بأذى حسّي او تقيّح او ضررٍ ما لتقيُّدهم التامّ بسُنَن التعقيم والتطهير

ولنا برهان آخر على قولنا . ان أُصيب احدٌ بكسر عظم على ما يكون حينذاك من جراح باطنيّة بالعضلات دون جرح الى الخارج كان الشفاء قريباً اكيداً لان الجراثيم الخارجيّة المحيطة بنا من كلّ صوب لا تجد منفذاً الى ذاك الجرح . وعلى خلاف ذلك قطع الاتّصال الصغير الظاهر اذا أُهمل امرهُ ولم يُبادر الى علاجهِ بالتطهير قد يؤدّي الى المرض حتى الموت

والقاعدة في ذلك ان تُخلَع الملابس برفق وخفّة مباشرةً بالاعضاء السليمة وان صعُبَ نزع الملابس فلتُشَقّ بغير تردُّد . ومتى أُعيدَ اليه لباسهُ فالامر بالعكس يُبدأ بالعضوِ العليل . وعند اللزوم فلينُقَل المصاب محمولاً او ممدوداً على لوح مغطّى بإحرام او سُلَّم مكسوّ بفراش

وان كان الجرح ظاهراً في الجسم فلا يُقدمنّ احد الى علاجه الّا بعد تطهير يديه وابعاد كل ما هو دنس قذر ثمّ يُغسل الجرح بماء سبق اغلاؤهُ ليتنظّف من كل جسم غريب وجرثومة ضارّة . ويُفضَّل غسل الجرح بالماء المغلي اي المعقَّم والحارّ منهُ أقدر على التنظيف واوفق لحيويّة الخلايا وانسجة البدن . ويحسن ازالة الشعر والوبر المحيط بالجرح . ولا تُتّخذ ادوات التطهير إلّا معقَّمة بالإغلاء او مشوّطة على لهب الكحول .

وبدون تأخير يغطّى القسم العليل بشاش او برفادات قطن مصّاص او شاش او انسجة بعد الاغلاء لإهلاك ما تحتويه من الجراثيم بالحرارة بأن توضع طبقات رقيقة في قِدْر مقفلة لمدّة لا تنقص عن عشر دقائق . والاطباء قد اعتادوا في مثل هذه الحوادث إغلاء الماء فوراً على وجاق كازي (بترولي) لحاجتهم اليه في كل حال مع حقنة يستخدمونها للتنظيف بزَرْق الماء المعقَّم . وهذه الطريقة للتطهير افضل من استخدام محاول السليماني بـ ١٠٠٠ او الفينيك او اليودوفرم وغير ذلك من المطهرات التي ظهر بالاختبار عجزها عن قتل الجراثيم واذا قتلتها سمّمت الانسجة المطلوب علاجها مع انها هي المكلّفة بمناهضة الجراثيم مباشرةً واهتضامها والكافلة بقوّتها الطبيعيّة ان تلحم الجرح وتشفيه

وجلّ ما يُستمتع به الآن من هذه العقاقير الكيموية ، اذا ما خُشي من وفرة الجراثيم وخُبثها ، ان تُصَبّ بعض قطرات من صبغة اليود على المكان المطلوب تطهيره ثمّ يُغطّى بقطعة من الشاش او القطن المعقَّم ويُثبَّت بضماد اي رباط نقيّ (انظر الرسمين ١ و ٢)

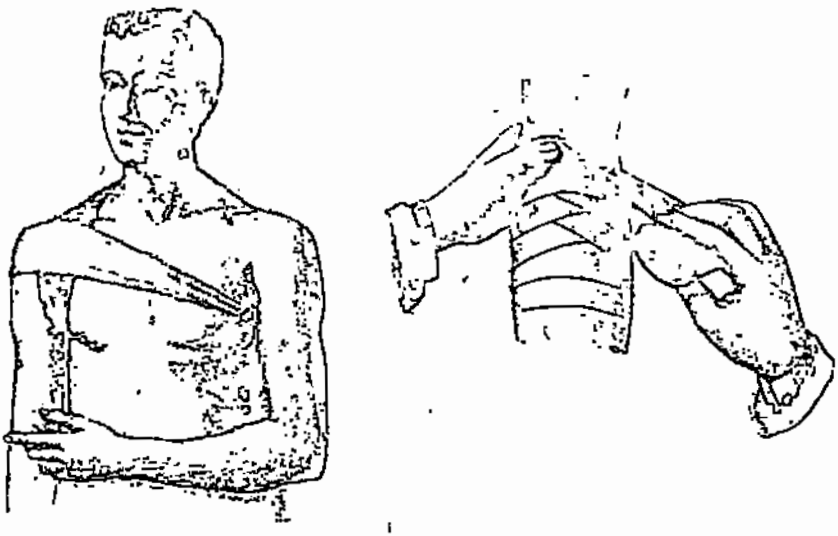

٢ ١

١ رباط اسطوانيّ عاديّ : وقد وصل الساعد في كرّه الى ما يسمّى الانعكاس او انقلاب وجهُ الرباط (حيث يكون بروز في الضر) ليكسب الرباط اندماجاً وانتظاماً

٢ رباط بسيط للغاية كثير الاستعمال والفائدة . وما هو الّا فُرطة عاديّة مستطيلة لمعالجة الكتف بشكل العدد 8 الافرنجي

الى ان يحضر الطبيب ان لزم او الى ان يستبدل لما يتشربهُ من الدم او الإفرازات. ويُستعان بكُرَيات قطن معقَّم تُرمى بعد مسحها الدم او ما هناك من الادناس . ومن المعروف ان الانسجة المرضضة والمهرَّسة تقلُّ حيويَّتها وتتوافر فيها الجراثيم فيتحتَّم التوفُّر على تطهيرها . والجرَّاحون الآن يستأصلونها بالمبضع على عكس الانسجة المجرَّحة باداة مشحوذة طاهرة سريعة الاندمال

وعلى من يتولَّى العناية بالجريح ان يطهِّر جيدًا يديهِ بالماء والصابون(والصابون البلدي الطبيعي افضل من سواه) . ويشير بعضهم بمسحهما بالكحول القويَّة . فقد سبق انَّ اليدين وسائر الادوات ان لم تطهَّر اصبحت آفةً على الجريح . ومن ثمَّ ترى الجرَّاحين بعد تنظيف ايديهم يلبسون كفوف المطَّاط المطهَّرة المعقَّمة

١ً الجراح والحروق

ما أوفر حدوثها وما أوجب اتقاءها في عصر المعامل والمحرَّكات والادوات الجديدة ولاسيما الاوتوموبيلات. فالسائر في الشوارع يحمل حياتهُ على كفهِ . والمشي في الطرق العموميَّة بعهدنا يحتاج الى قواعد خصوصيَّة منها ان يربط سير حذائهِ ربطاً متيناً بعد ان يتَّخذه قصيرًا وان ينظر يمنةً ويسرةً والى امامهِ وخلفهِ ويحذر من قراءة جريدتهِ ويزدد حذرًا عند اجتيازهِ مصلَّبات السكك لوفرة الزحام عندها ذاكرًا الآية الكريمة : من احبَّ الخطر باد فيهِ . ومن المعروف وجوب اخذ اليمنة في السير امَّا عند الانكليز فاليسرة

ومن حسن الاحتياط ولاسيما في المصانع ان تحظَّر الملابس الطائرة الاهداب الطويلة الاذيال وكل ما يمكنه ان يعلق بما حوله . وطبقاً لما وردَ في سفر تثنية الاشتراع ينبغي للكل ابدًا اقامة ارصفة للشوارع ودرابزونات وحواجز حيث تمسُّ الحاجة اليها وكل ما يضمن سلامة الاجسام من الطوارئ. كتوسيع السكك وتقويم خطوطها وتخصيص بعضها للذهاب وغيرها للاياب . كما انَّهُ يجب على السوَّاقين تفريغ فكرهم لعملهم دون سواهُ واجتناب كلَّ محادثة مع الرُّكَّاب ولاسيما المسكِر

واذا حصل (الجرح) فيقتضي علاجهُ بما سبق بيانهُ من تطهير وتنظيف وتضميد .

أمـا ان كان رضٌ فقط ولو مؤلماً فيكفي غالباً التعويل على الراحـة والرفـادات والكمادات الباردة او الحارّة

وامّا (الحرق) فالوصيّة الاولى الابتعاد عن اسبابهِ اي الوقاية . قال معّازٌ لرفيقهِ : ما ابرعَ ما كان ابي في تجبير الماعز . فاجابَهُ رفيقهُ : بـل كان ابي ابرع منهُ اذ كان يقيها من الكسر . وعليهِ ليست حماقة اعظم من عمل اولئك المشتغلين بالموادّ الملتهبة كالبنزين او المجاورين للبترول ولفائف الدخان في يدهم . ومثلهم الواضعون علب الكبريت بجانب المواقد والنساء اللواتي يملأن المصابيح ليلاً بقرب شمعةٍ موقدة او وجاق مشتعل والذين يتصرّفون بطياشةٍ بالكحول كأنها الماء

وانطع من ذلك ما عاينتهُ في قرى القطر المصري حيث تتماسّ البيوت المنخفضة السقوف وسطوحها ابدًا مغطّاة بالحطب والقشّ والهشيم اليابس . وقد جاهرتُ لساناً وكتابةً باستغرابي لتساهل الحكومة في مثل ذلك مع كثرة مـا يحدث هنـاك من الحريق الذي ينتشر بسرعة فيذهب بقريةٍ برمّتهـا . كما ان تلك المساكن بسبب الزحام وتقـ[illegible] عشّاً لضروب الجراثيم والدويبة التي لا تحصـا في بيت حتى [illegible] . ولـ[illegible] كنتُ قد اقترحتُ على حكومة القطر العزيز ان تضع نظاماً فيُفرَد كل بيت عن سواهُ في وسط ارضٍ يشتغل الفـلّاح في حراثتها كما في لبنان . ومما طلبتُهُ ان يُخزن الهشيم في امكنة معتزلة تحت المراقبة ،

واذا حدث حريق وخُشي امتدادهُ فليبادَر فورًا واوّلًا الى قطع الهواء عن النار بتغطيتها سريعاً واحاطتها جيّداً بنسيج ثخين صفيق كسجادة اولحاف او عباء . واذا علقت النار بالملابس فلينطرح المصاب على الارض ويلتصق بالحضيض فيطفىء النار ويلتفّ بنسيج غليظ كحرام او ساكو صفيق فيمنع الهواء ان يتّصل بالنـار اذ منهُ حياتُها

امّا اذا كانت المحرقات كيموية كالحوامض او القاريّات فليُسرَع الى غسلها ويذرّ عليها ما يمتصّها من قطن او دقيق او ورق نشّاش او محرمة . ومما يلاشي فعل الحوامض كروح الملح والحامض الكبريتي بيكربونات السودا والمانيزيا . امّا القلويّات كالقلي والنشادر والكلس فتُعالَج بالخل والماء الممزوج بالزيت والخلّ

ومما يجب التنبيه اليهِ في الحروق السطحيّة اذا حصلت بسببها فقاعةٌ في الجلد ان

لا تُنزع تلك القطعة فانها افضل ترس يحمي ما تحتها من الجراثيم الخارجيّة وان كُشطت زادت ألم المصاب . إلّا اذا ضخمت فتُفقأ بنخسها بابرة سبق تعقيمها بعرضها على لهيب او بالإغلاء وتُحفظ البَشرة

فاذا تمّت هذه الشروط وغُسل الحرق اذا لزم بماء سخن معقّم مع لفّه بقطن او شاش طاهرَين فينبغي شدّ الغيار بعصابة شدًّا معتدلًا (راجع الشكلين ١ و٢)

ومن الحروق ما يكون سطحيًّا ضيّق النطاق فيجوز علاجهُ بان يوضع عليهِ رفادات تُغطَس بمحلول حامض البكريك المُشبَع $\frac{١٠}{١٠٠٠}$ فهو مسكّن للالم ومطهّر ومعجل للشفاء

ولا يُجدَّد الغيار الّا نادرًا حين اللزوم اذا غشي الجرح قيحٌ او مصل وما سوى ذلك فهو من اختصاص الحكيم

وخلاصة القول انَّ للنظافة والطهارة في هذه الاحوال المقام الاعظم

٢ً كسر العظام

يُستدَلّ على كسر العظم عند السقوط او الصدمة بشدّة الالم وبالخصوص في نقطة الكسر وبعجز العضو عن العمل كالمشي او رفع الذراع او بظهور تشويه واعوجاج فحينذاك يجب الامتناع عن الحركة لئلّا تثقب شظايا الكسر جلدَ المصاب . والكسر بذاتهِ يسهل شفاؤهُ اذا لم ينفذ الجرح الى الخارج فتتسلّط عليهِ الجراثيم كما تقدّم . وليكن القرّاء عبرةً وذكرى بما عملهُ الجرّاح الانكليزي برسيفال بوت الشهير . روي انَّ ساقهُ كُسرت في احد شوارع لندن في يوم من كانون قارس البرد . فظلّ في مكانهِ لم يتزحزح راقدًا على الحضيض يهدز . انكليزي الى ان اتوه بحمّالين فأشار عليهم بان يشتروا لهُ مصراع باب لينقلوهُ عليهِ كسرير بعد تسمير عصيّهم في اطرافهِ . فحُمل على هذه الصورة الى بيتهِ البعيد ولم يطلْ زمن شفائهِ

ففي وقوع الكسر يجب العمل بالرفق والمبالغة بالعناية لمنع الالم باتقاء الاحتكاك والارتجاج ولاسيما لاجتناب ثقب الجلد فيُسنَد العضو المكسور بقُدَد خشبيّة ملفوفة بالقطن او ببعض الانسجة او باكياس من النخالة او الرمل . واسهل من ذلك ان تُبلّ قطعة من الكرتون بالماء السخن هنيهة لتليينها فيُلفّ بها العضو المصاب ويُربط الى ان

يصل الطبيب . (انظر الرسوم ٣ و ٤ و ٥ . .)

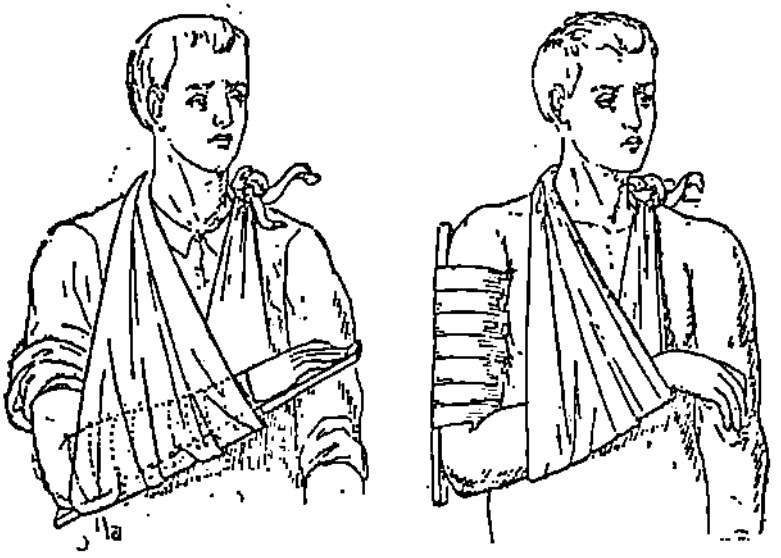

٤ ٣

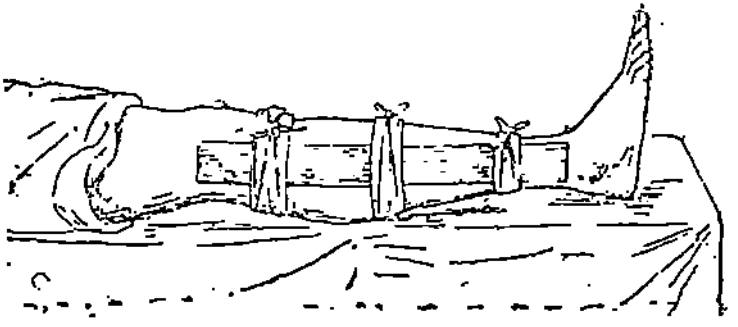

٥

٣ و ٤ و ٥ جبائر تسند العظام المكسورة وتضمن تثبيتها اجتناباً للألم وانتقاب الجلد

وان لم تتجاوز الصدمة درجة الصدع وجاءت الرضة دون الكسر فتكفي الراحة وتقييد العضو العليل برفق من الاطراف الى نحو القلب ومن تحت الى فوق بمساعدة الكمادات وانضلها اولاً الباردة ثم السخنة بعدها فهي تسكن الالم وتعجل زوال الارتشاحات والورم والبقع الدموية الى ان تلتئم خيوط الانسجة المتقطعة ويمحي الاثر

٣ التسمم

من شرّ ما تقع عليه العين مشهد رجل تناول سمًّا للانتحار وافجع من ذلك رؤية من تناول السمّ خطأً او اتفاقاً او بفعل جناية

والسموم مختلفة الانواع : فمنها السائل كماء النار الكرزيّ ومنها الجامد كالحامض الزرنيخيّ سلاح الجناة الغدّارين منذ القدم الدسّين السمّ بالدسم ؛ ومنها غازي كالحامض الفحمي (غاز التفحيم) ؛ ومنها ما يكون كاوياً كحجر جهنم او حامضاً كحامض الكبريت ، او قلوياً كالقلي او نباتياً كبعض انواع الفطر ، او معدنياً كالليماني ، او علاجياً ايضاً كالورفين . وقد وقفنا بفضل باستور على ضرب جديد من السموم وهو اكثرها شيوعاً واشدّها داء اعني به التسمّم الطعامي الذي اوقع مراراً الاهل والحكام في سوء الظنّ بالابرياء فحكموا عليهم جهلاً وظلماً وهاك البيان :

من الناس مَن كانوا بعد تناولهم الطعام يشعرون باعراض مَرَضيّة يشبه بعضها تظاهرات الهواء الاصفر وبعضها انواع الحمّيات وكثيراً ما كانت تؤدي بصاحبها الى الموت . فكان القوم الى هذه المدّة الاخيرة ينسبونها الى جناية او الى الزنجار او الى نبات سامّ او الى حيّة نفثت سمّها في الطعام . الّا انّ تلك التعليلات تحقّق بطلانها فانّ الزنجار اذا بلغ عياراً سامًّا يجعل الطعام كريهاً فيمجّه الذوق ثمّ انّ الزنجار يتولّد في القدر النحاسيّة ليس في غيرها ، وربّما كان الطعام المسمّم من غير النوع الفطريّ كما انّ الحيّة لا تنفث اصلاً سمّها في الاطعمة . ولو اختلط بالطعام لا خوف منهُ ما لم يكن جرحٌ في المعدة

وقد ثبت اليوم للعلماء انّ سبب تسميم تلك الاقوات من بعض انواع الطُفَيليّات او الجراثيم التي تتولّد في الاطعمة في ايّام الحرّ المساعد على نموّ تلك الحيَوانات المجهريّة وعلى نسبة درجات الحرّ . واليها يُعزى التسمّم بالجبن الطاري الذي لا يُرى الّا في الصيف . واكثر الاطعمة قبولاً لتلك الجراثيم البيض والالبان واللحوم والاسماك والاطعمة البائتة والمقدّدات . ولذلك يجب مراقبتها ونفي كل ما يظهر فيه انتفاخ او تغيير في الشكل والمذاق او ريح كريهة . وربّما اتت الجراثيم بواسطة الادوات التي تُعَدّ بها الاطعمة وايدي الناقهين من المرض فيحصل الاختمار . ويزداد التعفّن بفعل

الحرّ والزمان. ومن الاقوات ما يصيبها العفن ولا تفضحها رائحة ولا طعم ولا شكل مخصوص غير مألوف

وممّا يصون الاطعمة من هذه الاعراض الملح فـانّ الجبن المكبوس والاسماك المملّحة بمصر لم تـأتِ بضرر. وكذلك طبخ الاطعمة بقتـل الدُوَيدات والجراثيم ويُضعف سمومها

فخير المعالجة بالماجلة اي قبل انتشار الأذى في البدن وبإخراج السمّ باسرع ما يمكن من الطرق الطبيعية اي بالقيء ثم بالتليين ومضادّة السمّ كيمويًا وتوقيف مفاعيله على الاعضاء. والأحرى اجتناب الاطعمة ذات الاختمار والختم ولحوم الحيوانات المريضـة اي المصابة بامراض جرثوميّة او طفيليّة

والقيء ان لم تقم به الطبيعة يُثار بوضع الاصبع او ريشة دجاجة في اقصى الحلق مع دغدغته او بشرب قدح من الماء الفاتر. ويجب الاحتفاظ بمواد القيء ليهتدي الطبيب بشكلها وريحها او لونها الى معرفتها وتحليلها كيمويًا لمناهضة فعلها. وربّما احتيج اليها ايضاً للتحقيق القضائي

أمّا اذا كان التسمم بالكاويات كروح الملح او الحامض الكبريتي فـلا يحسن الالتجاء الى التقيّؤ فيكون مثلاً إعادة الكأس بل يُبادر الى الأضداد الكيمويّة. فالحوامض تُقاوَم بتناول انماويّات ككربونات الصودا والماغنيزيا وزلال البيض ودقيق الطباشير والفحم. ويُثار بشرب الماء فانّهُ يخفّف في المعـدة شدّة تلـك الكاويات ويذهب بحدّتها وتستعمل ايضاً الملينات كالحقن فانّها تساعد على إزالة السمّ وكذلك مُدِرّات البول.

وقد سكتنا هنا عن علاج السموم علاجاً كيمويًا لانهُ من الوسائل العلميّة التي لا تدركها العامّة. وانّما نقول اجمالاً انّ مرجعهُ الى تحويل السمّ الذائب الى جامـد والى حالة غير سامّة. فان كان السمّ قلويًا كالكلس والتوشادر والبوطاس فيقتلونهُ بالحوامض كالخلّ. وهم غالباً يرسّبون السمّ ويحوّلونهُ الى مادّة لا أذى منها فيقاومون نترات الفضّة (حجر جهنم) بالماء المالح ويُضادّون صبغة اليود بالنشا العادي ويماكسون السموم المعدنيّة كالسايانى والزرنيخ بالماء المحلّل فيهِ زلال البيض او الحليب. ويحسن الاسراع الى تناول دقيق الفحم لامتصاصهِ فيما بين ذُرّيراته اجسام السموم. وفائدتهُ

ثابتةٌ في التسمم واضحةٌ في علاج مَن تناول الفطر والقلويات النباتيَّة كالمورفين والستركنين حتى المعادن كالزرنيخ والنحاس

امَّا اذا كان التسمُّم بالغازات فيُسرع الى دفع المصاب الى الهواء الطلق ويُجرى لهُ التنفس الصناعيّ وان امكن ينشَّق غاز الاوكسيجين

ولا بُدَّ من مداواة الاعراض الناجمة عن السموم . فان أُصيب المسموم بالبرد يُسعى الى تدفئته وان ظهر ضعفٌ في قلبهِ يُنعَش بالمُغليات الحارَّة من نحو الشاي والقهوة وشيء من العرق وصَفع الصدر بخرقة تُبَلّ بماء بارد او شديد الحرارة لايقاظ حركة الدم . ومن افضل مقوّيات القلب إراحتهُ تماماً ببسط الجسم مستطيلاً بلا حراك . وللتنفُّس الصناعي شأنٌ خطير في مثل هذه الطوارئ وسيأتي عنهُ الكلام مفصَّلاً بعد كلامنا عن الغرق . (ولك هناك رسومٌ للوضوح)

ولم نتعرَّض هنا للتسمُّمات المزمنة كالتسمُّم الكحولي واعتياد المورفين والتبغ والكوكائين والحشيش لخروجها عن بحثنا . وانَّما نقتصر بالاشارة الى فضل الامساك عن كلّ ذلك مطلقاً واصلاً وتماماً ردواماً

٤ عضّ الحيوانات او لدغها

انَّ العضّ في الحالات الاعتياديَّة نوعٌ من الجراح ولا يستدعي حينئذاك الَّا تطهيره بنظافة على النحو الذي تقدَّم . امَّا اذا كان في لعاب الحيوان ميكروب مَرَضي فيجب لعلاجهِ عناية خاصَّة . فعضُّ الجرذ للانسان قد يكون عنهُ مرَض عفني أطلق عليهِ اليابانيُّون اسم سودوكي اي داء الجرَذ . سببهُ جرثومة من النوع اللولبيّ . وكل منَّا قد بلغهُ ما أُصيب بهِ اليونان حديثاً بموت ملكهم اسكندر الفتى اذ كان يلاعب قردةً فعضَّتهُ وكانت عضَّتها القاضية على حياتهِ . فسقط بموتهِ فنيزيلوس وعاد قسطنطين الى الملك وحارب اليونان الاتراك ففاز بهم مصطفى كمال فوزاً باهراً وانقلبت الحكومة الملكيَّة الى جمهوريَّة وزالت الخلافة منها فكان كل ذلك نتيجة تلك العضَّة

واعظم خطراً من كلّ ذلك عضَّة الكلاب الكلبة التي قبل عهدنا لم يُعرف لها دواء ناجع . وهذه سانحةٌ نغتنمها لنحذّر قومنا من الكلاب والقطط فانَّ عُشرة

مثل هذه الحيوانات تعرّضنا لضروب الامراض الاليمة كالكلب والسلّ والامراض الطفحيَّة . وهي تنقل على أقدامها الاقذار وتأوي الحشرات والطفيليات علاوةً على ما يستمدُّ صوفها بالاحتكاك بالمرضى والناقهين من انواع الجراثيم الضارّة . لنحفظنّ الحنان والعطف للايتام واخواننا من بني الانسان

من المعلوم انَّ كل كلبٍ او قطّ يعضُّ صاحبهُ وتبدو فيهِ حركات غير مألوفة كأن يتهجّم او يعضّ بدون داع فهو مشتبَه فيهِ تستدعي حالتهُ الى مزيد الحذر . ويُشار عند ذاك ألّا يُقتَل الحيوان بل يودع في قفص للمراقبة فان كان مصاباً بالكلب هلك من مرضهِ لا محالة قبل اليوم السادس

وعند وقوع العضّ يُعجَّل الى غسل الجرح وتطهيرهِ بصبغة اليود . والاحرى كيُّهُ بالنار . ويُسرع الى المعالجة على طريقة باستور في اقرب دارٍ لذلك فانَّ السلامة اكيدة لا مشاحّة بشرط ان يُبادر الى المداواة بها . فان هي أُهملت لم ينجع دواء

ومن الحيوانات ما يلدغ كالحيَّات القصيرة غير الضخمة المعروفة بالافاعي ولدغ الحيَّات بفضل الله نادر في هذه البلاد واندر من ذلك ان يموت المصاب بلدغها . واذا لُدغ احد فليُكوَ المحلّ بالنار سريعاً وينظَّف ويُربط العضو شديداً فوق مكان اللدغ لايقاف دورة الدم وانتشار السمّ بهِ . امَّا استعمال حجر السمّ المعروف ببازهر وغير ذلك من الوسائل الشائعة فالاحرى ان تضمّ الى الحرزة الزرقاء وتُلفّ مع بعض التعويذات والخرافات التي تلتجئ اليها بعض عجائز النساء

ويوجد الآن ترياقٌ لسمّ الحيَّات عجيب وهو مَصلٌ خاصّ يحقنون بهِ كما يحقنون لعلاج داء الخناق ويجهّزونه على طريقة واحدة اي انهم يعوّدون حصاناً سمّ الحيَّات تدريجاً ثم يأخذون من دمهِ المادَّة المضادَّة لذلك السمّ فيطعمون بهِ الملدوغ

ومن الحشرات والدويبات ما هو من ذوات الإبَر او الحُمَة كالنحل والعقرب والبعوض والبرغوث والناموس فهي تلسع . فمنها ما فيهِ ضربٌ من السمّ كالعقرب ومنها ما يفتك على صغرهِ فتكَ الوحوش الضارية بما ينقلهُ من الادواء . فان البرغوث ينقل دون سواه داء الطاعون والبعوض يُلقّح بجرثومة البرداء وغيرها من الامراض التي سبق لنا وصفها . هذا فضلاً عمَّا يحصل من لسعها من الإزعاج والالم كما في النحل والبرغش المعروف بالسكّيت

ومداواة هذه اللسعات بقطرة من صبغة اليود او الكحول القويّة. والواجب ان يُعمل على اتلاف هذه الحشرات في مهدها. ولا نظنّ انّ احدًا من قرّائنا يجهل ان البعوض يستفرخ في المستنقعات والمياه الآسنة وغير الجارية. فانّ الماء وهو عنصر الخصب والجمال والحياة يُصبح أداة المرض والموت اذا سُكن واستنقع

(لها بقيّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

اخبار بيروت منذ ظهور الاسلام الى القرن التاسع عشر

البحث الاول

بيروت في عهد العرب

كان تأثير الزلازل في بيروت مؤلمًا فبقيت عدّة سنين طامسة المحاسن كاسدة الاسواق تُرى في انحائها آثار الخراب والحريق. على انّ ملوك الروم والباقين من اهلها لم يشاؤوا ان يهملوها ولبيروت ما لها من حُسن الموقع برًّا وبحرًا ومن الخواصّ الممتازة ادبًا واقتصادًا. فاخذوا في اواخر القرن السادس يهتمّون لإصلاح مبانيها وتجديد ما

ومداواة هذه اللسعات بقطرة من صبغة اليود او الكحول القويّة. والواجب ان يُعمل على اتلاف هذه الحشرات في مهدها. ولا نظنّ انّ احدًا من قرّائنا يجهل ان البعوض يستفرخ في المستنقعات والمياه الآسنة وغير الجارية. فانّ الماء وهو عنصر الخصب والجمال والحياة يُصبح أداة المرض والموت اذا سُكن واستنقع

(لها بقيّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

اخبار بيروت منذ ظهور الاسلام الى القرن التاسع عشر

البحث الاول

بيروت في عهد العرب

كان تأثير الزلازل في بيروت مؤلمًا فبقيت عدّة سنين طامسة المحاسن كاسدة الاسواق تُرى في انحائها آثار الخراب والحريق. على انّ ملوك الروم والباقين من اهلها لم يشاؤوا ان يهملوها ولبيروت ما لها من حُسن الموقع برًّا وبحرًا ومن الخواصّ الممتازة ادبًا واقتصادًا. فاخذوا في اواخر القرن السادس يهتمّون لإصلاح مبانيها وتجديد ما

دثر من ابنيتها . فما لاح نور القرن السابع حتى عادت لهـا مسحة من بهائهـا السابق واستؤنفت فيها المعاملات التجارية

فكان البيروتيون يعقدون الامل على رجوع وطنهم الى الرقي التام لولا ما حصل وتتنذ في دولة الروم من الاضطرابات في عهد ملوكهم موريقيوس (٥٨٢—٦٠٢) وفوقاس (٦٠٠—٦٠٢) وهرقـل (٦١٠—٦٤١) فانتهز ملكا الفرس كسرى انوشروان سنة (٥٧٨) ثم كسرى أبرويز (٦٠٦—٦٠٧) فغزوا بلاد الشام وفلسطين ونهبا وحرقا وسبيا ولم تهدأ الامور الى ان ظفر بهم هرقل الملك بعد حرب عوان (٦٢٢—٦٢٨) وعاد السلام للبلاد . وكانت فينيقية في تلك السنين اسعد حظاً من سواهـا لعدول الفرس الى حواضر المدن في الداخلية كحلب وانطاكية ودمشق والقدس . وكان يتولى على فينيقية من قبل ملك الروم البطريق نيقيطاس فتصرف بالفطنة والحزم فنجت بهمته سواحل الشام ومن جملتها بيروت من تلك النكبات الهائلة

على انّ هذا السلام لم تطل مدته . وما لبث العرب في عهد عمر بن الخطاب ان انبثوا في ارض حوران ثم في فلسطين ثم في الشام تحت قيادة خالد بن الوليد وابي عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان ففتحوا تلك البلاد وتقدموا الى دمشق فاستولوا عليها في ايلول سنة ٦٣٥ وبعد واقعة اليرموك دخلوا الى نواحي سورية الشمالية وتملكوا على اورشليم (٦٣٧)

اما بيروت وسواحل الشام فقال البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٢٦) : « ان يزيد (بن ابي سفيان) اتى بعد فتح مدينة دمشق صيداء وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من اهلها . ثم انّ الروم عادوا فغلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب واول خلافة عثمان بن عفان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمّها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع . اما الواقدي فروى في كتابه فتوح الشام (طبعة مصر ٢ : ٥٢) عند ذكره فتح مصر على يد عمرو بن العاص انّ عمراً دخل القيسرية يوم الاربعاء في العشر الاول من رجب سنة ١٩ للهجرة (٦٤٠م) ووصل الخبر الى الرملة وعكة وعسقلان وناباس وطبرية فعقدوا كلهم صلحاً مع المسلمين وكذلك اهل بيروت وجبلة واللاذقية ومالك الله الشام للمسلمين »

وقسّم العرب بلاد الشام الى خمسة أجناد كالعاملات والسناجق وهي دمشق وحمص وقنسرين والاردن وفلسطين وقسموا كل جند الى كُوَر. وكانت بيروت كورة منوطة بجند دمشق

وبقي معظم اهل بيروت مدةً طويلةً كاهل المدن الساحلية من النصارى الوطنيين بينهم بقايا من الروم. فاراد معاوية ان يحصّن المدينة في وجه الاعداء فاستدعى قوماً من الفرس ليستوطنوا تلك المدن. ولنا شاهد على الامر في ما كتبهُ الجغرافي العربي اليعقوبي في كتاب البلدان قال (ص ٣٢٠ من طبعة ليدن) يذكر جُند دمشق: «وجند دمشق من الكوَر على الساحل كورة عَرْقة... فيها قوم من الفُرْس... ومدينة أطرابُلُس واهلها قوم من الفرس.. وجُبيل وبيروت وصيداء واهل هذه الكُوَر كلها قومٌ من الفرس نقلهم اليها معاوية بن ابي سفيان». ولا شكَّ ان المتاولة الشيعيين والنصيريين الذين في سواحل الشام حتى يومنا من ذرّيّة هؤلاء الفرس

وقال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص٢٣): «ثمَّ صار المسلمون يتكاثرون فيها (اي في بيروت) والروم يقلّون منها وقتاً بعد وقت حتى صار اكثر اهلها مسلمين»

وليس لنا من اخبار بيروت في ايام الدولة العباسية الّا اقوال نرويه هنا كما وجدناهُ في تواريخ العرب وفي اسفار رحّالهم واوصافهم للبلدان. فمن ذلك ما رواهُ ابو جعفر الطبري في ذيل المذيّل في تاريخ الصحابة والتابعين (الجزء الثالث ص ٢٥١) عن الاوزاعي قال: «هو عبد الرحمان بن عمرو ويكنّى ابا عمرو قيل له الاوزاعي لانتسابه الى الأوزاع وهو بطن من همدان وكان يسكن بيروت ساحل من سواحل الشام وكان في زمانه احد مفتي تلك الناحية ومحدّثيهم وذوي الفضل منهم وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ هـ (٧٧٣م) في آخر خلافة ابي جعفر المنصور وهو ابن سبعين سنة. وزاد صالح ابن يحيى افادةً في تاريخ بيروت فقال عنه (ص ٢٣—٢٤): «الاوزاعي هو امام اهل الشام وعالمهم قيل انه اجاب في سبعين الف مسألة وصار يُعمل بمذهبهِ في الشام نحو مائتي سنة... وكان عظيم الشأن بالشام وكان امرهُ فيهم اعزّ من امر السلطان... وكان مولدهُ ببعلبك سنة ٨٨ هجرية ٧٠٧ مسيحية) وقيل ٩٣ هجرية (٧١٢م). ومنشأه بالبقاع ونقلتهُ أمهُ الى بيروت فرابط بها الى ان مات»

وقبره على ما افاد ابو الفداء في تاريخ سنة وفاته (ج٢ ص٧) في قرية على باب بيروت يقال لها خنتوس (ويروى حنتوش) وهو في عهدنا مزار بخارج المدينة جنوبيها الغربي. ويقول علماء المسلمين انه كان يدرّس في الزاوية المعروفة باسمه حتى الآن جنوبي السوق الطويلة وهناك سبيل أُنشئ سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٨م) تذكاراً له

ثم ذكر صالح ابن يحيي ابنه محمد ولد الاوزاعي قال: «انهُ كان عابدًا قانتاً وكان يُظَن فيهِ انهُ من الأبدال(١ عاش بعد ابيهِ عشرين سنة». وألحق بالاوزاعي وبابنهِ بعض الزهاد الذين عبدوا الله في بيروت او امتازوا بعلومهم الدينيَّة. كالوليد بن مَزْيَد العُذْري المولود سنة ١٢٦هـ (٧٤٤م) المتوفى سنة ٢٠٣هـ (٨١٨م) وكابي الفضل العباس ابن الوليد البيروتي المولود سنة ١٧٩هـ (٧٩٥م) والمتوفي سنة ٢٧٠هـ (٨٨٣م) وكابي مُسْهر البيروتي وعبد الله بن اسماعيل البيروتي ومحمَّد بن عبد الله البيروتي المعروف بمكحول الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣٢١هـ (٩٣٣م)

وفي اواسط القرن الرابع للهجرة ذكر الاصطخري بيروت في كتابهِ مسالك الممالك (ص٦٥ من طبعة ليدن) بقولهِ: «بيروت مدينة على شطّ بحر الروم خصبة (ويروى حصينة) من عمل دمشق بها كان مقام الاوزاعي»

واتّبع معاصرهُ ابن حوقل في وصف بيروت في كتابهِ المسالك والممالك. واحسن في تعريف بعض خواصها وطباع اهلها قال (ص١١٦): «بيروت على ساحل بحر الروم... وبها يُرابط اهل دمشق وسائر جندها واليها ينفرون عند استنفارهم وليسوا كاهل دمشق في جفاء الاخلاق وغِلَظة الطباع وفيهم من اذا دُعي الى الخير اجاب واذا ايقظهُ الداعي اناب. وببيروت هذه كان مقام الاوزاعي وهي ذات نخيل وقصب سكر وغلّات متوفرة. وتجارات البحر عليها دائرة وسابلتها غير منقطعة. حصينة خصيبة متينة السور رخيصة الاسعار جيّدة الاهل مع منعة فيهم من عدوّهم وصلاح في عامّة امورهم». فنِعم الوصف ويحق بهِ للموصوفين الافتخار ومنهُ يلوح انَّ بيروت اصبحت في القرن العاشر للمسيح من أمهات المدن

واجتاز في بيروت رحّالةٌ عجميّ اسمهُ ناصر خسرو العلويّ سنة ١٠٤٧ للمسيح فقال عنها في كتاب رحلتهِ سفرنامه (ص١٣) ما تعريبهُ: «وسرنا من جُبيل الى بيروت

١) اطلب مقالة في واسمة الأبدال في المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ١٩٦-٢٠٤)

حيث رأيت قنطرة من حجر تمتدّ الطريق فوقها فقدّرتُ انّ علوّهـا خمسون كزّاً (١ وجانبا القنطرة مبنيّان بحجارة بيضاء ضخمة تقل الحجر نحو الف منّ (٢ وعن يمين القنطرة وشمالها اسطوانتان من الآجرّ علوّهما عشرون كزّاً . وفوق الاسطوانتين عمودان من الرخام علوّ العامود ثمانية اكزاز لا يكاد رجلان ان يُلفّا على العامود ذراعيها الضخمة . وكانوا بنوا على هذين العامودين قناطر من الحجارة الكبيرة دون ملاط ولا كلس . والقنطرة الكبيرة هي في وسط هذه القناطر وهي تعلو فوقها نحو خمسين آرشاً (٣ وعلى ما اظنّ يبلغ علو كل حجر من تلك القنطرة سبعة آرش في عرض اربعة منهُ وثقلهُ نحو سبعة آلاف منّ . وكل هذه الحجارة منقوشة بنقوش غاية في الدقّة واللطف قلّما يُرى مثلها في المصنوعات الخشبية . ولم أرَ في جدار هذه البناية بناء آخر غيرها . وكان جواب الذين سألتهم عن خبر هذه القناطر انها عريقة في القـدم وتُدعى باب بستان فرعون . والسهل الذي يحيط بهذا الاثر فيه عدد لا يُحصى من الاعمدة ورؤوس الاكلّة من الرخام المنقوش بعضها مربّعة وغيرها مسدّسة او مثمنـة الزوايا . والحجر غاية في الصلابة لا يعمل فيه الحديد . وليس في جوار المكان مقلع يُستدلّ منه على انهم استخرجوهُ منهُ

وهناك حجر آخر مانع كان مركّباً تركيباً صناعياً لا يؤثر فيه ايضاً الحديد . وفي بلاد الشام ترى الدراري والاعمدة ورؤوس الاكلّة ملقاةً في كل مكان وعددها ينيف على ٥٠٠،٠٠٠ قطعة لا يعلم احدٌ ماذا ارادوا من جمعها ولا من اين اتوا بها »

في وصف ناصر خسرو السابق ترى انّ الابنيـة العديدة التي كان الرومـان والهيرودسون الثلثة بنوها في بيروت وجيرتها لم تُطمس آثارها بعدُ وإن خفي عنهم الغرض من وضعها اما القناطر التي ذكرها فلم نتحقق اين كان موقعها افوق نهر ابرهيم ام نهر الكلب ام نهر بيروت

هذا مُجمَل ما ورد عن وصف بيروت في عهد الخلافتين الامويّة والعباسيّة . اما اخبارها السياسيّة فهي دون ذلك . وانمـا زعم البعض انهم وجدوا عنـد الامراء الارسلانيين كتابات تُروى فيها مآثر لاجدادهم منها انّ جدّهم الاعلى الذي ينتمون

١) كان يساوي الكزّ عند العجم متراً و ٢٥ سنتمتراً

٢) كان وزن المنّ كرطلنا السوري تقريباً ٣) الآرش كالذراع

اليه الامير ارسلان بن مالك اللخمي جرت له مواقع عديدة مع المردة الذين وكل اليهم ملوك الروم حراسة لبنان وانهُ توفي في سنّ الفيل سنة ١٧١ه (٧٨٧م)

وكذلك رووا عنهم قدوم مراكب للروم الى بيروت سنة ١٨٥ ه (٨٠١ م) فغزوا ساحلها واستأسروا عند مقام الاوزاعي اميرًا من الارسلانيين اسمهُ عمر ابن الامير ارسلان. وبقي عندهم حتى فداهُ بعد ثلاث سنوات القاسم ابن هارون الرشيد

ورووا ايضاً ان الامير النعمان بن عامر الارسلاني تولى بيروت وصيدا وجبلها بامر ماجور التركي سنة ٢٥٧ه(٨٧٢م) فبنى في بيروت دارًا عظيمة وحصّن صور المدينة وقلعتها ثم حارب مَرَدة لبنان فجرى بينهُ وبينهم قتال عظيم على نهر بيروت سنة ٨٧٥ في خلافة المتوكل العباسي. ويقال هناك انَّ هذا الامير ردَّ هجمة الفرنج سنة ٣٠٣ه (٩١٥م) وكانوا نزلوا من سفنهم في رأس بيروت فسار اليهم واسر منهم ثمانية رجال وقتل ستَّة ثم فاداهم على من اسروهُ من المسلمين . وفيها ايضاً ان احمد ابن محمَّد بن ابي يعقوب ابن هارون الرشيد مرَّ مع اسرتهِ في بيروت فاستقبلهُ الامير نعمان المذكور وخطب ابنتهُ السيدة كلثوم لابنهِ الامير منذر فزفَّها اليهِ. وكانت وفاة الامير نعمان سنة ٣٢٥ه (٩٣٦ م) وعمره ٩٨ سنة توفي في بيروت وبها دُفن ثم خلفهُ في ولايتهِ ابنهُ المنذر ولُقب سيف الدولة

هذه المنقولات وردت في اوراق مصونة كما يقال عند الامراء بني رسلان ولم يمكنَّا ان نتثبَّت صحَّتها بعَرْضها على غيرها من التواريخ فروَيناها على علَّاتها. وما هو اثبت ركناً واقوى سندًا انَّ بيروت دخلت مع بقية بلاد الشام في حكم دولة بني طولون المصريَّة سنة ٢٦٤ه (٨٧٧م) ثم خلفت الطولونيين دولةُ الاخشيديين سنة ٣٢٣ ه (٩٣٥م) فاستولت على دمشق وجندها مدة بضع سنوات

وفي عهد الدولة الاخشيدية غزا الروم بلاد الشام وكان ملكهم يوحنا زيمِسكس (Jean Zimiscès) الذي يدعوه العرب بالشمشقيق فاخذ دمشق بالامان وسار الى سواحل الشام فنزل على صيداء وانصرف عنها على سِلْم وموادعة. قال ابن القلانسي في تاريخهِ المعروف بذيل تاريخ دمشق (ص١٤): «ثم انتقل الى ثغر بيروت فامتنع اهلهُ عليهِ فقاتلهم وافتتح الثغر عنوةً ونهبهُ وسبى السبي الكثير منه» . وكان ذلك سنة ٣٦٤ه(٩٧٤م). وبعد سنتين استرجعها جوهر القائد وولَّى عليها هفتكينُ التركي

صاحب دمشق الامير درويش بن عمر الارسلاني ثم عزله منجوتكين خلف هفتكين وولّى مكانه الامير منصور

ثم انقلب الدهر على الدولة الاخشيدية وصار الامر لدولة الفاطميين وبعد ان فتحوا مصر ارسلوا جيوشهم الى الشام فملكوها سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤ م) ولحقت بها سواحل الشام وفي جملتها بيروت. فصار الخلفاء الفاطميون يجعلون عليها عمّالهم ففي السنة ٤٠٥هـ (١٠١٤م) تولى على بيروت فتح احد غلمان صاحب حلب ابي نصر لؤلؤ من قبل الحاكم بامر الله وتلقّب مبارك الدولة وسعدها

واقطعهُ الحاكم بأمر الله مع بيروت صور وصيداء. قال صالح بن يحيى (ص ٢٦) وكان ارتفاع الثلاثة اماكن المذكورة ثلثمائة الف دينار. وهذا دليل واضح على خصب بيروت وحسن تجارتها في ذلك الوقت

وفي السنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م) ولي عليها ابو سعيد قايوس من قبل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي وفي السنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) اقطع المستنصر بالله عكّة وبيروت وجبيل لعزّ الدولة ابن مرداس صاحب حلب عوضاً عن حلب واخذ حلب منهُ لكنّ قارب ابن مرداس استرجعوا منهُ حلب فاستعاد المستنصر المدن الثلاث. قال صالح ابن يحيى: «وكان الذي اقرى على دمشق يامك السوا ملي»

امّا احوال النصرانية في بيروت في ايام دولتي العرب الاموية والعبّاسية فلا نكاد نعرف منها شيئاً. وانّما يذكر التاريخ من اساقفتها في تلك الحقبة المسمّى توما من اساقفة الروم المتحدين مع الكرسي الروماني كان في القرن التاسع للمسيح على عهد فوطيوس حضر المجمع الثامن المسكوني الذي اجتمع في القسطنطينية سنة ٨٦٩ وحكم على هذا البطريرك لجلوسهِ على الكرسي القسطنطيني بعد حكمهِ ظلماً على القديس اغناطيوس البطريرك الشرعي. وممّن وقّعوا على اعمال المجمع «توما اسقف بيروت» ثم نُقل توما المذكور الى رئاسة اساقفة صور وفي المجمع يقال انهُ كان نائباً عن رئيس اساقفة انطاكية لخلوّ هذا الكرسي وتتلمذ من صاحبهِ

وقد اشتهر على عهد العرب في الكنيسة اليونانية احد ابناء بيروت وهو الشمّاس رومانوس المرتّل كان معاصراً للقديسين يوحنا الدمشقي واندراوس الكريطشي واشتهر مثلهما بتأليف التسابيح التقويّة بالشعر اليوناني كان مولدهُ في بيروت وخدم كنيستها

برتبة شماس ثم انتقل الى القسطنطينية وفيها صنّف تراتيلهُ الكنسيّة الفصيحة البليغة الدالّة على جودة قريحتهِ وعظم تقاه (لها بقيةٌ)

السونة حشرة الغلاّت في البقاع

نظر علمي ادبيّ لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

ظهرت هذه الحشرة المفسدة في اوائل الصيف فانتشرت بسرعة في انحاء البقاع فعاثت في مزارعها وكادت تذهب بكافّة اتعاب الفلّاح وتعدمهُ معاشهُ بفتكها بغلّاتهِ . فسألنا البعض ان نذكر على صفائح المشرق ما يُعرف من امرها

﴿اسمها ووصفها﴾ اسم «السونة» بالعربيّة لا ذكر لهُ في المعاجم وانّما هو شائع بين الزرّاعين . ولعلّ اصل الكلمة سرياني (ܣܘܢܬܐ) اي الانقلاب والتبدُّل دلالةً على تطوُّرات هذه الحشرة . امّا علماء النبات الاوربيون فيدعونها «Eurygaster Maurus» فالاسم الاوّل مركّب من كلمتين يونانيّتين معناهما «الواسعة البطن» لهيئة بطنها والاسم الثاني علَم الرجل الذي ميز جنسها فنُسبت اليهِ . وهذه الحشرة من فصيلة الحشرات الكبرى المعروفة بالنصف جناحيّة (hémiptères.) وفي فصيلتها تدخل الفسافس (البقّ) باشكالها سواء كانت مجنّحة او غير مجنّحة كالبقّ الاهلي . والسونة من النوع المجهّز بترس وترسُها هذا يتألف من صفيحة دَرَقيّة الشكل تغطّي صدرها وتمتدّ الى بطنها فتستره امّا جزئيًا وامّا تماماً

وللسونة اذا بلغت كمالها اربعة اجنحة كسائر الحشرات النصف جناحيّة . وهذهِ الاجنحة عند سكونها مطويّةٌ فوق بطنها ويغطّيها الترس الذي مرَّ ذكرهُ لا يبين منها سوى طرفها المستدقّ الملوَّن ويبقى معظمها مغطّى بالترس وهذه الاجنحة تتركّب من مادّة شفّافة لا يكاد النظر يفرزها لعدَم لونها اذا ما بسطتها الحشرة . والجنس الذي نحن بصددهِ يغطي الترسُ سائر بطنهِ حتى انهُ لاوّل وهلة يظهر كانهُ قسمٌ منهُ ولونهُ اصفر ضارب الى الرمدة تقاطعهُ بعض خطوط اشدّ نصوعاً لكنها قليلة البروز . وعند اسفل الترس المذكور في نقطة اتصالهِ بالصدر نُكتتان تختلفان صفاء في افراد الجنس

﴿اصناف الحشرة واخلاقها﴾ وهذهِ الحشرة التي ظهرت في البقاع تشبه تقريباً

برتبة شماس ثم انتقل الى القسطنطينية وفيها صنّف تراتيلهُ الكنسيّة الفصيحة البليغة الدالّة على جودة قريحتهِ وعظم تقاه (لها بقيةٌ)

السونة حشرة الغلاّت في البقاع

نظر علمي ادبيّ لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

ظهرت هذه الحشرة المفسدة في اوائل الصيف فانتشرت بسرعة في انحاء البقاع فعاثت في مزارعها وكادت تذهب بكافّة اتعاب الفلّاح وتعدمهُ معاشهُ بفتكها بغلّاتهِ . فسألنا البعض ان نذكر على صفائح المشرق ما يُعرف من امرها

﴿اسمها ووصفها﴾ اسم «السونة» بالعربيّة لا ذكر لهُ في المعاجم وانّما هو شائع بين الزرّاعين . ولعلّ اصل الكلمة سرياني (ܣܘܢܬܐ) اي الانقلاب والتبدُّل دلالةً على تطوُّرات هذه الحشرة . امّا علماء النبات الاوربيون فيدعونها «Eurygaster Maurus» فالاسم الاوّل مركّب من كلمتين يونانيّتين معناهما «الواسعة البطن» لهيئة بطنها والاسم الثاني علَم الرجل الذي ميز جنسها فنُسبت اليهِ . وهذه الحشرة من فصيلة الحشرات الكبرى المعروفة بالنصف جناحيّة (hémiptères.) وفي فصيلتها تدخل الفسافس (البقّ) باشكالها سواء كانت مجنّحة او غير مجنّحة كالبقّ الاهلي . والسونة من النوع المجهّز بترس وترسُها هذا يتألف من صفيحة دَرَقيّة الشكل تغطّي صدرها وتمتدّ الى بطنها فتستره امّا جزئيًا وامّا تماماً

وللسونة اذا بلغت كمالها اربعة اجنحة كسائر الحشرات النصف جناحيّة . وهذهِ الاجنحة عند سكونها مطويّةٌ فوق بطنها ويغطّيها الترس الذي مرَّ ذكرهُ لا يبين منها سوى طرفها المستدقّ الملوَّن ويبقى معظمها مغطّى بالترس وهذه الاجنحة تتركّب من مادّة شفّافة لا يكاد النظر يفرزها لعدَم لونها اذا ما بسطتها الحشرة . والجنس الذي نحن بصددهِ يغطي الترسُ سائر بطنهِ حتى انهُ لاوّل وهلة يظهر كانهُ قسمٌ منهُ ولونهُ اصفر ضارب الى الرمدة تقاطعهُ بعض خطوط اشدّ نصوعاً لكنها قليلة البروز . وعند اسفل الترس المذكور في نقطة اتصالهِ بالصدر نُكتتان تختلفان صفاء في افراد الجنس

﴿اصناف الحشرة واخلاقها﴾ وهذهِ الحشرة التي ظهرت في البقاع تشبه تقريباً

النوع الشائع في كل اوربة . والنباتيون يقولون في تعريفها انها تسكن في الاعشاب الواطئة وتمتص مائيتها ولاسيما الحبوب فانها تفتك بها وتتلفها

والحشرة السونة اطوار مختلفة كسائر الحشرات ولا ينبت لها جناح الا عند بلوغها في آخر اطوار حياتها . وهي تؤذي الفلات في حالتها الدودية كما تفسدها في بلوغها لا بل يزيد أذاها وهي دودة كمعظم اجناس الحشرات لتهيها في تلك الحالة . ألا ترى مثلاً الفراشة فانها في بلوغها في حالة الطيران لا تكاد تتناول غذاء على خلاف حالتها الدودية فانها وتتغذ كثيرة النهم . ومثلها دودة القز وزحاف الجراد

﴿سبب غزو هذه الحشرات﴾ ان هذه الحشرات الضارة لا يكاد يذكر لها فساد في سنين كثيرة وتراها على خلاف ذلك تنمو وتزداد في بعض السنين حتى تصبح آفة مجحفة كما ترى في الجراد . فبحث العلماء عن ذلك ونسبوا الامر الى احوال خاصة في الجو لم يتبين حتى اليوم سببها ونوع تأثيرها وهم لا يزالون يدرسون الامر ليقفوا تماماً على علله

وننقل هنا بعض ملاحظات اخرى رواها مكاتب الشرق في العدد ١٣٤٤ من السيد روفنيل حلاق مفتش الحشرات والامراض الزراعية في دول الانتداب الفرنسي قال في وصف السونة : «هي حشرة من نوع البق طولها سنتيمتر ونصف وعلى ظهرها بيت كبيت السلحفاة نحاسي اللون . وهي تختبئ في الشتاء في الاراضي المفلوحة وفي اوائل الربيع عند نبت الحنطة والشعير تصعد اليها وحدها لتتغذى بعصها وبعد ثلاثة اسابيع تبيض على الاوراق ثلث دفعات متتابعة وكل مرة ١٦ بيضة بيضاء صغيرة كرأس الدبوس . وبعد ١٥ يوماً يفقس البيض بيننة ولون البرغوث وتمتص الحشرة النبات الى ان يميل فتقف عليه ورأسها الى اسفل ولا تزال تمتص حليبه الطري الى ان تهلك الحقل كله بظرف ٢٤ ساعة . وكانت ظهرت من نحو عشرين سنة في شمالي حماة ومعرة النعمان الا ان ضررها لم يلفت الانظار الا في العام الماضي ١٩٢٤ حيث فتكت بغلال ٧٥ قرية وأبادتها كلها وتقدر الخسارة بـ ١٨٤ الفاً ذهباً واحدثت في هذه السنة خسائر فادحة في مزروعات البقاع »

﴿مكافحة السونة﴾ اما مكافحة هذه الآفة فعرض السيد وجيه الجزار مفتش الزراعة في حكومة سورية بعض التدابير لاتقاء اضرار تلك الحشرة (البشير

عدد ٣٣٥٣) منها الامتناع مدّة سنتين او ثلاث سنين عن زرع الحنطة والشعير في الاراضي الموبوءة واستبدال زرعها بمزروعات غيرهما كانواع القطاني من عدس وفول وحمص الخ بعد حرث الاراضي واحراق اعشابها الباقية بعد الحصاد

ومنها ان تخصّص اراضي السقي لزراعة الحنطة والحبوب وتعميم زراعة الحنطة المعروفة بالبَذريّة التي تنضج سريعاً . ومنها جنس يُزرع في ولاية آطنة وضواحيها يُسمّى « قوندوز بغداي » تنتج مع الشعير او قبلهُ وقد عُمّم هناك زرعُها تلافياً لفائلة الجراد لبلوغها قبل ظهور الزحّاف ويمكن زرعها على هذه الصورة دفعاً لحشرة السونة ايضاً . وكذلك يحسن أن تُعمّم زراعة الشعير الصلب

ومنها تغيير البذار وغربلتهُ وغسله قبل زرعه بليلةٍ واحدة بمحلول الزنجار والكلس والقطران بنسبة واحد او واحد ونصف بالمئة

ومنها ايضاً تعميم استعمال الاسمدة من الفوسفات الكلسيّة مع الرماد ومسحوق العظام في الاراضي المراد زرعها حنطة وذلك في بدء موسم الزرع او في اثناء الحراثة . ويُسرَع في البذار حال وقوع المطر او قبلَهُ كي تبلغ السنبلة وتُحصَد قبل ظهور الحشرة

وممّا اخبرنا مكاتبنا عن نجاة مزروعات تمنايل من آفة السونة انّ سِرباً من الكراكي حطّ هناك وبقيَت في ارضها آمنةً مدّة طويلة فكافحت حشرة السونة وكادت تبيدها تماماً وبفضلها زكت الحنطة بغلالها

مطبوعات شرقيّة جديدة

P. Thomson: Die neueren Forschungen in Palaestina—Syrien. Sammlung gemeinverständlicher Vorträge, n° 114. *in*-8° 1925, *J. C. Mohr H. Lauppsche Buchhandlung. Tübingen, Prix* 1 *M.* 20

آثار جديدة في فلسطين وسوريّة

هذه محاضرة نفيسة جمع فيها الدكتور طومسن ما وُجد من الآثار المنوطة بالاسفار المقدّسة في زمن الحرب الكونيّة وبعدها وقد راجع لذلك جميع ما نشرهُ العلماء في هذا الصدد ممّا يكشف الحجاب عن بعض مشاكل التاريخ في اصول

عدد ٣٣٥٣) منها الامتناع مدّة سنتين او ثلاث سنين عن زرع الحنطة والشعير في الاراضي الموبوءة واستبدال زرعها بمزروعات غيرهما كانواع القطاني من عدس وفول وحمص الخ بعد حرث الاراضي واحراق اعشابها الباقية بعد الحصاد

ومنها ان تخصّص اراضي السقي لزراعة الحنطة والحبوب وتعميم زراعة الحنطة المعروفة بالبَذريّة التي تنضج سريعاً . ومنها جنس يُزرع في ولاية آطنة وضواحيها يُسمّى « قوندوز بغداي » تنتج مع الشعير او قبلهُ وقد عُمّم هناك زرعُها تلافياً لفائلة الجراد لبلوغها قبل ظهور الزحّاف ويمكن زرعها على هذه الصورة دفعاً لحشرة السونة ايضاً . وكذلك يحسن أن تُعمّم زراعة الشعير الصلب

ومنها تغيير البذار وغربلتهُ وغسله قبل زرعه بليلةٍ واحدة بمحلول الزنجار والكلس والقطران بنسبة واحد او واحد ونصف بالمئة

ومنها ايضاً تعميم استعمال الاسمدة من الفوسفات الكلسيّة مع الرماد ومسحوق العظام في الاراضي المراد زرعها حنطة وذلك في بدء موسم الزرع او في اثناء الحراثة . ويُسرَع في البذار حال وقوع المطر او قبلَهُ كي تبلغ السنبلة وتُحصَد قبل ظهور الحشرة

وممّا اخبرنا مكاتبنا عن نجاة مزروعات تمنايل من آفة السونة انّ سِرباً من الكراكي حطّ هناك وبقيَت في ارضها آمنةً مدّة طويلة فكافحت حشرة السونة وكادت تبيدها تماماً وبفضلها زكت الحنطة بغلالها

مطبوعات شرقيّة جديدة

P. Thomson: Die neueren Forschungen in Palaestina—Syrien. Sammlung gemeinverständlicher Vorträge, n° 114. *in*-8° 1925, *J. C. Mohr H. Lauppsche Buchhandlung. Tübingen, Prix* 1 *M.* 20

آثار جديدة في فلسطين وسوريّة

هذه محاضرة نفيسة جمع فيها الدكتور طومسن ما وُجد من الآثار المنوطة بالاسفار المقدّسة في زمن الحرب الكونيّة وبعدها وقد راجع لذلك جميع ما نشرهُ العلماء في هذا الصدد ممّا يكشف الحجاب عن بعض مشاكل التاريخ في اصول

النصرانيّة . وقد تمنّى في مطاوي الكلام لو أدخل ارباب المدارس في تعليمهم الدينيّ خلاصة تلك الاكتشافات الاثريّة . وهذا على رأينا ممّا لا يتمّ فعلًا لان تلك الآثار قابلة لتفاسير مختلفة كثيرًا ما يشطّ في معناها الصحيح علماء العصر وقد بيّن الكاتب شيئًا من اوهامهم في هذا المعنى لما كتبوهُ عن بعض الآثار المكتشفة في اورشليم وفي مناجم طور سينا فجاءت شروحهم مخالفة لاخبار الكتب المقدّسة وظهر بُطلانها بعد حين الاب رينه موترد

S. Ferri: Contributi di Cirene alla Storia della religione greca. *Collezione* ΓΡΑΦΗ, 4° 2, *T vol, in*-12, *Roma Libraria di Cultura*, 1923

آثار قيرينية لمعرفة احوال الدين اليوناني

هذه نتيجة الابحاث الاثريّة التي باشرها علماء ايطالية في قيرينية احدى المدن العامرة الواقعة في طرابلس الغرب بين الاسكندريّة وقرطجنة . فالآثار التي وجدوها تدلّ على ما نقلهُ اليها المستعمرون اليونان في القرن السابع قبل المسيح من جزيرة ثيرة (Théra) . امّا ما زعمهُ البعض من ان قيرينة دُعيت بهذا الاسم تذكارًا للالهة قيرينة فلم يثبت بذلك [illegible] الاقدمة قدّمت [illegible] حيث العهد . امّا معبودة قيرينة الكبيرة [illegible] الجديدة . ومن الآثار المكتشفة هناك بين صخور عين حُفرة هيكل على ذكر الاله زفس اي جوبيتر (Zeus Meilichios) ويشركهُ في عبادته مشاهير الموتى . امّا الاله المذكور فهو على رأي المسيو فِرّي إلهٌ ساميّ يُدعى بالملك . لكنّ اشتراك ارواح الموتى بعبادة هذا الاله هو من الغرائب التي لم يسبق لها اثرٌ معروف ر . م

LE DROIT FRANC EN SYRIE PENDANT LES CROISADES. Institutions judiciaires, par Dimitry Hayek. 1 vol. Paris, 1925, Edit. Spes, Prix 20 f.

الشرع الفرنسوي في سوريّة في عهد الصليبيين

لمّا احتلّ الصليبيّون بلاد الشام في القرون الوسطى وجّهوا حالًا نظرهم الى تدبير الامور الشرعيّة والرسومات القضائيّة . وقد بقي لنا تآليف واسعة من اعمالهم واحكامهم فأحبّ وطنيّنا الهمام دمتري افندي الحائك لنيل شهادة الملفنة في الحقوق في باريس ان يتّخذ هذا الموضوع الوطني . فراجع ما كتبهُ في ذلك قدماء الفقهاء واستخرج من تآليفهم لائحةً مدقّقة جامعة لتلك الاحكام الشرعيّة وبيّن ما فيها من

روح الشرع الفرنساويّ الشائع في مملكة فرنسة وكيف طبّقوا تلك الشرائع على احوال البلاد فنفّذوها بحسن معاملاتهم ولطف تدبيرهم . فكان لهذا التأليف احسن موقع لدى اللجنة الفاحصة فأثنت على وطنيّنا اطيب الثناء . وقد اراد السيد بودريليار من الاكادمية الفرنسويّة ان يصدّر الكتاب بمقدّمة اوضح فيها ما للمؤلف من الفضل في تأليفهِ لفظاً ومعنى . ونحن نضمّ صوتنا الى المهنّئين ونُسرّ بما نالهُ من الامتياز بهذا العمل الجليل ل . ش

Alfred Guillaume: THE TRADITIONS OF ISLAM, AN introduction to the Study of the Hadith Literature. 1 *vol. in*-8°, *Oxford, Clarendon Press*

مقدّمة على درس الحديث في الاسلام

قد سرّحنا النظر بلذّة في هذا الكتاب الذي جعلهُ صاحبهُ كمقدّمة على ما ينويهِ من درس الحديث في الاسلام . فهو يبحث اوّلاً عن اصل الحديث واطوارهِ في عهد بني امية وبني عبّاس ويذكر المجاميع المعروفة في ذلك كصحيح البخاري وصحيح مسلم الخ . ثمّ يذكر موقف المسلمين تجاه الحديث ومصطلحاتهم في تعريف صحّتهِ وضعفهِ ووضعهِ . وقد خصّ فصلاً روى فيهِ كثيراً من الاحاديث الاسلاميّة وافرد فصلاً آخر ذكر فيهِ ما استعاروهُ من المصادر النصرانيّة . وفي فصل ثالث ما يتضمّنهُ الحديث عن نبيّ الاسلام . وقد وجدنا بالاجمال انّ المؤلف اجاد في ما كتب وحاول صدق الرواية طاقة جهدهِ الاب هنري لامنس

ASTRONOMY AND ASTRONOMERS, by Exarch John Haddad. 1 *vol. in*-8°, *Chicago Illinois*, 1924, *pp.* 168, *Prix* 2 *Dollars*

علم الفلك والفلكيون

انّ وطنيّنا حضرة الاكسرخوس حنّا حدّاد منذ اختلط بالاميريكيين كعتهِ الشهير الجنرال ميخائيل حدّاد احبّ ان يجاريهم في علومهم وآدابهم . وها هوذا اثر جديد من مساعيهِ الطيّبة جمع فيهِ خلاصة ما يعرفهُ اليوم الفلكيّون من المعارف الفلكيّة وعلم الهيئة بعد ذكره تاريخ تلك العلوم في القرون السالفة بين قدماء الشعوب وقد اورد اسماء كبار الفلكيين والمعاهد الفلكيّة في انحاء العالم ولم يفتهُ ذكر مرصدنا الحديث في كسارا . واضاف الى كتابهِ معلومات اخرى عديدة كأطوال البلاد واعراضها والمسافات بين انحاء الاصقاع ومدنها والتوافق بين ازمنتها . وقد قدّم عملهُ

هذا لصاحب السعادة الجنرال عمه الذي تُرى صورتهُ في صدر الكتاب مع صورة حضرة الاكسرخوس . فنحضّ العارفين بالانكليزيّة ان يستفيدوا من هذا الكتاب الجليل ل . ش

Espinas (Alfred): Etudes sur la Philosophie de l'action — Descartes et la morale. 2 *vol. in* - 8°. 1925. *Paris, Ed. Bossard. Prix* 24 *f les deux*

دروس في فلسفة ديكرت من حيث الادب

توفي مؤلف هذه الدروس سنة ١٩٢٢ قبل ان ينجز كتابهُ ويعيد النظر فيهِ وكانت غايتهُ ان يبيّن تأثير الفلسفة في عمل البشر . وخصّ بدرسهِ الفيلسوف الفرنسويّ ديكرت لشهرتهِ وزعم انهُ اخذ عن اليونان وخصوصاً عن افلاطون آراءهُ في آداب المجتمع البشريّ وانهُ مهّد في ذلك الطريق لجان جاك روسو في كتابهِ التعاهد الاجتماعي . ونحن نشكُّ في ما ينسبهُ الى ديكرت دون دليل ثابت . لا بل نراه مخطئاً في تحاملهِ على فلاسفة القرون الوسطى وعلى كبار اللاهوتيين كالقديس اوغسطينوس والقديس توما اللاهوتي ومشاهير اليسوعيين اساتذة ديكرت . وكذلك اساء المقابلة بين تعاليم افلاطون والافلاطونيين وبين تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والفروق بينها متعددة بل هما في اشياء كثيرة على طرفي نقيض . وفي اثناء المؤلف ابهام كثير لربما كان ازالهُ لو امدّ المؤلف بحياتهِ ج . ل

Godard (André): La Piété antique. 1 *vol. in*-16, 1925, *Paris, Perrin, Prix* 8 *f*

التقى في الامم القديمة

لم تخلُ الامم السابقة لعهد المسيح من الدين وانما دينها كان مبنيًّا على ما ورثتهُ بالتقليد من الوحي الاوّل طبقاً لنظر العقل المصيب او على ما اخترعتهُ من الخرافات بتأليه قوى الطبيعة من جمادات او حيوانات او أبطال البشر . فزعم المؤلف انَّ هذه العواطف الدينيّة سواء كانت صحيحة او باطلة أدّت باصحابها الى التقى والعبادة الباطنة . فراجعنا كتابهُ لعلّنا نرى ادلّة مقنعة على قولهُ هذا فلم نجد سوى الاوصاف لتلك الديانات التي كنّا نعرفها بما نقلهُ عنها المؤرخون وتنطق بهِ الآثار الباقية . امّا التقى الخالصة والعبادة القلبيّة الباطنة كما نراهما في الدين المسيحي فانَّ المؤلف لم يكد يأتي بدليل عليها . ومن ثمَّ رأينا اسم الكتاب لا يوافق مضامينهُ ج . ل

Warrington Dawson: Le sacrifice de Paul Clermont. 1 *vol. in*-16, 1925, *Paris, Librairie académique, Perrin et Cie, Prix* 8 *f*

تضحية النفس في سبيل الواجب

مؤلف هذا الكتاب ليس فرنسوياً وانما أعجب بما رآهُ في الفرنسويين من الشهامة والإقدام في الحرب الكونيَّة فبنى على ذلك روايةً خيالية جعل بطلها شاباً دعاهُ بول كلرمون وصف اخلاقهُ الغريزيَّة التي لدى احتكاكها بالحوادث الطارئة على وطنهِ تعززت وتسامت حتَّى بلغت بصاحبها الى اقصى حدود التفاني في سبيل الوطن والخير العام والقيام بالواجب. وقد اثنى على الكاتب وطنيُّهُ جوزف كونراد الروائي الشهير فقال: «انَّ كتابك هذا قد اثبت صدق حبك لفرنسة»

Poizat (Alfred): Pour l'Humanisme, 2^e *vol., in*-16, *s.d., Paris, Ed. Spes, Prix* 8 *f*

لخدمة الادبيات المستحدثة

هو الجزء الثاني من الكتاب الذي ذكرناهُ حديثاً في المشرق (ص ٣٩٤) جمع فيهِ مؤلفهُ ما كتبهُ في الجرائد والمجلَّات من تراجم بعض المحدثين. ففي هذا القسم تراجم اناطول فرنس وبول مورل وهنري بريموند وغيرهم ممَّن اشتهروا فاعتبروهم كاركان النهضة الادبيَّة الحديثة. وقد قلنا سابقاً انَّنا لا نوافق الكاتب على كثير من آرائهِ المتطرِّفة ج. ل

Abul ʿAmaithal al-Aʿrâbi: Kitâb al-Maʿthur, herausgegeben von. F. Krenkow, London, 1925, Probsthain

الكتاب المأثور عن ابي العَمَيْثل الاعرابي

ابو العميثل احد كبار اللغويين في القرن الثالث للهجرة لهُ عدَّة مصنفات سلم منها «كتاب المأثور» الذي وُجدت منهُ نسخة في مكتبة السلطان بايزيد في الاستانة فاستحضر منها صورة فوتغرافيَّة صديقنا المستشرق فرتس كرنكوف واعدَّها للطبع وذيَّلها بالحواشي والحقها بالفهارس على مثال المدقِّقين المحقِّقين ثمَّ سلَّمها لمطبعتنا الكاثوليكية فطُبعت طبعاً متقناً وشفعتها بصورة صفحتين عن الاصل المخطوط. وهذا المأثور عبارة عن ٢٨٠ لفظة ذات معانٍ لغويَّة مختلفة يفسِّرها ابو العميثل ويضرب عليها امثالاً من الشعراء وغيرهم. فهو اذن احد اركان اللغة الاصلية التي منها استمدَّ اصحاب المعاجم. فنشكر همة المسيو كرنكوف لنشره هذا الاثر الفريد ل. ش

Souvenir des Noces d'Or de l'Université St Joseph de Beyrouth. CATALOGUE DES OUVRAGES publiés par les Professeurs et Etudiants de l'Université 1875-1925. par le P. Louis Cheikho S. J. *Beyrouth. Impr. Catholique*, 1925, (*pp.*85+48)

جدول منشورات المعلمين والدارسين في كلية القديس يوسف

في هذا الكتاب قسمان قسم عربي يحتوي خطبة للاب لويس شيخو في اللغة العربية وتعليمها في مدرسة القديس يوسف الكلية ثم يليها جدول مئتين بنيف من الكتبة الذين تخرّجوا فيها مع ذكر تآليفهم . وقسم افرنسي ذُكر فيه ما نشره اساتذة الكلية ودارسوها في اللغة الافرنسية وسواها مدة الخمسين سنة التي مرّت على المدرسة منذ نشأتها . فجاء مجموعاً مفيداً يشهد لما أدّته الكلية من الخدم المشكورة لكافة الآداب في الوطن وفي انحاء البلاد

P. Alexis Mallon S. J: Une Hache égyptienne trouvée en Syrie, *Beyrouth, Mélanges de l'Univ. St Joseph, Impr. Cath.*, 1925

فأس مصرية وُجدت في سورية

بعد اكتشافات المسيو مونته في جبيل لم يعُد احد يرتاب في نفوذ مصر وآثارها على عهد الفراعنة في سواحل الشام . وممّا يؤيد ذلك نشره حضرة الاب الكسيس مارون اليسوعي في السنة ١٩١١ اكتشف بعض الفلاحين قرب من نهر ابرهيم فأساً صغيرة من البرونز كيلوغرامين بنيف طولها ١٩٥ ملمترًا في عرض ١٩ الى ٢٠س عليها كتابة هيروغليفية واسم الفرعون يشير في عهد المملكة المصرية القديمة واحدى سلالتيها الثالثة او الرابعة . وكفى بذلك دلالةً على قدمها فيكون الفعلة المصريون لمّا قدموا لقطع الاشجار في جهات جبيل في الالف الثالث قبل المسيح فقدوها هناك واكتُشفت حديثاً

Deux religieux maronites: le P. NEMATTALLA ALHARDINI et le P. CHARBEL. Traduit par Joseph Carame. *Paris, Letouzey et Ané*, 1923, *pp.* 39

الراهبان اللبنانيّان الاب نعمة الله الحرديني والاب شربل

نُشرت ترجمة هذين الراهبين الافضلين في مجلّة المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٦٠٥ و ٢٠ [١٩٢٢]: ٢٨٦) فأحبّ الاديب يوسف كرم ترجمان الدولة الفرنسوية في مراكش ان ينقلها الى الافرنسية بياناً لفضل بعض اهل الشرق وإشعاراً بقداسة حياة اثنين من رجال الله اللذين نؤمّل اكرامهما يوماً بعد تثبيت رومية لبراءتهما وسموّ فضائلهما ل . ش

Guide de la Société de Villégiature, Mont Liban, 1925, *Le Caire. Parladi, in-12, p. 87*

دليل شركة مصايف لبنان للسنة ١٩٢٥ (ص ١٨٧)

هذان دليلان فرنسوي وعربي عُنيت بنشرهما شركة مصايف لبنان للسنة الحاضرة وكلاهما شاهد حيّ لاصحابها الافاضل بحسن الذوق وسعة العلم باحوال الجبل وطول الباع في تدبير امور الاصطياف. وفضلُ الدليلين على الطبعات السابقة ظاهر بما أودعا من المعلومات والاعلانات والخرائط والرسوم. فلا عجب ان المصريين بعد نظرهم لهذه الادلة يرغبون الى الاصطياف في نواحي لبنان فنشكر الشكر الخالص للشركة المذكورة باسمنا وباسم اللبنانيين الذين استفادوا الفوائد الجمّة من تفانيها في خدمة جبلهم ونخصّ بالذكر مديرها الهمام حيدر بك المعلوف وكل الذين زيّنوا الدليلين بمقالاتهم الممتعة فاخرجوهما على صورة تجاري افضل ادلّة اوربّة الاصطيافية

شعراء الشام في القرن الثالث

بحث ادبي لخليل مردم بك

طُبع في دمشق في مطبعة البرق سنة ١٩٢٥ (ص ٩٦)

هذا البحث المفيد قدّمهُ صاحبهُ الى المجمع العلمي العربي بدمشق لمناسبة انتخابهِ عضوًا فيهِ. وقد اختار اربعةً من شعراء الشام وهم العتّابي وابو تمّام وديك الجنّ والبحتري الذين ازهروا في القرن الثالث للهجرة وهو عصر الآداب العربية الذهبي عصر هارون الرشيد والمأمون. فروى اخبارهم ونُتفاً من شعرهم وأسند اليهم قولهُ في تفوُّق اهل الشام على سواهم في الشعر. وتلك طريقةُ الشاميّين التي يُشير اليها قدماء الكتبة ويفضّلونها على سواها لما في سَبْك شعرهم من الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة. وانّما نأخذ على هؤلاء المنتقدين كونهم يجعلون في الشعر الرتبة الاولى للّفظ فيقدّمونه على المعنى فيزعمون انّ المعاني مشتركة بين العقلاء وانّما تتفاضل الناس في الالفاظ ورَصفها وتأليفها ونظمها (ص ١٢) وهو قول يحتاج الى مزيد ايضاح لاسيما في عهدنا الذي ترى فيهِ من التفنن في معاني الشعر التي قلّما عالجها القدماء. فأملنا من جناب الكاتب ان يتّسع في بحثه ويزيده بياناً

ل. ش

ديوان الملّاط

يشتمل على شعر الشقيقَين اللبنانيَّين تامر وشبلي ملّاط
طبع في المطبعة الادبيّة في بيروت سنة ١٩٣٥

هذان شاعران عصريّان من شعراء الشام جمعا في شعرهما بين المعاني والالفاظ وها هوذا ديوانهما بين ايدينا جمعتهُ ادارة جريدة الوطن وضمّنتهُ كثيرًا من اخبار الشقيقين الفاضلين تامر وشبلي ثمّ اودعتهُ ما حظيت بهِ من قصائدهما الغرّاء. فهناك منظومات طيّبة راقية المعنى طيّبة الالفاظ يطرب القارئ لجودة مضامينها وحسن انسجامها وعلوّ نفسها. وقد عرف قرّاء المشرق ما امتاز به شعر «الشبل» بما نشرناهُ لهُ في المجلة من منظوماتهِ الحسنة كاغاني اسرى البوير وموت جان درك. وفي هذا الديوان عددٌ عديد من نخبة قصائدهِ التي ستخلّد لهُ كما للمرحوم شقيقهِ أطيب الذكر في قلوب مواطنيهِ بل في صدر كل الناطقين بالضاد. هذا ولا ننكر انَّ في بعض ما روي في هذا المجموع افراطًا في الغزليّات (ص ٥٨) او تطرُّفًا في بعض المزاعم الدينيّة (ص ٣٨ و ٦٢) يضطرُّنا الصدق الى نبذها وانّما ينفع بهذا القليل الكثيرُ من محاسن الديوان

كتاب شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الثاني : شعراء الدولة الامويّة تأليف الاب ل. شيخو
طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة ببيروت سنة ١٩٣٥ (ص ١٤٤)

في هذا القسم اسماء ثلثة عشر شاعرًا من شعراء النصرانيّة اشتهروا في عهد بني اميّة فنشرنا اخبارهم واشعارهم في اعداد المشرق ثمّ جمعناها فطبعناها هنا على حدة في ١٤٤ صفحة وسنُلحقها بتراجم الشعراء النصارى الذين ورد ذكرهم في عهد بني عبّاس ان شاء الله

ل. ش

المرشدات

تأليف آلس ابكاريوس وتعريب جبرائيل جبور
طُبع في مطبعة وزنكوكراف طبّارة. بيروت ١٩٣٥ ص ٢٠٩

حاولت اوانس العصر الاقتداء بفتيانهِ. وها هي ذه الس ابكاريوس قد سعت الى تنظيم حركة المرشدات للاوانس الوطنيّات تتقلّد بها في سوريّا ولبنان حركة الكشّافة

وهي ترمي بانشائها الى تقويم اخلاقهنّ وارشادهنّ الى الاعمال اليدويّة والخدمة وضبط البيوت وقيادة بنات جنسهنّ والعناية بصحّتهنّ. وقد وضعت لذلك هذا الكتاب وفصّلت فيه قوانين جمعيّة المرشدات وكل درجة منها وما يحتجن اليه من المعلومات للقيام بواجبات درجتهنّ. وفي كلّ ذلك من الفوائد ما لا يخفى. على انّنا استغربنا بعض العادات في طرائق مصافحة بعضهنّ لبعض وفي حفلات تكريسهنّ ونظام اجتماعاتهنّ وتمريناتهنّ ما يُشعر بعادات الماسونيّة فلا يمكننا ان نثني على الكتاب ومضموناته ما لم نتحقّق ان ليس هناك علاقة مع ابناء الارملة

الوضيعة في الحكمة الخلقيّة

الكتاب الرابع في الحرّية فلسفيًا ونظرًا الى الحياة الاجتماعيّة

للدوقتور سليمان غزاله نائب البصرة طُبع في بغداد سنة ١٩٣٤ (ص ١٨٣)

يحبّ جناب نائب البصرة في مجلس العراق التأسيسي معالجة المواضيع الفلسفيّة كما يعالج الادواء الجسديّة. وممّا حاول هذه المرّة البحث فيه مسألة الحرّية التي يكثر فيها القال والقيل وكم يخلط فيها المعاصرون الخابل بالنابل لعدم تمييزهم بين اجناس الحرّية وحدودها. وكاتب هذا الكتاب ان يدرس هذا الموضوع من كل وجوهه الفلسفيّة والادبيّة والاجتماعيّة ويبين حقيقة الحرّية واصلها ومدلولاتها وحدودها وما يجوز لها ويحظر عليها فجعل ابحاثه فصولًا ومحاورات شتى زيادة للايضاح فاجاد. وقد اجاب على اعتراضات من ينكر وجود الحرية على انّ في هذه الابحاث عن الحرّية دقائق في التوفيق بين حرية الانسان ومشاركة الله في عمل الانسان تحتاج الى تمحيص. وقد نسب الى القديس توما (ص ٤٣) في شرح ذلك ما لا يحتاج الى ايضاح لئلّا تُبخس حرّية الانسان (تراجع مقالتنا في القضاء والقدر في المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٦٩)

شهادات الكنيسة المارونيّة السريانيّة بانتقال

مريم العذراء بالنفس والجسد الى السماء

للاخوين الشقيقين الاب يوسف والمونسنيور بطرس حبيقة

طبعت في مطبعة الاباء اليسوعيين. بيروت ١٩٢٥ ص ٢٦+٤٦)

بمناسبة وقوع عيد انتقال العذراء الى السماء جمع حضرة الاب يوسف حبيقة

الراهب اللبناني من الكتب الطقسية المارونية الشهادات الناطقة بحقيقة انتقال العذراء مريم الى السماء نفساً وجسماً ونقل السريانية منها الى العربية وعُني شقيقهُ المونسنيور بطرس منشئ ورئيس مدرسة القديس بطرس في بسكنتا بترجمة تلك الشهادات الى الافرنسية وصدَّرها بثلاث قضايا لاهوتية عن الكنيسة وعصمتها في التعليم واعتقادها بحقيقة انتقال العذراء الى السماء. فنوصي جميع المتعبدين للبتول ان يقتنوا هذا المجموع ويستفيدوا من معلوماتهِ التقويَّة

قادة الفكر

تأليف الدكتور طه حسين

طبع في مصر في مطبعة الهلال سنة ١٩٢٥ (ص ١٣٢)

اختار صاحب هذا الكتاب بعضَ مشاهير اليونان كهوميروس وسقراط وارسطاطاليس وافلاطون واضاف اليهم الاسكندر ويوليوس قيصر ووصفهم ليس كافرادٍ ذوي اعمال شخصيَّة مفردة بل كممثلي المجتمع البشري الذي عاشوا فيهِ وجسَّموا في شخصهم خواصَّهُ وافكارهُ واصبحوا بذلك كقادة الفكر في زمانهم. وهذا موضوع مبتكر لا يخلو من بعض الصحة وان كان قابلًا للوجه السلبي والمناقضة. امَّا ما زادهُ بعد ذلك في المقالة «بين عصرين» وما ذكرهُ عن السيد المسيح ونبي الاسلام فلا نسلِّم بهِ الَّا بكل تحفُّظ واتقاء. ل. ش

وحي الغاب

بقلم عيسى ميخائيل سابا

طبع في بيروت بمطبعة القاموس العام سنة ١٩٢٥ (ص ٨٠)

هذه خواطر سنحت لكاتب عصري فدوَّنها في بطون الصفائح كما تبادرت الى ذهنهِ فمن قرأها وتأمَّل مضامينها شعر بحُسن كثير من تصوُّراتها ومعانيها لولا انهُ يحسُّ ايضاً بما يخالطها من الاقوال المتبسة او المبهمة بل المزاعم الباطلة التي يُعجب بها محبُّو الانشاء العصري وهي اذا سبر العالم او الفيلسوف غورها وجدَها لَغَطاً منافية للتعاليم الدينية والفلسفية الصادقة. اقرأ مثلًا فصل الكتاب «الروح والمادَّة» فانهُ يُشعر بتعليم الماديين والزنادقة. وهذا ما نأخذه على كثيرين من الكتبة المحدثين كامين

الريحاني وجبران خليل جبران وانطون فرح وغيرهم فكم في اقوالهم من الغلط والغلط ! وكنّا وددنا لو اخذ صاحب هذا الكتاب حذرهُ من طريقتهم ل.ش

هدايا أرسلت الى المشرق

— ازاهير القلوب لعيد القلب المحبوب — خطاب القاهُ حضرة الخوري يوسف العمشيتي في الكنيسة البطريركيّة الاورشليميّة يوم عيد قلب يسوع في ١٩ حزيران ١٩٢٥ . طبع في المطبعة البطريركيّة اللاتينيّة في القدس (ص ١٩)

— تقرير اعمال الجمعيّة الخيريّة لطائفة السريان الكاثوليك — بحلب في خلال المدّة الواقعة بين ١ آب ١٩٢٢ و ١ كانون ٢ ١٩٢٥ طبع في مطبعة العصر الجديد في حلب (ص ٣٥) . كان مدخول الجمعيّة ٢٢١,٧٨٤ غرشاً انفقت منها ٢١٥,١٩٣ غرشاً

— برنامج جمعية طوبيا البار المارونية لسنتها الحاضرة ١٩٢٥ وهي الرابعة والاربعون لتأسيسها — كان مجموع مدخولها ٤٨,٥٩٠ غرشاً انفقت منها ٢٣,٣٩٨ فيبقى رصيد صندوقها ٢٥,١٩٢ طبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٥ (ص ١٦)

— بيان المدرسة الاسقفية في صيدا — سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ للارشمندريت أ[illegible] في الاربعة والاثرسيّة (ص ٢٦)

[illegible] — قصة اجتماعيّة مصرية تأليف اميلسرت و[illegible] ندى [illegible] ظافر الحائز على جائزة نوبل في الادب عرّبها طانيوس افندي عبدو [illegible] بشرها مجلة الهلال سنة ١٩٢٥ (ص ١٢٥)

— قائمة كتب مكتبة الهلال — النجاله مصر ١٩٢٥-١٩٢٦ صاحبها ومديرها ابرهيم افندي زيدان (ص ١٥٤)

شذرات

﴿توبة القديس ليباريوس المزعومة﴾ فقدنا في العدد السابق (ص ٥٤٥ — ٥٤٦) ما قالهُ القسّ يوحنا منّى عن جحود البابا ليباريوس للايمان بما تؤديهِ لهُ من الاكرام جميع الكنائس . فكتب لنا حضرة المعترض انهُ لم ينكر توبة ليباريوس وينسب اكرام الكنائس لسبب توبتهِ . (قلنا) لو كان ليباريوس جحد الايمان كما زعم القس منّى ثم

الريحاني وجبران خليل جبران وانطون فرح وغيرهم فكم في اقوالهم من الغلط والغلط ! وكنّا وددنا لو اخذ صاحب هذا الكتاب حذرهُ من طريقتهم ل.ش

هدايا أرسلت الى المشرق

— ازاهير القلوب لعيد القلب المحبوب — خطاب القاهُ حضرة الخوري يوسف العمشيتي في الكنيسة البطريركيّة الاورشليميّة يوم عيد قلب يسوع في ١٩ حزيران ١٩٢٥ . طبع في المطبعة البطريركيّة اللاتينيّة في القدس (ص ١٩)

— تقرير اعمال الجمعيّة الخيريّة لطائفة السريان الكاثوليك — بحلب في خلال المدّة الواقعة بين ١ آب ١٩٢٢ و ١ كانون ٢ ١٩٢٥ طبع في مطبعة العصر الجديد في حلب (ص ٣٥) . كان مدخول الجمعيّة ٢٢١,٧٨٤ غرشاً انفقت منها ٢١٥,١٩٣ غرشاً

— برنامج جمعية طوبيا البار المارونية لسنتها الحاضرة ١٩٢٥ وهي الرابعة والاربعون لتأسيسها — كان مجموع مدخولها ٤٨,٥٩٠ غرشاً انفقت منها ٢٣,٣٩٨ فيبقى رصيد صندوقها ٢٥,١٩٢ طبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٥ (ص ١٦)

— بيان المدرسة الاسقفية في صيدا — سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ للارشمندريت أ[illegible] في الاربعة والاثرسيّة (ص ٢٦)

[illegible] — قصة اجتماعيّة مصرية تأليف اميلسرت و[illegible] ندى [illegible] ظافر الحائز على جائزة نوبل في الادب عرّبها طانيوس افندي عبدو [illegible] بشرها مجلة الهلال سنة ١٩٢٥ (ص ١٢٥)

— قائمة كتب مكتبة الهلال — النجاله مصر ١٩٢٥-١٩٢٦ صاحبها ومديرها ابرهيم افندي زيدان (ص ١٥٤)

شذرات

﴿توبة القديس ليباريوس المزعومة﴾ فقدنا في العدد السابق (ص ٥٤٥ — ٥٤٦) ما قالهُ القسّ يوحنا منّى عن جحود البابا ليباريوس للايمان بما تؤديهِ لهُ من الاكرام جميع الكنائس . فكتب لنا حضرة المعترض انهُ لم ينكر توبة ليباريوس وينسب اكرام الكنائس لسبب توبتهِ . (قلنا) لو كان ليباريوس جحد الايمان كما زعم القس منّى ثم

تاب لما امكن ان تخصّهُ الكنائس باجمعها حتى كنيستهُ القبطيّة باحد اعيادها السنوية ولكانت ذكرت توبتهُ وهي ليس فقط لم تذكر شيئاً من ذلك بل تمدحهُ لجهادهِ ولدفاعهِ عن الايمان كما ورد في السنكسار القبطي فكيف يقوم هذا المديح مع ما زعمهُ حضرة القس منسى . عن جحودهِ وتوبتهِ ؟ فشتّان بين التوبة والتمداسة وشتّان بين جحود الايمان والجهاد في سبيلهِ

﴿بعثة ستيفانسون الى القطب الشمالي﴾ كان هذا المسفار رحل سنة ١٩١٤ من شمالي الاسكا الى القطب الشمالي فقطع على الجليد بحر بوفور واحتلّ رأس كلِت على طرف ارض بنكس الغربيّ وقضى هناك خمس سنين كان يقاطعها ببعثاتٍ موقتة الى ما بجوارها من الجزائر والتُّرع شمالي ارض بنكس وفكتوريا بين الدرجة المئة من خطّ الهاجرة الى الدرجة ٨٠ فدرس تلك الانحاء درساً مدقّقاً ورسم خوارط حسنة لما كان اكتشفهُ قبلهُ الرحّالون وقد اكتشف هو عدّة جزائر مجهولة واطلق عليها اسماء لتعريفها وسبَرَ البحر تحت جليدهِ حيث كانت اسماك الفُلك تخرج لتنشق الهواء . ومما تحقّقهُ وجود برّ واسع بين شمالي تلك الجهات وغربيها . وخصّ ايضاً بدرسهِ حركات الجليد على وجه المياه ومما اثبتهُ انّ بعض تلك الانحاء اعدل هواء من سواها يمكن السكنى والمعاش فيها فعاش هو هناك من لحوم البقر المسك وسمك الفك والرانّ . وعلى رأيهِ انّ البرد في نفس القطب الشمالي اخفّ منهُ في النقط الموصلة اليهِ . ومن مكتشفاتهِ مناجم من الفحم واصناف من الحيوانات والطيور المجهولة

﴿ينابيع القوّة المحرّكة﴾ انّ ازدياد المعامل والاساطيل الحربيّة وترقّي الصناعة والتجارة في كل انحاء العالم كان يستدعي كل سنة إنفاق المليارات من قناطير الفحم الحجري لتحريك اجهزتها المحرّكة حتى خاف العالم من نفود المناجم التي منها يستخرج الفحم الموقد لتحريكها بالبخار . فاخذت عدّة دول تطلب حلّاً لهذا المشكل . واليوم يوجد ثلث دول اسوج ونروج وسويسرة التي استبدلت الفحم الحجري بالفحم الابيض اعني بقوّة المياه الجاريّة فغلبت المحرّكات المائيّة على استعمال الفحم الحجري . وفي ايطالية اصبحت القوّتان متوازيتين وصارت نصف ادواتها جاريةً بالقوّة المائية . وفي الولايات المتحدة وكندا وفرنسة ازدادت القوّة المحرّكة بالغاز الطبيعي والبترول . على انّ اميركة والمانية وبريطانية العظمى تستمدّ معظم ينابيع قوى محركاتها كما

في السابق من الفحم الحجري فانَّ اميركة تنفق وحدها ٥٦٠ مليارًا من كيلومترات هذا الفحم وبريطانية العظمى ١٩٠ مليارًا والمانية مئة مليار

﴿بين الشام والعراق﴾ يوجد اليوم طريقان بين الشام والعراق تقطعها سيارات الاوتومبيل الطريقة الواحدة مختصرة بالبرّية من دمشق الى بغداد طولها مستقيمًا ٧٠٠ كيلومتر يمكن قطعها بعشرين ساعة ما عدا بعض ساعات للراحة فيخرج المسافر من دمشق سائرًا في الغوطة من الغرب الى الشرق الى ان يبلغ الفرات عند رماديَّة

على انَّ هذه الطريق معرّضة لغُزاة العرب وليس فيها ماء الّا في نقطة واحدة في رُطبة

والطريق الاخرى اطول منها فهي تسير من دمشق الى الجهة الشمالية حتى تبلغ القريتين ثمَّ تدمر. ثمَّ تسير في البرّ بمسافة ٤٦٠ كيلومترًا حتى تبلغ حدود العراق في كُبَيْشة ثم تسير الى هيت على الفرات بعد ٦٠ كيلومترًا وتلحق منها على شاطئ الفرات الى رماديَّة حيث تحطّ سيارات الطريقة الاولى. ومن رماديَّة الى بغداد [illegible] ٧٠٠ كيلومترًا. وهذه الطريق مريحة فيها محطات يستريح [illegible] الفرق ولا ينقصهم الماء والمعاش. وهي تُقطع بثلاثة ايام. وصار الان ارباب التجارة يرسلون بضائعهم على هذه الطريق وانفتحت للقطرين الشامي والعراقي ابواب تجاريَّة رابحة

﴿مرصد جديد للحركات الجويّة على وجه البحر﴾ انَّ الارصاد الجويَّة المختلفة التي كان يقوم بها الفلكيون كانت كلّها برّية اعني انَّها لا تشمل الأربع كُرَتنا الارضية وهي ناقصة مخلّة من هذا الوجه فسدًّا لهذا الخلل اهتمَّت شركة الترنساتلانتيك ومكتب الارصاد الجويّة العامّ بانشاء مرصد بحري فوكلا الى المركب الفرنسوي « جاك كرتيه » ان يخوض اوقيانوس الاتلانتيك واوقيانوس الهادي ويرصد كلّ الآثار الجويَّة. ويجمع ارصاد السفن المتجوّلة في اطراف البحر ويُرسل نتيجتها الى مكتب باريس فيقابل علماء الفلك تلك الارصاد وينشرونها في لوائح خاصَّة تُرسَل الى عواصم اوربَّة ومراصدها. فكان لهذا العمل من الفوائد ما فتح بابًا جديدًا للعلوم الفلكية ولمعرفة كل حركات الجوّ في اقصى البلاد والبحار معًا فيرتشد بها امراء البحر ورؤساء السفن وينجوا من كثير من الاخطار التي كانوا معرّضين لها

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الرهبان ما معنى اسم القديس « ايليا » وهل يُعرف اين مقامهُ قبل رجوعهِ الى الارض ؟

اسم القديس اليَّا ومقامهُ

ج اليَّا اسم مركَّب من لفظتين عبرانيَّتين معناهما « الله (هو) الاله » . امَّا مقامهُ قبل رجوعه على الارض فممَّا لم يوحِ به الكتاب المقدَّس . راجع في المشرق (٩[١٩٠٦]: ٧٠٧—٧١٣) مقالتنا المطوَّلة عن اليَّا النبي ومُجمَل ما يُعرف عنهُ

س وسأل احد القرَّاء ماذا يريد بعض الكتبة بقولهم : هذا رابع المستحيلات

رابع المستحيلات

ج يشيرون الى قول الشاعر :

ايقنتُ انَّ المستحيل ثلثةٌ الغولُ والعنقاء والخلُّ الوفي

فيأخذون هنا لفظ المستحيل بمعنى «ما لا وجود لهُ» وان كان ممكناً . وللمستحيل معنى آخر وهو «ما لا يمكن وجودهُ» كأن يعود الزمان الذي مضى وكأن يكون الجزء اكبر من الكل وهلم جرًّا وعلوم ان المستحيلات بالمعنيين كثيرة لا تُحصى . ولولا الشعر السابق لكان كلام القائلين « هذا رابع المستحيلات » لغوًا لا معنى لهُ

س وسأل من نيويورك نعوم افندي فائق : ١ً لماذا يفتخر العرب بحرف الضاد واي فضل لهذا الحرف ؟ . ٢ً من اين اشتقَّت لفظة «قانون» بمعنى آلة الطرب أهي عربيَّة ؟ . ٣ً هل يوجد قاموس مطبوع من العربية الى السريانيَّة؟

الناطقون بالضاد . اصل لفظة قانون . قاموس عربي سرياني

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ الضاد احد الحروف التي تفرَّد بها العرب ولا يُحسن لفظها غيرهم ولذلك يروون عن نبي الاسلام : « انا افصح مَن نطق بالضاد » . نجيب على (الثاني) ان لفظة قانون بكل معانيها العربية مشتقة من لفظة (κανών) اليونانيَّة التي بين معانيها « آلة طرب باوتار » . ونجيب على (الثالث) انَّ القواميس من السريانيَّة الى سواها كثيرة كالسرياني عربي والسرياني لاتيني والسرياني انكليزي وكذلك الكلداني عربي لاحتياج العلماء الى مطالعة كتب السريان القديمة . امَّا العربي سرياني فلم ينشرهُ احد لقلَّة الكتبة في اللغة السريانية ل.ش

المشرق

وردة نفيسة في حديقة الكنيسة

او

ترجمة القديسة تريزيا الطفل يسوع

لحضرة الاب كلود شفراي اليسوعي

في ١٧ ايار الماضي يوم الاحد السابق لصعود الرب أقيمت في رومية احتفالات باهرة بنسبة تثبيت قداسة الطوبوية ترازيا الطفل يسوع الكرملية . فجرت هناك مواسم دينية لا شبيه لها في كافة انحاء المعمور حضرها عشرات الالوف من الزوار القادمين لاكرام راهبة كرملية قضت حياة قصيرة في احد اديار فرنسة فكاد العالم يجهلها لولا انتشار عبير فضائلها ومئات العجائب التي جرت بشفاعتها في العالمين

فرغب الينا كثيرون ان نروي لهم بموجز الكلام خلاصة حياتها ثم دعوتها الخاصة التي امتازت بها

القسم الاوّل: خلاصة حياة القديسة ترازيا الطفل يسوع

١ مولد ترازيا واوائل حياتها

في ١٨ تموز من السنة ١٨٥٨ اقترن بروابط سرّ الزواج المقدّس احد افاضل الضبّاط الفرنسويين لويس مرتين والآنسة زيلي غيرين . وذلك في مدينة ألنسون من مدن مملكة نورمندية . وكان الزوجان عريقين في الدين والتقى راغبين في تقديس حياتهما ونفوس اولادهما . وكانت صلاة الامّ التقيّة : « يا ربّ هَبْ لنا نَسْلًا عديدًا وليكونوا كلّهم مخصّصين لخدمتك » . وقد سمع الله صلاتها فرزقها تسعة بنين مات اربعة منهم صغارًا فكانت امّهم تقول : « لا خوف لي على هؤلاء فاني استودعتهم الله » . فبقي لها خمس بنات وكلهنّ زهدنَ في العالم بالترهب فدخلت اربع منهن في دير الكرمليّات والخامسة في دير الزيارة

ففي ثاني يوم من كانون الثاني سنة ١٨٧٣ ابصرت النور الفتاة الاخيرة التي اصطفاها الله ليزين بها زمنًا قليلًا حديقة كنيسته قبل ان ينقلها الى رياض سمائه فيجعلها في مصافّ اعزّ اوليائه

بعد مولدها بيومين في ٤ ك ٢ اصطبغت الوردة الجديدة بمياه العماد فدُعيت « ماري فرنسواز ترازيا » ثلثة اسماء شرّفتها بممارسة ثلث فضائل اصحابها : الطهارة وتضحية النفس وحبّ الله . وقد غلب عليها الحبّ كما صرّحت بذلك فقالت : انّ الرب قد احاطني في كلّ حياتي بالمحبة فقد احدقتْ بي المحبة منذ نعومة اظفاري بما وجدتُ حول مهدي من شواعر الحبّ . ولكنهُ تعالى اودع ايضًا في قلبي الصغير نعمة المحبة والحنانَ فكنتُ متأثرة بارقّ العواطف نحو والديّ فأتمنّى لهما كل خير . ومن فرط محبتي لوالدتي كنتُ اقول لها ببساطة الاطفال : « يا أُميمة اني راغبة الى وفاتك » . فكانت امّي تزجرني فكنت أُردف بجيبةً : الم تقولي لنا انّنا ندخل السماء بعد موتنا فاني ارغب لك ان تموتي لتتمتّعي بالسماء »

فكأنّ الله انطق تريزيا بقرب وفاة والدتها فانها توفيت في ٢٨ آب سنة ١٨٧٧ وهي في السابعة والاربعين من عمرها وتريزيا لم تبلغ ربيعها الخامس على انّ الابنة

كانت مذ ذاك الحين موسومةً بسمة أمها الفضلى. قالت: «منذ السنة الثالثة من عمري لم ارفض على الله شيئاً مما كان يطلبهُ مني. فكنت اذا سمعت احداً يقول لي: انَّ هذا الشيء يكدّر خاطر الله أمتنع حالاً عن فعلهِ»

٢ تريزيا في مدينة ليزيو

انتقل المسيو مرتين في تشرين الاوّل ١٨٧٧ بعد وفاة امرأته الى جوار اخيها المسيو غيرين في مدينة ليزيو. فهناك قضت بناتُهُ عدّة سنين بهناء العيشة العائلية واعمال التقى. فكانت اكبرهن ماري تُعنى بتدبير البيت بهمّة ونشاط وتركت لاختها الثانية پولين العناية بالطفلة الصغيرة تريزيا فقامت لديها مقام الامّ الرؤوف تهتمّ بتهذيبها وتعليمها ومشاركتها بكل الاعمال الفاضلة التقويّة. وكان الجميع مساء قبل الرقاد يتلون سواء صلاة النوم فكانت تريزيا تجثو راكعة قريباً من والدها. قالت: «كان يكفيني ان انظر الى والدي لأدرك كيف يصلّي القدّيسون». ثم كانت اختها پولين تأخذ تريزيا الى فراشها فتسألها تريزيا قبل وداعها: أقضيتُ هذا النهار عاقلةً دون ذنب؟ أكان [illegible] فتنام نوم الابرار [illegible] يرفرف حول [illegible] ملائكة الله

على انَّ تريزيا ما بلغت التاسعة من عمرها حتى أصيبت بمحنةٍ كادت تقضي على حياتها. فانَّ اختها پولين احبَّت الاعتزال عن الدنيا فدخلت في دير الكرمليّات في ليزيو في ٩ تشرين الاوّل ١٨٨٢ فتيتّمت تريزيا ثانيةً واستولى عليها حزن شديد انتهكت بسببهِ قواها حتى أيِسَ والدها من شفائها لكنَّ اختها البكر ماري جثت بل الثقة امام تمثال العذراء وطلبت اليها بإلحاح ان تشفي شقيقتها. قالت تريزيا: «فرأيت حينئذٍ وجه البتول يتلألأ نوراً ويسبي القلب بهاء واذا بوالدة الله تقرّبت من فراشي وتبسّمت لي فكان ابتسامُها دواء ناجعاً اعاد لي تمام صحّتي»

وفي ٨ آذار سنة ١٨٨٤ تقرّبت لاوّل مرّة من سرّ القربان الاقدس وبهِ أضحت حياتها حياة ملاك متقمّص جسماً بشريًّا. وكانت اذ ذاك في جملة البنات الداخليّات في مدرسة الراهبات البندكتيّات اللواتي كنَّ يشكرنَ الله لحصولهنَّ على مثل هذه الفتاة العجيبة. واذ سألتها واحدة من معلّماتها في احد أيام العطلة: كيف تقضي تلك

الفرصة اجابتها تريزيا: اني اتأمل ؟ — وباي شيء تتأملين ؟ — اتأمل بجودة الله وبقصر هذه الحياة الزائلة وما يتبعها من الابدية

تلك كانت افكار تريزيا فزادت في قلبها تأصلاً لما رأت اختها الكبيرة ماري هي ايضاً تقرئ الوداع العالم مقتديةً باختها بولين فترهبت في ديرها في شهر تشرين ١٨٨٦. وكانت تريزيا منذ صغر سنها تتوق الى الترهب فطلبت اذ بلغت التاسعة من عمرها من رئيسة الكرمل ان تنظمها بين الطالبات لرغبتها بان تساكن اختها ماري. غير انَّ اختها الثالثة سيلين كانت هي ايضاً تستكرهُ العالم وتريد ان تتبع اختيها فكان لها الحقّ ان تسبق اختها الصغيرة على انها فضلت تضحية رغبتها وعزمت على ان تبقى في خدمة والدها الى موته فسمحت لتريزيا ان تسبقها الى الحياة النسكيَّة. فلمَّا كان يوم عيد العنصرة فاتحت والدَها برغبتها فكان جواب والدها جواب رجل مسيحي لا يريد غير مشيئة الله فقال: «هلمي معي يا ابنتي لنسير الى الكنيسة ونجثو امام القربان الاقدس فأشكر الربَّ على النعمة الجزيلة التي يسبغها على عائلتي اذ هو يختار لهُ عرائس من بناتي. فاني أعدّ كشرف عظيم ان يطلب مني اولادي ولو عرفتُ شيئاً افضل من هذه التقدمة لأسرعتُ وقدَّمتها لجلالهِ». فهذا الجواب عينهُ كرَّرهُ لابنتهِ الرابعة سيلين لمَّا عرضت عليهِ برغبتها في الزهد بالعالم بعد عدَّة سنين

على انَّ ترهب تريزيا لقي عائقاً آخر ما كانت تنتظرهُ. فانَّ قوانين راهبات الكرمل لم تسمح بقبول طالبةٍ قبل بلوغها السنة العشرين من عمرها وكان عمر تريزيا ١٥ سنة فأبت الرئيسة قبولها. فالتجأت الفتاة الى اسقف مدينة ليزيو الذي سألها: «منذ كم سنة تفكرين في دخول الرهبانيَّة ؟ فاجابت: «قد اشتهيت ان اخصص نفسي لخدمته تعالى منذ السنة الثالثة من عمري». فأحالها الى الحبر الاعظم فذهبت الى رومية وكانت تلك السنة ١٨٨٧ سنة يوبيل لاون الثالث عشر الكهنوتي الذهبي. فلمَّا أذِنَ لها ان تجثو امام قداستهِ قالت: «أيها الاب الاقدس ارجو من قداستك ان تمنحني بنسبة هذا اليوبيل الرخصة بالدخول في الكرمل على الرغم من قصر عمري». فاجاب امام الاحبار الى طلبتها. واذ عرض عليها ابوها زيارة الاراضي المقدَّسة قبل ترهبها اجابت: قد سئمت نفسي من زيارات الارض فلست ارغب سوى افراح السماء بحبس نفسي في الدير

وما لبثت أن ودَّعت العالم وسلَّمت على كلّ ذويها وألقت النظر الاخير على بيت

والدها طالبةً منهُ بركتهُ الابويَّة. ففرَّت كالطائر الذي قُطعت روابطهُ الى حيث كان قلبها فقُفلت عليها ابواب دير ليزيو في ٩ نيسان ١٨٨٨

٣ تريزيا في دير الكرمل (١٨٨٨–١٨٩٧)

﴿الطالبة والمبتدئة﴾ لعلَّ القارئ يظنّ ان تريزيا بدخولها شذوذاً في دير الكرمل وهي في ربيع العمر ستُصبح عزيزة على جميع الراهبات مُلفَّة من اختيها ماري وبولين مشمولةً بانظار الرئيسة. فكان الامر على خلاف ذلك امتحاناً لدعوتها لئلَّا تكون ترهَّبت لغاية بشريَّة. قالت: كانت الامّ الرئيسة تعاملني بكل شدَّة فما كنت التقي بها حتى توسعني توبيخاً. نسيتُ يوماً في احدى زوايا الدير نسيج عنكبوت فلامتني على اهمالي امام جميع الراهبات قائلةً: «قد اصبح ديرنا وسخاً منذ وكلنا الى الاخت تريزيا كناسته. ولاعجب فانَّها طفلةٌ في الخامسة عشرة من سنها. فاذهبي ونظفي ذاك النسيج وكوني مرَّةً أخرى احرص على شغلكِ»

وكانت الوكيلة تُرسلني في كل مساء الى الجنينة لأقلع ما فيها من الاعشاب الضارة فأتت الرئيسة تراقب عملي فصرخت: «إنَّ هذه الابنة تقضي ساعاتها في الفراغ والراحة. فاي حاجة بنا بترهب فتاة يجب كل يوم ان يُنصح لها في التردد». تلك كانت الكلمات القارصة التي كنت اسمعها وقد شكرتُ الله على تهذيبي في الرهبانيَّة بهذه الطريقة الصارمة. فماذا كان يجري لي لو كنتُ صرتُ مَلهاةً وألعوبةً لراهبات الدير؟ فجعل الله نصيبي منذ اوائل حياتي الرهبانيَّة صليبهُ المقدَّس فاعتنقتهُ بملء الرضى والحبّ»

وكانت صحَّة تريزيا نحيفةً يُستدلّ على ضعفها بشحوب لونها فكانت الراهبات يعنَّين ليعافينها من تلاوة الفرض في المساء او من النهوض باكراً مع الجماعة. فما كانت الرئيسة لترضى بطلبهنَّ فتقول: «انَّ نفساً كريمة كنفس تريزيا لا يجوز معاملتها كابنة صغيرة وهذه المعافيات لا تصلح لها لانَّ الله يسندها. ثمَّ ان كانت اختنا مريضةً فما عليها إلَّا ان تأتي وتعرض علي أمرها». أما تريزيا فكانت اخذت على نفسها ان تتبع القانون في كل دقائقه دون شكوى وكثيراً ما كانت تذهب الى الصلوات الصبحيَّة ورأسها يؤلمهُ الصداع الشديد فتقول: «اني سأقوم بكل واجباتي الرهبانيَّة طالما

يمكنني ان اخطو خطوةً واحدة»

﴿النذور﴾ بعد سنتين مرّتا على امتحانات الابتداء دُعيت تريزيا الى ابراز النذور وذلك في يوم عيد ميلاد العذراء ٨ ايلول ١٨٩٠ . لكنَّ الشيطان اراد وقتئذٍ ان يُلقي في قلبها القلق والسجس ويسوّل لها انَّ هذه ليست دعوتها فما لها الّا ان تعود الى العالم. فاضطربت تريزيا من هذه الافكار وذهبت الى مرشدة المبتدئات تستشيرها في الامر فما كان منها الّا انها ضحكت لدى سماعها قولها وطمّنت افكارها. فكفى بهذا فعل التواضع ليكشف عن كُربتها ويخزي عدوّ نفسها فابرزت تريزيا نذورها وقلبها طافحٌ بالسرور وكانت كتبت بطاقةً وجعلتها على صدرها هذه صورتها: «يا يسوع اني أطلب اليك ان تمنحني حبًّا كاملًا لا حدَّ لهُ هَبْني ان اموت شهيدةً. هبني شهادة القلب او شهادة عذابات الجسد او بالاحرى هَبْني الشهادتين معاً»

قالت: «وبعد أيام قليلة أتت ابنة خالتي حنَّة غيرين لتزورنا في الديوان وكانت اقترنت منذ عهد قريب بالزواج مع الدكتور لانيل (Dr la Néele) فأخبرتنا بحبّها لزوجها وبما كانت تحاول لتكسب رضاه. فشعرتْ قلبي يتأجج حبًّا نحو الهي فقلتُ في نفسي: هيهات ان يقال انَّ امرأة من اهل العالم تصنعُ لزوجها الارضي اكثر ممّا انا افعلهُ حبًّا بعريس نفسي الالهي يسوع المسيح»

فجعلت تريزيا مذ ذاك الحين الحبَّ الطاهر نصب عينيها وهي التي كتبت في احدى رسائلها: «انَّ المحبة هي دعوتي الخاصّة». والحق يقال انَّ هذه المحبة كانت كقطب حياة تريزيا. ولان المحبة لا تقوم إلّا بتضحية الذات ارادت ان تجعل حياتها كطاقةٍ من المرّ تقدّمها ليسوع المصلوب فكانت في كل حركاتها وسكناتها لا تطلب الّا التفاني والتضحية واحتمال الالم والاوجاع. فكانت تفضّل معاشرة الراهبات اللواتي لا يميل طبعها الى اخلاقهنَّ بل أبت ان تطلب لها انشراحاً بصحبة شقيقتيها الراهبتين لكي تصلب مع يسوع كل اشواقها الطبيعيّة واميالها الجسديّة

ثماني سنوات صرفتها تريزيا الطفل يسوع تتأنّق في ابراز حبّها لعروس نفسها بأصناف التقادم والضحايا بكسر الارادة والطاعة في ادنى الامور وبممارسة التقشفات المتنوّعة واحتمال الفقر المُدقع والصبر الجميل على ضروب الآلام الداخليّة والمحن

الخارجيَّة كصبرها على وفاة والدها الذي منحهُ الله ميتةً صالحة جزاء على تقدمته خمس بناتهِ لخدمة الله. وكانت تريزيا في كل ذلك لا تطلب إلَّا ان تكون محرقةً كاملة يتصاعد قتارُها الى عرشهِ تعالى فيتنسَّمها برائحة مَرْضيَّة

ولم يشأ عروسُ نفسها ان يُغلَب بالحبّ نحو تلك النفس الكريمة فغمرها بضروب نعمهِ الفائضة فسكب في قلبها ينابيع مواهبهِ وأضرمها بسعير حبهِ فكان صدرُها كأتون النار المتَّقدة لا تجد راحةً الَّا في محبَّة الخالق حتى كاد ينشقّ قلبها لضرامهِ. فكان بينها وبين يسوع محبوبها كسيول متماوجة تجري من نفسها اليهِ وتعود منهُ الى نفسها فتزداد سعيراً واضطراماً. وكان حبُّها لخالقها يحملها على ان تنشر محبَّتهُ في كل الانحاء وتربح لهُ نفوس كل الخلائق. وكان لمزيد حب يسوع لخادمتهِ انهُ لم يرفض عليها شيئاً مما تطلبهُ لمجد الله ولخير القريب وخصوصاً للراهبات المبتدئات التي تعيَّنت هي كمساعدة لمرشدتهنَّ فكانت لهنَّ نعم القائدة وخير قدوة. ولو شئنا ان نعدّد هنا تلك الهبات الجليلة والمنح الخارقة العادة لعجزت الالسن عن وصفها

﴿مَرَضها ووفاتها﴾ حسدت السماء ارضنا على هذه الدرَّة اليتيمة فاسرع الله الاستئثار بها ليقتها الى الاسرار السماويَّة

كانت تريزيا منذ السنة ١٨٩٥ اعلنت لرئيستها: «اني سأموت عما قريب ولستُ اقول بعد اشهر لكن بعد سنتين او ثلث سنين على الاكثر فهذا ما اعلمهُ بما اشعر في نفسي». ولمَّا كان يوم خميس الاسرار في ٢ نيسان من السنة ١٨٩٦ عادت الى قلَّايتها نحو نصف الليل قالت: «ما كدتُ اسند رأسي الى المصدغة حتى شعرتُ بشبه موجة صعدت من صدري الى شفاهي فظننتُ اني سأفارق الحياة فطارت نفسي فرحاً لهذا الفكر ثمَّ بقيتُ راقدةً بهدوء الى الساعة الخامسة وأنا دقَّ جرس النهوض قمتُ وكاني انتظر بُشرى بفرح عظيم وتقرَّبت الى نافذة قلَّايتي واذا بمنديلي ينطف دماً فتحقَّقت انَّ حبيب نفسي يُشعرني بقدومهِ القريب ليفكَّ اغلالي».

فبقيَت نحو سنةٍ ونصف تنتظر مع سراجها الموقد مجيء العروس. على انَّ المرض كان اضعف قوَّةً فيها من نار المحبة التي كانت تؤهلها لآخرتها. وفي حزيران من السنة ١٨٩٧ نُقلت الى غرفة المريضات فقالت عند وداعها لقلَّايتها: اني قد تألمت فيها كثيراً وكنتُ وددتُ لو اسلمتُ فيها روحي

وكانت المبتدئات يأتين ليُعدْنها فيقلن لها: اننا نتأسف لرؤيتك في هذه الاوجاع المؤلمة . فقالت لهنَّ: انَّ الذي يسير في طريق المحبة لا يكدّره شيء.. ولو لم اشعر في كل دقيقة ببعض الآلام لكنتُ افقد نعمة الصبر ومن ثمَّ اني لا افكر الَّا بالدقيقة الحاضرة فانَّها دقيقة النعمة ولذلك يجب الصلاة لاجل المنازعين لان على تلك الدقائق تتوقَّف ابديَّتهم»

وسألتها المبتدئات كيف كانت تُدرك اخفى افكارهنَّ. فاجابت: «قد نلتُ هذه النعمة من العذراء الطاهرة فاني ما كنتُ ألقي عليكنَّ امرًا الَّا بعد الصلاة اليها .. آه كم يحبُّها قلبي فلو كنتُ كاهنًا لكنتُ نطقتُ بمحامدها وروجتُ لها كل القلوب فانَّ مريم امٌّ حبيبة اكثر منها سلطانة جليلة»

وفي ٣٠ تموز مُسحت المسحة الاخيرة. ولما حصل لها من التقوّي لم يمكنها ان تتناول القربان الاقدس لكنها كانت عائشة في مناجاة الله وحبهِ الدائم الى آخر انفاسها. واذ سألها مرشدها: أهي تسلّم ارادتها للربّ في حلول موتها؟ فاجابت: «يصعب عليَّ تسليم ارادتي في اطالة حياتي لا في قرب وفاتي»

وفي مساء النهار السابق لوفاتها جثمت يمامةٌ على طرف نافذة غرفتها فاخذت تسجع وتطرّب بغنائها كأنَّها تحيّي الراهبة المنتقلة الى جوار عروسها. ولمَّا اشرق صباح اليوم الثلثين من شهر ايلول ١٨٩٧ اسلمت تريزيا البارّة روحها بين يدي خالقها. وكان آخر كلمة نطقت بها: الهي اني احبُّك! كم تتوق نفسي اليك! ماتت وهي في عزّ شبابها لم يتجاوز سنّها اربعة وعشرين عامًا

وفي ٤ تشرين الاوّل نُقل التابوت الحاوي لجسمها الطاهر الى مقبرة ليزيو يتقدّمهُ موكب جليل من الكهنة الذين اتوا ليشكروها على الصلوات الحارّة التي قدّمتها لله لتقديس نفوسهم

٤ تريزيا الطفل يسوع بعد موتها

انَّ بين قوانين الكنيسة ان تثبيت القديسين لا يكون إلَّا بعد وفاتهم بخمسين سنة ليتمَّ الفحص المدقّق عن حياتهم وسموّ فضائلهم ولئلَّا يدخل في تثبيتهم غايات بشريَّة. وها قد خالفت الكنيسة لاوّل مرّة في عصرنا هذا القانون شذوذًا في تثبيت

قداسة تريزيا الطفل يسوع. وكان الذي حكم بوجوب خرق هذه العادة الطيّب الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر لما رأى من علامات قداسة تلك الفتاة الملائكية والعدد العديد من الكرامات والعجائب التي جرت بشفاعتها في كل انحاء المعمور. وكان يريد ان يثبتها طوبويّة سنة ١٩١٧ لولا بعض شواغل تلك سنة الحرب. وكان احد فاحصي اعمال خادمة الله نيافة الكردينال ڤيكو يقول: يحسن بالكرسي الرسولي الإعلان بجواز اكرام تريزيا الطفل يسوع لئلّا يسبق صوتُ الشعب والرأيُ العامّ حكمَ الكنيسة

ما كاد قداسة البابا بيوس الحادي عشر يجلس على كرسي الخلافة البطرسيّة حتى فكّر في نظم الراهبة الجليلة في سلك اولياء الله فأعلن اوّلاً بتطويبها في ٢٩ نيسان ١٩٢٣ ثمّ عاد بعد سنتين وتأثّر من المعجزات التي كانت تنشر اخبارَها الجرائد والمجلّات والشهود الموثوق بهم فأدرجها في سجلّ القديسين في ١٧ أيار من هذه السنة الحاليّة ١٩٢٥ وسمح ان يُقام لها عيد في كلّ كنائس المعمور

القسم الثاني: في دعوة القديسة تريزيا

يقول الكتاب (مز ٦٧: ٣٦) انّ الله عجيبٌ في قدّيسيه فانهُ اذا رقّاهم الى اوج القداسة واجابوا بامانة الى صوتهِ يعهد اليهم بدعوةٍ خصوصيّة يقومون بها في عالم الكنيسة. فيدعو الواحدَ لنشر الايمان بين المشركين كالقديس بولس الرسول. وينتدب الآخرَ لخلاص امّة كاثوليكية كما انتدب القديسة جان درك لانقاذ فرنسة. ويختار غيرهم لنشر بعض العبادات كالقديس دومنيك لنشر عبادة الورديّة وكالقديسة مرغريتا مريم لنشر عبادة قلب يسوع. وهذه تريزيا الطفل يسوع قد اصطفاها لنشر محبة الله

لمّا احسّت القديسة تريزيا بقرب وفاتها اخذت تقول: «قد قَرُب زمن دعوتي. وما ادراكم ما دعوتي؟ دعوتي ان أُحبّ الله في قلوب البشر وأُرشد النفوس الى الطريق التي سلكتُها. اني اريد ان اقضي حياتي في السماء لاعمل الخير على الارض. ولا غرو فانّ ملائكة الله قائمون في حراستنا. ومن ثمّ ساسعى جهدي الى آخر العالم في نشر محبة الله حتى اسمع الملائكة يقولون: ها قد انتهى الزمان فحينئذٍ يتمّ فرحي

بتمام عدد المختارين» . فسألتها اختها بولين (المدعوّة بالامّ اغنيس دي يسوع) : وما هي الطريق التي تشيرين اليها ؟ قالت : هي طريق الثقة بالله والتسليم التامّ لمشيئته تعالى . اريد ان ادلّ البشر الى الوسائط التي نعمت بها فاقول لهم : وجّهوا الى يسوع زهور ضحاياكم الزهيدة وتودّدوا اليه بها فذاك سرّ حياتي وسرّ نجاحي ولهذا اعلم انهُ سيُحسن استقبالي » (١

ثم اردفت قائلةً لمبتدئياتها : « ان كنتُ اسأتُ في حكمي السابق عن الطريق المذكورة فاني سأعود اليكنّ سريعاً وابيّن لكنّ الطريق المستقيم وإلّا فتأكدنّ انّ ما قلتهُ لكنّ هو الحقّ . . .

« وليس في الطريق التي نهجتُها شيء عسير . فما صنعتهُ انا تُحسن النفوس الصغيرة صنيعهُ مثلي »

ولو أردنا ان نختصر حياة تريزيا الطفل يسوع لقلنا انّها بلغت قمّة القداسة بروح تواضعها وروح اتّكالها على الله وروح تضحيتها لنفسها

﴿روح تواضعها﴾ كانت تريزيا ترى نفسها اذلّ واصغر المخلوقات قالت : « لقد غمرني الله بنعم عظيمة وانّما اكبر نعمه انهُ أراني حقارتي وعجزي عن كل خير» ومن اقوالها : « لا يتوقّف الاتّضاع على قول الانسان اني مملوء من النقائص فان المتواضع الصادق هو الذي يفرح بان يقول الناس عنهُ ذلك ويحكمون بهِ » . ومن اقوالها ما كانت تتغنّى بهِ : «اني أريد ان ابقى صغيرة ذليلة لأربح يا الهي محبّتك وان انسى ذاتي لأبهج قلبك »

﴿روح اتّكالها﴾ قالت : «مهما وثقنا بالله فانّنا نستطيع ان نزيد بجودهِ ثقةً» . وكتبت الى ماري غيرين : «انّ المرء ينال من مراحمهِ تعالى على قدر رجائهِ بهِ» وورد في بعض كتاباتها : « اني لقد عرفتُ امّهات كثيرة ورقّة قلوبهنّ فانهنّ يصفحن عن كل ما يجدنهُ من النقص في معاملة اولادهنّ . وانّ الله اقرب الى الغفران عن سيّئاتنا من احنّ الامّهات» . ومن اقوالها : « لستُ لاشاء شيئاً يخالف ارادة الله حتى اني لا اريد دخول السماء بارادتي ولو دقيقةً واحدة قبل رضاهُ تعالى» . وقالت : « انّ طريقي

(١) اطلب الكتاب الذي وضع لتاريخ حياتها وفيهِ كثير من اقوالها الروحيّة التي ندوّن قليلًا منها هنا (Histoire d'une âme, Ch. XII)

طريق الحب والثقة . ولا يمكنني ان أفهم كيف يوجد نفوس تخاف من الله وهو اصدق الاصدقاء وأحبُّ الآباء وارحم الراحمين»

﴿ روح التفاني والتضحية ﴾ من اقوالهـا : « لا شغل لي الّا اني اقطف زهور التضحية والحبّ لاقدّمها لله نيلًا لرضاهُ . . فلا ادع فرصةً تفوتني لأنثر تلك الزهور عنـد اقدامهِ سواء كان بالقول او بالنظر او بالعمل . أريد ان أهديَهُ تلـك الضحايا كعربون محبتي لا بل أريد ان تكون افراحي كما آلامي كلها موسومة بالمحبة . اني اكره ان ينتثر من زهوري وُرَيقة واحدة لا تُهدى ليسوع »

فيرى القارئ اللبيب ان خلاصة حياة تريزيا الطفل يسوع تحتويها هذه الالفـاظ الثلثة : « التواضع . تسليم الذات . التضحية» اليها تعود كل افكار واقوال واعمـال تريزيا . فمن اقوالها : «لا رغبة لي إلّا في المحبة . كما ان يسوع ساقتهُ محبّتهُ لنا الى نوع من الجنون . هذه هي الطريقة الانجيليّة طريقة الصغار والمتذلّلين كيف لا وهو القائل في انجيلهِ الطـاهر : ان لم تعودوا وتصيروا كمثل الاطفـال لن تدخلوا الى ملكوت السماوات . وقال في محلّ آخر : دعوا الاطفـال يأتون اليَّ لانَّ ملكوت السماوات لمن يتشبَّه بهم . فكل من يصغِّر نفسهُ كمثل هـذا الصغير هو الـذي يكون الاكبر في ملكوت السموات . فالى هؤلاء الصغار قد أوحى باسراره»

والى هذا قد اشار بندكتوس الخامس عشر في خطابهِ عن خادمـة الله تريزيا في ١٤ آب ١٩٢١ : « يريد السيد المسيح ان يجعل تلامذتهُ ذلّهم نصب عيونهم ليربوا في الصِّغَر الروحي والتواضع الشرط الضروري لربح الحياة الابدية»

وكذلك الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر المالك سعيدًا قـال في خطـابهِ يوم تثبيت قداستهـا : « انَّ طريق خادمة الله تريزيا التي بلّغتها الى ذروة القـداسة هي الطريق المُنهَجة للجميع طريق يستطيع سائر المؤمنين يسلكوها فيها بل هي سهلة وثيرة فان كان الكل لا يستطيعون ممارسة المشروعات العظيمة فليس احد يعجز عن الصلاة والتواضع والمحبة » هذه طريقة الصغار الذين اجزلت تريزيا عليهم نِعَم شفاعتها وان لم تبخل بها ايضاً على كل الملتجئين الى حمايتها حتى البروتستان والمسلمين

كانت تريزيا تخصُّ بذكرها الكهنة والمرسلين . ومن اقوالهـا قبل الوفاة . « اني سأعود بعد موتي الى الارض لاساعد الكهنة والمرسلين والكنيسة باجمعها » وبنـاء . .

على قولها هذا حرّض بندكتوس الخامس عشر احد الكهنة على طلب شفاعتها قائلاً له: «توسّل الى تريزيا الطفل يسوع فانّ دعوتها ان تعلّم الكهنة محبة السيد المسيح»

عجائب القديسة تريزيا

انّ دعوة تريزيا في حمل البشر على محبة الله قد أيّدتها بعجائب باهرة عديدة جعلت المؤمنين يعتبرونها كالقديسة الصانعة العجائب في القرن العشرين. قال الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر متفكّهاً: «قد حان للقديس العجائبي انطونيوس البادوي ان يستريح لتنوب عنهُ تريزيا بفعل العجائب». وما لا ريب فيهِ ان ثقة المؤمنين بشفاعة هذه القديسة الجديدة كادت تطبّق وجه المعمور فان ترجمة حياتها قد نُقلت الى كل لغات اوربّة فتهافت اليها الناس لِما اختبروا من حنان تلك الراهبة الكريمة وهي التي قالت: «اني بعد وفاتي سأمطر على الارض الورود بملء اليدين» وقد جُمع قسمٌ من تلك المعجزات في نشرة خصوصيّة بلغت اليوم عدّة مجلّدات عنوانها «مطر الورود» يتّضح منها انّ كلامها لم يكن لغواً بل حقيقة هي تُمطر على الارض غيثاً من النعم لا يسعنا الّا ان نشير اليها اشارةً خفيفة مستندين الى ما تحقّق وقوعهُ بالشهود العيان. فما ورد في النشرة المذكورة (المجلّد ٤ عدد ١١٤) انّها ملأت ذهناً بحفظة احد المحتاجين الملتمسين شفاعتها. ومنها حراستها لطفل صغير من حريق هائل (ج ٤ ع ١٠٤). ومنها صيدٌ عجيب للسمك حصل بمعونتها في مدينة ريكاناتي (٤: ٥٥٧). ومنها تخفيف عقاب احد المسجونين في الولايات المتحدة (٤: ٥٥٦). ولمّا انتشبت الحرب الكونيّة الاخيرة ظهرت على رؤوس الملأ شفاعة تريزيا البتول المُحسنة فجُمعت تلك الآيات ونُشرت تحت عنوان «عجائب تريزيا الطفل يسوع في اوان الحرب». قال احد كبار الضبّاط (ص ١٢٥): «انّ ذخيرة القديسة تريزيا هي كترسي منذ ٣٢ شهراً». قال الملازم جوزف مرتين: «أُصبتُ بجرح مؤلم كان القاضي على حياتي لولا شفاعة تريزيا الطفل يسوع». قال الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في خطابهِ: «قد وفدَتْ علينا رسائل متعدّدة من جنود وضبّاط ينسبون الى تريزيا الطفل يسوع نجاتهم من مخالب الموت وصنوفٍ من الاخطار». ولذلك كنتَ ترى فِرَقاً من العساكر يجعلون تريزيا الطفل يسوع كشفيعتهم الخاصّة ويكرّسون لها بطاريّاتهم وطيّاراتهم وخنادقهم

فيختبرون حمايتها ويعلنون بشكرهم لها

على انَّ هذه المعجزات لم تحصل جزافاً بل كانت آنئذٍ لتمجيد الله ولاعلان قداسة خادمتهِ الامينة ولتحقيق الدعوة التي دعاها اليها بان تنشر في الارض حبَّهُ تعالى. فانَّ مطر ورودها المنهمر منذ ٢٨ سنة أصبح كما قالت منهجاً سلكهُ المتعبدون لها لينفروا عن روح العالم ويرقوا في معارج النعمة والخلاص. هذا الى ارتداد كثيرين من الوثنيين والبروتستانت الى حجر الكنيسة بعد ما نالوا نعماً خصوصيَّة من خادمة الله

عجائب القديسة تريزيا في الشرق

لم تحرم تريزيا الطفل يسوع شرقنا العزيز من مطر ورودها بل غاثت بهِ اصقاعنا ايضاً. ودونك بعض الشواهد على قولنا

أصيبت في حلب الاخت نتالي من راهبات القديس يوسف بالم في حنجرتها انقطع بهِ صوتُها تماماً ولم ينجع في شفائها دواء الحكماء. ففي ٢٠ ايار من السنة ١٩١٣ بلشرت بتساعيَة لاكرام تريزيا واذ لم تأتِ عبادتها بفائدة. لم تقطع رجاءها على الرغم من تهكُّم بعض معارفها بل استأنفت تساعيَّة ثانية بمزيد الحرارة ففي مساء اليوم الاوَّل منها عادت اليها صحَّتها تماماً فقرَّ الجميع بشفائها العجيب (ج ٤ ع ٥٠٨ من كتاب مطر الورود)

اخبرت الاخت فرنسواز من راهبات دير زقازيق في مصر قالت: كانت ساعتي منذ سنةٍ قد سكنت حركاتها وعجز الساعاتي عن اصلاحها فاخذت ذخيرةً من ذخائر الاخت تريزيا فجعلتها فوقها في حزيران من السنة ١٩١٣ ثم تلوتُ صلاةً لاكرامها طالباً من الله تثبيت الكنيسة لقداستها فلما قمتُ من صلاتي واخذتُ الساعة فاذا بصوت دقَّاتها يبلغ اذني وبقيَت مذ ذاك اليوم لم تخلَّ مطلقاً في سيرها كأحسن واضبط الساعات (منهُ ٤ : ٥٣٨)

وهذه أعجوبة أخرى جرت في القاهرة في مدرسة الفرير المعروفة بمدرسة القديس دي لاسال. فان احد اخوتهم المدعو لوسيان كان مشرفاً على الموت فالتجأ الى تريزيا صانعة العجائب فلم يتأخر شفاؤهُ تماماً وسلَّمهُ طبيب المدرسة الدكتور فرنيس كتاب

شهادةً بخطهِ يصرّح بان شفاءهُ لايمكن تعليلهُ بعلّة طبيعيّة وانما هو فعلٌ عجائبي محضٌ (منهُ المجلّد ٦ ع ١١١)

في شهر تموز من تلك السنة أصبحت جنينة راهبات الجلجلة البندكتيّات في القدس فريسةَ النمل فزحفت جيوشها الى الاشجار المثمرة فافسدت بعضها تماماً. فالتجأت البستانيّة الى المكرّمة تريزيا وجعلت صورتها على مشمشة حملت النمل عليها وباشرت بتساعيّةٍ لاكرامها فتوارى النمل حالًا وسلمت الشجرة كما نجت كل الاشجار التي ذرّت عليها الراهبة قبسةً من تراب قبر تريزيا (منهُ ج ٤ ع ٥٦٣)

وكانت راهبة اخرى من ذلك الدير نالت شفاء تامًّا بشفاعة تريزيا الطفل يسوع في الشهر السابق (أيار ١٩١٣) أُصيبت الاخت تريزيا بوجع يمزق الناس فلزمت فراشها بلا حراك فقيل لها: التجئي الى المكرّمة تريزيا الطفل يسوع وباشري بتساعيّة لاكرامها. قالت المريضة: اني لست صابرةً تسعة أيام ولاسيما ان عيد قلب يسوع واقع بعد يومين فلا بدَّ لي ان انزل الى الكنيسة وتضرّعت الى خادمة الله بكل ثقة فلمّا كان يوم الغد بدأوا عيد قلب يسوع اتوا لها بطعامها في الفراش فصرخت قائلة: قد تمّ شفائي على يد تريزيا فها انا اقوم وانزل وحدي الى مائدة الراهبات. فقامت بتمام العافية وفي العيد يوم عيد قلب يسوع تصدّرت جوقة المغنيات في الكنيسة ودقّت الارغن بلا عنت (منهُ ع ٦١٩)

كتب احد الآباء الكرمليين من بوشهر (العجم) في ١٤ ك ١ ١٩١٣: حُبس ظلماً احد المسيحيين من جماعتي هنا فبقي في الحبس ٢٢ يوماً وكنت لا اعلم كيف اخلّصهُ فالتجأت الى المكرّمة تريزيا واعدا باني انشر الخبر لاكرامها فأفرج الحكّامُ عن المتّهم ثاني يوم (٤ ع ٥٧٣)

كتبت في ١٦ ك٢ ١٩٢٠ احدى راهبات الفرانسيات من القاهرة كان هنا شابٌ اسباني جحد النصرانيّة وأسلم فأصيب بالتهاب السحايا ولم يبق امل لشفائهِ. فاخذت امرأةٌ من صديقات عائلتهِ ذخيرةً من ذخائر تريزيا الطفل يسوع فجعلتها تحت رأس المريض وصلّت بحرارة على نيّتهِ فنجا المريض وشفي تماماً نفساً وجسداً وطلب كاهناً اعترف لهُ بخطيئتهِ وتاب توبةً نصوحاً عن جحود ايمانهِ (ج ٦ ع ٣٢)

نالت في بيروت فتاةٌ صغيرة عمرُها تسع سنين الشفاءَ التام من الحمّى التيفوئيديّة

سنة ١٩٢٣ لما جعلتها امها تحت نظارة الطوبوية تريزيا (كما ورد في ترجمة حياتها العربية ص ٣٨)

وقد ورد في رسالة قلب يسوع (عدد اذار ١٩٢٥ ص ٩٠) انَّ سكافاً مسلماً شفي بالتجائه الى القديسة تريزيا

ولدينا اخبار نعم عديدة غير هذه حصلت بشفاعة القديسة تريزيا في الهند والصين. وبما ذكرنا كفاية لاثبات ما قلنا انَّ القديسة تريزيا لم تحرم شرقنا العزيز من مفاعيل شفاعتها

فكم نتمنى من مراحمها ان تؤلف قلوب اهل وطننا وتبعد عنَّا كلَّ شقاق ليتمَّ قول الربّ فعلاً «فيكون راعٍ واحد ورعيَّة واحدة». ويؤيد رغبتنا ما كتبهُ في احدى جرائد لندن احد رؤساء الكنيسة الانكليزيَّة البروتستانتيَّة: «اني اؤمل من شفاعة تريزيا الطفل يسوع ان تتألف في انكلترة الوحدة الدينيَّة»

ونختم مقالنا بذكر الصلاة التي كانت تتلوها القديسة تريزيا وتقدم بها نفسها ذبيحةً للحبّ الرؤوف:

«إلهي الثالوث الكلي قدسهُ اني اقدم ذاتي ذبيحةً لحبك الرؤوف لكي اعيش عيشة المحبة الكاملة واتوسل اليك بالحاح ان تضرم فيَّ لهيبك دائماً وتفيض في نفسي فيوض حنانك الذي لا حدَّ لهُ لأضحي شهيدة حبك. فليفض هذا الاستشهاد على حياتي بعد ان يكون قد أهلني للظهور امامك ولتحلق نفسي عاجلاً للاتحاد بحبك الازلي الرؤوف. أريد يا حبيب نفسي كلَّ مرَّة يخفق فيها قلبي ان اكرر لك تقدمتي هذه مراراً لا يفي بها الاحصاء لاتمكَّن بعد زوال أظلال هذه الحياة ان ابثك حبي مدى الابد»

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٩ عيسى بن فرُخنشاه

﴿اسمهُ واصلهُ ودينهُ﴾ هو عيسى بن فَرُخنشاه من نصارى بغداد وكان نسطوري النِحلة اشتهر في اواسط القرن الثالث للهجرة والتاسع للمسيح في ايّام الخلفاء العبّاسيين المستعين والمهتدي والمعتز والمعتمد تكرُر ذكرهُ في عهدهم في تاريخ الطبري. ولعلَّ اسمهُ يدلّ على كون اصلهِ من العجم وقد ورد في بعض روايات الطبري على صورة «فرُنشاه» وممَّا اخبرهُ في حوادث السنين ٢٤٥ و٢٤٩ و٢٥١ (٣: ١٤٤١ و١٥١٣—١٥١٤ و١٦١٠) انَّ الخليفة المستعين اتخذهُ كاتب لوزيره الحسن بن مَخلَد سنة ٢٤٥ (١٨٥٩م) ثم ولّاهُ ديوان الخراج بعد عزل الفضل بن مروان سنة ٢٤٩ (٨٦٣م). واثبتهُ عليهِ خلفهُ المعتز. وذكر في تاريخ سنة ٢٥٢ (٨٦٦م) انَّ الاتراك وثبوا عليهِ فتناولوهُ بالضرب واخذوا دوابَّهُ فقام المغاربة للدفاع عنهُ. وروى في تاريخ سنة ٢٥٦ (٨٧٠م) ثورة الاتراك على الخليفة المهتدي وثبات عيسى بن فرُخنشاهُ في وجههم وقال: «انَّ الامور كانت تجري على يدهِ وانَّ مقامهُ كان كمقام الوزير»

وعلى ظنّنا انهُ هو الذي اشار اليهِ ابن ماري في تاريخ بطاركة المشرق (ص ٨٣) حيث قال انَّ فَرُخانشاه قام باستقبال يوانيس مطران الموصل لمَّا تعيَّن جاثليقاً على النصارى سنة ٢٨٠ (٨٩٣م). امَّا سنة وفاتهِ فلم نقف عليها وقد اشتهر من قرابتهِ الأخوان سعيد وعبدالله ابنا فَرُخنشاهُ ولعلَّ عيسى كان بكرهما. وكان سعيد يكنّى بابي عمرو ثمَّ ذكرهما هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص ١٦١ و٢٠٥ و٢٤٠—٢٤١)

وقال انهما كانا نصرانيين وكاتبين للوزير ابي الحسن بن الفرات وذكر لهما اخباراً شتى. وكذلك ذكر عريب القرطبي في تاريخ الصلة (ص ٥٩) الفضل بن يحيى بن فرخانشاه الديراني النصراني من دير قنّا على عهد الخليفة المقتدر واستصفاء الخليفة لماله

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ كان عيسى بن فرخانشاه من كتّاب ديوان الخلفاء ذوي الانشاء البديع. ذكرهُ ابن النديم في الفهرست (ص ١٦٧) فقال: انهُ كان كاتباً مقلًا وقد ذكر لهُ الصابئ في أدب الكتّاب شعراً قال (ص ٤٦): «اهدى بعضُ الكتّاب غلاماً كاتباً الى رئيس لهُ وكتب اليهِ يصفهُ بالخطّ وغيرهِ. وسمعتُ من يحكي انَّ قائلَ ذلك عيسى بن فرخانشاه بابراهيم بن عبّاس الصولي وكان عيسى يكتب لهُ ولا ادري كيف صحّتهُ لاني لم اعتدّ بما لم اسمعهُ من افواه الرجال (من الكامل):

إقبَلْ هديَّةَ شاكرٍ تجزيهِ بالتَّزرِ الجليلا
بدراً يُضيءُ اذا نظرْ تَ اليهِ لم يألفْ أفولا (١
اني بعثتُ بهِ وكنتُ بحسنِ موقعهِ كفيلا
لمّا رأيتُ بخطّهِ حُسناً يصيدُ بهِ العقولا
كمُنمنمِ المَوْشيِّ قد سحبَ القيانُ بهِ الذيولا (٢
او كالرياض بكى الحيا فيها فأوسعها هُمولا (٣
وتراهُ للمعنى اللطيفِ م اذا اثرتَ بهِ قبولا
لا مستميداً منك اذ تُملي عليهِ ولا مَلولا
عرفَ المبادئَ والوصو لَ من الحكايةِ والفُصولا

١) يقال: افل البدرُ افولاً اذا غاب

٢) قال في شرحهِ: يقال وشيتُ الثوب وشياً من باب وَعَدَ رقمتُهُ ونقشتُهُ فهو موشيّ والاصل مفعول. ونمنمتُهُ نمنمة رقشتهُ وفي الصحاح: هي خطوط متقاربة قصار شبه ما تُنمنمُ الريحُ من دقاق التراب ولكل وشيٍ نمنمة. والقيان جمع قينة وهي الأمة المغنية او اعمّ. والتنمين التزيين بالوان الزينة

٣) الحيا مقصور الغيثُ. وهمل المطر همولاً جرى

وصنوفَ ترتيبِ الدعا ءِ وأنْ يُقصِّرَ او يُطيلا
والهمزَ والممدود والـمقصور والمثلَ المقولا
والفعلَ والاسماءَ والـمصروفَ منها والثقيلا
فاستكفِهِ واضمِرْ لهُ ان لا تُريد له البديلا
يحملْ بفضل لسانهِ وبيانهِ منك الثقيلا

وروى الصولي ايضاً (ص ٨٤) قال دخل عيسى بن فرخانشاه على جارية وهي تكتب خطاً حسناً فقال (من الطويل) :

سريعةُ جَرْيِ الخطِّ تَنظمُ لؤلؤاً وينثرُ دُرًّا لفظُها المترشفُ
وزادت لدينا حظوةً ثمَّ اقبلَتْ وفي اصبعيها اسمرُ اللونِ مُرهفُ(١
أصمُّ سميعٌ ساكنٌ متحرِّكٌ ينالُ جسيماتِ المدى وهو اعجفُ(٢

١٠ ابن بطريق

في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الأمصار لشهاب الدين ابي العباس احمد العمري (نسخة المكتبة الخديوية ٥ : ١١٧) بعد ترجمة ابن عدلان ذكر المؤلف ابياتاً نسبها الى ابن بطريق ولم يزد افادةً . وقد تسمّى غير واحد بابن البطريق كسعيد ابن البطريق صاحب التاريخ ويحيى او يوحنا بن بطريق وعيسى بن بطريق وكلهم نصارى عاشوا في القرن التاسع للميلاد . والمرجح انَّ الابيات لاحدهم نذكرها هنا تتمّة للافادة يخاطب فيها الشاعر موفق الدين ابن عدلان متفكِّهاً (من البسيط) :

موفَّق الدين يا مَنْ في فكاهتهِ وفيهِ يحلو لعَيْنِ الساهرِ الأرَقُ

١) مُرهف اسم مفعول من ارهفتُ السيف ونحوهُ إذا رققتَ شفرتَهُ
٢) الاعجف الهازل

انَّ ابنَ عدلانَ في ايقاد شمعتهِ ما شانَهُ الفَيظُ من بُخلٍ ولا الحَنَقُ
لكن رأى الليل أولى ان يُقضِّيَهُ في نَيّراتٍ معانٍ منك تأتاقُ
لا شيء احسنُ منها اذ بدت شُعُلًا شتّى يُنظَّم فيها لؤلؤٌ نَسَقُ

١١ ابن بُطلان المتطبّب الراهب

﴿اسمهُ ووطنهُ ودينهُ واساتذتهُ﴾ قال جمال الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ٢٩٤): هو الحكيم ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون طبيب منطقي نصراني من اهل بغداد قرأ على علماء زمانهِ من نصارى الكرخ. وقال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء من طبقات الاطباء (١ : ٢٤١) : « كان قد اشتغل على ابي الفرج عبدالله بن الطيب (١ وتتلمذ لهُ وأتقن عليهِ قراءة كثير من كتب الحكمة وغيرها. ولازمَ ايضاً ابا الحسن ثابت بن ابرهيم بن زهرون الحرّاني الطبيب واشتغل عليهِ وانتفع بهِ في صناعة الطبّ وفي مزاولة اعمالها » . وجاء لجمال الدين القفطي في محلّ آخر (ص ٣١٤) ما حرفهُ : « وقد كان ابن بطلان هذا من اصحاب ابي الفرج ابن الطيّب البغداديّ وكان ابو الفرج يُجلّهُ ويعظّمهُ ويقدّمهُ على تلاميذهِ ويكرّمهُ ومنهُ استفاد وبعلمهِ تخرَّج وقد رأيتُ مثال خطّ ابي الفرج لهُ على كتابه ثمار البرهان من شرحهِ وهو : « قرأ عليَّ هذا الكتاب من اوّلهِ الى آخرهِ الشيخ الجليل ابو الحسن المختار بن الحسن ادام الله عزّهُ وفهّمهُ غاية الفهم »

﴿اخبارهُ واسفارهُ﴾ قد اغنانا جمال الدين وابن ابي اصيبعة عن تفتيش اخبارهِ والتنقيب عنها الّا انَّ بين روايتهما تبايُناً لا بُدَّ من ذكرهِ للانتقاد. قال القفطي (ص ٢٩٤) : « كان (اي ابن البُطلان) مشوَّهُ الخِلقة غير صبيحها كما شاء الله فيهِ وفضُلَ في علم الاوائل يرتزق بصناعة الطبّ وخرج عن بغداد الى الجزيرة والموصل وديار بكر ودخل حلب واقام وما حمدها » . ومن ظريف ما حصل لهُ في حلب وقتئذٍ ما اخبرهُ

١) هو الفيلسوف النسطوري كاتب الجاثليق صاحب التآليف الدينيّة والفلسفيّة والطبيّة المتعددة المتوفّى سنة ١٠٦٥م (اطلب كتابنا المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانيّة ص٣٢ ع٦٧)

القفطي قال (ص ٣١٥): «ولمّا دخل ابن بُطلان الى حلب وتقدّم عند المستولي عليها سألهُ رَدَّ امر النصارى في عبادتهم اليهِ فولّاهُ ذلك واخذ في إقامة القوانين الدينيّة على اصولهم وشروطهم فكرهوهُ. وكان بحلب رجلٌ كاتب طبيب نصرانيّ يُعرف بالحكيم ابي الخير بن شرارة وكان اذا اجتمع بـهِ وناظرَهُ في امر الطبّ يستطيل عليهِ ابن بطلان بما عندهُ من التقاسيم المنطقيّة فينقطع في يدهِ واذا خرج عنهُ حملهُ الغيظ على الوقيعة فيهِ ويحمل عليهِ نصارى حلب. فلم يمكن ابنَ بطلان المقامُ بين أظهرهم وخرج عنهم وكان ابن شرارة بعد ذلك يقول: لم يكن اعتقادهُ مرضيًا» (١

ثم قال القفطي: وخرج ابن بطلان عن حلب الى مصر فاقام بها مدّةً قريبة واجتمع فيها بابن رِضوان المصري الفيلسوف في وقتهِ وجرت بينهما منافرة احدثتها المغالبة في المناظرة وخرج ابن بطلان عن مصر مُغضَباً على ابن رِضوان وورد انطاكية راجعاً عن مصر فاقام بها وقد سَئِمَ كثرة الاسفار وضاقَ عَطَنهُ عن مباشرة الأغمار فغلب على خاطره الانقطاع فنزل بعض دِيَرَة انطاكية وترهّب وانقطع الى العبادة الى ان توفي بها في شهور سنة اربع واربعين واربعمائة (١٠٥٢م)»

ورواية ابن القفطي كاد ابنُ العبريّ ينقلها بحرفها في تاريخهِ مختصر الدول (ص ٣٣١)

امّا رواية ابن ابي اصيبعة فهي اوسع وادقّ وهي تختلف عن رواية جمال الدين في عدّة امور قال (ص ٢٤١): «وكان ابن بُطلان معاصرًا لعليّ بن رِضوان الطبيب المصري وكان بين ابن بُطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ولم يكن احد منهم (منهما) يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلّا ويردّ الآخر عليهِ ويُبيّنه رأيهُ فيه. وقد رأيتُ اشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم (بينهما) ووقائع بعضهم (بعضهما) في بعض. وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منهُ الى مشاهدة علي بن رِضوان والاجتماع به. وكان سفرهُ من بغداد في سنة ٤٣٩ (١٠٤٢م). ولما وصل في طريقه الى حلب اقام بها مدّةً واحسن اليه مُعزُّ الدولة ثمال ابن صالح بها واكرمهُ اكراماً كثيرًا. وكان دخولهُ الفسطاط في مستهلّ جمادى الآخرة من ٤٤١ (ك ١ ١٠٤٩) واقام بها ثلث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله

١) لعلّه يشير بذلك الى مذهب ابن بطلان النسطوري

(ص ٢٤٢) من الخلفاء المصريين. وجرت بين ابن بُطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة. وقد تضمَّن كثيراً من هذه الاشياء كتابٌ ألَّفهُ ابن بُطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعهِ بابن رضوان. ولابن رضوان كتابٌ في الردّ عليهِ. وكان ابن بُطلان اعذب ألفاظاً واكثر ظرفاً وأميَز في الادب وما يتعلَّق بهِ. ومما يدلُّ على ذلك ما ذكرهُ في رسالتهِ التي دعاها بدعوة الاطباء. وكان ابن رضوان أطبَّ وأعلَمَ بالعلوم الحكميَّة وما يتعلَّق بها. وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة. ولهُ مقالة في ذلك يردُّ فيها على من عيَّرهُ بقُبح الخلقة وقد بيَّن فيها بزعمه انَّ الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون وجههُ جميلاً. وكان ابن بطلان اكثر ما يقع في عليّ بن رضوان من هذا القبيل واشباهه. ولذلك يقول فيه في الرسالة التي وَسَمها بوقعة الاطبَّاء (من الطويل):

فلمَّا تبدَّى للقوابلِ وجههُ ... نَكَصْنَ على أعقابهِنَّ من النَّدَمْ
وقُلْنَ وأخفَيْنَ الكلام تستُّراً ... ألا ليتنا كنَّا تركناهُ في الرَّحِمْ

«وكان يلقَّبهُ بتمساح الجنّ. وسافر ابن بُطلان من ديار مصر الى القسطنطينيَّة واقام بها سنةً وعرضت في زمنه اوباء كثيرة. ونقلتُ من خطِّهِ ما ذكر من ذلك ما هذا مثالهُ قال:

«ومن مشاهير الاوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الاثاري في الجوزاء من سنة ٤٤٦ (١٠٥٤م) فانَّ في تلك السنة دُفن في كنيسة لوقا بعد ان امتلأت جميع المدافن في القسطنطينيَّة ١٦,٠٠٠ نَسَمة في الخريف. فلمَّا توسط الصيف في سنة ٤٤٧ (١٠٥٥م) لم يوفِ النيل فمات في الفسطاط والشام اكثر اهلها وجميع الغرباء إلَّا من شاء الله. وانتقل الوباء الى العراق فأتى على اكثر اهلهِ واستولى عليهِ الخراب بطروق العساكر المتعادية واتصل ذلك بما الى سنة ٤٥٤ (١٠٦٢م) وعرض للناس في اكثر البلاد قروح سوداويَّة واورام الطحال... ولمَّا نزل زُحَل برج السرطان تكامل خراب العراق والموصل والجزيرة واختلت ديار بكر وربيعة ومُضَر وفارس وكرمان وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام واضطربت احوال ملوك الارض وكثُرَت الحروب والغلاء والوباء... (وذكر مَن فُقد من العلماء بزمانهِ في مدَّة بضع عشرة سنة) بوفاة الاجلّ المرتضى والشيخ ابي الحسن البصري والفقيه الحسن القدوري واقضى القضاة الماوردي وابن الطيِّب الطبري على جماعتهم رضوان الله. ومن اصحاب علوم القدماء ابو عليّ بن هيثم وابو سعيد اليامي وابو علي بن السمح وصاعد الطبيب (ص ٢٦٣) وابو الفرج عبدالله

ابن الطيّب . ومن متقدّمي علوم الادب والكتابة علي بن عيسى الربعي وابو الفتح النيسابوري وصنيار الشاعر وابو العلاء بن نزيك وابو عليّ بن موصلايا والرئيس ابو الحسن الصابي وابو العلاء المعرّي . فانطفأت سرُج العلم وبقيت الفضول بعدهم في الظلمة »

« وتوفي ابن بطلان ولم يتّخذ امرأةً ولا خلف ولدًا ولذلك يقول من ابيات (من الطويل) :

ولا احدٌ ان مُتُّ يبكي لميتتي سوى مجلسي في الطبّ والكُتْب باكيا

(قلنا) فمن هذا يتّضح وجود عدّة اختلافات بين رواية ابن ابي أُصيبعة ورواية جمال الدين القفطي :

١ً يذكر جمال الدين قبح صورة ابن بطلان . وامّا ابن ابي اصيبعة فانهُ ينسب ذلك الى علي بن رضوان خصمهِ . ولو كان ابن بُطلان مثلهُ قبحاً لَما تجاسر على هجوهِ

٢ً قال جمال الدين انَّ ابن بُطلان « اقام في مصر مدّةً قريبة » امّا ابن ابي اصيبعة فجعل اقامتهُ هناك « ثلاث سنين »

٣ً ذكر جمال الدين انَّ ابن بطلان عاد من مصر الى انطاكية ورغب في اديرتها . امّا ابن ابي اصيبعة فيذكر انهُ سافر من مصر الى القسطنطينية واقام فيها سنةً

٤ً وجعل جمال الدين وفاة ابن بطلان في انطاكية سنة ٤٤٤ (١٠٥٢م) على خلاف ما ورد من التفاصيل في ابن ابي اصيبعة اذ يذكر ما كتبهُ في السنتين ٤٤٥ و ٤٤٦ . لا بل ذكر في جملة تآليفهِ (ص ٢٤٣) مقالةً صنّفها في انطاكية سنة ٤٥٥ (١٠٦٣م) ويؤيد ذلك بقولهِ « انَّ ابن بطلان صنّف كتاب دعوة الاطباء ألّفها للامير نصير الدولة ابي نصر احمد بن مروان » . قال : « ونقلتُ من خطّ ابن بُطلان وهو يقول في آخرها : فرغتُ من نسخها انا مصنّفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بدير الملك المنيّح قسطنطين بظاهر القسطنطينيّة في آخر ايلول من سنة ١٣٦٥ (اي من تاريخ اليونان) . ويكون ذلك بالتاريخ الاسلامي من سنة ٤٥٠ » فترى انَّ ابن بطلان مكث زمناً طويلًا في القسطنطينيّة وانَّ وفاتهُ بعد السنة ٤٤٤ بعدّة سنين . وفي كشف الظنون للحاج خليفة (٤ : ٣١٨) انَّ وفاة ابن بُطلان وقعت

سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠–١٠٧١م) وبين التاريخين كما ترى بونٌ عظيم

﴿أدب ابن بطلان وشعره﴾ يشهد على أدب ابن بطلان وشعره ابنُ ابي اصيبعة حيث يقول (١ : ٢٤٣) : « ولابن بُطلان اشعار كثيرة ونوادر ظريفة وقد ضمَّن منها اشياء في رسالته التي وسمها بدعوة الاطباء وفي غيرها من كتبه . ودعوة الاطباء هذه قد عُني بطبعها المرحومان الدكتور بشاره زلزل في مصر والدكتور اسكندر البارودي في الطبيب . ومنها نسخةٌ حسنة قديمة في مكتبتنا الشرقيَّة . وهذه بعض امثلةٍ من شعر ابن بطلان مما ورد في كتابه دعوة الاطباء (ص ٢٠) قال في اختيار الاصحاب (من الوافر) :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصحابِ
لانَّ الداء اكثرُ ما تراهُ يكونُ من الطعام او الشرابِ

وقال (ص ٢٤) في منفعة الادوية (من الوافر) :

فانَّ المُرَّ حين يَمُرُّ حلوٌ وانَّ الحُلوَ حين يضرُّ مرُّ
فخُذْ مُرًّا تُصادِفْ منهُ حلوًا ولا تَعدِلْ الى حلوٍ يَضُرُّ

ولهُ (ص ٦٢) يهجو طبيباً (من المنسرح) :

قالت لهُ النفسُ كُنْ طبيباً تقضي على الناس بالذهابِ
تأخذُ مالَ العليلِ قهرًا ثمَّ تؤاتيهِ الى الترابِ

وقال (ص ٦٧) في نكبات الزمان بعد فقد احد احبابهِ (من البسيط) :

عينُ الزمانِ أصابَتنا فلا نظرَتْ وعَذَّبتْ بعذابِ الهجر ألوانا
قد كنتُ أشفقُ من دمعي على بَصَري فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا

ومن اقوالهِ (ص ٧٠) عن لسان من لا يرى إلَّا سلامة نفسه (من الرمل) :

انّما دُنيـايَ نفسي فـاذا ذهبَتْ نفسي فلا عاش أحدْ
ليتَ انّ الشمس بعـدي غَرَبَتْ ثمّ لم تَطلُعْ على اهلِ بَلَـدْ

وقال (ص ٨٧) في مصالحة العدوّ (من الوافر) :

وكم من مُرتَـدٍ للصُلح يومـاً فلم يَنجَحْ بذاك الارتيادِ
لانّ الجُرح يُنقَضُ بعد حينٍ اذا كان البناءُ على فسادِ

وممّا انشدهُ في البطنة والشرَّة (من المنسرح) :

كم اكلةٍ دخلَتْ حَشا شَرِهٍ فأخرَجَتْ روحهُ من الجسدِ
لا بارَكَ اللهُ في الطعـام اذا كان هـلاكُ النفوسِ بالمَعَـدِ

(لهُ رقيّة)

الإبل في نظر ضابط افرنسي

لحضرة الاب جبرائيل لوفنك اليسوعيّ

ليس شرقيّ يجهل ما للابل من عظم الشأن والاعتبار في عين اهل البـادية من العرب وهم يدعونهـا سُفُن البرّ وقد اتّسعوا بوضعها حتى لو جُمع ما قالوا عنها شعرًا ونثرًا اضاقت بهِ عدّة مجلّدات. قـال القزويني في عجائب المخلوقات (طبعة غوتنغن ص ٣٧٨) ونقلهُ الدميري في كتاب الحيوان (١ : ١٦) ما حرفهُ :

« الابل من الحيوانات العجيبة وان كان عجبُها سقط من اعين الناس لكثرة رؤيتها وهو انّما حيوان عظيم الجسم سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويعرك بهِ ويقسك بزمامهِ فارةً فتذهب بهِ الى حيث شاءت. ويتّخذ على ظهرهِ شبه بيت يقعدُ الانسانُ فيهِ مع مأكولهِ ومشروبهِ وملبوسهِ بطروفها والوسادة والسرقة واللحاف كأنّهُ في بيتهِ ويتّخذ للبيت سقفًا وهو يمشي بكل هذهِ . . . وقد جعلها الله تعالى طوال الاعناق لتثور بالاثقال وصبّرهـا على احتمال العطش حتى

انّما دُنيـايَ نفسي فـاذا ذهبَتْ نفسي فلا عاش أحدْ
ليتَ انّ الشمس بعـدي غَرَبَتْ ثمّ لم تَطلُعْ على اهلِ بَلَـدْ

وقال (ص ٨٧) في مصالحة العدوّ (من الوافر) :

وكم من مُرتَـدٍ للصُلح يومـاً فلم يَنجَحْ بذاك الارتيادِ
لانّ الجُرح يُنقَضُ بعد حينٍ اذا كان البناءُ على فسادِ

وممّا انشدهُ في البطنة والشرَّة (من المنسرح) :

كم اكلةٍ دخلَتْ حَشا شَرِهٍ فأخرَجَتْ روحهُ من الجسدِ
لا بارَكَ اللهُ في الطعـام اذا كان هـلاكُ النفوسِ بالمَعَـدِ

(لهُ رقيّة)

الإبل في نظر ضابط افرنسي

لحضرة الاب جبرائيل لوفنك اليسوعيّ

ليس شرقيّ يجهل ما للابل من عظم الشأن والاعتبار في عين اهل البـادية من العرب وهم يدعونهـا سُفُن البرّ وقد اتّسعوا بوضعها حتى لو جُمع ما قالوا عنها شعرًا ونثرًا اضاقت بهِ عدّة مجلّدات. قـال القزويني في عجائب المخلوقات (طبعة غوتنغن ص ٣٧٨) ونقلهُ الدميري في كتاب الحيوان (١ : ١٦) ما حرفهُ :

« الابل من الحيوانات العجيبة وان كان عجبُها سقط من اعين الناس لكثرة رؤيتها وهو انّما حيوان عظيم الجسم سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويعرك بهِ ويقسك بزمامهِ فارةً فتذهب بهِ الى حيث شاءت. ويتّخذ على ظهرهِ شبه بيت يقعدُ الانسانُ فيهِ مع مأكولهِ ومشروبهِ وملبوسهِ بطروفها والوسادة والسرقة واللحاف كأنّهُ في بيتهِ ويتّخذ للبيت سقفًا وهو يمشي بكل هذهِ . . . وقد جعلها الله تعالى طوال الاعناق لتثور بالاثقال وصبّرهـا على احتمال العطش حتى

ان ظمأها ليرتقع الى العشر وجمالها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم . وتصبر عن العلف ثلثة ايام »

ومن غريب الامور انَّ الابل مع كونها من الحيوانات الاهلية كالحمار والمواشي لم يكد الاوربيُّون حتى اليوم يعرفونها . وما لا يُنكر انهم ربَّما شطُّوا في وصفها ولو جُمعت بعض السفاسف التي قيلت عنها فنُشرت لتفكَّه بها القرَّاء

وها قد ورد علينا اليوم كتاب ضخم لأحد الضبَّاط الفرنسويين الكومندان كوفه صنَّفهُ في الابل وكل ما ينوط بها (١ . وكتابهُ هذا ثمرة اختباره ودروسه مدَّة ثلثين سنةً قضاها بين رُعاة الابل وقد عُهد اليه امرُها وتربيتها فلم يَفُتْهُ شيء من احوالها . فرأينا ان نقتطف شيئاً من معلوماته الواسعة لنعرضها على قرَّاء المشرق

تؤلف الابل فصيلةً خصوصيَّة تمتاز عن سواها وتُعرَف بالفصيلة الإبليَّة (Camélidées) وهي جنسان جنسٌ يُدعى لاما (Lamas) وسكناهُ في اعالي جبال اميركة الجنوبيَّة وجنس آخر وهو الجمل الشائع في آسية وافريقية . وللجنسين كليهما انواع مختلفة . فالجمل على نوعين : الهجين الذي يعيش في صحاري آسية وافريقية والجمل ذو السنامين الذي يقطن في انحاء آسية الباردة . وبين هذه الاشكال فرق آخر وذلك ان اجناس الإبل تمتاز بعدد اسنانها فان للاما ٣٢ سنًّا وللجمل الاسيوي ٣٤ وللافريقي ٣٦

فان قصرنا النظر على الجمل ونوعيه وجدناهُ في انحاء محدودة من الارض . فانَّ الجمل ذا السنامين يستطيع ان يحتمل البرد القارس البالغ عشرين درجةً تحت الصفر من المقياس المئوي ويمكنهُ ان يتوغَّل الى اعلى الجبال المرتفعة حتى اربعة آلاف متر

١) هذا عنوانهُ Commandant Cauvet: Le Chameau. 1 vol. gr. in-8°, illustré de 82 Planches, 784 pp., 1925, *Paris, J-B. Baillère et fils.*

فوق سطح البحر . اما الجمل ذا السنام الواحد فقد خُلق للاقاليم البالغة الحرارة . ولا بُدَّ لكلا الشكلين من اراضٍ يابسة وصحارٍ وَعْثة فيُستدلّ من تركيبها على الغاية التي لاجلها قد خلقهما الله . فانّ رجل البعير رخوةٌ توافق الارض الرمليَّة اللينة وقلّما تصلح لصعود الجبال . وقد جعل الله سنامَهُ او سنامَيهِ كمستودع للدهن يغتذي بهِ اذا حُرم الطعام وكذلك منحهُ الباري كرشاً واسعة متعدّدة المخازن يخزن فيها ما يطعمهُ فيجترّهُ متى يشاء قبل ان يهضمهُ . ثمَّ انَّ في كل اعضاء الجمل ما يدهش النظر من قوائم ورقبة وسنام وأظلاف وسبع صلابات جاسية

وقد تفرَّد الجمل بخواصّ أُخرى باطنة منها خاصَّة بهِ لا تُرى حاضرًا في غيرهِ من ذوات الاثدي اعني بها كُرَيّات دمهِ فانها إهليلجيَّة الشكل كدم الطيور والزحّافات . ومن خواصّهِ التي يمتاز بها ايضاً انَّ درجة حرارتهِ الباطنة تختلف صعودًا وهبوطاً في النهار والليل

وعلى خلاف ذلك لا يصحّ في الجمل ما يتناقلهُ العموم عن قناعتهِ في الاكل والشرب . ولعلّهم يُخدعون بما يرون من سنامهِ ومن اجترارهِ . والقول الصواب في ذلك انَّ اكل الابل يوازي ضخمها وعظم اجسامها لكنها قديرة على مقاساة الجوع والعطش مدَّةً طويلة على خلاف غيرها فانَّ الدوابّ اجمالًا إن لم تُعطَ عليفها في وقتها تخور وتعجز عن العمل . امَّا الابل فانها تثبت ايَّامًا على السير دون اكل ولا شرب لكنهُ اذا تمادى صاحبها في سَوقها عييت وسقطت . والبعير يصبر عادةً خمسة ايَّام عن ورود الماء . وربَّما زاد ايضاً على ذلك لكنهُ يحتاج الى الاكل في كلّ يوم . وهو يستطيع ان يخزن في كرشهِ الواسعة الى ثمانين ليترًا من الطعام . وكذلك يحسن اختيار علفهِ ولا يأكل قوتهُ إلَّا في ساعات معلومة وعلى شروط ثابتة ويأكل طعامهُ بكل هدوء فيقضي من خمس الى ست ساعات في اكلهِ

واعلم ان تعليف الابل يحتاج الى علم خاصّ بطباع الحيوان واخلاقه . واهل البادية من هذا القبيل اعلم من سواهم لعيشهم بين البعران حتى انهم تقلّدوا في عدَّة امور عاداتهم . فانَّ انتقال رُعاة الابل في فصول السنة من مرعى الى آخر انَّما تستدعيهِ الابل من تلقاء ذاتها قبل رعاتها فتتبعها الرعاة لا تسبقها

*

انَّ بعض الاجانب يكتبون اليوم فصولاً مطوَّلة عن اهل الوَبَر والقبائل الرُّحَّل وعن الوسائط لنقلهم من العيشة البدويَّة الى العيشة المَدَنيَّة وهو نظر يستدُّونهُ من عيشتهم المدنيَّة ويخيَّل لهم انَّهم يستطيعون ان يحملوا اهل البادية على لزومهِ. وهذا غاط سبقهم اليهِ الرومان فسعوا مدَّة نحو مائتي سنة الى تحويل اهل الوبر الى السكنى في القرى لكنَّ الطبع كان اغلب فتوارى الرومان ولا يزال البدو يتنقَّلون في انحاء البادية صيفاً وشتاء . ولعلَّ الاوربيين الذين يحاولون ذلك في ايامنا ليغيِّروا طباع الرُّحَّل يعودون ايضاً بالخيبة كاسلافهم الرومان وان توسَّلوا لبلوغ غايتهم بوسائل جديدة لم يعرفها الرومان

وما لا يمكن انكارهُ انَّ العيشة البدويَّة وحدها يمكنها ان تستفيد من تلك الصحارى القحلة الواسعة الارجاء التي تمتدّ في انحاء المعمور وليس الجمل إلَّا ملك تلك الصحارى يمكنهُ وحدهُ ان يقطعها اذ لا يوجد هناك مياهٌ إلَّا نادرة بعيدة المسافة عن بعضها . امَّا صاحبهُ فيجد فيهِ ما يحتاجهُ لمعاشهِ فينقل عليهِ اثاثهُ ويرتوي من لبنهِ ويغتذي من لحمهِ وينسج من وبرهِ خيامهُ ويوقد من جُلَّتهِ نارهُ

وانَّما يعترض البعض على مضارّ رعية الابل في حدود السواد والاراضي المزروعة فيرون الاوفق زراعة الاراضي القحلة في البادية . نعم لا بأس من توسيع نطاق الزراعة على قدر الامكان ولكن شتان بين ذاك وبين نفي اهل الوبر وملاشاة قطعانهم

وان قيل ما حاجتنا اليوم الى الابل وقد قطعت سيَّاراتنا صحاري افريقية ومرَّت فوقها طيَّاراتنا فلِمَ نلتبك بعد بتربية الابل ؟ . نجيب على ذلك انَّ هذه اوهام تخطر على بال بعض اهل الخياليَّات . فليعلموا انهُ لولا مساعدة الابل والمهاري لما استطاعت سيَّاراتنا وطيَّاراتنا قطع الصحراء . ثمَّ انَّ ركوب السيَّارات والطيَّارات انَّما يصلح لبعض الافراد لذوي الثروة . وهيهات ان تقوم بها حضارة البلاد مع ما تحتاج اليهِ تلك الادوات من مصانع ومخافر وذخائر وعدد عديد من المأمورين . امَّا الابل فهي الوسيلة الوحيدة المعدَّة في كلّ آن ومكان لخدمة تلك المهامه والمفاوز الرحبة والانتفاع من محصولاتها . ولذلك يصحّ قول بعض الكتبة : ان كانت الطبيعة قد أتت شططاً بوضعها الصحاري في ارضنا فانَّها أصلحت غلطها إصلاحاً تامَّاً بتجهيزها الابل في خدمتها

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

البحث الثالث

بيروت في اول عهد الصليبيين

حصلت في اواسط القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح اضطرابات عديدة في الشام بين الدولتين الفاطميَّة والسلجوقيَّة التركيَّة . وكان اوَّل ظهور السلجوقيين في العجم فاستولوا على العراق ثمَّ تفرَّعوا فروعاً مختلفة وبسطوا ظلَّ سلطتهم على بلاد ما وراء النهر والجزيرة وكرمان والاناضول وقونية

وكان اعظمهم شوكة معزّ الدين ملك الشاه بن الب ارسلان فتملك على عدَّة بلاد وزحفت جيوشهُ الى الشام فملك قسماً كبيراً منها وولَّى اخاهُ تُتُش على حلب ودمشق وصارت سواحل الشام ومن جملتها بيروت تحت سلطتهِ . ولمَّا توفي سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) خلفهُ ولداهُ رضوان ولم يطل ملكهُ ثم دقاق بن تُتُش في ولاية حلب وجعل دقاق على دمشق احد امرائهِ الاتابك ظهير الدين طغتكين فدبَّر امورها وساس المدن اللاحقة بها ولما توفي دقاق استقلَّ بالحكم الى سنة وفاتهِ ٤٩٧هـ (١١٠٥—١١٠٦)

وكان الفرنج الصليبيُّون في تلك الاثناء قدموا الى انحاء الشام لتحرير الاراضي المقدَّسة . وقد استبشر الخليفة الفاطمي المستعلي بالله خيراً بقدومهم لكسر قوَّة

السلجوقيين كما روى ابن الاثير في الكامل (١٠ : ١٠٤) : « قيل انّ اصحاب مصر من العلويين لمّا رأوا قوّة الدولة السلجوقيّة وتمكّنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزّة ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية اخرى تمنعهم . . خافوا وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوهُ ويكون بينهم وبين المسلمين»

ومن المعلوم انّ الفرنج فتحوا انطاكية سنة ٤٩١هـ(١٠٩٨م) ثم ساروا الى بيت المقدس مارّين بوادي العاصي ففتحوا معرّة النعمان وصالحوا اهل حمص ثمّ عدلوا الى سواحل الشام بعد ان قطعوا قسماً من البقاع فجرّوا على سيف البحر فاستولوا على طرطوس واللاذقيّة وصالحهم ابن عمّار امير طرابلس فواصلوا السَّيْر حتى بلغوا بيروت في اواسط ايّار . بعد ان قطعوا دربند نهر الكلب . وكانت بيروت لا تزال في حكم الدولة السلجوقية يأمر فيها احد الامراء التنوخيين باسم ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق فطلب الى زعماء الفرنج ان يكفّوا عن أذى المدينة واهلها ولا يعبثوا بغلّاتها فرضوا بذلك على شرط أن يقدّم لجنودهم حاجتهم من الاقوات والذخائر بثمن معتدل

ثم سار الفرنج الى القدس الشريف ففتحوهُ ومأكوا على المدينة غودفريد وهو غودفروا دي بوليون فلم تطل مدّتهُ فمات في السنة التالية (١٨ حزيران ١١٠٠م) وانتدب زعماء الفرنج اخاه بودوين ابن بودوين صاحب الرها ليخلفه في ملكه فقدم من الرها وسرّ بساحل بحر الشام فلما وصل الى دربند نهر الكلب اجتمع عليه امراء بيروت وصيدا وصور وعكاء ليصدّوه عن قطع هذا المضيق فاستطرد لهم بغدوين وحمل الامراء على جيشه فكرّ الافرنج راجعين وتعقبوا جنود الامراء وبدّدوا شملهم واجتازوا الدربند

ولمّا ثبت الامر لبغدوين في بيت المقدس فكّر في فتح المدن الساحلية فزحف بجيشه الى بيروت مرّة اولى وضايقها سنة ١١٠٢م (٤٧٥هـ) لكنه رحل عنها بعد ان اطال المقام عليها اذ لم يرَ فيها مطمعاً وكان اميرها عضد الدولة استلطف الفرنج بما قدّم اليهم من الذخائر

١ فتح الفرنج لبيروت (١١٠٩—١١٨١)

ثم عاد اليها بغدوين في السنة ١١٠٩ (٥٠٣هـ) مع الكونت برتران دي صنجيل

ونزل على ثغرها برًّا وبحرًا وعاونها جوسلين صاحب تلّ باشر فصلوا اولًا برجاً من خشب صنوبر بيروت ونصبوه على سور المدينة فكسرهُ المسلمون بحجارة المناجيق. فجهّزوا برجين آخرين لمحاربتهم لولا ان الملك الافضل امير الجيوش ارسل في اثناء ذلك اسطولًا من مصر يتألف من تسع عشرة مركباً حربية فظهروا على مراكب الفرنج وملكوا بعضها وادخلوا الميرة الى بيروت فقويت بها نفوس اهلها

امّا الملك بغدوين فانه ارسل الى السويديّة يستنجد بمن فيها من الجَنَوية في مراكبهم فوصل منها الى بيروت اربعون مركباً مشحونة بالمقاتلة فزحفوا الى بيروت باسرهم في نيسان من السنة ١١١٠ ونصبوا البرجين على اسوار المدينة واشتدُّوا في القتال فقُتل مقدّم الاسطول المصري وخلقٌ كثير من المسلمين يوم الجمعة ٢٨ من شوال. ثم هجم الفرنج على البلد في آخر النهار فملكوهُ بالسيف قهرًا وهرب اميره الذي كان فيه مع جماعة من اصحابهِ لكن الفرنج ادركوه وقتلوه ونهبوا البلد وسبوا من كان فيهِ واسروا كثيرين واستصفوا اموالهم وذخائرهم. هذه خلاصة ما رواه ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق (ص ١٣٨)

﴿كنيسة مار يوحنا في بيروت﴾ وفي تلك السنة امر الملك بغدوين ببناء كنيسة كبيرة في بيروت على طرز الكنائس اللاتينية فشيَّدها على اسم القديس يوحنا المعمدان وهي على شكل صليب ذي ثلثة اسواق وتقدَّم بنقشها وتزيينها بالتصاوير البديعة. وكان النصارى يصلّون فيها مدة ولاية الصليبيين على بيروت قال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص٥٨): «ولما قدَّر الله بنزع بيروت من يد الفرنج استقرت كنيستهم جامعاً وكانت تعرف عندهم بكنيسة مار يوحنا وكان بها صور فطلاها المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايام الجد (اي جدّ المؤلف في اواخر القرن الرابع عشر) فبيَّضه وازال آثار تلك الصور. وكان المسلمون يجتمعون لصلاة الجمعة. فلم يكملوا في بعض الاوقات اربعين شخصاً. ثم تكاثر المسلمون بها فجعلها الله دار سلام وايمان الى يوم الدين». والجامع المذكور هنا هو الجامع الكبير الذي فيه مقام النبي يحيى ولا يزال عامرًا وقد بقي عند بابهِ الشرقي بقرب المدخل على شمال الداخل منه كوة مكتوبة فيها باليونانية آية الزبور (٢٨ : ٢): انَّ صوت الربّ على المياه

ولعل كنيسة مار يوحنا بُنيت عوضاً عن كنيسة اخرى اقدم عهداً تبعد عنها نحو

مئة ذراع وهي التي وجدت اثارها في مدّة الحرب الاخيرة عند سوق البازركان

﴿ تحصين الفرنج لبيروت ﴾ ولما تولى الفرنج على بيروت سعوا بتحصينها فبنوا على طرفيها برجين واصلحوا سورها وكان الملك بغدوين أقطعها لاحد اشراف دولته اسمه فُلك دي غين (Foulques de Guines) او دي غِسْن (de Guisnes) وشرّفه بلقب بارون . ولما مات المذكور خلفه على ولاية بيروت سادة من ذريته تتابعوا في ملكها الى السنة ١١٨٧

﴿التلاحقة في بيروت﴾ ومن جملة ما يُذكر من احوال بيروت مدة تملُّك الفرنج عليها حلول المشايخ التلاحقة في ربوعها سنة ١١٤٤م (٥٥٣٩) فسكنوا راس بيروت حيناً وكان في المدينة قوم من امراء بني الحمراء فجرت بين الفريقين مشاجرة قُتل فيها احد بني الحمراء فخاف التلاحقة وهربوا الى مقاطعة الغرب . ثم حضر منهم الى بيروت الشيخ شاهين وكان لهُ فيها قيسارية باسمه فبلغ خبر قدوم اصحاب بني الحمراء فاغتالوه وقتلوه آخذين بثار اميرهم . لكن التلاحقة اجتمعوا تحت امرة ولدي الشيخ شاهين وانحدروا الى بيروت متسلّحين وكسروا ابوابها المغلقة وقتلوا كثيرين من اهلها . ومما اخبره ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق (ص ٢٣٦) انَّ صاحب بيروت الفرنجي ضبط لاحد تجّار دمشق احمالاً من الكتّان سنة ٥٢٧هـ (١١٣٢م) وانه سافر بها التاجر لم يُجب الى شكواهُ فارسل الى بانياس قوماً دخلوها فجأة ونهبوها وكانت في ايدي الفرنج

وفي السنة ٥٤٦ هـ (١١٥١م) روى ابن القلانسيّ (ص ٣١٥) وشهاب الدين المقدسيّ في كتاب الروضتين (١ : ٨٠) ان اسطولاً مصرياً كانت عدّةُ مراكبه ٧٠ مركباً حربيّة مشحنة بالرجال قصدوا سواحل الشام فنزلوا الى بيروت وقتلوا ونهبوا واحرقوا كما فعلوا في بقيّة ثغور الشام

وفي السنة ١١٦٢م توفي في بيروت ملك القدس بغدوين الثالث وكان راجعاً من انطاكية الى حاضرة مملكته فمات على ما يقال مسموماً بدسيسة طبيب يهودي يُدعى براقاً

٢ انتزاع السلطان صلاح الدين بيروت من الفرنج

وفي السنة ١١٨١ وفد السلطان صلاح الدين الايوبي بعساكره الى بيروت فغزا

أرباضها وقطع كرمها لكنه لم يفتح المدينة. قال ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٧٨ هـ. «ثم سار صلاح الدين من دمشق الى بيروت فنهب بلدهـا . وكان قد امر الاسطول المصري بالمجيء في البحر اليها فساروا ونازلوها واغاروا عليها وعلى بلدها. وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عـدة ايام وكان عازماً على ملازمتها الى ان يفتحها فاتاه الخبر وهو عليها انّ البحر قد القى بطسةً للفرنج فيها جمعٌ عظيم منهم الى دمياط كانوا خرجوا لزيارة بيت المقدس فـأسروا مَنْ بها . . ورحل السلطان من بيروت». واما ابن شداد فقال في سيرة صلاح الدين «انه نزل بيروت ولم ينل منها غرضاً واجتمع الفرنج ورحلوه عنها»

ثم عاد اليها السلطان بعد انتصاره العظيم على الصليبيين في واقعـة حطّين قرب طبرية سنة ١١٨٧ وفتحه بيت المقدس وعدّة مدن اخرى فقدم الى بيروت وفتحها بعد ان حاصرها ثمانية ايام ونصب عليها المجانيق التي اتخذها من زيتونها . فسأله الفرنج الامان فأمّنهم فتوجهوا الى صور وتسلم صلاح الدين المدينة ونصب على اسوارهـا السنجق السلطاني في ٢٩ جمادي الاولى وقيـل في ٢٧ منه سنـة ٥٨٣ هـ (اوائل آب ١١٨٧م) ثم ولّى عليها اميراً يُدعى سيف الدين عليّ الهكاري المعروف بابن المشطوب

ثم سار ابن المشطوب في صحبة صلاح الدين لمحاربة الفرنج في عكا فوُلّي عليها رجل واسع الشهرة وهو الامير عزّ الدين منقـذ احد اصحاب قلعة شيزر . قال فيه صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص٣٥-٣٦) : «وكان من المعظّمين عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليه احداً في المشورة والرأي وهو الذي بنى قلعة عجلون»

ولما فتح الفرنج عكا تفقد صلاح الدين رواحل الشام واقـام في بيروت اياماً . وفي اثناء وجوده حضر اليه بوهيمند الثالث صاحب انطاكية. قال ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م) : «ولما وصل السلطان صلاح الدين الى بيروت اتاه بيمنـد صاحب انطاكية وطرابلس واعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلده». وقال ابن شدّاد في سيرة صلاح الدين التي عنوانها : النوادر السلطانيّة والمحاسن اليوسفيّة (Historiens des Croisades : *Historiens Orientaux* III. 346) ان السلطان «بالغ في احترامه واكرامـه ومباسطته وانعم عليه بالعتق واغزران ومزارع تعمل خمسة عشر الف دينار». وهي اقطاعات بقرب انطاكية (له صلة)

المخطوطات العربية لكتبة النصرانيّة

في المكاتب البطرسبرجية

نظّمها استدراكاً لكتاب الاب لويس شيخو اليسوعي اغناطيوس كراتشقوفسكي عضو اكاديمية العلوم الروسية نزيل بيروت سابقاً

مقدمة

صدر منذ عام كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانيّة وكان له وقع الاعجاب والاستحسان بين العلماء الشرقيّين والمستشرقين الغربيين. كيف لا وقد جعلهُ الاب العلّامة كدائرة المعارف او المعلمة لآداب العرب النصارى واتحفنا بمفتاح الكنوز التاريخيّة والادبيّة واللغوية التي كادت ان تبقى متفرّقة مجهولة لولا سعيهُ واجتهاده المستمرّ وصار هذا الكتاب محوراً وثيقاً تدور عليهِ تطوّرات آداب النصارى العرب بعد الاسلام الى يومنا هذا وسيكون اساساً وطيداً يبنى عليهِ في المستقبل تاريخ الحركة الروحية بين الطوائف المسيحية. ولا يخفى على كل ذي رأي سليم ما لهذا البحث من الخطورة لتاريخ التمدّن الشرقي في القرون الوسطى وبعدها

ولو تبع اثر هذا الاب الفاضل علماء الشرق والغرب فأتحفونا بوصف وان كان مختصراً للمخطوطات العربيّة في المكاتب الشرقية والغربية التي وصلت ايديهم اليها لكنّا رسمنا امام عيوننا صورةً تامّة لبقايا العلم والادب التي صبرت على تقلّبات الدهر وسلمت من ايدي الضياع

وقد بدا لهذا العاجز ان يجمع في وصف اجمالي ما في مكاتب لينينغراد (او بطروغراد وبطرسبرج سابقاً) من مخطوطات النصارى في اللغة العربية لكي يكون هذا كملحق للكتاب المذكور حسب الترتيب الجاري فيه. ولذلك اقول: يوجد في لينينغراد مكاتب شرقية كبيرة وهي: ١ً ﴿ المكتبة العمومية ﴾ ولمخطوطاتها

الشرقية فهرست مطوّل بعناية العلامة دُورن (١ وقد دللنا عليه باسم Dorn مختصراً . امّا ما دخل الى المكتبة العمومية بعد سنة ١٨٥٢ فليس له فهرست مطبوع . ٢ً والمكتبة الثانية «مكتبة الكلية» ولا يوجد فيها من مخطوطات النصارى الّا شيء قليل لا شأن له بنسبة الى غيره . ٣ً والمكتبة الثالثة وهي اكبر المكاتب الموجودة الآن هي «المكتبة المصونة في المتحف الاسيوي» التابع لاكاديمية العلوم الروسيّة . وقد وصف جانباً من مخطوطاته العربية بارون روزن (Bon von Rosen) المرحوم وصفاً تامّاً (٢ وقد دللنا عليه بكلمة Notices اما باقي المخطوطات فليس لها وصف مثله

وقد كان في لينينغراد قبل الثورة والانقلاب مكتبة رابعة شهيرة وهي في مدرسة الالسنة الشرقية التابعة لنظارة الخارجية وقد دخلت مخطوطاتها بعد الّتيا والتي الى المتحف الاسيوي وهي سالمة لم ينقص منها الّا بعض الاعداد القليلة ضاعت او سُرقت وقت تنقّلها من محلّ الى محلّ بين موسكا ولينينغراد . ولهذه المخطوطات وصف كامل في عدة مجلدات يحوي المخطوطات العربية المجلّدُ الاوّل والسادس منها ونُشرا بعناية بارون روزن وغيره من العلماء (٣ وقد دللنا عليها بكلمة Collections وذكرنا المخطوطات حسب أعدادها في الفهارس المذكورة . وقد دخل الى المتحف الاسيوي ايضاً مجموعة المخطوطات العربية من القصر الماركي وهي التي اهداها غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق وقت حضوره الى روسيا سنة ١٩١٣ وقد عملتُ لها فهرساً مختصراً في اللغة الروسية (٤ وقد دللتُ عليه باسم Kratchkowsky وكان في نيّتي ان اعمل لها وصفاً مطوّلاً لو ساعدتني الظروف

---

١) وهذا عنوانه : Catalogue des Manuscrits et Xylographes Orientaux de la Bibliothèque Impériale Publique de S'. Pétersbourg., 1825

٢) في كتابه المخزون Notices sommaires des Manuscrits Arabes du Musée Asiatique 1881

٣) وهذا عنوانها : Collections Scientifiques de l'Institut des Langues Orientales du Ministère des Affaires Etrangères. I-1877, VI-1891

٤) IGN. KRATCHKOWSKY : Les Manuscrits Arabes de la collection de المطلب Grégoire IV, Patriarche d'Antioche-1924

هذا ما اقتضى تحريره في هذه المجالة كمقدمة للملحق الآتي بعده واقتصرت فيه على ذكر مخطوطات بلدنا وما ذكرتُ المخطوطات في مكاتب اوربا مما وصلت اليها معرفتنا الّا عرضاً او تتميماً للفائدة وارجو من القرّاء الكرام غضّ النظر عن هفواتي وتقصيري فلكلّ امرئٍ ما نوى

*

١ ﴿آدم جرمانوس﴾ – ٤ كتاب منارة التعاليم النفيسة . منهُ نسخة في بيت المقدس وصفها الاب جرجس غراف (Oriens Christianus IV, 1915, 315-318) كما وصف ايضاً بعض التأليفات الغير مذكورة في الموضع . ولهُ علاوة على ذلك رسالة الى بعض اصدقائهِ كُتبت من البندقية الى رومية في ١٣ شباط سنة ١٧١٣ منهُ نسخة بخط منشئها على ما يظهر في المكتبة العمومية (Dorn n° 93) وهي تحت الطبع في مجلة المكتبة المذكورة

= ﴿ابن بختيشوع﴾ عليّ بن ابراهيم المتطبّب الكفرطابي لـه كتاب تشريح العين واشكالها ومداواة اعلالها منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 40) كُتبت سنة ٥٥١ ونسخة ثانية في الخزانة التيمورية

٢٠ ﴿ابن الحديثي﴾ – ١ كتاب تراجم الاعيـاد منه نسختان في المتحف الاسيوي (Notices n° 10, Kratchkowsky n° 27) كُتبت الواحدة منها سنة ١٦٩٤ ومنه نسخة في المكتبة الوطنية في باريس (العدد ٨٩) وفي المتحف البريطاني كتبت سنة ١٥٦٩ (Br. Mus., Or. 6446)

٢٦ ﴿ابن الزعيم﴾ – له عدّة مخطوطات وتأليفات في المتحف الاسيوي ذكرتُ معظمها في الفهرست بالاختصار (Kratchkowsky n°s 29, 30, 32, 33)

٣١ ﴿ابن العبري ابو الفرج﴾ – ٦ مختصر تاريخ الـدول منه نسخـة في المتحف الاسيوي (Collections n° 37) كُتبت سنة ١٠١٤

٣٣ ﴿ابن العسّال﴾ – ١ الاناجيل الاربعة منها نسخة في المتحف الاسيوي في غاية الاتقان (Kratchkowaky n° 6) كُتبت سنة ٧١٦٣ من العالم (١٦٥٥م) بيد بولس ابن الزعيم المذكور وقت سفره الى موسكا وهي منقولة من نسخة تأريخها سنة ٩٧٦ للشهداء (١٢٦٠م) كُتبت بالشام

٣٦ ﴿ابن العميد جرجس ابن المكين﴾—المجموع المبارك منه نسخة في المتحف الاسيوي (Notices 161) بيد العلامة فران (C. M. Frachn) مجهولة الاصل ومنهُ نسخة غيرها في المكتبة العمومية كتبت سنة ١٦٧٢ (Dorn 112) ومنهُ المختصر في المتحف الاسيوي ايضاً (Notices 191) كتبه حنا بن عبد المسيح الانطاكي « حيث كنّا محتجبين بالطاعون سنة ١٨٠٨ »

٤٢ ﴿ابن كليل﴾—روضة الفريد وسلوة الوحيد منها نسخة جيدة في المكتبة العمومية (العدد ٢٥٥) وفي باريز (Slane n°48) وفي المتحف البريطاني وفي اوكسفرد. ومنه المختصر في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 26) وفي مدرسة الالسنة الشرقية باسم لازاريف في موسكا

٤٨ ﴿ابن ماسويه﴾—لهُ زيادة على التآليف المذكورة كتاب معرفة محنة الكحّالين منهُ نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 42) تاريخها سنة ٥٥١ وغيرها في الخزانة التيمورية. وله كتاب العين المعروف بدغل العين في النسختين المذكورتين

٥٢ ﴿ابن المتاني﴾—له علاوة على الكتب المذكورة اعلام النصر في مدح ابي نصر ويسمّى درياق الاشواق لمدوع الفراق وهو كتاب في وصف الخيل والسلاح والجوارح والضوارع والجيوش. منه نسخة قديمة ربما ينتهي عهدها الى القرن السابع في مكتبة الكلية (العدد ٧٤٤) لا نعرف لها اختاً في مكاتب اوربا

٦٠ ﴿ابو الخير بن المسيحي﴾ — له انتخاب الاقتضاب منهُ نسخة حديثة العهد في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 41) واسم مؤلفه فيها ابو نصر سعيد بن ابي الخير المسيحي بن عيسى المتطبب

٦١ ﴿ابو الخير بن الطيب﴾ — درياق العقول منه نسخة في المكتبة العمومية كُتبت سنة ٦٩٢٩ للعالم (١٤٢١م) في طرابلس الشام (العدد ١١٠) ونسخة غيرها في المتحف الاسيوي (Notices 7) كتبها سنة ١١٠٨ « عواد باسم شماس احقر تلاميذ السيّد البطريرك كير اثاناسيوس »

٦٤ ﴿ابو سهل الجرجاني﴾ — كتاب المائة منه نسخة في المتحف الاسيوي (Collections 16) وفي مكتبة الكلية وهي الاخيرة غير مذكورة في تاريخ الآداب العربية لبروكلمن

٦٧ ﴿ابو الفرج بن الطيّب عبدالله﴾ – مقدّمة المزامير وتفسيرها (الجزء الاول) منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 12) من القرن السادس عشر

٧٤ ﴿اثناسيوس الاورشليمي﴾ – ١ كتاب المواعظ منه نسخة في المكتبة العمومية (العدد ١٢٢)

١٠٧ ﴿افتيميوس الحموي﴾ – ١ الاورولوجيون منه عدّة نسخ في المكتبة العمومية

١٢٢ ﴿الياس بن فخر﴾ – له كتاب المناظرة الجلية في الدعوة الروح القدسية. منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 21) كتب سنة ١٧٣٠ بيد الياس ابن عبود القتّال الحلبي . وله مقالة في باب الاسرار القدسة منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 23) بخطّ يده كتبت سنة ١٧٤٧ ومجادلته مع الاب انطون ڤنتوري (راجع العدد ٦٢٣) في المكتبة العمومية (العدد ٢٥٦) بخطّ يده ايضاً كتبت سنة ١٧٤٣ . وله عدّة تصانيف غير المذكورة في الموضع في المتحف الاسيوي اعلاها بخطّ يده كتبت في النصف الاوّل من القرن الثامن عشر (Kratchkowsky n°s 20, 22)

١٢٦ ﴿اليانو الاب يوحنا باطشتا﴾ – يوجد في المتحف الاسيوي نسخة من ردّ جواب مكتوب باطيشتا الافرنجي كتب بيد بولس بن الزعيم سنة ١٧١٥ (Kratchkowsky 18)

١٣٠ ﴿انتيوخس﴾ كتاب الحاوي منه نسخة في المكتبة العمومية كتبها سنة ١٨٢٤ اثناسيوس مطران عكّا نجل الخوري ميخائيل استبريان اللاذقي في قرية كفير الزيت التي هي من حكم حاصبيا (راجع العدد ٧٧) والترجمة تنقيح انثيموس مطران صور وصيداء الصاقزلي سنة ١٨٠٩ (راجع العدد ١٣٤) وجرجس بن ميخائيل الصبّاغ

١٣٨ ﴿انطاسيوس المرمنيتي﴾ – ردّ جواب الخ . منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 18)

١٦٢ ﴿بايسيوس الساقزي﴾ – كتاب الرموز منه نسخة في المكتبة العمومية (العدد ٢٧٦) كتبت سنة ١٧٥٥ معها كتاب النحلة لمكاريوس ابن الزعيم

١٧٢ ﴿باسيليوس الكبير﴾ –مياميره المتفرّقة في نسخة المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 27)

١٨٨ ﴿برصنوفيوس﴾ – تعاليمه وكلامه المختار عن الرهبنية منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 14)

١٩١ ﴿براكلوس الجرماني﴾ –كتاب الطبّ الجديد منه نسختان في المتحف الاسيوي (Collections n°s 177-178) ومنه نسخة في مكتبة اوكسفرد (Nicoll, Cat., p. 168-170)

٢٠١ ﴿بريك الخوري ميخائيل﴾ –٢ كتاب الخلاصة الوفية منه نسخة في المكتبة العمومية (العدد ١٨٤) وفي ملحقها نبذة توضح عن شرطونيات الذين تمذهبوا اولاً بمذهب اللاتين. ومنه نسخة ثانية في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 31) مع الذيل المنتهي الى سنة ١٨٥٠ وقد تُرجم هذا الكتاب الى اللغة الروسية بعناية الاسقف فورفيريوس نزيل بيت المقدس سابقاً

٢٤٢ ﴿بولس الراهب الانطاكي﴾ – مقالاته منها نسختان في المتحف الاسيوي كتبت الواحدة منها (Notices n°6) سنة ٧١١٤ للعالم (١٦٨٦م) برسم اغنسط ابن الخوري مرقص الكاتب في مدينة حلب والاخرى (Kratchkowsky 16) بيد ميخائيل بن جرجس شحاده صباغ الدمشقي (راجع العدد ٤٤١)

٢٤٣ ﴿بولس اللازري﴾ – مكاتبته مع كيرللس مطران الروم بحلب منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 25) كُتبت سنة ١٨٤٧ بحلب

٢٥٩ ﴿بيسين الراهب الدمشقي المسمّى سابا السيقي﴾ – له نسخة العهد القديم في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 1-2) كُتبت بيده سنة ٦٧٤٤ (١٢٣٦م) للعالم في الشام وهي مأخوذة من النسخة الاصلية المكتوبة في انطاكية سنة ٦٥٣٠ للعالم (١٠٢٢م) ويوجد بعض المخطوطات له كتبت سنة ٦٧٤٥ في المتحف البريطاني (Catalog. II, n° 25) وهو ايضاً ناسخ تأليفات يوحنا الدمشقي في مكتبة الواتكان (Maï n° 79) سنة ٦٧٣١ للعالم (١٢٢٣م)

١٨٢ ﴿ثاجة﴾ –هو اخو البطريرك افتيميوس كرمه (راجع العدد ٧٥٧) ورفيق مكاريوس ابن الزعيم له بعض المخطوطات في اوكسفورد كتبت في النصف الاوّل

من القرن السابع عشر (Nicoll nos 22,46) وفي المتحف البريطاني (Catalogue 14, 27; Rieu, Suppl. 21)

٢٨٧ ﴿ جراسيموس ﴾ - رئيس دير مار سمعان العمودي كتاب الكافي في المعنى الشافي منه المختصر في نسخة المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 16)

= ﴿ جراسيموس بطريرك الاسكندرية ﴾ (١٧١٠-١٦٨٨) - رسالته الى الاراخنة في ابرشية طرابلس الشام وباقي المسيحيين في كرسي انطاكية سُطّر سنة ١٧٠٢ مع جوابتها. منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 24)

٣٠٠ جناديوس البطريرك القسطنطيني ﴾ - شرح قانون امانة المسيحيين منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 16)

٣٢٠ ﴿ حسون رزق الله ﴾ - له نسخة الاناجيل الاربعة في المكتبة العمومية (العدد ٨٦) بالاحرف الدقيقة مكتوبة على ورقة وحيدة غاية الحسن والاتقان

٣٢٨ ﴿ حنين بن اسحق ﴾ - له كتاب في تركيب العين وعِلَلها وعلاجها منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 42) وله كتاب غيره في العين على طريقة المسألة والجواب في النسخة ذاتها ومنه نسخة في المتحف البريطاني كُتبت سنة ٨٦١هـ (Or. 6888)

= ﴿ دانيال الراهب من دير ريتو ﴾ - سيرة انبا يوحنا رئيس دير طورسينا كاتب سلّم الفضائل منهُ نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 14, 1-4) كُتبت سنة ٥٧٤هـ (١١٧٨م)

٣٤٤ ﴿ الدبي ابو المواهب ﴾ - قد كتب برسمه سنة ١٠٩٨هـ (١٦٨٧م) مجموعة في المتحف الاسيوي (Collections n° 230)

٣٥٦ ﴿ دوروتاوس اسقف مونوفاسيه ﴾ راجع مكاريوس ابن الزعيم (العدد ٧٤٧)

٣٦١ الدويهي البطريرك اسطفان ﴾ - ٦ كتاب تاريخ الازمنة منه نسخة في المكتبة العمومية (العدد ٩٤) يُنشَر وصفها قريباً ان شاء الله

٣٨٦ ﴿ زاخر الشمّاس عبدالله ﴾ - ٤ تفنيد المجمع العتيد منه المختصر في المكتبة العمومية (Dorn n° ز) كُتب زمن المؤلف

٤٨٤ ﴿الصائغ نيقولاوس﴾ — ديوانه منه نسخة في المكتبة العمومية (العدد ٢٥٤) كُتبت زمن المؤلف

٤٩٧ ﴿صفرونيوس بطريرك اورشليم﴾ — ٣ كتاب البرهان في تثبيت الايمان منه نسخة جديدة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 15) كُتبت سنة ١٨٣٤

٤٩٨ ﴿صفرونيوس مطران عكا﴾ — ١ تحفة البيان في ادب النتيان منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 31)

٥٣٦ عبدالله الانطاكي﴿ — ١ تعريب اسفار كتاب القدس منه عدّة نسخ في المتحف الاسيوي . ٢ كتاب بهجة المؤمن منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 28) بخط نقولا جرجس صروف الدمشقي كتبت سنة ١٨٥١ . ٣ كتاب الروضة منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 26) وفي موسكا . ٤ كتاب المنفعة الصغير منه نسخة في المتحف الاسيوي بيد بولس ابن الزعيم (Kratckowsky n° 17) وفي موسكا . ٥ كتاب المنفعة الكبير في النسخة ذاتها وفي موسكا . ٦ شرح الامانة المستقيمة منه نسختان في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky nos 16,18) الواحدة منها بخط بولس ابن الزعيم ونسخة ثالثة في موسكا . ٨ مقالة تشتمل على معان نافعة للنفس في النسخة ذاتها وفي موسكا . ٩ سؤالات واجوبة في النسخة ذاتها وفي موسكا

٥٥٣ ﴿عفيف ابن الشيخ المكين بن مؤمل﴾ — رسالة مشتملة على مذاهب النصارى منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 16) كُتبت بيد ميخائيل بن جرجس شحاده صباغ الدمشقي

٥٦٧ ﴿عيسى بن علي﴾ — تذكرة الكحالين منها نسخة قديمة متقنة فيها بعض الخروم في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 42) كتبت سنة ٥٥١ هـ (١١٥٧ م)

٥٧٩ ﴿غريغوريوس المنوّر﴾ — ترجمة حيوته منها نسخة في دير القديسة كاتارينا بجبل طورسينا وهي مطبوعة بعناية المستشرق الروسي نقولا مارّ (N. Marr) سنة ١٩٠٥ في مجلة المجمع الشرقي الروسي المسمّاة Zapiski

٥٨٠ ﴿غريغوريوس النزينزي﴾ — ٧ الفاظه عن الاشياء المخلوقة منها نسخة في

المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 31)

٥٨١ ﴿غريغوريوس النيصصي﴾ الفردوس العقلي منه نسخة في المتحف الاسيوي (Collections n° 235) كتبت في القرن السابع عشر برسم دير مار اسطفانوس بجوار ماري بطرس بالواتكاني ،

٥٨٤ ﴿الفزي الشيخ سليمان﴾ – نسخة ديوانه في المتحف الاسيوي كتبت سنة ١٥٥٦م بيد بولص بن الخوري عيسى بن المرحوم موسى بن حاتم الحمصي الاصل الملكي المذهب ومنهُ نسخة في مونيخ (Aumer n° 540) ونسختان جديدتان في المتحف البريطاني (Or. 6659, 6900)

٦٠٩ ﴿فرحات الطران جرمانوس﴾ – ١ ديوانه منه نسخة في المكتبة العمومية (Dorn n° 4) . ٢ قاموسه منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 35) وهي غاية في الاتقان كُتبت سنة ١٧٧٣ بيد الشماس اقاقيوس بن ميخائيل الذي صار مطراناً في بيروت فيما بعد . ومن هذا القاموس رسالة في معاني عوامل الاعراب منها نسخة في مكتبة الكلية (العدد ٤٣٣) . ٤ بلوغ الارب في علم الادب منه نسخة في المتحف الاسيوي (Collections n° 161) كتبها سنة ١٧٧٤ بطرس ولد قسيس عبدالله صاجاتي من طائفة الروم . ٥ المثلثات منها نسخة في المتحف الاسيوي (Collections n° 156) كتبت في حلب سنة ١٧١٢ اي قبل وفاة المؤلف بعشرين سنة

٦٤٣ ﴿قسطا بن لوقا﴾ – رسالته في الأكر لثاودوسيوس منه نسخة في المتحف الاسيوي دخلت اثناء الحرب الكرمي من بلاد قفقاسيا

٦٧١ ﴿الكندي عبد المسيح﴾ – رسالته الى عبدالله الهاشمي منها نسخة جديدة في المكتبة العمومية (العدد ٢٦٥) كتبت سنة ١٨٤٩

٦٨٥ ﴿كيرلس الاسكندري﴾ – ١ . رسائله الى نسطوريوس ومجادلته في نسخة المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 15) . ٣ قوانينه الاثنا عشر في النسخة ذاتها . ٦ رسالته الى يوحنا بطرك انطاكية في النسخة ذاتها

٦٨٧ ﴿كيرلس البياني﴾ – تراجم بعض القديسين . منها اوراق متفرقة من نسخة قديمة في المكتبة العمومية كتبت على رق غزال في النصف الثاني من القرن التاسع

للمسيح

٦٩٠ ﴿ كيرلس اسقف الروم في حلب ﴾ - مجادلاته التي جرت بينه وبين بولس اللعازري منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 25) كتبت سنة ١٨٤٧ ربما تكون بخط يده

٧٣٧ ﴿ المصوّر الخوري يوسف ﴾ — له علاوة على ما سيأتي في تأليفات مكاريوس بن الزعيم نسخة من الزبور في المتحف الاسيوي (Notices n° 1) بديعة الاتقان مع الصور العديدة كتبت سنة ٧١٥٨ للعالم (١٦٥٠م) برسم الحاج ميخائيل بن الخوري يوسف الشهير بابن المبيض

٧٤٧ ﴿ مكاريوس البطريرك ابن الزعيم الحلبي ﴾ — ١ جدول الاربعة البطريركيات في مجموع له يحتوي عدة مقالات دينية وتاريخية وادبية منه نسخة بخط يده في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky 29) كتبت سنة ١٦٦٥ ومنه نسخة ثانية في المكتبة الواتكانية بيد القس لاونديوس سالم كتبت سنة ١٧٥٧ ٢ كتاب التاريخ الرومي الحبيب منه نسخة جيدة في المتحف الاسيوي (Notices n° 189) كتبت في القسطنطينية سنة ٧٠٠٢ للعالم (١١٠٥م) ٣ الدرّ المنظوم في اخبار ملوك الروم منه نسخة بديعة بيد بولس ابن الزعيم ومع التصاوير العديدة ليوسف المصوّر (Notices 190) كتبت قرب سنة ١٦٦٠ ٥ كتاب النحلة منه نسخة في المكتبة العمومية (العدد ٢٧٦) كتبت سنة ١٧٥٥ ٦ كتاب اخبار المجامع السبعة منه نسخة في ليبسيك (Vollers 1068) نُقلت في شهر ايلول سنة ١٧٤٣ من نسخة مكاريوس برسم الفقير مقدسي خليل بن المرحوم ابراهيم صباغ الدمشقي الاصل الارثذكسي المذهب (راجع العدد ١٨٦) ٨ كتاب اخبار القديسين منه نسخة في اربعة مجلدات في اوكسفرد (Uri n° 92-95) كتبت سنة ١٦٣٨ ٩ كتاب المجموع غير المذكور سابقاً منه نسخة في المتحف الاسيوي بخط يده ١٠ رحلته المشهورة منها نسخة في باريز (Coll. Schefer) ونسخة رابعة (غير الثلاث المذكورة في الموضع) في المتحف الاسيوي (Kratchkowskiy n° 33) وهي اقدم الكل كتبها سنة ٧٢٠٨ للعالم (١٧٠٠م) نعمة الله بن الخوري جرجس بن سالم ونسخة مختصرة في ملك العلامة الاستاذ كريمسكي في بلاد كياف ١٢ كتاب الكنوز او الرموز في ٢٧ فصلاً منه

نسخة في المكتبة العمومية (العدد ٢٧٦) كتبت سنة ١٧٥٥ . ١٣ وله مجموعة الرسائل والمقالات في مكتبة المجمع الشرقي الالماني في هالّه

٧٥١ ﴿مكرديج الكسيح﴾ – ريحانة الارواح منه نسخة في المتحف الاسيوي (Notices n° 9) وفي مكتبة القبر المقدّس

٧٥٤ ﴿مكسيموس القديس المعترف﴾ – ٥ مناظرة بينه وبين بيروس منها نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 15) كتبت سنة ١٨٣٩

٧٥٧ ﴿ملاتيوس كرمه بطريرك الانطاكية﴾ – كتب طقسية له منها نسخ عديدة في المكتبة العمومية ترتقي بعضها الى زمن مصحّحها

٧٧٨ ﴿ميخائيل الاثريبي﴾ – ٤ الطبّ الروحانيّ منه نسخة حسنة في المكتبة العمومية (العدد ٢٥٣) كتبت في القرن السابع عشر

= ﴿ميخائيل البارّ من بيق خاريطون﴾ – ميمر يقرأ ثاني احد من الصوم المقدس في نسخة المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 27)

٧٩٢ ﴿نشو مسعد﴾ – له علاوة على الكتب المذكورة مختصر تواريخ كنائسية مبتدئة من ميلاد المسيح الّفها برسم متى بطريرك الاسكندرية منه نسخة جديدة في المكتبة العمومية (العدد ١٨٥) ونسخة ثانية في الشام (راجع النعمة ١ : ٢٧٩) وله التواريخ الكنائسية من حين تملّك قسطنطين الملك المعظم في النسخة ذاتها. وله نبذة في براهين عدم حقانية المجمع الثامن الفلورنتيني ونقض حججه وابطاله منها نسخة في المكتبة العمومية (العدد ٢٦٤) وله محكّ الاختبار في بيان حقّ الاعتبار (راجع مجلة النعمة ٢ : ٤٠٨)

= ﴿نقطاريوس رئيس اساقفة القسطنطينية﴾ – له ميمر في ذكر الشهيد مار تادرس الاوخايطي في نسخة المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 27)

٨٠٨ ﴿نيقون رئيس دير سمعان العجائبي﴾ – الحاوي الكبير منه نسخة جديدة في المكتبة العمومية (العدد ٨٢) نقلت من نسخة جيّدة كتبت بيد بولس ابن الزعيم سنة ١٦٦٠ ومنه نسخة في باريز ايضاً (Slane 181-182) – الحاوي الصغير منه نسخة في المتحف الاسيوي نقلت من نسخة قديمة بيد بولس المذكور مع بعض الملاحظات والتذييلات (Kratchkowsky n° 19)

٨٣٢ ﴿يحيى بن سعيد الانطاكي﴾ – ذياله على تاريخ ابن بطريق منه نسختان في المكتبة العمومية وفي المتحف الاسيوي من تركة المرحوم بارون رُوزِن ونسخة في القدس (راجع Oriens Christianus IV, 1915. p. 315 n° 63)

٨٤٤ ﴿يوحنا الدمشقي﴾ – ١ كتابه في الفلسفة والمنطق منه نسخة في المتحف الاسيوي (Notices n° 6) كتبت في مدينة حلب سنة ٧١٩٤ للعالم (١٦٨٦م) ونسخة (Pertch n° 1207) . ٢ كتاب في الامانة منه نسخة في المتحف الاسيوي (Notices n° 5) في غوطا وله خمس مقالات في الامانة وردّ على الاراتقة المخالفين منها نسخة في المتحف الاسيوي (Notices n° 6)

٨٤٨ ﴿يوحنا السُّلمي﴾ – سلّم الفضائل منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 14) كتب معظمها سنة ١١٧٨م

٨٥١ ﴿يوحنا فم الذهب﴾ – ١ شرحه لسفر التكوين وستة ايام الخليقة منه نسخة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky n° 13) مكتوبة سنة ٧٠٨٧ للعالم (١٥٧٩م) بيد نوروناوس مطران طرابلس الشام في دير رئيس الملائكة ميخائيل بمدينة القدس الشريف – بعض المواعظ المتفرقة له في نسختي المتحف الاسيوي (Kratchkowsky nos 18, 27)

٨٩١ ﴿جيفالا﴾ راجع مكاريوس الحلبي (العدد ٧٤٧)

= ﴿نصوص الكتاب المقدس﴾ – العهد العتيق منه نسخة كاملة في المتحف الاسيوي (Kratchkowsky nos 1-2) في مجلدين كتبت سنة ١٢٣٦ بيد سابا البيتي المسمّى بيسين الدمشقي (راجع العدد ٢٥٩) مع بعض الصور – سفر المزامير منها نسخ عديدة في المكتبة العمومية والمتحف الاسيوي ومنها نسختان على رق غزال فيه (Kratchkowsky 10-11) مع النصّ اليوناني يرتقي زمن كتابتها الى القرن الحادي عشر ومنها نسخة مصوّرة متقنة الخطّ بيد يوسف المصوّر المذكور آنفاً (Notices n° 1) – كتاب يشوع بن سيراخ منه نسخة غريبة في عشرين اصحاحاً كتبت في بلاد سوريا في القرن الثامن عشر في المتحف الاسيوي (Collections 240)

= ﴿نصوص الكتاب المقدس﴾ العهد الجديد – الاناجيل الاربعة منها نسخ

عديدة في المكتبة العمومية وفي المتحف الاسيوي — اعمال الرسل ورسائلهم منها نسختان في المتحف الاسيوي(Kratchkowsky nos 8-9) الواحدة منها في غاية الاتقان كتبت سنة ١٣٤١ برسم خزانة الكنصل سير جكم(؟) السخيني بدمشق المحروسة - رسائل بولس الرسول نسخة قديمة في المكتبة العمومية(العدد ٣٢٧) كتبت سنة ٨٩٢ للمسيح على رق غزال وهي من اقدم النسخ المؤرخة

= ﴿الكتب الطقسية﴾ منها نسخ متعددة لاسيما في المكتبة العمومية مما جمعه الاب الارشمندريت انتونينوس نزيل القدس سابقاً وبعضها في المتحف الاسيوي وفيه ايضاً الكتب الطقسية باللغتين القبطيَّة والعربيَّة المتقنة الخط

*

هذا ما تيسَّر لنا جمعه وترتيبه وقد ضربنا صفحاً عن المخطوطات التي لم يذكر فيها اسم مؤلفيها كما أهملنا ايضاً بعض المجاميع لكثرة موادّها او لصعوبة تعيين منشئيها وناقليها. ولم نصف الكتب الطقسية وصفاً تستحقهُ اقلّ معرفتنا بالموضوع وقد جرينا في ذلك بحسب القول المأثور «ما لا يُعرف كُلّه لا يُترك جلّه». وفيما ذكرنا من المخطوطات دليل كافٍ على ما لخزائننا من الاهميَّة في عالم العربية . ولنا وطيد الرجاء ان يتحفنا يوماً ما اصحابُ البحث والتنقيب بعنايتهم كما فعلوا ذلك بمكاتب رومية وباريز ولوندرا وبرلين وغيرها وينشروا ما في بطون مخطوطاتنا المهملة حتى الآن من آثار الآداب العربيَّة لنصارى الشرق وهذا الرجاء كان لنا هادياً في سبيل عملنا الشاقّ وعلى الله اجر الصابرين

في غياب الطبيب!

بقلم الحكيم امين الجُميّل (تتمّة)

٥ً دخول اجسام غريبة واغترازها

يتّفق كثيرًا ان يبتلع ولدٌ كلّةً او قطعةً معدنيّة او زرًّا او غير ذلك او ان يَدخل أنفهُ او أذنه جسمٌ غريبٌ . وليس بأقلّ حدوثًا نفوذ جسم غريب في بعض أمكنة من البدَن كبُراية (نَثرَة) خشبية او شظيّة دقيقة او إبرة او حسكة الخ

فالاجسام المعدنيّة لاخوف منها اصلًا فانها تسير في الامعاء الى ان تخرج بالبراز. وان نفذت في الاذن او في الانف حدقة فيستطيع الاهل ان يخرجوها بلقطٍ او بالحقن بالماء الفاتر او يوضع بضع قطرات من الزيت . وان مكثت فلا بأس من استقرارها الى ان يستأصلها الطبيب . ونكرّر في هذا المقام ما قدّمنا من انّ الاجسام [illegible] حتى القذائف النارية لا أذى منها في اغلب الاحيان ان لم تُتلف عضوًا [illegible] تحمل جراثيم وبيئة . وانّما يحصل الخطر والاذى ان سُبرت مسالكها دون سبب واستؤصلت بدون لطفٍ او طهارة أصوليّة تامّة . ولذلك يُحظَر سَبْرُ الجرح حتى على الاطباء إلّا عند الضرورة وبعد التطهير والاستهداء الى الجسم المعدني حتى باشعّة رنتجن او بالناقوس الكهربائي الذي يدقّ عند مسيس إبرته لذلك الجسم

ولا بُدّ هنا ان نوقف العامّة على خطإهم اذ يصرّون على إخراج الاجسام الغريبة في ايّ حالةٍ وايّ طريقة كانت . فكم من الجنود ظلّت المقذوفات في جسمهم طيلة الحياة! ولنا شاهدان كريمان على قولنا فانّ شيخ الحكماء وزير فرنسا الشهير كليمنسو وعميد المصريين زغلول لم تزل في صدرهما قذائف أطلقتها عليهما ايدٍ اثيمة . بل انّ هذه الاجسام الغريبة تُتّخذ هي عينها للمداواة على شرط طهارتها فيلحم الجرّاحون العظام المكسورة بتسميرها كما يُسمَّر الخشب او بتطعيمها بقطَع عظميّة من جنسها . وكذلك الاضراس فيحشونها بموادّ صناعيّة كالرصاص او الذهب وهلم جرًّا

ومما نعاينهُ غالبًا انّ بعض المتطفّلين اذا رأوا ابرةً او قطعةً منها اغتززت في الجسم

يلحّون في اخراجها سريعاً لئلّا تسري في العروق فتفتك بصاحبها الى غير ذلك من الاوهام الصبيانيّة. وهَبْ انَّ الابرة انتقلت الى باطن الجسم. فانَّ مثلها ما قد أُخرج بعد شهور وسنين

والمسلك في هذه الطوارئ اجتذاب الجسم الغريب بدون عُنف. وقد يُعصَر مكانُهُ قليلًا لعلَّهُ يخرج بَعض قطرات من الدم قد تحتوي جراثيم ضارّة او تصير غذاء لها. ولا بأس بتنقيط شيء من صبغة اليود او عصارة الليمون الحامض او الخلّ لتطهير المكان

وهذه إحصائيّة ذات شأن بخصوص الداحس المشهور بشدّة ألمهِ فان اغلب حصولهِ في اليد اليمنى ثمَّ في الاصابع على نسبة استخدامها في الشغل وتعرُّضها لوَخزات الإبَر ودخول الميكروبات

ومن الذرّات ما يدخل العين كالقذى وأهباء الغبار وهذا كثيرٌ في بلادنا لتوفُّر الغبار والمعامل والقاطرات وحركة السيّارات

ففي كلّ هذه الحوادث يجب التذرّع بالرفق والنظافة. ويستحسَن، لاستخراج الجسم الغريب من العين، ان يحوَّل النظر ويُخفض فيُدخل طرف منديلٍ نظيف العين ليعلق بهِ ذلك الجسم ويزول. ويجوز ان يتَّخذ لذلك عودٌ رفيع توضع عليهِ قطنة صغيرة فتمسح العين ويخرج الجسم الغريب. وربَّما دعت الضرورة الى قلب الجفن وإمرار القطنة بين الجفن والمقلة فحذارِ من كلّ مسّ وعنف يهيج العين؛ والمثل يقول: «لولا اللمس لشُفيَت امس». لان باللمس العنيف تزيد الذرّيرات اغتراراً والنُسج احتقاناً. ويسهل على الحكيم اقتلاع تلك الاجسام بما لديهِ من الأدوات اللطيفة وبفضل القطرات المخدِّرة كالكوكائين. امّا اذا بقي في النسج او الجرح بعد خروج الجسم الغريب بعض الألم او شعور ببقاء الجسم مع خروجه فيُزال بالكمادات السخنة او قطرةٍ مُسكّنة

٦ الاغماء اي الغَشَيان. والدُّوار والصدمات العصبيَّة

هذه الاعراض مفهومة لا تحتاج الى ايضاح. واسبابها تلبُّكات في المعدة او اضطرابات نفسيّة او ارتجاجات دماغيّة والجوع والسفر بحرًا ورؤية الدم وكثير من

العلل الفؤادية او المخية

وأفضل دواء لمن يشعر بهذه الاعراض ان يستلقي ويتمدد حالاً مخفوض الرأس ليعود الدم اليه ويزول الاصفرار . وتُحلّ الرُبط عن الجسد وتُفكّ الازرار ويُرَشّ الماء البارد على المُغمَى عليه وتُفرك اطرافهُ او الجلد في جهة القلب ويُنشَق الروائح القويّة . ويُسقى متى امكن شيئاً من المشروبات المُنعشة ولاسيما الحارّة كالقهوة والشاي ويُستحب مزجها بشيء من الكحوليّات كالعرَق

امّا اذا طال الحال وظهر ما يُقلق البال فليُدعَ الطبيب ولا تدحة عن استشارته ولاسيما اذا تكرّر الامر لئلّا تكون سكتةً دماغيّة او علّة اخرى ثقيلة

ومن النساء من يصيبهنّ نُوَبٌ عصبيّة من إغماء وارتعاش وشهيق وبكاء فتلك اعراض الهستريا تعتريهنّ لتأثراتهنّ ودلالهنّ . فان كانت النوَب من ذلك الجنس فدَعهنّ ولا تكترث لأمرهنّ : فبهذا الاهمال الشفاء

٧ الاختناق

اذا مُنع هواء التنفس وقفت حياتنا بوقوف التنفس . ذلك هو شأن المشنوقين او المخنوقين . ويحدث الاختناق ايضاً عن ولوج صدرنا غازات سامّة أشهرها غاز الفحم (التسمم الفحمي او التفحم) وغاز التنوير في بعض المدن المستنيرة بسبب وغاز المراحيض . ونضرب الصفح عن الغازات الخانقة التي أتتنا بها الحرب الاخيرة فانها خارجة عن غرضنا

ولا اخال لزوم تكرار النصح باجتناب التدفئة بالمنقل والابواب مُوصدة وحيث لم يبلغ الفحم الوقود حدّهُ من الاشتعال فلم يبقَ فيه اسوداد (تقطيع) . وكذلك لا يحسن ان تُضاء غُرف النوم بغاز الاستصباح الشائع في بعض المدُن (وكانت بيروت مستنارة به قبل الحرب) . ولا يُباح تعزيل المراحيض بالأيدي بل بالمِضخّات وذلك بعد تهوية الحفرة وإلقاء كميّة من الجاز (سولفات الحديد) فيها وبعد التأكد ان أرنباً او طيراً في قفصه يخرجان منها سالمين اذا دُلّيا فيها ولا تنطفئ شمعةٌ موقدة في جوّها الفاسد . ولذلك يشترط ربط النازل الى تلك الحفر او الآبار بحبل حتى اذا ظهرَتْ عليه أعراض الإغماء يُخرَج منها حالاً . ولعدم التقيّد بهذه الوسيلة قد شوهد

في بعض الأحيان وفاة عدّة اشخاص دفعت بهم المروءة بالتواتر للنزول فوراً لإسعاف من سبقهم بالهبوط اليها

ومن طوارئ الاختناق ما حدث في اقبيـاء تختمر فيها عصـارة العنب وبقرب الأتاتين. ويحدث ايضاً لوقوف الجهاز العصبي التنفّسي لضربة شمس (رَعْن) او مـيس برد او لانقضاض صاعقة او مجرًى كهربائي. وليس الغرق نفسهُ سوى ضرب من الاختناق

واليك ما يجب عملهُ لعلاج المختنق. فوراً وسريعاً يجب ان تُخرجهُ من المكان ذي الجوّ السامّ وذلك بزيد الفطنة وتبادر حالًا الى فتح منفذ لتغيير الهواء وتنقـل المصاب (انظر الرسم ٦) بحيث تكون انت بأمن على حياتك ايضاً وأمل في علاجهِ:

٦ احدى الطرُق لنقل مُغمى عليهِ او جريح

١ً يُمسك اللسان بجفتٍ (ملقط) او خرقة ناشفة ويُجذب بانتظام وحدّةٍ الى خارج الفم نحو ١٨ مرّة في الدقيقة. ٢ً واذا نُقل المصاب الى الهواء الصافي يُزال عنهُ كل سبب اختناق فتُفكّ كل الاربطة. ٣ً ويُستعان بكل الوسائط المُوقظة لوظيفة التنفّس اي بالتنفّس الصناعي كما سنبيّنهُ باسهاب ونوضحهُ برسوم بُعيد هـذا الكلام. ٤ً يُنشّق المختنق روائح قويّة حرّيفة ويُرشّ وجههُ بالماء البارد ويُصفع صدرهُ امـام القلب بمنديل او فوطة مبلولة بذلك الماء او بالماء الحارّ الى درجة الاحتمال. ويُحاط جسمهُ بزجاجات ماء حارّ وتُفرك اعضاؤهُ. ٥ً ويُستدعى الطبيب ليحقنهُ تحت الجلـد بالمنشات كزيت الكافور وليفصدهُ فانّ للفصد فائدةً عظيمةً في احوال التسمّم:

كما أنهم اخذوا اليوم يعالجون المخنوق بنقل الدم من رجل صحيح وهي بعهدنا عملية بسيطة . ٦ النصيحة العامة في هذه الحوادث الاسراع والثبات فانّ كثيرين عادوا الى الحياة بفضلهما بعد ان كانوا معدودين من الاموات

﴿التنفُّس الصناعي﴾ هو اقرب وافضل وسيلة نشير بها على القرّاء لعلاج الغرقى والمصابين بوقوف التنفُّس

يُمدَّد المبتلى فيُدخل المُسعِف اصبعهُ حتى أقصى الحلق فيُخرج ما هناك من الاجسام الغريبة او الموادّ المخاطيّة العائقة لدخول الهواء . ونشير بجذب اللسان الى الخارج لئلّا يظلّ مرتكزاً على الحلق سادًّا له . ثمّ يسرع حالًا الى العمل على الوجه الآتي :

ابسط يد العليل (اي العضو العلوي كله) بكلّ طولها على الحضيض او على السرير افقيًّا محاذيةً للجسم (انظر الرسم ٧)

٧ التنفُّس الصناعي : الوضع الاول

ثم اقبض على المرفق وارفع العضو العلوي (انظر الرسم ٨) في الجو مبسوطاً بطوله الى ما فوق الرأس حتى تصل الى ورائه وتبلغ الحضيض في ما وراء الرأس (انظر الرسم ٩)

٨ التنفس الصناعي : الوضع الثاني

٩ التنفس الصناعي : الوضع الثالث حين الانتهاء من رفع العضو العلوي حالاً قبل العود الى ما سميناه الوضع الاول من هذا الرسم

ثمّ اعكس الحركة اي عُدْ بالعضو العلوي الممدَّد على اطلاقهِ الى ما فوق في الجو مارًّا قبالة الرأس فانزل الى جانب الصدر فالبطن حتى الارض ليصبح على ما كان عليهِ في اول عملك كما في الرسوم الثلاثة

وعلى هذا النحو كرِّر العمل ١٥ مرَّة في الدقيقة مسترشدًا بعدد تنفُّساتك الشخصيَّة اي انفاسك. ويُنصَح ان يُضغَط اسفل الصدر حيناً بعد حين على ان ترفع اليد الضاغطة سريعاً وذلك إحثاثاً لحركة التنفُّس الغريزيَّة وحضًّا للاعصاب الموكول اليها القيام بها. ثم ينتظر المُسعف برهةً ، فان لم يعد التنفس الطبيعي يُعاد العمل . ولعلَّ هذه المساعدة تطول الى ساعتين فيحتاج المُسعِف الى جلسات يستريح بها

أمّا الطبيب فيلتجئ الى الأكسيجين والى الحقن المُنعشة. واذا كان الاختناق إثر صعقة كهربائية يُبادر الى إبعاد السلك الناقل للمجرى الكهربائي بدون ان يُمسّ بايّ جسم معدنيّ فان المعادن تسيل عليها الكهربائية

والمرعون المصاب بضربة الشمس يُرى متهوك القوى مغمياً عليهِ واقف التنفس او قليله. فُقل الى مكان سيل خفيف الحرارة [illegible] على [illegible] بارد و[illegible] به وجهه وينعش جسمهُ بالقرب والدلك وان زم [illegible] الى الطبيب للعضد والحقن تحت الجلد بالمنعشات

وللوقاية من الرعن يجب ان يُوقى الرأس خاصَّةً من أشعَّة الشمس الحارَّة حذرًا ممَّا يقع خاصَّة على المخ من الحرارة. وكذلك من الواجب في وقت الحرّ التجنب من المُجهدات والزحام والملابس الضيقة والمسكرات والاقامة حيث يقلّ تجديد الهواء. كما انَّ للسفر تُختار ساعات النهار قبل احتدام الشمس وعند خفَّة حرارتها والجري في السكك المظلَّلة بالملابس الخفيفة الواسعة البيضاء. وللقبعة المسمَّاة casque فائدة فائقة أثبتها الاختبار مؤيَّدًا بميزان الحرارة الموضوع تحتها

وفي طوارئ القرّ التي تحدث احياناً حتى عندنا في أيَّام الربيع الصرصر والزمهرير يشعر المقرور باضطراب يخلفهُ انحطاطٌ في القوى ونعاسٌ قلَّما يستفيق منهُ المصاب لوقوف التنفُّس فعالجة هؤلاء انَّما تكون بدلك اعضائهم وفركها بالماء البارد بل بالثلج عينهِ ، ثمَّ يغطَّى المصاب ويُلفّ دون ايقادنا نارًا في مكانهِ مطلقاً ولا تخلو المنعشات من فائدة ايضاً. انما لا تُجاز التدفئة الَّا بكل بطء وعلى مهل

٨ً الغَرَق

الموت بالغرق نوع من الاختناق لعدم بلوغ الهواء الى الصدر لانسداد طرقه بالماء الذي يغطس فيه الرأس. وفي حوادث الغرق تلوح فائدة رباطة الجأش بتمام صورتها: فان الجسم، اذا غطس في الماء ولاسيما المالح وثبت دون اضطراب، يعوم بنفسه لانهُ اخفّ من الماء وخصوصاً اذا اتّسع الصدر بالتنفّس العميق وعلا الرأس فوق الماء وبقيت الاعضاء في الماء. فان وُجد هناك لحسن حظّ الغريق مَن يستطيع انقاذهُ حتى ولو كان يجهل السباحة او لا يحسنها فاوّل ما يجب عملهُ ان يلقي للغريق ما يمكنهُ ان يتمسّك بهِ من نحو عصاة او حبلٍ او قطعة ثوب طويل فيُجذَب بها الى خارج الماء. واذا لزمهُ النزول الى الماء لا يدع المُنقذُ الغريقَ يتشبّث بهِ ويمسكهُ لئلّا يذهب كلاهما ضحيّة الغرق وانّما يعدُّ لهُ خشبةً او نسيجاً يتعلّق بها فيقذفه امامه او بالاحرى يجذبهُ وراءهُ الى مأمن. وان لم يجد المساعد ما يستعين بهِ لخلاص الغريق فليدفع بجسمهِ الى الامام. وان أُغمي على الغريق فليواصل دفعهُ ولعلّ ذلك أسلم لهُ اذ انهُ لا يُقاوم من يتولّى خلاصهُ فيبلغهُ الى الشاطئ. والخطر على السكّيرين في مثل هذه الاحوال اشدّ مما هو على سواهم

واذا توفّق الساعي الى نجاة الغريق وإخراجهِ من الماء فليمدّدهُ على جنبهِ الايمن ويحني رأسهُ الى الامام ليسيل من حلقهِ ما ابتلعهُ من الماء ثمّ يعمد الى الوسائط التي سبق ذكرها لإعادة التنفّس المخنوقين بثبات وطيد يحييهِ املٌ كبير

٩ً الفُواق (الحازوقة)

للعامّة في مداواة هذا الطارئ العاديّ وسائل شتى: منها ان يفاجئوا صاحبهُ بأخبار مُدهشة او مزعجة تتأثر منها اعصابهُ فيسكن الفواق. على انّ لهذه الاخبار احياناً سوء فعلٍ لا تُحمد مغبّتهُ. والافضل ان يشرب كاس ماء بتقطّع ويكفّ عن التنفّس حين رشفهِ الماء. وممّا ثبت نفعهُ بالتجربة ان يمضغ صاحب الفواق سريعاً قطعةً من السكّر غُمست في الخلّ ويبتلعها. ومن الوصفات الحسنة وضع ورقة خردليّة على المعدة

١٠ الرُّعاف وسائر انواع النزف البسيط

الرُّعاف اي نثر الدم من الانف طارئ كثير الوقوع ويغلب حصوله عن استعداد خاصّ في بعض الاولاد او الأُسر. وهو غالباً حادثٌ بسيط لا خوف منهُ ولو غَزُر الدم. على انَّ الناس ينخدعون بذلك فاذا طال سيلانهُ استكثروهُ وهو قليل. امَّا انا فلم اسمع قط انَّ مرعوفاً مات برعافه

وعلاجهُ ان يجلس المرعوف في مكان معتدل الحرارة فيحني رأسهُ قليلًا الى الامام ويفكّ رُبط العنق ويجعل على رأسهِ وجبينهِ الكمادات الباردة

وابسط الوسائط وأنفعها ان يضغط المرعوف في اسفل الانف على الوَتَرة اي الغضروف الفاصل بين خُنابتيهِ او منفذَيهِ . فبذلك المكان هو العرق الذي ينزف عادةً (انظر الرسم ١٠) ولا بأس من التنفُّس بالفم هنيهةً من الزمن على انهُ ينبغي الثبات على الضغط نحو خمس دقائق ثمَّ يُبطل تدريجاً وعلى مهل

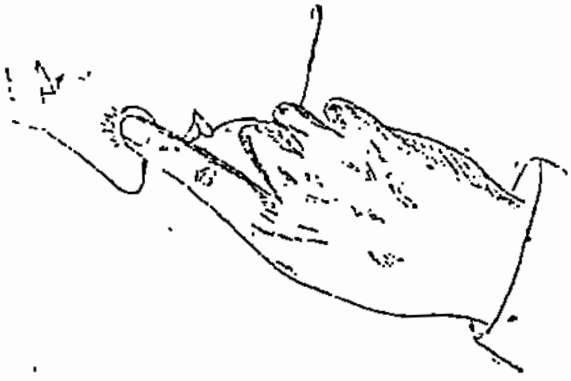

١٠ أصبع تضغط على أسفل الانف مكان النزف

ومتى وقف الدم فليدَع المرعوفُ ما تكوَّن في مكان الضغط من الدم المتجمّد (الجلطة) لأنَّها هي السداد الشافي الى ان يلتحم الثقب النازف. ولذلك يجب الاحتراز من الامتخاط والعطاس وكشط القشرة الدمويّة بالاصبع

وان لم يقف سيلان الدم فليُدعَ الطبيب الذي يسدُّ الانف بالرفادات وبالاحرى يمسّ المكان النازف بقلم نِترات الفضة الذي تدعوهُ العامّة بحجر جهنَّم وهو في مثل

هذه الظروف كما في شفاء الرمد الصديدي احق بان يُدعى حجر السماء وقد فُزتُ باستعماله مراراً بالشفاء العجيب فانقطع الرعاف بطرفة العين « كأنك تُقفل حنفيّة ! »

وما قلناهُ عن الرعاف يصلح ايضاً في الجراح البسيطة فيُضغط المكان برفادة كثيفة نظيفة او يُجذَب طرفا الجلد ليصبحا كسداد للجرح على ما يفعل الاطباء متى يريدون إيقاف الدم في الفصاد . ولا ينزع الغطاء سريعاً لئلا يعود النزف . ويجوز هنا ايضاً استعمال نِترات الفضة

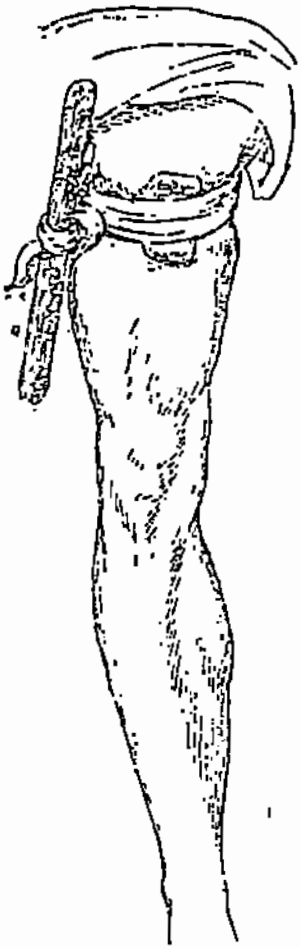

١١ صورة عُصبيّة تبرَم مشدودة الى رباط للضغط بالبرم فوق المكان النازف

اما في الحوادث المهمّة فيُبادَر الى الطبيب لسدّ العرق بملقط مخصوص او يربطهُ او يخيطه . والى حين وصولهِ يُحاط العضو برباط من المطّاط يُربط فوق العضو على قربهِ من جهة القلب او يُشدّ برباط ضاغط اي فوطة تُبرَم بدوران عُصيّة كما ترى في (الرسم ١١)

١١ التلبُّكات المعديّة او المعويّة

مَنْ من الناس لم يتضادف لهُ يوماً أن ساء هضمهُ وحرَنت مَعِدتهُ لغلاظة في الطعام او التفريط في الاكل او لانفعالات في النفس فذلك عقاب المفرطين وتبعة النَّهِمين والمهمومين

وهذه التلبُّكات المعديّة ان كانت تزعج الكبار فكثيراً ما تُهلك الاطفال . وهي تتوافر في الصيف . وعلمُ الصحة يرى فيها عقاب الوالدات المخالفات للناموس الطبيعي لاهمالهنَّ رضاعة اولادهنَّ بكل دقّة وامانة

ومن شاء النجاة من تلبُّكات المعدة وألم الاحشاء او القيء والحمض او الاسهال فعليهِ بالتوقّي فلا تُكلّف معدةٌ فوق وسعها . فليدارِ كل منّا معدتهُ ويُدرك ما تحتملهُ من نوع الطعام وقدره . فمنا من لا يهضم الحليب والبيض النيّئ حال كونها أسهل

الاطعمة هضماً

الحكمة بالاعتدال بكل شأنٍ وحال . وليتناول المرء ما يناسبهُ من الاقوات وانواع الاطعمة الجيدة ولو جاءت اوّلاً شاقّة الهضم فلا يلبث ان يتعوّد هضمها واستمراءها . وممّا يُساعد الهضم الانشراحُ والمسرّة وحسن المضغ والرياضة البدنيّة وغير ذلك ممّا فصّلناهُ في كتابنا علم الصحة

واذا طرأ عسرُ هضم فيداوى إمّا بتنقية (مسهل) ان وُجد لإخراج الاطعمة الغليظة وغير المهضومة وامّا بشرب المُغليات العَطِرة كالبابونج والقرفة والشاي الخفيف على ان تُشرب سخنة . وتُعالج الحموضة بشُرب ملعقة من كربونات الصودا فانّ نفعها عظيم . ولا بأس من تعوّدها فاني قد عرفتُ كثيرين يتناولون عادةً المقادير من الكربونات وقد بلغوا التسعين من العمر

ومن شاء إراحة المعى بالتليين فليحتقن بنصف ليتر ماء فاتر او مغلي الخبيزة وله ان يكرر ذلك وقد يرافق أخذ مسهل (شربة)

في مثل هذه العلل تحسن العناية بالاحتمية بالجوع اي بالامساك عن الطعام طبقاً لقاعدة عامّة في الطبّ « علاج العضو العليل او اشعيان بأن يراح عن عمله الخاص »

امّا الاطفال فان ظهرت فيهم اعراض معديّة معويّة كالإسهال ولاسيما اذا صحبهُ القيء (هو اصغر الاطفال) فيتوقّف علاجهم الاكيد على قطع كل طعام عنهم حتى الحليب فيُقتصر لمدّة ٢٤ ساعة على الماء الطاهر وبعض المُغليات المائيّة كماء القمح والشعير والرزّ الى ان يستلم الطبيب زمام الامر ان قضت الحاجة وهو لن يفعل الّا ما تقدّم

فليلتجئ الوالدان الى هذا العلاج اي الحِمية السابقة وينبذوا الخرافات الشائعة من نحو العين والخرزة الزرقاء والتحزيم بالقلانلّا او نسبة الداء الى التسنين (١ او الى «البرد» حتى في وقدة «القيظ» وليس هناك سبب كما مرّ سوى اهمال النساء الرضاعة القانونيّة وبالخصوص في وقت موجة الحرّ

---

١) من المُثبت الآن لدى الاختصاصيين انّ التسنين لا ينتج عنهُ ضرر او خطر ان كان الارضاع قانونيّاً

١٢ تشنُّجات الاطفال

لهفي على قلب الامّ ان رأت ولدها تفاجئهُ الغيبوبة او الارتعاش فيتشوَّهُ ذاك الوجه الملائكي وتتقلّص الاعضاء وتتصلّب وتنتفض انتفاضاً . وليس السبب غالباً إلّا تلبُّكات مَعِديَّة معويَّة تحدث كثيرًا لاولادٍ قد ورثوا عن والديهم مزاجاً عصبيًّا واستعدادًا لتلك العلّة . وقد يُصاب بعض الاولاد بتشنُّجات في نوبات الحُمّى الشديدة . امّا التسنين فلا شأن لهُ في ذلك

ومتى ظهر هذا المرض في الولد فليُضجع على سرير بمعزلٍ عن كل ضوضاء واضطراب ونور ويُعجَّل الى وضعهِ في حمّام ماء سخن غير شديد الحرارة يُختبَر بوضع اليد يبقى فيهِ الولد نصف ساعة بل ساعةً واكثر . وتنظَّف المعدة بالحقن

وليتَّخذ الوالدان عبرةً من داء ولدهما ليتّقيا الاسباب المؤثرة في امزجة الاولاد كالاقوات الصعبة الهضم والمشهيات المنوّية كالسهر والاخبار المزعجة والحكايات الفاجعة . ويحظَّر شرب القهوة والشاي واذا طالت النوبة او تكرَّرت فيستشار الطبيب

١٣ الولادة

ليس أولى بالرفق والعناية القانونية من الطفل حين مولدهِ ؛ وليس أدعى بالتقيُّد بالاصول ، الراهنة الآن ، من المرأة حين ولادتها

وقد طالما رغبنا الى المدارس الطبيّة والدولة اللبنانية في إنشاء مدرسة بسيطة تتعلَّم فيها الدايات بمدَّة شهرين او ثلاثة اشهر فقط أوَّليات فنّ التوليد، ذلك فضلًا عن المكتب الفرنسوي الجديد المختصّ بمطوَّلات هذا الفنّ . وعندنا ان لا غنى بتّة عن هذا التعليم البسيط لدايات القرى والمزارع على القليل

وقد سبق لنا ذكر فضل النظافة ووجوب التطهير في الجراحة والتوليد . فانَّ يدَي القوابل ان لم تُطهَّر بمزيد العناية كما لعمل جراحي عظيم نقلتا الى انسجة المخاض جراثيم حمّى النفاس القتّالة او ضروب التقيُّح والتعفُّنات . فالويل لها ان مسَّتها اصابعُ

مُلوَّثةٌ او عالجتها قابلةٌ تدَّعي المعرفة وهي جاهلة فانها لتهجّمها وعدم التجائها عند اللزوم الى الطبيب ، تعرّض الام وجنينها الى التهلكة

وعندنا انهُ أفضل للوالدة ، اذا فاجأها المخاض ، ان تستعين بمن حضر بشرط ان يتقيَّد بالنصائح المقرَّرة علميًّا بمعزلٍ عن كل داية . والامر بسيط لا يستوجبُ الّا النظافة على إطلاقها والعطف والفطنة على أتمها . وقد تلد البدوية على الطريق ودايتها الطبيعة . واملّ لها بذلك خيرًا وسلامة . وجلُّ ما يُطلب عادةً المؤانسة لا المعاونة ما لم يظهر ما يُقلق البال من نزف او ضعف عن الطلق وتجاوُزٍ في مدَّتهِ او ظهور امر غير مألوف فيُستدعى رجلُ الفنّ بدون تردُّد ولا ابطاء .

وقد أتينا في حينهِ على فائدة الصابون والكحول والماء المُغلى السخن للغسل والتطهير وما يلزم لقتل الجراثيم في كل ما يلامس الجريح اي هنا النفساء فانَّ الميكروبات واقفة لها بالمرصاد لنفث سمّها

ونختصر نصائحنا للداية : « طهّري ولا تلمسي وانتظري وما عليكِ الّا ان تكوني القابلة كما يدلُّ عليهِ اسمكِ اي التي تتلقين الجنين فقط »

وان خرج الجنين بحالة الاغماء وغاب عليهِ ازرقاق اللون فيُعمل له حالًا التنفُّس الصناعي على ما مرَّ بك تفصيلهُ . ولا تُهمل المنعشات كالفرك والماء الحارّ والحمّام السخن والرشّ بالماء البارد . فبهذه الوسيلة عاد كثيرون الى الحياة

١٤ً بعض ضروب الآلام

الألم صوت الطبيعة وصراخها الطالب انتباهاً وعوناً لعلّة طرأت . ومن الآلام ما يكون شديدًا لكنهُ بسيط كالالم الناتج عن صدمةٍ او رضّة دون جرح او عن وجع اسنان او ألم عصبي او رثية (روماتزم) ومنها ما هو عند بعضهم مألوف متواتر كوجع الشقيقة (الوثّاب)

وفي الاحوال البسيطة يكفي لإزالة العلّة إبطال سببها بنفي الجسم الغريب او بضغط او قلع الضرس المسوّس . وكثير من هذه العلل تُعالج بالرفادات السخنة او الباردة والتسبيد والخردليّات (انظر الرسمين ١٢و١٣) وعَصْب مكان الالم

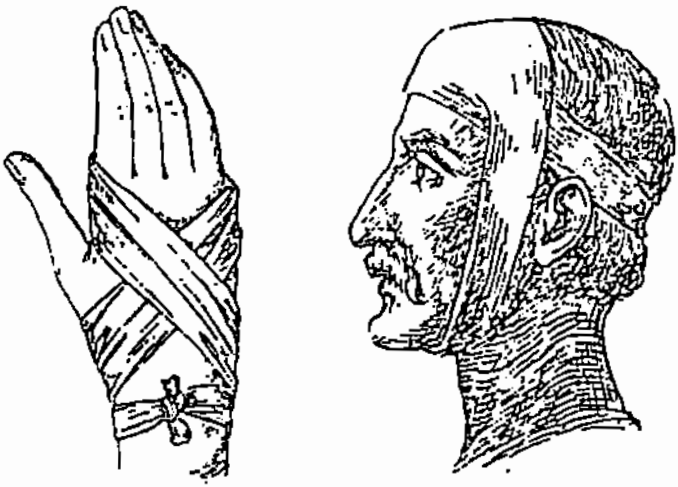

١٢و١٣ نوعان من الأربطة لضبط ما تحتها من الكمادات او الرقادات او قطع غيار

او بشرب بعض المغليات كورق النارنج . ويداوي بعضهم الشقيقة بشرب القهوة المرّة . ويسكّن الم الضرس بقطنة مغموسة بالعرق او بعطر النعنع او القرفة . امّا المسكنات من طائفة الأسبرين والانتيبيرين فوصفها محفوظ للاطباء . ونشير على الحكماء ان يحذروا من وصف الحقن بالمورفين لما ينجمُ عن الامر من النتائج السيّئة للجسم والنفس اذا تحوّلت الى ملكة

وان وقعَ الألم في ناحية القلب مؤثرًا في الذراع اليُسرى فحينذاك يجب الاستراحة حالًا جسماً وعقلًا ؛ ويُقطع شرب الدخان بتاتاً ؛ ويُستدعَى الطبيب ليتحقّق ان كان ثمّة ألمٌ فؤادي

وكذلك لا ندحة عن استشارة الطبيب ان حصل المٌ في البطن ورافقهُ قيٌ وإمساك فقد يكون سببهُ رملٌ او حصاة في الكلية او المجاري الصفراويّة . وان كان الوجع الى الجهة اليمنى وأسفل البطن فيُخشى التهاب الزائدة الدوديّة . ويُحظَر اتخاذ المسهلات التي عمّ استعمالها بهذه الديار فكان عنها اضرارٌ عديدة لا متّسع هنا لذكرها

وافضل دواء في مثل هذه الآلام الاستراحة التامّة والاستحمام بالماء السخن فانهُ يأتي بمفاعيل عجيبة في كثير من الحوادث كالمغص الكلوي وعرق النسا وقد استغنيتُ بوصفها عن المورفين : فكان العليل يقضي ساعاتٍ طوالًا في الحمّام السخن فيجد فيهِ راحةً وانبساطاً

اما في التهاب الزائدة الدودية فليس أنفع في علاجها (باستثناء العمل الجراحي الواجب اعتباره كل مرة بهذه العلة) من الكمادات اي الوضعيات المثلوجة والباردة حالاً بعد وثوب العلة الى ما بعد هجوعها. وقد عاينتُ ذلك حديثاً في فتاة مصابة بهذه العلة ولم يُفدها علاج لبعدهم عن التشخيص فأشرتُ بوضع كيس جليد فوقف الالم حالاً وعاد النوم وسقطت الحمى. وبعد عشرة أيام اخذت بالعافية ثم عاودها الداء فوجدت دواءهُ في الجليد اذ لم يمكن اجراء العملية

وقد شفينا بالماء البارد احد الاخوان قبل ثلثين سنة كان مصاباً بالم عصبي مستعص ذهبت فيه كلُّ المعالجات سدًى فقام معافى في الغد

ونكرّر هنا قاعدة الطب الذهبية ان العضو المتألم يُراح من عمله فتكفّ الرجل عن السير والعين عن القراءة الخ (انظر الرسم ١٤)

١٥ خدمة المريض في بيته

عديدةٌ هي الامراض التي يتوقف علاجها على حسن الخدمة والعناية كما ان علّلاً كثيرة يقف الطبيب أمامها وقفة العاجز اذ لم يُعرف لها دواء ناجع. فلا يكفي الحنان ولا الغيرة ولا الملاطفة ما لم يُبنَ ذلك على المعرفة. وفي طليعة ما نجهر بنفعه بل بضرورته النظافة والسكينة اي الاستراحة. فرُبَّ مرض بسيط كالنزلة او الشهقة او الجرح ينتقل الى شرّ الارتباكات وأقلّها كالتهاب شُعَبيّ رئوي او حالة عفنيّة لوجود صاحبها في جو فاسد ومحيط مزدحم ووسط قذر. وكذلك الطعام لهُ قيودهُ من غبار الرفادات وشروطهُ: ففي بعض الامراض القلبيّة والكُليويّة والمعديّة يجد المريض نفسهُ بين احد امرين أما الاقتصار على الحليب وأمّا الموت. وكم يصحّ قول الشاعر في هؤلاء وغيرهم كالمصابين بالحمّى التيفوئيديّة والقرحة المعديّة:

١٤ فوطة مطويّة بشكل مُثلّث لإراحة اليد المتألمة او لضبط ما يكون تحته

كم دخلت آكلة حشا ثمرة فأخرجت روحه من الجسد

ولي برهان أوكد على لزوم الهدوء فانَّ في الامراض كافَّة ترتفع الحمّى في المساء وتهبط في الصباح . وتعليل ذلك انَّ المريض في نهاره يجد ما يشغله او يقلق باله ويتعبه فتظهر نتيجة العناء والوصب في المساء ، فاذا جاء الليل وانتشر الظلام ساد الهدوء وسكنت المؤثرات الخارجية فيزول تدريجاً تعب النهار ولا يأتي الصباح الّا وتأتي الراحة فمن الحكمة اذن ان يتخذ العليل كقاعدة سلوكه او بعضها القول المأثور : سِرْ بدائك ما سار الداء بك ، واسترح ما وجبت الاستراحة فلكل شيء ناموسه وحينه

أمّا النظافة فهي امُّ الصحّة وابوها : فبها صيانة الصحيح وشفاء المريض . وليعلم الجميع انهُ ما من مرض تضرُّ فيه نظافة الجسم والهواء ولذلك نرغب في ان يُختار للمريض حجرةٌ كثيرة الشبابيك لتدخلها الشمس والهواء مبيَّضةُ الجدران بالكلس المُطهّر بدون سجّاد ولا ستائر ولا اثاث إلّا ما كان ضرورياً وغير قابل للغبار والأدناس . وان أمكن فتح الغرفة على غرفة ثانية ينتقل اليها العليل عند تنظيف غرفته وإصلاح سريرها . ويفضّل غسل الغرفة (شطف) على كنسها فانَّ الكنس يُثير الغبار الذي هو مستقرّ الجراثيم والاجسام المؤيّجة للشُّعَب . ويحسن ان تبقى نافذة مفتوحة بدّ على شرط ان يُغطّى المريض جيداً في سرير حائد عن مجرى الريح المزعجة واذا أُريد تجديد الهواء تُفتح النوافذ المتقابلة

ومن الامراض ما يستدعي اتخاذ الاحتياطات الخاصّة او الواقية كالأمراض المُعدية التي يجب فيها التقيُّد باوامر الطبيب ونواهيه . وأركان وقاية الامراض الوبائيّة هي : إشعار الحكومة بوقوعها وفصل المريض عن الجمهور ثمّ التطهير والتطعيم

وعلى كلّ حال تُفرز لخدمة المريض ادوات وملابس خاصّة تُحفظ وحدها الى ان يتمّ غسلها او تطهيرها وتُصرف العناية بان تُحضَر البرازات من بصاق وبول وغائط وقشور جلديّة في آنية بيضاء صقيلة مُعدّة لها ذات طبقة مُقفلة تصونها من الذباب والحشرات مع الإسراع في تطهيرها بالأدوية القاتلة للجراثيم . مما يصفهُ الطبيب او بالاغلاء ولهيب الكحول وما شاكل من المطهّرات . وتُدفع الفضلات والنفايات الى المرحاض المجهّز بالمتصّ فيقف الفاصل المائي سدّاً في وجهها منيعاً . ويُسرَع في غسل جميع البياض والملابس بالماء المُغلى

واذا فقه القرّاء ما تقدّم ادركوا لماذا نودّ اجتناب الزيارات للمرضى على الصورة المألوفة عندنا حذرًا من إعنات المريض وصيانةً للزائر من العدوى

١٦ً التطعيم

الجدريّ شرّ الاوبئة وأفتك الامراض . ومن الواجب ان تعلم ان ، قبل اكتشاف جنّر العظيم للتطعيم ، كان هذا الداء اذا أصاب عائلةً او دخل قريةً او مدينةً أهلك ربع سكّانها . هذا فضلًا عمّن كان الجدري يُعميه او يشوّهه الى آخر حياته . وكانت نسبة وَفَيات الاطفال به بمعدّل ١٠ بالمئة . قد عرفتُ عائلةً نبذت التطعيم وعوّلت على المقدّر فقتل الجدري بمدّة شهر واحد تسعةً من أهلها المعدودين اثني عشر

والتطعيم على طريقة جنّر من أنجع الوقايات وأعجب الاكتشافات وأبسط الوسائل للنجاة من آفة الجدري . فانّ من تطعّم وجدّد لقاحهُ كلّ سبع سنين هو في مأمن تامّ من بلائه فلا عجب اذ جعلت الحكومات المنظّمة التطعيم إجباريًا في بلادها

وقد أفردنا لهُ هنا فصلًا لأنّا نودّ ان كلّ ربّ بيت او معلّم او رجل دين حتى في أقصى المزارع يجري هذه العمليّة لذويه لفوائدها الاكيدة ولسهولة اجرائها على الصورة الآتية :

١ً يؤخذ انبوب من المطعوم المُستَنبت في دُور علميّة

٢ً يُفتح طرفاهُ بأداة نظيفة وبكل نظافة يُفرغ منهُ شيء (مقدار القمحة) على ريشة كريشة الكتابة ترافق كل انبوب (انظر الرسم ١٥) او ما يقوم مقامها ، وكبضع او دبّوس او سكّين قليلة المضاء ولكن معقّمة طاهرة بالإغلاء مثلًا . وليكن الطُّعم جديدًا ولاسيما في فصل الصيف لسرعة تلفه

٣ً تُبضع الذراع اليسرى او خارج الفخذ بَضعًا خفيفًا سطحيًا بحيث يظهر الدم (ولا يسيل لئلّا يذهب بتلك المادّة الواقية) . ويُجرى البضع على ثلاثة خطوط متوازية على بُعد كل سَمجٍ نحو سنتيمتر وبطول سنتيمترين (انظر الرسم ١٦)

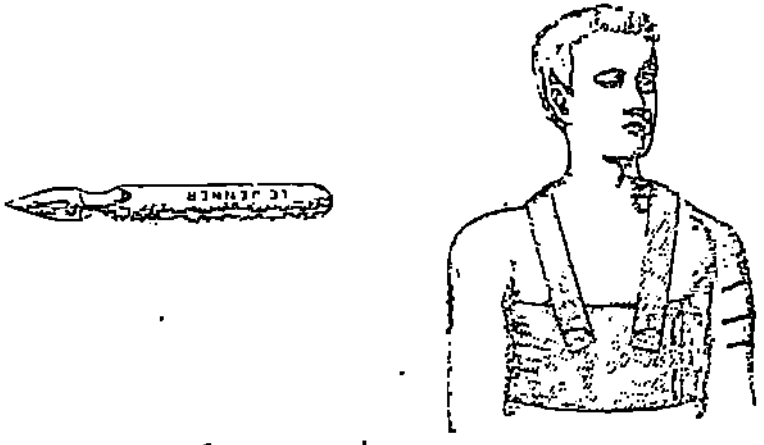

١٥ نرى على الذراع اليسرى خدوش بأتى فيها الطعم البتري الاصل ١٦ ريشة للتطعيم

٤ اضع في كل جرح نحو قمحة صغيرة من المطعوم ولا حاجة مطلقاً الى ربط الذراع

٥ انتظر عشر دقائق قبل إعادة الملابس اي الى ان يجف المطعوم ملتصقاً بالجلد. وتشر بعد ذلك من خدمته هذه الخدمة بالناعة التامة

وفي الختام نسأل الله ان يجعل في شروحنا للجميع وقاية وسلامة وهو السميع المجيب

صديق للعملة

لحضرة الاب فرنسيس تورنيز اليسوعي

تمهيد

انّ الحركة الشيوعيّة التي يزيد انتشارها كلّ يوم في انحاء اوربّة ستصبح قريباً آفة جائحة لا يستطاع علاجها ولعلّها ستفضي الى قلب الهيئة الاجتماعيّة ودكّ اركانها فتنشب حربٌ كونيّة نجد في البولشفيّة تباشيرها الهائلة

وعلاج هذا الداء العضال انّما هو في يد الدين وارباب الامور

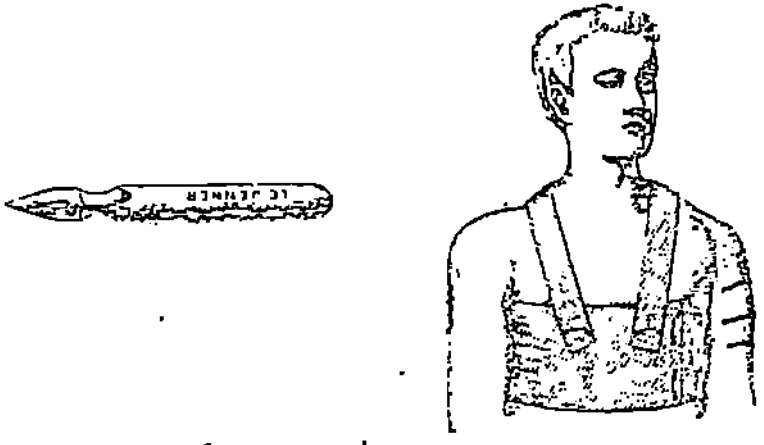

١٥ نرى على الذراع اليسرى خدوش بأتى فيها الطعم البتري الاصل ١٦ ريشة للتطعيم

٤ اضع في كل جرح نحو قمحة صغيرة من المطعوم ولا حاجة مطلقاً الى ربط الذراع

٥ انتظر عشر دقائق قبل إعادة الملابس اي الى ان يجف المطعوم ملتصقاً بالجلد. وتشر بعد ذلك من خدمته هذه الخدمة بالناعة التامة

وفي الختام نسأل الله ان يجعل في شروحنا للجميع وقاية وسلامة وهو السميع المجيب

صديق للعملة

لحضرة الاب فرنسيس تورنيز اليسوعي

تمهيد

انّ الحركة الشيوعيّة التي يزيد انتشارها كلّ يوم في انحاء اوربّة ستصبح قريباً آفة جائحة لا يستطاع علاجها ولعلّها ستفضي الى قلب الهيئة الاجتماعيّة ودكّ اركانها فتنشب حربٌ كونيّة نجد في البولشفيّة تباشيرها الهائلة

وعلاج هذا الداء العضال انّما هو في يد الدين وارباب الامور

آذانهم عن تعاليمهِ المحيية . وهاك مثالاً حديثاً يثبت قولنا باجلى برهان . وهو مثال راهب يسوعي انتقل الى دار البقاء قبل ثلث سنين في فرنسة بعد ان وقف نفسهُ على خدمة العملة ومساعدتهم في شؤونهم المادّيّة والادبيّة فوثقوا بهِ ثقتهم بأحنّ الآباء واصدق الاصدقاء فبكوهُ بدموع سخينة كبكائهم على اعزّ الاقارب . وكان اسمهُ الاب فليكس ڤولپات . وها نحن نذكر هنا خلاصة اعمالهِ وليس مقالنا إلّا صدًى ضعيفاً لتلك الحياة الصالحة المصروفة في كل اعمال البرّ سنين عديدة . فنذكر اوّلاً خلاصة سيرتهِ ثمّ نصف خدمتهُ التي أدّاها العَمَلة

١ً الولد والدارس

كنتُ في السنة ١٨٦٦ احد التلامذة المتخرّجين في مدرسة بيليون الشهيرة من اعمال اوڤرنية في فرنسة . فلمّا انقضت العطلة السنويّة ورجعتُ في اوائل تشرين لمواصلة دروسي استوقف نظري تلميذٌ جديد يدعى فليكس ڤولپات (Félix Vol-pette) ضُمّ الى دارسي الصفّ السادس . وعمرهُ اذ ذاك عشر سنين . كان مولده في ٢ ت ١ سنة ١٨٥٦ في بلدةٍ تدعى « سان ريمي دي شرنيا » من ابوين عريقين بالفضل والتقى فاهتمّا بتربيتهِ الاولى اهتماماً عظيماً . فلما دخل مدرسة بيليون واختبر الكهنةُ اساتذتُها والشبيبة المتخرّجة فيها ما طُبع عليهِ الولد من حسن السجايا اجمعوا على محبّتهِ ولم يكن المذكور ممتازاً بثقوب عقلهِ وانقاد ذهنهِ إلّا انهُ كان كثير الاجتهاد مدمناً على الدرس ذا رصانة وعزم وكان مع رفاقهِ انيساً ذمث الاخلاق ساعياً طاقة جهدهِ في خدمتهم مجتنباً عُشرة الذين لم يحسنوا السلوك وحفظ القوانين . فقدّر الرؤساء قدر هذا الشاب وقلّدوهُ لثقتهم بهِ ارفع وظائف المدرسة فكان يساعدهم في نشر ائتلاف القلوب ورقي الفضيلة والنشاط في الدروس

وكان فليكس ضعيف البنية متوسّط القامة عاجزاً عن الالعاب البدنيّة محبّاً للعزلة فيظن من رآهُ انهُ قليل الهمّة ذو مزاج لمفاويّ . امّا الذين كانوا استبطنوا امره فكانوا يشهدون لهُ بذكاء الفؤاد وحسن الذوق والفكاهة المعتدلة ويُعجبون خصوصاً من انحيازهِ الى المساعي الشريفة والمشروعات الادبيّة ولذلك كان رفقتهُ يزعمون انّهُ عند انتهاء دروسهِ الادبيّة سوف يتبع الدعوة الاكليريكية . وما اشدّ

ما كان اندهاشهم لما رأوهُ بعد وداع المدرسة يستعدُّ في احدى مدارس كليرمون ليحصل على اجازة العلوم ثم يخصص نفسهُ لاستثمار املاك اهلهِ في مسقط رأسهِ

على انَّ الله كان اختارهُ لغاية اسمى وأشرف وليزهد بالدنيا ويخدم ابناء وطنهِ خدمةً تجدي الاكليروس فخرًا واعتبارًا. ودونك تحرير الخبر:

كان لفليكس صديق حميم في مدرسة بيليون فهذا بعد مباشرة رياضةٍ روحيَّة رأى الله يدعوهُ الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة فدخل بين طلبتها في مدينة كليرمون. وبعد أيَّام عرف انَّ صديقهُ فليكس في تلك المدينة فطلب من رؤسائهِ الرخصة لزيارتهِ. فدار الكلام على دعوة اليسوعيّ وسبب اختيارهِ لرهبانيَّة القديس اغناطيوس دي لويولا وما لقي فيها من سلامة الضمير وراحة النفس ثمَّ التفت الى فليكس قائلًا: «وانت يا صاح كنَّا نحكم عنك بما نعرف من تُقاك ورزانتك انَّ الله داعيك الى مصفّ الكهنوت فاندهلنا اذ رأيناك تعدل الى العيشة العالميَّة. فأطلبُ اليك باسم صداقتنا ان تفتكر اليوم قبل ان تأوي الى رقادك ما عساك ان تجيب الديَّان يوم وفاتك لو اهملتَ دعوتك دون رضاه»

فكانت هذه الكلمات كسهم نفذ في قلب فليكس لم يدَعْ لهُ راحةً فعَدَّهُ كصوت الله المعلن لهُ بمشيئتهِ تعالى فكتب الى اليسوعيّ بعد قليل: «انك قد بيَّنت لي ارادة الله وقد قصدتُ ان أتبعك في العيشة الرهبانيَّة بعد تقدمة فحصي امام لجنة الحكومة لانال شهادة الباكالوريَّة». فاجابهُ اليسوعيّ: «انت في غنى عن هذه الشهادة وأيَّاك ان تتأخر عن الاجابة الى دعوة الله»

٢ً الراهب

فما مرَّت أيَّام على هذه المراسلة حتى اقرأ فليكس الوداع على الاهل والاقارب وانضوى الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة فدخل دار الابتداء في كليرمون حيث كان سبقهُ الى الترهُّب اربعة من رفقتهِ في مدرسة بيليون وذلك في ١١ كانون الاوَّل سنة ١٨٧٦

وقد عرفنا فليكس بين طلبة الرهبانيَّة كما عرفناهُ في عداد الدارسين إلَّا أنَّ أخلاقهُ الرضيَّة تكيَّفت بصورة جديدة صورة الفضائل الرهبانيَّة اعني الكفر بالذات وتضحية النفس في خدمة الله والمحبة الاخويَّة والغيرة على خلاص النفوس. فكنَّا

نشاهده مبادرًا لاسعاف المرضى وخدمة الفقراء ومباشرة اعمال التواضع والتقشفات فيرتاح الى كل ما يذلل به نفسه ويلاشي في قلبه آثار الانانيَّة والاهواء البشريَّة مستمدًّا العون للانتصار على كل الشهوات من قلب يسوع الاقدس والبتول العذراء التي كان راسخًا في عبادتها ومن القديس استانسلاوس شفيع طلبة الرهبانيَّة الذي خصَّ به باكورة عظاته فمدحهُ مديحًا اهلًا بمقامه جمع فيه بين بلاغة الانشاء والعواطف الرقيقة

ثمَّ تفرَّغ الاخ ڤوليات للدروس البيانيَّة والخطابيَّة تحت نظارة آباء رهبانيَّته في مدينة من اعمال مقاطعة «جورا» تُدعى لونس لوسونيه (Lons-le-Saulnier) فلمَّا اتقنها ارسلهُ الرؤساء الى مدرسة اليسوعيين في مدينة «دول» (Dole) ليدرس الآداب اللاتينيَّة فأحرز لهُ بوقتٍ قريب محبَّة تلامذته لما وجدوا في شخصه من الخلال الطيِّبة

على انَّهم لم يتموا بتعليمه طويلًا لان جول فري سنة ١٨٨٠ في ايَّام وزارته تحامل على الرهبانيَّات المتعاطية التعليم في فرنسة فاضطرَّ اليسوعيُّون الى اقفال مدارسهم وسافر الاخ فليكس الى انكلترَّة حيث انكبَّ على درس الفلسفة سنتين ثمَّ اللاهوت والاسفار المقدَّسة اربع سنوات فنال نعمة الكهنوت سنة ١٨٨٧. واذ خفَّت قليلًا وطأة اضطهاد الرهبانيَّات المتولية تهذيب الشبيبة في فرنسة امكن اليسوعيين فتح بعض مدارسهم. فاستُدعي الاب ڤوليات الى مدرسة مونفراي الشهيرة بصفة اب روحي ومرشد وواعظ. فتعشَّقهُ التلاميذ واثنوا على بلاغة خطبه حتى انَّ الرؤساء ارادوا تخصيصهُ بالخطابة الدينيَّة في حواضر المدن واستقدموه الى مدينة ليون ليُعدَّ نفسهُ لهذه المهنة السامية مع بعض اخوته الرهبان تحت مراقبة احد نوابغ الخطباء اليسوعيين

وكان آخر ما استعدَّ به لخدمة الكنيسة انقطاعهُ الى الشؤون الروحيَّة مدَّة سنةٍ كاملة بموجب قوانين الرهبانيَّة اليسوعيَّة قبل ابرازه نذوره الاخيرة. فخرج منها كالجنديّ الشاكّ السلاح المتأهب للجهاد في سبيل الله وفي نصرة الدين

٣ صديق العملة ورسولهم في سنت اتيان

سنت اتيان مدينة كبيرة في اواسط فرنسة على مسافة ٥٠٠ كيلومتر من ريس يبلغ عدد سكانها نحو مئة وخمسين الفًا وهي من اغنى حواضر فرنسة بمناجم

الفحم واصطناع ضروب المنسوجات. فهناك يزدحم العمّلة ويقاسون انواع المشقّات لغلاء الاسعار وصعوبة وجود منازل للاستئجار. ولليسوعيين في سنت اتيان مدرسة كبيرة تخرّج فيها كثير من مشاهير الوطن نخصّ منهم بالذكر المرشالَين فوش وفايول.

فالى هذه المدينة أرسل الاب فليكس ڤوليات لخدمة التلامذة في الروحيّات كمرشد وواعظ ومدير اخويّات كما فعل في مدرسة مونغراي. فباشر العمل بهمّته المعهودة وأُنسه المعتاد فأحبّهُ الطلبة وصاروا لهُ اطوع من بنانهِ في كلّ عمل خير ينتدبهم اليهِ. وممّا عرضهُ عليهم ان يزوروا معهُ فقراء المدينة والعملة المحتاجين ليوزّعوا عليهم بعض الحسنات فاجابوا الى ملتمسهِ بطيب الخاطر. لكنّ الاب ما لبث ان انقبض قلبهُ حزناً اذ رأى أُلوفاً من العملة يأوون الى اكواخ حرجة قذرة ينقصها النور والهواء. فاخذ يفكّر في وسيلة لينقذ هؤلاء المساكين من تلك الاعشاش الفاسدة التي كان كثير من سكّانها يذهبون ضحايا الجراثيم الوبيئة

ولكن ما العمل لحلّ هذا المشكل؟. فلو كان الامر يتوقّف على تضحية نفسهِ لنجاة هؤلاء البائسين لما تردّد كما عهدناهُ فعل سابقاً في تمريض احد المنكوبين اذ كان يسهر ليلاً عند فراشهِ ليقوم في خدمتهِ. امّا هنا فلو اراد ان يُسعف اولئك العملة البائسين ويجهّز لهم مآوي نظيفة بهجة منعشة كان لا بُدّ لهُ ليدرك مرامهُ من مبالغ طائلة وهو راهبٌ فقير لا يملك شيئاً

على انّ هذا الفكر لم يقنطهُ بل وضع أَملهُ بالله واخذ يسعى الى تحقيق نيّتهِ بالتدريج. فكان جُلّ مرغوبهِ ان يبتني حيّاً واسعاً للعمّلة فيقسمهُ اقساماً متساوية يبتني في كلّ قسم منهُ بيتاً بسيطاً وبقربهِ جنينة لزرع البقولات والخضر

وكان لحظ في احدى جهات المدينة اراضي من البور مهملة قحلة قريبة من مناجم الفحم فاستوهبها من اصحابها فأحسنوا بها اليهِ فأسرع وقسمها اقساطاً متساوية جاعلاً كل قسم منها ٥٠٠ متر مربّع فأجرها مجّاناً للعملة المنجمين واعارهم الادوات اللازمة ليقيموا لهم بيتاً كافياً وجنينةً صغيرة يفلحونها ويزرعونها في اوقات الفراغ. وانّما اشترط على كل عامل ثلثة شروط ان يزرع جنينتهُ ولا يتشاجر مع جارهِ ولا يشتغل يوم الاحد إلّا الشغل الخفيف الذي لا غنى عنهُ

فأصاب مشروع الاب من النجاح ما فاق كلّ أمل. ورأى اصحابُ المناجم

تحسّناً محسوساً في احوال عملتهم فأقبلوا يمدّون الاب ڤوليات بالمساعدات المالية ليوسّع عملهُ فامكنهُ ان يقتني كذلك اراضي أخرى وانشأ معملاً لاصطناع الآجرّ (الترميد) فتمكن العملة بواسطتهِ ان يبنوا بيوتهم باسعار متهاودة

فبعد قليل من الزمن أصبحت تلك الاحياء الجديدة مآوي منظّمة بهجة المنظر يستنشق اصحابُها الهواء الطيّب ويباركون ذاك الكاهن النابغة الذي بحسن نظرهِ وتفانيهِ انتشل العملة من اكواخهم الوبيئة وعافاهم من الامراض القتّالة

٤ نتائج عمل الاب المادّية والادبيّة

وقد ثبت الاب الفاضل على خطتهِ وتوسيع عملهِ حتى انهُ في سنة وفاتهِ بلغت البيوت التي شيّدها لسكن العملة مع جنانها الفاً وخمسمائة عدًّا كان يأوي اليها عشرة آلاف من العملة مع عيالهم

ولم يبلغ الى هذه النتائج العظيمة إلّا بعد ما تكلّف من العناء والمشقّات ما يطول شرحهُ وستُنشر تفاصيلَ العمل في كتاب خاصّ. وما يجب ان نذكرهُ هنا انهُ بتحسينهِ لاحوال العملة ربح شكرهم وازال من فكرهم عدّة اوهام كان اعداء الدين زرعوها في قلوبهم ضدّ ارباب الكنيسة فعرفوا انّ من الكهنة مَنْ هو اصدق اصدقائهم فصاروا يتقرّبون اليهِ ويقبلون نصائحهُ

واذ رأى كثيرين منهم متباعدين عن الدين يزدرون بتعاليمهِ اخذ الاب ڤوليات يعقد لهم مجالس ادبيّة في أيّام البطالة فيعرض عليهم المسائل الاجتماعيّة والادبيّة ويفنّد اعتراضات اعداء الدين والاشتراكيين. وعقدَ لهم محاضرات علميّة وادبيّة كانوا يتزاحمون لاستماعها. فانتهز هذه الفرصة ليحبّب اليهم الدين وفرائضهُ ورتبهُ حتى نبذوا ما كان في قلبهم من النفور لأداء واجبات الدين والرجوع الى العيشة المسيحيّة الفضلى والتقرّب من الاسرار المقدّسة. وسعى الى تأليف قلوب العملة مع سادتهم فصار اربابهم يزيدون عنايةً بامورهم كما انّ العملة اخذوا يكرمون سادتهم ويتحبّبون اليهم فاصبحت المعاملات بين العملة ومستخدميهم شهيّة وديّة

وممّا ساعد الاب ڤوليات على إحراز ثقة اولئك العملة اهتمامهُ باولادهم فانّهُ كان يجمعهم ويُعنى بتهذيبهم وتعليمهم وان وجدَ بينهم اولادًا اذكياء مهّد لهم السبيل

لمواصلة دروسهم في بعض المدارس الخاصّة حتى انّ منهم من دخلوا المدارس العليا ونالوا بواسطتهِ شهاداتها

ولم يقتصر الاب فليكس عنايتهُ بهؤلاء العملة بل كان ايضاً يقصده المحتاجون من انحاء مختلفة فما كان يردّ منهم احداً خائباً ولنا في حنانهِ على الفقراء فصل واسعٌ نؤجلهُ لفرصة أُخرى ان شاء الله

قضى الاب الفاضل نيفاً وربع قرنٍ يستنفد قواهُ في خدمة العملة والمحتاجين وهو يمثل في عينهم صورة كلّ الفضائل الكهنوتيّة حتى أدّى بهِ تفانيه الى ضعف الصحة وانتهاك القوى فأُصيب بداء عياء في امعائهِ اجتهد الاطبّاء في علاجهِ ووصفوا لهُ السكنى في اعالي الجبال مع اعتزال اشغالهِ المضنكة فلم ينجع فيهِ دواء وبعد شهر قضاها بالآلام المبرّحة وبالصبر الجميل وتسليم الارادة لمشيئتهِ تعالى اسلم بكل هدوء روحهُ البارّة لخالقهِ الذي اراد ان يجازي ذاك العبد الامين على حسن متاجرتهِ بالوزنات المعطاة لهُ فودّع الحياة في ٢١ ايلول سنة ١٩٢٢

كانت وفاة الاب فليكس كصاعقة انقضّت على عملة سنت اتيان فلمّا بلغهم الخبر ما كنت تسمع إلّا صراخ الاسف والتأوّف بل البكاء والعويل من كل الذين عرفوا ذلك الرسول الفاضل وتمتّعوا باحساناتهِ . ولما ارادوا الاحتفال بجنازتهِ اختار رئيس كهنة المدينة الكنيسة الكاتدرائيّة لرحبها وسعة ارجائها الّا ان جمهور الحضور من كلّ طبقات الشعب ما لبث ان ملأ الكنيسة ولم تكفِ الساحة الكبيرة التي في خارجها لتضمّ عدد المتقاطرين لهذه الحفلة التي لم تشاهد لها المدينة شبهاً منذ سنين طويلة . ولم يبرح ذكر الاب حيًّا في كل القلوب الى يومنا الحاضر وقد أقام الرؤساء خلفاً للاب ڤوليات في مهنتهِ فكتب الينا في رسالة تاريخها ٧ ت ١ ١٩٢٢ :

« اني ما عرفتُ الاب فليكس لكني منذ تعيّنت لاخلفهُ في وظيفتهِ لدى العملة لا اسمع من افواهُ الجميع إلّا اطرى الثناء على فضائلهِ واحساناتهِ . وكثيرون لا يزالون يكونهُ كاحبّ الآباء واقرب الاقارب ويدعونهُ بالاب القديس والكاهن البطل . ففي امس اتاني البارون دي روشاليه فما كاد يذكر اسم الاب المرحوم حتى سالت دموعهُ مدرارًا وقال لي بصوت متقطّع بالعويل : لا اظنّ انّ موت احدٍ من أعزّ اقاربي يمكنهُ ان يجرح قلبي كما أُصيب بوفاة الاب فليكس . . اما انا فليس لي من امل إلّا في شفاعتهِ لأقوم بهذا المشروع الجليل الذي وقف لتدبيرهِ حياتهُ ومجّد بهِ الله والكنيسة المقدسة »

مطبوعات شرقية جديدة

Alma Mater: COLLEGIUM URBANAUM DE PROPAGANDA FIDE, Roma Pasqua MCMXXV-Num. VII, pp. 213

مجلة مدرسة انتشار الايمان لسنتها السابعة

بيّنّا في السنين الماضية ما تحتويه هذه المجموعة البهية من المضامين الحسنة والمقالات الشهيّة . وهذا العدد الجديد يزيدنا اعجاباً بتلك الطرفة الجليلة التي تكاد تكون خلاصة تاريخ الكثلكة في عاصمة البابوات بما فيها من المعلومات المتنوعة يصحبها رسوم دقيقة ونقوش بديعة وتصاوير مختلفة تأخذ بمجامع القلب في صدرها صورة الحبر الاعظم بألوان زهيّة مع رقيم من خطّ قداسته . فنكرّر شكرنا للجنة القائمة بهذا العمل السني الناطق بفضل الكنيسة الرومانيّة واحبارها الاجلّاء . ل . ش

Noldin-A. Schmitt: De Principiis Theologiæ Moralis. 17° *éd.*, 1924. *Innsbruck, Fel. Rauch.*

اصول اللاهوت الادبي

اجاد الاب نولدين اليسوعي بتصنيفه هذا الكتاب المدرسي حتى تعدّدت طبعاته في حياته . ولمّا توفي قام احد اخوته الرهبان الاب شميت مراقباً لكل الفوائد الجديدة والتحسينات المرغوبة ليُبقي الكتاب على كماله ولا يفوته شيء من التقريرات الجديدة . وها هو اليوم قد بلغ طبعته السابعة عشرة وعليه المعوّل في معظم المدارس اللاهوتيّة . وممّا نأخذهُ على طابع الكتاب انهُ لم يَخطّ كراريسه فلا بُدّ من تجليده بأقرب وقت ج . ل

Dr J. Sickenberger: Kurzgefasste Einleitung in das Neue Testament. *in*-12,3° *et* 4° *éditions.*, *Friburg, Herder pp.* 128, *M.* 3, 20

دليل موجز على اسفار العهد الجديد

هذا الدليل وُضع لدارسي اسفار الكتاب المقدّس كي يطّلعوا بزمن وجيز على محتويات اسفار العهد الجديد . وقد جعلهُ مؤلفهُ قسمين خصّ القسم الاوّل بنظر عمومي عن تلك الاسفار واصلها وتأليفها ونُسخها . امّا القسم الثاني فأفرده لكل سفر من تلك

الاسفار من حيث اصولها وفصولها ولغتها ومضامينها وذلك باسلوب سهل المنال واضح البيان . وقد طبعهُ في مطبعة هردر اشهر الطبّاعين الكاثوليك في المانية ج.ل

DEUXIÈME CENTENAIRE de l'approbation canonique de l'Institut des Frères des Ecoles Chrétiennes. *in*-8.*Paris,Procure Générale des Frères*, 1925, *p.* 78

المئة الثانية لتثبيت جمعيّة اخوة المدارس المسيحيّة

نقدّم تهانئنا لحضرة اخوة المدارس المسيحيّة لبلوغهم المئة الثانية من تثبيت الاحبار الاعظمين رسميًّا لجماعتهم (١٧٢٥–١٩٢٥). وقد احسنوا بوضع كتاب خاص هو آية من جمال الطبع ضمّنوهُ تذكار هذا الموسم الجليل وخلاصة اخبار رهبانيّتهم التي أدّت للشبيبة ولاسيما لاولاد العامّة والفقراء خدماً لا يقوى على احصائها انسان ولا يقوم بشكرها ابلغ لسان . وما من احد يجهل فضلهم العميم في تهذيب ناشئتنا الشرقيّة في انحاء مصر والشام وفلسطين فجازاهم الله الف خير وزادهم عدداً وفضلاً لشرف الدين وفخر الوطن ل.ش

Bilabel(Fr.):DIE KLEINERN HISTORIKERFRAGMENTE AUF PAPYRUS. Kleine Texte fur Vorlesungen und Uebungen, n° 149) *Bonn,Marcus) u. Webers Verlag*, 1913, *Prix* 2 *M.*

المقاطيع البُرديّة التاريخيّة

قد اتت مكتشفات الحفريّات بعدد عديد من المقاطيع التاريخيّة المكتوبة على البُردي (البابير) فحاولت جمعيّة المانيّة في مدينة بونّ نشر هذه الشذرات المهمّة في عدّة مجلّدات فاهدتنا مجلّداً منها يحتوي على اثنتي عشرة قطعة ذات شأن عظيم نخصّ منها بالذكر القطعة الثامنة التي مدارها على حصار جزيرة رودس سنة ٣٠٤ ق.م والقطعة الحادية عشرة المحتوية على خلاصة تأليف مانيتون الكاهن المصري . وقد ذُيل نشر هذا الكتاب كل قطعة بحواشٍ لغويّة وتاريخيّة غاية في الافادة ج.ل

Dr Otto Gloeckner: Celsi Ἀληθὴς Λόγος Kleinere Texte für Vorlesungen u. Uebungen, n° 151, *Bonn, ibid.*, 1924,*Prix* 3 *M.*

الخطاب الصحيح لكلسوس

كان الفيلسوف الوثني كلسوس من ألدّ اعداء النصرانيّة في القرن الثاني للمسيح

وممّا ألّفهُ لمناهضة دين المسيح كتاب مفقود يدعى الخطاب الصحيح تصدّى لهُ بعد حين معلّمُ الكنيسة اوريجانس الاسكندريّ الشهير. وقد اثبت في تفنيده قسماً كبيراً من تأليف كلسوس. فهذا القسم قد انتزعهُ الدكتور الالماني غلوكنر وطبعهُ عن يد الجمعيّة الالمانيّة السابق ذكرها تحت العدد ١٥١ وعزّزهُ بالملحوظات المختلفة التي تكشف النقاب عن احوال النصرانيّة والوثنيّة في ذاك الجيل البعيد. فنثني على همّة الجامع والشارح

Sahdu Sundar Singh : DAS SUCHEN NACH GOTTE, herausgegeben von **Friedrich Heiler.** *Vol. in*-16, 1925, *München, Verlag von Ernst Reinhardt*

طلبُ الاله

هذا الكتاب ألّفهُ احد الهنود في اللغة الاورديّة فنُقل الى اللغة الانكليزيّة. ومصنّفهُ هو من كتبة الهند المبرّزين ووثني الولادة لكنّهُ احبّ ان يطّلع على ما شاع في اديان الارض في تعريف الله الخالق عزّ وجلّ. وذلك ما حدا بهِ ان يدقّق النظر في تعاليم الديانات الاربع الكبرى عن حقيقة وجود الاله وصفاتهِ اي الديانة الهنديّة او البرهمانيّة ثمّ البوذيّة ثمّ الاسلام واخيراً النصرانيّة فقابل بين تعاليم كل منها. وقد أدّى بهِ بحثهُ الى تفضيل النصرانيّة على سواها وذلك لانهُ لم يجد في بقيّة الاديان سوى طقوس ورتب كرهتها نفسهُ ووجّهَ نظرهُ الى النصرانيّة فوجدها اقرب الاديان للعقل والنظام الطبيعي وممّا ثبّتهُ في حكمهِ انهُ وجد في الانجيل ما قالهُ السيّد المسيح : « انا الطريق والحقّ والحياة فاستدلّ بذلك على انّ المسيح لا يزال حيًّا في كنيستهِ يرشدها ويصونها. فاخذنا العجب من نزاهة هذا الكاتب وفكرهِ الصائب الذي أدّى بهِ الى معرفة الحقّ فعساهُ يكون مثالًا لغيرهِ ج. ل

Bremond (Henri, Jean, André): Le Charme d'Athènes et autres Essais. 1 *Vol. in*-16, 1925, *Paris, Librairie Bloud et Gay, Prix* 15f

محاسن اثينا وفصول شتّى

هذا عمل ثلثة اخوة كلهم كهنة وكتبة بارعون الواحد منهم عضو من الاكادمية الفرنسويّة أودعوا في هذا المجلّد مقالات شتّى نشروها في المجلّات وكلّها جامعة بين حسن الانشاء وبلاغة المعاني ومدارها على مواضيع تاريخيّة وادبيّة واوصاف مختلفة

اوسعها وصفُ محاسن اثينا وسياحات الى بعض مجاهل البلاد. واملتنا بطول باع الكتبة لا نشك بان سيكون اقبال كبير على مطالعة هذا المجموع ج. ل

PIRACY IN THE ANCIENT WORLD: an Essay in Mediterranean History by H. A. Ormerod *N. A. Liverpool, University Press.* 1924, *Price* 15/6 *net*

الغزوات البحرية في العالم القديم

هذا كتاب فريد في بابهِ روى فيهِ مؤلفهُ استناداً الى اصحّ التواريخ واصدق الآثار شيوع الغزوات البحريّة في الازمنة القديمة. فما كان ثغر من ثغور البحر في مأمن من هجوم القرصان الذين كانوا يباغتون المدن الساحليّة او القريبة من السواحل فيسلبون وينهبون ويسبون النساء والاطفال ويستعبدون الرجال وذلك من اوائل ازمنة التاريخ قبل المسيح الى عهد الدولة الرومانيّة. بل عاد القرصان الى غاراتهم لمّا اضطرب حبل المملكة الرومانيّة. وكان بحرنا المتوسّط خصوصاً مسرحاً للقرصان من شعوب اليونان وغيرهم ولم يكن الفينيقيّون يجهلون هذه الحرفة الغريبة فجاءت عدّة شواهد على غزواتهم المجحفة في عدّة انحاء كقيليقية وجزائر اليونان وانحاء ايطاليا. ومن اراد ان يقف على تفاصيل كل ذلك فعليهِ بهذا الكتاب الممتع. وبهِ يستدلّ على ما نعرفهُ عن قرصان العرب في الجزائر وتونس وجهات المغرب في القرون الوسطى

P. Paul Joüon S. J. : Notes de Lexicographie hébraïque, in-8, *Beyrouth*, (MUSJ, t. x) 1925, *pp.* 47

ملحوظات لغوية على اسفار الكتاب المقدّس العبرانية

منذ عدّة سنين جعل الاب بولس جوون شغلهُ الشاغل درس الاسفار المقدّسة العبرانيّة فانّ فيها الى اليوم مشاكل عديدة لم يحلّها علماء الموسويين والربّانيّين وقد توفّق حضرتهُ الى شرح كثير منها بتعمّقهِ في درس العبرانيّة التي نشر افضل كتابٍ في اصولها وصرفها ونحوها (المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٤٧٠) ثمّ بتدقيقهِ في ادراك قرائن الآيات الكتابيّة وبعرض الالفاظ المبهمة على اللغات الساميّة كالعربيّة والسريانيّة. وقد أُعجب العلماء المستشرقون بمعلومات الاب المذكور واثنوا عليهِ. وفي هذا القسم الجديد الذي ظهر مؤخّراً في مجموعة كليّة القديس يوسف (MUSJ. t. x) ملحوظات جديدة على معاني ٢٥ لفظة جديدة شرحها في ٤٧ صفحة ل. ش

NOTES SUR LA MAISON LIBANAISE PAR Mgr Michel Féghali (*Mélanges René Basset*), *in*-8°, 1922, *pp.* 24

البيت اللبناني

كان تلامذة المستشرق الشهير رينه باسّه واصدقاؤهُ قبل وفاتهِ اتّفقوا في نسبة يوبيلهِ الذهبي ان يقدّموا لهُ نموذجات شتى من دروسهم التي كان من اكبر اساتذتها . فاختار صديقهُ معلّم العربيّة في كلية بوردو المنسنيور ميشال فغالي موضوعاً لطيفاً مما عهدهُ في وطنهِ لبنان وذلك وصف البيت اللبناني من اساسهِ الى سطحهِ مع كل ما يشيع على السنة العامّة من الالفاظ والتعابير المنوطة وذكر ما اعتادوهُ في بناء بيوتهم فجاء هذا الفصل من امتع ما كتب من هذا القبيل ل.ش

PIERRE TÉQUI, Paris rue Bonaparte, 82(Mr CHÉHAB, BEYROUTH): I.L. Lavaud : St Thomas «Guide des Etudes», *in*-12, 1925, *Prix* 7 f. 50 = II. Abbé Arnaud d'Agnel: St Vincent de Paul, Directeur de Conscience, *in*-12, 1925, *Prix* 10 f. = III. Mgr Chapon, évêque de Nice: CONFÉRENCES SPIRITUELLES aux Religieuses de la Visitation d'Orléans, *in*-12, 1925, 2es *éd.*, 7 f. 50 = IV. Abbé P. Gilotaux St° Thérèse de l'Enfant Jésus, *in*-12, 1925, 6 f. = V. R. P. Mario-Armand de St Joseph Panégyrique de S'Thérèse de l'Enfant Jésus, *in*-12, 1920 *pp.* 87

تآليف روحيّة : محاضرات وتراجم ابرار وتعاليم

١ً الكتاب الاوّل لاحد الكهنة استاذ الفلسفة في مدينة لاروشل الاب لاڤو يدعو فيهِ سائر الاكليروس الى درس تآليف القديس توما الفلسفيّة واللاهوتيّة فانهُ نعم الدليل في العلوم الكهنوتيّة لا يستطيع دارسهُ ان يحيد عن تعاليم الكنيسة ولذلك لم يزل الاحبار الرومانيّون يحرّضون طلبة الكهنوت على الاقتباس من موارده الصافية ولاسيما الاربعة البابارات الاخيرون

٢ً الكتاب الثاني للكاهن أرنو دَنْيال خصَّهُ بذاك القديس الجليل منشئ جماعة الآباء اللعازريين وراهبات المحبة القديس منصور دي پول وقد تصفّح كل كتاباتهِ وارشاداتهِ فاستخرج منها خلاصة تعاليمهِ وكيفيّة تدبيرهِ للنفوس ليرقيها الى كل صلاح حتى قمّة القداسة . وهو من افضل الكتب للمرشدين ومعلّمي السيرة الروحيّة

٣ً ويشبههُ نوعاً الكتاب الثالث وفيهِ محاضرات روحيّة لاسقف نيس في فرنسة

السيد شابون ألقاها على راهبات الزيارة في مدينة اورليان في بعض الاعياد وطبّقها على واجبات الراهبات وفضائل دعوتهنّ يصلح لكل مرشدي الراهبات والنفوس التقويّة

٤–٥ يحتوي الكتاب الرابع ترجمة مطوّلة للقديسة تريزيا الطفل يسوع صنّفها الكاهن غيلوتو شكرًا لتلك القديسة التي نال بواسطتها النجاة في أيام الحرب الكونيّة . وقد بيّن خصوصاً ما امتازت به القديسة تريزيا بحبها لله وعيشتها المترفعة فوق كل الدنيويات . والكاتب معروف في فرنسة بوفرة تآليفه الروحيّة المستجادة . ويتبع هذا الكتاب عظةٌ (العدد ٥) القاها احد رهبان الكرمل الاب ماري امان دي سان جوزف يوم الاحتفال بتثبيت تريزيا كطوبويّة

L'INDICATEUR LIBANO-SYRIEN, 4e année. 1925, par MM. E. et. G. Gédéon, *Beyrouth, Imprimerie Gédéon, in-4, 1925, pp.* 515+٢٢

الدليل اللبناني السوري للسنة ١٩٢٥

هذه السنة الرابعة لنشر هذا الدليل الفريد الذي يتناول ما يحتاج الاهلون والغرباء الى معرفته عن البلاد الواقعة تحت الانتدابين الفرنساوي في سوريّا والبريطاني في فلسطين باللغتين الفرنسويّة والعربيّة . فيبتدئ بمعلومات عموميّة تعمّ كل انحاء البلاد ثم يفرد فصولاً خصوصيّة لدول سوريّة الاربع اي دولة لبنان الكبير ثمّ دولة سوريّا (دمشق وحلب) ثمّ دولة العلويين ويتخطّى منها الى حكومة فلسطين فيبحث عن شؤون كل دولة اجمالاً واحوال اخصّ مدنها من وصف وتاريخ وادارة ومعارف وصناعة مع ذكر اسماء اصحاب كل قسم منهم . وقد تحقّقنا انّ حضرة الشقيقين المتولّيين هذا العمل الجليل يسعيان كل سنة في تحسين دليلها والتدقيق في معلوماته نفع الله بها الوطن العزيز سنين عديدة ل . ش

بحث في النذور والحالة الرهبانيّة وفقاً للحق القانوني الحديث تأليف الاب مرسو نقلهُ الى العربيّة القس بطرس الخوري الجاجي اللبناني

طُبع بمطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٣٦٠)

انّ الحقّ القانوني الحديث قد اتّسع في كلامه عن الرهبان ونذورهم وجميع ما يختصّ بقوانينهم ودعوتهم وحدّد عدّة امور منوطة بهم واصلح غيرها فاسرع الاب

مرسو وصنَّف كتاباً واسعاً في هذا الشأن يتخذهُ الرهبان كدستور حياتهم الكماليَّة وكقاعدة في تصرُّفاتهم الخاصَّة والعموميَّة . ومن ثمَّ نشكر الشكر العميم حضرة القس بطرس الخوري الحاجي لنقلهِ هذا الكتاب الفريد الى العربيَّة فيرجع اليهِ الرهبان الكاثوليك في الشرق . امَّا تعويل رهبانيَّات الشرقيَّة عليهِ فلم يصرِّح بهِ المجمع المقدَّس فعليها اذن التمسُّك بقوانينها المثبتة من الكرسي الرسولي وانَّما تتَّخذ من هذا الكتاب روحهُ وتتشبَّث بهِ في كل ما لا يخالف قوانينها . ل.ش

عامان في عُمان

بقلم خير الدين الزركلي . عُني بنشره يوسف افندي توما البستاني

طبع في المطبعة المدرسيَّة في مصر سنة ١٩٢٥ (ص ٢٠٥)

اقام مؤلف هذا الكتاب سنتي ١٩٢١—١٩٢٢ في عمان قاعدة حكومة شرق الاردنّ واطَّلع على جميع احوالها في نظامها ودوائرها واعمال سكَّانها ومعاملاتها مع الدولة البريطانيَّة وقد جاور ملكها سموّ الامير عبدالله نجل سلطان الحجاز الملك حسين . فاراد ان يدوّن في كتاب خاصّ ما عرفهُ عن احوال تلك البلاد وكتب فيهِ النقاب عمَّا لحظهُ مدَّة اقامتهِ في عُمان من سياسة الامير عبد الله وحاشيتهِ ومن سيطرة الدولة الانكليزيَّة ومن امور كثيرة اثبتها بمقرَّرات رسميَّة فجاء هذا الكتاب مسعفاً ثميناً لمن يحبُّون الوقوف على احوال حكومة عبر الاردن وحرَج موقفها حاضراً

شعاع النجاح

مجموعة مقالات بقلم الاب بطرس زهره الراهب المارونى اللبناني

طبع في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ١١٣)

النجاح ! وما ادراك ما النجاح ؟ هو بتعبير آخر سعادة المرء في حياتهِ . وكلّ يطلب السعادة . ولكن كم من مخطئ في سلوك المناهج المؤدية اليها والشروط التي يجب التقيُّد بها ! بل كم من ينخدع بمعرفة كنهها وحقيقتها . فهذه المقالات التي وضعها حضرة الاب بطرس زهره الاهجي من شأنها ان تزيل كثيراً من اوهام الناس ولاسيما الشبَّان فتوقفهم على السعادة الحقيقيَّة والنجاح مع الثبات مهما كانت صروف هذه

الحياة وتقلباتها فان عاش الانسان في خوف الله وحفظ وصاياه كان النجاح حليفه وكانت السعادة ادنى اليه من قاب قوسين

ابن وائل: مأساة تاريخية نثرية ذات ثلثة فصول

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي

طبعة ثانية في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٤٥)

هي الرواية التمثيلية التي نشرناها سابقاً في المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٢٥١ الخ) واذ استطابها القرّاء طلبوا نشرها على حدة فراج سوقها وتكرّر تشخيصها. وهذه طبعتها الثانية اعاد فيها حضرة المؤلف النظر وطبعها على قطع اصغر. وهي من افضل ما يشخّص على مسارح المدارس فيستفيد الطلبة من لفظها ومعناها ومن تاريخها ومغزاها

﴿ذيل الاخطل﴾

وهو الجزء السادس والاخير من ديوان الاخطل

طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٥ (ص ٩٨)

هو مسك ختام ذاك الديوان الجليل الذي صرف عليه حضرة الاب انطون صالحاني نيفاً وثلثين سنة معتنياً بطبعه اوّلاً على نسخة بطرسبرج الوحيدة ثمّ بتمثيله بالتصوير الشمسي وطبع الحجر نسختين اخريين خطّيتين وُجدتا في بغداد واليمن. ثم بنشره نسخة فريدة من نقائض جرير والاخطل وجدها في احدى مكاتب الاستانة. وقد استنفد وسعهُ في شرح الديوان ونشر رواياته وعزّزهُ بملحق وذيل الى ان ختمهُ بسبعة فهارس جليلة للوقوف على كل فرائده فجاء افضل ما طُبع الى يومنا من الدواوين الشعريّة واستحقّ حضرة متولي نشره شكر جميع الناطقين بالضاد ل. ش

﴿الاقتصاد والنظام في المنزل﴾ هي المحاضرة النفيسة التي القاها الخطيب المفوّه والكاتب النذير انطون بك الجميل في مؤتمر العائلة المنعقد في القاهرة في غرّة حزيران ١٩٢٥. فعالج بذكائهِ المعتاد هذا الموضوع المهمّ الذي يضمن للعيال راحتها ورقيها. طُبع بالطبعة العربيّة في مصر سنة ١٩٢٥ (ص ١١)

﴿سليمان البستاني﴾ بقلم الكاتب البارع جرجي افندي نقولا باز. اتحف به اهل

بيروت بنسبة نقل رفات ذاك الرجل الكبير الـذي جمع في شخصـهِ اجلّ صفات الكاتب والشاعر والسياسي والوطني الصادق. وقد بيَّن صاحب هذه الترجمة فضـل ذاك النابغة من كلّ هذه الوجوه فاجاد وافاد

شذرات

﴿المئة الثالثة لانشاء جمعيّة الآباء اللعازريين﴾ انشأ القديس منصور دي بول سنة ١٦٢٥ جمعيَّة المرسلين المعروفين باللعازريين لاقامتهم في اوَّل تاريخهم في حي القديس لعازر في باريس. وها قد ادركوا اليوم المئـة الثالثة لحياة جمعيَّتهم التي تعزَّزت بروح منشئها العظيم فخدم ابناؤها كل الصوالح الدينية في انحاء فرنسة اوَّلاً ثم في البـلاد الاجنبيَّة حتى الصين واصقاع اميركا وجزائر افريقـة وهي اليوم درجة عالية [illegible] بفروعها اقطارًا عديدة. وقد عرفت بلادنا سموّ نظامهم منذ نحو ١٥٠ عامًا [illegible] الرسالة اليسوعيَّة في حلب ودمشق ولبنـان فواظبوا على الاعمال الرسولية من وعظ وارشاد وتعليم وخدمة فقراء وأيتام ما اكسبهم شكر جميع الوطنيّين. فنضمّ صوتنا الى التهانئ التي توجَّهت اليهم من الكرسي الرسولي ومن سائر المختبرين لمساعيهم

﴿حفلة استقبال رفات البستاني﴾ قد قامت بيروت كبيرها وصغيرها نصرانيّها ومسلمها ارباب دينها وكبار دولتها بحفلة نادرة المثال لاستقبال رفات ذلـك الرجل الكبير سليمان البستاني الذي شرَّف وطنهُ في كلّ اطوار حياتهِ الادبيَّة والسياسيَّة. فكان يوم أنزلت من السفينة في ٧ آب المنصرم ونُقلت الى كنيسة الموارنة الكاتدرائية لتقام عليها الصلاة اشبه بظفر منهُ بجنازة محزنة. وقد سُررنا بما فكَّر فيهِ ذوو الفضل ان ينصبوا لهُ تمثالًا يخلّد بيننا ذكرهُ

﴿اليوبيل الذهبي للمقتطف﴾ علمنا بالفرح تأليف لجنة من ادباء مصر للاحتفاء بيوبيل مجلَّة المقتطف الذهبي الواقع في شهر كانون الثاني من السنة المقبلة وقـد لبَّى كثيرون من عظام الرجـال والعلماء والادباء دعوة اعضاء اللجنة التي تعيَّنت حضرة وطنيَّتنا «مي» (ماري زيادة) كسكرتيرتها. ولا غرو ان تكون هذه الحفلة بديعـة

بيروت بنسبة نقل رفات ذاك الرجل الكبير الـذي جمع في شخصـهِ اجلّ صفات الكاتب والشاعر والسياسي والوطني الصادق. وقد بيَّن صاحب هذه الترجمة فضـل ذاك النابغة من كلّ هذه الوجوه فاجاد وافاد

شذرات

﴿المئة الثالثة لانشاء جمعيّة الآباء اللعازريين﴾ انشأ القديس منصور دي بول سنة ١٦٢٥ جمعيَّة المرسلين المعروفين باللعازريين لاقامتهم في اوَّل تاريخهم في حي القديس لعازر في باريس. وها قد ادركوا اليوم المئـة الثالثة لحياة جمعيَّتهم التي تعزَّزت بروح منشئها العظيم فخدم ابناؤها كل الصوالح الدينية في انحاء فرنسة اوَّلاً ثم في البـلاد الاجنبيَّة حتى الصين واصقاع اميركا وجزائر افريقـة وهي اليوم درجة عالية [illegible] بفروعها اقطارًا عديدة. وقد عرفت بلادنا سموّ نظامهم منذ نحو ١٥٠ عامًا [illegible] الرسالة اليسوعيَّة في حلب ودمشق ولبنـان فواظبوا على الاعمال الرسولية من وعظ وارشاد وتعليم وخدمة فقراء وأيتام ما اكسبهم شكر جميع الوطنيّين. فنضمّ صوتنا الى التهانئ التي توجَّهت اليهم من الكرسي الرسولي ومن سائر المختبرين لمساعيهم

﴿حفلة استقبال رفات البستاني﴾ قد قامت بيروت كبيرها وصغيرها نصرانيّها ومسلمها ارباب دينها وكبار دولتها بحفلة نادرة المثال لاستقبال رفات ذلـك الرجل الكبير سليمان البستاني الذي شرَّف وطنهُ في كلّ اطوار حياتهِ الادبيَّة والسياسيَّة. فكان يوم أنزلت من السفينة في ٧ آب المنصرم ونُقلت الى كنيسة الموارنة الكاتدرائية لتقام عليها الصلاة اشبه بظفر منهُ بجنازة محزنة. وقد سُررنا بما فكَّر فيهِ ذوو الفضل ان ينصبوا لهُ تمثالًا يخلّد بيننا ذكرهُ

﴿اليوبيل الذهبي للمقتطف﴾ علمنا بالفرح تأليف لجنة من ادباء مصر للاحتفاء بيوبيل مجلَّة المقتطف الذهبي الواقع في شهر كانون الثاني من السنة المقبلة وقـد لبَّى كثيرون من عظام الرجـال والعلماء والادباء دعوة اعضاء اللجنة التي تعيَّنت حضرة وطنيَّتنا «مي» (ماري زيادة) كسكرتيرتها. ولا غرو ان تكون هذه الحفلة بديعـة

كما يليق بأقدم مجلّة عربية انشئت في القطرين السوري والمصري فسادّت امام العلم والادب خدماً متواصلة. ولا عجب ان وقع في هذه المدّة الطويلة بين مقالات المجلة ما استدعانا الى تفنيدها فان لكل جواد كبوة. وممّا نقترحهُ على جناب صاحبي المقتطف بنسبة هذا اليوبيل ان ينشرا فهرساً واسعاً لكل مجموعة مجلّتهم الغرّاء.

﴿ زين العابدين والمسيح الهندي ﴾ منذ قام السريُّ الدمشقي زين العابدين بخدمة المهديّ الهنديّ أصبح شبه كولمبوس ثانٍ يكتشف في الهند ما لا يخطر على بال احد منذ تسعة عشر جيلاً . فمن اكتشافاتهِ المستطرفة انَّ السيّد المسيح « لم يمت على الصليب وانَّما كان في حالة الاغماء » (اعني بعد نزاعهِ في بستان الزيتون وجلدهِ الاليم وتسميرهِ على الصليب وتسليمه الروح وطعن قلبهِ بالحربة وتحنيطهِ ووضعهِ في القبر) . «فهاجر بعد افاقتهِ من الاغماء» (ولا يقول لنا كيف صحا وكيف برئ من جروحهِ وكيف خرج من قبره المختوم بالختم الروماني) وسافر الى كشمير (ويا ليتهُ أعلمنا على ايّ طيّارة وكيف لم يعلم بهِ احد) «وقضى حياتهُ بين خراف بني اسرائيل الضالّة بعد ان عاش مئة وعشرين سنة» (كذا) هذه هي الرواية العجيبة التي يزعم زين العابدين انَّها وجدت منذ بضعة سنوات بين المخطوطات البوذية القديمة . فاين كلّ ذلك من روايات الزير وبني هلال وكلّ اضغاث احلام المتهوّسين المتشدّقين . فقد طلب البعض منّا الردّ على هذه الترّهات كأنهُ لا يكفي ايرادها على وجه صفيحةٍ للضحك من كاتبها والضرب بها عرض الحائط .

﴿ المؤتمر الماسوني في زحلة ﴾ قد عقد الفرمسون في زحلة مؤتمرًا فأملنا من همّتهم ان ينشروا قريباً ما دار بينهم من الابحاث الآئلة لرقيّ الوطن وخدمة المبوّسين وتعزيز الآداب وتوطيد اركان الدين . كما انَّنا ننتظر من محفل السلام الذي احتفل في بيروت بيوبيلهِ الفضي ان يَنشر تفاصيل اعمالهِ في سبيل الخير العام والمشروعات الوطنيّة في الشوط الذي قطعهُ

﴿ المكتبة العموميّة في بيروت ﴾ عاد من اوربّة جناب الفيكنت فيليب دي طرّازي وبصحبتهِ صناديق ثمينة تحتوي عددًا عديدًا من كل المصنّفات العلمية والادبيّة التي ستردان بها المكتبة العمومية التي هي خصوصاً ثمرة اتعابهِ وجهادهِ

أسئلة واجوبة

س. سأل احد اعيان البلد ما معنى ما طلب ابراهيم الخليل من خادمهِ العازر (تكوين ٢٤ : ٢) ويعقوب من ابنهِ يوسف (تك ٤٧ : ٢٩) ان يضعا يدهما تحت فخذهما عند استحلافهما ؟

وضع اليد تحت الفخذ في الاستحلاف

ج معلوم ان الفخذ في عدّة آيات من الكتاب المقدّس وفي عرف الناس تدلُّ على القوّة وفيها علاقة مع التناسل . فعلماء اليهود شرحوا ذلك بقولهم ان ابراهيم ويعقوب اشارا بفعلهما الى ذرّيتهما بني اسرائيل ونسل الختان . امّا آباء الكنيسة كالقديسين امبروسيوس وايرونيموس واوغسطينوس فرأوا في ذلك رمزًا الى السيد المسيح الذي وُعد بهِ ابراهيم ويعقوب كالمولود من نسلهما فجاء استحلافهما في نهاية العظمة فأوقع في نفسي العازر ويوسف ليقوما بما طلب منهما

س. وسأل الاديب يوسف افندي منير : ١ً. من نحد عينيَّة ابي زيد الحلبي في وصف الاسد ؟ ٢ً. هل ذكر مؤرخ غير ابن زاهد اعجوبة نقل الجبل التي رواها في تاريخهِ (ص ١٣٣) في عهد المعزّ لدين الله ؟ ٣ً. من هو ابن الرقمق وماذا يُعرف من تآليفهِ ؟

عينيَّة ابي زيد . اعجوبة نقل الجبل في مصر . ابو الرقمق

ج نجيب على الاوّل : انّنا روينا في كتابنا شعراء النصرانيّة بعد الاسلام ترجمة ابي زبيد الشاعر النصراني وهناك (ص ٦٧) تسعة عشر بيتاً من عينيَّتهِ التي وصف فيها الاسد مع ما رُوي لهُ شعرًا ونثرًا في ذات المعنى . نجيب على (الثاني) انّنا افردنا لهذه الاعجوبة فصلًا كاملًا تحت عنوان «الايمان ناقل الجبال» (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٨٠٣—٨٠٩) وذكرنا كلّ الذين رووا هذا الخبر كساويرس بن المقفّع والشيخ ابي صالح الارمني . ونجيب على (الثالث) انّ ابا الرقمق شاعر انطاكي اشتهر بمديح الخلفاء الفاطميين وتوفي في مصر سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٨ م) . امّا تآليفهُ فلا يعرف منها سوى ما ذُكر من شعرهِ متفرّقًا في كتب الادباء وخصوصاً في يتيمة الدهر للثعالبي (في الجزء الاول ص ٢٣٨—٣٦١)

ل . ش

المشرق

تاريخ جديد

لمدرسة بيروت الفقهية الرومانية

نظر تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

ذكرنا في احد اعداد المشرق السابقة (عدد أيار ص ٣٧٣–٣٧٨) لمعةً من اخبار المدرسة الفقهية التي انشأها الرومان في بيروت في اواخر القرن الثالث للمسيح وكنّا نجهل وقتئذٍ انَّ احد كبار اساتذة الفقه المسيو بول كولّينه كان على وشك الفراغ من تأليف كبير افردهُ لتاريخ هذه المدرسة الشهيرة. وها هوذا تلطّف وارسل لنا منهُ نسخةً هذا عنوانها :

HISTOIRE DE L'ECOLE DE DROIT DE BEYROUTH par, Paul Collinet, Professeur à la Faculté de Droit de Paris, Professeur honoraire à la Faculté de Droit de Lille(Etudes historiques sur le Droit deJustinien). *Paris*, t. II' *Société anonyme du Recueil Sirey*, *in*-12, 1925, *pp.* 327

فتقبَّلنا هذه الهبة بمزيد الشكر. كيف لا وهي توقفنا على بعض مفاخر مدينتنا بيروت التي احرزت مدَّة نحو ثلثمائة سنة مجدًا مؤثلًا كادت تمحوهُ آفات الدهر فأحيا معالمهُ احد اساطين العلوم الفقهيَّة الفرنسويين بهذا الكتاب الفريد الذي كنّا نودّ لو يقوم احد ادبائنا ويُعنَى بتعريبهِ. وها نحن نُسلف قرَّاءنا بعض مضامينهِ رجاء ان يقفوا على مجموع فوائدهِ الممتعة

صورة الكتاب وغايتهُ واقسامُهُ

كان الاستاذ كولينه باشر بادئ بدء بدروس تاريخيَّة عن اعمال الامبراطور يوستنيان في تنظيم التعاليم الفقهية فنشر في ذاك سنة ١٩١٣ مجلَّدًا ضخماً وبيَّن فيهِ انَّ مشروع يوستنيان كان متَّسماً بسمة شرقيَّة أثَّرت في دستور الشرائع الغربيَّة المدرسي. فأعجب الاختصاصيّون بتأليفهِ ونال جائزة المجمع العلمي (الاكادميـة) الاثري الفني في باريس. وكان العلماء وخصوصاً ارباب الفقه ينتظرون المجلَّد الثاني من كتابهِ اذ جاءت الحرب الكونيَّة وحالت دون رغبتهِ لكنَّهُ زاد تعمقاً في درس الآثار الفقهيَّة المنوطة بدستور يوستنيان واصولهِ وينابيعهِ واذا بمدرسة بيروت واقفة بازائهِ حيثما وجَّه ابصاره فتحقَّق انهُ بدرسهِ تاريخها يجد حلًّا لعدَّة مشاكل كان يعتاص عليهِ ادراكها. فعزم على ان يخصَّها بدرس مستقلّ لما كان لها ولاساتذتها من النفوذ اذ فاقت على مدرستي رومية والقسطنطينية. فجمع كثيراً من النصوص الناطقة بشرفها واعمالها العجيبة وعمدة اساتذتها وعارض نصوص معلميها بشرائع يوستنيان المنقولة عنها. فأدَّت بهِ ابحاثهُ الجليلة الى تصنيف هذا الكتاب الذي نحن بصددهِ وهو يبلغ ٣٣٢ صفحة. وقدَّم على كتابهِ قائمة التآليف المطبوعة والخطيَّة التي استند اليها في ايراد معلوماتهِ. ثمَّ قسم تأليفهُ الى ستَّة فصول تتناول مجمل ما يتوق القرَّاء الى معرفتهِ في هذا الشأن وها نحن نستقريها فصلًا فصلًا لنجتني بعض ثمارها الشهيَّة

نظر عام في احوال المدرسة بيروت الفقهية

هذا الفصل الاوَّل من الكتاب بحث فيهِ عن ثلثة مطالب:

﴿المطلب الاوَّل﴾ في اي سنة أنشئت مدرسة الفقه في بيروت؟ قد تفرَّقت آراء العلماء في تاريخ انشاء هذه المدرسة فمنهم من رقَّاها الى زمن اوغسطوس قيصر في الجيل الاوَّل للمسيح. وارتأى غيرهم انَّها أنشئت في عهد الامبراطور ادريان وذهب البعض الى انَّها برزت للوجود في ملك سبتيموس ساويرس في اواخر القرن الثاني. إلَّا انَّ هذه الآراء لا تستند الى شهادة راهنة واضحة. وانَّما المرجَّح انَّ المدرسة البيروتيَّة ظهرت الى النور في القسم الاخير من القرن الثاني للمسيح. يُستدلُّ عليهِ من خطبة

للقديس غريغوريوس اسقف قبادوقية المعروف بالعجائبي القائل سنة ٢٣٩ للمسيح فجاء في اثنائها لاوّل مرّة ذكر مدرسة بيروت نعتها بالمدرسة العمومية للفقه الروماني ومعهده العلمي (Romani juris harum legum communis schola et auditorium) يؤخذ منهُ انَّ مدرسة بيروت كانت زاهرةً في تلك السنة لها سمعةٌ مستفيضة في العالم الروماني. وهذا ما لا يتمّ إلّا بعدّة سنين

﴿المطلب الثاني﴾ ماذا كان الداعي الى انشاء الرومان مدرسة فقهيّة في بيروت؟ انَّ الداعي لذلك (اوّلًا) مقام بيروت بالنسبة الى رومية فانَّ هذه المدينة كانت كباب الشرق ومفتاحهُ كما يدعوها كتبة ذلك العهد لتوسّطها في سواحل بحر الروم اليها تفضي تجارة البلاد الداخليّة من جزيرة العرب وجهات الارمن وما بين النهرين. ثم (ثانياً) تعلّق البيروتيين بالدولة الرومانيّة حتى انَّ القديس غريغوريوس دعاها بالمدينة العريقة بالجنسيّة الرومانية πόλις Ῥωμαικωτέρα فخصّها القياصرة بسابغ نعمهم فمنحها اوغسطوس حقوق المستعمرات العسكريّة وجعلها مركزاً لكتيبتين من الجيوش. واقام عليها والياً صهرهُ اغريبا ودعاها باسم ابنتهِ جوليا وتنافس الملوك من سلالة هيرودس اغريبا في تزيينها بالمعالم الجليلة من هياكل ومراسح وقصور شتى. وفي مرفإها كان يحتلّ الاسطول الروماني لمراقبة البحر المتوسّط. وشرّفها كثيرون من القياصرة بزيارتهم. فكلّ ذلك كان مدعاةً لتُمنح امتيازاً لتدريس الحقوق الرومانيّة. ثم (ثالثاً) استعداد بيروت لانشاء مدرسة فقهيّة فانَّ وفرة المعاملات التجاريّة تفتح باباً للدعاوي والدعاوي لا تُفصل الّا بالرجوع الى الشرائع فلا بُدَّ من درس الشرائع. ولذلك كانت رومية جهات بيروت مستودَعاً لما يسنهُ ملوكها وساستها من الشرائع فكانت تودع في خزائن بيروت. لنا على ذلك شاهد في الدستور المعروف بالغريغوري في السنة ١٩٦ للميلاد. فوجود هذا المجموع الثمين يدلّ على قول العلّامة الالماني الكبير «موميسن» على انَّ مدرسة بيروت كانت سبقت تلك السنة. امّا المسيو كولّينه فيفضّل القول بانَّ المدرسة أُنشئت بعد اختزان تلك الشرائع في مستودعات بيروت فعلى رأيهِ انَّ بعض المتفقهين اذ وجدوا لديهم تلك الشرائع اخذوا يدرسونها ويُفتون بموجبها ثمَّ اتّسع شغلهم واشتهروا بفنّ المحاماة ففكّروا في انشاء مدرسة قانونيّة

﴿المطلب الثالث﴾ اين وردت المعلومات عن مدرسة بيروت الرومانيَّة الفقهيَّة ؟ رأيت انَّ اقدم شاهد على وجود مدرسة الحقوق في بيروت يرقى الى السنة ٢٣٩ . وجاء ذكرها في ترجمة القديس الشهيد افيان الذي درس فيها الحقوق قبل استشهاده في قيصريَّة سنة ٣٠٦م . وكذلك ذكرها الامبراطوران ديوقلطيانوس ومكسيميانوس في قرار أصدراه في اواخر القرن الثالث في حقّ التلامذة القادمين من بلاد العرب بموجبه رُخص لهم ان يدرسوا الحقوق في بيروت ولو كان عمرهم بالغاً الى ٢٥ سنة فأثبتا بذلك اعتبارهما لطَلَبة الفقه في بيروت

امَّا الشواهد عن المدرسة البيروتيَّة في القرن الخامس فعديدة واضحة منها شهادة اونابيوس الفيلسوف الوثني في مديحه لاناتوليوس البيروتي الذي كان اتقن علم الحقوق في وطنه قال « ولا عجب لانَّ بيروت هي امّ وظائر العلوم الفقهيَّة » . ومنها شهادة القديس غريغوريوس النزينزي مركز في أنها الشرائع الرومانيَّة . واخصُّ منها عدَّة شواهد الكبير اساتذة الخطابة والاداب في عصره ليبانيوس الانطاكي معلم القديس يوحنَّا فم الذهب فانَّهُ كرَّر مراراً في رسائله ذكر مدرسة بيروت واطرأ تعليمها زاداً اسفهُ على العدد الغفير من الشبان الذين كانوا يفضلون درس الحقوق في بيروت على درس الخطابة في انطاكية . ويستفاد من كلامه انَّ لغة التدريس في بيروت كانت اللاتينيَّة

وكذلك ورد في كتاب وصف عموم الارض (Descriptio orbis terræ) لاحد كتبة القرن الرابع مديحٌ بليغ في بيروت ومدرستها التي « شاعت في العالم الروماني تعاليمها الفقهيَّة كما شاع في كلّ انحاء المملكة ذكر مشاهير الفقهاء المتخرّجين فيها »

ومثلها شأناً الشواهد التي وردت لكتبة القرن الخامس كشهادة مؤرّخ حياة الشابّين الشقيقين اركاديوس ويوحنَّا اللذين رُوِيَت في المشرق(١٢ [١٩٠٩] : ١٩٤) قصَّتها العجيبة اذ ارسلها ابواهما ليدرسا الفقه في بيروت . وكشهادة الشاعر الوثني نونّس الذي افاض في اوصاف بيروت ودعا معلّمي مدرستها الفقهيَّة « اساتذة المسكونة » οἱ τῆς οἰκουμένης διδάσκαλοι

واصرحُ وابلغ منها شهادة زكريّا النزّي الخطيب الذي سُقِف على جزيرة متيلين

في سيرة ساويرس الانطاكي التي كتبها بالسريانيّة فوصف فيها سلوك ساويرس في بيروت حيث أتى ليدرس الفقه نحو السنة ٤٨٦. فذكر زكريّا المدرسة الفقهيّة واتّسع في تعريف دروسها وطلبتها واساتذها وما كان جارياً فيها من العادات بل افادنا عن عدّة اخبار بخصوص بيروت واهلها واكليروسها وكنائسها ومبانيها

هذا فضلاً عن شهادات أخرى جاء فيها ذكر بعض تلامذة مدرسة بيروت كما سترى

وكان أطيب شهادة على محاسن مدرسة بيروت مديحاً للامبراطور يوستنيان في منشورَين لهُ عن الدروس الفقهيّة (Omnem و Tanta) كتبها في ١٦ ك ١ سنة ٥٣٣ وكرّر ثناءهُ على «بيروت الفائقة الجمال وظئر الشرائع» وقد جعلها احدى المدارس الثلث مع رومية والقسطنطينية التي تعرفها الدولة رسميًا

فترى انّ هذه الشواهد متواصلة منذ القرن الثالث الى السادس وكلها لسان واحد في الثناء على معاهد بيروت لتعليم الفقه الروماني. ولم تنتهِ تلك المحامد إلّا بما عقبها من اصوات الاسف لمّا أصيبت بنكبة الزلازل التي الحقتها بالدقماء وابادت آثار مدرستها وذلك في ١٦ تموز سنة ٥٥١

٢ معاهد مدرسة بيروت الفقهيّة

هو الفصل الثاني الذي حاول فيهِ المسيو كولّينه ان يعيّن موقع مدرسة بيروت ومعاهدها التي كانت تُلقى فيها الدروس الحقوقيّة إلّا انّ ما أصيبت بهِ المدينة من الآفات وضروب الخراب قلّ ما يسمح بتعيين مكان المدرسة. فاعاد المؤلف نظرهُ في ما كتبهُ القدماء عن المدرسة واحوالها ولاسيما زكريّا الخطيب في ترجمة ساويرس وما وُجد في المدينة من الآثار القديمة فتبيّن لهُ انّ المدرسة كانت قريبة من احدى كنائس بيروت الثلث المذكورة في زكريّا اعني كنيسة الرسول يهوذا وكنيسة مريم وكنيسة القيامة ورجّح عليها كنيسة القيامة لأنّها كانت الكنيسة الكاتدرائية الكبرى التي شيّدها اسقف المدينة اوستاتيوس (٤٤٣–٤٦٠) في مكان كنيسةٍ سابقة كان القيصر يوثيانس حكم على والي المدينة الوثني مَغنوس ان يشيّدها على نفقتهِ سنة ٣٦٤ لأنّهُ كان امر بحرقها في عهد يوليانس الجاحد. امّا سبب تفضيله لهذه الكنيسة على سواها

فلأدلة مختلفة واشارات دقيقة وردت في رواية زكريا الخطيب تثبت قرب وقوع مدرسة الفقه بجوار كنيسة القيامة . والى هذا الرأي ذهب ايضاً لوكويان (٢ : ٨١٩) في كتابه الشرق المسيحي والاب جوليان اليسوعي في كتابه « سينا وسورية » اثبتا رأيهما بالوف عادة تلك الاجيال بان تجعل المدارس قريباً من الكنائس

ولكن اين كان موقع كنيسة القيامة ؟ كانت قريبة من الطريق الرومانية الممتدة من الشرق الى الغرب مارة بين مستشفى راهبات المحبة وكاتدرائية مار جرجس للموارنة . على انّ البعض جعلوها شمالي الطريق اي عند المستشفى المذكور لما وُجد هناك من الآثار القديمة . لكنّ المسيو كولينه يخالف هذا الرأي ويجعلها جنوبي الطريق المذكورة قريباً من كنيسة مار جرجس وذلك لسببين اوّلاً لان كنيسة القيامة كانت داخل سور المدينة فان جُعلت في مستشفى راهبات المحبة اقتضى القول بأنها كانت خارجة عن السور . وثانياً لان الآثار القديمة التي وُجدت جنوبي الطريق كانت اوفر واعظم مما وُجد في شماليها . وأيد ذلك بكتابة ضريحية وجدت هناك وقف عليها حضرة الاب جلابرت اليسوعي وفيها ذكر احد اساتذة مدرسة الفقهية البيروتية المدعو بتريكيوس فكأنه دُفن في الكنيسة المجاورة للمدرسة التي علّم فيها

٣ الطلبة في مدرسة الفقه البيروتية

قسم المؤلف هذا الفصل الثالث من كتابه اربعة اقسام بحث في (الاوّل) عن الطلبة القادمين الى مدرسة بيروت واستعدادهم لدروسها . وفي (الثاني) عن اصلهم وجنسهم واسمائهم . وفي (الثالث) عن معاشهم . وفي (الرابع) عن اعمارهم

١ كان طلبة الفقه قبل تفرُّغهم لدرس الحقوق يحتاجون الى دروس لغويّة وادبيّة في اللغتين اليونانيّة واللاتينيّة تؤهلهم للدخول في مصف تلامذة العلوم الفقهيّة . فتلك الدروس الثانويّة كانوا يتلقّونها في أوطانهم امّا بمساعدة بعض المعلمين الخصوصيين او في المدارس الوطنيّة العموميّة . وقد ورد بين هذه المدارس ذكر الحاضرتين الكبيرتين الاسكندريّة وانطاكية فان العلوم الادبية فيهما كانت بلغت شهرة واسعة . فكان تلامذتها اذا انجزوا دروسهم الثانويّة يقصدون بيروت لينتظموا في سلك دارسي الحقوق الرومانيّة

٢ قد جمع جناب المؤلف في كتابهِ (ص ٨٤-٩٨) نحو خمسين اسماً من طلبة الفقه الذين تخرَّجوا في مدرسة بيروت نقلها عن الكتبة المعاصرين لاسيما ليبانيوس استاذ الخطابة الشهير في انطاكية وزكريَّا الخطيب في ترجمة ساويرس الانطاكي والمورخ بروكوبيوس الغزّي الشهير. فهذه الاسماء امَّا يونانيَّة كاناطوليوس وثاودورس واثناسيوس وانستاس وايثفريوس وامَّا لاتينيَّة كفلاڤيانوس وهيلاريوس وسلوانس واركاديوس. ومنها اسماء نصرانيَّة محضة كبطرس وزكريَّا ومكاريوس ويوحنَّا وقسطنطين وفيلبّوس

امَّا اوطانهم فالبعض منهم من بيروت كپمفيلوس واناطوليوس وقسطنطين. او من جهات سوريَّا وفلسطين كغيَّانوس الصوري وزكريَّا الغزي ومثله خمسة آخرون من غزَّة وكزكريَّا ويوحنا من مَيُومة وثاودورس وايثفريوس واسطفان من عسقلان وارتيمون وهرموجان وباونينوس من انطاكية وكانستاس من الرها وايثفريوس السياطي. وكان غيرهم من جزيرة العرب كسفرينوس وثاودورس ويوحنَّا وبعضهم من الاسكندريَّة كاثناسيوس وايزيدورس او من عين شمس وكأسكليبيودوتس ومعظمهم من آسيا الصغرى من بيثينيا وقيليقيا وايبريا وليقيا واليونان حتى من القسطنطينيَّة كابرنغيوس واركاديوس ويوحنا اخيهِ

وقد افادنا ليبانيوس الانطاكي انَّ طلبة الحقوق في بيروت كانوا في اوَّل الامر من اواسط القوم ثمَّ اخذ اولاد الاعيان يهجرون العلوم اللسانيَّة لينقطعوا لعلم الحقوق في بيروت

امَّا اديانهم فكان بعضهم وثنيين كارتيمون وهرموجانس وهيلاريوس وبعضهم مانويّين كجرجس التالونيكي واسكليبيودوتس ولاونطيوس يتعاطون السحر كما ورد في اخبار ساويرس الانطاكي في اواخر القرن الخامس فحُكم عليهم بالنفي. وامَّا العدد الاوفر منهم فكانوا من المسيحيين استشهد منهم القديس بمفيليوس اسقف غزَّة البيروتي سنة ٣٠٩ والأخوان الشهيدان افيانوس في قيصريَّة وايديسيوس في الاسكندريَّة (١ وتسقَّف غيرهم كساويروس الانطاكي وزكريَّا الغزّي ويوحنَّا العربيّ والبعض صاروا كهنةً كيوحنا الفلسطينيّ الذي خدم كنيسة القديس يهوذا في

١) وقد جاء للمؤلف بالغلط (ص ٣٩) انَّ افيانوس كان اسقفاً على قيصريَّة

بيروت في اواخر القرن الخامس واسطفان الصقلاني ويوحنا روفوس . وتنسك آخرون كاثناسيوس من بلاد كارية واركاديوس ويوحنا الاخوين ترهبا في بعض اديرة فلسطين (١

وقد اصاب بعض هؤلاء الدارسين مناصب شريفة كاناطوليوس الذي صار والياً في عهد القيصر يوليانوس الجاحد وكفيانوس الصوري الذي تعيَّن لقنصلية فينيقية سنة ٣٦٢ واما الذين اشتهروا بالمحاماة فكثيرون

٣ كان معاش الدارسين في بيروت مبنياً على اتفاق مع اهلها او اصحاب فنادقها . وكان التلامذة يدفعون لاساتذتهم راتباً معيناً ما خلا ما كانت الدولة تجعل لهم من الوظائف . وكان الطلبة يتعاقدون بعقد نقابة يدعونها شركة الدارسين ليدافعوا عن حقوقهم . على انَّ المتقدمين منهم في الدروس كان يتحكمون على المبتدئين من الطلبة ويسومونهم خسفاً حتى اضطرَّ الامبراطور يوستنيان ان يضع حداً لتلك المعاملات الجائرة

اما سلوك الدارسين فكان [illegible] كبيراً فان قسماً كبيراً منهم كان يستسلم للذات والشهوات [illegible] ما [illegible] يلقون في بيروت من اسباب الغناء والدواعي الى الترف لاسيما انَّ الوثنية لم تزل سائدة على شطر من المدينة . وقد أدَّى سوء السلوك ببعضهم الى ان تعاطوا السحريات واصبحوا عثرة في سبيل رفقتهم بل تأذَّى منهم البيروتيون لولا انَّ اسقف المدينة أعلن بمساوئهم ودفع الحكام على نفيهم

على انَّ قسماً آخر من الطلبة وبالخصوص المسيحيين منهم لم يدعوا اهواء العالم تغلب على قلوبهم فكانوا يلازمون الحياة الصالحة ويتشبَّهون بأهداب الدين . وقد ورد في سيرة ساويروس الانطاكي انهُ كان في كلّ مساء يزور مع بعض رفاقه كنيسة القيامة ويمارسون الاعمال التقوية فاصبحوا قدوةً لرصفائهم بل عدل بعضهم عن درس الحقوق الى اعتناق الكهنوت او العيشة النسكية

وقد انبأت الآثار الباقية ان كثيرين من الطلبة المذكورين نجوا من عثرات الشباب بانكبابهم على الدرس وتعمقهم في العلوم الفقهية . فلا عجب ان شهرة مدرسة بيروت انتشرت بسببهم اذ انتدبتهم الدولة الى مناصب الافتاء والمحاماة في حواضر

(١) لكنهما لم يستشهدا كما ورد في الكتاب (ص٤٢) لا هما ولا والداهما

البلاد فاحرزوا لهم سمعة طيّبة

٤ أمّا اعمار الدارسين فكانت غالباً بين الخامسة عشرة والعشرين من سنّهم فيدرسون اصول العلوم الفقهيّة وفروعها اربع سنين ومنهم من يضيف اليها سنة خامسة. على انّ هذه القاعدة شذّت نوعاً بتقرير للقيصرين ديوقلطيانس ومكسيميانوس أعلنا فيه بالرخصة للتلامذة العرب ان يواصلوا دروسهم الى السنة ٢٥ من عمرهم ثمّ اتّسعوا في هذه الرخصة حتى انّ بعض الطلبة كانوا يبلغون الكهولة وجاء في احد تواريخ ساويروس الانطاكي انهُ بقي في بيروت الى السنة الثلثين من عمره

٤ اساتذة المدارس الفقهيّة في بيروت

هو الباب الرابع من تأليف المسيو كولينه (١١٩-٢٠٤) بحث فيه عن اسماء اساتذة بيروت في مدرستها الرومانيّة الفقهيّة وعددهم وتنصيبهم ورواتبهم وامتيازاتهم

امّا (اسماء اولئك المدرّسين) فلا يُعرف منهم احد قبل القرن الرابع فانّ الذين زعموا بانّ كبار الفقهاء في القرنين الثاني والثالث كمايوس وأُلبيان وبابينيان ومرسيان وتريفونيوس علّموا الفقه في بيروت لا يستندون الى سند ثابت بل رووا قولهم حدساً لانّ اولئك الاساتذة كان اصلهم من بعض مدن سوريّة او مرّوا ببيروت

وفي القرن الرابع لا يُعرف من اساتذة بيروت إلّا المسمّى دومنينوس تكرّر ذكرهُ في رسائل ليبانيوس يوصيه بشبّان يذهبون من انطاكية ليتعلّموا الفقه في بيروت

امّا القرن الخامس وهو قرن المدرسة الذهبي فقد اشتهر فيه كثيرون من معلّميها الذين نعتهم احد معاصريهم « بأساتذة العالم » اخصّهم كيرلس شارح كتب أُلبيان وبابنيان ثمّ باتريقيوس المعروف بالاستاذ الكبير وبملك مدرسة بيروت الفقهيّة ويرجّح انّ الكتابة المحطّمة التي وجدها حضرة الاب جلابرت قريباً من كنيسة مار جرجس الروم وجاء فيها ذكر « باتريكيوس العالم بالشرائع » انّما هي لضريح هذا الاستاذ. ثمّ الاساتذة دومنينوس وديموستان واودوكسيوس وأمبليكوس ولاونتيوس بن اودكسيوس

وهذا الاخير كان يعلّم في اواخر القرن الخامس وتولّى مدّةً ولاية الشرق على عهد القيصر انستاس (٤٩١–٥١٨) ثمّ مات في نواحي سنة ٥٣٠

وقد ربحت بيروت في القرن الخامس بفضل اساتذتها من الامبراطورَين ثاودوسيوس والثنيان انرفعا رتبتها بقرار خصوصي بين السنتين ٤١٨–٤٥٠ فمنحاها شرف الحاضرة (metropolis Berytus) ورُقي ايضاً بسببها اسقف المدينة الى درجة المتروبوليت مستقلًّا من متروبوليَّة صور. وكذلك رُقيا المدرسة بقرار ثانٍ الى امتياز المدرسة الرسميَّة (Privilegium studii) كمدينتي رومية والقسطنطينيَّة وفي ذلك العهد نُقلت معاهد التعليم الى جيرة الكنيسة قبل السنة ٤٤٩م

أمّا القرن الخامس فذكر من اساتذة بيروت ما خلا اناطوليوس بن لاونتيوس ثلالاوسُ واسطنان ويوليانوس ودوروثاوس وهؤلاء استعان بهم الامبراطور يوستنيان لتنقيح كتب الشرع وتلخيصها وتنظيمها . وفي اواسط هذا القرن خربت بيروت ومدرستها بالزلازل

وان سألتَ عن (عدد المعلّمين) السنوي للسنين الاربع او الخمس التي كان يُدرَّس فيها الفقه في القرون الاولى لم تجد معلماً خاصًّا لكل سنة . بل كان المعلّم الواحد يدرّس تلامذة سنتين وهكذا لم يزد عدد المعلّمين على اثنين او ثلثة فان لاونتيوس مثلًا الذي ذكرهُ زكريّا الخطيب كان يلقي دروسهُ على تلامذة السنتين الاولى والثانية . وانّما بلغ عدد الاساتذة بموجب منشور يوستنيان الى اربعة

واما (تعيين المعلّمين) للتدريس فكان حُرًّا لا يتقيَّد قبل القرن الرابع إلّا بتصديق مجلس الشيوخ في بيروت فيصدّقون عليهِ . وفي السنة ٣٦٢ نشر يوليانس الجاحد قرارًا اشترط فيهِ ان يصير تعيين المعلمين بموجب صكّ من قائد الشرة وتصديق اعيان المدينة ثمّ اقترض الامبراطور ثاودوسيوس ان يُعرَض عليهِ قرار للقائد والشيوخ فيكون اليهِ المرجع الاخير . وليس لدينا ما يشترط للتعليم من عمر المعلّمين ولعلّ كل الذين انهوا دروسهم الفقهيَّة كانوا يستطيعون ان يعرضوا نفسهم للتعليم حتى منذ العشرين من عمرهم

. من جهة (رواتب المعلمين) لم تُعطهم الدولة معاشاً قبل القرن الخامس فكانوا يتّفقون على اجرة معلومة مع تلامذتهم كما يتّضح من كتابات ليبانيوس . والرجّح انّ

الحكومة اجرت عليهم الجرايات منذ السنة ٤٢٥ كما فعلت مع اساتذة مدارس الفقه في رومية والقسطنطينيَّة وهي المدارس الرسميَّة الثلث بعد إلغاء سواها

وكذلك خُصَّ اساتذة الفقه ببعض (الامتيازات) في القرن السادس كمافاتهم من بعض الخدم للدولة التي كان أُعفي منها قبلهم الاطبَّاء ومعلمو الآداب اللاتينيَّة

٥ التعليم في مدارس بيروت الفقهية

كان اساتذة بيروت يلقون دروسهم الفقهيَّة في القرنين الثالث والرابع في اللغة اللاتينيَّة كما تشهد عليه سيرة القديس غريغوريوس العجائبي وكتابات ليبانيوس . لكنهم عدلوا الى اللغة اليونانيَّة في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس وذلك بعد انقسام الدولة الرومانيَّة بين اركاديوس وهنوريوس ولدَي ثاودوسيوس فاستفحل استعمال اللغة اليونانيَّة في بوزنطية ومملكة الروم فضلاً عن شيوع اليونانيَّة في معظم كنائس الشرق الادنى . فكان لاستبدال اليونانيَّة من اللاتينيَّة تأثير في شيوع مذاهب اليونان وآراء معلميهم الفلسفيَّة والدينيَّة

اما موادّ التعليم فكانت قبل اصلاح يوستنيان نظريَّةً وعمليَّةً فالنظرية تتناول شرح تآليف كبار الفقهاء كاولبيان وبابنيان وغايوس وباولس والعملية تشتمل على الفتاوى التي افتى بها ارباب الشرع في الدعاوي الخاصَّة فدُوِّنت في المحاكم الرومانيَّة . وكانت تلك الموادّ مقسَّمة على اربع سنين ثمَّ اضافوا اليها درس مناشير القياصرة وشرائعهم الدوليَّة وذلك في سنة خامسة . اما بموجب اصلاح يوستنيان من السنة ٥٣٤ فخصَّت السنة الاولى بمقدِّمات دستور يوستنيان ثمَّ في الثلث السنوات التالية كان المعلِّمون يشرحون بعضاً من كتب الدستور المذكور (Digestes) البالغ الى ٣٦ كتاباً المقسَّمة على ثلثة اقسام وكان التعليم للسنة الخامسة اختياريًّا يتعاطاهُ بعض المجتهدين في دروس خصوصيَّة

وقد اختلف اسلوب التعليم قبل دستور يوستنيان وبعدهُ . فانَّ الاساتذة في القرنين الثالث والرابع . كانوا يقسمون تعليمهم بين التعليم النظري والعملي كما قيل سابقاً وذلك باختيار المعلِّمين لموادّ تعليمهم . وقد صار هذا الاسلوب نظاميًّا في القرن الخامس واوائل السادس . فكان الاساتذة يلقون دروسهم في كلّ ايام الاسبوع الَّا

مساء يوم السبت ويوم الاحد بتمامه وكانوا يفتتحون كلّ درس بذكر بعض النصوص الشرعيّة فيدلّون على فحواها ثم يفسّرونها لفظاً ومعنى ويشفعونها بالملحوظات المختلفة ويقابلون بين شروح مَن تقدّمهم ويبدون فيها رأيهم ثم يلقون على تلامذتهم الاسئلات لينبّهوا اليها افكارهم وكان الدارسون في اثناء ذلك يدوّنون في دفاترهم خلاصة ما سمعوهُ من اساتذتهم

وهذا التعليم تغيّر نوعاً بظهور الدستور اليوستنياني منذ السنة ٥٣٣ اذ كان يكتفي المعلّم ان يأخذ فصلاً من فصولهِ ويبيّن معناهُ دون اضافةٍ وانتقاد عليهِ ومعارضتهِ بما يخالفهُ

وكانت السنة المدرسيّة تبتدئ عادةً في الخريف إلّا انّ ظروفاً شتى قضت بمخالفة هذه العادة فانّنا نرى بعض التلامذة قصدوا بيروت لحضور دروسها في الربيع وبعضهم حضر في الصيف. وفي الصيف باشر احد الاساتذة هيلاريوس بالقاء دروسهِ

وكان التلامذة عند نهاية دروسهم يطلبون من اساتذتهم اجازةً تشهد على حضورهم في المدارس في السنين المعيّنة وعلى كفايتهم في فنّ المحاماة . وكانوا اذا ارادوا مزاولة فنّهم يطلعون ارباب البلاد على اجازتهم فيصدّقون عليها

٦ في اعمال اساتذة مدرسة الفقه البيروتيّة

انّ الذين نَظَموا في جملة اساتذة بيروت كبارَ فقهاء القرنين الثاني والثالث كفايوس وألبيان وپاپنيان ينسبون ايضاً تآليفهم الشهيرة الى مدرسة بيروت وقد قلنا سابقاً ان هذا الرأي يخلو من سندٍ ثابت . وكذلك ما ارتآهُ العلّامة مومسن بنسبتهِ الدستور الغريغوري الى مدرسة بيروت ليس امراً راهناً اذ لم يُفدنا احد عن غريغوريوس المذكور انّهُ علّم في بيروت. ومثلهُ الدستور المنسوب الى هرموجانس فانّ تعليمهُ في مدرسة بيروت مشكوك بهِ . وكذلك مجاميع اخرى شرعيّة شاعت في القرون الثاني والثالث والرابع لا يمكننا ان ننسبها قطعياً لاساتذة مدرسة بيروت . وما لا ريب فيهِ انّ هذه التآليف وُضعت في الشرق كما يظهر من مضامينها ولعلّ مصنّفيها من اساتذة بيروت لكننا لم نُجبْ حتى الآن بنصّ صريح يزيل الشكّ من هذا القبيل

ومما لا يطرأ عليه ادنى ريب مصنّفات اساتذة بيروت في القرن الخامس فانّ كيرلّس

صنف التعريفات الشرعية Ὑπόμνημα τῶν ὅρων الذي كان المعوَّل عليه قبل الدستور اليوستنياني

وألف بتريقيوس شروحاً على الدساتير الحقوقيَّة التي سبقت زمانهُ وتذييلات على المناشير القيصريَّة الملوكيَّة . ومثلهُ رصينهُ دومنيوس الذي وضع شروحاً على الدستورين الغريغوري والثاودوسي . وكذلك ديوستان واودوكسيوس وامبليكوس ولاونتيوس فانَّ لجميعهم بعض التآليف الشرعيَّة وخصوصاً الشروح على الدساتير الشرعيَّة . والى اساتذة بيروت تُنسب التفاسير المعروفة بالسينائيَّة (Scholia Sinaitica) وتآليف غيرها لم يتَّفق العلماء على مصنفيها

امَّا اساتذة القرن السادس فان لهم فضلًا كبيرًا بمساعدة يوستنيان في اصلاحه للشرائع الرومانيَّة وكان انتدب لهذا العمل معلّمي الحقوق في مدرسة بيروت كدوروثاوس واناطوليوس وثلالاوس وايزيدورس واسطفان واستحقوا بذلك شكر كل علماء الفقه . ومنهم من جعل للدستور اليوستنياني فهارس او ألف له خلاصة تغني عن مطوَّلاته

وترى من هذه المجالات ما يحتويه كتاب الديوكرليته من فوائد الجمة التي بها احيا بعض مفاخر وطننا المطموسة وجعل لمدرسة الحقوق الفرنسويَّة الحديثة مثالًا يقتدي بهِ معلّموها وطلبتها فيكسبون بيروت فخرًا جديدًا يُضاف الى مآثرها القديمة فلهُ منَّا الشكر العميم

رحلة الى جبل الشيخ

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

١ من بيروت الى بلاد بشارة

اننا بفضل عطلة المدارس السنويَّة امكننا في اوائل شهر تموز الماضي ان نزور جبل حرمون المعروف بجبل الشيخ ونطَّلع على شيء من آثاره فنقلتنا السيَّارات بساعتين

صنف التعريفات الشرعية Ὑπόμνημα τῶν ὅρων الذي كان المعوَّل عليه قبل الدستور اليوستنياني

وألف بتريقيوس شروحاً على الدساتير الحقوقيَّة التي سبقت زمانهُ وتذييلات على المناشير القيصريَّة الملوكيَّة . ومثلهُ رصينهُ دومنيوس الذي وضع شروحاً على الدستورين الغريغوري والثاودوسي . وكذلك ديوستان واودوكسيوس وامبليكوس ولاونتيوس فانَّ لجميعهم بعض التآليف الشرعيَّة وخصوصاً الشروح على الدساتير الشرعيَّة . والى اساتذة بيروت تُنسب التفاسير المعروفة بالسينائيَّة (Scholia Sinaitica) وتآليف غيرها لم يتَّفق العلماء على مصنفيها

امَّا اساتذة القرن السادس فان لهم فضلًا كبيرًا بمساعدة يوستنيان في اصلاحه للشرائع الرومانيَّة وكان انتدب لهذا العمل معلّمي الحقوق في مدرسة بيروت كدوروثاوس واناطوليوس وثلالاوس وايزيدورس واسطفان واستحقوا بذلك شكر كل علماء الفقه . ومنهم من جعل للدستور اليوستنياني فهارس او ألف له خلاصة تغني عن مطوَّلاته

وترى من هذه المجالات ما يحتويه كتاب الديوكرليته من فوائد الجمة التي بها احيا بعض مفاخر وطننا المطموسة وجعل لمدرسة الحقوق الفرنسويَّة الحديثة مثالًا يقتدي بهِ معلّموها وطلبتها فيكسبون بيروت فخرًا جديدًا يُضاف الى مآثرها القديمة فلهُ منَّا الشكر العميم

رحلة الى جبل الشيخ

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

١ من بيروت الى بلاد بشارة

اننا بفضل عطلة المدارس السنويَّة امكننا في اوائل شهر تموز الماضي ان نزور جبل حرمون المعروف بجبل الشيخ ونطَّلع على شيء من آثاره فنقلتنا السيَّارات بساعتين

ونصف من بيروت الى النبطيّة احدى قرى اهل الشيعة المتاولة . وكانت هذه المسافة لا تُقطع سابقاً باقلّ من يومين على صهوات الخيل . والنبطيّة مدخل بلاد بشارة اي الجليل العليا التي كان اليهود يدعونها بجليل الامم كما ورد ذكرها في اشعيا النبي (٩: ١) وفي انجيل القديس متى (٤: ١٤) وقد دعاها بنو اسرائيل بهذا الاسم لاختلاط الاديان فيها وشيوع الوثنيّة بين اهلها ولا تزال الى يومنا مقاماً لعدّة اديان غير الوثنيّة . فانّ الغالب على اهل صيداء المسلمون السنّيون امّا الانحاء الجبليّة فان معظم اهلها شيعيّون متاولة . وفي لفح جبل الشيخ شمالاً وادي التيم حيث كان مهدُ دين الموحّدين من الدروز . وبين كل هؤلاء في قراهم المختلفة مذاهب نصرانيّة مختلفة منهم الروم الكاثوليك والموارنة والسريان ومنهم الروم الاورثذكس

وممّا تمتاز به بلاد البشارة انها اليوم كما كانت سابقاً الطريق من داخليّة البلاد الى البحر وانّما هذه الطريق غير التي جاء ذكرها في سفر التكوين (٣٧: ٢٥) في قصّة يوسف فانّها تمتدّ من دمشق الى ساحل البحر . وقد رأينا قوماً من الحوارنيين يطرقونها فانّنا لمّا بلغنا بحيرة كفرتبنيت ونحن على وشك العدول عن الطريق السلاحية وجدنا قطيعاً من بقر حوران الصغيرة منها سوداء ومنها شقراء قادها راعٍ لابس ثياباً زرقاً لتروي عطشها لسبب نقص المياه في حوران وهو يريد ان يأخذها الى صيداء والنبطيّة ليبيعها . وقد عرف الحورانيّون هذه الطريق منذ زمن قديم والدليل على ذلك انّ منهم من استوطنوا هذه الانحاء . فانّ اهل جديدة النصارى الذين سنبيت عندهم هذا المساء اصلهم من حوران انتقلوا الى هذه الاصقاع في القرن السابع عشر . ولما وصلنا الى ارنون رافقنا احد اهلها المتاولة المدعو حسين الحوراني

ولا عجب في وجود هذه المواصلات لان بين جبل حرمون والبحر خطّاً يتّجهُ من الشرق الى الغرب من صيداء الى حاصبيّا على طريق جديدة مرجعيون وهي اليوم طريقنا (١ . وهذا الخط يقطع واديين عميقين وجهتُهما من الشمال الى الجنوب حيث

---

١) هذه مسافاتها سيراً على الاقدام من كفرتبنيت الى قلعة الشقيف ساعة وربع ومن قلعة الشقيف الى جسر المردلي ساعة ونصف ومن هذا الجسر الى جديدة ساعتان ونصف ومن جديدة الى حاصبيا اربع ساعات ونصف ومن حاصبيا الى هبّاريه ساعتان الّا ربع ومن هبارية الى شبعة ساعتان وربع ومن شبعة الى قصر عنتر خمس ساعات ومنهُ الى حاصبيّا ماراً بشبعة ست ساعات ومن حاصبيا الى قوّه على الطريق الالمانيّة اربع ساعات ونصف ومن قوّة الى مشغرة ساعة ونصف

يسيل نهر الليطاني ونهر الاردن (نهر حاصباني) ولولاهما لأصبح جبل الشيخ وسنده الغربي جبل الظهر حجازاً يسدّ الطريق في وجه المسافر القادم من الداخليّة فيمرّ بها دون عناء غرباً منحدراً اليها دون عناء بل يمكنهُ ان يجتاز من وادٍ الى آخر تملة ارتفاع قمّة جبل الظهر في طرفهِ الجنوبي المشرف على مرجعيون ومزارعها المخصبة والمائل جنوباً الى قرية مطلّة اليهودية والى بحيرة الحولة

٢ قلعة الشقيف

انّ هذا الممرّ الذي ذكرناهُ يفتح سبيلاً للغزاة فيمكنهم ان يزحفوا الى جهات فلسطين او يجتازوا بهِ ليملكوا على المدن الساحليّة وهو معرّض لخطر الغزاة لم يكن ليسهو عنهُ الفينيقيّون وقد لحظهُ الفرنج الصليبيون فاستدراكاً لهُ شيّدوا على جوانبهِ حصنَين حرزين ليوقفوا الجيوش الدمشقيّة فاقاموا عند وادي الاردن قريباً من بانياس (وهي قيصريّة فيلبّوس) حصن صُبَيبه وبنوا عند اسفل مجرى نهر الليطاني (القاسميّة) الحصن الذي سمّوهُ بوفور (Beaufort) وهو المعروف اليوم بقلعة الشقيف وكان حامية يدفعون منهُ الزاحفين الى صيداء ولا تزال بقايا هذا الحصن المهيب تلوح باهية في وراء البركة التي تستقي منها المواشي

فزرنا هذا الاثر الجليل الذي صبر على آفات الدهر الى يومنا لكنّ ايدي الانسان ربّما فعلت ما لا يفعلهُ الزمان. فانّ العلّامة الاثري البارون راي في كتابهِ عن المباني العسكريّة للصليبيين في سورية (١ ذكر كتحفةٍ هناك في اعلى الابنية باباً بيضوي الشكل كان يدخل منهُ الداخل الى قاعةٍ كبيرة مقبّبة فأردنا أن نعاينهُ فلم نجدهُ. امّا البرج المقطوع الرأس الى البدنة فهو كما ذكرهُ «راي» وكذلك بقيّة الآثار التي وصفها وصوّر رسومها. فان الصليبيين كانوا قد اختاروا لتشييد حصنهم شُرفة ضيّقة تُطلّ عمودياً على النهر وترتفع قليلاً في شمالها فاتّخذوا لبناء القلعة اصعب المسالك وهي تقيس مئة متر طولاً في ثلثين عرضاً جنوبيّاً وخصّوا الساحة المجاورة للقلعة لسكنى الخدم والجنود واحتفروا بين الساحة المذكورة والقلعة خندقاً عميقاً منحوتاً في

١) وهذا اسمهُ: Rey : Etude de l'Architecture militaire des Croisés en Syrie (1871)

الصخر كانوا يملأونهُ ماء ويُبعدون به المسافة الى باب القلعة الواقع في جنوبيها الشرقي بحيث يرمون من البرج بالقذائف العدوَّ الطالب الدخول وذلك على مسافة مئة متر . وكان الجانب الجنوبي محصَّناً ببرجين قويين يُرى الواحدُ منها منتصباً وهو يشهد ابراعة بُنائه

وهذه الاخربة جامدةٌ خاوية في معظم أيام السنة إلَّا مرَّتين الى ثلث مرَّات في السنة فيصعد اليها فرسان راكبين جيادًا على رؤوسها رياش الزينة وفي ايدي ركَّابها الشبابيت فيركضون خيلهم ويلعبون بالجريد وذلك في ساحة ضيِّقة مع خطر سقوطهم منها الى عمق نحو الف قدم

على انَّ هذه الالعاب الرياضيَّة ليست إلَّا صورة ضعيفة لما جرى عند هذا الحصن من معامع القتال فكم سُفك هناك من الدماء بعد ان شيَّدها امراء صيداء الصليبيُّون في اوائل القرن الثالث عشر ثمَّ فتحها صلاح الدين فانتزعها من ايدي وينر دي شاتيليون بعد ان حاصرها سنتين . ثمَّ استولى عليها بموجب معاهدة الصلح الفرسان الهيكليُّون فدافعوا عنها مدَّةً حتى فتحها نهائيًّا السلطان ركن الدين بيبرس سنة ١٢٦٨ . وفي القرن السابع عشر عُني الامير فخر الدين بترميمها وجعلها في تخوم دولته الجنوبيَّة الشرقيَّة كحارسة لما نواهُ من استقلال لبنان لكنَّ الاتراك خربوا برجها وبنوا لدركهم مخفرًا لمراقبة جسر الخردلي ذي القناطر البيضويَّة الممتدّ فوق نهر القاسميَّة تحت قلعة الشقيف . ولمَّا خرب المخفر التركي اقيم بدلهُ غربي الجسر مرقبان صغيران مجهَّزان بكوًى لضرب المعادين بناءهما الفرنسويُّون سنة ١٩٢٠ لايقاف ما كانوا ينتظرون من جيش الامير فيصل

٣ عاصيا . جبل الشيخ

انَّ حوادث سنة ١٩٢٠ تُرى حتى اليوم آثارها المشئومة على تلك الانحاء اذ سادت عليها الفوضى فلم يُعرف تماماً أهي لفرنسة ام للامير فيصل فاخذ الاشقياء ينهبون ويعيثون في البلاد . والامير لا يبدي حراكاً مع ان تلك الجهات كانت في حيز دولته والدليل عليه انَّ احد تجار دمشق من الروم الكاثوليك نال من فيصل امتيازًا لاربعين سنة لضمان مناجم الحُمَر القريبة من نهر حاصبيًّا فلما صار الحكم

لفرنسة لم يُصادق على ذاك الامتياز إلّا بعد مقاولات ودعاوي طويلة. امّا قصر حاصبيّا وسرايتها معاً فكان يسكنهُ احد الامراء الشهابيين من ذرّيّة الامير بشير وهو الامير فؤاد فاختارهُ الامير فيصل كوزير ماليّتهِ. فلمّا دارت عليهِ الدوائر لحق هو بمدينة بروسّة وقضى فيها مدّة يدرس تربية دود الحرير. وقد رجع منذ حين الى وطنهِ وهو يفكّر اليوم في تحسين احوالهِ ماديًّا وادبيًّا ويسعى الى جانب المصطافين اليهِ وانّنا نبشر المصطافين بالهناء لدى سعادتهِ فلا شكَّ انّهُ يرحّب بهم كما اكرم وفادتنا. ثمَّ حللنا في دار حضرة الخوري دمتري جمّال راعي طائفة الروم الكاثوليك في حاصبيّا فاستقبلنا استقبال الاخوان ومن فضلهِ انهُ نال لنا من قبل الامير الشهابي توصيةً لاحد وجوه المسلمين في شبعة وهي قرية كبيرة يبلغ عدد نفوسها ٣٫٠٠٠ نسمة كنّا نوينا أن نبيت فيها في مساء ذلك النهار فنرقد بضع ساعات قبل ان نتوغّل الى اعالي جبل الشيخ

سرنا الى شبعة فبلغناها بعد اربع ساعات مشياً عند الغروب فلم نجد في بيتهِ الشيخَ الذي حملنا اليهِ التوصية الّا انَّ اباهُ وحماهُ كانا هناك وقد تفانت زوجته الملفّ في كرامة مثوانا وتهيئة كل اسباب الضيافة العربية لراحتنا. وقد علمنا انّ ابنها وحيدها سافر قبل ثلاث سنوات الى جزيرة كوبا ولم يأتها نبأ يطمئن بالها عن احوالهِ فاثرنا لحزنها وحاولنا تعزيتها طاقة جهدنا وتمنّينا لها ان تنال قريباً ما يهدّئ روعها بعودتهِ او بورود اخبارهِ

لم نُطل الاقامة في ضيافة هؤلاء الكرام وبعد نوم خفيف قمنا متأهّبين لصعود ذلك الجبل الذي لم تُبلَغ قمّتهُ إلّا بعد خمس ساعات يضاف اليها ساعتان للراحة وكان بعضنا راكبين وغيرهم سائرين على الاقدام وكان القمر ينير الاودية المشرفة على شبعة فنمتّع النظر بما نراهُ من اشجارها كالجوز والسرو والبلّوط قدْ اغصانها الوارفة على سنابل الحنطة الناضجة. ثمَّ بلغنا المنطقة القاحلة فكنّا نسير بين الصخور وانّما يتخلّلها بعض الاعشاب الكروية الرماديّة اللون تزينها زهور ناصعة او سمنجونيّة

وكان املنا ان نبلغ الى قمة الجبل قبل طلوع الشمس لنسرّح الابصار في البلاد التي تحيط بهِ. ذلك منظرٌ فريد لم نحظَ بهِ لتأخّرنا في السير وانّما اصبنا منهُ شيئاً ثمَّ تحوّلنا عن جهتهِ الشماليّة الغربيّة لنرقى الى قمّة اخرى جنوباً تُدعى بقصر عنتر وكانت الابخرة

المتصاعدة من الاودية تحجب في الجنوب الشرقي نظر براكين حوران. امّا جبال مواب الجنوبيّة فكانت تلوح سلسلتُها التي تمتاز بينها قمة جبل نيبو. وكان يقوم بازائنا قريباً منّا جبل الكرمل ضارباً الى السواد. وفي وسط مؤاب والكرمل وادي الاردن العميق مع بعض الملامح الى بحيرة الحولة وبحيرة طبريّة. ويحدّ تلك الجهات شرقاً جبل جلعاد ذو التقاطيع والحزون والبطون المتعدّدة فتذكّرنا ما جرى هناك لبني اسرائيل من الحروب التي رواها سفر القضاة. وجلعاد هذه كانت موطن يفتاح. وكنّا ننظر في شمالنا الغربي سهول البقاع وعلى احد جانبيها لبنان وقمهُ كجبال نيحا والباروك وصنين والمكمل وعلى الجانب الآخر الجبل الشرقي يتفرّع منهُ شرقاً ما وراء دمشق وغوطتها الغنّاء جبلُ قلمون مأوى النصارى قديماً

وهذه قمّة جبل الشيخ منقطعة عن سواها في كلّ محيطها وجوانبُها وعرةٌ خَشِبة واسفل منها بنحو ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر تتبجّس المياه فتسيل بين المزارع الى أرنا فيتكوّن منها هناك نهر بربر المدعو في سفر الملوك الثاني(٥ : ١—٥)نهر فرفر الذي وصف نعمان السوري زلال مياههِ الصافية

. وقد استعظم الكنعانيّون في قديم الزمان جبل الشيخ لِما كانوا يرون من خيراتهِ ولاسيما من نَداهُ ومياههِ فاعتبروهُ كمركز للاله العلي ملك الارض وسيّد الغيوم فعبدوهُ باسم بعل حرمون وقد ذُكر مرّتين في الاسفار المقدّسة (قضاة ٣ : ٣ واخبار الأيّام الاوّل ٥ : ٢٣). وقد ذكر القديس ايرونيموس في القرن الخامس للمسيح انّ اهل البلاد كانوا في عهده يصعدون الى مشارف الجبل ليقدّموا هناك الذبائح. وما لا ريب فيهِ انّ الوثنيين في عهد الرومان كانوا يكرمون جبالنا لبنان والكرمل والجبل الاقرع فوق انطاكية بل يعبدونها كآلهة. وفي قمّة جبل الشيخ تُرى الى الآن آثار تلك العبادة فان فوق قمّتهِ الجنوبيّة المخروطة الشكل في علوّ خمسة او ستة امتار دائرةً او حميً من الحجارة بيضويّة الصورة كانت قديماً ذات سافَين من نحيت الحجارة الضخمة اللاصقة بصخور الجبل. وفي جنوبي الحمى هيكل صغير تدلّ نقوشهُ على هندسة رومانيّة. امّا المخروط السابق ذكرهُ فقد اتّخذوهُ لوضع عَلَم يستدلّ بهِ على قياس الارض. والصخر هنا قد حُفر على صورة قُمع قطرهُ من ثلثة الى اربعة امتار وبقيت هذه الآثار كلُغز لم يدرك معناه الى ان حلّهُ احد علماء المستشرقين المأسوف

عليهِ شرل كلرمون غانو فانَّهُ عثر على كتابة يونانيَّة كانت جمعيَّة فلسطين الانكليزيَّة (PEF) وجدتها في وسط الحمى المذكور فكشف معناها وكان تعريبها : « بامر الاله العليّ القدُّوس من هنا (يسير) المُقسِمون » فبيَّن من هذه الكتابة انَّ قوماً كانوا يطوفون حول ذلك المزار والكتابةُ تدلّ على المكان الذي يُباشَر فيهِ الطواف . ومن المعلوم انَّ الساميين كانوا اعتادوا الطواف حول هياكلهم وقد بقي من ذلك الى يومنا الطواف حول الكعبة في مكة . امَّا ذكرهُ للمُقسِمين اي المقيَّدين بالحلفان فهو يريد بهِ امَّا فئةً من عبَّاد الوثنيين الذين يرتبطون بقَسَم لخدمة آلهتهم كالفئة التي شاعت في انطاكية بيزيدية كان اصحابُها يلزمون انفسهم بحلفان يدعى تكمور . وإمَّا قوماً من الاهلين كانوا يتوكَّلون هذا الجبل لممارسة بعض مناسك دينيَّة يلتزمونها بنذر . وقد جاء في كتاب الزور المعروف بكتاب اخنوخ انَّ الملائكة ابناء الله كان عددهم مئتين اقسموا على قمَّة هذا الجبل ان يباشروا بنات البشر (اطلب سفر التكوين ٢ : ٣٢–٣٨)

امَّا الحفرة المكوَّرة على شكل القمع ففيها اشارة الى بعض عادات قدماء السوريين الوثنيين . وقد ذكرهم المؤرخ لوسيانوس السُّمَيْساتي ودعاهم باسم « يريد » (Yérid) وذلك انهم كانوا يزعمون انهم اذا نقلوا الماء باحتفال من البحر او من بعض الآبار الى قمَّة الجبل فسكبوهُ في هذه الحفرة المقدَّسة ستتوفَّر في تلك السنة المياه ببركة الاله الجبلي وتسيل من ينابيع الجبل . وقد اثبت المسيو كلرمون غانو في مجموعاتهِ الاثريَّة الشرقية (Recueil d'Archéologie Orientale, V. 1903, 346 ss.) انَّ هذه العادة في نقل المياه الى قمَّة الجبال جرت في جبال اخرى كجبل الكنيسة حيث تُرى حفرة مثل حفرة جبل عنتر مستديرة كبيرة . وممَّا سمعتُهُ من ثقات في السنة ١٩٠٨ انَّ قوماً من الدروز والمتاولة كانوا يصعدون مرَّةً في السنة الى قمَّة هذا الجبل ليضحُّوا عليهِ ديكاً . وقد لحظ الاب اليسوعي نويل موترد حفرةً مجوَّرة على شبه هاتين الحفرتين على جبل موسى بين غزير ونهر ابرهيم نُقرت ايضاً لهذه الغاية الدينيَّة لانَّ القدماء ولاسيما الفلَّاحين كانوا يتقرَّبون بهذه الوسيلة الى آلهتهم ليستعطفوا رضاهم وينالوا منهم تحويل قوى الطبيعة لصالحهم وبالاخصّ الامطار والمياه لسقي مزارعهم وشرب مواشيهم

٤ تقوز التمدن العصري

كانت الوثنية معششة في هذه الجهات قبل العهد الروماني فلمّا استولى الرومان على البلاد وفتحوا الطرق المفروشة بالحجر البركاني واصبحت المعاملات بين الشعوب سهلةً نفذت اليها النصرانيّة. وكذلك تيسّرت ايضاً في عهدنا المواصلات. وفي اواخر هذه السنة الحاضرة ستنجز الطريق التي يمدّونها من بانياس الى مرجعيون وكذلك من المرجّح انهم يتمّون الطريق التي كان الالمان باشروا فتحها بين بانياس والمشغرة. وصارت الاوتوموبيلات تقطع الطريق من بيروت الى حاصبيّا باربع ساعات ومن صيداء بثلاث ساعات. نعم انّ تلك الاصقاع لم تتغيّر عن كيانها إلّا ان افكار القوم تتحوّل شيئاً فشيئاً فانّ الاهلين على الرغم من اختلاف نزعاتهم واديانهم صاروا يدركون معنى الوطن ويسعون نوعاً الى خدمة الخير العام

وكنّا في طريقنا نلتقي بابناء السابلة من الدروز فلا نلحظ فيهم شيئاً من امارات العداء او النفور بسبب الحوادث الجارية اليوم في جبلهم. فانّ الشعب هنا عموماً يرضى من الانتداب الفرنسوي لما يرى بهِ من اسباب الامن والراحة. واذ كنّا نرتاح قليلاً في ظلّ زيتونةٍ قصدنا اليها شيخ من الدروز وسلّم علينا وألقى علينا اسئلة عن اشغالنا وحرَمنا واذ علم انّنا رُهبان بارك الله. وسألناهُ عن احوالهِ وعن علّة صَمَمِهِ فاخبرنا انّهُ اصابهُ وقرُ السمع بغتةً لكنه يسلّم الامر الى مشيئة الله

ودخل البعض منّا على شيخ الدروز في حاصبيّا وهو من الاجاويد فسُرَّ بزيارتهم وسمح لهم ان يعاينوا خلوتهم المعروفة بخلوة البيّاضة فلمّا وصلوا الى الساحة الممتدّة امامها وجدوها مظلّلة بسنديانة عاديّة ضخمة وتحتها طنافس مفروشة دعوهم الى الجلوس عليها ثمّ قدّموا لهم المرطّبات. ثمّ سمحوا لهم بالولوج الى الخلوة فرأوها كحُجرة واسعة تحيط بها السواري على شكل بيضويّ فهناك يجتمع الموحدون. وكانت هذه الزيارة فرصة للتفاوض في الاديان فجرى في ذلك حديثٌ بيننا وبين الدروز

وبقرب السنديانة بناية مستديرة لا سَقف فوقها وجدرانها منحرفة على شبه المسارح وفي صدرها مقعد مستدير ومركزها مُفرَغ مفروش بالبلاط الكبير وانّما يُدخَل اليها من باب ضيق. وهم يدعون هذا البناء «مهبط الوحي». وقد رأينا نحن

فيهِ صورةَ حيَّة لما يُذكَر عن الهياكل الوثنيَّة القديمة انَّهُ كان يُلحَق بها مَسرَح ديني كما ترى في سَيْعة في العربيَّة المعروفة بالحجَرة وفي دورة صلاحيَّة عند الفرات . وكان القدماء يفردون تلك المسارح للاغاني الدينيَّة ولالقاء الخطب والمواعظ . ولعلَّ الدروز يقيمون في هذا المكان مناسكهم الخاصَّة . وزعموا انَّ بعض اهل دينهم يعتزلون فيها أيَّاماً بل اشهرًا يتفرَّغون فيها لاعمال تقويَّة . وقد خطر لهم ان يسألونا عن فرائضنا الرهبانيَّة فسُررنا بان نفيدهم عن حياتنا النسكيَّة وتجرُّدنا بالنذور عن غنى العالم وملذَّاته

وممَّا لحظنا في سياحتنا هذه انَّ سكَّان تلك الجهات لا تدفعهم اديانهم المختلفة الى التعصُّب بل يعيشون بالوفاق والوداد ولسيادة مطران الروم الكاثوليك في جديدة السيِّد اكليمنضوس معلوف نفوذٌ كبير بينهم والكلّ يجلُّونهُ ويعزّونهُ واذا وقع بينهم خلاف يقصدونهُ بكل ثقة ويعرضون عليهِ مشاكلهم الدينيَّة والادبيَّة فيحلّها لهم وهم يقرّون بعلمهِ الواسع وبنزاهتهِ

ونحن باختتام نتمنَّى لجميع سكَّان هذه النواحي ان تتألف قلوبهم فينعموا بنعمة السلام والحقّ

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

١٣ دير الشرفة والقطر المصري

قد أسدى السريان المصريّون الى دير الشرفة في لبنان عوارف جمّة ومبرّات شتى أحيت لهم فيه ذكرًا طيّباً وثناء عاطرًا يردّده الجميع بجميع الشكر ويدعون لهم باجزل الثواب والاجر

على ان البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه († ١٨٠٠) مؤسس هذا الدير

فيهِ صورةَ حيَّة لما يُذكَر عن الهياكل الوثنيَّة القديمة انَّهُ كان يُلحَق بها مَسرَح ديني كما ترى في سَيْعة في العربيَّة المعروفة بالحجَرة وفي دورة صلاحيَّة عند الفرات . وكان القدماء يفردون تلك المسارح للاغاني الدينيَّة ولالقاء الخطب والمواعظ . ولعلَّ الدروز يقيمون في هذا المكان مناسكهم الخاصَّة . وزعموا انَّ بعض اهل دينهم يعتزلون فيها أيَّاماً بل اشهرًا يتفرَّغون فيها لاعمال تقويَّة . وقد خطر لهم ان يسألونا عن فرائضنا الرهبانيَّة فسُررنا بان نفيدهم عن حياتنا النسكيَّة وتجرُّدنا بالنذور عن غنى العالم وملذَّاته

وممَّا لحظنا في سياحتنا هذه انَّ سكَّان تلك الجهات لا تدفعهم اديانهم المختلفة الى التعصُّب بل يعيشون بالوفاق والوداد ولسيادة مطران الروم الكاثوليك في جديدة السيِّد اكليمنضوس معلوف نفوذٌ كبير بينهم والكلّ يجلُّونهُ ويعزّونهُ واذا وقع بينهم خلاف يقصدونهُ بكل ثقة ويعرضون عليهِ مشاكلهم الدينيَّة والادبيَّة فيحلّها لهم وهم يقرّون بعلمهِ الواسع وبنزاهتهِ

ونحن باختتام نتمنَّى لجميع سكَّان هذه النواحي ان تتألف قلوبهم فينعموا بنعمة السلام والحقّ

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

١٣ دير الشرفة والقطر المصري

قد أسدى السريان المصريّون الى دير الشرفة في لبنان عوارف جمّة ومبرّات شتى أحيت لهم فيه ذكرًا طيّباً وثناء عاطرًا يردّده الجميع بجميع الشكر ويدعون لهم باجزل الثواب والاجر

على ان البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه († ١٨٠٠) مؤسس هذا الدير

المذكور في الخير ما كاد يستريح من المشقّات والضيقات العديدة التي تواردت عليه حتى أوفد سنة ١٧٨٥ الخوري شكرالله براغيث الحلبي لخدمة ابناء رعيّته في القاهرة وكتب اليه واليهم يستجديهم ويستعطفهم على هذا المعهد الحديث. فاجابوا الى طلبه من فورهم ومدّوا له يد البرّ والمعروف (١ وجادوا عليه ايضاً بمخطوطات مهمّة نسخوها بيدهم او امتلكوها بما لهم في ذلك القطر . وقد شئنا ان نلخّص شيئاً من تلك الحسنات ونورد بعض تلك المخطوطات التي لا تزال حتى اليوم مصونة فيه فنقول :

ان اوّل من غرس في دير الشرفة أغراس الاحسان والفضل كان الخوري شكرالله براغيث فانه أوفد اليه في السنة ١٧٨٥ عينها اواني بيعة كجمرة فضيّة وحقّ بخور وصليب مطليّ بذهب ومصنفة وكتاب فرض سرياني (ܦܨܠܬܐ) الخ. وجمع من كرم ابناء الطائفة كالخواجا حنا جروه شقيق البطريرك وغيره مبلغاً صالحاً أنفقه البطريرك في البناء وفي مشترى عقار للدير سنة ١٧٨٧ . وحذا حذوه القس يوسف صبّي فجمع مالاً جزيلاً من السريان المصريّين أوفده الى السيّد انطون الآمديّ النائب الرسولي († ١٨١٦) فأسس به الغرف لسكنى الكهنة . وجادت الحاجّة مريم ارملة فرج الله مبارك شاه فحبست في ١٣ تشرين الثاني ١٨٠٨ نصف دارها في القاهرة لدير الشرفة ووقفت النصف الثاني للرهبنتين الباسيليّتين المخلّصيّة والشويرية . وفي ١٢ ايلول ١٨٢٢ اضطرّ السيد البطريرك اغناطيوس بطرس جروه († ١٨٥١) ان يبيع نصف الدار المذكورة ويشتري بقيمتها اراضي توت في رعشين بلبنان ويخصّصها بوقفيّة مريم وزوجها . وهي اليوم معدودة من احسن املاك الدير واخصبها . وحذا حذو الحاجّة مريم المحسنة الخواجا جرجس اجقم والخواجا اسطفان شدياق فتبرّعا بمبلغ اشترى به البطريرك السابق الذكر ارض توت في بقعاثا في ١٠ ايلول ١٨٢٢

وتبرّع السريان المصريّون بمبلغ وافر اشتروا به دارَين احداهما في درب الجنينة والاخرى في درب البرابرة ووقفوهما لدير الشرفة . ولمّا تداعيتا سنة ١٨٨٤ كتب وجهاء الملّة الى السيد اغناطيوس جرجس شلحت († ١٨٩١) يلتمسون ان يخصّص كلتا

١) الطلب في المشرق تاريخ دير الشرفة (١٨[١٩٢٠]: ٥٧٤-٥٦٥)

الدارين بوقف كنيسة مار الياس بمصر على ان يؤدّوا عوضاً عنها لدير الشرفة ثلاثمائة ليرة افرنسيّة ذهباً . فاجاب البطريرك المغبوط الى طلبهم . واشترى في آب ١٨٨٤ الخوري يوسف معارباشي رئيس الدير عقاراً جعلهُ وقفاً حسب نيّة المحسنين الكرام

واشترى السريان المصريون ايضاً ارضاً مشتركة بينهم وبين بطريركيّة القبط الكاثوليك وقفوها بمساعي القس يوسف صبّي سنة ١٨٠٩ لدير الشرفة . واتّفق ان بطريركية القبط باعت الارض المومأ اليها فصرف السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري النائب البطريركي مساعيهُ في طلب حقوق الدير وقبض تسعين ليرة مصريّة اوفدها الى رئيس الدير الخوري موسى سركيس فخصّصها بوقف على نفس المحسنين في ٢٣ نيسان ١٩١٠

امّا المخطوطات المنسوخة في وادي النيل والمحفوظة في دير الشرفة فأشهرها :

١ً كتاب مزامير داود النبي نُسخ بحروف كرشونيّة سنة ١٤٩٨ م في برية الصعيد على ما ورد في خاتمة صلاة سمعان العمودي ونصّه « ܡܙܡܘܪ ܕܕܘܝܕ ܢܒܝܐ ܕܐܠܗܐ ܕܡܫܝܚܐ ܘܡܫܒܚܐ ܕܡܪܝܐ ܘܡܫܒܚܐ ܕܡܪܝܡ ܐܡܗ ܕܐܠܗܐ » نسخهُ موسى الخاطئ سنة ١٨٠٩ اي ١٤٩٨ م في برية الصعيد . وهو يتضمّن عدا المزامير العربية عدّة صلوات ومزامير سريانيّة وصلوات عربية منسوبة الى ابرهيم القيدوني وثاوفيلوس وافرام وفيلكسين وشنوده واشعيا وسمعان العمودي . وذكر الناسخ « الطلبة السابعة ليوم السبت (وقال) انها جُمعت من الابصاليات القبطي » وهذا المخطوط الجليل ملكه سنة ١٧٥٧ م الشمّاس نعمة الله جروه وهو البطريرك ميخائيل مؤسس دير الشرفة

٢ً « كتاب البستان في اخبار الرهبان » تأليف القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم ومنه نسختان في مكتبة دير الشرفة نسخ احداهما في مصر الحقير في رؤساء الكهنة يوحنا سعيد . خوري مدينة مصر والقاهرة . ابن المرحوم الخوري عبدالله الشهير بالسعيد . القدسي بلداً والسرياني لغةً والكاثوليكي الروماني مذهباً . في سنة ١٧٦٩ م وقد وقفه ناسخه الخوري يوحنا لدير مار افرام عين الزعفران بلبنان سنة ١٧٧٧ ثم نُقل بعد حريق الدير المذكور الى دير الشرفة سنة ١٨٤٠

٣ً « كتاب ميامر اسحق النينوي » النسطوري منسوخ على رقّ بحروف عربية سبق لنا وصفه في مجلة المشرق (١٢ . [١٩٠٩] : ٢١٩) في اول بابهٔ (تشرين الاوّل)

سنة ١١٩٥ للشهداء و١٤٧٨م . وفي خزانة كتب دير الشرفة نسخة ثانية من هذا المؤلف « كل نسخها في اول هتور سنة ٩٩٨ للشهداء » و١٢٨٢م . وقد وردت فيه هذه العبارة . « نُقلت هذه النسخة بدير القديسة الطاهرة مرتريم ܕܥܕܬܐ ܕܡܪܝܡ ... من نسخة الاب القس غبريال بن فخر الكفاة ... نقلها ... جرجس الراهب القليوبي ابن القس اسحق ابن القس ابي نصر ... » وقد ألحق الناسخ بهذا الكتاب ميمراً لمار افرام وخمس مقالات لسمعان العموديّ بالعربية

٤ً « كتاب البرهان في القوانين المكتملة والفرائض المعملة » وهو خمسون مقالة تأليف « ابي شاكر ابن الراهب ... ابن المهذّب ... خادم كنيسة السيدة مرتريم ... المعروفة بالمعلّقة بقصر الشمع بفسطاط مصر سنة ٩٨٧ للشهداء وسنة ٦٦٩ للهجرة (١٢٧٠م) نسخهُ بحرف كرشوني في دير الزعفران الراهب جرجس الحلبي لابن عمته الربّان جرجس ابن المقدسي اليان القتال ... في عهد البطريرك شكرالله الماردينيّ ١٧٤٥م »

٥ً « كتاب الاعتقاد الصحيح في تجسّد المسيح » منه ثلاث نسخ كرشونية في مكتبة الشرفة وهو « تأليف متروبوليت القدس الشريف مار غريغوريوس جرجس الحلبي » ورد في المقدّمة ما نصه : « ان السبب في اهتمامنا بهذا الكتاب هو انه لما كنا جائلين في مدينة مصر والصعيد بقصد زيارة مَدَبَر (ܡܕܒܪܐ) ابهاتنا السوّاح القديسين وفي بعض خيريّات ومصالح امارة المكان المقدّس ... باورشليم دخلنا الى احد البيوت فاخذوا يحاجّونا في مسئلة الدين فاخذنا بتأليف هذا الكتاب » وقد جاء في آخر هذا المخطوط « تمّ الكتاب . وكان ابتداؤه في محروسة مصر القاهرة ... والمقصود منه الاخبار عمّا جرى بيننا وبين البادري انطون في بلد جرجا في صعيد مصر بحضور البادري بولس في بيت المعلم جرجس سنة ١٧٥٤م »

٦ً « كتاب المعلّم والتلميذ » نُسخ بحروف كرشونية سنة ١٧٢٧م . « عُني بجمعه البطرك انبا كرلس ابن لقلق المعروف اوّلاً بالقس داود ورفيقه القس بولس البوشيّ . وهو ملخّص كتاب الاعتراف المسمّى كتاب الروس ... صحّحه المعلّم ابو الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابي الفضل العسّال » . وهذا ابن لقلق تولّى بطريركية الاقباط بامر الملك العادل بن الكامل فعانده المصريّون وابطلوا بطريركيته وفرغ الكرسي تسع عشرة

سنة حتى تولى البطريرك سيوس وتوفي سنة ١٢٦١م فخلفه بنيامين فجرجس († ١٣٦٢م) فتى († ١٤٠٩م) (١

٧ «فصول مختصرة في تثليث الاتحاد» ذُكر في هذه النسخة المكتوبة بحروف كرشونيَّة أنها «عُملت بالقاهرة المعزّية لطالبها في اواخر سنة ٦٥٩ العربية (سنة ١٢٦١م) لابن العسّال. وورد فيها نبذة تتضمّن اسماء الآباء والمصنّفين نقتطف منها ما يلي «الاب البطريرك انبا اثناسيوس الرسولي ... وانبا سويرس البطريرك الكبير بانطاكية سرياني اللسان والرئاسة. والبطريرك ابرهيم السرياني اللسان القبطي الرئاسة (٢ ... والاب حبيب ابن حرير (بالحاء المهملة) التكريتي اسقف تكريت.. المعروف بابي رابطة. والشيخ يحيى الاسكلاني صاحب كتاب حدث العالم الذي ناقض به فرقلس وارسطو القائلين بقدم العالم. وقيل انه نسطوري. والشيخ العالم... برهان النحلة اليعقوبية يحيى بن عديّ († ٩٧٤) . والشيخ ابو علي... عيسى ابن اسحق ابن زرعة تلميذ يحيى المذكور († ١٠٠٧) وتلميذه الآخر يحيى بن جرير (كذا) صاحب المقالة في الكاهن والكهنوت. والكاهن يعقوب الماردانى صاحب كتاب «دعوة القسوس» الخ

٨ «شرح رسائل مار بولس» يرتقي هذا المخطوط الجليل الى ما قبل القرن الخامس عشر وهو خالٍ من اسم المؤلف. ومن التاريخ ويحتوي اولاً على سيرة مار بولس الرسول واعماله وذكر الكاتب في القسم الخامس منه: «انه يشتمل على ثلاثة انحاء. فالاول على عدد فصول كل رسالة قبطيًا وعلى كيّة كلماتها في النص السرياني. ويشرحها المؤلف في القسم الثامن شرحاً لغويًا كقوله: «انتحل. يقال فلان ينتحل مذهب كذا اي ينتسب اليه» الخ. وتلي ذلك «رسالة ديونوسيوس الكبير الى القديس كليماتوس (اقليميس) الرسول تلميذ بولس السليح من اجل استشهاد بطرس وبولس الرسولين الطاهرين بمدينة رومية». وتعقب ذلك رسالة مار بولس الى اهل رومية ثم الرسائل القاثوليقية ثم الابركسيس. وتتخلل سطور الكتاب كلمات بحروف قبطيّة. وورد في آخره «دلّال ما يجب قراءته في شهور السنة القبطيّة... على حكم الاعياد

١) اطلب صبح الاعشى للقلقشندي (٥: ٣١١ ٣١٢)

٢) هو البطريرك ابرام السرياني الذي اوردنا ذكره (عدد ٧ من مقالتنا هذه)

المرتبة في الفصول» وهو فهرس فصول القراءات لآحاد السنة واعيادها وتذكاراتها. وقد جاء فيه ذكر لسويرس اربع مرات احداها في شهر بابه ذكراً اشارةً الى دخوله ارض مصر. ويلي ذلك فهرس للاصوام مثل «ثلثة ايام نينوى وفصحهم. واسابيع الصوم واحد القيامة وجمعة الفرح التي تتلو الفصح المقدس. وسبوت وحدود الخمسين... وذكر مار افرام الزاهد والانبا افرهام السرياني الخ»

٩ً «كتاب روضة الفريد وسلوة الوحيد» وهو مخطوط كرشوني «تأليف سمعان ابن... مقاره المترئس بدير القديس ابي يحنس ببرية الاسقيط». يتضمن اثني عشر فصلاً. وقد ورد في المقدمة انه يُنسب الى راهب من رهبان دير القديس ابي يحنس القصير. نسخهُ الربان قرياقس السرياني سنة ١٦٠٥م. ومنه نسخة ثانية في مكتبة الشرفة كتبها الخوري ابراهيم ابن الشماس زكريا الحدثي سنة ١٦٨٨م

١٠ً «كتاب الاباحيث» تجاه ذوي الطبيعتين ناطرة وخلقيدونيين. منسوخ بحروف كرشونية ذو ٤٨٠ صفحة منسوق نسق سؤال وجواب بين يوناني وسرياني. جاء في اخرها فائدة بالسريانية هذا شرحها: «تولى سويرا بطريركية انطاكية في عهد انسطاس... ولما خانه يسطنيان واخذ يضطهد الكنيسة (اليعقوبية) ترك سويرا كرسيه وارتحل معه جميع اساقفة سورية... وكانت رسامته على انطاكية سنة ٨٦٩ اليونان (٥٥٨م) (١ في تشرين الثاني... وصنف ثلاثة كتب يشتمل كل منها على ثلاثمائة رسالة». وبعد ذلك كتاب الناسخ رسالتين اوفدهما كرلس الى نسطور وجاء في آخرها: «تمت الرسالة وما معها في ١٢ ايار ١٦٨٠م بيد هدايا بن شتو من قرية خوديده (قرقوش) بناحية اثور (الموصل)...» وتلي ذلك نبذة هذا عنوانها «أوردةٌ من كتاب البيان في تحقيق الايمان لعلماء القبط» ثم مختصر من «كتاب الصحائح في الردّ على النصائح» لصفيّ الدولة ابن العسّال. وهو تسعة اصول منطقيّة ودينيّة تعقبها اعتراضات واجوبة سمّاها الكاتب «ثمرات» ثم «بعض ملتقطات من علماء القبط منقولة من اوراق منتثرة» في المنطق. ثم «فصل من كتاب منارة الاقداس لابن العبري» ثم نبذة صدّرها الكاتب بقوله: «امّا بعد فقد سألني بعض اخوتنا بالله احد رهبان الطائفة الافرنجية... ايونا جرجس الراهب الايسوعي الذي قدم الى دمشق... ان اجيبه عن

١) تولى سويرا بطريركية انطاكية دخيلاً سنة ٥١٢ وتوفي سنة ٥٣٨

معتقدي اليعقوبيّة المشهور» وختم الناسخ كتابه بتاريخ سريانيّ هذا تعريبهُ . «انتهى الكتاب بيد هدايا سنة ١٧٩٠ م كتبه للشماس ابن القس عبد الجليل عبد الازلي...»

١١ً «كتاب الاب الفاضل... ابي الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابن العسّال» وهو منسوخ بحروف كرشونيّة سنة ١٥٩٤ م في قلعة المرأة شرقي ماردين

١٢ً «زجليات» لفضل الله الابياريّ وابي السعد الابوتيجي . ومنه نسختان جميلتان في مكتبة دير الشرفة مخطوطتان بحرف قاعديّ ظريف وعنوان كل زجلية بحروف قبطيّة واغلبها تتضمن مديح العذراء مريم اليك على سبيل المثل مطلع الزجليّة الثامنة عشرة:

يا ستّ العذارى مدحي فيك تجارهْ
يا ستّ المراثي وعمار الكنائسْ
مدحي في المجالسْ ما هو فيك خسارهْ

١٣ً ونختم هذا الفصل بذكر مخطوط عربيّ فصيح العبارة لم يُذكر اسم مؤلفه ملكه القس ميخائيل ابن الشماس نعمة الله الملقّب بابن جروه سنة ١٧٥٧ مسيحيّة و٢٠٦٨ يونانيّة وقد نُسخ قبل السنة ١٥٩٣ م . تنقصه الورقة الاولى. ثم عثرنا في المكتبة عينها على مخطوط آخر منسوخ في القرن السادس عشر اهداه جناب الفيكونت فيليب دي طرّازي الى مكتبة الشرفة يشتمل على كتاب «روضة الفريد وسلوة الوحيد» يليه في آخره كتابٌ ثانٍ واذا هو نسخة كاملة لهذا الكتاب الناقص وهو يبتدئ هكذا :

«بسم الله الواحد الابدي الازلي السرمدي وبهِ نستعين»

«كتاب طبّ النمّ وشفاء الحزن والهمّ تأليف بعض العلماء كتبه لاحد اصدقائه من محبي الفضيلة نفعنا الله به امين»

«صانك الله من كل محنة وحجبك عن كل ملمّة. وجعلك من الصابرين على آدابهِ. الشاكرين الراضين بقضائهِ. الفائزين بفضلهِ. لمّا كان الحزن أعزّك الله داء دويًّا . ومرضًا وبيئًا . مفسدًا للعقول ومخلقًا للنفوس. وكان كثيرًا ما يعرض في عالم الكون والفساد لاسبابٍ نحن ذاكروها فيما يستأنف رأينا ان نتحفك (وهنا تبتدئ النسخة الناقصة وبما عرفنا انها نسختان لكتاب

واحد) بدوننا الذي اخترناه لدفعه. وطبّنا الذي انتخبناه لعلاجه. وان تنبك بما يسلّيك عن غومك. ويشفيك من محزناتك وهمومك. ممتثلين لقول الرسول اذ يقول فليغفر بعضكم بعضاً. وليرحم بعضكم بعضاً. ونحن نستعمل في كلامنا ثلاث طرق من العلم. احدها علم المشاهدة بالحواس. والثاني الاستدلال بالعقل وتحكيم الفكر. والثالث كلام الله تعالى الموضوع للاعتبار والتدبير. ثم نضيف الى ذلك باباً رابعاً نعلمك باخبار الماضين. وما لحق بالمصطفين المنتخبين. فلا تدع اعزّك الله درس كتابنا هذا. ولا تغفل عن قولنا ومواعظنا وآدابنا. فبالإدمان على قراءته. واستعمال قوارعه. وتمييز معانيه. ينصرف عن قلبك الغمّ والحزن...»

وورد في آخر المخطوط. «كان الفراغ من نسخها يوم الاربعا ثامن عشر بوونه (حزيران) من شهور سنة 38... للشهداء الاطهار الموافق عام خمسون سنه والف للهجرة. (١٦٤٨م) على يد الشماس برصوم... بن فضل الله بن... يوحنا النصراني اليعقوبي المغلوطي.. نقله من نسخة للاب الفاضل... القمص غبريال الشهير... بابن منصور مرشد كاتب القلاية المعمورة الابويّة المرقسية. وكان مشعراً... في ضيق نفس ويسأل الله تعالى افراج الكرب...»

ثم ورد بخطّ احدث زمناً: «طالعه الحقير يوحنا... بن برصوم بن ابو الفرج... سنة ١٠٠٢ هجرية ١٥٩٣م

١٤ً الطائفة الكلدانية في القطر المصري

ان الأمة السريانية تفرّعت منذ القرن الخامس للميلاد الى اربع فِرَق وهي الفرقة الملكيّة التي غيّرت طقسها ولغتها السريانية وبدّلتها بالطقس اليوناني واللغة العربية. ثم الفرقة السريانيّة الشرقيّة التي عُرفت بالفرقة النسطوريّة والكلدانية. والفرقة السريانية المارونية. والفرقة السريانية الكاثوليكية. وها انا افرد لكل من الطوائف الثلاث الاخيرة فصلاً نلخّص فيه حوادثها واخبارها في القطر المصري فنقول:

ان الطائفة السريانية الشرقية وهي المعروفة بالطائفة الكلدانيّة كان لها في غابر الازمنة عدّة ابرشيات عامرة في بلاد اثور وماداي واذربيجان والعرب ومغارب الهند والصين (١ وكان اساقفتها يخضعون لجاثليق الشرق. وظلّت معروفة بهذا الاسم حتى

١) قد اورد توما المرجي النسطوري اسم اثنين واربعين اسقفاً للسريان النساطرة بينهم داود مطران الصين (ص ٣٤٥ من طبع الاب بيجان) ذكره طيماثاوس البطريرك (+ ٨٢٣) في رسائله المشهورة وذكر غيره ايضاً عمرو بن متى في المجدل (راجع في المشرق ٣ [١٩٠٠]:

تهوّدت في بدعة نسطور فدُعيت نسطوريّة

وكان قوم من السريان الشرقيين يقطنون القطر المصري ويراجعون مطران دمشق (١ثم جُعلت مصر ابرشية خصوصية للسريان النساطرة ونُصب لهم فيها مطران في القرن الحادي عشر على ما اورد ماري المؤرخ النسطوري (ص١١٥). وذكر اسقفاً آخر نسطورياً يُدعى مرقس (ص ١٣٨) وقد جاء في تقويم قديم للكنيسة النسطورية ان هذه الطائفة كان لها في القاهرة والاسكندرية كرسيّان مطرانيّان وسبعة كراسي اسقفيّة. وقد عثرنا على اسم احد اولئك الاساقفة اوردنا ذكره آنفاً (عدد ٢)

وكان الرهبان السريان الشرقيون يختلفون تارةً فأخرى الى وادي النيل ويزورون أصحابهم رهبان برّية الصعيد. وقد ذكرنا بعضهم ايضاً فيما سلف. ولا غرو انهم شادوا ثمّ بعض الاديار والمناسك. غير اننا لم نتوفق في بحثنا هذا للعثور الّا على دير واحد ابتنوه على اسم مار جرجس ذكره الشيخ ابو صالح الارمني كما قلنا (عدد ١٠)

وظلّ النساطرة على مجدهم وسؤددهم حتى القرون الوسطى فاخذوا في الضعضعة والانتقاص ودخل منهم قسم في الاسلام فأسلموا وذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٢٠٠ من طبع الاب بيجان) انه في عهد الحاكم خليفة مصر († ٩٩٨ م) قُتل عيسى بن نسطور في مصر. وتولى مكانه فركسيوس (كذا) اليعقوبي وهو ابو العلاء فهد بن ابرهيم القبطي... وكان النصارى في ذلك العهد يتولون منصب الوزارة في الدولة المصرية العربية. وظلّوا كذلك الى عهد ابن العبري († ١٢٨٦) فحتم الخلفاء «ان لا يتولى الوزارة نصراني إلّا يهجر دينه ويَدِنْ بالاسلام». ولا ريب ان عيسى بن نسطور المذكور آنفاً كان احد الوزراء المشاهير في مصر

واوّل من بذل المساعي الطيّبة في عهدنا لتعزيز الطائفة الكلدانية في القاهرة كان غبطة البطريرك ايليّا عبو اليونان († ١٨٩٤) صاحب الايادي البيضاء الذي خلّف لهذه الطائفة ذكراً حميداً لا تزال تردّده حتى اليوم. وهو الذي وضع بيده سنة ١٨٩١ الحجر الاوّل لكنيسة مار انطونيوس ابي الرهبان في القاهرة وهي من أبدع الكنائس

٧٤٣و٨٤٥ و١٣[١٩١٠]: ٨٠٠ و ١٦ [١٩١٣]: ٧٦١ و ٢٠ [١٩٢٢]: ٩٢٩ فصولاً في اثار النصرانيّة في الصين

١) اطلب تواريخ السريان المشارقة والمغاربة للقس بطرس نصري (١: ص ٥١١)

وأجلها وقد افادنا حضرة الخورفسقفوس جرجس ابرهمشا الفاضل ان السيدة هيلانة ارملة المرحوم انطون يوسف البغدادي تبرّعت بجميع ما يلزم لبنائها وألحقت بالكنيسة دارًا لسكنى الكهنة وشادت على نفقتها ايضاً مدرسة في شبرا باسم القديسة هيلانة يزاول فيها الدروس ثلاثون طالباً من فقراء الطوائف الشرقية الكاثوليكية واشترطت هذه المحسنة الكريمة ان يتولى ادارتها اخوة المدارس المسيحية. كافأها الله تعالى بافضل الاجور. ويبلغ عدد الطائفة الكلدانية في القطر المصري زهاء الف نسمة يدبّر حاضرًا شؤونهم الروحية كاهنان برئاسة الحبر الجليل السيد بطرس عزيز النائب البطريركي

١٥ الطائفة السريانية المارونية في القطر المصري

اصبح السريان الموارنة في القرون الثلاثة الاخيرة في مقدّمة الشعوب المسيحية الشرقية الذين تفقّهوا بضروب المعارف وارتحلوا الى بلاد المغرب فاخذوا عن اهلها وحازوا اسماً شريفاً ومقاماً منيفاً . والى كتبهم الاعلام يرجع الفضل في نهضة العلوم الشرقية ولاسيما الدينيّة في البلاد السورية والاقطار المصرية . فان نخبة منهم برزوا بما وضعوه من التصانيف اللغويّة والتاريخيّة التي نهجت اهلها المغرب منهاجاً فسيحاً للوقوف على اخبار السريان خصوصاً فكشفوا لهم كنوز آدابهم واوضحوا خبايا مخطوطاتهم وخزائن اسفارهم. فالحصروني والصهيوني والحاقلي في عاصمة الفرنسيس ونيرون والسماعنة وعواد في عاصمة الكثلكة. والدويهي والتولويّ والباني وفرحات في سورية. فهؤلاء ومن ضارعهم من فحول الكتبة قد سهّلوا الطرق لروّام العلم واصحاب البحث وارقفوهم على مكنونات اسفار الاوّلين. ويطول بنا المجال لو تحرّينا استقصاء علماء السريان الموارنة وكتبتهم وشعرائهم وصحافيّيهم الذين ملأوا بمقالاتهم الرنانة الجرائد والمجلّات العربيّة في سورية ومصر دَعْ ما امتازوا به من صفاتهم التجاريّة في بيروت ومصر واميركا (١ فاحرز قسم منهم ثروة معتبرة وفازوا بشهرة فائقة

ففريق من السريان الموارنة هجروا الوطن الى القاهرة طلباً للتجارة وطائفة صاروا

١) اطلب تقاليد فرنسا في لبنان (ص٣٦ و ٣٧)

اليها هرباً من الاستبداد والعبودية نحلوا على الرحب والسعة ونشطوا للعمل وتسابقوا في اكتساب العلوم حتى ظهر منهم الصحافي والشاعر والكاتب والطبيب والمحامي. ولسنا نخشى اذا قلنا ان السريان الموارنة كانوا اساس النهضة العلمية والآداب العصرية في الاقطار المصرية

واول سرياني ماروني تعهّد مصر للبحث والتنقيب عن آثار السريان كان القس الياس السمعاني اليسوعي كاتب البطريرك اسطفان الدويهي († ١٧٠٤) الطيب الذكر وهو الذي أوفد الى رومية نفرنسا سنة ١٧٠٠ ثم قصد برّية الصعيد وتفقّد دير السريان واستحصل شيئاً من المخطوطات السريانية أتحف بها المكتبة الواتكانية على ما اشرنا آنفاً

واشتهر بعده المونسنيور يوسف سمعان السمعاني مطران صور († ١٧٦٨) وكان نابغة عصره في اصناف العلوم والمعارف. قصد رومية سنة ١٦٩٥ طلباً للعلوم الكهنوتية وعمره يومئذ ثماني سنوات. وما كاد ينهي دروسه حتى فوّض اليه اقليمنس الحادي عشر الحبر الروماني ان ينشئ فهرساً للمخطوطات الشرقية التي اتحف بها المكتبة الواتكانية نسيبه القس الياس المشار اليه. ثم أوفده الى سورية ومصر للبحث والتنقير عن الاسفار الشرقية القديمة فسار السمعاني الى القاهرة وقصد نحو دير والدة الله في الصعيد واشترى قسماً صالحاً من الكتب السريانية وغيرها استند اليها في وضع مؤلفه المبتكر الذي سماه المكتبة الشرقية. وبذلك فتح باباً رحباً لعلماء اوربا للوقوف على مصنفات ائمة الشرق ودرس اخبارهم وآثارهم. ونكتفي لوصف هذا الجهبذ الخطير بما كتبه اليه البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته المسطّرة بتاريخ ١٤ ايلول ١٧٤١ قال ما ملخصهُ «سُررنا لمّا عرفنا ان سالفينا اقليمنس الحادي عشر واقليمنس الثاني عشر اوفداكم الى اصقاع المشرق لتجمعوا المخطوطات اليونانية والسريانية والعربية.. وتيقّن اننا نتوقع الفرص لنجهر لك بعواطف اعتبارنا وعاطر ثنائنا وخالص تبجيلنا وشكرنا»(١

ولما عاد العلّامة السمعاني الى رومية حاملاً تلك الذخائر العلميّة الثمينة أخذ ينشر اخبارها ويصرّح بمضامينها وجزيل فوائدها فاستيقظ المستشرقون في فرنسا وانكلترا

١) اطلب تاريخ سورية للسيد يوسف الدبس (الجزء الاخير ص ٩٥)

وبرلين وغيرها وجعلوا يتحيّنون الفرص للشخوص الى القاهرة وضواحيها طلباً لتلك الدرر النفيسة. وكان بودّ السمعاني لو يعود ثانية الى دير السريان في الصعيد وينتقي غير ما انتقاه من المؤلفات النادرة ويحملها الى رومية. لكنّ موانع شتى حالت دون انجاز بغيته الشريفة فبقيت مسئلة تلك الصحف في طيّ النسيان حتى سنة ١٨٤٢ فأقبل المستر تاتام السائح الانكليزي ونقلها الى لندن كما ذكرنا فغدت منذ إذ من أشهر دور الكتب وأغناها وأصبحت موردًا لطلّاب العلوم الشرقية ولاسيما السريانية

وقد احتوت هذه المكتبة السريانيـة التي كانت في دير السريان بالصعيـد على جملة مخطوطات صارت اليها من لبنان او كتبها السريان اللبنانيون اعني الموارنة فاليك شيئاً منها :

١ً انجيل سرياني (عدد ٨٦ من فهرس كتب لندن) منسوخ سنة ١٤٣٨ م في جبل لبنان المبارك في قرية العاقورة... كتبه الراهب الخوري نادرس

٢ً مخطوط (عدد ١٢٣) ورد فيه ما شرحه : « صلّوا على يوحنـا ابن القس اسحق ابن القمص جرجس... من جبل لبنان »

٣ً كتاب شرطونيات (عدد ٣٠٤) حسب استعمال كنيسة السريان الموارنة. « نُسخ في دير مار يُحنّا حواش سنة ١٧٠١ يد الراهبة مريم بنت الخوري حنا من قرية درعون من بيت الشمالي في ايّام سيدنا البطرك ابن الدويهي »

٤ً كتاب طقس الميانات (ܚܡܢܐ) وهي اناشيد سريانيّة للاعياد السيديّة (عدد ٣٣٣) منسوخ نحو سنة ١٥٤٠م « حسب طقس موارنة جبل لبنان المبارك »

٥ً كتاب ابتهالات (ܐܬܚܢܢܐ) (عدد ٤٩٣) نسخهُ القس موسى الراهب من جبل لبنان سنة ١٤٩٩م وكان هذا القس مقيماً بالقاهرة يخدم ابناء ملّته السريانيّة المارونية على ما يظهر

٦ً كتاب مار يوحنا المتوحّد (عدد ٥٧٢) منسوخ سنـة ٥٨١م ورد فيه مـا شرحه : « فليُذكر القس متى من قرية قولباي ببلاد صوفنيا الساكن في دير الطوباوي مار مارون... دخل هذا الكتاب الى مكتبة مـار مارون سنـة ٧٤٥ م في عهد جورجي رئيس الدير... ومار قزما رئيس دير مغارة مصر (بانطاكية) ومـار زكريا رئيس الرامة... فليكن ذكر طيب للرهبان التكريتيين الذين وضعوا هذا الكتاب

في كنيسة والدة الله بالصعيد »

٧ً كتاب مواعظ وميامر لاعياد السنة (عدد ٨٢٥) نُسخ سنة ١٣٢٦ وقد جاء فيه ما تعريبه : «هذا الكتاب يخصّ دير والدة الله في الصعيد . . . صلّ يا اخانا على تلميذك موسى الذي طالع هذا الكتاب ونقل منهُ ميمرًا الى اللغة العربية سنة ١٤٩٦م وناسخ هذا الشرح هو لبناني من ولاية طرابلس »

٨ً سيرة والدة الله مريم (عدد ٩٦٣) واخبار قدّيسين نُقلت عن نسخة كانت محفوظة في كنيسة السريان بمكّا وقد جاء في آخر الكتاب : « طالعه الاسقف بولس تلميذ مار فلكسينس اسقف حماة وطرابلس وحردين بجبل لبنان سنة ١٥١٠ م » . غير ان هذين المخطوطين الاخيرين منسوخان على ما يُبان بقلم سرياني يعقوبي لبناني لا ماروني

وكان اغلب السريان الموارنة يقطنون بادئ ذي بدء في دمياط وتولّى خدمة نفوسهم الرهبان الحلبيّون واوّلهم القس موسى الشامي الذي قصد المدينة المذكورة سنة ١٧٤٥ . وعام ١٨٢٠ سُمّي القس انطون مارون الحلبي نائباً بطريركيًا في القاهرة فشاد عام ١٨٣٣ ديرًا للرهبان وكنيسة على اسم مار الياس في مصر العتيقة واشترى ارضاً للمقبرة ودارًا في درب الجنينة حوّلها القس فرنسيس مقل الحلبي سنة ١٨٥٢ الى كنيسة

وعام ١٨٦٨ اقام البطريرك بولس مسعد القس جبرائيل صفير العجلتوني وكيلًا بطريركيًا في القطر المصري فاشترى سنة ١٨٧١ ارضاً واسعة في درب الجنينة ابتنى فيها كنيسة على اسم «سيدة الخلاص» ورمّم في الزقازيق سنة ١٨٧٣ كنيسة جديدة للطائفة . وشاد عام ١٨٧٩ كنيسة على اسم مار جرجس في شارع شبرا اضاف اليها مدرسة ودارًا للوكالة واستحصل كذلك في بورسعيد ارضاً وغرفتين خصّص احداهما للمصلّى واوفد القس يوسف العجلتوني لخدمة الملة فيها . وانشأ كذلك كنيسة للموارنة في المنصورة ومصلّى في الخرطوم وتوفي في ٢٨ كانون الثاني ١٩٠٥

وساعد الاب جبرائيل الغيور حضرة الاب لويس الخازن الرئيس العام للرهبنة الحلبيّة (١ الذي تولى شؤون الطائفة في مصر سنة ١٨٧٩ واستمنح شركة قناة السويس

١) هو حاضرًا السيد يوسف الخازن

ارضاً فسيحة باشر فيها ببناء كنيسة ودار للكهنة. وتولى بعد ذلك خدمة الطائفة سنة ١٩٠٤ الاب يواصاف الشدياق العشقوتي

على ان السريان الموارنة اخذوا يزدادون رويداً رويداً في وادي النيل منذ اواسط القرن الخامس عشر. وذكر المؤرخون العصريون ان محمد علي خديوي مصر سأل الامير بشير الشهابي سنة ١٨٢٤ ان يرسل اليه رجالاً من لبنان يتولون غرس التوت في اراضي مصر لتربية دود الحرير. فاجاب الى طلبته واوفد اليه جرجس الزند وابن عمه شاهين في ثلاثين من العيال المارونية اغلبها من زوق مصبح فدرج مذ ذاك استعمال تربية دود القز في القطر المصري (١

واورد الياس الايوبي في تاريخ مصر (١ : ٢١٤) « ان السريان الموارنة كان لهم في مصر ثلاث مدارس ابتدائية الواحدة بدرب الجنينة والثانية بقنطرة الدكة بالازبكية والثالثة بشبرا. وهي من نوع الكتاتيب البلدية. ولكنها كانت أرقى منها مادياً. لان الطلبة كانوا يجلسون فيها على تخوت بدل جلوسهم فوق حصير على الارض كما كانت الحال في الكتاتيب »

ولما عظم امر السريان الموارنة واتسع شأنهم في وادي النيل كتبوا الى غبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك يلتمسون منه ان ينصب لهم مطراناً يتولى امورهم. ونهض اذ ذاك الكونت خليل دي صعب عميد الطائفة في المنصورة المشهور بكريم صفاته واريحيته وتبرع بمبلغ مائتي الف فرنك لنال هذه البغية الشريفة فما كان من غبطة ابي الطائفة النبيل الا ان اجاب الى طلبهم واوفد اليهم سنة ١٩٠٥ السيد يوسف دريان الجليل وفوض اليه ان يؤسس كنيسة كبرى ودارا للمطرنة. ولما وصل الحبر الجديد الى القاهرة طفق يبذل المساعي في ذلك وجعل يطوف في المنصورة وطنطا والمحلة الكبرى ودمنهور والاسكندرية والزقازيق ويتعهد ابناء الملة وينشطهم الى بذل الاحسان في سبيل هذا العمل المبرور فتوفق الى مشترى ارض فسيحة بمبلغ سبعة آلاف ليرة مصرية مساحتها الفان وخمسمائة متر مربع وانشأ فيها كنيسة فخمة سنة ١٩٠٦ ولبث يرعاهم بالغيرة والحزم حتى توفاه الله في ٢٣ آذار ١٩٢٠

١) اطلب تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ٢٥٤)

وفي القطر المصري في عهدنا نخبة من السريان الوارنة من ذوي الشرف واليسار والعلم والادب يشغل نفر منهم المناصب الرفيعة في الحكومة المصرية ولدى معتمدي الدول الاجنبية. ومنهم قسم صالح يتعاطى المحاماة والتجارة والتآليف الخ

وأشهر الاسر المارونية في وادي النيل اسرة الكونت خليل دي صعب والكونت سليم شديد والكومندور ميخائيل بك حشيمه وحبيب بك زين ومسكات. ومن وجهائهم في الاسكندرية عبد الله باشا صفير وجرجي ونصري اسود وغيرهما

ولهم كنائس معتبرة في القاهرة وفي الاسكندرية والمنصورة والزقازيق وبورسعيد والخرطوم. ويبلغ عددهم اليوم في وادي النيل عشرة آلاف نسمة بنيف

(لهُ تتمّة)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

أدباء النصارى في هذه الحقبة (تتمّة)

﴿الدكتور بشاره زلزل﴾ كان زميل الشيخ المرحوم ابرهيم اليازجي وقد توفي قبلهُ في ١١ تشرين الثاني ١٩٠٥ في الاسكندرية. كان مولدهُ في بكفيا ودرس الطبّ في الكلية الاميركية في بيروت ونال شهادتها وزاول فنّ الطبابة في بيروت وهاجر الى مصر فرارًا من استبداد الترك. كتب في وطنهِ وفي مصر مقالات علميّة وادبيّة كثيرة في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ ثم في المقتطف وساعد الشيخ ابرهيم في

وفي القطر المصري في عهدنا نخبة من السريان الوارنة من ذوي الشرف واليسار والعلم والادب يشغل نفر منهم المناصب الرفيعة في الحكومة المصرية ولدى معتمدي الدول الاجنبية. ومنهم قسم صالح يتعاطى المحاماة والتجارة والتآليف الخ

وأشهر الاسر المارونية في وادي النيل اسرة الكونت خليل دي صعب والكونت سليم شديد والكومندور ميخائيل بك حشيمه وحبيب بك زين ومسكات. ومن وجهائهم في الاسكندرية عبد الله باشا صفير وجرجي ونصري اسود وغيرهما

ولهم كنائس معتبرة في القاهرة وفي الاسكندرية والمنصورة والزقازيق وبورسعيد والخرطوم. ويبلغ عددهم اليوم في وادي النيل عشرة آلاف نسمة بنيف

(لهُ تتمّة)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

أدباء النصارى في هذه الحقبة (تتمّة)

﴿الدكتور بشاره زلزل﴾ كان زميل الشيخ المرحوم ابرهيم اليازجي وقد توفي قبلهُ في ١١ تشرين الثاني ١٩٠٥ في الاسكندرية. كان مولدهُ في بكفيا ودرس الطبّ في الكلية الاميركية في بيروت ونال شهادتها وزاول فنّ الطبابة في بيروت وهاجر الى مصر فرارًا من استبداد الترك. كتب في وطنهِ وفي مصر مقالات علميّة وادبيّة كثيرة في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ ثم في المقتطف وساعد الشيخ ابرهيم في

تحرير مجلة الطبيب والبيان. ونشر في الاسكندرية سنة ١٩٠١ كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان على نسق كليلة ودمنة والحقهُ بتكملة الحديث في الطبّ القديم والحديث» . ومن مصنفاتهِ كتاب تنوير الاذهان في حياة الانسان والحيوان. ظهر منهُ قسمان. ولهُ في مجلّة النحلة منظومات شتى منها قولهُ في صاحب الدولة داود باشا اوّل متصرّفي جبل لبنان النصارى:

هو رأسُنا داود باشا الذي لهُ ... من المجد والمعروف ما ليس يُحصَرُ
وزيرٌ مشيرٌ عادلٌ ذو مهابةٍ ... تُقاد لهُ الليثُ الجسورُ الغضنفرُ
اقام لفتح العلم همّتهُ التي ... تُنادي لهذا الفتح افّهُ اكبرُ
كريمٌ بدرٍ عودُ الهُدى بعد يُبسهِ ... أعيد نضيرًا فهو ينمو ويثمرُ
لهُ دولةٌ ترهو بحسن عدالةٍ ... وبطش كما قد كان كسرى وقيصرُ
ومن دولةٍ عليا قام بفخرها ... تفتخرُ فيهِ وهي بالعدل تفخرُ

وفي هذه الحقبة انقصف غصنٌ من الدوحة البستانية «سعيد البستاني» توفي في أيار ١٩٠١ في الحدث (لبنان) تقلّب بين مصر وبلاد الشام وعكف على الآداب العربية واصدر بعض الروايات التمثيلية كذات الخدر وسير الامير مثّل فيها اخلاق القطر المصري وامراء لبنان وحرّر عدّة سنين جريدة لبنان الى سنة وفاتهِ. برح الحياة وهو في منتصف العمر

وقضى نحبهُ بعده ببضعة اسابيع وطنيُّهُ «سبع شميّل» من اسرة الشميّل الكفرشيميّة وهو في الرابعة والثلثين من عمرهِ تخصّص كآلهِ بفنّ الكتابة فألّف وحرّر في الجرائد في بيروت ومصر واوربا حتى أُصيب بداء الصدر فمات في اوائل حزيران ١٩٠١

ومن مشاهير السوريين الذين أسفت على فقدهم الآداب «خليل غانم» السياسي الحرّ ولد في بيروت في ٨ت٢ سنة ١٨٤٦ وتوفي في باريس في غرّة حزيران ١٩٠٣. تخرّج في شبابهِ في مدرسة عينطورة واتقن اللغتين الفرنسويّة والعربية وخدم الدولة التركيّة كترجمان لمتصرفيّة بيروت ولولاية سوريّة وللوزارة الخارجيّة في الاستانة. وانتخبهُ سكان سورية كنائب عنهم لمجلس المبعوثان سنة ١٨٧٥ وساعد مدحت باشا في وضع قانون الدولة الاساسي فكان احد اركان النهضة الدستوريّة. ولمّا حلّ

عبدالحميد مجلس المبعوثان وتشدّد على انصاره فزع خليل غانم الى السفارة الفرنسويّة وأجر سرًّا الى فرنسة حيث ناضل الى آخر حياته عن استقلال وطنه. فانشأ في باريس عدّة جرائد عربيّة كالبصير وعربية فرنسويّة كتركيًّا الفتاة وفرنسويّة محضة كالهلال واصبح من مكاتبي جرائد فرنسة الكبرى وألّف جمعيّة تركيًّا الفتاة فسعى السلطان الى ان يؤلف قلبهُ بالهبات والمناصب فردّه خائبًا ومنحتهُ فرنسة وسام جوقة الشرف. وبقي طول حياته متشبثًا بدينه. ومن مآثره الطيّبة كتابٌ من انشائه في حياة السيد المسيح يُثبت فيه بالبراهين العلميّة والدينيّة الوهيتهُ. وله في الافرنسيّة تاريخ سلاطين بني عثمان. وقد عرفنا في بيروت قرينتهُ الفاضلة فاوقفتنا على بعض آثاره ونشرنا منها فصلًا في الاقتصاد. ولقد قال المرحوم يوسف خطار غانم في رثائه :

اليومُ أطفئَ نورُ بدرٍ لامعٍ ... بسما المواطن فالمصابُ به وقعْ
وخبا شهابُ فؤادِ حرٍّ صادقٍ ... ومجاهدٍ اضناهُ بالوطنِ الولَعْ
قد فاجأتنا الحادثاتُ وأسرعتْ ... بسقوط صاعقةٍ لها القلبُ انصدعْ

ومنها :

رجلُ الحقيقة لن يموتَ لدُنِ الأولى ... سمعوهُ واعتبروهُ بالحقّ اذرَعْ
ما مات غانمُنا فانهُ خالدٌ ... في ضجنا في فكرنا في ما وضَعْ
وفؤادهُ كنهُ الطهارة انهُ ... لقلوبنا يوحي ثبات المجتمَعْ
ومحرّكٌ فيها صلاحُ مواطنٍ ... عظمتْ وبالنصر القريب المرتفعْ

وفي السنة ١٩٠٦ في ٢٤ ايلول فقدت كليّتنا احد نخبة الادباء من ذوي البراعة في التعليم والكتابة والتأليف المرحوم ﴿رشيد الشرتوني﴾ كان درس مدّة في مدرسة مار عبدا هرهريّا وعلّم في مدرستي عين تراز وعين طورا ثم انتدبتهُ مدرستنا الى تعليم العربيّة فخدمها خدمةً نصوحًا عدّة سنين. وكذلك وجدت فيه مطبعتنا الكاثوليكية خير مساعد لنشر كتبها المدرسيّة ولتحرير جريدة البشير فاعرب في كل اعماله عن مقدرةٍ حسنة ولهُ في المشرق فصول تاريخيّة ولغويّة اعترف لهُ القرّاء بجودة انشائها ودقّة مضامينها. ومن آثاره المستجادة مبادئهُ العربيّة في الصرف والنحو مع تمرينه للطلّاب في التصريف والاعراب وكتابه نهج المراسلة ومفتاح القراءة. وقد نشر لخدمة طائفته بعض مخطوطات العلّامة الدويهي كتاريخ الطائفة المارونيّة ومنارة الاقداس

واعمال بعض المجامع المارونيّة كما انّهُ عرّب قسماً من تاريخ لبنان للاب بطرس مرتين اليسوعي وتراجم بعض القديسين للاب فكتور دي كوبيه. ومن تعريبهِ ايضاً كتاب الرافقة بين العلم وسفر التكوين ورواية السفر العجب الى بلاد الذهب للاب اميل ريفو اليسوعي وحبيس بحيرة قدس للاب هنري لامنس. وممّا بقي من مخطوطاتهِ ترجمة فلسفة الاب تونجرجي اليسوعي

وفي السنة ١٩٠٦ في يوم عيد الميلاد ودّع الحياة احد تلامذة كليّتنا النوابغ ﴿نجيب حبيقة﴾ انكبَّ على درس اللغات المدرسيّة واحراز العلوم العصريّة بكل رغبة فبرز فيها بين اقرانهِ وما كاد ينال الشهادات المؤذنة بكفاءتهِ حتى دُعي الى التدريس في كليّة القديس يوسف فعلّم عدّة سنين الصفوف العربية العالية . وعرفت ايضاً فضلهُ في التعليم مدرسة الحكمة الجليلة والمدرسة العثمانيّة للشيخ احمد عبّاس الازهري . ثمَّ تفرّغ للكتابة والتأليف وتولّى تحرير جريدة المصباح سنة ١٩٠٣ لهُ فيها وفي المشرق وغيرهما فصول ادبيّة وفنيّة مستطابة . وكان ساعياً الى تعزيز الآداب العربية وتأليف قلوب الناشئة في خدمة الوطن كما انهُ خدم الجمعيّات ووقف نفسهُ لتعليم اولاد طائفتهِ الفقراء . ولهُ آثار عديدة منها مدرسيّة كدرجات الانشاء في ستة اجزاء ومنها ادبيّة كمقالاتهِ عن فنّ التمثيل والانتقاد ومنها روايات كالفارس الاسود وشهيد الوفاء وخريدة لبنان والشقيقتين . ولهُ قصائد رائقة سلسة وكانت باكورة قصائدهِ ما نظمهُ في يوبيل الحبر الاعظم الكهنوتي سنة ١٨٨٧ وهو اذ ذاك تلميذ فوصف السفينة البطرسيّة الرموز بها الى الكنيسة :

عصفتْ على بحر الانام رياحُ ... حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وهوت صواعقُ مُصعقاتٌ أزعجت ... بشرًا فكانت ترهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرمًا مُصخبًا ... والموجُ ثار فساء منهُ جماحُ
والناس في غمر الخضمّ جميعهم ... خافوا فليس من النجاة براحُ
ورأوا المياه تلاطمت امواجها ... وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمّت المُصيبة فالنجاة قد دنت ... آهًا أليس من الهلاك مُراحُ
لكن على سطح الخضمّ سفينةٌ ... وعلى مُقدّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلتْ وتطايرت لخلاصهم ... شكرًا لجدّك ايها الملاّحُ

فيك النجاة وليس غيرك برتجى واليك كلُّ قلبهُ مُلتاحُ
ها قد تقدّمت السفينةُ عوهم فنجا بها قوم وفيها راحوا
لم يَنأَ عنها غيرُ مَن قد آثروا شربَ الحتوف فذي الفعالُ قباحُ
شاءوا البروقَ فأملوا منها الهدى خابت ظنونهمُ وليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاعلموا مَن ينأَ منها ضاع منهُ صلاحُ
جُدّوا ايا غَرْقى وأمّوها يقو دكمُ اليها نورُها الوضّاحُ
جدّوا فليس لكمُ خلاص دونها ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا بها قبحاً لهم قالوا بأن ستُحطّمُ الالواحُ
فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا املٌ لنفسٍ بالنجاة مُتاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ: كن آمناً بين السفينة والمحيطِ كفاحُ
فسفينة الصيّاد تقهر خصمَها ابدًا لانّ لها الصفا ملّاحُ
للحين عاد النور صفوًا رائقاً وعن البلايا زالت الاتراحُ

وقد احبَّ تلامذتهُ واصدقاؤهُ ان يقيموا لهُ ضريحاً لائقاً في مقبرة طانغتهِ في رأس النبع تكلّفوا عليهِ مبلغاً وافرًا فنصبوهُ لهُ في حفلةٍ خاصّة عيّنوها في اواسط ايّار سنة ١٩١٠ ونقشوا على صدرهِ الابيات التالية :

حيّاك يا قبرُ منّا غيثُ ادمُعنا وجادك الله من اسنى عطاياهُ
ضمنتَ كنزًا ثمينًا دونهُ مُهجٌ تسيل حزنًا وتُدمي القلبَ ذكراهُ
قد قدّر الله ان نبكي عليهِ فتى غضًّا فصبرًا على ما قدّرَ اللهُ
يا ساهرَ العين في التاريخ دامعُها حيّى النجيب فهذا القبرُ مثواهُ (١٩٠٦)

وفي شهر تموز من تلك السنة ١٩٠٦ ادركت المنيّة اديباً آخر من اسرة فاضلة في بيروت هو ميخائيل بن جرجس عورا مولود عكّا في السنة ١٨٥٥ وخريج المدرسة البطريركية في اوّل منشإها. درس فيها العربية على الشيخ ناصيف اليازجي ثمّ سافر الى باريس متاجرًا ونشر فيها جريدة الحقوق ثمّ أعقبها في مصر بمجلّة الحضارة فلم تطل حياتها بسبب الثورة العرابيّة. ثمّ عاد الى الصحافة كمنشئ ومحرّر ومُكاتب الى ان أُصيب بمرض الجأهُ الى السفر الى اوربّة انتجاعاً للعافية فمات في مدينة نابولي. ومن آثارهِ روايات مختلفة ادبيّة وقصائد قليلة. فمن قولهِ في وصف الدنيا الغرور :

تأفه ما الدنيا بدارٍ يُبتغى فيها الثوا ويطيبُ فيها المسكنُ
كلّا ولا للدهر عهدٌ يُرتجى منهُ الوثوقُ وليس منهُ مأمنُ
والارضُ يورثها الالهُ عبادهُ هذا بيانٌ وذاك عكسًا يُحسنُ
والمرء يرمي الموت فهو اذا نجا منهُ النهارَ ففي غدٍ لا يُمكنُ

وفي العام التالي في ٢٦ ت ١ ١٩٠٧ خسرت الدولة التركيـة والوطن السوري احد المخلصين في خدمتها المرحوم ﴿خليل الخوري﴾ المولود في الشويفات سنة ١٨٣٦ درس في مدارس طائفته وتحت ادارة بعض المعلّمين الخصوصيين. وهو اوّل من فكّر في نشر جريدة عربيّة في بلاد الشام فابرزها الى النور سنة ١٨٥٨ تحت اسم حديقـة الاخبار فصار لها بعض الرواج ونشرها على مدّةٍ باللغتين العربية والافرنسية وساعد بذلك على نهضة البلاد الادبية. وانتدبتهُ الدولة التركيّة لخدمتها فشغل عدّة مأموريّات كمفتش للمكاتب ومدّير للمطبوعات ومدير الامور الخارجيّة وهو يرامي سيـاسة دولته التي اعربت لهُ عن رضاها ومنحتهُ اوسمتهـا كما نال ايضاً امتيازات الـدول الاجنبيّة لحسن تصرّفهِ. وكان خليل الخوري احد الشعراء التلياني الـذين نبغوا في اواسط القرن التاسع عشر في سوريّة تشهد لهُ مطوّلاتهُ العديدة كزهر الربى في شعر الصبا والعصر الجديد والنشائد الفؤاديّة والسير الامين والشاديات والنفحات. وفي شعرهِ طلاوة ورقّة لم يعهدهما شعراء زمانهِ إلّا الشيخ ناصيف اليازجي معـاصرهُ. وهذه بعض امثلةٍ من نظمهِ. قال في وصف لبنان:

انا في رُبى لبنانَ فوق روضهِ نحو الكواكب للعُلى يجذوبُ
برياضهِ حيثُ المقامُ مترّهٌ وغياضهِ حيثُ المزاج يطيبُ
أنـابُ في جوّ المواجس حيثما كفّي الى هام النجوم طلوبُ
اهوى بلبنانَ التوحّدَ انّما هوَسي الى حيثُ الالـهُ قريبُ
جبلٌ يُظلّل رأسهُ جوّ السما فيلوحُ بالتعظيم وهو مهيبُ
يبدو برأس بلادنا كعصابة منها لزينة قطرنا ترتيبُ
عرشٌ الى ملك النُّسور أمامهُ يزهو بساطٌ بالمروج خصيبُ
قد مدّ يغسل في المياه اكفّهُ ولها برمل سهولهِ تخضيبُ
في كلّ زهر قد تصوّر شكلهُ وبكل افق إسمهُ مكتوبُ

لولا مطالعةُ العليّةُ لم يكن شرفٌ ولا بأسٌ ولا تهذيبُ

وقد استحسنّا لهُ قولهُ في وصف اللغة العربية قدّمها الى فتاة انكليزية قصدت الشرق لتدرس العربية :

قد رُمْتِ من لغة الأعارب مأربا فأتت تصادفُ منكِ فكرًا صَيِّبا
أقبلتِ نحو ديارها بتشوُّقٍ فبدَتْ بك الآدابُ تهتف مرحبا
لغةٌ تُجمِّلها البلاغةُ والعلى بذكائها تَفَسُ اللغات تطيُّبا
مرَّت جماتها الدهور ولم تزلْ ترهو وترهرُ في جلابيب الصِّبا
لم تَخشَ عاصفةً ولم تفتك بها ايدي المصابر اذا الزمانُ تقلَّبا
فلذاك قد سَلِمتْ وكم لغةٍ لقد شاخت فصارت مثل منثور الهبا
سمةٌ يشاجُها الفضاء وقدرةٌ تعلو على هام الكواكب مركبا
مرآةُ شعر الكون قد رَسَمتْ بها صُوَرَ العقول وكم اصابت مذهبا
فلكِ الهناء برَشفِ طيب زُلالها ولها الفخارُ بان تَطيب وتعذبا

وفي ٥ ت ١ سنة ١٩٠٧ نُعيت شرة شحاده بعميدها المرحوم «سليم شحاده» ترجمان دولة روسيا وسند سلفته بلاورشد كسيّة ترعاهُ الله في سوق الغرب عن ٤٨ سنة قضاها بالجدّ والنشاط وخدمة الآداب وقد اشترك سنة ١٨٧٥ مع سليم افندي الخوري لنشر معجم تاريخي وجغرافي دَعَواهُ بآثار الادهار فظهر منهُ بعض الاجزاء وعُني بنشر ديوان الفكاهة سنة ١٨٨٥ وكتب عدّة مقالات في مجلة المشكاة وغيرها. ومن آثاره لمحة تاريخيّة في اخويّة القبر المقدّس اليونانيّة والخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية وكلاهما تحت اسم مستعار كشف فيهما عن مخازي ومطامع الاكليروس اليوناني في سوريّة وفلسطين. وكان المرحوم جمع مكتبة واسعة بينها كتبٌ نفيسة عربيّة واجنبيّة. ونقلنا فصولًا عن احد مخطوطات مكتبته العربيّة «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» (المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٩٦١ و ١٠٧٩)

ومن أدباء الروم المتوفّين في السنة ١٩٠٥ في ١٣ ت ١ «نخله قلفاط البيروتي» وُلد سنة ١٨٥١ ودرس على اسكندر آغا ابكاريوس ثمَّ اقبل على الدروس الفقهيّة والقوانين الدوليّة ثمَّ زاول الكتابة فنشر عدّة روايات في مجلّته سلسلة الفكاهات وعرّب كثيرًا منها كبهرام شاه وفيروز شاه وألف نهار ونهار ومائة حكاية وحكاية.

ونشر ديوان ابي فراس الحمداني وحقوق الدول وتاريخ روسيا وغير ذلك مما أثار عليه خاطر ارباب الدولة التركية فنفوه الى قونية سنتين وزجوه في الحبس سنة أخرى الى ان أُخرج عنهُ منهوك القوى بعد النفقات الطائلة ومات مفاوجاً لما نالهُ من سوء المعاملة. ومن خلفتهِ ديوان من نظمهِ لم يطبع. وقد نُقش على قبرهِ هذا التاريخ :

لما هوى الموت الزؤام بنخلةٍ ارّخنها بسما الاعالي تغرس

وفي هذهِ الحقبة السابقة للدستور مُنيت الكنائس الشرقيَّة ببعض اربابها الذين ساعدوا بلادهم في تنشيط الآداب. منهم بطريرك طائفة الروم الكاثوليك ﴿ السيد بطرس الجريجيري ﴾ درس في مدرستنا في غزير ثمَّ في مدينة بلوا في فرنسة وقد أُسند اليهِ تدبير الكرسي الانطاكي والاسكندري وكافة المشرق في ٢٥ شباط سنة ١٨٩٨ فلم تطل مدَّة بطريركتهِ فاستأثرت رحمة الله بنفسهِ في ٤ نيسان سنة ١٩٠٢ وكان أدار مدَّةً دروس المدرسة البطريركيَّة الكبرى في بيروت ونشر لتلامذتها كتاب التعليم المسيحي سنة ١٨٦٩ واليهِ يُنسب انشاء المدرسة الاسقفيَّة في زحلة لهُ مناشير وخطب.

وقد أسفت الطائفة المارونيَّة في ٤ ت ١ ١٩٠٧ على فقد حبرها المثلث الرحمات المطران ﴿ يوسف الدبس ﴾ رئيس اساقفة بيروت بعد ان أدَّى لابناء ملَّتهِ خدماً جليلة في أيام كهنوتهِ واسقفيتهِ فانشأ مع رزق الله خضرا المطبعة الكاثوليكية العمومية التي سبق لنا وصف تاريخها ومطبوعاتها النفيسة (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ١٠٠٠—١٠٠٣ و ١٠٣٠). وشيَّد مدرسة الحكمة العامرة سنة ١٨٧٥ لتربية الناشئة وتهذيب المرشحين للكهنوت وبنى كنيسة مار جرجس الكاتدرائية على طرز كنيسة مريم الكبرى في رومية ونشر تآليف عديدة منها مدرسيَّة كمربي الصغار ومرقي الكبار ومغني المتعلِّم عن المعلِّم ومعجم في العلوم الفقهية وتقسيم الميراث. ومنها دينيَّة وطقسية كمجموع خطبهِ ومواعظهِ وكتاب الخطب البيعيَّة ونبذة تاريخيَّة في الفروض البيعية والناقور اليومي والشحيم الكبير ورتب توزيع الاسرار. ومنها تاريخية كسفر الاخبار في سفر الاحبار وخصوصاً تاريخ سورية في ثمانية اجزاء مع موجزهِ في جزئين. ومنها جدالية كروح الردود وتآليفهِ في الردة. وقد عرَّب كتباً كثيرة كتحفة الجيل في تفسير الاناجيل وترجمة تاريخ الاوطقات للقديس الفونس ليغوري والرسوم الفلسفيَّة للاب

يوسف دموسكي اليسوعي الى غير ذلك مما يخلّد ذكرهُ في قلوب ابنائهِ ومواطنيهِ

وفقدت طائفة الروم الاورثذكس في بيروت في ٢٠ ك٢ ١٩٠١ مطرانها السيد ﴿غفرئيل شاتيلا﴾ ولد في دمشق سنة ١٨٢٥ وتلقّى الدروس في وطنهِ وترهّب في القدس الشريف وتعيَّن كاتباً لاسرار البطريرك ايروثاوس ورافقهُ الى الاستانة ثم وكل اليهِ رئاسة الاسقوف الانطاكي في موسكو . وفي السنة ١٨٦٩ وقع عليهِ الانتخاب كمطران لكرسي بيروت سنة ١٨٧٠ فعُني بفتح المدارس في ابرشيَّتهِ في بيروت وقرى لبنان فأصابت ملتهُ في ايامهِ بعض الرقي

ورزئت بطريركية الروم في ٢٦ ك٢ بوفاة بطريركها السيّد ﴿ملاتيوس الدوماني﴾ . ولد في دمشق سنة ١٨٣٧ وتخرَّج في المدارس الوطنيـة ثمَّ لبس الاسكيم الرهباني سنة ١٨٥٧ وصحب الى الاستانة البطريرك الانطاكي ايروثاوس ولمَّا توطّدت سنة ١٨٦٥ ابرشيَّة اللاذقية دُعي الى رعاية كرسيها فعُني بانشاء مدرسة لابناء طائفتهِ . وفي السنة ١٨٩١ بعد استقالة البطريرك اليوناني اسبيريديون انتُخب بطريركاً واستقلَّ بهِ كرسي انطاكية من الخضوع لبطريرك الاستانة . ومما يعود فيهِ الفضل لتعزيز الآداب تجديد مدرسة البلمند وانشاء مكتبة جمعت نحو ١٠٠٠ كتاب والعناية بمطبعة الدار البطريركية وعُني بتهذيب الشبيبة من طائفتهِ وعقد الجمعيات الخيرية

وأسف الاقباط على فقدان احد رهبانهم في اوائل القرن العشرين ﴿الايغومانس فيلوثاوس﴾ اشتهر بنشر تاريخ نوابغ الاقباط الذين كان لهم الفضل في النهضة والاصلاح

هذا ما عرفناهُ من أدباء النصارى في السنين السابقة للدستور العثماني . ولا يبعد انْ يكون فاتنا قسمٌ منهم لاسيما الذين برعوا في اميركة لقلَّة ما كان يبلغنا من اخبارهم (لهُ صلة)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

رحلة ابن بطلان الى الشام (تتمَّة)

هذه الرحلة صنَّفها ابن بطلان على صورة رسالة كتبها ووجَّهها الى بغداد الى ابي الحسن هلال بن الحسن الصابي (١ سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٩ م) رواها ياقوت قطعاً متفرِّقة في معجم البلدان وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء.

وكانت احوال الشام في تلك السنين مضطربة وكثرت فيها الحروب. كان الخليفة في بغداد القائم بامر الله وكانت مصر تحت حكم المستنصر بالله العلويّ. وكان يملك على حلب معزّ الدولة ثمال بن صالح بن مرداس صاحب الرحبة سابقاً. امَّا انطاكية فكان استولى عليها الروم سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) في عهد نيقيفورس فوكاس فبقيت في يدهم الى السنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) فدخلها ابن بطلان في ايام حكم الروم عليها:

﴿المقدِّمة﴾ بسم الله الرحمن الرحيم أنا لِما اعتقدهُ من خدمة سيِّدنا السيد الاجلّ اطال الله بقاءهُ وكَبَتَ اعداءهُ دانياً وقاصياً وافترضهُ من طاعتهِ مقيماً وظاعناً، أضمرتُ عند وداعي حضرتهُ العالية وقد ودَّعتُ منها الفضل والسؤدد والمجد والفخر والمَحتِد أن اتقرَّب اليها وأجدِّد ذكري عندها بالمطالعة عمَّا أستطرفهُ من اخبار البلاد التي أطرُقها واستغربها من غرائب الاصقاع التي أسلكها خدمةً للكتاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر، وديوان المعالي والمآثر، ليودعهُ ادام الله تمكينهُ منها ما يراهُ ويلحق ما يستوقفهُ ويرضاهُ وعليَّ ذكرهُ. فما رأيتُ احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيهِ وكل رئيس في هذه الديار متشوِّق اليهِ ولوصوله مترقِّب متوقِّع. ولو

١) وروى ياقوت (٣: ٣٠٦) انهُ كتبها الى هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي في دولة بني مرداس وهلال هذا من مشاهير الكتاب توفي سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م)

وصلت منهُ نسخة ابلغ الجالبُ لها أُمنيّتهُ في رِبحها ونَفعها. والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلتهِ الباهرة ومحاسنهِ الزاهرة بجودهِ

﴿من بغداد الى حلب﴾ كنتُ خرجتُ من بغداد وبدأتُ بلقاء مشايخ البلاد وخواصّها واستملاء ما عندهم من آثارها وعجائبها. فذُكر لي اخبار مستطرفة وغرائب عجيبة وعجائب غريبة وانواع من الشعر (١ رائقة . ولضيق اوقت وسُرعة الرسول اضربت عن اكثرهِ واختصرتُ على أقلّه. وكنتُ خرجتُ على اسم الله وبركتهِ مستهلّ شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة (ك ٢ ١٠٤٩) مُصعدًا في نهر عيسى (٢ على الانبار. ووصلتُ الى الرَّحبة (٣ بعد تسع عشرة مرحلة وهي مدينة طيّبة وفيها من انواع الفواكهِ ما لا يُحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الأعناب وهي متوسّطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة أيّام . وهذا القصر (٤ حصنٌ دون دار الخلافة ببغداد مبنيّ بالحجارة وفيهِ بيعة عظيمة (٥ ظاهرُها بالفصّ المذهّب (٥ انشأها قسطنطين بن هيلانة وجدّد الرَّصافة وسكنها هشام بن عبد الملك وكان يُفرَع (يفزع) اليها من البقّ في شاطئ الفرات. وتحت البيعة (٦ صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة مقود على اساطين الرخام مبلّط بالمرمر مملوء من ماء المطر . وسكّان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى ومعاشهم تخفير القوافل وجَلب المتاع والصعاليك مع اللصوص. وهذا القصر في وسط برّيّة مستوية السطح لا يردّ البصر من جوانبها إلّا الأفق .

﴿حلب﴾ ورحلنا منها الى حلب (٧ في اربع رحالات وهي بلدٌ مسوَّر بالحجر

---

١) ويروى : اقطاع من الشعر .

٢) نهر عيسى احد الانهار المشتقّة من الفرات

٣) الرحبة هي المدينة المعروفة برحبة مالك بن طوق على شطّ الفرات

٤) ما وُضع بين هلالين ورد في معجم البلدان لياقوت (٣ : ٧٨٥) ولم يروهِ جلال الدين القفطي

٥) الفصّ المذهب هو المعروف بالفسيفساء (mosaïque)

٦) كانت في الرصافة بيعة للقديس سرجيوس الذي استشهد هناك مع القديس بَخُوس وكان العرب يعظمونها وذكرها الاخطل في شعرهِ

٧) هذا الوصف ذكرهُ ايضاً ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٠٦)

الابيض فيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي احداهما كان المذبح الذي يقرّب عليه ابراهيم عم . وفي اسفل المغارة كان يخبأ فيها غنمهُ واذا حلبها اطاف الناس بلبنها فكانوا يقولون : « حَلَبَ ام لا » ويسأل بعضهم بعضاً عن ذلك فسُمّيت حلب (١ . وفي البلد جامع وستُّ بِيع وبيمارستان صغير والفقهاء يُفتون على مذهب الإمامية . وشربُ اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر . وعلى بابه نهرٌ يُعرف بقُوَيق يَمُدُّ في الشتاء وينضبُ في الصيف . وفي وسط البلد دار عُلوَةَ صاحبة البحتري (٢ وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ إلا ما يأتيه من بلاد الروم (٣ . « ومن عجائب حلب انَّ في قيسارية البزّ عشرين دكاناً لوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدرهُ عشرون الف دينار . مستمرٌ ذلك منذ عشرين سنة والى الآن . وما في حلب موضع خراب اصلًا »

﴿انطاكية﴾ وخرجنا من حلب طالبين انطاكية بينها يوم وليلة فبتنا في بلدة للروم تُعرف بعِمّ فيها عين جارية يُصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها من الخنازير (٤ ومباح النساء والخمور امرٌ عظيم وفيها اربع كنائس وجامع يؤذَّن فيه سرًّا . والمسافة التي بين حلب وانطاكية عامرة لا خراب فيها اصلًا ولكنها ارض زرع للحنطة والشعير تحت شجر الزيتون (٥ قراها متصلة ورياضها مزهرة ومياهها متفجرة يقطعها المسافر في بالٍ رخيّ وأمن وسكون . وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل وللسور ثمانمائة وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة اربعة آلاف حارس يُنفَذون من القسطنطينية من حضرة الملك فيضمنون حراسة البلد سنةً ويُستبدَل بهم في الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قُطرها يتّصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قُلّته ويستتمّ دائرة (٦ . وفي رأس الجبل داخلَ السور قلعةٌ تبينُ لبعدها من البلد

١) هذه رواية ضعيفة فانَّ اسم حلب ورد في الآثار الاشورية قبل عهد ابراهيم الخليل

٢) هي علوة بنت زُرْعة الحلبيّة كان البحتري يشبّب بها

٣) هذا ما ذكرهُ القفطي لابن بطلان عن حلب وزاد عليه ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٠٧) ذكر بعض شعراء وجدهم في حلب وختم بها وضمناهُ بينَ هلالين

٤) روى ياقوت (٣ : ٧٣٩) : « مشاربر الخنازير

٥) روى القفطي : بجنب شجر الزيتون

٦) روى ياقوت : فتتمّ دائرة

صغيرةً . وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الّا في الساعة الثانية . وللسور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها بيعة القسيان (١ . وكانت دار قُسيان للملك الذي احيا ولدهُ فُطرس رئيس الحواريين (٢ وهو هيكل طولهُ مائة خطوة وعرضهُ ثمانون وعليهِ كنيسة على أساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة للحكومة ومعلّمو (٣ النحو واللغة . وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فِنجان (٤ الساعات يعمل ليلًا ونهارًا دائمًا اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا . وفي أعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمّامات وبساتين ومقاصير حسنة (٥ تخرُّ منها المياه وعلّة ذلك انَّ الماء ينزل عليها من الجبل المطلّ على المدينة

وهناك من الكنائس ما لا يُحدّ كثرةً كلّها معمولة بالفضّ (بالفِصّ) المذهب (٦ والزجاج الملوّن والبلاط المجزّع . وفي البلد بيمارستان يراعي البطريرك المرضى فيهِ بنفسهِ» ويدخل المجذّمين الحمّامَ في كل سنةٍ فيغسل شعورهم . ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء كل سنةٍ ويعينهُ على خدمتهم الاجلّاء من الرؤساء والبطارقة التاس التواضع (٧ . « وفي المدينة من الحمّامات ما لا يوجد مثلهُ في مدينةٍ اخرى لذاذةً وطيبةً » لان وَقودها من الآس وماؤها تسعى سَيْحاً بلا كلفة »

« وفي بيعة القُسيان (٨ من الخدم المترزقة ما لا يُحصى . ولها ديوان لدخل الكنيسة وخرجها . وفي الديوان بضعة عشر كاتبًا . ومنذ سنةٍ وكسر وقعت في الكنيسة صاعقة وكانت حالُها عجيبة . وذلك انهُ تكاثرت الامطار في آخر سنة

---

١) روى القفطي : قلعة القسياني

٢) ورد في بعض التقاليد القديمة انَّ القديس بطرس الرسول لمَّا دخل انطاكية وجد ولد واليها الروماني ميتًا فاحياهُ وعمَّد الوالد والولد ونشر النصرانية في انطاكية واعطاهُ الحاكم قصرهُ فجعلهُ كنيسة عُرفت بيعة القُسيان

٣) روى ياقوت : متعلّمو

٤) فِنجان كلمة فارسيّة تعريب بنكان وهي الساعة الرواليّة (clépsydre) ويقال في العربيّة ايضًا بنكام

٥) روى ياقوت : مناظر حسنة

٦) روى ياقوت : بالذهب والفضّة

٧) ما جعلناهُ بين هلالين رواهُ ياقوت وحدهُ (١ : ٢٨٢)

٨) كل هذه القطعة بين الهلالين التي تتضمّن وصف الزلزلة التي حدثت في انطاكية لم يذكرها جلال الدين القفطي وانّما دوّنها ياقوت (١ : ٢٨٢–٢٨٤)

١٣٦٢ للاسكندر الواقع في سنة ١٤٢ للهجرة وتواصلت اكثر أيام نيسان . وحدث في الليلة التي صبيحتُها يوم السبت الثالث عشر من نيسان رعدٌ وبرقٌ اكثر مما أُلف وعُهد وسُمع في جملته اصوات رعدٍ كثيرة مَهولة ازعجتِ النفوس ووقعت في الحال صاعقةٌ على صدَفةٍ مخبيّة في المذبح الذي للقُسّيان ففلقت من وجه النَّصرانيّة (كذا) قطعةً تشاكل ما قد نُحت بالناس والحديد الذي تُنحت بهِ الحجارة وسقط صليبٌ حديد كان منصوباً على علوّ هذه الصَدَفة وبقي في المكان الذي سقط فيهِ . وانقطع من الصَّدَفة ايضاً قطعة يسيرة . ونزلت الصاعقة من منفذٍ في الصدَفة وتُنزّل فيهِ الى المذبح سلسلة فضّة غليظة يُعلّق فيها الشمبوطون (كذا) وسعة هذا المنفذ اصبعان فتقطّعت السلسلة قطعاً كثيرة وانسبك بعضها ووُجد ما انسبك منها ملقًى على وجه الارض . وسقط تاج فضةٍ كان معلّقاً بين يدي مائدة المذبح وكان من وراء المائدة في غربيّها ثلث كراسي خشبيّة مربّعة مرتفعة يُنصب عليها ثلثة صلبان كبار فضّة مذهّبة مرصّعة وقُلع قبل تلك الليلة الصليبان الطرفيّان وتشظّيا وتطايرت الشظايا الى داخل المذبح وخارجهِ من غير ان يظهر فيها اثر حريق كما ظهر في السلسلة ولم ينل الكرسيّ الوسطانيّ ولا الصليبَ الذي عليهِ شيء . وكان على كل واحد من الاعمدة الاربعة الرخام التي تحمل القبة الفضة التي تغطي مائدة المذبح ثوبُ ديباج ملفوف على كل عمود فتقطّع كل واحد منها قطعاً كباراً وصغاراً . وكانت هذه القطع بمنزلة ما قد عُفِن وتهرّأ ولا يُشبه ما قد لامستهُ نار ولا ما احترق ولم يلحق المائدة ولا شيئاً من هذه الملابس التي عليها ضررٌ ولا بان فيها اثرٌ . وانقطع بعضُ الرخام الذي بين يدي مائدة المذبح مع ما تحتهُ من الكلس والنورة كقطع الفاس . ومن جملتهِ لوح رخام كبير طفرَ من موضعهِ فتكسّر الى علوّ تربيع القبة الفضّة التي تغطّي المائدة وبقيت هناك على حالهِ وتطافرَ بقيّة الرخام الى ما قرُب من المواضع وبَعُد . وكان في المجنّبة التي للمذبح بَكرة خشبٍ فيها حبل قُنّب مجاور السلسلة الفضّة التي تقطّعت وانسبك بعضها معلّقٌ فيها طبقٌ فضة كبير عليهِ فراخ قناديل زجاج بقي على حالهِ ولم ينطفئ شيء من قناديلهِ ولا غيرها ولا شمعة كانت قريبة من الكرسيّين الخشب ولا زال منها شيء . وكان جملة هذا الحادث مما يُعجب منهُ وشاهد غير واحد في داخل انطاكية وخارجها في ليلة الاثنين الخامس من شهر آب من السنة المقدّم ذكرها في السماء شبه

كُرَةٍ ينورُ منها نورٌ ساطعٌ لامع ثم انطفأ واصبح الناس يتحدثون بذلك. وتوالت الاخبار بعد ذلك بانهُ كان في اوّل نهار الاثنين في مدينة غُنجرة وهي داخل بلاد الروم على ١٩ يوماً من انطاكية زلزلة مهولة تتابعَتْ في ذلك اليوم وسقط منها ابنيةٌ كثيرة وخُسفَ موضعٌ في ظاهرها. وكان هناك كنيسة كبيرة وحصنٌ لطيف غابا حتى لم يبقَ لهما اثر ونبَعَ من ذلك الخَسف ماء حارٌ شديد الحرارة كثير المَنبَع المتدفق وغرق منهُ سبعون ضيعة. وتهارب خلقٌ كثير من تلك الضياع الى رؤوس الجبال والمواضع المرتفعة العالية فسلموا. وبقي ذلك الماء على وجه الارض سبعة أيّام وانبسط حول هذه المدينة مسافة يومين ثمّ نَضبَ وصار موضعهُ وحلاً. وحضر جماعة ممّن شاهد هذه الحال فحدّثوا بها اهل انطاكية على ما سطّرتُهُ وحكوا انّ الناس كانوا يُصعدون امتعتهم الى رأس الجبل فيضطرب من عظم الزلزلة فيتدحرج المتاع الى الارض»

وظاهر البلد نهرٌ يُعرف بالمقلوب(١ يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وعليهِ رحى ويسقي البساتين والاراضي. وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يُضاف فيها المُجتازون يقال انّ دَخلَهُ في السنة اربعة آلاف دينار(٢. ومنهُ يُصعد الى جبل الكلّام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المتفجرة والانهار الجارية والزهّاد والسيّاح وضرب النواقيس في الاسحار وألحان الصلوات ما يتصوّر معهُ الانسان انهُ في الجنة. وفي انطاكية شيخ يُعرف بابي نصر ابن العطار قاضي القُضاة فيها لهُ يدٌ في العلوم مليح الحديث والإفهام

وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانيّة(٣لها مينا ومَلعب وميدان للخيل مدوّر. وبها بيتٌ كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اوّل الاسلام مسجداً وهي راكبة البحر وفيها قاضي للمسلمين وجامع يصلّون فيهِ واذان في اوقات الصلوات الخمس. وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس. وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم... ومن البلد من الجبال والزهّاد في الصوامع والجبال كلٌّ فاضل يضيقُ الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم

١) يريد نهر العاصي او نهر اورُنط ٢) وجاء في ياقوت(٣ : ٦٧٢) : ولهُ من الارتفاع كل سنة عدّة قناطير من الذهب والفضّة ٣) كانت اللاذقيّة وقتئذٍ في ايدي الروم

١٢ ابو تمّام الطائيّ

﴿ توطئة ﴾ قرأنا في آخر عدد من المقتطف (اغسطس ١٩٢٥ ص ٣٣٤) ما نصّهُ :

«عندنا نسخة الدكتور فان ديك في شرح البريزي للحماسة وعليها بخط الدكتور انّ ابا تمام كان نصرانيًا . فمن اين اتى الدكتور فان ديك بذلك والمتعارف انّ أبا ابي تمّام كان نصرانيًا»

فاحببنا ان نفرد هنا فصلًا لهذا الشاعر في كلامنا عن شعراء النصرانية في عهد الدولة العبّاسية . فننظر ما في مدّعى الدكتور فان ديك من الصحة

﴿ نسب ابي تمام ﴾ هو حبيب بن اوس الطائي ينتهي نسبهُ الى ابي القبيلة الغوث ابن طيّ ومنهُ الى يعرب بن قحطان . يُكنَى بابي تمّام وتمّام ابنهُ ورد ذكرهُ في تعريف بعض امور ابيهِ في الاغاني وغيرهِ . وُلد حبيب في جاسم وهي على ما قال المسعودي في مروجهِ الذهبيّة (٧ : ١١٧) « قرية من اعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق بموضع يعرف بالحولان (بالجولان) على اميال من الجابية وبلاد نوا (كذا) وهي مراعي أيوب عم » . امّا صاحب الاغاني فقال (١٥ : ١٠٠) « هو من نفس طيّ صليبة مولدهُ ومنشأهُ بناحية منبج (كذا) بقرية منها يقال لها جاسم» وكان مولدهُ على قول تمّام ابنهِ سنة ١٨٨هـ (٨٠٤م) ووفاتهُ سنة ٢٣١ (٨٤٥ م) امّا الشائع بين الكتبة والمؤرخين كنفطويهِ والطبري وابن الاثير انّ وفاته كانت في الموصل وقعت سنة ٢٢٨ (٨٤٢—٨٤٣م) . وروى ابن خلّكان في وفات الاعيان (١ : ١٥٠) عن ابي القاسم الآمدي في الموازنة قولهُ : « والذي عند اكثر الناس في نسب ابي تمام انّ اباهُ كان نصرانيًا من اهل جاسم قرية من قرى دمشق يقال لهُ تدوس (ولعلها تدّاوس او تذرُس) العطّار فجعلوهُ أوسًا وقد لُفّقت لهُ نسبة الى طيّ» . لكنّ ابن خلّكان لم يصدّق على قول الآمدي ولم يذكر نسبتهُ الى طيّ وانّما نقل قول الصولي : «قال قوم ان ابا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني فغيّر فصار اوسًا ثمّ روى عن ابيهِ انهُ «كان خمّارًا بدمشق »

﴿ خلاصة اخبار ابي تمام ﴾ قال الانباري في طبقات الادباء (ص ٢١٣) : « ابو تمام شامي الاصل» وروى ابن خلكان ١ : ١٥٣) : « انهُ كان يخدم حائكًا ويعمل

عندهُ بدمشق ». قال : « ونشأ بمصر قيل انهُ كان يسقي الماء في جامع مصر » وزاد الانباري : « وجالس الادباء فاخذ عنهم وتعلّم وكان فطناً فهماً وكان يحبُّ الشعر فلم يزل يعانيهِ حتى قال الشعر وأجادهُ وسار شعرهُ وشاع ذكرهُ » . وقد تنقّل ابو تمام في انحاء الشام وسكن مدّة حمص فلم يحمد اهلها (اطلب ديوانهُ ص ٢٣٨ طبعة محيي الدين الخياط) ورحل الى العراق : قال الانباري (ص ٢١٤) : « وبلغ الخليفة المعتصم خبرهُ فحملهُ اليهِ فعمل فيهِ ابو تمام قصائد عدّة واجازهُ المعتصم وقدّمهُ على شعراء وقتهِ » ولمّا قدم الى بغداد جالس فيها الادباء وعاشر العلماء وكان موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس ثمَّ مدح الخليفة هارون الواثق خلف المعتصم وسافر في اوّل ايّامهِ الى سامرّا ورحل الى خراسان وارمينية والجزيرة فمدح كبار عمّال الدولة واعيانها كمالك بن طوق التغلبي وابي دلف واحمد بن ابي دؤاد وعبدالله بن طاهر وخالد ابن يزيد بن مزيد والوزيران محمّد بن الزيّات والحسن بن وهب . فعُني بهِ الحسن وولّاهُ بريد الموصل فاقام بها اقلّ من سنتين ومات ولم يتفقوا على سنة وفاتهِ . قال البحتري : « وبنى عليه ابو نهشل بن حميد الطوسيّ قبّةً . (قلتُ) ورأيت قبرهُ بالموصل خارج باب الميدان على حافّة الخندق والعامّة تقول : هذا قبر ابي تمام الشاعر » (راجع ابن خلكان)

﴿دين ابي تمام﴾ رأيت انَّ الدكتور ڤان ديك أعلن في نسخة من حماسة ابي تمام انَّ « ابا تمام كان نصرانيًّا » وفي قولهِ هذا نظر :

﴿اوّلاً﴾ اتّفق مَن ذكر والد ابي تمام كالصولي والآمدي انهُ كان نصرانيًّا فلا بُدَّ انَّ ابنهُ حبيباً ولد ونشأ على دينهِ ومن هذا القبيل يجوز القول انَّ أبا تمام كان نصرانيًّا

﴿ثانياً﴾ لنا في اسمهِ حبيب وهو من الاسامي الشائعة بين النصارى النادرة بين المسلمين ما يدلُّ على نصرانيَّته

﴿ثالثاً﴾ وليس في نسبتهِ الى طيّ ما ينفي نصرانيَّتهُ فقد اثبتنا في كتابنا النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهلية (ص ١٢١–١٢٢ و١٣٢–١٣٣ و٤٥٦–٤٥٧) شيوع النصرانيّة في قبيلة طيّ وثبات قسم كبير من بطونها على نصرانيَّتهم حتى بعد الاسلام بزمن طويل

﴿رابعاً﴾ وفي مزاولته في حداثته الحياكة والسقاية ما يدلّ على خموله بسبب دينه

﴿خامساً﴾ ثم ليس لنا كلام صريح لاحد رواة ترجمته ما يدلُّ على جحود دينه النصراني

هذا ما يحملنا على القول بنصرانيّة ابي تمام. على انّ في ديوانه عدّة ابيات تشعر بانه يدين بالاسلام فحيناً يحلف بالبيت الحرام ويقول انهُ حجّ اليه وحيناً آخر يذكر نبي العرب ودين الاسلام كانهما نبيُّهُ ودينهُ واذا ذكر الروم نبذهم بالشرك والكفر ويعظّم القرآن. وهذا كلُّهُ لمّا يثبت اسلامهُ

فلا نرى تطبيقاً بين الامرين إلّا ان نقول انهُ لما اصاب حظوةً عند الخلفاء وعند وجوه الامراء وكبار الدولة عدل عن دينه الى الاسلام مجاملةً او طمعاً بحطام الدنيا. وليس قولنا هذه حدساً وقد أخذ العجب جنابَ خليل مردم بك في كتابه الحديث «شعراء الشام في القرن الثالث (ص٣٥—٣٧) حيث قابل بين مديح ابي تمّام للخلفاء من اهل السنة واطرائهِ للشيعة العلويّة وانتصاره لحقوقها في الخلافة فرأى تناقضاً بيّناً نسبهُ الى اختلاف الزمان

امّا المسعودي في مروج الذهب فنسب أبا تمّام الى المجون وقلّة الدين قال (٧: ١٥١):

«وكان (اي ابو تمام) ماجناً خليعاً في بعض احواله وربّما ادّاهُ ذلك الى ترك موجبات فرضهِ تماجناً لا اعتقاداً (!)»

ثم روى لبعض الثقات عن المبرّد النحوي نقلاً عن الحسن بن رجاء قال:

«صار اليَّ ابو تمام وانا بفارس فاقام عندي مقاماً طويلاً ونُسبَ اليَّ من غير وجه انهُ لا يصلّي. فوكلتُ به من يراعيهِ ويتفقدهُ في اوقات الصلوات فوجدتُ الامر على ما اتّصل بي فعاتبتهُ على فعلهِ. فكان من جوابهِ أن قال: أتُراني انشطُ للتخرص اليك من مدينة السلام وانجشّم هذه الطرقات الشاقّة واكسلُ عن هذه الركعات لا مؤونة عليَّ فيها لو كنتُ اعلم انّ لمن صلّاها ثواباً وعلى من تركها عقاباً؟ (قال) وهمتُ والله بقتلهِ ثمّ تحرّجت ان يُصرَف الامر الى غير جهةٍ. قال المبرّد: وهو مع هذا يقول:

وأحقُّ الانام أن يقضيَ الدَّين م امرؤ كان للاله غريمَا

وهذا قولٌ مباين لهذا الفعل»

فترى انّ اسلام ابي تمام كان سطحيّاً ليس تماجناً فقط كما قال المسعودي بل اعتقاداً

ايضاً فذكرناهُ هنا بين شعراء النصرانية ليس افتخاراً بدينهِ بل بياناً لحقيقة تاريخيَّة . ثمَّ انَّ في شعرهِ ابياتاً تنبئ بمعرفتهِ لعادات النصارى كقولهِ في هرب توفيل زعيم الروم (الديوان ٣٣ : ٢) :

جنا الشرقَ حتى ظنَّ من كان جاهلاً بدين النصارى ان قِبلَتَهُ الغَرْبُ

﴿منزلتهُ بين شعراء عصره﴾ لا نطيل الكلام في هذا الموضوع بعد ان طرقهُ قبلنا ائمة الكتَّاب وخصوصاً ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (١٥ : ٩٩—١٠٨) فاعتبر ابا تمَّام «كامير الشعراء وخاتمهم مَن لا يشقّ الطاعنون عليه غبارهُ ولا يدركون وان جدُّوا آثارهُ» وفيه قال الحسن بن وهب يرثيه :

فُجِع القريضُ بخاتم الشعراء وغديرُ روضتها حبيب الطائي
ماتا معاً وتجاورا في حفرةٍ وكذاك كانا قبلُ في الاحياء

ورثاهُ محمَّد بن عبدالملك الزيَّات وهو حينئذٍ وزير فقال :

نبأ أتى من اعظم الانباء لمَّا ألمَّ مُقلقِلَ الأحشاء
قالوا حبيبٌ قد ثوى وأجبتهم نشدتكم لا تجعلوهُ الطائي

ولا نشاء ان نروي شيئاً من شعرهِ وديوانهُ في ايدي الجميع وقد تكرَّر طبعهُ : فطُبع اوَّلاً في مصر سنة ١٢٩٢ هـ طبعة سقيمة بلا شكل وبشروح قليلة على اهامش ثمَّ عُني بطبعهِ في بيروت الاديب شاهين عطيه اللبناني سنة ١٨٨٩ ثمَّ كرَّر طبعهُ محمد جمال مع شروح لمحيي الدين الخيَّاط . وهاتان الطبعتان مع فضلهما على الطبعة المصريَّة إلا انهما قاصرتان عن كل ما يطلبهُ العلماء من الضبط بالشكل الكامل وتعريف النسخ المنقول عنها الديوان وشرح المعاني وبيان ظروف القصائد واثبات الروايات المختلفة وجمع ما جاء متفرقاً من شعر ابي تمام في كتب الادباء . فانك ترى مثلاً في ما رواهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني عدَّة مقاطيع من شعر ابي تمام لم تُرَوَ في الديوان وكذلك هناك وفي الكامل للمبرّد وغيرهما قطع اخرى فيها روايات مخالفة لروايات الدواوين المطبوعة وبعضها افضل من المطبوع . فيا ليت احداً من ادبائنا يَسُدُّ هذه الثلم ويستفيد من ملحوظات ابي القاسم محمَّد الآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري فيُعنى بطبعةٍ جديدة وافية الشروط لذلك الديوان الفريد والاثر الجليل

(لهُ بقيَّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الرابع

رجوع الصليبيين الى ملك بيروت

ثمَّ مات صلاح الدين في ٢٧ صفر سنة ٥٩١ (٧ آذار ١١٩٤) وكان الصلح قد استقرَّ بين المسلمين والفرنج في اواخر أيامهِ. قال ابن الاثير في تاريخ السنة ٥٩٣ (١١٩٧ م):

«فلمَّا توفي (صلاح الدين) وملك اولادهُ مدَّهُ جدَّد الملك العزيز الهدنة مع الكُنْدَهري (١ وزاد في مدَّة الهدنة وبقي ذلك الى الآن (اي السنة ٥٩٣). وكان بمدينة بيروت امير يُعرَف بأسامة وهو مُقطَعُها فكان يرسل الشوالي فتقطع الطريق على الفرنج. فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرَّة الى الملك العادل (اخي صلاح الدين) والى الملك العزيز (ابنهِ) بمصر فلم ينتهِ اسامة من ذلك. فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون: ان لم تُنجدونا والَّا اخذ المسلمون البلاد. فأمدَّهم الفرنج بالعساكر الكثيرة. . . ووصل الخبر المسلمين بان الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر في ذي القعدة (ايلول ١١٩٧) الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت. فسار اليها جمعٌ من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذي الحجَّة (٢١ ت ١) وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فحينئذٍ اسامة من ذلك وتكفَّل بحفظها. ورحل الفرنج من عكَّا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا هم والفرنج بنواحي صيداء وجرى بينهم مناوشة فقُتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل. وسار الفرنج تاسع ذي الحجة (٢٣ ت ١) فوصلوا الى بيروت. فلمَّا قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معهُ من المسلمين فملكوها صلحاً عفواً بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة»

وكان الذي استولى على بيروت الملك أموري بمساعدة الالمانيين. وفي تواريخ الفرنج ان الملك العادل سيف الدين جُرح في واقعة صيدا فقصد بيروت ليتحصَّن فيها الَّا ان بعض الاسرى الذين كانوا في قلعتها عاينوا اسطولًا للنصارى مجتازًا امام المدينة

(١) هو الكُنْدَهري دبيتسبابية امر اخي ملك الانكليز ريشَرْد قلب الاسد وتابعهُ بالسطين

فاشاروا اليهم وتمكن الاسرى من قتل الحرس وفتحوا ابواب الحصن للفرنج فدخلوه. وفي اليوم التالي جاء عسكر البرّ من جهة صيدا فدخلوا المدينة في ٢٥ ت ١ سنة ١١٩٧ واطلقوا سبيل ١٤،٠٠٠ من الفرنج كانوا فيها

ثمّ توالت الحروب بين المسلمين والفرنج نحو سنةٍ كاملة فكان الملك العادل والملك العزيز دائبين على محاربة الصليبيين الى ان اضطرّ الملك العزيز الى الذهاب الى مصر لتأييد سلطانهِ فيها. فتردّدت الرسل بينهُ وبين الفرنج حتى اصطلحوا على ان تبقى بيروت بيدهم. وكان الصلح في شعبان سنة ٥٩٤ (حزيران ١١٩٨) كما افاد ابن الاثير في تاريخهِ الكامل

البحث الخامس

بيروت وامراؤها الفرنج من أسرة ديبلين

ثمّ اراد الملك اموري ان يتفرّغ لامور مملكتهِ فتنازل عن حكمها لاحد امراء دولتهِ المدعو كونراد دي مونفرّا (Conrad de Monferrat) وكان لامرأتهِ ايزابلّا ملكة اورشليم سابقاً شقيقٌ ذو خصالٍ فريدة في النجابة والشهامة وحسن السياسة يُدعى جان ديبلين (Jean d'Ibelin). وكان من اسرةٍ شريفة عريقة في المناصب تفوّقت على سواها في الحروب الصليبيّة فعُهد الى ذويها اجلّ المناصب وقُلّدوا الامارة على عدّة مدن كيافا وارسوف ورملة ونابلس. وكان ابوهُ يدعى باليان (Balian) من فرسان الفرنج استولى على يُبْنَى وهي بلدة جنوبيّ يافا تبعد عنها مرحلةً في وسط الطريق بين لدّ واشدود وهي اليوم خراب وكان الفرنج يدعونها إملين او ابلين فاليها نُسب باليان دِبْلين (Balian d'Ibelin)

وكان ابنهُ جان من فرسان العصر الممتازين بفضلهم وجميل صفاتهم خلفَ اباهُ في ارثهِ فعُرف باسم جان ديبلين وقلّدهُ الملك رتبة كندُسطيل (Connétable) لمملكة اورشليم. فلمّا انتدبهُ كونراد دي مونفرّا الى امرة بيروت تخلّى عن رتبتهِ ليتفرّغ لشؤون منصبهِ الجديد

وكان اوّل ما فكّر فيهِ عند توليتهِ على بيروت انهُ باشر في تحصينها فاقام اسوارها ودعّمها بالابراج ورمّم حصنها فصارت من احرز مدن سواحل الشام وأمنعها في وجه العدوّ. ولم يجتزئ بذلك بل فتح لها المدارس فراجت فيها سوق الآداب وزيّنها

بالمعاهد الفخمة ونشّط ارباب الحرف والصنائع ووسّع نُطق التجارة واستدعى الى ثغر بيروت اهل البندقيّة والتاجرين من الجنويين والبيزان فكانت سفنهم تقدم الى بيروت ناقلةً اليها مرافق الفرنج وتنقل منها الى انحاء الغرب محصولات الشام

وبقي جان ديبلين في امرتهِ خمساً وثلثين سنةً ساس بيروت في مدّتها بحكمةٍ نادرة ودافع عنها دفاع الابطال واشتهر ببلاغة لسانهِ كما نصّ عليهِ صاحب كتاب الدستور الاورشليمي (Assises de Jérusalem) حتى ذاع صيتهُ في الشرق والغرب. وكان لا يقع امرٌ ولا يجري حادث في الشام وقبرس وفلسطين إلّا وله فيهِ نصيب كبير. وكان احد مستشاري دولة الفرنج في تدبير امور مملكتهم الشرقيّة. وورث من اهلهِ مدينة يافا وكانت زوجتهُ ابنة صاحب أرسوف فلمّا مات حموه صار هذا الحصن في حوزتهِ. فطمع فيهِ ذوو المطامع وحاولوا غير مرّة ان ينزعوهُ من يده وساروا الى محاربتهِ. فتصدّى لهم جان ديبلين وردّ غاراتهم حتى أيسوا من فتح الحصن

وكان لجان ديبلين اخٌ يدعى فيلبّس تعيّن وليًّا للملك هنري دي لوزنيان ملك قبرس قبل بلوغهِ فمات في تلك الاثناء. فخلفهُ جان في نيابتهِ. ومن مآثرهِ في اثناء تدبيرهِ لتلك المملكة انهُ قام في وجه الملك فردريك الثاني عدوّ الكرسي الرسولي والمحروم من الحبر الاعظم غريغوريوس التاسع لمّا قصد الاراضي المقدّسة مع جيش من اللمبرديين فحالف الملكَ الكامل سلطان مصر ووعدهُ بمحاربة الملك المعظم صاحب دمشق فاعطاه الملكُ الكامل مدينةَ القدس وبيت لحم وفتح فردريك بعض المدن التي في ايدي الصليبيين واستولى على قبرس فحاربهُ الصليبيون. وكان جان ديبلين احد زعماء الفرنج الذين سعوا الى كبح جماحهِ وردّ غارات اللمبرديين فنالهُ منهم اذًى وافر لكنهُ لم يزل يناوشهم القتال ويدافع عن الملك وعن مدينة بيروت الى ان فاز بالنصر في مدينتَي اغريدي وسيرين من اعمال قبرس وكسر شوكتهم سنة ١٢٣٣ فرجعوا الى ايطالية خاسرين. فخوّل هذا الانتصار مجدًا جديدًا جان ديبلين الذي بفضلهِ ثبت على عرش قبرس ملكها الشرعي وتمتّعت بيروت بحصانتها من معرّة اعدائهِ

كانت وفاة جان ديبلين سنة ١٢٣٦ في عكا قطّرهُ فرسهُ فمات بعد ان اوصى بالامرة لابنهِ البكر وهو باليان الثالث وولّى على ارسوف ابنهُ الاصغر جان سيّهُ. وقد جرى باليان على آثار ابيه فاجتمع مع امراء الفرنج لمحاربة من بقي في صور من

حزب الالمان في شهر تموز سنة ١٢٤٣ فاباد ذكرهم . وقد اختاره الامراء كُنْدُسطبلًا لمملكة قبرس . وكان باليان الثالث رجلًا عاقلًا واسع الادب دمث الاخلاق

وخلفه بكره جان الثاني المعروف بالصغير نحو سنة ١٢٥٣ فتوفي سنة ١٢٦١ فصارت إمرة بيروت الى ابنته الكبرى المدعوَّة ايزابلّا (١٢٦٤—١٢٨٠) ثم خلفتها الصغرى المسماة اشيف (Eschive) فاقترنت بالزواج مع امير مدينة صور هُمفروا دي مونفور (Humfroi de Monfort) فاورثتهُ حقوقها على بيروت . ولمَّا مات زوجها سنة ١٢٨٤ صار ابنها روبان (Rupin) سيدًا على صور وبيروت وهو آخر امراء بيروت من الفرنج(١ . فانَّ في ايامهِ كان فتح بيروت على عهد الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك منصور قلاوون الصالحي تولى الملك بعد ابيهِ ٦٨٩ هـ الى ٦٩٣ هـ (١٢٩٠—١٢٩٤) ففتح اولًا عكا ثم المدن الساحلية . وكان صاحب بيروت ارسل الى الملك الاشرف في وقت حصاره لعكا يطلب منه الامان فاجابه الى طلبهِ . لكنه ارسل بعد ذلك احد كبار دولتهِ وهو علَم الدين سنجر الشجاعي ليضع يده عليها . قال صالح ابن يحيى (ص ٤٣—٤٤) :

«فلما وصل سنجر الشجاعي الى بيروت تلقَّاه صاحبها وخيَّاتهُ احسن ملتقى ونزل في القلعة وامرهم ان ينقلوا اولادهم وحريمهم واشغالهم الى القلعة ففعلوا وظنُّوا انه يفعل ذلك شفقةً عليهم . فلما صاروا في القلعة قبض على الرجال وقيَّدهم والقاهم في الخندق وذلك في نهار الاحد ٢٣ من رجب سنة ٦٩٠ (٢٣ تموز ١٢٩١م) . . . ثم شرع في هدم سور المدينة وقلعتها وكانت محكمة البنا ، ثم جهَّز اهاليها الى دمشق وانفذهم منها الى مصر باجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء . ولما وصلوا الى مصر اطلقهم السلطان وقال : اماني باقي عليكم وخيَّرهم بين العود الى بيروت او التوجه الى قبرس باجمعهم . وكانت مدة استلام الفرنج على بيروت في هذه النوبة خمسًا وتسعين سنة وتسعة اشهر وثلاثة عشر يومًا »

امَّا علم الدين سنجر الشجاعي فلم يلبث ان قُتل وكانت الحرب قد انتشبت بينهُ وبين الامير كُتُبُغا بعد موت الملك الاشرف الخليل فظفر اصحاب كُتُبُغا بسنجر وقتلوه شرَّ قِتلة . قال ابن اياس في تاريخ مصر المعنون ببدائع الزهور (ج١ص١٣٢) :

«كان سنجر الشجاعي هذا رجلًا مهيب الشكل قاسي القلب مظلم الصورة عسوفًا كثير الاذى اذا ظفر باحد لا يرحمه ولا يراعي في الانام خليلًا فلما ان قتل لم يرثِ له احد من الناس»

١) اطلب كتاب شلومبرجر عن مسكوكات اللاتين في الشرق SCHLUMBERGER: Numismatique du royaume latin (p. 116—118)

(لهُ صلة)

سليمان البستاني

الرجل – رجل السياسة – رجل العلم والادب

بقلم فؤاد افرام البستاني

توطئة

﴿العائلة﴾ في جبّة بشراي من لبنان الشمالي قريةٌ صغيرة تُدعى بقرقاشا. وفي هذه القرية صخرة كبيرة تُعرف حتى الآن بصخرة البستاني او بصخرة ابي محفوظ البستاني. ذاك اسمٌ لم تقوَ السنون على نزعه. وانَّ من الاسماء المأثورة التقليدية ما يثبت ثبات الصخور

أيام كان خير عمل [illegible] زراعة الارض. أيام كانت التجارة مرادفة في عرفهم [illegible] كان اسم اميركا لا يُفيق في مخيلة الجبليين تلك الاكداس الذهبية. [illegible] اعظم سفرة يحلم بها اللبناني هي ان يرحل الى طرابلس او الى بيروت او الى الشام فيرجع محدّثاً اهلهُ بالعجائب والغرائب فيتناقلونها ويعظّمون الحظّ الذي اتاح لهُ تلك الاسفار البعيدة فيغبطه اهل الضيعة ويغبطون امرأته واولاده وتغني نساؤهم :

زوجك يا مليحه راح عالشام وحده

في تلك الايام كان ابو محفوظ يحرث بستاناً عامراً وسط بقرقاشا. كان يتعب ويكدّ فلا يترك شجرة غريبة اوزهرة عجيبة او نبتة صالحة الّا أودعها ذاك البستان الخصِب واجتهد في انمائها... حتى فاقت مزروعاته وفاكهته منظراً وطعماً كل مزروعات الضيعة. ووصل صيت بستانه الى طرابلس شمالاً والبترون غرباً. واضحى حديث الشيوخ في لياليهم وقبلة الشبّان في نزهاتهم. ولُقّب ابو محفوظ «بالبستاني» على سبيل الاطلاق فلم يَعُد يُعرف الّا بهذا اللقب. وكان جنب البستان صخرة كبيرة يجلس عليها صاحبه اذا ما انتهى من عملهِ واراد الراحة فلقّبوها ايضاً بصخرة البستاني

أمواطنيَّ ملكتمُ كرماً بجميلكم نفسي وحمدي
فخذوا اذاً رسم المحبّ فذا ابقى لكم من جسميَّ الفاني (سليمان البستاني)

فاضحت الصخرة شاهدةً حتى اليوم على منبت هذه العائلة الكبيرة

وكان أن قويت شوكة المتاولة في تلك الجهات واخذوا باستعباد المسيحيين . فأبت أنفة ابي محفوظ الاقامة على الضيم وفضّل المهاجرة فترك قريته وداره وبستانه العزيز سنة ١٥٦٠ وقدم مع ولده محفوظ واخوته الثلاثة قاصدين الى دير القمر وهي اذ ذاك كبرى مدن الجبل واهمّ وسط للصناعة

وفي الطريق تخلّف عنهم احد اخوة ابي محفوظ فاقام في قرية غادير من اعمال كسروان وامتدّ نسلهُ فيما بعد الى صربا وجونيه وساحل بيروت . وكان على الاب ان يفارق ابنه محفوظاً ايضاً فانه لعداوة دموية على ما يقال(١ ترك والده وعمّيه ورحل الى ضهر صفرا في بلاد عكار ولا يزال نسله هناك يُعرف الى الآن ببيت محفوظ

امّا ابو محفوظ واخواه فوصلوا دير القمر واشتروا قطعة ارض من الدروز وابتدأوا بحرثها مجدّدين مِهنتهم . وتكاثر نسلهم حتى ضاق بهم مجال العمل ، فهبط بعضهم بعيالهم في اوائل القرن الثامن عشر الى مزرعة الدّلهمية من اقليم الخروب . وفي حديث طويل لا يسمح المقام بسرده انتقلوا الى مزرعة الدبّية التي اخذوها من بيت ابي نكد فتكاثروا فيها وعمروها ، ولم يدخلها في اوّل الامر احد غيرهم ، حتى صارت اليوم قرية كبيرة اكثر سكانها من آل البستاني

وثمّ ايضاً نسلُ من ظلّوا في دير القمر وانتشروا مع ابناء عمهم حتى ضاق عليهم المقام فاخذوا بالمهاجرة . واحفادُهم منتشرون اليوم في اكثر مدن وقرى لبنان وسوريا . وقد قطعوا البحار فترى منهم في مصر والسودان واوروبا على اختلاف ممالكها والولايات المتحدة والارجنتين ، والبرازيل والمكسيك وسائر اقطار اميركا

وكان لاسمهم الادبي والعلمي ان ينتشر انتشار افرادهم واكثر . فنبغ منهم كثيرون من رجال الدين والدنيا فخدم منهم الكنيسة المقدسة ثلاثة مطارين : عبدالله وبطرس واوغسطين . ونحو الخمسين كاهناً من اشهرهم الخوارنة : يوسف ضاهر ويوسف جرجس وبطرس وبولس ورافائيل والاب منصور اليسوعي . امّا خدمة العلم والادب فعديدون نكتفي بذكر العلّامة الشهير المعلم بطرس ابي النهضة واولاده : سليم ونجيب ونسيب والشاعر الروائي سعدالله والكاتب الاخلاقي سعيد والشيخ

(١ راجع دائرة المعارف في مادة «بستاني»

عبدالله حامل لواء اللغة اليوم والاساتذة : امين وميخائيل ووديع والصحافيين : يوسف ونعوم واسكندر وكرم وبطرس والشاعر الرقيق ادوار والكاتبة الاديبة السيدة أليس

وكأنَّ الله قد قيَّض لهذه العائلة ان ترتقي ذروة السياسة كما ارتقت ذروة العلم فنبغ منها فقيدنا العزيز فقرن الى دقَّة العالِم حزم الاداري ، وكان عماد الدولتين : السيف والقلم . . . فمن هو هذا الرجل؟ وما هي مزايا رجل السياسة ؟ وما هي صفات رجل العلم والادب ؟ ثلثة اقسام نتوخَّاها في درسنا هذا

القسم الاول

الرجل

١ في بكشتين : الطفل — والولد (١٨٥٦—١٨٦٣)

على رابية من روابي اقليم الخروب من قضاء الشوف في لبنان الجنوبي ارتفعت بناية كبيرة تظهر لمن [illegible] بيروت [illegible] طريق الدامور بقرميدها الساطع تحت اشعَّة الشمس . . . وحول هذه البناية [illegible] بيوت ألفت مزرعةً تُعرَف ببكشتين

في هذه البناية ، او بالاحرى في الدار القديمة التي قامت عليها هذه البناية ، رأى سليمان البستاني النور في الثاني والعشرين من شهر ايار سنة ١٨٥٦ . يوماً مباركاً كان اليوم الذي رُزق فيه خطار سلوم البستاني بكر انجاله فقرَّت عينهُ ووافته التهانئ من كل جهة . وكان فرح العائلة شاملاً اذ كان الوالدان بستانيَّين : الاب خطار بن سلُّوم شقيق المطران بطرس بن نادر ، شقيق المطران عبدالله بن ابي يوسف ناصر . . . ابن ابي محفوظ البستاني . والامّ مريم بنت الخوري جرجس البستاني . وان الواقف على عادات بلادنا والعارف بما تحتفل به العائلات يوم ولادة الولد البكر يعلم مقدار احتفال عائلة خطار بولادة سليمان

ورُزق ابوه بعدهُ ثلاثة انجال هم : سعيد بك ، امير آلاي الجند اللبناني سابقاً والدكتور عبدالله بك الطبيب الشهير في مصر والاستاذ الدكتور سليم بك من اشهر المحامين في مصر ايضاً

وكان السعيد الذكر المطران عبدالله البستاني بعد ان اقام مكانه على ابرشية

صور وصيدا المارونية ابنَ شقيقه المطران بطرس يسكن مع عائلة خطار حفيد اخيه نادر. فسُرَّ سروراً شديدة بولادة سليمان. وما ان ترعرع حتى تعلّق به، وكثيراً ما نرى الشيوخ يتعلقون بالاطفال اذ يرون بهم تذكاراً للماضي وتعزيةً على الحاضر ورجاء للمستقبل، وهكذا كانت حالة المطران عبدالله مع سليمان فما بلغ السنة الثالثة حتى اخذ بتلقينه مبادئ العربية والسريانية. وكان يأخذهُ بعد انتهاء الدرس الى النزهة حول بكشتين فيروّض جسمهُ وعقلهُ في تلك الاحراج والبراري ويذخر في مخيّلته صوراً جميلة ومناظر بديعة كان عليها ان تَسِم بسمة اللطف وحسن الذوق والرشاقة كلَّ ما سيخطّه ذاك القلم... وانَّ من يقرأ وصفهُ لسويسرا في قصيدته «الشفاء» يفاجئ بين سطورها تأثير تلك التربية الجبلية وفضلها على الشاعر فهي التي تعوّده ملاحظة ادقّ التصاوير فيستخرج منها ارقّ العواطف

هكذا نشأ سليمان بين الدرس والنزهة فاتحاً صدرَهُ للهواء الطلق الصافي وعقلَهُ لبذور العلوم. وكان منذ طفولته ميّالاً للمطالعة محبّاً معرفة كل ما يقع تحت بصره. وقد ساعدته ذاكرته القويّة فنال وهو في السابعة من عمره ما لا يناله غيره وهو ابن خمسة عشر. وكان نَهِماً في المعارف يسأل عن كل ما يسمع فاحصاً بدقّة عن اصله وفصله. قرأ ذات يوم باشارة المطران فصلاً من كتاب «الف ليلة» يذكر حكاية صياد يجد عفريتاً فيروي له العفريت قصة ملك مع حكيم شهير فانتهى الى مكان فيه: «وكان قد دخل مدينة الملك حكيم كبير طاعنٌ في السنّ يقال له الحكيم ردبان.. وكان عارفاً بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية....» وما وصل الى هنا حتى اطبق الكتاب وقال: «أوَ كان هذا الحكيم احسن مني؟ ولِمَ لا اعرف انا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية؟» فتبسّم المطران جذلاً وقال: «ستعرف كل ذلك ان اجتهدت»... وظلت هذه الفكرة في دماغ سليمان حتى ادرك ذاك الحكيمَ وجاوزهُ...

هذا وللمطران فضل آخر اعظم شأناً ألا وهو انماء روح التقوى والتديّن في نفس الصغير. فقد كان بارشاداته ونصائحه وامثاله الانجيليّة يغرس الايمان في تلك الارض الخصبة غرساً لم تقوَ على زعزعته جميع زخارف العالم وسفاسط اعداء الدين. وكان ما يرى سليمان في والديه من الفضائل يعزّز تلك النصائح ويُنميها. وكان ابوهُ خطار

مشهوراً بالمروءة والكرم وعزّة النفس حتى سار صيته في تلك الجهات. وكان المارّ في طريق بكشتين لا يجسر الّا ان يأتي بيت خطار فيقيم عنده ضيفاً ما شاء. ذلك لان خطاراً المذكور كان يغضب اشدّ الغضب على من يمرّ في ليل او نهار ولا ينام او يأكل في داره. وسنرى انه كان على سليمان ان يرث القسط الوافر من هذه الصفات

٢ في بيروت : التلميذ — المعلم — الصحافي — الاديب (١٨٦٣—١٨٧٦)

ولما بلغ السابعة من عمره تكاملت عليه ظواهر النباهة فرأى ابوه ان يرسله الى المدرسة الوطنية في بيروت. وكان مؤسسها ورئيسها نسيبه الشهير المعلم بطرس البستاني ابا النهضة الحديثة. فدخلها سليمان سنة ١٨٦٣ وكم بطل به المقام حتى نبغ في كل علومها وبرّز على اقرانه. وكان من معلّميه فيها الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير. فاتقن في المدرسة العربية والانكليزية ودرس الفرنساوية والسريانية... وكان يقرن الى الاجتهاد حسن الصفات وطيب الاخلاق حتى احرز بين رفقائه افضل مقام واطيب سمعة. فكانوا يرون به الصديق الصدوق والناصح المخلص فيسرّ ان اليه ما يخالج افئدتهم الفتيّة فيقبل اسرارهم بوجه بشّ ويود بها قلماً عرفوه عميقاً واسعاً ويعمل على التوفيق بين المختلفين وملاشاة كل فتنة تبدو بدتي هي احسن. فظهرت فيه من ذلك الحين برثومة الرجل السياسي المحنك والاداري الرزين. وكان ينصح رفاقه نصائح صالحة يتبعونها بكلّ دقة ارضاء له اذ كانوا حرصين على مسرّته متفانين في اعتباره

ومما اشتهر به في المدرسة قوة ذاكرة قرنها الى ذكاء حادّ فنتج عنها مقدرة غريبة على استيعاب العلوم والتوسّع فيها بطريقة عقلية أمِنَ معها ضرر تراكم المحفوظات المتشعّبة الانواع... وقد ساعدته هذه الذاكرة على حفظ الكثير من المعارف الثانوية. ومما يدل على قوتها انه سرد مرةً عن ظهر قلبه نشيداً ونصف نشيد من ملحمة «الفردوس المفقود» لملتن الشاعر الانكليز، مع قسم وافر من قصيدة «سيدة البحار» لولتر سكوت الروائي الانكليزي واستظهر الفيّة ابن مالك وانشد منتي بيت منها في احدى حفلات المدرسة الوطنية

واشتهر ايضاً في المدرسة باتقانه فنّ التمثيل. فكان يُعهَد اليه بتمثيل الادوار

الدقيقة في الروايات. ولا يزال بعض مترجميه يتناقلون انه مثّل مرةً دور «منتور» في رواية «تلماك» بعبارة يندر ان يأتي بمثلها من كان في سنه. وهذه الرواية لاحد معلمي المدرسة المذكورة الشاعر سعدالله البستاني (١

وبعد ثماني سنوات من دخوله المدرسة نال شهادتها النهائية. فلم يكتفِ بها بل تابع الاجتهاد يبذل الجهد في افادة تلامذته وحثهم على درس لغة البلاد واحوالها وعادات اهلها. كل ذلك بطريقة سهلة ساذجة جعلت له اعظم اعتبار في عيونهم

وكان يحرّر في «الجنان» و«الجنة» (٢ وتولّى تحرير «الجنينة» (٣. واشتغل مع انسبائه اصحاب هذه الصحف في تأليف «دائرة المعارف» وله فيها المقالات الشيّقة والابحاث الدقيقة

وذكر عيسى اسكندر المعلوف انه انتُدب ترجماناً لقنصلية الولايات المتحدة (٤ وكان لا يألوا جهداً في سبيل نشر المعارف وتحبيذ النهضة الادبية في سوريا فعُدّ من مؤسسيها. ودخل في جمعية «زهرة الآداب» وترأسها مرتين. وكان لها في ايامه نفوذٌ يُذكر

وفي غضون ذلك اشتد الالم في عينيه فاعتزل المطالعة والكتابة مكرهاً معوّضاً ما امكنه بأحاديثه الشيّقة وافاداته. ولحسن الحظ لم يقعده الالم طويلاً بل تابع جهاده بكل نشاط.. مغتنماً زمن الشباب لا لصرفه في اللذات والملاهي ككثيرين بل لبذله في سبيل تحصيل العلوم وتهذيب النفس بآداب الشعوب المختلفة. وكان مع اشغاله وتعمّقه في الدروس يجد ميلاً فطرياً الى اتقان اللغات العديدة فحصّل منها قسطاً وافراً كما سترى.

---

١) جرجي نقولا باز: سليمان البستاني – بيروت – ١٩٢٥ ص: ٤

٢) صحيفتان الاولى مجلة نصف شهرية سياسية علمية ادبية تاريخية. والثانية جريدة نصف اسبوعية سياسية تجارية ادبية، انشأهما المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٧٠ وسلّم ادارة الثانية الى ابنه سليم. وبعد وفاة الاثنين نال امتيازهما نجيب البستاني فاصدرهما الى سنة ١٨٨٦ ثم أُجبر على اقفالها لما حصل من الضغط على المطبوعات

٣) جريدة سياسية تجارية كان يصدرها سليم البستاني اربع مرات في الاسبوع. عاشت من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٥

٤) جريدة «الاستقلال» في ٦ آب سنة ١٩٢٥

٣ بدء اسفاره العراق . جزيرة العرب . قبائل البادية (١٨٧٦–١٨٨٥)

«هجرةٌ بعد هجرةٍ بعد اخرى وهمومٌ في اثرهنَّ همومُ»

(خليل مطران)

ولم تنحصر شهرة البستاني في محيط لبنان وسوريا الضيق بل تجاوزته الى الاقاليم المجاورة وهو لم يتجاوز العشرين من العمر . فارسل بعض وجهاء البصرة بزعامة قاسم باشا زهير يستقدمونه لانشاء مدرسة ونشر جريدة . وكان حبُّ الاسفار يأخذ من نفسه شيئاً فشيئاً ، فلبى دعوتهم هذه ، وسافر سنة ١٨٧٦ مصحوباً على قول المقتطف باحد ابناء البستاني (١ . فانشأ هناك مدرسةً ادارها سنةً وتركها لغيره منصرفاً الى تجارة التمر مع آل زهير . وكان مع اعماله التجارية لا ينفك عن درس احوال تلك البلاد واخلاق اهلها وعاداتهم ويدوّن كل ذلك في مفكراته مترقباً الفرص للسفر وتفقُّد الاعراب في البوادي المجاورة . وكان قد اتخذ بغداد مقرًّا له فدرس احوالها المالية والتجارية والزراعية واخلاق اهلها وما جاورها من العربان . ولم يلبث ان تعيَّن عضواً في محكمتها التجارية

وكان في بغداد شركة للمراكب الخديوية العثمانية تُعرف بشركة «عمان» ساءت احوال ادارتها بعد قيام مصلحها مدحت باشا من تلك الارض فانحطت كثيراً وانتهبت اموالها وتكاثرت عليها الديون فرزحت حتى عُين ثابت باشا والياً على البصرة . فاستاء لذلك وارسل الى الاستانة تقريراً ضافياً بهذا الشأن . فاتاه التفويض التام بالاصلاح . فتداول مع مجلس ادارة الولاية وبعد البحث الطويل لم يجدوا الا سليمان يولّونه هذا الامر . فتعيَّن مديراً لها ولمعمل حديد كان انشأهُ مدحت باشا . وأُطلقت يده في التصرّف الداخلي والعزل والتعيين وجميع ما يتعلّق بادارة تلك الشركة . ولم تمض ثلاثة اشهر حتى ترتبت الاشغال وحسنت حال الشركة فوفت ديونها وجمعت الوف الليرات ارباحاً . فكان نصيب البستاني من ذلك السمعة الطيبة ، واقرَّ له الجميع بحسن الادارة والحكمة في التنظيم والترتيب

وبعد ذلك عنَّت له الاسفار والرحلات العلمية فزار مرّات بلاد العرب وقصد

---

١) راجع المقتطف (شهر آب سنة ١٩٢٥) – سليمان البستاني ص : ٣٦١-٣٦٧

اليمن ونجد وحضرموت وغيرها . فدرس احوالها وطبائع اهلهـا وميولهم وطرُق معيشتهم وعاداتهم في افراحهم واحزانهم . وسافر اياماً في البادية على ظهور الابـل حتى وصل الى « الرقتين » فرآها « مطمئنَّين من الارض في بادية قفرة تقتله اشعة الشمس اذا وقف اليها ساعـة واحدة » (١ . ثم زار جميع الاماكن المشهورة في شعر العرب الاقدمين وتفقَّد احوال القبائل الحالية فجالس شيوخها وحادث شعراءها وجمع الكثير من اشعارهم في ديوان وعد بطبعه فلم تمكنه الظروف . ولعلـه يطبع مع كتابه الكبير في تاريخ العرب الى اليوم الذي باشر به حينذاك ولا يزال مخطوطاً

وكان يبحث في تلك البوادي بحث عالم خبير مدقق فتوفق الى اكتشاف قبيـلة عربية لم يعرفها احد قبله ولا دوّن اسمها قلم كاتب . فبحث في اصلها وكتب عنهـا مقالًا ضافياً في ثلاثة اجزاء من مقتطف سنة ١٨٨٧ وسنعود الى ذكرها . وقد احصى جميع بدو القبائل بسبعة ملايين احصاء دقيقاً لم يجارِهِ به احد . فابتدأ من بدو سوريا فالعراق فاطراف الاناضول فنجد والحجاز واليمن وعمان وحضرموت وغيرها

٤ من الاستانة واليها : دائرة المعارف التركية — زواجهُ — معرض شيكاغو (١٨٨٥—١٨٩٨)

«جبتَ المغارب بعد الشرق مرتحلًا ما ابتَغى من سفرٍ الّا الى سفرِ» (مراد ابي نادر)

وبعد تسع سنوات عاد الى بيروت سنة ١٨٨٥ وتابع شغله في « دائرة المعارف » . وكان قد توفي نسيبه سليم سنة ١٨٨٤ وقبل موته اراد ان يترجم الدائرة الى اللغـة التركية فعهد بذلك الى خلفي افندي رئيس المكتب السلطاني ومعه نخبة من كتّاب الترك فترجموا منها نحو المجلدين وتوفي سليم المذكور قبل المباشرة بالطبع . فرأى سليمان وابناء عمه نجيب ونسيب ان يتشوا العمل . ولمّا كان لا بدَّ من رخصة وزارة المعارف سافر المترجم الى الاستانة فاتّصل بكامل باشا وكان يومئذ وزير الاوقاف وبسعيد باشا الصدر الاعظم وغيرهما من الوزراء كجودت وصبحي . وظلّ يتردَّد على الوزارة ثلاثة اشهر وهي تماطلهُ الى ان علم الصدرُ الاعظم بذلك باشارة كامل فقال لـه : « لو خطر لي انك لقيتَ هذه المماطلة لأغنيتُك من تلقاء نفسي عن هذا العناء . فاذهب الآن مطمئناً وعُد اليّ بعد ثلاثة ايام » . وفي اليوم التالي فاز بالاذن وصارت الرخصة

١) مقدمة الالياذة (ص : ١٦١)

بيده فزار سعيد باشا في اليوم الثالث «ليشكره» لا ليشكو اليه » (١

ورجع الى بيروت فاصدر الجزء التاسع من «دائرة المعارف» العربية واراد طبع الدائرة التركية فحال دون ذلك اشتداد المراقبة والضغط على المطبوعات حتى انه اضطرّ الى السفر الى مصر حاملاً معه موادّ المؤلف المذكور. وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٨٧ فنشر في المقتطف (٢ مقالتهُ عن القبيلة المكتشفة واسمها «الصلبة» او «الصُّلَيب» (٣ واذ كان يصلح مسودّتها في ادارة المجلة المذكورة اقترح عليه رئيس التحرير ان يترجم الالياذة فوعد وبدأ بالترجمة

وكان قد نشر طريقة للاختزال العربي في الجزء التاسع الذي اصدره من دائرة المعارف بعنوان «ستينوغرافيا» فاراد الخديوي توفيق باشا ان يعمّها في مصر. فاعاد المترجم نظره فيها ونشرها على حدة. ثم عرض لهُ ما دعاه الى الرحيل واهمل المشروع. وكان عليه ان يتابع اسفاره العديدة وقد قال :

« ولم أكد استقرّ في مصر حتى حدا بي حادي الاسفار التي ألفتها منذ الصبا فبرحت القاهرة سنة ١٨٨٨ وفي النفس شغف بها وحنين اليها. فانتهى بي التطواف الى العراق بعد ان طرقتُ الهند واطراف العجم فأقمت فيها زهاء سنتين . . . ثم شخصت الى الاستانة واتخذتها مقاماً طيباً لبثتُ فيه سبع سنوات كنت كثير التنقّل في اثنائها بين الشرق والغرب فيوم بسوريا وسنة باوربا واميركا والمرجع الى الاستانة » (٤

وتضلّع في بلاد العجم من اللغة الفارسية ، فتعرّف الى مؤلفات مشاهيرها كالفردوسي وغيره وطالع اشهر ملاحمها من امثال الشاهنامه. وكان من طبعه ميّالاً للشعر القصصي ميلاً كان من الاسباب التي دفعته الى اجلّ واعظم عمل اتاه شاعر عربي ألا وهو تعريب الالياذة

وفي بغداد تزوّج من ابنة انطون البغدادي الكلداني فلم يتوفّق معها ولا رُزق منها اولاداً. واقام في الزوراء سنتين تفرّغ فيها الى متابعة التعريب وكتابة مؤلّفه في تاريخ العرب المذكور آنفاً . وبعد ذلك عاد الى الاستانة واقام بها كما قال سبع سنوات انتُدب في خلالها لتولّي ادارة القسم العثماني من معرض شيكاغو. فغادر عاصمة

١) جرجي نقولا باز – سليمان البستاني (ص : ٧) وتاريخ الصحافة العربية (٣ : ١٦١)

٢) راجع المقتطف (شهر آب ١٩٢٥) سليمان البستاني (٣٤١-٣٤٧)

٣) اطلب مقالةً عن الصُّلَيب في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٦٧٣) ٤) مقدمة الالياذة (ص ٧)

آل عثمان الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٣ وهو يرجو ان يبين للاميركان شيئاً من محاسن الشرق ومقدرة ابنائهِ على مماثلة ابناء الغرب بافكارهم واعمالهم . فانشأ هناك جريدة تركية دعاها «شيكاغو سركيسي» اي «معرض شيكاغو» . ولكنها لم تنل حظاً وافراً من الحياة بل اضطهدتها سفارة تركيا لانها لم تمدح الباب العالي . . . ولم يكن حظه المالي احسن من حظ جريدته الادبي فخسر في ذاك المعرض خسارة كبيرة قُدّرت بنحو ٢٥ الف ليرة

ثم رجع الى الاستانة وكان قد درس اثناء اقامته في العراق مشروع ري تلك الاراضي الخصبة فكتب تقريراً رسمياً في ذلك رفعه الى الوزارة العثمانية ، وكانت قد سدّت اسماعها الوشايات والمفاسد بحقهِ فلم ينل جواباً

وشهد في الاستانة سنة ١٨٩٦ مذبحة الارمن من اولها الى آخرها . وكان ساكناً اذ ذاك في «فنار باغچه» مجاوراً «اللدالي فؤاد» منفي الشام . وكان الرجل من عقلاء الاتراك يكره سفك الدم البريء فرآه المترجم «يطوف مدججاً بسلاحهِ ينهى عن سفك الدماء . . يحيي الليل بين هاتيك الاحياء واعظاً منذراً متلطفاً متهدداً على ما تقتضيهِ الحال . يسأل من أنِس منهُ خوفاً ان يحل ضيفاً كريماً عليه . يؤمّن الخائف ويُرعب الخائن . . . » (١

٥ نشر مؤلفات : دائرة المعارف — الالياذه — عبرة وذكرى

(١٨٩٨—١٩٠٨)

تركتَ لاجيال الغداة صحائفاً من المجد ما أجدتك مالاً ولا حمدا
فمن «عبرة» تتلى و«ذكرى» لنائلٍ و«الياذة» من حسنها انتظمت عقدا» (بولس غانم)

انقضى بضع واربعون سنة من عمر البستاني قضاها في الرحلات والاسفار فجاب بلاد لبنان وسوريا والعراق والعجم والاناضول ونجد والحجاز واليمن وعمان وحضرموت وتفقّد شؤون الهند وما فيها من القبائل المختلفة . وهبط مصر واقام في الاستانة وبلاد اليونان وزار مرآت دول اوروبا واميركا فاكتسب العلوم الكثيرة والمعارف الواسعة . وتمكن من التعمق في العديد من اللغات . فلم يبق عليهِ الّا ان

١) عبرة وذكرى (ص: ٩٦)

يفيد قومه بما استفاد ويُتمم ما كان شرع به من المؤلفات القيمة كدائرة المعارف وتاريخ العرب وتعريب الالياذة ... فترك الاستانة واتى لبنان بعد غربة طويلة فقضى مدة في بكشتين ثمَّ باشر فيها بناء دار كبيرة كان عليه ان يدخلها لاول مرَّة جثةً هامدة ...

وكان اثناء راحته يجلس مع ابناء عمه الصغار تحت ارزتين في ساحة الدار فيعلمهم الآداب العربية ونَظم الشعر والقراءة الفصيحة . وتحت هاتين الارزتين كان يكتب شرح الالياذة ومعجمها

ثم قصد الى مصر ، ولمصر في قلبه مركز خاصّ ، فاقام بها يشتغل تارةً بالتجارة فيخسر مادّيًا وطورًا بالآداب فيعوّض ادبيًا ونعم التعويض . وفي مصر نشر بالاشتراك مع نسيبه نجيب ونسيب البستاني الجزءين العاشر والحادي عشر من دائرة المعارف فاستقبلها العالم الادبي بكل حفاوة

وكان قد انهى تعريب وشرح الالياذة فنشرها سنة ١٩٠٤ في مطبعة « الهلال » فنالت من إعجاب العلماء والادباء مركزًا عاليًا واجمعوا على اكرام صاحبها فاقاموا له حفلةً كانت الاولى في بابها وذلك في نزل « شبرد » في القاهرة في ١٤ حزيران من السنة المذكورة . وقد جمع الاديب نجيب متري صاحب مكتبة « المعارف » في كتاب خاصّ جميع ما قيل في تلك الحفلة من منثور ومنظوم

وما حدث الانقلاب العثماني وبدت طلائع الدستور حتى احسَّ المترجم بقدرته على منفعة بلاده دون خوف المراقبات الضيقة . فجمع معلوماته وافكاره وآراءه الصائبة في كتاب أسماه «عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده» واصدره من مطبعة «الاخبار» في مصر سنة ١٩٠٨ بسرعة غريبة . وهو لم يستعنْ في تأليفه بسوى حافظته ودماغه الكبير فلم يفتح كتابًا غيره ولم يستشر معجمًا . والكتاب آية في الآداب العربية مبنًى ومعنًى وسيأتي الكلام عليه في بابه

ثم قدم بيروت ولبنان فزار اقاربه واصدقاءه ومعارفه . وكان يخاطب كلًّا بلهجته فيسرّ الجميع . وكان يحمل معه مسوّدات تآليفه فيشتغل بها دائمًا ويدوّن مذكراته مقابلًا بين تمدّن الشرق والغرب باذلًا جهده في رفع هذا الحاجز الكثيف الذي يفصلنا عن مستوى الغربيين

٦ في مناصب الدولة التركية

عضو مجلس المبعوثان ورئيسه الثاني — عضو مجلس الاعيان — وزير التجارة والزراعة والمعادن والغابات (١٩٠٨–١٩١٤)

«ونادوا به في المجلسين منابراً علاها فلم تمهد له فوقها نَدّا .
وقولوا لارباب الوزارة بعدهُ تخلّوا خلا من بُحسن الحالِ والعقدا» (بولس غانم)

كان مترجمنا عضوا في جمعية «الاتحاد والترقي» فلم يعلن الدستور سنة ١٩٠٨ ويصبح للولايات العثمانية الحق بانتخاب مندوبين عنها يمثلونها في مجلس المبعوثان في الاستانة حتى ارسلت هذه الجمعية فاستقدمت البستاني الى بيروت ورشحته للنيابة لما كانت تعهد به من الكفاءة وسعة الاطلاع والتفاني في حب بلاده

وصل بيروت فقامت ضجة هائلة حول الترشيح والمرشحين وجرت حوادث نذكرها في بابها . . . ثم اسفرت تلك الضجة عن انتخابه مع رضا بك الصلح نائبين عن ولاية بيروت وأقضيتها فهنأته الجرائد والمجلات وتناقلت رسمه ومما يردده القوم الى الآن بيننا بيتان من الشعر انشدتها السيدة وردة اليازجي وهما:

اخلقِ ببيروت دار العلم من قدمٍ ان تصطفيك على الايام مبعوثا
فالله لمّا ارتأى إعلان حكمتهِ ما اختار من شعبهِ الأسلمانا

ودخل المجلس فكان خير ممثل للامة العربية ولما يقدر ان يصل اليه ابناؤها من النبوغ . وكان موضع اعجاب جميع الاعضاء يحسبون له الحساب الاول في المناقشات ويجلّونه اجلالاً عظيماً ادّى بهم الى انتخابه رئيساً ثانياً لمجلسهم . وكان ذلك سنة ١٩١٠ والرئيس الاول احمد رضا بك الشهير . وكان المترجم في المجلس رئيساً لخمس لجان اهمها لجنة الخارجية ولجنة السلام العام الدولية . وكان السلطان يرسله الى اوروبا في المهمات الرسمية فيرئس الوفود ويخطب في المواسم بلغات اهلها مثيراً الاعجاب حيث يمرّ . . .

ثم نُقل الى مجلس الاعيان وعيّنته الدولة سفيراً فوق العادة لدى دول اوروبا فسار الى لندن ورومية وبروكسل ليمثل الحكومة العثمانية في المؤتمرات التي عُقدت سنة ١٩١١ في تلك المدن . وكان قد سار قبل ذلك الى باريس ولندن وبرلين رئيساً لوفد النوّاب العثماني وسار وحده بمهمّة سياسية الى بطرسبرج

ورجع الى الاستانة وله في المجلسين من الاعمال ما يشرّف اسمه ويظهر اخلاصهُ لأمته ووطنه . وسنذكر شيئاً منها في باب رجل السياسة

وبقي في الاعيان حتى اصبح البرنس سعيد حليم باشا رجل الدولة فعرض عليه سنة ١٩١٣ وزارة «التجارة والزراعة والابات والمعادن» . وكان البستاني لا يرغب في الوزارات غير انه قبلها لصداقة بينه وبين البرنس المذكور . فاشتغل فيها اكثر من سنة بجدّه ونشاطه المعروفين . فقلبها رأساً على عقب وجعل فيها الرجال الاكفاء وقام باصلاحات عديدة نراها في موضعها

وما زال في الوزارة حتى تلبّد جوّ السياسة الاوروبية وخاضت الدول غمار الحرب . وكان من رأيه ألّا تدخلها دولة آل عثمان لانه رأى بها خرابها . فاشتغل كثيراً لمنعها فتمكن من امتناع الكثيرين من الوزراء . غير ان هياج انور وطلعت وملايين الماركات الالمانية حالت دون اتمام مراده فانتصر حزب الحرب انتصاراً باهراً

عند ذلك قدّم البستاني استعفاءه واعتزل السياسة . ولمّا اشتدّ حزب طلعت وانور وجمال واخذ رجاله بالاستبداد في العرب « وهو لا يقدر على الوقوف في وجوههم » ابى عليه اباؤه ان يقيم في الآستانة بعد ذلك وتركها حزيناً على دولة يجرُّ بها ابناؤها الى الهاوية

٧ جشوم النسر : في سويسرا — المفاوضات بالصلح — المرض — في مصر (١٩١٤ — ١٩٢٤)

اشتغل البستاني طويلاً ، فحقّ له ان يستريح وكانت استراحته شبه قسرية فجثم بعيداً عن المعترك معتزلاً في سويسرا يرقب فرصة ينفع بها بني قومه

وصل تلك البلاد خائفاً اسيفاً فلحق به طلعت باشا وترضّاه واعداً اياه بمعاملة الولايات العربية بالرفق واللين . وكان رأى ان ستدور الدائرة على الدولة فطلب اليه ان يسعى بصلح شريف بينها وبين الحلفاء فوعده خيراً . واشتغل بالمفاوضة فنجح بعض النجاح . . . ولكنهُ لم يصل الى نتيجة حسنة بتكرار مساعي المانيا الشهيرة

وكان بين الفرصة والاخرى يتابع كتابة تآليفه مجتهداً ان يجمع فيها كل اختباراته الشخصية . . .

وفي اواخر الحرب كانت البلايا قد اشتدّت على البلاد العثمانية حزن حزناً كثيراً وأصيب بداء أقعده عن كل عمل فبقي مستلقياً الشهور الطوال في مستشفى «مون ريان» في سويسرا حيث أُجريت لهُ عمليّة لاقى بعدها من الآلام المبرّحة ما اذاب عواطفه فنظم قصيدته «الداء والشفاء» التي وصف بها حالته فقال:

«وقالوا صِفْ علاجَكَ قلتُ ضِمْ أُحمّاسُ لدفعِ الضرّ ضُرّا
فحين أهبُّ مما قد دعوه رُقادًا وهو مني قد تبرّا
لكفّ الكهرباء أقادُ حتى مجارحها تساقُ اليَّ جرّا
كأنّ لها شعورًا بالتياعي فتسمعني انين الحزن جهرا
فمن ظهرٍ الى ظهرٍ وفخذٍ صفائحُ تُرمضُ الاعضاء حرّا

ثمّ اتسع بما كان يقاسيه من الآلام اثناء علاجه الى ان قال:

وكادت تبلغ الروح التراقي وكدتُ ارى حياة المرء نكرا
فذا داني وذاك علاجُ داني ولستُ بعالمٍ أيًّا أمرّا (١)

وبعد عقد الهدنة دعا الى سويسرا اخاه سليماً وارجعه الى مصر مريضاً فعالجه فيها اخوه الدكتور عبدالله الى ان تمكن من شفائه تماماً بعد سنة ونصف

وبعد ان دخل طور النقاهة وجاوز الخطر دُعي مراراً الى الاستانة فذهب مرّة ولم يُطل المقام... واذ نهض الاتراك واستتبّ لهم الحكم دعاه مصطفى كمال الى انقرة ليشغل مركزاً خطيراً في تلك الحكومة الفتيّة فحالت موانع دون قبوله

ثم رجع الى مصر وقد انتكست صحته وزاد الم عينيه فأُجريت لهُ عملية في احداها فلم تنجح وضعُفَ نور الثانية ايضاً. وكان يشتغل اثناء مرضه في اختراعين نتكلّم عنهما...

وفي صيف السنة الماضية دعاه كبار السوريين واللبنانيين في الولايات المتحدة. فرأى في هذه الدعوة تحقيقاً لثلاث أُمنيات: الإجابة الى مطالب بني وطنه ومقابلة اديسن وعرض الاختراعين عليه ثمّ الاستشفاء من مرض عينيه. فلبى الدعوة وركب البحر الى العالم الجديد فلقي فيه حتفهُ

(لها بقيّة)

---

١) الداء والشفاء - الطبعة الثانية بمصر ١٩٢١ ص: ٣-٦

مطبوعات شرقية جديدة

Costopoulo (Stavro): L'EMPIRE DE L'ORIENT, aspects économiques et sociaux. 1 *vol. in*-16, *Paris, Société d'Editions, «l'Ile de France»*, 1925, *Prix*, 7 f. 50

مملكة الشرق من وجهتها الاقتصادي والاجتماعي

يزعم مؤلف هذا الكتاب انَّ المسألة الشرقيَّة الشهيرة التي كثر فيها القال والقيل قد دخلت بعد الحرب في خبر كان لانَّ الشعوب التي لسببها كانت هذه المسئلة متوتّرة قد اصابت ما كانت تتشوَّف اليه بتقسيم الممالك العثمانيَّة وانَّما المسئلة الشرقيَّة قد أصبحت اليوم مسئلة اقتصاديَّة ومن هذا القبيل يصعبُ حلُّها لان كل الدول تطلب التفوُّق والامتياز في الشرق الادنى لترويج صناعتها وتجارتها. هذا ما يذهب اليه صاحب هذا الكتاب ونحن نوافقهُ على انَّ المسئلة الاقتصاديَّة لها اعتبارها الخاص ولكنَّنا نخالفهُ في رأيه بانَّ المسئلة الشرقيَّة قد انحلَّت سياسيًّا. فكان الامل معقودًا على حلها بعد انتصار الدول المتحالفة لكنَّ الاختلاف الذى وقع بينها ابقاها على حرجها وضاعف مشاكلها العديدة ج. ل

Michel-Farès Boulos: La Succession en droit musulman, son origine et son évolution, *vol. in*-8°, 1925, *pp.* 244, *Paris, Jouve et C*ie

الوراثة في الفقه الاسلامي اصلها وتطوُّرها

كلّ من لهُ إلمام بالشرع الاسلامي يعرف ما تحتويه مسئلة الوراثة من المشاكل العديدة حتى يكاد يتيه في بيدانها اكبر الفقهاء سواء كان في اصلها ام في تاريخها وتطوُّراتها واختلاف المذاهب الاربعة في تحديدها. وهذا ما حمل الدكتور في الحقّ ميشال فارس افندي بولس احد خرّيجي مدرستنا الفقهيَّة ان يخصّ بنظره ودرسه هذا الموضوع. فصنَّف هذا الكتاب وقدَّم عليه مقدّمات عموميَّة بيانًا لتأثير شرائع عرب الجاهليَّة والامم الشرقيَّة السابقة للاسلام في الشرع الاسلامي. ثمَّ تتبَّع احوال الوراثة فصلًا فصلًا وشخصًا شخصًا مبيّنًا في كل ذلك شروط الوراثة واختلافاتها منذ عهد نبي الاسلام الى الشرع الحديث مستندًا الى اخصّ التآليف الاسلاميَّة مضيفًا اليها السُّنن الجارية بين الملل

النصرانيَّة . وغاية المؤلف من وضع هذا الكتاب ان يدفع عقلاء البلاد والدولة المنتدبة الى توحيد هذه الشرائع الملتبسة فتعم جميع ابناء سوريَّة على اختلاف اديانهم ونزعاتهم حقق الله آماله ل . ش

COMPENDIUM THEOLOGIÆ, auctore P. P. Minges, O. F. M., Ed. 2ª emendata et augmentata. 3 vols. 8°, Ratisbonne, 1923 J. Kösel et Pustet

مختصر اللاهوت النظري

هذه طبعة ثانية لتأليف احد الآباء الفرنسيسيين اصاب شهرةً بين طلبة اللاهوت فنفذت طبعتهُ الاولى المطبوعة سنة ١٩٠١ فاعاد صاحبها النظر فيها وهمَّ بتحسينها واضاف اليها فصولاً جديدة . وقد تأثَّر المؤلف في تصنيف كتابهِ آثار علماء الرهبنة الفرنسيسية ومشاهيرها كالسكندر دي هالس والقديس بوناونتورا ولاسيما جان دونس سكوت فهو اذن اخصُّ بمدارس الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة . ومن المعلوم انَّ « دونس سكوت » كان يتبع في تعليمهِ الفلسفي آراء افلاطون كما انَّ القديس توما كان يتقفَّى آثار ارسطاطاليس . فمؤلف هذا الكتاب يعرض كل حقيقة من الحقائق اللاهوتيَّة ويثبتها قبل كلّ بالبراهين المأخوذة من تحديدات الكنيسة ثمَّ يتبعها بالادلة الفلسفيَّة والتاريخيَّة على خلاف معظم اللاهوتيين الذين يعكسون هذا الترتيب لئلا يُنسبوا الى الدَّور . ثمَّ يعرض آراء معلميهِ في كلّ قضيَّة ويبيّن صحة معناها ويطبّقها على تعاليم الكنيسة ثمَّ ينقد اراء الذين نكروها لاسيما الهراطقة والاباحيين من البروتستانت والمحدثين الاب فرنسوا تورنبيز

Marius Sepet littérateur et historien. Notice par E. G. LEROS. (Extrait de la Revue des Questions historiques). Gr. in-8° 1925, pp. 39

ترجمة الكاتب والمؤرخ ماريوس سيبه

فقدت فرنسة في اوائل هذه السنة احد كتَّابها الكاثوليك المتبازين الضليع بالآداب والتاريخ المسيو سيبه . مات في الثمانين من عمرهِ بعد ان خدم وطنهُ بكل نشاط ونزاهة . تخرَّج في مدرسة بونابرت العليا في باريس واصاب فيها قصبة السباق على كلّ اقرانهِ . ومنذ شبابهِ الفت اليهِ نظر ادباء وطنهِ بما كتبهُ عن فنّ التمثيل في القرون

الوسطى وألحقهُ بدرس آخر بيّن فيه فضل الكنيسة في تنظيم هـذا الفنّ في القرون الاخيرة ومذ ذاك الحين تعدّدت تآليفهُ التي نُقلت الى كثير من اللغات الاوربيـة كترجمتهِ للقديسة جان دارك . وترجمة القديس لويس ملك فرنسة . وكان من اعرف الناس بالطبوعات العصريّة واصدقهم في انتقادها حتى انّ اعداءهُ نفسهم اقرّوا غير مرّة بنزاهتهِ . ومما امتاز بهِ المسيو سيبه طول حياتهِ اعتصامُهُ بحبل الدين ودفاعهُ عن تعاليمهِ ورجالهِ كما انهُ بقي في حياتهِ اميناً لأسرة بوربون الملكيّـة فلم ينل لسبب ذلك ما كان يستحقّهُ من الامتيازات الشرفيّة ف . ت

Pereyra (Carlos): Les Conquêtes des routes océaniques d'Henri le Navigateur à Magellan, traduit de l'espagnol par ROBERT RICARD. *vol. in*-12, *s. d. Paris, Société d'Ed. « les Belles-Lettres », Prix* 10 *f*

فتح الطرق الاوقيانيّة

لا مشاحّة في فضل الاسبانيين والبرتغاليين لفتحهم طرق البحار الاوقيانية التي يتزاحم الشعوب حاضراً على ملكها . فسبقوا سائر الدول الاوربيّة وارشدوهـا الى اقاصي افريقية واميركة . فكان اوّلهم هنري البحّار احد ابناء ملك البرتغال يوحنّـا الاوّل (١٣٩٤—١٤٦٠) وقد اشتهر بعده ماجلان († ١٩٢١) الذي روينا اخبارهُ في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٣١٦) . فحدثت في تلك الحقبة نهضةٌ شريفة في اسبانيـة والبرتغال احرزت لتينك الدولتين فخراً اثيلاً . وقـد روى المسيو بريرا اخبار تلـك الفتوحات الجليلة في كتاب حديث ضمّنهُ ما اكتشفهُ الاثريون من المعلومات الجديدة في هذا الشأن فاسرع الفرنسوي روبير ريكرد الى نقلهِ من الاسبانية الى الفرنسويّة . وقد وجدناهُ من افضل التآليف المبنية بجهاد الانسان لتسخير الطبيعة لملكهِ وفائدته

Elian J. Finbert: Sous le règne de la Licorne et du Lion. I *vol. in*-16, *s. d. Paris, Editions du monde moderne.*

في عهد وحيد القرن والاسد

اسم هذا الكتاب غريب يشير الى فرقةٍ يهوديّة خدمت في الحرب الكونيّـة كانت تمتاز بأزرار ثيابها المنقوش عليها الحيوان المعروف بوحيد القرن مع الاسد وقد قصد بهِ المؤلف ان يُظهر ما كان لبني اسرائيل في تلك الحرب من الاعمال والغايات لاسيما تمهيد الطريق لاهل جلدتهم كي يحقّقوا اماني الصهيونيّة ويملكوا على فلسطين .

لكنَّ المؤلف عرض كتابهُ على صورة فكاهيَّة خياليَّة فافقدهُ كثيراً من فوائده ج . ل

CATALOGUE des ouvrages publiés par les Professeurs et les Etudiants de l'Université St Joseph (1875-1925) par le P. Louis Cheikho S. J., *vol. in*-12, *Beyrouth, Impr. Catholique*, 1925 (*pp.* 58 + ٤٨)

مطبوعات اساتذة وتلامذة كلية القديس يوسف من ١٨٧٥ الى ١٩٢٥

بمناسبة احتفال كليَّة القديس يوسف بيوبيلها الذهبي نشرنا هذه القائمة التي تشتمل على ما نشره اساتذة وتلامذة القديس يوسف في الخمسينة التي مرَّت على المدرسة . وفي هذا الكتيب قسمان قسمٌ عربيٌ في اوَّله خطبة القيناها في تعليم اللغة العربية في كليَّتنا مع جدول ٢١٦ تلميذاً من الكتبة المتخرجين فيها وذكر تآليفهم . وقسمٌ فرنسوي يحتوي منشورات اساتذة المدرسة وطلبتها في اللغات الاجنبيَّة فجاء المجموع أنطقَ لسانٍ بفضل الكليَّة في خدمة الآداب

Le Kitâb al-âdâb d'Ibn al-Mu'tazz édité par IGN. KRATCHKOWSKY (Extrait du Monde Oriental, XVIII, 1924)

كتاب الآداب لابن المعتزّ

كانت الآداب الشرقية أُصيبت بازمة اليمة بعد الانقلابات السياسيَّة في روسيَّة فسرَّنا أن نرى احد جهابذة المستشرقين صديقنا اغناطيوس كراتشكوفسكي يواصل سلسلة العلماء الذهبيَّة التي تحلَّى بها جيدُ بلاده بنشر آثار جديدة . منها هذا الكتاب الفريد لاحد ائمة الكتَّاب عبدالله بن محمَّد الشهير بابن المعتزّ استخرجهُ جنابهُ من بعض مخطوطات المتحف البريطاني وزيَّنهُ بالمقدِّمات والحواشي المختلفة التي جعلتهُ كيتيمة ابن المقفَّع بل اغلى شيئاً جازاهُ الله خيراً ل . ش

Géographie élémentaire

الايضاحات الجليَّة في علم الجغرافية

بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٩٢٥ ص ٥٠

كانت هذه الايضاحات طُبعت قبل الحرب بزمن قليل فأضحى كثير من معلوماتها مخالفاً لانقلاب البلاد . وها هي ذه طبعة ثانية مصحَّحة تماماً فيها فصلٌ خاصٌ بالبلاد الاسيويَّة وخصوصاً عن العراق ولبنان الكبير ودولة سورية وحكومة العلويين وجبل الدروز وشرقي الاردن والفلسطين . وقد جاءت صورها وخرائطها الملوَّنة غاية

في الاتقان فلا نشك انَّ ارباب المدارس سيقبلون عليها بكل شوق لتهذيب ناشئتهم

PIERRE TEQUI, Paris, rue Bonaparte, 28 (Mr Chéhab, Beyrouth) = I J. Gerber S. J. : La Ste Eucharistie: Le Sacrement et le Sacrifice, in-12, 1925, 5 f. = II Abbé Ch. Grimaud : Prêtre ?... Pourquoi pas ?, in-12, 1925, 3 f., 50 = III : Henri le Floch, S.SP.: Les Elites sociales et le Sacerdoce. in-12, 1925, Prix 1 f., 50)

مطبوعات بخصوص القربان الاقدس والكهنوت

١ً الكتاب الاوَّل يتضمَّن مختصر اللاهوت الادبي مع ما ورد في الحقّ القانوني الحديث وتعاليم اساطنة الكنيسة بخصوص القربان الاقدس من حيث وجهيه كسرّ وكذبيحة جعلهُ الاب اليسوعي الاب جرْبِرْ دستوراً وافياً للكهنة ليستغنوا بهِ عن مراجعة الكتب المطوَّلة . ٢–٣ً والكتابان الاخيران للكاهن شرل غريتو وللاب هنري لو فلوك من جمعيَّة السولبيسيين يبحثان فيهما عن الدعوة الكهنوتية والوسائط الفعَّالة لجذب الشبَّان الى هذه الدرجة السامية ليسدُّوا مسدَّ الكهنة العديدين الذين وقعوا في ساحة الحرب ضحايا تفانيهم في خدمة الوطن واسعاف الصرعى والموتى . وكلاهما يبيّن عظمة الكهنوت وشرفهُ امام الله والبشر ل . ش

كتاب خطط الشام

الجزء الثاني . تأليف محمَّد كرد علي

طبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م

لم يمرّ علينا ثلثة اشهر منذ وصفنا الجزء الاوَّل من هذا التأليف الجديد للسيد محمَّد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق فأثنينا على مضامينهِ وفضل كاتبهِ واشرنا الى بعض نقائصهِ . وها هوذا اتحفنا بجزئهِ الثاني فسرَّحنا فيهِ النظر ممعنين كذهابنا بالاوَّل فألفيناهُ كبكرهِ في حسناتهِ وخلَلهِ . فقد جرى على اسلوبهِ السابق واحتاط بتاريخ الشام في عهد دولة المماليك المصريَّة ثمَّ في العهد التركي الى اواخر القرن الثاني عشر للهجرة والثامن عشر للميلاد ولم يأنف من بيان ما اساء بهِ المصريون الى بلادنا . امَّا انشاء الكتاب بالاجمال فرائق واضح وفي تقسيم الفصول وعناوينها

لمّا تقرُّ لهُ العين. ومع اقرارنا بهذه المحاسن وغيرها لا يسعنا الّا تكرار الانتقادات التي قدّمناها على الجزء الاوّل فانّ المصادر التي استند اليها جنابهُ غير وافية ومنها ما هو سقيم كاستنادهِ على كلود فارير (Claude Farrère) في قولهِ عن الحروب الصليبيّة (ص ١٣٢—١٣٣). فان الاستشهاد بهِ كاستشهادك بجدّاد في امر الهندسة او كاستشهاد حمّار في امر الخيل العربيّة. ثمّ ما هي تلك الخسارة الكبيرة (ص ٣٠) التي خسرها الهولانديّون والسويسريّون في الحروب الصليبيّة؟ ولم يكن منهم بين الصليبيين الّا الافراد القليلة. ثمّ نعيد لجنابهِ ما قلناهُ عن انخداعهِ بالارقام المنقولة عن الكتبة دون انتقاد. فايُّ عاقل يسلّم لهُ بما رواهُ (ص ٥٧) عن القاضي الفاضل في مدينة حصن كيفا الصغيرة انّ خزانتهُ كانت تحتوي مليونـاً واربعين الف كتاب؟ فكيف ينخدع جناب المؤلف بمثل هذا السراب؟ الاب ه. لامنس

تاريخ الطبّ عند العرب

للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

طبع في دمشق ١٩٢٥ (ص ٦٢)

هي المحاضرة النفيسة التي ألقاها صاحب هذا التاريخ في ردهة المعهد التبي في دمشق في ١٨ آذار سنة ١٩١٩ وأتبعها لمحاضرة سابقة في الطبّ عند الامم القديمة وقد زانها بالتصاوير الظريفة وبالغلاف البديع نزادها حسناً. فنشكر لجناب المؤلف هديتهُ وللدكتور مصطفى الخالدي همّتهُ في طبع المحاضرة على نفقتهِ لتعميم منافعها

الربيعيّات

للاديب رفائيل افندي بطي

طبع في بغداد سنة ١٩٢٥ (ص ١٠٠)

هذه الربيعيّات زهراتٌ اقتطفها صاحبها من عجلّتهِ الحرّية فجاءت طاقةً من زهور منمّقة تختلف لوناً ورائحة وقيمةً. بينها كثير ممّا يُدعى اليوم بالشعر النثري ممّا يستحبّهُ ذوق بعض المصريين ويراهُ غيرهم شقشقة لسان دون كبير جدوى. والله يستر البلاد إن انتشرت هذه الطريقة الكتابيّة في اقطارنا فيتلهّى القرّاء بالقشرة ويهملون اللباب ل. ش

شذرات

﴿ فوضى اللغويين ﴾ تمنينا غير مرة ان تؤلف جمعية عربية يكون اعضاؤها من سائر بلاد الناطقين بالضاد فيحق لها النظر الى حاجات اللغة وتحسينها واصلاحها وتحديد معاني مفرداتها الحديثة. ونفي ما يشوهها او ما هي غنى عنه. وحتى الآن نرى كثيرين ينصبون حالهم للقيام بهذه المهمة فيحبذ الواحد ما يكرهه الآخر. فقام البعض وطلبوا استبدال لفظة مَرْسح بكلمة مَسْرح. ولما كادت تغلب هذه على تلك قام غيرهم وطلبوا اعادة اللفظة الاولى. وكذلك تحامل البعض على لفظة «مظاهرة» وطلبوا ابدالها بلفظة تظاهُرة وجرى عليها كثيرون فعاد غيرهم من ذوي المعرفة فاستقبحوا لفظة «تظاهرة» لغوياً وادبياً وألحّوا باعادة لفظة «المظاهرة» وبيّنوا وجهها الصحيح. وكم جرى من الجدال في تفضيل الاميركي على الاميركاني. فهذا وغيره مما يدلّ على ما قلناه انّ لغتنا العربية في حاجة ماسّة الى جمعية تُعطى الحلّ والعقد في امور اللغة كالاكادمية الفرنسوية ولولا ذلك ستصبح حالتها فوضى وتتشوه بتحكّم من لا مقدرة له على شؤونها

﴿ وفاة فلكيّ يسوعي ﴾ علمنا بالاسف وفاة الاب اليسوعي لويس كورتي مدير مرصد ستونيهرست في انكلترة. وقد سبق المشرق (٩ [١٩٠٦]: ٨٩٩–٩٠٦) ووصف هذا المرصد الكبير الذي جعله الآباء اليسوعيّون الانكليز معهداً فلكياً يجاري اكبر المعاهد الفلكيّة في اوربّا وقد شرّفه الابوان اليسوعيّ ان يرّي وسيدغريفس اللذان عهدت اليهما الدولة ببعثات علميّة خطيرة ونظما لاكتشافاتها الفلكية بين اساطين العلماء الفلكيين. وقد خلفهما الاب كورتي فجاراهما علماً ونشاطاً. وكان تلطّف سنة ١٨٩٣ ورافقنا في زيارة المرصد وشرح لنا ما يحتويه من الآلات الرصديّة العجيبة لاسيما لرصد حركات الشمس واجيج نيرانها التي تؤخذ كل يوم صُورُها

﴿ خمود التعصّب البروتستاني ﴾ من نتائج الحرب الكونيّة الحسنة خمود التعصّب البروتستاني ضدّ الكثلكة وذلك لاسباب منها امتزاج البروتستانت الانكليز والاميركيين بالجنود الكاثوليكية ومعاينتهم لتفاني الاكليروس الكاثوليكي في خدمتهم. ومنها في المانية سقوط الامبراطور غليوم الذي كان يعتبره البروتستانت

كركن دينهم الاعظم بمثابة الحبر الروماني في الكنيسة الكاثوليكية . فترى المرتدين الى الدين الكاثوليكي ينمون يوماً بعد يوم في الدول البروتستانيَّة كولايات المتحدة وانكلترة والمانية والدول الشماليَّة كالدنيمرك واسوج ونروج حيث كانت الابواب موصدة منذ مئين من السنين في وجه الكاثوليك فتراهم اليوم يقدّمون لهم الاكرام الجزيل ويدعون رهبانهم وراهباتهم ليتولَّوا في بلادهم الاعمال الخيرية وتهذيب الشبيبة والمدافعة عن روح الدين بازاء الجاحدين ويقصد وجهاؤهم رومية لمواجهة الحبر الاعظم

﴿ثبات نصارى اليابان في ايمانهم﴾ في اواسط القرن السابع عشر أُقفلت ابواب اليابان في وجه كلّ المرسلين الكاثوليك فلم يبق للمتنصّرين هناك كاهن يقوم بتدبيرهم ومنحهم الاسرار . ولما عاد المرسلون بعد مائتي سنة لينشروا فيها من جديد تعاليم الدين الكاثوليكي ما اشدَّ ما كان اندهاشهم اذ وقفوا صدفةً على قرًى في داخليَّة البلاد وعلى نحو عشرين الفاً من النصارى الذين كانوا توارثوا ابناً عن اب واباً عن جدّ بذور الايمان الكاثوليكي فيحفظون فرائضهُ بكل حرص فيجتمعون للصلاة ويبطلون في الآحاد عن الشغل ويصومون الصوم الاربعيني ويدرسون الكتب التي كان طبعها المرسلون اليسوعيُّون ويصبغون ابناءهم بماء العماد . ومن غريب ما حدث لاحد المرسلين في العام الماضي الاب بيرُّو انهُ وجد في احدى القرى المدعوة سندايجي بقايا من اولئك النصارى الثابتين على تعاليم القديس فرنسيس كسفاريوس واخوته فاقام لهم القداس لاوّل مرة بعد ثلاثة قرون في ٢٩ نيسان من السنة ١٩٢٤

﴿اصلاح بعض اغلاط طبعيَّة وقعت في الكتاب المأثور لابي الصَّيْتل﴾ الصفحة 5 السطر 2 الخطأ لِيَ الصواب لَيَ = 7 : 14 خ الصَّبي ص الصيّ — 15 : تَوَرَّ : تَوَرُّ = 8 : 18 : فيَّ : فيهِ = 9 : 14 : النَّصرة : النُّصرة = 12 : 9 : على : عن (وفي الاصل على) = 15 : 10 : معروف : معروف = 17 : 1 : يُبرِّح : يُبرِّحُ = 22 : 9 : اهلكتْ : اهلكتَ = 23 : 17 : السَّبْغ : السَّبْغ — 24 : 8 : وقاق : زقاق = 26 : 13 : الكَرْماء : الكَرْمة = 32 : 10 : الاوانيّ : الاواني = 33 : 17 : أَنْخنَ : أَيْخنَ = 36 : 16 ذو السَّرَّة ولعلهُ البيرة . لكنَّ تحت السين في الاصل ثلث نقط للفرق بين السين والشين = 38 : 5 : النَّزْو : النَّزْء — 14 : مؤنت : صوّت = 39 : 1 والموت : الموت = 41 : 7 : وبنكسر . كذا في الاصل ص وبَنْحَسر = 47 : 12 : القتير : القتير = 58 : 17 : ضمَّ الشَّغْب : ضمَّ الشعث = 59 : 2 : المرور : الجرور = 63 : 14 : عُرِض . . . عليها : عُرِض . . عليهِ = 77 : 15 : المِسْوَاك : المِسْوَاك = 80 : 1 : البَخُور : البَخُور = 85 : 10 تَسْفَدَهُ : تَسْفَدَهُ = 87 : 4 : المحيج : الحجيج = 90 : 5 الطرقاع : الطرماح

أسئلة وأجوبة

س استفتانا جناب الاديب جميل افندي البحري في احد اعداد مجلته الزهرة (ص٥٧٨) عن صحة صورة حكم ليلاطس البنطي على يسوع المسيح» نُشرت في مصر ونقلها عنها بحروفها. والحقها بصورة رسالة بولبوس يوستوس الى طيباريوس قيصر يصف فيها المسيح وعجائبهُ. فطلب جنابهُ ما رأينا في كل ذلك ؟

الحكم على المسيح لبيلاطوس البنطي – وصف المسيح لبولبوس يوستوس

ج سبق لنا تفنيد كل هذه الاشاعات الباطلة التي ينشرها من وقت الى آخر بعض المدلسين (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٤٣٩–٤٤٣ و ١١ [١٩٠٨] : ٤٨٢) وكلها مشحونة بالاغلاط التاريخيَّة التي لا تنطبق لا على اسماء الكتبة المنسوبة اليهم ولا على زمانهم ولا على احوالهم كما انَّها تخالف تماماً ما يُعرف من امور السيد المسيح فكيف ينخدع بها الادباء وينقلونها ؟ امَّا بيلاطس البنطي فقد بيَّنا في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٣٢٩–٣٣١) كلَّ ما روى عنهُ المؤرخون الاثبات كيوسيفوس واوسابيوس. فليراجع

س سأل احد القرَّاء ابن طُبع كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي ؟

كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي

ج هذا الكتاب طُبع اوَّلاً في ليبسيك طبعةً متقنة بهمَّة المستشرق الالماني فردريك شوالي (Fr. Schwally) سنة ١٩٠٢ (ص ٦٤٧) وقد ألحق بهِ الاديب الالماني ريشر (O. Rescher) سنة ١٩٢٣ فهارس دقيقة مفيدة جدًّا في ٢٠ صفحة — ولهذا الكتاب طبعة أُخرى مصريَّة في جزئين (ص ٢٢٦ و٢٣٤) طُبعت في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٦م) طبعها السيد محمَّد امين الخانجي وعُني بتصحيحها السيد محمَّد بدر الدين النعساني الحلبي (كذا) . ولكننا قد تأكدنا بالمقابلة انَّ هذه الطبعة مسروقة عن طبعة المانية كمألوف عادة الطباعين المصريين الذين يتهافتون ظلماً على مطبوعات غيرهم وينسبونها لذاتهم زوراً بعد ان يجرِّدوها من كل فوائدها كالروايات والفهارس والمقدِّمات المفيدة. فبئس العمل ! . وهكذا قد سرقوا عدَّة من مطبوعاتنا البيروتية. راجع مقالتنا «نظر انتقادي في المطبوعات المصريَّة» (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٤٣٠–٤٤٠) التي كشفنا فيها الستار عن مكرهم ل. ش

السنة الثالثة والعشرون العدد ١١ تشرين الثاني ١٩٢٥

المشرق

شفاعة القديسين لحماية المؤمنين

نظر كتابي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي

كتبنا قبل خمس سنوات (في المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٩٢٧—٩٣٤) فصلاً واسعاً في عيد جميع القديسين الواقع في غرّة هذا الشهر وذكرنا هناك تاريخهُ وطقسيّاتهِ في الكنيسة وفوائدهُ الاجتماعيّة. وقد طلب الينا احد كهنة الروم الكاثوليك ان ننشر مقالاً خاصاً بشفاعة القديسين تفنيداً لما يبذره البروتستانت في الشوير وجهاتها من المزاعم الباطلة في هذا المعتقد الكاثوليكي

فتلبيةً لذلك الملتمس نخصص هذه النبذة لاثبات تلك الحقيقة الراهنة وبيان صحتها باقطع البراهين النقليّة والتاريخيّة والاثريّة بحيث لا يبقى ريب في عقل من يطلب الحقّ ولا يكابرهُ

تمهيد

انّ الكنيسة الكاثوليكيّة في اقدم دساتير ايمانها الراقية الى عهد الرسل قد صرّحت بمعتقدها لشفاعة القديسين. فانّ في دستور الايمان المنسوب الى الرُّسل ذُكر جهاراً اعتقاد المؤمنين «لشركة القديسين». ومن البديهي انّ هذه شركة القديسين لا تقوم إلّا بالمواصلات الجارية بين المؤمنين الاحياء واولياء الله في السماء. وتلك المواصلات هي اكرام ابناء الكنيسة لاخوتهم القديسين الظافرين بالسعادة الابدية والاستشفاع بهم والحظوة بتلك الشفاعة من لدنهم عند الله

امّا اساس هذا المعتقد فمبنيٌّ على انشاء السيّد المسيح لكنيسته الواحدة الشاملة

جماعة المؤمنين سواء كانوا على الارض يسعون الى خلاص نفوسهم وهي الكنيسة المجاهدة ام فازوا باكليل المجد في دار البقاء وهي الكنيسة الظافرة او لا يزالون يوفون لعدل الله ما بقي عليهم من التكفير عن ذنوبهم المغفورة او عن زلاتهم غير المغفورة قبل دخولهم السماء وهي الكنيسة المتطهرة

فلمّا قام لوتارس وتبعتهُ على الكنيسة وشقّوا عصا الطاعة لرؤسائها لم يروا وجهاً للدفاع عن ضلالهم سوى ان ينكروا كنيسة المسيح المنظورة وما امتاز بهِ نظامها الالهي من الخواص الجوهرية فكان من جملتها شركة القديسين ونفي الروابط التي بين الكنيسة المجاهدة والكنيسة الظافرة وبالتالي نفي شفاعة القديسين. ثمَّ اخذوا يطلبون لتأييد قولهم نصوصاً من الكتاب المقدس اولوها على حسب اهوائهم الباطلة كما سترى

١ً شفاعة القديسين في اسفار العهد العتيق

انَّ هذه القضيَّة قد ثبتت بآيات متعدّدة لا تدع ريباً لمرتاب وكلُّها تصرّح بقوَّة شفاعة القديسين الابرار عند الله سواء كانوا في قيد الحياة ام انتقلوا الى رحمتهِ تعالى

١ واوَّل ما يلوح ذلك في سفر التكوين (١٨ : ٢٢ — ٣٢) حيث ورد وقوف ابراهيم الخليل امام الربّ ليشفع بسدوم ويكفَّ عنها غضب الله فطلب الى الربّ ان يعفو عنها لئلّا يهلك البارّ مع الاثيم فتوسَّل اليهِ تعالى ان يصفح عن المدينة ان وُجد فيها خمسون بارًّا فوعدهُ بالعفو عنها ان وجد فيها هذا العدد من الصدّيقين. ولم يزل ابرهيم يطلب الرحمة حتى ولو كان الابرار فيها اربعين بل عشرين بل عشرة والربّ يعدهُ بالرحمة والعفو الى ان سكت ابراهيم ولم يجسر ان ينزل عن هذا العدد. وبهذا ظهرت قوَّة شفاعة ابراهيم عند الله وهو لا يزال حيًّا يُرزق — ولاجل صلاة ابرهيم عافى الله أبيملك واهله لمّا ضربهُ لأخذهِ سارة امرأة ابرهيم ظنًّا منهُ انها اختهُ (تك ٢٠ : ١٧)

٢ وبعد وفاة ابرهيم نرى ما لهُ من النفوذ عند الله اذ لاجلهِ يبارك ابنهُ اسحاق ويعدهُ بتكثير نسلهِ « من اجل عبدي ابراهيم » (تك ٢٦ : ٢٤)

٣ وكذلك الآباء ابرهيم واسحاق ويعقوب كثيرًا ما يلتجئ موسى وبنو اسرائيل الى الله طالبين عونهُ بشفاعتهم. جاء ذلك في سفر الخروج (٣٢ : ١٣) حيث يتضرَّع موسى الى الله قائلًا : « اذكر ابرهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين اقسمت

«أتُرى الله لا ينتقم لمختاريهِ الذين يصرخون اليهِ نهارًا وليلًا او يتأنّى في امرهم. اقول لكم انهُ ينتقم لهم سريعاً». ففي كلّ ذلك شواهد ساطعة على مفعول شفاعة القديسين وعلى الكرامة التي ينالونها عند الله

٧ وفي سائر اسفار العهد الجديد اخبار وآيات تثبت الحقيقة ذاتها. ففي سفر الاعمال (١٢: ٥) ان «الكنيسة كانت تصلّي الى الله لاجل بطرس بلا انقطاع» لمّا حبسهُ هيرودس اغريباس عازمًا على قتلهِ فنجا من شرّه بشفاعة الكنيسة — وكذلك القديس بولس في سفرهِ بحرًا الى رومية لكرامتهِ وهبهُ الله انفس السائرين معهُ في زوبعة هائلة حدثت لهم (اعمال ٢٧: ٢٤). فالشفاعة في كل ذلك ظاهرة بكل جلائها فكيف يستطيع البروتستانت انكارها؟

٨ وما قولنا بآيات عديدة في رسائل القديس بولس يذكر فيها صلاتهُ لاجل المؤمنين ويلتمس هو منهم الصلاة كقولهُ في رسالتهِ الى اهل رومية ١: ٩—١٠) «انّ الله... شاهد لي باني لم ازل اذكركم في صلواتي» وفي رسالتهِ الى اهل افسس (١: ١٦) : «لا ازال ذاكرًا اياكم في صلواتي» ويطلب الصلاة لاجله (رومية ١٥: ٢٠) : «اسألكم ايها الاخوة... ان تجاهدوا معي في الصلوات الى الله من أجلي»

٩ ويصرّح القديس يعقوب في رسالتهِ (٥: ١٦) بقولهِ : «صلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تُبرأوا. ما اعظم قوّة صلاة البارّ الفعّالة»

١٠ وأعلمنا القديس يوحنّا الحبيب في سفر الرؤيا (٨: ٣—٥) انهُ «جاء ملاك ووقف عند المذبح ومعهُ مبخرة من ذهب فأعطي بخورًا كثيرًا ليقدّم صلوات القديسين كلّهم على مذبح الذهب الذي امام العرش فصعد دخان البخور من صلوات القديسين من يد الملاك امام الله». فمن لا يرى انّ الله تنعّم بالرضى رائحة ذلك البخور واستجاب صلوات قديسيهِ ورضي بشفاعتهم

٣ شهادات آباء الكنيسة الاوّلين في شفاعة القديسين

١ ورد في رسالة القديس اغناطيوس النوراني تلميذ الرسل الى اهل افسس (ع ٨) : «اني بموتي ساكون ضحيّة تبرير لاجلكم وفداء لاجل كنيسة أفسس» فمن قولهِ يتّضح انهُ يعتبر استشهادهُ تكفيرًا عن آثامهم بما سينالهُ بكرامتهِ عند الله

٢ ونقل اوسابيوس المؤرخ (ا: ٣ ف ٣٢) كلاماً للقديس هيجيزيبوس اول مؤرخ للكنيسة في القرن الثاني للميلاد ذكر فيه مَن استشهد من اقارب السيد المسيح فقال عنهم: «انهم يتولّون رعية الكنيسة في العالم كلّه بصفة كونهم شهداء واقارب السيّد المسيح» وما ذلك الا بما يقدّمون الى الله من الصلوات لاجل الكنيسة كاحبارها ورعاتها

٣ ولنا شاهد في ما كتبهُ القديس ايريناوس اسقف ليون في القرن الثاني للمسيح فانّهُ ذكر في كتابهِ تفنيد الهرطقات (ك ٤ ف ٣١) ما سمعهُ من احد تبعة تلاميذ المسيح الاوّلين «انّ الآباء والانبياء يفرحون في السماء لدى خلاص البشر ويؤدّون للرب في ذلك الشكر العميم». وقد ذكر في محلّ آخر (ك ٥ ف ١٩) العذراء مريم فدعاها «شفيعة حوّاء»

٤ ولاوريجانس من بعدهِ نصٌّ صريح في شفاعة القديسين فانهُ في كتابهِ المعنون «التحريض على الاستشهاد (ع ٣٠) يصف ما للشهداء من الكرامة عند الله فيقول: «انّ نفوس الذين ماتوا في سبيل المسيح بالاستشهاد تنال للذين يتضرّعون اليهم غفران خطاياهم». وفي ردوده على كلسوس الفيلسوف الوثني (ك ٨ ع ٦٤): «ان نفوس القديسين والملائكة اذا رأونا متشفّعين برضى الله يساعدوننا في تتميم ما يؤول لمجدهِ ويضيفون صلواتهم الى صلواتنا ويتضرّعون معنا الى الله»

ومثلهُ القديس قبريانوس اسقف قرطجانة الشهير في القرن الثالث للمسيح يقول في احد رسائله الى البابا كورنيليوس (الرسالة ٥٧) «ان خرج احد منّا قبل الآخر من هذا العالم فلا ينسنا بل يذكرنا عند الله ولا تزل صلواتنا هناك تتبع اخوتنا المجاهدين على الارض» ويكرر مثل هذا في آخر كتابهِ عن الموت حيث يقول «انّ اخوتنا الذين سبقونا الى سعادة السماء يهتمون لخلاصنا بشفاعتهم»

اما شواهد الآباء الذين عاشوا في القرن الرابع وبعدهُ فانّها لا تكاد تحصى كالقديسين اثناسيوس وباسيليوس ويوحنّا فم الذهب وهيلاريوس وايرونيموس حتى اضطرّ كثيرون من البروتستانت الى ان يسلّموا بتعليمهم في هذا الامر.

٤ً الشواهد الطقسية

انّ الكتب الطقسيّة مفعمة بالشواهد التي تدلّ على اعتقاد الكنيسة جمعاء منذ

اقدم الازمنة واقربها الى اوائل النصرانيَّة بشفاعة القديسين. فهذه النوافير وهي صلوات تقدمة الذبيحة الالهيَّة فانَّها كلّها دون استثناء تستمدّ شفاعة القديسين وتذكر منهم العذراء مريم والرسل والشهداء والمعترفين والعذارى فتطلب منهم نعماً روحيَّة وجسديَّة للاحياء وتستغيث بهم لاجل الموتى المؤمنين. وهذه الطقوس على اختلاف نزعاتها وتباين كتبها في الشرق والغرب اسان واحد في اثبات هذه الحقيقة. ولو اردنا نقل النصوص المؤذنة في كتب الشرقيين الطقسيَّة بشفاعة القديسين لضاقت عنها بضعة اعداد من المشرق لاسيما ما تشتمل عليه من الادعية الى اولياء الله ليشفعوا بالموتى وينالوا لهم الخلاص من عذاباتهم في المطهر فيتمتَّعوا تماماً بالافراح السرمديَّة. وقد مرَّ لنا في ذلك فصلٌ مطوَّل في مقالتنا عن تذكار الموتى في الكنائس الشرقيَّة (المشرق ٢٠ [١٩٢٢]: ٩٧٨) وفي جميعها ادلَّة لامعة على اعتقاد المؤمنين شفاعة السيدة مريم العذراء وسائر القديسين المقرَّبين من الله بل شفاعة ابناء الكنيسة المجاهدة على الارض. وكلّها تُفحم ناكري هذه الحقيقة سواء كانت تلك الكنائس متَّحدة مع الكنيسة الرومانيَّة ام منفصلة عنها

٥ً شهادات الآثار القديمة على معتقد شفاعة القديسين

انَّ الكتابات الحجريَّة المرقومة باليونانيَّة او اللاتينيَّة على جدران دياميس رومية الراقية الى قرون الكنيسة الاولى والكتابات الاثريَّة العديدة التي وُجدت في انحاء آسية واوربَّة وافريقية البالغ عددها الالوف أتت ببرهان جديد يثبت صحَّة ايمان الكنيسة الكاثوليكيَّة بشفاعة المؤمنين على الارض ولاسيما القديسين في السماء.

١ً فان مدافن الموتى المسيحيين مزدانة كلّها بالادعية: «فليرقد فلان بسلام. ارحم يا رب عبدك فلاناً. فليسكن فلان مع الله. فليحيَ مع المسيح. ليعطك الله الراحة الابديَّة». لعمري أكانوا توسَّلوا اليهم لو علموا انَّ أدعيتهم فارغة باطلة؟

٢ً وكذلك تزين قبورهم ادعيةٌ الى العذراء مريم والى الشهداء والقديسين فحواها التماس شفاعتهم لاجل المتنيحين في حجر الكنيسة ليفوزوا بالنعيم الابدي. فانَّ قبوراً كثيرة رُقم فوقها «بشفاعة امّ الله او الشهيد الفلاني اغفر يا رب ذنوب فلان المتنيح» وقد ذكر منها كثيراً حضرة القس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي في مقالته

المعنونة «احوال الآخرة في عرف النصارى الاوّلين» (المشرق ٢١ [١٩٢٣]: ٨٠٧–٨٠٩). راجع كذلك مقالة حضرة الخوري بولس سلمان المعنونة العقائد المسيحيَّة في الدياميس الرومانيَّة (المشرق ١٥ [١٩١٢]: ٥٧٢–٥٧٣)

٣ً وكانوا لثقتهم بشفاعة القديسين يطلبون ان تُقبر اجسادهم بقرب ضرائحهم او في الكنائس المقامة لتذكارهم . وهي عادة انتشرت في كل الامكنة حيثما كان مدفن احد القديسين او شاع فيها اكرامهُ . وربَّما كانوا يجعلون في قبر الميت شيئاً من ذخائر الشهيد او القديس كحرزٍ ينال بهِ شفاعتهما

٤ً وبين هذه الكتابات ما يشعر بثقة الميت في القديسين ساعة محاسبة النفس عن اعمالها او في يوم الدينونة لحرج ذاك الموقف الرهيب المنوط بهِ خلاصهُ الابديّ . ومنهم من يخصّ بذاك القديس ميخائيل رئيس الملائكة فيطلبون اليهِ ان يقدّم هو نفس الميت الى ديَّانها لتحصل بشفاعتهِ على نعمة الخلاص

٦ً شواهد الشيعة الانكليكانيَّة

انَّ اقطع حجَّة يمكن الكاثوليك ان يقدّموها للبروتستانت في وطننا اذا وجَّهوا سهامهم الى معتقدهم بشفاعة القديسين ان يذكروا لهم الكنيسة الانكليكانيَّة البروتستانيَّة التي تكرم اليوم في معظم كنائس انكلترَّة صور القديسين وتماثيلهم وتقرُّ بشفاعتهم وتستغيث بهم . فكفى بهِ دليلًا على ما يوجد من التناقض في معتقدات البروتستانت فيبارك الواحد منهم ما يلعنهُ الآخر ولا يكاد يجمعهم ايمان واحد بل مجرَّد اسمهم البروتستانتي

اعتراضات ناكري شفاعة القديسين

استند ناكرو شفاعة القديسين الى بعض آيات الكتاب المقدَّس حوَّلوها عن معناها الاصليّ او لم يدركوا معناها الصحيح

واقوى حجَّة عندهم لتأييد زعمهم انَّ السيّد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر (١ تيموثاوس ٢ : ٥) فاستمداد شفاعة غيرهِ ابتخاس من حقوقهِ . وانَّما هذا غلط وسفسطة . فانَّنا لا ننكر ان السيّد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر

وهو المخلص الذي افتدانا بدمهِ وفتح لنا باستحقاقات آلامهِ وموتهِ باب الملكوت . ولكن هيهات ان يبتخس اكرامنا للقديسين واستشفاعنا بهم شيئاً من حقوق السيّد المسيح وذلك لاسباب: ١ً لان اكرامنا لابن الله هو اكرام الخليقة لخالقها وفاديها يبلغ اقصى درجات التعبُّد والسجود واما اكرامنا العذراء مريم ولسائر القديسين فهو دونهُ كثيراً يصدر من مخلوقات ذليلة الى خلائق كريمة على الله محبوبة لديهِ

٢ً لاننا باكرامنا للقديسين نكرمهُ تعالى الذي بنعمتهِ بلغ القديسون الى كمال البرارة والقداسة . فيصحّ فيهم قول الربّ (١٠ : ١٦) «من سمع منكم سمع مني ومن احتقركم فقد احتقرني» فيا تُرى أيمكن ان يُقال انّنا باكرامنا لاحد اصدقاء الملك نبتخس حقوق الملك أليس هذا الاكرام عائداً الى الملك نفسهِ ؟

٣ً لان الربّ نفسهُ ارشدنا الى اكرام قدّيسيهِ كما رأيت في الآيات المنقولة آنفاً عن الانجيل . ٤ً لانّ البشر طالما هم على الارض «لا يعلمون احباً يستوجبون ام بغضاً» (الجامعة ٩ : ١) أفلا يجدر بهم ان يتقرّبوا الى ربّهم وديّانهم الرهيب بواسطة اخوتهم الابرار المقيمين في جوارهِ تعالى وهو لا يردُّ لهم طلباً ولاسيما بواسطة امّهِ التي هي اعزُّ مخلوقاتهِ عليهِ

فترى انّ هذا الاعتراض لا قوّة لهُ . وليس اعتراضهم الآخر اقوى حجّةً حيث يقولون كيف يستطيع القدّيسون ان يعرفوا ادعيتنا وهم في السماء ونحن على الارض. الجواب على ذلك انّ القديسين ينظرون كلّ شيء في الله فبرؤيتهم الله يكشف لهم ايضاً تضرّعات البشر ولنا على معرفتهم هذه عدّة ادلّة . فانّ الملائكة الذين ظهروا مراراً للبشر كانوا يأتون ليخبروهم بقبول صلواتهم كالملاك رافائيل في كلامهِ الى طوبيّا البار وكالملاك جبرائيل في ظهورهِ لدانيال ولزكريا فكيف اطّلعوا على ذلك أليس لان الله كشف لهم الامر؟ وكذا قُل عن جميع القديسين الذين يوقفهم الله على ادعيتنا

هذه اخصّ اعتراضات البروتستانت فترى انّها اوهى من نسيج العنكبوت وان الكنيسة الكاثوليكية احسنت في كلّ آن ومكان باكرامها القديسين وباستشفاعها بهم وبالتبارك من ذخائرهم كما يكرم الناس كبار الرجال لا بل بنوع اخرى واولى . متّعنا الله بحمايتهم وشركنا يوماً بمجدهم برحمتهِ ومنّهِ آمين

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تتمّة)

١٦ الطائفة السريانية الكاثوليكية في القطر المصري في العصر الحاضر

قد آن لنا ان نتبسّط في الكلام عن الطائفة السريانية الكاثوليكية في وادي النيل فقد كان للسريان المنوفستيين او اليعاقبة على ما صرّحنا الحظّ الوافر في القاهرة وملحقاتها حتى القرن السابع عشر. فانضموا الى الاقباط وامسوا في عهدة لا جماعة رسمية لهم ولا كنيسة ولا دير

ولما اخذ السريان ينضمّون الى امهم الكنيسة الجامعة منذ القرن الرابع عشر أنشأوا طائفةً منتظمة تألف معظمها ممّن ارتحلوا من بلاد سوريّا وما بين النهرين فنما عددهم رويدًا رويدًا حتى تكوّنت منهم طائفة لا ينقص عددها عن ثلاثة آلاف نسمة في القطر المصري [illegible] أنها يتضح جليًا ان السريان الكاثوليك سبقوا سائر الجماعات الكاثوليكية الشرقية في الانحاء المصرية. وكانوا في اول امرهم يراجعون الكرسي البطريركي تارةً. وعام ١٨٦٦ قرّر احبار الطائفة إلحاق الابرشية المصرية بالابرشية الحلبية. ثم رسموا في سنودس الشرفة المعقود عام ١٨٨٨ ان تكون مصر ابرشية قائمة بذاتها يرعاها اسقف خاصّ ويدبّر شؤون الطائفة في القاهرة وفي الاسكندرية والسودان

وها نحن مورِدون اسماء الرؤساء الروحيين الذين تولّوا خدمة الملّة السريانية في القطر المصري مستندين في ذلك الى ما كتبه جناب الفيكونت فيليب دي طرّازي في «السلاسل التاريخية» (ص ٣٨٠–٣٨٥)

١ ﴿القس نعمة قدسي الحلبي﴾ كان هذا الاب الفاضل خبيرًا بالعربية والسريانية والتركية. وقد درس العربية على الشيخ سليمان النحوي وعلى ابي السعود. وصنّف فيها شيئًا في الخطابة والمعاني والمنطق. والّف يوم كان مسجونًا في قلعة آطنة سنة ١٧٠١ مع البطريرك اغناطيوس بطرس شاهبدين († ١٧٠٢) الصالح الذكر والمطران

رزق الله وستة قسان كتاباً سماه «شرح الاجرومية للملة النصرانية». وانتشر كتابه هذا قبل «بحث المطالب» تأليف العلامة المطران جرمانوس فرحات. وتداولته ايدي القرّاء ونقلوا عن نسخته الاصلية المخطوطة بقلمه والمصونة في مكتبة دير الشرفة نسخاً شتى منها نسخة في المكتبة الشرقية لدى الآباء اليسوعيين في بيروت ونسخة في حلب وخمس نسخ في دير المخلص للروم الملكيين. ونسخ عدة كتب منها كتاب منارة الاقداس لابن العبري (١ وكتاب اعمال الرسل ورسائل مار بولس بالتركية. وكتاب «مدرك النجاة وحجة الفوز بالحياة في صدق الكنيسة المصطفاة» وكتاب «مختصر في الالهيات» والكتابان هما تأليف أستاذه الفريان اسحق بن جُبير الذي نشرنا أخباره على صفحات المشرق (١١ [١٩٠٨]: ٢٨٦). ونسخ في القاهرة سنة ١٧١١ كتاب مزامير. وكتاب اناجيل. ومحاورة جرت بين القديس مكسيموس الراهب وبيرس بطريرك القسطنطينية الشماس عبد الله بن الفضل بن عبد الله الانطاكي وهذه النسخة تخص دير المخلص تاريخها ٢٧ تموز ١٧١٦ كل ذلك بحروف ظريفة انيقة. وعام ١٦٩٢ ارتسم الشماس نعمة كاهناً بوضع يد خاله المطران يشوع مصرشاه († ١٧١٥) وبعد ان قضى مع أصحابه ثلاثة اعوام في سجن آطنه أنقذهم المسيو فيريول السفير الفرنساوي فسار القس نعمة الى القاهرة سنة ١٧٠٦ وتولى خدمة السريان الكاثوليك فيها حتى سنة ١٧٣٠ فنُصب مطراناً لدمشق وتوفي سنة ١٧٤٠

٢ ﴿الخوري عبدالله سعيد﴾ تولى خدمة النفوس في مصر منذ السنة ١٧٣٠ الى ١٧٦٠

٣ ﴿الخوري يوحنا سعيد﴾ هو ابن الخوري عبدالله السابق الذكر. وُلد في اورشليم وبعد ان رُسم كاهناً سار الى القاهرة سنة ١٧٦٠ وخدم فيها السريان الكاثوليك حتى سنة ١٧٧١ وقد ورد ما يؤيد ذلك في «كتاب البستان في اخبار الرهبان» الذي

---

١) من هذا الكتاب نسخة في دير الشرفة عنها نُقلت نسخة المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت. وفي آخر النسخة الاصلية يصرّح الناسخ بما نصه: «اخرجه من اللغة السريانية واعتنى به... الشماس سركيس بن يوحنا الدمشقي الزربابي سنة ١٦٩١ ونسخهُ الشماس عبدالله ابن الشماس نعمة ابن الخوري توما... واعتنى بكمالة نسخه... نعمة بن قدسي بالاسم شماس». وهو المذكور في المتن

وصفناه (عدد ١٣ : ٢) وهو الذي نسخهُ بيده في القاهرة سنة ١٧٦٩

٤ ﴿الخوري الياس امير خان﴾ هو ابن فتح الله الديابكري انضمَّ الى الايمان الكاثوليكي سنة ١٧٧٠ وأنيطت به رعاية السريان الكاثوليك في القاهرة. وكان يتولى كأسلافه خدمة نفوسهم في كنيسة مار بهنام السريانية التي سبق لنا وصفها (عدد ٩) وبعد ان قضى ثمانية اعوام في مصر نُصب رئيساً على دير مار افرام الرغم بلبنان. ثم سافر الى رومية سنة ١٧٨٦ ونشر فيها كتاب الاشحيم (حمبعصل) وعُيّن ترجماناً في اللغتين السريانية والعربية لدى الحبر الاعظم. ثم وجّهه الى اسبانية البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه مع القس الياس دبّ الحلبي لمصالح دير الشرفة

٥ ﴿السيد ديونوسيوس ميخائيل جروه﴾ اضطُرّ هذا الحبر النبيل الى الفرار الى الاسكندرية في ٣١ اب ١٧٧٨ على أثر اعلانه الايمان الكاثوليكي في حلب. واقام سبعة شهور في دار المعلم ابرهيم شدياق. واغتنم تلك الفرصة ليوطّد السريان الكاثوليك في الايمان القويم. وكان يودّ لو يتفقّد احوال الطائفة في القاهرة على ما كتب في رسالته الموجهة الى رئيس البروبغندا بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٧٧٨ اذ قال:

« لا يمكننا الذهاب من الاسكندرية الى مصر لان فيها بطريرك للاقباط الذي يحسّ حذاً البطريرك اليعقوبي. فاذا قصدنا مصر يزداد انكسار قلبنا . . . ولا نزال مقيمين في الاسكندرية مع شماسنا نقدّس ونصلي في بيت المعلم ابرهيم الشدياق »

وأوفد السيد ميخائيل من الاسكندرية الى رئيس المجمع المقدس قنطار بن بثابة هدّية. وفي ٢٧ نيسان ١٧٧٩ غادر ثغر الاسكندرية الى دمياط ويافا والقدس يتعهد ابناء طائفته القاطنين في تلك الاطراف. ثم عاد الى حلب في ١٢ اب ١٧٧٩ وارتقى الى السدّة الانطاكية باسم ميخائيل الثالث في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٧ — ١٨٠٠

٦ ﴿السيد ايونيس نعمة الله الصدّي﴾ أعلن الايمان الكاثوليكي في ماردين سنة ١٧٨٢ وفوّض اليه البطريرك ميخائيل الثالث رعاية السريان في مصر فاقام فيها سنتين يسوس ابناء طائفته ثم شخص الى دير الشرفة سنة ١٧٨٤ وتوفي عام ١٨١٢

٧ ﴿الخوري شكر الله براغيث الحلبي﴾ قرأ العلوم في مدرسة البروبغندا ولمّا عاد الى الشرق نصبه البطريرك ميخائيل الثالث وكيلاً عنه في وادي النيل عام ١٧٨٥

٢٠ ﴿السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الماردیني﴾ درس في دير الشرفة وارتسم كاهناً سنة ١٨٨١ ومطراناً لبغداد سنة ١٨٩٥ وسُمّي نائباً بطريركياً للقطر المصري في ٣ ايلول ١٩٠٤ فدبّر الابرشيّة حتى سنة ١٩١٤ وسعى في استحصال الرخصة من الحكومة المصريّة في انشاء يا نصيب خيريّ يعود دخلهُ الى الجمعيّة الخيرية السريانية تستعين به لسدّ حاجات ذوي الفاقة. وبذل العناية كذلك في الحصول على ارض فسيحة في العباسية خُصّصت بدفن المتوفين من ابناء الملة

٢١ ﴿المونسنيور روفائيل جبري الموصلي﴾ أوفده السيد اغناطيوس افرام رحماني بطريركنا الجزيل الطوبى الى الاسكندريّة في تشرين الثاني ١٩٠٥ ليجمع شتات الملة ويؤسس لها بيعة ودارًا للصلاة ولسكنى كاهن الرعية. فحلّ في اوّل الامر ضيفاً في دار بطريركيّة الاقباط الكاثوليك حيث اقام سنتين تمكن في اثنائها من لم شعث ابناء الطائفة. ثم استأجر مكاناً سنة ١٩٠٨ جعل قسماً منه لاقامة الفروض الدينيّة والقسم الآخر لسكناه. وهو اليوم يسعى مع اعيان الملة في مشترى بقعة ارض لبناء كنيسة ودار للنيابة البطريركية. وقد أقامه غبطة السيد البطريرك منذ السنة ١٩١٤ نائباً عامًّا عنه في القطر المصري

٢٢ ﴿الخوري جرجس ابرهمشا الحلبي﴾ تولى خدمة النفوس في القاهرة سنة ١٩٠٦ وابدى من اعمال الهمّة والغيرة ما أطلق الالسنة على شكره. واننا نثني أطيب الثناء على ما اداه لنا من الخدم في كلّ ما احتجنا اليه من اخبار طائفتنا العزيزة في وادي النيل في عهدنا الحاضر سائلين المولى ان يكافئه عنا بافضل الجزاء.

٢٣ ﴿القس يوسف نجّاش الحلبي﴾ تلقّى العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين في بيروت واوفده غبطة السيد البطريرك الى القاهرة سنة ١٩١٢ ولا يزال يخدم النفوس في كنيسة مار الياس بدرب الجنينة حتى اليوم. على ان غبطة السيد البطريرك اظهارًا لعنايته الابويّة ومحبّته الخصوصية لطائفته السريانيّة في الانحاء المصريّة أوفد اليها في أيار ١٩٢٣ الى القاهرة بمثابة زائر بطريركي المونسنيور جرجس ستيته فاقام ثمّ حتى سلخ تموز ١٩٢٤. وفي اذار ١٩٢٥ ارسل السيد البطريرك الى القاهرة السيد يوليوس بهنام قليان ليتولى رعاية الطائفة نيابةً عنه.

هذه هي سلسلة الرعاة والآباء الذين تولّوا خدمة النفوس في القطر المصري وجعلوا

مركزهم في القاهرة . واذا رمنا ان نخصّص الكلام عن السريان في الاسكندرية قلنا ان الفضل في ذلك عائد الى غبطة ابينا السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني الجالس سعيداً فانه هو الذي انشأ للطائفة مركزاً في تلك الحاضرة وأوفد اليها المونسنيور روفائيل جبري المذكور آنفاً فبذل المساعي في خدمتهم وتكبّد الاتعاب في سبيل نموّهم . ولما ازداد عددهم أرسل غبطة السيّد البطريرك القس جرجس حمّال ليساعدهُ في خدمتهم ايضاً . ولا يخفى انه ما عدا عاصمة الديار المصريّة ومدينة الاسكندرية يوجد عدد وافر من السريان الكاثوليك يسكنون اليوم في طنطا والمنصورة وسائر انحاء القطرين المصري والسوداني

وامتاز السريان المصريون بغيرتهم الدينيّة ومبادئهم الطيّبة واخلاقهم الكريمة واشتهر فيهم خصوصاً عيال ضاهر وموصلي وشدياق وابرهمشا وألطي وحمدي وبغدادي واسطنبولية وصالحاني تعاطوا التجارة وحصلوا على حظّ من الثروة وافر . وكان فوح اسمهم في طبيعة الجميع نفوذاً ونقوداً لدى الحكّام واشتهر كذلك الخواجا يوسف بن حداثيس شدود ترجمان قنصلية فرنسا في القاهرة وكان شيخ صيارفة مصر . ومن جملتهم ايضاً نذكر الكومندور جرجس بن يوسف بن انطون ابرهمشا الذي شاد في شارع الظاهر كنيسةً على اسم والدة الله سلطانة الوردية كرّسها عام ١٩٠٤ غبطة بطريركنا السيّد اغناطيوس افرام الثاني الجزيل الطوبى

وامتاز في الاسكندريّة بمواردهِ الجمّة وحسناتهِ الوافرة حضرة الكومندور سليم بن جرجس بن يوسف رباط وهو الذي يسعى اليوم في تشييد كنيسة لائقة بابناء الطائفة في تلك الحاضرة . وقد زانه الله بالعطف على البائسين والرفق بالمعوزين وهو لا يزال يشملهم بكرمه وسخائه مقتفياً في ذلك وصيّة الربّ عزّ وجلّ القائل « امّا انت فاذا صنعتَ صدقةً فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك (متى ٦ : ٣) . ومن الاسر السريانيّة المشهورة في الاسكندريّة أسرة بهنا وفتّال وشدياق ومخزومة الخ

ومن السريان الذين نبغوا بالعلوم والآداب في القاهرة يوسف بك شاحت الحلبيّ الذي صنّف مقالات ضافية في مواضيع شتى ورسائل شائقة نُشرت في المجلات المصريّة . وقد عزّل غير واحد من المعجبين بنصّه ولهجته ان ينظموا تلك اللآلئ في كتاب ينشرونه بالطبع ضناً بها وحرصاً عليها . واشتهر كذلك الاديب يوسف بن

اليان سركيس الدمشقي الذي صنّف كتاب «أنفس الآثار في أشهر الأمصار» ونشر كتاب «الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب» وعرّب روايتي «عاص وشجعان» و«الرحلة الجوّية» و«مائة حكاية قصيرة» وأنشأ مقالات نشرها في مجلة المشرق. ووضع كتاباً يحتوي على فهارس أسماء الكتب العربية المنشورة بالطبع وأسماء مؤلفيها او ناشريها. وسيمثله للطبع قريباً على ما بلغنا

ويحلو لنا ان نختم مقالنا هذا بذكر ما جرى في الديار المصريّة للسيد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين قبل ارتقائه الى العرش البطريركي فانه بعد ما قضى مصالحه في القسطنطينية سافر بحرًا في مركب عثماني الى رودس فتعرّضت له مراكب مصريّة لسبب الحرب الثائرة يومئذٍ بين السلطان محمود ومحمد علي باشا خديوي مصر. وساقته عنفاً الى الاسكندرية. ولما وصل السيّد سمحيري الى الثغر اوفد جواز سفره الى المسيو ميمو القنصل الفرنساوي فاوفد من فوره ترجمانه فنقله من المركب وأركبه حصاناً وسار به الى دير الآباء الفرنسيسيّين. ثم توجه الى القاهرة لزيارة ابناء الطائفة فاستقبلوه كملاك هابط من السماء واغتبطوا برؤيته. وسأله الاكليرس القبطي الكاثوليكي والوجهاء ان يرسم لهم مطراناً واستأذنوا في ذلك البابا غريغوريوس السادس عشر فأجاب الحبر الاعظم الى التماسهم وكتب براءة رسولية فيها خوّل السيّد انطون سمحيري ان ينتخب الاب ثاردورس جاد الكريم مطراناً للاقباط. فاحتفل برسامته بموجب الطقس السرياني في ٢٢ حزيران ١٨٣٢. وكأنّه بذلك أعاد للسريان والقبط ما كانوا عليه في سالف الاحقاب من الاتحاد والاتفاق. واقام السيد سمحيري في القاهرة سنةً كاملة جمع في اثنائها من سخاء المؤمنين خمسة عشر الف قرش ساعدته على وفاء ديونه في ماردين (١

ولا يزال السريان في الاصقاع المصرية ناهجين نهج آبائهم وأجدادهم في احترام الدين ورؤسائه. وبسط كفّ الاحسان للمسكين تلافياً لشقائه. زادهم المولى الكريم فضيلة وفضلاً وسكب عليهم شآبيب نعمائه وآلائه (تمت)

---

١) اطلب مقالتنا عن البطريرك انطون سمحيري في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٤٠١–٤٢٣)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ المستشرقون في اوائل القرن العشرين

كانت الدروس الشرقية في غرَّة القرن العشرين راقية في سائر انحاء اوربَّة والعالم. وقتئذٍ في سلام لم تكدّر صفاءهُ معامع الحروب. فكان للغتنا العربيَّة مقام رفيع في الجامعات الاوربيَّة يتنافس اساتذتها في نشر تعليمها واستخراج مئات من دفائن كنوزها. وكانت [illegible] من ذلك الغزوات التي كانت تُعقد من وقت الى آخر في عواصم البلاد ورحلات السيَّاح الى بلاد الشرق القاصية: الى اليمن والهند ومراكش فيعثرون على تآليف عزيزة الوجود كانوا يعدُّونها ضائعة مفقودة فينشرونها بالطبع فيتَّسع بنشرها نطاق معارفنا عن آثار العرب

وكانت مجلَّات المستشرقين حافلة بتلك الآثر النفيسة لاسيما المجلَّات الاسيويَّة الفرنسويَّة والانكليزيَّة والالمانيَّة والنمساويَّة والايطاليَّة والاميركانيَّة فلم تترك باباً إلَّا قرعتهُ ولا بحثاً إلَّا خاضت فيهِ لا يهدأ لها بالٌ حتى تبيِّن غثَّهُ من سمينهِ وها نحن نذكر بعضاً من الذين خدموا العربيَّة في ذلك العهد فأسفت البلاد على فقدهم في اوائل القرن العشرين

(الفرنسويون) فقدَ مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين رجلاً هماماً ترأس عدَّة سنين على تنظيمهِ وترتيب دروسهِ وترقيتهِ السيِّد ادريان بربيه دي ميناره (A. Barbier de Meynard) ولد في ٦ شباط ١٨٢٦ على المركب الذي كان يقلّ والدتهُ من الاستانة الى مرسيلية وتخصص منذ حداثة سنهِ

بدرس اللغات الشرقية وساعدتهُ على اتقانها رحلاتهُ لخدمة قنصليات وطنهِ في القدس وفي طهران والاستانة فتعلَّم اللغات الفارسيَّة والتركيَّة والعربيَّة وتمكن من دقائقها حتى تولَّى تعليمها في مكاتب فرنسة العليا. فانتُدب الى رئاسة المجلة الاسيويَّة الباريسية ولهُ فيها فصول عديدة ممتعة تشهد لهُ بسعة معارفهِ. وقد حضرنا دروسهُ في باريس سنة ١٨٩٤ فكان لا يزال يطري محامد الشرق وآلهِ. ولهُ منشورات عديدة في التركية والفارسية. ومما خدم بهِ اللغة العربية نشرهُ لمروج الذهب للمسعودي في تسعة مجلدات مع ترجمتهِ الى الفرنسويَّة ونشر من معجم البلدان لياقوت ما يختصّ ببلاد فارس. وساعد في نشر التآليف العربية المنوطة بالصليبيين فنقل الى الفرنسويَّة كتاب الروضتين لمجيد الدين الحنبلي في المجلَّد الرابع من مجموعها العربي. اما مقالاتهُ عن العرب والآداب العربية فمتعدّدة كمقالتهِ عن السيّد الحميري والالقاب عند العرب الخ. كانت وفاتهُ في باريس في اواسط آذار ١٩٠٨

وفي تلك السنة عينها في ١٣ نيسان ١٩٠٨ فقد المكتب المذكور احد اساتذتهِ المعدودين هرتفيك ديرنبورغ (Hartwig Dérenbourg) وهو ابن جوزف ديرنبورغ الذي مرَّ ذكرهُ بين ادباء القرن التاسع عشر. اخذ عن ابيهِ ميلهُ الى درس الشرقيَّات فجاراهُ في نشاطهِ فانتُدب الى تدريس اللغة العربية في مكتب اللغات الشرقيَّة الحيَّة وفي مكتب فرنسا الاعلى ونشر عدَّة مطبوعات مفيدة اخصُّها كتاب سيبويه وديوان النابغة الذبياني مع ترجمتهِ الافرنسيَّة وكتاب الانشاء والاعتبار لأسامة بن منقذ والنكت العصريَّة لعمارة اليمني ونقلها الى الافرنسية وجدَّد طبع الفخري الآداب السلطانيَّة لابن الطقطقي. ومن آثارهِ وصف جديد لقسم من مخطوطات مكتبة الاسكوريال في مدريد. كان مولدهُ في ١٧ حزيران ١٨٤٤ في باريس وفيها توفي

وسبقهُ بالوفاة احد ابناء دينهِ الموسوي جول اوبرت (Jules Oppert) ولد في همبورغ في ٩ تموز ١٨٢٥ ثم عدل الى الجنسية الفرنسويَّة وتوفي في باريس في ٢١ آب ١٩٠٥. كان احد كبار العلماء باللغات السامية كالعبرانية والعربيَّة. وانَّما امتاز خصوصاً بدرس اللغة المسماريَّة وكان احد الاوَّلين الذين ساعدوا على كشف الغازها. بعد ان قضى اربع سنوات في العراق يدرس احاجيها. ولمَّا عاد الى فرنسة نشر نتيجة ابحاثهِ في كتابهِ المعنون «رحلة علميَّة الى بلاد ما بين النهرين» ولم يزل منذ ذاك الحين يتحف العلماء

بمنشورات متتابعة في تاريخ بابل واشور وفي اللغات السامية وخواصها

وفي هذه السنين الاولى من القرن العشرين رُزئت رسالتنا السورية بوفاة ثلاثة من رهبانها الفرنسويين الذين ادّوا للآداب العربية خدماً مشكورة استحقّوا بها ان يُنظموا في عداد المحسنين الى الوطن. اوّلهم الاب ﴿يوحنا بلو﴾ (J.-B. Belot) المولود في غرّة آذار من السنة ١٨٢٢ في لوكس من اعمال بورغندية والمتوفّى في بيروت في ١٤ آب ١٩٠٤. باشر درس اللغة العربية منذ اوائل سني رهبانيته ثمّ قدم الى بيروت سنة ١٨٦٦ ولم يزل ينشط في إحراز فرائد لغتنا حتى امكنهُ ان يتولى ادارة مطبعتنا ويهتمّ بنشر عدّة تآليف مفيدة. منها دينيّة كالقلادة الدرّيّة ومروج الاخيار والغصن النضير ومنها علميّة اصابت لدى المستشرقين وارباب المدارس في الشرق والغرب حظوةً واسعة كالفرائد الدرّيّة في اللغتين العربية والفرنسويّة وكمعجمَيه الفرنسويّ العربيّ الكبير والصغير وكفراماطيقه الفرنسويّ العربي

وتوفي بعدهُ باسبوعين في ٣١ آب ١٩٠٤ يسوعي آخر ذو حرص كبير على خدمة العلم ونشر الآداب الشرقية الاب فرنكلين دي كوبيه (F. de Coppier). أرسل اوّلاً الى الجزائر ثم الى بيروت فقضى فيها عشرين سنة بنشاط متواصل. فألف عدّة كتب ساعدهُ في تعريبها جناب الاديب خليل البدوي والمرحوم رشيد الشرتوني. منها كتاب التوفيق بين العلم وسفر التكوين وكتاب كشف المكتوم في تاريخ اخري سلاطين الروم وكتراجم بعض القديسين اليسوعيين: ريحانة الاذهان ونفح الرند ومظهر الصلاح وكتخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب ونقل الى الفرنسويّة ديوان الخنساء وكتب فصلاً كبيراً عن شواعر العرب وترجم الى الفرنسويّة ايضاً كتاب القرآن (لم يطبع) ونشر في مجلّة الكنيسة الكاثوليكية فصولاً عديدة. كان مولدهُ في فرنسة سنة ١٨٣٦

والمستشرق اليسوعي الثالث المتوفّى في هذه الحقبة هو الاب ﴿اوغستين رودة﴾ (Aug. Rodet) المولود في فرنسة في ٣١ ت ١ ١٨٢٨ درس العربية في الجزائر ثم أرسل الى سوريّة السنة ١٨٦٨ فترأس على مدرسة غزير قبل نقلها الى بيروت ١٨٧٠—١٨٧٥. ومن خدمهِ المعتبرة للوطن ترجمتهُ للاسفار الكريمة من العبرانيّة واليونانيّة الى العربية بساعدهُ في تنقيح تعريبها المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي. ونشر للمدارس مع

الاب يوحنا بلو مجموعة نخب الملح في خمسة اجزاء. توفي في ١٢ كانون الاوّل سنة ١٩٠٦

(الولطانيون والصوبون) مات في اوكسفرد في غرّة القرن العشرين ٢٨ ت١ ١٩٠٠ العلّامة الالماني الكبير «وليم ماكس موللر» (W. Max Müller) كان معظم شغله باللغات الهندية والمقابلة بين اصول اللغات. وقد نقل الى الانكليزيّة كتاب القرآن مع كتب الشرق الدينيّة. كان مولدهُ في ديساو (Dessau) سنة ١٨٢٣ في ٦ كانون الاوّل

وفي ١٨ آب من السنة ١٩٠٣ انتقل الى جوار ربّهِ في برلين الاستاذ الشهير «فردريك دياتاريشي» (Fr. H. Dieterici) كان مولده في مدينة برلين في ٦ تموز ١٨٢١ وساح في شبابهِ في جهات الشرق ثم تعيَّن في وطنهِ كاستاذ العربية سنة ١٨٥٠ فثبت في تعليمهِ عدّة سنين. ولهُ تآليف عربيّة متعدّدة منها معجم عربي الماني وشرح الفيّة ابن مالك وصنّف كتاباً في الشعر العربي ونشر نخباً من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبي. ودرس خصوصاً تآليف العرب الفلسفيّة كالفارابي واخوان الصفا فنشر منها بعضاً ونقل بعضاً الى الالمانيّة

وفي برلين توفي الرحّالة المستشرق «وتستين» (Joh. Gottfr. Wetzstein) ولد في ١٩ شباط ١٨١٥ وتوفي في ١٧ ك٢ ١٩٠٥ تعيَّن قنصلاً لدولتهِ في دمشق ولهُ سياحة في جهات حوران وجبل الدروز سنة ١٨٦٠ ونشر بعض ما وجدهُ فيها من الكتابات

وفي كانون الثاني من السنة عينها توفي ايضاً «فرنسيس جوزف شتنغاس» (F. J. Steingass) كان ضليعاً باللغتين الفارسيّة والعربيّة. فمن منشوراتهِ قاموس عربي انكليزي ونقل قسماً من مقامات الحريري الى الانكليزية وكتب عن تاريخ الخطوط والكتابات الساميّة. ولد في فرنكفورت في المانية وتوفي في انكلترّة

وفي العام التالي في ٢٥ ك٢ ١٩٠٦ فقدت السنة احد علمائها المستشرقين الكاهن «غوستاف بيكل» (G. W. Bickell) علّم زمناً طويلاً اللغات الشرقية في كلية إنسبروك وفيئّة وبرزَ خصوصاً في درس اللغة السريانيّة فنشر فيها كتباً جليلة كديوان اسحاق النينوي والترجمة الكلدانية الكليلة ودمنة وهي التي سبقت ترجمة عبدالله

ابن المقفع العربية وقابل بين الترجمتين. كان مولده في ٧ تموز ١٨٣٨ وارتدَّ عن البروتستانيَّة الى الكثلكة

وممن ذاع اسمهم في هذه الحقبة ثم حلَّ أجلهم الدكتور «موريتس شتينشنيدر» (Moritz Steinschneider) المولود في ٣٠ آذار ١٨١٦ والمتوفَّى في برلين في ٢٤ ك٢ ١٩٠٧ . قد نشر قوائم غاية في الافادة عن الكتب العربية المنقولة الى اللاتينيَّة وعن التآليف اليونانيَّة التي نقلها العرب الى لغتهم . ولهُ جدول واسع للتآليف التي كتبها المسلمون والنصارى واليهود في صحَّة اديانهم وفي تفنيد اديان سواهم. وكذلك سرد قائمة جميلة لما نشره العرب في الرياضيَّات والعلوم الفلكيَّة ولهُ تأليف آخر في الآداب العربية وانتشارها بين اليهود طبعهُ سنة ١٩٠٢ بالالمانيَّة

وزاد عليهم شهرةً «ادوار غلازر» (E. Glaser) الذي ولد في بوهيمية في ١٥ آذار ١٨٥٥ وتوفي في مونيخ في ٧ أيار ١٩٠٨ . رحل الى بلاد اليمن ووصف كثيراً من احوالها وآثارها ونشر كتابات حميريَّة قديمة او تفتنا على اخبار ملوكها التبابعة واخبار ملوك الحبش الذين استولوا على اليمن بعد نكبة نجران واستشهاد اهلها النصارى في عهد ذي نوَّاس الملك اليهودي

(الانكليز بوه والبلجيكيون) من اعيان الانكليز الذين قضوا أجلهم في العشر الاوَّل من القرن العشرين العلَّامة «وليم ميور» (W. Muir) احد المحققين المدققين في تواريخ المسلمين والعرب. ألَّف سيرةً مطوَّلة لنبيِّ المسلمين في مجلَّدين سنة ١٨٥٨ . وكتب في القرآن وتأليفه وفي الخلافة الاسلاميَّة واطوارها المختلفة. ولهُ مجادلات دينيَّة في الاسلام ومقالات في شعراء العرب ونشر تاريخ دولة المماليك في مصر . توفي في لندن في ١١ تموز ١٩٠٥ وعمرهُ ٨٦ سنة

واشتهر في انكلترَّة «هنري كسل كاي» (H. Cassels Kay) ولد في أنفرس في بلجيكة ودخل انكلترَّة فاتخذته جريدة التيمس كمراسل لها في مصر فنشر كتابات عاديَّة وجدها في مصر ودمشق . . ثم استوطن لندن وعلَّم فيها وطبع تاريخ بني عقيل ثم تاريخ عمارة اليمني ونقلهُ الى الانكليزيَّة وذيَّلهُ بالحواشي (١٨٩٢) توفي في ٥ حزيران ١٩٠٣ وكان مولده في ٢١ نيسان ١٨٢٧

المستشرقون في (اسوج وهولندة وروسيا) . عُنيت كلية اوبسالا في اسوج بتعليم اللغات الشرقية فكان يعلّم فيها العربية الاستاذ ﴿ هرمان المكويست ﴾ (Herm. Nap. Almqvist) نشر قسماً من رحلة ابن بطوطة وكتب في خواص الضمائر في اللغات السامية

ولم تزل هولندة رافعة منار التعليم للغات الشرقية وخصوصاً العربية جارية على آثار كبار علمائها الذين شرّفوا وطنهم من هذا القبيل منذ القرن السابع عشر . وممّن فقدتهُ الآداب العربيّة في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين احد علماء ليدن الذي مات في ريعان شبابه وهو الاديب ڤان ڤلوتن (C. Van Vlouten) . نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحراً

اما روسيا فكان ناشر لواء علومها الشرقيّة العلّامة ﴿ البارون ڤيكتور فون روزن ﴾ المولود سنة ١٨٤٩ في مدينة رول من اعمال استلند وتوفي في بطرسبورج في ٢٣ ايار ١٩٠٨ (راجع ترجمتهُ في الشرق ١١ [١٩٠٨] : ١٧١—١٧٣) درس على العلّامة المستشرق فلّيشر في ليبسك ثمّ عُهد اليهِ تعليم اللغة العربية في كلية بطرسبورج فاضحى قطب علومها الشرقية ونال ارفع الامتيازات الشرقيّة لسموّ فضلهِ . والعربية مَدينةٌ لهُ بما نشره من اثارها منها منتخبات مدرسيّة شتى مع ترجمتها الى الروسية . وطبع قسماً من تاريخ يحيى الانطاكي الذي عُنينا بنشرهِ ملحقاً بتاريخ سعيد بن بطريق . ولهُ وصف مخطوطات مكاتب روسيّة الشرقيّة وساعد على طبع تاريخ ابي جعفر الطبري في ليدن . وكان ذا اطلاع كبير يسعى الى خدمة من التجأ اليهِ في الابحاث الشرقيّة وعليهِ تخرّج كثيرون من الروسيين فاشتهروا في وطنهم وخدموا الآداب العربيّة خدماً مشكورة

(لهُ بقيّة)

سليمان البستاني

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ اللسان في كليّتنا

القسم الاول: الرجل (تابع)

٨ في الولايات المتحدة

استقباله — مرضه — وفاتهُ (١٩٢٤—١٩٢٥)

« والتفَّ رجال العلم والادب في نيويورك حول ضيفهم التفاف الجند حول العلم » (جريدة السائح)

وما نزل البستاني الى برّ الولايات المتحدة حتى احتفلت بقدومه الجالية السورية واللبنانية هناك احتفالاً ندر مثيلهُ . فتتابعت رسله الحرّ . . . ت له الحفلات الشائقة فكان موضوع اعجاب كل من عرفه . وان من يطالع المقالات الضافية في الصحف الاميركية يتحقق مقدار اعتبار العلم والادب في تلك البلاد . وحمل معه الى العالم الجديد تاريخه الكبير وبعض مؤلفاته الخطيّة فكان يجيل فيها لآخر مرّة قلم التصليح . وبين الفرصة والاخرى كان يُملي مذكراته باللغة الانكليزية على السيدة ماري ابنة اخيه سعيد وعقيلة السيد ميشال خليل البستاني

وطُفئ نور عينيه فلازم المنزل فكان يجتمع حولهُ كتّاب نيويورك وادباؤها فيستنيرون بنوره ويلتقطون الجواهر من دور حديثه حتى اصبح مقرّه كعبة الادب العربي في تلك المدينة الزاهرة . . . وكم من حديث معه وعنه نُقل الينا على صفحات «الهدى» او «السائح» او غيرهما يشفّ عمّا أولاه اولئك الادباء من الاعتبار وعمّا كان يفيض عليهم قلبهُ الطافح من انوار المعارف الساطعة . وكأنهُ صوّر نفسه في شخص هوميروس اذ ذكر سفر نابغة اليونان واشتداد الانواء على سفينته والتجاءه الى جزيرة «يوس» فقال : « فاقامرا (اي هوميروس ورفقاؤه) اياماً في مكانهم واهل الجزيرة يتهافتون افواجاً لمحادثة هوميروس وقد بلغ بهم الاعجاب منتهاه لما كان ينثر عليهم

من غرر الاقوال ودرر الامثال » (١

واقعده المرض فما ازداد زوّاره الّا غيرة ولطفاً وادباً وكأني بهم ارادوا ان لا يفوتهم شيء من اشعّة هذه الروح النيّرة قبل ان تقطع امامهم مرحلتها الاخيرة . . .

وظهرت برقة امل في ذلك الديجور فتحسنت صحة المريض نوعاً وورد الى بكشتين في اواسط ايار سنة ١٩٢٥ كتاب من السيدة ماري البستاني تقول فيه ان صحة عنها تقدّمت كثيراً وانها لم تره قط بمثل تلك الطمأنينة

ولكن سرعان ما اثبت الواقع خيبة هذا الامل . فما كان اول حزيران حتى ارتجّت اسلاك البرق حاملةً الى العالم وفاة الرجل الكبير بينما كانت روحه الطاهرة تطير نحو خالقها مستريحةً من ضوضاء هذه الدنيا . ولم نعلم هل هناك مرض خاصّ المّ به في آخر ايّامه بل جلّ ما قيل انه توفي اثر تعبه وإضناك جسمه بالاعمال المتواصلة . وقيل انهمات عقيب قلع ضرس من اضراسه . وعلى كل فان ذاك الجسد كان اصبح اضأل من ان يحوي فيه تلك النفس الكبيرة

« واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ »

٩ اكرام الجثمان

« فتح الموت حين أغمض عينيه م عيون الورى على حسناته » (ايليا ابو ماضي)

(في نيويورك) توفي سليمان البستاني نهار الاثنين الواقع فيه اول حزيران سنة ١٩٢٥ وله من العمر ٦٩ سنة وثمانية ايام فحُنّطت جثته كي تُرسل الى لبنان فتُدفن مع آبائه واجداده

واذ كانت في نيويورك عُرضت في قاعة الكنيسة المارونية اجابةً لطلاب الراغبين في رؤيتها . ونهار الخميس في ٤ آب نُقلت الى كنيسة القديس شارل دي بورومي حيث صلّى عليها الاكليروس الماروني برئاسة الخوري اسقف خيرالله اسطفان . وارسل قناصل فرنسا وتركيا ومصر في نيويورك مندوبين عنهم للاشتراك في المأتم . ووصفت الجرائد الاحتفال وصفاً ضافياً يضيق المقام بايراده

١) مقدمة الالياذة (ص : ١٥)

وكان اهل الفقيد في نيويورك ومنهم ميشال البستاني زوج ابنة اخيه وخليل اسعد البستاني قد ازمعوا على ارسال الجثة في القريب الى بيروت . فجزع المهاجرون لان الوقت لم يكُ يسمح لهم ان يقوموا بالواجب وهم لم يرضوا بهذا المأتم مع فخامته بل ارادوا ان يشتركوا جميعهم على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم في وداع الراحل الكريم . وعلمت شركة «فابرلين» بعزم اهل الفقيد على ارساله فبعثت كتاباً الى وكيلها في نيويورك السيد ابراهيم حتي هذه صورته :

«السيد ابرهيم حتي — ٦٠ شارع واشنطون — مدينة نيويورك

سيدي العزيز :

علمنا بواسطة الجرائد بوفاة سعادة سليمان بك البستاني وعلمنا ايضاً بان جثمانه سينقل الى بيروت . وبما ان باخرتنا « آسيا » ستبحر الى بيروت رأساً في ١١ حزيران فاننا نعتبر من الشرف ان تنقل جثمان سعادته الى وطنه واذا صادف ما شرحه قبولاً تفضلوا باطلاعنا على التفاصيل التي ترافق نقل الجثة الى الباخرة

لكم باخلاص

س . دبليو . اول وشركاه»

فشكروا لها هذه المنة . وأرسل السيد فؤاد البستاني الى الجنرال ساراي برقية هذه ترجمتها .

« صاحب السعادة الجنرال ساراي المفوض السامي – بيروت – لبنان

الرجو منكم إشعار القنصلية الفرنسوية العامة في نيويورك باجازة ارسال جثمان المرحوم سليمان البستاني الى بيروت

فؤاد البستاني »

ثم تأخر الجواب عن ميعاد سفر الباخرة «آسيا» فسُرّ المهاجرون اذ رأوا ان الحظ يساعدهم باكرام الفقيد اكراماً لائقاً به فاجتمع صحافيوهم وكبارهم وألفوا لجنة سمّوها « لجنة سليمان البستاني » . فالقى اعضاؤها وهم مختلفو الطوائف من الاعمال اعظمها ترتيباً واتقاناً واخذت بالاستعداد للسادس من تموز وهو موعد تشييع الجثمان الى الباخرة « سينايا » التي قدمتها شركة فابر فنشرت الدعوات في الجرائد مفصّلة كل ما سيجري فكانت حفلة الوداع من ارق الحفلات وادعاها لاثارة الحزن والاسف افاضت في وصفها الصحف النيويوركية افاضةً ما وراءها زيادة لمستزيد

(بين نيويورك وبيروت) وسارت «سينايا» حاملة الرفات الجليل تتبعها زفرات

المهاجرين» وما وصلت الى ثغر بروفيدانس وهو آخر الثغور التي ترسو فيها قبل استئنافها السفر الى بيروت حتى صدمت اليها الوفود القادمة من المدن المجاورة للتيمم بواجب الوداع الاخير للفقيد الكبير (المراسل الهدى في ٨ تموز)

(في بيروت) واطلت «سينايا» على بيروت عصر الاربعاء في ١٥ آب فخفقت لها القلوب وشخصت العيون وهي ترجو لو أتيح لها خرق تلك الحُجُب الكثيفة لتتمتع برؤية ذاك الضرير النائم نومة الابد . . .

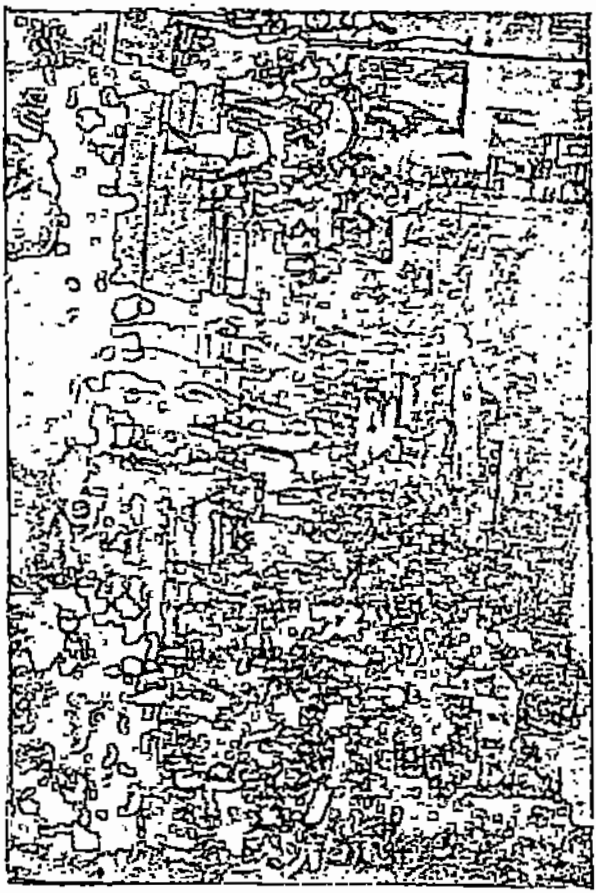

صورة استقبال اهل بيروت لرفات البستاني

وكان قد اتى بيروت من مصر الاستاذ الدكتور سليم بك البستاني شقيق الفقيد

ومعه الاديب نبيل ابن اخيه الدكتور عبدالله بك. وهبطها من بكشتين والدبية ودير القمر وبعض قرى الشوف واقليم الخروب الوفود العديدة لاستقبال الجثمان. فنُقل صباح الخميس الى المحجر الصحي حيث اودع الى الساعة الرابعة مساء. وفتح التابوت الخارجي فظهر الفقيد من وراء تابوت الزجاج بهيئته الطبيعية المهيبة ولم يؤثر في ملامحه شيء الا بعض الاصفرار

وكانت الجمعية الخيرية المارونية اخذت على عهدتها امر السير به الى كاتدرائية القديس جرجس فتمّ ذلك بكل ترتيب

واذ وصل الموكب الكاتدرائية قام بالمراسيم الدينية سيادة المطران اغناطيوس مبارك وغبطة بطريرك السريان ولفيف الاكليروس الموقر وقد ضاقت الكاتدرائية على رحبها الجماهير الحاضرين . وأبّن الفقيد في الكنيسة حضرة الخوري يوحنا الحاج بعد ان قرأ برقية غبطة البطريرك الماروني. وفي المساء اقيمت حفلة ادبية يأتي ذكرها

(الى المقر الاخير) ما ازفت الساعة السادسة من صباح الجمعة في ٧ آب حتى سارت سيارة تقلّ جثمان الفقيد تظلالها الاكاليل وتتبعها سلسلة طويلة من السيارات ووجوهها السعديات حيث نُقل منها النعش على الاكفّ الى بكشتين. سقط رأس الفقيد وحط جثمانه . . .

ووصل الموكب قرب الظهر الى تلك القرية وهناك جموع تموج وجماهير تعجّ آتية من اكثر من ثلاثين ضيعة وكلها مشتركة بين اسلام ودروز ومتاولة ونصارى. فأبّن الكثيرون منهم الراحل الكريم. اما جثمان الفقيد الكبير وهو لا يزال بهيئته الطبيعية فقد اودع غرفته الخاصة التي كان يكتب فيها معظم الالياذة . . .

وهكذا فانّ سليمان البستاني بعد ان جاب اطراف البلاد ودرس حياة مختلف الشعوب طيلة سبعين عاماً عاد الى شعبه الذي خرج منه ولم يستر الّا في بلده الذي وُلد فيه . . . ولا غرو فهو القائل :

لا يستقرُّ الظبيُ في فلواتهِ حتى يعاود وِرده المعهودا (١)

(١) عبرة وذكرى (ص : ١١٢)

١٠ الميت الحيّ

«هل رأيتم او هل سمعتم قديماً ان شخصاً يكون ميتاً وحياً ؟
ذا سليمان فهو ميتٌ وحيٌّ جسادهُ الليثُ كل آنٍ وحيّاً»

(نعوم البستاني)

اجل هو ميت حي . حيّ بآثاره الغرّاء . حيٌّ بتآليف العديدة . حيّ بخدماته لبني قومه واعماله في سبيل وطنه . وعلى هذا فقد ابى قومه ان يدعوه ينتقل من حياة الدنيا الى حياة الخلود دون ان يبرهنوا عن اعتبارهم لشخصه وصفاته واعماله

(الصحف) وكان اول من نعاه جريدة «الهدى» فكتبت عنه الفصول الطوال وقد اصدرت جريدة السائح في ٢٢ حزيران ١٩٢٥ عدداً خاصاً بالفقيد صدّرته برسمين له : احدهما يدوي بريشة الفنّان العصري جبران خليل جبران يمثل رأس الفقيد وهو على فراش الموت والثاني شمسي يمثله في آخر ايام حياته . وقد كتب في هذا العدد كل من السادة جبران خليل جبران . وليم كاتسفليس . ميخائيل نعيمه . ايليا ابو ماضي . عبد المسيح حداد صاحب الجريدة

وصدرت مجلة «الاخلاق» النيويوركية عدداً خاصاً ايضاً وذلك عن شهر حزيران وقد كتب فيه كل من السادة : يوسف مراد الخوري . نعمه الحاج . يعقوب روفائيل صاحب المجلة . جرجي نقولا باز . الخوري منصور اسطفان . الشيخ عباس ابي شقرا . مسعود سماحه . الدكتور فيليب حتي . نعوم مكرزل . حبيب كاتبه . والعدد مزين برسمين للفقيد ورسم للحفلة الاكرامية التي اقيمت له في نيويورك

وكذلك جريدة «دير القمر» اصدرت عدداً خاصاً في ١٤ آب ١٩٢٥ صدّرته ايضاً برسمين الفقيد وكتب في ذاك العدد كل من السادة خليل مطران . الاستاذ بولس غانم . مراد ابي نادر . نعوم افرام البستاني صاحب الجريدة . كاتب هذه السطور

(الحفلات) امّا الحفلات الدينيّة المقامة لاراحة نفس البستاني فقد ذكرناها في محلها الّا حفلة مصر التي أُقيمت في ١٢ حزيران وحضرها لفيف الاكليروس الماروني مع حضرة العلامة الاب خليل اده اليسوعي واما الحفلات الادبية فها وصفها حسب تاريخ اقامتها

﴿في الولايات المتحدة﴾ كانت نيويورك وهي محل موت الفقيد السابقة الى تكريم ذكراه فاقامت حفلتين ادبيتين اعدّت الاولى منها الجامعة الاميركية السورية مساء الثلاثا في ١٦ حزيران ١٩٢٥ فتكلم فيها كل من السادة الدكتور الياس مسلم رئيس الجامعة . وليم كاسفليس . المستر هنري مورغنتو سفير الولايات المتحدة في الاستانة سابقاً وصديق الفقيد . الدكتور خليل عساف بشاره . ايليا ابو ماضي فتلا قصيدة غاية في البلاغة قال فيها :

فتح الموت حين اغمض عينيه م عيون الورى على حسناته
فهو ماض له جلالة آت من فتوحاته ومن غزواته
والفتى العبقريّ يولد اذ يو لد في مهده ويوم وفاته (١)

وفي ٦ تموز يوم تشييع الجثة اقيمت الحفلة الكبرى في قاعة بروسبكت حضرها رغماً عن شدة الحرّ ثمانمائة من سادة وسيدات . وتكلّم فيها كل من السادة الخوري منصور اسطفان كاهن الفقيد . المستر جان هيلان محافظ مدينة نيويورك . المتقدم في الكهنة باسيليوس خرباوي . الارشيمندريت برنردوس غصن . الدكتور اللاهوتي خليل عساف بشارة . يوسف . مراد الخوري . الدكتور فؤاد شطاره تكلم بالانكليزية وتلا تأبيناً وارداً من المنتدى السوري الاميركي في سنسيناتي اوهايو . السيد اسعد الملكي ابن وتلا تأبين السيد جبران خليل جبران المتغيب عن المدينة . الشيخ عباس ابي شقرا . الدكتور عبد المسيح منصور

وورد على اللجنة برقيات عديدة منها واحدة من المطران جرمانوس شحاده وما بقي من جمعيات مختلفة . وقوم من برغيلي (نيويورك) وقد مثل المنتدى السوري الاميركي (٢)

﴿في الارجنتين﴾ وأرادت اميركا الجنوبية ان يكون لها حظ شقيقتها الشمالية في تكريم ذكرى فقيد الامة . فاقامت الجالية السورية اللبنانية في توكمان حفلة فخمة وحضرتها الجرائد العربية والارجنتينية وفي مقدمتها « السلام » وصفاً مفصلاً فذكرت انها

١) راجع جريدة « السائح » النيوركية في ١٨ و٢٣ حزيران ١٩٢٥

٢) راجع نشرة « لجنة سليمان البستاني التذكارية » في « الهدى » في ٢٨ تموز وجريدة « الهدى » في ٧ تموز و« الشعب » في ٨ تموز ١٩٢٥

أقيمت في ٢٠ تموز . تكلم فيها كل من السادة نجيب بعقليني . سليم سعد . نسيب اسطفان . جورج عساف . الاب مبارك مارون . لطف الله البستاني

﴿ في بيروت ﴾ وكانت الحفلة الكبرى معدة لبيروت التي عرفته صغيراً وشاباً وكهلاً . لبيروت التي دافع عنها في مجلس المبعوثان سنتين متواليتين فاجتمع مساء ٦ آب ادباؤها واديباتها في نادي مدرسة الاحد وتكلم كل من السادة : جورج نقولا باز . جبران التويني انشد قصيدة خليل بك مطران بمصر . رشيد بك نخله . الشيخ ابراهيم منذر . جميل بك بيهم . فؤاد بك حميه . الاستاذ بولس غانم . انطون بك شحيبر . محمد كامل شعيب العاملي . حليم دموس . امين نخله . وختم الحفلة نسيب الفقيد الاستاذ وديع البستاني بخطاب شكر (١

﴿ في المكسيك ﴾ واقامت جالية المكسيك في ٨ آب حفلة تذكارية لم ترِدنا تفاصيلها ولم نقف منها الا على قصيدة الاستاذ محبوب الخوري الشرتوني فرأيناها حسنة

﴿ في البرازيل ﴾ وابى البرازيل الا ان يشترك في تلك الحفلات التي تردّد صداها من الولايات المتحدة الى الارجنتين الى المكسيك الى مصر الى لبنان وسوريا فقام النادي [illegible] بحفلة فخمة في ١١ آب تكلم فيها كل من السادة قيصر جراب . فوزي المعلوف . الدكتور سعاده . الياس فرحات . الدكتور فيليب حتي . رشيد سليم الخوري (٢

(التمثال والشارع) ما كاد الموت يغمض عيني البستاني حتى قام الادباء في المهجر والوطن يبثون فكرة نصب تمثال للفقيد الكبير يكون محجة للادباء وقبلة لمكرمي الصفات السامية . وانتهى صدى هذه الفكرة الى جميع البلاد العربية فكتب الامير شكيب ارسلان من مرسين بتاريخ ١٢ حزيران يقترح اقامة التمثال لرجل «هو احدى مفاخر الشرق الكبرى» وابرقت لجنة العصبة الوطنية اللبنانية في مصر في ٦ آب طالبة الطلب ذاته

وكان الكاتب الكبير السيد نعوم مكرزل صاحب «الهدى» قد سبق الجميع وابرز هذا الفكر الى حيز العمل بموازرة محبة الشرق وكل ما يتعلق به السيدة ماري

---

١) راجع جرائد بيروت في ٦ و٧ و٨ آب ١٩٢٥

٢) راجع جريدة «ابو الهول» عدد ١١٠ و١١٣ في ١٢ و١٥ اب ١٩٢٥

عزيز خوري والشاعر الفنّان السيّد جبران خليل جبران . وتعهّدوا بانجاز التمثال على نفقتهم الخاصّة . وممّا قالهُ جناب المقترح : «هنيئاً للمدارس التي سيقود عقلاء رؤسائها التلامذة الى حيث يقام نصب سليمان البستاني ويسألونهم الاقتداء به . . .»

هذا ما عنى التمثال اما شارع سليمان البستاني فقد ارسلت جمعيّة لبنان الفتى في مصر برقيّة هذا مضمونها :

« لبنانيو مصر يلحّون باسم الوطن في ان تُطلق بلدية بيروت اسم سليمان البستاني على شارع من اكبر شوارع العاصمة اللبنانية عملاً بالواجب الوطني والادبي »

واننا الى الآن ننتظر رأي البلدية . . .

(التابين والاوسار) رأت جريدة « الهدى » الغراء ان تجمع في كتاب خاص كل ما قيل في رثاء الفقيد من نثر وشعر وهي تستعد الآن لاصدار ذلك الكتاب الذي يكون شاهد عدل على تقدير العالم العربي منزلة العلم والادب

وقد ذكرت ايضاً انها ستجمع «ما لا يزال غير مطبوع من كتاباته حتى لا تخسر الأمة والآداب خسارة فوق خسارة» وفّقها الله واخذ بيدها

وهناك اقتراح آخر كانت هي اول من ذكرته وهو اقتراح يطلب بحثاً وتفكيراً طويلاً ألا وهو اكمال دائرة المعارف . الاقتراح جميل والعمل خطير يخلّد للمهاجرين والكل لبناني يشترك فيه الذكر الحسن ولكني ارى انه اذا بوشر باكمال دائرة المعارف وجب اعادة طبع كل ما انتهى منها الى الآن لان الحالة العلميّة والادبيّة الآن ليست هي لاربعين سنة خلت . . . وعلى كلٍّ فانّ البريد لم يحمل لنا ابحاث اللجنة المذكورة بهذا الخصوص

١١ اخلاقه وصفاته

درسنا حياة ذاك الجبّار الراحل ورأينا ما قام به من الاعمال الادبيّة التي تعجز عنها اللجان العديدة وما ناله من المناصب السياسيّة التي قلما اجتمعت للبناني فكان في كلها المثال الاعلى يقتدى به ويسار على آثاره

هذا سليمان البستاني وقد كان عظيماً في آدابه عظيماً في سياسته وادارته . واني لاراه اكثر عظمةً في اخلاقه وصفاته واقرب الى قلوبنا بقلبه الكبير

١ عزمه وقوة ارادته

«كان في دولة السيوف وزيراً الفياً ودولةً في ذاته» (ايليا ابو ماضي)

حبذا القول «كان دولةً في ذاته» ! هذه لعمري اجمل كلمةٍ يُنعَت بها انسان . ان تملك البستاني على نفسه لهو اعظم من تبوّئه كرسي النيابة ومقعد مجلس الاعيان وتربّعه في دست الوزارة

ومن الادلّة على شديد عزمه انه كان ذات يوم من السنة ١٨٨٧ في ادارة المقتطف في مصر يصلح مسودّة مقالته عن البدو والصَّلَبة (١ . فقال له رئيس التحرير في اثناء الحديث : « ارى أن تعمل ما لم يعمله الاوائل من ابناء هذه اللغة فقال : وما هو ؟ قال : ان تترجم هوميروس . . . » قال رئيس التحرير : «ففكر قليلاً ثم قال : سأفعل»(٢ وان من قرأ الالياذة او سمع بها يعرف ما في هذا الوعد من شدّة عزم وقوة ارادة روّضها صاحبها السنين الطوال فاصبحت طوع بنانه . وقد قال رحمه الله في مقدّمة ذلك الكتاب النفيس ذكراً حكايته في تعريبه :

«ابتدأت الدرس ترجمتها مع علمي بخطورة الموقف ووعورة المسلك وطول الشقّة . . . وعزمت منذ نشأت اول بيت منها على ان لا اغادرها حتى آتي على آخرها» (٣ . . . وهكذا كان

ويلحق بقوة ارادة صبره وثباته على العمل . فقد صمّم على ترجمة الالياذة واتمّها بعد سبعة عشر عاماً فصبر طول المدّة على هذا العمل الصعب

وكان ثباته في مبادئه كثباته في اعماله لا يزحزحه عنها مناظرة ولا مشاحنة اذا تأكّد صحّتها وقد قال عنه المرحوم جرجي زيدان :

«. . . واذا باحثته في موضوع تؤنس منه ليناً في جداله فتستضعفه وتحسبه لا يلبث ان يتحوّل عن رأيه فاذا خبرته رأيته ثابتاً في ما يراه او يعتقده مع اعتدال وروية» (٤ فهو كما وصفه الاديب نعوم المكرزل : « كلّما صُرِم قوي »

فهذه امثلة من ثبات البستاني فهلّا اقتدينا بها وكونا من بلايا الشرق عدم الثبات

---

١) راجع المشرق (تشرين الاول ١٩٣٥) ص ٧٨٦

٢) راجع المقتطف (آب ١٩٣٥) سليمان : البستاني (٣٦١-٣٦٧)

٣) مقدمة الالياذة ص : ٦٩

٤) جرجي زيدان . سليمان البستاني . الهلال (١٧ [١٩٠٨] : ١٧٦-١٨٠)

الذي كان ولا يزال العلة الكبرى في اعمالنا ومشاريعنا !

٢ تدينه

ولد البستاني مارونياً وقيض له الله ان يصرف طفوليته واول صباه في ظل اسقف جليل زرع في نفسه الطرية حب الله ودينه فترعرع على هذه المبادئ الصالحة وتأصلت في قلبه فلم تتزعزع . . . كان مارونياً كاثوليكياً طول حياته لا بالاسم فقط بل بالفعل يقوم بواجباته الدينية خير قيام كما اخبرني ثقة من اصدقائه . فكان يعلن بثباته ان الانسان ، على قول باستور ، يقدر ان يكون في وقت واحد كاعظم العلماء معرفة وكاحقر الفلاحين ايماناً

وكان ايمان فقيدنا حياً ممزوجاً بمحبة واحترام . يظهر ذلك خاصة في شرحه للالياذة وتعليقه على خرافات اليونان الاقدمين ومقابلته لها بما جاء في العهد العتيق فانه يروي ذلك على سبيل المقابلة مميزاً ما جاء في التوراة عن الاقاصيص الخرافية (١

اما ثقته بالعناية الالهية مع اتكاله على الحق سبحانه فكانت قوية ثابتة تبدو في كل اعماله وكثيراً ما ردد آية المزامير (مز ١٢٦) والبيت من نظمه (الالياذة ص ٦٦٧) :

ولا يقوم بناء لا تحيط به عين العناية الا شابه الخلل

وكفى دليلاً على تلك الثقة وذاك الاتكال صبره الجميل وتحمله الآلام المبرحة التي اصابته في اواخر الحرب في سويسرا والتي خلد ذكرها بقصيدته الخالدة «الداء» . صبر على آلام جائرة وصبر على علاجات مرة لم تكن اقل وجعاً وتبريحاً من تلك الآلام وفيها يقول بعد وصفها :

فذا داني وذاك علاج داني ولست بعالم ايا امرأ (٢

---

١) وروى عنه الخوري منصور اسطفان نزيل نيويورك قال : « في آخر مقابلة كانت لي معه ونحن اربعة في نزل سان جورج بيروكلن وقد سبقت وفاته اسبوعاً واحداً كان يقص علينا حديث شقيقة له ورعة تقية فسأله احدنا : «وانت؟ . . . » فقال وهو يبتسم كعادته ما حرفيته : انا مؤمن ولكن بعقل اكثر منها . ثم اتم حديثه رحمة الله عليه »

٢) الداء والشفاء – الطبعة الثانية مصر ١٩٢١ ص : ٤

وكان رحمهُ الله يعمل كثيراً التمييز بين الدين والتعصب الديني وخصوصاً ما ينطوي عليه هذا التعبير الاخير من المعاني التي اكثر الخلط فيها بعض الكتبة ولم يزالوا يخلطون. قال في كتابه «عبرة وذكرى (ص ٩٠) في باب «الدستور والتعصب»: «التعصب دينياً كان او جنسياً اذا لم يتجاوز حب الدين والجنس الى بغض من خرج عنها فليس بالخلة المذمومة...»

وهكذا كان عالمنا متعصباً بالمعنى الشريف اي محباً لدينه وجنسه وغير متعصب بل باغضاً التعصب بالمعنى السافل. فكان مع حبه لدينه يحترم ديانات الآخرين ويبذل استطاعته في سبيل التوفيق بين ابنائها. واي دين يحتم على الدائنين به ان يبغضوا مخالفيهم ???

ومن نتائج تدينه انه كان حريصاً على القيام بواجبه مقدّراً كل شخص قدره غير باخس احداً حقوقه وهو القائل:

شؤون ذوي الشأن مرعيّة ولو أعلت الارض انذالها
ولا يرفع الناس الّا ذووه فلا تبخس الناس اعمالها

وكان قليل الوعد حريصاً على الوفاء لا يعد حتى يعلم من نفسه المقدرة على القيام بوعده. وقد قال في ذلك:

وفي الصدر فاحفظ وعُودك دهرًا او اقطع لسانك إن قالها

وكان في اعماله ومصالحه نزيهاً ابيَّ النفس يكره المهلأة والخداع واستعمال الاساليب المعيبة في سبيل الحصول على وظيفة عالية او لقب مجيد او مال غزير. وقد ابت عليه نفسه الكبيرة الصغر فلم يتذلل قط في حياته وهو القائل:

كفاك عفافٌ على عزّةٍ تزيد بالفضل إخلافها
ولا تمن رأساً ولا تُدْنِ نفساً تقطّع بالذلّ ارصافها (١)

وهو لم يلزم الحياد فقط في مثل هذه الامور بل كان يرفض الالقاب والاوسمة. وهذا امر يعرفه كل من كانت له ادنى علاقة بالبستاني. ومن حديثه مع السلطان محمد رشاد ان الخليفة اراد ان يمنحه لقب باشا مكافاةً له على خدماته في سبيل الدولة

١) راجع مجلة الآثار (٣[١٩١٣-١٩١٤]: ٢٩٧-٢٩٨)

فاعتذر سليمان بلطف قائلاً انه « ديموقراطي في بلاد ديموقراطية » . واذ صار وزيراً أجبر السلطان على ان يأمره امراً بقبول الاوسمة المختصة بالوزارة فقبلها ولم يُشِرْ اليها الا قليلاً في بعض المواقف الرسمية وكان يتحاشى جهده إظهارها

وكان ابغض شيء لديه الرشوة والمخاتلة يعتبرهما كعدوَّيه اللدودَين . وكان غاية امانيه ان يعمل واجبه فيخدم وطنه وامَّتهُ بصدق واخلاص وعفة ترتاح اليها نفسهُ الكبيرة ولو قادته تلك العفة الى الفقر . وقد قال فيه الشاعر محبوب الخوري الشرتوني :

كنتَ الوزير وكنتَ المستشار فلم تمدُدْ يديك الى مالٍ ولا نشبِ
ايَّامَ كفُّك في الالقاب مطلقة لكن عففتَ فلم تطمح الى لقبِ

ثم قال وفي قوله عظة يجدر بنا ان نستفيد منها :

قم خبِّر النشء في لبنان كيف جرت بك المطامحُ ترجيها الى الرتبِ
ما ان هززتَ امام العرش مبخرةً ولا خنعتَ لما ترتاد من ارب
ولم تقف قط في ابواب مقتدرٍ ولم تغبِّر جبينَ النُّبل في عتبِ
وا لوعتي ليس في لبنان مدرجةٌ الى العلى غيرَ حَنْيِ الراس والحدبِ

وكان للفقيد في ادارته من حصافة الرأي وبعد النظر ما نراه في باب رجال السياسة

٣ تواضعه — سعة صدره — لطفه ورقته

كان ما ازداد في العلم صعوداً زاد فيه انصاعُهُ عن سدادِ
كل ما من السنابل ما ازدا دَ امتلاءً حتى تدر ازدياد

(الخوري نقولا ابو هنا)

من صفات العلماء الحقيقيين التواضع والدعة وقلة الادّعاء . ومن صفات ذوي الصبغة السطحيَّة التبجح والثقة بعلمهم ومعرفتهم . ولمَّا كان البستاني من اكابر العلماء احبَّ ان يماثل تواضعهُ علمهُ . وان اصدقاءه ومعارفه ليروون عنه كلَّ نبذة يقف الانسان حيالها حائراً خجلاً من نفسه . . . ولم يكن تواضعه تصنعاً كما ياتيه البعض فيشوّهون به هذه الفضيلة السامية بل ذلك في طبيعته يظهر بكل بساطة واخلاص كما لاحظ جميع من عرفه او سمع عنه . ودونك ما كتبهُ في مقدّمة كتابه عبرة وذكرى (ص ١٠)

ولم يكن المؤلف دخل محيط السياسة بعد :

«وانا وان لم نكن من ابناء السياسات فانَّ علينا فرضاً يترتب قضاؤه وهذه دَلْوُنا بين الدلاء . . . »

واي تواضع اكثر طبيعيَّةً وبساطة من قوله في مقدمة الالياذة (ص ٦٨) بعد ان ذكر مطالعاته شذرات بعض الملاحم وبعض منظوماته القصصيَّة التي كان يلهو بها في صباه

«فلما حكمتُ نفسي واصبحت متصرفاً مطلقاً في استعمال اوقات العطلة ادركت انني لم اعرف شيئاً مع سابق الظنّ بسعة الاطلاع فانتهيت الى حيث كان يجب ان ابتدئ»

هذه عظة مفيدة يجب ان ينقشها بماء الذهب كتّابنا وعلماؤنا المدّعون وهم كثيرون . . .

ومن آيات تواضعه ايضاً ما رواه عنه السيّد اسعد الملكي وكان قد خطب مرحّباً به في المأدبة الفخمة التي أُقيمت تكريمه في نيويورك سنة ١٩٢٤ قال (الهدى عدد ١٤ تموز ١٩٢٥) :

«قلت فيه ما زال اذكر منه بعض : «ان البستاني هو العربي الوحيد الذي بدّد امواله وعمره وصحته في خدمة العلم بل في خدمة امّته ولم تَعُدْ عليه تلك التضحيات بجزء من مليون جزء مما يستحقه علمه وعمله . فلو وُجد البستاني في احدى البلدان الغربية لاستغنى من علمه واثرى من قلمه . ولَنُصب له مواطنوهُ تمثالاً رأسه من الفضة ودماغه من الراديوم وعيناه من الماس وعنقه من الياقوت وصدره من الذهب وذراعاه من الفولاذ واصابعه من العاج تخليداً لذكره وقياماً بحق شكره»

(قال الكاتب) : «فبعد انتهاء الحفلة امسكني بيدي وقال : «ان وصفك للتمثال الذي اردتَهُ لي جميل جدًّا ولكنك اردت ان تكبّرني في عيون الناس فصغرتني في عيني نفسي»

وكان رحمه الله مع تواضعه واسع الصدر طويل الاناة كثير الحلم عارفاً بنقائص البشر غفوراً لها اذا ذمّه احد وهو من القليل النادر وأُخبر بذلك تبسّم وقال والشعر له :

وخلِّ الحسودَ على كبده فانَّ من النار أكلالها
اذا العِرض زِينَ بطيب الفعال وسوء المطالب ما طالها
فلست ابالي بقيل وقال ولو شئت للسُّنن انبالها

قال علي بن ابي طالب : «ثلاثة من كنوز الجنة : كتم العلة وكتم الحسنة وكتم

المصيبة» فاذا صح ذلك كان البستاني نائلاً هذه الكنوز بما كتمه في صدره الرحب الواسع . . . فكم علة تحملها بصبر غير مقلق الجمهور بترديد ذكرها ! وكم حسنة اتاها تحت ستر الخفية ! وكم مصيبة مالية او ادبية تصبّر لها بلا امتعاض ولا تذمر ! والله اعلم هل كان موفقاً بتجاراته او سعيداً في داخلية بيته !!!

ومن طبائعه انه كان لطيف المحادثة رقيق الجانب بشوشاً لا يدّعي ولا يتبجح ولا يحب كثرة القول بل كان «يؤثر الصمت والتفكير على الكلام والمباهاة فلا يحدثك بحديث الّا اذا استدرجته اليه فيأخذ الكلام طلقاً شهياً وتقف انت امامهُ معجباً بسعة اطلاعه ثمّ بخمرة بيانهِ تحاذر ان يتمّ حديثه فتفوتك لذته وتُحرم طلاوته» (١ وقال فيه خليل مطران :

خُلُق ثابتٌ ولفظ رقيقٌ وفؤاد طودٌ وطبعٌ نسيمُ

وكان يكلّم كل انسان بحسب مُحيطه ومعارفه وهي خلّة قلّما اتّصف بها العلماء اذ يأخذون ببسط آرائهم العلميّة والفلسفيّة امام جمهور لا يدرك منها شيئاً : زارنا رحمه الله مرةً في دير القمر سنة ١٩٠٨ فاقبلت عليه عجوز بسيطة القلب من ذوات القربى تتهلل فرحةً به ولما وصل اليه فقالت :

« تقبرني قديش سافرت بزمانك وقطعت بحور وجبال . . . حاجتك ما حلّك تتعب وتتريح» . . . (فابتسم واجابها ببساطة تعادل بساطتها) : «نعم يا مراة عمي سافرت كتير ولكن ما كنت روح مانّي» . . .

ونشاهد هذا اللطف في كل محادثاته ورسائله . . من ذلك ما كتبه الى السيد اسكندر شمعون صاحب جريدة السلام في الارجنتين وهو اذ ذاك عضو مجلس الاعيان . قال في بدء رسالته (في ٤ شباط ١٩١٠)

« شكرًا لكم على ما ابديتم من حسن الظن بي في كتابكم رقم ٢٦ ك ١ وان غاية ما تطمح اليه نفسي ان يتيسّر لي القيام حق القيام بالخدمة التي انتُدبت اليها . . . » (وختمهُ بقوله : «هذا ما يسعني الآن ان اكتب اليكم واثقاً انكم وجميع اخواننا واخواتنا المهاجرين والمهاجرات لا تزالون تنظرون الينا بالعين التي ننظر بها اليكم — سليمان البستاني»

وكان شديد الحرص على عفّة لسانه لا يقول الّا الصدق ويحاسب نفسه على

١) بولس غانم : من هو سليمان البستاني — لسان الحال في ٣ — ٦ آب ١٩٢٥

لفظة فلا يقول جزافاً في جدّ ولا هزل . لا يغتاب ولا يسمح بالاغتياب . لا تخرج الكلمة من فيهِ الّا موزونة محكمة كانه سيحاسب عليها في مجلس القضاء» (١ وكان يتجنب كل كلمة تخدش ولو قليلاً ارقّ الآذان والطفها فلا يقولها ويظهر الاشمئزاز اذا قيلت امامه . وكان ابغض شيء لديهِ ادخال الكلم البذيئة في المحادثة وكثيراً ما لام في كتاباتهِ بعض شعراء الجاهلية والاسلام لبذاءتهم (٢ وذلك مع حبه لشعرهم

٤ قلبهُ

قتَل البستانيَّ قلبهُ ! (نعوم مكرزل)

هنا يقف القلم بتهيُّب واجلال ، امام هذا القلب الكبير الطافح . امام اجلّ مظهر من مظاهر الكمال في ايامنا . . . وماذا اقدر ان اقول عن قلبه الطاهر المحب المخلص المتفاني في خدمة القريب . . .

كان قلب البستاني كبيراً فأحبَّ كثيراً ، واخلص كثيراً واشتغل كثيراً . احب وطنه واحب قومه واحب اهله . اما محبته لوطنه وخدماته العديدة في سبيله فنذكرها في باب رجل السياسة . واما حبه لقومه واخلاصه لهم وتفانيه في خدمتهم فظاهر في كل اعماله واقواله واصح شاهد عدد مؤلفاته الكبير وما كان لهم فيهِ من الثقة العمياء وما كان له في قلوبهم من المنزلة العالية . فكانوا يأتونه باسطين لديهِ اعمالهم ومشاريعهم وافكارهم حتى اسرارهم الداخلية وهمومهم المنزلية فيقبلها بكل لطف ويعطيهم النصائح المخلصة والآراء الصائبة . وقد رأيناه اذ كان في المدرسة ينصح رفاقه بكل اخلاص وهو بعد خروجه منها لم يغيّر شيئاً من عاداته هذه . وكان للصداقة في عرفه معنى سامٍ لا يفهمه الّا كبير القلب وسليم الطوية . وكم رأيناه يبذل ماله ويعرّض بنفسه في سبيل صديقه . . .

كان في بغداد سنة ١٨٨٩ وله فيها صديق اتاها وحيداً فنزل في احد الفنادق . وكان أن داهمَ بغداد في صيف تلك السنة مرض الهيضة (الكوليرا) فهرب بعض اهلها الى الضواحي حيث نصبوا خيامهم على ضفاف دجلة شرقاً وغرباً وكان الفقيد

١) جرجي زيدان : سليمان البستاني — الهلال (١٧ [١٩٠٨] : ١٧١—١٨٠)
٢) راجع مثلاً شرح الالياذة — نشيد ٣ ص : ٣٤٥-٣٤٦

من جملتهم فترك المدينة وخيّم غربيًّا على بعد عشرة كيلومترات . وما مضت مدة حتى أخبر بان صديقه المذكور آنفاً اصيب بالمرض المشؤوم فسار مسرعاً الى الفندق فاخذ الصديق الى منزله حيث عالجه رغم تحذير الاطباء . . . وقد اخبرني بهذا شقيق ذاك الصديق

ووردني من سيادة المطران اثناسيوس اغناطيوس نوري(١) انه أصيب بذلك الوباء «المدعو توماس بن ارتين ابكيان الارمني وعمره نحو ١٥ سنة فتباعد اكثر المخيمين عن المصاب وانتقلوا الى مكان آخر . اما الفتيد فمكث يمرّضهُ ويعزّي والديهِ وقد فاضت روح الفتى وهو على صدره . وتحدثوا بمروّته هذه في كل العراق»

وفي العراق ايضاً احتال بعض المقربين اليه فاخذ اموالاً كثيرة على اسمه وهرب ولمّا استحق المال اتى الدائنون سليمان ولا علم لهُ بشيء فدفع كل ذلك واخفى الامر

واذ كان في شيكاغو سنة ١٨٩٣ طلب اليهِ احد اصدقائه مبلغ الف ليرة لتحسين تجارته في تلك المدينة فاعطاه فكتب لهُ الصديق كمبيالة بالقيمة . وبعد مدة حصلت ازمة شديدة قضت على اموال ذاك الصديق . . . فمزّق سليمان الكمبيالة ولم يعلم احد بذلك . وخسر هو ايضاً في ذاك المعرض المشؤوم خسارة تقدَّر بخمس وعشرين الف ليرة . وكان له شركاء في المعرض فابى ان يشركهم بالخسارة

يتذمّر البعض عند قراءة هذه الحوادث ويقولون ان ذاك تهوُّر لا لزوم لهُ . فهم يقولون ذلك لعدم فهمهم معنى الصداقة ومحبة القريب المخلصة . ومن آثارها في قلب الفتيد انه كان حسن الظن بجميع الناس لا يشكّ في احد الّا اذا أُجبر على ذلك

---

١) نشكر سيادتهُ على ما افادنا عن شركة المراكب التي ذكرناها (في المشرق ص ٧٨٦) فقلنا انها كانت عثمانية «خديوية» والصواب انهُ لم يكن دخلٌ فيها للخديوية . ومن افادات سيادته انَّ الفتيد لم يتزوّج من ابنة انطون البغدادي الكلداني كما روينا (ص ٧٨٦) بل من ابنة «بربوس الارمني البغدادي واسمها مريم وخالها انطون يوسف عبد المسيح البغدادي الكلداني» — وقد نبّهنا حضرةُ الشيخ عبدالله البستاني الى ان سلوم جدّ الفتيد لم يكن شقيق المطران بطرس كما ذكرنا (ص : ٧٨٠) بل شقيق المطران عبد الله بن نادر . وعليهِ يكون نسب المترجم هكذا (راجع الصفحة ٧٨٠ سطر ١٧) : سليمان بن خطار بن سلوم شقيق المطران عبد الله بن نادر بن ابي يوسف ناصر . . . ابن ابي محفوظ البستاني . اما المطران بطرس فهو ابن الخوري يوسف بن شبلي شقيق المطران عبدالله وشقيق سلوم ايضاً . فلهُ خالص شكرنا

بمعاملاته بعد تجربة اخلاصه غير مرة . وكان فاتحاً قلبه كل ساعة لقبول المرتشفين من منهله فيعطيهم الارشادات والافادات المختلفة سواء تعلقت بالتجارة ام بالآداب او بالنفس . وكثيراً ما خفف من غلواء الكتّاب والشعراء العصريين في مصر وارجع المتطرفين الى سواء السبيل فمشوا فيه شاكرين

وقد اكتسب بهذه الصفات حبّ الناس واعتبارهم وامتلك جميع القلوب فاجمعت على اكرامه . وقال عنه المرحوم جرجي زيدان وكان من اصدقائه المتنفعين بنصائحه :

« . . . فتراه على علوّ كعب في العلم ليس له حساد وترى اصحابه مجمعين على تعظيمه . فلما نشر الياذته احتفلت القرالة السورية باكرامه بوليمة ذاع ذكرها في الخافقين وهو اول احتفال علمي بالشرق واصبح الاحتفال بالعلماء بعده عادة متّبعة . ولمثل هذه المناقب اتحد البيروتيون في انتخابه . فكان اول من جمعهم على خيره » (١

ومن تفانيه في حبّ بني قومه واخلاصه لهم انه كان في نيويورك حتى آخر ساعة من حياته ينظم بلغة بسيطة ساذجة امثالاً مأثورة عن ايزوب ولافونتين كي يتعلمها صغار اللبنانيين . . .

أما حبه لاهله فحدث عنه ولا حرج . يقدر الانسان ان يتوسع فيه ما شاء ولا يبالغ ! كان ذا عاطفة حية وحاسة عالية في الرقة والحنو وكان براً بوالديه حتى التضحية لا يبخل بنفسه لارضائهما في هذه الدنيا وتعزيز ذكراهما في الآخرة . ودونك مثلاً يبرهن عن ذلك

كان رحمه الله في مصر اذ انتهى من تعريب الالياذة وانتشر الخبر بعزمه على طبعها . فاتاه احمد شوقي بك شاعر الخديوي السابق موفداً من قبل مولاه . فطلب الى المعرّب ان يقدّم كتابه الى الخديوي عباس حلمي ووعده بكبير المكافأة . فاعتذر بكلّ لطف . فتعجب شوقي وسأله مختاراً غير متصور كيف يرفض انسان مثل هذا الطلب : « والى من اذن ستقدمه ؟ أإلى وزير خطير ؟ ام الى عالم كبير ؟ ام انت مهديه الى سدة احد الملوك العظام ؟ » فاجاب المترجم : « لا الى هذا ولا الى ذاك بل الى من هو اعزّ عليّ من جميع من ذكرت » . فدهش شاعر مصر وقال : « ومن هو هذا الرجل الكبير ؟ » فاجاب : « هو رجل له وحده عليّ الفضل الخالد . . . » . ولم يمض

(١ جرجي زيدان : سليمان البستاني - الهلال (١٧ [١٩٠٨] : ١٧٦ - ١٨)

القليل على ذلك حتى صدرت الالياذة الكبيرة ويصدرها رسم خطّار سلوم البستاني وتحته هذه العبارة الخالدة :

« اليك يا والدي أهدي كتابي هذا فانت اولى به من كل حيّ وميت وما هو الّا ذرّة من فضلك وجزء من عنايتك يبنيك وتفانيك بنفع ذويك وبني جلدتك . فان عجزتُ عن اداء واجب الوفاء بحياتك فلا اقلّ من ان اشهر الملا على عرفاني جميلك وانت في عالم الارواح »

وكل تعليق يقصّر في ايفاء هذه العاطفة حقّها !

هذا مظهر من مظاهر قلب البستاني الكبير الرقيق الذي يجعل المرء يتأسف على خسارته اكثر من تأسفه على رجل العلم والسياسة والادارة . . . ولربما لو كان البستاني انانيًّا غليظ القلب محبًّا لراحته نابذًا منفعة غيره لربما عاش طويلًا . ولكن بئس الحياة حياة لاينفع بها الانسان قومه ووطنه . . . ولا غروَ بعد ان درسنا هذا القلب اذا قلنا مع السيّد نعوم مكرزل :

« مات البستاني من قلبه ! قتل البستانيَّ قلبهُ ! والقلوب الكبيرة تقتل اصحابها لانها تشتعل كثيرًا وتغب كثيرًا وتعطف كثيرًا فتى نفد ما جا او كاد في سبيل الورى انطفت فسكنت تلك الحركة النافعة »

هذا هو البستاني بقلبه الكبير وهو في عرفي اقرب الينا ، اقرب الى قلوبنا من البستاني عالمًا والبستاني سياسيًا والبستاني وزيرًا . ومن كان قريبًا الى القلوب فهو حيٌّ بحياة القلوب

٥ مهابته وجلاله

عزمٌ شديد تديّنٌ صحيح تواضعٌ وسعةُ صدر محبةٌ خالصة وقلبٌ كبير ونية سليمة كل ذلك كان في البستاني فزيّنه بمهابة يقف امامها الرجل فلا يسعه الّا الاكرام . وزاده الكبر والشيب وقارًا وجلالًا رفعاهُ الى اسمى مقام في عيون خلّانه واصدقائه وكل معارفه فاصبحوا يستفيدون من تعليمه وهم كالاحداث البسطا . . . . ولنا من كتابات ادباء اميركا الذين عرفوه حتى مماته ولامسوا روحه الطاهرة اصدق دليل : قال السيد نعوم مكرزل في «هداه»

« من الناس من يجروه اصدقاؤهم عليهم بعد معاشرتهم الطويلة وتسقط كل كلفة عند التهم -

اما الفقيد الكبير فكان كلما طال العهد في معاشرته كلما زاد الاعتبار والمحبة له» (١)

وقال السيد ميخائيل نعيمه بعد ان تحدّث اليه :

«وكبرَ محدثنا في عيني حتى خجلت من نفسي لانني لم اقدّره كل قدره لاول نظرة القيتها عليه . . . انني وجدته من الرجال الذين قد تراهم بين الجماهير فلا يستوقفون بصرك بشيء لكنك اذا اجلستهم في مجلس تأتلف روحه مع ارواحهم . يفتحون قلوبهم ويبسطون افكارهم فتحسّ انك في حضرة من اصطفتهم الحياة آنية لجانب من جزيل خيراتها وثمين هباتها» (٢)

ونختم هذا القسم بما ذكره في جريدة السائح في عدد ٢٢ حزيران السيّد جبران خليل جبران وكان ملازماً للفقيد حتى موته قال :

«ومن منا عرف رجلاً في السبعين اذا مدحه احد على عمل تورّدت وجنتاه حياء كأنه لم يزل صبياً في السابعة واذا لامه احد لانه انصرف عن العلم والادب الى السياسة يقول مكتئباً : «نعم قد اسأتُ الى نفسي على انني ارجو انني لم أسئ الى احد . . .»

«لا انسى ولن انسى ليلة جمعتني وسليمان البستاني ببعض الاميركيين حول مائدة انيقة . وبينما نحن نتباحث في الفن والادب التفتت اليَّ سيدة ذات منزلة معتبرة وقالت لي : «انا اجهل اللغة العربية ولا اعلم شيئاً عن السياسة الشرقية لذلك لا استطيع معرفة قدر هذا الشيخ الجليل ولكنني لما صافحته وابتسم لي تمنيت لو لم يمنعني الخجل عن تقبيل يده . . .»

«وبعد يومين زرتُ البستاني ورددت على مسمعه كلمات تلك السيدة فلم يقل كلمة قط بل ظهرت على شفتيه تلك الابتسامة الحلوة ثم تساقطت دموعه السخيّة على لحيته البيضاء . . . تلك دقيقة نادرة ابانت لي حقيقة البستاني بكل ما في تلك الحقيقة من السذاجة والاحتشام والرقة تلك دقيقة تعني فيها البستاني اكثر مما لا يقاس من اي كتاب وضعه ومن اية قصيدة نظمها»

(لها بقية)

---

١) الهدى في ٩ حزيران ١٩٢٥

٢) ميخائيل نعيمه : سهرة مع سليمان البستاني – السائح في ٢٢ حزيران ١٩٢٥

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣ صاعد بن شمّاس

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ ورد ذكر صاعد بن شمّاس في رحلة ابن بطلان ومنهُ نُستدل على زمانهِ وعلى دينهِ ووطنهِ . وقد مرَّ بك انَّ ابن بطلان عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . امَّا ما قال عنهُ ابن بطلان فورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٠٧) في مادَّة « حلب » قال ابن بطلان : «وفيها (اي حلب) كاتبٌ نصرانيّ لهُ في قطعةٍ في الخمر اظنه صاعد بن شمّامة (كذا)»

خانتْ صوارمُ أيدي الازجين(١ بها فأبتْ جسمَها دِنّاً من الحَبَبِ

فقولهُ «صاعد بن شمّامة» قد اصلحهُ ناشر كتاب معجم البلدان في فهرس الاعلام (٦ : ٤٧٦) ودعاهُ «صاعد بن شمّاس» ويحيل هناك الى الجزء الرابع (ص ٨٠) حيث يروي ثلثة ابيات انشدها «ابو زياد لصاعد» دون زيادة في التعريف ولعلّها لصاعد آخر غير ابن شمّاس فظنّ ناشر الكتاب انها لهُ . فنرويها هنا على علّاتها وهي واردة في مادَّة «قَرينة» اسم روضة او وادٍ قال (من الوافر) :

ألا يا صاحبيَّ قِفا قليلاً على دار القدورِ فحيّاها
ودارٍ بالشُّمَيط فحيّيا بي ودارٍ بالقَرينة فاسألاها
سقتْها كلُّ واكفةٍ هَتونٍ تُرَجّيها جَنوبٌ او صَباها

فدارُ القدور والشُّميط والقُرينة كلّها امكنة في البرّيَّة . وهذا غاية ما عرفنا عن صاعد المذكور

١) كذا في الاصل بالحاء ولعلّها «الازجين» بالجيم

١٤ عون الراهب

﴿ زمانهُ وشعرهُ ﴾ ورد ذكرهُ في كتاب زهر الآداب وثمر اللباب لابي اسحاق الحصري القيرواني فاستدللنا بذكره فيهِ انهُ كان من ادباء القرن الحادي عشر للمسيح سبق الحصري المتوفى سنة ٤٥٣ للهجرة الموافقة للسنة ١٠٦١ للمسيح . وقد روى لعون الراهب ابياتاً في مديح الغراب ردًّا على من يتشاءم بهذا الطائر فقال (في الطبعة المصريَّة على هامش عقد الفريد لابن عبد ربهِ (٢ : ٨٤) وفي الطبعة الجديدة (٢ : ١٧٠) (من الكامل) :

غلطَ الذين رأيتهم بجهالةٍ ... يَلحُون كلُّهُم غرابًا ينعقُ
ما الذنبُ إلَّا للأعاير انَّها ... ممَّا يُشتِّتُ جميعهم ويفرِّقُ
انَّ الغراب بيُمنهِ تدنو النوى ... وتُشتِّتُ الشَّملَ الجميعَ الأينقُ

وقد بحثنا كثيرًا في كتب الادباء وتراجم القدماء لنقف لعون المذكور على اثر فخاب رجاؤنا

١٥ ابن مَرْغَر الاشبيلي

﴿ زمانهُ ودينهُ ﴾ ابن مرغر هو ايضاً من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . وقد ورد اسمهُ على صور شتَّى فيُروى ابن مَرْغري وابن المرغوي وابن المزعري وابن المغربي . والصواب ما ذكرنا . كان في ايَّام الملك ابي القاسم محمَّد الملقَّب بالمعتمد بن عبَّاد وهو آخر ملوك العبَّاديين في اشبلية حاضرة الاندلس ملكَ من السنة ٤٦١ الى ٤٨٤هـ (١٠٦٨—١٠٩١م) . وكان ابن مرغر من نصارى الاندلس لا شكَّ في الامر

﴿ اخبارهُ وشعرهُ ﴾ اخبارهُ قليلة وجدنا منها شيئاً في مخطوطات مكاتب اوربَّة الشرقيَّة . فمن ذلك ما جاء في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والملوك في

طبقات الشعراء (Ms de Leide, 834, II p. 288) للملك المنصور امير حماة المتوفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠م) قال (ص ٢٤٧–٢٤٨)) : «ابن مرغر من نصارى الاندلس من اهل اشبيلية . قال الشيخ ابو عبّاس شهاب الدين احمد بن يحيى بن الفضل العمري في كتاب مسالك الابصار من ممالك الامصار : ابن مرغر النصراني مُجيدٌ على ما عُرف من مُدامه ، وعُلم منهُ من جهلٍ ما فكَّ عنهُ فِدامه ، وقد تردَّى القلب (١ وهي قِماد ، وتنطَّق الاوتاد وهي جماد ، وتُضيءُ النار وهي من حطب الى رماد ، والحمامةُ وهي عجماء قد تسمَعُ ، والغمامة وهي طُلّةٌ تُستنجَع »

ثمَّ انشد لهُ يصف كلبَ صيدٍ . وهي ستة ابيات رويت في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢ : ٤٩٦) فقال : « حُكي ان ابن المرغوي (كذا) النصراني الاشبيلي اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عبّاد وفيها يقول (من المنسرح) :

لم أرَ ملهًى لذي اقتناصٍ (٢ ومكسباً مُقنَع الحريصِ
كمثل خطّارٍ ذاتِ جيدٍ أتلعَ في صفرة القميصِ (٣
كالقوس في شكلها ولكن تنفذُ (٤ كالسهم للقنيصِ
ان اتخذ أنفها دليلاً دلَّ على الكامن العويصِ
محبوكةُ الظهر لم يَخبهُ خوف بطن لها خميصِ (٥
لو انها تستثير برقاً لم يجد البرقُ من محيصِ

قال (ومنها في المديح) :

يشفع تأميلهُ (٦ بودٍ سَفَعَ القياساتِ بالنصوصِ

وقد روى لهُ عماد الدين الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة اهل العصر

١) كذا في الاصل . ولعلَّ الصواب تروَّى القُلُب وهو جمع قَليب اي البئر وتروَّى كمثل رَوِيَ ٢) ويروى : لدى اقتناص
٣) ويروى : كمثل خطلاء . . اتلع . صفرة . واتلع عن صفرة
٤) ويُروى : ينفذ ٥) ويروى : لم يخنهُ . . بها
٦) ويروى : تنويلهُ

غيرها من الابيات (Ms de Paris, n° 3330, fol. 175r, de Londre, 574)
منها قولهُ في المديح (من الكامل) :

واللهُ اكبرُ انت بدرٌ طالعٌ والنَّقعُ(١ دجنٌ والكماةُ نجومُ
والجُرْدُ افلاكٌ وانت مُديرها وعدوُّكَ الغاوي وانت رجومُ(٢

وقال في قوم بات عندهم فلم يوقدوا لهُ سراجاً (من البسيط) :

نزلتُ في آل مكحولٍ رضيفهمُ كنازلٍ بين سمع الارض والبصرِ
لا تستضيءُ بضوءٍ في بيوتهمُ ما لم يكن لك تطفيلٌ على القمرِ

وقال يمدح كريماً رطَّب لسانهُ بكرمهِ وشحذ قريحتهُ في مديحهِ (من البسيط) :

انطقتني بالنَّدى حتى سرى نَفَسي كما تنفَّس في الأنداء رَيحانُ
وغاص في بحر نعماكَ المحيطِ بهِ فهذهِ دُرَرٌ منهُ ومَرجانُ

١٦ زَبينا النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ زبينا اسم سرياني بمعنى الأبيع والمملوك . كان في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . ذكرهُ الراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢هـ ١١٠٨م) في كتابهِ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء وروى لهُ شعراً (١ : ١٩٦) في باب الرجل « الموصوف بكثرة المساوئ » بعد ذكره لقول الاخطل :

قومٌ تناهى اليهم كلُّ فاحشةٍ وكلُّ مخزيةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُ

قال زبينا النصراني (من البسيط) :

لي صاحبٌ لستُ أُحصي من محاسنهِ شيئاً صغيراً ولا تُحصى مساويهِ(٣

١) ويروى : والنقع بالفاء
٢) ويروى : والجودُ . . . ومنَ رجوم
٣) في الاصل : احصي . وهو غلط لاختلاف القافية

وليس فيهِ من الخيرات واحدةٌ واكثرُ السوء لا بل كلُّهُ فيهِ

وقد نقّبنا عن زبينا هذا لنعرف شيئاً من اخبارهِ فلم يُجدنا التنقيب شيئاً

١٧ ربيب النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ ربيب النصراني هو ايضاً من الشعراء الذين نقل عنهم بعضَ مقاطيع اشعارهم الراغبُ الاصفهاني في كتابهِ «محاضرات الادباء» وبهِ عرفنا زمانهُ اي انهُ من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. وفي غير هذا الكتاب لم نجد لهُ ذكرًا ولعلّهُ هو زبينا السابق ذكرهُ فيكون اسمهُ مصحَّفاً. امّا ما رواهُ عنهُ فهو بيت مفرد ذكرهُ في باب «المغالاة بما لا يقلّ وجودهُ» (١ : ٢٩٢) قال ربيب النصراني (من البسيط) :

وكلّ شيء غلا او عزّ مطلبهُ مُسترخصٌ ومُهانُ القدرِ إن رَخَصا

١٨ سعيد النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ سعيد النصراني هو الشاعر الثالث الذي اوقفنا عليهِ الراغب الاصبهاني في محاضراتهِ فأفادنا انهُ عاش في زمانهِ اي في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح ولم يزدنا علماً امّا شعرهُ فلم يروِ منهُ الّا ثلثة ابيات في باب «مزاورة الحبيب وملاقاته والنظر اليهِ» (٢ : ٦٤) قال سعيد النصراني (من الخفيف) :

وَعد البدرُ بالزيارةِ ليلًا فاذا ما وَفَى قضيتُ نذوري
قلتُ : يا سيّدي ولِمْ تؤثر الليل على بهجة النهار المنيرِ
قال : لا استطيعُ تغييرَ رسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

وقد بحثنا بدون جدوى عن سعيد النصراني المذكور في الراغب فلم نتوفّق الى معرفة شيء من اخبارهِ في سائر الكتب التي راجعناها (لهُ صلة)

سياحة رسولية في بلاد حوران

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

تقدَّم الينا الرؤساء اجابةً الى دعوة خاصة من السيد الفضال المطران نيقولاوس القاضي رئيس اساقفة بصرى وحوران ان نقيم الرياضات في جهات حوران في زمن الصوم الاربعيني فكان ختام الرياضة في ازرع صباح ٢٩ آذار الماضي فاحتفل سيادته بالقداس الحبري في كنيسة مار الياس القدمى الشهيرة ووزَّع بيده على الاولاد الصغار جسد المسيح لاوَّل مرة. ولاوَّل مرة برز الاولاد امام اهاليهم بالحلل البيض واكاليل الزهور التي جاءت بها من دمشق راهبات القلبين الاقدسين بقصد الحفلة

ثم خرج المطران من الكنيسة فشيَّعه القوم الى بيت آل عزّام واخذ الزوَّار يتوافدون عليهِ من كبار وموظفين ومسيحيين ومسلمين ونحو الساعة العاشرة والنصف دخل « الضافة » رسول وانبأ بقدوم امير الدروز الاكبر حمد باشا الاطرش

فبدت على وجوه الحاضرين لوائح همّة تبيَّنتُ منها ان القادم ليس كسواه من اهل القرى. وما كانت دقائق الَّا شخص امامنا رجل قد بلغ اشده معتدل القامة متزيٍّ بزيّ الافرنج ما عدا الطربوش والكوفية الحريرية البيضاء التي كانت تلثم عارضيهِ فيبدو من هالتها وجهٌ اسمر بعينين براقتين وشوارب سود غليظة

فقام المطران ورحَّب بالامير وقبَّلهُ على وجنتيه واجلسه عن يمينه واصطفَّ في مدار المكان المعيَّن من مشايخ واعيان مقدّمين للاسقف المسيحي واجب الولاء وعبارات الاخاء لما له من الفضل على الدروز الساكنين ابرشيتهُ لانه كان تدخَّل بينهم وبين الاتراك مرارًا منعاً لسوء التفاهم وسفك الدماء وتمهيدًا لسبل الوئام وحسن الاتفاق

*

ما مضت على ذلك اليوم المشهود اربعة اشهر حتى انقلبتْ الاحوال ظهرًا لبطن. طارت شرارة الفتنة من الجبل الى حوران فاضرمت نيران الحرب وباتت قرية ازرع مركزًا لجيش الانتداب يحمل منهُ على العصاة وغدا المسيحيون الحورانيون يوجل

وضيق لا يعرفون الى اي فئة ينضوون . وقد تشتت شمل الكثيرين منهم وأحرقت غلّاتهم ونُهبت بيوتهم وسُلبت اموالهم . فهاجروا الديار الى دمشق او الى درعا حرصاً منهم على الارواح

تلك حوادث جبل الدروز المشؤومة التي اخذت منذ اسابيع تقلق البلاد السورية وتلفت الحاظ اوربة . وقانا الله سوء عواقبها واخمد لظى نيرانها فيعود بالقريب العاجل الى بلاد حوران سلمُها فيقوى فلّاحها على زراعة حقوله وتنبت الارض ما يقوته ويقوتنا فتخفّ وطأة الغلاء الفاحش الذي لم تشهد مثيله البلاد منذ الحرب العظمى

على اننا بمناسبة هذه الظروف رأينا ان ندوّن في المشرق بعض ما جمعناه من الافادات عن ابرشية حوران أيام تجوّلنا فيها لالقاء عظات الرياضات المنوّه بها . فسرنا الى تلك الاصقاع لإتمام اعمال الرسالة والقلب ملؤه رغبة الى مشاهدة تلك الانحاء الحافلة بالآثار القديمة والاطلاع على احوال المسيحيين فيها

ثم عدنا الى زحلة مركزنا فعكفنا على مطالعة بعض ما كتبه العلماء في حوران وشؤونها من عرب وافرنج مقتفين آثارهم متفتشين في طاهم نكتبها هذه الرسالة وقسمناها ثلاثة فصول : ١ لمحة في تاريخ حوران على مرّ الزمان . ٢ احوال ابرشيتها الكاثوليكية الملكية . ٣ اعمال المرسلين اليسوعيين فيها

١ لمحة في تاريخ حوران

اسمها وحدودها

قال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان :

« حوران بالفتح ويجوز ان يكون من حار يحور حوراً (ومنهُ قولهم) ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر اي من النقصان بعد الزيادة »

وان من زار بلاد حوران في ايامنا تحقق ان الاسم لائق بالمسمّى لما فيها من القحط والمحل في مراضع شتى لكن حوران لم تكن هكذا على ايام ياقوت وهو القائل فيها :

« كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرًى كثيرة ومزارع وحرار وما

زالت منازل العرب وذكرها في اشعارهم وقصبتها بصرى. قال امرؤ القيس:

ولما بدت حورانُ والآل دونها نظرتَ فلم تنظر بعينيك منظرا »

فليس اذاً من المعقول ان يكون معنى حوران «بلاد النقصان»

وفي الحقيقة لم يتفق العلماء باجماع الرأي على تحديد معنى كلمة حوران فمنهم من قال انها بلاد المغاور وغيرهم قال انها البلاد السوداء وغيرهم البلاد البيضاء اشتقاقاً من الاصل العبراني (חור) والعربي حورَ اي ابيضَّ. على ان هذه المعاني كلها مقبولة لما في حوران من المغاور التي يسكنها البشر قديماً ولان الحجارة البركانية السوداء كثيرة فيها ولان الثلوج الناصعة البياض تغطي جبالها مدة مديدة من السنة

وفي ايامنا يطلق اسم حوران على البلاد الواقعة بين دمشق شمالاً ونهر اليرموك وجبال جلعاد جنوباً. وبادية سورية شرقاً واراضي الجولان ووادي الاردن غرباً. وتقيس مساحتها تقريباً مئة كيلومتر بالطول وسبعين كيلومتراً بالعرض وتنقسم الى اراضي الغوطة والجدور واللجا والنقرة وجبل الدروز

ومعدل ارتفاع هذه البلاد فوق سطح البحر ٧٥٠ متراً تقريباً وقد حدث فيها قديماً اضطرابات طبيعية عظيمة فهاجت فيها العناصر وانفجرت البراكين وفارت وأزبدت وصبَّت نيرانها وقذفت قذائفها فغشت الاراضي برجوم سوداء منها صغيرة متبعثرة بين الرمال والحقول ومنها ضخمة اشبه منها بقطع الجبال يشاهدها المسافر حيثما اتجه فتقوم بوجهه وتعرقل سيرَهُ لاسيما في بلاد اللجا حيث شبهوها بالبحر اذا هاج وماج وتجلَّدَ فجأةً فلا تكاد ترى فيها مساحة مترين مربعين الّا تخالها وعرٌ بين منخفض ومرتفع

حوران قبل العهد الروماني

ورد ذكر حوران في سفر تثنية الاشتراع (٣: ١٣) فسماها ارض باشان (اي مخصبة) ولقبها بارض الجبابرة وكانت تشمل اربع ايالات: مَعْكة في الشمال الشرقي وجشور في الشمال الغربي وارجوب في الجنوب الشرقي وباشان في الجنوب الغربي

وسكنها الاموريّون والكنعانيون وكانوا قوماً حاذقين بالفنون والصناعة فينسب اليهم الاثريّون الاسد المنحوت بالحجر البركاني الاسود الذي اكتُشف في قرية شيخ

سعد في حوران وهو الآن محفوظ في دار العلوم الافرنسية في دمشق وهو يدلّ على ان اصحابهُ بلغوا من العمران شأوًا بعيدًا لما فيهِ من تناسب الاجزاء واتقان النقش. والمرجّح ان هذا التمثال من صناعة الحثّيين

وكانوا يعرفون صنعة الحدادة. وذكر الكتاب المقدس في السفر المذكور اسم الملك عوج فقال عنهُ انهُ «وحدهُ بقي من الجبابرة وسريرهُ من حديد... طولهُ تسعة اذرع وعرضهُ اربع اذرع بذراع رجل». وكان في حوران ستون مدينةً محصّنة لها ابواب ومراتيج (يشوع ٢١: ٢٧). وكان ملك باشان يُقيم في عشتروت وهي من اعظم مدنهم مع ادرعي (درعا) وسلكة (صلخد) وجولان

وقاتل بنو اسرائيل امراء تلك البلاد قبل دخولهم ارض الميعاد وفتحوا «جميع مدن السهل وكل جلعاد وكل باشان الى سلكة وادرعي. وجاء ذكر هذا النصر في الزبور (١٣٤: ١٠-١٢) فقال «هو الله الذي ضرب امماً كثيرة وقتل ملوكاً مقتدرين سيحون ملك الاموريين وعوجاً ملك باشان وسائر ممالك كنعان واعطى ارضهم ميراثاً لاسرائيل شعبهِ»

وشهدت بلاد باشان مواقع دموية كثيرة بين ملوك اسرائيل وامراء دمشق. واجتاحها الاشوريون في القرن التاسع قبل المسيح. وانتصر ملكهم سلمناصر الثاني على حزائيل ملك سورية ودوّن ذكر حملاتهِ عليهِ بالكتابات المسمارية فقال:

«قد حاصرتُ حزائيل في دمشق عاصمته وقطعت اشجاره وبانت جبال حوران وهدمت مدنًا كثيرة ودمرتها واحرقتها وغنمت غنائم لا تحصى»

وفي القرن السابع قبل المسيح حمل اشور بنيبال على «أبيادَه» ملك العرب وحاصر سكان حوران وضيّق عليهم فاخضعهم بالجوع

وسار ايضًا الى فتح سورية وحوران قمبيس وداريوس في القرن السادس فاصبحت إيالةً من ايالات الفرس ولم يفسح الاجل للاسكندر وقتاً لمقاتلة العرب فاهملهم ولم يدخلوا في طاعته لكن الملوك السلوقيين توفقوا الى اخضاعهم بمساعدة الرومان

﴿ دولة النبطيين ﴾ وفي ايام الفرس والسلوقيين كان النبطيون وهم في الارجح من العرب قد انشأوا مملكة في صلع (Pétra) بين بحيرة لوط والبحر الاحمر وبسطوا سيادتهم على حوران. وفي السنة ٨٢ الى ٦٢ ولي مدينة دمشق الحارث الثالث الملقب

بحب اليونان وهو احد ملوكهم وكانت مملكة الانباط تنقسم الى مقاطعات صغيرة يحكمها قائد يلقب ستراتيجاً (Στρατηγός). ومما يُعرف من ديانتهم ما ذكره سترابون الجغرافي (ك ١٦ ف ٤–٢٦) انهم كانوا يقيمون الصلاة على سطوح بيوتهم ويؤلهون ملوكهم بعد موتهم. والشاهد في ذلك الأعلام التي على مثال عبد ملك تضاف الى «عبد» كانهم وقفوا نفوسهم لخدمة البعض من آلهتهم او من ملوكهم المتألهين. اما معبد النبطيين الكبير فكان في عاصمتهم صلع شيّدوه لإكرام الشمس انما كانوا يدعونها ذا الشرى (Dusarés) اي الاله المنير. وبنوا مساجد فخيمة ظهرت آثارها في عاصمتهم وفي جوارها (المشرق ١٣ [١٩١٠]: ٧٨٧)

وقبض النبطيون على زمام التجارة بين خليج العجم والبحرين الاحمر والمتوسط فسيّروا قوافلهم الى اقاصي البلاد حتى الهند (راجع كتاب الاب لامنس عن مكة قبل الهجرة la Mecque. 49). واستعملوا الخطّ لتسهيل المعاملات بين البلدان وعُرفت كتاباتهم بالنبطية فشاعت في انحاء الجزيرة وكان اصلها آرامياً وهي التي طرأ عليها تغيير مع الايام فتحوّلت الى الكتابة العربية

﴿حوران في عهد الرومان﴾ ولم يجهل الرومانيون اهمية موقع سورية الجغرافية وضرورة التملك على بلاد حوران لمراقبة حركة التجارة بين خليج العجم والبحرين الاحمر والمتوسط ففي السنة ٦٤ ق م فتح سوريّة القائد الروماني بومبيوس. فانسحب الحارث ملك النبطيين من دمشق ودفع الجزية للرومان

وفي ايام اوغسطوس قيصر تشكى الدمشقيون من تعدّي لصوص البادية عليهم فعهد العاهلُ الروماني الى هيرودوس بحفظ الامن وولّاه بلاد اللجا (Trachonitis). فكبح هيرودوس جماحهم واقام في البلاد قوة عسكرية مؤلفة من ٣٠٠٠ رجل من الأدوميين

وفي السنة ١٠٦ بعد المسيح توفّي مليخوس (مالك) الثالث اخر ملوك الانباط وزالت دولته وجعل الرومانيون بلاد حوران جزءاً من ايالة «عرابيّة» (Arabia) الرومانية وكانت عاصمتها بصرى

وكان اللصوص يغتنمون الفرصة من تضعضع القوة في السلطان ما بين العرب ليعيثوا في الارض فساداً. فكان اول ما همّ به الرومانيون انشاء محطّات عسكرية

اضبط البدو وإحراز الامن للبلاد . وقد ذكر المؤرخون اسماء عشر معسكرات اخصّها بصرى وفينه (Phænus مسميه) وتريكوميا (Tricomia صلخد) وهي النقطة العسكرية الاعظم شأناً

وفتح الرومانيون الطرق في حوران تسهيلاً لحركات الجنود الحربية عند اللزوم. منها الطريق الرابطة فينه ببصرى وبجرش والطريق الواصلة فيلونه وقناطه (قنوات) بالطريق الكبرى والطريق بين بصرى وصلخد. وقد اكتشف العلّامة شوهماخر (Schuhmacher) قطعاً من الطريق الرومانية الممتدّة على ما يظهر بين دمشق والاردن

﴿ بنو سليح وبنو غسّان ﴾ وفي حوران الى ايامنا هذه آثار لآبار ارتوازية وصهاريج وغيرها من اعمال العمران الراقي اصلها الى عهد واحد وامة واحدة ارتأى البعض انها للرومان ورجح غيرهم الى انها لقبيلة عربيّة. قال العلّامة وتستشتين (Wetzstein: Reisebuch)

« في اوائل العهد المسيحي حلّ بلاد سورية الشرقية قبيلة سامية وهم بنو سليح فوجدوا الارض خرابًا وقد كانت الحروب قد خربتها فاستحسن الرومانيون استقبال السامية وعهدوا اليهم بحراسة حوران من شر اللصوص وتعميرها »

وفي اواخر القرن الثاني للمسيح زحف على سورية الوسطى قبيلة اخرى من العرب وهم بنو غسّان اليمانيون. وقد روى خبرهم كتاب الاغاني (١ (١٩ : ٩٥) قال (١ :

« ولما ارسل الله سيل العرم على اهل مأرب وهم الازد قام راندهم . . . فقال من كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببصرى والحفير وهي من ارض الشام فكان الذين سكنوه غسّان »

فعاهد الغسانيون بني سليح على مراعيهم الى ان عظم شأنهم فقاتلوهم وامتلكوا البلاد لكنهم خضعوا للسلطة الرومانية . ولم يقاومهم الرومانيون بل استعانوا بهم وتركوا لهم امراءهم وقلّدوهم الوظائف ولقّبوا كبيرهم بلقب بطريق اي من اعيان المملكة او دعوه فيلاركاً اي رئيس القبيلة . اما بنو غسان فلقبوا اميرهم ملكاً وقطن بنو غسان جنوبي حوران اولاً ومنها انتشروا في كل الجبل وفي اللجا وسائر انحاء

١) اطلب المجلّد ١٩ ص ٩٥ وراجع ايضاً رنات المثالث والمثاني للاب صالحاني (٢ : ١٠

النقرة حيث شيّدت احدث مدن حوران وقاموا في الجولان وعجلون وبلغوا مقاطعات البقاع الجنوبية حيث بنوا مدينة امّ الجمال وكانت كلها مسيحية

وعمل بنو غسان في سبيل جرّ المياه وري الاراضي كما كانوا فعلوا في اليمن فانقلبت الصحارى بين ايديهم الى حقول قمح . واقتفوا في بناياتهم آثار الصانعين فاستعملوا المداميك الطويلة الضيقة بمثابة اخشاب سقفوا بها البيوت وتعلموا منهم بناية البروج المربّعة الزوايا وسمّوا بعض البلدان باسامي يمانيّة كبصرى ونجران

وذكر المؤرخ أميان مرسلان من كتبة القرن الرابع مدينة بصرى فوصفها بالمدينة الكبيرة . وقد قدّر العلماء الاثريون عدد سكانها في ايام عزّها اي في القرن الرابع بنحو ثمانين الفاً لكثرة ما فيها من الانقاض الى يومنا هذا

وكانت إلهة بصرى وشفيعتها تدعى « إلهة النصيب الصالح » (Ἀγαθὴ Τύχη) ومنها شاعت عبادة هذه الالهة في حوران وكان لبصرى تاريخ خاصّ يُعرف بها يبتدئ سنة ١٠٥ للمسيح وذلك منذ تحوّل حوران . الى ايالة رومانية

ومما يستدل به من النقوش والكتابات القديمة انّ غرس الكرمة والعناية بها كان قد اعتاده الاهلون لانهم خصّوا بعبادتهم اله الكرمة ديونيسيوس وهو المدعو ايضاً باخوس ودعوا اولادهم باسمه الى اواسط القرن السادس

اما بلاد اللجا التي بلغت في ايامنا من الوحشة والخراب ما لا يكاد يتصوّره الّا من رآها فكان عدد سكانها على ما يزعم البعض يتراوح بين ٤٠٠،٠٠٠ و ٥٠٠،٠٠٠ وان اعتبرنا أنّ الارياف تُحسب عامرة غنيّة ان سكن فيها ٥٠ شخصاً في مساحة كيلومتر واحد مربّع تسنّى لنا ان نعرف نجاح وخصب تلك البلاد في العهد الروماني

اما اللغة الشائعة بين الغسانيّين فكانت العربية او لهجة قريبة منها . وكانت اليونانيّة لغة الكنيسة ولغة العالم المتمدّن ولغة الشبيبة الراقية كالافرنسية في سوريّة على عهدنا . وذلك هو السبب لوفرة الكتابات اليونانيّة التي وجدت في حوران

﴿فنّ البناء السوري﴾ ولما تنصّر الغسّانيون جعلوا يبنون الاديرة والكنائس فكثر عددها في البلاد ولا تزال اثارها الفخمة تشهد الى يومنا برقيّ حوران وفضل صنّاعها على فن البناء . قال العلّامة دي ڤوكوه ما تعريبهُ :

« ان ارباب الفنّ شادوا بنايات تلك البلاد الجديدة فتقلدوا الفن اليوناني الجيد وتشبّهوا بتطبيق مبادئه أكثر منهم بأخذ مبانيه . نعم انهم لم يبلغوا من حسن الذوق وحذق الصناعة ما بلغه من الكمال فنّ البناء في عصره الذهبي وانما أسيوا في صنعتهم ما قصّروه عن المصنوعات اليونان الاولى من روح التوازن والاعتدال فاضم كرهوا الافراط في التصنّع ونبذوا استعمال الملاط واتخذوا من نواميس المادة كالثقل والارتكاز ما أكّد لهم متانة البناء والهمّ تخطيط رسومها تملّسوا مواقع الرخرفة على اليونان واخذوا عقد القوس والظهر عن الرومان واتبعوا طرائقهم . وبنوا كلّ عضو رأوه زائداً وقاسوا العلوّ والعمق والطول والعرض لا على قاعدة مطّردة ولكن بالمناسبة لما لديهم من حجم المراد وطبيعتها وبحسب ما ارتسموه لهم من رسم ارادوا تحقيقهُ . فلم يستعملوا الّا قطعاً ضخمة من الحجر في رصف الاساس والمساند ولم يبالغوا في الارتفاع وجعلوا مقياس الابواب والنوافذ واحداً لجميع البنايات كبيرةً كانت او صغيرة . وفي اوائل القرن الثاني عشر لما دخل سورية الافرنج من سياح وصليبيين ورأوا ما بقي من ذلك العمران استفادوا منه وجعلوا يتقادونه فحملوا معهم الى اوروبا نفوذ الفن السوري »

وذكر ابو الفداء المؤرخ ملوك غسان ومآثرهم الدينيّة والمدنيّة (طبعة ليبسك ١٨٣١ ص ١٢٨—١٣٠) :

« واول ملوك غسان جفنة . . . بنى بالشام [illegible] وبنى بالشام عدة ديورة منها دير سالى ودير ايوب ودير [illegible] . ثم ملك بعده ابنه عمرو وبنى صرح المدبر في اطراف حوران مما يلي البلقاء . ثم ملك جبلة بن الحارث وبنى الغدير وادرح والقسطل . ثم ملك ابنه الحرث بن جبلة وكان مسكنه بالبلقاء فبنى بها الحفير ومعشمه . ثم ملك الأيهم بن الحارث وبنى دير ضخم ودير البثنة . ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر وبنى قصر السويداء . ثم ملك النعمان ابن الحرث وهو الذي اصلح صماريج الرصافة وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين . ثم ملك الايهم بن جبلة بن الحرث وهو صاحب تدمر وبنى له بالبرية قصراً عظيماً ومصانع واظنّ انه قصر برقع . . . »

﴿ حوران في عهد العرب ﴾ فتح العرب حوران بُعيد موت محمّد صاحب الشريعة الاسلامية . قال ياقوت في كتابه معجم البلدان (٢ : ٦٥٤)

ولمّا سار خالد بن الوليد من العراق لمدد اهل الشام قدم على المسلمين وهم نزول ببصرى فضايقوا اهلها حتى صالحوهم على ان يؤدّوا عن كل حالم ديناراً وجريبَ حنطة وانتتح المسلمون جميع ارض حوران وغلبوا عليها وقتئذٍ وذلك في سنة ١٣ هـ (٦٣٥ م)

فمن هذه الجزية يُستدلُّ على خصب المدينة وثروة اهلها . وقسم العرب سورية الى خمسة اجناد او ولايات عسكريّة وهي شرقي الاردن وفلسطين ودمشق وحمص

وقنسرين (جنوبي حلب). قال ابن رسته (الاعلاق النفيسة ٧ : ٣٢٦) :

« وجند دمشق من الكُوَر النوطة . . . وحوران ومدينتها بصرى واهلها قوم من قيس من بني مرّة خلا السويداء فان بها قوماً من كلب »

واخبر البلاذري في فتح البلدان (ص ١٢٨—١٢٩) انَّ عمر بن الخطّاب ولّى حوران علقمة بن عُلاثة فمات بها. وكان الحطيئة الشاعر قصدهُ فوقع موت علقمة قبل وصوله فقال يرثيه :

وما كان بيني لو لقيتُك سالماً وبين النقى الّا ليالٍ قلائلُ
فان تحيَ لا املَلْ حياتي وان تمُتْ فما في حياةٍ بعد موتك طائلُ

فاز اهل الوَبَر على اهل الحضَر وأكره الغسانيون على اعتناق الاسلام فتغيَّرت حالة البلاد ودُمّرت الاديرة وعاد عهد الغزو والتلصّص. وكلّما انقلبت دولة وظهر حاكم جديد تجددت حوادث النهب والسلب التي امسى مآلها انحطاط البلاد من الحالة السعيدة التي رأيناها في عهد الرومان الى ما هي عليه اليوم من وحشة وخراب . ومن ذلك ما رواهُ ابن رسته (الاعلاق النفيسة ص ٣٧٣) :

وبعد تشتيت امر آل طولون خرج قرمطي اخر يكنّى ابا غانم في جمع من كلب ايضاً بنواحي الشام في سنة ٢٩٣ (٩٠٥م) وقوي امرهُ وكثر اتباعهُ وصار الى نواحي اذرعات وبصرى من حوران والبثنية من اعمال دمشق وعاث وقتل وسبى وصار الى مدينة طبرية من بلاد الاردن فدخلها في السيف »

وقس عليه حوادث جمّة . فحسبنا ان نذكر اسم تيمورلنك المشؤوم الذي اغار على سوريّة في سنة ١٤٠١ وتقدّم الى دمشق ونهبها ودمّرها وعاث فساداً في ارض حوران وقد ينسب الاهلون طمس البثار العديدة التي كانت حوّلت الصحراء الى جنة غناء في العهد الروماني الغساني. ولم يستطع الاتراك ان يردّوا الأمن للبلاد لمّا كان دأبهم استثمار خيراتها والاغتناء من تعب فلّاحيها . فكان الحكام كباراً وصغاراً يتنقّل مستديم قلّما بقي الواحد منهم في وظيفته اكثر من عامين

وكاد يبيد اثر الطرقات العظمى التي اخترقها الرومانيون. وما عسى ان تنفع البدو وليس لهم معرفة بصناعة المركبات وتسييرها وهم يكتفون بالهجين ليقطعوا

فيافي الارض . على ان بلاد حوران اضحت طريق الحج الطبيعية للمدينة ومكة . ووصف ابن بطوطة حجّهُ اليهما فقال في رحلته (١ : ٢٥٤ طبعة باريس ١٨٥٣)

« لمّا استهلّ شوّال من سنة ١٥٧٢٦ (ايلول ١٣٢٦ م) خرج الركب الحجازي الى خارج دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فاخذتُ في الحركة معهم . . . وارتحلوا من الكسوة الى قرية تعرف بالصنمين مظلمة ثم ارتحلنا منها الى بلدة زرعة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها . ثم ارتحلنا الى مدينة بصرى وهي صغيرة . ومن عادة الركب ان يقيم بها اربعاً ليلحق بهم من تخلّف بدمشق لقضاء مآربه . والى بصرى وصل رسول الله صلعم قبل البعث في تجارة خديجة وبها برك ناقته . قد بني عليه مسجد عظيم يجتمع اهل حوران لهذه المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون »

٢ ابرشية حوران للروم الكاثوليك

هي اوسع ابرشيات الطائفة الملكية الكريمة يحدّها شمالاً خط خيالي يمتدّ من جبل الشيخ فيجتاز جنوبي الميدان في ظواهر دمشق وينتهي في البادية . وشرقاً صحراء سورية . وجنوباً وادي اليرموك ووادي [illegible] ووادي [illegible] غرباً خط عامودي يصل الى الجنوب من [illegible] وهي [illegible] على [illegible] تسمى جبل الشيخ

ان راعي الابرشية الحالي هو السيد نيقلاوس القاضي [illegible] سيادته في دمشق في ٢٠ حزيران سنة ١٨٦١ وتلقن العلوم الكهنوتية في مدرسة عين تراز وسيم كاهناً باسم بطرس فترأس المدرسة البطريركية في دمشق ثم رُقّي الى الكرسي الاسقفي في ١٠ شباط سنة ١٨٨٩ على يد البطريرك غريغوريوس يوسف وسيم مطروبوليتاً على بصرى وحوران

وانّ لقبي لقب سيادته هذا دليلاً على ما كانت عليه تلك البلاد من الحضارة المسيحية قبل الفتح الاسلامي فكان لمطروبوليت بصرى السيادة على ٣٥ اسقفاً مراكزهم في شرقي الاردن الّا ثلاثة منهم لم يكن لهم مركز بل كانوا يسكنون الخيم مع رعاياهم اهل الوبر

ولا عجب ان رقي الكاهن الشاب الى منصب الاسقفية على حداثة سنه لما كان فيه من المزايا التي تؤهله لوظيفته الجديدة والرعية بحاجة الى مطران غيور نشيط يرضى بان يعيش عيش المرسلين المجاهدين ويحمل ثقل الرئاسة من دون ان يتمتّع بما تؤديه

لاصحابها من الشرف والامتيازات في المدن « كخادم الله في الصبر الكثير والمضايق والضرورات والمشقات والجلدات والسجون والاضطرابات» (٢ كور ٦ : ٤)

واول ما همَّ به الاسقف كان امر زيارة ابرشيته فعرف احتياجاتها وجعل يسعى في تشييد الكنائس على قدر ما كانت تسمح له الظروف وفتح المدارس واستدعى لمساعدته الاباء اليسوعيين فلبّوا دعوته . على انَّ الحوادث المشومة التي حصلت في ايام الحرب الكونيَّة كادت تطمس آثارها لمَّا غادر المرسلون البلاد فحلَّ ما حلَّ فيها من الويلات ونُفي اسقف حوران واحتمل الاضطهاد لانهُ كان صديقاً لفرنسة ومنها كان يستمدُّ الحسنات ليقوم بوظيفته بين سكان قرى ابرشيته

ولكن لم تنتهِ الحرب الكبرى الَّا وعاد الراعي الصالح واستمدَّ نجدة المرسلين وكان اول من لبَّى دعوته بعض آباء رسالتنا اخذوا على عاتقهم وظيفة تفقُّد شؤون المدارس في ابرشية حوران الى يومنا . ولمَّا دعيتُ الفقير في ايام الصوم الماضي الى القاء مواعظ الرياضات في ابرشيته سررتُ بلثم انامل سيادته ونلت بركته وكانت اول رياضة ألقيتها هناك باشرتها في خبب فدونك ما اطلعتُ عليه من احوالها

﴿ خبب ﴾ موقع هذه القرية في شمال بلاد حوران على حدود اللجا الغربيَّة يقطع القطار الحديدي ٧٠ كيلومترًا من الشام الى محطتها . والقرية تبعد عن المحطة ثلثة ارباع الساعة وفي شمالها قريتا بصير وجباب . الاولى على مسافة ساعة منها والثانية على مسافة ساعتين . وغربيَّها قريتا تبنة والقنية تبعد عنها الواحدة ساعةً وربع الساعة والثانية ساعة وثلثة ارباع الساعة . وشرقيَّها خربة ايب على بُعد ساعة منها يشرب من مائها اهل خبب وهناك مزار المليحة للدروز والعربان . وفي جنوبها سور اللجا حيث يقيم طلال شيخ مشايخ عربان اللجا

يبلغ عدد سكان خبب زهاء ١٢٠٠ يضاف اليهم ٤٠٠ شخص بين مهاجرين ومرابعين ورعيان . واصل اهل خبب من صلخد هاجروا من جنوبي جبل الدروز في اواخر القرن الثامن عشر خوفاً من الوهابيين وهم ينتسبون الى عرب غسَّان . وقد ثبتوا الى يومنا على عادات اجدادهم يلزمون الحياة البدوية وينتسبون الى بطون او أُسر اخصُّها بيت حاتم وقريط وخلَّاف والزراعنة وعكه والصواونه ورعد وكعب وهيتاني والفرازي والشناعة والدهيم . وفي خبب مدرستان الواحدة للذكور وعددهم

٨٠ تلميذاً يهذبهم معلمان والاخرى للاناث وعددهن ٣٠ لهن معلمة واحدة

وللخبب سوق زرتُ حوانيتها واستقصيت عن اسعار مستغلاتها فكانت في الربيع الماضي على ما ترى :

القمح	المد	بنصف ليرة ذهب		اللحم	الرطل	٦٠ غرشاً فضة	
الشعير	«	بمجيديين ونصف		السكر	«	٣٥	«
السمن	الرطل	بمجيدي ٥		الحلاوى	«	٥٠	«
البن	«	١٣٠ غرشاً فضة		القماش الملبسة	«	٣٠	«
الزيت	«	بمجيدي		الدبس	«	بمجيدي	
الزبت الحلو	«	٥٥ غرشاً فضة		الارز	«	«	

وفي خبب مقام الكرسي الاسقفي . أقيمت فيها من السنة ١٩٠٤ الى ١٩٠٧ كنيسة كاتدرائية واسعة ذات ثلثة اسواق متقنة الهندسة . وقد بُنيت بالحجر البركاني الاسود يخدمها كاهنان وهما حضرة الابوين جرجس سلمان وبطرس درويش

وفي خبب آثار قديمة اخصُّها كتابات يونانيَّة قد وقف على بعضها الاثريون خصوصاً وادنغتون والمركيز دي فوكويه وغيرهما . والبعض لا يزال مجهولاً ومما وقفنا عليه فذكرهُ الاثريون كتابة مدفنيَّة لجرم واولاده تُرى على حجر أُدغم في الجدار الغربي من كنيسة خبب (لجرع وادنغتون تحت العدد ٢٥١٣)

ومما نشرهُ وادنغتون كتابةٌ في بيت هلال (العدد ٢٥١٥) يذكر فيها انَّ المسمَّى مليكث بن حام بنى هيكلاً اكراماً لمعبوده

وهناك كتابات اخرى اخذنا رسومها فننشرها او ينشرها غيرنا اذا تحققنا انها مجهولة . منها كتابة في بيت احد مختاري القرية نجيب افندي الحاتم على عمود مربَّع الزوايا وكتابة اخرى في بيت الزراعنة داخلة في حائط الدار شرقاً قريباً من الباب وهي طويلة تبلغ عشرة اسطر وفي بيت الهلال ايضاً عمود نُقشت عليه باحرف كبيرة كتابة قديمة قصيرة . وفي بيت يوسف افندي الخوري كتابتان أُخريان . وهذه الكتابات قد طُمس بعض كلماتها بفعل الزمان يحتاج الاثريون الى درسها زمناً طويلاً لادراك معانيها

﴿ اهل خبب في الحرب الكونيَّة ﴾ قد قاسى اهل خبب في زمن الحرب الكونيَّة عناء كبيراً بسوء معاملة الاتراك . فلمَّا كانت اواخر السنة ١٩١٤ ودخلت

تركيّة في الحرب مع الدول المركزيّة طلبوا من خبب رجالًا بصفة جمّالة في الجيش ثم ما لبثوا ان دعوا رجال القرية كلّها الى ازرع ليتثبّتوا على قولهم هُويّتهم وما كانوا عندئذٍ حشدوا عسكرًا من غير المسلمين

فسار الى ازرع رهطٌ من شبان ورجال خبب وتبنة وشقراء وتامر وسائر القرى ليدوّنوا اساميهم في سجلّ الحكومة ولساعتهم اغلقت عليهم الابواب وأُكره نحو ٤٠ رجلًا من اهل خبب على الخدمة كعمّال لا كجنود. على انهم تفرقوا طرائق فمنهم من سيق الى الحرب ومنهم من فدى نفسهُ ببذلٍ مالي ومنهم من تهاون الاتراك بحراسته فنُسي ونجا بنفسه . وكثيرون من الذين حُشدوا بالجيش ووُجهوا الى الاناضول كانوا يفرّون من غير عناء متحدرين من القطار لان سيره كان بطيئاً جدًّا فكانوا ينزلون منهُ ويعودون الى قراهم ولم يخدم منهم احد اكثر من شهر او شهرين الّا اثنين بقيا في الجيش ستة اشهر وكان الاتراك يعرّجون الى القرى من حين الى آخر واذا وجدوا فيها رجلًا بسنّ العسكرية يأخذونهُ ولم يكترث المأمورون الاتراك الى التحقيق في امرهم أَنظلوا في الجنسيّة ام لم يُنظموا بعد ولو حاولوا ذلك لخسروا بمساعيهم لانهم كانوا اذا حشدوهم واتوا بهم الى ازرع يفتحون سجلّ اسامي القارين من طوابيرهم ويقرأونها وكان اصحاب الاسامي يسمعون اساميهم ويتغمرون ساكتين. واذا سُئلوا استعاروا لهم اسماً جديداً فأُحصوا في سجلّ جديد وسيقوا مرّةً اخرى الى الحرب ثمّ يعودون لائذين بالفرار. فتجدُّ الحكومة في طلبهم ولم تكن لتهتدي الى هويتهم فتعود تجمعهم اينما وجدتهم وهم يعودون يرجعون الى بلادهم الى ان امسى اخيرًا لدى المأمور في ازرع مجلدات ضخمة من الاسماء ومعظمها اسماء مستعارة وهميّة لا مسمّى لها. وكان المسيحيون والمسلمون يتساعدون في هذه الحيل فيتبادلون اسماءهم وقد قيل لي ان احد هؤلاء الرجال القي القبض عليه ١٢ مرّة بعد فراره ١٢ مرّة . وكانت معاملة الاتراك مع المسلمين اشدّ فظاظة منها مع المسيحيين وكان البعض من الشبان يقولون للمأمور: اقتلني فاني اينما ذهبتُ لا بدّ لي من الهرب وفعلًا ان من الشبان من عاد ماشياً من حلب الى الشام ومن بئر سبع الى حوران فارًّا من الجيش التركي

على ان حوران ساعدت الحكومة التركيّة بتقدمة بعض المواد الضرورية للجيش

فأدّت قرية خبب وحدهـا ٣٤ الف مدّ من الحب ثلاثة ارباعها قمحاً في سنة ١٩١٦ و ١٧ الف مدّ في سنة ١٩١٧ وعشرة آلاف سنة ١٩١٨ ومنها خذ لك مثلاً لما جرى في سائر القرى

وقدّمت خبب على مدة الحرب كلها ١٠٠٠ رأس غنم او ماعز و٢٠٠ رأس بقر و٥٠ جملاً و ٥٠ رأس خيل و ٥٠٠ رطل سمن . اما الحكومة فلم تدفع تلقاء تلك الفرائض الباهظة اكثر من ٢٠٠٠ ليرة عثمانيّة ذهب

وكان قد منع على الحورانيين تصدير القمح لكن البعض كانوا يهربونه . وفي تلك الأيام تهـافت على حوران كثيرون من اللبنـانيّين الجياع وكان البعض منهم يبيعون الفلاحين ما استطاعوا حمله من سجادات او اوانٍ ثمينة تلقـاء شيء من القمح والبعض يتجولون بين القرى لطلب لقمة يسدّون بها رمقهم . ومن الذين اشتهروا بأريحيتهم في تلك الايام واستحقّوا ذكرًا حميدًا الامير سليم الاطرش الدرزي فانـهُ كان يفتح بيتهِ للجياع ويوزع عليهم البرغل كل عشية . قيل ان احد خدّامه ضرب رجلاً كان يسرق الطعام فانتهرهُ الامير قائلاً : دعهُ فانهُ جوعان محتاج الى قوته . وكان الامير سليم معروفاً بمروّته وكرمه ولولا اختطافته انياب المنية لكان ولا ريب قام بوجه اخوانه من زعماء الدروز ليمنعهم عن اضرام نار الفتن في يومنا هذا

الازمة الزراعية في خبب وحورانه

وقد بُليت خبب في هذه السنة بل حوران كلهـا بازمة زراعيّة تتفتّت لهـا الاكباد . وذلك بسبب قلّة المطر الذي مُنيت بهِ سوريّة عموماً وحوران خصوصاً . ولذلك ما كادت البلاد ترى ربيعاً فاتت المواشي من نقص الكلإ والماء . وقد اخبرني احد وجوه خبب انهُ لم يبقَ لهُ من قطيع غنمهِ البالغ ١٩٢ شاةً سوى ١٥ ومـات الباقون لفقد المراعي والمياه

وقد كنتُ ونحن بعد في شهر آذار حيث ينمو الزرع والضرع وتتوفّر المراعي وتسمن الماشيـة ارى البقر تسير سيرًا بطيئاً منتفخة البطن عجفاء وجلدهـا ملتصق بعظامها ولا يكاد يُسمع في البوادي لا ثغاء ولا رغاء

وكان ذلك في ايّام الربيع ويزيد الصيف عادةً يبساً وجفافاً فلا ينتظر الفـلّاح

منهُ خيراً . ولذلك ترك كثيرون منهم اراضيهم وقصدوا المدن ليطلبوا لهم ماء وخبزاً وهم في الامس كانوا يمرّون سوريّة بغلّاتهم

على انّ الله رحم البلاد في اوائل نيسان فهطلت مياهٌ غزيرة فامتلأت البئار واستبشر الناس خيراً . وعلى كل حال ان مسألة المياه في جهات حوران مسألة حيويّة تحتاج الى نظر خاصّ من قِبَل الحكومة . فانّ البئار والاحواض قليلة بالنسبة الى حاجات كل قرية

فهذه خبب ليس لها إلّا اربعة آبار يستقي منها الاهلون والطروش . بئران منها في داخل القرية وبئران على مسافة نصف ساعة منها . فكثيراً ما تشحّ بئرا القرية فترِدُ الفتيات البئرين البعيدتين ويُمضينَ الساعات الطوال ينتظرن دورهن ليملأن اوعيتهنّ ماء

واشقى منها حالًا ازرع اذ ليس لها الّا بئر واحدة رأيت الاهلين يتزاحمون حولها فيتقاتلون على جرّة ماء . فيقصدون نبعَين من قرية شقراء يزعمون ان المياه هناك لا تنضب . ولمّا زرتُ شقرا وجدت نبعيها شحيحين لا يكفيان لاهلها

واسعد حظاً منها قرية نصير لوجود حوض كبير عميق يروي لاهليه ماشيهم وانّما مياههُ عند سياحتي في حوران كانت لا تزيد عن ربع كميّتها في العام الماضي

وكانت قرية تبنة ترتوي من غدير يأتيها شمالًا من جبل الشيخ طريق الصنين فيملأ احواضها ويكفيها مؤونة العطش حتى شهر ايلول . لولا انّ اهل قرية المجدّة توفّقوا الى اقناع الحاكم بتحويل الغدير الى قريتهم اياماً معدودة فاخترقوا ترعةً وأجروا مياه الغدير الى بلدتهم وحرموا منها اهل تبنة فوقع من جرّاء ذلك نزاع انتهى بنضوب الغدير فانقطع الماء عن الجميع

فترى ما لهذا الامر من عظم الشأن . وانّ ما قلتهُ عن بعض القرى التي زرتُها يصدق ايضاً على اغلب بلاد حوران كما اثبتهُ لي كثيرون ممّن يعرفون البلاد كلها . وكانوا في انتظار الجنرال سرّاي ليزورهم فيعرضون عليهِ مسألة موارد المياه فلعلّهُ يجد للداء دواء بان يرسل مثلًا بعض المهندسين الاختصاصيين لكشف الينابيع وجرّ المياه . وقد اكّد لي الاهلون انهم لا يبخلون عليهم بالمساعدة أيّة كانت ادراكاً لهذه الغاية الحيويّة من عمل وحفر وشراء ادوات لا يطلبون سوى من يرشدهم الى العمل

(لهُ صلة)

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث السادس

آثار الفرنج الصليبيين في بيروت

رأيت ما كانت عليهِ بيروت من العمارة والحضارة في عهد الصليبيين . وقد تلف كثير من آثارهم وصبر بعضها على الزمان من بعدهم

﴿ استحكامات الصليبيين ﴾ قد سبق ان سنجر الشجاعي هدم حصنها المنيع واسوارها وكانت استحكاماتها استوجبت اشغالاً طويلة فكان يحرسها شمالاً من جهة البحر صخور عالية ومن الجانب الغربي كانت تحميها خنادق مبلطة تحت حراسة سورَين حريزين تدعمهما عدَّة ابراج غاية في المتانة لا تقوى عليهما كلّ قوّات العدوّ . وكان يزينها من الداخل ابنية حسنة الهندسة بديعة النقوش . وقد وصف السائح وليرند دي اولدنبرغ بعض قصورها فقال عن احدى غرفاته : «انها كانت مرصوفة بالفسيفساء وهي تمثل مياهاً جارية يمرُّ عليها النسيم فتتجعَّد بهبوبهِ . وفي اسفلها رمل ناعم فيتعجَّب الماشي فوقها كيف لا تغوص رجلهُ في اعماقهِ . وكانت جدران الغرفة مزدانة بقطع من الرخام المنقوش على صورة تأخذ بمجامع الابصار يظلّلها قبّة تمثل بصبغها الازرق شكل السماء . وفي وسط الغرفة حوضٌ من الرخام الصقيل الملوَّن ينفذ اليها نسيم عليل من نوافذها فيرطّب حرارتها»

فكلّ هذه الاستحكامات والابنية الجميلة لم يبقَ لها اثر بدخول المصريين اليها ونهبهم لاموالها فبقيت بيروت خالية من التحصين الى ان عاد ملوك مصر وامروا بتحصينها ردًّا لغارات الغُزاة المسيحيّين من جنوبين وكتلان واهل قبرس فحموها من

جهة البحر ومن الغرب بسور وقد استخدموا لحمايتها بقايا استحكامات الفرنج السابقة . وقد استدلّ جناب الكونت دومنيسل دوبويسون (Cte du Mesnil du Buisson) على آثار من تحصينات الصليبيين لبيروت (راجع مقالته المشعة في استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة في المشرق ٢٠ [١٩٢٢]: ٧٥١–٧٦٦ مع رسم بديع لبيروت القديمة)

﴿نقود الصليبيين في بيروت﴾ ضرب امراء الصليبيين من سلالة إيبلين السابق ذكرها نقوداً ذهبيّة وفضيّة ونحاسيّة وكلّها عزيزة جداً لم يبق منها سوى بعض افرادها في متاحف اوربّة الكبرى . وهذه المسكوكات التي رسمها العلّامة شلومبرجر (Schlumberger) في كتابه المعنون بنقود الشرق اللاتيني (Numismatique de l'Orient Latin, p. 118-119) تمثّل على احد وجهيها قلعة تعلوها الشرفات وفي مدارها اسم بيروت باللاتينيّة وعلى الآخر صليب مع اسم جان ديبلين صاحبها

﴿الرهبان الفرنسيسيّون في بيروت﴾ كان دخول الرهبان الفرنسيسيين في بيروت في عهد الصليبيين وكان دخولهم على ما جاء في سجلّات رهبانيّتهم على اسم قديس يوسف (١) وكانت كنيستهم هي كنيسة المختص التي سبق لنا ذكرها (باب القسم الاوّل بحث التاسع) حيث جرت فيها معجزة الصليب الذي نزف دماً بضرب احد اليهود . ولمّا دخل المسلمون مدينة بيروت وهرب اهلها النصارى اضطرّ ايضاً الرهبان الى الخروج منها . لكنهم عادوا اليها بعد زمن كما سترى واليهم يشير صاحب تاريخ بيروت (ص ١٤٩) فدعا منزلهم كنيسة افرنسيسك

﴿جامع بيروت الكبير﴾ قد سبق لنا ذكر تشييد ملك القدس بودوان لكنيسة على اسم القديس يوحنّا المعمدان في بيروت سنة ١١١٠م . وهي التي حوّلها المسلمون بعد ذلك الى جامعهم الكبير وقد حفظوا ذكر القديس يوحنّا بما يكرم هناك من مقام يحيى النبي والجامع لم يغيّر شيئاً في هندسة الكنيسة المبنيّة على طرز الكنائس اللاتينيّة على صورة صليب لاتيني ووجهتها كوجهة الكنائس الشرقيّة من الغرب الى الشرق وانّما أزيل ما كان فيها من الآثار النصرانيّة كالمذبح والورق . وكانت جدرانها

١) اطلب كتاب رؤساء الاراضي المقدّسة G. Golubovich: Superiori di Terra Santa. p. 216-7

مزدانة بتصاوير جميلة طُليت بالملاط بعد خروج الفرنج كما افاد صالح بن يحيى في تاريخه (ص ٥٨) . وانما بقي قريباً من باب الجامع الشرقي كوّة لا تزال آية الزبور (٢٨: ٣) : «ان صوت الرب على المياه» منقورة فيها باليونانية اشارةً الى وضع جرن المعموديّة بقربها

﴿ مناشير للصليبيين ﴾ ومن آثار الصليبيين التي عرفناها بفضل صاحب تاريخ بيروت كتابٌ لصاحب بيروت الذي تولّاها مدّة قبل دخول المصريين اليها وهو الامير (همفري دي مونفور) (Humfrey de Monfort) الذي بتزوّجه ابنة جان ابلين الثاني المعروفة بأشيف (Eschive) صارت له امارة بيروت . توفي سنة ١٢٨٤ في ١٢ شباط وهذا نصّ المنشور مع اغلاطه(١) :

ومن مضمون كتاب برمية شكارة العروسيّة من منفري دي دمونفرب (كذا) الفرنجي صاحب بيروت وهو انهُ قد وهب شكارة مدارة (بذارها) غرارة ينصبها كرم شرط ان لا يبيعها ولا يوهبها ومتى فعل ذلك رجع في رجيعه . ومن شروطه مساعدة لصحويته وان لا يخلّي في بلاده هارب من بلد بيروت الّا ويردّه صاحبا او بغيره وان لا يمكنهُ من الاقامة اربد في (من) ثمانية ايّام ولا يمكّن احد من بلاده يفسد في بلد بيروت اعني الساحل لان بلد بيروت كانت حيالهُ في ذلك الوقت للمسلمين وكان الساحل للفرنج . تاريخ هذا الكتاب سنة الف خمسمائة واثني وتسعين للاسكندر والكاتب كتب اسمهُ حرج بن يعقوب كاتب القلعة والكتاب في رق وفي ادناه ختم في شمع احمر خيّال فرسه ورمحه وترسه وهو ذلك صاحب [بيروت] ودائر الختم كتابة بالفرنجية في اصل الختم

يؤخذ من هذا المكتوب انهُ كتب سنة ١٢٨٠ للمسيح وتجهه مونفري دي مونفور صاحب بيروت الى احد امراء العرب من بني نجتر وهو الامير جمال الدين حجّي بن نجم الدين المتوفى سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٨م)

وقد روى صالح في تاريخ بيروت مكتوباً آخر كتبهُ صاحب صيداء سنة ١٢٥٥م لحجّي المذكور نحيل القراء الى مراجعته هناك (ص ٨٣—٨٤)

ويستفاد من هذه المناشير حُسن العلاقات التي كانت بين الصليبيين المتولّين على السواحل والامراء البحتريين المسلمين اصحاب جبل لبنان المشرفة عليها . حتى انّ احد

١) اطلب ما كتبهُ في هذه المناشير العلّامة كلرمون غانو Clermont Ganneau: Recueil d'Archéologie Orientale, VI, 1-30

اعداء الامراء المشتى تقي الدين نجا بن ابي الجيش سعى بهم زوراً الى ملك مصر الظاهر بيبرس مدّعياً بانهم حالفوا الفرنج وخانوا الدولة فألقى ثلثة من امرائهم في الحبس (تاريخ صالح بن يحيى ص ١٠٢—١٠٣)

هذا جملة ما وجدنا من آثار الصليبيين في زمن ولايتهم الاخيرة على بيروت

البحث السابع

تاريخ بيروت في عهد مماليك مصر (١٢٩١—١٥١٥)

رأيت ما بلغته بيروت من العمران في زمن تملُّك الصليبيين عليها . وما دخلها المصريون حتى عادت الى خمولها لولا بعض ما نالتهُ من حسن مساعي امراء الغرب بما احدثوهُ فيها من الابنية لسكناهم ولتجارتهم . لكنَّ بيروت لم تفقد في اعين الفرنج شيئاً من عظم شأنها سواء كان من جهة حصانة مركزها ام من جهة التجارة والاقتصاد . ولذلك تكرَّرت عليها الغارات في عهد مماليك مصر وهاأنحن نذكر اولاً تاريخ الحوادث الذي يدلُّ على ذكر اهوال امراء بني الغرب ومساعيهم في بيروت

لم يمرَّ على خروج الفرنج من بيروت سبع سنين حتى حاولوا فتحها . قال النويري في تاريخه (اطلب تاريخ بيروت ٤٧—٤٨) :

« في العشر الآخر من شعبان سنة ٦٩٨هـ (شهر آب ١٢٩٩) وصل الى بيروت مراكب كثيرة وطُسُ(١) الفرنج فيها جماعة كثيرة من المسلمين يقال انَّ عددهم كان يبلغ ثلاثين بطسة في كل بطسة منها نحو ٧٠٠ مقاتل وقصدوا ان يصعدوا من مراكبهم الى البرّ ويشنّوا الغارة على بلاد الساحل . فلمَّا قربوا من البرّ ارسل الله عليهم ريحاً شديدة فرقت بعض السفن وتكسَّر بعضها ورجع من سَلِمَ منهم على اسوإ حال وكان الله بالمسلمين لطيفاً . (قال) وحُكي عن رئيس بيروت انهُ قال : وانا في خمسين سنة لازم هذا البحر ما رأيتُ مثل هذه الريح التي جرَّت على هذه المراكب وليست هي من الرياح المعروفة عندنا »

وذكر صالح في تاريخه : من محرَّم سنة ٧٠٥هـ (٢٦ تموز ١٣٠٥) بعد ذكره حملة آقش نائب الشام على كسروان انهم اقطعوا التركمان اراضي كسروان فأدركوا موانئ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمرُّوا الى زمن

---

(١) البُطَس جمع بطسة لفظة اعجمية يراد بها سفينة الحرب

صالح اعني الى اواسط القرن الخامس عشر وشُهروا بتركمان كسروان وعُرفوا به. (قال): «وفي تلك السنة في العُشر الآخر من جمادي الاولى (تشرين الثاني ١٣٠٥) جازت تعميرة (اي اسطول) للفرنج على بيروت ولم يتعرّضوا لها وتوجّهوا الى صيداء واخذوها وقتلوا واسروا جماعةً من اهلها (تاريخ صالح ص٥٠—٥١)

وفي تاريخ بيروت ايضاً لصالح (ص١٣٨) وكذلك في تاريخ ابن سباط (ص٢٢ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة) ذكر غزو الفرنج الجنويين لبيروت في عيد الاضحى سنة ٧٣٤هـ (آب ١٣٣٤) . وكانت غايتهم ان يأخذوا مركباً للكتّلان من اهل اسبانية التاجرين في بيروت فدافع المسلمون عنهم . قال صالح:

«حضرت شواني للفرنج الجنويين الى بيروت قاصدين اخذ قرقون (١ لطائفة الكتّلان في ايّام ولاية عزّ الدين البيري من قبَل تنكز نائب الشام. وقصد المسلمون منع الجنويّة من اخذ القرقون فقاتلوهم قتالاً شديداً لكنهم لم يقووا على منعهم وقُتل جماعة من الجند والرجال وجُرح بعض الامراء. ودخل الجنويّة الميناء واخذوا الاعلام السلطانية من البرج وقتل جماعة في البرّ واهزم المسلمون فقاتلهم الجنويّة في الازقّة. ويُذكر انّ القتال استمرّ بينهم يومين»

(له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Tolkowsky: THE GATEWAY OF PALESTINE. A History of Jaffa. 1 *vol.* S°, 30 *Illustrations et Cartes*, 1924, G. *Routeldge and Sons, London*

تاريخ يافا

يافا مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات الهيروغليفيّة والمسماريّة على صورة اسمها حاضراً. واذ كانت مفتاح فلسطين من جانب البحر قُضي على الدول القديمة من مصريين وبابليين وفرس ويونان ويهود ورومان وروم وعرب وفرنج واتراك ان

١) القرقون كالقرقور سفينة طويلة بحاريّة واصل الكلمة من اليونانيّة

صالح اعني الى اواسط القرن الخامس عشر وشُهروا بتركمان كسروان وعُرفوا به. (قال): «وفي تلك السنة في العُشر الآخر من جمادي الاولى (تشرين الثاني ١٣٠٥) جازت تعميرة (اي اسطول) للفرنج على بيروت ولم يتعرّضوا لها وتوجّهوا الى صيداء واخذوها وقتلوا واسروا جماعةً من اهلها (تاريخ صالح ص٥٠—٥١)

وفي تاريخ بيروت ايضاً لصالح (ص١٣٨) وكذلك في تاريخ ابن سباط (ص٢٢ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة) ذكر غزو الفرنج الجنويين لبيروت في عيد الاضحى سنة ٧٣٤هـ (آب ١٣٣٤) . وكانت غايتهم ان يأخذوا مركباً للكتّلان من اهل اسبانية التاجرين في بيروت فدافع المسلمون عنهم . قال صالح:

«حضرت شواني للفرنج الجنويين الى بيروت قاصدين اخذ قرقون (١ لطائفة الكتّلان في ايّام ولاية عزّ الدين البيري من قبَل تنكز نائب الشام. وقصد المسلمون منع الجنويّة من اخذ القرقون فقاتلوهم قتالاً شديداً لكنهم لم يقووا على منعهم وقُتل جماعة من الجند والرجال وجُرح بعض الامراء. ودخل الجنويّة الميناء واخذوا الاعلام السلطانية من البرج وقتل جماعة في البرّ واهزم المسلمون فقاتلهم الجنويّة في الازقّة. ويُذكر انّ القتال استمرّ بينهم يومين»

(له بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

S. Tolkowsky: THE GATEWAY OF PALESTINE. A History of Jaffa. 1 *vol.* S°, 30 *Illustrations et Cartes*, 1924, G. *Routeldge and Sons, London*

تاريخ يافا

يافا مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات الهيروغليفيّة والمسماريّة على صورة اسمها حاضراً. واذ كانت مفتاح فلسطين من جانب البحر قُضي على الدول القديمة من مصريين وبابليين وفرس ويونان ويهود ورومان وروم وعرب وفرنج واتراك ان

١) القرقون كالقرقور سفينة طويلة بحاريّة واصل الكلمة من اليونانيّة

يفتحوها . وقد دخلت حاضراً تحت الانتداب البريطاني . فتتبّع صاحب هذا التاريخ اطوار يافا وذكر ما جرى لكل دولة في فتحها وذلك بفضل ما جمعهُ من المعلومات المتفرّقة وقد زيّن كتابهُ بالتصاوير البديعة وألحقهُ بملحوظات وفوائد شتى عن اليهود في عهد اليونان وعن انشاء مستعمرة تل ابيب وعن زراعة يافا ومحصولاتها وتجارتها وخصوصاً عن اصل ليمونها وعن سكّانها . ننمحض الشكر مؤلف هذا الكتاب ونتمنى له كل رواج ج . ل

M. Barakatullah: LE KHALIFAT. 1 vol., 8°, 1924, Paris, P. Geuthner, Prix, 10 f.

الخلافة

مسألة الخلافة احدى المسائل التي كثر فيها القال والقيل في هذه الآونة . وهذا الكتاب الجديد وضعهُ احد الهنود المسلمين الذي تخرّج في اوربّة وسكن فيها زمناً طويلاً وهو على ما يظهر من اهل الشيعة . يعرض على ذوي دينهِ ان يحلّ هذا المشكل تأييداً لما [illegible] مؤتمر اسلامي عام كانوا قرروا في تأليفهِ في مصر لسنة ١٩٢٥ ثم [illegible] وقت [illegible] في كتابهِ بتبرير [illegible] وحزبهِ التركي لالغائهم الخلافة [illegible] يرى ان الخلافة لا غنى عنها وانما يجب حصر سلطتها في الدينيات على مثال البابوية عند الكاثوليك حاضراً ولا بأس ان يوازرهُ بعض الوزراء في امور الدين والمالية والتعليم (ص ٧٤) واليهِ يعود امر نشر الاسلام في اقطار العالم وعلى رأيهِ ان الشيخ السنوسي الاكبر هو اولى من سواه لهذه المهنة (ص ٩٨) فيكون مركزهُ في اسطنبول او في القاهرة (ص ١٠٣) . وسوف نرى ما تتمخض بهِ الأيام من هذا القبيل الاب ه لامنس

W. Norman Heak: Islam and its need. 1 vol., 8°, London s. d. Marshall Brothers. Prix six Pence.

الاسلام وحاجاتهُ

كان صاحب هذا الكتاب في مهمّة البعثة البروتستانتيّة في بلاد العرب وفلسطين بصفة طبيب فجمع في تأليفهِ هذا في ٤٠ صفحة مجمل ما يجب ان يعرفهُ العوامّ عن الاسلام فيذكر معتقدات الاسلام وانتشارهُ في اقطار الدنيا وفي العلاقات الجارية بين

المسلمين والنصارى ولاسيما الارساليات البروتستانتية في بلاد الاسلام وذلك باعتدال دون تعصب . وقد شافنا ما كتبهُ في فصلهِ الاخير عما جرى في الاسلام من تطوُّر الافكار بعد الحرب الكونية الاخيرة . ومما يقولهُ هناك عن تركيَّة الكمالية انهُ لم يبقَ لها من الاسلام غير اسمهِ وهي سائرة سيراً حثيثاً الى اللادينية . فليس الاسلام إلَّا التسامح بينهم اما بقيَّة الديانات فقُضي عليها بالفناء (ص ٣٧) الاب ه. لامنس

Capitaine André: L'ISLAM NOIR. 1 vol. in-12, 1924, Paris, P. Geuthner, Prix, 7 f, 50

الاسلام الاسود

كذا دعا مؤلف هذا الكتاب تأليفهُ يريد بهِ وصف قبائل الزنج المرتدين الى الاسلام في افريقية وتقاسيمهم في كلّ قطر من تلك الاقطار ومن معلوماتهِ ما تفرَّد به وأفاد فانهُ تتبَّع اخبار تلك البلاد وخصَّ بالذكر من دان من اهلها الزنوج بالدين الاسلامي . ومما رواهُ هناك ان اكثر انتشارهِ كان اوَّلاً على طريق القوافل واما اليوم فانهُ ينتشر في الثغور البحريَّة . ويردّ المؤلف على من قال ان الزنوج بعد اسلامهم لا يعودون الى اديانهم السابقة ويضرب لتقلُّبهم عدَّة امثال . ومما لم يستقصِ فيهِ البحث ما ذكرهُ عن مذاهب الاخوان القدريين والتيجانيين والسنوسيين . وقد بالغ في وصف الشيعة الاحمديَّة المنشأة حديثاً في الهند . لكنهُ احسن بوصفهِ حركة الزنوج التماساً للاستقلال (ص ١١٨—١١٩) ومما لحظهُ ان الزنوج المسلمين يدعون في خطبهم لرؤساء قبائلهم المشركين . وذلك من الامور الغريبة ه. ل

Saturnino Ximenez: L'Asie Mineure en ruines. 1 *vol.*, 8°, *Paris, Plon - Nourrit*, 48 *Gravures et* 9 *Cartes. Prix*, 25 *f*

دمار آسية الصغرى

آسية الصغرى وهي الاناضول قد اضحت بعد الحرب الاخيرة بين اليونان والترك في حالة من الخراب والدمار تنظر لها المرائر بعد عزّها وعمرانها السابق . وقد زارها مؤخرًا احد الاثريين الشهيرين المسيو كسيمنيس فتجوَّل في انحائها ودقَّق النظر في ما صارت اليهِ من الانحطاط فغلب عليهِ الاسف بعد ان كان سابقاً عرف رقيها وحضارتها بل كاد يتميز غيظاً على الاتراك الذين قلبوا تلك البلاد ظهرًا لبطن فحوَّلوها الى اطلال

ينمق فوقها الغراب . حتى مدنها الكبيرة كازمير قد طُمست محاسنها وذهب رونقها . وان من يقرأ ما كتبهُ المؤلف في سفر رحلته هذه لا يسعهُ الّا ان يشاركهُ في اسفه وغضبه على الذين استأنفوا اعمال اجدادهم الغول والتتر الهمجيّة ل . ش

Raoul d'Harcourt : L'Amérique avant Colomb. 1 *vol. in*-32, 1925, *Paris, Librairie Stock, Prix*, 3 *f*

اميركا قبل كولمبس

هو الكتاب الخامس عشر من سلسلة تآليف عنوانها الحضارة العصريّة . مدارهُ على احوال اميركة وعمرانها قبل ان يكتشفها كولمبس . والمؤلف احد الاختصاصيين جمع في كتابهِ ما استدل اليه بخصوص تمدُّن اميركا قبل دخول الاسبانيين اليها في القرن الخامس عشر فيصف احوال تلك الامم التي مع انقطاع معاملاتها مع العالم القديم بلغت بمجرَّد مساعيها الى درجة راقية من العمران خصوصاً امم المكسيك والقبائل المعروفة باسم مايا وشيبشا وكشنا فيصف آثارهم وفنونهم المختلفة ومصنوعاتهم وتاريخهم القديم . وبلغوا في ذلك مبلغاً عجيباً . على انهم في امور اخرى بقوا في خمول وتقصير خاص فانهم لم يكادوا يعرفون استعمال المعادن ولا استعمال الدواليب وملحقاتها وفاتهم من الحضارة ومن الكتابة الّا ما لا يستفاد منهُ نفع يُذكر . فترى ما هذا التأليف من الفوائد لمعرفة شعوب انقطعت عن عالمنا اخبارها مدَّة الوف من السنين ج . ل

André Godard : GHAZNI -- **S. Flury** : LE DECOR ÉPIGRAPHIQUE DES MONUMENTS DE GHAZNA. *in*-4°, *Paris, P. Geuthner*, 1925 (*Extrait de* SYRIA). 24 *Planches*.

آثار غزنة ونقوشها

ازهرت في القرون الوسطى دولة اسلاميَّة في افغانستان كانت عاصمتها غزنة اشتهر اوَّل ملوكها محمود بن سبكتكين الذي اراد ان يجعل قاعدة مملكتهِ من اعظم واجمل حواضر العالم الاسلامي وقد خلَّف في غزنة آثاراً هندسيَّة عديدة تأخذ بمجامع الابصار بقي اكثرها مجهولاً فلمَّا حصلت فرنسة مؤخراً على الرخصة بمباشرة حفريات منظَّمة في تلك البلاد اسرع المهندس غودار ودقَّق النظر في آثار غزنة واخذ

صورها ورسومها فساعده على نشرها في مجلة سوريا المسيو فلوري فكتب في ذلك فصلاً شائقاً وبيّن ما في هندسة غزنة من الخواص التي تميزها عن بقيّة الآثار الاسلاميّة بتأثير الصناعتين الايرانيّة والهنديّة فيها. فنوصي كل محبي الآثار الشرقيّة بمطالعة هذه النبذة المستملحة فلا شكّ انهم سيقضون من تصاويرها العجب

PIERRE TÉQUI, Paris, rue Bonaparte, 82, Mr CHÉHAB, BEYROUTH. I. Abbé Ch. Grimaud: L'Epouse attrait du Foyer, 3e *éd.* *in*-12, 1925, *Prix* 7 *f* = II. E. Duplessis et Dr A. Marchand : Le Catéchisme vécu à Lourdes, *in*-12, 1925, *Prix* 7 *f* = III. Abbé H. Lanier: De l'abandon à Marie, *in*-32, 1925, *Prix* 1 *f* = IV. C. Gibert s. j : Les petits Chinois, In-16, 1925, Prix 1 f, 50

سيدة البيت. تعليم لورد. الاتكال على مريم. صغار الصين

هذه اربعة كتب جامعة بين الافادة واللذّة. (الاوّل) مدارهُ على وصف المرأة المسيحيّة الكاملة في بيتها ومعاملاتها مع زوجها واهلها بحيث تنال بفضائلها ان يصبح دارها كمنزل السعادة الحقيقية. فالمؤلف ينهج لها الطريق الى القداسة في حالة الزواج. (الثاني) مختصر بزار لورد الذي يقصدهُ سنويًّا الوف مؤلفة من الزوّار. وهذا الكتاب يبيّن لهم ولكلّ محبّي سيدة لورد ما يستفاد من التعاليم المحيية في ذاك المقام الجليل الذي جعلتهُ العذراء مريم كنبر ترشد منهُ الناس الى الايمان الحيّ وممارسة العيشة المسيحيّة فكأنّ ذاك المزار اصبح اليوم كخلاصة الحياة الروحيّة وكلُباب المعتقدات النصرانيّة فان ما يجري فيهِ من الكرامات والمعجزات اليومية من شأنهِ ان يميت روح الكفر ويجتذب النفس الى الصلاح والقداسة. الكتاب (الثالث) لكاهن فاضل يحرّض النفوس على الثقة بشفاعة مريم العذراء ذاكرًا سلطانها وحنانها على البشر لتمنحهم سعادة الدارين. الكتاب (الرابع) لاحد الآباء اليسوعيّين وصف فيهِ عجائب الله في قلوب الناشئة في بلاد الصين. فذكر عدّة حوادث تبيّن التغيير الذي يطرأ على حياة هؤلاء الصغار بعد اصطباغهم بمياه المعموديّة فيجدّدون الاعمال الصالحة التي تروى في سير القديسين. والكتاب من افضل ما يُطالعهُ صغار مدارسنا. وهو يحتوي عدّة تصاوير يبتهج بنظرها اولاد الشرق

ل. ش

P. Alb. Vaccari s. j: Una Bibbia per il primo Gesuita al Libano. (*Extr. MUSJ*, X, *fasc.* 2, 1925, *pp.* 28)

نسخة عربيّة من التوراة المقدّسة في مكتبة الفاتيكان

بين الخدم العديدة التي ادّاها الاب يوحنّا اليانو اليسوعيّ الكنيسة لمّا جاء الى لبنان سنة ١٥٧٨ سعيهُ الحثيث الى نقل نسخة كاملة من الاسفار المقدّسة بالعربيّة ليمثّلها بالطبع في رومية فتكون دستوراً لسائر الكنائس الشرقيّة . فهذه النسخة بقيت مصونة في خزائن الفاتيكان لم يسمح الزمان للاب اليانو بنشرها وانّما عليها كان معوّل المطران سركيس الرزي لمّا نُشرت سنة ١٦٧١ في مطبعة انتشار الايمان في رومية توراتهُ العربيّة مع النصّ اللاتيني . ومن العجب انهم في مقدّمة تلك الطبعة لم يذكروا هذه النسخة التي نقل عنها . فحضرة الاب البر فكّاري احد اساتذة مكتب الدروس الكتابيّة البابوي خصّ بدرسه النسخة التي أتى بها الاب اليانو من الشام وقابلها بالتوراة المطبوعة وبيّن فضل الاب اليانو باستنساخها . وقد وصفنا نحن مؤخّراً نسخة من التوراة محفوظة في مكتبتنا الشرقيّة تشبه كثيراً نسخة رومية تاريخها سنة ١٦٩٠ . فنشكر حضرة الاب فكّاري الذي اطلعنا على هذا الكنز الثمين

H. Goussen: Ueber eine «Sugitha» auf die Kathedrale von Edessa (Extr. du Muséon, t. 38 p. 118-136)

سوغيثا سريانيّة من كنيسة الرها

يُعرَف انّ كنيسة الرها كانت من اقدم كنائس الشرق بعد كنائس فلسطين والشام وقد بلغت في اجيال الاولى للميلاد شرفاً عظيماً برجالها وتعاليمها ومآثرها الدينيّة . وممّا اطّلع عليهِ آخراً حضرة الكاهن المستشرق الاب غويسن في خزائن كتب الفاتيكان سوغيثا (ܣܘܓܝܬܐ) اي نشيد كان يُتلى في تلك الكنيسة فنشرهُ حضرتهُ ونقلهُ الى الالمانيّة وعلّق عليهِ تعليقات تاريخيّة وطقسيّة مفيدة جدّاً لتعريف احوال الرها قبل العرب وبعد زمانهم . وقد وقع في الاصل السرياني بعض اغلاط طبعيّة في الصفحة ١١٩ س ٢ ܗܘܝ : ܗܘ = س ١٨ ܘܢܗܘܐ : ܘܢܗܘܐ = س ١٩ ܗܘܝ ܗܘܐ : ܗܘܝ ܗܘܐ

ل . ش

Le Calife Walid et le prétendu partage de la Mosquée des Omayyades à Damas par H. Lammens. *in-1, Le Caire. Extr. du Bulletin de l'Inst. Or. d'Arch. Fr., t. XXVI, pp. 21-48*

الخليفة الوليد وتقسيم الجامع الاموي

مما شاع بين مؤرخي العرب ان كنيسة مار يوحنا الكاتدرائية لما فتح المسلمون دمشق خُصَّ قسمٌ منها لدينهم وبقي القسم الآخر لاهليها النصارى . وهذا القول يردّده الكتبة دون انتقاد ومن جملتهم العلامة رينه دوسّو . على انَّ هذه الرواية قد ظهرت اليوم لكثيرين من المستشرقين انها مصنوعة فعاد اليها حضرة الاب لامنس واثبت بالشواهد الصحيحة انَّ الكنيسة الكبرى في دمشق بقيت في ايدي النصارى وحدهم الى زمن الخليفة الوليد الذي انتزعها منهم وخصّها بالدين الاسلامي بعد اصلاحها . واخصّ هذه الشواهد رواية الرحالة الاسقف أركلوف الذي وجد الكنيسة بتمامها لعبادة النصارى وذلك بعد الفتح بعدّة سنين . امّا رواية الكتبة العرب عن تقسيم الكنيسة فاحدثُ منها كثيراً والصناعة فيها ظاهرة ل . ش

كتاب خطط الشام

الجزء الثالث . تأليف محمّد كرد علي

طبع في مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥)

هو القسم الثالث من تاريخ الشام لرئيس المجمع العربي السيد كرد عليّ ينتهي به التاريخ السياسي في القطر الشامي وهو يتناول اخبار بلاد الشام في آخر الطور العثماني مدّة القرن التاسع عشر واوائل العشرين الى الحرب الكونيّة وعهد الانتداب الفرنساوي . وقد لحظنا انَّ المؤلف في هذا الجزء من كتابه اكثر اعتدالاً من القسمين السابقين . وقد اجاد بوصفه ما كانت عليه البلاد من الفوضى في آخر عهد الاتراك مصرّحاً بنزاعاتهم وظلمهم وجشعهم وسياستهم القبيحة التي كانت تحملهم على تفريق العناصر المختلفة لقهرهم جميعاً . وقد خصّ المؤلف القسم الاخير من كتابه لوصف الحوادث التي جرت بعد الحرب الكونيّة في سوريّة وفلسطين وما اجراهُ الانتداب من التنظيمات في انحاء البلاد مستنداً الى الكتابات الرسميّة . وحضرة المؤلف يبشرنا بقسم رابع يخصّهُ بالتاريخ المدني في الشام أيدهُ الله على انجازه كاملاً وافياً ه . ل

لبنان ويوسف بك كرم

تأليف الخوري اسطفان البشعلاني

طُبع بمطبعة مكتبة صادر ببيروت ١٩٢٥ (ص ٦٥٦)

ليس في لبنان منذ خمسين سنة اسمٌ تردَّد على شفاه اهل الجبل كاسم يوسف بك كرم. ولا غرو فانهُ يمثل في اعينهم رجل الفضل والاقدام والدين الذي احبَّ وطنهُ ودافع عن استقلاله. على انَّ ذكر الابطال كثيراً ما يمتزج بمزاعم وهميَّة يتناقلها العموم دون تمحيصهم لها. وها هوذا حضرة الخوري اسطفان البشعلاني قد حاول ان يبني لذلك الرجل الشهير مشيداً صادقاً استند في تشييده الى عدَّة آثار تاريخيَّة كانت متفرقة منها خطيَّة ومنها منشورة بالطبع في تآليف رسميَّة فرنسويَّة وغيرها وجد بعضها في مكتبتنا الشرقيَّة. وقد احسن بما اودعهُ في كتابهِ من التصاوير النادرة. فجاء تأليفهُ اتمَّ واوسع واصدق ما قيل عن بطل لبنان. ولعلَّ هذا الكتاب سيبعث همم غيرهِ من الباحثين ليزيدوا بعض الحوادث ايضاحاً وصدقاً. وعلى كل حال لا يسعنا إلَّا ان نثني على حضرة المؤلف لهذه الخدمة الجلَّى التي ادَّاها لطائفتهِ وللوطن. والكتاب يُباع في البلدة في مكتبة صادر او يُطلب من المؤلف ل.ش

الشذور الذهبيَّة في حياة كوكب البريَّة

تأليف الاب لويس بليبل الراهب البلدي اللبناني

طبع في مطبعة يوسف كوري بمصر ١٩٢٥ (ص ١٩٦)

لمَّا نشر حضرة الاباتي افرام الديراني كتابهُ العيشة الهنيَّة في الحياة النسكيَّة سنة ١٨٩٩ خصَّ ٢٣٠ صفحة منهُ لترجمة القديس انطونيوس الكبير مع قسائيَّة وفرائض مختلفة لاكرامه. وها هوذا حضرة الاب لويس بليبل قد عاد الى هذا الموضوع وبناهُ على معلومات جديدة استفادها من نسختين الواحدة مترجم اصلها من السريانيَّة ولعلَّها منقولة سابقاً عن اليونانيَّة. والاخرى منقولة عن الايطاليَّة الى العربيَّة بقلم حضرة الاب بولس عبُّود. وقد بقينا مرتابين في تعريف خواصّ النسختين فلا نعلم باي شيء

امتازت النسخة المنقولة عن الايطاليّة ولا نفهم ما اراد حضرته بقوله عن النسخة المنقولة عن السريانيّة انّ ناقلها اخذها عن « كتاب مخطوط بمكتبة نائب بطريرك الكلدان بالموصل عن بلّاديوس . . . الذي زار البلاد المصريّة في اواخر القرن الثالث » (كذا) فاخذنا العجب كيف امكن بلّاديوس وهو الذي عاش بعد القديس انطونيوس وتوفّي سنة ٤٢١ ان يكتب هذا الكتاب ويزور البلاد المصريّة في اواخر القرن الثالث . فلا بُدّ ان يكون وقع هناك غلط بالنقل . ولا ننكر ما اودعهُ حضرتهُ كتابه هذا من الفوائد والمعلومات إلّا اننا كنّا نحبّ ان لا تُخلَط النسخة المترجمة عن السريانيّة بالنسخة المترجمة عن الايطاليّة فضلًا عمّا مزجهُ بهما حضرتهُ من مجموعة الاب رباط التي وجدها في مكتبتنا الشرقيّة . ويا ليته راجع في اعمال القديسين للبولنديين ما كتبوهُ عن القديس انطونيوس في اليوم ١٧ من شهر كانون الثاني لكان استفاد منهُ فوائد جمّة عن سير القديس انطونيوس واصلها وفصلها

مبادئ موسيقيّة غربيّة وشرقيّة

للاب برلس الاشقر الانطونياني

طبع في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٧٢)

لا يزال الشرقيّون في حاجة ماسّة الى تعليم اصول الموسيقى . والموسيقى الشرقيّة حتى اليوم لم تُضبَط قوانينها ضبطًا تامًّا فتراها ملفوفة بتماطات الاطفال لم تبلغ القوّة الكافية المتصرّف بنغماتها . اما الغربيّة فلها اصولها الثابتة التي قلّما تنطبق مع الموسيقى الشرقيّة . وقد يسعى اليوم بعض ارباب الفنّ الى وجود طريقة تجمع بين المبادئ الغربيّة والشرقيّة وحضرة الاب برلس الاشقر ممّن يحاولون التأليف بين مبادئ الطريقتين بواسطة النوطة وهذا ما نوادُ بوضع هذا الكتاب الذي نتمنى لهُ كل رواج ل . ش

مشاهد العالم الجديد

تأليف فؤاد صرّوف

طبع في المطبعة العربية بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ١٦١)

في العالم الجديد من العجائب ما تنبهر بمشاهدتهِ اعين الشرقيين اذا عاينوها لاول

مرّة بعد خروجهم من اوطانهم . وقد اوقفنا كثيرون منهم على ما رأوه وسمعوه هناك وذكرنا قبلاً البعض من تآليفهم فيها لاسيما ما كتبهُ مواطننا الاديب المحقق الدكتور فيليب حتّي . وهذا الكتاب الجديد حريٌّ ايضاً بالذكر وهو لاحد الكتبة البارعين فؤاد افندي صرّوف فوصف كثيراً مما وقف عليهِ في رحلتهِ لزيارة البلاد وبيّن ما للتمدُّن الاميركيّ من المزايا والفضائل وما حدث لهُ في دخولهِ على اعيان اميركة وعلى المهاجرين السوريين . وقد عني بنشر هذا الكتاب يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر

كتاب منتهى الخشوع في مناجاة قلب يسوع

للاب يواكيم بلّاديوس الحلبي الراهب المارونى اللبناني

طُبع بمطبعة يوسف كوى بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ٤٠٦)

نشكر حضرة الاب لويس بليبل لنشره هذا الاثر الفريد الذي وضعهُ احد اتقياء حلب الارمني الاصل والمترهب في جملة رهبان لبنان البلديين فانَّ كتابهُ يُعرب عن تقواه وقداسة حياتهِ وهو شاهد حيّ على انتشار عبادة قلب يسوع بين اهل حلب في القرن الثامن عشر وقد قسمهُ المؤلف الى ٣١ تأملاً فيصلح لعبادة شهر قلب يسوع فتوصي بهِ كلّ النفوس الصالحة

اللاهوت الادبي للعلامة غوري ﴿ ترجمهُ الى العربيّة المطران يوحنّا حبيب نقّحهُ واضاف اليهِ ايضاحات وافية الخوري ابرهيم حرفوش (الجزء الاوّل) . قد بلغنا هذا الكتاب في آخر ساعة من طبع المشرق فنؤجل الكلام عنهُ الى عدد آخر ل . ش

شذرات

﴿ وفاة غبطة بطريرك الروم الكاثوليك ﴾ دهمنا نبأ مؤلم بوفاة غبطة السيد البطريرك ديمتريوس القاضي في ساعة كنّا احوج الى حياتهِ الثمينة وهو في حاضرة

مرّة بعد خروجهم من اوطانهم . وقد اوقفنا كثيرون منهم على ما رأوه وسمعوه هناك وذكرنا قبلاً البعض من تآليفهم فيها لاسيما ما كتبهُ مواطننا الاديب المحقق الدكتور فيليب حتّي . وهذا الكتاب الجديد حريٌّ ايضاً بالذكر وهو لاحد الكتبة البارعين فؤاد افندي صرّوف فوصف كثيراً مما وقف عليهِ في رحلتهِ لزيارة البلاد وبيّن ما للتمدُّن الاميركيّ من المزايا والفضائل وما حدث لهُ في دخولهِ على اعيان اميركة وعلى المهاجرين السوريين . وقد عني بنشر هذا الكتاب يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر

كتاب منتهى الخشوع في مناجاة قلب يسوع

للاب يواكيم بلّاديوس الحلبي الراهب المارونى اللبناني

طُبع بمطبعة يوسف كوى بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ٤٠٦)

نشكر حضرة الاب لويس بليبل لنشره هذا الاثر الفريد الذي وضعهُ احد اتقياء حلب الارمني الاصل والمترهب في جملة رهبان لبنان البلديين فانَّ كتابهُ يُعرب عن تقواه وقداسة حياتهِ وهو شاهد حيّ على انتشار عبادة قلب يسوع بين اهل حلب في القرن الثامن عشر وقد قسمهُ المؤلف الى ٣١ تأملاً فيصلح لعبادة شهر قلب يسوع فتوصي بهِ كلّ النفوس الصالحة

اللاهوت الادبي للعلامة غوري ﴿ ترجمهُ الى العربيّة المطران يوحنّا حبيب نقّحهُ واضاف اليهِ ايضاحات وافية الخوري ابرهيم حرفوش (الجزء الاوّل) . قد بلغنا هذا الكتاب في آخر ساعة من طبع المشرق فنؤجل الكلام عنهُ الى عدد آخر ل . ش

شذرات

﴿ وفاة غبطة بطريرك الروم الكاثوليك ﴾ دهمنا نبأ مؤلم بوفاة غبطة السيد البطريرك ديمتريوس القاضي في ساعة كنّا احوج الى حياتهِ الثمينة وهو في حاضرة

دمشق كملاك السلام بين الدولة المنتدبة ورعاياها المنكوبين . فما بقي لنا إلا الاسف على فقدان الراحل الجليل ومشاركة طائفته الكريمة بلوعة الحزن على ترملها طالبين من مراحمه تعالى ان يجزل جزاءهُ على العبد الامين الذي احسن في كلّ ما صنع كما قيل عن سيّده وان يقيم في القريب العاجل خلفاً اهلاً بالسلف يواصل الاعمال التي باشر بها الفقيد لمجد الله وخير الوطن

﴿معاهد جديدة لمدرسة انتشار الايمان ولمجمع البروبغندا في رومية﴾ ضاقت معاهد مدرسة انتشار الايمان عن طلبتها كما انَّ المجمع الساكن في ابنيتها تضايق من سكنى غرفها مع رُحبها . فاقتنى الكرسي الرسولي آخراً قصراً واسعاً على احدى تلال رومية المدعوّة بتلّة الجانيكول ستُنقل اليه المدرسة ويسكنهُ مجمع البروبغندا . أمّا المعاهد القديمة فتخصَّص لشؤون دينيَّة غيرها

﴿عجائب مخلوقات المياه﴾ قد أُنشئ في باريس مؤخراً في معهدها المختصّ بالفنون الجميلة حوضان كبيران ضمت فيهما ضروب الاسماك المنقولة اليهما من كل انحاء المعمور . خصّصوا الواحد منهما لاسماك الانهار ومياهُهُ حلوة والآخر لاسماك البحار ومياهُهُ مالحة . وفي كليهما اقسامٌ للاسماك المنزليَّة والحنوبيَّة تسبح في مياهٍ توافق حرارتُها اجسامها . واهل باريس يتقاطرون الى مشاهدة عجائب مخلوقات المياه التي ابدعها الخالق باجسام واجرام واشكال والوان واخلاق غريبة يقضون الساعات في مراقبة حركاتها ويقضون العجب من رؤيتها ويسبّحون خالقها الذي تشهد عظمته سكّان البحار كطيور السماء ووحوش البر

﴿سباق الطيران﴾ في ايلول الماضي أُقيم سباق دولي للطيّارين سابق فيه ٧٤ طيّارة من معظم الدول الاوربية في فرنسة . وكان تعيّن للطيّارين ان يقطعوا من محطّة بورجيه مطار فرنسة الكبير بين موقعين مسافة ١٥٠٠ كيلومتر ذهاباً و٢٠٠٠ اياباً فكان الفائز الفرنسوي لاسن (Lasne) قطع هذه المسافة باقلّ من ١٧ ساعة بمعدّل ٢١٨ كيلومتراً في الساعة . وقد عادت الطيّارات كلها سالمة

ومن عجائب الطيران انَّ طيّارين يابانيّين يُدعيان أبي وكاتشي قطعا لاوّل مرّة طريق الجو من توكيو الى باريس مارّين بكورية ومنشورية ثمَّ سيبرية وروسيّة ومنها الى برلين ثمَّ الى فرنسة حيث صار لهما استقبال غاية في البهجة والرونق

﴿الماسونيَّة في فرنسا﴾ عقدت الماسونيَّة الفرنسوية في ايلول مؤتمرها السنوي فاختارت لرئاسة محافلها العموميَّة الاخ ه. موريس مونيه احد اعضاء وزارة المعارف. فكان من جملة مقاصد ابناء الارملة توحيد ادارة المدارس في ايدي الحكومة ليختقوا كل تعليم ديني حرّ ويبثّوا في كل جهات الدولة روح العلمانية اي نفي الدين والاداب الدينيَّة فهكذا يفهم الماسون شعار الديموكراتية: حرّية . مساواة . اخاء . ومنتهى الشناعة ان يُنزع الصغار من حكم والديهم ليحصروهم شاؤوا ام أبوا في مدارسهم اللادينيَّة وينفثوا فيهم سمّ الكفر منذ حداثة سنّهم . وقد احصي حديثاً عدد المعلّمين الذين يتولّون التدريس في هذه المدارس العلمانيَّة فاذا هو يبلغ ٨٠٫٠٠٠ فاذا تكون حالة الناشئة المتخرّجة على هذه المبادئ بل ماذا تكون حالة الدولة اذا انتشروا فيها ؟

﴿كبير علماء الطبيعيَّات في اسبانية﴾ توفّي حديثاً في اسبانية الاب اليسوعي يواكيم دي برتولا (J. de Barnola) الذي كان يُعَدّ في بلاده كرئيس العلماء في الطبيعيَّات والكيميا وعلم المعادن والنبات له في كلّ فنّ مصنَّفات شاعت في المدارس وفي سائر المعاهد العلميَّة وكان يكاتب المجلات العلميَّة الكبرى وقد نظمته الجمعيات العلمية في سلك اعضائها الشرفيّين

﴿استخراج الزيت من نوى العنب﴾ اخذ بعض الكرّامين يعالجون الحبوب المستخرجة من العنب فاستخرجوا منها كميات وافرة من الزيت الطيّب . وعلى رأي الكيموي الفرنسوي موزو انّ نوى العنب في فرنسة يمكنها ان تغني الدولة بعشرين الف طن من الزيت الجيّد يساوي سعرها مئة مليون من الفرنكات . فهذه صناعة يستطيع ان ينتفع منها اهل لبنان لغنى جبلهم بالكروم

(ولي عهد دولة سكسن اليسوعي) روت مجلة الشرق والغرب في عدد اوكتبر الاخير ما حرفهُ :

سرّ امير في رهبنة يسوع من اخبار برلين ان البرنس جورج ولي عهد مملكة سكسونيا السابق نبذ في السنة الماضية افراح هذه الدنيا الفانية ومسرّاتها وانتظم في سلك الكهنوت ليقضي بقيَّة حياته في الزهد والصلاة والتقوى وآخر ما سُمع عنهُ انهُ دخل من مدّة قصيرة رهبنة الجزويت (الآباء اليسوعيين) وانهُ سيواصل اقامة علومهِ في كليَّة الآباء اليسوعيين في فلدكرخ

أسئلة واجوبة

س سئلنا ما هي اغنى بلاد العالم بناجم الذهب ؟

اغنى بلاد العالم بناجم الذهب

ج اغناها بلاد الترنسفال فانها في العام الماضي استخرجت من مناجمها ما يساوي اربعين مليوناً و٨٠٠،٠٠٠ جنيه ويأتي بعدها بلاد كندا ومحصول ذهبها ستة ملايين و٥٠٠،٠٠٠ جنيه

س سأل حنا انطون افندي ابو حمد من دمشق : ١ً أطبع كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي . ٢ً ما هي كتب تراجم الشعراء الاقدمين والمحدثين كيتيمة الدهر للثعالبي ؟

كتابُ مؤنس الوحيد للثعالبي — تراجم الشعراء

ج طبع المستشرق غوستاف فلوغل في ڤينة سنة ١٨٢٩ « مختصرات من كتاب مؤنس الوحيد » مع ترجمته الى الالمانية . امّا تراجم الشعراء فقد طُبع منها في لندن ومصر كتاب طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين لابن سلّام الجمحي . وفيهما طبع كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وطبعتا مصر مسروقتان لا خير فيهما . ومما لم يُطبع كتاب دمية القصر للباخرزي وخريدة القصر للعماد الاصفهاني ومسالك الابصار لابن فضل الله والروض النضر في ترجمة شعراء العصر لعصام الدين الموصلي

س وسأل احد عمّال الدولة التركيّة في اسطنبول أوَرَد ذكرٌ للقبعة (البرنيطة) بين ثياب العرب والاتراك ؟

القبعة على رؤوس العرب والاتراك .

ج لا شكّ انّ بعض قبائل الاتراك كانوا يجعلون على رؤوسهم قبعات كقبعات اهل الصين . امّا العرب فلا نجد ذكرًا للقبعات في آثارهم لكنّ اهل اليمن منهم في عهدنا يلبسون القبعة

ل . ش

المشرق

معرض الرسالات الكاثوليكية في الفاتيكان

بقلم الاديب يوسف افندي المدوّر

ان في اوائل شهر تموز المنصرم قد اتاح الله لي الحظّ بان اكون في جملة الزوّار الذين أمّوا رومة العظمى من مصر للتبرّك باثم راحتي الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر وللقيام بالزيارات اليوبيلية في هذه السنة المقدّسة ١٩٢٥ . فحصلنا على مبتغانا من ذلك السفر السعيد من حيث المثول بحضرة قداسة البابا في مقابلة خاصّة جاد بها قداسته وقد مكثنا في حضرته نسمع دُرر الفاظهِ ونمتّع اللحاظ بمشاهدة نائب السيد المسيح خمساً وثلاثين دقيقة

وقد اعتُني بالزوار المصريين كلّ الحفاوة اينما ذهبوا وحيثما حلّوا كما جاء في رسائل نُشرت في بعض اعداد جريدة البشير الغرّاء من هذا الصيف الماضي . وقد كان من بين الاماكن والمزارات الشهيرة التي أمّها الزوّار معرض الرسالات الكاثوليكية الواقع في جانب من حدائق الفاتيكان . ولمّا رأيتُ انّ بزيارة واحدة لا يمكن للزائر ان يقف على كل ما هناك من المعروضات ذات الاهمّية ولا يُتاح لهُ ان يُمعن النظر في تلك التحف القيّمة التي أُتي بها من اربعة اقطار المعمور لتُعرَض على الملأ اجمع وهي ألسنة مخبرة عن اعمال الرسالات الكاثوليكية في العالم اخذتُ اغتنم كل فرصة تسنح فأؤمّ المعرض وامتّع النظر بما يكون قد فاتَني مشاهدته في المرّة السابقة حتى ألممتُ بعض الالمام بما اجتمع هنالك من معروضات فنّية وعلمية وتاريخيّة ودينيّة الخ .

وقد احببت ان اشغل بعض اوقات الفراغ بتدوين ما رأت عيناي في ذلك المعرض

الفخيم وما كان لهُ من التأثير على الذهن لأقدّمهُ لحضرات قرّاء الشرق الكرام فيطّلعون بعض الاطلاع على ما هي عليه احوال الرسالات الكاثوليكية من الانتشار وما يؤدّيه رجالها المرسلون من الخدم لاسيما بين اجناس البشر المتوحّشين غير مبتغين من اعمالهم سوى خير القريب وخلاص النفوس ومجد الله الاعظم

فهلمّ معي ايها القارئ الكريم نخرج من ساحة كنيسة مار بطرس الى الجنوب فنمرّ اوّلاً تحت قنطرة فوقها ممرّ يؤدّي من الكنيسة الى خزانتها الكبرى (السكرستيا) ثم ندور حول الكنيسة متّجهين غرباً فشمالاً ، فنصل الى طريق يمتدّ طولاً مسافة تقرب من ٦٠٠ الى ٧٠٠ متر ، فنرى عن يميننا باباً عظيماً وقف عليه الحرس البابوي ذو الملابس الرائعة وقد انتضى كلّ منهم رمحه . فذاك أحد مداخل الفاتيكان المؤدّي الى متحف الصور (Pinacothèque) . امّا نحن فنتعدّاه ونسير قليلاً فيؤدّي بنا السير الى غرفة قائمة يسار الماشي ، هي غرفة تودّع فيها امتعة الزوّار وبعدها غرفة أخرى ذات مدخل ومخرج جلست فيها بعض الراهبات المرتديات ملابس بثوب ذي لون كحلي ، وقد أُنيط بهنّ قبض رسم الدخول الى المعرض واعطاء التذاكر

طوابع بريد المعرض الفاتيكاني

في هذه الغرفة تُباع ايضاً طوابع البريد التي عُمّمت للسنة المقدّسة وهي ستة اصناف زاهية الالوان جميلة الشكل . ١) الطابع ذو الخمس ليرات ايطالية بنفسجي اللون بإطار برتقالي عليه رسم البابا عند دخوله الباب المقدّس ومن ورائه موكب الكرادلة . ٢) طابع الليرة الواحدة بنفسجي اللون ايضاً لكن اطاره أزرق وقد رُسم عليه البابا بيده المطرقة واقفاً امام الباب المقدّس ليفتحه ومن حوله الكرادلة . ٣) صنف الستين سنتيماً يمثّل كاتدرائية مار بطرس بلون بنّي قاتم ودائر احمر . ٤) ذو الخمسين سنتيماً لونهُ بنّي فاتح بإطار بنفسجي وقد رُسم عليه كنيسة مار بولس البديعة . ٥) طابع الثلاثين سنتيماً عليه صورة مار يوحنا اللاتراني كله باللون البني إلّا انّ الدائرة أشدّ قتمةً من داخل الطابع . ٦) أمّا طابع العشرين سنتيماً فعليه صورة كنيسة مريم الكبرى باللون القرفي وإطار اخضر . وكل هذه الطوابع تباع

بزيادة خمسين في المائة عن سعر الطوابع الايطالية وترى الناس متألبين لشراء هذه طوابع السنة المقدّسة فمنهم من يستعملها على مراسلاته ومنهم من يحفظها تذكاراً

ها قد دفعنا رسم الدخول وقدره خمس ليرات ايطالية رسماً كاملاً وليرتين فقط لمن يحمل تذكرة الزيارة اليوبيلية فهلمّ نواصل سيرنا بضعة امتار لنبلغ الى مدخل المعرض وهو نفسه مدخل المتحف الفاتيكاني . فالى هذا يمشي الزائر يميناً امّا نحن فنتّجه الى المعرض يساراً واوّل ما يقع عليه نظرنا لوحة معلّقة كُتب عليها : قسم مكافحة الامراض السارية . فلندخلنّ ها نحن في اوّل غرفة من المعرض فيها نشاهد تأثيرات الحمى الصفراء والجذام والتيفوس

ثم نتقدّم الى الغرفة الثانية فاذا هي حافلة بالتآليف القديمة لمكافحة الحشيات مع مجموعة كبيرة من كتب عصريّة ألّفها المرسلون في الموضوع نفسه وهنا يقع النظر على فخذٍ وقدَم أُصيبا بالمرض الفيليّ وهو نوع من الجذام يجعل الجلد جامياً متقلصاً كجلد الفيل . ونُشاهد ايضاً امثلة من اذرع وسيقان من شمع تمثّل الامراض الجلديّة المنتشرة ما بين السودانيّين : حبوب وقروح ناخرة حتى العظم ورسوم تمثّل الانسان الابيض وقد علا جسمَهُ بزورٌ حمراء لا تلبث ان تتحوّل الى قروح شنعاء . واذ نشعر باشمئزاز من هذه المناظر فلننتقل الى غرفة ثالثة فنجد انفسنا امام محفوظات من ديدان وذباب وقمل وحشرات أخر ممّا له خاصية نقل الامراض وهنا نرى المكروبات مجسّمة ومكبّرة وبجانبها زجاجات محفوظ فيها انواع ديدان الامعاء . وفي جهة من هذه الغرفة يقع النظر على بعض اجزاء الجسم ممثّلة بالشمع ايضاً وقد أُصيبت بالحبّ الافرنجي فيُرى مفعول هذا الداء الوبيل قبل معالجته بالسلفرسان وكيف يبرأ المصاب وما يبقى على جسمه من آثار المرض بعد المعالجة بالدواء المذكور . والى جانب هذه الامثلة نرى امثلة لاطفال أُصيبوا بالمرض من والديهم وتمثّل لنا كيفيّة انتقال الداء بالامعاء

وان تقدّمنا الى غرفة اخرى وجدنا فيها انواعاً من الثعابين والحيات مصونة بأوعية زجاجية ثم يبلغ بنا السير الى قاعة الادوات الجراحية ومختلف العلاجات التي تُستعمل لهذه الامراض . وفي هذه الغرفة صندوق زجاجيّ عرضه ذراعان وطوله نحو ثلاثة اذرع وارتفاعه ما يقلّ عن الذراع قليلاً . في داخله تمثيل واحة انتشر فيها

المرسلون ما بين الزنوج يعالجون المرضى ويطعمون الصغار ويوزّعون القوت. والى جانب من هذا الممثّل صورة تبين لون الجسم بعد الاصابة بالهواء الاصفر فيمسي قاتماً مزرقاً محمراً. وبعد هذا نصل الى غرفة عُرض فيها أمثلة من البراغيث وبينها البرغوث الناقل للطاعون يعلو جسمه وَبَر يجعل شكله وهو مكبّر كشكل القنفد. وهنا ايضاً امثلة من الجرذان الناقلة للطاعون ثم الجُدَري بنوعيه الاصفر والاسود وهذا قد تكون نتيجتهُ العمى وتشويه الوجه والجسم مما يقشعرّ لمرآه البدن

وبعد هذا نبلغ الى غرفة الامراض السارية في المستعمرات الايطالية وفيها ايضاً نماذج من ضروب النبات الذي يستخرج منه المرسلون ادوية العلاج لتلك الادواء. ثم نتقدم فنبلغ الى غرفة امراض الاطفال فنشاهد فيها تماثيل اطفال تغطّت اجسامهم بانواع القروح واصيبت اعينهم بالرمد الصديدي. وهنا يقع النظر على تماثيل مرضى أصيبوا بالبرص فمن ارجل وايدي نخرها الداء الى اوجه مشوّهة واصابع مبتورة. وبينهم موسلون اتصلت اليهم العدوى وبدأ الداء ينخر اجسامهم فتشعر اذ ذاك بقشعريرة ونفور من هذه المناظر. فنخرج علّنا نشاهد ما هو اقلّ ارعاباً فندخل الى غرف امراض السكّر والزلال والسلّ بانواعه وهنا نرى يداً قد قبضت على عنق ثعبان فخنقتهُ وقد كُتب تحتها: يجب غلبة السلّ كما يجب قتل الافعى القتالة. ومجموع غرف هذا القسم ١٦ غرفة وقاعة قد عُرض فيها جميع صنوف الاوبئة والامراض التي يعرّض المرسلون انفسهم لاخطارها في ادائهم الخدم الروحية والزمنية للمصابين بها وفي قيامهم بالواجب الذي انتدبوا انفسهم لادائه

قسم افريقية

واذ انتهينا من قسم الامراض فلنخرج ونتجه يميننا فنبلغ الى قسم افريقية فنرى امامنا سوقاً تمتدّ يميناً ويساراً فاذا هو اولاً معرض ﴿ مرسلي الروح القدس ﴾ في افريقيا الوسطى قد عُرض فيه منسوجات هاتيك البلاد واشكال احذية وملابس واعمال نجارة وحدادة وآثار قديمة. ثم معرض ﴿الكونغو البلجيكي﴾ ومن معروضاته ملابس وامتعة بيتيّة وطنيّة حراب تروس اثمار جافّة نبات الفول السوداني والدخن والقطن ثم سن الفيل الخام (غير المصنوع) وهناك تماسيح وعصي

وقبضات ومسابح صنعت كلها من سن الفيل

ومن هنا نتقدم الى ﴿ معرض اليسوعيين ﴾ جنوبي افريقية فنشاهد فيه ريش النعام والتماسيح والحيّات المصبَّرة ونماذج البيوت المبنية من قش واشغال يدوية وتطريز نحيف وكلها من صنيع تلاميذ مدارس المرسلين وجلود حيوانات غريبة

ثم نواصل السير فنقف على معروضات الآباء ﴿ البندكتيين وكهنة القلب الاقدس وآباء سيدة الجبل بلا دنس ﴾ فنرى في اعالي هذه الامكنة رسوم الرؤساء العامّين على هذه الجمعيات ورؤساء الرسالات ومنهم اساقفة كسيادة المطران انطونيو استياني النائب الرسولي في اقليم بحر الغزال من اعالي السودان والمنسنيور ڤنياتو المدبر الرسولي في الاوغنده وقد نلتُ شرف المعرفة بهذين السيدين وهما يُحسنان العربية كاحد ابنائها . ومن بين معروضات هذه الاقسام مما يستوقف النظر انواع السلاح الابيض لزنوج تلك البلاد ومنسوجات مرصَّعة بالخرز الملوّن وبينها سنُّ فيل طولهُ متران ثم تمثيل الاماب الوطنية والرقص السوداني

ثم نتقدم واذا نحن في القطر المصري امام معروضات ﴿ الساليزيان والآباء الافريقيين الليونيين ﴾ فنشاهد الاحذية الصفراء المصرية التي يسميها الوطنيون «بالبلغة» وغيرها من مصنوعات مصر ورسوم يدوية زيتيَّة وقد رُفع بينها رسم زيارة جلالة الملك فؤاد الى مدرسة الساليزيان بالاسكندرية . ومرسلو افريقيا الليونيون قد عرضوا رسوم مراكزهم وكنائسهم التي في الدلتا المصرية وما لراهباتهم الملقبات براهبات سلطانة الرسل من المدارس والملاجئ وقد ضمّوا الى معروضاتهم المصرية آثار من ليبريا ونواحي نيجر كامتعة منزلية واشغال يدوية من سُبح وصلبان ودمى من العاج

وبعد ان ننتهي من هذا الحي ننتقل الى حي آخر فاذا نحن ما زلنا في افريقيا . الّا اننا نشاهد امامنا معروضات ﴿ اليسوعيين في مداغسكار ﴾ هنا امثلة من مساكن الوطنيين وامتعتهم المنزلية ، آلات موسيقيَّة ، منسوجات حربية ، اشغال نسائيَّة نحيفة ، طيور وتماسيح ووحوش محنّطة قطع معدنية واحجار كريمة ، انواع الخشب والحجارة الملونة ؛ الذرة السوداء والبن ؛ نموذج من كيفية عقص شعور النساء

ثم يستلفت نظرنا في قسم ﴿ البندكتيين ﴾ مشهد مقتل المطران النائب الرسولي

الاول مع اخرين وراهبتين بيد الزنوج المتوحشين في ١٤ اب سنة ١٩٠٥

ومن بعد هذا نمرّ امام معروضات ﴿ الكبوشيين في دار السلام والآباء البيض ورهبان الثالوث الاقدس والفرنسيسكان في ليبيا ومصر والحبشة والاريتريا ﴾ وكل هذه المعروضات على نمط واحد بوجه التقريب من مصنوعات يدوية واسلحة وملابس وطنيّة ورسوم وآلات موسيقيّة الخ . وبعدها نبلغ الى معرض ﴿ اليسوعيّين في مصر ﴾ فنرى فيه رسم مدرسة العائلة المقدسة ورسم قدماء التلامذة وقد كان من جملة الزوّار المصريين عدد من اولئك التلامذة فسرّوا كثيراً لدى مشاهدتهم صورهم معروضة في هذا المعرض الفخم

قسم آسية

واذا انتهينا من هذه الاقسام فلنتقدم قليلاً واذا نحن في العراق في معرض ﴿ الآباء الكرمليّين ﴾ فنرى الزوار متكأكئين يزدحمون لمشاهدة تماثيل كبيرة تمثل انواع الملابس في ما بين النهرين والعادات القوميّة كقرى الخيف والتدخين والتارجيلة والالعاب كالمنقلة والداما . وفيه يشاهد ايضاً تمثيل النساء يهتممن بامور بيوتهنّ وتربية اولادهنّ وبينهنّ من يرقدن الحبّرات وواحدة تهيّئ الطعام واخرى تربط طفلها في سريره لتنيمه . فالواقف امام هذه المشاهد يخال نفسه في بيت من بيوت سوريا وعلى منضدة في هذا البيت مراوح من ورق النخل . وقد نسجت بحيث يُقرأ في نسيجها بالعربية : يحيَ قداسة البابا . ثم التجارة وطريقة وضع البضاعة في الحوانيت . ثم الصناعة : النسج ، الخرط ، الخياطة ، الاكل في المطاعم الوطنيّة . ثم مثال من الحياة في الفلاة والمعيشة البدوية في الخباء . هنالك «جاروش» وامرأة بدوية جالسة تجرش البرغل . الحراثة بالادوات الوطنية وغزل الصوف ونسج القطن الخ

فاذا خرجنا من معرض العراق ندخل في ﴿ قسم الهند والهند الصينيّة واليابان ﴾ وهنا نرى مصنوعات مدارس المرسلين على مختلف اجناسهم : ازهار لتزيين الكنائس صُنعت من صدَف اللؤلؤ وصفحات لؤلؤية عليها رسم قداسة البابا شريط احمر كُتب عليه بقطع صدفية : السنة المقدسة بيوس الحادي عشر بالايطالية والافرنسية . باقة ازهار صناعية يحيطها ٤ امتار وقد قام بصنعها ١٠٥ تلاميذ ورفعوها تقدمة للاب

الاقدس في معرض هذه السنة . وفي معروضات رسالة الآباء الفرنسيسيين نشاهد ما بين الامثلة للعادات القومية في الدين النساء يقصنَ شعورهنَّ بشكل لطيف مستحسن فلا تملك أن تهتف معي : ربي اسألك ألا تسمح بان تتَّصل بهنَّ موضة قصّ الشعراء. وما بين معروضات اليابان بدلة قدّاس نفيسة بيضاء اللون مع توابعها صنعتها نساء الاتحاد الكاثوليكي الياباني تقدمةً لقداسة البابا

قسم اميركا واوقيانية

ثم ننتقل الى قسم جزائر الفيليبين فنجد من جملة التحف التي عرضها ﴿المرسلون اليسوعيون﴾ مائدة مستديرة من الخشب الاحمر قُطرها متران و ٧ سانتيمترات وهي قطعة واحدة مع ارجلها الاربع — ومن هنا نبلغ الى قسم ﴿الكبوشيين من بورنيو (Borneo) ومرسلي الكلمة الالهية في ستيل (Steyl)﴾ ففي هذا القسم يستوقف نظرنا انواع الفَراش المختلفة الالوان الزاهية وهي كبيرة الحجم بينها فَراش دود الحرير بحجم الوطواط ودودتهُ طول الاصبع السبَّابة وثخانتهِ فلا يتمالك الناظر الى هذه الحشرات والهوامّ الظريفة ان يهتف بتسبيح الخالق العظيم

ثم يؤدي بنا السير الى الموقف الاخير من هذا القسم وهو معرض ﴿الآباء المرتيين﴾ وهنا نرى مشهدين مؤثرين يملكان شواعرنا ألا وهما صورة استشهاد الاسقف ايبالّ بيد الكثياليين وصورة مقتل كاهنين وأخ بيد هؤلاء ايضاً وهم يشوونهم ويأكلون لحومهم . وبجانب هذا الموقف موقف آخر ليس باقلّ منه قيمة ألا وهو معرض ﴿رسالة القلبين الاقدسين﴾ في مولوكاي : تمثيل مستشفى البرص للاولاد فيه يُشاهد احد الآباء وهو الذي اشتهر بالاب داميان مصاباً بالبرص ممدّداً على سرير الموت

واذ نكون قد انتهينا من هذا الجانح وقد تعبت اقدامُنا وشعرنا بشيء من الضيق فنميل الى الراحة فنخرج واذا نحن في باحة متسعة تظللها الاشجار الباسقة فُرشت ارضها بالحصى البيضاء وقد وُضع في جوانبها مقاعد للاستراحة وهي تشرف على حدائق الفاتيكان حيث يتنزه قداسته في الساعة الخامسة من مساء كل يوم . والى جانب من هذه الباحة مقهى يجد فيه الزائرون مسمع القهوة كل انواع المشروبات والمرطبات باسعار متناسبة مع اهمية المكان

وفي ساحة المعرض ثلاثة اجراس حديدية قديمة قد علاها الصدا اثنان منها خارقان في الكبر والثالث صغير عليها رسوم صينية وثنية وقد حصل عليها المرسلون بطريق الشراء

قسم فلسطين وسورية

ها قد اخذنا قسماً من الراحة وعادت الينا قوانا فهاجت بنا عاطفة الشوق الى مشاهدة ما بقي من المعرض . فلنتقدّم شرقاً فنبلغ الى الجانح الثاني من المعرض وهو على محاذاة المتحف الفاتيكاني . فاوّل ما يقع عليه نظرنا ومتى دخلنا اسم « الارض المقدّسة » فليتصوّر القارئ الكريم ما امكنه التصوّر اي شعور واية عاطفة يستوليان علينا لدى قراءتنا اسم بلادنا ومشاهدتنا لآثارها وتماثيلها . ففي الغرفة الاولى « لرهبان الارض المقدّسة » شاهدنا في ارض الغرفة خارطة فلسطين مجسّمة بثلاثة امتار طولاً ومترين ونصف المتر عرضاً على وجه التقريب تبتدئ من بيروت شمالاً الى حدود غزّة جنوباً يعلوها لبنان وقمة صنين وجبل الشيخ يتخلّلها بحيرة دمشق والبحر الميت والاردن ثم القدس وبيت لحم وغيرهما من مدن فلسطين الكبرى وما بين مجموعة بيوت القدس يميز الناظر قبّتي كنيسة القبر المقدس . وقد وقف حذاء هذه الخارطة قسيس فرنسيسي يحسن اللغات العربية والافرنسية والايطالية والانكليزية وهو اورشليمي الاصل وبيده هراوة طويلة يشرح للزوّار مقامات هذه الخارطة مشيراً اليها بهراوته . والى الدائر على مناضد متفرّقة نماذج الكنائس الكبرى ككنيسة القديسة هيلانة في بيت لحم وكنيسة القيامة في القدس والكنيسة الجديدة التي بُنيت مؤخّراً في بستان الجثمانية والجامع الاقصى وكلها صُنعت من رقاق الخشب تمثّل تلك الكنائس داخلاً وخارجاً أتمّ تمثيل . والى الجدران خزانات تحوي انواع الملابس الوطنيّة للرجال والنساء من سراويل الجوخ والقنابيز الحريريّة والكوفيات وعقالاتها والعمائم وغيرها من الملابس التي حلّت اليوم محلّها الثياب الافرنجيّة

وهنا بعض الاقمشة من نسيج الزوق ودمشق

الغرفة الثانية للآباء الفرنسيسيين ايضاً : مخطوطات وكتب قديمة ورسائل بين سلاطين وملوك شرقيين وبعض بطاركة وبابوات بالسريانيّة والارمنية والعربية

والمنغولية والصينية وكثير غيرها من الشرقين الاقصى والادنى . ومما يستلفت النظر بينها رسالة بالكرشوني « من يوحنا الحصروني رئيس كهنة حلب ووكيل البطريرك اسطفانوس (الدويهي) الى الاب المكرَّم والحبر المفخم الرئيس فيلكس الكرملتاني» تاريخها ١١ت٢ سنة ١٦٧٨ وهي مسهبة النص دقيقة الحروف فلم يسعنا الوقت لمطالعتها. ثم رسالة اخرى بالكرشوني ايضاً « من البطريرك اغناطيوس اندراوس بطريرك السريان الى رئيس الكرمليين المطاع» ١٦٧٣ . هذا خلا ما هناك من رسوم الاديار والكنائس التي انشأها ابناء مار فرنسيس في فلسطين والآثار الدينية التي قاموا على حراستها

الغرفة الثالثة في اعلى الجدران صور استشهاد المرسلين بيد الاتراك وهي ألسنة ناطقة بما كان ينال اولئك رُسل الرحمة من التعذيب كالحرق وبَثر الايدي والصلب وضرب الاعناق بالفؤوس . وفي خزائن على اسفل الجدران وفي وسط الغرفة جُمعت ملابس اولئك الشهداء وآنية التقديس التي كانوا يستعملونها مع بعض رسائل كانوا قد تبادلوها مع رؤسائهم واخوانهم

الغرفة الرابعة — عُرض فيها امثلة من اجناس البشر التي هاجرت الى الاوقيانوسية مع تواريخ هجرتهم وعددهم في اوّل عهدهم

الغرفة الخامسة — فيها « الكبوشيين واليسوعيين ورهبان الفادي والمريميين ورهبان سيدة الجبل بلا دنس والفرنسيسيين من اميركا وكندا والفينية » نماذج مصنوعات وتحف وملابس ومنسوجات وحيوانات مصبَّرة وآثار وتماثيل اصناف البشر الذين يبشرونهم بالانجيل ما لا يحيط به وصف واصف

الغرفة السادسة — هي معرض الخرائط الجغرافية منها ما هي مجسَّمة ومنها ما هي مرسومة رسماً تدلّ المتأمل على انتشار المرسلين في العالم بين جميع أجناس البشر . وهنا ننتهي من هذا الجناح فنسير يسارنا في ممشى متسع يؤدّي بنا الى الجناح الآخر

ففي المدخل معروضات تختصّ « بالآباء الدومنيكان » ومن بعدهم غرفة كبرى فيها تُحف خاصّة « بالساليزيان والكبوشيين والفرنسيسيين » ايضاً وفي وسط هذه الغرفة تمثال عظيم المكرَّم دون يوحنا بوسكو صاحب جمعيّة الساليزيان وحوله الاولاد يلتمسون الإغاثة . وهنا تمثيل قرية انتشرت فيها راهبات سيدة المعونة يعلّمنَ ويهذّبنَ ويزرعنَ بذور الكلمة الالهية ويوزعنَ الصدقات والعلاجات وعلى رفّ عالٍ

يرى الزائر انعى هائلة مصبَّرة محيط جسمها ٧٠ سنتيمترًا والى جانبها اصناف الوحوش الاميركية وبعض السلاحف الضخمة يحفظها التحنيط ثمَّ قطعاً معدنية غشيمة ذات الوان زاهية وانواع الذرة العجيبة الحجم واللون ومنها نوعٌ اسود اللون ثم اصناف الاسلحة النارية والبيضاء والقوس والسهم التي يستعملها سكان هاتيك البلاد القاصية ثم الرسوم اليدويَّة من صنع تلامذة مدرسة السالزيان وامثلة من خطوطهم الافرنجيَّة ودفاتر فروضهم واشغال البنات التطريزيَّة . وبينا نحن منهمكون بامعان النظر بما امامنا اذا بنا نلتفت الى الوراء فنرى قبيلة من الحُمر رجالًا ونساء جلس بينهم كاهن فرنسيسي يعلمهم التعليم المسيحي وقد اراهم الصليب فقبَّل احدهم فاه إمَّا اندهاشاً واما اعجاباً

واذ ننتقل من هذا القسم نبلغ الى وطننا المحبوب ﴿ سوريَّا ولبنان ﴾ . ها نحن امام معروضات ﴿ راهبات القديس يوسف وراهبات الناصرة ﴾ فنشاهد فيها رسوماً وتصاوير وتخاريم وتطريزات وملابس وطنية للاطفال . ثم نتقدَّم الى حيث نرى كتباً مفتوحة من سريانيَّة وعربيَّة وافرنجيَّة وارمنيَّة الخ وبذا ما مطبوعات المطبعة الكاثوليكيَّة من الآباء اليسوعيين في بيروت ﴿ يعلوها رسم كنيسة القديس يوسف وبجانبها الشعار البابوي طرزًا بخيوط الذهب والفضة بانامل ﴿ راهبات القلبين الاقدسين ﴾ . وهنا رسوم اخرى لابناء الاخويات التي بادارة اليسوعيين وصور اديار عديدة كدير غزير وزحلة وبكفيا وغيرها ولاسيما صور المكتب الطبي الفرنسوي

وبينا نحن منشغلون بمشاهدة بعض آثار تذكرنا الوطن المحبوب اذا بنا نرى جمعاً من الزائرين تألَّبوا حول صورة وعلى وجوه بعضهم امارات الدهشة والنفور واذا هي صورة « لبنان في حالة حبور » كما كُتب تحتها . لان تلك الصورة تمثل شبان اللبنانيين يرتدون الملابس العربيَّة والوطنيَّة والمدَّات في اوساطهم والخناجر مستلَّة في ايديهم والسيوف منتضاة في ايدي الآخرين والبنادق في اكتاف بعضهم وقد تمنطقوا بحزامات محشوَّة نشكاً وهم واقفون والاقداح في ايديهم والخمَّار يصبُّ لهم النبيذ وبعضهم يكرع كوبه . وعلى رأينا انهُ كان يمكن الاستغناء عن هذه الصورة وابدالها من غيرها ممَّا يمثل الصانع او الفلَّاح او رسوم اجتماعات في الاعراس اللبنانيَّة او الرقص اللبناني اللطيف ؟

وهنا ترى الافرنج يقفون معجبين بالاركيلة وخرطومها (زبيجها) الطويل ذي الخيوط الذهبية وبعضهم يسأل كيفيَّة استعمالها . والى الامام ترى الادوات النحاسيَّة المنقوشة والمخرّمة وتشاهد العود والقانون والدفّ والارغن القصبي وغيرها من آلات الموسيقى السورية . وفي وسط هذه المعروضات صورة دراويش متن يلبسون على رؤوسهم لبّادة طويلة وهم يرقصون رقصاً لطيفاً جامعاً بين الفنّ والادب . (قلنا) اين هذا من «افراح لبنان» المعروضة هنا !

وفي قسم ﴿الكبوشيّين﴾ في بيروت مصنوعات ايتام لبنان : كراسي مخرّمة ومنقوشة ومطعّمة بالصدف ينعم مرآها القلب سروراً . وفي قسم ﴿الكرمليّين الحفاة﴾ بدلات للقدّاس من صنع راهبات الزيارة في الزوق ونحاس منقوش نقشاً بديعاً من صنّاع الاسكندرونة وكاسات لصاغة لبنانيين . وهنا ارزة مطرزة تطريزاً جميلاً فاي لبناني يمرّ امامها ولا يقف لحظة يحيّي فيها رمز وطنه المفدّى ؟؟

ومن بين معروضات ﴿ جزائر الارخبيل ﴾ يستلفت النظر صورة القديس يوحنا العمدان والاوّل وهلة يخيل للناظر انها صورة زيتيَّة ولكنهُ اذا دنا منها وجدها مصنوعة بطوابع البوسطة على مختلف الوانها واشكالها فلا يلبث ان يهتف : لا شلّت يد صانعك !

وبعدها نواصل السير فنبلغ الى اقسام ﴿آسية الداخليَّة﴾ فنشاهد ما يقف عنده النظر : مثالاً لمشغل ومدرسة مار يوسف مع مدخلها والحوش امامها والكنيسة تعلوها قبَّة بديعة الصنع كل ذلك مصنوع من العاج يأخذ جماله بمجامع القلوب وتمثالاً فخيماً للقديس فرنسيس كسافاريوس

وفي معرض ﴿الدومنيكان لرسالة الهند الصينيَّة﴾ هيكل من الخشب الاسمر ولعله من جوز ذو ثلاثة مراكز لثلاثة تماثيل فيه تخاريم ونقوش فنيَّة نحيفة يحار فيها النظر . وامام هذا الهيكل انسجة حريريَّة حمراء مطرّزة تطريزاً شائعاً في تلك الاصقاع وادوات خشبيَّة مطعّمة بالصدف الملوّن يختلف كثيراً عما هو معروف في الشام . وفي هذه الغرفة رسوم طوباويين من هاتيك البلاد وقد كتب تحتها : الكهنة الوطنيّون يُكرَمون على المذابح وعددهم ٢٥ منهم : ١ أنّاميين و ١٥ تنكينيّاً و ٤ صينيين قُتلوا شهداء ايمانهم وأعلنت الكنيسة تطويب بعضهم في سنة ١٩٠٠ والآخرين في

سنة ١٩٠٩

واذ نصل الى المشى الاخير نشاهد بين معروضات ﴿ تنكين الوسطى ﴾ عرشاً فخيماً حمل تمثال العذراء في زياحاتها بنقوش وتخاريم مذهبة ومرصعة بالالوان ثم جبالاً واودية مجسمة تتخللها القرى مع كنائسها وهياكل خشبية ملونة ثم آلات للسري ووسائل النقل ، سفناً بحرية ، مستشفيات ، قاعات استقبال صينية ، نباتات مجففة وهي حافظة لبهائها ورونقها

وعند الساعة السادسة مساء يقرع الجرس اعلاناً للزائرين بأن وقت اقفال المعرض قد ازف لانهُ لا يفتح ليلاً فيبدأون يخرجون زرافات ووحداناً . فاذا بلغ الزائر الى الساحة المتوسطة بين جانحي المعرض والمؤدية الى الباب الخارجي يقف مبهوتاً لمشهد مؤثر : هناك كوخ حقير فيه أمٌ مع طفليها فالامُ ماتت جوعاً وبقي الطفلان حيَّين يتململان على جثتها وهجمت الضباع على الكوخ تبحث عن فريسة لها . . واذا براهبة من راهبات المحبة ولجت الكوخ وحملت الولدين فنجتهما من انياب الوحوش وذهبت بهما الى حيث تجعلهما في حمى من كل خطر ! . . .

هذا ما بقي ذكره في الذهن وما يهمّ الخبر عنهُ فضلاً عما هنالك من المعروضات الدقيقة التي يقتضي الكلام عنها مجلد ضخم فلنكتفِ بما ذُكر

وهكذا ننتهي من زيارتنا لاول معرض من هذا النوع ممجدين الله تعالى على ما اولاه لخدامه المرسلين من الوسائل المسهلة للعمل فقاموا الى خدمته عزَّ اسمه مجرَّدين من الاهل والاوطان سعياً وراء الانفس الضالة : اذ لولا الرسالات الكاثوليكيَّة وتجرُّد المرسلين لكان عدد الكافرين بالحق سبحانه اضعافاً مضاعفة

فلندعُ للرسالات الكاثوليكيَّة بالنجاح وزيادة الانتشار فيُذاع اسمه تعالى بين كل الامم ويُضحي العالم اجمع رعيَّة واحدةً لراعٍ واحد !

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٩ امين الدولة العلاء بن موصلايا

﴿اسمهُ وزمانهُ﴾ قال عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris, 3326): «هو امين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا» وفي نسخة ليدن (Ms de Leide, 881, p. 41) وفي تراجم ابن خلكان (ص٥٤٥ طبعة باريس) انهُ يكنى ابا سعيد العلاء بن الحسين. وضبط ابنُ خلكان اسمهُ وصلايا بضم الميم وسكون الواو وفتح الضاد قال: «وهو من اسماء النصارى». كان منشأه بغداد فدعاه ابن سكان الكاتب البغدادي «امين دار الخلافة». انَّ اسم جدّه يدلّ على انَّ اصلهم من الموصل

اما زمانهُ فانهُ عاش في القرن الخامس للهجرة كانت وفاتهُ في ١٣ ربيع الاول سنة ٤٩٧ (اواسط كانون الثاني ١١٠٤م) كما روى الاصفهاني في خريدة القصر وابن الاثير في الكامل. امّا ابن خلكان فجعل وفاتهُ في تاسع عشر من جمادى الاولى من السنة ويروى ثامن عشر جمادى

وجاء في نكت العميان للشيخ خليل بن ايبك الصفدي (مكتبة بايزيد في الاستانة نمرة ١٦٣) انهُ ولد سنة ٤١٢ (١٠٢١م) فيكون عاش ٨٥ سنةً

﴿دينهُ﴾ ولد امين الدولة نصرانيًا وعاش نصرانيًا في خدمة الخلفاء الى السنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م) فاسلم. أمّا اسلامهُ فلم يكن عن اقناع واختيار بل عن كره واضطرار كما روى ابن تغري بردي في تاريخ سنة ٤٨٤ (ed. Popper, III, 287) قال:

«فيها في صفر كتب الوزير ابو شجاع (محمَّد بن الحسين الرُّوذْراوَري) الى الخليفة (المقتدي بالله) يعرّفه باستطالة اهل الذمّة على المسلمين (كذا) وانَّ الواجب تمييزهم عنهم. فامر الخليفة ان يفعل ما يراهُ. فألزمهم الوزير لبس الغيار والزنانير وتعليق الدراهم الرصاص في اعناقهم

مكتوب «علي الدراهم» وتُعمَل هذه الدراهم ايضاً في اعناق نسائهم في الحمّامات ليُعرَفن بها وان يَلبَسنَ الخفاف فرداً اسود وفرداً احمر وجلجلاً في ارجلهنّ فدانوا وانقسموا بذلك وأسلم حينئذٍ ابو سعد ابن المُوصَلايا كاتب الانشاء للخليفة وابن اخيه ابو نصر هبة الله »

فترى التساهل المزعوم الذي يدّعيه بعض الكتبة للخلفاء وكيف أكره على جحود دينهم كثيرون من النصارى وفي جملتهم ابن الموصلايا أفيحقّ لنا ان ننظمهُ في سلك الاسلام وان دان بهِ ظاهرًا في السنين الاخيرة من حياتهِ ؟

﴿ أخبارهُ ﴾ كان ابن موصلايا من نصارى بغداد المنتمين الى البدعة النسطوريّة ورد ذكرهُ في تاريخ المجدل لابن ماري النسطوري (١٢٢ و١٣٣). واصل اسرتهِ من الموصل كما يدلّ عليهِ اسمهُ تخرَّج بالآداب على اهل نحلتهِ ثمَّ دخل في ديوان الانشاء في خدمة الخلفاء. قال الصفدي في كتابهِ نكت الهميان في نُكت العميان (عن نسخة الاستانة اطلب طبعتهُ الجديدة (ص ٢٠١—٢٠٢) :

« كان (ابن موصلايا) يتولّى ديوان الرسائل منذ ايّام القائم (بامر الله) وناب في الوزارة وأضرَّ آخر عمرهِ وكانت خدمتهُ خمساً وستين سنة كل يوم منها يزيد جاههُ وناب في الوزارة ولمّا أضرَّ كان ابن اخيهِ هبة الله بن الحسن يكتب الانشاءات عنهُ . وكان كثير الصدقة والخير . ومولدهُ سنة ٤١٢ وتوفي سنة ٤٩٧ ثامن عشر جمادى الاولى . وكان الخليفة قد لقّبهُ امين الدولة . قال محمد بن عبد الملك الهمداني (ويروى الهمذاني) ومن قرأ علم السِّير علِمَ انَّ الخليفة والملوك لم يقفوا باحدٍ ثقتهم بامين الدولة ولا صحبهم احد نصحهُ »

وقال عماد الدين الاصفهاني في خريدة القصر :

« ولم يزل امين الدولة موقَّرًا موفَّر الحرمة بنوب عن الوزارة المقتدية والمستظهرية حتى قال عميد الدولة للمستظهر عنهُ وعن ابن اخيهِ : هما يمينا الدولة وابيناها لا يُبرَم دونهما امرٌ . وكان كثير الصدقة والصلة ذُكر عنهُ انهُ فرَّق في يوم من ايام الغلاء (ويروى : في أيّام قليلة) ثلاثين الف رطل خبزًا »

وقال ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٧ انَّ امين الدولة توفي فجأة وانهُ « كان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النيّة ووقف املاكهُ على ابواب البرّ »

(قلنا) فكان جزاؤهُ على هذا الفضل العميم ان أرغموهُ على جحود دينهِ . فتأمّل

﴿ آدابهُ وشعرهُ ﴾ غنيٌّ عن البيان ان رجلاً تولّى ديوان الانشاء للخلفاء مدّة خمساً وستين سنة بلغ من الآداب مبلغاً عظيماً . قال عماد الدين الاصفهاني يصف

كتابتهُ ويطري حسن انشائهِ :

« كان امين الدولة بليغ الانشاء سديد الآراء رسائلهُ تعبّر عن فضلهِ ووفور علمهِ . وكان شعرهُ احسن من نظمهِ لتمرُّنهِ عليهِ وانقطاعهِ اليهِ . حتى انَّ لهُ مقاطعات مستعذبة اراها احلى من الأري وأزين من الحلي وهي في اسلوب شعر الكتّاب بعيدة عن التكلُّف في الصنعة ، ارقّ معنى من الدمعة ، واعذب لفظاً [لمتكلّم] مستبشر الطلعة »

امَّا ابن تغري بردي فقد وصفهُ في تاريخهِ (٣: ٣٤٥) بالمترسّل والشاعر المُجيد . وقد خلَّف ابن موصلايا كتاباً في الترسُّل ذكرهُ القلقشندي في صبح الاعشى (١٣ : ٢٧٢) . امَّا شعرهُ فدونك ما جمعنا منهُ نقلاً عن كتاب خريدة القصر لعماد الدين وعن نكت العميان لخليل بن ايبك الصفدي وعن تاريخ ابن تغري بردي . فمنهُ (من الخفيف) :

يا خليليَّ خلّياني ووَجدي فكلامُ العذول(١ ما ليس يجدي
وَدِّعاني فقد دعاني الى الحُكم م غريمُ الغرامة اللّتي عندي (٢
فعساهُ يرقُّ اذ مَسَّ الرقَّ م بنقدٍ من وعدهِ او بوعدِ
ثمَّ مَنْ ذا يُجير منهُ اذا جا رَ ومَنْ ذا على تعدّيهِ يُعدي

وقال في وصف المدامة (من الطويل) :

وكأسٍ كساها الحُسنُ ثوبَ ملاءةٍ فحازَتْ ضياءً مُشرقاً يُشبه الشمسا
اضاءت على كفّ المُدير وما درى وقد دَجَتِ الظلماءُ أَصبَحَ ام أَمسى

ومن شعرهِ ايضاً (من السريع) :

يا هندُ رِقّي لفتًى مُدنِفٍ يَحسُنُ فيهِ طلبُ الأَجرِ
يرعى نجومَ الليل حتى يرى حَلَّ عُراها بيدِ الفَجرِ

١) ويروى : فلام العذول
٢) ويروى : غريم الغرام الذي عندي . واللّتِ بدل اللتي لضرورة الوزن

ضاق نطاقُ الصبر عن قلبهِ عنـد اتّساع الخرق في الهجر

وهو القائل (من الوافر) :

اقول للائمي في حبّ ليلى وقـد ساوى نهـارُ منهُ ليلا
أقِـلَّ فما أقامتْ قطُّ أرضٌ محبًّا جرّ في الهجران ذَيلا

وقال في الشوق ووصف الخمرة (من الطويل) :

أحِنُّ الى روض التّصابي وأرتاحُ وأمتحُ من حوض التصافي وامتاحُ
واشتاقُ رِئمًا كلّما رُمتُ صيدَهُ تَصُدُّ يدي(١ عنهُ سيوفٌ وارماحُ
غزالٌ اذا ما لاح او فاح نشرُهُ تُعذّبُ ارواحٌ وتَعذُبُ ارواحُ
بنفس وان عزّتْ واهليَ اهلُهُ لها غُررٌ في الحُسن تَبدو وأوضاحُ
نجومٌ اعاروا النورَ للبدر عندما اغاروا على برب الملاحة واجتاحوا
فتتّضحُ الأعذارُ فيهم اذا بدَوا ويفتضحُ الاخوان(٢ فيهم اذا لاحوا
وكَرْخيّةٍ عذراء يُعذرُ حبُّها ومن زندها في الدهر تُقدَحُ افراحُ(٣
اذا جُليَتْ في الكأس والليلُ ما انجلى تقابلَ إصباحٌ لديكِ ومِصباحُ
يطوفُ بها ساقٍ لسُوق جَمالهِ تَفاقُ لإفسادِ الهوى فيهِ إصلاحُ
بهِ عجمةٌ(٤ في اللفظ تُثري بوصلهِ وان كان منهُ في القطيعة إفصاحُ
وغُرّتهُ صبحٌ وضُرّتهُ دُجى ومَلبَسُهُ دُرٌّ وريقتهُ راحُ

١) ويروى : تَصدّى يُرى
٢) ويروى : ويفتضحُ اللاحون
٣) ويروى : يندرُ . . . ومن دَنّها . . تُقدح اقداح . واراد بالكرخ خمر كَرْخ بغداد .
٤) ويروى : لهُ عجمةٌ

أباح دمي مذ بُحتُ في الحبّ باسمهِ وبالشَّجْو من قبلي المحبُّون قد باحوا
وأوعدَني بالسوء ظلماً ولم يكن لإشكال ما يُفضي الى الضَّيم ايضاحُ
وكيف اخافُ الضيم او احذرُ الرَّدى وغوثي على الايام أبلجُ وَضَّاحُ
وظلَّ نظام الملك للكفر جابرٌ وللضرّ منَّاعٌ وللخير منَّاحُ

وله ايضاً (من الطويل):

واني لَصَبٌّ بالصبا مذ غداتها هبوبٌ بهاتيك الخيام يجولُ
ومن عجَبٍ ان أبتغي من نسيمها شفاء عليلٍ والنسيمُ عليلُ

وله في خريدة القصر من نسخة ليدن ابياتٌ اخرى منها داليةٌ بديعة لم يسمح لنا الزمان بنسخها. امّا ترسُّلهُ فقد ورد منهُ مثال في تاريخ المجدل لابن ماري (ص ١٢٣ – ١٣٥) وذلك نسخةٌ من انشاء عهد كتبهُ باسم الخليفة القائم بامر الله لجاثليق [illegible] الفطرك عبديشوع نذكر منهُ بعض فقراته كمثال من انشاء ابن الموصلايا.

بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله وحده

«هذا كتابٌ امر بكتبتهِ عبدالله ابوجعفر الامام القائم بامر الله تعالى «اعتضادي بالله» لعبد يشوع الجاثليق الفطرك. امّا بعد فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ، القديم لا عن وجود زمان، الذي تحسّرت صيغة الاوهام عن ادراكهِ، وتضلّلت صفة الافهام عن بلوغ يدى (مدى) صفاتهِ... ليس كمثلهِ شيء وهو السميع البصير»

الى ان قال:

«الحمد لله الذي استخلص امير المؤمنين من ازكى السدرجة والارومة واحلّت (واحلّهُ) من عزّ الامانة ذروةً من المجد منيعةً غير مرود (غير مَرُومة)، ...

«ولمّا أنهي الى حضرة امير المؤمنين تمييزك من نظراتك، وتحليك من السداد بما يستوجبُ معهُ من امثالك البالغة في وصفك واطرائك، وتخصُّصك بالانحاء التي فُتَّ

فيها ساو (شأو) اقرانك ، وأفدتَ بها ما قصّر معهُ مُساجلُك من ابناء جنسك ان يعدلك في ميزانك، وما عليك(عليه) نِحلتُك من حاجتهم الى جاثليق كافل بامورهم ، كافٍ في سياسة جمهورهم ... فلم يصادفوا من هو بالرئاسة عليهم احقّ واحرى ، وللشروط الموجبة للمقدَّم فيهم اجمع واحرى ، وعن اموال وقوفهم اعفّ واورع ، ومن نفسه لداعي التحرّي فيها أتبع ومنك اطوع ، فأصاروك لهم راعياً ، ولتشييد نظامهم ملاحظاً واعياً ، وسألوا إمضاء نصبك عليهم ... فرأى امير المؤمنين الاجابة الى ما وجّهتْ اليه فيه الرغبة ... مقتدياً فيما اسداهُ اليك ، واسناهُ من انعامه لديك ، بافعال الائمة الماضين والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، مع امثالك من الجاثلقة الذين سبقوا ، وفي مقامك اتّسقوا ، واوعز ترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى في مدينة السلام والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طُرّاً ولكل من تحويه ديارُ الاسلام من هاتين الطائفتين .... وان يُمضي تثقيفك لهم وأمرُك فيهم اسوةً بما جرى الامر عليه من كان قبلك بينهم ... فقابِلْ نعمة امير المؤمنين عندك بما يستوجب من شكر يبلغ فيه المدى الاقصى .... عُرض هذا المنشور بحضرة سيّدنا ومولانا الامام القائم بامر الله امير المؤمنين اعزّ الله انصارَهُ وضاعف اقتدارَهُ ، وأنفذَهُ وامضاهُ ، وشرّفهُ بالعلامة الطاهرة على اعلاهُ ، فليُعتمَد وليُعمل بحسبه ومقتضاهُ ، ان شاء الله

٢٠ ابو نصر بن موصلايا

﴿ اسمهُ وزمانهُ ﴾ هو تاج الرؤساء ابو نصر هبة الله ابن صاحب الخير حسن ابن عليّ ابن اخت امين الدولة السابق ذكرهُ . كان مولدهُ سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦م) وتوفي على ما رواهُ عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وابن خلكان في تراجمه (ص ٥٤٥) في عشيّة الاثنين حادي عشر جمادى الاولى سنة ٤٩٨ ببغداد (اوائل شباط ١١٠٥) ولهُ سبعون سنة وبين موته وموت خاله سنة إلّا عشرة أيام (هلاليّة)

﴿ دينهُ ﴾ كان ابو نصر كخاله امين الدولة نصرانياً من النحلة النسطوريّة وبقي على نصرانيّته الى السنة ٥٦ من عمره فأسلم مكروهاً مع خاله كما مرّ . قال

الشيخ خليل بن ايبك الصفدي: « لما رسم الخليفة المقتدي في رابع صفر سنة ٤٨٤ إلزام اهل الذمّة الغيارَ والتزام ما شرطهُ عليهم عمر بن الخطّاب (١ فهربوا كلّ مهرب واسلم ابو غالب الاصباغي وابن موصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن اختـه ابن صاحب الخير على يد الخليفة »

﴿ آدابهُ واخبارهُ ﴾ قال عماد الدولة الاصبهاني :

ربّى ابا نصر خالهُ فكتب بين يديهِ في ديوان الانشاء في الايام القائميّة والمقتديّة والمستظهرية واسلم مع خالهِ على يد الامام المقتدي . وكان لما أضرَّ خالهُ يكتب عنهُ ما جرت بهِ العادة من الإنهاءات . فلما توفي خالهُ ردَّ ديوان الانشاء اليهِ في الايّام المستظهريّة . وخرج في الرسالة الى السلاطين مرارًا . وعاد من الرسالة الى بركيارق (٢ بعد موتهِ الى بغداد . . . وكان لا يقاربهُ احد في الانشاء والعبارة ولم يكتب كتابًا قطّ فرجع فيه الى مبيضّهِ »

وقد ذكرهُ ابن تغري بردي (٣ : ٣٠٤) بعـد ذكرهِ فتح الفرنج لانطاكية وانتصارهم على جيش الامراء المسلمين قال:

« كتب دقاق ورضوان (٣ والامراء الى الخليفة المستظهر العبّاسي يستظهرونهم . فاخرج الخليفة ابا نصر بن الموصلايا الى اخيهِ بركيارق ابن السلطان ملكشاه السلجوقيّ يستنجدهُ »

وقد ذكرهُ ابن الاثير في الكامل في ربيع سنة ٤٩٥ (١١٠٢ م)

« في هذه السنة في ربيع الاول (٢ ١١٠١ م) خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابن سعد بن موصلايا الى الخليفة السيفيّة مستجيرًا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعزّ وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليهِ انهُ هو الذي يُميل جانب الخليفة الى سلطان محمد . فسار خائفًا واعتزل خالهُ امينُ الدولة الديوان وجلس في دارهِ . فلما قُتل الوزير الاعزّ على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلّة الى بغداد وعاد خالهُ الى منصبهِ »

وقال في تاريخ سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م)

« ولمّا مات امين الدولة خُلع على ابن اختهِ ابي نصر ولُقّب نظام الحضرتين وقُلّد ديوان الانشاء »

وقال في تاريخ ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م)

« وفيها توفي ابو نصر ابن اخت ابن الموصلايا وكان كاتبًا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره

---

١) ما يُنسب هنا لعُمَر في الزام اهل الذمّة الغيار لا يثبتهُ التاريخ الصحيح

٢) بركيارق ومحمّد هما ابنا السلطان ملكشاه السلجوقي الذي استولى على بغداد فتنازع الملك بعدهُ ولداهُ ٣) كان دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب

سبعين سنة . ولم يخلف وارثاً لانه اسلم واهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل الا انه كان كثير الصدقة »

ووصفهُ ابن خلكان في ترجمة خاله قال :

«كان تاج الرؤساء ابو نصر فاضلاً له معرفة بالادب والبلاغة والخط الحسن وكان ذا رسائل جيدة وهي مدونة ايضاً ومشهورة »

﴿ شعره ﴾ روى لهُ عماد الدين الاصبهاني شعراً (Ms de Leide 881, p. 45-46) قال ملغزاً في الخاتم (من الوافر) :

ومنكوحٍ اذا ملكتهُ كفٌّ وليس يكون في هذا مراءْ
لهُ عين تخالها (١ ضياءْ فان كُحلت فبالميل العماءْ
وقد اوضحتهُ وأبنتُ عنهُ ففسّرهُ فقد برح الخفاءْ

ولهُ في داليّة الماء (اي الناعورة) (من السريع) :

ومَيتةٍ فيها حراكٌ اذا قامت على منبرها خاطبهْ
ساعيةٌ في غير منفوعها فهي اذا عاملةٌ ناصبهْ
ان وُطئت تحيل من وقتها حين تُرى مجذوبةً جاذبهْ
تمدّ غرثاها بريٍّ اذا اضحت بروق للحيا كاذبهْ (٢

هذا ما امكننا الحصول عليهِ من اخبار ابنَي موصلايا . وقد ورد ذكر كاتب آخر بهذا الاسم وهو « ابو علي بن الموصلايا » جاء ذكرهُ في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة قال عنهُ (١ : ٣٢٠) انهُ كان كاتباً للوزير ابي قاسم المغربي . وذكرهُ ابن بطلان في رحلتهِ التي روينا منها قسماً انَّ من جملة المتوفين بالطاعون في اواسط القرن

١) ويروى : تخالها

٢) قال في شرحها اي انها اذا قامت على حائطها صارت ذات حركة واذ وُطئت بالارجل تحمل من وقتها بالماء وتلاقدما الحبال المعلقة بها

الخامس للهجرة كان ابو علي بن الموصلايا من متقدمي علوم الادب والكتابة . فيكون سبق عهد امين الدولة وتاج الرؤساء وهو من اسرتهما في بغداد

٢١–٢٢ ابو غالب وابو طاهر ابنا الاصباغي

﴿ اخبارهما ودينهما ﴾ هما اخوان نصرانيان من كتبة ديوان الانشاء للخلفاء كانا معاصرَين لابنَي الموصلايا اضطُرّا مثلهما الى الإسلام لينجوا من تذليل النصارى كما مرَّ سابقاً . أمّا اخبارهما فلم نجدها في غير خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني نقلناها عن نُسَخ لندن (British Museum, Ms. 1096, ff. 40-46) وباريس (Paris, Ms. 3326, f. 7) وليدن (Leide, Ms. 881, p. 46-49) قال الاصفهاني عن ابي غالب :

«هو تاج الرؤساء ابو غالب بن الاصباغي الكاتب كتب بديوان الذمام (١ في حدث الايام المستظهرية وناب عن ديوان الذمام في ايام المقتفي . وله تصانيف في علم الكتابة . وسماه الحساب وكتّاب العراق يكتبون الحساب على طريقته . وأسلم في مدرسة [illegible] (١٠٩١) قبل اسلام ابني موصلايا بيوم حيث خرج الشريف بدرام امر الذمة اليهار وكان من بركات ذلك اسلامهم (كذا)»

وقال عن ابي طاهر : «ابو طاهر بن الاصباغي اخوهُ كان يخدم عفيفاً القائمي (٢ وانصرف عن خدمته فبلغهُ انهُ تهدّدهُ وكان عفيف قد بنى داراً وانفق على سقفها في التذهيب اكثر من خمسة آلاف دينار فعمل فيه ابو طاهر ابياتاً غاظتهُ فتهدّد ابا طاهر . ولم يذكر العماد إسلام ابي طاهر

﴿ شعرهما ﴾ روى العماد الاصفهاني لابي غالب قولهُ يصف الخمرة وفعلها في شاربها (من الكامل) :

عقرَتهمُ معقورةٌ لو سالَمتْ شُرّابَها ما سُمِّيَتْ بعُقارِ
ذكرت طوائلَها القديمةَ اذ غدَتْ صَرْعَى تُدارُ بأرجُل العصّارِ

١) روى في احدى النسخ : ديوان الزمام وفي نسخة اخرى : ديوان الرمام بالراي
٢) يريد احد الامراء الذين في خدمة القائم بامر الله الخليفة العباسي

لانتَ لهم حتى انتشَوْا وتمكَّنتْ منهم فصاحَتْ فيهم بأثارِ

وقال ملغزاً في القمر (من السريع) :

مُقامرٌ مذ كان لم يُقمَرِ كأنَّما يلعَبُ بالسُّدَّرِ
يعشقهُ الناس على جَوْرهِ والجورُ ممقوتٌ على الأكثرِ
شبابُهُ المرموقُ في شَيبهِ وشيبهُ مذ كان لم يخطرِ
يدلُّ في البيع ولكنَّهُ يميل احياناً مع المشتري
حديثهُ مع انهُ صامتٌ يَهيجُ من شقشقة السُّمَّرِ(١

وروى لابي طاهر الابيات التي ذكر فيها تزويق عفيف القائميّ لسقف داره وتذهيبها قولهُ (من الطويل) :

تنوَّقْ وزَوِّقْ وادهُنِ السقفَ والعمرا فان تمَّ فاكتب تحت زنَّاره سطرا
علوٌّ وإقبال ومجدٌ موثَّلٌ لصاحبهِ حقاً ومالكهِ دهرا
لمن عندهُ في الدار وجهٌ مقدَّرٌ على مثل هذا الوجه والأوجه الأُخرى
وهذا دعاءٌ أنت منهُ مبرَّأٌ وكان امير المؤمنين بهِ أحرى

قال فتطيَّر عفيف منها ومات بعد شهر واخذ المقتدي السقف فكأنَّ الله أنطق ما في القدر على لسانهِ

(لهُ بقيَّة)

---

١) قال الشارح : سمَّاهُ مقامراً لان اسمهُ قبل القمار . ولقبهُ السُّدَّر (ويروى الصدر) معروف وجورهُ علوُّهُ . وشبابهُ إبدارهُ . والمنجمون ذكروا انَّ لهُ ميلاً مع المشتري . وحديثهُ دوامُ ضوئهِ

كريستوفان ابن الكشافة فاسكو دي غاما

لحضرة الاب انطون دا كروز اليسوعي

نشر المشرق في عدد نيسان الاخير (ص ٢٦٤—٢٧٣) خلاصة ترجمة ومآثر ذلك الكشّافة الكبير الذي فتح لوطنهِ البرتغال بل لاوربّة باسرها طريق الهند بحرًا نعني بهِ فاسكو دي غاما الذي احتفل العالم المتمدّن بتذكار المئة الرابعة لوفاتهِ . ولا بدع فانَّ قليلين مثلهُ أدّوا لحضارة العالم وعمرانهِ الخدم الجليلة التي أدّاها بإقدامهِ وشهامتهِ . ويحقُّ خصوصاً للكنيسة ان تشكر له فضلهُ كما صرَّح بهِ ممثل الحبر الاعظم في حفلات لسبونة المنسنيور تدَسكيني بقولهِ انهُ هو الذي مكّن كنيسة المسيح منذ اربعمائة سنة ان تقوم بدعوتها وتدعو الى الايمان بالمسيح الشعوب الشرقيَّة المتسكّعة تحت ظلال الموت

*

على انَّ لفاسكو دي غاما اخوين يُدعيان بولس وكريستوفان وولدَين بولس واستفان اشتهروا جميعاً بخدمة وطنهم في الهند حيث اجترحوا من الاعمال الجليلة ما شرَّف اسرتهم واضافوا محاسن جديدة الى مفاخر كبيرهم فاسكو دي غاما . فان استفان خلف والدهُ في امارة المستعمرات البورتغاليَّة في الهند ومات اخوهُ بولس في محاربة اعداء وطنهِ .

ولعلَّ اوسعهم شهرةً واكبرهم عملًا انما كان كريستوفان اخو فاسكو دي غاما . ولذكره خصَّصنا هذه الصفحات لقرّاء المشرق ليكرموا في شخصهِ مثال الشهامة في خدمة الوطن وتضحية النفس في سبيل الدين

كان كريستوفان من جملة الذين رافقوا اخاهُ في اسفارهِ من البرتغال الى الهند . وتعيَّن هناك بعد وفاة اخيه كحاكم على المستعمرات الهنديَّة لكنهُ لم تطل مدّتهُ في هذا المنصب الرفيع فرجع الى البرتغال وتحت امرهِ ٧٢ مركباً

على انهُ ما لبث ان عاد الى الهند فسار مع ابن اخيهِ استفان الذي كان جهَّز حملةً لمحاربة اسطول الاتراك في البحر الاحمر سنة ١٥٤١ فانتظر خروج الاسطول من

سويس لكنهُ لم ينل منهُ إلّا شيئاً يسيراً لخيانة بعض الذين كان عوّل عليهم من رؤساء مراحل البلاد فعاد باسطوله الى الهند وارسى في مدينة غوا . وكان الحبر الاعظم بولس الثالث اجابةً الى طلب النجاشي ملك الحبش «داود أصنف صجد» ارسل بصفة بطريرك السيد جان بروودس ليدعو الحبشة الى الاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة . فلما وصل البطريرك الى غوا حصل لهُ فيها استقبال شائق لكنهُ بلغتهُ من الحبش اخبار سيّئة فان النجاشي كان توفي واقيم ملكاً بعدهُ ابنهُ كلوديوس وهو في مقتبل العمر فاغتنم اعداء الدولة هذه الفرصة فاثاروا الفتن واستدعوا جيشاً من الاتراك الذين اسرعوا فانبثّوا في جهات الحبش وارتكبوا ضروب الفظائع يقودهم رجلٌ من دُهاة قوّادهم يدعى احمد جراد اليساري ويدعوهُ البرتغاليّون باسم (Grogne) وينسبون اليهِ حريق البلاد ونهبها وسبي اهلها وانتهاك حرمة اقداسها وتدمير كنائسها فارسل كلوديوس يطلب الى البطريرك بان يسعى لدى حاكم الهند ليبعث نجدةً ليقوموا في وجه الاتراك ويعيدوا للبلاد سلامها

فاستدعى استفان عمه كريستوفان وانتدبهُ لهذه المهمّة فلبّى الى دعوتهِ بطيب الخاطر وسار الى الحبشة مع ٤٠٠ مقاتل وذخائر حربيّة . فما احتلّ السيد البطريرك والقائد كريستوفان وجندهُ ارض الحبشة حتى خرج اليهم اهلها يتقدّمهم ارباب الدين مع الصليب المقدّس يرحّبون بهم ويباركونهم ويشكرونهم بذرف دموع الفرح لمجيئهم الى خلاصهم من ظلم الاتراك . وكان كريستوفان دي غاما يهدّئ روعهم ويحثّهم على الثقة بالله الذي بنعمتهِ ينالون النجاة

*

من لنا ان نصف ما اتاهُ دي غاما من الاعمال الشريفة والمآثر المنيفة مع عسكرهِ فانّهم مع قلّة عددهم ساروا الى محاربة الاتراك فاحتلّوا عنوةً حصنين حريزين يُدعيان «انباكنه وقلعة اليهودي» كان العدوّ تحصّن فيهما ثم ناجزوهم القتال في ساحة الحرب وغلبوهم دفعتين فكسروا شوكتهم : وكان كريستوفان ينقضّ عليهم انقضاض النسور على بُغاث الطيور وهو دائماً في مقدّمة الجنود وفي كلّ مقام خطر لا يبالي بما يصيبهُ من سهام العدى . فكان مثلهُ يجتذب اولئك الفرسان فيحذون حذوهُ ويبيعون النفس والنفيس في سبيل مرضاتهِ وصون حياتهِ التي كان يجود بها

رخيصةً حتى نسبهُ البعض الى التهوّر وقلة الفطنة

وممَّا اخبرهُ جنودهُ انَّ أحمد جراد رئيس الاتراك لما عرف ان عددهم لم يتجاوز ٣٥٠ رجلاً استعدَّ لمعركةٍ كبيرة جمع لها ١٦،٠٠٠ من جنوده ثم ارسل الى كريستوفان ساعياً يدعوهم الى البراز. فسُرَّ القائد البطل بهذه الدعوة ونفح الساعي بهبةٍ لفرحهِ بهذا النبأ وارسل الى احمد مرآةً وبعض عطور يشير بها الى انهم ليسوا برجال حرب بل اشبه بالنسوة الضعاف . ثمَّ زحف بفرقتهِ اليهم وبدَّد شملهم شذر مذر

وان سأل السائل أنَّى كان لكريستوفان مثل هذه القوَّة الغريبة اجبنا انَّهُ كان يستمدُّ بأسهُ من ايمانهِ الحيّ فكان يذكر المكابيين وقوَّادَ بني اسرائيل الذين أيَّدهم الله بقوَّة علويَّة فانتصروا على جيوش كبيرة بعدد قليل من انصارهم

فتسلَّح بايمانهِ هذا ولم يألُ جهداً في تعزيز النصرانيَّة في بلاد الحبشة. فأمر بتشييد ما دمَّرهُ الاتراك من الكنائس وقوَّى عزائم الحبشة فتحمَّسوا للدفاع عن دينهم . وبايمانهِ المذكور بعث في قلوب جنودهِ مِلءَ الثقة فكان يخطب فيهم قبل المواقع الدمويَّة التي يسيرون اليها ويعرض عليهم صليب الربّ فيسجدون لهُ ثمَّ ينازلون عدوّاً كأسود لا يقوم في وجهها قائم ولا يقوى على قهرها منازع يعتبرون الموت فوز واستشهاد في الدفاع عن الايمان. وذلك ما سندهم في فتح حصن «انبا كنه» الذي كان امتنع من وكر العقاب صعدوا اليهِ بعد سجودهم للصليب وتلاوتهم هذه الصلاة: «هَبْنا يا ربّ عونك لنحارب اعداءك واعداءنا فانَّنا نقدّم لك نفوسنا وحياتنا مستعدّين الى تضحيتها في سبيل ايماننا المقدَّس »

ثمَّ اتى العدوُّ بقوَّات جديدة لمحاربة هؤلاء الابطال وانذر البرتغاليين بما ينتظرهم من الاهوال ودعاهم الى المسالمة قبل ان يسحقهم بعددهِ ومددهِ . فكان جواب كريستوفان وذويهِ كما في السابق انَّ املهم بالله فلا شيء يثنيهم عن محاربة اعداء الصليب . ثمَّ قضوا ليلهم بالصلاة وتناولوا الاسرار المقدَّسة وقبلوا بركة الكاهن ومشوا غير هيَّابين الى تلك المعركة التي كان العدوّ يعدّها قاضيةً فردُّوهم خائبين وكبَّدوهم خسائر فادحة

على انَّ كريستوفان في تلك الوقعة الهائلة أُصيب بجرح مؤلم برصاصة نفذت في ساقهِ وجُرحت يدهُ اليسرى فبقي ثابتاً في مكافحتهِ الى ان فاز بهم جندهُ . ثمَّ اخذ

يعالج جرحى عسكره ولم يفكر في مداواة ساقه ويده حتى انتهى من علاج جنوده وكان يعطف عليهم ويعزيهم ولا يكاد يذكر آلامهُ المبرحة

*

رجع العدوّ القهقرى وانما استحوذ على رئيسهم الخجل وتنمّر من الغيظ اذ رأى فئة من الرجال معدودةً لا يثبت امامها جيشهُ العرمرمي فأقسم بالله انهُ لا بُدَّ لهُ من الفوز الى ان يستأصل شأفتهم

وكأنَّ الله اراد ان يخوّل عبدهُ نعمة الاستشهاد وهو يلتمسها ليقدّم نفسهُ لهُ تعالى كضحيَّة يتنسَّمها برائحة الرضى

كانت هذه المواقع السابق ذكرها حارب فيها البورتغاليُّون قبل ان تجتمع اليهم جنود ملك الحبشة كلاوديوس فقلَّ عددهم ولم يبقَ منهم بعد من الاربعمائة سوى ٢٥٠ جنديًا . ومع قلة هذا العدد لم يشأ كريستوفان ان يكفَّ عن القتال بل حاول ان ينتزع من ايدي الاتراك حصنًا حريزًا جمعوا فيه قواهم وذخائرهم فترك في المعسكر قسمًا من جنوده واختار منهم خمسين فتوغَّل معهم القلعة التي كان الحصن مشيَّدًا عليها فبلغها وكان يدافع عنها الفان من الجند التركي بينهم اربعمائة من الفرسان فصدَّقهم القتال وفتح الحصن عنوةً وحاول الرجوع الى المعسكر

إلَّا انَّ الاتراك انتهزوا فرصة غيبتهِ عن المعسكر ليحملوا على الباقين فيه وكان بينهم المرضى والجرحى فباغتوهم وأعملوا السيف فيهم ففرَّ بعضهم ونجا من الجرحى رجلان كانت كُسرت سوقهما فزحفا مختفيين الى مستودع البارود واضرما فيهِ النار فماتا موت الابطال مع الاتراك الداخلين المعسكر

فاستدلَّ كريستوفان على الخطر اللاحق بذويهِ واسرع لينقذهم من ايدي العدوّ فاحدق بهِ جند من الاتراك فاخذ يدافع عن نفسهِ بسيفهِ بشمالهِ لكسر أُصيبت بهِ يمناهُ وكاد العدوّ يأسرهُ فعمد اليهِ رفقتهُ وحملوهُ مرغومًا واركبوهُ بغلًا وساروا بهِ بعيدًا عن ساحة الوغى ومشوا بين الادغال والصخور وقفَوا ليلتهم تائهين فدرى الاتراك بأمرهم وارسل احمد جراد سريَّة من عسكرهِ وراءهُ حتى ادركوهُ وقادوهُ كأسير الى رئيسهم مع ١٣ من رفقتهِ

أُدخل كريستوفان مغلَّلًا على زعيم الاتراك فسامر للحال بان يُجرَّد من ثيابهِ وتُربط

يداهُ وراء ظهرهِ ثم جلدوهُ جلداً عنيفاً ولطموهُ باحذية العبيد وساقوهُ الى مضارب الضبّاط وعلى رأسهِ بُرنُسٌ فاوسعوهُ ضرباً وشتماً ثمَّ اضرموا النار بلحيتهِ ونتفوا شعر رأسهِ وحواجبهِ واهداب عينيهِ . وكان كريستوفان في شدَّة آلامهِ صامتاً جامداً كانهُ لا يشعر بالوجع وانَّما كان يرفع ببصره الى السماء يلتمس من الله الصفح عن ذنوبهِ وشاكراً لهُ تعالى عن تلك النعمة التي تؤهله ببعض الشبه بمخلصهِ

ثم طلب منهُ احمد جراد ان يدلَّهُ على رفقتهِ الذين تفرَّقوا فاجابهُ كريستوفان : لو عرضتَ عليَّ كلَّ مال الاتراك وثروتهم لما كشفتُ عن سرّهم فاصنع بي ما تشاء ما دمتُ في حوزتك . وكان آخر ما عرضهُ احمد على دي غاما ان يطلق سراحهُ ان شاء أن يدين بالاسلام . فنفر كريستوفان من قولهِ هذا كارهاً وأعلن بإبائهِ جهاراً وقال : «اعلم أنَّنا نحن البرتغاليين نعدّ ديننا أثمن كنوزنا ونضحّي في سبيلهِ كل شيء حتى حياتنا» . قال هذا بتحمُّس غير هيَّاب فاستشاط احمد غيظاً وضربهُ بسيفهِ فقطع رأسهُ وبدَّد اعضاءهُ فمات دي غاما موت الشهداء

على انَّ الله انتقم لعبدهِ بعد قليل فانَّ جنود الحبش الذين كان البرتغاليُّون ينتظرونهم ليحاربوا معهم الاتراك ووعدهم بهم الملك كلوديوس وصلوا اخيراً فانضمَّ اليهم البرتغاليون الذين نجوا من ايدي الاتراك متفرِّقين في الجبال فاستعدُّوا لمعركة عظيمة وجعلوا في مقدَّمتهم رايةً تمثل صورة العذراء مريم بعد ان خصَّصوا نفوسهم لاكرامها . وكان ذكر موت كريستوفان اعظم باعثٍ استفزَّهم للقتال ليأخذوا بثأر قائدهم فكرُّوا على الاتراك لا يلوون على شيء . وساروا توًّا الى قلب جيشهم ليفتكوا بزعيمهم فبلغوا اليهِ والتفُّوا حولهُ ولم يزالوا يقاتلون من يتصدَّى لهم حتى قذفوا الرعب في قلوبهم وتمكنوا من شخص رئيسهم فقتلوهُ واثأروا لقائدهم وارسلوا برأسهِ الى الملك كلوديوس وانقطع بعد موتهِ نظام الاتراك فخرجوا عن الحبشة وعاد السلام لاهلها

اما كريستوفان فشاع منذ ذاك الحين ذكر شهامتهِ وسموّ فضلهِ واخذ مواطنوهُ يكرمونهُ كبطل أمَّتهم وكشهيد ايمانهم حتى انهم كانوا يستشفعون به عند الله . وذكروا لهُ عدَّة كرامات نالوها بشفاعتهِ منها انَّ البرتغاليين الذين حاربوا الاتراك بعد موتهِ لم يهلك منهم واحدٌ في ميدان الحرب . ومنها ما ذكرهُ الاب جيروم لوبو اليسوعي

في تاريخ الحبش ان نبأ انبجس حيث وقع الشهيد قتيلاً فشفي بمائه كثيرون من امراضهم حتى طلبت دولة البرتغال من رومية ان يُنظم في سلك الطوبويين الشهداء.

اما الحبش فانهم لم ينسوا فضل كريستوفان وشاعت بينهم مآثره فكانوا يشيدون بذكر اعماله في حياته وينظمونهُ في عداد شهداء الايمان. فمتى ذكرهُ يحيا في قلوبهم في هذه السنة المخصَّصة بتذكار اخيه فاسكو دي غاما فينالوا ببركة استشهاده ان يدينوا بدينه ويرتدُّوا الى الايمان الكاثوليكي ايمان القديسين اثناسيوس وفرومنسيوس رسولي الحبشة فيستنيروا بانواره ويستقوا من مناهله الصافية

سليمان البستاني

نظم فؤاد افرام البستاني استاذ اللسان في كلية الحكمة

القسم الثاني: رجل السياسة

خلق السياسة وهي بكرٌ حرائرُ وشاع عنها الوحشة وهي وقاحُ (فوزي المعلوف)

تبدأ حياة البستاني السياسيَّة سنة ١٩٠٨ بانتخابه نائباً عن ولاية بيروت في مجلس المبعوثان العثماني. وكان قبل ذلك قد درس اكثر اراضي الدولة لاسيما العراق وبلاد العرب درساً اجتماعياً سياسياً اقتصادياً. وبحث عن المناجم والشلالات وكيفيَّة الانتفاع من الريّ وطرق تحسين الزراعة والصناعة والتجارة. هذا عدا عن المعارف الجمَّة عن احوال الدولة السياسيَّة ونزعات كبار رجالها ممَّن عرفهم بنفسه او قرأ مؤلفاتهم او اطَّلع على قوانين جمعيَّاتهم

١٠ آراؤه

ولم يُعلَن الدستور حتى اخذ بكتابة هذه المعلومات المختلفة الجمَّة عن احوال تركيا فأبرز كتابهُ في اسرع ما يمكن من الوقت وأسماه عبرة وذكرى او الدولة

في تاريخ الحبش ان نبأ انبجس حيث وقع الشهيد قتيلاً فشفي بمائه كثيرون من امراضهم حتى طلبت دولة البرتغال من رومية ان يُنظم في سلك الطوبويين الشهداء.

اما الحبش فانهم لم ينسوا فضل كريستوفان وشاعت بينهم مآثره فكانوا يشيدون بذكر اعماله في حياته وينظمونهُ في عداد شهداء الايمان. فمتى ذكرهُ يحيا في قلوبهم في هذه السنة المخصَّصة بتذكار اخيه فاسكو دي غاما فينالوا ببركة استشهاده ان يدينوا بدينه ويرتدُّوا الى الايمان الكاثوليكي ايمان القديسين اثناسيوس وفرومنسيوس رسولي الحبشة فيستنيروا بانواره ويستقوا من مناهله الصافية

سليمان البستاني

نظم فؤاد افرام البستاني استاذ اللسان في كلية الحكمة

القسم الثاني: رجل السياسة

خلق السياسة وهي بكرٌ حرائرُ وشاع عنها الوحشة وهي وقاحُ (فوزي المعلوف)

تبدأ حياة البستاني السياسيَّة سنة ١٩٠٨ بانتخابه نائباً عن ولاية بيروت في مجلس المبعوثان العثماني. وكان قبل ذلك قد درس اكثر اراضي الدولة لاسيما العراق وبلاد العرب درساً اجتماعياً سياسياً اقتصادياً. وبحث عن المناجم والشلالات وكيفيَّة الانتفاع من الريّ وطرق تحسين الزراعة والصناعة والتجارة. هذا عدا عن المعارف الجمَّة عن احوال الدولة السياسيَّة ونزعات كبار رجالها ممَّن عرفهم بنفسه او قرأ مؤلفاتهم او اطَّلع على قوانين جمعيَّاتهم

١٠ آراؤه

ولم يُعلَن الدستور حتى اخذ بكتابة هذه المعلومات المختلفة الجمَّة عن احوال تركيا فأبرز كتابهُ في اسرع ما يمكن من الوقت وأسماه عبرة وذكرى او الدولة

العثمانية قبل الدستور وبعده». ولما كان هذا المؤلف جامعاً لآرائه في السياسة والاجتماع والعمران بل هو خلاصة ابحاثه الطويلة في هذه المواضيع رأينا من اللازم درسهُ فنرى آراء الرجل قبل ان نشاهد اعماله

يقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات جمع فيها المؤلف معلوماته مقسَّمة الى اقسام عديدة توضح افكرته وتسهل على الجميع تناولها . فدرس اولاً الدستور القديم والحديث وعلاقته بالاستبداد والحريَّة . وتطرَّق الى ذكر اصناف الحريَّة كالحرية الشخصية وحرية الصحافة والتعليم والتأليف والقراءة والمكاتبة والجمعيات ورجال الدولة . ثم بحث في الدستور والتعصب والخفية ورجال الدين والمهاجرة ومأموري الحكومة وماليتها . وجزَّءُ هذا الموضوع الاخير الى درس موارد الثروة فتكلم عن الزراعة والمعادن والصناعة والتجارة والاعمال العامة والشركات والسياح والمستوطنين وختم الكتاب بنظرة عامَّة في واجبات مجلس النواب وما ستفضي اليه احوال الدولة بعد ٢٥ سنة

بحث في كل هذه المواضيع بنظره الثاقب ورزانته المعروفة فوفَّى كلَّ مطلب حقَّهُ مبتدئاً بمعلوماته عن ذاك المطلب من حيث التاريخ والسياسة والاقتصاد والعمران ذاكراً ما يظهر لهُ من اسباب الفساد وطرُق الاصلاح القريب او البعيد . وتجنَّب تطرُّف المتشائمين ونزق المتهوِّسين فسلك مسلكاً قوياً كان من الصعب السير فيه اذ ذاك وقد ارهق الاستبداد نفوس المفكرين واتتهم الحريَّة دفعة واحدة فهبُّوا لا يعتدلون في شيء . . . . اما هو فقد ترفَّع عن تأثير الزمان والمحيط فبدا رزيناً عاقلاً اذا ذمَّ الاستبداد لاحظ ان مراده بذاك التعريف «ليس الحكم المطلق الذي له بلا ريب مزايا باهرة مع جهل الرعية وذكاء الراعي بل الاستبداد بمعنى الحكم الجائر الذي اباح الموبقات واستباح المحرمات» (ص ١٨)

واذا طلب حريَّة الصحافة بعد وصف تقيدها والتضييق عليها اعتدل بطلبه فقال:

« واننا بلاريب لا نطمع ولا نودُّ ان نتخطَّى الآن الى ما وراء المعقول فنثب وثبة واحدة من وهدة المسكنة الاضطرارية الى قمة التهوُّر الاختياري بل جلَّ ما نتمنَّاه ان تباح لنا رواية الاخبار وترديد صدى الافكار والنظر في شؤون انفسنا من الغاء درس مقيد وعرض مقترح جديد ونقد عاملٍ وعمل والبحث في كل ما من شأنهِ ان يلذَّ ويعذب ويفيد . وعلى الجملة اطلاق الحريَّة الى ما لا يفضي بها الى مثل الفوضى التي استحكمت بين بعض جرائد مصر لستين مضت». (ص ٣٣-٣٤)

وهذا ما لا يزال يطمح اليه ارباب الصحف العاقلين

واذا حض الكتّاب على النهوض من سُبات الخمول وفك القيود وابراز مكنونات الصدور في عصر الحرية والنور حذرهم برفق من التهوّر المشؤوم وقال :

«ولكن الامل وطيد ان نشوة السرور لا تأخذكم فتتخطّوا جادّة اليقظة والاعتدال لئلّا يختلط النفع بالضرّ والخير بالشرّ» (ص: ٦٦)

وكما كان يحبّ ان يجعل التروّي زماماً لكل اعماله كذلك كان يرغب في نشره حوله ولاسيما بين رجال الدولة . . . وقد قال بعد ان ذكر تهوّر المجلس الاوّل :

«فكفى بما مضى عبرةً لنا وعظة . ورجاؤنا ان يتخذ الاعضاء التأني والتروّي شعاراً متجردين عن المصالح الخاصة غير طامعين بكسب الشهرة من وراء المناقشات الطويلة التي لم تجنِ بعدُ زمنها . فاننا الآن احوج الى تلقي الدروس منا الى القائها بالخطب والخوانع »

كُتبت هذه الجملة سنة ١٩٠٨ موجّهة الى مجلس النوّاب العثماني . وكأنها كتبت سنة ١٩١٥ موجهة الى المجلس اللبناني !!!

كان النقيد من رعايا الدولة العثمانية وعليه كان يرى من واجباته ان يبذل جهده في اصلاح شأن هذه الدولة . ولم يكن ذلك ليمنعه من السعي في تقدّم أمته العربية ووطنه صغير لبنان . ولكن كان من مذهبه على ما امكننا استخلاصه من كتاباته والمرويات عنه عدم الانفصال عن الدولة بل تأليف عدة حكومات لا مركزية كما سنرى

على انه لم يخشَ وهو المسيحي المحبّ لدينه — وقد درسنا تديّنه في العدد الماضي ان يجاهر بحقيقة ما رأى وما استنتج من ان عدم تجنيد المسيحيين مع المسلمين مضرّ بمصلحة الدولة ومصلحة رعاياها من النصارى . ولم يخشَ وهو العربي المتعصب للغته ان ينادي بان عدم تعميم اللغة التركية كان من اسباب انفصام عرى الألفة بين عنصري الدولة : العرب والترك . وقد قال في آخر فصل الدستور والتعصب واصفاً الدواء الفعّال لحسم هذا الداء بعد ان اورد مآتي رجال الدولة في هذا السبيل :

«ولكنه لو اتيح لنا ان نُضيف رأياً الى تلك الآراء النيّرة لقلنا ان اعظم الوسائل لضمان اضمحلال التعصب الديني تجنيد المسيحيين مع المسلمين واعظم وسيلة لاضمحلال التعصب الجنسي تعميم اللغة الرسمية وجعل تعلم اللغة التركية اجبارياً . فان هاتين الوسيلتين مع تعميم اسباب العلم

والتهذيب بضمان توثيق عرى الوداد والإخاء» (ص ٩٨)

وقد علّق في انهاض الشعب املاً كبيراً على المرأة العثمانية واشار بتدريسها وتعليمها اساليب الرقي كيف لا وهي «القوام الاعظم لكل تمدّن حقيقي ثابت . . . والعون الاكبر للرجل في رجوليته ومربيتهُ في طفوليته ورفيقتهُ في عزلته ومؤاسيتهُ في شدته واليها مرجع الفضل في تثقيف العقول النامية وانبات غرس الفضائل فيها»

امّا ابحاثه في موارد الثروة على اختلاف انواعها فهي غاية في الدقة . وكان اول من كتب فاستوفى (ص ١٠٩) الموضوع في الثروة الناتجة عن زيارة السياح لبلادنا . . الى غير ذلك من الابحاث التي لم يؤثر فيها انقسام وحدة تركيا الّا القليل وهي لا تزال تنطبق حقّ الانطباق على بلادنا هذه في نهضتها الجديدة وما أشبهها بتركيا سنة ١٩٠٨

٢ً اعمالهُ

١ً في المجلس

كان في مجلس المبعوثان قليل الكلام كثير التفكير لا يحبُّ المناقشات الطويلة التي لا طائل تحتها . وكان اذا عرض له اقتراح بسطه بهدوء عُرف به . واذا احتاج الى الدفاع دافع طويلاً مُدلياً بالحجج الدامغة . واذا طُلب اليه الكلام خطب بعد سكوت قد يطول فروى الغليل وبهَر الابصار لسعة في المادة وقوة ودقة في التعبير وتعمّق في البحث . ولعدم ميله التبجح والمناقشات التافهة كان في مجلس المبعوثان على اعماله العديدة ومساعيه الجمة التي سنذكرها يكاد يكون غير شهير . ولكن السلطان كان يعرف مقدرته حقّ المعرفة . فكان يعهد اليه برئاسة الوفود الى عواصم اوربا . ولم يلبث ان نقله الى مجلس الاعيان ثم أسندت اليه الوزارة والمجال اوسع والبحث اكثر فائدة فظهر نبوغه ولمع لمعاناً لا ينطفئ في القريب . . .

فحقق بكل ذلك آمال مواطنيه البيروتيين وكانوا قد تردّدوا بادئ بدء في انتخابه لما كان يُذيعه في ذلك الحين بعض خصومه من ذوي الغايات من انه اهان المسلمين ونبّههم في كتابه الجديد (الالياذة) . . .

راجت هذه الاشاعات في بيروت سنة ١٩٠٨ فصدّقها المسلمون باجمعهم . وكاد

خصومهُ يفاحون لولا ان تصدّى لهم بعض الافاضل من ملّتهم وجمعوا كبار رجال الاسلام واتوا امامهم بالالياذة واخذوا يقلّبونها صفحةً صفحةً مبرهنين على كذب الادعاء.

عند ذاك اقتنع الزعماء وقالوا ان المسلمين لا ينتخبون غير البستاني. وهكذا كان. وقد حفظ لهم الفقيد هذه الحسنة ولكنّ ذكرها في اواخر ايامه الى الاستاذ بولس غانم فقال «ان الفضل في انتخابه نائباً عن ولاية بيروت يعود الى المسلمين قبل المسيحيين» . . . (وزاد قائلاً): «والى الارثوذكس قبل ابناء طائفته الماروني» . . . ١١

وألّف في المجلس اذ كان رئيسه الثاني اللجنة النيابية الدولية وترأسها ولم تلبث ان اتصلت بجميع مجالس العالم وكانت غايتها تأييد العلائق الودّية بين هذه المجالس. وكان رئيساً لاربع لجان غيرها منها لجنة التحكيم الدولي لازالة سوء التفاهم في المشاكل التي تحصل بين تركيا والدول الاجنبية. وقد عزّز هذه اللجنة بانشاء جمعية مرتبطة بها تمتدّ فروعها في سائر الولايات العثمانية فتُحكم عرى الاخاء بين العناصر المختلفة في السلطنة

وكان متفقاً مع الاتحاديين في اصلاح مرد الدولة. وحضر الجمعية العمومية في سان ستيفانو سنة ١٩٠٩ وتوثّر معهم خلع السلطان عبد الحميد. ولما اتى وفد مسلمي الهند طالباً معرفة اسباب الخلع عُهد اليه بتلك فتكلّم واقنع الاعضاء بصحة الخلع ولزومه فرجعوا راضين

ولم ينسَ منتخبيه وقومهُ ووطنه ولغته فحفظ حقوق البيروتيين في «مكتب الصنائع» وجاهد فنجح ومنع الحكومة من الاستيلاء عليه. وكان قد صدر امرٌ الى الولاة ان يمنعوا الاطباء والصيادلة المتخرجين في المدارس الاجنبية من الاستخدام في البلديات ومستشفياتها فرأى هذا الامر مجحفاً بحقوق قومه فقاومه واشتغل فنقضه

وافتكر بالمهاجرين من مواطنيه فألفت الى حالتهم اولي الامر وشكّل لجنة رسمية للنظر في شؤونهم. وكان على اتصال مع كبار صحافيّيهم فكانوا يطلعونه على احوالهم. وقد سعى طويلاً فانشأت الدولة قنصليات عثمانية حيث يكثرون وحمل مجلس المبعوثان فقرّر النفقات اللازمة لذلك

وكان من مآثره انه اشتغل باصلاح ذات البين بين اكليروس الروم الارثوذكس

١) بولس غانم: من هو سليمان البستاني – لسان الحال في ٣-٦ آب ١٩٢٥

وعلمائيي هذه الطائفة في فلسطين وكانوا قد اختلفوا على ادارة الاوقاف فنجح وألف المجلس الملي المختلط

وتجاوزت عنايته بلاده الى العراق واليمن وكان اهلوهما يتشكون ثقل الضرائب غير المشروعة فدافع عنهم وسعى فخفّف تلك الضرائب . وقد استفاد من ابحاثه السالفة في بادية العرب فشرح احوال القبائل شرحاً مستوفياً كان واسطة في تحسين معاملاتها الرسمية

وقد شهد المستر مورغنتو سفير اميركا في الاستانة سابقاً ان الفقيد هو واضع مشروع توحيد الديون العثمانية . وكان في الوقت نفسه يدافع عن الامة العثمانية في صحف الانكليز والفرنساويين مبيناً لاهل اوروبا ان الدستور لا يُنافي الشرع الاسلامي في شيء

ولم تنحصر اعماله في حدود وظيفته بل كانت تتجاوزها الى الوزارات واللجان المختلفة فيمدّ برأيه الصائب الكثيرين من رجال الدولة . يشهد بذلك ما قاله محمود شوكت باشا للمعلم شاكر عون الجزيني وكان هذا قد سافر الى الاستانة بعد خلع السلطان عبد الحميد مع الوفود الآتية من جميع السلطنة . فاستقبلهم محمود شوكت باشا وهو اذ ذاك وزير الحربية وذو الامر والنهي في الدولة واخذ يسلّم عليهم وأحد الاعيان يعرّفه بهم . واذ انتهى الدور الى المعلم شاكر قيل لمحمود باشا : هو مَن اعيان بيروت . فابتسم « الديكتاتور » وقال : « أنكلفك ان تُعلم اهل بيروت ان نائبهم البستاني هو كناية عن مستودَع كهرباء يُرسل اشعّته الى كل دوائر الاستانة . . . حتى الى وزارة الحربية . . . »

***

وكان السلطان يوفده الى العواصم الاوروبية إمّا وحيداً واما رئيساً للوفود فيسعى حيناً بتعزيز الولاء بين حكومته وحكومات اوروبا وحيناً بحلّ المعضلات السياسية او بعقد القروض المالية (١

واذ انتدبهُ السلطان محمد رشاد لابلاغ جلوسه الى دول اوروبا سافر رئيساً للوفد فزاروا العواصم واستُقبلوا في لندرا استقبالاً فخماً . وقبل ان يقابلوا الملك

١) راجع المشرق (ص : ٧٨٩) وفيها ذكر تلك الوفود

ادوار السابع أقبل رئيس التشريفات فبأنهم طريقة المقابلة وان على رئيس الوفد ان يتكلم اولاً . ولما تكلم الفقيد وابلغ مهمته قال الملك بكل لطف : قبل ان أجاوبك رسمياً أحب ان اسألك اين درست اللغة الانكليزية ؟ فقال : درستها في وطني بيروت — اذن اقمت مدة طويلة في انكلترا ؟ . . . واتممت علومك في جامعاتها ؟ . . — لم يسعدني الحظ لذلك يا مولاي بل مررت في بلاد جلالتكم مرتين وهذه الثالثة — اذن درست لغتنا في المدارس الانكليزية في بلادك ويسرني انك تمكنت من ادراك هذه المرتبة العالية — لا يا ذا الجلالة لم ادرسها في المدارس الانكليزية بل في مدرسة بلادي الوطنية (وعنى بها مدرسة المرحوم المعلم بطرس) فابتسم الملك وقال : أوَيحسنون في بلادكم اللغة الانكليزية الى هذه الدرجة من الفصاحة ؟ — هذا يدل على رغبتنا في الارتقاء بالعلوم يا ذا الجلالة ! فسُرّ ادوار السابع وقال : اني اهنئك ببلادك واهنئها بك . ثم أرسل ودعا الملكة وعقيلته وابنه وعرّفهم بالفقيد . وخرق العادة فادخله قصره الخاص واراه حجرة الملك والملكة . وحين زار الوفد حضرة الاعيان والمورديّة تكلّم اللورد اسكويث فقال : «انا أشير على كل من يزعم ان لا رجل عندنا كيا ان يتكلم مع البستاني فيتضح له فساد زعمه» . ثم انتدبته عمده جامعة اكسفرد فخطب في حفلتها السنوية « وأعجب الاوربيون به حتى تناقلوا رسمه بجرائدهم ونشروا سيرته في انسيكلوبذياتهم »(١)

٢ في الوزارة

كان البستاني في باريس يسعى بعقد قرض للدولة اذ رغب اليه البرنس سعيد حليم ان يتولى وزارة الزراعة والتجارة والمعادن والغابات فقبل بشرط ان يكون حرّ التصرّف بعيداً عن تدخل جمعية الاتحاد والترقي فقُبل شرطهُ . حين ذاك قلب تلك الوزارة وادخل فيها الرجال الأكفاء مثل الكومندان سارّو الفرنساوي (والآن الجنرال سارّو) فقد عينهُ مديراً لمدرسة الغابات التي كان قد انشأها . وساسون افندي وكيلهُ وهو الآن وزير مالية العراق . ونظّم البنك الزراعي وكان اول من افتكر بتأسيس النقابات الزراعية والصناعية في تركيا فطلب من الوزارة ان تعضده في ذلك

---

١) جرجي نقولا باز : سليمان البستاني (ص : ١٠)

فانتدبت شقيقة الدكتور سليم البستاني المحامي بمصر للسفر الى اوروبا ودرس حالة الزراعة وتقديم تقرير عنها ومشروع لتأسيسها فقام بمهمته على نفقته الخاصة وقدّم تقريره الّا ان اضطراب الحالة الدولية لم تمكن الفقيد من تنفيذ كثير من مشروعات الاصلاح» (١)

واوّل عمل قام به كان اقناع أولي الشأن في الاستانة بضرورة سحب امتياز سكّة حديد بغداد من المانية لأسباب اهمّها ان مساحة العشر كيلومترات المعطاة للشركة على جانبي الخط هي مملكة واسعة تشمل اكثر البقاع خصباً ومعادنَ. وقد رضي اولو الامر باقتراحه وبأن تدفع الخزينة التركية ملايين جنيه تعويضاً لاصحاب الامتياز لينسحبوا. غير ان الحكومة الالمانية تعهّدت لاصحابه بمثل هذا المبلغ واصرّت الّا يرضوا بالانسحاب. ورجّح عند كثيرين من ذوي البصر في الشؤون السياسية ان سكة حديد بغداد كانت من الاسباب الخفيّة في الحرب الكبرى...

ومن مآثره في الوزارة وقفتُه الشهيرة في حادثة غَور بَيسان وقد رواها بنفسه الى نسيبه الاستاذ وديع البستاني:

غَور بَيسان ارض خصبة على ضفاف الاردن فيها سبعة انهار صغيرة اكثرها صالح للريّ وفيها ١٨ قرية واربع عشائر اسلامية والقليل من المسيحيين ويبلغ مجموع سكانها ١٥ الفاً. ومساحة الغور ٥٠٠،٠٠٠ دونم وتقدّر قيمته بـ ٣ ملايين ليرة. كانت هذه الارض قد سُجلت باسم السلطان عبد الحميد فاعتبرت من جملة الاراضي المعروفة بالجفالك السلطانية (جمع جفتلك: مزرعة). وكان قد اشار على السلطان بشراء هذه الارض وجعلها من املاكه الخاصة رجلٌ يهودي من خدَمته اسمه يعقوب عدس. وقد حاول اليهود الصهيونيون شراءها عن طريق شركة الاصفر في الشام فلم يفلحوا. وقاومهم اذ ذاك العرب مقاومة شديدة بزعامة سليم افندي الاحمد احد مشترقي الحرب...

وصل البستاني يوماً الى الوزارة وكان علم ان قد وصلها قبله انور باشا مع اكثر الوزراء فتعجب. وزاد عجبه اذ بشّ له انور وقال: «وفّرنا عنك تعباً فقد اعددنا القرار وننتظر امضاءك»

---

١) المقتطف: سليمان البستاني [آب (١٩٢٥) ص: ٣٦٦]

اما ذاك القرار فكان يبيع اراضي غور بيسان من البارون ادمون دي روتشيلد وشركته المعروفة بشركة الاستعمار اليهودية. وكان من شروط البيع ان يقبض انور باشا في ذاك اليوم مبلغ ٢٠٠ الف جنيه نقداً دفعة أولى تليها باقي الدفعات. اما الساعي في البيع فكان الملا (الخوجه ؟) نجم الدين احد مشايخ الاستانة. وكان الفقيد اذ ذاك بصفته وزير الزراعة متولياً امور البنك الزراعي فجعل يصف لانور وللوزراء اهمية الغور الزراعية والاقتصادية. اما هؤلاء فكانوا متفقين لا يزحزحهم عن قصدهم برهانٌ ولا حجّة والى انور الانصياع محتجاً بحاجة الخزينة الى المال لاصلاح حالة الجيش. عند ذلك قال البستاني: «معاذ الله ان يكون تمنّعي عن الامضاء سبباً في إزعاجكم ولكن بدلاً من ان اوقع امضائي على هذا التقرير فانا اوقعه على استقالتي من الوزارة». فتهيّب انور باشا إحداث قلق في الرأي العام وتناول القرار فمزّقه... وهكذا سلم الغور من مخالب الصهيونيين الى ان كانت «اتفاقية غور بيسان» بين حكومة فلسطين والاستاذ وديع البستاني في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢١ وبموجبها جرى تطويب ثلث الاراضي على اصحابها العرب الوطنيين. واذ كانت تركية تستعدّ للحرب جاء انور باشا سليمان والحّ عليه فصادق على اقراض الخزينة مئة الف ليرة في الحاضر على ان يقرضها مئة الف اخرى من اموال البنك الزراعي — وتلك قيمة دفعة روتشيلد الاولى — وهذا ثابت من قيود البنك المذكور

ولعلّ اهمّ واجلّ ما اتاه في وزارته هو عقدهُ الصلح بين تركيا وبلغاريا. وتفصيل ذلك انه عند نهاية الحرب البلقانية اراد البلغار عقد اتفاق مع تركية يضمن مصلحة الدولتين فارسلوا وفداً الى الاستانة برئاسة المسيو دي ناتشوفيتز فاقام اشهراً لا يحصل على نتيجة. واخيراً اذ كان يريد الانصراف عُهد الى الفقيد بمفاوضته فذهب واذ رآه رئيس الوفد الذي كان يعرفه صاح: «لقد مضى عليّ ثلاثة اشهر لا افهم منهم ولا يفهمون مني. فأملِ عليّ شروط الاتفاق كما تريدها». ولم يمضِ القليل حتى عُقد الاتفاق. وقد عثر «المقتطف» على شهادة مكتوبة بخط رئيس معتمدي البلغار على صورته التي اهداها للفقيد وهي:

« A Son Excellence Suleiman El Bustani, ministre du Commerce et de l'Agriculture, comme témoignage de ma reconnais-

sance pour ses efforts et son succès à amener un rapprochement entre l'Empire Ottoman et le Royaume de Bulgarie

signé Délégué Bulgare: G. DE NATCHOVITS

وترجمتها: «الى صاحب الدولة سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة اعرابًا عن اعترافي بجميل جهاده ونجاحه في احداث تقارب بين الامبراطورية العثمانية ومملكة البلغار

(الامضاء) المعتمد البلغاري ج. دي ناتشوفيتز»

واذ رجع سليمان واخبر السلطان بذلك وبالماكسات التي كان يضعها كبار النظّار في سبيل ذاك الاتفاق قال محمد رشاد: «انا عارف... انا عارف وانا اتوقّاهم كما يجب عليك ان تتوقّاهم». ثم اراد تعيينه سفيرًا في لندرا فاعتذر لاسباب صحّية. ولم يعلَن ذاك الاتفاق حتى تلقّته جريدة «طنين» بالارتياح وقالت عن البستاني: «هو الرجل الذي جادت بـه الطبيعة على الامة العثمانيّة في هذا الوقت». وقد عرّبت قولها هـذا احدى الجرائد اللبنانيّة...

٣ ابان الحرب وبعدها

كان من رأيه ان تجتنب تركيا الحرب فتقف متصرفـةً الى تحسين احوالها الاقتصادية فتستفيد من المتحاربين واذ تخرج الدول منهوكة القوى تكون هي قوية نشيطة فتستعيد مجدها السالف. غير ان الدسائس الالمانية لم تمكّنه من ذلك فاستعفى واعتزل. ولم يكن اعتزاله في سويسرا ليمنعه من التداخل في السياسة والعمل لخير الدولة فقد سعى مرتين لعقد صلح منفرد بينها وبين دول الحلفاء وكاد ينجح

وكان اول مساعيه في اوائل سنة ١٩١٧ فتفاوض طويلًا مع المستر مورغنتو سفير اميركا سابقًا في الاستانة. وكان أن ذهب لورد بلفور وزير خارجيّة انكلترة الى واشنطون في تلك الاثناء مفوّضًا فوق العادة ارسله لويد جورج رئيس الوزارة اذ ذاك. فاجتمع في ليلة راقصة بالمستر مورغنتو فاشار عليه هذا بضرورة الاسراع بذاك الصلح المنفرد وهيّأ الخطة التي كان اتفق عليها مورغنتو مع البستاني وهي ان يذهب مندوب من كل من ايطاليا وانكلترا وفرنسا واميركا، وجميع هؤلاء المندوبين من اليهود، الى مصر بحجة الاهتمام بامر اليهود في الشرق الادنى. فيوافيهم انور باشا في جهة قنال

السويس. وكان ذلك اذ جاء انور بلادنا سنة ١٩١٧ بحجة تفقُّد الجيش وكان ناقل الخبر الى انور حاخامباشي الاستانة صديقهُ وصديق مورغنتو. غير ان مندوبي الحلفاء قبل قيامهم من جبل طارق ادركهم الدكتور وايزمن زعيم الصهيونيين وكان قد علم بمهمتهم السرية من سكرتير يهودي المستر لويد جورج. فاسرع في مقابلة رئيس الوزارة وأفهمه واقنعه ان الصلح مع تركيا يفيد سلامتها وبالنتيجة عدم انسلاخ فلسطين عنها وكانت قد تقرَّرت وطناً قومياً للصهيونيين. ثم اتى الزعيم جبل طارق فنهى المندوبين عن اتمام مهمتهم بصفته صهيونياً ولانه كان قد اقنع لويد جورج فشلَّت تلك الفكرة

نقلت هذه الرواية مجلةٌ مصرية عن احدى المجلات الاميركية سنة ١٩٢١. وقد اكَّدها النقيد لاحد انسبائه وذكر له الشروط التي كان قد اتفق عليها مع دول الحلفاء وكلُّها في مصلحة تركيا وهي كما اودعها مذكراته :

١ً الغاء الامتيازات الاجنبية الغاء تاماً
٢ً صيانة ممتلكات الدولة عدودها
٣ً حل مسألة الجزر بما يوافق الدولة
٤ً إمداد الدولة بكل ما يلزم لها من المال لاصلاح شؤونها

ولم يرهن هذا الفشل عزيمتهُ بل تابع مساعيهُ وكان طَلعت قد رغب اليه ببذل الجهد في ذلك السبيل. وقبل عقد الهدنة بستة اشهر توصَّل الى اقناع مندوبي الحلفاء بعقد الصلح مع المحافظة على معظم الشروط السابقة. واخذ يخابرة الاستانة. وكان قد عرف بهذا الامر امبراطور المانيا بواسطة سفيره في سويسرا. فهرول بنفسه الى الاستانة حاملاً معه ١٠ ملايين من الجنيهات نَقَد منها مليوناً لطلعت ومليوناً آخر لأنور ومليوناً ثالثاً لذيولها فباع هؤلاء السلطنة العثمانية» (١ ومما يُعرف عن ثقة انه بعد ان ترك انور الاستانة رأوا الارض تحت بلاط بيت من بيوته مرصوفة بالليرات الذهبية

وبعد الحرب اثناء انعقاد مؤتمر فرسايل كلَّفتهُ الدول المشتركة فيه ان يكتب مذكرة في مسؤلية الحرب من حيث دخول تركيا فيها فكتبها في ١٢٠ صفحة كبيرة ولم يُطبع منها الَّا عدد قليل وُزِّع على مندوبي الدول المجتمعة

١) بولس غانم : من هو سليمان البستاني – لسان الحال في ٣-٦ آب ١٩٢٥

ثم «قامت النزعات المختلفة تتجاذب الناس وتدافعهم من كل جهة والى كل وجهة . تجاذبتهم ودافعتهم جميعاً الا سليمان البستاني الذي ظلّ رابضاً ربضة الجبّار الرصين المستيقظ . فلا هو اسرع الى الارتماء في تياراتها ولا الخابطون في مجاهلها نظروا الى الاهتداء بهديه والاسترشاد برشده والاستنارة بنوره

«بلى . . . قد فطن اليه الذين عرفوه حقّ المعرفة ! فطنت اليه الحكومة التركيّة بعد ان استتبّ لها الامر في الاناضول فاستقدمته اليها . . . ولكن البستاني كان اقوى منها اذ ظلّ واضعاً شخصيّته فوق المؤثرات الخارجيّة فطوت حكومة الاناضول صفحة دعوتها اياه الى احضانها كما طواها هو دون تطبيل او تزمير» (١)

٣ اخلاصه لدولته ولأمته — الترك والعرب — وطنيّته

كان في كل المناصب التي تولّاها يعمل بنزاهة وتجرّد مخلصاً اشدّ الاخلاص لدولته تركيا . وقد رأينا رأيه في اول هذا الدرس بوجوب تجنيد المسيحيّين مع المسلمين وتعميم اللغة التركيّة فكان كما قال عنه كبار نظّار الاتراك : «اخلص رجل لتركيا من غير عنصرها» ونقدر ان نزيد : ومن عنصرها ايضاً . ولا ينفي هذا الاخلاص لدولته حبّهُ لأمّته ولغته فقد كان من اقصى امانيه ان يتألف من الولايات العثمانيّة العربيّة حكومات لامركزية في تلك السلطنة الفسيحة وكان يفضّل هذا الحلّ على الانسلاخ عن تركيا كما قدرنا ان نستنتج من اقواله وكتاباته لانه كان اكثر رزانة من ان ينادي على رؤوس الاشهاد باحلام كانت بعيدة التحقيق في ذاك الحين . وهو لم يألُ جهداً ، إن في المجلسين او في الوزارة ، في توثيق عرى الوداد بين عنصري الترك والعرب . فعضد اللغة العربيّة في المبعوثان وأيّدها في المحاكم ومدارس الحكومة وبقيّة الدوائر في بلاد العرب واستصدر الاوامر الرسميّة بمنع ترظيف جاهليها في هذه البلاد ومنع غير ابنائها من تدريسها في المدارس الاعدادية والرشدية والسلطانية وإرجاع من عُزلوا من وظائفهم اليها لجهلهم لغة الاتراك» (٢)

أمّا حبه لوطنه وابنائه فظاهر في كل حرف خطّه وعمل أتاه . لا يدّخر في خدمتهم

---

١) جريدة «السلام» — بوانس ايرس — في ٨ حزيران ١٩٣٥

٢) جرجي نقولا يازجي : سليمان البستاني (ص : ١١)

وقته حتى ولا صحّته وقد كتب من الاستانة الى السيّد اسكندر شمعون وكان قد دعاه الى زيارة اميركا لتفقّد احوال المهاجرين :

«لم يتقرّر بعدُ شيء قطعي بشأن سفري الى الولايات المتحدة او غيرها من الاقطار الاميركية فاذا تقرّر شيء من ذلك افدتكم. ولا اخفي عنكم ان بعد الشقة يخيفني على ما انا عليه من ضعف الصحة ولكن اذا تبين لي من ورائه فائدة حقيقية لابناء الوطن فلا ابالي حينئذ اذا مكنت الفرصة »

وكان يخدم الجميع على السواء لا فرق عنده بين المسيحي والمسلم وكثيراً ما اجتهد رحمهُ الله في قتل روح التعصّب والتفريق وطالما قال للاستاذ بولس غانم : «انقل عني الى ابناء لبنان اني اوثر ان اراه اجدب خالياً من السكان على ان ارى التنابذ والتفريق عاملاً عمله بين الطوائف والاحزاب »

ولبنان كان قِبلة افكاره خاصةً اثناء مرضهِ في سويسرا حتى ان مصائب الوطن وبنيه كانت تنسيه اوجاعه الشخصيّة

وهذه حادثة تبيّن في آنٍ واحد تعلّقه بوطنه واخلاصه وامانته لمصلحته :

اتى سنة ١٩١٠ موفداً من قبل السلطان لزيارة ولاية بيروت. ولمّا لم يكن لبنان مشتركاً بانتخاب المجلس ولم يكن البستاني موفداً اليهِ لم يطأ ارضه الّا مرةً واحدة رادًّا الزيارة للمتصرف في بيت الدين وذلك بصفة رسميّة. وبالرغم من كونه لبنانيًّا وبالرغم من وجود اهلهِ في بكشتين والدبيّة وهما على مسافة قصيرة من بيت الدين فانه لم يشأ الّا السير بموجب بعثته . وهكذا فقد اتى بيروت ورجع ولم يرَ قريته واهله مع ما كان عليهِ من الحبّ . . . واذ كان سائرًا في طريقه الى القسم الجنوبي من الولاية بين بيروت وصيدا رأى من السعديات بيته في بكشتين على مسافة ثلاث ساعات . فتأوّه حنيناً اليه . وكان الى جانبه في المركبة الشيخ عبد الله البستاني . فالتفت سليمان اليه وقال :

قد طال عهدي بالقريض فخلتني أنسيتهُ ببديهه وبيانهِ
وحللتُ لبنانًا فهاج قرائحي ذكر الصبا بحنينهِ وحنانهِ
فاذا نطقتُ فانما هي جمرةٌ في قلب من يصبو الى لبنانهِ

القسم الثالث: رجل العلم والادب

لم تكن شهرة فقيدنا السياسية لتغطي شهرته العلمية والادبية. وهي وان كانت اكثر ضجة في حياته سوف تتضاءل مفسحةً المجال للثانية. وسيبدو العالم رجل السياسة بينا رجل العلم والادب يظلّ خالداً بخلود علمه وادبه

١ً رجل العلم

قرن البستاني الخبرة السياسية الى التعمّق في العلوم فكان يُجيد الجبر والهندسة والطبيعيات والكيمياء. وكثيراً ما عُرض عليه ادقّ الاعمال الحسابية فحلّها غيباً بعد افتكار قليل

﴿الاختزال﴾ وهو اول من افتكر بالاختزال العربي فوضع طريقته ونشرها في الجزء التاسع من دائرة المعارف في مادة «ستينوغرافيا» بعد ان ذكر تاريخه عند الشعوب القديمة والحديثة وفائدته. وقد اتخذ قاعدةً لتلك الاصول «الاوضاع العامّة واعتمد فيها على مخارج الحروف فجعل صورةً واحدة من حيث الشكل لكل حرفين اتحدا في المخرج (الّا الصاد والطاء) وجعل اكثر الحروف ورودًا في الكلام العربي اسهلها رسماً بالوصل والقطع... واضاف اليها روابط بالغة في الايجاز» (١. ثم نشر هذه الطريقة في كتيب على حدة كما اوردنا في القسم الاول من هذه الترجمة (ص: ٨٧٦)

وقد اخترع آلة يستعملها المختزل العربي فيتمكن من متابعة اسرع خطيب وهي اشبه بالآلة الكاتبة الّا ان عدد مفاتيحها اقلّ لا يتجاوز ٢٦ والورق الذي يستعمل لها لفافاتٌ لا يزيد عرضها على ٥ سنتيمترات. اذا نقر المختزل على المفتاح ارتسمت العلامة الاختزالية على اللفافة الدائرة على بكرةٍ من تلقاء ذاتها. وسلّم اكتشافهُ هذا الى شركة فرنسوية صنعت له قُبَيْل الحرب ثلاث آلات بصفة نماذج كانت احداها عنده في الاستانة والاخرى عند اخيه الدكتور سليم في مصر والثالثة عند نسيبه الاستاذ

١) راجع دائرة المعارف «ستينوغرافيا» (الجزء ٩) حيث ترى رسوم الاحرف العجائبية وشرح استعمالها

وديع البستاني . واتفق ان اشتعلت نار الحرب فحالت دون السير بالمشروع . وكان من جملة اغراضه في زيارة اميركا الاهتمام بهذا الاختراع

﴿الاكتشاف الميكانيكي﴾ ومن جملة مقاصده بزيارته تلك الاصقاع كان امله باتمام اكتشافه الميكانيكي وهو جديد في بابه يختص بتقوية القوة الدافعة والمحركة في رفع الاثقال وجرها على طريقة المخل . وقد قابل اديسن كما ذكرنا ولكنه لم ينشر نتيجة هذه المقابلة ولربما ظهرت في مذكراته

﴿قلب ورق البيانو﴾ ومن مخترعاته ايضاً آلة تقلب من تلقاء نفسها اوراق دفاتر «النوط» التي يستعملها الضارب على البيانو فتتوفر عليه اذ ذاك مؤونة قطع عزفه كي يقلب تلك الاوراق . وقد استحصل شهادات (باتنتات) بهذا الاختراع من فرنسا والمانيا وتركيا

﴿الآلة الكاتبة والحركة الدائمة﴾ وقد ذكر الاستاذ بولس غانم انه اخترع ايضاً آلة للكتابة العربية باع امتيازها من شركة اميركية . وكان يابو وقت فراغه البحث في مسألة الحركة الدائمة . واصطنع آلة صغيرة ليتمكن من تحقيقها مع علمه انّ تطبيق ذلك على آلة كبيرة من المستحيل

﴿العلوم والمعارف﴾ امّا علومه في المجتمع والتاريخ والفلسفة فكانت متسعة وعميقة تجعله في صف اكبر العلماء الغربيين . وله كثير من الابحاث المفيدة في النشوء والارتقاء واسباب تفوّق بعض العناصر والاجيال البشرية على غيرها وتأثير الوراثة في الاخلاق والعادات الى غير ذلك ممّا حمل الكثيرين على عدّه اول عالم عربي عصري ومنهم الاستاذ حبيب كاتبه فقال : « ادعو البستاني اول عالم عربي عصري لانه اوّل من ادرك سرّ العلم الانتقادي الغربي فامتاز بذلك على معاصريه مثل عمه بطرس واليازجيين وغيرهم حتى وجرجي زيدان الذي اعدّه ثانيةً » (١) . وهذه دائرة المعارف اصدق شاهد على ذلك وقد اصدر منها بمعاونة ابناء عمه نسيب ونجيب ثلاثة اجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر وكانت له اليد الطولى في ذلك العمل الكبير . وان من عرف شغل الفقيد ومحبته للعلوم منذ صباه وملازمته للمرحوم المعلم بطرس يقدر

١) حبيب كاتبه سليمان البستاني اول عالم عربي عصري - الاخلاق (حزيران ١٩٢٥)

ان يقول مع السيد وليم كاتسفليس :

« ان المرحوم سليمان حتى في الاجزاء التي ظهرت قبل وفاة عمه بطرس في جمعها وترتيبها اكثر مما لعمه . واني اذكر ان المرحوم قال لي هو نفسه انه كان يشتغل ليلاً ونهاراً بجمع المواد وتبويبها وعند اكتمالها كان المعلم بطرس يراجعها فيحذف منها او يزيد عليها بعض المواد ويجهزها للصف . وانتم يا تلميذي من تواضع المرحوم سليمان تدركون انه لم يذكر ذلك من قبيل المفاخرة بل جواباً على سؤال مني جعله بقالب يقتضي هذا الجواب . وفي عرفي ان اشتغاله بجمع المواد المذكورة وهو في ريعان الشباب فتح العقل والنفس لاقتبال البذور الطيبة وهو ما جعله في المنزلة السامية الكبرى التي نالها في عالم الادب ليس فقط بما اكتسبه من المعرفة في ذلك العمل الشاق بل لانه اتخذ عادة البحث والتنقيب والمثابرة بلا ملال على الدرس فاصبحت فيه طبيعة ثانية » (السائح ٢٢ حزيران ١٩٢٥)

ومن نتائج هذا التعمق في الدرس تلك المقدمة الخالدة للالياذة التي شبهها الكثيرون بمقدمة ابن خلدون ونسبتها الى تلك المقدمة من حيث دقة البحث هي ، على قول المقتطف ، كنسبة العلم في هذا العصر اليه في عصر ابن خلدون

﴿ اللغات ﴾ وقد ساعد الفقيد على التوسع معرفته الكثير من اللغات فقد كان يتقن العربية والتركية والفارسية والانكليزية والفرنسوية وله في جميعها مؤلفات ومقالات . وكان يتقن ايضاً اليونانية الحديثة والقديمة والسريانية . ويعرف اللاتينية وفروعها كالايطالية والاسبانية . ويلم بالالمانية والروسية والهندية والعبرية . فهذه خمس عشرة لغة عدا السن القبائل العربية المختلفة كاللسان المعروف بالتواري وغيره

ومما يروى عنه انه استقبل مع نواب العرب في الاستانة سنة ١٩٠٨ فخطب باللغة العربية وثنى بالتركية كي لا يمس حاسة الاتراك . وطلب اليه ممثلو الدول الاجنبية ان يفهمهم ما يقول فتكلم باللغة الفرنسوية والانكليزية بفصاحة نادرة . ثم رغب اليه اليونان وقد عرفوه معرب الالياذة ان يتكلم لغتهم ففعل . فسير به محمولاً على الاكف الى المجلس . . .

٢ رجل الادب

ان الكلام على صفات رجل الادب ومزايا الكاتب والشاعر والخطيب والصحافي يتطلب بحثاً طويلاً يضيق عنه نطاق هذه المجلة . ولهذا فاننا نترك ذلك لفرصة اخرى

مكتفين الآن بذكر مؤلفاته مع بعض معلومات عنها :

١ ﴿دائرة المعارف﴾ طبع الجزء التاسع منها سنة ١٨٨٧ والعاشر سنة ١٨٩٨ والحادي عشر سنة ١٩٠٠ وقد تقدم بعض افادات عنها

٢ ﴿الافنزال﴾ نشر هذا البحث في دائرة المعارف سنة ١٨٨٧ ثم طبع على حدة

٣ ﴿الالياذة﴾ نُشرت سنة ١٩٠٤ مترجمة شعراً مقدمةً ببحث جليل في ٢٠٠ صفحة كبيرة عن سيرة هوميروس وشعره وآدابه والشعر اليوناني ومقابلته بالشعر العربي وآداب الامتين ومستقبل اللغة العربية الخ... وعليها شرح ادبي تاريخي اجتماعي. والالياذة اهم عمل اتاه البستاني بل اعظم كتاب عربي ظهر في القرن العشرين فتلقّتها الاندية الادبية الشرقية والغربية بغاية ما يمكن من السرور والارتياح وقال عنها الكثيرون من المستشرقين وفي مقدمتهم مرغوليوث المستشرق الانكليزي انها اصحّ ترجمات الالياذة واشدّها مطابقةً للاصل مع انها تُرجمت شعراً. واذ ظهرت الالياذة بمقدمتها الجليلة قرّر المجمع العلمي اليوناني في اثينا ان تُترجم المقدمة العربية الى لغته وتُطبع دائماً مع الاصل اليوناني. واذ انتُخب البستاني نائباً عن بيروت دعاه ملك اليونان الى المرور باثينا وقال: «اذا قصّرنا في استقبالك فانّ تماثيل فلاسفة اليونان المنتشرة في شوارعنا ترحب بك». وطالع الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بعض مقاطع منها قبل نشرها فقال: «ان هذا الاثر النفيس الذي لم يظهر على عهد بني العباس اظهره البستاني على عهد عباس» (واراد به خديوي مصر) وقال ايضاً: انا اجهل اللغة اليونانية ومع احترامي لهوميروس لا اقدر على الحكم في شاعريته... اولكن اذا كان شعره باليونانية يُضاهي شعر البستاني بالعربية فانا اول من يقرّ بعظمته... وهذه حادثة تظهر اعتبار معرّب الالياذة في المحيط الغربي :

كان في لندرا اثناء زيارة وفد النوّاب العثماني لها وكان رئيساً لذلك الوفد فاراد زيارة المكتبة الوطنيّة فقصدها وارسل لمديرها بطاقته وعليها صفته السياسيّة وجلس منتظراً. وما هي دقيقة حتّى رأى المدير يُهرول نحوه فاستقبله بكل اكرام وبعد السلام قال المدير: «اهالك نسيبٌ البستاني معرّب الالياذة؟ فقد سمعت انه سائح في اوروبا اليوم» فابتسم سليمان وقال: «نعم انا نسيبٌ له وهو سائح في اوروبا» فقال

المدير : « العلّه في انكلترة ولم نعرف بذلك؟» فقال سليمان : « واظنه ايضاً في لندرا » ثم زاد ابتسامه . فانتبه المدير وقال : العلّه انت ؟ فقال : نعم . عند ذاك ظهرت علامة تأسف على وجه المدير وقال : «What poor change!» ومعناه : «يا له تحوّل تاعس» ومراده ان من التعاسة ان يتحوّل معرّب الالياذة الى رئيس الوفد التركي !!!

ومن اراد زيادةً في وصف الالياذة وما احتوت عليه فليطالع المقالة النفيسة التي نشرها في انتقادها حضرة العلّامة الاب خليل اده اليسوعي في اربعة اعداد من مجلة المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٨٦٥ ; ١١١٨ ; ١١٣٨)

٤ ﴿عبرة وذكرى﴾ طبع سنة ١٩٠٨ وقد وصفناه في قسم «رجل السياسة»

٥ ﴿الدار والنفاء﴾ قصيدتان طبعتا طبعةً ثانية سنة ١٩٢٠

وللفقيد من المؤلفات غير المطبوعة :

٦ ﴿تاريخ العرب﴾ وهو يقع في اكثر من الف صفحة كبيرة بحث فيه عن العرب واحوالهم واطوارهم وعاداتهم مما اطّلع عليه بنفسه اثناء رحلاته العديدة

٧ ﴿مذكراته﴾ كان يكتبها باللغة الانكليزية وفيها ذكر اسفاره التي شهد بنفسه والآراء الكثيرة من سياسيّة وفلسفية وادبية وهي كنز ثمين نرجو ان تتحف به لغتنا في القريب

٨ (ديوان شعر العرب الحاليين) وقد جمع فيه ما سمعه من اشعار العرب اليوم منظومة بلغات القبائل المختلفة . . والكثير غير ذلك من القصائد مثل «الذئب والغزال» و«الخيبة والرجاء» و«الخيانة والوفاء» و«الترك والعرب» والابيات المفردة والمقالات بالعربية والفرنسوية والانكليزية والتركية . . .

***

هذا هو سليمان البستاني وقد اجتهدت باظهاره للقارئ الكريم كما هو . . . ولست بوفيه حقّه مهما اطلتُ الكلام . ولكن هي نافذةٌ افتحها على ذاتيّة البستاني الكبيرة فيرى منها اللبناني عظمة تلك النفس وقوّة ذاك القلب واضطرام تلك العاطفة في محبة القريب وانجاحه

لقد كان قلب البستاني كبيراً لبني قومه واسعاً لافادتهم مفتوحاً لاستقبالهم جميعاً فافاض عليهم نور المعرفة صافياً وعمل بتخليد اسمهم بين الامم . . .

ومن افاض النور فهو نير ساطع ! ومن عمل للتخليد فهو خالد !

القبعة على رؤوس الاتراك والعرب

نظر اخلاقي للاب لويس شيخو اليسوعي

يعلم قرّاؤنا ما تقدّم به رئيس الجمهوريّة التركيّة في انقرة لرعايا دولته فامر ان يجعلوا على رؤوسهم القبعة تشبّهاً بالامم الاوربيّة وبهِ زال آخر ما بقي من المميّزات للاتراك عن سواهم في الملابس

فاستاء كثيرون منهم لهذه الاوامر المشدّدة التي لم يُعفَ منها احد من صغار او كبار من طلبة المدارس او ارباب الدين فجرى لهم اليوم ما جرى قبل مئة سنة لمّا جعل السلطان محمود الثاني الطربوش شعاراً للاتراك فامتعض كثيرون غيظاً لذلك وكادت تقع ثورةٌ في الجند والشعب من جرّائهِ . وها هوذا اليوم قد أُلقي الطربوش عن هام لابسيهِ فنزل من مرتبتهِ السابقة وغلبت عليهِ القبعة الفرنجيّة كما غلبت سابقاً على الملابس الشرقيّة الواسعة البيّنة ثيابُ اوروبة الحرجةُ الضاغطة . امّا القلبساق فكان ملكهُ قصيراً ونطاقهُ ضيّقاً .

ولسنا نحن لنؤاخذ رجال انقرة على ما يفضّلونهُ من الازياء في الملابس : فانّ الازياء تختلف من عهد الى آخر على اختلاف اذواق لابسيها فيُستحسَن اليوم ما كان يستقبَح أمس وربّما عاد اللابس الى ثياب اجدادهِ فانّهُ ليس جديد تحت الشمس

وقد سألنا بعض الآغاوات في الاستانة العليّة هل عرف قدماء العرب والاتراك قبعة الرأس وتزيّوا بها في سالف الازمنة . فنفّينا عن ذلك في آثار مكتبتنا الشرقيّة فكانت نتيجة بحثنا انّ القبّعة وان شئتَ فقل البرنيطة حكمت احياناً على رؤوس الشرقيّين من الترك والعرب

لقد كان قلب البستاني كبيراً لبني قومه واسعاً لافادتهم مفتوحاً لاستقبالهم جميعاً فافاض عليهم نور المعرفة صافياً وعمل بتخليد اسمهم بين الامم . . .

ومن افاض النور فهو نير ساطع ! ومن عمل للتخليد فهو خالد !

القبعة على رؤوس الاتراك والعرب

نظر اخلاقي للاب لويس شيخو اليسوعي

يعلم قرّاؤنا ما تقدّم به رئيس الجمهوريّة التركيّة في انقرة لرعايا دولته فامر ان يجعلوا على رؤوسهم القبعة تشبّهاً بالامم الاوربيّة وبهِ زال آخر ما بقي من المميّزات للاتراك عن سواهم في الملابس

فاستاء كثيرون منهم لهذه الاوامر المشدّدة التي لم يُعفَ منها احد من صغار او كبار من طلبة المدارس او ارباب الدين فجرى لهم اليوم ما جرى قبل مئة سنة لمّا جعل السلطان محمود الثاني الطربوش شعاراً للاتراك فامتعض كثيرون غيظاً لذلك وكادت تقع ثورةٌ في الجند والشعب من جرّائهِ . وها هوذا اليوم قد أُلقي الطربوش عن هام لابسيهِ فنزل من مرتبتهِ السابقة وغلبت عليهِ القبعة الفرنجيّة كما غلبت سابقاً على الملابس الشرقيّة الواسعة البيّنة ثيابُ اوروبة الحرجةُ الضاغطة . امّا القلبساق فكان ملكهُ قصيراً ونطاقهُ ضيّقاً .

ولسنا نحن لنؤاخذ رجال انقرة على ما يفضّلونهُ من الازياء في الملابس : فانّ الازياء تختلف من عهد الى آخر على اختلاف اذواق لابسيها فيُستحسَن اليوم ما كان يستقبَح أمس وربّما عاد اللابس الى ثياب اجدادهِ فانّهُ ليس جديد تحت الشمس

وقد سألنا بعض الآغاوات في الاستانة العليّة هل عرف قدماء العرب والاتراك قبعة الرأس وتزيّوا بها في سالف الازمنة . فنفّينا عن ذلك في آثار مكتبتنا الشرقيّة فكانت نتيجة بحثنا انّ القبّعة وان شئتَ فقل البرنيطة حكمت احياناً على رؤوس الشرقيّين من الترك والعرب

١ القبعة على رؤوس الاتراك

سواء اعتبرنا الاتراك في اصول تاريخهم اذ تفرّعوا عن المغول وكانوا يسكنون في حدود الصين ام خصّصنا بالنظر دولتهم التي بسطت حكمها على آسية المتقدّمة وجدنا آثارًا منبئة بلبسهم القبعة ان لم يكن عموماً فعلى الاقلّ افرادًا وانفارًا وفئات

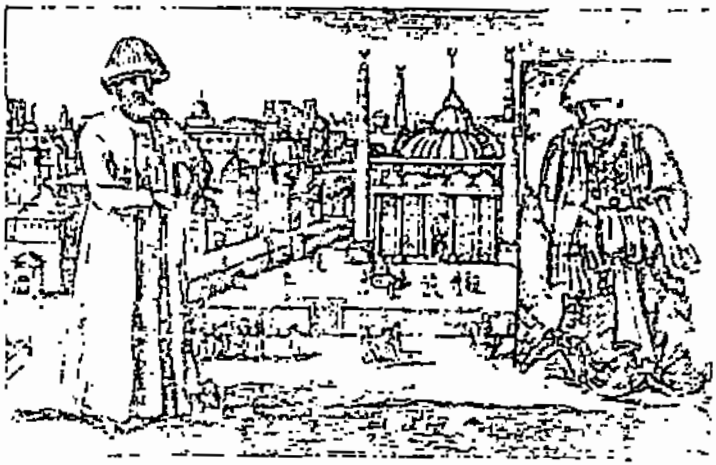

١ ٢

٣ ٤ ٥

اتراك وعرب والقبعة على رؤوسهم

واوّل دليل على لبس قدماء الاتراك القبعة اختلاط قبائلهم في القرون السالفة باهل الصين والصينيون كما هو معلوم يلبسون القبعة الواسعة الاطراف المحدّدة الرأس ومنها اشتق الاوربيون اسم بعض آلات الطرب المعروفة بالقبعة الصينية

(Chapeau chinois) . وترى في تصاوير اجيال المغول القديمة رجالاً تعلو هذه القبعة رؤوسهم . وقد نشر بعضها المستشرق الفرنسوي المسيو ادورد بلوشه (E Blochet) في تاريخ المغول المعنون بجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله

ولم ينسِ الاتراك لبس القبعة على رؤوسهم في عهد تاريخهم من زمن اورخان اوّل امرائهم الى القرون الاخيرة . لنا على ذلك شواهد في ما ورد عن السيّاح الاوربيين في انحاء الشرق . منها تصاوير رسمها الانكليزي ريكر اسكواير (Ricaut Escuyer) في تاريخهِ المسمّى بتاريخ الدولة العثمانيّة الذي نقلهُ الى الافرنسيّة المسيو بريو (Mr Briot) فطبعهُ في مجلّدين في مدينة كولونية سنة ١٦٧٦ فبين تلك التصاوير الممثلة للابس الاتراك صورتان لبعض الاتراك في الاستانة على رؤسهم قبعات اشبه بقبعات بعض الاوربيين في زماننا (اطلب الصور ع ١,٢,٤)

وأبيَنْ من ذلك ما ذكره السائح الهولندي نيبوهر (C. Niebuhr) في كتابهِ المعنون بالسياحة الى جزيرة العرب . ففي طبعتهِ الفرنسويّة المنقولة عن الالمانيّة والمطبوعة في امستردام سنة ١٧٧٦ وصف ملابس اهل الشرق من اتراك وعرب (١ : ١٢٧ — ١٣٦) وخصّ خمس صفحات رسم فيها ٤٨ من ملابس الرأس للذكور والنساء بينها ما رسمناهُ هنا (ع ٣و٥) وهما موسومان في اصل الكتاب بالعددين (٨و٤٧) فقال في وصف قبعة العدد ٣=٨ انَّ الجاوشيَّة في مصر يلبسونها ومثلهم بعض اعيان الضباط في القاهرة وطرفها مكسوٌّ بقماش ناعم وهذا قولهُ بلفظهِ (ص ١٣٠) :

«Grand chapeau des Esjaus et de quelques autrs Officiers de marque dans Kahira, le bord en est enveloppé de toile fine.»

وقال في وصف العدد ٥=٤٧ هي صحيفة من فضة او نحاس اصفر تعلو رأس المرأة مستديرة الاطراف ممكّنة على رأسها وهنَّ يربطنها تحت الذقن

٢ القبعة على رؤوس العرب

انَّ العرب في البادية قلّما يجعلون على رؤوسهم ما عدا الكوفيّة والعقال . ولا عجب فانَّ الكوفيّة مع تغطيتها للرأس يجوز ايضاً اتّخاذ طرفها لستر العيون عن وهج الشمس فتقوم نوعاً مقام القبعة

امّا في الحضر فلا يستبعد اتّخاذ بعضهم للقبعة

فانَّ الجاوشيَّة الذين مرَّ ذكر لُبسهم للقبعة لم يكونوا كلُّهم اتراكاً وانما كانوا ايضاً من الوطنيّين وعرب الحضر

ومن الشواهد الحديثة ما افادنا به الرحَّالة امين افندي الريحاني في رحلته الاخيرة الى اليمن سنة ١٩٢٢ (ملوك العرب ١ : ٢٢٧–٢٢٨) انهُ وجد في طريقهِ من صنعاء الى الحُدَيدة قوماً من العرب يلبسون القبعات اي البرانيط قال:

«كنَّا نمرّ في طريقنا بنساء لابسات البرانيط ومنَّ يشتغلن مع الرجال في الحقول. والبرنيطة او الشَّبْقة قديمة العهد في تهامة وبعض نواحي اليمن الاخرى ، وهي صُنْع اهلها ، يلبسها الرجال والنساء ، وكلُّهم عرب وكلهم مسلمون. لكنَّ الشمس لا تعرف حدوداً في الجنس والدين ، والانسان في مقاومته العناصر الطبيعيَّة لا يراعي التقاليد وهو ينبذها او ينساها لتمكنه من دفع العدوّ الهائل ، بل من الدفاع عن الحياة

«وباي سلاح تحارب هذه الشمس شمس تهامة اذا اضطرَّك رزقك ان تشتغل او تسافر نهاراً. أبالكوفيَّة ؟ وهي اذا تلثَّمتَ بها تدفع ثائر الغبار والرمال فقط. قد تقي العيون من وهج الشمس ولكنها لا تقي الرأس من سهام اشعَّتها الكاوية. امَّا العمامة فلا بأس بها لاصحاب التحلُّة والكرامة ، للسادة والعلماء الذين لا يضطرُّون الى السعي في سبيل الرزق والرفاه. قد برهن الباقي النهائي في لبسهِ الشبقة على انَّ الغريزة في الانسان شرقيّاً كان او غربياً. مثلها في الحيوان واحدة لا تتغير. ومن عواملها الاولى حفظ الحياة والدفاع عنها. وقد احسن أيما احسان في صنع شبقة من القشّ بمراعاة النسج فلا تمنع الهواء. واسعة الاطراف تظلّل الوجه عالية القبع تحفظ الرأس من سهام الشمس»

فكفى بهذا شاهداً على انَّ العرب كما الاتراك لم ينفوا من ملابس رؤوسهم القُبَّعة. ولم يأتِ الاتراك المحدثون شيئاً إذاً إن عمّموا اتخاذها في دولتهم

٣ً اسماء القُبَّعة عند الاتراك والعرب

وممَّا أتاه علينا السائل قولهُ : ان كان العرب والاتراك اتخذوا القبعة فباي اسم شاعت عندهم ؟

﴿القبعة واسماؤها بالتركية﴾ اللفظة المختصَّة عند الاتراك للقبعة هي الشَّبْقة وهي كلمة مشتقَّة من اللغة الروسيَّة او الصقليَّة لكنها ترجع اصلاً الى اللاتينيَّة (Cap) ومنها (Caput) اي الرأس فأُطلقت على لبس الرأس وبنى الاتراك منها «شبقه لر» اي اللابس الشبقة و«شبق جي» اي صانع الشبقة وهم يكتبونها «چوبقه»

وجاء في بعض كتب السيّاح انّ اسمها عند الاتراك «قاووق» وانّما القاووق لا اطراف له تستر العيون مع اختلاف اجناسه وهيئاته

﴿اسماء القبعة بالعربية﴾ اسماء الملابس عند العرب مشتقة غالباً من لغات اجنبيّة. فأطلق البعض على القبعة اسم القلنسوة واللفظة من اصل اعجمي شاعت منذ أيام الدولة العبّاسيّة وقد اختصرها العامّة بالقلوسة وهي في عهدنا على شكل اسطواني مستدير مطرّفة او مقرّنة في اعلاها

وأشيع منها اليوم القُبّعة ويخفّفونها بالقبّعة وان كانت القُبّعة في الاصل كما جاء في تاج العروس «خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الصبيان»

وكان ملبوس القضاة على رؤوسهم قبّعة واسعة كما تراها في الشكلين ١ و٢. وكانوا يدعونها بالدَنّية لشبهها بالدَنّ فتستر اطرافها السفلى العيون

اما البرنيطة فهي طليانيّة الاصل (barreto) او (borreto) اشاعها الايطاليّون نزلاء اساكل الشرق في سوريّة ومصر. ولعلّ للبرنس اتّصالاً بهذا الاصل وهو يأتي بمعنى القلنسوة. قال في التاج: البرنس القلنسوة الطويلة. والله اعلم

وعلى كل حال يظهر ممّا سبق انّ القبعة ملبوس الرأس عند الفرنج اتّخذها العرب والاتراك في بعض اجيالهم. وإن لبسوها اليوم يمكنهم الاستناد في لبسها الى تقاليد سابقة في أمّتهم

سياحة رسولية في بلاد حوران

بقلم حضرة الاب فردينان ترتل اليسوعي (تتمّة)

الزبيرة والزباز

هما خربتان موقعهما جنوبي خبب بشرق في جرود اللجا وما بينهما مسافة بضع دقائق للماشي زرتهما فوجدت بين الصخور خيم اعراب اللجأ فدخلت خيمة احدهم فرحّب بي على فقره المدقع وأقعدني على عباءته وقام يحمّص القهوة ويدقّها ثم أغلاها

وجاء في بعض كتب السيّاح انّ اسمها عند الاتراك «قاووق» وانّما القاووق لا اطراف له تستر العيون مع اختلاف اجناسه وهيئاته

﴿اسماء القبعة بالعربية﴾ اسماء الملابس عند العرب مشتقة غالباً من لغات اجنبيّة. فأطلق البعض على القبعة اسم القلنسوة واللفظة من اصل اعجمي شاعت منذ أيام الدولة العبّاسيّة وقد اختصرها العامّة بالقلوسة وهي في عهدنا على شكل اسطواني مستدير مطرّفة او مقرّنة في اعلاها

وأشيع منها اليوم القُبّعة ويخفّفونها بالقبّعة وان كانت القُبّعة في الاصل كما جاء في تاج العروس «خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الصبيان»

وكان ملبوس القضاة على رؤوسهم قبّعة واسعة كما تراها في الشكلين ١ و٢. وكانوا يدعونها بالدَنّية لشبهها بالدَنّ فتستر اطرافها السفلى العيون

اما البرنيطة فهي طليانيّة الاصل (barreto) او (borreto) اشاعها الايطاليّون نزلاء اساكل الشرق في سوريّة ومصر. ولعلّ للبرنس اتّصالاً بهذا الاصل وهو يأتي بمعنى القلنسوة. قال في التاج: البرنس القلنسوة الطويلة. والله اعلم

وعلى كل حال يظهر ممّا سبق انّ القبعة ملبوس الرأس عند الفرنج اتّخذها العرب والاتراك في بعض اجيالهم. وإن لبسوها اليوم يمكنهم الاستناد في لبسها الى تقاليد سابقة في أمّتهم

سياحة رسولية في بلاد حوران

بقلم حضرة الاب فردينان ترتل اليسوعي (تتمّة)

الزبيرة والزباز

هما خربتان موقعهما جنوبي خبب بشرق في جرود اللجا وما بينهما مسافة بضع دقائق للماشي زرتهما فوجدت بين الصخور خيم اعراب اللجأ فدخلت خيمة احدهم فرحّب بي على فقره المدقع وأقعدني على عباءته وقام يحمّص القهوة ويدقّها ثم أغلاها

وسقاني وسائر الاعراب الذين اجتمعوا للقائي ومحادثتي وبعد ان شربنا القهوة سألني احدهم : من اين انت ؟ وماذا اتيت تفعل في حوران ؟

قلت : انا اتيت من رحلة الى حوران لاساعد المسيحيين فيها على اتمام واجباتهم الدينية

— ألست خورياً ؟

— بلى . لكني لست كسائر الخوارنة مربوطاً برعية بل انا خوري « رحالة »

— ومن يؤدي لك حاجيات الحياة ؟

— انا اليوم في ضيافة الحورانيين يقدمون لي الطعام والسكنى . أما مصاريف سفري فلا يبخل الله علي بها اذ انه يلهم احد كرماء المسيحيين في اسعافي وقد تكفي احياناً حسنة واحد منهم لقد نفقة اسفاري مدة اشهر

— وبماذا تكلم الحورانيين ؟

— اكلمهم بواجباتهم نحو الله ليحبوه ويعبدوه ويخدموه فيئول مصيرهم الى السماء دار السعادة

ثم اخذت اتلو على مسامع البدوي وجماعته وصايا الله العشر مضيفاً بعض التعليق على كل وصية . وكانت عيون هؤلاء المساكين تبرق إعجاباً عند سماعهم ما امرنا به الله وما هو مكتوب في صفحات قلوبهم وهم يحبون به وان يكونوا غير قادرين على الاعراب عنه : انا هو الرب الهك . . لا تحلف باسم الله باطلاً . . . اكرم الوالدين . . لا تقتل . . . لا تزن . . . لا تسرق . . . الخ . فقال لي البدوي :

— ما اجمل حديثك ايها الخوري . واقترح علي أن ابقى عندهم ليلتي فتذبح لي ذبيحة وتشد بيننا عرى الصداقة والولاء

فقلت له : وان طلبت منكم ان تسعوا لي بارشاد القوم كما أرشد الحورانيين افتسمحون لي بذلك ؟ لعلكم تزدادون مثلهم حباً لله وتستنيرون بمعرفة وصاياه

فتململت لكلامي هذا بعض الوجوه وخاصة وجوه النساء منهم . وقد طالما تاقت نفوس هؤلاء المساكين الى من يكشف لها شيئاً عن اسرار محبة الله لان ما عرفوه بمجرد العقل البشري البسيط عن وجود الخالق ووحدانيته لايكفي ليحرك في قلوبهم عاطفة الحب البنوي الذي افاضه الله فينا بكلمته . الذي كشف لنا بتجسده غوامض

اسراره المحيية . ولذلك مرّت القرون وانقشع ستر الظلام عن العالم مع انتشار نور المسيح . أمّا الاعراب فلا يزال معظمهم متسكعين في ظلال الجهل

وكاد القوم يتأثرون لكلامي لو لم يقطع حديثنا احدهم كان سبق فزار دمشق وعرف شيئاً من حياة اهل الحضر فجرى الحديث عن اعراب اللجا وتاريخهم فسألته :

أتعرف من الذي هدّ اركان هذه المدينة ؟ واشرت بيدي الى الانقاض التي حولنا

قال : همُ الكفار

قلت : انت تعني بالكفار المسيحيين الافرنج ؟ قال : نعم . فقلت : انك لمخطئ بظنك في امرين : اولاً لان الافرنج لم يأتوا قط الزبانير واينما حلّوا عمّروا عوض ان يبيدوا والشاهد الفرق بين البلاد قبل دخولهم فيها وبعده . ثانياً لانهم ليسوا بكفار لا يرميهم بالكفر الّا الجاهل المتعصب وهم يعرفون الله وصفاته وكمالاته احسن معرفة ولولا تلك المعرفة السامية لما فاقوكم علماً وغنًى وقوةً لان هذه المواهب اصلها الدين وحيث النور هناك الاشعة والنهار وحيث الظلمة هناك العتمة والليل الاسود .

وأشعرت اذ ذاك انه حان وقت الرحيل فنهضت واخذنا نتجوّل بين الانقاض وهي عبارة عن جدران ضخمة طُبّقت احجارها بعضها على بعض من غير ملاط . بينها بقايا برجين لا يزالان مرتفعين فيراهما الناظر من خبب . وكان سيرنا عسيراً جداً بين تلك الرجام ومنها ينقل الخبيبيون الحجارة لبناء بيوتهم في القرية . واذا وجدوا حجرة قديمة منقوشة وضعوها في مرأى من النظر وقد ذكرنا بعض ما شاهدناه منها

اما الاثريون فلا يتفقون في اثبات اسمي الزميرة والزبانر في الزمان الماضي ولعلّ تينك الناحيتين هما اللتان عُرفتا باسم مزرعة الخبّين

بصير

قرية تحدّها شمالاً « جباب » على بعد الساعة والربع للخيّال واراضي الصنمين على بعد نصف ساعة . وغرباً قرية الصنمين على بعد الساعة للماشي . وجنوباً قرية خبب على بعد الساعة والربع . وشرقاً اراضي كريم وجباب . وهي تبعد نصف ساعة عن محطة خبب للخط الحديدي الحجازي

ومن المحتمل انها دُعيت ببصير لان النظر يمتدّ منها على القرى المجاورة لارتفاعها فوق سطح البحر فيشرف منها الناظر على كونه وسنه وغباغب ودير البخت وكفرشمس والحارة وجاسم والنخل والقنية وتبنه والمحجة وبصرى الحرير والسويداء وخبب وسور اللجا

سكانها مسيحيون كاثوليكيون ملكيون كلهم وعددهم زهاء ٥٥٠ ومنهم ٧٠ الى ٨٠ مهاجراً لم يتوفق منهم باعماله الا القليل. واصلهم من صلخد ومن عيالهم بيت ابي اللمع الصلخدي الاصل وبيت فلوح وهي الحمرلة الكبرى تفرقت على مدى الايام الى بيت فلوح ومنها وناصر وسلمان ولها فروع في المادبا والسلط واسمهم الكرادشة. ولهذه الاسرة اثر كريم تاريخي نشرته مجلة المرّة الغراء (سنة ١٩١٢) وهو رسالة حرّرها سنة ١٧٢٨ زعيم العائلة الخوري كامل فلوح من صلخد الى السيد افتيميوس صيفي مطران صيداء يسأله ارسال مرشد كاثوليكي الى حوران

وفي بصير مدرسة للذكور لها مطهان. وفيها بركة كبيرة يشرب منها الاهلون والمواشي لكنها تنشف في اواخر أيار فلا يبقى لشرب الاهلين الّا الآبار الخمس عشرة التي حفروها فيها. اما المواشي فترد مياه جباب ويدفع عنها اصحابها ضريبة ثلاثين مجيدياً. ويزرع اهل بصير اراضيهم في تشرين ويحصدونها في ايار وهي تقسم الى ٤٨ حصة وتدير مئة فدّان

وفي شمال جباب وبصير يكرم الاسلام مقام النبي اليشع ولعلّهم بنوا اكرامهم لهُ على ما ورد في سفر الملوك الثالث (١٩: ١٩–٢١) حيث قيل ان النبي ايليا سار في برية دمشق «واقمي فيها اليشاع بن شافاط وهو يحرث وامامه اثنا عشر فدّان بقر. وهو مع الثاني عشر فرّ نحوه ايليا ورمى اليه بردائه فترك البقر وجرى وراء ايليا .. وكان يخدمه»

وفي قرية بصير هذه مرّت شرذمة من رجال الامير فيصل في غرّة تشرين الاول سنة ١٩١٨ وهم سائرون ليحتلّوا دمشق فنزل ناصر ابن عمّ الامير على احد سكّان القرية المدعوّ ناصراً فاضافهُ وحاول ان يذبح لهُ ذبيحة فلم يرضَ الامير واكتفوا بان غمسوا خبزهم في بطيخة قُطعت على صينيّة ثمّ ساروا حتى وصلوا تل مانع وهو جبل في شرقي الكسوة فاحتلّوا بطلقات مدفع عليهم وكان هناك عساكر من الاتراك

قد كمنوا في مغارة وجعلوا يضربون منها الاعراب . فوقف الامير ناصر فانتظر ريثما ينجده العسكر الانكليزي ليواصل سيره ويدخل دمشق

الصَّنَمَان(١)

قرية الصنمين تعلو ١٧١ متراً فوق سطح البحر شرقيَّ بصير بشمال وتبعد عنها مسافة الساعة والنصف وهي بالقرب من الطريق الكبرى التي تصل دمشق بدرعا وكانت طريق الحج وهي الآن مستعبَدة عامة . وكانت عند الصنمين محطة للخط الحديدي الافرنسي مبنية بالحجر الصلب فخربها الصنميون ايام الفتن التي اثارها الامير فيصل . فلمَّا نشر الفرنسيون لواء الامن سخَّروا الصنميين بنقل حجارة المحطة الى درعا لتستعمل في بناء الكنيسة الجديدة القديسة جان دارك

زرتُ الصنمين في اوائل اذار فرأيت احواضها مملوءةً ومنها تجري المياه آتية من سفح جبل الشيخ الى تينه والمجة . فيها بركتان واسعتان عمق مياههما خمسة امتار . وفي القرية كثير من الآثار القديمة تُرى على بعضها نقوشها المزخرفة الناطقة بحذق صَنَعتها . وفي القرية مدرسة للذكور لها استاذ واحد تقوم الحكومة بمعاشه

سكان الصنمين كلهم مسلمون سنيون وعددهم يناهز الالفين اسم شيخهم فارس صالح الزغبي . ومن بيوتهم حَمُولة الفلاحات وزعيمهم الشيخ سعيد الفلاح . وحمولة القنوم وزعيمهم عبدالله الخطيب . وحمولة الدبابيين وزعيمهم حسين دياب وينتمون اصلاً الى الفلاحات . وحمولة الحيد وزعيمهم محمد هيمد . وبيت كاش وزعيمهم سليمان الكاش ويقولون ان لهم اقارب في زحلة . ومن وجهاء الصنمين ايضاً خليل نصار ويعقوب الشتار وخلف اللباء

وفي القرية تكيَّةٌ معروفة بمزار الشيخ جبير . ومن غريب ما ذُكر لي ان المتصوفين من الاسلام الجباوية الذين اصلهم من قرية الجبا شمالي القنية لا يجترئون على المرور بالقرب من هذا المزار ما لم يكن معهم عصاً برأسه صليب او يكون بصحبتهم رجل مسيحي . ويروي الحورانيون ان «العجمي» ويعنون به صاحب المزار هو عدو للمتصوفين ويظهر لهم بهيئة مرعبة وربَّما قتلهم او ألحق بهم اذًى . فهذا لعمري سرٌّ

١) قال ياقوت (٣: ٤٢٩) : الصَّنَمان قرية من اعمال دمشق في اوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان

لم نقف على حقيقته ومن المعلوم انَّ المتصوفين جماعة انقطعوا للعبادة فان كانوا حقيقةً من الزهّاد اصدقاء الله فاي خوف عليهم من صاحب المزار والقوم يكرمونهُ كولي ؟ ولماذا يخاف «العجمي» من اشارة الصليب او يهاب الرجل المسيحي بهيئة الصوفي ؟ — وفي الحقيقة انني صادفت على طريقي احد المتصوفين اللابسين الصوف الابيض فرأيت صليباً صغيراً اخضر مرسوماً على عمامته . فتصوَّر !

وقرية الصنمَيْن تقوم مقام المدينة اليونانيَّة الرومانيَّة القديمة المعروفة بآيريا (Ἀήρα) وفيها انقاض كثيرة يرقى عهدها الى ايام الرومان والعصور المسيحية الاولى . ومن اهمّ آثارها برجان ومعبد اسمه تيكايون بُني اكراماً لالهة السعد (Τύχη) وفيها آثار كنيسة ملوكية قديمة تدل على ان آيريا كانت مركزاً لكرسي اسقفي وفيها كنيسة مشيَّدة على اسم مار مكاريوس

تبنه

موقعها شمالي طريق دمشق الكبرى تبعد عنها نحو عشر دقائق تحدُّها قرية القنية شمالاً بغرب على مسافة ثلاثة ارباع الساعة وقرية المحجة جنوباً بشرق على بعد نصف الساعة وقرية بصير شمالاً على بعد ساعة وربع ومثلها خبب شمالاً بشرق وقرية الفقيع جنوباً على بعد ثلاث ساعات

وسكانها كلهم مسيحيّون كاثوليك عددهم زهاء ٨٠٠ بيت منهم بيت عبيد وشناعة وبطرس والسهاونة اصلهم من مجيدل في لحف اللجا اضطرَّتهم الفتن في اواخر القرن الماضي الى مبارحة بلادهم فاسكنهم هرلو باشا العابد اراضي تبنه . ومنهم بيت قبلان وكانوا يُعرفون سابقاً بجوعان واصلهم من حلب

وفي القرية مدرسة للذكور لها معلّمان . والاب راعي النفوس هو الخوري يوسف عسكر وقد سبقه في رعاية هذه الخورنية الاباء سليمان غبان وابراهيم عوده والراهبان المخلّصيان صموئيل وبولس قسطنطين ثم عبدالله مرقس وعبدالله سهيل

ولم نجد في تبنه من الاثار الّا نصباً اشبه منه بالعمود المربع الزوايا علوه يقارب متراً ونصف وعرضه ٣٠ سنتمتراً عليه نقش قديم ممحيّ ولعلَّ الوثنيين كانوا يقدّمون عليه بخوراً لاصنامهم

ويُري الاهالي في شمالي القرية على بعد ١٠ دقائق منها اثار معسكر ابراهيم بن

محمد علي باشا الذي اقام في جوار تبنه وبرز اليها الماء من الصنمين . وشهدت قرية تبنه بعض الحوادث المفجعة التي اثارها الامير فيصل بعد معركة ميسلون لما جاء الى درعا وحاول ان يلمّ فيها شعثهُ ليعود ويهاجم الافرنسيين فجمع المشايخ وتآمروا سرًّا على قتل نصارى حوران . وفي غضونها خرج الوزراء من دمشق الى حوران لمفاوضة العصاة ووقف القطار بهم في خربة النزالة فهاجمهم العرب وقتلوهم وتفرقوا في البلاد ينهبون قرى النصارى . حينئذ خرجت من دمشق قطارات مصفَّحة وتقدَّمت حتى محطة المحجّة فقطع البدو الخط الحديدي امامها ومن ورائها وارتقوا سطح كنيسة تبنه وجعلوا يطلقون الرصاص منه على القطار واضطرُّوا اهل القرية الى الفرار ونهبوا اموالهم . وكاد الشر يتفاقم لولا قدوم الجيش الفرنساوي عن طريق غباغب فخاف العربان وولَّوا الادبار وعادت السكينة وساد الهدوء والامن

ولمَّا عاد اهل تبنة الى ديارهم وجدوها فارغة خاوية لا اثر فيها لاثاثهم واموالهم . ولم يشاؤوا ان يشكوا امرهم الى الدولة لئلَّا يثيروا الضغائن على انفسهم بل اجابوا الى طلب العصاة الذين نزلوا اليهم ليحظوا بواسطتهم شفاعةً لدى العدل . وانَّما اتَّكلوا على الله لتعويض الاضرار التي لحقت بهم

على ان الله لم يهملهم لانهم عوَّضوا عمَّا خسروه بكدّهم واجتهادهم وتضافر بعضهم ببعض وما عتموا ان عادوا الى حالة الراحة التي كانوا عليها قبل الحوادث ووهب الله اراضيهم غلَّات كفاتهم مؤونة العوز وساعدهم اخوانهم في المهجر على اصلاح حال الكنيسة فدُهنت وردّت اليها ايقوناتها

القنية

القنية قرية موقعها على مسافة ٥٠ دقيقة من تبنة شرقاً بشمال وجميع سكانها مسلمون لهم فيها جامع واسم شيخها محمود ابو رومية الجباوي . ومن زعمائها محمد الصلخدي ومحمود البكر واحمد العوض والزعوني والطويق . وفيها مدرسة للذكور عليها معلم واحد . واراضيها ٧٨ ربعاً وهي اخصب من اراضي تبنة . ولم أرَ فيها من الاثار القديمة الَّا بقايا صلبان منقوشة على باب بيت الشيخ

المحجّة

قرية اسلامية يقف القطار الحديدي عند محطتها الواقعة على ١٠ دقائق من بيرتها. يستحضر اهلها احجار الطاحون فيقتلعونها من جهات اللجا ويشحنونها على القطار الحديدي فتباع في دمشق

وسكانها يبلغ عددهم ١٤٠٠ نفس زعامتهم الشيخ عمر الطالب الحريري وسرور العتلة الصلخدي واهم حمولاتهم شحمه والمجاريش والسهاونه. وبين هؤلاء بطون وهم بيت العقده والجلده والراوي وكلهم صلاخده.

وجنوبي محطة المحجة فوق تل مزار «مقداد» للمسلمين. وفي القرية اثر جليل تدل بقاياه على انهُ كان كنيسة وهو عبارة عن مسكن واسع ذات اروقة سقفهُ واطى محمول على قناطر ذات عواميد نُقشت عليها رموز نصرانية. وابوابه مصاريعها من حجر كان السكان اتخذوهُ جامعاً لكنهم هجروه لجامع آخر ابنتوه وحصّنوه ليتحرّزوا فيه في وسط القرية من غارات الدروز لان بينهم وبين هؤلاء عداوة قديمة

ازرع

قرية كبيرة موقعها في شرقي الخط الحجازي بين المحجّة والغزالة وعدد سكانها نحو ١٢٢٥ المسلمون منهم ٧٠٠ واهم حمائلهم بيت عبيد ومنهم المختاران: نزال وعلي سليم. وبيت المنملاني وأصلهم من ناحية غربي صماء. وبيت الجبارين وهم من جبا وبيت خالد وهم من بشرة عجلون التي فيها قاضي القضاء. وهو الشيخ حسين عمري الحريري. وازرع قائمقامية منذ ١٥ سنة والقائمقام منزله بالقرب من المحطة واسمه عبد القادر الكردي

وسكان ازرع الكاثوليك الملكيون يبلغ عددهم زهاء ٤٢٥ ومنهم ١٥ مهاجراً بنيف ومن حمائلهم بيت العزام ولهم اقارب في مأدبا والسلط وجديدة مرجعيون والحصن انما اصلهم من ازرع. وبيت السالم واصلهم من هيت واليهم ينتمي بيت نصير وحوش وبيت خليل الديشان وابي غيث واصلهم من عيون وبيت الغريب. وخوري الكاثوليك الحالي هو حضرة الاب الياس نصير وسبقه في وظيفته الخوارنة

يوسف كامل وابراهيم سالم ويعقوب سالم

اما الروم فعددهم ينوف على المئتين وما بينهم ١٥ مهاجرًا ومنهم المختار وهو عوض يوسف زيدان واصل عائلته من برقين في جبل نابلس . وبيت شحاده وازرعي وابرهيم اسعد وجبران جباره . وكان للروم كاهن يتولى شؤونهم الدينيَّة وهو الخوري يعقوب عساف مات نحو سنة ١٩٠٠ فامسوا منذ ذاك الحين بلا راعٍ . ثم جاءهم كاهن سنة ١٩١٩ وهو الخوري ايوب عويص العجلوني فخدم القرية ثلاث سنين ثم انتقل الى رحم لعدم قيام الرعية بمعاشه

ومما رُوي لنا عن تاريخ ازرع ان ممدوح باشا سنة ١٨٩٦ (٣١٢ رومي) فرّق دروز ازرع في الجبل وكان الدروز اصحاب اراضي ازرع لهم فيها ٣٦ ربعة كل ربعة مساحتها ٣٢٠٠ دونم . وبعد ان غابوا عن ازرع عاد البعض منهم اليها بعد ٢٤ سنة فاستردُّوا دورهم . أما اراضيهم البالغة ١٥٧ ربعة فكانت الحكومة قد ضبطتها وآجرَتها : حصتين ونصف حصة للمسيحيين اعني حصة لاهل العيون ونصف حصة للهياتنة والعزام وحصة للروم وحصة ونصف للاسلام

وفي ايام الحرب العظمى قدَّم اهل ازرع للحكومة التركية في اول سنة ٣٥٠ مدًّا من الحبوب وفي ثاني سنة ٢٥٠ وفي ثالث سنة من الخمسين الى الستين مدًّا ونعاماً كثيرة

اما آثار ازرع القديمة فأكثر من ان يسعها نطاق هذه المقالة لانك اينما توجهت في البلدة رأيت كتابات يونانية منقوشة في الحجر وخاصةً بالقرب من الكنائس والبرج . فلأ رسومها صفحات عديدة من مؤلفات الافرنج الذين زاروا ازرع . على ان الاثر الاجلّ هي كنيسة مار جرجس فان الكتابة المنقوشة عليها تدل على انها بُنيت على معبد وثني للاله ثياندريت بنفقة حنا بن ديوميد احد اعيان ازرع الذي تراءى لهُ القديس جرجس بالحلم واوعز اليه ببنائها . ولعلَّ ذخائر القديس وُضعت في الكنيسة . ولا يزال البناء في الحالة التي كان عليها لما شُيد سنة ٥١٥ م وهذه الكنيسة تُعتَبَر من اقدم البنايات التي صبرت في بلادنا على كوارث الزمان . وقنابل ابراهيم باشا لم تكد تؤثر فيها . أما رسمها فيشبه رسم كاتدرائية بصرى فهو مثمن الزوايا بصحن مربع والقبة فيها مركبة على قناطر . أما دائرتها الخارجية فيحدق بها رواق .

وفي اربع زوايا الكنيسة هياكل وفيها ضريح باسم القديس جرجس وهو موضوع اكرام المسيحيين والاسلام

دنيبه

تبعد قرية الدنيبة نصف الساعة عن محطة ازرع عرباً. ولولا قلة ارتفاعها وتمام عمارها لخلتها قلعة حلب اذا نظرت من بعد الى وجهتها الشرقية عدد سكانها ٣٠٠ نصفهم مسيحيون روم وينتمون الى بيت نصرالله ومنهم شيخهم واصلهم من ازرع هجروها منذ ثلاثين سنة . والنصف الآخر مسلمون وهم بيت الزعبيه . والاراضي مقسومة ثلاثة ارباع للمسيحيين وربع للاسلام وحصة المسيحيين عبارة عن اربعين ربعة

ولما كنت القي عظات الرياضة في ازرع استهديت على الطريق الى دينيه فزرت شيخها المسيحي والتقيت ببعض الرجال فكلفوني ان آتي لأقيم بينهم الصلاة في بيت الشيخ وأسمعهم كلام الله لانهم كالخراف التي لا راعي لها ليس لهم كاهن وهم ابعد من ان يفتقد شؤونهم مطران الروم على حوران وهو مقيم في دمشق

فأجبتهم اني مستعد ان ابذل مجهودي في خدمة نفوسهم ان طلبوني من راعي الابرشية الشرعي السيد نقولاوس القاضي وكان اذ ذاك في شقرى . . . نوّر الله عقل هذا الشعب وحرك قلبه ليعرف الحق ويتبعه

وفي الدنيبة بعض الاثار منقوشة في الجدران تمثل طيوراً وهي رموز مسيحية تشبه ما رأيناه في قبور شفاعمر في الجليل الاعلى (راجع مقالة الاب رنفال (Mélanges de la Fac. Or., III, 33-43)

شقرى

كنا في ازرع لما وافانا كتاب من السيد المطران يدعونا الى شقرى لنساعده في سماع الاعترافات وهو كاد يختم الرياضة فيها. فلبينا دعوته وسرنا حتى دخلنا الكنيسة فاذا هي غاصة بجمهور المؤمنين فقمنا بمهمتنا الرسولية

سكان شقرى كلهم مسيحيون يبلغ عددهم الاربعمائة ومنهم ٣٠ مهاجراً واخص بيوتهم بيت ابو زراع ورشيد وتراب وبدران وسهيل وعزام واصلهم من العيرون

وكنيسة شقرى قديمة العهد حديثة الترميم اعتنى بها السيد نقولاوس القاضي فشاد قبتها مراعياً في البناء اصول فنها . وهي على فقرها حقيقة بان تجتذب السياح الذين يؤمون سورية للاطلاع على آثارها . وفي شمالي غربيّ شقرى برج جميل بني على قناطر اربع هبط سقفه من عهد قريب لسوء الحظ وبناؤه على الطرز السوري المعروف بوصف المداميك بغير ملاط . يا ليت مصلحة الآثار في دمشق او بيروت تلفت نظرها الى هذه الانقاض الجليلة فتعتني بترميمها او بحفظها وتوجه اليها سير الزوار فتكون دولتهم في حوران جزءاً من سياحتهم الى الشام . وامر دخول حوران اصبح في غاية السهولة لان سكة الحديد تجتازه وطرقه تكاد تصلح كلها للسيارات

رسالة

الآباء اليسوعيين في حوران

اول من دخل منهم بلاد حوران لاعمال الرسالة في القرن التاسع عشر هو الاب بولس ريكادونا في اواخر سنة ١٨٣٤ . ورافقه بصحة الاخ هنزا (F. Henza) وذلك باغراء مقاصد الرسولي السيد يوحنا المعمدان اوفرني (J.-B. Auvergne) وكان سأل هو والطيب الذكر المطران مكسيموس مظلوم الرسلين اليسوعيين الاباء ان يهتموا بشؤون الملكيين الكاثوليكيين في حوران لانهم ما كانوا رأوا مرسلين منذ اجيال . وكانت حالهم بغاية الانحطاط المدني والديني وكان المسلمون يعاملونهم معاملة الرقيق لا كهنة لهم ولا كنائس ولا مرشد يرشدهم ولا رادع يردعهم حتى كان الكثيرون يجهلون وصايا الله ويستبيحون القتل والسرقة شأن الاعراب في البادية

فلما ظهر الاب ريكادونا ورفيقه بينهم وقالا لهم انهما اتيا يتفقدان شؤونهم من طرف الاب الاقدس حرّكا القلوب حناناً وإعجاباً وكتب سكان قرية هيت الى الاب ريكادونا الرسالة الآتية :

« نعلمكم اننا الفان من الكاثوليك نسكن في البصرى وبطانية ونعيش بين العرب كالحملان بين الذئاب وليس لنا معلم ينشع عنا ظلمات الجهل ولا طبيب يداوي جراحاتنا . اما اليوم وقد علمنا انكم اتيتم من جبل لبنان مرسلين من الكرسي الرسولي فاننا نوقفكم على احوالنا وانتم الآن اعلم بها . نقبل ايديكم مرة ثانية وثالثة »

وواصل الاب ريكادونا رحلته الرسولية الى جنوبي بصرى لكن الحمى كانت قد

تساطت عليه منذ اسابيع فانهكت قواهُ فاضطرَّ للرجوع الى الشام

وفي ١٧ تشرين الاول سنة ١٨٣٦ تجهز الابوان بلانشه (B. Planchet) واستاف (R. Estève) (١ للتجوُّل في حوران والاطلاع على شؤونها. وكانت احوالها قد اصطلحت نوعاً منذ زيارة الاب ريكادونا . فوجد الابوان في قرية الهيت كنيسة للملكيين وكاهناً غيوراً يخدمها وكانت قرية نجران المؤلفة من ٤٠٠ مسيحي قد حظيت بكاهن جديد عوض كاهنها القديم المتوفى. انما كان محل الاجتماع للصلاة غير لائق وهو ضيق مهدوم السقف متداعي الجدران لا تزينهُ صورةٌ مقدسة الّا ايقونة حقيرة وُضعت في كوة اتخذوها بمثابة هيكل . وكان اسقف حوران السيد كيرلس الصيداوي من الرهبانية المخلصية قد جاء حديثاً وسكن خبب وهي اعظم القرى المسيحيَّة في حوران ودعا اليه المرسلين وقد ذكرهُ الاب بلانشه فقال :

«قد استقبلنا الاسقف بغاية الوداد فوجدناه غيوراً على رعيته صبوراً على ضيق العيش وشظفهِ رغب الينا بالحاح ان نبقى عنده . واننا لوددنا لو اتيح لنا ان نقضي ايامنا بجنبه لمشاطرهُ المتاعب والمشقات لكن اديرتنا في لبنان تنتظرنا الى الرجوع . على ان امنا وثيق بانه سيقوم باعمال كثيرة تؤول الى خير ابرشيته

ولم ينفك المرسلون عن الجهاد في سبيل اولئك المسيحيين المهملين وكان الاب استاف يطبب المرضى . وكان الحورانيون ينقادون الى مرشديهم فيتعلمون حقائق الدين بسرعة

وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر تجدَّدت الدعوة الى الآباء اليسوعيين بفتح دير في حوران عن لسان السيد باسيليوس حجار وبواسطة جمعية انتشار الايمان فسافر الابوان نورمان (R. Normand) وبورتلي (R Portelli.) وبلغا جبل الدروز واستقصيا اخبار المسيحيين فسُرَّا بما رأياه فيهم من تقوى . وسذاجة اخلاقهم سواء كانوا من الكاثوليك او من الاخوة المنفصلين وقد تحققا ضرورة الانعكاف على تبشير هؤلاء المساكين المتكمين في ظلمات الجهل بامور الدين اذ لم يكن في كل حوران الّا ٧ او ٨ كهنة يقصرون همتهم على خدمة ستة من القرى . امّا سائر

١) الاب استاف هو الذي اشتهر في لبنان وخصوصاً في بكفيا باسم الاب سليمان . وعُرف الاب بلانشه باسم الاب مبارك وأُرسل كقاصد رسولي الى ما بين النهرين

المسيحيين المتفرقين في القرى بين الدروز والمسلمين فليس لهم من يهتم بامور دينهم

فقرّ قرار الرؤساء على انشاء رسالة في حوران فتوجه اليها سنة ١٨٨١ الاب ارسانيوس مرل (Merle) تمهيداً لافتتاحها. وفي غضونها كان الشعب هائجاً على راعيه السيد باسيليوس حجّار لزعمهم انهُ جمع في اوربّة واميركة حسنات واسعة لرعيّته لم ينالهم منها شيء. فتهدّد اعيان الطائفة رئيسهم بالانفصال وانجز البعض منهم قولهم بالفعل

فما ظهر الاب مرل بين الحورانيين الّا وهدأت الخواطر واخذت المياه تعود الى مجاريها. وانضمّ المرسلون الى السيد المطران لاحياء الحياة الدينيّة بينهم بانشاء المدارس وتدبير شؤون الكنائس ففتح الاب مرل مدارس في قرى خبب وتبنه والهيث في شمالي جبل الدروز. ثم رمى نظره بعيداً وامل انه يستميل قلوب الاعراب في البادية فاقام مدرسةً لقبيلة بني هجين المجاورة للمسيحيين

ولما حان الوقت لانشاء دير في حوران نظر الاب مرل الى قرية في وسط اللجا تسمى الدامة العليا وكان فيها زهاء عشر أسر مسيحية واربعين درزية فاقام فيها مركز الرسالة ودعا الدير الحديث دير سيدة النجاة ووافاه الاخ الياس حتوش ليعاونه بتدبير شؤون الرسالة ثم اتاهما كاهن ثاني فاصبحا ثلاثة في ديرهم

واخذ كرم الرب يأتي بأثمار شهية فكان كل من الاباء يغيب بدوره ليتفقد احوال الرعية ويتجوّل في القرى فيلقي عظات الرياضات ويسمع الاعترافات ويزور المدارس ويتداول مع الخوارنة فيما يخص مصالحهم . وكادت تلك الحركة المباركة تسير سيرها الحسن لولا الفتن التي حالت دون مواصلتها

من المعلوم ان دروز حوران دخلوا الجبل اثر مذابح الستين حيث اضطروا الى الفرار الى اللجاء لينجوا مما كانوا مستحقّوهُ من العقاب لفتكهم بنصارى لبنان. على ان حلولهم في سهول حوران ما عتّم ان نفّر قلوب العرب القاطنين في تلك الاصقاع لما جرى بين الفريقين من المزاحمة على استثمار غلات الارض فادّى النفور الى اشتهار الحرب بينهما

وحفظ الاباء المرسلون الحياد في تلك المعمعة واقتصروا على مداواة الجرحى والمرضى. ومما يستحق ذكره ما كتبه اذ ذاك الاب مرل وكانت الضرورة قد الجأته

الى مزاولة الطب والجراحة فكثيراً ما كان يسحب الرصاص من الاعضاء ويقطع في ذات اللحم قال :

« ما من جريح تسهل مداواته على طبيب كالدرزي المكلوم . اقطع اقلع فكأنك تعمل بجسد ميت لان الدرزي يعتبر اظهار شعور الالم عاراً . فان مات قيل : ساعته المحتومة وان شفي قيل : نجمه . الا اننا كنا نألم لرؤيتهم يوترون براحة الضمير التامة كأنهم من الابرار الصالحين . عبثاً كنت احرضهم على الندامة فكانوا يسمعون كلامي كأنهم يحلمون . وربما كان السبب لرباطة جأشهم اعتقادهم بان الموت ليس الا تقمصاً . فان هم ليسوا باطهار فسوف يقضون حياتهم ثانية في ذات البلاد التي ماتوا فيها وان هم بلغوا الكمال فتكون بلاد الصين مصيرهم حيث يجتمع الدروز الكاملون وسوف يخرجون منها تحت قيادة المهدي ليفتحوا الارض ويملكوا على سائر الامم مدى الابد ! »

ولما اصبحت قرية الدامة العليا وجوارها ميداناً للقتال بين الدروز والاعراب وغدا المرسلون غير آمنين على حياتهم في ذهابهم الى دمشق وايابهم منها وهي التي كانت تمدهم بمواد المعيشة الجأتهم الحالة الى نقل ديرهم الى محل اخر . وفي ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٨٧ شد الاباء رحالهم وساروا بقافلة عدت ٢٥ جملاً الى قرية نجران وحلوا فيها وعادوا يواصلون اعمالهم الرسولية . وبلغ صيتهم احد مشايخ عربان البادية فارسل اليهم يدعوهم الى زيارته فاعتذر الاب مرل وقدم للشيخ صحبة رسله كتباً عربية بصفة هدية

على ان الحكام الاتراك جعلوا يتشاءمون من نفوذ المرسلين في حوران فدسوا الدسائس واخذوا يعرقلون سير اشغالهم ويهيجون القوم عليهم بينما كان سفير فرنسة في الاستانة يبلغهم انه سوف لا يحرك ساكناً في سبيل حمايتهم . فما اقاموا عامين في نجران الا اضطروا ان يجلوا عن البلاد ويعودوا الى دمشق ليجعلوا فيها مركز الاب الذي يعهد اليه فيما بعد امر تفقد شؤون مسيحيي حوران

تتابعت السنون منذ ذاك حتى ايام الحرب العظمى حيث طرد المرسلون الافرنج وحكم على الباقين في البلاد بالانحجاب وتعطلت اعمال الرسالة في حوران . ولما حطت الحرب اوزارها وعاد الاباء الى ديورهم طلب السيد نقولاوس القاضي من الاب العام تسليم امر المدارس الى احد المرسلين مع مهمة تفقد احوال الشعب الدينية . فتعين الاب بيليسيه كزائر لمدارس حوران . وفي صوم السنة الحاضرة أوفد اثنان من

اليسوعيين لالقاء عظات الرياضات في القرى

ولعلّ امر انشاء دير في حوران كان دخل في حيز العمل لولا الحوادث الاخيرة التي اوقفت مجرى الاعمال . على اننا لا نريد ان نختم هذه النبذة من دون ما نذكر اسمَي الابوين دي لاموط (de la Mothe) وفولوا (Foulloy) الشابين اللذين جاءا الشرق للقيام بالخدمة العسكرية وهما يعلمان في كلية القديس يوسف فلمّا ثارت الفتنة واضطرتهما الى حمل السلاح سارا مع الحملة العسكرية للقيام بواجبهم الوطني . فوقعا ضحية الواجب والشرف في اول موقعة جرت بين الدروز والافرنسيين

ونرفع الى ذويهما الكرام عواطف عزائنا واعجابنا بالشهامة الافرنسية الا اننا نتعزى لعلمنا انهما بدمهما الطاهر قد عملا في سبيل تحرير النفوس من رقّ الخطيئة اكثر من الذين قضوا سنين في الرسالة لانه ما من محبة اعظم من ان يبذل الانسان نفسه حبًّا بالله وبالقريب . وقد بذلا حياتهما لاجل خلاص النفوس التي من اجلها حملا السلاح طاعةً لارادة الله كما صرّح الاب دي لاموط في كتاب حرّره بضعة ايّام قبل وفاته . وحيث تُريق الارض دم الشهداء هناك تأتي بثمارها الغزيرة حقق الله الآمال

بيروت

أخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث السابع

تاريخ بيروت في عهد مماليك مصر (١٢٩١—١٥١٥) (تتمة)

وفي أيام الاشرف ناصر الدين شعبان سنة ٧٦٧ (ايلول ١٣٦٥) غزا ملك قبرس هوغو الرابع دي لوسنيان ثغر الاسكندرية في سبعين مركباً ودخلوا المدينة ونهبوا اسواقها وبيوتها وقتلوا جماعة من اهلها وحرقوا باب رشيد ثمّ اقلعوا الى جزيرتهم . فارسل

اليسوعيين لالقاء عظات الرياضات في القرى

ولعلّ امر انشاء دير في حوران كان دخل في حيز العمل لولا الحوادث الاخيرة التي اوقفت مجرى الاعمال . على اننا لا نريد ان نختم هذه النبذة من دون ما نذكر اسمَي الابوين دي لاموط (de la Mothe) وفولوا (Foulloy) الشابين اللذين جاءا الشرق للقيام بالخدمة العسكرية وهما يعلمان في كلية القديس يوسف فلمّا ثارت الفتنة واضطرتهما الى حمل السلاح سارا مع الحملة العسكرية للقيام بواجبهم الوطني . فوقعا ضحية الواجب والشرف في اول موقعة جرت بين الدروز والافرنسيين

ونرفع الى ذويهما الكرام عواطف عزائنا واعجابنا بالشهامة الافرنسية الا اننا نتعزى لعلمنا انهما بدمهما الطاهر قد عملا في سبيل تحرير النفوس من رقّ الخطيئة اكثر من الذين قضوا سنين في الرسالة لانه ما من محبة اعظم من ان يبذل الانسان نفسه حبًّا بالله وبالقريب . وقد بذلا حياتهما لاجل خلاص النفوس التي من اجلها حملا السلاح طاعةً لارادة الله كما صرّح الاب دي لاموط في كتاب حرّره بضعة ايّام قبل وفاته . وحيث تُريق الارض دم الشهداء هناك تأتي بثمارها الغزيرة حقق الله الآمال

بيروت

أخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث السابع

تاريخ بيروت في عهد مماليك مصر (١٢٩١—١٥١٥) (تتمة)

وفي أيام الاشرف ناصر الدين شعبان سنة ٧٦٧ (ايلول ١٣٦٥) غزا ملك قبرس هوغو الرابع دي لوسنيان ثغر الاسكندرية في سبعين مركباً ودخلوا المدينة ونهبوا اسواقها وبيوتها وقتلوا جماعة من اهلها وحرقوا باب رشيد ثمّ اقلعوا الى جزيرتهم . فارسل

الاتابكي يلبغا العُمري الاوامر الى الامير بيدمر الخوارزمي بالتوجّه الى بيروت وتجهيز اسطول كبير من غابتها لفتح قبرس قال صالح بن يحيى في تاريخه (ص ٥٢–٥٣):

« فحضر (بيدمر) الى بيروت واحضر صنّاعاً كثيرين من سائر الممالك فكانوا جمّاً غفيراً وقيل انهُ لم يُعهَد قطّ عمارةٌ مثلها عظماً وسرعةً وكثرة صنّاع وقوّة عزم . فعمّر بيدمر بظاهر بيروت سطبةً وعُرفت به الى اليوم. وكانت المراكب تُسَل بها على بُعد من البحر. وحضر عسكر الشام متجرّداً فأنزلوه فيما بين البحر والمراكب حذراً من مراكب صاحب قبرس لئلّا يحضر العدوّ حين غفلة فيحرقوا ما يُعمَل من المراكب. وكان نائب الشام في ذلك الوقت أقتمر عبد الغنيّ. ولمّا توفي يَلبُغا العُمري في ليلة الاحد العاشر من ربيع الآخر ٧٥٨ (اواسط كانون الاوّل ١٣٦٦) أُبطلت العمارة المذكورة ولم ينزل من المراكب الى البحر سوى حمّالتين كبيرتين الواحدة باسم سُنقر والثانية باسم قراجا وهما اميران من امراء ذلك الوقت. وكان الامير بيدمر قد استعجل القومَ على عمارتها ليجهّزها فيُحضِرا صواري وقرايا ومقاذيف لباقي الشواني التي يعمّرونها. ثمّ بقيتا بعد ذلك في ساحة بيروت حتى تلفتا. وكذلك تلفت بقية الشواني التي لم تنزَل الى البحر تحت السطبة المذكورة. وكان قد صُرف عليها مال كثير فذهب سدًى لم يُستفَد منها سوى الحديد بعد ما اخذت الناس منهُ شيئاً كثيراً »

والحق يقال ان بيروت كانت في حاجة الى اسطول يردُّ عنها غارات القرصان من جنويّين وبنادقة وكتلان وبيزان الذين تهدّدوا المدينة غير مرّة وكادوا يستولون عليها . فممّا ذكرهُ المؤرخون نزول الجنويين الى بيروت في السنة ٧٨٤ هـ . وقد روى الخبر صالح بن يحيى بتفاصيله فننقلهُ عنهُ بالحرف لما فيه من الفوائد التاريخيّة ومن اوصاف بيروت في عصر المماليك المصريين قال (ص ٥٣–٥٥):

« في العشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م) حضرت تمسيرة الجنويّة الى صيداء فاخذتها وجاءت الى بيروت وكانوا سمعوا في دمشق بخبر حضورها الى صيداء. فقال مالك الامراء بيدمر: صيداء ما بقينا نلحقها لكننا نروح لنلحق بيروت : فوافق حضورُ العساكر الشاميّة الى بيروت حضورَ التمسيرة فلم يتعرّض اصحابها للنزول الى البرّ وتوجّهت التمسيرة الى جهة قبرس والمغوصة

« ثمّ رجع العسكر الى دمشق وتأخر منهُ شرذمةٌ وجماعة من الامراء . . . ثم انّ التمسيرة المذكورة آنفاً غابت اياماً قلائل وعاد الجنويّون الى بيروت بعد ان تركوا في المغوصة بعض مراكب صغار ومراكب نوافذ كسروها من صيداء وفي طريقهم مع ما كانوا غنموهُ من صيداء. فحضر الى بيروت اثنا عشر غراباً كبيراً ودخلوا الميناء وكان فيها قرقورتان للبنادقة فاخذوهما وشحنوهما بالرجال وقدّموهما حتى تمكّن الرُّماة منهم بالجروخ والحجارة من صواريها على برج بيروت الصغير البلبكي. ولم يكن في ذلك الوقت بُني البرج الكبير وكان مكانهُ خرائب

قديمة. فرمى الفرنج المسلمين بالجروخ والمدافع فتنحى المسلمون عن قبالة الفرنج واستتروا بالحيطان فتقدمت شواني العدو الى البرّ ما بين البرج الصغير والخرائب التي كانت مكان البرج الكبير ونصبوا صفائحهم من الشواني الى البرّ . ونزل منهم شرذمة كبيرة وعليهم مقدّم من كبارهم وبيده سنجق وصعدوا في الجونة الى جهة الخرائب لينصبوا السنجق على علوة اشارةً منهم انهم تملّكوا البلد . وشرعوا ينزلون من الشواني شرذمةً بعد أخرى فهجمت فرقة من المسلمين مع الوالد (١) على الذين معهم السنجق فقهروهم ورمروا السنجق . فلما نظر الفرنج وقوع السنجق وقف عزمهم وقويت قلوب المسلمين فحمل منهم ذوو النخوات فانهزم من كان نزل من الفرنج وازدحموا على الصقائل فانقلب جمع بعضها فغرق منهم جماعة وقُتل جماعة وانكسروا شرّ كسرة . واستشهد في ذلك اليوم من المسلمين نفرٌ وجُرح جماعة . وكانوا قد كشفوا التعبيرة عشيّة يوم وصولها فاشعلوا النار ليلاً اشارةً لوصول الفرنج الى بيروت فوصلت النار بالتدريج في تلك الليلة الى دمشق فحضر نيدُمر نائب الشام الى بيروت عشيّة يوم الواقعة وتبعتهُ عساكر الشام فكان وصولهم بعد فوات الامر ولم يلحقوا القتال ولم يروا غير الشواني في البحر على بُعد وهي راجعة الى بلادهم

ثمّ خلف المماليكَ البرجيّين الجراكسةُ على مصر المماليكَ البحريين الاتراك سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٤م) فحصل اهل بيروت على الراحة مدّة حتى كانت السنة ٨٠١هـ (١٤٠٣م). فانّ متملّك قبرس المدعو بطرس (Pierre I de Lusignan) دي لوسينيان كان قصد ان يسترجع مدينة الماغوصة (Famagouste) من جنويّة الذين كانوا افتتحوها سنة ١٣٧٢ في عهد بطرس الثاني . قال صالح بن يحيى يروي في تاريخه هذا الخبر بما حرفهُ (ص ٥٥—٥٨) :

« فلمّا بلغ الجنويّة ذلك فجهزوا ليأخذوا منهُ قبرس فاصلح الزّرادشة (اي فرسان رودس) بينه وبينهم على حكم ان يقوم لهم بمائة وعشرين الف دينار في نظير كفّهم على التعبيرة . فتوجّهت التعبيرة المذكورة الى العلايا (مدينة على ساحل بحر الروم) فلم يقدروا عليها فتوجّهت منها الى طرابلس وصار دَمَرداش (المحمّدي) نائبًا . فنزل الفرنج الى البرّ لكنّ المسلمين تكاثروا عليهم ومنعوهم الوصول الى المدينة فرجعوا الى مراكبهم مخذولين بالخيبة . ثم حضروا الى بيروت في العشرين من محرّم سنة ٨٠٦ (١٤٠٣م) فلمّا رآهم اهل بيروت همّوا بترحيل حريمهم واولادهم وامتعتهم فأُخليت بيروت من اهلها ولم يكن بها متولٍّ ولا عسكر مجرّد للحرب سوى امراء العرب ومعهم بعض جماعة . وكان قد توحّش خاطرهم لظنّهم انّ في التعبيرة خيولًا فخافوا من ذلك . فنزل الفرنج من الشواني الى البرّ في مكان يسمى الصنيطيّة غربي البلد في الرابعة من النهار وتملّكوا البلد وضبطوهُ واحرقوا الدار التي لنا على البحر والسوق القريبة من الميناء . وصار المسلمون يتجمّعون شيئًا فشيئًا وحمل اصحاب النخوات يهجمون على من تفرّد منهم في الازقة فقتلوا منهم جماعةً واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر . وحضر المتولي الامير يوسف التركماني

---

(١) يريد المؤلف صالحُ بن يحيى والدَهُ يحيى

الكسروانيّ فاقام الفرنج في بيروت الى قرب العصر ثمّ رجعوا الى مراكبهم. وتتبّع المسلمون بقيّتهم

«وفي تلك الليلة توجّهوا الى صيداء وتوجهنا قبالتهم في البرّ. فلمّا قربوا من صيداء على مسافة دون ميل من البلد نزلوا الى البرّ. وكان قد اجتمع على صيداء العُشران وغيرهم ولم تجسر الفرنج على الدخول الى البلد... ثم بعد ذلك اليوم توجّهوا راجعين الى جهة بيروت قاصدين ضر الكلب ليملأوا منه ماء. وعيّن ملكُ الامراء الامير الكبير سودونَ الظريف (نائب الكرك) ليتوجّه قبالة التميرة ومعه امراء العرب فوجدوا التميرة متوجّهة الى جهة بلادهم... ومن جملة ما تبعهُ الجنويّة المذكورون من بيروت حواصل بُحار لفرنج البنادقة بقيمة عشرة آلاف دينار. فبلغ البنادقة ذلك وانتضوا من الجنويّة نظيرها وازيد. وكان ملك الامراء قد رسم لمتولي بيروت ان يقطع رؤوس قتلى الفرنج وان يمرّ على ابداتهم مسطبةً على باب بيروت ويكتب عليها اسم ملك الامراء. وجهّز الرؤوس الى دمشق ثمّ الى مصر فحصل في انفس الذين قتلوا الفرنج غيرةٌ لنسبة المسطبة الى غيرهم فهدموها ليلاً واحرقوا ما كان بها من رمم الفرنج»

فترى من هذه الروايات انّ بيروت كانت معرّضةً اكثر من سواها لغارات العدوّ فما كانت تستغني عن مراكب حربيّة تصونها من جهة البحر لانها على الرغم من تلك الغزوات لم يزل موقعها مركزاً مهمّاً. وذلك ما حدا سابقاً بالامير سيف الدين تنكز نائب الشام الى ان يبني لها برجاً عُرف ببرج البعلبكيّة (يحيى بن صالح ٦١)

ولمّا تعيّن بيدمر الخوارزمي بعده كنائب الشام جدّد سور بيروت على جانب البحر جعل اوّلهُ من عند حارة بني الغرب واوصلهُ الى تحت برج تنكز وجعل بين السور والبرج باباً وركّب عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسُمّي باب السلسلة وعيّن لهُ قوماً يحرسونهُ

وكذلك كانوا اقاموا يَزَكاً اي طلائع في مقابلة العدو وذلك منذ اوائل الثامن للهجرة والرابع عشر للميلاد قال صالح بن يحيى (ص ٦٢) :

«كانت جنود حلقة بعلبك تتجرّد الى بيروت ابدالاً يبقى كل بدل شهراً. وفي السنة ٧٠٦ه (١٣٠٦م) انزلوا التركمان بكسروان وتداركوهم بثلاثة فارس وجعلوا دركهم من حدود انطلياس الى منارة الاسد على حدود معاملة طرابلس فكانوا يمنعون من يستنكرونهُ ان يتعدّى دربند ضر الكلب الا بورقة طريق اي وثيقة من المتولي او من امراء العرب وجعلوا التركمان المذكورين ثلثة ابدال كل بدل يقيم في الدرك شهراً

(قال) وكان الملك المظفر تقي الدين عمر الايوبي صاحب حماة قد ارتفق وقفاً على جماعة خيّالة ورجّالة برسم الجهاد وشرط عليهم بان يكونوا في اقرب المراقي الى دمشق. فلما استوطن المسلمون بيروت بعد الفتوح الاخير استقرّ اقامة المجاهدين المذكورين بها لقربها من دمشق.

وفي ايام السلطان الملك الظاهر برقوق عُمّر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الحربية فقرروا بو المجاهدين المذكورين . وكما قرّروه ايضاً لسرعة الدفاع عن بيروت أعلام نارية كانت تنبئ اهل دمشق باخبار بيروت في ليلة . كانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت النتيفة ومنه الى جبل بوارش في لبنان ومنه الى جبل بيبوس بوادي التيم ومنه الى جبل الصالحية فقلعة دمشق فكانت النار للحوادث بالليل وحمام البطاق وهو حمام الرحّل السيّار للحوادث في النهار هذا فضلاً عن البريد لنقل الاخبار »

ومع تحصين بيروت اخذ المسلمون يهتمّون بتزيينها بالابنية والدور الواسعة الفخيمة . لاسيما امراء الغرب الذين سيأتي ذكرهم . ومن البنايات التي كان انشأها الامير تنكز في بيروت خانٌ كبير وحمّام وصفها ناصر الدين حسين بشعر رواهُ صالح ابن يحيى في تاريخ بيروت (ص ١٥٤ – ١٥٥)

وبعد خمود التجارة مدّةً في بيروت اخذت سوقها بالرواج . قال صالح (ص ٥٩) :

« ثم صارت بعض مراكب الفرنج تتردّد اليها قليلاً قليلاً . وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس فيرسل صاحب قبرس بضائعهم في شونات كانت له الى بيروت نقلاً بعد اخرى . وكان لقبرس كنيسة [illegible] وجماعة من التجار [illegible] فيها [illegible] خانات وحمامات »

وقد ذكر كتبة الفرنج انه كانت البندقية في بيروت كنيسة كبيرة على اسم القديس مرقس شفيع بلادهم . واردف صالح :

« ثم تكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج فجعل عمال الدولة عليها ضرائب الواردات والصادرات وهي تبلغ جملةً كثيرة . وكان على باب الميناء دراوين وعامل وناظر ومشرف وشدّ (من مراتب ذلك الزمان) يولّيهم نائب دمشق والمتوفّر عن المرتّبات يُحمل الى دمشق »

تلك كانت حالة بيروت في عهد الملوك المصريين المعروفين بالجراكسة . غير ان النكبات التي توالت على الشام في مطاوي القرن الخامس عشر من حروب ومجاعات واوبئة ادّت بهم الى ضنك عظيم وخمول . ثم اخذت القرصان ترصد المراكب القادمة من بلاد الفرنج فتأسر ركّابها وتستصفي بضائعها فلم تعُدْ تقدم الى سواحل الشام الّا بكل تحرّز واحتراس فزادت احوال بيروت بؤساً . ودامت الحال الى عهد السلطان سليم خان الاول الذي فتح مصر وابطل دولة الجراكسة ثم استولى على الديار الشامية سنة ١٥١٧ فدخلت بيروت كبقية المدن السورية في حوزة ملوك بني عثمان

(لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Laurent d'Arce : L'Abyssinie. Etude d'actualité (1922-1924) *vol. in - 8°, Paris, Société d'Editions Géographiques, Maritimes et Coloniales, Prix 5 f*

الحبشة في الوقت الحاضر

انَّ سفر الامير تفاري ولي عهد الحبشة الى اوربَّة ألفت نظر العموم الى دولته الشهيرة . وهذا الكتاب الجديد وضعهُ احد العارفين باحوال تلك البلاد فضمَّنهُ من المعلومات ادقَّها ومن الافادات اوسعها فدرس تاريخها وتأليف عناصرها واخلاق اهلها وغلَّات اراضيها ونظام حكومتها وما جرى فيها من التطوُّرات المختلفة . وذكر دين سكَّانها وبيَّن ما للرسالات الكاثوليكية لديهم من النفوذ . وفصَّل ما بينهم وفرنسة من العلاقات والتودُّد وما يرجى للدولتين من المنافع المادّية والاقتصاديَّة بتوثيق عرى الولاء . فاصبح الكتاب كدليل حيّ لمعرفة احوال الحبشة لا غنى عنهُ لكل من يريد الاطلاع على امور تلك البلاد القاصية ل . ش

Carlo Pascal: Le Credenze d'oltretomba nelle letterarie dell'antichità classica, 2 *vols.*, 2de *éd.*, *G. B. Paravia et Cie*, *Torino*, *Prix Lires* 21

معتقدات الامم بالحياة بعد الموت

هذا الكتاب ظهر لاوَّل مرَّة سنة ١٩١١ في مجموعة « المكتبة المدرسيَّة في كاتانية » فتهافت عليهِ القرَّاء ونفد بعد زمن يسير . ولا عجب فانَّ مؤلفه شحنه بنصوص قدماء الكتبة من الامم السالفة المثبتة اعتقاد اهلها بحياة تابعة للحياة الحاضرة . وكفى بها دليلًا على اجماع اراء القدماء في هذا الشأن الجليل وعلى بطلان اراء الملحدين والماديين بنفي وجود حياة اخرى . وهذه الطبعة الجديدة قد أُصلحت وزيد عليها معلومات جديدة كما انَّها تزيَّنت بفهارس تسهل على الباحثين طلب ما يحتاجون اليهِ من المواد ج . ل

Hermannus Dieckmann: De Ecclesia, tractatus historico-dogmaticus, tom. II. De Ecclesiae Magisterio, *in*-8°, *Herder, Freiburg in Breisgau*, 1925, *Prix*, 11 *Marks* 50

درس لاهوتي نظري في تعليم الكنيسة

قد سبق لنا في عدد تموز (ص٥٤٩) وصف المجلّد الاول من هذا التأليف الجديد في الكنيسة لاحد علماء اللاهوت واساتذته في معهد فالكنبورغ. وقد بيّنّا ما تفرّد به الجزء الاوّل في تعريف كنيسة المسيح وانشائها ونظامها. وهذا الجزء الثاني يبحث عن الكنيسة من حيث أُقيمت من السيّد المسيح لتعليم الدين. وطريقته في هذا الجزء كطريقته في الجزء السابق فانهُ يفتتح اثبات قضاياهُ تاريخيًّا مباشرة بالسيّد المسيح في انجيله الطاهر ثمّ برسائل الابرار ورسائلهم ثم يُلحق بآياتهم اقوال الآباء والمجامع والتقليد. فيستنتج من هذه الادلّة عصمة الكنيسة في تعليمها. ثم يفنّد ما شاع من اعتراضات الهراطقة والملحدين بخصوصها. ثمّ ينتقل الى اثبات عصمة الحبر الاعظم ويبيّن شروطها وحدودها وغايتها وضرورتها ويثبت كلّ ذلك تاريخيًّا متاريخ الحقيقة [illegible] الحبر الاعظم لا يخترع حقيقة جديدة بعصمته بل يقضي بصحّة الحقائق التي علّمها السيّد المسيح ورسله وانّما كانت محجوبة فيزيل عنها القناع. ومن المسائل التي بحث فيها الكاتب ما لمعلّمي اللاهوت ولاسيما لمار توما اللاهوتي من حقوق السيادة في التعليم حتى ان الاحبار الرومانيين وخصوصاً لاون الثالث عشر حرّضوا جميع الاكليروس على اتخاذه كالمعلّم الافضل. ويبيّن المؤلف انّ هذا الامر البابوي يتناول المسائل الجوهرية التي يفوق على سواهُ في بيانها والدفاع عنها. وامّا القضايا الثانويّة فيجوز العدول الى غير رأيه بكلّ تصوّن واحتشام الاب ف. تورنيز

Oncle Joe: ABC DU BRICOLAGE. Guide pour les amateurs de bric-à-brac, *Paris*, 1925, *illustré*, *Librairie Delagrave*

مبادئ فنّ السَّقَط

السَّقَط في اللغة ما لا خير فيه ويُدعى بالفرنسية سقطيًّا. فهذا كتاب مفيد يشرح هذا الفنّ شرحاً مدققاً ويبيّن كم من الارباح يمكن الانسان ان يكسبها ممّا يعدّهُ العموم

نفياً منفياً. فهذه صناديق محطّمة واخشاب مكسّرة وعُلَب وقطع كرتون واحذية بالية واوراق منفية فكل ذلك واشياء كثيرة غيرها يستطيع الناس ولاسيما الفقراء ان يكسبوا بجرازها واصلاحها وبيعها معاشهم . فمؤلف هذا الكتاب يرشدهم الى الاستفادة من كل هذا السقط ليرتزقوا بهِ . وافادتهُ في هذهِ الايام اعظم من عهد آخر لغلاء الحاجيات

R. de Noter : LE VERGER COLONIAL. Guide pratique à l'usage des Colons des pays chauds. 1 *vol.*, 8° *illustré*, 1915, *Paris, Société d'Editions Géographiques*

حياة الحيوانات على وجه البرور

انَّ معرفة الحيوانات المنبثّة على وجه الارض لم تبلغ بعد الى كمالها . وانَّما ترقّت ترقّياً عظيماً بفضل الرحّالين الذين في السنين الاخيرة قطعوا الارض طولاً وعرضاً وبلغوا الى اقاصيها المجهولة سابقاً . فاتت معلوماتهم عن الحيوانات ممهّدةً لدرس عمومي يتناول صنوفها واقسامها . وهذا ما حاول بيانهُ مؤلف هذا الكتاب فانَّهُ خصَّ نظرهُ بحيوانات البرور وتتبّع انواعها واقسامها في الصحارى والجبال وفي الاحراج والاغوار وفي الجزائر والانهار فيثبت ما لكل صنفٍ منها من الاخلاق والعادات ومن الائتلاف او الاختلاف ومن المنافع والمضارّ فيستفيد القارئ من هذه الاوصاف فوائد جمة بينما يجني منها لذّةً وتفكهة

L. Germain : La vie des animaux à la surface des continents. 1 *vol. in*-12, 1924, *Paris, Librairie F. Alcan. Prix*, 10 *f*

البستان الاستعماري

لو درى الفلّاح صاحب الملك خُصَّ دائماً قسماً من ارضهِ لجنينة يزرع فيها بعض الاشجار المثمرة واحرار البقول وهذا سرُّ غِنى الفلّاحين في فرنسة فقلّما يخلو بيت من بيوتهم من جنينة لتصب بعض الاشجار وزرع الحبوب والخُضَر . وها هوذا دليل جليل لاحد ارباب الزراعة وضعهُ خصوصاً لمواطنيه المستعمرين في البلاد الحارّة يرشدهم الى زراعة بساتينهم لينالوا منها مرافقَ عديدة لهناء عيشهم وهو يخصّ نظرهُ بما لتلك المستعمرات من النبات والمزروعات

ج . ل

Mario Meunier : La légende dorée des Dieux et des Héros, nouvelle Mythologie classique. 1 *vol. in*-12, 1925, *Paris, Librairie de France, Prix* 10 *f*

اساطير الآلهة والابطال

انّ كتب الفرنج الادبيّة مشحونة بالتلميحات والروايات المشيرة الى اساطير اليونان والرومان وخرافاتهم الدينيّة. قد وُضعت عدّة تآليف لتعريف كل منها لاسيما في المعاجم الكبرى. وقد احبّ احد اساتذة الآداب المدرسيّة ان يجمع المعلومات المنوطة باخبار آلهتهم وابطالهم في كتاب خاصّ عرض فيه على صورة رواية خياليّة خواصّ تلك المعبودات ومواليدهم واخلاقهم مجرّدًا اشخاصهم عن الفظائع المرويّة عنهم وعن الشهوات التي تشينهم وتذللهم في اعين العقلاء. وهو يجعل في افواههم كلاماً يطابق ما نسبوهُ اليهم من الكمالات ليقوموا بوظائفهم في السماء مع الآلهة وفي الارض مع البشر فيدرك القارئ ما قصدهُ القدماء بتأليهم

Lucien Fergan : Tu trahiras (roman): *Paris*, 1925 *E. Chasseard Prix*, 7 *f*. 50

سوف تخون

سنة ١٩٢١ حكم مجلس انقرة بالاعدام على احد وجوه الهود الذي كان اعداه مصطفى كمال رشوهُ ليقتلهُ. فهذا الحادث التاريخي دفع الكاتب لوسيان فورغان الى تأليف رواية خياليّة جعل بطلها المسمّى جنيه (Ganéça) باشا فاخترع لهُ سيرةً غريبةً في بابها جامعةً بين الاخبار الفرنجيّة والتاريخ وهو يصوّرهُ في احوال شتى متنقلاً بين الشرق والغرب مجترحاً ضروب الآثام الى ان يخون اربابهُ ويموت جزاء عن مآثمهِ في انقرة بعد اعترافهِ بذنوبهِ ج. ل

'Alqama Ben 'Abada — Diwan accompagné du Commentaire d'Al-A'lam aś-Śantamri. Edité par Mohammed ben Cheneb. 1 *vol. in*-12 *Alger — J. Carbonel*

شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي للأعلم الشنتمري

علقمة بن عبدة احد فحول شعراء العرب في الجاهليّة لهُ ديوان تكرّر طبعهُ .

وهذه الطبعة الجديدة قد ضمّنها الاستاذ الاديب محمّد بن شنب شروح احد مشاهير اللغويّين المعروف بالأعلم الشنتمري استنادًا الى خمس نسخ مخطوطة . فجاء الكتاب مضبوطًا بالشكل ضبطًا صحيحًا في الغالب . واضاف الى شرح الشنتمري في ذيل الديوان فوائد اخرى لغويّة وادبيّة وتاريخيّة زادت الطبعة حسنًا وجدوى . في آخر الكتاب جدول واسع الالفاظ المشروحة . فنشكر هيئة ناشر هذا الديوان ونوصي بكتابه محبّي اشعار العرب القديمة

P. L. Cheikho S. J.: Catalogue raisonné de la Bibliothèque Orientale: IV. PHILOSOPHIE ET ÉCRITURE SAINTE. *in*-4°, 1925, *pp.* 72, *Imprimerie Catholique* (*MUSJ. X.* 5

وصف مخطوطات المكتبة الشرقيّة (الجزء الرابع)

يتناول هذا الجزء وصف ١٣٠ كتابًا من مخطوطات كليّة القديس يوسف العربية منها ٨٠ للمخطوطات الفلسفية و ٥٠ للمخطوطات الكتابية . فالفلسفية تشتمل على ما في المكتبة من تآليف فلاسفة اليونان العربية وفلاسفة النصارى والمسلمين . امّا الكتابية فتحتوي وصف المخطوطات المختصة بالاسفار المقدسة من العهدين العتيق والحديث . مع تعريف واسع لكل كتاب ومضامينه وخواصّه وزمن دخوله المكتبة . وفي آخره وصف بعض الكتب السريانيّة والفارسيّة في المعنى المذكور ل . ش

E. Genest: Où est-ce donc? Dictionnaire des phrases, vers et mots célèbres. 1 *vol. in*-12, *XII*-308 *pp.*, 1925, *Paris-Fernand Nathan*

اين قرأت هذا ؟

هو سؤال يسأله الانسان مرارًا ليتذكر اسم كتاب او كاتب قرأ فيه او عنه بيتًا من الشعر او كلمة شهيرة او مثلًا فيأسف على نسيان اسمه . وهذا الكتاب وُضع للفرنسويّين خصوصًا ليوقفهم على ما فاتهم ذكرهُ وهو كمعجم مرتّب على نظام حروف المعجم ج . ل

مختصر اللاهوت الادبي ليوحنّا غوري اليسوعي

عرّبهُ المطران يوحنّا حبيب ونقّحهُ الخوري ابرهيم حرفوش

الجزء الاوّل طُبع في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢٥ (ص ٨٩٣)

لا حاجة لبيان محاسن هذا المختصر وفضل معرّبه . وقد شاع في انحاء بلادنا

الشرقيّة بعد طبعته الاولى في المطبعة العموميّة الكاثوليكيّة (سنة ١٨٧٩—١٨٨٢). وهذه الطبعة تفوق على السابقة اوّلاً بحسن طبعها بالحرف الاسطنبولي المبرك في مطبعتنا. وثانياً بسعة موادّها وما نُقل فيها من تصحيحات الآباء اليسوعيين على غوري مع ايضاحات شتى من مشاهير اللاهوتيين العصريين واحكام الدستور الكنسي الجديد ونصوص المجامع الطائفيّة الشرقيّة المثبتة من الكرسي الرسولي. وثالثاً باجازة غبطة البطريرك الماروني الكلي الطوبى مار الياس الحويك. فلا يسعنا إلّا الثناء على حضرة المتولي لهذه الطبعة الجديدة. على انّ ثناءنا هذا لا يتناول كل فصول الكتاب وزياداته لانّ تأليفاً مثل هذا لا بدّ من زمن طويل لقراءته بالتدقيق وذلك ما لا يسمح به الوقت القصير مع ضخامة الكتاب في نحو ٩٠٠ صفحة. وما يجب قوله اجمالاً انّ غوري مع ما اصاب من عظم الشهرة وأُضيف اليه من التصحيحات قد عتق اليوم نوعاً واملّه كان الافضل بل الاسهل تعريب احد التآليف الجديدة كنولدين مثلاً لاسيما طبعته التي طبّقها على الدستور الكنسي فتكلّف حضرة المعرّب بمراجعة عدد عديد من اقوال اللاهوتيين عرق القربة وحشّى بها متن الكتاب فصدر عن ذلك بعض الابهام الى سبب اتيانه نقصاً في الشروح وبعض العثرات التي يخشى ان تمرّ المستندين اليها كقول حضرته مثلاً عن الكنى وشبه المسكن (ص ١٨٨ و٨٩ و١٩٠) التي تختلف شروطها في بعض المواقع. وغير ذلك ممّا يستدعي مزيد ايضاح ويطول بنا ذكره. وممّا كان يحسن به ان يبيّنه تعريف الطبعة التي يجب الرجوع اليها من تآليف الكتبة الذين استشهد بهم مع اختلاف زمن ومكان تلك الطبعات وكذلك كنّا نودّ لو يُطبع في كرّاس خاصّ ما يتناول الوصيّة السادسة كما يفعل اللاهوتيّون في اوربّة اذا كتبوا في اللغة الوطنية بل في اللغة اللاتينيّة نفسها ي. م

الآداب العربية في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (الجزء الثاني)

طبعة ثانية مصحّحة مع زيادات شتى: المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٦ (ص ١٩٦)

قد عرف قرّاؤنا هذا التأليف الذي أعدّنا في العام الماضي طبع جزئه الاوّل. وهذا الجزء الثاني قد تكرّر ايضاً الآن طبعهُ. وقد اعدنا فيه النظر واصلحنا ما وقفنا عليه من

النقص وزدنا عليه معلومات جديدة . وفي آخره فهارس واسعة لاعلام الادباء الوارد فيه ذكرهم من مسلمين ونصارى ومستشرقين ممن شاع اسمهم في الشرق والغرب في مدة الثلثين السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر (١٨٧٠ — ١٩)

ذيل على كتاب الاشارة الى من نال الوزارة

عني بتحقيقه والتعليق عليه عبدالله مخلص

طُبع بالقاهرة بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي سنة ١٩٢٥

في اواخر العام الماضي وصفنا هذا الكتاب الفريد الراقي الى القرن السادس للهجرة وما يحتويه من الفوائد التاريخية الجمة عن وزراء الدولة الفاطمية . وهذا الذيل الحقه به جناب الشيخ عبدالله افندي مخلص فنشر فيه ملحوظات جديدة استفادها من بعض التآليف القديمة او من كتابات المتقدمين واضاف اليه سبعة فهارس غاية في الدقة تقرب الى الباحثين مواد الكتاب . فنكرر شكرنا لمن اتحفنا بهذه الطرفة الجديدة ونتمنى ان يستخرج من خزانة الكتب الخالدية في القدس الشريف آثارًا تضاهي كتاب الاشارة نفاسة

شعر الوجدان : من نظم الدكتور ابي شادي

جمعه ونشره محمد صبحي

طبع في مصر بالمطبعة العالمية سنة ١٩٢٥ (ص ١١٥)

الدكتور احمد زكي ابو شادي كهل مصري في عز قوته يتعاطى الطب المصري والشعر المصري فيعالج بذاك الابدان ويطرب بهذا الوجدان . ومن حسناته اهتمامه بتربية النحل . وقد عُني محمد افندي صبحي بنشر ما له من الفضل في عالم الادب فجمع مختارات رائعة من نظمه تشهد له بالعواطف الرقيقة والتفنن والشاعرية الممتازة . فعسى الشاعر ان لا يعالج الّا كل موضوع شريف ومعنى راقٍ لطيف ل . ش

نزهة الانام في محاسن الشام لابي البقاء البدري

نشره نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية في بغداد

طُبع في مصر في المطبعة السلفية سنة ١٣٤١ (ص ٣٩٢)

تفضل صاحب مجلة الحرية في بغداد رفائيل افندي بطي واهدانا نسخة من هذا

الكتاب الـذي نُقل عن نسخة خطيّة في دار السلام قابلها زيان افندي الاعظمي بنسخة ثانية في دار الكتب المصريّة في القاهرة . فجاءت الطبعة حسنة الضبط مشرقة الحرف على ورق صقيل . ومن هذا الكتاب نسخ أُخرى اطّلعنا عليها في باريس ولندن وبرلين . ومع فوائد هذا التأليف التي لا تُنكر كنّا نؤمّل من صاحبه معلومات أُخرى تاريخيّة وجغرافيّة واجتماعيّة لم نجدها فيه . وانّما اتّسع في وصف اشجار دمشق واثمارها وازهارها مع ما قيل فيها من الاشعار فاستغرق الوصف ثلثي الكتاب . دون كبير جدوى

قضايا التاريخ الكبرى

تأليف محمد عبدالله المحامي

عُنيت بنشره ادارة الهلال بمصر ١٩٢٥ (ص ٢٦٠)

أُغرم الشرقيّون حاضراً باخبار الغرب لاسيما ما يدلّ منها على شطوطهم وتطرّفهم ومن هذا القبيل كتاب للمحامي محمّد افندي عنان دعاهُ قضايا التاريخ الكبرى او اشهر المحاكمات والجرائم في عدد ١٤ قضيّة ممّا جرت فيها المحاكمات وقد وجدنا في تفاصيل بعضها ما هو اقرب للقصص الخياليّة منها للحقيقة التاريخية . وفي بعضها ما يمسّ شرف ارباب الدين المسيحي . ولو شاء الكاتب لوجد قريباً منهُ ومن زمانه ما لعلّهُ اشنع واصدق من هذه الجرائم واشهر من هذه المحاكمات مع ما لدينا عنها من المعلومات الرسمية الصادقة . ومن ثمّ لا يسعنا ان نوصي بقراءة هذا الكتاب الّا مع التحفّظ ل . ش

الادب الجديد

نشرتهُ مجلّة الحريّة في بغداد

طُبع في المطبعة العصريّة في بغداد (ص ١١١)

يصعب علينا تحديد ما يريدهُ جامع هذا الكتاب بالادب الجديد . ولعلّهُ هو الذي يدعوهُ البعض بالنثر الشعري وقد سبق صاحب مجلّة الحريّة رفائيل افندي بطي . ونشر شيئاً بهِ في الربيعيّات الذي مرّ ذكرهُ (ص٧٩٧) . وقد بيّنّا رأينا في هذه الادبيّات

الحديثة التي نعدُّها كلهاة وتفكهة يُسَرُّ بها القارئ ساعةً فلا يجني منها ثمرة. وهي في هذا المجموع ١٦ قطعة لبعض المحدثين بينها الغثُّ والسمين وتغلب فيها المخيّلة على الكلام المعقول الرزين. وقد عدَّ الفرنج المخيّلة « مجنونة المنزل » (La folle du logis) فان اصابت مرّةً شطّت مرارًا ل. ش

شذرات

﴿ ترجمة المثلث الرحمات البطريرك ديمتريوس قاضي ﴾ قد خصصت مجلة المسرّة الغرّاء عددها بتشرين الثاني باجمعه لذكر سيرة ومآثر الفقيد العظيم السيد البطريرك ديمتريوس الاوّل قاضي فاوقفتنا على حياته البارّة واعماله الجليلة وفضائله السامية منذ حداثة سنه الى يومه الاخير وهو يسعى بتهدية الخواطر وتأليف القلوب متأثرًا مما يحلّ بدمشق من الحادث لهيجان فريق من رعاعها ومجاراتهم لشذّاذ الدروز. فكانت وفاتهُ من حوادثه اصابت نفسهُ من الحزن والالم لوقوع تلك الداهية الدهياء ولعلّهُ كان هو الضحيّة التي تنشدها الرب برائحة الرضى ليردّ السلام الى الوطن العزيز. فنحيل القرّاء الى مطالعة هذه الترجمة فيجدون فيها صورة حيّة ومثالًا كاملًا لاحد احبار الكنيسة الكاثوليكية

﴿ التذكار المئوي لمولد الكردينال دي لافيجري ﴾ أقيمت في فرنسة وغيرها من البلاد حفلات عظيمة تذكارًا بمولد الكردينال دي لافيجري ونُشرت بهذه المناسبة تآليف ومقالات واسعة تعدّد ما لذاك الرجل الكبير من الفضل العميم على الدين عمومًا وعلى الانسانيّة خصوصًا. ولا يسعنا نحن الشرقيين ان ننسى ما اداهُ لبلادنا من الخدم المشكورة: اوّلًا للبنان بعد حوادث سنة ١٨٦٠ لمّا قدم الى الشام وسدّ حاجات المنكوبين بكرم لا يقوم به ثناء شاكر. وثانيًا بانشائهِ مشروع المدارس الشرقيّة التي بفضلها بلغ احداث المسيحيّين ما زادهُ لهم من الرقي والآداب. وثالثًا بتأسيسهِ لمدرسة الصلاحيّة في القدس الشريف التي نهضت باكليروس الروم الكاثوليك وجعلتهُ اليوم بين الطوائف الشرقيّة الممتازة. ونضرب الصفح عن خدمهِ لافريقية

الحديثة التي نعدُّها كلهاة وتفكهة يُسَرُّ بها القارئ ساعةً فلا يجني منها ثمرة. وهي في هذا المجموع ١٦ قطعة لبعض المحدثين بينها الغثُّ والسمين وتغلب فيها المخيّلة على الكلام المعقول الرزين. وقد عدَّ الفرنج المخيّلة « مجنونة المنزل » (La folle du logis) فان اصابت مرّةً شطّت مرارًا ل. ش

شذرات

﴿ ترجمة المثلث الرحمات البطريرك ديمتريوس قاضي ﴾ قد خصصت مجلة المسرّة الغرّاء عددها بتشرين الثاني باجمعه لذكر سيرة ومآثر الفقيد العظيم السيد البطريرك ديمتريوس الاوّل قاضي فاوقفتنا على حياته البارّة واعماله الجليلة وفضائله السامية منذ حداثة سنه الى يومه الاخير وهو يسعى بتهدية الخواطر وتأليف القلوب متأثرًا مما يحلّ بدمشق من الحادث لهيجان فريق من رعاعها ومجاراتهم لشذّاذ الدروز. فكانت وفاتهُ من حوادثه اصابت نفسهُ من الحزن والالم لوقوع تلك الداهية الدهياء ولعلّهُ كان هو الضحيّة التي تنشدها الرب برائحة الرضى ليردّ السلام الى الوطن العزيز. فنحيل القرّاء الى مطالعة هذه الترجمة فيجدون فيها صورة حيّة ومثالًا كاملًا لاحد احبار الكنيسة الكاثوليكية

﴿ التذكار المئوي لمولد الكردينال دي لافيجري ﴾ أقيمت في فرنسة وغيرها من البلاد حفلات عظيمة تذكارًا بمولد الكردينال دي لافيجري ونُشرت بهذه المناسبة تآليف ومقالات واسعة تعدّد ما لذاك الرجل الكبير من الفضل العميم على الدين عمومًا وعلى الانسانيّة خصوصًا. ولا يسعنا نحن الشرقيين ان ننسى ما اداهُ لبلادنا من الخدم المشكورة: اوّلًا للبنان بعد حوادث سنة ١٨٦٠ لمّا قدم الى الشام وسدّ حاجات المنكوبين بكرم لا يقوم به ثناء شاكر. وثانيًا بانشائهِ مشروع المدارس الشرقيّة التي بفضلها بلغ احداث المسيحيّين ما زادهُ لهم من الرقي والآداب. وثالثًا بتأسيسهِ لمدرسة الصلاحيّة في القدس الشريف التي نهضت باكليروس الروم الكاثوليك وجعلتهُ اليوم بين الطوائف الشرقيّة الممتازة. ونضرب الصفح عن خدمهِ لافريقية

السوداء بساعيه الطيبة لفك اغلال العبيد وإبطال تلك التجارة المستقبحة بالرقيق التي كانت تسود منذ عدة اجيال وجه الانسانية. يُضاف اليها انشاؤه جمعية الآباء البيض الذين يفلحون كرم الرب بغيرة وتفانٍ عظيمين في بلاد متعددة من افريقية فكل هذه المشروعات وغيرها ايضاً تدفعنا الى ان نحفظ في قلوبنا اسم ذلك الكردينال العظيم ونخلد ذكرهُ الى مدى الدهر

﴿ مجموعة صوَر عظماء الشرق ﴾ هديّة ثمينة قدّمتها ادارة مجلة الهلال الغرّاء لقرّائها وضمّنتها ستّ عشر صورة كبيرة لاركان النهضة الحديثة في الشرق العربي. وكل صورة مستقلة على حدة وغاية في الاتقان ومن ورائها ترجمة حياة صاحبها مختصرة جامعة. ولا شكّ ان عملاً مثل هذا سوف يخلّد ذكر مشاهير الاوطان كما انهُ سينهض بهمم تبعتهم ليقتدوا بمآثرهم ويستحقوا ذكراً مثلهم بشريف اعمالهم

﴿ اعلام المقتطف ﴾ خصّ صاحبا المقتطف عددي سبتمبر واكتوبر بجمع ما ورد في مجلّتهما من تراجم كبار العلماء ليسهل على القرّاء مراجعتها في سفر واحد يبلغ ٣٤٠ صفحة ويزينهُ صور اولئك المشاهير. فنشكر الاديبين هذه الخدمة الجليلة في سبيل العلم وان لم نتّفق معهما في اطرائهما لبعض اولئك العلماء كديدور ولامرك وفولتير

﴿ اثر قديم عن دير مار مارون قرب العاصي ﴾ مرَّ لنا ذكر هذا الدير في كلامنا عن شهدائه (المشرق ٢٢ [٥٩٢٤]: ٥٩٨—٦٠٣). وفي مكتبة المتحف البريطاني في لندن بين مخطوطاتها السريانيّة (عدد ٧٢٠٥) مجموعة خُطّت بالقلم الاسطرنجلي تتضمّن اعمالاً ورسائل نسكيّة صنّفها ١٢٦ يؤخذ من صفحتها الاخيرة انّها كتبت سنة ٨٩٢ لليونان الموافقة للسنة ٥٨١ للمسيح كتبها راهب يُدعى متى وتلميذٌ لهُ قدّم هذا الكتاب مع كتب اخرى لدير مار مارون فنُظمت هذه المخطوطات في جملة كتب مكتبة الدير المذكور سنة ١٠٥٦ لليونان الموافقة للسنة ٧٤٥ للمسيح فيستدلّ من هذا انّ دير مار مارون لم يزل عامراً في اواسط القرن الثامن للمسيح. وقد أُخرب بعد ذلك كما روى المسعودي في القرن العاشر في كتابهِ التنبيه والاشراف (ص ١٥٣—١٥٤)

﴿ صافو وشعرها: تهمة باطلة ﴾ نشر الاستاذ عبد المسيح وزير في مجلّة الحرّية البغداديّة في عدد تشرين الاوّل فصلاً في الشاعرة اليونانيّة صافو اتّهم فيه الحبر

الاعظم البابا القديس غريغوريوس السابع تهنئة شنيعة سنجيب عليها في عدد قادم

﴿رسالات الرهبانيَّة اليسوعيَّة في انحاء المعمور﴾ بمناسبة معرض الرسالات في الفاتيكان اطلعنا على قائمة رسالات الرهبانية اليسوعية في جهات العالم فاذا هي تحصي المبشرين من ابنائها وعددهم حاضراً ٣٤٨٩ فيبلغون الربع من الرهبانيَّة كلها والكهنة منهم ٢٠٥٧ والباقون اساتذة او اخوة مساعدون. امَّا البلاد التي يعنى اليسوعيُّون بتبشيرها فهي: ١ً في اميركا: بلاد الاسكا وكندا (بين الهنود) وجنوبي دكوتا في الولايات المتحدة وفي الجبال الصخريَّة (قبائل هنديَّة) وكذلك في براري المكسيك وفي هوندوراس البريطانيَّة وجامايكا وغويانة الانكليزيَّة وفي ولاية تكساس وفي كوبا وسان سلفادور ونيكاراغوا وبانما وفنيزويلا وخط الاستواء وبيرو وبوليفية واوروغاي والبرازيل (ثلاث رسالات). ٢ً في اوربَّة: ألبانية والاستانة وسويسرة ودنيمرك وليتوانية وبودولاخية ورومانية والبشناق والصرب واليونان. ٣ً في افريقية: مصر وكونغو البلجيكي وزمبيزية ورودسية الشمالية ورسالتان في مدسكار. ٤ً في آسية: ارمينية وسورية وبمباي وغوا ومنغلور وقاليقوط وسيلان وترنكومالي وكندي وتريشينوبولي مادوراي وباتنه وجاوة والفيليبين وكانتون (الصين) ونانكين (فيها) وانكين (فيها) وهوبس (فيها) وفي مقاطعات ووهو وسيلي الجنوبيَّة الشرقية (منها ايضاً) وبابان في هيروشيما وطوكيو. ٥ً وفي اوقيانية: جزائر كارولين وماريانا ومرشال واوستراليا وجزائر فيليبين. وكان في العام السابق مجموع الذين عمَّدهم اليسوعيُّون في رسالاتهم ١٩٢،٠٤٧ بينهم في سنّ الرشاد ٥٠،٢١٢ امَّا الاعمال التي يباشرونها في الرسالات فهي تتناول كل اعمال الرحمة والتعليم والتهذيب منها الكليات والمدارس بأصنافها وتهذيب الاكليروس والمراصد الفلكيَّة والمياتم والمستشفيات وعلاج المجذومين

﴿قناقن المعادن﴾ القناقن في اللغة العارف بوجود الماء تحت الارض. وقد عرف العرب مثل هؤلاء في جزيرتهم. وممَّا ثبت بالاختبار منذ زمن قريب وجود بعض الرجال يمكنهم الاستدلال على المعادن المطمورة تحت الارض كالذهب والفضة وغيرهما ونحن نعرف فتى اذا سار وفي يديه جزرة حديد ومرَّ فوق معدنيات دارت الجزرة من ذاتها في يديه كما تدور العصاة في يد القناقن اذا مرَّ على مياه تحت الارض

أسئلة واجوبة

س سأل من اميركا نعوم افندي فائق هل بقي اثر من ترجمة ثاوفيل الرهاوي السريانية (الالياذة هوميروس التي ذكرها ابن العبري في تاريخه مختصر الدول (ص ٢٢٠)

ترجمة ثاوفيل الماروني لالياذة هوميرس في السريانية

قد نُشر في المشرق(٢ [١٨٩٩] :٣٥٦و٤٥١) ما يُعرف عن ثاوفيل الرهاوي وعن ترجمته السريانيّة للالياذة. فانّ غاية ما بقي منها بيتان رواهما حضرة الاباتي جبرائيل ترداحي في كتابه « الكنز الثمين » عن شعراء السريان (ص ١٠) ولم يذكر عمّن نقلهما. وقد وجد حضرة القس اسحاق ارملة قطعاً نثريّة مترجمة عن الالياذة او عن رحلة اوديس (Odyssée) لا تزيد عن السطر او السطرين وردت في تأليف انطون الراهب التكريتي الفصيح من كتبة القرن التاسع وفي ميامر يعقوب البرطليّ (كان في القرن الثالث عشر) وفي بعض مخطوطات ابن العبري († ١٢٨٦) ل.ش

س وكتب مستفيد. انهُ نرأ في تقويم غوطا الشهير للسنة الحاليّة (Almanach de Gotha, 1925) في الصفحة ١٠٠٢ تحت العنوان (AUTORITÉS CENTRALES (BEYROUTH:) Président.*Subhi-Bey Bereket* ثم Archev-Cath-rom:*Mgr Massarra* وفي الصفحة ١٠٠٠ في ذكر لاصحاب الامر في بيروت يقول (سطر ٢٧) : Président du Conseil d'admin. *Daoud bey Anmoun* (sic) فطلب ما رأينا في هذه التعليمات وما نصيبها من الصحّة ؟

اوهام تقويم غوطا

ج غنيٌّ عن البيان اوّلاً ان مركز صبحي بك بركات ليس في بيروت وانّ رئاسته لا تتناول بيروت بل دولة سوريّة . وثانياً ان سيادة المطران مسرّة ليس هو رئيس اساقفة كاثوليكي ولا روماني بل رومي اورثذكس . وثالثاً انّ داود بك عمّون قد توفي في تشرين الثاني ١٩٢٢ واللجنة الاداريّة التي يقال انهُ كان رئيسها كانت أُلغيت منذ آذار . فالرجاء من ادارة تقويم غوطا المعروفة بتدقيقها ان لا ترمي الكلام على عواهنه فتستقي مرّة أُخرى معلوماتها عن ثقة م.ح

تصحيح غلط وقع سهوًا في عنوان مقالة كريستوفان (ص ٩٠٣) انهُ « ابن » فاسكو دي غاما والصواب انهُ « اخوه »

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الثالثة والعشرين من مجلّة المشرق ١٩٢٥

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرفيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) منكّرات السنة الشمسيّة لاهل الكرة الارضيّة . للاب لويس شيخو اليسوعي ١–٥ = كرتولنكو او عجائب العناية الالهية للخوري هارون غصن (٦–٢٤)=شعراء النصرانيّة بعد الاسلام للاب لويس شيخو: القطامي التغلبي ٢٤–٢٦– كعب بن جُعَيل ٢ : ١٠٧–١١٦ العديل بن الفرخ ٣ : ٢١٧–٢٢٤ ; ٤ : ٢٧٤ – ٢٨١ العجّاج بن رؤبة ٦ : ٤٣٩–٤٤٨ القسم الثالث : شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العبّاسيّة ٧ : ٤٩٨ ابوقابوس ٤٩٩–٥٠٥ اسحاق بن حنين . سعيد الشتري . ابن غسّان . الموصلي النصراني . يحيى بن عدي . ثابت بن هارون . بشر بن هارون ٨ : ٥١٤–٦٠٨ عيسى بن فرُخشاه . ابن طريق . ابن بطلان ٩ : ٦٥٦–٦٦٤ ; ١٠ : ٧٦٤–٧٧٠ ابو غالب الطائي ٧٧٠ – ٧٧٢ صاعد بن شماس . عون الراهب . ابن مرغ . زينا . ربيب . سعيد النصراني ١١ : ٨٤٤–٨٤٨ ابنا موصلايا وابنا الاصاغي ١٢ : ٨٩٣–٩٠٣ = فقيد العلم السيّد ادي شير مطران سعرت للقس سليمان صائغ الموصلي (٢٦–٤٤) = البعثة البابويّة الى البلاد السوفياتيّة للاب جان كابلو اليسوعي ٤٤–٥٤ ; ٢ : ١٤٤–١٥٠ ; ٣ : ٢٠٠–٢٠٤) = بيروت اخبارها واثارها للاب لويس شيخو ٥٤ — ٢ : ٥٩ : ١٢٥–١٢١ ; ٣ : ١٩٤–٢٠٤ ; ٤ : ٢٩٣–٢٩٨ ; ٥ : ٢٧٢–٢٧٧ ; ٦ : ٤٥٨–٤٦٣ ; ٧ : ٥١٧–٥٢٣ ; ٨ : ٦١٨–٦٢٥ ; ٩ : ٦٦٨–٦٧٣ ; ١٠ : ٧٧٤–٧٧٧ ; ١١ : ٨٦٤–٨٦٨ ; ١٢ : ٩٤٤–٩٤٨ = الارزة والسنبلة لفؤاد افندي افرام البستاني ٥٩–٦٣ = الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين للاب ل. شيخو ٦٣ – ٦٧ ; ٣ : ٢٢٥ – ٢٢٧ ; ٤ : ٢٠٤ – ٢٠٧ ; ٦ : ٢٧٧–٢٨٤ ; ٧ : ٤٦٤ — ٤٦٨ ; ١٠ : ٧٥٥–٧٦٣ ; ١١ : ٨١٨–٨٢٤ = مطبوعات شرقيّة جديدة (٦٧–٧٥) = شذرات : فقيد عزيز : الاب يوسف غريّب . الباقة او الطاقة . منتخب الفاقي ونصّ تعليقين باثرهِ في الفرق الاسلاميّة لحبيب افندي الزيّات . تلامذة الجامعة الاميركيّة . مؤتمر الجغرافية الدولي في مصر . الاكليريكيّون يجرّمون (٧٥–٧٨) = اسئلة واجوبة : مصادر على فيّال وفيّلي وتفعّال . صورة سرّ القربان في القدّاس . تعريف بعض المخطوطات العربية . الإضرار في الانجيل وصلاحيّة الزوج المفرد في المجتمع البشري (٧٨–٨٠)

العدد ٢ (شباط) نظر عام في سابق العام للاب لويس شيخو (٨١–٩٣ ; ٣ : ٢٠٥–٢١٧) = ترجمة السيد فرنسوا بيكه القنصل والاسقف للاب بطرس ساره ٩٤–١٠٦ ; ٣ :

١٧٨-١٩٣ : ٦ ; ٢٥٢-٢٦٤ : ٥ ; ٢٥٥-٢٧٢) = الصهيونية وغاياتها للدكتور فرنس كزافيه (١١٧-١٢٤) = خطر جسيم او اللغة العامية للاب انطون صالحاني (١٣١-١٤٣) = مطبوعات شرقية جديدة (١٥١-١٥٨) = شذرات : المكتبة الامبروسية ومديرها الجديد . نشرة المكتب الطبي الفرنسوي السنوية . نزاع محتلي صنين والسلام . ضفدع وزهرة متحجرتان منذ ملايين من السنين . قداسة البابا والازياء الحلاعية (١٥٨-١٥٩) = اسئلة واجوبة : ما هو مذهب السلفي . البابا اقليمس الرابع وابتناء . صفير الكاتب المجري . الرافضة الكمروانية (١٦٠)

العدد ٣ (آذار) حقوق اللغة العربية بازاء اللغة الفصيحة للاب ل . شيخو (١٦١-١٧١) ردود الخوري هارون غصن على البشير والمشرق (١٧١-١٧٦) = صديقي ! لفؤاد افندي افرام البستاني (١٧٧-١٧٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٢٨-٢٢٧) = شذرات : تكرار شكر . الاسفار المقدسة المحذوفة من التوراة البروتستانية . عهد محمد نبي الاسلام الى الارمن . الحكومة الايطالية والرهبانية اليسوعية . مايبنا المعدودة . اثران زائفان عن موسى واغوسطس (٢٢٧-٢٢٩) = اسئلة واجوبة : اصل كلمة مرفع . بدء الصوم عند الشرقيين والغربيين . الصوم الحسيني . اسم بوذا . معجم ما استعجم . الدوائر السريانية . القديسة صوفيا . تدمر وذكرها في الكتاب المقدس (٢٢٩-٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) روايات مؤرخي العرب في صوم النصارى وفصحهم للاب ل . شيخو (٢٤١-٢٥٢) = المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما للاب جبرائيل لوفنك اليسوعي (٢٦٤-٢٧٢) = السريان في القطر المصري للقس اسحق ارمالة (٢٨٣-٢٩٣ ; ٥ : ٢٧٤-٤٨٩ ; ٦ : ٤٤٨-٤٥٨ ; ٧ : ٥٢٦-٥٤٤ ; ٨ : ٥٧٤-٥٩٠ : السريان والكلدان والموارنة في القطر المصري ١٠ : ٧٤١-٧٥٤ السريان الكاثوليك في القطر المصري ١١ : ٨١٠-٨١٧) = قصيدة في مديح ابرهيم باشا لشاعر قديم نشرها الاب ل . شيخو (٢٩٩-٣٠٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٨-٣١٦) = شذرات : رسالتان رهانيتان . ظهور العرفان وغرائبه . احتجاجنا على التعليم العلماني اللادينيّ . رئيس الرهبان المريميين في اليابان . من هو الرأس تقاري . ملحوظات على بعض مزامير الكلية (٣١٦-٣١٩) = اسئلة واجوبة : وجود شيء من لا شيء على رأي المتطف . آية ازكريا منسوبة الى ارميا النبي (٣٢٠)

العدد ٥ (ايار) يوبيل كلية مار يوسف الذهبي للاب ل . شيخو (٣٢١-٣٥٢) = يا جنة المياه : قصيدة للخوري بطرس البستاني بمناسبة يوبيل كلية القديس يوسف (٣٥٣-٣٥٤) مطبوعات شرقية جديدة (٣٦٠-٣٦٦) = شذرات : المناولة الفصحية في الطوائف الشرقية . تاريخ جديد للبنان . اليوبيل الذهبي للشيخ عباس . كتابات سينا . الاب اليسوعي مركيت ومدينة شيكاغو . العلم والتخيل . شهيد موريس بارس في كليتنا . ثلثة آثار نفيسة (٣٦٧-٣٩٩) = اسئلة واجوبة : الرسالة اليسوعية في بيروت . الشماس الشدياق : اصلها ورتبتها (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر في القاهرة للاب جبرائيل

لوقنك اليسوعي (٤٠١-٤١٠) = صدى بوبيل كلية القديس يوسف للاب ل. شيخو (٤١٠-٤٠٩) = نوابغ المدرسة المارونية: المطران اسحق الشدراوي للخوري بطرس غالب (٤٢٠-٤٢٢؛ ٥٠٦:٧-٥١٦) = حفلة زواج الاله جوبتر في هيكل دمشق للاب رينه موترد اليسوعي (٤٢٤-٤٢٦) = كاهن الله ! تخميس: لفؤاد افندي افرام البستاني (٤٢٧-٤٢٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٦٨-٤٧٧) = شذرات: التهانئ اليوبيليّة. تثبيت قداسة الطوباوي بطرس كانيزيوس. العصاة الراهبيّة. الاحتفاء بالكردينال اهرله اليسوعي. انتقاد على انتقاد القس منسى يوحنا. اكتشاف آثار سابقة التاريخ في مصر (٤٧٧-٤٧٩) = اسئلة واجوبة: القوانين الحربية عند العرب. من هو علي بن زبر النصراني (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) التذكار المئوي السادس عشر للمجمع المسكوني النيقوي الاول للاب فردينان توتل اليسوعي (٤٨١-٤٩٨) = لائحة الاصطياف في لبنان للمهندس اميل افندي خاشو (٥٢٢-٥٢٦) = البابا ليباريوس - البابا حنة - بطرس الرسول في رومية (ردّ) للاب ل. شيخو (٥٤٥-٥٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٤٩-٥٥٧) = شذرات: افادة عن علي بن زبر النصراني. الاستاذ المغربي ونصرانية العجّاج. السيد الذهبي للشيخ الازهري. معلم جديد للكنيسة. شهداء كندا. وفاة سليمان البستاني. آثار جديدة لحمّو ربي (٥٥٧-٥٥٩) = اسئلة واجوبة: القديس ريته. أسئلة عن وراثة امرأة ارملة من زوجها الثاني (٥٦٠)

العدد ٨ (آب) خياط الشام: نظر انتقادي للاب لامنس اليسوعي (٥٦١-٥٦٧) = التلفونية اللاسلكية في سورية ولبنان للاب يوسف لميوا اليسوعي (٥٦٨-٥٧٣) = نبذة في حياة الاب مارون ايطو الراهب اللبناني للقس طانوس شلي اللبناني (٥٩٠-٥٩٤) = في غياب الطبيب للحكيم امين الجميل (٦٠١-٦١٨؛ ٩:٦٨٦-٧٠٢) = السونة حشرة الثلاث للاب اسكندر طوران اليسوعي (٦٢٥-٦٢٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٢٧-٦٣٧) = شذرات: توبة القديس ليباريوس المزعومة. بعثة ستيفانسون الى القطب الشمالي. ينابيع القوّة المحركة. بين الشام والعراق. مرصد جديد للحركات الجوية على وجه البحر (٦٣٧-٦٣٩) = اسئلة واجوبة: اسم القديس ايليا ومقامه. رابع المستحيلات. الناطقون بالضاد. اصل لفظة قانون. قاموس عربي سرياني (٦٤٠)

العدد ٩ (ايلول) وردة نقية في حديقة الكنيسة او ترجمة القديسة تريزيا الطفل يسوع للاب كلود شيفراي اليسوعي (٦٤١ - ٦٥٥) = الابل في نظر ضابط فرنسوي للاب جبرائيل لوقنك اليسوعي (٦٦٤-٦٦٧) = المخطوطات العربية في المكاتب البطريركية للمستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي (٦٧٣-٦٨٥) = صديق للعلّة للاب فرنسيس تورنيز اليسوعي (٧٠٣-٧٠٩) = مطبوعات شرقيّة جديدة (٧١٠-٧١٨) = شذرات: المئة الثالثة لانشاء جمعيّة الآباء اللازاريين. حفلة استقبال سليمان البستاني. اليوبيل الذهبي للمقتطف. زين العابدين والمسيح الهندي. المؤتمر الماسوني في زحلة. المكتبة العمومية في بيروت (٧١٨-٧١٩) = اسئلة واجوبة: وضع اليد تحت الفخذ في الاستحلاف. عينة ابي زُبيد. اعجوبة قتل

الجبل في مصر. ابو الرقعمق (٧٣٠)

العدد ١٠ (تشرين الاول) تاريخ جديد لمدرسة بيروت الفقهية للاب ل. شيخو (٧٣١-٧٣٣) = رحلة الى جبل الشيخ للاب رينه مرتد اليسوعي (٧٣٣-٧٤١) = سليمان البستاني: الرجل. رجل السياسة. ورجل العلم والادب للاستاذ فؤاد افرام البستاني (٧٧٨-٧٩١؛ ١١: ٨٢٤-٨٤٣ ؛ ١٢: ٩٠٨-٩٢٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٩٣-٧٩٧) = شذرات: فوضى اللغويين. وفاة فلكي يسوعي. خمود التعصب البروتستاني. ثبات نصارى اليابان في ايمانهم. اصلاح اغلاط وقعت في كتاب المأثور لابي العميثل (٧٩٨-٧٩٩) = اسئلة واجوبة: الحكم على المسيح ليلاطوس البنطي وصف المسيح ليوليوس يوستوس. كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) شفاعة القديسين لحماية المؤمنين للاب ل. شيخو (٨٠١-٨٠٩) = سياحة رسولية في حوران للاب ف. توتل (٨٤٩-٨٦٣؛ ١٢: ٩٣٠-٩٤٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٦٩-٨٧٧) = شذرات: وفاة غبطة بطريرك الروم الكاثوليك. معاهد جديدة لمدرسة انتشار الايمان ولمجمع البروبندا. عجائب مخلوقات المياه. سباق الطيران. الماسونية في فرنسة. كبير علماء الطبيعيات في اسبانية. استخراج الزيت من نوى العنب. ولي عهد دولة سكس اليسوعي (٨٧٧-٨٧٩) = اسئلة واجوبة: اغنى بلاد العالم بالذهب. كتاب مؤنس الوحيد. تراجم الشعراء. القبعة على رؤوس العرب والاتراك (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاول) معرض الرسالات الكاثوليكية في الفاتيكان للاديب يوسف المدور (٨٨١-٨٩٣) = القبعة على رؤوس الاتراك والعرب للاب ل. شيخو ٩٣٦-٩٣٠ = مطبوعات شرقية جديدة (ص ٩٤٩-٩٥٧) = شذرات: ترجمة المثلث الرحمات البطريرك ديمتريوس قاضي. التذكار المئوي لمولد الكردينال دي لافيجري. مجموعة صور عظماء الشرق. اعلام المقتطف. اثر قديم عن دير مار مارون قرب العاصي. صافر وشعرها: قصة باطلة. رسالات الرهبانية اليسوعية في انحاء المعمور. قناقن المعادن (ص٩٥٧-٩٥٩) = اسئلة واجوبة: ترجمة نارفيل المارونية لالياذة هوميرس في السريانية. ارعام تقويم غوطا للسنة ١٩٢٥. تصحيح غلط (ص٩٦٠) = اربعة فهارس ٩٦١-٩٨٠

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

ارملة (القس اسحق السرياني) السريان في القطر المصري ٢٨٢ ؛ ٢٨٤؛٤٤٨؛٥٣٦؛٥٧٤؛٧٤١

الكلدان في القطر المصري ٧٤٨ الموارنة في القطر المصري ٧٥٠ السريان الكاثوليك

في القطر المصري ٨١٠
البستاني (الاديب فؤاد افرام) الارزة والسنبلة ٥٩–٦٣ صديقي (مسيم) ١٧٧–١٧٨ كاهن الله! (مخمس) ٤٢٧–٤٣٨ سليمان البستاني.
توطئة. الرجل ٧٧٨؛ ٨٢٤ السياسي ورجل الادب ١٠٨–٩٢٦
البستاني (الخوري بطرس) يا جنة العلياء قصيدة بمناسبة يوبيل كلية القديس يوسف ٢٥١–٢٥٢
بلمبرا (الاب يوسف اليسوعي) التليفونية اللاسلكية في سورية ولبنان ٥٦٨–٥٧٣
توتل (الاب فرديان اليسوعي) التذكار المئوي السادس عشر للمجمع المسكوني النيقوي ٤٨١–٤٩٨ سياحة رسولية في بلاد حوران ٨٤٩؛ ٩٣٠
تورنيز (الاب فرنسوا اليسوعي) صديق العملة للاب فليكس فولبات اليسوعي ٢٠١–٢٠٦ له وصف بعض المطبوعات ٥٤٩، ٧٩٢، ٧١٤، ٩٥٠
جميل (الدكتور امين) في غياب الطيب ٦٠٦؛ ٦٨٦
خاشو (المهندس اميل افندي) لائحة الاصطياف في لبنان ٥٢٤–٥٢٦
خاف (المحامي نجيب) تاريخ كلية القديس يوسف الحسيني (ايات) ٤١٧ جواب في مسألة وراثية ٥٦٠
داكروز (الاب انطون اليسوعي) كريستوفان اخو الكشافة فاسكو دي غاما ٩٠٣–٩٠٨
دوبست (الاب اليسوعي) له وصف مطبوعات ٧١
ديلنسيغر (الاب يوسف اليسوعي) وصفه لبعض المطبوعات ٣٠١
رتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) له وصف بعض المطبوعات ٤٧٣
زيات (الاديب حبيب) له فائدتان في صحة لفظة الباقة وفي تلميذين على منتخب الفاقي لتوفيق اسكاريوس ٧٥–٧٧
ساره (القس بطرس) ترجمة السيد فرنسوا بيكه القنصل والاسقف ٩١؛ ١٧٨؛ ٢٥٠؛ ٢٥٥
شبلي (القس طانيوس) نبذة في حياة الطيب الاثر الاب مارون ايطو ٥٩١–٥٩٤
شفراي (الاب كلود اليسوعي) وردة نقية في حديقة الكنيسة: القديسة تريزيا الطفل يسوع ٦٤١–٦٥٥
شيخو (الاب لويس اليسوعي) فكرات السنة الشمسية لاهل الكرة الارضية ١–٥ شعراء النصرانية بعد الاسلام: شعراء الدولة الاموية (تابع): ٢٤؛ ١٠٧؛ ٢١٧؛ ٢٧٤؛ ٤٢٩ شعراء الدولة العباسية ٤٠٨؛ ٥٩٤؛ ٦٥٦؛ ٧٦٤، ٨٤٤ = بيروت تاريخها وآثارها ١٢٥، ٦٦٠؛ ١٩٦؛ ٢٩٣، ٢٧٣، ٤٥٨؛ ٥١٧؛ ٦١٨؛ ٦٦١؛ ٧٧٤؛ ٨٦٤؛ ٩٤٤ الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ٦٣؛ ٢٢٥؛ ٢٤٠؛ ٢٢٧؛ ٤٩٤؛ ٧٥٥؛ ٨١٨ نظر عام في سابق العام ٨١؛ ٣٠٥ حقوق اللغة العامية بازاء اللغة الفصيحة ١٦١–١٧٦ روايات مؤرخي العرب في صوم النصارى وفصحهم ٢٤١–٢٥٣ نشره لقصيدة في مديح ابراهيم باشا المصري ٢٩٩–٣٠٤ حفلة يوبيل كلية مار يوسف الذهبي ٣٣١–٣٥٠ صدى يوبيل كلية مار يوسف الذهبي ٤١٠–٤١٩ البابا ليباريوس. البابا حنة. بطرس في رومية (رد) ٥٤٥–٥٤٩ تاريخ جديد لمدرسة بيروت الفقهية الرومانية ٧٢١–٧٢٣ شفاعة القديسين لحماية المؤمنين ٨٠١–٨١٠ القبعة على رؤوس الاتراك والعرب ١٢٦–٩٣٠

وله في كل اعداد المشرق تعريبات ووصف كتب ومذكرات واجوبة على اسئلة
مانغ (القس سليمان الكلداني) فقيد العلم السيد ادي شير مطران سعرت ٢٦–٤٤
مالحاني (الاب انطون اليسوعي) خطر جسيم او الفتنة العامية ١٣١–١٤٤
طوران (الاب اسكندر اليسوعي) السونة عشرة الثلاث في البقاع ٦٣٥–٦٣٧
غالب (الخوري بطرس) نوابغ المدرسة المارونية الاولى: المطران اسحق الشدراوي ٤٣٠؛ ٥٠٦
غرانج (الاب انطون اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٤٧٣،٥٥٤
غصن (الخوري هارون) كوترلنكو او عجائب العناية الالهية ٦–٣٤
كابلو (الاب جان اليسوعي) البعثة البابوية الى البلاد السوفياتية ٤٤؛١٤٤؛٢٠٠ لهُ وصف بعض المطبوعات ٣٩٣،٥٥٠
كافيه (الاب فرنسس) الصهيونية وغاياتها ١١٧–١٣١
كوست (الاب شرل اليسوعي) لهُ وصف مطبوعات ٧١
لامنس (الاب هنري اليسوعي) خطط الشام: نظر انتقادي ٥٦١–٥٦٧؛٧٩٧؛٧٧٤ لهُ وصف مطبوعات ٦٨؛١٥٢،٢٣١،٦٢٩، ٨٦٩،٨٧٠
لوفك (الاب جبرائيل اليسوعي) المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما ٣٦٤–٣٧٣ المؤتمر الجغرافي الدولي الحادي عشر في مصر ٤–٤١٠ الابل في نظر ضابط افرنسي ٦٦٤–٦٦٧ لهُ وصف مطبوعات في كل اعداد المشرق
المدوَّر (الاديب يوسف) معرض الرسالات الكاثوليكيَّة في رومية ٨٨١–٨٩٢
موترد (الاب رينه اليسوعي) حفلة زواج الاب جوبيتر في هيكل دمشق ٤٣٤–٤٣٦ رحلة حديثة الى جبل الشيخ ٧٢٢–٤٧١ لهُ وصف بعض المطبوعات ٢٢٩، ٦٣٨؛٢٣٠
مونجان (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ١٥١،٥٤؛

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثالثة والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيَّة والسريانيَّة الخ

ابكاريوس (آليس): المرشدات (٦٣٤)
ابن المعتز: كتاب الآداب (٧٩٥)
ابن المذيل: حلية الفرسان (٢٣١)
ابو طبر (الارشمندريت يوسف): خلاصة الابحاث في علم الميراث (٤٧٥)
ابو السيئل: كتاب المأثور (٦٣١)
ايلا (الاب شرل اليسوعي): مقالة في الوحي (٥٥٦) = ابن وائل: مأساة تاريخية بالنثر

يتخللها شعر قديم (٧١٧)
الادب الجديد (٩٥٦)
الاشقر (الاب بولس): مبادئ موسيقية غربية وشرقية (٨٧٦)
باز (نقولا): سليمان البستاني (٧١٧)
بخاش (القس جبرائيل): انشودة العرس في الشهباء (١٦٨؛ ٣٩٩)
البدري (ابو البقاء): نزهة الانام في محاسن الشام (٩٥٥)
برنردوس وبطرس الاهجيان: كتاب العفاف للاسقف جبير (٣١٤)
البستاني (الخوري بولس): فتاة الناصرة (٥٥٥)
البشعلاني (الخوري اسطفان): لبنان ويوسف بك كرم (٨٧٥)
بطي (رفائيل افندي): الربيعيات (٧٩٧)
بليل (الاب لويس): الشذور الذهبية في حياة كوكب البرية (٨٧٥) = كتاب منتهى المشوع في ساعات قلب يسوع للاب بواكيم بلاديرس (٨٧٧)
تقي الدين (اسعد افندي): لولا المحامي (٣٣٦)
ثابت (القس مبارك): الجزء الثالث من تأملات شيناني (٣١٤)
الجاجي (القس بطرس الخوري): بحث في النذور والحالة الرهبانية معرّب عن تأليف الاب مرسو (٧١٥)
الجميّل (الحكيم امين): التضحية بطلها يوسف الشنيري (٣٩٩)
الجميل (يوسف افندي): روزنامة نيتسل (١٥٨)
جيانبي (السيد فريديان): رسالة رعائية لصوم ١٩٢٥ في التساهل الديني (٣١٦)
الحائك (القس اغناطيوس): كتاب نهج الكمال في الصلاة العقلية (٤٧٦)
الحاج (القس مبارك البكنتاوي): قواعد قبانية لحل المسائل الحسابية (٧٢)
الحاج (الاب يوحنا): المدارس العلمانية (٤٧٦)
حبيقة (البرديوط بطرس): عقود الجمان في عيد لبنان (١٥٨) = (الشنيفان بطرس ويوسف): عقيدة انتقال العذراء الى السماء (٦٢٥)
حتي (الدكتور فيليب): مختصر كتاب الفرق بين الفرق (٧٣)
حجاج (محمد كامل): الموسيقى الشرقية ماضيها حاضرها غدها في المستقبل (٤٧٥)
حرفوش (الخوري ابرهيم): مختصر اللاهوت الادبي ليوحنا غوري اليسوعي (٩٥٣)
الحريك (غبطة البطريرك الياس): منشوره في آفة العصر (١٥٧)
خلف (المحامي): صرخة الى القضاء على القضاء (١٥٦)
[illegible] (نرج): كتاب باقة ورود (٣٩٦)
[illegible] (القس): عاملان في عمل (٧١٦)
[illegible] (احمد): كتاب الاصنام لابن الكلبي (٣١٥)
رحمة (الاب بطرس): شعاع النجاح (٧١٦)
زبيبة (خليل افندي): تقويم المرآة لسنة ١٩٢٥ (١٥٧)
سابا (عيسى ميخائيل): وحي الناب (٦٣٦)
ساره (القس بطرس): الدنيا والدين في ترجمة السيد فرنسيس بيكه (٤٧٦)
الساعاتي (فوزي): كتاب كنز البراهين (٥٥٤)
شعيب (محمد كامل الساملي): الحماسيات في النهضة العربية (٧٤)
شاحت (الخوري فسفوس جرجس): قلادة الذهب في فرنسا والعرب – حيك الدراري (٤٧٣)

شيخو (الاب لويس): مقالات لمشاهير العرب في الخطابة والشعر (طبعة جديدة من الجزء الثاني (٧٤) = كتاب شعراء النصرانية بعد الاسلام القسم الثاني (٦٢٤) = الآداب العربية في القرن التاسع عشر (الجزء الثاني) (٩٥٤)
صالحاني (الاب انطون اليسوعي): ذيل الاغطال (٧١٧)
صبحي (محمد): شعر الوجدان من نظم الدكتور ابي شادي (٩٥٥)
صرّوف (فؤاد افندي): مشاهد العالم الجديد (٨٧٦)
طيّاره (راشد): الانتداب وروح السياسة الانكليزيّة (٢٩٦)
طنوس (الخوري يوحنا): النعمان ملك الحيرة في بني شيبان (٢١٥)
طه حسين: قادة الفكر (٦٢٦)
عبدالله بك (محمد): السرطان: اعراضه وعلاجهُ والوقاية منهُ (٤٧٤)
عبد المسيح (الخوري يانرن ميخائيل): من دنّ الباب سمع الجواب (٢٢٧)
عبدو (كانيوس): البيت والعالم (٦٢٧)
علوان (الاب يوسف): مجموع الصلوات والعبادات والشركات التقويّة والاناشيد الروحية (١٦٦)
عمر علي اسمعيل: مناهج الكمال: (٥٥٧)
الشيتي (الخوري يوسف): الحقيقة المستترة (٧٢) = ازاهير القلوب لعيد القلب المحبوب (٦٢٧)
الغريّب (امين افندي): الحياة النباتية (٥٥٦)
النزاله (الدكتور سليمان): الوضيعة في المكسة المالقيّة (٦٢٥)
قصن (الخوري مارون): درس ومطالعة — اللغة العامية (١٢٢ و١٦٢ و ٢٢٦) = حياة الطوباري كوتولنكو (١٥٧)
فانق (نعوم بالاك): مجموع الالفاظ السريانية من العربيّة العامية (٤٧٥)
قطان (السيد باسيليوس): رسالة رعائية في الصدق (٢١٦)
كرد علي (السيد محمّد): التقرير الثالث: اعمال المجمع العلمي العربي في سنة ١٩٣٤ (٧٣) = كتاب خطط الشام (٥٦١,٥٥٦, ٨٧٤,٧٩٦)
لطف الله (البكاسيني): ١ً الديوان الشهير في السؤالات والحزازير — ٢ً الديوان العال في حلّ الحزازير والامثال (١٥٨)
محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الاوّل): (٢٩٥)
محمّد عبدالله المحامي: قضايا التاريخ الكبرى (٩٥٦)
مخلص (عبدالله) ذيل على كتاب الاشارة الى من نال الوزارة (٩٥٥)
مردم بك (خليل): شعراء الشام في القرن الثالث (٦٢٣)
مظهر (اسمعيل): نزهة الفكر الاوروبي (٤٧٢)
الملوف (الاستاذ عيسى اسكندر): تاريخ الطب عند العرب (٧٩٧)
مفكّرات هند (٢٢٦)
ملّاط (تامر وشبلي): ديوانهما (٦٢٤)
نشرة الكتب الطبي الفرنسويّ السنوية ١٥٨
نصري (القس بطرس الكلداني): ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان (٢١٦)

٢ مطبوعات اوربية

Un Africain: Manuel de politique musulmane (153)

Alma Mater, N° VII, 1925 (710)

Almanacco Italiano: 1925 (395)

'Alouan (P. J.) : Cours gradué de traduction français-arabe (473)

— Livre du Maître (554)

Altenor (Dr B.): Die Dominikanermissionen d. 13 Jahrh. (230)

L'ami du lettré pour 1925 (394)

Amiral Scheer: Mémoires (68)

André (L.) : Histoire économique depuis l'Antiquité (551)

André (Cte): L'Islam noir (870)

Annuaire Médical : pour 1921-1924 (Etat du Gr. Liban) (394)

Antuna (Melch. M.) : Abenhayan de Cordoba y su Obra Historica (234)

Arnaud d'Agnel et d'Esponey : Psychologie et Psychothérapie éducatives (391)

Arnaud d'Agnel (abbé): St Vincent de Paul, directeur de Consciences (715)

Barakatullah (L.) : Le Khalifat (869)

Baraude (H.) : Aux pays du mirage. Syrie et Palestine (310)

Battifol (Mgr P.) : Le Siège Apostolique de 351 à 451 (67)

Basset (René) : Mille et un contes (310)

Bees (Nikos A.) : Die Inschriftenaufzeichnung d. Kodex Sinaiticus (229)

Bevan (A. L.): Indexes to the Mufaddaliyat (156)

Bilabel (F.): Die Kleinoren historikerfragmente auf Papyrus (711)

Bonjean (F. I.) et Ahmad Deif. Mansour. Histoire d'un enfant d'Egypte (69)

Boulos (Michel-Farès) : La Succession en droit musulman (792)

Bouvalot (G.) : Les Chercheurs de route : Marco Paolo (232)

Boyer d'Agen : Ave Cesar (312)

Bremond (H., J., A.) Le charmé d'Athènes (712)

Brémond (Gal) : L'Islam et les Questions Musulmanes au point de vue français (135)

Buonajuti (E.):Dotti estracanonici di Gesù (233)

Caramo (J.) : Deux religieux maronites (632)

Carpentier (Gne A. F. A) : L'Embouteillage de Zeebrugge (153)

Castopoulo (Stavro): L'Empire de l'Orient (792)

Cauvet (Cne) : Le Chameau (664-667)

Cobrian (K.) : Geschichte d. Kartographie i. Altertum (156)

Chapel (Gal) : La T. S. F. et l'Éther (155)

— La Météorologie de demain (155)

Chapon (Mgr) : Conférences spirituelles (714)

Cheikho s. j. (L.) : Souvenir des Noces d'Or de l'Univ. St Joseph (632)- Catalogue des ouvrages publiés par les Professeurs et les Etudiants de l'Univ. St Joseph (795) — Catalogue raisonné des Mss de la Bibl. Or.: IV Philosophie et Littérature Sie (953)

Chenab (M. ben) : 'Alqama ben 'Abda (952)

Collinet (Paul): Histoire de l'Ecole de Droit de Beyrouth (721—733)

Cuq (Ed.): Les Lois Hittites (151)

Dawson (W.) : Le sacrifice de Paul Clermont (631)

Deuxième Centenaire de l'approbation de l'Institut des Frères des Ecoles chrétiennes (711)

Dieckmann (H.): De Ecclesia (549; 950)

Ducrocq (G.): Le Journal de Soleiman (311)

Dujarric (G.): Manuel de Chronologie de l'Hist. de France (550)

Du Plessis (Cte J.) : La vie héroïque de J. Du Plessis (311)

Duplessis (E.) et Marchand (A.): Le Catéchisme vécu à Lourdes (872)

Durand s. j. (Al.) : Commentaire de l'Evangile de St Mathieu (309)

Espinas (A.): Etudes sur la Philosophie de l'action (630)

Faggiotti (A.) : L'Eresia dei Frigi (233)

Faldati (Ub.) : Esposizione della predicazione apostolica (233)

Ferri (a.) : Contributi di Cirene alla Storia della religione greca (628)

Les Flottes de Combat (393)
Péghali (Mgr Michel): Notes sur la maison libanaise (714)
Flabert (E. J.): Sous le règne de la Licorne et du Lion (794)
Fischer s. j. (J.): Ptolemaios als Cartograph (156)
Flochi Henri le: Les élites sociales et le Sacerdoce (796)
Flury (S.): Le décor épigraphique des monuments de Ghazna (871)
Forgan (Lucien): Tu trahiras (roman) (952)
Gaudefroy-Demombynes et L. Mercier: Manuel d'Arabe Marocain (68)
Gédéon (E. et G.): L'Indicateur Libano-Syrien (715)
Genest (E.): Où est-ce donc? (955)
Géographie Elémentaire (795)
Gerber s. j. (J.): La Ste Eucharistie: le Sacrement et le Sacrifice (796)
Germain (A.): La vie des animaux à la surface des Continents (951)
Gibert s. j. (C.): Les petits Chinois (872)
Gill-Nicaud (G.): Le raid merveilleux de Pelletier Doisy (311)
Gilotaux (abbé F.): Ste Thérèse de l'Enfant Jésus (714)
Gloekner (Dr O.): Celsi Ἀληθὴς Λόγος Texte (711)
Godard (A.): La Piété antique (630)
— Ghazni (871)
Gontaut-Biron (Cte de): D'Angora à Lausanne (152)
Gousson (H.): Ueber eine «Sugitha» auf die Katedrale von Edessa (872)
Goyau (G.): Frédéric Ozanam (468)
Grandmaison (L. de): Jésus dans l'histoire et dans le mystère (228)
Grimaud (abbé Ch.): Prêtre?! Pourquoi pas! (796)
— L'Epouse attrait du Foyer (872)
Guide de la Société de Villégiature Mont Liban (633)
Guillaume (A.): The Traditions of Islam (629)
Guilloux (P.): Les plus belles pages d'Ernest Hello (70)
Guyon (R.): Anthologie bouddhique (313)
Haddad (Exarch J.): Astronomy and Astronomers (629)
Harcourt (Raoul d'): L'Amérique avant Colomb (871)
Harold E. Palmer: A. Grammar of spoken english (71)
Hayek (D.): Le Droit Franc en Syrie pendant les Croisades (628)
Hederer (Dr. C.): L'île du Château Rouge (310)
Hourgron (P. G.): La poste dans les temps anciens et modernes (155)
Howart (C. J.): The Meditorreanean (469)
Homo (L.): L'Empire Romain (470)
Huby s. j. (J.): Commentaire de l'Evangile de St Marc (308)
Hugon (R. P. Ed.): L'Apostolat Missionnaire de la France (390)
Jamin o. s. b. (Dom): Mélodies Liturgiques Syriennes et Chaldéennes (309)
Jouno (M. E.): Une Mystique dominicaine Agnès de Langeac (390)
Joffre (A.): Le Mandat de la France sur la Syrie et le Grand Liban (152)
Joseph-Barthélemy: Le Gouvernement de la France (312)
Joüon (P. P.): Notes de Lexicographie hébraïque (713)
Keynes (J. M.): La réforme monétaire (69)
Kfoury (L'archimandrite Denis): L'Exemption des Congrégations Basiliennes Melkites (151)
Krenkow Fr.: The Beginnings of arabic Lexicography (158)
— Abul 'Amaithal: Kitāb al Ma'thūr (631)
Kratchkowsky (Ign.): Le Kitāb al-Adāb d'Ibn al-Mo'tazz (795)
Lamier (abbé H.): De l'abandon à Marie (872)
Lammens s. j. (H.): Le Chalife Walid et le prétendu partage de la Mosquée des Omayyades à Damas (874)
Lascaris (S. Th.): La politique extérieure de la Grèce (154)
Launay (L. de): La Terre, sa structure et son passé (13)
Laurent d'Arco: L'Abyssinie (949)
Lavaud (L.): St Thomas guide des Etudes (714)
Leak (Dr W. Norman: Islam und its need (869)
Legrand (Ph. F.): St J. Chrysostôme (230)
Levenq s. j. (G.) La 1re Mission

de la Cie de Jésus en Syrie (309)
— La Nouvelle Mission de la Cie de Jésus au Liban (469)
Macri (Chr. M.) : L'organisation l'économie urbaine dans Byzance(551)
Malinjoud (Cl) : Guide de l'interprète en Syrie (393)
Mallon s. j. (Al.) : Une Hache égyptienne trouvée en Syrie (632)
Marie-Arnaude de St Joseph(V. R. P.): Panégyrique de Ste Thérèse de l'Enfant Jésus (714)
Maurice (Jules) : Constantin le Grand (228)
Maxe (J.) : L'Anthologie des Défaitistes (470)
Mercier (Louis): Manuel d'Arabe Marocain (68)
— La Parure des Chevaliers par Ben Hodeil (231)
Meunier(Mario): La Légende dorée des Dieux et des Héros (952)
Millon s. j. (R. P.) : Pour mieux communier(392)
Mingos (P. P.): Compendium Theologiæ (793)
Moreux (Abbé Th.) : La vie sur Mars (233)
— Tables de Logarithmes à 5 décimales (472)
Motefindt (Dr A.): Zur Geschichte der Bartbracht in alten Orient (154)
Novou-Lemaire (M.): Principes d'hygiène et de médecine (313)
Noel-Armfield (G.): General phonetics for Missionaries and Sudents of Languages (71)
Noldin-A. Schmitt: De Principiis Theologiæ Moralis (710)
Noter (R. de): Le Verger Colonial (951)
Oncle Joe : ABC du Bricolage (950)
Ormerod (H. A.) : Piracy in the ancient World (713)
Papadopoulos (C. G.): Les Privilèges du Patriarchat Œcuménique (391)
Pascal (Carlo): La Credenza d'oltretomba (949)
Passage (H. du): Le secret des Lages (235)
Pereyra (C.) : Les Conquêtes des routes océaniques d'Henri le Navigateur à Magellan (794)
Pesch s. j. (Chr.) : Prælectiones dogmaticæ — Compendium Theologiæ dogmaticæ (549)
Piou (J.) : Le Cie Albert de Mun (552)
Poizat (Alf.): Le Symbolisme (70)
— Pour l'Humanisme (394,631)
Porché (Fr.): La Vierge au grand Cœur (468)
Prezzolini (G.): Le Fascisme(471)
Rahmani (I. Ephrem II.) : L'Onomasticon d'Eusèbe dans une ancienne traduction syriaque (234)
Regling (Dr C.):Die antike Münze als Kunstwork (471)
Regnier (H. de): Sciences mythologiques (553)
Rivière (J.): St Basile (230)
Roma: Pianta monumentale (551)
Rouch (J.): Les methodes de prévision du temps (472)
Ruska (J.): Arabische Alchemisten (235)
Rustum Asad (Jibrail): Syria under Mehemet 'Ali (72)
Sahdu Sundar Singh: Das Suchen nach Gotte (712)
Schmitt (Dr J.) : Manna quotidianum Sacerdotum (550)
Schenberger(Dr J.): Kurzgefasste Einleitung in das Neue Testament (710)
Siegfried (A.): L'Angleterre d'aujourd'hui (232)
Stefanini (G.) : Possedimenti Italiani in Africa (395)
Tavernier (E.): Cinquante ans de politique (552)
Thomson (P.): Die neueren Forschungen in Palaestina (627)
Tolkowsky (S.): The Gateway of Palestine. A History of Jaffa (868)
Tournebize s. j. (F.): Marius Sepet littérateur et historien (773)
Vaccari s. J. (P. Alb.): Una Bibbia per il primo Gesuita al Libano(873)
Vezinet (F.): Le XVIIe siècle jugé par le XVIIIe (392)
Vogt (H.): Eléments de Mathématiques supérieures (553)
Ximenes (Saturnino): L'Asie Mineure en ruines (870)
Zoretti (L.): Leçons de Mathématiques générales (70)
Zwemer (Sam. M.): The Law of Apostasy in Islam (68)

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثالثة والعشرين للمشرق

على طريقة حروف المعجم

* ا * الآداب العربية في الربع الاوّل من القرن العشرين ٦٢ القسم الاوّل الآداب العربيّة من السنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٨ نظر اجمالي ٦٤؛٢٢٥ أدباء الاسلام في مصر ٢٢٠؛٣٠٤؛ ٢٧٧ في الشام والعراق ٢٨٣ ادباء مصر والشام النصارى ٤٦٤؛٧٥٥ المستشرقون في اوائل القرن العشرين ٨١٨–٨٢٢

آية انجيليّة لزكريا منسوبة الى ارميا ٢٢٠

ابرهيم باشا: قصيدة في مديحهِ ٢٩٧–٣٠٤

الاول في نظر ضابط افرنسي ٦٦٤–٦٦٧

ابن بطريق النصراني وشعره ٦٥٨–٦٠١

ابن جلان المتطبّب الراهب ترجمتهُ وشعرهُ ورسلتهُ ٦٥٩؛٧٦٤

ابن غسّان (ابو الحسن) الشاعر النصراني ٥٦٦

ابن مرغر الاشبيلي الشاعر النصراني ٨٤٥

ابن موصلايا (علاء الدين) الشاعر النصراني ٨٩٣

ابن موصلايا (ابو نصر) الشاعر النصراني ٨٩٨

ابنا الاصباغي الشاعران النصرانيّان ٩٠١

ابو تمّام الطائي ونصرانيّتهُ ٧٧٠–٧٧٣

ابو الرقعق ٧٣٠

ابو زُبيد وعينيّتهُ ٧٣٠

ابو غالب وابو طاهر ابنا الاصباغي الشاعران النصرانيّان ٩٠١

ابو نوفل الخازن قنصل بيروت ٥١٣–٥١٥

ابو قابوس الشاعر النصراني ٤٦٦–٥٠٥

الاتراك وليس القبعة ٩٣٦–٩٣٠

ادي شير (السيد مطران سعرت الكلداني ٣٦–٤٤

الارز والسنبلة ٥٩–٦٣

الارض وما تناله من فضل الشمس ١–٥

الارمن وعهد محمد اليهم ٣٣٨

ازرع قرية حوران ٩٣٧

اسبانية والبرتغال في العام ١٩٣٤ ٩٠–٩١

وفاة كبير من علماء اسبانية في الطبيعيّات ٨٧٩

الاستحلاف بوضع اليد تحت الفخذ ٧٢٠

اسحق بن حنين الشاعر النصراني ٥٩٤–٥٩٦

الاسفار المقدّسة الا . ونة من التوراة العبرانية ٢٣٧–٢٣٨

الاصباغ في لبنان ٥٣٢–٥٣٦

الاضرار اي تعدّد الزوجات في الانجيل ٨٠

اعجوبة نقل الجبل في مصر ورواتها ٧٢٠

اعلام المقتطف ٦٥٨

اغوسطس قيصر والاثر الزائف المنسوب اليهِ ٣٣٩

اقليمنس الرابع البابا وابناءهُ ١٦٠

الاكليريكيّون يجرّمون ٧٨

الانجيل ونفيهُ لتعدّد الزوجات ٨٠

المانية واحوالها سنة ١٩٣٤ ٨٧–٨٨

اليا (القديس النبيّ) اسمهُ ومقامهُ ٦٤٠

اميركة الشماليّة والجنوبيّة في العام ١٩٣٤ ٢٠٥ ٢٠٧

اندراوس اخيجان اوّل بطاركة السريان الكاثوليك ١٧٨–١٨٣

انكلترة واحوالها سنة ١٩٢٤ ٨٥–٨٧
اوباتورية ازوسية ونكبة جماعتها ١٤٤–١٤٦
اوجين القديس ناشر الميثة السكيتة في بلاد ما بين النهرين ٢٨٥–٢٨٧
اودنا في حكم السوفيات ٤٥–٥٠
اوربة واحوالها في السنة ١٩٢٤ ٨١–٩٣
اوستراليا والكثلكة ٢٠٧
اوقيانية والكثلكة ٢٠٧
ايطالية واحوالها الدينية والمدنية ٨٨–٨٩
حكومتها والرهبانية اليسوعية ٢٢٨
ايطر (الاب مارون الراهب اللبناني): ترجمته ٥٩٠–٥٩٤
* ب * البابا حنة وخرافتها ٥٤٦
الباقة او الطاقة ٢٥
البروتستانت في اوربة وخمود تعصبهم ٧٩٨–٧٩٩
البستاني (سليمان افندي): وفاته ٥٥٩ استقبال وفاته ٧١٨ ترجمته ٧٧٨;٨٢٩;٩٠٨
بشر بن هارون الشاعر النصراني ٦٠٤–٦٠٥
بصير قرية حوران ٩٢٢
بطرس الرسول ورئاسته على كرسي رومية ٥٤٧–٥٤٩
بطرسبورج ومخطوطاتها العربية النصرانية ٦٧٣–٦٨٤
البعثة البابوية الى البلاد السوفياتية ٤٤; ١٤٤; ٢٠٠
بلجيكة في العام ١٩٢٤ ٨٩–٩٠
البلقان ودولة في السنة ١٩٢٤ ٩٢
بوذا واصل اسمه ٢٤٠
برنيه لاياو (الاب اليسوعي) اكتشافه لآثار سابقة للتاريخ في مصر ٤٧٩
بولونية وجمهوريتها الكاثوليكية ٩٢
بيروت تاريخها وآثارها: توطئة ٥٤ نظر عام في تواريخها ٥٤ موقعها ٥٥ جيولوجيتها ٥٨ اسمها ١٢٥ قدمها ومبادئ تاريخها ١٩٤ بيروت في عهد الاشوريين واليونان ١٩٥ في عهد السلوقيين ١٩٧ في عهد الرومان ٢٩٢ ديانة اهلها ٢٩٦;٣٧٢ مدرستها الفقهية الرومانية ٣٧٢;٧٢١;٧٢٢ تجارتها وصناعتها في ايام الرومان ٤٥٨ مشاهيرها قبل عهد العرب ٥١٧ خولها بنكبات الزلازل ٥٢١ بيروت في عهد العرب ٦١٨ في اول عهد الصليبيين ٦٦٧ رجوع الصليبيين الى ملك بيروت ٧٧٤ بيروت وامراؤها الفرنج من اسرة ابيلين ٧٧٥ آثار الفرنج الصليبيين في بيروت ٨٦٤ بيروت في عهد مماليك مصر ٨٦٧;٩٤٤ قنصلية ابي نوفل الخازن على بيروت ٥١٢–٥٠٥ بيروت والاصطياف ٥٢٨–٥٢٢
بيلاطوس البنطي وحكمه على المسيح ٨٠٠
بيكه (السيد فرنسوا) الفصل والاسقف ٦٤; ١٧٨;٢٤١;٢٥٥
بين الشام والعراق ٦٢٩
البيهقي: كتابه المحاسن والمساوئ ٨٠٠
بيوس الحادي عشر (البابا): بعثته الى منكوبي روسية ٤٤;١٤٤;٢٠٠ البابا بيوس والازياء اخلاقية ١٥٩ بركته لكلية القديس يوسف ٤١٦
تبنة في حوران ٩٢٥
* ت * تدمر وذكرها في الكتاب المقدس ٢٤٠
التذكار المئوي السادس عشر للمجمع المسكوني النيقوي الاول ٤٨١–٤٩٦
تركية في العام ١٩٢٤ ٢١٣–٢١٤
تريزيا الطفل يسوع القديسة: خلاصة ترجمتها ودعوتها وعجائبها ٦٤١–٦٥٥
التستري (سعيد النصراني) ٥٩٦
التعليم اللاديني وآفاته ٢١٨
تغاري الراس (ولي عهد الحبش) ٢١٨

التلفونيّة اللاسلكية في سوريّة ولبنان ٥٦٨
تكرار شكر ٢٢٧
تورينو ومشروعات كوتولنكو العجيبة فيها ٦-٢٤
ث ثابت بن هارون الشاعر النصراني ٦٠٣
ثاودوسية واحوالها ٥٣-٥٤
ثاوفيلس الرهاوي وبقايا ترجمته لالياذة هوميرس ٩٦٠
ج الجاحظ وقوله عن وفرة نسل النصارى ٨٠
الجامعة الاميركانيّة وتلامذتها ٧٧
جبل الشيخ: رحلة حديثة اليه ٧٣٣-٧٤١
جزيرة العرب في العام ١٩٢٥ ٢١٣
* ح * الحبش في العام ١٩٢٤ ٢١٧
حقوق اللغة العامية بازاء اللغة الفصحى ١٦١
حلب واحوالها في القرن السابع عشر ٩٨
حمورابي (ملك بابل) اكتشاف رسائله ٥٥٩
حوران: سياحة رسوليّة الى سهلها ٨٤٩؛٩٣٠
تاريخها ٨٥٠ ابرشيتها ٨٥١ وصف بعض قراها ٨٥٢، ٩٣ رسالة اليسوعيين في حوران ٩٤٠
الحويك (غبطة البطريرك الياس) تحيّته لكليّة القديس يوسف ٤١٥
* خ * الخازن (بر بولس) وتبيينه لتصليّة بيروت ٥١٣-٥١٥
خيب: وصفها ٨٥٩-٨٦٣
خطط الشام للسيد كرد علي ٥٦٨؛ ٧٩٦؛ ٨٢٥
* د * داود الحلبي الشهيد ١٨٧-١٨٩
دمشق: حفلة زواج الاله جوبيتر في هيكلها الوثني ٤٢٤-٤٢٦
دير الشرفة والقطر المصري ٧٤١-٧٤٨
دير مار مارون قرب العاصي: اثر قديم منه ٩٥٨
دير والدة الله في صعيد مصر ٥٧٧-٥٩٠
* ذ * الذهب واغنى البلاد بمناجمه ٨٨٠
* ر * رابع المستحيلات ٦٤٠
رئاسة القديس بطرس على كرسي رومية ٥٤٧-٥٤٩
ريب النصراني ٨٤٨
رحلة حديثة الى جبل الشيخ ٧٣٣-٧٤١
الرحماني (غبطة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني) خانته بنسبة يوبيل كليّتنا ٤٧٧
الرسالات الكاثوليكيّة ومعرضها في رومية ٨٨١-٨٩٣
الرسالة اليسوعيّة في بيروت ٤٠٠ رسالتهم في حوران ٩٤٠ رسالاتهم في انحاء المعمور ٩٥٩
رسالتان وعائيّتان ٢١٦
روسيّة وسياستها البولشفيّة ٩٢ بعثة البابا لاعانة منكوبيها ٤٤؛١٤٤؛٣٠٠
الروم الكاثوليك: ابرشيتهم في حوران ٨٥٨
الرومان: رقيّ بيروت في عهد دولتهم ٢٩٣-٢٩٥
ريمه (القديس) تعريفه ٥٦
* ز * الزبيرة والزبير في حوران ٩٣٠
زينا النصراني ٨٤٧
الزيت واستخراجه من نوى العنب ٨٧٩
زين العابدين والمسيح الهندي ٧١٩
* س * سيفانسون وبعثته الى القطب الشمالي ٦٣٨
سرّ القربان الاقدس وصورته ٧٩ اعتقاد الشرقيين لحقيقته ٢٥٧-٢٥٨
السريان في القطر المصري ٢٨٣؛ ٢٨٤؛ ٤١٨؛ ٥٢٦؛٥٧٤ السريان الكاثوليك فيه ٨١٠.
كنيستهم فيه ٢٩٠ كنائسهم ٥٢٦ اديارهم ٥٤٠؛٥٧٤ مكاتبهم ٥٨٢
سعيد النصراني ٨٤٨
السلوقيّون وحكمهم على بيروت ١٩٧
السنة الشمسيّة وخواصّها ١-٥
سوريّة واحوالها سنة ١٩٢٤ ٢١٤-٢١٦

السونة حشرة الغلات في البقاع ٦٢٥-٦٢٧
سياحة رسولية في بلاد حوران ٨٤٩ — ٩٣٠
سيبستوبول واحوالها الحاضرة ٥٠-٥٢
سينا وكتاباتها المجهولة ٢٩٧-٣٩٨
* ش * الشاه عباس ملك العجم ٢٦٤-٢٦٨
الشدراوي (المطران اسحاق): ترجمة حياته ٤٣٠;٥٠٦
الشعراء وتراجمهم ٨٨٠ شعراء النصرانية بعد الاسلام: شعراء الدولة الاموية: القطامي ٢٤ كعب بن جُعَيل ١٠٦ العديل بن الفرخ ٢١٦; ٢٧٤ الحجّاج بن روبة ٤٢٩ شعراء الدولة العباسية: ابو قابوس ٤٩٩ اسحق بن حنين ٥٩٤ سعيد التستري ٥٩٦ ابن غسّان ٥٩٩ الموصلي النصراني ٦٠٠ يحيى بن عدي ٦٠٠ ثابت بن هارون ٦٠٣ بشر بن هارون ٦٠٤ عيسى بن فرخنشاه ٦٥٦ ابن بطريق ٦٥٨ ابن بطلان ٦٥٩;٧٦٤ ابن غام ٧٧٠ صاعد بن شماس ٨٤٤ عون الراهب ٨٤٥ ابن مرغر الاشيلي ٨٤٥ زينا ٨٤٧ ريب ٨٤٨ سعيد النصراني ٨٤٨
شفاعة القديسين لحماية المؤمنين ٨٠١-٩٠٨
الشماس والشدياق ٤٠٠
شهيدان نصرانيان في حلب ١٨٦-١٨٩
* ص * صاعد بن شماس الشاعر النصراني ٨٤٤
صافو وشعرها ٩٥٨
صديق العملة: الاب فليكس فوليات اليسوعي ٧٠٢-٧٠٧
صديقي: الصديق الصدوق (شعر) ١٧٧-١٧٨
الصليبيون في بيروت ٦٦٨;٧٧٤ آثارهم فيها ٧٦٤
الصنان قرية حوران ٩٣٤
صور عظماء الشرق ٩٥٨
الصهيونية وغاياتها ١١٧-١٢٤
صوفيا القديسة ٢٤٠
الصوم واختلاف وقوعه في الطوائف ٢٤٠
الصين وثورتها ٣٠٨
* ض * ضفدع وزهرة متحجرتان منذ ملايين من السنين (كذا) ١٥٩
* ط * الطقوس السريانية والقبطي والحبشي ٤٥٣-٤٥٨
الطيران وسابقة ٨٧٨
* ع * عنليا تمثيل روايتها في كليتنا ٤١٧
عجائب مخلوقات المياه ٨٧٨
العجّاج بن روبة الشاعر النصراني ٤٢٩-٤٤٨; ٥٥٨
العجم واحوالها سنة ١٩٣٤ ٣١١
العديل بن الفرخ الشاعر النصراني ٢١٧;٢٧٤
العراق والانتداب الانكليزي ٣١١-٣١٣
العرفان: تفنيد هذه المجلة ٢١٧-٢١٨;٣٩٨
العرب وروايات مؤرخيهم في صوم النصارى وفصحهم ٢٤١-٢٥٢ قوانينهم الحربية ٤٨٠ لسهم للقبعة ٩٢٦-٩٣٠
العربية آدابها في الربع الاول من القرن العشرين (اطلب آداب) العربية العامية والعربية الفصحى ١٢١-١٤٢ و ١٦١-١٦٦
العصاة الراعوية المقدّمة للسيد اغناطيوس مبارك مطران بيروت ٤٧٨
عليّ بن زيز النصراني ٤٨٠;٥٥٧
العنب: استخراج الزيت من نواه ٨٧٩
العناية الالهية بمشروعات كوتولنكو ٦-٣٤
عهد محمّد نبي الاسلام الى الارمن ٢٢٨
عون الراهب ٨٤٥
عيسى بن فرخنشاه الشاعر النصراني ٦٥٦-٦٥٨
* غ * غوطا ارهام تقويها ٩٦٠
* ف * فاسكو دي غاما: المئة الرابعة لوفاته ٢٦٤-٢٧٢
الفرق الاسلامية تعليقان على منتخب النسافي ٧٦-٧٧
الفرنج الصليبيون في بيروت ٦٦٨;٧٧٤ آثارهم

الباقية ٨٦٤
فرنسة واحوالها في العام ١٩٢٤ ٨٣-٨٥
فعّال وفعّيلي وتفعّال كمصادر ٧٨—٧٩
فقيد عزيز: الاب يوسف غريب ٧٥
فقيد العلم: السيد ادّي شير ٣٦-٤٤
فلسطين واموزها سنة ١٩٢٤ ٢١٢
فلكي يسوعي ٧٩٨
فوضى اللغويين ٧٩٨
فوليات (الاب فليكس اليسوعي) صديق العملة ٧٠٢-٧٠٧
في غياب الطبيب ٦٠٦؛٦٨٦
فيغان المندوب السامي على سوريّة وفضله ٣١٧
* ق * القاضي (البطريرك ديمتريوس): وفاته ٨٧٧-٨٧٨؛٩٥٧
* (السيد نقولاوس رئيس اساقفة بصرى وحوران ٨٥٨-٨٥٩
قاموس عربي سرياني ٦٤٠
قانون: اصل الغناء كأداة موسيقيّة ٦٤٠
القبعة على رؤوس العرب والاتراك ٨٠؛٩٣٦-٩٣٠
القديسون وشفاعتهم لحماية المؤمنين ٨٠١-٨٠٩
القطامي الشاعر النصراني ٢٤-٣٦
القطب الشمالي وبعثة ستيفانسون ٦٣٨
قناقن المعادن ٩٥٩
القوّة المحرّكة وبناؤها ٦٣٨
* ك * كانيزيوس (بطرس اليسوعي) تثبيت قداسته ١٤٧٧ اعلانه كمافان للكنيسة ٥٥٩
كاهن إله (مخمّس) ٤٢٧
كريستوفان اخو الكشّافة فاسكو دي غاما ٩٠٣-٩٠٨
كرستودار الروسيّة ونكبتها بالمجاعة ١٤٦
الكرسي الرسولي في عام ١٩٢٤ ٨١-٨٣
كعب بن جُعَيل التغلبي ١٠٧-١١٦
الكلدان في القطر المصري ٧٤٨-٧٥٠
كلية القديس يوسف وتعليمها ٢١٩ يوبيلها الذهبي ٣٢١ تاريخ ابنيتها ٣٢٢ دروسها وامتيازاتها ٣٢٦ فروعها ٣٢٨ اعمالها الخارجيّة ٣٤٠ مشروعاتها التهذيبيّة ٣٤٤ والخيريّة ٣٤٦ رجالها ومآثرهم ٣٤٧ قصيدة في مدحها ٣٥٣ صدى يوبيلها وحفلاته ٤١١-٤١٩
الكلية (مجلّة) ملحوظ عليها بخصوص تعليم كلية القديس يوسف ٢١٨
كنائس واديار للسريان في مصر ٥٢٦؛٥٧٤
كندا: تثبيت ثمانية من شهداء الرهبانيّة اليسوعيّة في كندا كلوبويين ٥٥٤
كوتولنكو او عجائب العناية الالهية ٦-٢٤
* ل * لبنان في آخر عهد فخر الدين ٤٢٨-٤٣٠ لاعة الاصطياف في لبنان ٥٢٣-٥٢٦
لافيجري (الكردينال) تذكار مولده المئوي ٩٥٧
اللاتينيين: المئة الثالثة لانشاء جمعيّتهم ٧١٨ المئة الثانية واحكامها ١٣١-١٤٣ حقوقها بازاء المئة النصيحة ١٦١-١٦٦
ليباريوس البابا وفضائله المرعوم ٥٤٥-٥٤٦ توبته المرعومة (ردود) ٦٢٧-٦٢٨ (ردود)
* م * الماسونية: مؤتمر اصحابها في زحلة ٧١٩ يوبيل محفلهم السلام ٧١٩ الماسونية في فرنسة ٨٧٩
مؤتمر الجغرافية الدولي في مصر ٧٧؛٤٠١-٤١٠ المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما ١٥٢٤-١٩٢٤ ٢٦٤-٢٧٣
المجلة الشهرية وبعض مزاعمها ٢٣٩
مجمع نيقية المسكوني الاول وتذكاره المئوي السادس عشر ٤٨١-٤٩٨
مخطوطات عربية شق ٧٩ المخطوطات العربية لكتبة النصرانيّة في المكاتب البطرسبرجية ٦٧٣-٦٨٤
مدرسة انتشار الايمان ومعاهدها الجديدة ٨٧٨

مدرسة الفقه الروماني في بيروت ٣١٣-٣٢٧
تاريخها الجديد ٧٢١-٧٢٢
المذهب السلفي وصاحبهُ ١٦٠
مراكش في العام ١٩٣٤ ٢١٧
مرصد جديد للحركات الجوّية على البحر ٦٢١
المرفع واصل لفظهِ ٢٣٩-٢٤٠
المستشرقون في اوائل القرن العشرين ٨١٨-٨٢٢
المسلمون : ادبارهم في اوائل القرن العشرين ٢٢٧:٢٠٤:٢٧٦
المسيح : حكم بيلاطوس عليهِ . وصف يوليوس يوستوس للمسيح ٨٠٠
مصادر على فِعّال وفِعّيلى وتفعّال ٧٨
مصر في العام ١٩٣٤ ٢١٦ السريان في القطر المصري (اطلب السريان) اكتشاف آثار سابقة للتاريخ في مصر ٤٧٨
معرض الرسالات الكاثوليكية في رومية ٨٠١-٨١٢
مفكرات السنة الشمسية ١-٥
المقتطف : بعض مزاعم هذه المجلة ٢٢٠ ؛ ٢٩٨-٢٩٩ تحيّتها اللطيفة ٢٢٩ يوبيلها الذهبي ٧٦٨-٧٦٩
المكتبة الابيروسيّة ومديرها الجديد ١٥٨
مكتبة بيروت السوميّة ٧١٦
المناولة الفصحيّة في الطوائف الشرقية ٢٩٧
منتخب الفاقي وتعليقان عليهِ في الفرق الاسلامية ٧٦-٧٧
الموارنة في القطر المصري ٧٥٠-٧٥٥
موريس بارس ومشهدهُ في كليتا ٢٩٩ ؛ ٤١٤
موسكو وتكبتها بالمجاعة ٢٠١-٢٠٢
موسى النبيّ اثر زائف منسوب اليهِ ٢٢٩
الموصلي النصراني ٦٠٠
المياه وعجائب مخلوقاتها ٨٧٨
* ن * الناطقون بالضاد ٦٤٠
نخشيفان ورهبانها الارمن ٢٦١
النصارى وورقة سلمهم في رواحهم المرد ٨٠
نصارى بروسيا وزرخو العرب في صرهم وصحيهم ٢٤١-٢٥٢ ادبارهم في مصر والشام في اوائل القرن العشرين ٤٦٤ ؛ ٧٥٥
نظر عام في سابق العام ٨١:٢٠٥
النمسة واحوالها سنة ١٩٣٤ ٨٨
* ه * الهند والهند الصينيّة سنة ١٩٣٤ ٢٠٤
هولندة ولوكسمبورج في السنة ١٩٣٤ ٩١
هوميرس وترجمة الالياذة الى السريانية ٩٦٠
* و * وراثة ارملة من زوجها الثاني ٥٦٠
* ي * يا جنّة العلياء قصيدة في يوبيل كلية القديس يوسف الذهبي ٢٥٢:٢٥٤
اليابان واحوالها سنة ١٩٣٤ ٢٠٩ اكرام وليّ عهدها لرئيس المرسلين ٢١٨ ثبات قدماء المتنصّرين فيها في ايامهم ٧٩٩
يحيى بن عديّ وآدابهُ ٦٠٠-٦٠٢
اليسوعيّون : وفاة فلكي يسوعي ٧٦٨ وفاة كبير علماء الطبيعيات منهم في اسبانية ٨٧٦ انتظام وليّ عهد سكس في رهبانيتهم ٨٧٩ يوبيل كليتهم البيروتيّة (اطلب كليّة) رسالتهم في بيروت ٤٠٠ في حوران ٩٤٠ رسالاتهم في انحاء المعمور ٩٥٩
اليوبيل الذهبي للشيخ عبّاس ٢٩٧ ؛ ٥٥٨
يوحنا (منى القس القبطي) ردّ على انتقاده ٤٧٨
يوسف الاوّل بطريرك الكلدان ٢٦١-٢٦٢
يوليوس يوستوس ووصفهُ المزعوم للمسيح ٨٠٠
اليونان في العام ١٩٣٤ ٩٣ آثار قدماء اليونان في بيروت ١٩٧

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES — LETTRES — ARTS

Sous la Direction des Pères de la Cie de Jésus

UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt troisième année

1925

BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1925

TABLES DES SOMMAIRES

XXIIIe ANNÉE 1925

JANVIER

La nouvelle année solaire et ce que la Terre doit au Soleil (page 1): *P. Louis Cheikho S. J.*

Cotte-Iango ou les merveilles de la Providence (p. 6): *Abbé Marun Ghosn.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite): Qatâmi (p. 21): *P. L. Cheikho S. J.*

Une victime des Turcs : Mgr Addai Scher, archevêque de Séert (p.34): *Abbé Salomon Sayegh.*

Au pays des Soviets (p. 44): *P. Jean Capello S. J.*

Beyrouth: Histoire et Monuments (p. 54): *P. L. Cheikho S. J.*

Le Cèdre et l'Epi (59): *Mr Fouad E. Boustany.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (p. 63) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie Orientale (67) = Varia (75) = Questions et Réponses (78-80)

FÉVRIER

Revue des événements de l'année 1924 (p. 81): *P. Louis Cheikho S. J.*

Un Consul évêque: Mgr Fr. Picquet (XVIIe siècle) (p. 94): *P. Pierre Sarah O. S. A.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : Ca'b ibn Gu'eil (p. 107): *P. L. Cheikho S. J.*

Le Sionisme et ses buts (p. 117): *Dr Frantz Xavier*

Beyrouth: Histoire et Monuments (suite): nom, antiquité (p. 125): *P. L. Cheikho S. J.*

La prétendue substitution de l'arabe dialectal à l'arabe littéraire (p. 138): *P. Antoine Salhani S. J.*

Au pays des Soviets (suite, p. 144): *P. Jean Capello S. J.*

Bibliographie Orientale (151) = Varia (158) = Questions et Réponses (160)

MARS

La position de l'arabe dialectal vis-à-vis de l'arabe littéraire (p. 161): *P. L. Cheikho S. J.*

Le véritable ami (p. 177): *Mr Fouad E. Boustany.*

Un Consul évêque: Mgr Fr. Picquet (XVIIe siècle) (suite, p. 178): *P. Pierre Sarah O. S. A.*

Beyrouth; Histoire et Monuments (suite) : nom, antiquité (p. 194) : *P. L. Cheikho S. J.*

Au pays des Soviets (fin, p. 205): *P. Jean Capello S. J.*

Revue des événements de l'année (fin, p. 205) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm (suite): 'Odeil ibn al-Farkh (p. 217): *id.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 225): *id.*

Bibliographie Orientale (289) = Varia (237) = Questions et Réponses (240)

AVRIL

Les fêtes mobiles chrétiennes d'après les auteurs arabes (p. 241): *P. L. Cheikho S. J.*

Un Consul évêque : Mgr Fr. Picquet (XVII' siècle) (suite, p. 250): *P. Pierre Sarah O. S. A.*

Le 4e Centenaire de Vasco de Gama (p. 264): *P. Gabriel Levenq S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm (suite): 'Odeil ibn al-Farkh (fin, p. 274): *P. L. Cheikho S. J.*

Les anciens rapports des Syriens avec l'Egypte (p. 282): *L'abbé Isaac Armalé.*

Beyrouth; Histoire et Monuments (suite): Beyrouth romaine (p. 292): *P. L. Cheikho S. J.*

La Littérature arabe au Ier quart du XXe siècle (suite, p. 304): *id.*

Bibliographie Orientale (308) = Varia (317) = Questions et Réponses (320)

MAI

Les Noces d'Or de l'Université St Joseph (p. 321): *P. L. Cheikho S. J.*

L'Aloès Mater! (Poésie) (p. 351): *L'abbé Pierre Boustany.*

Un Consul évêque: Mgr Fr. Picquet (XVIIe siècle) (fin p. 355): *P. Pierre Sarah O. S. A.*

Beyrouth; Histoire et Monuments (suite): Religion, Ecole de Droit (p. 372): *P. L. Cheikho S. J.*

La Littérature arabe au Ier quart du XXe siècle (suite p. 377): *id.*

Les anciens rapports des Syriens avec l'Egypte (suite p. 384), *L'abbé Isaac Armalé.*

Bibliographie (390) = Varia (397) = Questions et Réponses (400)

JUIN

Le XIe Congrès de Géographie au Caire (p. 401): *P. Gabriel Levenq S. J.*

Un écho des fêtes jubilaires de l'Université St Joseph (p. 410): *P. Louis Cheikho S. J.*

Quelques Célébrités de l'ancien Collège maronite de Rome: L'évêque Isaac Schidraoui (p. 420): *L'abbé Pierre Ghaleb.*

Le hiéros Gamos au temple de Damas (p. 434) : *P. René Mouterde S. J.*

Le prêtre de Dieu ! (Poésie p. 437) : *Mr Fouad E. Boustany.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite) : 'Aggag ibu Ro'uba (p. 439) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les anciens rapports des Syriens avec l'Egypte (suite p. 448) : *L'abbé Isaac Armalé.*

Beyrouth ; Histoire et monuments (suite) : Le Commerce et l'Industrie de Beyrouth sous les Romains (p. 458) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite p. 464): *id.*

Bibliographie (468) = Varia (477) = Questions et Réponses (480)

JUILLET

Le seizième Centenaire du Concile de Nicée (p. 481) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islam (suite), époque abbaside : Abou Qâbous (p. 498) : *P. L. Cheikho S. J.*

Quelques Célébrités de l'ancien Collège maronite de Rome ; L'évêque Isaac Schidraoui (fin p. 506) : *L'abbé Pierre Ghaleb*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) ; Les Célébrités de Beyrouth : Les tremblements de terre (p. 517) : *P. L. Cheikho S. J.*

Programme de Tourisme au Liban (p. 524) : *Mr Emile Hacho*

Les anciens rapports des Syriens avec l'Egypte (suite (p. 536) : *L'abbé Isaac Armalé*

Le pape Libère — La papesse Jeanne — S. Pierre à Rome (réponses p. 545) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (549) = Varia (557) = Questions et Réponses (560)

AOUT

Une nouvelle Histoire de Syrie « خطط الشام » (p. 561) : *P. Henri Lammens S. J.*

La Radiotéléphonie en Syrie et au Liban (p. 568) : *P. Joseph Blampoix S. J.*

Les anciens rapports des Syriens avec l'Egypte (suite p. 574) : *L'abbé Isaac Armalé.*

Un moine typographe : le Père Maroun Aito (p. 590) : *P. Tanios Chibli O. S. A.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm (suite) : époque abbassido (suite) : (p. 591) : *P. L. Cheikho S. J.*

Soins aux malades en l'absence du médecin (p. 606) : *Dr Amin Gémayyel*

Beyrouth : Histoire et monuments (suite) : Beyrouth sous les Arabes (p. 618) : *P. L. Cheikho S. J.*

L'Insecte ravageur des moissons dans la Béqa'a (p. 625) : *P. Alexandre Torrend S. J.*

Bibliographie (629) = Varia (637) = Questions et Réponses (640)

SEPTEMBRE

Une fleur du Parterre de l'Carmel : Sœ Thérèse de l'Enfant Jésus (p. 641) : *P. Léo de Chevrey S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm (suite) : époque abbasside (p. 656) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le chameau d'après le Commandant Cauvet (p. 664) : *P. Gabriel Levenq S. J.*

Beyrouth : Histoire et Monuments (suite). Beyrouth et les premiers Croisés (p. 668) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Mss arabes Chrétiens des Bibliothèques de St Pétersbourg (p. 673) : *Mr Ign. Kratchkowsky*

Soins aux malades en l'absence du médecin (fin p. 686) : *Dr Amin Gémayyel*

Un ami des ouvriers : le P. Félix Volpetto (p. 703) : *P. Fr. Tournebize S. J.*

Bibliographie (709) = Varia (718) = Questions et réponses (720)

OCTOBRE

Une nouvelle Histoire de l'Ecole de Droit de Beyrouth (p. 721): *P. L. Cheikho S. J.*

Vers le Grand Hermon (p. 733) : *P. René Mouterde S. J.*

Les Syriens, les Chaldéens et les Maronites en Egypte (p, 741) : *L'abbé Isaac Armalé*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (p. 755) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm (suite) : Période abbasside (p. 764) : *id.*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : Beyrouth sous les Ibelins (1194-1291 p. 774) : *id.*

Soleiman Boustany : L'homme (p. 778) : *Mr Fouad E. Boustany*

Bibliographie (792-797) = Varia (798) = Questions et Réponses (800)

NOVEMBRE

L'Intercession des Saints (Réponse, p. 801) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Syriens Catholiques en Egypte (p. 810) : *L'abbé Isaac Armalé.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite p. 818): *P. L. Cheikho S. J.*

Soleiman Boustany : L'homme (suite, p. 824) : *Mr Fouad E. Boustany*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite p. 844) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une Excursion apostolique dans le Hauran (p. 849) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : Les Monuments des Croisés (p. 864) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (868-877) = Varia (876-879) Questions et Réponses (880)

DÉCEMBRE

L'Exposition des Missions au Vatican (p. 881) : *Mr Joseph Médawar.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbassiide (suite p. 893) : *P. L. Cheikho S. J.*

Christovan : le frère de Vasco de Gama (p. 903) : *P. Antoine da Cruz S. J.*

Soleiman Boustany : L'homme politique et l'écrivain (fin p. 908) : *Mr Fouad E. Boustany.*

Le Chapeau coiffure des Turcs et des Arabes (p. 926) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une Excursion apostolique dans le Hauran (fin p. 930) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : Beyrouth sous les Mamluks (p. 944) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (949) = Varia (957) = Questions et Réponses (960) = Tables

اصلاح بعض اغلاط طبعيّة وقعت في المشرق

الصفحة ١ السطر ٩ «والسنة ١٦٦١-١٦٦٢ هجريّة» الصواب «١٦٦١-١٦٦٢ قبطيّة و١٣٦٢-١٣٦٣ هجريّة» = ص ٥٨ س ٥ «مندونيوس (Myqdonius) والصواب «ماغوراس» (Magoras) = ص ١١٦ س ١٤ «المدا» ص «المدا» = ١١٦ : ١٣ «تبّع» ص «تبّع» = ٢٢٣ : ٤ «الحجاج» ص «الحجّاج» - ٥ «ضلوعهم» ص «ضلوعهم» = ٢٧٦ : ٧ «يبعث» ص «يبشن» = ٦٦٣ : ١٤ «فاذّت» ص فاذّت» = ٥٢٠ : ٥ «pretoru» ص «prætoriis» = ٥٩٨ : ٥ «صحة» ص «صحّة» = ٦٢٧ : ١٤ «Thomson» ص «Thomsen» = ٦٦٨ : ٥ «البحث الثالث» والصواب انهُ «البحث الثاني» وقس عليهِ بقيّة الابحاث التالية = ٨١٩ : ٨-٩ «كتاب الروضتين لمجير الدين الحنبلي» والصواب انهُ «لعبد الرحمان شهاب الدين المعروف بابي شامة الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م)» = ٨٤٦ : ٧ «تسمح» ص «تسجم» = ٨٤٧ : ٨ «رضيفهم» ص وضيفهم» = ٨٦٩ : ٢١ «Heak» ص «Leak» = ٩٠٣ : ١ «كريستوفان ابن فاسكو دي غاما» ص «اخو فاسكو دي غاما»

المشرق

ذكرى وعبرة للانام في راس العام

نظر ديني ادبي للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ رأس السنة في عُرف الانام، بين خاصٍّ وعامٍّ، هو الفاصل بين عامٍ مضى، وعام دنا، هو الحاجز بين ما فات ومات فلن يعود، وبين ما اقبل وانتجل كالطفل المولود، هو الجامع بين بجرَّتين، والبرزخ بين عالمَين، عالمٍ دخل الابديَّة، وعالمٍ خرج من اعماق الكون بتدبير العناية الصمدانيَّة

فما أحرى بالانسان ان يقف برهةً على عتبة بابهِ فيلقي بنظرهِ الى ما وراءهُ ليستفيد من ماضيهِ ذِكرى ثم يوجّه الحاظهُ الى امامهِ فتكون لهُ بمراقبة مستقبلهِ عبرة

١ الذكرى

١ واوَّل ما يتبادر الى ذهن الرقيب انَّ تلك السنة التي مرَّت عليه انضمَّت الى اخواتها مع ما رحل منها في سالف الدهور. فلم يبق لها من وجود في غير علم الله. وقدْ اجاد الكتاب الكريم حيث قال عنها (سفر الحكمة ٥ : ٩—١٢) انها كانت «كالظلّ وكالخبر السائر. او كالسفينة الجارية على الماء المتموّج التي بعد مرورها لا تجد اثرها ولا خطّ حيزومها في الامواج. او كالطائر يطير في الجوّ بقوادمهِ ويشقّ الهواء بشدَّة سرعتهِ ورفرفة جناحيهِ يُعبر فلا تجد لمرورهِ من علامةٍ او كسهم يُرمى الى الهدَف فيُخرَق بهِ الهواء. ولوقته يعود الى حالهِ حتى لا يُعرف مرُّ السهم» كذلك السنة الفائتة مضت ولم يبقَ لها من اثر

٢ وما اعظم الشوط الذي جرَّتهُ وقطعهُ الانسان معها. اثنا عشر شهرًا دارت

فيها ارضنا حول الشمس ٣٦٥ مرةً بنيّف فبلغت من الساعات ٨٧٦٦ ساعة ومن الدقائق ٥٢٥،٩٦٠ دقيقةً ومن الثواني ٣١،٥٥٧،٦٠٠ ثانية كانت الواحدة كافيةً لفتح السماء للانسان لخلاصه السرمدي او للسقوط في دركات الجحيم لهلاكه الابدي ما اعظم ما كان نفعها لمن شاء وما ارهب ما كان ضررها لمن اساء

٣ قضت تلك السنة وانّما بقي للانسان ذكرى ما نالهُ من مراحم الله في مطاويه المنصرمة من النعم السابغة. فكم أمدَّهُ الربّ بخيراته لمعاشه فسدَّ كل حاجاته الجسديَّة وافاض على نفسه هباته السامية فانار عقلهُ وارشد خطواته واثبت عزائمهُ وكل ذلك ممَّا يستوجب شكرهُ تعالى. فان كان الانسان لا ينسى فضل المنعم عليه في عالمه فكم بالحري يجب عليه عرفان الجميل نحو خالقه الذي غمرهُ بنعمه في كل برهةٍ من حياته وهو دون معونته تعالى عاجز عن كل حركة وعمل

٤ ومع ذكر نعم الله اليه لا بدَّ ان يعود الى فكره ما جرى على يده من الاعمال إن حسنةً وان سيئةً. فهذه الاعمال ليست كبقيَّة ما مضى وقضى فلم يتخلَّف لهُ من اثر فانَّ لها تبعةً مدوَّنة في نظر الله وباقية ليوم الحساب اذ يدين الله الموتى «لأنَّ اعمالهم تابعةٌ لهم» كما قال الكتاب (رؤيا ١٤: ١٣). فما اطيب وما اشهى هذه الذكرى ان كانت اعمال الانسان صالحةً مبرورة فلن يضيع ثوابها حتى اصغرها شأناً ككاس الماء البارد المعطى باسم الربّ (متى ١٠: ٤٢). وعلى خلاف ذلك ما اشقّ وامرّ ذكرى تلك الاعمال ان لم تكن بموجب اوامر الله ومنطوق الضمير

٥ ويُضاف الى ما سبق ذكرى ما جرى في المجتمع البشري من احوال شتى منها مبهجة سارَّة في عالم الدين والدنيا أصبنا منها حظّنا المشكور ومنها فاجعة ضارَّة رُزئ بها الجنس البشري وذقنا شيئاً من مرارتها كالحروب والاوبئة وضروب البلايا. فهذه كلّها ارسلها الله او سمح بها لخيرنا إمّا عقاباً لما فرط منّا من الشرور لننيب اليه تعالى بالتوبة النصوح. وامّا امتحاناً كما يصنع الله بعبيده تمحيصاً لفضيلتهم بنار التجربة فيزيد أجرهم يوم الجزاء.

٢ العبرة

ان كان للذكرى شأنها في نظر الانسان الى عامه السابق فانَّ في اعتباره للعام

المقبل تعاليم ليست دونها شأناً يجب عليه التروّي بها

١ والعبرة الاولى تستوجب شكراً جديداً من الانسان لخالقه . هذه سنة بلغتُها وكم من البشر مثلي كانوا يؤمّلون البلوغ اليها فلم تتحقّق آمالهم . ففي العام المنتهى مات نحو اربعين مليوناً من الناس في كل اطوار الاعمار ، اكبر واصغر مني سنّاً، اقوى واضعف مني بنيةً، ارفع واوضع مني قدراً، فان لم أُحصَ في عدادهم فتلك منّةٌ لم استحقّها باعمالي وقد نلتُها من كرم ربي فانا رهين فضله مُقيَّد نحوهُ بتأدية واجب شكره

٢ ولكن ما عسى ان تكون هذه السنة . فانّنا في اوّل يوم منها يتمنّى البعض منّا للبعض الآخرين ان تكون لهم سنةً مباركة وان يبلغوا الى السنة المقبلة سالمين . وما ذلك سوى تمنيات لعلّها تصحّ او لا تصحّ على انّها تُشعرنا بحقيقة تستوجب اعتبارنا وتلك هي اننا لسنا اولياء امرنا وانّ حياتنا ومماتنا في يد مالكنا فهو القابض على مقاليدهما . فالواجب علينا ان نكرمهُ إكرام المخلوق لخالقه والعبد لسيّده

٣ فان كانت هذه السنة تحت تدبير ضابط عنان اموري وهو لم يُعلمني أأحيا فيها أم أموت أأتمتّع بها تماماً او بقسم منها فقط اذ يقدر ان يقطع حبل حياتي في كل ساعة منها وهو لم يوحِ اليَّ بساعة وفاتي فتنتج عن ذلك عبرةٌ لي ان اعيش في هذه السنة برضاهُ ولا أُحاول البتّة مخالفة وصاياه لئلّا يحلّ بي ذلك الويل الذي فاه به الربّ على العبد الشرّير الساهي عن حساب سيّده بل احظى بالطوبى التي بشّر بها العبد الامين الذي يجدهُ سيّدهُ ساهراً عند قدومه (متى ٢٤ : ٤٧ــ٥١)

٤ فهبْ اني احظى في هذا العام الجديد بكلّ ما اتمنّاهُ من راحة وسلام وهناء أفلا يرشدني داعي العبرة الى امور تؤول الى اسعادي وتعدل بي عن محجّة الشقاء والبلايا . هي سنة فسيحة المدى طويلة الزمان . فكم يمكنني ان آتي فيها من الحسنات ا يقول المثل الانكليزي «انّ الزمان نقدٌ» فان صحّ هذا حتى في امور العالم كما نرى ذلك في ذوي الهمّة والنشاط الذين بجدّهم وعزمهم يصلحون احوالهم ويصيبون هناء العيش فكم بالحري يصحّ في امور الروح والادب فانّ الانسان أيّةً كانت حالهُ يستطيع ان يُصلح نفسه ويزينها بالفضائل والاداب ويؤهلها للسعادة الابديّة ان لم يحظَ بالسعادة الارضيّة الزائلة الكاذبة . تلك عبرة ان استفاد منها المرء أفعمت

قلبهُ طمأنينةً وسروراً لما يؤمّلهُ من الثواب يوم الحساب

٥ بل يستطيع المرء ان يستدرك ما فرط منهُ في حياته السابقة لكي لا يؤاخذ بها في يوم الدين فيكفّر عن آثامهِ وجهالاته الماضية ويوفي عنها وفاء قريباً سهلاً باعمالهِ الصالحة ليخلص نفسهُ من تبعتها في العالم الآخر حيث العقاب غاية في الشدّة والالم حتى لو نجا الخاطئ من العذاب الابدي في دركات الجحيم. فيا لها من صفقة رابحة! يعطي الانسان القليل فيربح الكثير الوافر يدفع دريهمات زهيدة بدلاً من دَيْنه الباهظ المستوجب القصاص الطائل الاليم. نعمًا العبرة لذوي البصيرة والادراك ولو اعتبرها البشر لتسارعوا الى التشبُّث باسبابها

٦ وكما يستطيع الانسان ان يجعل سنّةُ القبلة مفيدةً لنفسهِ يمكنهُ بالاعتبار ان يفيد منها قريبهُ. قال الكتاب (ابن سيراخ ١٧: ١٢): «انَّ الله اوصى كلّ انسان بقريبهِ». ففي الزمان المعطى لهُ من جودهِ تعالى يقدر ان يتمّ تلك الوصيَّة. فهذه اعمال الرحمة منها جسديَّة كإطعام الجياع وإروا العطاش وإكسا العُراة وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين وايواء الغرباء. ومنها روحيَّة كتعليم الجهّال وارشاد الضالّين والمشورة الصالحة. فبهذه الاعمال وغيرها يقوم الانسان بواجباتهِ وينال الطوبى من سيّده في يوم الدين وهو يُعدّ كمُعطى لهُ كل ما أُعطي باسمهِ لاحد الصغار والمحتاجين. فهذه عبرة من شأنها ان تستوقف نظرهُ في مفتتح السنة الجديدة

٧ ثمَّ ان الانسان عضو من اعضاء الالفة البشريَّة والهيئة الاجتماعيَّة فعليهِ ان يقوم بخدمتها كما يقوم سواهُ بخدمتهِ. فما احراهُ في بدء عامهِ ان يعتبر واجباتهِ نحو ذاك المجموع في الحلقة الخصوصيَّة التي جُعل ضمنها والدعوة الاهيَّة التي عُهدت اليهِ لئلّا يكون في ذاك الجسم الكبير كالعضو العليل او البطّال. فهذه العبرة من شأنها ان تقوّي عزيمتهُ وان تلهمهُ بخدمات جديدة يمكنهُ ان يؤديها للمجتمع البشري

٨ وفي ذاك المجتمع الكبير دائرة اقرب الى المرء وهي وطنهُ الذي ربي فيهِ ونال من خيراتهِ الجمّة أفلا يحقّ عليهِ ان يصرف اليهِ نظرهُ في اوّل العام ويعتبر ما في طاقتهِ ان يقوم بهِ نحوه ليؤدي اليهِ بفرائض الشكر سواء كان بتعزيز قواهُ ام بانماء ثروتهِ وترويج مصالحهِ وبالدفاع عنهُ في وجه اعدائهِ ومناصرة ابنائهِ ومحبّيهِ. فانَّ الله بوضعهِ شخصنا في احد المواطن ربطنا بهِ باواصر القرابة واشار الينا بمحبتهِ وبهذا المعنى

يصح القول انَّ حبَّ الوطن من الايمان

هذه كلها من اسباب الاعتبار فترى انها واسعة متعدِّدة كاسباب الذكرى فما للمرء في رأس كل سنة الَّا ان يرتشد بها فيخلد في قلبهِ ذكرى الماضي ويقدّم بالنظر العبرة للمستقبل وبهما ينال سعادة الدارَيْن

قصر اسعد باشا العظم في دمشق

بقلم عيسى اسكندر المعلوف (مؤلف تاريخ الأُسر الشرقية العام)

توطئة

في ربيع سنة ١٩٢١م قدم سورية المسيو استاش دي لوري (E. de Lorey) الفرنسي من قبل المجمع العلمي ومتحف اللوفر في باريس للتنقيب عن الآثار الاسلامية في دمشق. وفي اوائل سنة ١٩٢٢م ابتاع «قصر اسعد باشا العظم» بمبلغ ستين الف ليرة سورية. واتخذه مقرًّا لهُ وبدأ بترميمه وجمع بعض الآثار اليهِ وأعلن انهُ سينشئ فيهِ مدرسة لتعليم الصناعات الوطنية التي اشتهرت بها سورية عمومًا ودمشق خصوصًا وعاد مرارًا الى باريس. وفي حادثة دمشق الاخيرة منذ شهر احترق هذا القصر وزالت محاسنهُ وتشتت آثارهُ فكتبتُ في هذه المقالة لتعريفهِ مزيّنة ببعض رسومه

آل العظم

اشتهرت هذه الاسرة في تضاعيف القرن الثامن عشر في سوريَّة وقد كتب عنها كثير من المؤرخين مثل ثريَّا بك في «السجلّ العثماني» وجودت باشا في «تاريخه المطوَّل» ونعيما في «تاريخه العثماني» وابن البرزنجي في كتابهِ «كشف الحجب والستور عمَّا وقع لاهل المدينة مع امير مكَّة سرور» سنة ١١٩٤هـ (١٧٨٠م). والسويدي البغدادي في «حديقة الوزراء» والبديري الحلَّاق الدمشقي في تاريخه «نخبة الفضلاء». وكوجك جلبي في «تاريخهِ العثماني». والشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في «تاريخه المخطوط»

والمرادي في « سلك الدرر » وشمس الدين سامي في "قاموس الاعلام » العثماني . وقولني الفرنسي في « رحلته الى سورية » وغسطاف لي بون في « حضارة العرب » . وكنائس ومجاميع واوراق كثيرة وقفتُ عليها في دمشق في المكاتب العامّة وبعض الخاصّة ولاسيما آل العظم . وكلها تذكر الأسرة وتترجم مشاهيرها الوزراء واعمالهم . وبعضهم يذكرها باسم « عزيم اوغلي » ممّا يدلّ على انهم كانوا من قبيلة بني عزيم في البلقاء التي اشتهر منها شيخها ابرهيم في زمن السلطان سليم العثماني فاتح سورية ومصر سنة ١٥١٧م (٩٢٣هـ) فاتخذهُ السلطان محافظاً لجول (برّية) سورية ولقّبه آغا . ثم اخذ معه اولاده السبعة الى الاناضول رهائن خشية ان يثور عليه من كان منهم وزراء مثل عبد الرحمن باشا وحسن باشا دفين النمسا وفارس باشا ويوسف باشا وخليل باشا واسمعيل باشا والآخر مات مجهولاً . وصرّح بعربيّتهم الشيخ عبد الرحمن الفاسي المغربي في تاريخه المخطوط في مصر بعد سنة ١١٠٠هـ فذكر وفاة احدهم وقال: « ان هذا اللقب من الدولة وانّما اصلهم عربان من بادية الشام » . وممّا يرجّح عروبتهم انهُ لا أثر لهم في قونية وبين عشائر الترك حتى انهم لا يعرفونهم(١ . وقيل انهم اتراك من الاناضول والله اعلم

وقد نشأ منهم في قونية اخوان باسلان وهما قاسم بك العظم الملقّب بابي كتف الذي لم يعقب وشقيقه ابرهيم بك جدّ الاسرة العظمية الحاضرة في دمشق وحماة ومعرّة النعمان فتسلسل منهُ وزراء مهمّون أربوا على بضعة عشر تولّوا شؤون سورية وضواحيها وبرّ الاناضول . ولكثير منهم أعمال خطيرة مثل بناء المدارس وتأسيس المكتبات وحفظ الاوقاف وتشييد الابنية وتقريب الشعراء والعلماء الذين مدحوهم والّفوا لهم بعض الكتب وكتبوا لهم ومن مشاهيرهم اسعد باشا صاحب هذا القصر(٢ . وفي كتابي «تاريخ الاسر الشرقيّة» تاريخهم وانتسابهم ومشاهيرهم

اسعد باشا العظم

هو الوزير اسعد باشا ابن اسماعيل باشا بن الامير ابرهيم بك الذي نشأ في قونية

١) اشرت الى هذا الرأي في مقالة لي سنة ١٩٢٢ في جريدة الف باء عن هذا القصر وآل العظم فقامت قيامة (مستفيد) وكتب في جريدة الاقبال بتاريخ ٢٥ شباط منها اعتراضاً جارحاً

٢) توجد أسرة اسلامية في دمشق باسم (العظمه) وأسر مسيحية في لبنان باسم عظم وعضيمي وعضاي ولا نسابة بينها وبين آل العظم هؤلاء

وكان جدّ هذه الاسرة المعروف . ولد اسعد باشا في دمشق سنة ١١١٣هـ(١٧٠١م) ودرس العلوم واللغات على عادة عصره فحذق التركية والفارسية والعربية وألمّ ببعض العلوم والآداب وولع بجياد الخيل والابنية فاكثر منها . وكانت اول ولاياته على حماة فنال رتبة ميرميران ثم نال رتبة الوزارة سنة ١١٥٦هـ(١٧٤٣م) ونُقل الى ولاية دمشق خلفاً لعمه سليمان باشا فادار شؤونها اربع عشر سنة . وكان امير الحج ايضاً وترك اعمالاً كبيرة وابنية شاهقة . وسنة ١١٦٩هـ(١٧٥٥م) تولّى شؤون سيواس وعُزل عنها بعد نحو عامين وأبعد الى روسجق لتغيُّر الدولة عليه بسبب نسبة فتنةٍ اليه قام بها العرب على ركب الحجّ في عهد خلفه حسين باشا مكي زاده الغزّي من مماليكه . وقتل في طريقه الى روسجق في الخامس من شهر شعبان ١١٧١هـ (١٧٥٧م) وذلك بمدينة انقرة داخل حمّام وأعقب ابنةً تزوّجها ابن عمها محمود باشا . واثنى عليه المرادي وغيره من مترجميه . وقال جودت باشا في تاريخه ما تعريبهُ : «انهُ بعد نفي اسعد باشا (اي العظم) لا يجوز اعطاء الحكم لاحد منهم او أتباعهم خشية ان يتحزبوا او يثوروا على الحكومة»

وكانت لهُ اوقاف عظيمة وخيرات كثيرة فمن اوقافه «خان اسعد باشا» في دمشق وهو قرب داره في البزوريّة وبناء مقام السيدة زينب بظاهر دمشق وجسر الكسوة . ومن ابنيته الخان الشهير في معرّة النعمان لابناء السبيل . والخان والحمام والبركة العظيمة لابناء السبيل ايضاً في خان شيخون قرب المعرة . والخان لابناء السبيل ودار الحكومة في حماة وفيها قاعة فخمة حجمها نحو ربع القاعة الكبرى في قصره بدمشق ولكنها اجمل نقشاً قد حُفظت بغاية النظافة والدقة حتى كأنها خارجة الآن من تحت ايدي الدهّانين والمزوّقين وفيها حوشة حماة في ذلك العهد . والبرك العظيمة والقلاع المتينة التي بناها في طريق الحج منها في المعظم والاخضر والفحلتين وقلعة المداين التي ارّخها شاعرهُ الشيخ سليمان بن احمد المحاسني الدمشقي (١ بقوله من ابيات سنة ١١٦٨هـ :

١) وقفت على ديوان هذا الشاعر في خزانة المجمع العلمي بدمشق ووصفتُهُ بجملته ورأيت فيه مدائح لآل العظم وتواريخ لابنيتهم ولاسيما اسعد باشا هذا فقد ارّخ صلح المدينة على يده سنة ١١٧٠هـ وقناة ماء بناها سنة ١١٦٧ وبناء داره هذه الموصوفة بهذه المقالة وهنّأهُ بقدومه من الحج وبوقائعه مع العرب الخ

حادي البشارة قد اتانا مسلماً في بيت تاريخ يضوع شذاه
حصن المدائن قد بناهُ اسعدٌ في أمر محمودٍ أطيلَ بقاهُ

عدا ما اجرى من الخيرات والمبرّات في مكة والمدينة وبقيّة المدن التي تولّى شؤونها واهمّها دارهُ في دمشق وخانهُ قربها (١)

وصف القصر العظمي العام وطريقة بنائه

اذا انحدرتَ في سوق البزوريّة الى آخرها تجد على يمينك زقاقاً مرصوفاً موصلاً الى الدار العظمية الفخمة وهي ذات باب كبير برتاج الى الغرب ومنهُ يُدخَل الى تلك العجائب المدهشة في الزخارف والاتقان والهندام . وحول المدخل غرف ذات ثلاث طبقات كلها مزخرفة السقوف والجدران مرصوفة بالفسيفساء ومزدانة بالنقوش البديعة . ثم تجد امامك الى الشرق فسحةً مهمة والى يمينها لجهة الجنوب القاعة الكبرى التي هي اجمل تلك الدار هندسةً وروائع نقوش وبدائع اصباغ ومحاسن ترتيب وتعرف باصطلاحهم الفارسي (بالخركاه) اي المثلثة لشكل هندستها المثلث . وقربها الحمّام وغرفه البديعة وفي الشرق غرف مرتّبة وكذلك في الشمال الى يسار الداخل حيث هناك غرف وراءها المطبخ العظيم وهو اشبه بدار تحته قبو عظيم يقال انهُ كان سجناً

وفي تلك الغرف والفسحة رُتّبت آثار قديمة من تماثيل اسد ضخم وجد في الشيخ سعد وهو حيّ مكسور وتماثيل اشخاص بعضها مشوّه وحيوانات اخرى من أسد وعجول وابواب حجريّة للمقابر والبيوت على بعضها صور ناتئة من الحجر الاسود (الحرّي) الحوراني ومذابح وتيجان اعمدة وقواعدها وكتابات . وفي الداخل آثار آنية زجاجيّة وخزفية ومعدنية على بعضها كتابات وبينها قطع مكسّرة مما وجده المسيو دي لوري في الباب الشرقي عندما حفر فيه وفي محلّة حنانيا وهناك قطع من البسط والسجاد القديم والاقمشة الثمينة المطرّزة وقد فرش بعض الغرف فرشاً شرقيّاً وزيّنها ببعض الاسلحة والادوات . ووضع سجلاً للزائرين يدونون فيه اسماءهم وتُباع فيها رسوم دمشق والقصر

١) راجع وصف هذا الخان في (الروضة الغناء) للمرحوم نعمان قساطلي الدمشقي المطبوع (صفحة ١١٠)

وقد حدثني بعض الشيوخ المعمرين الدمشقيين نقلاً عن اسلافهم اخباراً غريبة عن بناء هذه الدار وما جرى للبنائين الحلبيين الذين استُقدموا لمساعدة الدمشقيين في هندستها وتفوُّق الدمشقيين عليهم بهندسة البناء وإحكامه . وكيف ان الاساس حُفر وسُدَّ بالحجارة وترك سنة كاملة حتى استقرَّ ورُصَّت حجارته فاستؤنف البناء عليه . ومما روي لي ان اجرة البنَّاء اليوميَّة كانت نحو عشرة قروش واجرة الفاعل نحو ثلاثة قروش وبقي العمَّال يشتغلون فيها احدى عشرة سنة . وقد أُهملت هذه الدار منذ نحو ثلاثين سنة وتهدَّم وخرب حمَّامها وقسم من ابنيتها العلوية ودرست بعض محاسنها وكان فيها ثلاثمائة وستون غرفة سُفلية وعُلوية

وقال الشيخ احمد البديري الحلَّاق في تاريخه المخطوط بخزانتي في سنة ١١٦٣ هـ ما نصُّهُ ببعض الفاظه العامية :

«وفي تلك الايام اخذ الوزير اسعد باشا دار معاوية رحمهُ الله واخذ ما حولها من الخانات والدور والدكاكين وهدمهم وشرع في عمارة دارهِ السرايا المشهورة التي هي قبلي جامع الاموي . وجدَّ واجتهد في عمارتها ليلاً ونهاراً وقطع لها من جملة الخشب اثني عشر الف خشبة وذلك ما عدا الذي ارسلوهُ لهُ اكابر البلد والاعيان من الاخشاب وغيرها . ورسم على حمَّامات البلد أن لا يُباع القصرمل(١ لاحد بل يرسل لعمارة السرايا واشتغلت بها غالب معلمي البلاد ونجاريها وكذلك الدهَّانين بل قلَّ ان يوجد معلم متقن او نجَّار او دهَّان كذلك الَّا والجميع مشتغلون بها . وجلب لها البلاط من غالب بيوت المدينة اينما وجدوا بلاطاً او رخاماً او غير ذلك مثل عواميد وفساقي (٢ يرسل فيقلعهم ويرسل القليل من ثمنهم . وكان في قريب بركة البرامكة قصر يقال لهُ الزهرانيَّة قيل هو من عمارة مثلث الظاهر وهو على ظهر بانياس مطلٌّ على المرجة وكان منتزهاً عظيماً تهدَّم غالبهُ . وفي قربهِ مدفن وعليهِ قبَّة من حجر ورأس القبة مقلوع وفيهِ وحدة . . . اخبروا حضرة الوزير اسعد باشا العظم صاحب العمارة عن هذه القبة وعن المدفن الذي بجنبها وان الاراذل الاشقياء يجتمعون عندها هناك ليلاً ونهاراً على فسق وفساد وغير ذلك فامر بهدمها حالاً ونقل حجارتها الى داره

١) ما يستخرج من مواقد الافران ايقادها

٢) الفساقي جمع فسقيَّة بمعنى الاحواض

«وفي تلك الايام بلغ الوزير اسعد باشا: ان في وادي كيوان طاحونة قديمة يُقال لها طاحون الرهبان قد تهدّمت ولم يبقَ منها سوى رسوم اساسها وانهـا مركبة على بانياس فحالاً امر حضرة الباشا بقطع نهر بانياس وان يخرجوا جميع ما فيها من اعمدة واحجار وينقلوهم الى الدار فاشتغلت الفعلة والحجّارة والبساتنـة واستقاموا يقلعون الاحجار وينقلونها الى دار الباشا اثني عشر يوماً والنهر مقطوع عن اصحابه

«وفي يوم الخميس سادس وعشرين ربيع الثاني من هذه السنة عمل حسن افندي السفرجلاني وليمة لحضرة اسعد باشا بالصالحية في قاعة ابن قرنق وكانت ضيافة عظيمة قيل تكلّف عليها نحو احدى عشرة مائة غرش. فنظر حضرة الباشا الى سرّوات شاهقات في داره فطلب من صاحبهم علي آغا ابن قرنق قطعهم لاجل عمارة داره وعرض الباشا عليه شيئاً من المال فأبى ان يأخذ شيئاً وقطع لهُ ثلاث سروات ليس لهم نظير في الشام ولا في غيرها . ونقل من قرية بصرى احجاراً واعمدة من الرخام شيئاً كثيراً . واخذ من مدرسة الملك الناصر التي في الصالحية اعمدة غلاظاً جيء بهم محتملين على عربات تُجرّ بالبقر وهدم سوق الزنوطيّة التي فوق حارة العمارة وكان كلّه اقبية معقودة فامر بفكّه ونقلهُ الى داره المشار اليها ونقل اليها ايضاً اعمدة من جامع يلبغا . وانهُ مهما سمع ببلاط بديع او اعمدة او احجار من اي محل كان يأتي بها شراء وغير شراء»

(قال المؤرخ) : « وفي تلك الايام قُتـل ابن خطّاب الآلاتي في سوق البزوريّة وقت اذان العشاء جاءهُ ضرب سلاح على رأسه فوقع قتيلاً كأنهُ ما كان . هـذا ووزير الشام مشغول في عمارة داره ولم يلتفت الى رعاياهُ وانصاره . ويقول: ائتوني بحجارة المرمر والرخام والسرو وتفنّنوا بالبنـاء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة وجلب عواميد الرخام على العجلات والبقر من بصرى . وخرّب سوق مسجد القصب واستجلب جميع ما فيه من احجار واخشاب وكل ما سمع بقطعة او تحفة من رخـام او قيشاني او غيرها يرسل فيأتي بها ان رضي صاحبهـا او أبى . واذا اراد الفقير ان يعمّر ويرمّم لم يجد معماريّاً ولا نجاراً ولا خشباً ولا مساراً ولا تراباً ولا قصرملاً ولا احجاراً وهذا مع غلاء الاسعار وحاول الاكدار . وقد اخذ حضرة الباشا قدراً وافياً من ماء القنوات فما وصل الى السرايا حتّى تقطعت السبل ومياه غالب الجوامع والحمامات وبقي مدة مقطوعاً حتى عن غالب البيوت »

ومما ذكرهُ البديري في حوادث سنة ١١٧٠هـ ما نصُّهُ :

« وفي تلك الايام جاء الخبر بقتل اسعد باشا ابن العظم والي الشام سابقاً . وبعد ايام جاء قبجي من جهة الدولة بختم سرايتهِ وضبط مالهِ وختم بيوت جميع اتباعهِ واعوانه وضبط مالهم ورفعهم الى القلعة . وازدادت الشدّة وصارت امور واهوال في دمشق الشام ما وقعت في سالف الازمان . ثم جاءت اتباع ابن العظم اسعد باشا . ودخل القبجي الى السرايا فاخرج الدفائن العظيمة من سرايتهِ فاذا هي كالكنوز المودوعة فيها فاخرجوا من الارض ومن الحيطان والسقوف والاحواض حتى من الادبتات(١ دراهم ودنانير وامتعة نفيسة لا تقام بقيمة . ومجوهرات مما لا يعلمهُ الّا الله تعالى والحكم لله العلي الكبير »

وذكر في محل آخر : « وجاء سلحدار من قبل السلطان لتحصيل المال من سليمان باشا العظم فارسل خلف المعمارية(٢ الذين عمّروا السرايا وكانوا نصارى وكان معلم نصراني يقال لهُ ابن سياج فأمر القبجي بتعذيبهم »

وذكر في تاريخ سنة ١١٦٦هـ : « وفي تلك الايام من هذه السنة شرع حضرة اسعد باشا في عمارة القيسارية التي في البزورية التي عز نظيرها في الدنيا وذلك بعد ما هدم قيسارتين ودور ودكاكين وجعلها قيسارية واحدة بهذه الصفة التي لا نظير لها »

وجاء في ذيل القرماني المخطوط عن نسخة نُقلت من الخزانة السلطانيّة في القاهرة ما نصُّهُ :

« وفي سنة ١١٦٣ بنى الوزير المرحوم اي اسعد باشا ابن اسمعيل باشا دارًا عظيمة في قرب جامع بني اميّة لصيق محلة الدهينياتية في سوق العطارين البزورية وأنفق عليها جملة اموال عظيمة حتى قيل جملة ما انفق اربعمائة كيس داخل كل كيس خمسمائة قرش وهذه كرى العمال . وأما الخشب والبلاط والتراب وغيره فكله من رزقهِ ومن بساتينهِ

« وقيل ان داخل الدار اماكن عديدة كل واحدة لا تشبه الاخرى وجميعهم بماء الفضة والذهب واللازورد والبلاط الرخام العظيم . وحاصل الامر نقلوا عن من رأى

١) بريد المراحيض وبيوت الخلاء

٢) تقول العامة العامرية والمعمارية اي البنّائين

وساح في البلاد ان ليس مثلها في ملك بني عثمان حتى ولا سراية الملك المعظم . وتمّ العمّال(١ يشتغلوا في دار الحريم سنتين وما تمّ وعدد العمّال من غير ضبط فوق الثمانمائة والله اعلم»

وقال في محلّ آخر من هذا الذيل : «ومن جملة ما عمّر (اسعد باشا) جسر الكسوة من الرأس الى الرأس وعرّضهُ سنة ١١٦٥ وارسل الى الدولة رفع الذخيرة الصغيرة عن البلاد وهذه تبلغ مقدار خمسة عشر كيس ثم تولى بعده محمد باشا الراغب» (اه)

يقول كاتب هذه المقالة : وعلى الجملة فان القصر العظمي بديع الهندسة جميل الغرف رفيع البنيان طبقات ترى النقوش في جدرانها الخارجية والداخلية وفيها الحمامات والحدائق والحياض والبخيريات (المداخن) وانابيب المياه موزعة بطرق فنية . وفيها الفوّارات والشلّالات في داخل الغرف بهندام يأخذ بمجامع الابصار . وهناك انواع الفسيفساء والنقوش والتخريم كلها تمثل اشكالاً هندسية ونقوشاً عربية واشجاراً وحيوانات حتى لا تكاد تجد غرفة تشبه الاخرى بشيء من نقوشها او هندستها او اصباغها . وقد بُذلت العناية بالتذهيب حتى حُفظت الوانه مشرقةً وكذلك الرصف بالبلاط والقيشاني وفصوص الحجارة الملونة والاعمدة اللطيفة ذات الالوان المختلفة . وعلى الجملة فهذا القصر هو آية البناء الشرقي ومنتهى ما ولّده تفنّن الدمشقيين في ذلك القرن بصناعتهم البنائية والنقشية وما يتعلّق بهما . واذا جُمع ما كُتب بالذهب على جدرانه وسقوفه من الآيات والحكم والاشعار ملأ كتاباً فهو اشبه بمتحفة صناعية منه بقصر . ولقد وصفهُ كثير من الشعراء ومعظم اقوالهم نُقش بخط جميل على القاعات جدرانًا وسموكًا . ومما وقفتُ عليه من ذلك اخيرًا قول السيد احمد البربير (الذي جمعتُ ديوانهُ المخطوط النفيس) يمدح محمد بك بن علي بنك بن محمد باشا العظم في داره بدمشق من قصيدة :

يا دارَ اسعدَ باشا لـلكِ النعيمُ الخلدْ
بطامة ابن عليٍّ ابي السعود محمّدْ
يا سيدي عِشْ سعيدًا فان جدك اسعدْ

وهذا القصر الفخم هو من دور معاوية الاموي ويُرجح انه من اصل قصر

١) تمّ بمعنى «بقي» بلغة العامة

الخضراء الذي كان دار الخلفاء الامويين. ولهُ بقية الآن قرب القصر العظمي تسمّى «مصبغة الخضراء» الى جنوبي الجامع الاموي

وصف هذا القصر لشاهد عياني

وقفتُ منذ ثلاث سنوات عند صديقي الوجيه محمد خليل بك العظم في دمشق على رسالة وضعها في وصف القصر العظمي قبل خرابه واهماله منذ سنتين واسمها «الدرر البهية بوصف السراية الاسعدية» فنقلتها وهذه هي بنصّها مع بعض حواشٍ واستدراكات علّقتُها عليها تتمة للفائدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي علّم الانسان ما لم يَعلم، وفضّله على سائر المخلوقات بما عليه انعم، ومن نِعمه ذلك العقل اللطيف العزيز، الذي هو افضل وابهى من الذهب الابريز، فاتقن به كل فنّ عجيب جميل، وذلك من مواهب الملك الجليل، يرزقه لمن يشاء وهو ذو الفضل العظيم

«وأُصلّي وأُسلّم على صاحب الشرف والوسيلة، سيدنا محمد المتخلق باحسن الاخلاق الجميلة، صلّى الله عليهِ وسلّم، وزادهُ فضلًا وكرَمًا، وعلى آلهِ، وكل ناسج على منوالهِ،

«وبعدُ فقد طلب مني بعض الاخوان وهو من اجلّ الاحباب الكرام، أن اصف لهُ هيئة دارنا التي في الشام، وما بها من لطائف المصنوع، وغرائب ما بها من الدقة موضوع، وهي موقعها قبلي جامع بني امية الشهير، وتنتسب لمشيدها الشهير بابن العظم اسعد باشا الوزير، في محلة البزورية، فشرعت بجميع وصف تلك الدار السنية، وسميته «الدُرَر البهية بوصف السراية الاسعدية» فاقول:

«ابتدأ أسعد باشا بعمارة داره في سنة ١١٦٠ فاتمّها في سنة ١١٦٣ حكم تواريخها

حين انتهائها. فابتدأ بحفر اساسها فحفر الاساس وبناها بالحجر الغشيم (١ والكدان (٢ قيمة اربعين ذراعاً ارتفاعاً وعرضاً ذراعين ونصف اوسط البناء حجر غشيم وظاهره. وأما باطنهُ لوجه الدار حجر نظيف مزي (٣ ابيض واحمر واسود فبنى جميع جدارها كما وصفنا وبنى جداراً آخر متصلاً بجدار الباب حاجزاً ما بين الدخول من الباب وهرا دهليز (٤ عن ارض الدار وعلو ارتفاعهُ كالجدران الاولى. وبنى فوقها قصوراً على باب الدار يأتي وصفهم. فيدخل من باب الدار الى دهليز مستطيل شرقي طولهُ خمسة وعشرون ذراعاً وعرضه سبعة اذرع. ثم يلف (٥ لدهليز آخر قبلي بقدر الاول طولهُ وعرضهُ. ينتهي الى فسحة تجاه الدار فيدخل الى الدار من تلك الفسحة لباب دهليز شمالي صغير طولهُ ثلاثة اذرع وعرضه كذا لباب ايضاً. وطول دهليزه وعرضهُ كالاول لباب كذا يدخل منهُ لدهليز مستطيل ثم لارض الدار

• ثم اخذ من اصل الدار ما ينوف على مساحة مائة وثلاثين ذراعاً طولاً وعرضاً مائة ذراع فسحة للدار. وبنى بها من القاعات ثلاثة: احداها قبلية وهي ﴿القاعة الاولى﴾ (٦ اعظم بناء في الدار والطف وأفخر فاخذ مساحتها طولاً وعرضاً ستمائة ذراع وبنى اساسها كاساس الدار وارتفاعهِ وعرضاً قيمة ذراعين ومن اعلى الارض ارتفاعها قيمة خمسة وثلاثين ذراعاً وبنى ظاهرها بالحجر المزي والابيض والاسود وواجهة للدار اكثرهُ من الحجر النافر (٧ متقن الصناعة. وبالداخل حجر مرمر ورخام. وجعل لها ثلاثة اوارين واحد صدراني (٨ واثنان متقابلان. وكل ايوان جعل فيهِ تسعة شبابيك. فالايوانان المتقابلان لبعضهما نقشهما سواء وسائر احجارهما منقوش منزّل بهِ ذهب. وبهِ ايضاً من الذهب النافر والعروق والمشجّرات من الاحجار المحفورة بحائطها المنزلة بماء الذهب ما أتقن صناعته. وجعل فوق كل شباك قرية (٩ من ابدع

١) هو غير النحيت

٢) نوع من التراب الابيض المتحجر الجاسي او الحجر الرخو

٣) من المزة بلدة بظاهر دمشق ربما كان اسمها يوناني بمعنى (التلة) ومثلها قرية (ماسا) فوق رياق

٤) لعلها «دوهوى» اي نزل. والدهليز النفق والسرداب تحت الارض فارسي

٥) ينعطف

٦) هذه هي القاعة الكبرى المتقنة

٧) النافر

٨) نسبة شاذة الى الصدر

٩) بمعنى النافذة او الطاقة لعلها منسوبة الى القسر لدخول ضوئه منها او لاستدارتها

ما يكون بلور ومنقوشة بماء الذهب والدهان والكتابة الجميلة . وكل من القماري الذي فوق الشبابيك الصدارة (١ من الايوانين مكتوب به في الوسط « هو الخلاق الباقي» في ماء الذهب وهي مستديرة كالدائرة والذي بجوانبها مستطيلين مكتوب على كل منهما «محمد رسول الله» في ماء الذهب كل من الايوانين المتقابلين . وعلى دائرهما فوق الحجر المنقوش حلقة من الخشب المتقن الصناعة والدهان ومكتوب بها في ماء الذهب «احاديث رسول الله» (ص)

« واما الايوان الصدراني فجعله مثلهم في العمارة بل زاد به في صدره سلسبيل ماء ينزل منهُ الماء وجعل ذلك السلسبيل من الاحجار القيشاني على عمودي مرمر . وابدع في نقش احجاره من الذهب النافر المنزّل (٢ . وجعل به ايضاً تسعة شبابيك على كل شباك قمرية ايضاً بلور منقوشة في ماء الذهب . القمرية الصدوانية من الايوان مستديرة مكتوب بها« كلما دخل عليها زكريا المحراب»(٣ . وبجانبها الايمن والايسر قمريّتان مستطيلتان . فباليمنى «يا حافظ يا معين» وبجانبها الايسر « يا حنّان يا منّان » وبالجنب الغربي من الايوان المذكور بالقمرية الوسطى « لا اله الّا الله نصرٌ من الله وفتحٌ قريب» وبجوانبها «يا حي يا قيوم» « يا مجيب الدعوات » وبالجنب الشرقي «يا قاضي الحاجات . لا اله الّا الله في كل وقت وحين . لا اله الّا الله حتى ترث الارض ومَن عليها وانت خير الوارثين» . وكل تلك الكتابة على هاتيك القماري بماء الذهب مع النقش من العروق والمشجّرات من جميع الادهان العجيبة . ومنقوش على حلقة ذلك الايوان الخشب (٤ تاريخ انتهاء عمارتها بابيات في مدح صاحب الدار وهي بماء الذهب واتقان صنعة الخط الجميل :

قاعة اشرقت بشمس الصدارَه وبها السعدُ ملئٌ بالبشارَهْ
وبإغصان دوحها كلَّ وقتٍ يُنطق الصفوُ بالسرور هزارَهْ
وبأبراجها مطالعُ سعدٍ تنتحيها الكواكب السيّارهْ
قد بناها الوزير (اسعد) من قد أحلّد (٥ الله في المعالي فخارهْ

---

١) يريد التي في صدر الايوانين
٢) بمعنى المرصّع ٣) اي على مريم . ورد هذا في سورة آل عمران
٤) يريد الخشبي ٥) بمعنى وطّد وثبّت

الهمام الشهم المفيد الفذّى من غدا الحمدُ والثناءُ شعارَهْ
آصفُ الوقت من حوى حسن رأي لم تكن تلحق العقولُ غبارهْ
من خفوق الرباح فاح ثناهُ والمطايا من جوده مستعارهْ
جاء تاريخها ببيت فريدٍ هو كالدرّ أبرزتهُ عمارهْ
يا لها قاعدة بلوح لـديها كلُّ يوم جاء عزّ الوزاره (١١٦٣).

وجعل داخلها خزنة (١ متسعة وجعل بابها من احد الشبابيك التسعة الموجودة في ذلك الايوان. وجعل بها عتبة لا تكاد توصف بما فيها من الصناعة المتخرة الجميلة. وهي قد جعل كل شعيرة (٢ ايوان اي من طرف نزول الايوان الى القبة باحجاره المرمر والمزّي والرخام والاحجار المشكلة الصغيرة القدر. ووضع بارض القبة اربعة احجار مقابل بعضها بعضاً لا يكاد يوصف حسنها وليس لها مثال في شامنا سوى اربعة احجار صغار في الجامع الاموي. وما بين تلك الحجارة الاربعة حجارة ملوّنة مقطّعة صغار وكبار. الصغيرة منها لا تبلغ الزرّ محكمة الصناعة والاتقان. وبين تلك الحجارة الاربعة التي مساحة كل منها طولًا ذراعين ونصف وعرضاً ذراع ونصف بحرةٌ (٣ صغيرة مستديرة عبارة عن ثمانية اذرع استدارتها مركبة على اربعة وعشرين حجراً منحوتة مركبة ملتصق بعضها ببعض لا يدخل بينها مثكٌ (٤ ابرة كانها حجر واحد وكل حجرين منها متشابهان متقابلان والاربعة وعشرون حجراً مثقوبة يخرج منها الماء بشدة وكل ثقب يخرج منه الماء بسبع من النحاس المطلي بالفضة والذهب. وكل من جميع الاحجار كل شكل يلائم شكله. ثم اوسط البحرة كاس من الرخام الابيض مخرّم تخاريم لطيفة ومنقوش نقشاً جميلًا يخرج ايضاً منه الماء من مواضع متعددة ما ينوف على خمسين محلًا بشدة يخرج الماء ويعلو قيمة ذراعين. وابواب الشبابيك التي في القبة بجوانب باب القاعة والباب ايضاً مرصعة بفصوص الصدف. ومقابل الشبابيك ايضاً شبابيك الايوان الصدراني. الصدارة ابوابها ايضاً مرصّعة بفصوص الصدف. وعلى الباب من الداخل احجار مقطعة صغيرة منقوشة لا تكاد توصف منزّلة بماء الذهب. وعلى الباب قريتان ملتصقتان بلورهما منقوش بماء الذهب وبها مشجّرات وما

١) الخزنة والخزانة مخدع داخلي
٢) الشعيرة اشبه بقعد من الحجارة ٣) الحوض والبركة
٤) اي محلّ شكّ ابرة

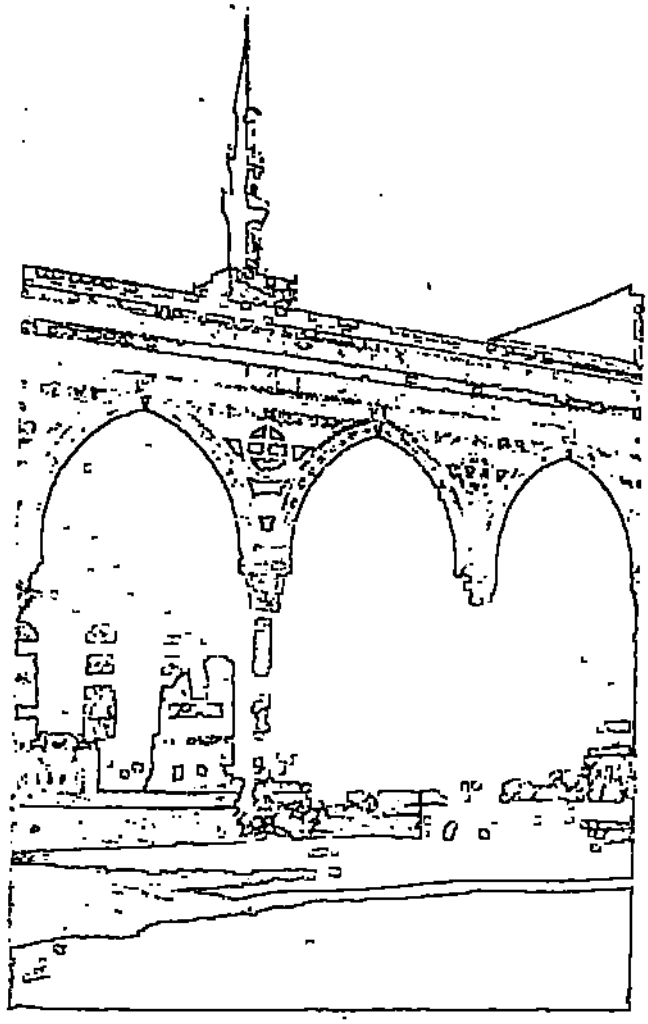

ناحية من قصر اسعد باشا العظم في دمشق

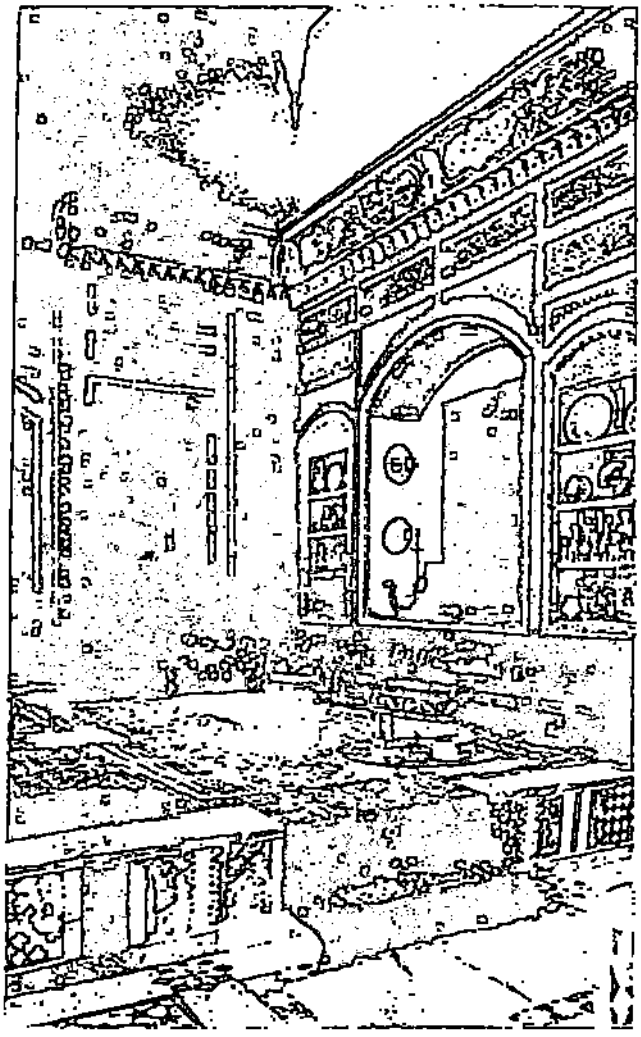

ناحية ثانية من قصر اسعد باشا العظم في دمشق

اشبه ذلك من السرو والنخل بماء الذهب . وتلك القمريتان بينهما عمودان من رخام ملتفان بعضهما على بعض وبينهما نازل بصورة حية ايضاً من الرخام النافر

وكل من الاواوين والقبة بسقف له طوان (١ من الخشب المتقن الصناعة الذي في زماننا الحاضر لا يمكن عمل مثله . اكبر قطعة من الطوان من الخشب لا تبلغ نصف ذراع طولاً وربع عرضاً مترّل في بعضه مدهن بالدهانات اللطيفة ومنقوش بماء الذهب . وخارج الباب على قدر الباب برواز (٢ من الحجر المزّي والمرمر المترل بماء الذهب المرصع بفصوص الصدف وعلى باب القاعة من الخارج مكتوب ايضاً تاريخ على الحجر النافر بماء الذهب وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين

بإسم (٣ الله حلَّ بها التهاني وحمد الله من حسن البضاعة
وبالتوفيق والاتقان شيدت كنور نيّر ابدا (٤ شعاعه
لها الاقدار ناهت في علاها بتاريخ أتى فرد الصناعة
امير الحاج أسعد في كمالٍ حباهُ الله بالاكرام قاعة (١١٦٣)

ولها فسحة تجاه الباب بمقدار خمس اذرع طول وذراعين ونصف عرض . ومن كل ناحية من تلك الفسحة درج الى ارض الدار مقدار سبعة درجات بالحجر الاسود النظيف . وعلى طرف الدرجين الى الدار والفسحة درابزين حديد الى اسفل الدرج وبقدر الدرجين والفسحة التي تجاه القاعة دكّة مرتفعة عن ارض الدار قيمة ذراع مربع والدرابزين الحديد محتاط بها وهي جميعها مرخّمة (٥ بانواع الحجارة الجميلة . وبصدر تلك الدكّة باسفل الفسحة التي تجاه القاعة مناصف الدكة (٦ سلسبيل يترل منه الماء من ماء البحرة التي بالقاعة فيترل الماء من السلسبيل بساقية بنصف الدكة . وتلك الساقية مقدار

١) الطوان هو السَّمك اي السقف الداخلي
٢) دائرة وإطار فارسية
٣) وفي التاريخ المنقوش على صدر القاعة الآن «بيسم»
٤) الاصح ان تكتب «أبدى» بمعنى اظهر بالالف المقصورة
٥) اي مبلطة ومرصّفة ٦) اي مقابل نصف الدكة

قيراطين عمقها وعرضها ثلث الذراع مفروشة بانواع الرخام الصغير القدر فينزل الماء لراس الدكة بتلك الساقية . ويرأس الدكة الى جانب ارض الدار بوسط الدكة المذكورة فسقية (١ جميلة المنظر حجرًا واحدًا يخرج منها الماء ويدور بتلك الفسقية دورات ليصل لخارج الفسقية فيجتمع ماء الفسقية وماء السلسبيل فيصبان في سلسبيل ثانٍ لساحة ارض الدار لتصريف الماء . وتلك القاعة جُعل تحتها فاضي (٢ قبو على قدر جميعها

﴿والقاعة الثانية﴾ جعلها شمالية فاخذ مساحتها قيمة مائة وستين ذراعاً فأسسها كالاولى وطلع في ارتفاعها عن الارض قيمة عشرين ذراعاً . وجعل بها ايوان واحد وتسعة شبابيك فأبدع صنعة ذلك الايوان جعل دائرهُ حلقة من الخشب ودهن ذلك الخشب بالدهان العجيب والنقش بماء الذهب وجعل لسقفه طوان من ابدع ما يكون من الصناعة المتقدم شرحها في طوانات (القاعة الاولى) وكله مترّل بماء الذهب . وعلى دائر الطوان مكتوب بماء الذهب مدح بحق رسول الله (ص) وبعض من البُردة (٣ والهمزيّة (٤ وباعلى الحلقة ابيات هي :

حمدًا لمن منح الاحسان والجودا وخلّدت شكرهُ النعماء تخليدا
واوسعَ الخلق افضالاً وكان به مستوجباً منهمُ شكرًا وتحميدا
ووفّق البطل الكرّار اسعد من اولاهُ مولى الورى صبرًا وتأييدا
امير حجّاج بيت الله مَن فتحت راياتهُ لهمُ ما كان مسدودا
صدرُ الصدور الذي دانَ الزمان لهُ وبدّد البغيَ والعدوان تبديدا
عهدُ الوزارة لم يتجبْ باكرمَ من ذا الصدر اذ كان بالاسمار موعودا
كم فرّقت عزماتٍ منهُ ماضيةً كتائباً وجيوشاً قلّ البيدا
فقد أخذ بناء المكرمات بها يفيد ذكرًا مدى الايام محمودا
وشاد باليُمن اسنى قاعة شرُفت حتى غدت منهلاً للجود موروداً
بلابل السعد في اغصان دوحتها تغري المسامع بالافراح تغريدا
فما الحوَرنق في إبداع صنعتهِ يحكي لها رونقاً حسناً وتشييدا

١) الفسقية الحوض لاتينية ٢) الفاضي الفارغ
٣) التي مطلعها : أمن تذكّر جيرانٍ بذي سَلَمِ مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدمِ
٤) التي مطلعها : كيف ترقى رقيّكَ الانبياء يا سماء ما طاولتْها سماء

كانما النقش يبدو في جوانبها كواكبٌ نُضِّدت في الافق تنضيدا
قد حصَّنتها المثاني والكتاب فان طَرْفُ الحسود رآها عاد مردودا
يحفُّها الغيث والازهار يانعةٌ فيشهد الطرف للسرّاء تجديدا
ومذ باكمالها مِنَّ الالهُ أتى بيت بتاريخه كالدرّ منضودا
قُه قاعة مجدٍ لم يزل ابدًا يزهو عليها لواء المجد ممدودا (١

«وجعل ايضاً بها عتبة واسعة بمقدار ثمانين ذراعاً وجعل للايوان شعيرةً كشعائر القاعة الاولى منزّلة جميعها بفصوص الحجارة الصغيرة المرمر والمزّي والصدف وارضها كذلك. وعلى دائرها للجهة القبلية الباب وشباكان وللجهتين الشرقية والشمالية ستة مصبّات منقوشة بتلك الاحجار الجميلة وبالارتفاع للطوان منقوش نقش بماء الذهب يحتار بهِ العقل وباوسط تلك العتبة بحرة ماء باربعة اثقاب يخرج منها الماء بسباع من النحاس المطلية بشدّة. واحجارها جميعها من القطع الصغيرة المتحوتة المركبة المحكمة الصناعة والاتقان وبابها بمصراعين من الخشب المعبر المنزّل بفصوص الصدف

﴿والقاعة الثالثة﴾ جعلها شرقية فاخذ مساحتها ثلاثمائة ذراع واسها كالاولى وطلع في ارتفاعها عن الارض قيمة عشرين ذراعاً وجعل بها ثلاثة اواوين على دوائرها شبابيك ودواليب. وجعل لأسقفها(٢ طوانات من الخام الملبّس بالجبصين والمنقوش بماء الذهب النقش الجميل. ولها عتبة جميلة باحجار مرخّمة. وفي اوسط القبة بحرة ايضاً باربعة اثقاب يخرج منها الماء كالقاعة الثانية واحجارها بالرخام المحكمة الصنعة. وفي احد الاواوين باب يُدخل به الى خزانة متسعة وفي تلك الخزانة درج من الخشب يطلع منهُ الى ثلاث فرنكات (٣ صغار لاجل الشتاء فيها مركّبات بظهر تلك الخزانة

«وجعل في فسحة الدار جنينتين» ﴿احداهما﴾ بنصف الدار اخذ مساحتها من اصل مساحة الدار قيمة ثلاثين ذراعاً طولًا وعرضاً عشرون وجعل في اوسطها ثلاث مساطب كبار مساحة كل واحدة ثلاثون ذراعاً طولًا وعرضاً ملتصقتان بعضها ببعض.

١) مجموع جمَّل هذا البيت = ١٠٦٣ فلمَّهُ حسب الف (قه) لتكون السنة (١٠٦٣)
٢) يريد السقوف جمع السقف
٣) الفرنكة في عرف الدمشقيين الغرفة العلوية للشتاء جمعُها فرنكات

شرقية . وشمالية . وغربية . ولجهة القبلة اثنتين صغار مساحة كل واحدة ستة اذرع طولاً وعرض واحدة ملتصقة بالشرقية . والاخرى بالغربية وبينها استطراق الى خارج الجنينة . وتلك المساطب جميعها من الحجر المزّي الابيض والاحمر والاسود والرخام الملون وبدائرها درابزين (١ صغار من الخشب المدهون . ولها عتبة باسفلها مختاطين بها . وهي من الحجر المزي الابيض والاسود والاحمر والرخام الملون وفي وسط تلك العتبة فسقية ماء من الرخام النافر المخرّم وتمثالها كالقبة مرتفعة قيمة ثلاثة اذرع . ويخرج الماء من جوانبها كلها ما ينيف عن ثلاثمائة ثقب يخرج منها الماء . والاستطراق لخارج الجنينة ايضاً من الحجر المزي . ودائر تلك المساطب تلك الجنينة بالزرايع (٢ المتخرة والمشجّرات والورود والزهور . وعلى دائر الجنينة درابزين خشب مدهنة . ومركب على تلك القبة صقالة (٣ على ستة عواميد من الخشب على المساطب مرتفعة . وفي وسط ثلك الصقالة قبة من الخشب المتقن الصناعة مرتفعة فوق القبة الى الفسقية فيخرج الماء من ثقب في وسط تلك الفسقية بشدة ليصل الى قبة الصقالة وبينها قيمة ستة اذرع . وفوق تلك الصقالة مغرس من اصناف الزرايع من ياسمين بلدي وعراتيلي (٤ وغير وفلّ ومن الزرايع النعشة الرائحة الجميلة المنظر

﴿والجنينة الثانية﴾ اخذ مساحتها قيمة مائتي ذراع من فسحة الدار المذكورة وجعل فيها من الزرايع المعتبرة ايضاً والمشجرات المتخرة كالاولى وبدوايرها الدرابزين المدهون . وتلك الجنينتان جعلها في ارض الدار عدا خمسة عشر موضعاً فيها الزرايع والاشجار وقيمة مساحتها من اصل ارض الدار . (فالجنينة الاولى) وهي الكبيرة في نصف الدار . و(الثانية) في الجهة الغربية من الدار بجانب الباب الذي يُدخل به من باب الدار

"وجعل في ارض الدار ايضاً بحرتين : احداهما شرقية والثانية غربية . (فالشرقية) شرقي الجنينة الاولى ومساحتها من اصل مساحة ارض الدار وقدرها طولاً عشرون

---

١) كلمة فارسية ويقال الدرابزون ايضاً وهي اطار خشبي او حديدي على السلالم ونحوها

٢) يريد المزروعات كأنها جمع زريعة

٣) الصقالة ايطالية بمعنى درج ومرتفع على اعمدة

٤) لا نعلم معناها ولعلّها (عريلي) نسبة الى بلدة عريل قرب دمشق

ذراعاً وعرضاً عشرة اذرع. وارتفاعاً من ارض البحرة الى اعلى الكتف ذراعين ونصف ومن جهة الدار للكتف ذراع وربع. وجعل لها سبعين (١ كبيرين يخرج منها الماء بشدة وفي وسطها كاس كبير يخرج ايضاً منهُ الماء. و(البحرة الثانية) غربي تلك الجنينة الاولى وشرقي الثانية متوسطتان بين الجنينتين وهي مستديرة كالدائرة ومساحتها قيمة خمسة وثلاثين ذراعاً تجاه القاعة الكبرى. وجعل القاعة المذكورة كما ذكرنا قبلية غرب الدار. وجعل نظير بنائها الى الشرق للقبلة ايواناً وذلك الايوان متقن الصناعة مساحتهُ قيمة مائة وعشرون ذراعاً عرضاً وطولاً وارتفاعاً خمسة وعشرون ذراعاً. وجعل طوانهُ من الخشب المار ذكرهُ وقوسه بديع الصناعة باتساعهِ ونقشهِ بماء الذهب والدهان العجيب. وللايوان شعيرة مفتخرة بالاحجار المرخمة وباسفلهِ عتبة داخلة القوس طولها ذراعان وعرضها عرض الايوان اثنتا عشر ذراع مرخمة بالرخام الجميل. وبمؤخر القبة لكل من الجهة الشرقية والغربية أوض (٢ على كتف ذلك الايوان والاوض ايضاً داخلين القوس المذكور وتلك الاوض متقنة الصناعة ولها شبابيك على الايوان المذكور والبعض على ارض الدار وبظهرها مركب قصران عجيبان. واسقف تلك القصور ممدة بسقف ذلك الايوان. وكل من القصور متقن الصناعة بل انما القصر الغربي انما هو اتقن صناعة واجمل بنياناً اتساعهُ مائة ذراع مساحة جعل دائره حلقة من الخشب المدهن الدهان الجميل المنقوشة بماء الذهب. وشبابيكه مطلة على ارض الدار. وطوانهُ من اجمل الصناعات المار ذكرها. وللحائط الغربي كشبه المدخنة وصنعتها تبهر العقل لعظم ما فيها من اللطافة وحسن الصنعة. وهي جميعها من الاحجار الصغيرة المرمرية والرخام الابيض والاسود والاحمر ومتزل بفصوص الصدف النافر المتزل بماء الذهب. وعلى دائرة القصر مكتوب بماء الذهب هذه الابيات :

يا منزل البشرى ومغنى التهاني ... ما راك (٣ طرف البشر طاق الثاني
يا معقلاً طال سديراً علا ... وما بنى يمنك (٤ انو شروان

١) اي اسدين
٢) يعني غرف
٣) كذا في الاصل ولعلها «جاراك» ونحوها
٤) كذا في الاصل واهل الصواب «وما بنت يُمنى انوشروان»

قصرٌ غدا يقصر عن وصفهِ كلُّ فصيح القول طلق اللسانِ
نادٍ رحيبٌ شيد بنيانهُ بزخرفٍ من عبقريّ الجنانِ
جهاته الستة طول المدى مكلوءة بالسبع سبع المثاني
عبْرٌ يجلو لأبصارنا من كل ضدّ ورد دهان (١
قد زيد بالوشي زادها كما قد زيد بالوشم زادها الحسان (٢
لمّا حكى روضَ المنى وشيهُ غدت قطوف الانس فيهِ دواني
لله يصلح ان يعتدوا خناصر الإعجاب طول الزمانِ
اني وبانيهِ الذي قد حوى مكارماً اعرب عنها اللسان (٣
اسعدُ الزاكي السجايا ومن اصبح والمجد عتيد (٤ وهانِ
وزيرٌ (٥ رحيب الصدر ذو همة سمت بهِ عن كل قاصٍ ودانِ

«وفيه عتبة جميلة المنظر وهي جميعها من الحجر القيشاني المتير وخزانة داخلية متسعة وبين بناء ذلك الايوان واوض القصورة (٦ وبين القاعة الكبيرة فسحة متسعة طولاً وعرضاً مائة وعشرون ذراعاً من اصل مساحة ارض الدار وهي دكة عالية عن ارض الدار بذراع ومحلها مزروعات واشجار . وغربي تلك الدكة لجانب القاعة استطراق بعرض ذراعين ذراعين وربع . وشرقي تلك الدكّة للايوان ايضاً استطراق ذراعين وربع . وتلك الدكة متوسطة ما بين القاعة والايوان والحاجز بينها الاستطراقات المذكورة . فالاستطراق الغربي الذي بجانب القاعة على طول تلك الدكة بمقدار عشرة اذرع يُدخل منهُ الى باب من الحديد الى بستان متسع قيمة مساحتهِ الف وخمسمائة ذراع فيه من الفواكه اليانعة ومن الازهار والاشجار ودوالي العنب ما يحيّر . وبه طالعان (٧ للماء يسقيان كافة الدار جميعها (احدهما) كبير وسعة ثقبه لو أنزل به بطيخة خضراء وافية بالكبر لنزلت بكل سهولة . و(الثاني) صغير

١) ولعل الصواب «في كل ضدّ وردة من دهان» ٢) البيت مضطرب ولعل تصحيحه : قد زين بالوشي ازدها كما قد زين بالوشم زنود الحسان
٣) لعل الصواب (لساني)
٤) الأولى «عتيدي» ٥) الأولى «شهم» ونحوه
٦) القصورة عند العامة جمع قصر والصواب (قصور)
٧) الطالع في عرف اهل دمشق محل اجتماع المياه للاستقاء

يجري منها الماء الى جميع المحلات اللازمة من الدار ويسقي ذلك البستان . والجنينة الكبرى تشرب من البحرة الكبرى التي تجاه الايوان الكبير . والجنينة الصغرى تشرب من البحرة المستديرة التي تجاه القاعة الكبرى بقساطل تحت الارض . وذلك البستان بعضهُ بقنّ القاعة الكبرى وشبابيك الايوان الصدراني مع الخزانة جميعها تطلّ على ذلك البستان . وبعضه بجانب الدكة المذكورة اعلاه التي بجانب القاعة . والايوان على عرضها . والاستطراق الشرقي الذي بجانب الايوان يُدخَل به الى بَراني(١ حمّام بصدر ذلك البراني ايوان محكم الصناعة ولهُ شبابيك غربية وقبلية تطلّ على ذلك البستان المار ذكره

«وللايوان عتبة واسعة باوسط تلك القبّة بحرة مستديرة صغيرة بساحة عشرة اذرع استدارتها باربعة اثقاب يخرج الماء منها . وتلك البحرة مع القبة جميعها من الحجر الرخام الملوّن وللعتبة قبة مرتفعة كقبب الحمامم . وبتلك العتبة الى الشرق بجانب الايوان باب يدخل منه الى الحمّام (٢ وذلك الحمام جعله بديع الصنعة جعل باوسط الحمام دكة جميلة متزّلة بالاحجار المعتبرة وبوسط صدر تلك البركة سلسبيل ينزل منه الماء الى فسقية باول تلك الدكة يخرج منها الماء ايضاً من اثقاب متعددة . ويجتمع بماء السلسبيل ويصبّان في سلسبيل ايضاً لتصريف الماء . وجعل في ذلك الحمام ثلاث مقاصير واربعة اجران بدون مقاصير . وفيه ثلاثة اجران تحير العقول بما فيها من الصناعة الجنيلة ولم يُرَ مثلها وحجرها من ابدع الاحجار المرمريّة بعضها محفور ومنزل به ماء الذهب من عروق واشجار وما اشبه ذلك . والبعض منقوش مفور من العروق والمشجرات اللطيفة . وباحدى المقاصير مغطس جميل وبتلك المقصورة جرن ساده (٣ ليس منقوشاً من ابدع ما يكون من الاحجار التي ليس موجود شبيهاً لها بالرقّة رقيق كثيراً بحيث لو اصابهُ احد بيده يسمع لهُ رنة كرنين الصيني . وتلك المقصورة حائطها بجانب ضريح سيدنا معاوية (٤ الاموي الصحابي رضي الله عنه . وجعل تجاه القاعة

١) البراني جمع برنية وهي اناء خزفي اشبه بالجرة وقيل القارورة واراد بها زجاج الحمام

٢) ان حمام هذا القصر كان خرباً في الايام الاخيرة

٣) كلمة فارسية عربت بكلمة (ساذج)

٤) اختلف المؤرخون في محل قبر معاوية بن ابي سفيان الاموي ولاسيما بعد ان خرّب السفاح العباسي آثار الامويين وقيل انه مدفون في مقبرة باب الصغير والله اعلم

الكبرى الى الشمال (ديوان خانه) (١ بخمسة اقواس من الحجر المنقوش البديع على اربعة اعمدة اثنين مزّي واثنين رخام ابيض . وجعل على جوانب ذلك الديوانخانة دكتين متسعتين متقابلتين احداهما شرقية والاخرى غربية وعلى دائرهما الى ارض الدار درابزين من الخشب المدهون وارضها مفروشة بالاحجار المرخمة المنوعة . وفي كل منها فسقية كبيرة مستديرة بثلاث طبقات بعضها فوق بعض

(فالطبقة الاولى) مساحتها بالاستدارة سبعة اذرع و(الثانية) خمسة اذرع . و(الثالثة) ثلاثة اذرع . وكل منها له اثقاب عديدة يخرج منها الماء بشدة وينزل الى اوسط تلك الدكة سلسبيل صغير ينزل به الماء وما بين الدكتين عتبة للديوانخانة مزّلة باصناف الحجارة الجميلة . وفي اوسط القبة بحرة لطيفة يخرج الماء منها من اثقاب متعددة . وفي صدر ذلك الديوانخانة ثلاثة ابواب لثلاث اوض بعضها بجانب بعض في داخل ذلك الديوانخانة . وتلك الاوض متقنة الصناعة من نقش ودهان وخلافه وتجاه الايوان القاعة . وجعل في باقي الدار من الغرف خمسة وعشرون اوضه وكلٌّ منها مساحتها قيمة اربعة وستين ذراعاً . وكل منها متقن الصناعة كما ذكرنا من النقش العجيب والدهان اللطيف وفي كل منها من الحلقات الخشب دائرها المنقوش بماء الذهب والدهان البديع مع اتقان اسقفها . ولكل اوضة منها خزانة وعتبة من الرخام البديع . ومصب من حجر القيشاني المعتبر . وعلى دوائرها من المدح في حق صاحب الرسالة من الهمزية والبردة مكتوب بماء الذهب والبعض احاديث نبوية وآيات قرآنية . وبصدر الدار اوضة من جملة الاوض التي كانت معدّة لباني الدار وهي اعظم واجمل واتقن صناعة من كافّة الاوض متقونة الصناعة والكتابة . مكتوب ايضاً على دائرها بماء الذهب تاريخ بمدح صاحب الدار وهو :

بيت التهاني باسمُ مستنيرْ ... بُني بتوفيق المعين القديرْ
شمس المعالي وسط افلاكهِ ... مشرقة ما إن لها من نظيرْ
والسعد فيهِ لم يزل قائماً ... في موسم الافراح فوق السريرْ
يخدمهُ المجد ويأوي الى ... ابوابه والعزّ فهو السميرْ
يا اسعد الحظ ويا من له ... في ذروة الفخر مقام كبيرْ

١) كلمة تركية بمعنى غرفة خارجية للجلوس فيها احياناً

ساعدك الرحمن رب العلا ودمت محروس الجناب المطير
في دولة محفوظة سرمداً بحفظ آيات الكتاب المنير
عمّرت بالتقوى ديار الهنا وأمن اللاجي ومن يستجير
ونلت كل الخير من ربنا لأنه اخلص منك الضمير
بشراك نيل القصد يا ذا العلا فالله كافيك ونعم النصير
يا نفحة المندل من ذكره شرقاً وغرباً طاب منك السمير
ووارد الالهام لما اتى وفاض بحر الجود ذاك الغزير
اشار بالمدح عقيب الثنا وجاء فيه بيت شعر يشير
بانك الآمن في سربه ما اعلن الداعي وحياً البشير
يا جملة الناس قفوا وانظروا محاسناً جلّت بناها الامير
بيت اتى تاريخه للمنا (١ شيّده اسعد باشا الوزير (١١٦٣)

وجعل فيه (دائرة ايضاً للطبخ) فيها بحرة واسعة ومطبخان للطبخ وعشرة اقبوة شيء منها للحطب وشيء للفحم وشيء للمونة وما اشبه ذلك. وجعل فيه خمسة سلالم من الحجر ما ينوف عن اربعة واربعين درجة الى اعلاه وجعل في اعلاه دوائر عبارة عن ثلاثين محلاً. وكل منها عمارتها وابداع صنعتها كالاوض الصغار. ومساحة كل منها عشر بعشر. وابدع من ذلك جعل في الاعلى على ظهر الديوانخانه (٢ ايضاً ديوانخانة مثلها كما مشروحة بخمسة اقراص من المنقوش البديع على اربعة عواميد من الرخام مثل السفلى. ودكتين متقابلتين وعتبة وكلها مفروشة بالحجر الرخام المرمري وبصدرها ثلاثة دوائر كالاسفل. وجعل في الوجه الغربي من الاعلى ايضاً ديوانخانة ولكنها من الخشب البديع الصناعة. وفي صدرها قصر متسع وبجوانب ذلك القصر من القبلة والشمال يخرج بدرجين متقابلين بعضها لبعض يلتقيان بديوانخانه باعلى السفلى المذكورة. وفي صدرها قصرين مركبين على باب الدار وارتفاعهما من وجه الارض بجانب باب الدار الى اعلاها قيمة خمسة وخمسين ذراعاً. وتلك القصور احدها متسع

١) رسم (التي) المشهورة كتابتها بالمقصورة بالف ممدودة لتوافق جُمَّل التاريخ للسنة المطلوبة

٢) كتبت احياناً «الديوار خان» وهي تحريف «الديوانخانه»

مساحته مائة وخمسون ذراعاً وله شبابيك بعضها على السوق وهو سوق البزورية وبعضها على الدار وهي متقنة الصناعة. وحلقته وطوانهُ من ابدع ما يكون ومكتوب على دائره مدح في حق النبي (ص) وابيات هي :

قصرٌ الوزارة منزل السُّعداء حلَّت بك البشرى بطول بقاء
لله منك مقرُّ عزٍّ(١) شُيِّدت اركانه بالعزّ والعلياء
وغدت به وُزَق السيادة والملا تشدو بطيب ترنُّمٍ وغناء
وسرت له من قاسيونَ وسفحهِ انفاس نشر الروضة الغنَّاء
بجناب من فيه الوزارة شُرِّفت وسمت بسوددهِ على العلياء
شهمٌ لفرط ذكائهِ ولعزمهِ خضعت اولو الانظار والآلاء
من قد حمى حجَّاج بيت الله في ايام دولتهِ عن اللاواء
وبعدله زادت محاسن جلّقٍ فجرت فواضلها على الشهباء(٢)
يا خير من ملك الرقاب بحلمهِ وبأسهِ والراحة البيضاء
دُمْ حاكماً في شامنا واسلم لنا طول الزمان بعيشة غرَّاء
ما فاه تاريخ ببيتٍ شُيِّدت ارجاءُ فيك وفاز بالسرَّاء
يا موطن الآلاء دام بك الهنا ببقاء دولة اسعد الوزراء (١١٦٣)

وبجانبه قصر ايضاً مساحته ثمانون ذراعاً وفيه ايضاً من الاتقان وعلى دائره من الكتابة المدح بحق خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اجمعين والحمد لله رب العالمين — هذا ما تمَّ لنا من اوصاف السراية المذكورة» (اه)

هذا ما رأيته كافياً في وصف ذلك القصر مع بعض رسومه والله من وراء حسن القصد

---

١) اصله «لله منك مقر قد شيدت» فلا يستقيم به الوزن فحرَّرتهُ كما ترى

٢) وفي الاصل «وبعدله المحاسن زادت جلقٌ جرت فواضلها على الشهباء» فحررته كما ترى

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٣ ابن بابي

﴿زمانهُ ودينه واخبارهُ﴾ هو احد كبار الكتّاب عاش في اواخر القرن الخامس للهجرة واوائل السادس اعني في القرن الحادي عشر للمسيح. اصلهُ من بغداد من نصارى الناطرة وانما انتقل الى مدينة واسط التي كانت في ذلك العهد من حواضر العراق متوسّطة بين الكوفة والبصرة واشتهر بين ادبائها. وقد افادنا عن كل ذلك عماد الدين الاصفهاني في تأليفهِ خريدة القصر وجريدة العصر قال : (Ms de Leide. 881, ff 163, Ms de Paris 3326 ff. 163v) «الرئيس ابو غالب نصر بن عيسى ابن بابي الواسطي النصراني توفي بعد الخمسمائة وكان من ظرفاء واسط واعيانها ولهُ شعرٌ لطيف ونظم ظريف وعبارة مستعذبة وكلمات مطربة معجبة. ولم ادرك زمانهُ. انشدني لهُ الرئيس العلاء بن السوادي بواسط سنة ثلث وخمسين وخمسمائة (١١٥٨م) وذكر انهُ كان من بغداد واقام مدّة عمره بواسط»

﴿شعرهُ﴾ قال ابن السوادي انشدني ابو غالب ابن بابي النصراني الكاتب لنفسهِ (من مجزوء الكامل) :

وعشقتُ حتّى ما أُمالُ وهِمتُ حتى ما أُفيقُ
وانا بغدريَ الصبابةِ في الهوى نَسبي عريقُ

(قال) وانشدني ايضاً ابو غالب لنفسهِ في جاريةٍ دخلت عليهِ يوم كسوف الشمس في لباسٍ اسود (من الكامل) :

عاينتُ في حُلَل السوادِ خريدةً مثلَ القضيبِ المائلِ الميّاسِ
قلتُ: أسلمي ماذا اللباسُ وغيرهُ أدّى الى الإبهاجِ والايناسِ
قالت: فهذي الشمسُ أختي عُوجلَتْ بالافتضاحِ في اعينِ الناسِ
طلعتْ فشاكلتُ الضياءَ بطلعتي ودَجتْ فشاكلتُ الدُّجى بلباسي

(قال) وأنشدني ابن بابي لنفسهِ في بغداد سابع ربيع الاوّل سنة سبع وخمسين (١١٦٢م) يصف غلاماً ورد من سفر شاحباً (من السريع):

فديتُ مَن أقبلَ من سَفرةٍ فأقبلت نفسي على أنسها
وقلتُ اذ أبصرتُهُ شاحباً قد خضّبتْهُ الشمس من وَرْسها
ما كان عندي انّ شمس الضُّحى تعملُ في الخَلْق وفي نفسها

ولهُ في غلام رَمِدٍ (من البسيط):

واهيفٍ كقضيب البانِ مقلتُهُ تُنمَى اليها جفون الشادنِ الخَرِقِ
قالوا: تمكّنَ من اجفانهِ رَمَدٌ ابدى محاجرَها في حلّة الشرَقِ
فقلتُ: بل وجهُهُ شمسٌ منوّرةٌ كسَتْ لواحظَهُ من حمرةِ الشفَقِ

ولهُ في غلام خازنٍ (من المتقارب):

أيا خازناً حافظاً للحِفا ظِ أصبى الانامَ بوجهٍ مليحِ
لئنْ كنتَ تحفظُ مالي لقد أضعتَ بهجركَ قلبي وروحي

وقالَ في غلام خيّاط (من الطويل):

مررتُ بخيّاطٍ حكى البدرَ طلعةً وشاكلَ غُصنَ البانِ لمّا انثنى قدّا

يَقُدُّ ويَفري الثوب ثمَّ يَخيطهُ فَلِمْ ثوبُ قلبي لا يُخاط وقد قُدَّا

وقال في صديقٍ نال رتبةً شريفةً فسها عنهُ (من الطويل):

منَحْتُكَ صَفْوَ الودِّ اذ نحن جيرةً ومَوْرِدُنا في الأُنس جمُّ الجداولِ
وأَمَّلْتُ ما قدكان من رُتَب العلى فلا تُحدِثَنْ لي فيك زَهْوَ المُطاولِ
فانَّ الغصونَ الشامخاتِ تميلُها جَناها فتدنو من يد المُتناولِ

وقال في الشوق (من البسيط):

عِطفاً سُعادُ فقد أَوْدَى بيَ الكَمَدُ وخانَني صاحبايَ الصبرُ والجَلَدُ
وعُدْتُ اطلبُ في تيّار حُبِّكمُ شريعةً ارتقي فيها فلا أجدُ
طَرْفي جَنى وفؤادي فيكِ تابِعهُ فكيفَ خُصَّ باثواب الضَّنى الجسدُ

وقال في معناهُ وفيهِ لزوم ما لا يلزم (من مجزوء الرمل):

كلَّ يومٍ لا أراكم هو عندي مثلُ حَولِ
فانا المُدْنَفُ بالشو قِ ولا عُوَّادَ حَولي
جُلُّ ما ألقاهُ فيكم أن أعانيهِ بحَولي(١

وقد وجدنا لهُ في مجموعةٍ مخطوطة عند المرحوم طنوس افندي اصقر . قسن نير غالب الواسطي (ص ٤٩ من الكتاب) (من البسيط):

ما زلتُ أزجرُ قلبي عنكمُ ثقةً بأنَّ عِقْدَكُمُ ما زال محلولا
فحَلَّ بي عندكم ما كنتُ أحذرهُ ليقضيَ اللهُ إمرًا كان مفعولا

وقال يصف المُدام وساقيَها (من الطويل):

١). الحَوْل في البيت الاوّل السَّنة وفي الثالث القوَّة والجَلَد

وضافيةٍ صهباء من نسل كرمةٍ منابتُها قد أعرقتْ في المكارمِ
يطوفُ بها ساقٍ أغرُّ كأنهُ هلالٌ تبدّى من متون الغمائمِ
لواحظُهُ وقعُ الأسنّةِ دونها وألفاظُهُ سلُّ السيوفِ الصوارمِ
وفي عارضيهِ للمحبِّ معاذرٌ بخطِّ عذارٍ كفَّ غربَ اللوائمِ

وقال في غلام (من المتقارب) :

تبسّمَ عن بَرَدٍ ناصعٍ ولاحظَ عن رُهفٍ قاطعِ
وحطَّ اللثامَ فقلنا الغمامُ تجلّى عن القمرِ الطالعِ

ورُوي لهُ ايضاً هناك (ص ٤٨) قولهُ (من البسيط):

بما بعينيكَ من غُنجٍ ومن حَوَرٍ وما بخدّيك من وَردٍ ومن زَهرِ
وما بثغرِكَ من دُرٍّ ومن بَرَدٍ وما بهِ من رُضابٍ فائحٍ عطِرِ
وطُرّةٍ طار لُبّي عند رؤيتها وغُرّةٍ تركتْ عيني على غَرَرِ
وحاجبٍ حجبَ السلوانَ عن فِكَري وعارضٍ عَرّضَ الاجفان للسَّهَرِ
وقامةٍ قد أماتتني على قدمٍ في معركِ الوَجد والإطماع والحذرِ
هبْ لي أماناً من الهجران انّ لهُ كاساً تجرّعتُ منها علقمَ الصبرِ

٢٤ ابن ابي سالم النصراني

﴿اصلهُ . دينهُ . اخبارهُ . وشعرهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء الذين ذكرهم عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتابهِ خريدة العصر وجريدة القصر (Ms de Paris 1414, ff. 192, Ms de Leide, 881) قال في نسبهِ : « هو الرئيس ابو الحسن عيسى بن

الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم، ثمّ ذكر زمانهُ وقد ادركهُ العماد في شيخوخته ورآهُ في اواسط القرن السادس للهجرة كشيخ بهيّ ولم يذكر سنة وفاته . ومما يؤخذ من كلامهِ انهُ خدم بني مروان اصحاب ميّافارقين وبني بُوَيه . وهذا كلامهُ :

«الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم وكان شيخاً بهيّاً . ولما حلّ والدي (١ بالموصل سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧م) كان يزورنا ويعرض علينا العم الصدر الشهيّة عزيز الدين اليه (٢ ولم اثبت لهُ شيئاً فسألت الآن الشاتانيّ (٣ فقال : هذا من بيت كبير ابوهُ كان وزير بني مروان بميّافارقين (٤ وامّهُ يقال لها الستُّ الرحيمة قال لها نظام المُلك (٥ : أنتِ الستُّ الرحيمة ؟ قالت : بل الأمة

---

١) والد عماد الدين الكاتب يدعى صفيّ الدين ابا الفرج محمّداً

٢) قول العماد «العمّ عزيز الدين» يريد به عمّهُ ابا نصر احمد الاصبهاني المتوفي وبه عُرف هو بابن اخي العزيز . قال ابن خلكان (ص ٨٩) كان العزيز رئيساً كبير القدر ولي المناصب الجليلة في الدولة السلجوقية ولم يزل مقدّماً فيها . قصدهُ بنو الحاجات ومدحهُ الشعراء واحسن جوائزهم . . . وكان ابن اخيه العماد يفتخر به كثيراً . قتلهُ السلطان سنجر بن ملكشاه سنة ٥٢٥ وقيل ٥٢٦ هـ (١١٣٠م)

٣) الشاتاني هو علم الدين ابو علي حسن بن سعيد ولد في شاتان بلدة في نواحي ديار بكر سنة ٥١٣ هـ (١١١٩م) وتوفي في شبان سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣م) كان اديباً شاعراً سكن بغداد ومدحهُ العلماء وكان قدم دمشق وعُقد لهُ فيها مجلس وعظ سنة ٥٣١ (١١٣٧م) وقدم على صلاح الدين أيوب في مصر سنة ٥٧٣ (١١٧٧م) فاكرم مثواهُ

٤) بنو مروان المذكورون هنا يُنسبون الى ابي عليّ بن مروان الكردي تولى بعد ان قُتل باد خالهُ سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠م) على ديار بكر وعلى المدن اللاحقة بها كآمد وارزن الروم وميافارقين وحصن كيفا وسعى الى مصر فقلّده الخليفة العلوي المعزّ لدين الله ولاية حلب وكانت وفاتهُ سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧م) قتلهُ اهل آمد فخلفهُ اخواهُ مهذّب الدولة ابو منصور (٣٨٧-٤٠٢) ثم نصر الدولة ابو نصر احمد (٤٠٢-٤٥٣) ثم ابنا نصر سعيد ونصر (٤٥٣-٤٧٢) واخرهم منصور ابن نصر بن احمد فاستولى على دولته سنة ٤٧٨ فخر الدولة بن جهير (١٠٨٥ م)

٥) نظام الملك هو ابو علي الحسن كان اصله من طوس . اتّصل بالب ارسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي فخدمهُ بدقة وزيره فعزّ شأنهُ وبنى المدارس والمساجد . قال ابن خلكان هو اوّل من انشأ المدارس فاقتدى به الناس واليه تنسب المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٥٧ (١٠٦٥م) قتلهُ صبيّ دياحي سنة ٤٨٥ في ١٢ رمضان (١٠٩٢م)

المرحومة. وكان (ابن ابي سالم) مشهوراً بين ارباب الدولة ولهُ اشعار غثّة وسمينة واهية ومتينة وقد وازَنَ الامير تميم بن المعزّ المصري (١ في قولهِ:

أيرْبُ بها عنّ ام يرْبُ جنّهُ حكيتُهُنّ ولستُنّ منّهُ

بقصيدة اوّلها (من الطويل):

لقد عذُبَ الماءُ من ريقهنّهْ وطابَ الهواءُ بانفاسهنّهْ

ولهُ الى بهاء الدولة (٢ صاحبَ شاتان (٣ وقد سافر الى حصن زياد (٤ (من الطويل):

تكونُ بيَ افارقينَ ووُحشتي تزيدُ لِنأيٍ عنكمُ وبعادي
فكيف احتيالي والمهامهُ بيننا تحولُ واطوادٌ لحصنِ زيادِ

هذا ما رواهُ العماد الاصفهاني ولم نقف على ذكر ابن ابي سالم في غير العماد كما انهُ لم يعرّف سنة وفاتهِ

٢٥ ابو الفتح بن صاعد

﴿اسمهُ ودينهُ وشعرهُ﴾ هو ايضاً من شعراء بغداد الذين ورد ذكرهم في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ومنهُ يُعرف زمانهُ انهُ كان في القوت

---

١) يريد ابا علي تميم بن المعزّ. كان ابوهُ صاحب الديار المصريّة والمغرب وهو الذي بنى القاهرة المُعزّية. لم يملك ابنهُ تميم بعدهُ لانّ ولاية العهد كانت لاخيهِ العزيز وكان هو شاعراً ماهراً لطيفاً ورد ذكرهُ في كتاب اليتيمة للثعالبي مع كثير من مقاطيع شعرهِ (١: ٣٥٥-٣٤٥) توفي تميم سنة ٣٧٤ ﻫ وكان مولدهُ ٣٣٧ﻫ (٩٤٨-٩٨٤م)

٢) هو بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة بن بُوَيه ملك العراق توفي سنة ٤٠٣ ﻫ (١٠١٢ م)

٣) شاتان قلعة في ديار بكر

٤) قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٣٧٦): «حصن زياد بارض ارمينية ويعرف اليوم بخرتبرت وهو بين آمد وملطية وهو الى مَلَطيَة اقرب»

السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح وقد دعاهُ في كتابهِ (Ms de Leide, 881, f. 54r: Ms de Paris, 1447, ff. 54v) «جمال الرؤساء ابا الفتح بن صاعد النصراني». وقد وجدنا في مخطوط آخر من مكتبة ليدن في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة المتوفى سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠) (Ms de Leide 884) ثمّ في طبقات الشعراء لابن ابي اصيبعة (١: ٢٧٥) انهُ يُدعى جمال الرؤساء ابا الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد البغدادي

ولم يُفدنا هؤلاء الكتبة شيئاً عن اخبار ابي الفتح إلّا انهم رووا لهُ قطعاً من شعرهِ. فمنها رواهُ العماد الكاتب قولهُ ملغزاً في وصف خيمةٍ (من الوافر):

وذاتِ ذوائبٍ بيضٍ خوالٍ ... وليس بياضها من فرطِ كِبرِ
لها فرجٌ وليستْ ذاتَ بعلٍ ... يطاها الناسُ من عبدٍ وحرِّ
وآذانٌ وليس تُصيخ سمعاً ... الى الدعي وليست ذات قفرِ
ويحملُ بطنُها عدداً كثيراً ... ولم تَرَ حاملاً شخصاً بظهرِ
ترى في ساقها قيدَيْ حديدٍ ... وكلٌّ منهما في عرضِ فترِ
وتُنظَر اكثرَ الاوقاتِ حُبلى ... وفي وقتِ الولادةِ ذاتُ طُهرِ
ففسِّرْ ما ذكرتُ وكن مُبيناً ... لما ألغزتُ من معنًى وشِعرِ

وروى لهُ صاحب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك قولهُ في غلام (من مجزوء الرمل):

زاد في حُسن حبيبي ... ما بهِ زادَ الجنونُ
عارضٌ أنبتَهُ الحُسنُ لِتَرعاهُ العيونُ

وقال في العِذار (من المنسرح):

يلومُني في هواهُ قومٌ ... ما رأيهم في الهوى صحيحُ

فكيف أسلو وقد بدا لي عذارُهُ الاخضرُ المليحُ

وقال في وصف غلام (من مجزوء الخفيف) :

يا لعَيْنٍ فسِحْرُها جَلَّ عن سِحْرِ بابلِ
وجفونٍ قَسَّيْتَها منعَتْ من تواصُلي
وعِذارٍ تقيمُ عُذْ ريَ عند العواذلِ
تحت صدغٍ مُبَلْبِلٍ زائدٍ في بلابلي
لا تسلَّيْتُ عن هوا هُ وان كان قاتلي

وقد جاء في كتاب طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة انَّ امين الدولة ابا الحسن هبة الله المعروف بابن التلميذ الطبيب النصراني كتب الى المترجم جمال الرؤساء ابي الفتح جواباً الابياتَ التالية (١ : ٢٧٥) :

ما نشرُ انفاسِ الرياض مريضةً عوّادُها طلُّ النَّدى وقطارُ
بديعةٍ تيْماء حلَّى وَجْهَها وحيا عليها حنوةٌ وعَرارُ
كفلَتْ بنروعها مؤبَّدةً بها وكفى صداها جدولٌ مدرارُ
بكَتِ السماء فأضحكَتْها مثلما ابكي فتضحكُ لي الندامةَ نوارُ
واذا تعارضُها ذكاءٌ تشمسَتْ فتمازجَ الزوّارُ والنوّارُ
مشَتِ الصَّبا بنروعها مختالةً فصبا المشوقُ وغيرهُ استعبارُ
واذا تغنَّى الطيرُ في أرجائها ابدى بلابلَ صدرهِ التذكارُ
يوماً بأطيبَ من جوادكَ شاهداً او غائباً تدنو بك الاخبارُ

(له بقيّة)

الشاعرة صافو وفقدان دواوينها

للاب بطرس بوسّار اليسوعي احد اساتذة كلية القديس يوسف

ورد في عدد تشرين الاوّل الاخير من مجلّة الحريّة البغداديّة لصاحبها عبد الجليل افندي رزق الله اوفى فصل بقلم الاستاذ عبد المسيح وزير ذكر فيه الشاعرة اليونانيّة صافو وروى اخبارها ومدح شعرها وتأسّف على ما فُقد من قصائدها فقال سامحهُ الله (ص ٢١٥) :

« ولنا من اخبار القرون الوسطى انّ الاكليروس في تلك العصور المظلمة اوقدوا نار الغيرة الدينيّة المنطوية على التعصّب الاعمى في صدور الناس فاخذوا يتلفون دواوين صافو على صورة منتظمة . وقد روى العلّامة سكاليجر الايطالي انّ مؤلفات صافو وغيرها من شعراء الامم الوثنيّة كانت تُجمع في عهد البابا غريغوريوس السابع وتُحرق في رومة والقسطنطينية فتبيت شُعلاً تطرب لها قلوب اولئك الجَهَلة المتعصّبين حتى قال العلّامة سيموندز في هذا الشأن : انّ العالم لم يتكبّد خسارة ادبيّة اعظم من خسارته في إتلاف قصائد صافو »

هذا ما كتبهُ في حقّ الاكليروس عموماً وفي حقّ احد كبار الاحبار الرومانيين خصوصاً عبد المسيح افندي وزير . واذ يخالف كلامهُ الحقيقة كلّ الخلاف فلا يسعنا ان نسكت عنهُ صيانةً لحرمة الحقّ ولشرف رؤساء الكنيسة الكاثوليكية . ونحن لا نعرف مبلغ الكاتب من العلم وهذه اوّل مرّة نقرأ لهُ مقالة في احدى المجلّات كتبها في وصف امرأة يونانيّة عاشت قبل الفين وخمسمائة سنة فبلغتنا اخبارها مضطربة متناقضة فأحبّ ان يحيي ذكرها فنقل على ما نظنّ مقالتهُ عن بعض المحدثين من المعادين للدين الكاثوليكي دون ان يتثبّت صحتها . فها نحن نعود الى ذكر تلك الشاعرة ونبيّن ما يرويهِ العلماء الاثبات عن اخبارها وعن شعرها وعن سبب فقدانهِ ونزكّي الاكليروس والبابا القديس غريغوريوس السابع من التهمة الموجّهة اليهم

من هي صافو ؟

صافو ويقال في اليونانيّة صابفو Σαπφώ هي شاعرة شهيرة ازهرت في القرن السادس قبل المسيح . وقد أدّت شهرتها في بلاد اليونان الى ان نسب اليها العموم

الشاعرة صافو في اواخر عمرها

اخباراً متناقضة واساطير متباينة هي الى الخرافات اقرب منها الى الحقيقة. وغاية ما يتفق عليه العلماء في عهدنا انها وُلدت في جزيرة لسبوس وهي ميتيلين الحديثة (مدلي الاتراك) ونشأت فيها. وكان ابوها اسمهُ سكامَندرونيم فاختصروه بأسم سكامون (Σκάμων) من اعيان وطنهِ ولها اخوان خراكسوس ولاريكس مات والدها وعمرها ستّ سنين وكانت أمها تُدعى كلائيس (Κλεῖς) ورد اسمها في شعرها. واخوها لاريكس كان ساقياً في ولائم مجلس بلدهِ (le prytané) لا كما زعم كاتب الحرية لحاكم جزيرة متيلين وكانت هذه الوظيفة تُعتبر كوظيفة شريفة. وأمّا اخوها خراكسوس

فأحبَّ فتاةً تدعى رودوبيس انتسكما من الاسر وانفق عليها كثيراً من مالهِ ليتزوَّجها حتى ونَّبته اختهُ صافو على تبذيرهِ مالهُ عليها. وممَّا جاء في كتابة قديمة تُعرف برخامة باروس انَّ صافو نُفيَت مدَّةً الى جزيرة صقلية ولا يُعلَم سبب نفيها ثمَّ عادت الى وطنها. ولا يُعرَف من امر زواجها إلَّا ما ذكرتهُ في شعرها عن ابنتها كلائيس دعتها بأسم امّها. ويؤخذ من شعرها ايضاً انَّها عمَّرت طويلاً ويُجهل عام وفاتها. وانَّما يجعل المحدثون مولدها نحو السنة ٦٨٠ قبل المسيح ووفاتها نحو سنة ٥٥٠ فتكون بلغت السبعين من عمرها ..

هذا مجمل ما تحقَّقهُ ارباب النقد من احوال صافو. امَّا ما شاع بعدها عن عشقها وعن انتحارها لخذلان عاشقها فقد نُسبا اليها زوراً اخترعهما شعراء المراسح في رواياتهم الهزليَّة جزافاً دون سندٍ

٢ الشاعرة

انَّ شهرة صافو بين اليونان انَّما كان سببُها قريحتها العجيبة في نظم الشعر اليوناني تضمَّنهُ ارقَّ المعاني وتكسوهُ بألطف التعابير وافصح الالفاظ. وقد بلغ مجموع شعرها تسعة دواوين من الشعر الغنائي (lyrique) يضاف اليها عدَّة قصائد في معاني مختلفة كالرثاء والهجو وكان شعرها باحدى اللهجات الشائعة بين اليونان تعرف باللهجة الايوليَّة (éolien)

وكانت صافو لغرامها بالشعر والتغني بها جمعت عدَّة فتيات من وطنها متيلين ونظمت منهنَّ جوقةً علَّمتهنَّ فنون الغناء وألَّفت لهنَّ الاغاني المختلفة وضعت لها وزناً يوافقها رقَّةً نُسب اليها فدُعي باسم مخترعتهِ « الشعر الصافيّ » (vers°saphique) فكانت هي تتولَّى تدبير تلك الجوقة التي كان اهل وطنها يدعونها الى كلّ حفلاتهم لتشنف مسامع الحضور باصواتها الشجيَّة واغانيها الطربة وكانت الادوات الموسيقيَّة ترافق اصوات الفتيات. وكانت صافو ماهرة بنقرها ولاسيما البربط اليوناني

امَّا مواضيع شعر صافو فمدارها غالباً على الحبّ الجنسيّ والغرام إلَّا انها لم تخرق حرمة الآداب وتصون نفسها عن الخلاعة. وهذا ما يشهد عليهِ ما بقي من شعرها الى يومنا واشار اليهِ القدماء.

٣ بقايا شعر صافو وسبب فقدانه

قلنا انَّ صافو تركت عدَّة مجلَّدات من شعرها النفيس ما يدلُّ على غزارة مادَّتها وجودة قريحتها. وقد عُرفت هذه التآليف بعدها فشاعت بين اليونان ولم يجهلها الشعراء اللاتين الذين نبغوا في عهد اوغسطوس قيصر والقرون الاولى للميلاد. وكلُّهم على اختلاف نزعاتهم يطرئون شعر صافو ويقرُّون لها بالتفوُّق على سواها في الشعر الغنائي اليوناني ولم يصبر إلَّا القليل منها على آفات الدهر

ولكن كيف يا تُرى فُقدت تلك الكنوز الادبيَّة الثمينة أثبتت الى القرون الوسطى سالمةً او يصحُّ القول بانها فُقدت بذنب الاكليروس او انها حُرقت بامر الحبر الاعظم البابا القديس غريغوريوس السابع في القرن الحادي عشر او في زمانهِ كما نوَّه بهِ كاتب مقالة الحريَّة ؟

هذا سؤال يلقيهِ اصحاب البحث والتنقيب وحتى اليوم يقرُّون بجهلهم لاسباب فقدان تلك الآثار الادبية آسفين على ضياعها . وليس سؤالهم مقصورًا على دواوين صافو بل يعمُّ كثيرًا من تآليف اليونان. كيف ضاعت روايات اسخيلوس الستون ؟ وروايات صوفقلس المئة؟ وتآليف غيرها قديمة من عهد اليونان والرومان؟ وكثير منها لا بأس منها بينها التواريخ والآداب والفلسفة والخطب الاجتماعيَّة وكم غيرها وكم ؟ ايجوز ان يُتَّهم الاكليروس والقديس غريغوريوس باتلافها ؟

بل كم فُقد من اعمال الآباء القديسين والكتبة الكنسيين التي لم نعرف اليوم غير اسمائها وهي اقرب الى زماننا من اعمال اليونان والرومان. أفيستطيع عبد المسيح وزير ان ينسب ايضاً فقدانها الى الاكليروس والى القديس غريغوريوس السابع؟

ثمَّ أيجهل احد أنَّ ما وصل الى يدنا اليوم من اعمال اليونان والرومان لم نتمتَّع بهِ إلَّا بفضل الاكليروس القانوني والرهبان كالبندكتيين وغيرهم الذين جمعوا ما امكنهم منها وعدَّدوا في اديرتهم نُسَخها فاصبحت منازلهم مستودعات لتلك الآثار الجليلة

فان قيل انَّ العرب حفظوا للغرب تلك الكنوز فالفضل في نجاتها من آفات الزمان عائد اليهم. اجبنا انَّ غاية ما بلغ لاوربَّة على يد العرب لا يتجاوز كتب

اليونان الفلسفيَّة والطبيَّة وبعض كتب الرياضيَّات والطبيعيَّات والهيئة والجغرافية. أمَّا كتب الآداب واللسان والخطب والشعر فلم تنَلْ منها اوربَّة شيئاً بواسطة العرب. وانَّما حفظهُ الاكليروس ولاسيما الرهبان بسعيهم وتفانيهم في خدمة الآداب. أفيقبل العقل ان يقال انَّ غيرهم من ارباب الكنيسة عاكسوهم فمحَّوا وأتلفوا مآثر الاقدمين. وزد على ذلك ان تسعة اعشار المعرّبين لاعمال الفلاسفة القدماء وتآليفهم العلميَّة انَّما كانوا من نصارى الروم والسريان يُدعَون عرباً بالمجاز لا بالحقيقة وعنهم اخذ العرب المسلمون كابن سينا وابن رشد والفارابيّ وغيرهم. فليراجع كتاب الفهرست (ص ٢٤٤) حيث ذكر ابن النديم اسماء نقلة كتب اليونان فانَّ معظمهم نصارى

فهذا جوابٌ عمومي يكفي لإفحام صاحب مقالة صافو في الحريَّة فلا يعود يرمي الكلام على عواهنهِ دون تروٍّ. ولكن دَعْنا نختص بالنظر القديس غريغوريوس السابع لنرى ايوجد شاهد صادق على نسبة هذه التهمة اليهِ

٤ تبرير البابا القديس غريغوريوس السابع من اتلاف شعر صافو

١ واوَّل ما نطلبهُ من كاتب الحريَّة أن يمكنك ان تثبت بقاء دواوين صافو الى عهد القديس غريغوريوس السابع اعني الى القرن الحادي عشر للميلاد. أفنسيتَ يا صاح انَّ أمم البرابرة كانت انقضَّت على انحاء اوربَّة المتمدنة فسلبوا ونهبوا وحرقوا وقتلوا وتتابعوا جيلاً بعد جيل مدَّة ستة اجيال فكيف لا تنسب اليهم فقدان تلك الكنوز العلميَّة والادبية؟ أفهذا من العدل والانصاف فتنسى المجرمين وتؤثم الابرار؟

٢ ولكن هَبْ انَّ دواوين صافو نجت من ايدي الشعوب البرابرة التي زحفت على اوربَّة من هونيين وغوطيين وجرمانيين وسكسونيين فماذا يا تُرى كان الداعي الذي دفع غريغوريوس السابع الى ملاشاة اعمال صافو؟ أَلِأَنَّ دواوينها كانت منتشرة بين العموم فتُفسد الآداب بما في اوصافها من الغرام؟ فنقول لجناب الكاتب انَّ دواوين صافو يونانيَّة اللهجة وفي عهد القديس غريغوريوس السابع كانت اللغة اليونانيَّة نسياً منسيًّا ليس من يفهمها او من يدرسها حتى بين أدباء القوم. فما كان يُخشى منها ادنى ضرر للآداب. وبقيت تلك اللغة مجهولةً الى القرن الخامس عشر فتنكَّى العلماء

كيترزك وغيره من خولها وقاضي الادباء عن درسها

٣ وكيف نجت من حريق البابا غريغوريوس المزعوم دواوين أخرى لاتينية اللهجة معروفة بما تتضمنهُ من العشقيات والمجون كارثيديوس وكاتولس وهوراسيوس أفما كان الاحرى بالقديس غريغوريوس ان يتلفها قبل سواها لشيوع اللغة اللاتينية . فان لم يفعل فذلك دليل على انهُ لم يمس دواوين صافو بأذى ولاسيما انَّ شعرها وان تضمَّن اوصافاً غرامية فانَّهُ خالٍ من المجون والخلاعة كما نرى في شعراء اللاتين

٤ وغاية ما نعرفهُ عن القديس غريغوريوس السابع انهُ جاهد جهاد الابطال مدَّة اعوام رئاسته على الكنيسة (١٠٧٣ــ١٠٨٥) ليحرّر الكنيسة من ربقة مستعبديها بابطال زواج الكهنة والغاء تقليد الملوك للاساقفة السلطة الدينية بمنحهم شاراتها كالعصاة الراعوية والخاتم الاسقفي . فقامت قيامة المعاكسين فكان الحبر الاعظم في ذهاب واياب لا يكاد يجد راحة في جهاده مع الملك هنريكوس الرابع فهيهات ان يكون تخلّى لأمر المخطوطات اليونانية ولدواوين صافو . ومن ثمَّ نسبة ذلك اليهِ أبعد من ان يصدّقها احد

٥ امَّا ان قيل ان سكاليجر وهو من كبار ادباء القرن السادس عشر هو الذي روى ما فعلهُ البابا غريغوريوس السابع . فنجيب على ذلك انَّنا لا ننكر ما كان لسكاليجر من العلم والشهرة إلَّا انَّنا كنَّا وَدِدْنا قبل كلّ لو أتانا عبد المسيح افندي بنصّ سكاليجر بحرفهِ الواحد اذ لم نطَّلع عليهِ سابقاً . ثمَّ ولو افترضنا انهُ قال ذلك فما نصيبُ قولهِ من الصحة وعلى اي كاتب استند ليروي هذا الخبر وبينهُ وبين زمن البابا غريغوريوس خمسمائة سنة . بل نجد في منتقدي تآليف سكاليجر العصريين مَنْ ينسبهُ الى التهوّس والمبالغة . فهذا النقّاد الكبير في عصرنا اليهودي سليمان رينَاخ المعروف بتآليفهِ العديدة وبمعرفتهِ لآثار اليونان فانهُ يدعو سكاليجر في كتابهِ الدستور اللغوي كاتباً زائد التعشّق والغرابة (un auteur plein d'extravagances) (١

فان كان امرهُ كذلك أفيجوز ان نرضى بحكمهِ دون ان يدعمهُ بالادلّة القاطعة؟

٦ ولنا شواهد اصدق واقرب الينا من شهادة سكاليجر فانَّ عدَّة مؤرخين من كاثوليك وبروتستانت رووا سيرة الحبر الاعظم غريغوريوس السابع مستندين الى

1) S. Reinach: Manuel Philologique I, p. 7

اوثق الاسانيد التي استخرجوها من سجلات المكاتب الدولية الكبرى ومنهم فليش (A. Fliche) فانهم لا يلمحون البتة الى ما نقلهُ زورًا كاتب الحرّية وبين هؤلاء الكتبة رجال من اعداء الكنيسة الكاثوليكيَّة كالمتشيع للوتاروس فواغت (Voigt) فانهُ سكت عن تلك التهمة الباطلة. ومثلهم الذين كتبوا تاريخ الآداب اليونانيَّة وذكروا صافو وشعرها كاوتفريد مولّر (Ottfried Muller) وايغر (Egger) وكروازه (Croiset) فان لا احد منهم يذكر البابا غريغوريوس السابع بسوء في حقّ صافو

٧ وغاية ما وجدنا في تاريخ الاداب الدرسيَّة للاستاذ سندي (Sandy) الذي عنوانهُ (A History of classical scholarship, p. 498) ما تعريبهُ : « انَّ اقبال العموم على درس التآليف المدرسيَّة القديمة كان ضعُف في القرن الحادي عشر وانَّ البابا غريغوريوس السابع لانشغاله في مناهضة هنريكس الرابع لم يجرّد فكرهُ للتآليف الادبيَّة القديمة » . فلعمري ان كلامًا مثل هذا لا يشعر بان إمام الاحبار اتلف او حرق تآليف صافو او غيرها وانما لم يتفرَّغ فقط للاهتمام بها كأسلافهِ ونحن نسلّم بذلك لعبد المسيح افندي

٨ ومما يزيد كلام عبد المسيح وزير غرابةً نسبتهُ الى الحبر الاعظم حريق التآليف الادبية القديمة في القسطنطينيَّة كما في رومية . وهذا من التطرّف في مكان . فكلّ يعرف انَّ سلطة الحبر الاعظم في القرن الحادي عشر كانت ضعفت جدًّا بين الروم وليس كاتب واحد رومي او غيرهُ قال مثل هذا القول ولا نعلم أذهَبَ اليهِ سكاليجر وما لا ريب فيهِ انهُ كذبٌ محضٌ لا نصيب لهُ من الصحة ومجرَّد القول بهِ يكفي لنبذهِ نبذ النواة

وفي ما سبق كفاية لتبرير القديس غريغوريوس السابع مما اتُّهم بهِ واملنا من كاتب مقالة مجلة الحرّية ان يُصلح كلامهُ صيانة لشرفهِ ورعايةً لعرض احد احبار رومية الاجلّاء الذي بفضلهِ عادت الكنيسة الى استقلالها من السلطة المدنيَّة والى بهائها السابق

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثامن

اسرة بني الغرب البحتريين في بيروت

انَّ تاريخ بيروت في عهد مماليك مصر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأخبار أسرة شريفة من الامراء الذين عُرفوا بأمراء الغرب وبفضل واحد منهم حصلنا على تاريخ اسرتهم نريد بهِ صالح بن يحيى . وهو الذي نشرنا تأليفهُ تباعاً في السنتين الاولَيَين من مجلة المشرق ثم طبعناهُ على حدة وهو منقول عن نسخة فريدة في خزانة المخطوطات العربية في باريس مرسومة بالعدد ١٦٧٠ وعنوانهُ هناك «تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني الغرب»

فأحببنا ان نفرد هنا بحثاً لما رواهُ المؤلف عن اعمال بني الغرب الامراء في بيروت. مجرَّد ذلك عن كتابهِ حيث ورد مبثوثاً مشتَّتاً فجمعناهُ في هذا الفصل كتتمة لاحوال عاصمة لبنان في القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر في مُدَّة حكم المماليك المصريين على سوريَّة (ص ٦٥)

﴿من هم الامراء بنو الغرب﴾ رفع يحيى بن صالح نسبهم الى الامير ناهض الدولة ابي العشائر بُحتر الذي ينتهي نسبهُ الى تنوخ ومنهُ الى المناذرة ملوك الحيرة اللخميين اللاحق نسبهم بسلالة زيد بن كهلان ثم بقحطان جدّ العرب

كان التنوخيُّون اجداد البحتريين قبائل نصرانيَّة قبل الاسلام كما اثبتنا ذلك في عدَّة مواضع من كتابنا «النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة» (راجع الصفحات ٣١، ٧٨)

١٢٧ الخ) وبقيت تنوخ على دينها زمناً بعد الهجرة الى ان غلب عليها الدين الاسلامي لامتزاجها بالمسلمين وللضغط عليها كما روى المؤرخون ومنهم الطبري

واستوطنت تنوخ بعد الاسلام جهات الجزيرة والفرات والى عربها ينتسب اجداد امراء الغرب. وقد روى صالح بن يحيى (ص ٦٩) انَّ احد اجدادهم ابا اسحق ابرهيم كان اميرًا بالبيرة (بيره جك) القريبة من الفرات سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) وذلك في عهد الملك الظاهر ابي الحسن عليّ احد الخلفاء الفاطميين

وقدم ابن الامير ابرهيم ويسمّى مجد الدولة عليًا الى لبنان فولّاهُ ملوك مصر على معاملة الغرب في الجبل وعلى سواحل الشام. ولعلّهُ هو الذي كان متولّياً على بيروت لمّا مرَّ بها الصليبيون اوّل مرّة سنة ١٠٩٩م قبل فتحهم للقدس الشريف فصالحوهُ ولم يفتحوا المدينة وكان الحكم في تلك السنة صار للسلجوقيين على الشام. ثم فتح الفرنج بعد عشر سنين مدينة بيروت وبقيت في يد التنوخيين امارة الغرب فتحصّنوا فيها. وكانت معاملة الغرب وقتئذٍ تمتدُّ الى معظم بلاد الشوف الحالي ولاسيما ما يعرف اليوم بنواحي الغرب الاقصى والغرب الاعلى والغرب الشمالي وبعض جهات الشحّار والمناصف وذلك ما يُدعى في مناشير بني الغرب جبل بيروت

وقد اشتهر بعد الامير عليّ ابنهُ بُحتر. ذكر لهُ صالح بن يحيى (ص ٦٧) منشورًا نالهُ من الاتابك مجير الدين آبق بن طغتكين في محرّم سنة ٥٤٢ (حزيران ١١٤٧) يقرّر فيهِ الامير بُحتر على امارة الغرب من جبل بيروت بعد ابيهِ

وفي اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٦٦٥ــ٦٦٦) انَّ بُحتر المذكور نجا من القتل لمّا استولى الصليبيّون على بيروت وفتحوها بالسيف وقتلوا من كان فيها وفي جهات الغرب من الامراء. وكان بُحتر صغير السنّ فخفّتهُ امّهُ في عرامون. ثم ترعرع ونشط وحارب الفرنج ونال منهم في واقعة رأس التينة عند نهر الغدير. وكانت وفاتهُ سنة ٥٥٢هـ (١١٥٧م). هذا ما رواهُ الشيخ طنوس الشدياق ولم يذكر اسانيدهُ في روايتهِ

وخلف بحترًا ابنهُ زهر الدولة ابو العزّ كرامة بن بحتر التنوخي فجرى على مثال والدهِ في محاربة الفرنج فشكرهُ على فعلهِ الملك نور الدين محمود بن زنكي ومنحهُ منشورًا اثبت لهُ فيهِ اقطاعات والدهِ وزاد فيها كما روى صالح بن يحيى (تاريخهُ ص ٧١)

وكانت الدعوة الدرزيّة في تلك الاثناء انتشرت في لبنان لاسيما في وادي التيم وانحاء الشوف بدعوة بعض الباطنية اصحاب الحاكم بامر الله الذي ادّعى بالربوبيّة فتبعهُ كثير من البحتريين امراء الغرب وغيرهم فأُطلق على الاحياء الذين قبلوا دعوة الفاطميّ في وادي التيم اسمُ آل عبدالله وبهِ دعاهم صالح بن يحيي في تاريخ بيروت (ص ٧٠) امّا دروز صفد فدُعوا آل تُراب (ص ٢٧٩ــ٢٨٠)

وممّا رواهُ صالح في تاريخهِ (ص ٧٤ــ٧٥) وابن سباط من بعده ولم نجد لهُ ذكرًا في تواريخ الصليبيين انَّ صاحب بيروت الفرنجي ولم يصرّحا باسمهِ والمرجّح انهُ المسمى غوتيه سيّد بيروت (Gauthier, sire de Baruth) هادَنَ اولاد الامير كرامة ولم يزل يجاملهم حتى غدر بهم وقتلهم غيلةً ونهب بلادهم . ودونك الخبر كما رواهُ صالح وابن سباط (ص١ من نسخة مكتبتنا الشرقية) :

« بعد وفاة زهر الدولة كرامة اقام اولادهُ الثلثة الكبار مقامهُ فهادنهم المقيّم مقام الافرنجي صاحب بيروت. وآنسهم وتكرّر اجتماعهم معهُ في الصيد وهو يعطيهم ويُحسن اليهم ثمَّ دعاهم الى عرس ابنه . فلما كان وقت العرس قدم الثلثة الى بيروت فأنزلهم صاحبها في بستان ظاهر البلد واعتذر اليهم لايوائهم خارج البلد لكثرة ما اجتمع فيهِ من طوائف الفرنج لوليمة العرس وزاد في اكرامهم . ولمّا دخل الليل سألهم الحضور الى مجلس خاصّ قد هُيِّئ لهم وللملوك الفرنج فدخل الثلثة الى القلعة ومعهم نفر قليل فكان آخر العهد بهم . وركب صاحب بيروت بمن عندهُ من جموع الفرنج في صبيحة تلك الليلة وطلعوا الى حصن مرحمول الذي كانوا يقيمون فيهِ وكان خاليًا من الرجال فهرب من كان بهِ ومن جملتهم حجي(١ اخو الامراء الصغير وكان عمرهُ سبع سنين هربت بهِ امّهُ الى الدوير . فنهبت الفرنج الحصن وهدموهُ والقوا حجارتهُ في الوادي ولم يبقوا لهُ اثرًا واحرقوا القرى واسروا من تخلّف عن الهرب»

هذا ما رواهُ الكاتبان ولم يتّفقوا في تعيين سنتهِ فانَّ ابن سباط يجعل وقوعهُ سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤ــ١١٧٥) امّا صالح بن يحيي فيقول (ص ٧٥) : « انَّ هذه الكائنة وقعت في اواخر دولة الملك العادل نور الدين بن زنكي» والملك العادل توفي في شوّال سنة ٥٦٧هـ (١١٧٢م) فيكون الفرق بين الكاتبين نيّفًا وسنتين . وزاد الكاتبان انَّ الملك الناصر صلاح الدين لمّا فتح بيروت بعد ذلك سنة ٥٨٣ لمس رأس

١) كُتب هذا الاسم في الاصل «حجي» وقد افادنا الامير شكيب ارسلان ان الصواب « حجّي »

حجي بن كرامة وقال له: «ها قد اخذنا تارك من الفرنج فطيّب قلبك وانت مستمرّ مكان ابيك واخوتك». وكتب له منشوراً في ذلك تاريخهُ «بارض بيروت في العشر الآخر من جمادى الاولى سنة ٥٨٣ (١١٨٧ م)

ولم تبق بيروت زمناً طويلاً في ايدي المسلمين كما سبق فرجع اليها الصليبيّون وثبّتوا فيها سلطتهم وتملّكوها من السنة ١١٩٧ الى ١٢٩١ في عهد الملوك الايوبيين ثمّ المماليك الاتراك على مصر. ففي تلك المدّة من السنين كان امراء الغرب يحصّنون قراهم في وجه الفرنج ويبنون فيها الابنية الفخمة مما بقي بعض آثاره الى يومنا في اعيّة وعراعون وعيناب ونواحي الدامور

على انّ ملوك مصر ما كان ليهدأ لهم بال والفرنج بجوارهم في قلب البلاد او يتهدّدون باساطيلهم سواحل الشام فوكلوا الى امراء الغرب ان يقفوا لهم بالمرصاد ويتصدّوا لهم ويعرقلوا امورهم ويلازموا نظر سواحل بيروت. وفي كتابات امراء الغرب الى ملوك مصر والى الامراء عمّالهم تطمين لبالهم يؤكدون لهم صدق خدمتهم ومناهضتهم للفرنج وكانوا اذا حدث امر هامّ يعلمون به ملوك مصر. فانّ الملك الظاهر بيبرس يثني على اميري الغرب زين الدين علي وجمال الدين حجي لهمّتهما في مكاتبته عن احوال سواحل الشام ولما اخبراهُ من امر زواج ابنة صاحب بيروت من ابن ملك قبرس (ص ٨٣و٩٦)

على انّنا نرى مع ذلك في بعض الاحوال انّ المعاملات بين الفرنج وامراء الغرب كانت ودّية لنا على ذلك شاهدان في ما ذكرهُ صالح بن يحيى. وهما المنشوران اللذان اشرنا اليهما ورواهما في تاريخه (ص ٨٣ــ٨٤ و٢١١ــ١١٢) الاوّل لصاحب صيداء رينو (Renaud de Sagette) كتبهُ سنة ١٥٦٧ للاسكندر (١٢٥٦ م) والثاني لهمفري دي مونفور (Humftoy de Monfort) في تاريخ سنة ١٥٩٢ يونانية (١٢٨١م)

واخبر في محلّ آخر من تاريخه (ص ٨٧) انّ الامير سعد الدين اخا الامير حجي المذكور كان مولعاً بصيد الطيور الجوارح وان صاحب قبرس الفرنجي والاصح صاحب بيروت كان يهديه طيوراً وذلك ما يثبت تلك العلاقات الودّية بين الفرنج وامراء الغرب

ومما رواهُ ايضاً عدّة مناشير للملك الظاهر بيبرس (٩٥ــ٩٨) يوجهها الى اميري

الغرب زين الدين علي وجمال الدين حجي الكبير يقرّر فيها اقطاعاتهم ويُحسن اليهم. ولعلّ ما نالاهُ من النعمة من قبل السلطان هو الذي حرّك الحسد والبغض في اعدائهم بني ابي الجيش فسعوا بهم الى الملك ظاهر بيبرس وزوّروا باسمهم كتابات الى الفرنج الى صاحب طرابلس فبلّغوها الى الملك بيبرس. فحنق عليهم وارسل فاوقف الاميرين المذكورين وسعد الدين خضر اخا جمال الدين حجي واعتقلهم فحبس الامير زين الدين علي في سجن مصر والامير جمال الدين في الكرك وسعد الدين خضر في قلعة عجلون ولم يقبل فيهم شفاعةً. وبقوا عدّة سنين في حبسهم الى سنة وفاة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) ولم يخرجوا من السجن إلّا في عهد ابنهِ الملك السعيد ناصر الدين بركة (اطلب تاريخ صالح ٩٨ــ١٠١)

وعاد الامراء الثلثة الى اوطانهم. وتكرّرت الشكوى عليهم الى الملك منصور قلاوون لميلهم الى الفرنج الصليبيين المتملكين على سواحل الشام لاسيما صيداء وبيروت.. فكتب الاميران زين الدين علي وجمال الدين حجي واولادهما الى الملك يتنصّلون من تلك التهمة ويؤكدون خلوص خدمتهم للدولة المنصوريّة ويصرّحون «بانهُ ليس منهم احد يحبُّ الفرنج او يميل اليهم او يناصحهم وانَّ ما نُسب اليهم انما هو تشنيعٌ من اعدائهم ومبغضيهم» (تاريخ صالح ١٠٣ــ١٠٤)

امراء الغرب في بيروت ١٢٩١ــ١٥١٥

بقي امراء الغرب في جبلهم الى ان فُتحت بيروت نهائيًا سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) على عهد السلطان الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ملك مصر فكان امراء الغرب اوّل من دخلها.. واخصُّهم الامراء زين الدين صالح بن علي وجمال الدين حجي وسعد الدين خضر الذين مرَّ ذكر اعتقالهم في عهد الملك الظاهر. وفي السنة الثالثة لفتح بيروت ١٢٩٤ استقرَّ دركهم على بيروت فاقاموا لحراستها تسعين فارساً قسموهم ثلثة اقسام جعلوهم ابدالًا يقيم ثلثون منهم شهرًا ثم يعقبهم بدل آخر بالمناوبة (تاريخ صالح ٦٣ــ٦٤). وفي اثناء ذلك استرجعوا ما كان نُزع عنهم من الاقطاعات واستبدلوا ما كان لهم منها في جهات طرابلس فجعلوها على درك بيروت (صالح ١٠٩) في زمن سلطنة الملك الناصر محمّد بن قلاوون (١٢٩٣م). وقد اشتهر اذ ذاك الامير

ناصر الدين حسين ابن سعد الدين خضر وهو الذي افاض في وصفه صالح في تاريخه (ص ١٢٠ــ١٢٨) . وقد عُني بأحوال بيروت وحفظ ثغره مع عدّة رجال يساعدونهُ فمدحهُ في ذلك احد شعراء زمانه قائلًا :

أيا ابنَ امير الغرب شرقًا ومغربًا ... ومَن كلُّ عُرْفٍ غير عرفهمُ نُكرا
بإحسانك المشهور بيروتُ بلدةٌ ... على الساحل المعمور صار لها ذكرا
تبسَّمَ عُجبًا ثغرها وترنَّحت ... معاطفُها تيهًا وجلَّاها البشرُ
وكان عليها الكفرُ والشرك دائمًا ... فُذ حلَّها مولايَ عاد لها الفخرُ
وعاوَدها أُنسٌ بقُرب ركابكم ... ولولاكمُ ما اقترَّ يومًا لها ثغرُ
بكم قرَّ عينًا للغريب وانَّما ... حسينُ بن خُضر ظلُّهُ فوقَهُ سِترُ
هو الناصر المعروف بالجود والتُّقى ... لهُ الفضلُ والاحسان والعطفُ والبرُّ

وفي السنة ٧٤٣ (١٣٤٣ م) امر الملك اسمعيل ابن الملك الناصر بتجريد فرقة من بني الغرب ليحاربوا معهُ اخاهُ الناصر شهاب الدين احمد الذي خامه اهل الدولة لسوء سيرته بالرعية فكان احتلَّ قلعة الكرك وتحصَّن فيها فسار ناصر الدين بمائتين وخمسين رجلًا من بيروت وحاربوا السلطان احمد الى أن نفد ما عندهُ من الطعام فطلب الامان وقُتل بالسيف . فعاد ناصر الدين الى بيروت

وقد اشتهر ناصر الدين خُضر بما شيَّدهُ من المباني في اعبيه وبيروت . وقد وصف صالح في تاريخه (ص ١٥٠ــ١٥٣) عمائرهُ في اعبيه . اما ابنيتهُ في بيروت فخصَّ بها فصلًا ننقلهُ هنا لافادته قال (ص ١٤٩ــ١٥٠) :

«لمَّا جُعل دَرَك امراء الغرب في بيروت كما ذكرنا واقتسموا ثلثة ابدال اتخذوا الكنيسة التي شرقي البلد داخل السور (١) فكانت لهم منزلًا وكانت هذه الكنيسة تُعرَف بكنيسة افرنسيسك (٢) . ويزعم الفرنج انَّ افرنسيسك هذا قدّيس ظهر متأخر من مدّة مائتي سنة

١) حيث الجامع المجاور لباب الشرقي القديم ليس بعيدًا عن السراية القديمة

٢) يريد القديس فرنسيس الاسيزي منشئ الرهبانية الفرنسيسية وكان للفرنسيسيين في بيروت دير على اسم القديس يوسف اما الكنيسة فكانت على اسم المخلص تذكارًا لاعجوبة الصليب الذي سال منهُ الدم بضربة بعض اليهود . وكان الرهبان يسكنون ذلك الدير ويخدمون كنيستهُ في عهد

(١ مضت الى هذا التاريخ . وكانت هذه الكنيسة كبيرة فجاءها السلف اسطبلاً (كذا) وجعلوا في اعلاها اخباقاً وهي في وقتنا هذا (٢ بيت لبني الحمراء (٣ فنقلوا حجارتها الى مدرستهم وذلك بعد العشرة والثمانمائة (١٤٠٧م) وكانت معروفة بالسلف (٤ وهم لم يعمروا فيها بدلاً بعد بدل حتى جرى من الجنوية ما جرى واخذوا ترقور الكيلان فكره ناصر الدين الكنيسة لبعدها عن البحر واختار ان يكون مجاوراً للبحر فاتخذ الحارة التي عن جانب البحر وعمّر اطباقاً على الاقبية ودارًا عليها سورٌ فجاءت احسن ما يكون وجعل الاطباق مسجداً . ولمّا سكنها ناصر الدين بن يضاف اليه من بدله استمرّ بدل المرامونيين (٥ في الكنيسة المذكورة . واما بدل العيانية (٦ ومن أضيفوا اليهم فاتخذوا لهم الدار المعروفة بدار صاحب بيروت المجاورة للحمّام العتيق . . . ثمّ بعد استملاك ناصر الدين الحارة الجديدة المذكورة استملك الزقاق المعروف بزقاق الحيّالة وهو من باب الحارة بجهة القبلة الى قرب الحمام العتيق جانبَي الزقاق يمنةً ويسرة»

امّا حادث الفرنج الجنويين الذي اشار اليه صالح فقد جرى سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٤م) وقد مرّ ذكرهُ (ص ٨٦٧) وزاد صالح في تاريخهِ : «انّ امراء العرب وتركمان كسروان طلبهم تنكز الى دمشق وحصلت لهم اهانة واذيّة» . قال الشيخ الشدياق في اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٢٣٥) :

«وسجنهم تنكز فالتمس الامير ساروجا الدمشقي منهُ اطلاق الامير ناصر الدين الحسين من القلعة فاطلقهُ . ثمّ اطلق باقي الامراء لعدم ثبوت ذنب عليهم وامرهم بالاقامة في بيروت فعمّر الامير ناصر الدين الدار المتطرّفة على جانب البحر»

توفي ناصر الدين سنة ٧٥١ (١٣٥٠م) ثمّ حارب الجنويون ثغر بيروت سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢م) كما سبق شرحهُ وكان انتصار المسلمين عليهم بفضل امير العرب . . .

الامراء الصليبيين المالكين لبيروت فخرجوا منها بفتح الملك الاشرف للمدينة سنة ١٢٩١ ثمّ عادوا الى بيروت بعد مدّة وسكنوا في قسم صغير من ديرهم القديم او بجواره . وقد ذكر السيّاح في اواسط القرن الرابع عشر هذا الدير الصغير وبقيت للكنيسة المخلص في حوزة المسلمين راجع GOLUBOVICH: Superiori di Terra Santa, p. 216

١) توفي القديس فرنسيس سنة ١٢٢٦

٢) اي وقت كتابة تاريخ صالح في اواسط القرن الخامس عشر

٣) كانوا حيًّا من عرب البقاع نزلوا عند رأس بيروت

٤) يريد بالسلف امراء العرب القدماء اي كانت تُنسب اليهم

٥) اي امراء العرب اصحاب مرامون

٦) اي امراء العرب اصحاب عيناب

سيف الدين يحيى فنجت بيروت من غيلتهم . وانما بيدمر نائب دمشق لم يعترف ليحيى بحسن صنعه بل اغاظ له الكلام وادّعى انهُ تمالى للفرنج واخرج عنهُ اقطاعهُ . وقد بيّن ابنهُ صالح في تاريخ بيروت (ص ٢٣٠ــ٢٣١) سبب غضب بيدمر على ابيه

وروى ايضاً ما ابداهُ الامراء بنو الغرب من النخوة والشهامة في مقاتلة الجنويين سنة ٨٠٦ (١٤٠٣م) لما نزلوا بيروت ونهبوها . (راجع الفصل السابق)

وكانت قبل ذلك سنة ٧٩١ (١٣٨٨ م) ظهرت امانة بني الغرب للسلطان الملك الظاهر برقوق لمّا حصلت بينهُ وبين السلطان حاجي منصور منازعات في الملك كان الانتصار فيها للملك الظاهر . ولمّا حاصر دمشق استدعى اليهِ امراء الغرب وامرهم ان يقبضوا على الامير باز (ويروى: بار) والي بيرو من قبل السلطان حاجي ويُحضروهُ معهم . فاجابوا الى طلبهِ وقدّموا لهُ رصاص منجنيق لضرب دمشق كان طلبهُ منهم وبقوا في خدمتهِ الى ان سار لمحاربة منطاش والعساكر المصريّة في شقحب فزحفوا معهُ ثمّ انهزموا وهم يظنّون انّ الملك الظاهر برقوق مكسور فرجعوا الى الغرب ألا انّ الجنود المنطاشيّة حملت عليهم وقتلت كثيرين منهم ونهبوا ما وجدوا لهم في بيروت . ولم تزل امورهم في اضطراب الى ان قُتل منطاش وعادت الامور الى مجاريها وثبت الملك للسلطان الظاهر . وفي اخبار الامراء بني ارسلان (راجع اخبار الاعيان ص ٦٧٢) انّ احد الامراء اسلافهم سيف الدين ابن مفرج ابلى في محاربة منطاش وذويهِ بلاء حسناً وكسر جيشهُ فاقرّهُ السلطان الملك الظاهر اميراً على بيروت والغرب

ثمّ ابدى هذا الامير مثل تلك الشجاعة في محاربة الفرنج سنة ٨١٥هـ (١٤١٣م) لمّا حضروا بسفنهم الى سواحل الشام وتهدّدوا بيروت فردّهم الامير وجماعتهُ خائبين (اخبار الاعيان (٦٧١ــ٦٧٢)

ومما ذكرهُ صالح من الابنية لابيهِ سيف الدين يحيى في بيروت ايوانٌ بديع مات قبل انجاز وصفهِ بالرخام وزخرفتهِ سنة ٧٩٠ (١٣٨٨) . وروى انهُ اجرى الماء الى حارتهم المجاورة للبحر المعروفة بهِ . ووصف كرم ابيهِ يحيى وما تكلّفهُ على رفقتهِ لمّا حجّ معهم الى مكة وما صرفهُ في الهدايا للملوك والامراء وفي ابنيتهِ في اعيبه حتى انهُ لمّا مات تخلّفت عليهِ الديون فوفاها ابنهُ فخر الدين عثمان (صالح ٢٤٩) الذي توفي بعد ابيهِ بزمن قليل سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م)

ومن ابنية بني الغرب في بيروت قصرٌ ذكرهُ ابن سباط في تاريخه (ص ٣٤ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة) قال انّ بانيهُ هو الامير زين الدين عمر بن عيسى بن صالح التنوخي المتوفى سنة ٨٦٤ (١٤٥٩م) روى عنهُ انهُ «كان لهُ عناء في البنيان وهو الذي بنى القصر المشهور في مدينة بيروت وهو كائن الى الآن» اعني السنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) وفيها كتب ابن سباط تاريخهُ في نسبة آل تنوخ

ومما ذكرهُ صالح عن جدّهِ زين الدين صالح ناصر الدين حين انهُ لمّا دخل بيروت بعد فتحها بيّض جامعها الذي كان كنيسة للفرنج قال (ص ٥٨ــ٥٩):

«لمّا كان الفرنج مستولين على بيروت كانت جماعة المسلمين قليلة ولا جامع لهم فلما قدّر الله بنزعها من يد الفرنج استقرّت كنيستهم جامعاً وكانت تُعرف عندهم بكنيسة مار يحنّا. كان بها صوَر طلاها المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايام الجدّ (زين الدين صالح) فبيّضه وازال عنهُ آثار تلك الصوَر»

وآخر ما رواهُ صالح حملة بني الغرب مع الجيوش المصريّة على قبرس وكان صالح يأمر على غراب وتحت امرهِ نحو مئة رجل وقد فصل اخبار تلك الحملة في ملحق تاريخ بيروت فروينا ها في مجموع مكتبتنا الشرقيّ (Un dernier écho des Croisades, MFO, I. 307-327)

هذا غاية ما استفدنا من تاريخ بيروت لصالح بن يحيى عن مآثر بني الغرب في بيروت في عهد المماليك الاتراك والجراكسة المصريين الى سنة الفتح العثماني للشام سنة (١٥١٥م)

(لها بقية)

نظر عام

في احوال الكنيسة القبطيّة غير الكاثوليكيّة

لحضرة الاب عمانويل رولان اليسوعي

اتاحت لنا العناية الالهيّة السكنى في صعيد مصر سنين طوالاً فعاشرنا الاقباط غير الكاثوليك فضلاً عن الكاثوليك فعرفناهم حق المعرفة وذرسنا احوالهم. وهذه نبذة ملخّصة نعرضها على قرّاء المشرق بياناً لما تحقّقناهُ من امور كنيستهم

معلوم انّ اسم القبط مشتقّ من اسم مصر باليونانيّة (Αἴγυπτος) يدلّ على

امّة النصارى الذين ثبتوا على دينهم بعد الفتح الاسلامي وقد دان قسمٌ كبير منهم بالديانة المحمّدية

يُصرّح الاقباط بان اوّل من دعاهم الى النصرانيّة القديس مرقس الانجيلي تلميذ بطرس الرسول المقام منهُ رئيساً على الكنيسة الاسكندريّة (١ نحو السنة ٤٠ للمسيح. فنشأت الكنيسة بهمّته وازدهرت في قرون النصرانيّة الاولى حتى بلغت قبل بدعة ديوسقورس والقائلين بالطبيعة الواحدة الى سبعة ملايين من المؤمنين في وادي النيل.

وفي الصعيد كان منشأ الرهبانيّات بعد القديسين العظيمين بولا وانطونيوس الكبير فتعدّدت الاديار واصبحت البراري اشبه بالمدن العامرة يسكنها النسّاك وقد زرنا قريباً من المنية مدينة البهنساء التي كان يبلغ عدد رهبانها عشرة آلاف وراهباتها عشرين الفاً

وما لنا نذكر تلك الازمنة المباركة التي بلغت فيها الكنيسة القبطيّة اوج عزّها بشهدائها واحبارها ومعلّميها وقدّيسيها كفى بذكر اسمائهم تخليداً لمجدها فانّ اثناسيوس وانطونيوس وباخوميوس وكيرلّس واوريجانوس ومئين غيرهم لا يزال العلماء يستضيئون بنبراسهم وهم ابطال الايمان الكاثوليكي الذي ورثوهُ من الكرسي البطرسي فحفظوه بكل حرص الى ان قام ذاك المبتدع الشرّير ديوسقورس فجرّد كنيستهُ عن تلك المفاخر وعلى مثال أريوس شقّ رداء المسيح. وكان اوّلاً متحداً مع الكنيسة الرومانية اذ كان شمّاساً للقديس كيرلس البطريرك الاسكندري ولمّا أُقيم لهُ خلفاً على كرسيّهِ اسرع كاسلافهِ وأعلم بتنصيبهِ الحبر الاعظم. فكان جواب القديس لاون الكبير تحريضاً لهُ على الثبات بالاتّحاد مع خليفة القديس بطرس كما كان القديس مرقس متحداً مع ذلك الرسول ويوصيهِ بامور أُخرى غيرها تجدها في رسالتهِ

فما كان من امر ديوسقورس إلّا انهُ بعد قليل عقّ الكنيسة الحقيقية وشقّ عصا الطاعة للحبر الروماني وجاهر ببدعة اوطيخا ناكراً طبيعتَي السيد المسيح مدّعياً انّ القائل بها يناصر البدعة النسطوريّة الذاهبة الى القول بانّ في السيّد المسيح اقنومَين فلم يفرق بين الطبيعة والاقنوم. ولم يزل يسعى بنشر بدعتهِ بين المصريين على الرغم ممّا

١) راجع في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٥١١-٥١٤) مقالة في اثبات انشاء الكنيسة الاسكندريّة على يد القديس مرقس باغراء بطرس الرسول

رُشق بسهم من الحرم في المجمع المسكوني الخلقيدوني فمات في عنادهِ سنة ٤٥٤ في مدينة جَنجَرَة من آسية الصغرى. وكان نفث سمّهُ في اهل وطنهِ فطوّحهم في مهاوي الضلال

وقام بعد دُيوسقورس بطاركة كان يتخبهم الاكليروس والشعب فجرَوْا على بدعتهِ ما خلا القليل منهم الذين ارتدُّوا الى امّهم الكنيسة الكاثوليكية. وفي السنة ١٥٨٢ عُقد مجمعٌ في القاهرة (مِنف القديمة) كاد ان يتمّ فيهِ اتحاد الكنيستين لولا بعض المتعنتين من ذوي الاغراض الشخصيَّة الذين لم يزالوا يسمرون نار البغض على الكنيسة الكاثوليكية وينسبون اليها زورًا ما ذاقهُ اجدادهم من النكبات في عهد ملوك الروم يستنيان ويوستين الثاني وغيرهما فيحقدون بسببها على امّهم التي شربوا افاويقها العذبة الصافية

وقد انتصر لدُيوسقورس يعقوب البرادعي في القرن السادس ومحّق الهاوية التي سقطت فيها الكنيسة الاسكندريَّة القبطيَّة. وإنَّما نال بالخبث والدهاء رتبة الاسقفيَّة تجوّل في انحاء الجزيرة والشام ومصر مرتديًا باحقر اللباس ومتزيًّا سحنتهُ بالصوم ادراكًا لغايتهِ وهو يسمّي الاساقفة وينبز الكاثوليك الخاضعين للمجمع الخلقيدوني بلقب الملكيين كانهم يتبعون آراء الملوك بينما هم خاضعون للمسيح وحدهُ فعُرفوا منذ ذاك باليعاقبة

ومن غريب امر الاقباط انَّ كتبهم الطقسية التي سبقت انفصالهم عن الكنيسة الرومانيَّة تشهد على ايمانهم القويم السابق لبدعتهم سواء كان في امر طبيعتي المسيح الالهيَّة والانسانيَّة ام الاعتراف برئاسة القديس بطرس وخلفائهِ على الكنيسة جمعاء كما ترى ذلك في سنكسارهم يوم عيد القديسين بطرس وبولس

وقد اطّلعنا على كتاب تافورهم القبطي وفيهِ وجوب الصلاة لاجل «الكنيسة الكاثوليكية» وانَّما ابدلوا في الترجمة العربية كلمة الكاثوليكية بالجامعة وكفى بها ايضاً دليلًا على ضلالهم اذ انَّ كنيستهم اليوم من اصغر الكنائس الشرقية

وقد سعت الكنيسة الرومانيَّة غير مرّة الى ردّ هؤلاء الضالّين الى الحظيرة البطرسيَّة الّا ان العناد قد ضرب على ابصارهم واقرَّ بعض بطاركتهم انَّ قلوبهم اقسى من الجلمود فلا ينفذ فيها اسطع انوار الحقّ فذهب سدًى عرق ودم المرسلين

الذي تفانوا في تبشيرهم فشبّهوا قساوة قلوبهم بقساوة قلب فرعون(١)

وقد اثبت هذا الحكم منذ السنة ١٧٣٠ الاب سيكار اليسوعي فكتب الى الى احد رصفائه : «ان عناد الاقباط يساوي جهلهم ولا أمل لنا ان نردّهم الى الايمان وفي القاهرة عدد كبير من نصارى طوائف مختلفة الّا ان الاقباط اكثرهم عدداً» هذا ما رواهُ الاب سيكار . وانّما اليوم قد تغيّرت الامور وبفضل التمدُّن المصري وانتشار المدارس قد تحسّنت كثيراً حالة الاقباط منذ الاحتلال الانكليزي وقد اخذ نفوذ الدين الكاثوليكي يزداد يوماً بعد يوم بين الاخوة المنفصلين لاسيما منذ ثلثين سنة وانّما تعيث فيهم الشيع البروتستانيّة

رؤساء الكنيسة القبطية

هذا نظام الكنيسة القبطية : يرئسها بطريرك يدعونهُ بابا الاسكندرية وهو الانبا كيرلس الخامس يحكم على احد عشر مطراناً اكبرهم مطران القدس ثمّ مطارنة بشيريّة وقنا وبني سويف والمنيا وسنبو واسنة والقصور واسيوط وابوتيج واخميم وخرطوم . وعلى اسقفين في الجيزة ومنفلوط . ولهم اربعة اديرة : دير مار انطونيوس ومار بولس ومحارج وبرموس . وعدد الشعب قريب من ٨٠٠،٠٠٠ يخدمهم نحو ٨٠٠ كاهن في ٤٥٠ كنيسة . وكان عدد الاقباط في زمن الفتح الاسلامي كما سبق نحو سبعة ملايين يرعاهم ١٨١ اسقفاً

يختار البطريرك اساقفة الطائفة والكهنة واعيان الشعب . ويتحتّم على اختياره ان يكون بتولاً ولذلك لا ينتخبون الّا راهباً . ومن ميزته انهُ هو الذي يرسل الى الحبشة مطرانهم المدعو «ابونا» كما انهُ يسيم اساقفة طائفته

وكذلك يجب على الاساقفة ان يكونوا بتولين او عائشين بالعزوبة بعد وفاة زوجاتهم ومعظمهم من الرهبان . واليوم يسعى الاكليروس في وضع ناموس جديد يسمح للمتزوّجين بالاسقفيّة . وقد نشر اسقف ابوتيج رسالةً في هذا الصدد وقد جرى هو على مذهبهِ فعدل الى الزواج لولا انّ البطريرك فصلهُ عن كرسيّهِ وحرمهُ

(١) راجع اعمال البولنديين في اليوم السابع من حزيران (ص ١٠٤)

الكهنة الاقباط

يُرقّى الى الكهنوت عادةً بعض اصحاب الصنائع كالخيّاطين والحيّاكين واكثرهم يأنفون من الكهنوت ليس تواضعاً بل خوفاً من الفقر اذ لا راتب لهم غير القليل الذي يحصلون عليه من رعيّتهم. فاذا مات الكاهن راعي بلدةٍ افتاد اهلها رجلاً منهم راضياً او مرغوماً الى البطريرك ليسيمهُ كاهناً فيضع عليه يديهِ ثمّ يحجزهُ في احدى قلالي البطريركيّة اربعين يوماً ريثما يتعلّم رُتَب كنيستهِ وتلاوة القدّاس فيباشر الاسرار وهو لا يعلم شيئاً من معناها ومن التعاليم الدينيّة

انّ حالة الاكليروس بين الاقباط غاية في الانحطاط. اذ يُنظَمون في سلك الكهنوت دون التهذيب والتعليم الواجبين. ولمّا رأوا ما صارت حالة الكهنة الكاثوليك من الرقي حاولوا التشبُّه بهم فانشأوا مدرسةً اكليريكيّة قريباً من القاهرة إلّا ان اكثر المتربّين فيها عند نهاية دروسهم يفضّلون طلب المعاش في وظائف الحكومة. ومن ثمّ لا تكاد تجد بين الاقباط المنفصلين كاهناً عالماً يمكنهُ ان يخطب ويرشد وقد التجأوا سدًّا لهذا الخلل الى مبشّرين بروتستانت وبذلك يتلاشى الايمان من قلوب رعاياهم

الاسرار المقدّسة في الكنيسة القبطية

﴿سرّ العماد﴾ انّ جهل الاكليروس وقلّة اهتمامهِ بحفظ الطقوس قد ادّى بهم الى الخلل بتوزيع الاسرار المقدّسة. فمن ذلك انّ العماد اصبح اليوم على صورة يرتاب العقلاء من صحّتها. فانّهم يتلون صلاة المعموديّة بالقبطيّة وهم لا يحسنون معناها فكثيراً ما يمسخون بعض الفاظها الجوهريّة فبدلاً من قولهم: «انا اعمدك» (Ⲧⲱⲃⲥ ⲙⲙⲟⲕ) يقولون «انا امسحك» (Ⲧⲱⲃⲥ ⲙⲙⲟⲕ). وربّما ايضاً يفصلون بين العماد المادّي بالماء وصورتهِ الجوهريّة او يتلونها مرّةً واحدة في عماد اطفال كثيرين. وقد حضر يوماً احد تلامذتنا رتبة المعموديّة عند الاقباط فرأى الكاهن يغمس الاولاد في الماء فقط دون تلاوة الصورة الجوهريّة واذ نبّههُ على فعلهِ اجابهُ: اني سأتلوها بعد

وحضر كاثوليكي آخر يوماً رتبة العماد في احدى كنائس الاقباط المشيّدة على

اسم القديس ميناس الشهيد قريباً من المنيا وكان الاهلون أتوا بنحو مئة طفل ليعمّدهم الكاهن فسألهُ الكاثوليكي: ما هي صلاة العماد عندكم ؟ فاذا هو يجهلها. فعلّمهُ اياها الكاثوليكيّ . مع انّ الكاهن المذكور كان قد تخرّج في مدرسة الاقباط الكهنوتية

واخبرنا احد كهنة الاقباط المرتدّين الى الكثلكة انّ كهنتهم لا يعمّدون إلّا اذا دفع لهم اهل الولد اجرةً معلومة فبعض اقارب الطفل يكتفون بسماع بعض الصلوات التي تحتوي التعزيم على الشيطان فيأخذون ولدهم قبل عماده بالماء لينجوا من دفع الراتب المفروض

فهذا واشياء كثيرة غيرها جعلتنا في ريب عن صحّة المعموديّة عند الاقباط. واذا ارتدّ احد منهم الى الكثلكة عمّدناهُ ثانيةً عمادًا شرطيًّا كما امر المجمع المقدّس

ولمّا أقيم السيد يوسف صدفاوي مديرًا رسوليًّا على طائفة الاقباط وصار الاتّفاق على تعيين السيّد كيرلّس مكار كبطريرك عليهم ارسل المجمع المقدّس فسألهُ أتكرّرُ عمادهُ لمّا ارتدّت عائلتهُ الى الكثلكة لئلّا تبطل الاسرار اذا منحها بدون معموديّة صحيحة . فاجاب انّ لديهِ شهادة من حضر تكرار عماده شرطيًّا

﴿سرّ التوبة﴾ والخلل الواقع في سرّ المعموديّة عند الاقباط طارئ ايضاً على سرّ التوبة فانّ المعترفين بخطاياهم الى الكاهن يكتفون باعتراف عمومي دون ذكر الخطايا مفصّلةً لاسيما انّهم يخافون من اعلان الكهنة لخطاياهم وكشفهم للسرّ كما اختبروا الامر سابقاً . وعليهِ ترى الكاهن يمنح الحلّة باقصر الزمان. امّا هو فلا يمارس هذا السرّ لنفسهِ كأنهُ معصوم عن الخطأ من يوم كهنوتهِ

﴿سرّ الزواج﴾ وفي سرّ الزواج شائبة أخرى عند الاقباط اعني بها الطلاق فكثيرًا ما يسمحون بهِ لمن طلبهُ منهم لاسيما اذا دفع الطالب للاسقف شيئاً من المال. وقد عرفنا في المنيا مطرانها الانبا ياكوبوس فانّهُ كان يجيز الطلاق لمن يطلبهُ دون تردُّد. واذ سألهُ يوماً احد الكاثوليك: ما بالكم تتساهلون في امر الطلاق على خلاف الكاثوليك الذين لم يسمحوا بهِ البتّة فاجاب: نحن نتبع كلام الله في العهد العتيق والكاثوليك يتبعون كلامهُ في العهد الجديد وكلّهُ كلام الله — وقد اجاب كاهن قبطي آخر سألهُ كاثوليكي مثل ذلك السؤال: انّ القديس جاورجيوس هو الموحي بالطلاق.

اشار بذلك الى النقود الانكليزيّة المرسومة عليها صورة ذاك الشهيد . وبهِ تحقّق السائل انّ المسألة اصبحت امرًا تجاريًا ليس إلّا

﴿ سرّ الكهنوت ﴾ وان سأل السائل ما رأيكم في كهنوت الاقباط أهو صحيح ؟ اجبنا ان الامر متوقّف على معموديّتهم فان كانت المعموديّة باطلة اصبح الكهنوت باطلًا ايضاً

ثمّ انّ صورة منح سرّ الكهنوت ربّما كان مخلًا . فانّ بعض الاساقفة بدلًا من وضع الايدي على طالب الكهنوت يجعلون على رأسهُ الصليب . واذ سأل احد الحضور اسقفاً رآهُ صنع ذلك اجاب الاسقف : أليس الصليب اطهر من يديّ !

امّا اضاليل الاقباط فاخصّها كما سبق قولهم بطبيعة واحدة في المسيح على خلاف ما ورد في كتبهم الطقسية . وكذلك ينكرون رئاسة الحبر الروماني على كل الكنيسة وهو خليفة القديس بطرس الذي اقامهُ الربّ هامةً للرسل . وينكر الاقباط وجود المطهر وهم مع ذلك يصلّون للموتى وان قيل لهم في ذلك اجابوا : الصلوات لتعزية الاحياء (كذا)

ذكر بعض عادات يألفها الاقباط المفصولون

انّ الاقباط غير الكاثوليك يختنون اولادهم اذا ترعرعوا وهي عادةٌ اخذوها عن المسلمين لكنهم لا يعلّقون عليها شأناً دينيا سواء ألفوها خوفاً من المسلمين او قصدوا بذلك امرًا صحيًا

ومن عاداتهم في بعض الكنائس انّهم يشيّدون في ساحتها احواضاً يملأونها ماء ويباركها الكاهن فيغمس بها الرجال والاولاد . وهذا ما يصنعونهُ يوم عيد الغطاس اذ يبارك الاسقف نهر النيل فيلقي كثيرون منهم نفوسهم في الماء وذلك في زمهرير الشتاء . والاقباط من اشدّ الناس في حفظ الصوم واصوامهم اربعة : احدها الصوم الكبير يبتدئ قبل صوم الكاثوليك باسبوع ويدوم الى الفصح وهم في مدّتهِ يمتنعون عن الزفر والبياض والسمك ويكتفون باكل البقول المطبوخة بالزيت والثمار . والصوم الثاني صوم عيد الميلاد يصومهُ كهنة الاقباط ٤٣ يوماً والشعب ٢٣ يوماً . والثالث صوم الرسولين بطرس وبولس يدوم ثلثة عشر يوماً . والرابع يسبق عيد

انتقال السيدة الى السماء وطولهُ ١٥ يوماً . ومن غريب الامور انَّ عدداً وافراً من المسلمين يصومون هذا الصوم الاخير اكراماً لمريم العذراء . ومنذ زمن طويل اصبحت الاصوام الثلثة الاخيرة مقصورة على ضروب الطعام دون الانقطاع عن الاكل . أمّا القبط الكاثوليك فانهم تقرَّبوا في صومهم من عادة الكنيسة اللاتينيَّة كما تعيَّن في مجمعهم الملي الاخير المعقود سنة ١٨٩٨ . ولا يزال القبط المنفصلون متشدّدين في امر صيامهم . وقد سمعتُ احد اساقفتهم يقول : « ليس فريضةٌ في الدين الزم من الصوم أفلا ترى انَّ الله لم يأمر آدم وحوّاء بغير سُنَّة الصوم » (كذا) . وتشدُّد الاكليروس القبطي في ممارسة الصوم يسوق بهم الى رفضهم كلَّ رخصةٍ لرعاياهم في تخفيفهِ وهذا ما دعا بكثيرين الى جحود دينهم والمروق الى الشيع البروتستانية

والحق يقال انَّ البروتستانت الاميركان والانكليز قد ولجوا في الحظيرة القبطيَّة وبدَّدوا كثيراً من خرافها وادخلوا بين الجمهور روح التساهل الديني دون ان يكترث الاكليروس القبطي لحالة رعاياهم . واذ ألفت العقلاء نظرَ البطريرك الى ابتعاد كثيرين من ابنائهِ عن كنيستهم اجاب قائلاً : انَّ في البحر اسماكاً كثيرة . فيا للأسف من هؤلاء الصيَّادين الذين لا يلتمسون صيداً ويدَعون سمكهم لسواهم من اعداء كنيستهم

وممَّا يدعو الى الفرح نموّ الكثلكة بين الاقباط . فانَّ عدد الكاثوليك منهم كان سنة ١٨٩٧ اقلَّ من خمسة آلاف . وهم اليوم اكثر من ٢٥ الفاً . لمَّا دخل المرسلون اليسوعيون في المنيا كان الكاثوليك سنة ١٨٨٧ سبعين فقط وهم اليوم ١٨٠٠ ومعظمهم من المرتدّين عن الكنيسة اليعقوبية

وكانت مدينة «ابو جرجس» القريبة من المنيا خاليةً من الكاثوليك . فلمَّا اهتمَّ احد المرسلين بفتح مدرسة فيها تغيَّرت حالتها وفيها اليوم مدرستان للاحداث من الجنسين وعدد الكاثوليك ١١٠٠ وكلّهم من المثابرين على الاسرار المقدّسة

والامل معقود بانتشار الدين الكاثوليكي في الصعيد بهمّة الكهنة الاقباط الكاثوليك ومساعدة المرسلين . ويا ليت يزيد عدد العملة الرسوليين لحصاد ربّ البيت الذي بلغ اوانهُ . فما لنا إلّا ان نطلب من السيد المسيح ان يأتي ملكوتهُ بين اولئك النفوس التي وجدناها مستعدّة لقبول الزرع الصالح

الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿رومية﴾ كانت السنة المنتهية من اسعد السنين للكنيسة المقدَّسة. في يوم عيد ميلاد الرب سنة ١٩٢٤ افتتح البابا بيوس بحفلة جميلة السنة اليوبيليَّة بفتح باب كنيسة الفاتيكان الخاصّ الذي يبقى موصدًا في ما سوى ذلك. وكانت جماهير الزوَّار تنتظر قداسته لتدخل منهُ وتنال من النعم المنوطة بتلك السنة المباركة. ومذ ذاك اليوم الى مثله في السنة المقبلة كانت الالوف المؤلفة تتقاطر الى رومية من كل انحاء المعمور فتحجّ الى ضريحَي القديسين الرسولين بطرس وبولس وتتبرَّك بزيارة اجلّ واعظم كنائس عاصمة العالم الكاثوليكي. وقد أُحصي عدد الزوَّار فاذا هو ينيف على ألفَي ألف. وكان في جملتهم عدد وافر من غير الكاثوليك الذين عادوا الى اوطانهم والسنتهم تتطرَّب بالثناء على رومية وحبر احبارها الذي لم يأخذهُ ملل في استقبال الوفود ومؤانستهم والقاء الخطب الجليلة على مسامعهم. ومما يستحقّ الذكر انَّ كثيرين من الزوَّار قصدوا المدينة المقدَّسة مشاةً ساروا اليها على الاقدام من بلاد شتى كپولونية والمجر وصقلّية

وكان الزوَّار بعد اتمامهم فرائض اليوبيل ينتقلون الى حدائق الفاتيكان ليشبعوا الحاظهم بمشاهد معرض الرسالات الكاثوليكية وهناك جُمعت ألطاف العالم وعجائب المصنوعات التي يُعنى بعملها المرسلون في سائر الاقطار حتى اقاصي المعمور واسحق البلاد والجزائر والبحار (١

وقد جرت في هذا العام رتب وحفلات عديدة في امّ المدائن الكاثوليكية. لا شبيه لها في غيرها. نخص بالذكر حفلات تثبيت قدّيسين واعلان اسماء مطوَّبين ازدحمت وفود العالم لحضورها وممن أُعلنت قداستهم خوري أرس الشهير يوحنّا ڤياناي ويوحنا اود (J. Eudes) منشئ جمعية الاودِيست العميمة الفضل والقديسة تريزيا الطفل يسوع والقديستان صوفيا بارا (Sophie Barat) ومريم المجدلية پوستل (M.-M. Postel)

١) راجع في العدد السابق من المشرق ك ١ ١٩٢٥ مقالة الاديب يوسف افندي المدوَّر في وصف المعرض المذكور

وكلهم فرنسويون يُضاف اليهم القديس الملفان بطرس كانيزيوس اليسوعي الهولندي رسول المانية في القرن السادس عشر . وممَّن أُعلن تطويبهم من الفرنسويين ايضاً برندات سوبيروس الراهبة التي شرَّفتها العذراء مريم بظهورها لها في لورد سنة ١٨٥٨ ثمَّ شهداء كندا الثمانية اليسوعيُّون في القرن السابع عشر و٣٢ راهبة استشهدن في فرنسة سنة ١٧٩٤ بحكم ارباب الثورة الفرنسويَّة الجائر لانهنَّ لم يرضَيْن جحود دينهنَّ ونذورهن الرهبانيَّة فقُتلن في مدينة أُورَنج . وغير هؤلاء ايضاً كان المجمع المقدَّس دقَّق النظر مدَّة سنين طويلة في سيرة حياتهم وسموّ فضائلهم وكراماتهم والمعجزات التي جرت بشفاعتهم

وغاية ما يقال انَّ يوبيل العام المنصرم انشأ في النفوس غيرة جديدة وبعث فيها روح التقوى والعبادة . وكان سبباً لارتداد كثيرين الى جادَّة الصلاح

﴿فرنسة﴾ كانت شؤون فرنسة السياسيَّة في العام الماضي في اضطراب . فان الحزب الاشتراكي الضابط السلطة مع المسيو هيريو لم يقُم بالمواعيد التي خدع بها منتخبيهِ ليقلب رئاسة ميلران ووزارة بوانكره . بل زادت احوال الدولة الماليَّة والاقتصاديَّة انحطاطاً . وكان في الوقت ذاتهِ يُصلي الكنيسةَ حرباً عواناً وهو مدفوع الى تطرُّفهِ الكفري من الماسونيَّة واعداء الدين . وكان مع هذا يزكّي المجرمين وينال لهم من محازبيهِ الصفح عن خيانتهم نحو الوطن ويعهد اليهم بالمناصب الرفيعة . فما لبث ان انكشف خداعهُ فسقط وقامت بعدهُ في اواسط شهر نيسان وزارة بانلفه (M. Painlevé) فلم تستقِمْ الَّا بضعة اشهر وهي من الحزب الاشتراكي كوزارة هيريو وان كانت اكثر اعتدالاً . فصارت ازمَّة الدولة في ايدي ارستيد بريان . وبهِ بلغ عدد الوزارات في فرنسة ٦٦ وزارةً منذ قيامة الجمهوريَّة الثالثة سنة ١٨٧١ وحتى الآن لم يجد ارباب الدولة الدواء الناجع لعودة السلام واصلاح الاحوال . فضلاً عمَّا يبهظ عواتق فرنسة من الديون البالغة

اما شؤون فرنسة الدينيَّة فكانت على خلاف ذلك تشعر بنهضة جديدة . فانَّ مجاهرة هريو وحزبهِ بمعاداة الدين ومناهضة الكاثوليك وتنفيذ الشرائع الجائرة في حقِّهم أدَّى الى خلاف ما أَمَّلهُ اشياع الكفر والجور . فقامت فرنسة الكاثوليكية في كلّ انحاء البلاد ملبّيةً الى اصوات عموم كرادلتها واساقفتها وكبار زعمائها كالجنرال

كستلنو ومندوب معاملة جيرُنـد الكاهن برجي (Bergey) وبريح الحرب الاب اليسوعي دونكور (Doncœur) فتقاطرت الجماهير من ٢٠ الى ٣٠ الى ٥٠ و٨٠ الفاً في معظم حواضر فرنسة ليسمعوا اساقفتهم وخطباءهم ويحتجّوا معهم على المعاملات الجائرة والشرائع الظالمة التي خُصّ بها الكاثوليك وهم تسعة اعشار الفرنسويين فشكّلوا الدوائر واللجنات لتنظيم قواهم وألّفوا الجمعيّات لتوحيد كلمتهم والدفاع عن حقوقهم وبلّغ احبارُ الكنيسة اربابَ الدولة التقارير التي اتّخذوها بازاء معاديهم فيدافعون عنها اذا اقتضى الامر حتى بالقوّة المادّيّة ريثما تُلغى السُّنن الجائرة ويعطى الكاثوليك الحرّية التامّة في كل امورهم الروحية والادبيّة والسياسيّة. فكانت نتيجة هذه المظاهرات انّ الحكومة عدلت نوعاً عن سياسة هيريو وأبقت السفارة لدى الفاتيكان التي طلب هيريو الغاءها وطمأنت سكان الزاس ولورّين بخصوص حرّيتهم الدينيّة التي تهدّدها الاشتراكيّون وتوقّفوا عن مناهضة الرهبانيّات. والامل معقود انْ الكاثوليك لا يكفّون عن الدفاع الى ان ينالوا سائر حقوقهم المهضومة

وفي هذه السنة احتفلت الكليّات الجامعة الكاثوليكية في باريس وليون وتولوز وليل وأنجه بيوبيلها الذهبي. فما رُخص للكاثوليك انشاء الجامعات سنة ١٨٧٥ حتى اسرعوا ففتحوها وجهّزوها بكل ما تحتاج اليه في تنظيمها ولم يدّخروا شيئاً من اموالهم واتعابهم واستدعوا لها احذق المعلّمين. فما مضى عليها القليل حتى قام الفرمسون ومشايعوهم في مجلس العموم والشيوخ وتحاملوا على تلك الجامعات فاستردّوا قسماً من حرّيتها في منح الاجازات. وعلى الرغم من ذلك لم تزل الكليّات المذكورة في ترقّ متواصل. وفي الحفلات التي عُقدت في هذا العام بيّن الاساقفة وبُلغاء الخطباء ما أدّته تلك الجامعات من الخدم الجليلة لسائر العلوم الدينيّة والادبيّة والرياضيّة والفلكيّة والطبيّة بهمّة بعض اساتذتها بينهم نوابغ الرجال كالاستاذ برَندي وغيره

وممّا اهتمّ له الاكليروس الفرنسوي امرُ الدعوات الكهنوتية التي أُصيبت بضربة مؤلمة بسبب الحرب الكونيّة اذ قُتل في ساحة الشرف كثيرون من الكهنة وقلّ عدد طلبة الكهنوت فاصبحت عدّة اماكن محتاجة الى مَنْ يقوم برعايتها الدينيّة. فطلبوا دواء لهذا الداء عساهُ يكون شافياً

وامتازت فرنسة بعدد زوّارها لرومية العظمى في سنة اليوبيل فقد اناف عدد

من حجّ اليهـا على ثلثين الفاً وتنظّمت لذلك نحو خمسين قافلة تتألف كلّ واحدة من بضع مئات. وكان الزوّار يجاهرون بتقواهم وشعائرهم الدينيّة حيثما ساروا

وقد أسفت فرنسة في هذه السنة على فقدان بعض اعيانها ديناً ودنيا منهم الجنرال مَنجان المتوفّى في ١٢ أيار ١٩٢٥ وقد امتاز في كل ما تولّاهُ من الاعمال الشريفة في خدمة وطنه منذ كان في افريقية كرفيق الكشافة مَرشان في فاشودا (١٨٩٦ــ١٨٩٩) واليه يعود الفضل في تخليص مراكش سنة ١٩١٢. وكان في الحرب الكونية بطلاً مغواراً ومن اكبر المساعدين في الانتصار النهائي على الالمان. وكان ايضاً من الكتبة البارعين جازاهُ المجمع العلمي في فرنسة باكبر جوائزه في ١١ حزيران ١٩٢٥. وكان منجان من اعرق مواطنيه بالدين لا يأخذهُ في ممارسة واجباته لومة لائم

وتوفي قبلهُ في ١٦ ك٢ جنرال آخر لنرزاك (Lanrezac) من كبار القوّاد كان حارب الالمان سنة ١٨٧١ فرُقّي الى رتبة ضابط ولم يزل يترقّى في مناصب العسكرية. وكان من المتازين بالآداب الحربية اظهر براعتهُ في الحرب الكونيّة اذ تحاملت عليه كل قوّات العدوّ في شرلروا فردّ جيشهُ سالماً الى جهات نهر مرن. وقد شرّفتهُ الحكومة بوسام صليب جوقة الشرف سنة ١٩٢٤

وخسرت فرنسة من علمائها الكاهن العالم بطرس روسلو (P. Rousselot) كما اشرنا اليه سابقاً وهو مخترع فنّ درس الاصوات وخواصها وتمييز نبراتها وقد نفعت اكتشافاتهُ وطنهُ فاستفادوا منها في الحرب لتعريف مواقع الغوّاصات والبطاريّات

ومن علماء فرنسة الطبيعيين كميل فلامّاريون (C. Flammarion) توفي في ٤ حزيران ١٩٢٥ كان من كبار الفلكيين وقد صنّف كتباً كثيرة في تعميم العلوم الطبيعية والفلكية. وانّما يؤخذ عليه ترويج مزاعم باطلة في امور الحياة الآخرة فنّدها العلماء الاعلام وزيّفوها

وكان مثلهُ تطرّفاً كاتب آخر قضى قبلهُ في ت ٢ ١٩٢٤ نريد بهِ اناطول فرنس. اشتهر بفنون الكتابة لولا انهُ نفث في تآليفهِ روح الكفر ودكّ اساس الآداب فاصبحت تآليفه عثرة في سبيل الناشئة

وقد سُررنا بانتخاب لويس برتران كعضو في الاكاديمية الفرنسويّة في مكان المرحوم موريس بارس وهو من الكتبة المفلقين مثلهُ لكنهُ يفضلهُ بتديّنهِ وشدّة

ايمانه . وقد زار الشرق غير مرة وكتب عنهُ الفصول الشائقة . ولهُ وصف بديع لبيروت وخصّ بثنائهِ كليتنا الجامعة

﴿ايطالية﴾ قد تغيّرت احوال ايطالية مذ قام موسوليني وانشأ حزبهُ الفاشستي فانهُ أدّى لوطنهِ خدماً ستبقى لهُ ذكراً مخلّداً لاسيما مذ ناشب الحرب الماسونيّة فضغط على رؤسائها واقفل محافلها واوقف مشايعيها وطردهم من الجنديّة ومن وظائف الدولة فنقم عليهِ الماسون . وسعوا في هذا السنة الى قتلهِ فاطّلع على دسائسهم وزجّ في ظلمات السجن الجنرال زانيبوني ولويجي كابلّو المؤتمَنَين على قتلهِ

فزادت بذلك شهرة موسوليني وتعلّق مواطنيهِ بهِ . والحقّ يقال انهُ استحقّ شكرهم بما نالوهُ عن يدهِ من امان وراحة ورقيّ . فبفضلهِ تحسّنت احوال التجارة والصناعة . فانّ صادرات ايطالية كانت في العام السابق اربعة مليارات و ٨١ مليوناً فبلغت في العام الاخير ستة مليارات بنيف . وزادت ارباح السكك الحديدية عشرين في المئة . وقد أزال ما كان من النزاع بين ارباب الصنائع والعمّلة بحكم عادل . وقد وجدت الكنيسة فيهِ صديقاً وميناً لاسيما في اتخاذ الوسائل الكافلة براحة زوّار رومية في اليوبيل . وهو اليوم يفكّر في تنصيب الملك امبراطوراً لتقوى بهِ الدولة

وممّا ساعد على تحسين احوال ايطالية ما نالهُ موسوليني بسياستهِ الحكيمة لدى اميركا من التسامح ببعض ديونها على ايطالية وتسهيلات ممنوحة لها في دفع السديون الباقية تمكّن احد علماء ايطالية من النزول الى قعر البحرين المتوسط والادرياتيك . واوقد هناك مصباحاً كهربائياً تبلغ قوّة نورهِ ٣٠٠،٠٠٠ شمعة واستطاع بذلك ان يأخذ صور الاسماك الغريبة التي تعيش في تلك الاعماق البعيدة وعرض صورها على الرئيس موسوليني في السينما

﴿اسبانية﴾ لا تزال متعلقة بملكها الفرنس لا يُستثنى من اهلها في ذلك إلّا بعض الشيوعيين والفرمسون على مألوف عادتهم في اثارة الفتن . وقد كرّروا في هذا العام المظاهرات المعربة عن امانتهم وحبهم لملكهم . وقد تحسّنت امور الدولة الداخليّة مذ عُهد تدبير الامور الى بريمو دي ريفيرا فانهُ بتشدّدهِ على محبي الثورات اعاد للبلاد الراحة والامان . وقد اكتشف الشُرَط في هذا العام مؤامرة تولّاها بعض الضبّاط الماسونيين في برشلونة لقلب السلطة المالكة واعلان الجمهوريّة ففشل اصحابُها وأُلقي عليهم القبض

وكانت اسبانية في اوائل هذا العام قائمة بسبب حربها في مراكش فانّ جيوشها اضطرّت الى اخلاء المدن الداخلية التي كانت استولت عليها منذ السنة ١٩١٢ فلم يبق لها غير المدن الساحلية الريفية. وكان زعيم القبائل الاسلامية هناك عبد الكريم ينوي ضبط ما بقي لها في السواحل. واخذ كذلك يغير بجنوده على الاراضي التي احتلها الفرنسويون واتسعت الثورة واستفحل الامر ولم تخمد نار الحرب الّا بعد وقائع عديدة ولاسيما بعد اتحاد الجيوش الاسبانية والجيوش الفرنسوية فاضطرّ العدوّ الى طلب الصلح في اوائل كانون الاوّل

﴿بريطانية العظمى﴾ لها اليوم التفوّق على الدول بنفوذ سياستها وقوّاتها البحرية وعدد مستعمراتها في كل اطراف العالم. وقد اضافت اليها في غرّة أيار ١٩٢٥ مستعمرة قبرس التي كانت منذ السنة ١٨٧٨ باسطة فقط عليها حمايتها

وبعد سقوط وزارة مكدونلد زعيم حزب العمّال ورجوع الحزب المحافظ الذي يرئسهُ بلدوين اخذ المحافظون حذرهم من الشيوعيّة والبولشفيّة التي تهدّد انكلترّة كبقيّة الدول. وقد اكتشفوا رسالةً سريّةً لاحد رؤساء السوفيات زينوفياف يُعلن فيها ما ينويهِ البولشفيون لقلب السلطة المالكة في بريطانية العظمى كانت نتيجتها قطع العلاقات مع لينينغراد

ولا تزال مسألة العمّال واعتصاباتهم تشغل بال الدولة فان عدد العملة الذين كانوا خالين من الشغل بلغ في تموز الى ١،٣٠٠،٠٠٠ عامل فهذا مشكل لا بُدّ من حلّ عقدتهِ

ان قتل السردار «لي ستيك» في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ استدعى استئنافاً لضغط انكلترّة على مصر وقد وقفت في هذه السنة على القتلة وحكمت عليهم بالإعدام. وقد ساعدت على مناهضة حزب زغلول باشا وزارةُ احمد باشا زيور المعتدلة. غير انّ الناشئة الجديدة باغراء بعض المتطرّفين لا يريدون ان يُخالدوا الى الهدوء فيزيدون احوال الدولة ارتباكاً وبدلاً من الاستقلال التام الذي يطلبونهُ يعرّضون بوطنهم الى فقدان حريّتهِ الحاضرة بوضع انكلترّة يدها على مصر. وقد ارسلت مؤخّراً كمؤضها في قطر النيل لويد جورج السياسي الداهية

قد تعدّدت المقاولات بين فرنسة وانكلترّة لاسباب يغلب عليها سوء تفاهم

واختلاف نظر مع شيء من الاعمال الدالّة على تظرّف الانكليز فحصل من جرّائها نفور بين ساسة الامور في فرنسة. وانما انقشعت تلك الغيوم بعد معاهدة لوكارنو ومواجهة بريان لارباب الدولة البريطانيّة. وكذلك وقع اتفاق بين الدولتين في امور سوريّة لايقاف الحركة الدرزيّة

وفي العام الماضي فقدت انكلترّة بعض كبار دولتها. فتوفي في لندن في ٢٠ آذار اللورد كرزون السياسي الشهير الذي كان في زمن الحرب متولّياً تدبير الطيران والحرب الجوّيّة ثمّ صار وزيراً للخارجية، وكل يعرف نفوذهُ في جمعية الامم في لوزان ومبالغتهُ في تغليب سياسة وطنهِ

وفي ٧ أيار حلّ الاجل بالاميرال ستوردي (A. Sturdee) وهو الذي انتصر على الاسطول الالماني في جزائر فلكلند في ٨ ك١ سنة ١٩١٤

وفي ٢٢ من الشهر كانت وفاة المرشال فرنش الذي شرّف دولتهُ في الحرب الكونيّة فحارب ببسالة في وقائع المرن واشتهر خصوصاً في واقعة فلندر بمساعدة المرشال فوش فنال من دولتهِ لقب «كونت ايبر» ثمّ تعيّن بعد الحرب كنائب الملك في ايرلندة

وفي هذه السنة عينها توفيت الكسندرة ملكة انكلترّة سابقاً ارملة ادوار السابع ووالدة الملك جورج ولها من العمر ٨١ سنة وكانت في آخر عمرها منقطعة الى عمل الخير. وكانت مع كونها بروتستانية المذهب متعبدة للعذراء مريم وقد قصدت مرّتين معبد لورد لتطلب اوّل مرّة شفاء ابنها الملك ادورد واذ نالت طلبها قصدتهُ ثانية لتشكر العذراء على شفائهِ ونصبت ذكراً لتلك النعمة صفيحة جميلة تعرب عن شكرها

اما ارلندة فتنعّمت في العام المنصرم ببركة السلام منذ تعيّن رئيس جمهوريتها السيد كوسغراف (M. Cosgrave) فانّهُ بحكمتهِ نجّى بلادهُ من الفوضى. والرئيس المذكور في عزّ كهوليتهِ وهو رجل ذكي نشيط يتلهّب غيرة لنجاح وطنهِ وبهمّتهِ شيّد عشرة آلاف بيت مما كان استولى عليهِ الخراب. وسعى بتجهيز مراكب تجارية لدولتهِ وفي الربيع من السنة ذهب الى رومية للزيارة اليوبيليّة مع قرينتهِ يصحبها ٨٠٠ من الايرلنديين. ومما يشهد لهُ بالتقوى ما طلب من مجلس الامّة ان تفتتح كل الجلسات بصلاة علنيّة فصدّق الجميع على طلبهِ

(لهُ صلة)

الآداب العربيَّة في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

الآداب العربيَّة من ١٩٠٨–١٩١٨

الباب الثاني

نظر في الآداب العربية في هذه الحقبة

هي الحقبة الثانية من الاداب العربية في هذا الربع الاوَّل من القرن العشرين وهي تتناول عشر سنوات اوَّلها اعلان الدولة التركية بالدستور وآخرها ختام الحرب الكونيَّة

وما يقال عنها اجمالًا انَّها ابتدأت بالفرح ولم يلبث ان عقبها الحزن والشقاء. فتأثرت بها الآداب العربية وجمعت بين المتناقضَيْن. فكان صدى الافراح والاحزان يُسمَع متناوياً في صرير الاقلام المعربة عن عواطف القلوب

أُعلن بالدستور العثماني بعد فوز الحزب العسكريّ في الاستانة في ٢١ تموز ١٩٠٨، فكان لهذا النبأ فرحٌ شمل عموم الرعايا في تركية واستبشر بهِ الجميع خيرًا وشعَرَ الناس كأنَّ حملًا باهظاً سقط من كواهلهم او حُطَّت عنهم ربقة الاستبداد وكُسِرت اغلال أسرهم. فانطلقت الالسنة بالمديح وشُحذت الاذهان بالتريض فضاقت صفحات الجرائد عن استيعاب ما تُنتِج بهِ القرائح من الفصول الشائقة والقصائد الرنانة الرائقة

وما لبثت الجرائد المصريَّة والمغربية والاميركيَّة من مسلمين ودروز ونصارى تضرب على الوتر عينهِ فتارةً تطرئ الحرّية وتحبّذ المساواة والاخاء. وتارة تسلق بسهام حادَّة تركية وسلطانها المستبدّ وحيناً ترفع الى السحاب نيازي وانور وطلعت وجمالًا وتُسكر بحامد تركية الفتاة لاسيما بعد ان اضطرَّت عبد الحميد الى النزول عن عرشهِ مخلوعاً ومنفيًّا الى سالونيك

على انَّ هذه الافراح لم تلبث ان ترنَّق صفاؤها بما ظهر للفرحين من استبداد كان شرًّا من الاستبداد الحميدي بتطرُّف ضابطي ازمَّة الامور من جمعيَّة الاتحاد والترقي اذ تحاملوا على مَن لم ينحزْ الى رأيهم فرفعوا البعض منهم على الاعواد واذاقوا

غيرهم ضروب العذابات التي اعتادها همج الشعوب. فكفّت تلك الكتابات عن تزميرها وتطبيلها وغيّرت لهجتها نوعاً إلّا انها خوفاً من عتاب الحزب المتولي في دولة لم يجسروا ان يعلنوا بآثمه

ثمّ زادت الاحوال حراجة بمكايد جمعيّة الاتحاد والترقي وتقلّبت الوزارات وتعدّدت الاحزاب وبلغت امور الدولة التركية منتهاها من الاضطراب بحربيها مع ايطالية سنة ١٩١١ــ١٩١٢ ومع الدول البلقانيّة سنة ١٩١٢ ــ ١٩١٣ ففقدت آخر ولاياتها في افريقية طرابلس الغرب وكادت الدول البلقانيّة تأتي على ولاياتها الاوربية لولا ما وقع بينها من النزاع. فوجدت هذه الاحوال كتبةً وشعراء طنطنوا بمآثم تركيّة وبالتشنيع على اعدائها الايطاليين والبلغار

وكانت ثالثة الاثافي الحرب الكونيّة التي انحازت فيها تركية الى الدول المركزية مدفوعةً الى تحزّبها بمواعيد المانية المرقوبية وبمطامع بعض زعمائها الساعين وراء مصالحهم الخاصّة فكان ما كان بكسرة المانية والمحاربين في جانبها فخرجت منها تركيّة مذلّلةً خاسرة

امّا الآداب العربيّة في مدّة تلك الفوضى فانّها كاد يُقضَى عليها بمصادرة الجمعيّات العربية وشنق بعض اصحابها واقفال المدارس ومناصرة اللغة التركية وتعطيل معظم الجرائد الوطنيّة والمطابع الاجنبيّة والحرّة في انحاء دولة الاتراك في بيروت ولبنان وفلسطين وانحاء الشام والعراق. امّا في الخارج في مصرَ واميركا. فانّ النهضة العربية بقيت على حالتها إلّا انها لم تترقَ لانقطاع معاملاتها مع بلاد الشرق التي منها تستمدّ كثيراً من موادّ حياتها وبانشغالها بامور الحرب واطوارها

امّا اوربّة فانّ غيرة علمائها في درس العلوم الشرقيّة عموماً والعربية خصوصاً لم تخمد فانها من السنة ١٩٠٨ الى السنة ١٩١٠ ثبتت على خطتها من النموّ والنجاح كما تشهد عليها مؤتمرات المستشرقين الدولية سنويا والعدد العديد من المطبوعات الجديدة التي نشروها ومن الآثار القديمة التي وقفوا عليها. وانّما تأثّرت ايضاً بالحرب العمومية لفقدانها عدّة من المستشرقين الذين هجروا الدروس ليدافعوا مع مواطنيهم في ساحات الحرب عن حرمة بلادهم

ومع ما رأيت من نكبة الآداب العربية في هذه الحقبة لا بُدّ من الاعتراف

بهمة الحكومة المصرية في تحسين مدارسها الوطنية وسعيها في زيادة مصاريف برنامجها لتعميم المدارس ولانشاء مدارس عليا وجامعة وطنية تلقى فيها الدروس العلمية الخاصة ينتدب اليها اساتذة بارعون من الوطنيين والاجانب وهذه الجامعة المصرية تقوم بثلثة اقسام كبيرة وهي كلية الآداب تشمل الآداب العربية وعلم مقارنة اللغات السامية وتاريخ الشرق القديم وتاريخ الامم الاسلامية والفلسفة العربية . ثم قسم العلوم الاجتماعية والاقتصادية ثم كلية السيدات وكان شروع الجامعة بهذه العلوم السنة ١٩١٠

وكانت الجامعتان البيروتيتان الاميركية والفرنسوية زادتا ترقياً واتساعاً في هذه الحقبة الثانية ففي السنة ١٩٠٩ اضافت الكلية الاميركية الى مدرستها الطبية ثلثة مستشفيات للنساء وللاطفال ولامراض العيون . وانشأت في السنة ١٩١٠ مجلتها «الكلية» في العربية والانكليزية . اما الكلية اليسوعية فأقيمت معاهد جديدة فسيحة لمدرستها الطبية قريباً من رأس النبع على طريق الشام صار تدشينها برونق عظيم في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٢ ثم فتحت برتبة فخمة في ٢١ من الشهر في العام المقبل . اما معاهدها القديمة فخصصت بفرع جديد من الدروس العليا اعني مدرسة الحقوق التي أنشئت سنة ١٩١٣ وغايتها ان تجدد مفاخر مدرسة الحقوق الرومانية التي اكسبت بيروت مدة ثلثمائة سنة مجداً مؤثلاً اوقفته نكبات الزلازل التي هدمت المدينة في القرن السادس للمسيح . وفي تلك الاثناء أنشئت للمسلمين في دمشق مدرسة طبية وفي بيروت مدرسة حقوقية كان التعليم فيها باللغة العربية

ومما أنشئ من المجلات النفيسة قبل الحرب مجلة المقتبس سنة ١٣٢٤ لصاحبها السيد محمد كرد علي في دمشق . ومجلة الآثار في زحلة سنة ١٩١١ انشأها عيسى افندي اسكندر المعلوف . والنبراس لصاحبها مصطفى افندي الغلاييني سنة ١٣٢٧ والكوثر للسيد القباني وكلتاهما في بيروت . وانشأ ايضاً في بيروت الابوان يوسف عاوان اللعازري ويعقوب الكبوشي مجلتي الجمانية وصديق العائلة . والقس يوسف الشدياق الانطونياني نشر في بعبدا سنة ١٩١١ كوكب البرية . والعرفان لصاحبها احمد افندي عارف زين الدين في صيداء سنة ١٣٥٨ اما في مصر فتعددت المجلات المستحدثة نخص منها بالذكر مجلة الزهور للشيخ انطون افندي الجميل (١٩١٠) والمرآة لخليل افندي زينيه (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Mgr Pichenot: LES PARABOLES ÉVANGÉLIQUES, instructions et homélies, 3e éd., 1925, *Prix* 10 *f*

ارشادات عن الامثال الانجيلية

انَّ امثال السيد المسيح في الانجيل الطاهر من افضل التعاليم الروحية لاسيما اذا حاول الخطباء بَسْطها وتفسيرها. وهذا ما صنعهُ السيد پيشنو لرعاياه في كنيسة سَنْس (Sens) الكاتدرائية فان خطبهُ من ابلغ ما كُتب في شرح تلك الامثال. ولا عجب أن تكرَّر مرارًا طبعُها. فنوصي الكهنة بمطالعتها والاستفادة منها لارشاد ابنائهم

P. TÉQUI, Libraire-éditeur, 82, rue Bonaparte, Paris, VIe *et* Beyrouth, Librairie Chéhab, rue des Martyrs. = I A. Brou : Le Dix-huitième siècle littéraire. I. AVANT L'ENCYCLOPÉDIE. 1 *vol.* 1923, *Prix* 7*f*,50 = II Chanoines Chaumont, Pangaud et Marullaz: Ce que c'est que la Société des Prêtres de St François de Sales, *Prix* 2*f*50 = III Thirriet: (Ch.) Almanach de la Bonne Nouvelle (1926), Prix 1f,60

آداب القرن الثامن عشر. جمعية كهنة القديس فرنسيس دي سال. تقويم للسنة ١٩٢٦

(الكتاب الاوَّل) تعدَّدت التآليف في تعريف ما انتجتهُ اقلام الكتبة الفرنسويين في القرن الثامن عشر. وليست غاية هذا التأليف القيام مَقامها وانَّما غايتهُ جمع اعمال ذلك العصر في دائرة واحدة تمكن القرَّاء بنظر واحد من الاطّلاع على سائر تلك المصنفات وغاية مؤلفيها وطرائقهم الكتابيَّة ونزعاتهم الدينية. وهذا القسم يبحث عن آداب ذلك القرن قبل دائرة معارف الاباحيين (L'Encyclopédie) وسيتبعهُ قريباً جزء ثانٍ لتعريف تلك الدائرة العلميَّة التي تولَّى نشرها ڤولتير واتخذها كسلاح لمحاربة كل العقائد النصرانيَّة. وكفى باسم مؤلف هذا الكتاب للدلالة على عظم شأنهِ. و(الكتاب الثاني) يصف للجمهور جماعةً جديدة انشئت لصالح الكهنوت وهي جمعيَّة كهنة القديس فرنسيس دي سال. يبيِّن غَرَضها مُنشئُها القنونيُّ شومون واثنان من اعضائها الايران بانغو ومارولاز فيفيدوننا عن تاريخ انشائها ونظامها وفوائدها لمن ينتظم فيها من

الكهنة لتقديس نفوسهم ونفوس القريب وهي تستقي تعاليمها من القديس فرنسيس دي سال شفيعها. وفي آخر الكتاب وصف جمعية أخرى أنشئت للمسيحيين البسطاء من اهل العالم ليقدّسوا حياتهم في اشغالهم اليوميّة تدعى (Société des Fils de S' Fr. de Sales). و(الكتاب الثالث) تقويمٌ جديد يُدعى «تقويم البشرى» هذه سنةُ الخامسة راج ايّ رواج في العيال المسيحيّة لوفرة اخبارهِ وتعاليمهِ وحكمهِ وفكاهاتهِ فنوصي قرّاءنا بمطالعتهِ ل. ش

Mardrus Dr J. C.: Le Koran, traduction littérale et complète des Sourates essentielles. 1 vol. in-8°, 1925, Paris, Eugène Fasquelle,

ترجمة افرنسيّة حرفية لاخصّ سُوَر القرآن بقلم الدكتور مردروس

هذا تأليف يستدعي انتقادًا صارماً. اقتصر المؤلف على ترجمة ما يدعوهُ «السُوَر الجوهريّة في القرآن» كأنهُ يعتبر سواها «سُوَر عرضيّة» وجدنا لهُ في مقدّمتهِ اغلاطاً جمّة فانهُ يزعم ان عمر بن الخطّاب كان من اقارب ابي بكر ويخلط بين زيد بن حارثة ربيب محمّد، و«زيد بن ثابت» (ص١٣). يدّعي انّ كتابة غارة الشهيرة الراقية الى السنة ٣٢٨ للمسيح والتي وُجدت في الشام في بادية الصفا شرقي جبل الدروز «اكتُشفت في الحجاز» (كذا ص١٧). وقد استغربنا طريقتهُ في الترجمة ضمّنها الفاظاً وحشيّة مماتة وربّما كانت مخالفة للمعنى حتى فكّرنا انّ المؤلف كاد يمسخُ القرآن. ودونك امثلة تشهد على قولنا. ترجمَ لفظة «سبحانك» بـ «ta laude» و«يا بُنيّ» بـ «ô fils mien» و«ربّنا» بـ «Seigneur nôtre» و«اقيموا الصلاة» بـ «élevez la prière» و«ابناء السبيل» بـ «enfants de la route» و«أسلمتُ» بـ «je m'affide» و«عُروة وُثقى» بـ «anse solidissime». وقد ترجم في سورة البقرة (٢ : ٢٥٤) «اقتتلوا» بـ «ils se sont disputés» والصواب «ils se sont entre-tués». والغرائب في هذه الترجمة لا تُحصى كقولهِ: «o nuages missionnaires» وقولهِ: «édit sultanien» (sic p. 386) وترجم «الكافرون هم الظالمون» (البقرة ٢ : ٢٥٥) بـ «les mécréants seront leurs propres intercesseurs» (p.293) فكفى بهذه الامثلة لتعريف تلك الترجمة التي زعم صاحبها انهُ باشرها باغراء الوزارة الخارجية ووزارة المعارف. على انّ اعتبارنا لرقيّ الدروس الشرقيّة في فرنسة لا

يسمح لنا بتصديق قوله ولعلّهُ يمرّه تمريهاً الاب ه. لامنس

VOYAGE EN TURQUIE ET EN GRÈCE du R. P. Robert de Dreux (1665-1669) publié et annoté par H. Pernot. (Collection de l'Inst. néohellénique. fasc. 3), 1 *vol.*, *Paris*, *Prix* 10 *f*°

رحلة الاب روبير دي درو الى تركيّة واليونان

الاب روبير دي درو راهب كبوشي سار في خدمة السفير الفرنسويّ دي لاهاي ڤنتلي (de la Haye Vantelet) وهو من اقاربهِ لمّا ارسلهُ ملك فرنسة لويس الرابع عشر الى تركيــة سنة ١٦٦٥ فتجوّل معهُ في الاستانة وفي ازمير وجزائر اليونان وعاصمتهم اثينا مدّة ثلث سنوات. فلما عاد الى فرنسة دوّن مذكّراتهِ في كتاب رحلتهِ فبقي تأليفهُ مخطوطاً الى زمننا فاحبّ المسيو پرنوان يخرجهُ من دفينتهِ فطبعهُ وحشّاه بقلمهِ. فقد تصفّحنا الكتاب فوجدناهُ مطابقاً لما ورد في تواريخ معاصريهِ عن البلاد التي زارها. وهو يكتب بلغةٍ فصيحة رائقة يجمع فيها بين اللذّة والافادة فشكرنا الذي اتحفنا بنشر هذا الاثر الجديد ج. ل

O. Bernhard : Pflanzenbilder auf griechischen und roemischen Münzen. *Gr. in*-4°, 43 *p. et* 131 *monnaies en* 5 *planches*, *Zurich*, *Orell Füssli*, 1925, *Prix broché*, 4 *fs. suisses*, *relié* 5 *f*°

تصاوير النباتات على النقود اليونانيّة والرومانيّة

الدكتور برنهرد صهرُ عالمٍ حاذق بمعرفة النقود القديمة يدعى إمهوف بلومر الذي بعد وفاتهِ اورثهُ مجموعة ثمينة من النقود اليونانيّة والرومانيّة التي كان سعى الى احرازها مع مجموعة ثانية من رسوم صناعية مصورة في وطنهِ وِنترثور. فقد أمعن الدكتور النظر في هذين المجموعين ودرسهما درساً نعمًا ليعرف ما ورد فيهما من تصاوير النباتات التي قصدها اليونان والرومان في ضروب نقودهم. وليس تعريف النباتات والاشجار وزهورها واثمارها المرسومة على تلك النقود بامر سهل لكنّ تعيينها لا يخلو من الفائدة. فانّ بعضها رموز ناطقة تشير الى اسماء البلاد اليونانيّة كالوردة لرودس والتفّاحة لميلوس. ومنها ما يدلّ على عبادة سكّان بعض الامكنة كالسنديان رمز زفس اي جوبيتير وكالسنبلة والخشخاش رمز الوريس. وعلى نقود قيرينة وسلج نباتان طيّان السلفيوم والميعة غنيّتا بيعها فرسمها على نقود المدينتين كان شبيهاً باعلان.

والدكتور برنهرد نشر خمس لوحات من هذه النقود تحتوي ١٣١ نقداً سعى الى وصف كل منها واتّسع في بيان ما يُرى عليها من النبات. ومما بيّنهُ ان شجرة الصبّار الشائعة اليوم في شمالي افريقية وفي آسية حديثةُ العهد هناك واصلها من اميركة وان شجرة الليمون نُقلت الى الشام في زمن فتوحات الاسكندر. وقد تعجّبنا من سكوت الدكتور عن صور النخل والسرو المرسومة على نقود صور واوراد وكذلك بعض النباتات التي تُرى على نقود فينيقية الاب رينه موترد

Buch der Rechtskniffe des Abu Hàtim al-Qazuini mit Uberset-sung u. Anmerkungen, herausg. von. J. Schacht. *in*-12, *Hannover* 1924, *pp.* 79 + ٦٠

كتاب الحِيَل في الفقه لابي حاتم القزويني

انَّ في الفقه الاسلامي فنًّا يدعى فنَّ الحِيَل الغايةُ منهُ معرفة المخارج الدافعة للمطالبات في الدعاوي الشرعيَّة على مثال ما يدعوهُ اللاهوتيُّون المسيحيون علم الفتاوى (Casuistique) والمسلمون يقسمونها الى محرَّمة ومكروهة ومباحة. وهذا كتاب من هذا الصنف لاحد الفقهاء الشافعيين ابي حاتم القزويني من كتبة القرن الثاني عشر للهجرة نشرهُ في العام الماضي الدكتور يوسف شخت ونقلهُ الى الالمانيَّة وذيَّلهُ بالحواشي. وكان سبق في العام ١٩٢٣ فنشر كتاباً آخر اقدم منهُ زمناً واعظم شأناً يدعى الحِيَل والمخارج للامام ابي بكر احمد الحنفي الشهير بالخصَّاف فنال بنشره رتبة الملفتة. وهما كتابان جليلان يحتاج اليهما الفقهاء والمحامون ليتخلَّصوا من بعض المشاكل الفقهيَّة الاسلاميَّة ل. ش

Comte Léon Ostrorog, El Mawerdi. Le droit du Califat. Introduction, traduction de l'arabe et notes, *nouvelle édition*, *in*-12, 185 *pp.*, *Paris. Éd. Leroux*, 1925, *Prix* 8 *fr*

حقّ الخلافة

هذا احد فصول كتاب الماوردي المعروف بالاحكام السلطانيَّة نقلهُ الى الفرنسوية الكونت اوسترُوروغ وقدَّم عليهِ مقدَّمة في الفقه الاسلامي. وهو موضوعٌ قد كثر فيهِ على عهدنا القال والقيل فلا بُدَّ ان يُسَرَّ بهِ المستشرقون وسواهم لاسيما انهُ يتحاشى المسائل السياسيَّة ويقتصر على البحث النظري فلا يدَع منهُ صغيرة او كبيرة إلَّا

ذكرها كبحثه مثلاً (ص ٢٩) عن صحة مبايعة الخليفة أيجوز ان يختار وهو ممنوع بالصمم لو يجوز اختياره ان كان فقط ثقيل السمع الى غير ذلك من دقائق الابحاث. ومما لم يصب فيه جناب متولي نشر الكتاب قوله بان الوهابيين قوم من الخوارج والصواب انهم جارون على مذهب الامام احمد بن حنبل ه.ل

Choucri Cardahi: LE DROIT DES PAYS sous mandat français en Orient dans ses rapports avec les législations étrangères. *Extrait. Agen*, 1925, *pp.* 25

حقوق البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي

ليس هذا الدرس سوى مقدمة لما توخى جناب الاستاذ شكري قرداحي احد معلمي مدرسة الحقوق الفرنساوية تعليمهُ للمتخرجين تحت نظارته في السنة المدرسية الاخيرة فكان لنشرها احسن وقع لدى علماء الفقه الذين اثنوا على كاتبها اعطر الثناء واستبشروا خيراً بكتابة احد الشرقيين في موضوع أصبح اليوم مدعاة للبحث والجدال فوجدوهُ راسخ القدم في معلوماته واضح البيان في ادلته. فما لنا إلا ان نهنئ نفسنا بحصول مدرستنا الحقوقية على مثله استاذاً بارعاً عرف اساطين العلم قدره فضلاً عن الدارسين عليه

Abbé Félix Klein: La Vie de Mgr Dupont des Loges (1804-1886), 1 *vol.*, 8° *avec portrait*, *Libr. Bloud et Gay*, *Paris*, *Prix*, 15 *f*°

ترجمة السيد ديبون دي لوج

كان على مدينة مِتْس يوم استولى عليها الالمان سنة ١٨٧٠ مطران شبيه بالراعي الصالح يُدعى ديبون دي لوج لقي الامرّين من فاتحي المدينة وجاهد في سبيل رعيته بازاء الدولة الجديدة الى ان قضى شهيد غيرته مخلفاً في قلوب جميع ابنائه ذكراً مخلداً. فسيرة هذا الحبر الجليل سطرها بقلمه احد كبار الكتبة الكاهن فليكس كاتب صاحب التآليف العديدة التي تكررت طبعاتها ونال بعضها جوائز الاكادمية الفرنسوية لحسن سبكها ووفرة معلوماتها. وليس هذا الكتاب الجديد دون تآليفه السابقة حسناً وجدوى أقبل عليه الجمهور منذ صدوره المرة الاولى قبل الحرب وقد زاد فرائده في طبعته هذه الجديدة لاسيما بتعريف محبة المترجم لفرنسة وطنه ل.ش

D. G. Hesseling: HISTOIRE DE LA LITTÉRATURE GRECQUE MODERNE, traduite du néerlandais par H. Pernot (Collection de l'Inst. néo-hellénique, n° I) I *vol.* 1924, *Paris, Prix* 8 f

تاريخ آداب اليونانيّة الحديثة

هذا اول كتاب من مجموع حديث في آثار اللغة اليونانيّة الحديثة ألّفهُ الدكتور البارع الالماني هَسلِنغ فنُقل الى الافرنسيّة عن اصلهِ الهولندي . ومدارهُ على اللغة اليونانيّة الحديثة التي ابتدأت بدخول الاتراك الى القسطنطينية فبقيت اليونان منفصلة عن اوربّة وحفظت لغتها اليونانيّة مع ما تطوّر عليها من الاختلافات فتعدّدت فيها اللهجات كلهجات اقريطش ولهجة الفنار ولهجة الجزائر الايونيّة . وهذا ما يبينهُ مؤلف الكتاب المذكور . ثمّ ينتقل الى بيان اللغة اليونانيّة الحديثة التي شاعت بين اليونان منذ استقلال بلادهم قبل ٩٥ سنة . وهي لا تزال في تطوّرها ولم تبلغ قرارًا ثابتاً

Stanislas Slawski: L'accès de la Pologne à la mer et les intérêts de la Prusse orientale : 9 *Tableaux et Carte hors texte in*-16, *Paris*, 1925, *Prix* 9 f., *Ed. Bossard.*

نفوذ بولونية الى البحر ومصالح بروسية الشرقية

خاب أمل بولونية في معاهدة فرسايل اذ لم تنل مينا دنتزيغ الذي كانت تطلبهُ ولم تعطَ إلّا منفذًا واحدًا على ساحل قفر لا انيس فيهِ ولا مرفأ بما لم تُنشئه من جديد . وصاحب هذا الكتاب يبيّن ما كان لبولونية من الحقوق في طلبها دنتزيغ . وهو في تأليفهِ يردّ على تشكيات المانية التي تنقم على بولونية لملكها على اراضٍ تنفذ في وسط بلادها وتقسمها الى قسمين . فيبيّن انّ معظم ما يشكو منهُ الالمان علّتهُ مسئلة الاقتصاد لتجارتهم وهي شكوى فارغة اذ قد أُعطيت المانية كامل الحرية لنقل تجارتها في وسط بولونية دون مانع يسدُّ عليها الطريق ج . ل

Whitney Warren: MONTÉNÉGRO, le crime de la Conférence de la Paix. 1 *vol., in*-16 *illustré. Genève, Atar*, 1915

دولة الجبل الاسود وتضحيتها بذنب مجتمع السلام

بينما كانت بلجيكة تلاقي في نكباتها سلوانًا ثم تعويضًا كانت دولة الجبل الاسود تُعدَم الوجود وتُلاشى من خارطة اوربّة اذ التهمتها سربية دون ان تحتج

الدول الكبرى على هذا لاثم الفظيع لانشغالها بامورها الخاصة وهـا هوذا رجل من اميركة الحرة المدعو «وتني وارن» قد رفع صوته للدفع عن حقوق دولة مظلومة دخلت في الحرب بجانب الدول المتحالفة فما كان جزاؤها إلا الموت الوحي. بل قل انّ العدل مات بموتها ج.ل

Dr Th. G. Simon : Die Welt des Islams und die neue Zeit. *Die Auc. Verlag in Wernigerode.* 1 *vol. in*-12. 1925, *Prix Marks*, 2, 55

عالم الاسلام في الازمنة الجديدة

هذا درس اجتماعي لبشر بروتستاني الماني استوطن الهند الهولندية سنين طويلة قد حاول ان يبيّن لنا احوال الاسلام حاضراً. فهو يبحث عن الدين الاسلامي والجهاد واضطهاد الارمن والمنازعات حول الخلافة وتطوراتها. وليس في هذه الابحاث شيء جديد لاهل الشرق وانما كتبهُ مؤلفهُ لافادة الاوربيين وخصوصاً الالمان. وقد استحسنا الفصل الذي خصهُ بساعي المسلمين الى الاصلاح كتحرير حالة النساء بينهم ومناهضتهم للإضرار حتى انهم عرضوا وضع ضرائب على كل امرأة جديدة متى أضرّ الرجل وقد افرد الفصل الاخير للنظر على الارساليات البروتستانية بين المسلمين يستفاد منها انّ نتائجها قليلة مع ما يُصرف عليها من المال ه.ل

Le caractère religieux du Tār ou Vendetta chez les Arabes préislamites par **Henri Lammens.** *Extrait du Bull. de l'Inst. Fr. d'Arch. Or., Le Caire*, 1925, *pp.* 45

الثأر وسنّتهُ الدينيّة في عرف عرب الجاهليّة

انّ من يقرأ اخبار العرب في الجاهليّة يأخذه الاندهاش في إصرارهم على طلب الثأر اذا قُتل احد من اهلهم او من قبيلتهم لا يزالون يرصدون القاتل او وليّهُ حتى يأخذوا منها حقوقهم. هذا كما هو معلوم احدى صور العدل المبنيّة على قاعدة «السنّ بالسنّ والعين بالعين وكل من يأخذ بالسيف بالسيف يهلك» لكنّ العرب في الجاهليّة لم يقتصروا على ذلك وانما جعلوا للثار سنّةً دينية تلزم طالب الثأر ريثما يفوز بمرامه. وهذا ما بيّنهُ حضرة الاب هنري لأمنس بهذه المقالة المشبعة بالشواهد المثبتة لهذا الرأي الذي لم تُلغهِ الايام حتى في عهدنا بين اهل البادية ومن اقوالهم: «النار ولا ترك الثار» ل.ش

أقطع البراهين في صحّة حقائق الدين

عرّبهُ ملخّصاً عن تأليف الاب دفيثيه اليسوعي القس مبارك ثابت الراهب اللبناني

طُبع في المطبعة الكاثوليكية: بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٣٥٦)

بلغ كتاب الاب دفيثيه في الحقائق الدينيّة طبعتهُ العشرين لوفرة الإقبال عليه وهو من انفع الكتب واثبتها برهاناً لردّ غارات الكفر وتفنيد ما يشيّعهُ اعداء الدين ترويجاً لمزاعمهم الباطلة. وقد اختار حضرة القس مبارك ثابت الديراني اللبناني لُباب ابحاثهِ التي تهمُّ خصوصاً اهل الشرق وعرّبها تعريباً فصيحاً شائقاً وجمعها في هذا الكتاب بعد ان نُشرت تباعاً في جريدة البشير. وهو خير شقيق لكتاب سابق سعى حضرتهُ الى تعريبهِ عن القائد الافرنسي مانيه تحت عنوان ردود العقل المستقيم ل.ش

خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية

تأليف شحاده خوري ونقولا خوري

طُبع في مطبعة بيت المقدس في القدس الشريف سنة ١٩٢٥ (ص ٣٩٠)

معظم هذا التاريخ غارةٌ شعواء يوجّهها كاتباهُ الاديبان على اليونان اصحاب اخوية القبر المقدّس المهتضمين لحقوق الروم الوطنيين. وباقي الكتاب قليل الجدوى للتاريخ الصحيح فانَّ اغلاطهُ تكاد لا تُحصى. ليس الارمن من اشياع الناطرة كما زعم المؤلفان (ص ٢٥) لا صحّة لعهد عمر بن الخطّاب المذكور (ص ٤١). كان خلفاء بني امية افضل من سواهم في معاملة المسيحيين في فلسطين على خلاف ما روَياه (ص ٤٨) لم يُعفِ الخليفة يزيد املاك السَّمرة من الجزية بل بالعكس اقرّها عليهم (ص ٤٩). ان ما ذكراهُ عن فظائع الصليبيين عند فتح بيت المقدس منقول عن تآليف غير صادقة بالغة التطرُّف (٦٩ــ٧٠). وقد عادا في محلّ آخر الى ذكر نار سبت النور فادّعيا صحتها وقد بيّنت مجلّة المشرق مرارًا كذبها الفاضح باقرار الروم انفسهم: ومن اغلاطهما المضحكة انهم دعَوا غي دي لوسنيان ملك اورشليم باسم غوردون (ص ٧٦) وجعلا الملك فرنسيس الاوّل « امبراطورًا » وخلطا خلفهُ هنريكس الثاني

مع هنريكس الثامن ملك انكلترة (ص ١١٦ــ١٢٤) فترى انَّ قيمة الكتاب زهيدة أما اوهامهُ في حقّ الكاثوليك فكثيرة يروي كحقائق ثابتة ما ظهر كذبهُ على رؤوس الملأ لكل عين الاب ه. لامنس

الزوجة الامينة امام القضاء: دعوى عفيفة عوّاد

مباحث قضائية ودروس اجتماعية لحضرة الخوري منصور عوّاد

طُبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٥ (ص ٢٢٤ + ١٥)

لعلّ هذا التأليف اوّل كتاب اطّلعنا على كل محتوياتهِ دون ان يفوتنا منها سطرٌ. فكان يتنازع فكرنا في قراءتهِ عاملان متناقضان عاملُ الأَنفة والكراهية بازاء الخداع والخبث وضروب التعنّت. وعاملُ الرحمة والشفقة بازاء الزوجة الامينة الصادقة والمظلومة. وقد اخذنا العجب كيف كادت هذه الدعوى تستغرق نحو ثلث سنوات ووجهُ الحقّ فيها ظاهر لكل ذي عيان. على ان الحقّ قد انتصر اخيراً على الرغم من كل العوائق القائمة في سبيلهِ فصدر الحكم النهائي في المحاكم الشرعية بتذنيب خليل متري برباري وثبوت حقوق السيدة عفيفة عوّاد وقد احسن مصنف هذا الكتاب بتدوين تفاصيل الدعوى باجمعها ليكون عبرةً لكل معتبر وتبقى حقوق سرّ الزواج مرعيَّة مصونة في كل الدعاوي الشبيهة بها ل. ش

المؤامرة اليهوديَّة على الشعوب. المقرَّرات الصهيونية

نقلها عن الافرنسية الخوري انطون عين

طُبع في مصر سنة ١٩٢٥ (ص ٢٤٤)

نشرت مجلّة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٧٦٨ و ٢٣ [١٩٢٥] : ١١٧) مقالتين واسعتين في الصهيونية وماضيها وحاضرها ومستقبلها وغاياتها السياسيَّة وهذه المقرَّرات الصهيونية تزيد القرّاء علماً بكنهها وحقيقتها. وما الصهيونيَّة الّا فرعٌ من دوحة كبيرة تقصد مدّ ظلالها على انحاء المعمور تريد بها الدوحة اليهوديَّة التي يسعى اصحابها

بضروب الدسائس الى ان يتسيطروا على العالم ليحتملوهُ نيرهم الثقيل. وهذا ما قصد اليه صاحب الكتاب الفرنساوي «المؤامرة اليهودية على الشعوب» ليبيّن الخطر اليهودي فقد احسن حضرة الخوري انطون عين بتعريب هذا الكتاب ليأخذ اصحاب الوطن حذرهم من الخطر المذكور الذي اصبح يتهدّد بلادنا لأنَّ الصهيونية والبولشفية والشيوعيَّة والماسونية كلّها مظاهر ذاك الخطر فأيّانا ان ننخدع بتلك المظاهر ونسهو عن مناهضتها. يُطلب الكتابُ من المعرّب في مكتبة يوسف صفير في بيروت

كلمة في اللغة العربية

خطبة خطبها اسعاف النشاشيبي من اعضاء المجمع العلمي في دمشق

طُبع في مطبعة بيت المقدس في القدس سنة ١٩٢٥ (ص ١١٧)

الاستاذ النشاشيبي من انصار اللغة العربية المعدودين في القطر الشامي لهُ عدَّة آثار تُعرب عن حبّه للغتنا الشريفة. وهذه الخطبة التي القاها في دار جمعيَّة الرابطة الشرقية في القاهرة شاهد جديد على انتصاره لها بازاء مهتضمي حقوقها وتقديره لمقامها السامي بين اللغات ولعلَّهُ تجاوز في بعض اوصافه حدود الحقّ وهو يجهل لغات العالم العديدة ولكن كيف يُلام من يفضّل امَّهُ على سائر النساء وقد اغتذى بافاويقها وربي على فضلها ل. ش

الذكرى : وهي قصائد الشاعر الانكليزي الفرد تنسون

نقلها الى العربية انيس الخوري المقدسي

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ١٨٣)

الفرد تنسون احد نوابغ الشعراء الانكليز في القرن التاسع عشر يتغنَّى بشعره كل الناطقين باللغة السكسونية وقد بلغ به شعرهُ ان تختارهُ الملكة فكتوريا كشاعر العرش. وآثارهُ الشعريَّة عديدة كلُّها جميلة لفظاً ومعنى. وقد اختار جناب انيس افندي الخوري المقدسي استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركيـة مجموعةً من

نشائده دعاها ذاك الشاعر الذكي (in memoriam) وضمّنها ارق العواطف واحسن التصوّرات ذكرًا لاحد اصدقائهِ المسمّى ارثر هَلَم فعرّبها استاذنا واخرجها بالشعر العربي الحرّ الذي يأخذ بمجامع القلب مع طول ادوارها البالغة ١٣١ دورًا. فجاء الكتاب من افضل ما تسرّح فيه الناشئة انظارها وتشحذ بهِ ذهنها ل. ش

شذرات

﴿غبطة السيد كيرلس التاسع مغبغب﴾ لم يطل يُتم الكنيسة الملكيّة الكاثوليكية فان مجمع السادة الاساقفة البالغ عددهم اربعة عشر انتخبوا لرئاسة كنيستهم خير خلف لخير سلف ألا وهو اسقف زحلة والفرزل والبقاع السيد الجليل غبطة كيرلس التاسع مغبغب الذي منذ ٢٦ سنة يرعى بنيهِ بهمّة وتفانٍ لم يعرفا الملل فأعرب بحسن تدبيرهِ انهُ ذو جدارة تامّة برعاية كنيسة ملّتهِ جمعاء وكل يعرف ما لغبطتهِ من الاعمال المشكورة وما تجشمهُ من الاسفار الطويلة وما تكلّفهُ من الاتعاب المضنكة لخير ابرشيتهِ ولصيانتها من اضرار العلمانية وغارات الماسونية فالامل معقود على اقتومهِ بان يولي الكرسي البطريركي الانطاكي والاسكندري والاورشليمي فخرًا جديدًا فيزيدهُ نموًّا وفضلًا وعساهُ يرى الاخوة المنفصلين يعودون في ايامهِ الى حظيرة امهم الكنيسة الرومانية التي فيها وحدها يجدون الراحة والامان كاخوتهم الروم الكاثوليك المشمولين بعطف خاصّ من الكرسي الرسولي

﴿مأثرة جديدة للحبر الاعظم بيوس الحادي عشر﴾ انّ كبير احبار الكنيسة الكاثوليكية مع اهتمامهِ بكل شؤون العالم الدينيّة لا يذهل عن خدمة العلم والآداب كما ثبت في العام الماضي بانشائهِ لمعرض الرسالات الكاثوليكية. ومن مآثره التي لم تسبقهُ اليها احدى الدول انهُ امر بنقش اكبر خرائط العالم المعروفة على جدران الفاتيكان تمثّل الواحدة صورة الارض وهي تنبسط على مساحة ٨٤ مترًا مربعًا بمقياس $\frac{1}{500,000}$ وبازائها على جدار آخر خارطة الصين الهندية بمقياس $\frac{1}{750,000}$ مع خارطة افريقية الشمالية مقياسها $\frac{1}{250,000}$. وهناك خرائط اخرى منها خرائط تقيس الواحدة

٢٥ متراً مربعاً ترسم صورة افريقية الغربية وافريقية الداخلية . وقد عهد برسم هذه الخرائط لاحد كبار المهندسين السنيور مركتي سلفازياني (Marchetti Selvazziani)

﴿الرياضة السنوية في الفاتيكان﴾ كل حاشية الحبر الاعظم مع عمّال البلاط البابوي حضروا الرياضة السنوية في قصر الفاتيكان من ٢٩ ت ٢ الى ٥ ك ١ وقد دعي ابوان يسوعيان لالقاء مواعظها . وكان الحبر الاعظم على الرغم من كلّ اشغاله في هذه السنة اليوبيلية في مقدّمة الذين حضروا هذه الرياضة وهو يمشي على آثار خلفه وسميه بيوس العاشر الذي يُعتقد الامل بتثبيته طوبويًا عمّا قليل لكثرة ما يجري بشفاعته من الكرامات . والعاريض المرسلة من العالم الكاثوليكي لتثبيته قد اناف على الالفين بعضها للكرادلة والاساقفة والجمعيات الرهبانية

﴿الفونغرافات المجسّمة للصوت﴾ مما سبق اليه الكاثوليك الاميركيون في كنائسهم لتقوية صوت الواعظ في كل انحائها قد اخذ الفرنسويون يجرونهُ في كنائسهم ايضاً فوُضعت آلات من الفونغراف في كنيسة نوتردام الكاتدرائية وفي كنيسة سان سولبيس وغيرهما بحيث لا يفوت احدًا من الحضور كلام الواعظ

﴿اكبر نيزك وقع على الارض﴾ في مقاطعة اريزونا في اميركا تحت تلّ يُعرف بكُون (Coon) على عمق ثلاثمائة متر وجد نيزك سقط على الارض من الفضاء قبل الوف من السنين فتألفت شركة لكشفه وتحليل عناصره فقطعوا منهُ نماذج استدلّوا منها على ثقله فثبت لهم انّ ثقل النيزك المذكور يبلغ نحو الف مليون (مليار) طنّ وانهُ يحتوي على معادن ثمينة من البلاتين من اعزّ المعادن المعروفة سابقاً فوجدوا انّ كلّ طنّ من النيزك يحتوي ستة غرامات من البلاتين فيكون مجموع ما في النيزك منهُ اكثر من ٥٠٠ طنّ وذلك ما يساوي خمسمائة مليار من الفرنكات . ووجدوا كذلك عددًا عديدًا من قطع الماس الصغيرة . والشركة ساعية اليوم في استثماره

﴿البعثة الاميركية في السامرة﴾ انّ الحفريات التي يتولّى الاميركيون اجراءها في مدينة السامرة اتت بفوائد جمّة عن احوال بني اسرائيل في زمن الملك آحاب وايليّا النبي في القرن التاسع قبل المسيح فوجدوا قريباً من مكان القصر الملكي ستين قطعة مكتوبة على خزفيات عليها كتابات من اقدم ما يُعرف من القلم العبراني وذلك في عهد انفصال القلم المذكور عن القلم الفينيقي

أسئلة وأجوبة

س . سأل الاديب ل . م احد قرّاء الهدية ما رأينا في «عهد عمر» الذي ذكرتهُ هذه الجريدة في عددها ١٠٩٧ في ٢٥ ك ١ ؟

عهد عمر والهدية

ج . هذا العهد الذي تمتّعتهُ الهديّة بالاثر النفيس مصنوع كما بيّنّا ذلك في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٦٧٩ــ٦٨٠) ونعرف منهُ ثلث نسخ كلّها متباينة لا صحّة لها

س . وعاد السيد المغربي محتجّاً على تفسيرنا «الشبَر» في شعر الحجّاج (المشرق ٢٣ : ٥٥٨) بمعنى الانجيل والقربان معتمداً على بيت من شعر ذي نواس دلّهُ اليه صديقنا العلّامة اغناطيوس كراتشقوفسكي جاءت فيهِ هذه اللفظة بمعنى «الخير» حيث يقول :

«فافه يعطيك الشبَرْ وفي اعاديك الظفَرْ»

لفظة الشبر في شعر الحجّاج

ج . نجيب على هذا الاعتراض اننا لم ننكر ان «الشبر» معناها ايضاً الخير وانّما قلنا انها في شعر الحجّاج يراد بها الانجيل والقربان فتدلّ على نصرانيّتهِ وذلك لاسباب : اوّلاً لان الشاعر افتتح باللفظة قصيدتهُ فاراد الدلالة لا على خير عموماً بل على اكبر كل الخيور اي الانجيل والقربان كما يفتتح المسلمون كلامهم بالبسملة . ثانياً لان شرح الشبَر بمعنى الانجيل والقربان سبق كل شرح آخر اذ يرتقي الى الخليل وابن السكّيت كما بيّنّا . ثالثاً لانّ الحجاج من تميم ونظر في بيته الى بيت عدي بن زيد الشاعر النصراني التميمي مثلهُ الذي حلف بالشبَر بمعنى الانجيل والقربان كما فسّر اللغويّون كلامهُ . رابعاً لان لفظة «الشبر» منقولة عن السريانية ومعناها فيها اما الانجيل واما القربان (المشرق ٢٣ : ٤٤١)

س . وسأل آخر ما سبب تعييد الروم الكاثوليك لعيد حبل العذراء بلا دنس في ٩ كانون الاوّل على خلاف بقية الكنائس المحتفلة بهِ في ٨ منهُ ؟

عيد الحبل بلا دنس في ٩ ك ١ عند الروم الكاثوليك

ج . اجبنا على هذا السؤال في العدد الاوّل من المشرق من سنته الاولى (ص٤٧) حيث بيّنّا انّ الروم سبقوا الى الاحتفال بهذا العيد في ٩ ك ١ اما اللاتين فجعلوهُ في ٨ منهُ بناء على رؤيا لاحد النسّاك ولتتمّة التسعة اشهر بينهُ وبين ميلاد العذراء ل . ش

المشرق

من لبنان الى رومية

رحلة حضرة الاب اغناطيوس التوري رئيس الرهبانية اللبنانية العام

الى عاصمة الكثلكة بمناسبة السنة اليوبيلية ١٩٢٥

بقلم حضرة الاب بطرس ساره رئيس دير الرهبان البلديين في بيروت

توطئة في علاقات الرهبانية اللبنانية مع الكرسي الرسولي

يحسن بنا قبل الشروع بهذه الرحلة ان نقدّم عليها بمثابة توطئة لها كلمة في ما للرهبانية منذ نشأتها من العلاقة مع الكرسي الرسولي مرجع جميع الرهبانيات القانونية وفي سفر بعض الرؤساء العامّين الى رومية لاجل عرض بعض الشؤون ورفع واجب الخضوع والاجلال لنائب السيد المسيح

ان لعناية الله القدوسة اثرَها في جميع المؤسسات والاعمال الخيرية التي غايتها تمجيد الله وتكميل الطبع البشري بمقدار ما وُهب له ليكون الانسان صالحاً للعمل على خلاص نفسه وافادة ابناء جنسه. ومن اظهر آثار تلك الغاية الربانية في هذه البلاد الشرقية انشاء الرهبانيات ونموها وانتشار الرسالات فيها صوناً لوديعة الايمان واغناءها في قلوب المؤمنين. فما نشأت الرهبانية في لبنان في الوادي المقدس تحت نظر ورعاية ذلك البطريرك العلامة الدويهي في السنة ١٦٩٥ وما بدأت علاقاتها مع رومية حتى مدّت اليها الكنيسة على مثال الام الرؤوم يد مساعدتها شاملةً اياها بعين عنايتها اليقظى. فخصّص لها المجمع المقدس سنة ١٧٢٤ في عهد البابا اقليمس الحادي عشر دير مار بطرس ومرشلينوس كمدرسة يتعلم فيها الرهبان العلوم السامية. وقد زار البابا نفسه كنيسة

هذا الدير في ٨ تشرين الاول ١٧٠٧ وترأس الصلاة مع الرهبان المصلّين في الخورس متكئاً على عكاز باقٍ الى الآن في ذلك الدير اثراً جميلاً محفوراً عليه ذكر تلك الزيارة. وما زال الكرسي الرسولي يوجه الى الرهبانية عنايته الابوية اذ يرسل اليها من قبله زائرين رسوليين لتفقُّد شؤونها كلما دعت الحاجة ويغمرها بالنعم الروحية والمادّية اسوةً بغيرها من الرهبانيات القانونية الكبرى. ومن طالع التاريخ وقرأ البرآت والرسائل الموجهة الى رؤساء الطائفة والرهبانية في هذا الشأن عرف ما بذله ويبذله الكرسي الرسولي من الجهود في جنب الرهبانية دفاعاً عن حقوقها ومنعاً لكل خطر يهدّد كيانها

وتمكيناً لاساس بنيانها وتعزيزاً لها سافر الاب مخايل اسكندر الاهدني الى رومية لاجل تثبيت القوانين والفرائض وكان اول الرؤساء العامّين الذين أمّوا عاصمة الكثلكة بعد نشأة الرهبانية . وكان سفره في اواخر ايلول من السنة ١٧٢٧ ونفقة سفره ٢٣٠ قرشاً. واقام في رومية خمس سنين ساعياً للحصول على مراده الذي ناله في ٣١ آذار من السنة ١٧٣٢ اذ تنازل الحبر الاعظم البابا اقليمس الثاني عشر واثبت قانون وفرائض الرهبانية بموجب برآة رسولية اثباتاً غير منفكّ للذكر المؤبد وهي معلقة في آخر كتاب القانون المطبوع في رومية سنة ١٧٣٥ باللاتيني والكرشوني(١)

وفي اواسط شهر حزيران سنة ١٧٤٠ تقرر بجمع المدبرين وجوب سفر الاب العامّ توما اللبّودي الى رومية لزيارة دير الرهبانية فيها وقضاء بعض الشؤون والتماس تثبيت المجمع اللبناني وردّ بعض الرشايات. وكان سفره في اواخر ايلول ومعه كتب توصية من بعض السادة المطارين ومن المدبرين انفسهم ومن الامير ملحم شهاب حاكم البلاد العام

وفي ربيع السنة ١٧٤٣ سافر الاب العامّ ارسانيوس عبد الاحد الحلبي الى اوربا لجمع الاحسان للرهبانية وعهدَ بادارة الرئاسة الى الاب موسى هيلانه الشامي

ولم يذكر لنا تاريخ الرهبانية قبل القسة سفر واحد من الرؤساء العامّين غير هؤلاء الثلاثة . وانما سافر الى رومية بعض افراد من مدبّرين ورؤساء قبل قسة

١) راجع تاريخ الرهبانية عدد ٣٦ ص ١٧٤ والمجمع اللبناني

الرهبانية الى بلدية وحلبية وبعدها قد اغفلنا ذكرهم اذ قصرنا الكلام على الرؤساء العامين

اما بعد القسمة التي تمت سنة ١٧٦٨ فلم يسافر الى رومية قبل الرئيس العام الحالي غير اثنين هما الاب مرتينوس الفطاوي الذي رأس الرهبانية مدة خمس عشر سنة من السنة ١٨٧٥ الى السنة ١٨٩٠ وقد انشأ دير سيدة النصر الفخم في نسبيه غير بعيد عن سيدة لبنان من الجهة الشرقية. والثاني الاب مبارك المتيني (١ الذي تسنى رئيساً عاماً من المجمع المقدس في ١٥ نيسان ١٨٩١ ثم تجدد له الانتخاب في مجمع قانوني سنة ١٨٩٤ وقد سافر الى رومية مع وفد مؤلف من بعض اساقفة الطائفة بعد ان حضر المجمع القرباني في القدس الشريف سنة ١٨٩٣ ولقي من قداسة البابا لاون الثالث عشر وجميع رؤساء ودوائر الفاتيكان كل رعاية واكرام

سفر حضرة رئيسنا العام من بيروت الى الاسكندرية

لما ذرت شمس السنة المقدسة واخذ الناس يؤمون عاصمة الكثلكة دعا الواجب حضرة الرئيس العام الحالي صاحب هذه الرحلة الاب اغناطيوس التنوري المشهور بتقواه ونسكه رتقانيه الى التشرف بالاعتاب البطرسية لرفع واجب الخضوع لامام الاحبار والتماس البركة الرسولية ولقضاء بعض المهام التي تعود على الرهبانية بالفائدة. فسار على رغم ما فيه من الرغبة في التحصن بالعزلة في صومعته يصحبه حضرة الاب الملفان مرتينوس طربيه الوكيل العام الذي رأينا ان نعتمده في هذه الرحلة ونلخص بعض ما كتبه عنها وان لم يمكنه الاسراع في السفر وضيق الوقت من التبسط في وصف ما شاهده قال: « مخرت بنا السفينة من بيروت الساعة الثامنة صباح ١٢ نيسان فوصلنا حيفا الساعة الثالثة زوالية فالقينا التحية التي كنا اتينا بها من سيدة لبنان على سيدة الكرمل سلطانة البحر القائم ديرها على قمة ذلك الجبل كمقل حصين

وبعد ان رست السفينة مدة اقلعت الساعة العاشرة وجهتها يافا ونزلنا الى البر على زورق ارسله الينا حضرة وكيل الانطوش الذي كان بانتظارنا على الرصيف مع بعض الوجوه فسرنا واياهم الى الانطوش حيث جاء جمهور من عيون الطائفة يسلمون على

(١ طالع ترجمته التي نشرناها في المشرق (٢٠[١٩٢٢]: ٨٥٣)

الرئيس العام وفي مقدمتهم حضرة الخوري ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني الـذي كان يلقي الرياضة السنوية على الشعب. وما كنا نسمع من الجميع الّا الثناء العـاطر على حضرة وكيل الانطوش الاب بطرس فرنسيس لبعا لما يبذله من الغيرة والتفـاني في تدبير رعيته التي هو لها خير مثال بحسن مسلكه وتقواه. دخلنا الكنيسة فبهرتنـا انوارها الكهربائية واعجبتنا نقوشها والوانها الجميلة. ونحو الساعة التاسعة أقبل قنصل الدولة الافرنسية الى حضور القداس في ثاني الفصح بحسب العـادة. فلم نتمكن من الاشتراك بتلك الحفلة اذ اتى رسولٌ يدعونا بالاسراع الى الباخرة لان البحر آخذ بالهياج وميناء يافا مشهور امرها. فركبنا زورقاً سار بنـا على رؤوس الامواج الثائرة التي هي اشبه بجبال شامخة قد انفرجت ما بينها وديان عميقة وما صدّقنا ونحن بين رفع وخفض في ذلك الزورق الخشبي أن نجونا من الغرق ووصلنا البـاخرة التي اقلعت الى الاسكندرية الساعة الثانية زوالية. وكان البحر لا يزال هادئاً حتى تجاوزنا بورسعيد حيث قناة سويس فاشتدّت الانواء ولعبت بالباخرة فاصاب الرئيس العام دوار الزمه الفراش الى ان قربنا من الاسكندرية فهدأت الزوبعة ونزلنا الى البرّ وزرنا بطركخانة الموارنة حيث التقينا بحضرة الخوري يوسف الحصري والخوري لويس ملحه والخوري يوحنا الحائك. فجُلنا في اسواق المدينة وفي خارجها فاذا بينها وبين بيروت بونٌ شاسع من حيث اتساع الطرق وفرشها كلها بالاسفلت او البلاط ومعظمه من الحجر الاسود. والحركة فيها كثيرة يبلغ عدد سكانها ٣٥٠ الفاً ونحو الستين الفاً منهم ايطاليان

من الاسكندرية الى نابولي

ثمّ سرنا من الاسكندرية في ١٦ نيسان ووجهتُنا متينة فنابولي وكان البحرُ هادئاً لكن ما لبثت ان هبّت زوبعة اثارت الامواج علينا جبالاً فاستولى الذعر على الركاب واصابهم دوار شديد وتأخر سير السفينة من احد عشر ميلاً في الساعة الى ٩ اميال. ولم يحضر على المائدة من الخمسة والستين راكباً الذين كانوا في الدرجة الثانية اكثر من عشرة والباقون لازموا اسرّتهم ومن جملتهم الرئيس العام ودامت الحال على هذا المنوال اكثر من ثلاثين ساعة. ولمّا بلغ نصف ليل الاحد اخذت الانواء تخفّ رويداً رويداً الى ان قربنا من جبال ايطالية المعروفة بجبال كلابريا فسكن النوء وهـدأ

روع الركاب وسارت الباخرة سيرها العادي حتى وصلنا قبالة راجيو (Reggio) عشاء الاحد فكنت تراها والجبال المحيطة بها شعلةً او كتلة من نار لكثرة ما أوقد فيها من الانوار الكهربائية وهي تمتدّ على شاطئ البحر على مسافة لا تقلّ عن المسافة التي بين بيروت والمعاملتين. وفي ضواحيها قرى متتابعة تبعد الواحدة عن الاخرى كيلومترًا او كيلومترين. ثم أطلّت علينا جزيرة كبري (Capri) المشهورة بجودة خمرها وهي جزيرة صغيرة لا تبعد عن البرّ سوى بضع كيلومترات يعيش اهاليها من ريع كرومهم ومن صيد السمك

ثم ظهرت لاعيننا متينة الشهيرة بما حدث فيها من الزلازل في ك ١ سنة ١٩٠٨ (١) والآن قد عادت بفضل ما بُذل لها من المساعدات الى ما كانت عليه. وصلناها الساعة العاشرة من ليلة الاثنين ٢٠ شباط فرست فيها الباخرة ساعتين ثم سارت الى نابولي مارّةً تجاه بومباي الشهيرة بآثارها الرومانية المستخرجة من تحت الحُمَم التي بسطها عليها بركان الفازوف ثم بمعجزات البتول وقد اشتهرت عبادتها في اصقاعنا. وبين نابولي وبومباي نحو ساعة ونصف فقط وفي منتصف هذه الطريق الجبل فازوف الناري على بعد ٨ كيلومترات من الجنوب الشرقي من نابولي تعلو قمّتهُ فوهةٌ يتصاعد منها الدخان في الفضاء ثمّ ينحدر الى اسفل الجبل فيصافح موج البحر ممتزجاً به. وتجيش احشاء ذلك الجبل حيناً بعد آخر ويخرج منهُ لهيب نار لا يعتّم ان ينطفئ ويُعقبه دخان قاتم تخيف هيئتهُ كلّ ناظر اليه

وصلنا نابولي الساعة الخامسة زوالية من نهار ٢٠ شباط وكان بانتظارنا على المرفأ حضرة الاباتي لويس عبيد الانطوني الذي اتى من رومية لملاقاتنا اذ كان ابرق اليه حضرة الاب يوسف الخوري العراموني نائب الرهبانية الانطونية الذي سافرنا واياه من مدينة بيروت وكان انيسنا هو ورفيقاه الابوان اوجين الوكيل العام وبولس العراموني مدة رحلتنا هذه. ولمّا نزلنا الى البر تجولنا قليلًا في المدينة وزرنا بعض كنائسها الفخمة. ونابولي تُعدّ اكبر مدينة في ايطاليا بعدد سكانها الذين يبلغون سبعمائة وأربعين الفًا. اسواقها واسعة منها ما تتجاوز فسحتهُ الثلاثين مترًا والاربعين. وساحاتها عديدة فسيحة الارجاء. وكلها مرصوفة بالحجارة والاسفلت وعلى جوانبها الاشجار

١) اطلب وصفها في المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ٦٧-٧٢)

والانوار الكهربائية مناوها جميل ممتد على مسافة ساعتين ونصف بهيئة دائرة

بلوغنا الى عاصمة الكثلكة

ركبنا القطار من نابولي نصف الليل مع من تقدَّم فوصلنا رومية الساعة السادسة صباحاً وكان حضرة رئيس الرهبانية الحلبية العام الاب جبرائيل الشهالي قد تلطَّف فاوفد اثنين من آباء رهبانيته يدعو رئيسنا العام الى النزول في ديره برومية فاتينا الدير ولقينا من أُنس حضرة آبائه الافاضل وكرم اخلاقهم ومحبتهم ما ابقى لهم في قلبنا اجمل ذكر . وكنَّا في ضيافتهم على الرحب والسعة مدة اقامتنا في عاصمة الكثلكة

وكنا نرى الوفود ترد رومية يوميًا بالالوف آتيةً من اربعة اقطار المعمور وما اجمل واجهى منظر اولئك الزائرين ينتقلون من كنيسة الى كنيسة تتقدم كلَّ جماعة منهم رأيتُها المختصة بها وعلى رأسها اسقفٌ او رئيس اساقفة او احد الكرادلة وجميعهم ماشون صفوفاً بالتراتيل والاناشيد وعلامات التقوى بادية على وجوههم . يدخلون الكنائس مترنمين بمدائح السيد المسيح ووالدته العذراء صارخين باعلى اصواتهم : «ليحيَ البابا» فكانت نفسنا تهتزّ طرباً وصدرنا يثلج لما نراه فيهم من مظاهر العبادة ودلائل الايمان المكين . ومما ألفت نظرنا حسن الترتيب والهدوء السائد بين اولئك الجموع الغفيرة وهيئة الاحتشام التي كانت ظاهرة بملابس السيدات والاوانس فاننا لم نكن نرى واحدةً منهن الّا وهي بملابسها الكاملة الدالّة على الحشمة والاداب المسيحية مما يُخجل بعض سيدات بلادنا واوانسنا المولعات بالتبرُّج والازياء الخلاعية المجحفة بحرمة الدين والادب

امّا ما لقيناه من الغرائب والاتقان في كنائس رومية الكبرى فيعجز القلم عن وصفه . فقد زرنا معظم الابنية الفخيمة القديمة والحديثة مثل الكنائس الاربع الكبرى وقصر القياصرة وملعب الحيوانات ومحل الخطابة للرومان وديماميس الشهداء ومعرض الرسالات الكاثوليكية وشاهدنا ما هنالك من التماثيل البديعة والآثار الجميلة وكانت تلك المشاهد الغريبة تؤثّر فينا اشدّ تأثير واجمل ذكرى (١

وقد قابلنا مرّتين نيافة الكردينال تاتشي رئيس المجمع للقدس وعرض لـه

١) راجع وصف هذا المعرض في المشرق في عدد كانون الاوّل (ص٨٨١-٨٩٢)

الرئيس العام بعض شؤون رهبانية من جملتها واخصها دعوى رجلي الله الايوبين نعمة الله الحرديني وشربل (١ حبيس مار مارون عنايا . وقد وعد نيافته بالمساعدة وبعرض دعواهما على قداسة البابا . واخذ بعين الاعتبار والاهمية كلّ ما عرضناه لديه وكان مرتاحاً تمام الارتياح الى سماع كل ما يختص بمصالح الرهبانية مبدياً اهتمامه وعنايته الابوية في تقديم جميع الوسائل اللازمة لانجاحها وازدهارها

ومما رأينا وسمعنا وتحقق لنا ان لحضرة الرئيس العام في رومية من شهرة الفضل ما له في مواطننا بل ازيد

مقابلة قداسة البابا

وفي الرابع من شهر ايار الجاري مثلنا لدى امام الاحبار البابا بيوس الحادي عشر . وكان تأثير تلك المقابلة في انفسنا ما لا يفي به وصف لسان اذ شعرنا اننا ماثلون امام من تمثّل فيه شخص السيد المسيح الذي هو نائبه على الارض ومَن بيده اعظم سلطان وقوة ادبية . وقد ساد من حول مقامه الرفيع السلام الذي انما هو بشيره ورسوله في بحر هذا العالم الكثير العواصف والمتلاطم الامواج . وما وقع نظر قداسته الابوي علينا حتى آسرَ قلبنا وسحر لبّنا بما تجلّى فيه من حلم ومهابة وخفض جناح . فصادفنا لديه من الرعاية واللطف ما لم نكن نحلم به

وبعد ان قدم الرئيس العام باسمه وباسم الرهبانية واجب الخضوع والاحترام والمحبة وبيّن ان هذه هي غاية مجيئه رومية بدأ يعرض بعض الشؤون المختصة بالرهبانية ذاكراً لمحة من تاريخ تأسيسها وما لها من الخدم في جنب الطائفة فقاطعه قداسته قائلاً : « قد عرفتُك من قبل ان اراك ولديَ معلومات جيدة عنك وعن رهبانيتك فلستُ اجهل ما لك من فضيلة وما لها من تقدّم وخدَم » . واراد الرئيس العام ان يذكر عدد ابناء الرهبانية والاخوة الدارسين فيها فبادره قداسته وقال : « انني واقف على عدد رهبانك والاخوة الدارسين في دير سيدة المعونات في جبيل وفي مدرسة الرهبانية التابعة المدرسة الكلية للآباء اليسوعيين في بيروت ومعارف بعدد المبتدئين » وذكر عدد كل من المبتدئين والدارسين وقال : « اعلم فوق هذا انكم قد

١) . راجع المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٦٠٥ و ٢٠ [١٩٢٢] : ٢٨١-٢٩٧)

فتحتم مؤخراً مدرستين لتعليم الناشئة اللبنانية ويسرني ان اذكر ما لكم من الغيرة على خلاص النفوس وان كثيرين من ابناء رهبانيتكم يعظون بكلمة الله وانكم باذلون غاية المجهود في تربية شبيبة الرهبانية »

وكان قداسته يقول هذا ووجهه يطفح سروراً وبشراً. فالتمس منه الرئيس العام « ان يتنازل وينظر في امر تطويب بعض رجال الله الذين عاشوا في الرهبانية بالقداسة وماتوا برائحتها مثل الآباء نعمة الله الحرديني وشربل ودانيال وأمة الله الراهبة رفقة رحال من حملايا. مبيناً ان سيرتهم الممتازة بالتقوى والفضيلة واجسادهم السالمة من الفساد وكثرة المعجزات التي تتم بشفاعتهم كشفاء عميان ومقعدين وغير ذلك من الامراض التي عجز عنها الطب كما تقرره الشهادات الكثيرة ، كل ذلك دليل واضح على قداستهم حمل الشعب اللبناني على اختلاف مذاهبه ان يتقاطر من كل الجهات الى زيارة اجسادهم والتبرك بها والاستشفاء بشفاعتهم . وكثيراً ما انعم الله بالاشفية العديدة على يدهم . فيكون والحالة هذه تطويبهم عائداً على نمو الدين الكاثوليكي وتعزيزه في بلادنا المشرقية »

فتلطف قداسته وقال : « اننا راغبون من صميم الفؤاد في اجابة ملتمسك هذا فعليك ان تقدم الى المجمع المقدس ورئيسه الكردينال تاتشي افادة واضحة جلية عن الحوادث الواقعية المتعلقة بحياة من ذكرتَ وبالعجائب التي تمت بشفاعتهم والمجمع يعرض الامر علينا لننظر فيه . » ثم سأل قداسته : « من اي عهد توفي اولئك الابرار ؟ فاجاب الرئيس العام : « كانت وفاة احدهم منذ ستين سنة والثاني من اربعين والثالث من ست وعشرين والراهبة من نحو احدى عشرة سنة . وانني قد عاشرت احدهم الاب شربل وشاهدت بامّ العين فضائله الممتازة . » فتبسم قداسته وقال : « انها لشهادة في حقه ثمينة جداً » . ثم قال ينبغي الاسراع في رفع دعواهم ما دام معاصروهم في قيد الحياة فيسهل اذ ذاك تقديم الشهادات العيانية » . فقال الرئيس : « ان مالية الرهبانية لاتطيق نفقات دعاوى التطويب فألتمس مساعدة قداستكم » . فتبسم قداسته وقال : « اننا نساعدك ما استطعنا فداوم الاجتهاد والسير انت ورهبانك في طريق النجاح وعربوناً لرضانا نمنحك وإياهم البركة الرسولية . »

ثم قام الى خزانة امامه واخرج منها ايقونات فضية ونحاسية جميلة ودفعها الى الرئيس

العام دلالة عطف ورضى سام فاخذها حضرته وقال : « ان غبطة السيد البطريرك كلّفني ان ارفع لعرشكم الاسمى فريضة احترامه وحبّه وتعلقه الوثيق بسدّتكم الرسولية وان التمس له بركة قداستكم الخاصة» . فاشرقت أسرّة قداسته وقال : «اننا نمنحه بركتنا من صميم فؤادنا .» وعمد الى ايقونة نفيسة وقال : « تحملُ هذه مع البركة للسيد البطريرك ولشعبه الكريم .» فقال الرئيس : « اسأل قداستكم ايضاً ان تجودوا ببركتكم على جمهور مدارس الرهبانية وديورة الابتداء وعلى مدرستي ميفوق ومشموشة وكل من فيها من مديرين واساتذة وطلبة» فقال قداسته : «اننا نبارك همّ واعمالهم لتنمو وتكثر وتُضيء في لبنان» وانصرفنا من عنده وفي انفسنا من عواطف السرور والشكر والإعظام لجلال نائب السيد المسيح ما لا نستطيع وصفه بقلم ولسان . وقد عددنا العشرين دقيقة التي صرفناها في حضرته من أثمن اوقات الحياة واسعدها

الرجوع الى الوطن

وكنا نودّ البقاء في ام المدائن لحضور تلك الحفلات اليوبيليّة الشائقة التي اهتزّ لها العالم الكاثوليكي طرباً وابتهاجاً . لكنّا أسفنا كل الاسف لعدم تمكننا من حضور تلك الاعياد البهيجة لأشغالٍ اضطرّتنا الى العودِ مسرعين فغادرنا رومية وفي النفس ما فيها من جميع التذكارات وعظيم التأثير

وما لبثنا ان وصلنا الاسكندرية وكان سفرنا منها سهلاً بفضل شركة المصايف التي ضمنت لنا راحتنا مدة مسيرنا واوصلتنا باقلّ من ٢٤ ساعة الى بيروت . فنزلنا في مدرستنا الرهبانية حيث يتخرج اخوتنا الرهبان على حضرات الاباء اليسوعيين الافاضل في كلية القديس يوسف . فأقيمت حفلة ادبية ترحيباً بقدوم الرئيس العام . وبعد ان زار بعض المقامات توجّهَ الى بكركي يصحبه حضرات الاباء المدبّرين الاربعة . وما عرف اهل مدينة جبيل بقدومه حتى خفّ منهم فريق كبير للاقاته الى الضيعة وراكبه منها الى المقر البطريركي حيث مثل لدى ابي الطائفة الكلي الطوبى الذي احتفى به احتفاء أعطف الاباء على أبرّ الابناء . فقدّم الى غبطته هدية الاب الاقدس التي سبق الكلام عنها فاخذها غبطته وقبّلها شاكراً متأثراً . وبعد ان اختلى به مدةً مع السادة المطارنة ترك القصر البطريركي عائداً الى دير سيدة

المعونات يحفُّ به جمهور الملاقين. وحين وصل ساحة جبيل الكبرى كان بانتظاره عموم الاهالي وفي مقدمتهم مدير الاسكلة وهيئة البلدية فاستقبلوه بتصدية الاكف والدعاء. اما هو فسار توًّا بين جمهور الرهبان الى كتدرائية القديس يوحنا القديمة. ولما بلغ بابها الكبير أُفرغت عليه الملابس البيعية فدخل بين صفوف المرتلين وبعد ان صلّى باخبات ارتجل خطبة الشكر لله تعالى الذي وفقه في سفره ثم شكر للمحتفين والمرحبين بقدومه مبيّناً لهم عظمة وفخامة كنائس رومية المدينة الابدية داعياً بطول بقاء قداسة ابي المؤمنين وغبطة السيّد البطريرك

وبعد انتهاء الحفلة دخل بهو انطرش الرهبانيّة متقبلًا التهاني بين كؤوس المرطبات واهازيج الملاقين. ثم واصل سيره الى مقرّه في دير سيدة المعونات (١ حيث كان بانتظاره سيادة المطران بولس عقل الذي وفد عليه مسلّماً. وعند المساء لبس ذلك المقر حلة من نور تبهر الابصار. وفي اليوم الثاني الاحد قبل الظهر اقام له الاخوة الدارسون حفلة تكريمية تعدّدت فيها الخطب وبيّنت عمّا لابيهم الرئيس العام من المكانة والمحبة في قلوبهم فشكر لهم عاطفتهم هذه ودعاهم والرهبانية جماء الى رفع احرّ الادعية اليه تعالى لتأييد عرش الكنيسة المقدسة ونصرها على اعدائها ورفع منارها بين الامم

وكان الرئيس العام قد ارسل بعد رجوعه من رومية أثرًا (ذخيرة) من رجل الله الاب الحبيس شربل بقاعكفرا الى حضرة الخوري حنا روسو احد اعضاء المجمع المقدس فاجابه حضرته بتاريخ ٢٥ تموز سنة ١٩٢٥ وقد ابدى في رسالته عن شكوه الجزيل وعن غيرته ومحافظته على الرهبانية ومساعدته في تهذيب ابنائها وتربية مبتدئيها. ومما قال: « ان هذه الهدية تضطرني ألّا انسى قديسكم العزيز عبد الرب شربل بقاعكفرا فاني احفظها تحت تمثال السيّدة العذراء التي في غرفتي وبذلك اتمكن مشاهدتها كل يوم » ثم يفيد عن استعداد المجمع المقدس لسماع دعوى عبد الرب الحرديني وشربل ودانيال ورفقة. والغاية الان مبذولة لاجل تأليف لجنة محلية في بادئ الامر اعدادًا لرفع الدعوى الى المجمع المقدس. نسأل الله تعالى ان يرفع شأن كنيسته ويظهر في كل عصر ومصر مجده في قديسيه

١) لنا كلام في تاريخ هذا الدير نرجئه الى فرصة اخرى ان شاء الله

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٦ ابن ابي الخير سلامة الدمشقي

﴿اصلهُ دينهُ زمانهُ﴾ هو ايضاً احد الشعراء النصارى الذين نظمهم في تراجمهِ عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر. على انهُ لم يزد في تعريفهِ لهُ على سطرين فقال (Ms de Paris 1414, ff.71r et Ms de Leiden, 245, n° 71): «هو ابو الحسن بن ابي الخير سلامة كان نصرانيًّا من اهل دمشق وكاتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر فيهِ ادب وذكاء»

فمن هذه الالفاظ القليلة يظهر اوّلاً اصلهُ فانّهُ من اهل دمشق. ثم دينهُ النصراني وزمانهُ اذ عاش في الفصل الثاني من القرن السادس للهجرة. يتقرّر ذلك من كونهِ كاتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر. ولكن من هو تاج الملوك ومن هو الملك الناصر؟ اذ لم يزد العماد في هويّتها وقد عُرف غيرهما بتاج الملوك وبالملك الناصر فبقينا مرتابين في امرهما الى ان تحقّقنا انّ تاج الملوك هذا هو اخو الملك الناصر يوسف بن أيوب الشهير بصلاح الدين فاتح الشام والجزيرة ومصر المولود سنة ٥٣٢ هـ والمتوفى سنة ٥٨٩ (١١٣٨ــ١١٩٣م). وكان للسلطان صلاح الدين عدّة اخوة اشتهر منهم الملك العادل سيف الدين ابو بكر. وكان اصغر اخوتهِ تاجَ الملوك هذا واسمهُ تاج الملوك بوري تبع اخاهُ صلاحَ الدين لمّا خرج من مصر قاصداً فتح الشام والجزيرة. فبلغ الى الكرك وسار الى الحمى فاقرّ اخاهُ تاج الملوك على الناس وامرهُ بان يسير بهم يمنةً. ثمّ لحقوا بالسلطان بعد اسبوع بالازرق وهو ماء في طريق حاجّ الشام وذلك في اوّل سنة ٥٧٨ (١١٨٢م) هذا ما رواهُ شهاب الدين المقدسي في كتاب الروضتين

ثم مشى في خدمة اخيهِ السلطان لفتح بلاد نور الدين زنكي وحاصر معهُ الموصل وكان صاحبُها عماد الدين زنكي بن مودود قال ابن شدَّاد في تاريخ صلاح الدين : «ونزل تاج الملوك بوري اخو صلاح الدين على باب العمادي وجرى بينهم القتال ففُتحت الموصل . ثمَّ عاد السلطان الى حلب فحاصرها وفتحها في صفر سنة ٥٧٩ (١١٨٣م)».

قال ابو الفداء في تاريخهِ : «وكان في جملة من قُتل على حلب تاج الملوك بوري بن ايوب اخو السلطان الناصر . وكان كريماً شجاعاً طُعن في ركبتهِ فانفكَّت فمات منها» . وقال ابن شدَّاد في سيرة صلاح الدين : وشقَّ امرُ موتهِ على السلطان وجلس للعزاء . . .

ففي خدمة تاج الملوك هذا كان ابن ابي الخير سلامة النصراني كاتباً وكان مقيماً في دمشق وطنهِ كما يلوح من شعره

ولنا في تعريف زمانهِ انَّ عماد الكاتب ذكر تاريخ بعض شعرهِ في السنة ٥٧٢ (١١٧٦م) لكنَّهُ لم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ رأيت في ما قالهُ عماد الكاتب انَّ ابا الحسن بن ابي الخير سلامة «كان فيهِ ادب وذكاء» ثمَّ روى لهُ عدَّة قِطَع شعريَّة فاتَّبع بروايتها على خلاف عادتهِ في وصف معظم الشعراء الذين ذكرهم . وبين قصائدهِ ما قالهُ في تاج الملوك سيدهِ ومنها يتَّضح انَّهُ لم يكن فقط كاتباً بل كان شاعرًا ايضاً مقرَّباً من الملوك . ولعلَّهُ صنَّف ديواناً وقف عليهِ العماد الاصفهاني فنقل عنهُ المقاطيع المذكورة التي تشهد لهُ بحسن القريحة وسلامة الذوق . فممَّا نقلهُ قولهُ يمدح تاج الملوك من ابيات صنَّفها في زمن الربيع (من البسيط) :

تاجَ الملوك ادام اللهُ نِعمتَهُ ... أسخى البريَّةِ من عُجمٍ ومن عَربِ
مولًى أياديهِ في ارضٍ يَحُلُّ بها ... أجدى واحسنُ آثارًا من السُّحُبِ
تفتَّحَ النَّورُ فيها من أناملهِ ... فتنجلي منهُ في أثوابهِ القُشُبِ
حتى ترى روضَها يحكي مواهبَهُ ... فالبعضُ من فضَّةٍ والبعض من ذهبِ

ولهُ من قصيدة بعث بها اليهِ في الربيع (من السريع) :

مولاي مجدُ الدين قد عاوَدَتْ ... دِمَشقَ من بعدك أشجانُها

نَيْرَبُها (١ قد مات شوقاً الى م المولى ووادِيها ومَيْدانُها
مالت اليهِ في بساتينها من شدَّة الأشواق اغصانُها
وأقسمَتْ من بعدهِ لا صَحَا من لَوْعة الأشجانِ نَشْوانُها
ومَاسَ من اشواقهِ (٢ آسُها واهتزَّ اذ بانَ له بانُها
وغنَّتِ الاطيارُ من شَجْوها واختلفت في الدَّوح الحانُها
واصفرَّ في الروضةِ مَنْثورُها من شوقهِ واخضرَّ رَيْحانُها
رَقرقَتِ الدمعَ عليهِ كما ترقرقَتْ بالماء غُدْرانُها
فلا خَلا يا خيرَ هذا الورى بُطْنانُها منك وظُهْرانُها
تلك هي الجنَّةُ لكنها مذ غِبْتَ عنها غابَ رِضْوانُها

(قال) ولهُ فيهِ وقد وعدَهُ بخلعةٍ (من البسيط) :

يا مَنْ لهُ الشكرُ بعد الله مفترَضٌ عليَّ ما عشتُ في سرّي وفي عَلَني
ان كان غيرُكَ لي مولًى أُؤَمِّلُهُ وأَرْتجيهِ فكانت خلعتي كفني

(قال) ولهُ يقتضيهِ بالخلعة وقد عزم على السير الى العسكر المنصور (من المجتث) :

مولايَ جُدْ لي بوَعْدي من قبل سَيْر الركابِ
أَنعِمْ عليَّ بثوبٍ تَرْبَحْ جزيل ثوابي
ثوبٌ تكاملَ حُسناً كخُلقك المستطابِ

١) قال ياقوت في معجم البلدان (٩: ٨٥٥) : « نيرب قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين اثره موضع رأيتهُ »
٢) في الاصل : اسواقهِ

كـأنهُ زَمَنُ الوصلِ م في زمان الشبابِ
وفُوطَةٌ مِثْـلُ شِعْري رقيقةٌ او شرابي
طويلةٌ مثلُ ليلي لمـّا جَفـا أحبابي
كأنّهـا رمَضـانٌ اذا اتى في آبِ

قال العماد: ومن محاسنهِ في تاج الملوك (من مجزوء الكامل):

يا حبّذا ابواهُ اذ ولداهُ من كرَمٍ وخيرِ
وكذاك قد يُستَخرَجُ م الدُّرُّ النفيس من البُحورِ
والشمسُ من انوارها يبدو سَنا القمر المنيرِ
ما زال منـذ فِطـامهِ في عَقْل مُكتهِلٍ كبيرِ
مولًى حَوى سِنَّ الاكا بِرِ وهو في سنّ الصَغيرِ
ولقد رقَى درَج الأوا ئلِ وهو في الزمن الاخيرِ

وقال فيهِ ايضاً يستجديهِ (من الكامل):

يا من يَعُمُّ سماحُـهُ ونَوالُـهُ كرَماً كما عمَّ السحـابُ المُمطِرُ
ويفوح ما بين الأنام ثنـاؤهُ فكأنهُ في كلّ حينٍ عَنبَرُ
اني شَقِيتُ وفي ظِـلالـك أنعُمٌ ولقـد ظَمِئتُ وفي يمينك أبحُرُ
ولقـد ذللتُ وانتَ حصنٌ مانعٌ ولقـد ضللتُ وانت بـدرٌ نيّرُ
اغنىَ جـداكَ الناسَ الّا فـاتني فالله يُغني مَن يشاء ويُفقرُ
فلئن نظرتَ اليَّ نظرة مُجمِلٍ فلأنت أولى بالجميل واجدَرُ

ثم قال عماد الدين صاحب الترجمة . ومدحني (اي ابن ابي الخير) وهي في حُسْن

الفريدة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين (وخمسمائة) (١١٧٧م) (من الكامل) :

أمُطيلَ عَذْلي في الهوى ومُفنّدي ... هل انت من غيّ الصَّبابة مُرْشدي
هيهاتِ ما هذا الكلامُ بِزاجري ... فأنقُصْ أبيتَ اللعنَ منهُ او زِدِ
انت الفِداءُ ومَن يلومُ لشادنٍ ... انا في هواهُ مضلّلٌ لا اهتدي
يجلو لعينك غرّةً في طُرّةٍ ... فيُريك احسنَ ابيضٍ في اسودِ
يسطو على عشّاقهِ من قدّهِ ... وجفونهِ بمثقّفٍ ومهنّدِ
قمرٌ يَظَلُّ الماءُ في وَجناتهِ ... والنارُ بين ترقرُقٍ وتوقُّدِ
ومن العجائب أنّ نارًا خالطَتْ ... ماءً وانّ ضِرامَها لم يخمُدِ
وكذاك ماءُ الدمع إنْ تَنضَحْ بهِ(١ ... نارَ الصبابة والأسى تتوقّدِ
فصبابتي لمّا تَخِفّ وأدمعي ... لمّا تَجِفّ وزفرتي لم تَبرُدِ
كم بتُّ ارعى الفَرقدَيْن كلاهما ... شغفاً بمن يرنو بعينَيْ فرقدِ
آليتُ ارقدُ في هواهُ ومن يكن ... ذا لوعةٍ وعلاقةٍ لم يرقُدِ
علّ الليالي يكتسينَ بشاشةً ... يوماً فتنجز بعد مَطْلٍ مَوْعِدي
ان رقّ لي بعد القساوةِ قلبهُ ... فالماءُ يقطر من صِفاح الجلمدِ
فاجعلْ لحاظك في محاسنِ وجههِ ... ان تستطعْ نظرًا اليهِ وردّدِ
تنظر الى الانوار بين مُمسّكٍ ... ومُثبّجٍ ومُبرّجس وموَرّدِ
فكأنها نَوْرُ الربيع اذا بدا ... او حسنُ خطِّ محمّدِ بن محمّدِ(٢
هذا عِماد الدين والدنيا معاً ... وملاذُ كلِّ مؤمّلٍ او مجتدي

---

١) ويُروى : أنضَح ٢) هو اسم الممدوح عماد الدين الاصفهاني

هذا الذي ما أُغلقت بوابُهُ ... من دون مُستَجدٍ ولا مُستنجِدِ
هذا الذي أحيا العلوم واهلَها ... بعد الرَّدى والعرفُ إحياءُ الردي
وابانَ منها كلَّ نهجٍ دارسٍ ... دَرْسَ الرسوم من الديار الرُّصَّدِ(١
بيضاءَ حسنٍ ما دَجَتْ الّا بدا ... فأضاءَ مثلَ الكوكبِ المتوقِّدِ
لو عاش حينئذٍ فرامَ تشبُّهاً ... عبدُ الحميد(٢ بخطِّهِ لم يُحمَدِ
يَقِظٌ لهُ القلمانِ في انشائهِ ... وحُسامهِ في مَصدرٍ او مَوردِ
انْ حاول الانشاءَ يوماً ما فَيا ... ناهيك من درٍّ هناك منضَّدِ
ويُضمِّن اللفظَ البديعَ مَعانياً ... اشهى من الماء الفرات الى الصَّدِي
وكأنَّ خطَّ حسامهِ في طرسهِ ... شعرٌ تَنَمَّمَ في عوارضِ أغيَدِ
لو قُلِّد الدنيا كفاها وحدَهُ ... في الحالتَينِ ولم يُرِدْ من مُسعِدِ
واقام منتهضاً بكل عظيمةٍ ... منها وقوَّم كلَّ ما متأوِّدِ
هذا واما الفقهُ فهو إمامُهُ ... فبمامهِ في الفقه كلُّ مُقتدي
فلوَ انَّ اسعد عاش بعد وفاتهِ ... يوماً فاجلَهُ(٣ بهِ لم نسعدِ
واذا انبرى للشعر خلتَ قريضَهُ ... خوانقَ درٍّ في نحور الخُرَّدِ
شعرٌ ترشَّفهُ النفوس كأنَّهُ ... نقطُ الحبيب مقرَّرًا للموعدِ
او طيبُ وَصلٍ بعد كَرْدِ قطيعةٍ ... من ذي انبساط بعد طول تحقُّدِ
واذا تفاخر بالأروم معاشرٌ ... فله العلاءُ عليهمُ بالمحتدِ
ما زال يخبر فضلَهُ بل نبلَهُ ... عن حسن شيمتهِ وطيب المَولِدِ

١) ويروى : الصُّدَدِ
٢) هو عبد الحميد ابو غالب صاحب الرسائل البليغة قتلهُ السفَّاح سنة ٢٣٢هـ(٨٤٧م)
٣) وفي الاصل . فاحلهِ

جَلَّ الذي اعطاكَ يا ابن محمَّدٍ ... في كلِّ فضلٍ باهرٍ طولَ اليدِ
اقسَمْتُ بالكرم الذي اوتيتَهُ ... اولاكَ ما اتَّضَحَتْ سبيلُ السؤدُدِ

وقال عماد الدين: وكتب اليَّ ايضاً (من الطويل):

ألا قُلْ لمن ذمَّ الزمانَ جهالةً ... وعنَّفَهُ في ما جناهُ وفنَّدا
دعِ العجزَ واهضِ غيرَ وانٍ الى امرئٍ ... يكُنْ لكَ فيما انت راجيهِ مُسعدا
فانَّكَ لم تبلغ من الدهر طائلاً ... فتحمدهُ حتى تزور محمَّدا
وانَّ عماد الدين امنعُ مَعْقِلٍ ... اذا ما رماكَ الدهرُ يوماً تمدَّدا
وأَسيَرُ هذا الناس فضلاً وسؤدُدا ... وأغزرُهم برًّا (١ واكثرهم ندًى.
تفرَّدَ إلَّا انَّهُ الناسُ كلُّهم ... وان كان في عَلْيائهِ قد تفرَّدا
مُعِزٌّ مُذِلٌّ مانحٌ مانعٌ مماً ... يُرجَّى ويُخشى واعدًا متوعِّدا
اذا ما رأى يوماً بإبعادهِ المدى ... اقام لخوف الانتقام وأقمدا
جديرٌ بحَلِّ الامر أشكلَ حلُّهُ ... برأيٍ بهِ في كلِّ عشواءَ يُهتَدَى
لهُ قلمٌ ما هزَّهُ في مُلِمَّةٍ ... من الدهر الَّا هزَّ سيفاً مهنَّدا
اذا انسَلَّ من بين الانامل خِلتَهُ ... يُنظِّم في القرطاس درًّا مبدَّدا
اذ ما رأى يوماً بعينٍ كحيلةٍ ... رأيتَ لديهِ ناظر الرمح ارمدا
وان يَتحرَّكْ يَسكنِ الخطبُ فادحاً ... ويبيضُّ وجهُ الرُّشد ان هو سُوِّدا
لأنت عمادُ الدينِ احسَنُ شيمةٍ ... واطيبُ هذا الناس اصلاً ومحتِدا
فلو جاز يوماً ان يُخلَّدَ سيِّدٌ ... كريمٌ بما أسدي لكنتَ المخلَّدا

١) وفي نسخة: واعوزهم ندًا

ومما استحسنهُ لهُ العماد الاصفهاني قولهُ (من البسيط) :

يا حبذا يومُنا والكاسُ ناظمةٌ نَظمَ الحُبابِ عليها شملُ احبابِ
ونحن بين أزهارٍ تَحِفُّ بانهارٍ م وما بين اقداحٍ وأكوابِ
والماء تلعبُ ارواحُ النسيم بهِ ما بين ماضٍ وآتٍ ايَّ تلعابِ
كأنهُ زَرَدُ الزَّغف السوابغ أوْ نَقشٌ لأطيارٍ(١ او تفريك اثوابِ

وروى لهُ ايضاً في الشوق ووصف الربيع (من البسيط) :

سَلِ الحبيبَ الذي هام الفؤادُ بهِ هل يذكر العهد انَّ العهدَ مذكورُ
أيام نأخذُها صهباء صافيةً يمسي الحزينُ لديها وهو مسرورُ
يَسعى بها غصنُ بانٍ في كثيبٍ نقاً لهُ على القوم ترديدٌ وتكريرُ
اذا اتاكَ بكأسٍ خلتَها قبساً يَسعى بهِ في ظلام الليل مقرورُ
يُعطيكهُ وهو ياقوتٌ ويأخذهُ اذا أشرتَ اليهِ وهو بلُّورُ
والارضُ قد نسجت ايدي الربيع لها وشياً تردَّت بهِ الآكامُ والثورُ
فالنبرُ مجتمعٌ فيها ومفترقٌ والزهرُ منتظمٌ فيها ومنثورُ
كأنَّ منثورها والعين ترمقهُ دراهمٌ حين تبدو او دنانيرُ
ما شئتَ من منظرٍ في روضها نَضِرٍ كأنما نَوْرُهُ من حُسنهِ نُورُ
نَظَلُّ اطيارها تشدو بها طرباً اذا تبدَّت من الصبح التباشيرُ
من بُلبلٍ كلَّما غنَّاكَ جاوبَهُ فيها هزارٌ وقُمريٌّ وشحرورُ
كأنما صوت ذي صَنجٍ يجاوبُه من ذاك ناي وذا بَمٌّ وذا زيرُ

(لهُ صلة

١) وفي الاصل : نقش اطيار

الطائفة السريانية والقنصلية الفرنساوية في بغداد

بقلم القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

يحقّ للسريان الكاثوليك في بغداد ان يفاخروا سائر الابرشيات السريانيّة الكاثوليكيّة بانضمامهم عامّةً وقبل اخوانهم في بلاد ما بين النهرين الى حظيرة الكنيسة الجامعة واعتبارهم رؤساءهم الروحيّين ومدافعتهم عنهم بغيرتهم ومسالمهم واصطناعهم المعروف والاحسان الى كل من قصدهم . وقد خلّفوا لهم ذكرًا طيّباً بمحاماتهم عن البطريرك مار اغناطيوس ميخائيل جروه يوم انهزم من ماردين الى بلدتهم خائفاً مذعوراً فبذلوا في سبيل إنجائه من خصومه جلّ المساعي وساعدهم على ذلك حضرة الموسيو روسو (J. F. Rousseau) قنصل الدولة الفرنساوية العامّ في تلك العاصمة . وها اننا نسرد للقرّاء تفاصيل تلك الحوادث اظهاراً لشهامة السريان البغداديين الكرماء واقراراً بفضل الدولة الفرنساوية ومعتمديها النبلاء.

١ً السريان في بغداد

ان السريان الشرقيّين او الكلدان كانت لهم الدرجة الاولى في حاضرة الخلفاء العبّاسيّين اذ كانت قاعدةً لجثالقتهم او بطاركتهم في القرون المتوسّطة . وقد اورد مؤرّخو السريان الغربيّين كميخائيل الكبير وابن العبري وغيرهما أخبارهم وادمجوا فيها حوادث جماعتهم السريانيّة مُلمين بذكر اساقفتهم وكتبتهم الذين اشتهروا برسوخ قدمهم في اصناف المعارف كلمازر بَرْسَبْتا اسقف بغداد في القرن التاسع الذي عزله بطريركه ديونيسيوس التلمحري عن كرسيّه سنة ٨٢٩ ويوحنا بن ماسويه السرياني الذي اشتهر في عهد هرون الرشيد وصنّف كتباً تدلّ على طول باعه (١ ويحيى بن عديّ بن حميد بن زكريا التكريتي المنطقي نزيل بغداد اليعقوبي النحلة († ١٣ آب ٩٧٤) (٢ وابي علي عيسى ابن زرعة الفيلسوف اليعقوبيّ (٣ احد المتقدّمين في علم

١) الطب تاريخ الدول لابن العبري (ص ٢٢٧)

٢) فيه (ص ٢٩٦) ٣) فيه (ص ٣١٥)

المنطق والفلسفة († ١٠٠٧) وغيرهم. وقد ذكر ابن العبري عينه في تاريخه البيعي السرياني اسماء غير واحد من بطاركة السريان ومفارنتهم الذين تعهدوا شؤون جماعتهم في دار السلام كديونيسيوس التلمحري († ٨٤٥) والمفريان اغناطيوس ابن قيقي الذي قصد القائم بامر الله (٩٩١ــ١٠٣١) فحاكمه وقرّر بانه ليس لسوى جاثليق النساطرة ان يركز في بغداد. وان للمفريان ان يتفقّد رعيته البغدادية تارةً فاخرى. والمفريان ديونيسيوس موسى الذي انحدر الى بغداد سنة ١١٤٢ لزيارة رعيته فاكرمه عبد يشوع الجاثليق واتحفهُ ببدلةٍ ومَضْنفةٍ وعكّازٍ. والمفريان اهرون ابن المعدني الذي ارتحل الى بغداد سنة ١٢٣٧. والمفريان غريغوريوس ابن العبريّ الذي زار مكيخا الجاثليق فاحتفى بهِ وأهدى اليه حلّة حبريّة بيضاء ثم نزل ثانيةً الى بغداد عام ١٢٧٣ ودشّن فيها لطائفته السريانيّة كنيسة جديدة وكرّس الميرون ورسم جملة من الشمامسة في كنيسة مار توما سنة ١٢٧٧

وبعد ابن العبري توالت الحروب وتفاقمت الفتن في بغداد وتتابعت على النصارى اشكال النكبات والآفات حتى أكل القويُّ الضعيف وفتك الكبيرُ بالصغير وكاد يمحق المسيحيّون وينقرض ذكرهم من تلك العاصمة.

فنهض اذ ذاك الاحبار الرومانيّون نهضة الابطال واوفدوا الوفود والقصّاد والمرسلين وتذرّعوا بكلّ الوسائل لإرشاد تلك البقيّة والإقبال بها الى حظيرة البيعة البطرسيّة. وكان السريان اوّل من انضمّ اليها في الربع الاول من القرن السابع عشر على انه في نواحي السنة ١٦٢٦ قصد بغداد ثلاثة رهبان كبوشيّين واستحصلوا الرخصة بمساعي الدولة الفرنساويّة في تشييد منزل ومصلّى لقضاء فروضهم الدينيّة. وطفقوا يدرسون اللغة العربيّة والتركية والفارسيّة فأحكموها واتقنوها واستسهلوا التكلّم بها وجعلوا يرشدون المسيحيّين ويلقّنونهم مبادئ الديانة الكاثوليكيّة فأثمروا ثمارًا شهيّة. وكان السريان باكورة المنضمّين اليهم فان ثلاثين بيتاً منهم قبلوا الايمان الكاثوليكي على يدهم. ولمّا توفي قسّيسهم السرياني سنة ١٦٣٦ بقي الاب بوسطس رئيس الكبوشيّين يدبّر امورهم الروحيّة. واقتصّ اثارهم زهاء سبعين او ثمانين بيتاً من النساطرة (١

١) اطلب الآثار الخطية للاب انطون رباط اليسوعي (ص ٥١٣ عد ١٨) وتاريخ السيد

ولم يكتف المرسلون الكبوشيون بذلك بل أنشأوا مدرسة ابتدائيّة انضمّ اليها نحو خمسة وعشرين طالباً اخذوا عنهم العلوم الدينيّة وغدوا قدوة لاقرانهم في الكثلكة. فنامذ ذاك عدد الكاثوليك حتى صاروا على ما هم عليه في هذا اليوم

٢ً القنصلية الفرنساوية في بغداد

لم تكن حاضرة الخلفاء العبّاسيّين في اول الامر مركزاً لقناصل الدول الاوربية. واوّلُ القنصليات واقدمها في العراق هي القنصليّة الفرنساوية وكان اصحابها يقيمون بادئ ذي بدء في البصرة. على ان المركيز دي ڤيلنوف (de Villeneuve) السفير الفرنساويّ في القسطنطينيّة كتب عام ١٧٢٩ الى الكونت موريا (Maurepas) وزير الملكين لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر (١٧٠١ــ١٧٨١) ان الباب العالي يستصعب انشاء قنصليّة فرنساوية في البصرة او في بغداد. فكتب اليه موريا يذكّرهُ ان نوانتل (١ (de Nointel) السفير كان قد رخّصت لهُ الحكومة العثمانية عام ١٦٧٣ في ان يسمّي رئيس المرسلين في البصرة قنصلاً. وبناء عليه حصّل الموسيو دي ڤيلنوف ذلك المنصب عينهِ لرئيس الرهبان الكرمليّين الذين نابوا منساب الاباء الكبوشيّين في بغداد. فأصبح اولئك الرؤساء ممثلين للدولة الفرنساوية منذ اذٍ في البصرة وفي بغداد معاً. وكتب الاب بولس اغوسطين في ٣٠ ايار ١٧٢١ ان رتبة القنصليّة قد تأيدت منذ عام ١٧٢٠. واوّل من ثوى منهم بغداد كان الاب يوسف ماري الكرملي سنة ١٧٢٢

وطالت هذه الحال حتى السنة ١٧٣٠ فسُمّي السيّد عمنوئيل بيلّه (Em. Bayl-let) الكرمليّ مطران بغداد قنصلاً عامّاً للدولة الفرنساويّة وكان قد وصل الى تلك المدينة سنة ١٧٢٩ وخلف السيّد ڤارلِه (Varlet) في المطرنة والقنصليّة معاً. وسار الى الهند وفاز بكتاب توصية من والي بوندشري الى احمد باشا والي بغداد فانعم عليه في ١٤ تموز ١٧٣١ بفرمان يرخّص له ان يبني مصلّي لرهبنته (٢

افرام نقاشه (ص ٢١)

١) سُمّي المركيز دي نوانتل سفيراً في الاستانة سنة ١٦٧٠ وتوفي عام ١٦٨٥

٢) اطلب تاريخ بغداد للاديب حبيب شيحا (ص ١٠٦) طبع القاهرة سنة ١٩٠٨

وفي السنة ١٧٤٢ سمّاه لويس الخامس عشر ملك فرنسا قنصلاً عاماً لدولته في بغداد وهو اوّل القناصل الفرنساويين الذين سكنوا تلك المدينة. فأسّس الرسالة الكرملية وايّدتها الحكومة العثمانيّة اجابةً الى طلب دي ڤيلنوف السفير الفرنساوي واعتبرته بمثابة رئيس للرسالة وقنصل رسمي لفرنسا. وكان الكرمليّون في اوّل امرهم يدرسون خصوصاً الطبّ ويعتنون بمعالجة المرضى. وجعلوا منزلهم محطّ رجال الغادين والرائحين من الاوربيّين وعُرف في البصرة الموسيو مرتنڤيل (Martainville) قنصلاً للدولة الفرنساوية في تلك البلدة وتوفي عام ١٧٤١

امّا السيّد عمنوئيل فحلّت وفاته سنة ١٧٧٣ فجاء اخلافه وحازوا منصبه ووسّعوا نطاق رسالتهم وازداد عدد الكاثوليك بنشاطهم وغيرتهم وانشأوا مدرسة علّموا فيها القراءة والكتابة وتمتّعوا بالهدوّ والسكينة قبل ان تحوّل الحكومة التركية الحرية للنصارى في بلادها (١

٣ً القنصل روسّو

هو جان فرنسوا روسّو (J.F. Rousseau) ابصر النور في اصفهان في ١٠ تشرين الاوّل ١٧٣٨ وكان والده جاك بروتستانتيًا قصد بلاد الفرس منذ السنة ١٧٠٥ فأكرم مثواه الشاه حُسين وخلع عليه الخلَع الفاخرة يوم عرسه. ولمّا ترعرع ابنه جان وضعه في مدرسة الآباء اليسوعيّين باصفهان واعتمد عليهم في تخريجه مع العلوم بمبادئ الديانة الكاثوليكية حتى تثبّتَ حقائقها وانضمّ اليها. وعام ١٧٥٦ انطلق روسو الى البصرة معوّلاً على القيام بخدمة الدولة الفرنساويّة وتولّى سنة ١٧٦١ الكتابة عند رئيس الصيارفة. وكان خبيرًا بالجواهر الكريمة مضطلعاً باللغات الشرقيّة. وأدّى خدماً جلّى للسيّد عمنوئيل بيلّه مطران بابل وقنصل فرنسا المذكور آنفاً. ففوّض اليه عام ١٧٦٢ ان يراسل بلاد العجم والهند فانشأ علائق تجاريّة مع كريم خان نائب سلطان العجم سنة ١٧٦٦. ثم شخص الى شيراز مرّتين سنة ١٧٦٨ وسنة ١٧٧٠ وفاز فوزًا باهرًا في كلتا الرحلتين وحاز اسماً طيّباً

(١) اطلب تاريخ التجارة الفرنساوية في المشرق في القرن الثامن عشر. تأليف بولس ماسّون (Paul Masson) (طبع باريس سنة ١٩١١ ص ٥٣٥–٥٥٥)

ولما كانت السنة ١٧٧٢ فُوِّضت الى عهدته وجدارته وكالة قنصليتَي بغداد والبصرة معاً فقام بمنصبه خير قيام ودافع عن حقوق النصارى بكلّ استطاعته حتى اصبح موئلاً يعتمدون عليه ودستوراً يرجعون اليه . ثم سافر الى فرنسة سنة ١٧٧٦ وزار باريس في كانون الثاني ١٧٨٠ فاحتفى به الملك لويس السادس عشر وأثنى على خدمهِ الجمّة وأسنى اليهِ مائة الف فرنك ونصبه قنصلاً للبصرة

وفي ٣١ تشرين الثاني ١٧٨٢ سار الموسيو روسّو الى بلاد العجم مستصحباً اندراوس ميشو (Mr Michaux) وجوفرا (Geoffroy) كترجمان وكنشلير . ثم عاد الى البصرة . وكان قد سبق لروسّو عارفةٌ كبرى مع سليمان باشا والي بغداد فصمّم الباشا ان يكافيئه على صنيعه فسوَّغ له الانتقال من البصرة الى بغداد في ٩ شباط ١٧٨٤ واجاز له الاقامة فيها رسمياً اذ لم يكن يؤذَن للقناصل الفرنساويين الى ذلك العهد ان يجعلوا مركزهم الّا في البصرة كما أسلفنا . وكانت مماطاة روسّو مع ولاة الحكومة العثمانيّة والفارسيّة والهنديّة على اوفق ما يُرام . فدارت الايام دورتها وتبدّلت الاحوال حتى أبى طلب القنصل بجعل بغداد مقام قنصليّة عامّة لدولته وخلافانه من بعده اقراراً بجدارته وفضله وجزاء لمعروفهِ . فاستقبل القنصل ذلك الانعام بحفاوة ونشط الى القيام بمنصبهِ بكلّ همّة

وحدث في تلك الغضون ان الجنود الفرنساويين دخلوا القطر المصري فأمسى موقف روسّو حرجاً سنة ١٧٩٨ وعلى رُغم محبّة سليمان باشا وصداقته له أُوقف القنصل ونُهبت امواله وأُوثق وُنفي الى ماردين التابعة لبغداد . ذلك لانه أبى ان ينكر جنسيّتهُ الفرنساويّة ويتظاهر بجنسيّة تركيّة او فارسيّة . بيد ان صديقه سليمان باشا تذرَّع بكلّ الوسائل ليساعده في نكبته عربوناً لشدّة اخلاصه ومودّته فتمكّن من انجائه واطلاق سبيله بعد احد عشر شهراً قضاها في المنفى . ثم توجّه الى حلب سنة ١٨٠٣ وفي السنة التالية عاد الى بغداد وتوفي اخيراً في حلب في ١٢ ايار ١٨٠٨

وكان رحمه الله ممّن وُهبوا ذكاء عجيباً وقريحة خصبة . أنفق زماناً في الدرس والمطالعة حتى نبغ في التركيّة والفارسيّة والارمنيّة والعربيّة والايطاليّة والبرتغاليّة واختبر احوال الشرق وعوائده وتجارته . وأدّى خدماً مشكورة للسيّاح الفرنساويين القاصدين تلك الامصار كنيوبهر وباجيس وميشو وبوشان واوليفيه وغيرهم . وساعد

المرسلين الفرنساويين بكلّ طاقته. وخلّف للادباء تركة علميّة مفيدة وتآليف بالارمنيّة والفرنسيّة والفارسيّة والعربيّة

واشتهر بعده ابنه جان الذي صار قنصلاً في البصرة في ٢٧ شباط ١٨٠٥ وتولى بعد سنتين كتابة اسرار السفارة الفرنساوية في طهران. وفي ٢٩ تشرين الاوّل ١٨٠٨ نُصب قنصلاً عامًّا في حلب. ثم انتقل في ١٢ ايلول ١٨١٤ الى قنصليّة بغداد العامّة. وتوفي في طرابلس الغرب عام ١٨٣١

وكان كأبيه روسو متبسّطاً في العلوم متبصّرًا في الامور متوسّعاً في الخبرة ألّف كتباً شتى واحتوى على مخطوطات نفيسة انفق في سبيل جمعها اموالًا طائلة اشترت منه الدولة الروسيّة خمسمائة مخطوط من الصحف الشرقيّة طُبع فهرسها سنة ١٨١٨(١

٤ً السيد اغناطيوس ميخائيل جروه والقنصل الفرنساوي في بغداد

قد آن الاوان لنسرد ما تحرّيناه من تسطير اخبار الموسيو روسو النبيل مُفيضين في ذكر حسنةٍ من حسناته وتسجيل مأثرة من مآثره التي اصطنعها عند غبطة السيد اغناطيوس ميخائيل جروه بطريرك السريان الكاثوليك يوم حصل في اخطار مُوبقة وحار في كيفيّة التملّص منها. ومن المعلوم انّ هذا الحبر الجليل كان ارتدّ عن اليعقوبيّة وهو مطران على حلب (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٩ [١٩٠٠]: ٩١٣ــ٩٢٦). واليك خلاصة الخبر نقلًا عن سيرة حياته التي كتبها بيده المباركة

ذلك ان هذا الحبر الانطاكي الجليل لما انتخبته الطائفة السريانيّة جماء بطريركاً عامًّا لها وأوفد اليه جماعةُ ماردين مضبطةً مختومة بتواقيعهم لم يرَ الّا الاجابة الى إلحاحهم فقصد ماردين عام ١٧٨١ وخرج الاساقفة والاكليرس وجمهور الشعب لاستقباله برونقٍ عظيم وانزلوه في الكنيسة الكبرى واخذوا يعلنون ويصرّحون بانهم راضون مقتنعون بكل ما يبثّه ويرسمه. ثم مضوا به الى دير الزعفران في جمهور الاساقفة يتقدّمهم السيّد بطرس عازر مطران الارمن الكاثوليك والسيد شمعون مطران الكلدان والاب اغناطيوس الراهب الكرملي المرسل في ماردين وتوّجوه في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٢ بطريركاً انطاكياً وفقاً للطقس السرياني الكاثوليكي. بيد انه ما عتّم ان اختلف عليه اسقفان اخوان وهما الاسقف متى والاسقف عبدالاحد

(١ اطلب ترجمتهُ في تراجم المشاهير Nouvelle Biographie Générale, LXII

طمعاً بتركة البطريرك جرجس الرهاوي المتوفى سنة ١٧٨١ وحالفهما في ذلك مطران القدس فطفقوا يسعون في تنكيس البطريرك المغبوط ومعاكسته حتى بلغ منه اليأس مبلغه ففرّ الى الموصل فبغداد. قال البطريرك (ص ١٢)(١ من سيرة حياته المشار اليها):

«لما نظر هذان المطرانان ومطران القدس ما صار اخذوا يضطهدوننا ويشتكون علينا وعلى كل مَن تبعنا امام الحكّام. فسعى ابناء جماعتنا الكاثوليكيون الذين صار عددهم اكثر منهم واستقرضوا مبلغاً عظيماً باسمي دفعوه للحكام وسألوهم ان يكتبوا الى والي بغداد الراجعة ماردين الى حكمه ليرسل امرًا من لدنه ويقيمني بطريركاً على دير الزعفران... ثم دفعوا له مبلغاً آخر ليكتب الى الدولة العثمانية ويستحصل لي فرمان البطركيّة... وبعد ثلاثين يوماً قاسينا فيها الاضطهاد حضر الامر (من سليمان باشا) والي بغداد الى حاكم ماردين (عيسى بك) يفوّض اليه ان يلبسني الفروة (الكرك) ويقيمني بطريركاً على دير الزعفران وعلى السريان كافة. (ص ١٣) وكتب ايضاً الى الباب العثماني ليحضر لي الفرمان. ففعل الحاكم كما أمره واخذوني باحتفال عظيم الى الكنيسة الكبيرة ألوف امامي والوف ورائي (٢ ... واخذوني الى دير الزعفران... حيث رسموني بطركاً عليهم (في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٢) بحضور مطراني الارمن والكلدان والبادري اغناطيوس مرسل ماردين والوف الوف من الجماعات...

«غير ان المطرانين الاخرين... ذهبا مع جملة رهبان الى طرعبدين ليهيجوا اهالي الجبل علينا غير حاسبين للحكّام حساباً ولا لوالي بغداد ولا السلطان نفسه.. فالتزمنا نحن واتباعنا ان نرقد في اماكن خفيّة وننتقل في الليل من مكان الى مكان... حتى يوم الاربعاء من اسبوع الآلام... وفي الغد (ص ١٥) اي يوم الخميس العظيم تجمهروا وهجموا على الكنيسة ليقتلونا. ولكن الله خلّصنا من يدهم

«ثم ان احد ذينك المطرانين (وهو المطران متى) رسم حالاً (ص ١٦) اربعة رهبان اساقفة وامرهم ان يصيّروه بطركاً. ثم ارسل اخاه المطران (عبد الاحد) الى القسطنطينيّة فاستغاث ببطرك الارمن ودفع له مبلغاً وسأله ان يمنع خروج الفرمان

١) الارقام تدل على صفحات كتاب سيرة حياته التي خطها بيده

٢) اطلب مجلة المشرق (٣ [١٩٠٠]: ١١٢و١٢٣)

باسمي ويخرجه باسمه ... مع انه كاد يستخرجهُ باسمي والي بغداد (١ وحضرة جلالة الجي (سفير) فرنسا الذي سعى في ذلك بكلّ غيرة مقدّسة مع حضرة النائب الرسولي طبقاً لطلب نيافة المجمع المقدس...

«فتغلّب بطرك الارمن بنفوذه وأبطل سعيَ الوالي والقنصل والنائب وجميع اصحابنا. وأخرج الفرمان باسم البطريرك (متى) الدخيل وساعده على ذلك بطرك الروم المشاقّ وشهدا عليّ في الباب العثماني باني ظالم ومتعدٍ فضلاً عن كوني كاثوليكيًا

«فلم يعد لنا مهرب من يدهم (ص ١٩) لان البطرك الدخيل ومطارنتهُ انتقلوا حالًا الى ماردين واحضرونا واحضروا مطارينا بكلّ اهانة واحتقار امام حاكم المدينة وقرأوا الفرمان وسجّلوه وأمرونا ان نسلّمهُ الدير وبقيّة الكنائس

«وبعد ان حبسونا اربعين يوماً ارسل الحاكم فاخرجنا من السجن (ص ٢٠) وبعثنا الى الدخيل مع جنود كثيرين بسيوف وعصيّ واهانات عظيمة فحبسنا عنده ثلاثة عشر يوماً كان يحاول ان يقتلنا خفيةً بواسطة اناس من طور عبدين... فلمّا اطّلع بعض المحبّين على ذلك دفعوا مبلغاً الى الحاكم فأخرجنا من حبس الدخيل وحبسنا ثانيةً عنده وبقينا خمسة شهور حتى عُزل الحاكم وجاء غيره. فقدّم له الدخيل مبلغاً وسأله ان ينفيني وحدي ويسلّمه مطاريني ورهباني ليصلّوا وراءهُ ويحلقوا اكاليلهم (٢ فاجاب الحاكم الى طلبه واوثقني بالزنجير مدّة ثمانية ايّام (ص ٢١). فأرسلتُ اليه من أطعمه مالًا ليرتضي ان ينفيني الى الموصل فارتضى. ولمّا وصلت الى الموصل صرتُ كاني عادم الحياة تحت ترسيم الوالي ستين يوماً

«فارسل الدخيل وهيّج عليّ والي بغداد (ص ٢٢) وعرض عليه اموالًا جزيلة لكي يأخذني من الموصل ويحبسني عنده في بغداد. فاجاب الوالي الى طلبه وارسل اخذني بالكلك (الطوف) في دجلة... وبعد وصولنا الى بغداد حتم الوالي عليّ ان ابقى هناك وطلب مني خمسة وعشرين الف غرش حتى يرسل تكرارًا الى الدولة

١) كتب هذا الوالي ثلاثة صكوك بتأييد السيّد ميخائيل بطريركًا واستوفى كلفة البراءة ثلاث دفعات. لكنّ بطريركي الارمن والروم تمكّنا من تأجيلها واصدارها باسم متى الدخيل (تاريخ السيد افرام تقاشه ص ٢٩٢)

٢) كانت عادة الاساقفة والرهبان السريان ان يحلقوا شعر رؤوسهم على شكل اكليل كما شهد بذلك كتبة النساطرة

ويبطل فرمان الدخيل ويخرجه باسمي. ولكن لما تحققنا انه لا يقدر على انجاز ما قاله عقدنا جمعيّة في دير المرسلين (الكرمليين) للمشاورة في الامر وسجلنا القرار في كنشلارية الموسيو روسّو قنصل الدولة الفرنساوية ودفع صورة المشاورة بيدنا باللغة الفرنساوية»

(قلنا) وقد توفّقنا للحصول على خمس عرائض بين صحف دير الشرفة في هذا الصدد يحقّ ان تُنقش بحروف ذهبيّة تخليدًا لذكر الموسيو روسّو القنصل الفرنساوي العام في بغداد والموسيو بوشان وحاشيتها ووجهاء الكاثوليك وقد ارسلوها الى المجمع المقدّس في رومية للدفاع عن البطريرك ميخائيل المغبوط ننشرها بكل ارتياح اقرارًا بفضل هذه الدولة الكريمة وسفرائها وقناصلها الاماجد ناشرين ألوية الشكر والثناء على غيرتهم وحسناتهم الجمّة. واليك نصّ العريضة الاولى بحروفها :

«هذه صورة المشاورة التي عملناها في بغداد بحضور الموسيو روسّو بالبوز (١) فرنساوي على شغل حضرة البطريرك السرياني اغناطيوس ميخائيل بطرك انطاكية (وارسلناها الى المجمع المقدّس في رومية

«اولًا : تعلم سعادتكم الشريفة ان سيدنا البطريرك اغناطيوس ميخائيل جاء الى بغداد بصفة الاختيارية الكاثوليك وباس والي بغداد. ومرادهم ان يخلّصوه من الاضطهادات التي نالها منذ سنتين من يد المسلمين والمراطقة. لانهُ سابقًا اقرّ احد الاختيارية بعشرين الف روبي (٢) الى حضرة الباشا حتى يجيب البراءة ويثبته في كرسيّ البطركية. ولكن سيدنا البطرك خاف جدًّا من ان الباشا يطلب منه هذا المبلغ المذكور. فلذلك طلب البطرك من بالبوز بك (الموسيو روسّو) الفرنساويّ في بغداد ان يتشاوروا كيف يعملون ويدبّرون. فاجتمعوا في ٢٠ آب وقرّروا اولًا : ان هذا المبلغ يصعب جمعه من الفقراء السريان الذين اعطوا سابقًا خسائر باهظة في سبيل الايمان. والآن عليهم ديون عظيمة. ثانيًا : ان كان سيدنا البطرك بمعونة المجمع المقدّس وقوّته يقدر يدفع هذا المبلغ فلا يُعرَف هل يقدر حضرة الباشا يجيب له الفرمان من الدولة العلية او تذهب الدراهم باطلًا. ثالثًا : وان قدر حصّل الفرمان فالمراطقة بقوّة الارمن والمثال يقدرون يغيّرونه ويجيبونه لبطرك المراطقة اذ يدفعون دراهم اكثر كما جرى ذلك مرارًا في هذا البلد. ثم طالما هذا الوزير في بغداد وحكمه يشمل ماردين لا يصير تعدّي. ولكن متى تغيّر لا يمشي الفرمان لان الفرمان متعلّق بقوّة باشا بغداد

«وبعد انتهاء المشاورة تمّ القرار بان سيدنا البطرك يرجع الى حلب حتى يخلص من غضب اعدائه الذين يقدرون يجون (يجيئون) الى بغداد ويتعبونه. ونحن بعد ذلك نفتكر وندبّر له

---

١) بالبوز من الفرنساويّة Bailli يراد بها الحاكم ومتولّي القضاء

٢) تقابل خمسة وعشرين الف غرش

الامر لخلاصهُ ونطالبهُ من باب بغداد في احسن حال ونفكهُ من المبلغ الذي ارتبط به . بقي الامر اذاً متعلقاً بيد الله والمجمع المقدّس . فلذلك ارسلت اليه جمعيتنا هذه العبودية حتى يدبر الامر حسب فطنته

«حُرّر في بغداد في ٢٠ آب سنة ١٧٨٣ ونحن المحرّرة اسماؤنا بذيله نشهد بان هذه المشاورة صارت في حضورنا وحضور سيدنا البطرك والموسيو بوشان وكيل مونسنيور بابل والاباء الكرمليان

موسيو سينيس كنشلير موسيو ليوني . موسيو جفروا مترجمان
بيدروس كوركجي باشي شماس كوركيس بن عيسى غنيمة
بيدروس بن اسطيفان بنكالي اسطيفان (داويد)
قسطنطين بن حنا (دانا) الخوري انطون الارمني

« فهولاء جميعاً اتفقوا كلهم على هذه المشاورة وتحررت في ٢١ آب سنة ١٧٨٣

لويس سينيس كنشلير محررها روسو باليوز سنة ١٧٨٣

على ان الامة والرؤساء في ذلك العهد اعتادوا ان يكتبوا العرائض الرسمية اكثر من مرة ويرسلوها بالبريد في طرق مختلفة ليثقوا بوصولها الى أصحابها ولذا نرى جمعية بغداد المذكورة آنفاً قد دوّنت عريضة كالسابقة اوفدتها الى المجمع المقدّس في ١٨ ايلول نقتطف منها ما يلي :

«ان المونسنيور ميخائيل جزه بطريرك طائفة السريان بعد ما جاء الى بغداد اجابةً الى طلبات المتقدّمين من الكاثوليك في هذه المدينة الذين إعتنوا بتخليصهِ من الاضطهادات التي يمثلها منذ سنتين واجابةً الى مكتوب الوالي الذي وُعد سابقاً بعشرين الف غرش ليحصّل لهُ البراءة . . . قد وصل الى هنا في ١٤ الشهر (غرن) وتوسّل الى قنصل فرنسا والفرنساويين في بغداد واعيان الكاثوليك ليرتأوا ما هو أنسب . فاجتمعنا في ٢٠ آب امام القنصل ورأينا : ١ً : انهُ يعسر جمع هذا المبلغ . . . ٢ً : ان الوالي لا يحصّل البراءة بتأكيد . . . ٣ً ان السريان الارانتة باتفاقهم مع الارمن يقدرون ان يبطلوا الفرمان بتقديمهم مبالغ اعظم كما جرى عشرين مرة في هذا البلد . ثم انه لايسمح ان يوجد دائماً هنا والي واحد عادل كهذا الوالي المتولي بغداد وماردين فاذاً . . . حكمنا ان يعود المونسنيور الى حلب . . . »

وهذه العريضة امضاها جميع الذين امضوا العريضة السابقة وختمها : الخواجا روسو قنصل فرنسا ولويس سينيس كنشلير »

ولم يكتفِ الموسيو روسو بذلك بل اشار الى المسيو بوشان وكيل مطران بابل فكتب الى المجمع المقدّس في هذا الصدد عدّة رسائل . منها رسالة اوفدها في ٨

ايلول ١٧٨٣ على طريق اسلامبول. ورسالة ثانية اوفدها على طريق حلب في ١١ تشرين الاول ١٧٨٣ ورسالة ثالثة اوفدها كذلك على طريق اسلامبول بتاريخ ٢٤ تشرين الاول ١٧٨٣ . فننقل من الرسالة الاولى ما يلي :

«اتشرف واعلم نيافتكم بوصول المونسنيور بطريرك السريان الى بغداد الذى خلّص ذاتهُ من ايدي اعدائه. فترى نيافتكم استناداً لما نبرى هنا كيفية اموره . . . والاب الاكرم اغناطيوس (الكرملي مرسل ماردين) كان في استطاعته ان يحقق آمال هذا البطريرك ومع ذلك صيّره ان يعيد بدفع عشرين الف غرش لوالي بغداد ليحصل لهُ فرمان البطركية . . ولا نعلم كيف نخلصه من هذه الغلبة ونخاف ان تتبعها غلبة اخرى . لأنَّ اخا البطرك الاراتيكي ذهب الى اسلامبول بعد خروج البطرك ميخائيل من ماردين. ويقال انهُ سيأتي الى بغداد ليؤيّد فرمانه ويسلّم المنسنيور ميخائيل الى ايدي اعدائه القاصدين قتله. وكنا نريد ان نودّيه الى البصرة حيث يبقى بطمانينة . ولكن مكاتيب ماردين الاخيرة المحرّرة في ١٠ آب والواصلة الى المونسنيور ميخائيل تبيّن ان حاكمها امسك السريان الكاثوليك وضرجم بالعصي وحلق لحية مطرانين وقسّيسين وراهبين من الكاثوليك وغرّمهم مبالغ عظيمة بدسائس المطران متى. فافتكرنا ان نضع غاية سيدة لمسئلة المونسنيور البطريرك بان الكردينال دهبرنس (C^nal de Bernis) (١ يكتب الى ملك فرنسا بحامي الرسالات ليتنازل ويصدر الاوامر الى سفيره ليطلب الفرمان من الوزير الاعظم . . وانتا نثق بان السفير ينجح ويكتب الى الوالي . . .»

«حُرّر في بغداد في ٨ ايلول ١٧٨٣»

امّا رسالة الموسيو بوشان المسطّرة في ١١ تشرين الاول فهي كالسابقة وهذا ملخّصها :

«تشرّفت ان اعلم نيافتكم في ٨ ايلول ١٧٨٣ بدخول المونسنيور البطريرك ميخائيل الى بغداد. وتخلصهِ من أعدائه بعد مشقّات ومخاطر . . . احتملها لاجل الله وكنيستنا . . . فالمونسنيور ميخائيل يرى دائماً ان ينتظر اوامر المجمع المقدّس وقد تشرفتُ واعلمت نيافتكم انه لو وجد هنا خوفاً وخطراً من اعدائه لكان يرافقنا الى البصرة لاني مفتكر ان اذهب اليها واستمرّ فيها ستة اشهر كي اتبصّر في حال الرسالة»

اما الرسالة الثالثة فقد سطرها الموسيو بوشان في ٢٤ تشرين الاول ١٧٨٣ واوفدها على طريق اسلامبول وهذا ملخصها :

«تشرّفت ان ارسل الى نيافتكم على طريق حلب مكتوبين في ما يخصّ رأي وجهاء بغداد الكاثوليك عمّا يخصّ امر المونسنيور ميخائيل . . . فالمونسنيور ينتظر اوامر نيافتكم ونتيجة ما صار في القسطنطينية لاننا نؤمل ان الحي فرنسا يحصّل له البراءة . . .» .

١) كان هذا الكردينال سفير دولة فرنسة لدى الكرسي الرسولي منذ السنة ١٧٦٩ وتوفي سنة ١٧٩٤ خاملاً

فمن ذلك كله يظهر صريحاً فضل الدولة الفرنساوية وجزيل اعتناء قناصلها بمسألة البطريرك ميخائيل تعزيزاً للديانة الكاثوليكية ورفعاً لمنارها. على انهم بعد مراجعات طويلة كثيرة رأوا ان لا سبيل للبطريرك ميخائيل المغبوط الّا الهرب من بغداد. فكتب غبطته في سيرة حياته (ص ٢٤) قال:

«مكثنا في بغداد سبعة اشهر تحت الترسيم والتهديد المتواصل من الوالي. وكنّا كلّما طرق الباب نظنّ انهم قادمون ليأخذونا الى السجن. ولمّا كنا في هذه الحالة وردت المكاتيب بخروج الفرمان علينا (١ . . . وافادنا النائب الرسولي الذي في القسطنطينيّة عن لسان حضرة الالجي الفرنساوي الكلّي الغيرة ان نسعى ونهرب بسرعة من بغداد الى بلاد العجم قبل وصول الفرمان . . . فحرنا في امرنا . . . ثم جمعنا سرّاً بعض التجار الكاثوليك واستشرناهم في الامر لننجو من الخطر. وبعد حيرتهم العظيمة ومشاوراتهم الكثيرة اتّفقوا على ان يقرضونا مبلغاً شفقةً علينا . . . لنهرب من بغداد. وتمّ الامر كما اشاروا . . .

«فالتزمت ان اخرج من بغداد ليلاً مع (زكريّا وتوما) شمّاسيّ متنكّراً متردّياً بثوب احد العرب ومشيتُ مع رفيقين حتى وصلنا الى خارج المدينة ومن هناك ركبنا الجمال واستكرينا ها مع ثلاثة اشخاص بمائة ذهب . . . وسرنا في طريق القفر . . . وقاسينا من التعب والجوع والعطش والمخاوف ما لا يعلم به الّا الله وحده حتى أيسنا من الحياة. وكانت الدماء تجري كالينابيع من جراحات جسدي لشدّة السير خوفاً من ان يصل الفرمان الى بغداد فتلتزم ان نعود اليها. وعلى هذا المتوالي قطعنا مسافة ستّين يوماً بخمسة عشر يوماً حتى وصلنا الى تدمر . . . ثم الى القريتين فالشام . . . حتى وصلنا الى جبل كسروان ونزلنا في دير في قرية بيت شباب يوم السبت العظيم ليلة احد القيامة ٣١ آذار ١٧٨٤ . . . .»

١) كتب البادري روفائيل الدومنكي من الموصل الى البطريرك ميخائيل المغبوط ان قد صدر الامر بنفيه الى «وان» مع ثلاثين شخصاً من حاشيته. وكتب السفير الفرنساوي والنائب الرسولي والقس الياس شدياق السرياني يؤيدون ذلك ويقولون ان المطران عبد الاحد شقيق البطريرك الدخيل يصل عمّا قليل الى بغداد صحبة رجل من قبل الدولة لتنفيذ الحكم والحثّوا على البطريرك المغبوط بالفرار من بغداد عاجلاً (عن رسالة البادري روفائيل المصونة في دير الشرفة)

بهذه الوسيلة تمكن القنصل روسو الهمام ان يحلّ عقدة تلك المشكلة المعضلة ويخلّص البطريرك المغبوط من دسائس خصومه ومن الفتك به. على ان البطريرك توفّق بعد ذلك الى انشاء دير سيّدة النجاة في شرفة درعون سنة ١٧٨٦ حيث قضى اواخر عمره باعمال الغيرة والقداسة وانتقل الى جوار ربّه في ١٤ ايلول ١٨٠٠

٥ السريان الكاثوليك في بغداد الى هذا العهد

ظلّ السريان الكاثوليك يقضون فروضهم الدينيّة في كنيسة الآباء الكرمليّين ويعتني بخدمة نفوسهم قسوس سريان يرسلهم السادة البطاركة الى بغداد والبصرة كلتيهما. وفي ١١ ايار ١٧٧٨ اوفد الحبر الاعظم مار بيوس السادس منشورًا الى السيد ميخائيل جروه يفوّض اليه رعاية السريان في الرها وديار بكر وماردين والموصل وبغداد والبصرة. فما كان من السيّد ميخائيل الّا الاجابة الى الرئيس الأعلى. واخذ يقيم في كل من البلاد المذكورة كهنةً سريانيّين او يفوّض الى احد الرهبان الموسلين القيام بخدمة ابنائه الروحيّين. وفي ٣ كانون الاوّل ١٧٩٣ كتب البطريرك المغبوط الى السيّد بشارة اخطل اسقف الموصل ان يرسل الى البصرة كاهنًا موصليًا فامتثل الاسقف امرهُ وارسل الى بغداد عام ١٧٩٥ كاهنًا موصليًا اسمه القس ميخائيل بن عُبيد(١

ولما انتقل السيّد ميخائيل جروه الى الاخدار السماويّة وتولّى السيّد يوليوس انطون الآمديّ النيابة الرسولية اوفد الى بغداد والبصرة الربّان توما الارديني في منشور مؤرّخ في ١٨ كانون الثاني ١٨١١ ليتعهّد شؤون ابناء الملّة فيها فمكث ثمّ ثلاث سنوات وعاد الى دير الشرفة

ثم أُنيطت رعاية بغداد والبصرة بالسيّد بشارة اسقف الموصل كما ذكرنا. فكان يتحدر الى بغداد مرارًا يتفقّد احوالهم ويناضل عن حقوقهم ويوطّدهم في الايمان المقدّس ولما تولّى السيّد غريغوريوس عيسى محفوظ ابرشيّة الموصل عام ١٨٣١ نهج نهج سالفه في رعاية الابرشيّة البغداديّة وتيسّر له ان يبتني فيها مصلّى دشّنه في ٢ كانون الثاني ١٨٤٢ وأقام ثمّ قسّيسًا ولّاه خدمة الطائفة

وظلّ الحال كذلك الى عهد البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري († ١٨٦٤)

(١) راجع في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٢٩٧-٣١١ و ٤٧١-٤٨٠) رسالةُ البديعة الى اهل البصرة مع رسالة المجمع المقدّس اليه

فعقد العزم على مكافأة البغداديين على سالف حسناتهم ولاسيما على سباقهم في الانضمام الى الايمان الكاثوليكي وعلى بذلهم في كل آن المبرّات لمن قصدهم كما ألمنا . فنصب لهم السيد اثناسيوس روفائيل جرخي المارديني مطراناً في ٢٨ ايلول ١٨٦٢ وهو بكر مطارنة تلك الابرشيّة فشاد فيها كنيسة جميلة على اسم والدة الله ثمّ تكريسها في ٨ كانون الاوّل ١٨٦٣ . وقرّر الآباء في سينودس الشرفة المعقود عام ١٨٨٨ ان تكون تلك الابرشيّة في جملة الكراسي المتروبوليتيّة السريانيّة الاربعة وهي الموصل وحلب ودمشق وبغداد

ولما توفي السيد اثناسيوس روفائيل في ٢١ نيسان ١٨٩٠ تولى سياسة الابرشيّة السيّد ربّولا افرام رحماني الموصلي (البطريرك الجالس سعيداً) مدّة اربعة اعوام فانتقل في اوّل أيّار ١٨٩٤ الى كرسيّ حلب

وفي ١٦ حزيران نُصب السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري المارديني مطراناً للابرشيّة فساسها بغيرة وحكمة واعتنى بتحسين احوالها الروحيّة والزمنيّة حتى انهُ تيسّر له بعد مراجعات طويلة وكلفٍ كثيرة ان يتوجّه الى كلكتّه عاصمة الهند في ٢٩ ايلول ١٨٩٩ للإشراف على اوقافها وهي عبارة عن دارَين وبضع حوانيت وقفتها السيّدتان كاترينا وترازيا ابنتا سفَر لورثتها الشرعيّين عام ١٧٩٣ وهولاء الورثة الكرام وقفوها لفقراء الكلدان والسريان والارمن مشترطين ان يتوزّع ريعها على الفقراء وعلى حاجيات الكنائس والكهنة . فتوصّل السيد المومأ اليهِ في رحلتهِ هذه التي استغرقت اربعة شهور الى تعزيز تلك الاوقاف حتى صار ريعها السنوي ينوف على المائتي ليرة ذهباً(١) . وقد ابدى السيد المشار اليه غيرةً تُذكر في سبيل تشييد معبد للكرمليّين في العمّارة الواقعة على ضفّة دجلة فان البادري ماريا جوزيف لما تعذّر عليه امر ابتنائها سنة ١٨٨٥ وحار في امره توسّل الى السيد اغناطيوس ان يقصد في ذلك والي بغداد صديقه فاجاب الوالي الى طلبته وحصل على رخصة البناء من العاصمة اكراماً لخاطره فكتب اليه القنصل الفرنساوي رسالة ثناء وشكر لتمكّنهِ من حلّ ذلك المشكل الذي استغرق خمس سنوات

(١) اطلب سير احبار ابرشية بغداد في كتاب « السلاسل التاريخية » للنيكونت فيليب دي طرّازي

وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ رُقي السيد اثناسيوس جرجس دلّال الدمشقي الى مطرانيّة بغداد وهو الذي ما برح يسوسها بارائه الصائبة وتدبيراته السديدة باذلاً في سبيل رقيها اطيب المساعي حتى اصبحت القلوب كافة معقودة على حبهِ واعتبارهِ. وتشتمل اليوم الابرشيّة البغداديّة على مدينة بغداد والبصرة والعمارة والعشّار وفي كل منها كنيسة لابناء الملّة

ويطيب لنا ان نجعل مسك الختام لكلامنا الثناء العاطر على ما بذله في سبيل تعزيز الكاثوليك عموماً في تلك الحاضرة القناصلة الفرنساويون النبلاء الذين خلفوا المسيو روسو الطيب الذكر ولاسيما السيد هنري بونيون(H. Pognon)المشهور بفرط حبهِ وجزيل غيرته على صوالح الكاثوليك فضلاً عن رسوخ قدمه في اللغات الشرقية وخصوصاً السريانيّة اذ كان يتحدّث بها كلّما زارهُ أحبار هذه الطائفة . وقد نشر فيها كنوزاً ادبيّة اكتشفها بسعيهِ وتعبه في اطراف العراق ومما بين النهرين (١ ومكث هذا العلّامة المجيد قنصلاً عامّاً لدولتهِ الشريفة في بغداد حتى السنة ١٨٩٧ . فتولى بعده الموسيو رويه (G. Rouet) وكان بمكانةٍ من الفضل والشهامة بصيراً بالامور نهض باعباء منصبه اتمّ نهوض ودافع عن حقوق الكاثوليك دفاع الابطال. ويشغل في عهدنا هذا المنصب الشريف في بغداد المسيو ميغريت (Maigret) الفاضل

. واشهر الأسر السريانية البغدادية العريقة في القدم والكرم معاً هي اسرة الخواجا توما اندريا وابن اخيه نعوم الطيب الاثر واخوته الخواجات ريشا واسطفان وانطون ثم اسرة الشماس انطون واسحق الياس ججو. واسرة الخواجا انطون جبرائيل مارين الذي تولى منصباً مهمّاً في القنصلية الانكليزية وشقيقه يوسف الذي توطّن البصرة وتبرّع بمبالغ طائلة لابتناء كنيستي البصرة والعشّار . ثم اسرة يوسف نعمان ونجليهِ توفيق وهنري . ويعقوب افندي كوسا المحامي المشهور . والشماس متى الشماس يعقوب . واسرة باكوس ومرمرجي ويوسف عبد الاحد وجرجي . وعُرف في العمارة بفضلهم وسخائهم أنجال الخواجا حنا الشيخ . واشتهرت في البصرة أسرة جرجس ايلو ويوسف عبيده ويعقوب مارو وغيرهم ممّن مدّوا يد المعروف والاحسان لكل مشروع خيري . زادهم المولى تعالى نموّاً وتوفيقاً بفضله وكرمهِ

١) اطلب مجلة المشرق ١٦ [١٩١٣] : ١٤٥

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث التاسع

بيروت في عهد الدولة العثمانيّة الى واقعة عين داره (١٥١٧—١٧١١)

لمّا كسر السلطان العثماني سليم الاوّل شوكة الشراكسة بانتصاره على ملك مصر قانصوه الغوري في مرج دابق في نواحي حلب سنة ١٥١٦ (٩٢٢ هـ) ثم على خلفه طومان باي ابن اخيه في القاهرة (١٥١٧) ضمّ الى دولة بني عثمان مصر والشام وجزيرة العرب وأسرع الى تنظيم ولاياتها . واذ نظر بلاد الشام في حالة من الفوضى كادت تحوّلها الى خراب يباب أحبّ ان ينهض بها من كبوتها ويعيد اليها شيئاً من رونقها السابق فولّى الامير فخر الدين ابن عثمان بن معن على الشوف والغرب وبعض مقاطعات لبنان لانهُ كان حارب المصريين مع جيوشهِ ونائبهِ جان بردي المعروف بالغزالي . وعلى خلاف ذلك اعتقل امراء العرب لثباتهم على امانة مماليك مصر فبقوا مدّة معتقلين في قلعة دمشق ثم في حلب الى ان فدوا نفسهم بالهدايا وعادوا الى مواطنهم

وكانت نيابة الشام من قبل السلطان سليم للغزّالي فاستفحلت سطوتهُ وامتدّ نطاق ولايتهِ على معظم مدن الشام وفلسطين والسواحل ومن جملتها بيروت فحدّثتهُ نفسهُ بالاستبداد في الحكم . ولمّا توفي السلطان سليم وخلفهُ ابنهُ السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠) جاهر الغزالي بالعصيان وادّعى لنفسهِ الملك وحشد الجند . فارسل سليمان عسكرًا لمحاربتهِ فقُتل في قابون قريباً من دمشق وتشتّت اصحابهُ

ثمّ اخذت الدولة مذ ذاك الحين تعيّن نوّاباً على سوريّة بصفة ولاة وقسمتها الى

ثلث ولايات دمشق وطرابلس وحلب وضمّت الى كل ولاية عدّة الوية او سناجق . وكانت بيروت احدى سناجق دمشق العشرة . وكان ولاة دمشق يتناوبون واحداً بعد آخر قلّما يزيد زمن ولاية احدهم على سنة او سنتين حتى بلغ عددهم ١٣٣ والياً في مدّة ١٨٤ سنة فجرى لسبب ذلك منازعات وتعدّيات ومظالم لا تُحصى ليسرع الولاة ويجمعوا ما يطمعون فيه من المال قبل استبدالهم فينالوا رضى الباب العالي بوضع الضرائب الباهظة على الاهلين ويحرزوا لانفسهم قسطاً واسعاً منها

وكانت ثلثة بيوت من الامراء تتقاسم الحكم في لبنان بنو معن وبنو عسّاف وبنو سيفا . وكان بنو معن اوسعهم املاكاً واكبرهم سلطة حكموا على الشوف والغرب وساحل صيداء وبيروت . وحكم بنو عسّاف التركمانيّون على كسروان وامتدّ حكمهم من نهر الكلب الى بلاد جبيل وجهات حماة . واما بنو سيفا فكانوا متولّين على عكّار وحصن الاكراد . وكان اللبنانيّون في شمالي لبنان يُعنَون بامورهم تحت نظارة مقدّمين من مواطنيهم كانوا يدفعون للدولة ما يجمعونهُ من الضرائب وكثيراً ما حدث بين هؤلاء الامراء مناوشات ووقائع لاسيما الحزبين الشهيرَين القيسيين واليمنيين وربّما تداخلت عساكر الدولة في امورهم تارةً مع اولئك وحيناً مع هؤلاء على مقتضى سياستها . واوّل من انقرض من الامراء بنو عسّاف . فتك بآخر امرائهم يوسف باشا سيفا فاستولى على املاكهم هو وبنوه . ولم تطُل مدّة بني سيفا فوقع بينهم وبين بني معن وقائع عديدة كانت الدولة غليهم وتعقّب بقاياهم شاهين باشا والي طرابلس فاباد ذكرهم وملك المعنيّون على اقطاعاتهم سنة ١٦٣٧

وكذلك بنو تنوخ امراء الغرب سابقاً فانهم لم يصيبوا بعد الفتح العثماني حظوةً وبقوا في حصونهم خاملين ومنقسمين بين قيسيين ويمنيين حتى قام احد انسبائهم علَم الدين اليمني وكان تولّى الامر بغيبة الامير فخر الدين المعني الى الاستانة فسار الى مقرّ الامراء في اعبيه فباغتهم بجنوده واغتال بهم فقتلهم عن بكرة ابيهم ولم يفلت منهم احد وذلك سنة ١٦٣٣

*

وكانت بيروت في تلك الاثناء لا تزال محصّنةً بسورها وبرجيها السابق ذكرهما مع السلسلة الممتدّة بينها الى قلعتها تزينها الابنية التي شادها امراء بني الغرب وكان

السيّاح الفرنج القادمون الى زيارة الاراضي المقدسة يزورونها فيصفونها كمدينة غنيّة ذات تجارة واسعة ويذكرون مرفأها انهُ عميق المياه امين المسفن

أمّا اهل بيروت فكان عددهم قد قلّ الى نحو العشرة الآلاف لما أصابها من الاوبئة . ذكر منها جلال الدين السيوطي في مقامته الطاعونيّة (ص ٦٩ــ٧٥) طاعون السنتين ٨٩٧و٨٩٨ (١٤٩١ــ١٤٩٢) الذي عمّ القطرين الشامي والمصري وفتك باهل بيروت فذكّرهم بطاعون سابق وصفه ابنُ الورديّ في رسالته « النبا عن الوبا» (نسخة برلين Ms de Berlin, 8550) روى فيها ما ألمّ ببلاد الشام من نكباته

وفي اوّل العهد العثماني حصل في بيروت غلاء شديد ومجاعة بسبب الحروب واضطراب الاحوال وظهور الجراد حتى غلت اسعار كلّ المأكولات وكلّ الحاجيّات كما اخبر حمزة بن سباط في ختام تاريخه سنة ٩٢٦هـ (١٥١٩ م) قال «ان شنبل القمح في بيروت بلغ ثمنهُ ١٥٠ دينارًا»

وكانت بيروت مع ذلك لا تزال تستوقف انظار الطامعين بملكها لوقوعها في وسط البلاد على ساحل البحر بجوار لبنان وهي فرضة دمشق . وبقي مينا بيروت على حالته من الصلاح والامن حتى انهُ في ذلك العهد كان معدودًا من احسن مراسي السفن . فذلك ما أثار مطامع الامراء المعنيين والتنوخيين وبني عسّاف ليبسطوا سيطرتهم على بيروت لاسيما اذ رأوا ولاة دمشق منهمكين في اشغالهم يحرصون على حفظ منصبهم مع قصر ولايتهم . وربّما كانت تقع الحروب بين الولاة الثلثة الشام وحلب وطرابلس فيقطعون بيروت للامراء الموالين لهم وانصارهم في حروبهم وانّما بقيت مدّةً تحت حكم امراء الغرب

﴿امراء بني عسّاف في بيروت﴾ ولما ضعفت اسرة التنوخيين بما دهمها من النكبات في القرن السادس عشر الى ان فتك بهم علم الدين اليمني صار الامر على بيروت لبني عسّاف . وكان هؤلاء الامراء التركمان منذ عهد مماليك مصر مستولين على كسروان وبعض سواحل الشام ثم ثبّتهم السلطان سليم الاوّل في املاكهم وحكّمهم على كسروان وبلاد جبيل لمحاربتهم مع جنوده ضدّ الدولة المصريّة . وكانت وفاة الامير عسّاف كبيرهم سنة ١٥٢٣ . فتولى من بعده ابنهُ الامير حسن بامر والي دمشق لكنّ اخاهُ قايتباي حسدهُ على الولاية ولم يزل يترصّدهُ حتى اوقع به وباخيه

حسين فغدر بها اذ سارا يوماً الى بيروت . ومات قايتباي سنة ١٥٣٣ فخلفهُ المنصور ابن اخيهِ الحسن فعظم شأنهُ وسعى بتوسيع نطاق امرتهِ حتى امتدَّت ولايتهُ على كل الساحل من بيروت الى البترون ثم الى جهات لبنان الشمالية حتى حدود حماة قرَّرها لهُ السلطان سليم الثاني سنة ١٥٧٢ فصار لهُ عليها الحلّ والربط يولّي عليها من يشاء . وحارب الامراء بني سيفا فغلبهم وكان جعل مقرَّه في غزير وادخل في خدمتهِ المشائخ آل حبيش . وترك آثارًا مشكورة من ولايتهِ التي بلغت ٤٧ سنةً فتوفي سنة ١٥٨٢ . ولم تطل بعدهُ ولاية بني عمَّاف فان محمَّد ابن الامير منصور قُتل بعد عشر سنين (١٥٩١) كمَنَ لهُ عدوُّهُ يوسف باشا سيفا في مضيق المسيلحة قريباً من بترون فاغتالهُ فمات ولم يعقب وبهِ انقرضت سلالة بني عمَّاف واستولى يوسف باشا سيفا على املاكهِ في جهات طرابلس ولم تطل مدَّة ولاية بني سيفا كما سبق

﴿بنو معن في بيروت﴾ وكان نجم بني معن يزداد سطوعاً فبعد وفاة الامير فخر الدين الاوَّل ابن عثمان الذي كان دعاهُ السلطان سليم الاوَّل بسلطان البرّ فأولى لبنانَ وسواحلهُ اماناً ورقياً سنة ٩٥١هـ (١٥٤٤م) خلفهُ ابنهُ الامير قرقماز فلم يبلغ من الجاه والسلطة ما بلغهُ ابوهُ . وفي ايامهِ أقطعت الدولة بيروت الامير منصور عمَّاف فتولَّاها مدَّةً وبنى لهُ فيها قصرًا جميلًا وبنى بقربه جامعاً نُسب اليهِ وشيَّد دار ولايتها

وكانت وفاة الامير قرقماز سنة ٩٩٣هـ (١٥٨٥م) وهو مختفٍ في مغارة جزّين من وجه الدولة فرارًا من ضرائبها الباهظة وخلَّف ولدَين الاميرَين يونس وفخر الدين ضمَّهما اليهِ خالهما الامير سيف الدين التنوخي وسلَّمهما بعد حين ولايتَها في الشوف

ولكليهما اخبار واسعة ومآثر جليلة ووقائع عديدة مع ولاة الدولة والامراء المجاورين لهم . وقد اشتهر خصوصاً الامير فخر الدين الذي عُرف بالكبير . فهذا كان مولدهُ سنة ١٥٧٢ . تربَّى بعد وفاة والدهِ في كسروان في ضيافة بيت الخازن ثمَّ خلف اباهُ في ولاية الشوف . وهو الذي مدَّة نحو اربعين سنة ألفَتَ اليهِ انظار مواطنيهِ واستولى على قسم كبير من بلاد الشام وجنَّد الجنود وتصدَّى لولاة الدولة فغلبهم فسارت بذكرهِ الركبان حتى عرفهُ القاصي والداني بل تجاوزت اخبارهُ البحار فاصبح اسمهُ في بلاد الفرنج مرادفاً لبطل الشرق وسلطان الشام ومحامي النصارى . وكان بين

حاشيته منهم رجال فضل وذكاء لاسيما من مشايخ آل الخازن وكان كاتبهُ أبا نوفل نادر الخازن

وكانت بيروت في جملة البلاد الواقعة تحت حكم الامير فخر الدين الكبير فخصّها بعنايته وأعارها نظرهُ لترقية امورها المادّية والادبيّة فرمّم ما خرب من ابنيتها وعُني بتحصينها وتشجير غابة صنوبرها القديمة وابتنى لها جامعاً يُعرَف الى اليوم باسمه واتّخذها كدار سكناهُ ومقام عزّه ورونق دولته فبنى فيها الدور الرحبة والمعاهد البهجة والجنائن الغنّاء. ومن مبانيه برجُ الكشّاف الذي بقي الى اواخر القرن الماضي فهُدم وأُقيمت في مكانه الحوانيت والمقاهي. وبنى الخان المعروف بخان الوحوش ثمّ الحمّامات والاسواق والفنادق

وكان تحت يده مهندسان ايطاليّان اسمهما تشيولي(Cioli) وفاني (Fagni) كانا يتوليان هندسة تلك المباني على طراز بديع فاصبحت بيروت بها مزدانةً برونق جديد كان يستوقف انظار القادمين اليها من السيّاح. وكانت سوق التجارة في ايّامه رائجة ايّ رواج. وكانت السُّفن الاوربيّة الفرنسويّة والايطالية والهولنديّة تنقل الى بيروت محصولات البلاد الغربيّة وتستعيض عنها بخيرات البلاد الشرقيّة لاسيما الحرير والمنسوجات الوطنيّة والغلّات الوافرة. وانّما اساء اليها والى المدن الساحليّة اذ جنح الى رأي من اشار اليه بان يطمّ ميناءها ليمنع اعداءهُ عن دخولها ففعل ذلك في بيروت وصيداء وعكّا فكان هذا من بعده احد اسباب انحطاط التجارة في سواحل الشام الى القرن التاسع عشر. وفي ايّامه بنى الامير منذر التنوخي جامعاً يُعرف باسمه الى اليوم

وبنى الامير فخر الدين للفرنسويين خاناً في صيداء احتلّهُ قناصلهم وتجّارهم وامضى معاهدةً مع تجّار فلورنسة فاتّخذوا لهم مخازن واسعة واقاموا لهم قناصل. فكانت هذه المعاملات الوديّة داعياً لهُ الى ان يلتجئ الى غرانديوقة فلورنسة فرديناند الثاني من سلالة ماديشيس سنة ١٦١٣ لما ضايقهُ اعداؤهُ وجيوش الدولة المرسلة لمحاربته فابحر الى ايطالية وبقي في ضيافة امير فلورنسة مدّة خمس سنوات حتى تمكّن من العود الى وطنه فاستأنف اعمالهُ في ترقية وطنه والدفاع عنهُ بالاستحكامات وتشييد القلاع وكان في خدمته جيش من السُّكمان وغيرهم المتجنّدين بالاجرة بلغ عددهم

على ما قيل الى نحو ١٠٠،٠٠٠ لولا انَّ الدولة لم تزل تترصَّدهُ واستراب بنيَّتهِ في طلب السلطنة فلم تزل تمدُّ ولاتها بالجيوش البرّيّة والبحريّة حتى قبض عليه احمد كجك سرعسكرها في قلعة جزّين فقُتل الامير يونس اخوهُ وأُرسل هو مغلولًا مع اولاده الى الاستانة حيث قُتلوا بامر السلطان مراد الرابع ولم ينجُ من اولاده الاربعة الّا صغيرهم الامير حُسين فعُفي عنه (٣ نيسان ١٦٣٥م)

وكان ابن اخي الامير فخرالدين ملحم بن يونس نجا من أسر أحمد كجك واختفى في جبل الشيخ حتى سنحت لهُ الفرصة فعاد الى ولاية عمّهِ فخر الدين بمناصرة محازبيهِ القيسيين سنة ١٦٣٦ وحكم على بيروت وسواحل الشام مدَّة عشرين سنة وتوفّي في صيداء سنة ١٦٥٨ اودت بحياتهِ حُمّى خبيثة . وقام بالامر بعدهُ ولداهُ الاميران احمد وقرقماز الّا ان محمّد باشا الارناؤوطي تعقّبهما بامر الصدر الاعظم محمّد كوبرلي فقُتل قرقماز سنة ١٦٦٢ غدر به حاكم صيداء محمّد باشا . امّا احمد اخوهُ فاشتدَّ ساعده وحارب اليمنيَّة فانتصر عليهم في حي بيروت المعروف ببرج الغلغول سنة ١٦٦٤ واستمرَّ في حكمهِ آمنًا الى سنة وفاتهِ ١٦٩٧ فمات دون عقب وانقرضت بموتهِ سلالة بني معن

وكانت الدولة اخذت منذ السنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٦) تعيّن ولاةً لبيروت وصيداء مدّةً فيقهروا الامراء الوطنيين . كان اوّلهم محمّد باشا الارناؤوطي المذكور ثمَّ قبلان باشا دفتر دار صيداء ثمَّ محمّد باشا والي صيداء ثمَّ أفرزت بيروت عن صيداء فدبّرها ولاة عثمانيّون الى سنة وفاة الامير احمد المعني فسمح الوالي لاهل لبنان ان ينتخبوا بعض الشهابيين عوض المعنيين تمرابتهم من بني معن فوقع الاختيار على الامير بشير الشهابي فاستولى على الولايات التي كانت تحت حكم المعنيين الممتدَّة من جهات صفد الى نواحي الحجّة شمالي لبنان . ومما اشتهر به الامير بشير الاوّل انَّهُ قاتل في جانب الدولة الشيخ شرف الدين المتوالي صاحب بلاد بشارة فكسرهُ وقادهُ اسيرًا الى والي صيداء وضمَّ بلادهُ الى ولايتهِ . توفي الامير بشير في صفد السنة التاسعة من ولايتهِ (١٧٠٧)

وخلفهُ الامير حيدر فحكم البلاد من السنة ١٧٠٧ الى ١٧٣٠ . وهو الذي حارب اليمنيَّة وانتصر عليهم في واقعة عين داره الشهيرة فاستأصل شأفتهم في السنة

١٧١١ بعد ان كانت قويت شوكتهم لاسيما بيت علم الدين فكان عليّ بن علم الدين ويوسف علم الدين وآلهما يسكنون بيروت ويتصرّفون بامورها بصفة كونهم خلفاء بني المرب. فصار بعد كسرتهم الحكم للشهابيّين دون منازع

(لهُ تتمّة)

تاريخ مدفن عبراني في بيروت

من القرن الحادي عشر

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

هذا اثر نفيس هدانا اليهِ جناب المهندس ادمون افندي بشاره مدير النافعة حاضراً في لبنان الكبير. فنقدّم لحضرتهِ شكرنا عن لطفهِ في إلفات نظرنا اليهِ كما يشكرهُ كلُّ من يُعنى بتاريخ عاصمتنا العزيزة

وترى هنا صورة الكتابة المذكورة التي نقلناها عن صورتها الشمسيّة المكبّرة وهي مرقومة على حجر كلسي طولهُ ٣٨ سنتمتراً في عرض ٣٦ س وسمك ١٥ س

נאסף תמים
הלו(י) בר מנשה
ראש הקהל
נח שנה אחא
לסברות

فقراءتها لا شكّ في صحّتها وقد ساعدنا على فكّ معانيها حضرة الاب سبستيان رونزفال. ولكن يجب ان يُلاحَظ انَّ الحفّار اذ لم يجد فسحةً كافية ليرقم الحرف الاخير من الكلمة رقمها بين السطرين الثاني والثالث. امّا الرابع فيبتدئ بكلمتين

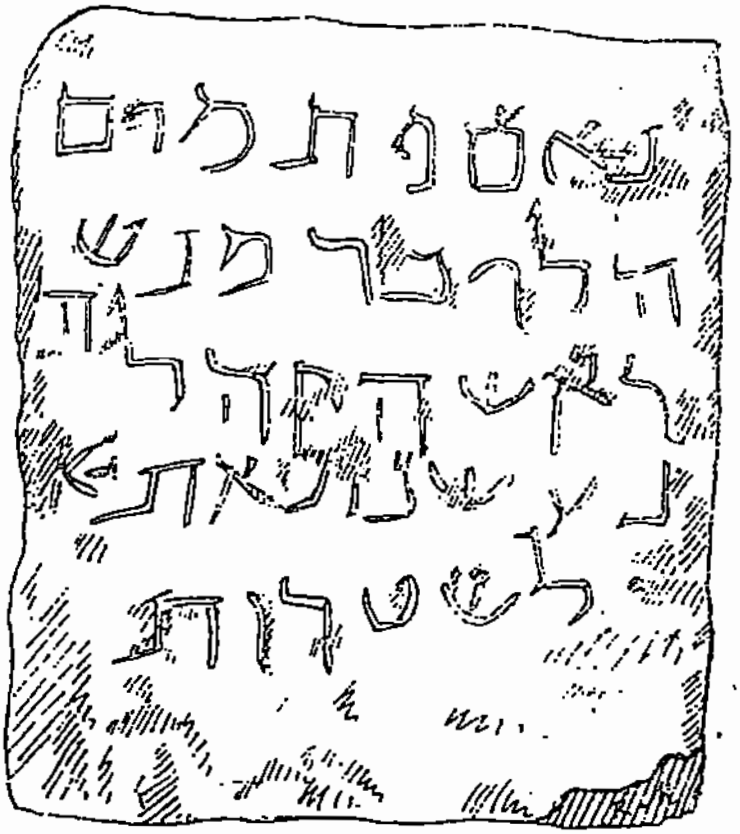

صورة الكتابة المدفنيَّة العبرانيَّة المكتشفة في بيروت

مختصرتين شاع اختصارهما وهما :(ז"ל) (ז"ל) اي انَّ راحتَهُ (هي) عدن (الفردوس) . وفي السطر الخامس يدلُّ التاريخ المدوَّن فيه على تاريخ السلوقيين . ومن ثمَّ يجوز تعريب الكتابة هكذا :

١ انضمَّ (الى آبائهِ) تميمْ
٢ هَلَو (ي) بن منسا
٣ رأس الطائفة
٤ فاستناح في الفردوس سنة ١٤٠١
٥ من العهود .

انَّ سنة العهود١٤٠١ المذكورة هي سنة تاريخ السلوقيين وتوافق السنة ١٠٨٩ــ ١٠٩٠ للمسيح . وبهِ يستدلّ على ان المدفن المنوّه بهِ سبق عهد الرحّالة اليهودي بنيامين دي توديل (Benjamin de Tudèle) الذي زار سواحل الشام وحطَّ الرحال في بيروت نحو سنة ١٠٧١م . وقد ذكر ما وجدهُ فيها من الموسويين فأحصاهم خمسين نفساً ووجد في سائر المدن الساحلية عدداً اوفر من اليهود فعدَّ منهم في اللاذقيَّة ١٠٠ وفي جبيل ٢٠٠ وفي صور ٥٠٠ امَّا انطاكية فلم يجد فيها منهم سوى عشرة وفي صيداء عشرين فقط . وهو يعيّن ما لكلّ مدينة من الاعيان المتولّين على الملّة اليهوديَّة . والدفين الذي ورد ذكرهُ في الكتابة التي نحن في صددها اعني تميم هَلَوي انَّما كان احد هؤلاء الاعيان يُشار اليهِ برأس الطائفة

وبعد كتابة هذه النبذة احببنا ان نطّلع على مكان وجود ذلك الاثر فاوقفنا عليهِ جناب صاحبهِ الوجيه عبدالله افندي الخوري وُجد في ملكهِ الذي باعتْهُ منهُ ابنة اختهِ غربيّ دار القنصليَّة الاميركانيَّة عند حدود الرمل مع آثار أُخرى تدلّ على انَّ هناك كانت مقبرة اليهود في القرون الوسطى . فنشكر لحضرتهِ لطفهُ بافادتنا

حمُّورابي(١ ملك بابل

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

طاب الينا احد الافاضل من اخوة المدارس المسيحيَّة في الثغر ان نكتب فصلاً عن هذا الملك الذي ظهرت آثارهُ في اوائل القرن العشرين فكان لاكتشافها صدى

١) هذا الاسم في الاصل مكتوب «خَمُورابي» والخاء في البابليَّة كالحاء في العربية وانَّما شاع في المنشورات بصورة حَمُورابي

استحسان في سائر انحاء العالم المتمدن وقد اشرنا اليها غير مرّة في المشرق لكننا لم نفرد لها مقالة فبطيب الخاطر ندوّن هنا خلاصة اخبار ذلك الرجل الكبير

١ ﴿اكتشاف آثار حمورابي﴾ في اوائل شهر كانون الاوّل من السنة ١٩٠١ كان الأثري العظيم السيو دي مورغان (J. de Morgan) المتوفى حديثاً يبحث عن عاديات مدينة سوس (شوشن القديمة) وامتدّت حفريّاتهُ الى اخربة هيكل شوشيناك واذا بهِ قد عثر على نصب من الحجر المنيع (diorite) كان طولهُ متران و٢٥ سنتمترًا ودائرتهُ في اسفلهِ مترًا و٩٠ س

والنصب على قسمين فني قسمهِ الأعلى صورة الملك حمورابي تراهُ واقفاً متّشحاً برداء متمنطقاً وعلى صدره قلادة وعلى رأسهِ قلنسوة من لبدٍ ذات طيّةٍ عريضة في اسفلها والملك ملتحٍ وهو رافع يمناهُ الى قرب شفتيهِ تسندها الشمال عند ذراعها كأنهُ يصغي بكل قواهُ الى ما يوحى اليهِ

وبازاء الملك الاله شمش (الشمس) جالساً على عرش يعلو رأسهُ تاجٌ مقرّن ذو اربع لفّات مدرّجة تبلغ الى طرف هلال . يكسوهُ رداء ذو افاريز ولحيتهُ كثيفة مصنوعة يشعّ من طرفي كتفيهِ اشعّة من النور ويدهُ الشمال على ركبتهِ امّا اليمين فقابضة على صولجان رمز العدل والاستقامة يقدّمهُ الى الملك والاله ممثّل في هيئة المملي عليهِ اوامرهُ فينصت الملك اليها بكل إخبات

امّا القسم الثاني من النصب فهو مكتوب بالحرف المساري على جوانبهِ الاربعة يحتوي دستورًا من الشرائع البالغ عددها ٢٨٢ بندًا مما يوحي بهِ الاله شمش الى عبدهِ الملك حمورابي . وهذا النصب قد نُقل اليوم الى متحف اللوفر في باريس وكان حمورابي قد اقامهُ في بابل عند هيكل الاله ثمّ نُقل من بابل الى شوشن لمّا فُتحت بابل بعد ٨٠٠ سنة بمحاربة احد ملوك العيلاميين (اطلب الصورة في الوجه التالي)

٢ ﴿من هو حمورابي ؟ وما اصلهُ﴾ حمورابي ملك عظيم كان يحكم على مدينة بابل في اواخر القرن الحادي والعشرين . اصلهُ على ما يرجّح من قبائل ساميّة اقتحمت على بلاد بابل في اواسط الالف الثالث قبل المسيح وملكت عليها حتى قامت على ملوكها جيوش من العيلاميين فقهرتهم واستولت على بلادهم وضربت على ملوكهم الجزية فذلّوا وضعفوا . وكان حمورابي احد هؤلاء الملوك الخاضعين لملوك عيلام الذين

كانوا من عنصر الآريين واسمُ حمُورابي يدلُّ على اصلهِ السامي ومعناهُ «العمّ الرفيع الشأن» يتركّب من لفظتين «حم» وهي كعم العربيّة ثمّ «رَب» اي رفيع وكبير. ومثلهُ اسم خلفهِ حَمصَدوقا اي العمّ العادل

٣ ﴿ما هي اخبارهُ﴾ انّ اخبار حَمُورابي قد ثبتت اليوم بكل تأكيد بما اكتُشف لهُ من الآثار المتعدّدة في شوشن وفي بابل ما خلا النَّصب الذي مرَّ ذكرهُ. واخصُّها عدّة كتابات ورسائل وجّهها حمُورابي الى وزيره يبلّغهُ اوامرهُ في تدبير البلاد وسياستها ومعاملات اهلها ولاسيما كتابةٌ لاحد عُمّال الدولة نشرها حضرة العلّامة الاشوري الاب شَيل الدومنيكي وقد ورد فيها ذكر مآثر الملك حمورابي مدّة الثلث والاربعين سنةً من ملكه. ويؤخذ منها انهُ بقي في مدّة الثلثين السنة الاولى خاضعاً لملك عَيلام وهو يستعدُّ

صورة نصب حمُورابي

لمحاربتهِ فناجزهُ الحرب في السنة الثلثين وانتصر عليهِ ودحرهُ وعاد الى بابل ظافراً وحكم عليها وعلى كلّ بلاد الكلدان لا يزاحمهُ احد في ملكهِ مدّة الاثنتي عشرة سنة التي عاشها بعد انتصارهِ

امّا مشاريعهُ الجليلة التي هي موصوفة في الكتابة المذكورة فتتناول كلّ الدوائر الملكيّة كبناء الهياكل التي شيّدها لاكرام الالهة وكتشييد القصور والابنية

العمومية والخصوصية لأبهة الدولة وتوسيع نطاق اعمالها فحفر الأقنية لتنمية الزراعة وحصّن المدن في وجه الاعداء ونشّط المعاملات التجارية والصناعية حتى استحق بعدله وحسن تدبيره ان يُنظَم بين اكبر الملوك الذين حكموا على الشعوب الغابرة

ويظهر الملك حمورابي في كل اعماله كأنهُ ظلُّ الآلهة على الارض عريق العبادة نحوهم ويجري على مقتضى امرهم. واخصُّ هؤلاء الآلهة التي يذكرها حمورابي شمش ومردوك وحدد وأنو ونزجال وأليل. ويذكر من الآلهات إنشار (عشترت) وشالة وزربنيت الخ

٤ ﴿شريعة حمورابي﴾ هي الدستور الشرعي الذي اشرنا اليه في الباب الاول ولعلهُ اقدم واشرف وأبدع ما وُجد في عهدنا من آثار الامم الغابرة. وكان العلماء لا يعرفون قبلهُ إلّا الشريعة الموسويّة وهو يسبقها بخمسة اجيال. وقد اسرع حضرة الاب شيل الراهب الدومنيكي رصيف المسيو دي مورغان فنشرها ونقلها الى الافرنسية وذيّلها بالحواشي بضعة اشهر بعد اكتشافها سنة ١٩٠٢ فأعجب الكل بمعارفهِ الواسعة

وهذه الشريعة مع قدمها تذهل عقول العلماء بما تحتويهِ من البنود المُفعمة حكمةً المُعربة عن رجوح فهم كاتبها وملاءمتها لاحوال المجتمع الانساني ممّا لم تبلغهُ شرائع حكماء اليونان المشهورين بسعة ادراكهم. وهي كما قلنا تشتمل على ٢٨٢ بندًا منطوق كل بندٍ بالفاظ قليلة واضحة لا تدع مكانًا للمماحكات افتتحها بمقدمة قصيرة يقول فيها انَّ الاله مردوك اقامهُ حاكمًا على البشر ليدبّر امورهم ويسوسهم بالشرائع

امّا مضامين هذا الدستور فتعود الى النقط التالية :

١ (ع ١–٢) يُحكَم بقتل الانسان اللاعن غيرهُ بدون حقّ. ويُمتحَن بالنمرس في النهر على من أضرَّ قريبه بالرقي والسحر فإن غاص نجا وان طاف قُتِل

(ع ٣–٤) يُقتل الشاهد بالزور على آخر. وان شهد زورًا في المبيعات حُكم عليه بالغرامة

(ع ٥) القاضي العائد عن حكمهِ لسبب رشوة يغرَّم ١٢ مرَّة عن مادَّة المحاكمة ويُعزَل

(ع ٦–٢٥) بنود مختلفة في السرقة والأحكام على السارق على حسب كميَّة المسروقات واصنافها وضروب الناس المسروقين

(ع ٢٦–٤١) أحكام شتى في واجبات عمّال الدولة ورواتبهم ومحاكمتهم عند إساءتهم في

الخدمة وفي التصرُّف بأملاك الدولة فربَّما حُكم عليهم بالإعدام

(ع٦٣-١٠٧) هنا بنود عديدة مدارها على ارباب الاملاك وعمّالهم وعلى التجّار وزبائنهم وما لكلٍّ منهم من الحقوق وعليهِ من الواجبات في المعاملات والاستدانة والربا الخ. وكذلك غرسُ البساتين وابنية البيوت وشروطها

(ع ١٠٨-١١١) احكام على باعة الخمور والخمّارين

(ع ١١٢-١١٩) معاقبة المستودَع السارق والدائنين الرافضين أداء ديونهم لغرمائهم

(ع ١٢٠-١٢٦) الودائع وشروطها وحفظها وضياعها

(ع١٢٧-١٨٤) هذه بنود مختصَّة بقوانين الزواج وبحقوق الزوجين ومحاكمتهما في الامور الزواجيَّة وفي الطلاق واحكامهِ

(ع ١٨٥-١٩٣) أحكامٌ في التبني وشروطهِ

(ع ١٩٤-٢١٤) في الجنايات واشكالها ومعاقباتها

(ع ٢١٥-٢٢٧) في أجر الاطبّاء والجراحيّين والبياطرة والحلّاقين ومسؤوليَّتهم

(ع ٢٢٨-٢٤٠) قوانين المهندسين والبُناة ومعمّري السُّفن وما لهم وعليهم

(ع ٢٤١-٢٥٢) في كراء الدوابّ والمواشي وما ينجم عنها من الاضرار ومسؤولية اصحابها

(ع ٢٥٣-٢٧٧) قوانين الاجارة والقروض

ع ٢٧٨-٢٨٢) هذه البنود الاخيرة خاصَّة بشراء العبيد ومعاملاتهم

٥ ﴿ خواصّ دستور حمّورابي الشرعي ﴾ انَّ (اوَّل) ما يلوح من فحص هذا الشرع انَّ بلاد بابل كانت بلغت في القرن الحادي والعشرين قبل المسيح مبلغاً رفيعاً من الرقي والخصب وذلك ما يدفع حمّورابي الى وضع سُنَن متعدّدة تتناول الزراعة والصناعة والتجارة البرّيّة والنهريَّة لئلّا يصيبها أذًى بسوء معاملات اصحابها

(ثانياً) ثمَّ يلوح من منطوق هذا الدستور انَّ الملك لم يحكم في بابل حكماً مطلقاً. فلا تكاد تجد لهُ عملًا مستقلًّا في هذه البنود العديدة وانَّما الحكم فيها للشريعة ولمنفّذي تقاريرها اي الشُّرَط والقضاة

(ثالثاً) ويلوح كذلك منهُ روح مساواة بين طبقات الشعب فقلَّما ترى في هذهِ الشريعة اختصاصات ينفرد فيها الاعيان عن الشعب. فان احكامها تعمُّ الجميع إلَّا ما هناك من امر العبيد وبيعهم كالسلعة كما شاع بين كلّ الامم القديمة

(رابعاً) وبوجه الإجمال يقال انَّ شريعة حمّورابي متَّسمة بسيما الرفق والعدل وتفضل على شريعة سولون والشرع الروماني قبل النصرانيَّة. فكلّ من يمعن النظر في دقائقها لا يتمالك عن الثناء على ما تضمَّنت تلك السُّنن من روح الانصاف والحكمة

٦ ﴿شرائع حمورابي وشرائع موسى﴾ واعجب من ذلك ما يجده ذوو الاعتبار من لاهوتيين وفقهاء من الشبه بين عدّة احكام من شريعة موسى وشريعة حمورابي فظنّ البعض ان موسى عرف شريعة حمورابي وليس لدينا في ذلك حجّة ثابتة. والمرجّح عند العلماء ان موسى النبي لم يعرف تلك الشريعة ولم ينقل عنها وانّما يذهبون الى ان موسى كما حمورابي رجعا في بعض موادّ شريعتهما الى عادات الشعوب السابقة وسننهم الشائعة فوقع التشابه بينهما في بعض بنود شريعتهما

ومع هذا التشابه الجزئي يوجد في الشريعة الموسويّة تقارير عديدة تفضل على ما ورد من نوعها في شريعة حمورابي وقبل كلّ انّ الشرع الموسويّ مُقيَّد بنظر الاله الحقّ فاليه تعالى يعود الحكم وباسمه يقضي القضاة كممثّلي سلطانه الاعلى

ثمّ انّ في شريعة موسى تلوح فضلًا عن عدالة الشرع البابليّ محبة الله الى شعبه ورعايته له في احواله الزمنيّة وكيانه بين الشعوب الاجنبيّة

ولشريعة موسى فضل آخر من جهة الآداب الراقية. فانّ شريعة حمورابي تتساهل ضمناً ببغاء النساء العواهر الذي تحظر عليه شريعة موسى (تثنية ٢٣: ١٧). وكذلك الفجور البهيميّ الذي تعاقبه شريعة موسى اشدّ العقاب. وترى ايضاً حالة العبيد في الشرع الموسوي اقرب الى الرحمة والرفق من الشرع البابليّ وهو كذلك اشدّ وطأة منه على السحرة والرُّقاة

هذه بعض وجوه الخلاف بين الشريعتين ويقال اجمالًا انّ كلًّا منها تلائم احوال شعبها فانّ شريعة حمورابي اجدر بحضارة مدنيّة واسعة كثيرة الشعب والفروع والمعاملات. بينما ترى الشرع الموسوي موافقاً لشعب صغير معتزل عن سواه يتعاطى خصوصاً فلاحة الارض ورعية المواشي مرتبط نحو إلهه ودينه بروابط وثيقة غير منفصمة تُعِدُّه الى مجيء المسيح الموعود به الذي سيأتي لا لينقض شريعة موسى بل ليكملها ويأتيها اوج فضلها (متى ٥)

٧ ﴿حمورابي وابرهيم الخليل﴾ بقي مُشكل تباحث فيه علماء العاديّات الاشوريّة. أيوجد في آثار حمورابي ما يُشعر بشيء من مرويّات الاسفار المقدّسة. قلنا انّهم حدّدوا زمن حمورابي فتبيّنوا انه ازهر في القرن الحادي والعشرين قبل المسيح. وهو ايضاً القرن الذي عاش فيه جدّ العبرانيين وابو المؤمنين ابرهيم الخليل الذي كان

اصلهُ ومولدهُ في مدينة أُور من حواضر مملكة بابل الكلدانيَّة فخرج منها هو وابوه تارح واهلهُ وانتقلوا الى حرَّان كما جاء في سفر التكوين (١١ : ٣١) أمَّا سبب خروجهم فقد اتَّضح بالاكتشافات الاشوريَّة الحديثة وذلك انَّ مدينة أُور أُصيبت قبل حَمُّورابي بسنين قليلة في زمن سلفهِ المدعوّ سِينبَلَت بالنهب والسلب والمذابح ففرَّ اهلها الى حرَّان ونقلوا اليها عبادة الاله سِين اي القمر معبود اهل أُور وكان ابرهيم مهاجرًا معهم . ثمَّ دعاهُ الله الى بلاد كنعان هو ولوط ابن اخيه وعشيرتهُ (تكوين ١٢ : ١ — ٥)

وممَّا جاء في سفر التكوين ايضاً (١٤ : ١ — ١٦) انَّ اربعة ملوك يدعى أوَّلهم امرافل اتوا من جهات بابل وعيلام لمحاربة خمسة من ملوك فلسطين منهم ملكا سدوم وعَمُّورة فأغاروا عليهم وكسروهم وسبَوهم واخذوا غنائمهم وعادوا الى بلادهم وكان في جملتهم لوط ابن اخي ابرهيم . فعلم بذلك الخليل وهو قرب مدينة حبرون فجمع آلهُ وعبيدهُ وسار في اثرهم وباغتهم ليلاً في طريقهم وكسرهم وعاد بالغنائم وبابن اخيهِ سالماً

فتساءل العلماء المتضلّعون بالآثار الاشوريَّة كشرادر والاب شيل وكِنغ وغيرهم من هو أَمرَافِل المذكور هنا كذلك شَنعار المقصود بها مملكة بابل فرجَّحوا انَّ أَمرافل هذا هو حَمُّورابي اذ كان خاضعاً لملك عيلام المدعوّ هنا بكدُرْ لاعومر سار معهُ لمحاربة ملوك فلسطين لمَّا جاهروا بعصيانهِ فدحرهم ابراهيم بعد انتصارهم واستردَّ منهم الغنائم . وقد وجدوا في صورة الاسمَين «حَمُّورابي وامرافل» تشابهاً في الكتابة المسماريَّة وتصرُّف البابليين والساميين برواية الاسماء . ثم انَّ اسم حَمُّورابي ورد على صورة «أَمُورِبي» وقد أَتت خاتمة اسمه «بي» مخفَّفة عن «بيل» كما ثبت من عدَّة اسماء بابليَّة فيكون الاسم اذن «اموربيل» ثم انَّ الباء عندهم كالفاء وبذلك لا يبقى شبهة في توحيد الاسمين «حَمُّورابي» و«أَمرافل» . وقد وجد العلماء في بقيَّة اسماء الملوك المحاربين المذكورين في التوراة دلائل أُخرى لتعريف زمانهم واحوالهم في عهد ابراهيم . فأَتت هذه الادلَّة كبرهان جديد لصحَّة الاسفار المنزلة . فسبحان الذي جعل في اعماق الارض حججاً راهنة لتزييف آراء الزنادقة الذين انكروا لموسى وضعهُ لسفر التكوين كما استخرج من مدافن جُبَيل آثار كتابيَّة باللغة الفينيقيَّة فنَّدت القائلين ان الكتابة الساميَّة كانت مجهولةً في أيامهِ

الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١ اوربة (تتمَّة)

﴿المانية﴾ سعت المانية غاية جهدها لتعتق اراضيها من مراقبة الدول المتحالفة وتخرج من نواحي كولونية العساكر الفرنسويَّة المحتلَّة فيها. وقد تأخر الحلفاء عن الخروج لما اثبتوهُ من نقض الدولة لمواعيدها واستعدادها خفيةً للحرب واكتشاف عُدد حربية وافرة على خلاف ما صار عليهِ الاتفاق

كانت امور المانية الداخليَّة في اضطراب لما بين الاحزاب الاشتراكية والمُحافظة من الاختلاف. ففي اواخر شباط سقطت وزارة مَركس الاشتراكي ووقع الانتخاب على الكنشلبار لوثر

وفي ٥ آذار توفي رئيس الجمهوريَّة الالمانيَّة ايبرت وبعد شهرين أُقيم على الدولة رئيساً المارشال هندنبورغ احد اركان الحرب العموميَّة فكان لانتخابهِ وقعٌ سيّئٌ في نفوس الحلفاء المتخوّفين من الحرب ومن عودة الامبراطور غليوم الى عرش المانية اذ كان هندنبورغ من أخلص قوّادهِ

وقد احتفلت المانية في شهر أيار بتذكار السنة الالف لامتلاكها على انحاء نهر الرين وكولونية. وجدَّدت احتجاجها على احتلال فرنسة لتلك الانحاء.

ثمَّ تمَّ خروج الفرنسويين من المانية من مقاطعة الروهر اوَّلاً ثمَّ من كولونية في شهر كانون الاوَّل بعد ان أمضت المانية معاهدة لوكارنو التي قرَّر فيها ممثلوها مع فرنسة وانكلترة وايطالية وبلجكة القرارات التي اتَّخذوها توطيداً للسلام ومناهضةً لما يعبث بجانبهِ. وقد صدَّقت الحكومة في مجلسها العامّ على ما تعهَّد بهِ ممثلوها

وممَّا سُرَّ به الكاثوليك ما اشترع عليهِ المندوبون من وجوب التعليم الديني في المدارس ردعاً للشرور الناجمة من التعليم اللاديني والكفري

وكذلك ابتهجت المانية الكاثوليكيَّة لتثبيت قداسة بطرس كانيزيوس والاعلان

به كهنان الكنيسة لما أدّاه من الخدم الجليلة لالمانية اذ قام كبطل مغوار في وجه الاصلاح البروتستاني الموهوم وناضل عن الايمان الكاثوليكي فنجى قسماً كبيراً من المانية من ذلك الوباء العضال ومن الحروب الدينية التي قامت المانية في القرن السادس عشر ظهراً لبطن . فأقيمت مراسم جليلة في كل الانحاء لذكر هذا الواقع العظيم

﴿باڤارية﴾ قد استقلّت بحكمها بعد الحرب . وفي هذا العام في كانون الثاني قد عقدت دولتها معاهدةً مع الكرسي الرسولي واظهرت فيها كل تساهل بما طلبه الحبر الاعظم بخصوص تعيين الاساقفة وحرية الرهبانيات والتعليم الديني في المدارس

﴿سويسرة﴾ اخذت بتنظيم جيشها على قواعد الجنديات المستحدثة من حيث التسليح والحركات في الدفاع والهجوم

ومما أتته سويسرة من الاعمال المشكورة ما شرعهُ مجلسها في ٢٢ آذار من إلغاء القمار ومعاهد المضاربات

تباشرت سويسرة عموماً وفريبورغ خصوصاً بتثبيت قداسة رسولها الكبير في اواسط القرن السادس عشر القديس كانيزيوس اليسوعي الذي انشأ جامعة فريبورغ وفيها توفي

﴿بلجكة﴾ وقعت بين احزابها السياسيَّة منازعات سبَّبت سقوط وزارتها وطالت مدَّتها حتى تمكن اخيراً الحزب الكاثوليكي من الفوز بحزب الاحرار الناهضين للدين وانَّما احتاج للتقرُّب من حزب العمَّال المشايعين للاشتراكيين

امَّا احوالها الاقتصاديَّة فهي على غاية النجاح . وللدين في بلجكة مقام رفيع بهمَّة اكليروسه الجامع بين الفضيلة والعلم وبمساعدة الجمعيات الرهبانيَّة والمدارس الكاثوليكيَّة العليا والثانويَّة ولا سيما بفضل نيافة الكردينال مرسيه

اراد اهل بلجكة اقامة عيدٍ خصوصي اكراماً لعرس ملكهم الفضي وفكَّروا في تقدمة هديَّة فاخرة للعروسَيْن العزيزَيْن . فلم يشأ الملك ان يتحمَّل الشعب هذه الكلفة وانَّما عرض على المتولّين للحفلات ان يُعلن باكتتاب على العموم لمساعدة المنكوبين بطغيان الانهار وجعلوا الاكتتاب فرنكاً واحداً فكان مجموعهُ مليونين من الفرنكات صُرفت في خير المنكوبين

﴿هولندة﴾ لا تزال امورها المدنيَّة في ترقٍّ . وكذلك قد اضحت الديانة

الكاثوليكيَّة معتبرةً في اعين الجميع حتى غلاة البروتستان واذ قرّر مجلس العموم إلغاء سفارة الدولة لدى الكرسي الرسولي قدّم اربعة وزرائها الكاثوليك للملكة وليامين استعفاءهم فكان لفعلهم تأثير عظيم حيَّر المُقدمين على هذا العمل العدائي

﴿البرتغال﴾ جمهوريَّة البرتغال بعد هيجان اربابها اخذت بالاعتدال نوعاً . ففي شهر كانون الثاني من هذا العام أُقيمت اعياد فاخرة كتذكار للسنة الرابعة من وفاة ڤاسكو دي غاما فاتح طريق الهند حول افريقية كما روتهُ مجلّة المشرق في ترجمة المكتشف . فارسل الكرسي الرسولي نائبهُ في مدريد السيد تدسكيني الى لسبونة ليحضر تلك المواسم باسم قداسته فتمّ الامر بغاية ما يرام من الرونق والأُبهة

﴿الممالك السكندينافية﴾ هي الدنيمرك واسوج ونروج . كانت منذ القرن السادس عشر مغاليةً بتعصُّبها الديني ضدّ الكنيسة الكاثوليكيَّة . وقد سبقت الدنيمرك ومنحت الكاثوليك الحرّية في ممارسة دينهم . ثم جارَتها بالعمل مملكة اسوج . وفي هذه السنة الاخيرة رأت نروج ان تلغي من شرائعها ما لم يَعُد ينطبق مع تساهل الشعوب وسمحت للرهبانيَّة اليسوعيَّة ان تحتلّ اراضيها

اعلنت دولة نروج بتملُّكها على انحاء سپتزبرغ في ١٤ آب

وقد جرى في الصيف الاخير في عاصمة اسوج مؤتمر عظيم للاديان كانت الغاية منهُ وجود طريقة للألفة والتسامح بينها . فحضرهُ اصحاب المذاهب البروتستانيَّة المختلفة المتعدّدة المتناقضة والشيع الوثنيَّة والمسلمون واعضاء الكنائس المنفصلة عن رومية . فعُقدت جلساتهُ وخطب فيهِ كثيرون من الخطباء عن الاتحاد والمجاملة والتعاضد في خدمة الانسانيَّة والاعمال الخيريَّة . وكان من شروط رؤساء المؤتمر انلا يُسمح للخطباء بالكلام ازيد من خمس دقائق وان يضربوا الصفح عن معتقداتهم . فكان المؤتمر عقيماً اشبه بالمجتمعات المدنيَّة الوديَّة . وذلك ما منع الحبر الاعظم ان يقبل الاشتراك بهذا المؤتمر لئلّا تُبخس حقوق الكنيسة الكاثوليكيَّة التي مع حبّها وخدمتها لكل البشر لا يسعها ان تقرّ بالحقّ لسواها ولا ان تتساهل بشيء من عقائدها الالهية

﴿روسيَّة﴾ هي الدولة التي تدهش العالم منذ ثماني سنين بسياستها الخرقاء المبنيَّة على اصول القوَّة الوحشيَّة والمبادئ الشيوعيَّة المتطرّفة فسالت فيها الدماء كالسيول وقتلت الوفاً بل ربوات بل مئات الوف حتى أُلوف الالوف من اساقفة وكهنة واعيان

وعلماء وضبّاط وجنود. ولم تكتف بان يجري اربابها على تلك السنن الثوريّة بل تصرف الملايين من الذهب المسلوب من الاغنياء والكنائس والاديرة لتنشر في كل الاقطار روح الشيوعيّة المستقبح حتى في اكبر العواصم الاوربيّة كباريس ولندن وبرلين وامرائها يتشدّدون خصوصاً على الكاثوليك يذيقونهم انواع العذابات من نهب وضرب وحبس وقتل. ومنّن قتلهُ السوفيات شرّ قتلة بعد عذابات طويلة الكاهن الكاثوليكي فدوكوفيكس حُرق حيّاً في اواخر شهر آذار بقرب كنيستهِ في زيتونيا

وفي ٢٥ نيسان توفي البطريرك الاورثذكسي تيخون ضحيّة المعاملات السيّئة التي عُومل بها من قبل السوفيات. وبعد وفاتهِ اشاعوا باسمهِ وصيّةً مزوّرة ختموها بختمهِ كانهُ يحثّ فيها الشعب على مجاراة الدولة الشيوعيّة

ولم يحصر امراء روسيّة معاملاتهم هذه الشنيعة على اعدائهم بل يُجرونها ايضاً في ذويهم فانّهم لمّا مات لينين منشئ الثورة الاكبر اوقفوا رفيقهُ تروتسكي وهم يرصدون كل حركاتهِ وسكناتهِ حتى اذا وجدوا فيهِ ما يريبهم اوقعوا بهِ كفعل الذئاب التي تثب على احد ذويها ان رأتهُ مصاباً بجرح ولا ترى في كبار الشيوعيّة رجلاً يثق بصاحبهِ فكلهم على حذر من بعضهم كزينوفياف وستالين وكومنيف لا يتّفقون إلّا في اعمال الجور والظلم. وقد اختار البولشفيك كرئيس لمجلس الامّة المسمّى بيتر الذي اشتهر بمذابحهِ في خركوف وغيرها

ومن آثار الشيوعيّة في روسيّة المدارس الماكسة للدين وقد اخذت تأتي بثمارها فانّ عدد جرائم الاحداث بلغ في العام الماضي نيّفاً وخمسين الفاً بموجب الاحصاءات الرسميّة

ودولة السوفيات تودّ التقرّب من الدول الكبرى التي لا تزال تطالبها بوفاء ديونها. فانّ لفرنسة وحدها على روسيّة عشرة مليارات فرنك ذهب. وتقس عليهِ بقيّة الدول. وبعد مباشرة المخابرات اضطرّت فرنسة وانكلترة الى قطعها

وقد احبّت روسيّة الرسميّة مع ذلك ان تبهر العالم بتمدّنها الكاذب اذ دعت العلماء الاوربيين الى مؤتمر علميّ في عاصمتها لينينغراد فاستشفّ الحضور من وراء تلك المظاهر المموّهة حالتها السقيمة وصرّحوا بها عند رجوعهم الى مواطنهم

﴿بولونية﴾ اوقع الكرسيّ الرسولي وجمهوريّة بولونية على معاهدة بين الدولتين في اواسط تموز

زار الجنرال غورو بولونية في اوائل الخريف فصار لهُ في كل انحائها استقبال ملوكي واستعرض جيش بولونية فوجده اهلاً بمفاخر اجداده القديمة فتوثقت عُرى الحب بين فرنسة وبلاد بولونية

﴿اليونان﴾ لم تصطلح الى اليوم احوالها الداخليَّة لعدم اتفاق احزابها السياسيَّة على وزارة ثابتة . والظاهر ان الجنرال ينغالوس يحاول التفرُّد في السلطة كما فعل موسوليني في ايطالية ليُخضع الكلّ تحت امره

وفي شهر تشرين الاوَّل حصلت المناوشات بين اليونان والبلغار اذ تجاوز جندي يوناني حدود البلغار فقُتل . فدخل اليونان اراضي البلغار وضربوا مدينة بيتريش ودخلوها وكاد يتفاقم الشرّ وتُعلن الحرب بين الدولتين فاقنعهما الوزير بريان ان تُرفع الدعوى الى مجلس التحكيم في لاهاي ففعلتا وحُكم على اليونان بدفع عشرين مليوناً للبلغار كتعويض

قد اخرج الاتراك من بلادهم ٢٠٠،٠٠٠ من اليونان المحتلّين فيها بادلوهم باتراك دولة اليونان . ومنَّن نُفوا من تركيَّة بطريرك الفنار قسطنطين غَرَبوغلو مع اربعة اساقفة نقلهم قطار خصوصي الى سالونيك . فاستاء اليونان من هذا العمل اذ لم يبقَ في القسطنطينيَّة (رومية الجديدة) أثر للبطريركيَّة المسكونيَّة (كذا)

ومن نكبات اليونان طغيان المياه في عاصمتهم اثينة وانفجار البركان المسمَّى نيوكياني القريب من جزيرة سنتورين في ١١ آب وما بعد .

﴿الدول البلقانيَّة﴾ يفرغ الشيعيُّون الروسيُّون جهدهم ليبثُّوا في البلقان آراءهم الفاسدة وقد صرفوا لبلوغ امنيتهم نحو ٥٠٠ مليون من الفرنكات . وهم الذين اوحوا الى بعض مشايعيهم في البلغار ان يفجروا الديناميت في كنيسة صوفيا الكاتدرائية يوم اجتمع فيها ارباب المملكة الَّا الملك الذي كان غائباً فقُتل عدَّة قوَّاد ووزراء واعيان واكليروس بلغ عددهم ١٤٠ قتيلاً و٢٨٠ جريحاً

وقد فعلوا ذلك لمعاهدة البلغار ورومانية للدفاع عن البلاد في وجه البولشفيك في شهر كانون الثاني

تنازل ملك رومانية كارُل عن حقوق المملكة لابنهِ ميشال الصغير فأُعلن بهِ ملكاً في ٢١ ك ١

تمنّى لحاضرة سربية بلغراد رئيسُ اساقفة كاثوليكي السيد رفائيل رودتش سقفهُ نائب الكرسي الرسولي بلغريتي وجرى ذلك بحفلة نادرة حضرها كل ممثلي الدول مع كبير وزراء المملكة. عدد الكاثوليك في بلغراد عشرة آلاف نفس وقد اضحت كنيستهم ضيقة على عددهم فاخذوا في بناء كنيسة كاتدرائية واسعة. وبين سربية والكرسي الرسولي معاهدة أُبرمت سنة ١٩١٤ .

ومن مآثم البولشفيك انهم حاولوا قتل رئيس سربية المسو باتشيش. امّا البانية فانّ للمسلمين فيها القدم الاعلى... وكان الكاثوليك ألّفوا حزباً قويًّا يرئسهُ الوجيه غورا روشي فجاهره العداء رئيسُ البلاد احمد زوغي واغرى قاتلًا بقتله فقُتل

٢ اميركة

﴿الولايات المتحدة﴾ صدّق المجلس الاعلى على اقامة السيد كلفين كولدج كرئيس قانوني على الولايات المتحدة. وكان قبل ذلك يرئس البلاد كُتُنيان الرئيس هردنغ المتوفى قبل نهاية زمان رئاسته

قد اظهرت اميركة بعض التشدُّد بطالبة دفع ديونها من الدول المتحالفة ولاسيما من فرنسة فعُقدت لذلك بعض الاجتماعات حضر الوزير كاليو آخرها في واشنغتن فلم تأتِ بنتيجة وصمّمت الولايات المتحدة على مطاليبها وكأنها نسيت بعض ما نالها من المرافق بسبب الحرب الكونيّة التي انتفعت بها اكثر من سواها لتأمين تجارتها واتساع نطاق اعمالها

وقد بُليت بعض معملات اميركة الشماليّة بإعصار هائل اضرّ بأهلها وذهب باعمار كثير منهم وخرب عددًا عديدًا من قراهم

ومن الاخبار السارّة نجاح الكنيسة الكاثوليكيّة المتواصل في اميركة الشماليّة التي بلغ ابناؤها نيّفاً و٢٦ مليوناً من النفوس بينهم ٤ كرادلة و ١٠٥ رؤساء اساقفة واساقفة و٢٠ رؤساء رهبانيّات و١٨٫٠٠٠ كاهن عالمي و٦٫٠٠٠ راهب و١٢٫٠٠٠ كنيسة. ومشروعاتهم الدينيّة والادبيّة والخيريّة لا يُحصى عددها. وقد عوّلوا اليوم على تشييد كنيسة فخمة على اسم قلب يسوع الاقدس في مدينة بتسبورغ قُدّرت نفقاتها بمليونين دولار اي ٣٨ مليوناً من الفرنكات

وممن توفي في العام الماضي من مشاهير الاميركيين السيد لوفهولن المدعو بملك الصابون المعروف بسُون لَيت (Sunlight) كان مولود رجل عطّار فاخترع صابوناً جديداً صرف على الاعلان به عدّة ملايين فصار من اكبر المثرين وانّما انفق قسماً كبيراً من ماله في الاعمال الخيريّة والوطنيّة وابتنى مدينةً دعاها « بورت سون لَيت » جهّزها بكل ما تحتاج حواضر البلاد اليه من ابنية وكنائس ومستشفيات وبساتين. مات في شهر حزيران

زار المثري الشهير روكفلر فرنسة ومرّ على مدينة ريمس لتفقّد احوال كنيستها التي دفع لاصلاحها اربعة ملايين من الفرنكات من ماله

تستعد شيكاغو لحفلات المؤتمر القرباني في الصيف القادم فستكون من اكبر مظاهر العالم يُنتظر لحضوره عدّة كرادلة و٥٠٠ رؤساء اساقفة واساقفة والوف من الكهنة ومليون من الكاثوليك فضلاً عن سواهم. وقد اخذت المدينة منذ اشهر في الاستعداد له وابتنت لذلك ابنية خاصّة ومدّت اسلاكاً جديدة للقطارات. ومن المعلوم انّ اول من حطّ رحالهُ في مكان شيكاغو هو المرسل الفرنسوي اليسوعي الشهير الاب مركِت (Marquette) سنة ١٦٧٤ والمدينة اليوم من اكبر مدن المعمور ينيف اهلها على ثلثة ملايين من البشر الكاثوليك منهم مليون ومئة وخمسون الفاً . ورئيس البلديّة فيها هو كاثوليكي عامل يوسف ديفا (M. J. Deva)

ومن اخبار اميركة الشمالية اكتشاف احد كبار الاثريين المهندس هرتنتون في معاملة نيقادا الجنوبية في بادية موهايا موقعَ مدينة كبيرة تقدّمت زمن الهنود يرتقي تاريخها الى بضعة آلاف من السنين وهي واسعة الارجاء كثيرة الآثار الدالّة على تمدّنها الراقي وُجدت في طور الظرّان

﴿كندا﴾ فقد الكاثوليك رئيس اساقفة حاضرتهم كيبك الكردينال بيغين المولود في ١٠ك٢ سنة ١٨٤٠ والمتوفى في ١٩ ك٢ ١٩٢٥ . تقدّمت في ايّامه الكنيسة تقدّماً كبيراً وتلك البلاد كان عدد كاثوليكها قبل مئة سنة ٥٠٠،٠٠٠ وهم اليوم اكثر من ثلثة ملايين

﴿اميركة الوسطى الجنوبيّة﴾ ان (المكسيك) لم تخرج بعد من أزمتها السياسيّة بعد تسلّط مناصري الثورة على تدبير امورها. ولعلّ اميركة الشمالية تتشرّف الى بسط

حمايتها عليها بدعوى إعادة السلام بين اهلها

انَّ قناة (بناما) مع سعتها قد اضحت اليوم ضيّقةً على السفن المديدة التي تقطعها ذهاباً واياباً بين الاوقيانسين فيفكر ارباب الدولة في توسيعها

﴿البرازيل﴾ ان اتساع اراضيها وما خصَّها الله به من الخصب وضروب المرافق الطبيعيَّة المعدنيَّة والنباتيَّة يزيدها كل يوم ثروةً . كفى بذكر بنيها البالغ نحو ثاني الصادر منهُ في المعمور . وللمهاجرين السوريين في البرازيل شأنٌ يُذكر بينهم كبار التجار واصحاب الصنائع والصحافيُّون والكتبة وغيرهم

والدين في البرازيل معزَّز والكنيسة وارباب المقام الحقيق بهم في المواطن الرسميَّة . على انَّ هناك ايضاً قوماً يحاولون الفتن والدسائس لينصبوا لهم عرشاً على اخربة السلطة المنظَّمة . ففي اواسط العام قام بينهم بعض اصحاب المشاغب وسعوا الى قلب الحكومة واستسلموا كألوف العادة الى النهب والسَّلب والمؤامرة على حياة السكان في سان باولو وريوجانيرو ولم تلبث الحكومة ان كسرت شوكتهم وردَّتهم خائبين

وقد رأينا في فصل الصيف وفد الزوَّار البرازيليين الى بلادنا والى زيارة الاراضي المقدَّسة فصار لهم احسن استقبال حيثما ساروا وشكر لهم اللبنانيُّون اصطناعهم الى المهاجرين الوطنيّين في بلادهم وكان بينهم الاساقفة والاعيان فمادوا الى بلادهم لاهجين بروءة اللبنانيين وكرمهم الحاتمي

﴿بوليفية﴾ احتفلت جمهوريتها في ٥ آب بتذكار استحرارها تناصرَ في مواسمها ارباب الدين والدولة فكانت الرتب الدينيَّة غاية في الأبهة والرونق فكلَّل ممثل الكرسي الرسولي تمثال السيدة العذراء العجائبي الشهير في «كابابنكا» بتاج من الحجارة الكريمة . واقامت الدولة في مدينة «لاباز» تمثالاً لبطل الوطنيَّة الجنرال سوكر

﴿شيلي﴾ كانت ازمَّة الحكومة في ايدي الرئيس ألِسَّندري من حزب الراديكال المتطرّفين فغلبهُ على منصبه الثاميرانو المعتدل لكنَّ اشياع السَّندري اعادوهُ الى منصَّة السلطان ثمَّ سقط ثانية ووقع الاختيار على رئيس جديد اسمهُ اميليانو فيغيروا

٣ افريقية

﴿مصر﴾ لم تهدأ المنازعات السياسيَّة بين اهلها من وطنيّين يطلبون ان ترفع

بريطانية العظمى يدها عن تدبير الأمور في مصر ويعادون الاجانب تحت لواء زغلول باشا ومن محافظين يرون العمل بحكمة وسكينة خوفاً من ان يزجوا البلاد في ورطة لا يمكنهُ النجاة منها يتّهم رئيس الوزارة احمد باشا زيور ويعضدهم جلالة السلطان فؤاد الذي اصبح موقفهُ حرجاً بتطرُّف الحزب الوطني لاسيما بعد قتل سردار السودان سر لاي ستيك . وقد ارسلت انكلترة ليخلفهُ في منصبهِ السياسيّ المحنَّك اللورد لويد جورج فقدم مؤخرًا الى مركز ولايتهِ

وقد وقف اللورد أَلنبي ورجالهُ على اصحاب الجريمة بحقّ السردار فحُكم عليهم بالاعدام — ومن اخبار مصر انَّ الخديوي السابق عبَّاس حلمي باشا الساكن حاضرًا في الاستانة يطالب انكلترة بحقّ املاكهِ المضبوطة البالغ ثمنها ٢،٨٠٠،٠٠٠ ليرة مصريّة . وقد فتح لهُ مصرفاً في العاصمة التركية

وقد سرَّنا ما اتَّفقت عليهِ وزارة المعارف ان يُعطى المدارسون في المدارس العموميَّة اساتذةً يفرضون عليهم الدروس الدينيَّة لكل طائفةٍ ذووها من كهنة او مشايخ لئلَّا تصبح مدارس مصر خالية من الدين وتلك الطامَّة العظمى

وقد تعزَّزت الكثلكة في القاهرة بعقد مؤتمر العائلة في العشر الاوَّل من أيار اشتركت في حفلاتهِ كلّ الطوائف الكاثوليكية تحت رئاسة القاصد الرسولي

﴿ الحبش ﴾ انَّ زيارة ولي العهد الى اوربَّة في العام الماضي افادت بلادهُ ماديًّا وأدبيًّا فسعى الى تحسين بلاد الحبشة وتجهيزها برافق التمدُّن الحديث املًا بتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها وتوفير اقتصادها

ومملكة الحبش تبلغ اليوم قريباً من سبعة ملايين نفوس منهم الوطنيُّون النصارى الاورثذكسيّون ثلثة ملايين ونصف والمسلمون ثلاثة ملايين والباقون من اديان شتى . وقد مُنحت الحرّية للكاثوليك من نحو نصف قرن وهم اليوم ٢٥،٠٠٠ يتبعون الطقس الشرقي الحبشي وفي بلاد الغالا ١٧،٠٠٠ من اللاتين . والرسلون الذين يبشرون تلك البلاد من الرهبان الكبوشيين والآباء اللعازريين ولكلّهم الايادي البيض في خدمة تلك الاوطان عرَّفها لهم النجاشي منيليك ومن قام بعدهُ

﴿ مراكش ﴾ قد شاعت اعمال قبائل مراكش العربية والبربريَّة تحت تدبير القائد الكبير عبد الكريم فجنَّد الجنود وجهَّزها بكل العُدَد الحربيَّة الحديثة

بمساعدة الضباط الالمان وانصار البولشفيك الروس . وناجز القتال الدولة الاسبانية فألحق بجيوشها اضراراً جمة واكرهها على التقهقر الى الريف واتصل بالاملاك الواقعة في دائرة النفوذ الفرنساوي فحاربها والموالين لها وطالت الحرب الى ان تمكن الفرنسويون من حصر ساحة الوغى . ثم اتفق الفرنسويون والاسبانيون على توحيد القوى في رد غارات العدو فلم يلبث ان فشل وضعف . والامل معقود ان سيدحر عبد الكريم تماماً بالمستقبل القريب . وكان الفضل في تنظيم حركات الجيوش الفرنسوية للمرشال ليوتي ثم لخلفه المرشال بيتان

٤ آسية

﴿الصين﴾ اصبحت الصين في حالة يُرثى لها من الفوضى والمشاغب لما بين شمالها وجنوبها من النفور والعداوة . وقد قام عدة قواد يعيثون بالبلاد ويلقون الرعب في قلوب السكان حتى لم يَعُد الناس يأمنون على حياتهم واموالهم

وقد وجد البولشفيك في الصين مستنبتاً موافقاً لزرع آرائهم الشيوعية فارسلوا اليها كثيراً من دعاتهم ليحرضوهم على الدول الاوربية وخصوصاً على انكلترة واليابان

فاجاب الالوف من الشبان والدارسين الى هذه الدعوة السيئة ثم شملوا ببغضهم كل الاجانب الذين في الصين . فاضطرت الدول الى ان ترسل الى سواحلها مراكب حربية وجنوداً يدافعون عن الغارات وعن حياة مواطنيهم

وفي اواخر كانون الثاني توفي احد زعماء الثورة الصينية المدعو «سون يات سين» ولد سنة ١٨٦٦ وتعاطى السياسة في وطنه مدة سنين عديدة فتقلب في وظائف بلاده وهو يسعى في كل حين الى تهييج مواطنيه ودفعهم الى كل المظالم حتى عُدت المؤامرات والفتن من مألوف حياته

وقد تفاقم الشر في الجمهورية الصينية وأيس الناس من الحصول على السلام . ومن غريب امر معلمي جامعة بكين الوثنيين انهم التجأوا الى الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر فالتمسوا وساطته بصفة كونه رئيساً على الدين المسيحي ليخمد بنفوذه ومشورته تلك المشاغب والفتن التي كادت ترمي الصين في مهاوي الشرور وفي الدمار التام فاجابهم الحبر الاعظم برسالة لطيفة بأنهم ايّاها انتدب قسطنطين القاصد الرسولي

في الصين ووعدهم افراغ كنانة الجهد في مساعدتهم

وقد نُكبت الصين ما خلا الآفات السابق ذكرها بالمجاعة وبطوفان المياه . وقد فجر النهرُ المعروف بالاصفر سدوده وامتدّ الى مسافات بعيدة في الاراضي فذهب باعمار كثيرين من الناس وغمر الحقول والبساتين وأتلف مزروعاتها

﴿اليابان﴾ قد تكرَّرت الزلازل التي اخربت توكيو في العام المنصرم وقد دمَّرت في هذا العام مدينتي «تروسك وكيتوساي» . وقد وقع حريق كبير في توكيو التهم ٣٫٥٠٠ بيت

ومن اخبار اليابان انَّ مجلسها النيابي منح النساء حقّ الانتخاب للمبعوثين

وقد اكتشف آخرًا الاب المُرسَل ڤيليان (Villien) في مدينة امنوشي الهيكلَ الياباني الذي نزل فيهِ القديس فرنسيس كسناريوس لما دخل تلك البلاد في السنة ١٥٥١ . وكان حاكم البلاد أفرزهُ لسكناهُ فسكنهُ ستَّة اشهر . فابتاع المرسلون هذا الهيكل وارادوا ان يقيموا بدلًا منهُ كنيسة كاثوليكيَّة بديعة فافتتحوا لذلك اكتتاباً اشترك فيهِ وليُّ العهد وكثيرٌ من اليابانيين اصحاب الثروة وقد احضروا لهُ صليباً كبيرًا سينصبونهُ في اعلى الكنيسة . وفي مشبَك الصليب سترسم صورة بديعة للقديس فرنسيس

﴿انَّام﴾ توفي في عاصمتها هواي ملكها «خاي دِنه» في ٨ تشرين الثاني وعمره اربعون سنة وهو يملك منذ السنة ١٩١٦ كان من اصدقاء فرنسة وزارها قبل سنتين ووضع ابنهُ وليَّ عهدهِ في مدارسها وقد اصبح اليوم وريثاً لمملكة والدهِ وعمرهُ نحو عشر سنين يُدعى «ڤنه توي» . وقد تألَّفت في ايام والدهِ شركات فرنسويَّة لاستثمار محصولات المملكة وترقية تمدُّنها . وبفضلهِ فُتحت عدَّة مدارس وانشئ متحف لعاديَّات انَّام

ومملكة انَّام داخلة في الهند الصينيَّة الفرنسويَّة المتركبة من خمس ممالك قديمة وهي قوصنصين وكمبودج وتونكين وانَّام ولاوس . مجموع اهلها ينيف على ١٩ مليوناً من النفوس والكاثوليك فيها بموجب الاحصاء الاخير ١٫١٢٤٫٠٠٠ يدبرهم ١٣ اسقفاً ونائب رسولي و٤٠٠ مرسل اجنبيّ والف كاهن وطني

﴿ كورية ﴾ يبلغ عدد اهلها ١٨٫٠٠٠٫٠٠٠ . بقي ملوكها مدَّةً مناصبين لنشر

الدين الكاثوليكي فمات في سبيله احد الاساقفة المدعو ايزمبرت وكثير من المرسلين ومن الكهنة الوطنيين . وقد طوّب الحبر الاعظم في العام المنصرم ٧٩ منهم كشهداء قُتلوا بين السنة ١٨٣٩ الى ١٨٤٦ . وقد سقى دمهم الزكي تلك الارض فأخصبت بعد أن أُطلقت لاهلها حرّية الدين سنة ١٨٨٢ وعدد الكاثوليك ينيف حاضراً على ١٧٠،٠٠٠ يرعاهم اربعة نوّاب رسوليين

﴿سيام﴾ كانت وفاة ملكها المدعو راما السادس في تشرين الثاني ١٩٢٥ كان تبوّأ العرش سنة ١٩١١ وعمره ٣٠ سنة . خلفهُ في الملك اخوهُ «ساكدُويا» باسم راما السابع . وكان للمتوفى ابن وليُّ عهده قضى نحبهُ في هذا العام في شهر شباط

﴿الهند﴾ لا يطيق اهلها النير البريطاني ولذلك قد اصبح موقف دولة انكلترة حرجاً لا بُدَّ لها آجلاً او عاجلاً ان تمنح تلك البلاد الواسعة التي تريد مساحتها على اوربّة استقلالاً نوعيًّا لاسيما اذا اتّفق المسلمون والهنود البرهمانيون والبوذيون البالغ عددهم نحو ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ . وانما يتأجل الامر مدّةً لسبب اختلاف العناصر والاديان . امّا النصرانيّة فلا تزال قليلة بالنسبة الى سواها فعدد الكاثوليك مليونان بنيّف ولعلّ البروتستانت يزيدون عنهم

ومصائب الهند كثيرة في كل عام لسبب الامراض والاوبئة والمجاعة والحيوانات الضارية كالفيلة البرّيّة والنمورة وكالافاعي السامّة التي يموت بفتكها او لسعها سنويًّا نحو ثلثين الفاً . ويخبر انّ ملكة بلجيكة في رحلتها الى الهند في هذا العام قتلت نمرًا

﴿العجم﴾ خلع اهلُ العجم ملكهم الشاه احمد كجار الذي كان يعيش في باريس متحايداً عن سياسة اهل وطنهِ . وكان يدبّر البلاد رضا خان فمالت نفسهُ الى الملك ووافق المجلس الوطني على انتخابهِ . وبملكهِ هبطت الدولة الكجاريّة المالكة منذ ١٢٥ سنة . وقد احتجّ الشاه احمد على ما فعلهُ مواطنوهُ بخلعهِ ولكنهُ لم يجد صدًى لاحتجاجهِ وقد دُعي الملك الجديد بالشاه بهلاوي

﴿العراق﴾ قدمُ بريطانية العظمى راسخةٌ في العراق وليس ملكها فيصل الّا صنيعة الانكليز . وقد سافر في هذه السنة الى لندن ليطّلع على مرغوباتهم فيجري في سياستهِ على مقتضى نيّاتهم . ولا يُنكر ان الامان الحاصل لاهل العراق ينالونهُ خصوصاً بفضل الانتداب البريطاني

لم يُقضَ مشكل الموصل وولايتها بين انكلترة وتركيا. بل توتّرت المسألة حتى خيف من وقوع الحرب فأُحيلت الى جمعية الامم في لوزان ومنها الى مجلس التحكيم في لاهاي فرجّحوا حقوق العراق ونالت انكلترة ان تواصل انتدابها على الموصل الى مدة ٢٥ سنة إلّا ان تركية لم ترضَ حتى الآن بهذا الحكم. امّا الاهلون فشكروا الله على نجاتهم من ظلم الاتراك

﴿جزيرة العرب﴾ قد حصل فيها انقلاب عظيم بانتصار عزيز بن سعود على الملك حسين في مكّة اوّلًا ثمّ على ابنهِ عليّ الذي اقامهُ في مكانهِ لمّا نقلتهُ انكلترة اسيرًا مكرَّمًا بعد خروجهِ من مكة واحتلالهِ العقبة. ثمّ استمدّ اشهرًا لفتح جدّة والمدينة المنوّرة فدخلها في كانون الاوّل. فصارت الجزيرة الّا اليمن في حوزة الوهابيين

امّا اهل جزائر البحرين فحاولوا الاستقلال وطلبوا رفع انكلترة يدها الثقيلة عنهم لكنّ الانكليز على عكس ذلك عزلوا اميرهم الشيخ عيسى واقاموا لهُ خلفًا على الرغم من السكّان فنفّروهم عليهم — وحدث بعد ذلك في البحرين إعصار هائل ذهب بحياة نحو سبعة آلاف من اهلها ولاسيما صيّادي اللآلي في مغاص البحرين وغرّق نحو ٢٠٠ قارب من قواربهم

﴿فلسطين﴾ تغيّر مفوّضها الاعلى السر صموئيل هربرت فودّع فلسطين في غزّة تموز بعد ان خطب في العموم ذاكرًا ما نالتهُ البلاد في زمانهِ من النجاح في التجارة والصناعة والزراعة ومن الامان وفتح الطرق وتخفيض الضرائب. وانّما سكت عن تعزيزه للصهيونيّة وعن انشائها لمحفل ماسوني صهيوني

وقد خلفهُ في منصبهِ لورد بلومر فتخوّف الصهيونيون ومناصروهم من ان يضع حدودًا لمطامعهم الاشعبيّة التي جاهروا بها عند زيارة لوزد بلفور الى فلسطين في آذار ونيسان. لكنّ اللورد كاد يذهب ضحيّة تحزّبهِ للصهيونيّة في دمشق لولا الدرك المرسل من الجنرال سراي لحراستهِ

ومن الاخبار الكاثوليكيّة المتعلّقة بفلسطين تعيين رئيس جديد لحراسة الاراضي المقدّسة حضرة الاب اوريليو مارونّا تسلّم في شهر شباط مهامّ رئاستهِ — ومنها حفلة وضع الحجر الاوّل لمكتب بابوي للدروس الكتابيّة لاحق بمكتب روميّة يرئسهُ حضرة الاب مالّون اليسوعي تولّى هذه الرتبة غبطة البطريرك الاورشليمي اللاتيني.

ومنها ايضاً وفاة رجل الخير الشهير الكونت بيالا (Cte de Piellat) الفرنسوي منشئ مستشفى مار لويس ودليل زوّار الاراضي المقدّسة لعلمه بآثار فلسطين .

امّا دولة ما وراء الاردن فقد اتّسمت بدخول معان وعقبة في حكمها . أُعلن بذلك رسمياً بعد نفي الملك حسين منها الى قبرس . وقبرس هذه التي كانت سابقاً تحت حماية انكلترّة قد أصبحت منذ غرّة ايّار مستعمرة بريطانية جارية على قوانين المستعمرات . وممّا فرض بهِ حاكمها تعميم التاريخ الغربي في كلّ المعاملات وفي الاعياد السنويّة

﴿تركيّة﴾ يسعى الاتراك ضابطو عنان الامور في انقرة التشبُّه باوربّة لاسيما بتُشريّاتها كاستبدال الماس والقلباق بالقبعة الفرنجيّة وكنزع النساء لحجابهنّ وكالجري بموجب التاريخ الغربي . وممّا استحدثوهُ تلاوة القرآن بالتركية . وكادوا يحرّرون المدارس عن التعليم الديني . وارادوا ان يغصبوا ارباب المدارس الكاثوليكية على الحياد عن الدين ولمّا لم يوافقوهم اقفلوا مدارسهم الى ان توسّط في الامر النائب الرسولي فنُتحت مع بعض التحوير في شروط التعليم

ومن اخبار تركيّة سقوط وزارتها في شهر آذار فتشكلت وزارة جديدة برئاسة عصمت بك . وفي شهري آذار ونيسان نشر الاكراد راية العصيان تحت قيادة الشيخ سعيد والشيخ مصطفى فاستولوا على بعض الانحاء في جهات ديار بكر وخربوط فارسل عصمت باشا ثلثة طوابير لمحاربتهم فانتصروا عليهم وحكموا على زعمائهم بالاعدام او النفي . ونفي ايضاً حسين جاهد مدير جريدة تنين لانتقادهِ على الحكومة

وممّا هجت بهِ ألسنة العموم تطليق مصطفى كمال لامرأتهِ لطيفة هنوم

﴿سوريّة ولبنان﴾ استدعت فرنسة في اواخر العام من السنة ١٩٢٤ مفوّضها السامي الجنرال ڤيغان نسافر وقلوب الاهلين تصحبهُ والسنتهم تتعطّر بالثناء على اعماله الجليلة . ولمّا جاء خلفهُ الجنرال سرّاي في اوائل العام الجديد أعرب منذ قدومهِ عن سياسة خرقاء بمعاملاتهِ الجاهلة مع ارباب الدين وعُمال دولتهِ الكريمة ثمّ مع الاهلين واصحاب الدول الواقعة تحت الانتداب الى ان كان ما كان من قيام سلطان باشا الاطرش ومشايعيهِ الدروز فاضرموا نار الفتن مجاهرين بالعصيان ومؤلفين العصابات التي

بثوهـا في كل الانحاء فما اكتفوا بمحاربة السلطة المنتدبة بل أفرغوا سجال سخطهم على كل البلاد الموالية للانتداب. وخصوصاً في جبل الدروز ثمَّ في دمشق وضواحيها وفي جنوبي لبنان في حاصبيا وراشيا وكوكبا فلم يدعوا جناية إلّا ارتكبوها وجريمة إلّا اجترحوها خصوصاً بحقّ النصارى وطال مدى فظائعهم وحتى اليوم لم تنتهِ

فاضطرّت الحكومة الفرنسويّة الى استدعاء الجنرال سرّاي وتعيين خلف لـهُ فخامة المسيو هنري دي جوفنل فلما قدم صار لهُ استقبال شائق واظهر منذ قدومهِ نيّتهُ بان يسير في اصلاح الامور بكل عدل وحزم والامل معقود على قرب خمود هـذه الفتن. ومما يؤسف لهُ ان بعض المسلمين الوطنيين من اهل دمشق وحماة وبعض القرى انحازوا الى العصابات الدرزيّة وساروا على آثارها فأخذوا بذنبهم

ومن الاخبار الدينيّة في العام المنقضي ما أقيم في كليّة القديس يوسف من المواسم البهجة تذكاراً بيوبيلها الذهبي (١٨٧٤ــ١٩٢٥) وقد مرَّ في المشرق وصف تلـك الحفلات الجليلة . وبهذه النسبـة نذكر ما أُلحق بأبنيتها من المعاهـد الجديدة غربيَّ المدرسة. وما اضيف الى مكتبها الطبي من الفروع الجديدة كمعهد الطبابة الطبيعيَّـة (Institut de physico-thérapie) ومعهـد التحليل الكيموي والبكتريولوجي ومعهد علاج السرطان

واحتفل الروم الكاثوليك في عكا والسريان الكاثوليك في الشرفة بيوبيـل سيادة المطرانين الجليلين غريغوريوس حجّـار وميخائيل بخاش بنسبة بلوغهما السنة الخامسة والعشرين من اسقفيّتهما. فنال السيّدان تهـانئ العموم مع شكر ذويهما على خدمهما الى الكنيسـة والوطن

وقد استأثر الله بعبدهِ الامين غبطة البطريرك الكلي الطوبى ديمتريوس القاضي في ٥ من تشرين الاول فعمَّ الاسف على فقد مثلهِ حبراً جامعاً لكل صفات الاحبـار الاجلّاء مخلّداً في القلوب ذكر فضائلهِ السامية. وقد لطّف الله نوعاً هذا المصاب على طائفتهِ الكريمة بانتخاب خلفهِ ذي المآثر الجمّة في المناصب التي تولّى تدبيرها بصفـة كاهن ورئيس واسقف غبطة السيد كيرلّس التاسع مغبغب. فما كاد يقع على غبطتـهِ الاختيار حتى اجمع الكل على مقدرتهِ الواسعة في رعاية الخراف الناطقة الموكولة الى عنايتهِ. بأمنة الله تحقيق امانيهِ لمجدهِ تعالى وخدمةً للوطن

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

الآداب العربيَّة من ١٩٠٨–١٩١٨

البحث الاول (تابع)

نظر في الآداب العربية في هذه الحقبة (تابع)

ومن ميزات هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين تصرُّف الشعراء باوزان الشعر وذلك انهم لما رأوا انبساط الغربيين في معاني الشعر واتساعهم في اغراضهِ وتصرُّفهم باوزانهِ شاءوا ان يجاروهم في ذلك لئلَّا تنحصر قرائح الشعراء في دائرة القصائد الشائعة في الدواوين السابقة

واوَّل ما تصرَّفوا فيهِ بحر الرجز لقربهِ من النثر بكثرة جوازاتهِ وبسهولة تقييد قوافيهِ. كما فعل نابغة العصر المرحوم سليمان البستاني في شعر الالياذة القصصي فتفنَّن في اراجيزهِ ايَّ تفنُّن فرارًا من سأم القارئ ومنه عند مطالعة هذا الكتاب لو جرى على طريقة واحدة وقد فعل ذلك دون تعسُّف وبحسن ذوق

ووجد ايضاً الشعراء في الموشَّحات متسعاً في نظمهم فاتَّخذوها مثالًا وتصرَّفوا في البحور الستة عشر واوزانها وقسَّموها تقاسيم جديدة في الابيات وفي الادوار وجروا على قوافي متناسقة الى غير ذلك مما ارشدتهُ اليهم قريحتهم فربَّما اجادوا وربَّما اساؤوا وانَّما بيَّنوا ما يستطاع استخراجهُ من كنوز الفنون في الشعر العربي في معالجة الاغراض المعنويَّة العصريَّة كما ترى في الروايات التمثيليَّة والقدود الغنائيَّة

وقد جرى على ذلك اصحاب الشعر العامي ولعلَّهم سبقوا الشعراء النظاميين فهدوا

فهم الطريق . ولدينا من دواوينهم مجاميع سبقت عصرنا تدلّ على استنباطهم لاوزان شعريّة جديدة لا تخلو من محاسن المنظومات ولا ينقصها إلّا ضبطها على القواعد اللغوية والعروض وتجريدها من بعض الفاظ العامّة

ومما سبق اليه أدباء عصرنا فابتكروه دون مثال في امتنا ما دعوهُ بالنثر الشعري كأنهُ جامع بين خواصّ النثر والنظم أمّا النثر فلأنهُ على غير وزن من اوزان البحور . وامّا النظم فلانهم يقسمون مُتاطعهُ ثلاث ورُباع وخُماس وازيد دون مراعاة اعدادها ويسبكونها سبكاً موّهاً بالمعاني الشعريّة

وهذه الطريقة استعارها على ظننا الكتبة المحدثون كأمين الريحاني وجبران خليل جبران ومن جرى مجراهما عن الكتبة الغربيّين ولاسيما الانكليز في ما يدعونهُ بالشعر الابيض غير المقفّى وفي بعض كتاباتهم الشعريّة المعاني غير المقيّدة بالاوزان . ولسنا لننفي هذه الطريقة الكتابيّة التي لا تخلو من مَسحة من الجمال في بعض الظروف اللهمّ اذا رُوعي فيها الذوق الصحيح ولم يَشِنها الاستهتار وتلاحمت معانيها وتنمّقت بأشكال البديع السهلة المنسجمة ولم يُفرَط الاتساع فيها فتصبح لَغطاً وثرثرة

على انّنا كثيراً ما لقينا في هذا الشعر المنثور قشرة مزوّقة ليس تحتها لباب وربما قفز صاحبها من معنًى لطيف الى قول بذيء سخيف او كرّر الالفاظ دون جدوى بل بتعسّف ظاهر . ومن هذا الشكل كثير في المروّجين للشعر المنثور من مصنّفات الريحاني وجبران وتبعتها فلا تكاد تجد في كتاباتهم شيئاً ممّا تصبو اليه النفس في الشعر الموزون الحرّ من رقّة وشعور وتأثير خذ مثلاً وصف الريحاني للثورة :

ويومها الغضب الصبيب . وليلها المنير العجيب

وعصرها الآفل يحدّج بعين الرقيب

وصوت فوضاها الرهيب . من هتاف وطلب وغيب . وزئير وعندلة ونحيب

وطغاة الزمان تصير رماداً . واخيارهُ يحملون الصليب

ويل يومئذٍ للظالمين . للمستكبرين والمفسدين

هو يوم من السنين . بل ساعة من يوم الدين

ويل يومئذٍ الظالمين

هي الثورة ويومها العبوس الرهيب

الهوية كالشفق تفرج . تنير القريب . تنير البعيد
وطبول تردّد صدى نشيد عجيب
وابواق تنادي كلَّ سمع مجيب
وشرر عيون القوم يرمي باللهيب
ونار تسأل هل من مزيد . وسيف يجيب . وهول يشيب
ويل يومئذٍ للظالمين . ويل لهم من كلّ مريد مهين
طلّاب للحقّ عند مدين . ويل للمستهزئين والمستأمنين
هي ساعة الظالمين

وهي طويلة على هذه الشاكلة. ولو اردنا انتقادها وبيان تناقضها النثريّة والشعريّة والمعنويّة لطال بنا الكلام. وقس عليها فصولاً عديدة من جنسها اعني طنطنة الفاظ وشقشقة لسان واذا حاول الاديب استخلاص معانيها بقي متضعضعاً مرتاباً

وكم مثلها في كتابات جبران. دونك فصلهُ المعنون بالارض:

تنبثق الارض من الارض كرهاً وقسراً
ثمّ تسير الارض فوق الارض تيهاً وكبراً
وتقيم الارض من الارض القصور والبروج والهياكل
وتنشئ الارض في الارض الاساطير والتعاليم والشرائع
ثمّ تلّ الارض اعمال الارض فتحوك من هالات الارض الاشباح والاوهام والاحلام
ثمّ يراود نعاسُ الارض اجفان الارض فتنام نوماً هادئاً عميقاً ابديّاً
ثم تنادي الارض قائلة للارض
انا ارحمك وانا اقبر وسأبقى رحماً وقبراً حتى تضمحلّ الكواكب وتتحوّل الشمس الى رماد

فعمري هذه الفاظ لا شيء فيها من منظوم رائق ولا منثور شائق هي اقرب الى الهذيان والسخف منها الى الكلام المعقول . ولو شئنا لجمعنا من هذا الصنف صفحات تضيق عنها اعداد المشرق. وشتّان بينها وبين فصول أخرى بديعة لبعض الكتبة البلغاء كمثل فصل رويناهُ في المشرق عنوانهُ « الموسيقى » لصديقنا وفخر كليّتنا الاديب يوسف افندي غصوب (راجع كتابهُ اخلاق ومشاهد ص١١٧) وكفصلهِ « ايها الصليب » (المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ١٦٣) فاذا استثنينا هذه الفصول الرائعة التي عرف صاحبها من اين يؤكل الكتف لصدّقنا على قول الكاتب الاديب مصطفى افندي صادق

الرافعي في عدد المقتطف الاخير (يناير ١٩٢٦ ص ٣١)

نشأ في أيامنا ما يسمونهُ «الشعر المنثور» وهي تسمية تدلُّ على جهل واضعيها ومَن برضاها لنفسهِ ؟ فليس يضيق النثر بالمعاني الشعريَّة ولا هو قد خلا منها في تاريخ الادب . ولكن سرّ هذه التسمية انَّ الشعر العربي صناعة موسيقية دقيقة يظهر فيها الاختلال لأوهى علَّةٍ ولأيسر سبب ولا يوفَّق الى سبك المعاني فيها إلّا من امدَّهُ الله بأصلح طبع وأسلم ذوق وأفصح بيان ، فمن اجل ذلك لايحتمل شيئاً من سخف اللفظ او فساد العبارة او ضعف التأليف . . . غير انَّ النثر يحتمل كل اسلوب وما من صورة فيه الّا ودونها صورة الى ان تنتهي الى المعنى الساقط والسوقيّ البارد ومن شأنهِ ان ينبسط وينقبض على ما شئتَ منهُ ، وما يتَّفق فيهِ من الحسن الشعري فانَّما هو كالذي يتَّفق في صوت المُطرب حين يتكلَّم لا حين يتغنَّى . فمن قال «الشعر المنثور» فأعلم انَّ معناهُ عجزُ الكاتب عن الشعر من ناحيةٍ وادّعاؤهُ من ناحيةٍ اخرى

وقد آثر البعض ان يدعوا هذه الطريقة الكتابيَّة «بالادب الجديد» فنقول انَّ هذه الجدَّة لا تزيدهُ حسناً الّا اذا جمعت تلك الصفات التي يمتاز بها انشاء الكتبة البلغاء الحسنة السبك المتناسقة الالفاظ المنسجمة المعاني التي لا تتراكم فيها التشابيه على غير جدوى وتتكرَّر الالفاظ بلا معنى وعليهِ لم نستحبّ ما اختارهُ صاحب الادب الجديد للآنسة مي في العيون

العيون : تلك الاحداق الفاتنة في الوجوه كتعاويذ من حلك وجين
تلك المياه الجائلة بين الاشفار والاهداب كبحيرات تتطفَّن بالشواطئ واشجار الحور
العيون الرماديَّة بأحلامها . والعيون الزرقاء بتنوّعها
العيون السليَّة بحلاوتها . والعيون البنيَّة بجاذبيَّتها
والعيون الفاتنة بما يتناوجها من قوَّة وعذوبة

جميع العيون : تلك التي تذكّرك بصفاء السماء
وتلك التي يركد فيها عمق اليوم (كذا)
وتلك التي تريك مفاوز الصحراء وسرابها
وتلك التي تمرّج بخيالك في ملكوت الخير كله جاء
وتلك التي تمرّ فيها سحائب مبرقة مهضبة . . . . الخ

فان كان هذا هو الادب الجديد فنحن في غنًى عنهُ . على انَّ للآنسة مي كتابات كثيرة افضل من هذا الشعر المنثور (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

INSTITUTIONES THEOLOGICÆ DOGMATICÆ auctore L. Lercher s.j. : I De Deo Uno et Trino, De Deo creante et elevante, *pp.* XXVI-511 — II De Deo Incarnato et de Gratia Christi, *pp.* 611, *Inshruck*, 1924 *et* 1925, *ed. Felicien Rauch*.

مجلّدان في اللاهوت النظري في التوحيد والثالوث والتجسد

الاب لرشر اليسوعي خلفَ اللاهوتيّ الشهير الاب هُرتر صاحب التآليف اللاهوتية الشائعة . وها هوذا يجاري سلفهُ بمنشوراته في اللاهوت النظري التي أَجلنا فيها النظر بكل لذة فوجدناهُ خير خلف لخير سلف . واملهُ يمتاز عن سلفهِ الذي كان يتّسع بشواهد الآباء ويعدُّ الدارسين المدافعة عن الدين بالوعاظة . امّا الاب لرشر فانهُ يتعمّق اكثر منهُ في شرح القضايا ويجري على آثار كبار اللاهوتيين ولاسيما إمامهم القديس توما الاكويني الذي يعرف مصنّفاتهِ حقّ المعرفة . امّا في شرحها فانهُ يجري على آثار الاب سوارس اليسوعي واساطين اللاهوتيين في رهبانيّتهِ لاسيما في ما يختصّ بالنعمة وحرّية الانسان وعناية الله في انتخاب الابرار وغير ذلك من المسائل الجوهرية التي تدافع الرهبانيّة اليسوعيّة عن صحّتها مع معظم معلّمي الكنيسة . ومن ذلك ما قرّرهُ مع القديس توما عن الصغار المائتين دون المعاد فانهُ يفتي بهلاكهم وينفي عذابهم الحتي . ومن حسنات المؤلف انهُ في بعض المسائل العويصة التي لم تقضِ فيها الكنيسة يعرض آراء كل فريق مع ما لهُ من الحجج في بيان رأيهِ ويدَع الحكم للقرّاء . ومما لا نوافقهُ فيهِ قولهُ عن اصل الانسان الذي على رأيهِ خُلق قبل سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة قبل المسيح . فانّنا نظنّ ان هذه المدّة غير كافية بعد الاكتشافات الاثريّة والجيولوجيّة المستحدثة . وكذلك قولهُ في رأي الذين يزعمون بان الله امكنهُ ان يُعطي للحيوان ان يتحوّل حتى اذا بلغ درجةً من الكمال يجعل فيهِ النفس البشرية فان الاب لرشر يظنّ انّ هذا الرأي مخالف للايمان . وعلى ظننا انهُ فقط رأي ضعيف لا سند لهُ في العلم . وفي الختام نتمنّى ان يتمّم المؤلف قريباً ما بقي لهُ من هذا التأليف الجليل

الاب ف . تورنيز

LEÇONS D'HISTOIRE SAINTE à l'usage des enfants par l'abbé CL. FILLION. Cours élémentaire illustré. 1 *vol. in-16, Tours, maison Mame, Prix*, 2 *f*,50

دروس التاريخ المقدس للاحداث

نعم الكتاب لتهذيب الاحداث ألّفهُ احد مستشاري اللجنة الكتابيّة البابويّة . فانّهُ مع ما ضمّنهُ فيهِ من التعاليم الوثيقة عرف ايضاً كيف يقرّبهُ الى أذهان الناشئة . وقد اصاب الهدف بما اختارهُ للكتاب من التصاوير التي أخرجها المصوّر بتمام دقّتها وحسنها ج . لوقنك

Kempf (Constantin s. j.): DIE HEILIGKEIT DER GESELLSCHAFT JESU. 2ter Band. In der Missionen, 8°, *pp.* 302, *Einsiedeln, Verlagsanstalt Benziger u. C°, Prix* 24 *f*,75

قداسة الرهبانية اليسوعية في رسالاتها

سبق لنا في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٢٣٠) وصف الجزء الاوّل من هذا الكتاب الذي خصّهُ مؤلفهُ بوصف القداسة التي امتاز بها كثيرون من اليسوعيين وذلك بنسبة المئة الثالثة لتثبيت قداسة منشئهم القديس اغناطيوس فذكر عدداً وافراً من الذين نظمهم الاحبار الرومانيون في سجلّ اولياء الله . وقد لاحت قداسة هذه الرهبانيّة في حلبةٍ أخرى اعني في رسالاتها العديدة بين شعوب العالَمَين فظهر بين مرسليها ابطال بلغوا بفضائلهم السامية الى اعلى درجات القداسة تقدّمهم القديس فرنسيس كسفاريوس رسول اليابان والهند وتبعهُ ألوف من اخوتهِ أذهلوا العالم بأعمالهم الشريفة بينهم العدد العديد من الشهداء في اليابان والصين واميركة كثانية شهداء كندا الذين أعلن احبار الاعظم تطويبهم في السنة الماضية . وكم غيرهم آخرين يستحقّون هذا الاكرام وقد تلفّت اخبارهم بالقاء الرهبانيّة اليسوعيّة كشهيد براغواي الاب هرمان غلندورف (†١٧٦٣) الذي لُقّب بكسفاريوس الثاني . فمؤلف هذا الكتاب اراد ان يحيي ذكرهم لكنهُ اعترف بقصوره عن وصفهم بكتاب واحدٍ فاكتفى باوسعهم شهرةً فعسى ان يكتفي القرّاء بهذا القليل ريثما يقوم كاتب آخر يواصل هذا العمل الذي يستغرق عدّة مجلّدات . وقد صرّح المؤلف بان كثرة اشغالهِ اضطرّتهُ الى طلب مساعدة بعض اخوتهِ لنشر هذا الكتاب الثاني الاب ي . ديلنسيغر

Samuel M. Zwemer : A CALL TO PRAYER. Why pray for Moslems? *in-12, 80 pp. Marshall Brothers, London, Prix 3s, 6*

الدعاء الى الصلاة لاجل المسلمين

مؤلف هـذا الكتاب حضرة مدير مجلة العـالم الاسلامي The Moslem World يتلهّب غيرةً لخير المسلمين ويودّ من صميم قلبه تنصّرهم وذلك ما ساقهُ الى نشر هذه الدعوة في انحاء البلاد . وليس في عمله هذا ما يثير عليه حقد المسلمين فانَّ كلَّ من يعتبر نفسهُ في الدين الحقّ يودّ لو شاركهُ فيه مَنْ يريد لهم الخير . وتلك رغبة كل المرسَلين باسم السيد المسيح . ولبلوغ هذه الغاية الشريفة لم يجد حضرة المؤلف سبباً اقرب من الصلاة التي لها اكبر فعل على قلب الله . وكفى شاهدًا على ذلك ما ورد في الانجيل مرارًا عديدة . وقد نعتها الانكليزي الكبير غلدستون باسنى رياضات العقل البشري «Prayer is the highest exercice of the human intellect» وقد اضاف المؤلف الى هذا القول اعتبارات أُخرى تدعو الى الاستمرار بالصلاة . منها حاجة النفوس الاسلاميَّة الى معرفة الحقّ . ومنها ما يلوح في كثير من المسلمين من التقرُّب الى الدين المسيحي . وزِدْ عليه التسهيلات الجديدة لتبشيرهم مع تغيير هيئة العالم بعد الحرب الكونيَّة . فيا ليت كثيرين يجيبون الى دعوة المؤلف ليطلبوا من الربّ «الفتّاح» ان يفتح نورهُ على قلوبهم ويحقّق ما يردّدونهُ كل يوم في فاتحة القرآن اذ يطلبون منهُ هذه النعمة بقولهم : «اهدِنا الى الصراط المستقيم» الاب ادمون لايّ

E. Frick : Die Christologie des Islams von SAMUEL M. ZWEMER. *1 vol. in-8°, Stuttgart*, 1921

المسيح بموجب الدين الاسلامي

هذا بحثٌ اصدره بالانكليزية الكاتب الفاضل صموئيل زڤيمر صاحب التأليف السابق فنُقل الى الالمانيَّة . مدارهُ على ما ورد في القرآن وفي الحديث عن السيّد المسيح واسمائه وسيرته البارَّة وعجائبه . ثم يبين كيف انَّ محمَّدًا قام شيئاً وشيئاً في مواطن حياته يحاول الوقوف مقامهُ . وقـد خصَّ الفصل الاخير من كتابه ليثبت ما يراهُ أمثل طريق لدعوة المسلمين الى النصرانيَّة الاب ه . لامنس

ALBERT CHEREL : 1°) La Famille française. Pages choisies de nos bons écrivains 2 *vols in*-16, *illustrés, Ed. Spes, Prix* 10 *f l'un*
2°)Un Aventurier religieux André Michel Ramsay.1 *vol. in*-16, 1926,*Paris, Librairie Perrin, Prix* 8 *f*

الاسرة الفرنسوية – الرحالة الديني رَمْساي

كتابان فريدان اهدانا اياهما احد الكتبة الفرنسويين البلغاء المسيو ألبار شيرل. (فالاوّل) قد خصّهُ بوصف الأسرة الفرنسويّة التي منذ اثني عشر جيلًا تشرّف الانسانيّة بسموّ فضائلها وكرم طباعها وشرف اعمالها وذلك دون انقطاع كما اثبتهُ صاحب الكتاب بشواهد جمّة بالنظم والنثر لا يفي بها الاحصاء. وكلّها تبيّن بأجلى برهان انّ تلك المزايا قد استمدّتهُ الأسر المذكورة من ايمانها فبلّغها مقامًا لم يَرْقَ اليهِ غيرها ومن جملتها أسرة فخامة مفوّضنا السامي المسيو دي جوفنل. فلا يتمالك الفرنساويّ عند قراءتهِ هذا الكتاب عن ان يهنئ نفسهُ بكونهِ احد اعضاء تلك الأمّة النبيلة. اما (الكتاب الثاني) فقد وصف فيهِ المؤلف رجلًا استقلنديًّا يُدعى اندره، يشال رَمساي اهتدى الى الكثلكة في فرنسة على يد السيد فنيلون اسقف كمبراي الشهير فتحزّب للمحسن اليهِ في الخلاف الذي جرى بينهُ وبين بوسويت الخطيب المصقع اسقف مدينة مو. فاستحبّ صفاتهِ واطرأ بمحامدهِ واذ رآهُ لين الجانب دمث الطباع في معاملاتهِ مع البروتستانت والمبتدعين نسب فعلهُ الى تساهل مفرط في الدين واخذ ينشر هذا الفكر في اسفارهِ وتآليفهِ فاستند اليهِ فلاسفة القرن الثامن عشر في منشوراتهم عن التساهل الذميم في الاديان. وانّما اتّخذهُ المسيو شيرل كمثال لدرس احوال المفكرين في القرون السابقة الذين اثّرت تعاليمهم في معاصريهم ج. ل

E. Bourguet: DELPHES. Prix 5 f = P.Roussel: DÉLOS, Prix 5f. Paris Société d'éditions «Les Belles Lettres»

حفريات مدينتي دلفي وديلوس

اشتهرت مدينتا دلفي وديلوس بآثارهما اليونانيّة في عهد الوثنيّة. وقد استخرجت البعثات العلميّة الفرنسويّة من تلك الآثار المطمورة بفعل الزمان ما احيا بين العلماء معالم تمدّنها. والكتابان الحاضران خلاصة تلك الحفريّات وتاريخ آثارهما المكتشفة مع وصفها العلمي وصورها المنقولة عنها برسم الشمس. وهما باكورة منشورات جماعة

«العالم اليوناني» التي يرتبها الاثري الشهير السيو هربرت برنو (H. Pernot) وغايتها وصف حواضر المدن القديمة المدمرة

DER ABSCHNITT, nach den Aufzeichnungen von Dr J. Schumacher, beschrieben von Dr C. Steuernagel. *Lieferung I u. II, Leipzig, Hinrichs*, 1925, *Prix* 10 *Marks la livraison*.

بلاد عجلون

موقع عجلون في ما وراء الاردن بين البلقاء جنوباً وجولان شمالاً يحدها في الشمال نهر اليرموك وفي الجنوب نهر الزرقاء. ففي تلك الناحية تجوّل الدكتور شوماخر العلّامة الفلسطيني الشهير ونشر عنها عدداً عديداً من المقالات المدققة في مجلة الجامعة الفلسطينيّة الالمانيّة (DPV). وقد اعتزل اليوم الاشغال في وطنه المانية لكنّهُ سلّم الدكتور شتاورناغل وطنيّة مجموعة اوراقه ومعلوماته ورسومه مع تصاويره فاسرع هذا الى نشرها في هذا الكتاب الذي يظهر تباعاً في المجلة الفلسطينيّة ويُطبع على حدة فقد ظهر منهُ قسمان وسيكمل بثلثة او اربعة اجزاء يخصّص آخرها بفهارس واسعة. ومما نجز من منشورات الدكتور شوماخر خارطة كبيرة لكل نواحي عجلون. ولا يسعنا الّا ان نثني على هذا العمل الذي لا ينقصهُ شيء من الكمال وننتظر اتمامهُ بفروغ الصبر

L. W. Collet: Les lacs, leur mode de formation, leurs eaux, leur destin. 1 *vol. in-8° avec* 63 *figures dans le texte et* 28 *planches hors texte*. 1925, *Paris, Libr. G. Doin, Prix* 33 *f*

دروس في البُحَيرات وتكوينها ومياهها ومصيرها

في جبال الألب بُحيرات عديدة كبيرة عُهدت مراقبتها الى صاحب هذا الكتاب من ادارة تدبير المياه فتدرّسها درساً علميًّا وكان سابقاً يراقب بحيرات سويسرة وسافر الى سكوسية والى اميركة الجنوبيّة للغاية عينها. فأحبَّ ان يدوّن في هذا الكتاب البديع نتيجة دروسه وملحوظاته التي مع كونها لم تشمل سائر بحيرات المعمور هي مع ذلك كافية لافادة العموم عن احوال البحيرات وكيفيّة تكوينها وطوارئ مياهها وتأثيرها في المظاهر الجوّية وفي النبات والاحراج وفعليا الكهربائي. وهي معلومات قلّما تجدها في غير هذا الكتاب ج. ل

ALMANACH CATHOLIQUE FRANÇAIS pour 1926. — *Paris Librairie Bloud et Gay, Prix 6 f*

التقويم الكاثوليكي الفرنسوي لسنة ١٩٢٦

نرحب بهذا التقويم الجميل الذي يظهر لسنته السابعة. كيف لا وقد اصاب في هذه المدة رضى الجمهور من خواص وعوام وليس يفيد لمطالعة مفردة فقط فانّ معلوماته تشمل كل ايام السنة لما يحتويه من الفوائد المختلفة ج. ل

Zur Entstehung und Komposition von Abūl-Alā's RISALAT AL-GUFRAN von Ign. Kratchkowsky

اصل رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي وتأليفها

في هذه الرسالة ألغاز لم يحلّها الذين عُنوا بدرسها وامّا هم ركبوا في شرحها الشطط فهمّ صديقنا العلّامة اغناطيوس كراتشكوفسكي بأن يبيّن معانيها في مجلّة Islamica (١ : ٣٤٤-٣٩٦) وما لها من العلاقة مع رسالة ابن القارح (اطلب ترجمتهُ في معجم الادباء لياقوت ٥ : ٤٢٤) فان رسالة الغفران اجابةٌ عنها وليست هذه الرسالة مجهولة كما ظنّ المستشرق الاسباني اسين بلاسيوس بل نشرها السيد محمّد كرد علي في المقتبس (٩ : ٥٤٥—٥٦٤) ومنها تتجلى معاني رسالة الغفران ويظهر غرضها. فنشكر صاحب هذه المقالة المفيدة وهي احدى خدمه المتواصلة للآداب الشرقية

P. Alexis Mallon: Quelques Stations Préhistoriques de Palestine. *in-4, pp. 35, avec 6 Planches, Beyrouth, Imprimerie Catholique*, 1925

محطّات سابقة للتاريخ في فلسطين

تجوّل حضرة الابوين اليسوعيين الكسيس مالون وبوثيه لابيار في اوقات الفراغ في بعض انحاء فلسطين في السنتين ١٩٢١ و١٩٢٢ وبحثا عمّا يوجد في كثبانها واغوارها واطلالها من الظرّان السابق للتاريخ فجمعا منهُ كمّيّة وافرة يرقى بعضهُ الى عهد الظرّان القديم وبعضهُ الى المتوسّط والحديث كمثل المُدَى والفؤوس والمناشير والمغازل والمناشط والازاميل وكلّها من الصوّان وقد وصف حضرة الاب مالون هذه الآثار الجميلة ورسم منها ستّ صور بديعة تحتوي على نحو ٢٠٠ حجر ظرّانيّة ل. ش

ترجمة البطريرك اللبناني مار الياس بطرس الحويك

بقلم حضرة البرديوط جبيقة

طُبع بالمطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٦ (ص ٨٨ × 48)

أولع حضرة البرديوط رئيس مدرسة القديس بطرس في بسكنتا بمحامد غبطة السيّد البطريرك الجليل مار الياس بطرس الحويك فيزفُّ لاعتابه في كل عام اثرًا من قلمه السيّال نثرًا ونظماً يكسوهُ ثوباً قشيباً من المحاسن الطبعيّة ويصدّره بصورة غبطته الكريمة وهو عملٌ يُعرب عن حبّ ابن مُخلص لاشرف الآباء . وفي هذا العام لم يكتفِ بالصفحات القليلة بل اراد ان يبني لذلك الاب الجليل عرشاً من الفخر لا تعبث به الأيام فكتب هذا السفر الواسع وضمّنهُ بالعربيّة والافرنسيّة سيرة حياة سيّدهِ وما لهُ من المآثر الجمّة في خدمة الكنيسة وطائفته الكريمة والوطن العزيز. امدَّ الله في حياة البطريرك اللبناني الكبير واجزل جزاء المشيدين بسوابغ نعمهِ

كتاب تنوير الاذهان في تاريخ لبنان

لمؤلفهِ ابرهيم بك الاسود

المجلّد الاوّل . طُبع بمطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٩٣٥ (ص ٥٨٤)

قليلون هم الذين عرفوا احوال لبنان كمثل صاحب البك مؤلف هذا الكتاب تشهد على معرفتهِ المجيل تآليفهُ الممتعة كالتحفة المدنية وذخائر لبنان ودليله - ومن ثمَّ قد اصاب بفكرهِ اذ عوَّل على تأليف اوسع في تاريخ لبنان يضمّنهُ ما عرفهُ من اموره التاريخيّة والادبيّة والإداريّة . وهذا القسم الاوّل حافل بوصف لبنان واقسامهِ وحدودهِ وجباله وانهارهِ ونظاماته وآثاره يليه مختصر تاريخه منذ عهد البابليين والمصريين الى عهدنا الحاضر افتتح كل ذلك بقصيدة عامرة الابيات في ١٧٠ بيتاً جعلها كخلاصة كتابهِ . ونشكر جنابهُ لذكرهِ غير مرَّة بالخير مجلّتنا المشرق . فما يسعنا إلّا أن نوصي القرّاء بمطالعة هذا التأليف الجليل الذي تزيدهُ حسناً تصاويره العديدة المثلة مشاهير لبنان

ل . ش

العشق الطاهر

للدوكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس النيابي

طبع في دار الطباعة الحديثة – بغداد ١٩٢٥ (ص ١٦٠×٢٢)

العشق افراط الحبّ ويكون طاهراً في عفاف ويكون خلاعياً في دعارة . فالدكتور سليمان افندي بصفته فيلسوفاً وطبيباً احبَّ ان يعالج هذا الموضوع فيفرز بين الحبّ الطاهر والهوى الخلاعي . وقد قسم كلامهُ في احوال الحبّ الى اثني عشر باباً الغالب فيها الشعر . وهو يسعى في كلها الى تحبيب العشق الطاهر المبني على العفاف والفضيلة والاخلاق الشريفة والاخلاص . وعلى عكس ذلك يبيّن ما في الحب الخسيس الدنيّ من غشم وجهل وعطب . وشفّعَ اقواله بخطابين بليغين في التربية ثم بقصيدة في الحبّ الطاهر العفيف دعاها القصيدة الفردوسيّة

مختصر تاريخ فرنسة

تأليف سليم الخوري رئيس مدرسة صيداء الوسطيّة

طبع في صيداء في مطبعة العرفان سنة ١٩٢٥ (ص ١٠٤)

قد تصفَّحنا هذا المختصر فوجدناهُ واضحاً حسن الترتيب والتقسيم معتدلاً في آرائهِ قد وضعهُ المؤلف طبقاً لبرنامج المعارف العموميّة وهو يتناول تاريخ فرنسة منذ عهد الغاليين قبل العهد النصراني الى عهدنا هذا الاخير بعد الحرب الكونيّة ومعاهدة فرسايل . ولعلّهُ كان يمكنهُ في بعض المواطن ان يزيد ايضاحاً في كشف وجه الحق وبيان اسباب الوقائع . وقد احسن برسم الأعلام بالحرف الفرنسوي قراءً من الغلط . والاسماء بالاجمال مضبوطة إلّا القليل منها . وكذلك أتقن طبع الكتاب مع صوره . فنوصي ارباب المدارس باتخاذهِ دستوراً

ل ش

بيروت في التاريخ

محاضرة للاستاذ المحامي جورج يزبك

طبع في مطبعة المصباح ببيروت (ص ٧٤)

ألقى جناب الاستاذ جورج افندي يزبك هذه المحاضرة في مربع تباريس بدعوة من جمعيّة خريجي المدارس العليا في ١٨ شباط عام ١٩٢٣ ثم أعاد فيها النظر وأخرجها

في صورة شائقة مضيفاً اليها عدّة رسوم عن بيروت القديمة والحديثة استعار بعضها من مكتبتنا الشرقيّة. والمحاضرة تشتمل على معظم احوال بيروت منذ مهدها الى قريب عهدها فرسمَ اطوار حياتها المختلفة بسمات لطيفة فدعاها بيروت المقنّعة ثم بيروت السعيدة ثم بيروت المحصّنة وختمها ببيروت السافرة. ولخّص ما جرى فيها في كل هذه المواطن المختلفة. فجاءت هذه المحاضرة سِفْرًا طيّباً يحسن بالشبيبة مطالعتهُ واحراز فوائده

الشَّذر الذهبي في شعر الاخطل التغلبي

عني بطبعهِ وعلّق حواشيهُ الاب انطون صالحاني اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩٢٥ (ص ٦٨)

كان حضرة الاب صالحاني أتحف الادباء بنسختين جديدتين للاخطل وجدتا في بغداد واليمن رسمهما بالتصوير الشمسي فطلب اليهِ المستشرقون ان ينشر في طبعة خاصّة ما في هاتين النسختين من القصائد والابيات المتفرّقة التي لم تُطبع بالحروف ليسهل عليهم مراجعتها ويستفيدوا من حواشيها. فاجاب حضرتهُ الى ملتمسهم وزاد على ما في النسختين فوائد جمة لغويّة وتاريخيّة ضاعفت قيمتها. فنكرّر شكرنا لمن لم تُضعف السنون همّتهُ ولم يشأ ان يُفقَد شيء من محاسن نابغة شعراء تغلب

دروس مدنيّة

تأليف جرجي زوين نائب جبل لبنان

طبع في مطبعة الآباء ي. ج. بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٥٢)

هذه الدروس أتت في حينها وقد وضعها جناب مؤلفها ليوقف الوطنيين ولاسيما الشبيبة منهم على احوال الهيئة المدنيّة الجديدة في اموردا المختلفة من شرائع وحقوق وواجبات ونظامات وقد استخلص ذلك من كتب المؤلفين الغربيين خصوصاً من الفلاسفة وارباب الشرع. وهي خدمة جليلة أتى بها جنابهُ وبها سدَّ ثلمةً كنّا نشعر بنقصها وخللها جازاهُ الله خير جزائهِ

ل. ش.

مفخرة رشيد: قصيدة للاستاذ الدكتور ابي شادي

عُني بنشر شروحها حسن صالح الجداوي

طُبع في المطبعة السلفيّة في مصر سنة ١٩٢٥ (ص ٦٦)

ذكرنا في العدد السابق ما للدكتور ابي شادي من المنزلة الرفيعة بين شعراء مصر

الوطنيين وما هو ذا أثر آخر من نظمه دعاه «مفخرة رشيد» وصف فيها واقعة تاريخية الى فيها المصريون بلاء حسناً في محاربة الانكليز فقتلوا كثيرين منهم واسروا غيرهم في ٢١ محرم و٩ صفر من السنة ١٢٢٢ هـ فاستحسن الادباء تلك القصيدة الغراء وعلقوا عليها الشروح الادبية والتاريخية فجمع شروحهم حسن افندي صالح الجداوي وعني بنشرها في هذا الكتاب ليبقى اثراً وطنياً يتنشط بذكره الناشئة وترتشد بامثال اسلافها في الدفاع عن حرمة الوطن

صفات الرئيس: تأبين غبطة البطريرك ديمتريوس القاضي

خطبة لبتراكي افندي خياط

طبعت في مطبعة العصر الجديد في حلب سنة ١٩٢٥ (ص ١٣)

اقام نادي الشبيبة الكاثوليكي في حلب حفلة تأبينية كبرى تذكاراً للفقيد الكريم المثلث الرحمات السيد ديمتريوس القاضي بطريرك انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق على الروم الكاثوليك فامتاز بين الخطباء جناب بتراكي الخياط كمألوف عادته. فاحسن بوصف صفات الرئيس وبيّن تطبيقها على شخص الراحل الكريم. فنثني على براعته وطيب شواعره ل.ش

هدايا أرسلت الى المشرق

١ً سحر منثور بطريركي في الساطة جـ هو المنثور الجميل المفعم حكمة وبلاغة الذي نشره مؤخراً غبطة بطريرك الطائفة المارونية السامي الشرف السيد مار الياس بطرس الحويك فبين فيه عظمة وشأن اصل الساطة وحيثها وحدودها الروحية والزمنية وواجبات المرؤوسين نحو كل منهما

٢ً Ettore Rossi : Una scrittrice araba Cattolica Mayy (Marie Ziyâdah) هي نبذة في الايطالية ظهرت في مجلة (Oriente Moderno) تحتوي ذكر الكاتبة الفاضلة مي (مريم زيادة) وما لها من التآليف في اللغة العربية فنهنئ حضرتها ونتمنى لها مواصلة الخدمة في سبيل الادب

٣ً الاحكام العقلية في المدارس العلمانية اللادينية بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي. هي طبعة جديدة مصححة من هذه المقالة التي ظهرت سابقاً بنسبة انشاء المدارس العلمانية اللادينية في انحائنا (تطلب من المطبعة الكاثوليكية)

٤ً قانون جمعية مار يوسف الخيرية. سن انفيل – لبنان ١٩٢٤–١٩٢٥ (ص ٨) المطبعة الكاثوليكية. بيروت

شذرات

﴿الحفريات الفرنسويّة في مصر﴾ انّ اكتشاف مدفن «توت انخ امن» وكنوزه العجيبة كاد يستغرق افكار العالم حتى لم يعودوا يعيرون بالًا الى ما سواهُ. والحق يقال انّ الفرنسويين استخرجوا بحفريّاتهم آثارًا اخرى ثمينة . منها (اوّلًا) اكتشافهم لاقدم مدافن المصريين التي سبقت زمن التحنيط بل قبل زمن التاريخ اذ كانت الموتى تدفن في قبورها دون تابوت. وقد توفّق الى اكتشافها الاب اليسوعي بوفيه لابيار. (وثانيًا) اكتشافاتهم في حفريّات ثنية لهيكل بديع يرتقي الى عهد البطالسة وهو على شكل لم يُعهَد مثلهُ سابقًا بين الهياكل المصريّة. و(ثالثًا) اكتشافهم على ضفّة النيل الاخرى منازل الصَّنَعة الذين كانوا يشتغلون في خدمة الفراعنة كالكتبة والمصوّرين والنقّاشين وفيها الى الآن الادوات التي كانوا يستعملونها لشغلهم من اقلام واوراق بردية وآلات تصوير وغير ذلك ممّا يوقفنا على عيشة المصريين الاهليّة وصنائعهم في القرن الخامس عشر قبل المسيح. (رابعًا) وجدوا في هيكل ادفو المختصّ بعبادة الاله حورس آثارًا غاية في الشأن من جملتها خابية كبيرة في طول متر مملوءة بالبابير (البردي) وعليها كتابات قبطيّة وعربيّة وهي كاملة لم تمزّق كغيرها وبعضها مختوم لم يُفتح. وعمّا قليل ان شاء الله سيوقفنا العلماء على مضامينها لاسيما العربيّة الراقية الى اوّل الفتح العربي

﴿طبعة المزامير في قزحيًا سنة ١٦١٠﴾ نشرت المجلّة الالمانيّة في علوم العهد القديم (Zeitsch. f. d. alttes. Wissenschaft, 1925 p.275) فصلًا في المزامير التي طُبعت في قزحيًا سنة ١٦١٠ بالسريانيّة والكرشونيّة وجد منها احد اساتذة مونيخ فرنتس بابنغر (Fr. Babinger) في مكتبة تورنبرغ البلديّة فوصفها كأثر نادر لم يُعرَف. وقد سبق لنا في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٢٥٢ــ٢٥٥) وصف مطوّل لهذه الطبعة العزيزة الوجود التي وقفنا منها على نسختين الواحدة في مكتبتنا الشرقيّة والاخرى في مكتبة المرحوم الطيّب الذكر المطران بطرس شبلي كان اهداهُ اياها الكتبي المرحوم موسى صفير. ونقلنا عن هذه الطبعة المزمور الـ١٥١ غير القانوني بالسريانية والعربية. فسُررنا بوجود نسخة جديدة من هذا الكتاب باكورة مطبوعات

﴿احصاء جديد للعالم﴾ اجتمع جملة علماء في رومية فدرسوا احوال العالم واديانهُ : فبعد البحث الطويل والمراجعات اتفقوا على الاحصاء الآتي : في العالم اليوم مليار وسبعمائة مليون من النفوس : بينهم الكاثوليك ٣١٤ مليوناً ثمَّ النصارى المنفصلون عن الكنيسة من روم وغيرهم ١٥٧ مليوناً والبروتستان ٢١٢ مليوناً والمسلمون ٢٨٧ مليوناً واليهود ١٥ مليوناً فيكون عدد العارفين بالاله الواحد ٩١٥ مليوناً والباقون وثنيون ٧٨٥ مليوناً منهم البوذيون والمتذهبون بمذاهب الصين ٥١٠ مليونات والبرهمانيُّون ٢٠٥ مليونات ثم ٣٠ مليوناً من عبَدة القوَّات الطبيعيَّة (Fétichistes) وقليل من الملحدين

﴿شيوع مذهب النشوء﴾ تعجَّبنا مما رواهُ المقتطف في عدد يناير الاخير (ص ١١٠) عن بعضهم «انهُ لم يقم منذ اكثر من عشرين سنة الى الآن شخص يوثق بعلمهِ وهو يرتاب في صحة مذهب النشوء» . وقد وقفنا حديثاً على عدَّة مقالات لعلماء فرنسويين يزيِّفون هذا المذهب او يحصرونهُ في المملكة الواحدة من مواليد الطبيعة . فليراجع كتاب لو دَنتك La Crise du Transformisme par F. Le Dantec, *Paris. Alcan*

﴿المسيو كازا نوفا في جامعة القاهرة﴾ تعيَّن المسيو كازا نوفا لتدريس الآداب العربية العامَّية في جامعة القاهرة انتدبهُ الى تدريسها رئيسها مصطفى بك السيد . وقد افتتح الاستاذ تعليمهُ بمحاضرة وجدنا فيها اقوالاً غريبة تشهد عليهِ بجهل احوال الاسلام والنصرانية معاً (راجع مقالتنا في آداب العرب وعلومهم في المشرق ١٤ [١٩١١] : ٣٠١ ــ ٣٠٦) ومن مزاعمهِ التي زيَّفناها سابقاً انَّ الدين المسيحي والعلم متناقضان

﴿رزءان أليمان﴾ فقدت رسالتنا السوريَّة في ٣٠ كانون الاوَّل احد مرسليها العاملين حضرة الاب ارمان دي فيلنوف توفاه الله في عزّ كهولتهِ فشمل الحزن كل من عرفهُ راهباً فاضلاً تقيًّا ونشيطاً معاً رحمهُ الله واجزل ثوابهُ . وفي ٥ ك٢ فقد الوطن احد المحسنين اليه باعمالهم الهندسيَّة الجليلة والممتاز بدينهِ وتقاه جناب الوجيه بشارة المهندس . خلَّف لهُ اطيب ذكر عند الخاصّ والعام

أسئلة وأجوبة

س سأل انيس افندي الخوري القدسي أشرف في بعض المكاتب نسخة خطية من ديوان عليّ بن رستم الشهير بابن الساعاتي الذي وجد قسماً منهُ نسيبهُ انيس افندي فارس في بعض مكاتب طرابلس (الكلية ١٢: ٨٦)

ديوان ابن الساعاتي

ج هذا الديوان موجود في اسطنبول في مكتبة أيا صوفيا منصوص عليهِ تحت عدد ٣٨٧٢ باسم « ديوان ابن الساعاتي » مجلد ١ في كل صفحة ١٥ سطراً عنوانهُ « بهاء الدين علي بن محمد بن رستم تاريخ وفاتهِ سنة ٦٠٤ » ولا يقال هناك أهو كامل في جزئيهِ وكم هو عدد صفحاتهِ . ولهذا الشاعر قصائد متفرقة في مكتبتي لندن وبرلين العربيتين

س وسأل احد ارباب المدارس ماذا كُتب او نُشر من التآليف عن تاريخ الدروز ودينهم

التآليف في تاريخ الدروز ودينهم

ج قد نُشرت في تواريخ مصر للمقريزي وابن تغري بردي وابن اياس وغيرهم كثيرين فصول واسعة عن الدروز وعن منشئ دينهم الحاكم بامر الله . ومما نُشر في اوربة من التآليف الجليلة كتاب العلامة دي ساسي De Sacy: Exposé de la Religion des Druses طُبع في باريس في مجلدين سنة ١٨٣٨ ونشر ايضاً في منتخباتهِ العربية والفرنسوية (ج ٢: ١٧) عشراً من رسائلهم وسجلاتهم . ولقنصل فرنسة سابقاً في بيروت هنري غويس كتاب حسن في كل امور الدروز H. Guys; La Nation Druse, son histoire, sa religion, ses mœurs et son état politique, *Paris*, 186; ونشر ايضاً في السنة ذاتها كتاباً آخر في دينهم بالعربية والفرنسوية اسمهُ Théogonie des Druses, ونُشرت في المانية سنة ١٩٠٢ رسائل اخرى اخذها كتاب النُقط والدوائر ونشر الاوان لويس رتزفال ويوسف خليل في مجموعة آثار مكتبنا الشرقي (ج ٣ ص ٥٠٠ الرسالة الموسومة بالقسطنطينية مع شروح وطُبع في باريس سنة ١٧٦٢ « تاريخ الدروز الشعب اللبناني » بالفرنساوية . اما تعليم الدروز الصغير فقد نُشر اولاً في رومية بالعربية واللاتينية في آخر الكتاب (Museum Cuficum) ثم تكرر طبعهُ في بيروت

ل . ش

المشرق

القديس بطرس كانيزيوس ملفان الكنيسة

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

في مثل هذا الشهر آذار احتفلت مدرستنا الكليَّة قبل سنتين بتطويب احد مشاهير رجالها الطوبوي الكردينال روبرتس بلّرمين (١ وها هي تعود في الشهر الحاضر الى تمجيد بطل آخر من جهابذة رهبنتنا اليسوعية الذي لا يزال اسمهُ شائعاً في كل انحاء اوربَّة المركزيَّة كالمانية وباڤارية والنمسة وسويسرة وهولندة نريد بهِ القديس اليسوعي بطرس كانيزيوس ملفان الكنيسة وأحد جبابرة الكثلكة في القرن السادس عشر. الذى اعلن الحبر الاعظم بقداستهِ يوم صعود الربّ من السنة الماضية ونظمهُ في عداد ملافنة الكنيسة الكبار. وبعد ان أُقيمت حفلات عيدهِ الاوَّل في رومية قد خُصص العام الحاضر لاقامة حفلات مثلها في جهات العالم الكاثوليكي

*

قال القديس اوغسطينوس: «انَّ الله كان بامكانه مَنْع الشرّ ففضَّل ان يسمح بهِ لكي يُظهر قدرتهُ ويستخرج من الشرّ خيراً». وهكذا حدث في القرن السادس عشر اذ نشر لوتاروس راية العصيان على الكنيسة مدَّعياً بالاصلاح الكاذب ومرخياً العنان لكل الشهوات البشرية الفاسدة. ففي ذاك العصر ازدانت الكنيسة بعدد عديد من اولياء الله الذين اكسبوها مفاخر جمَّة برَّرتها من كلّ التهم التي وجَّهها اليها المبتدعون. فهو العصر الذي ازهر فيهِ رجالٌ كبار ادهشوا العالم بفضلهم وفضائلهم

١) اطلب المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٢٤١-٢٤٧)

كالقديس بيوس الخامس وكفيليب دي نيري وبطرس التنطري وشرل بورومايوس وتريزيا مصلحة رهبانيَّة الكرمل وغيرهم كثيرين لا يزال ذكرهم حيًّا واعمالهم المبرورة مسطَّرة بالحروف الذهبيَّة في بطون التاريخ

وفي اواسط ذلك العصر انشأ القديس اغناطيوس رهبانيَّتهُ المناضلة عن حقوق الكنيسة وتعاليمها فأيدهالله بعدَّة انصار تصدَّوا لبدع الهراطقة ووضعوا حدًّا لوبائها. كفى بذكر البعض منهم كبطرس لوفاثر سفير الاحبار الرومانيين لدى الملوك وكفرنسيس كسفاريوس رسول الهند واليابان وكلاينس وسلمرون سراجي المجمع التريدنتيني. وكفرنسيس بورجيا دوقة گنديا ونائب الملك على كاتلونيا

وقد امتاز بين هؤلاء بطرس كانيزيوس المقام حديثًا على هياكل الكنيسة الكاثوليكية. وها نحن نعرّف بوجيز الكلام ما استحقَّ لهُ هذا الاكرام الجزيل في انحاء المعمور

١ الرجل

كان مولد كانيزيوس في مدينة نيماغ من حواضر بلاد هولندة حاضرًا وكانت في عهده احدى مدن دوقيَّة غلدري المستقلَّة موقعُها على نهر من سواعد الرين. اجتاز بها الامبراطور شرلماني وشيَّد لهُ فيها قصرًا وبربوعها ولد الامبراطوران هنريكس الرابع وهنريكس السادس

ففي اليوم الثامن من أيار من السنة ١٥٢١ ابصر كانيزيوس النور وفيهِ عيد رئيس الملائكة ميخائيل المنتصر على قوَّات الجحيم. وكان لوتاروس في تلك السنة بعد جحوده نذور رهبانيَّتهِ جاهر باضاليلهِ مصرًّا على تعاليمهِ الفاسدة. وفيها دافع اغناطيوس دي لويولا كقائد جيش دولة اسبانية عن مدينة پمپلونة فكُسرت ساقهُ وكان ذلك داعيًا الى انقطاعهِ الى خدمة الله ثمَّ الى انشاء الرهبانيَّة اليسوعية. فجعل الله الدواء قريبًا من الداء.

كان والدا كانيزيوس شريفين ممتازين بتقواهما. تعيَّن ابوهُ جاك كرئيس بلديَّتهِ غير مرَّة واتَّخذهُ دوقة الدولة كسفيرهِ الى ملوك اوربَّة. وامُّهُ ايجيديا انشدت الله اولادَها الثانية قبل موتها ان يثبتوا في ايمانهم الكاثوليكي ولا يُصيخوا سمعًا الى

البدع الجديدة وشقشقة زعمائها. فكان لهذا الكلام احسن وقع في قلوب اولادها ولاسيما بطرس الصغير فانطبع في جنانهِ كطبع النقش على الحجر. تخرَّج كانيزيوس في وطنهِ اوَّلًا على اساتذة بارعين فاخذ عنهم مبادئ العلوم. وكان اذ ذاك مشمولًا بنظر اقاربهِ لاسيما احدى خالاتهِ المعروفة بالفضل والتقى التي كانت تسهر عليهِ بكل حرص وترشدهُ الى كل عمل صالح. فكان الولد اطوع لها من بنانهِ فكان يتردَّد على الكنائس ويثابر على الاسرار ويقضي زمناً طويلًا في الصلوات ويتقلَّد ما يسمعهُ من اعمال القديسين ليحقق في نفسهِ ذكر فضائلهم

على انَّ عدوَّ البشر نصب لهُ الاشراك بواسطة بعض الاشقياء الدارسين معهُ وكاد يقع في حبائلهم لولا نعمةٌ خاصَّة من الله الذي صانهُ من مكايدهم فابتعد عنهم وتشبَّث باحراز العلوم اللغويَّة والثانويَّة صارفاً ذهنهُ الى تثقيف عقلهِ وتهذيب حياتهِ حتى لم يجدهُ احدٌ فارغاً الَّا والكتاب اليفهُ وسميرهُ . وقد دوَّن في مذكرات حياتهِ شكرهُ لله الذي لم يسمح بفقد كنز طهارة قلبهِ

لما بلغ كانيزيوس السنة الخامسة عشرة من عمره لم يجد في وطنهِ ما يشفي غليلهُ بتعليم اساتذتهِ فاحبَّ اهلهُ ان يواصل دروسهُ في احدى مدن المانيا الشهيرة . وكانت مدينة كولونية في ذاك الزمان من اشهر مدن اوربَّة بجامعتها واساتذتها . فانتقل اليها ونزل في بيت احد مواطنيهِ وكان كل يوم يسير الى مدارس المدينة ليكبَّ على الدروس العليا فأتقن اوَّلًا العلوم البيانيَّة والخطابة سنة ١٥٣٥ ثمَّ تفرَّغ لدرس الفلسفة مدَّة اربع سنين فحاز كلَّ امتيازاتها من باكالوريوس ودكتورون وماجستير وبعد ان قدَّم امتحاناً على كل قضايا الفلسفة أمام مجموع علماء كلية وجمهور اهلها فأعلن بهِ استاذاً في ٢٥ ايار سنة ١٥٤٠

وكان في وسعهِ ان يقترن بالزواج مع آنسة من اشراف بلدهِ جامعة بين الغنى والجمال فصرَّح انهُ يريد خدمة وطنهِ بالبتوليَّة بصفة كاهن. ولذلك باشر درس اللاهوت بفروعهِ وشفعهُ بدرس الحقوق المدنية والكنسيَّة فاصاب فيها كما في الفلسفة قصبة السباق على اقرانهِ

وعاد الشيطان في مدَّة دروسهِ في كولونية ليضلَّهُ عن سواء السبيل بما لقيهُ في تلك المدينة الكبرى من الاسباب الوهمية والتجارب الداعية الى التراخي في الدين

والاستسلام الى الشهوات. بل وجد بين الاساتذة معلمين كانوا جنحوا سراً الى اضاليل البروتستانت فنفثوا سمهم في تلامذتهم . لكنَّ الله ارسل لكانيزيوس كاهناً ذا فضل عميم وعلم واسع وفضيلة سامية يُدعى نيقولا ڤان إشه (N. Van Esche) اتَّخذهُ كانيزيوس كمرشد امين وصديق صدوق اوقفهُ على اسرار ضميره وانقاد الى مشورتهِ في امور نفسهِ وتدبير حياتهِ فنجا بواسطتهِ من كل غرور العالم وسفسطة تبعتهِ. وتعلَّم من مرشدهِ كيف يجاهد في سبيل الله ويقهر شهواتهِ ويطلب كلَّ كمالٍ في اعمالهِ

٢ اليسوعي

كان كانيزيوس منذ نعومة اظفارهِ يتوق الى خدمة الله في السيرة النسكية اذ كان يزور مع اهلهِ وخصوصاً مع خالتهِ اديرة الرهبان والراهبات فيشعر في قلبهِ ميلاً الى الاقتداء بهم. وممَّا اخبرهُ في مفكراتهِ انهُ في السنة الثالثة عشرة من حياتهِ (١٥٣٤) زار مع والديهِ في مدينة أرْنهيم ارملةً قديسة تُدعى رَيْنهولدْ . فلما رأتهُ حدَّقت اليهِ بنظرها وقالت: «عما قليل ستظهر رهبانيَّة جديدة في الكنيسة للدفاع عن الايمان وسيكون هذا الصبي من جملة كهنتها وسيردّ كثيرين من الضالين الى حجر البيعة امهم»

وكتب القديس ايضاً في وصيَّتهِ الاخيرة انَّ راهبةً اخرى من بلادَ بلجكة كرَّرت عليهِ مثل هذا الوحي وذكرت انَّهُ سيخدم الكنيسة بتآليفهِ العديدة. فكلام الارملة والراهبة بقي متبجناً في قلبهِ طول ايام دروسهِ في كولونية وفي مدينة لوڤان . وانَّما بقي مرتاباً لا يعلم كيف تتمُّ فيهِ مشيئتهُ تعالى فرغب الى اصحابهِ ان يشاركوه في الصلاة ليقف على حقيقة دعوتهِ

فما مرَّت عليهِ بضعة ايام حتى سمع في قلبهِ صوتاً يؤكد لهُ انهُ سينال قريباً رغبتهُ . وهكذا كان. فانَّ في تلك الاثناء تعرَّف كانيزيوس بكاهنين اسبانيين كانا قدما الى كولونية لمواصلة دروسها اللاهوتيَّة . وكان كلاهما دخل الرهبانية اليسوعيَّة التي ظهرت حديثاً في بلادهما بواسطة بطرس لڤاڤر رفيق القديس اغناطيوس. وكان لوڤاڤر قد خرج من اسبانية وقصد المانية للتبشير فكانت جماهير الناس تتقاطر الى

استماع مواعظهِ ومحاضراته في مدينة مايَنس فيرتدّ الخطأة الى الله عن يدهِ

فعزم كانيزيوس من ساعتهِ ان يذهب الى مواجهة لوفاثر ليستشيره في امور نفسهِ. فما اجتمع بهِ في اواخر نيسان من السنة ١٥٤٣ حتى اشعرهُ الله انهُ لقي ما كان يطلبهُ. وباشر تحت ادارة ذاك المعلّم القديس رياضات منشئ الرهبانيَّة اغناطيوس دي لويلا مدَّة ثمانية ايَّام فأنعم الله قلبهُ تعزيةً ونورًا والتمس للحال من مرشدهِ ان يقبلهُ بين اعضاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة. فاجاب الى ملتمسهِ وتمَّ الامر فعلًا في يوم تذكار ميلادهِ ٨ أيار يوم عيد القديس ميخائيل من ذاك العام وعمرهُ حينئذٍ ثلاث وعشرون سنة. وقد كتب بخطّ يدهِ صكًّا اودعهُ تخصيص نفسهِ لرهبانيَّة يسوع وشكره لله تعالى عن هذه النعمة الجزيلة ووَعدهُ بان ينقطع الى كل ما يؤول الى مجد الله وخلاص القريب تحت امر رؤسائهِ. وامضى ذلك الصكّ بخاتمهِ وسلّمهُ الى الاب لوفاثر واقتبل من يدهِ القربان الاقدس كضمين على مواعيدهِ. ثمَّ اسرع واخبر اقاربهُ واصحابهُ ولاسيما مرشدهُ الكاهن نيقولا بانتظامه في سلك الرهبانيَّة اليسوعيَّة وذلك بعبارات طافحة بالفرح اثَّرت في قلوب جميع من وقف عليها حتى انَّها دفعت البعض منهم الى الجري على آثارهِ في رهبانيَّة يسوع

وفي تلك الاثناء بلغهُ خبر مرض والدهِ فذهب الى نياغ برخصة الاب لوفاثر فوصل اليها ووجد اباهُ مستعدًّا لآخرتهِ اتمَّ الاستعداد وبقي عنده الى ان فارق دار الفناء. فأدَّى اليهِ بطرس واجبات أبرّ البنين وصلّى لراحة نفسهِ طويلًا فأراهُ الله والديهِ في دار النعيم فتعزَّى بتلك الرؤيا وفرَّق على الفقراء ثروة ابيهِ مكتفيًا بشيء قليل لمعاشهِ ومعاش رفقتهِ

ثمَّ عاد الى كولونية في اوائل سنة ١٥٤٤ وجعلهُ لوفاثر رئيسًا على اخوته الرهبان فانجز هناك وفي جامعة لوفان دروسهُ اللاهوتيَّة حتى بلغ منها مبلغًا حبَّبهُ الى كل اساتذتهِ فمنحوه كل اجازات المتخرّجين في جامعة كولونية وفي ختامها قبل سرّ الكهنوت (١٣ حزيران ١٥٤٦) وجدَّد عزمهُ على تضحية قواه في خدمة الكنيسة

ولم ينتظر رجل الله سيامتهُ كاهنًا ليشتغل في كرم الربّ فانَّ اكليروس كولونية استدعاهُ وهو شمَّاس ليلقي المواعظ في كنائس المدينة وكان في أيَّام الآحاد والاعياد يفسّر لجمهور المؤمنين الاسفار المقدَّسة فتضيق البيَع مع رحبها على سامعيهِ

واذ رأى قبحة البروتستانت في نشر بدعتهم في كولونية اخذ يفند امام الكاثوليك اضاليلهم حتى أفحمهم لكنهم اجتمعوا لدى ارباب الامر الماثلين الى آرائهم وألحوا عليهم لينفوا كانيزيوس ورفقتهُ من حاضرتهم فأبرزوا حكماً في ذلك لولا انَّ عقلاء المدينة اوقفوا تنفيذهُ فاكتفوا بان يشتتوا اليسوعيين في انحاء البلدة تفريق كلمتهم. فصبر اليسوعيُّون على هذه الإهانة ولم يزدهم الاضطهاد الّا تحمّساً. وكان كانيزيوس في مقدمتهم يُدهش الجميع بصبره وبمواصلة خدمهِ الروحية الى العموم حتى أُلغي تماماً ذاك الحكم في حقهم. واذ بلغ الاهلين انَّ الرؤساء فكَّروا في استدعائهم من المدينة لم يألوا جهدهم في حفظهم بقربهم

ثمَّ ما لبثوا ان اظهروا اعتبارهم لشخص كانيزيوس في موقف حرج وذلك انَّ رئيس اساقفة كولونية المدعو هرمان دي ڤيد كان انضوى الى بدعة لوتاروس واخذ يبثُّ في شعبهِ اضاليلهُ. فرأى الكاثوليك ما يحيق بايمانهم من الخطر الجسيم واجتمع اكليروس المدينة واعيانها لطلب دواء ناجع لهذا الداء. فلم يجدوا لذلك علاجاً الّا ان يطلبوا من الامبراطور شرل الخامس ان يتوسَّط لدى الحبر الاعظم فيعزل هرمان عن منصبهِ ويسلّم كنيسة كولونية الى رجل كاثوليكي. واتفقوا على ان يرسلوا كانيزيوس الى الامير جورج النمساوي ابن الامبراطور مكسيميليان وعمّ شرل الخامس وهو وقتئذٍ رئيس اساقفة على مدينة لياج ليسعى عند ابن اخيهِ فيبدل ذاك الاجير بل الذئب الخاطف من راعٍ امين

فقام كانيزيوس احسن قيام بهذه المهمَّة واختبر رئيسُ اساقفة لياج غيرتهُ وعلمهُ الواسع ووصَّى بأموريتهِ الامبراطور شرل الخامس. فعاد الرسول الى كولونية واوقف اهلها على نتيجة سفارتهِ واذ رأوا اصرار اسقفهم على اضاليلهِ ارسلوا كانيزيوس الى شرل الخامس ليعرض عليهِ امرهم. فسار الى مدينة أُولم حيث اوقف الامبراطور على اعمال رئيس اساقفة كولونية واطلعهُ على مكاتيب التوصية من عند رئيس اساقفة لياج ومن سفير الحبر الاعظم اسقف اوغسبورج فما عتَّم ان كتب الى سفيرهِ في رومية ليطلب من البابا أن يعزل هرمان عن رئاستهِ. فعمل الحبر الاعظم وحرم الاسقف المشايع للهراطقة وجعل لرعاية كنيسة كولونية اسقفاً جديداً معروفاً بايمانهِ المستقيم وغيرتهِ وهو أدولف دي شاوِنبرغ

وما كانت هذه الخدَم الجليلة التي ادَّاها كانيزيوس لاهل كولونية الّا كبـا كورة اعمالهِ . فانَّ الكنيسة الكاثوليكية كانت في اواخر السنة ١٥٤٥ عقدت احد مجامعها المسكونية الذي يُعدّ من اعظم مظاهرها الدينيَّة نزيد بهِ المجمع التريدنتيني . وكان بين الذين حضروهُ عدَّة يسوعيين كخطبـاء ولاهوتيين يمثلون الحبر الاعظم وبعض الاساقفة فوقع اختيار سفير الكرسي الرسولي في المانية الكردينال اوتون تروشاس إسقف اوغسبورج على كانيزيوس ليرسلهُ باسمهِ كنائبهِ الى المجمع . ولخوفهِ من ممانعة اهل كولونيـة استبدَّ الامر من القديس اغناطيوس في روميـة فلبَّى دعوته وسافر كانيزيوس الى مدينة تريدنتي فوجد هناك اربعةً من اخوتهِ الرهبان اثنان منهم لاينس وسلمرون بصفة لاهوتيَّي الحبر الاعظم فاشترك كانيزيوس معهم سواء كان بخطبـهِ في المجمع ام بوضعهِ لقسمٍ من دستورهِ . وبقي هناك الى خريف السنة ١٥٤٧ حيث أُوقفت جلسات المجمع . فاستدعى القديس اغناطيوس الى رومية كانيزيوس لكي يهتمَّ بنفسهِ في تأسيسهِ بكل الفضائل الرهبانيَّة فامتحنهُ مدَّة ثلثـة اشهر فسُرَّ بما رآهُ فيهِ من الكمال الرهباني . وبعد ان ارسلهُ الى مدينة مسينة ليعلّم في مدرستها الآداب ويراقب مدرّسيها اعـادهُ الى رومية واجاز لهُ ان يُبرز امامهُ نذورهُ الاحتفاليَّة وبها بلغ اوج نظام رهبنتهِ

كان يوم ابراز كانيزيوس لنذورهِ الاخيرة امام رئيسه القـديس اغناطيوس يوماً مشهوداً نال فيهِ من الله اسبغ نعمهِ . وكان سبَقَ ومثَّلَ امام الحبر الاعظم بولس الثالث فنـال بركتهُ ثمَّ دخل بإثرها كنيسة القديس بطرس الفاتيكانيَّة فاوحى الله اليهِ انَّهُ اختارهُ ليكون رسول المـانية لينتصر للايمان الكاثوليكي بازاء الهراطقة . واذ كان يشكو امام الرب من ضعفهِ في القيام بمثل هذه الدعوة الشاقة ظهر لهُ السيد المسيح وكشف لـهُ عن قلبهِ كما فعل مع القديسة مرغريتة مريم وأمرهُ ان يستقي من هذا الينبوع ما يحتاج اليهِ من النعم ليفوز بغايتهِ . فشعر بعد ذلك بقوَّة الهيَّة نفت عنهُ كلَّ خوفٍ ووجد حالـهُ مستعدًّا لتضحية نفسهِ واحتمال كلّ المشقَّات والانصاب حتى الموت . ونسَبَ هـذه النعم الى شفاعة ابيهِ اغناطيوس الذي تقبَّل نذوره في اليوم التالي

٣ الرسول

مَنْ لنا أن نصف سوء احوال الدين في المانية في اواسط القرن السادس عشر . فمنذ يوم نفخ فيها لوتاروس روح الفتن والعصيان كانت اصبحت تلك البلاد ساحةً للثورة الدينيَّة وللفوضى . فانَّ مشايعي ذاك الراهب الجاحد كانوا يتجوَّلون في كل الانحاء وفي ايديهم السيف والنار فينهبون الاديار ويقتلون الكهنة واتقياء المؤمنين ويحرقون الكنائس ويبيحون كل الارجاس . وكانت تعاليمهم كلُّها موجَّهة لنقض عقائد الكنيسة لا يعرفون إلَّا السبَّ والشتم واهانة الاكليروس وخرق المقدسيَّات . وكثيرًا ما كانوا يناقضون بعضهم بعضاً فيزيِّف الواحد قول الآخر وينسب اليه الضلال حتى اخذ لوتاروس يلعن ذويهِ الذين لم يعودوا يسمعون لهُ امرًا . امَّا الشبيبة فاطلقت لشهواتها كل عنان واستسلمت الى كل اهواء النفس الأمَّارة فلم يعد يعرف الرؤساء كيف يضعون حدًّا لهذا السيل العرمرم

﴿ كانيزيوس في بافاريَة ﴾

وكان رئيس دولة بافاريَة الدوقة غيليوم سعى طاقة جهدهِ الى صيانة بلاده من شرور الهراطقة وكثيرًا ما كان يردِّد قولهُ «اني أفضِّل فقد املاكي وحياتي على ان اسلِّم شعبي للوتاروس» . وكان يسعفهُ في جهادهِ هذا رجلان شهيران بسموّ علومهما وتقاهما اللاهوتيّ جان إكيوس وكنشليار مدرسة إنغولستاد الجامعة المدعو ليونار دلك . وكانت الجمعة حريصة على حفظ الايمان والدفاع عنهُ في تعاليمها اذ كان بين معلِّميها لمنيوس الشهير الملقَّب بطرقة الهراطقة والراهب جاك هيولان الضليع بالعلوم الشرقيَّة

على انَّ ذاك السياج اخذ يتخلخل بعد وفاة جان إكيوس في ٢٩ شباط سنة ١٥٤٥ وجعل اعداء الدين يتسرَّبون الى جهات بافاريَة حتى تأثَّر من تعاليمهم بعض اساتذة المدارس واوشك الضلال ان يُخامر عقول الناشئة . فلم يرَ دوقة بافاريَة دواء أصلح من ان يلتجئ الى منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة ليرسل الى جامعة انغولستاد بعضاً من رهبانهِ

ليعيدوا اليها رونقها السابق بتعليمهم ويفندوا اضاليل اللوترانيين ويهذبوا الشبيبة تهذيباً مسيحياً صالحاً لئلا تغويهم اباطيل الهراطقة

كان الرهبان اليسوعيون في ذلك العهد قليلي العدد والملوك والاساقفة يستدعونهم من كل ناحية لما شاع في البلاد من صيت علمهم وبرهم . ومع ذلك لم يشأ القديس ان يخيب امل دوقة باڤارية فارسل اليه ثلثة من افضل رهبانه قدموا قبل سفرهم فحصاً مدققاً عن كل العلوم اللاهوتية في جامعة بولونية الشهيرة فخولهم اساطينها شهادة اللفنة ثم ساروا الى مدينة مونيخ . وكان الدوقة في انتظارهم بفروغ الصبر فرحب بهم وبالغ في اكرامهم وبعد ايام قليلة قادهم كنشلياره الى انغولستاد وعهد اليهم بتدريس ثلثة فروع من علومها اللاهوتية والفلسفية والكتابية . فما مر عليهم بضعة اشهر حتى حفلت الجامعة بالدارسين وسار ذكر الاساتذة الجدد الى اقاصي المانية

وتولى كانيزيوس ادارة الدروس وتنظيمها ومراقبة طلبتها وكان يعنى بامور كل واحد منهم لا يأخذه ملل في نجاحهم . وكان اذا رأى بينهم متأخرين في دروسهم يلقي عليهم دروساً خاصة حتى احبته الشبيبة وتقربت اليه واثقة بكلامه

فانتهز تلك الفرصة ليحيي في المدينة روح الدين الذي كاد يفنى بغارات اعدائه وشرع يعظ في الكنائس ويعقد الجمعيات التقوية ويحرض المؤمنين على كل الاعمال الصالحة والمثابرة على الاسرار . فلقي في اول الامر عناء كبيراً الا انه لم ييأس من ادراك غايته فبارك الله ثباته وبعد سنتين تغير وجه المدينة واصبحت زاهرة بالآداب والفضائل المسيحية . وكان القديس يهتم خصوصاً بفتح مدرسة ثانوية لرهبانيته لتثقيف الاحداث قبل دخولهم الجامعة ولاسيما ان انغولستاد بموقعها في مركز البلاد كان لها نفوذ اعظم في انحاء المانية وكان جل اهتمامه بألا يفرض التعليم في المدارس لغير المعلمين المعروفين باستقامة ايمانهم وبراءة حياتهم

﴿كانيزيوس في النمسة﴾

بلغ خبر نجاح اليسوعيين في باڤارية مسامع ملك النمسة فرديناند الاول ملك الرومانيين فعرف ان لا شفاء لدرئه الا بذات الدواء . وكانت النمسة في حاجة ماسة الى النجاة من مخالب البروتستانت الذين كانوا عاثوا فيها فساداً فأضلوا ثلثي سكانها

فسعى الملك وجان فابر رئيس اساقفة ڤينّا لدى الحبر الاعظم جوليوس الثالث ولدى القديس اغناطيوس لينال بعضاً من اليسوعيين لينقذوا بلادهما من براثن الهراطقة . فسار اليها اوّلاً الابوان لوجاي ولاُنرا سنة ١٥٥١ وباشرا بإحياء جامعة ڤينّا عاصمتها التي كانت بلغت القاع بسقوط دروسها . وفي العام المقبل اتّسعت دائرة العمل فأرسل اليها كانيزيوس بعد ان وطّد دعائم جامعة انغولستاد (سنة ١٥٥٢) فجدّد في ڤينّة مساعيهُ كما فعل في باڤارية بالمواعظ والتعليم وكان يعود المرضى في المستشفيات . وفي اثناء ذلك ظهر الطاعون في ڤينّا فكان كانيزيوس اوّل من خصّص نفسهُ لخدمة المطعونين وكان يُعنى بفقراء المدينة فيوزّع عليهم ما يجمعهُ من صدقات المؤمنين ويزور الحبساء في سجنهم ويساعد في منتع الدم مَن حُكم عليهِ بالإعدام ويفرغ الوسع خصوصاً في اصلاح الاكليروس

ثم زادت اشغال كانيزيوس بوفاة الاب لوجاي فعُهدت اليهِ رئاسة اخوتهِ وطلبهُ الملك ليعظ في بلاطهِ فلم يأبَ . وفي السنة ١٥٥٣ منح الحبر الاعظم يوبيلاً للمملكة ففي أيام الصيام تجوّل في المدن والقرى ليدعو المؤمنين الى ربح الغفارين والنعم الروحيّة المنوطة باليوبيل . فكانت هذه الاعمال كابواق الدينونة افاقت المؤمنين من سِنَتهم وانعشت فيهم روح الدين بعد خمولهِ

ثمّ عاد الى ڤينّا وترأس على جامعتها فنظّم كل دروسها ووضع لها القوانين الحكيمة وعيّن لها الكتب المدرسيّة الصالحة واحرق ما وجدهُ من كتب الهراطقة : ثم ادرك ما للدروس الثانويّة من عظم الشأن لنجاحها ولتربية الاحداث منذ نعومة اظفارهم فانشأ بالاتفاق مع الملك فرديننت مدرسة لاشراف البلاد يوميّة وليليّة وانتدب لتعليمهم بعض اليسوعيين . فاتت تلك المدرسة بأطيب الثمار وخرج منها عددٌ لا يُحصى من رجال الدنيا والدين كانوا فخرًا لبلادهم وسورًا حماها من غارات الهراطقة . وهناك تخرّج ذاك الشاب الملائكي القديس استانسلاوس كوستكا من اعيان بولونية فارسلهُ كانيزيوس الى رومية فدخل الرهبانيّة اليسوعيّة وفيها توفي بعد عشرة اشهر برائحة القداسة يوم عيد انتقال العذراء الى السماء

وفي تلك الاثناء قدم رجلان من زعماء البروتستانت الى ڤينا وطابا جدالاً عموميًّا مع كانيزيوس في امور الدين فلبّى القديس الى ملتمسهما وفي اليوم المعيّن اجتمع اعيان

المدينة في معهد واسع فباشر الزعيمان وافاضا في التشنيع على التعاليم الكاثوليكيّة بالشتم وبذيّ الكلام كمألوف عادة المبتدعين وانّما القديس قام وفنّد كل اعتراضاتها فردّ الواحد منها الى الايمان وخرج الثاني مغضباً يتهدّد كانيزيوس واخذ مع رفقته يدسّ الدسائس ليظفر به ويقتله . فكان القديس يردّد قوله : «يا ليتني اموت في سبيل الايمان فانّ دم الشهداء احسن زريعة للكنيسة» . لكنّ الملك خوفاً عليه من اولئك الاشقياء وَكَلَ الى حزبه بان يراقبوا اعداءهُ فلا يَدَعوهم يرتكبون في حقّه سوءاً . امّا القديس فزاد غيرةً ولم يزل يتعقّب آثار الهراطقة لاسيما المتسترين منهم تحت ثياب الحملان كالقانوني بناوزرّ الذي كان وقع في فخاخ البروتستانت

ولما رأى فرديناند اعمال كانيزيوس الجبّارية في عاصمته وخذلان ارباب الهراطقة بمساعيه اراد ان يقيمه خلفاً لجان فابر المتوفى فيكون رئيس اساقفة على فينّة إلّا انّ القديس ابى الامر كلّ الاباء وبعد الالحاح المتواتر رضي بان يكون مدبّراً للكرسي الاسقفي ريثما يُقام على المدينة حَبْر جديد فبقي في تلك المهنة سنةً تولى فيها كل شؤون فينّا الروحية فعُدّت في تاريخها من ابرك السنين حتى انّ خلفاءهُ من اساقفة فينّا جعلوا الى يومنا صورتهُ في سلسلة صُوَر احبارهم

وكان البروتستانت بازاء النهضة الكاثوليكيّة على يد اليسوعيّين في بافارية والنمسة والمانية تحزّبوا جامعين قواهم وزادوا قحةً وتحاملوا بما امكنهم من ضروب العداء على الكنيسة وحُماتها وعقائدها . فرأى كانيزيوس ان اقرب واسطة لكسر شبابهم وتقبيح آرائهم ان يؤلف للشبيبة خلاصة التعليم المسيحي على صورة واضحة بادلّة بيّنة من آيات الاسفار المقدّسة واقوال الآباء على كل معتقد من معتقدات الكاثوليك المنافية لاضاليل البروتستانت والناقضة لكل مذاهبهم . فظهر هذا التعليم في اوائل أيار من السنة ١٥٥٥ وانتشر ايّ انتشار في كل اقطار اوربّة . وكان اوّل تعليم ظهر في الكنيسة من جنسه ليس فيه كلمة جارحة في حقّ المبتدعين وانّما يدكّ كل مزاعمهم دكّاً . فتكرّرت بعد قليل طبعاتهُ واصبح في كل المدارس الدستور القانوني للتعليم المسيحي بامر الاساقفة والملوك . وكان اعظم برهان على انهُ اصاب الهدف انّ البروتستانت انهالوا على كاتبه بكل انواع الشتائم ولم يستطيعوا تفنيده

ثمّ اختصر القديس هذا التعليم للاحداث الصغار فزاد رواجهُ ولم تخلُ مدرسة

من فوائده . وقد نُقل الى كل اللغات الاوربيَّة حتى اللغات الشرقية منهُ ترجمة عبرانيَّة وعربيَّة نُشرت سابقاً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

﴿ كانيزيوس رسول المانيا ﴾

انَّ ما اصابهُ كانيزيوس من الشهرة في باڤارية والنمسة استوقف نظر سائر الدول المركزيَّة اليهِ والى رهبانيَّتهِ . وكان اليسوعيُّون يزدادون كل يوم عدداً فدخلوا في عدَّة مدن بدعوة الامرا الكاثوليك والاساقفة . فرأى القديس اغناطيوس ان يقيم كانيزيوس رئيساً اقليمياً على كل جهات المانية والنمسة ليسير جميع الرهبان على خطة واحدة في فلاحة كرم الربّ وفي الدفاع عن حياض الدين ضدَّ الهراطقة وقد تمَّ الامر في اواخر نيسان سنة ١٥٥٦

انَّهُ لامر عسير ان نعدّد كل اعمال كانيزيوس مدَّة الخمس والعشرين السنة التي قضاها في المانية لخدمة الكنيسة الكاثوليكيَّة (١٥٥٦ــ١٥٨٠) فان تعدادها يستغرق مجلداً واسعاً وانَّما نشير فقط اليها اشارة خفيفة اجمالية

تحقَّق كانيزيوس في تلك المدَّة انَّ انجع واسطة لصيانة الكاثوليك من وباء الهرطقة انشاء مدارس ثانويَّة لتهذيب الشبيبة . فبادر على قدر ما وجدهُ من رهبانهِ لهذا العمل الخطير وفتح في المدن الآتية مدارس منظَّمة : في مونيخ وكولونية وانغولستاد وڤيَّنه وبراغ وڤورمس وفي وطنهِ نياغ وفي فريبورغ الالمانيَّة وإنسبروك وستوينتق وڤورتسبورج واولموتز وسپير وديلنغن . وقد تسلَّم في هذه المدينة الاخيرة ادارة جامعتها الكبيرة ما عدا مدرستها الثانويَّة . ولعمري انَّ واحدة من هذه المدارس كانت كافية لتشغل عدَّة رجال فكيف امكن كانيزيوس ان يقوم بانشائها ومراقبتها كلها !

ومن اعمالهِ الجليلة حضورهُ في اربعة مؤتمرات للمفاوضة مع المبتدعين بحضور كرادلة ممثلين للحبر الاعظم وكثيرين من الاساقفة والامراء في ڤورمس واوغسبورج وراتسبون وبوترو كوف فخطب مراراً وأفحم المبتدعين . ثمَّ عاد الى تريدنتي عند استئناف اعمال المجمع المسكوني بصفة لاهوتي

وكان في هذه السنين يتنقَّل الى كل اقطار المانية وباڤارية والنمسة وبولونية

وهنفارية يلقي فيها المواعظ والارشادات والمحاضرات والخطب المختلفة للدفاع عن الدين ولاصلاح احوال المملكة . وكثيراً ما كان يخطب امام الملوك والامراء وقد انتدبهُ الاحبار الرومانيُّون جوليوس الثالث وبيوس الرابع والقديس بيوس الخامس وغريغوريوس الثالث فارسلوهُ كسفيرهم الى الامبراطرة والملوك فكان بحكمتهِ يقضي مأمورياتهِ على وفق مرامهم فيثنون على حذقه ومهارتهِ

وزد على ذلك انَّهُ كان يتفرَّغ في ليلهِ للتأليف ردًّا على تُهم وسفسطات المراطقة كما ستذكرهُ . وتآليفهُ وحدها لمَّا يشغل حياةً بتمامها . واذ لم يعرف البروتستانت كيف ينجون من جدالهِ اشاعوا بين ذويهم في ڤورتسبورج انَّهُ عدل الى مذهبهم . فلما بلغ الخبر أذن كانيزيوس ذهب من وقته الى تلك المدينة واخذ يعظ في كنائسها الكاثوليكيَّة فانكشف مكرهم لدى الجميع . وقد ردَّ رجل الله الوفًا من الذين كانوا عدلوا الى المذهب البروتستاني فارعووا عن ضلالهم بينهم الامراء والاعيان

﴿ كانيزيوس رسول سويسرا (١٥٨٠–١٥٩٧) ﴾

كان كانيزيوس بلغ الستين من عمرهِ وهو لا يزال في نشاطهِ وهمَّتهِ مع ما قاساه من المشقَّات والاتعاب . وفي تلك الاثناء حاول البروتستانت ان يزرعوا زوانهم في سويسرة وكان زوِنغل وكلوينوس قد افسدا قسماً من مقاطعاتها كجنيفه وبرن وباسل وزوريخ . فعرف رؤساء الكنيسة انَّ الداء لا يُحسم الَّا بدخول اليسوعيين وطلب الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر ان يُرسَل كانيزيوس الى فريبورغ فسار مع احد الرهبان اخوتهِ برفقة النائب الرسولي فزُوا في بعض الاحياء البروتستانيَّة ولم ينجوا من أذى سكَّانها حتى باتوا فريبورغ في ١٠ ك١ سنة ١٥٨٠

وكانت فريبورغ عينها قد شرب قسمٌ من اهلها من كأس البروتستانت العكرة فتبعوهم في ضلالهم وبثوا في العموم ضروباً من التهم في حقّ اليسوعيين . الَّا انَّ القديس لم يشأ ان يزجرهم وفضَّل ان يظهر للجميع محبَّة الكنيسة الكاثوليكيَّة واهتمامها بخلاص النفوس فاستعدَّ لفتح مدرسة كبيرة للناشئة ثمَّ اخذ مع رفيقهِ يتفانى في خدمة المنكوبين من فقراء ومرضى ومحابيس مع القاء المواعظ والارشادات لكل

طبقات اهل المدينة ونشر التعليم المسيحي للصغار وزيارة المدن والقرى المجاورة . فما لبثت المدينة ان نفضت عنها غبار الهراطقة وانتعش فيها روح الدين والايمان الحي . ثمَّ سعى الى ان يستأصل العادات التي ألفها الكثيرون من شرب المسكرات ومطالعة الكتب الفاسدة والاختلاط باعداء الدين

وما تمَّ بناء المدرسة الكبرى حتى تقاطر اليها الطلبة من كل صوب . فاصبحت منبعاً صافياً للتعاليم الكاثوليكيَّة استقى منهُ اهل فريبورغ وكل الاحياء المجاورة لهُ . وكان البروتستانت لما يرون من فضل الدين الكاثوليكي يأتون الى كانيزيوس ويلقون عليهِ مشاكلهم فيفضُّها فيرتدُّون الى ايمان اجدادهم وينبذون البدع الكاذبة آسفين على انخداعهم بإفك زعمائها

قضى كانيزيوس ١٩ سنة في سويسرة يرشد ويعلّم ويفتح المدارس الجديدة والاهلون يكرمونهُ إكرامهم لملاك نزل من السماء لا يحيدون في شيء عن نصائحهِ . وكانوا اذا سمعوا بانَّ الرؤساء يريدون اخراجهُ من بلدهم لا يسكن لهم بال حتى يقنعوهم بحفظهِ في ظهرانيهم . واذا خرج لمهمَّةٍ في محلٍّ آخر يراقبون حركاتهِ وسكناتهِ ريثما يعود بينهم فيفرحون برجوعهِ فرح ابرّ البنين باحبّ الآباء . ولمَّا ضاقت مدرسة المدينة على كثرة طلبتها لم يترددوا في ان ينفقوا المبالغ الطائلة لتشييد غيرها اوسع منها تُرى بقاياها الى يومنا

على انَّ ثقل الأيَّام وكثرة الاشغال لم تزل تبهظ عاتق رسول سويسرا حتى نهكت قواهُ ومُني بمرض عضال في اواخر سنة ١٥٩٧ فكان الاهلون لا يكفُّون عن الصلاة لشفائهِ ويتألمون باوجاعهِ ويودُّون لو يفدونهُ بحياتهم . الَّا انَّ ساعة جزائهِ كانت حلَّت . ولمَّا شعر بقرب الوفاة لاحت على وجههِ لوائح الفرح وردَّد كلمات الرسول : اني اريد ان انحلَّ واكون مع المسيح . وكان آخر ما لفظت بهِ شفاههُ قولهُ مشيرًا الى صورة العذراء : انظروا ! انظروا ! السلام يا مريم ! فسلَّم روحهُ بين ايدي تلك الام التي كان دافع عن شرفها مرارًا قدَّام الهراطقة . كانت وفاة كانيزيوس في ٢١ ك ١ ١٥٩٧ وعمرهُ ٧٦ سنة قضى منها في الرهبنة اليسوعيَّة ٥٤ سنة

وقد تعدَّدت الكرامات بشفاعتهِ بعد مماتهِ منها انَّ اهل فريبورغ نجوا من الطاعون الذي قرَبَ من مدينتهم قبل وفاتهِ كما كان وعدهم . وآيات أُخرى كثيرة

مفصَّلة في سيرة حياتهِ وفحص البعض منها الكرسيّ الرسولي قبل تثبيتهِ كطوبوي سنة ١٨٦٥ ثمَّ قبل الاعلان بهِ قديساً في العام الماضي ١٩٢٥

ومن ٤٣٠ سنة لا يزال ذكر القديس حيًّا في فريبورغ وجثمانهُ مكرَّماً يقصدهُ اهل سويسرة من كل انحاء بلادهم كمزار شفيعهم ورسولهم الخاصّ

٤ القديس والملفان

قد ضاق بنا المجال مع قلّة ما ذكرنا من اعمال كانيزيوس ولا يسعنا الّا ان نذكر بوجيز الكلام شيئاً من فضائل القديس وعلومهِ

انَّ قداسة كانيزيوس قد ظهرت منذ شبابهِ اذ كان دارساً في وطنهِ فانَّهُ مذ ذاك الحين لدى اطّلاعهِ على فساد رفقتهِ الدارسين نذر العفَّة ليصون نفسهُ من كل دنس وكان يقوم ليلًا من فراشهِ للصلاة في الخلوة ويمارس ما استطاع من التقشفات

ولم يكتفِ يوم دخولهِ الرهبنة ان يمارس ما تقتضيهِ دعوتهُ من اسباب الكمال حتى اراد ان يبلغ ذروتهُ . فكان مثالًا حيًّا لكل الفضائل الكهنوتيَّة لاخوتهِ الرهبان ولعموم الذين يقربون من شخصهِ . ومن عجيب امرهِ انهُ عاش بين احبار الكنيسة وملوك العالم وكل طبقات البشر والجميع يتفقون على فضائلهِ السامية من تواضع ووداعة وغيرة متَّقدة وحزم وثبات في العمل وصبر جميل على شدائد الحياة وعلى سوء معاملات اعداء الكنيسة وتفانٍ في خدمة كل المنكوبين وبؤساء هذا العالم . وكان يستمدُّ تلك الفضائل من مناجاة الله في الصلاة وممارسة الرياضات التقوية كلّما تسنح لهُ بها اشغالهُ المتراكمة . وعلى الرغم من سموّ اعتبارهِ ونفوذ كلمتهِ في كلّ حلقات ارباب الدين والدنيا لم يزل مطيعاً لأدنى اشارة من روسائهِ يُسرع الى تنفيذ اوامرهم مهما كلَّفتهُ من الاتعاب

امَّا علم كانيزيوس فانَّهُ احد الامور المدهشة في حياتهِ . فانَّهُ قد اظهرهُ في جميع معاملاتهِ اذ كان يلقي في نوادي العلماء وفي مجامع الكنيسة الخطب في كل العلوم الدينيَّة من لاهوت وفلسفة وحقّ قانوني وتفسير الاسفار المقدَّسة . بل علَّم كل هذه العلوم في بعض الجامعات كانغولستاد وديلنغن . وكان خطيباً مصقعاً قد بقي قسمٌ من خطبهِ وارشاداتهِ باللاتينيَّة تشهد لهُ بطول باعهِ وعارضتهِ . ولم ينكفّ عن تفنيد مزاعم

المبتدعين وكثيراً ما كان يردُّ عليهم بديهاً دون استعداد سابق فيفحمهم تماماً

وكان الاحبار الرومانيون والاساقفة والملوك ثقةً بعلمهِ الواسع يستشيرونهُ في كل حاجاتهم فيحمدون نصائحهُ ويختبرون صحة نظرهِ فيها. وكفى بهِ شرفاً انهُ كان احد انوار المجمع التريدنتيني الجامع لمعظم اركان الدين ووجوه الكنيسة

وقد سبق ما اصابهُ كانيزيوس من الفوز الباهر بكتابهِ التعليم المسيحي . ولم يكن هذا اوَّل تآليفهِ ولا الوحيد. فانهُ باشر بالتأليف وهو في الثانية والعشرين من عمرهِ فنشر سنة ١٥٤٣ تآليف احد كبار معلّمي الحياة الروحية تولر (Tauler) الشهير. وفي السنة ١٥٤٦ نشر اعمال القديس كيرلُّس الاسكندري باليونانيَّة ثمَّ نشر باللاتينيَّة في السنة ذاتها اعمال القديس لاون الكبير. وفي السنة ١٥٥٥ نشر تعليمهِ المسيحي السابق ذكرهُ مطوَّلاً ثم ملخصاً سنة١٥٥٦باللاتينيَّة والالمانيَّة. وطبع ايضاً في السنة ١٥٥٦ تأليفاً حسناً في تعزية المرضى وإعدادهم للميتة الصالحة. وفي السنة ١٥٥٧ نشر ردودهُ على تأليف برنتس البروتستاني. وفي السنة ١٥٦٠ ابرز كتاباً روحياً لصلوات المؤمنين ولتنظيم كل حياتهم الدينيَّة ومن امتع تآليفهِ كتاب سنكسار الكنيسة باللغة الالمانيَّة سنة ١٥٦٢. وفي السنة ١٥٦٣ خدم الآداب المدرسيَّة والتاريخيَّة معاً بنشرهِ مراسلات القديس ايرونيموس فضبطها ضبطاً تامًّا وذيَّلها بالحواشي . ومن السنة ١٥٦٩ الى ١٥٧٧ ألَّف مجلَّدين ضخمين ردًّا على ما ضمَّتهُ البروتستانت من التهم والاضاليل في دائرة معارفهم المطبوعة في مغدبورج (les Centuriareurs de Magdebourg). وفي السنة١٥٦٩ نشر مجموعاً ثنيناً من الخطب والمواعظ لاعياد السنة . وفي السنة ١٥٧٠ زوَّد المؤمنين بشروح على الرسائل والاناجيل التي لا تقرأ في الكنيسة وفي السنة١٥٧٥ وضع سيرةً للسيِّد المسيح كثر رواجها

فهذه وتآليف أخرى ايضاً لا تزال مخطوطة أهَّلت القديس كانيزيوس بان ينظمهُ الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر يوم تثبيتهِ قديساً بين ملافنة الكنيسة وهو شرفٌ لم يُصبهُ الَّا قليلون من القديسين. وبهذا الامتياز الفريد كلَّل الله عبدهُ الامين بتاج من الفخر والجلال حتى في الكنيسة المجاهدة على الارض بعد أن خوَّلهُ في دار البقاء اكليلاً من المجد الاثيل الذي استحقهُ بحياتهِ البارَّة وجهادهِ الصالح

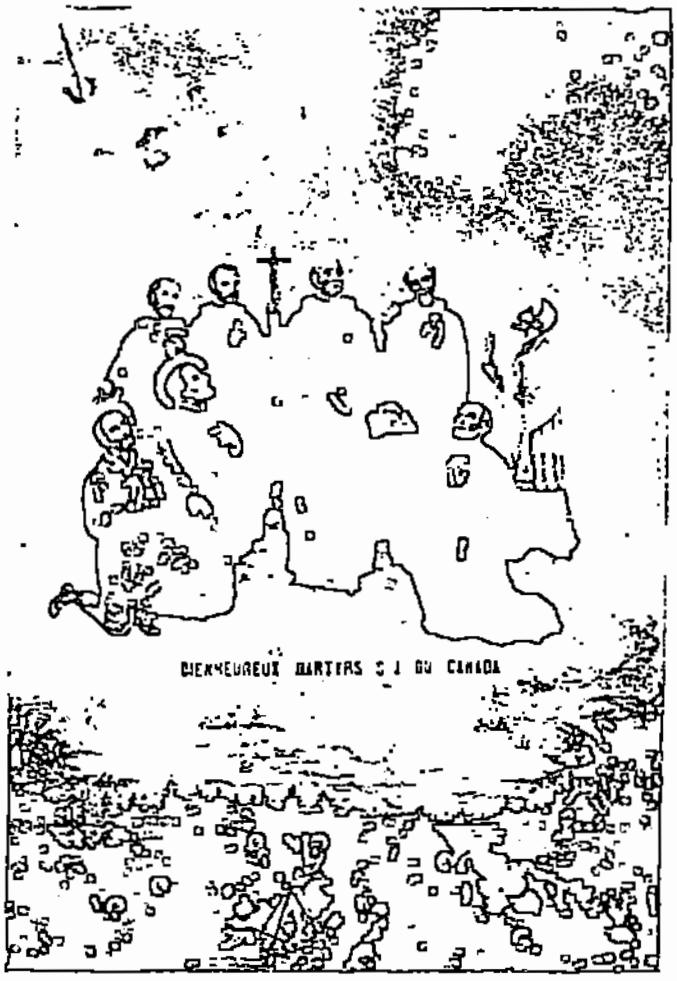

الطوبوبوه اليسوعيوه

شهداء كندا الثانية(١٦٤٦–١٦٤٩)

تطويب شهداء كندا اليسوعيين

لحضرة الاب عمانويل رولان اليسوعي

توطئة

لمّا انشأ القديس اغناطيوس دي لويولا رهبانيّة يسوع كانت غايته ان يمجّد الله بين المؤمنين ويردّ غير المؤمنين الى حجر الكنيسة الكاثوليكية . ومنذ اوّل انشائه لجمعيّته افرز بعضاً منهم للتبشير بين الامم التي لم تستضئ بنور الانجيل . كفى اشارة الى ذلك ذكر احد رفقته العشرة الاوّلين رسول الهند واليابان فرنسيس كسفاريوس

ومذ ذاك الحين انبثّ ابناء اغناطيوس في كل انحاء المعمور الى اقصى البلاد بُعدًا وأهمج الامم اخلاقاً لا يوقفهم في هذا العمل الجليل شيء من الاتعاب والمعاكسات وضروب العذابات . حتى مات كثيرون منهم ضحايا غيرتهم بعد ان سقوا مواطن الامم البربريّة بعرق جبينهم او صبغوها بدمائهم الزكيّة . وربّما بلغ عدد هؤلاء الرهبان المبشرين عدّة الوف حتى كاد يقارب ثُلث الجمعية كلها . كفى دليلاً عليه عددهم اليوم في الرسالات نحو ٣٦٠٠

*

على انّ بين الرسالات العديدة التي سار اليسوعيّون اليها بطيب القلب في القرن السابع عشر رسالة كندا شمالي الولايات المتحدة قصدوها رغبةً في مقاساة ما كان ينتظرهم فيها من المشقات واصناف المحن والعذابات

سبق الفرنسويّون ودخلوا كندا قبل غيرهم من الدول . فنصب الرّبان جاك كرتيه (J. Cartier) لواء فرنسة على اراضيها فاستوطنها الفرنسويّون بعده واخذوا باستعمارها

فقصد راهبان يسوعيان فرنسويّان تلك المستعمرة الجديدة ليخدما معاً الفرنسويين المستوطنين هناك ويبشرا بالايمان الوطنيّين عبدة الاوثان . ولم تطل مدّتهما فانّ الانكليز الذين كانوا في الولايات المتحدة قريباً من كندا اغاروا عليها وقبضوا

على اليسوعيين ونقلوهما كرهاً الى فرنسة سنة ١٦١١

فارسل ملك فرنسة سنة ١٦١٣ كوالي على كندا رجلاً ذا بأس وشراس يدعى صموئيل شمبلان فلمّا بلغها عزّز تلك المستعمرة في وجه العدوّ واستدعى للتبشير بين قبائل الهنود بعض الآباء الفرنسيسيين فلم تطُلْ مدّتهم وعاد اليسوعيون فاستأنفوا رسالتهم في كندا سنة ١٦٢٥ . فما كاد يثبت فيها قدمهم حتى استولى الانكليز ثانيةً على كندا فاوقفوا المرسلين كأسرى وردّوهم الى بلادهم سنة ١٦٢٩

وانّما عُقدت سنة ١٦٣٢ معاهدة في باريس بين فرنسة وانكلترة كان بين تقاريرها خروج الانكليز من سائر بلاد كندا لتُعاد الى الفرنسويين . فرجع اليها شمبلان وبصحبته مرسلون من الرهبانيّة اليسوعيّة الذين بادروا فاقتسموا بينهم العمل فبقي قسمٌ منهم لخدمة الفرنسويين المستعمرين في مونتريال وكيبيك وتروا ريفيار لتهذيب اولادهم . وسار قسم آخر لتبشير قبائل الهنود المتفرّقة في جهات البلاد . وما لبث ان توفّر عدد المرسلين فبلغ سنة ١٦٣٨ ستة وعشرين راهباً . كان من جملتهم اربعة ممّن استحقّوا نعمة الشهادة وهم الآباء انطون دانيال وجان دي بريبوف (J. de Bré-beuf) واسحق جوك (Isaac Jogues) وشرل غرنيه (Ch. Garnier) . ثمّ تبعهم بعد زمن في رسالتهم اثنان آخران نالا مثلهم اكليل الاستشهاد وهما الابوان جبرائيل لالمان (G. Lalemant) ونويل شبانيل (N. Chabanel) مع اخوين مساعدين للمرسلين اسمهما رينه غوبيل (R. Gaupil) وجان دي لالند (J. de Lalande) وكلّهم فرنسويون

امّا القبائل الهندية التي كان المرسلون يحاولون تنصيرها فكانت عديدة : منها هادية دمثة الاخلاق ترتزق بالصيد والرعية والفلاحة . ومنها شرسة الطباع تعيش من الغزوات والنهب والسلب ومعظمها لا تقيم في مكان بل يتنقّلون من موضع الى آخر ويسكنون المضارب والخيم . وقد اشتهر بين هذه القبائل بهمجيّتهم الوحشيّة وفظاظتهم البالغة قبائل تُدعى باسم ايروكوا (Iroquois) كانت تمتدّ في خمس معاملات كبيرة موقعها جنوبي بحيرة اونتاريو كان يبلغ عدد نفوسها ٢٥،٠٠٠ وهم يُعادون الفرنسويين ويُغيرون على احيانهم ويرصدون في الطرق المسافرين منهم ليقتلوهم او يأسروهم وكان المرسلون يفرغون كنانة الجهد ليبشّروا بالخلاص كل تلك القبائل وقد

تجشموا لهذه الغاية اسفاراً طويلة في بلاد قفرة وتكلفوا من الاتعاب ما لا يصفهُ قلم بين بشر متوحشين لا يأنفون من قتل اعدائهم وأكلهم. ولم يكفُّوا عن العمل حتى نصَّروا عدَّة قبائل منهم. وكانوا يتنقَّلون معهم في اسفارهم ثمَّ اقنعوا كثيرين منهم ان يعيشوا عيشة الحضارة ويسكنوا في امكنة ثابتة كقبائل الهورون والألُنْكيل فابتنوا لهم بيوتاً يأوون اليها وشيَّدوا لهم كنائس لإقامة فرائضهم الدينيَّة

وكان المرسلون لم ييأسوا من تنصير قبائل الايروكوا لولا سَحَرةٌ كانوا بينهم يُغرونهم بالمرسلين ويثيرونهم على الفرنسويين اجمالاً. فأوقعوا بهم غير مرَّة وقاتلوهم وانَّما كانوا يترصَّدون خصوصاً المرسلين لزعمهم انَّهم يهيِّجون عليهم غضب اصنامهم فيحرمونهم من المعاش ومن الفوز باعدائهم

﴿استشهاد الاب جوك﴾

الاب اسحق جوك اوَّل من وقع بين ايدي قبيلة الايروكوا. وقد اخبر هو نفسهُ في رسالة لاتينيَّة لرئيسهِ في فرنسة تفاصيل أَسرهِ وعذاباتهِ فلا يستطيع احد ان يطَّلع عليها دون ان يذرف الدموع متأثراً وترتجف فرائصهُ هلعاً ولولا طولها في خمسين صفحة لعرَّبناها وادرك القرَّاء ما يقاسيهِ المرسلون في رسالاتهم

كان اسحق يشتغل في تبشير قبيلة الهورون مع بعض الرهبان المرسلين وهم في حاجة ماسَّة لكل اسباب الحياة منقطعون عن عالم الكون بعيدون جداً عن اخوتهم فعرض عليهِ الاب جيروم لالمان رئيسه هناك ان يسافر مع بعض المتنصرين الى مدينة كيبك حيث كانت الحكومة الفرنسويَّة ومركز اليسوعيين الاكبر ليجلب لهم ما يحتاجون اليهِ. ولم يكن رئيسهُ ليأمرهُ بذلك لعلمهِ بالاخطار العظيمة التي تتهدَّد المسافرين وانَّما رضي الاب جوك بطيب الخاطر متكلاً على الله مستعداً للموت. وكثيراً ما كان يطلب في صلاتهِ ان يموت شهيداً فاوحى اليهِ الله ان صلاتهُ قد استُجيبت فما عليهِ الَّا ان يتدرَّع بالصبر

فرحل الاب جوك ورفقتهُ فقطعوا طريقهم في ٣٥ يوماً تارةً في البرّ وتارةً في الانهار الى ان بلغوا كيبك سالمين لم يشعر بهم اعداؤهم. فاخذ الاب بين اخوتهِ الرهبان نصيباً من الراحة وحضر معهم عيد القديس اغناطيوس في غاية تموز وتحفَّز

للرجوع الى مركزه الاول مع رفقته السابق ذكرهم وثلاثة فرنسويين من جملتهم ريته غريبيل مساعد المرسلين. فخرجوا من كيبك في ٢ آب وقطعوا مسافة يومين دون خطر وكانوا راكبين القوارب في النهر. واذا بهم في مساء اليوم الثاني امام العدوّ الذي كان نصب لهم المكايد وكانوا كثيري العدد شاكي السلاح فهجموا على الراحلين فانهزم الهورون إلّا البعض منهم فقُتلوا او أُسروا وكان الاب جوك قد اختفى اولًا بين شجر الشاطئ وامكنهُ ان ينجو منهم لكنهُ اذ رأى الاسرى وبينهم الفرنسويون لم يشأ ان يتركهم في بلائهم وخرج من مخبأهِ وسلّم نفسهُ للاعداء.

فهنا حدّث ولا حرج بما اصاب اولئك الاسرى من انواع العذابات من لَكْم وضرب بالسياط والهراوي والفؤوس وبقطع الاعضاء ونشرها وبرضّ العظام وبعذاب النار والكيّ فذاقوا الامرّين وكثيرًا ما ودّوا لو تُقطع حياتهم بضربة سيف.

وكان القسم الاكبر من هذه العذابات مُلحق بالاب اسحق جوك اذ عرفوا انهُ رئيس ذلك الوفد فانهم عرّوه من ثيابهِ واخذوا يلكمونهُ ويرفسونهُ ويجلدونهُ بالسياط ويضربونهُ باعمدة الحديد فتركوهُ بين حيّ وميت. ثم اتى غيرهم واخذوا ينهشونهُ باسنانهم ويمضّون اصابعهُ حتى رضّضوا عظامها واقتلعوا اظافيرها بآلام لا توصف.

ثمّ هجموا على ما وجدوهُ في القوارب فاقتسموهُ بينهم من حلل كهنوتيّة وثياب ومؤونة وكتب. فانتهز الاب جوك هذه الفرصة وزحف زحفًا الى رفقتهِ ليحلّهم من خطاياهم ويشجّعهم في بلاياهم وعمّد بعض الهورون الذين لم يتنصّروا بعد. فمات في الطريق البعض منهم لشدّة آلامهم ولثقل الاحمال التي كانوا يُكرهونهم على حملها.

ثمّ ربطوا اسراهم ونقلوهم معهم الى قراهم ليفرغ بهم مواطنوهم سجال حنقهم. فكان طريقهم كدرب صليب الربّ لا يذوقون ليلًا مع نهار راحة مدّة ١٣ يومًا. ولما بلغوا منازلهم اخذوا يدورون بهم من حيّ الى آخر فيعرضونهم عُراةً مقيّدين كالوحوش لكلّ الاهانات فيأتي الصغار والكبار ويخترع كل واحد منهم صنفًا من العذاب فهذا ينهش وذاك ينخز وينتف آخر شعرهم ولحاهم ومنهم من يحرق وبعضهم يقطع فيذيقونهم الموت الوانًا. واذا تشفّى منهم القوم في مكان اخذوهم الى مكان آخر. وكانوا لا يطعمونهم إلّا اقذر المآكل وما يكفي فقط ليبقوا

أحياء ليتلهوا بتعذيبهم . وكانوا في الليل مع برد كندا القارس يلقونهم على الحضيض ولا يسمحون لهم بان يستروا جسمهم بغطاء ولا ان يداووا جراحهم فكانت ترعاها الهوامّ فيشعرون بألم لا يُطاق

وكان الاب جوك مع كل هذه العذابات يذي آلامهُ المبرّحة ليفكر في رفقته ويوحي اليهم بالصبر الجميل ويذكرهم بآلام فاديهم وما ينتظرهم في الآخرة من الثواب ان احتملوا تلك النكبات الفادحة . وكان اذا رأى احدًا منهم مشرفاً على الموت حلَّهُ من خطاياهُ وساعدهُ في نزاعهِ . وقد سقط بقربهِ بعد شهرين الاخ المساعد رينه غوبيل اذ فلّق رأسهُ احدهُم بضربتَيْ فأس فسقط مضرَّجاً بدمائهِ لاهجاً باسم يسوع الاكرم . وهكذا قتلوا غيرهم من الاسرى وتركوا المُرسَل وحدهُ ملهاةً لذويهم مع كونهِ قدَّم رأسهُ غير مرَّة لسيوفهم

وفي شهريْ تشرين خرج البرابرة الى الصيد وجعلوا اسيرهم تحت مراقبة شيوخهم وصغارهم فكان يبتعد قليلًا عن مساكنهم او يتأمل في الكتاب الوحيد الذي امكنهُ ان يحصل عليه وكان يستطيع ان يفرَّ هارباً منهم لولا خوفهُ ان يبقى بعض رفقته دون معزٍ ففضَّل حياتهُ البائسة على النجاة . وكان في وقت الفراغ يسعى الى درس لغة اولئك البرابرة ليرشدهم فحصل على شيء منها فكان يعرض عليهم امور الدين ويبغض اليهم عبادة الاصنام فلا يسمعون لكلامه

قضى الشهيد في هذه العيشة التعيسة احد عشر شهرًا . وكان بعض التجار الهولنديين عرفوا بامرهِ فقدَّموا لزعماء البرابرة مالًا ليفتدوهُ فرفضوا بل زادوا في اوجاعه الى أن وجدهُ يوماً اولئك التجار منفردًا يُصلّي فاقنعوهُ ان ينزل في احد قواربهم فينجو بنفسهِ . فرأى القديس انَّهُ لم يُعُد لهُ سببٌ للبقاء بينهم بعد موت رفقته فتبعهم الى امستردام الجديدة وهي نيويرك الحاضرة وابحر معهم بعد قليل الى فرنسة فانزلوه قريباً من وطنهِ في بيرامون عيد الميلاد سنة ١٦٤٤ . فكان ظهورهُ بين اهلهِ ومعارفهِ كظهور ميتٍ يخرج من قبرهِ لا يتمالك من يراهُ عن الاندهاش والبكاء لذكر ما تكبدهُ من الآلام . وكان اخوتهُ اليسوعيون في رين وروان وباريس على الرغم من امتناعهِ يقبّلون جراحاتهِ ويتمنَّون ان يذهبوا مثلهُ الى رسالة كندا . وقد طلبت ملكة فرنسة المتولية شؤون الدولة لقصور ابنها ان يواجهها فلما رأتهُ اخذت تذرف

الدموع وجثت لتنال بركتهُ وصرخت قائلة: «انَّ الروائيين يبتكرون كل يوم قصصاً خياليَّة لا صحَّة لها وهنا رواية واقعيَّة تفوق على كل الخياليَّات ببسالة صاحبها وعبقريَّتهِ»

امَّا القديس فلم يكن ليحتمل تلك مظاهرات الاكرام فاراد ان يرجع باقرب وقت الى رسالتهِ ليواصل اشغاله مع اخوتهِ. وطلب من الحبر الاعظم اينوشنسيوس العاشر ان يُسمَح لهُ بالتقديس مع يديهِ المشوَّهتين فسمح البابا قائلاً: «وكيف نرفض على شهيد المسيح ان يقدّم ذبيحة ملك الشهداء الطاهرة!»

أبحر الاب جوك في أيار في مينا لاروشال راجعاً الى كندا واخذ يسعى الى تنصير قبيلة الايروكوا التي ذاق عذاباتها فلم يقدر على ادراك غاياتهِ. وارسلهُ رؤساؤهُ ثانيةً الى فرنسة ليتمّ فيها ببعض شؤون الرسالة والمستعمرة معاً. فقضاها سريعاً وقلبهُ يتوق الى التبشير بين قبيلة الايروكوا التي كان يدعوها «عروسهُ الدمويَّة»

وما لبث ان عرض عليهِ والي المستعمرة الجديد خلف شامبلان السيّد دي مونتماني (de Montmagny) ان يكون سفيراً الى تلك القبيلة المتوحشة لعلَّهُ يستطيع ان يجذبها الى مسالمة الفرنسويين. فلبى الى هذا الطلب وتأكد انهُ بهذه الرحلة سيحظى بما يتمنَّاهُ من نعمة الاستشهاد فقال لاخوتهِ عند وداعهم: «سأذهب ولن اعود» وهكذا كان. فانه عند دخولهِ منازل البرابرة عرفوهُ وقبضوا عليهِ واوسعوهُ ضرباً حتى اشرف على الموت. وفي اليوم التالي فلق احدهم رأسهُ بضربة فأس. فاصاب غاية مناهُ. وذلك في ١٨ تشرين الاوَّل سنة ١٦٤٦ وكان عمرهُ ٣٠ سنة وكان برفقتهِ اخٌ مساعد يُدعى جان دي لانـ فنال مثلهُ نعمة الاستشهاد

كان الاب جوك ولد في مدينة اورليان وقضى في رسالة كندا عشر سنين فكان لاخوتهِ وللاجانب مثالاً حيًّا لكلّ الفضائل الرسولية ولاسيما التواضع والغيرة الملتهبة

الآباء الشهداء الخمسة الباقون

لم يكُ الاب اسحق الكاهنَ والمرسَل الوحيد الذي فتك بهِ اولئك الهنود الهمج وانَّما كان استشهادهُ اطول مدَّةً واشهر خبراً لرجوعهِ الى فرنسة مرَّتين بعد عذاباتهِ

الاليمة وليس الخمسة الباقون دونهُ فضلاً وشهامة»

١ ﴿الاب الشهيد انطون دانيال﴾ قُتل هذا اذ كان في خدمة قبيلة الهورون في مركز قريب من مساكن الايروكوا . كان الى الرسالة سنة ١٦٣٣ فخصَّ نفسهُ بتبشير قبائل كندا الوثنيَّة . وتمكن من تنصير عدد وافر من قبيلة الهورون وشيَّد عندهم كنيسة ومدرسة لتهذيب صغارهم فقضى عندهم خمس عشرة سنة يقاسي فيها كل انواع الاتعاب من جوع وعطش وسهر وزمهرير برد . يأوي الى كوخ كاصحاب القبيلة . وكان مركز الهورون على تلٍّ مرتفع يسهل عليهم مراقبة حركات اعدائهم . وانما كان رجالهم خرجوا في اوائل شهر تموز للصيد ولم يبق في مقامهم سوى عدد قليل من الشيوخ والصغار فانتهز العدوّ تلك الفرصة ليقتحم ديار الهورون فاغار عليهم على بغتة . وشعر الاب دانيال قبل الكلّ بقدومهم فتولى كالراعي الصالح انقاذ قطيعهِ من براثن اولئك الهمج فاخذ يتجوَّل في كل المساكن ويحثُّ الجميع على الفرار مباشرًا بالنساء والعجَّز والصغار فاخرجهم الى مأمن دون ان يفكر بنفسهِ حتى دخل العدوّ وهو يسدّ الطريق على الهاربين فما كان منهم إلَّا ان رشقوهُ بسهامهم وأطلقوا عليهِ بنادقهم ثمَّ شوَّهوا جثتهُ انتقاماً . فكان موتهُ الشريف اشدَّ فعلًا في قلوب الهورون من كل ارشاداتهِ وارتدَّ كثيرون الى الايمان ممَّن كانوا أصمُّوا قبل ذلك أسماعهم عنهُ . وقع استشهاد الاب انطون دانيال في ٤ تموز سنة ١٦٤٨ . كان اصل هذا الاب من دياب في نورمندية واحد المرسلين الاوَّلين الذين قدموا للتبشير في كندا سنة ١٦٢٣ توفي وهو في الثامنة والاربعين من عمره . وكان هذا الاب شديد الغيرة على خلاص القريب محبًّا لمناجاة الله تائقًا الى تضحية نفسهِ في سبيل الايمان

٢ــ٣ ﴿الابوان جان دي بريبوف وجبرائيل لالمان﴾ قُتل هذان المرسلان سواء في اواسط شهر اذار سنة ١٦٤٩ بعد أن برَّح بهما الايروكوا . كان الاب دي بريبوف قدم الى كندا سنة ١٦٢٥ وهو اوَّل من افتتح الرسالة بين قبيلة الهورون وفي السنة ١٦٢٩ قبض عليهِ الانكليز وارجعوهُ الى فرنسة على الرغم منهُ . لكنهُ عاد الى كندا بعد معاهدة باريس سنة ١٦٣٣ واستأنف تبشير الهورون فلقي في عملهِ عرَق القربة لِما وجدهُ في اولئك البرابرة من ضروب المحن لكنهُ صبر عليها وربحهم المسيح فكان عدد المتنصرين منهم سنة وفاتهِ من سبعة الى ثمانية آلاف . ولعلمهِ بعادات

الايروكوا المسيحيين كان يرشدهم الى تحصين ديارهم في وجههم . إلّا ان العدوّ فاجأهم ليلًا وهم نائمون في ١٦ آذار سنة ١٦٤٩ فأحرق استحكاماتهم ودخل ديارهم وقتل ونهب. وكان في القرية المدعوّة مار لويس الاب دي بريبوف مع الاب جبرائيل لالمان فلم يشاءا ان يهربا مع الهاربين بل قاما وطافا في المضارب ليمنحا الاسرار المقدّسة فصبغا بالعماد غير المعمّدين ومنحا الحلّ التائبين وحرّضا الجميع على الثبات بايمانهم وهما يبشّرانهم بالفوز قريباً بنعمة الخلاص. فلمّا رآهما الايروكوا قبضوا عليهما وحاولوا ربطهما على عمود فخرّ الابوان على الارض وصلّيا الى الربّ وقدّما نفسهما الى العذاب غير هيّابين . وكان الاب دي بريبوف لا يزال يحرّض المؤمنين على الثبات فهجم عليه البرابرة وحزّوا شفتيه وقطعوا لسانهُ فكان يحتمل ذلك كأنهُ لا يشعر بألم ويحضّ المؤمنين باشاراتهِ. فصبّوا على رأسه ماء حميماً ثمّ ثقبوا يديهِ بسلّاتهم وحرّقوا عنقهُ وخاصرتيهِ ثمّ قطعوا لحمهُ وشووا تلك القطع بالنار فاكلوها ثمّ نزعوا جلد رأسهِ على شكل اكليل وتركوهُ في هذه الحالة حتى مات تلك الليلة وعند موتهِ سفكوا دمهُ وناولوهُ اولادهم ليشربوهُ ويقتدوا بصبرهِ

ثمّ اندرأوا على الاب جبرائيل فاوسعوهُ مثل رفيقهِ جراحاً ثمّ طوّقوا عنقهُ بقشر من الشجر الراتينجي فأحرقوها . واطالوا عذابهُ وهو لم يزل حيًّا الى اليوم التالي فرحمهُ احد شيوخهم واطلق عليهِ بندقيّتهُ فمات

وكان كلا المرسلَين اهلٌ بنعمة الاستشهاد بفضلها العميم. فالاب دي بريبوف كان رئيس تلك الرسالة ذا فضيلة سامية يشتغل طول نهاره ويحيي الليل بالصلاة وكان ابرز نذراً الزم نفسهُ بالثبات امام الظالمين لئلّا تفوتهُ نعمة الاستشهاد مهما كلّفهُ ذلك من الاوجاع. وكان يتقدّم الجميع في معاناة الاتعاب وخدمة اخوتهِ والمتنصّرين حتى في ادنى الخدم وأوضعها

امّا الاب جبرائيل لالمان فكان من أسرة شريفة قضى شبابهُ ببرارة القديسين ثمّ ترهّب في باريس وعلّم الآداب والخطابة في مدارس رهبانيّتهِ لكنهُ فضّل تضحية حياتهِ بين البرابرة سنة ١٦٤٦ فانتقل الى كندا وتعلّم بسرعة لغة قبائل الهورون وتخصّص لتبشيرهم . وقد وجدوا بعد موتهِ في وصيّتهِ تقدمة نفسهِ وقراهُ لخلاص الوثنيين والتماسهُ من الله ان يمنحهُ نعمة الاستشهاد . فما خاب املهُ

٤ــ٥ ﴿الابوان الشهيدان شرل غرنيه ونويل شابَنيل﴾ قُتل هذان المرسلان ثمانية اشهر بعد الشهيدين السابقين في الجبال التي تسكنها قبائل تدعى بيتون كان الاب شرل غرنيه اول المبشرين لاهلها فسكن بينهم ثلاث عشرة سنة (١٦٣٣ــ١٦٤٩) مكابدًا في تنصيرهم كل انواع المشقّات حتى عزّاهُ الله بقبول قسم كبير منهم انوار النصرانيّة. فجازاهُ الله بما نالهُ في خدمتهم من سفك دمهِ في سبيل الايمان وذلك بغزاةٍ غزاها الايروكوا لمحاربة قبائل البيتون وكان البيتونيُّون ذوي بأس في الحرب إلّا انَّ العدوّ اخذهم على غِرَّة فبدَّد شملهم وقتل فيهم مقتلة كبيرة . وكان الاب شرل غرنيه يستطيع ان ينجو من شرّهم فلم يشأ الّا ان يبقى مع قطيعهِ ليساعدهم في بلائهم فلحظهُ البرابرة وصوَّبوا اليهِ بنادقهم فوقع مضرَّجاً بدمهِ ثمَّ افاق وهو على آخر رمق ورأى واحدًا من ابنائهِ منازعاً فنهض ثلاثاً ليقترب منهُ ويمنحهُ الحلَّ عن خطاياهُ فسقط ميتاً

كان اصل الاب غرنيه من باريس من أُسرة عريقة بالتقى وعُرف منذ صباهُ بمحبَّتهِ البائسين وعبادتهِ للعذراء مريم التي كان نذر بان يدافع عن حقيقة الحبل بها الطاهر من كل دنس. فأثابتهُ بان يموت في بيرامون عيدها المبارك في ٧ ك١ ١٦٤٩ . امّا فضائلهُ فقد اتّسع كاتب سيرتهِ بتعدادها وسموّها . عرض حالهُ غير مرَّة للموت في خدمة الطمونين واختبر كل ضروب المحن في تلك العيشة الخالية من كل راحة بين قوم متوحشين يكادون يعتبرونهُ كأحد عبيدهم فيتحمَّل في خدمتهم كل عناء وخشونة عيش

وقُتل الاب نويل شابَنيل في اليوم التالي لوفاة الاب غرنيه يوم عيد الحبل بالعذراء مريم في ٨ ك١ وكان رفيقهُ في رسالتهِ . إلّا ان رؤساءهُ كانوا تقدَّموا اليهِ قبل يومين بان ينتقل الى مركز آخر قريب منهُ مع بعض المتنصرين فادركهم الليل في طريقهم بين الغابات وظلّوا تائهين واذا بالايروكوا الذين قتلوا الاب غرنيه مرُّوا هناك بجلبة عظيمة . فقام الاب نويل وفكَّر قبل كلّ بخلاص رفقتهِ قائلًا لهم : فوزوا بنفوسكم فاني انا لا اعتبر هذه الحياة شيئاً بالنسبة الى حياة البقاء والمجد التي لا يستطيع ان يحرمني الايروكوا منها

كان هذا الاب من اقليم تولوز طلب ان يُرسل الى كندا فأمّها سنة ١٦٤٣

ولقي فيها ما لم يخطر على باله من المشقات لكنهُ ثبت على عزمهِ في خدمة البرابرة والعيشة بينهم الى آخر حياتهُ وابرز في ذلك نذرًا ليقطع عن فكرهِ كل تجربة العدوّ. فمات وهو في عزّ كهولتهِ لا يزيد عمرهُ على ٣٦ سنة

هذه خلاصة اخبار هؤلاء الشهداء الذين مجّدوا الله باعمالهم في الحياة وبموتهم الباسل في سبيل الايمان. وذلك ما حدا بالحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الى ان يُعلن بهم طوبويّين في ٢١ حزيران من العام الماضي. فاستقبل اساقفة كندا وعموم الكاثوليك هذا الانعام بمزيد الشكر واقاموا لذلك مواسم شائقة لذكر هؤلاء الابطال باكورة اولياء الله في اوطانهم. ولا غرو انَّ دماءهم نالت من الربّ بركات عميمة حلّت على بلاد كندا فانَّها بشفاعتهم بلغت اليوم نجاحاً كبيرًا ماديًا وادبياً. وقد ازدهر فيها خصوصاً الدين الكاثوليكي حتى يُعدّ اهلها حاضرًا في مقدّمة الكاثوليك المتمسين في العالم بحبال الايمان المستقيم. فزادهم الله رقياً ونجاحاً وعليهم معقود الامل برجوع الضالين الى الحظيرة البطرسيّة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٧ جرجس الانطاكي النصراني

﴿اخبارهُ ودينهُ﴾ هو ايضاً ممَّن نظمهم العماد الاصبهاني في كتابه خريدة القصر وفريدة العصر (Paris, 1414 ff. 157 et 3330 ff. 157. Leide 881, n° 157) يدعى الفيلسوف الانطاكي النصراني وهو موصوف كفيلسوف وشاعر معاً. كان اصلهُ من انطاكية فرحل الى مصر ومارس فيها فنّ الطبابة واشتغل بالفلسفة قال

جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) : « جرجس الفيلسوف الانطاكي نزيل مصر يزعم انهُ قرأ على علماء بلدهِ واستوطن مصر وطبَّب بها»

وهناك وجدهُ ابو الصلت امية بن عبد العزيز لمَّا دخل مصر سنة ٥١٠ هـ (١١١٦م) وذكر في رسالتهِ المصريَّة التي وصف فيها ما رآهُ في ديار مصر من هيئتها وآثارها ومَن اجتمع بهم من الاطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من اهل الادب (راجع ابن ابي اصيبعة ٢ : ٦٣)

ودونك ما قالهُ في جرجس الانطاكي كما رواهُ عنهُ جمال الدين القفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) وابنُ ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (٢ : ١٠٦) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٤٨) وكلهم نقلوا كلام ابي الصلت حيث يذكرهُ ويذكر معاداتهُ لطبيب يهودي مصري يدعى ابا الخير سلامة بن رحمون كان يتعاطى مثلهُ الطبابة والفلسفة فكان مولعاً بهجائهِ . وهذا ما كتبهُ ابو الصلت بحرفهِ الواحد قال :

لمَّا دخلتُ الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة ادركتُ بها طبيباً انطاكيًّا يسمَّى جرجيس ويلقَّب بالفيلسوف على نحو ما قيل في التراب ابو البيضاء وللدَّيغ سليم . وقد تفرَّغ للتولُّع بابي خير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري والازراء عليهِ وكان يزوِّرُ فصولاً طبيَّة وفلسفيَّة يعرضها في معارض الفاظ القوم وهي مُحال لا معنى لها فارغة لا فائدة فيها ثمَّ ينفذها الى من يسأل ابا الخير عن معانيها ويستوضحهُ اغراضها فيتكلَّم ابو الخير عليها ويشرحها بزعمهِ دون تيقُّظ ولا تحفُّظ باسترسال واستعجال وقلَّة اكتراث واهمال (ويروى راهمال) فيؤخذ (ويروى : فيوجد) فيها عنهُ ما يُضحَك منهُ »

هذا ما قال ابو الصلت وفي قولهِ « انَّ جرجس الانطاكي لُقِّب بالفيلسوف على نحو ما يقال في التراب ابو البيضاء وللديغ سليم » تهكُّم ظاهر كانهُ لُقِّب بذلك على عكس المعنى وهو نوع من البديع . ولا نعرف شيئاً من اعمال جرجس المذكور لنتحقَّق صحَّة قول ابي الصلت فيهِ

﴿شعرهُ﴾ لجرجس الانطاكي اقوال في الشعر حسنة وكلُّها في هجو ابي الخير الطبيب اليهودي المذكور . ويظهر من كلام ابي الصلت في حقّ ابي الخير انهُ لم يكن محقًّا بل متشدِّقاً قال عنهُ (طبقات الاطباء ٢ : ١٠٦) : « انهُ كان يكثر كلامهُ فيُضلّ ويُسرع جوابهُ فيزلّ وكان مثلهُ في عظيم ادَّعائهِ وقصورهِ عن أيسر ما هو متعاطيهِ كقول الشاعر :

يشتر للّج عن ساقو ويغمره الموجُ في الساحل

او كما قال الآخر :

تمنّيتُ مائتي فارسٍ فردّكمُ فارسٌ واحدُ

وقال ابو الصلتُ : وأنشدتُ لجرجس وهو احسن ما سمعتُهُ في هجو طبيب مشؤوم وانا متّهم له فيه (من السريع) :

انَّ ابا الخيرِ على جهلهِ يخفُّ في كفّتهِ الفاضلُ
عليلُهُ المسكينُ من شؤمهِ في بحر هلكٍ ما لهُ ساحلُ
ثلثةٌ تدخلُ في دفعةٍ طلعتُهُ والنعشُ والغاسلُ

وقال ابو الصلت : ولبعضهم (يعني جرجس الانطاكي) فيه (من الخفيف) :

لابي الخير في العلا جِيدٌ ما تُقصّرُ
كلُّ من يستطبُّهُ بعد يومَين يُقبَرُ
والذي غابَ عنكمُ وشهدناهُ أكثرُ

ولجرجس في هذا الطبيب (من الطويل) :

جنونُ ابي خيرٍ جنونٌ بعينهِ وكلُّ جنونٍ عندهُ غايةُ العقلِ
خذوهُ وغلّوهُ وشدّوا وثاقهُ فما عاقلٌ من يستهينُ بمختلِّ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقولِ وحدهُ فقد صار يؤذي الناسَ بالقولِ والفعلِ

وقد اردف عماد الدين ابياتاً في هذا المعنى ولم يذكر قائليها ولعلّ منها ما هو لجرجس الانطاكي فمنها :

قُلْ للربا انتَ وابنُ زُهرٍ قد جُزتما الحدَّ في النكايهْ
ترفقا بالورى قليلاً في واحدٍ منكما كفايهْ

وقال آخر :

ما خطر النبضُ على بالهِ يوماً ولا يعرفُ ما الماءُ
بل ظنَّ انَّ الطبَّ دُرَّاعةٌ ولحيةٌ كالقُطْنِ بيضاءُ

وقال آخر في مثلهم :

وطبيبٍ مجرِّبٌ ما لهُ باعٌ لنُجْحٍ في كل ما يجرِّب عادَهْ
مرَّ يوماً على مريضٍ فقلنا قُرَّعيناً فقد رُزقتَ الشهادَهْ

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ

﴿اصلهُ واخبارهُ ودينه﴾ هو الاجل الحكيم معتمد الملك ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ النصراني القسطوري. قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٤): «كان طبيبَ الدولة العبَّاسيَّة في زمانهِ ويستشار برأيهِ ولهُ الفضل الوافر والادب الغزير والمعرفة الكاملة. واتَّفقت لهُ سعادة جدٍّ حتى كسب الاموال وعاش الى آخر عهد المستظهر بالله في حدود سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م)»

قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ٢٧١): كان معتنياً (ويروى: متميّزاً) في العلوم الحكميَّة، متقناً للصناعة الطبيَّة، متحلياً بالادب، بالغاً فيهِ اعلى الرُّتب، وكذلك كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب، كلٌّ منهم متعلق بالفضائل والآداب، وقد رأيتُ بخطِّ الاجلّ معتمد الملك يحيى ابن التلميذ ما يدلُّ على فضله وعلوّ قدرهِ ونُبلهِ، وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطبّ ولهُ تلاميذ عدة

﴿شعرهُ﴾ لم يكن يحيى ابن التلميذ طبيباً نطاسيًّا فقط بل كان ايضاً شاعراً مُجيداً. قال الملك المنصور صاحب حماة (Ms Leide 884, p. 340): «يحيى ابن التلميذ الحكيم كان يلقَّب معتمد الدولة وكان فاضلًا اديباً وديوان شعره مشهور». ومنهُ يتَّضح انَّ شعرهُ كان وافرًا حتى جُمع في ديوان ولم نجد لهُ ذكرًا في احدى مكاتب حواضر البلاد ولا عند الخاصَّة والعامة. وانَّما ذكر لهُ الادباء عدَّة مقاطيع جمعناها في ما يلي. فمن شوقيَّاتهِ قولهُ نقلًا عن احدى مجموعات باريس (Paris, Ms 3412, ff. 32v) (من البسيط):

اللهُ ابقاكَ للدنيـا وللدينِ ولا يُخَلِيكَ من عزٍ وتمكينِ
روحي بروحك ممزوجٌ ومتَّصلٌ وكلُّ عـارضةٍ تُؤذيكَ تُؤذيني

ولهُ فيها (٢٤٠:٣٣) : (من الخفيف) :

أنعِما بالوَصل أيا الفَرْقـدانِ وأسلَما من صروف هـذا الزمانِ
كم أشتَّ الفراقُ بين حبيبٍ وحبيبٍ وانتما تَصحبـاني
وستُفضي اليكما عن قريبٍ نَوبـةُ البَين ثمَّ تفترقـانِ

وروى لهُ في هـذا المعنى صاحب الايضـاح على المفتاح (ص ١٤٨) (من السريع) :

بدا الينا أرَجُ القادمِ فبرَّد الغُلَّـة من هـائمِ (١
روَّح عن قلبي على نأيـهِ وقد يَلَذُّ الطَّيفُ للحالمِ

ورُوي لهُ في النزل في طبقات الاطباء (من المتقارب) :

فراقُكَ عندي فراقُ الحياةِ فـلا تُجهِرنَّ على مُدنِفِ
عَلِقتُكَ كالنار في شَمعها فما إن تُفارِقُ او تنطفي

ومن ظريف اقوالهِ قولهُ في دار جديدة بناها سيف الدولة صَدَقةُ وقعت فيهـا النار يوم فراغهِ من بنائها (من الكامل) :

يا بانياً دار العُلى مُتَلَهِّياً (٢ لِتزيدَها شرفاً على الـكِيوانِ
عَلِمَتْ بأنك انَّمـا شَيَّدتَها للمجدِ والإفضالِ والإحسانِ
فقفَتْ عوائدَكَ الكرامَ وسابَقَتْ تَستقبلُ الاضياف بالنيرانِ

١) رواية ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٧٠) : من حاتمٍ
٢) ويروى : لِيَتَها . وملأغا

وقال في المعنى (من الكامل):

عَلِقَ الفؤادُ (١ على خُلُوّ حبّها عِلَقَ الذُّبالةِ في حشا المصباحِ
لا يُستطاعُ الدهرَ فُرْقَةُ بينهم إلّا لحينِ تفرُّق الاشباحِ (٢

وقرأنا لهُ في بعض المجاميع المخطوطة في مكتبتنا الشرقيّة (من المنسرح):

إرْضَ لمن غابَ عنكَ يكبرهُ فذاكَ ذنبٌ عِقابُهُ فيهِ
لو لم ينلهُ من الجفاء سوى بُعْدِكَ عنهُ لكان يكفيهِ

وقال في هلاك الظالم (من الخفيف):

واذا أنبتَ المُهيمنُ للنمـ ـم جناحاً أعدّها للتّردّي
ولكلّ امرئٍ من الناس حدٌّ وهلاكُ الفتى جوازُ التعدّي

ولهُ ايضاً وفيهِ اشارة منطقيّة (من الكامل):

تَعِسَ القياسُ فللأنام قضيّةٌ ليستْ على نَهجِ الحِجى تنقادُ
منها بقاءُ الشّوقِ وهو بزعمهم عرَضٌ وتفنى دونهُ الأجسادُ

وروى لهُ الدميري في حياة الحيوان (٢ : ٣٢) قولهُ في تشبيه السّمك وضرر النسيم بها (من المتقارب):

لبسنَ الجواشنَ خوفَ الرّدى عليهنّ من فوقهنّ الحُوَذْ
فلمّا أُتيحَ لها أُهلكت ببَرْدِ النسيمِ الذي يُستلذّ

ومن هجوه ما قالهُ في مُغَنٍّ (الرجز):

١) وفي طبقات الشعراء: قَلِقَ الفؤادُ . . .
٢) وروى: لا يستطيعُ الدهرُ . . . تبلُّجَ الإصباح

لنا مغنٍ ان شدا تدفئنا ثلوجهُ
فموتنا خروجهُ (١ وبعثنا خروجهُ(٢

وليحيى ابن التلميذ عدّة ألغاز بالشعر من ذلك ما اخبر بهِ عليّ بن يوسف بن ابي المعالي سعد بن علي الحظيري قال: وجدتُ بخطّ الرجل الحكيم معتمد الملك يحيى ابن التلميذ لنفسهِ لغزًا في الابرة وخيطها (من الوافر):

وفاغرةٍ فماً في الرجل منها ولكن لا تُسيغُ بهِ طعاما
ومُخطِفَةِ الحشا في الرأس منها لسانٌ لا تطيق بهِ الكلاما
تصول بشوكة تبدو وسمٍ(٣ وما مَن ذاقهُ يَردُ الحِماما
تجرُّ وراءها ابدًا اسيرًا كما قادت يدُ الحادي الزِماما
منيعاً ذا قوًى لكن تراهُ بقبضتها ذليلًا مُستطاما
فتُلقيهِ بمجبسها مقيماً طوالَ الدهر لا يأبى المُقاما
أيا عجباً لها سوداء خُلقاً تُريك خلائقاً بيضاً كراما
غدَتْ عُريانةً عن كلّ لَبسٍ وفاضِلُ ذَيلها يكسو الأناما

وقال ملغزًا في قوس رواهُ عماد الدين في خريدتهِ (من الوافر):

وما ذو قامةٍ ذاتِ اعوجاجٍ يَئنُّ وينحني عند الهياجِ
لهُ المكرُ الجفيُّ مع التمطّي كمكرِ الراحِ في القدَحِ الزُجاجِ

وروى لهُ ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٦) لغزًا في الظلّ (من الطويل):

١) خروج المغنّي ان يُمدّ صوتهُ في الغناء ويُخرجهُ في الايقاع . يريد انهُ اذا فعل ذلك يموت السامعون من قبح صوتهِ ٢) اي اذا خرج عادت الينا الحياة
٣) سُمّ الابرة خرمها

وشيء من الاجسام غير مجسّم لهُ حركاتٌ تارةً وسكونُ
اذا بانتِ الانوارُ بانَ لناظري وامّا اذا بانت فليس يبينُ
يتمُّ اوانُ كونهُ وفسادُهُ وفي وسط مَحياهُ المُحاقُ يكونُ

وللشريف ابي الملاء محمّد بن المبارك قصيدة مدح فيها يحيى ابن التلميذ وكان ابو الملاء قد اتاهُ الى اصبهان فحصّل لهُ يحيى من الامراء والاكابر مالًا جزيلًا: وفيها يقول:

وجميعُ ما حصّلتُهُ وجمعتُهُ منهم وكنتُ لهُ بشعري كاسبا
نُعمى ابي الفرج بن صاعدٍ الذي ما زال عني في المكاسبِ نائبا
هو لا عدمتُ علاهُ حصّل كلّما أمّلتُهُ ورَعى فكنتُ الحالبا
يحيى بنُ صاعدِ بنِ يحيى لم يزل للمكرمات الى جنابي جانبا
ما زال يُنمي نداهُ حاضرًا وينوبُ عني في المطالبِ غائبا
في باب سيف الدولة ابن جانوا وكذا نصير الدين كان مخاطبا
كاتبتُهُ بحوائجي وهززتُهُ فوجدتُهُ فيها الحسامُ الناضبا
ما زال يغرسني يداهُ ولم أزل بنلاهُ ما بين البريّة خاطبا

ومنها:

لا زلتُ أُثني بالذي اوليتَني وعلى المديح محافظًا ومواظبا
وبقيتَ لي ذُخرًا ودمتَ ممتّعًا بالمجد للأبرادِ منهُ صاحبا
ثقةَ الخلافة سيّد الحكماء مقدَّم الملوك الفيلسوفَ الكاتبا

فيستفاد من هذا المديح ما كان عليهِ يحيى ابن التلميذ من المنزلة العالية عند الخلفاء وكبار الدولة ثمّ قيامهُ بخدمة الادباء كابن المبارك. واقامتهُ مدّةً في اصبهان. ويحيى ابن التلميذ هو جدُّ امين الدولة هبة الله الشهير بابن التلميذ الآتي ذكرهُ

(لهُ تتمّة)

العمليَّة القيصريَّة(١

ورأي المجلة الطبيَّة العلميَّة فيها

مقدمة

اطَّلعنا في عدد كانون الاوَّل من المجلَّة الطبيَّة العلميَّة لسنتها الثالثة (ص ٢٨٣ — ٢٨٦) على مقالة اصاحبها ورئيس تحريرها ذكر فيها توليد الجنين «في الاحوال العسرة» اذ يكون للطبيب «الحقّ في الانتخاب بين حياة الطفل او الوالدة» فذكر آراء الاطباء والعلماء في هذه الحالة وقسمها الى ثلثة اقسام: (القسم الاوَّل) يُفتي بوجوب المحافظة على حياة الوالدة ولو كان ذلك بقتل الجنين. (والقسم الثاني) دعاهُ بفريق رجال الدين وقال عنهُ انهُ «يدَّعي ان حياة الجنين اثمن من حياة والدته لان هذا الطفل لم تُعطَ لهُ تقاليد الديانة (كذا) اذ لا ليس له الحياة الابديَّة في الآخرة ولذا فعلى مذهبهم انهُ يجب المحافظة على ان يولد الطفل حيًّا ولو كان في ذلك خطر الموت على الوالدة وهو مذهب اصبح غير معمول به في ايامنا الحاضرة لانَّ الطب عليه ان يحفظ حياة البشر بدون ادنى تدخل في المعتقدات الدينيَّة» (كذا). (والقسم الثالث) هم القائلون بعمليَّة جراحيَّة دعاها «قطع المفصل الملتصق المائي» رآها الكاتب «غير مطابقة كلَّ المطابقة للانسانيَّة ... خطر تصل حتى الموت»

فبين هذه الاقوال الثلثة قد اختار الكاتب الرأي الاوَّل او الآخر ولا يُعير الثاني اعتبارًا الَّا في [illegible] حوادث قليلة كما لو كان الجنين وليَّ عهد

فلا يمكننا ان نسكت عن فتوى جناب الطبيب في قوله عن الفريق الثاني الذي دعاهُ بفريق رجال الدين كأنَّ رجال الدين لا دخل لهم في امر كهذا يُعلَّق عليه خلاص او هلاك احد البشر وكأن رجال الدين هم فقط رجال الاكليروس. وكم من الاطباء ذوي الضمير والمعرفة يقولون بقول ارباب الدين! وقد ساءنا خصوصاً قول جنابه «انَّ الطبَّ عليه ان يحفظ حياة البشر بدون ادنى تدخل في المعتقدات الدينيَّة» فهو قول كثيرًا ما يجري عليه الاطباء الخالون من الدين فيضحُّون حياة كثيرين من

(١) نسبة الى يوليوس قيصر الذي استُخرج حيًّا من احشاء والدته

البشر من اطفال وغيرهم بدلاً من ان يحفظوها . وقد استدرك قانون الجزاء العثماني نوعاً جناية اسقاط الجنين (في المادة ١٩٣) فيجازي من يتبهُ بالكورك الموقت

وقد تكرَّم حضرة صاحب المجلة المشار اليها بوعدنا بانه سينشر آراء الدين والفنّ بهذه المسئلة الخطيرة من كل وجه بكل طيبة خاطر على ان يترل عند رغبتنا ووعده الطيف بل واجبه المقدس

وها قد كتب جناب الدكتور امين الجميّل فصلاً في ذلك نعرضهُ على الاطباء والقرّاء ليتخذوهُ عبرةً في سلوكهم ل . ش

لا تقتل!

(بداعي ما يُكتَب احياناً في الجرائد ويُرتكَب كثيراً في المخادع)

هو نصّ الوصيَّة الالهية وهكذا توحي العاطفة البشريَّة وبذلك تقضي الضرورة العمرانيَّة . ومع هذا فانَّا نرى مَن لا يحفل بالوصيَّة ويدوس العواطف الانسانيـة . والاغرب أن من عُنيتُ الآن ليسوا من الوسومين بإخوة قابيل ولا يُطلَق عليهم اسم سفَّاكين مصيرهم العادل الى المشانق؛ فهم فريق من النـاس لا يُظَنّ بهم الشرّ وربما كانوا على جهل او بعض الجهل او التجاهل فوجب انذارهم لعلَّهم يرعوون وكلامنا نوجّهه اولاً الى الاطباء :

ان من المخاض ما قد لا ينتهي بالطرُق الطبيعيَّة والسلامة لضيق عظام الحوض او لأورام تعترض خروج الجنين من الحشاء . فبعضُنا لا يتردَّد في قتل الولد ويضحّي به معتذراً بانه ينظر الى سلامة الام فقط صامّاً أذنيه الى صراخ الوصية « لا تقتل » بل الى صوت العِلم الذي يقضي بتوسيع الحوض بقطع غضروف العانة أو بالعمل القيصريّ اي شقّ البطن لإخراج الجنين . وهي عملية عجيبة النتيجة ! ألا وهي تضمن بسلامة الجنين في ٩٩ في الـ١٠٠ وصيانة الأمّ في ٩٨ من ١٠٠ ولادة من نوعها (وهذه الاحصائية دفعها الينا حضرة الحكيم لورنس استاذ التوليد) وأيدها سائر مولّدي العاصمة . . وهذا عمل جراحيّ يمكن تكراره في الولادات التابعة

وبالطبع انا لا نتكلّم هنا عن الحوادث التي يجد فيها الطبيب ان الجنين قد سكنت حركتهُ وصمتَ قلبه اي مات فيمكنه حينئذ ان لا ينظر في عمله الّا الى

سلامة الماخض فقط

وقبل ان أنتهي من مناقشة اخواني الاطباء الحسابَ ألفتُ النظر الى امرين نظيعين هما اسقاط الجنين لرحم صعب شاقٍ مستطيل والتعقيم بالاشعّة الكهربائية الجديدة لشفاء او تلافي نزف عسير الشفاء. فكم من مرأة رأينا من قد قُضي عليهن باسقاط جنين ممتلئ حياةً لرحم شديد يقتن عند هذا العمل الذي يأباه الضمير وتزول تلك الاعراض الرحميّة وينتهي الامر بفرح حصول الأسرة على طفل هو سرُّ كيانها وعلّتهُ

دُعيتُ من ثلاث سنين لسيدة أصيبت بنزف مُستطيل قد استعصى على اكثر المعالجات فحُكم عليها بتعقيم المبيض بالكهربائية فأبيتُ الخضوع الى هذا الحكم الجائر لقضائه على آمال العيلة بولد يقرُّ عينها به. وأشرت بعلاجات جديدة فكان عنها الشفاء. ولهذه السيدة اليوم ولدان هما مسرّة قلبها وعلّة آمال ذويها

وبعد ان ناقشنا الاخوان الحسابَ نعود الى العامّة. فمنها من يتقفّى اعمال أونان (التكوين ٣٨: ٩-١٠) فيهرق جراثيم الحياة بحيث لا يكون لها فائدة ولا حياة. ويكفي ان نذكر بما حلَّ على أونان من غضب الله لمخالفته نواهيهُ. وليعلم تلاميذ هذا التاعس انهم بذلك عُرضة لامراض عصبيّة متنوّعة لا متّسع لذكرها

ومنهم، وهم الآن عديدون، من يعمل على طريقة أطلق عليها اسم «مالتوس» (Malthus) اي تحديد عدد الاولاد. فالخالق أعطاهم حقّ الابداع على مثاله وهم يقتلون المواليد ببعض الوسائل والادوية. تأمرهم العناية بالاتكال عليها فانها تعطي الطير طعامه ونبات الارض غذاءه والنحلَ عسله وهم لا اتكال لهم الّا على خططهم الجهنمية عادّين الولد نقمةً لا نعمةً

وهذا سرّ نقص عدد الأسر وانقراض بعض العيال وسير بعض القبائل والشعوب الى الاضمحلال بدليل ان عدد الوفيات زاد بينها على المواليد وتجاوزها

والطبُّ قد أثبت ان لمثل هؤلاء عقاباً أليماً يظهر باحوال عصبيّة وامراض والتهابات واورام خبيثة قد تؤدّي الى الموت

وليسمح لنا القرّاء هنا بذكر العلاج العجيب الذي نوّه بفضله الكاتب الشهير لافدان من الاكادمية الفرنساوية إذ قال: «ان دواء هذه الآفة، التي حار في امرها

علماء الاجتماع ، انما هو بكرسيّ الاعتراف لان الحلّ مربوطٌ على كلّ من يقيم على هذا الاثم »

وفي مقام مسيحيّ كهذا لا بُدَّ لنا من الجهاد بما صرّح بهِ كثيرون ان من الذين اقتصروا في زواجهم على الولد الوحيد او العدد القليل رأوا لذلك ١٠ او لطارئ ، كالحرب الاخيرة ، قتلَ ذلك الوحيد او وفاة ذينك الولدين فوتَ الأسرة وفناء اسمها الى الابد . . .

وبقي كلمةٌ لا ندحة عنها لاولئك الذين لا يتعففون ولا يتزوّجون . فكل عزوبة لا تُبنى على هذا الشرط فهي جريمة . وهؤلاء هم مَن يسيرُ الى قتل صحته وفناء سلالته . وما مثلهم الّا مثل التينة التي لعنها السيد لانها لا تُثمر

فليرجع كلٌّ منا الى ضميره فلن يكون بعد هذا البيان من القتلة العامدين . وليتقِ الله فانه علّام الخفايا شديد العقاب

العامية ٢٦ ك٢ سنة ١٩٢٦ امين الجميّل

الاله العربي مناف

نظر أثري للاب لويس شيخو اليسوعي

في جملة الآلهة التي اكرمها العرب في زمن الجاهليّة إلهٌ مجهول احتار كتبة الاسلام في تعريفهِ نريد بهِ الاله مناف الذي لا ذكر لهُ في القرآن وانّما استدلّوا عليهِ باسم احد اجداد نبيهم المدعو عبد مناف . فلمّا ارادوا تعريفهُ بقوا متذبذبين حائرين كما ترى في كتاب الاصنام لابي المنذر هشام الشهير بابن الكلبيّ الذي نشرهُ سنة ١٣٣٢ ه (١٩١٤م) الاستاذ الفاضل احمد زكي باشا فانَّ غاية ما ذكره هناك قولهُ :

«وكانت لهم (اي لقريش) ايضاً مناف : فبهِ كانت تسمّي قريشٌ «عبدَ مناف» ولا ادري أين كان ولا مَن نصبهُ»

وقد ذيّل جناب الاستاذ هذا المتن الزهيد بالحاشية الآتية نقلاً عن كتاب الروض الانف (ورقة ٣ بدار الكتب الخديويّة رقم ١١١ تاريخ) :

« قال السهيلي في الروض الأنف ما نصّهُ: عبد مناف (من اجداد الرسول كان يلقّب قمر البطحاء، فيما ذكرهُ الطبري. وكانت امّهُ حُبّى قد أخذَتْهُ مناة وكان صنماً عظيماً لهم وكان يُسمّى بهِ «عبد مناة» ثمّ نظر قُصَيّ ابوهُ قرآهُ يرافق عبد مناة بن كنانة فحوّلهُ عبد مناف. ذكرهُ البرقيّ والزُّبَير ايضاً ».

ثم نقل عن مجموعة الدكتور برلس برونله P. BRONNLE: Monuments of arabic Philology قولهُ :

«امّا المشبيّ شارح سيرة ابن هشام فقد قال ما نصّهُ: مناف اسم صنم أُضيف العبد اليهِ كما يقولون عبد يغوث وعبد العزّى وعبد اللات »

وقد نقل صاحب التاج قول ابن الكلبيّ في مناف وذكر بيتاً لبلعاء بن قيس ورد فيهِ اسمهُ :

وقرْنَ وقد تركت الطير منهُ كمنبر المواركِ من مناف

وقال الطبري في تاريخهِ (١ : ١٠٩٢) : «مناف اعظم اصنام مكة»

وفي كتاب الاشتقاق لابن دُرَيد (ص ١٠) : « مناف صَنم واشتقاقهُ من ناف يَنوفُ وناف يُنيف اذا ارتفع وعلا . . . والنَّوْف السَّنام وبهِ سُمّي الرجل نَوْفاً»

هذا كلّ ما وجدناهُ في كتب العرب عن معبودهم مناف في الجاهليّة فترى انّهُ قليل زهيد لا يشفي غليلاً

وها هوذا اثرٌ جديد يُطلعنا على بعض امورهِ التي أقرّ ابن الكلبي بجهلها. بينما كان حضرة الاب سبستيان رونزفال في مخزن التاجر الارمني الاديب صرّافيان قبل ثلاث سنين اوقفهُ هذا على بعض ما عندهُ من العاديّات فلمح بينها نصباً منقوراً في الحجر البركاني المانع في اعلاه صورة الاله مناف مع كتابة في اسفلهِ وعلى جانبهِ. فاخذ بالفوتغراف الصورة والكتابة كما تراهما هنا (ص ٢٠٠) وقرأ نصّ الكتابة وادركَ ما تحتها من عظم الشأن لتاريخ دين العرب في الجاهليّة

ثمّ بيع النصب المذكور فاقتناهُ المسيو دي لوره مدير المتحف الاثري الاسلامي في دمشق حيث وجدهُ حضرة الاب مورّد واخذ ايضاً رسمهُ وقرأ كتابتهُ ونشر ذلك في مجلّة «Syria» (المجلّد ٦ ص ٢٤٦ــ٢٥٢) ووصف ذلك الاثر وصفاً مشبعاً فقال عن صورة الاله مناف انّ رسمهُ على طول ٣٤ سنتمترًا في عرض ٢٠ س عند كتفيهِ و١٢ س في نتوّه وصورتهُ صورة رجل لا لحية لهُ يتحدّر على عارضَيهِ شعرٌ

رأسه الصناعي الرموز به الى الآلهة الشمسية وحول جنبيه وحدقتيه خطان ناعمان ويزين جيدهُ قلادةٌ كما تُرى غالباً في تصاوير الآلهة السوريين. وعلى صدره طيات ردائه. ويُرى طرف طيلسانه الالهي الذي ينعطف من كتفه الايسر فيتصل الى الايمن ويُعقد به : اما الكتابة التي في اسفل الصورة فطولها ١١ سنتمتراً وانتي على جانبها ٣٤ س وحروفها تختلف كبراً وهذا محتوى الكتابة الوجهية :

Ζεῦ Μά ναφε, μεί-] ζον[α τή,-] [ν τύχην]	ايها الاله مناف (امنح) سعداً اوفر

والكتابة الجانبية تُعيد الكتابة السابقة وتضيف عليها كما ترى :

Ζεῦ Μ[άναφε,] μέζονα τήν τύχην	ايها الاله مناف (امنح) سعداً اوفر
Β(ί)ωμος ς Ἰνάθης εὐσεβής βιώσας [ἀ]νέθηκε	ابو معن من إعنات الذي عاش بالتُّقى قرَّب تقدمة (هذا المذبح)

فهذا الاثر كما يظهر اصلهُ من جهات حوران. والاله مناف المذكور فيه مجهول في الآداب المدرسيَّة وقلَّما تجد لهُ ذكراً في الكتابات اليونانيَّة الرومانيَّة وانَّما ذُكر في كتابة وُجدت في بلاد پاتونيا حيث ورد اسمهُ مع احد الآلهة المعبودين في بصرى المدعو تياندريوس هكذا: Dis Patris Manalpho et Theandrio ولا شك في انَّ هناك غلطاً صوابهُ (Manapho) كما اصلحهُ المسيو موردتمان (ZDMG,XXIX, 1875, p. 106) مستنداً الى كتابة وجدها المسيو وادنتون في قرية مفعلة حيث ذُكر المسمَّى منافيوس (Μανάφι(ο)ς) . وهذه الكتابة الجديدة لا تبقي شكاً في صحَّة كتابته

ويستفاد من هذا الاثر الحديث انَّ مناف كان معبوداً من معبودات العرب مكرَّماً في اواسط الحجاز وبين عرب الشام وكان الهاً شمسياً اي ممثلاً لبعض خواص الشمس المنيرة. ومن الصفات التي تلوح من الكتابة المرقومة على اثرنا انهُ كان يعتبر

كإله محسن فيطلب منهُ صاحب الاثر ان يزيدهُ سعداً

ثمَّ ان في اشتقاق اسمهِ سرًّا آخر. فان مناف كما قال ابن دريد اصلها من التوف والإنافة اي الارتفاع والعلوّ. فكأنهم دعوهُ بهذا الاسم لاعتبارهم انهُ يفوق المخلوقات علوًّا وانهُ ارفع درجةً من بقيَّة الآلهة. والحقّ يقال انَّ الشعوب القديمة كلّها كانت مع عبادتها لآلهة مختلفة تعتبر واحداً منها ارفع من سواها قدراً واعظم سلطاناً وقد بقي اثر ذلك في العربيَّة، الله العليّ والله تعالى والله اكبر،

وكذلك في العبرانيَّة يلقَّب الله بعليون (עליון) اي الاعلى (راجع سفر التكوين ١٤ : ١٨ الخ) بياناً لارتفاعه فوق كل الكائنات دون الاعتقاد بآلهة سواهُ. على خلاف الامم الوثنيَّة المشركة. لنا على ذلك مثال في اليونانيَّة فكانوا يسمون الاله الذي يعتبرونهُ فوق سائر الالهة باسم (θεὸς ὑψιστος) اي الاله الاعلى وقد ورد ذكرهُ في كتابات اثريَّة قديمة. بل ورد ايضاً على صورة التأنيث (θεὰ ὑψιστη) اي الالهة العُليا. وفي الترجمة السبعينيَّة للاسفار المقدَّسة قد ورد الاسم عينهُ مذكراً للدلالة على الاله الحقيقيّ. وقد جمع فيلون الجبيلي على ما روى اوسابيوس بين الاسمين العبراني واليونانيّ هكذا (Ὑψιστος ὁ Ὑψιστος)

وعليهِ لا يبعد القول بان قدماء العرب دعوا اكبر آلهتهم باسم مناف تفضيلاً لهُ على بقيَّة اصنامهم والدليل عليهِ هنا قدَّم اسم (Zeus) عليهِ فجعل الاسمين واحداً

وقد بقي في الكتابة المكتشفة حديثاً اسم الرجل الذي عُني بصنعها فانهُ باليونانيَّة على المرجح «Βα...» فيكون تعريبهُ «ابو معن» وهو عربي كما ترى. قلنا «على المرجح» لان الحرف B قد طُمس بعضهُ فلا يُرى منهُ غير حلقتهِ العليا فيجوز ان يقرأ «Ἀβαμαρος» غير انَّ الاسم على هذه الصورة نادر جداً. ويقال في الكتابة انهُ من إعنات. وهي المدعوة حاضراً اعناق وقد زارها في حوران الجنوبيَّة المسيو دوسو وماكلر ثمَّ اصحاب بعثة جامعة برنستون

وهذا الرجل موصوف هنا بتقواهُ وهو يقدّم هذا النصب للاله مناف. وصورة التقدمة شائعة في الكتابات الاثريَّة لا تمتاز عنها. وفي دعائهِ الى الاله يطلب مزيد سعد. وكلمة السعد (מזל) هنا معناها الحظّ والتوفيق وان كانت تأتي كثيراً بمعنى إلهة من معبودات المشركين. وكذلك عند العرب كان «السعد وجاد» من اصنامهم

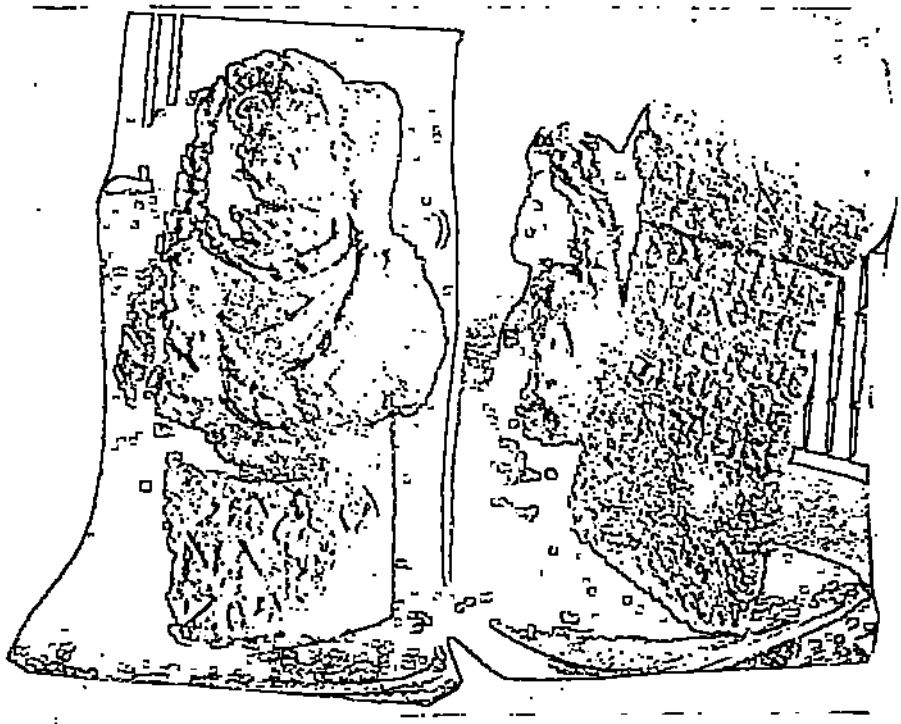

اثر قديم

للاله مناف معبود العرب

الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ذات مقدمة وثلثة فصول

معربة بتصرف عن الروائي شرل بويه

بقلم الخوري مارون غصن

استاذ الخطابة ومدير المحفل الادبي في كلية القديس يوسف

الممثلون في المقدمة

الركيز دي تريادان		ايفون	خادم
جوفروا ولده (بعمر عشر سنين)		موريس	خادم فتى
اوليفيه نوربر			

موقع حوادث المقدمة في قصر روكلور في بريتانية

الممثلون في الرواية

جوفروا دي تريادان	مرسل	الجماهال	هندي
اوليفيه سمبتون		جيتور	اخوه
راوو سنجور	امير سمبلبور	برهمي	احد خدمة برهما
ادمون بيرتان	قائد انكليزي	جنود الامير — حشم	
موريس	بحري افرنسي		

موقع حوادث الرواية في منظلور في الهند الانكليزية وذلك بعد ١٥ سنة لحوادث المقدمة

المقدمة ــ الصديقان

المثّل بيئة ردهة واسعة ، على طراز عصر لويس ١٣ – في المؤخر سرير – في الجهة اليسرى موقد كبير على طراز القصور المتوسطة – في الجهة اليمنى نافذة تطلُّ على شرفة (بلكون) – مرفع (طاولة) مدوّر – كراسي – صور وتماثيل

المشهد الاول : موريس ــ ايفون

عند رفع الستار يدخل ايفون حاملاً مسرجتين (شمعدانين) ويضعهما على المرفع – ويدخل موريس يديه حزمة من دقيق الحطب

موريس آه ! يا معلمي ايفون ، قلبي يرتجف !

ايفون (هازئاً) من اي شيء ؟

موريس لمَ لا يُضيئون هذه الردهة المظلمة الواسعة؟ . . . أصحيح يا معلمي ان ارواح هذه الصور والتماثيل تظهر في الظلام ؟

ايفون أفٍّ عليك من جبانٍ غبيٍّ ! ألى متى تسطو عليك هذه الاوهام ؟ عجّل أشعل النار في الموقد !

موريس النار مُوقَدة ! أنظر . . . لماذا يُريد سيدنا المركيز ان يقضي المساء في هذه الردهة الطويلة العريضة ؟

ايفون لقد امسينا ــ واسفي ! ــ فقراء فأتعست علينا هذه الردهة ! (بصوت منخفض) وقد كانت ايام اليُسر تضيق بالسهرين ! اجل ! كم من حفلة حافلة أُقيمت في هذا القصر قصر روكلور حين كان لنا اصدقاء كثيرون !

موريس (ينهض بعد ان اصلح النار) لا تعجب يا معلمي ايفون

فإنّ الناس منفضّةٌ على من عندهُ فضّه ؛
ومَن ما عنده فضّهْ ، فعنهُ الناسُ منفضّه !
وان الناس قد مالوا الى مَن عندهُ مالُ ؛
ومَنْ ما عنده مالُ فعنهُ الناسُ قد مالوا !

ايفون أجل ، صدق الشاعر ! . . . مَنْ قرع الجرس منذ حين ؟

موريس هو الشيخ القروي بورني جاء يطلب العشاء والاصطلاء. وهو في هذا المساء سكران فانتهرتُهُ وطردته

ايفون طردتَهُ؟... اياك ان تخبر سيّدنا المركيز بما فعلت! ان آل تريمادان ما اغلقوا باب القصر في وجه مخلوق... ولو رآك سيّدنا الصغير جوفروا لَما نجوت من توبيخه!

موريس سيدي جوفروا يسمع الآن ما يقصُّ عليه السيد اوليفيه نوربر من الحكايات القديمة، فهو في هذا المساء لا يفطن لغياب بورني. (صمت) هاك ناري وقد اضطرمت! انظر ما ابهاها!... مسكين بورني... لكنّ السيد اوليفيه نوربر يعود هذا المساء الى بلدته؛ فاذا صادف بورني! حملَهُ معهُ في مركبته. انظر يا معلمي ايفون انظر الى ناري!... لو مضيتُ الآن للعشاء؟ فقد اشتدَّ بي الجوع!

ايفون السيد اوليفيه يبرحنا هذا المساء؟... هو اولانا المركيز من اخص الاصدقاء، فلمَ لا يبقى هنا لحضور عيد الميلاد؟

موريس لا اعلم؛ وقد اعطاني ريالًا! (يُريه لايفون). تُرى هل السيد اوليفيه غنيٌّ يا معلمي؟

ايفون أسفي على هذا القصر! ما كادت تذهبُ ثروة صاحبه، حتى مال عنه الاصحاب!

المرء في زمن الاقبال كالشجره والناس من حولها ما دامت الثمره

المشهد الثاني: المركيز والسابقان

المركيز حسن يا ايفون؛ دعني الان وحدي

ايفون ألا أُصلحُ السرير؟

المركيز فيما بعد... (يخرج ايفون) اما انت، يا موريس فلي معك كلام!... اودُّ ان اعرف مبلغ اقتدارك على كتم السرّ

موريس (برنيطته بين يديه يُديرها) يعلم سيدي اني للسرّ كَتُومٌ كتوم!

المركيز سنرى!... عليك ان تستيقظ غداً قبل الفجر

موريس (فاتحاً عينيه) قبل الفجر؟!

المركيز نعم ! وتُسرج فرسي شقراء

موريس مسكينة شقراء ! ستُحرم لذّة نوم الصباح ! (على حدة) وانا ايضاً ! . . .

المركيز حسبُك ! تُسرجها وتقرنها الى المركبة الصغيرة ، وتقودها رويداً رويداً الى ساحة القصر . . . فهمتَ ؟

موريس نعم يا سيدي

المركيز (ينهض الى النافذة) والآن تمضي الى السلّم وتنقلهُ من الحديقة الى أسفل هذه النافذة وتسنده الى هذه الشرفة . . . هنا . وغداً عند الفجر تأتي وتصعد على السلّم من هنا . . . وتدفع بيدك خشب النافذة فينفتح . . . فهمتَ ؟

موريس ربّاه ! اسرارٌ وأسرار ! نعم اقوم بكلّ ما امر به سيّدي

المركيز ولكن حذار ان يطّلع على ذلك احد ! . . . سمعتَ ؟ . . . أُريد انْ تكتم هذا السرّ ! (يخرج من جيبه ريالاً) خذ لتزداد حرصاً على الكتم . . . واذا استطعت ان تُغلق فمك اعطيتك غداً ريالاً آخر ومنحتك يوم عطلة تذهبُ فيه الى حيث تشاء ، أمسرورٌ انت ؟

موريس جدّاً ، جدّاً ! وسيرى سيدي المركيز ان موريس رجلٌ ثقة ! (على حدة) ريالان في يوم واحد . . . طِبْ نفساً يا موريس فقد بدأ جدُّكَ يتحرّك !

المركيز هيّا . . . وادعُ لي جوفروا

المشهد الثالث : المركيز وحده

المركيز (ناظراً الى موريس خارجاً ، وهو يتبسّم) موريس طيّبُ القلب . ولكن ما عساه ان يظنّ في هذهِ الاسرار ؟ قد تصرّفتُ بحكمة . . . كل ذلك لأحمل غداً الى الصكّاك ما تبقّى لي من ثروتي : مائتا الف فرنك ، كلُّ مستقبل عزيزي جوفروا . . . آه ! اذا وقع المرء في شقاء اصبح يخشى الوقوع فيه ثانيةً ؛ ومهما بالغ في التحفّظ يرى نفسه مقصّراً

المشهد الرابع : المركيز وجوفروا

جوفروا (داخلاً) دعوتَني يا ابي ؟ . . . آه ! لو سمعتَ الحكايات التي قصّها

علي السيد اوليفيه نوربر ! . . .

المركيز تحبُّ الحكايات كثيراً يا جوفروا ؟

جوفروا نعم وخاصة حكايات الحروب فانها تملأ قلبي حماسة ! . . . آه ! ليتني كنت في تلك العصور القديمة التي سمعتُ الآن أخبار حروبها ! . . .

المركيز لو كنتَ في تلك العصور ما كنتَ تصنع ؟

جوفروا ما كنتُ اصنع ؟ . . . (ينظر الى صور أجداد أسرتهُ المعلقة في جدران الردهة) كنت اصير مثلَ جدي هذا !

المركيز مثل الكونت الشهير الذي تفتخر تواريخ الحروب الصليبيَّة بذكره ؟

جوفروا نعم ! كنت انا ايضاً أسافر الى فلسطين تحت راية الصليب واخوض حروباً تسطر لي في صدر التاريخ أمجد تذكار !

المركيز (بحزن) ويحك يا ولدي العزيز !

جوفروا عجباً منك يا ابي ! لِمَ انت كئيب ؟ اني كثيراً ما ارى الدمع في عينيك !

المركيز انت الآن يا ولدي لا تدري الحياة ما هي . . . انها عاريةٌ جهاداً وهمّاً . . لكنك ستعرف ذلك فيما بعد حين اكون قد غبتُ عنك . . . وحينئذٍ ! . . .

جوفروا آه ! لماذا تُردّد عليَّ هذا الحديث ؟ كأن لا بدَّ يوماً من ان نفترق . . ألسنا نحن سعداء في هذا القصر يا ابي ؟

المركيز بلى يا عزيزي انا في قربك سعيدٌ سعيد !

جوفروا اذن ؟

المركيز ولكن سيأتي يومٌ لا تعود تراني من بعده . . . سأمضي الى حيث سبقتني امك ، فتُسي اذ ذاك وحيداً ! . . .

جوفروا لو ان السيد اوليفيه هنا لأزاح عن قلبك هذه الهواجس . . . ولكن أما ترى الآن عزيزك جوفروا بين يديك ؟ . . .

المركيز (باسماً) نعم أصبتَ يا عزيزي أصبت . . . اين السيد اوليفيه الآن ؟

جوفروا لا ادري . اصحيحٌ انه يُريد السفر الى مكان بعيد ؟

المركيز يقول

جوفروا يا للخسارة ! اذا هو سافر ، أفتقصُّ عليَّ يا ابي قصصاً جميلة ؟ انَّ ايفون لا يعرف الّا قصة واحدة وكلما سألتهُ ان يقصَّ لي قصَّةً اعادها عليَّ حتى صرت اعرفها عن ظهر قلبي

المركيز مسكين ايفون !

جوفروا (ناهضاً) هل يُسَرُّ السيد اوليفيه بالاسفار البعيدة ؟ آه ! سوف ترى يا ابي متى صرتُ كبيراً ! . . .

المركيز تريد انت ايضاً ان تسافر متى كبرت ؟

جوفروا لا اعلم . لكني أريد ان اكون مثلك مُحبّاً للجميع . أريد ان اكون مثل اجدادي اصنع الخير جهد استطاعتي فلا ادَع احداً فقيراً . . . ولا يعود يوزني الشيخ يحتاج الى الاستعطاء ليعيش . . . فيصير كلُّ الناس سعداء . . . نعم ! سترى يا ابي الحبيب سترى !

المركيز عسى الله ان يُحقّق آمالك يا بهجة الفؤاد ! .

جوفروا (مُصغياً) وطء أقدام . . . هو السيد اوليفيه ! (مسرعاً اليه) آه ! كيف تجدُ من قلبك أن تغادرنا ؟ قلْ قلْ لابي انك عدلت عن السفر !

المشهد الخامس : اوليفيه

اوليفيه ما ألطفك يا صديقي الصغير ! (للمركيز) عمْ مساء يا سيدي المركيز . هو عزيزك جوفروا أخّرني عنك ، فسنب عليه . . . بدأنا بقصة لذيذة فلم يكن بدٌّ من إنهائها ، أما هو كذلك ؟

جوفروا ولكنها هي القصة ناجحة

المركيز ترى ايها الصديق ما يسبب لك سفرك من الوحشة . (يصافحه)

اوليفيه ما العمل ؟ هي لاشغال تقضي بذلك

المركيز اذن لا بدَّ من سفرك الى الهند ؟

اوليفيه قد أطلَّ المركب ، فبعد يومين أركبهُ الى تلك الاقطار الشاسعة

جوفروا الى الهند ؟ هل الهندُ بعيدة ؟

اوليفيه (باسماً) بعيدة جداً جداً ولاسيما على خطواتك الصغيرة . . . أتريد أن

تسافر معي ؟...

جوفروا وأترك ابي وحده ؟ لا لا !... ولكن من يدري... ربما ألحق بك يوماً فاراك هناك !...

المركيز متى صرتَ كبيراً...

جوفروا ربما... (سكوت) لماذا تسافر الى الهند ؟

اوليفيه لامور كثيرة ! هناك أجمع فضةً وذهباً ولآلئ والماساً

المركيز هناك جنودٌ وبحريون ومرسلون

جوفروا (يصغي ويتأمل في كل كلمة) جنود... بحريون... مرسلون. صحيح صحيح. في الكتاب الذي اعطيتني اياه قرأتُ عن المرسلين في الهند أخباراً مؤثرة جداً.

اوليفيه وهناك أقصُّ قصصاً وحكايات هائلة تخوّف الاولاد الصغار

جوفروا نعم ! لكني في ذلك الحين أكون قد كبرت... مَن يعلم ؟...

المركيز إمض الان يا عزيزي وانظر ايفون فانه يتدفأ قرب الموقد هناك...

جوفروا (لاوليفيه) سأراك قبل السفر، أما هو كذلك ؟ عدني

اوليفيه نعم... نعم... كنْ مطمئنَّ البال

جوفروا نعم مساء ابتِ. (لاوليفيه) لا تنسَ (يخرج مسروراً)

المشهد السادس : المركيز — اوليفيه

اوليفيه فه ! ما ألطف صغيرك يا سيدي المركيز !

المركيز هو كلُّ تعزيتي وسلواي. (يجلس) قد خلا المكان فهيا نتحدث قليلاً... لِمَ هذه العجلة في السفر ؟

اوليفيه (يتمشى مشغول البال) انت تعلم أني رغوب في الحياة والجهاد وتقحم المخاطر... فاذا تشاء ان أعمل هنا ؟... لا شيء هنا سوى إضاعة الوقت سدًى. لا بدّ من السعي وراء المال

المركيز المال !... آه ! لقد ارانا الاختبارُ والشقاء ما قيمة المال الذي يسعى الناس لادراكه... اوليفيه، انت تعلم هذا وانا أحدثك محادثة صديق، بل أعاملك معاملة

صديق . . . بربك قل لي من أين لـك هذا العطش المذيب الى المغامرة واقتحام الاهوال ؟ . . . أحربك ايها الصديق ان تفضّل الحياة العيلية في الوطن ، على ركوب الاخطار في بلادٍ نائية

اوليفيه الحياة العيلية ! الوطن ! وما نفع البقـاء في الوطن اذا لم يكن للمرء ان يعيش فيـه عيشاً خصيباً ؟ لا ، ايها المركيز لا يسعني ان أواري نفسي في ظـلمات الخمول . أجل ! اني لساعٍ وراء الثروة والفخر ولا بدّ من ادراكهما !

المركيز لا يُمكن كلّ انسان ان يكون عظيماً ولكنه يمكنـه ان يكون سعيداً ؛ وهذه السعادة لا يُعجزك الحصول عليها في مكانٍ أقلّ بعداً ، نعم يا اوليفيه تجدها في مكان اقلّ بعداً

اوليفيه (يتوقّف فجأة بعد ان كان يتمشى) أيّ مكانٍ تعني ؟

المركيز هذه السعادة تجدها في باطنك !

اوليفيه (متبسّماً تبسّم الانكار) في باطني ؟ وكيف ؟

المركيز كيف ؟ . . . دعني أكلّمك بخلوص وصراحة : ان لك يا اوليفيه نفساً شريفة وانك لذو همّةٍ ماضية . نعم ، وانا عارفٌ بكلّ ذلك ، ولكن ينقصك شيء واحد ، وهذا الشيء يصيّرك رجلاً كاملاً ؛ أفاهمٌ أنت مـا أقول ؟ (بحزم) اذا لم يكن الله في قلب الانسان فلا يمكنه ان يجد السعادة أصلاً ! نعم !

اذا كان غير الله للمرء عدّةً أتته الرزايا من وجوه المكاسب !

اوليفيه اليك عن هذا يا سيّدي المركيز ؛ إنّ المرء يسعهُ ان يُوسر ويبلغ الفخار ويعيش شريفاً من دون الله ! .

المركيز ان يُوسر ويبلغ الفخار ربّما ؛ امّا أن يبقى شريفاً فلا ! انّ في الحياة ظروفاً شاقّة ، وانت أعرف مني بذلك . . . فمن اين للمرء أن يجاهـد إزاءها اذا لم يكن في قلبهِ مبادئ راسخة قويّة !

اوليفيه هذا أكيد وثيق ! واني لأمتدح ما عندك من العواطف السامية . . . وربما صرتُ على رأيك فيما بعد . . . أمّا الآن فالى الامور العمليّة ! فقـد آليتُ ان لا أدع باباً أرجو منه الثروة والجاه إلّا فتحتُه !

المركيز (يتبسّم وينهض) هيهات أن أوافقك على رأيك ، فما لنا وهذا الجدال . ولكن مهما يكن فأنا اتمنى لك الفلاح يا اوليفيه والسعادة ايضاً لانك تعلم شدّة حبّي لك . وأنا لم اقل ما قلت إلّا لأن بُعدك يؤلمنا ، أنتَ يا من ثبتَ لي في محنتي صديقاً أميناً

اوليفيه لا أنسى أنّني كنت ممّن سبّبوا لك تلك المحنة الشديدة . . . فقد صرفتني في نصف ثروتك . . . وأنا . . .

المركيز (متأثّراً) بربّك ! لا تُعِدْ ذكر ما مضى !

اوليفيه أصبتَ . ولكن ما يمنعني ، اذا ساعدني حسن الحظّ في الهند ، أن أردّ عليك جميع ما خسرتهُ بسببي ؟

المركيز لك الشكر يا اوليفيه . . . ولكن ثِقْ اني ما عدتُ أتشوّق العود الى ما كنتُ عليه من العزّ والثروة . . . فقد بلغتُ من العمر ما ترى . . . وجوفروا لا يزال صغيراً . . . فعليّ ان أفكر فيه . . . نعم ، لم يبقَ لي من سابق ثروتي الّا القليل ، لكني أشاء أن ينتقل هذا القليل الى يد ولدي كاملاً كما هو

اوليفيه نعم ، وإنّما من أجل عزيزك جوفروا أحثّك على مواصلة السعي والعمل

المركيز لأن أتحمّل شظف العيش أحبُّ اليّ من المخاطرة بمستقبل ولدي . . . وقد احتطتُ للامر وجزمت ان استودع صكّاً كي الخاصّ جميع المبلغ الوحيد الذي بقي من ملايينيَ السابقة ، أي : مائتي الف فرنك

اوليفيه (فاتحاً عينيه على حدة) مائتا الف فرنك ؟ ثروةٌ لعمري !

المركيز وتلك قيمة لا يُعتدُّ بها قبالة ما كان لاسرة تريادان

اوليفيه (على حدة) مائتا الف فرنك ! آه ! لو أنّ لي مائتي الف فرنك ! ذلك رأس مالٍ وافٍ . آه ! لو ملكتْ يدي مائتي الف فرنك لكنتُ أربح بها عشرات أضعاف هذا المبلغ !

المركيز (مُدهَشاً) ما لك يا أوليفيه ؟ . . . بمَ تُفكِّر ؟

اوليفيه (مضطرباً متشيّاً بسرعة) مائتا الف فرنك . . . بعد عشر سنين أردُّها عليك مليوناً ، بل ملايين ! فترجع الى هذا القصر أمجادُهُ السالفة . ويكون اذ ذاك

قد وصل جوفروا الى العشرين من سنّه ، فتعود الاصدقاء تتوافد على قصره . . . (بعنف) ضع في يدي شيئاً من هذا المبلغ فأردّك من أغنى اهل الارض وأسعد سادات البلاد !

المركيز (بتأنٍّ) بعد عشر سنين أكون قد صرتُ في عالم الاموات . . . بعد عشر سنين اين تكونُ أنت نفسُك ؟

اوليفيه (هائجاً) خيالاتٌ وهواجس ! مَن سعى وعى ! ومَن جال نال ! أجل ! لا يُعجز الارادةَ عمل ! نعم ! المقدرةُ في الارادة ! (على حدة بصوت منخفض) مائتا الف فرنك ! آه ! يكاد عقلي يطير !

المركيز اوليفيه ، كن مُنصفاً ! . . . هل يسعني ان أغرّر بمستقبل ولدي ؟

اوليفيه (لم يسمع . . . مضطرباً) يا لهول ما تحدّثني به النفس ! . . .

المركيز وقد قلتُ لك اني ما عدت اتوق الى المعالي ؛ حسبي هذا القصر وقد نبتَ العشب على جدرانه ؛ نعم حسبي قصري وولدي جوفروا ؛ وعسى ان يمنّ الله عليه فيكون نافعاً لوطنه ؛ وسأبذل ما تبقّى لي في سبيل تخريجه وتهذيبه

اوليفيه (بشيء من الهزء) نعم احسبُ ولدك ان يُدعى سليل آل تريمادان ! فالفقر لا عيب فيه ! نعم أصبتَ !

المركيز اذا نزل الفقر بولدي انتظمَ في سلك الجندية أو مارس الزراعة . . . نعم وذلك افضل له من التشوّق الى المناصب والبقاء بلا عمل !

اوليفيه (مضطرباً) اذن ترفض مساعدتي !

المركيز بل أرفض المخاطرةَ بآخر رغيف لولدي ؛ وما كانت هذه العاطفة لتخفى عليك يا أوليفيه !

اوليفيه آه ! لو تُصغي الى مشورتي ! لو ان لك ثقةً بأوليفيه لرأيت !

المركيز انا لا أرتاب بصدق نيّتك لكنّ المرء اذا بلغ السنّ الذي بلغتُهُ قلّ إقدامهُ على المخاطر . . . (مبتسماً) فضلاً عن اني جزمتُ بامر لا أعود عنه . غداً صباحاً تكون دراهمي عند الصكّاك ؛ وقد وجد لها محلّاً اميناً . . . واني لأوثر هذا الامر على جميع ما سواه

اوليفيه (على حدة) غداً ؟ غداً ؟ . . . لا بدّ من الحصول على المائتي الف فرنك !

(للمركيز ، متظاهراً بعدم الاهتمام) ليس لي ان اعترض على حكمك ولا ان ألحّ في الطلب . . . لكنني شئت ان أظهر شكري وحبّي لخير أسرتك

المركيز أشكر لك يا عزيزي اوليفيه . وانت تعلم ان قصري كان لك في كل حين ملاذاً تلوذ به . واني لأتمنّى لك كل فلاح ! وانْ قلّبَ لك الدهر ظهر المجنّ فلا تتردّد في الرجوع الينا . . .

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) نعم لا اشكّ في عطفك . . . ولا أبرح معتمداً على حبك . سأعود اليك غداً قبل سفري

المركيز غداً صباحاً لا اكون هنا ؛ وقد أطلعتُك على سبب تغيّبي فاسألك ان تكتم الامر كلّ الكتمان اذ لا أشاء ان يدري احد بهذا الامر ، فما من احدٍ في القصر عارف بالمال الذي عندي

اوليفيه (على حدة) ما من أحد عارفٌ بهذا المال ! . . .

المركيز ولكن يسعك ان تأتي غداً مساء فان جوفروا يُسَرُّ بلقائك

اوليفيه اذن أودّعك الآن على أمل الرجوع غداً (على حدة وهو خارج) بل على أمل الرجوع قبل الغد !

المشهد السابع : المركيز وحده مفكراً

المركيز هذا ايضاً واحدٌ ممّن تتقاذفهم الاهواء والمطامع . ما اشدّ ما رأيت فيه من الاضطراب ! . . . مسكينٌ اوليفيه ! . . . عسى الله ان يوقفهُ عند حافة الهوّة فلا يسقط في قعرها ! . . . لنرَ الآن هل كلُّ شيء مُعدٌّ للغد . . . (يشير الى الخزانة) المال هنا في الخزانة . . . حسن . . .

المشهد الثامن: المركيز — جوفروا — ايفون

جوفروا (مُطلّاً برأسه من الباب) ذهبَ ؟

المركيز هذا أنت ؟

جوفروا ذهب ولم يودّعني كما وعد ؟ !

المركيز لا تحزن فانه سيعود

جوفروا متى ؟

المركيز غداً مساء.

ايفون (يدخل ويرتب الردهة فلا يراه المركيز)

جوفروا حسن ! فأخرج انا وايفون للقائه في مركبتنا الصغيرة

المركيز نعم ، فامض الآن الى سريرك ، وصلِّ هذا المساء من اجل صديقك اوليفيه

جوفروا أصلي من أجل صديقي اوليفيه ؟ نعم ! ومن اجلك ايضاً . عم مساء أبتِ ! الى الغد (يخرج)

المركيز على خير ، ان شاء الله

المشهد التاسع : المركيز وايفون

المركيز انت هنا يا ايفون ؟

ايفون (يهم باغلاق النافذة) نعم

المركيز دعها ، فسأغلقها انا . . . اين موريس ؟

ايفون اظنه مضى لينام

المركيز حسن ! فاذهب انت ايضاً ونم . مساء خير يا عزيزي ايفون ! مساء خير (يخرج ايفون)

المشهد العاشر : المركيز وحده

المركيز كلٌّ أوى الى فراشه . غداً ان شاء الله أرتب كل شيء . وانَّ شقراء توصلني الى الكنك في أقلّ من عشرين دقيقة ؛ وهناك يقضى العمل حالاً فلا يشعر بغيابي أحد . . . (يخرج الاوراق المالية وينظر فيها) المبلغ كما هو . علي الآن ان آخذ شيئاً من الراحة . ارى ان لا حاجة الى نزع ثيابي فما هي سوى بضع ساعات نوماً . . . (يزيح الرداء ويستلقي على السرير)

المشهد الحادي عشر : المركيز واوليفيه

(تدفع النافذة شيئاً فشيئاً ، فتنفتح ، وتمد يد فتزيح الكرسي قليلاً فيدخل اوليفيه حافياً وعلى رأسه قبعة عتيقة من أخلاق بورني

اوليفيه (بصوت منخفض) قد نام . (يزحف ويدنو من المرفع ويبحث في الظلام) لا شيء . لا شيء ! (يتقدم الى مقدم المسرح) ترى ؟ آه ! هناك ! (يدنو من الخزانة ويلمس القفل ويخرج الاوراق المالية ، فتحدث حركة خفيفة ، فيرتد الى الوراء مرتجفاً ويستند الى الحائط ، ويستل مدية فيسقط من زناره آلة سلاح — يستيقظ المركيز — ويزيح الرداء)

المركيز (مضطرباً مصغياً) مَن هناك ؟ مَنْ ؟ (صمت طويل) هي النافذة !.. آه ! (ينهض ويذهب الى النافذة... يختبئ اوليفيه ، وفي اختبائه يحرك كرسياً) شخصٌ هنا !... (يتقدم المركيز فيرى الخزانة مفتوحة ، واوليفيه الى جانبها منحنٍ ليختبئ) يا لك من لصّ ! رُدّ حالاً ما سرقت . حالاً... الاوراق المالية... وإلّا طيّرتُ رأسك ! (يحدق فيعرف السارق) أوليفيه نوربر ! أعزّ اصدقائي ! آه ! أخرج ! أخرج ! لقد مزّقتَ قلبي... أنت ؟ يا للهول !... إنصرفْ ، انصرفْ حالاً... (نوربر يرمي الاوراق المالية على المرفع ويهمّ بالخروج من الباب)

المركيز (مُشيراً الى النافذة) لا . من هناك... اذهب ولا تدعني اراك بعد الآن... (يُغطي رأسه بيديه ويستند الى السرير) ربّاه !... ربّاه !...

نوربر (يتردد لحظةً ، فيقبض على خنجره بهياج عظيم) آه ! ويلٌ لكليتا !... (ينقضّ على المركيز ويطعنه)

المركيز آه ! إليّ ! إليّ ! (يسقط — يضربه نوربر ضربة ثانية ، ويأخذ الاوراق المالية ويفرّ من النافذة — ضجيج في الخارج)

المشهد الثاني عشر

ايفون بيده قنديل — موريس بيده شمعة — ثم جوفروا

ايفون ربي ! ما الامر ؟ ماذا حدث ؟... قتلوه... دمهُ صبغ الارض !

موريس (يدخل مضطرباً مسرعاً) ما الخبر ؟ آه ! واغوثاه ! (يسرع الى النافذة مفتوحةً ، ويرجع وبيده حذاء) قروي يفرّ... هناك !... الى القاتل ! أدركوه !

ايفون (منحنياً على المركيز) سيدي المركيز ! سيدي الحبيب ! (يحيطون به — تشويش واضطراب)

جوفروا (مسرعاً مضطرباً) أبتِ . . . أبي . . . (ينطرح على جثة ابيه) .

ايفون يا للمصيبة الهائلة ! . . .

جوفروا ربّاه ! . . . قتلوه ! . . . أبي ، أسامعٌ صوتي ؟

موريس هذا الحذاء ! هذه القبعة . . . أعرفها . . . هما لبورني ! نعم ! هما لبورني !

المركيز (ينهض قليلاً ، ويطوّق عنق ولده باحدى يديه ، ويجعل الاخرى على يد ايفون ، ويتلفظ بتلجلج) نوربر ! . . . نوربر ! . . . (يستلقي الى الوراء) نوربر ! . . .

يُرخى الستار (لهُ صلة)

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث العاشر

النصرانيّة في بيروت بعد الفتح العثماني (١٥١٦—١٧١١)

كانت النصرانيّة في بيروت عند فتح السلطان سليم الاوّل لبلاد الشام في اسوا حال . وانّما كان بقي فيها عيال يسيرة من الروم الملكيين ومن الموارنة . لكلتا الطائفتين كنيستها

هذا ما خلا كنيسة الرهبان الفرنسيسيين وهي كنيسة المخلص التي سبق صالح ابن يحيى فقال عنها انّ الامراء بني الغرب احتلّوها وحوّلوها الى اسطبل وباعوها الى بني الاحمر ثمّ سكنها امراء الغرب العراموتيون . والظاهر انّ الرهبان الفرنسيسيين

لمّا عادوا الى بيروت في اوائل القرن الخامس عشر ابتاعوها وجدّدوا عمارتها فكان يتردّد اليها التجار الاوربيون لاسيما البنادقة والجنويّون

وكان للروم الملكيين في هذه الحقبة اساقفة في بيروت يتولّون شؤون امّتهم ذكرناهم في مقالة خاصّة في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٩٧ــ١٩٩) نقلًا عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة للمقدسي عبدالله طراد البيروتي وهذه اسماء الذين عُرفوا منهم : الاوّل يواكيم بن جمعة البيروتي دُبّر كرسي بيروت احدى عشرة سنة (١٥٣٢ــ١٥٤٣) ثمّ أُقيم بطريركاً انطاكيًا وتوفي في دمشق سنة ١٥٧٦ كان مائلًا الى الاتحاد مع طائفته برومية وكتب رسالةً الى اساقفته ينهاهم عن ان يدعوا الافرنج هراطقةً وعن الافتراء على البابا

الثاني اثناسيوس رئيس دير مار سمعان العجائبي الواقع في شرقي قرية بسارين شرطنهُ سلفهُ البطريرك يواكيم على كرسي بيروت فاقام في بيروت عدّة سنين ثم توفي

الثالث برثانيوس خوري قرية كسبا سقّفهُ على بيروت البطريرك يواكيم بن زيادة المتوفّى سنة ١٦٠٣ . اقام مدّة طويلة وتوفي في دير كفتون

الرابع يواكيم رئيس دير البلمند من قرية قطيفة خلف برثانيوس متشرطناً من البطريرك افتيميوس كرمه . توفي في بيروت بعد ان اقام مدّة

الخامس الخوري يواصف البيروتي شرطنهُ البطريرك افتيميوس الصافوي المصوّر اقام عدّة سنين وتوفي في طرابلس

السادس الخوري فرح من قرية ايلات في بلاد عكّار شرطنهُ البطريرك سكاريوس ابن زعيم الحلبي ودُعي فيلبوس سنة ١٦٥١ . ومن آثاره انّهُ انشأ مكتبةً عربيّة في قلّاية مطرنيّة بيروت واقام زمناً طويلًا وتوفي في بيروت . وقد وقّع سنة ١٦٧٣ على تفنيد وجّههُ البطريرك نارفيطوس ضدّ اشياع كلونيوس كما ورد في كتاب ثبات الايمان لأرنولد (Perpétuité de la Foi, *Migne II, 1248-1257*)

السابع مكاريوس شمعة من رهبان مار الياس المحيتة واصلهُ من بكفيّا في زمن قنصليّة ابي نوفل الخازن على بيروت . شرطنهُ البطريرك المستعفي نارفيطوس في طرابلس توفي في بيروت

الثامن سلبستروس البيروتي من بيت الدهّان كان رئيساً على دير مار الياس المحيتة

شرطنة البطريرك كيرلس الخامس سنة ١٦٨٠ كان احد منشئي الرهبانية الحنّاوية الشويرية وكان كاثوليكياً غيوراً توفي سنة ١٧١٣

هذا ما وقفنا عليه من اسماء اساقفة الروم الملكيين في بيروت في القرنين السادس عشر والسابع عشر. امّا اخبارهم واعمالهم فلا نعرف منها شيئاً الّا انهم كانوا مقيمين في بيروت

امّا اساقفة بيروت الموارنة فلم يذكر منهم البطريرك الدويهي في تاريخه سوى ثلاثة اساقفة الاوّل يوسف (ص ١٧٥) الذي سامهُ البطريرك ميخائيل الرزّي على بيروت سنة ١٥٧٧. والثاني يوسف الشامي (ص ٢٥٢) سامهُ البطريرك الدويهي على بيروت في ٢٧ ك ٢ سنة ١٦٩١ وتوفي سنة ١٧١٥. وكان هذا الاسقف استعفى فاقام الدويهي اسقفاً على بيروت جرجس خيرالله اسطفان القوسطاوي مؤسس دير عين ورقة سنة ١٦٩٨ قبل وفاة سلفه. توفي سنة ١٧٣٣

ولم يُقم هؤلاء الاساقفة في بيروت وكانوا كمعظم اساقفة الموارنة ما خلا قبرس وحلب يقيمون بجوار البطريرك في قنوبين ولعلهم كانوا يزورون رعاياهم من وقت الى آخر

امّا الرهبان الفرنسيسيّون فكان ديرهم في بيروت عامراً يُعنَون خصوصاً بخدمة الفرنج المستوطنين في المدينة للتجارة. وفي اخبار الرهبانية الفرنسيسية انّ عددهم بلغ الى ثمانية رهبان. وكان ديرهم منوطاً برؤساء الاراضي المقدّسة في القدس الشريف. وقد ذكر الدويهي (ص ١٤٦) من رؤسائهم على دير بيروت الاب بطرس الفلورنسي الذي على يده طلب البطريرك شمعون الحدثي التثبيت من البابا لاون العاشر سنة ١٥١٣

والشهير منهُ الاب فرنسيس سوريانو الذي ترأس على جميع الاراضي المقدّسة مرتين سنة ١٤٩٣ و ١٥١٢. وصار رئيساً على دير بيروت دفعتين ايضاً سنة ١٤٨٠ و١٥١٤ وقال الدويهي في تاريخه انهُ لمّا انتهت ايام رئاسته على بيروت سنة ١٥١٥ رجع الى بلاده (ص ١٤٧). وكان هذا الاب قد تميّز من الخبر الاعظم كقاصد رسولي لدى الموارنة فشيد للموارنة تمسّكهم بالامانة المستقيمة

وقد وقفنا على كتابه الذي الّفهُ عن الاراضي المقدّسة وعن الشرق (Trattato

di Terra Santa e dell'Oriente) وقد نشره حضرة الاب غرلوبوتش سنة ١٩٠٠ في ميلانو وفيه كلام واسع عن بيروت ومرافقها . وذكر فيها ما عدا كنيسة المخلص كنيستين اخريين شرقي المدينة خارجاً عنها الواحدة على اسم الشهيدة القديسة بربارا وقد اطنب في اكرام اهل بيروت لقاءها وذكر عجائبها مع المسلمين والنصارى (ص ١٦٢) وانما انتزع المسلمون هذه الكنيسة من النصارى واتخذوها جامعاً باد اثره مع مدى الزمان. والاخرى كنيسة القديس جرجس المعروفة اليوم بجامع الخضر (ص ١٦٢ــ١٦٣)

اما كنيسة المخلص فقد اتسع الاب سوريانو في وصفها (ص ١٥٦ــ١٦١) وعدد الآيات التي كانت تجري فيها . من جملتها اعجوبة سببت ارتداد كثيرين من المسلمين الى النصرانية اذ تفجرت نيران من اخدود بقرب تلك الكنيسة بفعل احد المغاربة الباحث عن الكنوز فالتهمت شخصين نزلا الاخدود طمعاً بالكنوز فبقي الشخصان ميتين في الاخدود ولم يستطع احد اطفاء النار واستخراج الجثتين الى ان دُعي رهبان الدير فرشّا الماء المصلّى واطفأاها واستخرجا الجثتين فدُفنتا . هذا ما رواهُ الاب سوريانو ولم نجد له ذكراً في غير كتابه والله اعلم

ولما كانت السنة ١٥٧١ حارب السلطان سليم الثاني البنادقة وانتزع من يدهم جزيرة قبرس فطُرد البنادقة من مدن تركيا ونُفي الرهبان الفرنسيسيون بسببهم من بيروت وحوّل المسلمون كنيستهم الى جامع يُعرف اليوم بجامع السراية لقربه منها . ولما رجع الرهبان الفرنسيسيون الى المدينة بعد عدة سنين سكنوا في محل آخر قريباً من الميناء عند سوق البياطرة ثبتوا فيه الى السنة ١٨٨٣ فانتقلوا الى ديرهم الجديد

ومن احتل بيروت من الرهبان في القرن السابع عشر الآباء المرسلون الكبوشيين فتح ديرهم سنة ١٦٢٦ الاب ادريان دي لابروس (Adrien de la Brosse) . اما اليسوعيون فلم يكن لهم دير في بيروت وانما كانوا يسكنون دمشق وطرابلس وصيداء ويقصدون بيروت لإقامة بعض الاعمال التقوية كالوعظ والارشاد . وكانوا ضيوفاً على الآباء الكبوشيين وفي ديرهم توفي احد رؤسائهم الاب جان اميو (J. Amieu) في ٦ ت ٢ سنة ١٦٥٣ فدُفن عند باب كنيسة مار جرجس الروم

فكان وجود هؤلاء الرهبان المرسلين في بيروت باعثاً لنمو روح التدين بين الكاثوليك ولارتداد قسم من الروم الاورثدكس الى الكثلكة

ومما زاد في ازدهار النصرانيَّة في بيروت في القرنين السادس والسابع عشر تولي فخر الدين المعني على سواحل الشام فان هذا الامير كما سبق القول كان محبًّا للنصارى وبين حاشيته قومٌ منهم . واذ خصَّ بيروت بعنايته واهتمَّ بتحسينها وترويج اعمالها رغَّب المسيحيين في سكناها فكانوا يقصدونها من لبنان ومن داخليَّة البلاد فراجت بهم الصناعة والتجارة . قال الدويهي في تاريخه (٢٠٥)

«وفي ايام فخر الدين ارتقت رؤوس النصارى وعمَّروا الكنائس وركبوا الخيل ولفُّوا شاشات بيضًا وكرورًا ولبسوا طوامين(١ وزنانير مسقطة وحملوا القسي والبنادق المجوهرة . وقدم المرسلون الفرنج وسكنوا الجبل وكان اكثر عسكره من النصارى ومدبّروهُ وخدَمهُ موارنة »

بل ذهب البعض بانَّ الامير فخر الدين تديَّن بالنصرانيَّة . روى ذلك الاب هيلار دي برانتون (٢ قال « انَّ الامير أُصيب بمرض عضال فعُني بامره الاب الكبوشي ادريان دي لابروس نشفاهُ فتنصَّر واعتمد سرًّا من يده وذلك سنة ١٦٣٣م . واخبر انهُ لمَّا قبض عليه الاتراك واخذوه اسيرًا الى الاستانة وحُكم عليه بالموت تدرَّع باشارة الصليب فقُتل ككافر (١٦٣٥م) . وقد نشر سابقًا في المشرق (١٨ [٩١٢٠] : ٥٤٥ــ٥٤٦) جناب الكاتب المدقق عيسى افندي اسكندر المعلوف كتابًا للمطران يوحنا الحصروني كتبهُ الى الامير يؤيد فيه رأي تنصُّره نقلهُ حضرة الاب قسطنطين الباشا عن سجلَّات مدينة فلورنسة (تحت رقم ٢٤٧٦)

وقد تعزَّزت النصرانيَّة في بيروت في القرن السابع عشر باقامة قناصل وطنيين لفرنسة في ثغرها . وكان اوَّل من نال هذا الامتياز الشيخ ابو نوفل نادر الخازن سنة ١٦٦٢ بواسطة المطران اسحق الشدراوي الذي رحل الى باريس (٣ ونال هذه الرتبة من مكارم الملك لويس الرابع عشر وقد ساعدهُ المرسلون اليسوعيون لنوال النعمة المطلوبة بثنائهم على ابي نوفل . فتولى هذا رتبتهُ السامية الى سنة وفاته ١٦٧٩ . ثم خلفهُ في منصبه ابنهُ الشيخ ابو قانصوه فيَّاض بن نادر فتوفي سنة ١٦٩٦ . ثمَّ حفيدهُ

١) الكرور مناديل شاش . الطوامين جمع طومان لفظة تركية معناها السراويل الواسعة

2) HILAIRE DE BARANTON: La France Catholique en Orient, p.159-164

٣) اطلب تفاصيل رحلته في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ١٣٩-١٤٤)

الشيخ حصن بن فيّاض الخازن تولى تدبير قنصليّة فرنسة من السنة ١٦٩٧ الى موته سنة ١٧٠٧ . فتبعهُ في منصبه ابنهُ الشيخ نوفل بن حصن سنة ١٧٠٨ فطالت مدّتهُ الى ١٧٥٣ وفيها كانت وفاتهُ

فكانت رتبة القنصليّة الممنوحة لاحد اعيان النصارى الوطنيين مع امتيازاتها وحقوقها وتأييدها من الباب العالي من اعظم الاسباب لعلوّ شأن النصرانيّة في بيروت . ويدلُّ على ذلك فرمان همايوني منحهُ السلطان سليم الثاني ابا نوفل يحيل الى عهدته مقاطعات كسروان وبكفيا وغزير (الدويهي ٢٤٢ــ٢٤٣) وارسل اليه البابا اقليمس العاشر براءة يثني فيها على همّته وتقاه (الدويهي ٢٤٣) وكان البابا اسكندر السابع سبق واكرم عليه «بكاثيلريّة رومية وبأن يتقلّد طوقاً وسيفاً ويستعمل مهامز من ذهب» (الدويهي ٢٤٧) . وقد ذكر الرحّالة الفرنساوي دي لاروك انّ ابا نوفل كتب تاريخ الامير فخر الدين معن وما جرى في ايّامه من الحوادث . وهو اثر جليل طمسهُ الدهر

وقد نشر المرحوم رشيد الشرتوني (ص ٢٤٦ من تاريخ الدويهي) رسالة للسفير الفرنسوي لدى الباب العالي المركيز دي نونتيل وجّهها الى ابي نوفل والى امير درعون نسيبه يمدحهما فيها ويشكرهما على حُسن عنايتهما بالمرسلين اليسوعيين

وممّا وقع في بيروت مدّة الحقبة التي نحن في صددها من الاحداث المؤلمة استيلاء اهل المدينة المسلمين سنة ١٥٧٠ على كنيسة الموارنة التي في ضمن سورها اغتصبوها وجعلوها قيصريّة قال الدويهي (ص ٣٠٧) :

«فلم يبق للطائفة الّا كنيسة مار جرجس خارج المدينة فاجتمع ابو منصور يوسف بن حبيش مع مشايخ بيت الدعان (الاورتوكس) واتفقوا على ان تشترك طائفة الروم وطائفة الموارنة في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج بيروت . وفي كنيسة السيدة التي للملكيّة داخل المدينة»

امّا كنيسة مار جرجس المذكورة هنا فكانت قريبة من نهر بيروت في المكان الذي يروي التقليد قتل مار جرجس للتنين . بقيت في ايدي الموارنة الى السنة ١٦٦١ وفيها تعدّى علي باشا الدفتردار على هذه الكنيسة فاخذها وجعلها جامعاً (الدويهي ٢٣٦) يُعرف في يومنا بجامع الخضر

هذا غاية ما عرفنا من احوال النصرانيّة في بيروت في هذه المدّة (لها بقيّة)

مقابلة بين المعمودية المسيحيّة والعماد الماسوني

للقس مبارك صقر الانطوني

كانت النيّة الشهريّة التي عيّنها رؤساء شركة رسالة الصلاة لشهر شباط بإيعاز الحبر الاعظم محاربة الماسونيّة. فبهذه المناسبة أرسل الينا القس مبارك صقر النبذة التالية حيث يقابل بين العمادين المتناقضين المسيحي والماسوني ليظهر الخير اضوأ وانورَ اذا قوبل بالشرّ الاسوأ والاقذر. قال ابو العتاهية :

والخيرُ والشرُّ اذا ما عُدّا بينهما بونٌ عظيم جدّا

١ً اذا دخل طالب المسيحيّة الكنيسة وجدها مضاءةً وفيها الصور تدلُّ على الفضيلة والقداسة. وفيها الصليب وعليه المصلوب باسطاً يديه ليتقبّل المُتعبين والمُثقلين. وهو يُنعم الخطيب على ذاك المنبر الجليل يهدي الضالّين الى طريق الاستقامة ويعلّم الحقائق المبلّغة الى السماء — ويدخل طالب الماسونيّة غرفةً مظلمة مغشّاة بالسواد وفيها رموز مرهبة من جماجم وهياكل موتى واسلحة مكتوب عليها عبارات تهديد مخيفة. ما يشير الى ان الطالب قد دخل الظلمة وختمت على قلبه الهواجس. وهو يشهد على ذلك بجوابه الى رئيس المحفل انهُ «طالبٌ في الظلام» أجل انهُ في الظلام الدامس والجهل المُطبق. قد طلّمَ على عقله واغمضهُ عن إدراك الحقائق النيّرة فيعتبر الظلمة نوراً والنور ظلمةً

٢ً يدخل طالب التنصُّر ويسلّم شمعةً موقدة دلالةً على انَّ قلبهُ ابتدأ يستنير وينفتح لفهم الحقائق المحيية. ويدخل الماسوني مَقُودًا وعلى عينيه عصابة تدلُّ على انَّ قلبهُ ابتدأ يعمى عن العقائد الموحاة من الله. وليس الاعمى الّا السقوط في حفرة تأوي اليها حيّاتٌ تلذع ضميرَهُ وعقارب تنخس قلبهُ وسموم تُميت نفسهُ. فيصدق فيه قول الربّ (يو ٣ : ١٥) «انَّ النور جاء الى العالم والناس احبّوا الظلمة على النور لان اعمالهم كانت شرّيرة. لان كلّ من يعمل السيّئات يبغضُ النور ولا يقبل الى النور لئلّا تتفضح اعماله. فامّا الذي يعمل الحقّ فانهُ يُقبل الى النور لكي تُظهر اعمالهُ لانها مصنوعة في الله»

٣ً يدخل طالب العماد المسيحي فيسألهُ الكاهن ان يكفر بالشيطان وباعماله وخزعبلاته . ويدخل طالب الماسونيَّة فيوحي اليهِ اصحابهُ ان يسير بموجب اهوائهِ وروح العالم ورئيس هذا العالم ابليس ويقيّد نفسهُ بخزعبلات الماسونيَّة من تكريس وعلامات تعارُف وقفز ونطّ وحركات مذلّة واشارات هزليَّة فيصير عبدًا لها

٤ً يدخل طالب النور في الكنيسة فيُعطَى الصليب ليحرزهُ من حبّ الارضيَّات ويحوّل نظرهُ الى فاديهِ فيتعلم منهُ الصبر على الاوجاع وبلايا هذه الحياة . ويدخل الماسونيّ فيوضع فوق رأسهِ السَّيف يتهدَّدهُ بالقتل اذا اعلن اسرار الماسونيَّة فيصير مكرهاً على حمل نير ابناء الارملة الثقيل

٥ً يدخل طالب الدين المسيحي فيُنضَح عليهِ ماء العماد الطاهر والزيت المقدَّس والميرون لتُشفى نفسهُ من جروح الخطيئة . ويدخل طالب الماسونيَّة المحفل فيُستحَن بوخز السيف وبسفك الدم وبنفخ النار في منخريهِ وكلُّها رموز عمَّا يصيب نفسهُ من الجروح الادبيَّة التي تنتهي بقتلها

٦ً يدخل طالب العماد فيوضع في فيهِ ملحٌ ليستطعم بلذَّة الحقائق العلويَّة لانَّ الملح جيّد ومن شأنهِ ان يمنع فساد اللحم ويحسّن طعم المأكولات كذلك ايمان المسيحي المرموز بهِ عن الملح يُصلح آدابهُ ويطهّر نفسهُ من ادرانها ويحفظها للحياة الابديَّة . ويدخل طالب الانضمام الى الماسونيَّة فيوضع في فيهِ ماء مرّ علقمي ليستكرهُ بعدهُ كلّ تعليم صالح ورأي مستقيم

٧ً يدخل طالب العماد فيُفرَض عليهِ بان يجاهر بوجود الله في كل مكان وبكونهِ خالق كل الكائنات هو مصدرها واليهِ تعود . ويدخل الماسوني فيقال لهُ انَّ لله اسمٌ بلا مسمًّى كاصنام الامم البربريَّة او انهُ هو المادَّة وانَّ الاله الحقيقي هو الانسان المتحرّر عن كل سلطة دينيَّة ومدنيَّة فيتضخَّم فيهِ روح العظمة الكاذبة الذي يلاشي التواضع المسيحي وينقض اساس الفضائل كلها بدعوى الشرف الانساني الذي يحمل الانسان الى عدَّة مآثم كالانتحار فراراً من العار وكطلب المبارزة بحجَّة الدفاع عن الشرف المهان او تحصيلهِ وكالعصيان على السلطة المنظَّمة

٨ً اذا تنصَّر المسيحي وجبت عليهِ المناداة من على السطوح والمثابر بتعليم دينهِ والمجاهرة بهِ وبأسرارهِ فلا يكتم شيئاً ممَّا تلقَّنهُ الكنيسة بل يُذنَب ان لم يفعل . .

«الويلُ لي ان لم ابشر» (١ كو ٩: ١٢) . امّا داخل الماسونيّة فيحذَّر عليه اباحة شيء من اسرار الماسونيّة وتعاليمها ويُسام اشدّ العقابات حتى القتل اذا خالف

٩ يوصي المسيحي المتنصر بالصفح والغفران ومحبّة الاعداء والمساواة في الحقوق. . . «اغفروا يُغفَر لكم» . . . «ان لم تغفروا للناس فأبوكم السماوي لا يغفر لكم» . . . «أحبوا أعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم» . . . «انتم كلكم اخوة وابوكم واحد» . . . «كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي هو كامل» . هذه بعض تعاليم السيّد المسيح السامية التي يُفرَض على المسيحي ان يطبّق عليها سيرتهُ واذا مارسها يضحي صورةً للاله السماوي على الارض — امّا المنتظم في الماسونية فيُعلَّم الانتقام من الغير وأخذ الثأر ممّن يراهُ مخالفاً لرأيهِ . يجأر بالحرية على فيه وهو لا يريد الحرية إلّا لنفسهِ والاستعباد لكلّ من لا ينقاد الى امره . ينادي بالاخاء وهو لا يريدهُ الّا لذويهِ في الماسونيّة . يكرّر ذكر المساواة وقصدهُ ان يتساوى الناس تحت حكم الماسونيّة . . . الفقير والصعلوك والضعيف كلّهم في الكنيسة من ابنائها مثل الملك والامير والسيّد والرئيس «ليس بينكم عبد ولا حرّ بل كلكم في المسيح اخوة» امّا المحافل الماسونيّة فلها الرؤساء ذوو السلطة المطلقة ولا يُقبل فيها كاعضاء الّا الخاصّة فلا تقبل فقيراً لانها لا تجد فيهِ نفعاً لها . تدّعي بالانسانيّة وما انسانيّتها الّا الانانيّة

١٠ تعلّم الكنيسة المتنصر انّ كلّ سلطةٍ من الله وانّ للبيعة سلطاناً على ابنائها فمن لا يسمع منها يُعَدّ كوثني وعشّار . والماسوني يتعلّم ان ينبذ ظهريًّا سلطة رؤساء الكنيسة والكهنوت

١١ تكرّر الكنيسة على مسامع المنتمي اليها ان نفسهُ خالدة وانهُ سيقوم امام منبر المسيح ليحاسَب في يوم الدين على اعماله «فيذهب الاشرار الى العذابات الدائمة والصالحون الى الحياة الابديّة» . والماسوني يتعلّم تدريجاً بان خلود النفس قضيّةٌ لا اصل لها فالجزاء والعقاب من مخترعات الكهنة ليستعبدوا الناس ويوقعوا الخوف في قلوبهم

فنرجو اصحاب العقول الحصيفة ان يقابلوا بين المسيحي والماسوني ويتصفوا . وحسبنا بعد ذلك شهادة ضميرهم المستقيم العادل

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء المسلمون في هذه الحقبة الثانية (١٩٠٨—١٩١٨)

ادباء مصر المسلمون

﴿مصطفى كامل﴾ كانت وفاتهُ في سنة الدستور التركيّ قبل الاعلان بهِ باشهر في ٨ شباط ١٩٠٨ وهو في الرابعة والثلثين من عمرهِ . ولد في القاهرة في ١٤ آب سنة ١٨٧٤ ودرس على اساتذتها في المدارس الابتدائية والتجهيزيَّة والحقوقيَّة ثمَّ نال في فرنسة في جامعة طولوز شهادة الحقوق . ثمَّ رجع الى وطنهِ بعد الاحتلال الانكليزي فساءتهُ حالتهُ واجتمع بمن رآهم على فكرتهِ ولم يلبث ان تصدَّر بينهم بما ظهر عليهِ من الذكاء والنجابة والاقدام فاصبح خطيب الوطنيّين وزعيمهم لا يأخذه في تحرير وطنهِ والدفاع عن حقوقهِ ملَل من السنة ١٨٩٣ الى حين وفاتهِ وقد تشكل بهمّتهِ الحزب الوطني فاصبح رئيسها تُناط بهِ الآمال وتهتزّ لهُ الجوارح . هذا فضلًا عن شهرتهِ في فنّ المحاماة . وقد وقفنا على المجموعة التي نُشرت فيها سيرتهُ واعمالهُ من خطب واحاديث ورسائل سياسيَّة وعمرانيَّة وكلها تدلّ على عبقريَّتهِ وحبه الصادق نحو الوطن . وكان اوَّل امرهِ يحرّر في الصحف المصريَّة ومن اوَّل تصانيفهِ رواية فتح الاندلس على عهد طارق الفتت اليهِ انظار اهل وطنهِ . وهو في انشائهِ نثرًا ونظمًا لم يقصد تنميق العبارة وتحليتها بالسجع والمحسنات الفاسدة بل كان جلُّ قصدهِ ان يكون لكلامهِ وقعٌ في القلوب ليحملها الى ما يراهُ من صوالح الوطن بعبارة سلسة سالمة من التعقيد وفاسد التركيب . وهذا نشيد كان من بواكير قلمهِ .

هلمُّوا يا بني الاوطان طرًّا لِنُرجِعَ مجدنا ونُنزّهَ مصرا

هلمُّوا كي نوفي القطر حقاً نبناهُ فضاع بذاك قدرا
هلمُّوا وادركوا العلياء حتى تنال بلادُنا عزّاً وفخرا
هلموا واتركوا الشحناء منكم وكونوا اوفياء فذاك احرى
أليس بشيننا تركُ المعالي تُباعُ بنير وادينا وتُشرى
ونحنُ رجالُها وبنا لديها من الإسعاد والخيراتِ أدرى
فعارٌ أن نعيش بنير مجدٍ ونُبصر في السما شمساً وبدرا
وعارٌ ان يكون لنا وجودٌ ويحظى غيرنا فوزاً ونصرا
فقوموا واطلبوا للنيل عزّاً ولا تبقَوا بذلٍّ كي يُسرّى
وسيروا نحو هذا القصد حتى تُنادوا اجمعين بعزّ مصرا

ودونك مثالاً من نثره في تربية الاناث وفي التهذيب والتربية الدينيّة

«ويجدرُ بي ان الفت انظاركم عموماً الى امرين خطيرين: اوّلهما تربية البنت لازمة وضرورية لأنها ذات الشأن الاوّل في تربية الاطفال متى صارت امّاً ورئيسة عائلتها وهي التي عليها الجزء الاعظم من اعمال هذا الوجود. وثانيهما ان تعليم البنين والبنات العلوم والفنون لا يفيد وحدهُ بل يجب قبل كلّ شيء تربية الروح حتى يصير الطفل متى شبَّ رجلاً شجاعاً متاثاً بالوطنيّة الحقّة قائماً بالمبادئ الجنسيّة. وتصير الطفلة متى شبّت امرأةً رشيدة مدبّرة تعلّم ابناءها محبة البلاد وتغرس في قلوبهم وجوب التفاني في خدمة الامة وفي اعلاء شأن الوطن العزيز. فتكون بذلك المدارس منبع حياة الامة ومصدر وجود جديد...

«ويجب قبل كل شيء ان تكون التربية الدينيّة اساس التعليم والتهذيب. فالدين عاصم من الدنايا رادع عن الخطايا معلم للفضائل محبب للكمالات. واذا بحثنا بحثاً مدققاً عن سبب تأخر المسلمين في سائر البلاد لوجدنا الاسباب كلها مجتمعة في سبب واحد وهو اننا ابتعدنا عن الدين وقصّرنا في اتباع اوامره واجتناب نواهيه...»

وفي تلك السنة ذاتها فقدت مصر اديباً آخر كان ايضاً من الدعاة الى الاصلاح اعني بهِ ﴿ قاسم بك امين ﴾ المولود سنة ١٨٦٥ والمتوفى في ٢١ نيسان ١٩٠٨ وهو في عزّ كهولتهِ. درس على نفقة حكومة مصر في فرنسة وعاش زمناً بين اهلها فرأى ما للمرأة الفرنسوية من المنزلة الرفيعة في وطنها وما لها من الفضل في تربية بنيها وترقية وطنها. فلما عاد الى مصر بعد درسهِ الحقوق ترقى في كل دوائر الشرع. ثمّ خصّ نفسهُ بتحرير المرأة المسلمة اذ رأى بانحطاطها والتضييق عليها آفةً على الوطن والتمدّن فسبق الى المجاهرة بوجوب رفع الحجاب وباعطاء المرأة الحرية المعقولة وبتحرير سنن

الإضرار والطلاق الى غير ذلك مما تسعى اليوم الجمهورية التركية الى اصلاحه بين الاتراك . ولقاسم امين عدة تآليف في هذا المعنى كالمرأة الجديدة والمرأة في حكم التاريخ والتربية والحجاب والواجب على المرأة لنفسها ولعائلتها . وانشأ مجلة « المرأة في الاسلام » ولم يكترث لما وجده في مواطنيه من المعاكسات وله محاضرات ومقالات عديدة في غير مواضيع . وهو في كل كتاباته يجري جرياً واحداً يتعمد اقناع القرّاء اكثر منهم خلب عقولهم بطنطنة الكلام وتزويق الانشاء . ودونك ما قاله عن الخلاف المزعوم بين الدين والعلم :

« ليس حقيقي بانهُ يوجد بين الدين والعلم خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال ما دام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء . فهما كثرت معارف الانسان لا تلا كل فكرة بعد كل اكتشاف يحققهُ العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي غاية كل مسئلة يحلها تظهر مسأله جديدة تطالبهُ بحلها . الآن وغداً يشتغل عقل الانسان بالعلم اي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعهُ ذلك من التفكر في المجهول الذي يحيط به من كل طرف . . . »

وفي السنة ١٩١١ توفّى الله عالماً آخر بالحقوق ﴿ عُمر بك لطفي ﴾ مولود الاسكندرية سنة ١٨٦٧ تلقى العلوم في مدرسة اخوة المدارس المسيحية ثم دخل مدرسة الحقوق في القاهرة ونال شهادتها بل برع في فنونها حتى انتدبتهُ الحكومة للتدريس فيها . ثمَّ تفرَّغ للمحاماة وخصَّ نظرهُ بالاقتصاد فعُرف كاحد مصلحيه وصرف نظره للزراعة وظهرت ثمار سعيه في مشروعات وطنه لمصلحة الامة الاقتصاديَّة او الاجتماعيَّة وانشأ لذلك الاندية والنقابات ونشَّط دروسها في الشبيبة فأدَّى بذلك لمصر خدمات مشكورة ساعدت على رقي قطر النيل

وكان عُمر بك لطفي من ارباب الكتابة ألَّف عدَّة تآليف في شرح المواد القضائيَّة وفي الامتيازات الاجنبيَّة . ولهُ في الافرنسية ايضاً تآليف مختلفة في الشرع الاسلامي كالدعوى الجنائيَّة في الشريعة الاسلاميَّة وحقوق المرأة فيها . وقد رثاهُ امير شعراء مصر شوقي بك بقصيدة فريدة اوَّلها :

اليومَ أصعدُ دون قبرك منبرًا وافقد الدنيا رثاءكَ جوهرا

وأسفت الصحافة المصرية في السنة ١٩١٣ على فقد احد اربابها المتازين الاستاذ الشيخ عليّ ابي يوسف الازهري . وُلد سنة ١٨٦٣ ودرس اللغة والفقه في الجامع

الازهر ثمَّ احسَّ بميل للآداب فتمرَّن عليها ونظم الشعر فنشر ديوانهُ نسمة السحر. وفي السنة ١٨٨٥ انشأ مجلة علميَّة ادبيَّة سمَّاها الآداب ثمَّ عدل بعد مدَّة عنها الى جريدة المؤيد السياسيَّة حرَّرها سنين طويلة واكسبها بقلمه شهرة واسعة ونفوذًا عظيماً حتى عُدَّ كرئيس الصحافة الاسلاميَّة في القطر المصري وبلغ لدى كبار الدولة مقاماً معتبرًا بعد تذليله كل العقبات التي صادفها في سبيله . ومن ظريف شعره وصفهُ للربيع :

أنحُ نحو الرياض عند مياهٍ طاب فيها الورودُ للظمآنِ
واقتطف زهر وَرْدِ خدٍّ بطاحٍ رقَّ فيها ملاعبُ النزلانِ
وانظر الماء اذ يسيل بلطفٍ في وهادِ الرياض كالوَسْنانِ
يلثمُ السوقَ من غصونٍ قدودٍ هائمًا بالقدود والاغصانِ

ولهُ في الفخر :

يُشير لذُرْوة العليا بناني ويمنعني الوصولَ لها زماني
ولي هِمَمٌ تهمُّ الى الثريَّا وحظٌّ بالثرى مرخى العنان
ولي نفسٌ تعافُ الضيمَ وردًا وتأنفُ شيمةً تزري بشأني
ولي عند الحوادث سيفُ صبرٍ يذيب فِرِنْدُهُ الحدَّ اليماني
ولي عهد الشبيبة عفَّ نفسي تعفُّ عن الخنا في كل آنِ
أقارنُ بالعلا أملي ولكن يثارُ بيَ الزمانُ على قراني
وكم اشكو زماني للليالي وكم اشكو الليالي للزمانِ
فيسمعُ قصتي هذا وهذا وما هذانِ الَّا ساحرانِ

ومنَّن اصابتهُ المنيَّة في السنة ١٩١٤ ﴿ فتحي باشا زغلول ﴾ من ائمَّة العلوم الشرعيَّة واحد الكتبة الاجتماعيين في مصر . كان مولدهُ سنة ١٨٦٣ وبعد دروسه الابتدائيَّة والثانويَّة في وطنه تمَّم دروسهُ العليا في فرنسة ثمَّ خدم وطنهُ بالقضاء ونظارة الحقَّانية وبعدَّة تآليف خلَّفها من اثار قلمه بعضها في الشرع كشرحه للقانون المدني وكتاب المحاماة وكتعريب اصول الشرائع وبعضها اجتماعيَّة نقلها من الفرنساوية كسرّ تقدُّم الانكليز السكسونيين وكسرّ تطوُّر الامم وروح الاجتماع وخواطر

وسوانح في الاسلام

وتوفي قبلهُ في السنة ذاتها ١٩١٤ في اواسط كانون الثاني عالم آخر بالعلوم القضائية في مصر ﴿محمّد بك النجاري﴾ اضاف اليها انصابهُ على الدروس اللغوية. ومن آثاره الجليلة قاموس فرنساوي عربيّ في خمسة مجلدات ضمّنهُ كثيراً من المصطلحات العلميّة والسياسيّة والطبيّة ولهُ معجم آخر عربي يحتوي خلاصة المعاجم العربية الكبرى لم يُنشر بالطبع

وفي السنة والشهر السابقين كانت وفاة اديبة مسلمة شيعيّة ﴿زينب فوّاز﴾ صاحبة «الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور» نقلنا عنهُ في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ١٠٨ــ١١٤) ترجمة جان دورك. ولها ايضاً رسائل منسوبة اليها تعرف بالرسائل الزينبيّة

وممّن توفاهم الله في السنة عينها ١٩١٤ اديبان مصريّان لهما بعض الآثار الكتابيّة اوّلهما ﴿الشيخ احمد مفتاح﴾ مؤلف رسائل تلوح فيها لوائح البلاغة كقولهِ يستدعي بعض الادباء الى مواجهتهِ من رسالة :

«... اني وان لم أكُنْ أسعدتُ من قبل باجتلاء طلعتك الزاهرة واجتناء مفاكهتك الغضّة فقد دلّني على الليث زئيرهُ ، وعلى النهر خريرهُ ، وعلى السيف دوهرهُ ، وعلى البقل أثرهُ. ولئن لم يجمعنا لُحمة النسب ، فقد جمعتنا حرفةُ الادب ، او لم يضمّنا قبلٌ مرتبع ، فالطيور على اشكالها تقع ، وشبه الشيء منجذب اليهِ ، واخو الفضائل هو المؤمّل عليهِ ، وهذه الرُقعة وان وصفتْ لك بعض ما انا مطويٌّ عليهِ من التهافت على رؤيتك والميل الى صداقتك فقلما تنوب عن المشافهة او تقضي حاجات في النفس طالما تردّد صداها . وفي ظني انّ سيدي يودُّ ما أوَدُّهُ ، وعمّا قليل يُسفر صبحُ اللقاء ، وتتجاذب اهداب المعرفة ورى من سيدي فوق ما توسّمتُهُ وسمعتُهُ ، ويرى مني ما يُرضيهِ والسلام

والثاني ﴿احمد افندي سمير﴾ اشتهر ايضاً بمكاتباتهِ للاصحاب. فمن قولهِ بمعنى ما سبق للشيخ احمد مفتاح في التعارُف والتوادّ :

«يعلم سيدي ان المودّة لا تُباع ولا تُشرى وانما هي نتيجة الاجتماع والتعارُف ، وقد خُلق الانسان مضطرّاً اليها لان انتظام العمران عليها موقوف. ولهذا شهد البيان بان المنفرد بأعماله المستبدّ بآرائهِ عرضةٌ للخطأ مظنّةٌ لعدم الثقة... اذ لا جرم انّ المرء كما قيل «قليل بنفسهِ كثيرٌ باخوانهِ» وقد سمعتُ عن السيد وقرأت من آثارهِ المأثورة ما حبّبهُ اليّ وشاقني التعرُّف بهِ لنشترك في منفعة تبادل الافكار...»

وقد اغتالت المنيّة في وقت الحرب الكونيّة سنة ١٩١٧ احد الادباء اللغويين الاستاذ الجليل ﴿حمزة فتح الله﴾ كان في مصر مفتش اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية . توفي ضريرًا ولهُ تآليف شتى بالنثر والنظم ونشر في جرائد الاسكندرية المقالات المتعدّدة وكان يحبّ ان يوصف كلامهُ بالالفاظ الغريبة دلالةً على سعة معارفهِ بمفردات اللغة . ودونك مثالًا من بعض رسائلهِ في الشوق

«مولاي أما الشوق الى رؤيتك فشديد وسَلْ فؤادك عن صديق حميم ، ووِدّ صميم ، وخلّة لا يزيدها تعاقب الملوَين وتألق النيّرين إلّا وثوقًا في المرى ، وإحكامًا في البناء ، وغناء في الغراس ، وتشييدًا في الدعائم . ولا يَظنّنَّ سيدي انّ عدم ازدياري ساحتهُ الشريفة ، واجتلائي طَلْعتهُ المُنيفة ، لتقاعُس او تقصير ، فانّ لي في ذلك معذرة اقتضت التأخير ، والسيد الطال الله بقاءهُ أجدرُ مَن قَبِلَ معذرة صديقهِ . . . وبعدُ فرجائي من مقامكم السامي ان لا تكون معذرتي عائقًا لكم عن زيارتي فلكم منّا ما وَتَنتمونيها ولكم فيها فضلُ البداءة وعليَّ دوام الشكران والسلام »

هذا مجمل ما وقفنا عليهِ من اخبار ادباء مصر في هذه الحقبة الثانية الى اواخر الحرب الكونية (لهُ بقية)

مطبوعات شرقيّة جديدة

Arens (Bernard) s. j. : HANDBUCH DER KATH. MISSIONEN, 2de éd. complétement retravaillée avec 101 tables de statistiques et un graphique, *gr. in-8°, XX-330 pp.* 1925, *Freiburg i Breisgau, Herder et Cie, Prix 26 Marks*

دليل الرسالات الكاثوليكية

ان ترقّي الرسالات الكاثوليكيّة الدائم في كل اقطار المعمور دعا حضرة الاب أرنس اليسوعي الى اعادة كتابهِ الشهير في هذا الموضوع مع انهُ طُبع حديثًا . وها هوذا قد زاد على طبعتهِ الاولى مئة صفحة وزيّنها باللوائح والاحصاءات الرسميّة وكل المعلومات التي من شأنها ان توقف القرّاء على اعمال المرسلين في سائر المعمور . ويا ليتهُ ينقل هذا الكتاب المشحون بالفوائد المدقّقة من الالمانيّة الى اللاتينيّة لتعمّ فوائدهُ العالم الكاثوليكي باجمعهِ ج . ل

البيّنات في الدين والاجتماع والادب والتاريخ

للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

الجزء الاوّل. القاهرة ١٣٤٣ المطبعة السلفيّة (ص ٢٨٧)

هذه ٤٢ مقالة مما جادت به قريحة احد اساتذة الشام المعدودين الشيخ عبد القادر المغربي. وقد عالج جنابهُ مواضيع شتى من دين واجتماع وادب وتاريخ. وقد وجدناهُ غالباً متصفاً معتدلاً ذا علم وذوق. وكثير من هذه المقالات مدارها على الاسلام ودينهِ وآدابهِ فسرّنا انَّ جنابهُ يعرض خواطرهُ دون تطرُّف ومع حبه لدينهِ يفرُّ عن التعصُّب الذميم. وربَّما لا يوافقهُ على بعض آرائه قومٌ من ارباب دينه كقوله مثلاً عن ترجمة القرآن من العربيّة الى سواها (ص ١٠٨) وعن الخلافة (٧٩). امّا ما كتبهُ عن الزواج في عُرف بعض الكتبة النصارى فهو لا يستحقّ اعتبارًا لان هؤلاء الكتبة ليسوا على الدين من شيء. فهم نصارى بالاسم فقط فلا تستحقُّ آراؤهم ادنى اعتبار كما لا يعتبر جناب الشيخ كمسلم صادق من لا يوثق بعلمهِ ودينهِ ل. ش

Dolger (Dr Fr.): SOL SALUTIS. Gebet u. Gesang in christl. Altertum. 2te *Auflage, gr.* 8°, *XI-445 mit 2 Tafeln in Lichtdruck, Münster i.* W. 1925 *Aschendorfsche Verlagsbuchhand. Prix* 17, 25.*M.*

بحث في تسبحة الكنيسة «يا شمس الخلاص»

في الكنيسة اللاتينيَّة في فرض الصبح لزمن الصوم الكبير تسبحة اوَّلها (O. Sol Salutis) «يا شمس الخلاص» يتعلق عليها مسألةٌ كثيرًا ما بحث فيها الكتبة وهي اتخاذ النصارى في صلاتهم ومعابدهم قبلة الشرق كرمز الى السيّد المسيح. فاراد البعض ان المسيحيين اخذوا هذه العادة من الوثنيين الذين كانوا يعبدون الشمس قبل المسيح وقال غيرهم انَّ الكنيسة هي التي وضعت لابنائها جهة الشرق كقبلتهم. امّا مؤلف هذا الكتاب فرأيهُ انَّ الكنيسة كانت اذا رأت هذه العادة جارية في بعض البلاد حفظتها وحوَّلتها عن معناها الوثني الى صورة مسيحيَّة لان المسيح يدعى شمس

العدل والنور الآتي الى هذا العالم ويلقّب باسم الشرق . امّا البلاد الجاهلة لتلك العادة فهي ادخلتها فيها . ولم تزل حتى اليوم جارية عليها على قدر الامكان في ابتناء الهياكل لاسيّما في الكنائس الشرقيّة المتّجهة الى الشرق . وما لا يُنكر ان النصارى لم يأخذوا القبلة الى الشرق من اليهود الذين كانت قبلتهم هيكل اورشليم الذي خرب في القرن الاوّل للنصرانيّة الاب ي. ديلنسيغر

Gatterer (Michel) S. J. : Annus Liturgicus cum introductione in disciplinam liturgicam, *Ed.* 4ª *emendata, Innsbruck, F. Rauch*, 1924

السنة الطقسيّة

للطقوس الكنسيّة شأن كبير في الحياة المسيحيّة ولذلك قد تعدّدت التآليف الطقسيّة في عهدنا . وكتاب السنة الطقسيّة للاب غاترد اليسوعيّ قد راج خصوصاً رواجاً عظيماً حتى اعيد طبعهُ اليوم للمرّة الرابعة وهو يتناول كلّ المواد الطقسيّة التي يطلبها الكهنة وارباب المدارس الاكليريكيّة وذلك في قسميها الكبيرين النظريّ والعمليّ فبعد ذكرهِ لاصول الطقوس وقوانينها ينتقل الى الاعياد الثابتة والمتنقلة ويبيّن تاريخها وخواصّها ليدرك المؤمنون معانيها ويذوقوا محاسنها ج . ل

Eduard Meyer: Die ältere Chronologie Babyloniens, Assyriens und Aegyptens. Nachtrag zum 1sten Bande der Geschichte des Altertums. *Stuttgart, Cotta*, 1925, *IV-70 pp.*, 8°

تاريخ البابليين والاشوريين والمصريين القديم

للمستشرق الالماني الشهير ادورد ماير تاريخ قديم بلغ جزؤه الاوّل الطبعة الثالثة سنة ١٩١٣ . واذ لا يعلم أيسمح لهُ الزمان بتجديدهِ واصلاحهِ تدارك الامر بهذا الملحق الذي ضمّنهُ تاريخ ملوك الشرق وتوالي سني ملكهم مكتملاً ما نقص في الجزء المذكور ومصلحاً ما وقع فيهِ من الغلط . والقسم الاخصّ من هذا الملحق اوّلهُ وفيهِ تاريخ سلالات بابل واشور الملوكيّة اصلحهُ وكتابهُ استنادًا الى الآثار العديدة التي نشرها علماء اوربّة واميركة ولاسيما ما اكتشفهُ الالمان في حفريّات اشور التي واصلوها في اوائل الحرب الكونيّة ثمّ نشروها في هذه السنين الاخيرة فهذه الآثار

التي يطول تعدادها قد كشفت القناط عن امور كثيرة من اخبار بلاد الكلدان وما بين النهرين واشور والممالك الحثيّة وعن اصل كل دولة وسلالاتها المختلفة الى نحو السنة ١٥٠٠ قبل المسيح. فانّ جدول ملوك اشور يرتقي الى الالف الثالث قبل الميلاد. وفي سلسلة ملوك بابل قد نُظمت اسماء ملوك معدودين بين اساطير القدماء قبل الطوفان وبعده كتشوز وجلجامش. امّا القسم الثاني الذي يبحث فيه الدكتور ماير عن تاريخ الدول المصريّة فانّهُ يفنّد فيه آراء الدكتور بورخرت الذي زعم انّ السلالات المصريّة الف سنة اقدم ممّا روى الدكتور ماير نحو السنة ٤٦٠٠ ق.م. وهذه مسائل دقيقة يصعبُ حلّها. وعلى كل حال ما كنّا لننتظر من الدكتور ماير ان يقدّم مبادئ الحضارة المصريّة على الحضارة الاشوريّة وادهشنا قولهُ بان الكلدان لم يأخذوا فقط من المصريّين استعمال الاسطوانات كختوم بل اصل كتابتهم ايضاً. فترى كم هي عويصة هذه المسائل العريقة بالقدم الاب سبستيان رنزفال

H. Lehner: Orientalische Mysterienkulte in roemischen Rheinland. «*Bonner Jahrbücher*», 129. 1925, *pp.* 36-91.

الديانات السرّية الشرقيّة في اقطار الرين الرومية

هذا درسٌ مهمٌ لتاريخ الديانات الشرقيّة ونفوذها في الاديان الغربيّة على عهد الرومان. فان مؤلفهُ لِهنر كاتب اسرار جمعيّة محبي آثار اقطار الرين والاستاذ في جامعة بونّ نشر في اعمال جمعيّته محاضرةً كان القاها سنة ١٩٢٤ مضيفاً اليها عدّة معلومات عن الاديان السرّية الشرقيّة التي راجت في تلك البلاد مستنداً الى ما يعرف من الكتابات الحجريّة وغيرها الى يومنا عن هذا الموضوع. وقد اصطنع لها جدولاً مدقّقاً في ٢٣ صفحة يبلغ ٣٠٩ اعداد. ومن المعلوم انّ اهل الشرق قبل تاريخ الميلاد سكنوا لغايات شتى بلاد الغرب وقد زاد عددهم بعد الفتح الروماني على حسب الظروف. وقد كثر ايضاً بينهم الجنود الشرقيّون حتى الضبّاط وذلك خصوصاً منذ القرن الثاني بعد المسيح كانوا يكتتبون في جيوش رومية ويسكنون اقاليمها فيعيشون مدّةً فيها وربّما ماتوا هناك. فلا عجب انّهم ابقوا في بلاد الغرب آثاراً من اديانهم. لا بل كانوا باختلاطهم مع الجنود الغربيّين يروّجونهم لتلك الاديان وممارسة طقوسها السرّية حتى اصبحت اديان الغرب مزيجاً من اديان الشرق والغرب. فالاستاذ لهنر

خصّ ابحاثهُ من هذا القبيل ببلاد جرمانيّة الغربيّة وبلجكا وهولندة وسويسرة الغربيّة والالزاس فيستقري الاديان الشرقيّة وآثارها في تلك البلاد وخصوصاً ديانة قيبال (الوالدة الكبرى) واتيس الفريجيّة. ومابأونة القبادوقيّة وسيرابيس وايزيس ثم اديان سوريّة كجوبتير الدوليخاني وجوبيتر البعلبكي واديان ميثرا وسبازيوس والبطل الخيّال الثراقي الخ. واستنتج من ذلك انّ الاديان الشرقيّة رقّت نوعان الاديان الشائعة في جهات الرين بما اوحت اليها من ذكر عالم آخر كانت تلك الاديان تصرّح بهِ في اسرارها. وممّا توافق عليهِ الاستاذ لهتر انّ النصرانيّة لم تستمدّ شيئاً من هذه الديانات الباطلة. وسنعود ان شاء الله الى هذا البحث في مجموعة الآثار الشرقيّة (MUSJ)

الاب سبستيان رنزفال

Willy Theiler. Doc. phil.: Zur Geschichte d. teleologischen Naturbetrachtung bis auf Aristoteles. *Gr.* 8°, IX-104 *pp.* 1925, *Orelli Füssli., Zürich u. Leipzig*

غاية الكائنات النهائيّة في العالم الطبيعي

هذا مبحث فيلسوفي دقيق عالجهُ العلماء منذ عهد ارسطاطاليس الذي خصّ هذا المطلب بنظرهِ. فمؤلف هذا الكتاب يبحث عن فكر ارسطو وكيف اتّصل اليهِ بعد الفلاسفة الذين سبقوهُ كانا كاغوراس وديوجانس الابولوني وكسينوفون وافلاطون فأنّهُ واثبتهُ بعدهم فصار تعليمهُ من هذا الوجه كدستور الفلاسفة الذين اتوا بعده. وهو يشرح ذلك بكلام واسع الّا انهُ مغلق عويص في بعض الامكنة لما ادخل فيهِ من الالفاظ اليونانيّة ومزجها بمتنهِ

الاب يوسف ديانسيغر

PALESTINE MUSEUM OF ANTIQUITIES. Guide of the Exhibition of Moslem Heraldy in Palestine. *The Departement of Antiquities Jerusalem.*, 1926, 8 *pp. in*-8°

متحف عاديات فلسطين – العلائم الشعاريّة الاسلاميّة

الدكتور ماير (L. A. Mayer) نظّم في القدس الشريف متحفاً خاصاً بالعاديات الفلسطينيّة. وقد افرز قسماً منهُ فعرض فيهِ ما يُعرف للدول الاسلاميّة في فلسطين من العلائم الشعاريّة ووصف العلائم المذكورة قلّما عُني بهِ المستشرقون فالدكتور ماير

يُعدّ في ذلك كتاباً خاصاً اراد ان ينوّه به في المقالة الحاضرة التي وقفنا عليها فاستحسنّا مضامينها . وفي متحف عاديّات مصر غرفة جُمعت فيها تلك العلائم الشعاريّة المرقومة على خزفيّات الفسطاط

Romolo Tritoni: Come va risolta la questione dei Luoghi Santi. 1 *vol. in*-16, 1925, *Roma, Edizione della « Rassegna Italiana »*, *Prix*, 15 *lires*

كيف يُحلّ مشكل الاراضي المقدّسة

سبق مؤلف هذا الكتاب فوضع تأليفاً في مسألة الصهيونيّة في فلسطين واوضح مشاكلها السياسيّة . وها هوذا يعالج موضوعاً آخر اعظم منهُ شأناً اعني مسألة الاراضي المقدّسة التي لم تزل منذ عهد الصليبيين تشغل افكار المسيحيين وبسببها أعلنت فرنسة وانكلترة الحرب ضدّ روسيّة . فيتتبّع المؤلف تاريخ حماية الاراضي المقدّسة في عهد الانتداب الانكليزي الحاضر ويبيّن انّ هذا المشكل لا يستطاع حلّهُ إلّا بان تُجعل الاراضي المقدّسة تحت مراقبة سائر الدول ويؤيد رأيهُ ببراهين مقنعة

Ludwig Preiss u. Paul Rohrbach: PALAESTINA UND DAS OSTJORDANLAND. vol. in folio de 210 reproductions grand format et 21 en couleurs, 1925 *Stuttgart, Verlag Julius Hoffmann. Prix relié* 28 *Marks*

فلسطين وبلاد ما وراء الاردن

قليلة هي الكتب البالغة محاسن هذا التأليف الذي وضعهُ احد سيّاح الالمان في فلسطين وفي ما وراء الاردن في ربيع سنة ١٩٢٥ فتجوّل في تلك الانحاء تارةً مشياً وتارة على سنام الجمال او راكباً الاوتوموبيل فاخذ رسومها الفوتغرافيّة بقطع كبير ١٨×٣٢ فنشرها في هذا الكتاب الذي يأخذ بمجامع الابصار لحسنهِ . ومع هذه التصاوير اللطيفة نصوص وشروح متقنة لاحد الالمان الذي استوطن زمناً تلك الجهات فجاء الكتاب في كلا قسميه تحفةً نادرة تزدان بها معاهد الخاصّة ج . ل

VICTORIA AND ALBERT MUSEUM. DEPARTMENT OF TEXTILES. Catalogue of Muhammadan textiles of the Mediaeval period by A. Kendrick. 1 *vol.*, 4°, *ill. Prix* 3 *sh. London, the Board of Education*, 1924

قائمة المنسوجات الاسلاميّة في القرون الوسطى

في متحف لندن الذي انشأتهُ الملكة فكتوريا وزوجها الامير البر عُرضت

ضروب المنسوجات الراقية الى القرون الوسطى . فالمستر ثندريك الذي كان وصف سابقاً في ثلثة مجلّدات منسوجات مصر اليونانيّة والرومانيّة قد اضاف اليها حديثاً قائمة المنسوجات الاسلامية في القرون الوسطى بادئاً بالمنسوجات المصريّة الشاملة مصر وسوريّة ثم الحقها بوصف منسوجات الاسلام في صقلية واسبانية والصين

Un apostolat social et religieux : PAUL LEROLLE. souvenir d'un ami, par Paul Blanchemain. I *vol.*, 8°, 1925, *Paris, Libr. de Gigord*

رسول الهيئة الاجتماعيّة والدين

في ٢٦ ت ١ سنة ١٩١٢ استأثر الله بحياة احد رجال باريس المعدودين الوسيو لورول مندوب باريس ومستشار بلديتها الذي مدّة ستين طوال جاهد اطيب جهاد في سبيل السلام العامّ تحت راية الدين فخدم العمّلة خدماً قيّدتهم بحبّه . فلم يشاء احد اصدقائه المسيو بلانشمان ان يضيع ذكر هذا الرجل العظيم فألّف ترجمتهُ وعدّد مناقبهُ واطرأ فضائلهُ المسيحيّة والاجتماعيّة التي ميّزتهُ بين اهل وطنهِ . وقد نقل كثيراً من اقوالهِ ولعلّهُ بالغ في ما رواهُ منها . وفي صدر الكتاب صورة صاحب الترجمة تاريخها ١٩١٤ والصواب ١٩١٢ ج.ل

R. Burton: Meine Wahlfahrrt nach Medina und Mekka — *Wegezum Wissen*, n° 13, 1 *vol. in*-16, *Verlag Ullstein*, *Berlin*, *s. d*

حجّي الى المدينة والى مكّة

في السنة ١٨٥٣ رحل الى المدينة والى مكّة الانكليزي ريشرد بُرتون الضابط في جيش الهند فدخلهما متنكّراً ثمّ نشر اخبار رحلتهِ بالانكليزيّة . كانت وفاتهُ سنة ١٨٩٠ وهو قنصل لدولتهِ في تريستهِ . والكتاب المذكور آنفاً هو ترجمة رحلتهِ الى اللغة الالمانية باختصار كبير الاب ه. لامنس

LA REVUE ECONOMIQUE INTERNATIONALE, n° de Juillet 1925

نشرت مجلّة الاقتصاد الدولية التي تُطبع في بروكسل ثلاث مقالات مهمّة عن بلاد تركيّة والشام: الاولى تبحث عن ديون تركيّة العمومية لاستاذ اثينة اندره

انديادس . والثانية عن سكك تركيـة الحديديّة لمدير شركة السكك الحديديّة في بلجكا المسيو ليونل ڤيز . والثالثة لاستاذ جامعة كاين (Caen) جورج ڤيل في ترقي بلاد الشام سياسياً واقتصادياً وادبياً كتبها عن السنتين ١٩٢٣و١٩٢٤ اذ تجوّل في اطرانا . ولعلّهُ كان رأى امورنا على غيرهذه الصورة الراقية لو زارنا في السنة الماضية ونحن ننتظر ما ستقوله جماعة الامم قريباً عن احوالنا

C. J. Gignoux et F. F. Legueu: Le bureau de rêveries. 1 *vol.*, *in-12*, *Paris. B. Grasset*, 1925, *Prix* 9 *f*

مكتب الاحلام

انّ الازمة المالية التي صارت اليها فرنسة في هذه الأيام بهبوط قيمة الفرنك دعا بعض الباحثين الى ذكر حوادث تاريخيّة سابقة ارتبكت بها فرنسة فأصيبت بضربات أليمة . والكتاب المذكور هنا احتوى في ذلك درساً مهماً مما كابدتهُ فرنسة في الربع الاوّل من القرن الثامن عشر لمّا تولّى الصرّاف لاو (Law) تدبير المالية العمومية واصدر الاوراق المالية بعدد وافر اسقط قيمتها وكان السبب لافلاسه وسوء احوال المالية في فرنسة . وفي هذا الكتاب تفاصيل عن ذاك الحادث كانت الى يومنا مجهولة . ثمّ انتقل مؤلفهُ الى المقابلة بين حالة فرنسة الحاضرة وحالتها في تلك الأيام المشئومة والسبب في الحالتين واحد وهو سوء تدبير المالية ولعلّ الحالة الحاضرة اسوأ ايضاً لتلاعب ايدٍ كثيرة

Curnonsky et Bienstock: Le Musée des erreurs ou le français tel qu'on le parle, 1925, *Paris*, *Albin Michel*. *Prix*, 9 *f*

معرض الاغلاط في اللغة الفرنسويّة الحاضرة

غاية مؤلفَي هذا الكتاب ان يبيّنا كيف تتحوّل اللغة الفرنساويّة الفصحى كلّ يوم الى لغة فاسدة ينموُ عدد الكتبة الذين لا يُحسنون اصولها وقد اثبتا في تأليفهما فصولاً لعدّة كتبة انتقداها لفظاً ومعنًى وبيّنا شطَطها . وبذلك نبّها افكار الادباء لتلافي هذا الخلل لئلّا تفقد اللغة الفرنسويّة خواصّها التي بأمّتها بين لغات الدول رتبةً ممتازة

ج . ل

A. François-Poncet: Reflexions d'un républicain moderne.1 *vol. in-16, Paris, Bernard Grasset*, 1923, *Prix* 5 *f*

خواطر لجمهوري مصري

انَّ بين انصار الجمهورية في فرنسة رجالًا منصفين يستازون مما يرون في الحكومة من التحزُّبات كأن الوطن ينحصر في قسم واحد من ابنائهِ ولا يعمُّهم جميعاً. ومؤلف هذا الكتاب يتأسف على تطرُّف الجمهورية في وطنهِ التي بمحاربتها للدين تنفي حرية الجمهوريات الصادقة التي تمنح الحرية للجميع دون تمييز. على انَّنا رأيناهُ يتجاوز الحدود في ختام كتابهِ اذ يحضُّ مواطنيهِ على محبَّة وطنهم لان الوطن على قولهِ «هو دينهم وسرُّهم» (كذا) ج. ل

BULLETIN ANNUEL de la Faculté Française de Médecine et de Pharmacie de Beyrouth. *Année scolaire*, 1924-1925, *pp*. 96.

النشرة السنوية لمكتب الطب والصيدلية الفرنساوي

هذه السنة الثالثة والاربعون للمكتب الفرنساوي الطبي والصيدلي. ننقل عن نشرتهِ الرسميَّة الجديدة ما يأتي: كان عدد عمدة المكتب مع مساعديهِ ٣٠: وعدد طلبة الطبّ ١١٢ والصيدلة ٢٦ وطب الاسنان ٤٥ وطالبات التوليد ١٧. وقد بلغ الذين نالوا الاجازة القانونيَّة في السنة المدرسيَّة ١٩٢٤—١٩٢٥ من طلبة الطب ٢٢ طالباً ومن الصيدلة ٥ ومن طبابة الاسنان ١٠ ومن فنّ التوليد ٨ مجموع الطلبة ٢٠٠ وثاني الاجازات ٤٥. وقد دخل مستشفى المكتب الطبي ٥٩٢ عليلًا. وبلغ عدد المستصفين ١١٦٣٢ والعملات الطبية ١٤٨ وعملات العيون ٢٤٦ والآذان والحنجرة ١٠٧ دخل دار التوليد ٤٣٩ امرأة وعولج من الكلَب في السنة ١٩٢٤ ١٠٤ اشخاص وفي السنة ١٩٢٥ ١٥٠ شخصاً ولم يمت احد من المعالَجين. بلغ عدد ما حُلّل في المكتب البكتريولوجي ٤٠٤٣ تحليلًا وفي المكتب الكيموي ١٠٦١. وقد نال كثيرون من الاساتذة والطلبة امتيازات شرفيَّة من الدولة الفرنسويَّة ومن غيرها يطول تعدادها. ونشر كثيرون نشرات طبيَّة ل. ش

شذرات

﴿ المؤتمر الاثري في سورية وفلسطين ﴾ في ٨ نيسان القادم ستحظى بيروت باوّل مؤتمراتها العلمية . فسيقام فيها مدّة اسبوع المؤتمر الاثري الذي سيحضره كثير من ممثلي الدول الاوربية والجامعات الكبرى والمدارس العليا . وستدور ابحاثهُ عن الآثار السابقة للتاريخ واصول الامم والعاديات وآثار القرون الوسطى والاجيال الاخيرة . وبعد هذا الاسبوع سيواصل المؤتمرون اشغالهم في الاسبوع التالي في دمشق الشام ثمَّ ينجزونها في اسبوع ثالث في القدس الشريف . فأملنا من اهل الوطن ان يشاركوا هؤلاء العلماء بابحاثهم فيفيدوهم كما يستفيدون منهم ويتحقَّق الاوربيّون انَّ الشرقيين يجارونهم في حلبة المعارف الشريفة

﴿ وفاة كاهن نباتي ﴾ توفي في فرنسة في ٢٠ ت٢ الاخير كاهن بسيط وهو القانوني كوست الذي منذ نحو خمسين سنة كان يتجوّل في جبال فرنسة ووديانها ليجمع منها يجدهُ في كل مناطقها من النبات والزهور فنظّمها ووصفها وصفاً مدقّقاً ونشرها بالوانها العجيبة في ثلثة مجلّدات ضخمة ذات ثلثة آلاف صفحة مع صورها البالغة ٥٠٠٠ شكل استحقَّ بنشرها ان يُعطى وسام صليب جوقة الشرف ويُختار كرئيس ثانٍ لجمعية النباتيين في فرنسة

﴿ آخر احصاء لسويسرة ﴾ يبلغ اهل سويسرة اليوم ٣٦٨،٦٧٣،٤ نفساً معظمهم البروتستانت ٢،٧٥٠،٦٢٢ وهم ينقسمون الى شيع متعدّدة بينها ٣١ شيعة ذات شأن . ويبلغ الكاثوليك ١،٥٨٥،٩١١ يسكنون المعاملات التي انقذها القديس كانيزيوس من غارات المبتدعين . والباقون ٢٨،٠٤٠ يهود وروم ومسلمون او ملحدون

﴿ السنون والشهور في اعمار الاباء الاوّلين ﴾ انَّ بعض الكتبة المصريين لا يكتفون بالخوض في المسائل العلمية قربًا نصبوا نفسهم كشارحي الكتاب المقدَّس . فهذا صاحب المجلة الشهرية كتب في العدد الاول من سنته الثانية (ص ٤٦) فصلاً تحت عنوان «طول العمر» وزعم انَّ الآباء الاولين الذين ذكرهم موسى في سفر

التكوين كآدم ومتوشلح لم يعيشوا كما ذكرت التورات نيفاً و٩٠٠ سنة وانَّ السنين المذكورة هناك يراد بها الشهور فمعنى قولها مثلاً « ان متوشلح عاش ٩٥٠ سنة » معناهُ انهُ عاش ٩٥٠ شهراً اعني ٨٠ سنة وهو تأويل غريب يسندهُ الى آية في المزامير زعم انها قيلت «عن لسان موسى» (كذا) ولو قرأ جنابهُ الفصول الاولى من سفر التكوين لرأى هناك انَّ موسى يميّز بين الشهور وبين السنين ويذكر في الفصلين السابع والثامن ايام الشهور حتى صرَّح بذكر «اليوم السابع والعشرين من الشهر الثاني». ومن العجب انَّهُ ينكر العمر الطويل على الاباء الاوَّلين اذ كانوا في قوَّة بنيتهم ويروي (ص ٤٧) اعمار بعض المحدثين الذين بلغوا ١٦٩ سنة و١٥٢ سنة. فليراجع في المشرق (٤[١٩٠١]: ١٥٢ــ١٥٤) مقالةً في هذا الموضوع للمنسنيور يوسف العلم

﴿مقالة للشرق والغرب في ديامبس رومية﴾ قرأنا بلذَّة في مجلة الشرق والغرب في عددها الثاني فبراير (ص ٣٣ــ٣٧) مقالةً «لحبيب» في سراديب رومية التي سبقت لنا فيها مقالات عديدة. فاستحسنَّا ما كتبهُ هناك تحت عنوان «حتى الحجارة تصرخ» فبيَّن كم من الشواهد الناطقة بين تلك الآثار تثبت العقائد المسيحيَّة. لكنَّنا لا نوافق جنابهُ على الاثر الذي رواهُ في هذه الصورة «Aquilæ Priscæ in Pace» فزعم انَّ المراد بهذه الكتابة أكيلا وبرسكة الوارد ذكرهما في اعمال الرسل (١٨: ٣و١٩) وفي رسائل مار بولس (رومية ١٦: ٣ــ٥و١كور ١٦ــ١٩) وهو قول لا سند لهُ ولا يوافقهُ عليهِ اثريّ ثابت

﴿المئة الثالثة لرسالتي المرسلين الكبوشيين واليسوعيين في سورية﴾ في السنة ١٩٢٥ تمت المئة الثالثة منذ أنشئت رسالتا الآباء الكبوشيين والآباء اليسوعيين في سورية فاحتلَّ الكبوشيون في بيروت ودخل اليسوعيُّون حلب. ويسرُّنا بهذه النسبة ان نذكر ما للآباء الكبوشيين من الاعمال الرسولية والخيرية في جهاتنا. لحضراتهم ثمانية مراكز. ستَّة في الشام: بيروت انطاكية غزير إعبيه بعبدات خضربك واثنان في قيليقية: مرسين وطرسوس يسكنها ٢١ مرسلاً كاهناً وخمسة شمامسة وهم يديرون ثلاثة مياتم في لبنان عدد ايتامها ٧٨٢و٢٩. مدرسةً يبلغ عدد تلامذتها ١٦٩٩ ويرشدون في الرهبانيَّة الثالثة ٣٦٤٠ رجلاً او امرأة في ٥٤ مركزاً. ويديرون ايضاً جمعيتين من الشبَّان ومطبعةً وستة معامل صناعيَّة للنساجة والسكافة والتجارة وشغل الطنافس

والتطريز والتجليد. هذا ما عدا اعمالهم الرسولية من وعظ وتوزيع اسرار وخدمة رعايا ائبهم الله ونفع بلادنا باثمار غيرتهم وزادهم نمرًا وفضلًا

﴿منشور نيافة القاصد الرسولي﴾ الصوم السنة الحاضرة موضوعها اوّل وصايا السيد المسيح واكبرها اعني محبة الله العائدة اليها ايضاً محبة القريب. وقد عالجهُ نيافتهُ بعلمهِ وحكمتهِ الشهيرتين. فنوصي القرّاء بمطالعتهِ واحراز فوائدهِ

﴿برغوث من عهد الفراعنة﴾ وُجدت حديثاً في بعض مدافن مصر القديمة زجاجة تحتوي زيتاً من الخروع كان متعقّدًا وفي وسطهِ برغوث جامد من عهد الفراعنة

﴿جرس موتى الحرب﴾ جمع الايطاليون ما اخذهُ المتحالفون في الحرب الكونية من مدافع الاعداء فسبكوها جرساً ضخماً سيجعلونهُ في قبة خاصّة في مدينة ريفارتو ليُقرع كل يوم مساء فيصلي السامعون لراحة نفوس موتى الحرب

﴿المعمّرون﴾ ليس المعمّرون نادرين حتى في زماننا كما سبق لنا في جوابنا على المجلة الشهرية. وفي انباء الفيليبين الاخيرة انَّ المسمى انتونيو سوليتانا توفي وعمرهُ ١٣٤ سنةً

﴿دير مار مارون الكبير في القرن الثامن﴾ هذا الدير الواقع بقرب العاصي هو الذي استشهد رهبانهُ في السنة ٥١٧ للميلاد كما ذكرنا في مقالتنا عن شهداء المجمع الخلقيدوني (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٥٩٨ــ٦٠٣) وورد ايضاً ذكرهُ في تاريخ هرقل الملك الذي زارهُ في القرن السابع. ولا نجد لهُ بعد ذلك ذكرًا في التاريخ إلّا ما رواه عنهُ المسعودي في القرن العاشر في كتابهِ المعنون بالتنبيه والاشراف (ص ١٥٣ــ١٥٤) ووصف غناءهُ السابق واردف «انهُ خرب وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن من الاعراب وضيق السلطان» وقد وقفنا لهُ في قائمة مخطوطات لندن السريانيَّة الذي طبعهُ العلّامة ولم ريت (W. Wright) على اثر احببنا الفات النظر اليهِ ففي المخطوطة الموسومة بالعدد ٧٢ من هذه القائمة (ص ٤٥٤) ورد ذكر مجموعة تحتوي عدَّة رسائل قديمة في الحياة الروحيَّة وتاريخ هذه المخطوطة ٨٩٢ لليونان الموافقة للسنة ٥٨١ للمسيح. ففي الصحيفة ١٢٦ منها يقال «انَّ هذا الكتاب دخل في مكتبة دير مار مارون سنة ١٠٥٦ الموافقة للسنة ٧٤٥» ويُذكر هناك اسم جرجس رئيس الدير وناظر المكتبة المسمى اثناس وراهبان آخران اسمهما قوزما وزكريا. ومن هذا الاثر يلوح ان الدير كان عامرًا في اواسط القرن الثامن

أسئلة وأجوبة

س سأل احد القرّاء ما هو اصل شهورنا العربية وما معناها ؟

الشهور العربيّة ومعناها

ج ليس امرٌ اشقّ واصعب من معرفة اصل الشهور العربيّة الشائعة بين النصارى. فانها راقية الى الوف من السنين وقد وجدهـا العلماء في كتابات حمّوربي الاشورية وفي الآثار الشومريّة ثمّ في العبرانيّة والنبطيّة والفينيقيّة مع اختلاف في زمن وقوعها في فصول السنة وتباين في اسمائها. فمنهم من يشتقّهـا من اوصاف تـدلّ على احوال السنة ومنهم من يزعم انّهُ يراد بها اسماء آلهة كتمّوز الاله البابليّ وغيره. ولو جمعنا آراء العلماء في شرحها لضاق عنها عدد كامل من المشرق

س وسأل آخر ما سبب انقلاب لبيب افندي الرياشي على الماسونية بعد ان كان من رؤسائها راقياً درجاتها السامية ؟

انقلاب لبيب افندي الرياشي على الماسونية

ج سبب هذا الانقلاب ما وجدهُ جنابهُ في الماسونيّـة من التحزُّبات والفوضى التي أشرنا اليها غير مرّة في كتاباتنا السابقة عن الماسونيّة فجاء مثبتاً لمـا رويناهُ عن اوثق الاسانيد. وقد ذكرنا مراراً ما وقع من الخلاف في الماسونيّة المصرية حتى تجاوز حدود المحافل وبلغ المحاكم. ولا عجبَ وقد قـال الكتاب « ان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلاً يتعب البنّاؤون »

س وسأل غير واحد ما السبب لتعريب الآية الثانية عشرة من المزمور الثاني في الترجمة السوريّة « قبّلوا الابنَ لئلّا يغضب » بينما قرأها في الطبعة المدرسيّة « لازموا الادب لئلّا يغضب الربّ » ؟

شرح الآية الثانية عشرة من المزمور الثاني

ج معلوم ان ترجمتنا منقولة عن العبرانيّة وفي العبرانيّة «נשקו בר פן יאנף» اي «قبّلوا الابن لئلّا يغضب» ومثلها الترجمة السريانيّة القديمة وهكذا عرّب ايضاً الاميركان. وهذه الترجمة موافقة لقرائن المزمور الذي هو كلّهُ نبوّة عن السيّد المسيح وملكـه وقد دعاهُ الآب ابنهُ : «انت ابني وانا اليوم ولدتك» امّا الترجمة السبعينيّة فقد نقلت عن رواية اخرى قريبة من الاصل : «لازموا الادب لئلّا يغضب الربّ» ل. ش

المشرق

المسيح الملك

نظر لاهوتي تاريخي اجتماعي للاب عمانويل رولان اليسوعي

في مثل هذا الاسبوع السابق لعيد الفصح وفي صباح يوم جمعة آلامهِ فاه الربُّ يسوع بتلك الآية التي لم يخشَ الاعلان بها أمام ممثل قيصر اذ سألهُ بيلاطوس (يوحنا ١٩ : ٣٧) : «أفملكٌ انت؟ اجابه يسوع : انتَ قلت انّي ملكٌ». والعجبُ في ذلك إنهُ صرَّح بملكهِ في ساعةٍ كان يعلم انَّ كلمةً كهذه تكون سبباً لموتهِ كما انَّ تصريحهُ امام مجمع اليهود بكونهِ ابن الله عُدَّ كافياً للحكم عليهِ بالاعدام (متى ٢٦ : ٦٦). واعجب منهُ انهُ هو الذي كان يأنف من كلّ آيهة وشرف في حياتهِ اراد في هذا المقام الرسميّ بازاء العالمَين الدينيّ اليهوديّ والمدنيّ الروماني ان يجاهر بحقوق ملكهِ ويقرّرها على رؤوس الأشهاد مهما عرَّضهُ ذلك الى بغض اعدائهِ والى الموت عينهِ. وكأنَّ بيلاطس لمَّا وضع فوق رأسهِ عنوانهُ «يسوع الناصري ملك اليهود» لم يفعل الّا مدفوعاً بإرادة علويَّة. واذ الحَّ عليهِ اليهود بان يغيّر تلك الكتابة صرفهم قائلاً : «ما كتبتُ فقد كتبتُ»

فبكلّ حقّ اذن تقدَّم الحبر الأعظم بيوس الحادي عشر الى العالم الكاثوليكي بان يُقام عيد خاصّ للسيد المسيح الملك ونشر في ذلك براءة محكمة البناء ساطعة الادلّة أيّد بها حقيقة ملك السيّد المسيح وألحقها بامرهِ المطاع ان يُحتفَل بهذا العيد في سائر كنائس المعمور. وها نحن نتقصّى آثار إمام الاحبار ونفرد لهذا الموضوع الصفحات التالية

أ السيد المسيح موعود كملك في العهد العتيق

كما سبقت الاسفار المقدسة في العهد العتيق فتنبأت على كل احوال السيد المسيح في حياته وممانه وقيامته كذلك صرحت جهاراً بانهُ سيكون ملكاً

﴿شهادة موسى﴾ فهذه كتب موسى سبقت الجميع في الشهادة على ملك المسيح. ففي سفر العدد (٢٤: ١٩) يُدعى «المتسلط الذي من يعقوب»

﴿مزامير داود﴾ وفي مزامير داود يوصف ملك المسيح وصفاً مدققاً لا يصلح لغيره. فانهُ في المزمور الثاني بعد ذكر انتار الشعوب «على الرب وعلى مسيحه» يوجه الرب الاله الكلام الى المسيح بقوله: «اني مسحتُ مَلِكي على صهيون جبل قدسي. قال لي: انت ابني وانا اليوم ولدتك سَلني فأعطيكَ الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك». ومثلهُ صراحةً المزمورُ الـ٤٤ حيث يصف داود المسيح كملكٍ جبّار وينعتهُ بالجلال والبهاء والعدل ويطرئ قوتهُ بانتصاره على الشعوب ويذكر سيفهُ على فخذه ونبالهُ المسنونة التي يرشق بها اعداءهُ فيسقطون امامهُ. ثم يخاطبهُ كالهٍ وكملكٍ معاً بقوله: «عرشُك يا الله الى الدهر والابد وصولجانُ مُلكك صولجان استقامة». وكذلك اتسع داود في المسيح الملك في مزموره الـ٧١ فوصفهُ بما لا ينطبق على اي ملك من الارض فتنبأ عنهُ «انهُ سيملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقصى الارض» (ع٧) وانهُ «تسجد لهُ جميع الملوك وتتعبد لهُ كل الامم» (ع ١١ وان اعداءهُ «يخشونهُ ما دامت الشمس والقمر الى جيل الاجيال» (ع ٥) وانَّ «اسمهُ يكون الى الابد. ما دامت الشمس يدوم اسمهُ. ويتبارك فيه جميع قبائل الارض وتغبطهُ كلّ الامم» (ع ١٧). فهذه آيات أولى ان تُدعى تأريخاً منها نبوّةً

﴿الانبياء﴾ وما قولنا بنبوّات اشعيا وارميا ودانيال وغيرهم. فهذا اشعيا (٩: ٦—٧) اذ يصف ميلاد المسيح يخصُّهُ باللاهوت والرئاسة والملك الى الابد فيقول: «وُلد لنا ولدٌ أُعطي لنا ابنٌ فصارت الرئاسة على كتفهِ ودُعي اسمهُ عجيباً مشيراً الهاً جبّاراً ابا الابد رئيس السلام لنموّ الرئاسة وللسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ليقوّمها ويوطّدها بالانصاف والعدل الى الابد». فقد اتفق كلُّ مفسّري هذه الآية من يهود ونصارى على انها قيلت في المسيح وحدهُ

ويجاريه ارميا فيقول (٢٣ : ٥) : ستأتي أيام يقول الربّ أقيم فيها لداود نبتاً صديقاً ويملكُ ملكٌ يكون حكيماً ويجري الحكم والعدل في الارض . . . . . ولا يخالفها دانيال اذ فسّر حلم نبوكدنصّر فقال انّ الحجر الذي صدم التمثال الذي رآه فسحقهُ (٢ : ٤٤) انّما هو رمزٌ عن مملكة المسيح التي لا تُنقض الى الابد «فتسحق وتُفني جميع الممالك وهي تثبت الى الابد» . ثم كرّر الامر باجلى بيان كما رآهُ فقال (٧ : ١٢ — ١٣) : ورأيت في رؤى الليل واذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء فبلغ الى قديم الايام . . . وأُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والامم والالسنة يعبدونهُ وسلطانهُ سلطانٌ ابدي لا يزول وملكهُ لا ينقرض» وقام بعدهم زكريّا ووصف دخول المسيح الملك اورشليم في احد الشعانين بقولهِ (٩ : ٩) : «ابتهجي جدًّا يا بنتَ صهيون . . . هوذا ملككِ يأتيك صدّيقاً مخلّصاً وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان»

٢ تُثبت ملكهُ آيات العهد الجديد

وما العهد الجديد إلّا تحقيق مواعيد العهد العتيق وصداهُ وكشف الستار عن رموزهِ . فما كادت انوارهُ تلوح حتى بُشّر بالمسيح كملك

﴿الانجيل﴾ وذلك في اصرح ما يكون من الكلام في خطاب الملاك جبرائيل لمريم العذراء لمّا بشّرها بمولد ابنها يسوع قائلًا عنهُ (لوقا ١ : ٣٢) : «وهذا سيكون عظيماً وابن العلي يُدعى وسيعطيهِ الربّ الاله عرشَ داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء»

وما لبث ملوك الامم ان اتوهُ طالبين «اين هو المولود ملك اليهود» ومقدّمين لهُ هدايا الملوك ذهباً ولباناً ومرًّا (متى ٢) محقّقين نبوّةَ داود القائل (مز ٧١ : ١٠) : «ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليهِ الهدايا . ملوك شبأ وسبأ يقرّبون لهُ العطايا» ونبوّةَ اشعيا (٦٠ : ٦) : «كلّهم من شبأ يأتون حاملين ذهباً ولباناً يبشّرون بتسابيح الربّ» . وهكذا عرفهُ ليل اسرائيل منذ ظهورهِ . فان نتنائيل لمّا اتى بهِ فيلبّس الى المسيح ورأى شيئاً من آياتهِ صرخ قائلًا (يوحنّا ١ : ٤٩) : «يا معلّم انت ابنُ الله انت ملك اسرائيل» . وكذلك الشعب لمّا رأوا كيف قات بخمسة ارغفة من الخبز وبسمكتين

الوفاً من الناس اعترفوا بأنهُ هو النبيّ الآتي الى العالم وحاولوا ان يقيموهُ ملكاً لولا فرارهُ منهم وانصرافهُ وحدهُ الى الجبل (يوحنا ٦ : ١٤ــ١٥)

وقد سبق انهُ اعترف امام بيلاطوس بكونهِ ملكاً الّا انهُ بيّن انَّ ملكهُ ليس كملك بقيّة ملوك الارض يختارهم البشر بل هو من السماء فقال (يوحنا ١٨ : ٣٦) : « انَّ مملكتي ليست من هذا العالم » . واقرَّ بيلاطوس بملكهِ اوَّلاً اذا اجاب اليهود الطالبين صَلبهُ (يوحنا ١٩ : ١٥) : « أأصلبُ مَلِككم ؟ » ثم اعلن بملكهِ بالعنوان الذي وضعهُ على صليبهِ وان لم يدرك سرّ كتابتهِ . كما انَّ الجند الهازئين بهِ اذ كلّلوهُ بالشوك والبسوهُ ثوباً من الارجوان وأقبلوا اليهِ قائلين : السلام يا ملك اليهود (يوحنا ١٩ : ٢ــ٣) انما كانوا يقرُّون من حيث لا يدرون بملكهِ

﴿كتابات الرسل﴾ فلو تخطَّينا من الانجيل الطاهر الى كتابات الرسل لوجدنا هذه الحقيقة مكرَّرة في رسائلهم لا يرتابون في صحَّتها

فهذا (سفر اعمال الرسل) يدلّ في فصلهِ الاوَّل ما كان يشغل افكار تلامذة المسيح فانَّهم قبل صعود الربّ اذ كان يظهر لهم ويكلّمهم بما يختصّ بملكوت الله اعربوا عن خواطر قلبهم فسألوهُ (١ : ٦) : « يا ربّ أفي هذا الزمان تردّ الملك في اسرائيل » فلو لم يعرفوا انهُ ملك لَما ألقوا عليهِ هذا السؤال

وهذا (الرسول بولس) يعلن بملكهِ المطلق والعمومي فيقول في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس (٦ : ١٤ــ١٥) ان يسوع المسيح « هو وحدهُ ملك الملوك وربّ الارباب ولهُ وحدهُ الخلود » . وقد رأى يوحنا في سفر الرؤيا (١٩ : ١٦) هذه الآية عينها « مكتوبةً على ثوبهِ وعلى فخذهِ »

وفي موضع آخر (١ كور ١٥ : ٢٥) يؤكد بولس الرسول انهُ « لا بدَّ ان يملك المسيح حتى يضع جميع اعدائهِ تحت قدميهِ » مشيراً الى قول داود بالنبوَّة فيهِ (مز ١٠٩ : ١) : قال الربّ لربي اجلس عن يميني حتى : اجعل اعداءك موطئاً لقدميك

وهذا (بطرس الرسول) يدعو المسيحيين في رسالتهِ الاولى (٢ : ٩) « أمَّةً مختارة وكهنوتاً ملوكيًّا » فلولا اعتقادهُ بالمسيح كملك لَما صدَّق قولهُ

ومثلهما يوحنا في سفر الرؤيا (١١ : ١٥) فقد اخبر انهُ سمع في السماء اصواتاً عظيمة تقول : « ان مُلك العالم قد صار لربّنا ولمسيحهِ فهو يملك الى دهر الدهور »

٣ً المسيح الملك في التاريخ والطقوس

انَّ التاريخ كما الطقوس الكنسيَّة تشهد على ملك المسيح . فأمَّا التاريخ فلسانُ حالهِ فنُّ التصوير فاذا استقريتَ صور السيد المسيح مباشرةً من زماننا هذا الى عهد الدياميس وجدت المصوّرين يتفنّنون في تمثيلهم المسيح كملك . فقد صوَّروهُ بهيئة الملك على رأسهِ تاج الملوك وفي يمناهُ الصولجان وهو جالس على عرش الملوك وأمامهُ الملائكة والبشر ساجدين . وربَّما صوَّروهُ وفي يدهِ الكرة الارضيَّة دلالةً الى سلطانهِ المطلق (اطلب هذه الصورة في رأس هذا العدد) وحيناً يمثلونهُ في يوم الدين الاخير حين يجلس على عرش مجدهِ كملك وجميع الملئكة معهُ ليدين البشر . كما جاء في متى (٢٥ : ٣١)

وفي المتاحف الدوليَّة عدَّة ادوات من المعادن الثمينة كتيجان وصوالج كانت صيغت لتُجعل على هامة السيّد المسيح وفي يدهِ . ومثلها صور قديمة معدنيَّةٌ من ذهب وفضة وعاج كانت ترصَّع بها الاناجيل في الكنائس يمثَّل بها المسيح في هيئة الملوك

وناهيك عن المنسوجات الجميلة والمطرَّزة بضروب الاسلاك الفضيَّة والذهبيَّة والنقوش الملوّنة والمزركشة والشارات الملكيَّة التي تلوح على شخص السيّد المسيح . ومنها مثال لطيف غالي الثمن يرقى الى عدَّة اجيال في مكتبتنا الشرقيَّة

ويطول بنا الكلام لو استقرينا ما كتبهُ الآباء تباعاً من اوَّل اجيال الكنيسة الى القرون الوسطى عن ملك المسيح

وما قولنا بالطقوس الكنسيَّة الشرقيَّة والغربيَّة فانَّها مُفعَمة بالتسابيح المعظِّمة لاقنوم السيّد المسيح كإلهٍ وملكٍ معاً . فالكنيسة الغربيَّة مثلاً تفتتح التسابيح المقدَّمة على فرائضها الدينيَّة باستدعاء المؤمنين كل يوم للسجود للسيّد المسيح إمَّا كملك الملائكة او كملك الرسل او الشهداء او المعترفين او العذارى على اختلاف اعياد أيَّام السنة . وقس عليهِ صلواتها وتسابيحها النثريَّة والنظميَّة في كل ادوار العام الكنسي

وليست الكنائس الشرقيَّة لتشذَّ عن هذه القاعدة فان اعتقادها بملك المسيح يجاري ايمانها بلاهوتهِ مهما اختلفت فرائضها وطقوسها ولغاتها وهي كلُّها قد استقت هذا التعليم من المناهل الرسوليَّة التي رويناها سابقاً

٤ً خواصّ ملك السيّد المسيح

لا ريب اذن في كون السيّد المسيح ملكاً بل ملك الملوك ولكن يا تُرى ما هي ميزة هذا الملك ؟ فهل مُلكهُ كملك سلاطين الارض ورؤسائها ؟ فجوابنا على ذلك ان ملك السيّد المسيح يمتاز عن سواهُ ويفوقهُ فوقاً عظيماً

واوّل ميزاتهِ اصلهُ . فان كانت على قول الرسول الإناء المصطفى (رومية ١٣ : ١) «كل سلطة من الله» . فان السلطة البشريّة تُعزى الى الله بالتوسّط ليست هي توًّا من الله . امّا سلطة السيد المسيح هي توًّا من ابيهِ السماوي ولذلك يقول لبيلاطوس : «ان مملكتي ليست من هذا العالم» . وان اردت ان تعرف ما هو اساس ذاك السلطان العجيب فتجده في اتحاد طبيعتي السيّد المسيح الالهيّة والانسانيّة في وحدة اقنومهِ الالهي . فبمجرّد هذا الاتحاد حاز من ابيهِ السماوي السلطان على الخلائق باسرها

ويمتاز ثانياً ملك السيّد المسيح عن ملك البشر بكونهِ مطلقاً وذلك ما اشار اليهِ بقولهِ للرسل قبل صعودهِ (متى ٢٨ : ١٨) : «قد أُعطيتُ كلّ سلطان في السماء والارض» . فبقولهِ «كلّ سلطان» اثبتَ ان لا شيء يحصر سلطتهُ ويحدّدها وبقولهِ «في السماء والارض» اراد امتدادها الى كل مكان . ثمّ دلّ على ثباتها الى آخر الازمنة فقال (ع ٢٠) : «ها انا معكم كلّ الأيّام الى منتهى الدهور»

وبما انّ السلطان لا يكون مطلقاً ما لم يحصل على السُّلطات الثلث اعني السلطة التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة فلا بُدّ من القول ان المسيح قد تولّاها كما تشهد عليهِ اعمالهُ في سني تبشيرهِ فانه وضع عدّة سنَن وشرائع هي اساس الدين المسيحي . وامر بالخضوع لها تحت طائلة العقاب مصرّحاً بان كل الحكم قد أُعطي لهُ من الاب (يوحنّا ١٥ : ٢٢) وبجرياً ذلك الحكم في يوم الدينونة بمجازاة الابرار وعقوبة الاشرار (متى ٢٥ : ٣١ــ٤٦)

ولملكهِ ميزة ثالثة وهي انّها تتناول كل الشعوب ليس المتنصّرين فقط من ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة او من الذين انشقّوا عنها بالبدَع والعصيان بل كل الامم مهما كانت عناصرها واجناسها فانّ الاب السماوي قد اعطاها كلّها المسيح كميراث وقد بيّن الامر الملكُ والنبي داود في مزمورهِ الثاني حيث يروي كلام الله الى مسيحهِ

فيقول (٢ : ٧) : «قال لي انت ابني انا اليوم ولدتك سلني فأعطيك الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك» وقد استحق السيد المسيح هذه السلطة العمومية بوجه آخر لمّا افتدى جميع البشر من الهلاك باهراقه دمه فانقذهم من تبعة الخطيئة الجدّية

ويمتاز اخيراً ملك السيد المسيح بغايته الشريفة فان الملوك جُعلت السلطة في يدهم لتدبير امور رعاياهم الزمنيّة وتنظيم احوالهم في العيشة الاجتماعيّة ولا سلطة لهم على النفوس إلّا عرَضاً . بخلاف ملك السيد المسيح فان غايته الاولى تدبير النفوس وتقديسها وتنوير العقول بمعرفة الله سبحانهُ وتعالى وتتميم وصاياهُ وبها يبلغ البشر الى سعادتهم الابديّة . وهذه السلطة تتناول ايضاً ثانويًا احوال البشر المادّية التي يترك تدبيرها لارباب العالم تحت مراقبته العليا

٥ كيف يتمّ ملكُ السيد المسيح

يتمّ ملك السيد المسيح بنوعين : بفعله الخاص ثمّ بواسطة كنيسته

امّا (فعلهُ الخاصّ) فيجري في القلوب بما يُفيض عليها من النعم فيأسرها بحبه ويدفعها الى القداسة والعيشة بالله . وهذه النعم يسبغها الربّ خصوصاً باسراره المُحيية بالعموديّة والتثبيت والتوبة ولا سيما سرّ محبّته في القربان . واذا دخلت النعمة في النفس أصبحت مشاركةً للاهوت وصارت هيكلاً حيًّا للروح القدس فيحلّ فيها الربّ كما قال (يوحنّا ١٤ : ٢٣) : «ان احبّني احدٌ يحفظ كلمتي وابي يحبّهُ واليه نأتي وعنده نجعل مقامنا» . ويستطيع الانسان اذ ذاك ان يقول مع الرسول بولس (غلاطية ٢ : ٢٠) : «انا حيّ لا انا بل انّما المسيح حيٌّ فيّ»

واذا اتّحد الانسان بالمسيح وحيّ به (يوحنّا ٦ : ٥٨) اسرع الى كل عمل صالح ولا تعوقهُ المشقّات ونكبات الحياة الحاضرة اذ يستمدّ قوّتهُ من الله فيردّد آية الرسول (فيلبي ٤ : ١٧) : «اني استطيع كلّ شيء في الذي يقويني» . بل يزيد فرحهُ مع ازدياد شدائد الحياة كما قال (٢ كور ١٢ : ٩) : «فبكل سرور افتخر بأوهاني لتستقرّ فيّ قوّة المسيح . فلذلك أرتضي بالاوهان والشتائم والضرورات والاضطهادات والشدائد لاجل المسيح لاني متى ضعفتُ فحينئذٍ انا قويٌّ»

وهذا ملكُ المسيح على النفوس هو مُلكُ محبّته لان الله محبّةٌ هو (١ يوحنا ٤ :

١٦) ومركز محبّة الله في قلب يسوع الاقدس « فمنهُ تصدر كل عطيّة صالحة وكل موهبة كاملة » (يعقوب ١ : ١٧) واذا تملّك على قلب الانسان اجتذبهُ الى كلّ كمال فينير عقلهُ لانهُ هو مالك العقول والحقّ بالذات ويقوّي إرادتهُ لان في يدهِ مفتاح القلوب فيجتذبها بحسناتهِ وتجري وراءهُ مبتهجةً بأذهانهِ الطيّبة العَرف (نشيد ١ : ٢ — ٣) الى يوم وداع المرء لهذه الحياة فيدخل فرح سيّده في الاخدار الابديّة

وامّا (توسّط الكنيسة) فلأنَّ المسيح اقامها على الارض لتنوب عنهُ بازاء الشعوب ووكّل اليها نشر ملكهِ على الارض فتنشره بدعوة الامم الى الدين الحقّ وفقاً لامرهِ الى رُسلهِ : «اذهبوا وتلمذوا كل الامم . . . وعلّموهم كلّ ما اوصيتكم بهِ » (متى ٢٨ : ١٩) . وهذه الوصيّة المحتومة عليها تقوم بها بواسطة مبشّريها في كل انحاء المعمور ولا يسوغ لاحد من البشر ان يصدّها عن بلوغ هذه الغاية . لانّها ان لم تفعل كانت مسئولة عن إهمالها كما قال القديس بولس (١ كور ٩ : ١٦) : «اني ان بشّرتُ فليس لي فخرٌ لان ذلك ضرورةٌ موضوعةٌ عليَّ والويلُ لي ان لم أُبشّر»

فعلى الكنيسة ان تُقرّر ملكَ المسيح في المجتمع البشري مباشرةً بالعائلة التي هي نواة ذلك المجتمع فتسهر على صلاحها بتقديس سرّ الزواج وبتربية الاولاد الصالحة وتأسيسهم في مبادئ الفضيلة والدين والسَّهر عليهم في ايّام تثقيفهم بالآداب والعلوم لئلّا يُدخلهم اهلهم في مدارس فاسدة او لادينيّة فيفقدوا ايمانهم وبراءتهم

وكما تراقب الكنيسة العائلة كذلك تسعى الى مراقبة السلطات المدنيّة لتمنع على قدر استطاعتها كلّ ما يجحف بحقوق الدين وتدعم ملك السيد المسيح الذي وحدهُ يستطيع ان يمنح الهيئة الاجتماعيّة الراحة والسلام وقد قال احد الآباء وهو نِعم القول : «ان المسيح هو ركنُ كل مجتمع انساني وبهِ يُحلُّ كلُّ مُشكل في جماعة البشر» . ولهذا لا نُدحة من توطيد ملكهِ ليحصل البشر على ما يؤملون من الرقي والامان . ولمّا كان مُلك المسيح مُلكَ حُبٍّ وإحسانٍ والحبُّ والاحسان يفيضان من قلبهِ يجب ان يملك قلبهُ على العالم كما اوحى الى القديسة مرغريتا مريم فقال لها : « اني اريد ان أملك . وإن عارضني اعدائي في تمليكي ملكتُ على الرغم منهم . . . » ولا خوف على البشر من ملكهِ فانّهُ هو لخيرهم ولسعادتهم ليس الّا وبقدر ما يزيد نفوذهُ يزيد ايضاً سعدهم

ولهذا السبب روّجت الكنيسة تكريس الامم باجمعها لقلب يسوع وقرّرهُ

الطيب الذكر البابا لاون الثالث عشر في مفتتح القرن العشرين اذ كرّس العالم بتمامهِ الى قلب يسوع . وقام ارباب عدّة دول وجمعيات فكرّسوا في العالمَين دُوَلهم وسمياً لهذا القلب الالهي . وانتشرت اليوم في انحاء العالم الكاثوليكي عادة تكريس العيال لقلب يسوع فبلغ عددها عدّة ملايين ممّن نصبوا في بيوتهم صورتهُ واتخذوهُ كشفيع أُسرهم وكملكهم الخاص

وما كان هذا كلّهُ إلّا تمهيدًا الى ما تقدّم بهِ آخرًا قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بان يُحتفل بعيدٍ خصوصي للسيد المسيح بصفة كونهِ ملكاً على العالم

٦ العيد الجديد للمسيح الملك

ليست الاعياد الجديدة في الكنيسة بدعةً لانَّ الكنيسة ليست جسماً ميتاً كاجساد الفراعنة المحنَّطة الباقية على حالها بلا غَوْر ولا حراك وانَّما هي جسمٌ حيّ ادبي ديني يغتذي وينمو بكل ما يُنعش روح الدين . وعلى هذا جرى الاحبار الرومانيون في توالي الدهور اذا ما رأوا ما يوجب انشاء اعياد جديدة كما فعلوا اذ اقاموا عيدًا خصوصيًّا لتذكار جسد الربّ ولاكرام قلبهِ الاقدس استنادًا الى ما اوحى بهِ الله الى بعض اوليائهِ . فلا عجب بان فكَّر الحبر الاعظم الجالس سعيدًا على كرسي خلافة بطرس الرسول في اقامة عيدٍ للمسيح الملك في سائر الكنائس لاسباب صوابيَّة هي غاية في المناسبة

وذلك اوَّلًا لمناهضة ما شاع في عهدنا من روح الاستبداد والحرّية المفرطة فلا نسمع إلّا اصوات المتظلّمين من السلطة الطالبين الاستعباد الداعين الى كسر نير العبوديَّة . فالكنيسة اذ تعرض عليهم إكرام المسيح الملك توحي اليهم بسلطة الهيَّة لا ندحة من الخضوع لها سلطة الخالق على خليقتهِ سلطة لينة النير خفيفة الحمل (متى ١١: ٣٠) اليها مرجع كل سلطة بشريَّة والتي وحدها تحرّر الانسان بمعرفة الحقّ كما قال الربّ (يوحنا ٨: ٣٢) : « وتعرفون الحقّ والحق يحرّركم » . فاذا خضع الانسان لهذا الملك لا ينالهُ من طاعتهِ أدنى ذلّ واحتقار بل على خلاف ذلك يتنصَّل من عبوديَّة الشهوات ويخدم ذاك الذي تُشرّف خدمتهُ كلَّ المخلوقات لان خدمة الله كما قال كتاب الاقتداء بالمسيح هي الملوكيَّة بالذات

ثمَّ في ملوكيَّة المسيح صورةٌ حيَّة صادقة لِما استحبَّهُ البشر في بعض كبار الملوك من جلال وعظمة وسلطان مع رقَّة وانعطاف وسهر على المرؤوسين وتفانٍ في سبيل

نجاحهم ورقيهم وعدم مراعاة للاشخاص فكل هذه الصفات التي قلّما وُجدت في ملوك الارض تجدها في اقصى كمالها في شخص السيّد المسيح الذي بفدائهِ للبشر ربح محبّتهم وبصليبهِ اجتذبهم اليهِ (يوحنا ١٢ : ٣٢) ولذلك تسبح الكنيسة وتنشد في يوم جمعة الآلام «ان الله قد ملك على الشعوب بخشبة صليبهِ»

ومن اعظم الاسباب التي دفعت الحبر الاعظم الى انشاء هذا العيد عيد المسيح الملك الاحتجاج على روح العصر الجديد الذي ينبذ كلَّ وحي وكل دين لإثبات ما يدعونهُ بالعلمانيّة فيجعلون هذه الكلمة كشعار يقصدون منه انكار ما للسيّد المسيح من السلطان على الشعوب ومناهضة الكنيسة ليصدُّوها عمّا أُعطيَت من الحقوق لتعليم الامم وسنّ الشرائع وإدارة الشعوب لتقودهم الى السعادة الابديّة . وقد بيّن إمام الاحبار في رسالتهِ العامّة ما في مُناصرة العلمانيّة من غضّ ديانة السيد المسيح اذ يُنزلها العلمانيُّون منزلة الديانات الباطلة ويجعلونها وإيّاها في مستوًى واحد ثمّ يحاولون إخضاعها للسلطة المدنيّة وقد بلغت بهم القحة الى أن حاولوا ان يجرّدوا الحكومة من كل دين ويُلغوا من رسومها اسمهُ تعالى عزّ وجلّ وبذلك فتحوا باباً واسعاً للافك والمشاغب ودكّوا اساس الهيئة الاجتماعيّة التي تستمدُّ من الله كل قوّتها

فترى باي صوابٍ وباي حكمة قام الحبر الاعظم ليناصب هذا الروح الفاسد بانشائهِ عيد المسيح الملك وقرّر تعييدهُ بكلّ رونق في اربعة اقطار العالم واختار للاحتفال بهِ الاحد الاخير من تشرين الاوّل لان بهِ توشك ان تُختَم السنة الطقسيّة التي تبتدئ في الكنيسة في غرّة تشرين الثاني . فيكون عيد المسيح الملك كختام كل اسرار حياتهِ التي يُتمّ الاحتفالُ بها على توالي أيّام السنة فيصبح كعيد مُجمَل لها جميعاً ومتمّم لتفاصيلها

ثمّ انهُ بوقوعهِ في هذا الاحد يسبق عيد جميع القديسين الواقع في غرّة تشرين الثاني فيكون للمسيح التصدُّر على سائر عبيدهِ واوليائهِ يتقدّمهم كرأسهم الاعظم

فعسى ان يكون لهذا العيد الجديد ما يستحقّهُ من الاقبال والأبهة فيزرع في القلوب اشرف العواطف من الحبّ والتقى لذاك الذي هو «الالف والياء والبداية والنهاية والاوّل والآخر» (رؤيا ٢٢ : ١٣) لهُ وحدهُ العزّ والمجد والسجود الى ابد الدهور

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٢٩ هبة الله ابن التلميذ

﴿اسمهُ ونسبهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (١ : ٢٥٩) : « هو الأجلّ موفّق الملك امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن ابي العلاء » وفي تراجم الاعيان لابن خلكان ٢ : ٢٥٢ : بن ابي الغنائم) صاعد بن ابرهيم (وفي ابن خلكان : صاعد بن هبة الله بن ابرهيم بن عليّ) بن التلميذ . وقد لُقّب ايضاً بسلطان الحكماء كما روى عماد الدين الاصفهاني في الخريدة . وقال ابن ظافر الازديّ في بدائع البدائع (ص ٥٤) : « هو المعروف بابن التلميذ . وانّما امُّهُ من بنات التلميذ فعُرف بذلك » . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٤٠) : « وابن التلميذ هو جدُّهُ لأُمّهِ والحكيم معتمد الملك ابو الفرج يحيى هو ابن بنتهِ فنُسب اليهِ » وقال ابن ابي اصيبعة عن والد هبة الله : « وكان ابو امين الدولة وهو ابو العلاء صاعد طبيباً فاضلاً مشهوراً » . وقال في محلّ آخر (١ : ٢٧٦) : « وكذلك ايضاً كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب كلٌّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب » . وزاد على قولهِ فيهِ : « واكثر اهلهِ كتّاب » . وذكرهُ عمرو بن متى في اخبار فطاركة كرسيّ المشرق من كتاب المجدل (ص ١٠٣) ودعاهُ « بالطبيب الفياثي »

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ كان اصل امين الدولة من بغداد . فيها كان مولدهُ نحو السنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م) . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦١) : « وكانت وفاة امين الدولة ببغداد في ٢٨ من شهر ربيع الاوّل سنة ٥٦٠ (شباط ١١٦٤) » . امّا عماد الاصفهاني فجعل وفاتهُ في صفر من تلك السنة . قال في خريدة القصر : « هلك ابن التلميذ

الطبيب النصراني بصفر سنة ٥٦٠ هـ وقد ناهز المئة وعاش الى زماننا ورأيتهُ وهو شيخ ...»

امّا دينهُ النصراني فلا يشكّ فيهِ احدٌ. قال ابن ابي اصيبعة: «ومات نصرانيًا» وقال عمرو بن متى في المجدل (ص ١٠٦) في ترجمة البطريرك ايشوعياب: «وفي ايامهِ توفي امين الدولة ابن التلميذ رضي الله عنهُ ودُفن في الصحن الداخلاني ببيعة العتيقة». ويتّضح من ذلك انهُ كان نسطوريًا. وقال ابن الازرق الفارقيّ في تاريخهِ: «مات ابن التلميذ في عيد النصارى». وقال جمال الدين القفطي: توفي وذهنهُ بحالهِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة: «كان ابن التلميذ في اوّل امرهِ قد سافر الى العجم وبقي بها في الخدَم سنين كثيرة» ثمّ عاد الى بغداد. وأمّا توفي يحيى بن التلميذ قام امين الدولة مقامهُ وهو ابن بنتهِ وخدم الخلفاء والملوك واتخذه الخليفة المقتفي بالله (٥٣٠ــ٥٥٥هـ = ١١٣٦ــ١١٦٠م) كطبيبهِ الخاصّ وجعل لهُ راتبًا بدار القوارير فقطعهُ الوزير عون الدين بن هبيرة ولم يعلم الخليفة بقطعهِ حتى اشار الى ذلك ابن التلميذ اشارةً لطيفة اذ قال لهُ الخليفة يومًا: قد كبرتَ يا حكيم. فاجابه: «نعم يا مولانا وتكسّرت قواريري»: فادرك الخليفة بعد البحث سرّ جوابهِ وتقدّم بردّ راتبهِ بدار القوارير عليهِ وزادهُ اقطاعًا آخر (تاريخ الحكماء ص ١٤١). وأُقيم ساعورًا اي رئيسًا على البيمارستان الكبير في بغداد المعروف بالبيمارستان العَضُدي المنسوب الى عضد الدولة ابن بويه الى حين وفاتهِ. وخدم ابنُ التلميذ بعد وفاة المقتفي ابنَهُ المستنجد. قال ابن ابي اصيبعة (١: ٣٦٢): «كانت دار امين الدولة التي يسكنها في بغداد في سوق العطر مما يلي بابهُ المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظّمة بالمشرّعة النازلة الى شاطئ دجلة»

﴿مقامهُ وعلومهُ وفضائلهُ﴾ قد اتّسع الكتبة في وصف هبة الله ابن التلميذ واطنبوا في فضلهِ. قال عماد الدين الاصبهاني في الخريدة:

«هو مقصدُ العالم في علم الطبّ بقراطُ عصرهِ وجالينوس زمانهِ ختم بهِ هذا العلم ولم يكن في الماضين مَن بلغ مداهُ في الطبّ. عمّر ابن التلميذ طويلًا، وعاش نبيلًا جليلًا، ورأيتهُ وهو شيخ بهيّ المنظر حسن الرُّواء عذب المُجتَلى والمُجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهمّ عالي الهمّة ذكيّ الخاطر مُصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسّيسهم ورأسهم ورئيسهم»

ونقل ابن خلكان (٢ : ٢٥٣) ما ورد عنهُ في كتاب نموذج الاعيان من شعراء الزمان فيمن أدرك بالسماع او بالعيان :

«كان ابن التلميذ متفنّنًا في العلوم ذا رأي رصين ، وعقل متين ، طالت خدمتهُ للخلفاء والملوك ، وكانت منادمتهُ احسن من التبر المسبوك ، والدرّ في السلوك ، اجتمعتُ بهِ مرارًا في آخر عمرهِ ، وكنتُ أعجب في امرهِ ، كيف حُرم الإسلام مع كمال فهمهِ ، وغزارة عقلهِ وعلمهِ ، والله يهدي من يشاء بفضله ، ويُضلّ من يريد بحكمهِ ، وكان اذا ترسّل استطالَ وسَطًا ، وان نظم وقع بين ارباب النظم وسطًا »

ونقل ابن ابي اصيبعة عن موفّق الدين البغدادي في هبة الله ابن التلميذ ما يدلّ على مروءتهِ ونزاهتهِ وعظم نفسهِ قال :

«كان ابن التلميذ حسن العشرة كريم الاخلاق عنده سخاء ومروءة واعمال في الطب مشهورة وحدوس صائبة . . . قال ومن مروءتهِ انّ ظهر دارهِ كان يلي المدرسة النظاميّة فاذا مرض فقيهٌ نقلهُ اليهِ وقام في مرضهِ عليهِ . فاذا أبلّ وهب لهُ دينارين فصرفهُ»

وممّا حكاهُ عبد اللطيف عن امين الدولة وكأنّهُ قد تجاوز في هذه الحكاية قال :

« وكأن ابن الدولة لا يقبل عطيّةً الّا من خليفة او سلطان فعرض لبعض الملوك النائبة دارهُ مرضٌ مزمن فقيل لهُ : ليس لك الّا ابن التلميذ وهو لا يقصد احدًا . فقال : انا اتوجّه اليهِ . فلما وصل أفرد لهُ ولنلمانهِ دورًا وأفاض عليهِ من الجرايات قدر الكفاية ولبثَ مدّةً . فجرى الملك وتوجّه الى بلادهِ وارسل اليهِ مع بعض التجّار اربعة آلاف درهم واربعة ثوب ثيابٍ واربعة مماليك واربعة افراس . فامتنع من قبولها وقال : انّ عليّ يمينًا ان لا اقبل من احد شيئًا . فقال التاجر : هذا قدرٌ كبير . فقال : «انا لمّا حلفتُ لم أستثنِ» . واقام شهرًا يراودهُ وهو لا يزداد الّا إباء وتأبّيًا . فقال لهُ عند الوداع : ها انا اسافر ولا ارجع الى صاحبي واقتّع بالمال فتُقلّد منّتهُ وتفوتك منفعتهُ ولا يعلم احدٌ انك رددتهُ . فقال : ألستُ اعلم في نفسي انّي لم أقبلهُ فنفسي تشرّف بذلك علمَ الناس او جهلوا »

وكان ابن التلميذ مع سموّ فضلهِ حسن السَّمت وافر الوقار كثير التواضع . وجرى لهُ مناقشات مع احد حكماء زمانهِ ابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا وكان يهوديًا فأسلم وكان معروفًا بالصَّلف والكبرياء على خلاف ابن التلميذ فقال البديع الاسطرلابي فيهما :

ابو الحسن الطبيبُ ومقتنيهِ ابو البركات في طرَفَي نقيض
فذاك من التواضُع في الثريا وهذا بالتكبُّر في الحضيض

ووصف ابو سعيد بن ابي سهل البغدادي ابن التلميذ فقال:

« رأيتُ امين الدولة ابن التلميذ فاجتمعتُ بهِ وكان شيخاً ربْع القامة عريض اللحية حلوَ الشمائل كثير النادرة (قال) وكان يحبُّ صناعة الموسيقى وكان يميل الى اهلها »

ولهُ اخبار كثيرة تدلُّ على براعتهِ في الطبّ رويناها سابقاً (١

﴿آدابهُ وتآليفهُ﴾ ذكر شهاب الدين العمري سعة معارف ابن التلميذ في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار (نسخة المكتبة الخديويَّة ص ٣٣٦) قال في طبقات الاطباء:

« ومنهم امين الدولة ابن التلميذ فَرْد زمانهِ، وندُّ (وفذّ ؟) أقرانهِ، بلغ بعلمهِ مبالغ الأشراف، ووصل في فهمهِ حدَّ الإشراف. وكان يتكلَّم في مجالس الحلفاء متوسِّطاً، يتقدَّم في مجال السؤال للضعفاء متوسِّطاً، لسابقة خدمهِ، وباسقة صُنعهِ في بيت الإمامة دون باقي خدَمهِ، ولما تجلَّت بهِ شيمهُ من مآثر، وحلَّت بأدبهِ مما لا يقدر عليهِ مكاثر، حتى كان يناظر جلَّة الفقهاء، وجملة اهل العلم سوى السفهاء. ويفرّس الادباء، ويفرش لواطئهِ الاطبَّاء، ويضرب بقلمهِ عصا ابن البوَّاب، ويُطرف طَرفَ طرفهِ مُقلة ابن مُقلة بفاضل الجلباب، وهو على دينهِ المخالف يكرهُ الصدور، ويجره جرَّة (كذا) البدور »

قال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٥٩): «كان ابن التلميذ جيّد الكتابة يكتبُ خطاً منسوباً وقد رأيتُ كثيراً من خطّهِ وهو في غاية الحسن والصحَّة وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي متبحّراً في اللغة العربية... وكان يترسَّل ولهُ ترسُّل كثير جيّد وقد رأيت لهُ من ذلك مجلداً يحتوي على انشاء ومراسلات...» ثم ذكر (ص ٢٧٦) عدَّة تآليف صنَّفها في الطبّ لا يزال بعضها في خزائن المكاتب الشرقيَّة كاقرابادينهِ ورسالتهِ في الفصد والاقناع والمقرَّبات. وقد وجدنا لهُ في مكتبة الكلدان في دياربكر سنة ١٨٩٥ رسالة لطيفة في اثبات عقائد الدين المسيحي سنعود اليها ان شاء الله. ولهُ الرسالة الأمينيَّة كتبها الى ولدهِ وكان يُعرَف برضى الدولة ابي نصر قال فيه ابن ابي اصيبعة (١: ٢٦٠): «ولم يكن مدركاً لصناعة الطب وكان في سائر احوالهِ بعيداً عمَّا

١) اطالب المشرق ٩[١٩٠٦]: ٧٨١

كان عليهِ والدهُ» وقال (ص ٢٦٤) :

« خلّف ابن التلميذ نساً كثيرة واموالاً جزيلة وكتباً لا نظير لها في الجودة فورث جميع ذلك ولدهُ وبني مدّةً ثم انهُ خُنق في دهليز دارهِ وأُخذ مالهُ ونُقلت كتبهُ على اثني عشر جملاً الى دار المجد بن الصاحب وكان ابن امين الدولة قد اسلم قبل موتهِ»

﴿شعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٥٩) : « ولابن التلميذ شعر مستظرف حسن المعاني إلّا انهُ اكثر ما يوجد لهُ البيتان او الثلثة وانما القصائد فلم اجد لهُ منها الّا القليل » . وقد نظمهُ العماد الاصبهاني في كتابهِ خريدة القصر في جملة الشعراء وقال عنهُ : « كان من اكبر كتّاب النصارى لهُ ابيات افراد كلّها فرائد وكلمات وافية رائقة ، شافية شائقة » وذكرهُ صاحب كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والملوك في طبقات الشعراء (Ms Leid, p. 427) فوصف نظمهُ بقولهِ : « ان شعرهُ كثير المُلَح » ودونك بعض ما وقفنا عليهِ من ذلك نفصّلهُ ابواباً

﴿ لهُ في المديح ﴾ ما كتب بهِ في صدر رسالة الى جمال الدين ابي الفتح بن الفضل ابن صاعد جواباً (من الكامل) :

ما نَشْرُ أنفاسِ الرياضِ مريضةً ... عوّادُها ظِلُّ النَّدى وقطارُ
كفلَتْ بنزوتها مؤبّدةً بها ... وكفى صداها جدولٌ مِدرارُ
بكَتِ السماءُ فأضحكتْها مثلَ ما ... أضحكْ فتضحكُ بي الغداةَ نَوارُ
واذا تُعارضها ذكاءُ تشعشعتْ ... فتمازَجَ النَّوّارُ والنُّوّارُ
مشَتِ الصبا بفروعها مختالةً ... فصبا المشوق وغيرُهُ استعبارُ
واذا تغنّى الطيرُ في ارجائها ... أبدى بلابلَ صدرِها التذكارُ
يوماً بأطيبَ من جِوارِكَ شاهدًا ... او غائباً تدنو بك الاخبارُ

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين (من البسيط) :

لا زال جَدُّكَ بالاقبالِ موصولاً ... وجَدُّ ضِدِّكَ بالاذلالِ مَفلولا

ولا عَدِمْتَ من الرحمانِ مَوْهبةً تُعيد رَبْعَك بالعافين مأهولا
فنعمَ مُنْطلِقُ الكفَّين انت اذا أضحى اللئيمُ عن المعروف مغلولا
تجودُ بالمال لم تسأل يداهُ وإن تُسأل فصاحتُهُ بَذَّ الورى قِيلا
لا يستريحُ الى العِلَّات معتذرًا اذا الضَّنينُ رأى للبُخل تأويلا
يبادر الجودَ سبقاً للسؤال يرى تعجيلَهُ بعد بَذْل الوجه تأجيلا
لاغرو ان كُسِفَت شمسُ الضُّحى وبدت فأكثرَ الناسُ تقبيحًا وتهليلا
فأنت سيفُ غياث الدين أَغْمَدَهُ صَوْناً وعاد على الاعداء مسلولا
فما يليق بغير السَّعْد مُسْنَدُهُ وإن أعاروهُ إعظاماً وتبجيلا
فأسلَم على الدهر في نَعْماء صافيةٍ من النوائب مرهوناً ومأمولا

ومن ظريف قولهِ في شريفٍ كان يتواضع (من الطويل):

تواضعَ كالبَدْر استنارَ لِناظِرٍ على صَفَحات الماء وهو رفيعُ
ومَنْ دونَهُ يسمو الى المجد صاعدًا سموَّ دخانِ النار وهو وَضيعُ

وقال يمدح موفَّق الدين ابا طاهر الحسين بن محمَّد. وكان ابن التلميذ دخل مدينة سارة واشتغل في خزانة كتبها التي اوقفها موفَّق الدين على المدينة (من المنسرح):

وُفِّقتَ للخير اذ عَمَمتَ بهِ طُلَّابَهُ يا موفَّق الدينِ
أزلفتَ للناس جَنَّةً جمعتْ عيونَ فضلٍ أشهى من العينِ
فيها ثمارُ العقولِ دانيةٌ قُطوفُها حُلوةُ الأفانينِ
لا زلتَ تسمُو بكلِّ صالحةٍ بمُسْعِدَيْ قدرةٍ وتمكينِ
ويرحمُ اللهُ كلَّ مستمعٍ مُشيعٍ دعوتي بتأمينِ

ولهُ ﴿في الشكر والتهاني والهدايا﴾ قال يشكر مستوفي الممالك العزيز ابا نصر ابن حامد (من الطويل) :

لَعَمْرُ ابيكَ الخير ليس بواحدٍ من الناس إلّا حامداً لابن حامد
كأنهمُ دانوا الإلهَ بشكرهم عُلاهُ ولكن لا كشكرِ ابنِ صاعدِ
همُ خبَّروا عنهُ فأثنوا بصالحٍ وعندي بما أثنيتُ خيرَ المشاهدِ

ومن تهانئهِ يهنئ بخلعةٍ (من الوافر) :

لئنْ شرُفتْ مناسبُها وجلَّتْ لقد زُفَّتْ الى كفءٍ شريفِ
الى من زانها وأزدان منها كسالفةِ المليحة والشُّنوفِ

واهدى الوزيرَ ابن صَدَقة كتاب المحاضرات للراغب وكتب معهُ (من الكامل) :

لمَّا تعذَّر ان اكونَ ملازماً لجنابِ مولانا الوزير الصاحبِ
ورغبتُ في ذكري بحضرة مجدهِ أذكرتُهُ بمحاضرات الراغبِ

وكان ابو القاسم بن الفضل عتب على ابن التلميذ في امرٍ فاجابهُ خالعاً عليهِ قميصاً معسّاً اسود وكان السواد من اعلام الدولة العبّاسيّة (من الطويل) :

حُبِيتَ في السوداء تسحبُ ذيلَها خطيباً ولكن لا بذكر مثالبي

وقال ايضاً يسترضيهِ (من الطويل) :

اتاني كتابٌ لم يزِدْني بصيرةً بسؤددِ مُهديها اليَّ وفضلهِ
فقلتُ وقد أخجلتني بابتدائهِ أبى الفضلُ إلّا ان يكون لاهلهِ

ولهُ ﴿في الرثاء﴾ قال في رئيس مات في يوم ممطر (من الكامل) :

كم ذا الوقوفُ على غُرورِ أماني ... أأخذتَ من دنياكَ عِقْدَ أمانِ
هل عيشةٌ بعد الرضا مَرْضيّةٌ ... كلّا ولو كانت خلودَ جِنانِ
انّ السماءَ بفقدهِ لحزينةٌ ... فرياحُها نَفَسُ الكئيبِ العاني
الغيثُ أدمعُها وما برقتْ به ... نارُ الجوى والرّعدُ للإرنانِ (١
لو ذاق فَقْدَكَ مَنْ يلوم على البكا ... لَزَرى على التّنسيم (٢ والسُّلوانِ
تبكيكَ اذ صلّوا عليكَ ولم تزلْ ... كالنّجم تُهديها بكلّ مكانِ
لا يبعدنْكَ وما البعيدُ بمن نأى ... حيًّا ولكنّ البعيدَ الداني

وقال يرثي صاحب الحلّة الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس لمّا قُتل سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م) في واقعة كانت بينهُ وبين عسكر السلطان محمّد شاه. وكان هذا الامير على ما وصفهُ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (éd. Popper, vol. 2 p.351) كريماً عفيفاً عن الفواحش وكانت دارهُ ببغداد حَرَماً للخائفين ولم يتزوّج غير امرأة واحدة وكانت سيرتهُ مشكورة وخصائلهُ محمودة ان سلم من مذهب اهل الحلّة فان اباهُ كان من كبار الرافضة. وهذا رثاء امين الدولة فيه (من الطويل):

نِيبُكِ ابنَ منصورٍ عُفاةُ نوالهِ ... اذا عصفتْ بالريحِ نكباءُ حرجفُ
ويذكرُهم مَنْ ردّهم بعبوسهِ ... فتًى كان يلقاهم ببِشرٍ ويُسعِفُ
ولمّا سما فوق السماءِ بهمّةٍ (٣ ... يغضُّ لها طَرْفَ الحسودِ ويُطرِفُ
رمَتْهُ الليالي بل رمَتْها برُزْئهِ ... كبدرِ الدُّجى في ليلةِ التمّ يُخسَفُ
عليكَ سلامٌ لا تزالُ قلوبنا ... على حَزَنٍ ما هبّتِ النّبُ (٤ توقفُ
ولا برِحتْ عينُ السّماءِ بوَبْلها ... على جَدَثٍ واراكَ تَهمي وتَذرِفُ

(له بقيّة)

١) ويروى: للاحزانِ ٢) ويروى: على التنسيم
٣) ويروى: رقا وسما فوق السماء بهمّةٍ ٤) ويروى: النبتُ

على طريق الجلجلة

رواية معرّبة يتصرف عن الروائي البولوني الشهير هنري شبانكيافتش نستعيرها من مجلة رسالة قلب يسوع بنسبة جمعة الآلام وقيامة السيّد المسيح . وتاريخ الرواية في ربيع السنة ٣٣ للميلاد

بقلم الاب رفائيل غله اليسوعي

كان كايوس سِنّا (Caius Cinna) من احدى اشرف العائلات الرومانية قضى شبابه في الحروب واذ عاد الى رومية مكّنته ثروته الطائلة من قضاء وقته في الالعاب والمآدب وانواع الملذّات حلالاً كانت ام حراماً . كنت ترى على مائدته اجود الخمور والذّ اسماك البحر المتوسط لكنه لم يشبع من التمتع بالماديّات بل كان مُغرماً بالفنون الجميلة والعلوم والفلسفة . خلاصة القول انه كان يحبّ كل شيء ما عدا السياسة وذلك دليل على حكمة سامية وخيرُ الوسائط ليعيش الانسان عيشة هادئة هنيئة

كان يُحبّ الجدال في الاديان الشتى مع انه لا يؤمن بواحد منها ، لا يكرّم الآلهة ولا يؤمن بالفضيلة والحقيقة والسعادة الخالدة فيحصر كل مطامعه في التمتّع بالحياة الحاضرة . مع ذلك كان مولعاً بالخرافات مشغوفاً بالنبوآت والعلوم السرّية وروايات الشرق الغريبة المدهشة ويميل كل الميل لمعرفة كل ما يختصّ بالتفاؤل وظهور الموتى والاشباح .

على ان انهماكه هذا في طلب الملاذ العقلية والجسدية لم يدُم طويلاً اذ اضاع ماله . فاصابه سأم شديد حاول معالجته بالتعمق في درس الفلسفة لكنها عجزت عن ان تفسّر له اسرار الحياة : «لماذا انا في هذا العالم ؟ من اين اتيت ؟ الى اين اذهب ؟» ، هذه اسئلة لا تُجيب عليها الفلسفة الوثنية مهما تقصّت في البحث عنها

سافر كايوس الى الاسكندرية ليتقلّد وظيفة مهمة ، تمكّنه من استعادة ثروته المفقودة . وهناك عاشر الحكماء لعلّهم يوضحون له مشاكل العيش الغامضة ولكن هيهات ! زاد شكه واضطرابه والم نفسه ففكّر في الانتحار لكنه حام حاماً هائلاً

رأى نفسه فيه بعد عبوره نهر الاموات في قبضة عبد مُخيف الصورة قال له : «انت اسيري الى الابد !» فأفاق من النوم مذعوراً وآمن المرة الاولى بوجود حياة ابدية بعد هذه الحياة الفانية ثم جعل يستفهم العلماء بهذا الشأن . وكان من اشهرهم في الاسكندرية تيمون الاثيني وقد وقف على كل اسرار الكهنة المصريين وقرأ مخطوطات كل المكاتب فتقرّب اليه كايوس وبعد مدّة صارا صديقين حميمين

في ذات مساء كانا يتبادلان آراءهما في خلود النفس وهما على سطح بشاطئ المتوسط . كان تيمون يُجيل نظره في رحابة البحر المتعكسة عليه اشعّة القمر فأرى كايوس طيوراً تشقّ الجوّ وسأله :

أتعرف ما تطلبه تلك الخلائق المجنّحة الظريفة التي تأتينا في الشتاء من الاقطار الشماليّة ؟

قال كايوس : انها تطلب هنا الحرارة والنور

— هكذا النفس فهي تسعى وراء الحرارة اعني الحبّ والنور لتفوز بالحقيقة . بيد ان الطيور تعرف الى اي بلد يلزم اتجاهها اما الانسان فلا يعرف ولذلك تتألم نفسنا وتطلب السلام سُدًى . توهمتُ زمناً ان الفلسفة تمنحني هذا السلام فرأيت حكماء اثينة وعلماءها يزرعون في القلوب الشكّ والاضطراب . على اني معتقد بوجود طريق يؤدي الى الحقيقة

— هل اكتشفته ؟

قال تيمون : اني لا ازال ابحث عنه . لقد طلبته انت سُدًى من الذهب والملاذ التي أبعدتك عنهُ . كنتُ اقول لك ان عبدة الآلهة يمكنهم ان يكتشفوه لكني رأيت الذين يقدّمون الضحايا في رومية لجوبتر وللزُهرة يجهلون غاية الحياة . في مصر حيث التعبُّد للسنانير وللبقر شديد الانتشار لم أدرك راحة النفس ولا احد يجيبني حين اسأل هل عيشتنا على الارض جديرة بان نعيشها والى اين يقودنا الموت ؟

— وما الفرق بينك انت المدّعي الحكمة وبين الكفّار الذين لا يؤمنون بشيء ؟

— هم سعداء في ظلماتهم او على الاقلّ يتظاهرون بالسعادة . اما انا فاتألم من ظلمات نفسي وذلك دليل جليّ على وجود النور الذي اتوق اليه اشدّ التوق

قال كايوس : من اين يأتي ؟

— سيأتي مع الخلاص بواسطة وحي جديد لا تزال نجهله.

من ذلك اليوم فصاعداً شعر كايوس بانه ليس منفرداً يحمل عبء تلك الاسرار الغامضة والشكوك الاليمة فتعزّى بمشاركة تيمون له في تلك الاوجاع الروحيّة فتوثّقت عُرى المودّة بينهما يوماً عن يوم

كان لتيمون بنتٌ غنيّة بالعلم والجمال اسمها أنتيّة (Antée) ربّاها احسن تربية ودرّسها اشهر اللغات فضلاً عن الجبر والهندسة والخطابة والفلسفة. كانت واقفة على اسرار الكهنة المصريين وقد رأت بعض الرؤى وحلمت بعض الاحلام النبويّة. لذلك كان ابوها لا يكتفي بحبّها بل يوقّرها كل التوقير معتبراً اياها نبيّةً لا تمسّ الارض الّا بطرَفي رجليها وكأنها عائشة في محيط سماوي. وكان في بعض الاحيان يتأمل فيها منغّص القلب ويسأل نفسه أليست اميال ابنته الى ما فوق الطبيعة دليلاً على مفاجأة الموت لها قبل اوانه

حالما عرف كايوس تلك الفتاة الفريدة الخصال وبنت اعزّ اصدقائه احبّها حبّاً شديداً وخطبها الى ابيها ثم تزوّج بها فعدّ ذاته من تلك الساعة اسعد مَن اظلّتهم السماء

مرّ عام على هذا الزواج الميمون وكان كايوس يبجّل امرأته اعظم التبجيل لكنها أُصيبت بمرض عُضال. تحوّلت الرؤى السماوية التي رأتها قبلاً الى كابوس مُريع جفّف في جسمها النضير ينابيع الحياة. ما كانت الشمس كل مساء تغيب وراء الافق حتى تسمع تلك التاعسة ضجّة غريبة ثم ترى رأس ميتٍ مخيف شاحب تحدّق عيناه السوداوان الحادّتان اليها تحديق التهديد. يا لهول تلك الرؤيا! انتيّة التي لُقّبت بزهرة البدر اشارةً الى نضارة محيّاها وجمالها الفتّان نحفت نحافةً رائعة وظهرت من وراء بشرتها عظامُ صدرها ويديها. ثم لاحظوا ان سِرْباً من البيزان — وهي طيور مشؤومة عند الرومان — كانت تطير على الدوام حول دارها. كل مساء كانت رؤيا رأس الميت تتجدّد فتصاب انتيّة بحمّى شديدة ويتصبب العرق على جبينها المصفرّ اصفرار المنازعين. وهي التي اشتهرت قبلاً برزانتها وكمال عقلها ما كانت اوانئذٍ تتمالك ان تُلقي بذاتها مثل طفلة هيّابة بين ذراعي زوجها هاتفةً هتاف الذُعر: «كايوس استحلفك ان تخلّصني!»

فكان كايوس يدير نظره في كل انحاء الغرفة ، ويفتش في كل الزوايا وراء الاستار وخلف الامتعة فيؤكد لامرأته العزيزة ان جميع ما رأته هو اضغاث احلام فلا تصدقه البتّة . فحاول في الايام التالية ان يُسكت بالنغمات الموسيقية المطربة اصوات الاشباح فلم ينجح . وكانت زوجته تقول له ان رأس الميت يُحرّك بعض الاحيان شفتيه كأنهُ يقول لها : « اتبعيني ! »

استدعى كايوس اشهر الاطباء لكن بدون جدوى . قال له احدهم : ان الساحرة هيكاتة (Hécate) هي التي تظهر لانتية وان ذلك دليل على موت امرأته لا محالة . فبلغ يأس تلك الزوجة التقية الى حد كونها توسّلت الى كايوس ان يقتلها فينقذها فوراً من آلامها النادحة لكن حبه المضطرم لها كان يحول دون مدّ يده الى حياتها . وكان قبل ميعاد ظهور رأس الميت في كل مساء يغطي وجهها بلثام كثيف فلا يمنع الرؤيا بل كان هذا الرأس المُرعب يظهر في الظلام الحالك بجلاء كظهوره بين اسطع المصابيح

نقل كايوس امرأته المحبوبة الى بريّة خصبة جميلة في قرب الاهرام المشهورة فذهبت كل اتعابه ادراج الرياح . اخيراً استشار طبيباً يهودياً اسمه يوسف فانكر كل الانكار كون رأس الميت هو الساحرة هيكاتة وصرّح بان انتية قد تخبّطها شيطان . فوصف لها سكنى اورشليم قائلاً : « ان الابالسة هناك اقلّ مقدرةً في ايذاء البشر منهم في سائر المدُن وأنّ تلك البلدة فضلاً عن ذلك نقيّة الهواء كثيرة الملاهي » . كان كايوس يعرف حاكم اورشليم بيلاطس البنطي كل المعرفة ، فكتب اليه ملتمساً منه ان يستأجر له قصراً جميلاً ، ففعل

انتقل كايوس مع امرأته الى ذلك البيت الملوكي ولكن . . . اوّاه ! في اول ليلة قضياها بين جدرانه ظهر رأس الميت ، اهولَ منه في ما سبق ! فبلغ منها اليأس اقصى حدوده

كان في ساحة هذا القصر المبلّطة بالمرمر الفاخر حوضُ ماء دائم الخرير وبجواره شجرة جوز ممتدّة الفروع في ظلّها الوارف كان كايوس ينقل في النهار فراش امرأته ويجلس ساعات طويلة بجانبها مداعباً باصابعه يديها الناحلتين . فسألها يوماً بفائق الحنوّ :

كيف حالكِ اليوم يا حبيبتي ؟

قالت : تحسّنت يسيراً

عندئذ مرّ نسيمٌ عليل تحت الاغصان فتنفّست انتيّة تنفساً طويلاً منعشاً . وبعد هنيهة سكوت ، فتحت عينيها وقالت بصوت ضعيف :

كايوس ، أصحيحٌ ان في هذه البلاد رجلاً اسمه يسوع يشفي آلافاً من المصابين بكل انواع الامراض ؟

— نعم . سمعتُ اليهود يتكلمون عنه ويسمّونه نبيّاً . لكني اظنّه نبيّاً كاذباً بدليل كونه جدّف على هيكل اورشليم وكذّب تعاليم الكهنة فحكم عليه بالصلب صديقُنا بيلاطس . واليومَ ميعاد صلبه

بعد هذا الكلام هزّت انتيّة رأسها بحزن وقد خاب املها بان يشفيها يسوع صانع المعجزات . فعزّاها زوجها قائلاً : «توالي الايام يشفيك بلا شكّ» . فاجابته : «بل انه يقودني الى حفرة القبر» . وبعد سكوت طويل سمعا وَقع اقدام فازداد وجه المريضة شحوباً وقد ايقنت بانّ اوان ظهور رأس الميّت قد وافى . صحوباً كالعادة بموكب من الاهوال ! فسكّن كايوس روعها بقوله : «لا تفزعي يا عزيزتي . لعلّ هذا الزائر هو بيلاطس البنطي»

كان كذلك ودخل بيلاطس يتقدمه عبدان وهو شابٌ امرد عليه ملامح الرزانة والجلال تمازجها مسحة من الكدر . فجلس على صخرة في ظلّ الجوزة وقال :

السلام عليكما . ليت الصحّة تزهر في خدّي انتيّة إزهار شجر التفاح في بستانكما ، لكنّ العزلة أمّ الضجر لذلك اشير عليكما بطلب الملاهي . ليس لنا في اورشليم مسرح ولا ملعب لكني اقترح عليكما حضور مشهد غريب في هذا اليوم الذي يصلب فيه بقنة الجلجلة ثلاثة من كبار المجرمين . فان راق لكما اقتراحي هيّأتُ لكما كرسيَّين بجوار محلّ مرور الموكب كي تتمتعا بكل تفاصيل ذلك المشهد النادر . واحدٌ من المصلوبين هو رجل عجيب ادّعى انه ابن الله يشبه الحمَل بوداعته وفي الحقيقة لم يفعل شيئاً يستحق الموت صلباً

قال كايوس : هل حكمتَ عليه بالصلب ؟

— كان يودّي ان ابرّئ ساحته لكني كنت اعرّض نفسي بذلك لأعظم الشرور حيث يشكوني اليهود الى القيصر طيباريوس المشهور بقساوته الوحشية

فقاطعته انتيّة بقولها : « كل ذلك لن يُنقص عذاب البارّ يسوع ! »

— وان يكن يسوع الناصري غير مُجرم فليس احد على الارض بدون خطيئة لذلك لا اندم كثيرًا لكوني حكمتُ عليه بالصلب . وعلى كل حال فان تعليمه خارج عن حدود العقل البشري فكان الاحرى به ان يحفظ لنفسه افكاره الغريبة بدلًا من ان يُفسد الشعب ويهيّجه بها . فمن اضاليله مثلًا قوله انه يجب علينا ان نحبّ كل البشر على السواء اليهوديّ كالروماني والروماني كالمصري فاين هذا من الصواب ؟ وفضلًا عن ذلك اني لم أُلحق به ادنى ضرر باسلامه للموت حيث تنبأ بانه يقوم من بين الاموات

حينذاك حملق كايوس وامرأته حملقة الدهش وقالا بصوت واحد : « سيقوم ! أيمكن ذلك ؟ »

— نعم ثلاثة ايام بعد موته بحسب قول تلاميذه . فقد نسيتُ ان استفهمه بهذا الشأن . مهما يكن من امر قيامته فاني ما آذيتهُ بصلبه حيث علّم البشر انّ الصالحين يعيشون بعد الموت عيشة سعيدة ابدية . ملخّص كل تعليمه المحبة المحبة ثم المحبة !

انتيّة : ما اجمل هذا التعليم !

كايوس : هل طلب اليهود صَلب مَن علّم هذه المحبة السامية ؟

بيلاطس : لا بدع ، فانّ نفس هذا الشعب مطبوعة على البغض !

انتيّة : لله درّ يسوع ! هو موقنٌ بحصوله بعد الموت على السعادة الابديّة ولذلك فهو يهزأ بالعذاب والصليب ! عزيزي كايوس ما اجمل هذه العقيدة ! ممّن تعلّمها يسوع ؟

بيلاطس : من ابي البشر ، الاله الساكن في اعالي السموات

حينئذٍ حاولت انتيّة رفع جسمها عن الفراش قائلةً لكايوس : « لنذهب الى الطريق الذي سيمرّ به يسوع صاعدًا الى الجلجلة »

بيلاطس : اذًا عجلا . ألا تسمعان هذا الدويّ في وسط المدينة ؟ ان موكب المصلوبين الثلاثة ينطلق الآن

ركب كايوس وامرأته مَحمِلًا وسارا في الشوارع وقد امر بيلاطس بعض الجنود الرومان بتقدّمها كي يُبعدوا كل الموانع في الطريق فوصلا الى محلّ عالٍ جلسا فيه

منتظرين مرور الموكب الهائل. في تلك الاثناء كانت انتيّة تراجع في ذهنها كل ما سمعته بشأن تعليم يسوع ذلك التعليم الشريف السامي الذي اعتبرته كينبوع الشجاعة والرجاء والتعزية. كانت موقنة بقرب موتها وكانت تزعم الموت انفصالاً ابديا عن زوجها المحبوب وعن والدها وعن ماها وعن كل ما تحبه في العالم. كان الموت في نظرها هاوية مظلمة بدون قمر! وها انها سمعت صوتاً جديداً صوت يسوع الناصري يقول ان الموت وإن سلبها بعض الخيرات الفانية يمنحها الخيرات الابدية! هذا الرجل لم يكن الكذب من مصلحته فانه احتقر كل الارضيات: وُلد فقيراً عاش فقيراً مات فقيراً. اذاً كلامه صدقٌ محض! قال ان الموت هو خاتمة عذاباتنا الدنيويّة والانتقال من الشرور الزائلة الى الخيرات الدائمة. كانت انتيّة تفهم كل ما انطوت عليه عقيدة القيامة من العذوبة والفرح ولذلك تشبّثت بهذا التعليم بكل قوى ذهنها وقلبها. كانت تتذكر قول ابيها وقد اعاده عليها مراراً: «سيأتي تعليم جديد يُنير العالم!» ولم يبعُد عن فكرها ان يسوع الناصري المقود الى الصّلب هو استاذ هذا التعليم المنتظَر منذ اقدم العصور

مرور موكب المجرمين الثلاثة انتشلها من لجة تأملاتها العميقة فرأتهم مُحاطين بالجنود وكلٌّ منهم حاملٌ على ظهره صليباً ثقيلاً. كانت سيماء المتطرّفين منهم تدلّ على النذالة والخيانة امّا الاوسط فعلى وجهه الشاحب والملطّخ بالدم مسحة جمال سماويّ. حول جبينه تاجٌ من الاشواك وعيناه الملوّنتان بوداعة لامتناهية كانتا تنظران بحزن شديد الى الجموع المنهالة عليه باقبح الشتائم. فتأثرت انتيّة من منظره كل التأثر وهمّت: «هذا هو الحقيقة الحيّة!»

دار الموكب دورةً ثم اعاد مروره امام انتيّة. في تلك الاثناء جاء اليها رجل حقير الثياب قد اغرورقت عيناه بالدموع وقال لها: «كنت مخلّعاً فشفاني يسوع ومع ذلك حكموا عليه بالموت!» عند هذا الخبر زاد وجهها شحوباً فشابه لونَ لثامها. وحين عبر يسوع ثانيةً امامها نسيت انها لم تقُم من سريرها منذ شهور فنهضت لشدّة اغتياظها من صيحات الجماهير ضدّ النبي العظيم وقطفت بعضَ زهور التفاح المزيّن بها محملها ورمتها عند قدمي يسوع صائحةً بل صوتها الضعيف: «انت الحقيقة الحيّة والمُحيية!» وكان صوتها اول صوت وحمة صعد من تلك الجموع!

فرفع يسوع نظره الى المريضة كانه يريد ان يبارك عليها وكانت قد ارتمت على وسادتها لكنها شعرت بسيل من النور والقوة والشجاعة فسالت السكينة والتسليم فجأةً في اعماق نفسها !

ألحّ عليها زوجها لتعود الى القصر فأبت وبقيت تنظر عن بعد كل تفاصيل الصلب الرائعة . رأت الجنود يمرّون يسوع عن ثيابه والجماهير تصيح به : «ايها الملك الكاذب دافع عن ذاتك اين جنودك ؟» ثم رأت يديه ورجليه مثقوبةً بالمسامير الطويلة الخشنة وصليبه مرفوعاً بين صليبَي رفيقيه اللصّين

ثم استترت السماء بالغيوم وامتدّ الظلام على الارض بكسوف الشمس على غير اوانه . عندئذٍ انتثرت الجموع المحتشدة على قمة الجلجلة ، ولم يبقَ في جوار يسوع المصلوب سوى بعض النساء قائلاتٍ بلهجة الخوف والاسف الشديدين : «صلب اليهود يسوع البارّ !» ثم لاح برقٌ رأت انتيّة في نوره رأس يسوع قد انحنى الى صدره وجفناه مُطبقان وشفتاه مزرقّتان تتنهدت قائلةً : «مات مات هذا المعلّم السامي !»

اخيراً عادت مع زوجها الى القصر وقد اظلمت السماء فالتزما باشعال المصابيح ليسيرا بامان في ازقة اورشليم الضيّقة الملتوية . فوصلا الى مسكنهما في المساء وكانت هذه اول ليلة لم ترَ فيها انتيّة رأس الميّت وكل ما يصحبها من الاهوال . كذلك لم ترَه في الايام الثلاثة التالية فلما جاء والدها تيمون من الاسكندرية لزيارتها تعجّب من نضارة خدّيها فعاد الرجاء الى قلبه كما عاد الى قلبها . كانت هذه الايام الثلاثة حالكة محزنة لأنّ الشمس لم تلُح من كثافة الغيوم

في الليلة الثالثة كانت انتيّة ووالدها وزوجها في ساحة القصر تحت الجوزة الكبيرة . فبقوا حيناً ساكتين يتذوّقون سعادة اجتماع شملهم بعد تفرّقه الطويل والنسيم الطائر اليهم من البحر المتوسط يرطّب الهواء ترطيباً لذيذاً . فكانت انتيّة المتكئة على وسائد الارجوان تتنشّقه بملء رئتيها وهي مغمضةٌ عينيها وتُصعد من اعماق صدرها بعض الزفرات المسموعة وكان ابوها وزوجها يلاحظانها صامتَين . حينذاك شعر كايوس شعوراً غريباً بان امرأته قد شُفيت ومع انه لم يكن مؤمناً ركع على الارض بجانب سريرها ليشكر الآلهة

واذ رفع رأسه كانت ظلال المساء تنحدر الى الافق البعيد ، كانت الساعة المشؤومة

ساعة الرؤى والكوابيس . لكنْ انتبَهَ فتحت فجأةً عينيها وصرخت نحوه بلهجة غريبة : « كايوس مُدَّ اليَّ يدك . » فنهض فورًا وكأنَّ دمه قد جمد بعروقه . فقالت له وعيناها تكادان تخرجان من محجريهما : « ألا ترى هذا الضياء المتقرّب مني ؟ » فاجابها : « اتوسل اليك ان تُغمضي عينيك ولا تنظري شيئاً ! » ثم تفرّس في وجهها فلم يرَ ادنى علامة رُعب بل كان منوّرًا بنور سماوي والشفتان منفرجتان قليلًا وعلى الخدّين دلائل فرح غير محدود . تمتمت امرأته : « الرؤيا تدنو اليَّ ! ها هي اراها جليًّا ! هذا هو يسوع الناصري يمدّ اليَّ يديه الباقي فيهما ثُقبا المسامير . ما اجمله ! ما ارحمه ! كايوس انه يمنحني الشفاء ! يمنحني الشفاء ويدعوني الى السماء ! »

بعد هذه الكلمات اسلمت روحها بجانب زوجها وقد شحب وجهه كلَّ الشحوب وقال بصوتٍ خنقته الدموع : « انا ايضاً سأتبع مثلك ! يسوع المسيح فهو وحده يستطيع ان يمنحني الحياة الابدية السعيدة ! » ثم سمع خطوات متدانية واذا صديقه بيلاطس راكضٌ يلهث ويمسح العرق من جبينه ويقول بلهجة التأثر الشديد : « في هذا الصباح قام يسوعُ من قبره وقد انتشر هذا الخبر في كل اورشليم ! »

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : ابحث الحادي عشر

بيروت في عهد الشهابيين الى موت الجزّار (١٧١١—١٨٠٦)

تتبّعنا اخبار بيروت حتى اوائل عهد الشهابيين الى موقعة عين دارة التي فيها تمّ

الفوز للامير حيدر الشهابي ودارت الدورة على الحزب اليمني بتغلب الحزب القيسي وسقوط بيت علم الدين الذين قُتل منهم خمسة امراء في عين دارة كانوا كالعتبة الكؤود في سبيل سلام لبنان وكشجاً في حلقهِ لم يُنتزَع وتوطيداً لهذا السلام اقتسم الامير حيدر مقاطعات لبنان بين مناصريهِ القيسيّين فولّى الامراء اللمعيّين على المتن والتلحوقيين على الغرب الاعلى والنكديين على الناعمة وآل القاضي على جزين واطلق على كل هؤلاء اسم المشايخ . وخُذل بانتصار القيسيين ولاة الدولة التركية الذين كانوا في جانب اليمنيّين وعادوا الى مراكز ولايتهم في دمشق وصيداء وطرابلس

حكم الامير حيدر على الشوف وبيروت وسواحل لبنان وابتنى لهُ قصراً في بيت الدين . وقد شكر الناسُ عدلهُ وخافهُ اعداؤهُ لاسيما بعد انتصارهِ على مشايخ المتاولة سنة ١٧١٨ . وفي السنة ١٧٢٩ اعتزل عن الحكم منيباً عنهُ ابنهُ الامير ملحم الذي خلفهُ بعد وفاتهِ سنة ١٧٣٠ وجرى على آثار ابيهِ بحسن تدبيرهِ وبسأسهِ وشدّة بطشه بن يخالفهُ فكان لا يعفو عن ذنب وهو الذي غلب والي دمشق اسعد باشا العظم وضمّ بعلبك الى ولايتهِ . ولمّا رأى ما يثيرهُ اللبنانيُّون من الفتن عدل الى سياسة تقسيم كلمتهم . وظهر وقتئذٍ الحزبان الشهيران اليزبكي كان زعيمهُ عبد السلام العماد ابن يزبك والجنبلاطي يرئسهُ الشيخ علي جنبلاط . وفي زمنهِ انقضّت صاعقة على قلعة بيروت فخربت جانباً منها فاصلحهُ الامير

وفي السنة ١٧٥٤ تنزّل الامير ملحم عن ولاية البلاد لاخوَيهِ الاميرين احمد ومنصور وسكن بيروت الى سنة وفاتهِ ١٧٥٩ . فحكم الاخوان مشتركين الى السنة ١٧٦٢ ثمّ وقع بينهما خلاف أدّى الى حرب انتصر فيها الامير منصور فاستقلّ بالحكم الى السنة ١٧٧٠ . وفيها رأى ان الامير يوسف ابن اخيهِ ملحم كان قد شبّ وقويت شوكتهُ وحاول وضع يده على ولاية والدهِ فسبقهُ الامير منصور نجاةً من صولتهِ وتخلّى لهُ عن الحكم امام اعيان البلاد في الباروك وتوطّن هو بيروت الى ان مات فيها حتف انفهِ سنة ١٧٧٤

حكم الامير يوسف ابن ملحم على لبنان وبيروت ثماني عشرة سنة قضاها بضروب المحن فحارب المتاولة في جبل عامل وانتصر عليهم بيد كاخيتهِ الشيخ سعد الخوري . ثمّ اثار عليهِ الفتن اخواهُ سيد احمد وفندي وخالهُ اسمعيل ففتك بهم

ومن قضى عليه محاربته ظاهر العمر وكان هذا شيخاً عربياً من قبيلة بني زيدان الساكنة في فلسطين وكان ابوه عمر عاملاً في اول الامر للامير الشهابي بشير الاول فخدمه بمراقبة الشيعيين في صفد وبلاد بشارة واشتهر بنشاطه وشجاعته وشدة شكيمته وكان يحسن المعاملة الى النصارى واستعان في خدمته بابراهيم الصباغ . ولما توفي الامير بشير سيده استقل بالامر ووسع نطاق حكمه ثم قام ابنه ظاهر بعده فساعده الزمان فدخل عكا، وانقذها من ظلم الاتراك وبلغ حدود ولايته الى يافا جنوباً وحينا شمالاً وهو يؤدي للدولة الضرائب المطلوبة فتغض الطرف عنه حتى جرى بينه وبين ولاتها نفور . وكان الامير علي بك في تلك الاثناء قد استفحل امره في الصعيد فاراد ان يملك على سوريا اذ رأى ضعف الدولة التركية وانشغالها بمحاربة الدولة المسكوبية وحالفه الشيخ ظاهر العمر وعشيرته فأمده علي بك بجيش يرئسه مملوكه محمد بك ابو الذهب فخان هذا سيده ورجع الى مصر . فقام علي بك بنفسه وقدم الشام وحارب مع الشيخ ظاهر الاتراك وكان يعضدهم الامير يوسف فانتصر عليهم المصريون في واقعتين سنة ١٧٧١ . ثم ارسل علي بك يطلب من الدولة الروسية ان تساعده على الدولة العثمانية فتقدمت مراكبهم الى صيداء وعضدوا المصريين في انتصارهم على العثمانيين ثم ساروا الى بيروت فضربوها ولم يبتعدوا عنها الا بعد ان دفع الامير يوسف ٢٥،٠٠٠ ريال للاميرال سبنكوف . اما ظاهر العمر فانتهز تلك الفرصة ليبسط حكمه على معظم بلاد فلسطين . ثم ساءت اموره بعد مدة برجوع علي بك الى مصر وقتله مسماً بدسائس مملوكه السابق ابي الذهب ثم بتحول احد ابنائه عنه وعودة ابي الذهب الى الشام مشتركاً مع الاتراك لمحاربته ففتحوا اولاً صيداء ثم حاصروا الشيخ في عكا فامتنع عنهم حيناً حتى أطلق عليه احد جنوده رصاصة أودت بحياته في اواسط آب سنة ١٧٧٥

وما كاد ينجو الامير يوسف من عدوه الشيخ ظاهر العمر حتى وقع في ايدي عدو آخر ألد واظلم منه اعني به احمد باشا الجزار والي صيداء وعكا . وكان هذا اصله من بلاد البشناق يخدم كمملوك بعض امراء مصر فأتى بآثام شتى ثم فر هارباً والتجأ الى الامير يوسف الشهابي فأكرمه وأمنه لكنه ارتد على المحسن اليه ولاذ بضروب المكر والخداع الى ان تولى على صيداء وحارب الامير يوسف وتحصن في بيروت

ضدّهُ فاضطرَّ الامير الى ان يلتجئ الى الدولة المسكوبيّة بواسطة الشيخ ظاهر العمر صديقها وكان الشيخ وقتئذٍ في عزّ ولايتهِ فاصطلح مع الامير يوسف خوفاً على مدينتهِ صيداء واستدعى الروس ليُخرجوا الجزّار من بيروت قهرًا فاتت سفن مسكوبيّة الى مرفأ بيروت وضربت المدينة بدافعها ونزل من جنودهم قوم حاصروا المدينة وخرّبوا ابراجها ولم يزالوا يضايقونها برًّا وبحرًا مدّة اربعة اشهر الى ان نفد الزاد وبأنت المجاعة الاهلين الى اسوإ حال . فاضطرَّ الجزّار الى ان يطلب الامان على شرط ان يخرج من المدينة سالمًا مع أتباعهِ . ودفع الامير يوسف ثلاثمائة الف غرش الى الاميرال المسكوبي كما كان وعدهُ

على ان احمد الجزّار عاد بدهائهِ وعزّز مقامهُ واستولى بعد وفاة ظاهر العمر على صيداء وعكّا واجترح من ضروب الجنايات ما لا يحصيهِ قلم فكان لا يوقنهُ ضمير ولا يعبأ بسلطان بل قرّبتهُ الدولة العثمانيّة لبلوغ مآربها وقلّدتهُ رتبة الوزارة فطغى وبغى وجيّش الجيوش وحارب ولاة دمشق وطرابلس وامراء لبنان واستولى على سواحل الشام وغرّم الامير يوسف مبالغَ طائلة فذاق منهُ الامرّين

وكان الجزّار انتقل الى عكّا فجعلها من أحصن مدن الشام ولا تزال بقاياها الى اليوم تُشعر بحرازتها وعمّر لهُ اسطولًا لحراستها . ثم تولّى على دمشق غير مرّة وتقلّد ادارة الحجّ وقاتل الاعراب في فلسطين والمتاولة في جبل عامل . وهو في كل تصرُّفهِ يقترف من الفظائع ما ترتجف لهُ الفرائص فاستحقّ بكل صواب اسم الجزّار . هذا فضلًا عن مطامعهِ الاشعبيّة وحرصهِ على جمع الذهب بكل طرائق الحرام كالضرائب الباهظة واستيفاء اموال الناس وبحكمهِ عليهم بالعذابات المهلكة دون ان يراعي لاحد حقًّا حتى انهُ نفى لتجّار الفرنج من صيداء وبيروت

وحصلت عدّة فتن ومشاغب لخلع نير الجزّار إلّا انّهُ كان بدهائهِ لا يلبث ان يخمد نارها وينتقم من اصحابها . وكان الامير يوسف عضّد بعض هذه الثورات فلم يفلح واضحت سبب انقلابهِ وسقوطهِ سنة ١٧٨٨ وتولية الامير بشير ابن الامير قاسم المعروف ببشير الثاني او الكبير في مكانهِ . ثم امره بطاردة الامير يوسف فأخرجهُ من لبنان . وبعد مدّة عاد الامير يوسف وطلب الامان من الجزّار فأمّنهُ واستقدمهُ اليهِ ثمَّ غدر بهِ وبكاخيتهِ الشيخ غندور الخوري فشنقهما سنة ١٧٩٠

قضى الامير بشير في ولاية لبنان مدّة بضع سنين (١٧٨٨ــ١٧٩٢) تحت نير احمد الجزّار وقد استحقّ اسم الكبير بما قصده وسعى الى تحقيقه من تحسين احوال الجبل وبسط الامان في انحائه وتنشيط اموره الاقتصاديّة إلّا انّ جشع الجزّار والحاحه على الامير بشير بجمع المال دفعاه الى وضع الضرائب الزائدة على اللبنانيين فناءت تحتها كواهلهم وعدلوا الى الثورة بينهم الامراء الشهابيون فاضطرّ الامير بشير الى ان يتخلّى عن الولاية لسلاميرين حيدر وقعدان ثمّ للامير حسين ابن الامير يوسف. لكنهُ لم تثبت ولاية هؤلاء الامراء فعاد الجزّار وارجع الامير بشير (١٧٩٢ــ١٨٠٠) فعاملهُ كمألوف عادته كآلة تذيل مآربه ولمّا بلغ السيلُ الزُبى فرّ الامير بشير الى مصر وبقي هناك سبع سنين. وقد مرّ في المشرق خبر رحلته الى قطر النيل بقلم رفيقه الشيخ سلّوم الدحداح (المشرق ١٨[١٩٢٠]: ١٨٧ الخ)

وفي اثناء اقامته في مصر مات الجزّار سنة ١٨٠٤ فتنفّس الناس وبقي الحكم في غيبة الامير بشير في ايدي اولاد الامير يوسف يدير امورهم جرجس وعبد الاحد باز ابو شاكر

هذه خلاصة احوال سياسة لبنان وبيروت في القرن الثامن عشر لدخولهما معاً في حكم الشهابيين. وقد جرت في بيروت امور اخرى دونك الاهمّ منها

ان بيروت بعد قتل الامير فخر الدين عادت الى خمولها وقلّ عدد اهلها وكسدت تجارتها. فلمّا تولى الشهابيّون حاولوا تحسين امورها. فبنى فيها الامير ملحم الخان المعروف بخان الملّاحة. وبنت زوجة اخيه احمد المكنّاة بأمّ دُبوس القيسارية العتيقة والبرج المستدير بجانب السور غربي المدينة في الموضع الذي بُنيت فيه بعدئذٍ ثكنة عساكر الدولة المتحوّلة اليوم الى السراية الكبرى. وشيّد الامير منصور ابن الامير ملحم في بيروت طاقة القصر جنوبي شرقيّ كنيسة الكبوشيين الحاضرة ثمّ الديوان وميزان الحرير والقيسارية المعروفة باسمه. واقتدى به اخوتهُ الامراء عليّ وبشير السين وحسين فبنوا ابنية شتى منها قيسارية الصباغة للامير عليّ ومنها دورٌ واسعة عند الباب الجديد قرب باب يعقوب. ولما عاد الامير يوسف الى بيروت بعد حرب الروس للمدينة وخروج الجزّار بنى قيسارية الاروام التي تحوّلت بعدئذٍ الى خان بسترس. وكذلك الشيخ عبد السلام العماد عمّر قيسارية نُسبت اليه في رأس سوق العطّارين.

ومما بني ايضاً في بيروت في اواسط القرن الثامن عشر « قيسارية البارود » بناها الامير سليمان اللمعي . فكل هذه الابنية اعادت لبيروت بعض رونقها . فقصدها التجار الفرنسويون وازداد فيها عدد الموارنة وكان معظم شغلهم صناعة الحرير

وانما ورد في كتابات المرسلين الكبوشيين ان بعض القرصان الايطاليين قبضوا سنة ١٧٥٨ على سفينة لاهل بيروت فغضب لذلك المسلمون وهجموا على ديرهم الواقع جنوبي كنيسة الموارنة الكاتدرائية الحاضرة وداخل الاسوار القديمة فنهبوا الدير واتلفوا ما وجدوه فيه بعد ما اعتقلوا رهبانهُ . وزعم داود افندي كنعان في رسالته جواهر اليواقيت في تاريخ بيروت (الجنان ١ : ٣٧٧) : « ان الامير ملحم ارسل اعوانهُ فأطلقوا المتقلين وقبضوا على المذنبين واحضرهم اليه فامر بقتل اثنين منهم واستخلص للبادرية ما كان قد نُهب في ديرهم » . وفي تلك السنة فشا الطاعون في البلاد وأصيب به كثيرون من اهل بيروت . ولما توفي الامير ملحم سنة ١٧٦١ دُفن فيها في جامع الامير منذر التنوخي

ومما كان يرغب الى الموارنة استيطان بيروت وجود قنصل دولة فرنسة الشيخ نوفل ابن حسن الخازن وهو من طائفتهم . فتولى اعمال القنصلية الى سنة وفاته ١٧٥٣ . وبقيت القنصلية فارغة الى السنة ١٧٨٦ حيث ارسل البطريرك يوسف اسطفان الى ملك فرنسة لويس السادس عشر الخوري انطون قياله ليطلب تجديدها فتُعطى للشيخ غندور سعد الخوري صالح . فاجاب الملك الى ملتمسه وتقلد الشيخ امورها من السنة ١٧٨٧ الى ١٧٩١ وفيها غدر به احمد باشا الجزار كما سبق فقتلهُ في عكا

وفي اواسط هذا القرن الثامن عشر حدث امرٌ ذو شأن في تاريخ نصارى لبنان وبيروت ألا وهو تنصُّر الامراء الشهابيين ثمَّ اللمعيين . قيل انَّ اوَّل من دان بالنصرانيَّة الامير عبدالله الشهابي الساكن في غزير على يد الآباء الكبوشيين فتوفي في المنفى سنة ١٧١٧ . ثمَّ الامير علي ابن الامير حيدر ثاني امراء لبنان تنصَّر على يد الكاهن الماروني الخوري ميخائيل فاضل البيروتي مع زوجته سنة ١٧٥٤ لشفاء ابنتها بواسطة ادعية الكاهن المذكور الذي اقيم بعد ذلك بطريركاً على طائفته سنة ١٧٩٣ . وتبعهما ثلاثة من ابناء الامير ملحم اي الامراء سيد احمد وقاسم وحيدر . وفي السنة ١٧٦٤ ثمَّ اهتدى الامير قاسم ابن عمهم عُمر مع زوجته على يد السيد يوسف اسطفان

النسطاوي واعتمد ابنهُ البكر الامير حسن عند مولده ثمَّ اخوهُ الامير بشير المشهور بالكبير في ٦ ك ٢ ١٧٦٧ . وتبعهم بعد حين غيرهم من الامراء واتخذوا جميعهم الطقس الماروني إلَّا واحداً تبع الطقس الملكي الكاثوليكي. وكذلك الامراء اللمعيون تنصَّروا في ذلك الجيل بعد الشهابيين. وكان اوَّل من سبقهم الى العماد الامير اسماعيل من آل قايدبيه في صايا سنة ١٧٨٨ . ثمَّ امراء قرنايل هداهم الى الايمان القس عمانويل البعبادتي من الرهبانيَّة الانطونيَّة سنة ١٧٩٠ فعمَّد الاميرَ بشير ابن الامير حسن. ثم نصَّر الابُ عمانويل سلام المتيني امراء رأس المتن(١

ومما عزَّز ايضاً امور النصرانيَّة في بيروت في القرن الثامن عشر توالي اساقفتها الملكيين وقد مرَّ ذكر سلبستروس الدهَّان المتوفَّى سنة ١٧١٣ خلفهُ تاوفيلوس فدبَّر كرسيَّ بيروت وفي ايَّامهِ انقسمت الطائفة الملكيَّة الى قسمين كاثوليكي واورثذكسي. وكان تاوفيلس مضاداً للكاثوليك. فسقَّف البطريرك كيرلُّس طاناس على بيروت سنة ١٧٣٦ اثناسيوس دهَّان الذي رُقي بعد ذلك الى منصب البطريركيَّة وتسمَّى تاودوسيوس ١٧٦١ وكان من الرهبانيَّة الحنَّاويَّة. وخلفهُ الراهب المخلصي باسيليوس جلخاف بعد استقيلتهِ على صيداء. وفي السنة ١٧٧٨ استقال عن اسقفيَّة بيروت فخلفهُ السيد اغناطيوس صرُّوف الدمشقي فثبت في كرسيهِ الى السنة ١٨١٢ حيث أُقيم بطريركاً باسم اغناطيوس ثمَّ قتلهُ ظلماً بعض الأئمة بعد ٩ اشهر من السنة (٢

اما الموارنة فاقام البطريرك يعقوب عوَّاد اسقفاً على بيروت سنة ١٧١٦ المطران عبدالله قرالي رئيس الرهبانيَّة الحلبيَّة اللبنانيَّة وكان احد الاساقفة الذين حضروا المجمع اللبناني توفي في يوم عيد الفطاس سنة ١٧٤٢ فتعيَّن بعدهُ لكرسي بيروت يوحنا اسطفان مطران اللاذقيَّة سنة ١٧٤٣ . ثمَّ سُقف على بيروت قبل وفاتهِ يوسف ابن اخيهِ الخوري جرجس اسطفان وهو الذي ارتقى الى الكرسي البطريركي خلفاً لطوبيَّا الخازن سنة ١٧٦٦ . ثم خلفهُ الخوري ميخائيل فاضل الاوَّل ثمَّ اثناسيوس

---

١) اطلب تفاصيل تنصُّر كل هؤلاء الامراء في مقالة الكاتبين البارعين عيسى افندي اسكندر المعلوف والشيخ سليم الدحداح في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٥٤٢-٥٥٢)

٢) اطلب في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١٩٣-٢٠٤) مقالتنا في اسقفيَّة الروم الكاثوليك في بيروت ثمَّ راجع مختصر تاريخ الروم الملكيين الكاثوليكيين (ص ٧٢)

الشيعي النوسطاوي ثمَّ المطران ميخائيل فاضل الثاني سنة ١٧٩٤ فتوفي سنة ١٨١٩ . وهؤلاء الاساقفة الموارنة لم يسكنوا غالباً بيروت . وقد وُجد منهم في وقت واحد اسقفان على المدينة (١

وفي اواخر القرن الثامن عشر تعدَّدت النكبات على بيروت وقد سبق أن المراكب العسكريَّة ضربتها مرَّتين بالمدافع في عهد الامير يوسف والجزَّار . ونهب جنود الروس اهلها . ثمَّ عاد الجزَّار سنة ١٧٧٦ فاستولى على بيروت ورفع يد الامير يوسف عنها وضبط ما فيها من الاملاك للامراء الشهابيين وهدم دورهم ورمَّم بحجارتها السور وانَّما ابقى دار الامير مراد كحصن . واحرق بيوت النصارى وجعل كنائسهم اصطبلات وقطع الاشجار التي بجوانب المدينة فكل هذه النكبات مع نفي الفرنج من بيروت احتلَّت على اهلها كضربة لازبة فتفرَّق شملهم وتلفت صناعتهم وكسدت تجارتهم . وفي كتابات القنصل الفرنساوي هنري غويس (H. Guys) انَّ بيروت اصبحت في اوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٠٥ كقرية لا يزيد عدد اهلها على خمسة آلاف (لهُ تابع)

قصة صالح ابن عبد القدُّوس مع راهب الصين

نشرها حضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

توطئة

بين مخطوطات دير سيِّدة النجاة في الشرفة للسريان الكاثوليك (٢) مجموعة لطيفة تحت الرقم ٢٥٨ تحتوي على مقاطيع شتى دينيَّة وادبيَّة وتاريخيَّة وقصصيَّة بخطوط مختلفة عربية وكرشونيَّة يرقى عهدها الى القرن السادس عشر . وممَّا جاء هناك القصَّة التي نسخها حضرة القس اسحق ارملة لينشرها في هذا العدد من المشرق وهي قصَّة صالح ابن عبد القدُّوس مع راهب الصين . وقد اثبتنا سابقاً اخبار صالح واشعاره الحكميَّة الجميلة (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٨١٤-٨٢٩ و٩٢٦) وصالح ابن عبد القدُّوس قتلهُ المهدي كزنديق وامَّا زندقتهُ كانت تقرُّبهُ الى النصرانيَّة . وفي هذه القصَّة شاهد على هذا الرأي . امَّا راهب الدين المذكور هنا فلا نعرف من امره شيئاً . وما

١) اطلب في المشرق ٧ [١٩٠٤] : ١٠٩٩-١١٠٦) مقالة الشيخ سليم الدحداح في ابرشية الموارنة في بيروت ٢) مكتبة الشرفة غنيَّة بالمخطوطات النادرة

لا شك في ان عدة من الكلدان النساطرة كانوا دخلوا الصين للتبشير بالمسيح منذ القرن الثامن للميلاد. وقد نشر سيادة المطران بطرس عزيز في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١٠٣٥–١٠٤٣) مقالة ممتعة ضمنها آثار تلك العلاقات بين الكلدان والصين. وجاء في التاريخ ذكر رهبان عادوا من الصين بعد ان سكنوها مدة . منهم راهب غرباني ذكره ابن النديم في كتابه الفهرست (ص ٣٤٩) وقال انهُ اجتمع به سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) . ومن ثمَّ لا نعدّ القصة المذكورة هنا كقصة خيالية بل كأثر تاريخي وادبي ل . ش

(ص ١) بسم الله الرحمن الرحيم

نبتدئ بعون هذا الاله العظيم ونكتب قصة صالح ابن عبد القدوس مع راهب الصين رضي الله عنه آمين

قال الراوي (١ : انني مررتُ براهب من رهبان الصين . فوقفت على باب صومعته فحييتُ (٢ ان افاتحه بالكلام . فناديتهُ : يا راهب فلم يُجبني . فقلتُ : يا ربّان (٣ فلم يخاطبني . فقلتُ : يا عبدالله . فلم يردّ عليَّ الجواب (ص٢) . فعظم عليَّ شديدًا كيف اني اروح وما اطّلع على خبره . فقلتُ : بحقّ الذي اوجبك (كذا) الوحدة لا تبخل علي بسماع كلامك . ثم اشرف عليَّ بوجه اصفر وثوب قذر وقال : من هو الذي دعاني بغير اسمي وكأنّي بشيء لا استحقه ؟ . فقلتُ : لك اقول . فقال : اما قولك «يا راهب» فمن هو الراهب ؟ الراهب من رَهِبَ الله مولاه في سلطانه ، وعظّمهُ في بيانه ، وردني بقضائه ، وشكرهُ على نعمائه ، وحمده على بلائه ، وخضع لربوبيته ، وتواضع لعظمته ، وذلّ لقدرته ، واستسلم لعزّته ، وفكّره في حسابه ، وعاقبه يوم عذابه ، وذكّر وعدهُ ووعيدهُ ، وسلاسلهُ وحديدهُ ، وجلاله وقيودهُ ، وذكّر وقوفهُ بين يدي ربّه ، يوم يعرض عليه وهو في ليلته قائم ، وفي نهاره صائم ، قد أحنته العبادة ، وأقرح جفونه من كثرة البكاء والاسهار ، وذكّر النار ومدائنة الجبار ، وأقلقه خوفُ العذاب ، وأنحلهُ ذكرُ الحساب ، فذاك هو الراهب . وانا فلستُ براهب . واما (ص٣) قولك لي «يا ربّان» فمن هو الربّان ؟ الربّان مَن ربَّ (كذا) نفسه من الطعام والمطاعم ، وتجنّب

١) يريد بالراوي صالحًا ابن عبد القدوس ٢) فاحببتُ

٣) الربّان لفظ سرياني وهو تفسيرهُ معلّمنا وهو يطلق على الرهبان عمومًا

من المحارم، حتى يرحم من ظلمه، ويقضي لمن نطقهُ، ويعطي مَن حرمه، ويترك العلوّ والرئاسة حتى تصير نفسه عنده كمثل العبد لصاحبه، فان كان كذا والّا فليس هو بربّان. وانا فلستُ بربّان. واما قولك لي «يا عبدالله» فانا وانت عبيدالله. أما تعلم يا اخي ان الاسماء في هذه الدنيا عاريّة. وامّا الاسماء فهي اثنان. وهي مكتوبة يوم القيامة. إمّا يقول لي «يا سعيد» واكون سعيدًا الى الابد. وامّا يقول لي يا «شقيّ». واكون شقيًا الى الابد. وانا كواحد من عبيدالله. قلت له: ما اسمك؟ قال: ما اعرف اسمي. قلت: عجبٌ منك فقد خالطك الشيب ولم تعرف اسمك فكيف تعرف نفسك؟. فقال: اعلم اني انا حابسٌ كلّيّن عتورين نفسي ولساني. حبستهما في هذه الصومعة حتى لا اعقر احدًا من خلق الله بهما واوذيه بشرّهما. فقلت: يا راهب لمن تعبد؟ قال: اعبد الله الذي خلقني وخلقك (ص ٤) من التراب، وجعلنا نطفةً في الاصلاب، ثم نقلنا الى بطون الامّهات، وسكّننا ما بين لحم ودم ومدّنا الى الاحشاء، ورتّبنا كيف شاء، واخرجنا سويًّا، تبارك الله احسن الخالقين. وقوت الرازقين

قلت: يا راهب أعظيمٌ هو الله؟ قال: يا اخي عظيم هو في منزلته. وقد قهرتْ عظمتهُ كلّ شيء. يعلم ما يخفى وما يظهر. وما يسرّ وما يُعلن. ويعلم ما في قلوبنا. وما تكتم صدورُنا. ويعلم ما في السموات والارض. ولا يخفى عليه شيء. وهو العليم الكبير

قلت: يا راهب اين الله من قلوب الصالحين؟. قال: يا اخي قلوب الصالحين لا تغرب عنه. وحيث يعلم انهم مشتاقون اليه قد تعلّقوا بحبه، وقد أنستُ ببرّه، وتوكلت عليه ووثقت اليه، وهم يسبّحونه ليلًا ونهارًا. ولا يفترون منه طرفةَ عين. ثم قال لي: يا اخي. حبُّ الدنيا ثبتَ في قلوبكم، وحملتموها على ذهوبكم (كذا). وركبت اعناقكم، ودخل حبها في قلوبكم، وكثرت فيها ذنوبكم، واعلم يا اخي ان الدنيا غرّارة منصرفة منقطعة زائلة مائلة، تتقلّب باهلها كيف تشاء، (ص ٥) فمن وثق بها خدعتهُ، ومن ائتمنها قطعته. ومن اطمأنّ اليها صرعته، ومن اغترّ بها خدعته، ومن اتّكل عليها خذلته، ومن احبّها أعمته عن طريق الصلاح، ومن خدمها اتعبته، ومن جمع مالها افقدته، ومن شرب بكأسها أدمته، والندامة في عمل الخير اورثته، الطوبى لمن تجنّب عن الدنيا وازالها عن قلبه، وتاب الى ربّه من ذنبه، ولا

يواصلها الا ويتركها . ولتركها علامات

فقلت : ما هي . قال اولها ترك الحرام في مكسب المال ، والآخر في القيل والقال ، وما اشبه ذلك . وتساوي عندك صديقك وعدوك ، واترك الفضول ، وقلل الرغبة في جمع المال من الحرام ، تواضع تقدام الله وتقدام الناس ، وردّ نظرك من شهوات هذي الدنيا حتى يكون قلبك صافياً ، ولا ترى جميلاً الا وترغب فيه ، ولا ترى قبيحاً الا وتأنف منه ، واحفظ نفسك من الشرور ، وافتح قلبك وابصر ما ينفعك وما يضرك

قلت : يا راهب اخبرني عن العقل . قال : اصلهُ المعرفة وفرعهُ الاعمال . قلت : يا راهب من اين يذوق (ص٦) العبد حلاوة الانس بالله ؟ قال : يا اخي اذا صفت القلوب في محبة الله . فقلت : متى تصفو القلوب في محبة الله ؟ قال : اذا صرفتَ الهمّ عن قلبك . وتبعتَ الله في مكانه في المحبة والطاعة . قلتُ : يا راهب لِمَ قد تخليت بالوحدة ؟ . قال : يا اخي لو ذقتَ حلاوتها لاشتاقت نفسك اليها . فيا فتى الوحدة هي راس العبادة . قلت : يا راهبُ ما الذي يجد العبد في الوحدة ؟ قال : يجدُ الراحة من مقاساة الناس الاشرار والسلامة من شرورهم . قلتُ : يا راهب بمَ يطيب العيش ؟ قال : بالقنع في المكسب والنظر في الحلال . قلت : يا راهب زدني في الشرح لاني ما افهم ما تقول . قال : كُلْ حلالك وارقد حيث شئت . قلت : يا راهب بما تُقطع الطرق ؟ قال : بالصوم الدائم ، والسهر القائم ، قلتُ : يا راهب اين طريق الراحة ؟ قال : في خلاف الهوى

قلت : يا راهب ما الذي حملك على لبس السواد وهو لبس اهل الحزن والمصيبة ؟ قال : يا اخي ان المرأة اذا خلّى ولدُها اظهرت الحزن بلبس (ص ٧) السواد . قلتُ : يا راهب هل اصابك مصيبة ؟ قال : يا اخي واي مصيبة تكون اعظم من مصيبة الذنوب . قلتُ : يا راهب لِمَ تخليت في هذه الصومعة ؟ قال : يا اخي رأيتُ كلّ من يمشي على الارض يعثر في رجلهِ . فتعلقتُ بهذه الصومعة لأبعُد عن فتنة مَن في الارض واهلها . لانهم سارقون العقول فخفتُ منهم ان يسرقوا عقلي . وذلك الانسان اذا صفا قلبه ضاقت به الارض وازداد حبًّا الى ربّ العالمين . وتفكرتُ في حبّ المال واحببت ان ارتحل الى ربٍّ لم يزل بي رحيماً . قلتُ : يا راهب من اين تاكل ؟ قال : من زرعٍ لم اتأنَّ بزرعه ومن نباتٍ لطيف طيّب الخير من خزائن الرحمان التي لا تخاف النقصان . وان الذي خلق الطاحونة هو يأتيها بالطحين . فأنظر الى سنانه

قلت: يا راهب كيف كونك في هذه الصومعة وصبرك فيها وحالك بها؟ قال: يا اخي كيف يكون حال من غفل عن الوعيد، وهو يريد السفر البعيد، بلا زاد ولا استعداد. ويسكن قبراً وحشاً بلا حسّ ولا جليس، ولا حاجب ولا بوّاب، ويقف بين يدَيْ (ص٨) حكيم عادل يحكم بين عبيده بالعدل والقضاء فيقومون بين يديه عراةً قد اذلّهم الكرب واجهدهم العطش. وطال العناء، وكثر البكاء، وفنيت الدموع، وكثر الخشوع، وهجمهم العرق، وهدمهم القلق، وذلّهم الفراق وطال بهم الأرق، واضطربت المفاصل والاعظام وبرز الفصل والحكم والقضاء. وارتعدت الرُكب واقشعرّت الجلود، واصطكّت الاسنان، واحترقت الاقدام من طول القيام، وبلغت القلوب الى الحناجر، وضاقت الصدور، وتحيرت فيها الامور، وظهرت الجنايات، وبرزت المخبآت، وعرضت السيّآت، وطاشت العقول، وشخصت الابصار الى النظر الى العزيز الجبّار، فلا ارض تقبل ولا سماء يظلّ، ولا جبل يخيّم، ولا شمس تشرق، ولا قمر ينير، ولا كوكب يسير، ولا بحر يجري. وقد اذعن العالمين بالمذلّة، وقد خذلت الارقاب، وذهلت الالباب، وتقطّعت الانساب، وتفارقت الاحزاب، وحُشرت العباد، وانجمت الأشهاد، ونُشرت الاموات، وخشعت الاصوات، وطال الوقوف. واشتدّ الخوف. وتزلزلت الاقدام، وحارت الاوهام، واهتزّت (ص٩) الاركان، وتغيّرت الالوان، وتحيّر الانسان، وخرس اللسان، وانتصب الميزان، ونُشر الديوان، وأوقد الجحيم وأذنت جهنم بالزفير، وحميت بالسعير، وزفرت النار جداً على الكفّار، نار جوهرها وشرارها شديد، وعذابها عتيد، وشرابها بالمهل والصديد، ومقامع الحديد. وما هي من الظالمين ببعيد. ولاذ المتن العبيد؟ . فالويل لمن عصاه، فكيف يكون مثواه، والنار مسكنه ومأواه، فيأمر به الزبانية. فيأخذونه ولا يحركونه. فتتخلّع بيديهم اعضاؤه، وتتقصّف عظامه وقواه، ويذهبون به مسحوباً، وعلى وجهه مكبوباً، فيوثق بالسلاسل والقيود، ويسربل عليه بالقطران، ويتقدّم معه الشيطان، وتطبق عليه ابواب النيران، فيكون مسكنه الجحيم، وطعامه الزقوم. وشرابه الصديد، فيستغيث فلا يغاث، ويتضرّع فلا يُرحم. فينالهُ من الكروب. وعلى رأسه بالمقارع مضروب، وعليه العذاب منصوب، ونار الجحيم فوق راسه مسكوب (لهُ بقيّة)

الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ، ذات مقدمة وثلثة فصول

بقلم الخوري مارون غصن (تابع)

الفصل الاول

المرسل

موقع الرواية في مدينة متنالور ، في الهند الانكليزية ، وذلك بعد ١٥ سنة للمقدمة — يمثل المشهد رصيفاً على الطراز الشرقي . قناطر مزخرفة منقشة . في المؤخر منظر الهند والبحر . اشجار . نخيل . غراس هندية . مرفع . كراسي

المشهد الاول

موريس بزي بحري — ايفون

موريس : دونك مناظر الهند يا معلمي ايفون ! لله ما أحلاها وأبهاها !

ايفون : اذن مناظر الهند تروقك وتشوقك ؟

موريس : سرح الطرف ، فترى ما يُبهج الناظر ويُدهش الخاطر ! لقد مرّ علينا خمس عشرة سنة ، منذ غادرنا فرنسة ونحن في هذه البلاد نعيش عيش السادات . . . انظر هناك أبنية السيد اوليفيه نوربر ، حيث الكتّاب يقومون بإدارة اعماله الواسعة

ايفون (متأملاً) : كان يُدعى اوليفيه نوربر ، اما في هذه البلاد ، فقد

سمّى نفسه اوليفيه سَنْبَتون . . .

موريس : . . . اوليفيه صار غنيًّا عظيماً . . . وهو الآن لا يكتفي بالريالات كما كان يفعل في قصر روكلور ، بل يجود بأوراق مالية ذات قيمة وافرة

ايفون : نعم . . . نعم ! قد أدرك ثروة كبيرة ، ولكن لا تنسَ أن سيّدنا المركيز — رحمه الله ! — كان له من أكبر المساعدين

موريس : ومن أعزّ الاصدقاء

ايفون : وقد ذكره في دقائقه الاخيرة ، حيث ردّد اسمه ثلاث مرّات وقال : «نوربر ! نوربر ! نوربر ! » لقد مرّ على ذلك المشهد سنون وأنا لا أزال في كلّ مساء اتمثّله ! يا لها ليلةً قضيناها ساهرين باكين ! انت كنت بعدُ صغيراً يا موريس

موريس : نعم ، ومع ذلك اتذكّر ذلك المشهد كأنه الآن امامي ! آهٍ من يوزني ! من كان يظنّ أنه يُقدِم على فعل ما فعل ؟

ايفون : هو حبُّ المال حملهُ على ارتكاب تلك الجريمة الهائلة

موريس : تذكّر يا ايفون أنك وبختني لأني طردتهُ في ذلك المساء لمّا اتى يستعطي . . . آه ! لو عرفتُ أنه كان عازماً على قتل سيّدنا لكنتُ اختطفتُ روحهُ من جسده ! . . .

ايفون : ما لك والاموات ! فقد نال القاتل جزاءه ! اجل ناله بكل استحقاق ولم يكن في جريمته شكّ : أمَا لقينا قبعته في غرفة المركيز ، وحذاءهُ على الشرفة ؟! . . .

موريس : ثم ألم يجدوهُ غدَ تلك الليلة سكران مضجعاً في كوخ على مائة خطوة من القصر ، ورداؤهُ بالقرب منه ممزّق ؟ كلُّ ذلك برهان واضح على جريمته

ايفون (بصوت رزين) : أجل ! وقد نظر القضاة في الدعوى وأصدروا الحكم عليه

موريس : لكنّ الخبيث لبث مُصرّاً على الإنكار . . . وأنا لا أزال اتذكره ينادي ويصيح : « أنا بريءٌ ! بريءٌ أنا ! » والعرق يتصبّب من وجهه وهو يعجّ عجيجاً !

ايفون : يا لها من ذكرى محزنة ! . . . ونحن ، ما كان حلّ بنا ، لو لم يعطف

علينا السيّد اوليفيه ويضمّنا اليه ؟

موريس : أجل ! ولولا عنايتهُ بي ما صرتُ بحرياً

ايفون : وأنا ما تبعتهُ الى هنا الّا لانهُ كان صديقاً لمولانا المركيز ؛ جعل الله نفسه في اخدار النعيم !

موريس : كلّما ذكرتُ هذه الامور أشعر بقلبي يرتجف ! . . . وسيدنا الصغير جوفروا ، كيف ارتمى على جثة ابيه ، واخذ يبكي ويئوح !

ايفون : مسكين سيدنا جوفروا ! لكنّ السيد اوليفيه بذل له العناية ووكل أمره الى أقاربهِ أسرة دي بورجون على انّي من ذلك الحين ما عدت عرفتُ له خبراً . . .

موريس : يأبى السيد اوليفيه أن نأتي بذكرهِ أمامه

ايفون : السبب واضح ! فان اوليفيه كان لمولانا المركيز صديقاً صدوقاً : فلا يطاوعه قلبهُ ان يتذكّر تلك الفاجعة . . . (سكوت) بلغني ان السيد جوفروا صار كاهناً . آه ! ما اعظم ما يكون فرحي ، اذا قيّض لي الله أن أراه ، ولو دقيقة قبل موتي !

موريس : من اخبرك انه صار كاهناً ؟

ايفون : بدرت كلمةٌ من السيد اوليفيه ، تدلُّ على ذلك ؛ لكني لم اجرؤ على استيضاحه ؛ فهو يعبس كلّما ذكرنا قصر روكلور !

موريس : اخفض الصوت ها هو آتٍ ! أنا ماضٍ الى المرفأ . . . فقد أتاني ان مركباً افرنسيًّا وصل في هذا الليل ؛ وقد طال اشتياقي الى رؤية اهل الوطن ؛ الى اللقاء (يخرج)

المشهد الثاني

اوليفيه — ايفون

يدخل نوبر (اوليفيه سبستون) ، وجريدةٌ في يده ، وهو مقطب مبرم

اوليفيه : من كان معك هنا يا ايفون !

ايفون : هو ، وريس يا مولاي

اوليفيه : الى اين ذهب ؟

ايفون : الى المرفأ ليتفرج على الركاب الآتين من فرنسة

اوليفيه (على حدة) : في ذهابه شؤم !... سيراه ولا ريب ! (لايفون) دعني وحدي (ينحني ايفون ويخرج)

المشهد الثالث

اوليفيه وحده

اوليفيه : أجل ! هوَ هو بعينه ! (يقرأ) :

« مساء امس وصلت الباخرة «لالوار» ، وعليها مائتا راكب وعدة مرسلين ، بينهم الاب جوفروا دي تريادان ابنُ المأسوف عليه ، المركيز دي تريادان ، الذي قُتل منذ خمس عشرة سنة ، في قصر روكاور . وهذا الاب هو الوارثُ الوحيدُ لتلك الأسرة الشريفة ، وقد خصص نفسه لله وانتظم في سلك الكهنوت »

هذي ضربةٌ لم تكن في الحساب ! نعم ... هو جوفروا بعينه ... هو ابن فريستي ... بأيِّ وجهٍ أتاه ؟... (سكوت) بذلتُ كلَّ جهدي لأتملص من ذكر تريادان !... رحلتُ من الغرب الى أقصى الشرق ... وغيرتُ اسمي ... كنت اوليفيه نوبر فصرتُ وليفيه سمبتون ... انَّ بُوري الذي حسبوهُ قاتل المركيز قد قُتل امام عيني ... أنا الآن غنيٌّ ... ذو ملايين ... وتحتَ حماية انكلترة ... وقاض في مصر ... (بصوت منخفض) ظننتُ أنَّ الماضي قد طواهُ الزمان ... والآن يصلُ إليَّ جوفروا !... آه ! انَّ منظرهُ يقذف الرُّوع في قلبي ... كيف ألاقيه وبمَ أحدثه ؟... (يقرأ)

« هو آتٍ ليبشر الهند العليا ! ... (بغضب) اذن ليواصل السير الى هناك فما كنتُ لأمسكه عندي ! ألا انَّ ابغضَ شيءٍ الى عينيَّ رؤيةُ ثوب كاهن ! على هذا الثوب اقرأ الحكم عليَّ !... (بصوت منخفض) ما الحيلة ؟... آه ! خارت قواي ... (مستشرًا) رأيٌ بدا لي !... (بغضب) لا ! وهمٌ وخيال !

وما يُهمني مجيء هذا الكاهن ؟.. ولكنْ أمطلعٌ هو على الهوّةِ التي بيني وبينه ؟... وهل هو عارف انَّ اليد التي سيصافحها ، قد تلطّخت بدم ابيه ؟... سكّن الروع يا اوليفيه وكن ثابت الجأش ! خمسَ عشرةَ سنةً عبرتْ وسرُّك مطويٌّ في صدرك ، فلن تنشرهُ يدُ الدهور !

المشهد الرابع

اوليفيه — موريس — ايفون — جوفروا

موريس : ها هو ! ها هو سيّدنا جوفروا ! رباه ! يا لفرح قلبي !

اوليفيه (متظاهرًا بالسكينة) : مرحباً بهِ وأهلاً ! أدخله عليّ...

ايفون : أنت عارف بقدومه ؟

اوليفيه (خارجاً الى جوفروا) : نعم أطلعتني الجريدة على كلّ شيء (يظهر جوفروا) عرفتُك يا جوفروا يا ابن صديقي القديم

جوفروا (متأثرًا) : اللهمّ لك الشكر ! كم من صديق لقيتُ في يوم واحد ! اوليفيه صاحبَ الفضلِ عليّ !

موريس : هذه نعمة ما كنت اتوقّعها !

ايفون (متأثرًا) : ابتِ جوفروا ؟ ربي ! قد أجبتَ سُؤلي !

جوفروا : اعزّاني وأحبّ الناس إليّ... ما أجمل اللقاء بعد خمس عشرة سنة ! ما أسرع مرور الآباء !...

اوليفيه : لا بدّ ان تكون في حاجة الى الراحة بعد هذا السفر الطويل..

جوفروا : لا ، لا ! ان لقاءك يُزيل كلّ تعب... فيك أرى ذاك الذي اذكره كل يوم على مذبح الربّ !...

ايفون : واسيّداه !

جوفروا (لاوليفيه) : أجل ، ايها الصديق ، فان ابي في نزاعه ذكرك ثلاث مرات... وانا ما كنت لأنسى وصيّته الاخيرة !

اوليفيه (مرتبكاً) : لعلّي قصّرتُ في خدمتك يا جوفروا... لكنك

تعلم . . . انّ الوقت . . . والاشغال . . .

جوفروا : ماذا تقول ؟ قصرت ؟ أما كنت لي خيرَ مجير وظهير ؟ . . . أما سهرتَ على تهذيبي ، ولو عن بعد ؟ . . . آه ! ان ذكرك وذكر ابي لن يفارقاني ما حييت !

اوليفيه (على حدة) : يا لك من جلّاد ! . . . والجريمة ! . . .

جوفروا (يُقبل على ايفون) : وأنت يا عزيزي ايفون ، ألا يشقّ عليك البعد عن الوطن ؟

ايفون : لا ازال اذكره يا سيّدي . . . انا هنا على خير عند السيّد اوليفيه . . . لكنّ حبّ الوطن يحرّك قلبي . . . ما أعظم فرحي بلقائك ! فكأني الآن في القصر القديم ! . . .

جوفروا : آه ! يا عزيزي ايفون لو عدتَ اليه . . . فلا ترى هناك الّا قبراً مُوحشاً !

ايفون : اما عدتَ ترجع اليه يا سيدي جوفروا ؟

جوفروا : لا ، لم يعدْ لي الآن الّا السعي وراء النفوس ؛ فحيثما أتى النفوس فهناكَ هناك وطني ! فاليه اطير ، وبه أحلّ ، وفي قلبي تذكارُ من سبقني الى السماء . . . فلا أقف عن الجهاد حتى توقفني المنيّة . . . واذا لم يتزج ترابي بتراب أبي . . . فهناك هناك نجتمع جميعاً . . . ولعلّ هذا الاجتماع غيرُ بعيد . (سكوت ، متجهاً الى اوليفيه) : اوليفيه ما اسعد حظي بلقائك ! لكني لا استطيع البقاء عندك طويلاً . . . أنت سعيد غنيّ وجيه . . . وأبي قد باركك من أعلى السماء . . . اما انا فقرّي الى جانب المتألمين . . . (بحزم) في هذا المساء أواصلُ السفر

ايفون : ما كدتَ تصل يا سيّدي !

اوليفيه (على حدة) : هذا المساء ؟ . . . يا لحسن حظي ! (يرفع صوته) لمَ انت مُعجِّل ؟

المشهد الخامس

السابقون — بيرتان

بيرتان (من الخارج) : دعوني أدخل ! أما أنا من اهل البيت ؟

ايفون : القائد الانكليزي

اوليفيه (يخرج للقائه ويقول بغير اضطراب) : أدخل أدخل يا صديقي بيرتان ؛ نعم انت من اهل البيت ؛ وأراني سعيداً بان أعرّفك بالاب جوفروا دي ترعادان

بيرتان (متحنياً) : جوفروا دي ترعادان ؟ ابن صديقك الذي قُتل ؟ . . .

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : نعم وهو آتٍ ليبشر في الهند

بيرتان : وصل في حين الحاجة اليه . (لاوليفيه) : ان الامور ايها الصديق سيئة جداً !

اوليفيه : ماذا حدث ؟

بيرتان : قد اضطربت مدينة « منفالور » كل اضطراب . . . فأصبحنا امام فتنة هائلة !

اوليفيه : قد صحّ ما تشاءمت به منذ ايام حين رُحت أجول في المزارع ، فرأيت العملة يشتغلون بل يتشاغلون ، ولحظتهم ينظرون اليّ شزراً . . . وقد بلغني همسهم وتذمرهم فقلتُ ان في الامر ما فيه ، وان العاصفة تتهيأ

جوفروا : انا رأيت الامر على خلاف ما ذكرت : فقد شاهدتُ حين مروري كثيراً من العمّة يغنون مبتهجين . . . ورأيت ان لهذا الشعب هيئة تدلُّ على تمام الرضا . . .

اوليفيه : ما حان لك ان تطّلع على اخلاق الهنود ! . . . ان في تلك الخلوات محاكمَ سرّية لا نعرف اماكنها ولا اعضاءها . . . فهم يتوارَون في المغاور وأحشاء الغابات . . . ولهم مجالسُ تُصدرُ أحكاماً مُبرمة ؛ ولهم جلّادون منتشرون في كل مكان يتعارفون باشارة لهم خاصة ، ولهم شعارٌ يتخذونهُ من زهر الخندقوق وهم يميتون المحكوم عليه بالشنق او بالسمّ

بيرتان (متهدداً) : ليأتوا فيروا ما لا يُرضيهم ! فقد احتطتُ للامر وأوصيتُ الجنود بأن يكونوا على تمام الاهبة

جوفروا : اذن انتم في خطر من هجومهم !

اوليفيه : لا خوف الآن من خطر مفاجئ . . . لكنّ حولنا جيراناً يُخشى

شرّهم : فقد امتلأت صدورهم حسداً مني ؛ وانّ لامير سمبلپور وارو سنجور اراضي متاخمة لاملاكي ؛ وهذا الامير العاتي . . .

بيرتان (باحتقار) امير سمبلپور ؟ هذا البربري ؟ !

اوليفيه : بربري ؟ ! سألتك ان لا تنعت أمراء الهند بهذا النعت . . . نعم ان وارو سنجور قد غُصبت بلادهُ وانتزعت السلطة من يده ، ولكن لا يزال تحت إمرته مائةُ الف رجل ، وهم يفدونهُ بارواحهم ؛ وحسبهم منه إشارة !

بيرتان : ولكن لا تنسَ ان هذا الامير يؤدّي الجزية الى عظمة الامبراطورة فكتورية . . .

اوليفيه (برزانة) : ولكن ما يُدريك ما انطوت عليه قلوب هؤلاء المتود من الحقد والضغينة ؟

جوفروا : ربّي ! اذن يسعني ان أبدأ رسالتي من الآن

اوليفيه : علينا ان نتأهب للطوارئ . ايفون عجّل وانظر هل ابواب منازلي مقفلة . . . وقل الحرّاس ليجولوا في المزارع

موريس (داخلاً) : سيدي اوليفيه . . . ان جينور البرهمي ، أخا أجيه ماهال ، يطلب ان يكلمك

اوليفيه : ما يُريد مني ؟

موريس : لا اعلم ؛ وقد حاول ان يدخل معي ، فاقنعتهُ بان ينتظر

اوليفيه : ليدخلْ ! لعلّها اوّلُ شرارةٍ من نيران الثورة ؟

المشهد السادس

جينور (يدخل مسرعاً) : نعم ، يا سيدي ، فان النار تكاد تضطرم ، فاسرعتُ اليك لاخبرك ان امير سمبلپور قد وطئ مزارعك . . . وان اخي أجيه ماهال بذل وسعهُ لايقافه فلم يفلح . . . وهو الآن مسرعٌ ، ووراءهُ رجالٌ كثيرون . . .

اوليفيه : ما كنتُ لاتخوّفَ شرّه !

بيرتان : سنرى ما يكون من أمره !

جوفروا : من اي شيء يشكو الامير ؟

جينور : ان بعض العمـلة الاوربيين من معمل السيـد اوليفيه دنّسوا هيكل الإلهة دورجا ، فهاج هيـاج تُباع الامير . فاذا كنت يا سيـدي لا تُـأم المذنبين ، جرت الدماء أنهاراً !

اوليفيه (بجدة) : سنرى !

جوفروا : لعلّ هذا الامير يكتفي بتعويض ما فيهدأ غضبه ؟

بيرتان : نحنُ اكبرُ من ذلـك ! اذن تجرّأ وطلب تعويضاً فـلا يكون الجواب الّا في افواه المدافع !

اوليفيه : نهنهْ من غربكَ يا صديقي القائد ، فـانا أعرفُ براوو سنجور ، فما هو ممّن يهدّدون ؟ فأطل بالك قليلاً حتى نرى ما يكون منه

المشهد السابع

الامير وحاشيته وهم في ملابس فاخرة

الامير : اوليفيه سنبتون ! انا داخل عليكَ دخول عدوّ ! (حركة اضطراب) نحن ، أبناء الاله «برهما» ، لا نعرف المداهنة والتملّق . لقـد غُصبتْ إمارتي غدراً ، لكني لم اتنزّل عن حقّي بل غضضت الطرف كي لا أعرض رجالي لقساوة المغتصبين . أنا ، بموجب الصكّ الذي وقّعتُ عليه ، حليفٌ لانكلترّة لا من تبعتها : اذن فاعلم اني لا أبرح اميراً !

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : من اي شيء تشكو ؟

الامير : ما اشكو منه لا يخفى عليك ! فقد طالما تغاضيتُ عن شتائمكم . واني لا ازال في سطوةٍ وثروةٍ تعينانني على احتقار كل قباحة واعتداء ! . . . انما أن تتوصّلوا الى بثّ روح المعصية والخيانة في قلوب عملتي فهذا ما لا ارضاه !

اوليفيه : في كلامك جرأةٌ وتهديدٌ يا امير ! أتثبتُ ما تدّعيه ؟

الامير : لم أنتهِ ! وان بيننا عهوداً توجب عليكم حُرمة ديننا وهياكلنا . . ورغم ذلك ، قد اتّقح ذوروكم ليلة امس ووطئوا معبد إلهتنا «دورجا» وقت اقامـة الحفلات الدينيّة . . .

بيرتان (يقطع عليه الكلام) : ان مغاوركم هي ملاجئ اللصوص والقتلة !

الامير (بعظمة) : انا لا أكلّمك ! وما كنتُ لارضى بان تقطع الكلام عليّ !

بيرتان (على حدة) : لاقطعنّ لسانك قطعاً !

الامير : ان ذويكم قد اهانوا الإلهة وضربوا كهنتها !

اوليفيه : دُلّنا على المذنب فنعاقبه !

الامير (بهزء) : نعم تعاقبونه ! تجعلونه يوماً في بعض اقبية منازلكم ، وتتلطّفون في لومه ... وربّما زارني هـذا القائد (مشيراً الى بيرتان) وهو بزّته الرسميّة الفاخرة واكتفى بان يعتذر اليّ ...

بيرتان (مغتاظاً) : انا اعتذر اليك ؟ ساء وهمك !

الامير (بهياج عظيم) : انا انا اتعقّب المجرم الاثيم !

اوليفيه (ببرودة) : ما تُريد الآن ؟

الامير : أريد ان يُسلّم الاثيم ... فيكفّر عن جرمه في المكان الذي أذنب فيه ؛ وعلى مذبح الإلهة يجري دمُهُ حتى آخر قطرة ...

بيرتان (مغضباً) : لقد جاوزت الحدّ !

اوليفيه (بجزم) : حسبُك يا راوو سنجود حسبك ! ما كانت ارادتك شريعةً لي ... ان اذنب احدُ عملتي فانا أعاقبه ... اما أن ادفعهُ الى جلّاديك فهذا لن يكون !

الامير : انا لا ألتمس ذلك بل آمرك به امرًا ! والويلُ لك ان خالفت !

اوليفيه : او تظنني أخشى وعيدك ؟

الامير (يدنو منه على مهل ويحدّق الى عينيه ويقول له بصوت منخفض) : هنيئاً لذوي القلوب القيّة !

اوليفيه (متعصباً) : ألتلي تقول هذا الكلام ؟

الامير (بصولة) : في عينيك شرارُ النار المضطرمة في نفسك ... اوليفيه سمبتون ! قلت لك : أُريد ! (اوليفيه يهزّ كتفيه) تأبى اجراء العدل ؟ اذن تأهبوا لحرب لا شفقة فيها ولا رحمة !

جوفروا (يتجنى امام الامير) : ايها الامير ! جنديٌ انا ايضاً ، جنديُ الايمان والتبشير ؛ واني لآسف على تدنيس الهيكل فان تعليم الحقيقة لا يكون بالقسر والشدة ... لكنّ الغضب لا ينتج منهُ الّا الشرّ ! فاصغِ اليّ ايها الامير ...

الامير (بصوت هادئ) : لأنت صادق النية ، عذبُ الكلام . . . لكن ابن البراهمة لا يسعهُ غضُّ الطرف عمّا جرى !

جوفروا : ايها الامير ان الدم لا يمحو هذه الجريمة ! وان الحلم على العظمة أدلّ . . . فتنازلْ وأجبْ سؤلي . وانا في التماسي منك المغفرة اقوم بواجب رسالتي

الامير : كريمُ خلالك يدفعني الى احترامك ياكاهن ! أجل ارى فيك فضيلة واندفاعاً في سبيل دينك . . . لأنت حقاً باسل ! ولكن لسنا الان في صدد الكلام عن رسالتك ! (يدل على اوليفيه) انما اتيتُ لارى ما جواب هذا !

اوليفيه (بكبرياء) : جوابي عرفتهُ يا راوو سنجور ! وما كنت لأهاب تهديد علج بربري ! . . .

بيرتان (بغضب) : أجل . هذا جوابنا ! ولا تنسَ ، يا راوو سنجور انك تحت ولاية انكلترة وانك من رعايا الملكة فكتورية : فكلامك الآن اعظم دليل على انك غير اهل لهذه الشارات التي جادت بها عليك !

الامير (ساخطاً) : انا من رعايا مليكتك ؟ . . . ألا فاعلم اني لست تحت سلطة احد ! (ينزع عن صدره الاوسمة والشارات الانكليزية) لقد اخطأتُ في تنازلي لقبول هذه الخزعبلات . . . نحن اشرف سُلالة في الارض ، اكبر من ان نعبأ بامثال هذه الاوسمة ! (يرميها على الارض باحتقار) هيا التقطوها !

بيرتان (مستمراً غضباً) : اهانةٌ ! . . . وخيانةٌ ! . . . وعصيان !

الامير (هائجاً) : قد غضب مني الانكليز امارة سمباپور ! فلأنتزعنَّ من يدهم الهند كلها حماً ! فما هي غير ايام حتى تثور عليكم بلاد الهند ثورة ترتاع منها الانام فتفر الى اقاصي الصحراء هاربةً من قعقعة سلاحنا ! . . . ان الاهانة التي صفعتموني بها ليس لكم وراءها الّا الموت الزؤام ! (يخرج هو وحاشيته)

المشهد الثامن

السابقون غير الهنود

اوليفيه : يا لهُ من وقح !

بيرتان : يحتقر مليكتي امامي ؟

جوفروا (على حدة) : ليت شعري ما تكون عاقبة هذه الامور ؟

بيرتان : لنأخذ للامر اهبته ! (يجلس الى المرفع ويكتب) ... برقيةٌ الى بُماي ... رسالة الى حصن ڤكتورية ... إشعارٌ الى الحاكم العام

اوليڤيه (مفكرًا) : أما كان الأولى ان نجيب طلبه ؟...

موريس (داخلًا) : اذن بدأت الحرب سيدي ؟

بيرتان : اجل ! الحرب لمن يُريد الحرب !

اوليڤيه (يفيق من تفكره) : أجل ! لا بدّ من المغامرة في هذه الحياة ، فإما فلاحًا ، وامّا يأسًا او موتًا !

جوفروا (يدنو من اوليڤيه) : اوليڤيه أراك واجمًا ... كنتُ قد عزمت على السفر في هذا المساء ... امّا الآن فان معرفة الجميل تُوجب عليَّ ان ابقى معك أُعينك وأخفّف عنك ...

اوليڤيه (على حدة) ... : هو ؟ هو ؟ ... آه ! ...

المشهد التاسع

السابقون — جينور

جينور : مولاي ... ان الامير لذو صولةٍ وشوكة ... وان لك اعداء في منزلك ... فاسهر كل السهر ... واذا بدا لكم ان تفرّوا وجدتم في منزل «جينور وألجي ماهل» ملجأً امينًا

اوليڤيه (بعجلة) : اشكرك !

بيرتان (ينهض) : عليَّ الآن ان اصدَّ العدوّ عن التجمّع ! (يخرج)

المشهد العاشر

يبقى اوليڤيه مفكرًا

اوليڤيه (بصوت منخفض) : حدّثتني النفس بان مجيء جوفروا هذا سيجرّ علينا الويلات ... (يُرخى الستار)

(لها بقية)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

الحقبة الثانية (١٩٠٨—١٩١٨)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء الشام المعدودون

﴿الشيخ حسين الجسر﴾ توفي هذا العالم الاديب في ١٣ رجب ١٣٢٧ (٢٩ تموز ١٩٠٩) كان احد مشاهير اعلام طرابلس الشام ولد فيها سنة ١٢٦١ (١٨٤٥م) وتخرَّج على ادباء وطنهِ ثمَّ على اساتذة الازهر . وأَا عاد الى طرابلس درس العلوم العصريَّة ثمَّ قضى عمرهُ في التأليف والتصنيف والنثر والنظم ودرَّس عدَّة سنين في المدرسة الوطنيَّة فاخذ عنهُ كثيرون من ادبائها ثمَّ اصدر جريدة طرابلس فحرَّرها زمناً طويلاً . لهُ ما خلا بعض التآليف الدينيَّة كتاب في مناقب والدهِ الشيخ محمَّد الجسر ومجموعة ادبيَّة في عدَّة مجلَّدات سمَّاها رياض طرابلس الشام ثمَّ رسائل ادبيَّة وسياسيَّة ومنظومات في التربية . وممَّا لم يُطبع كتاب الكواكب الدرِّيَّة في الفنون الادبيَّة . رثاهُ صاحب الرغائب حكمت شريف بقصيدة اوَّلها :

خَطْبَ الحُسَين أرى ام جسرُنا انتقضا ... ام طَوْدُ علمٍ لجنَّات النعيم مضى
ارَّاهُ من زمنٍ قد دكَّ جِسْرَ تُقىً ... وهدَّ ركناً من الآداب حين قضى

وفي العام الثاني في تشرين الاوَّل سنة ١٩١٠ اصابت المنون ﴿صادق باشا العظم﴾ من وجوه دمشق الشام . تلقَّى العلوم في وطنهِ ثمَّ درَّس مدَّة في كليَّتنا البيروتيَّة . وقف نفسهُ في إثرها لخدمة الدولة العثمانيَّة فترقَّى في مناصبها العسكريَّة بصفة ضابط الى امارة لواء وقول اغاسي . ثمَّ انتدبتهُ الحكومة لمهمَّات عند الشيخ السنوسي وأرسل معتمداً عثمانيًّا الى عاصمة البلغار . وأَا قصدت الدولة ان تنشئ بينها

وبين ملك الحبشة منليك علائق ودّية ارسلتهُ كرئيس وفدٍ فكتب تفاصيل رحلته ونشرها بالطبع وألّف ايضاً تاريخ دفاع باشنا ولهُ رحلة الى الصحراء وادبيات شتى تركيّة وعربيّة . وحرّر مع ابن عمهِ رفيق بك العظم بالعربيّة والتركيّة جريدة الشورى العثمانيّة ارجيت فرارهُ من الاستانة الى القطر المصري فعلّم زمناً في المدرسة التوفيقيّة ثمّ عاد الى الوطن بعد اعلان الدستور فما لبث ان ودّع الحياة

وفي سنة وفاة صادق بك العظم توفي الكاتب النحرير ﴿ الشيخ ابو حسن الكستي ﴾ وقد سبقت ترجمتهُ في القسم الثاني من كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر (ص ٧٩ــ٨١) ذكرناهُ مع رصيفَيهِ الشيخين يوسف الاسير وابرهيم الاحدب وقد جعلنا هناك وفاتهُ سنة ١٩٠٩ والصواب ١٩١٠

ومنّن عظم على الادباء نعيُهُ سنة ١٩١١ ﴿ السيّد حسين وصفي رضا ﴾ شقيق السيّد محمّد رشيد رضا صاحب مجلّة المنار المولود في اوائل سنة ١٨٨٢ مات في تمام شبابهِ وكان درس على علماء وطنهِ مشايخ الازهر العلوم الدينيّة والادبيّة وبرع في الكتابة فشارك اخاهُ في تحرير المنار وفي اصلاح امور الاسلام

وفي ٢٥ تموز سنة ١٩١٣ فُجعت فلسطين باحد رجالها المعدودين ﴿ روحي بك الخالدي ﴾ سليل أسرة قديمة في القدس الشريف كان مولدهُ سنة ١٨٦٤ وتلقّى مبادئ العلوم في وطنهِ ثم في نابلس وطرابلس وفي المدرسة السلطانيّة في بيروت ثمّ انكبّ على الدروس الفلسفيّة والحقوقيّة والسياسيّة في الاستانة وفي باريس حيث اجتمع بعلماء الفرنج فعرفوا قدرهُ . وانتدبهُ الفرنسويون الى التعليم في مدرسة اللغات الاجنبية في باريس وكان احد اعضاء مؤتمر المستشرقين فيها سنة ١٨٩٧ . ثم اختارتهُ الدولة التركية كقنصلها في مدينة بردو عدّة سنين فاطّلع على احوال الفرنسويين وآدابهم . وألّف وقتئذٍ كتابهُ علم الادب عند الفرنج والعرب . ولمّا حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ انتخبهُ مواطنوهُ كمبعوث القدس الشريف وقُلّد بين وصفائهِ وظيفة الرئيس الثاني لمجلس النوّاب وبعد انحلال المجلس عاد الى القدس ثمّ كرّ راجعاً الى الاستانة وفيها توفي بالحمّى التيفوئيديّة وهو في الخمسين من عمرهِ . وكان روحي الخالدي كاتباً بارعاً لهُ عدّة مقالات ومحاضرات ورسائل متفرّقة نشرها في صحف مختلفة . ومن آثارهِ تاريخ الانقلاب العثماني وكتاب العالم الاسلامي . ولهُ ايضاً رحلة

الى الاندلس ذكر فيها بقايا آثار العرب لم تُطبع

وفي السنة التالية ١٩١٤ فقد المسلمون رجلين من نخبة علمائهم ﴿السيد جمال الدين القاسمي﴾ ثم ﴿محي الدين الخياط﴾ عُرف الاوّل بتآليفهِ الدينيّة التي جعلته في مقدّمة علماء دمشق المعدودين. وقد امتاز عن كثيرين منهم باستقلالهِ عن النوافل والفضوليات وخلوّه من تضليل المُخرفين والمهرفين. ولم يكتفِ بالوقوف على اسرار الشريعة بل درس ايضاً العلوم العصريّة وبها ظهر فضل طريقتهِ العلمية. وممّا قالهُ جرجي افندي الحدّاد في رثائهِ :

نمْ يا جمالَ الدين غير مُروَّعٍ انَّ الزمان بما ابتنيتَ كفيلُ
فستعرفُ الاجيالُ فضلَكَ في غدٍ ان كان لم يعرفهُ هذا الجيلُ

امّا الشيخ محي الدين الخياط فكان مولدهُ في صيداء سنة ١٨٧٥ وقدم الى بيروت فتعلّم في مدارسها واخذ عن الشيخين الكبيرين يوسف الاسير وابرهيم الاحدب ونبغ في الآداب حتى اصبح من خيرة ادباء المسلمين في بيروت. وكان ذا روح حرّة وله كتابات عديدة نثريّة ونظميّة في الصحائف البيروتية الاسلامية لاسيما ثمرات الفنون والإقبال. ومن فضلهِ على الناشئة عدّة تآليف وضعها للمدارس في البلاد العربية كدروس القراءة ودروس الصرف والنحو ودروس التاريخ الاسلامي ودروس الفقه. وقد فسّر تفسيراً خفيفاً الغريب من ديوانَيْ ابي تمّام وابن المعتزّ وله تعليق على شرح نهج البلاغة وعرّب رواية الوطن للكاتب التركي نامق كمال بك. توفي في نيسان ١٩١٤

وكانت السنة ١٩١٦ سنة مشئومة على الآداب العربية قُتل فيها ظلماً بامر جمال باشا وحزبه (الاتحاد والترقي) جملة من نخبة الكتبة واهل الادب نصارى ومسلمين . ونذكر هنا المسلمين منهم الذين تركوا آثاراً من اقلامهم . واخصّهم ﴿السيد عبد الحميد الزهراوي﴾ مولود حمص سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) تنقّل في البلاد لطلب العلوم ونشأ حرّ الافكار دون تطرُّف ولا تذلُّل واصدر في وطنهِ جريدة المعلومات فلم يَرُق اساويهُ في عين عبد الحميد فأبعده الى دمشق ثمّ الى حمص تحت المراقبة الى ان امكنهُ الفرار الى مصر سنة ١٩٠٢ فحرّر في المؤيد وفي الجريدة. ولما

وقع الانقلاب العثماني اختاره الحمصيون كمبعوث مدينتهم الى الاستانة وعاين ما حدث هناك من القلاقل وعاد الى مصر فانشأ جريدة الحضارة. ورئس اخيراً في باريس الوفد الطالب اللامركزية فكان في المؤتمر المنعقد هناك بمثابة الدماغ من الجسد. وبفعله أوغر عليه صدور اهل دولته فاحتالوا عليه حتى ارجعوه الى بلاده وحكم عليه جمال باشا بالاعدام في دمشق في ٦ أيار سنة ١٩١٦. وكان الزهراوي لسناً وخطيباً محنكاً. وله شعر حسن. منه قوله:

ما انتَ يا انسانُ هل تدري دماغُك فيه شعرْ
دَعْ عنك دعوى واسمع قولاً مفيداً مختصرْ
الناس هاموا في الغرو ر وراجعون الى القرَرْ
ويرى بنو الانسانِ انهم خلاصةُ ما فُطرْ
دعوى بما يتلون ما يلقَوْن من تعبٍ وضرْ
فتسلَّ فيما اعلمتَ ان فكَّرتَ فيما قد حضرْ
واعبر على المقياس من ماضٍ الى ما يُنتظرْ
واعلم بانَّ المفلحين بذي الحياة اولو البصرْ
والكون ظرفُ جواهرٍ والسرُّ فيه ما ظهرْ

وقُتل مثله شنقاً في ذلك اليوم في بيروت اديب آخر «عبد الغني العُريسي» المولود سنة ١٨٩١ درس في مدارس بيروت وخصوصاً في المدرسة العثمانية لمؤسسها الشيخ عباس الازهري ثمّ علّم فيها سنتين. ثم انقطع الى الكتابة فاصدر جريدة المفيد أيّد فيها النهضة العربية وأثار عليه غضب الاتراك حتى تسنّى لجمال باشا ان يلقي عليه القبض فذهب ضحيّة الاستبداد. ومن آثاره الادبية طبعهُ لديوان الطويراني ثمرة الحياة وتعريبهُ لكتاب البنين لبول دومر

وذهب معهُ ضحيّة تلك النكبة «الشيخ احمد طبّارة» احد ادباء بيروت ووجهائها. اصاب لهُ في الصحافة ذكراً طيباً فحرَّر في اول عهد الدستور جريدة الاصلاح فكان لها وقعٌ كبير في قلوب العرب السوريين. ثم انشأ جريدة الاتحاد العثماني فامتازت بحسن انشائها. وحضر في باريس المؤتمر العربي السوري وكان احد اعضائه العاملين فنقم عليه جمال باشا وذووه فحُكم عليه بالاعدام

وفي السنة ١٩١٧ اخترمت المنون احد ادباء الدروز ﴿محمد ابا عزّ الدين﴾ كان كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافيَّة في جبل لبنان ثم تعيَّن رئيساً لمحكمة الشوف. كان يُجيد الكتابة ويراسل الصحف السيَّارة وله عدَّة مقالات وقصائد أعرب فيها عن حسن ذوق ومعرفة بفنون الانشاء. نشرنا له مقالة مستجادة في المشرق ٢[١٨٩٩: ٥٣٦] تحت عنوان «شهيد العلم»

وفي تلك السنة ايضاً فقدت الاسرة الرافعيَّة الشريفة ومدينة طرابلس رجلاً من اعيانها ﴿الشيخ محمَّد كامل الرافعي﴾. اخذ العلوم الدينيَّة والادبيَّة عن علماء طرابلس ثمَّ قصد مصر ودرس في الازهر. ولما عاد الى وطنه تولَّى فيه تدريس مواطنيه وتخصَّص بعلوم الدين الاسلامي. ومن مآثره الادبيَّة شرحهُ ديوان اخيه الشاعر الكبير مصطفى صادق الرافعي في ثلثة اجزاء طُبع في مصر. وكان الشيخ محمد يعيش بعيشة الزهد لا يحفل بمعاشرة الكبار والذوات ويفضّل العزلة حتى انهُ ردَّ زيارة متصرّف طرابلس التركي فلم يقبلهُ في بيته

وفي اوائل السنة ١٩١٨ قبل نهاية الحرب الكونيَّة باشهر علمنا بالاسف وفاة احد شيوخ دمشق الافاضل ﴿الشيخ عبد الرزَّاق البيطار﴾ المولود سنة ١٨٣٧. وكنَّا اجتمعنا بهِ غير مرَّة وعرفنا فضلهُ الواسع وسعة معارفهِ وطول باعهِ في التاريخ والموسيقى وفنون الادب. خلَّف آثارًا حسنة في الموضوعات الدينيَّة والصوفيَّة والتاريخيَّة. لهُ كتاب نفيس دعاهُ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. وقد أدَّت بالشيخ معارفهُ الى انهُ تحرَّر من قيود التقييد ونبذ كثيرًا ممَّا كشفت لهُ العلوم الحديثة بطلانهُ

وتبعهُ بعد قليل الى القبر في ذات السنة اديب من اهل بيروت المسلمين ﴿بشير رمضان﴾ صاحب مجلَّة الكوثر انشأها بعد الاعلان بالدستور سنة ١٩٠٩ واودعها عدَّة فصول ومقالات حسنة. قد حرَّر مدَّة في مطبعة الولاية ومن آثاره منتخبات شعرية وقصائد من نظمهِ

ادباء المسلمين في العراق والهند

اجاب الى دعوة ربهِ في هذه الحقبة الثانية رجل من ادباء العراق نعتهُ ناشر

ديوانهِ «باشعر شعراء الشرق امس واكبر علماء اليوم» نعني بهِ السيّد ﴿محمد سعيد حبوبي الحسني﴾ احد علماء الشيعة. كان مولدهُ في النجف ونشأ بين اسرتهِ في بلاد نجد ثم عاد الى وطنهِ وتعاطى الكتابة ونظم الشعر فعُدَّ من زعماء النهضة الادبيَّة في العراق ومات في الناصريَّة قرب النجف بعد ان دعا مواطنيهِ الى الدفاع عن الوطن بالجهاد في ٢ شعبان ١٣٣٣ (ايار ١٩١٦م). وشعرهُ فطري رقيق يجمع بين السهولة والمتانة ولهُ موشحات بديعة جارى فيها موشحات الاندلسيين. وقد طُبع ديوانهُ في بيروت في المطبعة الاهليَّة سنة ١٣٣١. ودونك مثالًا من شعرهِ يرثي بعض الاعاظم:

ألا ايها النادي وليتكَ سامعٌ ... اذا ما دعا الداعي ألا ايها النادي
بودّيَ لو تدنو فتسمعَ لوعتي ... عليك ولو تُصغي فتسمعَ انشادي
قضيتَ وما عهدُ الدموع بمُنقضٍ ... وثار الجوى يشوي الضلوعَ بايقادِ
كأنَّ ندى كفَّيكَ عاد لأعينٍ ... ونارَ قراك اليوم عادت لاكبادِ
فيا عبرتَيْ عينَيَّ جودا فنيكما ... اذا لم تساعدني الاحبَّةُ إسعادي
ويا ايها اللاحي رويدكَ لاحيًا ... فانَّك في وادٍ وانيَ في وادِ
ولو قد عرفتَ الحبَّ معرفتي بهِ ... لأقصرتَ إقلاعي وأنجدتَ إنجادي

وصرعت المنون في الهند في هذه الحقبة احد معالم المسلمين ﴿الشيخ شبلي النعماني﴾ توفَّاهُ الله بعد اعلان الحرب الكونيَّة بقليل (١٨ ت٢ ١٩١٤) تعلَّمَ العلوم وساح في البلاد الاسلاميَّة فدرس الطباع واطَّلع على احوال العصر. ولمَّا عاد الى وطنهِ عُهد اليهِ التعليم في كليَّة عليكده فعُدَّ من كبار علماء بلاده وكان يعرف الهنديَّة والفارسيَّة والعربية يحسنها كلَّها. وقد تخصَّص في وطنهِ لاصلاح المسلمين في الهند. ولهُ مصنَّفات مشكورة في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين الفارسيَّة والهنديَّة. ومن تاليفهِ في العربيَّة تاريخ الخليفة عمر بن الخطَّاب كتبها على صورة عصريَّة. ولهُ ردٌّ على كتاب المرحوم جرجي زيدان تاريخ التمدُّن الاسلامي. ورسالة في الجزية وكان يشتغل قبل موتهِ بسيرة رسول الاسلام. توفي عن ٦٥ سنة

وفي السنة ١٩١٧ توفي في تونس احد ادبائها المسلمين ﴿عليّ ابو شوشة﴾ صاحب جريدتها الرسميَّة المعروفة بالرائد التونسي وهي اوَّل جريدة ظهرت هناك سنة ١٨٦١ (لهُ تابع)

نظر عامّ

في الاكتشافات العلميّة الحديثة

للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿علم الآثار﴾

١ كان لاكتشاف قبر «توت عنخ امون» في وادي الملوك في مصر صدى عجب واندهاش أنسى كل الاكتشافات السابقة مع عظم شأنها لان هذا القبر هو الوحيد من جنسه الذي لم ينتهك اللصوص قديماً حرمتهُ وسَلِمت كلُّ كنوزه التي تُوقف تامساً ارباب العلوم المصريّة على ما بلغ وادي النيل من الرقي العجيب في الصناعة والفنون الجميلة. فانَّ ما وجد من القطع الفنيّة والآثار المختلفة تُعَدّ بالمئات وتبهر نظر كل الزوّار فان هناك آنيةً من الذهب الخالص والاخشاب الثمينة وضروب الرخام والصيني وكل اثاث بيوت الملوك مما لم يوجد مثلهُ في قصور الدول. وهناك ايضاً كتابات وآثار دينيّة جميلة تُطلع العلماء على معلومات هامّة. هذا فضلاً عن النواويس التي أُودع فيها موميا الملك وما ازدان به شخصهُ من الجواهر والحلي الثمينة. وسيفتح هذا الاكتشاف عصراً جديداً للدروس المصريّة القديمة. وقد مات مكتشف هذه الكنوز اللورد كرنارفون قبل ان يحظى بمشاهدة معظمها وانما تمتع برؤيتها زميلهُ كارتر

٢ انَّ كثيراً من الآثار الحثيّة وُجدت في جهات انقرة ولذلك يريد الاتراك ان يقيموا لها في عاصمتهم متحفاً خاصاً. والمظنون انَّ انقرة عينها قد بُنيت فوق اطلال مدينة حثيّة قديمة. وبقربها على مسافة كيلومترين منها شرقاً وجد المسيو جورج برو ذاك التمثال العجيب المثّل اسداً فاتحاً فاهُ منقوراً في صخر وهو اليوم في متحف الاستانة. وكذلك على مسافة قريبة منها وجد في جاور كالسي تمثال احد ملوك الحثيين. وفي شرقيها قلعة بوغاص كوي التي اكتشف كنوزها الاثريّة المسيو ثنكلر ومكريدي بك مع كتابات حثية بالحرف المسماري تمكّنوا من قراءتها

٣ قد اكتشف علماء اميركة في دولة ڤيراكروز قريباً من مدينة اوريزابا مدينة سابقة لعهد التاريخ فيها ابنية عظيمة واستحكامات وكتابات بقلم مجهول وهي تشغل ستّة كيلومترات مربّعة

٤ ﴿اكتشاف اسوار القدس القديمة﴾ أظهرت في العام الماضي حفريّات الانكليز في القدس سور المدينة الشرقي الراقي الى زمن الملك والنبي داود فاذا هو بناء جليل لا شبه له بين استحكامات فلسطين القديمة . فانّ هذا السور يزيد علوّهُ عن عشرين قدماً في مثلها سمكاً تدعمهُ اربعة ابراج ضخمة احدث بناء . فكان لهذا الاكتشاف شأن عظيم لمعرفة اورشليم القديمة

٥ ﴿مرسح جرش﴾ هذا المرسح (او قل المسرح) قد اعاد اليه رونقهُ المهندس الانكليزي هرشفلد . ويحيط بساحته ١٤ عموداً ذات قطعة واحدة . وهو من اجمل المراسح المشيَّدة في العهد اليوناني الروماني . وعلى ابوابهِ الثلثة كتابات وتماثيل جميلة

٦ ﴿هيكل بَيسان﴾ اكتشفت البعثة الاميركيَّة البنسلفانية في ١٣٠ ايلول السابق هيكل للالهة الفينيقية عشتروت وهو مستطيل يسند سقفهُ ستةُ اعمدة . وقد وُجدت في الهيكل آنية مختلفة والبناء يرقى الى السلالة المصرية التاسعة عشرة

٧ ﴿هيكل بخوس في بعلبك﴾ الشائع بين العلماء الى هذه السنين الاخيرة ان الهيكل الصغير المقام في بعلبك بجانب هيكل جوبيتر البعلبكي كان مشيَّداً لذكر الاله بخوس لما حول بابهِ من اغصان الكرم المرموز بها الى بخوس إلّا ان احد العلماء المحدثين المسيو تيرش (M. Thiersch) اثبت ان نقوشاً عديدة تزين هذا الهيكل لا توافق الاله بخوس لاسيما صور بعض الحيوانات كالثور والاسد ونبات الخشخاش والسنبل فيستدلّ من ذلك انَّ الهيكل كان مبنيًا للالهة اترغاتيس وزوجة جوبيتر وهو الاله هدد السوري

٨ ﴿كتابات اثريَّة في دمشق﴾ وقف حضرة الاب . وترد في متحف دمشق على ٥٠ كتابة يونانيَّة نُقلت اليها من انحاء الشام وحوران وكلُّها تفيد تاريخ بلادنا وقد فسَّرها مع صورها في مجلة Syria وشرحها شرحاً وافياً استحسنهُ كبار الأثريين . ومن جملتها كتابة الاله مناف التي نشرناها في المشرق السابق

٩ الحفريّات التي باشرها الايطاليُّون في طرابلس الغرب اوقفتهم على مدينة

كانت طمتها الرمال وحجبتها عن العيان وهي المدينة المعروفة بلبتيس الكبرى (Leptis Magna) ولد فيها الامبراطور سبتيميوس سافيروس فأقبل على تزيينها بالابنية الجليلة حتى اصبحت من اكبر حواضر افريقية الشمالية. فلمّا ازالوا عنها الرمال ظهرت بكل محاسنها وابنيتها الرومانيّة العجيبة مع عدد لا يحصى من التماثيل النفيسة وقد يقابلون بينها وبين آثار بعلبك الشهيرة

١٠ افادت المجلّات العلميّة في العام الماضي ان حفريّات مهمّة تحت كنيسة ريمس الكاتدرائيّة التي خرّب الالمان منها قسماً أظهرت بقايا الكنيسة التي انشأها القديس نيكازيوس اسقفها في اواخر القرن الرابع والتي فيها تعمّد كلوفيس اوّل ملوك فرنسة في السنة ٤٩٦ . وهذه الكنيسة كانت على طرز الابنية الرومانيّة الفخمة وتدلّ على براعة اهل ذلك العهد القديم بالبناء. وفي القرن التاسع اذ تلفت الكنيسة بفعل الزمان بُنيت في مكانها الكاتدرائية الجديدة المعدودة كآية في الهندسة

الكيميا والطبيعيات وعلم الحياة

١ ان الكيميويين قد بلغوا في تحليل المادّة الى حدّ لم يخطر على بال القدماء . فالمادّة على قولهم تتركّب من عنصرَين او كهربائيّتين كهربائيّة سلبيّة يدعونها إلكترونَ وهي قوّة مجرّدة عن المادّة وكهربائيّة ايجابية تتكوّن من نواة هيدروجين مادّية ايجابيّة يدعونها بروتون تحيط بها ألكترونات سلبية ولا يبعد هذا المذهب عن المذهب الفلسفي الارسطوطالي القائل انّ المادّة تتركّب من هيولي وصورة

٢ ان ابحاث الكيميويين في تركيب الاجسام قد بيّنت لهم وحدة المادّة الاصليّة التي منها تركّبت العناصر التي لم يتمكّنوا اليوم من حلّها . وانّما وجدوا ان الزئبق يتحوّل الى ذهب وانّ عنصر الراديوم يتحوّل الى عنصر آخر وهو الهيليوم وحلّلوا فتحوّل الرصاص الى زئبق وناليوم. على انّ هذه التحليلات تحتاج الى عوامل قويّة لتصبح ذات فائدة مذكورة

٣ احتفلت لندرة في ١٦ حزيران الماضي باكتشاف الكيموي الانكليزي فاراداي للبترين قبل مئة عام اذ انتزعهُ من كربور الهيدروجين وهو الغاز الذي يدفع اليوم السيارات ويستعمل في مصانع عديدة. وقد أدّى اكتشافهُ الى اكتشاف التروبترين

وبواسطتها الى الانيلين المستعملة لتلوين عدَّة موادّ وللحاجات الطبيَّة والى استحضار الدهون والكاوتشوك

٤ بين الاشعَّة التي يحلّلها الموشور النورُ الواقع وراء البنفسجي ومن الممكن ايضاً ان يُنشأ صناعيًّا بواسطة مصباح يتركّب من الكوارتز ذي بخار زئبقي. فقد جرّبوا هذه الاشعَّة على عدَّة حيوانات كفئران وخنازير هنديَّة هزيلة مسلولة فكانت تُعرض اياماً على الاشعَّة المذكورة مدَّة ثلث او اربع دقائق فما كانت تلبث ان تقوى وتسلم من ضعفها بعد قليل. والامل معقود على معالجة المسلولين لشفائهم بهذا النور

٥ ظهرت في هذه السنين الاخيرة عدَّة تآليف ورد فيها وصف الايطالي الشهير ليوناردو دي ڤنسي في القسم الاوّل من اواخر القرن الخامس عشر واختراعاته العجيبة في العلوم الطبيعية ومن جملتها الطَّيران سواء كان بواسطة الغازات ام بالطيران دون محرّك مع عدّة اختبارات كان يجريها في ذلك. ومن ثمّ يتّضح انهُ سبق بنيّف ومائة سنة اساطين العلوم الطبيعية. وفي كتاباته ما يُشعر بدرسهِ تآليف مَنْ سبقهُ من العلماء.

٦ طار الايطاليّان بيندادو وكبانلي من رومية الى طوكيو على طيّارة جويَّة مائيّة فقطعا ٥٥٧٠٥٥ كيلومترًا بسبع وثلاثين مرحلة. ودار الطيّاران كاملاً واشرف حول اوربَّة في ٣٩ ساعة ونصف في شهر آب

٧ اكتشف العلَّامة الانكليزي سر فرنسيس فوكس في مكتبة لندن الرسالة التي ورد فيها خبر احد التوتيين الذي بلعهُ حوت كبير قبل سنين ثم خرج من بطنهِ حيًّا بعد ٤٨ ساعة وقد كان لهذا الخبر عند وقوعهِ تأثير كبير في اوربَّة واهتمَّ بهِ اللاهوتيون لبيان صحة خبر يونان النبي

٨ انَّ العرب في اسفارهم البحرية في القرون الوسطى ذكروا بين ما وجدوهُ من الحيوانات البحرية حيةَ البحر فوصفوها وصفاً عدّه العلماء مدّة سنين عديدة كحديث خرافة. وفي العام الماضي قد وقف الفرنسويون في بحر الصين على حية بحرية يكاد يبلغ طولها ٢٠ مترًا — وقد وجدوا ايضاً حوتاً كبيرًا يبلغ خمسة امتار من جنس سمك كان يُعدّ مفقودًا في الارض ومحجّرًا فقط

٩ توفي في العام الماضي الدكتور الفرنسوي برغونيه (Bergognié) من مكتب باستور ضحية اختباراتهِ لعنصر الراديوم وقد اراد ان تُعطى جثتهُ لمكتب الطب في

بوردو ليدرس العلماء بتشريحها آثار الراديوم فيها

١٠ انّ الخلايا التي يتركب منها جسم الانسان تتوالى فيها في كل دقيقة عناصر الحياة والموت. وقد قاس الدكتور اونو الياباني كُرات الدم الحمراء التي تحيا وتموت في الجسم كل يوم فاذا هي تبلغ نحو ٥٠٠ مليون في ٢٤ ساعة فا الحياة المادّيّة الّا سلسلة متواصلة ذات حلقات تتوالى بين نشأة وفناء الى ان يغلب عليها الفناء

الجغرافية والجيولوجية

١ معلوم انّ الطيار النروجي امُندسن كان اوّل من بلغ القطب الجنوبي فاراد ان يُضيف الى مجده هذا مجداً آخر فيبلغ القطب الشمالي بطريقة الطيران. وكان الاميركاني روبير ادفن بيرد قد بلغ ذلك القطب بحرًا في ٧ نيسان ١٩٠٩ فاراد أمندسن ان يدركهُ بالطيران في العام الماضي فلم ينجح وكاد يذهب ضحيّة مقصوده فعاد سالماً بعد عناء كبير وهو ساعٍ حاضرًا الى تكرير جملته الجويّة على منطاد كبير

٢ عادت السائحة الفرنساويّة مادام اسكندر داود نيل من سياحتها في بلاد تيبت حيث قضت ١٣ سنة متنكّرةً لابسة ثياب راهبات تلك البلاد فتعلّمت لغتهم ودرست اخلاقهم ونقلت كثيرًا من كتبهم وحصلت على نحو ٣٠٠ كتاب من مخطوطاتهم. وقد قاست مدّة سياحتها كل ضروب المشقّات إلّا انّها بصبرها وجلَدها وعلوّ همتها تمكّنت من كلّ المشاكل ونالت ما لم ينلهُ حتى الآن سيّاح الفرنج

٣ صعد الانكليزي ديوت (M. Dyott) لاوّل مرة الى جبل سان غاي (Sangay) الملقّب بهول جبال الأنْد البالغ علوّهُ ٥٣٢٥ مترًا وهو بركان لا يزال يقذف الحمم والنار. فتوقّل الجبلَ الى مئة متر من فوهة البركان واخذ صورهُ الفوتغرافية وعاد سالماً

٤ اهدت الاميرة ماري اليونانيّة القسم الجغرافي من مكتبة والدها البرنس رولان بونبارت الى الجمعيّة الجغرافية الباريسية وهي تحتوي خمسين الف مجلّد بينها مجموعةُ ما نشرهُ اقدم السيّاح من عهد كريستوف كولمب الى عهدنا. وقد شغلت هذه المكتبة رفوفاً يبلغ طولها كيلومترين

٥ نزل بعض البحّارين الى قعر الاوقيانوس ووصفوا ما فيه من عجائب المخلوقات

وكانوا في ساعة مشاهدتهم لها يصفونها لاهل البرّ بواسطة التلغراف اللاسلكي

٦ حدثت آخرًا من ١٨ آذار الى ٢١ منهُ زلازل قويّة في جهات وودس وجهات مصر وشعر بها كثيرون في بيروت. وقد أثبتها مرصدنا في كسارا وبلغت حركات الابرة الراصدة مبلغاً لم تدركهُ سابقاً ما يدلّ على انّ هذه الزلازل كانت غاية في الشدّة في مركزها

٧ قد اثنى مدير مرصد اوكسفرد هِمر (Mr Hemmer) على الخدم الجليلة التي اداها اليسوعيّون في شمالي اميركة في زمن الزلازل التي حدثت في العام الماضي. وكذلك مرصدهم في بوليفية المعروف باسم لا پاز (La Paz) قد نشرت المجلّات العلميّة ما لهُ من الفضل في رصد الزلازل. وبهذه المناسبة نذكر رصود مرصد كسارا في يوم الخميس ١٨ آذار وما بعدهُ اذ نشر اليسوعيّون قبل ورود الانباء التلغرافية ما دلّت عليهِ آلاتهم الرصديّة من الحركات الغريبة وتعريفهم لوجهة الزلازل ومسافتها تقريباً

٨ وهنا لا بُدَّ ان نكرّر ذكر ذلك الكردينال الذي يُعدّ كرسول افريقية الكردينال لافيجاري اوّل رئيس اساقفة على الجزائر فانّهُ بكل صواب قد اهتزّ العالم المتمدّن لاحتفال السنة المئة لمولدهِ وتعدّدت المظاهرات لاكرامه. ولاسيما في الجزائر حيث نُصب تمثالهُ الجليل وهو الذي استحقّ ان يكرمهُ اعداؤهُ فضلاً عن اصدقائهِ. وعنهُ قال غمبتا وكرسبي انهُ قد أدّى لفرنسة خدماً لم يستطع نيلها جيشٌ كامل

علم الفلك

١ انّ الادوات الفلكية الجديدة في مراصد الدول الكبرى قد بيّنت في هذه السنين الاخيرة ان قطر الشمس يختلف فيبلغ معظمهُ كلّ ثلث عشرة سنة. وبين هذه المظاهرات وظهور كلف الشمس علاقة فانّ قطر الشمس يكون اعظم اذا قلّ كلفُها والعكس بالعكس

٢ ﴿اقنية المرّيخ﴾ عاد بعض المتطفلين على العلم وزعموا انّ في السيارة المرّيخ اقنيةً مشتبكة ما يدلّ على وجود بشر فيها. ففي العام الماضي اجتهد الفلكيّان انطونيادي (M. Antoniadi) وبَلدِهْ (M. E. Baldet) في مراقبتها بنظّارتيها

الكبيرتين فلم يجدا اثرًا لتلك الاقنية المزعومة وانَّما تحقَّقا ان في المرّيخ تقاطيع عديدة من نتوءات وجبال واودية كما تُرى في القمر وفي ارضنا (راجع مقالة الاب رقانيل نخله المنونة «المزان في المرّيخ» في المشرق ١٩[١٩٢١] : ٥٩١ــ٦٠١

٣ ﴿ما وراء السيَّارة نبتون﴾ انَّ السيَّارة نبتون هي على آخر حدود نظار الانسان بواسطة اعظم النظَّارات فيتساءل الفلكيُّون ألا يوجد سيارة أخرى في ما وراءها وانَّما دفعهم الى ذلك انهم رأوا عند ظهور النجوم المذنبة حركات عند ابتعادها عن الشمس تدلّ على انَّ هناك سيَّارة لم تدرسها العين البشريَّة حاضرًا في نظامنا الشمسيّ

٤ ﴿الاشعة الخضراء﴾ كتب حضرة الاب دي أنسلم في بيان وجود هذه الاشعة مقالة حسنة (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٢١ــ٢٤) وبيَّن شروط حدوثها عند غيوب الشمس في أفق صافٍ ثمَّ سببها . وقد افادتنا مجلَّة الطبيعة (La Nature 1925, 358) الفرنسوية انَّ هذه الاشعَّة الخضراء تتحوَّل في بعض الاحيان تباعًا الى اشعَّة زرقاء ثمَّ بنفسجية بكل سرعة . وقد لحظنا مرارًا الشعاع الاخضر دون الشعاعين الآخرين

٥ ﴿المذنَّبات﴾ اعلنت المراصد الفلكية في السنة ١٩٢٥ ظهور عدَّة مذنبات في الجوّ الَّا انها لبُعدها لم يلحظها العموم . وفي السنة الحاليـة ظهرت مذنَّبة اخرى اكتشفها الفلكي أنسور (M. G. E. Ensor) في ١٣ ك ١ وهي من ذوات الحجم الثامن بلغت معظم قربها من الارض في اواسط آذار وكان طول ذنبها يبلغ ١٥ درجةً طولًا . وقد رآها الناس ليلًا

الصنائع والفنون

١ في اواخر شهر نيسان من العام الماضي دُشّن معرض الفنون الصناعيَّة في باريس اشتركت فيه عشرون دولة اجنبيَّة وكان المعرض ممتدًّا على مسافة ٢٣ هكتارًا وبلغ عدد العارضين عشرة آلاف وشُيّدت هناك قصور بديعة لكلّ فنّ ولكل دولة . وكان لسوريَّة ولبنان قسم خاصّ بقرب المستعمرات الفرنساوية . امَّا المعروضات فكانت تتناول كلَّ المصنوعات الحديثة الداخلة في فنّ الهندسة والابنية وأثاث البيوت والحلى والصاغات والاقمشة والمسارح والجنائن وادوات التعليم والطباعة

والعطريّات والتصاوير. وعُرضت ايضاً المصنوعات الدينية والادوات الكنسيّة المختلفة فكانت تأخذ بالابصار بحسنها إلّا انّ معرض الرسالات في الفاتيكان فاق عليها بوفرتها واشكالها

٢ وتبع هذا المعرضَ معرضٌ آخر اخصّ منهُ وهو معرض الصناعة الشرقية افتُتح في باريس في ٧ أيار وعُرضت فيهِ اجمل مصنوعات الشرق من الصين واليابان والعجم والعرب. وتولى المسيو دي لور، تنظيم معروضات سوريّة وتُحفها الصناعيّة فاستوقفت انظار الزوّار واثنوا الثناء الطيّب على اصحابها

٣ في ٢٧ ايلول ١٩٢٥ تمّت السنة المائة على اوّل سكة حديديّة جرت بمحرّك بخاري بين مدينتي ستوكتون ودارلنغتون وكان القطار يقطع ٢٠ كيلومترًا في الساعة وهو يسحب ٣٨ عربة منها ٢٢ للركّاب والبقيّة لبضائع التجارة وللفحم. فجرت في انكلترة بهذه المناسبة احتفالات اطرأوا فيها ستيفنسون مخترع المحرّك البخاري

٤ بلغ في العام الماضي ثمن ما اصطادتهُ الدول من السمك في مختلف البحار نيّفاً ومليارًا من الدولار ربحت منها الولايات المتحدة ٩٦ مليوناً ثم اليابان ٨٩ مليوناً ثم فرنسة ٨٥ م ثم انكلترة ٧٥ م ثم اسبانية ٧٢ م ثم روسية ٥٠ م ثم البرتغال ٣٧ م ثم اليونان ٢٨ ثم كندا ٢٧ ثم اسوج ٢٣ والدنيمرك ١٥ ونروج ١٤ ثم المانية ١١ ومثلها هولندة

٥ ﴿الصناعة الفينيقية﴾ انّ الحفريات التي اجراها العلماء في سواحل الشام منذ ستين سنة اظهرت لعالم الوجود آثارًا بنائيّة وهندسيّة عرف بها العلماء فضل الفينيقيين إلّا ان الاثار الصناعية كالحلي والمصاغات والاسلحة والآنية البيتيّة من الخزف والبرونز والفضة والذهب كانت قليلة جدًّا حتى انّ المستشرقين انكروا انّ للفينيقيين فنًّا صناعيًّا خاصًّا بهم. إلّا ان الحفريّات الاخيرة في جبيل ابطلت هذا الزعم بوفرة المصنوعات التي ظهرت في مدافنها وقد عُرض كثير منها في متحف اللوفر وكتبوا عنها فصولًا شائقة وهم لا ينكرون انّ قسمًا منها نُقل اليها من مصر او من القفقاز او من انحاء اشور وبابل لكنهم ميّزوا بينها قطعًا عديدة لم يمكنهم نسبتها إلّا الى الفينيقيين لامتيازها عن سواها

﴿علم الطب﴾

١ قد اكتشف علماء المانية دواء ناجعاً لعلاج النُّوام الـذي كان يفتك بالوف مؤلفة من البشر في اواسط افريقية . وقـد ارسل البلجيكيون في الكونغو نصف مليون فرنك ليبتاعوا منهُ لمستعمرتهم

٢ داء الـكُزاز احد الادواء التي كانت تؤدي بصاحبها الى الموت بعـد آلام فادحة . وانَّما اصل الكتشف في فرنسة حديثاً يأتي بالشفاء التامّ . واكثر ما يوجـد ميكروب الكزاز في التراب وفي روث الخيل وينتقل الى الانسان اذا مسَّ الارض بيدٍ او برجل مجروحة . وقد مات مؤخرًا في الاسكندرية بالكزاز ولـدٌ كانت نقرتهُ دجاجة . والدجاج كما لا يخفى كثيرًا ما ينقر في التراب فتعلق بمنقاره جراثيم الكزاز

٣ قد ادَّت اختبارات عديدة في هذه السنين الاخيرة اجراهـا الكيموُيون والاطباء الى اثبات منافع عنصر اليود لشفاء عدَّة امراض لاسيما داء الخنازير والغُدَد اذا شرب منهُ الاحداث نُقطاً معدودة وكذلك صبغة اليود مفيدة جدًّا لشفاء الجروح

٤ كان لاكتشاف مصل الطبيبَين النطاسيَّين كليت وغيرين في باريس للوقاية من السلّ تأثيرٌ عظيم في انحاء البلاد فانَّ اختبارهُ في جسم الاطفال في السنة المنصرمة أتى بنتائج باهرة شهد لهـا العلماء في انحاء شتى ووُقي بهِ الوف من الاطفـال حتى المولودين من والدين مسلولين وهي خدمة جديدة مشكورة لعلماء فرنسة الافاضـل ادَّوها للانسانيَّة .

٥ في ١٧ كانون ٢ اقيم في كوبنهاغن عـاصمة خطّ الاستواء تمثال جميل لفقيـد العلم العلَّامة باستور حضر تدشينهُ رئيس الجمهورية ووزراؤها مع جميع سفراء الدول

٦ ﴿الجنائن الطبيَّة﴾ شاعت اليوم في بعض انحاء فرنسة عادة لبعض اهاليها ان يخصُّوا قسماً من جنينتهم لزرع النباتات الطبية يستفيدون منها لصحتهم . وهي نعم العادة لو أتقنها اهل بلادنا وفي لبنان عدَّة حشائش تنفع في علاج كثير من العلل الطارئة على افراد العيال كاليانسون والهندباء والخطمي والقرَّة والراوند والنعنع والقويسة والبابونج والكمُّون وغير ذلك ممَّا كان اجدادنا يفضلونهُ على كثير من الادوية الجديدة الكيموية الغالية الثمن السيئة التأثير في بنية الجسم

مطبوعات شرقية جديدة

E. A. Wallis Budge : THE MUMMY. Handbook of egyptian funerary Archæology. 2d *edit. revised a. greatly enlarged. Cambridge, University Press*, 1925, *with numerous illustr. a. 33 pl.*, *XXIV-513. pp. gr. 8°*

المومیا : دلیل اثار المدافن المصریة

كان العلّامة الاثري الانكليزي والمستشرق المصري المستر بودج نشر اوّلًا هذا الكتاب سنة ١٨٩٣ وفي نيّته ان يجعلهُ كمقدّمة عموميّة لوصف متحف فتسوليام (Fitzwilliam) في كمبردج (Catalogue of the Egyptian Collection) غير ان طول هذه المقدّمة اضطرّت منذ السنة ١٨٩٣ مطبعة جامعة كمبردج الى ان تُفرد لها مجلّدًا خاصًّا يصلح ان يكون كمقدّمة لاي متحف كان من الآثار المصريّة. فكان لهذا الكتاب رواج عظيم حتى ان بعض فصولهِ نُقلت في مصر الى العربية. وهذه الطبعة الثانية التي ظهرت مؤخرًا قد سبكها مؤلفها سبكاً جديدًا وادخل فيها المعلومات المستفادة من الاكتشافات التي جرت في مصر منذ السنة ١٨٩٣. ومعظم تصاوير الكتاب المرسومة في الالواح، وكلّها جميلة ومتعدّدة، قد نُقلت عن كنوز المتحف البريطاني. فالكتاب وُضع قبل كلّ لافادة الانكليز وانّما نصوصهُ اعمّ ولو نُقلت مثلًا الى العربيّة لأدّت خدماً مشكورة لطلبة العلوم المصرية الاثرية. وهنا لا بُدّ ان ننبّه القرّاء على انّ اسم الكتاب «المومیا» لا ينطبق تماماً مع مضمونهِ وكذلك اسمهُ الثانوي «دليل آثار المدافن المصريّة» ليس بمضبوط. والبرهان على قولنا انّ المؤلف خصّص نيّفاً ومائتي صفحة من تأليفهِ لجغرافيّة مصر ولعناصر اهلها ولتاريخها ولأسماء ملوكها ولشرح رسومها الهيروغليفيّة ولاصول اللغة المصرية ولخطوطها المختلفة ولادوات كتابتها ولتنظيم صور هيروغليفها. فكل ذلك مقدّمةٌ عموميّة لدرس الاثار المصريّة. امّا المومیا فلا يبتدئ المؤلف بالكلام عنها الّا في الصفحة ٢٠٢ بالفصل المعنون «بالمومیا». ومنهُ الى آخر الكتاب المنتهي بالصفحة ٤٨٥ يبحث المستر بودج عن المومیا وعن الاثار المنوطة بها كطرائق المصريين في تجهيز المومیا ونواويسهم

والادوات المدفنيَّة وكتابها المعروف بكتاب الموتى الخ. لا بل يجد القارئ بحثاً واسعاً عن الخنافس وبحثاً آخر عن التمائم وبحثاً ثالثاً عن اخصّ صور الآلهة المصريين الى العهد الروماني الخ. وخلاصة القول انَّ الكتاب ما خلا قسمهُ الهندسيّ هو دستور لمبادئ علم الآثار المصريَّة ضمَّهُ المؤلف الى بحثهِ عن الآثار المدفنيَّة. ومن ثم يجب القول ان اسم الكتاب دون محتوياتهِ وهذا مما يشكرهُ لهُ العموم ولاسيما الطلبة. وعلى ما أرى ان هذا الكتاب لو نُقل الى العربيَّة او الى الفرنسويَّة لأفاد كثيراً الطلبة السوريين والمصريين فيهديهم الى ادراك علم يزيد كل يوماً رقياً واتساعاً. وهذا ما دفعنا الى حضّ قرَّاء المشرق الى قراءتهِ واقتنائهِ على الرغم من ثمنهِ البالغ ٤٥ شلناً

الاب سبنسيان وتزفال

Koester (August): Seefahrten der alten Ægypter Meereskunde. *Heft* 165, *Band XIV*, 9. *in*-8°, 31 *pages illustrées*, *Berlin*, *Mittler u. Sohn*, *Prix* 1 *Mark*

سياحات قدماء المصريين النهرية والبحرية

درس الموسيو كوستر سياحات القدماء البحريَّة وهذا الكتاب قسمٌ من تآليفهِ في ذلك خصَّهُ بسياحة قدماء المصريين على نهر النيل الى البحر المتوسط وكان النيل منفذ بلادهم الوحيد وهو طويل المسيل في ارض قليلة العرض. فاتخذوا اوَّلاً لقطع النهر قوارب من البردي ثمَّ ابدلوها من الخشب فدخلوا البحر المتوسط وجروا في انحائهِ وتوصلوا بذلك الى معارف جغرافيَّة دوَّنوها في كتاباتهم الهيروغليفيَّة ج. ل

HUERNERS GEOGRAPHISCH-STATISTICHE TABELLEN aller Länder der Erde. 68. Jahrgang. Vollständig neubearbeitet und abgeschlossen in April, 1925 von Dr Eugen Würzburger prof. a. d. Universität Leipzig und Dr Walter Gravell, Oberregierungsrat in Berlin. L. W. Siedel u. Sohn, Mark 6

جداول هوبنر الجغرافيَّة والاحصائيَّة

انَّ جداول هوبنر الجغرافيَّة والاحصائيَّة اشتهرت في كل البلاد لما ضمَّتها صاحبها من المعلومات الوافية عن كل بلاد الدنيا واعمالها بحيث يطَّلع القارئ بلمحة عين عن كل ما يهمُّهُ من احوال كل دولة كنظامها السياسي وعدد اهلها وعناصرها وتجارتها

وصناعتها واقتصادها ومحصولاتها الوطنيّة وصادراتها ووارداتها وقد تعدّدت طبعات هذه الجداول مرارًا. وهذه طبعة جديدة قام بها رجلان من علماء المانية الدكتور ثورزبرج وغرائل وهي ادقّ واوفى من الطبعات السابقة انتهيا من وضعها في العام الماضي استنادًا الى ما جمعاهُ من المعلومات الرسميّة. فنحضّ الجميع لاسيما التجار على اقتباس فوائد هذه الجداول ودرس مضامينها

P. J. Hugon S. J. : Une carrière de Missionnaire. Préface de Mgr de Guébriant Supér. des Missions Etrangères. *Paris*, 1926, *Ed. Spes*, *Prix* 3 *f*

سياق حياة المرسل الكاثوليكي

بنسبة معرض الرسالات في انتانيكان السنة الماضية ألّف الاب اليسوعي هوغون هذا الكتاب الجميل الذي اودعهُ خلاصة اعمال المرسلين الكاثوليك في انحاء المعمور. فهو يصف كل رسالة فيعدّد مرسليها واعمالها المختلفة تبشير غير المؤمنين وخدمتهم في دينهم ودنياهم ويذكر نتيجة تلك المشروعات الجليلة وعدد المهتدين الى الايمان بواسطة المرسلين ثم يبيّن ما يكابدونه من الاتعاب والمشقّات لخلاص تلك النفوس الضالّة. فكل هذه المعلومات جعلت كتاب الاب هوغون دليلًا امينًا يرشد القرّاء الى معرفة الرسالات ولعلّهُ يبعث في قلوب كثيرين من الشبّان الرغبة الى مجاراتهم في تلك الحلبة الشريفة. وقد صدّر السيد دي غبريان رئيس الرسالات الاجنبيّة هذا الكتاب بمقدّمة اثنى فيها على هذا التأليف واوصى به العموم ل. ش

Romano (Pietro):Storia dell'Educazione fisica in relazione coll'educazione generale. 2 *vols*, *in*-16,*illustrés*, *s. d.*, *Turin Paravia et Cie*, *Prix* 13+26 *Lires*

تاريخ تربية الجسم المادّية ونسبتها الى التربية العمومية

انّ تربية الجسم للاحداث والشبيبة من الامور المهمّة في المعاهد العلميّة وغيرها. وهذا كتاب مخصص بهذا البحث كتبهُ احد اعضاء جامعة تورينو الذي عُهد اليه القسم الارتياضي من تربية الناشئة. وقد اهدى كتابهُ رئيس حكومة ايطالية المسيو موسوليني. والكتاب في جزئين يحتويان ما شاع من هذا القبيل عند اليونان والرومان ثمّ بين

الشعوب التي قامت بعدهم ويروي ما كتبهُ القدماء في ذلك. ثمَّ يفتش عن طرائق هذا التهذيب والرياضات المختلفة التي كان كل شعب يفضلها لتنمية الجسم وتعزيز قواه جيلاً بعد آخر. ثم يتسع في بيان منافع هذه الرياضات البدنيَّة ليصحَّ ما قيل في كمال الانسان انهُ «عقلٌ صحيح في جسم سليم» ج. ل

P. TÉQUI, LIBRAIRE-EDITEUR, 82, RUE BONAPARTE, PARIS, VIe- En vente à la librairie CHÉHAB à Beyrouth. I. Th. Mainage O. P.: IMMORTALITÉ, l'UNIVERS, LES RELIGIONS, etc. Prix 7 f = II. Abbé J. Vernhes: AMOUR ET SOUFFRANCE, in-32, Prix 3 f = III. Abbé Rouzic: LES SAINTS ORDRES, in-12, Prix 12 f = IV. Lajoie: TRANSFIGURÉE, 3e éd. in-12 Prix 2 f = V. Riche: LES SAVANTS SONT-ILS DES CROYANTS? in-12 5 f = VI L'APOSTOLAT MISSIONNAIRE DE LA FRANCE. Conférences à l'Institut Cath. de Paris. in-12, Prix 7 f = VII. R. P. Dom Louismet: INITIATION MYSTIQUE. in-18. Prix 1 f = VIII. R. P. Ed. Hugon O. P.: LA FÊTE DE J-C. ROI. in-12, Prix 1 f., 50 = IX. Tissier (Mr): LE CINQUANTENAIRE DE L'INSTITUT CATH. DE PARIS 1925, in-8°, Prix 2 f 50

تسعة كتب لاهوتيَّة وتاريخيَّة ودينيَّة

اهدانا المسيو تيكي الطبَّاع في باريس هذه التآليف الجديدة التي عُني بطبعها: (١ اولها خطب دينيَّة لاحد كبار الواعظين الاب ميناج الدومينكي مدارها على حقائق فلسفيَّة واجتماعيَّة ودينيَّة فسَّرها الواعظ امام جمهور عظيم من الكاثوليك والزنادقة ليثبت الاوَّلين في ايمانهم ويُقنع الآخرين بضلالهم = (٢ (الكتاب الثاني) للكاهن فرنس ألفهُ لتعزية المرضى المنكوبين ليعلّمهم كيف يستفيدون من اوجاعهم لخلاص نفسهم ونفوس قريبهم مبيناً لهم ان آلام هذه الحياة منَّةٌ عظيمة نفوز بها نعم الله وخيراته = (٣ الكتاب (الثالث) تأليف لطيف للاب روزيك الشهير وصف فيهِ سرَّ الكهنوت والدرجات المقدَّسة اعداداً للاكليريكيين المرشحين لهذا السرّ العظيم وبياناً للشبيبة العلمانيَّة ما يخوّلهُ الكهنوت من الشرف والمجد لذويهِ في هذا العالم ومن السعادة في الآخرة = (٤ الكتاب (الرابع) ترجمة فتاة عرفت عظم كنوز القربان الاقدس فثابرت على تناولهِ كل يوم حتى بلغت قمة القداسة بين عموم العالم = (٥ الكتاب (الخامس) من افضل المصنفات لافحام الزنادقة الزاعمين انَّ العلم

هو مضادّ للايمان. فحضرة الاب «ريش» جمع اسماء عدد عديد من اعظم العلماء الذين كذّبوا بدينهم وحسن سيرتهم هذا الزعم الباطل = (٦) (الكتاب السادس) مجموعة عشر محاضرات لمؤلفين مختلفين في وصف عجائب الله في الرسالات الكاثوليكيّة الاجنبيّة = (٧) (الكتاب السابع) لراهب بندكتي شرح فيه سفر نشيد الاناشيد وبيّن انّ ذاك الكتاب هو وصف سرّيّ لتقرّب النفس من الله والاتحاد به فتحيا بالله كما يحيا الله بها ويقدّسها ويرفعها الى سموّ جلاله الالهي = (٨) (الكتاب الثامن) للاب الدومنيكي هوغون يحتوي تعليمات مستوفية عن عيد السيد المسيح الملك الذي أنشئ حديثاً = (٩) (الكتاب التاسع) وصف الحفلات اليوبيليّة التي أقيمت في باريس في تشرين الثاني من العام الماضي اكراماً للجامعة الكاثوليكيّة الباريسيّة ل. ش

G. Gautherot : Le monde communiste. 1 *vol*, *in*-16, *Paris*, *Ed. Spes*, 1925, *Prix*, 12 *f*

العالم الشيوعي

ما هي الشيوعيّة ؟ ما اصلها ؟ ما فصلها ؟ ما هي البلاد التي شاعت فيها او تهدّدتها ؟ تلك مسائل كثر فيها القال والقيل مع اختلاف عظيم في آراء الكتبة. والمسيو غوترو احد الذين تخصّصوا لدرس الشيوعيّة . وكتابهُ هذا نتيجة ابحاثهِ يتتبّع فيه آثار الشيوعيّة وتعاليمها ويستقري البلاد التي أُصيبت بهذا الوباء المجحف وخصوصاً روسيّة وبلاد آسية التي مُنيت بهذا الداء ثم افريقية الشماليّة. واميركة ويختم باوربّة المتهدّدة بسيف هذا العدوّ الرهيب. فجاء تآليفاً ممتعاً لا يُستغنى عنهُ في درس الشيوعيّة ج. ل

Carlo Gaviglione: Bibliografia delle opere di Antonio Rosmini, disposte in ordine cronologico. *vol*. *in*-16, *Turin*, *Paravia et C*[o] 1925, *Prix*, *Lires* 9,50

نافذة تآليف انطون روسميني

انطون روسميني كاهن ايطالي ازهر في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر (١٧٩٧ــ١٨٥٣) وألّف تآليف متعدّدة ثمّ دخل في ايّام الحبر الاعظم بيوس التاسع في وزارة الكونت روسّي كوزير المعارف. وبين منشوراتهِ الغثّ والسمين ولاسيما في ما رواهُ في كتابهِ عن اصل معارف الانسان فهو يزعم انّ مبدأ كل معارف البشر اصلها

معرفة مجرّد الوجود عموماً . وقد ردّ على وهمهِ كثيرون . وهنا قائمة تآليفهِ مرتّبة على نظام تاريخ نشرها منذ السنة ١٨١٢ وعددُها لا يقلّ عن ١٣٣ تأليفاً . وجامع هذه القائمة يُعنى بنشر ما لروسيني من الآثار . والقائمة هي العدد الخامس من تلك المآثر

Percy Edwin Spielmann: La Genèse du Pétrole, traduit de l'anglais par E. E. Wiener, major du Génie belge, *in*-12, 1926, *Prix* 6 *f*. *Paris*, *G. Doin et C*ie

اصل غاز البترول

قد توفّرت المنشورات التي تبحث عن اصل البترول على قدر ازدياد رواجهِ في العصور . ومع وفرة ما وُجد منهُ لم يزل اصلهُ في البلاد مجهولاً وكثيراً ما وهّم الكتبة في بيان تكوّنهِ . ومؤلّف هذا الكتاب ينتقد آراء مَن سبقهُ ويزعم ان احقّ ما يقال في اصل غاز البترول انهُ ناتج في قلب الارض من آثار حيوانات آليّة وُجدت في قديم الزمان ثم تحوّلت الى بترول وتحليلها انما يؤيّد هذا الرأي ويبطل مزاعم قدماء الكتبة الّا افرادًا منهم . وهذا الكتاب اصلهُ بالانكليزيّة نقلهُ المسيو ڤينر فربح بهِ شكر الفرنسويين الباحثين عن الآثار الجيولوجيّة القديمة ج . ل

L'archimandrite Denis Kfoury O. B., Beyrouth, 1926, pp. 63

عصمة الرهبانية الباسيلية الملكية

سبق لنا في العام الماضي (المشرق ١٩٢٥ ص ١٥١) ذكر مقالة صغيرة تحت العنوان الفرنسويّ المذكور اعلاه لحضرة الارشمندريت ديونيسيوس كفوري روى فيها باختصار ما تتمتّع بهِ الرهبانيّات الباسيليّة الملكيّة من العصمة بازاء السلطتين البطريركية والاسقفية . وها هوذا قد عاد الى هذا الموضوع فاتّسع بهِ بحيث يظهر لكلّ عيان انّ العصمة المذكورة التي بيّن حضرتهُ معناها واقسامها وصورتها وطريقة منحها واتساع سلطتها قد نالتهُ الرهبانيات المشار اليها بقوّة براءة الحبر الاعظم بندكتوس الرابع عشر (Ecclesiæ Catholicæ regimini) المؤرخة في ١١ حزيران ١٧٥٧ التي بها أثبت رسوم الرهبانيّة الحنّاوية الشويريّة وأبطل كل ما يُناكسها . ومن يعرف هذه الرسوم يجد فيها باجلى برهان ما مُنحت من العصمة عن السلطتين البطريركية والاسقفية في كل ما يختص بالسيرة الرهبانية وتفويض امر الرهبان الى رؤسائهم والى مجامعهم .

وقد فصَّل حضرة الارشمندريت كل ذلك مستنداً الى نصوص فرائض الرهبانيَّة. هذا ما خلا بعض الظروف المنصوص عليها بالحقّ الثانوي منها سلطة البطريرك والاساقفة على الرهبان في تدبير رعاياهم اذا اتخذوهم كرعاة النفوس وكذلك في الامور الطقسية وفي توزيع الاسرار خارجاً عن اديرتهم وحكمهم اذ ذاك عليهم في تصرُّفهم. وكل ذلك واضح بما اورده حضرتهُ ويزيل كل ريب من هذا القبيل. فلا جرم انَّ هذا التفسير سوف يفيد الدراوين الايجابية عند التباس الامور ي م

Richard Bell : The origin of Islam in its christian environment *in-8°, 1926, Macmillan and C°, London, Prix 10/6*

اصل الاسلام ومحيطهُ النصراني

هذا كتاب يسرُّنا التوصية بهِ كل قرَّائنا. يبحث فيهِ مؤلفهُ عن رسول المسلمين وما عرفهُ من احوال النصرانيَّة. فتبيَّن لنا انه احاط بموضوعهِ علماً ووقف على ما كتبهُ العلماء قبلهُ في هذا الشأن بل اتى على معلوماتهم. وهو قبل كلّ يروي تاريخ النصرانيَّة في البلاد المجاورة لجزيرة العرب ثم يشير الى نصارى اليمن ونفوذهم في العرب عموماً ثم يذكر موقف نبيّهم بازاء النصرانية. ويتبعهُ فصلان الاوَّل في حالة النصارى بعد الفتح العربي والثاني في نفوذ النصرانية على مبادئ الاسلام. وهذا الكتاب واضح العبارة ذو معلومات ثابتة تدلُّ على انَّ صاحبهُ وقف على الموارد الاصلية وان لم يصرّح بذكرها الاب هنري لامنس.

قوانين المجمع اللبناني

اقتطفها وجمعها ورتَّبها الخوري الياس الزيناتي

طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٤٠٠ × ٢٦)

المجمع اللبناني دستور الطائفة المارونية الكريمة هو اول ما اثبتتهُ الكنيسة الرومانية من المجامع الطائفية الشرقية. وعلى منوالهِ وُضعت المجامع: السرياني الكاثوليكي في الشرفة والقبطي الكاثوليكي في مصر والارمني الكاثوليكي في رومية فكان لهُ التقدُّم بحسن تنظيمهِ وضبط ابوابهِ. وكان الطيب الذكر المطران

يوسف نجم أدّى خدمةً جليلة للاكليروس الماروني بنقل اعماله الى العربية على النسخة اللاتينية المصدّق عليها الحبر الاعظم وطبعها في مطبعة الارز سنة ١٩٠٠ . على انّ في هذا الكتاب الضخم قسماً نظريًّا يعرفهُ الكهنة بدرسهم للاهوت فهم احوج الى قسمهِ العمليّ الذي بهِ يقفون على واجباتهم في خدمة رعاياهم . فانتدب سيادة المطران الجليل اغوسطينوس البستاني رئيس اساقفة صيداء والزهر الرسولي على الرهبانيات المارونية الثلث الكلي الشرف والاكرام حضرةَ كاتم اسراره الخوري الياس الزيناتي الى ان يقتطف تلك القوانين الحكيمة ويجمعها ويرتبها على طريقة الحق القانوني الجديد فقام بهذا العمل احسن قيام واستخرج من اعمال المجمع ٨٩٠ قانوناً تشمل كل ابواب الرسومات الدينيّة الواجب حفظها في قانون الايمان والمدارس والدروس ومنح الاسرار والامكنة والازمنة المقدّسة والاشخاص من اكليريكيين ورهبان وغير ذلك من المعاملات الخاصّة بالدين مع عدّة ذيول وملحقات وفهرس واسع على طريقة حروف المعجم . فجاء الكتاب قريب المنال واضح البنيان لا يستغني عنهُ كهنة الطائفة المارونية بل يحسن بجميع الاكليريكيين مراجعتهُ لفوائده الشاملة لعموم الاحوال الدينية فما لنا الّا ان نشكر الذين ساعدوا على نشره ل . ش

مقالة في سورية

بقلم غبطة السيّد افناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي

طبعت في مطبعة السريانية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٣٦)

لا يجهل احد ما تبحثهُ الحبر الجليل السيد افناطيوس افرام الثاني الكلي الطوبى من العلم الواسع بالآثار الشرقيّة ولاسيما الاراميّة والسريانيّة . ومن ثمَّ نشكر غبطتهُ اذ شاء ان يُطلع ابناء الوطن على كنوز معارفهِ التي اطرأها المستشرقون بمطالعة تآليفهِ العديدة . وها هوذا باشر بنشر مجلة الآثار الشرقيّة التي نؤمل منها منافع جمة لانارة الاذهان ولاحياء مفاخر البلاد . وكفى شاهداً على ذلك المقالة الاولى التي نشرها عن سوريّة فضمّنها خلاصة ما يُعرف عن موقعها وحدودها وتعاليمها ومناخها وملوكها وديانة اهلها ولغتهم وخصوصاً عن اللغات الساميّة وآثارها وآثار لغة السوريين الاصليّة

الباقية حتى اليوم. وغبطتهُ ادرى بكل ذلك من سواهُ وقد تجوّل مرارًا في انحاء اوربّة واطّلع على خزاين كتبها فضلًا عمّا جمعهُ في مكتبته الخاصّة من المخطوطات النادرة. ولذلك قد اقبلنا على النظر في هذا السفر الجليل بكل شوق. وقد اصاب غبطتهُ (ص٢١) بترقية الآثار الخطّية الفونيقية الى القرن التاسع ق.م بل ترقى الى القرن الثالث عشر كما تبيّن بالناروس الملوكي الذي اكتشفهُ في جبيل العلّامة الاثري المسيو مونته وهو اليوم في متحف بيروت (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٧٩). وكذلك نشرنا بالتصوير اقدم الكتابات العربية المعروفة قبل الاسلام اعني النبطيّة التي وُجدت في نمارة المؤرخة سنة ٢٢٣ لبصرى (٣٢٨ للمسيح) وكتابتَي زبد (٥١٢م) وحرّان من اعمال حوران سنة (٥٦٨ (راجع النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص١٥٢ــ١٥٧) فلا غرو ان كتابات غبطته ستصيب استحسان كلّ العلماء ل.ش

فرض عيد مار ايليّا الحيّ حسب الكنيسة السريانية المارونية

طُبع بالمطبعة المارونية في حلب سنة ١٩٢٥ (ص ٢٠٦)

انّ الطائفة المارونيّة في حلب مدينةٌ للقديس والنبي العظيم ايليا بما نالتهُ من النعم السابغة بشفاعته منذ القرن الخامس عشر. فأحسن اذن رئيس اساقفتها الجليل اذ اخرج من خبايا المكتبة المارونيّة الغنيّة بمخطوطاتها هذا الفرض الذي ألّفهُ احد مشاهير ابناء الطائفة الطيّب الذكر القس عبد المسيح نبيان وقدّمهُ لصاحب الغبطة البطريرك مار الياس الحويك الكلي الطوبى ليجيز طبعهُ ونشرهُ. فاجاب غبطتهُ الى ماتمنّيه بطيب الخاطر وسمح لكل كنائس طائفته بتلاوته يوم عيد القديس في ٢٠ تموز. فلا غرو من ان تزيد عبادة الموارنة بتلاوة هذا الفرض الجميل نحو القديس ايليّا شفيع بطريركهم وشرف ملّتهم. والكتاب مطبوع بالسريانيّة طبعاً حسناً ومعظم صلواته مشروحة في العربيّة بالحرف الكرشوني الّا القراءات من الكتاب المقدس وترجمة القديس. وقد لحظنا في السريانيّة بعض اغلاط طبعيّة من ابدال حرف بحرف (ص ٦ ܐܗܘܢ ليس ܐܗܘܢ) وبعض تشكيل قليل الضبط ما لا يخفى عن العارفين. وكنا وددنا لو تُرجمت الى العربية الحاشية الواقعة في الصفحات ١٧ــ٢٣

وفيها كلمات عديدة مستعارة من اليونانيّة لا يسهل فهمُها على من يجهل تلك اللغة ولعلّ بعضها مغلوط من اصلهِ والله اعلم

في ظلال الحقيقة وهو بحث في حقيقة الوجود

بقلم نجيب اشعيا

طبع في مصر في المطبعة التجارية سنة ١٩٢٦ (ص ١٢٦)

حقائقُ لا شك فيها ممزوجةٌ بآراء واهنة ! فلسفةٌ تخالطها السفسطة ! فهذا ما يمكننا ان نقولهُ عن هذا الكتاب الذي موّه صاحبهُ بظواهر الحقّ مزاعم عديدة باطلة. فانّهُ يردّ كل ابحاثهِ عن المخلوقات الى «العنصر الاصيل الفرد» وهو لم يوقفنا على ما يعني بهِ. يزعم انّ كل شيء في العالم مرجعهُ الى السلبيّ والايجابي واقوالهُ فيها ملتبسة معمّاة لا يُستخرج منها حقيقة صريحة. بل كثيرًا ما تُشعر اقوالهُ بآراء الماديين ومذهب التحوُّل. كفى لبيان ضلالهِ عنوان فصلهِ الثالث الذي يحاول فيهِ اقناع القرّاء على انّ لا خير في العالم ولا شرّ وانّما ذلك من الامور الظنّية والخياليّة وكم يخلط بين الشرّ المادّي والشرّ الادبي ويساوي فيها الانسان والبهيمة. يشرح بعض آيات الكتاب المقدّس شرحاً فاسدًا منافيًا لتعليم الآباء والمعلمين كشرحهِ لسبب تيه بني اسرائيل مدّة اربعين سنة (ص ٩٨ــ٩٩) وسبب سقوط اسوار اريحا (١١٧) ينسبهُ الى صوت الابواق خلوًا من المعجزة. وخلاصة القول اننا لا يمكننا ان نوصي بهذا الكتاب الذي يحتوي السمّ في الدسم

ل. ش

مذكرات تاريخيّة

بقلم احد كتّاب الحكومة الدمشقيين

نُشر في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢٦ (ص ٢٥٥)

هذه المذكرات التاريخية التي تولى نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا المخلصي عن نسخة مكتبة الكلية الاميركانية في بيروت صنّفها شاهد عياني من كتّاب الحكومة المسيحيين الدمشقيين ووصف فيها باللغة العامية وصفاً مدقّقاً ما حصل من

الامور في الشام منذ السنة ١٨٣١ حيث ثار اهل دمشق وحُرق قسم كبير منها وقدم ابراهيم باشا لفتح سورية الى السنة ١٨٤١ بنهاية الحملة المصرية ورجوع حكم تركيا. فهناك معلومات لا يجدها الباحث في التآليف المطوّلة وتبيّن ما طُبع عليه اهل الشام من تباين الاخلاق والافكار وتسارعهم الى المشاغبات والفوضى وضروب التعدّيات. وفي محاربة ابرهيم باشا للدروز ما يشبه تماماً ما يجري اليوم من ثورتهم ومقاتلة فرنسة لعصاباتهم. وفي الكتاب تفاصيل عن قتل اليهود للاب توما الكبوشي وخادمه تُثبت ما لدينا عن ذلك من الاستنطاقات الرسمية. فنشكر حضرة الخوري لنشره هذا الاثر الجميل. ويا ليتهُ اضاف اليه فهرساً للاعلام في آخره ل.ش

هدايا أرسلت الى المشرق

١ — منشور بطريركي في السنة اليوبيلية ١٩٢٦ — هو منشور غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك الى طائفته الكريمة يُعلن فيه تمديد اليوبيل العظيم الذي منحهُ قداسة الحبر الاعظم الى العالم الكاثوليكي السنة ١٩٢٦. طبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٦ (ص ٣٠)

٢ — كيرلس التاسع — هو الكرّاس الذي نشرهُ صديقنا جميل افندي البحري بمناسبة انتخاب صاحب الغبطة السيد كيرلس مغبغب البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي على طائفة الروم الكاثوليك مع خلاصة ترجمته. طبع في المطبعة الزهرة في حيفا (ص ١٥)

٣ — صدى كتاب تنوير الاذهان في تاريخ لبنان — وضعهُ جناب مؤلفه ابراهيم بك الاسود وضمّنهُ ما جاء في المجلات والجرائد استحساناً لكتابه السابق وصفهُ. طبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٦ (ص ٣٦)

٤ لمحة من اعمال جمعية قلب يسوع الاقدس المبرية اليافيّة لسنتها الثالثة ١٩٢٥ طبع في المطبعة البطريركية اللاتينية سنة ١٩٢٦ (ص ١٧)

شذرات

الاثر المدفني العبراني في بيروت[1] نشرنا في عدد شباط من مجلة المشرق

1) P. René Mouterde S. J. : Inscription hébraïque du XIe siècle à Beyrouth

(ص ١٢٣ــ١٢٩) كتابة عبرانيَّة من القرن الحادي عشر للميلاد كنَّا زعمنا انَّها اكتُشفت في بيروت استنادًا الى قول من أرشدنا اليها . والصواب انَّ تلك الكتابة المدفنيَّة وُجدت في جبيل فنشرها العلَّامة كلرمون غانو دون رسم صورتها في نشرة البعثات (Archives des Missions, 3e série. XI, 1885 pp. 242-3, n° 128) وقد قابلنا قراءة حضرة الاب سبستيان رونزفل على قراءة العلَّامة المذكور فلم نجد بينها اختلافاً إلَّا في التاريخ المرقوم في سطرها الرابع فان المسيو كلرمون غانو قرأ سنة ٥١٤١١ للسلوقيين الموافقة للسنة ١١٠٠ للميلاد والظاهر انَّهُ خُدع بثقب في الحجر يشبه حرف اليود (ي) العبرانية تراهُ في رسمنا الَّا ان كتابة اليود الموجودة في السطر الاوَّل تختلف عن رسمه هنا . فالرسم والصورة يقتضيان القراءة التي فضَّلناها اعني ١١٠١ الموافقة لسنة الميلاد ١٠٨٩ــ١٠٩٠ . ومن ثمَّ اتى تفسيرنا مع تصويرنا للاثر بافادة جديدة الاب رينه موترد.

﴿رأي المكتب الطبي الفرنسوي في العملية القيصرية﴾ احبَّ جناب الدكتور فؤاد غصن ان يقف على رأي مكتبنا الطبي الفرنسوي في امر العمليَّة القيصرية وقتل الجنين في احشاء والدته ان كان ثمَّ وسيلة لنجاة والدته . فعرضنا القضيَّة على كنشليار المدرسة فاجابنا باسم عمدة المكتب : (اوَّلًا) انَّ مسألة قتل الجنين الحيّ في احشاء امّهِ لخلاص الامّ اصبحت اليوم مسألة نظريَّة ليس إلَّا . (ثانياً) أيجوز قتل الجنين على افتراض انَّهُ الوسيلة الوحيدة لخلاص الامّ هذا امرٌ منوط بالواجب الادبيّ . (ثالثاً) انَّ الطبيب بازاء الضمير لا يستطيع ان يحيد عن الواجب الادبي . (رابعاً) ان تحظير قتل الجنين مبني على اساس القوانين الادبية . والكنيسة بمنعهِ استندت ايضاً الى هذه البراهين العقلية التي لا تلزم الكاثوليك فقط بل عموم البشر . (خامساً) وكادت مسألة قتل الجنين لا يعبأ بها لانَّ العمليَّة القيصرية اصبحت اليوم اسهل وآمن طريقة لنجاة الجنين وامّهِ معاً (كما ذكر في المشرق جناب الدكتور امين الجميّل)

﴿رواج التليفون في اميركة﴾ انَّ المشتركين في الولايات المتحدة بادوات التليفون يبلغون حاضراً ١٥،٣٦٩،٠٠٠ بالنسبة الى ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من السكَّان . والحكومة تجني من هذا الاشتراك نحو مليارين من الفرنكات (١٠٢،٠٠٠،٠٠٠ دولار) وامَّا عمَّال التليفونيَّة فهم بنسبة واحد لتسعة واربعين مشتركاً

﴿سيدة فاطمة﴾ فاطمة قرية من قرى بلاد البرتغال ورثت اسمها من قدماء العرب. ففي السنة ١٩١٧ كان ثلثة رعاة صغار بنتان وصبي يرعون المواشي اذ ظهرت لهم العذراء مريم في ظروف تشبه ظهورها في لورد وتكررت هذه الرؤى من ١٣ ايار الى ١٣ تشرين الاول. وحتى الآن لم يحكم رؤساء الكنيسة في صحة هذه الرؤى على انّ البرتغاليين مذ ذاك الحين اخذوا يتقاطرون الى ذلك المكان ليكرموا فيه العذراء مريم بتلاوة اسرار ورديتها. واكثر وفودهم اليه في الثالث عشر من كل شهر ولاسيما في ١٣ ايار وفي ١٣ ت ١ اي اول عهد الظهور وآخره. وفي السنة ١٩٢٥ بلغ عددهم في هذين اليومين نيّفاً ومئة الف وقد روت الجرائد نعماً فريدة نالها بعض الزوّار كشفاء مرضى وارتداد خطأة الى التوبة

﴿الصحافة الكاثوليكيّة في المانية﴾ قد ادرك الكاثوليك في المانية ما للصحافة من عظم الشأن والنفوذ لنشر مبادئهم والدفاع عن دينهم . ولعلّها من هذا القبيل تفوق على سواها من البلاد. فانّ فيها حاضراً بموجب الاحصاء الاخير ٣١٥٢ جريدة بينها ٤٥١ جريدة كاثوليكيّة لا يكتفي اصحابها بمجرّد اسم الكاثوليكي بل يجاهدون في سبيل الايمان حقّ الجهاد منها في باڤارية ١٣٢ جريدة كاثوليكية وفي بروسية الرينيّة ١٠٠ وفي ڤستفالية ٦٦ وفي بادن ٣٩ وفي ڤورتمبرغ ٣١ الخ. ويا ليت جرائدنا الكاثوليكية تجاريها في روحها ولا يكتفي اصحابها باسم الكاثوليك دون جسمه

﴿الزواج في تركيا﴾ قرّرت حكومة انقرة بان تقام حفلات الزواج على طريقة بسيطة جدًّا فمنعت ان تُهدى الهدايا للزوجين وان لا يزيد عدد العجلات المشيّعة للعروس على خمس ليس إلّا وان يُكتفى بيوم واحد لحفلة العرس بدلًا من ثمانية ايّام وان لا يُدعى الى مأدبة العرس غير الاقارب والمدعوّين دعوةً رسميّة اليها. ومما صدر فيه امرهم ايضاً ان تُسفر النساء عن وجوههنّ وان ينبذنَ لبس الحجّات

﴿جزيرة الاتلنتيد﴾ وصفنا سابقاً في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] ٧٤١) كتاباً للعلّامة الكاهن مورو في هذه الجزيرة واراء العلماء في صحة وجودها او نفيه وانّ البعض جعلوا موقعها في جنوبيّ اميركة. ولعلّ ظن هؤلاء الاخيرين كاد يتحقّق بما وجد في جهات بوليڤية من آثار مدن ترقى الى الوف من السنين تشكلت اليوم بعثات لمباشرة حفريّات توقف على تلك الآثار التي طُمست بطول الاجيال

﴿إلهة سورية في آثار رومية﴾ وُجدت آخرًا في رومية على جبل الجانيكول آثار قديمة كان بينها اثر سوري وهو تمثال الالهة «فورينا» (Furina) ومعناها الهاجة كان السوريون يكرمونها ونقلوا عبادتها الى رومية . والإلهة تُرى مضجعة يحيط بها نقوش بيضيَّة الشكل

﴿تمثال توما اديسون﴾ توما اديسون هو العالم الاميركي صاحب الاختراعات الكهربائيَّة المتعدِّدة فاراد عملة الكهرباء ان يقيموا لذكره في نيويرك قصرًا ذا عشرين طابقًا وينصبوا في واجهته تمثالهُ

﴿ فقيدان عزيزان ﴾ فقدت رسالتنا السورية في ١٣ من شهر آذار الماضي رجلًا من نخبة مرسليها الاب فرنسيس تورنبيز توفَّاه الله بعد اوجاع احتمل مُضضها بصبر عجيب . والمرحوم وُلد في فرنسة سنة ١٨٥٦ وقضى معظم حياته الرهبانية في تعليم الفلسفة واللاهوت والتاريخ الكنسي وقد خدم رسالتنا السوريَّة ٢٤ سنة بغيرة ونشاط فتخرَّج عزيده عدَّة كهنة وطنيين . وكان الاب كاتبًا بارعًا لهُ آثار عديدة في الافرنسية طبعت فاصابت رواجًا وتكرَّر طبعها وكان الفقيد مشغوفًا بتاريخ الارمن وآثارهم فنشر اخبارهم في كتاب ضخم وفي المجلَّات وفي دوائر المعارف الاوربية . واثبتنا لهُ في المشرق مقالات شتى تنطق بفضله وكان من الشعراء المجيدين وصديقًا للشاعر الشهير فرنسوا كوبه

وفي ١٩ من الشهر لبَّى الدكتور حبيب الدرعوني دعوة ربهِ ذات ميتة الابرار مستعدًّا اتمَّ الاستعداد لآخرتهِ حتى سمعنا كثيرين يتمنَّون ان يختموا مثلهُ حياتهم . وقد عرفنا الفقيد منذ نعومة اظفاره وهو تلميذنا فلم نجد في كل حياتهِ إلَّا ما يستوجب الثناء والشكر . وكان طبيبًا نطاسيًّا يتقاطر المرضى الى بابهِ او يستدعونهُ واثقين بتمام علمهِ وورعهِ وكان يخدم الفقراء منهم بتفانٍ ونزاهة . وكان ايضًا كاتبًا مجيدًا ذكرنا في المشرق بعضًا من نفثات قلمهِ . وكان ينظم ايضًا وقد أطلعنا على شذرات من نظمهِ لكتاب الاقتداء بالمسيح . ولعلَّنا ننشرها اذا وقفنا عليها . وقبل هذين الفقيدين العزيزين بأيام نقل اللهُ الى جنان خلده زهرةً غضَّة وهي كريمة احد اصدقائنا جناب حبيب افندي السابكي المدعوَّة اولنا قطفها ربُّها قبل ان يُذوي سَموم العالم محاسنها

أسئلة واجوبة

س سأل احد الاكليريكيين ابن هي المراسلات المعروفة بتل العمارنة وكم هي وفي اي زمان واي لغة كتبت ؟

مراسلات تل العمارنة

ج هذه المراسلات الجليلة الافادة لتاريخ سوريّة القديم ويبلغ عددها ٣٦٠ رسالة معظمها في متحف برلين (٢٠٠) ثم في المتحف البريطاني في لندن (٨٠) وفي متحف بولاق(٢٠) . وهي لمراسلات كُتبت في عهد الملكين امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع منها ما كتبهُ الفرعونان الى عمّالهما ومنها من العمال الى الفرعونين . وهي تحتوي على تاريخ سوريّة وخصوصاً سواحل بحر الشام من السنة ١٤١٠ قبل المسيح الى ١٣٦٠ اعني نحو مئة سنة قبل خروج بني اسرائيل من مصر تحت قيادة موسى النبي

س وسأل جناب يوسف افندي صنبر ماذا يوجد من الصحة في ما ورد في مجلة الضياء عن الهنود المعروفين بالجوغي وما يصنعونهُ من الاعمال العجيبة؟

الجوغي وعجائب اعمالهم

ج انّ الجوغي في الهند بمثابة بعض طوائف الدراويش في تركيّة والعجم . فانّ اعمالهم شعوذات يساعدهم على ذلك تهييج عصبي يبلغون اليهِ بضروب من الحيل كالحركات البدنيّة والرقص وكالاستنشاق والاستنوام وكبعض العقاقير يشربونها او يطلون بها أبدانهم ومن المحتمل ايضاً ان للسحر في بعض اعمالهم نفوذاً

س وسأل احد الادباء المسلمين ايمكن النصارى ان يثبتوا كون الانجيل الذي هو في ايديهم اليوم كان كما هو قبل الاسلام .

صحة الاناجيل المقدّسة

ج يمكن اثبات صحة اناجيلنا حتى القرون الاولى للنصرانيّة دون تغيير جوهري فيها بعدّة براهين . ولأن هذا الامر يحتاج الى بعض الايضاح نحيل السائل الى ما مرّ من هذا القبيل في المشرق في مقالة للاب المرحوم انطون رباط طُبعت على حدة تحت عنوان «الانجيل الشريف» ل . ش

المشرق

المقتطف ومذهب النشوء والعلماء اليسوعيّون

نبذة انتقادية للاب لويس شيخو اليسوعي

اراد صاحب مجلّة المقتطف ان يرشقنا بسهمنا فزعم ان مجلّة المشرق ارتأت انّ الكنيسة الكاثوليكيّة تنكر مذهب النشوء المعروف بمذهب دروين انكارًا تامًّا وتكفّر معتقديهِ وان اليسوعيين كلهم يقولون قولها . فوضع في ابريل ١٩٢٦ (ص ٤١٤ــ٤١٥) مقالةً صغيرة تحت عنوان « مذهب النشوء والعلماء اليسوعيّون » نقل فيها اقوال بعض علماء الكاثوليك وبينهم يسوعيّان الذين على زعمهِ يناقضون رأينا فنقول :

﴿اوّلًا﴾ انّ صاحب المقتطف بنبذتهِ المذكورة عاد بلا داعٍ الى ذكر ما لا علاقة لهُ مع مسألة النشوء والدروينيّة فذكر الابوَين (لا الاخوَين كما قال) جيرارد (Gérard) وهول (Hull) وما قالاهُ عن حكم المجمع المقدّس في امر غليليو الفلكيّ . وقد عالجنا سابقاً هذا الموضوع في المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١٧٨ــ١٨٥) وبيّنّا ان الكنيسة ما كانت لتحكم على غليلاي في قولهِ عن دوران الارض حول الشمس كما لم تحكم على الكاهن كوبرنيك والعلّامة جان ڤرمشتاد لولا ما حاولهُ غليلاي من شرح الكتاب المقدّس وهو رجل عالمي لا يعنيهِ ذلك فبرز عليهِ الحكم لعنادهِ خصوصاً

﴿ثانياً﴾ كان من الواجب على مجلّة المقتطف ان تذكر كلام مجلّة المشرق بحرفهِ قبل ان تنسب الينا تكفير الذين لم يرتأوا رأينا . فانّ مجلة المشرق لم تكفّر إلّا وأي

المتطرّفين من الدروينيّين الذين ينكرون وجود الخالق ويجعلون الكائنات ازليّة كهيكل الالماني وتبعته من الدهريين. امّا مذهب المعتدلين من الدروينيّين المعتقدين وجود الله وتكوين المخلوقات وتدبيرها بعنايته في تسلسلها وتطوّر انواعها من تلقاء ذاتها فانّ مجلّة المشرق لم تكفّره وانّما فنّدته تفنيداً علميًا في عدّة مقالات لحضرة الاب اسكندر طوران (المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٦٠٠ و٦٥٩ و٧٣٩ و٨١٤ و٩٠٨) ولم تحاول مجلّة المقتطف الردّ على ادلّة حضرة الكاتب وبراهينه ودونك ما كتبه الاب المذكور (١٩ ص ٩١٠) في مذهب الدروينيّين المعتدلين :

« اما رأي الدروينيين المعتقدين وجود الخالق والقائلين بتطوّر الانواع في الحيوان والنبات لظنهم ان ذلك يبيّن على وجه افضل ترقي الكائنات وتسلسلها بعد خروجها اوّلاً من يد الخالق فانّ ذلك ينفي اضاليل الماديين ولكنهُ ايضاً زعمٌ وتخمين يردّ الاختيارُ معظم ما يتشبّث به هؤلاء من الادلة وهم يفترضون عدّة افتراضات ويعتبرونها كحقائق علميّة راهنة دون ان يثبتوها بالواقع. وهذا ينافي الاساليب العلمية . . . »

فترى انّ هذا الكلام بعيد عن التكفير فان اتى العلماء الاثبات بالادلّة لبيان رأيهم رضخنا لهُ بطيب الخاطر . اذ ليس مناقضة بين العلم والدين. وهيهات ان يتّفق العلماء على هذا الرأي

﴿ثالثاً﴾ ان ما ذكرهُ عن حضرة الاب وسمان اليسوعي الطبيعي الشهير هو من قبيل الاعتدال. ومن المعلوم انّهُ كشف مع عدّة علماء خداع هيكل في تصويره لأجنّة حيوانات زعم انها للبشر بتزوير فاحش وكانت مجلّة المقتطف وقتئذٍ حاولت الدفاع عنهُ فافحمناها (المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٢٣٨ و٣٩٨ و٩١٩). ومثل هذا قولنا عن الاب (لا الاخ) هترستين اليسوعي وعن القانونيّ دورلودوت (Henry de Dorlodot) وليس هو يسوعيًا. وفي سماح الرؤساء بطبع كتب هؤلاء دليل واضح على سعة افكار الكنيسة الكاثوليكيّة ونيّتها بأنّها لا تعيق العلماء في ابحاثهم وإن لم تُفتِ بصحّة اقوالهم او نفيها بتاتاً

﴿رابعاً﴾ وبهذه النسبة كنّا وددنا لو انكرت مجلّة المقتطف كثيراً من مزاعمها السابقة المُشعرة بمذهب الماديين والمناقضة لمذهب الدروينيّين المعتدلين. فكم قالت بمادّيّة العقل فجعلتهُ «مجموع افعال الدماغ والاعصاب» (المشرق ١ [١٨٩٨] : ١٠٠٩ —

١٠١٥) وزعمت «انَّ الضمير جراثيم تظهر في الطفل بعد ولادته» (المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٩٩٣ــ٩٩٦) وانَّ الضمير يوزَن كالاثقال (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٩٥٦) . ولمَّا ردَّت مجلَّتنا على دروينيَّة المقتطف لم تفند دروينيَّة معتدلة كالتي يقول بها بعض الكاثوليك بل دروينيَّة متطرِّفة (راجع المشرق ٣ [١٩٠٠] : ١٣٩ و٥٥٣ــ٥٧٤) كما انَّها زيَّفت اقوال المقتطف في التوليد الذاتي (المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٤٥٨ــ٥٥٠)

﴿خامساً﴾ ان العلماء الكاثوليكيين دون اختلاف البتَّة حتى القائلين بالدروينيَّة المعتدلة يتَّفقون على انَّ الله وحده يخلق النفس البشريَّة ويجعلها في الجسم المُعدّ لها سواء قيل إنَّ الجسم البشري تطوَّر من المواليد السابقة كالنبات والحيوان ام انَّ الله خلقهُ رأساً وانَّ هذه النفس مجرَّدة عن الهيولي روحيَّة خالدة كما بيَّنهُ حضرة الاب انطون صالحاني في ردوده على المقتطف في مقالاته الممتعة «قبل الولادة وبعد الموت» (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ١ و١٠١٥ ثم ١٠ [١٩٠٧] : ٣٦٤)

﴿سادساً﴾ ويحسن بنا مع ذلك بان نقول ان الكنيسة الكاثوليكيَّة وان لم تكفِّر الدروينيَّة المعتدلة إلَّا انَّ اللجنة البابويَّة القائمة لمراقبة الدروس الكتابيَّة في ٣٠ من حزيران سنة ١٩٠٩ وضعت عدَّة فتاوى في فصول كتاب التكوين العشرة الاولى وشرحها شرحاً تاريخيًّا تدلُّ على انَّها لا ترى في هذه الفصول تأييداً للمذهب الدروينيّ المعتدل وان لم تكفِّرهُ وهناك خبر تكوين الله عزَّ وجلَّ لجسد آدم من التراب ما لم يُقَلْ ان ذلك ورد مجازاً لا حقيقةً فعلينا اذن ان ننتظر ريثما يثبت لنا العلماء ببراهين قاطعة مدَّعى الدروينيين في تطوُّر الجسم البشري من النبات الى الحيوان الى الانسان فتحكم به الكنيسة حكماً فصلاً . وكلّ آتٍ لصاحبهِ قريب

وخلاصة القول انَّهُ لا بُدَّ من اعتقاد وجود الخالق وتكوينهِ للكائنات مباشرةً وخلقهِ النفس البشريَّة تزًّا دون وسيط . امَّا تكوين الجسد أكان بفعلهِ تعالى رأساً كما يلوح من كلام سفر التكوين وتفسير الآباء ام كان بتهيئتهِ لمادَّة تتسلسل وتترقى بقوَّة فعلهِ تعالى السابق حتى اذا بلغت قبولها للنفس البشريَّة في بعض الحيوانات اوجدها الله بهِ فتلك مسألة لم تحدِّدها الكنيسة بعد وان كانت اظهرت لجنتها انَّها تفهم آيات سفر التكوين بخصوص خلق الله للجسد في معناها الحقيقي لا المجازي

مدرسة القديس يوسف السريانيَّة المارونيَّة في القاهرة

للاديب يوسف افندي المدوَّر

توطئة

لقد جاء في جزء شهر تشرين الاول من السنة الثالثة والعشرين لمجلة المشرق الغرّاء (ص ٧٥٠ــ٧٥٥) مقالةٌ عن «الطائفة السريانيَّة المارونية في القطر المصري» وهي حلقة من سلسلة مقالات تاريخيَّة نشرها حضرة الاب اسحق ارملة واورد فيها اموراً كثيرة عن تاريخ السريان في القطر المصري. اما هذه الحلقة التي نحن في صددها فقد خصَّها حضرته بذكر السريان الموارنة، فجاء على تاريخ نزولهم في مصر وما ادَّوه للبلاد التي اضافتهم من خدم علمية وادبية ومادّية فاصبحت وطناً ثانياً لهم، ثم استطرد حضرة الناشر الى ذكر ما للموارنة من المؤسسات الخيرية والكنائس وعدَّد بعض رؤساء رسالتهم الرهبانيَّة القائمة بخدمتهم الروحية. وذكر ايضاً كنائسهم القديمة وما كان حضرتهُ ليسى ان يصف مدرسة القديس يوسف السريانيَّة المارونيَّة التي هي حاضراً في عاصمة القطر المصري وانَّما تأخَّرت عنهُ المعلومات التي كان موعوداً بها فلم يسعهُ ذكرها. ومن ثمَّ أردنا انشاء هذه النبذة التاريخيَّة عنها فنجعلها كقلادة في طرف سلسلة مقالات الاب ارملة «السريان في القطر المصري» ومسك ختام لها:

انشاء مدرسة القديس يوسف

في اواخر سنة ١٩٠٤ وفد الى مصر من لبنان ذلك الحبر الكبير المثلث الرحمات المطران يوسف ذريان مستنابًا من غبطة السيد البطريرك الجالس سعيداً مار الياس بطرس الحويك لادارة شؤون الطائفة المارونية في الروحيات والزمنيات، فاقام في

الدار التي كان سبق فابتاعها المرحوم الكونت خليل صعب اللبناني ليوقفها على طائفته المارونية مركزاً للمطرانية والنيابة البطريركية ، فاخذ المطران يسعى بترميم الطابق السفلي من تلك الدار لاجل إعدادها مدرسةً ابتدائية تضمّ اليها ابنـاء الموارنة في هذه العاصمة . وفي شهر حزيران من سنة ١٩٠٦ قد وقف الكونت صعب الـدار وما حولها من الارض فاضحت ملكاً شرعياً للطائفة ومركزاً لمطرانها ، فاحتُفل آنئذ بفتح المدرسة وتولى رئاستها الخوري بولس قرآلي الحلبي ، فأمّها في ذلـك الحين من الطلبة ما يربو عن المئة عدداً من متفرّق الطوائف السورية بين سريان موارنة وسريان كاثوليك وارمن وملكيين ، ولم يحجم اخواننا المصريون من الاقباط عن ارسال بنيهم لارتشاف افاويق العلوم من هذه المدرسة ، اذ يجنون من روضتها ثمار الفضائل والتهذيب والتعاليم المسيحيّة مع اللغتين العربية والافرنسيّة . ولما رأى ذاك الطيّب الذكر ان البناء القديم المشترى يضيق عن استيعاب دائرة النيابة البطريركيّة والمدرسة امر ببناء الجانح الجنوبي المؤلف من طابقين جُعلت العليا منها منامة للتلامذة الداخليين

والمدرسة رتاج خارجي خلاف مدخـل دار النيـابة البطريركية مبني بالحجر النحيت يعلوه الشعار البطريركي الذي يُقرأ فيه تلك الآية الذهبيّة [illegible] اي لقد أُعطيَ مجدَ لبنان

اتباع المدرسة لمنهاج وزارة المعارف المصرية

ولم تطل رئاسة الاب قرآلي على المدرسة فاستقـال ، فعُيّن النـائب البطريركي المرحوم الخوري شكرالله الشدياق وليـاً لها ، فقام بما عُهد به اليه ؛ الّا انه لـدواعٍ صحيّة اضطر ان يعتزل الرئاسة ، فعهد سيادة المطران يوسف دريان بهـا الى حضرة الخوري بولس رزق مرهج (١ فنهض باعباء ادارة المدرسة بمـا عُرف به من الهمّـة والنشاط وبما فُطر عليه من العزم وماكن الارادة ، فجدّ وصرف كل عنايته في السعي لترقية المدرسة ورفع منارها ؛ فقرر تدريس اللغة الانكليزية بطريقة اجبارية وعهـد بتلقينها الى اساتذة مشهود لهم بالمهارة في فنّ التعليم . ثم سار بالتعليم على منهاج وزارة

١) الخوري الاسقفي والوكيل البطريركي حالاً

المعارف المصرية. اما تدريس اللغتين العربيّة والافرنسيّة والرياضيات فيقوم به اساتذة افاضل من اكليروس الطائفة أتي بهم من لبنان. واذ رأى الرئيس الحالي اقبال الناشئة على المدرسة عمل على توسيع اماكنها، فبنى بعض الغرف وانشأ فيها صفوفاً متوسطة تنتهي بتأدية الامتحان في وزارة المعارف لنوال الشهادة المعروفة «بالكفاءة» كما سيجيء وصفه

وفاة منشئ المدرسة

وفي ربيع سنة ١٩٢٠ مُنيت المدرسة بفقد رئيسها الحبر الكبير المثلث الرحمات المطران يوسف دريان فكانت وفاته صدمة عنيفة لها بما شمل قلوب الاساتذة والطلبة من الاسى والحزن على خسارة من كان لهم نبراساً نيّراً، وقائداً حكيماً، وراعياً صالحاً، فوقفت لحظةً بكت فيها على فقد منشئها العزيز. على ان همة رئيسها المفضال التي لا تني ولا تعرف الكلل لم تكن تلك الصدمة لتؤثر بها كل التأثير وتوقف المدرسة عن سيرها المطّرد. بل اخذ هذا الرئيس العامل، منذ فوضت اليه الوكالة البطريركيّة وثُبّت رئيساً على المدرسة، يواصل الجدّ والعناية في رفعة شأنها ليرقيها الى مستوى المدارس الكبرى في القاهرة

اقسام المدرسة

تشتمل مدرسة القديس يوسف على ثلاثة اقسام: «روضة الاطفال» وهي ما يعبّر عنه في مصر بالقسم التحضيري، ومدّتها سنتان يكون الصبي في نهايتها عارفاً مبادئ التعليم المسيحي والصلوات الواجبة تلاوتها يومياً ومُلمّاً بالقراءة البسيطة وقادراً على الكتابة وعارفاً بعض قواعد حسابيّة ابتدائيّة. ويحتوي هذا القسم في هذه السنة نحو ثمانين صغيراً

«والقسم الابتدائي» ومدته اربع سنوات في نهايتها يؤدي التلامذة الامتحان في وزارة المعارف فينالون الشهادة الابتدائيّة المسماة «بالكفاءة» التي تؤهلهم الى الحصول على مراكز في المحلّات الماليّة او في دوائر الحكومة بوظائف متوسطة. ويضمّ هذا القسم ما يقرب من ٢٥٠ تلميذاً

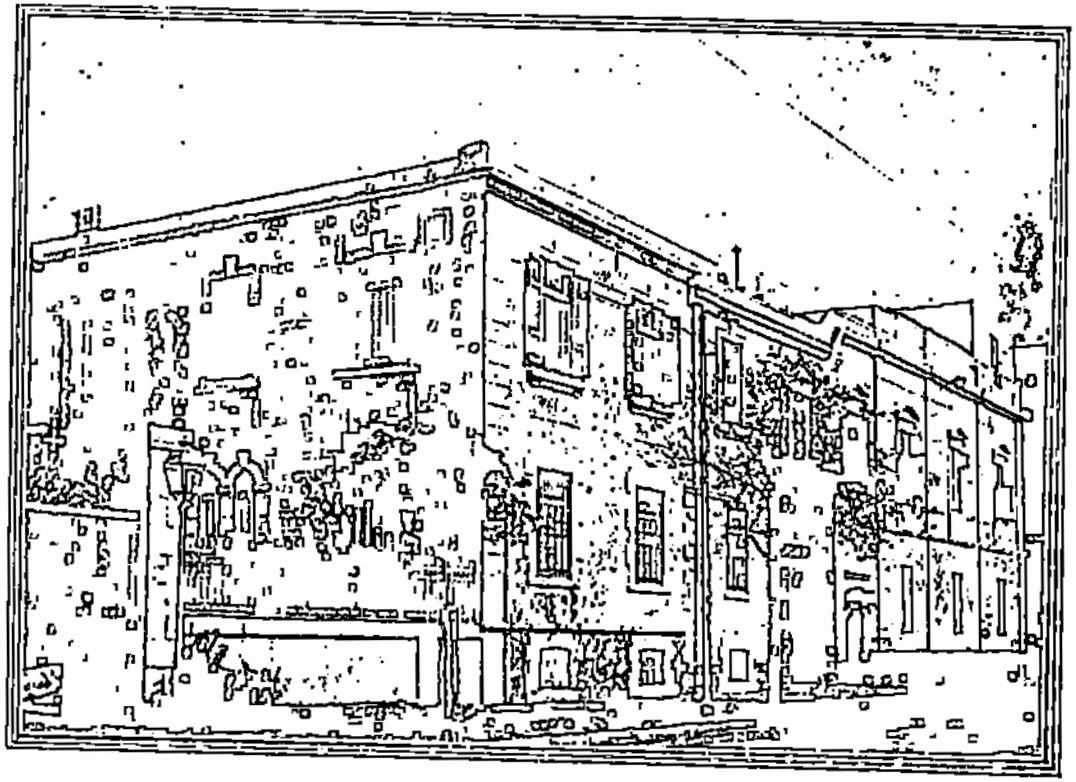

مدرسة القديس يوسف السريانيّة المارونيّة في القاهرة

ومنذ السنة المنصرمة انشأت ادارة المدرسة ﴿القسم الثانوي﴾ الذي مدته سنتان في آخرهما يؤدي الطلبة الامتحان لنوال شهادة وزارة المعارف الفارسيّة (البكالوريا) وعدد طلبة هذا القسم ٣٢ طالباً. فيكون مجموع طلبة المدرسة الحاليين ٣٦٣ بينهم نحو ١٥ في المائة يتلقّون العلوم امّا مجاناً وامّا بتخفيض ٥٠ في المئة من الاجور المقررة، وهؤلاء تقدّمهم جمعيات الطوائف الكاثوليكيّة الخيرية التي تؤدي عنهم الاجرة المخفّضة، بشرط ان يكونوا ينتمون الى عائلات كاثوليكيّة. بيد انّه لا فرق في التعليم بين من يؤدون الاجور كاملة ومن يدفعونها مخفضة بل جميعهم يجلسون في قاعة واحدة ويتلقّون العلوم على معلّم واحد

وفي المدرسة ﴿فرع داخلي﴾ يضم نحو ثلاثين تلميذاً، ولو ان سعة المدرسة تسمح بقبول الداخليّين لكانوا اكثر عدداً

وانّا لننشر هنا جدولاً يبين للقارئ اجلى بيان نتيجة الامتحانات التي ادّاها تلاميذ المدرسة المارونية المنتهون امام لجنة وزارة المعارف العمومية مدة السنوات الست الاخيرة إظهاراً للسابقية التي حازتها مدرستنا بمعزلٍ عن المدارس الاخرى التي من درجتها. وقد تكرمت بهذا الجدول ادارة المدرسة نقلاً عن سجلّاتها:

السنة	١٩٢٠	١٩٢١	١٩٢٢	١٩٢٣	١٩٢٤	١٩٢٥
المتحنون	٨	١١	٢٠	١٧	١٨	١٨
الناجحون	٧	٩	١٤	١١	١٤	١١

فتكون النسبة متراوحة بين ٨٥ــ٧٠ في المئة، في حين ان النسبة المئوية للامتحانات العمومية تتراوح بين ٣٩و٢٨ في المئة

امّا الطلبة الذين نالوا شهاداتهم ولم يطرقوا باب الاستخدام بل احبّوا اتمام دروسهم العالية فيقبلون في مدرسة العائلة المقدسة للآباء اليسوعيين اذا هم اختاروا القسم الافرنسي، واما الذين يختارون القسم الانكليزي فيدخلون مدارس الحكومة المصرية، وفي كلتا الجهتين يُعرف خرّيجو المدرسة المارونيّة بحسن اخلاقهم وآدابهم، اذ هم قدوة حسنى باجتهادهم وحصولهم على اعلى الدرجات

اوقات التدريس

ينهض الداخليون من نومهم في منتصف الساعة السادسة صباحاً ، ويحضر الخارجيّون منذ الساعة السابعة فيسمعون القداس الالهي في الساعة السابعة والنصف. امّا النهار فقسم الى ساعات تدريس ورياضة بدنية وتنزه ، على ان الخارجيّين لا يبارحون المدرسة الّا متى آذنت الساعة السابعة مساء ، بحيث انهم يدرسون امثولاتهم ويكتبون تمارينهم وفروضهم في المدرسة تحت نظارة الاساتذة. الّا انهم يعطّون في منتصف النهار ساعةً ونصف الساعة لمناولة طعام الغداء في منازلهم اذا كانوا ليسوا ممن يتناولونهُ على مائدة المدرسة. وعليهِ فتكون مدة العمل من الساعة السابعة صباحاً الى السابعة مساء ، يتخلّلها انصاف ساعات تنزّه متفرّقة ؛ بهذا يصبح الطالب متمرناً على المحافظة على اوقاته ، محباً للعمل ، غير متضجّر من كثرته . وقد اشتهر خرّيجو مدرسة القديس يوسف المارونيّة بهذه الخلال الحميدة في المراكز التي شغلوها فكانوا قدوة لرصفائهم في الميل الى العمل واستحقوا ثناء رؤسائهم

الطقوس الكنسيّة واللغة السريانية

في المدرسة فرقة مؤلفة من التلامذة الذين لهم ميل الى الموسيقى واهلية لذلك. فيتمرّنون ما لايقلّ عن الساعة يوميًا على انشاد الالحان الكنائسيّة لخدمة القداس وغيرها من الاحتفالات ، يقوم بتلقينهم هذا الفن حضرة رئيس المدرسة نفسه فهو من ذوي الخبرة في الطقوس والموسيقى الكنسيّة ، وقد وضع الحاناً لبعض المزامير الداودية ، التي تُرتّل في الاعياد الدارخة موقعةً ايقاعاً جميلًا يسترعي السمع ويهيب بالقلب الى الخشوع ، دون ان يخرج عمّا هو مألوف ويسمى نغماً كنائسيا . على ان حضرته في تمرينه فرقة الترتيل لم يُهمل الالحان الكنائسيّة القديمة المشهورة في مراكز الطائفة بل ينتخب منها ما حسُن ولذّ سماعهُ ، وحيثما وجد بعض الخلل اصلحهُ ورتّبه فيصبح النغم مطابقاً لضرورات الفنّ دون ان يبتعد عن بساطة وجمال الانغام الدينيّة والترتيبات الطقسيّة ؛ ولهذا فالحفلات الدينيّة التي تقام في كنيسة النيابة البطريركية المارونيّة انما هي على غاية من الرونق والنظام ، جامعة لابهة الطقوس الشرقيّة ، يشعر من يحضرها

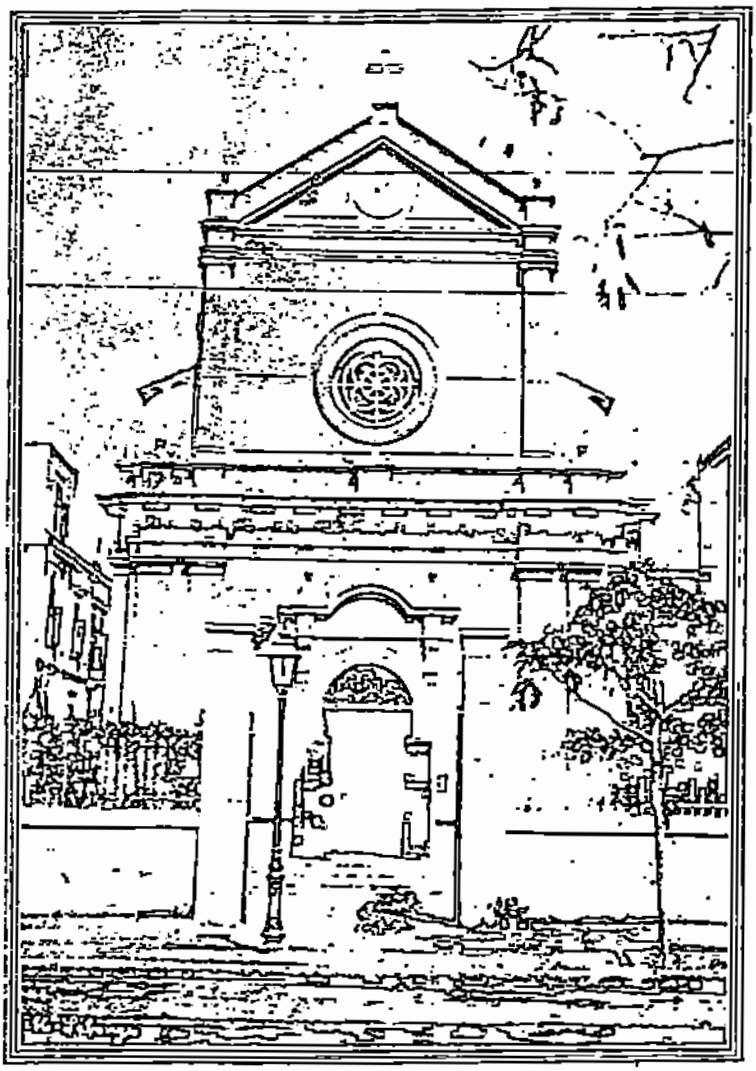

واجهة كنيسة العائلة المقدسة المارونية

في القاهرة

باخبات وخشوع عظيمين مع لذة السماع لانشاد فرقة الترتيل الموقع احسن ايقاع

وانا لنتمنى في هذه المناسبة من صميم الفؤاد على ابناء طائفتنا في لبنان والمهجر ان يكون في مدارس الطائفة واديارها الجامعة بل وفي رعايا القرى العامرة اجواق ترتيل تقوم بخدمة الطقوس الكنائسيَّة وتعمل على إعادتها الى رونقها ووحدتها ، مع المحافظة على ما في خدمة القداس من الاناشيد السريانيَّة التي لا يحسُن تعريبها ، بل هي جميلة في سريانيَّتها وتدلّ على قدم طقسنا ونفاسته . بيد ان من اللازم تهذيب لغة الاناشيد العربية البحتة حيث توجد ركاكة او ضعف مما لم يَعُد يصحّ السكوت عنهُ في عصرنا هذا (١ ونلاحظ على بعض الشمامسة المرتلين في لبناننا سرعتهم في تلاوة بعض الصلوات والمقالات من خدمة القداس بنوع انهم يتولون بضع كلمات من الاول وعبارة من الآخر مما لا يلتحم بعضه مع بعض ولا يحصل له معنى معقول ، فهذا مما يستدعي انتقاد الآخرين وهو اهمال لا يجوز . وفي هذا كفاية لأولي البصائر

ولم تهمل ادارة المدرسة اللغة السريانيَّة العزيزة وهي لغة طقسنا ، وقد كادت تموت ، بل أُنشئ في المدرسة فصل يضمُّ عدداً غير قليل من الاحداث الموارنة والسريان يتلقنون اللغة السريانيَّة بطريقة توصلهم الى ان يصيروا قادرين على الاشتراك في الصلوات الفرضيَّة وقراءة الكتب الطقسيَّة . وايم الحق انها لخدمة جلى تقدمها المدرسة الى الطائفة والطقس والوطن بتحبيبها هذه اللغة الى الناشئة ، عملاً باشارة غبطة السيد البطريرك الذي ما برح في كل منشور يذيعه يحثُّ رؤساء المدارس على تعليم السريانيَّة كيف لا ونحن نرى اهتمام الشعوب بكل ما هو وطني ونسعى المحافظة على اللغة ؟ وها بنو اسرائيل مع تشتتهم تحت كل كوكب وتكلمهم بمختلف اللغات قد نهضوا نهضة واحدة لإحياء لغتهم العبرانية فنشروا فيها الجرائد والمجلات ووضعوا الروايات التمثيليَّة ، بل تطرَّف البعض منهم الى ان امسوا لا يتكلمون الَّا بالعبرانيَّة . لعمري اننا مع كوننا نربأ بلغتنا العربيَّة المحبوبة عن ان يحلَّ محلَّها غيرها من اللغات ، فاننا نحرص شديد الحرص على لغة طقسنا من ان تندثر ، بل نتمنى لو ظلت السريانيَّة لغة

١) ان لحضرة رئيس مدرسة القديس يوسف كتاباً عنوانهُ «غذاء النفوس في الصلوات والطقوس» هذَّب فيهِ لغة خدمة القداس والزياحات دون ان يبتعد عن الاصل المألوف وهو ممهور بتصديق وختم غبطة السيد البطريرك ، فيحسن استعماله منذ الآن

التخاطب بين الاكليريكيين في مدارسهم وبين الرهبان في اديرتهم ، ولكن هل كل ما يتمنّى المرء يدركه ؟ ! غير اننا نخشى ان يجيء يوم لا يعود يجد الكاهن شخصاً يخدم له قدّاسه او يقرأ فصلاً من الرسائل او مقالاً آخر طقسيًّا بسبب اهمال تعليم اللغة السريانيّة . امّا اولئك الكتبيّون الذين نشروا بعض الكتب الطقسيّة بالحرف العربي ابتغاء الكسب فقد ساعدوا على اهمال تعلّم السريانيّة وكان عملهم حجر عثرة في سبيل احياء اللغة ، سامحهم الله ! ! (١ غير انه لا يخفى على ذوي البصيرة انه من اللازب اللازم المحافظة على بقاء اللغة السريانيّة حفظاً لكيان المارونيّة واحياء لطقوسها الكنائسيّة

كنيسة العائلة المقدسة حذاء المدرسة

وفي الجهة الجنوبيّة من المدرسة تقوم كنيسة العائلة المقدسة ، وقد تبرع ببنائها ايضاً ذلك المذكور بالطيّبات الكونت صعب واقف دار المدرسة ، طولها نيف وخمسة وعشرون متراً واتساعها احد عشر متراً ، وكان الفراغ من بنائها في اوائل نيسان سنة ١٩٠٩ فاحتُفل حينئذٍ بتكريسها وافتتاحها رسميًّا احتفالاً فخماً اشتركت به رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة برئاسة الطيّب الاثر المطران دريان . والكنيسة مع صغرها جامعة في داخلها بين سلامة الذوق وجمال الفنون . وقد تولى نقش جدرانها بالالوان احد رجال الفن الايطاليّين فرسمها برسوم القديسين والملائكة ونقشها نقشاً بسيطاً نظير ما في كنائس ايطالية ، فجاءت آية تبهج مجد الله ! وتقام فيها الحفلات الدينيّة على ما قدّمنا بكل فخامة وجلال . وفي المدرسة عدد غير قليل من الاكليريكيين كهنة وشمامسة فهم يقيمون صلاة الخورس الحقيقيّة ما بين جوقين في مساء الاعياد الصارخة وفي آحاد الصوم واسبوع الآلام المقدس قياماً بالواجبات الطقسيّة واطاعة لارادة غبطة السيّد البطريرك الكلي الاحترام

وقد عُلّق حذاء الكنيسة جرس ليس بالصغير ولا بالكبير الخارق الّا انه يُدقّ على طريقة اجراس لبنان (المربعة) اللطيفة ، غير انه لا يمكن ان يكون ألوبةً للشبان المتهوّسين يمتحنون بدقّه قواهم البدنية كما هو جارٍ في بعض جهات لبنان ولاسيما في

١) في مقالة في الكتب الطقسية المارونية سأنشرها في فرصة اخرى

ايام الاعياد ، اذ يُقتصر في الاحتفال بالعيد ، اذا استثنينا اقامة القداس الالهي ، على قرع الجرس ، ولا غير ذلك !!

وانّهُ ليسرّنا في ختام هذا المقال ان نذكر ان ثلاثة من تلامذة مدرسة القديس يوسف المارونيّة قد اعتنقوا الدعوة الاكليريكيّة وواحد منهم هو اليوم يتمّم الدروس المؤهلة لدرجة الكهنوت في كليّة القديس يوسف اليسوعيّة في بيروت. تلك هي ثمرة ما يغرسه رئيس المدرسة واساتذتها الافاضل في قلوب الناشئة من بذور الآداب والتعاليم المسيحيّة المؤدية الى الكمال. ويقيناً انه ليس باليسير ان ثلاثة شبان من مدرسة واحدة يهجرون العالم الى الكمال الاكليريكي في مدينة كالقاهرة حيث الغواية ناصبة شركها في كل سبل الشبيبة

هذا وانهُ ليعجبنا ما نراهُ في التلامذة القدماء من شواعر عرفان الجميل نحو اساتذتهم وعاطفة حبّهم المكين للمدرسة التي انشأتهم وارضعتهم ألبان العلوم والآداب ، اذ مع كونهم قد اتمّوا دروسهم في مدارس اخرى عليا، وهم اليوم يشغلون مراكز مختلفة ، زاهم ما برحوا يفتخرون بانتمائهم الى مدرسة القديس يوسف المارونية مجاهرين بكونهم من خرّيجيها وقدماء تلامذتها

هذا ما منّ لنا نشره عن هذا المعهد الحديث من معاهد السريان في القطر المصري الذي وان صغيراً بكيانه فانه كبير بنتائجه ، وهو ، كما يتراءى للمتطلّع اللبيب ، تطبيق لمثل « حبة الخردل » الوارد في الانجيل الكريم . ومَن امعن النظر معتبراً ما اوردناه عن حالة هذه المدرسة تحقّق ان هنا اصبع الله

صورة بيورلدي

من احمد باشا الجزّار الى مشايخ الدروز

توطئة

لمّا اسند الباب العالي تدبير ولاية الشام الى احمد باشا الجزّار مع رتبة الوزارة ضغط المذكور على البلاد بما فرضهُ من الضرائب على الاهلين. فكان ذلك داعياً تشبّث بو الدروز في لبنان لشقّ

عصاة الطاعة واثارة الفتن ومحاربة عساكر الدولة في السنتين ١٢٠٦و١٢٠٧هـ (١٧٩١-١٧٩٢م) فدامت الحرب عدّة اشهر وحدثت وقائع شتى تارة الدروز وتارة الدولة . وقد عثرنا بين مخطوطات مكتبتنا على ثلث نسخ من بيورلدي (ومعناه بالتركية الامر او القرار) وجّهه احمد باشا الشهير بالجزّار الى زعماء الدروز بعد رجوعه من مرافقة الحجاج سنة ١٢٠٧ يدعوهم الى الطاعة وينذرهم بالعقاب ان خالفوا امره وامر الامير بشير الشهابي المتولّي على لبنان فاحببنا ان ننشره لما فيه من الشبه بالاحوال الحاضرة . وهذا الاثر كان موجودًا في تاريخ الامير حيدر الشهابي المعروف بالغرر الحسان في اخبار الزمان الّا ان متولي طبعه المصريّة ضرب عنه الصفح وهذه صورته ل . ش

صدر المرسوم المطاع ، الواجب القبول والاتّباع ، الى امراء ومشايخ ومشايخ عقل وعمّال ورعايا وسائر سكّان الشوف والمتن وكسروان بوجه العموم يحيطون علمًا

نعرّفكم انّه لما عزمنا على المسير ، لطريق الحاج الشريف وزيارة نبيّنا السيّد البشير النذير ، عليه افضل الصلاة والتسليم من العليّ القدير ، قد كشف الله لنا عن ما هو لا بُدّ ان يتوقّع ويصير ، فانذرناكم وحذّرناكم غاية التحذير ، وذلك قبل تحرّك ركبنا السعيد من صحراء المزيريب (١ ، عرّفناكم عن هذه الافعال السيّئة الرديئة ، والطُرقات المعوّجة الغير المرضية ، فلا بُدّ عن مسيركم بها وسلوككم في شوارعها ، فاخذتم المشتري وهاروت (٢ عقيدة ودين ، وأبعدتم عن قول الحق المبين ،

يا ايّها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولّيات اصحاب الامور . فتزحزحتم بغرور انفسكم عن ذلك وفنيتم آثار مَن تقدّمكم من الظالمين . ونسيتم ما حلّ بهم من العذاب الاليم ، وأشهرتم الجور والاعتساف ، وتركتم الصواب والانتصاف ، وسعيتم في الارض بالفساد وما جزاء الذين يسعَون بالفساد الّا ان يُقتّلوا ويُصلّبوا او تُقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، فكان أيدًا لتحسكم بجنسكم . وروى الله انّ الذين كفروا لم ينالوا خيرًا . فتراكمت عليكم التحوسات فما ازددتم الّا شرًّا .

١) المزيريب قرية من نواحي حوران على طريق الحاج وتقطنها سكّة حديد الحجاز بعد درعا ٢) المشتري وهاروت صنمان من افراد الجنّ على زعم البعض

وكنّا نظنّ في حلول ركابنا السعيد من طريق الحاج الشريف ان يتغيّر الخبث الذي بانفسكم «ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بانفسهم (١» (سورة الرعد ع١٢) فبقيتم ما انتم عليه من الطغيان، ومزيد البهتان، وفي غيابنا طلب منكم افتخارُ الامراء الكرام الاميرُ بشير شهاب الخدامة حُكم قولكم فاذا انتم بمزلٍ عنها وصدقَ عليكم «يا ايها الناس انّما بَغيكم على انفسكم» (سورة يونس ع٢٤) وكان يلزمكم اطاعة خليفة رسول الله مالك ذمّة الخليقة شمس فلك الدولة العثمانيّة والسلسلة الخاقانيّة ملك البحرَين والبرّين اسكندر ذي القرنين (٢. فاظهرتم التباعد والتنافر ووزّعتم في عقولكم انّني بهذه المسافة لستُ براجع. فكلُّ مُنجم كذّاب. فاعلموا واعرفوا وتحقّقوا ان سلكتم في قدَم الطاعة وكنتم مطيعين وخاضعين لولدنا الامير المشار اليه فعليكم من طرفنا امانُ الله وامان رسوله ثمّ امانتنا ولن تشاهدوا منّا الّا المسرّة. وان بقيتم وثبتّم على حالكم وسوء اعمالكم فبعناية الملك القاهر، انني بكم لظافر، ولأتركنكم كالامس الغابر، ولأدمّرنّكم بكل دامر، سلّموا تسلموا، وان عاندتم تندموا ولا تدخلوا في حيز قوله تعالى «مَنْ نكث فانّما ينكث على نفسه» (سورة الفتح ع١٠). واياكم والمكر ومخالفة الصواب وايقاع انفسكم في هلكات الحساب، واعتبروا قول ربّ الارباب «فوقاهُ الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» (سورة المؤمن ع ٤٨). والباغي يرجع بَغيُهُ في نحره. فانهضوا في الطاعة والتسليم، تحظوا ان شاء الله بالمرام والتكريم، غيروا من انفسكم هذا الوسواس اللئيم، توكّلوا على الله وأُفوّض امري الى الله، واذا تزحزحتم عن الطاعة ننشر اعلامَ الحرب نحوكم ونوجّه عساكرنا الزاخرة كالبحور سائين بَواترهم بايديهم وسُمْرَ القنا ساحبين والدماء سافكين فمن قُتل منهم الى جنّة رضوان خالدين ومَنْ قُتل منكم في سعير جهنّم متقلّبين، فانظروا لنفوسكم الخلاص فاذا كنتم من اهل السنّة والجماعة، فادخلوا في حيز الاطاعة، وان ابيتم تروا اوخم الاحوال والتنكيد والله حسب ونعم الوكيل

---

١) وبالاصل: ما بانفسهم

٢) هذه نعوت والقاب يمنحها الكاتب للسلطان وكان الملك وقتئذ السلطان سليم الثالث

قصة صالح ابن عبد القدوس مع راهب الصين

نشرها حضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تتمة)

ثم ان الراهب ارخى عينيه وبكى بكاء مرًّا شديدًا فقلتُ: يا راهب ما الذي يبكيك ؟ قال: أبكي على شيء ذكرتُهُ (ص ١٢) وحقٍّ عرفتُهُ ، قلتُ: ما هو امرك ؟ قال: قد ضيّعتُ يوماً لم أحسن فيه عملي. وذكرتُ قلّة الزاد وبُعدَ الطريق وعقبةً كؤودًا خطاها نزولًا وصعودًا. وما أدري أإلى جنةٍ ام الى نار وعذاب شديد. قلتُ: يا راهب كيف استحليت الغربة ؟ . قال: يا اخي ليس الغريب الذي مشى من بلد الى بلد . ولكنّ الغريب مؤمنٌ بين فسّاق وعالمٌ بين جهّال لا يعرفون حقّه ولا يستفيدون منهُ. قلتُ: يا راهب لِمَ لا تنزل من هذه صومعتك وتخالطنا وتعاشرنا. فعندنا رهبان يعاشروننا ويخالطوننا ونخالطهم(١ . قال الراهب : هيهات هيهات يا فتى كم متعبّد بلسانهِ متمدد لربّهِ يقاد غدًا الى نار الجحيم . . . واعلم يا فتى ان الدنيا مَرْدَةٌ سكّابها للموت. كلّما تزوّجت الدنيا بزوجٍ طلّقهُ الموت وهي من الموت طالقة . فمثلها مثل الحيّة لأنها لينة عند ملمسها والسمّ في انيابها قتّال. فحين يراها رجال دون العقول تهوى اليها عقولهم فلذلك نفثت فيهم من سمّها. وخلطت لهم مرارة عيشها بعد صفائها . . . ثمّ قلتُ لهُ : بِمَ يُستعان على الدنيا في الزهد ؟. قال: بكثرة ذكر الموت وتقصير الآمال مع دوام العمل. قلت: يا راهب متى ترحل الدنيا عن القلوب وتسكن الحكمة في الصدور؟. فصاح الراهب صيحةً عظيمة وغشي عليه ساعةً واحدة حتى افاق. فقال: كيف قلتَ (ص ١٣) يا فتى أعِدْ عليّ القول. قال: لا والله ما ترحل الدنيا عن قلبك وتسكن الحكمة في صدرك وانت مشغول في مكسب الدراهم الحرام والدنانير. وتستمتع في مكسب الحلال وانت مع ذلك تحبُّ النظر الى هؤلاء — واشار بيده الى الخلائق . . .

قلت: يا راهب أُريد اتوب واكون معك(٢ . فاجاب الراهب وقال : ما الذي

---

١) لعلّ في قوله هذا دليلًا على نصرانيّته

٢) هذا دليل ثانٍ على تنصّر صالح بن عبد القدّوس ورغبته في الزهد

اصنع بك معي. الآن مُعطي الارزاق يسوق رزقي اليّ في كل وقت ولا يكلفني الى احد. فمن يقدر على ذلك غيره؟ واعلم يا اخي ان العبد اذا زهد في الدنيا تعلق قلبه في ملكوت السماء. ونظر الى الدنيا بعين حقيرة. قلت: يا راهب متى يبلغ العبد درجة الكاملين؟ قال: يا فتى عن امر عظيم قد سألتَ وخيرٍ جسيم فحصتَ. اول درجة يصعد فيها اهل الصلاح ان يكفُّوا النظر من اتعاب الشهوات والصبر عند البلاء، (ص١٥) والشكر عند الرخاء، والحمد عند القضاء، وليس بعدها درجة

قلت: يا راهب؟ (ص١٤) مِمَّ كثرةُ ذنوبنا وخطايانا وقسوة قلوبنا؟ قال: الله الحاكم فيكم. وسترُهُ المنسدل عليكم. وآماله لكم فتركتم الآخرة وقبلتم الحاضرة، وحلفتم بالأيمان الكاذبة. وحكمتم الاحكام الجائرة، فصعُب عليكم دينكم وضعف يقينكم. وقستْ قلوبكم، وكثرت ذنوبكم، وظهرت عيوبكم، ولم تفرغوا عن كُرُوبكم فأبعدتم آمالكم، واخفيتم اعمالكم، وكثر في الشرّ كُدودكم حتى فنيَت آجالكم، واخذتم لدينكم الهوان والعيوب. وتركتم طلب العلوم، وظهر فيكم الظلوم، وتجرأتم على الآثام واخفيتم اللامة. واظهرتم الخيانة. وتعاملتم بالغدر، ونشأ فيكم المكر، وسارعتم في الشرّ، وزهدتم في اكتساب الخير، واخذتم نعمة الله بآلة الشكر، وطبعَ على قلوبكم الفخر، وقصرتم في العمل، وركبتم الزلل، حتى فني منكم الأجل، ومزجتم ألسنتكم في العسل، وقلوبكم ممتلئة بالدغل، وكسبتم الآثام، وسعيتم بالنمام... وقلّلتم الحسنات، وعصيتم ربّ السموات، فلا ناهياً يزجر، ولا واعظاً يأمر، ولا خافياً حاضر. ولا ناصحاً ظاهر، وقلّ علمكم وكثر (ص١٦) جهلكم، وسَفِه حلمكم، وظهر فسقكم، وكثر غشكم، وتعزّز جوركم، وطال سهوكم... واهتممتم في مكسب الذنوب، وستر بعضكم على بعض العيوب، ولم تخافوا من العالم بالغيوب، واستحليتم الحرام، وتلطختم بالآثام، وركبتم الذنوب والعصيان، وقطعتم صلاة الرحمان، وكثُرت فيكم الخيانة. واخترتم الهوى. وحشوتم قلوبكم بالدغل. فكلامكم حلو وفعلكم مرّ. والسنتكم يابسة، وقلوبكم عابسة، تتحابّون باللسان وتتباغضون بالقلوب... ونسيتم الإعراض على رب العالمين والوقوف بين يديه. وتبعتم الشهوات. وتركتم الحسنات. وختمتم الشهادات، وذهبتم في الخطايا. وجمعتم الاموال من الحرام. فصغاركم جهال. وكباركم

فجار . وهتكتم الحرم . وسعيتم بالامم . ورغبتم في المظالم . واصبحتم من الخيرات زاهدين . وسعيتم في العباد ، وأكثرتم في الارض (ص ١٧) الفساد ، وعصيتم الجبار ، وأطعتم الاشرار ، وجلستم مجالس الفجار ، وتجنبتم مصاحبة الابرار ، ولبستم الاوزار ، وعملتم اعمال اهل النار ، فان استغنيتم بطرتم ، وان افتقرتم كفرتم ، وان حلفتم كذبتم ، وان أمنوكم خنتم

قلت : يا راهب صف لي اخلاق اهل الدنيا قال : ستر بعضكم على بعض فاصلحتم بينكم . ولو أنبتم بالتوبة الى ربكم في هذه الدنيا . لكان انتقلتم عن العاصي الى طاعة الله ربكم . وهو حليم لا يعجل على من عصاه . لكنكم كاذبتم الروساء . واستحلفتم الربا . فضللتم عن الهدى . وسفكتم الدماء . واخترتم الزنا . واطعتم النساء . فذهب عن وجوهكم الحيا . واشتغلتم عن الآخرة في هذه الدنيا . فخنتم في الكيل والميزان . وتعاونتم على الارامل (ص ١٨) والايتام . وجالستم السلاطين . وتفاضلتم على ظلم المساكين . ولم تخافوا العذاب ، ولم تخشوا العقاب ، ولم تفكروا في الحساب ، لا الى المظالم تنظرون . ولا من عالم تسمعون . ولا عن المكروب تفرجون . ولا في الخير ترغبون . ولا العاصي تتجنبون . ولا من الخطيئة تنتقلون . ولا الى الله تتوبون . وبطلتم الصلاة . ومنعتم الزكاة . وبطر غنيكم ، وذل فقيركم . وبخلتم بما اعطاكم الله من نعمائه . وانتزعتم البركة من ارباح . وتجنيتم على الفقراء . وعصيتم رب السموات . ولم تشكروه على نعمائه . وهو رقيب لا يغفل عنكم ويؤخركم الى يوم تقفون بين يديه . ويفعل بكم ما يشاء ويحكم فيكم ما يريد . والله ما يريد ظلم عباده . يسألكم عن اعمالكم ويأخذكم بما فعلتم . ويجازي الاخيار بايصالهم الى النعيم المقيم . والاشرار بتخليدهم في الجحيم والعذاب الاليم ، فيا اموات ويا بني الاموات توبوا قبل ان تتفرق الجماعات ، تلحقوا باهل البركات ، فالذين بنوا المدن والحصون اين هم . اشتغلوا في هذه الدنيا عن الآخرة . فنفيت (ص ١٩) اعمارهم وانقطع رجاؤهم . ونزل بهم الموت وبدد شملهم . فخلوا الدور والقصور ، وسكنوا في ضيقة القبور ، واستقرت عليهم الجنادل والصخور ، وبقوا مرتهنين في قبورهم الى يوم الحكم والدين .

ثم ان الراهب رجع في كلامه على نفسه . واقبل يبكي ويقول لها : تكرهين لقاء ربك الكريم عند ساعة الرحمة . يا نفس يا نفس ما ارى لي في مثاحتك راحة . والى

اين من الموت تهربين . والى اين من الحساب تفرّين . (ثم قال) اللهمّ انتَ الذي سترت عيبي . واظهرتَ محاسني . فاسألك ان تحشرني مع المتقين . فانك اجود الجوّاد وارحم الراحمين . واكرم الاكرمين . وانت ربّ العالمين . (ثم قال) سبحانك انت الذي شاهدتهم . وانت المطّلع على أسرارهم . . .

ثم ان الراهب أخفى نفسه ولم أرَه بعد ذلك فصحتُ : يا راهب بالله عليك أرشدني (ص ٢٠) . قال : أبلغ النظر الى محلّة الاموات . واجعل الحالات في الاوقات . فقلت : يا راهب اعضدني بمن عليه اعتمد . قال عظّم ربّك وكرّر ذكره ؟ . وكن ممن يراك حيث نهاك . ولا تكسب الحرام وتنفقه في الحلال . فانّ تركه قربان لله . واقنع بالقليل . لأن ما قلّ كفى ونفع . وهو خيرٌ ممّا كثر فأردى . يا فتى واذا أمّنك احد بشيء . فردّ الامانة الى اهلها . ولا تظلم . فان الله ما يظلم احدًا . وينتقم للمظلوم من الظالم . يا فتى احذر دعوة المظلوم . فانها لا تُحجب عن الله . واعلم ان الدنيا ولذاتها هي بمنزلة مالٍ رأيت في منامك . فلما استيقظت لم ترَ منه شيئاً . يا فتى لا تحسد من هو راغب في الدنيا . ولا تنازعه عليه . فكم مَن طلب الدنيا ولم يدركها . ومن ادركها ما شبع منها . يا فتى استحي (ص ٢١) ممن هو اليك اقرب من حبل الوريد . واذكر الموت وانتكر في عقابه . وفي انقضاء اجلك . قبل ان يبعد منك املك . وانظر الى ضعف خلقك . لانك من نطفة قذرة . وسيرك الى تربة حقرة . يا فتى وَضِّعْ نفسك وعظّم عقلك . واحزن على ما فات منك . ولا تمت في غير طاعة ربّك . يا فتى أكثر البكاء على ما قدّمتَ من ذنبك . واعلم ان الندامة تأتيك حيث يأتيك الموت . فلا أنت الى اهلك عائد ، ولا في عملك بزائد ، واعرف ما فيك من رحمة الله ربّك . يا فتى اذا رأيت جنازة محمولة . فاعلم انك بعدها محمولٌ . واعلم ان كل من خاف من الله خاف منهُ كلُّ شيء . . يا فتى اشتغل بعيوبك عن عيوب غيرك . ولا تعيّر احدًا بما هو فيه . فيبتليك الله به . واياك والعُجب فان الاعمال الصالحة ما تُقبَل اذا مازجها العجب . واياك والبغي فانه وخيم المصرع . يُذهب الحسنات ويكثر السيّئات . واياك (ص ٢٢) اللجاجة تكسب الحيرة . يا فتى اصبر ولا تعجل فتندم . ولا تحسد فتكدّر عيشك . ولا تطلب طول العمر . فيوصلك الى الخرَف . ولا تشمت فيُشمَتَ بك . وفكّر في الاخرة لتأمن الندامة وتجتنب الضحك فانّه يورث البكاء . ولا تستخفّ بالمتقين فتبعد من الصالحين . ولا

تمسك المتعظمين . ولا تلاجج الاشرار . فان بُليتَ بهم فاغلبهم بالخير . ولا تجازهم بالشرّ . لان الغالبَ الشرَّ بالشرّ مغلوب . يا فتى الهرَب الهرب ممن يمدح الحسنات ولم يفعلها ويذمّ السيئات ولم يتركها . يا فتى وعليك بالتواضع والصدق يكسبانك رضا الله والمحبة بين الناس . واصلح في العالم نيّتك فتنال الراحة في آخرتك . واصفح يُصفَح عنك . وارحم فتُرحم . واغفر فتُغفَر . واترك الشرّ وافعل الخير . لانك كما تكيل يكال لك ويتوفّر (ص٢٣) . يا فتى أكرم نفسك ولا تشرب المسكر لان اوّله غرام ، وآخره هتيكة وندامة ، ولا تجالس من يحسّن لك الخطايا ويركّبك اياها . فانه ما يكسبك غير العداوة ويرميك في هوّة الموت . يا فتى أقصر في الكلام فتأمن السلامة في السكوت . ولتكن ممن يُرجى خيره ويؤمن شرّه . واعلم ان كل من احبّه الله ابتلاه ، ومن سخط عليه تركه وخلّاه ، يا فتى واذا تكون في شدّة او في مرض لا تكثر الشكاية فيعظُم ذنبك عند ربّك . غير انك تكون اذا اعتللت بامر تكثر الشكر لله . يا فتى اياك والنّمامة فانها تزرع الطغيان . وتعرف بين المحبين . ولا تستحسن لنفسك ما لا تستحسنه لغيرك . وارضَ للناس بما ترضيه لنفسك . فان الذي يلزم لنفسه هذه الاشياء يكون قد كمّل القضايا وهي صلاح في الدنيا والدين . والحمد لله ربّ العالمين

ثم ان الراهب نهض من ساعته الى مخدعه (ص٢٤) فناديته : يا راهب أدعُ لنا في صلواتك . فمن تلك الساعة سمعت صوته وهو يتخشّع في صلاته قائلاً : ادعوك يا ربّ برحمة حبيبك يسوع المسيح سيّدنا ومخلّصنا الذي به اهتدينا ، وبفضله استغنينا ، وبنعمته ارشدنا وبدعوته وفّقنا ، والايمان به قرّبنا . وأجبر ضعفنا ، ولا تلجئنا الى حيلنا وقوّتنا . وأقل عثراتنا ، واستجب دعواتنا ، ومع جملة الذين أرضوك باعمالهم الصالحة احشرنا ومن عذاب النار وظلمة الجحيم نجّنا . ومن رحمتك الغزيرة لا تخيّبنا . وأنقياء من الذنوب والخطايا اجعلنا . وعلى ما سلف منّا في غير طاعتك لا تحاسبنا . وعندما يأتي السيّد المسيح مخلّصنا . يجلس على كرسي عرشه . كما قد أخبر عنه رسلنا وانبياؤنا . وساعة الموقف بين يديه لا تخجلنا ولا تفضحنا . ومن جانب يمينه أقمنا . ومع العازر المسكين واللصّ اليمين اجعل نصيبنا ومأوانا لانك سميع مجيب بملائكتك المقرّبين آمين . ورحمة الله على القارئ والكاتب والسامعين آمين .

كملت قصّة راهب الصين

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٢٩ امين الدولة هبة الله ابن التلميذ (تتمة)

ولابن التلميذ اقوال حسنة في الفكاهات واللطائف منها وصفهُ لزجاجتيهِ (من مجزوء الكامل) :

بزجاجتَين قطعتُ عمري وعليهما عوَّلتُ دهري
بزجاجةٍ مُلِئت بحبرٍ وزُجاجةٍ مُلئتْ بخمرِ
فبذا أثبِّتُ حِكمتي وبذا أُزيل هُمومَ صدري

ومن قولهُ في شرب الخمرة (من الرجز) :

كأسٌ يُطفي لَهَبَ الأُوامِ بانٍ يُعين هاضمَ الطعامِ
وللسرورِ ثالثُ المُدامِ والعقلُ يُنفيهِ مَزيدُ جامِ

ومن لطائفهِ ما قالهُ ليُكتَب على حصير (من الكامل) :

أفرَشتُ خدّي للضيوفِ ولم يزَلْ خُلقي التواضُعَ للَّبيبِ الأَكيَسِ
فتواضُعي أعلى مكانيَ بينهم طورًا فصرتُ أَحلُّ صدر المَجلِسِ

وقال في مَسند الرأس (من الخفيف) :

رُبَّ وَصلٍ شَهِدتُهُ فتمتَّعتُ عِناقاً بالعاشقَينِ جميعا

وَجدَاني للوثِ اهلًا وللسـرِّ مكانًا وللصديق مُطيعا

ولهُ في مِجْمَرة البَخُور (من المتقارب):

اذا الهَجْرُ أَضْرَمَ نارَ الهوى فقلبيَ يُضْرَمُ للهجر نارا
أبوحُ بأسراريَ المُضمَرا تِ تبدو سِرارًا وتبدو جَهارا
اذا ما طوى خبَري صاحبٌ أبى طيبُ عَرْفيَ الّا انتشارا

وقال فيها بمعناه (من الخفيف):

كلُّ نارٍ للشَّوقِ تُضرَمُ بالهَجْـرِ وناري تَشُبُّ عند الوصالِ
فاذا الصَّدُّ راعَني سكَنَ الوَجْـدُ ولم يَخطُرِ الغَرامُ ببالي

ومثلهُ في المجمرة ايضاً (من مجزوء الكامل):

يشكو المُحِبُّون الجَوى عند التفرُّق والزِّيالِ
وأَشدُّ ما أُصلى بنا رِ الشوقِ اوقاتَ الوِصالِ

وقال ايضاً يصفها (من المنسرح):

رُبَّ حِمًى لا تُرامُ عِزَّتُهُ أَبحتُهُ النَّفسَ غير محجوبِ
يُبدي عِياني لِمَنْ تأمَّلني نارَ مُحِبٍّ ونَشرَ محبوبِ

ومن لطائفهِ يصف مَغسل الشَّرْب (من الطويل):

اذا ما خطبتَ الودَّ بين معاشرٍ فكُنْ لهمُ مثلي تُعَدُّ اخا صِدْقِ
اذا استأثروا من كلِّ كأسٍ بصَفْوِها رضيتُ بما أبقَوْهُ من مَشرَبٍ رَنْقِ

وممَّا اخبرهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٤) ان ابن التلميذ عالج في مرضهِ الرئيس ابا القاسم عليَّ بن اللحّ الكاتب. فلمَّا نَقِهَ من مرضهِ وكان ابن التلميذ فرض عليهِ

الحنية فكتب لهُ ابو القاسم يطلب منهُ ان يأذن لهُ بأكل الخبز:

أنا جَوْعانُ فأنقِذْ نِيَ من هذي المجاعَهْ
فَرَجي في كَسْرةِ الخبـــز ولو كانت قُطاعَهْ (١
لا تَقُلْ لي ساعةً تَصْـــبِرُ ما لي صَبْرُ ساعَهْ
فخَوايَ اليوم ما يَقْـــبَلُ في الخُبْز شَفاعَهْ

فاجابهُ ابن التلميذ (من الرمل):

هكذا اضيافُ مِثلي يتشكَّوْنَ المجاعَهْ
غيرَ أني ليس عندي لِمُضِرٍّ من شَفاعَهْ
فتعلَّـلْ بسَويقٍ فهو خيرٌ من قُطاعَهْ
بحياتي قُلْ: كما تَرْ سُمُهُ سَمْعاً وطاعَهْ

وممَّا رواهُ ابن ظافر الازديّ في كتابـهِ بدائع البدائه (ص ٥٤) قال: اخبرني القاضي السعيد ابو قاسم هبة الله بن سناء الملك رحمهُ الله قال: اخبرني الجليل الوافد من العراق على الدولة المصريّة قال: اجتمعتُ في بعض الأيام بامين الدولة ابي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فاخذتُ في ذمّ الدهر وإخنائهِ على اهل الفضل واذا بكلاب صَيْد التي برسم الخليفة قد أُبرزت في جلال الوشي والديباج فحرَّك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابَهُ في ذمّ الدهر فقلتُ (من الرجز):

من كان يُلبِسُ كلبَهُ وشيًا ويقنَعُ لي بجلدي (٢

فاستجزتُهُ فقال واجاد:

الكلبُ خيرٌ عندهُ منّي (٣ وخيرٌ منهُ عندي

١) قال القُطاعة هو الخُبْزُ من الدقيق يُقطع من النُّخالة ويُخبز فيُسمى خُبز قطاعه
٢) ويُروى: من كان يكسو الكلبَ وشيًا ثم يقنعُ . . .
٣) ويروى: فالكلبُ مني عندهُ خبزٌ

ولابن التلميذ ﴿ هجو ﴾ قليل فمن ذلك ما هجا بهِ الطبيب اوحدَ الزمان ابا البركات اليهودي ثمَّ المسلم وكان تميَّز معهُ في خدمة الخليفة المستضيء بالله. قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٠):

« ان اوحد الزمان كان قد كتب رقعةً يذكر فيها عن ابن التلميذ اشياء يعدُّ جدًّا ان تصدُرَ من مثلهِ ووهب لبعض الخدم شيئًا واستسرَّهُ ان يرميها في بعض طُرُق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك احد (وهذا مما يدلُّ على شرٍّ عظيم) وانَّ الخليفة لمَّا وجد تلك الرقعة صعُب عليهِ جدًّا في اوَّل امرهِ وهمَّ ان يوقع بامين الدولة. ثمَّ انهُ بعد ذلك رجع الى رأيهِ وأشير عليهِ ان يبحث ويتأمل عن ذلك وان يستقرّ من الخدم من يُتهمهُ بهذا المعنى. وأُنهي قبل ذلك انكشف لهُ انَّ اوحد الزمان كتبها للوقيعة بابن التلميذ فحَنِقَ عليهِ حنقًا عظيمًا ووهَبَ دمَهُ وجميع مالهِ وكتبهِ لامين الدولة ابن التلميذ. ثمَّ انَّ امين الدولة كان عندهُ من كرم الطباع وكثرة الخيريَّة انهُ لم يتعرَّض لهُ بشيء وبُعِّدَ اوحدُ الزمان بذلك عن الخليفة واغتمَّ متركهُ. ومن مطبوع ما لامين الدولة فيهِ قولهُ (من المنسرح):

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقتهُ اذا تكلَّمَ تبدو فيهِ من فيهِ
يَتيهُ والكلبُ اعلى منهُ منزلةً كأنَّهُ بعدُ لم يَخرُج من التيهِ

وقال ابن التلميذ في والدهِ وكان في سائر احوالهِ بعيدًا عما كان عليهِ والدهُ (من المنسرح):

اشكو الى الله صاحبًا شكِسًا تُسعِفُهُ النفسُ وهو يَعنِفُها
فنحنُ كالشمسِ والهلالِ معًا تُكسِبُهُ النورَ وهو يَكسِفُها

وفيهِ قال يوتيهُ (من الكامل):

والوقتُ أنفَسُ ما عُنيتَ بحفظهِ واراهُ أسهَلَ ما عليكَ يَضيع

وقال يهجو صديقًا اسمهُ سعيد خانهُ (من السريع):

حُبّي سعيدًا جوهرٌ ثابتٌ وحُبُّهُ لي عَرَضٌ زائلُ
بهِ جهاتي الستُّ مشغوفةٌ وهو الى غيري بها مائلُ

وروى لهُ محمَّد بن خُضر الحلبيّ يهجو الوزير الدركزيني (من مجزوء الكامل):

قالوا: فلانٌ قد وَزَرْ فقلتُ: كلّا لا وَزَرْ
والله لو حُكِّمْتُ فيهِ م جعلتهُ يرعى البقَرْ

وقال فيهِ (من مجزوء الكامل):

قالَ الأنامُ وقد رأو دُمع الحداثةِ قد تصدَّرْ:
مَنْ ذا المجاوزُ قدرَهُ قلتُ: المُقدَّمُ للمؤخَّرْ

ومثلهُ في رجلٍ قليل الوفاء (من مجزوء الكامل):

قد قلتُ للشيخ الجليـــلِ الأريحيِّ ابي الظَّفَرْ:
ذَكِّرْ فلانَ الدين بي قال: المُؤنَّثُ لا يُذَكَّرْ

وقال يهجو آخر المسمّى حيدرًا (من الكامل):

مذ صار حيدرُ بَيْدَقَ الصَّدْرِ ومُشيرَهُ في النَّهي والأمرِ
والمستنابُ على نيابتهِ ايقَنْتُ انَّ العَجْزَ في الصَّدْرِ

وقال يهجو انساناً بالعين (من المنسرح):

مدوَّرُ الكَعْبِ فاتَّخِذْهُ لتَلِّ غَرْسٍ وتَلِّ عَرْشِ
لو رمقَتْ عينهُ الثريّا أخرجَها في بناتِ نَعْشِ

ولهُ ايضاً في شقيٍّ يخاف الهجو (من السريع):

يا خائفَ الهَجْوِ على نفسهِ كُنْ في أمانِ الله من مَسِّهِ
انتَ بهذا العَرْضِ بين الورى مثل (القذى) يمنعُ من نفسهِ

ومن اقوال امين الدولة ﴿في الشوق﴾ ما رواهُ الصفدي في شرح لاميَّة العجم (١: ١٤٧) (من المنسرح):

عاتبتُ اذ لم يَزُرْ خيالك والنَّوْمُ بشَوْقي اليهِ مسلوبُ
فزارني مُنْعِماً وعاتَبني كما يقالُ المنامُ مقلوبُ

وقال بمعناه (من البسيط):

يا دارُ لا تُنكري مني التفاتَ فتًى فِراقُ احبابهِ أجرى مَدامعَهُ
عهدتُ فيكِ قُمَيرًا كان يؤنِسُني حيناً فعيناي تستقري مطالعهُ

ولهُ يتشوَّق الى اصحابهِ في بغداد (من الطويل):

على ساكني بغدادَ مني تحيَّةٌ تُحيّاها ريحُ الشمالِ اليهمِ
تخبّرهم انّي صَحبتُ معاشرًا سواهم فأبكاني الزمانُ عليهمِ

ومثلهُ (من الطويل):

خليلٌ نأى عني فبُدِّلتُ بعدَهُ مُقيمَ الجوى من صفوِ عيشٍ وطيبهِ
اغار عليهِ صَرْفُ دهرٍ فنالَهُ وعمّا قليلٍ سوفَ يُلحِقُني بهِ

ولهُ في الشوق ايضاً (من المنسرح):

لا تَعجبوا من حَنينِ قلبي إليهمُ واعذروا غرامي
فالقوسُ مع كونها جمادًا تَئِنُّ من فُرقةِ السِّهامِ

وكذلك قال يتشوَّق (من السريع):

كيفَ أَلِفَ العيشَ في بَلدةٍ سُكّانُ قلبي غيرُ سُكّانها
لو انّها الجنّةُ قد أزلفَتْ لم أرضَها إلّا برِضوانها

وكان جمال الدين ابو القاسم بن افلح كتب يُعرب عن شوقه لابن التلميذ

اني وحقّكَ منذ ارتحلتَ ... نهاري حنينٌ وليلي أنينُ
وما كنتُ اعرفُ قبلُ امرأً ... بجسمٍ يقيمُ وقلبٍ يَبينُ
يقولُ الحليُّ اذا ما رأى ... ولوعي بذكراك لا يستكينُ :
تسلَّ . فقلتُ : دهاك الفراقُ ... أندري جوى البَيْنِ اين يكونُ
وكيفَ السبيلُ الى سُلوتي ... وحُزني وفيٌّ وصبري خؤونُ

فكتب امين الدولة في جوابهِ (من المتقارب) :

وانّي وحُبّك مُذ بِنتُ عنك ... م قلبي حزينٌ ودمعي هَتونُ
وأخلفَ ظنّيَ صبرٌ معينٌ ... وشاهدُ شكوايَ دمعٌ معينُ
فللّه ايامنا الخاليا ... تِ لو ردَّ سالفَ دهرٍ حنينُ
وانّي لأرعى عهودَ الصفاء ... ويكلأُها لك ودٌّ تصونُ
وأحفظُ ودّك عن قادحٍ ... وودُّ الاكارمِ عِلقٌ ثمينُ
ولمْ لا يكونُ ونحن اليدا ... نِ انتَ بفضلك منها اليمينُ
اذا قلتُ : أسلوك . قال الغرا ... مُ : هيهاتِ ذلك ما لا يكونُ
وهلْ ليَ في سَلوةٍ مَطمعٌ ... وصبري خؤونٌ وودّي امينُ

ونظم ايضاً ابن التلميذ في الغزل اللين بحسن الذوق كقولهِ (من المتقارب) :

لسَيْفِ جُفونك فضلٌ على ... مَواضي السيوفِ التي في الجفونِ
فتلك مع القتل لا تستطيعُ رَجْعَ النفوسِ بدفع المَنونِ
وعيناك يقتلني غَزْرُها ... وأحيا بإيماضها في سكونِ

وقولهِ بمعناهُ (من الكامل) :

تمّتْ محاسنُهُ سوى كَلَفٍ ... حُلوِ المواقع زانَهُ بِشْرُ

وَسَموا بهِ لألاءَ غُرَّتهِ عَمْدًا لِيَعْلَمَ انَّهُ بَدْرُ

ولهُ في وصف الخال (من البسيط):

لا تَحسِبَنَّ سوادَ الخالِ عن خَلَلٍ من الطبيعةِ او إحداثُهُ غَلَطُ
وانَّما قلمُ التصوير حين جَرَى بذُونِ حاجبِهِ في خَدِّهِ نَقَطا

ومن غزلهِ (من الكامل):

يا مَنْ لَبِسْتُ عليهِ أثوابَ الضَّنا صُفْرًا مُشَهَّرَةً بحُمْرِ الأدْمُعِ
أدرِكْ بقيَّةَ مُهجَةٍ لو لم تَذُبْ شوقًا إليكَ تَفَيْتُها من أضلُعي

ومنهُ (من الخفيف):

انتَ شُغْلي في كلِّ حالٍ فنومي بخَيالٍ ويَقْظَتي بأذْكارِ
طالَ ليلي بطول هَجْرِكَ لا دا م وشوقي الى الليالي القِصارِ

وقال ايضاً (من الخفيف):

لا تَظُنَّنْ تخلُّفي لِمَلالٍ انتَ من خوف سَلْوَتي في أمانِ
رُبَّ هجرٍ يكونُ أدعى الى الوَصْلِ ووصلٍ أدعى الى الهِجرانِ

وهذه ﴿حِكَم ابن التلميذ﴾ وكلها لطيفة مصيبة قال يصف اواخر حياة الشيخ (من المتقارب):

اذا وَجَدَ الشيخُ في نفسهِ نشاطاً فذلك موتٌ خفي
ألستَ ترى انَّ ضوءَ السِّراجِ لهُ هَبٌّ قبلَ ان ينطفي

وقال في العلم واسبابهِ (من المتقارب):

سُقِ النَّفسَ بالعِلمِ نحو الكمالِ تُوافِ السعادةَ من بابها

ولا تَرْجُ مـا لم تَسبَبْ لـهُ فانَّ الامورَ بأسبـابِهـا

وقال في الحجاب الحقيقة عن النفس (من البسيط):

لولا حِجَابٌ امامَ النفسِ يَمنعُهـا عن الحقيقـةِ فيما كان في الأزَلِ
لأدركَتْ كلَّ شيءٍ عزَّ مطلبُـهُ حتى الحقيقةَ في المعلولِ والعِلَـلِ

وقال في تأثير العلم في العاقل وفي الجاهل (من الكامل):

العِلْمُ للرَّجُلِ اللَّبيبِ زيادةٌ ونقيصةٌ للأحمقِ الطيَّـاشِ
مثلُ النهـارِ يزيد ابصارَ الورى نورًا ويُعْشِي أعينَ الخُفَّاشِ

وما اظرف قولهُ في تواضع الشريف (من الطويل):

اذا كنتَ محمودًا فانَّكَ مُرْمِدٌ عيونَ الورى فاكْحَلْهُمُ بالتواضُعِ

ومن قولهِ في حذر العدوّ الصغير (من البسيط):

لا تَحقِرنَّ عـدوًّا لانَ جـانِبُهُ ولو يكونُ قليلَ البَطْشِ والجَلَدِ
فالمِذْبابةِ في الجُرْحِ المُمَدَّ يدٌ تنالُ ما قَصُرَت عنهُ يدُ الأسدِ

وقال يصف الكريم واللئيم (من المنسرح):

نفسُ الكريمِ الجَوَادِ باقيةٌ فيهِ وان مسَّ جلدَهُ العَجَفُ
والحرُّ حرٌّ وان ألمَّ بهِ الضُّرُّ ففيهِ العَفافُ والأَنَفُ
والنَّذْلُ لا يهتدي لمكرُمَةٍ لأنَّ ذاكَ المزاجُ منحرفُ
فالقَطْرُ سُمٌّ ان احتواهُ فمُ الصِّلِّ ودُرٌّ ان ضمَّهُ الصَّدَفُ

ولهُ في الشباب والشيب (من المنسرح):

قالوا شبابُ الفتى خَؤُونٌ والشيبُ وافٍ فليسَ يَرْحَلُ

فقلتُ : ابعدتمُ قياساً ذاك حبيبٌ وذا مُوكَّلْ

ومن قولهُ في من يرى عيوب غيرهِ دون عيب نفسهِ (من الكامل) :

وأرى عيوبَ العالمينَ ولا ارى عيباً لنفسي وهو منّي اقربُ
كالطَّرْفِ يَستَجْلي الوجوهَ ووجهُهُ منهُ قريبٌ وهو عنهُ مُعزَبُ

وقال في آخر عمرهِ (من الكامل) :

كانت بُلَهْنِيَةُ الشَّبيبَةِ سَكْرَةً فصحوتُ واستأنفتُ سَيرةَ مُجمِلُ
وقعدتُ ارتقبُ الفَناءَ كراكبٍ عرفَ المَحَلَّ فبات دون المنزلُ

وقال في تحامل الدهر على الضعفاء (من الوافر) :

أَجِدِّكَ انَّ من شِيَمِ الليالي م العنيفةِ ان تجورَ على اللَّهيفِ
كمثلِ الخَلْطِ أغلبَ ما تراهُ يصبُّ اذاهُ في العضو الضعيفِ

وقال يصرف النفس عن الملاذّ (من المجتث) :

قد كنتُ اعتَدُّ حِناً لُقياكَ أنفَسَ رِبْحِ
فقد بدَتْ عن سُلوٍّ سماءُ عقلي بنُصْحِ
مالي أهيمُ بحُسْنٍ يكونُ عِلّةَ قُبحي

وقال في العزم والجدّ (من السريع) :

واظِبْ على الجدِّ ولا تَنْخَدِعْ بالهَزْلِ ان ساعدَكَ الجَدُّ
ولا تَقُلْ انَّ لهُ موضعاً فالهزلُ في موضعهِ جَدُّ

ولابن التلميذ بعض ﴿ الالغاز ﴾ كخالهِ ابي الفرج منها قولهُ في سحاب (من الرجز) :

وهاجمٍ ليس لهُ من عُذوى مُستبدلٍ بكلّ مَثوًى مثوى
بكاؤهُ وضحكُهُ في معنًى اذا بكى أضحك اهلَ الدنيا

وألغز في الميزان فاجاد (من الرجز):

ما واحدٌ مختلفُ الأهواء يَعدِلُ في الارضِ وفي السّماء
يحكمُ بالقِسطِ بلا رِياء أعمى يُري الرشادَ كلَّ راني
اخرسُ لا من عِلّةٍ وداء يُغني عن التصريح بالايماء
يجيبُ ان ناداهُ ذو امتراء بالرَّفعِ والخفض عن النداء
يُفصحُ ان عُلّقَ في الهواء

ولهُ لغزٌ في الدرع (من الطويل):

وبَيضاء لا للبيضِ والسُّمرِ قدُّها تظاهرَ في تقويمها الحرُّ والبَردُ
تجلّتْ لنا حبًّا ولم تجرِ في رحاً ولكنْ تولّاهُ لها الرقُّ والبُردُ
وقيتُ بها نفسي فكانتْ كأنّها هي الشمسُ محجوبًا بها الكوكبُ الفرد

وألغز في الابرة كأبي الفرج فقال (من الطويل):

وكاسيةٍ رُزْقًا سواها يجوزُهُ وليس لها حمدٌ عليهِ ولا أجرُ
مفرّقةٌ للشّمل والجمعُ دأبُها وخادمةٌ للناسِ تخدمها عشرُ (١
اذا خطرتْ جرّتْ فضولَ ذيولها سجيّةُ ذي كِبرٍ وليس بها كِبرُ
ترى الناس منها يلبسون الذي نَضَتْ نعمهمُ جودًا وليس لها وَفرُ
لها البيتُ بعد العزّ غيرُ مدافعٍ الى بأسهِ (٢ تُعزى المُهنّدةُ البُترُ

١) اي الاصابع العشر ٢) ويروى : الى بابه

أَضرَّ بها مثلي نُحولٌ بجسمها وإن لم يَرُعْها مثلَ ما راعني هجرُ(١

ولابن التلميذ مقاطيع غير هذه فاكتفينا بما سبق ذكرهُ . ولعلَّهُ وقع ايضاً بعض اختلاط بين ما رُوي لهُ وما روي لابي الفرج خالهِ فانَّ بعض ما ذكرناهُ للثاني يروى في كتب اخرى للاوَّل والعكس بالعكس . وما لا ريب فيهِ انَّ كليهما امتاز بالنثر والنظم وانَّما اتَّسع الرواةُ بذكر هبة الله وكان اقرب اليهم زماناً واوسع شهرةً وقد مدحهُ كثيرون من الشعراء ورثوهُ بعد موتهِ . فمن ذلك دالّيَّةُ السيّد النقيب الكامل ابن الشريف الجليل رواها ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٥) اوَّلها :

ابنَ الدولة أسلَمْ للايادي على رغم المناوي والمادي

ثمَّ روى قصيدة للشريف ابي يعلي محمَّد بن البهاريَّة الشهير يقول في مدحهِ :

شمسُ مجد لا تراها ابدًا عن سوآت العُلى مُنكسفَهْ
جلَّ ان يُدرَك وصفَ مجدهُ انهُ أكبرُ من كلِّ صِفَهْ
غدَتِ الدنيا ومن فيها معًا لملاهُ بالعلى مترفه

وقال اثير الدين ابو جعفر عبدالله يرثيه :

فُقِدَ الطبيبُ فليس يوجد صحَّةٌ م الموجود منَّا بعد ذا المفقود

ورُوي غير ذلك لابن اسماعيل الطغرائي ولابن جكيت ولبديع الاصطرلابي ولابي القاسم هبة الله بن المفضل ما يُعرب عن سموّ منزلة ابن التلميذ واعتباره لدى اعيان زمانهِ وادبائهم

(لها بقيَّة)

١) ويروى : بحرُ

الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ، ذات مقدمة وثلثة فصول

بقلم المتوري مارون غصن (تابع)

الفصل الثاني

بذل الذات

يمثل المشهد كوخ أجه ماهال – غرفة على الطراز الهندي ، بسيطة نظيفة – في المؤخر باب يفتح عن منارة – الى اليسار نافذة – الى اليمين باب قصب فارسي – فرش هندي – كراسي – اواني خزفية – مائدة عليها آنية شراب ، وقدح ، وثمار.

المشهد الاول

البرهمي — أجه ماهال

أجه : مُرْ ، يا سيّدي ، فعبدك مستعدّ.

البرهمي : (كانه مختطف وبشدّة) ، حلّت ساعة الانتقام ! الآلهة تُطالب بالضحيّة ! ولتنالنّها ! . . . أجه ، انت من خدّمة اوليفيه سنبتون ؟

أجه : نعم ، سيّدي.

البرهمي : هل له بك ثقة ؟

أجه : نعم ، سيّدي.

البرهمي : أتحبُّه ؟

الجه : سيّدي ، ان اوليفيه سبْتون مولى قاسي القلب ، يستذلُّ ويُتعب في العمل ، ويُكلّفُ ما لا يُطاق ؛ فما وقفت امامه مرّةً الّا خائفاً مضطرباً .

البرهمي : أمستعدٌّ انت لخدمة الآلهة ؟

الجه : نعم ، يا سيّدي .

البرهمي : اذن تأهّبْ ، يا حارس المنارة المقدّسة ، تأهّبْ لتلقي امام مذبح إلاهتنا «دورجا» ضحيّة عظيمةً وقعتْ في ايدينا ؟

الجه : متأهب انا ومستعدّ !

البرهمي : اوليفيه سبْتون هو الضحيّة التي تُريدها الإلاهة ؛ وهاك منازله ، وقد حلّ بها الدمار . . . هو احد الهنود الأمناء . أضرَمَ فيها النار . . . سيأتيك اوليفيه ملتجئاً ؛ فعليك ان تدخله في ظلام هذه المغارة المؤدّية الى الهيكل ! . . . أسمعتَ ، يا ألجه ؟

الجه : نعم ! نعم ! ولعلّ خدمتي هذه تخفّف من غضب الإلاهة ! ألا فليمت المولى الفظّ ، الخشن !

البرهمي : وإنّ في صحبته كاهناً مسيحيا ؛ فلتكن إجارتُك لكليهما موتاً زؤاماً ! (يدفع اليه قنينة فيها سمّ) خُذا الى اللقاء ، تذكّرْ الإلاهة ولا تنسَ سُخط الهيكل !

الجه : عبدك انا ، يا مولاي ! (يخرج البرهمي)

المشهد الثاني

الجه وحده

الجه : لنسكب السمّ في آنية الشراب وعلى هذه الثمار . (يصبّ من القنينة) آه ! عسى ان ينال انتقامي حظوة في عين الآلهة ! ويلك ، يا أوليفيه سبْتون ! وويلك ايضاً ، ايها الكاهن المسيحي ! فقد وافاكما الأجل !

المشهد الثالث

جينور — الجه

ألجه : جينور ، اين الصبي ؟

جينور : هناك . . . في الغابة . . . يلعب .

ألجه : وحده ؟

جينور : (خائفاً) ها أنا ، يا أخي ، ماض اليه . . . جئتُ لأعرف ما يرى للافرنج ، واطّلع على ما حلّ بولانا .

الجه (متجهاً الى النافذة) : تعال ، وانظر . . .

جينور : ما بك ، يا ألجه ؟ أرى الشرر يتطاير من عينيك ! (يلتفت الى الخارج) يا لها نارًا هائلة !

ألجه : نعم ، النار في منازل اوليفيه ! . . .

جينور : ويحك ! . . . قد اكلتَ خبزه ، ونمتَ تحت سقف بيته ، وتبتهج الان بالنار تلتهم امواله ؟ ! . . .

ألجه : اليوم تُجازى السيّئات بسيّئاتٍ مثلها ! اليوم يومُ الانتقام !

جينور : الانتقام ؟ أيَّ شرّ صنع هؤلاء الغرباء ؟

ألجه : أيَّ شرّ ؟ ! حسبُهم انهم مسيحيّون ! آه ! صدري يفيض بسبب هؤلاء البيض ، غضباً وسُخطاً !

جينور : أخي مرتع الغدر وخيم ، فلا تخنْ مولاك !

الجه (هازئاً) : وما عسى ان ينالني منه بعد اليوم ؟

جينور : ما عازمٌ انت ان تصنع ؟

الجه : عزمت ان لا أبقي على كل من بقع منهم في يدي ! . . . هناك النار تفترس اموالهم . . . وهنا . . . هنا الموت يترصدهم ! اجل كل شيء مُعدّ !

جينور : أخي ، قد تحرّموا بنا ، وسيأتون الينا واثقين آمنين . . وأنت ! . .

الجه : ليأتوا ! . . . اني لهم في انتظار !

جينور : اذن تكون اجارتي لهم هلاكاً وموتاً ؟ !

ألجه : آخر بك ان تدّخر الشفقة لاخواننا ! فالبيض لم يبقَ لهم مناص ! فأياك ، إياك ان تفتح فاك ، وإلّا ألحقتك بهم ! انا اخوك البكر ، فالطاعة لي عليك واجبة ! أجل في يدي حياتك وموتك ! فاحذر !

جينور : ما ذنبي ؟ وبمَ أسأتُ اليك ؟

الجه : ان الآلهة الى دم الافرنج عطشى ، فلا بدّ من إروائها ، لا بُدّ ! دونك هذه المغارة ، فقد غدت لهم قبراً ؛ وهذه النار سكبتُ عليها سماً ناقعاً ! وهذا الماء فيه الموت الزؤام ! اجل ! نُجيرهم في هذا المنزل كي لا يخرجوا منه احياء ! واذا فاجأهم الامير هنا ، فلا يجدهم الّا اسرى . . . او جُثثاً باردة !

جينور : يا لَسُخطك ! ما أشدّ احتدامهُ ! . . . ولكن ألا ترحم الكاهن الشابَّ وتُخلّي عنه ؟ لقد وصل هذا الصباح . . . وسيماؤهُ تدلُّ على الصلاح . . .

الجه : الكاهن الشاب ؟ فليست كرفقانه ! كلُّ ضحيّةٍ في رضا الآلهة رخيصة !

جينور : اخي ! . . . بحقّ والدك ! . . . بحقّ آخر ابنٍ بقي لك من بنيك . . . خلِّ عن الكاهن !

الجه (بغلظة) : سُدّ فاك ، وامضِ الى الغابة ؛ فهناك مقرّك ! اسهرْ على ولدي . . . البابُ يُقرع . . . اذهب ولا تعُدْ حتى ادعوك . . . عجّل ، وإلّا ! . . .

جينور : آه ! لا حيلة لي ! هو اخي البكر ، فلا يسعني الّا الخضوع ! (يخرج) .

الجه : حلّ القضاء ! (يفتح باب المغارة) هنا مضيفك ، ايها العاتي ! هنا ، هنا قبرك ! (يُغلق باب المغارة ويفتح باب المنزل) .

المشهد الرابع

اوليفيه — الجه

اوليفيه (يدخل عابساً ، يائساً) : الجه ماهال ، أتيتك ملتجئاً ؛ فأجِرني هنيهةً . . . لا يسعني الفرار ، فان الارض غاصّةٌ برجال الامير !

الجه (منحنياً) : على الرحب والسعة ، مولاي !

اوليفيه (يجلس وينظر من النافذة) : منازلي اضمحلّت . . . وكلُّ ثروتي صارت رماداً . . . مزارعي خُرّبت فلم يبقَ لها اثر ! أجل ! خسرتُ كل شيء . . . كلَّ شيء ! . . .

الجه (بمنتهى اللطف) : ايها المولى !

اوليفيه : يدعوني مولى ! . . . وأيّةُ ولايةٍ بقيت لي ؟ (سكوت — على

حدة) ترى ، ايكون ذلك مقدمة عقابي ؟ (ينهض) بمَ يلهون هناك ؟ قد تهدّد القائد الانكليزي وتوعد باستئصال شأفتهم ؛ فاين بطشه ، واين صولته ؟ (يقف امام النافذة) يا للدمار ! يا لخيبة الآمال ! مَن هناك ؟ جوفروا ؟ هو ، هو ! عاينتهُ راكضاً بين الحرائب ، يُعين الجرحى ! . . . (باحتقار) تلك رسالتهُ ! . . . اما انا ، فرسالتي المغامرة الى النهاية ، الى النهاية ! عليَّ ان أعجّل في اللحاق بهم الى حصن ڤكتورية ! (يخرج ثم يرجع حالاً) أنّى لي ان افرّ ، والجنود تملأ السهل ، وهم يعرفوني ؟ آه ! اذا حلّ القضاء ، ضاق الفضاء ! (يجلس يائساً) .

الجه (بلطف ودهاء) : ألسيّدي ثقةٌ بعبدهِ ؟

اوليفيه : لولاها ، ما لجأتَ الى منزلك !

الجه : لك الشكر ، يا مولاي ؛ فها انا أوصلك الى شاطئ البحر ، في اقلّ من عشر دقائق .

اوليفيه : وكيف ؟

الجه : عندي مجازٌ سرّي ، معبرٌ تحت الارض قديم ، يؤدّي الى هيكل «دورچاه» ، ولهُ مخرجٌ سرّي ، يُوصل الى شاطئ البحر . (يتظاهر بعدم الاهتمام) لكني اخشى ان يظنّ بي مولاي الظنون . . . فلستُ اجرؤ ان ألحّ عليه .

اوليفيه (بعد تفكّر) : عرفتك ، يا ألجه ماهال ، خادماً اميناً . . . لذلك أعتمد عليك . . . فضلاً عن أنْ ليس لي وجهٌ للنجاة الّا ما عرضتَ . (بحزم) هيّا أرني المجاز .

ألجه : اذن انت تثق بي ، يا مولاي ، كلّ الثقة ؟

اوليفيه : نعم . . . نعم . . . فعجّل قبل فوات الحين .

الجه : أبشرْ ، يا مولاي ، بالنجاة ! (يتجه الى باب المغارة) دونك مدخل المجاز . . .

اوليفيه : لا سبيل الّا الولوج . وداعاً ، ايها الخادم الامين ، وشكراً ! (يدخل ، فيُغلق البابُ عليه) .

ألجه : أطبق الفخُّ عليك ! فتوغّلْ في ظلمات قبرك ! (يدنو من باب المغارة وينادي) اوليفيه سمپتون ، أبشر بالهلاك ! هو الغرورُ دفعك الى الثقة بي ، فوقعت

بين مخالب اعدائك . . . تهدد ، وتوعد ما شئت . . فليس لك من هذا القبر مناصٌ ولا فَلَت !

اوليفيه (بصوتٍ مخنوق) : آه ! يا لك من خائن !

الجه : ظننتَ انك تتفلتُ من يديَّ . . . ليس لهذا النفق مخرج الا هيكل دورجا . . . في نصف الليل تأتيك الكهنة ، فيجري دمك على مذبح الإلاهة قطرةً قطرة . . . لقد نشبتَ في حبائلي . . آه ! ما ألذّ الانتقام !

المشهد الخامس

يظهر جوفروا على الباب

جوفروا : اليَّ ، يا آل المروة ، اليَّ !

الجه : الكاهن المسيحي . . .

جوفروا : خارت قواي . . . خُضتُ اللهيب لانقاذ المساكين . . . وقتُ بما يجب عليَّ ؛ والآن اسقط عياء وكللاً . . . اليَّ ، يا صاح ، اليَّ ، كائناً مَن كنت !

ألجه (على حدة) : أخشى ان يسمع انين اوليفيه ! (يرفع صوته) ليس لك هنا ملجأ امين . . . فلا بدَّ لجنود الامير من ان يصلوا الى هنا . . . فاذا وجدوا عندي واحداً منكم ، أهلكونا جميعاً . . . ففرَّ ، فرَّ حالاً !

جوفروا : آه ! لا أريد ان أعرّضك لغضب الامير . . . انا ماضٍ ؛ لكني اسألك ان استريح هنا هنيهة . (ينظر الى القنينة على المائدة) بحقك ! جُدْ عليَّ بقليل من الماء ، لتثوب اليَّ روحي ، ثمّ أجرُّ نفسي الى بضع خطوات من هذا المكان . . .

ألجه (بخوف وفرح) : هو ، هو يطلب الماء . . . أدخل واسترح قليلاً ، يا مولاي .

جوفروا : لك الشكر .

ألجه (يملأ القدح ماء) : خذ واشرب ما بدا لك .

جوفروا : لك الشكر . (يتناول الكاس ، فيسمع تنهداً خارجاً من المغارة ، فيضع الكاس على المائدة) ما هذا ؟

الجه : ما بك ؟

جوفروا : سمعتُ شيئاً اشبه بأنين !

الجه (مضطرباً) : انت واهم . . . من اين الانين ؟

جوفروا : لا أدري . . . آه ! عقلي تائه !

الجه : إشرب ، يا سيّدي ، اشرب . . . فالماء يُعيد اليك قواك .

جوفروا : نعم ، خلاصي على يدك ! (يتناول الكأس) .

جينور (يصيح في الخارج صيحة عظيمة) : آه ! آه !

جوفروا (يضع الكاس وينهض) : سمعتَ ؟

الجه (هائجاً) : لا شيء ! هو أخي يُلاعب ولدي . . . فاطمئنّ بالاً .

المشهد السادس

يدخل جينور مذعوراً

جينور : ولدك ! ولدك !

الجه : ويلك ! لِمَ الصياح ؟

جينور : لا لومَ عليّ . . . فقد قلتُ لك انّ مرتع الشرّ وخيم ! . . . ان حيّتنا الهنديّة ، مرجانة ، صغيرةٌ هي ؛ لكنّ نهشتها أشدُّ من انياب الشر هولاً . . . كان الولد يلعب قربي . . . فلم اشعر الّا وقد سقط على الارض مصعوقاً ! . . . آه ! قُضي الامر ! قُطع الرجاء ! . . .

الجه : ويلك ! لئن مات ، فلأقتلنّك به !

جوفروا : فلنسرع اليه ، فانّ الحين لم يفت ! عجّلْ ! (يخرج جينور مسرعاً) .

الجه (يائساً) : مرجانةُ نهشتُها قتّالة . . . فلا دواء ولا علاج !

جوفروا : بلى ، علاجٌ واحد . . . ان سمّ الحيّة لم يَسْرِ بعدُ في عروق الصبيّ . . . فينبغي ان يُمتصّ السمُّ حالاً ! . . .

الجه (مرتدّاً الى الوراء مذعوراً) : أنْ أمتصّ السمّ ؟ ! ان تُلطّخ شفتاي بدم مسموم ؟ . . . لا . . . لا . . . لا ! . . .

جوفروا : هذا الصبيُّ هو ابنك ، وتتردّد ؟ . . . إلبث هنا ؛ وأنا أُسرع اليه .

الجه : ماذا تريد ان تصنع ؟

جوفروا : أريد ان اقوم بواجبي ! فابقَ هنا ، اذا كنت لاتجرؤ على مرافقتي . (يخرج) .

المشهد السابع

الجه ماهال وحده

الجه (يستلقي على الكرسي جزعاً) : ويلي ! هلك ولدي ! وهذا الرجل ايضاً معه . . . ما هي إلّا لحظة حتى يغيبان عن الحياة ! . . . كيف تركتُه يذهب ؟ كيف لم أُسرع الى انقاذ ولدي ؟ . . . آه ! لقد أعماني الحقد ، وخنق فيَّ كل عاطفة ! (سكوت) هلّا يرجعان ! آه ! وصلا بعد فوات الحين ! (خائفا) ولدي ! . . . بُنيَّ ! . . . ايها المسيحي ! جينور ! ولدي ! (يُقبل ويُدبر) .

المشهد الثامن

الجه — جينور — جوفروا

جينور : هو حيّ . . . نجا !

الجه : نجا ؟

جوفروا : نعم . . . عادتْ اليه الحياة . . . وفتح عينيه وتنفّس . قليلًا من هذا الماء لارطّب به شفتيه ! (يتناول الكاس ويهمّ بالخروج) .

الجه (ينتزع الكاس من يده) : لا تسقِه من هذا الماء !

جوفروا : ولِمَه ؟ . . . بماذا تخشى ؟

جينور : آه ! كدتُ أنسى ! (يخرج) .

الجه : الويل لي !

جوفروا : ما بك ؟

الجه : صُبَّ عليَّ اللعنات . . . نذلٌ انا ولئيم ! . . . آه انَّ عظمة نفسك تسحقني . . . أنت الخائرُ القوى ، السلاحُ تعباً ، الرّازح تحت عبء الآلام ، تتشدّدُ وتُسرعُ لخدمة الغير . . . وانا القويُّ ، النشيط ، أنصبُ لك الشرَك ؟ ! في هذا الماء

سمٌ قاتل ، وقد اوشكتَ ان تشربه .

جوفروا : يا لله !

ألجه : أنت في حالة التعب، والعطش ، والجوع ، تستعيد ارادتك القويّة لدرء الاخطار عن الناس ؛ وانا في حالة السكينة ، والراحة ، أنصب المكايد لسيّد خدمتُهُ سنين ؟ !

جوفروا : ما تقول ؟ أيُّ سيّد ؟

ألجه (يشير الى المغارة) : خدعتهُ انا النذلُ ، اللئيم ؛ وها هو الان في هذه المغارة الهائلة ، امام الجلّادين والقتلة .

جوفروا : اوليفيه ؟ مات اوليفيه ؟

الجه : هو لا محالة مائت ! في هذا الليل يُسفك دمُهُ على مذبح ذورجا ، بلا رحمة ولا شفقة .

جوفروا : في هذا الليل . . . إذن لم يفُت الحين . . . لنُسرع إلى إنقاذه ! هيّا ، عجّل !

ألجه (يائساً) : هذا مُحال ؟

جوفروا : مُحال ؟ ولِمَ ؟ دلّني ، يا ألجه ماهال ، دلّني على المغارة . . . وأنا ، انا وحدي أُسرع لانقاذه !

ألجه : ما من فائدة ! فهو ، ولو بقي هنا في منزلي ، هالكٌ لا محالة .

جوفروا : ولماذا ؟

الجه : بحقّك ! لا تسألني ؛ فاذا اخبرتك ، هالتك جريمتي ! . . . (سكوت) آه ! اذا شئتَ ، فتحت الباب ؛ ولكن علينا بعد ذلك أن نفرّ حالاً . (يتجهان نحو المغارة — يرجع جينور — يعالجون الباب بفأس ويضربون بشدّة ، فينفتح) .

اوليفيه (يثب الى الخارج) : اين الخائن ؟

جوفروا : ما لك والخائن ، فانت الآن حرٌّ ، يا اوليفيه !

اوليفيه (مرتدّاً الى الوراء) : انت ؟ أنت أنقذتني ؟ (يتجه ناحية الشمال منتفضاً) .

ألجه (يدنو منه وينحني) : سيّدي . . . ذنبي اليك عظيم . . . بُطولةُ هذا

الكاهن ضعضعتني ؛ فانا ، من الآن فصاعدًا ، عبدُك ، وعبدُ عبدك !

جينور : نعم ، يا سيّدي ، اغفر لاخي ، فقد غرّه الغرور لحظةً .

جوفروا : وقد ندم على ما بدر منه . . . فهيّا الان نفكّر في انقاذك .

الجه : عجلوا ، فقد دنا موعدُ وصول الامير . . . فان بقيتم هنا هلكتم . تعالوا !

اوليفيه : الى أين ؟

جينور : مولاي ، ثِقْ باخي . . . ولا تتأخر .

اوليفيه : ما العمل ؟ لا سبيل الّا هذا . . . هيّا !

جوفروا : نعم ! وأسرع الى الباخرة ، وليكن الله معك ! (يهمّون بالخروج) .

المشهد التاسع

يدخل موريس مضطربًا

موريس : الامير !

اوليفيه (يتوقّف) : ما تقول ؟

موريس : قد أحاط بالمنزل !

ألجه : هلكنا !

اوليفيه : ما نجوتُ من خطر الّا وقعتُ في غيره ! ألّا يسعنا الفرار ؟

جينور : من المحال !

اوليفيه (ساخطًا) : يا للّعنة !

جوفروا (يدنو منه ويقول على حدة) : اللهمّ جُد عليه ولو بخلاص النفس !

يُرخى الستار

(لها بقية)

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث الثاني عشر

بيروت في القسم الاول من القرن التاسع عشر (١٨٠٤ــ١٨٦٠)

كان الذي يرى بيروت بعد موت الجزّار يكاد يتشاءم بمستقبلها غير انّ الله اذا اراد لبلدٍ خيرًا رفعه من الحضيض الى اوج الرقي والنجاح. وقد صحّ ذلك في عاصمة لبنان فان الذين دخلوها في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر يصفونها كبلدةٍ صغيرة تُحدق بها اسوار متداعية تضمُّ بضع مئات من المساكن مع قليل من الاسواق الضيقة القذرة لا تُرى في وسطها الاشجار ما خلا جنائن بعض الخاصّة وكانت الحركة التجاريّة قد خمدت لا تكاد سفن الفرنج تقصد مرفأها بعد ان اخرج الجزّار منها عمالهم وانزوى اللبنانيّون في جبلهم خوفاً من بطشهِ وفتكهِ. فلم يبقَ في بيروت من التجاري الّا زهاء الف نفس اكثرهم من الروم الاورثذكس ثمّ من الموارنة والروم الكاثوليك

وكان اوّل ما استبشر بهِ اهل بيروت معاهدةٌ تقرّرت بين السلطان سليم خان الثالث ونابوليون الاوّل فُتحت بموجبها أساكل الشام للتجار الفرنسويين فعادوا اليها واخذوا يسعون الى تجديد المعاملات التجاريّة بينها وبين ثغر مرسيلية. وانّما فضّلوا هذه المرّة بيروت على صيداء وطرابلس لحسن موقعها وطيب هوائها وقربها من لبنان ومعاملهِ الحريريّة الكثيرة الاقبال وهي مع ذلك فرضة دمشق ومحطّ قوافل البلاد الداخليّة

ولنا شاهد عياني على احوال بيروت ومعاملاتها منذ اوائل القرن التاسع عشر الى منتصفهِ ألا وهو القنصل الفرنساوي الشهير بكتاباتهِ المتعدّدة عن سوريّة عموماً وعن بيروت خصوصاً نعني بهِ المسيو هنري غويس (H. Guys) الذي استوطن الشام منذ حداثة سنهِ ثمَّ تردَّد الى بيروت بعد غيبتهِ وتعيَّن عليها بصفة قنصل دولتهِ غير مرَّة فراقب امورها بكل دقَّة وقد قضى أجلهُ نحو السنة ١٨٦٥ . وقد اثبت في كتبهِ ملحوظاتهِ الواسعة عن بيروت وخراجها واخلاق اهلها وترقيها في المعاملات التجاريَّة وتقدُّمها البطيء في الآداب والعلوم

وقد وقفنا في سياحات بعض الفرنج على احصاء اهل بيروت في السنة ١٨٢٠ فاذا هو يبلغ ٨٦٠٠٠ نفس ثم افادنا عن احصائهم المسيو غويس سنة ١٨٣٨ حيث بلغوا ١٥٦٠٠٠ منهم ٧٦٠٠٠ مسلم والباقون نصارى بينهم الكاثوليك (موارنة وملكيُّون وسريان وارمن) ٣٦٥٠٠ والباقون روم ٤٦٠٠٠ ودروز ٨٠٠ ويهود ٢٠٠ وكان عدد الفرنج ٤٠٠

امَّا التجارة بعد ما نالها من الكساد في عهد الجزار فانَّها عادت الى حسن احوالها في ايام خلفهِ سليمان باشا والي صيداء الذي بعدلهِ وحكمة تدبيرهِ وحسن سياستهِ اصلح الامور وضمَّد جراحات البلاد التي كان الجزار نكأها بسوء سيرتهِ وطالت مدته رحمةً للاهلين فبقي في رتبتهِ نحو خمس عشرة سنة . وقد دوَّن اعماله الشريفة احد الكتبة في ذلك العهد وهو حنَّا افندي العوراء ومن تاريخهِ نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . ولعلَّ هذه الحال كانت زادت رقياً لولا ان عبدالله باشا خلفَ الخازندار سليمان ضرب على الاهلين الضرائب الفادحة التي اساءت الاحوال بعد صلاحها

وحصلت في السنتين ١٨٢١ و١٨٢٢ من ولاية عبدالله باشا بمزاحمة الامراء الشهابيين للامير بشير مشاغبات ومنافرات دعت الامير الى الفرار من وجه اعدائهِ الى حوران . ثمَّ تجدَّدت الفتن في عهد درويش باشا بعد عزل عبد الله باشا فهرب الامير بشير الى مصر ولاذ بمحمَّد علي فغلبت الفوضى على بلاد الشام ولم تنتهِ حتى عاد عبدالله باشا وردَّ الى الجبل الامير بشيراً بكلّ اكرام

وفي السنة ١٨٢٦ انتشبت الحرب بين اليونان والدولة العثمانيَّة فارسل الاروام اسطولهم الى بيروت ليستولوا عليها فتحصنوا على برجها المعروف بابي هدير ونصبوا

السلاح على سورها فدخلها بعضهم بينما كانت المراكب تطلق مدافعها على المدينة . لكن الاهلين احتشدوا فقاوموهم وبلغ الخبر الامير بشيراً فسيَّر رجالاً لمقاتلتهم . فلما رأى الاروام جموعهم خافوا وركنوا الى الفرار واقلع الاسطول سائراً الى بلاده فاتخذ بعض اصحاب الفتن هذه الفرصة ليثيروا نصارى بيروت باستدعاء الاروام فهاج المسلمون وهرب النصارى الى الجبل وأُلقي بعضهم في السجن ولم تهدأ الامور إلّا بعد مفاوضات ومصادرات وتغريمات تداخل فيها وزير دمشق عبد الله باشا والامير بشير

وفي السنة ١٨٣١ ارسل عزيز مصر محمّد عليّ ابنهُ ابراهيم باشا ليفتح سوريّة ويُدخلها في حكم دولته المصريّة فكان النجاح حليفهُ وانضمّ الامير بشير بقواه الى المصريّين ليتجو من عَنَت الدولة التركيّة وظلم عمّالها . وبقي المصريون مستولين على بلاد الشام تسع سنين نشروا فيها الامان ونشّطوا التجارة والصناعة وألّفوا قلوب النصارى لولا انهم بعد مدّة هيّجوا عليهم الرأي العام بما وضعوهُ من الضرائب التي ناءت تحت اثقالها مناكب السوريين عموماً واللبنانيين خصوصاً وحاولوا الزام الاهلين بالخدمة العسكريّة فقام لمناهضتهم قومٌ من اللبنانيّين بمعاضدة الدولة التركيّة واستفحل الفساد فآلت الامور الى ان اتفقت الدول الاوربيّة على إبعاد المصريين واعادة بلاد الشام الى المملكة العثمانيّة . ولمّا صمّم المصريّون على الاباء قدمت مراكب انكليزيّة يرئسها الكومودور نابيه (C. Nappier) واذ اصرّ محمود بك متسلم بيروت باسم ابراهيم باشا على رفضهِ تسليم المدينة اطلق الانكليز المدافع على أبنيتها وهدموا جانباً منها . ففرّ سليمان باشا قائد الجنود المصريّة المرابطة فيها واستلمها الكومودور الانكليزي فأعادها الى الدولة العثمانيّة . ثمّ اخذت جنود الاتراك مع اللبنانيين يطاردون عسكر ابراهيم باشا فتعقّبوهُ الى ان خرج بجيشهِ من سوريّة الى موطنهِ مصر

وبخذلان المصريين سقطت ايضاً ولاية الامير بشير الكبير الذي اضطرّ الى تقدمة خضوعهِ واختار لمنفاهُ جزيرة مالطة وذلك سنة ١٨٤١ ثمّ انتقل منها بعد مدّة الى الاستانة حيث توفي سنة ١٨٥٠ وقُبر في كنيسة الارمن الكاثوليك (١

ثمّ صدر امر الدولة سنة ١٨٤٢ بان يُنقَل من صيداء الى بيروت كرسي الولاية ويرابط فيها الجند وعُهد تدبير امرها الى سليم باشا المعروف بهمتهِ واعتدالهِ . فمن

١) المشرق (٧ [١٩٠١] : ١٠٦٣)

ذاك الحين دخلت بيروت في طور جديد من الحياة. وخراب اسوارها اخذ الناس يشيدون الابنية خارجاً عنها ويُحكمون بناءها على طراز لطيف ويجعلون فوقها العلالي ويزرعون بقربها الجنائن والاشجار المثمرة فاتسعت المدينة اوّلاً من جانبها الشرقي الى جهات نهرها ثمّ شُيدت غيرها من المباني في غربيّها وجنوبيها

وراجت تجارة بيروت بعد خروج المصريين بفضل الاجانب الذين استوطنوها وباشروا فيها المعاملات مع الوطنيين وانشأوا فيها المحلّات التجاريّة والشركات الماليّة وازدهرت خصوصاً معامل الحرير. ولنا في احصاءات القنصل هنري غويس دليل باهر على تقدّم بيروت فانهُ حسب في السنة ١٨٢٧ الواردات الى بيروت من فرنسة بقيمة ١٫٣٥٣٫٧٢٥ فرنكاً والصادرات منها الى فرنسة بقيمة ١٫٢١٤٫٨٣٠ فرنكاً. وفي نهاية السنة ١٨٤٤ بلغت الواردات ٤٫٥٨٨٫٣٢٥ ف والصادرات ٣٫٠٦٧٫٧٥٨ ف وحسب لسنة ١٨٤٥ الواردات من مصر الى بيروت بقيمة ٦٫٤٩٠٫٠٠٠ ف والصادرات الى مصر بثمن ٤٫٩٧٩٫٦٠٠ ف يليها الواردات من انكلترة ٥٫٧٣٥٫٨٠٠ ف والصادرات اليها ٥٫٧٦٠٫٩٠٠ ف ثمّ الواردات من تركيّة ٣٫٥٩٨٫٨٥٠ ف والصادرات اليها ٤٫٢٨٣٫٥٣٠ ف ثمّ الواردات من النمسا ٦٧٢٫١٠٠ ف والصادرات اليها ٧٩٫٩٠٠ ف ثمّ الواردات من ايطالية ٤٤٢٫٨٠٠ ف والصادرات اليها ٨٥١٫٦٠٠.

وقد ذكر معظم ما صدر من بيروت فكان للحرير المقام الاوّل بقيمة ١٫٨٦٩٫٥٠٠ ف ثمّ القطن (٤٦٧٫١٢٠ ف) ثمّ السمسم (٢٢٦٫٨٥٠ ف) ثمّ الاسفنج (١٧٢٫٨٠٠ ف) ثم النقود (٨٥٫٠٠٠ ف) ثمّ الصوف (٥٥٫٩١٤ ف) ثمّ العفص (٥٤٫٦٨٤ ف) ثمّ الشمع (٦٫٥٠٠ ف) ولم يتجاوز حينئذٍ ثمن التبغ قيمة (١٫٥٠٠ ف)

فيظهر من هذا ما بلغتهُ بيروت في ذلك العهد من الرقي حتى اصبحت مركز للاعمال التجاريّة لكل سواحل الشام. وكانت الدول على مثال فرنسة اقامت لها قناصل لترويج امور بلادها واوّلهم قنصلا انكلترة والنمسة

الاحوال الدينيّة في هذه الحقبة

وكانت الامور الدينيّة في بيروت تجاري برُقيّها الاحوال المدنيّة. فكان (الموارنة) ازدادوا فيها عدداً فقصدها كثيرون من اللبنانيين ليتعاطوا فيها التجارة والصناعة او

ليفرّوا مما حصل في لبنان من المنازعات والاضطرابات لاسيما بعد نفي الامير بشير الكبير وكان يسوسهم اساقفة افاضل اخذوا يقيمون في بيروت اخذهم المطران بطرس ابو كرم الذي تعيَّن لتدبير ابرشيَّتها خلفاً للمطران مخائيل فاضل سنة ١٨١٩ فرعاها بغيرة مدَّة ٢٥ سنة وكان يتنقَّل في سكناهُ بين بيروت وقرى ابرشيَّتهِ وكانت وفاتهُ في بكنتا وطنهِ في ١٥ ك ٢ سنة ١٨٤٤ . وقام بعدهُ مطرانـاً على بيروت الراهب اللبناني طوبيًا عون فساس رعاياهُ احسن سياسة واحرز لهُ بفضلهِ وجهادهِ ذكرًا طيبًا بين ابناء ملَّتهِ واهل وطنهِ وكانت وفاتهُ في سنة ١٨٧١

وتمتع (الروم الكاثوليك) في القسم الاوَّل من القرن التاسع عشر بالراحة الدينيَّة تحت رعاية ثلثة من ابناء الرهبانيَّة الحنَّاويَّة الكريمة وهم السادة ثاودوسيوس بدوه الحلبي خلف السيِّد اغناطيوس صرُّوف (١٨١٤ــ١٨٢٢) واغناطيوس دهَّان (١٨٢٢ــ١٨٢٤) واغابيوس رياشي بعد فراغ الكرسي مدَّةً (١٨٢٨ــ١٨٧٨) وفي عهدهِ بُنيت كنيستهم الكبرى الواسعة الارجاء اللطيفة البناء ذات الايقونستاس البديع على اسم مار الياس النبيّ . ولم يتكدَّر صفاء الطائفة بغير ما حصل من الانشقاق بسبب الحساب الجديد سنة ١٨٥٧ فانسلخ بعض الجهَّال عن كنيستهم تمسُّكاً بحساب قديم ظهر غلطهُ لكل العلماء

امَّا (الروم الاورثذكس) فتسقَّف على كنيستهم بعد وفاة مكاريوس صدقة سنة ١٨٠٤ اثناسيوس مخلَّع الذي توفي سنة ١٨١٣ ثم بنيامين (+ ١٨٤٨) ثم ايروثاوس الى السنة ١٨٦٤ فاستقال

الرهبانيَّات اللاتينيَّة في بيروت

وممَّا نالتهُ بيروت لنجاحها الديني في النصف الاوَّل من القرن التاسع عشر حلول (الرهبانيَّات اللاتينيَّة) في ربوعها فكان اوَّل من عاد اليها بعد انقطاعهم عنها بسبب الحروب وظلم الجزَّار (الآباء الفرنسيسيّون) كما سبق . ثمَّ (الآباء الكبوشيون) وكلهم من الايطاليين غالباً . وكان للكبوشيّين منزل ضيّق وسط المدينة تحت كنيسة القديس جرجس المارونيَّة الحاضرة فلمَّا ترأس عليهم الاب زكريَّا فانشيولي (Zacharie Fanciulli) اقتنى لهم المحلّ الذي يسكنونهُ اليوم فعمَّروا هناك كنيستهم الكبيرة

على اسم القديس لويس ملك فرنسة وهي الكنيسة الراعوية للاتين

وفي العشر الثالث من القرن التاسع عشر سكن (اللازاريون) بيروت وقاموا خصوصاً في خدمة راهبات المحبة اللواتي قدمن اقطارنا مع رئيستهن الطيبة الذكر الاخت جيلاز سنة ١٨٤٧ فاخذن مذ ذاك الحين يتفانين في خدمة الفقراء والمرضى والمبتوسين بما عُرفن به من الهمّة والنشاط والتجرُّد التامّ

امّا (اليسوعيون) فكان اوّل حلولهم في بيروت السنة ١٨٣٩ في زمن حكم المصريين على الشام وكان رئيسهم اذ ذاك الاب مكسيميليان ريلو البولوني الاصل وهو المعروف بالاب منصور فانتهز فرصة تسامح المصريين مع النصارى فاقتنى ملكاً واسعاً خارج اسوار المدينة كان مزروعاً بشجر التوت واخذ يُعدّ سكنى لاخوته ببناء دير صغير. فاتت الوقائع السياسيّة في تلك الآونة بين الدول والمصريين فاضطرّته الى تأجيل العمل ولاسيما انّهُ كان قد تعيّن كنائب القاصد الرسولي للسيد ثلاردبل فكانت واجبات مهمّته تدعوهُ الى التداخل في امور النصارى فلم يمكنهُ ان يُخرج نيّتهُ الى حيز الوجود إلّا بعد نزوح المصريين عن الشام. فاستأنف العمل بعزم وفكّر ايضا بمدرسة للصناعة لتهذيب احداث من النصارى. لكنّ الحبر الاعظم استدعاهُ في تلك الاثناء الى رومية ليقيمهُ رئيساً على مدرسة انتشار الايمان (البروبغندا) فخلفهُ الاب مبارك بلانشه في رئاسته وبعد معاكسات شتى وعقبات وجدها في طريقهِ اتاح لهُ الله ان ينجز العمل ويعمّر الدير في الحيّ المعروف اليوم بالصيفي ويفتح فيه مدرسةً للاحداث فتمّ ذلك في تشرين الثاني من السنة ١٨٤١

وفي اوائل هذا القرن التاسع عشر كان القصّاد الرسوليون يسكنون في لبنان فسكن السيّد لويس غندلفي (١٧٩٦ــ١٨٢٥) بين اخوته اللازاريين في عين طورا ثمّ عشر هناك خلفهُ السيّد لوزانا (١٨٢٥ــ١٨٣٢) دارًا للقصادة سكنها هو وخدّامهُ. ثمّ اخذوا يتردّدون الى بيروت وفيها استقام وتوفّي السيّد فرنسيس ثيلاردبل (١٨٤١ــ١٨٥٢) وقد بنوا شرقيّ ساحة الشهداء دارًا واسعة سكنوها الى عهد السيّد لودوفيكو بياقي الذي انتقل الى دار القصادة الحديثة في رأس بيروت وكذلك باع دار القصادة في عين طورا واتّخذ للاصطياف دار حريصا. فكان وجود القصّاد الرسوليين في بيروت منشطاً لكل الاعمال الدينيّة فيها

ومنذ ذلك الحين خصوصاً أنشئت الاجتماعات الدينيّة كالاخويّات والرياضات السنويّة في كنائس المرسلين ولا سيما في أيام الصوم الكبير . تخصّ بالذكر اخويّة اعيان بيروت الكاثوليك المنشأة سنة ١٨١٩ في كنيسة الآباء اليسوعيين فبلغت اليوم سنتها السابعة والسبعين . وكان من ثمارها اعمال خيريّة مشكورة كمساعدة الفقراء وتهذيب الصغار وزيارة المحبوسين وتعزيز روح العبادة في بعض شهور السنة

الآداب في بيروت

وممّا جعل لبيروت ايضاً مقاماً رفيعاً في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر انشاء ﴿المدارس﴾ فيها فكانت اوّلاً كتاتيب صغيرة تُقرأ فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب يعلّم فيها بعض المعلّمين البسطاء لكل طائفة مدرسة ثمّ سعى المرسلون الى فتح مدارس ارقى شأناً وانّما لم تبلغ شأوها إلّا بعد حوادث السنة الستّين . وكان يدرس طلبتها مع العربيّة احدى اللغتين الايطاليّة او الافرنسيّة واصول العلوم

وقدم الى بيروت بعض اعضاء جمعيّة التوراة (البيليشيين) سنة ١٨٢٦ وغايتهم نشر تعاليمهم البروتستانيّة فتصدّى لهم السيّد بطرس كرم وفنّد اضاليلهم . لكنّهم عزّزوا قواهم وسكنوا بيروت ونقلوا اليها مطبعتهم في ماظة وكان في مقدّمتهم زعيمهم عالي سميث الذي بعد تضلّعه من العربيّة سعى مع رفيقه ڤان ديك وغيرهما من بعض الوطنيين اخصّهم الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني فعرّبوا التوراة وعُنوا بنشرها وتوزيعها بعد ان حذفوا منها الاسفار المدعوّة بالاسفار الثانويّة كالحكمة وابن سيراخ ونبوّة باروخ وطوبيّا والمكابيّين وحرّفوا على مقتضى آرائهم بعض آيات العهدين المقدّسين . وكان ذلك سبباً لانشاء الروم الاورثذكس جمعيّتهم المدعوّة الجمعيّة السوريّة الاورثذكسيّة كانوا يجتمعون قريباً من الكنيسة فيخطبون في مواضيع دينيّة ويقرأون في كتاب ملاطيوس ضدّ البروتستانت ثمّ طبعوا ما اهملوه من الكتب المقدّسة

واجتهد المرسلون الاميركان في فتح المدارس في بيروت وفي انحاء الجبل للذكور والاناث نحو السنة ١٨٣٥ ثمّ انشأوا في بيروت مدرسة داخليّة للذكور سنة ١٨٤٠ كانت غايتها الخاصّة نشر مذهبهم والحقوا بها سنة ١٨٤٦ مدرسة مثلها للاناث . وهذا ما دفع راهبات المحبة ان يخصّصن للبنات الكاثوليكيّات مدارس ابتدائيّة مجّانيّة

للفقراء ومدارس ثانويَّة للطبقة الوسطى من الاهلين منذ السنة ١٨٤٧ وقبان ايضاً اوانس داخليَّات في ديرهن سنة ١٨٤٩

﴿مطابع بيروت الاولى﴾ ومن المعلوم انَّ المطابع من اعظم اسباب الرقيّ والتفقُّه وقد كان بينها السهم المعلَّى لبيروت في النصف الاوَّل من القرن التاسع عشر كما بيَّنا ذلك في مقالات واسعة أفردناها لتاريخ الطباعة في الشام وفلسطين والعراق(١

كانت (مطبعة القديس جاورجيوس) للروم الاورثذكس اوَّل مطبعة ظهرت في بيروت بهمَّة الشيخ ابي عسكر الجبيلي في اواسط القرن الثامن عشر طُبع فيها حينئذٍ بعض الكتب الدينيَّة والطقسيَّة كالزامير والسواعيَّة والتعليم المسيحي ثمَّ خمدت حركتها فلم يبرز منها للنور شيء يذكر الى السنة ١٨٤٥ فعادت الى نشر الدينيَّات والطقسيَّات بحرفها القديم الى آخر العهد الذي نحن بصدده

واعظم منها في بيروت (المطبعة الاميركية) التي استعارت اوَّلاً أدواتها وحروفها من مطبعة بعثة الاميركان في مالطة وادارها عالي سميث فطبع اوَّلاً فصل الخطاب للشيخ ناصيف اليازجي وبعض كراريس دينيَّة. ثمَّ جدَّد ادواتها واستبدل حروفها بما هو أشرق والطف فسبكها في ليبسيك وطُبع عليها ترجمة الكتاب المقدَّس السابق ذكرها (١٨٦٠ــ١٨٦٥) وخلفهُ الدكتور فان ديك فبلَّغها كمالها فنُشرت فيها عدَّة كتب منها مدرسيَّة وعلميَّة وادبيَّة ومنها دينيَّة وجداليَّة بروتستانيَّة بلغ عددها نحو خمسين كتاباً قبل حوادث السنة ١٨٦٠

ثمَّ رأى الكاثوليك حاجتهم الى مطبعة كبيرة تفي بلوازم دينهم وتهذيب اولادهم فتحفَّز للامر المرسلون اليسوعيّون فأنشأوا (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٨٤٨ فنُشر فيها اوَّلاً نحو عشرة كتب دينيَّة ومدرسيَّة على الحجر ثمَّ اتخذوا لاشغالها الحروف المسبوكة في باريس سنة ١٨٥٣ وبقيت مطبوعاتها محصورة المدد زمناً حتى اتَّسع نطاق اعمالها وزاد الاقبال على منشوراتها وتحسَّنت ادواتها فبلغ ما نشرته من التآليف المختلفة قبل السنة ١٨٦٠ نحو عشرين كتاباً

والمطبعة الرابعة التي ظهرت في هذه الحقبة هي (المطبعة السوريَّة) لصاحبها الشهير المرحوم خليل الخوري الذي عيَّنتهُ الدولة التركيَّة مديراً للمطبوعات فأنشأ

١) اطلب اعداد المشرق في السنتين الثالثة والرابعة للمجلَّة ١٩٠٠ و١٩٠١

مطبعتهُ سنة ١٨٥٧ ونشر اوّل جريدة ظهرت في سوريّة دعاها حديقة الاخبار وفي مطبعتهِ نُشر الدستور العثماني وبعض الكتب القانونيّة والتجاريّة حتى السنة ١٨٦٠

وظهرت ايضاً في اواسط القرن التاسع عشر مطبعة عُرفت اوّلاً بمطبعة ابراهيم افندي (النجّار) الطبيب نشر فيها تاريخهُ للدولة العثمانيّة المعروف بمصباح الساري ونزهة القاري سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٥م). وهذه المطبعة ورثها بعد ذلك يوحنّا النجار اخو ابراهيم فاشتغل بها بعد السنة ١٨٦٠ ودعاها (المطبعة السوريّة)

فهذا مجمل ما ظهر من المطابع في تلك الحقبة فساعدت على ترقية الآداب ونشر التمدُّن العصري واستنهاض همم الكتبة وكانت الدولة التركيّة تُطلق لها الحرّية لا تهتمّ اوّلاً بمراقبتها

وامتازت ايضاً بيروت في اواسط القرن التاسع عشر «بنواديها العلميّة» سبق الى انشاء اوّل نادٍ منها المرسلون الاميركان سنة ١٨٤٧ جمعوا فيهِ بعض أدباء المدينة الساعين بتعزيز العلوم العصريّة في وطنهم كالشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني وميخائيل مدوّر وسليم دي نوفل ويوسف كتفاكو مع اساتذة المدرسة الاميركيّة . فكانوا يجتمعون في اوقات معلومة ويلقون بعض المحاضرات الادبية والعلميّة التي نشروا منها جانباً في مجموع لعالي سميث دعاهُ مجموع الفوائد وفي كراريس صغيرة اصدروها سنة ١٨٥٢ ثمَّ بطلت جمعيّتهم بعد قليل

وكذلك سعى اليسوعيّون الى انشاء جمعيّة من الكاثوليك سنة ١٨٥٠ دُعيت (الجمعيّة الشرقيّة) امتاز من اعضائها عدّة رجال كابرهيم النجار الطبيب وفرنسيس مراش والشاعر الشيخ حنا ابي صعب والوطني رزق الله خضرا والمؤرخ طنوس الشدياق وحبيب اليازجي

وفي ذاك الزمان اجتهد ايضاً الروم الاورثذكس في تأليف جمعيّة في بيروت لاجل العلوم والفنون ضمّت اليها بعض وجوه ملّتهم كمخائيل شحاده وفضل الله بسترس واسعد سرسق ونعمه جرجس طراد والقس جراسيموس الشامي

على انَّ حياة هذه الجمعيّات لم تطل مدّتها وكانت الحكومة التركيّة تنظر اليها شزراً وتخاف ان يغلب عليها روح السياسة

فترى انَّ بيروت نهضت في اواسط القرن التاسع عشر نهضةً راقية وجرت

مسرعةً في معارج التقدُّم فهَّدت لسائر انحاء الشام الطريق لمجاراتها في هذه الحلبة الشريفة. ولو اردنا سَرْد ما نُشر وتنشر من التآليف الادبية والتاريخيَّة والعلميَّة والفنيَّة لاتينا بجدولٍ واسع وما كان ذلك الّا مقدِّمة لحقبةٍ ثانية كسبت بيروت حلَّة من المجد لا تُبارى (١

على ان المدينة لم تسلم من بعض الآفات التي حلَّت بها كنكبة الزلازل في السنة ١٨٢٦ وداء الطاعون والهواء الاصفر غير مرَّةٍ . وتكدُّر اهلها بما حصل من فتن الدروز سنة ١٨٤١ في لبنان وتحامُلهم على النصارى .

(لهُ بقيَّة)

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

الحقبة الثانية (١٩٠٨—١٩١٨)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء النصارى

توفَّر في هذه الحقبة عدد ادباء النصارى الذين اشتهروا بملازمة الآداب العربيَّة فانتقلوا في اثنائها الى دار البقاء. وها نحن نقدِّم عليهم ذكر احبار الكنائس الشرقيَّة وكهنتها الذين خلَّفوا شيئاً من آثار قريحتهم

---

(١) راجع الجزء الاوَّل من كتابنا الآداب العربية في القسم الاول من القرن التاسع عشر (الطبعة الثانية ١٩٣٤)

الاساقفة

رُزئ (الموارنة) بوفاة احد كبار رجالهم السيد «بطرس زغبي» رئيس اساقفة قبرس في ٢٨ تشرين الاوّل سنة ١٩١٠ كان مولدهُ سنة ١٨٣٣ وتخرّج في مدرسة عين ورقة ثم في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير . نشر مع الخوري يوسف البستاني مجموعاً مدرسيًّا لطيفاً تحت عنوان نخب الملح وغرّة المُنح مع شروح واسعة وطبعاهُ على الحجر في مطبعتنا البيروتيّة في اوائل عهدها سنة ١٨٥٠ وكان خطيباً مصقعاً

وفي اواسط السنة ١٩١٤ قُبيل الحرب الكونيّة برح الحياة الفانية المأسوف عليهِ كثيراً لسموّ فضلهِ السيد «يوسف نجم» مطران عكّا شرفاً والنائب البطريركي . افاد طائفتهُ بتعريبهِ المدقّق والفصيح لاعمال المجمع اللبناني وطبعهُ في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٠ طبعاً متقناً

وفجعتنا الحربُ الكونيّة بوفاة حبرَين آخرين جليلين السيد «بطرس شبلي» رئيس اساقفة بيروت والمطران «يوسف صقر» رئيس اساقفة حماة . عُرف الاول بثقوب فهمهِ وسعة معارفهِ التاريخيّة والاثريّة نشر نُبذاً منها في المجلّات الاجنبيّة والوطنيّة . وقد اكتسب شكرنا بنشرهِ ترجمة نابغة طائفتهِ البطريرك اسطفانوس الدويهي فأنجز طبعها سنة ١٩١٣ . وكان السيد بطرس شبلي درس مدّةً في كليّتنا ثم رحل الى باريس فدرس في مدرستها الكهنوتيّة الشهيرة بسان سولبيس . وقد توفي في آطنة في السابعة والاربعين من عمرهِ ضحيّة محبّتهِ لفرنسة في ٢٠ آذار سنة ١٩١٧ . امّا السيد يوسف صقر فأحرز كل علومهِ في مدرستنا الاكليريكيّة البيروتيّة وتوفي بعد شهر من وفاة السيد شبلي في ٢٠ نيسان ١٩١٧ نشرنا لهُ في المشرق مقالات حسنة في اخلاق اللبنانيين وعاداتهم القومية

(الروم الكاثوليك) وفي هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين استأثر الله بذاك الحبر الجليل ذي المآثر الطيّبة المطران «جرمانوس معتّق» المولود في دمشق سنة ١٨٥٣ والمتوفّى في بيروت في ١٣ شباط من السنة ١٩١٢ وكل يعرف ما افاد بهِ الوطن من الاعمال الشريفة لاسيما انشاؤهُ لجمعيّة المرسلين البولسيين الذين يشتغلون في كرم الربّ بغيرة وثبات . وقد اغنى الآداب العربية بتآليف شتى منها دينيّة كرحلة الفيلسوف الروماني والكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام . ومنها طقسية كرفيق العابد والسواعيّة

والميناون وتفسير القدّاس وخدمة القصح ونشائد روحية وتحقيق الاماني لذوي الطقس اليوناني. ومنها ادبية لطيفة كذخيرة الاصغرين ورواية حسنا بيروت ومقالات وفصول ممتعة نُشرت في مجلّة المسرّة التي أنشئت بهمّته وجُمع بعضها في كتابه السلوة فاستحق بها جميعاً شكر الوطن (١

وفي أيّام الحرب المشئومة توفي في دمشق في ١٧ شباط ١٩١٦ رئيس اساقفة صيداء السيّد «باسيليوس حجار» المولود في اوائل سنة ١٨٣٩ في جزّين بعد ان خدم طائفته الكريمة بصفة كاهن غيور ثم في رتبة متروبوليت على بصرى وحوران ١٨٧٠ واخيراً على صيداء من السنة ١٨٨٧ الى سنة وفاته. عُرف حيثما حلّ بجدّه ونشاطه في خدمة طائفته. له من آثار القلم تعريبه لكتابين للطوبوي اليسوعي الكردينال بارمين وهما وصيّة السيد المسيح الاخيرة من على الصليب وسُلّم السادتين مع تأليف له في وصف مقام سيّدة المنطرة

ومن ضحايا الحرب الكونية من (الكلدان) السيد الجليل المطران «ادّي شير ابرهينا» رئيس اساقفة سعرت قتلهُ الاتراك جوراً فمات ميتة الابرار الشهداء في منتصف صيف السنة ١٩١٥ وهو في عزّ كهولته في الثامنة والخمسين من عمره (٢. وقد نفع الوطن والآداب بما نشرهُ من التآليف التاريخية والدينيّة والادبيّة كتاريخ كلدو واثور طبع منه جزئين وفُقد باقيه في الحرب. ومن مآثره تاريخ مدرسة نصيبين الشهيرة والالفاظ الفارسية في العربية ونشرَ في المجلّات الاوربية وصف مخطوطات مكاتب ماردين وديار بكر وسعرت والموصل ونشر في مجموعة الآباء الشرقيين تاريخاً قديماً لاحد الناطرة هذا ما عدا تآليف كلدانية مدرسية عديدة. وله في المشرق فصول مدقّقة عن طائفة الكلدان جازاهُ الله خيراً

وفي اثناء الحرب المذكورة فقد الكلدان اسقفاً آخر السيد «توما اودو» مات ايضاً ضحية الاتراك والعجم في كرسي اسقفيته اورميا في شهر آب ١٩١٨ كان مولدهُ في القوش سنة ١٨٥٥ وقد اشتهر خصوصاً بما نشرهُ من التآليف الكلدانيّة في مطبعة الموصل للآباء الدومنيكان اخصّها معجمٌ مطوّل للكلدانية الحديثة في جزئين

١) قُطلب سيرة السيد جرمانوس في المشرق (١٥ [١٩١٢] : ٤٥٦-٤٦٥)
٢) ترجمتهُ في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٢٦-٤٤)

وترجمتهُ للكلدانية كتاب كليلة ودمنة وقوانين المجمع التريدنتيني وميزان الزمان للاب نيرنبرج اليسوعي

وفي آخر شهور الحرب في ٢٠ آب ١٩١٨ توفي من (السريان) في مدرسة الشرفة اسقف رستن شرفاً السيد ﴿اوسطاثيوس موسى سركيس﴾ المولود في دمشق سنة ١٨٤٨ . كان احد تلامذة مدرستنا الاكليريكية في غزير علَّم العربية في كليتنا ثم ترأس عدَّة سنين على مدرسة الشرفة . ومن آثارهِ تعريبهُ لكتاب التاريخ المقدَّس للاب شوستر المطبوع في مطبعتنا سنة ١٩١٠

وتوفي من اساقفة الروم الاورثذكس في زمن الحرب في اميركا السيّد ﴿رافائيل هواويني﴾ اسقف بروكلين في ٢٧ شباط ١٩١٥ . كان مولدهُ في بيروت سنة ١٨٦٠ ودرس في مدرسة خالكي في الاستانة . ثمَّ أُقيم سنة ١٨٩٥ راعياً للجالية السورية الاورثذكسية في نيويرك فنشر هناك مجلَّة الكلمة سنة ١٩٠٥ ونقَّح كتب طائفتهِ الطقسيَّة كالقنداق والافخولوجي . ومن تآليفهِ كتاب اللمحة التاريخيَّة في اخويَّة القبر المقدَّس اليونانية

الكهنة الملبانيون والرهبان المرسلون

فقدت الآداب العربية احد افاضل كهنة الارمن ورجال البرّ والصلاح الورتبيت ﴿بولس بليط﴾ ولد في حلب سنة ١٨٢٧ وفيها توفي في ١٢ ت١ سنة ١٩١٠ . اوقف حياتهُ على خدمة آل وطنهِ عموماً وابناء طائفتهِ خصوصاً فاشتهر بتدامتهِ وسموّ فضائلهِ واوقف قلمهُ في اوقات الفراغ لتأليف الكتب من لاهوت وفلسفة وتاريخ وعبادات طبع قسماً منها مثل كتابهِ الدعامة في وجود الله وخلود النفس وكتاب التبراس في خمس محاورات دينيَّة وتاريخ ابرشيَّة حلب في مجلة المشرق . وعرَّب كتاب رياضة تشرين الثاني لاسعاف الانفس المطهريَّة . ولهُ عظات ومياومات تاريخيَّة ورحلة الى الاستانة ورومية سنة ١٨٦٩ لحضور المجمع الواتيكاني (١

وفي السنة التالية في ٥ ت١ ١٩١١ أسفت حلب على فقدها لاحد ابنائها العريقين في الآداب العربية القس ﴿توما أيوب﴾ السرياني الكاثوليكي المولود في الشهباء في

١) راجع ترجمتهُ لحضرة القس جرجس منش في المشرق (١٧ [١٩١٤] : ٨١-٨٦)

٢٢ آذار سنة ١٨٦١ درس العلوم في كلّيتنا الاكليريكيّة وفي دير الشرفة وانقطع بعد كهنوته في وطنه للتدريس والتأليف وكان مولعاً بدرس العربية فجمع لهُ مكتبة حسنة من مخطوطاتها ومطبوعاتها. وقد تخرّج عليه كثيرون من الشبّان وكان يجتمع بادباء حلب فيتفاوضون في الفنون الادبية واللغويّة وقد عرّب روايات عديدة منها للتمثيل ومنها خيالية ادبية طُبع منها رواية فابيولا ورواية الى ابن زرواية الكفّارة في مطبعتنا الكاثوليكية وكلها تمتاز ببلاغتها. ومن تآليفه الروحية كتاب تحقيق الامنية في عبادة الوردية

وفي أيّام الحرب الكونية نُجعت الطائفة المارونيّة باحد كهنتها الضليعين بالآداب الدينيّة والدنيويّة معاً المنسنيور ﴿يوسف العلم﴾ توفي في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ في داريّا وكان احد تلامذة عين ورقة الممتازين فرُقّي في طائفته الى مناصب شريفة كالرئاسة على مدرسة الحكمة والنيابة الاسقفية. لهُ تآليف عديدة نُشرت بالطبع كتعريبه لتفسير رسائل مار بولس وكتاب قداسة الكاهن واعترافات مار اوغسطين وتأملات الوردية ومن آثاره النثريّة والشعريّة كثير مما نشرناه في مجلة المشرق ثم جمعهُ في كتاب دعاهُ «نفثات القلم على يد العلم»

وفي تلك السنة عينها توفي في ١٨ شباط ١٩١٧ كاهن ماروني آخر كانت توسّمت فيه طائفتهُ الخير وهي تنتظر منهُ خدماً جلّى الخوري ﴿لويس دريان﴾ مولود بيروت سنة ١٨٧٩. كان درس العلوم في جامعة لوفان الشهيرة فنال شهادتي الدكتوريّة في الفلسفة واللاهوت. ولمّا عاد الى وطنه احبّ ان ينفق عليه كنز علومه فنشر سنة ١٩٠٦ كتاباً في الفلسفة التوماويّة بيّن فيه فضل القديس توما الاكويني في علمَي الفلسفة واللاهوت. ونشر بعض المواعظ التي القاها في كنيسة مار مارون تحت عنوان «الاعتقاد تجاه العقل والدين». وعرّب للفلكي الاب مورو كتاب «من اين جئنا» وللاجتماعي جول ليمتر كتابهُ «تهذيب الارادة» ونشر في مطبعته المعروفة بمطبعة النهضة تآليف ادبية شتى وخصوصاً مجلّته «الرسالة» والمحاسن الروائية

وفي زمن الحرب رُزئت الطائفة اللاتينيّة في القدس الشريف باحد كهنتها الاجلّاء ﴿دون خليل مرتا﴾ الذي تخرّج في مدرستنا الاكليريكية في غزير وانتدبهُ السيّد البطريرك الى تهذيب التلامذة المترشحين للكهنوت في القدس فخدمهم سنين طويلة

وقد ألف لتدريسهم كتابهُ الخلاصة الجلية في قواعد اللغة العربية في جزءين ونشرنا لهُ في المشرق مقالات لغويّة وتاريخيّة وانتقاديّة غاية في الحسن والدقة. وكان المذكور ضليعاً ايضاً بعلم الآثار فنشر بالفرنسويّة والايطالية كتباً حسنة منها كتابهُ عن دار بيلاطس وعن موقع بيت ايل ومكان وفاة مريم العذراء والتحفة الكريمة في الجمعة العظيمة

وفي هذه الحقبة الثانية خسرت رسالتنا السوريّة بعض مرسليها العاملين الذين تركوا آثاراً طيّبة من قلمهم. نخصّ منهم بالذكر الاب ﴿انطون رباط﴾ الذي كانت تُبنى عليهِ آمال طيّبة لخدمة الآداب والوطن فاستأثر بهِ الله في ١١ ايار سنة ١٩١٣ وهو لم يتجاوز السادسة والاربعين من عمره ومع قصر حياتهِ امكنهُ ان ينشر قسماً حسناً من الآثار التي كان جمعها في خزائن اوربّة. فمن ذلك مجلدان في عدّة اجزاء نشر فيها آثار تاريخيّة جليلة عن كنائس الشرق منذ القرن السادس عشر. ومن مطبوعاتهِ المشعة روايتهُ التمثيليّة البديعة في نكبة البرامكة ومقالاتهُ عن صحّة الاناجيل المقدّسة وسلامتها من كلّ تحريف وعدّة آثار تاريخيّة قديمة كرحلة اوّل شرقي الى اميركة وترجمتي الاسقفين نافيطس نصري وعبد الله قرالّي وقد ترك مخطوطات لم يسمح لهُ الوقت بنشرها

وفي الجمعة الاولى من الحرب العمومية في آب ١٩١٤ أُصيبت رسالتنا بفقد كاهن آخر ترأس على كليتنا في بيروت مدّة سبع سنين وهو الاب ﴿جبرائيل اده﴾ الذي توفي في القاهرة وهو ساعٍ في القاء مواعظ رياضة روحية هناك. كان خدم سنين طويلة الآداب العربية بالتدريس والتأليف. تكرّر مراراً طبع كتابهِ القواعد الجلية في علم العربية. ولم يدّخر وسعاً في تعزيز اللغة العربية بين الناشئة

وانتقل ايضاً الى جوار ربه في زمن الحرب في غزير الاب ﴿ادوار سلزاني﴾ في غرّة شباط سنة ١٩١٦. خدم الآداب الدينية بتعريب بعض الكتب التقويّة في العبادة نحو مريم العذراء وفي حب يسوع المستقيم

وفي ٢٨ ايلول من تلك السنة قُتل في الحرب الكونية بينما كان يتفانى في ساحة الوغى بعلاج الجرحى الاب ﴿فردريك بوقيه﴾ الذي كان علّم الآداب والبيان في كليتنا وعُني بجمع تاريخ مطوّل لسوريّة من عهد الفتح الروماني الى زماننا فطبعهُ على الحجر بالفرنسويّة في نيّف و٦٠٠ صفحة ونشر في مجلة الشرق المسيحي تاريخ

الشام على عهد الدولة الطولونية وكان المذكور ضليعاً بعلوم الاديان

وقبل ختام السنة عينها في ١٦ك١ ١٩١٦ قضى نحبهُ في عين ابل في بلاد البشارة الاب ﴿يوسف حوّاء﴾ الحلبي الاصل . وُلد سنة ١٨٥١ وتقلّب في عدّة وظائف مدنيّة في لندن ثمّ ترهّب سنة ١٨٨٢ واشتغل بالاعمال الرسولية مدّة سنين عديدة في رسالتنا السوريّة . نشر في مطبعتنا معجماً ضخماً في اللغتين العربية والانكليزيّة

وفي السنة التالية في ٤ ايار ١٩١٧ توفي في مستشفى الراهبات الالمانيّات الاب ﴿دونا ڤرنيه﴾ المعروف بالاب عطاء الله المولود في فرنسة سنة ١٨٣٦ خدم الآداب العربية بتأليف واسع في اصول اللغة العربية وألّف ترجمة القديسة جان دارك وعرّب كتاب الاقتداء بالمسيح . ولهُ تآليف شرقية مخطوطة في مكتبتنا بالعربية والافرنسية

وفي ٢٣ من الشهر والسنة ذاتها توفّى الله مرسلاً آخر من الرهبانية الافرنسيّة في حريصا الطيّب الذكر الاب ﴿فرنسيس فرّا﴾ الحلبي نشر في مطبعة القدس تآليف دينيّة حسنة كالروضة الروحية وتعريب فصيح للاقتداء بالمسيح وغير ذلك

وفي ٢ نيسان من العام المقبل ١٩١٨ مُنيت ايضاً رسالتنا بوفاة احد عملتها النشيطين الواسعي الفضل الاب ﴿لويس رنزفال﴾ مات في رومية بعد نفيهِ من سورية بسبب الحرب . أدّى للعلوم الشرقية خدماً جمّة بالتعليم والتأليف في فنون مختلفة . وقد تولّى ادارة مجموعة مكتبتنا الشرقي . لهُ فيها عدّة آثار لغويّة وفنيّة وقد نشر في المشرق رسالة الدكتور مشاقة في الموسيقى العربية ثمّ نقلها الى الافرنسية وذيّلها بالحواشي . وقد كتب في ابحاث متعدّدة عن اللغات اليونانية والتركية في مجلّة باريس الاسيويّة ونشر رسالة من كتب الدروز مع الاب يوسف خليل ولهُ في المشرق عدّة مقالات فلسفيّة وتاريخيّة وادبية

فترى انّ طلبة الاكليروس وكهنة الطوائف الشرقية والمرسلين كانوا ماشين مع المواطنين في مصافّ جيش الآداب ناشرين لواء العلوم والمعارف

ادباء النصارى الدلهانيون

نقدّم عليهم بعض الذين فاتنا ذكرهم في الحقبة الاولى تتمّة للفائدة . منهم الاديب المرحوم ﴿حبيب انطون السلوني﴾ المولود في بيروت سنة ١٨٦٠ تلقّى

العلوم في مدرسة الروم الكاثوليك. وفي كلية القديس يوسف ثمَّ هاجر الى اوربَّة وساح في جهات العجم والهند ثمَّ استقرَّ في لندن وتعيَّن كاستاذ العربية في جامعتها وصار عضواً في جمعيتها الملكيَّة الشرقية وطبع هناك معجماً انكليزيًّا عربيًّا. كانت وفاتهُ في ٢٣ ت ٢ ١٩٠٤

ومنَّن ترجمهُ الاستاذُ عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابهِ دواني القطوف (ص ٦١٠ــ٦٢٤) الدكتور ﴿ اسكندر بك رزق الله ﴾ الطبيب الشهير المولود في المحيدثة (المتن) في ١٢ شباط ١٨٦٠ والمتوفى في بيروت في ٧ ك ١ ١٩٠٥ درس اللغة والادب في بيروت وتلقى العلوم الطبية في القصر العيني في مصر ثم في فرنسة وتعيَّن في الثغر طبيباً لمستشفى القديس جاورجيوس فجرى في تنظيمهِ على نمط المستشفيات الاوربية العصريَّة . وكان المذكور احد المولعين بدرس العربية وفنونها فأُقيم قبل انقطاعهِ للطبابة استاذاً لها في المدرسة السورية ورئيساً لقلم التحريرات العربية في ديوان الروم البطريركي ونظم القصائد والالحان الغنائية والمقطَّعات وسكن مدَّةً مصر ورفع الى الخديوي اسماعيل باشا قصيدة بليغةً أعجب بذكاء ناظمها واراد ان يثيبهُ عنها بمبلغ من المال فأبى قبولهُ بلطف قائلاً: «انا يا مولانا طالب علم لا طالب مال» وكان ذلك سبباً لدخولهِ في مدرسة القصر العيني قبل رحلتهِ الى فرنسة. ومدح ناظر المعارف في مصر عليَّ ابراهيم باشا وهنأه بالعيد بقصيدة غرَّاء اوَّلها

دعِ التشبُّبَ بالغادات واعتزلِ ذكرَ النوافي وجانِبْ جانبَ الغَزَلِ

وختمهُ بهذا التاريخ :

ختامُ ما احسنتَ قولاً نؤرخهُ ألعيدُ يملو بأنوار الخليل عليّ (١٢٨١هـ)

وللدكتور رزق الله رسالات بليغة متنوِّعة ومقالات عديدة منها طبية ومنها ادبية في المجلَّات الوطنية والاجنبية في كلتا اللغتين العربية والافرنسية. وقد جُمعت اقوال الجرائد او مراثي الشعراء في مدحهِ بعد موته في كرَّاسةٍ عنوانها نوح الحمام صدَّرها الشاعر المجيد الياس افندي الحنيكاتي بهذين البيتين تحت رسمهِ:

قالوا اطلتَ من التأسُّف والبكا هل ذا التطاسي عادمُ الاشباهِ

فاجبتُهم ما كلُّ رزقٍ في الملا يبكى عليهِ نظير رزقِ اللهِ

وفي ١٦ آب من السنة ١٩٠٦ فقد الادب احد الشعراء الوطنيين سليل عائلة الشدياق «بشاره الشدياق» كان ابن اخي احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ونشر في جريدة عمه فصولاً شائقة . وكان المذكور عريقاً في دينه له في جريدة البشير مقالات دينية وادبية . ومن آثاره ديوان شعر مخطوط نصونهُ في مكتبتنا الشرقية جمعهُ سنة ١٨٨٨ . دونك مثالاً من نظمه قال في وصف الحسود :

انَّ الحسود مدى الايام يمقتُ مَنْ نال السعادةَ حتى منتهى الابدِ
وكلّ داءٍ لهُ طبٌّ يصحُّ بهِ اما الحسود فلا يشفى من الحسدِ
داءٌ خبيثٌ تُرى ماذا يؤمّلهُ ذاك الشيمُ سوى الاكدار والكمدِ
فبئسَ حاسدُ توفيقٍ بلا أملٍ يموت من جهلهِ بالذلّ والحقدِ

ومن قولهِ في رثاء المطران طوبيا عون رئيس اساقفة بيروت :

قد كان طوبيًا ذا برٍّ وذا عملٍ سامٍ وفضلٍ لهُ في الناس مشهودِ
كم بات يرعى خرافًا ظلَّ يرشدها الى حقيقةِ ايمانٍ وتسديدِ
نعمْ وقد كان عونًا للانام ومَنْ قد أمَّهُ نال من فضلٍ وتأييدِ
فهو لعمري الذي كانت شمائلهُ م الغرّاء شائعةً في السهل واليدِ
بكتهُ بيروت حزنًا والدموع على فقدانهِ تنسكبُ من قلب صيخودِ
قد مات في جمة الآلام وا أسفي بفقدهِ قد حُرمنا جمجة العيدِ
ضاقت بنا الارض من غمٍّ ومن كدرٍ ومن مُصابٍ ومن نحبٍ وتنهيدِ
هيهاتُ يُطفى لهيبٌ او يحولُ بكا ما دام آماقُنا تَرْحى بتشديدِ

وفي السنة التالية ١٩٠٧ وقعت وفاة ابن عم بشارة «سليم الشدياق» كانت وفاته في سان ريمو . اخذ سليم الآداب عن ابيهِ ثمَّ صار يُساعدهُ في تحرير الجوائب في الاستانة له فيها عدّة مقالات . وعُني بنشر بعض تآليفهِ

وفي ٢٠ ايار من السنة ١٩٠٦ توفي في بيروت عن ثمانين عاماً الرياضي والطبيعي المعلم «اسعد الشدودي» . كان مولدهُ في عاليه سنة ١٨٢٦ ودرس في مدرسة لعبيه فنبغ في العلوم الرياضيّة بين تلامذتها ثمَّ دُعي بعد انتهائهِ من درسها الى تعليمها في عدّة مدارس ثمَّ في الكلية الاميركية سنة ١٨٦٧ ونشر سنة ١٨٧٣ كتابهُ العروسة

البديعة في علم الطبيعة . وكان يُحسن الكتابة ويجيد الانشاء دون تكلّف . ولهُ شعر رائق تفنن فيهِ منهُ حكمي ومنهُ هزلي . ولدينا ارجوزتهُ التي نظم بها امثال سليمان الحكيم نظماً سهلاً قريب المأخذ دونك مثالاً منهُ :

خافةُ التدبير رأسُ الحكمةِ فمن حواها حازَ كلَّ نعمةِ
بالحكمةِ الجهّالُ تتهينُ لكن بها الحكيمُ يستهينُ
يا أبنِ اذا اغراكَ اهلُ الشرِّ للسَّيرِ في طريقهم لا تجرِ

ومنها وصف الحكمة عن لسانها :

لي الرأيُ لي الشُّورى انا الفهمُ الذكي ولي القوى ولي قديمُ المَلِكِ
بي تملكُ الملوكُ والولاةُ وفي القضاء تعدلُ القُضاةُ
قد كنتُ منذ البدء قُنيَةَ العلي مُبحتُ في القديمِ منذ الازلِ

وفي السنة ١٩٠٧ في غرّة شباط توفي المرحوم ﴿سليم الياس كتّاب﴾ ابصر النور في دمشق سنة ١٨٤١ تعلم في مدرسة طائفته الاورثذكسية فاخذ عن احد مشاهيرها الخوري يوسف الحدّاد ثمَّ انتدبهُ المرسلون الانكليز والاميركان الى التعليم في مدارسهم في جهات لبنان وهو الذي انشأ في بيروت المدرسة الوطنيّة الاورثذكسية . ثمَّ طلبت اليهِ السيدة مسّ طومسن التي قدمت الى سورية بعد السنة ١٨٦٠ ان يعلّمها العربية ثمَّ يساعدها في مشروعها التي حاولتهُ وهو تأسيس مدارس سوريّة انكليزيّة في انحاء سورية فوجدت فيه خيرَ استاذ ومساعد وبقي في خدمة تلك السيّدة وتولى نظارة المدارس المختلفة التي انشأتها . وكان ينصبُ في الوقت عينه على المطالعة والتأليف فنشر كتاب الدرّة الفريدة في الدروس المفيدة في قسمين وكتاب قلادة النحر في غرائب البرّ والبحر . واشترك مع الاديب جرجس همّام في تأليف كتاب الكنوز الابريزيّة في اللغتين العربية والانكليزية وله مقالات اخرى وخُطَب دينية ورسائل شتى

وفي السنة التالية في ٦ ت١ ١٩٠٧ نُعي الينا احد رجال الفضل والادب المعلم ﴿حنّا عوراء﴾ المولود في عكا في ٢٩ حزيران ١٨٣١ . كان المذكور وقف نفسهُ على خدمة الحكومة العثمانيّة فعُهدت اليهِ اعمال تولّى تدبيرها بكل امانة ونشاط

كمديرية التحريرات ووظيفة مميز لقلم المكتوبي ومراقبة المطبوعات واشتغل بنظام جبل لبنان بعد حوادث السنة الستين . وقد دخل اولادهُ في خدمة الدولة على مثاله فاستحقُّوا معهُ شكر اربابها

وتوفي فجأة في بيروت في ٢٨ ك ٢ من السنة ١٩٠٨ اللبناني الاديب «فارس بك شقير» كان تهذَّب بالعلوم العصريَّة وتولى في لبنان مأموريات شتى منها منصب القائمقامية في الكورة وكان شاعرًا وكاتبًا نُشرت لهُ آثار حسنة من قلمه في الصحائف الوطنية . وهو اخو شاكر شقير السابق ذكره

وبعد اعلان الدستور العثماني بزمن قليل ودَّع الحياة احد اساتذة الكلية الاميركية الدكتور «يوحنا ورتبات» في ٢٢ ت٢ ١٩٠٨ عن ثمانين عامًا . كان اصلهُ من الارمن فنزحت عائلتهُ الى سوريَّة ودانت بالمذهب البروتستاني . وكان مولد يوحنَّا في حلب سنة ١٨٢٧ ثم دخل في خدمة المرسلين الاميركان فتعلَّم وعلَّم في مدارسهم ثمَّ دفعوه الى درس الطبّ وارسلوهُ الى انكلترة والى اميركة فاتقن فيها العلوم الطبيَّة والجراحيَّة وتعاطاها ودرَّسها وألف فيها التآليف الواسعة كحفظ الصحة والفيسيولوجيا ومبادئ التشريح واصول التشريح . وقد نشر في المقتطف والمقتبس مقالات عديدة وكتب في الانكليزيَّة عن اديان سوريَّة ونشر مع ابنه قاموسًا انكليزيًّا عربيًّا ومع الدكتور بورتر قاموسًا عربيًّا انكليزيًّا . وكان الدكتور ورتبات درس العربية على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها وبها علَّم طلبتهُ الى السنة ١٨٨٦ حيث غيَّرت المدرسة الاميركيَّة خطَّتها في لغة التدريس فجعلتها الانكليزية عوضًا عن العربية فاستعفى الدكتوران ورتبات وفان ديك ولازما بيتهما

في غرَّة حزيران من السنة ١٩١٠ فقدت مجلَّة المقتطف احد اركانها الثلثة الذين باشروا انشاءها في بيروت سنة ١٨٧٦ اعني به «شاهين مكاريوس» ولد في جهات مرج عيون سنة ١٨٥٢ وتعلَّم فيها مبادئ القراءة والكتابة ثمَّ دخل كعامل في مطبعة الوطن في بيروت وثابر على المطالعة وتمرَّن على الكتابة وتنظم الشعر فبرع فيها ثمَّ انقطع مع زميليهِ يعقوب صرُّوف وفارس نمر الى خدمة مجلَّة المقتطف فادَّى لها باجتهادهِ وثباته اجلّ الخدم ونشر فيها مقالات مختلفة . وقد أولع المذكور بخدمة الماسونية حتى اصبح احد اقطابها في سورية ومصر وقد بيَّنَّا في كتابنا «السرّ المصون

في شيعة الفرمسون» ما ألفهُ فيها من التآليف المتعددة مؤهاً على قرائه راجياً ان يبيّض الجثيُّ ويزكّي ابناء الارملة مما تقرّر عنهم في كافة البلاد بخصوص مناهضة الاديان ونفخ روح الثورة

(لهُ بقية)

مؤتمر بيروت الاثري

(٨—١٧ نيسان ١٩٢٦)

لاحد شهود حفلاته

نالت بيروت في القسم الاوّل من شهر نيسان الماضي فخرًا لم تحظَ بهِ سابقاً اذ وقع عليها اختيار الاثريين ليجعلوها منتدى لمؤتمرهم الدولي بايعاز مفوّض الانتداب السامي المسيو دي جوفنل. فاخذت لجنةٌ خاصّة تُعدّ لذلك كل لوازم الاجتماع منذ اوائل السنة وانتشرت بهِ الاعلانات الرسميّة حتى اذا أسفر شهر نيسان اخذ العلماء الاثريون يتقاطرون الى عاصمة لبنان من انحاء اوربّة واميركة ومصر وفلسطين بينهم ممثلو الدول والجامعات الكبرى نخصُّ منهم بالذكر علماء المانية الذين لاوّل مرّة بعد الحرب توجّهت اليهم دعوة رسميّة لمؤتمر دولي. فكانت بيروت مؤلّفة القلوب ورائدة السلام. فرحّبت لجنة الاستقبال بجميعهم وقد ناهز عددهم المائتين وما عتّموا ان وجدوا في بيروت ما يرغبونهُ من طيب السكنى والضيافة مباشرةً منذ مساء يوم وصولهم في ٧ نيسان اذ اكرم المفوّض السامي مثوى المندوبين ودعاهم الى وليمة توفّرت فيها اسباب الهناء والانس وتبادلوا عبارات التودُّد والولاء.

افتتاح المؤتمر

كان افتتاح جلسات المؤتمر في اليوم الموعود في صباح الخميس ٨ نيسان الساعة العاشرة في دار الصنائع والفنون حيث أُعدّت قاعة واسعة الارجاء في صدرها مسرحٌ

عالٍ مزدان بالاقمشة الفاخرة والاعلام الفرنسويّة . وكان على مدخل الدار فرقٌ من الجنود والحرس الفرنسويين والوطنيين بيزهم المختلفة منهم مشاة ومنهم ممتطون الخيل شاهرون السيوف يحيّون الداخلين . ولما ازفت الساعة وقدم المفوّض السامي صدحت الموسيقى العسكرية بلحن المرسلياز واخذ الجنود سلامهُ فدخل القاعة وحيا الحضور ثمّ تصدّر على المسرح يحيط به حاكم لبنان وحاشيتهُ مع لجنة المؤتمر والمنوابن لتنظيمهِ . فقام رئيس اللجنة المسيو ڤيرولو وقدّم للمفوّض السامي المندوبين للمؤتمر من قبل دولهم وجمعياتهم ذاكرًا رتبهم وجنسياتهم . ثمّ قام المسيو غارستنغ مدير المؤتمر في فلسطين مصرّحاً بما يتشارك بهِ البلدان في الشرف باستقبال المندوبين الكرام وتلاهما العميد السامي فرحّب اولًا باعضاء المؤتمر وابدى سروره بما شاهدهُ من عدد المندوبين الوافر وسرّ فضلهم مؤمّلًا بانهم سيعاينون في سوريّة بقايا الامم الجليلة التي تتابعت في ملك هذه الاقطار فأبقوا بعدهم آثارًا لم يطمسها الدهر وتنطق بها كل الاطلال التي سوف يعثرون بها في كل خطوةٍ يخطونها في سياحاتهم وقد اجتهد الانتداب الفرنسوي ان يستخرج منها ما كان مطمورًا وارصد لذلك المبالغ الطائلة وسوف يواصل مساعيهُ في هذا العمل الجليل خدمةً للعلم وإحياء لآثار الاعصار الخالية

رجال المؤتمر

قد قيل انّ الاعمال برجالها . ومن يطلع على اسماء الذين شرّفوا مواطننا لحضور هذا المؤتمر يتحقّق ما لحق مدينتنا بيروت من الفخر بحلولهم في ربوعنا . ويا ليتنا كنّا نستطيع ان نعدّدهم فردًا فردًا وما لكل منهم من الخدم الجليلة لعالم العلم والآثار . وحسبنا القول انهم كانوا يمثلون قريباً من خمسين دولة او جامعة علميّة كبرى . ودونك بعض الذين عرفناهم شخصيًا او اجتمعنا بهم في اثناء الحفلات التي حضرناها

واوّلهم (الفرنسويون) الوافدون باسم المعاهد الاثريّة الكبرى نخصّ منهم بالذكر المسيو دوسو رئيس وفد جمعية الكتابات والفنون الباريسية الذي خصّ نفسهُ بدرس آثار سوريّة عمومًا وفينيقية خصوصاً فألّف فيها التآليف الشائقة وكان بمعيّته زميلهُ الفاضل المسيو ميشون ناظر متحف الاثريّات في باريس . ومنهم المسيو كونتنو الذي قام مدّة ثلث سنين باعمال حفريّة جليلة في صيداء . والمسيو البر غبريال الذي تعيّن

مديرًا لحفريات تدمر فاستخرج منها ما يحيي أملنا في إنعاش ذكر ملكتها العربية زينب وتعريف التمدُّن الراقي الذي بلغتهُ تدمر في عهدها . ومن الفرنسويين المسيو كاميريو الوزير الفرنسي المفوَّض ولودس مندوب جامعة باريس . وألبرتيني مدير مصلحة العاديَّات في الجزائر . ولا يسعنا ان نضرب الصفح عن الراهبَين الدومنيكيَّين الفاضلين الاب هابل احد اساتذة المعهد الاثري الفرنسويّ في القدس الشريف والاب دورم مديرهُ ذي الشهرة المستفيضة بعلم العاديَّات البابلية . وكانت المكتبة الفاتيكانيَّة اوفدت ايضاً رجلًا افرنسيًّا من عمدة ناظريها المنسنيور تيبران منظِّم فهارسها الشرقيَّة

وكان في مقدَّمة اعضاء المؤتمر الانكليز المسيو غارستنغ المدير العام لمصالح العاديَّات ونظارة الحفريَّات التي تقوم بها الجمعيَّات العلميَّة في انحاء فلسطين . ومنهم الاستاذ بركت ممثل جامعة كمبردج صاحب التآليف المعتبرة في السريانيَّة وآثارها مع قرينتهِ المصونة . والاستاذان كندي وبلدوين برون ممثلا جامعة ادنبورغ . وكذلك ارسلت جمعيَّة لندن الملكيَّة الاسيويَّة وجامعات منشستر وليفربول واوكسفرد وعمدة متاحف بعض الجهات وفودًا يمثلونها في مؤتمرنا

واوفدت المانية اربعة من علمائها الاساتذة بنتسنغر الموكول اليهِ اعادة النظر في دليل بيديكر وبُرخردت الذي كان مقيماً في القاهرة وكورتيوس ممثل جامعة هيدلبرغ وهوروفتس ممثل جامعتي فرنكفورت والقدس ولكلهم المنشورات المعتبرة في الشرقيَّات

وارسلت بلجيكة احد كبار رجالها المسيو سبيلرس ممثلًا نظارة معارفها . كما ان سويسرة مثَّلتها الآنستان فان برشم كريمتا ذلك الاثريّ الذي باشر مجموعة الكتابات الاثريَّة العربية فنشر منها قسماً حسناً ومات قبل اتمامهِ فخلفهُ في مصر العلامة غاستون ڤيات

وكان في مؤتمرنا عدد عديد من علماء اميركا فمثَّلوا حواضرها وجامعاتها من نيويرك وفيلدلفية وشيكاغو وكاليفورنيا وميشيغان وكولمبيا وجامعة برنستون وجامعة يول

امَّا دول اوربة الشرقية فاتانا منها ممثلون لبولونيا وجامعتي فرسوڤيا وكراكوڤيا ثمَّ للبلغار من صوفية ولأسوج من اوبسالا

وسُررنا بمشاهدة الاستاذ اسعد بك نصوحي حافظ العاديات الشرقية في متحف الاستانة . والاستاذين البارعين احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظّار في القاهرة وطه حسين مندوب جامعة مصر مع قرينته الكريمة . ومثّل حضرة الخوري لويس ملحه الجمعيّة الاثرية في الاسكندرية

امّا الكليتان البيروتيّتان فكان يمثل الجامعة الاميريكية رئيسُها الفاضل المستر ضودج واستاذها الوطني الاديب اسد افندي رستم . ومثّل كلية القديس يوسف الآباء رينه موترد كنشليار مدرسة الحقوق الافرنسية في الثغر وحضرة الاساتذة لامنس وبرادبار وشيخو

فوجود محفل علمي مثل هذا في بيروت سيكون لهُ وقعٌ بعيد يتردَّد صداهُ في انحاء العالم الاثري

الحفلات العلميّة

غاية المؤتمرات ان يجتمع العلماء في احدى المدن فيتباحثون في العلوم التي تخصّصوا بدرسها فتتمّ الفائدة باحتكاك اذهان رجالٍ كبار مختلفي الاصل والجنس فيفيدون ويستفيدون ويُبرزون بابحاثهم حقائق علميّة جديدة لأن الحقيقة كما قيل بنت البحث وكثيرًا ما يُحجب نورها ريثما تنجلي بسطوع انوار متعدّدة

وفي الايام التسعة التي قضاها المؤتمرون في ربوعنا حضُروا الثُلث منها للمحاضرات العلمية التي قام بها بعض اعضاء المؤتمر فاثنوا على اصحابها ولعلّها تجمع وتُنشر في مجموعة خاصّة لتُمثّل للطبع

وقد كانت أُعدّت محاضرات جمة الّا انّ قصر الوقت لجلسات المؤتمر لم يسمح بالقاء كثير منها . ومن افضلها محاضرة المسيو دوسو في آثار جبيل فانهُ ذكر خلاصة تاريخها وما اوقفنا عليهِ خصوصاً الحفريّات التي قام بها الاثريُّ الكبير المسيو مونته فتتبّعها ووصفها وبيّن عظم شأنها وكان احسن دليل لحفريّاتها لمّا سار المؤتمرون يوم السبت في ١٠ نيسان لزيارتها مع المسيو ديتان خلف المسيو مونته الذي نال من فضل المفوّض السامي ان تُنقض البيوت الحديثة التي بُنيت فوقها فيعوّض على اصحابها . واخذ يكشف عن آثار هيكلها المصري القديم وعادياتها الفينيقية الجليلة المطمورة

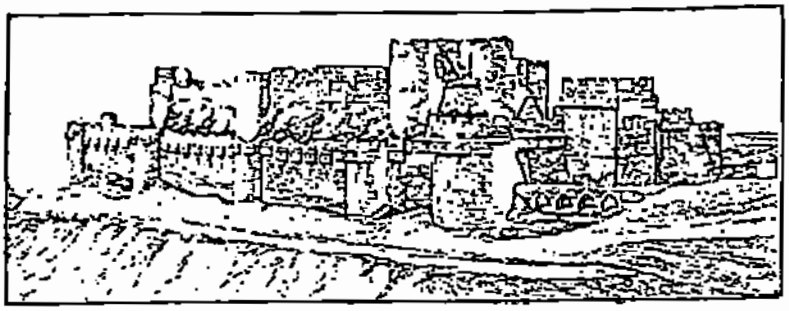

قلعة الحصن في حالتها الحاضرة

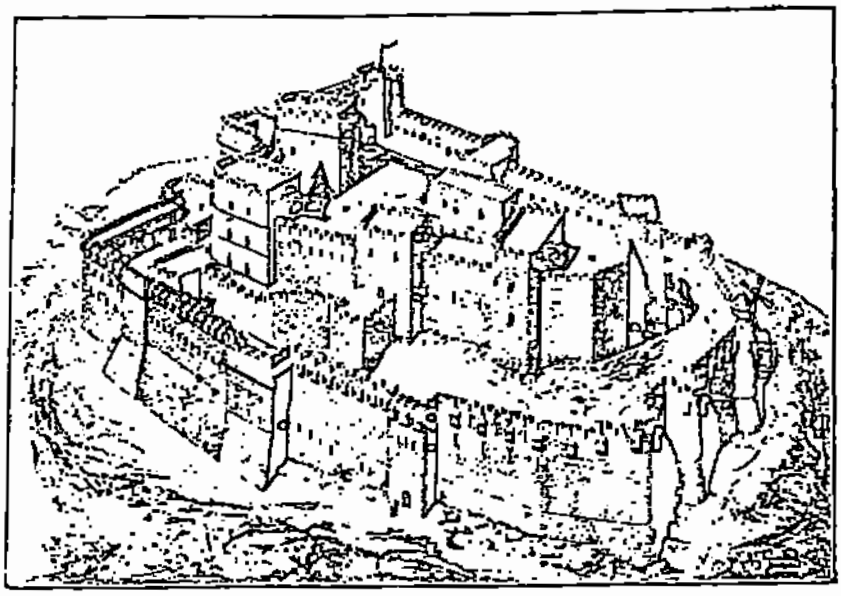

قلعة الحصن وابنيتها القديمة

هناك منذ اربعة آلاف سنة بنيّف

ومن المحاضرات التي أُلقيت في المؤتمر مما يحقّ علينا ذكرهُ ما رواهُ حضرة الاب الدومنيكيّ عن حلب وتاريخها في القرن التاسع عشر قبل المسيح استنادًا الى الآثار الاشوريّة. ومنها محاضرة اسعد بك نصوحي عن العاديّات الشرقية التي دخلت في متحف الاستانة منذ عهد قريب مع عرض صُوَرها على النور ومنها ايضاً محاضرتان للاثريّين داي وغيغ (Day et Guigues) عن العاديّات الظرّانيّة الراقية الى الازمنة السابقة للتاريخ

ومن المحاضرات المستحسنة مقالة للمسيو ديشان (M. Deschamps) في قلعة الحصن (Krak des Chevaliers). ومحاضرة جناب احمد زكي باشا عن الاثقال الزجاجيّة التي في متحف دمشق فزعم رئيس المجمع العلمي هناك انّها كانت نقودًا وهي حقيقةً عيارات لوزن النقود

وتكلّم الاستاذ بورخردت (Borchardt) عن الآثار المصريّة الخزفيّة القديمة وافاض الكلام عن نقوش مدافن الفراعنة في عهد سلالات المملكة المصريّة الوسطى. وبحث المسيو سالّ (Salles) من باريس عن العلاقة بين نقوش الشرق الاقصى وآثار الشرق الاسلامي في القرون الوسطى. واثبت مندوب صوفيا تأثير الصناعة العجميّة في القرن التاسع في الصناعة البلغاريّة. وتباحث العالمان سبيلرس ودوسّان (Speleers et Dossin) في الآثار الحثّية والاشوريّة. ونظّر الاب لامنس في مسألة الشيعيّين الذين اتى بهم معاوية الى الشام فأثبت انهم ليسوا اجداد الشيعيين المستوطنين اليوم في انحاء سوريّة. وعرض الاب موترد نتيجة شغله مع الاب جلابرت في جمع الكتابات اليونانيّة النصرانيّة القديمة في جهات سورية. وكان مدار محاضرة الاب بوادبارت (P. Poidebart) على ما تحقّقهُ من آثار الطرق القديمة بين نهري دجلة والفرات. امّا الاب لويس شيخو فألقى محاضرتهُ في كلية القديس يوسف في احدى قاعاتها الكبرى حيث عرض بعض مخطوطات المكتبة الشرقية التي جمعها منذ نحو خمس واربعين سنة كالمخطوطات المصوّرة بالتصاوير البديعة الاسلاميّة والنصرانيّة والمخطوطات المحلّاة بالنقوش الملوّنة الزاهية والمخطوطات التي على رقّ او على ورق جميل والمخطوطات المجلّدة تجليدًا قديماً ذا اشكال مختلفة رائعة

والمخطوطات النادرة اوجود او المكتوبة بخطوط قديمة وبلغات شتى يونانية وسريانية وفارسيَّة وكلدانية وحبشية وارمنية

ولعلَّ هذه المحاضرات المتباينة كان الاوفق ان تُجعل لها معاهد مختلفة تقسَّم بموجب مواضيعها كما يجري عادةً في المؤتمرات فكان هذا سمح لخطباء غير السابق ذكرهم ان يتكلموا في ما اعدُّوه من الابحاث التي بقيت مطويَّة في محفظتهم كمحاضرة للمسيو ميشون وغيره

الدَّعوات الأُنسيَّة

وقد أحبَّت المفوضية العليا واصحاب الفضل من اهل بيروت ان يظهروا للمؤتمرين اعتبارهم لاشخاصهم بدعوتهم الى مآدب خاصَّة . فكان السبق في ذلك لعميد الانتداب الذي دعا مندوبي المؤتمر الى قصره في الصنوبر فأولم لهم الولائم الفاخرة واعقبها بعرض تصاوير آثار سوريَّة ومدنها وتحفها ممَّا ارسلهُ لهذه الغاية المسيو البرت كاهن (Al. Kahn) فكان منظرُها مكبرةً بالنور الكهربائي مع الوانها الاصليَّة يأخذ بمجامع القلب

وفي عصر اوَّل يوم المؤتمر دعت صاحبة الفضل والنبل مدام الفرد سرسق جميع اعضاء المؤتمر وعددًا كبيرًا من اعضاء رجال الحكومتين واعيان البلاد الى مأدبة شاي اقامتها في دارها العامرة . وكأنها ارادت ان تحيي ذكر قرينها المرحوم الذي كان من انصار ترقية الوطن والعاملين في جمع آثاره الفنيَّة . ومن حسن لطفها انَّها دعت بعض الحورنيَّين المنكوبين ودفعت لهم مبلغًا وافرًا ليمثلوا امام المؤتمرين رقص آل حوران وفنون العابهم فسُرَّ الحضور بذلك ايَّ سرور

وفي مساء الخميس ١٥ نيسان قدَّم الوطني الوجيه جاك بك ثابت وليمةً لسائر المؤتمرين فاستقبلهم في داره العامرة الساطعة بالانوار والمزدانة بالاعلام فقضوا عندهُ ساعات ملؤها السرور والهناء

وكانت دعوة الوداع في عصر اليوم التالي في دار حاكم لبنان

سياحات المؤتمرين

انَّ القسم الاوفر من ايام المؤتمر الاثري قد خُصَّ بالسياحات الشائقة التي اجراها

المؤتمرون في جهات لبنان وانحاء الشام. وتسهيلاً لقضائها وتقريباً لفائدتها كان قسم المؤتمرون الى قسمين القسم الفرنسويّ اللغة والقسم الانكليزي اللهجة. فدونك خلاصة هذه السياحات

توقّل المؤتمرون في مساء ٩ نيسان اعالي لبنان لزيارة دير القامة وهيكلها الروماني المبني على ذكر المشتري البعلبكيّ والاله السوري بعل مرقد. وعند رجوعهم بالسيارات انفصل القسم الفرنسوي وكنّا من جملتهم فقصدنا طرابلس على السيّارات قاطعين الطريق الجديدة المؤدية اليها وهي التي فتح قسماً منها الجنرال غورو عند أنفه على الساحل الصخريّ الواقع تحت رأس الشقعة فوصلنا الى طرابلس مارّين بين بساتينها التي تعشّقها ريموند سان جيل اميرها الصليبيّ لما وجده فيها من الاشجار المثمرة والروائح العطرة والمناظر البهجة فكان قصره يشرف على المدينة وهو محصّن بالاستحكامات المنيعة. على أنّنا لم نجد له اثرًا وانّما اقيم في مكانه حصنٌ احدث عهدًا ودونه صناعة لا برج يحمي مدخله ولا دعائم تسنده الّا انّ العين تكشف منه على مناظر فتّانة دعت المسيو هنري بوردو الى وصفها في روايته «جميلة تحت الارز». امّا مينا طرابلس فهو بقية من العهد الفينيقي

وفي ضحى اليوم التالي طارت بنا السيارات الى جبال العلويين فزرنا قلعة الحصن وابنيتها الهيبة القائمة على قمّة جبل لا يُرتقى الى مدخلها الّا من جهة الجنوب حيث كان الصليبيون شيّدوا استحكامات لا يقوى عليها عدوّ فزرنا كل جهاتها وجميع ابنيتها وتحصيناتها ومعبدها وكل ذلك من آثار فرسانها المعروفين بفرسان يوحنّا المدعوين — عرب بالاسبتار (St Jean de l'Hôpital) نرسم هنا صورتيها القديمة والحاضرة (١ .

وبعد ان سرّحنا الانظار في تلك الابنية الجبّارية نقلتنا السيّارات بسرعتها الحثيثة الى حمص فتغدينا هناك وشاء بعض المؤتمرين ان يرتقوا الى قلعتها الراقية الى عهد الحثيين ويعاينوا بعض آثارها (٢ وتحقّقوا انّ جوانبها بُنيت بالآجرّ كتلّ مندو المعروف قديمًا برادش (Radech)

---

١) انظر المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٤٨٨-٤٩٢) وهناك مقالة واسعة في الدولة العلويّة وآثارها

٢) راجع في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٧٦٩-٧٧٨) مقالة ضافية في آثار حمص

ثمَّ واصلنا السير مارّين بالطريق الغربية التي تقطعها السيارات المسافرة الى بغداد بين القرى ذات البيوت المكعَّبة البيضاء او المخروطة المحدقة بالاشجار والمزروعات مع آبارها العمومية حتى بلغنا فركلس . ثمَّ مررنا في عنان حيث جرت وقائع عديدة بين المهاريّين والعصابات الثائرة ثم دخلنا بين ذينك الجبلين المعروفين بالجبل الابيض شمالًا والجبل الاسود شرقاً فافضى بنا المسير بعد ٨٠ كيلومترًا الى المضيق الذي يُنفَذ منهُ الى تدمر . وكانت طريقنا في هذه الأيام الربيعيَّة مكسوَّة بالخضرة بما ينبت فيها من ضروب النباتات التي ترعاها الابل . وكان آخر ما قطعناهُ سهلًا واسعاً في اوّلهِ بناء مربَّع في وسطهِ حوضٌ تجري اليهِ المياه فتلك عين البيضاء بينها وبين تدمر مسير سبع ساعات للابل امَّا نحن فنقلتنا سيَّاراتنا في طريقها ليلًا في صمت البراري المقفرة حتى بلغنا حاضرة زينب الساعة الثامنة مساء ولم نشاهد من آثارها غير مدافنها ذات الابراج العالية

فما لاح فجر اليوم الثاني حتى قمنا نتجوَّل في تلك المدينة الشهيرة البالغة في عهد زينب اوج عزّها . واوَّل ما استوقف نظرنا هيكل البعل المبني على ربوة يحدق بهِ حرمٌ فخمٌ تقيس جوانبهُ ٢٣٠ مترًا وتتقدَّمهُ الاعمدة الضخمة واليهِ يفضي ذاك الرواق الملكي الممتدّ على مسافة تزيد على الكيلومتر من شمالهِ الغربي الى جنوبهِ الشرقي . فكانت كل حركة مدينة زينب تزدحم حول هذه الابنية . امَّا المدينة العربية الحديثة فانَّها متراكمة في واحةٍ جنوبيّ البلد . وهناك ايضاً بقايا من المدينة التي شيَّدها اوريليانوس لدى فتحهِ تدمر وسوَّرها بعدهُ يوستنيان لكنها احرج واضيق تمتدّ شمالًا وغرباً عند التلال القائمة بقربها . وكان الالمان في ايام الحرب قاموا بحفريَّات اظهرت لهم احياء المدينة وشوارعها المتقاطعة على خطٍّ مستقيم وتابع عملهم سنة ١٩٢٥ المهندسان الفرنسويَّان غبريال وانغهولت (A.Gabriel et H. Ingholt) فكنا ننتقل من اثر الى آخر فنقضي العجب حيناً بمشاهدة ساحة البلد العمومية وحيناً بنظر فخامة قوس الظفر وتارة بفحص هندسة هيكل بعل شمين ولاسيما عجائب هيكل البعل الاعظم وما في انحاء المدينة من المدافن والدمى والكتابات ومعظمها يرقى الى العهد الروماني في زمن السلالتين الانطونية والسورية . وكان المسيو روسُو اعدَّ للمؤتمرين دليلًا يوقفهم على كلّ متاحف تدمر ولسوء الحظّ نسيهُ الخادم فلم يوزَّع عليهم الَّا في آخر ساعة

وكان بودّنا ان نقضي في تدمر اياماً لاستقراء آثارها العديدة إلّا ان قصر الوقت اضطرّنا الى تكملة سياحتنا بعد شكرنا للضبّاط الذين يرابطون هناك فعدنا ادراجنا وخصصنا يوماً لزيارة بعلبك وآثارها وهياكلها العظيمة مع هيكلها الصغير الذي يزعم الاستاذ تيرش (Tiersch) انهُ كان مبنيًا على ذكر الاله باخوس فخالفهُ الاب رنزفال واثبت انهُ بُني لاكرام الاله اترغاتس ثالث آلهة بعلبك

ورجع المؤتمرون الى بيروت شاكرين لارباب الامر لطفهم لما وفّروهُ في جانبهم من اسباب الراحة والهناء في هذه السياحات من حيث المبيت والمعاش والرفاهية. وكان ضبّاط التعليمات يرافقوننا في طريقنا ويشرحون لنا في كل مقامٍ ما يُرى فيها من الآثار. وقد عُقدت في آخر يوم المؤتمر جلساتهُ الاخيرة فحضرناها وفي صباح اليوم السابع عشر ودّعنا رصفاءنا الذين دعاهم جناب السيّد الاريحي يوسف بك الزين الى مأدبة فاخرة في بساتينهِ الغنّاء في صيدا. وقبل ان يفترقوا الى فلسطين ارسلوا نبأ برقيًا الى المفوّض السامي يكرّرون شكرهم لما وجدوهُ في مؤتمر بيروت من اللذّة والمنفعة معاً. وقد أعلن المسيو البرتيني مندوب الجزائر انَّ المؤتمر الاثري التابع لمؤتمر بيروت سيُعقَد سنة ١٩٣٠ في الجزائر

مطبوعات شرقية جديدة

Bapst (Edouard) : La vie historique de N-S. Jésus-Christ. 2 *vols.* *in*-8°,-1924, *Paris, A, Lahure. Prix* 10+10*f*.

سيرة السيد المسيح التاريخية

اطّلعنا بكامل الرغبة على هذه السيرة الجديدة للسيد المسيح التي كتبها رجل علماني عرفت فرنسة قدرهُ فاقامتهُ سفيرًا لها في الاستانة بضع سنين. ولم تكن اشغالهُ السياسيَّة لتصرفهُ عن التعمُّق في دينهِ وها هو قد وضع هذا الكتاب وغايتهُ من وضعهِ أنْ يبيّن خصوصاً كل اعمال ابن الله من حيث صحّتها التاريخيَّة. والحقّ يُقال انه ادرك تلك الغاية الشريفة وجاء كتابهُ اهلًا بان يُنظم في جملة احسن السير المطبوعة سابقاً لمشاهير الكتبة كفيليون وفوار واوكامو وديدون وغيرهم ج. ل

RITUALE ROMANUM, n° 75, Editio 2ª post typicam. in-12, Tours, Mame, 1925

كتاب رُتب الكنيسة الرومانية

هذه طبعة ثانية لهذا الكتاب الكنائسي جعلهُ الطبّاع الشهير «مام» في طور طرفة مطبعية تأخذ بالبصر بقطعه وحسن صورته وحروفه وتنظيمه فاستحق عليهُ ثناء كل عارفيه ج. لوفنك

Lippert (Peter s. j.) : VON SEELE ZU SEELE. Briefe an gute Menschen, 17te *bis* 19te *Auflage*, *in*-12, *pp.* VI-272, *Freiburg i, Br.*, 1924, *Herder*

مراسلات من نفس الى نفس

هذا الكتاب اللطيف لحضرة الاب ليبرت اليسوعي يحتوي انجاثاً في السيرة الروحية على صورة رسائل وها هو قد بلغ في اشهر قليلة ٤٢ الفاً من نُسخهِ. ولا شك انّ رواجاً مثل هذا لا يمكن تعليلهُ بغير قيمة الكتاب. والحقّ يقال ان الاب ليبرت قد تعمّق في درس النفوس الكاثوليكيّة العصرية فادرك نزعاتها وما تجدهُ من المشاكل في سبيلها فهو يسعى الى إثارتها ويحثّ على ضعفها ويشدّد عزائمها بما يظهر لها من عواطف الحبّ فيهدّد عقباتها ويبعث ارادتها الصالحة. وهذا بلا مراء فضل كبير يُضاف اليهِ انسجامُ في كتابة المؤلف البليغة الرائقة حتى ان احد ارباب الانتقاد في المانية قال عن هذه المراسلات انها في زماننا تقوم مقام رسائل القديس فرنسيس ساليزيوس في عهده. فانّ لغتها محكمة تضطرّ الكتبة الى ان ينظموها بين الكتب البليغة الانشاء. كما نظموا كتاب «فيلوثاوس» القديس المذكور بين اجود كتب الآداب الافرنسية. فهذا لعمري احسن ثناء لمؤلف كهذا الاب ي. ديلانسيفر

Richter (P. Andreas) : EXHORTEN FUER ORDENSJUNGFRAUEN anschliessend an die Sonn : u. Festtagsevangelien. 2 *Aufl.*, *mit Stahlstich-titelbild u.* 16 *ganzseitigen Textillustrationen*, 1152 *SS.*, *Benziger et Cie G. A. Strasbourg* (*Alsace*)

ارشادات تقوية للراهبات

غاية مؤلف هذا الكتاب ارشاد العذارى المكرّسات لله في الرهبنة بين مشقّات حياتهنّ. وقد اصاب المرمى. لا بل ستفيد هذه الارشادات ما عدا الراهبات الكهنة والمرشدين القائمين بخدمتهنّ فيجدون فيها نصوص الاناجيل التي تُقرأ ايام الآحاد

والاعياد مفسَّرةً تفسيراً واضحاً مُفْذياً يُشعر بروح كاتبها الذي اختبر بنفسه كل احوال العيشة الرهبانية عذوبتها ومحنها عظمتها وفرائضها وادرك ما هناك من المشاكل التي تعيق النفس في سيرها مع الوسائط للنجاة منها. وهو في كل كلامه يُعرب عن قلب رقيق ومنشط بتحويله النفوس الى ذاك القلب الالهي مشبع كل التعزيات فاننا لا نشك انَّ كل من يطالع هذه الارشادات ويتأملها سوف يترقى الى الكمال الرهباني ويحرز قداسته التي تدعو اليها المشورات الرهبانية. فانَّ فيها نوراً ساطعاً ودليلاً اميناً

ي. د

A. S. Tritton: The rise of the Imams of San'aa, *in*-8°, 1925, *Humphrey, Milford, Oxford, University Press*

النهضة الإمامية في صنعاء

اصل هذا الكتاب مخطوطٌ قديم لم يُطبع حتى الآن اضاف اليه متولي نشره فوائد أخرى استقاها من تآليف خطية من مكاتب انكلترة - وهو يتضمَّن اخبار الحروب التي وقعت بين الاتراك وائمة صنعاء الزيديين من اواسط القرن السادس عشر الى اواسط السابع عشر وانتهت بانتصار الإمامة الزيديَّة التي جعلت من كرسها في صنعاء فاتخذتها كحاضرة دولتهم. ويلي تلك المعلومات فصلان يحتويان تفاصيل شائقة عن عيشة الائمة الزيديين الاجتماعية والدينية ثم عن لغة المخطوطات التي اخذ عنها ناشر الكتاب وعن انشائها مع جدول الالفاظ التي لا اثر لها في المعاجم اللغويَّة والشائعة في اليمن

الاب هـ. لامنس

Th. Bauer: Die Ostkanaanaer. Eine philolog. histor. Untersuchung über die Wanderschicht der sogenannten « Amoriter » in Babylonien. *in*-4°, *VIII*-94 *pp.*, *Leipzig, Verlag der Asia Major*, 1926

الكنعانيون الشرقيون او الاموريُّون

كان معظم المؤرخين والمستشرقين يَعنون باسم الاموريين عنصراً كبيراً من الامم اخذوا منذ الالف الثالث قبل المسيح يتقدَّمون تدريجاً من سواحل الشام الى ما بين النهرين حيث فتحوا في اوائل الالف المذكور بلاد بابل وانشأوا السلالة البابلية الاولى التي كان حمورابي الكبير ملكها السادس. وكان الاميركي «كلاي» الضليع بالمعارف

الاشوريّة بالغ في رأيه بهذا الصدد ولاسيما في تأليفَيْن من تآليفه(١ وزعم انّ الساميين الشماليين استوطنوا سوريّة وانهُ الى الاموريين يعود الفضل في التمدُّن الشومري البابلي ودينهِ . فضرب المؤلف الصفح عن هذه المبالغات وانما بقي مشكل تاريخي يستحقّ الاعتبار ولا غنى عن البحث فيهِ : ألا يصحّ القول بانّ اقدم الأموريين اصلهم من العرب وانّهم ازدادوا عددًا وقوّة حتى زحفوا على بلاد بابل وفتحوها ؟ . فهو البحث الذي خاض عُبابهُ مؤلف هذا الكتاب وقد قسم تأليفهُ الى قسمين لغوي وتاريخي والاوّل اكثرهما طولًا وعليهِ مبنى البحث فقد عمد الى الاعلام الأموريّة التي قسمها ثلاثة اقسام فبيَّن انها مركّبة من تعابير مختصرة تامّة المعنى التي لا توافق اللغة الاكاديّة اي البابلية ولا اللغة العربية الجنوبية كما زعم هومل المرتأي بانّ الملك حمّوربي كان عربيّ الاصل بل يجب القول بانها تراكيب قريبة من اللغة الكنعانية اي العبرانيّة والفينيقية . ثم انتقل الى القسم الثاني من كتابهِ فأثبت ان الأموريين في اوّل تاريخهم كانوا جنوبي بابل وشرقيّها في انحاء نهر دجلة وانّهم من هناك وليس من البادية العربية الشامية ساروا لفتح بابل — ولا يسعنا في هذه الخلاصة ان نتتبّع ادلّة المؤلف وان كنّا نرجّح صحتها على اننا لا نقضي بتاتًا في حقيقتها . ويا ليت المؤلف كان بيَّن اسباب العلاقة اللغويّة الموجودة بين هؤلاء الكنعانيين الشرقيين والكنعانيين الغربيين ودلّ على الاختلاف الموجود بين الأموريين المذكورين في مراسلات تلّ العمارنة المسماريّة المكتوبة في ذلك العهد اي ١٤٠٠ قم وفي سفر التكوين (١٠ : ٢٦ الخ) وبين الاموريين الاقدمين مع بُعد المسافة بينها . على انّ المؤلف في هذا البحث خطا خطوةً الى الامام ومن المنتظر انّ الحفريّات الجارية منذ امدٍ قريب في سوريّة وفلسطين تُجدينا نورًا جديدًا لفضّ هذا المشكل س . ر

Rüsenwald (Karl): Praktische Erdkunde Uebungen u. Beobachtungen, 2° *Aufl*,, 1925, *Breslau, F. Hirt u. Sohn, Prix* 6 *M*, 50

تعريف الارض وما يتعلّق بها

ظهر هذا الكتاب قُبَيل الحرب سنة ١٩١٤ وهذه طبعتهُ الثانية وقد اصاب

١) ظهر تأليفهُ الاول سنة ١٩٠٩ تحت عنوان Amurru the Home of the northern Semiten والثاني اقرب عهدًا طُبع سنة ١٩١٩ عنوانهُ The Empire of the Amorites وقد مات مؤلفها حديثًا بعد ان حاول الدفاع عن رأيهِ ضدّ غارات خصومهِ دون ان يقنعهم

رواجاً عظيماً لفوائده العملية الجمّة فانّهُ وُضع لفائدة دارسي الجغرافية فيشرح لهم كل ما يحتاجون الى معرفتـه لإحراز علم الارض . ففيه معلومات طبيعية وفلكيـة وجيولوجية وفوتغرافية ترشدهم الى رسم الخوارط وضبط اوضاع البـلاد وخواصّ مواليدها من نبات وحيوان وبشر . وكل ذلك بفصول مدقّقة تزينها التصاوير البديعة على احسن منوال

Bapst (Edouard): LE SIÈGE DE METZ EN 1870, d'après les notes manuscrites laissées par Germain Bapst. *in*-8°,1926, *Paris, A. Lahure, Prix* 12 *f*

حصار مدينة متس سنة ١٨٧٠

ورث المسيو ادوار بپست من اخيهِ جرمان وصف حصار الالمـان سنة ١٨٧٠ لمدينة متس . وهذا الكتاب كان اعدّهُ للطبع تتمّةً لتاريخه الشهير عن نابوليون الثالث الذي نشر منهُ ستة اجزاء احرزت لهُ فخراً كبيراً . فهذا الجزء الاخير هو مسك ختام ذاك التأليف بيّن فيهِ المؤلف اغـلاط المرشال بازين وسوء تدبيره الـذي كان سبب انتصار الالمان وفتح متس . والمؤلف يتحاشى كلّ حكم من نفسهِ ويبني سائر اخبارهِ على الآثار الصادقة

J. Sabatié: LA REPRÉSENTATION COMMERCIALE, notions de psychologie professionnelle et appliquée à l'usage de tous les agents commerciaux, 3° éd. revue et corrigée, 1926, Paris, Dunot, Prix 17 f°, 50

الوساطة التجارية

هذا كتاب مفيد جدًّا لتجارنا الشرقيين فانّهُ يحتوي كلّ المعلومات التي يحتـاج اليها المتوسّطون بين الزبائن والمحلّات التجاريّة الاجنبيّة (الكوميسيونجيّة) فانّ لهذا الفن قوانين جمة ترشد من يتعاطاهُ الى ارباح وافرة . والمؤلف احد الذين اشتهروا بهِ في فرنسة فضمّن هذا الكتاب معلوماتهِ الشخصيّة وملحوظاتهِ المتوالية . وقـد قسم كتابهُ الى قسم نظري وقسم عملي وكلاهما غاية في الدقّة والمنفعة . ج . ل

Engerend (Fernand):LANREZAC, in-12, 1926, Paris, Editions Bossard,Prix, 4 f°,50

الجنرال لنرزاك

الجنرال الفرنسوي لنرزاك احد القوّاد الذين في عهد الحرب الكونية استحقوا

شكر وطنهم بحسن تدبيرهم فانهُ في شرلوا بتخليص جيشه من كمين الالمان ساعد على خلاص فرنسة لكنّ بعض خصومهِ أثّروهُ واستحسنوا عزلهُ . وانما ثبتت بعد ذلك امانتهُ وحسن سلوكهِ وطلب الجنرال نوله ان يُثاب على خدمتهِ لوطنهِ فمُنح قبل وفاتهِ في ٦ ايلول ١٩٢٤ وسام لجنة الشرف . والكتاب المذكور آنفاً قد ألّفهُ المسيو انجران مندوب معاملة كلثادوس لايضاح تفاصيل هذه القضية والدفاع عن لنزاك

ENTRAINEURS. Aux Lycéens Catholiques, par un ancien élève de Normale supérieure. *Vol. in-16, Marseille, Ed. Publiroc, rue Thiers, 53, Prix 3 f*

قدوة المدارس الطلبانية

انَّ عدداً من التلامذة الكاثوليكيين تضطرّهم الاحوال الى دخول المدارس اللادينية في فرنسة فهذا كتاب لواحدٍ منهم ألفهُ ليصونهم من اخطار تلك المدارس التي اختبر شرّها وهو يصفها وصفاً دقيقاً ويقدّم لاولئك الطلبة الوسائط ليحترزوا من آفاتها ويصونوا نفوسهم من وبائها

Rezanov (Colonel A.): LE TRAVAIL SECRET DES AGENTS BOLCHEVISTES. Exposé d'après des documents authentiques émanant des Bolcheviks, *Paris, Ed. Bossard, Prix 9 f*

دسائس العمال البولشفيين

هذا الكتاب كتأليف المسيو غوترو الذي وصفناه في العدد السابق (ص ٣٤٠) اثبت فيهِ المؤلف وهو روسيّ الاصل دسائس العمّال البولشفيين الذين يبثّون خفيةً روح الشيوعيّة والثورة في اوربّة عموماً وفي فرنسة خصوصاً وهو يستند في بيان الامر الى ما اكتشفهُ من منشورات زعماء البولشفيين السرّية . فلا يبقى ريبٌ في نيّاتهم الخبيثة

G. Basset d'Auriac: ANNE BERTHIER. in-8, Marseille. Ed. Publiroc, Prix 5 f 50

هذه رواية تخيليّة توافق بتماليها الادبية الاوانس وهي جامعة بين الفائدة واللذة

R. Métais: L'envrers de la bête. *Paris, E. Figuière*, 1926, *Prix 9 f*

ليس تحت هذا الكتاب كبير امر فانَّ مؤلفهُ كتبهُ تحقيراً لبعض خصومهِ الذين اشار اليهم باسماء والقاب مختلفة ج . ل

تأملات لاجل الاكليروس والعلمانيّين لكل ايام السنة

بقلم الخوري م. هامون وتعريب السيد غريغوريوس هبرا

الجزء الاول طبع في مطبعة القديس بولس في حريصا لبنان ١٩٢٦ (ص ٦٦٨)

الاب هامون راعي كنيسة سان سولبيس سابقاً في باريس من افاضل الكهنة الفرنسويين وكتبتهم المتازين وهو مؤلف سيرة القديس فرنسيس دي سال وتراجم اخرى لا يجهلها احد من الاكليريكيين. ومن تآليفه المستحسنة التي تكرَّر طبعها خمس عشرة مرَّة كتاب تأملاته السنويّة التي اتخذها الوف من ذوي الكهنوت كدستور حياتهم الروحية لوضوحها ووفرة موادّها وروح تقاها وطالما كنّا نتمنى ان يعرّبها احد الكهنة الشرقيين واذا بسيادة الحبر الجليل غريغوريوس هبرا رئيس اساقفة دمشق على السريان الكاثوليك قد قام بهذا العمل واصدر الجزء الاوّل من تلك التأملات على افضل نمط وطبعها في مطبعة المرسلين البولسيين في حريصا طبعاً متقناً واضاف اليها مقدّمات مفيدة لحياة الكهنة الروحية. فلا ريب ان النفوس التقويّة ولاسيما الكهنة والرهبان والراهبات يقبلون على هذا القوت الروحي شاكرين سيادته لتقريبه الى قلوبهم

ل. ش

الدولة الامويّة في قرطبة

تأليف انيس زكريّا النصولي

الجزء الاوّل: بغداد المطبعة العصرية ١٩٢٦ (ص ١٦٠)

انيس افندي هو مؤلف كتاب معاوية بن ابي سفيان الذي سُررنا بموافقته لآرائنا في حقّ ذلك الخليفة. ولا جرم فانّهُ احد الكتبة المحدثين الذين يبغون في تآليفهم ان يتبعوا الطرائق الانتقاديّة الجارية بين العلماء المستشرقين. ويا ليتهُ في هذا الكتاب الجديد لم يُخدَع بسراب الاندلس كغيره كثيرين فانهُ بجريه على آثار الكاتب الهولندي دوزي تبعهُ دون انتقاد كافٍ. فانَّ كثيرًا من مزاعم المذكور يردُّها اليوم ثقات الكتبة. ومن ثمَّ نُشير اليه بان يختار لتآليفه اموراً يمكنهُ ان يبرز غثّها من سمينها بمطالعاته الخاصّة ومراجعة النصوص الاصلية. ولا نشكّ انّهُ بنشاطه وثقوب عقله سيفيدنا يوماً بتآليف علمية عصامية

الاب ه. لامنس

في سبيل التاج

للكاتب الافرنسي فرنسوا كوبه تعريب حليم افندي دموس

طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٨٩)

يودُّ كبار الكتبة لو يمكنهم ان يبثُّوا نتائج فكرتهم وعواطف قلبهم في اربعة اقطار المعمور وانَّما يحول دون رغبتهم نزوح البلاد وتباين الالسنة ما لم يقم مترجم بارع يكسو عجمتهم ثوباً قشيباً يعرفهُ اهل كلّ بلدٍ . وهذا ما قصدهُ نابغتنا حليم افندي دموس بتعريبهِ رواية فرنسوا كوبه الشهيرة «في سبيل التاج» فانَّهُ بامانة ترجمتهِ وبلاغة لسانهِ سوف يبعث في صدور الشرقيين تلك الخواطر الجليلة التي تهتزُّ لها صدور الافرنسيين كلما يسمعون رواية شاعرهم فرنسوا كوبه في اصلها الافرنسيّ . فنحثّ كل ابناء الوطن على اقتنائها وارباب المدارس على تشخيصها.

ديوان الغلاييني

طُبع في حيفا في المطبعة العبَّاسيَّة سنة ١٩٢٥ (ص ٢٨٠)

عرفنا جناب الشيخ مصطفى الغلاييني وتآليفهُ المدرسيَّة والادبيَّة المتعدّدة . وها هوذا قد أطلعنا على نفثات قلمهِ الشعريَّة التي عُني بجمعها في مجلّد ضخم وكلُّها تُنبئ عما لناظمها من التفنن في المعاني والاساليب الشعريَّة والنظم الرائق المنسجم ولا نأسف الّا على ما وقع بينهُ وبين الانتداب من سوء التفاهم فذاق من جفائهِ ما كنَّا وددنا لو لم يلحق بمثلهِ ادبياً وان تكن المحنة اورت زنادَ قريحتهِ واشعرت باباء نفسهِ

النرجس وما قيل فيهِ نثراً ونظماً

جَمْع عبدالله مخلص نشرتهُ مجلة الزهرة الغرّاء

طُبع في مطبعة الزهرة (ص ٢٦)

للعرب في الزهور عموماً وفي النرجس خصوصاً اقوالٌ لطيفة وتشابيه بديعة لا يكاد يخلو منها كتاب قديم فأحسن جناب الفاضل عبدالله مخلص بجمعها في هذه الكريريسة التي لا ينقصها في آخرها سوى فهرس للشعراء المذكورين فيها ل.ش

سليم سركيس بقلم جرجي نقولا باز

طبع في المطبعة الادبيّة مع عدّة تصاوير (ص ٢٠)

لصديقنا جرجي افندي نقولا باز ميزةٌ تدلُّ على فضلهِ واريحيته فانهُ لا يدع فرصةً تفوتهُ دون ذكر الأدباء الذين يحقّ للوطن ان يفتخر بهم . وفي ترجمتهِ الاخيرة للكاتب الشهير المرحوم سليم سركيس فقيد الصحافة في ١٢ آذار بيّنةٌ جديدة على همّتهِ فانّهُ وصف الرجل والكاتب المتفنّن احسن وصف ووفاهُ حقّهُ من الثناء الطيّب بعد تعريفهِ لاسرتهِ الكريمة اثابهُ الله ل.ش

شذرات

اثرٌ مثبتٌ من ديوان المطران جرمانوس فرحات عثر القس الفاضل انطونيوس شبلي اللبناني في مجموعة خطية وجدها عند حضرة الموري يوسف الشدياق في بلدة بشري بخطّ عبدالله الزوق في السنة ١٨٢١ تحتوي مع آثار ادبيّة مختلفة على مرثيتين للحبر العلّامة المثلث الرحمات المطران جرمانوس فرحات قالهما في تأبين احد المحسنين الى النصارى الشيخ ابرهيم حماده المتوالي . واذا بالواحدة منها وهي اللاميّة قد سبقت الى نشرها مجلّة المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٢٨٨-٢٨٩) والثانية شقيقتها لم تبرز بالطبع نوردها هنا لئلا تعيها يدُ الضياع

أوَيْكَ يا دهرنا افجعتنا بفتى ... من أسرةٍ زانها فخرًا اذا انتسبا
أبي بأشجعَ ضرغامٍ وابرعَ مَن ... سما وأفصحَ مَن أنشا ومن كتبا
ان سلَّ عضبًا يماتيًا أفاحَ دمًا ... وهزَّ لدنًا رُديفيًّا فقد لَبّا
او صاح في جحفلٍ أجبٍ لطحطحهُ ... او نازلَ القِرنَ ردَّ القِرنَ مُنقلبا
دعاهُ مولاهُ إبراهيمَ فارتجفت ... أعداؤهُ فرَقًا واستنصروا الهربا
ذو عزّةٍ تنطح الافلاك همّتهُ ... ونائلٍ وافرٍ يستمطر الذهبا
ما جاءهُ سائلٌ تُدمى مَناسمهُ ... إلّا وأنساهُ من أنسٍ أخًا وأبا
لا زال يجمحُ في آلائهِ كرمًا ... والدهر يحمدهُ في كلّ ما وهبا

واشتدَّ يجري الى العلياء مرتقياً حتى رمتهُ رزايا دهرهِ فكبا
يا طودَ حلمٍ دهاهُ البينُ منهدماً وسيفَ عزمٍ ثناهُ خطبهُ فنبا
مصيبةٌ لو رمت أحداً بنبلتها لهدَّمتهُ وامسى صحصحاً خربا
ما كنتُ احسبُ ريبَ الدهر انَّ لهُ يداً اذا مدَّها تستنزلُ الشهبا
حتى دهانا بابراهيمَ فاندرستْ من بعدهِ حسناتٌ خلتها سُحُبا
أسأتَ يا دهرنا فعلاً فأنت بهِ خصمٌ ظلومٌ أسأت القصد والأدبا
أرسلتَ فينا غُراب البين يرقبنا فكلَّما قام منا سيدٌ نعبا
آثارك السودُ تنبينا بانك من افعالك السوء ظرفٌ ملؤهُ غضبا
فاستغفرتْ شادناً تحاو شمائلهُ كأنَّ من مبسمهِ العطرَ والضربا
فكلما قيل فيهِ دون رفعتهِ كأنهُ البحر كم في بحرنا عجبا
محامدٌ زيَّنت منا مدائحهُ طرًّا كما زيَّنت من أصلهِ نسبا
فكلما زاد حسناً في مناقبهِ تزيد حزناً لتفريقٍ وذا وجبا
فالدهر أقمسُ والايامُ مدبرةٌ والمرء بينها يستنظر الطلبا

﴿معرض القرون الوسطى في مكتبة باريس الوطنية﴾ في مكتبة باريس جواهر لا يقدَّر لها ثمن ولا يعرفها الا بعض محبي الآثار فعنَّ لمديرها المسيو رولان ماوسل ان يعرض للعموم تلك الآثار الراقية فيها الى القرون الوسطى. فكان لهذا المعرض اقبال عظيم تقاطر الى زيارتهِ الوف مؤلفة من الزوَّار. فما اشدَّ ما كان اندهاشهم لما وجدوه من الطُرَف التي قلَّما يصنع مثلها اهل العصر من مخطوطات جميلة مصوَّرة بفنٍّ عجيب. ومن مطبوعات عزيزة الوجود ومن مجلَّدات بصناعة تخلب نظر الباصرين ومن ختوم وانواط كلُّها تستوقف الزائرين بينها مصاحف صلوات طقسيَّة للكنائس مرصَّعة بالحجارة الكريمة وكتب صلوات للملوك ولامراء. وكان معها آثار أخرى صناعيَّة من جملتها عرش الملك داغوبرت الذي جلس عليهِ نابوليون الاوَّل سنة ١٨٠١ في احدى الحفلات وهو من عمل القديس ايلوا (St Eloi) الشهير

﴿انجيل شرلماني﴾ بين التُحف التي عُرضت في باريس في جملة المعرض السابق ذكرهُ انجيل على رقٍّ يُعدّ من آيات الصناعة تاريخهُ سنة ٧٨١ كتبهُ للامبراطور شرلماني ولقرينتهِ هادغوند احد محرَّري بلاطهما المدعو غودسكلك (Godescalc) وزيَّنهُ

بالتصاوير العجيبة التي تبهر النظر بمحاسنها الرائعة وزاهي الوانها ولمّا شاهده الجنرال برسنغ الاميركاني احد ابطال الحرب الكونية صرخ قائلاً : « لو كنتُ عرفت انَّ في باريس كنزاً مثل هذا لكنت حاربتُ ببسالة اعظم لئلا يسقط في ايدي الجرمان »

﴿الخرافات المشاعة﴾ تأتينا من وقت الى آخر اوراق مطبوعة بالحروف او بآلة كتابيَّة منها عربية ومنها افرنسية تحتوي اخباراً ملفَّقة فهذا ينذرنا بقرب انتهاء العالم وذاك يبشر بنعم غريبة ويفرض الثالث فرائض مختلفة ايلام تاليها من الشرور التي تتهدَّده ويروي الرابع صلاة وُجدت في قبر المسيح او قبر العذراء . فنحذّر القرّاء عن كلّ هذه الخزعبلات التي يشيعها بعض المتهوّسين اما طمعاً بالمال واما افلاقاً للافكار ويا ليت رقباء المطبوعات يبحثون عن اصحابها ليكفُّوا عن البسطاء شرَّها

﴿اللغة التركيَّة بالحروف اللاتينيَّة﴾ يهتمّ الاتراك حاضراً في مسألة استبدال حروفهم العربيَّة بالحروف اللاتينيَّة . وليس في الامر غرابة كما يظنّ البعض فانَّ في اللغة التركية اصواتاً لا شبيه لها بالحرف العربي وبين الحروف العربية ما يُكتب بالتركية ولفظهُ فيها غير لفظها العربي . وقد بيَّنا سابقاً في المشرق (١٦[١٩١٣]: ٧٥٤) انَّ الاتراك قبل اتخاذهم للحروف العربية كتبوا لغتهم بالحروف اليونانيَّة والسريانيَّة والرونيَّة كما ان الارمن يكتبونها حاضراً بحروفهم الارمني . وممَّا ذكرناه هناك (ص ٧٦١) ان الترك كتبوا لغتهم بالحروف المعروفة بالاويغوريَّة المشتقَّة من الكلدانية . ثمَّ وصفنا (ص ٧٧١) اقدم كتاب يعرف اليوم بالتركيَّة طُبع سنة ١٨٨١ في بودابست مكتوب بالحرف اللاتيني يُدعى بالصحف الكومانيّ (Codex Cumanicus) كتبهُ المرسلون اللاتين المبشرون للاتراك في جهات بحر الخزر والبحر الاسود فلا بأس من الرجوع اليها

﴿فصح الروم ومجمع نيقية﴾ بين القواعد التي قرَّرها المجمع النيقوي ان يُحتفَل بعيد الفصح في الاحد الاوَّل الواقع بعد البدر الاوَّل التالي للاعتدال الربيعي . وهذا الاعتدال كان في هذه السنة في ٢١ اذار فاحتفلت الكنيسة الغربيَّة بموجب هذا الامر ووفقاً للاصلاح الغريغوري في الاحد الواقع في ٤ نيسان . امَّا الروم فلاجل تمسكهم بحساب مغلوط خالفوا وصيَّة المجمع النيقوي فاحتفلوا بعيدهم في الاحد الواقع بعد «البدر الثاني» التالي للاعتدال الربيعي اي في ٢ ايار فتأمَّل

أسئلة واجوبة

س سأل كاهن في الثغر ماذا يذكره التاريخ عن سميراميس ؟

سميراميس

ج تُعرَفُ ملكتان باسم سميراميس الواحدة وهميَّة والاخرى تاريخيَّة . فالوهميَّة على زعم اساطير الاولين كانت في الالف الثالث قبل المسيح قرينة الاله نينوس ملك بابل واشور تزوّجها هذا الملك لجمالها فقتلتهُ وملكت بدلًا منهُ واستولت على كثير من البلاد ثمَّ ماتت وتحوَّلت الى حمامة طارت الى السماء . امَّا سميراميس التاريخيَّة فورد اسمها في الآثار الاشوريَّة كانت ملكة على بابل وزوجها الملك «سَنمي أدَد» في القرن التاسع قبل المسيح وهي امُّ الملك «أددَميراريس» الرابع وكان الملك سلمنآسر الثالث حَمَوها . امتازت بصفات ملكيَّة فبنى الناس عليها اخبارًا وهميَّة نسبوها الى سالفتها

س وسأل مستفيد كم يبلغ في المعمور عدد المتكلمين بالالمانية ؟

المتكلمون بالالمانية

ج اللغة الالمانيَّة اكثر اللغات انتشارًا بعد الانكليزيَّة والفرنسويَّة . فان عدد المتكلمين بها قريب من ٩٤ مليونًا منهم ٦٣ مليونًا في المانيا ثم ٩ ملايين في الولايات المتحدة ثم ستة ملايين ونصف في النمسا و٣٫٣٥٠٫٠٠٠ في تشيكوسلوفاكية ومليونان و٦٠٠٫٠٠٠ في سويسرة ومليون ونصف في بولونيا ومثلهُ عددهم في روسيَّة وفي فرنسة ونحو ثلثة ملايين متفرّقون في البلاد . فيبلغ المجموع نحو ٩٤ مليونًا

س وسُئلنا ما هو اوَّل كتاب نُشر بـ اكتشاف فنّ الطباعة على الحروف ؟

اوَّل كتاب طُبع على الحروف

ج هو كتاب التوراة تولَّى طبعهُ المكتشف فنّ الطباعة غوتنبرغ سنة ١٤٥٦ . ولم يبق منهُ اليوم في العالم سوى ١٣ نسخة كاملة . بيعت الواحدة للمثري روزنباخ في نيويرك بثمن ١٠٦٫٠٠٠ دولار (اعني ٢٫٩١٥٫٠٠٠ فرنك) . والنسخة المذكورة كانت في احد اديرة البندكتيين في النمسة وهي مع ندرتها غاية في الجمال بتصاويرها ونقوشها الملوَّنة

ل . ش

المشرق

يوبيل

مدرسة الحكمة الذهبي

للاب لويس شيخو اليسوعي

كانت السنة ١٨٧٥ سنةً مباركة لبيروت ازداد في ربوعها نور الاداب والعلوم سطوعاً بابتناء صرحَين جديدين لتهذيب الشبيبة اشترك في رفع منارهما الشرق والغرب معاً. فبينما كان رؤساء الرسالة اليسوعيَّة يشيّدون كليَّتهم جنوبيَّ المدينة في حيٍّ كاد يكون فارغاً من السكّان كنت ترى رئيس اساقفة بيروت الطيّب الذكر السيّد يوسف الدبس يجهّز للناشئة الوطنيَّة مدرسةً اختار لها اسماً ينبئ بسواء خطّتها وسموّ غايتها فنسبها الى الحكمة. فما انتهت تلك السنة المباركة حتى تمَّ في بيروت ذاك المثلَّث التهذيبي الجليل الجامع بين معاهد ثلث طوائف كاثوليكيَّة اعني البطريركيَّة الكاثوليكيَّة والحكمة المارونيَّة والكليَّة اليسوعيَّة

وقد مرَّ لنا ذكر يوبيل مدرستنا الكليَّة في العام الماضي. امَّا المدرسة البطريركيَّة العامرة فانَّ يوبيلها وافق أيَّام الحرب الكونيَّة فلم يسعها اقامة ذكرى لذاك الموسم البهيّ. فعساها ان تحيي له موعداً في المستقبل القريب تعويضاً عمَّا فاتها

وها نحن نخصّ الصفحات التالية بذكر مدرسة الحكمة التي تلطَّف اربابها فدعونا لحضور حفلة يوبيلها

١ً تأسيسها

كان اوّل من فكّر في انشاء مدرسة كبيرة لابناء الطائفة المارونيّة الكريمة المطران الذائع الشهرة والفضل طوبيّا عون الذي طالت مدّة استنيابه فعُني باصلاح امور كرسيّ ابرشيّته وفتح مدرسة اكليريكيّة لتهذيب اكليرسها في عين سعادة واقتنى ارزاقاً وافرة في شملان ليبني فيها مدرسة راقية فحال الموت دون انجاز رغائبه

على انّ ذاك الفكر السامي لم يلبث ان خرج الى حيّز العمل على يد خلفه المثلّث الرحمات السيد يوسف الدبس الذي على الرغم من العقبات التي وجدها في سبيله قام قيام الابطال منذ اوّل انتخابه لرعاية ابرشيّة بيروت في ١١ شباط سنة ١٨٧٢ متحفّزاً لكلّ شؤونها سادّاً كل حاجاتها من ضبط اوقافها وتدبير رعاياها وابتناء كنائسها وارشاد مؤمنيها ونشر كتبها الطقسيّة ولاسيما تهذيب ناشئتها. فلم يدع وسيلةً إلّا توسّل بها لتحقيق امانيه. وان قصرنا النظر على هذه المدرسة الزاهرة التي هي ثمرة مساعيه الطيبة لوجدنا فيها فخراً كافياً لمؤسّسها وتخليداً لذكره

فانّهُ رحمهُ الله اقامها بعد قليل منتصبةً فوق ربوةٍ عُرفت بحلّة الغابة تطلّ على البحر ينعشها النسيم العليل مزدانة بالقاعات الرحبة مجهّزة بكل لوازم المعاهد العلميّة العصريّة. ولمّا تخيّر لها اسمها الشريف «مدرسة الحكمة» جعل شعارها آية الكتاب الذهبيّة: «رأس الحكمة مخافة الله» مصرّحاً بانّهُ يريدها قبل كلّ مدرسةٍ مسيحيّة مؤسّسة على روح الدين فيجري فيها مع العلم جري فرسَي الرهان

وغنيّ عن البيان ما تكلّفه مؤسّسها من النفقات الطائلة والاتعاب الشاقّة والهموم المضنكة لاتمام هذا المشروع الكبير وقد ألحق بالمدرسة كنيسةً جميلة كان التلامذة يقيمون فيها الرُّتب الطقسيّة بكل انتظام ويقصدها اهل ذلك الحيّ اذ لم يجدوا كنيسة غيرها لتأدية واجباتهم الدينيّة. وجعل مقامه في ردهاتها ليكون على مقربة منها وهو وليّها فيرعاها بنظره ويسهر على رقيها ونجاحها

٢ً علومها

تروّى سيادة منشئ مدرسة الحكمة في ما تحتاج اليه الشبيبة في عصرنا من المعارف

وما يرغب فيه الاهلون لتهذيب ابنائهم فأعدّ لهم مناهل من العلوم يستقون من مياهها العذبة ويرتوون من عيونها النميرة

وكان اوّل همّه في رفع منار لغتنا العربية فانتدب لتعليمها رجالًا اشتهروا بتضلّعهم من معرفة اسرارها ونوادرها . فأتقنوا تعليمها في كل فنونها من اصول لغة ومعانٍ وبيان وقرض شعر وخطابة . ومع كثرة اشغاله لم يأنف من تأليف الكتب المقرّبة لاحراز كنوزها كمغني المتعلّم عن المعلّم في مبادئ الصرف والنحو وكتاب مربّي الصغار ومربّي الكبار في واجبات الانسان نحو خالقه واهله ووطنه . هذا فضلًا عمّا كان يزوّدهم من مصنّفاته الجليلة ولاسيما تاريخهُ الشهير عن سوريّة في ثمانية مجلّدات

ورأى في إقبال العموم على درس اللغة الافرنسية ما دعاهُ الى تعليمها بكل فروعها واستدعى لذلك معلّمين فرنسويين بينهم الكهنة والعالميّون فتخرّج عليهم كثيرون من الطلبة بالآداب الافرنسية حتى اتقنوها وصنّفوا فيها التآليف الحسنة وخطبوا بها في النوادي العلميّة

وممّا لم يَفُتْ نظرهُ حاجةُ كثيرين من ابناء الوطن لدرس اللغة التركية ليخدموا بها الدولة العثمانيّة في مناصبها ووظائفها المختلفة في الولاية والجبل . ففتح بتعليمها باباً ولجهُ الطلبة فتمكّنوا بهِ من البلوغ الى مراتب شتى في الحكومة

وهذا ايضاً ما حدا بهِ الى انشاء دروس فقهيّة لتدريس قوانين الدولة التركيّة والفقه الاسلامي لمزاولة فنّ المحاماة . ولم يكن وقتئذٍ مدرسةٌ خاصّة لدرس الحقوق فكان تعليمها في مدرسة الحكمة نعمةً استدّ منها جمهور من الطلبة أهّلتهم لخدمة المحاكم الوطنيّة حيث اعربوا عن اقتدار وسعة علم

وبديهي انّ العلوم الادبيّة كالتاريخ والجغرافية والفلسفة والرياضيّات والطبيعيّات وفي مقدّمتها العلوم الدينيّة كان لها حصّتها على حسب تقدّم الطلبة في دروسهم تشهد على ذلك ما لدينا من دفاتر توزيع الجوائز الاحتفالي سنويًّا . كما انّ الفنون الجميلة كالتصوير والموسيقى جُعل لطلبتها اساتذة بارعون

٣ الرؤساء

انّ الرئيس الاعلى لمدرسة الحكمة هو كلٌّ من رؤساء اساقفة بيروت على الموارنة

اذ هي تدخل في جملة ابرشيّته ومن اوقافها نالت قسماً من رقيّها مادّيًا وادبيًا. وقد امدَّ الله في حياة منشئها الفضال فتمتَّع برئاستها نيفاً وثلثين سنةً. وجهّز بقربها للفقراء داراً للصنائع والفنون مع درس مبادئ القراءة والكتابة والحساب

فقام بعده خلفهُ الهمام السيد بطرس شبلي وهو من علماء عصره بامور التعليم والتهذيب كما شهدها في حواضر اوربّة فنفخ في المدرسة روحاً جديدة واستفرغ الوسع في ترقيتها بزيادة اعتنائهِ في طرائق تعليمها وتنظيم دروسها فاكسبها سمعة طيبة في الثماني السنين التي قضاها في جوارها الى ان نشبت الحرب الكونيّة فاصابت ذاك الصرح العلميّ بضربة مؤلمة كما قوّضت اركان التعليم في كلّ مدارس بيروت الكاثوليكيّة. وزاد الاتراك على جناياتهم ان نفوا ذاك الحبر العلّامة والسيد الفهّامة فكانوا سبباً لهصر عود حياتهِ اذ عرّضوهُ لآفات الغربة ومشقّات الاسفار

على انَّ الله لم يشأ ان تفقد الاوطان ثمار مدرسة الحكمة اليانعة وكان قد قيّض منذ عهد السيد بطرس شبلي خلفاً لهُ لتدبير هذه المدرسة في شخص رئيس اساقفة بيروت الحالي السيد اغناطيوس مبارك فادارها مدّةً واليهِ صارت رئاستها العليا بعد ان حطّت الحرب اوزارها وعادت مياه الامن الى مجاريها. وهذه السنة هي السابعة منذ تولّى سيادتهُ شؤونها بعنايتهِ الاسقفيّة وشملها بالطافهِ الراعويّة

وإنْ نَنْسَ ما نسينا اولئك الذين أُسندت اليهم الرئاسة العاملة في المدرسة تحت نظر الاساقفة الرؤساء فكانوا خير ممثلين لسلطة احبارهم الاجلّاء. فاختار اوّلًا المطران يوسف الدبس كمساعد لهُ في ادارة مدرسة الحكمة مدبّرَ الرهبانيّة الحلبيّة القس يوسف الشابي فخلفهُ بعد سنةٍ في رئاسة المدرسة الطيب الذكر المنسنيور يوسف العلّم الشهير بفضلهِ وعلمهِ. فقام بتدبيرها اربع سنين (١٨٧٦ــ١٨٨٠)

ولمّا وَكَل اليهِ السيد يوسف الدبس النيابة الاسقفيّة على الابرشيّة اقام على رئاسة المدرسة اخاهُ المنسنيور بولس الدبس فتولّاها ٢٨ سنة (١٨٨٠ــ١٩٠٨) فكان لشقيقهِ بمثابة يمناهُ وكصدى لكل اوامرهِ ونواهيهِ

وقد عهد المطران بطرس شبلي بعده رئاسة المدرسة الى حضرة الخوري اغناطيوس مبارك مطران الابرشيّة الحالي فكان مدّة ثلث سنوات سندها ونورها وعضده المكين في رقيها. ولم يكن خلفهُ المنسنيور بطرس مبارك دونهُ همّة وعنايةً فسعى الى رفع

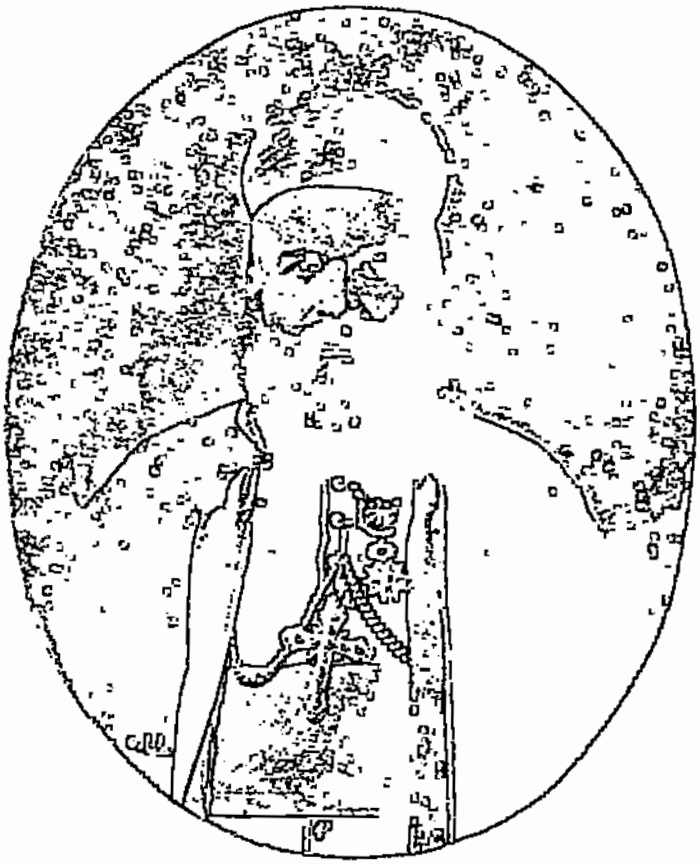

سيادة المطران اغناطيوس مبارك

رئيس اساقفة بيروت على الموارنة

منارها وإعلاء مقامها ثمّ نالهُ مثل السيد شبلي قسمٌ من الالم بايصاد ابوابها وتوقيف حركتها ووقوفه لدى رجال المجلس العرفي

وسلّم صاحب السيادة المطران اغناطيوس مبارك دفّة تدبيرها بعد الحرب الى يدٍ حكيمة احسنت تدبيرها نزيد بهِ حضرة الخوري نعمة الله مبارك سليل الرسالة اللبنانيّة الكريمة. ولمّا دُعي بعد ثلث سنوات الى التخصص بالاعمال الرسولية في جماعته الفاضلة تبعهُ في عملهِ ونشاطهِ وحسن تدبيره حضرة الخوري انطون ابو شديد (١٩٢٢) ثمّ سيادة المنسنيور مخائيل حويس النائب الاسقفي (١٩٢٣) رئيسها الحالي وهو خير خلف خير سلف

٤ً معلّموها

لا مشاحّة في انّ رقيّ المدارس يتوقّف بادئ بدء على اختيار المدرّسين فلذلك نشط سيادة منشئها وخلفاؤهُ الى انتداب افضل من عُرفوا في زمانهم من ابناء الوطن كاساتذة ومعلّمين منهم اليوم اساقفة اجلّاء كالمطران بولس عوّاد والمطران بطرس فغالي وبعضهم تخرّجوا في مدرستنا الاكليريكيّة كالسيد نعمة الله ابي كرم المطران القيم في روميه والمرحوم السيّد يوسف صقر ومنهم خوارنة اماثل كيوسف ابي صعب ونعمة الله باخوس ورافائيل البستاني ولويس سمعاني ساروا مرتصفين مع بعض افاضل مدرستينا في غزير وبيروت كيوسف البستاني وجرجس فرج صفير والمنسنيور بطرس عقل والامير يوسف شهاب ومنهم علمانيّون بينهم كبار اللغويّين كالشيخ عبدالله البستاني والمرحوم الشيخ سعيد الشرتوني ومشاهير الفقهاء والقانونيين كالمرحومين نقولا بك النقّاش والشيخ يوسف الاسير وكالخوري بولس نجيم والشيخ نوفل الخازن وسليم بك العوشي ولكلّهم آثار طيّبة نثريّة وشعريّة تنطق بفضلهم وسعة مداركهم

واجتمع قسم منهم فألّفوا الدائرة العلميّة المارونيّة فألقوا فيها المحاضرات العلميّة والادبيّة والفلسفيّة نُشر منها نبذتان حسنتان

وبفضلهم كانت كل سنة تُعقد المحافل الادبيّة وتمثّل الروايات ومعظمها بقلمهم فكانت تزيد المدرسة بواسطتها شهرةً وحسن سمعةٍ

ولم تخلُ المدرسة من اساتذة اختصاصيين في الفنون الجميلة كداود افندي القرم

في التصوير وحضرة القس بولس الاشقر الانطوني في الموسيقى. والاساتذة الاب بطرس عبّود وضاهر الشدياق وسليم غاليه في الرياضيّات والمعلمين علّام حنا علّام وفرنسيس صفير في الخطوط

٥ً التلاميذ

تُعرف الشجرة بوارف ظلّها وبهاء ازهارها وطيب ثمارها ووفرة جناها . ومن كلّ هذه الوجوه قد امتازت مدرسة الحكمة والدليل على ذلك هو نموّ عدد طلبتها المتواصل فانّهُ لم تضمّ في اوّل سنة من انشائها سوى ٧٢ تلميذاً فلم تزل تركو وتنمو حتى ضاقت عن حصر طلبتها قاعات المدرسة على رُحبها وقد زيدت فيها ودهات جديدة حتّى اربى معدّل عددهم على الثلثمائة فكان يقبل اليها الطالبون من كل انحاء لبنان وسواحل الشام وداخليّة البلاد كحلب ودمشق وانطاكية حتى من الاسكندريّة ومصر .

وكنت ترى بينهم ممثلي سائر الأُسر الشريفة والبيوتات المنيفة من امراء شهابيّين ولمعيّين وارسلانيين ومن شيوخ خوازنة ودحادحة وحبيشيّة وتلاحقة وحمادية فضلاً عن ابناء اعيان لبنان كماجحة وضاهر وكرم الخ

وما كان اختلاف الاديان ليعيق الطلبة او يكدّر صفاء عيشهم فانّنا نجد بينهم الكاثوليكي والروميّ الارثوذكسيّ والمسلم والدرزي وهم يذكرون حتى اليوم ما وجدوهُ في اساتذتهم من العطف والحنان والحرص على تعليمهم

وقد عاد الاهلون بعد الحرب فارسلوا اولادهم بوافر العدد الى هذه المدرسة لما وثقوا في اربابها من المقدرة في التعليم والتهذيب . ولو أُحصي عدد الذين استقوا من مواردها الصافية منذ انشائها لكادوا يناهزون ثلثة عشر الفاً

فكم بين هذا العدد العديد ممّن أدّوا لأوطانهم خدماً تُذكر فتُشكر . فلو استقرينا احوال البلاد وتتبّعنا كلّ اشغالها ووظائفها لوجدنا بعض الذين تخرّجوا في هذا الصرح العلميّ فنبغوا في دوائرهم ومناطقهم الخاصّة

منهم السيّد الجليل مخائيل اخرس مطران حلب الماروني ثم الكهنة والموسارون كحضرة الاباء نعمة الله مبارك والخوري بولس المعوشي والخوري مارون غصن

ومنهم السياسيّون المحنّكون كالمرحومين نعوم لبكي ونيس المجلس النيابي في

دولة لبنان وداود بك عمون رئيس اللجنة الادارية وكرئيس مجلس النواب حالاً موسى بك نمور .

ومنهم رؤساء محاكم كالشيخ احمد تقي الدين رئيس محكمة الشوف وسعيد بك زين الدين رئيس محكمة الجنايات في لبنان والشيخ طانوس جحجع رئيس محكمة استئناف الحقوق ويوسف افندي البشاموني رئيس محكمة البترون ويوسف افندي روكز رئيس محكمة الجزاء في دمشق

ومنهم المحامون المتضلعون كجان بك نقاش وملحم بك حمدان والافندية جبران الزغبي ويوسف السوداء وبولس مرادومشال شبلي ويوسف عبدالله البستاني وابراهيم زين

ومنهم الاطباء النطاسيون والاجزائيون كخيرالله فرج صفير واسكندر عون ويوسف عازوري وبديع شمالي ونجيب الدبس ومرشد خاطر مدير المجلة الطبية في دمشق وحنا الخازن والياس الشي وشكري الحصري ويوسف حنينه الخ

ومنهم الصحافيون الذائعو الشهرة كنعوم افندي المكرزل صاحب الهدى والسيد محمد كرد علي صاحب المقتبس ورئيس المجمع العلمي في دمشق . وفي بيروت صاحبا البرق والوطن ولحد افندي خاطر المحرر في جريدتنا البشير

ومنهم الشعراء المفلقون كالامير شكيب ارسلان وشبلي بك ملاط والشيخ امين تقي الدين ووديع افندي عقل والخوري جبرائيل ابي صعب

ومنهم الكتبة البلغاء كيوسف افندي البستاني وبولس افندي زين وجبران خليل جبران

ونقتصر على هؤلاء دون ذكر الذين نبغوا في التجارة في الوطن والمهجر فان صفحات المشرق تعجز عن استيعاب كل اسمائهم

ويسرنا ان نقول في الختام ان مدرسة الحكمة اليوم برئاستها وادارتها ونظارها واساتذتها تمثل بيننا دوحة باسقة يستظل تحت اغصانها الوارفة شبان يبني عليهم الوطن اطيب آماله ليكونوا له عضداً وسنداً في تدبير اموره ورقيه في مدارج الفلاح . ونحن نضم صوتنا الى اصوات مهنئيها ببلوغها هذا اليوبيل الذهبي طالبين من الله ان تزيد على الدوام رقياً ونجاحاً لمجده تعالى ولخير الوطن العزيز

نظر اجمالي

في متحف بيروت اللبناني الاثري

بقلم ابرهيم افندي معوَّض

سكرتير دارَي الكتب والآثار في لبنان الكبير

مقدمة

انَّ متحف بيروت الاثريّ بما يحتويهِ اليوم من مجموع الآثار الفنيَّة القديمة الراقية الى عهد الفينيقيين واليونان والرومان والبوزنطيين قد أصبح مجلبةً لانظار العلماء الاوربيين والاميركيين حتى لا يكاد يمرّ علينا اسبوع إلَّا نرى زوَّارهم يتقاطرون لمشاهدة ما في هذا المتحف من جميل الآثار. ولا ريب انَّ وجودهُ كان من أدعى البواعث لعقد المؤتمر الاثري الاخير في ربوعنا في شهر نيسان. فرأينا المؤتمرين يستثرون كل مصنوعات هذا المتحف بشوق عظيم ليذكروهُ في منشوراتهم عند رجوعهم الى مواطنهم

فان كان هذا المتحف حليةً لمدينتنا بيروت فيجمل بنا نحن الوطنيين ان نحيط علماً بهذه الآثار ونستفيد منها لمعرفة تاريخ بلادنا ومفاخر اجدادنا لئلَّا يكذب فينا المثل ان صاحب البيت ادرى بما فيه

والجدير بنا في بدء كلامنا ان نرفع آيات الشكر الى مقام دولة الانتداب الجليلة التي منذ اوَّل استلامها ازمَّة تدبير امورنا على عهد الجنرال غورو فكَّرت في جمع آثار البلاد لئلَّا تأخذها يد الضياع فتزين بها عاصمة لبنان وترغب السيَّاح في القدوم الى زيارتها. وقد اختارت لذلك معهد المعلمات الالمانيَّات المعروفات بالدياكونيس فخصَّت قسماً واسعاً منهُ لتُعرض فيهِ الاثار القديمة بصفة متحف لكنهُ اليوم قد اصبح ضيقاً لكثرة ما أودع فيه من المكتشفات الفنيَّة. والامل معقود على انَّ هذه الآثار ستُنقل الى ردَهات

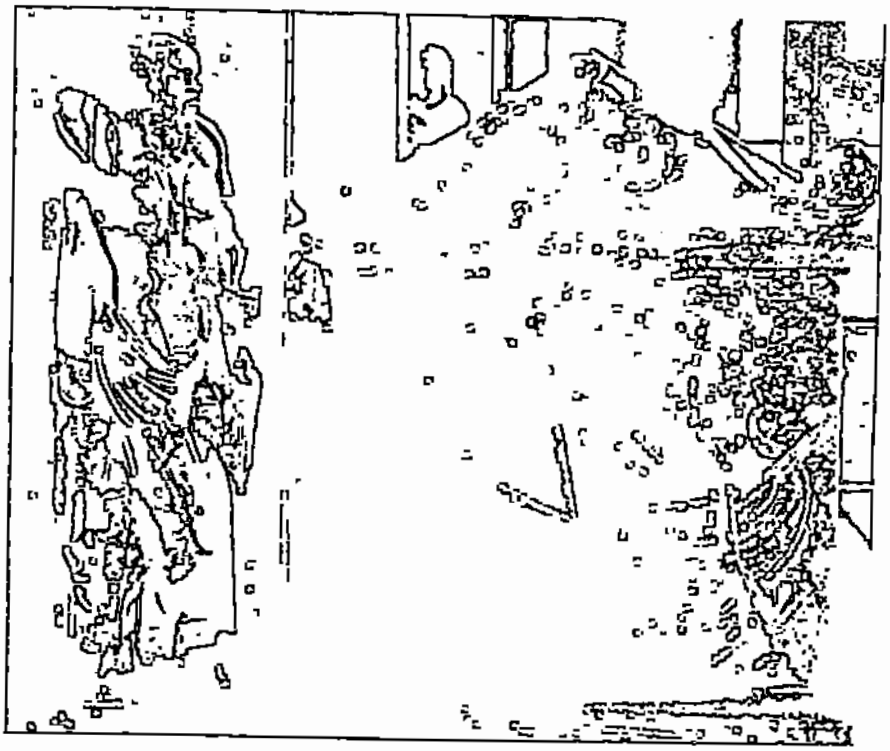

الرقم ١

صورة مركب فينيقي من العهد الروماني

رقم ٤

صورة لاله سيلين

اوسع وأليق بها فيقصدها القاصي والداني ليسرحوا فيها الابصار ويتخذوا منها دروساً مفيدة توقفهم على اخبار سالف الاعصار

ولستُ في كلامي الحاضر عن متحف الآثار اتحرّى التدقيق في الوصف فانّ ذلك يقتضيه درسٌ عميق مدقّق يقوم به اختصاصيّون رسميّون وانّما اكتفي بان أُشير الى محتوياته اجمالاً مع بعض المعلومات القريبة من فهم القرّاء.

*

يضمُّ المتحف اللبناني كتلةً من الأثريات التي أمكن نقلها ممّا وجد في أدوار الحفريات التي أجرتها مستشاريةُ الاثار والفنون الجميلة في المفوضية العليا سنة ١٩٢٠. وسنذكر بين هذه القطع عدداً منها عثرت المفوضية عليه صدفةً مع ما اشترته حكومة لبنان الكبير من مالها الخاص

المتحف مؤلّف في حالته الحاضرة من ستّ غرف كبيرة كلّها مجهّزة عدا عن الاثريات المودعة في بناية الديابكونيس — حيث هو الآن — واروقتها اخصُّ بالذكر منها اثني عشر ناووساً مع عدد وافر من النقوش الجميلة وقواعد الهياكل والاعمدة التي وجدت في صيدا وضواحيها

قد خُصّصت الغرف الثلاث الاولى لآثار الاعصر المتراوحة بين الجيل السادس قبل المسيح حتى الفتح العربي. على ان اكثر موجوداتها يرجع بها العهد الى ايام القياصرة يوم كانت سوريّة ولاية رومانية اعني من السنة ٦٤ قبل المسيح الى اواخر القرن الرابع بعده

الغرفة الاولى

١ في مدخل هذه الغرفة ناووس جميل من الحجر الجيّب المعروف بالرخام الابرش نُقش في احدى جهاته مركب فينيقي آية في الصنع والاتقان. وانّما يزيد على قيمته التاريخيّة ما يُستفاد من صُوره عن كيفيّة تدبير الملاحة الفينيقيين لمراكبهم الشراعيّة في عهد القياصرة والرسم ظاهر بصورة جليّة فترى المركب وحبالهُ ملقاة الى البحر حيث تتقاذفها الامواج (اطلب الصورة رقم ١). وُجد هذا الضريح في صيدا

مع ناووس آخر مزين بنقش ثلاثة نسور جبابرة ذوات مخالب قوية تحمل في منقارها اكليلاً من الازهار والاثمار

٢ قطعة كبيرة من الرخام الابيض لكنها ويا للاسف مشوّهة تمثل وليدةً في مأتم وقد ظهرت فيها السيّدة المائتة وهي تعالج الحياة على فراش الاحتضار. وخادمتها مُسرعة نحوها لتمدّ اليها يد المساعدة. وقد ظهر في اسفل الرسم كلب البيت الصغير قلقاً مضطرباً لهذا المشهد وهو يرفع نحو سيدته نظرةً اخيرة (اطلب الصورة رقم ٢)

٣ نقش جميل يمثل اله الشمس راكباً على جواده المُنير. يرتقي عهد هذا الاثر الى الجيل الثاني او الثالث بعد المسيح

٤ مذبح كرّسهُ انطونيوس بيُوس للاله المشتري وُجد في الهرمل. ثم مذبح اخر كرّسه رجلٌ مجهولٌ للاله نفسه عُثر عليه في مدينة جبيل (اطلب الصورة رقم ٣)

٥ تقدمة للامبراطور اسكندر سافيروس يصل عهدها بالسنة ٢٣٠ بعد المسيح ظهرت في الصالحيّة على ضفّة الفرات

الغرفة الثانية

١ بين فرائد القطع الجديرة بالذكر في هذه الغرفة غطاء ناووس من الفسيفساء عُثر عليه في علمان في ضواحي صيدا ويمثل في وسطه مائتين وهما رجل وامرأة تظهر صورتهما جليّاً في الرسم وسحنتها اشبه بسحنة المصريين او هي على شبه التصاوير المصنوعة بالفسيفساء البوزنطيّة يرقى الى القرن الثالث بعد المسيح

٢ نقشٌ من العاج يمثل الانسيلين محاطاً بكاهنات المعبود باخوس. وقد ظهرت على محيا الاله سيماء الغضب والتأثير. وهذا النقش الجميل هو من آثار عصر الانقلاب اليوناني الشهير يوم دانت البلاد لسلطة قياصرة رومة (اطلب الصورة رقم ٤)

٣ آثار مدافن طرابلس: وجد في هذه المدافن كمّية وافرة من الخزف المطلي بينها رأس خنزير مزيّن في جبهته العليا بثلاثة رسوم يونانية تمثل شبّاناً يلاعبون بكُرة اليد

٤ آثار هيكل اشمون في صيداء: في بقايا هذا الهيكل عثروا على قطع

رخامية مع قواعد اعمدة على شكل ثيران مضجعة يرتقي عهدها ولا ريب الى عهد الفرس . وقد وجد الباحثون في نفس الهيكل عدة تماثيل صغيرة بشكل اطفال بعضهم عُراة والبعض الاخر جالسون وبيد كل منهم عصفور صغير . والمرجّح ان هذه التماثيل هي تقدمة للاله اشمون الطفل اله الصحّة يقرّبها الصغار الذين انقذهم من مخالب الموت . . . وهي تُعتبَر كمثال جميل من نقش مدرسة سكوپاس (Scopas) الشهيرة في القرن الرابع قبل المسيح تشهد على طول باع معاصريها في هذا الفن الذي انتشر انتشاراً عظيماً في مدينة صيدا قبل فتح اسكندر المكدوني . على أننا لا نعلم بتأكيد أكان الحفّارون من الفينيقيين الذين اشتغلوا تحت نظارة اليونانيين ام كانوا يونانيين احضرتهم السلالةُ المالكة خصيصاً لهذا العمل ؟

الغرفة الثالثة

عرضت في هذه الغرفة الاثار التي وُجدت في دَوْر حفريّات سنة ١٩٢٤ بالقرب من مدينة صيدا في مدافن الرويسة ولبعة والقرية . ويتصل عهد هذه المدافن بالفي سنة قبل المسيح وهي تُعَدُّ كأقدم اثر عُرف لأهل فينيقية الجنوبية حتى اليوم . لان الحفريات التي جرت في مدينة صيدا نفسها على الرغم من اتساعها والتنقيب المتواصل الذي بدأ فيها منذ ستين سنة الى الان لم تعطِ اثرًا واحدًا يرجع به العهد الى ما قبل زمن الفرس (اي بين القرن السادس الى الرابع قبل المسيح)

اما الموجودات في هذه الغرفة فهي كما يأتي :

١ ستمائة اناء خزفي معظمها سالمة يرجَّح انها من صنع الفينيقيين انفسهم او محمولة اليهم من جزيرة قبرس . بينها اناء متقن للغاية صُنع على شكل مربّع يؤكد علماء الاثار انه من اقدم مصنوعات الفينيقيين الخزفية التي تعتبر نادرة جدًا . ويوجد اناء واحد فقط يشبهه وهو في متحف لوندرة اشترتهُ الحكومة الانكليزية بمبلغ وافر

٢ نحو من ثمانين خنفسةٍ اثريّة (Scarabées) بعضها مزين بالحروف الهيروغليفية والبعض نُقش عليها رموز عن المصنوعات المصرية

٣ بضع عشرات من الاسلحة والأدوات النحاسية المستعملة في ذلك العهد

٤ ختوم أسطوانيّة الشكل صُنعت من حجر الدم واللازورد على النمط البابلي او الاشوري الحقّي

٥ كتابة فينيقية وجدت في هيكل اشمون سنة ١٩٠٢ في بستان الشيخ ضواحي صيدا تؤيد بنيان هذا الهيكل في عهد الملك بُدعَشتَرت حفيد الملك اشمنعزر الذي ملك على صيدا في القرن الرابع قبل المسيح (الطلب المشرق ٦ [١٩٠٣]: ١٨٣ — ١٨٦)

٦ نقشان وجدا في قصر كَبَرَة بن هدياني في رأس العين عند وادي الخابور

٧ تمثال صغير لمعبود اكتشفوهُ في تَلّ النبي مَنْد على ضفاف العاصي

وخلاصة القول انّ بيان الاثريّات السابق ذكرها المكتشفة في صيداء يساعد على جلاء غوامض التاريخ الغابر لهذه البقعة الجميلة التي عُرفت بحضارتها والتي لها شأنها وعلاقاتها مع ارقى المدنيّات المجاورة والشاهد على ذلك ما بَقي في ضواحيها من الآثار العريقة في القدم

وفي قسم من هذه الغرفة الثالثة كثير من آثار جبيل ومدافنها

آثار جبيل

واعجب من هذه الاكتشافات الآثارُ الفخمة التي وُجدت في مدينة جبيل الشهيرة كيف لا وقد احدث ظهورها رنّة اعجاب واستحسان في عالم الفنّ لم يسبق لها مثيل لانها من اقدم الآثار تاريخاً وأدقها صناعةً واجملها منظراً واعزّها مثالاً. يُستنتج منها انه كان مراعاة مصر في مدينة جبيل قاعدةُ إمارةٍ بسطت سيطرتها من شواطئ البحر المتوسط حتى سورية الشمالية فبلاد ما بين النهرين. ويستدل ايضاً منها على وجود علاقات بين الحضارة الفارسية والحضارة المصرية المعروفة بذلك العهد باسم الفرعون مينس. ولا يخفى ان تحقيق وجود تلك العلاقات وطريقتها قبل ظهور آثار جبيل كان من اشقّ الامور فقد اصبحت بعدها كشاهد راهن على ان هذه المدينة كانت كحلقة وَصل بين البلدين طيلة الفي سنة متوالية. ودونك اخصّ هذه الاثريّات:

١ اناء من الحجر الشفاف الابيض حُفر عليه اسم ميسارينوس مؤسس الهرم

الثالث في الجيزة . ثم يتلوه حُقّ رخامي جميل الصنع باسم اوناس احد فراعنة السلالة الخامسة مع بعض تماثيل صغيرة على شكل قرود مزينة برموز تشير الى الفرعون بيبي (Pépi) الثاني رابع ملوك السلالة السادسة الذي ملك على مصر ستين طويلة

٢ نقشٌ انيق وُجد في هيكل بَعلة جُبَيل يمثّل الملك مقدّماً القرابين للالهة إيزيس ويرتقي عهده الى القرن الخامس والثلاثين قبل المسيح

وقد عثر العالم الاثري المسيو مونته اثناء حفرياته في هيكل عشتروت او إلهة جبيل على جرّة كبيرة ضمنها كنز فريد من الجواهر والتماثيل منها ما صِيغ من الذهب ورُصِع بالحجارة الكريمة ومنها ما صُنع من الفضة القديمة والبرنز فيخال الناظر اليها لاول وهلة انها من آثار وادي النيل حُملت الى امارة جبيل . والمرجّح انّ اكثرها من صنع الفينيقيّين صاغوها على النمط المصري وهذا بيانها :

(اوّلاً) قلادة ذهبيّة مرصّعة بالزمرّد الازرق وحجر الدم . على كلتا جهتيها اليمنى واليسرى رسمُ الفرعون المالك وبيده صولجانه . امّا وجود رسمين للفرعون نفسه على القلادة فدلالة انه كان يملك على مصر المقسومة في ذلك العهد الى مقاطعتين : مصر العليا اي الصعيد ومصر السفلى

(ثانياً) قطعة فريدة مستديرة يرجّح انها كانت تعلق على الصدر كعلامة امتياز او شرف هي من الذهب الخالص مترّلة بالجوهر رُسمت في اعلاها صورة الخنفسة رمز المملكة الفينيقية وفي اسفلها صورة النسر اشارة الى المملكة المصرية . وبين الرمزين اسم الفرعون الذي اهداها الى ملك جبيل مع اسم الملك المهداة اليه

٣ حقٌ من الحجر البركاني الشفّاف اسود اللون مطوّق بالذهب الخالص عليه كتابة هيروغليفية (ناتنة) تُشير الى الفرعون . الذي اهداهُ الى امير جبيل

٤ صندوقة صغيرة من ذات الحجر لكنها غير شفافة محاطة مع غطائها بالذهب لا يقوى الناظر اليها عن اخفاء اعجابه بصنعها الدقيق خُطّ عليها بالهيروغليفية اسم الفرعون مُهديها واسم الامير المرسلة اليه . وفي تاريخ مصر القديم اشارة اليها وكأنّ المؤرّخ الذي ذكرها كان يجهل مكان وجودها ولم يخطر له ببالٍ قط انها أُرسلت الى إمارة جبيل

٥ صولجان ملك جبيل . هو مصنوع على شكل سيف صغير معكّف الرأس

صيغ من الذهب والفضّة والنحاس وفي وسطه صورة الحيّة المرموز بها الى السلطة . وقد كُتب عليها بالهيروغليفية اسم الملك حاملها . وقد وجد ثلاثة من هذه الصوالج الملكيّة لا يزال اثنان منها في دار الآثار اما الثالث فقد اهدتهُ الحكومة الى متحف اللوفر في باريس .

٦ مُدية صغيرة مربّعة الشكل يبلغ طولها نحو عشرين سنتيمترًا . مصنوعة من الذهب والفضة

٧ شارات كانت توضع في عنق القوّاد في الحروب . وعصائب لاعين المرتى مع بعض زهرات مختلفة ورؤوس طيور واكف حيوانات واساور وعقود وختوم واواني للطعام كلها ذهبيّة الى غير ما هنالك من الآثار القيّمة الدقيقة الصنع

اخيرًا وذيلة اي مرآة من المعدن المصقول قاعدتها من الذهب جميلة للغاية كانوا يستعملونها في ذلك العهد قبل اكتشاف الزجاج

مدافن جبيل الملكيّة

في منتصف شهر شباط سنة ١٩٢٢ حصل في جبيل انواء شديدة هبط بسببها بعض الصخور في البقعة المطلّة على البحر التي تفصل هيكل ايزيس من قصر الصليبيّين أسفرت عن ظهور مدافن يرجع عهدها الى الفي سنة قبل المسيح واقدمها ضريح يتصل بايام امينوفيس الثالث من السلالة الثامنة عشرة الفراعنة ومع الضريح آنية مختلفة ورد ذكرها في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٢٧٩ــ٣٨٠) . وقد ذكرت مجلّة العالم المصوّر مطولًا في احدى اعدادها الصادرة في ١٩ نيسان سنة ١٩٢٤ بعض هذه الاثريات

واعجبُ من هذا المدفن المدافن التي اكتشفها المسيو مرنته الراقية الى القرن التاسع عشر قبل المسيح في عهد الملكين منخمت الثالث ومنخمت الرابع . ثم اكتشافهُ في اواخر سنة ١٩٢٣ اناؤوس حيرام ملك جبيل المعاصر للفرعون رعمسيس الثاني الذي يدعوهُ اليونانيّون سيزوستريس (Sesostris) . وهذا الضريح النادر المثال الذي يزين متحف بيروت تحمله اربعة اسود رابضة وهو مزيّن على جهاته الاربعة برسوم مختلفة بينها رسم حيرام نفسه وهو جالسٌ على عرشه وبيده صولجان الملك وامامه حاشيته وابناء رعيته جاؤوا ليقدموا له الهدايا . اما الغطاء فعليه صورة

اسدين لم يظهر منها غير الرأس فقط وعلى طرفيه رسم الملك لكنه ليس بجلي وقد حمل بيده زهرة من زهرات السدر (١

على ان الكتابة المنقوشة على الضريح وغطائه تُعَدّ كأقدم اثر كتابي يُعرف للحروف الهجائية الفينيقية في العالم حتى يومنا هذا وقد تناقلتها الشعوب المختلفة تباعاً ونحن نستعملها اليوم بدورنا كما استعملها اسلافنا بالامس. وما يزيد في قيمتها التاريخية انها تفوق كتابة ميشا ملك المؤابيين وتسبقها باربعة اجيال (٢ بل ارتأى العلامة رينه دوسو انها تنفي بتاتاً كون الحروف الهجائية مأخوذة عن الهيروغليفية كما يعتقده كثيرون فتثبت انها من ابتداع الفينيقيين لا سواهم. ثم على مدار الضريح بيتات وشواهد اخرى تساعدنا على معرفة تقدُّم هذه الحروف منذ عهد سيزوستريس حتى العصر الروماني (اطلب صورة ضريح حيرام الرقم ٦). وقد ظهر في جبيل غير هذه الكتابات القديمة سبق لي ذكرها في موجودات الغرفة الاولى

الغرفة الرابعة

١ تحتوي هذه الغرفة على قسم آخر من آثار جبيل ثمَّ فيها من آثار العصور السابقة لفتوحات الاسكندر ضريح جميل من الرخام الابيض مصنوع على شكل الجسم البشري. وعلى غطائه نقش رأس انسان ظهر جليًّا للغاية بشعره المسترسل المتجعد الذي لا يزال عليه قليل من الحمرة الترمزية المصبوغ بها. اما الانف فانه مستقيم والعينان مفتوحتان يعلوهما حاجبان مقوَّسان وقد لاحت على الثغر ابتسامة لطيفة (اطلب صورتهُ في الرقم ٥)

٢ على جدران هذه الغرفة صورٌ للكتابة الحثية الشهيرة التي لم يتمكن علماء

---

١) اطلب في المشرق ٢٢ [١٩٢٦] : ٨١-٨٦ مقالة المسيو موتنه في حفريات روصف تلك المدافنُ

٢) ان كتابة ميشا كانت تعدّ أقدم أثر كتابي في العالم للحروف الهجائية قبل ظهور ضريح جُبَيل راجع في المشرق ٨ [١٩٠٥] : ١٢٦) صورة هذه الكتابة واقدم الكتابات الفينيقيَّة والارامية

الاثار من تفسيرها اما مصدرها فمن متحف آطنه الـذي انشأه الكولونيل نورمان سنة ١٩١٩ (Col Normand)

اخيراً ضمت الغرفة الاخيرة نقشين عُثر عليهما في وادي نهر العاصي الاول اقامه الفرعون سيتي الاول والد رعمسيس الثاني تذكاراً لانتصاره على الحثيين. والثاني عليه كتابة مسمارية اشارة لانتصار الملك سرغون ملك آشور على الامراء السوريين الذين حاربوا تحت لواء ملك حماة ويتصل عهدها بالسنة ٧٢٠ قبل المسيح

ومسك الختام حجر صغير على الشكل الاسطواني عليه كتابة هيروغليفية تفسيرها ان ملكاً مجهولاً يفتخر بكونه محبوب من آلهة جبيل ويتصل عهده بالقرن الخامس والثلاثين قبل المسيح

امّا الغرفتان الخامسة والسادسة فانّ آثارهما لم تنظّم حتى الآن فنضرب عنهما صفحاً كما اننا لم نتعرّض لعدّة آثار تُرى في حديقة الدار صور وللمجموعة الاثريّة المنقولة من كليّة الآباء اليسوعيّين الى دار الاثريّات

...

هذا وان المتحف اللبناني بل الطرفة التاريخية للعاصمة اللبنانية هو صورة ناطقة لاطوار المدنيات العديدة التي تقلّبت على سوريّة عموماً وبنوع خاص على فينيقية منذ ابتداء التاريخ حتى الفتح الاسلامي وسوف لا يمضي ردح من الوقت حتى يتسع اتساعاً عظيماً لان الحفريات المتواصلة التي بدأت منذ خمسة اعوام في سوريا ولبنان الكبير لم تزل في اول عهدها مع ما اتت به من النتائج الباهرة. وقد تكون اثمرت اكثر من هذا لو ان المال المرصود لها يعادل قسماً من المصاعب الموجودة في سبيل استخراجها ويمكن لنا ملء الامل انه عما قريب نرى شواهد جديدة من الاثريات التي تساعدنا على جلاء غوامض تاريخ آسيا القديم. التاريخ الذي له شأن في هذه البلاد الشرقية التي كانت ملعباً لهذه او تلك من الحضارات بل مرجعاً للمدنيّة نفسها وباذن الله نحن واصلون

الرقم ٥ الرقم ٦

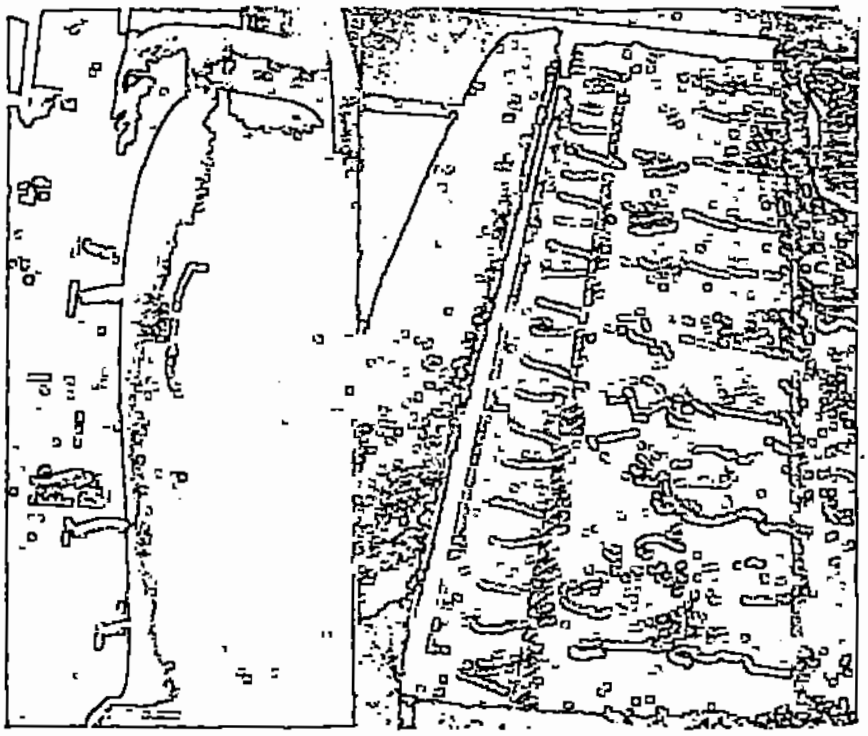

الرقم ٥ ضريح قديم يمثل شكل الجسم البشري
الرقم ٦ ضريح حيرام ملك جبيل مع كتابته الفينيقية

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٣٠ محفوظ النيلي

﴿ اسمهُ ونسبهُ وزمانهُ ﴾ هو الحكيم ابو العلاء محفوظ ابن المسيحي بن عيسى النصراني النيلي الطبيب والاديب الشاعر . كان من اهل العراق ونسبتهُ الى النيل وهي بلدة على الفرات في سواد الكوفة بين الكوفة وبغداد . وقد عُرف ايضاً بالواسطي لانهُ كان نزيلَ مدينة واسط يسكنها فنُسب اليها . امّا زمانهُ فانهُ كان في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلاد

﴿علمهُ وادبهُ﴾ قال فيهِ جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٢٧ــ ٣٢٨): «كان طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكوراً في وقتهِ عالماً بصناعة الطبّ مرتزقاً بها جميل المشاركة محمود المعالجة . ولهُ مع ذلك ادبٌ طريٌ ، وخاطرٌ في النظم سريٌ ، وكان موجوداً بالعراق سنة ٥٥٩ (١١٦٣م) »

وقد عرفهُ عماد الدين الاصفهاني فذكرهُ في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris 1447 f. 165v) قال : «حكيم ابو العلاء محفوظ سكن واسط وعُرف بها واكتسب بالطبّ . وكان فاضلاً عالماً مرضيّ الصنعة في مداواة المرضى مستقيم الرأي في تسقيم السقيم . لم يزل يتردد اليّ مدةً اقامتي بواسط أستطبُّهُ ، وأجد بمنّة الله بطبّهِ من الصحّة ما استحبهُ ، وكان لهجاً بالإلغاز ، ولما يسمعهُ من ذلك شديد الاهتزاز ، واشعارهُ فيهِ مستقيمة الصدر وسليمة الأعجاز ، توفي في اوائل سنة ستين وخمسمائة (١١٦٥م) وكان قبل ذلك بأشهر قريبة يجتمع بنا ونتذاكر ما قيل في اللغز »

ومما ذكره ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (ص ٢١٧ــ٢١٨) ان عليّ بن هبة الله الاثردي شرح كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان وألّفه لابي العلاء محفوظ

﴿ اشعاره ﴾ لم نقف لمحفوظ على شعر إلّا ما رواه عنه عماد الدين الاصفهاني في الالغاز. قال: ممّا انشد فيه لنفسه براسط في عاشر شوّال سنة تسع وخمسين (وخمسمائة) لغزٌ في العقل (من المنسرح):

مَا حاضِرٌ ما يُرَى لهُ شخصُ فإنّهُ في اختفائهِ لِصُّ
يُضيءُ في البيتِ كالسراجِ وقد يَشوبُ وقتاً ضياءَه غَمَصُ
يَبين نُقصانُهُ وليس لهُ رُجحانُ كَمّيّةٍ ولا نَقصُ
لكنّهُ عادلٌ يميلُ وما رأيتُ مَيلاً بالعدلِ يختصُّ
يَهزِمُ جيشَ الخُطوبِ مُقتدرًا وقد يُرى انّهُ عاجزٌ نِكَصُ
أعوانُهُ عُدّةٌ ثمانيةٌ (١ بهم يَنُمُّ الضَّلالُ والفَحَصُ
فهو كنُوحٍ في الفُلكِ يستترُ وهم كأصحابِهِ اذا أُحصوا (٢
فقد كشفتُ الغطاءَ مجتهدًا حتّى بدا من ظهورهِ نقصُ

وألغز في النار وارتفاع لهيبها عن الارض (من السريع):

ما صورةٌ كوّنَها ربُّها من عالَمِ الجنّةِ والإنسِ
فأصبحَتْ للإنسِ معشوقةً تُهدِي اليهم لَذّةَ النفسِ
فما لها من بَعدِها رَجعةٌ الى مَقرِّ الوَصلِ والأُنسِ

١) يريد بالثمانية القوى التي يستعين بها العقل وهي الحواسّ الخمس ثمّ الخيال والحسّ وقوّة الارادة

٢) يقول انّ عدد هؤلاء الاعوان ثمانية كعدد الاشخاص الذين كانوا في سفينة نوح فنجوا من الطوفان

فما هيَ يا من غدا عالماً يَحُلُّ ما يُلغزُ في الطِرْسِ

قال العماد وانشدني محفوظ في الإلغاز لنفسهِ بالرُمّانة بمعنى الثمرة والقُبّان (من الرجز):

يا عالماً يَستفهِمُ عن كلّ ما يُستبهَمُ
ما حَامِلٌ عَذراءُ لم تَزنِ ولم تُتَّهَمُ
أولادُها في جَوفِها تحت الضُلوعِ جُثَّمُ
كلٌّ لهُ من تِربِها (١ عليهِ ثوبٌ يُقسَمُ
شِفاهُها كثيرةٌ فأعلَمٌ وأخرَمُ
لكن لها فردُ فمٍ ورأسها هوَ الفمُ
من الجِنان أُخرِجَتْ والجحيمِ تُسلَمُ
وما اتت جَريمةً ومثلُها لا يُجرِمُ
بل فضلُها عند الأنا مِ ظاهرٌ يُتَمَّمُ
امثالُها بينهمُ لها صِفاتٌ تُعلَمُ
فالبعضُ منها حاكمٌ يَعدِلُ فيما يَحكُمُ (٢
والبعضُ منها في الصدو رِ جالسٌ يَختشِمُ (٣
كلٌّ يرى حقوقَهُ عليهِ فرضاً يُلزِمُ
ومن شهير امرِها اذ مثلُهُ لا يُكتَمُ

١) كذا في نسخة. ويروى: في شربها. ولعلّ الصواب من تِرْبها اي من لحمها وشحمها
٢) الرمّانة هنا القبّانة التي تتّخذ للوزن
٣) يشبّه ثدي النساء بالرمّانة

انَّ بها يشقى السَّـــقيمُ والنديمُ ينعمُ (١
وقد كشفتُ سِرَّهـا وعند هـذا أختِمُ

قال العماد. وانشدني ايضاً لنفسهِ في واسط رابع ذي القعدة سنة ٥٥٩ ملغزاً في آلة الطرب المعروفة بالناي (من الوافر):

ومملوكٍ رشيقِ القدّ ألمَى بهِ تَلهو وتبتهجُ النفوسُ
صَموتٌ ناطِقٌ أرِقٌ نَؤومٌ عجيبٌ شَخصُهُ شخصٌ نفيسُ
ويوحِشُ ذكرُهُ رَبعَ التصابي (٢ ولولاهُ لَمـا أنِسَ الجليسُ
لـهُ رأسٌ يُخـالفُ منـهُ جسماً بلا رِجـلٍ فَسِّرْ مـا تَقيسُ
اذا ما بانَ عنهُ ظَلَّ مَيتاً وإمَّا عاد عاودَهُ الحَسيسُ
يَئِنُّ أنينَ صَبٍّ مُستهـامٍ مَشوقٍ قـد نأى عنـهُ أنيسُ
وليس بذي صبابات ليَهوى ولكنَّ الهوا فيـهِ حبيسُ

ولهُ مُعمًّى في غلامٍ اسمهُ سعيد (من الوافر):

وذي غُنجٍ عَلِقتُ هواهُ بَلوَى فبَلبَلَني بطَرفٍ بابليِّ
لـهُ اسمٌ ضِـدُّ حالي في هواهُ فـفَتِّشهُ تَجِـدهُ بغير عيِ
اذا أسقطتَ حرفاً منهُ يوماً فـذاك يومُ افراحٍ وزيِّ
وان أسقطتَ ثانيَـهُ اتّباعاً غدا مولى لعبدٍ او وليِّ
وان أسقطتَ ثالثـهُ اختيـاراً يصيرُ اسماً لعبدٍ أرمنيِّ

١) ويروى : بندم
٢) يريد هنا النأي مصدر نأى وهو الهجران الذي يستوحش الاصدقاء ذكرهُ

وان اسقطت رابعهُ اضطرارًا أتى نوعٌ من المشيِ الوَحِيِ
فان تكُ ذا حِجًى وأخا أحاجٍ ففسِّرْ يا أخا القلب الذكيِ

وألغز في المسمّى كمالًا (من السريع):

ذا مالكٌ رِقِّي هوايَ لهُ مَن أسمُهُ في البيتِ منظومُ
تَهَجَّهُ واجعلْ لهُ اوّلًا آخِرَهُ فالاسمُ مفهومُ

قال العماد الاصفهاني: وكان لمحفوظ بن المسيحيّ عندي رسمٌ في كلّ سنة يصل اليهِ من الحنطة فكتب اليّ يُلغز بها ويطلب الرسم (من الوافر):

عمادَ الدين دعوةَ مستفيدٍ لأنك كاشفٌ عن كل دَيْنِ (١
فما صفراءُ كالذهبِ المُصفّى ولونُ لُبابها لونُ اللُّجَيْنِ
محبَّبةٌ الى الارواحِ طُرًّا بها تَقوى النفوس بغير مَيْنِ
لها اسمٌ تِصْفُهُ شعبٌ قديمٌ كما زعموا بإحدى الأُمّتَيْنِ (٢
وتصفٌ جاء في القرآن نصفاً لأول سورةٍ بقراءتَيْنِ (٣
لها وقتٌ تُداسُ بكل رِجلٍ ووقتٌ فيهِ تُرْفَعُ باليدَيْنِ
أَجِبْ عنها وَجُدْ بالرسم معها وقاكَ اللهُ آفةَ كلّ عينِ

واخبر العماد قال: كنتُ نظمتُ لغزًا في كوز القفّاع وهو الشراب الذي يتّخذ من الشعير وانشدتهُ ابا العلاء محفوظاً فأثبتهُ واتى بجوابهِ. وهذه هي الابيات التي لي:

ما صورةٌ ما مثلُها صورةٌ كأنّها في العين مطورةٌ
تُمطَرُ الريّ ومن ذا رأى مطورةً للريّ ممطورةٌ

---

٢) ويروى: عن كلّ زين

٣) يشير الى الجنّ وهو يدعى ايضاً المنّ بالماء وذاك نصفٌ اسم الحنطة. الأمّتان الاسلام والنصرانيّة واراد هنا الاسلام ٣) يشير الى سورة طه في القرآن وهي نصف لفظة حنطة

منكوحةٌ ما لم تضعْ حملَها مسدودةُ الأنفاسِ محصورَهْ
محرورةُ القلبِ ولكنّها مضروبةٌ بالبَرْدِ مقرورَهْ
كأنّما النارُ بأحشائها على اشتدادِ البَرْدِ مسجورَهْ
تظلُّ مُلقاةً على رأسها خمّارةٌ تُحسَبُ مخمورَهْ
مُعارةُ العامةِ من غيرها قصيرةُ القامةِ ممكورَهْ
كأنّها رأسٌ بلا جُثّةٍ موصولةٌ إن شئتَ مبتورَهْ
كهامةٍ صلعاءَ محلوقةٍ ما استعملتْ موسًى ولا نورَهْ
زامرةٌ في فَمِها زَمْرُها وهي بغيرِ الزَّمْرِ مشهورَهْ
دوّارةٌ إن انتَ ارسلتَها مهتوكةُ الاستارِ مستورَهْ
مَن فضّها تبصقُ في وجهِهِ كأنّها بالفُحشِ مأمورَهْ
تُورثُ تعبيًا لمن باسَها وهي على ذلك مشكورَهْ
معسولةٌ ريقتُها مَرّةٌ مُرسَلَةٌ بالهَضْمِ منصورَهْ
ان عُقلَتْ فرّتْ وإن أُنشطتْ فزّتْ وثارت مثلَ مذعورَهْ
كم عالمٍ ذاقت وكم سكّرٍ وأنعُمٍ ليست بمكفورَهْ
ملسومةٌ من صخرةٍ صَلْدَةٍ فاجرةُ الماءِ ومفجورَهْ
من الصفا جسمٌ ولكن ترى على صفاءِ الماءِ تامورَهْ
فيا حليفَ المأثراتِ التي اضحت لاهلِ الفضلِ مشهورَهْ
أنعِمْ وعجِّلْ حَلَّ اشكالها فهي لدى فضلك مأسورَهْ

فاجاب محفوظ التيلي (من الرجز):

يا ذا الذي أعرَبَ إلغازُهُ عن فِطنةٍ بالعلمِ مغمورَهْ
انّ التي أطنبتَ في وصفها حتّى اغتدت في الناس مشهورَهْ
صغيرةُ الجُثّةِ فحداحةٌ باردةُ الملمسِ محرورَهْ
تعذّبتْ في النار حتّى اذا ماتت غدتْ في الثلجِ مقبورَهْ
محبوبةُ المَخرَجِ لكنّها منكوحةٌ ليست بمستورَهْ

ان فضَّها الناكحُ مقهورةً فاضت بماء فيض مخمورَهْ
او بصقتْ في وجه مُفتضِّها فإنها في ذاك معذورَهْ
لأنها تسقيه خمرًا بها يحلِّل المخمورُ تخميرَهْ
ويصبحُ الشَّبعانُ ذا شهوةٍ كلبيَّةٍ بالجوع مذكورَهْ
صورتُها تحكي اذا قِسْتَها مُصمَّتةً بالصَّمغ مأسورهْ
فهذهِ من طينةٍ صُوِّرت وفي لهيب النار مسجورَهْ
وتلك من جوهرةٍ صَلْدةٍ مُذابةٍ بالنار مصهورَه
فخُذ جوابي ملغزًا مثل ما ألغزتهُ في هذهِ الصورَهْ
وهي لمن يوثرُ كشفي لها فقَّاعةُ الفقَّاع محصورهْ

٣١ سعيد النيليّ

ولمحفوظ النيليّ مواطنٌ نصرانيٌّ وشاعر مثلهُ من بلدة النيل قرب واسط ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبَّاء قال (١ : ٢٥٣) : «هو ابو سهل سعيد بن عبد العزيز النيليّ المشهور بالفضل عالم بصناعة الطبّ جيّد المصنَّفات متفنّن في العلوم الادبيَّة بارع في النظم والنثر ومن شعره (من الخفيف) :

يا مُفدَّى العِذار والخدّ والقَدّ بنفسي وما أراها كثيرا
ومُعيري من سُقم عينيهِ سُقماً دمتُ مُضنى بهِ ودمتَ مُعيرا
إسقِني الراحَ تَشفِ لوعةَ قلبٍ باتَ مُذ بِنْتُ للهموم سَميرا
هيَ في الكاس خمرةٌ فاذا ما أُفرِغتْ في الحشا استحالت سرورا

(قال) وللنيلي من الكتب اختصار كتاب المسائل لحُنَيْن . تلخيص شرح جالينوس . كتاب الفصول مع نُكَت من شرح الرازيّ

هذا ولم نجد ذكرًا لسعيد النيليّ في غير ابن ابي اصيبعة

٣٢ ابن اصطفانوس الروميّ

هذا ايضاً شاعر عاش في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح . وغاية ما نعرف لهُ من الاخبار ما نقلناهُ عن كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين الحلبيّ عن نسخة لندن (Car Mss. Brit. n° MCCXC) قال : «كان ابن اصطفانس فيلسوفاً شاعرًا وُلد بالروم ونشأ بأنطاكية وكان ذا هيئة ادبياً شاعرًا نحويًا فيلسوفاً نظّارًا . سافر الى العراق ولقيَ بهِ العلماء ولُقّن من العلوم والآداب ما علا بهِ صيتُهُ واشتهرَ ذكرهُ في الازمان» . ثمّ ورد هناك اخبار أُخرى محجرة لعلّها يؤخذ منها انّ ابن اصطفانوس أُرسل سفيرًا الى الخليفة العبّاسي المستضيء بالله الذي كان وزيرهُ عليّ بن عبد الرحمان البازوريّ . . . وانهُ اجتمع برجل اسمهُ يوسف بن (؟) الكفرطابي الذي كان يدرّس في كفرطاب . هذا ما رواهُ كمال الدين ولم نقف في غيرهِ على اخبار ابن اصطفانوس (لهُ بقية)

مذهب التقمُّص (١

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

١ خرافات وهواجس

بلغنا انّ احد امراء الدروز في غاراتهم الحديثة وقف على جسر في وادي التيم وصاح برجاله قائلًا : ألا اعلموا يا قوم انّي وقعت قتيلًا ههنا منذ خمسين عاماً ثم أُحييتُ وها انا اقودكم للقتال

١) قد عوّلنا في انشاء مقالتنا هذه على المؤلفات التالية :

ولا عجب أن صدّقته جماعته لانهم يعتقدون ان نفس الانسان اذا خرجت من جسده دخلت جسداً آخر ثم عادت الى حياة جديدة ويدعون ذلك تقمصاً اشتقاقاً من لفظة القميص لباس الجسد الذي يتغير من حين الى آخر وكذلك الجسد فانهُ لباس النفس يتغير ويبلى . ويشبهون النفس بالسائلات التي تحتاج الى اناء يضبطها فاذا كسر يُصَبّ السائل في اناء غيره . ومن مزاعمهم ان نفس الخاطئ اذا فارقت جسده لا يُنفذ الله قضاءه فيها نهائياً طبقاً لاعتقادنا بل يحكم عليها بعذابات وعن متفاوتة الشدّة والمدّة تنالها بحياة جديدة مناسبة لما اقترفته من ذنوب ولما بذلته من التعويض عنها الى ان يأتي يوم الحشر فيظهر الهدي ويزحف مع الدروز المتجمعين في بلاد الصين فيسحقون اعداءهم من مسلمين ومسيحيين وغيرهم ويستولون على الارض وما فيها (حلّ الرموز ص ٣٣)

ولا يعارضنا معارض ويتهمنا بتزوير معتقد الدروز ونسبتنا اليهم ما هم براء منه ، ومعروف لدى القاصي والداني انهم اشدّ الناس كتماناً لامورهم الدينيّة ، فلا يبوحون بها لاحد من غير دينهم ، بل لا يكشف عقّالهم غوامضها لبقيّة قومهم المعروفين بالجهّال لانهُ على الرغم من افراط تحفظهم قد وقع كثيرٌ من كتبهم الدينيّة في ايدي الناس فنشرها العلماء (راجع لائحة الكتب التي عوّلنا عليها)

١ً هستنكس : دائرة معارف العلوم الدينية والاخلاقية ، في مادة تناسخ

Hastings :Encycl.of Religion and Etthics,*art.*«TRANSMIGRATION». Edinburgh, 1921

٢ً فرنك : قاموس العلوم الفلسفية في مادة تقمص

Franck: Dict. des Sciences Philosophiques. *art.* «MÉTEMPSYCOSE». Paris, 1885

٣ً دي ساسي : ايضاح ديانة الدروز ، جلدان

S. de Sacy: Exposé de la Religion Druse, 2 vol. Paris 1838

٤ً غيس : الامة الدرزية

H. Guys : La Nation Druse, Paris 1863

٥ً كتاب حلّ الرموز في معتقد الدروز لابراهيم جرجس خله ترجمان وكالة قنصلاتو فرنسا بالنيوم ملخص من كتاب لاحد عقلاء الدروز في قواعد مذهبهم الاساسية ودستور تقليداتهم الدينية

٦ً المعلم بطرس البستاني : كتاب دائرة المعارف في مادة تناسخ

ومنها يظهر جلياً معتقدهم في التقمص فضلاً عما تشف عنه اقوالهم من حين الى حين: «ولا خفي الا سيظهر»

جاء في كتاب «غيس» عن تعليمهم (وجه ٢٠٤) «كلما توفي انسان ولد انسان» وجاء في كتاب «لبنان» المطبوع سنة ١٩١٨ في مقالة لاحد ادباء الدروز (وجه ٥٥٤) «ان النفوس خالدة تتقمص بالاجساد البشرية الى يوم الحشر». ومن ظريف ما رواه عنهم كتاب حل الرموز (وجه ٣٨) ان مولوداً في نواحي حلب لما بلغ السنة الخامسة من عمره جعل يدعي انه منذ خمس سنوات كان عائشاً في دمشق وكان عمره خمسين سنة وانه توفي عن امرأة وبنين وتقمص ثم اخذ يلح على ابويه بالسفر الى الفيحاء فقصد اليها معهما. ولما بلغوا المدينة جعل الولد يسمي الاحياء والاسواق باسمائها حتى وصلوا الى بيت فوقف الصبي وطرق بابه ودخل فاذا هناك امرأته واولاده فتعرف بهم وظل في بيته مدة يستقبل مشايخ الدروز المتوافدين للسلام عليه!!

وليست الحكاية باعجب من قصة القائد الذي قُتل في وادي التيم التي افتتحنا بها مقالتنا. ومثل هذه الاخبار كثير تتناقله الالسن فتتجاذبه الناس اطراف حديث كما يتجاذبون باصابعهم خرزات المسابح اذا جلسوا للسامرة وشرب القهوة في الملاهي والمضايف

ومما رواه الجاحظ في كتاب الحيوان (٦: ٢٤) عن بعض العوام قال:

«ان العوام تقول وناس يزعمون ان الحية مسخ، والضب مسخ، والكلب مسخ، والارنب مسخ، والعار مسخ . . . وان الله قد مسخ كل صاحب مكس، وجابي خراج وإتاوة اذا كان ظالماً وانه مسخ ماكسين احدهما ذئباً والاخر ضباً وفي ذلك ضروب كلها ظريف غريب وكلها باطل، والاعراب تؤمن بها»

وجاء في كتاب الف ليلة وليلة (المطبعة البهية، ١: ٤١ وما بعده) عن شابين ان ابنة عمه مسخته نصفه حجراً ومسخت اهل مدينته سمكاً من اربعة صنوف، فالسمك الابيض المسلمون، والاحمر المجوس، والازرق النصارى، والاصفر اليهود (١) . . .

---

(١) راجع ايضاً ما كتبه الشيخ بي الشرقي في مجلة العرفان الغراء (نيسان ١٩٢٦) في مقالته «اليزيديون او اليازيدية» (وجه ٨٢٩) حيث روى عنهم ان «ارواح الاشرار التي تعود الى التقمص مرة ثانية تتجسد في هذا العالم في الكلب والخنزير والحمار وتتعذب»

وفي اللغة العربية اصطلاحات للتعبير عن انواع التقمص فانتقال النفوس الى جسد بشري يسمى تقمصاً او نَسْخاً . وانتقالها الى بدن الحيوان يسمى مَسْخاً . وانتقالها الى الاجسام النباتية يسمّى رَسْخاً . وانتقالها الى الجمادية كالمعادن والبسائط يسمى فسخاً . والتناسخ في هذه الاحوال الثلاثة يسمّى بالافرنجيّة «Métamorphose» ويطلق عليه بالعربية اسم مَسْخ . امّا التقمص فيدعى في اصطلاح الافرنج «Métempsycose»

واننا لنضرب صفحاً عن هذه الخرافات ولم نكن لنأتي على ذكرها في هذه المجلة لولا خطورة ما ترمي اليه من امر الوعد والوعيد ومصير النفس في الحياة الاخرى ، حتى صار لها وقع في قلوب العامة واخذت الخاصة تكترث لها وتسعى بتبيان الحجج التي يدعم عليها اصحاب المذهب معتقدهم فخصها صاحب المقتطف بمقالة في شهري : مارس وابريل من السنة الحاليّة ١٩٢٦

ولما كان الدروز فئة صغيرة من القائلين في التقمص وليس من الاكيد انهم يؤمنون بسياحة الانفس في اجسام البهائم والجوامد اغتنمنا الفرصة للكلام عن التقمص عموماً وذكر ما شاع منهُ في التاريخ على ان نقف على اهم بنوده افادةً للقرّاء واحاطةً للموضوع باطرافه فنتناله جملةً وتفصيلاً قبل ان نبين بطلانه

٢ً تاريخ مذهب التقمص

نشوءه — ان الانسان مخلوق ومجهّز بكل ما يلزمهُ نفساً وجسداً لبلوغ غايته القصوى فكما انه بطبيعته يحسّ وينمو ويتحرّك كذلك يفكر ويدرك الروحيات بطبيعته العاقلة ؛ فيعرف الله خالقه ، ووجود نفسه وخلودها ، وواجب تأدية الحساب عن افعاله لينال الثواب او العقاب من الديان بعد الموت . تلك الحقائق العظمى كانت معرفتها صريحةً اكيدةً لا يشوبها ضلال ولا شك والبشرية قريبةٌ من مهد نشأتها . وكانت في الارجح صادرة ليس فقط عن نور العقل ولكن ايضاً عن وحي انزله الله تعالى على ابوينا وجعله كالمنارة تضيء لبني آدم في ظلمات سياحتهم على الارض ولم يخفَ امرها حتى على بعض الوثنيين والشاهد في ذلك ما كتبه شيشرون (Tuscul. l. I c. 12) : «ان الحق كان اوضح عند الشعوب القديمة منه عندنا لانهم كانوا اقرب منا الى نشأة الاشياء وظهور الخلائق »

لكن الخطيئة الاصلية غشت على عقل البشرية واخذت نتائجها الذميمة من طبيعتنا الساقطة مأخذها فهاجت الشهوات وعصى الجسدُ النفسَ واظلم نور العقل وضلَّ الانسان عن معرفة الحق

وكما أنه شوّه صورة الخالق السامي الكمال فنسب اليه اميالهُ وشهواتهِ الرديّة وعبدها بالخليقة مسترسلاً الى الرذائل كذلك زوّر حقيقة المعتقد في امر المصير وبذل الابدية وعقابها وثوابها بسياحة زمنية يختلف ذكرُها ما في ذكر جهنم الابدية من الهول والردع عن المآثم. واهمُّ من ذهب هذا المذهب من الشعوب هم المصريون والهنود واليونان

﴿المصريون﴾ نظروا الى الطبيعة فلاحظوا تطوراتها ما بين شمس تغيب وشمس تشرق، وبين نبات يذبل ونبات ينمو، وبين حيوان يموت وحيوان يولد، فاستطردوا الى القول ان الموجودات تعود بعد زوالها، وانه لا يحيا اليوم الا من مات امس، وان الانسان المولود، مات، فحيي، وان النفس تتقمص في اي جسد كان تلقاهُ من بعد فراقها جسدها القديم. فكان منظر الكائنات داعياً لاعتقاد المصريين بالتقمص

اما ﴿الهنود﴾ فقالوا ان النفس نشأت من ذات اللاهوت وحُبست في الجسد من اجل زلّات ارتكبتها. وانها لتسيح من جسد الى جسد ومن حبس الى حبس، الى ان تبلغ من التعويض مبلغاً ومن الكمال درجةً ترتقي بها الى اللاهوت فتعود تتحد به وانها في سياحتها تلك تجتاز بعالم النبات والحيوان والانسان. وذهب بعضهم الى وجوب الامتناع عن قتل البهائم تحاشياً من خطر الجناية على البشرية

اما ﴿اليونان﴾ فزعيم مذهب التناسخ عندهم كان فيثاغوروس الفيلسوف فاختلف مع الهنود في شأن سياحة النفس بعد الموت وقال انها لا تتجاوز حدود انماء الحيواني ولم يوافق مع المصريين على ان النفس تدخل في اي جسد لاقته بعد الموت لكنه اشترط على ذلك الجسد ان يكون مناسباً لقوى النفس فجعل لهذه النفس هذا الجسد بحيث يتكون من كلاهما انسان واحد وهذه الوحدة هي مبدأ الاقنومية فينا

واخذ افلاطون اصل تعليمهِ عن فيثاغوروس علّق عليهِ وافرغهُ في قالب فلسفي وقال: ليس العلم فينا الا تذكراً. وان سألتهُ كيف ذلك؟ اجاب: لولا ان فينا القوة او الاستعداد الى العلم قبل ان نتعلّم لما كنا تعلمنا وان هذه القوة موجودة في

كل المتعلمين وهي تخلق معهم . فاذاً هي اثر لمعلومات كانت فينا ، في حياة قبل هذه الحياة . فاذاً كنا في حياة سالفة . وما حدث فينا في الزمان الماضي سوف يحدث في المستقبل فننتقل من حياة الى حياة وسوف تنقضي مدة الف سنة بين الواحدة والتالية

واقتبس فرجيل الشاعر الروماني من هذه الاقوال شعره في نشيده السادس من الانياذة (٧٤٨،٦) اذ قال : « دهور تتوالى ، الف سنة تنقضي ؛ فيدعو الاله جمهوراً غفيراً من الارواح على ضفة نهر النسيان (Léthée) فتنسى الارواح حياتها السالفة وتصير ترغب في النظر الى القبة الزرقاء والعودة الى الاجساد »

Has omnes, ubi mille rotam volvere per annos,
Lethaeum ad fluvium, deus evocat agmine magno.
Ubi licet immemores, supra ut convexa revisant
Rursus et incipiant in corpore velle reverti. (Aen. VI, 748)

بقي علينا ان نعرض هذه المزاعم على محك الرأي السديد لنميز منها بين الغث والسمين

٣ بطلان مذهب التقمص

ان مذهب التقمص باطل من وجوه شتى

(اولاً) لانهُ ﴿ يحطُّ من عظمة الدين وكرامته ﴾ معلوم انَّ الدين هو مجموع علاقات الخليقة بالخالق فان نحن راعينا حقوقها بحفظ اوامره تعالى نلنا الغاية القصوى والَّا فنحن من الخاسرين الى الابد . فأمر الدين اذاً هو المهمّ الاهم والشغل الشاغل ونأبى الَّا ان يكون معظَّماً مكرَّماً ليس فيه شبهةٌ ولا موضع سخريَّة والخطاط

ولكن ما القول في تعليم يحطُّ من شرف الانسان المخلوق على صورة الله ويمسخه حيواناً قذراً كالفأرة او الخنزير او الحيَّة ؟ أليسوا عرضة للضحك والاحتقار هؤلاء الذين يأبون قتل البرغوث او البعوضة لئلَّا تكون فيها روح ابٍ او أمٍّ او زوجة عزيزة ويخافون ان يطأوا عشبة لئلا يدوسوا نفساً بشريَّة ؟ فان كانت تلك ديانتهم فبئست الديانة لانها اجدر بان تمثل العالم كمسرح تلعب فيه البشر والبهائم

اودوارها دون قاعدة ثابتة معقولة ويا ليتهم يكتفون بالرواية الهزلية المضحكة الا انهم كثيراً ما يقلبونها الى مأساة مفجعة بزرع البغض بين البشر

(ثانياً) لان هذا المعتقد يؤدي الى نتائج ذميمة في الحياة الاجتماعية اذ يقسون قلوبهم على المرضى والفقراء والبائسين فيا هم يحنونها على البراغيث والحيّات وسائر البهائم زاعمين ان البائس يكفر عن ذنوب اقترفها في حياة سالفة فيدعونه وشأنه ويتزلفون الى الاغنياء والعظماء متوهمين ان العظمة والغنى لا تكون الا ثمرة الفضيلة فيسوقهم اعتقادهم هذا الى التقسيم بين البشرية وجعلها طوائف متعادية كما جعلوها بالهند حيث منهم البراهمة او الاشراف والباريا (Parias) او الصعاليك فيزرعون الحسد والبغض في القلوب . ومن البديهي ان ديانة تقسم ابناء الطبيعة الواحدة الى طبقات متنافية وتثير في القلوب الاميال المنحرفة وتقسي القلوب على البائسين هي ديانة باطلة فالتقمص اذن هو باطل

ثم انّ التقمص باطل من وجه (ثالث) لانه يناقض سنّة الثواب والعقاب وهي تقضي بان يحلّ القصاص في شخص المذنب انتقاماً للشرع واصلاحاً لما فسد من النظام العام بدخول الخطيئة في العالم . فمن العدل اذن ان يجازى الجسد خيراً او شراً على ما فعله وهو رفيق النفس وآنيتها . واننا حين نراهُ مصفراً بارداً موشكاً ان يصير طعاماً لدود القبر نشعر ان مدة الامتحان قد انقضت نهائياً فما من سبيل بعد لنيل الثواب او استحقاق العقاب لانّ الموت هدم ركني المركب الانساني وفرق بين جزئيه الاساسيين وليس يجد الانسان من بعد الموت الى التكفير عن اعماله سبيلاً

قال القديس توما اللاهوتي (في ردوده على الامم ك ٢ ف ١٤٤) : « اذا انتهت الحياة لم يَعُد للانسان استطاعة على ادراك الغاية القصوى اذ هو معدوم الجسد وفي حالة وقوف تمنعهُ عن السير الى الخير السامي فيبقى عنه الى الابد . فباطل اذن زعم القائلين ان الانسان يعوض بالتقمص عن زلات سابقة ويستحقُّ اجراً لان نفسه تعجز عن فعلها الطبيعي بعد موت الجسد واذا اقترنت بجسد اخر لتقوم بواجب التعويض اصبحت انساناً غير الانسان السابق لاجتماعها بجسد غير جسدها الطبيعي

على ان اصحاب المذهب يجيبون : لا بأس بفناء الجسد اذ النفس هي الجزء الاشرف فينا وهي لا تزال حيّة بحيث يتسنّى لها ان تؤدي واجب التكفير بسياحتها

من جسد الى جسد . فنردُّ ونقول : هل من سبيل الى التكفير عن ذنوب لا نتذكرها ؟ انك تعود بالفكر ايها القارئ اللبيب الى حياتك السالفة وتذكر ايام حداثتك بين ابيك وامك وسني حياتك في المدارس وتتصوَّر في مخيلتك البلاد والاشخاص والحوادث التي شهدتها وكنت فيها وما بينها مثلاً ، وتشعر بمسؤوليتك عن الاعمال التي صدرت منك في تطورات حياتك لانها كلها راجعة الى شخصك او اقنومك . فهو المسؤول وفيه يحل الجزاء على ما فعله من شرّ او خير . ولكن لا احد منّا يذكر انه عاش في حياة سابقة لحياته الحاضرة فباطل اذن زعمهم أننا نسال مكافأة او قصاصاً عنها وليس المكافأة جديرة بان تشجعنا على الخير ولا القصاص بان يردعنا عن الشر وما علينا في كلا الامرين مسؤولية ولا يمكننا ان نتوب توبة نصوحاً بتكفيرنا عن خطايا لا ذكر لنا بارتكابها ولا ان نقصد اصلاح ما فسد من اعمال لا ندري اين ومتى صدرت منّا

وكذلك باطل زعم من قال ان التعليم ليس الّا تذكّرًا وانّهُ الدليل على الحياة السالفة ، ولا يخفى احدًا ما يقتضيه العلم من المتعلم من جهاد وعناء لا يبلغ دونه معرفة من المعارف . وباطلة القصص التي يدّعي بها اصحاب المذهب انه يوجد اناس يتذكرون ايام حياتهم السالفة ، لان كل هذه الحكايا هي خرافات كحكايات الف ليلة وليلة تزول بنور العقل كما تزول احلام الليل متى اشرقت شمس النهار

وعجب ان بعضهم يتذكرون خطايا ارتكبوها في حياة سالفة ﴿ فلا يمكنهم ان يصلحوا ما فسد من الماضي بالتقمص ﴾ كلّا ثمَّ كلّا لان الشرّير قد دخل في عبوديّة الملكات الرديّة الدائمة قسرًا الى الشرّ . فمن كان مقامرًا سكيرًا عاهرًا ومات وتقمّص لا يلبث ان يحس بقوة الاميال التي تسلطت عليه تجره الى الشر . وان كان وهو في حياته الماضية وفي حالة ارقى من التي هو الآن فيها لم يتمالك ان يسقط في الخطايا فأنّى له الاصطلاح وهو في حالة الخزلان والقصاص ؟ اذن فلا بد ان تتفاقم شروره وتتدهور به من دركة الى دركة فلا يعود له امل بالخروج من حمأة المآثم ، وان كان التقمص وعده بالاصلاح ، فلم يبرّ بوعده . فاذًا هو باطل كل البطلان .

وان افترضنا ان البعض يمكنهم الاصطلاح مع تطورات التقمص وانهم على

مدى سياحاتهم سوف يبلغون ما بلغ اليه الصديقون من الكمال . فان نحن سألنا بذلك سلبنا الشريعة سلطتها الادبيّة ونفوذها . فكانت النتيجة على اصحاب المذهب اسوأ من التي قبل . لانهُ ما من رادع يردع الاثيم عن اثمه الّا خوف العذاب الدائم وما من دافع على ارتكاب الذنوب الّا المعرفة ان القصاص عليها سوف ينتهي في زمن من الازمان. فأبشرْ اذاً يا مقامر ! ويا زاني ! ويا سكير ! وتمتّع لانهُ إن يكن وراء الحياة عذاب فسوف ترى فيما بعد كيف تحتمله ! فلا تضحِ ملذات الدنيا خوفاً من اهوال الآخرة وانت اعلم بقوة الشهوات الردية والاميال المنحرفة التي تدفعك الى مراودة نفسك الامّارة بالسوء . ذلك ما يؤدي اليهِ الاعتقاد بامكان التوبة في حالة التقمص وانه لنتيجة فاسدة وثمرة شريرة وحيث الشر شرير فالشجر شرير فباطل اذن مذهب التقمص

وباطل هو لانه يهدم اركان الحياة الادبية ويزيل الفرق الاساسي بين الخير والشر اذ يجعل في النهاية مصيراً واحداً للصالحين والطالحين . كيف لا والتوبة في زعم اصحاب التقمص رهن ارادة الجميع فما من شقيّ قاتل سارق عقوق الّا يستطيع ان يرتشف كأس ذنوبه بالمرة ويقول مهما اجترحتهُ انا من شرّ ومهما فعله الصالحون من خير فلا فرق بيني وبينهم الّا في عقاب زمني فسوف يدور بي دولاب السياحة ومن تقمص الى تقمص سوف يحملني القدر الى السعادة وهذا قول يناقض ناموس الضمير فاذاً هو باطل

واقول (رابعاً) انَّ الحجج التي يتشبَّث بها اصحاب التقمُّص هي ﴿حجج باطلة وخرافات﴾ تجاه ما يتمتَّع بهِ الانسان من الحقيقة الواضحة في شأن المصير والآخرة

نشر السيد حسن افندي حسين في مجلة المقتطف الغرّاء مقالة في مذهب تناسخ الارواح ظهرت في عددَي مارس وابريل من هذا العام عرض فيها بعض الخواطر والاسباب التي تحمل اصحاب هذا المذهب على اعتقادهم . وروى عنهم ما ينيف على اثني عشر دليلًا يتخذونها حجةً لمعتقدهم واثبتها بما قد يكون صحيحاً من روايات الحديث وما يلائم رأي ابي العلاء المعرّي وتعليم الامام حجة الاسلام الغزالي . ولم يبتّ الامر بحيث يظل قارئ مقالتهِ في ريبة من حقيقة المذهب او بطلانه ويكاد يلقى على حسن افندي مسؤولية ما جاء بهِ من ادلّة واقوال لولا اعلان صاحب المقالة

انه «عرضها من غير ما يتحمّل تبعتها»

على اننا مع مراعاة كرامة شخص الكاتب رأينا ان ننعم النظر في مقاله وهو لم يعالج المسألة من وجهتها الدينيّة والادبيّة والاجتماعية كما كنا نرغب ذلك اليه في امر ذي شأن كهذا بل اكتفى بنشر لائحة اخبار واقوال جعلوا اصحاب المذهب دعامةً لتعاليمهم وهي متنوعة عديدة واليك ملخصها : ١) وجود بعض اولاد النوابغ. ٢) وجود حالة التوحش قبل التمدّن. ٣) عدم اهلية اطفال افريقية من الهمج للرقي وبلوغ ما بلغه ارسطو ونيوتن من العلم. تلك براهين على ان البعض تعلموا في حياة سالفة، والبعض نالوا الرقي من بعد تكفير قدّموهُ باجتيازهم من الحياة الهمجية الى المدنية، والبعض لا يزالون مغضوب عليهم ممسوخين زنوجاً فداماً

وايمُ الحق انهم بتعاليمهم هذه «نسخوا» البراهين و «مسخوا» نتائجها و «فسخوا» نامرس الفلسفة الصحيح وجهلوا طبيعة النفس الناطقة وطريقة اتصالها بالعالم المحسوس بواسطة الجسد الذي هو آلتها ومساعدها. فحياتنا الروحية تغتذي وتنمو بفضل ما تنالهُ من الماديّات المدركة بالحواس كما ان حياتنا الماديّة تغتذي وتنمو بفضل ما تمتصُّهُ من المواد الموجودة في الطعام. وكما ان المعدة في الصغر لا تستطيع ان تهضم ما تهضمه المعدة في الكبر من اللحوم والمآكل الثقيلة كذلك يستحيل على الولد ان يدرك المعلومات السامية التي يدركها الرجل. هذه سنّة الطبيعة على انها تحتمل الشواذّ: وهم الاولاد النوابغ الذين يسبق فيهم توظيف ما في الدماغ من الاجهزة لخدمة النفس فيفوقون اقرانهم ذكاء وعلماً وربما نقمت الطبيعة عليهم لمخالفتهم سنّةَ النمو فقصّرت عمرهم كما يجري ذلك اكثر الاحايين في الاولاد النوابغ على انهُ ما من داعٍ لتدخُّل امر التقمص في المسألة

وكذلك ليس لهُ شأن في امر الهمجية والتمدن ولا في اسباب انحطاط الزنوج اذ البحث في شروط نمو العقل واكتساب العلم كافٍ لحلّ هذه المشاكل كما اشرنا وليس للتقمص ناقةٌ فيها ولا جمل

***

ومن بحثنا هذا يتضح للقارئ اللبيب ليس فقط بطلان مذهب التقمص ولكن فضل الوحي الالهي الذي قشّعَ عن عقول البشر غيوم الخرافات وظلمات الاضاليل

فأضاء سُبلهم في مصيرهم الى الحياة الاخرى وهم على يقين وثقة بما يجدون فيها من ثواب وعقاب فيشدُّون احقاءهم ويجدُّون في سيرهم مستعدين لتأدية الحساب عن اعمالهم لانهُ «قد حُتِم على الانسان ان يموت ولا يموت الّا مرةً واحدة فقط وبعد الموت الدينونة» (عب ٩: ٢٧)

كرسيّ انطاكية والقديس بطرس الرسول

للخورأسقف يوسف ربّاني

النائب البطريركي للسريان الكاثوليك في اورشليم

نشرت مجلة المشرق (٩[١٩٢٣]: ٦٦٨ــ٦٦٩) مقالة للاب الياس انسدراوس اليوليّ في سلسلة البطاركة الانطاكيين ورد فيها ان بطرس زعيم الرسل لم يؤسس الكرسي الانطاكيّ الرسوليّ ولم يجلس فيه. وكلامه فيما ارى مخالفٌ لجميع المؤرخين الاقدمين ولاسيما الشرقيين وهذا نصّ قوله: «نذكر هنا هامة الرسل في رأس البطاركة الانطاكيين لا لانه كان فعلًا (حقيقةً) اسقف انطاكية بل لان هذه (اي انطاكية) قد استمدَّت منهُ سلطتها ومنزلتها السامية في الشرق كلّه». واستند في قوله الى ما كتبه اوسابيوس (ك٣: ٢١ــ٣٦) والحال ان اوسابيوس بعد ما قال (ك ٣: ٢٢) «وفي انطاكية ايضاً من بعد اوذوديوس الذي صار ثمَّ اوّل اسقف» أردفَ: «اشتهر في هذه الازمنة اغناطيوس الاسقف الثاني» ثم قال ايضاً (ك ٣: ٣٦). «امّا اغناطيوس المشهور عند الكثيرين حتى يومنا فقد صار الاسقف الثاني في كنيسة انطاكية بعد بطرس»

فيظهر من هاتين العبارتين ان اوسابيوس قد خالف قوله. والّا فعبارته الثانية لا تدع مجالًا للريب في ان اغناطيوس هو خلفٌ لبطرس رئيس الرسل. وما عدا هذا فقد اورد الاب المشار اليه عبارتي القديس جلاسيوس سنة ٤٩٤ وانوشنسيوس الاوّل سنة ٤٠٩ وقد سبق المشرق فاوردهما قبله (٥[١٩٠٢]: ٤٣٦ــ٤٣٨) وكلتاهما تصرّح بان انطاكية كانت اوّل كرسيّ شاده هامة الرسل. وهذا التقليد التاريخيّ

الصحيح قد صرّح بـه جميع المؤرّخين الشرقيين ولاسيما السريان ولو شئنا استقراء شهاداتهم واحدةً فواحدةً لألفيناها برمّتها مؤيّدة لما نحن بصدده . امّا جعل هـذا الكرسيّ في الرتبة الثالثة او الرابعة فلا يُستنتج منهُ ان بطرس لم يؤسّسه او لم يجلس فيه . على اننا اذا اعتبرنا في ذلك القِدَم او الشرف لحقّ للكرسيّ الاورشليميّ السبق على الكرسيّ الروماني . وقد جاء في المشرق عينه (٥[١٩٠٢]: ٢١٧ــ٢٢٤) عدّة براهين تؤيّد ان بطرس بعد انشائه الكرسي الانطاكيّ اقام كرسيّهُ في رومية ومن جملتها قول المسعوديّ « ورومية وانطاكية لبطرس فبدأوا برومية لانها لبطرس ثم ختموا بانطاكية لأنها لهُ وتعظيماً »

فنستفتي المشرق في هذه القضيّة المهمّة راجين التوسّع في هذا البحث ايضاحاً للحقّ ودفعاً لكلّ شبهة

جواب المشرق

على رأينا ان حضرة الاب البولسيّ في هذه المسئلة لم يدقّق تدقيقاً كافياً في بسط الموضوع فانّ هناك امرين يجب الفصل بينهما : الاوّل أكان للقديس بطرس فعلٌ في انشاء الكنيسة الانطاكيّة كونس لها ومانح لاوّل اساقفتها سلطتهم . والثاني أجلَسَ القديس بطرس على كرسيّ انطاكية وتولّى تدبيرها بحيث يمكن القول بانهُ كان اوّل اساقفتها فخلفهُ القدّيسان افوديوس ثم اغناطيوس النوراني

١ً ان القديس بطرس هو منشئ الكنيسة الانطاكيّة

هذه المسئلة الاولى لا خلاف بين الكتبة في صحّتها فكلّهم لسان واحد في كون القديس بطرس منشئ الكنيسة الانطاكيّة فانّ في وروده الى انطاكية واقامته فيها على ما جاء في رسالة القديس بولس الى اهل غلاطية (٢: ١١) دليلاً كافياً على هـذا الامر وليس بين الكتبة من ينكر ذلك . وان سكت بعضهم عن رئاسة بطرس نسبوا اليهِ توجيهُ الرئاسة على انطاكية الى افوديوس . فبتخويلهِ الرئاسة اليـه دلّوا

صريحاً على انهُ استمدَّ سلطتهُ ومنزلتهُ السامية في الشرق من هامة الرسل . وحضرة كاتب المسرَّة قد اعترف بذلك جهاراً . على انَّ هـذا الامر ليس بمختصٍ بكنيسة انطاكية فانَّ ما انشأهُ الرسل من الكنائس انَّما كان بعلم بطرس وتفويضهِ كهامتهم

٢ً انَّ القديس بطرس جلس على كرسي انطاكية

هي المسئلة الثانية التي ارتاب فيها حضرة الخوري البوليّ والتي يجب علينا بيانها وان لم يكن اعتقادها من الايمان فنقول : انَّ رئاسة القديس بطرس على كرسي انطاكية يمكن اثباتها من وجوه مختلفة واوَّل ادلَّتنا شواهد اقدم المؤرخين الكنسيين

١ شواهد التاريخ

لعلَّ اوَّل من صرَّح بجلوس القديس بطرس على كرسي انطاكية اوريجانس المعلم في اواسط القرن الثالث للمسيح فانَّهُ في تفسيرهِ لانجيل لوقا كما جاء في اعمال الآباء اليونان لمين (Migne, PG. XIII, col. 1815) يقول صريحاً عند كلامهِ عن القديس اغناطيوس الشهيد انهُ « كان الاسقف الثاني على انطاكية بعد بطرس » (Ignatium dico episcopum Antiochiæ post Petrum secundnm) فقولهُ هذا لا يصحُّ إلَّا بجلوس بطرس على كرسي انطاكية

ومثلهُ اوسابيوس المؤرخ الكبير في الكتاب الثالث من تاريخهِ الكنسيّ (Migne, P. G, XX.[illegible]) حيث يقول انَّ اغناطيوسَ تقلَّد رئاسة كنيسة انطاكية الثاني بعد بطرس Ignatius.. secundus post Petrum, Antiochenisem Ecclesiam sortitus est ويوافقهُ ما كتبهُ في محلٍّ آخر (Chronic., Olymp. 205 an. 2) « انَّ بطرس بعد ان سبق وأسَّس الاوَّل الكنيسة الانطاكية (cum primus Antiochenam Ecclesiam fundasset) أُرسل الى رومية حيث بشَّر بالانجيل وثبت فيها كاسقفها ٢٥ سنة »

ومثلهما القديس يوحنَّا فم الذهب في خطابهِ الثاني على القديس اغناطيوس (Migne, L, col. 591) فانهُ قال عنهُ انهُ « خلف بطرس في رتبتهِ الاسقفيَّة »

illi (Petro) in episcopatus dignitate successit) وجاء صريحاً في الكتاب الحبري الشهير (Liber Pontificalis) الذي يُعَدّ بين أقدم الآثار الكنسيّة نشرهُ المنسيور دوشان (Mgr Duchesne) انّ بطرس جلس على كرسي كنيسة انطاكية سبع سنين (Petrus sedit cathedram (sic) episcopatus in Antiochia 7 annis)

فترى من هذه الشواهد انّ القديس بطرس لم يخوّل فقط السلطة لصاحب كنيسة انطاكية بل جلس هو على كرسيّها موقتاً قبل جلوسهِ على كرسيّ رومية

ومن العجب انّ حضرة كاتب المرّة اورد (في الصفحة ٦٦٩) النصّين اللذين ذكرناهما عن القديسين الباباويين جلاسيوس واينوشنسيوس وهما ينقضان مدّعاهُ ويثبتان جليًّا جلوس بطرس على كرسي انطاكية

وقد اثبتنا في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٤٣٧) شاهدًا آخر لامعاً للقديس غريغوريوس الكبير اقتطفناهُ من رسائلهِ الى اولوغيوس بطريرك الاسكندرية (Migne, P. L., LXXII, col,299) حيث يقول لهُ انّ الكنائس الثلث رومية وانطاكية والاسكندريّة كالجبل المثلّث الوثيق نالت شرفها وسامي مقامها من بطرس الرسول كنشئها بنفسهِ او بتلميذه مرقس

٢ شواهد التذكارات الكنسية

قد عُنيت الكنيسة منذ قديم العهد على وضع جداول لتذكار قديسيها ولامور دينها وان راجعت اقدم تلك التآليف المعروفة بالسنكسارات وجدت فيها كلّها منذ القرن السادس ذكر «كرسي القديس بطرس في انطاكية». وذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر شباط. ففي السنكسارات المنسوبة الى القديس ايرونيموس والى اوزوَرْد (Usuard) والى آدو (Ado) والى القديس بيدا كلها على سواء تصرّح بتذكار كرسي بطرس. قال بيدا: «في هذا اليوم كرسي بطرس الرسول الذي جلس عليهِ في انطاكية حيث دُعي المؤمنون اوّلاً بمسيحيين»

وورد مثل هذا في السنكسار الروماني وفي السنكسارين السرياني والماروني راجع

كلندار الكنيستين (NILLES: Kalend. Utriusque Ecclesiæ. I. 377, 391, 471, 487.

٣ شواهد الكنائس الشرقية

هذه الكنائس على اختلاف طقوسها ونزعاتها سواء كانت متّحدة مع الكنيسة الرومانية ام لا تتّفق في نسبة كرسي انطاكية الى القديس بطرس وجلوسه عليه

ففي الميناون للروم الكاثوليك (ص ٤٩١) والروم الاورثذكس (ص ٥٢٣) في صلوات اليوم التاسع والعشرين من كانون الاوّل وفيه تذكار القديس اغناطيوس النوراني يقول الكاهن ما حرفهُ موجهاً كلامهُ الى الشهيد : «يا كأس الحكمة لقد صرتَ خليفةً لهامة المتكلّمين باللاهوت واقتفيت آثارهُ طالعاً في الشرق وظاهرًا في المغرب». فان كان اغناطيوس خليفة لهامة الرسل فلا بُدَّ من القول ان القديس بطرس سبقهُ بالجلوس على كرسيّه

وهذا التقليد رواهُ السيد ملاتيوس اسقف اثينا في كتابه الدُّرر النفيسة في شرح حال الكنيسة (اطلب ترجمتهُ العربيَّة المطبوعة في اورشليم سنة ١٨٦١ ص١٦) : «ثم صار (اي بطرس) اسقفاً على الكنيسة التي أُقيمت في انطاكية ... وبعد اسقفيّته بسبع سنين ترك افوديوس خليفةً عنهُ وتوجّه الى رومية فصار اسقفاً على كنيستها»

وترى في جدول بطاركة انطاكية الذي نقلهُ لوكويان عن كتبة اليونان كبلسامون وغيره LEQUIEN : Oriens Christianus, I, 334 et 699 انَّ القديس بطرس يتقدَّم على جميع بطاركة انطاكية كأوّل الجالسين على كرسيّها. ومثلهم ميخائيل الكبير المؤرخ السرياني اليعقوبي في جدول بطاركة انطاكية (ed. Chabot III, 134)

ولم تكتفِ الكنيسة اللاتينيَّة بذكر جلوس بطرس على كرسي انطاكية في كلندارها بل اتّخذت لهُ عيدًا خصوصيًّا في ٢٢ شباط كتعييدها لكرسيّه في رومية في ١٨ كانون الثاني. ومن المعلوم انَّ الاعياد في الكنيسة لا تُقام إلّا لما ثبتت حقيقتهُ لدى احبارها

٤ شاهد اثري على كرسي القديس بطرس في انطاكية

هذا شاهد محسوس وقفنا عليه في تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي مكتمل تاريخ

سعيد بن بطريق (راجع طبعتنا لهذين التاريخين ص ١٢٨ــ١٢٩) قال يحيى في تاريخ سنة ٣٥٦ هجريَّة الموافقة للسنة ٩٦٧ مسيحيَّة عند ذكره ابن مانك قاتل بطريرك انطاكية كريصطفورس قال :

« وانفذ ابن مانك قبل الصبح قوماً الى كنيسة القسيان وقبضوا على ما وجدوهُ في منزل البطريرك وفي خزانة الكنيسة وعاقبوا الخازن الى ان أظهر لهم آنيةً كانت مستورة واخذوا الفضة والفرش وغيرها ايضاً ولم يتركوا غير النحاس ومصاحف ليس بكثيرة واخذوا اليهم كرسي مار بطرس السليح وهو كرسيٌّ من خشب النخل المصفَّح بفضة وحفظوهُ في دار شيخ من شيوخهم يُعرف بابن عُمر ولم يزل في داره الى ان ملكوا الروم المدينة »

فهذه الشهادة عن كرسيّ القديس بطرس الرسول تقطع بسهم جهيزة كلام كل خطيب. فلا نشكّ انَّ حضرة الكاتب البولسيّ يتَّخذها حجَّة للدفاع عن هذه الحقيقة التي من شأنها ان تشرّف طائفتهُ الملكيَّة وطوائف سائر البطاركة المنتمين الى انطاكية كالسريان والموارنة واللاتين

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء النصارى (تابع)

وتوفي في ٢٤ آذار من السنة ١٩١٠ الدكتور ﴿ الياس بك مطر ﴾ المولود في حاصبيا سنة ١٨٥٧ والمتخرّج في بيروت في مدرستي الثلاثة الاقمار والبطريركية ثمَّ في الكلية الاميركية فدرس الصيدلية ونال شهادتها في الاستانة ثمَّ اضاف اليها هناك درس الطب واتخذهُ الوزير الشهير جودت بك معلماً لابنه علي سداد ثم استصحبهُ الى

دمشق لما جاء والياً على الشام فعيّنهُ طبيباً للبادية ودرس الشرع هناك في مكتب الحقوق والشرائع الدولية فاصبح من الادباء الممتازين وهو يتقن التركية والافرنسية والانكليزية . ونشر في العربية كتابهُ تاريخ سوريا سنة ١٨٧٤ ثمَّ شرح مجلة الاحكام وانشأ مجلة الحقوق بالعربية والتركية فظهرت مدَّة خمس سنوات . ولهُ ايضاً كتاب حسن في علم حفظ الصحة

وفي هذه السنة عينها في شهر تشرين الاوَّل توفي في دلبتا المرحوم «الياس باسيل فرج» الذي خدم زمناً طويلاً مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف بصفة ناظر ومصحح مطبوعات . ونشر فيها من قلمه بعض الآثار النثرية والشعرية

خسرت الدولة المصرية في ١٧ أيار سنة ١٩١١ احد عُمَّالها الكبار «جرجس بك حنين» . وُلد في الفيوم ثمَّ درس في مدارس المرسلين الاميركيين ودخل في خدمة الحكومة في دواوينها المالية والادارية وهو في اثناء العمل يهتمّ بتوسيع دائرة مداركه ومراقبة احوال وطنه الزراعية والمالية والعمرانية حتى اصبح من اقدر رجاله في التدبير والسياسة . ووضع في ذلك كتباً نفيسة ألفتت اليها نظر ارباب الدولة فاتخذوها حجة في بابها منها كتابهُ الشهير «الاطيان والضرائب في القطر المصري» ومجموعه «قوانين الاموال المقرَّرة ولوائحها» وخطابهُ «في الضرائب العقاريَّة» . وكان المذكور احد الساعين الى اصلاح ملته القبطية والمولعين بدرس لغتها وتاريخها

ومن موتى السنة ١٩١١ في ٢٢ نيسان الكاتب الضليع «نجيب ابراهيم طراد» الذي ولد في بيروت سنة ١٨٦٠ ودرس بضع سنوات في مدرستنا الكلية ثمَّ أنِسَ من نفسه قدرةً على الكتابة فتقلَّب في عدَّة محلات في بيروت ومصر ونشر مقالات حسنة في جرائدها وانشأ جريدة الرقيب في الاسكندرية فلم تنل رواجاً فلزم العزلة في وطنه واشتغل بالكتابة فصنَّف عدَّة تآليف منها تاريخ الرومانيين وتاريخ الدولة الرومانية الشرقية وتاريخ مكدونيا وعرَّب بعض الروايات نأخذ عليه من جملتها تعريبهُ لرواية اليهودي التائه المشحونة كذباً وافتراء

وبعد نجيب ابرهيم بسنتين في ٧ حزيران ١٩١٣ أُصيب آل طراد بفقد احد اعيانهم «الياس جرجس طراد» ولد في بيروت سنة ١٨٥٩ ودرس في المدرسة الوطنية البستانية ثمَّ تعاطى التعليم والمحاماة وصار عضواً في محكمتي البداية

والاستئناف ودخل الجمعية العلمية السورية وساعد الجمعيات الخيرية وخطب في النوادي الوطنية . ولهُ آثار كتابية حسنة كتعريب عدَّة روايات تمثيلية وفصول عديدة في القوانين والنظامات وفي السياسة والعمران نشرها في صحف الاستانة وسورية ومصر وصنَّف ترجماناً في اللغتين الانكليزية والعربية ولهُ ارجوزتان في الفرائض والجزاء . وقد جمع مآثرهُ جناب الاديب جرجي نقولا باز في مجلد واسع قدَّم عليه ترجمة حياته وضمَّنهُ كثيراً من شعره الطيِّب . فمن لطيف اقواله ما وصف به غضب النساء

غضبُ المرأة صعبٌ سادتي دونهُ كلُّ عناء وألمْ
كلُّ ما قالتهُ صدقاً كان ام خطأً قالت لها الناسُ : نعمْ
لم يَعُدْ امرٌ ولا حُكمٌ لهم فهيَ الآمرُ فيهم والحَكَمْ
قُل لمن خالف آراء لها : انت خالفتَ شعوباً وأُمَمْ
عُدْ وإلَّا صوَّبتْ الحاظها أسهماً ترميك عن قوس النقمْ

وقال في ملامة الجهال وطعنهم في العقلاء :

انَّ مقال الشعر من جاهلٍ لا يجلبُ الغمَّ لاهل النظرْ
كذلك الاحجار لا يُرتقى بها سوى الاشجار ذات الثمرْ

وقال بمعناه :

اذا رأينا حجراً اصاب كأس الذهبِ
فلا يزيد قدرهُ وقدرُها لم يَذهبِ

وفي اوائل السنة ١٩١٢ في ٩ كانون الثاني توفي الصحافيّ الشهير ﴿سليم عبَّاس الشلفون﴾ . ولد في بيروت سنة ١٨٥٣ وتعلم في مدرسة الآباء اليسوعيين في حيّ الصيفي واحكم فيها اصول اللغتين العربية والافرنسية ثم لازم الشيخ ابرهيم اليازجي بضع سنوات فأتقن الكتابة نثراً ونظماً ثمَّ اشتغل مع نسيبهِ يوسف الشلفون وحرَّر فصولاً في جريدة النجاح ووقف مذ ذاك حياتهُ على الصحافة فقضى معظم ايامهِ في خدمتها في بضع عشرات من الجرائد في بيروت كثمرات الفنون والتقدُّم والمصباح وبيروت ولسان الحال وفي الاسكندرية ومصر كالعصر الجديد والمحروسة . وسافر الى الاستانة ونال رضى ارباب الدولة العثمانيَّة وكان لمقالاتهِ السياسيَّة وقعٌ عظيم

فاثارت عليه غضب الحكومة المصرية فنجا بنفسه منها هارباً

وفي ١٨ آب سنة ١٩١٢ فقدت الآداب العربية احد انصارها ﴿الشيخ سعيد الخوري الشرتوني﴾ توفاه الله عن ٦٣ سنةً في ضواحي بيروت في الطيونة. كان مولده في شرتون من قضاء الشوف (لبنان) درس اولاً في مدرستي اعبيه الاميركيَّة وسوق الغرب الانكليزية وبعد أن حصل على مبادئ اللغة والادب صرف همّتهُ الى المطالعة والدرس الخاص فبلغ بهما مبلغاً حسناً حتى انتدبتهُ مدرسة عين تراز الى تعليم العربية ثمَّ درَّس في مدرسة الروم الكاثوليك في دمشق ثم في مدرسة الحكمة والمدرسة البطريركيَّة في بيروت ولم يزل مذ ذاك الحين يضاعف جهدهُ في اتقان الفنون الادبيَّة حتى برع فيها. ولما فتح اليسوعيُّون كليَّتهم اتخذوه كاستاذ لتلامذتهم وكساعد لتصحيح ونشر مطبوعاتهم فقضى في تينك المهنتين اكثر من عشرين سنة ولم يدعهما إلَّا للقيام بامور بيتهِ. ولم يزل مع ذلك يكتب ويصنف حتى اواخر حياتهِ. وكان باكورة مصنفاتهِ انتقادهُ على كتاب غنية الطالب ومنية الراغب لاحمد فارس الشدياق. ومن اكبر مؤلفاتهِ قاموس اقرب الموارد في ثلثة مجلدات والشهاب الثاقب في المراسلات والغصن الرطيب في الخطاب والمعين في تمرين الاحداث على الانشاء ومطالع الاضواء في مناهج الكتَّاب والشعراء ونجدة اليراع في اللغة وحدائق المنثور والمنظوم. وقد عُني بتحشية بحث المطالب للسيد فرحات. ونشر كتباً مفيدة كنوادر ابي زيد وفصل الخطاب مع مخاطبات فنيلون ولهُ عدَّة مقالات ادبيَّة وانتقاديَّة ومنظومات شتى في الجرائد والمجلَّات وقد امتاز في طول حياتهِ بفضله وصحَّة دينهِ

وفي ذات شهر آب من العام ١٩١٢ توفي أديب آخر ﴿الشيخ امين الحدَّاد﴾ شقيق الشيخ نجيب الحدَّاد. ولد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ وهو ابن سليمان الحداد وحنة ابنة الشيخ العلَّامة ناصيف اليازجي فنشأ في مهد الادب وجرى على مثال اسرتهِ الكريمة فبرع في العربيَّة وسار الى مصر فحرَّر مع اخيهِ الشيخ نجيب جريدة لسان العرب اليوميَّة ثمَّ تولى انشاء مجلَّات وجرائد غيرها كانيس الجليس والسلام والجامعة العثمانيَّة والبصير الى ان أُصيب بداء الكبد فعاد الى بيروت يطلب الشفاء فثقلت عليهِ وطأة الداء حتى ذهبت بحياتهِ. وللشيخ امين مقالات ادبيَّة في الضياء ومجلَّات اخرى. وكان شاعراً مجيداً فجُمع شعرهُ وطُبع في الاسكندريَّة. ومن

ظريف قوله في خزّان اسوان:

وما أنتَ خزّانُ المياهِ وطَسْبِها وإبليزِها بل خازن الدرّ والتبرِ
تدفّقتَ بالخيرات من كل جانبٍ وجمّعتَ اقطار المنافع في قطرِ

وقال يقابل بين امانة الكلب وغدر كثيرين من الناس.

نرى الكلب ما إن عضّ أذنَ نظيرهِ ونحن تَمَشْنا بعضَنا نُظراءَ
ويا عجباً للكلب زاد مودّةً على حين زاد العالمون جفاءَ
اقام مع الانسان منذ نشوئهِ يرافقهُ أنّى مضى وتناءى
تعلّم منّا كلَّ شيءٍ مطاوعاً سوى الغدر يصبو تُقىً وإباءَ
اذا ما رآنا خائنين وفى وإن رآنا نريدُ الغدرَ زادَ ولاءَ

وقد اشتهر قبل الشيخ امين ابوهُ ﴿الشيخ سليمان الحداد﴾ واخوهُ ﴿الشيخ نجيب﴾ فنُلحقهما بالشيخ امين. فالشيخ سليمان هو ابن نجم الحداد والد في كفرشيما وهاجر الى مصر فتعاطى فيها التجارة وكان شاعراً محسناً طُبع ديوان شعره « قلادة العصر » سنة ١٨٩١ في الاسكندرية فمن قولهِ رثاؤهُ للبرنس نابليون ابن نابوليون الثالث الذي قُتل في حرب الزولوس مع الانكليز:

الدمعُ بعدك في العيون قليلُ اذ انفقوهُ عليك وهو يسيلُ
لا بدعَ ان يبكيك شعبٌ ماجدٌ فيه لنابوليونَ انتَ سليلُ
يا تارك المجد الاثيل بأثمهِ في حالٍ يُتمٍ يعتريهِ ذُبولُ
لك مأتمٌ كلُّ البسيطة دارُهُ تبكي بهِ. وفؤادُها مشغولُ
تبكيك كل العالمين كأنّما لك كلُّ شعبٍ في الانام خليلُ
ظنوا وما علموا بأنّ ظنونهم عينُ الزمانِ وهم لديهِ تزولُ
يبقى بلُندنَ ذكر مجدك خالدًا ابدًا ومن باريسَ ليس يزولُ

ولم نقف على تاريخ وفاة الشيخ سليمان ولعلّهُ تخلّف عن وفاة ولديهِ

امّا ﴿الشيخ نجيب﴾ فانّهُ اصاب بنثرهِ وشعرهِ فخراً بلغ بهِ مبلغ الأدباء اليازجيين. ولد في بيروت سنة ١٨٦٧ وهاجر الى مصر مع اهلهِ سنة ١٨٧٣ فتعلّم هناك في مدرسة الفرير ثم عاد الى بيروت فتخرّج على خالهِ الشيخين ابرهيم وخليل

اليازجي وجرى على آثارهما . واخذ ينظم الشعر مع حداثة سنه ثمَّ استُدعي الى الاسكندريَّة فكتب في جريدة الاهرام المقالات المستحسنة مع عدَّة روايات تمثيليَّة احرز بها سمعةً واسعة . ثمَّ انشأ جريدة لسان العرب اليومية وحوَّلها بعد مدَّةٍ الى شبه مجلَّة . وقد امتاز بين أدباء زمانه بالتعريب وتأليف الروايات . وشعرهُ من افضل ما نظمهُ الشعراء العصريون . وقد روينا لهُ سابقاً قصيدتهُ في النيل وفي حريق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ . وقد طُبع ديوانهُ مرَّتين في بمبيدا سنة ١٩٠٦ ثمَّ في الاسكندرية بعد وفاته في السنة ١٨٩٩ . دونك مثالاً من نظمه قال وقد اقترحت عليه الحكومة المصريَّة نظم ابيات تُكتب على محطَّة القاهرة :

يا حُسن عصرٍ بعبَّاس الذي ابتسما ... حتى الحديدُ غدا ثغراً له وفما
طرائقٌ في ضواحي القطر تُبلغنا ... اقصى البلاد ولم نَنْقل بها قدما
مصرُ كصفحةِ قرطاسٍ بنُزْهتها ... غدا القطار عليها الخطَّ والقلما
ارضٌ جاكان خصب النيل منتثراً ... حتى اتاها قطارُ النار فانتظما
لنا غنىً من قطار السُحب منسجماً ... ولا غنى عن قطار النار مضطرما
يجري بها الرزق في جسم البلاد كما ... يجري دمٌ في عروق الجسم منتظما
محطَّةٌ هي قلبٌ والخطوطُ بدت ... مثل الشرايين فيها وانقطارُ دما
مع السلامة يا من سار مرتحلاً ... عنَّا واهلاً وسهلاً بالذي قدما

ومن أدباء النصارى المتوفين في السنة ١٩١٣ في ٨ شباط منهم الاستاذ شاهين عطيَّة اللبناني المولود في سوق الغرب سنة ١٨٣٥ درس في قريته مبادئ اللغة ثمَّ انتقل الى بيروت فتعلَّم فيها العلوم اللسانيَّة والمنطقيَّة على الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير . ثمَّ انقطع الى التدريس في مدرسة الروم الاورثذكس المعروفة بالثلثة الاقمار سنين طويلة وتولى تدريس طلبة الكهنوت فتخرَّج عليه غبطة بطريرك الروم الحالي وعدَّة اساقفة . وانتدبتهُ الجمعيَّة الفلسطينيَّة الى تعليم العربيَّة في مدرسة بيت جالا فخدمها ١٣ سنة وهو لا يزال يثابر على درس العربية ونوادرها وآدابها فنشر ديوان ابن قمَّام مع بعض تعليقات عليه وكذلك شرح رسائل ابي العلاء المعرّي شرحاً خفيفاً قبل ان يتوسَّع فيه لستاذ العربيَّة في جامعة اوكسفرد الاستاذ مرغوليوث . ونقَّح

بعض المطبوعات وانشأ الروايات التمثيلية كعاقبة سوء التربية وحكم سليمان. وقد جرى على مثاله ابنهُ الاديب جرجي افندي صاحب نسمات الصبا في منظومات الصبا

وفي السنة ١٩١٣ في ٧ نيسان توفي احد وجوه اسرة سرسق الكريمة ﴿جرجي بك دمتري سرسق﴾ ترجمان قنصلية المانية ورئيس الاحرار الماسونيين في بيروت والجاري على سننهم المتطرّفة بازاء الدين واربابهِ. كان مولدهُ في السنة ١٨٥٢ وتلقى علومهُ في المدرسة الوطنيّة وفي مدرستنا البيروتيّة القديمة واتقن العربيّة على الشيخ ناصيف اليازجي وساعدهُ علمه باللغات الفرنسويّة والانكليزيّة والالمانيّة على الاختلاط بوجوه الاوربيين. وممّا خدم بهِ الآداب العربيّة طبعهُ سنة ١٨٧٦ لتأليفهِ تاريخ اليونان عرّبهُ عن المؤرخ دوروي الفرنساوي مع بعض اضافات ووضع كتاباً في التعليم الادبي ضاربـاً الصفح عن التعليم الديني ولهُ مقالات ادبيّة وتاريخيّة شتى في جرائد مصر وبيروت ومجلّاتها

في هذه السنة ايضاً في ٧ آذار ١٩١٣ توفي في القدس الشريف الاديب ﴿هبة الله صرّوف﴾ المولود سنة ١٨٣٩ في دير البلمند حيث كان ابوهُ الخوري سبيريديون معلماً. درس اوّلاً على ابيهِ ثمّ تخرّج في مدرستي الروم الاورثذكس في دمشق ثمّ في القدس الشريف في مدرستها المعروفة بالمصلبة. ثمّ خدم طائفتهُ خدماً مشكورة وزار دير طورسينا وتفقّد مخطوطاتهِ سنة ١٨٧٠ ثمّ أُنيط اليهِ تصحيح المطبوعات العربيّة في القدس بدعوة البطريرك داميانوس سنة ١٨٩٩ وبقي هناك الى سنة وفاتهِ. ومن آثارهِ كتب دينيّة كثيرة بعض القديسين منها سيرة القديسين برفيريوس اسقف غزّة ويوحنا الكوخي والكسيوس وكتاب الفريضة السنيّة في الواجبات الكهنوتيّة ونشر مواعظ والدهِ الروض الداني القطوف. ولهُ ايضاً جغرافيّة فلسطين ومناهج القراءة

وفي ايّار من السنة المذكورة ١٩١٣ فقدت الصحافة العربيّة رجلاً من اساطينها ﴿سليم باشا الحموي﴾ المولود من اسرة ارثوذكسيّة في دمشق سنة ١٨٤٣ وفيها تلقّن مبادئ العلوم. ولمّا هاجر مع عائلتهِ الى القطر المصري انشأ في الاسكندريّة مع اخيهِ عبدالله اوّل جريدة يوميّة سياسيّة سنة ١٨٧٣ اشتهرت بالكوكب الشرقي. والحقها بجريدة «الاسكندرية» ثمّ بجريدة الفلاح التي انتشرت انتشاراً واسعاً وخوّلتهُ

الحكومة المصرية بسببها رتبة الباشوية ومنحته اوسمة مختلفة . ومن آثاره الادبية كتابهُ المنون ترجمان العصر عن تقدُّم مصر نشرهُ سنة ١٨٧٤

واشهر الادباء الذين غادروا هذه الفانية سنة ١٩١٤ وصيفنا ﴿جرجي بك زيدان﴾ ولد في بيروت في اواسط كانون الاوَّل سنة ١٨٦١ ودرس في مدرسة طائفته المعروفة بالثلثة الاقمار . ولمَّا فتحت الكلية الاميركية مدرستها الطبيَّة كان بين اوَّل الطلبة الذين انتظموا فيها وقد نشر عنهُ ابنهُ في الهلال خبر ما حدث في المدرسة من المنازعات التي كان لهُ فيها نصيب وافر ثمَّ ما حصل بين المعلمين من الانقسام بسبب التعليم بالانكليزيَّة بدلًا من العربيَّة . على انَّهُ لم يهمل دروسهُ الطبيَّة حتى نال شهادة المأذونيَّة فيها . ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٨٢ وحرَّر مدَّةً في جريدة الزمان المصريَّة ثم رافق الحملة الانكليزيَّة على السودان بقيادة غوردون باشا فقاسى فيها مدَّة ١٤ شهرًا ضروب الاتعاب ولقي اصناف الاخطار حتى نجا من اهوال تلك الحرب في اوائل السنة ١٨٨٥ . فعاد الى بيروت وصرفَ فيها سنةً يشتغل مع اعضاء المجمع العلمي الشرقي ونشر اذ ذاك كتابهُ الالفاظ العربيَّة والفلسفة اللغويَّة . ثمَّ سنحت لهُ الفرصة للسفر الى انكلترَّة فاكمل في لندن دروسهُ الطبيَّة واجتمع بمشاهير المستشرقين وتردَّد على المتحف البريطاني . ثمَّ عاد الى مصر وزاول الكتابة والتعليم في مدرسة الاورثذكس الكبرى . ثمَّ انتدبتهُ مجلة المقتطف ليكتب فيها فنشر عدَّة مقالات مستحسنة حتى امكنهُ من انشاء مطبعة على حسابهِ فاخذ ينشر فيها مجلَّتهُ الهلال الشهيرة في تشرين الاوَّل من السنة ١٨٩١ فلم يزل يديرها وينشئ مقالاتها الى سنة وفاتهِ . ولهُ فيها سلسلة روايات تاريخيَّة تكرَّر طبعها ونُقلت الى لغات شتى . ومن تآليفهِ التي أقبل عليها الجمهور لفوائدها كتاب تاريخ آداب اللغة العربيَّة وتاريخ التمدُّن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام وتاريخ مصر وجغرافيتها ومختصر تاريخ اليونان والرومان وتاريخ انكلترَّة وانساب العرب القدماء وطبقات الامم وعجائب الخلق . وممَّا لم تستحبَّهُ لهُ كتاب علم الفراسة الحديث مع ما فيهِ من الاوهام والخياليَّات . واقبح منهُ تاريخ الماسونيَّة العام الذي ذهب فيهِ الى مذاهب صبيانيَّة خرافيَّة اعتبرها كحقائق راهنة . على انَّنا لا ننكر انهُ كان احد اركان النهضة الادبيَّة الجديدة في الشرق الادنى

(لها بقيَّة)

الكاهن

او

انتقام شريف

رواية تمثيلية ، ذات مقدّمة وثلاثة فصول

بقلم الخوري مارون غصن (تتمّة)

الفصل الثالث

العدل والغفران

ردهة فاخرة ، على الطراز الهندي – رواق في مؤخرها – الى اليمين نافذة مستورة بستار كبير – الى اليسار اريكة (ديوان) .

المشهد الاول

عند رفع الستار يدخل ضابطان ، يتبعهما برهمي

الضابط الاول : أدخل ، يا مولاي ، وتفضّل بالجلوس (يشير الى الاريكة)

البرهمي : أتدري لِمَ يدعوني الامير اليه ؟

الضابط الاول : تقدّمَ الامير إليّ بأن أصعد بك الى هذه الردهة في قصره ... وهو يبغي استشارتك في أمر خطير ... تعلمُ أنّ الافرنجي قد قُبض عليه في كوخ أحد أشياعه ، فاختارك الامير لتسمع الحكم الذي سيُصدره عليه وتُثبته .

البرهمي : ان الآلهة — ولا ريب — سترضى عن الانتقام ممن تجرّأ على

إهانتها . واني لشاكر لولاي الامير ثقته بي

الضابط الاول والثاني : جيئوا بالأمير

(يدخل اوليفيه مقيد اليدين وراء ظهره ، وهو شامخ بأنفه ، لا يبالي ، وينظر متثبتاً ما حوله)

المشهد الثاني

الضابطان — البرهمي — اوليفيه

اوليفيه : ما عساهم أن يريدوا مني ايضاً ؟ . . . ولهذه الاستعدادات . . . وهذه الأبهة ؟ (يخاطبهم) أفي نيتكم ان تقضوا عليّ ؟ . . . او ان تعفوا عني ؟ . . . ما غايتكم ؟ انا لا اتوقع من فظاظتكم عدلاً ولا رحمة ؛ فاي عذاب قد استنبطتم لتعذيبي !

(يدخل الامير من الرواق الداخلي ووراءه حشم ، عليهم الملابس الفاخرة) .

الامير : مهلاً ! ستطلع عليه !

اوليفيه (هازئاً) : اذن انت تتبع اثري . . . (بحزم) انا الآن امامك أعزل . . . فهل لك ان تكف عن تعريضي ؟ !

الامير : انت مخطئ في ظنك . . . ما جئت استذلك ، وانت أسير . . . لقد تجرأت على الاسد ، فوقعت في عرينه ، فلم يبق امامك الا الموت !

اوليفيه (باحتقار) : ومن حكم عليّ ؟

الامير : حكمت عليك محكمة القوي على الضعيف

اوليفيه (يتقدم بجرأة) : هوذا صدري ؛ فاطعن !

الامير : لديّ جلادون

اوليفيه : يا لك من بربري !

الأمير (بسكون) : بربري ! تلك اكبر اهانة يهينا بها الرجل المتمدن . . . أتحسبك ، متى تلفظت بهذه الكلمة ، أنك قد قلت جميع ما تود أن تقول . هذي مرة ثانية ترشقني فيها بهذه الكلمة الجارحة ؛ وهذا هو السبب الذي من أجله

أردتُ أن أجعلك تحت سلطتي ... وها قد أصبح الآن كلٌّ منّا إزاء الآخر ، يا أوليفيه سمبتون ... ها هو التمدن ، امام البربرية !

اوليفيه : تقول قد حُكم عليّ حُكماً ... مُبرَماً ... فما نتيجة كلّ هذا الكلام ؟

الامير : لو كنتَ بربرياً مثلي ، لما تأخرتُ الى الآن عن سفك دمك ، بل كنتُ قتلتك في الحال ! انتم ، المتمدنين ، تجرّعون المحكوم عليه كأس العذاب حتى الثمالة ... أمّا أنا ، فأرى ان موتك لا يشفي غُلّي ... فلا بدّ من تجريعك عذاب النزاع طويلاً .

اوليفيه : اذن انت تملّ النفس بان ترى نزاعي يطول ؟ فما هذا عدلاً ، بل انتقام ... عجّل ، يا راوو سنجور ، عجّل واحزّ عنقي !

الامير : ألا تأسف على ما كان منك ؟

اوليفيه : وما يهمّك أسفي ؟ !

الامير : ان الموت في ساحة القتال ... تحت عين الشمس ... بين قعقعة السلاح ... وهتاف الظفر ... هو نصيب الجنديّ البطل ... وانّ إغماض الجفون ، في مساء يوم سعيد ، بين الاهل والأصدقاء ... دون خوف ولا اضطراب ... هو موت الصالح البارّ ؛ امّا انتظارُ عذابٍ تُعدُّ آلاته على مهل ... وبسط النطع ، وهياج الجلّادين لتنفيذ الحكم ...

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : أو تحسبُ ، يا راوو سنجور ، انك تخيفني بما تقول ؟ ... تفرّس في وجهي ، فترى خيبة ظنك !

الامير : انا عارفٌ أنك قد تعوّدت اقتحام المخاطر .

اوليفيه : ما تعني بهذا ؟ ... أفصِح ... اذا كنت تشاء ان تشفي الغليل ، فنادِ جلّاديك ... فأنا مستعدّ .

الامير : مستعدٌّ انت ، يا اوليفيه سمبتون ؟ اذن تحسبُ نفسك رجلاً باسلاً ... وقد طالما حاولتَ ان تُريَني منك عزماً أشدّ من عزمي : فها انا أقيسُ قوّة نفسك (هازئاً) وأرفع ذاتي واتطاول حتى اصل الى مستوى بسالتك ... العالية . (يهزّ اوليفيه كتفيه باحتقار) — (يشير الامير الى الضابطين ، فيفكّان قيوده)

اوليفيه سيبترون . . . أمامك من الحياة ليلةٌ واحدة . . وأنا لا أزجُّ بك في سجن . . بل اجعلك في هذه الرَّدهة . . . ردهة لا ينقصها شيءٌ من الأُبهة التي تعوَّدتها . . . سجنُ ماوك ، تلبث فيه حتى الصباح .

اوليفيه (ينظر الى الامير باحتقار ، ثم يذهب فيجلس على الاريكة)

الامير : أجل ! تلبثُ وحدك في سكون هذا الليل المهيب . . . ولكن ، مهما أصممتَ أذنيك ، فستسمع صوتاً يطنُّ في مسمعيك . . . صوتاً يقذف الذُّعر في حشاك ، فتضطرب اضطراباً . . . ذلك الصوتُ ، هو صوتُ ضميرك ! . . . ستمرُّ أمام عينيك كلُّ اعمال حياتك ، كلها . . . كلُّها . . . وربما انتصبت أمامك خيالاتٌ وأشباحٌ ، ورؤى . . . (اوليفيه يخفض رأسه مضطرباً) . أجل ! طأطئ الرأس ، طأطئهُ ! . . . في عينيك ما يؤذن بانك انت من الذين افسدوا اوطانهم بالمعاصي ، فطُردوا منها طرداً ! . . . أجل ! ظني هذا ثابت ، لا مجازَ الى الشكّ فيه !

اوليفيه : منذ حين ، كان كلامك عدلاً ، وصوتُك رزيناً ، ساكناً . . . اما الآن ، فارى انَّ السُّخط قد بلغ منك . انت الان تتهضَّمُ ، وتتنقَّصُ عدوّاً مغلوباً على امره ؛ فها انا اعودُ أراك بريئاً قاسياً ؛ واني لاوثر ان اراك على هذه الحال ؛ فسِرْ في كلامك !

الامير : غداً ، عند بزوغ الفجر ، اعود اليك . وان كنت رجلاً حقاً ، رأيتك خاضعاً للموت ، منقاداً . . . اما اذا كنتَ لصاً دنيئاً ، فلا تتوقَّعْ ان ترى وجهي .

اوليفيه : ماذا تُريد بما تقول ؟

الامير (يفتح النافذة بتراخٍ) : تفرَّسْ . . . انَّ هذا الحصن مرتفعٌ جداً ، وهو يُطلُّ على هوّة هائلة . . . فاذا وثبتَ منهُ ، تحطَّم جسدُك على الصخور . . . فثبْ من هنا ، ان استطعت . (يتجه الى اليسار) وهنا امامك آلاتُ سلاح ؛ فاختر منها ما شئت .

اوليفيه : تظنُّ ، يا راوو سنجور ، انك قد استدركت كلَّ أمر ؟ وانك جشَّمتني ما لا أُطيق ؟ ضلَّ عقلك ، وخاب ظنُّك ! فأنا لا أخاف عذاباً ، ولا تهديداً ، ولا توبيخَ ضمير ؛ بل أسعى الى النجاة بصلابة حزمي ! وما من شيء يبلبلُ بالي ! فلا ازال ، الى آخر نسمة من الحياة ، معتصماً بصخر ارادتي ، وجبَل جأشي .

الامير (هازاً كتفيه) : متكبّر، متغطرس ! (حركة في الخارج — يدخل ضابط حاملاً مرفقة عليها رسالة يقدمها للامير جاثياً)

الضابط : مولاي الامير.

الامير : ما هذه الرسالة ؟ (يفضها ويقرأها، فيمزقها مغضباً) جسارةٌ وقحة ! يعرضون عليّ فديتك ! يحاولون ابتياع حياتك مني ! حمقى، ابناء قوم جاهلين ألا فليعلموا أنّ لا قيمة للمال عندي، فانما أريد اذلالك والحطّ من كبريائك ! . . . (للضابط) من الذي يعرض عليّ هذا ؟

الضابط : هو، يا مولاي، رجلٌ من الافرنج، قُبض عليه في كوخ أجلسه ماهال.

الامير : اين هو الآن ؟

الضابط : في ساحة القصر.

الامير : عليّ به. (للبرهمي) تعال . . . بعد قليل أعود اليك، يا اوليفيه سنمتون. سيروا بنا. (يتبعه الجميع — اوليفيه ينظر الى الامير وهو خارج — صمت — يتقدم اوليفيه الى مقدم الممثل، ثم يستلقي على الاريكة).

المشهد الثالث

اوليفيه وحده

اوليفيه : قُضي الامر . . . وانقطع كل أمل . . . آه ! اذن لا تستطيع الايدي المخضبة بالدماء ان تُشيّد سعادةً ثابتة ! أجل ! لم يبقَ من رجاء ! (صمت) بلى ! فلأدافعنّ عن نفسي، ما اختلجت فيّ حياة ! . . . ليس إلا سبيلٌ واحد: الجهاد ! الجهادُ الدائم ! ما من وسيلة الّا السعي وراء النجاة من هذا المكان. لنرَ ! (يسرع الى النافذة) آه ! ما غشني في ما قال . . . هوّة مخيفةٌ هائلة . . . (يرجع مسرعاً) ما الحيلة ؟ ما العمل ؟ آه ! (يُسرع الى الباب الذي في مؤخر الممثل، وينصت) . . . وَطء خُطى مُنتظمة . . . هي خُطى الحرس في هذا الدهليز. (يتناول خنجراً من الاسلحة المعلقة في الجدار) خنجر عريض المضرب، ماضي الشفرة . . . لأنتظرنّ هنا، حتى، اذا فُتح هذا الباب، طعنتُ أوّل داخل، وهجمتُ الى الامام، وجندلتُ

كلّ من يعرض لي ، حتى أنجوَ أو أجندَل ! (يقف الى جانب الباب — حركة في الخارج) آه ! أتوا !... الويلُ ، الويل ! (يُفتح البـاب — يهجم اوليفيه ، فيرى جوفروا ، فيرجع مضطرباً) جوفروا !... انـه هو ، ! (يتجـه الى الاريكة ويستلقي عليها ، والخنجر بيده).

المشهد الرابع

اوليفيه — جوفروا

جوفروا (متجهاً الى اوليفيه) : ويحك ، يا تعس ! على ما كنت قد عوّلت؟

اوليفيه : ما اتى بك ؟ ما تريد ؟

جوفروا : أريد ان أنقذك ، او اموت معك !

اوليفيه : أنت ؟ !

جوفروا : نعم ، يا اوليفيه ! ما بلغني الخطرُ الذي انت فيه ، حتى اسرعتُ ، وانا آملٌ ان لمانَ الذهب يُوقف الامير عن عزمه ؛ فأتيت...

اوليفيه (يقطع عليه الكلام) : ان راوو سنجور لا يُعيدني الى اهلي الّا شلوًا مقطّعاً . لو علمتَ ما جُبل عليه هولاء البرابرة من الحقد ، لما غرّرتَ بنفسك !

جوفروا : اتخلّى عنك ؟... انا ؟... لا ، فقد عاهدت النفس ان اكون حيث يكون المتألمون...

اوليفيه (هازئاً) : نعم... حسبتَ انّ ثوبك يكون لي حمىً... وانْ لا خوف عليك في تعرُّضك لسخطِ عدوّي ! أوَ تظنّني أغترُّ بذلك ؟... قد حاول راوو سنجور ان يُخمد عزيمتي ويبثّ في عضُـدي ، فأخفق . وها هو يستعين بسلاح مسموم ، ليُطيل عذابي ونزاعي... وهذا السلاح قد جعلتهُ انت في يده ، أنت !

جوفروا : انا ؟ !

اوليفيه (ساخطاً) : أجل ! قد تمكّن اخيرًا من الحصول على هذا السلاح الذي كان ينقصه !... فاستبشرَ وأرسل إليّ الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يخيفني ويتنصر عليّ... فجعلك معي في سجني ، انت ، ايها الكاهن ! (ساخرًا) لا ريب انك قد اعددت عظتك ! فهات ! تكلّم ! فانا أُصغي اليك...

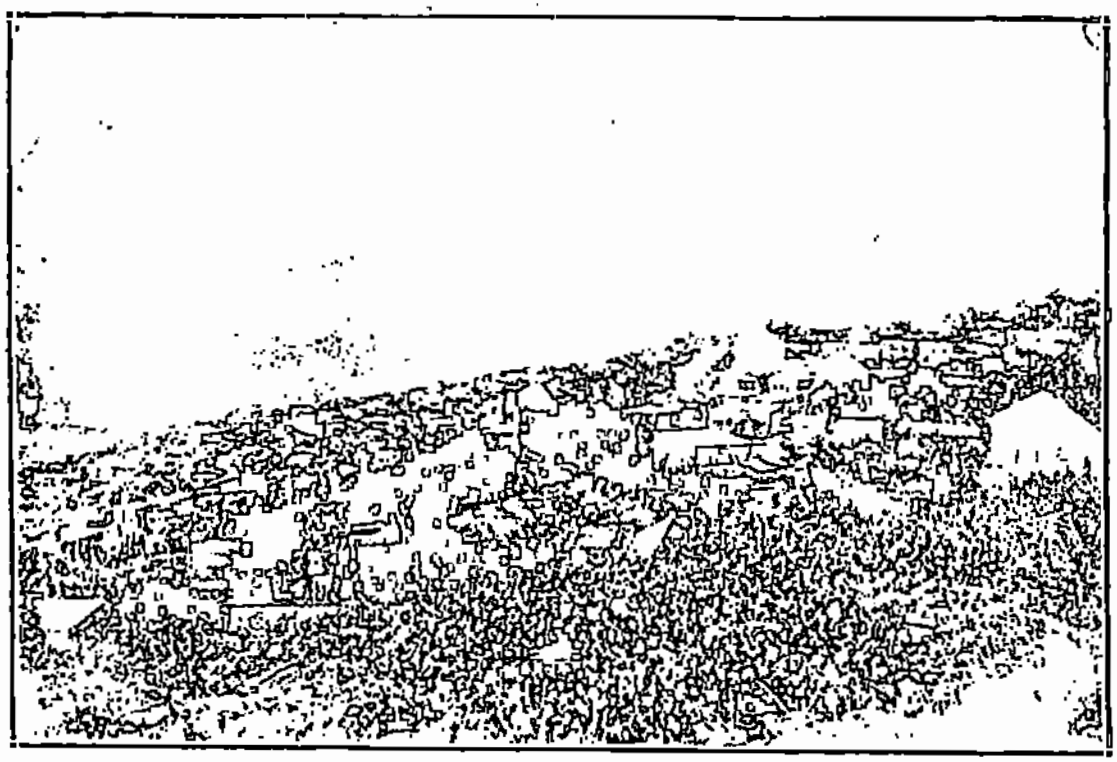

قصبة قرطبا

جوفروا : لا افهم ما تقول ... لم يتنازل الامير الهندي الى مكالمتي ، ولا اصغى اليّ ، بل رشقني بنظرة غضب ، وأمرَ ... فأصعدوني الى قمة هذا القصر .. وفتحوا باباً ودفعوني الى الداخل ... فلقيتك ، والخنجرُ في يدك ، فظننتُ ان اليأس حملك على الانتحار ، فامسكتُ يدك عنه ... ولا علمَ لي بغير ذلك .

اوليفيه : اذن انا أُطلعُك على الباقي : قد تسلحتُ بهذا الخنجر ، ووقفت وراء الباب ، أترصّد ، وانا عازمٌ ان أجندل كلَّ من يقف في سبيل فراري . (ينهض) وكنتُ واثقاً بالنجاة ، فاذا انت داخلٌ عليّ ! ... أجل ، كنت انتظر درع جنديّ ، فاذا انا امام ثوب كاهن ... وبدلاً من عدوّ شاكي السلاح ... ظهر وجهك الشاحب ... ألا ان صداقتك الشؤمى ...

جوفروا (يقطع عليه الكلام) : أوليفيه ، اراك في حالة تكادُ تخفى فيها عليّ .

اوليفيه (مغضباً) : انت جلّادُ النفس ! انت أشدُّ هولاً من كلّ جلّادٍ شاكي السلاح ! آه ! هو القضاء جعلني أرزحُ تحته !

جوفروا (بانعطاف) : صديقي اوليفيه ! سألتك باعزّ شيء لديك ، ان تُصغي اليّ !

اوليفيه : كنتُ ظانّاً اني ما عدتُ اراك اصلاً ... فساقك القدرُ اليّ ، فماذا تُريد ان تصنع ؟ (يجلس وينظر الى جوفروا بهيئة ساخر) .

جوفروا : أُريد ان اتدرّع بكلّ ما عندنا من قوّة وحزم ! أشاء ان نتوسّل بكل الوسائل للنجاة من هنا !

اوليفيه (مُدهَشاً) : أحقّاً تقول ؟

جوفروا : نعم ! وهل في كلامي شكّ ؟ ! أجل ! لا شيء يدعونا الى التضحية بحياتنا ارضاء لسخط الساخطين !

اوليفيه : عجباً ! حسبتك تعظني بالاستسلام ... فأنا لا اكتمك اني أوثر الحياة في الدنيا على الحياة في الاخرى .

جوفروا (يكون قد اتجه الى النافذة ، فلا يسمع العبارة الاخيرة) : هوّة هائلة ! فمن هنا لا نجاة . (يُسرع الى مؤخّر المسرح) هنا المجاز الوحيد .

اوليفيه : مجازٌ وحيد!... لكنّ الحرس عليه ساهرون! (بغضب) ماذا اتيت تطلب في هذا المكان؟!... من دعاك؟ ما انت الّا بريدُ الشؤم!... من هذا المجاز كنتُ عازماً على الفرار، فانجو او اقتل... فظهرتَ لي.. فاحجمتُ.. انت تعرقل مسعاي... وتجرُّني الى الهلاك!

جوفروا (حزيناً، متردّداً) : آه! لو تدري ما لك في قلبي من الحبّ والاخلاص، لعدلت عن تعنيفي... اوليفيه، انا احترم فيك ذكرى ابي... فاذا كنتَ قد امسيت على حافة الهلاك، فاسألك بحقّ صداقتك لابي، ان لا تقضي دقائقك الاخيرة، بين الشتائم والبغضاء! بارك الربّ الذي ارسلني اليك!

اوليفيه : ماذا؟! أبارك الربّ الذي ارسلك اليّ؟!

جوفروا : ايُّ منفعة لك في السخط على ما قسمهُ الله؟ اراك تنوء تحت أحمال الاسى... فانهض! وهيّا نتعلّم الاحتمال! نحن على ابواب الابدية؛ فهيّا نحني الرأس تحت يد العناية الالهية.

اوليفيه (ساخراً) : العناية الالهية؟... اليك عن هذه الاوهام! ما شأنُ العناية الالهية في ما نحن فيه؟ وماذا تعمل الآن عنايةُ إلهك؟! لقد اوقعتك، انت الرجل البارّ، في مثل ما اوقعتني فيه... ان المقحام الذي تعوّد خوض الاخطار... (يتوقّف مرتعداً مما ازمع ان يقول).

جوفروا : لا تشكُّ من العناية الالهية، ولا تتذمّر... فهي التي اوصلتني اليك لاحمل اليك النجاة او الرجاء والسلوى.

اوليفيه (ساخطاً، متمشياً، مضطرباً) : صهْ!... اني عن تعزيتك لفي غنًى... انّ حنانك يملأني خجلاً... فلا تزدْ على ما قلت... ان وداعتك الكهنوتية توقد في صدري نار السخط... وكلما زدتَ استسلاماً لعناية إلهك، يزدادُ هياجي وعجزي!

جوفروا (مستشيطاً) آه! الآن شعرتُ بما في صدرك... انّ فيه اضطراباً وخوفاً... هو ضميرك يحاربك وينهشك... وانت تقول: «لا أريد!» وانا! بقوة من الملاء اقول لك: أريد، نعم أريدُ انقاذك وخلاصك!

اوليفيه (بسخط عظيم) : اليك عني! توارَ؛ والّا!... حذارِ، حذارِ

ان تعود تفتح فاك ، فاني ما عدت أملكُ النفس عنك ! لا سبيل لي الّا الهرب من وجهك ! (يركض الى الباب) هذا الباب . . . وراءهُ الحق والموت . (يثب الى النافذة) من هنا . . . من هنا اشكُّ الخنجر بين الصخور واستعين به على النزول . . .

جوفروا (يرتعد من مخاطرة اوليفيه بنفسه ، ويتكئ على الاريكة ويضمّ يديه ويهتف من اعماق قلبه) : الهي ! الهي ! الهي !

اوليفيه (بينما هو يحاول النزول من النافذة ، يرجع فجأة مضطرباً) : ماذا اسمع ؟ . . . ماذا قال ؟ . . . هل عادتِ الاموات ؟ . . . كأني سمعت صوت ذاك ! فاني حين طعنتهُ ، صاح ايضاً : « الهي ! الهي ! الهي ! » (يرتجف ويُسند ظهرهُ الى الجدار ، جهة اليمين) .

جوفروا (آتياً اليه) : ما بك . . . يا صديقي العزيز . . . ان هوسك يُصدّع قلبي . . . ماذا دهاك ؟

اوليفيه : انا . . . لا شي . . . لا شي . . .

جوفروا : ماذا تُنكر عليَّ ؟ هل لي اليك إساءة ؟

اوليفيه : لا ! لا !

جوفروا : أما انا صديقك . . . بل ألستُ كولدك ؟ . . .

اوليفيه (يتنهّد بشدّة ، ويذهب الى الجهة المقابلة) : اليك عن هذا ! أتحسبني صديقاً لك ؟ (راجعاً الى جوفروا) انا امقتك مقتاً . . . أسامع انت ؟ . . . اكرهك لانك صالح . . . نعم اكرهك !

جوفروا : وانا ! أودّك ، وأحبّك ، وأرثي لحالك !

اوليفيه (بغضب شديد) : لا ! لا ! (يضرب صدره) انت غيرُ عارف ما في هذا الصدر من البغض . . . لك . . . ولكلّ من دُعي تريمادان !

جوفروا : أبي ! أبي !

اوليفيه (هائجاً) : ابوه ! ابوه !

جوفروا (مُلحّاً عليه) : ألا تُصيخ لي الآن ؟ ألا تُصيخ ؟ . . . ان هذا الاسم يذكّرك تذكارات عديدة . ابي كان يحبّك . . . أواه ! انا ذاكرٌ تلك الدقائق الاخيرة . . . وغيرُ ناسٍ حنانك ، في غد ذلك اليوم المشؤوم ، حين عانقتني وضممتني

الى صدرك، انا اليتيم المسكين... جميع هذه التذكارات تهزُّ الآن قلبي... في ذلك الحين، هجرتُ وطني، واهلي... والآن بعد خمس عشرة سنة، قيّض الله لي ان أراك، انت ابي الثاني، وتدفعني عنك؟ (يضطرب اوليفيه) آه! لا تردَّ يدًا أمدُّها لمصافحتك! (بحزم) اوليفيه، قد شعرتُ بما انت فيه: إنّ في ضميرك جرحًا يسيل.. نعم، انت تُخفي في طيات نفسك ألمًا... حسرةً... أظنُّها مسبَّبة عن ذنب!

اوليفيه : ذنب؟! انا؟!

جوفروا : نعم! وقد قرأت ذلك في عينيك... انت ريشةٌ في مهبّ الرياح... وربّما أدّى بك ذلك الى خسارة الضمير. هيّا! تشجّع! انت الآن على شفا الموت؛ فافتح لي قلبك. اركع، فتنهض مطمئنًا قويًّا.

اوليفيه : انا اجثو بين يديك؟! انا؟!

جوفروا : في ميادين القتال، في ساحات الشرف، ايام كان آباؤنا الامجاد يضحّون بدمائهم في سبيل انشاء الوطن، ما كان الابطال يخجلون من الاقرار بذنوبهم، حتى الى آبائهم بالسلاح... ثم كانوا يموتون، وعيونهم ناظرة الى السماء، وايديهم على مقابض سيوفهم..... أوليفيه، انا اليوم مستعدٌّ لسماع اعترافك.

اوليفيه (بعنف) : ولكن ألا ترتاع من سماع أهوالٍ يشبُّ لها قلبك في صدرك؟... أتحسبُ أنك واجدٌ في قلبك مغفرة لأفظع الجرائم وأشدّها هولًا؟

جوفروا : أنا مُصغٍ اليك بلا وجل؛ فقل ولا تخشَ... إنّي عبدٌ لسيّد الرأفة والحنان؛ فمهما يكن شأن الخاطئ الآتي إليّ، فلا استطيع الّا أن أغفر له، وأصلّي من أجله.

اوليفيه (بخشونة) : أنت، من خمس عشرة سنة، تمزج في صلاتك ذكرَ أبيك بذكرِ قاتله...

جوفروا : يا للذكر الهائل! (صمت) الهي! ابي! آه! أوَ استطيع أن أنسى...

اوليفيه (بابتسامة ساخر) : اذن لم يمرَّ ذكر الثغران قطُّ بقلبك! أهذا هو منطق الكهنة أمثالك؟

جوفروا : إنك تقاسي القلب... أسرعتُ اليك بفؤادٍ مملوء حنانًا ورأفة؛

وأنا في أشدّ الاخطار ، أسعى خلاصك ! وأنت تسخر بي وتهزأ . . . أنا أصلي من اجلك ، وأنت تزق حشاي . . . أحبك ، وتبغضني . . . اوليثيه ، بماذا أسأتُ اليك ، حتى تسومني أشدّ عذاب ؟ . . .

اوليثيه (ساخرًا) : آه ! . . . آه . . .

جوفروا : فضلًا عن أنّ ذاك الشقيّ قد كفّر عن جرمه . . . وتقدّم من الموت نادماً ، باكياً ! . . . وقد غفر الله له ، وأنا ايضاً غفرت .

اوليثيه : غفرتَ ؟ لمن ؟ لذاك القرويّ يورني ؟ (بغلظة وسخريّة) انه لبريء مما عُزي اليه !

جوفروا : بريء ؟ بريء ؟ . . . لا ! يا للهول ! أنت تريد أن تقذف الذعر في قلبي . . . اليكَ ، اليك عن هذا !

اوليثيه : قلت لك الحق . ليس القرويُّ يورني بقاتل المركيز دي تريادان .

جوفروا : ماذا ؟ أما وجدوا قبعتهُ ، وحذاءه ، وثوبه ملطخاً بالدم ؟

اوليثيه : كان الجاني قد أعدّ كل ما يلزم لإبعاد الشبهة عنه .

جوفروا : اذن هذا هو السرُّ الذي كانت نفسك رازحةً تحته ! هذا الشقيّ تعرفهُ أنت ؟

اوليثيه (بسرعة) : أعرفه .

جوفروا : أحيٌّ هو ؟

اوليثيه : حيّ .

جوفروا : حيّ ! ومن هو ؟ قُل !

اوليثيه (ماذا صوته) : لا !

جوفروا (متألماً) : آه !

اوليثيه : أراكَ عُدتَ أنساناً ، يا جوفروا دي تريادان ، وها قد استولى الغضب عليك ، فاستغث بإلهك ، ناده لمعونتك . . . فلعله يستجيب !

جوفروا : ما اسم الرجل ؟ ما اسمه ؟

اوليثيه : هل تغفر له ؟

جوفروا : اذا كان نادماً ، فالله يغفر له .

اوليفيه : هذا الاسم يملأ صدرك رعباً ... هـذا الاسم ، أبوك ، وهو يجودُ بروحه ، كرّره ثلاث مرات ...

جوفروا : نوبر !!! ... يا للهول ! ربّه ! ربّاه ! أشفق عليّ !

اوليفيه (ساخراً بارداً) : اغفر الآن ! ...

جوفروا : نوبر ! ... اسمُ من كنت أعزّه ! ... هذا محال ! ... أن أغفر ؟ آه ! ضاع رشدي ! (مسرعاً الى اوليفيه) ويحك !

المشهد الخامس

(يدخل الامير ويتوقّف عند الباب)

جوفروا (يتوقّف في وسط المسرح ، ورأسه بين يديه ... وعقله تائه ... ثم يلتفت فجأةً الى الامير ويجثو مشيراً بيده الى اوليفيه ويقول) : مولاي ، اعفُ عن هذا الرجل !

اوليفيه (مُدهَشاً ، مبهوتاً) ماذا أسمع ؟

الامير : أعفو ... عنه ؟

جوفروا (يستمرّ جاثياً) : نعم ! أنا على قدميك منطرح ، يا مولاي ؛ فجُد ، جُد عليه بالعفو والسماح ! واذا كان لا بدّ من ضحيّة ، فها أنذا ؛ واعفُ عنه !

اوليفيه : آه ! (يستند الى أحد أعمدة الردهة) .

الامير : أن أعفوَ عن اوليفيه سمبتون ؟ ... ايها الكاهن ؟ .. أنت تطلب المحال ... قد أمضيتُ الحكم بالموت ؛ فلا تحاول إلانة قلبي . قد حكمتُ ولا رجوع ! ... كلُّ شيء مُعَدٌّ في الغرفة المجاورة ... اوليفيه سمبتون ، حلّ أجلك ؛ فتهيّأ !

(يخرج الامير — اوليفيه يستمرّ رازحاً ، مستنداً على العمود) .

جوفروا (يدنو منه) : اوليفيه ، قد بذلتُ جهدي لانقاذك ...

اوليفيه (كأنه ضائع) : لا تدنُ مني ... تباعد ...

جوفروا : اسألك الصفح عن تردّدي لحظةً في المغفرة ... فقد خانتني القوّة

وهاج الحنان البنويّ في قلبي . . . لكنّ ربّي جاد بالنعمة عليّ !

اوليفيه : أن أصفح عنك ؟ أنا ؟ ويلي ! أنا أرشقُ وجهك بالشتم . . . وانت . . . لا ، هذا محال . . . لا تدنُ مني .

جوفروا : اوليفيه ! . . . (يأخذه بيده) أخي !

اوليفيه : أنا ! أخوك ! . . . (متأثراً جداً) .

جوفروا (بغاية التأثر) : آه ! بحقك ! قل ، قل تلك الكلمة . . . قلها . . . فتخلص ! ليصرخ قلبك نحو السماء ويهتف : « ربّاه ! » فتأتيك المغفرة !

اوليفيه (يجثو مضطرباً) : آه ! غلبتُ ! ربّاه !

جوفروا (يرفع عينيه الى السماء) . . . لك الشكر ! نجا !

المشهد السادس

يدخل الامير وحاشيته — ايفون وموريس

الامير (مشيراً الى اوليفيه) : الى الموت !

اوليفيه (ينهض بثبات جأش) : هيّا !

موريس : آه ، ياسيدي اوليفيه ! . . .

ايفون : وا سيّداه !

اوليفيه : ايها الاصدقاء ، صلّوا من أجل مَنْ هو الى الموت ذاهب . (يسكون) هيّا ! هيّا !

جوفروا : أنا أرافقك . (يخرجون)

الامير (مُدهَشاً) : هل نظرتَ الى وجهه ؟

البرهمي : عجباً من تغيّره !

الامير : تُرى ما سبب ذلك ؟ . . . منذ حين ، كنت أرى في عينيه يأساً يمزّق نفسه ؛ فكيف استطاع هذا الكاهنُ المسيحيُّ ان يُغيّرهُ هذا التغيير ؟ ! لقد

شاهدت ضياء السعادة على ذلك الجبين الذي لم أرَ عليه ، من ذي قبل ، الّا الكبرياء والجزع !

جينور : ما يكون هذا الدين السامي ، الذي يُغيّر الناس فجأةً من حالٍ الى حال ؟ !

المشهد السابع

السابقون — يرجع جوفروا

جوفروا : مات ، وعيناهُ الى السماء ، والفرح من قلبه يفيض . (للامير) ايها الامير ، اذنت لي ، فتممتُ بما يجبُ عليَّ ؛ فتنازل واقبل أحرَّ شكري . واني اسأل الله ان يُجزل لك الثواب !

الامير : ارى نفسي صغيراً أمام عظمتك ، يا كاهن ! اذهب ؛ فانت حُرّ ! (مشيراً الى موريس وايثون) اذهب مع ذويك . حيثما وجدتُ نفساً شريفة ، أديت اليها الاحترام .

جينور (لجوفروا) : وانا اتبعك الى حيثُ تمضي ؛ فمعك أريد ان احيا ، وأموت !

جوفروا : نفسان في يوم واحد ! ربّاه ! لك الشكر ! (صمت) ايثون ، اذا رجعتَ الى قصر روكلور ، أنت وموريس ، فاسألك ان تجثو عند قبر ابي ، وتقول له ان ابنه قد بدأ رسالته بالرحمة والغفران . . . ونفسُ ابي ، من أعلى السماء ، تفهم ما تقول . (سكوت) وداعاً ، ايها الاحباب ! أنا ماضٍ مع جينور . (رافعاً عينيه الى السماء) اللهمَّ بعد هاتين النفسين اللتين وهبتنيهما ، متى تهبني نفحة الاستشهاد ؟ . . .

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث الثالث عشر

بيروت في القسم الاخير من القرن التاسع عشر الى يومنا ١٨٦٠—١٩٢٦

ان اخبار بيروت في هذه الحقبة الاخيرة لا يمكن حصرها في صفحات قليلة وكثير منها يصعب تدوينهُ وهو يمس اشخاصاً قريبين من عهدنا تقتضي اللياقة السكوت عن اعمالهم ومن ثمَّ لا نستطيع ان نروي منها إلَّا ما ذاع وشاع

وتسهيلاً للاحتياط بتاريخ بيروت في هذه المدة نقسم بحثنا الى ثلاثة ابواب نخص الاول منها لبيروت السياسيَّة والثاني لبيروت الدينيَّة والادبيَّة والثالث لبيروت الاقتصاديَّة

الباب الاوَّل : بيروت السياسيَّة

زادت بيروت تقدُّماً ونجاحاً بعد ان نُقلت اليها دوائر اشغال الدولة العثمانيَّة في اواسط القرن التاسع عشر لسقوط عكَّا واهمال صيداء. إلَّا انَّ احوال لبنان السيئة كانت تؤثر فيها تأثيراً ظاهراً. ولمَّا منح الباب العالي سنة ١٨٥٦ باغراء الدول الاوربيَّة خطَّاً همايونيًّا لنصارى الشام لمساواتهم مع المسلمين بالحقوق ثارت ثائرة الاسلام وضمروا لمواطنيهم الشرَّ. وفي تلك الاثناء سنة ١٨٥٧ عُزل رامز باشا وقدم بيروت عوضاً عنهُ خورشيد باشا الذي سعى جهدهُ في التحريش بين الاهلين مستتراً. فقام الدروز اوَّلاً ثم تبعهم المسلمون مع جند الاتراك وحصلت سنة ١٨٦٠ تلك الحوادث المؤلمة التي

حوّلت لبنان ودمشق الى مناقع دم ومجازر ابرياء

وكان الدروز تقدّموا الى ضواحي بيروت يقصدون الزحف عليها فلم تنجُ من فتكهم إلّا خوفهم مَن كان يسكن فيها من ممثلي الدول ويربط في مرفأها من المراكب الاجنبيّة. فاندفعوا اندفاع السيل على قرى لبنان الجنوبيّة واعملوا في اهلها السيف وفي مبانيها النهب والنار وخورشيد باشا لا يحرّك ساكناً

ولمّا خمدت الامور بتوسّط الدولة الفرنسويّة وحملة جنودها تحت قيادة الجنرال بوفور لخلاص النصارى اصبحت بيروت ملجأً لبقايا الجبل ودمشق فبلغ عدد المنكوبين نحو ثلثين الفاً تنافست الارساليّات الكثوليكيّة بمساعدتهم وارسلت فرنسة الاعانات الوافرة للتفريج عن كربتهم. ومذ ذاك الحين استوطن كثيرون من اللبنانيين بيروت واتّسعت دائرة اشغالها

وفيها حصلت تلك المفاوضات الطويلة بين ممثلي الدول والمفوّض العثماني فؤاد باشا فلم يزل يكدّ جبينهُ ويسهر عينهُ حتى برّأ ساحة خورشيد باشا وكثيرين من الجناة ولم ينل اللبنانيّون من التعويض إلّا ما لا يُعبأ به

ثمّ تتابعت المفاوضات في اواخر السنة ١٨٦٠ الى اواسط السنة ١٨٦١ حتى اتّفقت اللجنة الدوليّة على نظام لبنان الاساسي الاوّل في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ ثمّ حوّروهُ قليلاً واجروهُ فعلاً بما خوّلوا لبنان من الاستقلال النوعي واقامة متصرّفين مسيحيّين تولّوا تدبيرهُ خمسين سنةً كان اوّلهم داود باشا وآخرهم اوخانس باشا الارمنيّ خلفهُ في ايام الحرب الكونيّة ثلاثة متصرّفين اتراك علي منيف بك ١٩١٥ ثمّ اسماعيل حقّي بك ١٩١٧ ثمّ ممتاز بك ١٩١٨

وكانت بيروت في تلك المدّة اوّلاً منوطة بولاية سوريّة التي كان مركزها دمشق فجُعلت قائمقاميّةً ضيّقة النطاق قليلة النفوذ فسكنت بذلك حركتها وخمدت تجارتها وساءت احوالها إلّا ان مركزها بقرب البحر واتّصالها باوربة وصفة اهلها وازدياد عدد الاجانب في ربوعها اضطرّ الدولة التركيّة ان ترخي من خناقها فجعلتها متصرفيّة سنة ١٨٦٤. والحقت بها قائمقاميّة صور وصيدا ومرجعيون وتولّى فيها متصرّفون يتبعهم ولاة سوريّة مدّة ويبدلونهم بعد زمن قليل كالمألوف عادة الاتراك. وبقي الامر على ذلك الى السنة ١٨٨٨

وفيها فصل السلطان عبد الحميد بيروت عن ولاية دمشق فاصبحت ولاية منفردة أُنيط بها متصرفيات اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس. فكان اوّل والٍ على بيروت سنة ١٨٨٨ عزيز باشا خلفهُ سنة ١٨٩٢ خليل خالد بك ثمّ نصوحي بك ١٨٩٤ ثمّ رشيد بك ١٨٩٧ ثم خليل باشا ١٩٠٤ ثم ناظم باشا ١٩٠٨ ثم حازم بك وادهم بك وبكر سامي الذي في أيامهِ انتشبت الحرب الكونيّة فخلفهُ عزمي بك ثم اسمعيل حقي بك الى نهاية الحرب وسقوط الحكومة التركيّة سنة ١٩١٨

وفي هذه المدّة حصلت بيروت على الامان والطمأنينة. إلّا انّ الاصلاحات التي وعدت بها الدولة بقيت مواعيد عرقوبيّة لم يُصب منها نصيباً اهل الشام عموماً ولاسيما النصارى. ولمّا أُعلن بالدستور اوّل مرّة سنة ١٨٧٦ ارسلت بيروت الى الاستانة نائبين عادا بعد زمن قليل فارغين لاستبداد السلطان عبد الحميد والغاء مجلس المبعوثان وثبات الامور على حالها الموجّة فتئن الصدور لمظالم العمّال ولتفاقم الضرائب وغلبة الرشوة

ولمّا عاد الدستور ثانيةً وفاز بالسياسة الحميديّة ثمّ بصاحبها عبد الحميد عمّ الفرح اهل بيروت واستبشروا بهِ خيراً وتصافح الشيخ والقسيس اشارةً لتأليف القلوب ونظموا القصائد العامرة في إطراء الدستور إلّا انّ فرحهم لم يثبت زمناً طويلًا اذ قامت جمعيّة الاتحاد والترقي واستبدّت بالحكم لغاياتها السرّيّة فكانت وطأتها على الناس اثقل من الوطأة الحميديّة على كلّ من يتعرّض لاحكامها. واذ عارضتها جماعة الحزب العربي الوطني نقمت على ذويهِ واوقعت البعض منهم ثمّ اجتمعوا في باريس وعقدوا فيها مؤتمراً فاحتفظت على اسمائهم لتفتك بهم عند سنوح الفرصة

وفي السنة ١٩١٢ انتشبت الحرب بين ايطالية وتركيّة بسبب طرابلس الغرب فقدمت دارعتان ايطاليّتان الى بيروت واطلقتا القنابل على طرّادين تركيّين عون الله وانقره كانا راسيين في المرفأ واغرقتاهما فحصل بذلك هيجان بين المسلمين فهجموا على مستودع الرديف ونهبوا اسلحتهُ وحاولوا مقاتلة الاجانب وكاد يتفاقم الشرّ لولا اتخاذ الوالي حازم بك الوسائل الفعّالة لمنع الاعتداء وكبح الثورة

وفي اواخر شهر تموز ١٩١٤ وقعت تلك الحرب الكونيّة العوان التي قلبت العالم

ظهراً لبطن وكانت تركيَّة تستعدّ لتخوض غمرتها ريثما تجمع قواها . وانتهزت فرصة انشغال الدول بالحرب وتنشيط دولة المانية سراً لاعمالها فأتمت ما كان للاجانب من الامتيازات القديمة التي نالوها بمعاهدات سابقة عُقدت بينها وبين الباب العالي فحصلت وتتنذ مظاهرات مهيجة كان من شأنها ان تُسعر نار الفتن بين المسلمين والنصارى

وما لبثت ان دخلت تركيَّة ساحة الحرب في جانب الدول المركزيَّة في اوائل شهر تشرين الثاني ١٩١٤ فأُصيبت بيروت بسببها بآفات متعدّدة اذ أُبعد الاجانب وأُقفلت القنصليَّات وانقطعت المواصلات التجاريَّة مع اوربَّة ومصر وغلت الحاجيَّات وبطلت عدَّة صنائع فبقي ألوف من الناس يتضوَّرون جوعاً وسيقَ كثيرون الى الحرب ممَّن لم يمكنهم ان يفدوا نفوسهم بالمال بل وقعت التهم في قوم من الاعيان والادباء فقُتل البعض شنقاً ونُفي البعض الى الداخليَّة وكان الحلُّ والربط بيد جمال باشا يتصرَّف بحكمهِ كيف يشاء ويُساعدهُ في تنفيذ امورهِ مجلس عرفيّ اقامهُ في عاليه

وكان والي بيروت عزمي بك اتى خلفاً لسامي بكر فجرى على مثال جمال باشا وتتبَّع كلّ من كان يراهُ مخالفاً لسياسة الدولة او لنقض رسومها فيعاقبهُ اشدَّ المعاقبة لا يراعي في ذلك وجيهاً او رئيسَ طائفة . وحُرمت الناشئة نعمةَ التعليم ما خلا بعض المدارس الابتدائيَّة او التركيَّة الصبغة

وفي اوائل تشرين الاوَّل اذ حلَّت الحرب الكونيَّة اوزارها وكان الظفر للدول المتحالفة برح الاتراك بيروت فأسرع الامير فيصل لبسط سلطةٍ عربيَّة على كل سورية بمؤازرة الدولة الانكليزيَّة فدخل بيروت وحاول ان يحكم عليها . ولم يلبث ذاك السحاب أن انقشع وجُعل الانتداب على بلاد الشام في عهدة فرنسة . وكان القاضي على الحكم العربي واقعة خان ميسلون في ٢٠ تموز ١٩٢٠

وكان الجنرال غورو اوَّل مفوَّض سامي على سوريَّة فاجابةً الى رغبة السكَّان والى طلب غبطة البطريرك الماروني الياس الحويك الذي تجشَّم السفر الى باريس لهذه الغاية اعلن في غرَّة ايلول سنة ١٩٢٠ استقلال لبنان الكبير مع مدنهِ الساحليَّة شمالاً وبلاد البقاع جنوباً وجُعلت بيروت عاصمتهُ . فعاد الى البلاد هدوءها وسلامها . وخلف الجنرال غورو جنرالٌ آخر يشبههُ فضلاً وشهامةً قرَّر اعمالهُ وكتَّابها واكتسب ثقة اهل الوطن عموماً على اختلاف اديانهم ونزعاتهم فكان يوم رجوعهِ الى فرنسة يوماً

مشهوداً اعرب فيه جميع الوطنيين عن شكرهم لشخصه وأثنوا على سائر اعماله متمنين ان يعود اليهم آسفين على فراقه

وزاد أسفهم اذ رأوا خطة خلفه الجنرال سراي الذي أتى البلاد وهو يجهل احوالها واستبدّ برأيه في تدبير دولة لبنان وغيّر حاكمها وفضّ مجلسها فلم تلبث ان وقعت فيها القلاقل والاضطرابات فانتشرت خصوصاً في دمشق وحوران فحدثت تلك الثورات والفتن التي لم تهدأ تماماً حتى بعد استدعاء الجنرال سراي ومجيء خلفه المسيو هنري دي جوفنل الذي جرى في اموره في هذه السنة بتعقل وحزم

وكان خاتمة مآثره نحو لبنان الكبير انّهُ فوّض الى مجلسه أن يتّخذ لهُ دستوراً ويختار لتدبير اموره هيئة حاكمة فكان اختيارهم للهيئة الجمهوريّة يشترع فيها مجلس مندوبين ومجلس شيوخ ويتألف رئيس يُختار لثلث سنين فتمّ ذلك في عيد العنصرة من السنة الحاليّة ١٩٢٦ وأعلن بالجمهورية اللبنانيّة يوم الاحد ٢٣ ايار وبرئيسها يوم الاربعاء ٢٦ منهُ مع بناء بيروت كعاصمة الجمهوريّة

وما لا شكّ فيه انّ الانتداب الفرنساوي أدّى للبلاد خدماً جليلة ماديّة وادبية واقتصاديّة في هذه السنين الاخيرة لا يقوى اللسان على شكرها وإنْ وقع من بعض افراده اغلاط تُغتفر في جانب الكثير من النعم التي اسبغتها الدولة الفرنسويّة على سوريّة عموماً وعلى لبنان وعاصمته خصوصاً (لهُ بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Gay (Jules) : Les Papes du XIe Siècle et la Chrétienté: *Bibl. de l'enseignememt de l'hist. ecclésiastique, Paris, Gabalda, éditeur*, 1926, *Prix* 20 *f*

البابوات والنصرانية في القرن الحادي عشر

هذه الحلقة هي العشرون من سلسلة تآليف تاريخيّة كنسيّة يقوم بها نخبة من الكتبة يخصّون كلّ طور من اطوار الكنيسة بمجلّد خاصّ حتى أصبح مجموعها بمثابة

مكتبة واسعة . وكان المسيو دِدْيو (Dedieu) اتحفنا منذ زمن قليل بمجلدين عن تاريخ البروتستانت الفرنسويين السياسي . وها هوذا مجلد جديد وصف فيه اعمال الباباوات في القرن الحادي عشر وهو قرن الجهاد لاصلاح الكنيسة تارةً بمؤازرة الملوك كلاون التاسع ومعينه هنريكس الثالث وتارة بمناقضتهم كغريغوريوس السابع وخصمه هنريكس الرابع الى زمن اوربانس الثاني منشئ الحروب الصليبيَّة . وقد اعجبتنا طريقة المؤلف الذي يعرض الحقيقة كما يستبينها دون مراعاة للاشخاص وبلغة بليغة تسحر ألباب القرّاء ج . ل

René Cardaliaguet: MON CURÉ CHEZ LUI. Notes sur l'organisation de la Paroisse. 1 *vol. in*-16, *Paris, Libr. Bloud et Gay*. 1926, *Prix* 10 f.

الكاهن بازاء رعيته

كثيراً ما يرتاب الكهنة في تدبير رعاياهم وتنظيم اعمالهم الراعويَّة في خدمهم الدينيَّة المختلفة من احتفالات عيديَّة ووعظ واخويَّات وطقوس وتراتيل الخ . فهذا الكتاب احسن دليل لهم يرشدهم الى كل عمل من هذه الاعمال ويضمن لهم النجاح في حسن تدبير رعاياهم وترقية امورهم الدينيَّة وقد قيل انَّ رعاية النفوس هي مقدِّمة كلّ الفنون ورأسها ل . ش

Mgr Odelin: LE CARDINAL AMETTE 1850-1920. Souvenirs. *Paris, de Gigord*, 1926

خلاصة اعمال الكردينال اميت

الكردينال أميت تولى رعاية كرسي اساقفة باريس عدَّة سنين فكان من افضل رعاتها حتى سنة وفاته ١٩٢٠ . وكان يُسعفهُ في ايام رئاسته السيّد أودلن فعرفهُ حقَّ المعرفة وعاين كلَّ اعماله وتدابيره وها هوذا قد دوَّن في هذا الكتاب كل مذكراته عن ذاك الكردينال الجليل ليبين ما طُبع عليه من المزايا الجليلة والغيرة الملتهبة في خدمة نفوس رعاياهُ وما ادَّاهُ لعاصمة فرنسة من الخدم المتواترة لاسيما في زمن الحرب الكونيَّة فكان لموته صدى اسفٍ عمومي حتى ان رئيس الوزارة المسيو بوانكره خصَّص لترجمته مقالةً واسعة في مجلة العالمين ومما قالهُ هناك انَّ منعاهُ قد اصاب فرنسة كلها بلوعة شاملة من الالم والحزن ج . ل

Cheikh Mohammed Abdou: RISSALAT AL TAWHID. Exposé de la religion musulmane, traduit de l'arabe avec une introduction sur la vie et les idées de l'auteur par **B. Michel** et le **Cheikh Mustapha Abdel Razik.** 1 *vol, in*-4. *LXXXVIII*-147, *pp.* 1925, *Paris, P. Geuthner, Prix* 40 *f*

ترجمة افرنسية لرسالة الشيخ محمّد عبده في التوحيد

كلٌّ يعرف ما كان للشيخ محمّد عبـــدو من النفوذ بين المسلمين في مصر وهذه مجلة المنار تفرغ وسعها في تثبيت هذا النفوذ . امّا الكتاب الذي نحن في صدده فهو معروف في الشرق لان رسالة الشيخ محمّد عبدو في التوحيد تكرّر طبعها . وانّما اهميّة هذه الترجمة الافرنسيّة متوقفة على ما قدّم عليها الساعيان بنشرها من سيرة الشيخ عبدو فبيّنا اطوار حياة هذا المصلح الحديث وكيف اثّرت فيه تعاليم جمال الدين الافغاني الذي تفانى في نهضة الاسلام وتوحيد كلمته . ثمّ ذكرا تأثير اوربّة في افكار محمّد عبدو اذ قضى فيها منفيًّا سنين طويلة . وهذا ما حـــدا بهما الى نشر احد تآليفه الشهيرة التي لم يكتفِ فيها باثبات توحيـــد الله وانّما عرض فيهـــا كثيرًا من خواطره في الاسلام الحالي وان سَتَرَها نوعاً لخوفه من ارباب الامر ورؤساء الدين . ومنها يلوح انّهُ كان يعتبر حالـــة الاسلام في هبوط ويأسف على ما دخـــل فيه من الهواجس والاوهام التي نشينه كعبادة الاولياء الـــذين ينكر عليهم ما ينسبون اليهم من الكرامات والخوارق . ولهُ في بحثه عن القرآن أهو مخلوق او غير مخلوق جوابٌ متوسّط بين الامرين . امّا التقليـــد فيريد أن يكون الحكم في صحّته او فسادهِ للعقل والانتقاد . ومن عجيب مزاعمهِ انّ العلوم الاوربيّة كلها اخذهـــا العلماء بعد القرن السادس عشر عن المسلمين اذ جروا على آثار العرب في طرائقهم العلميّـــة . ومن ظريف اقواله انّ بعض الشيع البروتستانيّة لا ينقصها الّا الاقرار بنبوّة محمّـــد لتنتظم في سلك الاسلام

الاب ه. لامنس

Collomp (Paul): RECHERCHES SUR LA CHANCELLERIE ET LA DIPLOMATIQUE DES LAGIDES. Publication de la Fac. des Lettres de l'Univ. de Strasbourg. *Fasc.* 29. 1926. *Paris, Soc. d'éd. des Belles Lettres*. *Prix* 30 *f*

ابحاث عن معاملات سلالة اللاجيديين الديوانية

قد فتحت اكتشافات الاثريّين للكتابات البُرديّة والبابيريّة ابواباً جديدة يسعى

العلماء في يومنا الى طرقها . فمن ذلك ما انتزعهُ منها المسيو كولومب من المعلومات لتعريف المعاملات الديوانيّة التي كان يجري عليها ملوك مصر اليونانيّون المعروفون باللاجيديين . فجمعها ونظّمها ودرس كلّ طرائقها الرسميّة وصُورها الفنيّة واصطلاحاتها المختلفة ووضع بشغله هذا كتاباً نفيساً قدّمهُ لكليّة ستراسبورغ لينال منها شهادة اللغة . والكتاب فضلاً عن فوائده العلميّة قد طُبع طبعاً متقناً . وفي آخره قد نُشرت كتابة تاريخيّة مهمّة لم يُعرَف سابقاً إلّا قسمٌ منها كانت في هيكل عيرون في مغدولا . وختم التأليف بفهارس مختلفة غاية في الافادة

Ducati (Pericle); ETRURIA ANTICA. Bibl. Paravia «Storia e Pensiero» n°s 5 et 6, 2 vols. in-12, Torino, Paravia et Cie, Prix L.25, 60

اترورية القديمة

هي توسكانة الحديثة المعتبرة سابقاً كبلاد سريّة حيث فيها عاش الشعب الأترسكي الذي لم يكتشف العلماء حتى الآن سرّ لغته وصحّة اخباره . فهذا ما دفع مؤلف هذا الكتاب الى جمع المعلومات المتفرّقة عن اترورية القديمة من اهلها وأصلهم ولغتهم ومستعمراتهم ودينهم وهيئتهم الاجتماعيّة وفنونهم الصناعيّة وقد اضاف الى كتابه فهارس حسنة منها فهرس لاسماء بلاد اترورية القديمة ثم قائمة للآثار الفنيّة الكاشفة عن احوالها وبيان ما يوجد منها في المتاحف الاوربيّة وفي الكتاب تصاوير متقنة . وخلاصة الكلام انّ هذا التأليف اهلٌ بان يُنظم بين الطُرَف العصرية ج . ل

Zielinski (Thadée) : LA RELIGION DE LA GRÈCE ANTIQUE, traduction d'Alfred Fichelle. *Collection d'études anciennes. Paris, Soc. d'éd. « les Belles Lettres »*. 1 *vol.* 1926, *Prix* 10 *f*

دين بلاد اليونان القديم

ليس لليونان كتاب رسمي يفيدنا عن تعاليمهم الدينيّة وغاية ما نعرفهُ من ذلك اساطير الأوّلين وردت في شعرائهم ورواتهم وفيها ما فيها من الخرافات العجيبة والمزاعم الخياليّة الغريبة والتناقضات والسفاسف الصبيانيّة . وها هوذا كاتب جديد اراد ان يستخلص من كلّ هذه الأخلاط لُبابَ الدين اليوناني وجوهرهُ فاختار ما راق لهُ وسترَ ما استقبحهُ فاستخلص من كل ذلك ديناً خياليًّا زعم انهُ يفوق الدين

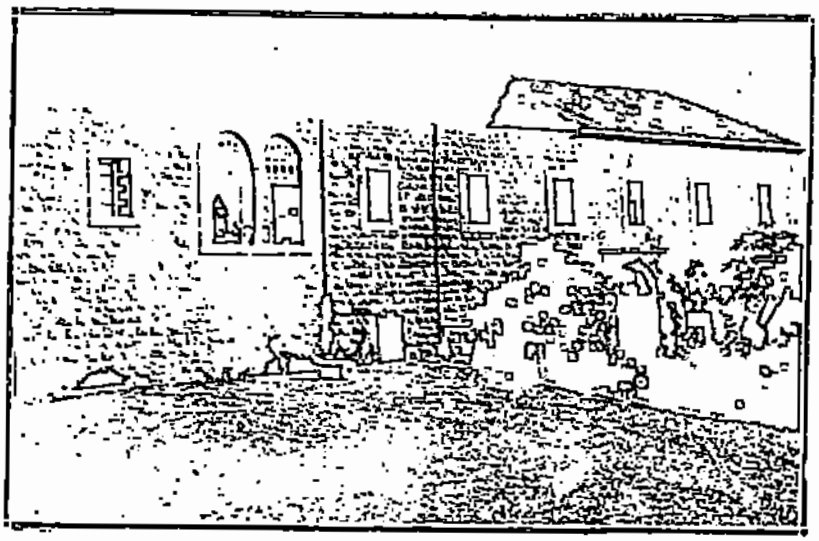

دير مار يوسف الضهر

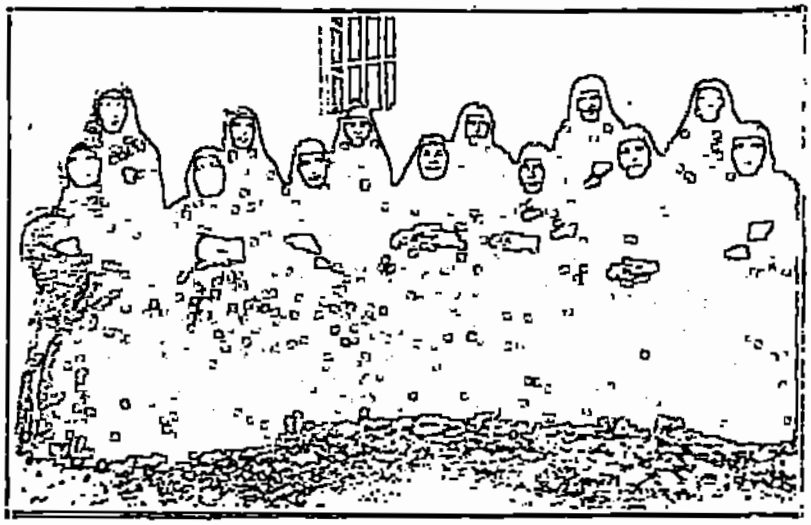

راهبات دير مار يوسف الضهر

الاسرائيلي والدين المسيحي. فكفى بذلك برهاناً على انّ هذا الكتاب يخالف التاريخ الصحيح لأنّهُ كلّهُ مبنيّ على اوهام المؤلف اذ لا قاعدة لهُ راهنة في اختيار معلوماته غير مخيّلته

Amundsen (Roald): EN AVION VERS LE POLE NORD, Expédition Amundsen-Ellsworth. Traduit du Norvégien et adapté par **Charles Rabot**. *Paris. Albin Michel, Prix* 10 *f*

رحلة اموندسن والسوورث الى القطب الشمالي

منذ السنة ١٩١٨ لا يزال الطيّار اموندسن يحاول البلوغ الى القطب الشمالي. وفي الكتاب الذي نحن بصدده اخبار رحلته الخامسة الى تلك النقطة وفيه صفة سفره الذي لم يتحقّق به أملهُ وانّما تفاصيلهُ تأخذ بمجامع القلب ولذلك احبّ المسيو « شرل رابو » نقلها من لغتها النروجيّة الى الفرنسويّة فأحسن

Chiara Cernetti Battistelli: Guide pratique pour l'enseignement du point d'Assise, *riche collection de dessins artistiques, in-fol., Milano, Soc. Editrice Unitas.*, 1926, *Prix* 25 *lires*

دليل تعليم التطريز الاسيزي

ليست مدينة اسيز مدينة الهدوّ والصلاة فقط بما نالت من شهرة شفيعها القديس فرنسيس بل هي ايضاً مدينة الشغل والفنون الجميلة يقصدها الناس ليتعلّموا من اهلها اصناف التطريز. وها هوذا كتاب قد صنّفتهُ في ميلانو جمعيّة الاتحاد الايطالي يوقف محبي الاشغال اليدويّة على ما يصنعهُ هنالك النسوة من العجائب الفنّية فيرغبهم في اقتناء تلك التطريزات والاستفادة منها لخدمة رسالتها في هذه السنة التي يُحتفل فيها لتذكار المئة السابعة لمولد منشئ الرهبانيّة الفرنسيسيّة ج. ل

MUSEUM LESSIANUM: Section missiologique. 4 *vols. Louvain*, 1922-1926

« متحف لسيوس : القسم المختصّ بالرسالات الكاثوليكية

يقوم بهذا المتحف في مدينة لوفان رجال من نخبة الكهنة يُعنَون بنشر التآليف الدينيّة واللاهوتيّة والفلسفيّة التي وضعها مشاهير الكتبة الكاثوليكيّين وقد ظهر

عدد عديد من منشوراتهم التي يتهافت العلماء والكهنة على اقتنائها . وها هم منذ زمن قريب خصّوا الرسالات الكاثوليكيّة بعنايتهم فجعلوا لها قسماً منفرداً فنشروا منذ السنة ١٩٢٢ اربعة مجلدات عن تلك الرسالات واعمالها الشريفة . فالكتاب (الاوّل) ألّفهُ الاب بطرس دالمان (P. Dalman) اليسوعي وصف فيه مآثر احد كبار المرسلين اليسوعيين في الهند الاب دي نوبيلي الذي بشّر البراهمة وردّ منهم كثيرين بعلمه وسموّ فضيلته وتقليده لعيشتهم الشظفة . الكتاب (الثاني) للاب اليسوعي الكسندر برُو (Al. Brou) بحث فيه عن رسالة القديس فرنسيس كسفاريوس بين الوثنيين في الهند واليابان وبيّن الطرائق التي مكّنتهُ من ردّ مئات ألوف من المشركين الى الدين الكاثوليكي . الكتاب (الثالث) للاب برنرد ارنس (B. Arens) هو دليل واسع يحتوي على كل المعلومات عن الرسائل الكاثوليكيّة في كل العالم . وهو آية في دقّته وسعة فوائده وجداوله المتقنة . والكتاب (الرابع) وُضع بمناسبة مؤتمر الرسالات الاخير يبحث عن تنظيم الرسالات الكاثوليكية في كل بلد بواسطة الكهنوت الوطني كما اشار اليه الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ل . ش

AVICENNÆ METAPHYSICES COMPENDIUM ex arabo latinum reddidit et adnotationibus adornavit Nematallah Carame Episcopus Maronita tituli Myndensis, *Roma*, 1926, *Pont. Institum Orient. Studiorum*

ترجمة لاتينيّة لكتاب ابن سينا المعروف بالنجاة

لا يخفى انّ كتاب النجاة هو مختصر وضعهُ ابن سينا لكتابهِ الشهير المعروف بالشفاء . طُبع اصلهُ العربي في مطبعة المادشيس سنة ١٥٩٣ في آخر قانونهِ الطبي . ولما كان هذا المختصر قد جمع فيهِ الرئيس ابن سينا خلاصة آرائهِ الفلسفيّة رأى السيد نعمة الله كرم الاسقف الماروني الجليل ان ينقلهُ الى اللاتينيّة ليقرّب محتوياتهِ لمحبي الفلسفة الشرقيّة . ولم يكتفِ بذلك بل قدّم على الكتاب دروساً واسعة في مؤلف النجاة ومذاهبهِ الفلسفيّة وما وافق فيها فلاسفة اليونان وما اختلف عنهم ثمّ ذيّل الترجمة بعدّة ملحوظات دقيقة ليزيل ما في الاصل العربي من الالتباس والمشاكل . وكثيراً ما استند الى تعاليم القديس توما في تفاسيرهِ . فلا شكّ ان كل الواقفين على

هذا الكتاب يُسدون الشكر لسيادة المترجم ويقدّرون فضلهُ في هذا العمل الجليل على الرغم من صعوبتهِ

1500 Manuscrits scientifiques et littéraires en arabe et en syriaque découverts par le R. P. PAUL SBATH, *Le Caire, Imp. de l'Inst. français*, 1926

الف وخمسمائة مخطوط اكتشفها الاب بولس سباط

حضرة الاب بولس سباط سعى منذ سنين قليلة الى جمع عدّة مخطوطات وجدها خصوصاً في حلب فوصفها في مجلّتي الشرق المسيحي واصداء الشرق. وها هوذا خصّ كرّاساً مفرداً لتعريف ٣١ منها. وغاية ما يقال عن هذه المخطوطات انّ النادر منها قليل جدًّا ومعظمها يوجد منها نُسخ متعدّدة في خزائن اوربّة وفي مكتبتنا الشرقيّة فهو يبالغ بوصفها وكثيراً ما يصفها وصفاً لا ينطبق على حقيقتها. ولو اردنا ان نتتبّع كل ما كتبهُ عنها لانتقادهِ لطال بنا الكلام ل. ش

LA FAMILLE CATHOLIQUE AU LIBAN par Michel Féghali Chorévêque Maronite, Maître de Conférences à la Faculté des Lettres à Bordeaux

العائلة الكاثوليكية في لبنان

عالج سيادة المنسنيور ميخائيل فغالي في مجلة اخلاق الشعوب (Revue d'Ethnographie, 1925, n° 23-24) موضوعاً شائقاً لدى الاوربيين عموماً والفرنسويين خصوصاً فوصف لهم العائلة الكاثوليكيّة اللبنانية وصفاً مستوفياً في كل احوالها المادّية والادبيّة والاقتصاديّة فاستقرى كل امورها في سكنها ومعاشها واخلاقها في سائر اطوار حياتها فجاء وصفاً جامعاً قلما يجدهُ القرّاء في التآليف المطوّلة. فنشكر لسيادتهِ هذا العمل المفيد ونوصي بهِ كل المحبّين الاطلاع على طباع اهل لبنان الكاثوليك

BULLETIN ANNUEL DE LA CHAMBRE DE COMMERCE D'ALEP, 7°année 31 Décembre 1925, *Impr. Maronite, Alep, in-4°, pp*, 132 + ١٣٢

المجموعة السنوية لغرفة تجارة حلب

نشكر غرفة تجارة حلب لنشرها في اوقات معلومة هذه المجموعة التي توقف

العموم على كل ما يحتاجون الى معرفته من امور الشهباء كبيئة الغرفة ووارداتها ونفقاتها واسماء تجارها ونوع تجارتهم ومحلاتهم ثم اجمال الحالة الاقتصادية ومتعلقاتها وبيان الواردات والصادرات في سوق حلب وحركها واحصاءات السكك الحديدية الى غير ذلك مما يتهافت عليه التجار. ويزيد فضلها بتوزيع هذه المجموعة مجاناً وباللغتين العربية والافرنسية مع حسن طبعها. فيا ليت كل حواضر سورية تأتي بمثلها فان هذه اقرب وسيلة لرواج الاعمال وترقية البلاد الاقتصادية

LE CALENDRIER SÉCULAIRE, 1923-2000 par le Père Daniel Chereim R. B. Ch., *éd. revue, corrigée et augmentée, Prix 5 f*

الروزنامة القرنية

هذه الروزنامة عجيبة في بابها تشهد لصاحبها حضرة الخوري دانيال شريم بثقوب الفكر اذ جمع في ورقة واحدة كل المعلومات التي يحتاج اليها الناس من احوال السنة وتعريف ايامها وشهورها وزمن طلوع الشمس وغروبها وحساب القمر وزمن الاعياد الى آخر القرن العشرين. وذلك على طريقة سهلة واضحة وبثمن زهيد لا يزيد عن خمسة فرنكات

LA DIVINE LITURGIE DE St JEAN CHRYSOSTOME : Chantée selon le rite byzantin avec traduction française et notation musicale, *Impr. St Paul, Harissa Liban*, 1926, in-12, pp. 122

الليتورجية الالهية اليونانية مع انغامها وترجمتها

انّ رتبة الليتورجية الالهية على حسب الطقس البوزنطي مع انغامها الشجية لمن اجلّ المجالي الدينية واوقعها في النفوس وقد احسن حضرة الارشمندريت ارسانيوس عطية النائب البطريركي في باريس ورئيس كنيسة الروم الكاثوليك فيها بنشرها مترجمة الى الافرنسية وموقعة على العلامات الموسيقية الاوربية ليقف محبو الطقس اليوناني ولاسيما في فرنسة على شريف معانيها ويأنسوا بنغماتها المطربة. وهذا الكتاب يطلب من ادارة المسرة في حريصا لبنان وفي دمشق من حضرة الخوري ميخائيل يوآب رئيس المدرسة البطريركية

ل. ش

الشوقيات

الجزء الاول: السياسة والتاريخ والاجتماع

احمد شوقي بك: مطبعة مصر (ص ١٨ + ٣٧٦)

هذه الطبعة الجديدة لديوان كبير شعراء مصر هي آية في حسن غلافها وجودة ورقها واتقان طبعها. والكتاب يُعرَف من عنوانه فانَّ ضِمْنهُ ما ينيف على ٦٠ قصيدة من انفس الشعر واطربه واحكمه. وكفى بمدحه انَّهُ لذاك الذي يمثل في عهدنا الشعر العربي الجامع بين متانة الشعر القديم وانسجام الشعر الحديث مع تفننه في اختيار المواضيع ومجاراته لشعراء فرنسة المقلقين في قصائدهم السياسيَّة والتاريخيَّة والاجتماعيَّة على اننا مع اكرامنا الشاعر الكبير لا نراهُ يلومنا ان لم نوافقهُ على بعض اقواله في النصرانيَّة وامورها اذ يراها بعين اسلامه

في الشعر الجاهلي

تأليف طه حسين استاذ الآداب العربية بالجامعة المصريَّة

طُبع في مطبعة دار الكتب المصريَّة بالقاهرة سنة ١٩٢٦ (ص ١٨٣)

سُررنا في شهر نيسان اذ تيسَّر لنا الاجتماع بالاستاذ الفاضل طه حسين الوفد من قبل الجامعة المصريَّة لحضور المؤتمر الاثري الذي عُقد في بيروت فرأينا بهِ رجلاً مشبعاً بالآداب ذا بصيرة ثاقبة مع فقد بصره. وكتابهُ هذا في الشعر الجاهلي شاهد جديد على امتيازهِ بالانتقاد فانهُ يرى في ذلك الشعر الذي جمعهُ الرواة بعد الاسلام بسنين طويلة كثيراً من المصنوع الذي لا يمكن أن يعوَّل عليهِ في نسبتهِ لاهل الجاهليَّة فوضعهُ بعض المستشرقين اناية في النفس. وما لا شكَّ فيهِ انَّ ابن اسحاق صاحب اوَّل سيرة لمحمد ادخل في تأليفهِ كثيراً من القصائد المصنوعة كما يقرّ بذلك اصحاب ترجمتهِ. على اننا مع اقرارنا بصحَّة قول جناب الاستاذ لا يسعنا ان نسلم بكل آرائهِ. ولا بُدَّ ان يقوم الادباء فيمحصون كلامهُ ويقرّروا منهُ صحيحهُ وينفوا ما لا يرونهُ موافقاً لحقيقة التاريخ

ل. ش

عبد الكريم والحرب الريفيّة

بقلم كرم خليل ثابت

طُبع بمطبعة المقتطف والمقطّم بمصر سنة ١٩٢٥

جمع مؤلف هذا الكتاب تفاصيل الحرب الريفيّة في مرّاكش التي طالت مدّتها وتعدّدت نكباتها على الفريقين من محاربين ومحارَبين فهي كتاريخ لتلك الوقائع النادحة التي ملأ حديثها الصحافيين بين متشائم ومتيامن. وها قد قُضي الامر واستسلم عبد الكريم للدولة الفرنسويّة . فبقي على مؤلف هذا الكتاب ان يلحقهُ بآخر تتمّة لمنافعهِ لئلّا يبقى مبتورًا ناقصاً

نظرات نقديّة في شعر ابن شادي

مع تعقيب بقلم الناشر حسن صالح الجدّاوي

المطبعة السلفيّة بمصر سنة ١٩٢٥ (ص ٢٣١)

انّ رواج سوق الشعر في عصرنا يستدعي الانتقاد الصحيح المبني على حسن النظر في نظم الشعراء وتمييز ما في نفثات اقلامهم من المحاسن والمساوئ فيتنشط فحولهم ويزيدوا إحكاماً لمآثر افكارهم ويقف الشويعرون عند حدودهم . وفي هذه النظرات النقديّة ما يدلّ على جودة ذوق حسن افندي صالح الجداوي المأذون في القانون بباريز والحاصل على اجازة التجارة العليا في ليون ومنشئ صحيفة السويس الجديدة . وقد صدر الكتاب بكلام حسن عن الشعر وخواصّه وانتقاده ثمّ تتبّع شعر الاستاذ الدكتور ابي شادي وقد رأيناهُ معتدلًا مُحقًّا في هذه الملحوظات جرى فيها طريقًا وسطى وفقاً للحقيقة . فعسى ان يروج بهذه النظرات علم الانتقاد الصحيح الذي نحن اليهِ في امسّ حاجة

ل. ش

الوضيعة في الحكمة الخلقيّة: الكتاب الثاني منهاج العائلة

للدكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس النيابي

طُبع في دار الطباعة الحديثة – بغداد سنة ١٩٢٦ (ص ٢٧٨)

قلنا سابقاً في وصف تآليف الدكتور سليمان غزاله انّ جنابهُ طبيب وفيلسوف

مماً . وهذا يلوح خصوصاً في تأليفهِ هذا الجديد «منهاج العائلة» فانهُ قد احاط فيهِ علماً بواجبات المرأة في اطوار حياتها الزوجيَّة بازاء زوجها وادارة بيتها وفروض امومتها وتربية اولادها فبحث عن كل ذلك بحث الرجل العاقل الذي مع مراعاتهِ للاحساسات الزوجيَّة يرتفع الى اعتبار مقام المرأة الجليل في الاسرة التي هي قوام الهيئة الاجتماعيَّة . فاذا ادركت شرف رتبتها وقامت بواجباتها نالت سعادة حياتها وضمنت لزوجها واولادها هناءهم وخدمت بهم وطنها اجلّ خدمةٍ . فيا ليت كل النساء يرتشدن بتعاليم هذا الكتاب النفيس

نشأت الكتّاب في عهد النهضة الادبيَّة الاخيرة

مجموع ١٢٠ مقالة ادبية ليوسف افندي صفير

طُبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٣٢٠)

ان الكتبيين غالباً اشبه بقساطل المياه التي تنقل الماء فيرتوي منهُ غيرهم وقد أبى جناب يوسف افندي صفير إلّا ان يكون حوضاً ينال عن قسطهُ الصالح من مياه الآداب التي تجري على يدهِ فانهُ يطالع ما يدخل مكتبتهُ من المنشورات وينتقي منها ما راق لهُ ليفيد بها القرّاء . وهذا الكتاب دليل على همّتهِ فانهُ جمع فيهِ ١٢٠ مقالة مما دبّجتهُ اقلام اركان النهضة الادبيَّة مباشرًا بالسنة ١٨٠٠ الى السنة الحاضرة ناقلًا عنهم ما رآهُ اوقع في النفوس وابلغ في الكتابة . وقد خصّ هذا القسم بالنثر دون الشعر فجاء من افضل ما يستعين بهِ طلبة المدارس ليتعلّموا فنّ الانشاء ومن محاسنهِ انهُ يخلو من كلّ عثرة في سبيل الآداب . ل . ش

ماري افرام السرياني والاوخارستيا

لحضرة الشقيقين الاب يوسف حبيقة والمونسنيور بطرس حبيقة

طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٤٦ + ٧)

نعمَ الهديَّة فكّر الشقيقان الفاضلان في تقدمتها الى المجمع القرباني الذي سيُعقد قريباً في شيكاغو فتكون دليلًا باهرًا على ايمان الشرق منذ القرن الرابع للمسيح

بسر القربان الاقدس . فقد اقتطفنا من اعمال القديس افرام المطبوعة في القرن الثامن عشر في رومية ٤٧ قطعة يصرّح بها هذا الملفان العظيم عن ايمانهِ بسرّ جسد ودم السيد المسيح ننشرها في اصلها السرياني مع ترجمتها الى العربيّة والافرنسيّة والانكليزيّة فضلاً عن اللاتينيّة . وقدّما عليها سبعة فصول عن ماري افرام والكنائس السريانيّة وخصوصاً عن الكنيسة المارونيّة وقدّيسيها

الحقائق اللامعة في عقائد الكنيسة الجامعة

مقالات لاهوتية للاب انطون صالحاني اليسوعي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٣٦ (ص ١٤٠)

هي ستّ مقالات واسعة في ستّ قضايا جوهريّة أُلبست على اخوتنا الروم الاورثذكس فبسط فيها حضرة الاب انطون صالحاني بسطاً ممتعاً فاوضحها بحيث لم يُبقِ فيها مجالاً لريب مرتاب . والمقالات كانت ظهرت سابقاً في جريدة البشير ومجلة المشرق فاعاد فيها حضرتهُ النظر وزادها ادلّة وايضاحاً وقد تحاشى فيها كلّ ما يمسّ كرامة الاخوة المنفصلين

كتاب حياة القديس غريغوريوس المنوّر

عرّبهُ الاب ميخائيل قديد

طُبع في المطبعة المارونيّة في حلب سنة ١٩٣٤ (ص ٨٠)

القديس غريغوريوس المنوّر هو رسول الارمن وقلّ ما يوجد في العربية شيء من اخبارهِ فأحب حضرة الاب ميخائيل قديد ان ينقل الى العربية ترجمتهُ التي طُبعت سنة ١٩٢١ في مطبعة انتشار الايمان باللغة الايطالية فاجاد . ثمّ اضاف الى كتابهِ نبذةً من قلمهِ . بيّن فيها ما يخالف بهِ الارمن الكاثوليك اخوتهم الغريغوريين مع تفنيد الاضاليل الاربعة التي تفصلهم عن الكنيسة الكاثوليكية ل . ش

نبذة في حياة الاب يواصاف المنيمي الجاجي الراهب اللبناني

لاحد انسبائه الاب انطونيوس المنيمي الجاجي

طُبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٣٤)

الاب يواصاف المنيمي راهب صالح عامل خدم اخوتهُ وقريبهُ مدّة نحو سبعين سنة رسم في نفسهِ صورة الكمال الرهباني حتى اصبح مثالًا لكلّ من عرفهُ فتوفي في ٧ ايار سنة ١٩٢٥ وقد بلغ من العمر ٩١ سنة. فنشكر حضرة نسيبهِ الذي شاء ان يخلّد ذكرهُ بنشر ترجمة حياتهِ ليسير اخوتهُ على آثارهِ الصالحة

ماري عجمي تذكارًا ليوبيلها

بقلم جرجي نقولا باز

مطبعة صادر – بيروت (ص ١٠)

نشارك رصيفنا الاديب جرجي نقولا باز بتقدمة التهاني للسيّدة ماري عجمي التي تُعدّ من اركان النهضة الادبية بين بنات جنسها ونتمنّى ان يقتدي بشأنها اوانس وسيّدات فيسعين في نهضة المرأة ورقيها ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق.

١ Liban: La Revue de demain Littéraire, Sociale, Scientifique, illustrée, 1re année, Mai, 1926, 16 pages, in-4, Impr. Angelil

٢ مجلة القربان المقدّس دينيّة اخلاقيّة ادبية تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحرّرها القس اغناطيوس سعد: ادارتها في المدرسة المارونية في حلب. العدد الاوّل ايار ١٩٢٦. نرحب بهذه المجلة الدينيّة الجديدة ونتمنّى لها الرواج

٣ برنامج سيدات الرحمة ومشاريع جريدة الكلمة في مدينة حلب: اللقطاء، الايتام، العجزة، كوبراتيف العائلات المعوزة – بيان ايرادات ونفقات. طُبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٦٤) مع عدّة تصاوير واربع قصائد للافندية عادل الغضبان (قصيدتان) وحليم دموس والياس بشاره شاشاتي

٤ اليوبيل الذهبي لمدرسة الحكمة ١٨٧٦–١٩٢٦ لمحة تاريخية من تاريخ المدرسة بقلم الاستاذ ميشال شبلي. تذكار من لجنة اليوبيل. مطبعة مكتبة صادر بيروت (ص ٣٤ مع ١١ صورة)

٥ خلاصة اعمال جمعية الرحمة الخيرية الكلدانية في بغداد من ١ نيسان ١٩٢٤ الى ٣١ ك ١ ١٩٢٥ . طبع في دار الطباعة الحديثة في بغداد سنة ١٩٠٦ (ص ٦٨)

٦ . برنامج الجمعية الخيرية المارونية لاخوة الفقراء في بيروت لسنتها التاسعة والعشرين ١٩٢٥ . طبع في مطبعة قزما بيروت دمشق (ص ٣٢)

شذرات

﴿الجمهورية اللبنانية﴾ قد نال اللبنانيون محبو الاستقلال ما كانت تطمح اليه ابصارهم وقد فضلوا ان تكون هيئة حكومتهم جمهورية على شبه جمهورية فرنسة . لها رئيسها الممثل لها في مجاليها في داخل الوطن وفي خارجه ولها مجلساها للنواب والشيوخ . وقد أعلن بذلك رسمياً يوم الاحد الواقع في ٢٣ وفيه عيد العنصرة وحلول الروح القدس على التلاميذ فاستبشرنا بهذه الموافقة وطلبنا الى روح الانوار العلوية ان يرشد الجمهورية وكافة عمدتها الى سواء السبيل والى كل ما يؤول الى خير الوطن مادياً وادبياً . ولنا في انتخاب رئيس الجمهورية جناب شرل بك دباس وفي رئيسي مجلس النواب ومجلس الشيوخ جناب الوطنيين الكريمين موسى افندي نمور والشيخ محمد الجسر امل وطيد بتحقيق رغائب اللبنانيين في تأمين البلاد والدفاع عن حدودها وتوطيد السلام بين كل الاهلين على دعائم الحرية والمساواة والاخاء بموجب الدستور الجديد المصدق عليه من ارباب الحكومتين الفرنسوية واللبنانية والمثبت بقسم الرئيس

﴿جائزة الالعاب الرياضية﴾ نهنئ تلاميذ كليتنا الذين نالوا قصب السباق في الالعاب الرياضية التي استدعت اليها الحكومة ناشئة الوطن . وفي فوزهم على فئات من اللاعبين دليل جديد على اعتبار معلميهم للرياضات البدنية . وقد سبق لنا في المشرق مقالة واسعة في هذا الصدد بياناً لفوائد تلك الرياضات لصحة الشبان والآداب معاً

﴿متحف جيولوجي وطبيعي في تيان تسين﴾ قد أنشئ هذا المتحف باغراء الدولة الفرنسوية في الصين وكان الندب للاهتمام به احد المرسلين اليسوعيين الاب ليسان (P. Licent) فتجول المذكور في كل انحاء الصين الشمالية وفي منغولية وفي تيبت مدة

اثنتي عشرة سنة (١٩١٤ــ١٩٢٥) فجمع الوفاً من الآثار الجيولوجيَّة والطبيعيَّة من سائر اشكال الظرَّان وآثار الحيوان والنبات. وكان يساعدهُ في عملهِ يسوعي آخر الاب تَلْيار دي شردين (Teilhard de Chardin) فتخصَّص بالطبيعة النباتيَّة وضروب الحيوان والهوامّ . فاصبح اليوم بهمَّتهما متحف تيانتسين من اوسع واجمع المتاحف. امَّا ما تكلَّفاهُ من المشاقّ في سياحتهما هذه الطويلة فحدِّث عنهُ ولا حرج. وقد اطنبت المجلَّات في عملها واثبتت الخدم الجليلة التي ادَّياها للعلم باكتشاف عدَّة معادن ونباتات وحيوانات مجهولة

﴿حرير العنكبوت﴾ ذكرت مجلَّة العرفان في عدد نيسان الاخير (ص ٨٧٩) حرير العنكبوت وكتاباً صنَّفهُ في وصفهِ المسيو ر. ب. كامبوا (R. B. Camboué) فنفيد الرصيفة ان المسيو ر. ب كامبوا هو راهب يسوعي ومرسل شهير في جزيرة مدغسكار واسمهُ الاب بولس كامبوا صنَّف عدَّة تآليف دينيَّة وعلميَّة . امَّا ما كتبهُ عن نسيج عنكبوت الحرير وخواصهِ المتينة في مدغسكار فاستوقف نظر العلماء وقد رأى هو كثيراً من هذه الطائفة العنكبوتيَّة واشار الى الوسائل الانتفاع بها واستثمارها

﴿اصل التمدُّن الاميركي من الهند﴾ وجدت مؤخَّراً آثار قديمة في بلاد المكسيك سابقة لعهد كولومبوس في قرية تيوتيهواكان (Téotihuacan) عند هيكل عظيم يُعرف بهيكل تولتيك حيث جرت حفريَّات واسعة تولَّى بعض المهندسين عملها . فظهرت بين تلك الآثار قطع معدنيَّة عليها رسوم من جملتها قطع من حجر اليَشب كان على قطعة منها صورة الاله بودا الهندي جالساً تحت شجرة . كما يُرى في هياكل الهند فاستدلَّ المهندسون بذلك على ان قبائل الاميركيَّة القديمة المعروفة بالأزتيك كان لها مواصلات مع الهند وانَّ التمدُّن الاميركي السابق للتاريخ متَّصل بالتمدُّن الهندي

﴿التذكار المئة السابعة عشرة لاكتشاف عود الصليب﴾ يستعدّ ارباب الكنيسة والكاثوليك في رومية للاحتفال بالمئة السابعة عشرة لاكتشاف عود الصليب على يد القديسة هيلانة سنة ٣٢٦م . فجرت وتجرى مظاهرات عظيمة في العالم النصراني. ومعلوم انَّ اكبر قطع الصليب موجودة اليوم في كنيسة خصوصيَّة في رومية تُعرف بكنيسة الصليب الاورشليمي جُمعت فيها عدَّة ذخائر ثمينة جدًّا كعنوان صليب الرب وشوكة كبيرة من اكليل الشوك واحد مسامير الصلب الخ

أسئلة وأجوبة

س سأل احد ادباء السريان من هم في الهند السريان المعروفون بنصارى مار توما ؟

نصارى مار توما في الهند

ج هؤلاء النصارى يرقون اصلهم الى القديس توما الرسول الذي بشر بالانجيل في الهند ومات شهيداً هناك في مدينة ملياپور حيث يُكرَم قبرهُ . ونصارى مار توما سريان وهم اليوم على قسمين منهم كاثوليك ومنهم يعاقبة فاليعاقبة نحو ١٠٠،٠٠٠ لهم اسقف من شيعتهم . أمّا السريان الكاثوليك فعددهم ٨٤٠،٠٠٠ يتبع البعض منهم الطقس اللاتيني تحت رعاية ثلثة اساقفة من الكرملتان وعددهم ٣٩٠،٠٠٠ والبعض الآخر يتبع الطقس السرياني الملّباري وعددهم ٤٥٠،٠٠٠ يرعاهم من طقسهم مطران وثلثة اساقفة (١

س بلّغنا احد دارسي اللاهوت الادبي في البقاع انهُ حضر مرّتين حفلة الزواج في الكنيسة في قريتين فلم يُلقِ الكاهنان على الزوجين السؤال هل يرضى كل منهما الاقتران بالآخر فاستغرب الامر وسأل الكاهنين عن ذلك فاجابا ان هذا السؤال ليس لازماً ويكفي الزوجين ان يتصافحا فسألنا المبلّغ أهذا جائز وهل يتمّ السرّ بذلك ؟

الرضى المتبادل في سرّ الزواج

ج استغربنا ما رواهُ الكاتب لأنّ الكنيسة تعتبر سرّ الزواج صحيحاً اذا تمّ برضى الزوجين الظاهر المتبادل وهما كما لا يخفى خادما السرّ دون الكاهن الماسح البركة وشاهد السرّ فقط بل لا تُجيز الكنيسة الزواج إلّا بكلام صريح من الزوجين

س وسأل من حيفا احد المطلعين عند الاميركان لاي سبب يمنع الكاثوليك قراءة التوراة البروتستانية ؟

عدم سماح الكاثوليك بقراءة التوراة البروتستانية

ج سبب ذلك انّ التوراة البروتستانية ناقصة ومحرّفة . ينقصها عدّة اسفار مثبتة من الكنيسة كالحكمة وابن سيراخ وطوبيا الخ . وأمّا التحريف فقد اثبتهُ احد الآباء اليسوعيين الاب فانهام في كتابهِ كشف التلاعب والتحريف ل.ش

---

١) اطلب مجلّة مكتب الدروس الشرقية المطبوعة في رومية عدد نيسان ١٩٢٦ Orientalia Christiana, VI-2: CHRISTIANITY IN MALABAR

المشرق

جبيل وبلاد جبيل

بقلم ابرهيم بك ابي سمرا غانم حاكم صلح جبيل

توطئة

مضى على وجودي في جبيل خمس سنوات ونيف فامتزجتُ مع اهاليها امتزاج الراح بالماء فتفاهمنا وتحابَبْنا فلم يحصل بيننا ما يعكر صفاء المودّة رغماً عن المثل القائل: «ان نصف الناس اعداء لمن وُلّي الاحكام». هذا ان عدل. ولا شكّ ان قرّاء المشرق الذين اكتب لهم هذا المقال يرون في ذلك ما أرى وهو ان الجبيليين قومٌ فُطروا على كرم الاخلاق والمروءة وحبّ السكينة والسالة، الامر الذي يُسطّر لهم في تاريخ الادب وللكياسة اجلّ صفحة

لست بحاجة الى كتابة تاريخ جبيل القديم بعد ان ألقى مُدير المشرق في هذه المدينة قبل سنتين محاضرتهُ التاريخية فمن رغب الى مطالعتها فانّي أُحيلهُ الى مجلة المشرق (٢٢ [١٩٢٤]: ٣٢١ــ٣٣٥) وفيها يقف على ما تهنئهُ معرفتهُ من تاريخها الماضي ومن اخبار الدول التي بسطت سيطرتها عليها منذ عهد الكلدان الاولين ثمّ الكنعانيين والفراعنة المصريين الى عصرنا الحاضر ومن الحضارة التي بلغتها في ماضي الزمن حتى نالت من الرقي والعمران الشأو الاعلى. وحسبنا القول ان مدينة بيروت عاصمة دولة لبنان قد انشأتها مستعمرة جبيليّة. والحفريات التي قام بها علماء الآثار الافرنسيون منذ احتلّت الدولة المنتدبة هذه الاقطار والتي لا يزالون يواصلونها حتى الآن فذهبت بين سَمع الارض وبصرها قد اعادت الى الاذهان ذكرى جبيل (بيبلوس) واهاجت في محبي الأسفار التوق الى زيارتها والتمتّع برآها. ولهذا اصبحت جبيل محطّ رحال العلماء والعظماء حتى الملوك

القديم . وقد فازت هذه المدينة منذ سنتين برؤية جلالة شاه العجم السابق يوم عرّج على بيروت في سفره الى باريز

موقع جبيل ووصفها

انَّ جُبَيْلًا وهي تصغير جبل ذات موقع طبيعي رائع الجمال فانها تنبسط فوق رابية عالية تعلو عن سطح البحر نيفاً وثلاثين متراً فسيحة الارجاء تمتدُّ من جسر الدجاج شمالًا الى نهر الفيدار جنوباً جيدة المناخ نقية الهواء سائغة المياه . وقد اقتُ في مدن ساحلية كثيرة من شواطئ سورية كصيدا وبيروت وجونية والبترون فوجدت جبيل اصلحها للسكن صيفاً . وقسمُها الغربي مطوّق في وسطه بسور عالٍ لهُ مدخل واحد في جهتهِ الشرقية وهو المحلّ المعروف بالبوّابة تحرسهُ قلعتها الشهيرة ذات الطوابق المتعددة . ويقول علماء الآثار انها من صُنع الصليبيين وقد بنوها بحجارة الهياكل التي كان شادها الملوك الفينيقيون او المصريون في ذلك المكان . والسور على ما يبدو لا يطوّق المدينة بكاملها وانما يطوّق المحلّ الذي كان يلجأ اليه السكان او على الاقل المحاربون حينما كانت توضع جبيل تحت الحصار . والحفريات التي تقوم بها البعثة الافرنسية في جبيل هي غربيَّ القلعة وجنوبيَّها . وهنالك ظهرت المدافن وانقاض الهياكل وقد وصف المشرق في جزئه الاخير الكنوز التي وُجدت فيها

اهل جبيل ومعاهدهم الدينية

يسكن جبيلًا في هذه الايام الموارنة ويبلغ عددهم نحو الفين وخمسماية بين مهاجر ومقيم والقليل من المسلمين ويبلغون المائتين عدًّا . وكان يقطنها من بضع سنوات بعض العيال من طائفتي الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ثم نزحوا منها الى بيروت وغيرها . وللارثوذكس كنيسة لم تزل قائمة بالقرب من الميناء . واما الروم الكاثوليك فقد باعوا كنيستهم من احد الموارنة وكان مجاوراً لكنيسة القديس يوحنا المارونية . ولم يزل مطران الروم الكاثوليك في بيروت يُلقَّب بمطران بيروت وجبيل وتوابعها . وللمسلمين جامع بين القلعة وكنيسة القديس يوحنا وله إمام يقوم بواجبات الصلاة في اوقاتها

وللموارنة كنائس عديدة اهمّها واعظمها كنيسة القديس يوحنا المعمدان وهي كنيسة تاريخيّة قديمة شادها الصليبيّون يوم كانت سيطرتهم على جبيل . ولمّا تغلّب المسلمون على هذه المدينة وطردوا الفرنجة من البلاد وضعوا يدهم على الكنيسة . وبسبب الاهمال تهدّم قسم منها واصبحت زريبة للبهائم الى ان تولّى سعد الخوري مبارك الشهير رأس عائلة آل سعد المتحدّر منها حبيب باشا السعد تدبيرَ الامير يوسف شهاب امير لبنان فصرف همّهُ مع صدق الخدمة لمولاهُ ولوطنه في المحافظة على مصلحة طائفته المارونية وإعلاء شأنها فكان لها نعم النصير . وقد استعطف الاميرَ فوهب الرهبان البلديين المارونيين هذه الكنيسة فرمّموها وبنوا بقربها انطوشاً اقاموا فيه لخدمة النفوس . ولا يزال الجُبَيليون يذكرون لسعد الخوري هذه المأثرة . وكأن الله اراد مكافأةً لهذا الرجل النابغة الصالح ان يجعل وفاتهُ في جبيل ليُدفن في هذه الكنيسة التي هي اثر من آثاره الطيبة ولتظل صلوات المؤمنين تمتطر على ضريحه شآبيب الرحمة والغفران . وضريحهُ في صحن الكنيسة بالقرب من حائطها الشمالي تحت قبّة الجرس . وكانت وفاته سنة ١٧٧٦

وقد قرأت في سجل انطوش الرهبنة البلدية في جبيل صورة الحجّة التي بها يهب الامير يوسف هذه الكنيسة الى الرهبنة وهذا نصّها بالحرف :

الداعي لتحريره

هو اننا سلّمنا الكنيسة الكبيرة التي في مدينة جبيل الى أعزازنا الرهبان اللبنانيين عن يد حضرة عزيزنا القس عمانوئيل رئيسهم العام [illegible] المعروف بالفتيها . ومرفوعة عنها الحكاير من الاقلام الاميريّة وغيرها وصرّفناهم بها تصرّف الشرعي ولا ندع احد يتعارضهم . واعطيناهم قولاً برفع التبعة والشفعة ولهم علينا الحماية والصيانة وهم اشترطوا بان يعمّروها ويتقنوها بجميع لوازمها كما يجب ويوقفوا لها قسوساً يكونوا لائقين وكاملين ليخدموها بكل ما يرضي . واذا لم يوجد منهم احد يرضى فيطلبوا كاهناً علمانياً يخدمها تحت يدهم . فبعد استقامتهم على شرطهم والقيام بموجبه لا نرفع يدهم عنها ولا ندعي احداً عليهم بل هم يتصرّفوا بها كيفما شاءوا وحرّرنا لهم هذا السند لاجل البيان تحريراً في آذار سنة ١١٨٠ ه (١٧٦٥م)

وبعد ان تسلّم الاب العام هذا الرسوم تأخر في تصليح الكنيسة فبعث اليه الامير مرسوماً يحثّهُ فيه على المبادرة الى تصليحها ويَعده انه لا يسلّمها لغير الرهبنة

اللبنانية . فبادر الاب عمانوئيل الرئيس العام المشار اليه الى تصليحها وساعده في ذلك ابن عمه الشيخ سعد الخوري وكان ذلك في ايام حبرية البابا بيوس السادس ورئاسة السيد البطريرك يوسف اسطفان القوسطاوي

ويُقرأ بالكرشوني منقوشاً على بلاطة فوق عتبة الكنيسة ما يلي :

قد جدّد تشييد هذا الهيكل المبارك في ايام الحبر الاعظم البابا بيوس السادس وايام قدس السيد البطريرك مار يوسف اسطفان وهمّة ومساعدة الشيخ سعد الخوري وبعناية ربّانية ورهبنة لبنانية وطائفة مارونية تمّ ١٧٧٦

ومن مآثر الشيخ سعد الخوري انه سنة ١٧٧٥ التمس من قداسة الحبر الاعظم المار ذكره ان يمنح غفراناً كاملاً للمؤمنين الذين يتناولون القربان المقدس بكنيسة جبيل هذه الكبرى وارسل استدعاءهُ صحبة كاهن وراهب من ابناء هذه الرهبنة - فحاز إعراضه القبول واليك ترجمة كتاب السيد كاستلي مقدم المجمع المقدس بهذا الشأن نقلاً عن السجل المار ذكره :

ليد حضرة سعد الخوري مبارك في جبيل لبنان

ايها السيد المكرَّم

انه بعد ما تقدَّم الى قداسة الحبر الاعظم كل ما اعرضتَ حضرتك في مكتوب بغير عنوان فقداستهُ لم يقبل فقط بكل هشاشة الاخبار المشروحة في مكتوبك فيما يخصّ انتشار الايمان الكاثوليكي بل انه قد ارتضى ايضاً بكل رغبة بان يمنح الغفران المطلوب منك لاجل كنيسة جبيل . كما انك ستفهم ذلك من المنشور المحرّر الواصل طيّه . ومتى نظرت انا الراهبين المذكورين في مكتوبك فيصير لهما القبول بذاك الحنو الذي يليق بهما ويصير لهما الانعطاف الى مرغوبهما بالشيء العادل والممكن ثم اني اطلب من الله تعالى ان يمنحك السعادة الحقيقية . أُعطي برومية ٨ نيسان سنة ١٧٧٥ كاستلي مقدم مجمع انتشار الايمان المقدَّس

ولقد اطّلعتُ ايضاً في السجل المذكور على صورة منشور المجمع المقدس وهو مؤرخ ايضاً في ٨ نيسان سنة ١٧٧٥ فيه يمنح البابا بيوس السادس كنيسة الرهبان الجديدة في جبيل غفراناً كاملاً جملةً وافراداً لسائر المسيحيين التائبين المعترفين المتناولين القربان الاقدس الزائرين بعبادة الكنيسة المذكورة في عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس

وهذه الكنيسة التي انعم على المسيحيين الذين يزورونها في عيد القديسين بطرس وبولس الغفران المذكور كانت اولاً على اسم القديس يوحنا مرقس وبعد ان ارتقى غبطة السيد الياس الحويك السدة البطريركية اوعز الى الرهبان ان يجعلوها تحت حماية القديس يوحنا المعمدان. ولعلَّ السبب في ذلك شهرة هذا القديس في الشرق وتكرار ذكره في رتب الموارنة الطقسية وهي خالية من ذكر القديس يوحنا مرقس الذي كان احد تلاميذ السيد المسيح السبعين وله ذكر في اعمال الرسل (١٢: ١٢)

وللموارنة عدا هذه الكنيسة كنائس عديدة اخرى صغيرة ومعظمها بيد الرهبان البلديين . اهمُّها واشهرها سيدة البوَّابة الشهيرة بعجائبها وبتقاطر المؤمنين من كافة الأنحاء الى زيارتها وطلب شفاعتها وتقديم نذورهم الى مقامها. وسُمّيت بسيدة البوَّابة لانها قائمة فوق سور المدينة حذاء البوابة. ثمَّ سيّدة مرتين وهي مشيَّدة فوق رابية عالية تشرف على البحر بالقرب من الطريق العمومية بين بيروت وطرابلس في مدخل المدينة الجنوبي وهي عجائبيَّة ايضاً . وكثيراً ما يقف المسافرون ولاسيما سائقي السيَّارات لتحيَّتها ولتقديم نذورهم لها جاعلين سفرهم تحت حمايتها. وقد استجلب مؤخرًا الخواجا يوسف باسيل احد الجبيليين الاتقياء من فرنسا تمثال العذراء مريم من الشبَه ونصبهُ فوق الكنيسة للجهة الشرقية المطلة على الطريق فكان ذلك باعثاً الى تحريك الشعائر التقوية في النفوس

وجميع كنائس جبيل السيدة قَصُوبة وسيدة البزاز وسيدة الميسة ومار جرجس ومار نوهرا ومار يعقوب ومار بولس ومار تقلا كلُّها ذات هندسة واحدة لا يُعرَف زمن انشائها. ويغلب على الظنّ انها كانت قديماً مساجد لعَبَدة الاصنام فتحوَّلت الى عبادة الاله الحقيقي. وقد خُصَّ معظمها لتكريم السيدة العذراء البتول اشارةً الى ان جبيل التي كانت قبل ان تشرق شمس الدين المسيحي مرتعاً للحماقات والجهالة ومحلًّا لتقديس الدعارة في تقديم العبادة لعشتروت إلهة العشق والحب الحيواني الفاسد قد اصبحت بعد ان سطعت الديانة المسيحية بانوارها المشرقة في هذه الانحاء مقامات لتقديس العفاف والطهارة بشخص تلك التي اوجدها الله بريئة من الدنس حتى دنس الخطيئة الاصلية وشرَّفها بان تكون امًّا للكلمة المتأنس سيدنا والهنا يسوع المسيح. فالطوبى كل الطوبى لاهالي جبيل الحاليين الذين لم يُكثروا فقط من تكريس المعابد

لعبادة الله ولتكريم والدته العذراء القديسة بل لأنهم يعيشون وروحُ العفاف يسود بينهم وهم ناشرون فوق مدينتهم ألوية الفضيلة والمحبة المسيحية الطاهرة. ولي دليل على ذلك تعدُّد الاخويات التي انشأوها كاخوية الحبل بلا دنس واخوية قلب يسوع للرجال واخوية المحبة الصالحة للنساء واخوية العذراء البنات. والذي يملأ القلب تعزية عدد الرجال المنتسبين الى الاخويتين المنضوين تحت لوائيهما. ولا يسعني في هذه المناسبة الّا الثناء على مرسلي الرهبنة اليسوعية الذين أسسوا هذه الاخويات وعُنوا في تدبيرها ولم يزالوا يواصلون السعي حتى يبلغوا بها على مستوى من النجاح والفلاح

والجبيليون يقيمون في بحر السنة اكثر من احتفالٍ خارج الكنيسة فيخرجون برايات اخوياتهم بطواف كبير في انحاء البلدة في عيد الجسد الالهي وفي عيد قلب يسوع وفي عيد سيدة الزروع ويوم تذكار الموتى ويوم احد الموتى في المرفع. فيسيرون بكل إخبات وخشوع في الشوارع. بعضهم يتلو الصلوات بصوت عالٍ خشوعي والبعض الآخر ينشد الاناشيد الروحية. وكثيراً ما يشترك في هذه الاحتفالات سيادة المطران بولس عقل النائب البطريركي الذي هو من بلاد جبيل وقدس الرئيس العام على الرهبنة البلدية ورهبان دير سيدة المعونات فيزيدونها رونقاً وبهاء. وقصارى القول ان الاحتفالات الدينية التي تُقام في جبيل يندر حصول مثلها في سائر الامكنة بفضل المساعدة التي يقوم بها رهبان ذلك الدير العامر.

مدارس جبيل

وفي جبيل مدرسة للاخوة الماريست كانت قبل الحرب داخلية يتلقى فيها احداث هذه المدينة وبعض القرى المجاورة العلوم الافرنسية والعربية الى ان يحصلوا على الشهادة البدائية. فمن اراد منهم مزيداً في التحصيل لنوال الشهادة العالية امكنه ذلك بدخول مدرسة هؤلاء الاخوة في جونية. ولراهبات قلبَي يسوع ومريم الاقدسين مدرسة للبنات بالقرب من كنيسة مار يوحنا تعلّم اللغتين الافرنسية والعربية. وقد احرزت سمعةً حسنة بما تُلقيه في قلوب الطالبات من المبادي الصحيحة وما تزرعه في نفوسهنّ من بذور الفضيلة والتقوى وما تغذي به عقولهنّ من العلم والادب. وفي شمالي المدينة قد انشأت راهبات العائلة المقدسة المارونيات التي اسسها غبطة السيد

الكبير البطريرك الياس الحويك أيده الله مدرسة اخرى هي مع مدرسة راهبات القلبين الاقدسين فرسا رهبان في حلبة الفوائد التهذيبية وميدان المنافع الادبية والعلمية

وكان للاباء اليسوعيين مدرسة مجانية للذكور . لموا ادارتها الاخوة المربيين المار ذكرهم وتقدم لها المفوضية العليا بعض المساعدة

وللمسلمين ايضاً مدرستان للذكور وللاناث تقوم الاوقاف الاسلامية في جبيل بحاجياتها وتنال ايضاً بعض المساعدة من دار الانتداب

الامور الادارية في جبيل

كانت جبيل قد أمّلت في بدء تشكيل المتصرفية ان تعيد قسماً من مكانتها الماضية أما جُعلت مركز قائمقامية شمالي لبنان التي كانت تشمل بلادي كسروان والبترون وهما تكادان ان تبلغا نصف متصرفية لبنان الصغير . ولا يزال الشيوخ من اهالي هذه المدينة يذكرون دخول داود باشا اول متصرفي لبنان الى جبيل يوم أمّها يواكبهُ الامير مجيد شهاب حفيد الامير بشير الكبير الذي عيّنه اولَ قائمقام على هذا القضاء وتحيط به الجنود اللبنانية الجديدة وعلى رأسها المرحومان البطلان والدي ابو سمرا غانم ويوسف الشنتيري . ولكن لم يكد يفرح الجبيليون بهذه الترتيبات التي أملوا ان يكون لهم منها كبير فائدة وجزيل نفع بجعلها نقطة اتصال بين كسروان والبترون حتى عبّست لها الاقدار ولم تمض سنة على تعيين الامير مجيد قائمقاماً على بلادي البترون وكسروان حتى صدر الامر في السنة التالية ١٨٦٢ بشطر البلاد الى جزئين وتقسيمها الى قائمقاميتين كسروانية وبترونية فجعل مركز الكسروانية غزير والبترونية البترون وألحقت جبيل وبلاد جبيل بكسروان . واصبحت مركز مدير ناحية جبيل السفلى . وقد بقيت الى اواسط مدة ولاية نعوم باشا مركزاً للطابور الثاني للجندية اللبنانية وكان بكباشي هذا الطابور يقيم مع جنده في القامة والقشلاق المجاور لها الذي كان بناه داود باشا ولهذا قد رأى الجبيليون بينهم كلًا من البكباشي سليم بك الطرابلسي قبل ان يصير امير الاي والبكباشي ابرهيم بك الشهابي الذي توفي في جبيل والبكباشي ملحم بك ابي شقرا الذي صار ايضاً امير الاي . وفي ايام

مظفر باشا نقل الطابور من جبيل ولم يبقَ فيها سوى فرقة صغيرة تحت امرة يوزباشي او ملازم اوّل وبعد الاحتلال جُعلت هذه المدينة مركزاً لطاقم على رأسه ملازمٌ ثانٍ. فكانت هذه التبديلات تؤلم قلوب الجبيليين . ولطالما سعوا لفصل بلادهم عن كسروان وانشاء قائمقامية مستقلّة فيها ذات محكمة بدائية . وقد أملهم بعض الذين يشتغلون بالسياسة بتحقيق امانيهم ان هم انشأوا داراً للحكومة فشيّدوا من مالهم من نحو عشرين سنة ونيّف السراي الحالية وما برحوا الى سنة الحرب يعلّلون النفوس بالفوز بما أمّلوا فجاءت الحرب واعوالها وقضت على احلامهم الذهبيّة

جبيل في زمن الحرب وبعده

وعلى ذكر الحرب اقول ان جبيل وبلادها قد نُكبت اكبر نكبة وقد حلّ فيها الجوع وكثرت الامراض والاوبئة فأهلكت اكثر من ثلث السكان الذين ذهبوا مع من ذهب من هذا الوطن العزيز ضحيّة جور واستبداد وسوء تدبير حكومة غاشمة ظالمة سدّت في وجوه رعاياها ابواب المعيشة لتُميتهم عن قصد او إهمال جوعاً وانتقاماً من إخلاصهم لدولة فرنسا . ان الجبيليين لا يذكرون تلك الايام العصيبة الّا وتتهيج في نفوسهم الاشجان وتسيل من مُقلهم الدموع صبّاً ولوعةً على تلك الضحايا البريئة . ان مئات من الناس الذي اقوا حتفهم في جبيل قد دُفنوا في رمال محلّة عين الياسمين وفي كل سنة يذهب الجبيليون وعلى رأسهم كهنتهم من الرهبان وفي مقدمتهم الرئيس العام بموكب مهيب الى رمل عين الياسمين ويقيمون صلاة الجناز من اجل راحة انفس الموتى الراقدين في ذلك المكان وجلّهم من الغرباء فيعرضون عن طيب مكارمهم ووافر تقواهم

لقد عاد الجبيليون بعد الاحتلال الى مساعيهم في انهاض مدينتهم من تقهقرها . فسعوا بان تكون لمدينتهم محكمة مستقلّة وما زالوا يلحّون حتى صدر امر القومندان ترابو حاكم لبنان الاسبق بجعل مركز حاكم صلح كسروان الاساسي في جبيل . فانتقلت المحكمة من جونية اليها في اواخر شهر اذار سنة ١٩٢١ حيث لم تزل باقية فيها حتى الان . فسُرَّ الاهلون بذلك اعظم سرور وأمّلوا ان يكون وجود المحكمة باكورة خير . ولم يكتفوا بذلك بل سعوا ان يكون لمحكمتهم صلاحية واسعة

فكان لهم ما تمنوا وقد صدر الامر منذ نيف وسنة بان يأخذ حاكم صلح كسروان لقب حاكم صلح جبيل وان يتمتع بصلاحية المحاكم الصلحية الواسعة . وهي التي تخوله ان يحكم بالقباحات والجُنح التي لا يتجاوز فيها جزاء الحبس ثلاثة اشهر وان يسمع الدعاوى المالية التي لا يتجاوز مقدارها ثلاثمائة ليرة سورية وان يصدق على صكوك الفراغ والانتقال وان يُنفذ الاحكام التي يُصدرها

ولما رأى الجبيليون ان من اهمّ دواعي العمران هو انشاء الطرق تسهيلاً للمواصلات بين بلدة واخرى سعوا متكاتفين مع سكان المقاطعة وخصوصاً اهالي قرطبا على طلب انشاء طريق للعربات من جبيل الى قرطبا ومن هذه الى الماقورة فبركة اليخونة فبعلبك . وكان حضرة اسعد بك لخود قد سعى في ايام الحرب وهو عضو مجلس الادارة الكبير عن قضاء كسروان في انشاء هذه الطريق واقناع الحكومة بفوائدها العسكرية فقرّرتها متصرفية علي منيف بك وبوشر العمل على نفقة الحكومة تحت إشراف ومراقبة اسعد بك المشار اليه . وقد انشئ منها نحو خمس كيلومترات ثم انكفُوا عن العمل بعد سفر المتصرف المذكور الى الاستانة

وبعد الاحتلال شمّر الجبيليون والقرطباويون عن ساعد الهمة وكان في مقدمتهم الدكتور جبرائيل الطويلي رئيس بلدية جبيل الحالي والخوري فرنسيس السخن القرطباوي فنجحوا . وكان من اكبر المساعدين على تحقيق هذه الامنية حضرة السيد احمد الحسيني عضو مجلس النواب اللبناني في الدورة السابقة . وقد بُدئ في العمل بكل حماس من جبيل ومن قرطبا معاً . والمأمول ان تتمّ هذه الطريق من جبيل الى قرطبا في اواخر سنة ١٩٢٧ . وان بُذلت المساعي لتمديدها الى بعلبك كانت اقرب طريق من بيروت وطرابلس الى تلك المدينة ولا يخفى ما ينجم عنها من الفوائد للبلاد التي تمرّ فيها ولاسيما لمدينتي جبيل وبعلبك

وبلاد جبيل فقيرة بالطرق جدًّا ولا اعلم ان في لبنان ناحيةً أُهملت فيها الطرقات كبلاد جبيل . فانك لا تجد طريقاً للعربات سوى الفرع الذي يمتدّ من جبيل الى عشيت فقرية حبالين . وقد سعى اهالي جرد جبيل وفي مقدمتهم رئيس دير ميفوق الى مدّ الطريق من حبالين الى ميفوق فتمّ لهم الامر وقد صدّق مجلس النواب مؤخرًا على هذا المشروع ويرجون بدء العمل في اوائل الشتاء القادم وستستفيد من هذه الطريق

القرى الآتية : حبالين . شاهات . عبيدات . ميفوق . لحفد . جاج . ترتيج . دوما

ودوما هذه تتصل بها طريق العربات بطرابلس من جهة الكورة . وهي بلدة عامرة فيها من الاسواق الحسنة والمتاجر الواسعة ما يبرهن على رقيها وهي تابعة قضاء البترون . فان تمَّ ربطها بجبيل تقرب المسافة بينها وبين بيروت وتزيد معها حالة جبيل تحسُّناً . ولا يخفى ان بلاد جبيل هي ككل انحاء جبل لبنان غنية بالاماكن الصالحة لتكون محطاً لرحال المصطافين فمتى توفرت فيها الطرق وسهلت اسباب النقل لا تلبث ان تباري المتن والشوف وسائر الجهات في مصايفها الفتَّانة . وهي ترجح عليها بسبب غناها بآثارها القديمة التي يتوق المولعون بتواريخها الى مشاهدتها عن كثب كالمشنقة وأفقا والبشونة وغيرها . واما عن مناظرها الفتَّانة وعذوبة مياهها وجودة مناخها فحدِّث ولا حرج وسبح ربك مبدع الكائنات . وحسبُ بلاد جبيل فخراً ان فيها نبع نهر ابرهيم في افقا الملقَّب قديماً بنهر ادونيس عشيق عشتاروت وان فيها اللقلوق المصيف الشهير الذي يتمنَّى متنجعو العافية ان يقضوا فيه بضعة ايام ليكسبوا الصحة التي ينشدون وفضلاً عما زانهُ الخالق من المحاسن الطبيعية التي تأخذ بمجامع القلوب وتسبي النواظر فانه تنبجس من جنباته أعذب المياه واكثرها هضماً وأسوغها طعماً . واللقلوق هو مصيف اهالي العاقورة وتنورين اولئك العمالقة الصناديد المشهورين بقوة ابدانهم وفتل سواعدهم وشدة بأسهم

بعض قرى بلاد جبيل

﴿عشيت﴾ بلدة عامرة تبعد عن جبيل الى الشمال ثلاثة ارباع ساعة تعلو عن سطح البحر مائة متر مشهورة بوجاهة عيالها ووافر ثروتهم . وقلما تخلو قرية من قرى بلاد جبيل إلَّا والعشيتيين فيها أملاك . فكما ان آل جنبلاط هم اكبر الملاك في الشوف وجزين هكذا هي حال العشيتيين في بلاد جبيل . وفي هذه القرية عيال ثلاث شهيرة بغناها ووجاهتها وهي : عائلات كلاب التي خرج منها مخايل بك طوبيا وشقيقهُ جبور بك وزخيا شلهوب وطنوس بطرس وسليم بك وهبه . وعائلة كرم ومنها فارس بك الخوري كرم الذي خدم الوطن بصفة عضو مجلس ادارة لبنان الكبير سنين عديدة وفارس شاهين كرم الاول واقف كنيسة ماري اليشاع وفارس شاهين كرم الثاني

وبطرس شاهين كرم واقف مدرسة الوردية المقدسة للبنات. وعائلة عبيد ومنها آل لحود واعظمهم غنى وثروة فارس لحود وشقيقه يزبك لحود المشهور بصداقته للامير بشير احمد. وقد خلف فارس اولادهم جبرائيل وروفائيل ومخائيل والد اسعد بك لحود الذي تولى عضوية مجلس ادارة لبنان مرتين ونال الرتبة الاولى العثمانية

ومن مآثر آل طوبيا انَّ مخايل بك طوبيا قد اوصى بانشاء مستشفى في عمشيت ومات قبل ان ينفذ مشروعهُ فأتمَّهُ من بعدهِ اخوه جبُّور واوجد هذا المستشفى سنة ١٨٥٧ وجعل الولاية عليه لأقاربه فتولَّاه على التعاقُب زخيا شلهوب ثم طوبيا زخيا والان نخله افندي يوسف زخيا وزخيا افندي طوبيا . وهو قائم على ربوة عالية جيدة المناخ تُديرهُ راهبات ماري يوسف اللواتي يعتنين بمن يؤمُّهُ من المرضى من اي دين كانوا ويقدّمنَ لهم المعالجة مجاناً على حساب الواقفين. وهي مأثرة يسطّرها التاريخ لمخائيل وجبور طوبيا بمداد الفخر . واظنُّ ان هذا المستشفى هو اقدم مستشفى انشأه شرقيٌّ في هذه البلاد

ومن الذين اشتهروا في عمشيت بعمل البرّ نذكر فارس جبور كرم الذي وقف املاكه على فقراء الكرسي البطريركي الماروني واشترط ان يكون بيتهُ مقرًّا لاسقف وتُعرَف داره الان بالنيابة البطريركية. واني لاذكر بين المحسنين وعاملي الخير الاخوين الفاضلين الخوري بطرس كرم وروكس كرم وهما مشهوران بتقواهما وببذلهما الحسنات الخفيَّة للعيال المستورة وبمساعدتها البنات الراغبات في الحياة الرهبانية باموالهما ليدفعن البائنة المطلوبة منهن

وقد شيَّدت العائلات الثلاث المارّ ذكرها وهي عبيد وكرم وكلاب كنيسة السيدة. وحسبُ عمشيت فخرًا انها أنبتت البطريرك ارميا العمشيتي القديس الذي يُروى عنهُ انهُ اجترح العجائب اذ كان في رومية يزور الاعتاب الرسولية. ومن عائلة كرم المدعو اسبيريدون الذي نزح في اوائل الجيل الماضي الى اللاذقية وهو جدُّ يوسف بك الحكيم ناظر عدلية سورية الحالي المشهور. ومن هذه العائلة عفيفة كرم الكاتبة الاديبة التي توفيت في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٤

ومما هو جدير بالذكر ان ارنست رينان العالم الفرنساوي المشهور لمَّا اتى بعد سنة الستين موفدًا من حكومتهِ للتنقيب عن الآثار القديمة قد حلَّ على الرحب والسعة في

دار زخيا شلهوب واقام فيها مدة وهنالك توفيت شقيقته هنريت ودُفنت في مدفن عائلة زخيا المشار اليه . وفي السنة الماضية حضرنا في عمشيت الاحتفال الذي اقامه بعض محبي العلوم الاثرية من الافرنسيين بحضور الجنرال سراي واركان حكومة الانتداب والحكومة اللبنانية فنصبوا فوق الضريح تاريخاً لوفاتها

وفي عمشيت مدرسة للاخوة المريميين وهي اقدم مدارس هذه الجمعية في لبنان وسوريا ولذلك يسمونها «البيت الام» يقيم فيها على الغالب الاخوة الذين اثقلت كواهلهم السنون او انهكتهم الامراض فيدانون الى هذا البيت الصحي انتجاعاً للعافية فيستعيدون ما فقدوه من قواهم ويستأنفون العمل الباهر في خدمة الدين والعلم والاداب . وفي عمشيت مدرسة تعرف بالوطنية يديرها الاديب الناهض اديب افندي لحود وقد سمعت الكثيرين يثنون على منهجها وحسن خطتها . وفيها ايضاً مدرسة للبنات بادارة راهبات العائلة المقدسة المارونيات

﴿اده﴾ بلدة صغيرة جيدة التربة تبعد عن جبيل شرقاً بشمال مسير ساعة . وقد اشتهرت بانها منبت عائلة اده البيروتية التي اتحفت الوطن برجال عظام يفاخر بهم وقد احرزوا في عالم الدين والدنيا مكانة عالية . اذكر منهم المرحوم ميشال بك اده ترجمان ولاية بيروت وولده كميل الذي خلفه قبل الحرب بهذه المأمورية وهو حالياً رئيس كتّاب مجلس شورى الدولة والاستاذ اميل اده رئيس المجلس النيابي السابق الذي كادَ ان يكون رئيس الحكومة اللبنانية لو لم يفضّ الجنرال سراي المجلس . واخاه الاب خليل اده اليسوعي والاب جبرائيل اده الذي ترأس على كلية القديس يوسف سبع سنين والمحامي كميل افندي اده رئيس جمعية قدماء تلامذة المدارس العليا وغيرهم كثيرين . ومن اده ايضاً خرجت عائلة ملّاط في بعبدا التي نبغ فيها الدكاترة يعقوب وفارس وصعب والقانوني يوسف الملّاط والشاعران الاخوان تامر وشبلي الملاط . وفي اده كنائس صغيرة قديمة معظمها كان قديماً معابد للاصنام

﴿بلاط﴾ قرية شرقي جبيل تبعد عنها نصف ساعة ويُقيم فيها فرع من عائلة المشايخ الدحداحة . نذكر منهم الخوري اسقفي المنسنيور يوسف الدحداح رئيس الرسالة المارونية في اوستراليا . وفي هذه القرية كنيسة كانت ايضاً قديماً معبداً للاصنام ولما زارها رينان عثر على حجر عليه كتابات قديمة انتزعه من فوق باب الكنيسة وارسله الى

متحف العاديات في باريز

﴿إهمج﴾ قرية عامرة في وسط بلاد جبيل . اشتهرت فيها عائلة المشايخ آل خوري الذين منهم رشيد بك الخوري وولده نجيب بك الذي خدم الحكومة اللبنانية بصفة سر طبيب المتصرفية في ايام يوسف باشا فرنكو واوخانس باشا قيوجيان . واسكندر بك الخوري مدير جبيل السفلى وجبيل العليا سابقاً

﴿مشمش﴾ من اجمل قرى هذه الناحية تعلو عن سطح البحر نحو ثمانمائة متر وتبعد عن اهمج شمالاً نحو ساعة . هي غنية بمشاعاتها . واهم العيال فيها عائلة الخوري وهي الآن فروع اذكر منها فرع نون ومنه الخوري يوسف نون الذي انشأ فيها مدرسة داخلية سنة ١٨٨٤ ووقفها على عائلته . وقد ازدهرت هذه المدرسة مدة قبل الحرب وبعد الاحتلال ولكنها الان مقفلة الابواب بسبب خلاف بين افراد العائلة الطالبين بالسيطرة عليها . وقد انشأ الخوري يوحنا نعمه احد تلامذة مدرسة الاباء اليسوعيين الاكليريكية في بيروت مدرسة اخرى في جوار الكنيسة القائمة على رابية عالية شمالي القرية . وقد زرت هذا الكاهن مؤخراً فرأيته مع كاهن الرعية النيور الخوري يوسف دريان ملتهبين غيرة على خير النفوس فتمنيت ان يرى لهما امثال كثيرون من كافة القرى . ومن هذه القرية خرج الياس شحاده الشهير واولاده وكانوا في عصرهم من اكبر وجوه بلاد جبيل . وقد اشتهر رهبان مشمش بتقدمهم وغيرتهم ومآثرهم اخص بالذكر الاب انطونيوس المشمشاني الذي توفي سنة ١٩٠١ ورئيساً عاماً على الرهبنية البلدية

﴿لحفد﴾ وهي شمالي مشمش تبعد عنها نحو ساعة ونصف مشهورة بجودة مناخها وعذوبة مائها . وهي مصيف بعض الاغنياء من اهالي عمشيت الذين لهم فيها املاك واسعة . ومن هذه القرية خرجت عائلتا غانم التي لها فروع عديدة في الفتوح وكسروان وبيروت وبكاسين وبسكنتا وبعلبك وغيرها . ومن لحفد موسى افندي باخوس غانم مدير جزين الحالي . ولهذه العائلة وقوفات تعرف بوقف مار الياس لحفد . ومن العيال المعروفة في لحفد بيت ضو ومطر

﴿يسقي لحفد﴾ قرية غنية بمياهها اشتهرت بكونها مسقط راس الشيخ راغب الخازن وكان في زمانه من اصحاب الجاه والثروة في الاملاك

﴿جاج﴾ بلدة قريبة من لحفد تبعد عنها شرقاً نحو ساعة مشهورة بكونها مسقط رأس الشماس سركيس جدّ العائلة الخازنية التي شرّفت الطائفة والوطن باعمالها الباهرة ومآثرها الفريدة ديناً ودنيا. وفيها من العيال المعتبرة بيت الخوري يعقوب وبيت بركات وبيت الغنيمي . اشتهر منهم المرحوم القس يواصاف الغنيمي

﴿ترتج﴾ بلدة عالية مشهورة بطيب هوائها وكثرة ماشيتها. فيها المراعي الخصيبة للماعز. وجبن ترتج من اوفر الاجبان لذةً واجودها طعماً

﴿العاقورة﴾ منبت الاسود وعرين السباع وبحق يمكننا ان نقول ان العاقورة معقل الصناديد الذين كانوا فيما مضى يذودون عن حياض النصرانيّة ضد غارات الاعداء. وهي بلدة عماد العاقوري المشهور بضرب السيف حتى صار يُضرب به المثل. ومن احفاده رجال أشداء اقوياء يهابهم الخصوم ويجتنب إهاجةَ سخطهم الاعداء. وعماد فرعٌ من المشايخ آل الهاشم وعددهم يربو على المائة ومن هذه العائلة الشيخ عباس الهاشم مدير العاقورة سابقاً وولده الشيخ سليم مدير قرطبا حالياً. وقد اشتهرت في العاقورة هذه العيال: بيت حرب وجرمانوس ومنهم الشيخ جبرايل جرمانوس المثري الكبير والشيخ يوسف جرمانوس مستنطق محكمة صور. وبيت ياغي وبيت مرعب. ومن هؤلاء الخوري بولس مرعب الذي كان مدةً كاتب اسرار المرحوم المطران يوسف الدبس. وجميع هذه العيال موصوفة بالشجاعة والبأس ولها في تاريخ الفروسية صفحاتٌ خالدات. الّا انهُ كان يقع بينها حوادث مكدّرة يؤسف لها ترجو ان لا تتكرّر فيما بعد لاجل سمعة العاقورة الطيبة

﴿قرطبا﴾ هي اكبر قرى بلاد جبيل ذات متاجر حسنة . فيها معامل الحرير العديدة واهاليها موصوفون بدماثة اخلاقهم ولين عريكتهم وانصرافهم الى العمل والمكسب. وبعد ان كانت قرطبا توصف قديماً بالفقر اصبحت قدوةً للغير في الكدّ والجدّ لاحراز المال فأثرى ابناؤها وصار يُضرب بهم المثل في الغنى. وفي قرطبا دير مار سركيس للرهبان البلديين وهو دير عامر من اكبر اديار الرهبنة. وفيه توفي القس دانيال الحدثي احد الاربعة الذين تسمى الرهبنة لتثبيت قداستهم. وقد زرت هذا الدير من نحو خمس وثلاثين سنة برفقة الاب جوليان اليسوعي وكانت جثة هذا الرجل البار لم تزل في المقبرة محفوظة بدون فساد وقد شاهدتها بأمّ العين . وقد علمتُ بعد ذلك

ان الرهبان نقلوها من المقبرة الى الكنيسة ووضعوها في تابوت خاص

﴿عَلمات﴾ وبالقرب من قرطبا قرية علمات وهي اكبر قرية للشيعة في بلاد جبيل . وكانت تابعة قبلاً لمديرية المنيطرة التي كان مديرها شيعياً ولما أُلغيت المديريات التي كانت في هذه القاطعة واستُعيض عنها بمديريتي جبيل وقرطبا أُلغيت ايضاً مديرية المنيطرة وضُمّت علمات الى مديرية قرطبا . واراضي علمات جيدة وغنية بالحاصلات والفضل يعود الى نشاط الاهالي وانكبابهم على العمل واهتمامهم بالزراعة والفلاحة

وعدا عن القرى التي ذُكرت يوجد في بلاد جبيل قرى اخرى صغيرة اذكر منها . بير الهيت ومشان ومنها عائلة سعيد المعتبرة . وبنتاعل ومنها القس اسطفان بنتاعل تلميذ كلية الاباء اليسوعيين الذي اشتهر بالوعظ وتولى مديرية الرهبنة اللبنانية عدة سنوات . ومشحلان ومنها المنسنيور يوحنا كيرالس الذي قضى سنين طويلة في الشام نائباً بطريركياً مارونياً . والكفر ومنها الاب نعمة الله الكفري الذي تولى رئاسة الرهبنة اللبنانية وكان مشهوراً بعلمه وقداسته . وشامات ومنها سيادة المطران بولس عقل النائب البطريركي . وبيت حباق ومنها المثري المعروف غالب افندي فرجان . وحبالين ومنها الوجيه فارس افندي حنا . ومعاد ومنها الاب اسطفان دوميط تلميذ الآباء اليسوعيين في غزير الذي دخل رهبنة الدومنيكان والخوري يوسف دوميط الذي ادى الى الشبيبة المارونية خدماً كثيرة بتوسطه لعدد غير يسير من طلاب وطالبات العلم ان يرتشفن افاويقه في مدارس فرنسا وبلجيكا العالية

و﴿ميفوق﴾ وقد اشتهرت بديرها العامر الذي تحوّل منذ سنين الى مدرسة داخلية فيتفانى الرهبان في تهذيب الناشئة على اسس الدين والفضيلة وحب الوطن وتغذيتهم بالعلوم العربية والافرنسية حسب الاساليب الحديثة

﴿وعنّايا﴾ وفيها دير القديس مارون الذي اشتهر بمناسكه التي أوى اليها الرهبان الحبساء ومارسوا فيها اسمى الفضائل الانجيلية . وحسبنا ان نذكر منهم الاب شربل بقاع كفرا الذي تشكّلت المحكمة الروحية في جبيل لفحص اعماله وعجائبه ليصير تثبيته قديساً من الكنيسة المقدسة . وقد نشر المشرق في احد اجزائه ترجمة حياته

﴿فغال﴾ وهي قرية كثيرة الخصب وافرة الخيرات ذات تربة جيدة . واهم حاصلاتها مع التوت والزيتون اللوز ولا يوجد قرية في لبنان تعطي من هذا الثمر ما

تعطيه فغال وقد اشتهر منها الخوري بطرس ابي صعب

﴿وبجه﴾ وهي من اكبر القرى واغناها خرج منها كهنة افاضل وادباء نجباء. نذكر منهم الخوري بولس الاشقر والخوري الياس الحايك. وبجه ومعاد قد تفرع عنهما قرى عديدة وعيال كثيرة. واغلب سكان القرى المجاورة سواء كانوا في بلاد جبيل او في بلاد البترون فينتمون الى بجه ومعاد فمن لم يكن معادياً فهو بجانياً. والناس تقول: بجه ومعاد ثلثان البلاد

﴿وعين كفاع﴾ وهي مشهورة بجودة زيتها وقد اشتهر منها الخوري يوسف الحداد الشاعر المطبوع والاستاذ المعروف

﴿وغلبون﴾ وهي قائمة بين معاد وبجه وعين كفاع. فيها نوع من العنب يحفظونه الى شهر شباط ومنها الاستاذ يوسف الغلبوني

وفي بلاد جبيل ناحية تُعرف ﴿بالقرنة او قرنة الروم﴾ لان معظم سكانها ان لم نقل جميعهم من طائفة الروم الارثوذكس وهي واقعة بين جبيل والبترون. اهم قراها: المنصف ثم غرزوز فشيخان فالبرباره فالحارة فجدايل ونصف اهالي هذه تقريباً من الموارنة ولهم فيها كنيسة. وقد اشتهر اهالي القرنة بميلهم الى العلم واشتغالهم بالتجارة لاسيما تجارة الدخان. اذكر منهم الخواجات جرجي عازار ونسيب عازار وشكرالله عبدالله. ومن العيال المعروفة ايضاً عائلة الرصباني ولها فروع في الشوير منها فارس افندي مشرق ونجيب افندي مشرق. ولاهالي القرنة عدة معامل للدخان في جبيل. ولشكرالله عبدالله معمل لورق لف الدخان في الشياح. ومن اكبر الاسباب لاشتغال اهالي القرنة بالدخان هو لأن اراضيهم صالحة كثيراً لزراعته واذا كان الدخان الجبيلي قد نال شهرة عند المدخنين فالفضل عائد في اول درجة الى دخان القرنة الشهير بجودته والى تجار القرنة الخبيرين بتوضيبه. وعلى ذكر الدخان ومعامل الدخان لا يسعني ان امرّ بدون ان آتي على ذكر معمل الدخان الذي انشأه الخواجا نسيب الخرّاط من اهالي شامات في جبيل وهو من اكبر معامل الدخان في لبنان وتصرف سكايره في كافة انحاء الجمهورية اللبنانية

هذا ما رأيت إتحاف قرّاء المشرق به ليلمّوا باخبار جبيل وبلاد جبيل هذه البقعة التي هي في وسط البلاد والتي يرجو سكانها عطف الحكومة عليها لتأخذ بيدها

لتسير في سبيل النجاح الذي سلكته من قبل سائر الانحاء اللبنانية كالمتن والشوف وغيرها. واهمُّ ما يترجّاهُ الجبيليون بعد فتح الطرق في بلادهم هو ان يقرّب الله الساعة التي يتمّ فيها مشروع الكهرباء في نهر ابرهيم وبرّ مياهه الى اراضيهم مع انشاء سكّة حديديّة بين طرابلس وبيروت تمرّ بمدينتهم فان تمّ لهم ذلك تحقّقت احلامهم بان يروا جبيل تستعيد تدريجاً شيئاً مما فقدته من سابق عزّها وحضارتها وعمرانها ان شاء الله وبهمّة مديرها الحالي حضرة الشيخ بان صليبي الخازن

وقبل ان افرغ من هذا المقال عن هذه البلاد العزيزة جعلتُ مسك الختام الكلام عن دير سيدة المعونات ويعرف ايضاً بدير البنات. ويتناقل الجبيليون بالتقليد ان سبب هذه التسمية كان لأنّ ملوك جبيل قد اتخذوه مصيفاً لبناتهم بالنظر لحسن موقعه وجودة مناخه. وهو قائم على رابيَة عالية تشرف على جبيل وبحرها وبيروت وساحلها ويبعد عن البحر نحو نصف ساعة. وقد اتخذه قدس الاب اغناطيوس التنوري الرئيس العام الحالي على الرهبنة مركزاً له بدلاً من دير طاميش لوقوعه في نقطة متوسطة في البلاد ولسهولة الوصول اليه لانه لا يبعد اكثر من عشر دقائق عن طريق العربات. وقد باشر الرهبان بانشاء شعبة توصله بالطريق العام. وقد زاد هذا الرئيس الجليل الغيور في بنايات الدير وجعلهُ مدرسة يتلقّى فيها الرهبان المرشحون الى درجة الكهنوت المقدسة العلوم العربية والافرنسية مع اللاهوت ويتمرّنون على عمل الرسالة والارشاد

وقد زرتُ هذا الدير العامر اكثر من مرّة وكنت اعود كل مرة مُعجباً بصفات الرئيس العام ومثنياً على الروح الرهبانية التي يتجلى بها رهبانه بكل مظاهرها الحيّة. والذي اثلج صدري وطربتُ له غاية الطرب هو ما وجدته في هذا الصرح العلمي من الترتيب والنظام الماثلَين لما نشاهده في كلية القديس يوسف التي تلقّى معظم اساتذة دير سيدة المعونات علومهم فيها. فالرهبان هنا يصرفون اوقاتهم بالعمل وليس للبطالة عندهم مقام ولا بدّ ان ترى يوماً هذا الترتيب عاماً جميع اديار الرهبنة. ولا يخفى على احد ما يرجوه الوطن من الفوائد الادبية والدينية والتعليمية والثمار الشهية التي يجنيها من مآتي هؤلاء الابطال الصناديد في حلبة العلم والتهذيب والادب ان شاء الله

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٣٣ القس يعقوب المارداني

كان يعقوب المارداني احد قسوس اليعاقبة السريان ذكره الشيخ المؤتمن ابو اسحاق ابن عسّال في جدول كتبة النصارى الذي قدّمهُ على كتابهِ اصول الدين (ص ٢٨ من نسخة مكتبتنا الشرقيّة) روى اسمهُ بعد يحيى بن عديّ وعيسى بن زُرعة ويحيى بن جرير (ويقال جرير) فقال: «القس الفاضل يعقوب المارداني صاحب دعوة القسوس»

امّا دعوة القسوس هذه فعلى ما يظهر كتابٌ ادبي روى فيهِ المؤلف اخبارًا ادبيّة تروى لقسوس النصرانيّة . وقد جاء في طبقات الاطبّاء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣) انَّ ابن بطلان الذي سبق لنا ذكرهُ هو صاحب دعوة القسوس والمشهور انهُ صاحب دعوة الاطباء كما اثبتنا هناك . والقس يعقوب هذا كان من تبعة البدعة اليعقوبيّة . امّا نسبتهُ «المارداني» فاراد بها «ماردين» مدينة الجزيرة الشهيرة وكان الصواب ان يُنسب اليها «المارديني» فرواها على صورة شاعت على ألسنة بعض العامّة

وكنّا أيسنا من اكتشاف شيء من كتاب دعوة القسوس حتى السنة ١٩٠٤ اذ اطّلعنا في دار المرحوم الوجيه بشاره بارد على مخطوطات قديمة مخرومة كان من جملتها كرّاس من قطع صغير طولهُ ١٨ سنتمترًا في عرض ٢١ س ذي ورق صفيق مصفرّ اقدمهِ ينقص اوّلهُ ويبلغ ١١٣ صفحة وفي الصفحة ٢٢ سطرًا كُتب بخطّ نسخي ناعم ومتقن بحبرين اسود واحمر يرتقي الى القرن الثامن عشر . وهو مجموع شعر قديم لشعراء مسلمين بينهم بعض النصارى . ففي الصفحة ١٠٣ منهُ فصلٌ عنوانهُ «ومما وُجد من القصائد والاشعار الخمريّة» ذكر فيهِ بعض الخمريّات مترنمًا

عن الخمرة المادّية الى ذكر الخمرة الالهيّة في سرّ النصرانيّة ببيتها قطعٌ اخذها من كتاب دعوة القسوس قال (ص ١٠٥): هذه خمريّة من كتاب دعوة القسوس (من الوافر):

أعادَ بنعمة الربِّ المسيحِ ... عليَّ بذلك الخمرِ المليحِ
لقد غفلَتْ خطوبُ الدهرِ عنّا ... وقد ظمئت الى الصهباء روحي
وقد حضرَتْ ومَن تهوى فبادِرْ ... وروِّ جوانحي بدم الذبيحِ
فلو كانت حراماً ما أُبيحَتْ ... لِمَنْ يختارُ شُربَ دمِ المسيحِ
ولا داوى بها ربُّ البرايا ... بليّةَ آدمَ المُلقى الجريحِ
ولا أوصى الرسولُ بها جهاراً ... وحلَّلَ شُربها أمرُ الصليحِ (١
فإن بادرتَ لَفُزتَ بكل شُكرٍ ... وحصَّلتَ السرورَ مع المديحِ
وإن أخرتَ دعوتَنا لمعنًى ... أبالمِذْرِ القبيحِ أم المليحِ ؟
وتطمعُ بالزيارةِ بعد وقتٍ ... لتمحو ما سطرتَ من القبيحِ
تجدنا كالمُخدَّرِ في سرورٍ ... وانت ببابنا مثلَ الطريحِ

(قال) ولهُ ايضاً في معناه (من الطويل):

أيا مَن غدا ذُخري لكلِّ مُلمَّةٍ ... تُلِمُّ ولا زيدٌ سواهُ ولا عَمرو
هلمَّ الى الراحِ التي كان صانَها ... لنادون كلَّ الخلقِ في دِنِّها العُمْرُ (٢
فبادِرْ فما اللذّاتُ إلّا غنيمةٌ ... فشمِّرْ اليها قبل ان ينفدَ العُمْرُ

ولهُ ايضاً فيها وقد احسن وصف اسرارها (من الكامل):

شمِّرْ ذيولَكَ في عُرى الزنّارِ ... واعجِلْ الى دَنِّ طِلي بالقارِ

١) اراد بالرسول القديس بولس. والصليح والصليح ومن السريانيّة حكمًا هو بمعناه
٢) العُمْر الكنيسة والدير وبذكره يتّضح انهُ اراد الخمر المقدّسة والقربان

فلقدْ تَحجَّرَ طِينُهُ في رأسهِ من كثرةِ الايامِ والأعمارِ
واكشفْ تجدْ شمسَ الضُّحى محجوبةً في جُنحِ ليلِ القارِ والفخّارِ
قالوا : العُقارُ ولو أضاءَ لعقولهم مقدارُها ما سُمِّيَتْ بعُقارِ
نورٌ يفوقُ سناءَ كلَّ طريفةٍ من ساطعِ الأضواءِ والانوارِ
سرٌّ يُسِرُّ بهِ الى تبّاعهِ نورُ العقولِ وكاشفُ الأضرارِ
قد قلتُ لمّا أبرزَتْ في كأسها : تَنسَ الذي باعَ الضيا بغُبارِ
مالوا الى الدينارِ قلتُ : عُدِمتُكُمْ أدمُ المسيحِ يُباعُ بالدينارِ ؟
قد كانَ قبلَهُمُ يهوذا بائعاً دمَهُ بتِبْرِ التِّبْرِ للكُفّارِ

وهو ايضاً القائل لله دَرُّهُ (من الكامل) :

نورٌ بكفِّكَ ام شِهابُ النارِ جمرٌ تضرَّمَ ام نُضارٌ جاري
شمسُ الضُّحى في الكأسِ أم فجرٌ م تبسَّمَ صُبْحُهُ من تحتِ ليلِ القارِ
هذي التي مزجَ المخلِّصُ كأسَها في يومِ عيدِ الفِصحِ للأطهارِ
هذي التي جلَتْ بها انوارُها عن سائرِ الاشجارِ والأثمارِ
صفراءُ لكن حُمرةٌ في خدِّها من لطمِ أخمصِ أزجلِ العصّارِ
لمّا رمَتْ عنها الكثيفَ تمكّنَتْ وتلاعبَتْ بلطائفِ الأفكارِ
وكذا النفوسُ اذا رمَتْ شهواتِها قويَتْ لعِلمِ غوامضِ الاسرارِ

ومن محاسن شعرهِ فيها ايضاً قولهُ (من الطويل) :

أمِطْ عن سناها الختمَ طالَ بها العُمْرُ فما صاتَها إلّا لأربابِها العُمْرُ(١

١) سبق ان العُمْر الكتبة والدبر

فقد جئتها يا راهبَ الدير خاطباً لها راغباً فيها وان كثُرَ المُهرُ
فقال : أريدُ المُهرَ تِبرًا فانّما لتُرجعَ صِفرَ الكفِّ ان ظهرَ الصفرُ
فقلتُ : إذنْ قُمْ للعقارِ مبادرًا فكيّلْ لهم تِبرًا وكيّلْ لنا خمرًا
فقال : يُباعُ الوقفُ لا الخمرُ خمرُنا فقد رذلتْ نسلاً يقوم بهِ التِبرُ
فقلتُ لهُ : خبِّرْ حقيقةَ أمرِها لقد بان لي من سرّ اتوارها خُبرُ
فقال : هي الراحُ المسيحيّةُ التي تجلا امرَها ربّي كما اشتهرَ الأمرُ
تناوَلها سِمعانُ ثمّ تداولتْ يمرُّ بها عصرٌ ويُدركها عصرُ
الى أن وجدنا في المذابح من سنا تجوهرِها سِرًّا فبانَ لنا السرُّ
فكان لها خدرُ الدنان فأصبحتْ براحاتنا تُجلى وكاساتُنا الخِدرُ
اذا أُترِعتْ في كأسها او تشعشعتْ يُخالُ بها جمرٌ وليس بها جمرُ
مُشعشعة يزهو على البدر نورُها كأنّ سناها في جبينك يا بدرُ
معطّرةٌ أعطافُها فكأنّها استُعير لها من طيبِ أعطافها النَّشرُ

وقال ايضاً (من البسيط) :

هذه هي الراحُ لا شبهَ تجوهرِها ولا يُماثِلها باللُّطفِ مشروبُ
قد قال سيّدنا والكأسُ في يدهِ : هذا دمي خلاصَ الخلقِ مسكوبُ

فترى ما بين هذه الخمريّات وخمريّة ابي الحفص الصوفي الشهير بابن الفارض من الشبه . ويعقوب المارداني معاصر لابن الفارض فلا يبعد انّ احدهما اخذ عن الآخر او جاراهُ في اقوالهِ . وهذه بعض ابيات للفارض يمكن عرضها على اقوال صاحب دعوة القدس

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا بها من قبل ان يُخلقَ الكرمُ

لها البدرُ كأسٌ وهي شمسٌ يُديرها هلالٌ وكم يبدو اذا مُزِجَت نجم
فإن ذُكِرَتْ في الحيّ أصبحَ أهلُهُ نُشاوى ولا عارٌ عليهم ولا إثمُ
فلو نفّحوا منها ثرى قبرِ ميتٍ لعادت اليهِ الروحُ وانتشَ الجسمُ
ولو قرّبوا من حانها مُفْعَدًا مشى وتنطقُ من ذِكْرِي مَذاقتها البُكْمُ
يقولون لي: صِفْها فانت بوصفها خبيرٌ، أجَلْ عندي باوصافها علمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطفٌ ولا هوًا ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسم
تقدَّمَ كلَّ الكائناتِ حديثُها قديمًا ولا شكلٌ هناك ولا رَسْمُ
وقامَتْ بها الاشياءُ ثمَّ لِحِكْمَةٍ بها احتَجَبَتْ عن كلِّ مَنْ لا لهُ فَهْمُ
وهامَتْ بها روحي بحيثُ تمازجا م اتحادًا ولا جِرْمٌ تخلَّلَهُ جِرْمُ
ولا قبلَها قبلٌ ولا بَعْدَ بَعْدَها وقَبْلِيَّةُ الأبادِ فهي لها حَتْمُ
وقالوا: شَرِبْتَ الإثمَ. كلّا وانما شربتُ التي في تركها عنديَ الإثمُ
هنيئًا لاهل الديركم سكروا بها وما شَرِبوا منها ولكنهم نَمُّوا
على نفسهِ فَلْيَبْكِ من ضاعَ عمرهُ وليس لهُ فيها نصيبٌ ولا سَهْمُ

فلعمري انَّ الشبهَ ظاهر بين اقوال الفارضي وصاحب دعوة القسوس وعلى رأينا انهُ هو اخذ عن يعقوب المارداني اقوالهُ فكساها ديباجاً فاخرًا يستطيع النصارى ان يحولوا معانيهُ الى سرٍّ طالما ذاقوا حلاوةَ الالهي وحُرِمَهُ من لا يُدرك اعظم عطايا الله للعالم اي سرَّ محبتهِ في القربان الاقدس

٣٤ يحيى بن ماري

﴿ نسبهُ دينهُ زمانهُ ﴾ ورد ذكرهُ في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (ص ٣٦٠ــ٣٦١) وفي مختصر خريدة القصر في شعراء العصر لعلي المعروف برضاني زاده المتوفى سنة ١٠٣٩هـ ــ١٦٢٩م) (Ms de Berlin. 7412 pp. 64) وفي مختصر تاريخ الدول لابن العبري (ص ٤١٦) قالوا: هو ابو العباس يحيى بن سعيد بن ماري النصراني المتطبب المعروف بالسيحي. والمرجح انهُ كان نسطوري النحلة. واصلهُ من الطيب بلدة بين واسط وخوزستان من موضع يقال لهُ الدُّوَير وكان ابوهُ قد انتقل من الدوير الى البصرة واولد ولدهُ هذا بها. قال جمال الدين: كان ابن ماري عالمًا

بالطب وكان يطب في مدينة البصرة في زماننا وكان عالماً ايضاً بالادب ادركنا من روى عنهُ فيمن ادركناهُ ابو حامد محمد بن محمد بن حامد بن الله الاصفهاني العماد رحمهُ الله. وتوفي ابو العباس يحيى بن سعيد بالبصرة لعشر بقين من شهر رمضان سنة ٥٨٩هـ(١١٩٣م)

﴿ ادبهُ وشعرهُ ﴾ جاء في مختصر خريدة العصر عن العماد الاصفهاني قال: «كان لابي العباس معرفة بالادب وقد عمل ستين مقالة على منوال المقامات الحريرية ورأيتُها معهُ وما قصّر فيها» وقال جمال الدين القفطي: وكان للمسيحي هذا معرفة بالادب صادقة وربّما امتدح بالشعر اجلّاء الواردين على البصرة. وانشأ وصنّف المقامات الستين صنّفها واحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربيّة والشعر يرتزق بالطب. وذكر الحاج خليفة مقاماته (H.Kh., VI, p. 65, n° 12721) قال: «المقامات المسيحيّة لابي العباس يحيى بن سعيد بن ماري النصراني البصري الطبيب المتوفى في رمضان سنة ٥٨٩ نسج فيها على مثال مقامات الحريري. قال ياقوت: اجاد فيها. قال الصفدي: ما اجاد ولا قارب الاجادة. والمقامات الجزريّة والمقامات التميميّة خيرٌ منها وما قاربتا الحريري»

(قلنا) اننا اطلعنا في مكتبة ڤينّا عاصمة النمسة (FLUGEL: Die arab. Handschriften I, 358, Ms 384) على مجموعة مقامات في عدد سبع وعشرين مقامة نُسبت لابن ماري المذكور وانتسخنا قسماً منها اوّلها المقامة الفقهيّة ثمّ الروميّة ثمّ الشعريّة وآخرها المرجيّة. ثمّ اطّلعنا في بغداد في كانون الاوّل سنة ١٨٩٥ على نسخة أخرى قديمة كاملة من المقامات المسيحيّة في خزانة كتب الحيدرخانة لم يسمح لنا قصر الزمان بنقلها وانّما نقل منها حضرة الاب انستاس الكرملي مقدّمتها ومقامتها الاولى المعروفة بالرهاويّة فنشرناها في المشرق (٣[١٩٠٠]: ٥٩١—٥٩٨). وقد قابلنا بين نسختي ڤينّا وبغداد فرأينا بينهما اختلافاً كبيراً ليس في عدد المقامات فقط بل في انشائها. فالمقدّمة في كلتيهما تختلف اختلافاً تامّاً وكذلك يختلف الراوي والمروي عنهُ في المقامات فانّ في نسخة بغداد يدعى راوي المقامات يحيى بن سلّام وفي نسخة ڤينّا اسمهُ ابو الخير بن الحارث يروي عن ابي الفضل. وقد ارتبنا في نسبة هذه النسخة الى

ابن ماري لأنّ في مقدّمته يذكر نبيّ الاسلام ويصلّي عليه على خلاف عادة النصارى وعلى خلاف ما ورد في نسخة بغداد ودونك قطعة من مقدّمة نسخة فينّا

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهمّ على ما بأنتنا من البلاغة ، وسوّغتَ لنا من الصناعة والصياغة ، وعلى ما ألهمتنا من التبيان البديع ، والبُنيان الرفيع ، وعلى ما ذلّلتَ لنا من جوامح الشوارد ، ودلّيتنا (كذا) عليه من لوائح الفوائد ، وما ارشفتنا به من سوافح الموارد ، واشرفتنا عليه من سفح المقاصد ، ونشكرك على ما علّمتنا من نوابغ الحِكَم ، ونعّمتنا به من سوابغ النِعَم ، ونصلّي على أفصح من نطق بالضاد والذال ، ومن هو الى الخير هادٍ وعلى الحقّ دالّ ، سيّدنا محمّد الذي اخمد الضلال ، بأحمدِ الخصال ، وعلى سائر صحبه والآل ، ما طلع هلالٌ وآل آل . وبعدُ فانّ المقامات الحريريّة اشهر من أن تُذكر ، واكبر من ان تُكبّر ، وقد حازت قصب السبق في مضمار البلاغة البالغة ، وكلّت فيها البصائر والابصار فهي ما بين راثنة وزائنة ، لان الحريري ادهش كلّ ناسج على منواله ، وحيّر كلّ عامر في مسالك مقاله ، حيث اخترع واستوعب ، واقترح واستصوب ، وقد كلّفني مَنْ لا أُطيق ردّهُ ، ولا استطيع صدّهُ ، ان اقفو اثرهُ ، واتلو خبرهُ ، ليورق لي في روض الغراس عودٌ ، ويُشرق لي في افق الكمال سعودٌ ، لعمري انهُ تكليفُ ما لا يُطاق ، وتعجيز النفس بالامر الشاقّ ، فتلطّفتُ عليها بالملاطفة ، وارتديتُ فيها بالمُضافه ، وتنمّتُ من البحر بالوشل ، ومن التريرة بالترر الاقلّ ، وقد تطفّل قبلي الوصليُّ والقوّاس ، وكلٌّ رمى ولم يُصِب واخطأ القياس ، ولسان الحال ينادي ، للرائح والغادي

كم عاشقٍ قد ماتَ حولَ خيامنا اسفاً ولم يَظفَرْ بكشف البُرقع . . .

وكفى بهذا دليلاً على طريقة الكاتب ولا نبتُّ الحكم في صحّة نسبة هذه المقامات لابن ماري . ويزيدنا ارتياباً فيها انّ مدار كثير منها على مسائل اسلامية كالفقه والحديث واسانيد قرآنيّة . هذا ما ظهر لنا من مطالعة هذه المقامات في نسخة مكتبة فينّا . ولم نجد فيها من البلاغة ما يُنسب الى مقامات ابن ماري ففيها يصحّ قول الصفديّ : لا اجاد ولا قارب الاجادة

امّا نسخة بغداد فلعلّها هي الصحيحة وقد جاء في مقدّمتها اسم ابن ماري صريحاً على خلاف نسخة فينّا التي قُدّم الاسم على الكتاب كأنّهُ من غير قلم مؤلفها . فضلاً

عن ان المقامات فيها سبعٌ وعشرون بدلًا من ستين كما يروي الكتبة وكما تُرى في نسخة بغداد . ويا ليت احدًا من ادباء الحلبيين يتولّى نشرها بالطبع فيستحقّ شكر محبّي الآثار النصرانيّة

امّا شعر يحيى بن ماري فقد روى منه العماد الاصفهاني وابن العبري هذين البيتين (من البسيط) :

نَفرَتْ هندُ من طلائع شيبي واعترَتْها سآمةٌ من وجومي
هكذا عادةُ الشياطين يَنفرْ نَ اذا ما بَدَتْ نجومُ الرُّجومِ

وروى لهُ العماد قولهُ في مديح (من الكامل) :

واذا نطقتُ فأنتَ لفظُ مقالتي واذا سكتُّ فانتَ سِرُّ خاطري

ومما يروى لهُ في صداقة الادباء الصالحين (من الكامل) :

عُدنا وعادَ الأُنسُ والأفراحُ واضاءَ في مِشكاتنا المصباحُ
وجرت منادمةٌ يفوح أريجها كالروض نَمَّ بعَرْفِهِ الأرياحُ
وعلى العَفافِ قد انطوت أحوالُنا حبًّا بتقوى الله وهي رَباحُ
لا عيبَ فينا غير حُسنِ فعالنا جهرًا وهل يهوى الفسادَ صلاحُ
تأبى المحبَّةُ بالفسادِ وما لها ممَّن تجلّى بالصَّلاح براحُ
كم عاشقٍ قد ذلَّ بعد فسادهِ والعزُّ في اهل التُّقى وضّاحُ

ومن ظريف ألغازه ما قالهُ في الجسم والروح (من الطويل) :

إلغانِ لم يُدرِكْ حقيقةَ واحدٍ سوى الله والثاني لدى الحسِّ ظاهرُ
يُفارِقُ ذا هذا ويبقى وذا غليظٌ تراهُ في الوجودِ النَّواظرُ

وذاك قديمٌ في الحدوث وذا لـهُ حدوثٌ قريبٌ والمعاندُ كافرُ

ومثله لغزهُ في القبر والنعش (من الطويل) :

رفيقـانِ منقولٌ وآخرُ ثابتٌ وكلٌّ لكلٍّ لازمٌ واجبُ القهرِ
يُحمَّلُ هذا ساعةً ورفيقُهُ يُضمَّنُ ما يبقى الى زمن الحشرِ
يحفُّ بهذا الناسُ من كلِّ جانبٍ الى ذاك حتى يَغنموا غايةَ الأجرِ
ويَستودعوا ما أثقلوا منهُ ظهرَهم لآخرَ حتى يـأذنَ اللهُ بالأمرِ

وكذلك ألغزَ في الليل والنهار (من الطويل) :

وضدَّينِ هذا مثلُهـذا تعاقبـا وكم بهما عـدَّ الانامُ حقائبـا
فهذا بصيرٌ لا يَضِلُّ عن الهُدى وهذا عميٌّ ليس يُبصر ذاهبا
تحرُّكنا في ذا وفي ذا سكونُنا وطورًا نرى سعياً وطورًا تجانُبـا
وفي ذَيْنِ آياتٌ لاهـل النُّهى على جلالة ربِّ العرش تُبدي العجائبا

(لها بقية)

رحلة الى شمالي لبنان

لحضرة الخوري انطونيوس شبلي اللبناني

قد نشرت هذه المجلة الزاهرة (ص ٨١ــ٩٠ من السنة الحاضرة) تفاصيل رحلة قدس رئيس عـام رهبانيتنا اللبنانية المارونية الاباتي اغناطيوس داغر التنوري الى رومة عاصمة الكثلكة ومـا لقيهُ هناك من الاكرام والاعزاز والثناء على فضائله

الرهبانية المتازة ولاسيما لدى تشرفه في ٤ ايار سنة ١٩٢٥ بمقابلة قداسة ابي المؤمنين البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً الذي غمره بلطفه وحنانه الابوي . وقد التمس الاب العام من قداسته النظر في حياة رجال الله الافاضل المشهورين بطهارة السيرة وفعل العجائب : الآباء نعمة الله كتاب الحردیني ودانيال العلم الحدثي وشربل مخلوف بتاعكفره والراهبة رفقا الريس من مزرعة حملايا التابعة بكفيا . فارتاح الاب الاقدس الى استجابة طلبه اشد الارتياح وامره ان يباشر فوراً وصوله لبنان فتح دعواهم لدى المقام البطريركي الماروني فيعين هذا لجنة خاصة تجري الفحص القانوني عن حياتهم وعجائبهم ثم ترفع نتيجة ابحاثها الى الكرسي الرسولي

ولما كنا باشرنا سنة ١٩٢١ كتابة تراجم حياتهم والتقصي عن اخبارهم وعجائبهم ودونا في ذلك ابحاثاً ضافية اوعز الينا قدس الاب العام بمتابعة السعي في التنقيب والتفتيش عن اثارهم . فجلنا بعض الاديار والقرى وظفرنا بالشيء الكثير منها . وعلى رغم ما عانينا من التعب في النهوض بهذه المهمة لم نغفل البحث عن المخطوطات القديمة فعثرنا على طائفة منها ولذلك احببنا ان نصفها باختصار على صفحات المشرق الاغر ولا يخلو ايراد ذكرها من الفائدة لطلابها متخطين الى وضع تاريخ موجز لبعض الاديار التي مررنا عليها . والى القراء الكرام البيان :

من دير المعونات الى دير الضهر

في صباح يوم السبت الواقع في ٨ آب سنة ١٩٢٥ بعد ان قدمنا الذبيحة الالهية في معبد دير سيدة معونات — فوق جبيل — وطلبنا حماية العذراء الطاهرة وعونها ودعنا جمهور الدير وسرنا على بركات الله الى دير مار يوسف الضهر لراهباتنا اللبنانيات الذي توفيت فيه أمة الله الراهبة رفقا الريس في ٢٣ آذار سنة ١٩١٤ . فبلغنا جسر الدفون وصعدنا شرقاً في ذلك الوادي المسمى وادي حزبا . وقد اشتدت حرارة شمس النهار وبدأ العرق يتصبب من جسمنا . وكانت الطيور ترافقنا بتغنيها في جانبي الوادي وتطرب اسماعنا بتغريدها اللذيذ فاستأنسنا بغنائها ونسينا الخوف الذي دب في قلبنا في ذلك الوادي الموحش . وما زلنا نحث المطية فيدفعها الهماز الى الجري السريع حتى قطعنا من الطريق مرحلة كبيرة . فبان لنا دير الضهر كالحمامة البيضاء

الجاثمة على رأس الجبل فثلج صدرنا برآه . وما هي الا هنيهة حتى اختفى عن اعيننا وتوغلنا في بطن الوادي . وكان وقع حوافر مطيتنا على الحصى الملساء ينفر أسراب الطيور من امامنا ويتردد صداه في المغاور والكهوف . وما لبثنا نحو نصف ساعة حتى صعدنا في طريق جبلية كثيرة التعاريج أدت بنا الى دير الضهر . وكانت زيارتنا الاولى لضريح الراهبة رفقا . وقبل ان نأتي على كلمتنا في الدير يحسن بنا ان نذكر لمحة عن طريقة معيشة الراهبات في جبل لبنان القديمة واحوالهن فنقول :

كانت الراهبات العابدات قديماً يسكن في جناح من اديار الرهبان يقضين لهم حاجاتهم من اكل وغسيل وخياطة ويشتركن معهم في قضاء الفروض الدينية في الكنيسة كما كانت عادة البلاد في ذاك العصر . وكان يدير شؤونهن الاساقفة فيسرن بموجب ارشاد الرئيسة وتعاليم الكتب النسكية . ولم يكن لهن طريقة قانونية منظمة

ولما تأسست الرهبانية اللبنانية في البلاد الشرقية في اوائل القرن الثامن عشر وتم عرف فضائل ابنائها وذهب لها في حسن السمعة صيت بعيد وكثر عدد طالبي الانضمام تحت قانونها استفزت رغبة العزلة والانفراد عن العالم بعض البنات والنساء التقيات فأحببن الاستمتاع بنعمة التحصن داخل الاديار القانونية فحدثت الغيرة بؤسس الرهبانية السيد عبدالله قرا ألي مطران بيروت الى تحقيق رغبتهن الصالحة . ولما رأى ان «مساكنة الرهبان والراهبات تحت سقف واحد صالحة للصالحين وخطيرة لغير الصالحين» (١ كما صرح هو نفسه شمر عن ساعد الجد ونشط لاستئصال شأفة هذه العادة من اديار الطائفة . واول دير صرف اليه عنايته دير حراش الذي كان تأسس سنة ١٦٤٣ في ابرشيته فنصل البناء المعد لسكن الرهبان والأبرار عن محل سكن الراهبات — وتلك كانت رغبة الكرسي الرسولي وشهوة قلبه من اول يوم شاهد فيه هذه الاديار مشتركة — ووضع للراهبات اثني عشر قانوناً يتمسكن بها . وطلب من رئيس عام الرهبانية اللبنانية ان يلحق دير حراش بأديرة رهبانيته ويهتم بادارة شؤونه الروحية والزمنية . ولما كان يخشى ان يهدم بعد موته هذا البناء الذي

١) تاريخ الرهبانية اللبنانية (ص ٢١)

أسسه في حياته استدرك وكتب الى الكرسي الرسولي الذي اثنى على همته كلَّ الثناء بما احدثهُ من التغيير في دير حراش(١)

ولما حكم المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ بفصل اديار الرهبان وان يكون لهنَّ قانون يسرن على سُنّته هبَّ السيد العلّامة الكبير يوسف سمعان السمعاني لتنفيذ حكمه بمعاونة السيد عبدالله قرألي غير مكترث لما عرض في سبيله من الصعاب. فاتفقا على انشاء دير قانونيّ يكون قدوةً لسائر اديار الراهبات في الطائفة. ولمّا لم يكن غير الرهبانيّة اللبنانيّة تستطيع الإقدام على مثل هذا الامر اجتمعا برئيسها العام الاب توما اللبودي ومدبريه وعرضا عليهم عزمهما فاستحسنوا فكرتهما. ووعدهم السيد السمعاني باسعاف الدير بحماية غرش في كل سنة. فتألفت الرهبانيّة دير مار الياس الرأس في اواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٧٣١ وبدأت في عمارة وعينتهُ للراهبات اللواتي يسرن بحسب رسوم قانوننا الرهبانيّ المثبت من البابا اقليمس الثاني عشر سنة ١٧٣٢

وفي سنة ١٧٤٠ فُتحت ابوابه لقبول طالبات الترهب. وطلب الرئيس العام من المطران عبدالله قرألي ثلاثاً من راهباته في دير حراش لاجل تلقين المبتدئات السيرة الرهبانيّة وتمرينهنَّ على الحياة النسكيّة. واقام لخدمتهنَّ الروحيّة وادارة شؤونهنَّ الزمنيّة الاب المدبّر مخايل اسكندر الاهدني. ودير الرأس هو اول اديار الراهبات القانونيّات(٢)

ولمّا كثر عدد طالبات الترهّب وضاق عليهنَّ دير الراس انشأت لهنَّ رهبانيّتنا اللبنانيّة دير مار ساسين بسكنتا ودير مار سمعان القرن ودير مار مارون القنيطرة ودير مار يوسف الضهر. وليس من غاية راهباتنا اللبنانيّات التعلّم في المدارس او الخدمة في الملاجئ الخيريّة شأن بعض الرهبانيّات بل غايتهنَّ التنسّك والتحصّن في الاديار والتفرّغ لخدمة الله تعالى وحده. فانهنَّ يتلين الصلوات السبع القانونيّة على الخورس كالرهبان اللبنانيين طبقاً لنصّ القانون الرهباني الذي افرد لهنَّ باباً خاصاً

١) اطلب تاريخ هذا الدير لحضرة الخوري ابرهيم حرفوش في المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٢١٢-٢٢٠)

٢) طالع تاريخ الرهبانية اللبنانية ص ١٦٤-١٦٦ و٢٥٠-٢٦٥ و٣٣٨

يتضمّن ستة عشر بنداً . ولا يستطعن مبارحة اديارهنّ او الرقاد خارجاً عنها الّا لعلّة داعية وباذن خاص ومدّة تجربتهنّ سنتان ينذرن بعد اكمالها النذور الرهبانيّة . ويلبسن الرداء الاسود وعلى رؤوسهنّ ملاءة على شكل الاسكيم (وهي المنديل المكرّس) ويتمنطقن بمنطقة من جلد ثم يتّشحن بالوشاح . وتُناط سياستهنّ برئيس عام رهبانيّتنا رأساً (١) . فقيل فيهنّ انهنّ :

الراهباتُ القانتاتُ الزاهداتُ اللابساتُ من السواد جلابيا

قد اعرضنَ عن الدنيا وزخرفها واستصغرن شأنها ولم تتلوّث نفوسهنّ بشيء من مفاسدها وقد دخلنَ الدير عذارى وصفحةُ عفافهنّ أنصعُ من زنابق الحقول وأنقى من ندى الصباح ، يحيّين في تحصنهنّ بين جدرانه حياةً هادئة مطمئنة ويقضينَ معظم الليل والنهار جاثيات مصلّيات امام القربان الاقدس الذي ليس لهنّ نجيّ يخفّف عن عاتقهنّ ثقل الحياة سواه . وبعد ان يتمّمنَ فروضهنّ الروحيّة يشتغلنَ في الحياكة والخياطة والتطريز . وتراهنّ قانعات راضيات بعيشهنّ هذا الشظف الذي ليس فيه أثرٌ للترَف والتنعّم ترفرف ملائكة السلام فوق اديارهنّ البعيدة عن العمران

وأحدث اديارهنّ نشأةً ديرُ مار يوسف الضهر الذي قصدناهُ وهو قائم في سفح ظهر وطا سفرتا باسفل قرية جزّبتا في وادٍ قفر تتحوّطهُ الجبال من الجهات الاربع كأنها الابراج قامت حولهُ تدفع عنهُ طارئات الايام وعاديات الليالي

وفي سنة ١٨٩٦ وقف على رهبانيّتنا المرحوم الخوري يوحنا بصبوص العادي تلميذ مدرسة رومية بيتَ سكن وقطعة ارض لهُ في هذا الضهر (٢ يسمّى حضرة الخوري اغناطيوس ضومط العادي شقيق رئيسة الدير الحالية الام أرسلا . وبالاتفاق مع الخوري بصبوص بدأ الاب اغناطيوس ببناء الدير فشاد الطابقين الغربيين السفليّ والعلويّ . ولما اكتملا وقفهما على الرهبانيّة بدون بدل . فرضي الرئيس العام وقتئذٍ الاب مرتينوس الدرعوني والمدبّرون بقبول هذه الوقفية بموجب قرار مؤرخ في ١٥

١) طالع كتاب القوانين والرسوم الرهبانية ق ٢ ب ١٦ ص٦٢ والمجمع اللبناني ص٩٩٩

٢) توفي في ٢٩ اذار سنة ١٩٠١ ويلتزم دير الضهر ان يقدم عن نفسه في كل سنة ثلاثة قداديس كما هو واضح في صكّ وقفيّته

آب سنة ١٨٩٧ . واذن غبطة السيد البطريرك يوحنا الحاج بنقل بضع راهبات من دير مار سمعان القرن الى هذا الدير الجديد وهذه اسماؤهن : مسيحة من برمانا[1] . والجليكا من حلتا . رفقا الرئيس من حملايا . تقلا ضومط من عماد . مارينا صادر من كفيفان . ارسلا ضومط الرئيسة الحالية . وكتب الى الرئيس العام كتاباً مؤرخاً في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٨٩٧ يعلن فيه انه اعترف بهذا الدير كاحد اديار الرهبانية واثبته على اسم مار يوسف الشهير ويرشق بالحرم الكبير الرجال والنساء الذين يدخلون الى صحنه ويحث الرئيس العام على السهر على سير الراهبات فيه بحسب رسوم القوانين

ولما سكنته الراهبات رجعت الرهبانية عنايتها اليه فابتاعت له الارزاق واهتمت بانجاز بنيانه وذلك بعناية رئيسته الناهضة الهمة التي لا تزال تتابع فيه التحسين وتهتم بادارته الروحية والزمنية . ويقيم فيه حالياً سبع عشرة راهبة يتفانين غيرة على ازدهاره . وتوفيت فيه منذ السنة ١٨٩٧ اربع راهبات ولبست الاسكيم الرهباني خمس عشرة مبتدئة . وقد زاره غبطة السيد البطريرك مار الياس بطرس الحويك والسادة المطارنة يوسف نجم ويوسف اسطفان ويوسف دريان وعبدالله خوري وبطرس القفالي وبولس عقل ورؤساء رهبانيتنا العامين واثنوا الثناء العاطر على همة حضرة رئيسته وحسن سير راهباته

وقد اصبح اليوم دير مار يوسف الشهير مشتهراً بشهرة العجائب التي يجود الله تعالى بها على يد أمته الراهبة رفقا المدفونة رفاتها في ترابه . فيؤمه الزوار من كل ناحية لاجل التبرك بزيارة ضريحها وطلباً للشفاء من امراضهم . وقد كتبنا عن حياتها وعجائبها نحو مئة وخمسين صفحة وستتولى لجنة خاصة للتحقيق عنها رسمياً

وبعد ان انجزنا شغلنا في دير الشهير برحناه الى دير مار قبريانوس كفيفان

دير كفيفان

لقد ترامت شهرته الى معظم انحاء جبل لبنان لاحتوائه جثمان عبدالله الاب نعمة الله الحردیني الذي شرفه الله ببيته فيه وبالعجائب التي تحدث بشفاعته وقد شاع خبرها ولهجت الالسن بذكرها . كان دير كفيفان منذ القدم ، لم يزل مورد الفضيلة

[1] اصلها من الطائفة الدرزية وكانت راهبة تقية فاضلة . سننشر ترجمتها ان وفق المولى

والزهادة . والداخل اليه يتنشق فيه عبير القداسة ويستروح أرج التقى

اتّصل الى الرهبانيّة سنة ١٧٦٢ فرسمتهُ وابتاعت لهُ الاراضي وعينتهُ مدرسةً لتعليم ابناء الرهبانيّة ثمّ للابتداء . وقد توالى على رئاسته نحو سبعة واربعين رئيساً كما يبان من رزنامته المخرومة في بدئها . اوّلهم الاب مرقس كفاعي سنة ١٧٧٥ ثمّ الاب مرقس مرقباوي (مرقب عكار) سنة ١٧٧٨ . وقد ارتقى الى الدرجة الكهنوتيّة على مذبحهِ من ابناء رهبانيّتنا الدارسين في مدرستهِ من سنة ١٨٠٨ وصاعدًا نحو ثلاثمائة كاهن وعدد المبتدئين فيهِ حاليًا ثلاثون والرهبان عشرة

وقد وجدنا في مكتبتهِ الكتب الخطّيّة الآتية :

١ً كتاب تفسير الانجيل لكرنيليوس الحجري اليسوعي . مجلد كبير مكتوب بالكرشوني . جاء في اخرهِ : « قد ترجمهُ القس يوسف الحاي الماروني سنة ١٧٢١ (١) ونجز نسخهُ في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٧٨٤ عن يد القس بواقيم احد الرهبان اللبنانيين والاب مرقس (الكفاعي) . الرئيس العام امرني بنسخهِ »

٢ً شرح مناثر القداس للدويهي خط الخوري جرجس سعد البجّاني سنة ١٧٨٣ . ٣ً تفسير بعض صعوبات في الكتاب المقدس ونظمهُ للمطران سمعان عواد . خط الشدياق اغناطيوس الخوري الياس مركيس من عيبه سنة ١٨١٨ . ٤ً مختصر الكمال المسيحي للقس جبرايل فرحات رئيس عام الرهبان اللبنانيين . ٥ً التحفة السرية لهُ ايضًا . ٦ً رسالة للمرضين والمفروضين له ايضًا . ٧ً شرح ديوان المطران فرحات للخوري ارسانيوس الفاخوري (٢) . ٨ً كتيّب في المنطق للقس يواكيم الراهب الباسيلي . ٩ً كتاب لاهوت نظري في سرّ التجسد . مجلد كبير . تأليف المطران يواصاف البكتاوي (٣) خط « الحقير في الكهنة مبارك من طائفة بيت مبارك راهب لبناني سنة ١٧٣٩ » . ١٠ كتاب انبر المكنوز لمنفعة الكاروز لمكرديج الكسيح ابن عبد الاحد المخلّع الحلبي (٤) وضعهُ سنة ١٧٠٩ وهو مخروم من اخرهِ . ١١ العلم الطبيعي للسيد السماني الكبير . ١٢ كتاب المنطق تأليف الخوري يوسف شمعون الحصروني الماروني تلميذ مدرسة الموارنة برومية خطّ اندراوس الخضرا الراهب اللبناني في سنة ١٧٣٦ المقيم بسديس مار بطرس ومرشلين برومية . ١٣ مواعظ الاسقف ثاودوروس جناديوس الفرنسيسي خط القس نعمة الله أكنري سنة ١٨٦١ . ١٤ كتاب مقدمة تأملات روحية في سيرة القديس اطونيوس

١) طالع ترجمة حياته في تاريخ سوريا مجلد ٨ ص ٥٤١ وراجع المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٦٩٣) وكتاب المخطوطات العربية ص ٥٤ و ٢٣٥

٢) اطلب ترجمتهُ في المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٦٠٦-٦١٦)

٣) راجع برنامج اخوية القديس مارون ص ٢٥٨ وكتاب المخطوطات العربية لكنيسة النصرانية ص ٩٧ ٤) اطلب المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٢٧٨-٦٩٥ والمخطوطات العربية ١٩٥)

السكية . وسس الديارة الرهبانية تأليف الاب فرنسيس غاوسيوس اليسوعي استخرجها من اللغة الافرنجية الى العربية الخوري اندراوس اسكندر القبرصي ان المدرسة المارونية سابقاً وترجمان الكرسي الرسولي والمجمع المقدس حالاً . وترجمة بطلب الاباء الافاضل رهبان ماري انطونيوس الموارنة القاطنين في رومية بدير القديسين بطرس ومرشلينوس» وجاء في اخره : «كمل نسخ هذا الكتاب في ٢٨ ايار سنة ١٨٦١ يد القس جرجس قشوع الدوسطاوي مولداً الراهب اللبناني في دير طاميش (١) .»

١٥ مرآة النفس . في الصلاة العقلية . يشتمل على مقدمة وسبعة ابواب وخمسة عشر تأملاً وثلاثة فصول ونصيحتين هو مخروم من آخره . « تأليف القس بطرس بن عبد الله بن اسحق الترلاني البترولي واعظ مدينة حلب (٢) ١٦٠٣ قاموس بر جلول سرياني . ١٧ المنارة السريانية . قاموس سرياني للكرمداني الشهير . مجلد ضخم . جاء في اخره ما هو بحرفيته لمؤلفه : «كملت هذه المنارة السريانية على يد احقر واضعف الناس جرجس الكرمداني ابن يوسف تلميذ رومية سنة ١٦١٩ (٣ غار الخميس في ٢١ من شباط نصف النهار في مدينة طرابلس معاملة الشام في بيت الخوري حنا المتكئ اللقاش وصار هذا التعب والاجتهاد جميعه لاجل راغبين العلوم وقاصدين الكلام باللغة السريانية ولاجل الذكر الصالح ومجد الله . وكان معتني ومهتم معنا محبنا وعزيزنا القس مخايل الماروني ابن اخي المطران يوحنا البدومنيكاني المشهور معلم وكاروز ورسول لبلاد الشام وحلب وطرابلس وبيروت وصيدا وفي زمانه بدينا (بدأنا) في جمع وامثال تفسير كلام هذا الكتاب وأتيناه (جمعناه) مع اخرنا المذكور من كتب توراة الحديثة والقديمة ومن كتاب [illegible] وكتاب ماري اسحق ومن بعض [illegible] (مقاطع) وكتاب اخر للسفية [illegible] (منطق) وحتى ايضاً من البنات الخمارنة . وصار ذلك بتعب شديد طويل بمدة ثلاثين سنة وأزيد اعني خرجنا (قضينا) شبوبيتنا وجزء من الشيخوخة في قراية وجمع وتفسير كلام وامثال الموضوعين اعلاه في هذا الكتاب . والله يجازي الخير في الدارين لكل من تعب معنا في هذا الكتاب ويرحم والديهم امين»

وناسخ هذه المنارة هو الخوري انطونيوس خالد – والد الطيب الذكر المطران بولس مسعد – من قرية جربتا البترون في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٥٩

٢٨ لاهوت يوحنا كلوديوس . يوجد منه نسخ عديدة . ١٩ المحاورات الرهبانية هرجات . قد طبعناها في مطبعة القديس بولس حريصا سنة ١٩٣٢)

وفي مدة اقامتنا بدير كفيفان عرفنا ان في بيت فارس طنوس في جران كتباً

---

١) أنتخب رئيساً عاماً على الرهبانية اللبنانية سنة ١٨٥٣ وهو من الاباء المشهورين فيها

٢) طالع ترجمة حياته التي نشرها حضرة المونسنيور جرجس منش في المشرق (٦[١٩٠٣]: ٧٦٦-٧٧٧)

٣) اي انتهى من جمعها وتأليفها في هذه السنة

٤) الاشمة وكنز الاسرار من كتب ابن العبري

واوراقاً خطيَّة قديمة للمرحوم ابرهيم طنوس الخواجا فاحببنا ان نطلع عليها ولاسيما على تاريخ القلاعي الذي ذكره حضرة صاحب هذه المجلة في كتابه المخطوطات العربيَّة (ص ١٥) . فذهبنا الى بيت فارس المذكور ودخلنا الى غرفةٍ ضيقة تحتوي على نحو الف رسالة معنونة باسم ابرهيم طنوس من البطاركة والاساقفة واعيان البلاد وهي مكدسة رزماً رزماً تحت طبقات من الغبار . فاخذنا نقلبها فعثرنا بينها على اربع رسائل بخط صفيّ الله الاب نعمة الله الحرديني . وان ابراهيم الخواجا كان رجلاً صاحب ثروة ونفوذ في عصرهِ تؤمُّ دارهُ الكبراء والعظماء فيلقون فيها الضيافة العربيَّة والكرم الحاتميّ . وكانت لهُ شركة مع المطران يوسف مطر في مطبعة حلب المارونيَّة . قضينا يوماً كاملاً نقرأ ونقلّب هذه الاوراق وقد سدَّ الغبار حلقنا وبيَّض ثيابنا ولم نطلع على نصفها فتركناها وعدنا الى الكتب الخطيَّة نتفحَّصها فلم نظفر بينها على تاريخ القلاعي . وهذه اسمائها :

١ كتاب شرح مجموع حقايق دينية للقديس يوحنا الدمشقي كُتب بالكرشوني جاء في اخرهِ : « تمَّ كتاب يوحنا الدمشقي القس العظيم بعون الله وحسن توفيقهِ كان الفراغ من نسخهِ في شهر اب بخمسة وعشرين بسنة ١٦٣٦ في ايام سيدنا البطرك حنَّا الهدناني الجالس على كرسي دير الست السيدة مريم قنوبين في ايام اسيادنا اسحق الشدراوي وجرجس ابن عميره ويوسف الباقوري ويوسف البلوزاني القاطنين في دير قنوبين » . وهذا الكتاب بخط الراهب سركيس ابن المحاسب من غسطا في دير مار شليطا مقبس » . ثمَّ تلي هذه العبارة : « قبل تلك السنة بسنة جات (جاءت) الافرنجي (السفن الحربيَّة) في البحر على ابن ماعن (معن) وكافي (؟) احمد من الشام وخربوا بلاد الشوف . »

٢ العلم الطبيعي للسماني . ٣ الكتاب الثاني من اللاهوت النظري تأليف السماني ايضاً . ٤ كتاب في الفضائل الادبية ومضاداتها « نقل من اللغة الايطالية الى العربية على يد الخوري جبرايل الحلبي الماروني بنظر الاب غريغوريوس يشوع مطران مدينة اورشليم السرياني » . ٥ مزامير داود النبي خطّ الخوري ميخايل بسيل ساكن زوق مصبح سنة ١٧٠٣ . ٦ كتاب الصيامي — الصلوات التي تتلى في ايام الصوم — جاء في اخرهِ :

« انتهى من نسخه في ٣ شباط سنة ١٧٣١ الشدياق يعقوب عوَّاد من قرية حصرون ابن الخوري حنا ابن الخوري حنا ابن الخوري يعقوب ابن الخوري حنا ابن المطران حنا ابن الحاج عوَّاد كتبهُ وحررهُ في قرية زوق مكايل من عمل كسروان في ايام مطارينهِ جبرايل الهدناني وجرجس خيرالله القسطاني وجبرايل مبارك الريتوني وسمعان عوَّاد الحصروني وعبد الله الحلبي وايليا محاسب القسطاني وباسيليوس البجاني وجبرايل حوَّا الحلبي وجرمانوس بن فرحات الحلبي وفيلبُّوس الجميّل ويوسف ابن الخازن واسطفان الدويهي الهدناني »

٧ كتاب «اختصار علم اللاهوت مما تكلمت به العلماء واللاهوتيون . وقد اجتهد بجمعه المطران اسحق (الشدراوي) على طرابلس المارونى تلميذ مدرسة رومية وقد تأسس وضعه بين المعلم والتلميذ(١)» . وتدور ابحاث هذا الكتاب على خلق الله العالم والملائكة وعلى الفردوس الارضي والموت والمطهر والجحيم وعمر الانسان وقيامة الموتى وماذا يحدث بعد انشاة العالم الخ . . . وقد عزز جامعه الشدراوي هذه المواضيع بشروح لذيذة ضافية مسندة الى نص الكتاب المقدس وتعليم اباء الكنيسة مما يدل على رسوخ قدمه في معرفة هذه العلوم السامية . وقد اضاف الناسخ الى هذا الكتاب مئة وخمسة عشر خبرًا روحيًا

ومن الكتب القديمة المطبوعة برومية والنادرة الوجود التي وجدناها في هذه المكتبة كتاب «الدر المختار من تواريخ الآباء الابرار» وهو مختصر تواريخ الكنيسة الرومانيَّة ترجمهُ عن الايطاليَّة الى العربيَّة الراهب القسيس بريسيوس ده رانس الكبوشي المقيم يومئذٍ في مدينة الشام سنة ١٦٤٤ . وفي بدء هذا الكتاب رسالة بالكرشوني لبطريرك الموارنة يوحنا الصفراوي انفذها من دير قنوبين الى رئيس الرهبان الكبوشيين العام بما يرغب اليه ان يهتمَّ ويسعى في طبع هذا الكتاب وتاريخها في ٥ كانون الاول سنة ١٦٤٩ . ثمَّ كتاب التعليم المسيحي الذي طبعهُ في رومية سنة ١٦٤٢ البساوقيتي من عيلة بيت هلال . وهو حقلان كرشوني ولاتيني ، وكتاب الشبيبة المعروفة بشبيَّة قزحيًا وهي مطبوعة بطبعته القديمة التي طُبع فيها المزامير سنة ١٦١٠(٢ الَّا انها ناقصة من اولها وآخرها ، وكتاب المزامير المطبوع بطبعة دير سيدة طاميش سنة ١٨٦٠ (لها بقية)

الدين لله والوطن للجميع

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

هذا عنوان مقالة صغيرة في صفحتين نشرتها السيدة نبيهة بابيل في عدد حزيران الاخير في مجلة الحارس (ص ٨٢٦ــ٨٢٧) فكررت عن طيب قلب كما نظنّ كلمة نسمعها من حين الى آخر من افواه بعض المتوسين الذين يستاءون مما يرون في

١) قد ذكر لهُ هذا الكتاب حضرة الخوري بطرس غالب في ترجمته التي نشرها في المشرق (٢٣ [١٩٢٥]: ٤٢٠ و ٥٠٦) ٢) راجع المشرق (٣[١٩٠٠]: ٢٥٣-٢٥٥)

البلاد من اختلاف الآراء وتعدُّد الاحزاب فيلقون تبعتها على الدين ولم يجدوا لحلّ هذا المشكل سوى الفصل بين الدين والوطن وجعلوا ذلك على شبه المثل فقالوا «الدين لله والوطن للجميع». ونرى السيّدة نبيهة تنادي في مقالتها بالويل والثبور وتدّعي انّ الشرّ كلّ الشرّ في سوء احوال بلادنا اصلهُ من تعداد المذاهب ومن التعصُّب الديني. ذلك هو على قولها «الروح الشيطانيّة» التي يجب استئصالها واماتتها كي «نتصافى كباقي الشعوب يجمعنا اسمٌ واحد حتى لو سُئلنا: مَن انت؟ لأجبنا: لبناني او سوري. لا: مسيحي او درزي او مسلم»

فلتسمح لنا السيّدة نبيهة وكلّ الذين يرتأون رأيها ان ندقّق النظر في هذه الكلمة ونعرضها على محكّ الانتقاد ونسبر غورها فنقف على ما فيها من الصحّة فلعلّها احد الالفاظ السوفسطائيّة التي يموّه بها بعض الناس وجه الحقيقة فينخدع بها كثيرون وينسبون الى الدين ما هو براءٌ منهُ

١ الدين لله!

هذا القسم الاوّل من تلك الكلمة فما هو يا تُرى معناها؟ ذلك يستدعي ثلثة ابواب: الاوّل ما هو الدين؟ الثاني ما معنى كون الدين لله؟ الثالث ماذا ينتج عن ذلك؟

اوّلاً: ما هو الدين؟

الدين في اللغة اسمٌ مشتقٌ من دانَ يدين اي خضعَ وذلَّ واطاع. تحديدهُ في سائر كتب اللغة انهُ «اسمٌ لما يُتعبَّدُ به الله وهو الطاعة والانقياد لشريعته». وفي عُرف الفلاسفة انهُ «الوَضع الالهيّ للاحكام الرابطة الخليقة بالمخارق». واللاهوتيّون يحدّون الدين «بالفضيلة الادبيّة التي تؤهل الانسان الى ان يقدّم لله العبادة الواجبة من حيث هو مبدأ واصل كلّ المخلوقات»

فكل هذه التعريفات مبنيّة على اعتبار العلاقات الواجبة بين الخالق والمخلوق

ثانياً: ما معنى الدين لله؟

تحتمل هذه الكلمة عدّة معانٍ. فيجوز ان يكون المعنى انّ الدين اصلهُ من الله

اي انهُ هو واضعهُ والآمر به كما سبق في تعريف الفلاسفة

ويجوز ان تكون اللام بمعنى الاستحقاق فقولك « الدين لله » اي انهُ تعالى عزَّ وجلَّ يستحقُّ ان يطيعهُ الانسان ويتذلل امامهُ كما تقول: العزُّ لله والحمدُ لله اي يستحقُّ العزَّ والحمد

او يراد معنى الاختصاص اي الدين يختصّ بالله دون سواه

ويصحُّ ايضاً معنى الغاية فقولنا « الدين لله » اي انهُ موجَّه الى عزَّتهِ تعالى اي اننا اليهِ نؤدي خدماتنا واكرامنا وسجودنا

ثالثاً: ماذا ينتج عن هذا التعريف

النتيجة منهُ: اوَّلاً ان الانسان عبدٌ بازاء خالقهِ وسيّدهِ

ثانياً انَّ الله هو اصل الدين وواضعهُ وهو يختصّ بشخصهِ الكريم ويوجَّهُ الى عزَّتهِ تعالى

ثالثاً ان كان اصل الدين من الله وهو واضع لأحكامهِ فما على الانسان إلَّا ان يبحث عمَّا اختارهُ هو نفسهُ لإكرامهِ وذلك بوحيهِ تعالى لانبيائهِ الصادقين ولاسيما بالسيّد المسيح كلمتهِ الالهيَّة اذ هو «النور الحقيقي الذي يُنير كلَّ انسانٍ آتٍ الى العالم» (يوحنَّا ١ : ٩)

رابعاً ان كان الدين يُعرَف خصوصاً بالوحي فالوحي هو ايضاً للجميع فالدينُ هو لله وهو ايضاً للجميع فعليهم ان يتقيَّدوا باوامرهِ وبنواهيهِ. ومن ثمَّ لا يصحّ وضع هذه المقابلة بين الدين وبين الوطن كأنَّ الواحد هو للافراد والآخر للجموع

خامساً لا بل يجب القول بانَّ الدين هو اصل حبّ الوطن لانَّ الدين هو يعلّمنا واجباتنا نحو القريب ونحو المجتمع الانسانيّ عموماً وخصوصاً ولولا الله لما ثبت حبُّ الوطن في قلوب البشر كما ترى في الملحدين والاشتراكيين والفوضويين الذين يضخّون الوطن على هيكل اهوائهم الباطلة. وعلى خلاف ذلك لا تجد احداً يتشبَّث بحب الوطن كأصحاب الدين الذين يعتبرون حبّ الوطن كاحد الواجبات المحترمة من الله. على موجب المثل «حبُّ الوطن من الايمان»

٢ الوطن للجميع

فلنتخطَّ الآن الى القسم الثاني من الكلمة التي نحن بصددها « الوطن للجميع »

فهذا ايضاً يتحمّل معاني مختلفة ملتبسة. فالواجب اولاً تحديد معنى الوطن. ثم ثانياً ما معنى الوطن للجميع؟ وثالثاً هل من مناقضة بين الدين والوطن؟

اولاً: ما هو الوطن؟

يحدّد اللغويّون الوطن موضع مولد الانسان ومنشإه. ويقول غيرهم انهُ منزل اقامة الانسان ومقرّهُ وُلد بهِ او لم يولد

وفي اصطلاح الشعوب يُطلق اسم الوطن على البلاد الواقعة تحت حكم واحد الخاضعة للشرائع ذاتها. فربّما كانت واسعة الارجاء كما ترى في الدول الكبرى او تكون ضيّقة الحدود منحصرة في مسافات قليلة كبلاد لوكسمبرج وموناكو. وربّما تغيّرت هذه الحدود في مدى الاجيال فضاقت حيناً واتّسعت حيناً آخر لسبب التقلّبات الدوليّة والاحداث السياسيّة

ويُقسَم الوطن الى مكان قرار يسكن فيهِ المرء ويجري على احكامهِ. والى مكان إقامة يحتلّهُ الانسان لزمن معلوم ولاشغال معلومة ثمّ يغادره ليلحق بسواهُ. أمّا هنا فيراد الوطن بالمعنى الاوّل اي مولد الانسان ومنشأهُ ومسقط رأسهِ

ثانياً: ما معنى الوطن للجميع؟

معناهُ ان جميع ابناء الوطن متساوون بالحقوق. فلكلّ من يولد وينشأ في حدود الوطن ان يتمتّع بخيراتهِ العموميّة من نور وهواء ومنافع تُربة وسكن ومعاش مع ملء الحرية في تصرّفهِ ضمن القانون يخدم وطنهُ بشغلهِ ومالهِ ويخدمهُ الوطن بما يُنيلهُ من الامان والحماية ويذود عن حياضهِ بازاء كل من ينتهكها. فلا يحقّ لمسلم او لنصراني او درزي ان يدّعي بحقوق عموميّة لمجرّد كونهِ مسلماً او نصرانيّاً او درزيّاً كما كان يُعتبر النصارى واليهود في الازمنة السابقة كرعايا ذمّيين لا يُسمح لهم ان ينسبوا نفوسهم الى الوطن. فهذا اليوم قد بطل حكمهُ وأصبح الجميع سواء بازاء الدستور

وهذا لا يمنع ان تكون حقوق وواجبات في الوطن الواحد على اختلاف الطبقات والمناصب والاعمال في حدود القانون. فانّ حقوق الرئيس ليست كحقوق المرؤوس. وحقوق السيّد كحقوق المسود. وحقوق الذكور كحقوق الإناث. وحقوق ارباب الدين

كحقوق ارباب الدنيا . وحقوق الغني كحقوق الفقير . وحقوق الاجنبي كحقوق الوطني . وحقوق الجماعة كحقوق الافراد فلكلٍّ حقوقهُ وواجباتهُ المقرَّرة . وفي قوانين الدول فصول تختصُّ بكل هذه الطبقات فتخوّلهم حقوقاً خاصّة كما تفرض عليهم واجبات ينبغي لهم القيام بها

ثالثاً : هل من مناقضة بين الدين والوطن؟

هذا ما اشعرتْ بهِ السيّدة نبيهة بابيل على مثال الذين يردّدون تلك الكلمة جزافاً دون تروٍّ كأنَّ الدين والوطن على طرفي نقيض وكأن الذي يسير بموجب اوامر الدين يسعى في نقض اركان الوطنيّة

فذلك عينُ الضلال . فانَّ الدين والوطن شقيقان أليفان هما كفرسي رهان في حلبة واحدة . وما لا شكَّ فيهِ انَّ للدين اصولاً يستمدُّ منها الوطن كلَّ قوّتهِ

فلا يجوز اذن نسبة ما يقع من الخلاف بين اهل الوطن الى اديانهم ؟ بل الاحرى ان يقال انَّ الدين اوّل عامل على الوفاق ؟ وكفى شاهداً عليهِ انهُ هو المقرِّر لهذا المبدأ الذهبي : لا تعمل لغيرك ما لا تشاء ان يعملهُ بك غيرك ؟

ثمَّ قد سبق انَّ الدين غايتهُ خدمة الله والطاعة لاوامرهِ فمتى يا رعاك الله امر سبحانهُ وتعالى ان نسيء الى من لا يشاركنا في ديننا . بل كم أمرنا نحن النصارى بمحبَّة الجميع حتى اعدائنا كم ردَّد السيد المسيح وصيَّتهُ بان نحسن الى مبغضينا ونصلّي لاجلهم ولا نردّ الشرَّ بالشرّ بل نغلب الشرَّ بالخير . فان وُجد دين يحضُّ على التقاتُل والتباغُض فقل انهُ ليس بدين مستقيم صالح وأنهُ ليس من الله وانَّ الذين يأتون اعمالاً مهيجة بحجّة الدين ليسوا إلَّا مرائين كذّابين يتستَّرون بالدين وهم اوّل اعداء الدين

ولنا على ذلك مثال قريب . فاذا اساء ارباب الانتداب ونصارى الشام وحوران وجنوبي لبنان الى دين الدروز حتى قام هؤلاء ونهبوا وسلبوا واحرقوا وقتلوا وشتّتوا بواطنيهم . فان حملوا ذلك على الاساءة الى دينهم فليأتوا لنا بحجّة واحدة فيها شبه الحقّ . فهيهات ان يقنعوا احداً بها

كلَّا ليس الدين علّةً لما في الوطن من المنازعات والمشاغبات ؟

ولدينا ادلّة عديدة لتبرئة الدين منها . فليست دولةٌ في عهدنا إلَّا وقد تعدّدت فيها الاديان ولسنا نرى انَّ الدين واقف في سبيل نجاحها . ألا ترى الولايات المتّحدة

مع ما فيها من الشيع المتباينة كيف هي راقية في معارج الفلاح . وان وُجد فيها خلاف فذلك سببهُ من الاحزاب السياسيَّة

وكذا قل عن انكلترَّة والمانية . فليست اديانها المختلفة هي المقلقة لراحتها . على خلاف المنازع السياسيَّة التي تقسم تلك البلاد وتثير فيها الفتن

وهذه مصر قريبة منَّا فانَّ الاديان فيها مكرَّمة معزَّزة وترى مع ذلك اهلها في قيام وقعود لا تكاد تنجو من الفتن لسبب ما يرد فيها من الاغراض السياسيَّة المختلفة

وعلى خلاف ذلك ترى دولًا ذات دين واحد ينتشر فيها غالباً روح الثورة والتشعبات ليس للدين فيها ناقة او جمل . وانَّما الآراء السياسيَّة بين اهلها متنافرة متناقضة . مثال ذلك في فرنسة وفي بعض جمهوريَّات اميركة الجنوبيَّة

ألا ترى في عهدنا جزيرة العرب وكلّ اهلها على دين واحد كم وقع فيها من المنازعات والمشاجرات والحروب تارةً من قبل الاتراك المسلمين وتارةً من قبل اشراف مكَّة وحيناً من الرسولي والامام يحيى والادريسي وحيناً من ابن رشيد والوهابيين

لا بل ربَّما وقعت المنافرات والفوضى في البلاد لقلَّة الدين بسبب تغلُّب روح الكفر والالحاد على حكَّامها كما نرى حاضراً في دولة المكسيك وفي روسيَّة . وكما جرى في الاعصار الماضية التي حاول فيها اعداء الدين رفع اللواء لمحاربة الدين ومشايعيه

فان كان الدين هو العامل الكبير للاتفاق والسلام وانهُ بريء ممَّا يُنسب اليه من التفرُّق والانقسام فالى من اذن يجب ان ننسب ما في بلادنا من النزاع والخلاف ؟

انَّ لذلك اسباباً لا تخفى على من يريد معرفة الحق واولها ما يغلب على بعض اهل البلاد من الانانيَّة . فان هؤلاء يطلبون قبل كلّ شيء ترويج اعمالهم الشخصيَّة وتعزيز غاياتهم سواء ينال منها الوطن نفعاً ام ضرراً . فانَّ حب الوطن الصادق يستدعي تضحية المنافع الشخصيَّة على هيكل الخير العام . وذلك قلَّما تجدهُ عندهم فكأن كلًّا منهم يحصر الوطن في شخصه واموره الخاصَّة

وتكون هذه الانانيَّة اوسع نطاقاً فيظنّ البعض انَّ حب الوطن مرجعهُ الى أسرة الانسان او الى بلدته او طائفته فان وُجد صلاحاً خارجاً عنها ضرب عنهُ صفحاً

ومن الاسباب المثيرة للانقسام والاختلاف في هذه البلاد التهافت على طلب

الوظائف فان هذا الزحام في خدمة الحكومة والاشغال العمومية كثيراً ما يهيج الاهواء الباطلة والمطامع الدنيئة ويسبب البغض والحقد فيزرع الشقاق والنفور

ومنها الاحزاب السياسية التي يؤلفها البعض من الانتفاعيين لغايات دنية لكرامة زيد او لتذليل عمرو . وربما اشتروا لترويجها ذمة بعض الصحافيين ورشوا ألسنة المتشدقين

فهذه وغيرها من الاسباب السخيفة هي التي تبذر في البلاد بذور الشقاق وتمنع جمع الكلمة والاتحاد في خدمة الوطن ليست الاديان التي تشمئز من مثل هذه الغايات السافلة

وان قيل ما لأرباب الدين يتداخلون بالسياسة ؟ اجبنا انهم انما يفعلون بصفة كونهم وطنيين لهم الحق ان يبتغوا كسواهم بشؤون الوطن . بل لهم فضل على سواهم برجحان عقولهم ومعرفتهم الواسعة لاحوال الوطن وتمييزهم بين منافعه واضراره وان وُجد بينهم من يحيد عن هذه الخطة استحق ان يوقف على حدوده

فخلاصة كلامنا اننا نصدق على قولهم «الدين لله والوطن للجميع» اذا أُريد به انهُ يجب علينا بان نقوم بواجباتنا نحو الله ونحو الوطن ونؤدي لكلٍّ منهما حقوقه على موجب قول الرب : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . واما اذا اريد به الفصل بين الدين والوطن ونسبة التناقض بينهما فنأباهُ ونردُّهُ

محركات الطيارات الحديثة

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

ان الله تعالى وهب البشر عقلاً لادراك الموجودات ، وارادةً لاستنباط خيرات الكون اينما وجدوها ، وسلطةً على طيور السماء ووحوش البرّ وسمك البحر ، حتى اذا اعمل الانسان رويّتهُ تمكّن من التصرف بالسلطان الذي ناله من الباري في سبيل الحصول على الغاية القصوى . وانّ ابن آدم نظر الى الطير فحدثتهُ النفس بمباراتها في طيرانها ، فاخذ يبحث ويجدّ ، وظلّ يسعى مدة قرون عديدة من غير ما يُجديهِ كدّه نفعاً . الى ان فاز اخيراً بمطلوبهِ واخترع فنّ الطيران ، وصار يجتاز رحبات السماء كما

يطوي فلوات الارض وأعراض البحار

ولما كان الفكر اصل كل عمل فينا، لا بأس بذكر بعض من فكروا في الطيران من المتقدمين وان لم تتجاوز افكارهم اضغاث الاحلام، فان بالفرق بين الحلم والحقيقة يظهر فضل المخترعين المحدثين

من اخبار الميتولوجية ان إيكاروس اليوناني السجين في جزيرة كريد قصد الفرار من سجنه. فأخذ ريشاً ولتّ اطرافها بالشمع والصقها بجسمه وطار وعلا في الجوّ حتى اقترب من الشمس. فذاب الشمع وتفككت الريش وانتشرت الاجنحة وسقط ايكاروس في البحر وعلك فدعي ذلك البحر باسمه البحر الايكاري

وفي كتب العرب واقاصيصهم اخبارٌ تدلّ على ما تخيّلوهُ من إمكان طيران الانسان مع الجنّ. وربّما اشاروا الى البساط الذي كان سليمان يقعد عليه وينقره بإصبعه فيطير به أينما يشاء. واتخذ بعضهم من اختراع الطيران الحديث حجّة لاثبات صحّة الاخبار المنقولة عن الجنّ. قال الشيخ علي الرعاوي يصف الطيّار « مارك بونيه ويشير في شعره الى آيات القرآن » (راجع المشرق ١٧ [١٩١٤] : ٢٢٤).

سرَّ كالبرق بالفرات فبيّنا أن تلفّتَّ كان أمَّ النيلا
ظنَّ قومٌ ان السماوات غضبى فاستشاطت وهوّلت تهويلا
ثم قالوا: هذا سليمانُ قد عا دَ وعادت آيات اسرائيلا (١

ومثلهُ ما قال امير شعراء القطر المصري احمد شوقي:

جلَّ شأنُ الله هادي خلقه جُدى العلم ونور الهاد
زفَّ من آياته الكبرى لنا طيّبةً طال بها عهدُ الرجاء
مركبٌ لو سلّفَ الدهرُ به كان احدى معجزات القدماء
يملأ الآفاقَ صوتاً وصدًى كمزيف الجنّ في الارض المراء
ارسلتهُ الارضُ عنها خبرًا طنَّ في اذان سكّان السماء

---

(١) يشيرُ الى ما ورد في القرآن في سورة النمل (٣٦ ٤٦) عن طيران سليمان الحكيم وجنوده من الجنّ الى وادي النمل واستخدامه الجنّ كرسلٍ لتنفيذ اوامره فكانوا في طرفة العين يقطعون طائرين المسافات الشاسعة فيأتونهُ بما سخّرهم لاحضاره كبلقيس ملكة سبإ. راجع ايضاً في المشرق (١٩ [١٩٢١]: ٦٩٧-٧٠٤) قصّة سليمان وركوبهُ على بساطٍ لزيارة قصر عاد

ان ابطال الطيران لم يبلغوا بعد ما بلغه الجنّ « رسول سليمان » من السرعة والمهارة في حمله بلقيس الى ابن داود « قبل ان يرتدّ اليه طرفه » (سورة النمل ع ٤١) ولكن ليس من البعيد ان يتحقق بالفعل ما حلم به الاولون حيث يتمكن الانسان من الطيران فوق الطبقات الجوية التي تصادم حثيث سيره فيبلغ مقصوده بسرعة تُباري السرعة التي كانت تبلغها قنابل المدافع الالمانية الجبّارية الى مسافة ١٢٠ كيلومترًا

وريثما يتحقق ذلك الحلم العجيب بفضل اختراعات مستقبلة اتينا نحدّث القراء بما حصل الى يومنا من الرقي في طرائق صُنع واستعمال المحرّكات الحديثة وسوف يكون هذا الرقي مرحلة من المراحل التي تُدنينا من الخوارق التي ادهشتنا بها اقاصيص العرب وسليمان

١ وظيفة المحرك في الطيارة

لا ترتفع الطيارة وتحلّق بالفضاء الّا بجهازين : جهاز القوام وجهاز الحركة . (فالاول) يشمل الاجنحة للطيران والدفّات لضبط وجهة السير وإيجاد التوازن ثمّ مركبة الطائر وخزانة الوقود وسائر ما تحمله الآلة من سلاح في الحرب او أثقال في الطيران التجاري وغير ذلك ممّا يُحتاج اليه لادارة الطيّارة في حركاتها المختلفة

امّا (الجهاز الثاني) فهو المحرّك الذي تستمدّ منهُ الطيّارة قوّتها وهو في الطيارة بمثابة القلب في الانسان . وكما ان الانسان يموت بجمود حركة قلبه وسكون نبضه فكذلك تزول قوة الطيارة اذا وقف محرّكها وتصير أُلعوبة تسوق بها الرياح الى الهلاك ما لم يلتمس ربّانها متسعاً موافقاً يحطّ فيه . او تكون الطيارة مجهّزة للطيران بقوة الرياح المحضة من غير آلة محركة

وليس كلامنا اليوم الّا عن الطيارة المُحكمة البناء المجهّزة لحمل الاثقال وقطع المسافات الشاسعة بقوتها الذاتية . فهي تحتاج الى محرّك جبّار للقيام بمهمّتها . وهذا المحرّك مع ما يقتضيه من متانة وخفّة قد اخذت بعض المعامل الاوروبيّة تصنعهُ فنالت في مشاريعها نجاحاً يفسح مجالاً واسعاً للامل بأنّ سنين قلائل لا تنقضي حتى يبتدع ارباب فنّ الطيران خوارق جديدة في قطع فضاء السماء

٢ محرّك الطيارة التجارية

على الطيارة التجارية ان تلازم طيرانها في الهواء مدة تتراوح بين ٥ الى ٧ ساعات متواصلة في الارياح المتصادمة . وربّما تكرّر طيرانها حتى يبلغ ثلثمئة ساعة خلال ثلاثة اشهر ولعلّ هذه المدة نصف ما يُنتظَر منها . فلذلك لا بدّ لها ان تكون مجهزة بمحرّك لا يشوبه نقص ومعه كل ما يلزم من الادوات للتزييت والتبريد والتصريف

ان الخطوط التجارية للطيران كانت تمتد على طول ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلومتر في سنتَيْ ١٩٢٠ و١٩٢١ وكانت الطيارات مجهّزة بمحرّكات على طراز ما صُنع منها للخدمة العسكرية في اواخر الحرب العظمى . على ان تلك المحرّكات لم تكن لتقوى على دوران ٢٥ او ٣٠ ساعة دون ان تُعاد الى المعامل للمعاينة والفحص والتنظيف . وكان غيرها محفوظاً في مستودعات الجيش وغاية ما كانت تستطيعه من العمل يبلغ ٣٥ الى ٤٠ ساعة

الّا ان ارباب الطيران التجاري في فرنسا كانوا اخذوا في البحث العلمي عن اسباب التعطُّل في الآلات الجوية وعن الطرائق الواجب اتباعها لزيادة محركات الطيارات متانةً وخفةً وثباتاً على الدوران المتصل مدةً مديدةً . فبلغ بهم الجهد في العام ١٩٢٤ الى صنع شكلين من المحركات احدهما يشتغل من ٥٠ الى ٦٠ ساعة والثاني من ٨٠ الى ٩٠ بدون اضطرار صاحبها للرجوع الى المعمل للمعاينة . وهذه المعاينة تستغرق وقتاً وتعباً جزيلاً في الفحص والتنظيف والتصليح . فزادت قوى المحركات مئة بالمئة على ما كانت عليه في العام ١٩١٨

وبلغ الرقي في انكلترة انهم احدثوا محركاً يقوى على الشغل مدة ١٤٠ الى ١٥٠ ساعة من غير ما يحتاج الى معاينة . ثم نال الالمان قصبة السبق على الانكليز والفرنسويين بتركيب محرّك يستطيع الدوران مئتي ساعة من غير معاينة . وفي هذه الميزة نفعٌ عظيم ولولاهُ لما تمكّن الطيّار من الابتعاد عن معامل الطيران ابتعاداً كافياً لقطع الاشواط الشاسعة

وكما ان ارباب الفنّ زادوا قوة المحركات ومتانتها كذلك خفّفوا من دواعي الوقوف الاجباري وفيه ما فيه من حوادث تؤدي سريعاً الى اشدّ النكبات هولاً

فانَّ شركة الملاحة الهوائية المنوط بها التنقيل بين باريس وفارسوفي وباريس والاستانة قد قطعت طياراتها في العام ١٩٢٣ مسافات طولها مليوناً وثلاثمئة الف كيلومتر اي مسافة تنيف اثنين وثلاثين ضعفاً على طول دائرة الكرة الارضية . وبحسب احصاءات السنة ١٩٢٢ كانت الوقفات الجبرية مدة السفر تصيب ٥٩ طيارة بين الف . وفي العام ١٩٢٣ هبط ذلك العدد الى ٢٨ وكان سبب اكثر الحوادث اختلال المصاريع فجهزوا المحركات بمصاريع من طراز جديد في العام ١٩٢٤ فكاد عدد الوقفات الجبرية لا يُعبأ به بالنسبة الى عدد الاسفار

وكان الالمان قد منعوا الطيارات الافرنسية عن النزول في اراضيهم فاضطرّ الافرنسيون في سفرهم على خط ستراسبورج — براغ ان يتقاضوا من آلاتهم اجتياز مسافة ٦٠٠ كيلومتر من غير وقوف . وقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً لانه في العام ١٩٢٣ من ٦٥٠ طيارة مرت على المانيا أُلجئت اثنتا عشرة طيارة فقط الى حطّ رحالها . وفي الشطر الاول من سنة ١٩٢٤ ثلاثمئة طيارة اجتازت المانيا من اقصاها الى اقصاها ولا واحدة منها اضطرّت الى النزول . وكانت المسافة التي تقطعها توازي المسافة بين باريس وبرست او باريس وامستردام

٣ المحركات منذ الحرب الى يومنا

لمّا حطت الحرب اوزارها كان لدى فرنسا محركات شتّى تبلغ بعضها قوة ٤٠٠ حصان . كلورين ديتريش (Lorraine- Dietrich) وبعضها ٣٠٠ كرنو (Renault) وبعضها ٢٥٠ حصاناً كلسون (Salmson)

وكذلك الانكليز والالمان والاميركان كانت لهم محركات تختلف قوّة اكبرُها المحرك الاميركاني ليبرتي (Liberty) ذو قوّة ٤٠٠ حصان وهو الذي نال جائزة الطيران الكبرى العام ١٩٢٢

ومنها من مثال فرمان (Farman) وقوته ٦٠٠ حصان وهو غاية ما بلغتهُ صناعة المحركات من الرقي واليك بعض خواصهِ

المحرك « فرمان »

رأى بعض اصحاب المعامل ان قلة احتمال المحركات ومتانتها هي المانع لتحقيق

كل ما يجب على الطيّارة ان تقوم به ان كانت محكمة التركيب مجهّزة بكامل معدّاتها

وكان بعضهم قد وسموا خبرتهم بالشغل في معامل المحركات للسيارات (اوتوموبيل) فاستخدموا معارفهم في محركات الطيران وجهّزوا عدة طيّارات بمحركات تُشبه المحرك القوي الذي استعمله بلتيه دوازي (Pelletier Doisy) في طيرانه العجيب من باريس الى توكيو مارًّا بشمالي سوريا وقاصدًا الى الشرق الاقصى (١

ثمّ اجتهد فرمان بابداع محرّك جمع فيه كل ما يُرام من الكمالات الفنيّة وجهّزه بثمان عشرة اسطوانةً في ثلاثة صفوف متوحدة الحركة وركّب ذلك المحرّك تركيبًا يقوى على حركة متواصلة مدةً تنيف على مئتي ساعة من غير ان يحتاج الى معاينة . على ان تلك المتونة واجهزتها تزيد من ثقل المحرك حتى يبلغ ٧٥٠ كيلوًا يضاف اليها ثقل البنزين والماء وادواتها الّا ان هذا الثقل لا يُعتبَر بجانب ما للمحرّك الجديد من قوة ومتانة . والاسطوانات مزدوجة يسهل تفكيك كل زوج منها . ولكلّ اسطوانة انابيب للشمع (trous de bougie) ومصاريع . والغاز يُوقد ايقادًا متضاعفًا فيُوقد من جهةٍ بواسطة آلتين مولّدتين للحركة تُوقدان شمعةً في كلّ انبوبةٍ ومن جهة اخرى بواسطة مجرًى كهربائي تولّده بطاريّةٌ ذات مِلَفّ وموزّعٍ خاصّين . وبهذا الايقاد المتضاعف تحصل الطيّارة في معظم الأمن من الخطر

. ولما كانت اول دفعات المحرك تقتضي قوّة وسرعةً تضعف عنها ذراع الطيار

١) انطلق من باريس في ٢٤ نيسان وقطع في مدّة عشر ساعات و٤٥ دقيقة مسافة ١٨٩٥ كيلومترًا بين باريس وبخارست وفي اليوم التالي وصل الى حلب بطيران ثمان ساعات قطع فيها مسافة ١٤٥٤ كيلومترًا وحلّق فوق الشهباء فرصفيا وقال:

« حوّلتُ سيري نحو بلاد خفيفًا لأحظى بمشاهدة حلب . انها لمدينةٌ تجمع بين ذكر القديم والحديث كنتُ اودُّ لو أُتيح لي ان ازورها بالتفصيل لاشبع النظر باسوارها واحقق بذاتي ما قرأتُهُ عنها في تاريخ كمال الدين الذي نُلي على مسامع الوزير كولبر سنة ١٦٨٠ . بنى قلعتها سلوقس وهي لا تزال عزيزةً منيعة بين بيوتات المدينة ، ترتفع اسوارها الشامخة واروقتها على قمة وسفح اكمة صنعتها يد البنائين . والمدينة القديمة تفاخر بابواب رومانية قديمة وفيها حمّامات لا تحصى ومساجد تُعدّ بالعشرات » . حطّ بلتيه دوازي رحالهُ في مسامية وفي ٣٦ ايلول قطع مسافة ٨٠٥ كيلومترات بمدة اربع ساعات وسار من حلب الى بغداد (راجع وصف هذا الطيران العجيب)

Le raid merveilleux de Pelletiaer Doisy par GILBERT GILE-NICOUD, p. 45

عند مباشرته الطيران جهّز فرمان آلته بجهاز كهربائي كجهاز محرّك السيّارات يشتغل رهن اشارة الطيّار فيدفع المحرّك الكبير . وقد وصل بآلة توليد الكهرباء جهازاً يمكّن الطيّار من ارسال التموجات اللاسلكية للتلغراف

امّا قوة المحرك «فرمان» فهي ٦٠٠ حصان وثقله يتراوح بين ٧٥٠ و٨٥٠ كيلاً وان اضفتَ عليها ثقل الماء والزيت مع الانابيب للتبريد والتزييت وثقل الرفّاس بلغ ثقل المجموع الف كيلو تقريباً

وصنع فرمان محركاً بقوة ٤٠٠ حصان على شكل المحرك ذي ٦٠٠ حصان لكن فيه اثنتي عشرة اسطوانة فقط منظّمة على ثلثة صفوف اربعاً اربعاً وجهّز باربعة من هذه المحركات كلّا من الطيارات الكبرى المستعملة لرمي القنابل ليلاً

٤ التبريد الهوائي

ان التبريد في الالات الميكانيكية ضروريّ لا مناص منهُ لإخماد ما يتولد من مزيد الحرارة عند احتكاك الاجزاء ببعضها . والتبريد في الطيارات نوعان احدهما يتمّ بالماء والثاني بالهواء

فالمحركات التي تُبرَّد بالماء هي من طراز « سلمسون » (٢٦٠ و٣٠٠ و٥٥٠ حصاناً) ويمتاز فيها بالخفة المحرّكان ٢٦٠ و٥٥٠ حصاناً . وبالصلابة المحرك ٣٠٠ ، فقد اشتغل مؤخّراً ما بين باريس واستراسبورج مدة ١٥٢ ساعة في طيارة تجارية من غير ان يعتريهُ اختلال

على ان المحركات التي تُبرَّد بالهواء تزداد شيوعاً يوماً فيوماً واخصّها محرّك بريستول الذي قوته ٤٠٠ حصان وشكلهُ كشكل النجمة في زواياها تسع اسطوانات كل اسطوانة تولّد قوة ٤٥ حصاناً فتبرّد من مزيج الهواء المولّد بالرفّاس وبحركة الطيارة اوان طيرانها . اخذه الافرنسيون عن الانكليز وجعلوا يصنعونه في باريس بعد ما حصلوا على رخصة اصحاب الاختراع

ولمّا أوصت الحكومة الافرنسية المعامل بصنع عدد من الطيّارات لجيشها رغبت في ان يكون قسم من المحرّكات مجهزاً بجهاز التبريد الهوائي لانّهُ ١) اكثر خفة ومتانة . ٢) واقل لبكة واقرب منالاً للمعاينة . ٣) وألطف مقاومة لمصادمة

الرياح وابعد مصاباً من القذائف . هذه نتيجة تحققها ارباب الفن في اختبار جرى مؤخراً بالمقابلة بين محركين كلاهما بقوة ٤٠٠ حصان احدهما اسمه «لورين ديتريش» والثاني «جوبيتر» . وتمّ الاختبار على خط باريس الى الاستانة الذي أنيط امره الى شركة «سيدنا» (Cidna) واليك بعض محصولاته :

١) ﴿ الثقل والمتانة ﴾ امرهما غاية في الاهمية سواء كان في الطيران العسكري او التجاري . فوُجد المحرك ذو التبريد الهوائي اخفّ من المحرك ذي التبريد المائي وان يمكن يعادله متانةً . فوزن جوبيتر ٢٠٠ كيلو دون وزن لورين وكانت كمية الوقود متساوية في الاثنين ففاق جوبيتر على لورين قوةً في سرعة الطيران والصعود والهبوط وقوي على نقل منتيّ كيلو مهما كانت امّا وقوداً او اسلحةً او سلعاً تجارية . والشاهد على ذلك الطيارة المدعوة «ديفواتن» (Dewoitine) فانها اذا جُهّزت بمحرك من طرز لورين (٤٥٠ حصاناً) طارت بسرعة ٢٣٩ كيلومتراً بالساعة وارتفعت الى علو ٤٠٠٠ متر بعشر دقائق و ٢٠ ثانية وبلغت غاية «سقفها» (اي العلو الذي لا تستطيع ان تجاوزه) ٧٤٥٠ متراً . واذا جُهّزت بجوبيتر (٤٢٠ حصاناً) بلغت سرعة ٢٤٣ كيلومتراً بالساعة وارتفعت الى علو ٤٠٠٠ متر بتسع دقائق و ٤٣ ثانية . وبلغت غاية سقفها ٧٩٠٠

٢) لاشك ان عدم وجود الجهاز المائي للتبريد يخفف ليس فقط من ثقل الطيارة ولكن من عدة عَطَلاتها ومصاعب تركيبها فيتاح لصانعها ان يجمع الآلات في مركز واحد وينتفع بما يتوفر له من المساحة فيزيد في الاثقال او في عدد الركّاب او في حصر وتضييق جسم المركبة ليخفف عليها شدة مصادمة الهواء . وفضلاً عن ذلك ان تركيب «جوبيتر» قريب المنال يمكن الطيار من انتقاد المحرك وسائر الآلات بسهولة لا يجدها مع «اللورين» فقد اختبروا ان فكّ المحرك «جوبيتر» وتبديله لا يقتضي الّا ساعتين ومساعدة رجلين . اما اللورين فيقتضي تبديله ٨ ساعات ومساعدة رَجلين والشغل فيه غير صعب

٣) وليس المحرك جوبيتر اشدّ مقاومةً للرياح في السير اما فضله على «اللورين» في الحرب فلا يقدَّر لصعوبة منالهِ من مرامي العدوّ . فان انابيب الماء وسائر الاجهزة المركبة في «لورين» للتبريد تجعلهُ سريع العطب معرضاً للوقف او للاحتراق لاول رصاصة او شظية من شظايا القنابل تصيبه في اوعية الماء او في انابيبه هذا ما جعل

« جوبيتر » في الدرجة الاولى ما بين المحركات الى ان يظهر محرك جديد في مستقبل قريب يعزله عن عزه ثم يتنزل هو ايضاً امام سير العلوم الحثيث

وانما يسعى اليوم ارباب الطيران الى تجهيز محركات تقوى على تحريك الطيارات مدة الف ساعة وعلى قطع مئتي الف كيلومتر دون اختلال في آلاتها . والامل معقود على الفوز بأمنيتهم

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث الثالث عشر

بيروت في القسم الاخير من القرن العشرين الى يومنا (١٨٦٠—١٩٢٦)

الباب الثاني : بيروت الدينية

١ . رجال الدين

بلغت بيروت اوج رقيها ديناً وادباً في هذه الحقبة . فقد ظهرت مجالي الدين بين اهلها من ارباب وسكنوها بعد السنة ١٨٦٠ . فانَّ قبل ذلك العام لم يستوطن بيروت غير رئيسي اساقفة بيروت على الروم الكاثوليك والروم الاورثذكس . فبعد حوادث تلك السنة أصبحت بيروت مركزاً لنيافة القضاد الرسوليين الذين كانوا سابقاً يسكنون في لبنان في عينطورا وزوق ميكائيل فاتخذوا لهم داراً واسعة قريباً من ساحة الشهداء

شرقيها. ثم باعوها وانتقلوا الى دار القصادة الحالية في رأس بيروت. وقد سبق لنا ذكر اعمالهم في مقالة افردناها لتاريخ القصادة الرسولية في سورية (اطلب المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ١ــ٢٤)

وكذلك رؤساء اساقفة الموارنة عدلوا عن السكنى في عين سعادة واستوطنوا بيروت كرسي اسقفيتهم منذ الطيب الذكر المطران طوبيا عون الى هذا العهد (اطلب تاريخهم في المشرق ٧[١٩٠٤]: ١٠٩١)

واتخذ السيد المرحوم ثاوفيلوس قنديلفت بيروت كمركز لنيابة البطريركية السريانية سنة ١٨٨٦. وازداد شرف اهاليها السريان منذ جعل غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني البطريرك الانطاكي بيروت مركزاً لسكناه بتفويض من الكرسي الرسولي فأصبحت كقطب الطائفة السريانية المنتشرة من اقصى العراق الى وادي النيل

ويسكن اليوم بيروت اسقف ارمني كاثوليكي وفيها نائب بطريركي للطائفة الكلدانية

اما الرسالات اللاتينية فبعد الفرنسيسيين والكبوشيين واللعازريين واليسوعيين الذين مرَّ ذكرهم في الفصول السابقة لم يحتل بيروت سوى اخوة المدارس المسيحية سنة ١٨٨٩. لهم فيها مدرسة كبيرة زاهرة على طريق النهر ومدرسة ثانية متوسطة في رأس بيروت مع تعليمهم للفقراء في مدرسة جمعية مار منصور دي بول. وكذلك لاخوة مريم او الماريست في بيروت مركز لوكالة رسالتهم في انحاء سورية

اما الراهبات فلم يكن منهنَّ في بيروت السنة ١٨٦٠ غير راهبات المحبة. وكانت راهبات القديس يوسف ذي الرؤية (St Joseph de l'Apparition) حللنَ زمناً ببيروت سنة ١٨٤٧ ثم غبنَ عنها الى السنة ١٨٧٢ فعُدنَ اليها بدعوة السيد يوسف ثالوغا. وسبقتهنَّ ١٨٦١ الراهبات المريمات المرونات في يومنا براهبات قلبي يسوع ومريم وتبعتهنَّ سنة ١٨٦٨ راهبات الناصرة وسكنَّ مدة شرقيَّ دار الوجيه المرحوم موسى فريج ثمَّ انتقلنَ الى ديرهنَّ العامر بجوار الاشرفية

واقرب منهنَّ عهداً في بيروت راهبات العائلة المقدسة اللواتي قدمنَ بيروت سنة ١٨٩٤ بدعوة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس ثمَّ استقللنَ بالعمل بعد حين. وحلَّت ايضاً في بيروت مدةً راهبات الراعي الصالح

وفي السنة ١٨٩٨ كان وصول راهبات السجود الى بيروت فعطرن المدينة بقداسة سيرتهن الى هذه الأيام حيث قضي عليهن بالانصراف عن عاصمة لبنان في شهر أيار الاخير فكان لسفرهن سوء تأثير في قلوب الجميع

وفي السنة ١٩٠٨ سُرَّ اهل بيروت باحتلال راهبات جمعيتين أخريين وجدوا فيها مثال البرّ والحنان تزيد بين راهبات محبة بيزانسون وراهبات الفقراء العُجز المعروفات ببنات ام الاوجاع. ولكلتيهما من المآثر الطيبة ما يعرفهُ القاصي والداني

واقربهنَّ عهداً راهبات العائلة المقدسة المارونيات اللواتي انشأهنَّ غبطة البطريرك ماوي الياس الحويك فاستوطنَّ بيروت بعد الحرب. ثمَّ راهبات الجبل بلا دنس الارمنيات

ومنَّن قدم الى بيروت من غير الجمعيات الرهبانية الكاثوليكيَّة السيدات والاوانس البروتستانيات المعروفات بالديا كونس كان دخولهنَّ بيروت في اواخر السنة ١٨٦٠ . وفي تلك السنة انشأت السيدة طومسون اوَّل مدارسها الانكليزيَّة في بيروت . وللروم الاورثذكس جماعة من الراهبات أُنشئت في بيروت في اواخر القرن السابق

وللبروتستانت في حاضرتنا ما عدا الارساليَّة الاميركية جماعات صغيرة أُخرى تنتمي الى مذاهب مختلفة كاللوثرانيين والانكليكان والاسكتلنديين والمعمدانيين وغيرهم لكل منها مذهب في المعتقدات وعادات متباينة ومراكز خاصة

٢ الابنية الدينية

بتوفر السكان في بيروت وجب ايضاً توفير المعاهد الدينية فيها. وقد امتازت الطوائف الكاثوليكيَّة بابنيتها الدينيَّة في هذا العهد الاخير. فبعد كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك بناها غبطة البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٤٩ وكنيستي مار نوبس للموارنة الكبوشيين والجبل بلا دنس للآباء الامازربين تشيدت في اثر حوادث السنة الستين كنائس أُخرى جميلة يفتخر بها الكاثوليك. فشيد اليسوعيون كنيستهم الفخمة على اسم القلب الاقدس سنة ١٨٧٥ وابتنى الموارنة كنيسة مار مارون ثمَّ كنيستهم الكاتدرائية الكبيرة على اسم القديس جرجس بهمة راعيهم المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس ألحقها بعد مدة بكنيستي مار ميخائيل

شرقي بيروت ومار الياس غربيها . واقام السريان كنيستهم اللطينة على اسم القديس جرجس . والروم الكاثوليك على اسم البشارة واسم المخلص والارمن على اسم النبي الياس

هذا الى كنائس ومعابد اخرى خصوصية ضمن الاديرة والمدارس كمثل كنيسة دار القصادة الرسولية وكنيسة قلب يسوع لراهبات الناصرة وكنيسة مدرسة الحكمة وكنيسة جمعية مار منصور وغير ذلك مما يطول ذكره . وسترى بيروت بعد بضعة اسابيع كنيسة اخوة المدارس المسيحية من اجمل الكنائس وارحبها

وكذلك الروم الاورثذكس جددوا كنيستهم الكبيرة على اسم مار جرجس وزينوها بالصور البديعة واقاموا كنائس اخرى على اسم العذراء الطاهرة ومار نيقولاوس . ومثلهم الارمن الغريغوريون جنوبي السراية

وعُني الاميركان بهندسة كنيستهم اللاحقة مطبعتهم القديمة واقاموا في كليتهم كنيسة لطلبتهم واسعة الارجاء شبيهة بقاعة كبيرة

ولم يَنِهُ المسلمون عن مبانيهم الدينية فشادوا عدة مساجد في البسطة ورأس بيروت وتحت دير الناصرة وعند برج الصنوبر على طريق صيداء كُشرف عليها مآذن لطيفة البناء

فكل هذه المباني الدينية تنطق بلسان حالها وتشير الى ما لاهل بيروت من الغيرة في امورهم الروحية والحرص على وديعة الايمان الثمينة التي ورثوها من اجدادهم

٣ الاعمال التقوية والخيرية

وعو الدين الذي يُلهم اصحابه انشاء المشروعات التقوية والخيرية . منها الاخويات التي سعى خصوصاً بتأليفها المرسلون ومَن جرى على مثالهم . فانَّ للآباء اليسوعيين منها قسم صالح بعضها لأعيان البلد كأخوية الحبل بلا دنس وبعضها للعملة كأخوية الام الحزينة وبعضها للنساء كاخوية الميتة الصالحة ومنها للشبان والفتيات وللصانعات في كنيستهم وكنائس اخرى . وللطوائف الكاثوليكية من موارنة وروم كاثوليك وسريان مجتمعات تقوية كالاخويات تبعث روح الدين وتُنمي التقى والعبادة

وفي هذه الحقبة جرت عادة الرياضات السنوية التي يتخلى فيها المؤمنون تارة

منفردين وتارة مجتمعين تلقى عليهم التأملات في الحقائق الدينية فيُنيبون الى الله ويزهدون بشهوات العالم. ومثلها المحاضرات والمواعظ في أيام الصوم استعداداً لعيد الفصح. وزد على ذلك الحفلات الدينية كالرياضات والطواف بالقربان الاقدس والزيارات لمعابد البتول

واوفر منها المشروعات الخيرية كشركة مار منصور دي پول وشركات خيرية لكلّ طائفة من الطوائف بعضها لمساعدة المنكوبين وبعضها لدفن الموتى ومنها لصيانة الفتيات وزيارة المحبوسين

وما قولنا بالمستشفيات العديدة التي توفّرت في احياء بيروت المختلفة وقد امتازت بينها مستشفيات راهبات المحبّة ومآويهنّ ومياتمهنّ ومستوصفاتهنّ

وكلّ يعرف ما لراهبات القديس شرل وراهبات الفقراء العجّز من الفضل العميم في خدمة المرضى والمُسنّين حتى انّ زائري مقامهنّ لا يتمالكون من العجب والاندهاش لدى نظرهم ذاك التفاني الغريب في خدمة البؤساء والتاعسين

ومنذ اربع سنوات فُتح مستشفى آخر جديد لاحق بمكتب الاباء اليسوعيين الفرنسويّ الطبي تقوم بكل لوازمه راهبات مار يوسف الفرنسويّات من ليون

والروم الاورثذكس مستشفى بُنيت له تحت مقبرة مار متري ابنية فسيحة تحت ادارة لجنة خاصّة ونساء ممرّضات

ومن اقدم المستشفيات المستشفى اللاحق بالكلية الاميركانية هو منظّم على مثال المستشفيات الراقية له عدّة فروع على حسب اختلاف المعالجات

الباب الثالث : بيروت الادبية

كما الدين كذلك الادب صار منذ لبيروت السهم الفائز حتى فاقت على حواضر الشرق وقاربت الشبه ببعض عواصم الغرب

الى السنة ١٨٦٠ كانت الاداب والعلوم منحصرة في نطاق ضيّق فاخذت في الاتساع بعد ذلك حتى بلغت ما نراها عليه اليوم من الرقي العجيب

﴿المدارس﴾ وكان اوّل ما شُدّ به اخلال انشاء مدارس وطنية واجنبية ارقى درجة من العهد السابق. فمن المدارس الوطنية ما انشأه المعلم بطرس البستاني سنة

١٨٦٣ فكان لها السبق بين المدارس الوطنية فادارها هو وابنهُ سليم عدَّة سنين. وفي السنة ١٨٦٥ وضع البطريرك غريغوريوس يوسف اساس المدرسة البطريركية على قمة حيّ المصيطبة فاقبل اليها التلاميذ من سورية والبلاد المجاورة كفلسطين ومصر وقبرس ولم تزل من ذاك الحين تشرّف الوطن بخدمها المتواصلة في سبيل العلم والادب

وتحت نحوها مدرسة الحكمة التي انشأها السيّد الفضال المطران يوسف الدبس سنة ١٨٧٦ وذكرنا اخيرًا الاحتفال بعيد يوبيلها الخمسيني

وانشأ الروم الاورثذكس في السنة ١٨٦٥ مدرستهم الوطنية المعروفة بالثلثة الاقمار علّم فيها بعض ادباء طائفتهم ولا تزال عامرةً الى يومنا

وكذلك المسلمون عزّزوا مدارسهم نخصّ بالذكر منها المدرسة الرشديّة والمدرسة العلمية والمدرسة العثمانية والكلية الاسلامية التي جرى في العام الماضي ١٩٢٥ الاحتفال بالعيد الذهبي لرئيسها الفضال الشيخ احمد عبّاس الازهري

وفي السنة ١٨٧٥ انشأ زاكي كوهن لاهل ملّته الاسرائيليّة مدرسةً خدم بها العلم والادب ٢٤ سنة ثمّ خلفتها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

ومن مدارس الاناث الوطنية المنشأة في هذه المدّة مدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم منذ نيّف وستين سنة. وكذلك مدرسة السيّدة اميلي سرسق الوطنيّة فتحت سنة ١٨٨٠ ومدرسة راهبات الروم الوطنيّات. وباشرت الراهبات المارونيات بمدرستهنّ سنة ١٩٢٢

امّا المدارس الاجنبيّة فبعضها أنشئت الكليّتان الاميركيّة واليسوعيّة. أنشئت الاولى سنة ١٨٦٦ والثانية سنة ١٨٧٥ ولكليتيها فروع متعدّدة فللاولى القسم الاعدادي والعلمي والتجاري والطبي. وللثانية القسم الفلسفي واللاهوتي والاعدادي، ثمّ الحقوق والهندسة والطبّ بكل متعلّقاته

ومن المدارس الاجنبيّة مدرستان كبيرتان لجماعة اخوة المدارس المسيحية اكتسبتا ثقة الاهلين بحسن تدبيرهما وتعليمهما فتزاحم فيها الطلبة

اما الاناث فقد سبق ذكر مدرسة راهبات المحبّة القريبة من ساحة البرج. ثمّ أضفنَ اليها مدرستين اخريَيْن في حيّ الرميلة وفي رأس بيروت

ولراهبات الناصرة مدرسة راقية لاوانس المدينة قطعت ايضاً شوطها الخمسيني

وأحدث منها عهداً مدارس راهبات العائلة المقدسة وراهبات محبة بيزانسون. والكاهن مآثر عديدة لا يفي بشكرها لسان الاهلين

هذا ما عدا العدد العديد من المدارس الابتدائية منها وطنية وطائفية ومنها اجنبية تجدها في كل حي من احياء المدينة فلم يعد من عذر لمن يرغب العلم والتهذيب في عاصمة لبنان

﴿المطابع﴾ قد وضعنا سابقاً فصولاً مطولة في تاريخ فن الطباعة في بيروت والنحاء سورية فعلى من اراد الوقوف على تاريخها ومنشوراتها ان يراجع في المشرق ما قيل عنها في اعداد السنين الثلاث ١٩٠٠ الى ١٩٠٢

وقد استجدت منذ عشرين سنة في بيروت بعض المطابع فاستبدل الاميركان مطبعتهم على الحروف باللينوتيب. وأنشئت مطابع جديدة تامة الاهبة كمطبعة الآباء الكبوشيين المعروفة بجان درك ومطبعة جدعون ومطبعة يوسف صادر ومطبعة مكتبة اخيه سليم ومطبعة قزما والمطبعة الفرنساوية ومطبعة الثبات ومطبعة الاجتهاد ومطبعة النهضة والمطبعة الاهلية والمطبعة العصرية وغير ذلك مما لم نقف على اخباره

﴿المجلات والجرائد﴾ راجت في بيروت سوق الصحافة بعد السنة ١٨٦٠ وهذه اسماء المجلات التي صار لها بعض التأثير في الآداب العربية: الزهرة ليوسف الشلفون والجنان لبطرس البستاني. والنشرة الاسبوعية للارسالية الاميركانية (١٨٧٠) ومجلة المقتطف لشمر وصروف وابكاريوس (١٨٧٦) ثم نقلت الى مصر. ومجلة الطبيب للدكتور جورج بوست (١٨٧٨) والصفاء لعلي ناصر الدين (١٨٨٦) والكنيسة الكاثوليكية (١٨٨٩) ثم المشرق (١٨٩٨) للآباء اليسوعيين. ثم الكلية للجامعة الاميركانية (١٩٠٥) والجامعية للآباء اللازاريين (١٩٠٧). وظهرت بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٩ مجلة الحسناء لجرجي نقولا باز والنبراس للشيخ مصطفى الغلاييني والكوثر لبشير رمضان. وفي السنة ١٩١٠ روضة المعارف لجميل العظم والحقوق للمعلمي نجيب خلف والنديم لشاكر عون. وفي السنة ١٩١٣ صديق العائلة للآباء الكبوشيين ومجلة الرسالة للمرحوم لويس دريان. ومما ظهر بعد الحرب الحارس لامين غريب والمعارف لوديع نقولا حنا ورسالة قلب يسوع للآباء اليسوعيين ومجلة المرأة

اما الجرائد فكادت تبلغ في هذه المدة المئة عدداً اخصها في القرن التاسع عشر

حديقة الاخبار لخليل بك الخوري سبقت السنة ١٨٦٠ . ثمّ تبعها في بيروت البشير للآباء اليسوعيين (١٨٦٩) ثمّ الجنّة والجنينة لسليم ونجيب البستاني (١٨٧١) ثمّ التقدُّم ليوسف الشلفون (١٨٧٤) وثمرات الفنون لعبد القادر القبّاني (١٨٧٥) ثم لسان الحال لخليل سركيس (١٨٧٧) ثم المصباح لنقولا النقّاش (١٨٨٠) والهديّة والمنار للروم الاورثذكس ثمّ بيروت الرسميّة (١٨٨٨) ثمّ الاحوال لخليل البدوي (١٨٩١) ثمّ لبنان لابرهيم بك الاسود والمحبّة لفضل الله ابي الحلقة (١٨٩٩)

ومنذ القرن العشرين الى هذا العهد ظهر في بيروت الاقبال لعبد الباسط الانسي (١٩٠٢) . ثمّ تعدّدت الجرائد بعد اعلان الدستور فظهر منها سنة ١٩٠٨ البرق لبشاره عبدالله الخوري والوطن لشبلي ملّاط والثبات لاسكندر الخوري والاتحاد العثماني لاحمد حسن طباره . ومن السنة ١٩٠٩ الى الحرب ظهر في بيروت الحقيقة لحسن الناطور والمفيد لعبد الغني العريسي وابابيل لحسن محيي الدين حبّال والنصير لعبّود ابي راشد والراوي لطانيوس عبده والرأي العام لطه المدوّر والبلاغ لمحمّد باقر والاخاء العثماني لمحمّد شاكر الطيبي . وبطل كثير من هذه الجرائد في أيام الحرب الكونيّة وبعد الحرب عاد بعضها الى الحياة كالاحوال والبشير والبلاغ والبرق والوطن واستجدّ غيرها كالارز التي نُقلت الى بيروت وكالحقيقة والبرق والشعب والاخاء والمنبر والحريّة وغير ذلك ممّا حُرّر بالافرنسيّة

﴿المطبوعات الادبية﴾ امتازت بيروت بمطبوعاتها التي انافت بعد السنة ١٨٦٠ على الالوف وقد عدّدنا في تاريخنا عن الطباعة لكل مطبعة ما عرفناهُ لها . فلا يسعنا هنا إلّا الاشارة الى هذه المطبوعات بوجيز الكلام

في هذه الحقبة نُشر في بيروت معظم الكتب النصرانية الشائعة بين الطوائف المسيحية وفي مقدّمتها الكتاب المقدّس طبع مبتورًا في المطبعة الاميركيّة وكاملًا في مطبعتنا الكاثوليكية ثم الكتب الطقسية لاسيما الروم الملكيين الكاثوليك والروم الاورثذكس كالسواعيّات ورتب القداس والافخولوجيون والميناون والتبيكيون . ومثلها الكتبُ الطقسية المارونية التي طُبع قسم كبير منها في مطبعتنا الكاثوليكية وفي المطبعة العمومية لرزق الله خضرا بالعربيّة او بالسريانيّة . وكذلك بعض كتب السريان الكاثوليك . يضاف الى هذه الكتب الطقسية شروحها كمنارة الاقداس

للدويهي وتفسير القداس ليواكيم مطران والقداري للمطران يوسف داود

وفي هذه السنين نُشرت في بيروت ايضاً معظم التواريخ الطائفيَّة كتاريخ الموارنة للدويهي وتاريخ الروم الملكيين للسيد غريغوريوس عطا وتاريخ السريان للسيد ديونسيوس نقاشه والفيكونت فيليب دي طرّازي والقس اسحق ارملة وتاريخ الكلدان الطيب الاثر السيد ادّي شير . ومثلها اخبار بعض الرهبانيات كالرهبنة المخلصية والرهبنة البلديَّة والرهبنة الانطونيانيَّة

وطُبعت ايضاً كتب دينيَّة شتى بعضها لاهوتية نظريَّة ولاهوتيَّة ادبية وتفاسير على الانجيل والرسائل وبعضها فلسفية او حكميَّة ووعظية وكثير منها سير قديسين وكتب روحيَّة لتقديس الحياة كالتأملات والكتب التقويَّة والعبادات

ومن مطابع بيروت خرج ايضاً عددٌ لا يُحصى من الكتب المدرسيَّة كمبادئ العربية وتعليم اصولها الصرفية والنحويَّة والبيانيَّة والمنطقيَّة للبازجيين والبستانيين والشرتونيين كان الفضل في نشرها للمطبعة الاميركانيَّة والمطبعة الادبية ومطبعتنا الكاثوليكية ومطبعة صادر

وطبع الاميركان خصوصاً لكليتهم كتباً علمية شتى في الطبيعيات والرياضيات والهيئة والكيميا والطبّ توقّفوا عنها لمّا عدلوا الى تعليمها باللغة الانكليزيَّة

وممّا عُنيت به خصوصاً مطبعتنا الكاثوليكية نشر الكتب الادبية منها قديمة ومنها حديثة كمجاني الادب وعلم الادب ومنتخبات الاغاني ومقامات بديع الزمان ورسائله ونظم امثال الميداني للشيخ ابرهيم الاحدب . ومنها دواوين كالاخطل والخنساء وابي العتاهية والسموأل وحماسة البحتري ونقائض جرير والاخطل والمفضليات ورياض الادب وشعراء النصرانيَّة وديواني المطران فرحات والخوري نيقولا السلفي وكثير منها لغويَّة كالمعجمين اقرب الموارد والمنجد وكنوادر ابي زيد والالفاظ الكتابيَّة وفقه اللغة والكنز اللغوي وتهذيب الالفاظ لابن السكيت والبلغة في شذور اللغة . وبعضها تاريخيَّة كتاريخ مختصر الدول لابن العبري وتاريخ الوزراء للصابي وتاريخ دمشق لابن القلانسي وتاريخ ولاة مصر وقضاتها للكندي وتاريخ ابن بطريق وتاريخ المنبجي وتاريخ ابن الراهب وتاريخ بيروت وتاريخ حلب وتاريخ لبنان وكالنصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة والآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر . ومنها

لدرس اللغات الشرقيّة والغربيّة كاللاتينيّة والافرنسيّة والسريانيّة والارمنيّة والقبطيّة والحبشيّة

أضف اليها ما طُبع في غير مطبعتنا من الكتب الادبية واللغويّة والتاريخيّة كمحيط المحيط وقطر المحيط ودواوين البحتري وابي تمّام والمتنبي مع شرحه العرف الطيّب وسيَر الملوك للاربلي ومقدّمة ابن خلدون واخبار الاعيان في جبل لبنان. وقطف الزهور في تاريخ الدهور وتاريخ اليونان وتاريخ مكدونيا والتاريخ القديم وتاريخ الصحافة العربية وملوك العرب وشرح ادب الكتّاب للبطليوسيّ والريحانيّات ورسائل المعرّي وتاريخ سوريّة للبطران يوسف الدبس. ومنها كتب فلسفيّة كالفوز الاصغر لابن مسكويه وتفصيل النشأتين للراغب الاصفهاني والفلسفة النظريّة للكردينال مرسيه وميزان الحق واصل الانسان والكائنات الخ

فهذه ومطبوعات اخرى غيرها شاهدٌ باهر على ما كان لبيروت من الحصّة الوافرة في تعزيز الآداب العربية

والى بيروت ايضاً يعود الفضل في انشاء المكاتب وغُرَف القراءة والنوادي العلميّة والمتاحف واقامة الحفلات الادبية وتمثيل الروايات تشاركت فيها الارساليّات الاجنبيّة والجمعيّات الوطنيّة حتى اصبحت بيروت في اعين القاصي والداني كمركز النهضة الادبية في العالم العربي لولا ما اصابها من الانحطاط في ايّام الحرب الكونية وهي ساعية اليوم في استرجاع مقامها السابق (لها بقية)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء الزمان (تابع)

ومذ انتشبت الحرب الكونية أُصيبت الآداب العربية بعدد عديد من ادبائها

النصارى الافاضل . واوّل من نُعي الينا المرحوم ﴿عطيّه بك وهبي القبطي﴾ المولود سنة ١٨٦٨ والمتوفى في ٢٦ ت ٢ ١٩١٤ درس في المدارس الاميركانية والوطنية ثم اشتغل بدرس علم الحقوق في المدرسة الفرنساوية بالقاهرة ونال في باريس اجازة الملفنة . ثمّ ساح في البلاد الاوربية وحرّر اخبار سياحته ثمّ كتب الفصول الحسنة في جرائد اوروبة ومصر عن الابحاث الفقهية والاقتصادية . وألقى في مؤتمر الآثار الدولي في مصر سنة ١٩٠٩ محاضرات نفيسة في الفنون القبطية وتولّى رئاسة مدارس مأتمه وعُني بامورها الادبية وبنشر مآثرها التاريخية . وقد جمع احد مواطنيه راغب اسكندر المحامي آثارهُ ومقالاته وخطبهُ فنشرها سنة ١٩١٥ تحت عنوان « الاثر الذهبي المرحوم عطيّه بك وهبي » .

وكان سبقهُ الى الابديّة اديبٌ آخر من مأتمه ﴿عبد السيد ميخائيل القبطي﴾ منشئ جريدة الوطن في مصر سنة ١٨٧٧ وصاحب تآليف حسنة في مواضيع ادبية منها كتابهُ سلوان الشجيّ انتصر فيه لصاحب الجوائب على الشيخ اليازجي . ومن مآثره ردٌّ واسع على كتاب اظهار الحقّ . توفي في ٢٦ ايار ١٩١٤ وكان مولدهُ سنة ١٨٦٠

وفي السنة ١٩١٥ في ١٩ ايار فُجعت أُسرة سركيس بوفاة احد اعيانها ﴿خليل سركيس﴾ الذي لهُ في خدمة الآداب العربية نصيبٌ وافر سواء كان في انشائه لمطبعته الادبية ام في تحريره لجريدة لسان الحال التي نال امتيازها سنة ١٨٧٥ فزيّنها بمقالاته السياسيّة والادبية او ايضاً بتآليفه المدرسية والادبية والتاريخية كسلسل القراءة وتاريخ القدس الشريف وكتاب العادات ورحلة امبراطور المانية درس المرحوم في المدارس الاميركانيّة وعدل الى مذهب اصحابها . كان مولدهُ في اهبه في ٢٢ ك ٢ ١٨٤٢

ومن منشاعي القلم في أيام الحرب الشاعر المفلق ﴿مقولا رزق الله﴾ تخرّج في الآداب بالوطن وهاجر الى مصر واشتهر بالكتابة فأنشأ مجلّة الروايات الجديدة فنقل الى العربية كثيراً من الروايات الفرنسويّة وعُني بنشرها . وكان يُعدّ بين كبار شعراء العصر وهو غزير المادّة كثير التفنن في شعره يزين نظمهُ بالالفاظ الحكمية والمعاني

البليغة . وقد استحسنّا له قوله في الشعراء الذين يفسدون شعرهم بالغايات الدنيئة قال :

ليتَ شعري متى أرى شعراءَ الشرق يوماً بفضلهم اغنياء
ورزانا من نقدّوهم فنالوا شرَّ إرثٍ مذلّةً وشقاء
بين مجوٍ كالسرّ او هو أدنى ومديحٍ تعدُّهُ استجداء
عوّدوا الذلَّ فالكبيرُ كبيرٌ فيهم حين يسألُ الكبراء
ليس كالمالِ للقرائح سمٌّ حين يأتو يوماً بها وشراء
انّ الشعرَ للنفوس غذاءٌ أفسدوهُ فصيّروه غذاء
يتبعُ الشعرُ أهلَهُ فامتهانا وابتذالاً او عزّةً وإباء

ومن حسن اقواله لمّا أُعلن بالدستور العثماني :

يا ايّها الناسُ حيّوا ذلك الهيكلا وسبّحوا سابحَ الحرّيّةِ الأعلا
وقبّلوا البندقيّاتِ التي فضّلتْ اقلامنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهروا عُصبةَ الاحرار انّهمُ أتوا بما أعجزَ الأبطالَ والهِمَما

ومنها :

وادّعوا لمن بثّ الدستورَ من جدثٍ بكت عليهِ عيونُ العالمين دما
فقد حرمناهُ ظلماً وانقضى زمنٌ عليهِ حتى حسبناهُ غداً عدما
واليومَ جرّد سيفَ الحقّ صاحبُهُ وهاجمَ الظلمَ حتى فرَّ منهزما
تعانقَ الشيخُ والقسيسُ واصطحبا من بعد ما افترقا ضدّين واختصما
تعاهدا في حمى الدستور واتّحدا وفرقتْ رايةَ التوحيد فوقهما . . .

وما احسن قوله يصف الاوانس المحتشمات :

وفريدةٍ لولا الحيا رُ حياؤها كان الخمارا
تمشي لحاجاتها ولا ترنو يميناً او يسارا
لا تسمعُ تُلقيهِ الى ما قيل سرّاً او جهارا
هي واللواتي مثلُها يفهمنَ ذاك ولا افتخارا
تحسبنَ نظرتهُ الوجو هِ على محاسنها شنارا
اولاء ربّاتُ القضا ئلِ قد رفعنَ لهُ منارا

واردف يحذرُ المتهتكات :

يا من تلبّسَ بالكبرا ... ءِ حاذري ذاك الصغارا
صُوني جمالاً طالما ... اولاكِ تيهاً وافتخارا
لا كان حُسْنٌ فيك لم ... يكُنِ العفافُ لهُ شعارا

ولد نقولا رزق في بيروت سنة ١٨٦٩ وتوفي في القاهرة في نيسان ١٩١٥

وفي هذه السنة ايضاً في ٩ أيار ١٩١٥ توفي في بيروت اوّل من عُني فيها بمهنة الكتبيين «ابرهيم صادر» باشر بهذه التجارة منذ السنة ١٨٦٣ فخدمها نيفاً وخمسين سنةً وقرّب الى اهل بيروت عموماً والى الناشئة خصوصاً درس المطبوعات العربية ومطالعة التآليف النادرة. فقام بعدهُ بمهنته ولداهُ الاديبان سليم ويوسف من خرّيجي مدرستنا الكلية

وفي السنة ذاتها في ٢٤ ك ١ ١٩١٥ نشبت المنيّة اظفارها في احد رجال الفضل وهو في عزّ شبابهِ «عفّاف بك الكفوري» لم يتجاوز عمرهُ ٣٣ سنة كان قضى قسماً كبيراً منها بعد خروجهِ من كليّة زحلة الشرقية في التعليم في عدّة مدارس وطنية واجنبيّة. وكان كاتباً بارعاً وشاعراً مُجيداً له آثار حسنة في المجلّات والجرائد الوطنيّة منها مقالات في التعليم والتاريخ والصحّة وقد نظم ديوانين وكان يحسن الخطابة والتمثيل

وفي العام المقبل ١٩١٦ في ٢ شباط وقعت وفاة اديب آخر مستفيض السمعة «الشيخ ابراهيم الحوراني» كان مولدهُ في حلب سنة ١٨٤٤ ثمّ تنقّل في مدن الشام كحمص ودمشق الى ان استوطن بيروت فعلّم في مدارسها بينها المدرسة البطريركية. ثمّ أنيطت بهِ ادارة مجلّة النشرة الاسبوعية وتولّى تصحيح منشورات المطبعة الاميركية. وقد ألّف او ترجم ما يبلغ ثلاثين كتاباً منها كتابة الحقّ اليقين في الردّ على بُطلان دروين - وكان ابرهيم الحوراني يجيد الانشاء نثراً ويحسن النظم شعراً وذلك دون تكلّف. وقد خلّف ديواناً شعرياً يشهد له بطول الباع في النظم دونك ابياتاً قالها في الزهد بالدنيا :

يا غافلين تنبّهوا أزفَ السّرى ... وحدَت مطيّ رحيلها الركبانُ
رحيلاً الى دار البقاء فليس في ... دار الفناء لعاقل اوطانُ

غبراؤها سوق الوغى وسماؤها ... فلك النحوس نجومهُ الاحزانُ
لا يسلمُ الجبّارُ في حوماتها ... والمشتري في أفقها كيوانُ
حكت البلادَ بها الشبيهَ وأصلتتْ ... نارَ المصائب فالحياةُ دخانُ

وفي السنة ١٩١٦ في ٦ حزيران قُتل ظلماً بامر جمال باشا ﴿الشيخان فيليب وفريد الخازن﴾ وكل يعلم ما ترك كلاهما من الآثار الادبية الطيّبة منها سياسيّة ومنها تاريخية دافعا بها عن استقلال لبنان وامتيازاته بوجه الاتراك دون ان يتعمّدا حدود القانون واخصّها مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية التي عُنيا بجمعها وتعريبها (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٣٩١ ــ ٣٩٢ ومفكرات عند المطبوعة في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢١)

وفي تلك السنة توفي في مستشفى دمشق الكتبي ﴿امين الخوري﴾ نشر عدّة كتب مدرسية وانشأ دليلاً لبيروت على صورة مجلّة عنوانها الجامعة ضمّنها معلومات مفيدة عن بيروت واصدرها سبع سنين . تولّى مع اخيه خليل ادارة مكتبة الآداب ثمّ انقطع الى الكتابة وكان كثير التأدّب قليل التروّي

في غرّة العام في ١ ك٢ من السنة ١٩١٧ مات فجأةً ﴿الدكتور شبلي شميّل﴾ من اسرة الشميّل اللبنانيّة الكريمة تلقّى العلوم في الكلية الاميركية في بيروت فبرع في الطبّ والطبيعيّات إلّا انهُ جنح الى الآراء الدروينية فتطرّف فيها وبالغ به غلوّهُ الى ان أصبح من الماديين لا يرى صحةً لما يتجاوز الحواسّ حتى انكر وجود الخالق وخلود النفس وهو القائل :

فدعونا من الخلود المنيّ ... ان ترحّبْ فبالفنا الترحيبُ
فلماذا هذا الثراب المرجّى ... ولماذا هذا العقابُ الرهيبُ

وقد بالغ في نشر آرائه الكفريّة وكان لا يرى فائدةً في العلوم ما خلا الطبيعيّات والعلوم الوضعيّة وجنح لتأييدها الى مزاعم الغلاة من الملحدين فقام كثيرون وردّوا على اقواله حتى بين اصحابه

وفي ١٦ ايلول من السنة ١٩١٦ فجعت بيروت باحد اساتذتها الفضلاء الشيخ ﴿ظاهر خيرالله عطايا صليبا الشويري﴾ وُلد في الشوير سنة ١٨٣٦ ثمّ تفرّغ للآداب في كهولتهِ فأصاب منها بجدّهِ ما لم ينلهُ من اساتذة زمانهِ فنبغ ودُعي للتعليم في عدّة

مدارس فأصبح اوحد وطنه في الرياضيات والاخويات وعلم الشريعة. وقد ابقى آثاراً عديدة تنطق بفضله منها رسائل لغوية فريدة كالتتمة والتراجم في اللغة والمعاجم ومنها حسابية كمدخل الطلاب في علم الحساب وكالمحة الناظر في سلك الدفاتر. وكان الفقيد شديد التمسك بدينه كما بيّن ذلك بردوده على مزاعم البروتستانت الباطلة في كتابيه المسمّين «الادلة الغرّاء على سموّ شأن مريم العذراء» ثم «تحقيق المقال في انّ الخلاص بالايمان والاعمال» - وقد وقفنا له على كتاب مخطوط اثبت فيه بتولية القديس يوسف ردّاً على احد اساقفة طائفته

ومن فقدتهم الآداب في آخر سنوات الحرب الكونية الصيدلي والاثري الشرقي ﴿مراد بك البارودي﴾ توفاه الله في ١٥ شباط سنة ١٩١٨ كان مغرماً بالآداب والآثار العربية فجمع منها قسماً كبيراً من جملتها مكتبته الحاوية على عدة مئات من المخطوطات النفيسة فباعها ابنه من اغنياء الاميركيين. وكان مراد بك كثير الاطلاع نشر في الكلية والمقتطف والطبيب عدة مقالات عن مآثر العرب وعن المسكوكات والماديات

وفي ٦ تموز من السنة استأثر الله بأديب آخر من الطائفة الملكية الكاثوليكية ﴿فتح الله جاويش﴾ الكاتب الضليع. له فصول سياسية وادبية وتاريخية في الجرائد الوطنية اصاب فيها لفظاً ومعنى. وقد أبقى بعد وفاته آثاراً كتابية اطلعنا على قسم منها فأخذنا العجب من سعة معارفه وحسن انشائه. وكان ايضاً من المتشبثين بروح الدين والتقى لم يخجل عن الدفاع عن ايمانه بازاء الخصوم

وفيما توفي بعيداً عن الوطن احد أدباء حلب جرجي الكندرجي مات في فرنسة سنة ١٩١٨ بعد ان كان نزح مع اسرته عن الشهباء فراراً من ظلم الاتراك سنة ١٨٩٨. وقد عُني اخوه بجمع ونشر نخبة من ديوانه روت عنه مجلة السرّة الغرّاء (٨ [١٩٢٢] : ٢٧٠ــ٢٧٢) بعض مقاطيعه المعربة عن جودة قريحته منها هذه الابيات التي قالها اذ زار الاهرام ورأى ما فيها من التصاوير الهيروغليفية وعاين بازائها ابا الهول فقال يذكر تلك الآثار المشيّدة بتسخير الالوف من العبيد

اني وقفتُ بساحة الاهرام والبدرُ يسطعُ في الفضاء السامي
وأجلتُ طرفي حولها متنقباً متهيباً لجلالة الاجسام

مستطلعاً اسرارها متناولاً عمّا حوت من أعظم الاجسام
فبدا لي التاريخُ في صفحاتهِ مثلاً متحركاً قدامي
ورأيتُ خلقاً لا يُعَدُّ عديدهم يستاقهم فرعونُ كالأنعام
صُفر الوجوهِ شعورُهم منبرةٌ حُنيَ الظهورُ لشدّة الآلام
تطوي القرونَ جلودهم وتسيل من قسمِ الرؤوسِ لمنبتِ الاقدام
من قَرْعِ اسواطٍ وشدّ سلاسلٍ في جرّ اثقالٍ ونقل رُكام
كلٌّ يئنُّ مردّداً لشكايةٍ وللعنةِ المظلوم للظلّام
فكأنّما الاحجارُ أكبادُ الورى مرصوصةٌ والرمل دمع الرائي
وكأنّما الاهرامُ شبهُ نواجذٍ شهدتْ لنا بشراسةِ الحكّام
فدهشتُ ثمّ سألتُ عنتشاً ابا الهَوْلِ الصّموتَ الكشفَ عن ابهامي
وهو الامينُ لكلّ سرٍّ غامضٍ حرصتْ عليهِ جوانحُ الايام
يحمي خبايا الدهرِ كحارسٍ يقظانَ يحجبها بسترِ ظلام
فتبسّم الصنمُ القديمُ تعطّفاً واجابني من بعد ردّ سلامي
لن كنتَ تحسبُ ما رأيتَ حقيقةً اخطأتَ فهو محصّلُ الاوهام
هذي الشواهدُ شخّصتْ فيما مضى اثرَ الحجى ومآثرَ الأعلام
لو عادت الاسلافُ يوماً بينكم لبكت على الاخلاق والافهام

وعلى ظننا انه قبل نهاية الحرب حلت وفاة اديب آخر ترجمة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف وهو «ميخائيل جرجس ديبو» من الاسرة المعلوفية ولد في طرابلس الشام ونشأ في مدارسها الوطنية وفي مدارس المرسلين ثمّ تنقّل في البلاد وتقلّد عدّة وظائف في خدمة الدولة الايرانية في آطنه وطرسوس ثمّ عاد الى وطنه ولزم الآداب وتأليفها فألّف عدّة روايات من جملتها رواية داود وشاؤل والشيخ الجاهل والامبراطور شرلمان. وله منظومات عديدة جمعها في كتاب دعاه الشعر العصري وقصة درمة قام تبلغ اربعمائة قصيدة بنيّف. روى البعض منها الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف في كتابه «دواني القطوف تاريخ بني المعلوف» (ص ٥٩٨ — ٦١٠ م)

(لها بقية)

[illegible]

Joseph Gredt O.S.B: ELEMENTA PHILOSOPHIÆ ARISTOTELICO-THOMISTICÆ. Vol. I. Logica, Philosophia Naturalis, XXIV-504 *pp.*, 8°, *ed.* 4ª, 1926, *Prix* 12 *Marks, relié* 14, *Herder et Cie, Freiburg im.B.*

اصول فلسفة ارسطو ومار توما

انّ بلوغ هذا الكتاب الطبعة الرابعة لَـدليل على استحسان ارباب المدارس لاسلوبه . وهذا ما يدفع المؤلف الى اعادة النظر في تأليفه لتحسينه . وممّا امتازت به هذه الطبعة انّ كلّ قضيّة من القضايا الفلسفيّة أُفردت عن سواها ووُضعت على صورة علميّة واضحة تنطبع في عقل الدارسين . فلا شك انّ هذه الافادات وغيرها تزيد اقبال الطلبة على درس هذا الكتاب الذي يتناول قسمه الاول المنطق والفلسفة الطبيعيّة وعما قليل سيظهر القسم المختصّ بما وراء الطبيعة

Dom Henri Quentin: Essais de critique textuelle (Ecdotique) 1 *vol.*, 8°, 177 *pp.*, *Paris, Picard*, 1926

انتقادات على نصوص المخطوطات الكتابية

الراهب البندكتي دون هنري كانتن يسعى منذ عدّة سنين بمراجعة مخطوطات الكتاب المقدّس المعروف بالترجمة اللاتينية الشائعة (Vulgata) فنشر نتيجة ابحاثه التي تحامل عليها بعض العلماء وخطّأوها فردّ عليهم المؤلف [illegible] بهذا الكتاب مدقّقاً كلّ التدقيق في تعريف المخطوطات السابق ذكرها و[illegible] جرى في اشغاله يجري العلماء النقّاد وابطل شكايات المنتقدين . ويستطيع القارئ عموماً ان يستفيدوا من هذا الكتاب في درس المخطوطات وحسن طبعها ج . ل

Dr G. Contenau: LA CIVILISATION PHÉNICIENNE. 1 vol. in-8°, 137 illustr., Paris, Payot. Prix 25 F

التمدّن الفينيقي

هذا اوّل كتاب يصدر باللغة الفرنسويّة عن فينيقية وتمدّنها القديم . تولّى تأليفه

احد كبار الاثريين المسيو كونتنو الذي عهدت اليه فرنسة مراقبة الآثار المكتشفة بعد الحرب في سورية عموماً وفي فينيقية خصوصاً . وها هوذا قد أتحفنا بتأليفه الذي جمع فيه كلّ ما نحتاج الى معرفته بخصوص هذه البلاد سواء كان من جهة التاريخ ام من جهة الدين والآداب والفنون الجميلة . وقد بيّن همّة الفينيقيين ورحلاتهم الى البلاد المختلفة وخدمهم للامم المجاورة وما استعاروا هم منها لوطنهم لاسيما من مصر وبابل . وقد اختصر ما وجده الاثريون بعد الحرب من العاديات الفينيقيّة في جبيل . وبحث عن اصل الكتابة الفينيقية وانتشارها في العالم . ويزين هذا التأليفَ صورهُ العديدة البالغة ١٣٧ صورة ل . ش

M. Gaster: THE SAMARITANS, THEIR HISTORY, DOCTRINES AND LITERATURE (The British Academy, the Schweich Lectures, 1923). 205 *pp.*, 8°, 18 *Plates*, 1 *Chart.*, *London*, *Oxford*, *University Press*, 1925

السامريون : تاريخهم وتعاليمهم وآدابهم

هي ثلاث محاضرات واسعة القاها سنة ١٩٢٣ المستر غاستر في الاكادمية البريطانية فاودعها في هذا الكتاب للشع . وقد اضاف اليها ستّة ملحقات وفهرساً للمواد و١٩ صورة . ففي المحاضرة الاولى يبحث المؤلف عن تاريخ السَّمرة منذ اصلهم الى عهدنا . وفي الثانية عن دينهم خصوصاً وعن مذاهبهم وعاداتهم الدينيّة القديمة والحديثة . امّا المحاضرة الثالثة وهي اطولها فيتّسع فيها الكاتب فيصف الكتابات السامرية كالتوراة السامرية وتفاسيرهم وكتبهم الطقسيّة وشعرهم وتآليفهم الجدالية الخ مع ما كتبهُ في اللغة العربيّة . والمؤلف احقّ من سواه بمعرفة هذه الامور ووصفها بعد الزمن الطويل الذي قضاهُ في نابلس بين السامريين واطلاعه على ما افادوهُ شفاهاً من احوالهم وعلى توراتهم وكتاباتهم . وممّا يثبتهُ في كتابه انّ السمرة شيعة يهودية قديمة وليسوا وثنيّين ارتدّوا بعد زمن طويل الى اليهودية . ويسند رأيهُ الى توراتهم التي تشبه اقدمُ نسخها الخطّ العبرانيّ القديم والى تقاليدهم وعاداتهم الحاضرة . ثمّ انّ المسيو غاستر الذي اشتهر بكتاباته عن السمرة قد نشر عدّة تآليف بخصوص المسائل التي يقع فيها الجدال . وهو يقصد نشر كتاب يشوع الذي يعتبرهُ كسفر قديم جداً . وقد نشر آخراً سنة ١٩٢٥ مقالةً مطوّلة عن السمرة على عهد العرب في دائرة

معارف الاسلام (Encyclopédie de l'Islam. t. IV) وألحقه بفصل طويل عن المنشورات السامرية في العربية. فنشكر المسيو غاستر عن كلّ هذه الافادات التي جمع شتاتها واحسن تنسيقها. ولا سيما انّ السمرة اليوم بقايا قليلة في نابلس ولعلّهم بعد زمن قليل يدخلون في خبر كان س - ر

A. Brou S. J.: Le Dix-huitième siècle littéraire. T. II, L'Encyclopédie, Voltaire. *in*-12, 434 *pp.*, 7 *f* 50, *étranger* 8 *f* 50, *Téqui* 82, *rue Bonaparte, Paris*

القرن الثامن عشر الادبي: دائرة المعارف وفولتير

هو المجلّد الثاني لكتاب سبق وصفه في المشرق خصّه حضرة الاب بروه اليسوعي بوصف آداب القرن الثامن عشر. وهذا الجزء افرده لتعريف دائرة المعارف الكبرى ولعمل فولتير وكلّ يعرف ما كان لكليهما من سوء التأثير في الآداب العمومية في فرنسة بما أثاراه من الفتن والغارات على الكنيسة والدين. فالاب برو لا يدعه الّا التشنيع على تلك الاعمال السيئة وانّما يثبت اقواله بألمع الادلّة واصدق البراهين وربما نقل نصوصاً وافرة من كلام اولئك الائمة ليكشف القناع عن اكاذيبهم التي أدّت الى قلب العرش والمذبح معاً في الثورة الفرنسويّة الكبرى. ولله الحمد قد زال ذلك الزمان المشئوم فنرى في عهدنا من التآليف الحسنة في كلّ باب ما يثلج له الصدر ولاسيما في الدفاع عن الدين وفي التاريخ والادب على الرغم ممّا ينشره البعض من المنشورات السيئة التي لا تخلو منها دولة الاب ادمون لاي

L. Riess: Englische Verfassungsurkunden des 12 u. 13 Jahrhunderts. (kleine Texte f. Vorlesungen u. Übungen, n° 155). 1926. 3 Marks. Marcus u. Webers's Verlag

مناشير ملوك انكلترة الرسمية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

في برلين جماعة تُعنى بنشر نصوص رسمية قديمة ومناشير دولية. وها هي قد جمعت في كتاب خاصّ القرارات والمناشير المختصّة بدستور انكلترة. وهذه المناشير كلّها باللغة اللاتينيّة إلّا الثامن عشر منها الذي كتبه باللغة الفرنسويّة ادورد ملك انكلترة وسيّد إسلندة ودوقة اكويتانية سنة ١٢٩٧ يثبت فيه قرارات الملك هنري والده. فبمجموع هذه المناشير والصكوك يقف القرّاء على اهمّ ما تأسّس عليه

الدستور الانكليزي منذ عهد هنري الاوّل الى هنري الثالث . وقد ذيّلت هذه التقارير بالحواشي والافادات التاريخيّة واللغويّة . وفي آخره فهرس المفردات اللاتينية التي ورد ذكرها في تلك المناشير

Walter Hagermann : Das erwachende Asien. 1 *vol. illustré de 44 photog. et de 4 croquis, Berlin,* 1926. *Verlag der Germania*

آسية المنتبهة من رقدتها

هو عنوان كتاب جديد الفهُ احد الالمان هاجرمان بعد سياحته الحديثة الى جهات آسية . فقطع بلاد تركية وفلسطين والعراق والهند والصين واليابان وروسيّة الاسيويّة ودوّن في هذا الكتاب ملحوظاته في اثناء سفره وقد صرف خصوصاً نظرهُ الى مراقبة اخلاق الاسيويين ونزعاتهم فوجدهم بعد الحرب في حالة تنذر الاوربيّين بخطر قريب . فهم ناقمون على الرجل الابيض ويضمرون لهُ الشرّ لما رأوا فيه من المطامع الاشعبية . وقد احبَّ السائح ان يطّلع على معاملة شنتنغ الصينية التي كان احتلّها الالمان قبل الحرب فرأى فيها آثار التمدُّن الحديث الباقي بعد خروج الالمان منها . لكنهُ تمدُّن مادّي لا يصلح لاحوال الصينيّين فهو اشبه بثوب واسع على جسم ضئيل

F. W. P. Lehmann : Japan. 1 vol. in-16, 1925, Ferd. Hirt, Prix 3M, 50

اليابان

يدخل هذا الكتاب في المجموعة التي يعتني بنشرها مكتب ايدرمان (Iedermanns Bücherei) قد تولّى تأليفهُ احد الاختصاصيّين الذي درس درساً عميقاً كلّ احوال بلاد اليابان فجمعها في هذا الكتاب على اربعة اقسام : فوصف جغرافية تلك الاقطار الطبيعية والبشريّة والاداريّة مع ما دخل في حكمها من البلاد الاجنبية فلا يفوت القارئ شيء من امور تلك الدولة الكبرى . والكتاب مزيّن بعدّة تصاوير ورسوم وخرائط حسنة وينتهي بفهرسين واسعين ج . ل

Général Winogradsky: La Campagne de Prusse Orientale en 1914, 1 *vol. in-12, Paris, Lavauzelle et Cie, Prix* 10 *f*

الحملة الروسية على بروسية الشرقية سنة ١٩١٤

انّ الذين تتبعوا اخبار الحرب الكونية في مبادئها سنة ١٩١٤ رأوا في انتصار

الفرنسويين في معركة المارن شبه الاعجوبة . وحقيقةً كان ذلك الفوز من اغرب الامور . غير انَّ كثيرين ينسون ما ادَّتهُ وقتئذٍ الجيوش المسكوبية من الخدم الباهرة التي سهَّلت هذا الانتصار للفرنسويين . وها قد بيَّن الامر احد قوَّاد الجيوش الروسية الذي حضر تلك الوقائع فأخبر في هذا الكتاب الجديد انَّ الروس بدخولهم لبروسية الشرقية اضطرُّوا الالمان الى الدفاع عن ثغورهم وسحبوا قسماً من جيشهم لصيانة بلادهم وبذلك نخوا عن الجيوش الفرنسويَّة بعض طوابيرهم فامكنهم ان يردُّوا هجمات الالمان . فقد قرأنا هذا الكتاب بكل شوق لما يتضمَّنهُ من المعلومات الجديدة

ARABIAN MEDICINE : and its influence on the Middle Ages by Dr D. Campbell. *in*-12, 2 *vols*. XV-208 *et* 235, *London*, *Keyan Paul*, *Trench*, *Trubner et* Cie

الطبّ العربي وتأثيرهُ في القرون الوسطى

الطبّ العربي هو العلم الذي اثَّر في اهل القرون المتوسطة اكثر من سواهُ لحاجة الناس اليهِ . وكان العرب اخذوهُ عن اليونان بعد ما عرَّب كتبهم نصارى العراق والشام ومصر . فتوفَّرت الكتب العربية الطبية في الشرق واتَّصلت بالاوربيين الذين نقلوا منها عدداً وافراً الى اللاتينية . فالدكتور دونلد كمبل رئيس اطبَّاء الجيش البريطاني وضع هذا الكتاب فبيَّن فيهِ تاريخ اطبَّاء العرب في عهد الخلافتين الامويَّة والعبَّاسية في الشرق وفي الاندلس وما ألَّفوهُ من الكتب العلمية لاسيما الطبية وما نُقل منها الى اللاتينية وعلى الخصوص من ترجمات جاليتوس مع بيان ما لا يزال من تلك المنقولات في مكاتب اوربَّة . فأتى بسرد هذه القائمة خدمةً مشكورة توقف الباحثين على الحركة العلمية التي حصلت في القرون الوسطى بين الشرق والغرب . والكتاب في مجلدين واسع المعلومات دقيق الابحاث في آخرهِ فهرس للاعلام ل . ش

Amine de Saad : LE DÉVOLUTION AB INTESTAT. d'après le Rite Hanéfite et le Droit Français

انتقال الوراثة في وفاة من لم يوصِ بمالهِ

ان مسألة الوراثة في وفاة من لم يوصِ بتركتهِ لمن أدقّ الامور واكثرها تشعُّباً . فاحبَّ امين افندي سعد ان يتعمَّق في هذه المسئلة فيقدِّمها في باريس لينال بها اجازة

لمائة في الحقوق من اللجنة الفاحصة فبحث عن فرائض الوراثة كما هي جارية في مذهب ابي حنيفة وعند الاتراك ثمّ قابلها بقوانين الشرع الفرنساوي وأنعم النظر في كلا الشرعين وبيّن الخلاف العظيم الذي بينهما بالكم والكيف وبالنسبة الى الورثة من ذكور واناث وقد قدّم على هذا البحث فصلاً واسعاً ذكر فيه اصول الشرع الاسلامي وفروعهُ حسب المذاهب الاربعة فقد سُررنا بما لقي هذا الكتاب لدى علماء باريس من حسن الاستقبال ونهنئ صاحبهُ بما نالهُ بسببهِ من الامتياز ل.ش

Paul Popenoe. The Distribution of the Date palm. (*Extrait de la Geogr. Review, vol. XVI, n° 1, 1926, pp. 117-121*)

النخيل في المعمور

هذه مقالة لاحد كتبة الاميركان في كاليفورنية خصّها بدرس اقتصادي عن زرع النخل في انحاء العالم. وهو كثيراً ما كتب في هذا الموضوع وبحث عن النخل وضروبهِ وثمارهِ وآفاتهِ فنشر نتيجة ابحاثهِ في المجلات الاميركيّة العلميّة. وهذا بحث جديد اوقفنا فيهِ على مزارع النخل في كلّ قارة من قارات المعمور. فانهُ وجد ان هذا الشجر يبلغ عددهُ اليوم ٩٠ مليوناً اكثر من نصفهِ في العراق (٣٠ مليوناً) والعجم (١٠م) وبحر العجم في عمان والحسي والعرب (٩م). والباقي بعضهُ في افريقية كمصر (١١م) وليبية (٩م) وتونس (٢م) والجزائر (٧م) ومراكش (١م). والباقي نحو عشرة ملايين متفرّق في انحاء العالم

ENZYCLOPAEDIE DES IUDENTUMS

دائرة المعارف اليهودية

كان الانكليز والاميركيّون سنة ١٩٠٧ نشروا معلمةً كبيرة في ١٢ مجلّداً ضخماً تحتوي مجموع المعارف اليهوديّة (The Jewish Encyclopedia) واليوم رأى الالمان ان ينشروا دائرة أخرى اوسع منها في لغتهم وقد وقفنا على مسطرة منها فرأيناها تامّة الاهبة جميلة التصاوير متقنة الطبع يقوم بنشرها محلّ «Eschkol» في برلين والقدس الشريف. والمواد مع الاعلام على طريقة حروف المعجم ج.ل

G. Levenq: Le Français par l'image. *in-12, pp. V-96, 2de édition, Beyrouth, Impr. Catholique*, 1926

تعليم اللغة الفرنسوية بالصور

هذه طبعة ثانية لهذا الكتاب المفيد الذي يسهّل تعليم اللغة الفرنسويّة على

دارسيها بما يتضمّنهُ من الصور الجميلة والتمارين اللغويّة على كلّ صورة فيتعلّم الصغير تلك اللغة دون عناء. وقد ادخلت الحكومة الفرنسويّة هذا الكتاب في جملة كتبها المدرسيّة واثنى عليهِ مستشار المعارف ل. ش

W. H. T. Gairdner : The Phonetics of Arabic. 8°, 107 *pp. Humphrey Milford, Oxford University Press*

لهجة الاصوات في العربية

ليس من يجهل ما للهجة الاصوات في العربيّة من الاعتبار. فانّ لهذه اللغة حروفاً خاصّة كثيراً ما يُعيي النطق بها الاجانب. فسدّاً لهذه الثلمة ألّف الاستاذ جرْدنر الكتاب المذكور آنفاً أتبع فيه على هذا البحث. وقد وجدنا انهُ أحسن في فصوله الاربعة الاولى التي نسّق فيها حروف الهجاء ثم وصف لهجاتها. وللمؤلف في تعريفها اصطلاحاتٌ خاصّة لا يلبث الدارس ان يدرك معانيها. وهناك ايضاً علاماتٌ أخرى لعلّها تلتبس عليهِ كما قال الدكتور ماتسون في كتابهِ عن اللهجة البيروتيّة. وممّا اصاب فيهِ قولهُ (ص ٧) انّ الاجنبيّ عليهِ ان يراقب المتكلّم ليس بالاذن فقط بل بالنظر ايضاً الى شفاهه. وكذلك احسن اذ اوعى بالقراءة الجهوريّة هذا ولا بدّ له من استاذ يستفيد من تعليمهِ مع تحقيقهِ لأقوالهِ الاب ادمون لاي

Menzerath (Dr Paul): 1 Beiheft zur Franzoesichen Lauttafel mit verkleinerter Lauttafel. M. 1 = 2) Beiheft zur Deutschen Lauttafel mit verk. L. t. *Broch. in-16, Bonn, Marcus u. Webers Verlag,* 1926

كرّاستان في تعريف الاصوات الفرنسويّة والالمانية

للفرنسويّة كما للالمانيّة اصواتٌ خاصّة بها كثيراً ما تعتاص على الدارسين. فهاتان الكرّاستان وُضعتا لازالة كلّ شبهة في حروف والفاظ اللغتين. فالمؤلف لهذه الغاية بيّن كلّ حركات اجهزة الكلام كالشفاه واللسان والحنك والحلق لكي يجري عليها الدارس الافرنسي او الالماني ليتقن لفظ كلتا اللغتين. وهذه الطريقة المعروفة بالتصويت الاختباري هي التي اشاعها الكاهن روسلو (l'abbé Rousselot) المتوفى في باريس السنة الماضية. وهي طريقة مفيدة جداً الاب ريته مرتد

VORGESCHICHTLICHES JAHRBUCH für die Gesellschaft für vorgesch. Forschung, herausg. von Max Ebert. B^d. I, Bibliographie der Jahres 1921 und 5 Tafeln. *gr.8°, 1926, Berlin et Leipzig, W. de Gruyter et Cie, Prix 15 M.*

قائمة المشروعات السنوية لما سبق للتاريخ

هذا كتاب او بالحري قائمة نفيسة جمع فيها مكس إيبرت لعام كلّ ما نُشر في العصور عن العلوم السابقة التاريخ التي اتّسعت اليوم اتساعاً غريباً . وهذه القائمة للسنة ١٩٢٤ لا تقلّ عن ١٥٧ صفحة قد خصّ فئةً العلماء لجمع ما يعرفونهُ من المنشورات عن كلّ بلد بمفردهِ . والاستاذ طمسن تخصّص لبلاد سوريّة وفلسطين وذكر لها ١١٤ كتاباً في هذا الموضوع . فترى بايّ تدقيق يؤلف الالمان تآليفهم . وفي آخر الكتاب الذي نحن بصددهِ (ص ١١٦ــ١١٧) تفاصيل عن حفريات بروسية الشرقيّة بساعي ألبار فوكليز (A. Woklitz) يليها فهارس موسّعة للاعلام . امّا طبع الكتاب فغاية في الاتقان ج.ل

GÉOLOGIE DU LIBAN par G. Zumoffen. Professeur à l'Université St Joseph, 4°, *pp.* 165 *Paris, H. Barrère*, 1926= CARTE GÉOLOGIQUE DU LIBAN, *Prix* 40 *f^rs*

جيولوجية لبنان مع خارطتها

كان حقّ هذا الكتاب ان يبرز الى الوجود قبل عشر سنين إلّا انّ الحرب ولواحقها اضاعت قسماً منهُ فعاد مؤلفهُ وكدّ جهدهُ فأنجز تأليفهُ الذي هو اوّل ما نُشر من جنسهِ وقد تكبّد على عملهِ اتعاباً شاقّة ليفحص كل انحاء لبنان ويدلّ على ما يتركّب كل قسم منهُ من الطبقات الصخريّة والمدنيّة الدالّة على ما اصابهُ من التقلّبات في سياق الاجيال وقد دوّن كلّ ذلك في خارطة ملوّنة تُظهر لاوّل وهلة ما خصّت بهِ كلّ ناحية من ضروب التربة والصخور . فهذه خدمة جليلة في جانب العلم والوطن ل.ش

دليل شركة مصايف لبنان للسنة ١٩٢٦

طبع بالقاهرة سنة ١٩٢٦

هذه سنة خامسة لهذا الدليل البديع الذي لا يألو اصحابهُ جهدهم في تحسينهِ

سنة بعد سنة فيضمنونه افضل المعلومات عن كل احوال لبنان ويرصعونها على ألطف صورة مع نقوش جميلة وتصاوير رائعة تأخذ بمجامع القلب

ذيل تاريخ الآداب العربيّة للمدارس الثانويّة

مُني بجمعه لفيف من الاساتذة (طبع بمصر ص ٩٦)

كان اخوة المدارس المسيحيّة قبل ثلث سنوات اتحفونا بكتاب احدهم في تاريخ الآداب العربية. وهذا ذيل الحقهُ به اساتذتهم طبقاً لمنهج وزارة المعارف العمومية الحديث في مصر. فهو ذيل لاحق بسابق سوف يستقبلهُ الطلبة بمزيد الشكر

احمد الجزّار تأليف أدوار لوكروى تعريب جورج مسرّة

طُبع في سان بارلو (برازيل) ١٩٢٤ (ص ٣١٩)

ادوار لوكروى المتوفّى سنة ١٩١٣ قبل دخوله في سياسة بلده كان قدم الى الشام مع رينان وشُغف بآثار الشرق وتواريخهِ. فلمّا زار سواحل لبنان وسمع اخبار الجزّار ولم يكن وقتئذٍ قد خمد ذكرهُ احبّ ان يكتب تاريخهُ مستنداً الى تلك الاخبار الحيّة والى ما وجدهُ في سجلّات دولتهِ من المعلومات. فكتب هذا التاريخ وضمّنهُ مع حوادث الجزّار ما وقع في ايّامهِ من الحوادث في الشام ومصر وقد صار لكتابهِ رواج كبير إلّا انهُ اصبح نادراً. فاحسن الاديب جورج مسرّة بتعريبهِ ونشرهِ. ويا ليتهُ كان انتقد على بعض آرائهِ التي تخالف ما رواهُ غيرهُ من الكتبة. وعلى كل حال اننا نثني على هذه الخدمة التي ادّاها للوطن ل. ش

تاريخ القوّة الخفية.

الجزء الاوّل : مقدّمات لمعرّب وناشر هذا التاريخ

طُبع في صيداء في مطبعة العرفان سنة ١٩٢٦ (ص ١٠٧)

القوّة الخفيّة هي الشيعة الماسونيّة كما هو معروف. امّا تاريخها الذي يدّعي معرّب هذا الكتاب وناشرهُ عوض افندي الخوري انهُ وقف عليهِ وانهُ يرتقي الى عهد المسيح بعد قيامته بسنين قليلة فاراد نشرهُ وكشف اسرارهِ الفظيعة فانّنا لا نوافق على صحّتهِ. ولعلّ نشرهُ احدى الخدع التي يلوذ بها الفرمسون لتضليل الناس. وعلى

كل حال لم نجد في هذه المقدمات ما يدفعنا الى تغيير حكمنا ريثما نطّلع على قسمه الثاني

احلام الفلاسفة بقلم سلامه موسى

طبع بمطبعة الهلال سنة ١٩٢٦ (ص ١٣٣)

قال احد كبار الرجال : « ليست سخافة إلّا خطرت على بال الفلاسفة الذين يستندون الى عقولهم القاصرة خارجاً عن الدين » . وهذا ما يلوح من خواطر الفلاسفة التي وصفها سلامه موسى في هذا الكتاب منها ما نسبهُ الى نفسه في فصله المعنون « خيمي » (ص ١١٤ــ١٣٣) فبيّن ان ترهّات عقله اغرب وأفكه مما عرض تقدماء الفلاسفة . ولو عرفَ التاريخ الصحيح لوجد في تاريخ الكنيسة اموراً ارجدها الدين ولم يحلم بها الفلاسفة كنشأ الرهبانيات وسيَر بعض القديسين . فليراجع مثلاً تاريخ باراغواي فينظر ما انشأهُ هناك المرسلون اليسوعيّون من القرى المنظمة على كلّ احكام الدين ووصايا الكنيسة . فاين هذه الحقائق من الاحلام التي عرَضها على قرائه ؟

حسن التذكار بقلم جرجي نقولا باز

طُبع في مطبعة القديس جاورجيوس (ص ١١٠)

هو مجموع حسن لخطب القاها صديقنا الاديب جرجي افندي نقولا باز على الشبيبة في نوادي العلم مدارها على اغراض نبيلة ومواضيع ادبية شريفة حضّ بها الناشئة على طلب الكمال علماً وعملاً

تاريخ عود النصارى الى جرد كسروان

طرفة تاريخية شائقة كتبها احد الكهنة الخوري جرجس زغيب خادم حراجل (١٧٠١ــ١٧٢١) روى فيها ما حدث في زمانه في حراجل وكسروان من اعتداء المتاولة على النصارى ثمّ عودتهم اليها . فنشرها وعلّق حواشيها حضرة القس بولس قرا ألي في مجلته السورية ثمّ طبعها على حدة واضاف اليها نبذتين في الاسرتين الخازنية والشقيرية للبطريرك بولس مسعد وعيسى افندي اسكندر المعلوف . فكأنها آثار طيبة لتعريف تاريخ الوطن الذي لا نزال نجهل كثيراً من اخباره ل . ش

انهاض تربية النحل في مصر

خطبة للدكتور ابي شادي نشرها محمد عبد الغفور

طبع في المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٦ (ص ٤٣).

هذه خطبة علمية اقتصادية ترشد القرّاء الى تربية النحل بموجب الطريقة العلمية الحديثة. وقد نشرت مجلّتنا المشرق (١٥ [١٩١٢]: ٣٥و١٩٠) فصلين فريدين عن النحل وتربيتها لحضرة الاب طوران فيها كثير من الفوائد التي لم نجدها في هذه الخطبة الوجيزة. وانّما اعجبتنا فيها قصيدة احمد بك شوقي في وصف النحل ل.ش

هدايا أرسلت الى المشرق

1 : Le P. A. Philippe G. ss. R. : Le Catéchisme des Droits Divins dans l'Ordre social : Jésus-Christ, Maître et Roi ! *Ligue Apostolique, Paris, pp.* 64, 1926, *Prix* 2 *f*50

٢ — تقرير اعمال الجمعية الخيرية — لطائفة الرهبان الكاثوليك بحلب من ١ كا٢ سنة ١٩٢٥ الى غاية كانون الاول منها (طبع بمطبعة العصر الجديد في حلب مع عدّة تصاوير جميلة. (ص ٥٦)

٣ — المقاصد الخيريّة — من اعمال الجمعية الانطونية لسنتها الثالثة عشر ١٩١٣–١٩٢٦. جمعتها رئيسها حضرة الاب انطون خليل حنا الفرنسيسي. طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس الشريف (ص ٢٣)

٤ جمعية الملجأ الصحي الدرزي ومقاومة السلّ في سوريا ولبنان. خلاصة اعمالها للسنة ١٩٢٥. طُبع في مطبعة مجلة المعارف في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٥٤)

شذرات

﴿وفاة رئيس جليل﴾ نشارك طائفة الروم الكاثوليك المنكبين عموماً والمدرسة البطريركيّة في الثغر خصوصاً في الاسف الذي اصابهم بوفاة الارشمندريت يوحنّا عكّة. فان هذه الفاجعة أدمت قلوب كلّ الذين عرفوا ذلك الرجل الفاضل الذي أدّى لطائفته خدماً متوالية في كلّ المهامّ التي عُهدت الى حكمته لاسيما في خدمة الناشئة التي تولّى تدبيرها بصفة ناظر ثم مدير دروس ثم رئيس في المدرسة البطريركيّة منذ قريب من خمسين سنة وهو في كل هذه المدة موضوع ثقة الاهلين وحبّ الطلبة على اختلاف مواطنهم ومللهم. ولم يُنج الفقيد وقت الحروب من تعنّت الاتراك الذين رأوا في

اخلاصه نحو دينه ووطنه ما دفعهم الى مضايقته حتى تحققوا نزاهته وحيادته عن السياسة . ونحن نشكر له وداده نحو رهبانيتنا التي كان دُعي الى خدمتها في مدرستنا الكبيرة في باريس في ڤرجيرار

﴿معمل التطريز الكلداني﴾ حضرنا في ٧ حزيران بدعوة الاستاذ الفاضل يوسف تشيا حفلة توزيع الجوائز على ما عُرض في هذا المعمل من الاشغال التطريزيّة الفاخرة . وقد اخذنا العجب مما رأيناه من براعة الاوانس اللواتي قُمْنَ بتلك الاعمال فجرينَ في شغلها على رسوم لطيفة لم يعتدْن قبلاً تطريزها فتفانين في تطبيق شغلهنّ عليها واخرجنها بفنون من الالوان الزاهية . وقد دُعيت بعض السيدات لفحصها ومجازاة اصحابها بجوائز ماليّة من عشرين ليرة سوريّة الى خمس ليرات . فنثني على حضرة الاب يوسف نعيم منشئ هذا المعمل الذي يرتزق به عدد عديد من الاوانس منفردات في بيوتهنّ وعلى الاستاذ تشيا وعلى السيدات والاوانس اللواتي انجزنَ هذه الاشغال

﴿طريقة جديدة لقراءة ما طُمس من المخطوطات﴾ كان الكردينال ماي منذ نحو مائة سنة وجد طريقةً لقراءة ما طُمس او سُحج او دُثر من الخطوط القديمة سواء كُتب فوقها خطوط جديدة (palimpseste) او لم يكتب وذلك بواسطة موادّ كيميّة كانوا يدلّطونها على تلك الخطوط فتظهر ثانيةً للعيان مدّةً قليلة فيستطيعون تصويرها وقراءتها . وقد افادتنا مجلة الكتابات والفنون آخرًا انّ بعض العلماء في المانية وفرنسة كالاب الراهب البندكتي رفائيل كوغل (P. R. Kogel) والعلّامة موديس برو (Prou) وشرل سماران (Ch. Samaran) وجدوا طريقةً اصلح واثبت لتلك الآثار المطموسة وذلك انهم يدلّطون عليها شعاع المرشور الواقع بعد البنفسجي (rayon ultra-violet) فتظهر تلك الكتابات الممحوّة ويمكن قراءتها وتصويرها بالفوتغراف . فلهذا الاكتشاف شأن كبير للوقوف على كتابات قديمة كانوا يظنونها مفقودةً

﴿الدين الكاثوليكي في نروج﴾ بقي الدين الكاثوليكي منفيًا من الدول البروتستانية المعروفة بالاسكندينافية مدّة ثلثة قرون فلم يكد ينال بعض الحريّة الّا منذ عهد قريب . وقد اخذ عدد المرتدّين من اهل السويج ونروج ودنيمرك يزداد يوماً بعد آخر . ومما نقلته مؤخرًا اخبار نروج ارتداد مدير مكتب دروسها العليا في

مدينة ڤوس (Voss) الدعو لَرْس اسكلاند (Lars Eskeland) . فهذا قد بلغ في العام الحاضر يوبيلهُ الذهبي في ذلك المنصب الشريف وقد اهدتهُ الحكومة النروجية اكبر أوسمتها بهذه النسبة . وأمّا ارتدادهُ الى الكثلكة فحدث في اوائل هذه السنة وصرّح امام الجمهور انّ تغييرهُ لدينهِ كان لسبب ما يراهُ في المذهب البروتستاني من الفوضى في اختلاف التعليم الديني لاسيما ذكر ان كثيرين من اصحابهِ للاهوت السيد المسيح وانهُ لا يجد لهُ راحة لقلبهِ في غير الكنيسة الكاثوليكية التي فيها وحدها ايضاً ثبتَ سرّ التوبة كما امر بهِ المسيح

﴿ بعثة جديدة علميَّة الى الصين ﴾ ذكرنا في العدد السابق نجاح بعثة الابوين اليسوعيين ليسان وتيلهار الى الصين ومونغولية والتيبت وما اكتشفاهُ هناك من الآثار العديدة من كل مواليد الطبيعة . وقد بلغنا آخرًا ان وزارة فرنسة الخارجية وادارة المعارف العمومية وادارة متحف باريس انتدبتها رسميًّا ليعودا الى تلك البلاد ويواصلا ابحاثهما العلميَّة النفيسة في الجيولوجية وكلّ العاديات فسافرا من مرسيلية في اواخر نيسان على الدارعة أنفكور . وقد قرأنا فصولًا عديدة في الصحائف الاوربية تثني على عظيم فضلهما وتطرئ صبرهما الجميل على ضروب المشقات في سبيل خدمة العلم

﴿ البارغ الى القطب الشمالي ﴾ سبق لنا ذكر مساعي الطيار امونڈسن ليبلغ بطيارتهِ الى القطب الشمالي فلم يدرك مرغوبهُ . على انهُ لم يقطع رجاءهُ فاعدَّ لهُ طيارة اخرى دعاها نورج (Norge) فبلغ ما تمنّاهُ وعلا بسفينتهِ الطيارة فوق القطب الشمالي . إلّا ان ضابطاً اميركيًّا يدعى بُرد (Byrd) من الملاحة الاميركية سبقهُ فحلّق فوق القطب وأصاب قبلهُ قصبة الساق ونصب هناك علماً فوق صندوقةٍ ضمّنها تاريخ بلوغهِ الى القطب الشمالي . وعلى ما ارتأى لم يجد هناك يبَساً بل ماء فوقهُ جليد

﴿ حفريَّات جبيل الاخيرة ﴾ افادنا المسيو ديتان خلف المسيو مونته في مواصلة حفريَّات جبيل عمَّا اكتشفهُ في اواسط حزيران من الآثار وانبأ بهِ مراسل البشير في عدد الجريدة الصادر في ١٩ من الشهر

١ مجموعة تماثيل لمعبودات المصريين في هيئات مختلفة يبلغ عددها ١٥٠ تمثالًا وهي من البرونز المحلّى بالذهب بينها تمثال عجل . وُجدت في جرّتين من الفخّار .

يرتقي تاريخ هذه التماثيل الى الالف الثاني قبل المسيح

٢ً كتابة فينيقية مرقومة على قطعة من الحجر المصري الاسود. وانما تلف قسم منها. وفي الكتابة كلام على الالهة سيدة بيبلوس يرقى عهدها الى نحو ٢٥٠٠ سنة

٣ رؤوس ثيران من النحاس أيدلها اهل قبرس الى هيكل بيبلوس. وذلك دليل على شيوع عبادة آلهة جبيل

٤ً قطعة كبيرة من المرمر محفوظة برمتها مع قطع اخرى من جنسه راقية الى عهد الفرعون خيوبس

٥ً مدافن قديمة على عمق عشرة امتار ضمتها خوابي خزفية كبيرة الحجم أودعت فيها عظام بشرية مختلفة بعضها منتثر وبعضها سالم على حالته الاصلية الخصها جثث اطفال موجهة الى الجهة الشمالية وركبتا كل جثة ملتصقتان بفكها واليدان مكتوفتان على وجهها كصورة الطفل في مستودع الرحم. ووجدت هناك ايضاً عظام حيوانات كالثيران ماعز وغنم في آنية فخارية جعلت لحمها مع الرقى كطعام لهم. وهذه من اقدم آثار جبيل الدالة على عاداتهم في القرون الخالية

﴿ مدرسة جديدة في تانكين ﴾ افادتنا مجلة آسية الفرنسوية (L'Asie Française. Mai, 1926) ان في اول هذه السنة أنشئت في مدينة تانكين احدى حواضر الصين مدرسة جديدة دُعيت الى ادارتها الرهبانية اليسوعية. وقد أطلق عليها اسم مدرسة ريتشي وريتشي هذا هو اليسوعي والعلامة الفلكي الشهير الاب ماتيو ريتشي الذي سبق كل الاوربيين بدخوله الصين في القسم الثاني من القرن السادس عشر وتوغل بلاكوا في ماكين وخدم هناك العلم والدين خمساً وعشرين سنة. وقد نشرت ترجمة مطولة مع صورته في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٨٠١-٩١٤) بمناسبة وفاته في الصين سنة ١٦١٠. وانشاء هذه المدرسة الجديدة على اسمه اقرار عمومي بفضله ونبوغه. (راجع ايضاً مقالتنا عن الصين والمسألة الصينية في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٧٩٣ و ٧٠٥ وفيها خارطة ملونة لدولة الصين)

﴿ المتقي بالله ام المستنصر بالله ﴾ لما ذكرنا في عددنا الاخير بين شعراء النصرانية ابن اصطفانوس الرومي (ص ٢٢١) نقلنا ما وجدناه عنه في نسخة من تاريخ حلب لكمال الدين الحلبي مصونة في المتحف البريطاني وذكرنا هناك ما استنتجناه

من بعض السطر محوّة ان ابن اصطفانوس أرسل سفيراً الى الخليفة العباسي المستضيء بالله الذي وزيره عليّ بن عبد الرحمان البازوري. وها قد افادنا من حيفا جناب عبدالله افندي مخلص انّ اسم الخليفة قد ورد هنا بالغلط لان الخليفة الذي كان وزيره البازوري ليس هو المستضيء بالله بل المستنصر بالله الفاطمي الثالث من ٤٢٧ الى ٤٨٧هـ (١٠٣٥ــ١٠٩٤م) وانّ اسم وزيره « الحسن بن علي بن عبد الرحمان اليازوري (لا البازوري) نشكر لجناب المراسل افادته فقد ازال بها ما وقع في النسخة التي اخذنا عنها من الالتباس. ومن ثمّ يتعيّن زمان ابن اصطفانوس انه عاش في القرن الخامس للهجرة

﴿تطويب شهيدين يسوعيين﴾ في ٦ حزيران الماضي أعلن الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر المالك سعيداً بتطويب شهيدين يسوعيين قُتلا في ٧ شباط سنة ١٥٩٣ في مدينة اوبتاس (Aubenas) احدى مدن مملكة أرداش الفرنسويّة قتلهما البروتستانت الكلوينيّون لمدافعتهما عن سرّ القربان الاقدس وكان احدهما كاهناً اسمهُ جاك سالس (B^t. Jacques Salès) والآخر شمّاساً غليوم سوتموش (B^t. Guillaume Saultmouché) اشتهرا بقداسة سيرتهما في الحياة وبكرامات متعدّدة بعد الممات. وقد تمّت حفلة تطويبهما في كنيسة الفاتيكان بأبهة عظيمة وحضور الوف من الزوّار

﴿انيس النصولي ومكتبتنا الشرقية﴾ ذكر انيس افندي النصولي مكتبتنا الشرقية في مقالة نشرها تحت عنوان « اسباب النهضة العربيّة في القرن التاسع عشر » في مجلّة الكلية (ايار ص ٢٣٥) فأشعر بكلامه انّهُ لم يجد فيها لمّا زارها سوى القليل من الرهبان كأنّ الاقبال على المطالعة فيها قليل. وقد خُدع جنابهُ بذلك لان الرهبان لا يشتغلون عادةً في المكتبة بل في قلاليهم واذا احتاجوا الى كتاب اخذوهُ لغرفتهم. ثمّ انّ في الكلية اليسوعية خمس مكاتب ما عدا المكتبة الشرقيّة لم يطلع عليها الزائر. هذا وفي مقالاته غير ذلك من الاوهام كنّا ازلناها من فكره لو سألنا فرواها جزافاً

﴿زلزلة في بيروت﴾ في مساء يوم السبت ٢٦ حزيران بضع دقائق قبل الساعة ٢٣ حدثت هزّات زلزليّة سُمع للاولى منها قرقعة ثمّ توالت فبلغت نحو العشر عدّاً. فالشكر لله على انّها لم تُحدث ضرراً. وقد اتتنا الاخبار من عدّة امكنة حتى حيفا والكرمل انّهم احسّوا بالزلزال وخرج كثيرون من بيوتهم خوفاً من سقوطها

أسئلة وأجوبة

س سأل احد المستفيدين متى أنشئت في الشرق رتبة القنصليات للدول الاوربية ؟

الرتبة القنصلية للدول الاوربية في الشرق

ج انشاء الدول الاوربية للرتبة القنصلية يرقى عهده الى زمن ملك الصليبيين في القدس وبلاد الشام . فانَّ الدول الصغرى كالبنادقة والجنويَّة والكتلان واهل بروفنسة المتعاطين التجارة مع سوريَّة اقاموا لهم في املاك الصليبيين كعكة وصيداء وبيروت وطرابلس عمَّالًا نعتوهم بالقناصلة كانوا يهتمُّون بامور رعاياهم ويدافعون عن حقوقهم بموجب معاهدات رسميَّة او عادات مقرَّرة . ثمَّ اتَّفقوا بعد الصليبيين مع دولة المماليك في مصر ثمَّ مع سلاطين بني عثمان بعد المماليك على اثبات اولئك القناصل في اساكل الشام وداخليَّتها كدمشق وحلب وفي مصر في الاسكندرية والقاهرة فكانت لهم امتيازات من قبل دولهم يعترف بها المسلمون ويراعونها . وفي ايَّام بني عثمان كان القناصل يرجعون في امورهم الى السفراء المقيمين في الاستانة . وكان لسفراء فرنسة التقدُّم على سواهم ثمَّ زاحمهم سفراء دول أخرى لاسيما انكلترَّة والنمسة وهولندة

س وسأل نعوم افندي فانوس من نيويرك : ١ ما هي الارض المدعوة « ارض الكلاب » (اوذا وحسه دلحتم) المذكورة في اعمال القديس اندراوس الرسول ؟ . ٢ هل طُبعت في اوربة التوراة السريانية المنقولة عن الترجمة السبعينية ؟

ارض الكلاب — الترجمة السبعينية السريانية

ج ورد اسم ارض او بلاد الكلاب في قصَّة تبشير القديس اندراوس . والمرجَّح انَّ المراد بها بلاد اسقيثيا (la Scythie) الواقعة في جهات رومانية الحاليَّة وكان اهاليها من البرابرة ذوي وجوه شرسة شبَّهوها بوجوه الكلاب — اما الترجمة السريانية المنقولة عن الترجمة السبعينيَّة اليونانيَّة فطُبع منها اقسام متفرِّقة في جهات اوربَّة كالمانية وانكلترَّة . وسبق العلَّامة كسرياني (Ceriani) سنة ١٨٧٤ وصوَّر بالفوتغراف المجلَّد الثاني من التوراة السريانية السبعينية المحفوظة في مكتبة ميلانو الشهيرة . اما المجلد الاوَّل المحتوي على كتب موسى والكتب التاريخية فمفقود ل . ش

المشرق

الشواهد الصادقة في افواه الملحدين والزنادقة

جميل المرحوم الاب لويس رنزفال اليسوعي

توفي الاب لويس رنزفال في رومية في ٢ نيسان ١٩١٨ بعد ان خدم الناشئة السورية في كلية القديس يوسف والآداب العربية في المكتب الشرقي والمطبعة الكاثوليكية سنين طويلة وقد نشرنا لهُ في المشرق فصولاً رائقة في مواضيع شتى منها فلسفية ومنها ادبية ولغوية وفنية. وقد ترك بين الاوراق التي خلّفها عدة كتابات تستحق ان تخرج من زوايا النسيان. وها نحن ننشر هنا مجموعة لطيفة اقتطفها من كتب الملحدين والزنادقة تشهد بحقائق الدين ولو بالرغم منهم

(قال) من اغرب الامور انّنا نرى في المجموع البشري رجالاً يشيدون بيدٍ ما يسعون الى تدميره بأخرى. يرفعون عقيرتهم لتقريظ وتبجيل ما صبُّوا عليهِ سيول لعناتهم وشتائمهم. ذلك الدين وعقائدهُ الابديّة يستهزئون بهِ ساعةً ويرفعونهُ بعد حين الى أوج الافلاك. ينادون على رؤوس الملإ بعدم صلاحيتهِ لشيء لا بل باضرارهِ الجمّة ثمَّ يقرّون صاغرين بأن لولاهُ لا خير حقيقي ولا سعادة تحت القبة الزرقاء. يضربونهُ تارةً ويلقونهُ أخرى. يطردونهُ ويلتجئون اليهِ. ينفونهُ ويلوذون بهِ. فحياتهم سلسلةٌ غير منقطعة من التناقضات بين اقوالهم واعمالهم، وبين ظواهر إلحادهم وايمان بواطن اكبادهم، بين تآليفهم العلميّة واحاديثهم الخفيّة

ومن ثمَّ ظننّا انّنا لو جمعنا في بعض الصفحات اقرارات هؤلاء الملحدين عن عظم شأن الدين وعن حقائقهِ الراهنة لاسيما الدين الكاثوليكي لأتينا عملاً مفيداً من شأنهِ ان يفحم المتشدّقين الذين يسومون الدين خسفاً فيلتقمون بأقوالهم الحجر اذ يأخذون

إخذهم ويصوّبون سهامهم على اجلّ ما يزدان به ابنُ الانسان في حياته ويطعن افكارهُ في ساعة مماته

وليست هذه الاقرارات في مقام الدين الرفيع وخيوره الجمّة فعل بعض افراد الملحدين وانما هي لمعظم جماعتهم . فانك لا تكاد تسرّح النظر في تآليفهم حتى البالغين منهم الى اقصى حدود الكفر والزندقة الّا تشاهد بين اقوالهم ما ينقض مزاعمهم الباطلة ويشهد عليهم بالافك والكذب عند إرخائهم العنان لأهواء قلوبهم الفاسدة . وكذا قُلْ عن سيرتهم فكم رأينا من ابناء الارملة وزعماء الماسونية يخطبون الخطب المهيّجة على الدين وارباب ويسلّمون اولادهم ليتربّوا في مدارس ذوي الكهنوت . يقبّحون اعمال الاكليروس وينظمون تماليمهُ بين الخرافات واذا حضرت ساعة الموت لا يجدون لضمائرهم راحة إلّا بالتجائهم الى نوّاب الله وكهنته . فهذا لعمري احد ألغاز الحياة البشريّة والدليل الواضح على الجهاد بين الجسد والروح ، بين النفس الصالحة والنفس الأمّارة بالسوء ، بين الله وإبليس

وقد قسمنا هذه الاقرارات فصولًا على حسب مضامينها ليسهل الرجوع اليها عند الضرورة وقد اخذناها عن الملحدين الحديثين الذين عاشوا في الاعصار الاخيرة

١ الله تعالى ووجوده وصفاتهُ

من المعلوم انَّ الوثنيّين في القرون السالفة لم ينكروا وجود الله . وكانوا مع تعدُّد الآلهة يرون السلطة السامية لواحد منهم . حتى انَّ القديس بولس يوم دخوله اثينة وفي خطابه في محفل اريوس باغوس (اعمال ١٧ : ٢٣) ذكّرهم به قائلًا انَّهُ هو الاله المجهول الذي نصبوا لهُ مذبحاً فعبدوهُ . وروى لهم ما قالهُ عنهُ احد شعرائهم اليونان اراتوس القيليقي في القرن الثالث قبل المسيح اذ وصف الافلاك في احدى قصائده فقال عنهُ تعالى «انَّنا نحن ذريّتهُ» (Τοῦ γὰρ καὶ γένος ἐσμέν) فاستنتج بولس من قول الشاعر انهم ما كانوا ليجهلوا انَّ وراء الآلهة الكاذبة المصنوعة بايدي البشر إلهاً حقيقيًّا يفوق عليها فكانوا يكرمونهُ مع جهلهم لشخصه الكريم

والملحدون الحديثون ما كانوا على الرغم من تشدُّقهم ليُسكتوا صوت ضميرهم .

فهذا ڤولتير زعيمهم فانَّهُ صرَّح في شعره بأنَّهُ لا بُدَّ من اعتقاد وجود خالق المخلوقات. كما يجب نسبة الساعة الى الساعاتي فقال :

L'Univers m'embarrasse, et je ne puis songer
Que cette horloge existe et n'ait pas d'horloger.

وكان اذا رأى مآثم الملحدين يقول : «لو وقعتُ في ايديهم لأكلوني نيئاً» فيستنتج من ذلك ان وجود الخالق لا يُستطاع انكارهُ الى ان قال هذه الكلمة الغريبة : «ان كان الله غير موجود فيجب وَضْعهُ»

Si Dieu n'existait pas, il faudrait l'inventer !

ومن كبار الملحدين الدكتور كابانيس (Dr Cabanis) (١٧٥٧ــ١٨٠٨) معاصر ڤولتير فانَّهُ في السنة ١٧٩٨ اذ سمع الكاتب الشهير برزدان دي سان بيار يُعلن باعتقاده الديني في احدى قاعات مجمع العلوم الافرنسي قام وصرخ : «اني أقسم بأنَّهُ لا وجود لله وأطلب ان يُضرَب عن ذكره صفحاً في هذا النادي». فما مرَّ على هذا التجديف الفظيع بضع سنوات حتى وضع كابانيس رسالتهُ الشهيرة المعنونة بالمآل الاولى (Lettre sur les Causes Premières) فقال : «ينتج من مراقبتنا اعمال الكائنات انَّهُ يخطر لكل انسان فكرُ حكمة وضعت صور المخلوقات وارادة أخرجتها الى حيِّز الوجود. وكلتا الحكمة والارادة في اقصى درجات الكمال لتُخرجا الكائنات في سائر دقائقها وتبسطا عليها سموَّ قدرتها لئلَّا يخلَّ نظامها العجيب في اي امر كان». فكفى بهذا القول تكذيباً لانكار كابانيس السابق الجنوني

ومن سوَّدوا في فرنسة وجه الآداب في القرن التاسع عشر الشاعر الغنائي بيرنجار (Béranger) بما اشاعهُ من الاغاني الكفرية والمخلة بالآداب فانَّ هذا الرجل اعلن قبل وفاتهِ امام كثيرين بايمانهِ في وجود الله وقال : «انني لم أحظَ بسعادة المؤمنين بالله في كنيسة رعيَّتي إلَّا أني أعلن باني حفظتُ في قلبي ولا زال احفظ ايماني بالله والدين». وقد ذكر في بعض قصائدهِ الشكَّ بوجود الله فنعتهُ بالقبر الثاني بازاء حياة الايمان فقال عن لسان المسيح لمَّا خاطب يائير قبل ان يقيم ابنتهُ من الموت :

Alors, Il dit : « Croyez : la Foi c'est l'autre vie
Qu'étouffe bien souvent le doute, autre tombeau ! »

ومثلهُ برودهون (Proudhon) ذو الغلوّ في روح الكفر والثورة فانهُ ناقض نفسهُ بنفسهِ حيث قال: « انهُ لمن الامور المنافية للعقل أن يُنسب تجهيز العالم الى سُنن الطبيعة دون مراعاة الأنا المدبّر (le Moi ordonnateur) اي مدبرها العلوي) فذلك بمثابة نسبة انتصارنا في مارنغو الى حركات عسكريّة دون تدبيرها السابق في رأس القنصل الاعلى (اي نابوليون) »

وكلّ يعرف ما كان للكاتبَين ميشله وكوينه (Michelet et Edgar Quinet) من سوء التأثير في عقول الناشئة الفرنسويّة بتآليفهما الكفريّة في القرن التاسع عشر. ومع هذا نرى كوينه قد كتب هذه الجملة التي تقضي على كفرهِ حيث قال: «انّ كلّ شعب يفقد ذكر وجود الله يفقد في الوقت ذاتهِ كلّ معنى وجدانهِ .. فلا أرى ما الموجب بعد ذلك لمواصلة سيرهِ». ومثلهُ رصيفهُ ميشله كتب ما تعريبهُ: «ان منظر العالم عجيبٌ بما فيهِ من غرائب المخلوقات ومظاهر الطبيعة والصناعة والاكتشافات العلميّة ولكن اذا حاد الانسان عن ذكر الله لم يَعُد لهُ سندٌ لتعليل بهاء الكون ونظامهِ وهندام كلّ اجزائهِ ولذلك اقول: لا غنى لي عن الله (Je ne puis me passer de Dieu)»

وهذا سانت بوف (Ste Beuve) النقّاد الشهير والمزّاح المتشدّق فانهُ كتب لفكتور هوغو ما تعريبهُ ليعزّيهُ في وفاة بعض ذويهِ:

«ليس في العالم تعزية اصدق وسلوان أثبت بعد بلايانا كاعتقادنا لوجود الله وما يتبع ذلك من الحقائق كخلود النفس والثواب او العقاب وسيرنا في هذا العالم على مقتضى الواجب وانتقال عقلنا من المنظور الى غير المنظور. فانّ من يرضى بهذه العقائد لا ينجو من البلايا وانما يجد في الصبر عليها قوّةً وثباتاً»

ومن حكم الشيوعي لويس بلان (Louis Blanc): «كلّ ما يُنزع في الحكومة من سلطة الله يُضاف الى سلطان الجلاّد» Tout ce qu'on retranche dans l'Etat à la souveraineté deDieu,on l'ajoute à la souveraineté du Bourreau

ومثلهُ تلاديني جول فافر (Jules Favre) فانهُ في خطابهِ يوم انضمامهِ الى الاكاديمية الفرنسويّة في ٢٥ نيسان ١٨٦٨ أدّى هذه الشهادة لوجودهِ تعالى عزّ وجلّ:

« اني لأجد في حواسي برهاناً جلياً أشعر به في كل حين ولا يمكني تفنيده . لعمري كيف نستطيع انكار عقل سام ومشيئة علويّة كلما تنظر نظام هذا العالم العجيب . فانّ العلم يُرينا حتى في اصغر دود الارض عجائب باهرة تبهر عقولنا . وكذا نل عن كافّة الموجودات فكيف نعلّل كل ذلك دون الاقرار بصانعها . وما ترينا حواسّنا يثبته عقلنا فيضطرنا باعلان وجوده تعالى ما لم نشأ ان نهبط بانكارنا الى قعر الذل والهوان »

واضطرّ رنان (E. Renan) ان يقرّ بوجود الله كغيره من الملحدين . كيف لا وهو القائل في خطابه يوم اختياره كعضو لجمعيّة العلوم الفرنسويّة في ٣ نيسان ١٨٧٩ :

« اذا ما جلس الانسان يوماً ليفكر في عواقبه يجد في قلبه سهماً لا يستطيع ان ينزعه عنه وما ذاك إلّا الله الذي قال عنه فكتور هوغو (Les Travailleurs de la Mer II, n°, 5) ان سرته فينا غريزيّة فطريّة . والحقّ يقال انما في صميم وجدان الانسان لا تقوى السفسطة ولا المذاهب الفلسفية الباطلة ولا المنازعات على ان تمحي آثارها »

ولا يشذّ الشعراء الملحدون عن غيرهم من الكتبة فهذا فكتور هوغو (V. Hugo) فانهُ في أيّام تعقّله ورجاحة فكره كتب قصائد رنانة تُشعر بايمانه بل في عهد انقلابه وحياده عن الدين اضطرّهُ الحقّ الى الاقرار بوجوده تعالى وصفاته الالهيّة . وقد جمع اقواله في الدين احد الكهنة فنشرها في كتاب دعاهُ : « فكتور هوغو محامي الدين (L'ABBÉ DUPLESSY: V. Hugo apologiste. *Paris, Ledoyl 1892*) . وكفانا نقل ما كتبهُ في كتابه « البؤساء » (Les Misérables, I, 1, 5) وهو احد التآليف التي حرّمت الكنيسة مطالعتها فقال :

« يا من هو الكائن ! انت الذي يدعوك صاحب الجامعة « بالكلي القدرة » وسفر المكابيين « بالخالق » والمزامير « بالحكمة والحقّ » ويدعوك يوحنّا الانجيلي « نوراً » وسفر الخروج « الغاية الصمدانية » وسفر اللاويين « القداسة » وسفر عزرا « العدل » والكون يدعوك « الله » ويناديك الانسان باسم « الاب » وعرفك سليمان باسم « الرحمة » وهذا اجمل اسمائك الالهية ! »

وفي خطابه سنة ١٨٦٩ في مجلس النوّاب قال :

« لستُ لأنفي من المدارس التعليم الديني لا بل اعلنوا انّ هذا التعليم في عهدنا ألزم واوجب منهُ في اي عهد كان . فانّ الانسان على قدر عظمته يجب ان يزيد ايمانهُ . وعلى قدر اقترابه من الله يجب ان يشخص الى الله »

والشاعر المجوني جان ريشبان (J. Richepin) هو ايضاً فتح يوماً فمهُ فنطق بالحق فوضع على لسان رجل ملحد قولهُ «ان الانسان لا يمكنهُ ان يحيا دون ان يرفع نظره الى العلاء وانهُ هو اي الملحد يضطرهُ العلم الى الوقوف على حقيقة وجوده»

Ce n'est pas vrai qu'on puisse vivre
Sans jamais regarder là-haut.
Le besoin de savoir enivre :
Et je saurai ; car il le faut !

ومما جعلهُ على لسان الشيطان يخاطب الملحد الزنديق مشكّكاً ونسباً اليهِ الكذب بقولهِ انَّ الله غير موجود

Êtes-vous bien athée ?
Êtes-vous très certain que Dieu n'existe point ?
Si Dieu n'est rien pourquoi lui montrez-vous le poing?. .
Vous y croyez mon cher ! J'y crois bien, moi, le Diable.

ومثلهما الزنديق سولي برودهون (Sully-Prudhon) المعروف بعاداتهِ للدين فانَّهُ في كتابهِ المعنون بالسعادة (Le Bonheur) يبكّت العلماء الذين يطلبون غير الله لتعليل الموجودات ويختم كلامهُ بقولهِ : عبثاً تزعمون انَّ الذرَّة والقوَّة اصلُ الموجودات فانكم تعلنون بذلك ولو مرغومين بوجود قوَّة الله

Vous même, en parlant de forces et d'atômes
Vous parlez d'Elle, au fond.

ومثل هؤلاء الشاعر الفرد موسه (Alf. Mousset) المتطرّف في آرائهِ . فانَّهُ يشهد في بعض كتاباتهِ لقوَّة الدين وبطلان التمدُّن المادّي دون الله . قال :

« انَّ الحكومة تجرَّدت من الدين وهذا الامر (بما زعمهُ بعض المتوسّعين من الكتبة) مصيبة عظيمة للرفعة . فانَّ رخص الخمر لا يردّ لها ما خسرتهُ وكلّ خمّارات باريس لا تفيدها كما تفيدها اصغر كنائس قُرانا فانَّ الكنيسة تضمد جراحات الانسان ونظرهُ الى البرشانة (القربان) يعيد لهُ ما فُقد من الرجاء »

وقد تهكم في قصيدته «L'espoir en Dieu» بالملحدين كفولتير وسبينوزا وكانت ثمَّ يختم قصيدته بذكر خيبتهم اذ سفهوا عن الله فقال:

Ah ! pauvres insensés, misérables cervelles,
Qui de tant de façons avez tout expliqué,
Pour aller jusqu'aux cieux, il vous fallait des ailes ;
Vous aviez le désir, la Foi vous a manqué.

فترى بعد اقوال هؤلاء النوابغ الذين انطقهم الحقّ ولو مرغومين كم يشطّ بعض الزنادقة الطالبين نفي الدين فان الهوى يعمي عقولهم حتى انّهم ادّعوا تدمير الدين كما قال اولار (Aulard) الملحدين من حزبه «لا نقل منذ الآن اننا لا نريد تدمير الدين. كلّا بل نصرّح أننا نحاول خراب الدين» ومثلهُ جنوناً ما جاء في التعليم الجمهوري (Le Catéchisme républicain): «هيّا انفوا الله ولا يكفي ان نخرب الكنيسة بل يجب ان نقتل الله» «Ah ! plus de Dieu... il faut tuer Dieu !»

٢ اقوال الملحدين في السيد المسيح

قال بولس الرسول (فيلبي ٢: ١٠): «تجثو باسم يسوع كلُّ ركبةٍ ممَّا في السماوات وعلى الارض وفي الجحيم». وقرأت الجحيم على الارض رجال يمثلونها بمحاربتهم ضدّ الربّ وضدّ مسيحه (مزمور ٢). فكما انَّ ابليس يوم تمرُّده على خالقه صرخ: «لستُ اخدم» كذلك وصفاؤهُ على الارض صرخوا مع ڤولتير «فلنسحقنّ الرجس» (Ecrasons l'Infâme!) ظنًّا منهم انهم يقوون على الله وينفون من الارض ذكر السيد المسيح ودينه

على انَّ آمالهم الباطلة قد خابت هنا كما خابت في محاربة الدين وقضي عليهم بان يقرُّوا بالمسيح وبلاهوته ويظفره كما فعل القيصر يوليانس الجاحد لمّا رشق السماء بسهمه المختضب بدمه صارخاً: «قد غلبتَ ايها الناصري». وهذا ڤولتير قد اطرأ حكم الكنيسة وحسن سياستها على مقتضى تعاليم السيد المسيح فقابلهُ بحكم

الملحدين ونيرهم غير المحتمل فقال: « لو كان الملحدون يسوسون العالم لكان حكمهم اشبه بحكم الارواح الشريرة التي يصورونها لنا وهي تُفرغ سجال غضبها على ضحاياها» وقال في مكان آخر عن الفلاسفة المتغطرسين الكاذبين الذين لم يأتِ تعليمهم بثمرة بينما السيد المسيح غيَّر وجه العالم بتعليمهِ وموتهِ فقال: «لم تعلم انَّ فيلسوفاً واحداً أثَّر تعليمهُ في اهل الحيّ الذي كان هو يسكنهُ»

وجاراهُ رصيفهُ جان جاك روسو في كلامهِ الشهير عن السيد المسيح وتعليمهِ فختمهُ بتلك الكلمة الشهيرة التي هي اعظم مديح في الاله المتأنس حيث قال مقابلاً بين موت سقراط وموت ابن الله: «انَّ سقراط مات ميتة حكيم. اما يسوع المسيح فمات ميتة إلهٍ»

وعقبهما القرن التاسع عشر المجبول بكفرهما الَّا انَّ الله استخرج ايضاً من افواه الملحدين من تبعتهما اقوارات تُفحم ناكري الحقيقة . فهذا رنان الذي قام في القرن الماضي وأراد ان يحطَّ السيد المسيح عن مقامهِ الرفيع فأتى في اثناء كتاباتهِ ولو مرغوماً بما ينقض تماماً اقوالهُ الكفريَّة في حقّ ابن الله . فمنَّا جاء من اقواراتهِ قولهُ في كتابهِ حياة يسوع (ص ٤٤٧) : « انَّ يسوع قد أسَّس الدين بين البشر كما أسَّس سقراط الفلسفة وانشأ ارسطو العلم . . . وهذا التأسيس هو حقًّا عمل يسوع نفسهِ وحيث انهُ جعل البشر يسجدون لهُ بهذا المقدار فلا بُدَّ ان يكون جديرًا بالسجود »

وقال في محلّ آخر وهو يخاطب السيد المسيح : « ان محبَّتك منذ موتك لتفوق محبة الناس لك في حياتك الف مرَّة . وانك ستضحي في المجتمع البشري كحجرة زاويتهِ حتى لو اراد احد ان ينزع اسمك من هذا العالم لدكَّ اساسهُ وزعزعهُ»

ورنان نقل كلمةً قالها الكافر الالماني الكبير ستروس (Strauss) وصدَّقها وهي قولهُ: انَّ السيّد المسيح بلغ في حياتهِ مبلغاً لا يستطيع انسان ان يتجاوزه»

وقد اقرَّ رنان في مقدّمة كتابهِ (ص ٢٨) : « ان تلاميذ السيد المسيح في ما كتبوهُ عنهُ قد قصَّروا في تعريفهِ ومديحهِ بدلًا من ان يطنبوا ويبالغوا (١ » فكل هذا الكلام يُشعر باعتراف رنان بلاهوت المسيح إلَّا انهُ بعيدٌ عمَّا اعلن بهِ جهاراً

١) راجع مقالة حضرة الاب رافائيل نخله في تذكار مولد رنان في المشرق (٢١[١٩٢٣]: ٢٠١-٢٠٩)

الوزير البروتستاني الشهير فكتور كوزين (V. Cousin) حيث قال : « اني لأفضل الموت الاحمر على نكران لاهوت يسوع المسيح » (Je monterais sur l'échafaud, plutôt que de nier la divinité de J.C.»

وكان سبقهُ نابوليون الاول فقال في منفاه في جزيرة القديسة هيلانة : « انَّ محبة البشر لكبار الرجال لا تتجاوز حدود حياتهم . فمن يا ترى يحبُّ حاضراً قيصر والاسكندر . هذه القاعدة المطردة لم تشذَّ إلَّا في السيد المسيح الذي لا يزال محبوباً ولو مرَّ عليهِ ثمانية عشر قرناً ولذلك انا اقول انهُ ليس بانسان محض»

وقال سانت بوف (Port-Royal. III, 368) : « منذ ولد السيد المسيح على الارض قد ظهر للبشر مثالٌ جديدٌ . ولو اعتبرتَ الذين ناقضوا النصرانيَّة بين مشاهير الناس كفودريك ولابلاس وغيرته تجد نقصاً في عقلهم او في قلبهم" — وقال في موضع آخر عن المصلوب : « انَّ السيد المسيح منذ موتهِ قد اضحى للبشر حاجتهم اللازبة فترى حتى الذين لا يقومون بواجباتهم الدينيَّة لا يريدون ان يفارقهم الصليب»

ويخبرُ عن الاباحيّ جول جامن (Jules Jamin) انَّ احد اصحابهِ رأى في غرفتهِ صليباً فالتفت اليه قائلاً : ما لك ولهذه الصورة؟ فاجاب جامن بعد ان سلَّم على الصليب : هذا هو الهي فأريد ان يكون بقربي عند دنوّ اجلي لئلَّا يحتاج اهلي الى طلبهِ عند حاجب داري في ساعة وفاتي »

ومثلهُ الروائي الشهير بايرون (Pailleron) دخل يوماً في دارهِ احد رفقائهِ اميل بلاڤه (E. Blavet) فوجد غرفة مظلمة مفتوحة وفيها صليباً كبيراً من العاج فوق فراشهِ فانذهل لفعلهِ فقال لهُ بايرون : « انَّ هذا الصليب قد وضعهُ اجدادي على صدورهم عند وفاتهم وأملي ان اسندهُ ايضاً على صدري مثلهم »

وما اجمل قول فكتور هوغو عن المصلوب (Contemplations III, iv) حيث يدعو الباكين الى الهٍ يبكي قبلهم ، والتائهين الى من سبقهم الى الالم ، والخائفين الى من يبسم للبائسين ، والسائرين في طريق الحياة الى الباقي الى الابد

Vous qui pleurez, venez à ce Dieu, car il pleure;
Vous qui souffrez venez à Lui, car il guérit;
Vous qui tremblez, venez à Lui, car il sourit;
Vous qui passez, venez à Lui, car il demeure !

وقد احسن ايضاً ڤكتور هوغو لمَّا تكلَّم عن شجرة نُصبت لاكرام الحرية فقال: «انَّ شجرة الحرية الاولى انَّما نصبها الله عينهُ على الجلجلة قبل ١٨٠٠ سنة. وما هذه الشجرة إلَّا الصليب الذي عليهِ قرَّب السيد المسيح جسدهُ ضحيَّة ليضمن للجنس البشري الحرّية والمساواة والاخاء»

هذا بعضٌ من عدّ من اقوال غير المؤمنين ولو شئنا ان نروي هنا شواهد لمشاهير العلماء من المؤمنين كلامرتين وشاتوبريان وغيرهما في اطراء الدين وعقائده لضاقت المجلَّة عن استيعابها (للمُصلة)

شعراء النصرانية بعد الإسلام

شعراء النصرانيَّة في عهد الدولة العباسيَّة (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٣٥ بنو ممَّاتي النصارى الاقباط

﴿اصلهم ودينهم وزمنهم﴾ بنو مماتي اسرةٌ شريفة قبطيَّة اصلها من اسيوط في صعيد مصر كانت تدين فيها بالنصرانيَّة وهي تنتمي الى ابي مليح الملقَّب بمَمَّاتي. قال ابن خلكان (ص ١٠١): «كان ابو مليح نصرانيًّا وانَّما قيل لهُ مَمَّاتي لانهُ وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصَّدقة والإطعام وخصوصاً لصغار المسلمين فكانوا اذا رأوهُ نادى كلّ واحدٍ منهم «مَمَّاتي» فاشتهر بهِ»

قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٤) يذكر انتقال بني مَمَّاتي الى مصر قال: «قدموا مصر وخدموا وتقدَّموا ووُلُّوا الولايات. وهو (اي ابو مُليح) مع ذلك من اهل بيت في الكتابة عريق وهو كالمستولي على الديار المصريَّة ليس على يده يدٌ. وكان الى مَمَّاتي كثير من اعماله»

وكان في تلك الايام وزيرًا على مصر بدر الجمالي امير الجيوش في ايام الخليفة المستنصر بالله وكان ابو مليح احد عمّاله يكتب في ديوان مصر ويتولى استيفاء الديون

ومما اخبره ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٤٤ — ٢٤٦) عن الوزير جمال الدين الشيباني ما حرفهُ :

« بلغني انَّ بعض تجّار الهند قدم الى مصر ومعهُ سكّة مصنوعة من عنبر قد تُنُوِّقَ (في الاصل تُنُوِّقَ بالغلط) فيها وأُجيد وطُيِّبت ورُصِّعت بالجواهر فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منهُ فسامَها من صاحبها فقال : لا أنقصها من ألف دينار شيئًا . فأعيدت اليهِ . فخرج بها من دار بدر فقال لهُ ابو مليح : أرني هذه السكة . فأراهُ اياها فقال لهُ : كم سُمْتَ فيها ؟ فقال : لا أنقصها من الف دينار درهمًا واحدًا . فاخذ بيدهِ وقبض ألف دينار من مالهِ وتركها عندهُ مدّةً . فاتّفق ان شرب ابو مليح يومًا وسكر وقال لندمائهِ : قد اشتهيتُ سكّرًا هاتُم المِقلى والنار حتى تقليهُ بحضرتنا . فجاءوهُ بمقلى حديد وفحم وتركوهُ على النار وجاء بتلك السكة العنبر فتركها في المقلى . فجعلت تتقلّى وتفوح روائحها حتى لم يبقَ بمصر دارٌ إلّا ودخلتها تلك الرائحة . وكان بدرٌ الجمالي جالسًا فشمّ تلك الرائحة وترايدت . فاستدعى الخزّان وامرهم بفتح خزائنهِ وتفتيشها خوفًا من حريق قد يكون وقع فيها . فوجدوا خزائنهُ سالمةً فقال : ويحكم انظروا ما هذا . فتفتّشوا حتى وقفوا على حقيقة الخبر فاستعظم وقال : هذا النصراني الفاعل الصانع قد اكل اموالي واستبدَّ بالدنيا دوني حتى امكنهُ ان يفعل هذا . وتركهُ الى الغداة فلما دخل اليهِ وهو مُغضب قال لهُ : « ويحك أستعظمُ انا وانا ملكُ مصر شرى سكةً من العنبر فأتركها استكثارًا لثمنها فتشتريها انت . ثمَّ لا يُغنيك حتى تقليها وتذهب في ساعةٍ واحدة بألف دينار مصرية ؟ ما فعلتَ هذا إلّا وقد قلتَ بيت اموالي اليك وفعلت » . فقال لهُ : « والله ما فعلتُ هذا الّا غيرةً عليك ومحبة لك فانّك اليوم سلطان نصف الدنيا وهذه سكةٌ لا يشتريها إلّا ملك فخفتُ أن يذهب بها الى بعض الملوك ويخبرهُ بأنك استعظمتها ولم تشترها فأوردتُ ان اعكس الامر وأعلمهُ أنك ما تركتها إلّا احتقارًا لها وانّها لم يكن لها عندك مقدار وانَّ كاتبًا نصرانيًا من كتّابك اشتراها وأحرقها فيشيع بذلك ذكرك ويعظم عند الملوك قدرك » . فاستحسن بدر ذلك منهُ وامر لهُ بضعفي ثمنها وزاد في رزقهِ »

واردف ياقوت : وكان مثاني مع ذلك كريمًا ممدّحًا قد مدحهُ الشعراء . فذكر ابو الصلت في كتاب الرسالة المصريّة لهُ انَّ ابا طاهر اسماعيل بن محمّد النشاع المعروف بابن مكنسة (١ كان منقطعًا اليهِ فلمّا مات مثاني رثاهُ ابن مكنسة بقصيدة منها :

اذا أُرجّي من حيا ... تي بعد موت ابي المليح (٢

---

١) وفي الخطط للمقريزي (٢ : ١٦٠) يدعوهُ : ابن المكنسة وهو تصحيف

٢) ويروى : « من ذا أؤمّل » ويروى : تناثرت شُهُب العلا من بعد . . .

طُويَتْ سماءُ المكرمـا ت وكوّرت شمسُ المديحِ
ما كان بالنكس الدنيّ م من الرجال ولا الشحيحِ

ولما وليَ الافضلُ ابن امير الجيوش بدر الجمالي بعد ابيهِ دخل اليهِ ابن مكنسة مادحاً فقال لهُ: ذهب رجالك بموت ابي المليح فما الذي جاء بك الينا ؟ وحرمهُ ولم يقبل مديحهُ

وقرأنا في كتاب البدر السافر في انس المسافر (ص ١١٤) لكمال الدين ابي الفضل جعفر الادفوي المتوفى سنة ٧٤٢ ه (١٣٤١م) انَّ ابا مليح عمّاتي كان اسمهُ ميناً وانهُ ابن ابي زكريّا بن ابي قدامة. قال (ص ١٩٨):

« وكان جوهرياً بمصر وكان يصبغ البلّور صبغة الياقوت فلا يميّز بينها إلا الخبير بالجوهر. قال الوزير القفطي: حكى لي رجلٌ يُعرَف بالرشيد الصائغ انهُ اذا كان نودي على القصّ من صنعتهِ تشوّفت نحوهُ العيون اكثر من تشوّفها الى غيرهِ من الجوهر لجودتهِ وحسن منظرهِ »

﴿ولدهُ المهذّب تمّاتي﴾ قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٦): « امّا المهذّب ولدهُ (اي ولد ابي مليح) وكان يلقّب بالخطير فانهُ كان كاتب ديوان الجيش بمصر في اواخر ايام المصريّين (يريد الفاطميين) واوّل يوم بني ايوب مدّةً فقصدهُ الكتّاب وجعلوا لهُ حديثاً عند صلاح الدين يوسف بن ايوب او (وزيره) اسد الدين شيركوه وهو يومئذٍ المتولي على الديار المصرية فخاف المهذّبُ فجمع اولاده ودخل على السلطان وسلّموا على يده فقبلهم واحسن اليهم وزاد في ولاياتهم »

ثمّ نقل هناك ما اخبرهُ ابو المكارم اسعد ابن المهذّب عن ابيهِ الخطير قال انهُ كان مرتّباً على ديوان الاقطاعات وهو على دين النصرانيّة فلمّا علم اسد الدين شيركوه في بدء امرهِ بمصر انهُ نصراني وانهُ يتصرّف في [عملهِ] بلا غيار نهاهُ وامرهُ بغيار النصارى ورفع الذؤابة وشدّ الزنّار وصرفهُ عن الديوان فبادر هو واولاده فأسلموا على يدهِ فاقرّهُ على ديوانهِ مدّةً ثمّ صرفهُ عنهُ فقال فيهِ ابن الذروي:

لم يسلم الشيخُ الخطيرُ رغبةً في دين أحمدْ
بل ظنَّ ان يحالهُ يُبقي لهُ الديوانَ سرمدْ
والآنَ قد صرفوهُ عنهُ فديتهُ فالعود أحمدْ

فترى من هذا ما كان يقاسيه النصارى من المنت فيسلمون لا حباً بالاسلام واقتناعاً بصحته بل خوفاً من ضرر يلحق بهم او منصب يفتقدونه. فلا يصح ان ننظم مثل هؤلاء في سلك المسلمين. وقد اخبر ياقوت الرومي عن سبب وفاة المهذب (ص ٢٤٨) قال:

ومن عجيب ما جرى للخطير انهُ كان يوماً جالساً في ديوانهِ في حجرة موسومة بديوان الجيش من قصر السلطان بمصر. وكانت حجرةً حسنة مرتفعة منتنة فجاءهُ قومٌ وقالوا لهُ: قم من ها هنا. فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا: قد تقدَّم الملك العادل ابو بكر بن ايُّوب بأخذ رخام هذه الحجرة وان نعمّر بهِ موضعاً آخر. فخرج متكسراً كاسفاً فقيل لهُ في ذلك فقال: «قد استُجيبَتْ فينا دعوةٌ وما اظنّني اجلس في ديوان بعدها. أما سمعتم اذا بالغوا في الدعاء علينا قالوا: خرَّبَ الله ديوانهُ. وما بعد الخراب الَّا اليباب. ثم دخل منزلهُ وحُمَّ فلم يخرج منهُ إلَّا ميتاً»

وكانت وفاة الخطير يوم الاربعاء ٦ رمضان سنة ٥٧٧ (١١٨٢م) وذكر الأدباء للمهذَّب شعراً فمن ذلك ما قالهُ لاسد الدين شيركوه لمَّا امرهُ بالفرار (من السريع):

يا أسد الدين ومَنْ عدلُهُ يحفَظُ فينا سُنَّةَ المصطفى
كفى غِيارًا شدُّ أوساطِنا فما الذي اوجبَ(١ كشف القفا

ومن شعرهِ ما رواهُ عنهُ سعيد بن ابي الكرم بن هبة المصري يتغزَّل بابي سعيد ابن ابي اليمن النحَّال وزير العادل وكان نصرانيًا وأسلم وكان املحَ الناس وجهاً فقال المهذَّب (من السريع):

وشادنٍ لمَّا بَدا مُقبلًا(٢ سبَّحتُ ربَّ العرش باريهِ
ومُذْ رأيتُ النَّحلَ في خدِّهِ(٣ أيقنتُ انَّ الشَّهدَ في فيهِ

وكان ابن النحَّال يسكن في اوَّل درب نور الدين في مصر وكان في آخرهِ صبيٌّ آخر

١) ويروى: يوجبُ
٢) وفي ياقوت (ص ٢٤٨) وشاذن (بالذال وهو غلط) لمَّا أتى
٣) ويروى: النمل في خدِّهِ

نصراني مثلهُ حسناً يُعرَف بابن زنبور فقال المهذَّب (من الطويل):

حوى دربُ نور الدين كلَّ شمَرْدلٍ مشـدَّدةٍ اوسـاطُهم بالزنانيرِ
فأوَّلهُ للشَّهد والنَّحـلِ منزلٌ وآخرهُ يا سادتي لـلزنابـيرِ

ومن ظريف قولهِ مما رواهُ الادفوي (من الطويل):

ولمَّا بكَتْ عيني دماءً لِفَقْدكم تيقَّنتُ انَّ القلبَ فيـهِ كلومُ

وروى لهُ العماد الاصبهاني في الخريدة قولهُ في كتمان السرّ (من البسيط):

واكتمُ السرَّ حتَّى عن إعادتهِ الى المُسِرِّ بهِ من غير نسيانِ
وذاك انَّ لساني ليس يُعلِمُهُ سَمْعي بسرِّ الذي قد كان ناجاني

وروى ايضاً (Ms. Berlin 7412, ff. 180) يصف الخمر (من البسيط):

اذا انبرَتْ من فمِ الابريقِ تحسَبُها شِهابَ ليلٍ رُقي في الكاسِ شيطانا

قال: ومن شعرهِ من قصيدةٍ (من الطويل):

ابيتُ رقيبَ النَّجم منها كأنَّما عُيونيَ لم يُخلَقْ لهنَّ جفونُ

ومنها:

كأنَّ ظلامَ الليل اذ لاحَ بَدْرهُ دُجوجيُّ شَعْرٍ لاحَ منهُ وجينُ
كأنَّ الثريَّا ترقبُ الليلَ غيرةً فقد هجرَتْ منها المنامَ عيونُ
كأنَّ سُهيلًا في مطالع أُفقهِ فؤادٌ مَرُوعٌ خامرَتْهُ ظُنونُ
كأنَّ السها تبدو أوانًا وتنجلي لدى الليلِ سرٌّ في حشاهُ مَصُونُ

﴿ابنُ الاسعد مسّاني﴾ هو شرف الدين ابو المكارم اسعد بن المهذّب مسّاني المصري الكاتب الشاعر. قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٩) والمقريزي في الخطط (٢: ٢٦٠): «خلف اباهُ على ديوان الجيش وتصدَّر فيهِ مدَّةً طويلة ثمَّ أُضيف اليهِ ديوان المال وهو اجلُّ ديوان من دواوين مصر واستمرَّ في ذلك مدَّة ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايُّوب وأيام ابنهِ الملك العزيز عثمان وولي نظر الدواوين واختصَّ بالقاضي الفاضل عبد الرحمان بن علي البيساني فنفق عليهِ وحظي عندهُ وكرُم لديهِ فقام بامرهِ واشاع من ذكرهِ ونبَّه على فضلهِ وصنَّف لهُ عدَّة تصانيف باسمهِ وكان يسمّيهِ بلبل المجلس»

قال المقريزي في الخطط: «ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل ابو بكر بن ايُّوب ووزَّرَ لهُ صفيُّ الدين عليّ بن عبدالله بن شكر فخافهُ الاسعد لِما كان يصدر منهُ في حقهِ من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر في العمل عليهِ ورتَّب لهُ مؤامرات ونكبهُ وأحال عليهِ الاجناد ففرَّ من القاهرة وسقط في حلب»

قال ياقوت في معجم الادباء. حدَّث الصاحب جمال الدين الاكرم قال: لمَّا ورد الاسعد الى حلب نزل في داري فاقام عندي مدَّةً وذلك في سنة ٦٠٤ (١٢٠٧م). وعرف الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين خبرهُ فاكرمهُ وأجرى عليهِ في كلّ يوم دينارًا صوريًّا وثلثة دنانير أخرى أُجرة دار... واقام عندهُ على قدم العطالة الى سنة ٦٠٦ وفيها مات سلخ جمادى الاولى سنة ٦٠٦ (١٢٠٩م) عن ٦٢ سنة فدُفن بظاهر حلب بمقام بقرب قبر ابي بكر الهروي»

واشتهر الاسعد بادبهِ ومصنَّفاتهِ. قال العماد الاصبهاني: «كان فاضلًا اديبًا شاعرًا ناثرًا... وتأدَّب وصنَّف مصنَّفات في فنون عدَّة منها كتاب سرّ الشعر صنَّفهُ للملك العزيز. وكتاب علم النثر. ونظَّم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظم كتاب كليلة ودمنة. ومن تآليفهِ المشعة كتاب صحَّة الحقّ على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم كان السلطان صلاح الدين يُكثر النظر فيهِ وهو من اهمّ ما طالعهُ الملوك. وصنَّف ايضًا للملك العزيز كتاب قوانين الدواوين فيما يتعلَّق بدواوين مصر ورسومها واصولها واحوالها في اربعة اجزاء ضخمة ذكر فيهِ اربعة آلاف ضيعة من اعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانونَ ريّها ومتحصَّلها من عين وغلَّة. وكتب اخرى

كثيرة عدَّدها ياقوت في معجم الادباء (٢ : ٢٥١)

ولاسعد تأتي ديوان شعر تعدَّدت محاسنهُ فروى منهُ الادباء عدَّة مقاطيع. فمن ذلك ما رواهُ عنهُ السيوطي في اخبار مصر والقاهرة (٢ : ٢٠٧و٢٠٨) يصف جزيرة مصر (من الطويل):

جزيرةَ مِصرٍ لا عدتْكِ مَسَرَّةٌ ولا زالتِ اللذّاتُ فيكِ اتّصالُها
فكم فيكِ من شمسٍ على غُصنِ بانةٍ يُميتُ ويُحيي هَجْرُها ووِصالُها
مَغانيكِ فوقَ النيلِ اضحَتْ هوادجاً ومختلفاتِ الموجِ فيها جمالُها(١
ومن أعجبِ الاشياءِ انّكِ جَنّةٌ تُدِفُّ على اهلِ الضَّلالِ ظلالُها(٢

وقال في الروضة وقد حلّها السلطان الكامل محمّد (من الطويل):

جزيرةَ مصرٍ انتِ اشرفُ موضعٍ على الارضِ لمّا حلَّ فيكِ محمّدُ
وفيكِ علا البَحرانِ لكنَّ كفَّ ذا على الناسِ أندى بالعطاءِ وأجوَدُ
واصبحتِ الاغصانُ من فرحٍ بهِ تمايلُ والأطيارُ فيكِ تغرّدُ
فرقَّ نسيمٌ حين سارَ وجدوَلٌ ويشدو هزارٌ حين يرقصُ مُنْدُ

وانشد في وصف الخليج (من الوافر).

خليجٌ كالحُسامِ لهُ صِقالٌ ولكنْ فيهِ للرّائي مَسَرَّةْ
رأيتُ بهِ المَلاحَ تعومُ فيهِ (٣ كأنّهمُ نجومٌ في المجرّةْ

ومما قالهُ في تحامُل الوزير صفيّ الدين عليهِ وهربهِ الى حلب (من الطويل):

١) روى المقري في نفح الطيب (١ : ٣١) : فيك جمالها
٢) وفي المقري : قدْ. اراد انها يستظلُّ تحت اغصانها غير المسلمين فتمتّعهم باهل الضّلال
٣) كذا في الاصل. وفي نسخة اخرى : تجيد عوماً

تنكَّرَ لي ودُّ الصفيِّ ولم أكُنْ بهِ رافعاً رأساً لواعتدلَ الزَّمَنْ
ولكن علا عند انخفاضٍ وساءني وحَسْبُكَ من شخصٍ تركتُ لهُ الوطنْ

وقال ايضاً (من مجزوء الكامل):

لا تَقبلنَّ من الوُشا ةِ وتُقبلنَّ على العواذلْ
فالعينُ قد جُنَّتْ ببُعدكَ والدموع لها هواطِلْ

ودخل يوماً على صلاح الدين فوجدهُ يلعب بالشطرنج فقال (من السريع):

ان يَكُنِ الشِّطرَنجُ مَشغَلَةً لعليِّ القَدرِ والهِمَمِ
فهي في ناديك تذكرةٌ لامور الحربِ والكرَمِ

وقال في غلام نحويّ (من السريع):

وأهيفٍ أحدَثَ لي نَحوهُ تعجُّباً يُعرِبُ عن ظَرفهِ
علامةُ التأنيثِ في لفظهِ وأحرُفُ العِلَّةِ في طَرفهِ

وروى لهُ الصفدي في شرح لاميَّة العجم (من السريع):

أيَسكنُ الناسُ وقد حاطَهُمْ سبعةُ افلاكٍ عليهم تَدُورْ
والدارُ في الاخرى دهاليزُها في هذه الدنيا لُحودُ القُبورْ

وقال في وصف الحسود (من الخفيف):

لا تُصِخْ للحَسودِ في ذَمِّهِ م النعمةَ مع كونهِ العجولَ اليها
فهو مثلُ السحابِ اذ حجب الشمسَ م عن العينِ ثمَّ يبكي عليها

ومما مدح بهِ الظاهر الغازي في حلب قولهُ (من الوافر):

أسكرانُ نديمُ المَدْوغازٍ واسماءُ الملوكِ لها حُلاها
كأنَّ الشَّعرَ رَيشُها طوالٌ فكم نَفسٍ بهنَّ قد استقاها
اذا اكتحلَتْ عيونٌ من عُداةٍ يغيِّر حِلاةً وجدَتْ عماها

وأطمعَ نفسَ أسمَرهِ واضحى يفتّش من نفوسٍ ما خباها
كأنك خلتَها سترت كميناً فتطعنها لتبصرَ ما وراها
سلِ البيت المقدّس عنهُ يُخبرْ بسُورة فتحهِ لمّا تلاها

وروى لهُ ابن خلكان في المماتبة (من الوافر):

تُعاتبني وتنهى عن امورٍ سبيلُ الناسِ ان ينهوكَ عنها
أتقدرُ ان تكونَ كمثل عيني وحقّك ما عليَّ أضرُّ منها

وقال منوّهاً بنهري دمشق ثورا وبَرَدَى (بحزوء الوافر):

حكى نهرَيْنِ ما في الار ضِ مَن يحكيهما أبدا
حكى في خَلقهِ ثورَا وفي اخلاقهِ بَرَدى

اخذهُ من قول بعضهم:

ضاهى ابنُ بشرانَ مدينةَ جلقٍ كلاهما يوم الفخارِ فريدُ
ألفاظهُ بَرَدى وصورةُ خلقهِ ثورا ونقصُ المثل هو يزيدُ

وقال في الغزل (من الرجز):

سمراءُ قد أزرَتْ بكلِ أسمرِ بلَوْنها ولينها وقدّها
انفاسُها دخانُ ندٍ خدّها وريقُها من ماء وَرْدِ خدّها
لو كتب البدرُ الى خدمتها رسالةً ترجمها بعبدها

وقال يصف كرماً (من الطويل):

لنيرانهِ في الليلِ ايُّ تحرّقٍ على الضّيفِ إن أبطا وايُّ تلهّبِ
وما ضرَّ من يَغشو الى ضوء نارهِ اذا هو لم ينزل بآل المهلّبِ

(لهُ بقيّة)

تاريخ الشيخ ظاهر العُمَر الزيداني

نشره بتعاليق ومقدمة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

توطئة

من المجاميع التي في خزانتي المخطوطة ثلاث رسائل استنسختها من خزانة (بني فرّاج) في القدس الشريف بواسطة صديقي نسيبهم الاستاذ جرجي افندي الخوري سكسك القدسي في صيف سنة ١٩١٢ لانشرها في مجلتي (الآثار) فطُويت الى الآن فرأيت نشرها على صفحات المشرق ضنًّا بما ان تالها يد الضياع

(فالرسالة الاولى) اسماء حكام الشام من سنة ١١٣٠هـ الى ١٢٢٣هـ (١٧٠٨-١٨٠٨م) اولهم ناصيف باشا وآخرهم كنج يوسف باشا. وهذه طويتها الآن لأن عندي مقالة مطولة في حكام الشام منذ القدم الى يومنا في كتابي (تاريخ دمشق وعمرانها) المخطوط سانشرها في فرصة ثانية

و(الرسالتان الباقيتان) هما المنشورتان الآن (فاولاهما) قصة ظاهر العمر حاكم عكا وما يتبعها في القرن الثامن عشر للميلاد وهي نقل من اسم مؤلفها. (والثانية) قصتهُ ايضًا مختلفة عن الاولى منقولة عن تاريخ مخطوط لنقولا بن سمان فراج ترجمان قنصل روسية في القدس اذ ذاك وهي في خزانة ولده يعقوب فراج قنصل روسية في القدس قبل الحرب العامة. وفي القصتين اشياء لم يذكرها المؤرخون. وقد علّقتُ عليها حواشي تبيّن ما أُغلق منها. وابقيتها بلغتها العامية احيانًا وفيها لهجة مصريّة قليلة تدلّ على ان كاتبها كان في مصر او ان اصله مصري وصدّرتها بكلمة هي

من هو ظاهر العُمَر ؟

هو من بني زيدان الذين قدموا من عرب الطائف لقحط بلادهم الحجازية في اول القرن الثاني عشر للهجرة. وكانوا ثلاثة اخوة زيدان وصالح وطلحة فنزلوا بمواشيهم في عرّابة البطُوف من بلاد الشاغور في فلسطين فتغلّبوا على اسرة درزية هناك واخذوا منها الزعامة وتحضّروا ونُسبوا الى كبيرهم فقيل لهم (الزيادنة). ونشأ من زيدان عمر والد الشيخ ظاهر واخوته فقيل له (ظاهر العُمَر) بادخال أل على العَلَم كما هي العادة في

بعض البلدان. وقد اشتهرنا بسطوتهم هم وذراريهم الى ان نُكِب ظاهر واولاده فتفرّقوا في بعض انحاء سورية وفلسطين . ومن بقاياهم الآن (بنو الحاج ظاهر) في الناصرة و(بنو البارودي) في دمشق. ومنهم فخري بك الذي ذكرته الصحف في هذه الايام. و(آل صنديد) في صفد. و(آخرون) في جهات اخرى في بعض الروايات

واشهرهم الشيخ ظاهر بن عمر الشهير باسم (ظاهر العمر) الذي حكم بلاد الجليل واتخذ عكا قاعدةً له وتوفي سنة ١١٩٠ ه (١٧٧٦ م) وامتدّت ولايته وولاية اخوته واولاده ولاسيما علي منهم الى ما وراء تلك المقاطعات فحكموها ثمانين سنة من تخوم بلاد بشارة شمالاً الى اطراف جبال القدس جنوباً ومن البحر المتوسط غرباً الى جبل عجلون شرقاً. فشيّدوا القلاع في كثير من المدن وبنوا الاسوار ورمّموا بعضها منها قلاع عكا وصفد وطبرية وشفاعمر وتبنه ودير حنا والسلط والناصرة. وبنى ظاهر للافرنج التجار في عكا (خان الافرنج). واطلق للاديان الحرية فاجتمع حوله كثير من المسيحيين كانوا اطباءهُ وكتّابهُ وخدّامهُ وكان رئيسُ كتّابه ومعتمدهُ ابرهيم الصباغ المشهور. واتحد مع كاترينه امبراطورة روسية ضد العثمانيين واستقدم صنّاعاً لعمل المدافع التي نقش عليها اسمهُ ولإعداد الذخائر الحربية والاسلحة فأنشأ دولة اشبه بدولة الامير فخر الدين المعني الذي امتدت سلطته اكثر منه وكانت ولايته هو واسلافه اطول من ولاية الظاهر

ولقد ابلى بحروبه البلاء الحسن واشتدّ العداء بينهُ وبين الحكّام الذين جاوروه فناوأ الامراء الشهابيين حكام لبنان ووادي التيم ومشايخ المتاولة آل علي الصغير. وعقد احياناً محالفات معهم متصرفاً بحسب ما تحكم عليه السياسة. واجار علي بك الكبير حاكم مصر الفارّ من وجه الدولة وناهض احمد باشا الجزّار والي عكا الذي قضى عليه. وسليمانَ باشا العظم والي الشام. ومملوكَهُ عثمان باشا الصادق واليها ايضاً. ومحمدَ بك ابا الذهب المصري. وحسنَ باشا قبودان (قبطان) قائد العمارة العثمانية. لذي طلب منه مالاً فاشار عليه ابرهيم الصباغ بعدم اعطائهِ ما طلب. فكان بذلك نهاية حياتهما لان احد المغاربة قتل الشيخ ظاهر عن نحو تسعين سنة وكان من خدّامه. ابرهيم الصباغ اخذه القبطان العثماني معه الى الاستانة وشنقهُ هناك . وقُتل معظم ولاد الشيخ ظاهر على اثر ذلك فسقطت امارتهم التي أقلقت البلاد اكثر من ثلاثة

ارباع القرن. ولقد وقفتُ على رسالة من مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية الى السيد ثاودوسيوس الدهان بطريرك الروم الكاثوليك (١ في مجموعة من مخطوطاتي انشرها الآن لمعرفة ما كان لابرهيم الصباغ من المنزلة وهي بنصّها:

الى السيد الكلّي الشرف والاحترام

ان هذا المجمع المقدس قد سمع بحزن عظيم المصائب التي حدثت لمدينة عكاء التعيسة وايضاً شكك السيد الكولار (٢ ابرهيم الصبّاغ والخطر الموجود به فجودة هؤلاء السادة الكرديناليّة واستحقاق المذكور وعيله في المناضلة عن ايماننا المقدس وفي بناء الكنائس يستحقون بلا ريب ليس ان المجمع المقدس فقط بل قداسة سيدنا ايضاً يوجهون كل سعيهم لخلاص المشار اليه. ومن ثمّ لا يصير تقاعد منّا في استعمال كل الوسائط الممكنة في القسطنطينية الى الحصول على الغاية المقصودة مع ان الامل قليل ان نفوز بالمرغوب لوجود ظروف عسرة وخطرة جداً. فسيادتكم لا تكفّوا من أن تقدموا للجلال الالهي في هذا الشأن تضرّعات غير منقطعة. واضع هذه الاسطر متقدماً ذاتي قلبياً في ٣ نيسان سنة ١٧٧٦ الكلي الود لخدمتكم

استفانوس بورجيا كاتم السرّ الكردينال كستي مقدام المجمع

ولقد ذكر بعض الشعراء مواقع الظاهر والمتاولة منهم الشيخ ابرهيم الحاريصي العاملي شاعر آل علي الصغير في جبل عامل واجابهُ عبد الحليم الشويكي النابلسي شاعر الظاهر وجماعة زجّال الظاهر ايضاً. والخوري نقولا الصائغ الذي ارّخ له بعض ابنيته

ونشأ من سلالة (ظاهر) ولده عثمان الذي استبقاه حسن باشا قبطان وحمله الى الاستانة وأخذ اليها معظم سلائل اسرته وكانوا اكثر من ٣٠ نفراً. وعثمان عالم شاعر اديب له اشعار وقفتُ على بعضها. ومنهم الشيخ فاضل بن علي الظاهر له منظومات منها (سعادة الدارين) وهي ارجوزة وغيرها جُمعت في ديوان خاص. ومن مشاهير الشعراء في الاستانة يوسف خالص افندي بن احمد بن الشيخ ظاهر. وربما نشأ غيرهم من اولادهم الذين لهم بقية الآن في الاستانة

---

١) هو بيروتي من اسرة الدهان المعروفة ولد سنة ١٦٩٦ وتسقّف على بيروت سنة ١٧٣٦ باسم اثناسيوس وصار بطريركاً سنة ١٧٦١ باسم ثاودوسيوس وتوفي سنة ١٧٧٨

٢) يريد Chevalier وهي رتبة معروفة

ولقد جمعت ما وقفت عليه من منظومات ابناء الظاهر وحفدته وهي رشيقة بليغة ربما نشرتها . وعُني كثير بتواريخ (الزيادنة) منهم عبود الصباغ في (الروض الزاهر في تاريخ ظاهر) . ومخايل بن نقولا الصباغ في تاريخ آخر (منهُ نسخة في خزانة الآباء اليسوعيين في بيروت) . وتمان قساطلي الدمشقي في مجلة الجنان سنة ١٨٧٧ وجرجس افندي يني في مجلة المقتطف . ومجلة الزهرة في مجلديها الرابع والخامس . والاب قسطنطين الباشا في المسرة . والقس اسعد منصور في تاريخ الناصرة . ونوفل نعمة الله نوفل في كشف اللثام . وغيرهم من المؤرخين

الرسالة

١ قصة الشيخ ظاهر العمر حاكم مدينة عكا(١ .

هذا كان اصلهُ من براري المدينة المذكورة وكان من ذوي البيوت المشهورة فاشرق شمس مجده . وكان والي صيدا يرسل مسلمين من طرفه الى عكا وصور وبيروت . وكانت براري وجبال بيروت بيد حكامها الامراء الشهابيين . وكان المتقدم عليهم في ذلك الوقت الامير ملحم(٢ . هذا كان الاجل (٣ في نعمة الشيخ ظاهر العمر ومشايخ بني متوال (٤ الآتي ذكرهم . والامير المذكور كان يدفع الميري (٥ المرتبة عليه من قبل الدولة الى والي صيدا . وكذلك مدينة صور وبراريها وجبالها كانت بيد المتاولة . والمذكورين يخدمون بلادهم من والي صيدا ويدفعون له الميري . واما جبال وبراري عكا كانت بيد مشايخها . ومن الجملة كان بيت ابو زيدان

---

١) هكذا عُنونت المقالة بدون اسم واضعها ويظهر من بعض تعابيرها المصرية ان كاتبها اما من القطر المصري او من السوريين او الفلسطينيين الذين كانوا في بلاد مصر وهو مسلم

٢) هو الامير ملحم ابن الامير حيدر اول والٍ من الاسرة الشهابية التي حكمت لبنان تولى فيه من سنة ١٧٣٢ الى ١٧٦١م

٣) هكذا ولعله يريد (الاصل) اي السبب بلغة العامة او هو هنا من القاب الشرفاء

٤) يريد بهم زعماء بلاد بشاره (جبل عامل) وما اليه وهم من بني علي الصغير

٥) يريد المال الاميري فخفف

ومقدامهم (١ تخلّف في الشيخ ظاهر المقصود ذكرهُ

فالمذكورين بيت ابو زيدان كانوا يضمنون من والي صيدا ويدفعوا لهُ الميري فما زال هذا الحال حتى تنبّل مظهر الشيخ ظاهر العمر فتصادق مع المشايخ المتاولة (٢ وقد تزوج بنساء كثيرات وخلف ثمانية اولاد(٣: صليبي . وعلي . وعثمان . وسعيد . واحمد . وصالح . وسعد الدين . وعباس . ما عدا البنات . فقامت شوكتهُ ونمت عائلتهُ وتكاثرت بنيه (٤ وبني بنيه واقرباهُ حتى صاروا مقدار خمسماية نفر . من كل قرم معتبر . وعمروا في البارود (٥ قلعة طبرية (٦ وقلعة صفد (٧ مع غير اقلاع (٨ حصينة وابتدأوا يتماطون بالفجور ويسطون على عكا وصور ويعطلون الاموال الاميرية . واظهروا القساوة وقطعوا الطرق واستقاموا مدة على هذه الحال . فضجر منهم والي صيدا والتزم انه ضمّن مدينة عكا الى الشيخ ضاهر العمر بميري معلومة سنوية . وضمّن صور الى مشايخ المتاولة . وابتدأ الشيخ ظاهر العمر يبني في مدينة عكا سرايا عظيمة الشان ومشيدة البنيان . وسورًا وابراجاً . ويجمع اليه عساكر وانتشرت اعلامهُ في تلك البقعة . واطاعتهُ مشايخ المتاولة . وما زال يزداد في الظهور الى ان انتشى الحرب فيما بين دولة العشلي (٩ والدولة الروسية . وبقومتها ضعفت قوة الدولة العشلية وفي الاقطار الشامية . فزاد هذا الشيخ في الفجور والغرور حتى انهُ استقوى (١٠ على الباشا والي صيدا . وطردهُ منها وتملكها ووضع يدهُ عليها . وارسل لها حاكماً من

---

١) يريد به الشيخ عمر شيخ ديار صفد والد ظاهر

٢) كانت بدء مخالفته للمتاولة في سنة ١٧٨١ م اي بعد عام منها فعُقدت المعاهدة بين ظاهر والشيخ ناصيف النصار في عكا وجدّدت

٣) كان ظاهر يكنى بابي سعيد فعل سعيدًا اكبر بنيه او انه كان البكر بهذا الاسم وتوفي ثم سُمي آخر باسمه

٤) العامة تؤنث الفعل مع جمع المذكر السالم ٥) لعلّها (البرور)

٦) وهي في مدينة طبرية التي احتلّها ظاهر سنة ١٧٣٨م

٧) ذكرها الشيخ الربوة في (نخبة الدهر) صفحة ٢١٠ مطولاً . والشيخ ظاهر وعمها بعد ذلك واتخذها معتصماً له في حروبه ٨) المشهور قلاع جمع قلعة

٩) تحريف (العشلي) بالتركية اي (العثمانية) ويقول بعض العامة العسلية والعسلي بحسب لفظ التاء (سينًا) بالتركية ١٠) بمعنى تغلّب واستظهر

عنده باش اغات المغاربة (١ . فاستمرَّ الشيخ المذكور سبع سنوات يحارب الوزراء ولم يدفع ميري الى الدولة العلية بل انهُ مداوم الحروب ولهُ عدة وقائع وانتصارات على عساكر الترك وعساكر الدروز والعربان. وفي هذه المدة عمل مصادقة وموافقة مع دولة المسكوب. وكان ذلك بشرور وتدبير كتخداي (٢ الذي كان متسلم كامل اشغاله وجميع ماله تحت يده واسمه ابرهيم الصباغ (٣ وهو رجل من اهالي عكا. وهذا كان صاحب عقل وتمييز غير انهُ بخيل للغاية محب المال. وما يرغب الخير الى احد. ومن زود بخله ما كان لهُ محب ابداً. لا من اولاد ظاهر وعيلته ولا من اهل البلاد(٤ . ثم ان الشيخ ظاهر المذكور ما زال يزداد في علوّ المقام . واستمرّ حاكماً في مدينة عكا مقدار اربعين سنة . وطعن في السنّ وما زال الى سنة ١١٨٩ (١٧٧٥م)

ففي اواخر هذه السنة حضر قبودان باشي (٥ حسن باشا بالعمارة لان السلطان عبد الحميد بعد ما عقد الصلح مع المسكوب في سنة ١١٨٧ (٦ تاريخ جلوسه التفت لتنظيم البلاد فوجّه المشار اليه وامرهُ يعطي نظام سا (٧ . . . فجال حتى وصل الى مدينة عكا في اواخر سنة ١١٨٩ كما ذكرنا : وذلك من بعد موت محمد بيك ابو الذهب ورجوع عساكر المصريين من عكا لمصر بمدّة قليلة . فحين وصول قبودان باشي المذكور الى مينة حيفا ضاجت المدينة . وبالحال الشيخ ظاهر ارسل احمد آغا الدنكزلي الذي كان متسلماً في صيدا لعند قبودان باشي لكي يستفهم منه عن سبب حضوره . ورجع بالجواب انهُ طالب مال الميري السبعة سنين المكسورة واستقام خمسة عشر يوماً . وكل يوم احمد آغا المذكور يتوجه الى حيفا الى عند قبودان باشي ويرجع

١) هو احمد آغا الدنكزلي وكان مغربياً اكتع اليدين لكنه شجاع حكيم كان يخدم ظاهراً فوضعهُ متسلماً في صيدا من قبله وكان يعرف اللغة الطليانية كما سيجيء

٢) انكتخدا فارسية بمعنى الرئيس والقهرمان والقيّم على المال وتصرَّفوا بها فقالوا كاخية وكيخية وهو اوّل اتباع الحاكم يساعدهُ في ادارة شؤون ولايته فهو اشبه بالمعاون الآن ويستعمل باوجه اخرى ٣) اصل اسرته من الشوير في لبنان وبقية اسرته الآن في دمشق وبيروت والمهجر ٤) هذا الوصف يخالف ما كتبهُ غير واحد في مديح ابراهيم الصبّاغ

٥) بمعنى (ريّان) او (القبطان) وهو رئيس المراكب والقيّم عليها

٦) الموافقة لسنة ١٧٧٣ م

٧) كذا في الاصل وقد سقطت كلمات لعلها (سامي لبلاد سورية) ونحو ذلك

لعند ظاهر ولم يكن يصير موافقة . ولا على نوع من الانواع . لكون الشيخ ظاهر لم يكن يمثل ولا يقبل ولا طريقة

ثم قبل حضور قبودان باشي بيومين كان حضر لعكا فرقاطه (١ فرنساوي من طرف دولة فرانسا باوامر اذا كان الشيخ ظاهر يحاصر بعكا ويتحارب مع قبودان باشي . كامل طايفة الفرنساوية الموجودين بها ينزلوا الى الفرقاطة المذكورة ولا يكونوا تحت الحرب . ففي مدة الخمسة عشر يوم المذكورة اقامة قبودان باشي في حيفا قصد قبودان الفرقاطة المذكورة انهُ يكون وسيط في انظام المادة ما بين قبودان باشي وظاهر العمر : فجمع طايفة الفرنساوية الذين بعكا وسار لعند الشيخ ظاهر وتكلّم معهُ وافهمهُ : «اولاً ان المساواة بالمعروف احسن وارفق لهُ . وثانياً القبودان باشي حضر بهذه العمارة من الاستانة العليا التي تكلفت مبلغ مال . فما يصحّ انهُ يقوم ويرجع فارغ . وماذا يعطي جواب الى الدولة العليا . فاذاً الرأي عندي ان كان تقبل وتريد ان اكون واسطة بقدر مخلص (٢ المادّة مع المشار اليه بخمسماية كيس . وهذه تنسحب لك من مال ميري السبع سنين المكسورة . وعلى هذه الطريقة تكون صنتَ بلادك وتثبّيت (٣ حافظ مقامك . واظهرت طاعتك الى الدولة ولا يجري عليك خلاف . وان قبلت هذا الرأي ودفعت الخمسماية كيس انا اكون ضمين بان يجيك وصول من الدولة العليا من اصل مال الميري المكسور . وربما لم تقبل ضمانتي لكوني لستُ مقيماً هنا . فهوذا طايفة الفرنساوية تضمن على ضمانتي لكوني وان ما جاءك الوصول كما ذكرنا والّا تقبض المبلغ المذكور من التجار المذكورين» . فالشيخ ظاهر لم يقبل وصار يتعلّل ان ما عندهُ مال ليدفع . ولما صار بينهم معالجة في الكلام ولم يصير افادة فقال لهُ الكومندان : فاذاً يعمل معك حرب . فاجاب : وانا حاضر لذلك وعندي بارود وكلل كفاية . فقال لهُ : من حيث الامر كذلك معي تجار الفرنساوية ملزوم آخذهم عندي للمركب . فابى ظاهر ولم يسمح . وقال : هذا غير ممكن . فللحين انعمّ الكومندان

---

١) الفرقاطة ايطاليتها (Fregata) بمعنى بارجة وتستعملها العامّة كثيراً لشيوع اللغة الايطالية بيننا قبل الفرنسية وغيرها من لغات اوربة

٢) تستعمل العامّة الباء في اول المضارع والمعنى (أقدر أخلص)

٣) تمّ عند العامة بمعنى (بقي) . وبعضهم يقول (ضمّ) بالابدال

منهُ غمًّا شديدًا. ونزل من عنده بحماقة مع كامل من معهُ. والا وصل الى باب خان الفرنساوية منعهم الدخول اليه. وقصد يأخذهم غصباً الى المركب حسب اوامر سلطانهم. وصاروا يعتذروا لهُ ويأخذوا بخاطره لكي يعطيهم مهلة لوقت ان ينزلوا اوزاقهم وبضايعهم المركب وبعدهُ يلزم يسافروا فلذلك سمح لهم. وبعدهُ اخذوا الاذن من ابراهيم بتنزيل اوزاقهم المركب. وصار ذلك. وبعدهُ سافروا برًّا بالسرقة. ولم يبقى منهم سوى ثلاثة من التجار. اثنين في الخان الكبير وواحد في الخان الصغير. واهل المدينة من خوفهم من الحصار والحرب عزلوا بيوتهم وبضايعهم وادخلوها الى خانات الافرنج لاجل الحماية والصيانة وسافروا من البلد الى القرايا الخارجة عن المدينة. ولم يبقى سوى الذين ليس لهم مقدرة على السفر

(فلنرجع لما كنّا في صدده) فبعدما كومندان الفرنساوي قابل ضاهر ولم يصير افادة ثاني يوم طلع احمد آغا الدنكزلي لعند قبودان باشي وتكلم معهُ ورجع لعند ضاهر وكان واقف امامهُ ابرهيم الصباغ كتخداه. فقال لهُ: يا شيخ ان المادة لم تنصرف الّا بخمسمائة كيس. والاوفق دفعها. فاجابهُ ضاهر: ومن اين نحضر هذا المبلغ. فقال لهُ الآغا: ابرهيم يدفعها. فقال الشيخ: ان ابرهيم ما عندهُ وله عندنا طول مبلغ مال. وكان ضاهر رجل سادج لا يعرف شي.. ومهما كان يقول لهُ ابرهيم يصدقه وهو كان دايماً يفهمهُ ان صار لهُ عندهُ طول اكثر من سبعماية كيس. وضاهر كان يصدق ذلك. وكان الدنكزلي رجل خادم نصوحاً وصبان عليه هذه الامور. وخايف لئلا تجري بخلاف. فقال للشيخ: سلّمني ابراهيم باش وبعد ساعتين انا اطلع منهُ اكثر من ذلك. فلما سمع ابرهيم هذا الكلام تواقع على الشيخ وترجاهُ ان لا يسمح بذلك فعفى عنهُ. فعند ذلك غضب احمد آغا فضمر على الخيانة(١ وتسليم المدينة الى قبودان باشي وتوجه الى محله. وجمع كم (٢ بلوكباشي لهُ وافهمهم «ان ضاهر قصد محاربة مراكب السلطان ونحن اسلام فلا يمكننا ذلك. فاذًا روحوا اطلبوا جوامككم (٣ وسافروا». فبالحال طلعوا لعند ضاهر واخذوا منه جوامككهم وبامر آغاتهم(٤ ساروا

١) ضمر على الشيء نواهُ وقصدهُ ٢) يعني بعض
٣) الجوامك جمع جامكية بمعنى الراتب والاجرة وهي اعجمية ٤) اي (اغاهم)

لعند قبودان باشي : وثاني يوم الآغا المذكور توجه لعند المشار اليه . واتفق معهُ بالعمارة(١ ويحضر لمينة عكا ويحاربها وهو يسلمهُ اياها . ورجع الدنكزلي استقام (٢ بالمدينة عند الشيخ ليتمم مرغوبهُ . وثاني يوم حضرت العمارة بتمامها وربطت قدام البلد بكل راحة من دون ادنى معارضة . وارسل قبودان باشي واحد جوخدار (٣ من طرفه بتحرير الى ظاهر يذكر فيه هكذا :

« من بعد السلام طلبت اعلمك عن سبب حضوري والآن اعرّفك كل شي ايضاحاً وهو حضوري باوامر من الدولة العلية صاحبة رب البرية لكي استلم منك ميري البلاد سبعة سنين المكسورة عندك . وبعدهُ آخذ راسك واستلم البلاد . هذا هو سبب حضوري . ولكن لكوني اعرف جيداً زود (٤ حلم ورأفة الدولة العليا وشفقتها على رعاياها سيما على من يكون مطيع الى اوامرها فلذلك ان شئت تدفع لي مال الميري المكسور عندك . وتسلمني مدينة عكا . وانت تخرج الى مواضعك القديمة . وانا من رجوعي الى الاستانة العليا اعرض عن طاعتك وقبولك لاوامر السلطانية ويخرج الك فرمان بالعفو . فاما (٥ عن كلما سلف منك وترجع الى مدينتك كما كنت وبهذه الطريقة تكون صنت مالك وعرضك ورجالك وحفظ مقامك . ماذا (٦ والّا انا حاضر للمحاربة »

فلما طلع الجوقدار لعند ظاهر وقرأ هذا الخطاب زعل واحتد (٧ ونفر في الجوقدار وقال لهُ : روح قول الى باشتك (٨ من داوقت (٩ الى ساعة ان ما قام من الينا والّا بغرّق كامل المراكب . فخرج الجوقدار وتوجه لعند سيّده واعلمه الجواب وكان عند الشيخ ظاهر ثلاثة طوبجية(١٠ افرنج بتوع(١١ محمد بيك ابو الذهب معلمين للغاية . دول(١٢ كان حاشهم(١٣ بعد ما رجع لعكا من بعد موت ابو الذهب فكان قبل بيومين اخرجهم من السجن وطيّب بخاطرهم . ولما توجه الجوقدار من

١) لعلها (ان يركب بالعمارة) الخ ٢) يعني (قام)
٣) الجوخدار والجوقدار من يحفظ ثياب السلطان او قفطانه فيقدمه له عند الحاجة وهو وظيفة خاصة ٤) يعني (زيادة او كثرة)
٥) كلمة (فاما) هنا زائدة . او حذف شيء بعدها او تكون تصحيف لفظة (تماماً)
٦) ماذا بمعنى : ماذا تجيب ؟ ٧) يعني حنق وتكدّر
٨) اي الى الباشا الذي تخدمه ٩) كلمة مصرية بمعنى (هذا الوقت)
١٠) الطوبجية جمع طوبجي وهي نسبة تركية لطوب التركية بمعنى المدفع فيكون معناها المدفعيين
١١) كلمة مصرية بمعنى (من رجال او من خاصة)
١٢) دُول مصرية بمعنى (هؤلاء) ١٣) حاشهم اي اسكوم

عنده سلم لكل واحد منهم برج وامرهم ان صار الحرب من المراكب يضربوا عليهم مدافع ويغرقوهم

ثم بعد ما توجه الجوتدار بساعة وكان الوقت بعد الظهر بساعتين ابتدأ القبودان باشي بالحرب وصار يرمي كلل على المدينة بقساوة زايدة وكان شي مهول جداً. واستقام بالحرب تلك ثلاثة ساعات. واما الطوبجية الذين في المدينة يومها ضربوا فقط ثلاثين مدفع من غير زيادة. وجميعهم كانوا طيارين (١. فقط مدفعين اللذين ضربوهم بنشان (٢ الواحد حكم في مقدم مركب قبودان باشي والثاني في مؤخر مركب الريالا (٣ وصار عوار (٤ للمراكب. فساعتها قبودان باشي رفع الحرب لاجل انه يصلح المراكب. واما ظاهر لما بلغه ذلك انعم على الطوبجية بانعام دني (٥ للغاية. وهو لكل واحد عشرة ذهب محبوب (٦. فلما بلغ ذلك احمد آغا الدنكزلي حضر لعند الطوبجية وتكلم معهم بالطلياني بكل حماقة واقهم ان لا... (٧ يضربوا مدافع ابداً بل انهم يقدموا اعذار. فثاني يوم عند طلوع الشمس ابتدأ قبودان باشي بضرب المدافع واستقام اربعة ساعات ونصف. وبهذه المدة عدة الكلل التي انضربت من المراكب على مدينة عكا سبعة آلاف وخمسين كلّة. ولم يصير منها ضرر كبير بل في بعض محلات هدّد (٨ قليل والذي قتل في المدينة من المدافع المذكورة رجلين فقط

ثم بوقته طلع احمد آغا الدنكزلي لعند الشيخ ظاهر العمر. وقال له: يا شيخ قم اطلع من البلد وفز بنفسك. فاجابه: لا بدّ من ذلك وما بقي فائدة؟ قال له: نعم وهذا الاحسن لك. فبالحال ظاهر العمر ارسل الى جماعته لكي يخرجوا من المدينة. واما ظاهر اخرج كامل حريمه وابقى سرّية واحدة التي تعوّقت لـ... تنسى. وظاهر ما اراد يفوتها خوفاً على عرضه بل تعوّق لكي يخرجها معهُ. وبعد ما كانوا قد اخرجوا

---

١) معنى طيارين هنا (غير مصيبين) ٢) اي باحكام وضبط

٣) نوع من المراكب التركية البحرية ٤) اي تعطيل ٥) قليل

٦) ذهب محبوب من مسكوكات الاستانة على وجه الطغراء وعلى الثاني (ضرب في اسلامبول) والبندقي مثله وقيمة كل منها بين غرشين وخمسة غروش ومنهُ ما سلكَ في مصر

٧) بياض في الاصل ولعله حذف كلمة (يبودوا) ونحوها ٨) بمعنى الحدّ والهدم

٩) لما هنا بمعنى (حتى) عند العامة

كامل جماعته فخرج هو والسرّية معهُ مع نفرين من اقربائهُ . ولما صار خارج المدينة في محلّ يسمّى الرقايق فهناك تقنطر (١ ووقع على الارض والاثنين الذين كانوا معهُ هربوا وتركوهُ . ومن كونهِ كان طالع من المدينة مُهان وبغاية الذل وكان رجل كبير وطعن في السنّ . فلم يصير لهُ همة الى النهوض حالًا . وحضر عليهِ (٢ كام واحد (٣ من المغاربة الذين كانوا قد خرجوا من عنده وتقدّم عليهِ (٤ واحد بلوكباشي وقطع راسهُ وسلّحهُ ثيابه وترك جثته على الارض عريان كما خُلق . واخذ السرّية ودخل الى المدينة . ثم بحال خروج ظاهر من المدينة دخلت عساكر المغاربة المذكورين قبله . ومن كونهم كانوا في المدينة ونظروا ان كامل ارزاق الرعايا دخلت الى خان الافرنج فحضروا جميعهم على الخان وقصدهم نهبه . واما الافرنج فقفلوا الباب وصارت المغاربة تكسر في الباب وكانت ساعة مهولة جدًا . وكل من كان داخل الخان قطع الاياس (٥ من الحياة

واما ما كان من قبودان باشي بعدما خرج ظاهر العمر اعطاه الاشارة احمد آغا الدنكزلي الذي كانوا متفقين عليها . وبالحال نزل بمساكره وقبابطين (٦ المراكب وحضروا للمدينة وحينما خرج من المينا طرد المغاربة عن خان الافرنج . وارسل اعطى الامان الى الافرنج ومن عندهم . ولم يجري ضرر على الخان . وتوجه الى السرايا وساعتها انفردت المغاربة وعساكر الترك على المدينة ونهبوها . واستقام ذلك مقدار ساعتين لبعد العصر نزل منادي من طرف القبودان باشي ينادي بالامن وعدم المعارضة وراقت المدينة . واما المدينة كانت خالية من السكان لان الاكثر كانوا قد هربوا الى البرّ والذين بقوا بوقت الحرب دخلوا احتموا في خان الافرنج ثم بعد ما دخل قبودان باشي الى السرايا وارتاح (٧ طلع لعنده البلوكباشي المغربي وقدّم لبين يديهِ رأس ظاهر العمر وخا (٨ . . . واما السرّية بقيت عند المغربي وفي تلك الليلة القبودان

---

١) اي تقطّر وسقط من الفرس ٢) اي اختلف اليهِ وتردّد عليهِ

٣) كام واحد عند العامة بمعنى بعض ٤) بمعنى وتقدم اليهِ

٥) بمعنى (يئس) وقطع الرجاء ٦) جمع قبطان بلغة العامة بمعنى رئيس المركب

٧) كثيرًا ما تستعمل العامة ارتاح بمعنى استراح

٨) كذا في الاصل ولعلها (وخادمه)

باشي ارسل راس ظاهر العمر في غلياطه (١ مخصوصة الى القسطنطينيّة . وثاني يوم احمد آغا الدنكزلي طلب الاذن من المشار اليهِ في دفن جثة ظاهر وسمح لهُ بذلك ودفنهُ بالمحلّ الذي قُتل فيه

واما كومندان الفرقاطة الافرنساوي نبّه على التجار الافرنساوية وقال لهم : حسب اوامر السلطان كل من عندهُ وداعة الى ابرهيم الصبّاغ او الى كل من يلوذ بهِ وفي ظاهر العمر ملزومين تشهروهُ وتقدموهُ الى قبودان باشي والذي يخبي شيء وفيما بعد يظهر ذنبه في رقبته (٢ لانهُ يخرج من رعاية فرنسا ويبقى المشار اليهِ لهُ تسلط عليهِ ويفعل فيهِ مرادهُ . وثاني يوم طلعت تجار الافرنساوية مع القومندان سلموا على القبودان باشي واكرمهم . ثم انهم اشهروا لهُ الودائع التي عندهم الى ابرهيم صباغ وبالحال ارسل اعندهم الى الخان كتخداي وقبوجي باشي . واستلموا كامل المال الذي موضوع عندهم الى ابرهيم صباغ . وكان جميعه ذهب ستة وثلاثون الف كيس وذلك ما عدا الجواهر والتحف المعتبرة الذي لم نفهم مقدارها . وظبط (٣ ايضاً كل حواصل المذكور وكانت مشحونة من اصناف البضائع . فانظروا لهذا المسكين الذي لم (٤ . . . نفسهُ عن خسارة كيس لحفظ مالهِ وحياتهِ وحياة سيّدهِ . ومن زيادة طمعهِ وحبه بالمال خسر كل شيء وقتل سيده وخرب بلاده . واستقام كتخداي القبودان باشي جملة ايام مقيم في خان الافرنج . وبضبط ما هو موجود الى ابرهيم الصباغ ومن يلوذ بهِ والى اقرباء ظاهر العمر وجماعته . وانظبط مبلغ كبير جداً . واما ما كان من ابرهيم الصباغ عندما خرج ظاهر من عكا هو ايضاً خرج ومعهُ خدام (٥ واحد من اتباعه وكان راكباً فرساً عيّانة (٦ فوصل الى قرية بعيدة عن عكا مسافة ساعة تسمى المزرعة فنزل خارج القرية وقال الى تابعه : ادخل لعند شيخ الضيعة وجيب لي فرس طيبة . فقال له تابعه : «ما عندنا وقت لذلك والاوفق ابقى ساير ولا نبعد ندبر فرس غير هذه . فما قبل . والتزم الخادم يدخل الى الضيعة . وبقي هو وحده في الخارج وصادفت الامور لاجل انفاذ (٧ المقدور

١) الغلياطة طليانيّة اي مركب ٢) اي يقطع عنقه لاجل ذنبهِ
٣) لفظ الضاد ظاء لهجة تركية ٤) كذا في الاصل وقد سقط قوله (لم تسمح نفسه)
٥) الخدّام عند العامة بمعنى الخادم المفرد ٦) مريضة ٧) انفاذ

وفي تلك الساعة اتاهُ اثنان من مشايخ الجبلية الذين هم مشايخ طرشيحا (١ . وكانت عداوة عظيمة فيما بين المذكورين وبين ظاهر العمر والسبب من المذكورين . فصار يتدخل عليهم (٢ ويترجاهم فلم يقبلوا رجاه . وثاني يوم قيدوهُ وارسلوهُ الى عكا الى قبودان باشي فبالحال امر عليه بالسجن . وفي تلك الليلة عذبهُ عذاباً شديداً لاجل ان يقرّرهُ على المال الذي عندهُ . وما كان يستقر (٣ بشيء ابداً . ولا كان عارف ان المودوع عند الافرنج انشهر الى المشار اليه . واما اخيراً من شدة العذاب استقر بألف كيس . وثاني يوم طلعوا ثانية الافرنج لعند القبودان باشي . فقال لهم : ان ابرهيم الصباغ حضر وهو في الحبس . والزمهم بأن يسلموا عليه فدخلوا لعنده . والمذكور سألهم عن المودوع عندهم فأجابوهُ : انّنا سلمنا كل شي لك عندنا . فانغمّ غمّ شديد وتلاوم عليهم (٤

والقبودان باشي ارسل واحضر احمد بيك الجزار وعملهُ باشا بطوخين (٥ وسلّمهُ عكا وصيدا وما يليها . وصار اسمهُ احمد باشا الجزار والي صيدا . وهذا لهُ قصة عجيبة . وامّا حسن باشا سافر من عكا الى القسطنطينية بكامل العمارة واخذ معهُ ابرهيم صباغ مربوطاً بالحديد . وايضاً اخذ معهُ احمد آغا الدنكزلي . وهو مسافر شنق المذكور الدنكزلي في صاري المركب لسبب انهُ خان سيدهُ فما اركن لهُ

وبقي احمد باشا الجزار بمدينة عكا واولاد ظاهر العمر في الخارج حكام كعادتهم (٦ . وانما الجزار قصد انهُ يتحايل عليهم ويظفر بهم فصار يخادعهم ويخاتلهم وأشهر لهم محبة زائدة . واقام الشيخ عثمان الظاهر شيخ المشايخ . واطلق لهم السبيل بأن يروحوا ويجوا الى عكا والى كامل اقباعهم ايضاً . ويقضوا كامل اغراضهم . وكان كذلك . غير انهُ لم يتلك انهُ يجمعهم سويّة بعكا لكي يظفر بهم وينال مقصوده

---

١) قرية اشتهر منها الشاعر الشيخ صالح الطرشيحي ٢) اي يتضرع اليهم ٣) يقرّ
٤) اي لوّمهم ٥) الطوخ ذنب حصان ابيض يُعقد على رمح في اعلاه كرة مذهبة من نحاس وهي رتبة تختلف درجاتها
٦) كان كبيرهم علي في صفد . وعثمان في شفاعمر . وسعيد في الناصرة ومرج ابن عامر . وصلبي في طبرية . واحمد في تبنه وعجلون . وكان سعد عمّهم في دير حنا . وشقيقهم الاصغر مع والدهم

وفي مبادي ثاني سنة التي هي سنة ١١٩٠ (١ رجع ثانية حسن باشا بالعمارة من القسطنطينية لعكا. وحضر ايضاً محمد باشا العظم الى الشام بعسكره. وابرهيم باشا والي القدس الشريف بعسكره. ونصبوا اورديهم (٢ خارج مدينة عكا وكذلك طلع معهم احمد باشا الجزار بعساكره وساروا جميعاً مع قبودان باشي قاصدين ليبطشوا في اولاد ظاهر العمر. فارسلوا لهم مكاتيب بكل وداد ورقة وعرفوهم: ان كانوا طايعين الى اوامر السلطان فليحضروا جميعهم ويقدموا طاعتهم امام قبودان باشي. وينالوا منه الامن والامان ويتسربلوا بالخلاع الفاخرة ويرجعوا الى اماكنهم غانمين الراحة التامة. فلما وصلت المراسيل (٣ تجمعوا كلهم سوية. ما عدا اخيهم الشيخ علي الظاهر لم يقبل ان يكون معهم وعملوا الشور مع بعضهم. ولاجل انفاذ المقدور تحسّن عندهم (٤ ان يحضروا امند قبودان باشي ويقدموا طاعتهم ويحصلون على راحتهم وساروا جميعهم وهم: عثمان واحمد وسعيد وسعد الدين ومعهم اولاد علي الظاهر حسن وحسين. وحضروا الى الاوردي لعند باشا القبودان باشي واستقبلهم بكل اكرام وامرهم بالجلوس وبعد ما شربوا القهوة أمر ان يقبضوا عليهم. وكان ذلك والحاشوا كلهم جملة واحضروهم لعكا وارسلهم الى مركبه. وقامت الباشاوات ورجعت الى محلاتهم والقبودان باشي قام بالعمارة من عكا وتوجه الى بيروت فحين بلغ حكامها قدومهُ فرّوا هاربين الى الجبل وحينئذ كان حاكمها الامير يوسف الشهابي فحين وصل حسن باشا كتب الى الامير يوسف فرماناً في الامان وانه يدفع الباقي عليه من الميري. وحين وصل الفرمان فبادر الامير يوسف وكتب عرضحال واعرض ما تمّ لهُ مع ظاهر العمر من الحروب ومساعدته الى عسكر الشام وعدم خروجه عن طاعة الدولة ثم اعرض ما تمّ لهُ مع الجزار وان الوما اليه لا بدّ ان يطلب شرّنا مع اننا نحن طايعين. وارسل لهُ سمّاية كيس حرير فقبلها المشار اليه. وارسل الى الامير يوسف تقرير الجبل وبيروت وعاهدهُ ان الجزار ما لهُ معارضة معهُ ونهض من بيروت

وحين بلغ الجزار ان حسن باشا قبل طاعة الامير يوسف وقررهُ على حكم

---

١) الموافقة لسنة ١٧٧٦م ٢) اوردي تركية بمعنى الجيش ويقال العرضي

٣) جمع مرسال عند العامة بمعنى الرسول ٤) ارتأوا او ارادوا

الجبل وبيروت فركب في احد الغلايط (١ وحضر من عكا لبيروت وارسل على البرّ مصطفى كتخداي «قره ملاّ» ومعه الف وخمماية عسكري وكان القصد في حضوره لبيروت لسبب الفتنة التي كانت بينه وبين الامير يوسف. فحين بلغ الامير يوسف ذلك حالًا ارسل خبّر الى حسن باشا فرجع المشار اليه بالعمارة لانهُ كان قريباً وطلع الى الديوان فنظر الجزّار في الديوان. فطردهُ وقال لهُ: انا حرّرت تقرير الامير يوسف على بيروت والجبل فما لك معارضة معه. ورجع حسن باشا الى القسطنطينية والجزار الى عكا. وهو مسافر شنق احد اولاد ظاهر العمر في صاري المركب وهو الذي اسمهُ احمد وسبب شنقهِ لانهُ كان يطعن جهارًا في حسن باشا. واخذ باقي اخوته مايسورين (٢ الى القسطنطينية وحصلوا على انعامات من الدولة العلية

واما ابرهيم الصباغ كان وُضع بالسجن في القسطنطينيّة واستقام مدة طويلة. ففي يوم من الايام سمع من السجّان ان الوزير صاحب الختام (٣ لهُ ولد وحيد متشوش ولم يكن احد من الحكما يعرف لهُ علاج والوزير من اجلهِ في غمّ شديد. وكان ابرهيم الصباغ ماهرًا في الطب فتكلم مع السجّان ان يعرض الى الوزير ويستأذن لهُ ان يشوف(٤ ولده امل الله يجود بشفاه عن يدهِ. وكان كذلك. ولمّا مثل بين يدي الوزير اوعدهُ ان أشفى (٥ ولده ينعم عليهِ باطلاقهِ من السجن. ثم انهُ عالجهُ وبعد كم يوم اجاد المولى على الولد بالشفا الكامل وبهذه الواسطة انطلق ابرهيم الصباغ من السجن وصار يدور في القسطنطينيّة من غير معارضة فلاجل ذلك تحسّب منهُ (٦ قبودان باشي لئلّا يعرض للدولة العلية ويقيم عليهِ دعاوي. فوضع عليهِ رواقيب (٧ في البحر. فاتفق نهار عيد الكبير(٨ عند النصارى نزل ابرهيم الصباغ في قارب بقصد يعدّي(٩ من محل الى محل. فانخاش واخذوهُ الى مركب قبودان باشي وبالحال شنقه في الصاري. وهذه كانت نهاية حياته

واماّ ماكان من الجزّار ابتدا يحصّن مدينة عكا. واماّ صور بقيت بيد مشايخ

١) جمع غلياطه يعني المراكب ٢) اي مأسورين ٣) لعلها صاحب الختم اي (مهردار)
٤) يشوف اي يرى ٥) تستعمل العامة أشفى بمعنى شفى وهمزتها للسلب
٦) اي تحذّر منه ٧) جمع راقوب بمعنى مراقب ورقيب
٨) اي عيد الفصح ٩) يمر

المتاولة . وبقي من اولاد ظاهر الشيخ علي بمفرده وكانت ترتعش منهُ تلك الاراضي ولا كان يأوي بلدًا بل دائمًا ناصب اورديه في البراري وكل مدَّة في محلّ . وكان يومئذ واليًا على دمشق الشام محمد باشا العظم . فهذا حضر لهُ من الدولة اوامر وكتبوا لهُ انهُ بلغنا ان علي الضاهر العادي لم يزل مقيماً في ارضك . وهذا شيء ضد رضانا فبحال وصول الاوامر اليك ترسل راس علي الضاهر او أن تأخذ (١ راسك . فابتدأ محمد باشا يدبّر له طريقة لقتل علي الضاهر . فاستدعى احد رؤساء عساكره وهو محمد آغا دالي باش (٢ وقال لهُ : «اجمع رجالك واحضر لعندي وقت الديون (٣ واطلب مني علايفك (٤ . وأظهر الحماقة في المحضر واذا شتمتك اخرج من امامي بصورة مغضبة واركب مع عسكرك . واخرج خارج المدينة لكي يتضح الامر للعال والدون ويبلغ ذلك الى علي الضاهر واجعل الك طريقة للاجتماع عليه وتدرّب غاية التدرّب في قطع رأسه فاذا فعلت ذلك ينالك مني الانعام الزايد» . وكان الامر كما ذكر . وخرج محمد آغا دالي باش من امام الباشا وبلغ ذلك علي الضاهر فابتدأ الدالي باش المذكور يكاتب علي الضاهر ويطلب منهُ ان يكون في خدامته ولاجل نفوذ (٥ المقدَّر صدَّق بكلامه . وتقابلا الاثنان وتصافحا وتعاهدا على السيف (٦ والمصحف وجعل عسكرهُ لوحده . واتا علي الضاهر اطلق لهُ الامر بانه يروح ويجي امثده كل وقت ان يريد بدون معارضة وكذلك العساكر تختلط مع بعضها

وفي ذات يوم من الايام الشيخ علي الضاهر كان راقدًا في خيمته فهجم عليه الدالي باش بمفرده وقطع رأسه مع ثلاثة انفار من اصحابه . ووضعهُ في خرج وركب حالًا مع عسكره وسار قاصدًا الشام ودخل اليها بعزّ واكرام . وقدَّم الراس الى محمد باشا ففرح على اتمام مرغوبه وحالًا لبس الدالي باش كركًا (٧ فاخرًا وانعم عليه انعاماً وافرًا . وارسل راس علي الضاهر مع الثلاثة الرؤوس الى القسطنطينية ووضعوهم امام

---

١) لعلها (يؤخذ) ٢) اي زعيم ٣) لعلها (وقت طلب الديون)

٤) جمع علوفة بمعنى الراتب والاجرة والنفقة

٥) بمعنى نفوذ وتلك غاية ٦) كذا والصواب (السيف)

٧) الكرك تركية بمعنى الفرو والدالي باش الزعيم

الباب الهمايوني . وصار الى محمد باشا بذلك فخر وشهرة . واما الجزار كان اعرض واشكى من محمد باشا واوشى عليه انهُ قابل عصاة في ارضه . وان عصاوة علي الضاهر علينا برأيه فلاجل ذلك الزمت الدولة العلية الى محمد باشا يصنع ما ذكرنا . والبعض من رجال الدولة الذين هم من حزب الجزار ذكروا وقالوا : هذا ليس هو راس علي الضاهر . ولاجل ذلك احضروا ولديه الحسن والحسين (١ وقالوا لهم . هل تعرفون هذه الرؤوس المقطوعة . فحين نظروا راس ابيهم بكوا . فقال لهم : الاذا بكيتم ؟ فاجابوهُ : هذا راس والدنا علي الضاهر . ولا عرفوهُ الّا من كبر عارضيه . لانهم كانوا يدعونه ابو سبع شنبات . فتحققوا الامر عليه وانقضت دولة ضاهر العمر . وتشتت رجالهُ وانقرضت عياله (٢ . وجلس في مدينة عكا من قهر وانكى . وهو الليث الجبّار والوزير القهّار احمد باشا الجزار صاحب المكر والحيل وكانت دولتهُ من اغرب الدول . وهذا المشار اليه لهُ قصة عجيبة وامور غريبة لا بدّ عن سردها في وجه الاختصار وذلك اول ابتداء ظهوره (٣

وقد تمت بعون الله تعالى قصة علي الضاهر (٤ بالمختصر على قدر الامكان . والحمد لله الحنّان وسبحان منقذ الخلايق ومفنيها . ومميت النفوس ومحييها . ينشي دولًا ويفني دولًا . وهو الحيّ الباقي القيوم لهُ العزّ والمجد على الدوام امين

٢. قصة الشيخ ضاهر

« من تاريخ مخطوط لنقولا افندي سمان فرّاج »

وفي سنة ١٧٤٠ قويت في برية القدس شوكة ظاهر وهو شيخ من مشايخ العرب . وكان في اول الامر يسكن صفد بجانب طبريا . ثم اخذ في الهجوم على البلاد التي تحت حكم عامل صيدا فتملّك عكا وعمّر اسوارها وقعد فيها . وكان يزداد

١) وهذا يخالف قول بعض المؤرخين : « ان الجزار والي عكا قتل ولدي علي الظاهر الحسن والحسين سنة ١٧٨٩م (١١٧٥م) فضاق ذرعهُ وجاء جبل الشوف فنزل في نيحا »

٢) بقي للزيادة بقية كما مرَّ في المقدمة ولكنهُ يريد انقراض المالكين منهم

٣) يظهر ان المؤلف وضع تاريخًا (لاحمد باشا الجزّار) كما يفهم من كلامهِ هذا

٤) يشير الى آخر قصة (ظاهر العمر) التي ختمها بحادثة ولده (علي)

قوةً حتى اطاعتهُ مشايخ الجبل ودخلت تحت حكمه عرب البادية . وكان عادلًا في الرعية وسائرًا معهم سيرة مرضية . وساعدتهُ القبائل التي في اطراف لبنان التي يقال لها المتاولة . ولما بلغ السلطان ذلك خافهُ واراد ان يمكر بهِ فكتب لهُ يقول : ارجع عن الحرب ودع العداوة فقد ابلغتُك مرادك ورضيت ان تكون نائبي في القدس . وولَّيتُك عكا والناصرة وطبريا وصفد وسائر البلاد التي في تلك الاطراف . وانت امير العرب فصدَّق ذلك وكفَّ عن المحاربة سنة ١٧٦٨ . ثم ان السلطان ولَّى على دمشق الشام عثمان باشا (١ وكان شديد المكر وولَّى اولادهُ الاثنين صيدا وطرابلس (٢ فصار عثمان باشا يظلم رعية الشيخ ظاهر ويطلب خراج للسلطان . فلمَّا رأى ذلك ظاهر بدأ في محاربتهِ . فيوم من الايام عصا ولدان من اولاد الشيخ ظاهر على ابيهما فحاربهما وغلبهما فهربا الى قصر محصَّن في نابلس . فحاصرهما ابوهما وهناك بلغهُ ان عثمان باشا طلع عليه فاصطلح هو مع اولادهِ . فالتزم لهُ ابنه البكر بتدبير يخيب بهِ ذلك العدو . فاخذ علي معهُ خمسماية من خيل العرب وخرج فيهم يقصد نحو الترك وجدَّ في السير حتى دنا منهم قبل طلوع الفجر فوجدهم نائمين في خيامهم وهم في الامان . فصرخ العرب وحملوا عليهم فوثبوا مرعوبين من النوم وقُتل منهم خلايق فانتظمت العرب بغنيمة وافرة واخذوا كلما وجدوا في خيامهم وخابت آمال الاعداء .

فرجع عثمان باشا من دمشق مغلوبًا مقهورًا وخلت خزينتهُ من المال لانه انفق ما عندهُ على تجهيز العساكر . فصار يلحّ على الاهالي في طلب المال فضجت الناس من ظلمهِ وعصيهُ اهالي الرملة وغزة ويافا وما طوَّعهم الَّا بعد حروب كبيرة . فوقعت البغضة في برية القدس وتمنوا حكم علي باشا (٣ عليهم . وكان هذا قد قوي في ديارهِ فاطاعتهُ قلوب اهل جميع البلاد المصرية وتغلَّب على مكة المشرَّفة وعصى جلالة السلطان . واستقلَّ بامره وقد خدمهُ السعد في ذلك الوقت لان السلطان كان ماليًا بمحاربة السكوب . فارسل علي باشا صاحب مصر الى الشيخ ظاهر يعرض عليه عقد المحبة والاجتماع على عدوهما الترك فتعاهدا على ذلك فدخلت عساكر المماليك برية القدس وتملكوا غزَّة ولدَ

١) يريد عثمان باشا الصادق الذي مرَّ ذكره وسببُ تسميته بالصادق

٢) وهما درويش باشا والي صيدا ومحمد باشا والي طرابلس الشام

٣) هو علي بك الكبير الذي استجار بظاهر العمر سنة ١٧٦٢م وكان من اخصّ اصدقائه وقد ارسل اليه نجدة بقيادة محمد بك ابي الذهب

والرملة . وسمع عثمان باشا بدخولهم اراضيهُ فبادر في عسكره ليمنعهم عن دخولها . وبينما هو على اهبة السفر اذ اقبل عليهِ الشيخ ظاهر فعجز عثمان باشا عن حمي يافا ورجع بسرعة الى الشام فخلت برية القدس من الترك وصارت تحت حكم الشيخ ظاهر

وفي تلك الايام دخل برية الشام عسكر جزيل من المماليك المصرية والمقدم عليهم محمد (١ صهر علي بك فقصدا دمشق الشام واحاطوا بها من كل جانب وساعدهم الشيخ ظاهر بعساكره وعجز عثمان باشا عن مدافعتهم وترك لهم المدينة وقعد مع اصحابهِ في القلعة (٢ وقد اشرف على الهلاك . وعند ذلك بعث عثمان باشا الى قايد المماليك المصرية بالليل صرة ثقيلة بالدنانير يقول لهُ : ارجع عن محاربتي . فتبرطل قايد المماليك وأمر عساكرهُ بترك المحاصرة فانصرفت العساكر عن محاصرة قلعة دمشق وساروا في حال سبيلهم . فلما رأى الشيخ ظاهر خيانتهم هذه وانهم قد فارقوهُ وتركوهُ وحدهُ عجز عن فتح القلعة فرجع الى ديارهِ . فهنأ نفسهُ عثمان بالنجاة فعاد يجهز العساكر . وبعد مدة قليلة من الزمان خرج الى محاربة الشيخ ظاهر ودخل اراضيهُ وحاصرهُ في عكا . وجدَّ في المحاصرة حتى صعب الحال على الشيخ وكاد عثمان باشا ان يفتح عكا . فما نجا الشيخ في هذه المرَّة الَّا بمساعدة ولديهِ فقد جمعا العرب وهجما على الترك ليلًا فكسروهم وشرَّدوهم فهرب منهم عثمان باشا . ثم جمع الشيخ ظاهر عساكرهُ وحارب الدروز فغلبهم وتملك بلادهم التي تحت حكم الباشا عامل صيدا . ولما بلغ خبر فتوحاتهِ الى السلطان وهو مشغول في الحرب مع روسية صعب عليهِ الحال فارسل السلطان الى الشيخ يعرض عليهِ الصلح وقد عزل عثمان باشا وولديهِ عن ولاية دمشق وصيدا وطرابلس . واما الشيخ ظاهر فقد اضمر في نفسهِ ان يُدخل في طاعتهِ برية الشام كلها وهو مركن في ذلك على مساعدة علي بك صاحب مصر

(١) هو ابن الذهب المذكور آنفًا

(٢) ان قلعة دمشق العظيمة قديمة يرجع عهد بنائها الى تاج الدولة تُتُش سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨م) الذي جعلها دار امارة وسكنها عوض القصر دار العباسيين والخلفاء دار الامويين وزاد في ابنيتها من جاء بعدهُ مثل شمس الملوك دقاق ونور الدين زنكي وفي زمن العادل اخي صلاح الدين الايوبي جعل لها اثني عشر برجًا وحفر حولها خندقًا وربعها وتغلبت بها الحال الى ان بقيت على ما هي عليهِ الآن . ولقد كتبت فيها مقالة مطولة تناولتُها من مخطوطات كثيرة منها (الشمة المضية في اخبار القلعة الدمشقية) للمؤرخ ابن طولون الصالحي الدمشقي

فبذلك السبب لم يقبل الشيخ ما عرضهُ عليهِ السلطان من شروط المصالحة بل استمر على محاربة الدولة وبعد مدة قليلة عصيت اهل مصر على علي بك . فخاف منهم وهرب الى مصر طالباً النجاة لنفسهِ وأتى الى بلاد الشيخ ظاهر حقيراً ذليلاً فاجارهُ الشيخ وانزلهُ عندهُ واكرمهُ فاقام علي بك في يافا

وسنة ١٧٧٢ قصدت مراكب المسكوب حيفا لتأخذ ماء حلواً . فلما عرف الشيخ ظاهر بقدوم المراكب الى حيفا ارسل الى مقدَّم العسكر المسكوبي في تلك المراكب يسألهُ المساعدة على الترك فاجابوهُ المسكوب الى ذلك . وكان الشيخ ظاهر في تلك الايام طالعاً الى مقاتلة الترك واعوانهم الدروز . فالتقى الشيخ بجيش الترك بجانب البحر بين الساحل وبين جبل لبنان فبدوا القتال . وعند ذلك قدمت المراكب المسكوبية فصارت المسكوب تساعد العرب وتضرب المدافع على الترك وتعامل الدور برمي القلل (١ . وكان الترك كثيرون والمقدمين عليهم سبعة باشاوات وبعد مدة قليلة غلب الشيخ ظاهر الترك وهزمهم وكان هذا اول ما رأت العربان العساكر المسكوبية . وبعد تلك النصرة رجع الشيخ ظاهر صحبة رفيقه علي بك الى عكا واذ جاءهُ خبر ان اهالي يافا عصوا عليهِ توجه مع عسكرهِ الى يافا وحاصرها وما زال يحاصرها حتى مضت ثمانية اشهر ففتحها وردَّها الى طاعتهِ . واما علي بيك فلم يطب لهُ العيش بالغربة فتحسَّر على مصر . فقدَّر نفسه (٢ ان يرجع اليها ويحكمها . ولما سمع الشيخ ظاهر اشار عليهِ بالصبر . وقال : «ان العجلة من الشيطان . فاصبر لبينا تحضر مراكب المسكوب فيعاونوك على اعدائك العاصين عليك» . فلم يقبل عليّ مشورة الشيخ بل قفل راجعاً طالباً مصر . وبينما هو في البرية طلعت عليهِ جماعة من المماليك العاصين وقتلوهُ

وفي ذلك الزمان اتى الى بيروت جزَّار باشا قد ولَّاهُ السلطان ولاية بيروت وجبل الدروز (٣ وكان ظالماً فضجَّت الدروز من ظلمهِ وحكمهِ . فقاموا عليهِ واجتمعوا بالشيخ ظاهر فخرج هذا بعسكرهِ صحبة الدروز لمحاربة جزَّار باشا . وفي تلك الايام

١) يريد الكلل فكتبها بالقاف وهي القذائف والكرات جمع (كلة)

٢) لعلها (فقدَّر لنفسهِ) اي فسوَّل لنفسهِ

٣) يطلق على جبل الشوف غالباً اسم جبل الدروز لكثرتهم فيهِ ولاسيما جبل المتن

قربت مراكب المسكوب من بيروت فحاصرها الشيخ ظاهر من جانب البرّ وحاصرها المسكوب من جانب البحر فبعد مدة قليلة من الايام عجز جزار باشا عن دفعهِ ففتحت بيروت للشيخ ظاهر وأخذ جزار باشا ومن معهُ أسرى . وبعد ذلك عاد السلطان فولّى عثمان باشا برية الشام . فخرج الشيخ ظاهر الى محاربة الباشا عثمان وغلبهُ وهزمهُ . ثم رجع ظاهر منصوراً الى بلدهِ وكان للشيخ ظاهر خزندار (١ يقال لهُ ابرهيم (٢ وكان رجلاً ظالماً يطمع في اموال الرعية فرغبت الناس عنهُ . وصار ظالم ابرهيم سبباً في العصيان . فتأمل الشيخ ظاهر احوالهُ فرآها قد حالت وصعبت عليهِ وما بقي لهُ احد يساعدهُ بعد قتل علي بيك . وما بقت (٣ المراكب المسكوبية تعود الى طرفهِ . فاشتدّ الترك عليهِ . فعزم الشيخ ظاهر ان يطيع السلطان قبل ان تغلبهُ الترك وتهلكهُ . فارسل رسولاً الى جلالة السلطان يظهر لهُ طاعتهُ ويسلّم لهُ صيدا

واما اولاد الشيخ فلما سمعوا ان اباهم قد قدّر ان يطيع الدولة اغتنموا لانهم كانوا يؤملون ان يصيروا امراء برّ الشام بعد ابيهم . فصعب عليهم عمل ابيهم فغضبوا عليهِ وانصرفوا الى العربان . ومنهم من اقام في جبل الخليل . ومنهم من سكن نابلس

وفي تلك الايام قام محمد بيك الذي صار قائداً للمماليك في مصر بعد قتلهم علي بيك خرج لمحاربة الشيخ ظاهر ودخل برية الشام وتغلب على غزة ويافا وعكّة . فخاف منهُ الشيخ ظاهر وهرب الى جبل نابلس وكادت دولتهُ ان تزول في تلك الايام وما خلّصه من تلك المصيبة الّا موت محمد بيك لانهُ مات في ذلك السفر . فقوي قلب الشيخ وثبتت نفسه فعاد تملّك عكا . وبينما هو على ذلك اذا بمراكب الترك قد بانت في البحر فتحيّر الشيخ ظاهر وقال لاصحابهِ : يا ترى ما السبب في قدوم المراكب التركية فاننا على صلح معهم . ودعا اكابر عسكرهِ وشاورهم وقال : هل ينبغي ان نقاتل الترك ونمنعهم من النزول على البرّ . فاصطفت عساكر الشيخ ورأوا الترك نازلين من مراكبهم قاصدين البرّ واذا بتقدّم من مقدمين الشيخ ظاهر صاح على عساكرهِ ونهاهم عن معارضة الترك . فطلعت الترك الى البرّ بلا حرب . فلما رأى الشيخ ظاهر

---

١) الخزندار فارسية بمعنى (الخازن)

٢) يريد ابرهيم الصباغ الذي سبق ذكر اخباره

٣) اي بقيت

خيانة عسكره وأنهُ لا يقدر على عدوّه طلب الهرب ليفوز بنفسهِ فقتلهُ رجل كان تحت يده . فزالت بذلك دولة الشيخ ظاهر في برية الشام ومصر . وذلك سنة ١٧٧٦ على ايام السلطان عبد الحميد بعد ما كان الشيخ ظاهر يحكم على البلاد مدة اربعين سنة فقلّد السلطان جزار باشا ولاية عكا وصيدا

« انتهت الرسالتان »

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

بيروت في القسم الاخير من القرن العشرين الى يومنا (١٨٦٠—١٩٢٦)

الباب الثالث : بيروت الادبيّة (تتمّة)

وفي ختام هذا الباب يسرّنا ان نذكر انشاء اوّل مكتبة عموميّة في بيروت . كان الساعي الى تحقيق هذا الامر الخطير جناب الفيكنت فيليب دي طرّازي بعد الحرب الكونيّة بمساعدة رجال الانتداب الفرنساوي لاسيما الجنرالَيْن الكبيرين غورو وثيفسان . وقد تكلّف جناب منشئ العمل عناء ومشاقّ كبيرة ليخرج فكرهُ الى حيز الوجود وتجشّم الاسفار الى فرنسة فاستوهب كثيراً من مصنفات علمائها فزان بها هذا المعهد الجديد وقد اصبح البيروتيّون مَدينين لعنايتهِ في هذا المشروع الجزيل الفائدة

على انّ بيروت لم تخلُ بعد السنة ١٨٦٠ من مكاتب اخرى خصوصية كان العلماء يمكنهم استرخاص اصحابها لمطالعة كنوزها الادبيّة نزيد خصوصاً مكتبة الكليتين الاميركيّة واليسوعيّة فالاميركيّة احتوت نحو ٢٠،٠٠٠ مجلّد كان يغلب عليها الكتب

العلميَّة لاسيَّما الانكليزيَّة . وكان بينها عدَّة كتب عربيَّة من مطبوعات سوريَّة ومصر ونحو خمسين كتاباً من المخطوطات العربية

واحدثُ منها مكتبة كلية القديس يوسف اليسوعية تألفت اوَّلاً في مدرسة غزير ثمَّ نُقلت الى بيروت سنة ١٨٧٥ . ولم تزل تنمو وتتَّسع حتى ضاقت بها خزائنها وقُسمت الى قسمين قسم غربي وقسم شرقي يحتوي اليوم كلّ منها نيفاً وثلثين الف مجلَّد هذا فضلاً عن مكتبة اخرى مدرسيَّة ومكتبة هندسيَّة ومكتبة حقوقيَّة ومكتبة طبيَّة بلغ مجموع كلّ هذه المكاتب نحو ١٤٠٫٠٠٠ مجلَّد يضاف اليها ما ينيف عن ٣٫٠٠٠ مخطوط في اللغات الشرقية الكلدانيَّة والسريانيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والارمنيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة ولاسيما العربيَّة في كل صنف من اصناف العلوم الدينيَّة والادبيَّة والتاريخيَّة والطبيعيَّة والرياضيَّة جُمعت من كلّ انحاء الشرق من سوريَّة ومصر والعراق والعجم والهند

وحفلت ايضاً في هذه الحقبة الاخيرة من تاريخ بيروت مكاتبُ الكُتبيين فكان اولهم المرحوم ابراهيم صادر منشىء المكتبة العمومية سنة ١٨٦٣ ثمَّ تنافس النصارى والمسلمون في فتح مكاتب اخرى فانشأ الاوَّلون المكتبة الادبيَّة والمدرسيَّة والعلميَّة والجامعة والوطنيَّة وانشأ الآخرون المكتبة الاهليَّة والانسيَّة والعصريَّة . وكان معظم هذه المكاتب تقتصر على بيع المطبوعات الوطنيَّة السوريَّة والمصريَّة وقلَّما تستحضر المطبوعات الشرقيَّة الجليلة المطبوعة في اوربا

الباب الرابع : بيروت الاقتصاديَّة

ليست مدينةٌ نالها من الرقي الاقتصادي ما نال بيروت من السنة ١٨٦٠ الى عهدنا فانَّ الوسائل المتعدِّدة التي أُنشئت في هذه المدَّة لتعزيز تجارة بيروت وترويج معاملاتها مع الداخليَّة ومع البلاد الاجنبيَّة وتحسين امورها الصحيَّة بلغتها درجةً من التقدُّم لم تعرفهُ في الاجيال السابقة حتى في عزّ مجدها في عهد الرومان . والفضل في ذلك كما هو معلوم للدول الاجنبيَّة ولاسيَّما لفرنسة

﴿الطُّرق والسكك الحديدية﴾ واوَّل ما سمح لبيروت ان توسِّع نطاق اعمالها الطريق التي نالت شركة افرنسية سنة ١٨٥٧ الرخصة بفتحها بين بيروت ودمشق وقد

نجزت بنشاط وهمّة المسيو دي برتوي (M. de Perthuis) سنة ١٨٦٣ فكانت عربات الشركة تقطع تلك المسافة كل يوم باثنتي عشرة ساعة فاصبحت بيروت فرضة دمشق . وهذه الطريق بعد اصلاحها لا تزال الكارّات تنقل عليها البضائع وتقطعها العربات ذهاباً واياباً واليوم أصبحت تمرّ السيّارات والاوتوموبيلات التي بثلث ساعات تقطع تلك المسافة البالغة ١١٠ كيلومترات

على انّ تلك الطريق مع فوائدها الجمّة لم تكن لتفي بحاجات التجارة . حتى تألّفت شركة أخرى عثمانيّة بالاسم فرنسويّة بالفعل فباشرت بالسكة الحديدية في اواخر سنة ١٨٩٢ بين بيروت ودمشق ثمّ دُشّنت في شهر آب سنة ١٨٩٥ . وهذه الطريق ضيّقة الاسلاك مسنّنة يبلغ طولها ١٩٠ كيلومترًا وتبلغ الى ١٤٨٦ مترًا في اعالي لبنان وقد أدّت لبيروت خدماً لا تُحصى لاسيّما اذ اتّصلت بسكة دمشق الى مزيريب وحوران التي كانت نجزت سنة ١٨٩٤ ثمّ اتّصلت بسكة رياق الى حماة وحلب (١٩٠٢ــ١٩٠٦) وبسكّة الحجاز وفرعها الى حيفا

ثمّ فُتحت عدّة طرق للعجلات في لبنان في سواحله وأعطافه اتّصلت كلّها ببيروت فزاد بذلك نفوذها وخصوصاً لمّا أنشئت طريق الترامواي سنة ١٨٩٨ بينها وبين المامليتين . والامل معقود بان تمتدّ هذه الترامواي الى طرابلس شمالًا والى صيداء جنوباً بل تتّصل بسكة حيفا فتصبح بيروت على قاب قوسين من فلسطين ومصر

وفي الوقت عينه نالت شركة بلجيكية تسيير عجلات الترامواي في انحاء المدينة فقرّبت المسافات بين اطراف البلد حيث تسير من نهر بيروت الى المنارة ومن فرن الشبّاك والبسطة الى نواحي البحر . فزاد بذلك عدد العائدين من لبنان فيستوطنون بيروت او يترددون اليها

﴿المرفأ﴾ وكما انّ بيروت مدينةٌ لفرنسة بانشاء الطرق المتّصلة بها كذلك يعود الى فرنسة الفضل بفتح مرفإها الواسع . فانّ المرحوم يوسف بك مطران باع من شركة طريق الشام الفرنسويّة الرخصة التي نالها لذلك بفرمان الدولة التركيّة سنة ١٨٨٧ فتألّفت لجنة لمباشرة العمل برأس مال يبلغ خمسة ملايين فرنك فابتدأوا بالعمل سنة ١٨٨٩ جرياً على رسم المهندس غاريتا (M. Garetta) وقد تمّ فقط في السنة ١٨٩٥ لما لقيته الشركة من العوائق من جهة تركيّة وعمّالها . وسعة المرفإ تبلغ ٢٦ هكتارًا وعمقهُ من

ثانية امتار الى ١٢ متراً في وسطهِ ومن ٣ الى ٥ امتار قريباً من الرصيف . فيمكن كبار السفن ان تدخل وسطهُ لكنها لا تستطيع ان تفرغ السلع توًّا على الرصيف . وبقيت الشركة عدّة سنين لا تربح من واردات المرفأ ما كانت تؤملهُ لارتفاع التعرفة المفروضة على المراكب الراسية فيهِ . ثمَّ تحسَّنت امورها وزاد اقبال الشركات التجارية على الرسوّ في المرفإ . وبعد ان خمدت حركتهُ في أيام الحرب عاد اليوم الى نهضة جديدة حتى مسَّت الحاجة الى توسيعهِ والشركة حاضرًا تهتمّ بذلك ولا يلبث المرفأ ان يجاري اكبر مرافئ البحر المتوسط . وانهُ في رأس بيروت منارة جميلة بناها سنة ١٨٦٢ مهندسون فرنسويّون

﴿ جرُّ مياه نهر الكلب ﴾ كانت بيروت تستقي مياهها من آبارها الواسعة التي اليها يُنسب اسمُها ولا تزال آثارها باقية حتى عهدنا . إلّا انَّ تلك الآبار مع وفرتها لم تكن لتكفي لحاجات المدينة من شرب ونظافة وسقي جنائن ورشّ طرقات . ثمَّ انَّ تلك الآبار المجموعة من الامطار كانت تجري اليها مياهٌ ملوَّثة بالجراثيم الفاسدة التي كانت تنشر بين اهاليها من وقت الى آخر الاوبئة الجارفة من حُمَّيات تيفوئيدية وهيضة وهواء اصفر وطاعون

وكان اوَّل من فكَّر في تموين بيروت بالمياه المهندس الفرنسوي المسيو تفنين (M. Thévenin) فألَّف لذلك شركة بدأت باستحضار لوازم العمل سنة ١٨٧٥ وبناء حواجز وأقنية عند نهر الكلب على ١٣ كيلو مترًا من بيروت وادوات لتصفية المياه ودفعها الى خزَّان على مقربة من كنيسة مار متري . وفي السنة ١٨٧٦ خلفتها شركة انكليزية لمواصلة هذا العمل واستثماره بعد ان باعهُ منها المسيو تفنين . فتولَّى الانكليزي مرتندال (M. Martindale) تدبيرها برأس مال بلغ ٣٫٦٢٨٫٨٠٠ فرنك . واخذت توزّع المياه على بيروت سنة ١٨٨٤ . فكانت هذه النعمة من اكبر نعم الله على المدينة واهلها فكفَّ عنهم معظم الاوبئة الفاشية . وما مرَّ على الشركة خمس عشرة سنة حتى بلغ ربحها السنوي الخالص ٢٥٠٫٠٠٠ فرنك . ثمَّ زاد على ذلك فجدَّدت رخصتها عند نهاية معاهدتها . وبعد الحرب اقامت خزَّانًا جديدًا فوق الاشرفيَّة بحيث تستطيع رفع المياه الى اعلى بيوت بيروت وجهاتها

﴿ الغاز والكهرباء ﴾ ومما زاد في محاسن بيروت انشاء شركة الغاز التي نفت

نوعاً من ظلمات بيروت ثمّ عقبتها شركة الكهرباء التي جعلت لبيروت حظّاً جديداً من الحضارة العصرية

﴿التجارة﴾ انّ رقيّ البلاد الذي يُعرف خصوصاً بتجارتها ومن هذا القبيل قد بلغت بيروت مبلغاً لا تجاريها فيه غيرها من مدن الشام منذ السنة ١٨٦٠ . فانّ السفن الاجنبيّة كانت تنقل اليها كلّ محصولات الدول الاوربية ومصنوعات اهلها من كل صنف من اصناف الاعمال والمخترعات الحديثة في ضروب الفنون . وكانت هي من جهتها ترسل الى انحاء البلاد كلّ صادرات بلاد الشرق التي كان تجّار الداخليّة يرسلونها الى بيروت فتُنقل منها الى البلاد الغربيّة . وقد سبق انّ تجارة بيروت كانت في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر راجت رواجاً كبيراً فبلغت الواردات اليها نحو ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ من الفرنكات والصادرات منها نحو ١٦،٠٠٠،٠٠٠ فما بُني مرفأها ونجزت سكّتها الحديديّة حتى بلغت بعد حين ضعف هذه الكميّة .

وقد ساعد على هذا النجاح انشاء المصارف (البنوكة) في مقدّمتها البنك العثماني وبنوك اخرى منها اجنبيّة ومنها وطنيّة كانت تُسلف المال للتجار بفائدة معلومة فتمكّنهم من توسيع نطاق اشغالها . ثمّ اخذت عدّة بيوت تجاريّة وطنيّة تتوسّط لاستحضار السلع الاوربيّة بصفة كوميسيونجيّة

وكذلك حصلت معاملات مع بيوت تجاريّة في حواضر الدول الاوربيّة كانت تبادل محصولات بلادها من محصولات الشرق

وبعد ان خمدت الحركة التجاريّة في أيام الحرب تحسّنت نوعاً بعد وضعها أوزارها . وقد استفادت بيروت خصوصاً من المعرض الذي أُقيم فيها سنة ١٩٢١ حيث ظهرت للعيان اصناف محصولات الوطن مع محصولات البلاد التي تعامل سوريّة . ولولا الازمة الاقتصاديّة التي تشمل حاضراً انحاء المعمور وهبوط سعر الفرنك والفتنة الدرزيّة لكانت بيروت في اوج الحضارة والدليل عليه ان الاحصاء الرسمي في السنة السابقة للحرب ذكر ان الواردات التجاريّة لسوريّة بلغت ١٢٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك والصادرات ٦٠،٠٠٠،٠٠٠ أمّا في السنة ١٩٢٠ بعد الحرب فازدادت الواردات الى ٤٢٩،٠٠٠،٠٠٠ ف والصادرات ٨٠،٠٠٠،٠٠٠ ولنا على ذلك شاهدٌ في حركة مرفإ بيروت الدالّة على نجاح متواصل وارباح وافرة حتى في السنة الحاضرة

﴿ الصناعة والزراعة ﴾ استفادت الصناعة في بيروت بما اتاها في هذه السنين الاخيرة من الادوات الاوربية ومن محصولات البلاد. فأنشئت فيها وفي جوارها معامل الحرير التي اخذت تسير في تحليل الحرير على اسلوب الفرنج

ومثلها الحياكة والتطريز للمنسوجات قد كان للطرائق الاوربية تأثير محسوس في صناعة هذه الانسجة لاسيما بواسطة راهبات المحبة اللواتي انشأن معملهن سنة ١٨٦٢ فبلغن من استحضار نحو ٥٠٠ متر من الانسجة الحريرية البسيطة او الملوّنة

وكذلك اشغال الخروجة والدانتلات اتسعت في بيروت حتى بلغ ما أرسل منها الى اميركة قبل الحرب ما يساوي ٢٠٠،٠٠٠ ليرة

وأنشئت ايضاً معامل لاثاث البيوت واجهزتها الفاخرة اخصّها في بيروت محل الخواجا ترزي ومعمل الخواجا الياس السيوفي الذي استحضر لذلك الادوات المخترعة في اوربة واميركة

ودخلت بيروت معامل أخرى مستحدثة على الاساليب الاوربية كالمطاحن البخارية وكمامل الجليد الاصطناعي ومعامل اقانف التبغ والمعامل الفخارية وتجدّدت كذلك السكافة والحدادة والنجارة وتوفّرت فيها الدراجات والسيارات والاوتوموبيلات

وكذلك اشتغل اصحاب البناء في بيروت بكل لوازم هذا الفنّ من انشاء مقالع واستحضار ضروب الحجارة الوطنية والاجنبية وحمل الرخام ونقشه وصنع الكلس والقرميد ولنا عدّة آثار بنائية تشهد لاهلها بحسن الذوق وصواب النظر لتطبيقها على المظاهر الجوّية من حرارة وبرودة وهبّ الرياح ومناظر بهجة بينها قصور فخمة ودور امراء وبنايات شرقية الهندسة كساعة بيروت واسواقها الحديثة

وما قولنا عن المطابع فانها بعد السنة ١٨٦٠ تعدّدت فاناف عددها على الثلثين كانت في مقدّمتها مطبعتنا الكاثوليكية والمطبعة الاميركانية مع ما أُلحق بها من المطابع الحجرية والادوات لاستحضار الابيات والأمهات ولسبك الاحرف. وذلك ما جعل لبيروت شهرة واسعة في البلاد بحسن مطبوعاتها وجمال حروفها

وكلّ يعرف اتساع فنّ التصوير الذي قبل السنة الستين لم يكد يُعرَف له اثر في بيروت واليوم اصبح شائعاً حتى انّ بعض المجلّات تصدر اليوم فيها مصوّرة باتقان وربّما عُرضت هذه الصور في معاهد السينما

على انَّ كل هـذه الصنائع مع ترقيها لا تزال في احتياج الى مزيـد التحسين لتجاري المصنوعات الاوربيَّة

امَّا ﴿ الزراعة ﴾ فانَّ نصيبها دون نصيب الصنـاعة في الترقي وان لم تُحرَم منهُ تماماً . فانَّ حدائق بيروت واراضيها المزدرعة قد زادت خصباً بما استمدَّتهُ من مياه نهر الكلب المسقي . وكذلك مياه اخرى تجري الى المزروعات من نهر بيروت وبعض العيون المجاورة للبلدة . وهذا ما وفَّر البقول والحبوب في اسواق المدينة

وقد نمت خصوصاً في بيروت وارباضها انواع الاشجار المثمرة فترى وسطها وحولها اصناف الاشجار المثمرة منها الاثمار الوطنيَّـة كالليمون والتفَّاح والاجَّاص والمشمش والدراقن والتين والخرنوب . ومنها اجنبيَّة تأهلت منذ بضع سنوات في تربة بيروت بعد ان انتقلت اليها من البلاد الغربيَّة او من اميركة كالموز والمـاندارين (يوسف افندي) والقشطة والتوت الفرنجي (fraises) والاكي دنيا

ومن اشجار بيروت التي تزين سواحلها شجر الزيتون الـذي يمتدُّ جنوبيهـا الى بضعة اميال و يُستخرَج منهُ زيتها الفاخر . وكذلك الكروم التي تظلّل تلالها ومن عصير ثمارها الخمر البيروتيَّة التي اشتهرت منذ عهد الرومان

وعلى رأسها تتمايل اشجار النَّخل بسعفها المرموز بهِ الى الظفر . وفي جبلتها غابات الصنوبر التي تغنَّى بها قدماء الشعراء

فمن تعدُّد اصناف هذه الاشجار ياوح غنى تربة بيروت . لولا انَّ المزارعين لثبوتهم على اساليب الحراثة القديمة لا يحصلون على ما ينالهُ ارباب الزراعة في اوربَّة بمراعاتهم للاصول الفنيَّة التي وقفوا عليها بالتجربة ودرس احوال التربة واصلاحها

هذا مُجمل ما يقال عن بيروت الاقتصاديَّة . ولا شكَّ بانَّ عاصمـة لبنـان مع الامان وانتظام الاحوال وهمَّة ارباب الاعمـال جديرة بان تُصبح من اغنى بلاد الله وتجاري اكبر المُدن بخصبها ورفاهها زادها تعالى رقياً وغنًى وهو السميع المجيب

(تمَّ)

— تنبيه — انَّنا قد عوَّلنا على نشر هذا التاريخ على حدة فنضيف اليهِ الفهارس الواسعة

رحلة الى شمالي لبنان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني (تابع)

٣ دير سيدة ايليج (ميفوق) ووادية

غادرنا دير كفيفان بعد ان قضينا فيه ثلاثة ايام الى دير سيدة ميفوق الذي يبعد عنه نحو ساعتين ونصف ساعة . وهذا الدير قديم الاجيال متقادم العهد . لكنَّ كرّ العصور وصروف الحدثان وتوالي الاضطرابات والنكبات على البلاد لم تترك لنا من تاريخه سوى النزر القليل . قد سكنهُ في سالف الزمن البطاركة والرهبان العبّاد ثمَّ هجروه بسبب ما نالهم من العسف والجور ومظالم الحكّام الذين أنزلوا ببلاد جبيل والبترون كل ضروب المغارم والفواجع فاضطرَّ من نجا من اهاليه الى النزوح عنه الى بلادٍ لا تهدأ فيها الارواح ولا تنزل بساحتها النوازل والخطوب . وقد ألمع المؤرخ العلّامة الشهير البطريرك اسطفان الدويهي الى هذه الحوادث الدامية في تاريخه المعروف

ولمَّا قبض الامير يوسف الشهابي على زمام الحكم هالهُ ما رأى من الخراب والدمار الذي حلَّ بالبلاد وحار في اعادة اهاليه اليه وتوطيد الامن والراحة في ارجائه . فاشار عليه مدبرا شؤونه الشيخان الحكيمان سعد الخوري وسمعان البيطار المارونيان ان لا سبيل الى الفوز بأمنيّته الّا باقامة الرهبان اللبنانيين فيه وتملكهم خرائب الاديار والكنائس . فاستصوب الامير رأيهما واستدعى رئيسهم العام الاب اقليموس المزرعاني ومنّكه بموجب حجّة مؤرخة سنة ١١٧٩ هجرية الموافقة ١٧٦٥ مسيحية خرائب اديار سيدة ايليج وحوب وكفيفان وانطوش جبيل وقسماً من املاك الحكومة اللبنانية الاسلامية

فسكن الرهبان هذه الاديار ونشطوا الى عمارها والاعتناء بحراثة اراضيها ولم تزحزح عزيمتهم عن الاستقرار في هذه الاماكن المعارك والاهوال التي صادفوها . وما درى بهم الموارنة حتى عادوا الى مواطنهم مستأنسين بجوارهم متكلين على مساعدهم

فعمرت القرى على تتابع الايام واهلت الديار بسكانها وتوطّد حبل الامن والراحة .

وقد اطلعنا على ما كتبهُ الاب يوسف غودار اليسوعي عن دير ايليج وواديه وهو فصل شائق رأينا تعريبهُ لفوائده قال :

« وادي ايليج قائم في خفضةٍ من الارض بين تلالٍ مستديرة تذود عنه هجمات الرياح الشمالية والجنوبيَّة . ويتفتَّح الشرق امامهُ عن شبه مذبحٍ طبيعي تصلهُ بالافق درجات الآكام . وقد زيَّنتهُ الطبيعة بنضارة المروج والمياه الغزيرة فلا يخشى جفاف الاراضي التي تطوّقهُ من كل ناحية ولا جدب للتربة لان الينابيع تنساب اليها فتنمي الشجر والنبات وتُكثر نتاج الارض

وبالقرب من الوادي جنوباً جلس دير ميفوق الجميل كملكٍ على عرشهِ لابساً حلَّةً قشيبةً بيضاء . كأنَّ آجرَّهُ كُتَلٌ من الزمرُّد على كُدسٍ من الثلج وهو يبتسم للبحر من أروقتهِ الغربيَّة ذات العواميد البيضاء كالمرمر وتطوّقهُ البيوت والاشجار الباسقة والطرق المتشعّبة

« وعند رأس الوادي وراء ستار من الحور والصفصاف والجوز يرى الناظر قبة جرسٍ صغيرة خيَّم عليها السكوت قائمة على حجارةٍ قديمة تكتنفها الاعشاب وقد انسلَّ بعضها اليها . وعلى قيد أذرع منها اطلال دارسة . وبقايا سلالم واروقة تقادم عهدها وشهدت وقائع شتى دامية حدثت في ذلك المكان . وجنوبيها حوض واسع ثمَّ جسر صغير يُعبر عليهِ الى مغارة ينبثق منها ماء بارد زلال وهي المعروفة بمغارة سيدة ايليج

« يجلس الزائر هناك منفرداً كأنهُ في قفرٍ مع ان الحياة لا تبعد عنهُ إلَّا خطوات . فلا يسمع إلَّا خرير الماء وحفيف الشجر وتغريد العصافير ونقنقة الضفادع ، ولا يشعر إلَّا بالنسيم البليل يلمس وجههُ ويداعب اغصان الحور والجوز . واذا ما رفع بصرهُ الى العلاء يرى ذاتهُ بين اكامٍ شهباء تحرسها الاشجار المتنوّعة ، ولا يقف إلَّا على سماء صافية مستديرة مستكنَّة كأنهُ في وكنةٍ محصَّنة لا مخرج للنفس والاعين منها إلَّا لتستقرَّ على بساط الرقيع . ولقد يخيل اليه ان لا حياة في ذلك الموضع ولا قلب ليختلج . ولكن اذا ما مكث مدَّةً مراقباً يرى قلوباً تضطرب وجوارح تتحرَّك ووجوهاً يلمع عليها بريق المسرَّة . لان بين تلك الانتقاض مزار سيدة ايليج حيث

تنساب الحياة والعجائب انسياب الماء من المغارة يحرسهُ احد الرهبان. لان ذلك المكان مشهور عند الموارنة ولهُ ماضٍ مجيد ويحبونهُ حبهم لقنّوبين

«هناك سكن البطاركة سنين عديدة وقاسوا امرّ العذاب بالقرب من العذراء. لان حول ذلك المعبد وفي تلك الزاوية التي يخال زائرها ان هدوءها ما عكّرهُ اضطراب قد سُمعت قعقعة السلاح وشُوهد بريق الاسنّة وتفجرت الدماء. واتّقد اللهيب حتى انهُ ما وُجد قط في لبنان إلّا امكنة قليلة كانت حالتها اكثر اضطراباً وصعوبة من ايليج

«ان تاريخ ايليج غامض وسبب هذا الغموض كثرة الاقاصيص التي تناقلتها الالسنة ولا رابطة جليّة تربطها. وتقلبات الحوادث أثّرت عليها حتى اصبحت لحمتها بعيدة المنال

كتب احد السيّاح: ان ايليج كانت هيكلًا للزُهرة ثمّ جُعلت كنيسة لمريم باسم سيّدة الطهارة (١

وكتب جبرائيل القلاعي في الجيل الخامس عشر: ان هذه الكنيسة (معبد ايليج) قد شيّدها الرسولان بطرس وفيلبُّوس (٢

«وامّا التاريخ فترتقي آثاره الى بداية الجيل الثاني عشر. والاوراق الكثيرة المحفوظة في الدير والكتابتان المرقومتان على جدران الكنيسة تبيّنان قدمية المعبد(٣ وبحسب

---

١) قال الاب شامبون (في الرسالات الكاثوليكية ١٨٦٩ ص ١٢): ان جمال موقعها (ايليج) وينابيعها وكثرة الخرائب التي تكتنفها تذكّرنا باحد الهياكل القديمة ولكن ما من أثر يثبت ذلك

٢) كتب جبرائيل القلاعي اسقف قبرس سنة ١٤٩٣ الى مواطنيهِ اهل لفد: «ان ايان الكنيسة الرومانية كان ايان ابائنا ووطننا منذ شيّد بطرس وفيلبُّوس كنيسة السيدة بالقرب من لفد.» وبحسب التقليد ان بطرس فيلبُّوس هما الرسولان

٣) احداهما باللغة السريانية موجودة فوق احدى الطاقات. والثانية باللغة السريانية ايضاً ولكنها بالخطّ اسطرنجيلي فوق باب المعبد

ترجمة الاولى: «باسم الله الحي الازلي سنة ١٧٤٦ مسيحية قد رمّم هذا الهيكل الاخوان الكاهنان عمّون ودانيلا وقد كان شيّدهُ البطاركة بطرس وارميا ويعقوب ويوحنا سنة ١٠٢٠»

ترجمة الثانية: «باسم الله الحيّ الازلي سنة ١٥٨٨ يونانية (١٢٧٦ م) قد تمّ (هنا رسم

التقليد ان البطاركة الموارنة رغبةً في الاقتراب من الصليبيين القاطنين السواحل البحرية تركوا انجاد يانوح المرتفعة سنة ١١٢٠ وهبطوا الى وادي ايليج وهناك بنوا او رمّموا ديراً على انقاض معبدٍ قديم لمريم العذراء (وربما كان هذا المعبد من اصل بيزنطي) يُكرمهُ الاهلون على ما يظهر. لان المركز البطريركي اتخذ حالاً اسم « دير مقدس لسيدة ميفوق القديسة مريم »

« وفي سنة ١١٢١ سكن ايليج البطريرك بطرس (١ الذي كان راهباً وحبراً ساذجاً وفقيراً يتعمّم (ما عدا ثوبه الرهباني) بالعمامة المخملية ويلبس الانسجة الزرقاء والبطرشيل الرقيق وصليب الصدر تميزاً له عن سواه. واما بطانته من رهبان واساقفة فكانت تشتغل بنسخ الكتب وحراثة الارض وادارة الامور الزمنيّة. وقد كتب احد هؤلاء الرهبان في ختام نسخةٍ :

« انا الراهب الفقير المسمّى سمعان قد كتبتُ هذه الاسطر في هذا الكتاب لابينا الطوباوي بطرس بطريرك الموارنة الساكن في دير ميفوق المقدس في وادي ايليج من معاملة البترون »

« وبعد قرنٍ ونصف اي سنة ١٢٧٦ جُدّد بناء الدير. وهذا يتضح من الكتابة الاسطرنجيليّة الجميلة الموجودة فوق الباب :

« باسم الله الحي الازلي سنة ١٥٨٨ يونانية قد انجز عمار دير ام الله مريم صلاة قربا معنا امين (٣ »

« وفي هذا التاريخ اضحى تقدُّم الموارنة محسوساً. فبعد ان تملكوا بلاد البترون

صليب في طرفه الكتابة السريانية : بك نضرب اعداءنا وبأسك نطأ مبغضينا بارجلنا) بناء دير أم الله صلاحا نحنطا امين ' يد الرجال الخطأة داود . د . . والقديس جارس ويوحنا . »

١) هو « بطرس » المذكور في الكتابة السريانية التي الاسطرنجيلية

٢) السمعاني (المكتبة الشرقيّة ج ١ ص ٣٠٧) سنة ١٤٣٢ يونانية (١١٢١م)

٣) ان بطاركة الموارنة الذين فقد التاريخ آثارهم يظهرون في ميفوق قرب البترون وهم : يعقوب ودانيال الحدشيتي ولوقا البنهراني وسمعان ويوحنا وجبرايل حجولا . . . (المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ جزء ٣ ق ٦)

وجبيل انتشروا في المقاطعات البعيدة نحو قبرس والقدس فبنوا في كل مكان كنائس وغيرها . وهذا يظهر من الصور المرسومة على الجدران والكتابات وحجارة النيفاء .

« على انَّ هذا الامان لم تطل مدَّتهُ فكان اشبه بمساء يوم جميل عقبتهُ ليلة مظلمة . دُحر الصليبيون فما كادوا يغيبون عن بلادنا حتى صفرت زوابع الاضطهاد على خلفائهم الجبليين الامناء . فغزا المماليك لبنان مرَّتين وأوقفوا توسع الموارنة فأجبر هؤلاء على التقهقر الى الاماكن المرتفعة . وشرع بطاركة ميفوق ينظرون الى مضايق تنُورين وجبل الميحال

« وفي سنة ١٣٦٧ اغتاظ سلطان مصر شيبان اشرف من ملك القدس بطرس اللوزنياني الذي انتزع منه الاسكندرية فسيَّر عسكرًا جرَّارًا على مملكة ارمينية اللاتينية الصغيرة فاجتاحت العساكر الاسلاميَّة لبنان الذي كانت تتهمهُ بمساعدة الفرنجيين . وهبطت كتيبة من المماليك بغتةً الى ايليج اذ كان الشعب يحضر القداس الالهي فذُبح الرهبان والبطريرك عند قدمي البتول . ولم يكن هذا البطريرك إلَّا جبرائيل حجولا الذي يحسبهُ الموارنة شهيدًا (١ فانتقل خليفتهُ داود يوحنا الى فجاج حردين

« وفي سنة ١٤٠٤ عاد البطريرك يوحنا الجاجي الى سيدة ايليج لانه كان يحبُّ مزار البتول كثيرًا وقد اوصل غرفتهُ الى المعبد بسأم لم يزل حتى اليوم لتسهل عليه ممارسة اقمال العبادة . غير انهُ بعد مدَّةٍ قليلة أُجبر على الهرب

« وسنة ١٤٣٧ أرسل من تبليغ الى مجمع فلورنسا فرا جوان رئيس الفرنسيسكانيين في بيروت فعاد بعد ثلاث سنين حاملًا الى البطريرك درع التثبيت ورسالة من البابا اوجانيوس الرابع . فسرت كتيبة من اللبنانيين الى ملاقاته بعظمةٍ وجلال فايقظت هذه الآبهة وساوس السلطان ني سعيد ظاهر الجكمك واوغرت صدرهُ على الموارنة

« وكان المسلمون يعتقدون ان البابا هو المحرِّك للحروب الصليبية وان في المجمع الذي عُقد في فلورنسا برنامجًا لعقد محالفةٍ جديدة لمحاربتهم . ولما علموا ان البطريرك قد ارسل مَن يمثلهُ في المجمع تلقَّى حاكم طرابلس امرًا من السلطان بارسال كتيبة من الجنود الى ايليج لتقبض على البطريرك . لكنَّ العناية الالهية لم تسمح بان

---

١) عن تاريخ لبنان المخطوط للاب مرتينوس (صفحة ١٣١)

يُفجع الوارنة برئيس ديرهم فعرف البطريرك بالخبر فالتجأ الى مغاير قنوبين الحصينة. غير ان عدداً وافراً من الرهبان والقرويين ذُبحوا ودُمر المعبد (١. وبعد المماليك قام الاتراك

«سنة ١٦٠٧ قد جاءت ثورة جنبلاط باشا وفخر الدين العساكر العثمانية الى لبنان فجعلت كل شيء طعاماً للنار ولاسيما الاديرة وطافت انهار الدماء. فنادر الرهبان ميفوق حيث احتل عدد من هؤلاء الضواري مدة خمسة اشهر دنسوا في خلالها كنيسة العذراء بفظاعة وقحة لم يسبق لها مثيل. وما جلوا عن ميفوق حتى رممت ايليج وازهرت وجعل المتاولة الجهاديون حكام البلاد ميفوق مركزاً لحكومتهم. وقد كانوا يحترمون بيت مريم. وكان احدهم الشيخ حسن يكرم البتول اكراماً خاصاً لاعتقاده انها خلصت حياته في احدى المعارك. ثم في معركة اخرى كان الدروز قد اوشكوا ان يطوقوا المتاولة فهرع هؤلاء الى سيدة ايليج ونذروا لها قطعة ارض فامتد فوقهم ضباب كثيف واخفى انسحابهم (٢

«لكن ثورات الجهاديين المتواصلة جرت الى ايليج عساكر الاتراك والدروز بنوع متواصل. ففي سنة ١٦٨٦ دُمرت قرية ميفوق ونُهب دير البتول ودُكت بعض جوانبه (٣ولم تزل مع ذلك تلك الام معزية ومداوية وناشرة ألوية نعمها العجيبة. واما اليوم فقد سكنت الزوابع واستتب الأمن فنُقل الدير القديم الى مكان آخر غربي سيدة ايليج يبعد عنها زهاء عشرين دقيقة وهو يتمتع بحياة التقى والسكينة والخصب. لكن العذراء مكثت فوق حارسة الخرائب القديمة محافظة على ماضي المكان المجيد الذي أدخل في طي النسيان. فترى الى يومنا هناك مفترة الثغر في صورتها حاملة يسوع بين ذراعيها تكتنفها السلاسل الصغيرة والقلائد والتيجان ونجد النذور وقد بُيضت

---

١) ان الجثث دُفنت في حفرة المعبد (المجمع اللبناني. . . الدويهي ١٤٤٠. الدر المنظوم- الشدياق: أسر لبنان قسم ٣ فصل ١و٢ – مرتينوس ص ٤٣٣

٢) عن تاريخ لبنان المخطوط للاب مرتينوس

٣) الدويهي سنة ١٦٨٦ – الشدياق في المحل المذكور. – ولم يرمم المعبد إلا سنة ١٧٤٦ كما جاء في الكتابة السريانية

جدران المعبد وكُتبت عليها مدائح عربية بخطّ ازرق ضخم (١

«ان هذا الاصلاح اعطاها هيئة الشبيبة والحياة التي يقف الطرف عندها حائراً. وخارج المعبد اخربة قديمة قد امتدّت اليها الاعشاب والدغل . وما فتئت حتى اليوم مزاراً يهرع اليه المؤمنون إمّا طلباً لنعمة من السيدة وإمّا شكراً لها على منة تالوها لها

«ومن المعروف عند اباء الرهبانية اللبنانية ان هذه الكنيسة لم تزل كما كانت سنة ١١٤٠ اذ عاش فيها بطاركة الموارنة ودُفنوا فيهم مع عدد وافر من الرهبان. فجدرانها ترشح بدموعهم وتردّدُ صدى صلواتهم . وكل عابر سبيل يدخلها خاشعاً . واهل الجوار يسرعون اليها لينضروا اولادهم فيها ويطلبوا نعم الخلاص من العذراء مريم . ولدى كلّ متافرة او خلاف يأتون فيحلفون امام السيدة . فهي بركة البلاد وينبوع الخيرات . ولا طبيب للفقراء غيرها . وهي ما تركت ولن تترك ذلك المكان

«ففي سنة ١٧٦٥ اراد رهبان دير ميفوق ان ينقلوا صورة مريم الى ديرهم فذهبوا الى معبد سيدة ايليج بخشوع وإخبات واخذوا الصورة وقفلوا الباب بالمفتاح. وفي اليوم الثاني عادت الصورة من تلقاء ذاتها الى مكانها الاول

«وسنة ١٨٦٣ صعدت كتيبة تركيّة الى ميفوق متعقّبة يوسف بك كرم ظانّة انه هناك فيمّمت مفرزة منها كنيسة السيدة فربط جنديٌ جوادهُ بباب الكنيسة قصد اهانتها . وشرع آخر يشرب متكئاً على بارودته مجدّفاً على العذراء (٢ فالاول رفسهُ الجواد فسقط على قفاهُ . والثاني انفجرت بارودته فاصاب الرصاص رأسهُ فمات الاثنان في وقت واحد امام المعبد .»

هذه هي النبذة المستطرفة التي كتبها عن دير سيدة ايليج حضرة الاب يوسف غودار اليسوعي في كتابه (القديسة العذراء في لبنان) وقد استند في تاريخها الى روايات السمعاني والدويهي وطنوس الشدياق والبطريرك بولس مسعد الخ(٣ وقد حضر

١) داخل المعبد مسطّح بستة امتار طولاً وعشرة عرضاً . والمذبح مؤلف من ثلاث حنايا صغيرة . واما الجدران فثخينة جداً ويظهر انها قد قاومت هجمات التدمير الكثيرة

٢) ان هذه الحوادث وكثيراً غيرها وُجدت مدونة في كتابات قديمة خطية

٣) طالع كتابهُ (La Sainte Vierge au Liban, page. 256-265)

بنفسهِ الى دير السيدة ونقل ترجمة الكتابتين المنقوشتين على جدران كنيستها كما رأيت في الحواشي . امّا الكتابة المحفورة فوق باب الكنيسة الغربي فقد ذُكرت في تاريخ الطائفة المارونيّة للدويهي (ص ١١٢و١١٣) بغلط ظاهر وذلك انَّ الدويهي لمَّا اثبتها في تاريخهِ لم يتحقّقها بنفسهِ او عُرضت عليهِ قراءتُها لعلوّها فقرأ ܡܚܡܕܝܠ بدلًا من ܡܚܡܕܘܠ فتشوَّش المعنى . وتبعهُ في هذه القراءة كل من نقل عنهُ حتى رنان في كتابهِ رحلة فينيقية (Mission de Phenicie, p. 254) . فهذا هو نصُّها الصحيح الذي انتبه اليهِ المرحوم القس اوغسطين الخوري القرطباوي الراهب اللبناني وكتب في ذلك رسالة ازال فيها كلَّ شبهة . ودونك الكتابة مع تصحيحها :

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܕܥܠܡܐ . ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܒܥ ܡܐܐ ܘܬܡܢܝܢ ܠܝܘܢܐ ܒܢܝܢ ܗܕܐ ܕܝܪܐ ܕܡܪܬܐ ܕܐܠܗܐ ܡܪܝܡ ܠܬܟܢ ܨܠܘܬܢ ܡܢ ܐܝܕܝ ܓܒܪܐ ܚܛܝܐ ܩܫܝܫ ܕܐܘܪܝܢ ܘܝܘܚܢܢ ܒܪ ܡܪܝ ܩܫܝܫ ܕܐܘܪܝܢ

اي « باسم الله الحي للدهر . في سنة الف وخمسمائة وثماني وثمانين لليونان نجز بنيان هذا دير والدة الله ومريم لتكن صلاتها معنا على ايدي الرجال الخطأة القس داود وبطرس ويوحنا »

والسنة اليونانيّة ١٥٨٨ توافق السنة المسيحيّة ١٢٧٦ . وفي وسط الكتابة بعد كلمة « ܗܕܐ » نُقش صليب ✠ حوالهُ بالسريانيّة : « ܚܘ ܒܝܕܟ ܕܥܕܝܢܝܢ ܡܚܡܝܢ ܒܝܕܟ ܕܢܨܠܝܢ » اي « بك نقهر اعداءنا وباسمك نطأ مبغضينا »

وكان الدويهي لقراءتهِ ܡܚܡܕܝܠ قد عرَّبها « قد كمَّل يعقوب هيكل والدة الله » واستنتج منها انَّ البطريرك يعقوب هو الذي شيد الهيكل وسكن دير سيدة ايليج لكنهُ بقي مرتاباً في شخصيَّة يعقوب (اطلب سلسلة البطاركة ص ٢٦) . وجاء ذكر البطريرك يعقوب في دير سيدة ايليج في كتابة اخرى محفورة فوق عتبة نافذة الكنيسة الشمالية وهذا نصُّها كما نقلهُ العلّامة المطران يوسف الدبس (الجامع المفصَّل ص ٢٠١ والخوري مخائيل غبريل في تاريخ الكنيسة الانطاكية (٢ : ٢٠٧ــ٢٠٩)

ܒܫܡ ܐܠܗܐ ܚܝܐ ܕܥܠܡܐ . ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܬܝܢ ܡܐܐ ܘܫܬܝܢ ܠܝܘܢܐ ܐܬܬܝܢ ܠܡܪܝ ܐܘܪܝܢ ܐܝܟ ܕܒ ܐܘܪ ܐܬ ܕܝܢ ܐܠܗ ܡܪܝ ܐܝܠ ܕܒ ܐܘܪ ܐܬ ܕܝ ܐܠ ܡܪܝ ܐܝ ܕܒ ܐܘܪ ܐܬ ܕܝ ܐ

اي باسم الله الحيّ الدائم . في سنة ١٧٤٦ جدّد بناء هذا الهيكل أخوان كاهنان امون ومنيلا وكان قد انشأهُ اربعة بطاركة بطرس واربيا ويعقوب ويوحنا سنة ١١٢١ م.

(لها بقية)

تحت المياه

١ الغواص ٢ دفائن البحر ٣ طرائق انتشالها

بقلم حضرة الاب فرديناند توتل اليسوعي

١ الغوّاص

اولاً : الغواص القديم

ان شركة المرفأ في بيروت اخذت تبني سوراً ضخماً يردّ عن البسيطة صدمات الموج ويحيط بالمتسع الذي اخذوا يطمّونهُ وهو لا يزال حوضاً لماء البحر . وعن قريب يصير ساحةً تمدُّ عليها السكة الحديديَّة شبكة خطوط محطة كبيرة مركزية لخط حيفا بيروت طرابلس

ويبنى ذلك السور باحجار ضخمة مكعَّبة بجرم مترين ترفعها آلة قوية تُدار على سفينة تتحوَّل تارةً الى الشاطئ لتتناول منه المكعبات وتارةً الى مكان البناء لتضع حملها الثقيل في عمق البحر ، حتى اذا تطبقت الاحجار بعضها فوق بعض ارتفع السور . ومن البديهي ان المكعبات الراسية في العمق يجب ان تكون راكزةً على مسطَّح متسارٍ بسيط . فلذلك من قبل ان تُركَّز في قعر البحر ينزلون فيه غوّاصاً ليُعدَّ لها الموضع كما يُعدُّ البنَّاء المهدَ للعداميك الاساسية في اسفل البناء

وقفنا على الشاطئ نراقب اعمال الغوّاص وقد غار في جوف البحر وكدنا نفقد اثرهُ لولا صلتهُ بالزورق الطافي على سطح الماء . فان فيه اربعة رجال يشغلون آلةً ضاغطة تدفع الهواء في انبوب طويل يمتدُّ من الزورق الى حوذة الغواص ووجهه ليستنشق الهواء فلا يختنق . ومع الانبوب حبلٌ احد اطرافه في يد معلم الزورق والآخر مشدود بوسط الغوّاص يستعين به على الخروج من الماء او على تبليغ اشاراته الى عمّال الزورق

وما كانت مدة وجيزة إلّا خرج الغواص وارتقى سلماً منوطاً على الزورق. صعد وهو اشبه منه بحوت غريب الشكل او بضفدعة عظيمة لا يكاد يتميّز رأسهُ عن سائر بدنه ، لولا العينان الكبيرتان الزجاجيتان والحوذة النحاسية الكروية التي على اكتافه ؛ فهي تلتحم بثوب من المطاط يشمل الغواص من العنق الى القدم ولا يدع الماء ينفذ الى البدن

خرج الغواص من الماء فتقدّم مُدير الزورق وفكّ الحوذة عن رأسه فانقطع العمّال عن ضغط الهواء . وكان على صدر الغواص وظهره قطع من الرصاص تمكنه من البقاء في العمق فنزعها عنه وصعد على السفينة وخلع ثوبه المطاط وجلس يستريح

وشدّ ما كان تعبه مع كونهِ لم يبق في جوف البحر الّا دقائق معدودة وفي قعر غير بعيد عن سطح الماء . لكنّ ما قاساهُ من ثقل ذلك الحمل الضاغط على بدنهِ وعضلاتهِ انهك قواه سريعاً فلم يستطع ان يثبت في الماء الّا مدة زهيدة

والسبب بديهي فان ابن آدم وهو على سطح الارض لا يحمل الا ضغط الهواء المحيط به . وهذا الهواء مع ثقله الباهظ الموازي لثقل عامود مائي طولهُ زهاء عشرة امتار ووزنه كيلوغرام واحد على كل سنتمتر مربع من بدنه — لا يؤذي الانسان المتعوّد عليه ومن دونه لا يحيا

اما الغواص فاذا غار في جوف المياه أحسّ ليس فقط بثقل ضغط الهواء المعتاد ولكن بثقل ضغط المياه ايضاً وكل متر منها يزيد حمل الانسان كيلوغراماً على كل سنتمتر مربع من مساحة جسمهِ . فاذا نزل الغواص ٥٠ متراً تحت الماء بلغ ثقل القوة الضاغطة زهاء ٥٠ كيلوغراماً واذا غاص ١٠٠ متر تضاعفت

وقد سعوا في تخفيف وطأة الضغط على العامل في العمق فجعلوا ثوبه المطّاط عريضاً وبثّوا فيهِ الهواء بانبوب يمتد من الزورق الى حوذة الغواص يتفرغ منها بين بدنه ولباسه محافظةً على التوازن بين قوة المياه الضاغطة على العضلات وبين قوة الهواء المحبوس في ثوب الغواص المحيط بجسمهِ . لكن هذا الاحتياط لا يقي الانسان اذى وطأة المياه مع تزايد الانحدار في العمق . لان الغازات تذوب في المواد السائلة وفي الدم خاصة بكمية تزداد مع ازدياد الضغط . ولما كان الازوت الموجود في الهواء ضمن حلّة الغواص مضغوطاً عليهِ ضغطاً شديداً لا يلبث ان يذوب في دمهِ . فاذا دنا

وقت الصعود من العمق الى سطح الماء وارتفع الغواص فجأةً طار غاز الازوت من دمه بشكل فقاقيع عديدة تزدحم عند المسام في الجلد والشرايين فتصيبه بالاذى في عينيه او في اذنيه او تذهب فجأة بحياته . ولا بدّ من انقضاء اربعين دقيقة للصعود من عمق اربعين متر . وهذا هو الحد الذي لا يجاوزه ابن آدم في الشغل تحت المياه . ولما كان اقوى الغواصين لا يبقون في غوصهم الّا مدةً ضيقة ذهب معظم تلك المدة بين النزول والصعود ولم يبق متسع من الزمان كافٍ للقيام باعمال شاقة تقتضي ساعات من الجهاد فضلاً عن ان ثوب الغواصين لا يقيهم شرّ الحيوانات البحرية الكبيرة . ثمّ انّ اتصالهم بالزورق الذي فوق الماء بانبوب الهواء يعسّر حركاتهم ويعرّض الانبوب الى القطع ، اذا لقي مجرًى قويًا في ما بين المياه ، او يعلق بخشبة من الاخشاب الراسية

فلذلك أخذوا يستهدون الى طريقة يبلغ بها الغواص الاعماق العميقة من البحر وهو في مأمن من المخاطر التي ذكرناها واليك ما توصلوا اليه من الاختراع الحديث

ثانياً : الغواص الحديث

اهمّ ميزاته عن السابق عن انه اوّلاً غير مضغوط عليه بقوة المياه وهو ثانياً مستقلّ عن المركب الذي يغوص منه

(١) صنعوا قفصاً معدنياً مخلوطاً بزيج الالومينيوم ، غاية في المتانة والخفة واين التحريك يقوى على احتمال ضغط [illegible] ومئة وخمسين متراً من الماء ، هيئته كهيئة الانسان المعدوم الرأس او كهيئة [illegible] ذي رجلين وذراعين ، يدخله الانسان ويتصرف به بقواه الشخصية [illegible] اصحاب السفائن الغواصة في سفائنهم . لهذا القفص اجهزة شتى اعظمها [illegible] هواء المضغوط ضغطاً شديداً يستعمله الغواص اوّلاً لاستنشاق الاوكسيجين الضروري لتصفية الدم وثانياً لمعالجة حركات الصعود والنزول . فاذا شاء الغواص فتح حاصلاً من حواصله وملأه ماء وانحدر بثقله الى العمق المقصود . واذا شاء الصعود طرد الماء من الحاصل بقوة الهواء المضغوط فعام وارتفع . وليس من الصعود الفجائي خطر على صحة الغواص اذ هو في بيئة هوائية كالبيئة التي نحن فيها على وجه البسيطة بفضل القفص الفاصل بينه وبين المياه والهواء المضغوط الذي يتصرف به احتساباً على قدر احتياجه

(٢ وليست منافع الاختراع الحديث مقتصرة على وقاية صحة الغواص بل هي تجعله مستقلاً عن المركب الذي يغوص منه حتى اذا انقطعت كل صلة بينه وبين الذين على سطح البحر استطاع ان يطفو بطرده ثقل الماء كما ذكرنا

وفي القسم جهاز لتوليد النور الكهربائي وإضاءة ظلمات البحر الحالكة التي لا يشقها شعاع شمس اذا تجاوزت عمق عشرة امتار . وفيه ميزان لمعرفة درجة الحرارة والضغط والعمق ؛ ونافذة عليها زجاجة يخف سمكها على ٧ سنتمترات يُشرف منها الغواص على جوف البحر . وفي اطراف ذراعيه ، يدان اصطناعيتان ، يتصرف بهما للقبض على ادوات القطع او الفك كالكماشة والمقص ، ولتوجيه اللسان الشاري الكيماوي ، الذي يصدره ، بواسطة مجرى يناله من المركب الفوقاني ، وهو متصل معه بالسلك التلفوني ؛ وبرجليه يستطيع السير في قعر المياه حتى اذا بلغ السفينة الغريقة عالج امرها اما لتعويمها واما لانتشال ما يكون دفيناً فيها من الكنوز

٢ دفائن البحر

دع الاسفنج وقد تكلم عنه المشرق (٥[١٩٠٢]: ١٠٤٨) واللؤلؤ والمرجان وما يحدث للغواصين في سبيل انتشالها . ولا تلمح الا ببصرة ، الى ما يذكره التاريخ عن الفينيقيين اجدادنا الاولين خوافي البحار وعن سفائنهم المثقلة صفوف التاذيف بوالى ما جرى على ايام اليونان والرومان من مواقع بحرية ادت الى غرق اموال لا تحصى التهمتها افواه الموج . دع عنا ذكر القديم من الخسائر التي ذهبت مثلاً ، مدة قرون ، كاسطول الالماده الاسباني المتهشم على ساحل انكلترة برجاله وكنوزه (سنة ١٥٨٨) ؛ ومثلها جواري الاسبان الشهيرة المحملة بذهب العالم الحديث فانها كانت قطعت الاوقيانوس الوسيع وبلغت غاية سفرها في خليج فيغو الاسباني او كادت اذ دهمها الاسطول الانكليزي الهولندي وغرقها مع ذهبها سنة ١٧٠٧ . تلك اخبار شأنها كالذرة بالنسبة الى الجبل اذا قابلناها بما احدثته الزوابع والنكبات وخاصة الحرب الكبرى التي وارت جزءاً من ثروة الجنس البشري في عمق البحار

ان مبلغ ما كان يبتلعه البحر من المال بالقرب من سواحل انكلترة ما قبل الحرب كان زهاء ٢٥٠ مليوناً من الفرنكات فلا تسأل اذاً عن سائر الخسارات التي

كانت تحمل في الممرور من جراء الانواء والنكبات البحرية . اما الحرب العظمى فقد فتكت بأمهات السفن فتكاً لا تكاد تتصور اضراره . فانهم يعدلون بخمسة عشر مليوناً طناً ما اغرقته الالغام والقنابل الناسفة من ١٩١٤ الى ١٩١٩ . ولما كان معدل ثمن الطن البحري ثلاثة آلاف فرنك في غرة العام ١٩١٩ كان مبلغ ما سببته الحرب من الخسارات البحرية ١٥ مليارًا من الفرنكات . وقد حدثت اغلب هذه النكبات في العام ١٩١٧ حيث كانوا يحسبون معدل الخسارات البحرية اليومية ٦٠ مليون فرنكاً . فاذا في تلك الايام المشئومة مئة ضعف على ما كانت عليه قبل الحرب بالقرب من الساحل الانكليزي

وكانوا منذ غرة القرن العشرين شرعوا في بلدان كثيرة وخاصة في انكلترة وامريكا يبحثون في وسائط انتشال الكنوز من اعماق البحر . فلما نشبت نيران الحرب وغرق ما غرق من المراكب وما فيها زادت غيرة البحاثين واجتهادهم لتخليص ما يمكن تخليصه

ومما استحثهم في هذا السبيل ليس فقط الامل بانتشال محتويات المراكب من اشياء ثمينة ولكن الطمع بالمراكب ذاتها ايضاً أملاً باصلاحها بعد سحبها من اعماق المياه واعادتها الى سالف توظيفها اما للشحن او لنقل المسافرين . روت مجلة العالَمين الافرنسية (١٩١٩ ص ٤٦٦) ان مركباً المانيًا يدعى « ڤلكور » (Walkure) اسره الافرنسيون ايام الحرب ثم أغرق بالقرب من جزيرة « نارتي » وسب في عمق ٢٤ مترًا . فتقدم احد ارباب المعامل من سان فرنسيسكو وابتاع جثمان المركب الغريق وتوصل الى سد ما حدث من الثلم والى رفعه على سطح الماء وتصليحه . فلما عاد المركب الى حالة تمكنه من السفر كان قد كلف صاحبه مع مصروف التصليح ١٫٦٢٥٫٠٠٠ فرنك . لكنه لاول سفرة سافرها جاء بربح ١٨٠٫٠٠٠ فرنك . ولم يلبث بعد زمن قليل أن بيع بمبلغ ٤٫١٢٥٫٠٠٠ فرنك . ولولا انتشاله من البحر لباتت تلك الارباح مدفونة معه . فمنه خذ لك مثلاً للمكاسب الحاصلة من العمل تحت المياه . ومن البديهي ان اعمال تخليص ما غرق في البحر لا تتم الا بمساعدة الغواصين . على ان طرائقها شتى فعلينا ان نذكر بعضها

٣ طرائق انتشال دفائن البحر

انها لكثيرة . على اننا نستطيع ان نحصرها ضمن ثلاثة اقسام :

﴿الطرائق الاولى﴾ هي ان يتقدموا في ساعات جزر البحر حيث تقل كمية المياه فوق المركب الغريق ويوقفوا على سطح الماء جسرين مجوفين قويين فينزل الغواصون في الماء ويشدون المركب الغريق بالجسرين شداً متيناً . فاذا انتهت ساعات جزر البحر واخذت مياهه تمتد نحو الساحل كما يشهد ذلك في البحر الشمالي حركت قوة المياه الجسرين فنشلت من العمق المركب الغريق . حينئذ تتقدم سفينة بخارية وتسحب الجسرين وما تعلق بها الى حوض ملآن ماء فيفرغونه ويعالجون ترميم المركب الغريق او اصلاحه وهم على اليابسة . وان لم يكن بالقرب من مكان العمل حوض يصلح لذلك جروا الجسرين الى الشاطئ وترقبوا ابتعاد مياه البحر مرة اخرى بالجزر المعتاد فيستطيعون بلوغ اربهم من اصلاح المركب الغريق

وهذا الاسلوب ادى مؤخراً خدمات جلية في ساحل سكاباڤلو حيث رسب الاسطول الالماني مغرقاً منذ حزيران ١٩١٩

قد يذكر قراء المشرق ان الحلفاء لم يبادئوا المانيا عند انتهاء الحرب الا على شرط ان تسلم اسطولها ولا تبقي منه الا ٦ مراكب مصفحة صغيرة مبنية من قبل العام ١٩٠٥

في ٢١ تشرين الثاني تحركت عمارة الالمان الكبرى وعليها العلم الالماني الامبراطوري وشقت عباب البحر الشمالي بين صفين من مراكب الحلفاء الحربية وأمت معتقلها في سكاباڤلو، وهو الخليج الذي كان الانكليز يستودعونه اسطولهم الكبير .

وكانت العمارة الالمانية مؤلفة من ١١ سفينة مصفحة حملها يتراوح بين ٢٤،٧٠٠ و ٢٨،٤٠٠ طن، ومن ٥ سفائن سريعة للقتال حملها بين ١٩،٤٠٠ و ٢٦،١٠٠ طن، ومن سفن ٥ غيرها خفيفة وخمسين نسافة ومركبين مصفحين كبيرين «بادن» و «بايرن» كان قد أنجز تجهيزهما العام ١٩١٧ والمركب الجبار «هيندنبورغ» الحديث العهد وكثير من السفائن السريعة التي لم تشاهد بعد قتالاً

وما مضت على اعتقال الاسطول الالماني بضعة اشهر الا وطيرت الانباء البرقية

خبر غرقه في خليج سكابافلو عن اتفاق من البحارين الالمان المتقلين لحراسته وعدم مراقبة الانكليز

فاستاء البريطانيون لهذا الحادث الذي تم بالرغم منهم واخذوا يجاهدون في سبيل انتشال الاسطول الالماني لئلا يتمتع به خليجهم ويفشل مركزهم البحري العسكري . ولكي ينالوا من بقاياه ما عسى ينفعهم من اجهزة تصلح للتركيب على سفائن جديدة او من صفائح معدنية وغيرها تعاد الى المعامل كمواد اولية وتخرج منها اجهزة جديدة

فاستعملوا جسرين كبيرين مسطحين مجوفين كل جسر طوله ٦٦ متراً بعرض ٢٦م ونصبوا عليها المجانيق والسلاسل الحديدية الضخمة وحكموا وضعها حيث ارادوا انتشال المراكب الغريقة . وكان الجسر تجاه الجسر يفرق بينهما اخشاب ضخمة لئلا يصطك الواحد بالآخر اذا اخذت المجانيق تشتغل عليها . فاخذ الغواصون يعالجون مد السلاسل تحت بطن السفينة والعمل على الجسرين بحركة متوحدة يشدون اطراف السلاسل بتحريك المجانيق . ولما مد البحر ماءه تحركت العمارة كلها حسب ما وصفنا فساروا بها الى حيث ارادوا

﴿الطرائق الثانية﴾ وربما رسب المركب الغريق في الماء باقرب من الشاطئ بحيث لا مجال لسحبه بقوة الجسرين . فاخذوا يسلكون غير طرائق اجاته وهي ان بنوا في ذات الماء سوداً طوقوا به المركب حتى اصبح في شبه حوض فافرغوا الحوض من الماء واتوا على اصلاح المركب كما لو كانوا في المعمل . هكذا فعل الامريكان لفحص وانتشال المركب مين (Maine) الذي أُغرق على شاطئ هافانة

﴿الطرائق الثالثة﴾ اما المراكب الراسية في الاعماق العميقة فشأن انتشالها عسير جداً . في سبيلها يستعملون اجهزة الغواص الحديث التي ذكرناها

واعمال الغواص تتنوع طبقاً للظروف :

(١) فاما ان يُسد كل ثغر يؤدي بالماء الى جوف المركب الا ثغراً واحداً يركب عليه انبوب مضخة قوية تسحب الماء فيفرغ منها المركب الغريق فيخف وزنه بالنسبة الى وزن الماء الذي يشغل موضعه بحجمه فيطفو بقوته الذاتية على سطح المياه كما يطفو كل جسم اخف من الماء .

(٢) واما ان يُقيَّد في صلب المركب الغريق صناديق قوية على احتمال ضغط

عظيم فيملأونها ماء ويغرقونها ثم يفرغونها فتعمل عمل الجسرين اللذين يحركان المركب الغريق عند مدّ البحر

(٣) واما ان يتعذر اخراج السفينة فيشقّ الغواص جوفها بلسان اللهيب الكيماوي الذي ذكرناه ويلج فيها حيث الدفائن المقصودة فيربطها بحبل ملقى اليه من فوق البحر ويبلّغ ارادته بالتليفون الى المركب الراسي على السطح فوقه فيرفعونها

ذكرت مجلة «الاوستراسيون» (١٥ ايار ١٩٢٥) ان السفينة الانكليزيّة «إجيبت» وهي مسافرة الى بمبي في ايار ١٩٢٢ اصطدمت بسفينة «سين» وغرقت بستة وتسعين من ركابها، عن بعد ٢٢ ميلًا من منارة أرمن (Armen) و ٢٦ ميلًا في جنوبي «اويسان» (Ouessant) بالقرب من ساحل فرنسة فرسبت في عمق ١٢٠ مترًا وفيها ١٢٠٠ صندوق مملوء سبائك ذهب وفضة

فاخذت شركة انكليزية تسعى بتعيين موضع المركب الغريق لانه لا يتبع في غرقه خطًا عاموديًا من سطح البحر الى الاسفل بل يزحل على المياه ويغور بعيدًا حيث تدفعه الظروف كما يغور الصخرُ اذا القيته في حوض ويبتعد عن يدك منحرفًا عن الخط العامودي انحرافًا يناسب القوّة التي دفعته والعمق المندفع اليه. فجعلوا يجرُّون بالبحر اشباكًا ويدورون بها دورة رَجويّة متدانية الحلقات حول المركز الذي كانوا يرجحون ان المركب قد رسب فيه. فعلقت الاشباك ببعض بقايا اخشاب مدهونة فحللوا لونها تحليلًا كيماويًا فتحققوا ان تلك البقايا هي من المركب «اجيبت». فارسلوا حينئذٍ الغواصين حتى وجدوه وعيّنوا مركزه. ثم اخذت شركة افرنسية تسعى مع شركة اخرى المانية في انتشال صناديق الذهب والفضة منه لحساب الانكليز. ونزل الغواصون في التماقم الحديثة التي ذكرناها وشقوا جوف السفينة الكبرى وانتشلوا دفائنها. وحدث ان احدهم انقطع السلك الكهربائي بينهُ وبين المركب الطائف على سطح الماء. فما كانت دقائق الّا صعد بذاته بقوة الهواء المضغوط

فترى ما اوجدهُ العلم الحديث من الوسائط لاستخراج دفائن الاموال من اعماق البحار سبحان من ارشد الانسان الى مغالبة قوّات الطبيعة وتسخيرها لمنافعه

الآداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء المستشرقين من السنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨

﴿ الفرنسويون ﴾ فقدوا في هذه العشر السنين عدداً معدوداً من ادبائهم المستشرقين. كان اوَّلهم في الحقبة التي نحن بصددها المرحوم انطونين غوغوياي (Ant. Goguyer) الذي خدم وطنهُ زمناً طويلاً في تونس ثمَّ في مدينة مسقط في خليج العجم وفيها حلَّت وفاتهُ في ١٦ ت ١ سنة ١٩٠٩. والمذكور تخصَّص بالعلوم الفقهيَّة الاسلاميَّة ونشر عدَّة تآليف في ابحاثها. واشتغل ايضاً باصول اللغة العربية ولهجاتها المختلفة في انحاء الشرق. ومكتبتنا الشرقيَّة تشكر لهُ لطفهُ لما اوصى لها قبل وفاتهِ من نفائس مكتبتهِ

وفي العام التالي غرق في نهر ميكون في الصين الجنرال الفرنسوي اوجين دي بيليه (Eug. de Beylié) قلب بهِ زورق في ١٥ تموز سنة ١٩١٠. كان مولدهُ في السنة ١٨٤٩ ولُوِع منذ حداثتهِ بدرس آثار الشرق لاسيما الهندسة. ومن تآليفهِ في ذلك كتابهُ المسمَّى «المنزل البوزنطي» وصف فيهِ وصفاً مدقَّقاً كلَّ ما يوقف الباحثين عن ابنية البوزنطيين. وكان زار مكتبتنا الشرقيَّة ووجد في تصاوير مخطوطاتها ما أيَّد آراءهُ. وللمذكور فضلٌ في تعريف اصول الابنية الاسلاميَّة في المغرب وفي الاندلس

وفقدت الآداب الشرقيَّة في ١٠ ايار سنة ١٩١١ احد اساتذة جامعة فرنسة البارعين الكاثوليكيَّ العامل روبنس دوفال (Rubens Duval) ولد سنة ١٨٣٩ وكان متضلِّعاً من الآداب الشرقيَّة الساميَّة كالعربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة. ومما نشرهُ

في ذلك المعجم السرياني العربي ابن بهلول وغير ذلك فرنساوي سرياني مطوّل. وله كتاب نفيس في الآداب السريانية تكرّر طبعهُ اربع مرّات لكثرة فوائده. وصنّف تاريخ مدينة ادسّا (الرها) وبيّن فضل السريان في درس الكيميا قبل العرب وابحاث اخرى عديدة

وفي ٢٤ آذار من السنة ١٩١٢ توفي في باريس احد مشاهير الاثريين الشرقيين المرحوم فيليب برجه (Ph. Berger). تولّى زمناً نشر مجموعة الكتابات السامية. وكان طويل الباع في هذه العلوم الكتابية. ومن تآليفه النفيسة كتابهُ في اصول الكتابة بين الشعوب القديمة. ونشر عدّة آثار كتابية آرامية وبابلية وله ابحاث ممتعة في شريعة حمورابي وفي احوال العرب قبل محمّد استناداً الى الكتابات والآثار المكتشفة هناك

وفي زمن الحرب توفّي في كانون الثاني سنة ١٩١٥ امليو (E. Amélineau) الذي بعد دخوله في الكهنوت ضحّى دينهُ لدنياهُ. فارسلتهُ الحكومة الفرنسوية الى مصر وتفرّد لدرس آثار الاقباط وتاريخ أمّتهم وادبيتهم ورهبانهم القدماء وجغرافية بلادهم. ومن هذه الآثار ما هو بالعربية نشرهُ وترجمهُ وقد تطرّف في بعض آرائهِ

واشهر منهُ بالعلوم الاثريّة الشرقيّة والتآليف الكتابيّة الكاهن الجليل فرنسوا ڤيغورو (F. Vigouroux) من جماعة سان سولبيس كان من اساتذة المكتب الكاثوليكيّ في باريس فعلّم العبرانيّة ثمّ انكبّ على درس الاسفار المقدّسة وشرحها وبيان ما اظهرتهُ حفريّات مصر وبابل تأييداً لتلك الاسفار. صنّف في ذلك عدّة مجلّدات راج سوقها اي رواج. ثمّ باشر بنشر معجم كتابي في خمسة مجلّدات ضخمة أودعهُ بمساعدة بعض علماء الكاثوليك خلاصة العلوم الكتابية في كل الابحاث المختصة بالكتب المقدّسة. وقد زار غير مرّة بلاد فلسطين وسورية يعاين آثارهما توفي في ٢١ شباط ١٩١٥

وفي العام ١٩١٦ في ١٠ ت٢ استأثر الله بنسامة من علماء الشرقيّات المركيز ملكيور دي ڤوغويه (Melchior de Vogüé) الذي تجوّل مراراً في بلادنا السورية والفلسطينية باحثاً عن آثارهما الدينيّة والمدنيّة تارةً وحدهُ وتارة بصحبة بعض علماء وطنهِ اخصّهم المسيو وادنغتون. ومن تآليفهِ التي يرجع اليها محبّو الآثار الشرقية كتابهُ

في سورية المركزية حيث نشر عدداً وافراً من كتابات حوران وجبل الدروز وشرحها شرحاً مدققاً. وله رحلة وصف فيها بلادنا الشامية وآثارها. ومن مصنفاته كتاب ضخم عن هيكل سليمان وكتاب آخر عن آثار الاراضي المقدسة وكنائسها. وبقي على نشاطه ودأبه على التصنيف والتأليف الى آخر حياته

وفي تموز من السنة عينها توفي الله سيدة فاضلة مادام جان ديولافوا (Mme J. Dieulafoy) . اقترنت بزواج المسيو ديولافوا فوجدت فيه رجلاً مقداماً محباً للسياحة والعلوم فارادت ان تجاريه في كل اعماله. ولما استدعي زوجها لحرب فرنسة السنة ١٨٧٠ لم تشأ ان تنفصل عنه وبقيت تخدم الجيش بقربه ثم تجشمت معه الاسفار الى العراق والعجم متنكرة بلبس الرجال وتولت معه الحفريات الاثرية ووصفت كل ذلك بقلمها السيال في عدة مجلدات تهافت على مطالعتها اهل وطنها

ومن مشاهير المستشرقين الذين أسفت الآداب الشرقية على وفاتهم في ايام الحرب في ٢١ ك ١ ١٩١٧ العالم الموسوي يوسف هالوي (J. Halévy) مولود ادرنه في السنة ١٨٢٧ ثم دخل فرنسة وتخرج في العلوم الشرقية فاصبح احد اساطينها المعدودين. وكان يتقن العبرانية والعربية والحبشية انتدبته الحكومة الفرنساوية لجمع الكتابات الحميرية في جنوبي العرب فساح اليها وجاء بمجموعة كبيرة منها عُني بنشرها ثم عاد فطاف بلاد اليمن ودخل نجران وقدم الى الشام وسعى بتفسير كتابات الصفا فكان اول من كشف رموزها . وقد نشر في باريس مجلة الدروس اليهودية فادارها نيفاً وثلثين سنة

وقبل نهاية الحرب بزمن قليل ودّع الحياة احد كبار المستشرقين الفرنسويين المسيو غستون مسبيرو (G. Maspéro) الذي قضى نحو اربعين سنة في مصر صارفاً قواه في نشر آثارها ووصف تواريخها وآدابها وكشف اسرارها متولياً لكثير من حفرياتها الغامضة فصنف فيها المصنفات المتعة التي تدل على سعة معارفه بكل امور الشرق منها كتابه الجميل في تاريخ الشعوب الشرقية القديمة. توفي في ٣٠ حزيران ١٩١٨. وكان سبقه الى القبر ابنه جان في ١٨ شباط سنة ١٩١٥ الذي كان يتأثر آثار والده فنشر كتاباً حسناً في فقه قدماء المصريين . وقع في ساحة الشرف دفاعاً عن وطنه

وفي اثناء الحرب ايضاً مُنيت رسالتنا بوفاة ثلثة من عملتها الفرنسويين احدهم الاب فردريك بوفيه (Fréd. Bouvier) كان سكن عدّة سنين في كليّتنا وعلم فيها وفي ديرنا في غزير وألّف كتاباً مستطاباً مدقّقاً في تاريخ سوريّة من اوائل تاريخ البلاد الى عهدنا طبعهُ على الحجر فلم يسمح لهُ الوقت بطبعهِ على الحروف اذ قُتل في ساحة الشرف في ١٨ ايلول ١٩١٦ وهو ساعٍ بخدمة الصرعى والجرحى. وكان الفقيد مضطلعاً بالتاريخ والفلسفة واللاهوت وانتقاد الاديان. ومن آثارهِ عدّة ابحاث اعرب فيها عن حسن نظر من جملتها تاريخ سوريّة في عهد بني طولون

وعقبهُ الى دار البقاء الاب دونا (عطاء الله) ڤرنيه (Donat Vernier) توفي في بيروت في مستشفى الراهبات الالمانيّات في ١٧ أيار ١٩١٧ . ولد سنة ١٨٣٥ وقدم الى الشام سنة ١٨٦٠ فانكبَّ على درس العربية وفرائدها فنشر كتاباً مطوّلاً في اصولها بالفرنسويّة. ومن آثارهِ المطبوعة تأليفهُ في سيرة القديسة جان دارك وترجمتهُ الكتاب الاقتداء بالمسيح. ولهُ عدّة مخطوطات لغويّة وادبيّة في مكتبتنا الشرقيّة

وقد أسفنا جدًّا في ٢ نيسان ١٩١٨ لوفاة احد مرسلي كليّتنا الاب لويس رنزڤال (Louis Ronzevalle) مولود ادرنة سنة ١٨٧١ عاجلتهُ المنون في رومية فقدنا بهِ رجلاً مشبعاً بالآداب وكاتباً ضليعاً متقناً عدّة لغات شرقية وغربية ذا ذكاء فريد متفنناً بالمعارف المختلفة في الفلسفة والموسيقى واصول اللغات لهُ في كل ذلك كتابات مستجادة في الشرق وفي المجلّات الاوربية الشرقية (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

LE LIVRE DE TOUS par le P. Berthier M. S., *Ed. nouvelle illustrée, Paris, Maison de la Bonne Presse, pp.* 470, *Prix* 1 *f.*

كتاب الجميع

نعم الاسم فانَّ هذا الكتاب يستحق هذه التسمية بما اودعهُ مؤلفه احدُ مشاهير الكهنة الفرنسويين منشئ جمعيّة مرسلي سيدة لاساليت المعروف بتآليفهِ القويّة.

الراهب خادم كنيسة سيدة ايليج

صورة الكتابة السريانية

التي فوق باب كنيسة السيدة في ميفرق

فكتابهُ هذا في ثلثة اقسام و ٦٩ فصلاً يتضمَّن خلاصة التعاليم المسيحيَّة ثم لباب واجبات الانسان نحو ربّهِ وقريبهِ ونفسهِ ثمَّ الوسائط المؤدية بالانسان الى خلاص نفسه وذلك بطريقة سهلة مؤثرة متقنة تنفع وتلذّ معاً. فتمنَّينا لو يسعى احد كهنتنا بتعريبهِ ليستفيد منهُ المؤمنون في وطننا

GRAMMAIRE COPTE avec BIBLIOGRAPHIE, CHRESTOMATHIE ET VOCABULAIRE par **Alexis Mallon S. J.**, 3e *éd.*, *in*-12, 1926, *pp.* XVIII + 325 *et* 192, *Beyrouth. Imprimerie Catholique*

غراماطيق قبطي

ما كنَّا لنظنّ ان هذا الغراماطيق يبلغ بوقت قليل طبعتهُ الثالثة مع قلة الدارسين للغة القبطيَّة. إلَّا انَّ المؤلف حضرة الاب مالون اليسوعي بوضعهِ هذا الكتاب على اسلوب قريب المنال واضح المباني قد حبَّبها لارباب الكليَّات والاختصاصيين ولاسيما انهُ اضاف الى اصول تلك اللغة المدروسة كدخل الآثار الهيروغليفية قائمةً واسعة لاخصّ الكتب القبطيَّة ثمَّ مجموعاً نفيساً من النصوص القبطيَّة الكتابية والدينية والتاريخية والادبية وختمهُ بمعجم للالفاظ الواردة في تلك النصوص. وقد اعاد حضرة المؤلف النظر في هذه الطبعة الجديدة ليزيد كتابهُ دقَّةً وكمالاً ل. ش

Ninive u. Babylon von Carl. Bezold Monographien zur Weltgeschichte, n° 18, 4te *Auflage bearbeitet von Prof. Dr.* C. Franck, 1926, *Velhagen u. Klasing, Bielefeld u. Leipzig*

نينوى وبابل

كان هذا الكتاب بلغ السنة ١٩٠٩ طبعتهُ الثالثة. وهو من آثار الاستاذ الاختصاصي البارع المرحوم كرل بتزُلد مدير المجلة الاشوريَّة الالمانيَّة. واذ قد نفد هذا الكتاب لكثرة رواجهِ قام احد المستشرقين الدكتور فرنك فاعاد فيهِ النظر واضاف اليهِ كلّ المعلومات المستفادة من الاكتشافات الجديدة التي جرت في خلال هذه الخمس والعشرين سنة فجاء الكتاب وافياً في ١٦٠ صفحة متقن الطبع موفَّر التصاوير البالغة ١٧٩ صورة فأصبح من اجلّ الكتب الباحثة عن نينوى وبابل وسائر آثارهما التاريخيَّة والادبية والفنية ج. ل

Ehrenberg (Victor). NEUGRUENDER D. STAATES. Ein Beitrag z. Geschichte SPARTES U. ATHENS IM VI JAHRHUNDERT. 8°, 1925, München, C.H. Beck'sche Verlagsbuchhandlung

اساس الحكم في مدينتي سبرتا واثينا في القرن السادس قبل المسيح

كان مؤلف هذا الكتاب نشر سنة ١٩٢١ ابحاثاً في صورة الحقوق عند قدماء اليونان. فاراد ان يضيف الى تأليفه بحثاً آخر في اساس الحكم في مدينتي سبرتا واثينا في زمن عزّهما. وقد اتبع في كتابه هذا اقدم المؤلفين متحاشياً انتقاد الروسي نيتشه الذي زعم انّ الكتبة في تأليفهم عن اليونان يصوّرونهم كالشعوب الحديثة فيحيدون عن الحق. فأتى تأليفهُ وضعياً مبنياً على اصحّ الادلة واثبتها بخصوص الاحكام الشرعية في تينك الحاضرتين

Théodore Reinach: LA MUSIQUE GRECQUE. 1 vol. in-16, n°s 49 et 50 de la *Collection Payot* avec de nombreux exemples musicaux et les restes notés de la musique grecque

الموسيقى اليونانية

كانت الموسيقى اليونانيّة القديمة الى القسم الثاني من القرن التاسع احد ألغاز التاريخ لا يكاد يحلّ رموزها كبار العلماء حتى نشر الاختصاصي جيفرت (F. A. Gevaert) سنة ١٨٨١ كتابهُ الجليل في الانغام اليونانيّة. على انّ تأليفهُ هذا اصبح اليوم ناقصاً لوفرة ما استخرج الاثريون في هذه الحقبة من آثار اليونان الموسيقيّة كتسابيح هيكل دلفي واغاني مدينة ترالي وآثار الشاعر اوريبيد على البُردي. وكان لتيودور ريناخ فضلٌ في هذه الاكتشافات فلم يزل يعمل النظر فيها حتى اثبت اوزانها ومعانيها وتطبيقها على الموسيقى الحاضرة. وها هوذا اليوم قد جمع في كتاب مفرد كلّ ما يعرف عن هذه الموسيقى القديمة باحثاً ادقّ بحث في كلّ فصولها وابوابها وبذلك قرّبها الى العموم ليستفيدوا من خواصّها فنحنُ له الشكر ل.ش

E. Baumann : Trois Villes Saintes ARS, St JACQUES DE COMPOSTELLE ET LE MONT St MICHEL. 1 *vol. de* 268 *pp., Ed. Publiroc, Marseille, Prix* 4 *f*, 75

المدن الثلث المقدّسة

ثلثة مزارات حجّ اليها مؤلف هذا الكتاب فوصفها وصفاً لطيفاً تاريخيّاً ودينيا

وفنيًّا . المزار (الاوّل) في مدينة أرس التي اشتهر فيها ذاك الكاهن القديس خوري ارس يوحنّا ڤيانّاي الذي احيا في اواسط القرن التاسع عشر روح الدين في بعض جهات فرنسة بقداسة حياته وبمعجاتيه . المزار (الثاني) في اسبانية وهو هيكل القديس يعقوب الكبير في مدينة كمپستال الذي يتقاطر اليه السيّاح دون انقطاع منذ ١٥٠٠ سنة لوفرة نعمه . والمزار (الاخير) مزار القديس ميخائيل في جزيرة صغيرة عند خليج «منش» يُكرَم فيه رئيس الملائكة القديس ميخائيل منذ القرن الثامن بعد المسيح . وهذه المزارات شاهدٌ حيّ على نفوذ الدين الذي لا يزال عميقاً في النفوس على الرغم من انوف الملحدين ج . ل

Caskel (Werner): Das Schicksal in d. altarab. Poesie. *Morgenl. Texte u. Forschungen* I, 5. *Verlag v. Ed. Pfeiffer. Leipzig*, 1926, *Prix*. 7m 50

القضاء والقدر في الشعر العربي الجاهلي

هذا بحثٌ واسع خصّهُ مؤلفهُ بمعتقد عرب الجاهليّة في القضاء والقدر فجمع كلّ ما وجدهُ في دواوين شعراء الجاهليّة من هذا القبيل ودقّق فيه النظر ليستدلّ على ما كان العرب يفهمون به واضاف اليه الفاظاً اخرى كالدهر والزمان بحث عن معانيها الصحيحة فأتى بعمل يشيد لصاحبه بكثرة الاطّلاع والتحقيق كألوف . واطنيه الالمان الاب ه . لامنس

Mérejkowsky (Dmitri): Le roman de Léonard de Vinci. la résurrection des Dieux. Traduction intégrale par Dumesnil de Gramont. 3 *vols in*-12. *Collection des textes intégraux de la littérature russe., Ed. Bossard. Paris, Prix des* 3 *vols* 27 *f*

رواية ليوناردو دي ڤنسي

هذه الرواية كتبها مؤلف روسيّ وصف فيها النهضة الفنّية التي حدثت في اواخر القرن الخامس عشر حيث قام محبّو الآداب اليونانيّة القديمة فجدّدوا خرافات اليونان في تآليفهم وذلك منذ عهد ليوناردو دي ڤنسي والمؤلف قد اتسع في ذلك اتساعاً ملأ في ثلثة مجلدات نُقلت الى الافرنسية بتمامها دون فائدة كبيرة ج . ل

Ananda-K Coomaraswamy : Pour comprendre l'Art Hindou. Traduction de Jean Buhot, avec tableau chronologique, index, bibliographie, illustrations et dessins

وصف الفنون الهندية الجميلة

انَّ للهنود طرائق فنيَّة تمتاز عن بقيَّة الشعوب ولا يدرك العموم معناها. فالمؤلف وهو هندي الاصل ناظرٌ على القسم الهندي من متحف مدينة بوسطن فوضع هذا الكتاب بالانكليزيَّة اودعهُ خلاصة ما يعرفهُ عن آثار الفنون الجميلة الهنديَّة. وقد قدَّم على ذلك الوصف عدَّة فصول لخَّص فيها اعظم اطوار التاريخ الهندي والحقها بذكر مميزات دين الهنود واصنامهم حتى انتهى الى بيان فنونهم الجميلة وشرح خواصها مع قائمة الكتب التي استند اليها في عدد ١٥٠ كتاباً ومعجم للاعلام المذكورة في الكتاب. فنشكر المسيو بوهوت لنقلهِ الى الفرنساويَّة هذا الكتاب المفيد ل. ش

Rambert (Louis): Notes et impressions de Turquie. L'empire ottoman sous Abdul-Hamid II (1895 - 1905). *Genève, Edit. Atar*, 1 *vol.*, 8°

الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد

هذه مذكرات لكاتب سويسري عُهدت اليهِ في تركيَّة بصفة نائب رئيس او بصفة عضو ممتاز نظارة عدَّة مشاريع اقتصاديَّة كالسكك الحديديَّة في سالونيك وازمير والاناضول وكالبنك العثماني وشركة حصر الدخان التي صار مديرها الاوَّل من السنة ١٩٠٠ الى ١٩١٧. ثمَّ توفي سنة ١٩١٩. وهذا الكتاب يحتوي القسم الاوَّل من مذكراتهِ من السنة ١٨٩٥ الى السنة ١٩٠٥ وفيهِ من الفوائد ما يشهي الى النفوس مطالعتهُ ويرغب في قرب نشر القسم الثاني منهُ ج. ل

Peuples et Nations des Balkans par M. Jacques Ancel. 1 *vol. in*-16. 3 *Cartes, Collection Armand Colin*

شعوب البلقان وأممها

البلقان بركان لم تكد تنطفئ نيرانهُ المتأججة فاذا خمدت حيناً لا تلبث ان تنفجر بثورة فظيعة وما ذلك إلَّا لموقع تلك البلاد في حدود اوربَّة والشرق فاليها

تتشوَّف مطامع الدول . وفيها من الشعوب ذوي العناصر المختلفة الاخلاق واللغات والمصالح التي باحتكاكها تبعث الخلاف والفتن . ومن المعلوم انَّ ارباب الصلح بعد الحرب الكونيَّة وزعماء عصابة الامم استدركوا الامر بوضع حدود جديدة لتلك البلاد وتنظيم عناصرها . ومؤلف هذا الكتاب يزعم انَّ هذا الاصلاح من شأنهِ ان يمكِّن دعائم السلام في تلك الجهات لموافقتهِ لتقاطيع اراضيها وتكوينها الطبيعي . فعسى ظنُّهُ ان يتحقَّق وهذا ما نتمنَّاهُ دون الثقة بوقوعهِ

Notes on Akka and its defences under Ibrahim Pasha by Asad J. Rustum M. A. PH. D. on the American University of Beirut, in-8°, 1926, pp. 70

معلومات عن عكَّا واستحكاماتها على عهد ابراهيم باشا

أولع صديقنا الاستاذ اسد افندي رستم بتاريخ محمَّد علي وابنهِ ابرهيم باشا عند حملتهِ على سوريَّة . وهذا اثر جديد من معلوماتهِ التي وقف عليها باجتهادهِ فضمَّنهُ فوائد جمَّة البعض منها لم يُنشَر حتى الآن والبعض الآخر كاد يُمحى اثرهُ فاحياه بنشرهِ وازال شبهات القسين بملحوظاتهِ المفيدة في مقدِّمة رسالتهِ وفي ذيل منشوراتهِ . فجاء عملهُ شاهدًا جليلًا على اجتهادهِ قدَّرهُ ارباب المؤتمر الاثري الحديث في بيروت وفلسطين حقَّ قدرهِ جازاهُ الله خيرًا

La Rochefoucauld: Mémoires. Introduction et Notes du Cte Gab. de La Rochefoucauld. Avec portrait par Ouvré. 1 vol. in-12, 1926, Coll. des Chefs-d'œuvre Méconnus, Ed. Bossard. Prix 15 f.

مذكرات لاروشفوكو

معلوم انَّ فرنسوا دوق دي لاروشفوكو من كبار كتبة القرن السابع عشر الفرنسويين رديف كورنيل وراسين ولافونتان . خلف عدَّة تآليف من جملتها مذكراتهُ عن الملكة حنَّة النمساويَّة الذي يُعَدُّ من افضل التواريخ المدرسيَّة فتكرَّر طبعهُ . وهذه الطبعة الجديدة تولَّى نشرها احد احفادهِ غبريال دي لاروشفوكو فقدَّم عليها مقدِّمة حسنة وزيَّنها بملحوظات استقاها من سجلَّات عائلتهِ الشريفة فزاد بذلك نفعها

ل . ش

MILLE ET UN CONTES, RÉCITS ET LÉGENDES ARABES par René Basset, *in-8°, T.II, Paris, Maisonneuve*, 1926

الف رواية ورواية : القسم الثاني

سبق لنا ذكر مؤلف هذا الكتاب الاستاذ المستشرق المأسوف عليه رينه باسه وفحوى كتابه الذي ضمّنهُ الف رواية ورواية من قصص العرب المبثوثة في كتبهم فتولّى ترجمتها الى الافرنسية وذيّلها بالحواشي المفيدة. وهذا القسم الثاني شبيه بشقيقه السابق بوفرة موادّه وهو يحتوي ٢٥٨ قصة تضاف الى ٢٢٩ رواية سابقة فيكون مجموع القسمين ٥١٤ رواية فيبقى ٤٨٧ قصة لتمام ١٠٠١ رواية . فلا شكَّ انَّ طلبة اللغة العربية في جامعات اوربّة سيقبلون على درس هذا التأليف فيرشدهم الى اساليب الكتابة عند العرب ل.ش

Henri-Robert: Les grands procès de l'histoire. *Ve Série, Paris, Payot*, 1926

الدعاوى التاريخية الشهيرة

هو الجزء السادس من كتاب شهير. وليست كلمة الدعاوى هنا بمعناها الحصري وانّما يراد بها المسائل التاريخية التي شغلت العقول في زمانها كمسألة الشاعر راسين ولادوبرك ومسألة دوشان دومان وولي العهد ويود رويال وغيرها. فلا شك انَّ هذا الجزء سيفوز برواج اخوته السابقين ج.ل

الخليقة ونشوءها

بقلم امين الغريّب صاحب مجلة الحارس

طُبع في مطبعة جان دارك في بيروت عام ١٩٢٦ ص ١١٩

وضع هذا الكتاب صاحبهُ كدليل يوقف القارئ على اجلّ واعجب محتويات الكون. فيتنقّل بنا في ممالك الطبيعة الثلاث مباشرًا بالمملكة المعدنيّة فيصف الافلاك وعجائبها ومسافاتها ثم يجتاز الى المملكة النباتية ويكشف اسرار حياتها واصلها

ونموّها وتسلسلها حتى يبلغ الى المملكة الحيوانيّة فيستقري طبقاتها من اسفلها الى ارقاها ويخصّ بالذكر الانسان سلطان الخليقة ثمّ يلخص كتابهُ بكلمة في الترتيب العام ويستنتج منهُ وجود الخالق عزّ وجلّ . وفي خلال الكتاب ملحوظات شتى تزيد في فوائدهِ وهو مكتوب بلغة منسجمة قريبة المنال فيجدر بهِ ان يوضع في ايدي ناشئة الصفوف العليا فانهم يجدون فيهِ صدى او تعريب ما يقرأونه في كتبهم ف.ت

النبي لجبران خليل جبران

عرّبهُ عن الانكليزيّة الارشمندريت انطونيوس بشير

طُبع في مصر سنة ١٩٢٦ ص ١٢٠ × ٢٥

كان «المجنون» آخر كتاب اتحف بهِ قرّاءهُ جبران خليل جبران . وقد قلنا فيهِ (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٥٥٥) انهُ اوفق اسم اختاره لكتابهِ ودلّ بهِ على رجاحة عقلهِ . وها هو عقّبهُ بكتاب دعاهُ «النبيّ» فما عسى ان يكون هذا النبي الذي وسم نفسهُ بالمجنون . واقلّ ما يمكننا ان نقولهُ عنهُ انهُ نبيّ كاذب . فتراهُ في كتابهِ هذا يؤلّه الطبيعة وينشر الخلاعة تارةً مستورة وتارةً بكل وقاحتها ويودّ كجان جاك روسو ان يعيش الناس عيشة البهائم في البراري والقفار لا يستر جسومهم لباس . وقد دسّ في الكتاب تصاوير يستفظعها اهل سدوم وعمورة . والاعجب من كل ذلك ان ارشمندريتاً (اورثذكسياً ؟) لم يستحي ان يعرّب كتابهُ ونعت بفريسيين الذين لم يستحسنوا ترّهات جبران الذي هو باقرارهِ (ص ٣) كافرٌ على الاقلّ بظواهرهِ . امّا الجوهر فانهُ يقاس على الظاهر وحتى اليوم لم نجد اثرًا لهذا الجوهر الصالح المزعوم ل.ش

الى شبّان الجيل العشرين : كيف تصير رجلًا

تأليف بورسو : تعريب الاباتي افرام حنين الديراني المدبّر الحلبي اللبناني

طُبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٦ ص ٣١٩)

يسرّنا ان نعقّب هذا الكتاب بالتأليف السابق فانّ الاضداد يظهر حسنهم

بمارضتها باضدادها . فكما ان نتيجة مطالعة كتاب جبران أن يهبط بقارئهِ الى اسافل الشهوات البهيميّة فكتاب بورسو يرفع بهِ الى اعالي الفضائل السامية التي بها يمتاز كبار الرجل بتعزيز الارادة والمعرفة والعمل والاعتقاد والمحبة وقهر النفس فيتمّ بهما كمال الانسان : النفس السالمة في الجسم السالم . فنشكر حضرة الاباتي افرام حنين الديراني لتعريبهِ هذا الكتاب النافع فهو احسن ترياق لسمّ الكتاب السابق ل.ش

مقالة في مملكة آثور

بقلم غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي

نُشرت هذه المقالة في مجلة الآثار الشرقيّة التي انشأها غبطة البطريرك المومأ اليهِ . فجعلها كتذكار لوطنهِ العراق اذ روى لاهلهِ ما كان عليهِ أجدادهم الآثوريّون من الرفعة وعظم الشأن وقد استفاد من اكتشافات الاثريين في تلك البلاد التي تُعَدّ مهد البشريّة والتمدُّن فقرَّب اليهم معرفة تلك الكنوز الادبيّة التي بقيت مطمورة منذ آلاف السنين . فلغبطتهِ جزيل الشكر على هذه الخدمة الممتازة

احمد زكي ابو شادي : عبده بك قصّة مصريّة اجتماعية

وقف على نشرها حسن صالح الجدّاوي

طبع في المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٦ ص ١٠٨

قد راجت سوق الروايات الاجنبيّة في مصر فعُرّب الالوف منها دون فائدة بل كثيرًا ما تضرُّ بآداب القرّاء . وقد اخذ بعض الكتبة يدرسون اخلاق وطنهم ليصوّروا حياة قومهم الاجتماعيّة . وعبده بك قصّةٌ من هذا الصنف صنّفها الاديب الشاعر الناثر احمد زكي ابو شادي ووضعها بشعر عصريّ ذي قوافٍ تختلف بعد كلّ بيتين فلا يسأم من تلاوتهِ المطالع . وقد ألحقت القصة بنقد وملاحظات وفصول شتى لبعض الادباء تزيدها فائدة ل.ش

هدايا أرسلت الى المشرق

1° G. Gabrieli: Lettere inedite di Ippolito Rosellini al Prof. Ab. C. Gazzera con un'Appendice sull'Egittologo Fuentino Fr. Salvolini. *Estr. da «Aegyptus»*, VI, n. 2-3, 1925, *Milano*

لعلماء ايطالية فضل في تعزيز العلوم الهيروغليفية لاسيما الاستاذان هيبوليتو روزليني وفرنشسكو سالفوليني. فوجد لهما المستشرق الفاضل غبريالي آثارًا تاريخية وكتابات ترتقي الى زمن شمبوليون مكتشف اللغة الهيروغليفية فنشرها في مجلة « اجيبتوس » تشريعًا بفضلهما

2° Ign. Kratchkowsky : Yûsuf al-Magribi et son Dictionnaire, *Bulletin de l'Académie des Sciences de l'URSS*

هي مقالة مفيدة لصديقنا الاستاذ المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي وصف فيها نسخة مخطوطة مصونة في مكتبة بطرسبورج عنوانها دفع الاصر عن لغات اهل مصر لمؤلف اسلامي يُدعى يوسف المغربي الفهُ سنة ١٠١٤ للهجرة وجعله كمعجم لما دار على السنة الناس في مصر من الالفاظ والتراكيب نظمها على ترتيب الابجدية فشرحها . وفي المقالة امثلة حسنة منهُ

3° Les Peintures de la Grotte de Marina, près Tripoli par Ch. L. Brossé. *Extr. de la Revue Syria*, 1926

هي نبذة اثرية جميلة وصف فيها المؤلف المسيو بروسه منارةً قريبة من طرابلس تدعى بمنارة مارينا بالنسبة الى القديسة مارينا . وفي داخل هذه المنارة بقايا نقوش قديمة ملوّنة تمثّل اشخاصًا بكبرهم الطبيعي وهيئة القديسين مع كتابات يونانية ولاتينية تشير الى قصة القديسة مارينا التي ترهبت متنكّرةً بزي الرجال فلم تُعرف إلّا بعد موتها بعد ان نُحوهُ زورًا بالفحشاء فأملنا ان تهتمّ الحكومة لهذا الاثر النفيس وتصونهُ من الاذى .

4° The Syrian World, New York, n° 1, July, 1926

هي مجلة انكليزية اصاحبها سلوم افندي المكرزل خصّها بالتاريخ والعلوم الشرقية ولاسيما لامور سورية والعالم السوري . ينها مقالة حسنة لصديقنا الاستاذ الوطني فيليب حتي . فمساعا نقدم طويلًا وطننا العزيز في المهجر

٥° برنامج لجنة جمعية القديس منصور دي بول في دمشق عن السنة ١٩٢٥ . تأسست سنة ١٨٦٣ . بطبعة القديس بولس في حريصا لبنان (ص ٤٣)

٦° مصحفا وصفوفا خدمة القداس السرياني . طبعت بالمطبعة السريانية في بيروت سنة ١٩٢٦ بالسرياني والعربي ص ٦٣

شذرات

— رثاء دينيّة — نشبت المنون في اواسط شهر حزيران باحد اصدقائنا الاديب ابرهيم مرّاقيان رجل الاستقامة والاجتهاد. كان منذ زمن مديد يتماطى الآثار القديمة فباغ الى معرفة واسعة بها. وكان المرحوم ذا نفر ودين طاب من والده قبل وفاته ان يودع ضريحهُ صليباً عيّنهُ لهُ. ويسرّنا ان ننشر هذا الرثاء في صفحات المشرق لبقاء ذكره ومن قلم جناب المحامي نجيب افندي خلف شاكرين لهُ هذه المأثرة الحسنة

جدّدي الحزن والمناح القديما نفس وأرثي الصديق ابراهيما
واملئي الصدر من زفير وتنوح فلعلّ النواح يشفي الكلوما
ولعلّ الزفير وهو بخارٌ من عيوني يهملُ دمعاً سجيما
فيُطفّي من نار حزني عليه ويُبرّدي قبر الحبيب الكريما
حيث جثمانهُ احلّ حفيراً فيه يبلى الفسادُ منا الجسوما
ثم تمي الجسوم تراباً فمشاً فحطيماً ثم الحطيمُ هشيما

...

لهفَ نفسي أذي نهاية حيّ طاول الشمسَ فكرهُ والنجوما؟
وبعقلٍ فاق البرايا سناهُ كشف الغيبُ فطنةً والرجوما (١
طار فوق الرياح دون جناحين وسامى في السامقات النيوما
ودرى جوهرَ الامور وجلّى من قوى الكون سرّها المكتوما
هذه الكهربا اكتشافُ يديهِ وبها صيّر الجحيمَ نعيما

...

لهفَ نفسي ان كان عقباه موتاً فقناه فكان كوناً هنيا
ابن ذرّات فكره على الذرّى كيف باد تصير بعدُ سديما
ام تذيب الذرّ الحرارةُ صهراً ثم يمي ذاك الهبا معدوما

...

قيل انّا نحيا نتيجة نظم فمن الناظمُ الذريّ القديما
ان غدا العقل في الهيولى (٢ نتاجاً فأرونا من الهيولى حلوما
انبئونا وفسّروا كيف كنّا قبل ان تخلقَ الهيولى عموما
والدانا قد اولدانا ولكن والدانا من اين جيكا اديما
قبلَ اصل الدهور وهي ملايين م عصور مَن قوّم التقويما
ثم من بعدُ مذ الوف سنين مَن تراه قد عدّل الاقاليما

١) الظنون ٢) المادة الاولى

والنواميس البرية من انشا ... م ومن ذا الذي يرا ذاقنوما
يدرك الكون والطبيعة كنهاً ... وهي لم تدر بنتهُ معلوما

هب نشوءاً من قبلنا ، وارتقاء ... حيث صرنا علمٌ بفوق العلوما
فتجاري في العلم اصحاب علم ... فليقولوا أنى يرى العقل شيا (١

ثم كيف المنظومُ وهو اداة ... يخلق الروح ، وهو فاق النظيما
انما الروح قد براهُ الهُ ... كان فوق الطبيعة التيوما
فهو روح افاض في الناس روحاً ... فتعالى ربًا بديعاً حكيما
ظاهراتٌ آياته في سماء ... وبأرض وللخلائق سيما
شاهدات بملكهِ كلَّ شيء ... منشدات بحمده ترنيما
كنه ربي لم يدره غير روحٍ ... جاء منه وكان ربي العليما
وبهذا وحيُ الاله تجلى ... ناطقاً ملهم النبيَّ الكليما
وتلاه من النبيين جمٌّ ... والحي آنامهم التعليما

فعلامَ الانسان ينكر ربًا ... فيضاهي في ما يضاهي البهيما ؟
وبالامَ الانسان يجحدُ وحيًا ... وبوجدانه الدليل اقيما ؟
ان وجدانه لبرهان روحٍ ... فيهِ وافت من العلاء قدوما
برهن المنطقُ الصحيح عليها ... وهو ينفي المخيَّل الموهوما
فترى الروح طائعاً اثر الله ... فينا ، فتبلك تقرا رقيما
انت وسم الاله بالروح تحيا ... انت نور فكان جسمك موما (٢

وبدا الله بالمسيح ظهورًا ... حار فيهِ الورى ظهورًا عظيما
ايدته اياتهُ فرأينا ... هُ بنطقٍ يحيي العظام الرميما
واثار الخلود مذ كان سرًّا ... ابديًا وفكك المختوما
وفدى الناس طائعًا بمنونٍ ... وامال الورى البغا المستديما

يا حبيبي ونعم انت حبيبًا ... وحميمي ونعم انت حميما
يا صديقي أقم بدار خلودٍ ... حيث لا حزن لا اسى لا هموما
ومنيتًا لازمن ذي تقاة ... طاب فعلًا وطاب قلبًا سليما
وتقبلْ من الاله ثوابًا ... وتربعْ في حضن ابراهيما

﴿ المؤتمر القرباني في شيكاغو ﴾ تواردت علينا الجرائد والمجلات تصف هذا المؤتمر الغريب الذي عُقد في شيكاغو في ٢٠ الى ٢٤ حزيران الماضي . فيتضح منها انَّ ما جرى في شيكاغو لم يجرِ لهُ مثيل في تاريخ الدين الكاثوليكي الى يومنا وكفى به دليلًا لدحض كلّ ما يتشدَّق بهِ الملحدون عن تلاشي الدين بل هو اوضح برهان

١) لحظ ٢) الموم الشمع السريعة ذوبانهِ

على انَّ الدين لا يزال لهُ المقام الاوَّل في العالم. فعلى الرغم ممَّا سعى اليهِ اهل تلك الحاضرة لإعداد اللوازم لذلك الموسم العظيم بواسطة اللجنات العديدة المعيَّنة منذ سنتين. فأُنشئت السكك الحديديَّة وفُتحت الطرق الجديدة وتشيَّدت المنازل الفسيحة والساحات الواسعة والنوادي الرحبة الارجاء. ولكن ما كل هذا للمليونين من الزوَّار المتقاطرين من كلّ البلاد. في مقدَّمتهم ١٢ كردينالاً وثلثة قضاد رسوليين و٥٧ رئيس اساقفة و٢٥٧ اسقفاً والوف من علية الاكليروسيين العالمي والقانوني مع ٤٠٠ مصوّر او ممثّل جرائد. فانَّ القدَّاس الافتتاحي حضرهُ ٢٥٠،٠٠٠ نسمة اذ لم يمكن دخول اكثر منهم في الساحة الكبرى المعروفة بساحة غرنت. وقام بخدمة القدَّاس واغانيهِ الطقسيَّة جوقة من الاحداث بلغت ٦٢،٠٠٠ ولد اذ كان الكردينال بتزانو ممثل الحبر الاعظم يقدّم الذبيحة على هيكل علوّهُ ٤٠ متراً. واذ وعظ للحضور كانت ٤٥ آلة مضخِّمة للاصوات تسمع صوتهُ لكافَّة الحضور حتى لأبعدهم مسافةً. وما القول عن كلّ الرتب التي احتفلوا بها في تلك المدَّة اذ تحتاج كل رتبة الى صفحات عديدة ليوصف القليل من جماليها. وكذا قل عن الجلسات الدينيَّة التي خُصَّ بها كل فريق من الرجال من النساء من الدارسين من الاحداث لكلّ لغةٍ ناديها ولكل بلدٍ مقامهُ وكان للسوريين نادٍ خاصّ وكذلك لغيرهم من الشرقيين. وخلاصة القول انَّ هذا المؤتمر بيَّن للعالم ما للكنيسة الكاثوليكية من المقامة بين كلّ شعوب الارض والاديان المختلفة بوحدة ايمانها ووحدة نظامها ووحدة قلوب ابنائها

﴿تحفة كتابيَّة﴾ عرض جناب الشيخ الدرزي الخطَّاط في معرض الزراعة حيَّة رزّ كتب عليها بخطهِ الدقيق فاتحة القرآن وخطاب ابي بكر الصدّيق يوم خلافته فابتاعها مدير المكتبة الخديويَّة بمئة ليرة مصريَّة وكلّ يعلم انَّ في مكتبة بيروت اللبنانيَّة طرفة مثل هذه. وانَّا نأسف على العيون التي تشتغل بمثل هذه الفضوليَّات ومن الممكن اليوم ان يُصنع مثلها بواسطة التصوير الشمسيّ

﴿سنة لورد الدينيَّة﴾ بلغ عدد زوَّار لورد الذين اقبلوا لاكرام مزارها ٢٨٤،٠٠٠ شخصاً قصدوها في قطارات السكك الحديدية. هذا دون الذين اتوها ماشين على الاقدام او راكبين العجلات والسيَّارات والاوتوموبيلات. وكان من جملة الزوَّار خمسة كرادلة وبطريركان و٢٠٦ رؤساء اساقفة واساقفة. ونُقل اليها ١١،١٧٥ مريضاً

شُفي منهم عدد كبير أُعلن منهم ١٩٥ مريضاً اسماءهم على الواح الرخام المعروضة على جدران كنيسة لورد

﴿بيوس الحادي عشر والبعثات العلميَّة﴾ وكل الحبر الاعظم الى اربعة من المرسلين بان يباشروا على نفقته سياحات علميَّة الى اربعة بلاد فارس الى جزيرة ماليزيا الاب شِبستا (P. Schebesta) لمراقبة قبيلة من الزعانف. وارسل الى الارض المعروفة بارض النار الابوَين غوسِند وكوبرس (Gusinde et Koppers) للبحث عن قبيلة هناك تُدعى فُواج وبعث الاب شوما (Schuma) الى بلاد رُواند والاب كوسترس (Kosters) الى البوشيان. وبذلك يتَّضح كيف الكنيسة الكاثوليكيَّة تعرف ان تجمع بين الدين والعلم

﴿اول اسقف صينيّ كاثوليكيّ﴾ اقام الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر نائباً رسوليًا على مقاطعة هوان هوانو الصينيَّة السيد فيليب تشاو وهو اوَّل اسقف صينيّ الاصل تعيَّن في وطنهِ لهذه الرتبة السامية

﴿بين باريس والبصرة﴾ قطع الاخوان الطيَّاران الفرنسويَّان ارنشار (Arrachart) المسافة الواقعة بين باريس والبصرة وهي تبلغ ١٫٢٤٠ كيلومترًا بست وعشرين ساعة ونصف بشوط واحد ففازوا بقصبة السباق على كل الطيَّارين. ومن المعلوم انَّ المسافة بين عاصمة فرنسة وخليج العجم لا يستطيع ان يقطعها المسافرون اليوم بأقل من احد عشر يوماً مهما اتَّخذوا من اسباب التنقّل من مراكب وسكك حديديَّة واوتوموبيلات على انَّ البرق افادنا بعد ذلك في تاريخ ١٨ تموز ان الفرنسويَّين الكبيتان جيريه والليوتنان بورديله قطعا المسافة بين باريس ومدينة اومسك في سيبرية شوطاً واحدًا وهذه المسافة تبلغ ٤٧٠ كيلومترًا ففوقا بذلك على الطيَّارين ارانشار

﴿احتفال تذكاري﴾ اقامهُ نخبة من ادباء بيروت في مساء يوم الاثنين الواقع في ٢٦ تموز الماضي فاشادوا نظماً ونثراً في ثلث لغات بذكر المحسن العظيم كلفلند ضودج والد جناب رئيس الجامعة الاميركانيَّة المتوفَّى في نيويورك في ٢٤ حزيران. فكان لهذه المأثرة احسن وقع في قلوب الحاضرين الذين عرفوا الفقيد وقدَّروا اعمالهُ المبرورة وقاموا بواجب الاعتراف بالجميل اليهِ والى نجلهِ الفضال

أسئلة وأجوبة

س سألنا غير واحد ما هي اللغة الارامية وما الفرق بينها وبين اللغة السريانية وما هي اقدم آثارها ؟

اللغة الارامية واقدم آثارها

ج اللغة الارامية نسبةً الى ارام خامس ابناء سام بن نوح هي احد الاقسام الكبيرة من اللغات السامية التي اتسعت اتساعاً عظيماً فتكلّم بها الشعوب الممتدة بين العراق الى بحر الشام وغلبت على العبرانيّة وعلى الاشوريّة . والارامية تشمل عدّة لهجات منها الارامية اليهوديّة التي شاعت بين اليهود في جلاء بابل وبها كُتبت اسفار عزرا ونحميا وطوبيا ودانيال . ومنها اللغة الارامية الفلسطينيّة التي شاعت في ايام السيد المسيح وبها تكلم عزّ اسمهُ وبها كتب انجيل القديس متى . ومنها اللغة النبطيّة التي شاعت بين النبط ومن كتابتها اشتقّت الكتابة العربية . ومنها خصوصاً اللغة السريانية التي نبغت في مدينة الرها ثمّ في نصيبين وانقسمت الى (سريانيّة غربية) انتشرت في ما بين النهرين وسوريّة وهي لغة طقس السريان واليعاقبة والمارونة (وسريانية شرقيّة) اي كلدانيّة لغة العراق وطقس الكلدان . امّا اقدم ما يعرف من الآثار الارامية فالكتابات التي وُجدت في اليفنتين وفي اسوان الواقعة الى القرن الخامس قبل المسيح . وفي الشرق في سنتيه ١٩٠٧ و١٩٠٨ عدة مقالات ممتعة لحضرة الاب سبستيان رونزفال في وصفها مع تصوير كتابتها

س وسأل من بكنتا احد افاضل الرهبان « متى ينتهي بالحصر الزمن المعروف بصدر الاسلام » لانهُ وجد في ذلك اختلافاً بين الكتبة

الزمن المعروف بصدر الاسلام

ج صدر الاسلام كلمة عموميّة تدلُّ على اوائل الاسلام لم يثبت لها قدماء الكتبة حدوداً معلومة فمنهم من يحصرها في زمن نبي الاسلام والخليفتين الاوّلين ابي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب . والارجح انّ هذه العبارة تتناول زمن الخلفاء الراشدين الى آخر عهد عليّ بن ابي طالب ل . ش

المشرق

رحلة السائح الروسي دانيال

الى الاراضي المقدَّسة في اول عهد الصليبيين

محاضرة لجناب الوجيه الكسيس بوغوليوبسكي نزيل دمشق

هذه المحاضرة القاها حضرتهُ في نادي مدرسة الآباء اللازاريين في دمشق قبل سنتين فأحببنا ان نعرّبها لقرّاء المشرق لما تحتويهِ من الفوائد التاريخية الجليلة بقلم كاهن روسي يدعى دانيال قدم من بلاده البعيدة ليتبرَّك بزيارة الاراضي المقدَّسة بعد فتحها على ايدي الصليبيين بثماني سنوات فقط فزار اخصَّ امكنتها ووصفها بطريقة شائقة. وهذه الرحلة طُبعت اوَّلاً في بطرسبورج سنة ١٨٦٣ بأصلها الروسي ثم نقلتها بترجمتها الفرنسويَّة جمعية الشرق اللاتيني سنة ١٨٨٩ تحت عنوان Itinéraires Russes en Orient (المشرق)

نظر عمومي عن روسية في اوائل القرن الثاني عشر

كان الروس قد تنصَّروا على عهد ملكهم ڤلاديمير سنة ٩٨٨ م (١ . وما كادوا يكتحلون بنور الايمان حتى نزعت قلوبهم الى المواطن التي تقدَّست بمولد وحياة وموت السيد المسيح . فأحبُّوا ان يعاينوها ويتبرَّكوا بزيارتها معتبرين لها كوطنهم الثاني الروحي

وقد ذكر التاريخ تقاطرهم الى فلسطين واورشليم منذ القرن الحادي عشر حتى اصبح منذ ذاك الحين حجهم اليها كشيء معتاد . وممَّا صبر على الزمان من آثارهم اغاني روحيَّة شاعت بين العموم تلهجُ بذكر اورشليم وآثارها الدينيَّة

١) (راجع في المشرق (٧[١٩٠٤]: ٧٥٥ و ٧٩٠) مقالة الاب لوفنك التي عنوانها: روسية سابقًا وحاضرًا)

وفي القرن الثاني عشر بعد فتح الصليبيين الاراضي المقدَّسة زادت رغبة الشعب الروسي الى زيارتها وتوفَّر عددهم جدًّا فكنت ترى كثيرين منهم يهجرون نساءهم واولادهم واقاربهم واملاكهم قاصدين اورشليم ومزارات فلسطين

وقد بلغ الامر الى غاية تخوَّف الرؤساء لسببها ضررًا يحلّ بالبلاد فتُهمل الفلاحة والزراعة وتسود المجاعة على الاهلين. ومن ثمَّ اخذ الاساقفة يحضُّون الكهنة على صرف الشعب عن هذه الزيارات البعيدة التي تعرِّض الوطن الى آفات شتى ومنعهم عن ابراز النذور لمباشرتها

لكنَّ هذه الاوامر وفقًا للمثل القائل «ان الممنوع متبوع» لم تبلغ غايتها ولاسيما انَّ الشعب كان يرى الاكليروس القانوني والعلماني معاً يتجشمون هذه الاسفار فيندفعون الى الاقتداء بآثارهم. منهم رئيس اساقفة نوفوغورود المدعو يوحنا فانَّهُ بعد نشره رسالةً في معارضة الزوَّار سار هو الى زيارة اورشليم — محمولاً على زعم بعض المتفكهين — على كتف شيطان غلب الاسقفُ تجربتَهُ فأمرهُ ان يحملهُ الى المدينة المقدَّسة ذهاباً واياباً فاضطرَّ ابليس الى مجاراته

فكانت جماهير الزوَّار تقطع المسافات الطويلة لا تثني عزمها المشقَّات والاخطار وكان الفقراء منهم يستعطون في طريقهم امَّا الاغنياء فتسير حاشيتهم في خدمتهم. ولم يحجّ كلّ هؤلاء الزوَّار لغاية شريفة مجرَّدة لوجه الله فانَّ منهم كانوا صعاليك يخرجون من وطنهم تلهّياً وفضولاً ويعيشون بالبلاد سلباً ونهباً

امَّا الطريق التي كان الزوَّار ينهجونها من روسيَّة الى فلسطين فكانوا عادةً يجتمعون في مدينة كياف ثمَّ يركبون سفناً خفيفة فيقطعون نهر دنيابر (Dnieper) ما لم تصدَّهم القبائل التي على ضفَّتي النهر فيقضي عليهم اذ ذاك ان يسيروا مشياً الى بلغارية ومنها الى القسطنطينية

وكان معظمهم في القسطنطينية يستأجرون مراكب شراعيَّة فيبحرون الى يافا من بحر مرمرا الى الارخبيل ثمَّ الى بحر الشام سائرين قريباً من سواحل الاناضول وشمالي سوريَّة يتموَّنون من مدنها ويسرّحون الابصار بآثارها التقويَّة. على ان هذه الطريق البحريَّة لم تخلُ من المخاطر سواء كان من جهة انواء البحر ام من جهة قرصان الاسلام. فكم غرق منهم بهيجان البحر! وكم قُتل غيرهم او استعبدوا فبيعوا

في اسواق العبيد في مصر والجزائر !

وكان غيرهم استدراكاً لهذه الموانع يفضلون طريق البرّ فيقطعون انحاء آسية الوسطى ثمّ بلاد سوريّة الشماليّة او الساحليّة يذوقون في سفرهم الطويل ضروب المشاقّ والاتعاب فضلاً عمّا يلاقونهُ من قطّاع الطرق وعصابات اللصوص . وذلك ما جعل زيارة القدس كفعل توبةٍ للتكفير عن مآثم سابقة لاسيما الاغنياء والاشراف الذين اعتادوا في ذلك الزمان اعمال الجور والظلم فكانوا ينوون الاستغفار عنها بذلك السفر المضنك الشاقّ

ومع كثرة الروسيين الذين تكلّفوا زيارة الاراضي المقدّسة قلّ ما كتبوا عنها . ولا غرو فانّ معظمهم كانوا من رعاع الناس وسفلة الشعب مع قلة انتشار التعليم في زمانهم

وكانوا اذا انتهوا من زيارتهم وعادوا الى وطنهم يتهافت الناس الى اكرامهم ويصغون بكل شوقٍ الى ما يروونهِ الزوّار من الاخبار الصحيحة او المخترعة . وهذا ما يُكسبُ قيمةً كبيرة للرحلة التي اوردنا هنا وصفها التي سمى بكتابتها صاحبُها دانيال بكل صدق وبكل سذاجة

التعريف بالرحالة دانيال

دانيال صاحب هذه الرحلة كان راهباً وهينومانتاً اي رئيساً على بعض اديرة وطنهِ روسية ولذا نعلم من اخبارهِ غير القليل الذي ذكرهُ عن نفسهِ في اثناء رحلتهِ وهو في الغالب عبارات دالّة على تواضعهِ وتحقيرهِ لشخصهِ كأنهُ يريد ان القارئ ينسى الكاتب فلا يفكر إلّا في عظمة الاماكن الشريفة التي يصفها

ويلوح من كلامهِ انهُ كان رجلاً دمث الاخلاق عريقاً في التقى محباً لوطنهِ مدققاً في اوصافهِ سليم الذوق راجح العقل لكنهُ لسذاجة ايمانهِ يروي ما يسمعهُ من العموم عن كل مزار دون انتقاد لصحتهِ . وهو في الغالب يذكر ما جاء عن كلّ مكان في الكتب المنزلة . ومما افادنا عنهُ غيرهُ من الكتبة انهُ ولد في روسيّة الجنوبية وانّ رحلتهُ الى القدس الشريف تمّت من السنة ١١٠٦ الى السنة ١١٠٨ كما يستفاد من

اخباره عن الصليبيين واحوالهم بعد فتحهم لها بزمن قليل .

وكانت روسيَّة في عصره في حالة حرجة فكان امراؤها يتحاربون ويتنازعون فزادت القلاقل واستفحل الشرّ واصبحت البلاد كساحة وغى تقتحمها القبائل المقيمة في حدود الدولة . وكانت كياف نفسها عاصمة روسية معرَّضة لآفات الفوضى حتى انَّ اهلها أعلنوا بعزمهم على مهاجرتها ليلتجئوا الى مملكة الروم . وانتهز كثيرون هذه الفرصة لمغادرة البلاد ليسيحوا في الاصقاع البعيدة . وكانت سورية وفلسطين حين ذاك في هدوء وراحة بعد فتح الصليبيين للقدس وسواحل الشام فأموا اليها فرارًا من نكبات بلادهم وطلبًا لبركة تلك المزارات الشهيرة . ولعلَّ هذه الغايات دفعت ايضًا السائح دانيال الى مباشرة سفره

رحلة من القسطنطينية الى اورشليم

يفتتح السائح دانيال رحلتهُ بكلام يشعر بتواضع نفسهِ ويذكر الغاية التي دفعتهُ لهذا السفر طلبًا لرحمة الله وغفران خطاياه مصرِّحًا بانهُ لا فضل لهُ بهذا العمل لانَّ قداسة الحياة هي قبل كلّ ترضي الله . وانَّما اراد ان يدوّن اخبار سفره لكي يبعث ذكرها في قلوب مواطنيه محبة الله فينالوا بذلك اجرًا كالزوّار انفسهم . ويؤكد لهم انَّهُ يصف الامور كما عاينها واختبرها ليس بسرعة كغيره من السيَّاح بل بطول الاناة والتروّي اذ قضى ١٦ شهرًا في فلسطين

ثم يذكر طريقهُ من القسطنطينيَّة الى اورشليم بحرًا مدوِّنًا المسافات التي قطعها من مكان الى آخر على الكنيسة الروسيَّة في زمانهِ التي تختلف عن اقيستهم الحاضرة . وهو اذا مرَّ بمكان يذكر خصوصًا ما يجدهُ من الآثار المسيحية كالكنائس ومن اشتهر في تلك الامكنة من الرسل والقديسين والشهداء وينقل ما يسمعهُ من الاهلين عن اخبارهم دون تمييز شيئًا من سنيها فهذه التذكارات الروحيَّة كانت تفعم قلبهُ سرورًا حتى انهُ يصرِّح عن نفسهِ وعن رفقتهِ قائلًا : « انَّنا نسير بلا الفرح حيثما نحلّ »

ومع ذكرهِ لتلك الآثار التقويَّة تراهُ لا يهمل ما لتلك الامكنة من الخواصّ التاريخيَّة او التجاريَّة . ففي أفسس يُشير الى رسالة القديس يوحنَّا الحبيب والى المجمع المسكوني الثالث ضدَّ نسطوريوس . ويذكر عن جزيرة ساموس خصب تربتها

ووفرة سمكها . وعن جزيرة «كوس» غناءها بالمواشي . وقد عاين منجم الكبريت الفاخر الذي يُباع في جزيرة تياوس . وعند مروره في رودس يروي حلول الامير الروسي «اوليغ» في ربوعها مدة سنتين . وقد اتسع في وصف صاقس (Chio) وصمغ المصطكى الذي اشتهرت به الجزيرة وكيفية استحضاره مع ذكر لخمرها الطيبة . ومما روى عن قبرس انّ في مدنها عشرين اسقفاً وانّ فيها تنبت اشجار اللُّبان والبخور

وبعد عدة اسابيع بلغ اخيراً الانبا دانيال مينا يافا ولم يلبث أن سار الى اورشليم مارًا بأُذ حيث أكرم الشهيد الكبير القديس جرجس في كنيسته هناك واسرع الخروج منها خوفاً من غزوات اهل عسقلان المسلمين الذين يترصّدون الزوّار ليحاربوهم ويقتلوهم . وقد وجد عناء عند ترقّله جبال اليهودية وهو لم يعهد في وطنه غير الصحاري حتى لاحت له اخيراً وعلى بغتة المدينة المقدّسة بكل بهائها تُحدق بها الرُّبى والتلال وخصوصاً جبل الزيتون فتخلب البصر بمحاسنها . ثم يصف ما خامر قلبهُ من العواطف عند نظره القدس الشريف وما في وسطه واطرافه من الابنية الجليلة ولاسيما كنيسة القيامة وقبر المسيح . فترجّل هو ورفقتهُ الزوّار وسجدوا والدموع تترقرق من عيونهم ذاكرين ما جرى في هذه المدينة من الاسرار الالهيّة

اورشليم ومزاراتها

نزل سائحنا الروسي ضيفاً في دير القديس سابا وأقام فيه ١٦ شهراً متنقلاً الى كل الامكنة التي ورد ذكرها في الاسفار المقدّسة ولاسيما الانجيل الشريف . ولم تخلُ تلك الزيارات من بعض الخطر اذ لم يزل المسلمون في جوار مملكة الصليبيين يُعنُّون المسيحيين بضروب النكبات لكنّ الانبا دانيال كان يتحيّن الازمنة الموافقة لئلّا يفوتهُ شيء من المزارات المقدّسة . وكان ذا مالٍ وافر فصرفهُ في سبيل زياراته وفي اقتناء الذخائر التقويّة ليعود بها الى وطنه . ولحسن طالعه وجد في الدير شيخاً مهيباً كان يعرف المدينة المقدّسة وجيرتها حقّ المعرفة فقدّم نفسهُ للهيغومانس ليكون دليلهُ في كل انحاء المدينة

فزار اوّلاً كنيسة القيامة واستقرى كلّ آثارها وما تحتوي عليه من المشاهد المختلفة متتبعاً ما يرويه الانجيل عن كلٍّ منها ويتسع بالخصوص في وصف قبر المسيح

وما يزينهُ من الحلي ثمَّ يصعد الى الجلجلة ويعدّد آثارها وما يُرى فيها من شقّ الصخر الذي سبّبتهُ الزلزلة الحادثة عند موت المسيح ثم يذكر قبر آدم وسُرّة الارض التي يزعمون انَّها مركز كرتنا الارضيَّة وهو في كل ذلك يروي ما كان يردّدهُ اهل تلك الازمنة وشاع في كتبهم حتى في قصائد « دانتي » وربَّما نقلوهُ عن تآليف مصنوعة لا يوثق بها كقولهِ عن جمجمة آدم المقبورة تحت الصليب وكيف جرى اليها دمُ المسيح فغسلها لمَّا انشقت الصخرة بفعل الزلزلة التي وقعت عند موتهِ

وممَّا زارهُ في اورشليم من المعاهد القدسية كنيسة علِّيَّة صهيون التي فيها جرى العشاء السرّي ورُسم القربان المقدَّس وحلَّ الروح القدس على التلاميذ. ويزعم انَّ هذه العلية كانت دارًا للقديس يوحنَّا الحبيب وانَّ في غرفةٍ بقربها كانت وفاة البتول العذراء مريم. وممَّا قالهُ عن تلك الكنيسة انَّها كانت مزيَّنة بالفسيفساء تعلوها قبة راكزة على عَمَد

ولم تَفُتهُ زيارة ضواحي اورشليم كجبل الزيتون وجنينة الجسمانيَّة ومكان صعود الرب وبركة سلوام وقبر العذراء مريم قبل انتقال جسدها الطاهر الى السماء ومغارة بطرس الرسول حيث بكى على خطيئتهِ

وممَّا اتَّسع في وصفهِ حفلة سبت النور وما جرى يومئذٍ في كنيسة القبر من ازدحام الجمهور لمعاينة النار المقدَّسة التي على زعمهِ كانت في الحقيقة وقودًا سماويًّا. وممَّا اخبرهُ انَّ ملك اورشليم بودوان او بَغدوين حضر بنفسهِ تلك الحفلة الدينيَّة ونال سائحنا دانيال من لطفهِ ان يرافقه ويجلس بقربهِ فشاهد اتقاد النور العجيب فلا يشكّ ان ذلك حدث باعجوبة باهرة (١

الاب دانيال في الغور وفي بيت لحم وحبرون

ولم يكتفِ السائح دانيال بزيارة اورشليم وضواحيها بل اراد ان يسير الى بحيرة

---

(١) مهما كان من امر ذاك النور في زمن الصليبيين إلَّا اننا بيَّنا مرارًا انَّ النور المذكور الذي يُرى سنويًّا في كنيسة القبر على يد بطريرك الروم هو نور طبيعي لا اثر فيهِ لاعجوبة (راجع المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ١٩٣ و٢١٦ وخصوصًا ١٦ [١٩١٣] : ١٨٨–١٩٧

لوط ونهر الاردن فعاين الجبل الذي صام فيه الرب اربعين يوماً ثمَّ تبطَّن الوادي العميق الذي يُطلّ عليه دير القديس سابا حيث ترهَّب القديس يوحنا الدمشقي وغيرهُ من كبار النسَّاك وزار في طريقهِ اديارًا أُخرى واغتسل في نهر الاردن في نصف ليل عيد الغطاس تذكارًا لعمودية الربّ مع عدد لا يُحصى من الزوَّار. ودخل مدينة اريحا ملتفتاً الى ما جرى فيها من الاحداث في أيَّام يوشع بن نون وفي عهد السيد المسيح الذي نزل في بيت زكَّا

وزار ايضاً بيت لحم ومغارة مولد السيد المسيح وقبَّل مذودهُ المقدَّس ووصف الكنيسة الجميلة التي اقامتها القديسة هيلانة فوق المغارة وتجوَّل في المدينة وذكر شيئاً من تاريخها ومن محاسنها الطبيعيَّة. وزار كذلك بيت زكريَّا حيث وُلد يوحنَّا المعمدان بعد أن حَظيت أمُّهُ اليصابات بزيارة مريم العذراء. فوجد هناك كنيسةً على اسم الصابغ

وقصد مدينة حبرون المعروفة بمدينة الخليل وزار ستديانة ممرا حيث جلس ابراهيم وظهر له الربّ تحت صورة ثلثة شبان مثَّلوا لهُ الثالوث الاقدس فرأى ثلثةً وسجد لواحد. ثم نزل الى مغارة مكفيلة حيث قُبر فيها ابرهيم واسحاق ويعقوب ويوسف فوصف ذاك المدفن الذي بقي مجهولاً مئات من السنين لا يُسمَح لاحد النظر اليهِ

زيارة الاونا دانيال للناصرة والجليل

وتيسَّر لسائحنا بعد زمن السفر الى بقيَّة الامكنة المقدَّسة فرَّ بعمواس فوجدها قاعاً صفصفاً بفعل الاعداء. ونزل الى ساحل البحر فرَّ بيافا وذكر عجائب الرسول بطرس فيها ثمَّ عرَّج الى ارصوف وقيصرية وعاين جهات الناصرة فدخل حاضرتها نابلس ورأى بئر يعقوب وزار سبسطية وهو يزعم انَّ فيها حُبس القديس يوحنَّا المعمدان وقطع رأسهِ (والصواب انَّهُ قُتل في حصن المُغَير (Machéronte) شرقي بحر لوط)

ثمَّ طاف في جهات الجليل فوصف الناصرة وكنيستها الكبيرة المبنيَّة فوق بيت العذراء وشهد مكان بشارة الملاك جبرائيل ومقام الطفل يسوع في اوائل حياتهِ وشبابهِ. وكذلك ذكر قبر القديس يوسف في مغارة هناك يسيل منها شبه دهن يشفي المرضى. وحلَّ ضيفاً في بيت هذا القديس الذي كان الصليبيُّون عمَّروهُ بعد خرابهِ فاستقبلهُ الاسقف اللاتيني واكرم وفادتهُ

ثمَّ انتقل من الناصرة الى قانا الجليل ورقي الى قمَّة جبل الطور وصلَّى هناك في كنيسة التجلي وكنيسة النبيَّين موسى والياس ثم رحل الى بحر طبريَّة فتبادر الى فكره ما جرى هنالك من الآيات الباهرة سواء كان في البحيرة ذاتها ام في سواحلها في كفرناحوم وصيداء الجليل وصعد منها الى ينابيع الاردن وتوغَّل في البلاد ما وراء نهر الاردن فزار جرش وبيسان والمدن العشر

وخصَّ هذه البلاد السورية بزيارة فدخل مدينة عكَّا وهي حينئذٍ في ملك الصليبيين وسار شمالًا فمرَّ بحيفا وترقَّى الى جبل الكرمل حتى المكان الذي حكم به ايليَّا على قتل كهنة البعل وواصل مسيرهُ شمالًا فاجتاز بصيداء ثمَّ ببيروت ذاكرًا اعجوبة أيقونتها لمَّا ضربها بعض اليهود فسال منها الدم وآمن بسببها كثيرون فاعتمدوا. وكذلك اتى بذكر الاخوين يوحنَّا واركاديوس اللذين اتيا الى بيروت ليدرسا فيها الفقه (اطلب قصَّتها في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٦٩٥ــ٧٠٦) ولم يحبَّ دانيال ان يمرَّ بقرب لبنان دون ان يزورهُ فذكرهُ واشار الى ثلوجهِ الغرَّاء. ولعلَّه انخدع باسمهِ لبنان فروى انَّ فيهِ ينبت شجر اللُّبان

هذه خلاصة سياحة دانيال الهيغومانوس الروسيّ التي ادرك بها غاية متمنَّاهُ فانفتل راجعاً الى بلادهِ على طريق البحر من يافا الى القسطنطينيَّة لكنَّهُ أُصيب هو ورفقتهُ بمصيبةٍ كانت تتكرَّر في ذلك الزمان فانَّ القرصان المسلمين ادركوا سفينتهم عند جزيرة بتراس في بحر اليونان فهجموا على مركبهم ونهبوا ما وجدوهُ وسلبوا الركَّاب اموالهم. وكأن دانيال لا يحسب حساباً كبيرًا لهذه البليَّة اذ نجا من ايديهم سالمًا بعد النعمة التي نالها بزيارته قبر المسيح

ولمَّا رجع الى وطنهِ أتحفنا بهذه الرحلة الشائقة التي هي اوَّل اثر من جنسها لكاتب روسيّ. ولنا بعدهُ اسفار غيرها باشرها المؤمنون الروسيُّون وكلُّها تُشعر بايمان حيّ كان يبعث في القلوب الرغبة الى رؤية الاراضي المقدَّسة فيتجشَّمون المخاطر ولا يبالون بما يقاسونهُ من المشقَّات حبًّا بربٍّ فداهم بدمهِ الذكي ليشاهدوا آثار محبَّتهِ نحو البشر. وبذلك كانوا يخالفون الروح العصريّ الذي يفضِّل قبل كلّ حبّ الارض والمنافع الزمنيَّة على حبّ العالم العلوي وطلب الخيرات الروحية السرمدية

رحلة الى شمالي لبنان

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني (تابع)

دير ايليج الحديث

لقد عرفنا من الكتابات السابقة تاريخ دير سيدة ايليج القديم فيجدر بنا ان نأتي على تاريخ دير ايليج الحديث وكيفية نشأته وانتقال الرهبان من الدير القديم اليه . فنقّبنا سجلّاته وبعض اوراقه حتى عثرنا على نبذتين خطّيتين الاولى كانت بين اوراقنا وهي بخط المرحوم القس اغناطيوس الخازن الذي ترأس على دير ميفوق (ايليج) . والثانية نقلها المرحوم القس مخايل غوش التُّوري عن احد سجلّات او اوراق دير ميفوق على ما عرفنا وكلتاهما تميط اللثام عن تاريخ هذا الدير . اما النبذة الثانية ايضاً للقس اغناطيوس المذكور لتوقّد همّته وولوعه بفنّ التاريخ وله عدّة آثار تاريخيّة في روزنامات اديارنا كتبها بخطّه الكرشوني او العربي الجميل . وهو الذي نسخ روزنامة دير ميفوق القديمة ورتّبها بحسب ذوقه السليم . وما لا شكّ فيه ان كاتب هذه النبذة الثانية قد استفاد اخبارها من الرهبان مؤسسي الدير الجديد انفسهم واضاف اليها معلوماته الدقيقة . فكشف لنا بها القناع عن تاريخه فبان لنا باكمل مظاهره . وها نحن نثبت هاتين النبذتين التاريخيّتين المذكورتين بحرفيتهما لما تحويانه من الفوائد

﴿النبذة الاولى﴾ قال القس اغناطيوس الخازن بعد مقدمة وجيزة :

« اني لما نظرتُ روزنامة حساب دير ميفوق هذا دثرتْ من تمادي الزمان رمتُ ان انظّم غيرها واضعاً في اولها شرحاً وجيزاً في تقلّب احوال هذا المكان (١ فاقول : ان دير سيدة ميفوق الفوقاني قد بُني في زمان مَكْث النصارى قديماً في قرية ايليج

١) لم يدوّن شيئاً من هذا الشرح في مفتتح روزنامة دير ميفوق التي نسخها بخطه كأنهُ طرأت عليه اشغال صرفته عن عزمه

المعروف بالوادي. وقد سكنهُ رهبان كانوا يعيشون فيه عيشة التورّع متفرغين لعبادة الله تعالى

«ثمَّ من بعد انهدام هذا الدير من جراء تركهِ مدَّات طويلة رجع اليه القس داود وبطرس ويوحنا فعمّروهُ. وقد تشرَّف بجلسهِ كرسيًّا لبطريرك طائفتنا المارونيــة. وسكنهُ جملة بطاركة مغبوطين فشرّفهُ اولًا البطريرك بطرس الـذي عيَّنـهُ كرسيًّا بطريركيًّا ثمَّ جلس بعدهُ البطريرك غريغوريوس الحالاتي ويعقوب الواماتي(١ . ثمَّ بعد مدات طويلة جلس فيه البطريرك يعقوب ودانيال الحدشيتي ولوقا البنّهراني وشمعون وحنا وجبرائيل حجولا الذي مات شهيدًا سنة ١٣٦٧ ثم جلس فيهِ البطريرك يوحنـا الجاجي الى سنة ١٤٤٠ (٢ وبقيت الرهبان تسكنهُ بالاعصار المتتالية. وقد كان البعض من البطاركة جعل ديرًا لماري سركيس في قمَّة الجبل فوق المغارة النابعــة منها المياه شمالي دير سيدة ميفوق. وهو الآن خراب

«اما قرية ايليج هذه فهي قائمة في بلاد جبيل والبترون. فدير السيدة الفوقاني هو تابع بلاد البترون. وكان النهر الجاري شمالًا حذاء هذا الدير السيدة المنحدر في وسط ايليج هو الحدّ الفاصل بين البلادين. فتكون هـذه القرية منقسمة شطرين احدهما تابع بلاد جبيل والآخر بلاد البترون. وكانت قائمة كنيسة على اسم مار يوحنا شرقي هذا الدير. ويؤخذ الآن من بعض مناشير بطريركيـة ومراسيم من طرف الحكّام ان ايليج كلها تابعة جبيل وقد كانت مسكنًا للنصارى كما ذُكر. وكان يوجد فيها جمٌّ غفير من الابطال كما تخبر التواريخ عنهم. وكان يحكمها مقدَّمون نظير بقيــة قرى بلاد جبيل والبترون. وكانت السراي (دار الحكم) التي يسكنها الحاكم قائمة مكان هذا الدير (اي دير ميفوق الحديث) منشيَّد على اسم السيدة. غير ان الفتن التي كانت جارية في هذه البلاد قد احدثت خوفًا واضطرابًا وكانت كل قرية تقوم بحاكم واحد مخصوص. ولما كان يحصل على قرية ما جورٌ او مثاقلة لم تكن القرية الاخرى القريبة اليها تساعدها. ومن تسلُّط الامم الغريبة على هذه البلاد ما عاد امكن النصارى الاحتمال فتركوا بلادهم هذه وذهبوا الى كسروان والشوف تابعين للشيخ ابي نوفل

١) واماتا مزرعة صغيرة موقعها بين قرية جران ودير كنيفان

٢) راجع تاريخ الدويهي ص ١٣٦

الخازن الذي ذهب من جاج وقطن في تلك المحلات فسكنوا معهُ متنقلين في كل وقت بمحلّ ولم يبق في هذه البلاد إلّا القليل جدًّا وهم رعاة مواشي

«وكذلك في ايليج هذه لم يبقَ احدٌ مستقرًّا الى ان جاء المتاولة بنو حماده من العجم وتملكوا هذه البلاد بتعهُّدهم للدولة العثمانيّة بدفع الاموال. فسكن هذا المحل (اي قرية ايليج) المشايخ الحمادية وحكموا البلاد. وموضع هذا السراي الذي كان انهدم منه بعض امكنة سكن الشيخ اسماعيل حماده وبنى فيه اماكن اخرى وجعلهُ دارًا لهُ . ولما حكم الامير يوسف الشوف وكسروان ظهرت مثاقلات على النصارى القاطنين في هذه البلاد فحاربهم وبكلّكَ ارزاقهم فلم يبقَ لهم ما يكفيهم لمعاشهم. اما وادي ايليج هذه فقد سلّمها للرهبنة اللبنانية بموجب حجّة شرعيّة . . . .»

﴿النبذة الثانية﴾ وهي مصدَّرة بهذا العنوان : «تاريخ تأسيس دير ميفوق» قال واضعها :

«في سنة ١٧٦٦ تسلّمت الرهبنة اللبنانية دير سيدة ايليج الكائن في بلاد البترون في سيادة الامير يوسف شهاب حاكم البلاد وذلك بسعي واعتناء جناب الشهمَين الشيخ ابو فارس سعد والشيخ سمعان البيطار اللذين كانا صاحبي سرّ الامير المذكور ومتسلّمي ديوانه. وتمّ ذلك بموجب حجج وصكوك سلّمها الامير الى الرئيس العام الاب اقليموس المزرعاني

«وبعد ان تسلّم الاب العام الحجج اخذ يجمع الرهبان الى سيدة ايليج حيث سكنوا اولًا مدّة سبع سنين فاجتهدوا باصلاح المحلّ وعمار ما كان مهدومًا منهُ ورتّبوا فيه امكنة لسير النظام القانونيّ كالمائدة والكلار ومواضع الرقاد ومقبرة لدفن الرهبان. وهي المعروفة الى يومنا هذا تجاه قبر المطار على كتف الطريق وقد دُفن فيها جملة رهبان

«وفي سنة ١٧٨٢ كأسوا الكنيسة المذكورة لان كلسها كان قد تساقط من مرور الايام ومن جور الظلم والحكام كما نرى ذلك مسرودًا فيما يأتي من كتب التاريخ ولاسيما تاريخ البطريرك يوحنا الجاجي . . . (قد مرَّ ذكر ذلك فليس من فائدة في اعادته هنا)

«ولنرجع الى احوال ابناء الرهبنة فنقول: انه بعدَ اقامتهم بدير السيدة افتكروا

في ان يقيموا لهم ديرًا جديدًا محكم البنيان فاتفق رأيهم اولًا ان يبنوهُ على الثير الذي هو شمالي نبع الحريش حيث قائمة الان حارات الشركاء. فبعد ان وضعوا الاساس كما تراه الآن حضر اليهم الشيخ سمعان البيطار وفنّد رأيهم وبيّن لهم عدم صرابيّته واشار عليهم بان الاوفق والأصوب ان يعمّروا الدير حيث هو الآن لكي يملكوا دار المشايخ المتاولة. ورأيُهُ كان صوابيًا لانّهُ ربما تغيّرت الاحكام فيحصل للرهبان متاعب اذا لم يكونوا واضعين يدهم على الرزق ولاسيما على الروزنامة

« فامتثل الرهبان امرهُ وانحدروا الى ميفوق وباشروا عمار المشى الغربيّ وبنوا الغرف على ظهر القبو الذي كان قائمًا قبل دخول الرهبان . وعلى قول البعض ان هذا القبو كان باقيًا من عمار المُقدّمين ثمّ سكنهُ المتاولة الذين خلفوا النصارى في وادي ايليج بعد تقلّب الاحكام. ثمّ انهم بعد قيام الغرف اخذوا يبنون القبو القبلي المعروف الآن بكلار الخمر والكلس وكانوا يعقدون الريش (الحجارة) على التراب. وعقدوا كرخانة الشعر والمنزول والقبو الشرقي ما عدا القناطر التي امامه (وهذه عمّرها الاب عبد الاحد البكاسيني كما ستعرف ذلك) . وقد عقدوا المائدة ايضًا وكانت قبل ذلك بالقبو الشرقي

« ان ابناء الرهبانية كانوا في بداية عمارهم دير ميفوق يسكنون في السيدة (الدير القديم) كما قلنا. يذهبون اليها مساء بعد فراغهم من الشغل لاجل قيام القانون فيها — ولكن بعد عقدهم كرخانة الشعر جعلوا فيها مذبحًا حيث ترى الحنيّة فيها للآن وصاروا يكملون فيها الاشياء الروحية . ثمّ جعلوا المنزول الذي هو بغرب البوّابة كابلّةً على اسم مار يوحنا وعيّنوهُ كنيسةً للقداس والصلاة. ثمّ عندما عقدوا المائدة المعروفة الآن بناحية الشمال من جهة الدير (التي كان قائمًا منها قبل دخول الرهبان طابقها الارضيّ) مالوا الى تكميل الامور الالهية هناك . وقد لبس فيها الاسكيم الملائكي جملة من الرهبان وهم اخبرونا عن ذلك. وكان من جملتهم الاب سرابيون العربانيّة . وظلّ الرهبان يقضون واجباتهم في هذه الكنيسة الى ان قامت الكنيسة الحاليّة كما ستعرف ذلك

«ان الرهبان في ابتداء دخولهم الى دير ميفوق قد قاسوا اتعابًا واهوالًا عظيمة حتى كادت حياتهم تتلاشى من كثرة الرعب والخوف واحتمال المسبّات والشتم من

المشايخ المتاولة الذين كانوا يتردّدون الى هناك . ولانهم كانوا طُردوا من هذا المحلّ بقوّة واقتدار سيف سعادة الامير يوسف كما تثبت ذلك تواريخ ذاك العصر . وامّا ما سُلب وسُرق من ارزاق الدير فنترك التكلّم عنه جانباً لئلا يطول الشرح ولكن لاجل التلميح نذكر حادثتين وهما : ان المتاولة سلبوا مرّةً كل نحل الدير ومرّةً ثانية سرقوا كل البقر . ومن جراء هذه الحوادث وخلافها كان الرهبان بعد فراغهم من الاشغال يذهبون اثنين وثلاثة الى الاحراش والوديان والمغاور فيرقدون هناك في مشالحهم خوفاً من كبس المتاولة لهم . وكانوا هناك يخبزون (الملّة) على الرماد ليقتاتوا كما اخبرونا هم انفسهم . ومن جملتهم الاب تومـا شرتون والاخ نيلوس بكاسيني . وامّا امتعة الدير فكانوا يخفونها في الارض او يأخذونها معهم الى الاحراش مثل آلات العمار واواني النحاس

«ان خوف الرهبان من المتاولة كان صوابيًا اولًا لانهم اي المتاولة كانوا متقدرين في ذلك الوقت . ثانياً لان الحاكم (الامير يوسف) كان بعيدًا عن الرهبان وكانت البلاد خراباً والنصارى بعيدين عنهم وقلائل . لذلك ما كان لهم انيس او محام إلّا الوحوش . وكانت الثورة رابطة الطرق لاسيما طريق حدتل ولحفد لحـدّ جبيل . وكان السير موجودًا بكثرة في ارض الدير مثل العريا ووطا عيطا

«واما سعادة الامير يوسف وجناب المشايخ كواخيته فكانوا يمدّون الرهبان بالحماية والاسعاف وينشطونهم على احتمال الشدائد وكانوا يبذلون كلّ جهدهم في اسعافهم حتى يعمّروا دير ميفوق . وذلك اولًا لمجده تعالى . وثانياً رغبةً في عمران البلاد التي كانت خراباً بالكلية كما اشرنا سابقاً وذلك من زيادة الجور والظلم ومصايب الايام . وان سعادته بعد ان مهّد الاحوال وقهر مشايخ المتاولة وتسلّم بلاد جبيل والبترون شرع يبحث في كيفية استطاعته عمار البلاد وقيام المزارع التي كانت خربت مثل رام وحدتون وراشا ومار ماما والدوق . فبعد المخابرة بديوانه بهذا الخصوص تمّ الرأي على ان البلاد لا تعمر ولا يتجرأ احدٌ على التملك فيها ما لم يأتِ الرهبان اللبنانيون ويسكنون فيها . فامر حينئذٍ سعادته بتملك الرهبان دير سيدة ايليج ومـا يُعرف به من الاملاك والاحراش مثل مزرعة القطّاره وبرناسا ومغارة عبيه ومار سابا واراضي ميفوق وزيتون حلتا وطاحون الجوز وكرم الشيخ ووطـا عيطا وحقلة لحفـد ومار

سركيس على القاطنين. كما انه ملكنا ايضاً دير كفيفان وما يتبعهُ من الاراضي وانطوش جبيل ودكاكينهُ واراضيهُ والكنيسة الكبيرة وباقي كنائس السهل ودير حوب في تنُّورين وما يُعرف بهِ من املاكه وحدوده ويتبعهُ كنيسة مار ضومط الوطا وعين الراحة بحدودها

«فلما توطّنت الرهبنة في هذه المحلّات كلها وبدأت تظهر فضائلها وافعالها المرضية لله والقريب واخذت تعمّر اديرة حفظت فيها القانون بكل صرامة وشدّة ارتضى حينئذٍ النصارى ان يتملكوا المزارع والقرى من سعادة الامير ويعمروها ويسكنوا فيها. وكان كل ذلك بواسطة الشيخ سمعان البيطار. وكان الامير يرسم عليهم الارزاق بالميرة فقط. واول من تملّك حدتون اثنان من بجة. ولا يليق بنا ان نهمل ذكر ما ملكنا ايضاً سعادته اعني دير مار الياس الراس مثل كفرخلُص قرب قرنعون وطاحون البترون ودكاكين فيها والمجدل ومزرعة مهرين

«وانه من حين تسلمت الرهبنة دير سيدة ايليج سنة ١٧٦٦ الى سنة ١٧٧٥ لم يكن يُقام على رهباننا اللبنانيين القاطنين هذا الدير رئيسٌ شرعيٌ من الرؤساء العاملين والمدبرين لانهم — اي الرهبان — ما كانوا امتلكوا الراحة التامة. ففي كل مدّة كانت تصيبهم مصيبة فضلًا عن قلّة عددهم وعدم تصوين الدير بحسب رسم القانون. بل كان الاب العام يلاحظ عليهم امّا بذاتهِ عندما يزورهم وامّا بواسطة وكيل من قبلهِ بصفة رئيس يسهر على تمشية النظام الرهباني وان يكن كل واحدٍ منهم يجدُّ كل الجدّ في السير بموجب الرسوم والقوانين وذلك كما اتصلت اخبارهم الينا بالتناقل والتسلسل

«وفي سنة ١٧٧٥ أقيم رئيساً شرعيًّا عليهم الاب مبارك وهو اول رئيس ترأس على دير ميفوق. وخلفهُ الاب روفايل بقاع كفره وبقي رئيساً خمسة مجامع اي خمس عشرة سنة

«ومن سنة ١٧٦٦ الى سنة ١٧٩١ كانت الرهبنة تجدُّ لكي تقيم لها ديرًا مصوّناً من جهاتهِ الاربع بحسب رسم القانون. وبعونهِ تعالى قد تمَّ مرادها وذلك في المدة المذكورة

«وفي سنة ١٧٩٢ باشروا بوضع اساس الكنيسة بزمان رئاسة الاب روفايل

المذكور على الدير في مجمعه الرابع. والبنّاء الذي بناها هو الاب تاودروس واخوه الاخ مبارك من صليا الشوف قرب دير مشموشة وما انتهى عمارها الّا بعد ثلاث سنين. وامّا موضعها فكان قبوًا يربط فيه المتاولة خيلهم وعلى ظهره برجٌ للحمام. والاب سرابيون العربانيّة الذي شاهد في هذا القبو معالف الخيل والاخ اندراوس التنّوري اخبرانا عن ذلك

«وفي اليوم السابع عشر من شهر ايار سنة ١٧٩٨ نهار خميس الصعود كرّس كنيسة سيدة ميفوق هذه الطران بولس اسطفان الغسطاوي كما هو مسطّر على حائطها من الداخل لجهة يمين المذبح. وكان رئيساً على الدير الاب مبارك الساقوري الذي أُقيم رئيساً على الدير سنة ١٧٩٦ خلفاً للاب روفايل بقاع كفره. والاب مبارك هذا شاد حارة الجوز ورمّم الطاحون واشترى الفسحة من اهل كفر حزير كل موضع قدم باربعين غرش

«وفي سنة ١٨٠٩ بنت الرهبنة محقن نبع الحريش بزمان رئاسة الاب اقليموس الشبابي على الدير الذي اهتمّ بشغل ارزاقه وصاغ الكنيسة جملة قناديل فضّة وانك تراها مكتوبة [illegible] (١)

«وفي سنة ١٨١١ عمّر الرهبان قناطر المشى الشرقي الاسفل وعقدوا منها قبوًا لجهة الحوش. وكان البنّاء احد ابناء الرهبانية الاب مرتينوس ديك المحدي. ثمّ عمروا صفّين من الغرف بالظهر سنة ١٨٢٠ وقد تمّ عمار هذا المشى بزمان رئاسة الاب اغناطيوس بليبل على الرهبانية والاب عبد الاحد البكاسيني على الدير. وانّه الذي بنى الطابق العلوي هو الاب عبدالله اهمج

«وفي زمان رئاسة الاب موسى خرايب صبّاح عمّر طاحون البستان واشترى جرساً لكنيسة السيدة وذلك في مجمعه الثالث

«وفي عهد رئاسة الاب مكاريوس وادي شحرور سنة ١٨٣٢ اشترى الثريّا الزجاجيّة الكبيرة المعلقة بالكنيسة وبدلة ثمينة صفراء

«وفي سنة ١٨٣٧ برئاسة الاب جبرايل حريصا اشترى بدلة ثمينة بيضاء بمبلغ ١٥٠٠ غرش واشترى ايضاً ارزاق مار يعقوب الحصن بكاملها بقيمة خمسين الف

(١) قد بيعت هذه القناديل في سني الحرب

غرش والشمدانين النحاسيين الكبيرين الموضوعين في الباب الماركي

«وفي سنة ١٨٤٥ برئاسة الاب ليباوس التنوري تمّم محقن المحورة وكان البنّاء الاخوين اجناديوس وعبدالله التنوريين

«ان دير ميفوق ظلّ ديرًا واحدًا من حين دخول الرهبان اليه حتى عُقد المجمع العام بدير طاميش سنة ١٨٤٧ . وفيه تداول الاب العام عمانوئيل الشبابي مع مدبريه بشأن بعض املاك اديار متفرقة لا يمكن الرؤساء ضبط مداخيلها فارتأوا ان يفصلوا بعض هذه الارزاق عن اديرتها ويعمروا فيها اديرةً جديدة وبذلك تحصل الفوائد العظيمة للطرفين. وارسل الاب العام الاب اغناطيوس شكري عند غبطة البطريرك يوسف الخازن يلتمس له البركة والاذن بذلك فتنازل غبطتهُ ومنحهُ البركة والاذن بقيام هذه الاديرة واثبتها

«واما الاديرة الجديدة التي قرَّ الرأي على انشائها فهي دير عشاش وجعلوهُ على اسم القديس جرجس واقاموا عليه رئيساً الاب اندراوس القرطباوي. ودير الجديدة وكلاهما بارض الزاوية وجعلوهُ على اسم القديس انطونيوس البادوي واقاموا عليه رئيساً الاب ليباوس وطاحوب (التنوري من سنة ١٨٤٧ــ١٨٤٩) ودير القطّاره وجعلوهُ على اسم القديس يوحنا مارون ورأسوا عليه الاب اغناطيوس التيني. ومزرعة قبيع كان اشتراها الاب العام عمانوئيل التيني سنة ١٨٣٨ في مجمعه الاول. وفصلوا ايضاً من ارزاق دير مشموشه مزرعة ربعات وقسماً من ارزاق بجتين وشيّدوا فيها ديرًا على اسم القديسة تقلا ورأسوا عليه الاب نعمة الله زحلتا . ولاجل راحة رؤساء هذه الاديار الجديدة كتب الاب [illegible] ولمدبرون صكوكاً وحججاً بينها وبين الاديرة القديمة المفصولة منها وسلّم كل رئيس حجة ديره . وقد حدثت فيما بعد فتنة وبلبلة من رؤساء الاديرة القديمة وتظهروا عدم رضاهم بفصل بعض ارزاق اديرتهم وضمّها الى الاديرة الجديدة ولكن ما لبث ان تلافاها الاب العام

«ثمَّ اننا لا يليق بنا ان نهمل ما عملهُ الاب سابا العاقوري في مدة رئاسته العامّة قبل مجمع قسمة هذه الارزاق وعمار الاديار المذكورة فيها. فانّهُ سنة ١٨٤٥ عقد مجمع مدبرين في دير قزحيا وقرّر فيه فصل ارزاق مار يعقوب الحصن (دوما البترون) عن املاك دير ميفوق وانشأ فيها ديرًا جديدًا وعيّن له رئيساً الاب افرام بقاع كفرا.

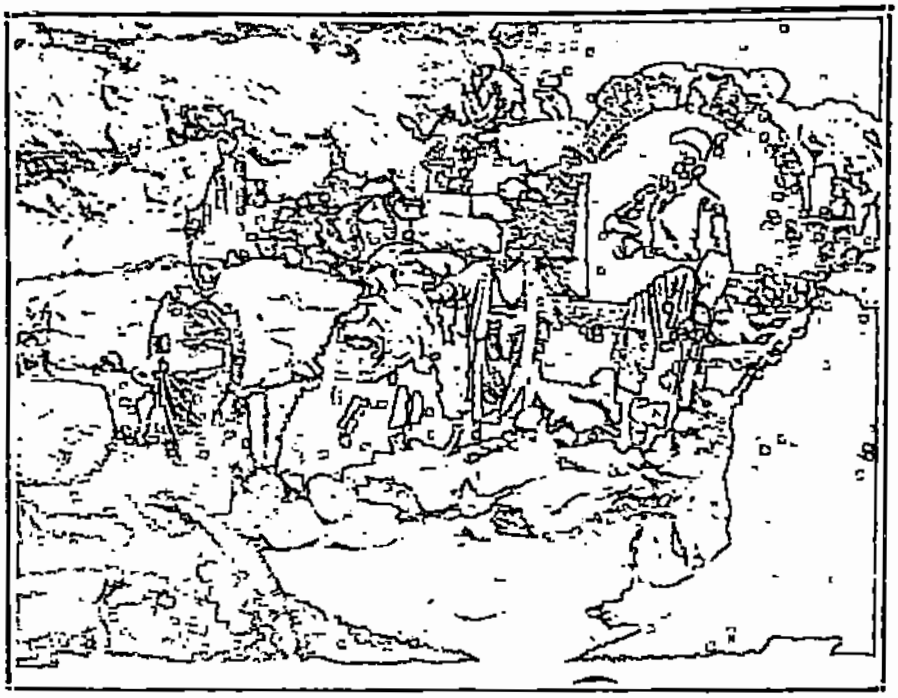

صورة نبع وادي ايليج

وفصل ايضاً الارزاق التي تخص وظيفة الرئاسة العامة في بلاد كسروان وجعل فيها ديراً على اسم مار روكس (مراح المير) ورأس عليه الاب نيلوس غباله

«وفي رئاسة الاب اقليموس القرطباوي على دير ميفوق سنة ١٨٤٧ فُصلت مزرعة القطّاره وغيرها من املاكه عنه وشُيّد فيها دير جديد

«وفي رئاسة الاب حنانيا الحصروني على دير ميفوق سنة ١٨٥٠ عمّر طاحون الدلبة ورمّم طاحون نهر الجوز التي انفق عليها ٤١٠٠ غرش وقد اهتمّ بتحسين املاك الدير ...» (انتهت النبذة الثانية)

※

قد ظلّ دير ميفوق على هيئته القديمة هذه الى سنة ١٨٩١ التي فيها ترأس عليه المرحوم الاب انطونيوس المشمشاني فجدّد بناءهُ بحسب الفنون الهندسيّة الحديثة. ثمّ خلفهُ في الرئاسة الاب نعمة الله نعمه اللحفدي سنة ١٨٩٥ فبقي الى سنة ١٨٩٩ ثمّ حضرة الاب نعمة الله مجلي السرعلي الذي ترأس عليه ثلاث سنين نهايتها سنة ١٩٠١ بنى في خلالها القسم الجنوبي من الطابق الاول والثاني وكل القسم الشرقي. وقد اصلح أثاث الدير وحسّن اراضيهُ فتوفّرت مداخيله. وكان كلٌّ من هؤلاء الرؤساء يبني جزءاً منه حتى يتم بنيانه كلهُ. وان حضرة الاب جرجس المعادي وضع اساس كنيسته الجديدة ولم يكتمل عمارها بعد

وفي سنة ١٩١٣ عيّنت الرهبانية دير ميفوق هذا مدرسةً عامّة تتلقّى فيها الطلبة العلوم العصرية وعهدت برئاستها الى حضرة الاب مخايل الاهجي وبإدارتها الى حضرة الاب العالم جبرائيل مجلي السرعلي احد تلامذة كليّة القديس يوسف في بيروت

وقبل مبارحتنا دير ميفوق نذكر بعض مخطوطات مكتبتنا الموضوعة حاليًا فيه وقد بذلنا تعباً وفيراً في اقتنائها

مكتبة دير ميفوق

١ تاريخ الازمنة للبطريرك اسطفان الدويهي . ٢ شرح المنظومة الرحبية في المواريث لعبدالله الشنشوري الشافعي الخطيب بالجامع الازهري وقد انتهى من تأليفها في ١٧ شوال سنة ٩٨٤هجرية . ٣ كتاب اخبار روحية . ٤ رسالة في الصلاة العقلية للقس جبرائيل فرحات. نسختان من كتاب «شرح بعض عقائد نصرانية تأليف المطران يوسف الحصروني مطران

طرابلس الشام الذي كان اسمه قبل التكهين نعمة الله بن شمعون الماروني ٥ . ٦ كتاب يحتوي على فحص المتقدمين الى قبول الدرجات الكبار والصغار الكهنوتية بنوع السؤال والجواب وعلى كتاب دانيال النبي . ٧ نسختان من مختصر كتاب كليمكوس السلمي . ٨ القلب المنسحق تعريب القس جبرايل فرحات سنة ١٧١٧ . ٩ خمس نسخ من التحفة السرية . له ايضاً . وقد وضعها سنة ١٧٣٠ . ١٠ نسختان من الراهب المشتاق عربهُ القس يوسف الحلبي سنة ١٧٠٩ (١ . ١١ كتاب يحتوي شرح القرآن الكامل للبطريرك يوسف حبيش وبعض مناشير له وللمطران عبدالله بليبل . ١٢ نسختان من مدخل العلوم للقس واكيم الباسيلي . ١٣ كتاب افكار وتأملات لكل يوم من ايام الشهر . خط قديم . ١٤ التعليم الرهباني لبلاديوس بخطه . وقد طبعناهُ في مطبعة حريصا سنة ١٩٢١ (٢

١٥ مختصر اللاهوت لاحد الرهبان اللبنانيين . ١٦ تاريخ مذابح سوريا سنة ١٨٦٠ نقلهُ عن الافرنسية القس بطرس ثابت الديراني اللبناني . ١٧ كتاب العظات الادبية مجلدان تأليف القس نتانيل جوهرجي اللبناني . والمجلد الثاني يشتمل على خمسين عظة بخط مؤلفه سنة ١٧٦٣ . ١٨ ترجمة العباد للقس اسطفان ورد (٣

١٩ الجزء الثاني من كتاب عنوان البيان وبستان الاذهان تعريب القس بطرس الترلوي اللبناني . ٢٠ مجموعة اشعار للقس اغناطيوس الخازن . ٢١ رسالة ردّ على الشيخ صالح بن منصور المعروف بالكرثراني المتوالي بقلم القس جبرائيل فرحات . ٢٢ ثلاث نسخ من رسالة الفوائد في فنّ العروض لفرحات ايضاً . ٢٣ مجموعة اشعار سريانية . ٢٤ نسختان من الفراديق السرياني [illegible] خط رزق الله [illegible] سنة ١٧٣٠ . ٢٥ ديوان البدع للسيد فرحات . ٢٦ جزء من كتاب [illegible] للمطران سمعان عواد (٤

٢٧ كتاب الفصاحة . ٢٨ نسختان من دفع الهمّ لايليا مطران نصيبين . وقد طبعهُ حضرة الخوري قسطنطين الباشا . ٢٩ كتاب خطبات ادبية او ايضاح اربعين خديعة وكشفها للخاطئ تأليف ثاودروس غناويوس من رهبان مار فرنسيس . . . «عربهُ الخوري ابراهيم جلوان من تلاميذ مدرسة الموارنة برومية» . هو بخط معربه بالكرشوني سنة ١٧٣٠ في مدينة طرابلس

٣٠ نسختان من رسالة القس يوسف هارون الطرابلسي في بيان شرف الرهبنة اللبنانية والطائفة المارونية . ردّ بها على احد الملكيين . ٣١ مجموع عظات للبطريرك اسطفان الدويهي والمطران سمعان عواد والمطران يواصاف البسكنتاوي والاب انطونيوس مبارك الماروني . ٣٢ اربع نسخ من كتاب العلم الطبيعي للعلّامة السماني . ٣٣ تفسير بعض صعوبات في الكتاب

---

١) طالع ترجمة حياته في تاريخ سوريا (المجلد ٨ ص ٥٤١)

٢) ان كتاب المنهج الامين للاب بلاديوس هو غير كتابه التعليم الرهباني الذي عنونه مؤلفه نفسه بهذا العنوان . راجع المخطوطات العربية لكتبة النصرانيّة (ص٦٢)

٣) طالع ترجمته في تاريخ سوريا . (مجلد ٨ ص٥٧١)

٤) طالع ترجمته في تاريخ سوريا (م ٨ ص٥١٩)

المقدس للمطران سمعان عواد. ٣٤ تأملات روحية لايام الاسبوع تأليف احد الرهبان الكرمليين الحافين في حلب سنة ١٧٢١ طُبع في الشوير سنة ١٧٣٦. ٣٥ سؤالات واجوبة لاهوتية بخط الخوري يوسف جمجع خادم دير الاحمر سنة ١٨٦٤. ٣٦ مجموع صلوات معلق عليها غفارين من الاحبار الاعظمين جمعها ونسخها بيده القس ليباوس المتني وكيل رهبان مار انطونيوس اللبنانيين بروية. قد طُبع هذا الكتاب. ٣٧ احكام باب الإعراب من لغة الأعراب. معجم للمطران جرمانوس فرحات (١ طُبع في مرسيلية

٣٨ مدخل المنطق للخوري بطرس التولوي. ٣٩ نسختان من كتاب خزانة الاسرار والمنارة المسيّة الانوار تأليف المطران سمعان عوّاد واحداهما بخط ابن شقيق المؤلف سنة ١٧٣٣ الشدياق يوسف بن مخايل بن يوسف عواد الحصروني كتبها في قرية التصيبة في بلاد الشقيف. ٤٠ بحث المطالب لفرحات. خط قديم. ٤١ اربع نسخ من العلم اللاهوتي لكلوديوس وجاء في آخر احداها الجزء الثاني عشر انه تمّ استخراجه في ٤ آب سنة ١٧٣١

٤٢ كتابان مواعظ وكلاهما نقل من اسم المؤلف وفي احدهما اربع عظات في اربع عواقب الانسان تأليف الخوري مخايل البجمي. ٤٣ بلوغ الارب في علم الادب لفرحات. ٤٤ مجموع فوائد نحوية. ٤٥ تأملات خط قديم. ٤٦ كتاب طبّ. ٤٧ تأملات في آلام سيدنا يسوع المسيح ترجمها من اللغة الاسبنيولية الى العربية البادري ايلاريون احد رهبان مار فرنسيس وسماها درب الصليب. ٤٨ نسختان من مختصر الكمال المسيحي لفرحات. ٤٩ كتاب منطق يقع في ٢٠٥ صفحات تأليف الخوري يوسف شمعون الحصروني تلميذ مدرسة الموارنة بروية. ٥٠ المجلد الثاني من الرسوم الفلسفية في ٥٠٠ صفحة تأليف العلامة السمعاني. ٥١ تاريخ الشماس انطونيوس المنطوريني (٢

٥٢ رسالة تأليف احد تلامذة مدرسة الموارنة بروية جاء بردّ على رسالة القس يوحنا عجيمي الملكي التي ارسلها الى الياس عيدو في حلب. ٥٣ كتاب الرسومات الفلسفية المفيدة جداً لدرس العلوم اللاهوتية تأليف فرنسيس جاكير احد الرهبان الاصغرين وقد استخرج منها ثلاثة كتب من اللغة اللاتينية الاصلية الى اللغة العربية القس انطون صبّاغ الملكي. ٥٤ كتاب في الامانة القويم رأيها لقديس يوحنا الدمشقي وهو يشتمل على مئة مقالة. ٥٥ كتاب طبيعيات ليعقوب الزهاوي. ٥٦ مختصر قاموس السرياني لبرّ جاولي. ٥٧ تفسير وصايا الله ومختصر في ارشاد الكهنة المرتسمين حديثاً. ٥٧ رؤيا غريغوريوس ونظري ايضاً على رسالة للشيخ عبدالرحيم الشامي وجهها الى النصارى. ٥٨ كتاب يشتمل على ٣١ عظة. ٥٩ رتب الكنيسة المارونية جمعه المطران يوسف اسطفان وصدّره بمقدمة لم تُطبع فيه. ٦٠ زهر الفضايل او ضمّة ازهار نقلهُ من اللغة الايطالية الى اللغة العربية المطران جبرايل الماروني الحالي. ٦١ المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني للمطران عبدالله قرالي خط الشماس جرجس الحلبي سنة ١٧٢٢. ٦٢ نبذة في

١) منه نسخة في بكركي بخط المطران فرحات نفسه

٢) قد نشر حضرة مدير هذه المجلة قسماً منه في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٧٦٨)

الديانة اليزيدية وضعها الراهب جنام الموصلي السرياني الذي جحدها واعتنق الديانة الكاثوليكية. ٦٣ مختصر الشريعة. ٦٤ قوانين جمعية المرتات. ٦٥ منطق تأليف القس يواصاف البكنتاوي اللبناني سنة ١٧٣٦ بخط القس اغوسطين زنده تحت نظر مؤلفه في دير القديسين بطرس وبولس بروسية سنة ١٧٣٨. ٦٦ الروضة اللبنانية في شرح البديعية للخوري ارسانيوس الناخوري. ٦٧ مصباح الذمة. مجلد كبير. تأليف الشماس سمعان عوّاد الحصروني تلميذ مدرسة الموارنة برومية (قد صار فيما بعد بطريركاً) وفي مفتتح هذا الكتاب طابع ختم اسقفيته المنقوش باحرف سريانية وهو بخط يده. ٦٨ بستان الرهبان وقد رتّبهُ ووضع لهُ فهرساً القس جبرايل فرحات. ٦٩ معجم سرياني مجلد كبير. ٧٠ شرح وصايا الله والكنيسة كُتب سنة ١٧٤١. ٧١ رتب الرهبانية اللبنانية جمعها قراعلي وفرحات. ٧٢ فصل الخطاب لفرحات. قد طُبع هذا الكتاب مراراً. ٧٣ كتاب في الثبات في وحدة الكنيسة وفي رئاسة الحبر الاعظم وهو مغفل من اسم المؤلف وفي اخره رسالة لاحمد مطارنة الموارنة ارسلها الى السيد مينا الدين جواباً على رسالته اليه

٧٤ تأملات مختصرة على عدد ايام الشهر ترجمها الى اللغة العربية الشدياق يوسف الحلبي الماروني سنة ١٧٠٥. ٧٥ شرح مختصر للراغب في درجة الكهنوت وتدبير الشعب «تأليف يوسف مطران طرابلس ابن الخوري يوسف الحصروني» نسخهُ سنة ١٧٣٦ الشدياق حنا من كرم سدّه. ٧٦ سيرة القديس اساونيوس الكبير. ٧٧ القربن الامين للقس اسطفان ورد الماروني. ٧٨ اخبار روحية مقتطفة من كتاب البطريرك سمعان عوّاد. ٧٩ كُتيب يحتوي صلوات استعداد وشكران قبل القداس وبعده. للخوري يوسف شرابا[illegible] الماروني [illegible] الكفري. [illegible] اربع [illegible] ديوان [illegible] ارسانيوس فرحات. [illegible] من كتاب [illegible] المثلثات الدريّة لهُ واحدها بخط يده سنة ١٧٢٠ (لهُ تابع)

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٣٦ الاسعد ابن عسّال

﴿ اصلهُ ودينهُ وشعرهُ ﴾ بنو العسّال ثلثة اخوة المؤتمن والصفي والاسعد

اشتهروا كأُمم بالآداب والتصنيف في القرن الثالث عشر للميلاد وقد اثبتنا ما وقفنا عليهِ من مصنَّفاتهم في كتابنا المخطوطات العربية لكتبة النصرانيَّة (ص١١ــ١٣). وكان اصلهم من مدينة سدَمَنت في الفيوم من اسرة القس بطرس الدَّمَنتي الذي ذكرنا لهُ بعض التآليف في الكتاب المذكور (ص ٦٢) انتقلوا الى مصر ودخلوا في دواوين الدولة المصريَّة على عهد المماليك. ولم نعثر لاحد منهم على آثار شعريَّة إلَّا للدعوّ الاسعد ابا الفرج هبة الله. ورد لهُ في احد مخطوطات مكتبة الاقباط في مصر ارجوزة صنَّفها في تعريف قوانين الميراث عند النصارى. ذكرها الاديب جرجس فيلوثاؤس عوض ملحقةً بكتاب المجموع الصفوي تأليف اخيهِ الشيخ الصفي ابي الفضائل بن العسَّال. وها نحن نورد منها قسماً صالحاً تثبت ما كان لهُ من المقدرة بالنظم. قال:

مقدّمة

الشكرُ للهِ الوحيدِ الذاتِ سبحانَهُ مثلَّثَ الصفاتِ
أحمَدُهُ كمثلما هو أهلُهُ اذ فاضَ بحرُ جودهِ وفضلُهُ
أزيدُ في التمجيدِ والتسبيحِ لابن الالهِ السيّد المسيحِ
أنقذَنا من ظلمة الجهالَهْ ومن جحيمِ الكفر والضلالَهْ
يا ايُّها الطالبُ علمَ الشرعِ في الارث خُذْ مختصَرًا من فَرْعِ
إسمَعْ هُديتَ أفضلَ السبيلِ جَمَّلتُهُ نظماً بلا تفصيلِ
إبدأْ بما يصلحُ للأكفانِ والقبرِ والحمّالِ والقربانِ
أوفِ الديونَ قبل أن تُقسّما فالشَّرعُ قد صيَّرهُ مُقدَّما

عدد مراتب الورّاث

وإن تُرِدْ معرفةَ المراتبِ لكي تُعدَّ من ذوي المناصبِ

فانّما عشرونَ واثنتانِ بعيدُها محتجبٌ بالداني
لا رتبةٌ مع قبلِها بوارثَهْ رابعةٌ ليس لها مع ثالثَهْ
اوّلُها البنونُ والبناتُ لا فرقَ بل هُنَّ مساوياتُ
والأمُّ مثلُ احدِ الاولادِ والابُ مثلٌ في القياس الهادي
ان مات ميتٌ ولهُ فردُ ولَدْ لزوجهِ الرُّبعُ فعنهُ لا يُحِدْ
والنصفُ والربعُ لابن الميتِ أعطِ لهُ هذا بلا تشتُّتِ
وكلّ ما زادوا عن الثلاثَهْ تكونُ مثلهنَّ في الوراثَهْ
مثالهُ كان البنونَ اربعَهْ فالخمسُ حصّتها بلا مدافعهْ

ثمّ يعدّد الناظم بقية المراتب الى ان يقول :

والزوجُ ان ماتَ بلا اولادِ للزوجةِ النصفُ بلا عِنادِ
والزوجُ والزوجة في الحكم سَوى والنصفُ للاهل فدَعْ عنك الهوَى

ومنها :

والامُّ ان كانت مع الأعمامِ تحوزُ ثُلثيهِ بلا كلامِ
اولادُ عمٍّ ميّتٍ من حُكمِهِمْ ثُلثٌ لهم مع زوجةٍ اعمِّهِمْ
وجدّةٍ من والدٍ وجدّتهِ ثُلثٌ لهمْ من إرثهِ مع اخوتهْ
هذا اذا لم تكنِ الوصيّهْ أحكامُها شرعيّةٌ مَرضيّهْ
لأنّها ان لم تكن شرعيّهْ كان كمن ماتَ بلا وصيّهْ

لا يُمنَعُ المرءُ من التصرُّفِ في النصفِ والرُّبعِ بلا توقُّفِ
فان يَزِدْ عنهُ فلا تَدَعْهُ واعمَلْ بما قلنا ولا تُضِعْهُ
والمِلكُ إن يوقَفْ لغير مؤمنِ فبَطِّلِ الوَقفَ . ولا تُمكِّنِ
وأُسقفٌ ومثلهُ في التكرِمَهْ يكتبُ ما يملكُ قبل التقدمَهْ
حتّى اذا تنيّحوا فأهلُهُمْ غيرَ الذي جاءوا بهِ ليس لهُمْ
وما يَزِدْ فانّهُ للبيعَهْ بكل هذا تحتمُ الشريعَهْ
ومن يَمُتْ في الدير من رهبانِ فلن يحوزَ ارثَهُ علماني
لكنّه للدير والاخوانِ كما يراهُ اعظمُ الرهبانِ

وهذه خاتمتها :

نظمتُها للحِفظِ حتّى يَسهَلا فاستغفرِ الرحمانَ لي ثم اسألا
فان تجدْ عيباً فسُدَّ الخللا فجلَّ من لا عيبَ فيهِ وعلا

ولم نقف على سنة وفاة ناظم هذه الارجوزة كما تُجهل سنة وفات اخويهِ المؤتمن والصفيّ . وما لا شكَّ فيهِ انَّ الاخوة الثلثة اشتهروا منذ اوائل القرن الثالث عشر وبلغوا اواسط ذلك الجيل . وقد جاء لاحدهم الشيخ الصفيّ في آخر بعض تآليفهِ انهُ كتبهُ سنة ٩٥٥ للشهداء وهي توافق السنة ١٢٣٨ للمسيح

٣٧ ابن أبي الثناء ابن كاتب قيصر

﴿نسبهُ دينهُ وادبهُ﴾ ذكرهُ معاصرهُ ابو اسحاق المؤتمن ابن عسّال في مقدّمة

كتابهِ عن النحو القبطي المسمّى «السلّم المقوّى (١ قال: «هو الرئيس الاوحد العالم الفاضل علَم الرئاسة ابو اسحاق ابرهيم ولدُ الشيخ الرئيس النفيس ابي الثناء ابن الشيخ صفيّ الدولة كاتب الامير علَم الدين قيصر ابقاه الله ورحم آباءه» وكان ابن ابي الثناء قبطيًّا من نصارى الفيُّوم من اشراف قومهِ وكان كاتبًا بليغًا وشاعرًا مجيدًا. أمّا لقبهُ بابن كاتب قيصر فلأن أباهُ الشيخ ابا الثناء اتّصل باحد كبار العلماء في زمانهِ وهو علَم الدين ابو المعاني قيصر بن ابي القاسم بن عبد الغنيّ الاسفوني المولود في اسفون من صعيد مصر سنة ٥٦٤ وقيل سنة ٥٧٤هـ (١١٦٩ــ١١٧٨م) والمتوفّى في دمشق سنة ٦٤٩هـ (١٢٥١م). وقد ذكرهُ ابو الفداء في تاريخهِ (٣: ١٩٥) وقال «انهُ هو المعروف بتماسيف وكان اماماً في العلوم الرياضيّة اشتغل بالديار المصريّة والشام ثمّ سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثمّ عاد الى الشام وتوفّي بدمشق (٢ ». فقد خدم ابو الثناء هذا العالم فعُرف ابنهُ بابن كاتب قيصر

فالمذكور اشتهر بالادب واشتغل بلغتهِ القبطيّة فصنّف فيها مقدّمة دعاها التبصرة وتعقّب فيها آثار الانبا يوحنا [illegible] في [illegible] السلّم الكبير (MFO I, 125-126) . ولهُ ذكر في كتب آداب العرب وروى لهُ شعرًا [illegible] . فمن ذلك ما رواهُ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي في كتاب الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه (Ms de Paris, 3345, p. 129) قال: ومما جاء في وصف الياسمين قول ابن ابي الثناء المعروف بكاتب قيصر (من البسيط):

يا حَبَّذا ياسمينُ الروضِ حين غدا ... يُهدي من الريح طِيباً غيرَ مكتتمِ
كأنَّ زهرتهُ في كفّ لاقطها ... والروضُ مُنتثرٌ في إثر مُنتظمِ
فراشةٌ هجرت حتّى اذا وَصَلَتْ ... تلازَمَتْ مَعَ مَنْ تَهْوَى فَمَا لِفَمِ

وروى له ابن منظور صاحب لسان العرب في كتابهِ نثار الازهار في الليل والنهار

١) اطلب مجموعة آثار المكتب الشرقيّ (MFO, I, 123)

٢) لهُ كُرة فريدة على هيئة الارض وصفها ابو الفداء في تاريخهِ (راجع مجلّة الزهراء ٢: ٢٨٨ و ٤٤٦-٤٥٥)

(ص ١١٠) قولهُ وانّما دعاهُ «تاج الملك بن كاتب قيصر (من الخفيف):

وكأنَّ الهلالَ قوسُ لُجَيْنٍ والثريّا في الغربِ كالقِرْطاسِ
وكأنَّ النجومَ افواقُ نَبْلٍ عابراتٌ حادَتْ عن البِرْجاسِ

٣٨ أخوهُ علَم الملك ابن ابي الثناء

كان على مثال اخيهِ ابرهيم اديباً ذكر لهُ ابن ايبك الصفدي بيتين في الياسمين جارى فيها قول اخيهِ (من المتقارب):

أرى ياسميناً مُحَشًّى غدا الى الندِّ في نَثْرهِ يَنْتمي
كمثلِ قُصاصَةِ فِضَّةٍ تَلَوَّثَ اطرافُها بالدمِ

اطلب ايضاً وصفهُ لبركة (ص٦٦٦)

٣٩ ابو الربيع سليمان المارديني

«نسبهُ وزمنهُ ودينهُ وادبهُ» هو ابو الربيع سليمان بن اسماعيل (ويروى اسماعيل ابن سليمان) ابن ابي الليث النصراني المارديني كان من ادباء القرن الثالث عشر معاصرًا لابن منظور وعاش في مصر. وكان شاعرًا ورد لهُ مقاطيع متفرّقة في تآليف الادباء. من ذلك ما رواهُ ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٤) يصف فيهِ نجوم السماء قال (من الخفيف):

رُبَّ ليلٍ تخالُ فيهِ الدراري زَهَرَ الرَّوضِ والمَجَرَّةَ نَهْرا
والثُّريّا كأنَّها كأسُ خمرٍ أطلَعَتْ فوقها الفواقعَ دُرّا

وتخالُ السماءَ حُلَّةَ خزٍ نُثِرت فوقَها الدراهمُ نَثْرا
وكأنَّ الصباحَ جامُ لُجَيْنٍ ملأَتْهُ أَشِعَّةُ الشَّمسِ خمرا

وروى له في موضع آخر يصف المجرَّة (من الخفيف):

وترى الزَّهرَ في المَجَرَّةِ كالزَّهرِ م طفا فوق جدولٍ وغديرِ

ومن حكمه قوله في الثقة بالله في الشدائد (من السريع):

لا تيأَسَنْ لِلضِّيقِ في أمرٍ وكُنْ في ثقةٍ من سائرِ الغَيْبِ
ولا تَقُلْ بابُ الرجا مُغلَقٌ وعندهُ مَفاتيحُ الغَيْبِ

ومما ورد في مطالع البدور لعلاء الدين القرولي (١ : ٢٥) وفي حلبة الكميت (ص ٢٩٤) وفي نفحات الازهار لسيد الغني النابلسي (ص٣٨٧) قولهم بحذف واحد: [illegible] الاديب ابو الربيع سليمان بن اسماعيل بن ابي الليث [illegible] يجلس انس مع الاديب اسحاق بن ابي الثناء المسيحي بالروم [illegible] بستان فيه بركة عليها فوّارة من الماء فتجاذبنا في اهداب وصفها فقال ابو اسحاق (من الخفيف):

بركةٌ تصعَدُ الانابيبُ منها يقعُدُ الماءُ فوقَها ويقومُ
فلِذا أطلعَتْ مواقعَ تبدو كالقواريرِ من زُجاجٍ تعومُ
وكأنَّ السماءَ صفحتُها الزرْ قاءُ والياسمينَ فيها نجومُ

(قال ابو الربيع) وقلتُ انا (من المنسرح):

وبركةٍ تَذهَلُ العقولُ بها تحارُ في حُسنِ وصفها الفِكَرُ (٢

١) وفي حلبة الكميت: «المنجي» وهو تصحيف
٢) ويروى: في بعض وصفها

كأنها مُقلةٌ مُحدِّقةٌ عبرى من الوَجْدِ (١ ناءَها السَّهَرُ
تبكي وما فارَقتْ لها وَطناً يوماً ولا فاتَ اهلَها وطرُ
تخالُ أنْوُبَها لصِحَّتِهِ والماءُ يعلو بهِ ويَنحدِرُ
كصَوْلجانٍ من فضَّةٍ سُبِكَتْ فواقعُ الماءِ تحتَها أكَرُ

ومن ظريف ما اخبر به ابن منظور في نثار الازهار (ص ٣١) ما حرفهُ قال : «جرَتْ في قِصَر النهار نادرةٌ . أنشدني سليمان بن اسماعيل الارديني المسيحي لنفسهِ فيما زعم من قصر النهار (من المتقارب) :

ويومٍ حواشيهِ ملمومةٌ ظَنَنّاهُ من قِصَرٍ مُدْمَجا
قنصتُ غزالَتهُ والتفتْ أُريدُ أُختَها فاحتمَتْ بالدُّجى (٢

فاثبتُّ البيتين عندي . فاخبرني بعد ذلك ابو الحسن بن سعيد انهُ وقف في تاريخ إربل لابن المستوفي لابي عبدالله محمد بن ابي الوفاء القنيصي على ذكر البيتين بحرفهما . قال ابن المستوفي ثمَّ ورد علينا ابو الحسن علي بن يوسف الشاعر فنسبها لنفسهِ (قال) ولعلَّها ليسا لهُ ولا لابن القنيصي . فقيَّدت هذا على هذه الصورة . ثمَّ جرى بعد ذلك مذاكرة في هذه الابيات وتحادث فيها الشعراء فقال بعضٌ من حضر : هذه الابيات عندي في تعليق لُغز . فرغبنا اليهِ في الكشف عنها فاحضر التعليق فاذا فيه . «خرج المنتخب العافي (٣ (منسوب الى عانة جزيرة بالفرات) مع الملك الزاهر بن صلاح الدين صاحب البيرة للصيد فأثاروا ظبيةً في آخر النهار فاستطردَتْ ثم لم يدركها السلطان إلَّا عند غروب الشمس فأمسكها ونظر الى الشمس وهي تغربُ فاستظرف هذا الاتفاق وقال لشاعرهِ : قُلْ في ذلك شيئاً . فقال :

ويومٍ حواشيهِ ملمومةٌ علينا نحاذرُ ان تُفرَجا

١) وفي نفحات الازهار : عين من الوجه بالتصحيف
٢) اراد بالغزالة الاولى الحيوان وبأختها الشمس التي انزالة من اسمائها
٣) وفي الاصل : العافي بالفاء وهو تصحيف

قنصتَ غزالتهُ والتفتْ الى أختها فاحتمت بالدجى

قال المصنّف : فصحّ عندي انّ هذا هو قاتلها على الخصوص وانّ الجميع لصوص. (قال) وقد قرأت كتاب اللصوص للجاحظ فلم اسمع فيه بأنّ ثلاثة لصوص اجتمعوا بالاتفاق الظريف على بيتٍ واحد

(لها بقية)

الشواهد الصادقة في افواه الملحدين والزنادقة

للمرحوم الاب لويس رنزفال اليسوعي (تتمّة)

٣ الانجيل وصحّته

انّ السيد المسيح لم يَحْيَ فعاش فقط كإله وانما تكلّم وعلم ايضاً كإله. وكلامهُ مدوّن في اربعة اناجيل اثنان منها لشاهدين عيانيّين واثنان لتلميذين من تلامذة رسله. وهذه الكتب كباقي اعمال وتعاليم السيد المسيح قد قام رجال كفرة مكابرون للحقّ فناقضوها. وعلى الرغم منهم لا تزال في نورها الباهر يستضيء بها العالم ولا تُعمي غير ذوي العشا وضعف البصر. بل أرغم الحقّ الملحدين والزنادقة منذ اوائل الكنيسة بالاقرار بصحّتها كالمبتدع تاطيانس والفيلسوف قلسوس في القرن الثاني للميلاد. وهنا نكتفي باعتراف الملحدين العصريين

قال اللورد بَيرون (Byron) في الاسفار المقدّسة اجمالاً : « انّ من يفتح هذا الكتاب ليستهزئ به او ليجدّف عليه فانّهُ لأولى به لو لم ينظر النور بمولده »

ومن عجيب اقوال ذاك الملحد الكبير جان جاك روسو وصف فولتير ما كتبهُ عن الانجيل : « انّ قداسة الانجيل تنطق لقلبي . . . ألا فانظر كتب الفلاسفة فما أسخفها بالنسبة الى هذا الكتاب »

وقال في كتابه اميل (Emile, IV) :

أفتقول انّ اخبار الانجيل قد اختُرِعَت جُزافاً . لا تقل يا صاح فان الاختراع لا يكون على هذه الصورة فانّ ما يرويه التاريخ عن سقراط مما لا يشكّ به احد وهو مع ذلك دون صحّة اعمال المسيح المشهود لها . . . انّ في الانجيل سماتٍ من الحق مؤثرة وفائقة على كل ترويرٍ بحيث لو صحّ اختراعها لقلنا انّ المخترع اكبر من بطله . . هيهات ان يقال ان بعض كتبة من اليهود تمكنوا من تلقاء نفسهم ان يكتبوا كما كتبوا ويضعوا كتابهم تعاليم ادبية كتعاليمه»

وهذا رنان بعد ان جيّش جيوش انكاره وافرغ كنانة جهده ليدكّ دعائم الانجيل في كتابه « حياة يسوع » لم يسعه إلّا ان يقرّ بصحة الانجيل قائلاً (Vie de Jésus, p. 23) : «وخلاصة القول اني اقبل الاناجيل القانونيّة واقرّ بصحّتها . وكلها (اي الاربعة) ترتقي الى القرن الاوّل من المسيح»

ولم يخالفهُ ڤولتير في بعض اقواله هو ورصفاؤهُ في تلك دائرة المعارف التي نصبوها كقذائف حربية لمحاربة الكنيسة ولذا قال فكتور هوغو عن ڤولتير (Les Rayons et les Ombres. IV) انهُ كان «قرداً من التوابع» (ce singe de génie) وانّ « الشيطان ارسلهُ ليبثّ روحهُ على الارض »

Chez l'homme en mission par le diable envoyé

وكان ديدرو (Diderot) تلميذهُ مع رشقهِ بسهامهِ للانجيل لم يأنف من وضعهِ في ايدي ابنتهِ لتتعلّمهُ . واذ تعجّب بعض اصحابهِ من فعلهِ هذا اجابه قائلاً : «أيمكنني أن اعلّمها شيئاً افضل من هذا الكتاب؟» . واضطرّ رصيفهُ دالمبار (d'Alembert) ان يقول : « انّ اصدق الانتقاد يقرّ معترفاً بصحّة اسفار العهدين القديم والحديث «La critique la plus sévère reconnait l'authenticité des Livres de l'Ancien et du Nouveau Testament» ثمّ ينسبها الى الوحي الالهي «divinement inspirés»

ومن جميل ما نظمهُ فكتور هوغو في سموّ مقام الانجيل واحتياج الشعوب اليهِ وثبات البشر على درسهِ قولهُ :

Les peuples qui n'ont pas ce Livre le mendient,
Et vingt siècles penchés dans l'ombre l'étudient !

وفي خطابهِ الذي القاهُ هوغو في دار الندوة سنة ١٨٤٩ قد اختصر في كلام وجيز صورة سعادة الشعوب فقال :

« انَّ في نظام الهيئة الاجتماعية ميزانًا ذا كفتين ترجح فيها كفة الغني على كفة الفقير . فانَّ اردتم ان يحصل التوازن بينهما ضعوا في كفة الفقير الاعتقاد بسعادة ابديَّة اسسوا في قلبهِ الايمان بالسماء وبذلك تكون حصة الفقير مساوية لحصة الكبير . وهذا ما علَّمهُ المسيح في حياتهِ وكم كان يفوق علمهُ على علم فولتير ! . . اذا أمِنَ الفقير اليائس على آخرتهِ ورجَّه بآمالهِ الى العالم الآخر هدأ قلبهُ وسكنت مطامعهُ . فما عليكم الَّا ان تزرعوا الانجيل في كل القرى (Donc ensemencez les villages d'Evangiles)

فما من عجب بعد هذا إن رأينا نابوليون الكبير في منفاهُ الى جزيرة القديسة هيلانة يتسلَّى بقراءة الانجيل ويخفض رأسهُ عليهِ اعظاماً واكراماً

وبتلاوة الانجيل ارتدَّ الى سواء السبيل الشاعر المنافق فرنسوا كوبه (Fr. Coppée) فقال عن نفسهِ :

« ها قد قُلِّب كبرياني . . . كنتُ استنشقتُ ريح الارض ثمَّ شعرتُ احتياجي الى حياة ابدية . فرنتُ الاعلى بقلب سليم وبثقة تامة فسمعتُ [illegible] كل كلمة من هذا الكتاب السامي نور الحقيقة . واليوم اني اعتقد كل ما [illegible] من [illegible] وحسائب المسيح التي وردت لنا على صورة وتفاصيل تلوح من ورائها قوَّة الحق التي لا تُكافأ

٤ً الديانة المسيحيَّة ... الكثلكة

ليست الديانة المسيحيَّة سوى ثمرة الانجيل فالشمرة تشهد لصلاح الشجرة . وكما تصدَّى قوم من الملحدين ليزعزعوا الشجرة فلم يفلحوا كذلك حاولوا نزع الثمرة وقطعها فخابت آمالهم بل وُجد بينهم من يُذعن للحقّ ويُعلن بهِ . فمنهم ذاك النقَّاد الكبير تان (Taine) الذي جاهر بعدم اعتقاده للوحي . قال :

« انَّ النصرانية في يومنا تسعى في العالمين بعد تسعة عشر جيلًا سعيَ رُسُلها الجليليين الاوَّلين التبدل في قلب الانسان حبَّهُ لنفسهِ من حبهِ لقريبهِ . فانها في يومنا كذلك اشبه بجناحي الطائر اللذين يرفعان المرء فوق نفسهِ فيفضلها يرتقي اوبهما ملايين من البشر الى عالم الروح ويدفعان جم الى تضحية النفس والتفاني في سبيل اسعاد العام . والتاريخ بيننا في هذه القرون أن العالم يسير

الى الفوضى والاضمحلال اذا ضعف ذانك الجناحان او انكسرا. أما رأينا البشر في ايطاليا في عهد نهضتها وفي انكلترة في زمن اصلاحها وفي فرنسة في ايام ثورتها كيف اندفعوا الى الوثنية وجروا على طباع اهلها في عهد اوغسطس وطيباريوس فسادت عليهم اللذات والجور . . . فان النصرانية وحدها دون الفلسفة والعلوم الادبية والتمدن والشرف العسكري والشرائع تقوى على ان تمنع الشعوب عن الهبوط الى دركات الذل والهوان »

ومن المرتدين الى الكثلكة بعد التجرد عن الدين الكاتب الشهير برونتيار (Brunetière) قال ما تعريبهُ :

« قد بالغتُ في الدرس وتعمقت في النظر واختبرتُ بمحن الحياة حلوها ومرها في زماني فما كانت نتيجة كل ذلك إلّا ان تفردني الى الكثلكة وترسخ بها قدمي . وان سألني احد عما أومن به أحلتهُ الى رومية مركز الحق »

ومثلهُ كاتب آخر من مشاهير العصر بولس بورجه (P. Bourget) الذي كان تطرّف في الغواية حتى انهُ دخل في مذهب المتمين الى ابليس (les Satanistes) المجاهرين بخدمته . فهذا بعد اللتيا والتي انار الله عقلهُ ورجع بالتوبة النصوح الى خالقهِ وأعلن بايمانهِ على رؤوس الملأ فكتب ما تعريبهُ :

« اني الآن مسيحي صادق فقد عرفتُ بالاختبار انَّ الذين يحافظون على وصايا الكنيسة هم الذين ينجون من خلاعات العصر التي يصعب على سواهم الخلاص منها . . . اني على شبه كثيرين من ناشئة زماني خلعتُ نير الايمان . . . فكان مثالي وكتاباتي آفةً على من قرأها وها أنا ذا أنادي اليوم علانيةً : ويحاً لمن ينزع الايمان المسيحي من القلوب فانهُ بفعلهِ يقتل الوطن . فالآداب العمومية تحيا بالدين المسيحي وتضعف بضعفهِ وتموت دونهُ »

وهذه الحقائق قد عرفها زعماء الشيع البروتستانتية لمّا شقُّوا عصا الطاعة نحو الكنيسة . فهذا لوتاروس لمّا رأى ما سبَّبهُ اصلاحهُ من الفتن والثورات اخذ يقرع سنَّهُ ندامةً . واذ حرَّضته يوماً كاترينا عشيقتهُ على التوبة صرخ قائلاً : « لات ساعة ندم » وقال مرَّةً أخرى : انَّ ديني اشهى للحياة امَّا دين البابا فأفضل للممات » ولمَّا رأى من يُقبل الى تعاليمهِ من سَفَلة الناس كان يقول : انَّ البابا اذا قلع من بستانهِ اعشابهُ الباطلة رماها في بستاني »

ومثلهُ كلوينوس زعيم الشيعة الكلوينيَّة كان يقول « ليس واحد من تبعة

الانجيل (يريد مذهبهُ) اتاني لغاية أخرى إلّا ليفسح لنفسهِ المجال لاتباع شهواتهِ »

ومثلها ميلنكتون من كبار زعماء لوتاروس اذ انشدتهُ امّهُ الله أن يقول لها صريحاً ايمكنها ان تموت قريرة البال في المذهب البروتستاني فاجابها : «موتي كاثوليكية فهذا أسلمُ لك » وهو الجواب الذي سمعهُ هنريكوس الرابع ملك فرنسة قبل ارتدادهِ الى الكثلكة وكان سأل البروتستانت : ايمكن الخلاص في الكنيسة الكاثوليكية فاجابوا : نعم . بينما كان الكردينال دوپرون (Du Perron) يثبت لهُ انهُ لا يستطيع ان يخلص بثباتهِ في الشيعة بعد وقوفهِ على الحقّ . ومن ثمَّ عدل الى الكثلكة قائلاً : هذا الايمان اصدق لاتفاق الجميع على صحتهِ

وكثيرون من البروتستانت في عصرنا لم يتمالكوا عن اداء الاكرام للكنيسة الكاثوليكيَّة والاقرار بفضلها على سواها . منهم الوزير والمؤرخ غويزو (Guizot) فهو يقول في كتابهِ المعنون بالتأملات والدروس الادبيَّة (ص ٧١) :

« ان الكنيسة الكاثوليكية هي كبرى وأقدس مدرسة لاحترام السلطة) وُجدَت الى يومنا في العالم [illegible] « L'Catholicisme est la plus grande, la plus sainte école de respect qu'il y ait dans le monde... nous en avons grand besoin »

وقال في مقدّمة الكتاب المذكور :

« اني اؤدّي للكنيسة الكاثوليكية احتراماً عميقاً . وانا اعتبر شرفها وحريتها وسلطانها كفرض واجب وجوهري لكيان العالم »

وقال جول سيمون (Jules Simon) الفيلسوف الطبيعي في مقدّمة كتابه عن الدين الطبيعي :

مهما انحالت عليَّ شتائمُ اعدائي وغضبَ عليَّ اصدقائي فاني لا استطيع ان أحيد عن خطتي في مسالمة الكنيسة . فكيف يمكنني ان احارب تعليماً يُعلن بتوحيد الله وبعنايتهِ تعالى ويدافع عن روحية النفس وحريتها وخلودها ويكرّر هذه الوصية : « اصنع لغيرك ما تشتهي ان يصنعهُ بك الغير » ويردّد كلام الانجيل « يا بنيَّ احبُّوا بعضكم بعضاً »

٥ً سوابغ نعم الكنيسة الكاثوليكيَّة

هذه النِعَم لا تحصرها المجلّدات فلا يسعنا إلّا ان نروي بعض شواهد لأعداء الكنيسة

كان ڤولتير اذا رأى المشروعات الخيريَّة غير المحصاة التي انشأتها الكنيسة الكاثوليكيَّة في كل انحاء اوربَّة يصرخ ويقول : « لعمري انَّ هذه المستشفيات وهذه المؤسَّسات الخيريَّة أحرى ان تُدعى اقواساً لانتصار الكنيسة الرومانيَّة » . وقال في كلامه عن رهبانيَّة الثلاثيين (les Trinitaires) المنشأة لفداء اسرى نصارى المستعبدين في الاسلام : « نِعِمٌ نِعِمٌ فانَّ هذه الرهبانيَّة منذ انشائها الى زماننا قد انقذت نحو مليون من عبيد النصارى . وكثيراً ما فكَّ رهبانُها العبيد وقبلوا على عاتقهم رقَّ العبوديَّة عوضاً عنهم »

ودونك ما كتبهُ « تان » السابق ذكرهُ عن نِعَم الكنيسة نحو فرنسة :

« انَّ اوَّل اساس دولة [illegible] رجل الكنيسة وهذا الرجل هو الاسقف الذي يسلطنهِ الادبية او [illegible] وما [illegible] القرى والمصاع . هو الراهب الذي [illegible] ارضاً وشيَّد فيها الابنية . جمع المزوسين وقاتم [illegible] ازرجهم . هو ارشدهم الى بناء بيت ثمَّ الى حراثة مزرعة ثمَّ الى سكنى قرية وغصين مدينة . فمن ينكر فضل الرهبان يُعرب عن جهل مطبق كما قال الفيلسوف الالماني ليبنتس البروتستاني . ثمَّ ان الرهبان كانوا قبل الثورة الفرنسوية الكبرى يديرون ٣٥,٠٠٠ مدرسة ابتدائية لم تتكلف عليها الحكومة فلساً واحداً وتيوم لا تكفيها الملايين لضبطها . وكان التلامذة المتخرّجون على يد الرهبان متأدبين محتشمين مطيعين لوالديهم ولحكام وطنهم بموجب ما تعلّموهُ من اصول الدين اما الدين . تربّوا على مبدإ « الاعلان بحقوق الانسان » فكانوا اشقياء متجرفين متشدقين شرسي الطباع لا ينقادون لامر رئيس »

٦ً البابويَّة والكهنوت والمرسلون

هنا ايضاً اتت الشواهد اللامعة من افواه اعداء الكنيسة تثبت فضل البابويَّة العميم على الهيئة الاجتماعيَّة عموماً وتفوُّقها على كل سلطة دينيَّة

قال فكتور كوزان (Victor Cousin) يلوم الفلاسفة الروحيّين على بغضهم الكنيسة :

« إن لم يُعمِ الكبرياء عيون الفلاسفة المقرّين بوجود الروح وجب عليهم ان يعرفوا ان

الفلسفة الروحية تمثلها في العالم الديانة النصرانية . والديانة النصرانية تمثلها بنوع فائق الكنيسة الكاثوليكية ممثلة كل النظام العقلي والادبي . فعليها مستند كل الفلسفة الروحية القائمة في وجه الطبيعيين المادّيين »

وقد كتب الدكتور فرستر البروتستاني (Forster)[1] احد اساتذة كلية زوريخ فصلاً جميلاً في الكنيسة الكاثوليكية والحبر الاعظم تقتطف منهُ الاسطر التالية :

« انَّ بناية الكنيسة الكاثوليكية تتجلّى لنا في هذا الجيل العشرين باهي جمالي وَحدتها ورونقها وجمالها هازئةً بكل السلطات الارضية التي قامت تناهضها فلم تقوَ على ان تُضعضع اركانها

« قام القياصرة الرومانيون باضطهاداتهم الشديدة وقامت الهرطقات في الاجيال الوسطى ووليها الاصلاح (اللوثراني) الداعي الى التفريق . وكل هذه لم تقوَ على ان تُزعزع الصخرة الموطّدة الاركان المبنيّة عليها وحدة الكنيسة . وكان البابوات يشاهدون في اثناء تلك الاجيال من ذروة مقامهم السامي شعوباً تتطاحن وسلالاتٍ تضمحلّ فيقوم غيرها مكانها . عاينت الكنيسة اعداءها تطويهم القبور وكلّ شيء حولها يزول وبقي وهي وحدها ثابتة في قوّتها وبهاء شبابها الرائع . بل التفتت اليها شعوب الارض والتمست حمايتها فاحتضنتها وشملتها بعطفها وحنانها ونشرت بينها التمدُّن . . . ولمّا كفرتْ تلك الشعوب بنعمتها صبرتْ على جحودهم وما لبثت ان فازت بهم بقوّتها الالهيّة . وثبت بطرس على صخرته لا يزال حيّاً في خلفائه . منهُ تستمدُّ الكنيسة مبدأ ومصدر وحدتها . وما حصل في عصرنا من الفتن والتمرُّد على ارباب الدول قد بيّن للجميع ضرورة وجود سلطة منظورة سامية تتفوق بالحقائق الموحاة كسلطة الحبريّة العظمى التي كادت في يومنا تحصر كلّ السلطة الادبيّة على مقدار ما ضمنت هذه السلطة في سواها »

وعلى مثال هذا الكاتب البروتستاني قام كاتبٌ اورثذكسي روسيّ وهو السيد « روزانوف » (Rozanof) الذي كتب سنة ١٩٠١ في اعظم جريدة في روسيّة تحت هذا العنوان « السماوي والارضي » فقال مثبتاً من الانجيل والتاريخ سلطة البابا على كل النصرانيّة . ومن كلامهِ ما تعريبهُ :

« انَّ كنيسة المسيح كمَرَم شاهق العلوّ ينتهي الى نقطة . وما هذه النقطة سوى بابا رومية الذي يملك على كلّ البناء فهو الراعي كما قال الرب يرعى الخراف والنعاج . وليست رعايتهُ هذه من نفسهِ بل أُعطيت لهُ من المسيح كما أُعطي الشاع رداء الياس النبي . والعجب كلّ العجب انَّ اساقفتنا نقضوا اساس البيعة بنكرانهم على نائب المسيح سلطتهُ فبدلوا كلمة الانجيل « انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سأبني كنيستي » زاعمين انَّ هذه الآية لا تتضمّن سلطةً تُعزى بطرس وخلفاءهُ

عن بقيّة البطاركة والاساقفة . وجعلوا ينسبون الى بابا رومية العظمة والكبرياء في تأييد سلطته السامية وهم لا يأنفون من ان يدّعوا لانفسهم سلطةً لم يُعطَوها ويقيموا ذواتهم مقام البابوات . لعمري لقد ضلّوا سواء السبيل واضلّونا معهم! »

وكما اقرّ هؤلاء بعظم شرف البابويّة وسلطتها الالهيّة اقرّ الملحدون مرارًا بفضل الكهنوت الكاثوليكي الذي يفوق على كلّ كهنوت سواه . كفانا شاهدًا على ذلك قول رنان الجاحد الذي كان تربّى في مدرسة سان سولبيس فقال بعد جحوده :

« انّ مدرسة سان سولبيس هي قبل كلّ مدرسة فضيلة فان كهنتها يحرزون من الفضائل ما يكفيهم لسياسة العالم كلّه »

وقال عن كهنة وطنه ترغيار (Tréguier) :

« انّ هؤلاء الكهنة الافاضل كانوا مرشدي حياتي الروحية وان وُجد في شيء من الصلاح فالفضل يعود اليهم . فبهم عرفتُ معنى الفضيلة »

وبعد ان ناقض مدّة ثلاثين سنة تعاليم الكنيسة قال هذه الكلمات التي تخجل كل من يناوئ الكهنوت الكاثوليكي :

« اني بعد اختباري الطويل قد تحقّقت انّ ما ينسب الى الكهنة من الفساد لا أصل لهُ البتّة وقد اتذكّر اني عشتُ ثلاث عشرة سنة بين الكهنة فلم أجد شيئًا للام المشكك فأقرّ اني لم اعرف غير كهنة فضلاء »

ونختم هذه المقالة بما كتبهُ احد كبار الموظّفين من الكنيسة الانكليكانيّة في جريدة انكليزيّة يقابل بين المرسلين الكاثوليك والبروتستان متفكّهًا قال :

« اننا في كل سنة نجمع من اوربّة واميركة مليونين من الليرات الاسترلينيّة لمعاش ستة آلاف مرسل وثلثين الف عامل ومع هذه النعمة لا نكاد نجد مَن يتبعنا . وعلى خلاف ذلك انّ ما يُعزى من النجاح العجيب للرسالات الكاثوليكيّة انما هو في الغالب ثمرة التجرُّد المطلق والفقر الاختياري وتوفيق المعيشة على معيشة البلاد التي تجري فيها البشارة . . . فان المرسل البروتستاني يُعتبر كرجل انكليزي يُحسن يفتح مدرسة بأسعار رخيصة ويحسن التكلّم ويخرج بامرأته واولاده الى الترهة

« فلو انّ القديس بولس قبل مباشرة اسفاره الرسولية طلب من القديس بطرس والجماعة

المتيسة في اورشليم ان يضمنوا لهُ ٣٠٠ جنيه سنوياً يدفعونها لهُ اقساطاً كل ثلاثة اشهر مرّة وتأكّد جودة المحلّ وموافقتهُ للصحة ووفرة اماكن التنزّه فيه وذهب اليه مع امرأته واولاده فلا شكّ انهُ لم يكن ليُرجى منهُ ان يقلب وجه الارض ببشارته »

هذه بعض شواهد نعرضها على القرّاء ليروا ما للكنيسة الكاثوليكيّة من المقام السامي في العالم. وقد اقتصرنا على شيء قليل ممّا نستطيع ان ننشرهُ فنتمنى ان تمكننا الفرصة يوماً من الاتساع في هذه المواضيع التي هي عبرى ذات شأن لكل معتبر طالب الحقّ

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء المستشرقين من السنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ (تتمة)

﴿ المستشرقون الالمانيّون ﴾ خسرت المانية في هذه الحقبة عدّةً من اعلامها المتازين بالشرقيّات. نخصّ هنا بالذكر الذين اشتهروا بالادبيات العربية . ففي ٥ من كانون الثاني ١٩٠٩ توفي الدكتور كرل ڤولرس (Karl Vollers) احد اساتذة كلية يانا (Iena) في المانية ولد سنة ١٨٥٧ وتولى زمناً طويلاً ادارة المكتبة الخديويّة في مصر عني بتنظيمها ووصف بعض مخطوطاتها في المجلة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG) وفي مجلة مصر . ومن تآليفهِ الحسنة كتابهُ في اللغة العربية العامية بين قدماء العرب بالالمانيّة سنة ١٩٠٦) وكتابه عن اللهجة العربيّة في مصر . وقد وصف بمجلّد ضخم المخطوطات الشرقية التي في مكتبة ليبسيك العموميّة ونشر بالعربية والالمانيّة ديوان المتلمّس

وفي السنة المذكورة في ١٢ حزيران وقعت وفاة الاستاذ سجسمُند فرنكل (Sig. Fraenkel) اشتغل خصوصاً باللغويّات العربيّة منها كتابهُ في الالفاظ الآراميّة

الاعجمية الداخلة في العربية طبعهُ في ليدن سنة ١٨٨٦ . وكان سبق ونشر كتاباً هناك (١٨٨٠) في الالفاظ الاجنبية التي دخلت في العربية في عهد الجاهلية وفي نفس القرآن

وفي ٧ آب من السنة توفي في موتيخ الاستاذ يوحنا ساپ (J. N. Sepp) الذي قدم الى فلسطين ونشر آثاراً تاريخية عن صور وعن انحاء الاراضي المقدسة

وفي هذه السنة بارح الحياة احد كبار المجتهدين في تعزيز الآداب العربية الاستاذ وليم بن الورد البروسي (W. Ahlwardt) ولد في غرمسولد في المانية سنة ١٨٢٨ وفيها توفي في ٢ ت٢ ١٩٠٩ قضى حياتهُ في درس الشرقيات ولاسيما العربية . وكان اوّل ما نشرهُ ديوان خلف الاحمر (١٨٥٩) ثم كتاب الفخري الآداب السلطانية والدول الاسلامية سنة ١٨٦٠ واعقبها بنشر دواوين مختلفة مباشرةً بستة شعراء العرب: النابغة وعنترة وطرفة وزهير وعلقمة وامرئ القيس ثمَّ عُني بمجموع اشعار العرب في ثلثة اجزاء تحتوي الاصمعيات ودواوين العجاج وابنهِ رؤبة والزفيان . وترجم كثيراً منها الى الالمانية وعلق عليها الحواشي المفيدة . ولو لم يكن لهُ من الفضل إلّا وصفهُ المخطوطات العربية في مكتبة برلين الكبرى لهُ فخراً . وهذا الوصف يتناول عشر مجلدات ضخمة [illegible] آلاف [illegible] ثمانية وستين كتاباً عربياً هناك مع فهارس ممتعة مستوفية

وفي ٨ آذار ١٩١١ توفي احد الاثريين الالمان الذين اشتغلوا في بعلبك ليكشفوا عن آثارها ويعيدوا لها بعض بهائها القديم نريد بهِ الدكتور اوتو بوخشتين (Otto Puchstein) وقد ألّف مع بعض رصفائهِ تآليف جميلة وصفوا فيها تلك الابنية العجيبة التي تحدّ بجامع الابصار وصوّروها تصويراً رائعاً . وللدكتور بوخشتين دليل مدقّق في ذلك نقلهُ الى الافرنسية احد الآباء اليسوعيين

وفي غرّة السنة ١٩١٣ توفي الدكتور جوليوس اوتنغ (J. Euting) من اساتذة جامعة ستراسبورغ رحل مع السائح الفرنسوي الشهير المسيو شرل هوبر (C. Huber) الى داخلية العرب فبلغا الى النفود وحائل سنة ١٨٨٣ــ١٨٨٤ وانتسخا كتابات آرامية في تيماء وفي تبوك والحِجر فقُتل هوبر وعاد اوتنغ سالماً ونُشرت تفاصيل سياحة كليهما بالفرنسوية والالمانية وقد رأينا في بيروت الدكتور اوتنغ عند رجوعهِ وهو متنكر لابس ثياب اهل البادية . ومن منشوراتهِ وصف المخطوطات العربية في

مكتبة ستراسبورغ (١٨٧٧) وكذلك نشر كتابات مختلفة نبطية وارامية وجدت في سينا وفي عيون موسى وجهات فلسطين جمعها في سياحات متتالية قاسى فيها ضروب المشاق

ونعي الينا في اوائل الحرب في ٢٤ ت١ ١٩١٤ الاستاذ المرحوم يعقوب برت (Jacob Barth) من كبار المستشرقين في برلين نشر في المجلة الاسيوية الالمانية مقالات ضافية الذيل في كل الآداب العربية لاسيما التاريخية واللغوية. هو احد المستشرقين الذين سعوا بطبع تاريخ الطبري في ليدن. ومن منشوراته كتاب فصيح ثعلب طبع في ليبسيك سنة ١٨٧٦ ونشر ديوان الشاعر النصراني القطامي وله ابحاث نفيسة في اصول اللغات السامية كالعبرانية والآرامية والعربية

ومن المتوفين من المستشرقين الالمان سنة ١٩١٥ الدكتور بولس شرودر (P. Schroeder) الذي تولى في بيروت اعمال القنصلية الالمانية سنين طويلة وكان يُعنى بالآثار الشرقية ويكتب في جرائد وطنه مقالات واسعة تاريخية وادبية واثرية. توفي في برلين

وفي تلك السنة توفي ايضاً في برلين في ٤ آب الدكتور ريشرد كيبرت (R. Kiepert) الذي نشر بعد ابيه خرائط حسنة لسورية وتركية وبلاد العرب

وفي آخر سنة الحرب في كانون الثاني ١٩١٨ فقدت المانية احد اركان علومها الشرقية الدكتور ڤلهوزن (A. Wellhausen) الذي صنّف التآليف الدقيقة في تواريخ العرب قبل الاسلام وآثارهم الدينية والشرعية والمدنية. ثم تتبع اخبارهم بعد الاسلام في عهد بني امية وبني العباس الى سقوط دولتهم وتآليفه هذه من اجود ما كتب في هذا الصدد. وللمذكور تآليف أخرى عن الاسفار المقدسة ذهب فيها مذهب الاوربيين

﴿النمسويون﴾ رُزئت الدروس الشرقية في النمسة بوفاة اربعة من مستشرقيها في هذه الحقبة الثانية. اولهم مدير المكتب الشرقي الملكي في فينا الدكتور داود هنريك مولر (D. H. Müller) توفي في ٢١ ك١ سنة ١٩١٢ بعد ان خدم الآداب العربية زمناً طويلاً وتولى رئاسة المجلة النمسوية الشرقية (WZKM) وهو الذي نشر جغرافية جزيرة العرب للهمداني ١٨٨٤ــ١٨٩١ وكتاب الفرق للاصمعي. ورحل الى جنوبي العرب ونشر عدة كتابات حميرية وآثاراً لغوية قبائل شائعة هناك

والثاني هو الدكتور ادولف ڤاهرمُند (Ad. Wahrmund) دهمتهُ المنون في ايار سنة ١٩١٣ وعمرهُ ٨٦ سنة علّم في جامعة ڤينا العربيّة. ومن آثاره معجم عربيّ الماني في مجلّدين طُبع سنة ١٨٧٧ ولهُ مجموعة ادبيّة مدرسيّة بالعربيّة. وكان متقناً للغة الفارسيّة ألّف فيها عدّة تآليف

والثالث الدكتور مكسيليان بيتنر (Max Bittner) فارق الحياة في ٧ نيسان سنة ١٩١٨ لم يتجاوز عمرهُ ٤٩ سنة. كان ايضاً استاذاً للغات الشرقية في ڤينا ولهُ في مجلّتها الاسيويّة مقالات واسعة تشهد لهُ بالمعرفة باللغات الساميّة ودرس ايضاً لهجات مهرة والحضرموت وكتب عن تاريخ اليزيديّين ونشر اوّل ارجوزة من اراجيز العجّاج

والرابع الدكتور المأسوف عليه جوزف فون كراباسيك (Josef von Karabacek) توفي في آخر الحرب الكونيّة في ت ٢ ١٩١٨ خدم لغتنا العربية بدرسهِ لاقدم مخطوطاتها التي وُجدت في مصر مكتوبةً على البردي وعلى رقوق وقطع من الكتان وهي ترقى الى اوائل الاسلام وبها يثبت انّ اصل الخطّ العربي ليس من الخطّ الكوفي بل من الخطّ النبطي المستحدث الدارج المتعلّق الحروف وقد وُجدت بعض آثار [illegible] تقدّم عهدها على الاسلام ونشرناها في كتابنا الآداب العربية وتاريخها في [illegible] تؤيد هذا الرأي

اما «الهولنديّون» فقد اسفوا منذ شهر آيار السنة ١٩٠٩ على فقدهم إمام الدروس العربية في اوربّة الدكتور دي غويه (M. J. de Goeje) توفاهُ الله في مدينة ليدن التي شرّفها بآثار علمهِ الواسع فكان خير خلفٍ لسلفٍ سبقوا فاشتهروا في هولندة منذ القرن السابع عشر بمعرفة اللغة العربية ونشر آثارها. بل سبقهم جميعاً بوفرة تآليفهِ وضبطها واتقانها. فهو الذي نشر في ثماني مجلّدات مجموعة جغرافيي العرب: كالاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبه والمقدسي وابن الفقيه وابن رسته واليعقوبي والمسعودي فاحرز لهُ فخراً قلّما يبلغهُ غيرهُ. واليهِ يعود الفضل في نشر تاريخ الطبري برواياتهِ وفهارسه ومعجم الفاظهِ. فهيهات ان يبلغ شأوهُ احد الشرقيين. وقد نشر ايضاً قسماً من جغرافية الادريسيّ (نزهة المشتاق) في وصف المغرب. واشتغل مع بعض اساتذة ليدن في وصف مخطوطات مكتبتها الشرقية الغنيّة بالآثار العربيّة ولم يكتفِ الدكتور دي غويه بكل هذه الخدم وغيرها كثير بل وضع مبلغاً كبيراً

من المال فيُصرف ريعهُ في كل سنة لمجازاة بعض المنشورات الشرقيَّة تحكم بها لجنة مخصوصة. وقد عرفنا شخصيًا هذا الرجل العظيم واخذنا العجب من لطفهِ وشهامتهِ واستعدادهِ لمساعدة كل من كان يطلب منهُ خدمةً في سبيل الشرق

وفي هذه الحقبة في شهر نيسان ١٩١٤ كانت وفاة استاذ اللغات السامية في لوزان (سويسرة) جان هنري سبيرو (J. H. Spiro) المعروف بتأليفهِ لمعجم انكليزي عربي طُبع في مصر

﴿الانكليز والاميركيُّون﴾ نُعي الينا في شهر آذار ١٩١٧ احد اصحابنا الانكليز العلَّامة اميدروس (H. F. Amedroz) المولود سنة ١٨٥٤. تخرَّج على آداب وطنهِ وتقلَّد فيهِ عدَّة اعمال ثمَّ تفرَّغ لدرس العربية ومخطوطاتها فكان احد كتبة المجلة الملكيَّة الاسيويَّة الانكليزيَّة. وغيرها من المجلَّات. ومما خدم بهِ الشرق العربيَّ كتابان من اجلّ كتب التاريخ نشرهما في مطبعتنا الكاثوليكيَّة: الاوَّل تاريخ الوزراء لابي الحسن الهلال الصابئ مع الجزء الثامن من تاريخ آخر لهُ (سنة ١٩٠٤) والثاني ذيل تاريخ دمشق لابي يعلي حمزة ابن القلانسي (١٩٠٨) مضيفاً اليها خلاصتها بالانكليزيَّة وحواشي واسعة وفهارس جليلة

وفي ١٤ نيسان سنة ١٩١٧ فُجعت جامعة برنستون في الولايات المتحدة برجل من متقدّمي علمائها الدكتور برونُّوق (R. F. Brünnow) الذي افادنا كثيرًا بمطبوعاتهِ العربية. نخصُّ منها بالذكر كتاب الموشَّى لابن اسحاق الوشَّاء طُبعهُ في ليدن سنة ١٨٨٦ وكتاب الإتباع والمزاوجة لابن زكريَّا ومنتخبات مدرسيَّة ولاسيما الكتاب الحادي والعشرين من الاغاني الذي يفضل كثيرًا على الطبعة المصريَّة. وقد اشتغل في وصف الآثار العربيَّة وكان احد المتولّين لحفريَّات حوران مع اساتذة جامعة برنستون فوصفوا ما اكتشفوهُ بمجلَّدين ضخمين غاية في الحسن مع خارطة مدقَّقة من رسمهِ الخاصّ

وأُسّست الكليَّة الاميركانيَّة في بيروت في ٢٨ ايلول ١٩٠٩ باحد معلميها الافاضل الدكتور جورج بوست (G. Post) الذي انشأ مع الدكتور كورنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات سنة ١٨٦٧ مدرستها الطبيَّة فخدمها نيفًا واربعين سنة بكل همَّة وتعاطى الطبَّ والجراحة في بيروت ولبنان. وكان تعمَّق في درس العربيَّة وبها انشأ

كتبهُ الطبيَّة في الجراحة وغيرها . وكان مولعاً بعلم النبات لهُ فيه تآليف كبير بالانكليزيَّة والعربيَّة فوصف نبات سوريَّة وفلسطين وشبه جزيرة سينا متجشماً لجمع حشائشها اسفاراً شاقَّة

وفي أبَّان معمعان الحرب في ٢٨ تموز سنة ١٩١٦ رحل الى الابديَّة وكن آخر للكلية الاميركيَّة الدكتور دانيال بلس (D. Bliss) الذي قدم بيروت سنة ١٨٥٦ فكان لهُ اليد الطولى في انشاء مدرستهم الكلية سنة ١٨٦٦ وبقي رئيسها نحو اربعين سنة فدبَّرها بكل حكمة وجهَّزها بالابنية العلميَّة والادوات والمتاحف التي جعلتها من اكبر معاهد العلم في سوريَّة بل في كافَّة الشرق لم نأخذ عليها سوى تربية طلَّبتها على المبادئ البروتستانية التي دفعت كثيرين منهم الى التحرُّر من تعاليم الدين

﴿الاسبانيُّون . الايطاليون . الروسيُّون﴾ أسفت اسبانية في ٦ ت٢ ١٩١٧ على فقد شيخ علمائها المستشرقين الدكتور دون فرنسسكو كوديرا إي زيدين (Fr. Codera y Zaidin) الذي ولد في ٢٣ حزيران ١٨٣٦ ودرس الآداب العربية على المستشرقين كاتلينا (S. Catalina) ودي غايانغوس (P. de Gayangos) فبرع فيها وتعيَّن مدرساً للغة العربية في جامعة مدريد سنة ١٨٧٩ . وسافر الى فاس ومراكش والجزائر فبحث عن المخطوطات الشرقية وسعى بجمع المصنفات العربية الاسبانيَّة القديمة فوصفها بكتاب كبير . ومن منشوراته الجزيلة الفائدة مجموعة « المكتبة العربيَّة الاسبانيَّة » فنشر عشرة اجزاء منها تتناول تواريخ اسبانية العربيَّة وعلمائها لابن بشكوال وابن الفرضي وابن الأبار واحمد الضبي وكان لهُ الفضل في النهضة الادبية المدروس الشرقيَّة في وطنهِ . فتخرَّج عليهِ عدَّة تلامذة قدَّموا لهُ يوم يوبيلهِ الذهبي سنة ١٩٠٢ مجموعة لطيفة ضمَّنوها عدداً عديداً من الآثار العربية . وقد جمع هو في مجلَّد كبير مقالات لهُ متفرِّقة عن تاريخ العرب وآثارهم فنشرها على حدة

اما ﴿الايطاليُّون﴾ فرُزئوا باحد اساتذة الكلية اليسوعيَّة الرومانيَّة الاب هنري جسموندي (H. Gismondi) معلم اللاهوت في مدرستنا ببيروت مدَّة عشر سنوات عُني بدرس اللغتين السريانيَّة والعربيَّة فنشر فيها تآليف مختلفة منها كتابهُ في اصول اللغة السريانيَّة مع منتخبات ومعجم . ومنها نشرهُ لمقامات عبديشوع الصوباوي

مع ترجمتها الى اللاتينيّة والقسم الثاني من قصائد القديس غريغوريوس بالاسطرنجلي وطبع في رومية تاريخين عربيين من تواريخ الكلدان: اخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى من كتاب المجدل (١٨٩٦) وتاريخهم لماري بن سليمان (١٨٩٩)

وكذلك الروسيّون فقدوا في هذه الحقبة الاستاذ داود كفرلسون (D. Chwolson) توفي في بطرسبورج في ٦ نيسان ١٩١١ وكان مولده في ١٠ ك١ ١٨٢٠. كتب في مجلة اكادمية بطرسبورج مقالات عديدة عن الشرق. ومن تآليفه ما نقله العرب من آثار البابليّين الاقدمين (١٨٥٩) ونشر ما ورد في الاعلاق النفيسة لابن دوسته عن الروسيين والصقالبة وشعوب البلقان وترجمها الى الروسيّة

(له بقية)

مولد مريم العذراء في تقليد الاسلام

الاب لويس شيخو اليسوعي

لا يخفى ما للعذراء مريم امّ عيسى من المقام الرفيع في التقاليد الاسلامية. وقد احببنا اليوم ان نذكر هنا ما ورد في تآليف ائمتهم عن مولد البتول بمناسبة وقوع هذا العيد في الكنائس الكاثوليكيّة اليوم الثامن من شهر ايلول. ولسنا نقطع بصحّة ما ننقله هنا عن كتبهم وانّما هو فقط تعريف ما دار في خلدهم او ما اخذوه عن تآليف نصرانية سابقة فصدّقوا عليه

١ نسب العذراء مريم

يقرّر التقليد النصراني استنادًا الى قدماء الآباء والكتبة الكنسيين ان مريم العذراء ابنة القديس يواكيم والقديسة حنة. ويروى في انجيل لوقا (١: ٣٦) انّ القديسة اليصابات زوجة الكاهن زكريّا كانت نسيبتها وقد فصّل ذلك الكتبة المسلمون فقال

المسعودي في مروج الذهب (١ : ١٢٠ طبعة مصر ١ : ٢٦) :

«زكريا هو ابن ادق من ولد داود من سبط يهوذا وكان تزوّج اشباع (ويروى ايشاع وايساع) بنت عمران أخت مريم بنت عمران (١ امّ المسيح وهو عمران بن ماذان بن بساقيم (ويروى ابن ماثان بن يهاميم) من ولد داود ايضاً واسم امّ اشباع ومريم حنة وولدت اشباع لزكريا يحيى ابن خالة المسيح عليه السلام»

وقال الطبريّ في كتابه «تاريخ الرسل والملوك (١ : ٧١١ــ٧١٢) :

«كان زكريا بن برخيا (كذا) ابو يحيى بن زكريا وعمران بن ماثان متزوّجين باختين احداها عند زكريا وهي امّ يحيى والاخرى منها عند عمران بن ماثان وهي امّ مريم. فماتت عمران ابن ماثان وامّ مريم حاملٌ بمريم . . . واسم امّ مريم حنة بن فاقود بن قبيل(؟) واسم اختها امّ يحيى الاشباعُ ابنة فاقود . . .»

ثم يذكر نسب مريم فيقول انها «ابنة عمران بن ياشهم(؟) بن أمون بن منشا بن حزقيا» حتى يبلغها الى سليمان بن داود

اما ابن خلدون فيقول في تاريخه كتاب العبر (٢ : ١٤٣ــ١٤٤) :

«كان [illegible] في عصره وكانت تحته مريم بنت فاقود بن قبيل(؟) وكانت من العابدات [illegible] اختها ايشاع ويقال خالتها تحت زكريا بن يوحنا» ثم يقول (ص ١٤٤) «ان معنى عمران بالعبرانية يواقيم وكان له اسمان»

حبل العذراء مريم بلا دنس

يتفق الكاثوليك بانّ مريم العذراء منذ اوّل ما حُبل بها في احشاء والدتها القديسة حنة لم تمسّها الخطيئة الاصلية الموروثة من مخالفة آدم وحوّاء لاوامره تعالى في الفردوس فنالت وحدها تلك النعمة لكرامة ابنها السيد المسيح على خلاف كل بني آدم الذين تتدنّس نفسهم بها منذ اوّل نسمة من حياتهم. والمسلمون قد رووا هذا التقليد

١) في قول المسعودي والطبري وغيرهما. انّ مريم هي بنت عمران نظرٌ فانّ في التوراة لا تُعرف مريم يدعى والدها عمران غير مريم اخت موسى النبي وهارون. انما المؤرخون استندوا الى سورة آل عمران (٣ : ٣١) وسورة مريم (١٩ : ٢٩) فاشتبه عليهم

واوّل صدًى لعصمة مريم العذراء من الخطيئة الاصليّة نجدهُ في ذات القرآن في سورة آل عمران (ع ٤٢): «يا مريم انّ الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين» فهذا الاصطفاء على نساء العالمين هو نفس قول الملاك جبرئيل لمريم (لوقا ١: ٢٨): «يا ممتلئة نعمة الربّ معك مباركةٌ انت بين النساء»

وفي كتب الحديث شاهدٌ اسطع يثبت اعتقاد المسلمين لهذه العصمة. روى الثعلبي في كتاب قصص الانبياء المسمّى بالعرائس (ص ٣٣٧ من طبعة مصر) حديثاً رفعهُ باسنادهِ الى ابي هريرة عن نبي المسلمين حيث يقول: «ما من مولودٍ الّا والشيطان يمسّهُ حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان إلّا مريم وابنها» وقد شرحهُ الزمخشري في الكشّاف في سورة آل عمران فقال: «ومعناهُ انّ كل مولود يطمع الشيطان في اغوائهِ إلّا مريم وابنها كانا معصومين»

٣ مولد مريم العذراء العجيب

غاية ما يعرفهُ النصارى عن مولد مريم العذراء ما يروونهُ عن تقليد قديم يرتقي الى الآباء القديسين ابيفانيوس وغريغوريوس النزينزي ويوحنا الدمشقي وهو ان حنّة ام مريم تقدّمت في السنّ وهي عاقر فاستمدّت هي وزوجها القديس يواكيم بصلاتها ومبرّاتها ان تحبل بمريم وبشّرهما بها الملاك جبرائيل بعد ان نذرت حنة ان تفرزها لخدمة الهيكل

وفي التقليد الاسلامي ما هو اوسع من ذلك وهو منقول غالباً عن بعض كتب قديمة مصنوعة اخصّها كتاب مولد مريم وكتاب انجيل يعقوب فنروي كلامهم على علّاته

واوّل ما ورد من ذلك قول القرآن في سورة آل عمران (٣: ٣٤):

«اذ قالت امرأتُ عمرانَ: ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرّرًا فتقبّل مني إنك انت السميعُ العليم. فلمّا وضعتها قالت: ربِّ اني وضعتها أنثى والله اعلمُ بما وضعتْ وليس الذكرُ كالانثى واني سمّيتها مريم واني اعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم. فتقبّلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكرّيا»

واوضحَ ذلك ابو الفداء في تاريخهِ المعروف بالمختصر في اخبار البشر (١ : ٣٦) قال :

«وكانت حنَّة زوج عمران لا تلد واشتهت الولد فدعت بذلك ونذرت إن رزقها اللهُ ولدًا جعلَتْه من سَدَنة بيت المقدس فحبلَتْ حنَّة وهلك زوجها عمران وهي حامل فولدت بنتًا وسمتها مريم ومعناهُ العابدة (١)»

وقال الكسائي في قصص الانبياء (ed. Eisenberg, 301-302) :

« انَّ زكريا وعمران كانا من اولاد سليمان . . . وكان عمران سمهُ ولم يُرزَق احد منهما ولدًا فبينا امرأة عمران جالسة ذات يومٍ واذا بحمامة في الدار تحتها فرخها . فبكت حنة عند ذلك وقالت لزوجها : ادعُ الله لنا ان يرزقنا ولدًا . فقال لها : قومي نتوضأ ونصلي وندعو ربَّنا ففعلا ذلك . فغلب عليها النوم فرأى عمران قائلًا يقول لهُ : يا عمران انَّ الله قد اجاب دعاءكما قف وواقِعْ زوجتك فانها تحمل من ساعتها . فقام وواقعها فحملت من ساعتها ثم قالت حنة : ان رُزقتُ ولدًا ذكرًا لأجعلَنَّهُ خادمًا للبيت المقدَّس . فقال لها زوجها : انَّ الذي في بطنكِ انثى . فقالت : ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا فتقبَّلْ مني ولو كانت أنثى . فلما دنت ولادتها وضعت ابنةً وسمَّتها مريم »

٤ كفالة زكريَّا لمريم

ليس شيء مقرَّر في تقليد النصارى عن كفالة زكريَّا ابي يوحنا المعمدان لمريم . وانما يحتفلون بذكر تقدمتها للهيكل في ٢١ من شهر تشرين الثاني . ودونك بعض ما ورد من ذلك في كتب المسلمين

روى ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ١٤٤) عن الطبري ما حرفهُ :

« وعن الطبريّ وكانت حنة امَّ مريم لا تحبل فنذرت لله ان حملت لتجعلنَّ ولدها حبيسًا في بيت المقدس على عادتهم في نذر مثلهِ . فلما حملت ووضعتها لفَّتها في خرقتها وجاءت بها الى المسجد فدفعتها الى عبَّادهِ وهي ابنهُ إمامهم وكهنوتهم فتنازعوا في كفالتها واراد زكريا ان يستبدَّ بها لانَّ زوجهُ ايشاع خالتُها ونازعوهُ في ذلك لمكان ابيها من إمامهم . فاقترعوا فخرجت قرعة زكريا عليها فكفلها ووضعها في مكان شريف من المسجد لا يدخلهُ سواها وهو المحراب فيما قيل »

---

١) اسم مريم باللغة العبرانيَّة معناهُ السيدة والمنيرة وفي السريانية معناه بحر المرّ

وقال الكسائي في قصص الانبياء (ص ٣٠١).

« فلما كمل رضاع مريم حملتها حنة الى المسجد فوجدت هناك زكريا ومعهُ نفرٌ من العباد فقالت: هذه ابنتي مريم قد جعلتُها محرَّرةً وقد تقبَّلها الله مني. فقال زكريا: هذه جاريةٌ صغيرة ولا بدَّ لها من وليٍّ يكفلها حتى تبلغ ثمَّ تكون خادمةً للمسجد. ثمَّ قال: اني أكفلها لاني متزوج بخالتها. فقال العباد: لا بل نقترع عليها. فكتبوا اسماءهم على الأقلام فمضوا بها الى عين سلوان ورموا بالاقلام في العين فظهر قلمُ زكريا على وجه الماء وغرقت اقلامهم فاخذها زكريا وكفلها فمات ابوها وانبتها الله نباتاً حسناً »

٥ مريم في الهيكل

قال ابن خلدون في تاريخه (٢: ١٤٤):

« واقامت مريم في المسجد تعبدُ الله وتقوم بسدانة البيت في نوبتها حتى كان يُضرَب بها المثل في عبادتها وظهرت لها الاحوال الشريفة والكرامات كما خطَّهُ القرآن »

والكرامة التي ذكرها القرآن انَّ « زكريا » كان كلَّما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً . . . فقالت لهُ: « هو من عند الله يرزقُ من يشاء بغير حساب »

وقد وجدنا خبر هذه الكرامات مفصَّلاً في كتاب طُبع في بيروت على الحجر سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧م) عنوانهُ « قصَّة عيسى مع والدته مريم » قال (ص ٤):

« ثمَّ جعلت مريم تنشأ نشوءاً صالحاً فلما بلغت اثنتي عشرة سنة وعرفت في العلوم بنى لها زكريا مسجداً فكانت فيهِ صائمةً النهار قائمةً الليل. وهي جعلت مؤنتها في كل يوم قرصين من شعير فكانت تفطر على احدهما وتتصدَّق بالآخر ولا تعرف عبادة ربها. فلما كان في بعض الايام نسي زكريا فطور مريم فباتت طاويةً واصبحت صائمة. فضجَّت الملائكة وقالوا: إلهنا وسيدنا انت اعلمُ بكل شيء لا يخفى عليك خافية أما ترى أمتك الطاهرة قد باتت طاويةً واصبحت صائمة. فقال الله عزَّ وجلَّ: انصتوا يا ملائكتي فكلُّ ذلك بعلمي وارادتي. واوحى الله الى جبريل وميكائيل عليهما السلام أن: اهبطا الى الجنة في اسرع من طرفة عين وخذا طبقاً من اطعمتها واجعلا فيهِ من جميع فواكهها واهبطا بهِ على أمَّتي مريم. ففعلا ما امرهما بهِ الله. فلما ترلا ووقفا بين يديها حطَّا الذي معهما وقالا لها: هذه هدية الله اليكِ. فسجدت مريم شكراً لنعمة الله عز وجل. . . وانَّ زكريا عليهِ السلام لمَّا تذكر فطور مريم اخذهُ وتوجه اليها ودقَّ باب المسجد فقالت: من بالباب؟ قال: زكريا يا مريم لقد نسيتُ فطوركِ وحقَّ الله العظيم. ففتحت لهُ فلما

دخل عرجت الملائكة فنظر زكريا الى ما جاء به فقال كما اخبر له تعالى فتقبلها ربها (الآية) ثم حمد الله على ذلك وانصرف

نضبط هنا عنان القلم مؤجلين لمرّة اخرى ما كتبهُ المسلمون عن العذراء مريم منذ بلوغها وبشارة الملاك اليها الى آخر حياتها. وفي ما نشرنا هذه الدفعة كفاية للدلالة على مقام العذراء مريم عند كل المسلمين اذ صدّقوا على الامتيازات التي حصلت عليها وبها فاقت على كل نساء العالمين. وهيهات ان ترى شيئاً من تلك النعم في سواها

ومن الوقوف على هذه الخواصّ العجيبة التي تشرّفت بها مريم امّ يسوع يمكن ايضاً ان نتبيَّن عظم ابنها السيد المسيح. فان كانت الام في هذه المرتبة السامية فما القول عن ابنها المدعو في نفس القرآن بروح الله وكلمة الله. أليس يثبت بذلك اعتقاد النصارى ان السيد المسيح يعلو فوق الطبيعة البشرية وانهُ الاله المتأنس ؟

حاضرة سان باولو في البرازيل

نظر تاريخي واقتصادي للقس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي

ابحرتُ من بيروت برخصة نيافة الكرديناال تاجي رئيس مجمع الكنيسة الشرقية واذن غبطة مولاي الكلّي الطوبى البطريرك افرام الثاني رحماني في ٢٥ تشرين الاوّل من العام الماضي على ظهر الباخرة شامبوليون فوصلنا الى مرسيليا في غاية الشهر المذكور. وركبت منها الباخرة ألسينا المتوجهة الى البرازيل فبلغنا خليج ريو دي جانيرو في ٢١ تشرين الثاني ونحن في طريقنا نعاين البلاد وعجائب البرّ والبحر ما يطول شرحهُ وقد وصفهُ قبلنا وصفاً شائقاً الاديب حبيب افندي فريحه البشعلاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٢٦٠ــ٢٢٦) ومن ثمَّ اني اقتصر على ذكر المدينة سان باولو احدى حواضر البرازيل التي حللتها منذ قريب عام كامل

تاريخ سان باولو

سان باولو (Saõ Paolo) مدينة كبيرة على ضفّة نهر ينصبُّ في نهر تيساتي من سواعد نهر پارانا الكبير

يرتقي اصل هذه المدينة الى اواسط القرن السادس عشر والفضلُ في اختيار موقعها يعود الى اليسوعيين الذين أدّوا للبرازيل عموماً ولسان باولو خصوصاً من الخدم الكبيرة التي لا يجحدها إلّا من يغمط نِعَم المحسنين وينكر الحقائق التاريخية الباهرة

كان اوّل وصول اليسوعيين الى البرازيل سنة ١٥٤٩ في عهد منشئ رهبانيّتهم القديس اغناطيوس وبعد تثبيت جمعيّتهم بسنين قليلة. طلبهم ملك البرتغال ليسيروا في رفقة حاكم البرازيل توما دي سوزا (Thomé de Souza) وكان رئيسهم احد نوابغ رهبانيّته الاب مانويل دي نوبريغا (M. de Nobréga) ومن جملتهم شابٌّ ذو همّة قعساء اعدَّهُ الله ليكون رسول البرازيل الاب يوسف دي أنكيتا (J. de Anchiéta)

ما كادت قدمهم تستقرُّ في ساحل البرازيل حتى فكّروا في تهذيب اهلها الوطنيين فسكنوا اوّلاً في المكان المُعدّ لتمصير مدينة سان سلفادور وفتحوا فيه مدرسةً ثمّ رحل بعضهم الى مدينة باهيا (Bahia) فخصُّوها ايضاً بمدرسة عمّروها على نفقتهم باحشاب كانوا يقطعونها من غابة قريبة فدخلها سنة ١٥٥١ عشرون تلميذاً كانوا باكورة الحضارة النصرانية في البرازيل

ثمّ سارت فئة ثالثة من المرسلين قاصدةً تهذيب قبائل هنديّة في داخلية البلاد تُدعى پيراتينينغا (Piratininga) فبلغوها في ٢٥ كانون الثاني وفيه عيد ارتداد القديس بولس الرسول فدعوا ذلك المكان باسم هذا الاناء المصطفى. وهو الاسم الذي غلب مذ ذاك العهد على مدينة سان باولو. وكان اوّل ما ابتناهُ اليسوعيّون مدرسة كبيرة رأسها الاب مانويل دي پيڤا (M. de Paiva) واتى برفقته الاب أنكيتا فتفانى في تهذيب الاحداث الذين دخلوا المدرسة فكان يتولى كلّ شؤونهم مادّياً وادبياً لا يدع شيئاً من امورهم اكلاً وشرباً وكسوةً ومبيتاً وطبابةً ودرس لغتهم

الهندية المسماة «تابي» وألف فيها لاخوته غراماطيقا ومعجماً فكان كلاً للكل على حسب قول الرسول

وما عمّت هذه المدرسة المبنية على اسم القديس بولس ان اصبحت مركزاً للهنود فأتوا وبنوا حولها اكواخهم كما فعلوا حول مدرستي سان سالفادور وباهيا ومع خدمة اليسوعيين للهنود خدموا ايضاً وطنهم فدافعوا عن تلك المستعمرات التي لدولتهم فنظّموا الوطنيين وعلّموهم كيف يتصدّون لاعدائهم . وأما سار الكلاويتيون الفرنسويين ليغزوا تلك البلاد قامت العشائر الموالية للبرتغاليين الكاثوليك في وجه الغزاة واضطرّوهم بعد زمن قليل الى ان يرجعوا على اعقابهم خاسرين . واستمرّ المرسلون اليسوعيون يفلحون ذاك كرم الربّ بعرق جبينهم وبدمائهم فأتت اعمالهم بأثمار طيّبة ونصّروا كثيرين من تلك القبائل التي كان بعضها ممّن يقتاتون بلحوم البشر . وثبتوا على جهادهم الى زمن المركيز دي بومبال الذي نفاهم من البلاد

ومما يعود فيه الفضل الى اليسوعيين طول زمن اقامتهم في البرازيل مساعيهم في عتق الهنود العبيد من رقّ عبوديّتهم فكان التجّار يجمعون سنوياً منهم عشرات الالوف فيبيعونهم بيع السلع من اصحاب الاملاك فيجبرونهم على استغلال ارزاقهم وسائر اشغالهم الشاقة فقام اليسوعيون وقعدوا لالغاء هذه التجارة المستقبحة لا يبالون بغضب اولئك الاسياد الظالمين المتغطرسين(١

بقيت سان باولو قريةً صغيرة لا يزيد سكّانها على بضع مئات من الاهلين المتحدين في اكواخ حول المدرسة اليسوعية وكان سبب خمولها قلّة الامن وفقد الراحة سواء كان منشوب الحرب بين القبائل الوطنيّة ام بسبب غزوات الانكليز المعادين للبرتغاليين . ولاسيما لاجل نشوء داء الجدري بين الوطنيين فذهب بحياة كثيرين منهم

ولم تتحسن امور سان باولو إلّا قليلاً بانضمام عدد من البرتغاليين وذوي البشرة البيضاء اليهم في اواسط القرن السابع عشر الى ان حوّل اليها سنة ١٦٨١ المركيز كراتيس (Casues) عاصمة سان ڤيسنتي ليصون اهلها من غارات القرصان الذين كانوا يتلصّصون المدينة ويهاجمونها ويعيثون فيها . فأخذت سان باولو في التقدّم فبلغ سنة

(١) راجع كتاب الاب بوريشون J. Burnichon: Le Brésil d'Aujourdhui. p. 287-298

١٧٧٦ عدد اهلها ٢٥٠٠ ثمّ تضاعف هذا العدد بعد عشر سنوات . وانّما بلغت ترقياً محسوساً فقط في القسم الثاني من القرن التاسع عشر بل اخذت ترقى الى معارج الفلاح بعد ذلك فأحصي عدد سكانها سنة ١٨٧٥ فاذا هو قريباً من ١١٠٠٠٠ وفي السنة ١٨٩٠ كان ٦٥٠٠٠٠ وادرك في بدء القرن العشرين عدد ٢٩٠٠٠٠ وهو اليوم لا يقلّ عن ٨٠٠٠٠٠ فاصبحت المدينة الثالثة في جنوبيّ اميركا بعد ريو دي جانيرو وبونس ايرس وغلبت عدد عاصمتي الاوروغواي والشيلي مونتيفيديو وسنتياغو . فمن كان يا ترى يحلم بهذا التقدّم بان ستتحوّل تلك القرية ذات الاكواخ الحقيرة المبنيّة حول مدرسة اليسوعيين الى احدى امّهات المدن ؟

وفي ١١ حزيران من السنة ١٩٢٥ أُقيمت في سان باولو حفلة فخمة لتذكار واقعة ريشوليو واستقلال البرازيل قبل مئة سنة نُصب في المدينة تمثال لهذا العيد . وصدر الامر بان يقام سنويًّا موسمٌ خصوصيّ في ٢٥ ك٢ يوم عيد ارتداد مار بولس تذكارًا لتأسيس المدينة على اسمه . وقد حضرنا في هذه السنة العيد المذكور الذي تمّ بكل أُبهة ورونق فاقام سيادة رئيس اساقفة المدينة مون سنيور دوارتي ليوبولدو قداساً حبريًّا في كنيسة سيدة الكرمل . وفي اثره احتشد جمهور الشعب في ساحة المدينة الكبرى وألقي خطاب بليغ ورد فيه ذكر تاريخ المدينة ثمّ تغنّى الاولاد وكان عددهم سبعة آلاف بالغناء الوطني وتقدّموا الى التمثال فنثروا عليه طاقات زهورهم . وبعد الظهر جرى تطواف ديني جليل رأسهُ سيادة رئيس الاساقفة والاكليروس واوباب المدينة والشعب فكان لهُ احسن وقع في القلوب

اقسام مدينة سان باولو

سان باولو على اربعة اقسام : الاوّل منها المدينة القديمة وهو مركز الحركة التجارية بأسرها وفيه القصور الشامخة والابنية الفخمة الشائقة . والثاني يتألف من الضواحي وفيها الساحات والمتنزهات الواسعة . والثالث هو المدينة الحديثة ذات العمارات الشاهقة الدينيّة والمدنيّة كالقديسة افيجنيا والقديسة سيسيليا وحقول الاليزاي (Campos Elyseos) وقصر الصحّة (Hygienopolis) . والرابع يُطلق على المدينة الواطئة فيها الفسحات الكبيرة للرياضات البدنيّة والمسارات والالعاب وبهذين

الحيّين يسكن اغلب الايطاليين وفيها اعظم الحركة التجارية

وفي مركز المدينة قصر الحاكم ومعاهد ارباب الامور والمدارس العليا للتجارة والحقوق والمخازن الكبيرة وفيه توجد الآثار والمتاحف والتماثيل وبه تتصل الشوارع الكبرى حيث الازدحام مستديم والحركة لا تنقطع وفي آخر احد هذه الشوارع المعروف بالشارع الاين جسرٌ حديدي يدعى شاه (Chá) طولهُ ٢٤٠ متراً في عرض ١٤م وفي طرفهِ قصر شاهق محكم الهندسة تحيط بهِ الحدائق الجميلة. وفي شارع آخر يدعى البارون حديقة غنّاء تحتوي اجمل ما يوجد في البرازيل من اصناف الزهور. هذا ما خلا جناناً اخرى عديدة في انحاء المدينة يقصدها الاهلون في اوقات الفراغ ليستنشقوا الهواء البليل ويستجموا قواهم

متحف سان باولو

أُفرد لهذا المتحف بناء فخمٌ حديث الطرز متقن الهندسة حسن التقسيم شيّدوهُ قريباً من ساحة ايبيرنغا حيث نُودي باستقلال البرازيل وشُيّد الاثر الجميل المُشعر بتلك المناداة مع تماثيل مشاهير رجالهم. وقد دُشّن هذا المتحف في ٧ ايلول سنة ١٨٩٥ ويبلغ كلَّ سنة عدد زائريهِ ألوفاً مؤلفة وكان احصاؤهم نحو مئتي الف في هذه السنة والدخول مباح للجمهور يومي الخميس والاحد. وفيهِ المعاهد المختلفة منها للنباتات ومنها للحيوانات والحشرات والاسماك البحرية والنهرية ومنها للاسلحة وللازياء والنقود ومنها لمصنوعات الهنود واسلحتهم. ومنها للفنون الجميلة بينها صور مشاهير البرازيل من جملتها صورة الاب اليسوعي يوسف انكيانا ذي الفضل العميم على البرازيل عموماً وعلى سان بول خصوصاً. وهذه الصورة تمثلهُ اذ كان يبشر يوماً بين الهنود واذ لم يجد ما يخطّهُ بالقلم نظم شعراً كتبهُ بعصاهُ على الارض واذا بهِ قصيدة لمديح العذراء عنونها بهذه الالفاظ: «دونك يا امّاً قديسة ما نظمتهُ سابقاً في مديحكِ»

En tibi quæ vovi, Mater Sanctissima, quondam carmina

والحقّ يقال انّ حياة هذا الرجل العجيب موضوع اكرام كافّة اهل البرازيل يتناقلون اخبارهُ ويعدّونها كأجمل أثر لهد. دنيّتهم واليهِ ينسبون ترقي وطنهم ويعدّون

لدى الكرسي الرسولي بتثبيت قداسته . وقد اجترح من العجائب الباهرة في حياته وبعد موته ما لا يُحصى عدًّا . وأما مات في ٩ حزيران سنة ١٥٩٧ عُدَّ موتهُ رزءًا عموميًّا اشترك في اكرام جثته وحفلة جنازته البرتغاليون وقبائل الهنود عدَّة ايام فبقي دون ان يعتري جسمهُ الفساد بل تنبعث منهُ رائحة عطرية اذهلت كلَّ الحضور . ورفاتهُ اليوم مصونةٌ في كنيسة باهيا وقد نُقل قسمٌ منها الى رومية

الصناعة في سان باولو

بلغت الصنائع في هذه المدينة شأوًا عظيمًا فضاعفت ثروتها . واخصّ محصولاتها المنسوجات القطنيَّة . فانها اخذت في التقدُّم شيئًا فشيئًا في القرن التاسع عشر حتى بلغت اوج نجاحها في السنة ١٩١٣ فان ولاية سان باولو تدير وحدها ٤٩ معملًا يشتغل فيها نيف و١٦٫٠٠٠ عامل من ذكور واناث . ومما ساعد على نجاحها الحرب الكونيَّة التي بسببها بطلت مزاحمة المنسوجات الاجنبيَّة .

وكان اهل سان باولو يحتاجون الى اكياس من قنَّب يودعون فيها بنّهم الشهير فكانوا يستجلبونها سابقًا من الخارج فقام رجال وطنيون من ذوي الهمة وشرعوا في معاملهم هذا الصنف من الانسجة حتى امكنهم ان يستحضروا ٣٠ مليون متر منها في السنة

ومن معاملهم تصدر كذلك المنسوجات الصوفيَّة وضروب الاقمشة والستائر والشالات ورباطات الرقبة وقبَّاتها والجرابات والقبعات . وقد اشتهر من المعامل لهذه المنسوجات معمل القديس برنردس ومعمل كرسبي العائلة ايطاليين فجاروا المنسوجات الاجنبيَّة بل فاقوا عليها

ومثلها معاملهم الحريرية التي أُنشئت منذ زمن حديث وهي اليوم تجاري المعامل الحريرية الكبرى بحسن نسجها وصبغها بالالوان الزاهية

اما معاملها الغذائية فحدِّث عنها ولا حرج . فانَّ طواحينها مشهورة ومنها ما يستطيع ان يطحن في النهار نحو ٣٫٥٠٠ كيس من الحنطة ومثلها الذرة الصفراء . وقد اشتهرت ولاية سان باولو باستحضار الكعك (البسكوت) وتصديره لغيرها من البلاد وكذلك الشوكولاتا على اختلاف اشكالها وكيفيَّاتها واجناسها

ولولاية سان باولو معامل للمشروبات منها الجعة (البيرة) الفاخرة اللذيذة . ومنها المرطبات المنعشة التي لا يخالطها الكحول . والجرائد تطرى في مديح معامل سان باولو التي تجهز انواع الصابون والروائح العطرية والمواد الكيموية والادوية فحازت قصب السبق في إعداد هذه الاصناف

وكذلك الصنائع البنائية بكافة موادها من حجارة وخشب ومعدن . ويساعد الاهلين على البناء ما بقربهم من الاحراج الواسعة تشتغل عدة معامل بنشر شجرها وتهيئتها . ولا غرو فان ابنية سان باولو بعد ان كانت ذات طابق واحد الى سنة ١٩٠٩ وعددها في السنة ٢٣٩٥ هي اليوم تتألف من عدة طوابق وبلغ مجموع ابنيتها سنة ١٩٢٤ ٤٢٩٥ سنوياً منها ١٢١٤ بيتاً بطوابق متعددة

الزراعة في سان باولو

هي اكثر من صناعتها . واخص مزروعاتها البن (القهوة) والرز والذرة الصفراء وقصب السكر والتبغ والقطن

﴿القهوة﴾ تعد بلاد البرازيل من اغنى بلاد الله بمزروعات البن يصدر منها الى سائر بلاد الدنيا . ولسان باولو نصيب كبير في هذه التجارة منذ السنة ١٨٧٠ . يصدر منها في السنة عدة ملايين كيلو . على ان الحمى المعروفة بحمى البن اضعفت همة كثيرين في زراعتها

﴿الارز﴾ كان لزراعة الارز رواج عظيم منذ اوائل القرن التاسع عشر فكانوا يؤتون منه بلادهم ويصدرون الى الخارج كميات وافرة فصار التقدم عليه بعد السنة ١٨٧٠ للبن وقلت محصولات الارز حتى لم تعد تكفي لاهل البلاد فاستجلبت الحكومة منها الكميات الوافرة من الخارج إلا ان بعض الاهلين اتفقوا مع الحكومة فجعلت زيادة في المكوس على الارز الاجنبي وما مر على المزارعين الوطنيين زمن طويل حتى اعادوا للارز خصبه . وساعدهم على ذلك بعض المهاجرين من سورية فاستحضروا لتقشير الارز ادوات خاصة توفيراً لكمياته . واليد العاملة فيها اغلبها من اليابانيين

﴿الذرة الصفراء﴾ هذا النوع اصله من اميركا وجده فاتحو اميركا في القرن الخامس

عشر . وقد استجابهُ الى اوربّة كرستوف كولمبو . وهو في البرازيل كثير الاستعمال يقوتون بهِ الحيوانات ويتخذون منهُ حساء يدعونهُ Angu يشبه ما يدعوهُ الايطاليون بالپولنتا (Polenta) وهم يزرعونهُ في ايلول وتشرين الاوّل ويحصدونهُ بعد خمسة او ستة اشهر

﴿قصب السكر﴾ دخل اميركا بعد اكتشافها . واتى بهِ الى مقاطعة سان پاولو المدعو مرتيم الفونسو (M. Affonso) . فازهرت زراعتهُ سنين طويلة ثم اخذ في الانحطاط والتأخير بسبب هواء البلاد وانوائهِ . وسان پاولو تُعد في الترتيب كالولاية السادسة في تجارتهِ . يزرعونهُ في شهري تشرين الثاني وشباط ويقطفونهُ في آب وايلول

﴿التبغ﴾ اصلهُ من اميركة وجدهُ فاتحوها في ايدي الاهلين يدخنونهُ بقصبة (غليون) كبيرة الحجم يزينها ريش مختلف الالوان وملفوفة بشعر مضفور على طرفها . وكانوا يشربونهُ بعد الاكل فيقدمونهُ لضيفهم قتارة يستنشقهُ بأنفهِ وطوراً بفيهِ . ثم دخل التبغ الى البورتغال وفرنسة وحدثت بسببهِ نزاعات في تركية وانكلترة وغيرها ثم شاع في سائر العالم القديم

ان خصب سان [illegible] تصلح كثيراً للتبغ فمزروعهُ بعناية قليلة تنمو [illegible] اوراقاً من افضل جنس . والتقدُّم في زراعتهِ لولاية باهيا التي تصدر منهُ سنوياً خمسين مليون كيلو . ولسان پاولو المقام الثاني بعدها

﴿القطن﴾ يزرعونهُ في هذه البلاد في شهر ايلول فينمو ويزهو في شباط وآذار ويبتدئون بقطفهِ في شهر نيسان . وللقطن عدوّ ازرق وهي دودة تقرض ورقهُ وتمنعها من النموّ . ويتّقون هذا الداء اما بتطهير حبوبهِ بالكبريت الفحمي واما بطلاء ورقهِ بمسحوق كبريت الحديد او بالسليماني

﴿المانجوك﴾ هو جذرُ غرسةٍ اميركية وجدها كريستوف كولمبو عند فتح هذه البلاد فرآهم يقطعونهُ قطعاً صغيرة ويقشرونهُ فيصنعون منهُ طعاماً يدعونهُ كساو (Cassaue) وهو من اهمّ اغذيتهم . والمانجوك نوعان منهُ الحلو الذي يؤكل مسلوقاً او مقليًا . ومنهُ المرّ يؤكل مخضاً تخميصاً جيّداً نجاةً من سمّهِ . والسوريون بالبرازيل كأهل الوطن يتغذون بهِ وهو دائماً على مائدتهم يأكلونهُ مع الارز . يُزرع المانجوك في

آب وايلول ويجوز زرعهُ في كلّ فصول السنة ويقطف ستة اشهر من زرعهِ ويزيد طلبهُ على قدر ضخامة جذوره

المعارف في سان باولو

لما انقلبت هيئة الحكومة في البرازيل سنة ١٨٨٩ ونودي بالجمهورية اخذت المعارف في الرقي والنجاح في هذه البلاد. وقد ساعد على نهضتها رجال ذوو مقدرة كبستانا (R. Pestana) وموراس (P. Moraes) وكيوس سالس (C. Salles) وانما اعلنوا بالتعليم الحرّ المجرّد عن الدين في المدارس الرسميّة. لكنهم تركوا الرهبانيّات والجمعيات الدينيّة تجري على نظامها

وللحكومة مدارس عالية كالطبّ والصيدلة والآداب الراقية والفنون الجميلة والتجارة. ومن اشهر مدارس الرهبان في سان باولو مدرسة ماكينزي (Makenzie) ومدرسة القديس بنتو (Saõ Bento). وللرهبان السالزيان مدرسة قلب يسوع الداخلية هي اكبر مدرسة في البرازيل يبلغ عدد تلامذتها ١٨٠٠ تلميذ وثم مدرسة الصنائع غاية في النجاح وكذلك مدرسة كبيرة داخلية للاخوة الماريست

اما الحركة العلميّة في البرازيل فهي دون ما يُرى في عواصم اوربّة والولايات المتحدة والغالب عليهم الانهماك في التجارة والاشغال الزراعيّة والسياسة

الدين في سان باولو

البرازيليون الوطنيون متشبثون باهداب الدين شديدو الاعتصام بحبل الايمان الكاثوليكي والمواظبة على اتمام فرائضه. وقد كذب الذين يشيعون في سوريّة بان البرازيل لا دين فيها. وانما قلة الدين هي بين الغرباء القادمين الى البرازيل من الاجانب

السوريون في سان باولو

وهنا لا بُدَّ لي ان اذكر المهاجرين السوريين الذين في سان باولو. وقد سبقت مجلة المشرق منذ سنتها الاولى (ص ١١٥٠ — ١١١٣) فنشرت مقالة واسعة في حالة السوريين

في البرازيل تناولت احوالهم المادّية والادبية والدينية . وكثير من ملحوظات كاتبها البليغ لا تزال صادقة في الزمان الحاضر بل زادت صحة

وما امكننا ان نعاينه بذاتنا في هذه الاشهر التي قضيناها في سان باولو انّ حالة المهاجرين لا تزال تستدعي النظر والاهتمام وليس كلامنا هنا عن حالتهم المادّية فان السوري حيثما يحلّ لا يعدم ان يجد شغلاً رابحاً اللهمّ ان كان من ذوي الهمة والنشاط ولاسيما اذا كان مستقيماً في معاملاته مخلصاً في تصرّفه مع الجميع . ولذلك تجد في سان باولو عدداً منهم يتعاطون اشغالاً مختلفة اتّصلوا بها الى ثروة صالحة

وليس الامر كذلك في الآداب والدين . فانّ السوريّين اجمالاً اذا هاجروا الى هذه البلاد واستنشقوا ريح الحرّية يصيبهم نوع من البرسام والدُوار بعد ما قاسوا في بلادهم من الضغط والجور في عهد الاتراك فلا يعرفون ان يلزموا الخطّة الوسطى بل يتركون العنان لاهوائهم ويستسلمون للنفس الأمارة بالسوء . ويتخذون مهنة الكتابة كآلة لنفث سمومهم وتضليل قرائهم . ففي سان باولو عدّة جرائد تصدر بالعربية كجريدة ابو الهول والافكار وفتى لبنان والقلم الحديدي وغيرها . فقلّما تجد بين كتبتها من يملك مدح الرصانة والتأمل يحرّرها فتيان خرجوا حديثاً من مدارس سوريّة لا استعداد لهم للكتابة سوى شقشقة لسانهم وعبوس عقولهم يحسبون نفوسهم من المتمدّنين الراقين اذا نبذوا مبادئ الدين وتشرّبوا روح تعاليم الملاحدين والدروزيين وفي مقدّمتهم صاحب القلم الحديدي فيسخرون من الدين ويهزأون بأربابه ويعدّون المتمسكين بعروة الايمان كجهلة بسطاء لا يعقلون . فترى اعداد جرائدهم مشحونة بالطعن في الدين وبالاعتراضات السخيفة على تعاليمه الالهية التي فنّدها العلماء الف مرة فيردّدونها كالببغاء كما تعلّموها من الزنادقة الملحدين . وربّما فضّلوا على عقائد ديننا السماوي اضاليل بوذا وكونفوشيوس فترى في كلامهم لغطاً ومشاقشات وتلفيقات واختلاقات يحمرّ منها الوجه خجلاً وتُقنع البرازيليين الوطنيين بما سمعوه مراراً من أن السوريين خالون لا دين لهم

وكما يضلّلون بالدين كذلك رأيناهم في اشهر هذه السنة رشقوا بسهامهم الطائشة الانتداب الفرنساوي على سوريّة واطرأوا ثورة الدروز ومثلوا الاشقياء والثوّار كاصحاب الشهامة والمروءة وحب الوطن بينما كانوا يقترفون ضروب الفظائع

التي لا يأتيها همج البرابرة في حقّ مواطنيهم واخوتهم الابرياء فتجاوزوا كلّ حدود الانسانيّة وسطّروا لهم في التاريخ صحائف سوداً سوف تسمهم بسمة العار الى منتهى الدهر. وقد نسي هؤلاء الكتبة فضل فرنسة على بلادهم مدّة مئين من السنين فتشبّثوا في غارات اقلامهم عليها ببعض الهفوات المغفورة فصحّ فيهم قول الشيخ ناصيف اليازجي :

ينسى من الحسن طوداً قد رسا ولا ينسى منهُ ذرّةً اذا أسا

على انّنا نستثني من هذه الوُرَيقات السافلة جريدة ابو الهول لشكري افندي الخوري الذي وقف في وجه هؤلاء الغلاة مع مساعديه وقفة الابطال فنفّدوا اقوالهم احسن تفنيد وثبتوا على ولائهم لفرنسة فلم يتقلّبوا تقلّب الحرباء متلوّنين لوناً كلّ يوم وفقاً لمصالحهم وغاياتهم الدنيّة

ومما سُررنا به انّ بعض المتأدبين من السوريين المهاجرين قد عزموا في هذه الايام على ان يعلنوا بشكرهم نحو البرازيل بأثر محسوس فاوعزوا الى النخّاة كسيانس (Ximenez) ان يرسم لهم طوابع خصوصيّة تُشعر بمنونيّتهم لهذه البلاد التي اكرمت مثواهم وكانت سبب ارباحهم ورقيّهم واليها يتهافتون كل سنة لينجوا من آفات الدهر

وفي الختام لا يسعني السكوت عمّا يجدهُ مواطنونا الاتقياء من اللطف والكرامة من الاكليروس البرازيلي في سان باولو. وقد وجد الحقير كاتب هذه الاسطر من الحفاوة والانعطاف لدى رئيس اساقفة سان باولو وكهنته وخصوصاً كاهن رعيّة كنيسة القديسة افيجينيا الاب كاستون ليبرال بنتو ومساعده ما سيبقى ذكرهُ مخلّداً في قلبه الى آخر الحياة

نابغة في التاريخ عمر ابو نصر

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

لا يزال التاريخ المصريّ في هذه البلاد في مهده . فاذا استثنيت بعض التآليف القليلة المبنية بتعمّق اصحابها في المطالعة والدرس وحسن الانتقاد وجدت بين مؤرخينا ومؤرخي الفرنج بوناً عظيماً

ومن ثمَّ يسرّنا أن نرى وزارة المعارف تهتمّ لهذا الامر وتُعنى بسدّ هذا الخلل ولاسيما بتسطير تاريخ الوطن اي سوريّة ولبنان على طريقة سهلة قريبة المنال ليوضع في ايدي طلبة المدارس فيقفوا على اخبار بلادهم الصادقة ويتّخذوها عبرى لحياتهم وخدمة وطنهم فيمكنوا القويم ويثقفوا الأوَد ويقيموا العوج

وهذا تاريخ جديد طُبع مؤرّخاً في جزئين عنوان الواحد « تاريخ سوريّة ولبنان حتى اوّل القرن التاسع عشر » والثاني « سوريّة ولبنان في القرن التاسع عشر » قيل عنهُ « عُرض على اللجنة المختصة لدرس الكتب فقرّرتهُ المدارس الجمهوريّة اللبنانية »

فسُررنا بصدوره لا لفراغ بلادنا من تواريخ سابقة عربية وافرنسية ولكن لأملنا بالحصول على فوائد جديدة بخصوص احوال الوطن فنريد حبًّا لهُ وتفانياً في سبيله

المؤرخ

ليس اعوص من تصنيف تاريخ لسوريّة ولبنان . والسبب واضح لان هذه البلاد لوقوعها وسطاً في ممرّ الامم لم تكد تذوق طعم الاستقلال وهناء الراحة فيمتزج تاريخها بتاريخ كلّ الدُّول التي فتحتها واستولت عليها منذ البابليين والاشوريين الى الدولة التركية . فمن اراد ان يكتب تاريخها لا يستغني عن الالمام بتاريخ تلك الشعوب

ومن ثمَّ أحببنا ان نعرف من هو هذا المؤرخ الجديد الذي تحفّز لهذا العمل ولا بُدَّ انّ وزارة المعارف وجّهت اليهِ النظر لآثار تاريخيّة سابقة اشتهر بها

فبحثنا في مكتبتنا الشرقيّة الواسعة لعلّنا نجد لهُ اثرًا ما فخاب أملنا ولم نجد لعمر افندي ابو نصر مقالة واحدة لا في التاريخ ولا في غيره

فقلنا انهُ احد المنكفين على مطالعة تواريخ البلاد وفردٌ من شيوخ العلم المنقطعين بالعُزلة منذ سنين طويلة الى جمع موادّ تاريخهِ المبتكر الذي لم يشأ عرضهُ على العموم إلّا بأن يُحسن سبكهُ ويمحصهُ محص الذهب بالنار قبل ان يخرجهُ الى العموم. فقيل لنا ونحن لا نعرف جنابهُ شخصيًا انهُ من الناشئة الجديدة ومنّ لم يُنتظر من جانبه كتاب مثل هذا لقلة استعدادهِ لوضعهِ

على أننا لم نرضَ بمثل هذا الجواب وقطعنا بدرس الكتاب لا لننظر مَن قال بل لما قال فيكون حكمنا عن بصيرة دون ان يشوبهُ شيء من الاغراض الشخصية

نظر عام في تاريخ سورية ولبنان

يؤخذ من اوّل نظر لعنوان الكتاب انهُ وُضع بزمن قليل لا يتجاوز بضعة اشهر اذ تقرّر تدريسهُ في «مدارس الجمهوريّة اللبنانيّة» وكلّ يعلم ان الجمهوريّة اللبنانية حديثة النشأة فكيف امكنها في هذه المدّة القصيرة ان تفحص الكتاب وتقرّرهُ لمدارسها. فما قول وزير معارفها الجديد ؟

ويؤيد فكرنا في سرعة تصنيفهِ انّ المؤلف ذاتهُ يقول في مقدّمتهِ انهُ «صرف في تأليف هذه السلسلة اشهرًا» فماذا يكون يا تُرى تاريخ كهذا صدر بهذه العجلة او ليس هو أحرى بان يدعى عجالةً ؟

على انّ من يقرأ المقدّمة المذكورة يأخذهُ العجب ممّا تكلّفهُ مصنّف الكتاب في إخراجهِ الى عالم الوجود فكدّ ذهنهُ وأسهر جفنهُ فحقّ لهُ ان يكرّر قول شيخ المعرّة

فإني وان كنتُ الاخيرَ زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الاوائلُ

فاسمع يا رعاك الله كلام المؤلف الذي حمل على عاتقهِ هذا الطود الشاهق فلم ينؤ تحت عبئهِ. قال في مقدّمة جزئهِ الاوّل:

«لقد اجاهد نفسي جهادًا شديدًا لأنهما من تبيان ما لهذا العمل من خطر وما لهُ من فضل ونفع. ذلك انّ هذه السلسلة نفسها ستُظهر للناس هذا النفع وهذا الخطر . . .

«اخذنا بأطراف الموضوع وتكلّمنا فيهِ في موضعهِ وعلى وجههِ وتطرّقنا في مختلف الآراء ومتفرّق الآثار نحكّم العقل في استخراج الحقيقة الضائعة ونعمل على إلباسها زيًّا اقلّ ما فيهِ انهُ عربيٌّ مبين . . . وبنا الى هذا حاجة شديدة. فقد نفر البعض من بني قومنا يؤلّفون الكتب ويطرحونها على الناس، يصيب شرّها الحمقى والاكياس، كذلك الربا ينشي نوادي البلاد فلا يبقي ولا يذر»

فترى انَّ مؤرخنا اصاب عين الكمال وانهُ حقق ودقق الى ان استخرج الحقيقة الضائعة بينما لم يأتِ غيرهُ الّا بكتابات «يصيب شرُّها الحمقى والاكياس» بل هي «وبأ يفشي نوادي البلد فلا يبقي ولا يذر !!!» . فلهم العبر ولهُ الدرّ

وزاد على ذلك في مقدّمة الجزء الثاني اثباتاً لفضلهِ العميم في تأليفهِ البديع فقال :

عُنيت بجمع فصولهِ، وانا اقرب ما اكونُ اليهِ، واشوقُ ما اكون لرجالهِ وشيوخهِ، اعدّ عليهم ما قصّروا فيهِ من امرٍ، وما تقيّدوا بهِ من نظام . . .

جمعتُ هذه الفصول، وقد ارتضيتُ لنفسي ان اكون حكماً وخصماً، فان كان ثمَّ في ما ذهبتُ اليهِ من رأيٍ، وتصرّفتُ فيهِ من فكرٍ، قولٌ ونظرٌ، فليذكر القارئ الاديب انّنا اعتمدنا في هذا على غير مأخذ واحد وانا لم نزل نكابد هذا الامر ونعالجهُ، ونناضل مختلف الآراء ونساجلها، حتى انتظم لنا رأي خاصٌ، واتّفق لنا مذهب جديد، ولولا ذلك لما استجزنا الاقرار بهِ والتأكيد لهُ . . .

فزهْ ! زهْ ! أيُّها النابغة فانك باشهر قليلة امكنك هكذا ان تقف على آراء جديدة لم تخطر على بال من سبقك واستخلصتها من اعتمادك على غير مأخذ واحد فناضلت مختلف الآراء وساجلتها . ويا ليتك ثبّتَّ قائمة الموارين التي راجعتها لتنظر من اي منهل استقيت تلك المعلومات التي دوّنت . ويا

وقد ضربتَ لنا مثلاً عن رأيك في مولد السيد المسيح اذ جعلت ولادتهُ في الناصرة بدلاً من بيت لحم ولم تقل انك اخذت هذا عن الكافر ربان وعدلت عن رأي الانجيل الطاهر بل عن سائر المؤرخين القدماء والمحدثين نصارى ومسلمين . فتريد ان يكفّر صغار مدارس الجمعية [illegible] الانجيل ليتبعوا رأيك الذي استحييت ان تذكر مصدرهُ

ثمَّ انَّ النظر الاجمالي لهذا [illegible] جديد يوعز الينا بغير ذلك من الخواطر فانَّ مؤلفهُ زانهُ بعدّة تصاوير «زيتيّة [illegible] تنشر في العربية قبل اليوم» (كذا)

بل قُل انَّ كثيراً منها نُشر في العربية قبل اليوم وبهيئة اجمل وادقّ كصورة الامير بشير وصورة محمّد عليّ ولويس باستور وغيرهم . وما كان اغناهُ عن نشر بعض هذه التصاوير التي هي عثرة في سبيل الناشئة كصورة الانسان الاوّل في المغاور التي استحسنها ونشرها في جزئي كتابهِ واحلّها في قسمهِ الاوّل بشروح نقلها عن الدروينيين . فزعم «انَّ هذه الصورة تصوّر الانسان الاوّل منذ ثلاثة الف سنة تقريباً تراهُ ابكماً

(كذا) . . . ولا يفرق بين الجماد والحيّ » ومع كون هذا الانسان الوحشي بكم لا يفرق بين الجماد والحيّ زعم « انهُ كان يعتقد بالحياة بعد الموت» فيا لها من مناقضة اتّصل اليها نابغتنا بفكره السديد وتعمقه في التاريخ

فهذه هي التعاليم التي «عُرضت على اللجنة المخصصة لدرس الكتب فأقرّت هذا الكتاب لمدارس الجمهوريّة» فما قول وزارة المعارف الجليلة أيسرّها ان تراهُ في ايدي صغار مدارسنا؟

نظر في رفائق الكتاب

علمّ بنا الان بعد هذا النظر العمومي نجيل رائد البصر في دقائق الكتاب فلعلّنا انخدعنا بظاهره فيشفع به باطنهُ فما أخيب ما كان ظننا به . فيمكننا ان نختصر ملحوظاتنا عن جزئيه بهذه الالفاظ الثلثة : نَسخ ومَسخ وسَلخ

﴿١ النَّسخ﴾ ان طالعت القسم الاوّل من كتاب عمر ابو نصر اعني تاريخ سوريّة ولبنان من اوّل عهد الحضارة حتى اوّل القرن التاسع عشر وجدت كثيراً منهُ منقولاً بحرفهِ عن الكتاب المطبوع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٩٢٤ معرّباً بقلم احد الآباء اليسوعيين . وقد سبقت جريدة البشير فبيّنت ذلك في عددها الصادر يوم الثلثاء في ٢٤ آب وبيّنت النَّسخ بالمقابلة بين النصّين . ولو شئنا لتوسّعنا في ذكر هذه المنقولات التي يصعب علينا ان ننظمها في باب « توارد الافكار » و« اتفاق الالفاظ والمعاني »

وعليهِ نقول لعمر افندي ان كان كتابك كما زعمت « عربيّ صرف خالص في انشائهِ من شوائب العجمة وخالص في تراكيبهِ من شوائب التعقيد » فكيف استجزت ان تكسو كتابك بهذه الكسوة الخشنة التي وجدتها في كتب غيرك ولم تستنكف عن التزيّي بها في تأليفك ؟ العلّ الطاووس يرضى ان يتجمّل بريش « ابي زريق » ؟

﴿٢ المسخ﴾ آثار مسخ الحقيقة في كتاب عمر افندي ابو نصر تظهر في عدّة امور

١ رأيت مزاعمه الباطلة عن الانسان الاوّل واصله وزمانه . وقد عاد الى قوله في الفصل الاوّل من كتابهِ فزاد فيهِ لغطاً

٢ كذب في قوله (تحت صورة الفارس الصليبي) عن امبراطور الالمان الذي حرمهُ البابا غريغوريوس السابع « انهُ اضطرَّ الامبراطور ان يأتي روميه حافياً عاري الرأس وان يقف على باب البابا ثلثة ايام بلياليهنَّ طالباً الصفح والمغفرة » فكل كلمة من

قوله هذا تخالف الحقيقة توًّا

٣ ما يقول (ص ١٥) عن سكان سوريا انهم كانوا « ساميين قطعاً » ويزعم انهم « اتوا من جزيرة العرب منذ أول عهدها بالحضارة » يناقض فيه نفسهُ اذ يزيد « ان البابليين كانوا يحكمونها قبل نزول الساميين فيها »

٤ ذكر (ص ١٦) الحثيين في القرن الرابع عشر قبل المسيح وجعلهم « قبائل متوحشة » واليوم قد اكتشف العلماء على آثار تمدنهم الراقي السابق كثيراً لهذا العهد

٥ في فصوله الاربعة الاولى تراهُ ينتقل من امر الى آخر فيطفر طفر الغزلان بين تواريخ يبعد بعضها عن بعض مئات بل الوف من السنين فينسب الى احد الاطوار ما لا يصح إلّا على سواها. يجعل الرئاسة الفينيقيين على البحر منذ اربعة آلاف سنة ثم يقول ان السومريين منذ خمسة آلاف سنة انزلوا الى خليج العجم من الدجلة (كذا) والفرات زوارق تجارية »

٦ في فصله السابع عن سوريا في عهد الرومان (ص ٣٠—٣٣) قد حصر هذا العهد بين سنتي ٦٠ ق م الى ٥٠ [illegible] يزيد الى هذه المدة القصيرة [illegible] يعلم ان سورية [illegible] حكم [illegible] الى ان حلها [illegible] حكم البوزنطي في اواخر القرن الرابع

٧ زعم (ص ٣٠) ان « فسباجيان (كذا) زحف على اليهود وحصرهم في اورشليم غير انه توفي قبل فتحها » وكلٌّ يعلم ان فتح اورشليم حدث عدّة سنين قبل موت فسبسيان الذي كان بويع بالملك فترك ابنهُ تيطوس ليتمم فتح اورشليم وجلس هو على سرير القياصرة الى السنة ٧٩م تمَّ الفتح سنة ٧٠ لا ٨٠

ومما قالهُ هناك انَّ تيطس « هدم الهياكل حجرًا حجرًا » ومن المعلوم انهُ لا يُعوف سوى « هيكل واحد » في اورشليم وبقيت حجارتهُ مرصوفة مرصوصةً الى زمن يليانس الجاحد الذي اراد ترميمهُ فخرج لهيب من النار أخرب اساسهُ فلم يدع حجرًا على حجر

٧ وفي هذه الصفحة عينها خلط مؤرخنا المحقق بين الرسولين بطرس وبولس فقال:

فكان السوريون يعتقدون انهم قد صاروا من الرعايا الرومانيين لهم من الحقوق ما للروماني وعليهم ما عليه ألا ترى بطرس الحواري كيف نادى بذلك على ملأ من الناس ثقة منهُ انَّ في

هذه الحجة ما يكفيه شرّ اعدائه وخصومه »

وكلّ يعلم ان القديس بطرس لم يكن متجنّساً بالجنسية الرومانية وهو من البلاد الجليل . بخلاف القديس بولس الذي كان نال تلك النعمة ونادى بها لئلّا يجري به عقابُ غير الرومانيين (راجع اعمال الرسل ٢٢ : ٢٥) . فما لعمر افندي يولج نفسهُ في امور النصارى وهو لا يعرف تاريخ قومه المسلمين ؟

ومثلهُ ما ذكرهُ (ص ٣٤) « عن ظهور الارثذكسيَّة في القسطنطينيَّة ونشوء الاختلاف بسببها » فانَّهُ نسخ ما لا يدرك معناهُ

٨ وكلّ فصله الثامن (٣٣ ــ ٣٨) يدلّ على انهُ ينقل ما لا يعقلهُ فتراهُ يذكر الامور دون التحام بالماني ولا تتابع في سياق الامور ينتقل من حادث الى آخر دون رابط بينهما . دونك مثلًا ما يقولهُ عن مدرسة بيروت الحقوقيَّة (ص ٣٤) :

« وكانت اللغة الارامية تزداد انتشاراً ومدرسة بيروت الحقوقية تزيد رقياً وشهرة وكانت اللاتينية لغة التدريس . . . »

فايّ علاقة يا ترى بين انتشار اللغة الارامية ورقي مدرسة بيروت التي لغتها اللاتينيَّة أليس بين الامرين بون عظيم بل نوع من التناقض ؟ وقس عليه بقيَّة هذه القطعة الشبيهة بالهمر المنثور

وزد عليه اغلاطاً اخرى متعدّدة خذ مثلًا الصفحة ٢٤ حيث ذكر الرسالات التي دارت بين ملك مصر وعماله فزعم انها اكتشفت في « تل العمارنة » والصواب « تل العمارنة » ثمَّ زعم ان « عهدها يرجع الى القرن الخامس ق م » والصواب ان عهدها يرجع الى القرن الرابع عشر قبل المسيح . . قال عن الحروف الفينيقيَّة « انها كانت مستعملة عندهم حوالي سنة ٩٠٠ ق م » ثمَّ قال « انَّ اللغة الفينيقيَّة اوَّل اللغات التي وُضعت في احرف هجائية وذلك قبل المسيح باثني عشر قرناً » ثمَّ قال « انَّ اقدم الكتابات الفينيقية يرجع الى ما قبل القرن السادس قبل المسيح » . فترى كم من اللغط في هذه الاقوال . ولو كان لهُ ادنى المام بتاريخ هذه السنين الاخيرة لعلم انهُ وُجد في جبيل ناووس احد ملوكها باحرف فينيقيَّة ترقى الى القرن الثالث عشر قبل المسيح ويظهر من حُسن صورها انَّها اقدم عهداً من ذلك وهذا الاثر الجليل قريب منهُ يمكنهُ ان يراه في متحف بيروت

لا يصح القول (ص ٢٤) « بأنَّ بني اسرائيل الأوّلين انقسموا قسمين هبط بعضهم سوريا وذهب القسم الآخر الى مصر » فانَّ يعقوب والاسباط الاثني عشر سكنوا مصر الى أن اخرجهم منها موسى بعد ٤٠٠ سنة

هذه بعض امثلة عما مُسخَ بهِ وجه التاريخ ولو تتبعنا الكتاب صفحةً صفحةً لأمكننا ان نتّسع كثيراً في هذا الباب. وكذلك في القسم الاخير الذي خصَّهُ بتاريخ فرنسة (ص ٩٧—١٣٣) فانَّ فيهِ اغلاطاً تاريخيـة عديدة فنزل عمر افندي في ميدان ليس هو من فرسانهِ. فاين يا ترى وجد ان احد الرهبان أودى الملك شارل التاسع بخنجر ثأراً للدوق دي كيز. فان الملك شارل التاسع مات حتف انفهِ في احد قصوره سنة ١٥٧٤ لا في السنة ١٥٨٩ كما روى. فبقوله هـذا يشنّع على الرهبان ويمسخ التاريخ معاً

واعجب منهُ قولهُ (ص ١١٣) انَّ احد الكهنة قتل الملك هنري الرابع. ولا يجهل صغارنا ان القاتل هو فرنسوا راڤالياك المحبوس بعقلهِ. فترى كيف يصف المؤرخ ابو نصر الاكليروس الكاثوليكي وهاته [illegible] وقد ذكر عمر افندي جارد [illegible] فرنسة الى حلم وهمي فقال: « رأت فيما يرى النائم ان [illegible] او ملاكاً يأمرها [illegible] فرانسا فعدّت ذلك صوتاً سماوياً »

وهناك اقوال اخرى عديدة يضيق المجال عن ذكرها وبما روينا كفاية لترى المعارف أنها باختيارها لنابغتنا لكتابة تاريخ سوريا ولبنان وفرنسة لم تصب الهدف. وانها ان وضعت الكتاب في ايدي ناشئتنا تلقيهم في هاوية الضلال

﴿٣ السلخ﴾ هذا الباب واسع جدًّا فانَّ صاحبنا عمر افندي عوّل على تاريخ الاب هنري لامنس المعنون (La Syrie : Précis historique) فكاد يعرّب اكثر من نصفهِ دون تغيير يذكر اللهمَّ إلا ما اختصرهُ احياناً وتصرف بهِ بحث اخرجهُ على غير معناهُ. والعجب انهُ لم يُشِرْ اليهِ إلّا استطراداً فزاد « السَّلخ » على النسخ والمَسخ

وفي الختام لا يسعنا إلا ان نحتجّ على الذين يتحامون هكذا على مصنفات غيرهم: فيدّعونها ويعرضونها على المعارف كأنها اثمار دوحتهم وما هي الّا غنائم سَلَبهم وتلصّصهم

مطبوعات شرقية جديدة

P. A. Vaccari S. J. : 1. I Libri Poetici della Bibbia tradotti dai Testi Originali e annotati, *Roma, Pontificio Istituto Biblico*, 1925, *pp.* 414=II - Institutiones Biblicæ scholis accommodatæ. vol. I. 1° de Canone, 2° de Textu. 3° de Interpretatione. *Ibid.*, 1926 *pp.* 1-222

ترجمة الاسفار المقدسة الشعرية الى الايطالية – الدروس الكتابية

انَّ المكتب البابوي الكتابي في رومية قد اضحى في هذه السنين الاخيرة موردًا عذبًا للعلوم الكاثوليكية. وها هوذا حضرة الاب فكاري من اساتذة المكتب المذكور قد نشر كتابين نفيسين الاول منها ترجمة ايطاليَّة للكتب الشعريَّة التي في الاسفار المقدَّسة كسفر أيوب والمزامير وامثال سليمان والجامعة وابن سيراخ فدقَّق ترجمتها من اصولها وذيَّل الترجمة بحواشٍ عديدة. والكتاب الثاني اعظم نفعًا واعمّ فائدة كتبه حضرته باللاتينيَّة لدارسي الاسفار المقدَّسة ليشرح فيه كلّ ما [illegible] القسم الاول يبحث عن الاسفار القانونيَّة اجمالًا عن اسمائها واصلها وعددها وتاريخها في العهدين العتيق والحديث. ثمَّ عن نصوص هذه الاسفار وصحَّتها واقتها وترجماتها الى اللغات المختلفة الشرقية والغربية مع امثلة لاقدم خطوطها في تلك اللغات ثمَّ عن تفسيرها القانوني. كلّ هذه المسائل تتناول فصولًا عديدة افاض فيها المؤلف فردًا فردًا بحيث لم يدع مشكلًا بخصوصها دون ان يحلّ عقدته. فلا يسعنا إلَّا الشكر لحضرته عن هذه التحف ونتمنى لتآليفه اوسع الانتشار غربًا وشرقًا ل. ش

Cours de Religion: Doctrine Chrétienne de la Jeunesse. Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1926

دروس في الديانة المسيحية

انَّ الناشئة في حاجة الى كتابٍ صغير الحجم وافي المواد تستقي منهُ خلاصة التعاليم المسيحيَّة بعد خروجها من المدارس سواء كان لفائدتها الخاصَّة أم لانارة الذين تختلط بهم وتعاشرهم فترشدهم الى الحقيقة وتقوّم عوجهم. والكتاب الذي نحن

بصدده قد ألفهُ حضرة الاب المفضال قيصر الخوري المعازري لهذه الغاية فجمع في تسعة فصول مجمل العقائد الكاثوليكية ووصاياها الالهية والكنسية والطائفية ثمَّ اخص المعلومات عن الخطايا والفضائل والنعمة والاسرار وجعل ذلك على طريق السؤال والجواب زيادةً في الايضاح والتدقيق. وقد صدَّق على الكتاب الرؤساء الروحيون في مقدمتهم زيادة القاصد الرسولي. نشكر لحضرة المؤلف قيامهُ بهذا العمل المفيد. ونضيف هنا كلمة على ما قالهُ حضرتهُ (ص ١٥٣) في موانع الزواج البطلة نقلًا عما جاء في الحق القانوني الجديد

لا يكون الزواج صحيحًا في الكنيسة اللاتينية إلَّا اذا عُقد امام كاهن الرعية وشاهدين مع مراعاة القوانين المنصوص عليها

فان حاول الكاثوليك اللاتين الزواج مع غير الكاثوليك حتى بعد ما نالوا الاعفاء من مانع خلاف الدين ولم يتمّ عقد الزواج أمام خوري الرَّعية الكاثوليكي كان زواجهم باطلًا

يُستثنى من هذه الشريعة الكاثوليك اللاتين المولودون في المانية اذا عقدوا الزواج مع غير الكاثوليك المولودين في وطنهم وتمَّ هناك عقد الزواج. وكذلك القول عن هونغاريا

امَّا الشرقيُّون فاذا عقدوا الزواج مع اللاتين المقيَّدين بهذه الشريعة فانهم يخضعون لها. ومن ثم فالزواج بين اللاتين وغير الكاثوليك اذا تمَّ عقده امام خوري غير كاثوليكي كان باطلًا

اما الموارنة فيثبتون على قوانين المجمع اللبناني في ما يخص امر الزواج

Marie-André Dieux, prêtre de l'Oratoire: CROISADE POUR L'UNITÉ DU MONDE CHRÉTIEN. *in*-12, 137 *pp.* 1926, *de Gigord, Paris.*

دعوة العالم المسيحي الى الاتحاد

ان كان حقّ هذا الكتاب ان يلفت اليه نظر جميع المسيحيين ليعتبروا محتوياته ويحققوا اماني كاتبه فانهُ احرى باهل الشرق الذين مع ايمانهم بالمسيح ورغبتهم في الاستمتاع بحياته لا يزالون في خلاف وانقسام. فيا ليت النفوس المستقيمة واصحاب النيَّات السليمة يتأملون معاني هذا الكتاب الذي يوضح للجميع الاسباب التي من شأنها ان تنفي كل شقاق ويحرك في القلوب العواطف التي تدعو الى الوفاق. وليس هذا بصعب على الذين يدركون اقوال السيد المسيح في المحبة بين تلاميذه. فهذه المحبة تحيد عن كل ما يفرق القلوب فتحييها بالمسيح وتثبتها في الوحدة والحقيقة ل.ش

Dr G. Clément : POUR LES MIEUX CONNAITRE. Reflexions d'un médecin suisse sur les autorités, doctrines et usages de l'Église Catholique, 1 *vol.*, *Éd. V. Attinger*, *Neuchatel* (*Suisse*), *Prix* 2 f., 25

تعريف ارباب الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها وعاداتها

في الكنيسة الكاثوليكية ثلثة اشياء اربابها وتعاليمها وعاداتها قلّما يعرفها العموم بل يجهلها كثيرون من الكتبة فيصفونها كما تزيّنها لهم اغراضهم او اعداء الكنيسة . فها هوذا عالم سويسري متعمّق في الدين وهو طبيب جرّاح شهير قد اراد ان ينتصر الحقّ . فبيّن بادلّة ساطعة فضل الاكليروس الكاثوليكي على سواه ثم اخذ معتقدات الكنيسة وعاداتها ورُتبها فأثبت ما فيها من المحاسن ممّا لا ينكره إلّا كل مكابر الحقّ . وقد اتى على كل ذلك بشواهد من ذات اعداء الكنيسة فنعم الكتاب الذي نتمنى انتشاره بين كل الذين يريدون ان يطّلعوا على حقيقة الامور ل . ش

L. Michel et F. Cavallera: Lettres Spirituelles du P. JEAN JOSEPH SURIN de la Cie de Jésus, *Édition critique vol. I*, 1630-1639 (*Fasc. I de la Bibl. de la Revue d'Ascétique et de Mystique*), *Toulouse*, 1926

رسالات الاب سورين اليسوعي

اشتهر في القرن السابع عشر رجل زهد في ما يُعدّ من الحياة الروحيّة فبلغ شأوها ألا وهو الاب اليسوعي جان جوزف سورين (١٦٠٠ــ١٦٦٥) فانّهُ خالط مشاهير زمانهِ وراسلهم في ادقّ التعاليم الروحية حتى عُدّ إماماً فيها . فلما توفّي تهافت الناس على كتاباته وتداولوها كثيراً حتى تشوّهت بشوائب وزيادات افقدتها حقيقة معانيها . وكان بقي كثير منها مخطوطاً فحاول الابوان اليسوعيان ميشال وكافاليرا ان يجددا طبع المطبوعات القديمة على نصوصها الاصلية ثم اضافا اليها نحو ٣٠٠ رسالة غير مطبوعة . وها هوذا القسم الاوّل من عملهما قد تم فوجدناهُ على غاية ما يُرام من الدقة والضبط . وهو كخلاصة تاريخ الدين في اوربّة عموماً وفي فرنسة خصوصاً في ذلك الجيل المعدود كأعظم أجيال الكنيسة ج . ل

P. P. Joüon S. J : Études de Sémantique arabe, *in-4*, *pp.* 36, 1926 *Beyrouth*, *Impr. Cath.*, *MCSJ*, *XI*

دروس لغوية عربية

هذه الدروس تتناول كثيراً من اصول اللغة العربية فيبين حضرة مؤلفها الاب

بولس جرون اليسوعي معانيها الاولى ومشتقاتها والعلاقات بينها وبين الاصول ذات المخارج القريبة منها ويقابلها مع اللغات السامية غيرها كالعبرانية والسريانية بل مع اللغات الاوربية نفسها. وهي ابحاث جليلة قلّما تفرّد لها اللغويون عموماً مع فوائدها لمعرفة تطوّر اللغة العربية وشيوعها في انحاء البلاد. فنودي بهذا الكتاب كل الذين يتفرّدون لهذه الدروس الشائقة

COURS GRADUÉ DE TRADUCTION pour les Classes Supérieures dans les deux langues Française et Arabe par J. Alouan C. M: CORRESPONDANCE COMMERCIALE ET QUESTIONS JUDICIAIRES *Livres de l'Elève et du Maitre, Beyrouth. Impr. Cath.* 1926

مرقاة المترجم للصفوف العالية: المراسلات التجارية والمسائل القضائية

سبق لنا وصف الجزء الاوّل من هذا الكتاب فبيّنّا منافعهُ لطلبة المدارس الذين يريدون التمرين على الترجمة من العربية الى الفرنسوية ومن هذه الى تلك فجرى حضرتهُ في هذا الجزء الجديد على طريقته المذكورة فجمع جانباً عظيماً من المفردات والتعابير والمراسلات والمقاطيع المختلفة التي تساعد الاحداث على الترجمة. وقد ادخل في هذا القسم الثاني مع المراسلات والاصطلاحات التجاريّة كثيرًا من الالفاظ والمسائل القضائيّة لعمّلة المكاتب وطلبة الفقه وغيرهم. وقد اضاف الى كتاب التلميذ كتاباً للمعلم. اتماماً للفائدة

P.H. Lammens: Les Sanctuaires préislamites dans l'Arabie Occidentale, 1 *vol. in-4°, pp.* 140, 1916, *Impr. Cath.* (*MUSJ*, X)

مقادس الجاهلية في العربية الغربية

لمّا دخل محمّد رسول الاسلام الى مكة يوم فتحها حوّل الكعبة الى عبادة الله بعد ان طهّرها من اصنامها. غير انّ في مكة وفي جوارها كان يوجد ما عدا الكعبة امكنة غيرها كان العرب في الجاهليّة اتّخذوها لعباداتهم الباطلة. فماذا حصل لها بدخول الاسلام. تلك مباحث عويصة احبّ حضرة الاب لامنس ان يخوض فيها استناداً لاقدم ما كتبهُ عنها الكتبة وما جاء في الحديث والآثار عنها. فنعم البحث الذي يوقفنا على كثير من اخلاق العرب الاوّلين ل. ش

Der Diwan des Abu Du'aib, herausg. u. übersetzt von Joseph Hell, I *vol.*, 4°, *pp.* 89 + xx, *Hanover, Orient Buchhand., H. Lafaire*, 1926.

ديوان ابي ذؤيب

ابو ذؤيب احد شعراء الجاهلية الفحول حكم له ابو زيد بالتقدم على جميع شعراء هذيل. وحتى اليوم لم يُنشر له سوى بعض مقاطيع متفرّقة وخصوصاً عينيّته التي قالها في رثاء بنيه وهي مدوّنة في جمهرة اشعار العرب. وعليه نثني كل الثناء على صديقنا وخريج كليتنا جناب الاستاذ يوسف هِلّ الذي جهد نفسهُ على جمع نسخ ديوانهِ مع ما ورد له متفرّقاً في كتب ادباء العرب فنشرها نشراً حسناً وذكر رواياتها ونقلها الى الالمانية وقدّم عليها المقدّمات المفيدة التي تشهد له بحسن الذوق وسعة المعروفة حفظهُ الله ل. ش

Cochin (Henry): Auguste Cochin 1823-1872: ses lettres et sa vie avec une introduction et des notes, 2 *vols.*, *illustrés in*-8, 1926, *Paris, Blond et Gay*

ترجمة اوغست كوشن ورسائله

اوغست كوشن احد الكاثوليك الذين شرّفوا مذهبهم بعلومهم وايمانهم فلم يزل اسمهم مباركاً بين الذين عرفوهم وقد احسن ابنهُ اذ نشر حديثاً ترجمة حياة والدهِ وبيّن مآثرهُ الجليلة في خدمة المبؤسين ووصف التآليف العديدة التي استحقّت لهُ شرف الدخول في الاكاديمية الفرنسوية بينها تآليف دينيّة ممتعة. وقد اضاف المؤلف الى سيرة والدهِ رسائلهُ التي راسل بها مشاهير عصرهِ كلاكوردار ومونتالمبار وفالو وفيها كلها تلوح رغبتهُ في المعيشة البارّة وفي خدمة وطنهِ الذي شغل فيهِ مناصب مختلفة. وخلاصة القول انّ هذا الانسان حبّب دينهُ لكل من اقترب من شخصهِ لسوء مداركهِ وتجرّدهِ ج ل

G. Spano: Bronzi di Siria in Pompei. (Estratto da vol. LII d. Atti dall'Accadem. Pontaniana). *Napoli, Sangiovanni*, 1922, *gr.* 8°, *illustr.*

آثار من البرونز وُجدت في بومباي

ان السنيور سپانو الاستاذ في جامعة نابولي واحد علماء الايطاليين يهتمّ مزيد

الاهتمام بحفريات بومباي فيفسّر في هذه المقالة الحاضرة مجموعة صغيرة من آثار معدن البرونز كانت معروفة منذ عهد سابق إلّا ان معناها لم يتّضح حتى الآن تماماً. وهذه الآثار تتألف من اربعة مناقل وثلثة مقاعد ومن قاعة الآلهة البيتية (larophorum) ثم من قنديل للتعليق ومن اربعة نقوش ملصقة. وقد بين الكاتب اثبات رأيه على ما وجده من الزينة المدرّجة المرقومة على المناقل وعلى صورة مقدمة الثور ورأسه في بقيّة الآثار. فاستنتج ان هذه الآثار شرقية الاصل لا بل انها سوريّة المعنى وانّ حفرها بصناعة اهل انطاكية. وما يقال اجمالاً ان السنيور سيانو اثبت قضيّتهُ. على اننا نجد في دقائق ادلّته ما يدفعنا الى ان نقدّم له بعض الملحوظات التي تحتاج الى مجال اوسع من هذا. ومما يجب القول ان جناب الكاتب لم يستوفِ ذكر التآليف التي راجعها والبعض منها قد عتق. راجع مثلاً ما قالهُ عن ثيران بعلبك. وكذلك لم يحسن بمقابلته بين مذبح هيكل سليمان ومناقل بومباي ثم باستناده الى هذه المناقل ليثبت صورة ذلك المذبح. ومع علمنا بفقر مكتبة نابولي الشرقية بل بالاحرى لسبب ذلك الفقر نقدّم للمؤلف تهانئنا ونرغب اليه ان يُرسل لنا ما يُصنّفهُ من هذا القبيل س. ر

Aug. Jardé : LES CÉRÉALES DANS L'ANTIQUITÉ GRECQUE. La Production. *Bibl. des Ecoles fr. d'Athènes et de Rome, fasc.* 130, 8° 1925, *Paris, E. de Boccard*

زراعة الحبوب في عهد اليونان واستغلالها

قليلة هي ابحاث العلماء عن الاحوال الاقتصاديّة بين الامم القديمة وذلك لقلة ما كتبهُ المؤرخون في هذا المعنى. ومن ثمّ نشكر المسيو جرديه الذي حاول قبل غيره درس هذا الموضوع فأتانا بمعلومات ثمينة وان لم تكن كافية وافية. فذكر بالتقريب ما كانت تستغلهُ انحاء اليونان في اطوار تاريخهم من القمح وغيرهِ من الحبوب. وقد راجع لذلك عدداً عديداً من التآليف التي ذكر لائحتها وختم كتابهُ بثلثة فهارس: الاول للكتابات اليونانية التي ورد فيها شيء من ذكر الحبوب. والثاني للمفردات اليونانيّة التي شرحها. والثالث فهرس عام لكل مواد الكتاب. ويحصل من هذا الكتاب انّ احوال اليونان الاقتصادية حاضراً لم تختلف كثيراً عن احوالهم في سالف الازمان

ج. ل

Carl. Steuernagel: DER 'ASCHLUN, nach der Aufzeichnungen von Dr G. Schumacher. *Lieferung* 3, 1926, *Leipzich. Hinrichs, Prix* 10 *M.*

بلاد عجلون

هذا الكرّاس الثالث من كتاب سبق لنا وصف جزئيه الاوّلين (ص ١٥٢) نشر فيه الهر ستاورناغل ما خلّفهُ الدكتور شوماخر من المعلومات عن جبال عجلون. وهذا القسم يتناول جهات الكورة وبني عُبيد والوسطية وبني جهمة والسرو والاكفارات. ثمَّ الحقهُ بوصف الأثور بين نهر اليرموك ووادي الحصى. فترى في وصفه التدقيق والتحقيق اللذين سبق لنا اطراءهما في المنشورات السابقة. وقد زيَّنهُ بعدَّة تصاوير في عدد ٢٦ صورة جميلة

Henriette Célarié: NOS SŒURS DES HAREMS. 1 *vol. in*-12, *Paris, Hachette, Prix* 9 *f*

اخواتنا المُحصَّنات

[illegible] الخواتو [illegible] فاجابت الى دعوته ودخلت في ضيافة [illegible] الجهات تسكنت في حدود واح الاغواط في التراب وفي لورغلة وفي توغرت فاختلطت بعيشة الحريم وتخلّقت باخلاقهنَّ حتى عرفت عُجَرهن وبُجَرهنَّ كما انها اوقفتهنَّ على احوال نساء اوربة. وها هي ذا قد نشرت اخبار تلك الرحلة وما حدث لها مع ذوات الخدر في تلك البراري وذلك بطريقة سهلة حيَّة تخلب القلب بحسنها ج. ل

Eveline Bustros: LA MAIN D'ALLAH. 1 vol. in-16., Ed. Bossard 1926, Prix 9 f, 60

يد الله

انَّ مَن اطّلع على كتاب حضرة الاب لامنس المعنون « معاوية الاوّل » عرف ما جرى وقتئذٍ في دمشق من الحوادث السياسية التي قلبت احوال الاسلام لمّا سعى معاوية بان يُبايع ابنهُ يزيد ليحظى بعد وفاته بالخلافة. فانَّ هذا الواقع لم يتمّ إلّا بعد منازعات ومخالفات تجلّت فيها اخلاق العرب الاوّلين. فهذا هو الموضوع الذي

اختارتهُ السيدة اقلين بسترس لرواية تاريخية حاكتها بقلمها الفرنساوي السيّال وألبستها ثوباً قشيباً من الانشاء العصري وضمنتها كثيراً من عادات الشرق المستطابة فأحيت في نظر القرّاء عيشة الحضارة الاسلامية الاولى واستحقت ثناء قرّائها في مقدّمتهم الاخوان الاديبان جيروم وجان تارو (Tharaud) فصدّرا كتابها بمقدّمة لطيفة ل. ش

Chevrillon (André): Un Crépuscule d'Islam: Fez en 1905 *in*-12, 5e *éd.*, 1925. *Hachette, Paris, Prix* 10 *f*

شفق الاسلام: فاس سنة ١٩٠٥

أشرف المؤلف على مدينة فاس في مساء احد ايام سنة ١٩٠٥ فرآها في شفق النهار فاستطرد من نظر المدينة الى مراقبة احوال الاسلام في المغرب فقابل بينها وبين امور المسلمين في الشرق فحكم بفضل هؤلاء على المغاربة. ولا غرو انهُ اصاب الهدف باوصافهِ وتفننهِ بالكتابة فراج تأليفهُ ونحن نصف اليوم طبعتهُ الخامسة ج. ل

A. Bertholet. Die gegenwartige Gestalt des Islams, *Tübingen, Verlag von J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*), 1920, *M.* 1, 20

حالة الاسلام الحاضرة

هذه محاضرة القاها الاستاذ برتوله وحاول ان يصف فيها حالة الاسلام الحاضرة وما يغلب على اصحابه من الافكار المتباينة وهي في معظمها تتألف مما ينقلهُ عن كتبة سبقوهُ فيستخلص آراءهم. لكن عملاً كهذا يستدعي نظراً شخصياً ومعرفة التآليف الاسلامية واللغات الشرقية والمؤلف خلوٌ منها وهذا ما يدفعهُ الى تفسير اقوال غيره على غير معناها الاب ه. لامنس

Tourville (Henri de): ORDRE ET LIBERTÉ. Notes et Lettres à Ed. Demolins et à divers. *Paris, Bloud et Gay*

النظام والحرية

هذا عنوان مقالات اجتماعية لاحد الكهنة الفرنسويين الكاهن دي تورفيل الذي كان يخصص بدرس احوال الهيئة الاجتماعية فكتب عنها فصولاً عديدة في السنة ١٨٧٧ الى السنة ١٩٠٢ كان القراء يقبلون عليها برغبة عظيمة. فاراد احد كهنة جمعية الاوراتوريين الاب ديو (P. Dieux.) ان يجمع هذه المقالات ليستفيد

منها ارباب الهيئة الاجتماعية الحالية لحسن نظرها وقد قدّم عليها متولي نشرها ترجمة الكاهن دي تورفيل وبيّن تأثير كتاباته في تنظيم العيال وتربية الناشئة لتسلم ابدانهم من الآفات وارواحهم من الاضاليل الشائقة

Robert de Traz : Le dépaysement oriental. 1 *vol. in*-8°, 1926, *Paris, B. Grasset, Prix* 10 *f*.

الغربة الشرقية

قدم مؤلف هذا الكتاب الى مصر وفلسطين لاوّل مرة فلم يجد فيها من الشواعر ما كان تخيلهُ قبل سفره ومن ثمَّ تراهُ في كلامهِ عن هذه البلاد اشبه برجل غريب متضعضع الافكار حائر في ما يشاهدهُ فيها فيصفها متأثرًا من محسوساته الشخصية مخالفًا لحقيقتها الوضعية . أما ما كتبهُ عن الاديان الشرقية الاسلام والنصرانية فأوهام تدلُّ على جهله لتعاليمها ج . ل

A. Chevrillon, de l' Académie française: TERRES MORTES: Haute-Egypte, Judée. 1 *vol. in*-8, 335 *pages, Hachette, Paris, Prix* 5 *f*, 75

الاراضي الميتات

هي الاراضي الخالية من العمار . بهذا نعتَ صاحب هذا الكتاب بلاد الصعيد وفلسطين لما زارها قبل ثلثين سنة ولعلَّ كتابهُ كان بقي منزوياً في زوايا النسيان كغيره من كتب الرحل والسياحات التي لا تعيش زمنًا طويلًا . وانما تجدّد طبعه لدخول كاتبهِ في الاكادمية الفرنسوية مؤخرًا وهو لا يخلو من بعض الفوائد ولا سيما من جهة الانشاء فان كاتبهُ كمصوّر ماهر احسن في وصف ارض الفراعنة لولا انهُ افرط في تمريغ روح المصريين الدينية فنسب اليهم من التعمّق في الدين وفي رموزه ما لا سند لهُ في غير تخيُّلهِ . أما في وصفهِ لفلسطين فاننا نأخذ عليهِ سكوتهُ عمَّا تحتويهِ من آثار السيد المسيح والنصرانية الاب ا . لاي

APPEL AU PEUPLE CHALDÉEN par le P. Mansour Kyriakos. *Beyrouth, in*-16, *pp*. 17

استدعاء للشعب الكلداني

هذا كرّاس صغير كنا وددنا أن لا يخطّهُ قلم رجل عاقل فضلًا عن كاهن معروف

بتقاه . فيا لله كيف اغواه روح العنفوان فاستطاع ان يقيم نفسه حكماً على اعمال سيده البطريرك وحاشيته الكريمة وينادي بذلك على رؤوس الاشهاد فيشكك المؤمنين والاجانب بفعله فيدعو ممثل غبطته الى المحاكمة ويعصى على اوامر رؤسائه . أفإلى هذا الحد انتهت تربيته الاكليريكية ونعمة كهنوته ! فما لنا إلّا ان نرثي حاله وننشده الله ان يرعوي تائباً ويعود سريعاً كالابن الشاطر الى بيت ابيه ويكفّر عن ضلاله

وطن الفراعنة : مُثُل من الشعر القومي

الجزء الاول : احمد زكي ابو شادي

المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٢٦ (ص ٨٥)

شعر حي نفخ فيه صاحبه ما يتوقد في قلبه من حب الوطن واخرجه على صورة كادت تمثل للعيان ما يزين مصر من آثارها القديمة والحديثة فيزيد القارئ اعجاباً بوطنه ونشاطاً في خدمته . فيا ليت سائر الشعراء يشرّفون اقلامهم بمثل هذه الاوصاف التي تبعث في الارواح كل عاطفة نبيلة

في سبيل الشرف : مأساة ذات خمسة فصول

بقلم جميل البحري صاحب مجلة الزهرة

طبع في حيفا سنة ١٩٢٦ ص ٧٦

قد برّز جميل افندي البحري في اختيار الروايات الادبيّة الخالية من كلّ مسيء بالآداب والمثلة لأسمى الفضائل الاجتماعيّة . وله سلسلة كاملة من الروايات التمثيلية التي يحسن تشخيصها في مسارح المدارس ونوادي الادب . وهذه الحلقة الثامنة منها صوّر فيها فارساً من فرسان الصليبيين لا يهدأ له بال حتى يعيد لابيه شرفه المسلوب ظلماً . فنعم الموضوع ونعم الكاتب

ل . ش

لماذا انا مسيحي

تأليف الدكتور فرانك كراسين وتعريب الارشمندريت انطونيوس بشير

عني بنشره يوسف توما البستاني في مصر سنة ١٩٢٦ (ص ٣٦٦)

لا نعلم ماذا يدفع يوسف افندي توما البستاني الى ان يُعنى بنشر مثل كتاب النبي الذي سبق لنا ذكرهُ ومثل هذا الكتاب وقد قام بتعريبهما اكليريكي من رتبة الارشمندريت. لو سألنا اصغر تلامذة مدارسنا هذا السؤال « لماذا انا مسيحي» اجابك «اني مسيحي لآمن بالمسيح وبتعاليمهِ واحفظ وصاياه التي تعلّمنا اياها الكنيسة التي انشأها». اما الذي يقرأ هذا الكتاب فانهُ لا يستخلص منهُ غير التساهل الديني والمساواة بين كل الاديان صحيحةً كانت ام باطلة. فلا يبقى من المسيحية الحقيقيَّة سوى بعض قشورها وآدابها العرضيَّة التي لا تلبث ان تفنى مع فناء جوهرها. ومن ثمَّ نعدّ هذا الكتاب منافياً لتعاليم الدين المسيحي لا يجوز لاحد من المسيحيين ان يفرح فيهِ ولم يرَ [illegible] اليهِ سنة

حول سرير الامبراطور

ألَّفهُ الدكتور كابانيس نقلهُ بتصرُّف الدكتور نقولا فيَّاض

عُنيت بنشره ادارة الهلال في مصر سنة ١٩٢٦ (ص ١٢٩)

اثر جليل يحيي لنا ذكر رجل شغل افكار العالم اكثر من ربع قرن نعني بهِ نابوليون الاوَّل. فقد اخرجهُ الى العربيَّة الكاتب البارع الدكتور نقولا فيَّاض بقلمهِ السيَّال فزادهُ حسناً مع ما زيَّنهُ بهِ من التصاوير الرائعة. على انَّنا بقينا مرتابين في نسبة هذا الكتاب الى الدكتور كابانيس المتوفى سنة ١٨٠٨ والكاتب يذكر احوال نابوليون الى سنة وفاتهِ في جزيرة سانت هيلينة. فكان من الواجب ان ينبّه في المقدّمة على ما هو للدكتور كابانيس وعلى ما اضافهُ اليه من معلوماتهِ الخاصَّة لئلَّا يُنسب الى كابانيس ما هو لسواهُ

ل. ش

رسالتان رعائيتان

للسيد بشاره الشهالي مطران دمشق

صدرتا في مطبعة القديس بولس في جريصا (لبنان) ١٩٢٦

وجّه سيادته الرسالة الاولى الى ابناء ابرشيته الدمشقية المارونية والى المؤمنين الكرام في المهجر بمناسبة استلامه كرسي الابرشية في عشقوت في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٦ . وهو يفيدهم بهذا الخبر السار ويستندي كرم ايديهم لوفاء ما صرفهُ في هذا السبيل. وقد قدّم غبطة السيد البطريرك كتاباً منهُ يحضُّ فيهِ كهنة المهجر على مساعدة سيادته . والرسالة الثانية للسيّد الشهالي ايضاً تتضمّن بشرى بما يؤمّل من تطويب رجلين بارّين من ابناء ابرشيّة دمشق فرنسيس ومعطي مسابكي قُتلا في سبيل الايمان في حوادث سنة ١٨٦٠ مع المرسلين الفرنسيسيين وسيعلن بتطويب المرسلين في ١٠ من تشرين الاوّل القادم

هدايا أرسلت الى المشرق

١) Eine theologische Propädeutik von Jahjā ibn Ǧarīr هذه منتخبات من كتاب وصفناهُ في المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ٧٥) وهو كتاب المصباح المرشد الى الفلاح لابي نصر يحيى بن جرير التكريتي . فحضرة الكاهن الالماني المستشرق ج . غراف G. Graf بشر نقلهُ الى الالمانية فارسل لنا عدّة صفحات مما نشرهُ فنشكرهُ

٢) Zwei Gedichte aus dem Dīwān al-'Aḫṭal von Rudolf Geyer هما قصيدتان نشرهما جناب الاستاذ رودلف غاير من جامعة فينا وقد وجدهما في مجموعة خطية منسوبتين لعمرو بن الاهتم واحدة رائية والثانية لامية وكلتاهما سبق فنشرهما الاستاذ المرحوم غريغني مرسومتين في مخطوط بني من ديوان الاخطل في مطبعتنا وقد رأى الاستاذ غاير في نشرهما افادة لبعض روايات تختلف عن النسخة اليمنية . على انّ حضرة الاب صالحاني عاد فطبع القصيدتين على الحروف في «الشذور الذهبي في شعر الاخطل التغلبي» وكأن الاستاذ غاير لم يقف على هذه الطبعة التي كان يمكنهُ ان يصحح بها بعض اغلاط وقعت في ما نشرهُ عن نسخة فينا

٣ السيد عمر وتاريخهُ تحت الغربال) هي مقالة انتقادية ظهرت في البيان في عددها ١٧٨ الصادر في ١٧ آب . وهي لجناب الاديب ب . بستاني

٤ لغة العرب : مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية يصدرها الآباء الكرمليين المرسلين صاحب امتيازها الاب انستاس ماري الكرملي . عادت الى الظهور بعد احتجابها منذ السنة ١٩١٤

شذرات

﴿ التلغرافون ﴾ آلة جديدة وصفها البشير في عدده الصادر في ١٠ آب كما يأتي: «التلغرافون آلة اخترعها حديثاً احد العلماء الانكليز تؤدي عمل التلفون والفونوغراف معاً اي انها تتكلم شأن التلفون كلاماً يسمعهُ المخاطب باذنهِ. وهذا الكلام يسجَّل في الوقت نفسهِ على اسطوانة من الشمع حتى اذا شاء المخاطب مراجعة هذا الكلام او اذا كان غائباً ساعة خوطب بهِ يدير تلك الاسطوانة بمحرّك كهربائي دورة مضادة لدورتها الاولى فتُعيد له الحديث بتمامه من غير اقلّ تحريف او تبديل شأن الفونوغراف المعروف امره في قبول الاصوات وترديدها. ومن مزايا هذه الآلة انها تتلقى الرسائل السرّية في اوقات الحروب فتفكّ رموزها في عدوّ ثم تساعد على سماع المناقشات التي تدور في المجتمعات العامّة كالبرلمانات وغيرها لانها تدوّنها بدقة تفوق دقة اشهر الخبيرين بطريقة الاختزال. وتتناول الاصوات الموسيقية فتحفظها لتعاد على المُزمين بسماعها. وتساعد على الترسُّل وما اشبه ذلك من الفوائد الجزيلة الخطورة ولا سيما في الشؤون التي تقتضي الاسراع مما يتعلق بربح ذي بال يراد كسبه او بخطر جسيم يُطلب تجنبه او اتقاؤه »

﴿ مؤتمر اللغة التركيّة في باكو ﴾ عُقد هذا المؤتمر في اوائل آذار الاخير بمساعي حكومة السوفيات الروسيّة. فعُرض في احد نوادي قصر التعليم كثير من آثار الاتراك ذات العلاقة بلغتهم كالمخطوطات القديمة وصور آثارهم العلميّة والتآليف التي انشأوها مطبوعة ومثلها الجرائد والمجلّات. وقد حضر هذا المؤتمر مندوبون من سائر البلاد الناطقة بالتركيّة الواقعة في انحاء تركستان وغيرها. فتناوضوا في كل الامور التي من شأنها ان تعزّز اللغة التركيّة. ولمّا تباحثوا فيه استبدال الحروف التركيّة العربيّة بحروف اوربيّة. فحدث بسبب ذلك هياجٌ عظيم فعرضوا الامر للتصويت فكان عدد الراضين به مئة مندوب ومندوب. وقد امتنع ستّة او سبعة عن التصويت لمخالفتهم لذلك الرأي

﴿افريقية الغربيَّة الفرنساويَّة﴾ اقطار افريقية حتى اليوم يجهل كثير من كنوزها العلميَّة . فهذه افريقية الغربيَّة الفرنساويَّة التي قطعها عدَّة سيَّاح قد سار اليها احد علماء بولونية الطبيعيين المسيو فرنان اوستندوفسكي فجمع فيها ٤٠٠٠ نوع من الحشرات و٥٠٠ طائر وعدداً لا يُحصى من ازياء الاهلين واسلحتهم ومعبوداتهم وادواتهم الموسيقية وغيرها تأغنى بها متاحف بلاده

﴿قطع افريقية على الاوتوموبيل﴾ قطع الماجور الانكليزي كورت تريت (Court-Treatt) مع زوجته لاوَّل مرَّة على الاوتوموبيل افريقية على طولها بين مصر الى الكاب . وانما صرف في رحلته هذه سنةً وثلثة اشهر فقطع ٢٠،٥٠٠ كيلومتر . واثبت بفعله انَّ هذه الرحلة ممكنة على خلاف ما كان يظنّ العلماء قبلهُ لكنه بيّن صعوبة فتح طريق قانونيَّة بين طرقٍ في افريقية إلَّا اذا تكبدوا عليها نفقات طائلة لاسيما في مدّ الجسور المتعدّدة على الانهار

﴿اضطهاد الرئيس كالس للكاثوليك في المكسيك﴾ انَّ هذا الاضطهاد الغريب في بلاد عمَّها فضل الكنيسة الكاثوليكيَّة مدَّة مئات من السنين بيّن للعالم اجمع ما تكنُّهُ قلوب الفرمسون من البغض للدين . فانَّما كان العقلاء حتى من البروتستانت يستقبحون هذه التطرُّف الذي فتح باباً واسعاً للمشاجرات والنزاع والحرب الاهليَّة حتى سالت بسببهِ الدماء . كان الفرمسون الاحرار في انحاء العالم يحتذون عمل الرئيس ويوجهون اليهِ رسائل التهاني وبهذا اثبتوا ما يدَّعونه انهم يكرّمون الدين وذويهِ !

﴿ملكة العراق﴾ بهذا اللقب كانت تُدعى في العراق الآنسة الانكليزيَّة مس بلّ (Miss Bell) التي توفيت قبل شهرين في بغداد فكان لمماتها تأثير عظيم . وهذه الآنسة من جملة نساء انكلترة النابغات رحلت مراراً الى مجاهل البلاد وقطعت البراري المقفرة فساحت في الاناضول وفي الجزيرة وديار بكر وفي طور عابدين لا تبالي بالاتعاب ووصفت الآثار القديمة الدينيَّة منها والمدنيَّة ونشرت في ذلك كتباً واسعة وقد مرَّت بيروت ثلاث دفعات فرأينا اجتهادها في نشر العاديَّات . وكان لها في العراق بعد الاعلان بالانتداب البريطاني مقام رفيع واعتبار زائد فيرجع أولو الامر الى رأيها في تدبير البلاد

﴿آثار صليبيَّة في انحاء طرابلس﴾ وجد الاثريّ الهمام السيو بروسّه (Brossé) احد اعضاء لجنة الآثار الاهليَّة في مغارة هناك نقوشاً قديمة مدوَّنة اثبت فيها الرطوبة وقدَم الزمان وهي تمثل القديسة مارينا المكرَّمة في قنوبين وبعض جهات لبنان. وهذه الصورة من نقش الصليبيين والشاهد على ذلك انَّ القديسة تمسك في يدها كتاباً كان شائعاً في فرنسة في ذلك العهد يُدعى «مرآة الاحداث» كان يتعلَّم فيهِ صغار المدارس. ومن ثمَّ يظهر منهُ انَّ الصليبيين اتَّفقوا مع اهل لبنان في اكرام القديسة المذكورة

﴿ملك بلجكة وخبز الخشكار﴾ انَّ خوف الدولة البلجكيَّة من هبوط الفرنك ساق اربابها الى اتخاذ عدَّة تدابير في سبيل نهضتهِ فمن ذلك أنَّهم فرضوا على العموم أكل الخبز الخشكار اي غير المنخول المصفَّى. فكان سعادة الملك البير وزوجتهُ اوَّل من تقيَّد بهذا الامر الذي يُستفاد منهُ في كلّ شهر توفير اقتصادي يبلغ ستَّة ملايين فرنك. ومما تقيَّد بهِ الملك المذكور ايضاً اقتصاداً انهُ اذا سافر وحدهُ لم يعُدْ يركب الاوتوموبيل وانَّما يمتطي الدرَّاجة

﴿في مجلس نيويرك البلدي﴾ انَّ هذا المجلس يفتتح جلساتهِ بصلاةٍ علنيَّة يتلوها كاهن كاثوليكي الاب كاشين ويجب عليها كلّ الحضور من اي دين كانوا. وهذه عادة حميدة اقتدى بها زملاؤهُ احد اعضاء هذا المجلس المستر «ماك كي» (Mac Kee)

﴿مؤتمر الملاحة الدولي في القاهرة﴾ في شهر كانون الاوَّل المقبل سيعقد في عاصمة مصر مؤتمر دولي لتنظيم احوال الملاحة بين الدول فيجرون على قوانين ثابتة في المعاملات العمومية المتبادلة. وهذا المؤتمر سيكون تحت رعاية جلالة ملك مصر وسيرئسهُ دولة احمد باشا زويل رئيس الوزارة السابقة

﴿بين فرنسة وانكلترَة﴾ قطعت آنسةٌ اميريكيَّة من جرترود ايترلد لاوَّل مرَّة بحر المانش الفاصل بين فرنسة وانكلترَة سباحةً في ١٤ ساعة ونصف

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد الى اي زمن يرتقي عيد انتقال العذراء الى السماء ؟
انتقال العذراء الى السماء

ج هذا العيد قديمٌ في الكنيسة لنا شواهد على تعييده في القرن الخامس للميلاد لشيوعه حتى عند الطوائف التي انفصلت عن الكنيسة الرومانية في ذلك العهد (اطلب مقالةً في ذلك في المشرق ١ [١٨٩٨] : ٩٥٢)

س سأل آخر اين موقع الواديين المعروفين بوادي التيم ووادي العجم الوارد ذكرهما في ثورة الدروز ؟
وادي التيم ووادي العجم

ج وادي التيم موقعهُ في الجبل الشرقي (Antiliban) الذي من جهة عنجر وهناك الجبل ينقسم الى قسمين غربي وشرقي. موقع الاول على الجانب الشرقي من نهر الليطاني والثاني يمتدّ الى جبل الشيخ. فوادي التيم واقع بين الجبلين والقسم الاوّل منهُ يُعرف بوادي التيم الاعلى وهناك بلدة راشيّا وقرى دير العشائر وينطا وكفرقوق. ويلحق بهِ وادي التيم الاسفل فيهِ بلدة حاصبيّا وراشيّا الفخار وميمس والهبّاريّة وغيرها — امّا وادي العجم ففي جبل الشيخ جنوبيًّا من دمشقُ من قراهُ قطنا والجديدة ودارّيا ودار علي وقرى اخرى

س وكتب احد الكاثوليك من القدس: ان جناب احمد زكي باشا ألفى هنا في المؤتمر الاثري البيروتي الفلسطيني خطابًا خطأً فيهِ ترجمة الكتاب المقدّس لاسم سمعان القيرواني المذكور في الانجيل كحامل الصليب في اثر يسوع وادّعى انَّ ترجمة اسمهِ منافية للحقيقة لان قيروان هي غير المدينة (Cyrène) اليونانيّة التي كان منها سمعان فما قولكم ؟

ج لا احد يجهل ان مدينة قيروان مدينة عربيّة كان تمصيرها في اوّل الاسلام اما المدينة التي كان منها سمعان حامل صليب المسيح فهي قيرينة مدينة قديمة كانت عاصمة بلاد ليبية . وهذه المدينة ورد ذكرها في الانجيل وتكرَّر اسمها في اعمال الرسل وانَّما دُعيت باسم قيروان للشبه بين الاسمين ولعلَّ اسم قيروان العربيَّة مشتق من اسم قيرينة القديمة التي كانت خربت ولم يعرف لها العرب اسماً خصوصيًّا. فنسب المترجمون اليها اسم القيرواني وقد وجدنا هذا النسب في نسخ راقية الى القرن التاسع والعاشر للمسيح

ل . ش

المشرق

المئة السابعة لوفاة القديس فرنسيس الاسيزي

لحضرة الاب عمانويل رولان اليسوعي

توطئة

في اليوم الرابع من شهر تشرين الاول تذكر الكنيسة الجامعة في كلّ سنةٍ احد أبطالها العظام الذين شرّفوها بقداسة سيرتهم واعمالهم الجليلة نريد بهِ القديس فرنسيس الاسيزي الذي ادهش العالم في اوائل القرن الثالث عشر ببرارة حياتهِ وبمآثرهِ الجمّة وبنفوذهِ الكبير في إصلاح عصرهِ

إلّا انّ في هذه السنة داعياً خصوصيًّا لذكرهِ اذ يوافق وقوع هذا العيد في المئة السابعة لوفاته فمن ثمَّ احبّ إمام الاحبار قداسة ابينا البابا بيوس الحادي عشر أن تُقام لذكرهِ مواسم لائقة بعظم فضلهِ ليس في مقام وطنهِ فقط بل في كلّ انحاء المعمور ونشر في ذلك براءةً عموميَّة عدَّد فيها مبرّرات ذلك الرجل الكبير وحضّ سائر المؤمنين على التأسي بأعمالهِ والسير بموجب روحهِ العلويَّة

وقد أجاب العالم الكاثوليكي الى صوت هامة الكنيسة وتخصّصت لاكرام القديس فرنسيس سنةٌ كاملة كان مفتتحها في اسيزي في غرَّة شهر آب بعد ثلاثيَّة أُقيمت فيها فرائض دينيَّة حافلة حضرها جمهور من الزوّار الذين قدموا من انحاء البلاد لمشاركة اهاليها في تلك الافراح. فاحتشد الاهلون والوفود في ساحة المدينة الكبرى المزدانة بالرايات وضروب الزين وتغنّوا بنشيد نظمهُ لهذه الغاية حاكم المدينة السنيور

أرنلدو فوتيني فقرعت اجراس الكنائس وأرعدت المدافع وأطربت النوبات الموسيقية ثمّ سارت الجموع البالغة نحو ثمانين الفاً يتقدّمهم ممثلو السلطتين الدينية والمدنية وطافوا في انحاء المدينة فاكرموا الامكنة العديدة التي قدّسها فرنسيس بنشاءته وعجائبه حتى انتهوا الى كاتدرائية اسيزي حيث منحهم رئيس اساقفتها الجليل السيد امبروسيوس لوذي بركة القربان الاقدس

وفي صباح العيد في اول آب اقام الحبر المذكور احتفالاً مهيباً في الكنيسة الكاتدرائية المشيدة على قبر القديس والمبنية بناء فريداً ببراعة اكبر المهندسين والمزدانة بتحف الصناعة التصويرية لنوابغ المصورين كجيوتو وفرا انجليكو فقدّم الذبيحة الالهيّة بكل أبهة ورونق بمصاحبة جوقات المرتلين وانغام الموسيقى الدينيّة . وفي مساء النهار تنظّم موكب عظيم وطيف بالقربان الاقدس من الكنيسة الكاتدرائيّة الى كاتدرائيّة القديسة مريم التي فيها كان منشأ الرهبانيّة الفرنسيسيّة ومشى في هذا الطواف رجال الحكومة واعضاء المجلس البلدي حاملين راية المدينة ثمّ الوفود من جميع الرهبانيّات والشركات والاخويات بيزرهم الرسميّة وشعاراتهم مع اعضاء المؤتمر الفرنسيسي العام الذي قدم اسيزي لهذه الغاية وختم الاحتفال ببركة القربان وباعلان الغفران الكامل الذي منحهُ الحبر الاعظم للمشتركين بهذه الحفلات

وقد اقبل كثيرون من الكتبة فنشروا في الجرائد الكبيرة والمجلّات الشهيرة مقالات واسعة خصّوها بذكر القديس فرنسيس واعماله فلا يسعنا نحن ان نضرب صفحاً عن ذكره وله على هذه البلاد من فضل ابنائه ما لا يجوز السكوت عنهُ . وقد قسمنا هذه النبذة ثلثة اقسام نبيّن في الاوّل منها شخصيّة فرنسيس رجل الله . وفي الثاني نصف مشيْ الرهبانيّات . وفي الثالث نعتبر المصلح الاجتماعي

١ً القديس فرنسيس رجل الله

هي قاعدةٌ مطّردة انّ الله اذا انتدب احد عبيده لعمل خاصّ وغاية جُلّى يخصّهُ بنعم سنيّة وشمائل ممتازة تؤهّلهُ للقيام بدعوته هذه الالهيّة . وقد اختار الله فرنسيس ليصرف نظر اهل زمانه عن التشبّث بالماديّات والمطامع الاشعبيّة التي حوّلت همّتهم عن شؤون الآخرة لامور الفانية فيعلّمهم روح التجرّد الذي اعلن به السيّد

المسيح يوم قال لتلاميذه: «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ وماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه؟»

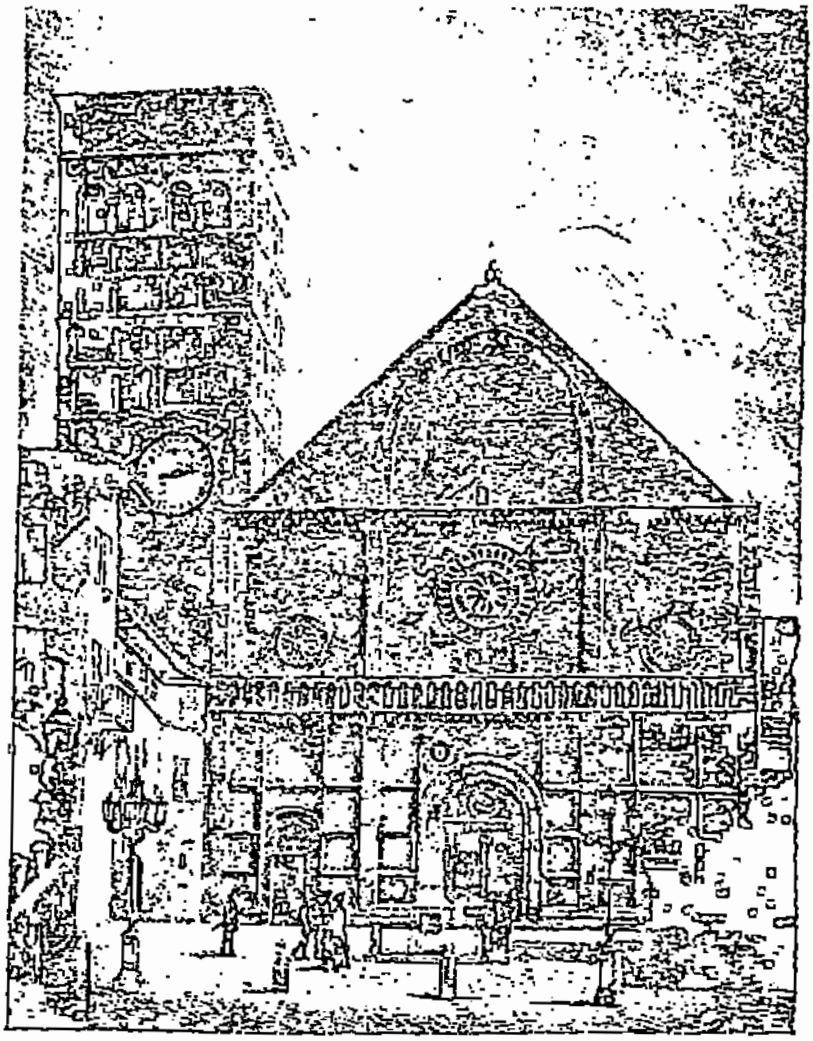

منظر كنيسة اسيزي الكتدرائية وعلى باحها تمثال القديس فرنسيس

اسيزي موطن القديس فرنسيس مدينة قديمة صغيرة في ايطالية الوسطى من اعمال

أبرية واقليم بروزية لا يزيد عدد اهلها على ستة آلاف نفس . ففيها كان مولدهُ سنة ١١٨٢ من ابٍ تاجر غنيّ بياترو برنردينو وامّ فرنسويّة من بروفنسة تدعى لابيكا تعلّم منها الفرنسويّة فلهج بها وتغنّى باغانيها في شبابهِ

نشأ فرنسيس حرًّا لطيف المعاشرة محبًّا للهو رقيق الطباع سخيّ اليد فصرف قسمًا من حياتهِ في صحبة شبّان وطنهِ يشاطرهم المسرّات مع نفورهِ من كل ريبة وخلاعة . وكان يجد في ثروة ابيهِ ما يساعدهُ في ارتشاف كأس الهناء ورغد العيش

وكان مع استسلامهِ لنزوات الشباب يرقّ على المساكين ويحسن اليهم حتى انهُ اخذ على نفسهِ ان لا يَرُدّ احدًا منهم فارغًا بعد توبتهِ على واحد منهم كان جفاهُ اوّلًا ثمّ عاد فتكرّم عليهِ بصدقة وافرة

وكأنَّ الله اراد ان يجازيهُ على فعلهِ فاراد اوّلًا ان يمحص هذه الجوهرة ببوتقة المحن والاوجاع فسمح ان يؤخذ اسيرًا في واقعة جرت بين مواطنيهِ واهل مدينة بيروزة فأُلقي في السجن وذاق طويلًا مرائر المعاش وبعد ان أُطلق سبيلهُ أُصيب بمرض عُضال كاد يطفئ سراج حياتهِ فعرف انَّ افراح هذه الحياة لا ثبات لها وان ملذّاتها تُرنق [illegible] المشقّات فرفع بنظاره الى السماء مسترشدًا الله عمّا يطلبهُ منهُ واخذ يعود الى الفقراء بما كان ينفقهُ في شهواتهِ ويكسوهم بثيابهِ الفاخرة ويعود المرضى ويحنُّ على البُرص وزهد في المسامرات ومنادمة الشبّان . وأوحى اليهِ حينئذٍ احد الصالحين انَّ الله اختارهُ ليجري على يدهِ اعمالًا جليلة في الكنيسة فدعاهُ ذلك الى ممارسة اعمال التقى ومضاعفة الاحسان نحو البائسين

امّا ابوهُ فتأفّف من اسرافهِ وبذلهِ مالهُ في سبيل البرّ فضايقه وتشدّد عليه فلم يستطع ان يردّهُ عن حنانهِ على البؤساء فاراد ان يطردهُ من بيتهِ ويحرمهُ ميراثهُ فرفع الامر الى أسقف المدينة فدعاهُ الاسقف وبيّن لهُ بكل لطف غضب والده عليهِ لتبذيره مالهُ وهو يطالبهُ بهِ . فقام فرنسيس ودخل غرفةً هناك وتجرّد من كل ملابسهِ سوى مسحٍ كان مرتديًا بهِ تقشّفًا وجمع كل ثيابهِ صرّةً فاتى بها مع دراهمهِ امام الاسقف وسلّمها الى والدهِ قائلًا : ها اني منذ الآن ما عدتُ اعرف غير الله ابًا فاكرر بكل صدقٍ : «أبانا الذي في السماوات» . فلمّا سمع الحضور كلامهُ ذرفوا الدموع متأثرين من فعلهِ . وضمّهُ الاسقف الى صدرهِ لشهامتهِ وكساهُ بثياب حقيرة لبعض

(الشكل ١)

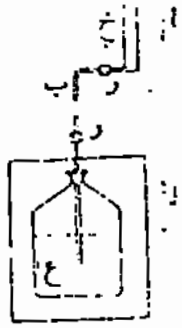

(الشكل ٣)

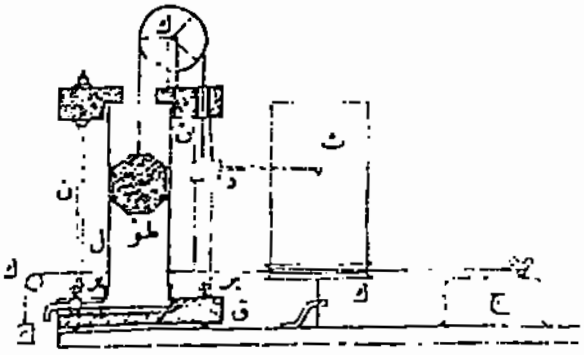

(الشكل ٤)

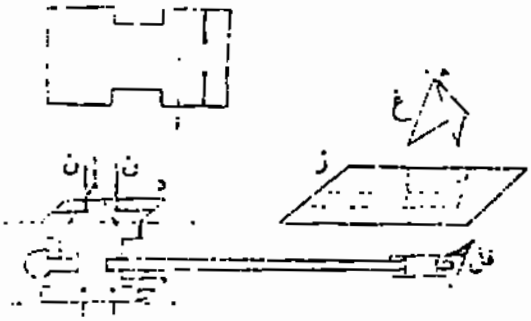

(الشكل ٢)

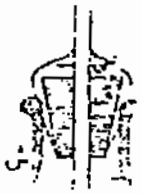

(الشكل ٥)

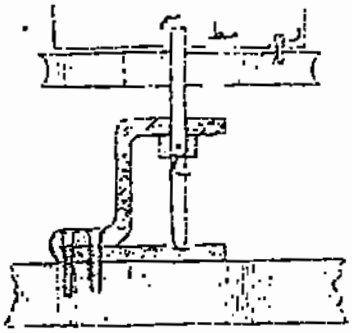

لشكل ١) رسم صورة عمود البارومتر المائي (الشكل ٢) رسم وعاء الماء وتجهيزه
لشكل ٣) ادوات البارومتر المدوّنة لضغط الهواء (الشكل ٤) اطراف قطر البكرة
لشكل ٥) الدليل المتحرك والقلم المدوّن

خدمته . فخرج فرنسيس ناوياً ان يعيش هو ايضاً عيشة الفقراء متجرّداً عن كل حطام العالم

ومن البديهي انّ سلوكهُ هذا عدّهُ الناس ضرباً من الجنون ونالهُ بسببهِ ضيقات شتى واهانات وشتائم صبر عليها واذاقهُ الله اصبرهِ فرحاً باطناً شدّدهُ على عزمتهِ فنذر الفقر الاختياري الى آخر نسمة من حياتهِ وكان يدعوهُ «سيّدي الفقر»

وما كان تجرُّدهُ هـذا إلّا الخطوة الاولى في طريق الكمال الذي اخذ بنهجهِ ليتقرَّب الى الله مصدر كل كمال وينبوع كل فضل وصلاح . فتعلَّم بعيشتهِ الفقريَّة التذلُّل والتواضع شأن الفقير الـذي ترشدهُ حالهُ الضنكة الى الاستهـانة بنفسهِ واعتبارها صغيرة حقيرة . وكذلك الصبر فانَّهُ اتخذ الفقر كأقرب وسيلةٍ الى التماسهِ وممارسة فضيلتهِ . ومع التواضع والصبر لم يصعب عليهِ اقتناء فضيلة الوداعة التي اكسبتهُ قلوب معاصريهِ . وما قولنا بثقتهِ بالله الذي عوَّل عليهِ في تدبير حياته وألقى على ربّهِ حِمل رجائهِ . وما لبث بممارسة هذه الفضائل حتى رقي الى اسماها وأجلّها اعني بها محبة الله فاضطرم قلبهُ بحبّهِ تعالى ولم يَعُدْ يعتبر الارض وكل محتوياتها إلّا كأزبل وهباء التراب

على انَّ محبَّة الله لا تنفصل في قلب اوليائهِ عن محبة القريب لوجه الله مع الغيرة في اصلاحهِ وتقديس حياتهِ . فاخذ فرنسيس كيوحنَّا المعمدان يبشّر بالتوبة ويدعو الناس الى التجرُّد والزهد فيحيك كلامهُ في قلوبهم ويتقاطرون الى استماع ارشاداتهِ ويعمل فيهم مثلهُ اكثر من كلامهِ فكانوا يتصدَّقون عليهِ فلا يقبل منهم ما يزيد عن قوتهِ اليومي ويوزّع على الفقراء ما فضل منهُ

ولم يكتفِ بهذا بل اراد ان يصلب في نفسهِ مع المسيح الانسانَ العتيق (رومية ٦:٦) الذي كان يحاول ان يلقي على عاتقهِ نير الشهوات . فكان يحاربهُ بضروب الاماتات والتقشُّفات من صوم ومجالد وتمرُّغ في الثلج او في الاشواك ريثما يستعبد جسدهُ الذي كان تتدفَّق في شريانهِ دماء الشباب . هذا فضلاً عمَّا تحملهُ من الآلام الطارئة فقبلها كنعمةٍ من يد الله بل كان يدعوها باسماء لطيفة كقولهِ «اختنا الحمّى» و«صديقنا المرض» وما اشبه ذلك من نظرهِ لبلايا الحياة بعين الايمان

ولا يظنَّنَّ احد ان فرنسيس في سيرهِ بهذهِ العيشة الشظفة كان فظَّ الاخلاق خشن الطباع غالبة عليهِ السوداء كانهُ غريب في عالم الاحياء . بل كان على خلاف

ذلك لين الجانب ذو الأخلاق سهل المعاشرة. وكان يغلب على افكاره التخيلات الشعرية فيرى في كائنات الطبيعة مباهج روحية تُسَرّ بها نفسهُ ويتغنى بها. ولهُ في ذلك آثار رواها لهُ مترجمو اعماله من ذلك تسبيحة للشمس ووصفهُ لآيات محاسنها التي تقرّب الانسان الى خالقهِ. ومما يدلّ على رقة نفسهِ ملاطفتهُ لذات الحيوان كدعوتهِ

القديس فرنسيس يؤانس الحيوانات

يوماً للطيور فاجتمعت حولهُ فألقى اليها عظةً لتمجيد بارئها ثمّ بازكها فطارت في الفضاء ترتزق فرحاً. بل اطاعتهُ وحوش الفلوات كذئب مدينة غوبيو الذي كان يعيث في البلاد فساداً فدعاهُ وحذّرهُ فاصبح انيساً كالحمل

وأيدهُ الله في تلك الاثناء باجتراح العجائب من تطهير البُرص وشفاء المرضى ومعرفة دفائن القلوب. واستحرّ بالعبادة نحو اسرار حياة المسيح الذي ظهر لهُ مصلوباً فضمّهُ الى صدرهِ واشاع القديس اكرام مولدهِ فكان اوّل من اصطنع مذوداً ليمثلهُ يوم عيد الميلاد لاعين الناس كما كان في بيت لحم فشاع صنيعهُ في انحاء المعمور. وكذلك بالغ في اكرام مريم والدتهِ فاختبر آيات شفاعتها

٢ منشئ الرهبانيات

انّ ما وجدهُ فرنسيس من اقبال العالم وتهافت الجماهير لسماع مواعظهِ وللاستهداء الى الصلاح اثبت لهُ انّ القيام بمثل هذه المهمّة يحتاج الى مساعدين يؤازرونهُ في العمل. وكأنّ الله سبقهُ الى تحقيق رغائبهِ فأرسل اليهِ رجالاً ذوي تُقى ونشاط طلبوا ان يتتلمذوا لهُ ويجروا على مثالهِ. فكان اوّل ما فرض عليهم ان يبيعوا كل ما لهم ويفرّقوهُ على الفقراء فرضوا بذلك وتبعوهُ وارتدوا باطمارهِ الفقرية وجعلوا مثلهُ يستعطون كالفقراء. وبلغ عددهم اثني عشر كتلاميذ المسيح. والحقّ يقال انّ حياة القديس فرنسيس كانت اشبه بحياة السيد ابن الله في امور كثيرة فانّهُ مثلهُ وُلد في مذودٍ بعد ان انتقلت امّهُ اليه في مخاضها العسر بايماز رجل مجهول. ومثلهُ اتخذ اثني عشر تلميذاً ارسلهم للتبشير وخدمهم الله بنعم سابقة وارتدّ واحد منهم عن جادّة البرّ كيهوذا الاسخريوطي. ومثلهُ رسم ملاكٌ في جسمهِ جروحات المسيح الخمسة

ولمّا التفّ تلامذة فرنسيس حولهُ وضع لهم قانوناً صارماً بناءً على التجرّد التامّ والكفران بالنفس واثبتهُ بثلاث آيات من الانجيل استدلّ عليها بفتحهِ امامهم على يد بعض الكهنة في الكنيسة فكانت الآية الاولى (متى ١٩ : ٢١) : «ان شئت ان تكون كاملاً اذهب وبع كل ما لك واعطهِ المساكين وتعال فاتبعني». وكانت الآية الثانية (متى ١٠ : ٩) : «لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولا مزوداً في الطريق. ولا ثوبين ولا حذاء ولا عصاً». اما الثالثة فكانت الآية (متى

١٦ : ٢٤) : « من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبهُ ويتبعني »

وكان كثيرون يلومون القديس ويرون انَّ قانونهُ لا تطيقهُ الطبيعة البشريَّة لكنَّهُ تصلَّب في رأيهِ واظهر الله بعجائب باهرة انَّ ذلك القانون كان بإلهامهِ ومشيئتهِ فجرى عليهِ الوف ومئات ألوف من البشر بينهم الاعيان واشراف العالم فما عددهم نموًّا عظيماً حتى في ايام منشئهم

وكما خصَّ فرنسيس نفسهُ لارشاد الشعوب وتذكيرهم بامور الآخرة نفخ ايضاً في قلوب ابنائهِ روح الغيرة وارسلهم الى انحاء ايطالية اوَّلاً ثمَّ الى جهات اوربة وبلغ بعضهم اصقاع الشرق فكان لتبشيرهم احسن الوقع في قلوب البشر. واراد فرنسيس ان يتقدَّمهم كرسل الى البلاد الاجنبيَّة فأبحر الى مصر سنة ١٢١٩ مع اثني عشر من رهبانهِ ودخل على الملك الكامل ابن الملك العادل الايوبيّ ليبشرهُ بالنصرانية وهو يؤمل ان يستشهد بامرهِ. لكنَّ الملك تحفَّى لهُ واكرمهُ وانما ثبت على اسلامهِ. ثمَّ سار القديس الى فلسطين فوضع اساس رسالة رهبانيَّتهِ في تلك الاصقاع ولم تزل منذ ذاك الحين حارسةً الاراضي المقدَّسة تقاسي في حفظها ضروب الآلام والمصادرات حتى الموت الاحمر فمزجوا دماءهم بدماء فاديهم

ولم يقصر فرنسيس عملهُ على الجنس الشيطة القوي بل اراد ايضاً ان تنبت روحهُ الزهديَّة في الجنس الضعيف اللطيف واتاح لهُ الله ان يُخرج فكرهُ الى حيز الوجود بفتاة كاملة الصفات خَلقاً وخُلقاً تُدعى كلارا تميل فرنسيس في قلبها عمل المغناطيس في الحديد فهجرت بيت ابيها وقصَّت شعر رأسها وتحصَّنت في كنيسة القديسة مريم التي كان فرنسيس ورهبانهُ يخدمونها فجعلوها كمركز رهبانيَّتهم. فكان مثلها في اترابها كمثل فرنسيس في اهل وطنهِ. فأنشأ فرنسيس جمعيَّة النساء الزاهدات المتسميات الى القديسة كلارا ونيستهنَّ يتبعنَ قانونهُ. وبعد زمن قليل نما عددهنَّ كعدد الرجال. فصحَّ في كلتا الرهبنيَّتين مثل الانجيل في حبة الخردل فنستا كدوحتين باسقتين ظللتا باغصانها عدداً لا يُحصى من طيور السماء

لكنَّ القديس لعلمهِ بانَّ هذه المشاريع العظيمة لا تثبت دون تصديق الحبر الاعظم على انشائها ذهب الى رومية ليلتمس من رئيس الكنيسة اجازة قانونهِ. وكان اذ ذاك البابا انوشنسيوس الثالث ضابطاً لازمة الرئاسة وتشغلهُ امور هامَّة فلم يعبأ

القديس فرنسيس والمصاوب

اوّلًا بفرنسيس اذ لمحهُ بهيئتهِ الرثّة الحقيرة لكنّهُ رأى في نومهِ حلماً دفعهُ الى تقريبهِ منهُ فانهُ نظر كنيسة رومية الكاتدرائية اوشكت على السقوط لو لم يسندها ذاك الفقير الذي ردّهُ خائباً. فانس بهِ وفحص قانونهُ مع الكرادلة حاشيتهِ . فحكم كثيرون منهم انهُ يفوق على الطاقة البشريّة لكن الحبر الاعظم اذ وجدهُ يستند الى تعاليم السيد المسيح في الانجيل موافقاً لسيرتهِ على الارض اجازه ورخّص لهُ ولتلاميذه ان يكرزوا في كلّ انحاء المعمور

فكان نظر فرنسيس وتلامذتهِ وهم يسيرون حفاةً لابسين ثوباً خشناً متمنطقين بحبل لا يملكون شيئاً من اعراض العالم انجع مثل يردُّ الناس عن الطمع في الارضيّات ويحرّك الرغبة فيهم للاقتداء بهم . فانتشرت الرهبانيّة الافرنسيسيّة بنوع عجيب في كلّ الاقطار حتى بلغوا اقاصي المعمور فساروا الى المغول والتتر والصين . وعرف نصارى الشرق الادنى في مصر والشام عظم فضلهم فكانوا لهم سنداً في بلاياهم وتعزيةً في احزانهم ودليلًا في حياتهم الروحية

٣ فرنسيس الرجل الاجتماعيّ

لكنّ رهبانيّتي فرنسيس الاسيزي مع ما ادّيا من الخدم للعالم الديني والادبي لم يبلغا قلب المجتمع الانساني ولم يؤثرا في عموم الهيئة الاجتماعيّة الاوربيّة إلّا سطحياً ففكّر فرنسيس في مشروع آخر يتناول النصرانيّة كلّها مباشرةً بافرادها وعيالها لكي يقاتل روح الأثرة والانانيّة السائد على اهل تلك العصور

كانت الكنيسة ببعثها للحملات الصليبيّة أبطلت في اوربّة تلك الحروب المشئومة التي كانت تقسم بين امّةٍ وامّة وبين معاملة ومعاملة وبين مدينة ومدينة وبين أسرة وأخرى فحوّلت نظر الجميع الى الاراضي المقدّسة لتبسط عليها حكماً مسيحيًّا . لكنّ معالجة هذا الداء الاوّل كانت تستدعي علاج داء آخر عياء كان فاشياً في القرون الوسطى فلم تتمكّن من حسمهِ . وكان أصل الداء من حالة اوربّة السياسيّة التي شاعت منذ القرن العاشر وهي متوقفة على الاقطاعيّات التي كان يمنحها الملوك لبعض الخواصّ فيتملكون الارزاق ويستثمرونها على شروط وخدَم يرتبطون بها نحو الملك لاسيما بمساعدتهِ في حروبهِ . ثمّ استبدّ كثيرون من اعيان البلاد بتلك الاراضي

وأقطعوها مَن دونهم . فكان اصحاب الاقطاعيات يتخذون العدّة لاستثمارها ويتصرّفون بهم تصرُّف السيد على عبيده . وكان السادة يتوارثون تلك الحقوق ويخوّلون منها ما شاؤوا مَن شاؤوا من اصحابهم . وامتدّت هذه الحقوق الى رجال الكنيسة نفسها ينالونها من السادة العلمانيين فيصبحون تحت حوزتهم وطوع بنانهم

فهذه الحالة السياسيّة كان من شأنها ان تحمل اصحابها الى مطامع طائلة تنجم منها المنازعات والمشاغبات والمظالم المتنوعة فما كان سبيلٌ الى إبطالها او تخفيفها إلّا بدعوة الشعوب الى التجرُّد والقناعة . فلما رأى فرنسيس اقبال الجماهير على تعاليمه وطلبهم بالحاح الدخول في رهبانيّته وكثيرون منهم ارباب عيالٍ مرتبطون بقيود الزواج فكّر في رهبانيّةٍ مخفّفة توافق اهل العالم مع بقائهم في عيشتهم الاجتماعيّة فيمارسون في بيوتهم ذلك التجرُّد الذي ينفي المطامع والاستبداد ويشيع بين الناس من سادة ومَسُودين العدل والوفاق والحبّ المتبادل والقناعة المسيحيّة . ووضع القديس لذلك قوانين اوحى اليه بها الله وانتشرت انتشار النور على الارض وتقيّد بها الناس افواجاً في كل انحاء اوربّة من ملوك واشراف ورجال ونساء وعموم الناس وهي تلك الرهبانيّة الثالثة او رهبانيّة التوبة التي اوردت لنا مجلة المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٥٣٨ــ٥٤٥) فصلاً واسعاً بمناسبة المئة السابعة لانشاء تلك الرهبانيّة فبيّنت تاريخها وطريقتها ونتائجها العجيبة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيّة وشيوعها في البلاد حتى في انحاء الشرق كلبنان وسورية وما بين النهرين والعراق . وكثيراً ما حثّ الاحبار الرومانيّون المؤمنين على دخولها اذ تُقرّب اليهم ممارسة اسمى الفضائل وبلوغ الكمال المسيحي .

ذاك هو فرنسيس الاسيزي الذي أجمع العالم على اكرامه في هذه السنة الواقع فيها تذكار موته والحق يقال انهُ بفقره وتجرُّده نفع المجتمع البشري اكثر من كلّ كتابات الفلاسفة واحلامهم التي لم تتجاوز غالباً دائرة افكارهم ولم تؤثّر تأثيراً يُذكر في اخلاق معاصريهم لتحسينها وترقيتها . على خلاف ذاك الذي دُعي بالاب السيرافيي لعلوّ مداركه وسيرته بين البشر على مثال ربّه الالهي السيد المسيح

هذا وقد اجتزنا في هذه النبذة بذكر القديس فرنسيس واعماله الشخصية ولم نتعرّض لما انشأهُ ابناؤهُ من المشاريع المختلفة منها دينيّة لاكرام آلام المسيح واسرار

حياته وقربانه الاقدس ومنها ادبية واجتماعية كمشروع « جبال التقى » (Monts de Piété) الذي انشأهُ الاب برنباي التوريني سنة ١٤٦٢ وامتدَّ في سائر انحاء العالم وبه نجا الوف بل مئات الالوف من الفقراء من ظلم المرابين ومنها شركة القناعة لمحاربة المسكرات سنة ١٨٥٦ وغيرها من المشروعات التي كان الفضل في انشائها لتلامذة القديس فرنسيس . وما نقولهُ عن الفرنسيسيين نقولهُ عن الكبوشيين وبقية الرهبانيَّات المنتسبة اليهِ تحت اسماء متباينة وقوانين متشكلة وكلهم يتوَّجون هامة القديس فرنسيس باكليل من المجد يزيد كل يوم حسناً وبهاء باعمالهم الشريفة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٤٠ رشيد الدين ابو حُلَيْقة

﴿اسمهُ اصلهُ نسبهُ دينهُ﴾ افادنا ابن ابي اصيبعة في كتابهِ المتمتع عيون الانباء في طبقات الاطباء (٢: ١٢١ — ١٣٢) معلومات متفرقة عنهُ وعن اجدادهِ ما نستخلصهُ هنا للقرَّاء . قال يذكر اسمهُ ونسبهُ (ص ١٢٣) : « هو الحكيم الاجلّ العالم رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فسانة ويعرف بابي حُلَيْقة »

وذكر جدَّهُ ابا سليمان داود وكان متطبباً (ص ١٢١) فقال عنهُ انَّهُ « كان من اهل القدس ثم انتقل الى الديار المصريَّة » وممَّا رواه ان ملك القدس الفرنجي اموري (Amaury) وهو يدعوهُ « ماري » لمَّا وصل الى الديار المصريَّة اعجبهُ طبُّهُ فطلبهُ من

الخليفة ونقلهُ معهُ هو واولادهُ الخمسة الى البيت المقدس. فخدم الملك هناك وعالج ابن الملك المصاب بالجذام ثمَّ ترهَّب

وممَّا اخبرهُ هناك انهُ ارسل احد ابنائهِ وبشَّر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بفتحهِ القدس فاصاب ذريَّته لذلك حظوة كبيرة لدى السلطان

واردف ابن ابي اصيبعة ذلك بتراجم ابناء ابي سليمان. وكان اكبرهم الحكيم (ابو سعيد مهذَّب الدين) الذي خدم صلاح الدين ثمَّ الملك العادل وولدهُ المعظم. وتوفي سنة ٦١٣هـ (١٢١٦). ويدعى الثاني (ابا شاكر) خدم الملك الكامل ابن الملك العادل وتوفي سنة وفاة أخيهِ ابي سعيد. واسم الثالث (ابو نصر) كان ايضاً طبيباً وتوفي بالكرك. والرابع (ابو الفضل) كان طبيباً نطاسياً وهو اصغر اخوتهِ توفي سنة ٦٤٤ وعمرهُ ٨٤ سنة هجريَّة (١١٦٤ــ١٢٤٦ م) خدم الملك المعظم بالكرك والملك الكامل بمصر. الخامس (ابو الخير فارس) تربَّى مع ابن ملك الفرنج المجذوم وخرج من بين اخوته الاربعة الاطباء جندياً

ورشيد الدين ابو حُلَيقة هو ابن ابي الخير فارس. دُعي ابا حُلَيقة لحلقة من فضَّة في اذنه وُصِفت لهُ عند ولادتهِ دفعاً للموت الذي اصاب اخوتهُ قبلهُ فعاش هو وعُرف بابي حُلَيقة

﴿دينهُ واخبارهُ﴾ كان رشيد الدين ابو حليقة نصرانيًّا كجدّه ابي سليمان الذي صرَّح ابن ابي اصيبعة بنصرانيَّتهِ وكذلك اولادهُ وحفيدهُ رشيد الدين. وقد اتَّسع ابن ابي اصيبعة في وصف معارفهِ الطبيَّة وعلاجاتهِ الغريبة بتريَّق عجيب وضعهُ فشفى بهِ كثيرين ممَّن أيس الاطباء من حياتهم وحكموا بوفاتهم القريبة. وذكر خدمهُ الممتازة لاربعة من الخلفاء الايوبيين في مصر وهم الملوك الكامل ثم العادل ثمَّ الصالح وتورانشاه. وعاش الى زمن المماليك وخدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ــ ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ــ١٢٧٧م) ولم يذكر سنة وفاتهِ

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة يصف معارف رشيد الدين واخلاقهُ ويذكر اجتماعهُ بهِ (٢: ١٢٣):

« كان اوحد زمانهِ في صناعة الطب والعلوم الحكميَّة متفنناً في العلوم والآداب حسن المعاملة لطيف المداراة رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للامور الشرعية متفنناً في العلوم والآداب

حسن المعاملة لطيف المداواة رؤوفاً بالمرضى محباً لفعل الخير مواظباً للامور الشرعية التي هو عليها كثير العبادة . ولقد اجتمعتُ بمرّات ورأيتُ من حسن معاملته وعشرته وكمال مروءته مايفوق الوصف »

وقد ذكر لهُ عدّة تآليف طبيّة منها كتاب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها . وكتاب في الادوية المفردة دعاهُ المختار في الالف عقّار . وكتاب الادوية المركّبة التي قد اظهرت التجربة نجحها وكتب مقالة في انّ الملاذّ الروحانيّة الذّ من الملاذّ الجسمانيّة وعلّل ذلك بقوله « اذ الروحانيّة كمالات وادراك الكمالات والجسمانيّة انما هي دفعُ آلامٍ أُخرى وان زادت اوقعت في آلامٍ أُخرى » وهو نعم القول . وله ايضاً مقالة في ضرورة الموت علّلهُ بتحلّل « لدن الانسان بالحرارة التي في داخلهِ وبحرارة الهواء الذي من خارج فكان يتمثل بهذا البيت :

واحداهـا قاتلي فكيف اذا استجمعا

وكان رشيد الدين شاعراً روى لهُ ابن ابي اصيبعة بعض القاطيع نرويها هنا عنهُ . فمن ذلك قولهُ من ابيات يصف فيها منظرة سيف الاسلام (من الكامل) :

سمحَ الحبيبُ بوصلهِ في ليلةٍ غفلَ الرقيبُ ونام عن بياتها
في روضةٍ لولا الزوالُ لشابهتْ جنّاتِ عدنٍ في جميعِ صفاتها
فالطيرُ يطربُ في الغصون بصوتهِ والراحُ تجلى في الكؤوسِ صفاتها
ومجالسُ القمرِ المنيرِ تنزّهت فيهِ الحواسُّ باسمها وكناتها

وقال يذكر ايام اجتماعهِ بالمحبوب ووداعه لهُ (من الطويل) :

أحِنُّ الى ذكر التواصل يا سعدُ حنينَ النياقِ القيسِ عنّ لها الوِردُ
فسعدى على قلبي ألذُّ من المنى وقربي لها عند اللقاء هو القصدُ
حوت مبسماً كالدرِّ أضحى منظّماً وثغراً كمثل الأقحوانِ بهِ شهدُ
وفرعاً كمثل الليل او حظّ عاشقٍ ووجهاً كوجه الصبح هذا لذا ضدُّ

اقولُ لها عند الوداع وبيننا حديثٌ كنَشر المِسك خالطهُ ندُّ
تُرى نلتقي بعد الفراق بمنزلٍ ويَظفَرُ مشتاقٌ أضرَّ بهِ البُعدُ
تمرُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وذكرُكمُ باقٍ يُجدّدهُ العَهدُ
ولكنَّ خوفَ الصَّبِّ ان طالَ هَجرُكم فيُقضى ولا يَقضي لهُ منكمُ وعدُ
عَشِقتُ سيوفَ الهندِ من أجلِ أنها تُشابهُها في فعلِ ألحاظها الهندُ
ولي في الرماحِ السُّمرِ سُمرٌ لأنها تُشابهُها قدًّا فيا حبَّذا القدُّ
وفي الورد معنًى شاهدٌ فوق خدِّها نُشاهدُهُ فيها اذا عُدِمَ الوردُ
وبي من هواها ما جحدتُ وعَبَّرَتْ بهِ عَبرتي يوماً وما نفعَ الجَحدُ

وقال مشبّباً (من الطويل):

خليليَّ انّي قد بَقيتُ مُسهَّدًا من الحبِّ مأسورَ الفؤادِ مُقيَّدا
بحبِّ فتاةٍ يُخجِلُ البَدرَ وَجهُها ولا سيَّما في ليلِ شَعرٍ اذا بدا
ضلَلتُ بها وهي الهلالُ ملاحةً فوا عجباً منهُ أَضلَّ وما هَدَى
لها مَبسِمٌ كالدُّرِّ اضحى منظَّماً ونُطقٌ كمثل الدرِّ أمسى مبدَّدا

ولما كان رشيد الدين في دمياط اتاهُ خبر والدهِ انهُ كان مرض في القاهرة ثم حظي بالعافية فكتب لهُ (من الكامل):

قطرَتْ عليَّ سحائبُ النَّعماء مذ زالَ ما تشكو من البَلوَاء
ولَبِستُ مذ ابصرتُ خطَّك نعمةً فيها اقوم لشكرها بوَفاء

وقال ابن ابي اصيبعة يذكر اهل رشيد الدين فقال (٢ : ٢٢٨) : وجماعة اهل الحكيم رشيد الدين ابي حُليقة اكثر شُهرتهم في الديار المصريّة والشام ببني شاكر لشهرة

الحكيم ابي شاكر وسُمعته الذائعة فصار كلّ من لهُ نسب اليهِ يُعرفون ببني شاكر وان لم يكونوا من اولادهِ . ولما اجتمعتُ بالحكيم رشيد الدين ابي حُليقة — وكان قد بلغهُ انني ذكرتُ الاطبّاء المشهورين من اهلهِ ووصفت فضلهم وعلمهم — تشكّر مني وتفضّل فانشدتهُ بديهاً (من السريع) :

وكيف لا اشكرُ مَن فَضْلُهم ... قد سار في المشرقِ والمغربِ
تشرقُ منهم في سماء العُلا ... نجومُ سعدٍ قطُّ لم تغرُبِ
قومٌ ترى اقدارَهم في الورى ... بالعلمِ تسمو رتبةَ الكوكبِ
كم صنّفوا في الطب كُتْبًا أتتْ ... بكل معنًى مبدعٍ مُغْرِبِ
وانّ شكري في بني شاكرٍ ... ما زال في الأبعد والاقربِ
خُلّدتُ مجدًا دائمًا فيهمُ ... بحُسْنِ وصفٍ وثنًا طيّبِ

وقد ذكر ابن ابي اصيبعة ولدًا لرشيد الدين يدعى ابا سعيد زاول الطبابة كابيهِ وقال عنهُ انهُ أسلم في ايّام الملك ظاهر بيبرس . وفي خطط المقريزي (٢ : ٣٧٨) جاء ذكر ولد آخر لرشيد الدين لم يُسلم دعاه [illegible] ترجس بن ابي حليقة روى عنهُ انهُ خدم الملك الكامل وحضر وفاتهُ

٤١ ابن مرتين

﴿زمنهُ وشعرهُ﴾ هو شاعر نصرانيّ اندلسيّ ذكرهُ ابن العربيّ في مسامراتهِ (٢ : ٣١١ او ٢٣٧) قال في باب العشّاق والعشق . انشدني ابن مرتين من هذا الباب يصف ما في الحبّ من الخير والشرّ من الحسن والضرّ (من الكامل) :

الحُبُّ فيهِ حلاوةٌ ومرارةٌ ... والحبُّ اصغرُ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ أهوَنُهُ شديدٌ قادحٌ ... والحبُّ اصغرُ ما يكونُ عظيمُ
الحبُّ صاحبُهُ يبيتُ مُسَهَّدًا ... ويطيرُ منهُ فؤادُهُ ويهيمُ
الحبُّ لا يَخفى وان اخفَيْتَهُ ... انَّ البُكاءَ على المحبِّ غميمُ

الحبُّ يشهدُ صادقًا (١في وجههِ عند التنفُّس انَّهُ مهمومُ
الحبُّ داءٌ قد تضمَّنهُ الحشا بين الجوانحِ والضلوع مقيمُ

ولم نطّلع على شيء آخر من شعر ابن مرتين. وانّما يؤخذ من ذكرهِ في مسامرات ابن العربيّ انهُ عاش قبلهُ اعني قبل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح لأنَّ ابن العربي توفي سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠م)

ثمَّ وجدناهُ مذكورًا في كتاب المقَّري «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» (٢: ٨٨٩) حيث دُعي بالقائد ابن مرتين ويتعيَّن زمانهُ في عهد المعتمد على الله بن عبَّاد صاحب اشبيلية (٤٦١ــ٤٨٤هـ ١٠٦٨ــ١٠٩١م) فيكون اذن من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح

٤٢ ابن زطينا

﴿ نسبهُ زمانهُ دينهُ ﴾ وصفنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٥٩٦ــ٦٠٧) كتاباً مخطوطاً قديماً من اواخر القرن الثالث عشر او اوائل الرابع عشر ونقلنا عنهُ هناك شذراتٍ تاريخيَّة مهمَّة. ففي الصحيفة الثانية عشرة منهُ ورد ذكر ابن زطينا فقال المؤلف في تاريخ سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨م): «وفي هذه السنة توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان اوَّلاً نصرانيًّا واسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله». ومنهُ يتَّخذ انَّهُ عاش في اواخر القرن السادس للهجرة الى الربع الاوَّل من القرن السابع. وانهُ كان نصرانيًّا. وامَّا اسلامهُ فنعرف انهُ لم يكن اختياريًّا بل صار وقتئذٍ من الضغط على النصارى كما ورد في الكتاب المذكور (ص٥٩٦ــ٥٩٧) عن ابن فضلان الذي كتب الى الخليفة الناصر لدين الله يحضُّهُ على مناهضة النصارى والضغط عليهم. ومن ثمَّ لا نرتاب في نظمهِ بين النصارى. ويؤخذ من شعرهِ انهُ عمَّر طويلاً

وقد ذكر المؤرخ المذكور الذي نقلنا عنهُ في تاريخ سنة ٦٣١هـ (١٢٣٢م ص٧٩٥)

١) ويروى: صارخًا

انَّ هبة الله ابن زطينا خلف اباهُ جبريل في الديوان ورُتب كاتب السكّة وذلك بايماز ابن حاجب قيصر النصراني كما يلومهُ في ذلك ابن رضوان . وهو دليل على نصرانية جبريل وعلى انَّ اسلام والده كان تظاهرًا ليس حقيقيًا

﴿ادبهُ وشعرهُ﴾ ورد ذلك في الكتاب المخطوط الذي اشرنا اليهِ فقال: وكان (ابن زطينا) ذا فضلٍ وادب ولهُ نظمٌ ونثرٌ واشياء مستحسنة ومن شعره قولهُ يحضُّ على التوبة والصلاة والصوم (من السريع) :

إنْ سَهَرَتْ عينُك في طاعةٍ فذاكَ خيرٌ لك من نَوْمِ
أمْسَكَ قد فاتَ بعلّاتهِ فاستدرِكِ الفائتَ في اليومِ
وان قسا القلبُ لأكدارهِ فصَفِّهِ بالذكرِ والصوم

ولهُ في الاستغاثة بالله عند البليَّة (من الوافر) :

اذا أعيا عليك الامرُ فارجعْ الى ربٍّ عوائدُهُ جميلَهْ
فكم من مَسلَكٍ مع ضيقِ بابٍ تخلّى واستبانَ بغيرِ حيلَهْ

وقال يذكر ضعفهُ لتقدُّمهِ بالعمر (من السريع) :

أريدُ من نفسي نشاطَ الشَّبابْ ودون ما أبغيهِ شيبُ الغُرابْ
فكيفَ والسبعون جاوزْتُها ومذهبُ العُمْرِ رُمِي بالذَّهابْ
ومَطلَبي عزٌّ وما دونَهُ تَباهُ نفسي وأموري صِعابْ
وقد تحيَّرتُ ولا غَروَ أنْ يحارَ مَنْ يطلبُ ما لا يُصابْ

٤٣٠ صاعد بن عيسى بن سمّان

﴿زمنهُ دينهُ شعرهُ﴾ ورد ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين ابن العديم الذي

عنوانهُ بغية الطلب في تاريخ حلب (Ms de Paris n° 726, ancien fonds, ff. 18r) فقال هناك يذكر ابن سهلون :

« اسرائيل بن سهلون ابو الحسن الطبيب الحلبي اظنهُ من نصارى حلب ظفرتُ لهُ ببيتٍ من الشعر قرأتهُ بخط بعض كتّاب حلب مما اختارهُ من شعر صاعد بن عيسى ابن سنان الكاتب النصراني الحلبي . فكان صديقهُ ابو الحسن اسرائيل بن سهلون الطبيب عمل بيتاً وهو (من الطويل) :

أيا طَيفَ من أهوى تَسَرَّبتَ عِفَّةً واشبهتَ في الاحلام فِعلَك يَقظانا

فاجابه يعني صاعد بن عيسى :

ولكنَّنا مُتنا من الوَجد قبل أنْ يُلِمَّ دجيًا بالسلام فأحيانا
على مِثل هذا الفعل كانت إمامةٌ تُواصِلُنا أحيانًا وتهجرُ أحيانا
اذا كنتُ لا ألقاكَ في الدهر يَقظةً فيا ليت اني ما عِشتُ وَسنانا

فمن ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين يتعيَّن انهُ سبق هذا الكاتب المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١م) . وقد سها عن ذكره محمد افندي راغب في كتابهِ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء .

٤٤ نصر الله الغفاري

﴿زمنهُ شعرهُ﴾ ورد ايضاً ذكرهُ في احد مخطوطات لندن الذي عنوانهُ كتاب تذكرة العلماء والشعراء (Ms Br. Mas. 1108) للمملوك تاني بك الخزندار فنظم بين شعراء القرن الثالث عشر للميلاد نصرالله بن هبة الله الغفاري الكاتب الشاعر النصراني وروى لهُ من الشعر قولهُ في توبتهِ عن شرب المدام (من الخفيف) :

أيُّها الحلُّ خلِّني وهمومي شغلَتني ندامتي عن نَديمي

عَـدِ عني كأسَ المُدامِ فـاني تائبٌ عن وِصال بنتِ الكرومِ
ختَمَ اللهُ لي بخَيرٍ فما لي اربٌ في رَحيقها المختومِ
انا لا اسمعُ الغِناء فما لي ولثاني الثقيلِ والمزمومِ(١

قال ومن شعره ايضاً قولهُ في كذب المنجمين (من الوافر):

اذا حكَمَ المُنَجِّمُ في القضايا بحُكمٍ جازمٍ فأَرُدُّ عليهِ
فليس بعالمٍ ما اللهُ قاضٍ فقَلِّدْني ولا تَرْكَنْ اليهِ

(له بقيّة)

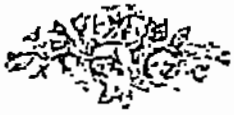

رحلة الى شمالي لبنان

لحضرة القس انطونيوس يشبلي اللبناني (تتمّة)

دير مار مارون عنّايا

لقد امتدَّ بنا الكلام عن دير ميفوق فهيّا بنا نغادرهُ ايها القارئ في ٩ ايلول الى دير مار مارون عنّايا المشيَّد في صحراء قفرة وهو يطلّ على مناظر طبيعيّة فاتنة ويعلو عن سطح البحر زهاء ١١٠٠ متر ولا يبعد شرقاً عن مدينة جبيل الأثريّة سوى ثلاث ساعات، تقصدهُ الناس من الانحاء البعيدة لزيارة جثمان الحبيس الطيّب الذكر الاب شربل مخلوف بقاع كفرا المصون فيه ككنز ثمين

في سنة ١٨١٤ تسلّم الرئيس العام اللبناني الاب اغناطيوس بليبل من يوسف ابي

١) ثاني الثقيل والمزمومُ من الاصوات المعروفة عند المغنين وارباب الموسيقى

رميا واخيه داود من اهج محبسة القديسين بطرس وبولس القائمة قرب دير عنّايا (١ . وفي سنة ١٨٢٠ هبّ الرئيس العام الرومي اليه لمشترى الاراضي القريبة من المحبسة من المشايخ الحمادّيين وباشر بناء دير مار مارون عنّايا في تلك البقعة التي كانت مأهولة بالمتاولة ولم يتمّ بناؤهُ إلّا في سنة ١٨٣٨ في عهد رئاسة الاب عمانوئيل الشبابي العامّة فازهرت اذ ذاك النصرانيّة وانتعشت في تلك الارجاء. واستأنس الاهالي بالرهبان واخذوا يتوافدون اليهم لاتمام واجباتهم الروحية في كنيسة ديرهم. وفي المحبسة المذكورة وجدنا الكتب الآتية :

١ً كتاب يحتوي صلوات استعداد وشكران للقداس تأليف المطران عبدالله قراعلي . ورسالة في الصلاة العقلية وحاشية في تدبير رياضة المترهبين ويليها ستون تأملاً في آلام يسوع وموته وقيامته. قد جمعها القس جبرايل فرحات الراهب اللبناني. ٢ً المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني لقراعلي. ٣ً كتاب القديس اسحق السرياني في السيرة الرهبانية يشتمل على اربعة اجزاء في ٥٢٢ صفحة ناسخه راجي راجح عواد الحصروني. ٤ً مختصر كتاب يوحنا السلّمي. ٥ً مجموع عظات للدويهي وسمعان عواد ويواصاف البسكنتاوي. ٦ً بستان الرهبان. ٧ً خزانة الاسرار للبطريرك سمعان عواد. خط القس اسطفانوس البحديداني اللبناني في دير سير سنة ١٧٤٠

ووجدنا في قرية اهج التي تبعد عن دير عنّايا ثلاثة ارباع الساعة عند يوسف ناصيف ابي رميا : كتاب الاجرومية وجزئين من العلم اللاهوتي لكلوديوس . وفي بيت المرحوم الخوري جرجس ابي موسى : كتاب يشتمل على صلوات ورتب كنائسية وعلى العلامات التي يتميز بها المصروعون عن المرضى تجب معرفتها لكل كاهن يستعمل التقسيم . وكتاب المحاورات الرهبانية خط قديم . وعند الخوري مخايل الخوري . التحفة السرية لفرحات . وفي كنيسة السيدة : كتاب افراميات (اناشيد) تقال في اعياد القديسين وقت تلاوة القداس وكثير منها لم يُطبع في كتاب الإفراميات المعروف . وفي كنيسة دير مار مخايل : سنكسار خط الخوري يوسف عطاالله من الحميره سنة ١٨٥٢ . وقد جاءت في آخر هذه النبذة وهي بحرفيتها :

« انه في اليوم الثامن من شهر تشرين الاوّل سنة ١٨٧٢ نصف النهار صار ثلج (شتاء) متراكم في ناحية وسط البلاد الدرية من قرية الكفور للشمال حتى ان الماء اخذ (اي خرّب)

١) راجع تاريخ هذه المحبسة وترجمة حبيسها الاب شربل التي نشرناها في المشرق (٢٠ : ١٩٢٢] : ٢٨٩)

املاك شتى . ولو يصير ذلك في الليل لكان خرب حارات مع اصحابها ايضاً . وبقي هذا الامر قدر ساعة زمان من دون ريح والمياه اخذت من الوادي قدم في ناحية نهر ابرهيم القبلية . ومن زيادة الحجار والتراب الذي سقط في النهر غيّر جري النهر المذكور وكانت فيه غبايط ماء (برك ماء عميقة) انفسحوا (تنطوا) بالحجار والتراب حتى ان الخيال يمشي فوقها راكضاً . »

دير مار سركيس وباخس قرطبا

أقمنا في دير عنايا ثلاثة ايام وبرحناهُ ووجهتُنا دير مار سركيس وباخس المشيَّد شرقي قرطبا . فركبنا وسرنا مارّين في اهمج فجيل الميحال فكنا نهبط غوراً ونصعد نجداً ولا تقع عيننا الّا على اشجار البلوط والصخور الكبيرة . وما زلنا نغذُّ في مسيرنا بين ملتفّ هذه الغابة حتى بلغنا اطراف حي اللقلوق الشهير بطيب مناخهِ ونقاء هوائهِ ولذيذ مائهِ . فجلسنا للاستراحة تحت ظلال شجرات من الصفصاف ينبثقُ من بينها ماء بارد زلال . وبعد ان استوفينا قسطنا من الراحة مشينا في طريقنا الى دير مار سركيس فوصلناهُ عند حلول الظهر

في سنة ١٨١٥ حضر فريق من اهالي قرطبا الى دير سيدة سامشيح وطلبوا من الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل ان يقبل منهم وقفيّةً تشتمل على كنيسة قديمة على اسم القديسين سركيس وباخس وعشرة احمال ورق توت ويقيم لهم مدرسة حذاء هذه الكنيسة لاجل تعليم ابنائهم مبادئ القراءة والديانة ويعيّن لخدمتهم الروحية المفتقرين اليها اشدَّ الافتقار احد كهنة ابناء رهبانيتهِ . فرضي الرئيس العام وتمَّ الاتفاق بحضور ومصادقة مطران الابرشية السيد جرمانوس ثابت . وشيَّد الاب العام مدرسة جنب الكنيسة وسلَّمها للقس برنردوس عبيّه ونشط اذ ذاك لشراء الاملاك . ولما اصبح ريعُها كافياً لمعيشة عدد من الرهبان وسّع نطاق المدرسة وحوّلها الى دير قانوني . وقد انفق في عماره ومشترى ارزاقه ٥٤٧،٠٣٧ قرشاً . واول رئيس عليه هو الاب عمانوئيل الشبابي سنة ١٨٢٣ وقد توالى على رئاستهِ ٢٥ رئيساً . وقد امر قدس الاب العام الحالي في ترميم القسم الغربي منه وبنيانهِ على طرز جديد

اما مدرسة كفرحيّال التي هي شرقي الدير وتبعد عنه نحو نصف ساعة فقد انشأها

القس اندراوس ابرهيم الخوري القرطباوي(١ سنة ١٨٥٣ واشترى لها اراضي واسعة.
وهذه الكتب الخطية التي رأيناها في الدير:

كأس ثمينة في قرطبا في كنيسة القديسين سركيس وباخوس

١) ولد هذا الاب سنة ١٧٩٥ ولبس الثوب الرهباني بدير مشموشه سنة ١٨١٥ وتوفي في بدورة كفرحيال سنة ١٨٨٥ وقد ترأس على دير قزحيا وحوب وقرطبا وسماد وبيفوق وكان راهباً فاضلاً يصوم كل سبت ويصلي كثيراً

١ً كتاب شريعة القسطنطينية . يبحث في تقسيم المواريث وهو نقل من اسم المؤلف وفيه عدة اسئلة في الشرع واجوبة عليها المطران قراعلي وغيره من مطارنة الطائفة المارونية . ويحتوي ايضاً سلسلة البطاركة الى البطريرك يوسف الخازن . ٢ً دفع الهمّ . ٣ً مواعظ لايام الاحاد والاعياد . خط عبد الاحد ابرهيم الطرابلسي سنة ١٧٨٧

ومن الاثار القديمة في دير قرطبا كأسٌ قديمة ثمينة للتقديس قد اشتراها من الرهبان الارمن بدير مار انطونيوس خشبو في غزير رئيس دير قرطبا المرحوم الاب نعمة الله عوّاد الحصروني بستة آلاف غرش . وهذه الكأس هي من فضّة ومحلّاة بالذهب . وهي آية في بديع نقشها حُفرت على طاستها رسوم الرسل يوحنا وبطرس وبولس وفي منتصفها عند قبضة اليد رسم آلام المسيح وفي اسفلها رسوم السارافيم الستة . وعليها معرّشة جفنة قديمة مقلّدة مخرّة تحمل في اعلاها عناقيد عنب ملتفّة على الطاسة كما ترى في الرسم . وقد دفع احد صاغة بيروت بهذه الكأس ثلاثمائة ليرة عثمانية فلم يبعها الرهبان (انظر الصورة)

ووجدنا في قرية قرطبا عند الخوري يوسف عمانوئيل : كتاب المتى الذي اقتطفهُ المطران يوسف الماتوري من كتاب الاسرار النصرانية للمطران يوحنا الحصروني(١) . وقد جاء بعد الفهرست الذي وضعهُ في اوائلهِ ما يلي بحرفيتهِ :

« كملت بعون السيد المسيح فهرست كتاب المتى على يد الحقير كاتبه (اي منتطف هذا الكتاب) المطران يوسف مطران صيدا ابن المرحوم المطران بطرس الماتوري وذلك كان في مدينة حلب لانه كان في قضيان (قضاء) مصالح البارك المكرم يوحنا ابن المرحوم مخلوف الماتوري . يا اخوتي القارئين هذا الفهرست لا تنظروا على حقارتي لاني متعلم وليس كان مني زمان اصلحها (اي الفهرست) كما كنتُ اريد حتى تبقى هينة وسهلة على الذين يقرأوا هذا الكتاب المتى من الكتب التي لسيمة اسرار النصرانية . كل من وجد كلمة او حرف او نقطة ناقصة يصلحها . . وجرى ذلك وحُرّر سنة ١٦٢٧ بشهر اذار المبارك وذلك كان بحضور الاخ المكرّم الخوري الياس العجيمي والقسيس ياخس الاخ الجليل النعمة الصالح في مدينة حلب وذلك حقارتي نصبتهُ في السنة المعينة (المذكورة) مع عدة من الشمامسة . . . »

ثمّ يأتي افتتاح هذا الكتاب هكذا :

« بسم الله الحي نكتب كتاب الاسرار النصرانية الذي هو على قواعد التوراة والانجيل والاباء والمجامع تأليف الاب المكرّم مطران يوحنا المعدان الحصروني الراهب الروماني »

١) راجع المخطوطات العربية ص ٩١ (والمشرق ٥ [١٩٠٢] : ٥٤)

وقد جاء في آخره لمقتطفه ما حرفيتهُ :

« فهذا ما فهمتهُ بعقلي واحتضنتهُ بقلبي وكتبتهُ بيدي وقطفتهُ من كتاب معلمي المطران يوحنا الحصروني الدومينيكاني كتاب مقطوف الاسرار النصرانية وهو مؤسس على قواعد الانجيل الطاهر والكتب المقدسة والعلوم الرسولية والرومانية كتبهُ الله المُضيئة وسمّيتهُ كتاب المغني من كتب الالهية لانه مقطف (مقتطف) منهم (منها) وحاوي ما فيهم (فيها) من العازة والضرورة الذي يعتازهُ (اي يحتاج الى معرفتهِ) الانسان المؤمن بمذهب دين المسيح ابن الله الازلي لهُ المجد امين . »

ثمَّ يلي اسم ناسخة هذا الكتاب :

« كمل هذا الكتاب المبارك الذي هو كتاب الاسرار على يد الحقيرة مريم من قرية درعون (١ سنة ١٦٥٠ في ٢٢ يوم مضت من شهر تموز . الله يرحم كل من لهُ تعب وشوقة امين . »

ووجدنا هذه النبذة معلقة على آخر ورقة منهُ :

« انه لما كان سنة ١٦٩٤ ربانية صار معركة على الامير ابن معن من الاباشات (كذا) جميعهم لاجل انه اخفى بنين حماده عنده وعاد هو اختفى والمقدم محمد ابن بلسع وعاد الباشا حرق المتين ضيعتهُ وراحوا حضروا كل المناصب (ذوو المناصب) والمعالف (كذا) والفلاحين عند الباشا . »

وعند الخوري يوسف عمانوئيل المذكور : كتاب تاريخ المنطوريني . وعند بولس الخوري اسطفان : كتاب خزانة الاسرار للمطران سمعان عوّاد . وكتاب غرامطيق سرياني تأليف الخوري بطرس التولوي ، وديوان المطران فرحات ، ونبذة خطيَّة تسمى « الرسالة القرطباوية » للمرحوم القس اغوسطين الخوري القرطباوي ذكر فيها تاريخ العيال المتوطنة في قرطبا . وقد استند في وضعه الى تواريخ خطية قديمة

الحدث : دير مار اليشاع

في الخامس والعشرين من شهر ايلول يوحنا دير قرطبا صباحاً قاصدين حدث

١) ان مريم هذه كانت راهبة في دير حراش تزاول مهنة النسخ وهي بنت الخوري حنا الشمالي . (المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٣١٧)

الجبّة فمررنا في الشربينة فبدت لانظارنا جبل الطاقورة العالية ومغارة افقا. ولما اشرفنا على اللقاوق الـذي يعلو عن سطح البحر ٢٧٠٠ متر شعرنا ببرودته المنعش ولاحت لاعيننا تلك السهول الفسيحة المُمرعة وقد نصب فيها البدو بيوتهم الشعريّة فتبدين كالنقط السوداء في الصحيفة البيضاء. وكانت النياق تسرح وتمرح في تلك المراعي الخصبة ونساء هؤلاء البدو صادرات واردات الينابيع المتفجرة في تلك القمة الجميلة والضجّة والضوضاء مائلة ذاك المكان. حتى انك لتخال اللقاوق مدينةً آهلة بالسكّان

بعد ان قطعنا مسافة ساعة ضللنا الطريق في تلك المهامه والمفاوز فاخذنا نُنجد ونغوّر نذهب تارة شمالاً وطوراً يميناً ولا نصطدم الّا بالصخور. وقد بلانا الله برفقة مُكارٍ أصمّ فكان يتقدّمنا في كل الطريق فننـاديه ولا نسمع منه جواباً غير الرنين والدمدمة. وبعد تحمّلنا هذا العذاب المرّ وصلنا الحدث الساعة الثالثة بعد الظهر فنزلنا في ضيافة حضرة الخوري بطرس العلّم ابن شقيق الطيب الذكر الاب دانيال العلّم الحدثي. والحدث بلدة جميلة تعلو عن البحر ١٥٥٣ متراً يؤمّها المصطافون من جميع الانحاء.

وجدنا عند الخوري بطرس المذكور من الكتب الخطية: كتاب الابرك (قراءات) خط «الشدياق مخايل ابن ابو سانم العلّم سنة ١٧٥٥» وكتابين في الطب بخط قديم كتا لعمه المرحوم الخوري بطرس الذي كان له المام بهذا الفن كشقيقه الاب دانيال عنوان الاول «مختصر في عمل الطب والجراحة وتركيب الادوية» والثاني «مختصر شروح المفردات الطبية مترجم من اللغة الافرنسية ومرتّب على حروف الهجاء»

اقمنا يومين في الحدث وغادرناها الى دير مار اليشع النبي بشرّاي. فمررنا في حصرون فرأيناها غاصّة بالمصطافين. ولما لبثنا ان وصلنا دير مار اليشع لاخواننا الرهبان الحلبيين فاستقبلنا حضرة رئيسه الفاضل الاب يوحنا معربس بما عُرف به من طلاقة الوجه وكرم النفس. فأنسنا به وبرهبانه واستروحنا في ديرهم نسيم الراحة ونسينا ما ألمّ بنا من تعب السفر ووجدنا عندهم تعزيةً وسلوى

ان دير مار اليشع قائمٌ على ربوة عالية قد شيّده الرهبان حديثاً على طرز جديد وهجروا الدير القديم في الوادي بعد ان رمموهُ سنة ١٨٣٥. ومن جهتي الدير القبليّة

والغربيّة تقع العين على تلك المناظر البديعة فترى وادي قاديشا والنهر يرغي مزبداً جارياً في وسطها، ودير مار اليشع القديم لاطئاً في لحف الصخور. وترى مغاور النساك ومعابدهم منتشرة في ذلك الوادي الراقد في ظلال السكون العميق. وتسمع رنين اجراس الكنائس المشيدة على تلك الروابي تردّد صداها المغاور والكهوف ويرتفع صوتها الى السماء على اجنحة الغمام. واذا ما وقفتَ في احدى شرفات الدير الشرقية رأت عينك بلدة بشرّاي الجميلة جاثمة بين الغياض والرياض ولاحت لك من بعيد اشجار الارز المنبسطة الاغصان كسرب من الحمام ناشر اجنحتهُ البيضاء في الفضاء فتسبي هذه المشاهد الرائعة لبّك وينتشي عقلك بخمرة السرور

لقد هاج بنا الشوق الى زيارة دير مار اليشع القديم في الوادي فما ترددنا في تلبية رغبة النفس فهبطنا اليه في طريقه الصعبة المنحدر. ولمّا دنونا منه شعرنا بتأثر عميق لا يمكننا التعبير عنه. واستنشقنا من أرجائهِ أرَج القداسة والتقى واستعاد التفكر الى ذاكرتنا حياة مؤسسي رهبانيتنا فيه قراعلي وفرحات والبُتن وسواهم من الرهبان الذين حبسوا انفسهم في غرفه الضيقة يمارسون ضروب التقشف والنسك ويحيون حياةً هادئة مطمئنة لا شغل يلهيهم عن خدمة الله تعالى. فأعجب عارفوهم بسموّ فضيلتهم واكبروا عقلية تلك النفوس الزاهدة بسفاسف الدنيا. ومن الذين زاروهم من السيّاح واثنوا الثناء العاطر على راسخ فضيلتهم الاب بتيكه (Petitqueux) اليسوعي فقال عنهم «انهم يدققون في حفظ فرائضهم اشدّ تدقيق ولاسيما فريضة الصمت والصوم الشاقّ. ولا يأكلون اللحم البتّة. وقد كانوا لنا اعظم قدوة في شدّة حرارتهم في الصلاة وفرط احتشامهم في الكنيسة...»

في دير مار اليشع ذكرنا النابغة القس جبرايل فرحات الذي زجّى فيه سنيّة عديدة يتمرّس على قهر النفس ويعكف على التحرير والتحبير فأبرز لنا من دير مار اليشع تلك التآليف العالية الغالية التي احصتهُ في مصافّ رجال الدين والعلم. وهناك نسخ بيده لاوّل مرّة قاموسهُ. وهذه النسخة في مكتبة بكركي انتهى منها المؤلف في آخر شهر ايلول سنة ١٧١٨. وجاء في صفحتها الاخيرة ما حرفهُ:

«تمّ نسخ هذا الكتاب بخطّ المؤلف المذكور من التاريخ المذكور وهي النسخة الاولى لهذا المؤلف فاليها المراجعة وعليها الاعتماد «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وعليهِ الاعتماد. ربنا

لا تؤاخذنا. وهو برسم الابن المجيد والولد السعيد الشماس اغوسطين بن يوسف بن اغوسطين الندي الماروني الحلبي قرّن الله حياتهُ بسعادة الدارين امين »

ومع عظم شأن هذا الدير لم نعثر على تاريخ بنائهِ وغاية ما وقفنا عليهِ ما ذكرهُ العلّامة الدويهي في تاريخهِ (ص ١٥٩) :

« في سنة ١٥٣٣م (٩٤٠هـ) عُني القس جرجس بن حرواص من قرية مرجس ببناء دير مار اليشع وترميمهِ وانفق على ذلك ١٣,٧٥٠ درهماً هذا ما خلا الصدقات التي تبرّع بها اهل البرّ. وكان المقدّم حنا عبد النعم مسعدٌ لهُ عن ذلك. وهكذا الحاجّة سارة رفيقتهُ في النسك اشتركت معهُ في النفقة على البنيان. وكان البنّاء المعلم ابرهيم الحصروني ابن عم الخوري موسى الذي بنى المأذنة في طرابلس عند قبّة النصر. »

وهذا الدير كان لاهالي بشراي فأكرهُ الرهبانيّة فجددت بناءهُ وانفقت عليه خمسة الاف وثلاثماية وستين غرشاً وعهدت برئاستهِ الى القس عبدالله قراعلي (١

ومن الآثار القديمة التي لم تزل محفوظة في دير مار اليشع صورة النبيّ اليشع قابضاً على صحيفة مكتوباً عليها الفصل العاشر من نبوّة اشعيا وفي نهايتهِ هذه العبارة بخطّ كرشوني : « اوقفها (اي هذه الصورة) لدير مار اليشع بشرّي شماس الياس الحلبي قراعلي سنة ١٧٠٧م، ثم تليها هذه الكتابة بالعربي وهي : « بيد خوري غفريل سنة ٢٠١٠ لآدم (١٨٠٢م) »

وفي هذا الدير يقيم راهب كاهن بصفة حبيس يدعى القس انطونيوس غصن من الديمان وعمرهُ ٤٩ سنة

وقد كان في دير مار اليشع كتب خطيّة قديمة فُقد معظمها . وما بقي منها نُقل الى الدير الجديد وهي كتب صلوات سريانية (متعبدات) مجلّدة بقطع من خشب ملبّس بجلد مكتوبة على ورق سميك منها :

١ كتاب صلوات (متعبد) القديس مرقس (قوربانس ويوليطا) امه ويوحنا المعمدان في آخر كل صلاة ترجمة صاحبها. وهذا الكتاب خط جبرايل احقر تلاميذ الحبيس يونان (٢ من اهدن كتبهُ في قزحيا سنة ١٨٤١ يونانية ويطلب الناسخ الذكر لمعلمه الحبيس وللقس الحبيس معهُ. طول هذا الكتاب ٣٢ سنتمترًا عرض ٢١ عدد صفحاته ٢٠٦ . ٢ كتاب

١) راجع تاريخ الرهبانية اللبنانية (ص ٢٤)

٢) راجع ما كتبهُ جبرائيل هذا الاهدني عن معلمه الحبيس يونان . الدويهي ص ١٦٢

الاناجيل الاربعة بالسرياني خط القس سركيس ابن القسّ حنا ابن الخوري ابرهيم من بشري سنة ١٨٣٤ يونانية (١٥٢٢م) وبعد ذكر اسم الناسخ بالسريانية تلي هذه الكتابة بالكرشوني : «لما كان تاريخ سنة ١٦٣١ مسيحية وقف القس ادم الزارية التي في جبرة ارض نصريّة بنت سنويل (كذا) في جزاير الصافرة للقديس مار غايل المحبسة جبرة مار اليشع وقفاً ثابتاً . . .» .

٣ً نسخة ثانية من كتاب الاناجيل بالسريانية والعربية خط مرقس سنة ١٨٤٩ يونانية (١٥١٧م) وبعد ان ذكر الناسخ اسمهُ مرفوقاً بعبارات التحقير قال :

«اذكروا يا اخوتي معاشر اخيس يوحنا والقس جبرايل والقس ملك لان لهم عليّ فضل واحسان كثير وايضاً القسوس والشمامسة القاطنين في قوزحيا وفي مار غايل لاني كتبتهُ وانا ساكن عندهم»

٤ً كتاب (متعبد) يحتوي صلوات تتلى في اعياد بعض القديسين منها صلوات مار اليشع . وجاء في اخر صلاة ستّار الشهداء ما حرفيته : «وكان الفراغ من هذه الصلاة المباركة في سابع عشر من شهر نيسان المبارك سنة ١٧٠٠م على يد احقر الناس وارذلهم شماس عطاالله زنده وقد اوقفها لدير القديس مار اليشع في نواحي طرابلس . . .»

٥ً صلوات القيامة . وجدنا في آخر ورقة منه بخطّ كرشوني ما يلي : «لما كان تاريخ شهر كانون الثاني سنة ١٧٧١ لاسكندر اليوناني ابن فيلبّوس (١٤٥٩ م) اوقف هذا الكتاب المبارك لقيامة سيدنا يسوع المسيح المقدّمين عبد المنعم ابن الدين والحاج بدر ابن قر للقديس الفاضل المبارك مار برصوما المعمور بقرية بشري اوقفهُ من انفسهم وانفس اجسادهم وعن اولادهم وعن نفس المقدم رزق الله وعن ابنهِ يعقوب ويسألوا كل من يقرأ فيه يطلبوا لهم الرحمة والمغفرة للخطايا من الربّ سبحانه وتعالى والكلام صفة المتكلم وكتبهُ ابن العمّ ابن الدين (١ . »

٦ً كتاب ميامر ومواعظ القديس افرام السرياني وفيهِ وصيتهُ الاخيرة التي انفذها الى مدينة الرها . وكلها مترجمة من السريانية الى العربية . دون ذكر مترجمها . وقد جاء في آخر الميامر ما يلي : «تمّت وكملت بعونهِ تعالى الميامر لابينا الجليل في القديسين افرام السرياني ثم ميمراه التابعان لها مع وصيتهِ وذلك على يد احقر عبادهِ راهب من الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٣٢م في ٢٩ نيسان .»

ويتبع هذه الميامر رسالة القديس يوحنا فم الذهب الى بعض محبي المسيح القاطنين في العالم . ثم مديح قالهُ القديس غريغوريوس اسقف نيصص في الاب القديس البار افرام السرياني . ثم رسالة ارسلها ديونيسيوس الكبير الى تيموتاوس الرسول تلميذ

١) قد ذكر الدويهي في كتابه الاحتجاج الخطي ان عبد المنعم كان شاباً غاوياً جاهلاً العلوم والمعارف . وقد مال الى الرهبان اليعاقبة الذين حضروا عرسه وجادوا عليهِ بالنقوط ووعدوهُ بصلات وافرة فراقه منتقدم . ولما انتهى حكم البلاد اليه اعطاهم مواضع لسكناهم وبنى لهم كنيسة على اسم برصوما بالقرب من داره . . . طالع ايضاً تاريخ سوريا (٦ : ٥٧٢-٥٧٤)

بولس السليح من اجل شهادة الرسولين بطرس وبولس . بها يعزيه على فقدهم معلمهُ القديس بولس . وهي آية في الرقة والبلاغة

بقاع كفره ، الارز ، بشرّاي

ومن ديرمار اليشع توجهنا الى قرية بقاع كفره مسقط رأس الحبيس المشهور الاب شربل مخلوف . وهي قائمة على رأس ربوة عالية معرّضة للرواضح البرد القاسية . وتعلو عن البحر نحو ١٧٠٠ متر . وجدنا فيها من الكتب الخطية ما يأتي بيانه :

عند حضرة الخوري بولس مخلوف : كتاب فصل الخطاب والتحفة السرّية لفرحات والاجرومية وكتاب حل بعض صعوبات الكتاب المقدس للمطران سمعان عوّاد . وعند اسحق بطرس الخوري مخلوف : الجزء الثامن من لاهوت كلوديوس وكتاب الرياضة لفرحات ونسخة من ديوانه . وعند الشدياق انطونيوس عيسى الخوري مخلوف : كتاب بحث المطالب . وفي كنيسة السيدة : نسخة من الانجيل

وقد اهتمّ حضرة الخوري بولس مخلوف المعروف بغيرته على صالح ابناء رعيته بهدم هذه الكنيسة الضيقة على الاهالي وقام ببدلها كنيسةً جديدة بديعة الهندسة يبلغ طولها ٣٨ ذراعاً وعرضها ١٨ ذراعاً

وفي غرّة تشرين الاول قصدنا الارز الذي يرتفع عن البحر ستة الاف قدم ومتّعنا العين بجماله وجلاله . وقد جلسنا في ناحية منه معتزلين الناس المتشرين تحت ظلاله متأملين في دوام الخالق وزوال الدنيا وفي قسم الارز وما تولى عليه من الايام والسنين فأثرت في قلبنا هذه التذكارات اي تأثير . قال العلامة ميسان (Mgr Mislin) :

« ليس في العالم باجمل من موقع الارز » . يزوره الناس من جميع البلدان فيجدون في رؤيته ابدع مشهد ويشعرون باعظم لذة . وفي اصل الارز يبتلع نبع حديث الشهير ويسمع لخريره نغمات مطربة . وهناك مغارة تفجرت فيها المياه وتكونت في سقفها تماثيل وشموع ظريفة الشكل مما يُبهر النواظر »

وبعد ان شبعت العين من التمتع بمنظر الارز انحدرنا الى بشرّاي البلدة الجميلة الشهيرة بطيب هوائها وجودة مناخها وجمال مشاهدها الطبيعية الفاتنة . فألفيناها تعجّ بالمصطافين عجيجاً وتزدحم في اسواقها النظيفة اقدام الغرباء الذين يلقون في اهلها

الكرام كل انس ورعاية. ولابناء بشرّاي عطفٌ خاصٌ على الغريب فينزل في ديارهم على الرحب والسعة كأنه بين اهله وخلّانه. وهم اناسٌ عُرفوا بكرم الاخلاق وجودة العنصر وشدّة الباس ورباط الجأش في الحروب فهم ابطال شمالي لبنان مع رسوخ قدمهم في عقيدتهم الدينية. ولا تدخل كنيسةً من كنائس بشرّاي الّا وتجد فيها رجالًا ونساء ساجدين امام القربان الاقدس يتلون بحضرته الالهية الصلوات الخاشعة ممّا ينعش في قلبك حرارة الايمان ويدعوك الى الثناء على تديّن القوم. وهذا ما وجدناه فيها من المخطوطات :

في كنيسة مار سابا : ١ً كتاب الانجيل وقفه عليها المطران جرمانوس فرحات وعلّق عليه بخطه عبارة الوقف ومهرّها بختمه. ٢ً كتاب الحاش (صلوات سبّة الآلام) رأينا فيه مبرّاً « قالهُ القديس يعقوب اسقف مدينة سروج على اللص الذي صُلب مع سيدنا وايمانه به والملاك الحافظ الفردوس. يُقرأ في يوم جمعة الصلبوت». ٣ً كتاب تشمشت (مجموع صلوات) منها صلاة القديس توما الدلّيح. ٤ً كتاب متعبد فيه صلاة القديس يوسف وعيد القربان المقدس ومار سابا وتمّ نسخهُ سنة ١٧٠٨ وقد عُلق على اول ورقة منهُ عبارة وقفٍ (كعبارة وخط الانجيل من قلم فرحات) ولعل صلاة مار سابا من تأليفه. ٥ً كتاب آخر متعبد يحتوي صلوات بعض الشهداء ومار بوحنا ومار الياس النبيّ (١) وغيرها من التديين. وقد جاء في آخر صلاة مار الياس ما يلي : « كملت على يد ماسحها الفقير عبد المسيح بن بطرس الماروني الحلبي وذلك سنة ١٧٠٩ في ت ١ . »

٦ً كتاب المقالب الدعية ترجمها من السريانية الى العربية القس جبرائيل فرحات. خطّ الشدياق ابرهيم جلوان السمراني من تلاميذ مدرسة رومية سنة ١٧٢٢ وخادم قرية تولا الجبة سنة ١٧٣٦

وعند حضرة الخوري جرجس الشدياق : ١ً فراطيق سرياني تأليف الشدياق جرجس الباني حمصاً سنة ١٥٩٤ . ٢ً كتاب مختصر اللاهوت الشقيقه المرحوم الخوري يوسف. ٣ً فراطيق آخر سرياني للقاخوري. ٤ً التحفة السرّية لفرحات

وعند حضرة الخوري يوسف بطرس الشدياق : ١ً كتاب المحاورات الرهبانية لفرحات. جاء في اخره : « وقف لدير القلب الاقدس في بكركي. كل يد احقر بنات قلب يسوع وردة هندية الخاطية». وخطه عربي جميل

٢ً كتاب خطهُ عبد المعطي بن جرجس المسابكي الماروني بدمشق الشام سنة ١٧٣٢ يحتوي نبذة في الصلاة العقلية وفائدتها وعشرة تأملات لازمة لكل مسيحي وتأملات مختصرة على عدد ايام الشهر « استخرجها من اللغة الافرنجية الى اللغة العربية احقر اولاد المدرسة المارونية الشدياق

١) قد طبع هذه الصلاة السريانية السيد مخائيل اخرس مطران حلب سنة ١٩٣٥

يوسف الحلبي اصلاً المارونى ملّةً وذلك في سنة «١٧٠٥» ويشتمل ايضاً على ٦٩ نصيحة للتدبية ترازيا ثمّ بعض نصائح من كتاب مرآة الانفس وتسمّى رؤوساً وعددها ٣٢ رأساً . ثمّ رسالة تسمّى (منهج مستقيم لبنية التيم) مؤلف الاب الفاضل المبل والفيلسوف اللاهوتي النبيل الخوري بطرس (النولوي) ايكونوموس طائفة الموارنة بحلب سنة ١٧٠٦ « ومدار هذه الرسالة على الصلاة العقلية

٣ً كتاب يشتمل على اخبار الاعتراف وفيه بعض زجليات روحية قديمة منها للمطران يواصاف البكتناوي . ٤ً كتاب تاريخ المنطوريني . ٥ً كتاب خبر سيرة حيقار وزير سنحاريب ملك اشور. وفيه نبذة عنوانها : (تواريخ عن بعض حوادث صارت في الجبل سنة ١٨٦٠)

ودّعنا بشرّاي في اليوم الثاني من تشرين الاوّل وقلبُنا يلهج بالشكر والثناء على مكارم اهلها ولاسيما على حضرة الاب المفضال الخوري جرجس الشدياق الذي تلطف وهدانا الى كل هذه المخطوطات . وعلى جناب المصوّر البارع بطرس افندي الشدياق الذي تكرّم علينا برسوم الارز ونبع قاديشا ودير مار اليشع . فسرنا ميّمين دير قزحيّا

دير مار انطونيوس قزحيّا

وقد عرجنا في طريقنا على مدرستنا في بان ومكثنا فيها يومين . وانتقلنا الى عنطورين فوجدنا فيها عند جناب الشيخ نعمة الله ابي خطار من الكتب الخطيّة كتابي صلوات جمعهما جدّ والده الشماس انطونيوس ابن ابو خطار الشدياق من بيت الحج عبد النور صاحب التاريخ المعروف باسمه سنة ١٧٩١ . ومن عنطورين نزلنا في طريق جبل منحدر الى دير قزحيّا

ان هذا الدير قديم الاجيال . وقد ذكر العلّامة السيد يوسف الدبس في كتابه الجامع المفصّل صفحة ٢٠٢ انه ورد في براءة البابا اينوشنت الثالث الى البطريرك ارميا في سنة ١٢١٥ ذكر دير قزحيا بمنزلة اول كرسي لاساقفة الموارنة . وقد علّق البطريرك بطرس وهو يوحنا اللحفدي على كتاب الاناجيل عبارة تنبئ بانّه حضر اليه سنة ١١٠٤ الراهب اشعيا من دير قزحيا ورأسهُ على دير الكوزبند في قبرس

واتصل دير قزحيا للرهبانية من المطران يوحنا حبقوق سنة ١٧٠٨ وقد انفقت

في ذاك العصر على تجديد عماره نحو ٢٥،٨٦٧ غرشاً (١ . وفي جنب دير قزحيا عدة محابس منها محبسة مار مخايل القائمة غربي الدير بناها القس بركات البقوفاوي سنة ١٤٩٥ ومات فيها كما افاد المطوريني في تاريخه. وقد ذكر حضرة الاب جبرايل مجلي اللبناني في تاريخ دير قزحيا الخطي قال :

١) طالع ما جاء عن تاريخه ومطبوعات مطبعة المشرق (٣ : ٢٥٧) و (٤ : ٨٧٢–٨٧٧)

« انما عبارة عن كنيسة صغيرة فيها ثلاثة مذابح جميلة مبنية تحت الصخر وحيطانها مكلّسة تكليساً متقناً يخال للناظر اليها انها صنع يد عصرية مع انها قديمة جداً. والداخل اليها يشعر حالاً بروائح القداسة المنبثة منها. وبالقرب منها غرفتان في مغارة هُدم مدخلاها حديثاً. ويحتوي هذه المحبسة مغارة ايضاً تدلُّ آثارها انها كانت آهلة بالسكّان يوم كانت محبسة مار مخايل في سست عزّها. »

ومحبسة مار بيشاي ذكرها الدويهي في كتابه تاريخ الازمنة الخطّي فقال:

« في سنة ١٥٢٦ ان الخوري يونان القربتي رئيس دير مار انطونيوس قزحيا نقض قلّعد الجبس وجدده وزاد على مذبح ماري بيشاي مذبحين آخرين احدهما على اسم السيدة والاخر على اسم مار مخايل رئيس الملائكة. . . »

وقال السيد فرحات الذي نسك في هذه المحبسة (راجع ديوانه ص ١٤٦)

« في سنة ١٧١٢ ابتدأ الرهبان بعمار محبسة مار بيشاي وكانت خربة فعمّروها واوسعوها وقرروا فيها مغارة وسكنها رهبان عديدون وهم تحت طاعة رئيس دير قزحيا ويشتركون في معيشتهم وواجباتهم الدينية مع رهبان الدير المذكور »

وقد وصفها الاب جبرايل مجلّي في تاريخه الآنف الذكر قال:

« موقع هذه المحبسة غربي دير قزحيا وشرقي بيت الضيافة مبنية باللبن وقليل من الحجارة. فيها قاعة واربع غرف صغيرة وثلاث مذابح. وثلث بنائها منقور في الصخر والثلث الآخر مسقوف. وفي القاعة سرير منقور في الحجر معدّ لرقاد راهب واحد. وفي احدى الغرف وهي التي كان يسكنها الرئيس او كبير الحباء مقعد صغير ومسند كلاهما منقوران في الصخر يدلُّ ظاهرهما على ان ذلك الرئيس او الحبيس كان يقضي ساعات الليل جاثياً مصلياً واذا دهمهُ الوسن يلقي يدهُ على المسند الحجريّ فيأخذ قليلاً من الراحة. وعند اسفل درج هذه المحبسة يميناً وشمالاً محبستان قطنها الرهبان الاقدمون مدّةً طويلة. وبالقرب منها لجهة الشرق محبستان ايضاً وكلها محفورة في الصخر. وقد جعل الرهبان من بضع سنين ثلاثاً منها مدافن للراقدين بالرب في دير قزحيا. »

ومحبسة القديس يولا. شادها الرئيس العام الاب عبدالله قرا علي سنة ١٧١٦ على قمة رابية عالية قبلي الدير تبعد عنه مسافة ثلث ساعة واسكن فيها رهباناً حباء. وفي سنة ١٨٩٨ جدّد بناءها الحبيسان الابوان مارون مجلّي السرعلي وضرقس ايطو. والحبيس الذي يقيم فيها حالياً هو الاب افرام بقاع كفره. ولم تمكننا كثرة اشغالنا من زيارة هذه المحابس لنتبسّط في الكلام عنها فاكتفينا بما ورد ذكره

وقد طارت لهذا الدير شهرةٌ عظيمة للكرامات العديدة التي تجري فيه واهمّها

شفاء الممسوسين من الارواح الشريرة في مغارته العجائبية التي يقصد زيارتها الناس من جميع الانحاء على اختلاف مذاهبهم . وفي هذا الدير يُطبع كتاب القديس انطونيوس الكبير المعروف بكتاب قزحيا . وقد اطلعنا على رقيم من السيد النائب البطريركي المطران مخايل الخازن تاريخهُ ٢٦ تموز سنة ١٧٨٠ حرَّره في دير سيدة ميفوق يحظر على الرهبان الحلبيين والمنتمين الى ماري شعيا طبع الكتاب المذكور وتوزيعهُ ويخصصهُ برهبان ماري انطونيوس قزحيا اللبنانيين البلديين بموجب امر الكرسي الرسولي

ان تقلّب الايام وصروف الحدثان قد اتلفت وضعضعت الكتب الخطّية القديمة الثمينة التي كانت مدونة في دير قزحيا ولم يبق منها سوى الآتي ذكرها وهي محفوظة عند حضرة الاب فرنسيس فخري البشرّاوي وهذه اسماؤها :

١ً كتاب مجموع صلوات . ٢ً رياضة القديس اغناطيوس خطّ سنة ١٧٤٧ . ٣ً مزامير داود النبيّ سرياني وعربي خُطّ سنة ١٦٦١ في مار يوحنا قرية سلي (حنان) (كذا) في جبّة المتن . ٤ً اجزاء عديدة من العلم اللاهوتي لكلوديوس . ٥ً اباطيل العالم . ٦ً كتاب ليوحنا الدمشقي بحث في الصلاة وازرار الكنيسة وطبيعة المسيح . . . ٧ً قاموس سرياني خط شماس موسى ابن [illegible] الحدثاني سنة ١٧٠٢ . ٨ً منطق القس يواكيم الباسيل . ٩ً [illegible] الطبيعة . ١٠ً اغراطيق سرياني . ١١ً رتب وحازات . ١٢ً اسئلة في اللاهوت . ١٣ً كتاب اخص قوانين التوبة حسب نظام العشر وعايا الالهية قد جُمعت من بعض جوامع ومن كتب رتب التوبة جاء في اخره :

« ولقد اعتنى بترتيب هذا الكتاب وترتيب نظام تأليفه الاب المكرَّم واللاهوتي المفخَّم معلمنا وابونا القس بطرس التولاني واعظ مدينة حلب وذلك سنة ١٦٩٧ »

١٤ً اغراطيق سرياني يسمى « كتاب التسهيل لكل شرح مستطيل » قد ابان مؤلفهُ في المقدمة انهُ وضعهُ لاهل اللغة العربية من اهل زمانهِ ليسهل عليهم معرفة ما يقصدونه من فهم اللغة السريانية . ١٥ً مجموعة قصائد واناشيد سريانية لابن العبري وللمطران يوسف اسحاق مطران عين ورقاء . ١٦ً كتاب التحفة السرّية للمطران جرمانوس فرحات . جاء في اخره :

« انتهت كتابته يد الحقير القس عبد المسيح الماروني الحلبي بايام سيدنا ومطراننا ماري جرمانوس (فرحات) المكرَّم في ٩ ايار سنة ١٧٣٢ في حلب . »

١٧ً كتاب تأملات . ١٨ً حوادث الاعتراف . ١٩ً مقالات زهدية ليوحنا رئيس دير طورسينا خطّ عربي جميل . ناقص فهرسه جاء في اخره : « علقهُ بيده الثانية العبد الضعيف النحيف المعترف بذنبهِ النائب الى ربّه ثنجه (١ ابن الخوري جرجس الحموي في سنة ١١٢٧ مسيحية . »

---

١) اطلب المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٧٧

وقد انتقل هذا الكتاب الى الحج مخايل (١ ابن الحج فرحات

٢٠ المصبح الرهباني في شرح القانون اللبناني. ٢١ كتاب طب قديم. ٢٢ رسالة مختصر التمام بالكمال لفرحات. ٢٣ كتاب مواعظ. ٢٤ كتاب الفصاحة الجزء الاول. يقول مؤلفه انهُ يقدمهُ للسيدة العذراء. ٢٥ كتاب آخر مواعظ. ٢٦ تفسير بعض صعوبات في الكتاب المقدس للمطران سمعان عواد. ٢٧ العلم الطبيعي للسيد السمعاني. ٢٨ مجادلة ومحاورة دينية صارت بين الراهب جرجس رئيس دير القديس سمعان البحري وبين ثلاثة انفار من المسلمين في حضرة الملك الظاهر غازي بن يوسف الصلاح على امة الاسلام بمدينة حلب سنة ١٢١٧م وكان الفراغ من نسخها على يد القس يوسف بن مبارك سنة ١٦٧٧ (٢ وتلي هذه المحاورة محاورة اخرى تأليف احد الرهبان تسمى «ايضاح الدين» وهذا ابتداؤها :

«كتاب ايضاح الدين تقدمة الفخر ملّة المسيحية اعظم المشايخ المؤمنين نادر ابن الخازن الشيخ المكرّم ابو نوفل. من العبد الفقير الراجي عفو ربه العظيم. . . باسم راهب» قد وضعها مؤلفها اجابة لبعض السادة المسلمين الذين سألوا عن صدق الدين والبرهان والتمسوا من حقارته البيان. وهي على طريقة السؤال والجواب

٢٩ كتاب في بيان وتثبيت الاكرام المقدّم للقديس يوحنا المروي المكنّى مارون اول بطاركة الملّة المارونية. وفيه رسالة للمطران ارسانيوس شكري رئيس اساقفة حلب الماروني الى البابا اكليمنضوس الثالث عشر يبيّن فيها المنازعات التي حدثت في مدينة حلب بخصوص الاكرام المقدّم للقديس يوحنا مارون.

هذه هي الكتب الخطيّة التي وقفنا عليها في دير قزحيا. وبعد ان روّحنا النفس فيه مدّةً من الزمان توجهنا الى دير مار سمعان القرن لراهباتنا اللبنانيات وهو يضمّ عشرين راهبة. ورئيستهُ من بشرّاي وهي حضرة الام يوسفيّة رحمه المعروفة بغيرتها على نجاحه وحسن ادارة شؤونه (٣

دير سيدة بصرما

بعد ان أبلَلْنا من مرضنا في دير مار سمعان القرن قصدنا دير سيدة النجاة في بصرما فمرّجنا في طريقنا على المدرسة الوطنيّة بداريا التي يديرها حضرة الاب الفاضل

١) هو المطران يوسف مبارك الريفوني

٢) ان مخايل هذا هو شقيق المطران جرمانوس فرحات

٣) قد ارجئنا الكلام عن هذا الدير وعن مدرسة بان الى ترجمة الطيب الذكر الاب افرام جمجع البشرّاوي التي ننشرها قريباً على صفحات هذه المجلة ان شاء الله

الخوري لويس العَلَم المشهور بغيرته الدينيَّة وعطفه على البائسين والفقراء فرأيناها غاصَّة بالتلاميذ الذين يتلقَّنون العلم ممزوجاً بروح الدين والتقوى. وعند الغروب وصلنا دير بصرما

في سنة ١٨٨٦ فُصل قسمٌ من ارزاق دير قزحيا في بصرما في عهد رئاسة الاب مرتينوس سابا القسطاوي العامَّة وباشر الطيِّب الذكر الاب دانيال العَلَم الحدثي بناء دير جديد فيها على الطرز الحديث. ولم يكن في تلك البقعة المأهولة بابناء طائفتَي الروم الارثوذكس والاسلام معهد ديني. ولما تمَّ عمار الدير نشطت الرهبانية الى بناء كنيسة رعائية لاهل بصرما ومدرسة مجَّانية لتعليم الاحداث

اقمنا في دير بصرما يومين ورجعنا الى دير سيدة ميفوق. ثمَّ توجهنا الى قرية بجَّة فوجدنا فيها الكتب الخطية الآتية عند حضرة الخوري بولس الحسيني :

١) كتاب مختصر علم الذمَّة مترجم من اللاتينية الى العربية لافادة كهنة المشرق. وهو بخط الخطَّاط الشهير الذي قلما تخلو كنيسة من كنائس لبنان من خطه السرياني الجميل الخوري جرجس سعد البجاني سنة ١٧٦٣ والمتوفى في ١٩ حزيران سنة ١٧٨٦ . ٢) مختصر انشاء [illegible] كتاب الاوراس العلية [illegible] وتركيب الادوية . [illegible] المجمع [illegible] فيه صورة [illegible] في [illegible] بطريرك الموارنة سنة ١١٥٩٦ . ٥) كتاب [illegible] يعقوب الرهاوي ومضافاً اليه رد المطران يواصاف البسكنتاوي المارونى [illegible] السيد [illegible] والسيد مينا الدين اللذين ارسلاها اليه. وهي تشتمل على الطعن في الامة العيسوية

ويوجد ايضاً عند جناب الخواجا طنوس حنا سعاده كتاب الفتاوى الخيرية في الامور الشرعية. وفي بيت المرحوم الخوري حنا مارون كتاب تفسير بعض فقرات من الكتاب المقدس القديم والجديد تأليف المطران سمعان عوَّاد الحصروني . وهذا الكتاب مجلَّد كبير انما هو مخروم من آخره وهو خط الشدياق انطون ابن الخوري سمعان من قرية غسطا من بيت شهوان سنة ١٧٣٢

وسرنا من بجَّة الى دير مار يوسف الضهر قاصدين دير سيدة المعونات فبلغناهُ في ٢٩ تشرين الثاني شاكرين مراحم وافضال السيدة العذراء التي حفظتنا وارجعتنا اليه سالمين ومختتمين رحلتنا هذه بتحيَّتها اللطيفة قائلين لها: السلامُ عليك يا مريم

١) قد نشر هذا المجمع حضرة المونسنيور جرجس منش في كتابه التحفة الادبية. وذكره صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية ص ٢٣٦-٢٤٠

ملحق بكتاب

بيروت تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد وقفنا في اثناء نشرنا لهذا الكتاب على معلومات شتى تفيد معرفتها تاريخ بيروت فلم نشأ ان تُفتقد هذه الشذرات فجمعناها في هذه النبذة كملحق لما سبق في المشرق. والدلالة في هذا الملحق على اعداد سنتي المشرق ١٩٢٥ و١٩٢٦

١٩٢٥ الصفحة ٥٦ س٢ (نظر عامّ في تواريخ بيروت) يحسن بنا ايضاً ان نذكر بعض تآليف مختصرة ابرزها المحدثون في انسات شتى عن بيروت واخبارها اقدمُها مقالة مستملحة وضعها باللاتينيَّة الالماني حنا ستروخ لينال بها في وطنهِ رتبة الدكتوريَّة سنة ١٦٦٢ عنوانها « J. STRAUCH : Berytus » فضمَّنها عدَّة معلومات لاسيما عن بيروت الرومانيَّة

ثم نشر داود افندي كنعان في مجلَّة الجنان البيروتيَّة سنة ١٨٧١ تاريخاً مختصراً لبيروت دعاهُ «جواهر ياقوت في تاريخ بيروت»

وفي السنة ١٩١١ــ١٩١٢ نشر حضرة إستاذ الكلية الاميركانيَّة هرفي پركر مقالات انكليزيَّة في تاريخ بيروت طبعها على انفراد في كتاب صغير (H. PARKER: History of Beirut)

وفي العام الماضي ١٩٢٥ نشر جناب الاستاذ المحامي جورج افندي يزبك محاضرةً كان القاها في مربع تباريس عنوانها «بيروت في التاريخ» استعان فيها بتآليفنا السابقة

ــ ص ١٢٨ س١٦ ــ ١٧ (مغارة انطلياس) نشر جناب الاستاذ داي نتيجة حفريَّات قامت بها الجامعة الاميريكيَّة مؤخرًا في وادي انطلياس قريباً من مغارتها فبلغت الى عمق ١٥ متراً وعثرت على ضروب من الظرّان ومن عظام الحيوان التي اصطادها القدماء. كما كان بيَّن ذلك سابقاً العلَّامة ترستام وحضرة الاب زمونن لا ذومغَّن كما تصحَّف اسمهُ في الكليَّة ص ٤٩٦). فليراجع ايضاً الفصل الذي كتبهُ

العلّامة دي مورغان في مجلّة سيريا DE MORGAN: L'Industrie Néolithique dans le Proche Orient, *Syria*, IV, 36-37 ١٩٢٥ ص١٢٨س٢٤ (انتهز) . . . النهزة

ـــ ص ٣٧٣ س ١٨ (استشهاد القديس جرجس) كتبنا في ذلك مقالة واسعة بمناسبة المئة السادسة عشرة لاستشهاده (في المشرق ٦ [١٩٠٣]: ٣٨٥ و ١٠ [١٩٠٧]: ١١٤)

ومما فاتنا ذكرهُ التقليدُ القائل باستشهاد القديسة بربارة في مدينة بيروت . واليه يشير صالح بن يحيى في تاريخه (ص ١٧) : « ويزعم النصارى انّ البربارة كانت قديسةً ولها نشبٌ كبير ببيروت وعيد البربارة منسوب اليها » . راجع فصلنا عن عيد القديسة بربارة في سوريّة (المشرق ١ [١٨٩٨] : ١١٣١ــ١١٣٩) . وكان القديسة بربارة كنيسة شهيرة في بيروت بقيت مكرّمة الى القرن الخامس عشر فاغتصبها المسلمون من النصارى وحوّلوها جامعاً كما ورد في تاريخ الاب فرنسيس سوريانو الراهب الفرنسيسي FR. SURIANO: Il Trattato di Terra Santa, ١٤٩٦ وهو يروي (ص ١٧٨) انّ مدرسة تكرم في احدى كنائس مريم العذراء في القاهرة (كذا)

ـــ ص ٣٧٣ س ٢٢ (مدرسة الفقه الروماني في بيروت) خصصنا لذكر هذه المدرسة فصلاً آخر في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٧٢١ــ٧٣٣) وفيه نظر تاريخي انتقادي على تاريخ جديد لمدرسة بيروت الفقهيّة الرومانيّة نشرهُ احد كبار اساتذة الفقه المسيو بول كولينه تحت هذا العنوان PAUL COLLINET: Histoite de l'Ecole de Droit de Beyrouth وفيه معلومات واسعة عن بيروت وعلومها الفقهيّة ومشاهير اساتذتها وطلبتها . وممّن ذكرهم زكريّا الخطيبُ في اواخر القرن الخامس قزما الكاهن خادم كنيسة الرسول يهوذا في بيروت . ومرتيريوس احد قرّاء كنيسة بيروت وبعض اعيان المدينة كيوحنّا بن قسطنطين وبوليكرونوس . ووصف بالغيرة يوحنّا اسقف بيروت في زمانه

ـــ ص٥٢٢ س ٢٤ (حريق بيروت سنة ٥٦٠ م) قد ظهرت آثار هذا الحريق لمّا بوشر بالحفريّات في زمن اخراب الكورنيشة بأمر الوالي عزمي بك قريباً من جامع يحيى

في غربيّه فانكشفت بقايا كنيسة قديمة من عهد البوزنطيين كان سواد الحريق ظاهراً على حجارتها

١٩٢٥ ص ٦٢٣ س ٢١ (في عهد الدولة الاخشيديّة غزا الروم بلاد الشام...) قرأنا في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقية ما حرفهُ :

« في جمادى الاولى سنة ٣٦٤هـ (٩٧٥م) سار المملوك ناصر احد خدّام المعزّ لدين الله لمحاربة الروم فدخل بيروت ثمّ حارب الروم قريباً من طرابلس في شعبان فغلبهم الّا انّ ملكهم ابن السمسكي (Zimiscès) عاد مع جيش من الروم وانتصر على المملوك ناصر واسرهُ فطلب منهُ التكين صاحب الشام امانًا البلاد فنهادنا . . . ثمّ جاء بعدهُ المملوك ريّان الى الشام وانتصر على الروم »

— ص ٦٧١ س ٢ (الصليبيّون في بيروت) في زمن ولاية الصليبيين الاولى على الشام ألّف الشريف الادريسي كتابهُ نزهة المشتاق فذكر موقع بيروت «على ضفّة البحر وسورها المبني بالحجارة الكبيرة والجبل الواقع بقربة منها الذي يُستخرج منهُ الحديد الجيّد الكثير فيُحمل الى بلاد الشام » . وكذلك ذكر غيضتها من اشجار الصنوبر على جنوبيّ المدينة فقال ان «تكسيرها اثنا عشر ميلًا في مثلها »

— ص ٦٧١ س ١٩ (الاسطول المصري في بيروت سنة ٥٤٦هـ) . قال ابن المُيسّر في اخبار مصر (éd. Massé, p. ٩٦) : « في تاريخ سنة ٥٥٢ (١١٥٧ م) « ندب الملكُ الصالح (طلائعُ ابن رزيك) مراكبَ في البحر فسارت الى بيروت وغيرها فاوقعت بمراكب الفرنج فاسرت منهم وغنمت » . وفي هذه السنة عينها حدثت زلازل قويّة في الشام كما روى ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة فخربت بسببها مدن كثيرة من جملتها بيروت

— ص ٦٧٢ س ١٢ (تسلّم صلاح الدين المدينة) فتح صلاح الدين مدينة بيروت في آب من السنة ١١٨٧م بالامان . وقد مرّ بها في السنة التالية ١١٨٨ السائح الرومي يوحنّا فوكاس (Jean Phocas) فكتب في رحلتهِ عن بيروت ما تعريبهُ بعد سيره اليها من جبيل (١

« فلاحت لنا بعد ذلك بيروت المدينة الكبيرة وهي حافلة بالسكّان تحيط بها البساتين ولها

---

١) نُشرت هذه الرحلة باللاتينيّة في المجلد الثاني لشهر ايّار من اعمال القديسين للبولنديين (Acta Sanctorum, vol. II Mari, p. III)

مرفأ شهير بحسنه. ليس هو من تكوين الطبيعة بل من عمل الصناعة وهو داخل في وسط المدينة على شبه الهلال. فترى برجين كبيرين قد شيّدا على طرفيه يمتدّ بينهما سلسلة ضخمة تصون من الغزاة المراكب التي في داخل الدائرة. وبيروت تُعد كحدّ لغبيقية ولسوريّة»

١٩٢٥ ص ٧٧٥ س ٢٤ (تحصين الصليبيين لبيروت) يؤخذ من كتبة الفرنج في ذلك العهد انّ طول بيروت كان يبلغ نحو ٨٥٠ متراً وعرضها ١٠٠ متر (Rey: Colonies franques en Syrie)

— ص ٩٤٤ س ١٨ (بيروت في عهد مماليك مصر) ورد ذكر بيروت في عهد مماليك مصر في تقويم البلدان لابي الفداء (ص ٢٤٧) فذكر لها برجين وبساتين ونهراً ووصفها بالخصب ونقل عن ابن سعيد كونها «مدينة جليلة ولها ميناء جليل» وروى انّ شرب اهلها من قناة تجرّ اليها الماء.

وذكرها بعده في القرن الخامس عشر خليل بن شاهين الظاهري في كتابه زبدة كشف الممالك وروى انها من معاملة دمشق يحكم عليها امير طبلخاناة ويقول انّ لها اقليماً به عدّة قرى

١٩٢٦ ص ٥٠ س ٦ (صالح [illegible] الدين [illegible] ابن ناصر الدين

— ص ١١٤ س ١٥ (الغزّالي) اسمه جانبردي الغزّالي كان من امراء المماليك في مصر جعله السلطان طومان باي قائداً على جيشه لمحاربة سلطان الاتراك سليم الاوّل فكانت الدولة على المصريين سنة ١٥١٦ في خان يونس قريباً من غزّة. ثم انقلب الغزّالي على ملكه وعدل بالخيانة الى السلطان سليم فولّاه على دمشق سنة ١٥١٧

— ص ١١٦ س ٥ (طاعون السنتين ٨٩٧ و٨٩٨ هـ). وقد ذكر الدويهي في تاريخ الازمنة طاعوناً آخر عظيماً حدث في بيروت سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨م) فتك فيها بخلق كثير. ثم ذكر في تاريخ سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٢م) سيلاً جارفاً حدث في دمشق وفي سواحل الشام فهدم جسر نهر الكلب واحدث هيجاناً عظيماً في البحر حتى تجاوز ميناء بيروت

— ص ١١٨ س ٣ (بيروت تحت حكم فخر الدين) استولى عليها سنة ١٥٩٨م بعد انتصاره على يوسف باشا سيفا في واقعة نهر الكلب وبسط سلطته على الشوف وكسروان

١٩٢٦ ص ٢١٦س ٢١ (الاب فرنسيس سوديانو) نشر الاب غولوبوفتش كمقدمة لكتابه المعنون Il Trattato di Terra Santa, p. XXIV-LXII ترجمة حياته المطوّلة راجع ما كتبناهُ عن قصادته الرسوليّة في سوريّة (المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٧). كان اوّل وصوله الى بيروت سنة ١٤٨٠ مع احد عشر راهباً من رهبانيّته

— ص ٢٦٩ س ١ (ظاهر العمر) يراجع في المشرق (٢٤ [١٩٢٦] : ٥٣٩— ٥٦٠) تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني الذي نشرهُ جناب الكاتب البارع الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وفيه معلومات وافية عنهُ

— ص ٢٦٩ س ٢٣ (احمد باشا الجزّار) اثبتنا لهُ في المشرق (٢٤ [١٩٢٦]: ٣٣١) صورة بيورلدي وجّههُ سنة ١٧٩١ الى المشايخ الدروز ورعاياهم سكان الشوف والمتن وكسروان يتوعّدهم بأشد العقاب ان لم يكفّوا عن محاربة الدولة التركية

— ص ٢٧٣س ٨ (النصرانيّة في بيروت في القرن الثامن عشر) اخذ عدد النصارى يزيد في بيروت خصوصاً في عهد ترقية المشايخ من آل الخازن الى قنصليّة بيروت. وقد جاء ذكر بعض اسرهم في التاريخ كبيت الدهّان رابي عسكر الروم وكمشايخ حبيش وبيت التيّان وبيت ثابت وكيد وفاضل وادّه الموارنة . وقد مرّ لنا في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٦٩٤—٦٩٥) ذكر الشيخ منصور ادّه وسعيهُ في بناء كنيسة القديس جرجس القديمة لطائفته المارونيّة

— ص ٤٦٣س ٢—٣ (اوّل والٍ على بيروت عزيز باشا) بل كان اوّل والٍ علي باشا فتوفي بعد سنة ١٨٨٩ فخلفهُ عزيز باشا (١٨٩٠) ثمّ خالد بك (١٨٩٢) ثمّ نصوحي بك (١٨٩٤) ثمّ رشيد بك (١٨٩٧) ثم خليل باشا (١٩٠٤) ثمّ ناظم باشا (١٩٠٨) ثمّ حازم (١٩١١) ثمّ ادهم بك (١٩١٢) ثمّ بكر سامي بك (١٩١٣) ثم عزمي بك (١٩١٥) واخرهم اسماعيل حقي بك (١٩١٧) خرج من بيروت هارباً مع عمّال الترك لانتصار الدول المتحالفة على المانية ومحالفتها تركية

— ص ٤٦٤س ١٦ (اوائل تشرين الاوّل) كان ذلك سنة ١٩١٨ بعد هزيمة الاتراك اذ حاول الامير فيصل ان يبسط حكمهُ على بيروت وسوريّة واقام رجالاً من حزبهِ حكموا بضعة اسابيع باسمهِ

١٩٢٦ص٤٩٤ س١٨ (الكلية اليسوعية) راجع المقالة التي خصصناها لهذه الكلية واحوالها ولتاريخ سائر فروعها الطبية والفقهية والهندسية بنسبة يوبيلها الذهبي في المشرق (٢٣[١٩٢٥]: ٣٢٨ــ٣٥٢)

ــ ص ٤٩٣ س ١٩ (بيروت الادبية) نضيف الى ما كتبناه هناك ذكر المساعي الطيّبة التي اسرعت اليها الدولة الفرنسويّة الكريمة بعد ان فُوّض اليها الانتداب على سوريّة فباشرت بها بعد الحرب الكونيّة لتنشيط الآداب في انحاء البلاد ولاسيما في بيروت لتبقى لها الرئاسة التي حصلت عليها سابقاً من هذا القبيل. ولم تتأخر في ذلك وسعاً بمنحها حرّيّة الطباعة وبإنفاقها الملايين من الفرنكات على المدارس وبتنشيطها للعلوم وارباب. وكفى بيروت فخراً انها جُعلت في هذه السنة ١٩٢٦ مركزاً لمؤتمر اثريّ تشرّفت لسببه بجاول اساطين العلم من دول اوربّة في ربوعها. فزادت بذلك سمعتها بين الامم الراقية

الاميران الاسيران

مأساة تمثيليّة ارثيّة ادبيّة

عرّبها عن الافرنسيّة بتصرّف الخوري يوسف الحشيتي

توطئة

هذه الرواية التمثيلية عرّبها حضرة الخوري يوسف الحشيتي لتُشخَّص في المدارس والنوادي الادبية فيُسرّ الحضور بأطوارها المبهجة ومشاهدها المؤثرة ويستفيدوا من تعاليمها التهذيبيّة الصالحة. وقد صدّرها حضرتهُ بتقدمتها مع كتاب لطيف لسيادة الحبر الجليل المطران الياس ريشا النائب البطريركي بنسبة ارتقائهِ الى الدرجة الاسقفية. ثمّ اردفها بفصل طويل عن فنّ الروايات وانواعها وشروطها وغايتها وفوائدها لا يسمح لنا ضيق المجال بنشره لتتمّ فصولها مع اعداد السنة الباقية فنستميح عذراً من حضرتهِ (المشرق)

الممثلون

روداف زعيم اللصوص } اخوان الامير دولانفلد	بياترو خادم بيت الامير سابقاً وخادم زعيم اللصوص حاضراً
فردريك } ولدا الامير الفرد	ستارتو جاسوس
لصوص	حرّاس

الفصل الاول

يظهر المرسح حينئذ كهف مظلم . يُسمع ناقوس الساعة يقرع نصف الليل

المشهد الاول

بياترو . ستارنو . جالسان على مقاعدهما

بياترو : قد انتصف الليل ولم يأتِنا رودلف هل حدث له ما أخّرهُ ؟

ستارنو : لا تخف انَّ له في صرامة بأسهِ بُغيةَ نفسهِ

بياترو : ومَنْ يأمن صرف دهرهِ والدهرُ خؤون ؟

ستارنو : لا يتعاظمُ زعيمنا امرٌ . انه لَيُذلّل العقاب، ويروّض الصعاب ، وأمّا انت ايها الصديق فأراك مُكتئباً الوجه تُعالج بُرَحاء الهموم . فما الذي طرأ عليك مما تكرهُ ؟

بياترو : خطرٌ قريبٌ يتهددنا . انَّ احد اشراف العيال التسعة لم يأتِ ويسكن القصر تجاهَ كهفنا إلّا وفي نفسهِ ما بها وما يكون نحن من امرنا ؟

ستارنو : اَجلْ . وقد جعل تحت قيادته من الجنود المدرّبة ثلاثة الاف كاملي العدّة . غير اني لا اخفي عليك ما يحول دون الوصول الينا من المضايق والسّيل الجُحاف والصخور الهائلة التي تقف بسبيلهم سدًّا منيعاً . ولا يُخيَّلُ لي أنهم يحملون انفسهم على المهالك بمسالك يركبون فيها اكتاف الشدائد ويتعمدون ظهور المكاره

بياترو : اذًا لتكونَ على بيّنةٍ من امرنا ونغدوَ آمنين في سربنا . ارصدوا عليهم العيون . حصّنوا مواقفكم لئلا يُباغتنا العدو على حين غرّةٍ فتذلَّ اعناقنا وتعفو وجوهنا

ستارنو : كن آمن البال . لقد اخذنا للامر عُدّتهُ وعَتاده وهيّأنا له اسبابه

(يطلّ من احد ابواب الكواليس ويحرّض الحراس على السهر والاحتراس صارخًا : الحذر . اليقظة . الاحتراس)

بياترو : أحسنت يا ستارنو صنعاً . وهل سبقتْ الك معرفةٌ بالقصر المنوّه بهِ ؟

ستارنو : عرفتهُ حقَّ معرفتهِ . ولا يبعدُ ان يكون بعد ترميمهِ وتحصينهِ خطرًا علينا قريباً

بياترو : ومن يُقيم فيه الآن ؟

ستارنو : احد امراء النمسة الذي يستر مخبآت صدرهِ بتكتُّمهِ ويُمسكُ على ما في نفسه بتحجُّبه

بياترو : أنى لك معرفة ذلك ؟

ستارنو : من خادم القصر عينهِ الذي التبس عليه امري

بياترو : أوَلمْ يكاشفك بما علم من نبأ الامير وحقيقة نسبه ؟

ستارنو : قد طالما بالغتُ في استخبارهِ فكان يطوي حديثاً الى حديث

بياترو : من هو هذا الامير الضنين باسرارهِ !

ستارنو : لم يسعدني الحظ بمعاشرة كبار القوم نظيرك . فمثلي نشأ صغيرًا في احد الملاجئ الخيريّة ثم قضى عليه سوء البخت كبيرًا بمخالطة صغار الناس تفوتهُ معرفةُ سراة القوم واعيانهم

[illegible] خدمني السعد بمعاشرة اشرف عيال قيانة . فقد [illegible] تدبير قصره وتهذيب شبابه الصغيرين . غير أن حقارة الخدمة لم تكن تأتلف مع زهو نفسي وغطرسة رأسي . فتركتهُ بعد أن اختلستُ من ماله مبلغاً مهماً أنفقتهُ بطرق الخلاعة واللهو . ولكي اتستَّر عن اعين الحكام وأتخلص من احكام العدالة . اندمجت في عصابة اللصوص تحت إمرة زعيمنا رودلف الذي ولّاني النيابة عنه . ولكن من اين لي سعادة الحياة وصفاء البال تحت رحمة هذا السقف وظلمة هذا الكهف ؟

ستارنو : بل كيف يصفو لنا عيش او نذوق طعم الراحة بضيق هذه السراديب . الوبيلة الهواء . الوبيئة الماء . مع رطوبة جدرانها ونتن ريحها ؟ وماذا يفيدنا حشد الاموال اذا استحكمت بنا العلة وأدركتنا الوفاة ؟ ولكن

أعلّلُ النفس بالآمال أرقبها ما اضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الامل

يأتي يوم أدَعُ به ظلمة هذه المغاور حيث تبصر عيناي نور النهار واستطعم لذّة الحرية ورفاهة الحياة واغدو بفضل ما اغنمهُ من الثروة مثال المروءة والاحسان

بياترو : انت وشأنك . اما انا فقد ضمنتُ لمولاي الزعيم البقاء معه حتى الموت

ستارنو : وهل يقوم في اعتقادكِ ان زعيمنا يصرف سحابة عمرهِ اسير هـذا الكهف ؟

بياترو : لقد حُكم علينا بألّا نغادرهُ ما لم نشأ ان نعاو اعوادَ المشانق

ستارنو : لم اكن انا احسن حالًا او اسعدُ حظًّا منكما فقد أضمر لي الدهرُ من قبلكما ما يضمرهُ لكما . فاسمحا لي ان أشاطركما نصيبكما من هذه الحياة فان ذكرى الاحكام القاضية باعدامي من جانب حكومتَي ايطالية والنمسة تملأ صدري رعباً فعليه أؤثر ظلمة هذه السراديب على ضياء شمس السماء الصافية . غير ان التفكر بايام الصبوّة وسذاجة العيشة بذلك العهد من العمر حاملًا جراب سُفرتي « زادي » على كتفي ومتوكئاً على عصاي اتنقّل على رؤوس الجبال ممتّعاً النواظر بمناظر الطبيعة الشائقة يترك في صدري حزازًا من الغمّ ويلقيني في شعاب الهمّ . وانت يا بياترو ألم يأخذك الندم على مغادرتك ڤيانة وقد كنت في سعةٍ من امرك بقصر آل لانسفالد الكرام ؟

بياترو : ڤيانة ! وما ادراك ما هي ! لقد دهتني من امر مغادرتها ما عيل به صبري . لله ما اجمل ذَيْنك الملاكين اللذين فوّض اليَّ والدهما امر تربيتهما . فقد أفرزا لهما موضعاً من نفسي ومكاناً من قلبي

ستارنو : نشدتك الله ان تصدقني القول الم تستطع الوقوف على ما يستبطنهُ زعيمنا رودلف ؟ يلوح لي من ملامحه وعزّة نفسه انهُ لا يطمئن الى غضاضة وانهُ من قوم أباةٍ شُمّ الانوف راسخ النسب سنيّ الحسب . غير انه يتنكر لاشرف عشائر النمسة ويُضمر لهم حقدًا وغلًّا

بياترو : الى الآن لم اهتدِ الى حقيقة امره . فهو كتومٌ لسرّه . وكثيرًا ما كان ينظر اليَّ عن عُرُضٍ ويُزلقني ببصرهِ لئلا أطارحهُ السؤال بشأنه . . . أسمعُ وقع اقدام . . . هم ارفاقنا . هل اعددتَ لهم مائدة الطعام ؟

ستارنو : على ما ترغبُ ويشتهون

بياترو : اذهب الآن وأقم بواجب الخدمة

المشهد الثاني

رودلف . بياترو . فردريك والفرد اسيران . لصوص

(يدخل اللصوص وهم ينشدون) :

يا رجالَ الغزو هبّوا ما كفى القومَ الجحودْ ؟
واخرقوا صفَّ الاعادي مزّقوهم كالاسودْ
كم ظفرتم كم أسرتم كم وطئتم من بنودْ
كم قهرتم كم غنمتم وأسيراكم شهودْ
أظهروا برًّا وبحرًا انكم حقًّا جنودْ
واعلموا ان ليس للّص ذمامٌ وعهودْ

رودلف : كم يسرّني ايها الزملاء ان ابوح باعجابي بجرأتكم وارتياحي بكم . وانت يا بياترو ما رأيك وما يلوح في ذهنك من امر هذه الغنيمة (ويشير الى فردريك والفريد)

بياترو : انها لغنيمة نفيسة وتدلّ ظواهرها على عظمة شأنها وخطورة امرها

رودلف : فراسةٌ منك يا بياترو ذاتُ بصيرةٍ هل اعددتَ لنا ما يُطفئ بنا سُعار الجوع

بياترو : اجل مولاي المائدة معدّة وكل شيء مجهّزٌ

رودلف : الى المائدة ايها الكرام تناولوا من الطعام ما يلذّ لكم وخذوا حظّكم من الراحة . واما انا فمن قليل ننضمّ اليكم

(يخرج اللصوص من الملعب وهم ينشدون النشيد السابق «يا رجال الغزو»)

المشهد الثالث

رودلف . بياترو . فردريك . الفرد

رودلف : احتفظ يا بياترو بالاسيرين

بياترو : امرك مولاي . اين أجعل اقامتها أفي منارة الاسرى ؟

رودلف : كلّا . بل دَعها طليقين . خُفّ خاجتها واعتنِ بامرهما

بياترو : يظهر لي ان لهما شأناً حتى اختصصتها

رودلف : لقد أسرّا نجواهما عني واخفيا تسبيها عليّ . ولكنهما سيفضيان اليّ بسرّهما إن لم يكن عاجلاً فآجلاً . (يخرج من اللعب)

المشهد الرابع

بياترو . فردريك . الفرد

بياترو لذاته : واعجباه لقد خشعَ للاسيرين بصري وراق لهما قلبي ولا عهد له بالرقة فما يكون شأنهما ؟

الفرد : اخي فردريك اين نحن ؟ مَنْ اتى بنا الى هذه المغاور ؟

بياترو (الى الفرد) : لا تجزعنّ ايها الولد ان زعيمنا الذي أتى بكما الى هذا المكان أمرني ان اتعهّدكما بخير فلا بأس عليكما

فردريك (الى بياترو) : سيدي مَن أنت وما شأن زعيمكم بنا ؟

الفرد لذاته : ربّاه ما اتعس حظّنا . اين اصبحنا . اين ابي . اين امي ؟

بياترو للاثنين : انتما الان في مغارة اللصوص . وعن قليل يطلق سراحكما فتعودان الى احضان عشيرتكما

فردريك : في مغارة لصوص ! وكيف يُطلق سراحنا ! أيستطيع السجين باعماق الكهف بزوايا المغاور ان يستنشق نسيم الحرية ؟ يا المبليّة !

بياترو : لا تيأسنّ ايها الولد فانّ لعناية الله بالصغار اسراراً يقصر عنها ادراكنا . فلا تخدعنّكم جهامةُ وجوهنا وشكاسة اخلاقنا فان في داخلنا قلوباً تعطف على الصغار وتصدقهم حبّها

الفرد لذاته : ربّاه ! هل انا في اليقظة او في الحلم ؟

فردريك لبياترو : اذا كنت يا مولاي رجلَ برّ تعطفُ علينا فدعنا ننطلق من هذه المضائق لنعود الى امّنا الحزينة ونكفكف دموعها ونُزيل عنها هجوعها

بياترو لذاته : لله ما اشدّ هذا الكلام بقلبي فانّهُ بالحقيقة كلامٌ لصدري

فردريك : ما لكم يا مولاي واصفار انقياء الصحيفة لا يتقون لكم غلة . فاذا كنتم في حاجة الناوس فوالدنا يؤديها لكم عن يدٍ سخية . فدعونا نذهب اليه فنُملي عليه رِفقكم بنا ومحبتكم لنا

بياترو : كم كنت أودّ أن أمالئكما أيها الولدان على ادراك مبتغاكما . انما الامرُ منوطٌ برئيس عصابتنا رودلف

فردريك : وما يمنعنا عن مقابلته ومخاطبته بشأننا . املنا نُنزل آمالنا منه منزل صدقٍ ونبغي حاجتنا من مَبغاتها

بياترو : وماذا تقولان له ؟

فردريك : نطلب اليه ان يتخذ عندنا صنيعةً ويقرّر المبلغ المطلوب لفدائنا

بياترو : لا بأس من الاتفاق معي . فانا مفوَّضٌ بهذا الامر

فردريك : اذًا مُرْ بما تشاء فلا نعصي لك امرًا

بياترو : تختلف الرسومُ باختلاف احوال الاشخاص هل تنتسبان لاحدى العشائر الكريمة . هل ابوكما من اصحاب الثروة ؟

فردريك : ننتمي لاشرف الأسر النمسية ووالدنا هو امثَلُ قومهِ

بياترو لذاته : ذلك يفوق ما كنّا نؤمّلهُ

بياترو للاثنين : يسرّني ان أحفظ شيئاً عن حقيقة والدكما

فردريك : ان والدنا هو صاحب القصر المجاور لهذه المغاور وما حواليه من الرياض الزاهرة والاملاك الواسعة

بياترو : لقد مرّ بسمعي الخبر عن هذا القصر . وهل انتما نجلا الامير صاحب القصر « فورتموله » ؟

فردريك : نحنُ ذانِ ولم يُدعَ والدُنا في الاصل امير فورتموله بل الامير لانسفلد وهذا هو اسمه الحقيقي والمعروف في ثيانة وانما اتخذ اسم فورتموله لغرض

بياترو : الامير لانسفلد لا غيره ؟

فردريك : الامير لانسفلد لا غيرهُ

بياترو لذاته : (وهو يجول في الملعب مفكرًا) لا يبعد ان يكون هو هو

وهذان الاسيران هما ولداهُ فردريك والفرد. وا حرَّ قلباه عليهما!

بياترو للاثنين : (بصوت متقطع وتظهر عليه امارات الكآبة والتأثير) لنا اذن فردريك والفرد نجلا الامير لانسفلد ؟ واحسرتاه عليكما!

فردريك : كأن قد ساءك ما كان من أمر أسرنا حتى تساقطت نفسك غمًّا ولهفاً على صغار مثلنا لم تتلطخ يدهم بوزر ولم يفكر قلبهم باثم!

بياترو : كيف لا يا ولديَّ العزيزين

فردريك : لقد عطفتك علينا رقةُ والدٍ فحننتَ وأبكيتنا وكيفَ العمل ؟

بياترو : فلنلق على الله همنا وهو يهتمُّ بشأننا

بياترو لذاته : ربَّاه لن مشاهدة نجلَيْ سيدي الامير اسيرين تمزّق كتائبَ صدري فأستسلم للشجون والعبرات وينكشف اذ ذاك امري. (يخرج من الملعب على عجل)

المشهد الخامس

فردريك . الفرد

الفرد : لقد أخذتني قشعريرةٌ من البرد. ما هذه الحال حالنا ؟

فردريك : حال تعاسة وشقاء. بغارة ينضُّ ماؤها من جهاتها الاربع لا ليُروي ظمأنا بل ليُعجّل ظمأ حياتنا. يا لله ما انكدَ حظّنا من الحياة. لقد فتكَ الاشرارُ بخدَمنا الامناء واقتادونا أسيرَين ولا ادري ماذا حلَّ بأمي. وا حرَّ قلباهُ عليكِ يا امي. (يقول هذا متباكياً)

الفرد : اخي زدتَني قلقاً. أو لم تسلَم والدتنا وخدَمنا من شرّ ليلة الامس؟

فردريك : كيف. وهل تجهل ما حدث لنا وقد كنتَ بيننا ؟

الفرد : كل ما اعلمهُ ان اللصوص احتاطوا مركبتنا وسط الغابة فهفا اذ ذاك فؤادي جزَعاً فانطرحتُ للحال بين ذراعي والدتي ولكنَّ يداً حديدية

اغتصبتني ولم استفقْ الّا وانا في هذا الكهف. ولم تتفتح عيناي الّا لتنظرا ما يحتاطنا من المناظر الهائلة

فردريك : ويا ليت لم تتفتحا

الفرد : وما عسى ان يحلّ بنا ؟

فردريك : وهل نعلم ما يخفيه علينا دهرنا ؟

الفرد : لله ما اشأم حظّنا

فردريك : انما لنا بقول أمنا «للصغار ملائكةٌ تعتني بهم» ما يخفّف همّنا

الفرد : (يجول في الملعب متأوهاً باكياً) ربّاه مَن يقيني او يكفيني شرّ آلامي غير امي ومن يمسح دمع عيني سوى امي

لا لا وربّكِ لم اشغل فؤاديَ في شيء على الارض الّا فيكِ يا أمي
فلو تريني بسجني هائماً وَجِلاً مستنظراً للردى لاوتمتِ من غمّي

فردريك : خفّض عليك الآن ولا تستسلمنْ الى الشجون. فانّ والدتنا لم تزل حيّة لأنّ احد خدّمنا الامناء انقذها من ايدي اللصوص وتواريا في الغاب مع بعض الحرّاس

الفرد : رباه كُنْ لأمي حارساً

فردريك : كلُّ امرٍ مباعدٍ او مدانٍ فمنوطٌ بحكمة المتعالي

الفرد : اخي ما ظنّك ؟ ألا يأتي والدنا ليفكّ اسرنا ؟

فردريك : لا يعتريني في ذلك شكٌّ. ولم يسكن القصر قريباً الّا ليقضي على الاشرار الذين يعيثون في الارض فساداً

الفرد : رباه حقق لوالدنا آمالهُ وانصرهُ على اعدائه وانتِ يا بتول لا تهملي عبيدكِ (فردريك والفرد ينشدان) :

ها نحن احقرُ البنينْ جئنا لديك طالبينْ
كوني لنا خير معينْ في سجننا بين اللئامْ

من عمق اعماق السجونْ ندعوك يا امّا حنونْ
رفقاً بنا لدى الشجون وبدّدي عنا السقامْ

عذراء يا ملجـا البشرْ ورجاؤهم وقت الخطرْ
لا تغمضي عنا النظرْ إيّاك ندعو للدوامْ

الفرد : لقد صدقتْ أمنا بقولها ان الصلوة هي سلاح الضعيف. لقد أزالت عن نفسي عناءها فثاب اليها نشاطها

فردريك : لا تخفْ. ان عين الله ترعانا. أو لم ترَ بياترو كيف رقّ لنا قلبهُ وعطف علينا لُبُّهُ

الفرد : وشدَّ ما كان تأثيري لدُنْ نظرت اليه وعيناهُ تترقرقان بالدموع. ولعمري ما الذي افاقهُ من غلظتهِ فألان لنا اعطافَ رحمته ؟

فردريك : هذا لما يبدو على وجوهنا من سيماء المسكنة والخشوع

الفرد : اجل ولم يقع نظري على مسكين الّا ويخشع له بصري

فردريك : ليس هولاء اللصوص كسا نسمع عنهم قُساةَ القلوب ذوي خشونة وجفاء. لعلَّ تعاسة حالنا تحنُّ قلوبهم وتلينُ زعيمهم رودلف علينا

الفرد : لا لا. ان اسم رودلف يزهق نفسي فلا استرسل اليه بالي ابدًا. أسفاهُ لقد أودت بنا الاقدار ولا امل لنا بالحياة بعدُ

فردريك : اخي لقد اتيتَ ما يخالفُ الظنَّ بك. اين احكامنا نحن من احكام عناية الربّ بنا ؟

الفرد : نعم نعم للعناية احكام لا ندركها نحن فلنخضع لها صاغرين وليس امامنا الّا الصلوة فهي الباب الامين والملجأ الحصين. (يركع فردريك والفرد يصلّيان)

ربّاه نتوسل اليك من اعماق شقائنا بان ترحم ضعفنا. وتشفق على مسكنتنا. واما انتِ يا مريم ام يسوع وامنا اليك نصرخ كلنا... (ثم ينتهضان وينشدان النشيد السابق).

ها نحن احقر البنينْ جئنا لديك طالبينْ

المشهد السادس

بياترو . فردريك . الفرد

بياترو : (يدخل وهما يصليان)

. . . لذاته : ما اجمل مشهدهما يصليان . وا لهف قلبي على نفسي لقد طالما صليت وانا صغير ولكن بعد انضمامي لشراذم اللصوص لم تخطر الصلوة ببالي قط

. . . (ثم يلتفت الى الاسيرين ويقول لهما) : اعددتُ لكما مقاماً في المغارة المجاورة

فردريك : اعاننا الله على قضاء حقك من الشكر . فقد أبنتَ باشفاقك علينا عن دماثة اخلاقك وطيب اعراقك . فقل لنا عن الاسم الكريم لنرقمهُ على صفحات الذاكرة للمذاكرة بجميل آثارك وحسن صنيعك

بياترو : لم آتِ امراً يستحق الذكر . اما اسمي فلا حاجة لكما به فهو مخيف هائل . بياترو اللص

فردريك : اتذكرُ ان احد خدمنا فيما مضى كان يدعى باسم بياترو وكان هذا الامين يختصُّنا بمحبته وعنايته كما اختصصتنا انت بولائك

بياترو : أخلدا اليَّ بثقتكما فاني اجهد النفس بسبيل خدمتكما . ولكن قصّا عليَّ كيف توصل الزملاء لالقاء القبض عليكما ؟

فردريك : هل تجهل ذلك وانت من خاصتهم ؟

بياترو : لم اكن في غزوة الامس

فردريك : ان ابانا كان قد ترك من مدة ثلاثة اشهر البلاط الملكي في النمسة وأتى وسكن قصرهُ المجاور بجبال الالب . فلم نكن نحن نقوى صبراً على بعادهِ عنا فاردنا اللحاق به مع امنا . فركبنا مركبة يقوم بحراستها ١٢ فارساً من اشدّاء قومهم فضللنا الطريق او عن جهل السائق او عن تعمّده . وتوغلنا باحدى الغابات الكثيفة والليلة حالكة الادهم . وبينا نهمُّ بالنكوص الى الوراء واذا زمرةٌ من اللصوص طوّقتنا والقت القبض عليَّ وعلى اخي . وما بقي فلا يخفى عليك تحصيله

بياترو : يا للاسف !

فردريك : هل يتعذّر عليك ان تخابر والدنا بشأننا

بياترو : امرٌ لا آمن مغبّتهُ . ولو علمتما اسرار جماعة اللصوص وتعهُّداتهم لَما كلّفتماني هذا الامر الشاقّ الذي اعالج فيه شدّةً ونصَباً . يزعم الخارجون عنّا انا مرتبطون برباط المحبة . ولكن هل توجد محبة حقيقية ثابتة راسخة بين اللصوص والمحبة هي فضيلة الهية ؟ نحن هنا بحالة خوفٍ دائم من واشٍ بيننا يشي او راصدٍ يترصدنا وهل سلام لمثلنا لصوصاً ؟ ولو وقع الزعيم على كتابة موقّعة مني بخصوصكما لَحُكم علينا جميعنا بالموت قتلاً

فردريك : اذاً كيف العمل ؟

الفرد : ما ادراك ما يكون سرور والدينا لو علما انا لم نزل حيّين . وان من يعتني بنا هو سميُّ بياترو الامين

بياترو لذاته : لقد نفد صبري ووهى جلَدي . هل احمل نفسي على المكاره والمهالك واكتب لوالدهما ؟

(يرفع صوته ويلتفت اليهما) :

ابذل مساعيَ في الامر

(فردريك والفرد ياخذان يد بياترو ليقبّلاها قائلين له) :

— لقد ملكتنا بفضلك وقيّدتنا بنعمائك

بياترو : حاشاكما سيّدَي ان تدنّسا شفاهكما الطاهرتين بقبلة يد اثيمة . ادخلا الان هذا الكهف وسلّما الى الله امركما

(فردريك والفرد يخرجان)

المشهد السابع

بياترو لذاته

ليس بدعاً اذا طرقتُ رأسي خجلاً او تمنّيتُ لو ساخت بي الارض حياء . فبئس الايام التي صرفتها بالخلاعة والفجور بعد مغادرة قصر الامير . ها هما ذانِ ولذام اللذان تكلّفتُ امرَ تربيتهما . لم اقف عند حدّ نكراني الجميل بل اضفتُ اثماً على إثم باختلاسي من صندوقه عشرة الاف فلورين ونيّفاً . لقد كنتُ اظنني سعيداً بالحصول على المبلغ

الذكور . ولكن ساء ما كنت اتوهمهُ فقد فقدتهُ من حيث لا ادري . ها ست سنوات خلَت وانا بمعالجة نزع الحياة . اضطرابٌ من داخل . خوف من خارج لا راحة لي ولا سلام . لا يقف نظري الّا على اشباح هائلة ومناظر مرعبة . لا يمرُّ بسمعي الّا احاديث السفاهة والمجون . أتنقّل من كهف الى كهف ومن سرداب الى آخر كوحشٍ ضارٍ تستّرًا من العيون . فلا كنتُ ولا كان يومٌ ولدتُ فيهِ . هو الزمن الآن لأستفيق من سكرتي واتوب الى الله . فأول امر اوجّه اليهِ عزيمتي هو انقاذ ولدَي سيدي الامير . يا الهي بارك مقاصدي اعضدني بيمينك القادرة لابلغ ما في نفسي من امر هذين الولدين

المشهد الثامن

بياترو . رودلف

رودلف : ما وراءك من الجديد المهمّ ايها الشجاع ؟

بياترو : لا جديد عندي سوى امر الاسيرَين فلم استطع الوقوف على معرفة عشيرتهما . (متجاهلًا)

رودلف : هما ولدا الامير صاحب القصر فورتمواه . ان هذا الفتىَّ المتغطرس سيغدو امامي ناكس الطرْف ذليلًا

بياترو : وما يكون من امرهِ ؟

رودلف : ان هذا الاحمق جاء وسكن القصر المنوّه به مع بعض الصعاليك من رجالهِ وبنفسهِ ما بها من الفتك بنا . وقد فاتت سخيف العقل هذا معرفةُ ما نحن عليهِ هنا من المتعة والقوة . ولم يدرِ هذا الغرُّ ان رودلف بقوة ساعده ورباطة جأشهِ وبسالة جنده يحطّم الرؤوس ويرغم الانوف . يُخضع الرقاب قبل الركاب (بحدّة وصلف)

بياترو لذاتهِ : لقد عرفهما ولم تكن تخفى عليه خافية

بياترو لرودلف : شأنك والاسيرين ؟

رودلف : حافظْ عليهما

بياترو : والفائدة منهما ؟

رودلف : مثلُ زعيم العصابة كمثل الصيّاد الذي يلتقط من الطيور صغارها

ليصطاد بها كبارها . وصاحب القصر قد أدّت به قحتهُ على التطاول علينا والغدر بنا . فنحن على اهبة لنلقي عليه آخر امثولة تذيقهُ وبال تعريطهِ

بياترو لذاته : رأيٌ قطيرٌ . لو علمَ الزعيمُ من هو الامير صاحب القصر لاقلع عن كبرهِ وخفض جناح عجبهِ

بياترو لرودلف : هل صممتَ على الامر ؟

رودلف : بعزمٍ راسخ . ولئلّا يداهمنا العدو بكرةً على حين غرةٍ أرسل يا بياترو ستارنو الى فورتمرله ليتصفّح القوم ويتجسّس اخبارهم وليسرع في عودته الينا . ففي الليلة البارحة تعهدتُ بنظري اناساً يتجسّسون حول اماكننا فرابني امرهم . اودّعك الآن فاني اشعر في نفسي فترةً وفي جسمي وهناً (يخرج من الملعب)

المشهد التاسع

بياترو لذاته

اكرم بها فرصةً تمكنني من تبشير الامير بوجود ولديهِ اسيري عصابتنا . والطريقة المثلى التي تبرّرني من وصمة الخيانة هي أن ابيّن له كيفيّة إنقاذهما اي بأن يوافيني في الليلة القادمة الى طرف الغابة الشمالية لاسلّمه ولديه . هذا ما يمليهِ عليّ وجداني ويوحيهِ اليّ ضميري . (يصفر داعياً ستارنو)

المشهد العاشر

بياترو . ستارنو

ستارنو : مولاي

بياترو : ينبغي ان تذهب الى فورتمرله بناء على امر الزعيم . امض الآن واعدّ لك ما يحتاج اليه سفرك ثم ارجع اليّ لابلغك الاوامر بشأن مهمتك . ولئلا يداخل القوم من امرك ريبةٌ اتخذ لك شعار راهبٍ من رهبان تورينو الذين يتعيّشون بما يتكرّم عليهم المحسنون فيأنس الشعب بك ويُطلعك على دخائلهِ

ستارنو : أمرُكَ وكرامة (يخرج ستارنو)

المشهد الحادي عشر

بياترو

بياترو لذاته : أأحمل نفسي على الخطر واكتب للامير بخصوص ولديه. وكيف العمل لو انكشف امري لدى الزعيم ؟ (يجول في الملعب متفكرًا ثم يستأنف القول بحدّة)

لا بدَّ من الكتابة للامير كيفما كان الامر

(ثم يجلس قرب طاولة ويشرع في كتابة الرسالة وبعد انجازها يضعها في ظرف ويختمه بطابعه)

المشهد الثاني عشر

بياترو . ستارنو بلبس راهب

بياترو : (يدعو ستارنو . اي يصفر له)

ستارنو : مولاي . طوع يديك

بياترو : اسرع السير الى فورتوله فان خطرًا قريباً يتهددنا . اندسَّ بين العامّة والخاصة واستبطن كنه القوم وما يُضمرون . ان الزعيم يثق بك

ستارنو : كن آمن البال فانا حجّة بهذا الامر . وقد انتهت اليَّ الرئاسة في تنذُّس الاخبار وترصُّدها . أواهُ لو كنت تعلم عظم المنزلة التي اشغلها في قلوب اهل ذلك الحمى

بياترو : إذن سبقتْ لك بالقوم معرفةٌ ؟

ستارنو : قتلتُهم علماً

بياترو : هوذا كتاب باسم الامير سلّمهُ اياهُ يدًا بيد

ستارنو : يصلهُ هذا الصباح

بياترو : سرٌّ أودعهُ خزائن صدرك

ستارنو : كن هادئ البال . لا ينالهُ متسقّطٌ

بياترو : لا تطالبهُ بالجواب

ستارنو : لك في الامر رأيك

بياترو : هل تحسن القراءة او الكتابة

ستارنو : كلّا لم ادرس على معلم ولم ادخل مدرسة

بياترو لذاته : هذا ما كنت ارغبه . فقد تحقّق لي الامل

ستارنو : صحبتك السلامة

ستارنو : الى اللقاء سيدي (يخرج من الملهى)

المشهد الثالث عشر

بياترو لذاته

بياترو لذاته : هل انا في مأمن من شرّه؟ لقد اسرعتُ وتمنّتُ بسرّي لهذا الرجل . ما العمل لو اطّلع احدٌ على الرسالة . غير ان الجميع الان غارقون بسُبات عميق . ومن جهة اخرى انني بالرجل الثقة . . . ولكنهُ اص أوتصدّقُ طويّتهُ او تسلمُ نيّتهُ ؟ فالامر يبين ان الرسالة الى مدخل الكهف فيطمئن الي (يخرج من الملعب ويرخى الستار)

(لها بقية)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الحقبة الثانية من القرن العشرين (١٩٠٨—١٩١٨)

استدراك

فاتنا ان نذكر بين المتوفّين من نصارى الشام في هذه الحقبة الثانية بعض الادباء المعدودين فها نحن نخصّ بهم الاسطر الآتية :

توفي قبل الحرب الكونيَّة في ٢٧ شباط ١٩١٢ في دار مطرانيَّة الروم الارثوذكس في زحلة الاستاذ الدمشقي ﴿ جرجس مرقس ﴾ رحل الى روسيَّة فحلَّ في عاصمتها موسكو ضيفاً كريماً . فعرفت الدولة فضلهُ وانتدبتهُ الى تعليم اللغات الشرقيَّة في جامعتها فلبَّى طلبتها واصاب هناك سمعةً طيبة وثبت في منصبهِ ٢٥ سنة ونشر في مجلَّات روسيَّة مقالات عديدة في الامور الكنائسيَّة الشرقيَّة وخدم الكنيسة الاورثذكسيَّة بمماكسة اخويَّة القبر المقدَّس اليونانيَّة وكان ساعياً في نشر رحلة البطريرك مكاريوس زعيم الحلبي الى روسيَّة . وقد اثابتهُ الدولة الروسيَّة بمنحهِ رتبة جنرال مع عدَّة اوسمة شرفيَّة

وفي الشهر التابع لدخول تركيا في الحرب في ٢٧ ك ١ سنة ١٩١٤ فقد الوطن احد رجالهِ المعدودين ﴿ تامر بك ملاط ﴾ ولد سنة ١٨٥٦ في بعبدا وتلقَّى العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا الاكليريكيَّة فأتقن علومها الدينيَّة والادبية حتى اللاهوت استعداداً لقبول الدرجة الكهنوتيَّة وتعلم اللغة السريانية فبرع فيها . ثمَّ عدل عن الكهنوت الى التعليم في مدارس لبنان وبعد مدَّة انتظم في سلك اساتذة مدرسة الحكمة في بيروت وعكف على درس الفقه فانتدبتهُ الحكومة اللبنانيَّة الى خدمتها فخدمها في عدَّة وظائف في محاكم كسروان وزحلة والشوف في عهد متصرفي لبنان واصا باشا ونعُوم ومظفر الى ان اعتزل الاشغال وأُصيب بمرض طويل انتهى بوفاتهِ . وكان تامر بك كاتباً مجيداً وشاعراً مطبوعاً نشر شقيقهُ شبلي بك ديوانهُ سنة ١٩٢٥ فقدَّمهُ على ديوانه الخاصّ . وفيهِ عدَّة قصائد تشهد لهُ بجودة القريحة . وقد استحسنَّا لهُ قولهُ في الزهد :

واللبيبُ اللبيب من خاف يوماً . واتقى الله في جميل الفعالِ
واتحى توبةً اذا ظنَّ يرجو في زوال الحياةِ حسن المآلِ

وفي معظم جلبة الحرب العموميَّة ودَّع الحياة احد وجوه نصارى بيروت الطيِّب الذكر ﴿ المركيز موسى دي فريج ﴾ توفاهُ الله في ١٧ ايَّار ١٩١٦ . درس في مدرسة اليسوعيين في غزير اللغات ومبادئ العلوم ثمَّ تعاطى التجارة وحصل على ثروة واسعة وكان من انصار الآداب والعلم مع تأصلهِ في روح الدين . عدَّتهُ الجمعية العلميَّة السورية المنشأة في اواسط القرن التاسع كاحد اركانها . لهُ في نشرتها المطبوعة خطب وقصائد ومقالات ادبية

وفي العام التالي في ٨ تشرين الاوّل ١٩١٧ خسر العراق احد كهنته الافاضل المعروفين بنشاطهم في خدمة التاريخ والعلوم الدينية ﴿القس بطرس نصري الكلداني﴾ الذي سبقت ترجمته في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٦٥٧ــ٦٦٠) كان مولده في الموصل سنة ١٨٦١ وتخرّج تحت نظارة ارباب طائفته ثم في مدرسة افتشار الايمان في رومية . ولما رجع الى الموصل تخصّص خير مواطنيه بكلّ الخدم الكهنوتية ولاسيما بالتعليم والتأليف فدرّس العلوم الدينيّة العليا في المدرسة البطريركيّة الاكليريكيّة وصنّف كتباً عديدة في اللاهوت والفلسفة والتاريخ تجد جدولها في آخر ترجمته

وممّن كان حقّهم ان يُذكَروا في هذه الحقبة الثانية من القرن العشرين فذكرناهم سابقاً في عداد ذوي القرن التاسع عشر ﴿المعلّم سعد العضيمي﴾ نشر سنة ١٨٧٢ ديواناً مدح فيه اعيان ذلك الزمان وذكر حوادثه فنقلنا قطعاً عنهُ في الطبعة الاولى من الآداب العربية في القرن التاسع عشر (ص ٥٠ــ٥١) وقد عاش زمناً طويلاً حتى بلغ العشر الثاني من القرن العشرين

القسم الثالث

الآداب العربية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٦

البحث الاول

نظر عامّ في الآداب العربية بعد الحرب الكونية

كان وداعنا للحقبة الثانية من الربع الاوّل من القرن العشرين وداعاً مبلولاً بدموع الحزن والكآبة بعد ان افتتحناها بالسرور والبهجة . كيف لا وقد حلّت تلك الداهية الدهياء اي الحرب الكونية التي كانت اشبه بصاعقة هائلة دوت في جوّ صافٍ لا

يحسب حسابها منتظر . على انَّ الصواعق اذا أرعدت وأرعبت وتفجَّرت لا تلبث ان تهدأ زمجرتها ويسكت هزيمُ رعدها وتنكشف سحب سمائها المتلبدة . وهكذا كان امل الشعوب يتكهَّنون بقصر مدة الحرب مع ما لدى الدول من الاسلحة الحديثة التي من شأنها ان تجلب دمارًا واسعاً باسرع وقت . وما أخيب ما كان ذاك الامل فطالت الحرب ونشرت الهلاك في معظم اصقاع المعمور ولم ينجُ من اضرارها ذات البلاد التي لم تَخُض عبابَها فأصيبت برجع صداها المؤلم

وما عسى ان يكون مع اهوال الحرب سهم الآداب . وهل يُسمع صرير الاقلام عند صلصلة السيوف او يُصغى الى صوت البلغاء مع دويّ المدافع حين يكون «السيف اصدق انباء من الكتب» ؟

فان كانت الحرب اصابت ببلاياها انحاء المعمور فهل كان من امل ان تنجو من تيارها الآداب عموماً والآداب العربية خصوصاً وهي مع سعتها لم تبلغ مبلغ الآداب الاوربية التي بكت على ألوف من نوابغ علمائها وأُصيبت ايضاً بمصاب أليم

وقد تراكمت ويلات الحرب على البلاد الناطقة بالضاد لاسيما الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية من جزيرة العرب الى حدود القفقاز ومن بحر الشام الى العجم . فأُقفلت معظم المطابع وأُوقفت المجلات وأُلغيت الجرائد إلَّا ما ندر منها وكان اصحابها مستعبدين للتركية . وقُتل او نُفي كثيرون من الادباء

على انَّ هذه الحالة الحرجة لم تقتل الآداب العربية تماماً وقد ذكرت مجلة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٤٨١ــ٤٨٦) مطبوعات قليلة صدرت في ايام الحرب اخصُّها كتاب لبنان الذي عُنينا بنشره مع بعض اهل العلم الاختصاصيين (المشرق ١٨ : ٧٣ــ٧٤) . ونشر في دمشق جناب السيد كرد علي في مجلة المقتبس آثارًا عربية قديمة وكذلك الشيخ عبد القادر بدران نشر جزءين من تاريخ دمشق لابن عساكر

اما مصر فلم تخمد فيها الحركة الفكريَّة في تلك السنين الصعبة فاستفادت الاداب العربية ممَّا نُشر فيها من التآليف الجليلة القديمة كصبح الاعشى للقلقشندي في عدَّة اجزاء والخصائص لابن جنّي وديوان ابن الدُّمَيْنَه والمكافأة لابن الداية والاعتصام للشاطبيّ وكتاب الاصنام لابن الكلبي . ولدار الكتب الخديويَّة في هذه المطبوعات

فضلٌ كبير . ونشر ادباء الاقباط خطباً ومياءر بيعيَّة لابن العسال ولابن البركات ابن كبر

ومن التآليف المستحدثة المنشورة في ذلك الوقت تاريخ سينا القديم والحديث لتعوم بسك شقير وديوان حليم حلمي المصري وكتاب سياحتي الى الحجاز وتاريخ الآداب العربية لاحد اخوة المدارس المسيحية وكتب أُخرى وقفنا عليها فوصفناها في مقالتنا «الاداب العربية منذ نشوب الحرب العمومية» وذكرنا ايضاً هناك بعض المطبوعات الشرقية التي تولى نشرها المستشرقون (راجع المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٤٨٧ــ٤٩٤)

وفي خريف السنة ١٩١٨ انقشعت عن ساحات الحرب تلك الظلمات بانتصار الدول المتحالفة فأتى وقت الاصلاح وليس الاصلاح كالخراب فانَّهُ لا يتمُّ إلَّا بزمن طويل ونفقات باهظة ورجال ذوي همة قعساء

على انَّ دولتي فرنسة وانكلترا اللتين فُوِّض اليها الانتداب على البلاد العربية لم تضنَّا باموالها وتنشيطها على الاهلين ليسدُّوا تلك الثلمة الواسعة ويردُّوا للبلاد شرفها السابق . وكان كثيرون من الناشئة قد صدأت اقلامهم وفشلت قواهم لكسود سوق الآداب فنهضوا بهمَّة جديدة لخدمة مواطنيهم فمنهم من تولى التدريس في المدارس العمومية ومنهم من فتح المطابع الجديدة وانشأ المجلَّات والجرائد حتى بلغت بعد حين عدداً لم تبلغهُ في الازمنة السابقة للحرب ويا ليتها كلُّها كانت صادقة الخدمة معتدلة اللهجة متقنة للكتابة

وكان اوَّل من استأنف العمل لخدمة العلوم والآداب اصحاب المطبعة الكاثوليكية التي كان الاتراك مع حالفيهم الالمان ضربوها ضربةً كادت تكون قاضيةً عليها فنُقلت ادواتها الى دمشق ولبنان ونُهبت حروفها ونقوشها وورقها وكتبها بل نُزعت حجارة ارضها فقُضي على اصحابها ان يصرفوا اشهرًا طويلة ومبالغ وافرة ليتداركوا ذلك الخلل ويعودوا الى نشر مطبوعاتهم المشهود لها بألسن الوطنيين والاجانب .

فهذه ثماني سنوات منذ منَّ الله بالفرج على عباده وانقذنا من تلك النكبة الهائلة التي حوَّلت الارض الى منقع من الدم . فيحسن بنا ان نسرح النظر في احوال آدابنا

العربية لترى ما افضت اليه امورها من ترقٍّ مرغوب او تقهقر مرهوب لاسيما في الشرق الادنى محور الشعوب الناطقة بالضاد

وما لا يُنكر انَّ هذه البلاد قد حصلت في هذه الحقبة الثالثة على حرّية لم تعهدها سابقاً في زمن الاتراك فانَّ الدولة الافرنسيَّة والانكليزية اطلقتا الحرّية التامة للطباعة ولم تدّخرا وسعاً في تنشيط الآداب والعلوم لم تستثنيا من ذلك سوى بعض الكتابات السياسيَّة المتطرّفة دفعاً لاضرارها . ولو لم تحصل عاصمتنا بيروت من فضل فرنسة على غير مكتبتها العمومية وهي اوّل مكتبة من جنسها لوجب علينا شكرها

فاذا نتج لخدمة الآداب العربية من الفوائد بعد الحصول على هذه الحرية مع كثرة الكتبة المتخرّجين في المدارس ؟ فاين الجمعيات الادبية الراقية ؟ واين الشركات المؤلفة لتنشيط الاداب ولطبع التآليف الممتازة ولمجازاة اصحابها ؟ واين المصنّفات التي تباري المصنّفات الاوربية صورةً ومعنًى لترجع اليها في العلوم العصريَّة فتغنينا عن الالتجاء الى اللغات الاجنبية ؟

وكم نرى في المنشورات فصولاً تساق بالاجانب . يتبجّح اصحابها بالقي الشرقية ونحن مديونون لهم بالاجانب في سائر امورنا من مشاريع عمومية وخصوصية واعمال كلها يعود انشاؤها الى همتهم . وان قصرنا النظر على لغتنا فاننا لا نرى فيها من الادب ما كان يؤمَّل من الزاولين لها المجتهدين في تعزيزها

وكان معظم ما يصرفهُ الكتبة من القوى في ذلك يبرز في المجلّات والجرائد . فاما الجرائد فلتسرُّع الكتبة في انشائها فلّما تصلح لان تُتَّخذ مثالاً وقدوةً للفصاحة بليغة راقية اللهمَّ إلّا القليل الزهيد منها وذلك في بعض فصولها المحرَّرة بعد نضج الفكر واختمار الذهن

واما المجلّات فكثيراً ما تأخذ موادّها عن المنشورات الاوربية فيُشتمُّ منها رائحة الغرابة ويُستشفّ من وراء كتاباتها لوائح أصلها الاجنبيّ ما خلا البعض منها التي لا تتجاوز عدد الانامل

اما المطبوعات المنفردة فانَّ التسعين في المئة منها روايات يغلب عليها الغرام معرَّبة عن الروايات الاوربية القليلة الجدوى الشائنة للاداب . وقد راقنا منها بعض روايات اخلاقية وصف فيها أصحابها العادات المألوفة بين العامَّة لاسيما في مصر

اما الكتب الادبية فكان للدين منها قسمة الضالع فأبرز المرسلون والرهبان الوطنيون والكهنة العالمون تآليف حسنة منها لاهوتية وفلسفية ومنها روحية وزهدية ومنها تراجم ابرار وصالحين وقد وصفنا في كل اعداد المشرق منذ السنة ١٩٢٠ هذه المطبوعات وبيّنّا فضلها

ومما نُشر ايضاً كتب تهذيبية ومدرسية وانشائية وشعريّة لإفادة الاحداث في المدارس الوطنية ومطالعة الجمهور . والخلل في كثير منها ظاهر

ونُشرت ايضاً عدّة كتب تاريخية واجتماعية وسياحات ليس بينها إلّا النزر القليل ممّا لم يُنقل عن التواريخ الاجنبية كتواريخ الحرب الكونية وتواريخ بعض البلدان وكبار الرجال

وقد ظهرت في مصر بعض الآثار المطمورة في زوايا النسيان كتاريخ النويري «نهاية الارب في فنون الادب» وكتاب «التاج للجاحظ» و«زهرة الآداب للحصري» المطبوع سابقاً على هامش العقد الفريد و«مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري» و«ديوان مهيار الديلمي»

ولم يحدّ المستشرقون عن فضلهم السابق في نشر الآثار الشرقية واتقانهم لطبعها وتزيينها بكل المعلومات المفيدة والفهارس الواسعة . فممّا صدر منها في مطبعتنا الكاثوليكية نقائض الاخطل وجرير وشرح ديوان المفضّليات للضبّي وديواني عمرو بن كلثوم والحارث بن الحلزة وكتاب المأثور لابي العميثل

وظهرت في جهات اوربّة من آثار الجاحظ كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري وكتاب صورة الارض لابي جعفر محمّد بن موسى وديوان ابي ذؤيب . وشرح ديواني علقمة الفحل وعروة ابن الورد للشنتمري واقسام جديدة من النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي ومن معجم الادباء لياقوت وغير ذلك ممّا يجعل للاوربيين قصبة السباق في نشر الآثار العربية

وممّا امتازت به هذه الحقبة الاخيرة سعي بعض الكتبة الى انتقاد المطبوعات النثريّة والشعريّة كمحمّد عباس العقّاد وكزكي مبارك وزكي ابي شادي وحسن صالح الجدّاوي والاب انستاس الكرملي وقسطاكي حمصي . . وانّما نودّ ان يكون هذا الانتقاد برواقٍ وهدوّ اظهاراً للحقّ لا تشفّياً من خصم او تحقيراً لاديب

ومن خصائص هذه الحقبة ايضاً اتساع فنّ الكتابة بين الاوانس وربّات الخدور فمنهنَّ من يتصدَّر للخطابة ويلقين المحاضرات او من ينشئن المجلّات وينشرن فصولاً في الجرائد والبعض منهنَّ يتظمن القصائد اللطيفة الرائقة لاسيما في الامور الخاصّة بالنساء وتدبير البيوت.

فهذه الامتيازات جعلت لحقبتنا الحاضرة مقاماً حسناً إلّا انّنا وجدنا ايضاً فيها ما يدعونا [illegible] من تقهقر لغتنا وانحطاطها فتلفت اليها حكماء قومنا

واوّل آفة على لغتنا الإكثار من الدخيل لاسيما اذا لم يُكسَ صورةً يأنس بها اللسان العربيّ . نعم لا تخلو اللغة العربية من الالفاظ الدخيلة حتى انَّ القرآن العربي نطق بها وانّما كان العرب يقرّبونها الى لغتهم ببعض التصرُّف في صورتها فيزول شيء من غرابتها وخشونتها

وكذلك التعابير الاجنبيَّة زاد استعمالها لشيوع لغات الاجانب بيننا ولوفرة المترجمات عنها

وكما اثّرت تلك اللغات في العربية الفصحى كذلك اللهجات العامية اخذت تسطو على اللغة البليغة فتمسخ صورتها البهية . ومن العجب انَّ بعض المثقفين الحديثين ينشرون مقالات لترويج اللغات العامية زعمهم انَّ تلك اللهجات اقرب الى فهم الجمهور وأدعى الى نشر العلوم العصريَّة وهو فكرٌ غريب لا يخطر لاحد من العقلاء على بال وقد سبق لنا في ذلك مقال طويل بيّنا فيه العواقب السيّئة التي تحصل بذلك فتطمس جمال لغة اجدادنا وتبسط الفوضى بين الكتّاب وتبثّ بين البلاد العربية روح النفور والاستبداد اذ لم يبق بيننا وبينها رابط يجمعنا لما في كل لهجة من الاختلاف والتباين

واخذ غيرهم يتصرَّفون ايضاً بالبحور الشعرية تصرّفاً زائداً نزع عنها رونقها ومسحة جمالها وكادت تشبه النثر كما فعل اصحاب النثر الشعريّ فجاءت كتاباتهم لا [illegible] نثراً ولا شعراً ليس لها من العربية الا الفاظها وقشرتها دون لبابها وجوهرها

(لها بقية)

زاهية او ضحيَّة الأَزياء (المودا)

رواية تاريخيَّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

١ على فراش الوجع

اخبر الثقة احد رجال الاكليروس المتبرين قال : دُعيتُ في منتصف ليلةٍ من شتاء سنة ١٩٢٠ وانا خادم رعيَّة في بعض احياء بيروت لأعود فتاةً قيل لي انها مصابة بداء عياء لا ترضى بعلاج وتأبى كلَّ تعزيةٍ قاطعةً الامل من الحياة

فنهضتُ مسرعاً وصليت الى الله ليرشدني الى تدبير هذه النفس وسلوانها . ثمَّ سرتُ الى حيث دعاني الدليل فدخلتُ حيًّا ذا لَيّاتٍ ومعارج حتى بلغت دارًا في وسط حديقةٍ صغيرة بازائها بيت ذو طابقين كانت المريضة في طابقهِ الاعلى

فصعدتُ اليهِ واذا امامي غرفتان متوازيتان كانت الفتاة في غرفة اليمين . فلمّا دخلت بابها الواطئ وجدتُ المكان مظلماً فاسد الهواء وفي زاويةٍ فتاةً تناهز العشرين من عمرها مضجعة على فراشٍ بالٍ ممدود على الواح بسيطة لاصقة بالارض وحولها بعض النساء من معارفها . فتقدَّمت اليها قليلًا فوجدتها شاحبة اللون غائرة العينين في حجاجها يستر جسمها دِثارٌ خفيف بالٍ وكان تلوح من ملامحها علامات الضجر والسأم وقد انهكتها الحمّى فهي تئنّ وتشكو حالها وكاد السعال يخنقها فيُرى صدرُها في صعود وهبوط كأنَّهُ منفاخ الكور

فلما وقع نظرُها عليَّ بدت في وجهها امارات الاشمئزاز كانها لقيت شخصاً مكروهاً فحوَّلت نظرها الى الحائط لئلا تبصرني

فسألتُ عن احوالها فاجابت احدى النساء انها غريبة واتت المدينة منذ ثلثة اشهر تدور في البلد فاجرَت هذه الغرفة وكثيرًا ما تغيب عنها حتى أُصيبت بدائها منذ خمسة عشر يوماً

فتقرَّبت منها ودعوتها باسمها بكل لطف : فلم تُجب إلَّا بالنفور والتدمدم فسألتها أهي في حاجة الى شيء او يمكنني ان اخدمها خدمةً ما روحية او جسدية؟ فقالت : لا لستُ محتاجة الى شيء فدَعني وشأني

— ما لكِ تنفرين هكذا؟ قد اتيتكِ بصفة صديق. انا كاهن الله لا اريد الّا خيرك. ألكِ احد من اهلكِ لأُعلمهُ بامركِ؟ وهل ابوكِ حيّ؟

قالت: لا قد مات وانا صغيرة السن

— وامّك ان كانت حيّة تُرزَق انا اكتب اليها

— لا تذكر لي يا ابتِ تلك الام بل تلك العجوز بل الذئبة المستقبحة فانها هي سبب كل شقائي

قلتُ: او تنسين انها هي علة وجودك؟

— بل قل انها علة تعاستي. جازاها الله على سوء صنيعها معي

سكتُّ ورأيت من هياج المريضة ما خفتُ ان يتفاقم ويزيدها ألماً وعرفت انّ لها قصّة مزعجة تحيك في صدرها وتنخر قلبها فدعوتُها الى السكينة والهدوء. ثمّ جثوت على ركبتي لاصلّي لاجلها وبقيتُ حيناً التمس من الله أن يحنّ على هذه الفتاة ويمنحها الشفاء. وعلى الاقلّ راحة الضمير وطمأنينة القلب

فلمّا رأتني جاثياً على الحضيض رقّ قلبها وصرخت: ما لي اراك يا ابتِ خررت [illegible]

قلتُ: في اعمالي لاجلكِ واطلب من [illegible] ان يعيد [illegible] نفسك

قالت: قد فقدتها جميعاً ولا امل لي بالحصول عليها. وقد استعملت [illegible] الحياة أريد إلّا ان ينقطع حبلها لانجو من بلائها

— بل اني اؤمّل انا بان تحظَي بها كليها ان شاء الله. واراكِ في هذه الغرفة تحتاجين الى ادوية وخدَم لا يمكنكِ ان تنالها في هذه العزلة فسأسعى لدى رئيسة الراهبات في المستشفى الكبير كي تقبلكِ لوجه الله في جملة المريضات

— اني اشكرك يا ابتِ على لطفك لكني افضّل ان ابقى هنا فاودّع عما قليل هذه الحياة التي ما ذقتُ فيها طعم السلام

قلت: ثقي يا ابنتي فلعلّ الله دعاني اليكِ لاكون لك رسول هذا السلام المفقود. فسلّمتُ عليها وخرجت متأثراً من حالة تلك الآنسة المسكينة طالباً من الله ان يضمد جراح قلبها بمرهم الايمان والرجاء

٢ في المستشفى

ولما كان صباح النهار اسرعتُ الى المستشفى وواجهت رئيستهُ الجليلة فأخبرتها

بحالة الفتاة فشفقت عليها واذ كانت اسرّة المرضى في الحجرة الكبرى كلّها مشغولة ارادت ان تخصّها بغرفة صغيرة لتُعنى بامرها

عدتُ الى زاهية في عصر النهار فوجدتها مضطربة كاسفة البال فلم ازل الحّ عليها بالخروج من منزلها حتى اقنعتها بان تُنقل في عربة الى المستشفى حيث استقبلتها الرئيسة والراهبات بما يعرفهُ الجميع من لطفهنّ

***

كانت الايام الاولى التي قضتها زاهية في المستشفى مختصة بفحص مرضها وتشخيص دائها. فوجد الطبيب انّ تلك المسكينة قد بلغت من الهُزال وضعف القوى ونوبات الحمّى ما يُرتاب في شفائها وامّا تبارح الحياة بعد زمن قليل

فكنتُ ازورها من وقتٍ الى آخر لاستخبر عن احوالها وادخل فاراها قلقةً لا يطمئن لها بال فترتاح الى منظري وكنتُ اجتهد بان اوحي اليها بالافكار الدينية لأنزع من قلبها شوكةً تدميهِ ثمّ انشدتُها الله ان تفتح قلبها لرحمتهِ تعالى فتكشف مكنونات صدرها لاحد الاطباء الروحيين فقلتُ لها: كأني اراك تكتمين في صدرك داء دفيناً لعلّهُ هو الذي يكلمُ قلبك ويفقدك ما تحتاجين اليهِ من الهدوء لنيل عافيتك

— أجل يا ابتِ إلّا انّ قصتي طويلة مخجلة ما كنت لاكشفها لانسان لولا ان لطفك وحنانك عليّ يدفعاني الى أن أقرّ بها علانيةً فتكون قصّتي عبرةً لغيري من الفتيات الجاهلات

قلتُ: او ترضين ان يعلم بها غيري؟

قالت: نعم. فلعلهنّ اذا رأين عاقبة ضلالي يرتشدن بمثلي فينتج من الشرّ بعض الخير واكفّر عن ذنوبي ويرحمني الله اذا صلّين لاجلي

قلت: حسبكِ اليوم ما حدثتِ بهِ فاني اخاف عليك ان يزعجك طول الحديث فان شاء الله تنزعين عن قلبك هذه الهموم في يوم آخر. ثمّ ودّعتها بعد ان اوصيتها ان ترفع نظرها الى الله لتطلب من مراحمهِ ان يغفر لها ما فرط منها فتجلب عليها بتواضعها رحمتهُ تعالى الذي لا يُريد سوى رجوع الخطأة الى جادّة الخير والتوبة النصوح

(لها تابع)

مطبوعات شرقية جديدة

P. Téqui, libraire-éditeur, 82, rue Bonaparte, Paris, En vente à la libraire Chéhab, à Beyrouth. I. Pichenot (Mgr) arch. de Chambéry: L'Evangile de l'Eucharistie, *in*-12, *pp.* XLIII-101, 10 f.,—II. Garriguet (Abbé L.): Les deux grandes dévotions de l'heure présente: L'Eucharistie et le Sacré-Cœur, *in*-12, 5 f.—III. Lépidi (Rmo P. Al.): Explication dogmatique sur le Culte du Cœur eucharistique de Jésus, *Prix*, 2 f., 30. — IV. J. Kœnig (abbé) : Nouveau mois du Sacré-Cœur d'après l'Evangile, *in*-32, *p.* 253, 1 f.—V. La Fête et la Messe de J.-C. Roi par un Professeur de séminaire *in*-12., 6 f.,—VI. E. Duplessy (Chanoine): Retraite de 1re Communion solennelle. *in*-12, 7 f. 50—VII Dr A. Marchand: Les Faits de Lourdes, Nouvelles Guérisons (1922-1925), *in*-12, 12 f.—VIII. G. Guibert : Les Petits Chinois, 2e éd. *in*-12, 2 f.

كتب نقوى وروحية حديثة

هذه ثمانية كتب ألفها بعض كبار الاكليروس الفرنساوي تُطلب من مكتبة الامير الفرد شهاب: (الاوّل) كتاب خطب لرئيس اساقفة شامبيري السيّد پيشنو بيّن فيها ما يتضمّنهُ الانجيل من التعاليم الراهنة عن سرّ القربان الاقدس وعن حياة السيّد المسيح السرّية على هياكلنا. وهذه الخطب عددها سبع عشرة. والكتاب (الثاني) للكاهن القانوني غاريغه ضمّنهُ خلاصة كتاب لاهوتي واسع صنّفهُ سابقاً عن سرّ القربان وعبادة قلب يسوع فوضعهُ على صورة بسيطة لافادة المؤمنين. والكتاب (الثالث) شرح اعتقادي لاهوتي عن عبادة قلب يسوع في سرّ محبّتهِ العظيم صنّفهُ احد المقدّمين في البلاط البابوي من الرهبان الدومنيكيين الاب لاپيدي. وهذه الطبعة ترجمة افرنسية للكتاب الاصلي عُني بها حضرة الاب هوغون (Ed. Hugon O. P.). والكتاب (الرابع) رياضات تقوية جديدة لشهر قلب يسوع في حزيران ألّفها الكاهن كرنيغ الشهير. و(الخامس) يبحث عن العيد المقام حديثاً لذكر السيد المسيح الملك

مع ما تعيّن له من الفرائض في الكنيسة وتفسيرها . والكتاب (السادس) للكاهن القانوني دوبلاسي يحتوي على ارشادات لإعداد الصغار للمناولة الاولى . و(السابع) كتاب مهم وضعهُ رئيس اللجنة الطبيّة في لورد وصف فيه ٢٤ شفاء عجيباً بشفاعة سيّدة لورد تحقّقها الاطبّاء واثبتوا انّ الادوية كلّها كانت عجزت عن ابرائهم . وهناك صور المرضى المذكورين . والكتاب (الثامن) الاخير هو قسم جديد لتأليف سابق وضعهُ حضرة الاب جيبرت اليسوعي فوصف اخلاق صغار الصينيين المتنصّرين حديثاً وعجائب الله في تقديس حياتهم ل . ش

Islamica : Vol. I, 4 et II, 1. Leipzig, Asia Major.

الاسلاميات

هذه مجلة جديدة باشر المستشرقون بنشرها منذ سنتين في اللغتين الالمانية والانكليزية تحت هذا العنوان اللاتيني . فما يحسن بنا ذكرهُ لفائدة قرائنا في ما بلغنا من اعدادها مقالةٌ واسعة للدكتور برونلخ (E. Bräunlich) بحث فيها عن الآبار والعيون في جزيرة العرب قبل الاسلام فراجع لذلك كل ما ورد في الآثار العربية القديمة . وقد خُصّ العدد الثاني من هذه المجلة لتذكار الاستاذ فيشر لبلوغهِ السنة الستين من عمره وبيان خدمه المشكورة في جانب اللغة العربية . ومما يتضمنهُ هذا العدد درسٌ خصوصي لامثال العرب الواردة على السنة الحيوانات ويُختم العدد ببحث للاستاذ بوهل (Fr. Buhl) حاول فيه فكّ هذا المشكل «هل اعتبر محمد نبيّ الاسلام دعوتهُ عموميةً للعالم ام خاصة بالعرب» . فيورد لذلك نصوصاً منها ايجابية كما اثبتها ابن هشام في سيرة النبي ومنها سلبيّة . والمؤلف يعدل الى هذا الرأي الاخير الذي اخذ حاضراً يشيع بين المستشرقين المصريين . الاب ه . لامنس

Michel Psellos: CHRONOGRAPHIE OU HISTOIRE D'UN SIÈCLE DE BYZANCE (976-1077). T. I, texte établi et traduit par **Emile Renault**. *Paris, Collection Byzantine n° 1, Edition les Belles-Lettres*, 1926, *Prix* 20 *f*

مئة سنة من تاريخ بوزنطية (٩٧٦-١٠٧٧)

هذا مجلّد اوّل من مجموع جديد باشرت بنشره جمعية الآداب الجميلة في باريس

والمجموع سيبلغ نيفاً وعشرين مجلداً كلها عن بوزنطية والبوزنطيين . وهذا الكتاب لاول يتناول تاريخ بوزنطية من السنة ٩٧٦ الى السنة ١٠٧٧ ألفهُ احد مشاهير المؤرخين المدعو ميشال بسالوس كان طُبع لاوّل مرة سنة ١٨٧٤ بهمة الاديب اليوناني ساثاس (Sathas) فصار لهُ احسن موقع في النفوس فنفد وقد عاد اليوم الى تجديد طبعهِ المسيو رينو فزاد على طبعتهِ الاولى محسّنات جمّة من مقدّمات وحواشٍ مختلفة ونقلهُ الى الفرنسوية بلغةٍ رائقة منسجمة غاية في الطلاوة والحسن ج . ل

Conrad Chapman: MICHEL PALÉOLOGUE Restaurateur de l'Empire Byzantin (1261-1282). *Paris, Eugène Figuière, pp.* 204, *Prix*, 25 *f*

ميشال باليولوغ محيي الدولة البوزنطية

يعلم القرّاء كيف عدلَ الصليبيّون في حملتهم الرابعة عن طريق الاراضي المقدّسة الى مناهضة الروم الذين كانوا ناصبوهم وعرقلوا مساعيهم واشتركوا مع المسلمين لمحاربتهم . ففتح الصليبيون القسطنطينية فصارت في حوزة اللاتين مدّة نحو مئة سنة الى ان قام احد ابطال الروم المسمّى ميشال باليولوغ من أسرة ملوكهم القديمة فترقّى مشاناه في الجندية الى ان استبدّ بالامر وادّعى لنفسهِ حقوق الملك على القسطنطينية بعد قتلهِ الملك الشرعي جان لاسكاريس ثم توجه كل قواهُ لينتقذ القسطنطينية من ايدي اللاتين فتمكّن من الامر بدهائهِ وحيلهِ ولانقسام اللاتين بعضهم على بعض . فأحيا مملكة الروم البائدة واتّخذ كل الوسائل لتحصينها وردّ غارات اعدائها فنجح . وكان يمالئ الاحبار الرومانيين بالامس في اتحاد الكنيستين فلم يحصل على نتيجة . فكل هذه الاخبار قد بسطها صاحب هذا الكتاب وهو اوّل تأليف لاحد الاميركيين المستر شابمان انشأهُ بالفرنسوية كما انهُ اول كتاب واسع في سيرة الملك ميشال باليولوغ فأجاد الكاتب صورةً ومعنى ل . ش

Mittelholzer (W.): PERSIENFLUG. 1 vol. 212 pp., 96 illustr., 2 Cartes, Zurich, 1925, Orell Füssli

رحلة جوية الى العجم

في تشرين الثاني من السنة ١٩٢٤ عهدَ مجلسُ جونكر» الى احد السويسريين ان يطير من عاصمة زوريخ الى العجم فقام بذلك مؤلف هذا الكتاب وقطع تلك المسافة

بعشر مراحل ماراً بايطالية ثم باليونان ثمّ بازمير حيث اوقفهُ الاتراك مدّة اسبوع . ثم مرّ بالاستانة واجتاز منها الى حلب ثمّ بغداد ثمّ كرمنشاه وطهران وإنزلي عند خليج العجم ثمّ عاد الى بلادهِ بالبرّ . فاحبّ عند رجوعهِ ان يفصّل اخبار تلك الرحلة وما شاهدهُ من معالي الفضاء فجاء كتاباً جامعاً بين اللذّة والمتعة . وهو مزيّن بعدّة تصاوير للبلاد التي قطعها ومنها ما لم يعرفهُ الجغرافيّون تماماً الى يومنا ج . ل

H. Lammens S. J : L'Islam Croyances et Institutions, *in*-12 1 *vol. in*-12, *pp.* 288, *Beyrouth, Imp. Cath.*, 1926, *Prix*, 10 *p. or.*

الاسلام : عقائدهُ ومشروعاتهُ

وضع حضرة الاب هنري لامنس هذا الكتاب اجابةً لملتمس كثيرين من الوطنيين والغرباء الذين يسمعون في حقّ الاسلام اقوالاً متناقضة هذا يمدح وهذا يقدح . فما كان اقدر منه على هذا العمل وهو منذ اربعين سنة يدرس الاسلام درساً عميقاً في اقدم آثارهِ واصفى موارده فتجشّم لذلك اسفاراً عديدة الى الاستانة والى مصر فضلاً عن تنقيبهِ في خزائن اوربة الشرقية في اخصّ عواصمها كباريس وبرلين ولندن وفينا وليدن ونشر عشرات التآليف عن الشرق الاسلامي . وهذا الكتاب هو خلاصة دروسه ضمّنهُ اصحّ ما ورد في الاسلام في ثمانية فصول هذا عنوانها : ١ً مهد الاسلام . ٢ً محمّد رسول الاسلام . ٣ً القرآن كتاب الاسلام . ٤ً السنّة او تقليد الاسلام . ٥ً الشرع في الاسلام . ٦ً الزهد والتصوّف في الاسلام . ٧ً البدع في الاسلام . ٨ً المصلحون المحدثون في الاسلام . والمؤلف يعرض معلوماتهِ دون ان يبدي فيها حكماً قاطعاً ويتحاشى فيها كل جدال ومناقشة ليلوح الحقّ في كل مجاليهِ ل . ش

Colonel Clément-Grandcourt: La tactique au Levant. 1 *vol.* 8°, 1926, *Paris, Ch. Lavauzelle et Cie*

الآداب الحربية في الشرق

الكولونل غرانكور كان من جملة الضباط الذين حضروا الوقائع التي جرت في قيليقيا وسورية بعد الحرب الكونية فوقع بعضها في الجبال وبعضها في السهول كما في إزميجه ومنها ما كان مع عدوّ منظّم كما في خان ميسلون وبعضها مع عصابات غير منظمة .

فكان الكولونيل يعتبر كل واقعة منها ويعرضها على قواعد الفنّ ليزيد بها اختباراً ثمّ يفيد غيره بملحوظاته التي دوّنها في هذا الكتاب الممتع. وزيّنهُ بخارطة وببعض التصاوير غير المتقنة

Ewald Banse: ABENDLAND UND MORGENLAND. Landschaft-Rasse-Kultur.zweiter Welten. *Album de 277 reproductions* 14 × 21, 1926, *G. Westermann, Braunschweig, Hambourg*

معرض صور غربية وشرقية

جمع مؤلف هذا الكتاب ٢٧٧ صورة شمسية تمثل اخصّ المناظر التي تُرى في الغرب والشرق وغايتهُ ان يقابل العلماء بين خواصّ تلك البلاد المختلفة وقد اضاف اليها شروحاً ليستفيدوا منها في علومهم الفنية ج. ل

Ed. Trogan: REGARDS SUR LA VIE (1919-1925). De Versailles à Locarno, *Paris, Bloud et Gay*, 1926, 1 *vol. in*-16, 1926

نظر عام على احوال الحياة

انّ التنبّات السياسية التي [illegible] الحرب الكونية من معاهدة فرسايل الى مؤتمر لوكرنو من شأنها ان تدون في كتاب خاص. وهذا ما نراهُ احد كبار السياسيين المسيو تروغان الذي في هذه الثماني السنين كان يتبع الحركة السياسية الاوربية ويبيّن مظاهرها واسرارها في مجلة كورسبندان ومجلات اخرى في فرنسة وبلجيكة. فجمع كتاباتهِ كلّها واعاد فيها النظر وبيّن ما كان من العلاقات بين كل هذه الحوادث كما سبق هو وروى سلفاً ما ستفضي اليه كما تُرى اليوم. فجاء هذا الكتاب كفلسفة احوال الامم الاوربية بعد الحرب يستدعي نظر ارباب الدول وسائر العقلاء ل. ش

Paul Bureau: LE BON CITOYEN DE LA CITÉ MODERNE, 6e n° des Cahiers de la Nouvelle Journée. 1 *vol.*, 8°, *Paris, Bloud et Gay*, 1926 *Prix*, 12 *f*

الوطني الصادق في المدينة الحاضرة

المسيو بولس بورو كاتب عصري نشر مجلّدات عديدة في المسائل الكونية الحاضرة. فانتدبتهُ لجنة تُعرف بلجنة الجريدة الجديدة لينشر بين مطبوعاتها مقالات

خاصة في احوال كل وطنيّ صادق يُريد ان يخدم وطنهُ في دائرة اشغالهِ . فتولى ذلك بكل دراية ومعرفة وبيّن الصفات التي يجب على كلّ وطني مخلص ذي دين وذمة ان يتحلى بها في حياتهِ الاهلية والاجتماعية ليضحي عاملاً صالحاً ونافعاً لوطنهِ . فكان لتأليفهِ هذا احسن استقبال في فرنسة وفي البلاد الاجنبية ل.ش

Annuaire de l'enseignement libre français : FRANCE-COLONIE-ETRANGER. *Paris, rue de l'Université*, 1926, *Prix* 12 *f*[s]

قائمة سنوية لتعليم اللغة الفرنسوية الحرّة

للفرنسويين حرصٌ كبير على نشر لغتهم . وهذه القائمة تفيد العموم عن المعاهد العلمية الحرّة المنشأة لتلك الغاية كالمدارس التي يديرها المرسلون والجمعيات الخصوصية او بعض الافراد . على اننا لحظنا نقصاً كبيراً في ما يختصّ ببلاد الشرق فانّ بيروت لا ذكر لها مع كثرة مدارسها الفرنسوية الحرّة . وعلى خلاف ذلك جاء ذكر مدرسة اليسوعيين في الاسكندرية وقد أُلغيت منذ ثلاث سنين . فلا بُدَّ اذن من اصلاح الخلل

André et Lucie Choay. UN VOYAGE MÉDICAL EN PALESTINE CHEZ LES DRUSES. Notes médicales sur un voyage en Egypte. *Extr. de la Revue médicale*, 1925, 31 *pp. illustr.*

رحلة طبية الى فلسطين وفي بلاد الدروز

هذه الرحلة باشرها اخٌ مع اختهِ قُبَيل ثورة الدروز في حوران اذ كانت البلاد في هدوّها بفضل الجنرال ڤيغان . وقد زارا ايضاً فلسطين ومصر فخصّصا نظرهما بدرس احوال تلك البلاد الطبية وقد فحصا في مصر الملجأ الدولي الذي انشأهُ الايطاليون لتوزيع الحسنات على المحتاجين . وذكرا في فلسطين مشروعين خيريّين آخرين انشأ احدهما الانتدابُ الانكليزي وهو عمومي . والآخر خصوصي في يد جمعية اميركية ج.ل

Et. Burnet: I. LA FIÈVRE MÉDITERRANÉENNE, Extr. de la Revue d'hygiène, t. 47 n° 12.—II. APERÇU DES ACQUISITIONS RÉCENTES SUR LA FIÈVRE MÉDITERRANÉENNE. Extr. du Bulletin de l'Institut Pasteur, t. XXIII, Mai 1925. *Paris, Masson et C*[ie]

حُمّى بلاد البحر المتوسّط

بحثان مدققان نشرهما احد الاطباء اللاحقين بمكتب باستور في تونس المسيو

بورنت فبيّن كل ما ينوط بالحمى الشائعة في بلاد البحر المتوسط والمروفة بحمّى مالطة من حيث تشخيصها واصل انتشارها بحليب المعزى ومفاعيلها وطريقة علاجها. كما انهُ ذكر قائمة البلاد التي شاعت فيها. وقد تعجّبنا لضربهِ الصفح عن مصر وعن سورية سواء كان لعدم وجود هذه الحمّى فيهما او بالحري لعدم وجود قائمة مضبوطة للمصابين بها ج. ل

المثالث والمثاني

مجموعة شعريّة مصوّرة لحليم افندي دمُوس

طُبع في مطبعة العرفان في صيداء سنة ١٩٢٦ (ص ٢٠٨)

حبّذا المعرض لولا... وانّما يشفع بجامعهِ حسنُ نيّتهِ ولطف طباعهِ.. وقد راقتنا بالاجمال رنّات «المثالث والمثاني» بما تضمّنتهُ من المقاطيع الرائعة والقصائد العامرة الابيات مع مجموعة بديعة من خطوط ادباء الوطن وتصاويرهم. فالكتاب حريّ ان تردان بهِ نوادي الخاصّة وبيوت العامّة فيطربون باصواتهِ الرخيمة ويتقدون بامثالهِ الكريمة ويثنون على جامعهِ اعلى الثناء ل. ش

اسباب اليقظة العربية في القرن التاسع عشر

تأليف انيس زكريا النصولي

طُبع في مطبعة وزنكوغراف طبّارة بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ١٤٢)

انيس افندي خرّيج الجامعة الاميركية في بيروت فهو في هذا الكتاب يتّسع في اعمال الرسالة الاميركية ولسنا لنلومهُ على معرفتهِ للجميل نحو اساتذتهِ وانّما نراهُ بترجيحهِ الميزان قد تجاوز خطة العدل. فانّهُ مثلاً اطال الكلام على الجامعة الاميركية وعلومها واساتذتها وفضّلها على سواها واستشهد (ص ٤٢) بالدكتور لورته القائل عن نظامها «هو امر تحسدهُ عليها المدارس الفرنسويّة» وهذا القول لو كان يصحّ في زمانهِ سنة ١٨٨٤ فهيهات ان يصدق اليوم — ومن اغلاط الكاتب قولهُ (ص ٤٤) انّ «الكلية اليسوعية كانت تعلّم باللغة العربية اوّلاً» فانّها لم تقتدِ في ذلك بالجامعة الاميركية ولم يزل تعليمها من اوّل تأسيسها باللغة الفرنسوية — ليس في قول الاب لامنس (ص ٤٥) في اعتمادهِ على المسيو برنو مبالغة فانّ المدارس التي كانت تحت ادارة رسالتنا

وحدها كان يبلغ عدد طلبتها نحو ١٥،٠٠٠ فزد عليها مدارس كاثوليكية عديدة للمسلمين والوطنيين كانت كلها تعلّم اللغة الفرنسوية — ليس كل ما قالهُ (ص ٧٣) عن المطبعة الاميركية صحيحاً . ولا نعلم انها (ص ٧١) « أصدرت (كما زعم) اشعاراً ومخطوطات دينيّة جلبتها من الكنائس والاديار » فانَّ معظم مطبوعاتها اما مدرسية واما دينية مترجمة عن الانكليزيّة — ما قالهُ عن المطبعة الكاثوليكية مخلٌّ جدًّا فانها وحدها خدمت اللغة العربية اكثر من سواها وقد اقرَّ المستشرق بروكلمان انَّ لها السبق على سائر مطابع الشرق — ما قلناهُ (ص ٩٥) عن تطرُّف المقتطف في بعض مزاعمه اللاهوتية والفلسفية والدينية لم نقلهُ جزافاً وقد اثبتناهُ مرارًا بالبرهان في مجلة المشرق — قولهُ (ص ١١٩) عن مكتبتنا الشرقية قد فندناهُ سابقاً في المشرق (عدد تموز ص ٥١٩) . وغير ذلك من المزاعم الباطلة الدالّة على عدم تدقيق النصولي ولكن لهُ في إقراره عن التعليم في الازهر والمدارس الاسلامية ما يستوقف نظر ذوي الاعتبار

عنتر رواية تمثيلية ذات خمسة فصول

تأليف شكري غانم وتعريب الياس ابي شبكه

طُبع في مطبعة قوزما في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٦٦)

صار لتمثيل رواية عنتر بالشعر الافرنسي في باريس رنّة استحسان تردّدت اصداؤها في انحاء اوربة . وذلك لأن القوم حضروا لاوّل مرّة تمثيل رواية تحيي في اعينهم اخلاق اهل البادية وحياتهم الفطريّة وعاداتهم الاجتماعيّة . فاحبَّ الاديب الياس افندي ابي شبكة ان ينقلها الى العربية فعساها ان لا تكون باعثةً للغرام المفرط في قلوب الشبيبة فتزيدها ضراماً ونحن في اشدّ حاجة الى ما هو اخطر شأناً وارقى مكاناً في خدمة الوطن ونهضة الادب ل . ش

رواية الكونت والمركيز والدوك المحتالين والعميان الشحادين

رواية هزلية بقلم الخورفسقفوس يوسف ربّاني

بمطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢٦ (ص ٣٢)

هذه الرواية الهزليّة انما يُسَرُّ بهِ العموم لفصولها المضحكة وانما ادبيّتها قليلة لان الظافر هو المحتال وهذا ما لا يليق تحبيبهُ في اعين الجمهور . فياحبّذا لو زيد على الرواية فصلٌ آخر ليلقى فيه المحتالون جزاء حيلهم فيصحّ المثل «وعلى الجاني تدور الدوائر»

تاريخ الحرية البشرية

المدكتور سليمان غزاله نائب البصرة في المجلس النيابي

طُبع في بغداد سنة ١٩٢٦ (ص ٩٠)

كان صديقنا الفيلسوف الدكتور غزاله في كتاب سابق مرَّ وصفهُ (في المشرق ٢٣ [١٩٢٥]: ٦٣٥) بحث في الحرية فلسفيًّا ونظرًا الى الحياة الاجتماعيَّة وفي هذا الكتاب الجديد وهو السادس من سلسلة «الوضيعة في الحكمة الخلقية» يبحث في تاريخ الحرية البشرية بين الامم السالفة وقدماء الفلاسفة من وثنيين ومسيحيين الى عهدنا الاخير فيتتبَّع آراءهم في تعريف الحرية ومصدرها وجوهرها وعلاقتها مع علم الله وقضائهِ وقدَرهِ وهو بحرٌ يكاد يغوص فيهِ العقل البشري لتباين الآراء واختلاف المذاهب ولعلَّ كثرتها عاقت جناب المؤلف عن التدقيق في تعريفها. وبعض هذه الاراء يحتاج الى مقالات واسعة لبيان حقيقتهِ كآراء القديس اوغسطينوس والقديس توما والاب مولينا اليسوعي. ومن ثمَّ نخاف ان يكون الكتاب عثرةً في سبيل كثير من القرَّاء وهم لا يعلمون ان يفرقوا بين الصحيح والباطل

تفسير سورة الفاتحة

بقلم الشيخ طنطاوي جوهري

طبع في مصر (ص ٩٦)

انَّنا لفي حيرةٍ عظيمة في تعريف هذا الكتاب الذي مدارهُ على فاتحة القرآن وهي كما هو معروف لا تزيد عن ٢٥ كلمة فيستخرج المفسِّر من هذه الالفاظ القليلة عجائب وغرائب فيزعم انها تحتوي كلَّ العلوم من معدن ونبات وحيوان وفلك وطبّ وكهرباء وجرّ اثقال وبنكامات وغازات وسائر العلوم الرياضيَّة والطبيعية الخ وادَّعى انهُ لم يوحَ بشيء مثلها في التوراة والانجيل. فندع الحكم للعقلاء في صحة هذهِ المدَّعيات. طالبين من الله ان يردّد كاتبها آيتها: اهدنا الصراط المستقيم

رواية يوليوس قيصر

تأليف الشاعر شيكسبير وتعريب المرحوم لويس غنَّام ثابت

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٥ (ص ٧٠)

وليام شيكسبير رئيس الشعراء الروائيين بين قومهِ الانكليز يعترفون كلهم لهُ

بالسبق والتفنن على كلّ معاصريهِ ومواطنيهِ . وهذه رواية يوليوس قيصر من ابدع ما صدر من قلمهِ قد بناها على اساس تاريخي مكين وصوّر بمثليها صورةً صادقة كما وصفها مؤرخو ذاك العصر الروماني . وفي الرواية ما فيها من الاحكام الديموقراطية والانفة من الاستبداد وتحرير الوطن من ايدي الظلمة . وقد لا تخلو من روح الثورة ومناصبة السلطة المالكة وفي ذلك ما يبعث في القلوب الميل الى التمرّد والعصيان على الرؤساء وضابطي ازمّة التدبير فيجب اذن الاحتراس في تمثيلها . اما تعريبها فهو كما ظهر لنا جامع بين الامانة ومراعاة الفصاحة العربية . وقد بقي في طبعها بعض الاغلاط

الادب الجديد وكلمات في الشعر والشاعر

من تأليف وجمع حسن صالح الجدّاوي

طُبع في المطبعة السلفية بمصر (ص ١٠٧)

هذه فصول ادبية وانتقادات شعريّة لحسن افندي صالح الجدّاوي ولصديقهِ احمد زكي ابي شادي وفي الكتاب اراء حسنة في الشعر وانواعهِ واغراضهِ وصفاتهِ وفي الشعراء المعاصرين ومنظوماتهم وانتقاداتهم على رصفائهم وفيهِ دفاعٌ للجدّاوي عن ابي شادي وعن مصنّفاتهِ الشعرية ردًّا على انتقادات شاعر مصر الكبير شوقي بك . ونحن نودّ ان تخلو هذه الانتقادات عن كل غرض شخصيّ فتُعرَض باللطف لمجرّد خدمة الادب دون شيء يمس حقّ المنتقَد عليهِ

ل . ش

شذرات

﴿عجائب الصناعة﴾ مما اخبرهُ المقّري في كتابهِ الغصن الرطيب (٢ : ١٦٦٢) : انّ بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل بن العادل ابن ايوب رقعةً في ورقة بيضاء إن قُرئت في ضوء السراج كانت فضيّةً وإن قُرئت في الشمس كانت ذهبيّة وان قرئت في الظلّ كانت حبرًا اسود . وهذا يذكّرنا بعجائب مخترعات الالمان في وقت

الحرب للكتابات السرّيّة التي لم يطّلع عليها الفرنسويون إلا بالجهد الجهيد فأوقفتهم على الجاسوسية الالمانية

﴿الصّلص وتركيبهُ﴾ لم نجد ذكرًا للصلص في ما لدينا من المعاجم العربية وقد ورد ذكر الكلمة في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (٢ : ١٢٧) ويظهر من وصفه تركيبها انها ما يدعوه العامة في ايامنا بالصَّلصة من الايطاليّة (sauce, salso) . فدونك ما كتبهُ ابن ابي اصيبعة في ترجمة الطبيب النصراني رشيد الدين ابي حليقة قال يذكر بعض حكاياته مع الملك الكامل ابن الملك العادل الايوبي صاحب مصر :

« ومن حكاياته انهُ طلب منهُ يومًا ان يركّب لهُ «صلصًا» يأكل به اليخني في الاسفار . واقترح عليهِ ان يكون مقوّيًا للمعدة منبّهًا للشهوة وهو مع ذلك ملذّ للطبع فركّب لهُ صلصًا هذه صفتهُ يؤخذ من القدونس جزء ومن الريحان الترنجاني وقلوب الاترج النضة المخلّلة بالماء والملح اياماً ثمّ بالماء المثلّج اخيرًا من كلّ واحد نصف جزء يُدقّ في جُرن الفقاعي كلّ منهم بمفرده حتى يصير مثل المرهم . ثم يُخلط الجميع في الجرن المذكور ويُعصر عليهِ الليمون الاخضر المنقّى ويُذرّ عليهِ من الملح الاندرانيّ مقدار ما يطيّبهُ ثمّ يُرفع في سلّات صغار تسع كل واحدة منها مقدار ما يقدّم على المائدة لانها اذا تمت تكرّجت . وتغتم تلك الاواني بالزيت الطيب وترفع . فلمّا استعملهُ السلطان حصلت لهُ منهُ المقاصد المطلوبة واثنى عليهِ ثناء كثيرًا وكان مسافرًا الى بلاد الروم فقال للحكيم المذكور . هذا الصلص يدوم مدّةً طويلة ؟ فقال لهُ : لا . فقال : ما يقيم شهرًا ؟ فقال : نعم . فقال : تعمل لي منهُ راتبًا في كلّ شهر ما يكفيني في مدّة ذلك الشهر وتسيّره لي في رأس كل هلال . فلم يزل الحكيم المذكور يجدّد ذلك الصلص في كل شهر ويسيّره لهُ الى دربندات الروم وهو يلازم استعمالهُ في الطريق واثنى عليهِ ثناء كثيرًا

﴿ميلاد المسيح ومجلّة الشرق والغرب﴾ روت مجلّة الشرق والغرب في عددها الاخير (سبتمبر ص٢٤٨) « انّ فلكيًّا يدعى ارثر شتنسل بحث بحثًا فلكيًّا في حياة المسيح فاثبت بحقائق فلكية انّ صلب المسيح تمّ في ٣ نيسان للسنة الثالثة والثلاثين من ابتداء التاريخ المسيحي اما ميلاده فحدث في ١٧ ايلول في السنة الثانية عشرة قبل ابتداء التاريخ المسيحي وكان مذنّب هالي على مقربة من الشمس ليلة الميلاد فظهر جليًّا وكان دليل المجوس »

(المشرق) لا بأس بما تحقّقهُ الفلكي ارثر شتنسل عن تاريخ صلب السيّد المسيح . اما قولهُ عن تاريخ ميلاده فلا سند لهُ وهيهات ان يُعتبرَ مذنّب هالي كنجم المجوس ودليلهم . فيا ترى كيف لم يتنبّهُ غير المجوس ومذنّب هالي يظهر لكل العيان . وكيف

يحقُّ فيهِ الوصف الذي ورد في الانجيل عن ظهوره لهم في المشرق وانهُ عاد فظهر لهم عند خروجهم من اورشليم وانهُ وقف على المنزل حيث ولد المسيح فكل هذا لا يصحُّ مطلقاً عن نجم المجوس وقد اخذنا العجب من مجلّة الشرق والغرب التي روت الخبر على علّاتهِ وصدّقت عليهِ جزافاً

﴿اقدم المطبوعات العربية﴾ نشر الاديب رفائيل بطيّ في لغة العرب (ايلول ١٤٧ــ١٥٢) فصلًا في تاريخ الطباعة العربية العراقية قدَّم عليهِ بحثاً في الطباعة في الشرق (ص ١٤٩) ورد فيها بعض الاغلاط كان جنابهُ يمكنهُ ان يتداركها لو راجع تاريخ فنّ الطباعة في مجلتنا الذي نشرناه في ثلثة مجلّدات المشرق (٣ــ٥ ١٩٠٠ــ ١٩٠٣) فمنا وهم بهِ قولهُ : «سعى قداسة البابا يوليوس الثاني لانشاء مطبعة في عاصمة الكثلكة طبع فيها اوّل كتاب الصلوات سنة ١٥١٤» ــ وفي هذا القول ما يحتاج الى تصحيح . فان البابا يوليوس الثاني كان توفي سنة ١٥١٣ فخلفهُ لاون العاشر وفي عهدهِ ظهر اوّل كتاب طُبع بالعربيّة وهو كتاب السواعي ولم يُطبع في رومية ولكن في مدينة فانو ودونك ما كُتب في صدرهِ بحرفهِ الواحد :

« وكان الفراغ من هذهِ السواعي المباركة نهار الثلاثاء ثاني عشر شهر تشرين سنة الف وخماية واربع عشر لسيد يسوع لذكره المجيد امين . وهي ختم المعلم غريغوريوس بيت غريغوريس من مدينة البندقية حُتمت في مدينة فان تحت حكم قداسة البابا لاون مالك كرسي القديس مار بطرس الرسول بمدينة روما ومن وجد فيهِ غلط يصلح اللهُ شأنه بشفاعة السيد امين »

وقد وهم ايضاً الكاتب بقولهِ «انَّ التوراة باللغة العربية طُبعت في القسطنطينيّة سنة ١٥٥١ بقلم سعيد الفيّومي . » وهو خبر لا صحة لهُ كان نقلهُ المرحوم جرجي زيدان فبيَّنّا عدم صحتهِ . ثمَّ ان الزبور (ص ١٤٩ــ١٥٠) المطبوع في قزحيا لم يطبعهُ اللبنانيّون الرهبان لان هؤلاء الرهبان انشئوا مئة سنة بعد ذلك وانما طبعهُ الايطالي بسكالي ايلي وقد وصفناهُ وصفاً طويلًا في المشرق (٣ [١٩٠٠]: ٢٥١ــ٢٥٧) فليراجع

وكذلك وهم باسم السيد دوثال (ص ١٥٢) فدعاهُ كيرلس والصواب «شرل» او «كرلّس» وهو الذي صار بعد ذلك قاصداً رسولياً على سورية وتوفي سنة ١٩٠٣

أسئلة وأجوبة

س سأل احد السادة في ابلد ما السبب لتخصيص السيد المسيح الحمام بالوداعة (متى ١٠: ١٦) فضلاً عن بقية الطيور؟

وداعة الحمام

ج السبب ظاهر لان الحمام من الطيور الداجنة التي تألف البيوت وتأنس بالانسان على خلاف غيره ولذلك ضُرب به المثل بالرقة والبساطة والوداعة عند كل الشعوب. ومن أمثال العرب «آلف من حمام». وفي الاسفار المقدسة لم يُجز الله تقدمة اي طائر كان كذبيحة سوى الحمام. والحمام كان اوّل مبشّر لنوح في السفينة بنهاية الطوفان. فلا عجب في قول المسيح لتلاميذه: «كونوا ودعاء كالحمام» لكنهُ اراد ايضاً ان يكونوا حكماء كالحيّات اللواتي تحذر قبل كل شيء على رأسها ولو بتقطيع جسمها

س وسأل احد الاكليريكيين عن اصل الكلمتين «الشبّة والشحيم» ومعناهما؟

الشبة والشحيم

ج الكلمتان من السريانيّة أما الاولى التي لا ذكر لها في المعاجم السريانيّة فهي تعني (ܫܒܬܐ) مشتقة من لفظة ܫܒܬܐ اي السبت. فيكون معنى «الشبّة» صلوات اسبوعية تقال في ايام السبّة. اما «الشحيم» «ܫܚܝܡܐ» او «ܫܚܝܡܬܐ» فمعناه الصرف الخالص البسيط والاعتيادي يُراد به كتاب الفرض الكهنوتي يُتلى مرّة في كل اسبوع

س وسأل مستفيد من الشام الى من تُنسب الطريقة الشاذلية الموجودة في دمشق؟

الطريقة الشاذلية

ج هذه الطريقة احدى الطرائق الصوفيّة الاسلاميّة تُنسب الى الامام ابي الحسن عليّ بن عبدالله الشاذلي الذي ينتهي نسبهُ الى علي بن ابي طالب. وقيل لهُ الشاذلي نسبةً الى قرية شاذلة (ويقال شاذلة) القريبة من تونس كان مولده في غمارة من قرى المغرب قريباً من سَبْتة سنة ٥٩١هـ (١١٩٥م) ثمّ انتقل الى شاذلة وتعبّد بها متصوّفاً فتبعهُ كثيرون وكان ضريراً واشاع طريقتهُ الصوفيّة في المغرب وفي مصر وتعاطى علم السيمياء فرُمي بالزندقة واختلف الناس في امره وتوفي في الصعيد في صحراء عيذاب سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)

ل.ش

المشرق

نبذة مختصرة

في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠–١٨٦٢)

توطئة

سلمنا إلينا في أوائل تشرين الأول [illegible] الشدة المعروف ببزمار كاهن الارمن الكاثوليك المحترم من [illegible] من المخطوطات العربية اذ وقع نظرنا على كرّاس مجلّد بغطاء يبلغ طوله نحو ٢٢ سنتيمتراً وعرضه ١٧ س مكتوباً بخط مُشرق بحبرين اسود في النصوص واحمر في العناوين يبلغ ٦٩ صفحة وعدد سطور الصفحة ٢١ سطراً عنوانه «نبذة مختصرة في فتن سوريا» يحتوي حوادث لبنان وسورية من السنة ١٨٤٠ الى السنة ١٨٦٢ كتبهُ شاهدٌ عيانيٌّ من قسوس احدى الطوائف الكاثوليكية لم يذكر اسمهُ ولعلّهُ الخوري يوسف فرحيان الذي كان وقتئذٍ خادم رعية الارمن الكاثوليك في دمشق ونجا من مذابحها بنعمة خصوصية. ثمَّ صار بعد ذلك رئيساً على بزمّار ثمَّ سُقف على ديار بكر وفيها توفي نحو سنة ١٨٩٠. ونبذتهُ هذه التاريخية تحرّى فيها صدق الاخبار واعتدال اللهجة فروى فيها الامور التي جرت في لبنان والشام من السنة ١٨٤٠ الى ١٨٦٢ كما عرفها دون ان يبدي فيها حكمهُ وقلّما تجد فيها كلمةً تصرّح عن امتعاضهِ من بعض المظالم التي عاينها. فوجدناهُ خير اثر يُحفظ في بطن الاوراق لئلّا تذهب فائدتهُ بفقدانهِ. وممّا استحسناهُ لهُ روايتهُ للامور واتصالها ببعضها من سوابق ولواحق يأخذ بعضها برقاب البعض. وامّا لغتهُ فسهلة قريبة من اللغة الدارجة الساذجة تركناها على بساطتها لم نصلح منها إلّا ما لا يُعبأ بهِ من رفع اسم او جرّ آخر او علاقة نعت بمنعوت او فاعل بمفعول. وان وجد غير ذلك دلّلنا اليهِ بين هلالين فنشكر حضرة رئيس دير بزمّار الذي سمح لنا بنسخ هذا الاثر الجليل لننشره في المشرق. وبين اخبارهِ ما هو اشبه بما حدث في هذه الايام في جبل الدروز وفي دمشق فكأنَّ التاريخ يعيد ذاتهُ

ل. ش

بسم الله

(أ)* نبذة مختصرة في فتن سوريا

وبعد يقول احد قسوس المسيحيين انني لما نظرتهُ بعيني وسمعتهُ من أناس فضلاء باذني واطلعتُ عليهِ في تحارير صادقة اقتطفتُ هذه النبذة المختصرة في فتن سوريا سالكاً فيها سبيل الصدق والسذاجة متنزّهاً عن كل غرض. وألتمسُ فقط حفظ ذكر الامور السالفة وقد جمعتها في مقدّمة وثلاثين حادثاً. وكان ذلك سنة ١٨٦٠ مسيحيّة في مقاطعة كسروان

مقدمة

انهُ لكي تُعرف اين صارت الفتن واين اماكن الموقعات يجب ان يتّضح هنا حدود المقاطعات في سلسلة جبل لبنان وعدد النفوس المذكورة بموجب حساب الجوغرافية: (فنقول) انَّ هذا الجبل يبتدي من مقابل النهر الكبير الجاري تحت قلعة الحصن ودير مار جاورجيوس الحميره في آخر جبل النصيريّة

انَّ المدن التي في ساحل سلسلة جبل لبنان على شاطئ البحر المحيط هي طرابلس الشام والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وصور الى قرب عكّا. هذا من الجانب الشمالي الى الجنوبي. ومن الغربي يبتدئ هذا الجبل من البحر المذكور ويمتدّ شرقاً الى مرج ابن عامر في شرقي عكا. ويقسم الى قسمين شمالي وجنوبي في احدى وعشرين مقاطعة

القسم الاول الشمالي

ــ المقاطعة الاولى الزاوية ــ (٢) انَّ الزاوية هي الى شرقي طرابلس سكانها نصارى ١٧٣١ نفساً ذكوراً بينهم اسلام ٦٠ نفساً ذكوراً فقط

تنبيه: اعلم انَّ عدد المذكور الذين نحن في صددهِ هو مأخوذ من دفتر عدد النفوس سنة ١٨٥١ فاذاً يكون اكثر الآن مما هو مذكور

ــ المقاطعة الثانية الكورة ــ انَّ الكورة هي الى جنوبي طرابلس. وهذه قسمانِ: الكورة العليا في الجبل التي من قراها ابيون وكبا الخ. والكورة السفلى على شاطئ البحر من قراها النخله

*) هذه الاعداد تدل على اعداد صفحات المخطوط

وفيع الخ سكانها ٢٥٠٠ نصارى و٢٢٦ مسلمون

ــ المقاطعة الثالثة جبة بشرّه ــ جبة بشرّه هي الى جنوبي طرابلس فوق الكورة في الجبل ومن قراها بشرّه واهدن الخ. وفيها دير قنّوبين بطريركية الموارنة ودير قزحيا وارز لبنان. سكانها نصارى فقط عشرة آلاف وما تان ذكور ١٠,٣٠٠

ــ المقاطعة الرابعة جبة المنطرة هي في رأس الجبل الى شرقي جبيل ومن قراها ميروبا والماقوره الخ وينسب اليها المواضع التي يسكن فيها من النصارى المذكور ٤٨٥ ومن الاسلام والمتاولة ١٣٩

ــ المقاطعة الخامسة بلاد جبيل ــ انّ بلاد جبيل هي فوق مدينة جبيل ومن قراها عام شيت (كذا) والبرباره الخ سكان هاتين المقاطعتين نصارى ٧,٤٧٠ نفساً ذكراً واسلام ومتاولة ٣,١٩٦

ــ المقاطعة السادسة بلاد البترون ــ ان بلاد البترون هي فيما يلي مدينة البترون ومن قراها عزنه (عربه ؟) ودوما الخ (٣) . سكانها نصارى ٦٨٣ والمسلمين والمتاولة ١٨٨ نفساً فقط

ــ المقاطعة السابعة الفتوح ــ انّ الفتوح هي الى جنوبي جبيل ومن قراها البوار والغينة الخ. يسكنها نصارى ٢٠٩٩ من الذكور

ــ المقاطعة الثامنة كسروان ــ في كسروان يسكنون المشايخ اولاد الخازن واولاد حبيش . ومن قرى كسروان هي الاربعة وربنون وعشقوت وعجلتون وزمار التي فيها كرسي بطريركية الارمن الكاثوليك وغزير وعرمون وغوسطا وجونيه وعين توره (كذا) وزوق ميكائيل وزوق مصبح الخ . سكانها نصارى ١٠,٠٤٤ ومتاولة ١٩ فقط

ــ المقاطعة التاسعة جبل القاطع والمتن ــ انّ هذه المقاطعة هي الى شرقي بيروت ومن قراها عاريا والعباديه وصليا والشوير وبكفيا وسكنتا (كذا) الخ. وفي دفتر النفوس تنسب اليها زحلة وساحل بيروت الذي هو المقاطعة التالية. في هذه المقاطعة يوجد اديرة كثيرة للروم الكاثوليك والموارنة ودور الامراء اللمعيين

ــ المقاطعة العاشرة ساحل بيروت ــ انّ من قرى هذه المقاطعة سن الفيل والشياح الخ عدد السكان في هاتين المقاطعتين في القاطع نصارى ٤,١٨١ ذكراً وفي زحلة والمتن وساحل بيروت يسكن من الذكور النصارى ١٤,٦١٢ ومن ذكور الدروز يسكن ٣,١٥٤ ومن ذكور المسلمين والمتاولة يسكن ٢٠٥ واما سكان بسكنتا وما يليها خارج هذا العدد ٣٨٢ ذكراً وبينهم فقط (٤) خمسة رجال مسلمين

القسم الثاني الجنوبي

ــ المقاطعة الحادية عشر الغرب ــ انّ الغرب هو قسمان: الاوّل الغرب الاسفل ومن قراه الشويفات وعين عنوب الخ يسكنه الامراء بنو رسلان (كذا) من طائفة الدروز وهم الحكام فيه واهله نصارى ودروز عدد النصارى ١٤٥١ وعدد الدروز ١٠٨١ . والثاني الغرب الاعلى

ومن قراه الكحالة وشلان وعيناب الخ وحكامهُ من المشايخ بني تلحوق من طائفة الدروز فيه من النصارى ١,٥٦٣ نفساً ذكر ومن الدروز ٧٧١ ذكر

ــ المقاطعة الثانية عشر الجرد ــ ومن قراها بتاتر ورشميا الخ فيه يسكن المشايخ بني عبد الملك من طائفة الدروز وحكم هذه المقاطعة ينسب اليهم . فيه من النصارى ٢,٠١٦ ذكوراً ودروز ٨٩١ ذكراً

ــ المقاطعة الثالثة عشر الشحار ــ ومن قراها عيه وكفرمتى الخ النصارى فيها ١٦٣١ والدروز ٩٩٠

ــ المقاطعة الرابعة عشر المناصف ــ ومن قراها دير القمر ويُدعى مدينة الجبل لاجل ما فيه من المتاجر والصنائع والابنية العظيمة القديمة . وفي هذه المقاطعة سراية الامير بشير الشهابي وهي دار حكومة الجبل . كمية عدد النصارى هنالك ٢,٨٩٤ ذكوراً وعدد الدروز ١,١٣٨ وباحتهم قليل من المسلمين واليهود

ــ المقاطعة الخامسة عشر المرقوب ــ (٥) انّ المرقوب هو قسمان اعلى وادنى ومن قرى الاولى عين زحلتا والورهانية الخ ومن قرى الادنى الباروك والقريديس الخ . في المرقوب الاعلى يسكنون المشايخ بني السعيد وهم حكام هذا الجزء . وفي الادنى يسكنون المشايخ بني العماد والقريقان هم دروز عدد النصارى في هذه المقاطعة ١,٣٠٥ الدروز ١,١٣٥ ذكور

ــ المقاطعة السادسة عشر الشوف ــ انّ الشوف هو قسمان ايضاً . الشوف الاول الشوف الحيثي ومن قراه المختاره وعين قنيه الخ والثاني الشوف السويجاني ومن قراه الجديدة والسقانية الخ . اصحاب هذه المقاطعة مشايخ الدروز بنو جنبلاط يسكنون في المختاره وعدد النصارى فيها ١,٤٢٥ وعدد الدروز ٣,٥١٧

ــ المقاطعة السابعة عشر غربي البقاع ــ انّ غربي البقاع الى شرقي الشوف والمرقوب . ينسب الى هذه المقاطعة بندر زحلة . وهو اعظم قرى جبل لبنان لما فيه من الغنى والناس الاشداء شرقي النفوس الساكنين هناك من اثلث الطوائف روم . روم كاثوليك وموارنة الذين يبلغ عددهم ٩,٠٠٠ نفس . ولاية زحلة كانت تنسب لامراء المتن

ــ المقاطعة الثامنة عشر اقليم جزّين ــ ومن قراها جزين وكفرحوفه الخ سكانه نصارى ٣,٢٧١ ذكراً ويوجد بينهم دروز ٩٧ ذكراً

ــ المقاطعة التاسعة عشر اقليم التفاح ــ ومن قراها البرامية والهلالية وغيرهم ويبلغ حتى بساتين صيدا (٦) . سكانهم نصارى ١,٧٨٤ وبينهم دروز ٣١ نفراً ذكراً فقط

ــ المقاطعة العشرون الحرنوب ــ انّ اقليم الحرنوب الى غربي الشوف ومن قراه البرغوتية والحانية (كذا) وغيرهما فيه سكان نصارى ١,٥٠٢ ودروز ومسلمين ١,٠١٥ ذكر

ــ المقاطعة الحادية والعشرين جبل الريحان ــ هو اخر حدود جبل لبنان من الجانب الجنوبي ومن قراه ميدون واورديه وغيرهما . عدد النصارى فيه ٣٢٧ وعدد الدروز ٦٨٦ ذكراً . ولاية هذه المقاطعة والاقاليم المذكورة هي تحت ادارة المشايخ الجنبلاطية انتهى

انَّ عدد الذكور المسيحيين في جبل لبنان كله يبلغ ٨٠،٣٥٣ وعدد ذكور الدروز والمسلمين والمتاولة ١٧،٤٥٧

الحادث الاول

في تغيير حاكم جبل لبنان وانقسام الولايات

انهُ لشيء واضح انَّ ولاية جبل لبنان كانت تحت ادارة حاكم واحد ولكن في السنة ١٨٤٠ في زمن ولاية الامير بشير الشهابي الذي تولَّى حكم هذا الجبل بنيف عن خمسين سنة . وبعد رحيل ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية من بلاد سوريا ورجوع هذه البلاد تحت ظل السلطنة السنيَّة فلاجل الاتفاق الذي كان عملهُ الامير المذكور مع ابرهيم باشا ما عاد يمكنهُ ان يدبّر ادارة ولايته : اوَّلاً لاجل الاتفاق المذكور . وثانياً لاجل ان كثيرين من مشايخ النصارى كانوا وقتئذٍ (٧) من حزب الدولة العليَّة . ومن ثمَّ ترك ولايتهُ ونزل في مدينة صيداء ومن هناك توجَّه الى مالطة ثمَّ تسلَّم بيد الدولة العثمانيَّة وتوفي في الاستانة سنة ١٨٥١

بعد ذهاب الامير المذكور من الجبل تولَّى عوضهُ الامير [illegible] ابو قاسم المسمى بالصغير وعندما حين جلس في سراية الامير الكبير قامت عليهِ الدروز وطردوهُ ونهبوا مالهُ . ومن ثمَّ صارت فتنة بين النصارى والدروز بني ابي نكت (نكد) . ولمَّا انتصروا عليهم النصارى طردوهم من دير القمر وما يليها الى قرى عبيه والجاهلية وغيرهما من مقاطعة الشحَّار وهذه هي الوقعة المذكورة سنة ١٨٤١ . ومن هنا جرت العداوة بين النصارى والدروز وطالب كل فريق منهم انقسام ولاية الجبل

ففي سنة ١٨٤٤ صار انقسام جبل لبنان الى قسمين شمالي وجنوبي . فالقسم الاول تولى امرهُ الامير حيدر حاكم النصارى . والقسم الجنوبي تولى عليهِ الامير امين ارسلان حاكم الدروز

الحادث الثاني

في ولاية الامير بشير احمد واضطراب بني الامراء والمشايخ المسيحيين من جرى امريَّتهِ

انهُ بعد وفاة الامير حيدر المارّ ذكرهُ تولى حاكم الجبل على النصارى الامير احمد .

وهذا من ابتداء حكمهِ لم يعطِ لبني الامراء والمشايخ الاكرام والتقدم المأمول. ومن ثمَّ اضطربت مشايخ المتن والقاطع وكسروان وغير اماكن في حدود ولايتهِ. ومثلهم ايضاً اضطربت اولاد الامراء وقصدوا تغييرهُ (٨) وان يولّوا عوضهُ الامير بشير عسّاف. ولكن بما انهم لم يصيروا باتفاق واحد على هذا الرأي بل كان البعض يريدونهُ والبعض لا وغيرهم يريدون الامير بشير عسّاف او غيره. ولهذا وقع خلاف بين الامير والمشايخ وصار بينهم القلق والشرور مع الاضطراب العظيم وهذا امتدّ الى السنة ١٨٥٨ وقد كرهت الناس استماع اخبار المخاصمات من الجهتين

ففي خمسة شهر ايّار من السنة المذكورة صارت جمعيَّة في قرب نهر الكلب وكان فيها من المشايخ الخازنيَّة والحبيشيَّة وغيرهم من المشايخ وبني الامراء. وفي وقته اقاموا محافظين على الاربعة جهات لكي لا يأتي اليهم احد غريب وهناك اتّفقوا على تغيير الامير بشير والي الجبل. وبعد اربعة ايّام او خمسة توأف جمهور كبير نحو الف رجل وانطلقوا الى سراية الامير المذكور واعلنوا لهُ ان يترك ولايتهُ وينزل من الجبل ويسكن في بيروت او غير مكان والّا سيحيق بهِ ضرر كبير يأول بهِ الى فقد الحياة. ومن ثمَّ اسرع بالنزول الى بيروت احتفاظاً لنفسهِ ليعرض الامر الى مشير الدولة العليَّة. وكان نزولهُ في ١٢ ايّار السنة المذكورة. وبما انَّ هذا العمل كان مغايراً لارادة الدولة لذلك صار الاهتمام في رجوعهِ الى ولايتهِ. ولكن هذا الاعتناء عاد سدًى حيث صار النفور بين الاهالي وقلّ الاحترام للامير المذكور وبطلت سطوتهُ وما بقي من يهابهُ الّا القليل جدًّا. وصار كل واحد من الناس يحلف برأس نفسهِ غير عارف لهُ رأساً او حاكماً وكل مرء (امرئ) صار يقتني السلاح ويشدّ حقويهِ للمقاتلة والخصام

﴿تنبيه﴾ اعلم انَّ سكان جبل لبنان يُقسمون الى اربعة رتب اي امراء ومشايخ (٩) وخواجات وفلّاحين. ولكل من هذه الرتب اكرام خصوصي لا يعطى للغير

الحادث الثالث

في خروج المشايخ من كسروان

انهُ سنة ١٨٥٩ خرجوا المشايخ من بلادهم هم ونساؤهم واولادهم وما عادوا

يستطيعون الرجوع لانّ اهالي كسروان طلبوا منهم حسابات عن اموال غير عادلة وطلبوا ايضاً ان ترفع رتبة شرف المشيخة ويصير اعطاء الشرف كمقدار الغنى. فهذا الامر لم يُحسب مناسباً عند المشايخ وقذفوا بهِ وعدُّوهُ جسارة وافتراء. وذلك ابتدت بين الفريقين المخاصمات رويداً رويداً فاشتدَّ القلق ودخل النفور وصار الاضطهاد وقاموا ضدّ بعضهم بعضاً. واذ كان حزب الاهالي اكثر من المشايخ قووا بذلك واقاموا لهم رأساً ومتقدماً واحداً من رتبتهم يدعى انطانيوس شاهين من قرية ريفون. فصار يتقدّمهم وهم يطيعونهُ ويجتمعون اليهِ جماهيرَ جماهير لاخذ الرأي ولنجاح عملهم ودعوهُ انطانيوس بيك

واما هو وقتئذٍ فاخذ يستشير باعمالهِ خرشد باشا والي صيدا وبيروت والمذكور كان يريهِ المناسب. وقيل انهُ كان يرشدهُ ليقتل كل المشايخ ويمحوا اثرهم من البلاد الكسروانيّة ولكن انطانيوس بيك لم يسلك بسبيل كذا ولم يقصد مثل هذه المقاصد. بل شدَّد الخوف على المشايخ حتى التزموا ان يتركوا بيوتهم وارزاقهم ويهربوا الى بيروت

[illegible] في احد [illegible] قرى صارت مخاصمة بين المشايخ والاهالي وقد دخلت بين الرجال بعض النساء. ولذلك قُتل من هنّا (منهنّ) اثنتان فقط. وفي قرية اخرى (١٠) ضربوا الاهالي احدَ الشيوخ واذ كان متقدّماً في العمر فبعد يومين مات. وغير هؤلاء لم يمت احد من حزب المشايخ. وارزاقهم وبيوتهم تُركت بغير صاحب وما عاد يمكنهم الحصول عليها. وحدث لهم من جرى ذلك فقر وضيق كلي ضجرت منهُ نفوسهم. وصاروا يكثرون الاعراضات والشكايات لدى مشير بيروت خرشد باشا وكانوا يتوسلون اليهِ في اصلاح حالهم. ولكن جميع تعبهم عادَ سدًى لان المذكور كان يوعدهم مواعيد الطمأنينة والرجاء لا غير

ثمّ السيّد بولس بطريرك الموارنة قد كان بذل الاعتناء والاهتمام كثيراً في رجوع المشايخ لمحلّاتهم واعطى اوراق حرومات كثيرة الى كل القرى في شأن صيانة اموالهم. وعمل جمعيّةً وفيها اقنع الاهالي في امر رجوعهم ولهذا ارسل قسوساً واعواماً الى ساحل بيروت وبهم استدعى المشايخ لبيوتهم وليملكوا ارزاقهم. وأمّا المذكورون ففي وقتهِ ابوا عن المجي لسبب اضطراب الجبل وعدم الامنيّة ولاجل غير اسباب ايضاً

الحادث الرابع

في سبب الفتن بين النصارى والدروز

انّ الشيطان الرجيم عدوّ السلام القى شرار نار الفتن في جبل لبنان من الجانب الجنوبي لانهُ في ١٤ من شهر آب سنة ١٨٥٩ كان مجتازًا في الطريق شابّان من الدروز ومعهما حمير. وكذلك كان عابرًا تلك الطريق شابّان من النصارى من قرية بيت مري ومعهما حمير ايضاً. فطلب اولئك من هؤلاء ان يدخلوا الطريق قبلًا واذ لم يذعنوا لهم تضاربوا مع بعضهم بعضاً وكبر الشرّ ما بينهم حتى اتّصل ما بين آباء الفريقين. وفي وقته تنأب(١١) النصارى على الدروز. ولذلك المذكورون ذهبوا واتّفقوا مع البعض من طائفتهم وجاءوا بغتةً على القرية المذكورة وضربوا اهلها ونهبوا وحرقوا البيوت وقتلوا اكثر الرجال ومضوا. فمن قبل هذه الفتنة اشتعلت نار الغيرة في قلوب النصارى وبدأوا يقدمون الاعراضات لديوان مشير بيروت خرشد باشا. واذ لم يحصلوا على الافادة منهُ بأخذ حقوقهم من الدروز صاروا في هيجان عظيم ولاسيما حين تحقّقوا ان الدروز في استعداد كبير للحرب. ولذلك ابتدأوا هم ايضاً يباشرون بعمل ما كان واجباً للحرب. ولكن الدروز لما نظروا شدّة عزم النصارى وكانوا عالمين بكثرتهم واقتدارهم ارسلوا يقولون لهم: اننا نريد ان نشهر بيننا الصلح ما بالكم تستعدّون للحرب معنا؟. فاجابت النصارى على ذلك قائلين: ونحن ايضاً نريد الصلح باكثر رغبة على شرط ان تعمّروا البيوت المحروقة في قرية بيت مري وتردّوا مسلوباتها

وقد كان سؤال الدروز هذا احتيالًا لا حقيقيًا لانهم لم يردّوا جواباً على تحرير النصارى المذكور. ومن ثمّ صار المسيحيّون بحيرة وعجب في كيف ان الدروز بعد سؤالهم عن امر الصلح لم يعتبروا جواب النصارى مع انهم بالنسبة الى النصارى قليلون جدًا. وقيل ان الدروز تشجّعوا من قبل مواعيد خرشد باشا بانهُ يقدّم لهم كل ما يحتاجون اليه لعمل الحرب. وقيل ايضاً انهُ اعلن لهم انهُ خرج امر سُرّيّ في قتل ونفي كل النصارى لان الدروز صاروا في همة كبيرة للحرب ولاجلها تركوا كل مواسم فلاحة حقولهم وبدأوا يجتمعون جماهير جماهير في اماكن اماكن (١٢)

واما النصارى فحين نظروا ان الدروز هكذا في همة كبيرة للحرب حينئذٍ هم ايضاً اخذوا يستعدون لذلك. ولكن قبل عمل الحرب توسّطت القناصل بلافاة هذه الفتن وكانوا يطلبون من الباشا زجر الدروز. واذ لم تحصل الافادة بذلك حينئذٍ اشتهر الحرب بين الجهتين

الحادث الخامس

في وقعة دير القمر الاولى وخراب قرى المتن وساحل بيروت واقليم جزين وغير قرى

انهُ حين كان النصارى يفتكرون في صرف هذا الشرّ بدون اهراق دم جاءت الدروز وباشروا دير القمر واحاطوا بها من كل جهة وقطعوا عنها معين الماء ومنعوا جلب المحاميل الواردة وبقوا معسكرين حولها نحو اربعين يوماً وكانوا يطلبون السلح. فمن هذه الحال الضيقة ضجرت اهالي دير القمر وسألوا للدروز ان يدخلوا اليهم ويتركوا الطريق امامهم. فحين دخل المذكورون وكانوا كثرة كبيرة جداً بدأوا ينهبون ويحرقون. واذلك رجال النصارى ابتعدوا عنهم الى ناحية في الدير [illegible] الامن. ولما نظروا ان الدروز صاروا يفتكون بالرجال وغايتهم نهب الدير وحريته [illegible] سكانه صاحوا وقتئذٍ بصوت واحد وهجموا على الدروز وقتلوا منهم نحو الف رجل ومن النصارى قُتل مقدار ثلاثمائة رجل. وبعد ذلك رجعوا وحصّنوا انفسهم تجاه اعدائهم بما انهم رجال اشدّاء لا يهابون الموت ولا يخافون هجمات الدروز

ولما بلغ خبر هذه الوقعة لوالي بيروت اسرع حالاً وبدون ابطاء ارسل العساكر الثابتة وعسكر الباش بوزق وامرهم ان يجلسوا في مقاطعة ساحل بيروت في الطريق الذي يؤدي من كسروان الى دير القمر قاصداً حفظ هذا الطريق من الكسروانيين. (١٣) ثمّ في ذلك الوقت نشر الدروز خبرًا انَّ النصارى معتمدون على اخذ بيروت وضرب عسكر الدولة وقتل المسلمين والباشا معاً وأخذ اموالهم. ومن ثم خاف المسلمون وطلبوا من الباشا ان ينقلوا اموالهم الى سراية الحاكم وهو أذن لهم بذلك. ولهذا بوقت وجيز امتلأت السراية من امتعة المسلمين الساكنين خارج ابواب مدينة

بيروت . واما الدروز فانهم بعد رجوعهم من دير القمر هاجوا جميعاً وصاروا يحرقون وينهبون قرى المتن وساحل بيروت والعرقوب واقليم جزين . وغيرهم يقتلون الرجال ويشتتون النساء . وقد بلغوا بهذا العمل حتى حدود كسروان من الجانب الشمالي . ومن الجانب الجنوبي وصلوا الى قرية جزين فحرقوها وقتلوا رجالها وفاتوا حتى بساتين صيدا وهناك قرب باب صيدا ذبحوا نحو اربعين كاهناً وعشرين راهباً وكثرة من العوام المسيحيين الذين كانوا اخذوهم ليحفظوا حياتهم من الموت ويدخلوهم مدينة صيدا حيث الامان . ومن ناحية بلاد الشام بعد ان حرق الدروز قرى حاصبيا وراشيا ونهبوا اموالهم وقتلوا رجالهم على نوع الهجم . ولم يبقوا منهم الّا القليلين الذين ما رأتهم اعينهم اتصلوا الى قرب مدينة الشام . ومعهم هاجت المسلمون في تلك القرى فقاموا على النصارى الساكنين فيما بينهم وقتلوا منهم كثيرين واخذوا اموالهم وكانوا يقولون «مَن أَسلم سَلِمَ» ولهذا اسلم رجال ونساء كثيرون من اهالي تلك القرى حتى وكاهن ايضاً اسلم واحال الكنيسة الى جامع وثبّتوا فيها بينهم سنن شرائع الاسلام كالزواج وغيره (١٤)

وفي مرور هذه الزوابع أُخذت في دير سيّدة المخلص خزنة الروم الكاثوليكيين الثمينة المشتهرة بالفني والاواني الكنائسيّة النادرة الوجود وتبدّدت رهبانهُ وراهباتهُ . والبعض شربوا كاس المنون والذين بقوا احياء من تلك القرى هربوا الى بيروت وصيدا والشام ثمّ الى كسروان وصار بهم الاعتناء من المسيحيين في هذه المدن لان حالهم كان يرثي لها كل ناظر

الحادث السادس

في ما صنع العسكر في ساحل بيروت وفي اتفاق خرشد باشا مع الامير احمد وانقسام النصارى

انّ العسكر الذي خرج من بيروت بأمر المشير وجاء الى الساحل وسلك طريق كسروان كان غير امين بحقّ الدولة العليّة لانهُ قيل ان اولئك العساكر كانوا ينهبون البيوت التي هنالك ويحرقونها ويشتتون الرجال ويقتلون كل من وقع في ايديهم .

وقيل ايضاً انهم فعلوا بالنساء والبنات افعالاً قبيح ذكرها ولهذا هربت كل الناس سكان تلك القرى والتجأوا الى بيروت وكسروان. واولئك العسكر لم يصنعوا شيئاً غير هذا. ولذلك طلبت القناصل كثيراً من المشير ان يردّ هذه العساكر لمحلاتها لان منهم صار ضرر لا خير. وامّا هو فلم يقبل بل زاد على ذلك حتى انهُ اتفق مع الامير احمد المارّ ذكرهُ بان يعطيهُ عساكر كافية لحفظهِ ويرسلهُ ليتولى ولايتهُ ويجلس في طرفهِ ويحكم حسب ارادتهِ ويقاصّ كل من لا يريدهُ ان يكون حاكماً. وقيل انهُ اعطاهُ اذناً ليقتل من دون مراجعة لمن يراهُ مستحقاً لذلك(١٥)

ثمّ اتّفق المشير مع المشايخ الكسروانيين ووعدهم بالرجوع الى بيوتهم بانتصار وعزّ عظيم وانهم سيطلعون الى بيوتهم صحبة العساكر الشاهانيّة ويملكون ارزاقهم ويحكمون محلاتهم باحسن حال عمّا ذي قبل وانهم سيرون اعداءهم مقتولين تحت ارجلهم. وايضاً جلب اليهِ اولاد الامراء كالامير عسّاف وغيره ووعدهم باعطاء عسكر كافٍ ليتولّوا مناصبهم ويحكموا كحسب ارادتهم. فبهذه الوسائط وغيرها قسم النصارى على بعضهم بعضاً وغيّر عزمهم ضدّ الدروز ولم يبقَ على اتفاق واحد سوى [illegible] وحلة ودير القمر. ومن ثم وقع الاختلاف فيما بين النصارى وصار الانقسام حتى بين الكسروانيين وذلك سرّاً لا ظاهراً. وكانوا يظنون انهُ اذا مات انطانيوس بيك شاهين يتبدّد العسكر ويظهر الانقسام في كسروان ولهذا جعل عدوّ السمّ في غداء انطانيوس بيك شاهين وبعد ان تناول منهُ المذكور وقع في الفراش مريضاً وأشرف على الموت. ولكن لاجل قوّة المناقير المطاة لهُ حالاً وبعناية الله نجا منهُ سالماً. وقيل عن غير اناس انهم ارادوا قتل السيد البطريرك ولكن لم يحصلوا لذلك على وسايط كافية

الحادث السابع

في سفر جزء من عسكر كسروان على الدروز وانكسارهم

انّ سكان بيروت المسيحيين لما نظروا حال اخوانهم الساكنين خارج بيروت وكسروان انهم بضيق كلّي وانّ شدّتهم غدت لا تُحتمل كون بيوتهم أُحرقت بالنار

واموالهم أخذت وما عاد لهم من يسعفهم . وكذلك اهالي دير القمر صاروا في ضيق كبير من تزاحم الدروز حولهم (١٦) وانقطاع دخول محاصيل الماش اليهم وشدة الغلاء حينئذٍ طلبوا من خرشد باشا مشير المدينة ان يعمل اصلاحاً لهذا الخراب . فالمذكور لم يجب طلبتهم ولم يعمل حتى عملاً واحداً بل كان يعدهم مواعيد بلوتيكيَّة لا غير

فلشدَّة ضيق وكثرة صراخ المسيحيين المسبين رأوا اهل بيروت المسيحيُّون مناسباً ان يطلبوا عوناً لاولئك من الكسروانيين . ولهذا كتب السيد طوبيا مطران الوارنة مكتوبين الواحد للسيد البطريرك بولس والآخر الى انطانيوس بيك شاهين وارسلهما مع وكيله الخوري جبرائيل وكان يطلب في الكتابين ان يرسلوا رجالاً من قبلهم لمساعدة اهالي دير القمر وما يليها وهو يقوم بكل لوازمهم . فحين وصل الخوري المذكور الى دير بكركي في كسروان وقدَّم للسيد البطريرك ولانطانيوس بيك الرسالتين الآتي بهما وغب اطلاعهما على طلب السيد طوبيا ما قبلا بذلك وكانوا يقولون انَّ كسروان الآن في حوزة الامان وبعيد عن الدروز ونحن محصَّنون تجاههم فلماذا نرمي برجالنا خارج حدودنا في الاخطار البيّنة ونعطي سبباً للحرب ونفتح سبيلاً للاعداء لتأتي الينا

فالخوري المذكور عند سماعه هذا الجواب اخذ يتضرَّع متوسِّلاً اليهما ويحرِّك قلوبهما للمحبة والغيرة المسيحيَّة وكان يناشدهما بما يأول لاكرام الديانة وتمجيد العزَّة الالهيَّة . حينئذٍ افتكر السيِّد البطريرك وانطانيوس بيك انهُ ان لم يقبل تحرير السيد مطران طوبيا ربَّما يصير ضرر اكثر للمسيحيين ويصير اللوم عليهما من الجميع ولذلك امرا ان يذهب خمسمائة رجل من عسكر كسروان لمساعدة اهالي القرى (١٧) التي قرب دير القمر . ومن ثمَّ انطلق العسكر المذكور ولما وصل الى ساحل بيروت حيث كان عسكر الدولة رابض (رابطاً) . حينئذٍ قاموا تجاههم وقصدوا ان يمنعوا سيرهم الى دير القمر . ولما لم يقدروا على ذلك عبر عسكر كسروان بدون ضرر للجهتين . وحين وصلوا المكان المقصود لم تفرح بهم اهالي تلك القرى بل ازدادوا غماً وحزناً واشتدَّ عليهم الخوف وكانوا يقولون انهُ الآن لسبب مجيء الكسروانيين الينا ستقفل علينا يد الدروز . ولهذا لم يقدموا لهم الاكرام والقبول اللازم . ومن جهة بيروت قد تأخرت عنهم الذخيرة الواجبة

فمن قبل هذه الاسباب تفرّق طابور عسكر كسروان الى اقسام عدّة لكي يجدوا لهم ما يأكلون. ولكن منهم شرذمة نحو مائة وخمسين رجلاً نزلوا الى الوادي الى قرية من قرى الدروز من كل جهة وجانب ولاجل قلّتهم وكثرة الدروز ولّوا هاربين وقد قُتل منهم خمسة عشر رجل والبقيّة هربوا الى محلّاتهم والجميع رجعوا الى كسروان من طرق غير اعتياديّة

فوصل الخبر لخرشد باشا والي بيروت فاستدعى اليه السيّد طوبيا مطران الموارنة المارّ ذكرهُ وقال لهُ: يجب ان يمنع اهالي كسروان بالّا يخرجوا خارج حدودهم وان خالفوا امري هذا سأطلع انا وآخذ معي عسكر الدولة العليّة واضرب كسروان وافنيهم جميعاً. فالسيّد المذكور بعد مخاطبات كثيرة لاطف الامر وخرج من السرايا بسلام وهدوّ (١٨)

الحادث الثامن

في تحصين كسروان واجتماع العساكر

انهُ كما ذكرنا في الحادث السادس انّ النصارى انقسموا على بعضهم بعض ولم يبقَ على اتفاق واحد سوى اهالي كسروان وزحلة ودير القمر. فهؤلاء لاجل بُعد الاماكن كانوا دائماً يكاتبون بعضهم بعضاً في امر الثبات على اتفاق واحد. ولكن لاجل السبب المذكور ما امكنهم ان يؤلفوا عسكرًا واحدًا من جمهورهم. ولذلك صار كل منهم يحصّن نفسهُ وهو في مكانهِ. فأهالي دير القمر كانوا يتحصّنون ضمن الدير ولكن في ضيق كثير كما ذكرنا واهالي زحلة كانوا مستعدّين للحرب، واحتياجهم كانوا يأخذونهُ من الشام. وأما اهالي كسروان بعد ان اجتمع بعسكرهم الى اربعة آلاف رجل اقاموا في نهر الكلب ليحفظوا بوغاص كسروان. وكانوا متيقظين ليلاً ونهارًا لهجمات الدروز لان ما كان لهم ارادة السفر على المذكورين. ولكن بما انهم فقراء الحال وقراهم بعيدة عن بعضهم بعض ومتفرّقين جدًّا لذلك بعد اجتماع معسكرهم في نهر الكلب احتاجوا لاسعاف الغير. ومن ثمّ اخذوا اسعافاً دراهم كثيرة من رؤساء الاديرة ومن تجار بيروت

ولنجاح الحرب ارسل السيد البطريرك برلس واستدعى اناساً من جبيل والبترون لمساعدة عسكر كسروان وكان متقدم اولئك يوسف بيك كرم رجل مسيحي حسن السيرة وفطن في كل اعماله. فهذا حين وصل الى كسروان وكان برفقته اربعمائة رجل فقط وبقيّة عسكره تركهُ في بلاده تحت الطلب. وبعد وصوله صار جمعية في كيفية السفر على الاعداء. وكانت نتيجتها ان يبقى العسكر في حدود كسروان زمناً ما (١٩) لكي يروا الوقت المناسب للسفر. ولهذا بقيت العساكر كلّها في جونية ونهر الكلب. وكان في كل يوم يحثّهم يوسف بيك على الصلوات وتكميل لوازم الديانة المسيحيّة لاسيما الاعتراف والتناول. ومن ثمّ كان جمهور العساكر كل يوم مساء يركعون على حضيض الارض ويتلون الطلبة وبقيّة الصلوات المسائيّة

ثمّ انهُ حين وصل رجال كسروان الذين كانوا مضوا لمساعدة قرى الساحل واخبروا بكل شيء رأوهُ. وان الدروز يومئذٍ يحرقون القرى وينهبون مال النصارى ويقتلون الرجال وليس من يمانعهم. وانّ اهالي دير القمر في ضيق عظيم من قبل الدروز المحيطين حولهم. وان العسكر الجالس في الساحل يضرّ النصارى ظاهرًا وخفيًا ويعلم حزنا. حينئذٍ صار الاجتماع في كيف يعضدون اخوتهم المسيحيين الحاصلين في تلك الضيقات والبلايا المكتئبة. ولهذا كانوا يقولون ان زحفنا رجالاً على الدروز من طريق الساحل لا بُدّ من ان العسكر يقاومنا. وان ضربناهُ وعبرنا الطريق سنظهر بانّنا اعداء الدولة العلية ومضادُّون لها الامر الذي لا ترضاه البتّة. فاذن الموافق هو ان نذهب من الطريق العالية طريق زحلة لانهُ عاد ينبغي لنا ان نضرب الدروز وننجي انفسنا واخوتنا معاً او ان نموت نحن واخوتنا سويًا. وبعد هذا صار يوسف بيك كرم يذهب رويدًا رويدًا نحو الاعداء وكان معهُ عسكر من كسروان ومن الفتوح وجبيل والبترون وهكذا خرج خارج حدود كسروان ووصل الى قاطع المتن الى بكفيا وبسكنتا حتى الى قرب زحلة. وانطانيوس شاهين بقي في كسروان لمحافظة البلاد وكان معهُ كثرة كثيرة من العساكر الكسروانية (٢٠)

الحادث التاسع

في خروج خرشد باشا من بيروت لاصلاح اهالي الجبل

انّ اضطراب جبل لبنان كان سابقاً يبلغ مسامع الدولة العليّة ومن ثمّ صار الامر

الى المشير المذكور ليطلع هو بنفسه ويصلح الاهالي. وهذا الامر قد كان وصل اليه من مدّة شهرين او اكثر لطلوعه هذا. ولكن هو لم يرَهُ مناسباً الّا في هذا الوقت حين سمع انّ اهالي جبيل والبترون وكسروان وزحلة جميعاً صاروا باتفاق واحد على ضرب الدروز وانهم مستعدون للذهاب من طريق زحلة. حينئذٍ قصد الطلوع الى الجبل. ولكن قبل ذهابه من بيروت تعهّد خطّاً وختماً لجنرال دولة فرنسة ولبقيّة القناصل انهُ اذا طلع في هذا الوقت سيُصلح امور الجبل كلها ويرفع الحصار عن اهالي دير القمر ولا يدع يُصيبهم ادنى كدر. ولمّا خرج من بيروت اخذ معهُ طاهر باشا مشير العسكريّة وصحبوا معهم ثلثة آلاف او اكثر من عسكر النظام وجاؤوا الى الحازميّة ومكثوا هناك في المكان الذي يقسم حكم النصارى عن حكم الدروز. ومن هذا المكان صار يرسل لاهالي دير القمر رسائل الامن والسلام وكان يطمّنهم كثيرًا على حياتهم ويَعدهم بكل ما يمكن لحصول الراحة والامان. ولكن كان يقول لهم انهُ يجب عليهم ان يسلّموا اسلحتهم لكي لا يبقى للدروز سبب للافتراء عليهم. وبقي جالساً في الحازمية هو والعسكر الى بعد أخذ زحلة ودير القمر (٢١)

الحادث العاشر

في أخذ زحلة

انهُ في اليوم الثامن عشر من شهر حزيران سنة ١٨٦٠ حين كان خرشد باشا في الحازميّة ويوسف بيك كرم في قرب زحلة وانطانيوس شاهين في كسروان جاءت الدروز على زحلة بطريق الاحتيال والغشّ. لانهم اذ علموا باتفاق النصارى ووصول يوسف بيك كرم الى بسكنتا حينئذٍ غيّروا نظام ثيابهم وعلامات بيارقهم ورفعوا بايليهم بيارق حمرًا في رؤوسها صلبان وجاؤوا خفيةً الى زحلة من تلك الطريق المزمع ان يأتي منها عسكر كسروان. ولما أشرفوا على المدينة ورآهم أهلها بدأوا وقتئذٍ يرتلون اغاني حربيّة بهجةً بالنصارى ضدّ الدروز. وكانوا يظهرون علامات الفرح والسرور لبعضهم بعض ويقوّصون البارود ويصيحون نحو سكان زحلة كانهم نصارى اتوا لاعانتهم. ومن ثمّ ظنّوا بهم انهم رجال يوسف بيك

كرم. وبهذا الخبث والمكر دخلوا زحلة واذ تمكنوا منها صاروا ينهبون ويحرقون ويقتلون الرجال. وفي ذلك الوقت وصل الى زحلة من جهة الشام عرب لا عدد لهم لكثرتهم. ومن ناحية المتين جاء جمهور دروز كبير. وقيل انهم كان معهم عسكر من الدولة. والجميع هجموا على المدينة قاصدين خرابها وقتل رجالها وأخذ المال والعرض

ولكن لما نظروا اهالي زحلة انَّ الحال صار هكذا حينئذٍ تركوا كل اموالهم وارزاقهم وصاحوا كلُّهم بصوت واحد: «يا رجال لقد اخذونا غدرًا هلموا مسرعين للاجتماع بمكان واحد نحن واولادنا ونساؤنا. فمن هذا الصريخ المهول اجتمع(٢٢) الجميع في لحظة واحدة وهم جعلوا نساءهم واولادهم في الوسط والتفُّوا حولهم كدائرة السور وجرّدوا اسلحتهم وخرجوا على هذا النوع من البلد الى البرية. وفي هذا الوقت تضارب الدروز مع الغرباء الهاربين من العرقوب الى زحلة ومع البعض من اهل المدينة وقد قُتل من الزحالنة وقتئذٍ نحو ثمانين رجل فقط. ولما تفرقت سكان زحلة افرغها اعداؤها من كل مالها وأظلم جمالُها. لانهُ بعد النهب الكامل قد حُرقت. ولم يبقَ من سكانها سوى مقدار الثلث فقط

وقد وصل ضرر كبير واهانة عظيمة للآباء اليسوعيين لانهُ بعد ان نهبوا ديرهم ذاك المشتهر في زحلة بالغنى مسكوا منهم اربعة اشخاص كاهنًا وثلاثة رهبان وبعد اهانات فظيعة تلحق بالديانة وبالدولة الفرنسوية قتلوهم بنوع أليم(١

ولكن ترى ما الذي صار بالزحالنة الهاربين الذين كانوا عزًّا لجبل لبنان اجمع لما عندهم من الغنى والشجاعة والاقتدار في حرب. نعم هربوا من الموت ولكن مات غناهم وشرف اقتدارهم وصاروا في البرّي المقفرة كالظأن(كالضأن)المطرودين من الذئاب الخاطفة واحتملوا عذاب الموت ليس مرّة واحدة بل مرارًا عديدة. لانهُ كان هربهم الى جرد كسروان في زمن اشتداد حرّ شهر حزيران وما كان معهم شيء. ليأكلوه ولا اوعية ليرفعوا بها الماء. وما كان معهم ما يوقيهم (يقيهم) حرّ النهار وبرد الليل. بل كانوا كلهم مضطرين من شدّة الجوع والعطش المذيب وكانوا في النهار يلتجئون الى

١) هذه اسماؤهم: الاب ادوار بليوتت (Ed. Billiotet) والاخوة فردينند بوناتشينا (Ferd. Bonacina) والياس بونس الماروني وحبيب مقصود الرئيس الكاثوليكي

شقوق الصخور وظلّ الاشجار ليختبئوا من حرارة الشمس وهذا ما كان يحصل للجميع (٢٣). وفي الليل كانوا يرقدون على حضيض الارض فوق التراب وتحت السما بدون شيء يستترون به ومن ثمّ كان الوالدون ينظرون الى بنيهم ويبكون منتظرين متى يكون موتهم. وكذلك البنون كانوا ينظرون الى آبائهم الصائرين كالاموات ويبكون بعويل لا يباح بوصفه. وبقوا على هذه الحال الى ان تفرّقوا ضائعين كل واحد منهم في مكان. وقد كان اكثر التجائهم الى بيروت وكسروان وكانوا يعيشون من اسعافات المسيحيين الملتجئين اليهم

الحادث الحادي عشر

في خراب دير القمر

انّ خراب دير القمر كان ابتداؤه في اليوم الحادي والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨٦٠. فحين رحل الدروز من زحلة توجهوا لناحية دير القمر ودخلوها بدون مانع واختلطوا مع سكانها لان خرشد باشا كان وقتئذٍ اعطاهم الطمأنينة والامان كما سبق القول عنه. وكانوا هم ايضاً سلّموا اسلحتهم وصاروا يبيعون ويشترون مع الدروز وكانوا براحة وامان كذي قبل

ولما كان الدروز ممتلئين داخل دير القمر وكان اخوتهم محيطين حولهُ من كل الجوانب لئلا يهرب احد من المسيحيين صار بغتةً صريخ مهول ومرافعة كبيرة وبدأ الدروز ينهبون مال النصارى ويرسلونه سالاً الى قراهم مع اولادهم ونسائهم. وبعده اخذوا يذبحون النصارى بدون استثنا. وبدون رحمة. وكان قصدهم ذبح الرجال والبنين الذكور فقط. فيا له من منظر حزين وذبح اليم لانهم كانوا يذبحون الشبان والشيوخ (٢٤) كذبح الغنم من اعناقهم او كانوا يقطعون آذانهم وارجلهم وايديهم ثمّ يميتونهم بدوس الارجل. وغيرهم كانوا يقطعونهم بضرب البلطات كانهم عودان من الحطب. والبعض كانوا يذبحونهم ذبحاً غريباً مبتدين من بين الكتفين حتى الزلوم. واما الاطفال فكانوا يفسخونهم ما بين اثنين كفسخ الخراف المأخوذة بفم الذئاب. والبعض من المسيحيين التجأوا الى سراية الحكم التي كان فيها وقتئذٍ قائمقام عثلي

من قبل الدولة وعدّة عسكر. وصاروا كثرة كبيرة فالدروز جاؤوا ودخلوا السراية وقتلوا الجميع ولم يخلص منهم سوى سبعة انفار الذين حفظتهم امرأة القائمقام (١. وقيل ان العسكر كان يقدّم النصارى للذبح. انّ الذين بقوا احياء من اهالي دير القمر قيل انهم سبعمائة نفس ذكر لا غير. هؤلاء منهم من اختلطوا بالنساء في زمن الشتات. ومنهم من كان خارج البلد. ومنهم ايضاً من اختفى في بيت احد الخواجات الاميركانيين الساكن هناك لان الدروز في كل الشرور التي صنعوها لم يضروا باحد الانكليز البتّة. قيل انّ احد اكابر الدروز في زمن الوقيعة كان جالساً على كرسي في شارع هناك وكان يشرب اركيله وقهوة ويترنّم بالفاظ الفرح والسرور. وكان اعوانه يأتون بالنصارى احزاباً احزاباً ويذبحونهم امامه. وبمقدار كثرة المذبوحين كان يزداد تهليلاً وفرحاً. وقيل انّ الدار التي كانت معمولة لاجل القهوة والاراكيل كانت من خشب الدور والصلبان

خبرونا ان الدروز دخلوا بيتاً وكان فيه رجل وامرأة وخمسة بنين(٢٥)فاجلسوا المرأة في وسط البيت على مسند والرجل تجاهها واخذوا يذبحون البنين على فخذيها ويضربونها ويقولون [illegible] الروم يوم زواج [illegible] من دين البنين جاؤوا بالرجل وذبحوه بين ارجلها ومثل هذه القساوة [illegible] النساء حين ذبح اولادهنّ

فمن يقدر ان يتصوّر شدّة الضيق وكثرة الصراخ والبكاء والنحيب الصائر وقتئذٍ في دير القمر لاسيما لمّا رأوا انهم محاطون من كل جهة وجانب وليس لهم سبيل للهرب من وجه العدوّ وانّ النار اشتعلت في دير القمر كله ولم يبقَ مكان خالٍ من الحريق. ففي هذا الوقت رأوا خرشد باشا وصل الى الدير فوجد كل شيء قد تمّ وما بقي احد من النصارى وان النار مشتعلة في اربع جوانبه. حينئذٍ انطلق الى محل الدروز وبقي عندهم نحو ثلثة او اربعة ايّام. وبعد ذلك رجع الى الحازمية مكانه الاوّل. والدروز حرقوا بعده كل بلد دير القمر ولم يتركوا فيه حجراً على حجر مبنيّاً بل جعلوه كله تلّاً متروكاً ومضوا وتشتّت نساء الدير وباتت البنات في مقاطع المتن وبيروت وكسروان وكنت تراهم حفايا عرايا ومضنوكين من الجوع والعطش والحرّ

(١) وفي هذه الواقعة قُتل عشرون من رهبان الموارنة. والاخ اليسوعي الشيخ حيدر حبيش

مغموسين بالتراب والاوخام الرثّة كأنهم اموات خارجون من القبور . وحين وصلوا الى بيروت على هذه الحال المرثي لها حالاً حضرت الآباء اليسوعيّون والبتولات العازاريات واكابر الطوائف النصرانيّة فلاقوا هذه الجماعة كلها بكل ما امكنهم من الحب والانسانية واعتنوا باحتياجاتهم بقدر مكنتهم وبحسبما ساقتهم اليه الغيرة (٢٦) المسيحيّة . وقد كان اكثر اجتماع هؤلاء في دير الآباء اليسوعيين والبتولات العازاريّات . وقد كانت حالهم شقيّة بهذا المقدار حتى ان بعض اكابر الاسلام في بيروت رثوا لحالهم وقدّموا لهم احسانات مأكلاً ومليوساً

الحادث الثاني عشر

في عمل المتاولة وهربهم

امّا طائفة المتاولة فكانوا عاقدين عهداً مع الدروز في انهم يقومون معهم على النصارى . ومن ثمّ بعد اخذ زحلة وخراب دير القمر ارسل الدروز يعاتبون المتاولة عن عدم تكسيل وعدمهم وقلّة همّتهم وانهم حتى الان لم يضرّوا بالنصارى القريبين منهم . ولهذا تحرّكت همّة المتاولة وقاموا ليضرّوا بالنصارى فاوّلاً ضرّوا قرى بعلبك ونهبوها وحرقوا البعض منها وقتلوا من رجالها . ثمّ بدأوا يضرّون بقرى جرد كسروان ويخطفون الراعية كالمعزى والبقر . حينئذ خرج ضدّهم انطانيوس بيك شاهين وطردهم وحرق بعض بيوتهم ومنع مجيئهم الى كسروان وقيل انهُ قتل منهم حين كانوا يحاربون

الحادث الثالث عشر

في اضطراب كسروان

انهُ بعد اخذ زحلة وخراب دير القمر رجع يوسف بيك كرم الى كسروان ليستشير بالسيد البطريرك عن كيفيّة العمل في المستقبل ولكن في هذا الوقت العسكر الذي كان معه صار يتفرّق ويتوجّه كلّ الى مكان ولم يبقَ برفقته سوى القليلين جدًّا . ومن ثمّ وقع (٢٧) خوف عظيم في كسروان لان الدروز صاروا في همّة المجيء وليس هم فقط بل وعسكر الدولة . وشاع الخبر انّ الدروز مزمعون الاتيان الى

كسروان من طريق زحلة والعسكر ايضاً مزمع ان يجيء من طرق الساحل ويريد كلاهما الدخول الى كسروان في وقت واحد . وقيل ان المشايخ الخازنيّة سيكونون مرشدين للعساكر (١

وهنا من يمكنهُ ان يصف شدَّة الخوف والقلق والاضطراب الذي صار وقتئذٍ لانهُ ارتجت بانزعاج كل سكان كسروان وقاطع المتن وصاروا في شتات جسيم . وتزعزع كل واحد من مكانه وطلبوا الهرب جميعاً . فكنت ترى الناس اجواقاً اجواقاً حاملين امتعتهم وسائرين كالسكارى والساهين لا علم لهم اين يهربون او اين يختفون . ولاجل كثرة الشتات ضاعت فطنة البشر لانك كنت ترى الناس الساكنين شرقي كسروان هاربين الى جونية وسربا في ساحل البحر من الجانب الغربي . واهل هذا الجانب كنت تراهم هاربين الى الجهة الشرقية . واهل غزير وعرمون الساكنين في الجانب الشمالي كنت تراهم هاربين الى زوق ميكائيل في الجانب الجنوبي وكذلك سكان هذه القرى كانوا يهربون الى الجهة الشمالية . وكثيرون هربوا الى بيروت . وغيرهم كثيرون حفظوا امتعتهم ضمن المراكب وكانوا مستعدين للسفر في وقت الخطر

ولكن ترى كم هو شديد ذلك الخوف الذي صار في كسروان لما رهبان الافرنج الفرنسيسكانيين الساكنين دير حريصا هربوا لبيروت . وكذلك حين هربوا لبيروت الرهبان اليسوعيّون الساكنون ديرغزير واخذوا معهم كل اولاد (٢٨) مدرستهم الذين كانوا نحو مائة نفر . وكذلك ايضاً هربوا لبيروت الرهبان العازاريّون الساكنون دير عين طوره . وجميعاً كان هربهم في وقت واحد بواسطة الفابور الفرنساوي الآتي لمينا جونية . وفي هذا الوقت ايضاً استعدَّ للهرب السيد بولس بطريرك الموارنة . ولهذا انزل امتعتهُ الثمينة الى البحر وجعلها في مركب كبير كان رابطاً في مينا جونية . والفابور الذي كان نقل رهبانُ الافرنج رجع وربط قدام جونية . وكان قصده اذا ما وقع خطر في كسروان على النصارى ان يأخذ السيد بولس بطريرك الموارنة وكل من امكنهُ اخذهُ

واما السيد غريغوريوس بطريرك الارمن الكاثوليكيين الساكنين دير السيدة زمار فانهُ لما نظر هذه الحال المرئي لها قصد الهرب هو واساقفتهُ وكهنتهُ وكل اولاد

(١) شاع هذا الخبر بدون سند كأنَّ المشايخ ارادوا الانتقام من انطانيوس شاهين واشياعهُ

مدرستهِ وكان عددهم نحو خمسين نفر ولكن ما شاء ان يصدر في قلب جماعتهِ خوف او يسبب اكثر شتاتاً في كسروان لنزول جمهوره ومن ثمَّ انحدر خفيًا الى جونيه وكان معهُ مطران وكاهنان وشماس فقط . وعند وصوله اخذ مركباً كبيرًا وجعلهُ ان يربط في ميناء جونيه ليوم الهرب منتظرًا قدوم جماعته . وبعده توجه الى بيروت ليرى وسائط مناسبة لتدبير ديرهِ واديرة رهبانهِ الانطونيين

ثمَّ الذي زاد الخوف في قلب اهالي كسروان وكثر شتاتهم هو الاتفاق الذي صار في بيروت . لانهُ في اوَّل شهر تموز اجتمع في سراية الحاكم الامير بشير احمد حاكم النصارى والامير عساف وغيرهم من امراء ومشايخ وبعض اكابر من المتن والقاطع واتَّفقوا على عمل الصلح بين الدروز والنصارى . ولهذا عملوا مضبطة وختموا هم واهل المجالس (٢٩) جميعاً وقدَّموها لخرشد باشا وهو ايضاً ختم عليها وارسلها الى الاستانة العليَّة . وكان مضمونها « انَّ الشيء الذي صار قد مضى وما عاد بقي للنصارى طالب على الدروز شيء البتَّة لا مال ولا دم وقد اصطلح الفريقان مع بعضهما بعضاً » . وغب ارسال المضبطة صار ترتيب في ان الامير بشير احمد وغيره من اصحاب المقاطعات ان يطلعوا الى محلَّاتهم وتُعطى لهم العساكر الكافية ليتولوا حكمهم ويقاصُّوا كل من لا يطيعهم . وهذا الخوف بقي في كسروان الى ان وصلت العساكر الفرنساوية

الحادث الرابع عشر

في اضطراب مسيحيي بيروت

ان الجهال من مسلمين في بيروت قصدوا على الفتن وان يضرُّوا بالنصارى نظير الغير . ولذلك في اليوم السبت الواقع في ثاني وعشرين حزيران سنة ١٨٦٠ صار اضطراب عظيم في المدينة . لان اثنين من شبان المسلمين تضاربا مع بعضهما بعضاً لاجل رفع اللحم من المسلخ لان الاثنين كانا قصَّابَيْن فالواحد ضرب الثاني بالسكين والقاهُ ماتتاً وهرب . وحينئذٍ ادَّعى المسلمون ان القاتل هو نصراني ومن ثمَّ هاجت اهل المدينة كلها واغلقوا حوانيت البيع والشراء وصاحت المسلمون ضدَّ النصارى وصاروا يضربونهم بالعصي ويهينونهم اهانات فظيعة وقد جرحوا البعض منهم وخطفوا اواعيهم واكياس دراهمهم . وبقي الحال هكذا مقدار ساعتين او ثلث ساعات

ثم توسّط الامر الشيخ محمد الحوت ذو الفضل وكان يقول لهم : لا يجوز ان تفعلوا شيئاً رديًا بالنصارى لانهم مجاورون لنا في المدينة واخوتنا بالطبيعة وانّ الله لا يرضى بذلك ولا النبي محمد. فالمسلمون (٣٠) لاعتقادهم بتقوى المذكور كفّوا عن اتّصال الفتنة ولكن مسكوا في ذلك اليوم شابًا نصرانيًا من طائفة الموارنة احد الهاربين الملتجئين الى بيروت وقدموهُ لديوان الحكومة وادّعوا انه هو القاتل وقالوا ان لم يُقتل هذا في هذا اليوم سنقتل نحن كل النصارى . ولذلك مضوا خفيًا واتّفقوا مع مشايخ الدروز الذين كانوا وقتئذٍ في بيروت في ان يأتوا الى مساعدتهم في تلك الليلة عينها. ولهذا اسرع المشايخ المذكورون ومضوا الى قراهم ليأتوا مساء مع جمهورهم. ولكن لمّا رأى المسلمون ان الحاكم مزمعٌ ان يقتل الشاب المذكور لذلك عجّلوا وكتبوا كتاباً وارسلوهُ لمشايخ الدروز في الساعة العاشرة من ذلك النهار وكانوا يقولون لهم ان يتأخروا عن المجيء في تلك الليلة ويبقوا الى ان يعرّفوهم ثانياً

فلما صار المساء ودخل الليل اجتمع جمهور كبير من المسلمين وجاؤوا الى سراية الحكم وطلبوا ان يُقتل ذلك الشاب النصراني ولجّوا في طلبهم هذا وقالوا : ان لم يُقتل الآن سنفتك بالنصارى كلها. وهنا من يقدر ان يشرح بكفاية شدّة الخوف وعظم الفزع الذي وقع على النصارى في ذلك اليوم وتلك الليلة. فكثيرون في ذلك اليوم سافروا الى الاسكندرية ومصر ومالطه وقبرص وسيرا حتى الى باريس. ولكن الباري تعالى لم يكن قضى بعد على بيروت بل سمح بقتل رجل بريء فداء عن كثيرين. ولهذا انّ رجال مجلس الحكومة مسلمين ونصارى اذ نظروا كثرة الجمهور وتزاحم الناس بالسراية ختموا مضبطة بقتل الشاب المذكور (٣١) . وكانت بموجب شهادة ولد يافع نصراني ابن اربعة عشر سنة وولد مسلم ابن ستّة عشر سنة بدون اقرار من المقضيّ عليه لانهُ كان يقول « لا علم لهُ بذلك كليًا » وكان يقول « انا مسلّم نفسي لديكم ان قتلتموني وان اطلقتموني وغير هذا لا اعلم » . فكان خروج المضبطة في الساعة اثنتين ونصف من الليل وحينئذٍ اخذوا ذاك الشاب المسكين ومضوا بهِ الى ساحة المدينة ليقتلوهُ هناك وقد تبعهُ هؤلاء الجمع الغفير. وفي الطريق ملأوا جسدهُ كلهُ من الجروحات وبعد ان قطعوا رأسهُ صاح واحد من وسط الجمهور : « صلّوا على محمد » فاجاب الجميع «الصلاة والسلام عليه» . وهذا على ثلثة

امرار . وبعده انصرف كل واحد الى مكانهِ وهدأ الحال . ولكن بقي الخوف في قلوب النصارى ولأجلهِ كانوا لا يستطيعون رقاد الليل . لان المسلمين وقتئذٍ كانوا لا يزالون متموّجين بحركة الفتنة ويتهدّدون النصارى على الدوام

وفي اليوم الثاني عشر من شهر تموز زاد الاضطراب في بيروت واشتدَّ الخوف على المسيحيين لانهُ وصل خبر انَّ في الشام المسلمين عمّال يقتلون النصارى وينهبون اموالهم ويحرقون بيوتهم وكنائسهم ويَسْبون نساءهم . ولهذا ارتجّت مدينة بيروت كلها وصارت في قلق كبير والمسيحيّون غدوا كالسكارى خالين من كل فطنة وتدبير وطلبوا الهرب جميعاً . والقناصل اخذوا لبيوتهم محافظين من عساكر النظام وكانوا يسهرون على حفظهم نهارًا وليلًا . وفي هذا الوقت نزل خرشد باشا لبيروت وفي نزولهِ تمكن الخوف في قلوب النصارى لانهُ امر ان لا احد يسافر من بيروت ومسك طريق البحر . حينئذٍ (٣٢) اجتمعوا بعض قناصل الافرنج كلهم وطلبوا منهُ رسميًا ان يعطيهم كفالة شرعية بختمهِ وخطّ يدهِ لحفظ المدينة من الضرر وان يرفع المنع عن السفر . واذ قبل المذكور طلبهم اعطاهم صكًّا كما ارادوا واخرج منادياً في المدينة يقول : « من اراد السفر فليسافر بدون مانع » . ومن ثمَّ سافر في ذلك اليوم اكثر من الفين نفس . ثم اعطى بيورلدي لبطريرك الارمن الكاثوليكيين يعلن به عن محافظة ديرهِ واديرة رهبانهِ واذن لهُ ان يرجع لكرسيّهِ

وكذلك ان مسلمين بيروت عملوا جمعيّة عموميّة في الليل في سوق العطّارين وفيها كان اناس متعقلون ولهذا اقنعوا الجهلاء في ان فتنة كهذه لا توافق الديانة ولا الدولة العليّة ولا الراحة المدنيّة وانهُ لا بُد من ان يصير السؤال عن هكذا اعمال من دول الافرنج وسيطلبون منّا تعويضاً فتكون نتيجة ذلك خراب بيروت لا غيرهُ وبهذه الملاحظة وغيرها انصرفت الجمعيّة وذهب كل واحد لعملهِ ولكن الخوف بقي في المدينة الى مجيء العساكر الفرنساويّة

الحادث الخامس عشر

في اضطراب المسيحيين في صيداء

ثمَّ ان مسلمين صيدا تحرّكوا لعمل الفتنة وللفتك بالنصارى ولكن قبل ان يتمّ

العمل وصل خبر لبيروت في هذا الشأن وحالاً توجه فـابور فرنساوي جرجي ليرى صحة الامر . ولما وصل لصيدا وتحقق حركة الفتنة حينئذ تهدد المدينة بضرب المدافع وهدم المدينة . ولكن اذ نظر لا قدرة له اصدّ الضرر كلياً لان اهل صيدا المسلمين (٣٣) اعتذروا وتشدد في ان الـدروز مباشرون حول المـدينة وطالبون منهم ان يسلموهم النصارى الهاربين اليهم وان لم يسلموهم يهجموا على المـدينة وينهبوهـا عموماً . ولهذا السبب رجع الفابور المذكور حالاً لبيروت ليستدعي غير فابورات ايضاً . ولكن قبل ذهابه صنع واسطة عجيبة لحفظ المدينة من الضرر

انّ في مينا صيدا قرب المدينة يوجد صخرة عالية في وسط البحر كجزيرة مـا . فالقبطان صاحب الفابور المذكور اخرج الى تلك الصخرة اربعة مدافع واربعين عسكرياً وجعل عندهم قارباً قائلاً ربما تحتاجون اليه واوصاهم ان كانوا يرون علامـات الفتن في المدينة حالاً يضربون المدافع ليعلم الاشارة . ثمّ لما وصل لقرب بيروت قوّص مدافع علامة الضيقة اذ كان بعد سائراً وحينئذ استعدت اربعة فابورات للذهاب وحـال وصوله اعلمهم ما كان . وبسرعة سافرت الخمسة فابورات الى صيداء كالبرق اللامع واذ بلغوها ورأوا انه بعد ما صار شيء من الشرور حينئذ [illegible] وبقوا هناك . ولكن لتحقيق الخطر وشدة الخوف ما استطاعوا القناصل ورعية الافرنج الساكنين هناك ان يبقوا في المدينة . ولهذا انحدروا الى الفابورات المذكورة وتبعهم جمع كبير من النصارى وجاؤوا كلهم لبيروت وبهذا النوع مُنعت الفتنة عن مدينة صيداء

فمن قبل الاضطرابات المذكورة كثرت الناس في بيروت ووصـل خبر فقرهم الى صاحب السعادة مالك الدولة المصرية سعيد باشا وهو أمر خلاف عادة نظام (٣٠٤) بلاده انّ كل النصارى الاتيين من الجهات المذكورة يدخلون حدود حكمه بدون تذاكر الطريق وان تُعطى لهم اماكن للسكنى ويصير بهم الاعتناء اللازم . ولهـذا السبب كثيرون الذين سافروا في الفابورات مجاناً . ثمّ انه ارسل لبيروت احساناً وغيره ليوزعوا على اولئك الفقراء المساكين

(التتمة لعدد آخر)

مقياس مائي لتدوين ثقل الهواء

للاب حوزف قرنه اليسوعي

نشرت مجلّة المشرق في سنتها الاولى (١ [١٨٩٨] : ٨١٧و٨٩٢) مقالةً واسعة وصف فيها حضرة الاب زمُوفن مقياس ضغط الهواء المعروف بالبارومتر وتركيبهُ وادواتهِ ومنافعهُ واخصّ انواعهِ اي البارومترَين الزئبقي والمعدني. وممّا شاع بعد ذلك مقياسٌ آخر مائي يصلح لتدوين ضغط الهواء يدعونهُ بالبارومتر السويسريّ. ومن فوائدهِ انّهُ لا يحتاج الى عمودٍ مفرط الطول لرسم الاختلافات الجارية في ضغط الهواء فيدوّنها بدقّة اعظم واضبط من اجهزة البارومتر الزئبقيّ

وهاءنذا اذكر بعض التعليمات العمليّة لاستحضار البارومتر المذكور واصطناعهِ على طريقة سهلة وبنفقة زهيدة فيدلّ على حركات الريح الضاغطة ويقيسها قياساً مدقّقاً بواسطة ارتفاع عمود الماء في الانبوبة

١. تركيب البارومتر المائي

(اطلب الشكل الاول)

يؤخذ لذلك وعاءٌ يحتوي من ١٥ الى ٢٠ ليترًا من الماء. فيُصبّ الماء دون نصف سعتهِ بقليل. ثم تُتّخذ مِخبرةٌ خ (éprouvette) اسطوانيّة مثقوبة في طرفها الاسفل. ثمّ تؤخذ انبوبة ب يكون قطرها نحو ربع السنتيمتر والافضل ان تكون من النحاس لتجمع بين المخبرة والوعاء. وطول الانبوبة يختلف على اختلاف مكان وضعها. ويحسن ان يكون كل قسم قائماً بذاتهِ تسهيلًا لتركيب الآلة وتدويرها. فقسمٌ واحد مثبت في منفذ المخبرة. وقسم ثانٍ يُغمس في ماء الوعاء عموديًا بعد اجتيازه بفلّينةٍ على طول نحو ٢٠ سنتمترًا. والقسم الثالث قطعة من الانبوب تُستحضر للوازم تجهيز البارومتر في ايّ محلّ يُشاء. ثم اخيرًا روابط نحاسية د د

٢ً ايضاح عملهِ نظرياً

(الطب الشكل الاول)

نظريّة البارومتر المائي سهلة الادراك . فلنفترض انَّ اداتهُ مجهَّزة موضوعة فوق الوعاء المملوء ماء دون نصفهِ . فلنسكب الآن رويداً رويداً ماء جديداً في المخبرة . فانَّ ضغط هذا الماء بعد قليل يتوازن مع الضغط الحاصل على باطن الوعاء ثمَّ لا يعود يجري اليهِ بل يبقى في المخبرة . فاذا دعونا الضغط الباطن $\overline{ط}$ وضغط عمود الماء $\overline{م}$ وضغط الهواء الجوّي $\overline{ج}$ والضغط الثابت $\overline{ث}$ تحصل المعادلة الآتية عند توازُن كل الاجزاء

$$\overline{ط} = \overline{م} + \overline{ج} = \overline{ث}$$

واذا حصل ضغطٌ جديد صار

$$\overline{ط} = \overline{م'} + \overline{ج'} = \overline{ث}$$

وبصورة اخرى :

$$\overline{م} = \overline{ج} - \overline{م'} + \overline{ج'}$$

$$\overline{ج} - \overline{ج'} = \overline{م'} - \overline{م}$$

فينتج منهُ انَّ اختلافات الضغط الجوّي : $\overline{ج ج'}$ تطابق اختلافات علوّ العمود المائي : $\overline{م - م'}$. فالماء يتصاعد في المخبرة عند هبوط الضغط والعكس بالعكس . وان وُضع على وجه الماء في المخبرة طوفٌ يسهل بواسطتهِ تدوين الاختلافات الحاصلة على سطح الماء وبهِ على الاختلافات البارومتريّة . فمن هذه المعادلات يتحصَّل لنا انَّهُ لا يُحتاج الى تحديد العلوّ الاقصى في عمود الماء إلّا لبيان الاختلاف فقلا حاجة إذن لمراقبة الاختلافات بين سطح الماء في الوعاء وسطحهِ في المخبرة وهذا ما يسمح باتخاذ هذا البارومتر في البيوت

٣ً تجهيز الآلة بحيث يثبت الضغط على سطح الوعاء

(الطب الشكل الثاني)

يجب ان يكون الوعاء المستحضر لذلك :

(اوّلاً) متراصاً مقفلاً بحيث لا ينفذ فيهِ البتة الهواء الجوّي . وللبلوغ

هذه الغاية طرائق شتى . دونك طريقةً منها بسيطة جدًا . تأخذ فلينة جيّدة قَ فيُدخل فيها قسم الانبوب النحاسي الغائص في الماء . ويوضع فوق الفلينة صفيحة صغيرة معدنيّة صَ فتُلحَم بالانبوب وتثبَّت على الفلينة بشمع مذوَّب . امّا الوعاء فيُسدّ عنقهُ شَ بصمامة بعد غمسها في شمع مسخَّن

(ثانياً) يجب ان يكون ماء الوعاء في درجة ثابتة من الحرارة ولذلك يجب ان يوضع في مكان لا تؤثر فيه اختلافات الجوّ . ويكفي لذلك ان يُجعل الوعاء في صندوق يُملأ بنشارة الخشب . وافضل ذلك ان يُجعل الوعاء في قعر الارض إن امكن

(ثالثاً) يجب ان تبقى كميّة الماء في باطن الوعاء دون زيادة . وانما الامر قريب المنال لانّ ما يُصبّ في الوعاء من كميّة الماء حسب ضغط الهواء لا يكاد يعبأ به بالنسبة الى ما يتضمنهُ الوعاء من الماء

وهنا لا بُدَّ من الاشارة الى طريقة صبّ الماء في المخبرة . فبعد ان يُعزل الوعاء عن حرارة الجوّ يجب تمكين الآلة برابطين نحاسيين دد . ثمّ يُصَبّ الماء في المخبرة بهدوء ثمّ ينتظر الساكب قليلًا ريثما يسيل الماء من المخبرة الى الوعاء . ثمّ يعود الى سكبهِ مرارًا كما فعل اوّلًا الى ان يستوي سطح الماء . ويحسن بهِ عندذاك ان يستنشق بفمهِ طرف المخبرة ليستخرج منها ما لصق بها من نفّاخات الهواء ويُصبّ الماء الى ان يبلغ الى وسط المخبرة تقريباً

تنبيه : اوّلًا اذا لحظ الساكب انّ الماء لا يزال متفرّغاً في الوعاء فذلك دليل على انّ الهواء الجوّي ينفذ الى الوعاء . ثانياً انّ الامر المهم في هذا العمل ان تبقى كميّة الماء في الوعاء وحرارتها ثابتتين دون تغيير . وهذا ممّا يصحّ على قدر سَعَة الوعاء . فان زادت سعة الوعاء تبقى كميّة مائهِ تقريباً واحدةً دون ان يؤثر فيها كثيرًا اختلافٌ قليل في العمود المائي . وكذلك لا يتأثر الماء في وعاء واسع من اختلاف حرارة الجوّ كما يتأثر في وعاء صغير . فانّ ماء الوعاء في هذه الحالة يشبه تقريباً فعل اللولب (الزنبرك) في آلة المانومتر

٤ وصف المقياس المدوّن لحركات الجوّ

(اطلب الشكل الثالث)

يجب ان تكون قاعدة المخبرة قَ متساويةً افقيًا . والأولى ان تؤخذ لذلك لوحة

مربَّعة متينة يثبتونها باربعة براغي خشب بر مبرودة الاطراف لئلا يحصل منها أذى بنوافذها الى ورائها . وبثلاثة من هذه البراغي يمكن الحصول على استواء تامّ تدلّ عليه آلة السطح المائي (nivean d'eau) واذا ثبت الدليل انفذوا البرغيّ الرابع بكل رفق . وبذلك يتمّ شرط وجود قاعدة انقيّة غاية في الضبط ثابتة يستطاع تدويرها على موجب رغبة صاحبها

﴿الطوف المائي﴾ طو المتخذ للدلالة على اختلاف سطح الماء يجب ان يكون من الخشب المسمط متوسطاً بين الثقل والخفّة . يقطع على هيئة مخروطين متساويين ومتحاذيين باسفلهما . على دائرته نواتئ تمنعهُ عن الالتصاق بجدران المخبرة : ويُغمس هذا الطوف في البرافين المذوّبة صيانةً لهُ من الفساد او من اختلاف الثقل بوضعهِ في الماء

﴿البكرة﴾ يجب ان تكون البكرة ك خفيفة سريعة الحركة حول قطبها . واصلح ما يتخذ لذلك دولاب معنّق يبلغ قطرهُ اربعة سنتيمترات كالدولاب الذي يُرى عند الساعاتيين . ويثبّت هذا الدولاب بسلكين عموديّين ن وبقطب افقيّ فوق دائرة تتوّج بها المخبرة . ولذلك يجب استحضار [illegible] من الخشب [illegible] لقاعدة المخبرة والثانية [illegible] . ويجب ان يكون قطبها [illegible] دون حركتها . ويمكن زيادة تمكينها بوضع ساق [illegible] يجمعها وينفذ في جسمها . وعلى محاذاة هذا الساق يُمدّ سلكان معدنيان ن يجري عليهما الدليل د

وبديهي انهُ يجب في استحضار هذه الآلة ان تكون الاقبية موافقة لقطر البكرة بحيث ينفذ السلكان العموديّان الخارجان من طرفي قطر البكرة الواحدة في مركز المخبرة والاخرى في وسط السلكين المعدنيّين وكذلك يجب ان تكون الدائرة الخشبيّة التي فوق المخبرة مفرغةً مثقوبة في وسطها لينفذ فيها الطوف والخيط الملتفّ حول البكرة

﴿الدليل﴾ (اطلب الشكل الرابع) نريد بالدليل د (Curseur) الصفيحة المتحرّكة التي تسير على طول السلكين المسدّدين وهي تتركّب من صفيحة نحاسيّة خفيفة تتقطّع على مثال الشكل الرابع فتكون على قياس بُعد السلكين المذكورين فيبلغ مثلاً عرضها ٨ سنتيمترات وعلوّها سنتيمترين ونصف . فيُثقب على الاربعة

الاطراف الثالثة اربعة ثقوب للدلالة على محل امتداد السلكين المعدنيين بالتمام. وتوصل بالثقوب من الخارج اربعة شقوق تصلح لاستخراج الدليل اذا شاء صاحب الآلة. ثمّ يُطوى اخيراً الطرف الاسفل والطرف الاعلى على درجة ٩٠. ويُجعل قلمٌ على وجه الدليل الافقي ممكناً يدوّن الحركات

﴿القلم المدوّن﴾ هذا القلم قد يصنعونهُ بقطع صحيفة نحاسيّة خفيفة على شكل مربع صغير يكون قياسهُ نصف سنتيمتر تقريباً فيطوى المربع وراباً. ويُشقّ بالموسى طرف هذا الخطّ المورَّب شقًّا دقيقاً (بعض ملمترات) فيصبح الطَّرَف المذكور رأساً للقلم الموصوف. ثمّ يجعلون هذا التربيع وهو مطويّ على الشكل المورَّب ومفتوح فتحاً خفيفاً على صفيحة اخرى أصلب واشد من النحاس بعد لحمها بالطلاء. ثم يُحمون الصفيحة بالنار فيذوب الطلاء. ويمكن التربيع الاوّل الذي يتحوّل قسمهُ المجوّف الى دواة حبر فيسيل من الشقّ المجهّز في الامام. ولا يبقى الّا تقطيع الصفيحة السفلى ليتّخذ منها مسكة لهذا القلم

﴿الاسطوانة المدوّنة﴾ اطلب الشكلين الثالث والخامس. هذه الاسطوانة سطح [illegible] اوية على طول المحور تقريباً فتغطّى بورقة من اوراق التصوير لترسم عليها الحركات الجوّية رسماً واضحاً. ويجعلونها على صفيحة دائرة حول مسمار سم يكون قطبها. ورأس المسمار الذي بُردَ طرفهُ ينفذ في العلبة الاسطوانيّة المثقوبة في مركزها. وهناك مسمار ادقّ [illegible] يدخل في ثقب اخر يجعل الاسطوانة متحرّكة بحركة قاعدتها

ولهذه الغاية يفتحون بواسطة دولاب مسلكاً دقيقاً في اعلى سطح الآلة سط. ويمدّ من هناك بريم يكون طرفهُ الواحد مثبتاً على البكرة الدائرة كدوران الساعة والطرف الآخر يتّصل بدولاب ممتدّ لموازاة ثقل البكرة

وبهذا المنوال يدار بالثقل السطحُ والاسطوانة المدوّنة. وتُضبط الحركة وتنتظم من جانب آخر بجهاز تدوير الساعات. وهذا الجهاز افضل لتنظيم حركة البارومتر من اتخاذه كمحرّك. ويصلح للتنظيم المذكور لولب المنبّهات الاعتياديّة على شرط ان يكون لهُ مفتاح يجعل فيه مسلك للبريم المنوط به

ثمّ يجب قياس قطر السطح المتحرّك الذي يحمل الاسطوانة المدوّنة بحيث تدور

مرّة كل اربع وعشرين ساعة . فلنفترض مثلاً انّ المفتاح يدور في النهار عشر مرّات وانّ قطرهُ ٥ سنتيمترات . فان السطح الحامل للاسطوانة لا يدور سوى دورة واحدة في هذه المدّة . فالقطر يعرف بالعمليّة الجبريّة الآتية :

$$\frac{\text{ك}}{١٠} = ٠,٥$$

فينتج منهُ ان $\overline{\text{ك}}$ = ١٠ × ٠,٥ = ٥ سنتيمترات

وكل يوم في ساعة معيّنة يجب تدوين نقطة معلومة على الدائرة . ويكفي ان تدوّن الاختلافات البارومتريّة كلّ اسبوع على ورقة واحدة

(تنبيه) : قد رُسمت صورة البارومتر المائي مقسّمةً لبيان عمل كل قسم منها . ولو شئتَ ان تراها في صورة واحدة فما لك إلّا ان تجمع بين الشكل الاوّل والثالث . وقد خصّ الشكل الثاني بوصف المخبرة خ مكبّرةً ليظهر موقع الطوف ف والاسطوانة المدوّنة سط والدليل د والقلم قل الراقم . اما الدليل والقلم وُصفا في الشكل الرابع . اما الشكل الخامس فخُصّ بتدوير الاسطوانة المتحرّكة

الاميران الاسيران

مأساة تمثيليّة تاريخيّة ادبيّة

مترجما عن الافرنسيّة بتصرُّف الخوري يوسف العشيّ (تابع)

الفصل الثاني

يمثّل الملعب محلاً آخر في المنارة اقلّ ظلمةً من الاول وفي وسطهِ مقعد خشبي مغطّى بقطعة قماش

المشهد الاول

رودلف . ياترو . فردريك والفرد ناتان على المقعد الخشبي الموما اليه

رودلف : لو كنتُ اعتقد في الفأل والرؤى لقضيتُ نحبي في هذه الليلة التي مُنيتُ فيها بأحلام هالني امرها فبتُّها مضطرباً كلوء العين . على الرغم من نصَبٍ وعناء لم يُبقيا عليّ

بياترو : لستَ مولايَ ممَّن يُعيرون الاعتقادات الباطلة سمعاً . ومع ذلك ان الاحلام تفسَّر باضدادها ليس فيها ما تُخشى عواقبهُ

رودلف : قُلْ لي يا بياترو لماذا منظر هذين الولدين يُثيرُ بقلبي عواملَ الحنان والشفقة ؟

بياترو : براءتُها وطهارة نفسيهما اللتان تُقرآن على وجهيهما تُلفتان النظر اليهما وتحرّكان القلوب لتعطف عليهما . هما ملاكان سماويّان حلّا بمغارة اللصوص . وامّا انا فاتفاءل بوجودهما بيننا خيراً

رودلف : وانت يا بياترو فيما أرى رأيتَ في الامر رأيي

بياترو : لا اخفي عليك ايها الزعيم اني لأول مرّةٍ أطلقتُ للعين عبَراتها . لقد شاهدت مراراً مواقع دمويّة ولم تأخذني لذلك رقّة . وماذا يُطلب من لصٍّ نظيري جافي الطبع ؟ غير اني لم اكن املك من نفسي عند مشاهدتي صغاراً يتألمون . ولعمري ان قلباً لم يلِنْ عند نظرهِ هذين الصغيرين وقد خنقتها العبرات هو بلا مرية حيوانٌ كاسر لا عهد له بالرحمة . ولئن كنّا نحن لصوصاً فلنا قلوبٌ تتأثر

رودلف : صدقت يا بياترو . وأوصِ من تأمره باللطف واللين مخففاً مشاق اسرهما . وخلياً مرارة سجنهما

بياترو : هل يطيب للولد عيش وهناء خارجاً عن احضان عائلته ؟

رودلف : ما العمل اذن . هل نطلق سبيلها ؟

بياترو : عندي ان فِديَتها افضل من اسرهما

رودلف : ان لي في امساكها غرضاً . وهل نحن بحاجة لفِدية ولشرافُ المملكة يؤدّون لنا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ؟

بياترو : وانا على بيّنة من هذا الامر ولكن كم من اماثل قومهم افتدَوا دماءهم بمالهم ونفوسهم بفلوسهم

رودلف : ومَن تمنّع من هولاء جعلناهم طعماً للكواسر والجوارح

بياترو : إن ما يُدهشني بمولايَ أن لا تأصره على أشرافِ قومهم آصرةٌ . وكلُّ ما يأتيهِ ويبدو على ملامحهِ بيّنات سافرة على كرامة مَحتدهِ وطيب ارومتهِ

رودلف : لقد بذلتُ لك من قبلُ نصحي بألّا تحدّثني بامري فلستَ بحاجة

لتعلمَ دفائن اسراري . ولذا كنتَ لسوء حظك اطلعت على شيء منها فسيفي هذا الذي ازجهُ بصدرك يحول دون الإباحة بها . ان قلبي لينفطرُ على هؤلاء الاشراف الذين تربصوا بيَ الدوائر ونصبوا لي الحبائل . وكان بقصدهم لو مالأهم دهرهم أن يُميتوني شرَّ ميتةٍ . فقد آليتُ يميناً جزماً بان أنزل بهم انكأ العقوبة وأنكلها . وكما كنتُ اتنكَّر لهم لا ازالُ ابغي لهم الغوائل ولن ابرح أناصبهم العداء . وهذان الولدان اللذان داخلني من امرهما ما أوسع لهما كنفَ رحمتي هما ولدا عدوٍّ لي اوغرَ عليَّ صدره . على اني احرص على غنيمتي عند تصادُم الابطال ومبارزة الرجال . . . هل تذرَّعتم بما يلزم للنزال ؟

بياترو : أجل مولاي على ما ترغب وتريد . قبل الرماء تُملأ الكنائن وقبل الرمي يُراشُ السهمُ

رودلف : لا بأس من إمعان النظر ايضاً في المعاقل والحصون هل هي وعرةُ المرام منيعة المرتقى . كنْ صادق البأس جريء الصدر . (يخرج بياترو)

المشهد الثاني(١)

رودلف : فردريك . الفرد

رودلف : (بتقدُّمة اللعب ويقول بجدةٍ) مثلي رئيس عصابةٍ ينبغي ان يكون مردى حربٍ خوَّاضَ غمراتٍ تملأ مهابتُهُ صدر العدوِّ رعباً

من الحكمة الآن أن اخاطب اسيريَّ لعلي اطَّلع على شيء من اسرار عيلتهما . لان الولد الصغير لا يجري لسانهُ بغير الصدق

(يتقدم الى مقعد الاسيرين ويرفع عنهما غطاءهما فيقول :)

— راقدان يترقرق على محيَّاهما ماء البراءة والجمال . غير ان الاكبر لا يتمالك من الجزع . فهو قلق الخاطر يتنفَّس الصعداء

الفرد : (يصرخ كأنه يحلم) اماه اين أنتِ ؟

---

١) ان هذا المشهد من ادقِّ المشاهد ينبغي ان يتمرَّن عليه المشخصون مراراً متحاشين العجلة والسرعة في الالقاء والايماء خصوصاً في ثباتهِ . اما بخصوص المقعد الخشبي الذي مرَّ ذكرهُ فيقتضي ان يكون مرتفعاً بحيث يشهد الجميع حركات الاسيرين اللذين يمثلان دورهما جالسين لا منبسطين الَّا عند قول الزعيم لهما : «ان رئيس العصابة رودلف يعرف كيف يناجز هؤلاء الابطال القتال» عندئذٍ ينتصبان على اقدامهما

رودلف : مسكين الفرد يحلم باسمه فيناً يستنجدها

الفرد : رحماك . رفقاً بي عطفاً عليّ

رودلف : لقد بلّل العرقُ جبينهُ فكأني به يحلم احلاماً مزعجة

الفرد : يا لقساوة قلوبكم ايها اللصوص ! . الوداع الوداع يا امّاه !

رودلف : قد استيقظ الصغير يحسن بي ان اتوارى عنه لئلا يهولهُ منظري (يختبئ وراء احد ابواب الكوليس)

الفرد : (يستيقظ وهو يصرخ) : فردريك اخي اين انت ؟

فردريك (يستيقظ ايضاً) : اخي الفرد لا تخف انا بالقرب منك

الفرد : لقد طمأنتني يا اخي وسكّنتَ روعي . قل لي من رفع عنّا الغطاء؟

فردريك : لا بأس علينا . انا نحن هنا وحدنا

الفرد : يا للبليّة . هل نبقى سجيني هذه المغاور ؟

فردريك : لعلّ للعناية سرّاً لا ندركه الآن . فلنلق اذاً عنّا همّنا . ولنخفف عن انفسنا مؤونة حزنها بالرقاد الذي يعيد لجسمنا قوّتهُ

الفرد : يا لله قد كرعتُ بفمي الرقاد . قد بتُّ الليل أعامل قلقاً وا لهب أرقاً . يتمثّل لعيني اشباحٌ هائلة . لصوصٌ شاكو السلاح . دمٌ مهدور . امي واخوّ قلباه على امي وقد غشيتها سكرة الموت . وكنت اشعر أني اجود بنفسي . وهل يأمن النائم صرعة الموت ؟

فردريك : مسكينٌ انت يا اخي بينما كنت أنتَ تتقلّب على فراش الجزع والآلام كنت انا راقداً ملء عينيّ . على اني لم اكن أحرم تعزيةً وسلوى في ابان شدّتي بما اتوقّعهُ من حسن الجزاء لمن يلوذُ بالصبر

الفرد : إذَنْ يمكنني انا أيضاً ان احصل على تعزية وسلوى ؟

فردريك : وما يمنع ؟ ومَنْ صبر أُجِرَ ومن لجّ كفر

الفرد : لقد أخذك يا اخي نُوَامٌ . أثقل جفنيك فلم تكن تنتبه لصراخي

فردريك : لم يأخذني نوامٌ بل احلامٌ . لله ما كان اوقعها واعذبها !

الفرد : قل لي عن احلامك هل بها ما نتفاءل خيراً ؟

فردريك : هي ولا امتراء من تباشير السلام وعلامات اليُمن . حلمتُ انّ

ملاكاً جلس قرب رأسي وجعل يعزّينا على ما نزل بنا ويؤمّلنا بفرج قريب. هيئة هذا الملاك الجميلة وكمال صورته قد ذكّراني بوالدتي بل هو اشبهُ شيء بها. فلم اكن املكُ من نفسي لما شملني من السرور. وادخلني من الشوق والحب نحو هذا الملاك. فصرخت على الفور: امّي. وطوّقتهُ بذراعيّ اقبّله وما ادراك ما كان بيني وبين امي. فلا كلام بيننا ولا سلام سوى دموع تنمُّ بخفايا الضلوع. ونظرات تترجم ما بين الأمّ وولدها من اسرار الوجد والحنان. غسلتْ وجنتيّ بدُرَر دموعها ومسحتْها بشعرها الذهبي الذي حجب عن عينيّ ظلمة سجني وفتح امامها باب الامل والنجاة. فصرختُ اليها من جديد: امّاهُ. ولله ما كان اعذب صوتها وارقّهُ اذ سمعتُها: «فردريك ولدي فلذة كبدي — وطنِ النفس على الصبر الآن. فملاكك الحارس يهتمّ بك وهو افضل حارس». ولم تصل الى هذا الحدّ من الكلام حتى دوى صراخك بتجاويف سمعي فانتبهتُ. وبعد هذا الحلم ارتفضّتْ عني المخاوف. ويخيّلُ لي أن قد قرب وقت انقاذنا من مضايق سجننا وفكّ عقدة اسرنا

الفرد : اتوقّع ممّن اتخذناها لنا اما في سجننا ان تحقّق آمالنا وتعيدنا الى امّنا التي أشرَبَتنا حبّها. آه لو يعلم والدنا مَقرّنا!

فردريك : على يقينٍ جازمٍ أن والدتنا اطلعتْه على ما حدث لنا. وهل نسيتَ امر الرسالة التي كتبها والدنا لنا ونحن في قيانة من مدة ١٥ يوماً

الفرد : لم أنسها. بل اتذكّر ايضاً انهُ كاتبَنا عن لصوص اكتشف هو مدخل ملاجئهم

(رودلف يُرهف سمعه لما يقال)

الفرد : ويضيف والدنا الى ما تقدّم في رسالته انه سيجتثُّ دابرَ هؤلاء الاشقياء ويعلّق رأس زعيمهم رودلف على مدخل القصر

(يظهر من مخبأه ويقول متهكّماً دون ان يراهُ الولدان)

— ما احسن ما يجزيني به صاحب القصر فانه يجزّ رأسي ويعلّقهُ على شرفات قصره لقاء ابقائي على ولديه ورفقي بهما

(ثم يرجع الى مخبأه بخفة)

فردريك : وفي هذا الصباح القى بياترو رسالة الى اللص ستارنو ليسلّمها الى والدنا

الفرد : أأنى لك معرفة ذلك ؟

فردريك : لقد شاهدتُ بياترو من احدى نوافذ الكهف يسلم الرسالة الى ستارنو ويستكتمهُ سرّها

الفرد : خبرٌ ينشرح له صدري فعسى والدنا يطلع على حقيقة امرنا فيسرع لانقاذنا

فردريك : ثلاثة الاف فارس ليوث غابة تحت امرته . ومن اين لرئيس العصابة رودلف ان يقف بوجوه هولاء الابطال الذين لا تروعهم النوائب ولا تنال من بأسهم النوازل

(يظهر ايضاً من مخبأه ويقول بحدّة امام الولدَين)

— ان رئيس العصابة رودلف يعرف كيف يناجز هولاء الابطال القتال

الفرد : يا للدناءة ! انت هنا ؟

فردريك : أأنت تسترق السمع ؟ خديعةٌ يا مولاي أذلّت شأنك . ونذالة تصاغر عندها وجهك

رودلف : بعقر داري وقد آويتكم طلباً رحمة فتضمرون لي شرّاً وقد قيل : «دبر في دارهم» . ستنظرون ايها الولدان الكنو[illegible] من اثنين يكون جزاءً للسيف وعوضاً للسهام . رأسي او رأس ابيكما

فردريك والفرد : بل رأسك ايها الزعيم

رودلف : اخرسا وقد وضعت هذا السيف خيط حياتكما

فردريك : وما يمنع [illegible] الخوض عن التهافت في ضلاله ؟

رودلف : لقد [illegible] الاحمق [illegible] غرورك قد كان يوسعني ان أوردك حياض منيّتك جزاء خيانتك وقحتك لكني أريد بنفسي عن منازلة صغير مثلك ليس من انداد

فردريك : قد خلا لك الجوّ فاقض ما انت قاض

الفرد : آه لو يعلم والدنا !

رودلف (بحدّة) : لاغمدنّ سيفي بصدره وصدركما معاً

فردريك والفرد : ليس ما يردعك عن الفتك بنا . وامّا امر الفتك بوالدنا فدع

الكلام عنه فلا تصل اليه . قدرتك

رودلف : ستحققان صدق قولي ايها الوقحان . اغربا عني الآن وارجعا الى مكان سجنكما

فردريك والفرد : (يضمان ايديهما لصدريهما وينظران الى ما فوق وهما بتذمة اللهى)

— رباه فلتكن دماؤنا فديةً عن والدنا

(فردريك والفرد يخرجان)

المشهد الثالث

رودلف وحده

— هل سبق الى ظني او قام في اعتقادي اني اطّلع على ما خبأتهُ لي الليالي من هذين الولدين ؟

ان صاحب القصر يُبرق ويُرعد عليَّ وقد طالما جاهر بعزمهِ على قطع رأسي وتعليقه على شرُفات قصره . ولئن كان هذا الارعن يطمع برأسي فلقد طمعتُ انا به من قبلُ . وها اني اترصده وقد نَضَبَ معينُ اصطباري لاجعلهُ عظةً للمتبصرين وعبرةً في الغابرين . ولكن ما العمل لو خانني الرفقاء او كان بياترو يتودّدُ اليَّ رِياءً . ويدور من وراء خديعتي ؟ امرٌ أوجسُ منه شرًّا . هوذا ستارنو مقبلٌ ينبغي أن ابالغ في استجاده

المشهد الرابع

رودلف . ستارنو

رودلف : ستارنو ؟

ستارنو : مولاي

رودلف : ما وراءك من الاخبار ؟

ستارنو : يهاجمنا الاعداء في هذه الليلة عينها

رودلف : كيف ؟ وهل انت على بيّنةٍ من هذا الامر ؟

ستارنو : اجل مولاي . لقد أسرَّ اليَّ اهلُ ذيّاكَ القصر ما يُضمرون

رودلف : اذن سنسحقهم عن قربٍ سحقًا ونوردهم مواردَ لا صَدَرَ لها . ولكن قلْ لي هل اطّلعتَ على خطّة هجومهم ؟

ستارنو : كيف لا وثقةُ القوم وصدقُ تديُّنهم لم يخفيا عليَّ شيئًا . وهذه هي

الخطة التي رسموها لهم . يغادرون القصر نصف الليـل حيث يكون هدوٌ وسلام ويعسكرون حوالي معاقلنا وكلّهم مدجّجون بالسلاح

رودلف : اذن يعلمون بملاجئنا ومواقعها ؟

ستارنو : لم تفتْ احدًا منهم معرفتها . ثم يهجم الامير بفيلقهِ على المضايق المؤدّية لمدخل الحِمى ويحاول الاستيلاء على المواقع الأمامية ومباغتة الحرّاس . وقد جعل الاميرُ لرؤوسنا ثمناً على سبيـل الجزاء . فمَنْ يأتِه برأس مولاي الزعيم فجزاؤه عشرة الاف فلورين . وبرأس بياترو نائبهِ الف فلورين وبرأسي انا كاحد اللصوص مائة فلورين . ومن ثم يعلم سيدي ما لرؤوسنا عند الامير من عظم الاهمّية

رودلف لذاته : لقد تحقّق قولُ الغلامين فهو بنجوةٍ من الشك

رودلف لستارنو : أولم يُلقِ اليك بياترو رسالةً للامير ؟

ستارنو : نعم سيدي

رودلف : وهل سلّمتها ؟

ستارنو : بقيتُ مرتاباً في امرها فلم اسلمها

رودلف : اين هي ؟

ستارنو : ها هي ذه

رودلف : أعطنيها

(يقرأ رودلف الرسالة)

سيدي الامير

« ابشرك ان نجليك الفرد وفردريك هما في مأمن من كل خطر . فاذا كنت توافيني اليوم نصف الليل الى منعرج الوادي الاخضر فاسلّمهما اليك »

خادمكم المخلص
احد اللصوص

ستارنو : لقد رأيتُ منهُ يا مولاي ما حملني على سوء الظن به . فان امارات القلق التي كانت تظهر على وجههِ وتحريضهُ لي بملازمة السكوت عند تسليمهِ اليَّ الرسالة المشار اليها كانا من اوفى الادلة على خيانتهِ

رودلف : وما الذي دعاه لارتكاب اثم الخيانة الفظيع ؟

ستارنو : ان بياترو كان يحمل نفسهُ على مكروهها بخدمتكم . وكثيرًا

ما سمعتُهُ يتبرّم ويتأفّف من أمر العيشة بيننا. واظنّ انه لم يسعَ في اطلاق سبيل الغلامين إلّا ليتخلّص هو ويلحق بهما

روداف (بحدّة) : سيذوق هذا اللئيم السافل طعمَ خيانته . واما انتَ يا ستارنو فقد اقمتُك نائباً عني جزاء امانتك ولم يبقَ عليَّ الآن إلّا ان ابلغَ من يُناط بهم امر المحافظة ما يجب اجراؤه بهذه الظروف الحرجة (يخرج).

المشهد الخامس

ستارنو لذاته

ان المهمّة التي عهد اليَّ بها الزعيم لم تكن لديَّ امرًا زهيدًا بعد ان كنتُ فقيرا مدقعًا اتعاطى الكدية في اسواق طورينو غير انها شاقّة يترتب على صاحبها اختراق صفوف . اقتحام مخاطر . سفك دماء . ممّا تأباه نفسي ويعافهُ طبعي . فلا كانت مهمّةٌ من ورائها هدر الدماء وقتل النفوس . ولكن ما العمل وقد تلظّت كبدي حسدًا فقد طالما وقفتُ لبياترو بالمرصاد لأجدَ نهزةً اغتنمها . توهّم هذا الاحمق انه يمسح رأس معلّمه ويفتل منهُ في الذروة والغارب فيخدعه . ولم يدرِ انَّ سريعي الانخداع هم اصحاب البرّ والصلاح . لا لصوصٌ تهافتوا في غرورهم . . . هوذا أحد الاسيرين مقبلٌ اليَّ

المشهد السادس

ستارنو . فردريك

فردريك : ستارنو انك لا شك آتٍ من فورتنواه . هل لك ان تبرّد لظى حشاشتي وتبشّرني بما ينفسح له صدري ؟

ستارنو : طبْ نفساً وقرّ عيناً

فردريك : اذن شاهدتَ الامير

ستارنو : لم يسعدني الحظ بمشاهدته

فردريك : ألم يترامَ اليك من اخباره ما تقضّهُ علينا ؟

ستارنو : ان ما تداولتهُ الرواةُ وسار على الافواه ان الامير يأتيكما حافلًا حاشدًا في الليلة المقبلة عند تخوم الغابة

فردريك : يأتينا ! لقد استسرّ علينا ما تقول !

ستارنو : هل تجهل ما تحرّاه بياترو وتذرّع به لينقذكما من أسركما ؟

فردريك : أجنبيٌّ عن هذا الامر . نشدتُك الله أن توسعني في ذلك علماً

ستارنو : ان بياترو كتب لوالدكما بشأنكما واستكتمني السرّ

فردريك : لقد سُقتما انت وبياترو الينا جميلاً لا يؤدّى حقُّهُ من الشكر . جازاكما الله احسن الجزاء . ولكن كيف تأمن عيونَ الطوارق ونطمئنّ من كمين سوء وزعيمكم قد بثّ العيون والارصاد ؟

ستارنو : ليس ذلك امراً مذكوراً بجانب حُنكة بياترو ودهائهِ ألقيا في يدهِ زمام امركما

فردريك : فلتكن مشيئة الله !

المشهد الرابع

بياترو . ستارنو

بياترو : اسعدَ الله قدومك يا ستارنو

ستارنو : آتاني الله لسان صدق يقوم باعباء شكرك مولاي

بياترو : حانَ الطرفِ نجيَّ الوساوس اتوقّعُ رجوعك . قلْ لي هل سلّمتَ الرسالة لصاحبها

ستارنو : يداً بيد

ستارنو لذاته : ولكن بيدِ مَنْ ؟!

بياترو : احسنت ايها الصديق الامين وسأخاطب الزعيم بشأنك

ستارنو : أثني على جميلك ثناء الزهر على القطر . إنّما تسمح لي ان ابوح لك بما تتوق اليهِ نفسي

بياترو : وما هو ؟

ستارنو : رتبة ملازم

بياترو : لا يساعدك نظامها على الحصول عليها . فلم تمرّ عليك في الخدمة المدة المطلوبة

ستارنو : سأحصل عليها عمّا قليل وتخطئك فراستُك

المشهد الثامن

بياترو . فردريك

بياترو لذاته : هل خدعني ستارنو وأفضى الى الزعيم بسرّي ؟

فردريك : مولاي لقد عَنَتْ لنا نواصي الرغائب بحسن تدبيرك

بياترو : لم أهتدِ الى ما تقول

فردريك : لم يكن يخفى علينا ما تكلفتهُ لاجل تحريرنا . ولئن كنتَ تكتم ما صنعتهُ من الجميل معنا فلا يسعنا نحن ان نجحف بحقّ النعمة او نفرّط بها . فلانتَ انتَ من أخلص لنا الولاء . فكم نودّ ان نقوم بما يوجبهُ علينا عرفان الجميل . ولكن اذ كان يتعذر ذلك علينا هنا كما ترى فنؤمل ان نتخلّص نحن وانتَ من هذا السجن المظلم الى قصرنا المجاور ومنه الى دارنا في العاصمة حيث نتفيأ ظلال الراحة ونتقلّب بين رغد العيش ورخائه

بياترو : امرٌ التبستْ عليَّ وجهتهُ فزدني ايضاحاً

فردريك : لقد أحطنا علماً بجميع ما تدبّرتهُ ممّا يعجّل حلّ عقدة اسرنا . ففي هذه الليلة عينها تُطلِقُ وثاقنا وتردّنا الى والدتنا

بياترو : ومن ذا الذي أبثّكم هذا السرّ ولم يقوَ على حفظهِ

فردريك : هو ستارنو . ولقد برهنتَ يا مولاي بتكتّمك عنّا ما صنعتهُ معنا من الجميل على أنفة ومروءة وسخاء نفس . مكّننا الله من القيام بما يقابل احسانك

بياترو : ستارنو ؟ لقد أساء فيما فعل فكأنما صدرهُ لم يُطقْ كتم سرّه وقد كنتُ أودّ ان يبقى ذلك من مُخبّآت الصدور لا يعلق به لفظٌ ولا تختلج به شفةٌ . ولا يبعدُ فيما اذا كان هذا الخائن دسَّ عليَّ خائنهِ وأطلع الزعيم على ما سارّتهُ بشأنكما فقد طالما حكّ في صدري ما رابني منه . وكيف احتجّ لنفسي من تبعة ما اتيتُ ؟ أسمع جلبةً . اذهبْ سيدي والحق باخيك مهّد الله لنا سُبل النجاة ! . (يخرج فردريك)

المشهد التاسع

بياترو . رودلف . ستارنو

رودلف : (يدعو بياترو مهدّدًا اياه)

— لستَ اهلًا للصنيعة والنعمة . اذهب فما تَبلُك عندنا بِلّةٌ . لتندَمَنَّ على ما فعلت

بياترو : مولاي . أنا على حيرةٍ من امري . ما هو الجرم الذي ارتكبتُهُ ؟

رودلف : جرم الخيانة (ويريه الرسالة المنوّه بها)

بياترو : (يستل سيفهُ ويهجم على ستارنو) قبّح الله أمًّا ولدتكَ يا لئيم

رودلف : (يصفر فيحضر اربعة جنود شاكي السلاح)

اللصوص : مُرْ مولاي . طوعٌ لك يا تحب

رودلف : (يشير الى بياترو) عليكم بهذا الوغد السافل . اوثقوا يديهِ واقتادوه الى اسفل الكهف ليجتني ثمرة خيانتهِ

(يقبض اللصوص على بياترو بعد ان يجرّدوه من الحديد ويخرجون به من خارج المسرح)

رودلف ستارنو : واما انت يا ستارنو خادمي الامين فقد اهّلتك نائبًا عني ووجّهتُ اليك رتبة ملازم اول . اذهب الان وتفقّد الحرّاس وليلازم كلٌّ موقعهُ ومن يتجاسر على المخالفة وينكبّ على الانتهار باوامري يرَ ما يكون من نتائج مخالفتهِ

(يرخى الستار)

الفصل الثالث

يمثل الملعب قسماً آخر من الكهف اكثر ظلمة

المشهد الاول

بياترو مقيّد لذاته

لقد استعرت نار القتال فانّ صدى الاسلحة النارية تملأ فراغ هذه الاودية. لا ادري ايّ الفريقين يحوز الغلبة ويكون بجانبه النصر؟

امّا انا فقد زجّتني التقادير باعماق هذا الكهف لا امرٌ بخاطر احد. امّا خيانة ستارنو فلا عذرَ لها عندي البتة. ثمّ موغرُ الصدر كبّلني بالحديد وفؤاده يخفق فرحاً ان يدي ستسقيه كأس حمامه قبل اوانه. اواهُ لو يتهيّأ ليَ الهرب لأنضمّ الى ولديّ سيدي الامير وانزل على مقترحهما

فُتح الباب. هو لا شك ستارنو الخائن مقبلٌ ليضاعف اشجاني بشراءاته

المشهد الثاني

بياترو. فردريك وبيده مفاتيح كثيرة

فردريك : بياترو انا آتٍ لأحطّم اغلالك

بياترو : استعجم عليّ كلامك

فردريك : فليطمئنّ اليّ بالك فقد سانشا الطوارق. ان جيشاً يموج كالبحر الزاخر طوّق الأنفاق فانهزم العصاةُ واضلّ اللهُ سعيهم وتركوا الابواب على مصاريعها فأتيتُكَ الآن مبشّراً

بياترو : ما اسعد طالعك عليّ فانتَ ملاك خلاصي ممّا أعدّه لي البُغاة

فردريك : مولاي بياترو لقد طوّقتَ عنقي وعنق اخي بقلائد لا يفكّها الملوان. ففضلك اسبق

بياترو : كلّا سيدي لم آتِ امرًا مذكورًا بجانب ما لكم عليَّ من الايادي السالفة

فردريك : لقد هضمتَ لي نفسكَ فأدركتني من قولك يا مولاي خجلةٌ

بياترو : لا لا سيدي لو كنت تعلمُ من انا ؟

فردريك : كيف لا ؟

بياترو : كلّا فقد خفيتْ عليك حتى الآن معرفتي . انا هو ذلك المنكود الحظّ بياترو سَهاردِيني خادمكم الخائن

فردريك : سهارديني ! بياترو سهارديني ؟

بياترو : اجل اجل مولاي . انا هو بياترو الذي محضتموه مودّتكم وقابلكم على جميل صنعكم بالنكران . ولكنه اضحى من الكرب في أضيق من كفّة حابل بداعي نخس ضميره . هل تتلقون اساءتي بحلمكم وتتناسون ما كان مني ؟

فردريك : ان بياض عملك اليوم قد نسخ سواد فعلك امس واصبحتَ الآن من احبّ الناس اليّ [illegible]

بياترو : قد هيأت لنا الظروف فرصةً ننتهزها . ولم يبقَ علينا الآن الا الخروج من ظلمة العبودية الى نور الحرّية . غير انه يلزمنا مفتاح النفق الشمالي المؤدي للطريق العامة

فردريك : (بيده عدة مفاتيح) أدِرْ في هذه المفاتيح نظرةً لعلّ بينها المفتاح المطلوب

بياترو : (بعد ان يدير نظرة بالمفاتيح يقول :)

كلّا . فإنّما يكن مفتاح النفق مع الزعيم . فهو بلا مِرْيَة مع ستارنو

فردريك : يُبان لي ان ستارنو احتفظ به . لاني رايتهُ عندما دخل الكهف متقع اللون تلوح على وجهه امارات الاضطراب ودلائل الجزع . تقدّم الى خزانة وانتشل منها كيساً مملوءاً ذهباً واختار من بين المفاتيح المودعة في الخزانة عينها مفتاحاً واحدًا وترك البقية فتناولتُها انا واتيتُ بها اليك املًا نستفيد منها

بياترو : يا له من خدّاع حاذق ولكن لا بُدّ لهُ من المرور بهذا المكان

فلا ازال اترقبه بعين لا تغفل لاجزيه باساءته اذهب وآتِ باخيك الفرد الى هنا.
(يخرج فردريك)

المشهد الثالث

بياترو لذاته

يترتب عليّ الآن أن اسعى في تخليص مَن احسن اليّ ولا ما يحول دون الوصول الى هذه الامنية التي ينبغي أن اركب بسبيل الحصول عليها كل صعبٍ وذلول

(يسمع اصوات البارود وقعقعة السلاح)

يظهر لي أنا بالقرب من المعركة. فان صاصلة الرماح. خشخشة السلاح. أصوات الطلقات النارية تصمّ الآذان. ما القول؟ ما الرأي؟ ما التدبير؟ ما العمل؟

المشهد الرابع

بياترو في قاع الملعب. يدخل ستارنو بثوب رهباني

ستارنو لذاته قبل ان يشاهد بياترو ويقول بمقدمة الملعب)

— يا لخطورة موقعنا. لقد استولى العدوّ على استحكاماتنا الثلاث الامامية وقد تقدّم كثيرًا نحو المعقل الرابع. ولا ادري هل تطول مقاومةُ الزملاء او يرزقهم الله النصر عليهم. فسارى من سداد الرأي والحكمة الهرب الآن فان سواد الليل يشفع بي. ولديّ من الفلوس ما تثلج لهُ النفوس وهوذا المفتاح الذي يمكّنني من النجاة

(ثم ينزع عنه الثوب الرهباني وهو يقول:)

— لقد دنّستُ هذا الثوب المقدس وحملتُ على اصحابهِ اشدَّ الحملات فهم أنزهُ شأنًا واطهرُ نفسًا واجلُّ من ان يُرمَوا بغضاضةٍ فالراهب بفضائلهِ لا بلباسهِ الذي يتخذهُ اصحاب الغايات سلّمًا لرغائبهم او سببًا للطعن برجال الدين

بياترو (يتقدم من قاع الملعب شاهرًا سيفهُ ويصيح بستارنو:)

— قف ايها اللئيم

ستارنو (ينكص الى الوراء مذعورًا)

— رباه من أنتَ ؟

بياترو : ألا تعرفني ايها الخائن

ستارنو : يا للداهية !

بياترو : دع هذا المفتاح

ستارنو : ارجوك سيدي !

بياترو : لَتَضَعَنَّهُ صاغراً قيناً

ستارنو : امرك مولاي هوذا المفتاح (يركع طالباً الصفح بتذلل)

— سيدي . لقد اتيتُ امراً إدّاً وقد قيل الاعتراف يهدم الاقتراف . فتغمّدنْ ذنبي فقد احتقبت من فعلهِ تبعةَ الندم

بياترو : ايها الخائن لقد شقّ عليك مرآيَ الآن وشدّ ما كان اغتباطك امس لدنْ كبلتَ يديّ بالحديد وأضرتَ ليَ الغوائل . ان هذه اليدَ التي تجاسرتَ على تقييدها هي تنتقم منك وتوردك حوض منيّتك قبل ان تبلغ مُنيتك

ستارنو (يطرح على قدمي بياترو)

— سيدي النائب !

بياترو : لقد تخليتُ لك عن شرف النيابة . ولكنّك لا تنعم بها طويلاً . أهِبْ نفسَك للاقاة ربّك

ستارنو : رحماك سيدي . عطفاً على عبدك

بياترو : تسألني العطفَ الآن وقد جعلت امس في اذنيك عن استرحامي وَقْراً

ستارنو : الصفحَ الصفحَ يا ابن الكرام

بياترو : بل الانتقام الانتقام يا ابن اللئام (ويضربه بغمد السيف)

ستارنو : آخ قتلتني ! (ويخرج من احد ابواب الكوليس)

المشهد الخامس

بياترو لذاته

— لقد ساعدني الحظ بالحصول على المفتاح ولكن لا آتي عملاً دون الغلامين
(ترداد جلبة المتقاتلين)

— ربّاه لقد داهمتنا الخطر كيف العمل؟

المشهد السادس

بياترو . فردريك . الفرد

فردريك : بياترو هوذا اخي اسلّمه الى عنايتك فلا تنمْ عنه نومةَ الأَمَةِ . انا ذاهب الآن لمناصرة ابي الذي جاء لمحاصرة العصاة والاقتصاص منهم

بياترو : إذنْ فرصةٌ انتهزها انا ايضاً للدفاع عن سيدي والدكما
(بياترو وفردريك يخرجان)

المشهد السابع

الفرد . لصوص

الفرد : ربّاه ما اتعس حظي . لقد تركاني وحدي بهذا المكان المظلم لا انيس لي ولا جليس . لم يتركاني قوةً وجفاء بل ليذهبا الى حومة القتال لمناصرة ابي ولا حاجة لهما بساعديَّ الصغيرين اللذين لا يقويان على حمل السلاح . رزقهم الله النصر والغلبة

(هنا ترداد جلبة المتقاتلين ويسمع اصوات البارود بشدة ثم يدخل الملعب ثمانية لصوص وهم ينشدون نشيد الانتصار منقسمين الى جوقين . ويدورون في الملعب)

الجوق الاول : بسيوفنا ورجالنا نلنا الظَفَرْ
« الثاني : ومجدع انف عدونا حزنا الوَطَرْ
« الاول : مَن مبلغ الاقوام ان زعيمنا

الجوق الثاني : يفري الحديد وكلّ عاتٍ قد مَكَرْ

« الاول : نحن الألى قهروا الممالك والعدى

« الثاني : ولبأسنا ولحزمنا يعنو القَدَرْ

« الاول : من كان يحسب ان يكون اسيرنا

« الثاني : هذا الامير يجرّ اذيال الكبَرْ

(يخرج اللصوص)

الفرد اذاتهِ : يا للبليّة قد هضا فؤادي جزعاً وذهبتْ نفسي شعاعاً (ثم ينشد :)

ليس لي إلّاك يا عذراء منْ ملجأٍ عن حبّكِ لا انثني
لم اجدْ إلّا حِماكِ كنفاً ما لنا في غيركِ من مأمنِ
ملجأي بل بُغيتي بل مُنيتي وسواكِ ليس من يسعفني
ارحميني انقذي عبدًا لكِ صار وا لهفي اسيرَ المِحنِ
أبعدوا عني ابي ثمّ اخي فغدا قلبي كثيرَ الشجنِ
بتُّ ارعى النجم همًّا وأسى لم تذق عيناي طعم الوسنِ
آهِ واحزني على امّ فلا يُدْعَ ان ماتتْ شهيدَ الحزنِ
هل أراهم أو يروني يا ترى ؟ ونعيش الدهر في عيشٍ هني

(له صلة)

زاهية او ضحيَّة الأَزياء (المودا)

رواية تاريخيَّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

رجعتُ رأدَ الضحى من اليوم التالي وكان ذلك النهار من ابهج أيَّام الربيع فان الشمس بعد انحجابها في الأيام السابقة كانت بدَّدت عنها الغيوم فأحيت مَوات الطبيعة باشعَّتها الذهبيَّة ونورها الساطع

فسألتُ رئيسة المستشفى عن حال الفتاة وما رأي الطبيب في مرضها. فاجابت : لم يبدُ حتى الآن امل اكيد في شفائها فان صدرها لا يزال في غاية الضعف إلَّا انَّنا وجدناها بعد زيارتك لها اسكن جأشاً وارقّ طبعاً

فدخلتُ عليها فرأيتها راخية البال هادئة الحال. فلمَّا شاهدَتني بدت ابتسامة على ثغرها. كأنها منتظرة قدومي لتسرّي عنها وتكشف ما يكنُّهُ قلبها

وإذ سألتُها عن رقادها انَّبَتْ في نومها راحةً ؟ قالت : لم اكد انام إلَّا غرارًا على اني وجدتُني اسدأ ذ ا رأروع جسماً

ثمَّ دعتني الى الجلوس بقرب فراشها واخذت تقصُّ عليَّ اخبار حياتها فقالت :

اصل زاهية ومنشأها

« ولدتُ في طرابلس في اوَّل سنة من العصر الحاضر ١٩٠٠ . ابي اسمهُ روحانا كان يتعاطى تجارة الحرير وهو من الطائفة المارونيَّة لا اكاد اتذكَّر له شيئاً سوى حمله لي على ذراعيه وتقبيله اياي بكل شوق مع كلمة كان يردّدها عليَّ ولم ادرك معانيها : صانكِ الله يا ابنتي من شرور هذا الجيل. وما لبث ان توفي فلم اشعر بوفاته إلَّا اني كنتُ اطلبهُ باسم «البابا» ولا اراهُ. وكان عمري يوم وفاته قريباً من ثلث سنين

« اما امي فهي من طائفة الروم تبعت رجلها في طقسه ولم تعبأ كثيراً بواجبات الدين اذ انها كانت قضت حياتها قبل زواجها في وسط قليل الاكتراث بامور العالم الآخر

«وكان والداي دعواني باسم «سلطانة» فكان الاسم وانا لا افهم معناهُ مجلبةً للعُجب بنفسي اذ يعظمهُ الذين يفدون الى بيتنا ويشيرون اليَّ باني ابنة شريفة ويلقّبوني من جرّاه بحيث صرت منذ نعومة اظفاري اتكبّر واتجبّر واعتبر نفسي فوق بقية الفتيات

«وبعد وفاة والدي اخذتْ والدتي وانا وحيدتها تدلّلني ولا تُسمعني الّا كل كلمة تزيد عنفواني. فكنتُ اذا خطر على بالي شيء او رأيتُ في يد غيري فاكهة او حلوى او لعبة اطلبها بكل صلف. وان لم أُعطَ طلبتي املأ البيت صراخاً ولا تجترئ امّي على ان تزجرني خوفاً منها ان أحمرّ ويصيبني من ذلك ضررٌ لصحّتي. فكنتُ في البيت سلطانةً بالاسم والفعل واعدُّ اهل البيت كلّهم كخدَمي وعبيدي

«ولمّا ترعرعتُ البستني امي من الثياب افخرها وحلّت اذني وزندي ورجليَّ بالحلق والاسوار والخلاخل فزادني كل ذلك رعونةً وعجرفةً . وكنت اذا اجتمعتُ باترابي اتحكّم عليهنّ وأعاملهن بكلّ شراسة وفظاظة فصرنَ يمقتنني ويبتعدنَ عني

«بلغتُ التاسعة من عمري فرأت والدتي ان تُراقب ما يشيع من الازياء المستحدثة لتجرّبها عليَّ وأملها من فعلها ان يخطبني احد كبار الرجال فيصير لها بذلك شهرة بين الناس. وكانت ادخلتني مدرسةً علمانيّة فبقيت فيها ثلث سنوات تعلّمت بأثنائها القراءة وأقبلتُ على درس خياطة الازياء كما كانت تحضّني امّي على ذلك وتوصي بهِ معلّمتي

«امّا اخلاقي فقلّما تحسّنت. وما كنتُ ارى في المدرسة اثرًا للدين والادب الصحيح وكانت رفيقاتي من اديان مختلفة بنات نصارى ومسلمين ويهود ونُصَيريين لا يكترثن لصلاة ولا يخطر على بالهنّ ذكر شيء من امور الدين. وكانت المعلّمات لا يحدّثنهنّ بغير امور العالم واباطيله وفخفخته

فبقيت في تلك السنين جاهلةً للفرائض الدينيّة ولولا احد الكهنة كان صديقاً لوالدي ولاحد اعمامي لبقيتُ دون التقرّب للمناولة الاولى. فكان لهذا الفعل الديني بعض التأثير في قلبي وانْ لم استعدَّ لهُ استعدادًا كافياً

زاهية في اول ظهور الازياء الخلاعيّة

إلّا ان ذاك العمل كان اشبه بالزرع الحسن بين الاشواك وانا لا اجد حولي غير

الامثال الباطلة التي تلهيني عن الحياة التقويّة والعيشة الفاضلة . فما عتمتُ ان رجعت الى خزعبلاتي وامي تجاريني عليها وتنفق فيها ما تركهُ ابي من ثروته . بل اشتركت باحدى المجلات المصريّة التي كانت تخصص قسماً كبيراً من صفحاتها لوصف الازياء والمودات الاوربيّة وتصويرها

﴿المشدّ والقبعة﴾ وكان اوّل ما كلفتني بهِ المشدّ (الكورسه) لتظهر بهِ على قولها رشاقة قامتي ولطف صدري . فكان لي كالقفص يضغط جسمي ويذيقني الاشديداً لكني كنت اصبر عليهِ ليستحسن الناس منظري . وكانت جعلت على رأسي قبعةً كبيرة واسعة الاطراف مزدانة بالزهور وبالشرائط المتلوّنة

« فسرتُ يوماً في ساحات المدينة واذا بريح شديدة هبّت فاطارت القبعة عن رأسي فركضتُ محتارةً في امري ولست استطيع اضغط المشدّ على جسدي ان انحني لآخذها . فكانت تطير امامي وانا وراءها حتى سقطتْ في قناة مملوءة ماء ووحلاً . فاتسخت وتدعّكت وانا لا اتوصّل اليها واذا بكلب مرَّ هناك شاهدها واصطادها وعدا بها راكضاً فصرختُ : قبعتي قبعتي ! فرحمني بعض اهل السابلة واوقفوا الكلب وانتشلوا منهُ القبعة واذا هي في اسوإ حالة وكان كل من يراها على رأسي يقهقه سخراً مني فخجلتُ ايّ خجل . واسرعت فركبت عجلة ورجعت الى بيتنا فشاع الخبر وصرتُ اضحوكة في كل الحي

﴿القسطان الضيّق﴾ ثمّ ظهر زيّ القساطين الضيّقة فاستجلبتها امي واقنعتني ان أتزيّا بها فكنت لا اكاد اخطو خطوةً إلّا وأتعرقل بسيري . على اني بعد الجهد الجهيد اعتدتُ المشي في الطرق الممهّدة الساوية ولكن كنت اذا قصدت صعود الدرج او زلقت رجلي في بعض الحفرات لا اعرف كيف أصعد او أتحرّك

« وانا في تلك الملابس اذ ارسا في ميناء طرابلس سنة ١٩١٢ مركبٌ فرنساوي كبير فدعاني بعض الاصحاب لأرافقهم فنزور هذا المركب . فسرت فرحةً إلّا انني لمّا حاولت النزول في القارب (الشختورة) ما امكنني الامر حتى جاء احد النوتيّة وحملني ورماني فيهِ ثمّ تعذّبت ايّ عذاب لاصعد درج المركب حتى اني لم ابلغ ظهره حتى تخرّق القسطان فاستولى عليَّ الخجل امام الركّاب حتى أتاني رجلٌ من رفقتي وغطّاني بعباءته فعلا الاحمرار وجنتيَّ وكنت فضّلت لو ساخت بي الارض ولا يراني اصحاب المركب

والزوّار بهذه الحالة

﴿ازياء الشعر﴾ وكانت امي تصرف الساعات لتهندسني وتخترع كل يوم طريقة جديدة لتجدل شعر رأسي فتارةً تجعلهُ طُرّة وتارةً تفرقهُ فوق جبيني وحيناً تعقصهُ حبائل وحيناً تنفشهُ فيراني الناس ويتعجبون من هذه الاختراعات فيتغامزون بي . وكان صغار المدارس واوباش البلد اذا لقوني نتفوا شعري او ذرُّوا عليهِ تراباً واقذاراً

﴿المحوقات﴾ وكانت امي لا تكتفي بما خوّلني الله من الجمال الطبيعي بل تدور على العطريين فتبتاع ضروب المحوقات والذرور لتطلي بها وجهي وادّعت انَّ ذلك لمّا يستحسنهُ في الشبّان فسخت وجهي بأخلاطها . وقد اخذتني في احد الايام الى نادٍ اجتمع فيهِ الناس لحضور الفانوس السحري وكان ذلك اليوم احد ايّام الصيف والنادي غاصّ بالحضور فكان العرق يسيل من كلّ جبين . اما أنا فصار عرقي يتمزج بذاك المحوق (البودرا) ويجري على عارضيَّ فشوّهني باعين الحضور فاستغربوا ضحكاً لنظري . ولم يكن هناك ماء اغسل بهِ وجهي فبقيت ساعةً ومنديلي بيدي استر بهِ وجهي فتحمّلتُ مشقّة لا توصف وظهرت لي تلك الساعة كأنها سنة . ولم تنجُ امي من سخريّة الناس بسببي

﴿الاحذية العالية الكعب﴾ ومن الازياء التي اخذ البعض يشيعونها في تلك السنين الكندرةُ العالية الكعب . فاسرعت امي والبستني اياها فكنت لا ادري كيف استقيم عليها ساويةً . واذا مشيت كنتُ محتارةً لاحفظ التوازن في استقامة جسمي فاميل تارةً الى اليمين وحيناً الى الشمال لئلّا اسقط . وسرتُ يوماً في احد اسواق طرابلس المبلّطة فزلقت رجلي وسقطتُ على الارض على طولي لا استطيع حراكاً لأن رجلي انفكشت (انخلعت) بسقوطي وحملني احد اشخاص الدرك الى البيت فبقيت شهراً في الفراش حتى جُبرت العظام وامكنني ان اقوم وامشي . فلعنتُ مرارًا الازياء ومخترعيها . إلّا ان ذلك ما كان ليحوّل فكر والدتي عن تزييني بها وانا لجهلي اطاوعها لاني بذلك على قولها انال لي مستقبلًا حسناً

وقفت زاهية عند هذا وتنهّدت الصعداء فعرفتُ انها ناقمة على تلك الوالدة الجاهلة التي بدلًا من ان ترشد ابنتها وتصونها من سفاسف العالم وترهاته كانت على خلاف ذلك تعرضها لمخاطر جمّة كان من شأنها ان تفقدها عفافها وتطوّح بها في

ردغة الاثم

فالتفتُّ اليها قائلاً: كفاكِ اليوم فاني اخاف ان طول الكلام يضرّكِ ويتعبكِ فاستريحي الآن وان شئتِ ان تواصلي حديثكِ تتمّميهُ في يوم آخر

قالت: نعم يا ابتِ اني اشعر بفتح قلبي تعزيةً فكأني امجُّ من في بلغماً او سُمًّا يقتلني. فارجوكَ اذن ان تأتي بأقرب وقت وتسمع بقيّة حديثي وان كانت ساعة وفاتي قد قربت تُعدّني لاستقبال الديّان براحة وطمأنينة

قلت: اني ذاهبٌ لاقدّم صلاتي الى الربّ لاجلكِ فشاركيني بالنيّة واطلب الى الله ان يكشف عنكِ كلّ همومكِ ويودع في قلبكِ الندامة على ما فرط منكِ في حياتكِ السابقة فانهُ تعالى قريبٌ من التائبين لا يريد موت الخاطئ بل ان يعود اليهِ مُنيباً فيحيا برحمتهِ ويموت بنعمته (لها بقية)

حياة الرسالات الكاثوليكيّة

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

وُصف في المشرق (حزيران ١٩٢٦ ص ٤٦٩) مؤلفاتٌ ينشرها في مدينة لوفان البلجيكية نخبة من رجال الدين والعلم تنقيباً عن آثار المرسلين العظام واذاعةً لاخبارهم واعمالهم وفيها من الافادات الجمّة ما يجعلها تحفةً للعلماء وعبرى لذوي التقى وفخرًا للكنيسة

ومن هذه المؤلفات الموصوفة كتاب يحوي زهاء ٦٠٠ صفحة وضعهُ الاب برنردس آرنس اليسوعي بالالمانية ثم نُقل الى الافرنسية. ومؤلفهُ اخبرُ دليل اطّلع على احوال الرسالات الكاثوليكية فيصف ادارتها ويحصي عدد عمّالها واقاليمها وما تقتضيهِ سنويًّا من النفقات الضرورية لحياتها ونموّها وما تجدهُ في كرم المؤمنين وسخائهم من الحسنات التي تؤهّلها لسد عوزها ومباشرة مشاريعها الخطيرة وتنجيحها على الرغم من المشاكل التي تحول دون القيام بمهمتها

فلدى اطّلاعنا على هذا التأليف الجليل احببنا ان نفيد قرّاء المشرق عن بعض مضموناتهِ الجليلة بالخلاصة الآتية

١٠ نظام الرسالات الكاثوليكية

﴿رئيسها﴾ الاصلي ومنشئها الاوّل سيدنا يسوع المسيح الذي اوعز الى تلامذته بواجب التبشير اذ قال لهم : « اذهبوا وتلمذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم جميع ما اوصيتكم به » (متى ١٨ : ١٩ــ٢٠) . اما رئيسها على الارض فهو قداسة الحبر الاعظم نائب المسيح وخليفة بطرس هامة الرسل . ويشهد التاريخ على ان الباباوات لم يفتأوا على مدى العصور يهتمّون بالرسالات بغيرة ونشاط باعثين مبشرين من قبلهم الى جميع اقطار المعمور كلّما سنحت لهم الفرصة لهذه الغاية متّخذين لذلك اقرب واحقّ ما يرونهُ من الوسائط الفعّالة مستنجدين بملوك الدول النصرانيّة وبالرهبانيّات الكاثوليكيّة المنشأة بسلطانهم حتى صدق فيهم قول الرسول (روم ١٠ : ١٨) : ذاع صوتهم الى جميع الارض واقوالهم الى اقاصي المسكونة

﴿ المبشرون ﴾ لا يقوم بمهمّة التبشير عن سلطة إلاهيّة وحقّ شرعي على النفوس الّا من اوفده الاحبار الرومانيّون او نوّابهم من مطارين ورؤساء فيكون مرسلًا قانونيًا تتحتّم عليه الطاعة لمن ارسلهُ كما تحقّ لهُ الطاعة من الذين أرسل اليهم لئلا يصحّ في من يباشر دعوة التبشير من دون السلطة الكنسيّة قولهُ تعالى انه « سارق وناهب » لانه « لم يدخل الى الحظيرة من الباب » (يوحنا ١٠ : ١ــ٢) . واليهم يشير بولس الرسول بقوله : (روم ١٠ : ١٤ و ١٥) « وكيف يبشّرون ان لم يرسلوا » دليلًا على ان الخارجين من طاعة الرؤساء الشرعيين ليس لهم حق بالقيام باعمال الرسالات

﴿تحديد رسالة﴾ ليست الرسالة في العرف المسيحي كلّ بقعة يبشّر فيها بالانجيل بل هي البلاد التي يبنى فيها للكنيسة نظامُ ابرشيات كامل والبلاد التي لا طاقة لسكانها على احتمال كل ما يقتضيه الدين المسيحي من مجهودات روحية ومادية ليتأصّل ويحيا وينمو وينتشر طبقًا لمشيئة المسيح (١) . فالبلاد الوثنية رسالةٌ . والبلاد التي نبتت فيها الشوائك الاضاليل رسالة . ما لم يكن فيها كفاءة على مقاومة الشر من غير ما تستنجد برسلين . والبلاد العاجزة على تأدية ما تقتضيه الكنائس من حسنات ضرورية لها ولكهنتها رسالة . والبلاد التي لا تقوى على تدبير شؤونها الكنائسية بذاتها بل

(١) راجع مجلة الحق القانوني . القانون ٢٥٣ البند الثالث

تحتاج الى اشراف سلطة اجنبية منعاً للقلاقل والفوضى والشقاق هي ايضاً رسالة

﴿مرجع الرسالات﴾ ولما كان امر الرسالات يقتضي مجهودات جمة وتضحيات لا تُعَدّ من رجال ومال . والاب الاقدس مع ما على عاتقه كل يوم من تدبير الامور «والاهتمام بجميع الكنائس» (٢ كور ١١ــ٢٨) ليس بوسعه ان يصرف همته مباشرةً بذاته الى جميع الشؤون المنوطة بصالح الدين . ومن ثمَّ قد أسس البابا غريغوريوس الخامس عشر (٢٢ حزيران ١٦٢٢) لجنةً دعيت «مجمع انتشار الايمان» كلّفها بتدبير شؤون الرسالات في المسكونة

وفي هذه السنين الاخيرة لما انفجر في العام ١٩١٧ بركان البلشفية في روسية وتزعزع ركن «الارثوذوكسية» بالشرق عند سقوط القيصر نظر البابا بندكتس الخامس العشر الى مسيحيي الشرق نظرة الاب الحنون والراعي الصالح المتألم لشرود الخراف من غير راع ولا حظيرة وحاول ان يعالج الداء الجديد بدواء جديد فأفرز الكنائس الشرقية عن سائر الرسالات واخرجها عن ولاية مجمع انتشار الايمان وعهد بامرها الى مجمع انشأه خصيصاً بالكنائس الشرقية جعلهُ تحت رئاسته ودعاه «مجمع الكنيسة الشرقية» وكلَّ اليه النظر في امور هذه الكنائس المساندة . ايمانها وموئلها والسعي في ارشاد الاخوة المنفصلين الى وحدة الكنيسة الجامعة . وارسال بعض الانادات عن كلا المجمعين

٢ً المجمع المقدس لانتشار الايمان المقدَّس او البروبغندا (١)

مركزه : في رومة . غايته : نشر الايمان في العالم

صلاحيته وحقوقه : اختيار المرسلين للرسالات . تعيين النواب الرسوليين للاشراف على المجامع في الرسالات والموافقة على اعمالها . تأسيس الرسالات الجديدة وتعيين حدودها وتقسيمها عند اللزوم

واليه مرجع جمعيات المرسلين الغير المقيدين بنذور رهبانية كجمعية المرسلين من شوت (Scheut) في بلجيكا وجمعية ابناء قلب يسوع المخصصين للرسالة في اواسط افريقيا وجمعية رسالات مارياناهيل (Mariannhill) . وكذلك معهد الرسالات

(١) راجع في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٢٨١-٢٩٥) مقالة واسعة في مجمع انتشار الايمان وتاريخه ومدرسته

لاجنبية العام لاخوات الرحمة المنتميات الى الحبل بلا دنس في إثريا (ايطالية) ومعهد لبنات القديسة حنة في رومة وشركة السعي في سبيل نجاح الرسالات المدعوة شركة القديس بطرس كلافر وغيرها

والمجمع حق الولاية على الرهبان العاملين في الرسالات بصفتهم مرسلين وتدبير شؤون الكنيسة في الرسالات الا فيما يخص امور الايمان وقضايا الزواج ومسائل الطقوس فان لكل من هذه مراجع خاصة بها

وقد تمتد سلطة المجمع على كثير من المدارس الاكليريكية التي يستعد فيها الشبان الى اعمال الرسالة في المستقبل بعضها في اوروبا وبعضها خارجاً عنها. منها تسعة في رومة واثنتان في مدينة ميلانو واثنتان في كل من بلاد كندا والولايات المتحدة. ومنها معهد في كل من المدن التالية : تورينو وجنوه وبالرمو وباريس وليون وفي بلاد سويسرا واسبانية والبرتغال وايرلاندة وانكلترة واليونان (اثينا) وجزيرة سيلان ومالقة والهند الانكليزية وألبانية. وغيرها من المنشآت العاملة في سبيل الرسالات الكاثوليكية

اما المناطق الكنائسية الواقعة تحت نفوذ مجمع انتشار الايمان او البروبغندا فدونك لائحة احصائها في العام ١٩٢٤ :

بطريركية ١. ابرشيات لاتينية ساقفة ٣٩. ابرشيات ساقفة ٦٢. نيابات رسولية ٢٠٦. مديريات رسولية ٢٧. ادبرة مستقلة ٣. رسالات ٧

وادارة مجمع انتشار الايمان منوطة بالكردينال المدير يساعده في وظيفته عدة مستشارين وكتبة وغيرهم. فاشغالهم واسعة مختلفة الكثرة ما ينهال عليهم من الرسائل وفيها ما فيها من المشاكل الواجب حلها من كافة انحاء العمور الواقعة تحت نفوذ البروبغنده

ومن البديهي ان مجمع انتشار الايمان يحتاج الى مبالغ طائلة للقيام بمهامه. ومن ثمَّ كان البابا غريغوريوس الخامس عشر قد عيّن له بعض الاوقاف ثم زاد عليها المحسنون من بعده ولاسيّما ملوك فرنسة واسبانية والبرتغال إلّا ان الثورة الافرنسية وما عقبها من القلاقل والفتن في ايطالية في خلال القرن التاسع عشر ذهبت بقسم عظيم من تلك الاموال ولم تُبقِ منها الّا الشيء الزهيد يدير شؤونه الكردينال مدير المجمع

ومن المنشآت العظيمة الشأن اللاحقة بالمجمع المطبعة الشهيرة المتعددة الالسن (المشرق ٢٠ [١٩٢٢] : ٤٩١) التي أُنشئت سنة ١٦٢٦ وادّت للرسالات خدمات عديدة جليلة بمطبوعاتها المتنوعة ثم انضمّت الى المطبعة الفاتيكانية في العام ١٩١٠

٣ً المجمع المقدس للكنيسة الشرقية

رئيسه الاب الاقدس يساعده عدة كرادلة اخصّهم كاتب اسرار المجمع وغيرهم من الموظفين المنتخبين من كافة الطقوس. ومنهم النائب القضائي الحالي اليوناني الطقس السيد اشميا بابادو بولس. وكلّ ثاني خميس من الشهر يزور الكردينال كاتب الاسرار قداسة الحبر الاعظم ويطلعه على ماجريات الاحوال. وكلّ رابع يوم اربعاء من الشهر يزوره النائب القضائي ويحدثه باعماله

اما حقوق المجمع فتتناول كل ما يتعلق بمسائل الشرق من مصالح شخصية او تنظيمات كنائسية او مشاكل طقسية والمقصود هنا «بالشرق» ليس فقط البلاد ولكن الاشخاص اينما وجدوا فيشمل المجمع بعنايته الخاصة الكنائس الشرقية الكاثوليكية. واليك جدولها كما كانت قبل السنة ١٩٢٣ نقلاً عن الاب آرنس (ص ٢٠ و ٢١):

١ ـ الكنيسة الارمنية ـ المنتشرة في تركية وارمينية والعجم وبولونية وروسية. لها بطريرك واحد و١٩ ابرشيّة اربعة منها لرؤساء اساقفة. لغتها الطقسية الارمنية. عدد الارمن الكاثوليك قبل الحرب كان ١١٣,٠٠٠ نفس

٢ ـ الكنيسة القبطية ـ في مصر. لها حاضراً اسقفيّتان. لغة طقوسها القبطيّة. وعدد الاقباط الكاثوليك ٢٠,٢٥٠

٣ ـ الكنيسة الحبشيّة ـ في بلاد الحبش والاريتره لها نيابتان رسوليّتان. لغة طقوسها الحبشية. وعدد الكاثوليك ١٨,٠٠٠

٤ ـ الكنيسة اليونانية ـ وهي التابعة لطقوس الكنيسة البوزنطية منها:

اوّلاً (اليونانية المحضة) اعضاؤها في بلاد شتى كتركية وايطالية وكورسكا وهونغاريا الخ. ليس لها نظام كنسيّ تامّ وانما لها ابرشيّتان مستقلّتان في ايطاليا وفي هونغارية ونيابة رسوليّة في الاستانة مرجعها الى اساقفة لاتينيين. لغتها الطقسية اليونانيّة وعدد ابنائها ١٢٢,٥٥٥

ثانياً (الكنيسة الملكية) ابناؤها ازرم الكاثوليك في تركيّة وسورية وفلسطين ومصر والولايات المتّحدة. لهم بطريرك وخمس ابرشيّات لرؤساء اساقفة وسبع لاساقفة. لغتها الطقسيّة

العربيّة غالباً او اليونانية عدد تبعتها ١٧٣,١٢٠

ثالثاً (الكنيسة الروثينيّة) تبعتها في هونغارية ورومانية والولايات المتحدة. يرئسها رئيس اساقفة وتسعة اساقفة ونيابة رسوليّة. لغتها الطقسية الصقلبية القديمة. وعدد مؤمنيها ٤,٨٥٩,٦١٢

رابعاً (كنيسة رومانية) منتشرة في المجر ورومانيّة والولايات المتحدة. لها اربعة ابرشيات الواحدة لرئيس اساقفة والباقية لاساقفة. لغتها الطقسية الرومانية. عدد تبعتها ١,١٨٦,٧٣٨

خامساً (الكنيسة البولغارية) تمتد في مكدونية وتراقية. لها نيابتان رسوليّتان. لغتها الطقسية الصقلبية القديمة وعدد ابنائها ٨,٩٤٨

٥ — الكنائس السريانية — منها اوّلاً (السريانية الكاثوليكية) يسكن تبعتها في سوريّة وما بين النهرين ومصر. لها بطريرك وسبع ابرشيات لرؤساء اساقفة واربع اسقفيات ورسالة واحدة. لغتها الطقسية السريانية. عدد تبعتها ٢٥,٤٥٠

ثانياً (الكنيسة الكلدانية) معظمها في ما بين النهرين والعراق والعجم ومصر. يرئسها بطريرك واربعة رؤساء اساقفة واربعة اساقفة ولها اربع رسالات. لغتها الطقسيّة الكلدانيّة. عدد مؤمنيها ٥٣,٩١٥

ثالثاً (الكنيسة المارونية) تمتد في سورية ومصر وفي جهات اميركة الشمالية والجنوبية. يتألف نظامها الكنسي من بطريرك وسبع ابرشيات لرؤساء اساقفة ومن اسقفيّتين. لغتها الطقسية السريانيّة. عدد تبعتها ٣٣١,٣٠٠

٦ — الكنيسة السريانية الملبارية — هي ممتدّة في الهند الانكليزيّة. يرئسها رئيس اساقفة وثلثة اساقفة عدد تبعتها ٤٨٦,٣٤٣

فيكون المجموع ٥ بطريركيات و٣٠ رئاسة اسقفيّة و٣٥ اسقفيـة و٦ نيابات رسولية و٥ رسالات. وعدد مجموع الكاثوليك ٧,٣٩٩,٥٥١

وما بين المعاهد الراجع امرها الى مجمع الكنيسة الشرقية المكتب الحديث العهد الذي انشأه البابا بندكتس الخامس عشر في العام ١٩١٧ وألحقه بالمجمع ودعاه المكتب الشرقي (Institut Oriental) وعهد بادارته الى رهبانية القديس بنديكتس على ان تُلقَّن فيه العلوم اللاهوتيّة مع التبحر بالمسائل الواقع عليها الخلاف عند الشرقيين. ومن اختصاصات المعهد المذكور درس مؤلفات الاباء الشرقيين وتاريخ العقائد الدينية والحقّ القانوني والطقوس الشرقية على اختلاف انواعها والتاريخ الكنسي والتاريخ العامّ وعناصر الانسان (ethnologie) والجغرافية والاثريات الشرقية والتنظيمات الادارية لسائر الامم الشرقية. ومدة الدروس في المعهد الشرقي سنتان. وهو يقبل دارسين من

كاثوليك وارثوذوكس ومن لاتين وشرقيين . وفي ١٤ ايلول ١٩٢٢ ألحق بيوس الحادي عشر هذا المعهد الشرقي بالمعهد الكتابي (Institut biblique) ووكله الى الاباء اليسوعيين

وهناك مؤسسات عديدة منوط امرها بمجمع الكنيسة الشرقية اخصها المدارس الشرقية الطائفية في رومة وهي المدارس اليونانية والرومانية والارمنية اللاتينية والمارونية والحبشية واليونانية الالبانية ومدرسة قديسة حنّة للملكيين الكاثوليك في الصلاحيّة

٤ً الرئاسة في الرسالات

قلنا ان ادارة الرسالات العليا هي في رومة عاصمة الكثلكة ومرجعها مجمع انتشار الايمان ومجمع الكنيسة الشرقية تحت إشراف الاب الاقدس . على ان لكل رسالة شخصيةً معنوية تفرزها عن غيرها وذلك ان لها ادارة خاصة فلها رئيسها واعضاؤها وغايتها ومصالحها المحدودة بالظروف والشروط . وحسبنا الآن ذكر رؤساء الرسالات فهم تارةً من الاساقفة وتارة من المرسلين الكهنة . وما بينهم القاصد والنائب والمدير الرسولي والرئيس [illegible]

﴿القاصد الرسولي﴾ مهمته المعتادة هي السهر على احوال المنـ[illegible]ن التي و[illegible] اليه ومراجعة الاب الاقدس بامرها وقد يخوله الاب الاقدس بعض الحقوق طبقاً لاحتياجات الظروف

وما بين القصادات الموجودة حالاً في المسكونة سبعٌ مرجعها الى مجمع انتشار الايمان وخمسٌ مرجعها الى مجمع الكنيسة الشرقية

﴿الاسقف ذو الابرشية﴾ مقامه وسلطته وحقوقه في الرسالات هي كمثلها لمثله في البلاد التي ليست برسالة

﴿النائب والمدير الرسولي﴾ لا يتولى شؤون المنطقة المعهود امرها اليه الّا باسم الاب الاقدس ويمكن نقله عنها من غير الموانع التي تحول دون نقل الاسقف عن ابرشيته وقد يكون اسقفاً او كاهناً فقط . والنائب يعينه الاب الاقدس مباشرةً . اما المدير فتعينه منوط بجمعية انتشار الايمان ولكلاهما حقوق المطران في ابرشيته فيفرضان الطاعة على جميع المرسلين المقيمين في اراضيها

على كل من النائب والمدير الرسولي بان يرسل كل ٥ سنوات الى رومة بياناً عن الاحوال في منطقته وان يزور الاب الاقدس في الاحايين المعينة ويقدم اليه كل لائحة موجزة عن اعمالهم وعن عدد المهتدين الى الدين الكاثوليكي وعدد العمادات وعدد الذين تقربوا من الاسرار وعن كل امر ذي شأن

﴿رئيس الرسالة﴾ لما كانت عدة رسالات معهود بامرها الى مرسلين رهبان جعل لهم الاب الاقدس رئيساً منهم وفيهم . أمّا حقوق رئيس الرسالة فتختلف مع اختلاف الظروف فهو يتدخل في كل ما يخص حياة المرسلين من رهبانيّته وليس لغيره من غير الرهبان حق في مثل ذلك ما لم يكلفه الاب الاقدس اليه خصيصاً (لهُ صلة)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الاوّل في الادباء المتوفين في الحقبة الثالثة

١ ادباء الاسلام المتوفون في هذه الحقبة

لما اخذت تلوح بوارق الصلح بين الدول المتحاربة سنة ١٩١٨ رحل الى دار البقاء احد أدباء مصر ﴿الشيخ عبد الكريم سلمان﴾ درس في الازهر مع الشيخ الامام محمد عبده فتعاشرا وتصادقا . ولمّا قام الاستاذ بنهضته لاصلاح امور الاسلام كان الشيخ عبد الكريم عضدهُ ونصيرهُ فشاركهُ في تحرير الوقائع المصريّة وفي اصلاح التعليم في الجامع الازهر وقد نشر خلاصة اعمال مجلس ادارته في عشر سنين

فكان لكتابه تأثير عظيم في كثيرين من مواطنيه لكنهُ اوغر عليه قلوب غيرهم. فأيس من الاصلاح. ومن ظريف ما اخبرهُ مانشئ المنار الاسلامي (٢٠: ٤٤٠) عن نفسه ما رآهُ من يأس الشيخ سليمان من صلاح حال أمّته فروى ما نقلهُ بحرفهِ الواحد:

« كان يصرّح بذلك ويحتجّ عليّ وعلى الاستاذ الامام قائلاً: سترى ما ينتهي اليهِ أملكما في هذه الامّة المبتة وما يبلغه اصلاحكما من هذه الشعوب الفاسدة. ولهُ كلمة في هذا المعنى قالها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ألبسها كعادتهِ ثوب الدعابة والهزل. وقد كنا بدار الاستاذ الامام نتحدّث بما أشيع من رغبة الامّة اليابانية في التدين بدين الاسلام. قال الشيخ حسين الجسر: اذاً يُرجى ان يعود الى الاسلام مجدهُ. قال الفقيد: دعهم فاني أخشى اذا صاروا منّا ان نفسدهم قبل ان يصلحونا. ذكرتُ هذا في ترجمة الرجل لما فيهِ من العبرة المحزنة » فتأمل !

وفي كانون الثاني من السنة ١٩١٩ توفيت في القاهرة احدى اديبات مصر النابغات في الاسلام كعائشة تيمور نريد بها «ملك هانم» كريمة حفني بك ناصف التي اشتهرت بلقب باحثة البادية وسعت باصلاح احوال بنات جنسها في القطر المصري توفيت وهي في شرخ شبابها. عُني ابوها بتربيتها وتخرّجت بارقى مدارس البنات الاميريّة فنالت شهاداتها المختلفة. ثمّ انتُدبت الى تعليم الفتيات فامتازت بهِ ثمّ حاولت الصحافة والتأليف فبرعت بهما. ولما زوّجها والدها من احد شيوخ العرب المقيم بحوار اميركا الشاعر بك الباسل جمعت بين حضارة المدن والبادية فكان ذلك سبباً لتسميتها بباحثة البادية. وقد صنّفت كتباً بحثت فيها عن كل الاحوال النسائية كتربية البنات واوصاف المرأة والزواج والحجاب والسفور ونظمت القصائد وتفنّنت في الكتابات الادبية والاجتماعية. وقد جُمعت كتابات ملك هانم في كتاب عنوانهُ النسائيّات. وقد عُرفت هذه السيدة باعتدالها في المسائل النسائيّة فكانت تذهب في ذلك مذهباً وسطاً بين القديم والحديث بناء على قول المثل «خير الامور اوساطها». وقد صنّفت الآنسة الادبية مي كتاباً في وصفها سبق لنا الكلام فيهِ (المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٧١٦)

وبعد وفاة السيدة «ملك هانم» بسنة تبعها الى الابديّة في ٢٦ شباط ١٩٢٠ والدها «حفني بك ناصف» في نحو الستين من عمره. كان تخرّج في اشهر مدارس القاهرة كالازهر ودار العلوم ودار الحقوق الخديويّة ثمّ عُهد اليهِ التدريس فيها وعُيّن مدرّساً في مدرسة الخُرس والصميان فلبث فيها اربع سنوات وألقى دروساً في الجامعة

المصرية جمعها في «كتابه تاريخ اللغة العربية». ومما أنه لما حضر مؤتمر المستشرقين في اوربا كتابهُ في لهجات العرب الذي اصاب لديهم استحساناً. واشتغل بالقضاء وفي مركز منيش المعارف. ونشر القرآن في المطبعة الاميرية «بحسب قواعد الاملاء» فمدحهُ لفعله كثيرون وقدح فيه آخرون. وكان حفني بك يحسن الكتابة نثراً وشعراً ومما قالهُ قبل وفاته:

أنتضي سيفي إن حانَ حيني تجاربي وما بلتُها إلا بطول عناء
اذا ورّث المثرون ابناءهم غنىً وجاهاً فما أشقى بني الحكماء

وفي نيسان ١٩٢٠ توفي الدكتور محمد توفيق صدقي الولود في السنة ١٨٨١. درس العلوم في القاهرة ونال شهادة الدكتورية بعلم الطب له في المسائل الطبية ابحاث حسنة منها مقالة في ماء النيل ومضارّه. ثمّ تخصّص بالمسائل الادبية والدينيّة والاجتماعيّة فكتب في الاصلاح الاسلامي وردّ على الماديين وله تآليف سمّاهُ الدين في نظر العقل الصحيح. ودافع عن دينه الاسلامي في عدّة تآليف وقد رددنا عليه في ما كتبهُ عن لاهوت السيد المسيح

وفي السنة ١٩٢٠ في ٨ ك ٢ أسف على فقد احد اصحابنا الشيخ الفاضل طاهر الجزائري. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨٥١ واخذ عن ادباء الفيحاء العلوم الدينيّة واللغويّة والادبيّة فأولع بدرسها وكدّ ذهنهُ في احراز اسرارها وسعى بنشر كنوزها وتعميم فوائدها. واليه يعود الفضل في انشاء مكتبة الملك الظاهر. كما انهُ لم يدّخر وسعاً في تعزيز الآداب العربية في المدارس فأقام حاجزاً عليها. وقد تفرّغ للتأليف فوضع كتباً عديدة تدلّ على اجتهاده وسعة معارفه بعضها دينية كتوجيه النظر الى اصول الأثر ومُنية الاذكياء في قصص الانبياء. وبعضها لغوية كالتقريب لاصول التعريب وارشاد الالبا. ومدخل الطلاب لفن الحساب. وغيرها علميّة كالفوائد الجسام في معرفة خواصّ الاجسام ومدّ الراحة الى خط الساحة. ونشر كتباً أخرى لقدماء الكتبة وحشّاها كديوان خطب ابن نباتة وروضة العقلاء. ومما نودّ ان لا يبقى منزوياً بين المخطوطات كتابهُ «التذكرة الطاهرية» بحث فيه عن نوادر المخطوطات ووصفها وعرّف محلّ وجودها. وكان الشيخ طاهر احد الادباء القليلين الذين فضّلوا في الاسلام عيشة العزوبة ليتفرّغوا لدرس العلوم. وقد أحيا بين قومه التواريخ وعُني بفنون

الكتابة . راجع في المشرق (١٨ [١٩٢٥] : ١٤٤ــ١٤٨) ترجمتهُ لكاتبنا المدقق الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف . ونشر سيرتهُ ايضاً في دمشق الشيخ محمد سعيد الباني فدعاها «تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر»

وفي ٢٥ من الشهر والسنة السابقَين ١٩٢٠ توفي في طرابلس الصحافي ﴿محمد كامل البحري﴾ صاحب جريدة طرابلس ومؤلف اخبار سياحة بلشرها الى بعلبك وانحاء الشام . ومثلهُ توفي في ٢٠ آب من السنة أديب آخر ﴿عبدالقادر بك العظمي المؤيد﴾ لهُ كتابات متفرّقة في بعض الصحف والمجلّات

ومن اشعر شعراء هذا العصر الذي حلّت بهِ المنيّة في هذه الحقبة سنة ١٩٢٠ ﴿محمّد امام العَبْد﴾ اصلهُ من اسرة عَبيد لكنهُ توصّل بسعيهِ الى ان احرز الادب ونبغ في الشعر . ولهُ شعر رقيق جُمع في ديوان لم يُنشر بالطبع وانما ظهر منهُ عدّة قصائد رنّانة في كتب الادباء . ومن لطيف قولهِ يندب حظّهُ :

نسَبوني الى العبيد مجازاً بعد فضلي واستشهدوا بوادي
ضاع قدري فقمتُ اندبُ حظّي فوادي عليَّ ثوب حداد

ومن اقوالهِ الحماسيّة :

ولمّا التقينا والاسنّةُ شُرّعٌ ورادى المنادي لا نجاة من الحتفِ
عطفتُ على سيفي المنيّة فاعتلت صفوفٌ وكان الصفُّ ألصقَ بالصفِّ
فرُحتُ وفي وجهي وجوهُ عبوسهم وعدتُ وأشلاء الفوارس من خلفي
فلم أرَ قلباً غير قلبي حسيرهم ولم أرَ سيفاً غير سيفي في كفّي
وقسّمَ سيفي القومَ قسمة عادلٍ فرمى نصفاً بالنصف والطيرَ بالنصفِ

وفي السنة ١٩٢١ في ٢٤ شباط احترمت المنون اديباً آخر ادّى للآداب العربيّة في مصر خدماً مشكوراً نعني بهِ ﴿محمد بك تيمور﴾ نجل احمد باشا تيمور توفاهُ الله في العقد الثالث من عمره . شغف منذ صباه بالآداب العربية فبرع فيها حتى انهُ نظم الشعر في الثانية عشرة من عمره وكتب في الجرائد ثمّ سئم الشغل بالسياسة ونفر من المنازعات بين الاحزاب ورأى ما عليهِ وطنهُ من التأخر في فنّ التمثيل . فقصد البلاد الاوربية ودرس الحقوق في باريس وهو يلاحظ مسارحها الكبرى حتى أتقن اصول

ذلك الفنّ وتخصّص بترقيته في بلاده فألّف لذلك جوقاً مختاراً امتاز بمهارة التمثيل تحت ادارته وكان هو يؤلّف له الروايات الادبية ويجهّز له كلّ لوازم التمثيل وربما وقف هو بين الممثلين فكان موضوع اعجاب الحضور من اعيان مصر . وكان يختار الروايات التي تمثّل فيها حوادث الشرق وعاداته حتى عُدّ فنّ التمثيل بمساعيه في مصر شبيهاً به في عواصم البلاد وهو في ذلك يطلب جمال الفنّ اكثر منه لارباحه . وقد خلّف تآليف عديدة في هذا الباب وفي غيره اخصّها كتابه وميض الروح جمع فيه ديوانه ومقالاته الادبية وقصصه ومذكّراته . ثمّ كتابه حياتنا التمثيلية خصّه بفنّ التمثيل وتاريخه وفنونه وآدابه ثمّ كتاب المسرح المصري . دونك بعض ابيات من نظمه عنوانها «شاعر يتألم»

ليلةٌ كلها عناءٌ وهمٌّ ... وشقاءٌ والقلب منها تعذّبْ
ذقتُ فيها المصابَ كأساً دِهاقاً ... ضاع رشدي فيها ولم ألقَ مهرَبْ
فنوادي من نارها يتلظّى ... ودموعي من المحاجر تُسكَبْ
قد دعوني فتى الفريض وحسبي ... منه في القلب جمرةٌ تتلهّبْ
[illegible] ... كبير ولا أنا [illegible] كسبْ
[illegible] الاشعار [illegible] ... كلّ حرّ من رسمه يتعذّبْ
ذاك رأيي فيما أسمّيه شعراً ... ولكل في الشعر رأيٌ ومذهبْ

ومات في اوائل تلك السنة رجلٌ مصريٌّ آخر كان له موقع كبير في نفوس مواطنيه الكاتب الاديب ﴿دياب محمد بك﴾ ولد سنة ١٨٥٣ درس في الازهر ودرّس فيه وفي دار العلوم وتعيّن منشئاً في وزارة المعارف وتفرّغ للكتابة فنشر تآليف مختلفة ككتاب دروس البلاغة والانشاء وقلائد الذهب في فصيح لغة العرب وتاريخ ادب اللغة العربية ومعجم الالفاظ الحديثة وتاريخ العرب في اسبانية وعرّب عن الفرنساوية كتاب تخطيط اوربّة وغير ذلك ممّا خدم به الادب والوطن

وفي تلك السنة ١٩٢١ تعدّدت وفيات الادباء فقضى ايضاً ﴿وليّ الدين يكن﴾ نحبه فيها في ٦ آذار . كان تركي الاصل من اسرة شريفة وُلد في الاستانة سنة ١٨٧٣ جاء صغيراً الى مصر مع اهله فتوفي فيها والده وكفله عمّه فتخرج في مدرسة الاشغال المشهورة فأتقن فيها العربية كما عرف التركية وعاد الى الاستانة وكتب في جرائدها .

وقد عُرف بميله الى الحرية فنُفي الى سيواس وبقي هناك الى الاعلان بالدستور سنة ١٩٠٨ فعاد الى مصر وحظي لدى سلطانها حسين كامل فعيّنهُ كاتباً في الديوان العالي في القصر السلطاني حتى عُني بعلّة اذاقته كأس المنون في مدينة حلوان. ولهُ شعر منسجم مطبوع يتدفّق رقةً فمن قولهِ يحيّي سيواس يوم نُفي اليها :

رضيتُ سيواسَ داراً ... وما بسيواسَ شرُّ
جنّرا عليها فأمست ... قد اقفرتْ فهي قارُ
فلا بها الروض خصبٌ ... ولا بها الزهرُ نضرُ
فليس لي ثمَّ نظمٌ ... وليس لي ثمَّ نثرُ
وكم بمصرَ اديبٌ ... يشدو فترقصُ مصرُ
لهفي على ساخناتٍ ... كأنما هي سحرُ
يقولها قائلوها ... فيعتري الناسَ سكرُ

ومما رُوي لهُ في مختارات الزهور (ص ٧٧) قولهُ عن لسان لفتاةٍ عمياء :

سادتي انَّ في الوجود نفوساً ... ظلمتها الاقدار ظلماً شديدا
هي تشقى من غير ذنبٍ جنتهُ ... ولكم مذنبٍ يعيشُ سعيدا
رحمَ الله اعيناً لم تُشاهدْ ... منذ كانت إلّا ليالي سُودا
تتمنّى لو تُمنحتْ فتملّت ... من جمالِ الوجودِ هذا الشهودا
تتناجى حمائمُ الروض صبحاً ... لا تراها وتسمعُ التغريدا
ويكونُ الربيعُ منّا قريباً ... فتظنُّ الربيعَ منّا بعيدا
حين ترنو الى الورودِ عيونٌ ... ليت شعري كم تستطيبُ الورودا
سادتي انّا صبرنا امتثالاً ... ما ضجرنا ولا شكونا الجدودا
فانظروا نظرة الكرام الينا ... وارحموا ادمعاً تخدُّ الخدودا

ولولي الدين يكن من التآليف ما ذاع صيتهُ كالصحائف السود وهو عبارة عن مجموع مقالات اجتماعية بليغة الانشاء طافحة بآرائهِ الحرّة. وكتآليفهِ في احوال تركية وسياستها دعاهُ المعلوم والمجهول. ونقل الى العربية كتاب نيازي بك في الدستور العثماني المقرون بالتجاريب. وقد حرّر كثيراً من المقالات في اكبر جرائد مصر

وفي ثاني يوم حزيران من السنة ١٩٢٢ انطفأ نور حياة شاعر آخر ﴿عبد الحليم حلمي المصري﴾ ولد في دمنهور سنة ١٨٨٧ ودرس في وطنه ثمَّ دخل في المدرسة الحربية وتوظَّف في ديوان الاوقاف في مصر . وكان مولعاً بنظم الشعر ونشر عدَّة قصائد دلَّت على جودة قريحته وحسن ذوقه جمعها في جزئين وطبعها تحت عنوان «ديوان المصري» سنة ١٩١٠ وقد تحرَّى في شعره المواضيع العصريَّة وأدَّت احدى قصائده الى محاكمته وسجنه . ثم دخل بعد الانقلاب الدستوري في خدمة الملك . وهذا مثال من شعره قال يتشوَّق الى الشام :

بحثُ لمصرَ من سكنَ الشآما ونحن نودُّ لو كانت مقاما
منابتُ لا نجفُّ بها المنامي ولا تشكو أزاهرها الأواما
وارضٌ تُنبت اليوم المالي وكانت تُنبت الرسلَ الكراما

على «لبنانَ» زهريَّ الهضابِ على «الاردنَّ» خمريَّ الحُبابِ
على «القدس» المفضَّل في الكتابِ على تلك التصور على القبابِ
سلامٌ منيَّمٍ لولا الليالي تُقيِّده لما بعدَ السلاما

وافتتح قصيدته في وطنه مصر بقوله :

بلادي سقاكِ الدمعُ إن منعَ القطرُ وما برحتْ خضراءَ ميامينُكِ الخُضرُ
وقفنا عليكِ المالَ والعمرَ والذي يُحبُّ عليهِ يوقفُ المالُ والعمرُ

وتبعَ المصريَّ الى القبر بعد اشهر من تلك السنة ١٩٢٢ شاعر ثالث ليس دونها سمعةً ورقياً ﴿اسماعيل صبري باشا﴾ ولد في مصر سنة ١٨٦١ وتقلَّب في مناصب الدولة المصريَّة كمنصب النائب العام ومحافظة الاسكندرية ووكالة نظارة الحقانيَّة . وقد اشتهر بشعره الرقيق اللفظ والفصيح الاسلوب وكان لا ينشده إلَّا بعد انتقاده وتمحيصه مراراً . وقد استحسنَّا لهُ قولهُ في الاستغفار واعتقاده الخلود :

يا ربِّ اين تُرى تقامُ جهنَّمٌ للظالمينَ غداً وللاشرارِ
لم يبقَ عفوُكَ في السموات العُلى والارضِ شبراً خالياً للنارِ
يا ربِّ أهلني لنضالك واكفني شططَ المقول وفتنةَ الأفكارِ
ومُرِ الوجودَ يشقُّ عنك لكي ارى غضبَ اللطيفِ ورحمةَ الجبَّارِ
يا عالمَ الأسرارِ حسبي محنةً علمي بأنَّك عالمُ الاسرارِ

أخليقُ برحمتكَ التي تسعُ الورى ألّا تضيقَ باعظم الاوزارِ

وما أحسن قولهُ في الوفاء والعفو:

اذا خانني خِلٌّ قديمٌ وعقَّني وفرَّتُ يوماً في مقاتلِ سهمي
تعرَّض طيفُ الودِّ بيني وبينهُ فكسَّر سهمي فانثنيتُ ولم أرمِ

ومثلهُ حسناً في طيش الشباب وعجز المشيب:

لم يدرِ طعمَ العيش شُبّانٌ ولم يُدرِكهُ شيبُ
جهلٌ يُضلُّ قوى الفتى فتطيشُ والمرءُ قريبُ
وقوًى تخورُ اذا تشبَّث م بالقوى الشيخُ الاريبُ
فيا يُقال كبا المفلَّ م اذ يقال خبا اللبيبُ
اوّاهُ لو علم الشبا بُ وآهِ لو قدرَ المشيبُ!

وخسر العراق في تلك السنة ايضاً في شهر ايلول ١٩٢٢ رجلاً من علمائهِ المشهورين ﴿الشيخ عليّ باقر﴾ احد علماء النجف الشيعيين

وتقفّى آثارهم الى دار الخلود في العام التالي عالم من الهند السيد ﴿ابو بكر باعلوي﴾ توفي في حيدر اباد في اواخر السنة ١٩٢٣ كان من علماء بلاده اشتغل بالتعليم والكتابة. وتولى تصحيح مطبوعات وطنهِ حيدر آباد. لهُ مصنفات عديدة في الفقه والانساب والحساب والطبيعيات والادب والمنطق. وديوان شعر. وقد اشتهر بعداوة الشيعة وانصارها وبالدفاع عن السنّة وذويها فحصل لهُ بذلك تعنُّت كثير. كان مولدهُ سنة ١٨٤٦

وفي العام ذاتهِ في ٥ آب ١٩٢٣ توفي ﴿احمد كمال باشا﴾ احد أدباء مصر الذين تخصّصوا مع علماء افرنج للبحث عن آثار قدماء المصريين فتعيَّن اوّلاً كامين مساعد في المتحف المصري فانكبَّ على درس اللغة الهيروغليفية والآثار المصرية حتى تمكن من معرفة اسرارها واخذ يُلقي في ذلك المحاضرات في النوادي الوطنيَّة وينشر المقالات الواسعة فيها فاختاروهُ كعضو في المجمع العلمي المصري ولهُ في سجلّاتهِ خطب ومحاضرات. وكذلك علَّم فنَّ الآثار المصريَّة بمدرسة المعلّمين العليا. وقد ألّف قاموساً هيروغليفيًّا عربيًّا فرنسويًّا واسماً نسبهُ فيهِ بعض العلماء الى الغلوّ والتطرُّف في ردّه الوفاً من الالفاظ العربية الى اصول مصريَّة

وورد علينا في اواسط آذار من السنة ١٩٢٤ نبأ أليم بوفاة احد اصدقائنا في بغداد السيد الاديب ﴿محمود شكري الآلوسي﴾ من الاسرة الالوسية الكريمة وابن الشهاب الآلوسي الذي مرَّ لنا ذكرهُ بين أعلام القرن التاسع عشر. ولد سنة ١٨٥٧ وتخرَّج في بغداد على آلهِ فتبحَّر في العلوم الاسلامية وانتُدب الى التدريس في مدارسها فنبغ من تلاميذه الشاعر العصري السيد الرصافي. وقد تولى ادارة الزوراء وهي اوَّل جريدة أُنشئت في مدينة السلام فكتب فيها فصولاً رائقة خرج فيها عن دائرة التقليد الضيقة حتى سُعي بهِ الى عبد الحميد فلم ينجُ من المنفى إلَّا بفضل بعض اصحابهِ. ولهُ من التآليف النفيسة بلوغ الارب في احوال العرب قدَّمهُ لمؤتمر المستشرقين في استوكهلم فشكرتهُ عليهِ اللجنة واجازتهُ بوسام ذهبي. ومن تآليفهِ كتاب اخبار بغداد وتراجم بعض علمائها في القرن الثالث عشر وتاريخ نجد وامثال العوام في مدينة السلام وغير ذلك من المصنفات التي زاد بها شرف اسرتهِ. وكان سبقهُ الى الابدية احد انسبائهِ السيد ﴿احمد شاكر الآلوسي﴾ ذكرتهُ توفي سنة ١٩١٢ وكان عضواً في مجلس المعارف الكبير في الاستانة وخلَّف كذلك في قراءتهِ آثاراً ادبية متفرقة

ولم نكد ننسى ما ألمَّ بالآداب العربية بوفاة ذلك الكاتب الشهير ﴿السيد مصطفى المنفلوطي﴾ الذي نُعت بامير بيان هذا العصر. ولد في مدينة منفلوط سنة ١٨٧٥ وتوفي سنة ١٩٢٤ تخرَّج في الازهر المصري ونال قصبة السبق على اقرانهِ واستهواهُ حب الادب في اوَّل ربيع حياتهِ فاخذ يتمرَّن على الكتابة نثراً ونظماً. ثمَّ لحق بالشيخ الامام محمد عبدهُ فلازمهُ عشر سنين واخذ من افكاره وآدابهِ. وبعد وفاة الاستاذ عاد الى وطنهِ واخذ يحرِّر رسائلهُ الشهيرة في جريدة المؤيد فالتفتت اليهِ انظار ارباب وطنهِ. ولم يزل منذ ذلك الزمان يواصل الكتابة فنشر مؤلفاته الرائعة «النظرات» في ثلثة اجزاء و«العبرات» وفي سبيل التاج نقلهُ بتصرُّف عن الافرنسية. و«الشاعر والفضيلة» الى غير ذلك مما ضاعف الحزن على وفاتهِ وهو لم يبلغ الخمسين من عمره. ولهُ شعر حسنٌ وانما برَّز خصوصاً بانشائهِ البليغ على الاسلوب العصري

وفي ٣٠ حزيران من السنة الماضية ١٩٢٥ حلَّ الاجل المحتوم باحد مواطنينا ﴿رفيق بك العظم﴾. ولد في دمشق سنة ١٨٦٥ ثم نشأ في وطنهِ واخذ الآداب عن

مشايخه ثمَّ انتقل الى مصر وتعاطى فيها امور السياسة والادب وكان احد الشُّعاة بتحرير وطنه من النير العثماني او بالحري بتخفيفه باللامركزية . ولهُ كتب تاريخيَّة وادبيَّة حسنة اخصُّها كتاب مشاهير الاسلام في اربعة اجزاء

وفي العام الماضي ايضاً ايار ١٩٢٥ توفي الشيخ محمد حسين شمس الدين اديب جبل عامل وشاعره (لها بقية) ج أ

مطبوعات شرقية جديدة

Telch (C.): EPITOME THEOLOGIÆ MORALIS. in-12, Innsbruck, Felic. Rauch, 1924, ed. 4ª

خلاصة اللاهوت الادبي

اودع صاحب هذا الكتاب تأليفهُ صفوة المصنَّف الواسع الذي وضعهُ الاب تولدين اليسوعي لدرس اللاهوت الادبي . فهو خيرُ مذكّر للذين انهوا دروسهم لحسن ترتيبه وسهولة مراجعة مظانه

Wass (Virgil O. M. Cap.): REPETITORIUM THEOLOGIÆ FUNDAMENTALIS. ibid., in-12, 1921

مذكّرات اللاهوت النظري الاساسي

للّاهوت النظري ادلّة اساسيَّة يستند اليها كل اللاهوتيين نُشرت في ثلثة كتب يتداولها ارباب هذا العلم وهي خلاصة دساتير الايمان لبانثرت (Bannwart) وخلاصة تآليف آباء الكنيسة للاب اليسوعي روّه دي جورنل (Rouët de Journel) وخلاصة التاريخ الكنسي للعلّامة كيرش (Kirsch) . فهذه الخلاصات الثلث قد اختصرها صاحب المذكّرات وعرضها على الدارسين بطريقة واضحة سهلة المنال كما فعل صاحب الكتاب السابق . والكتابان طبعا في مطبعة واحدة في النمسة ج . ل

Gredt (Jos. O. S. B.): ELEMENTA PHILOSOPHIÆ ARISTOTELICÆ-THOMISTICÆ, t. II, Metaphysica, Ethica, *XVIII*-466 *pp.*, *in*-8° 1926, *Freiburg im Breisgau, Herder et Cie*

اصول فلسفة ارسطو والقديس توما

قد سبق في المشرق (عدد تموز ص ٥٠٥) وصف الجزء الاوَّل من هذا التأليف

الذي بلغ طبعتهُ الرابعة لمزيد رواجهِ في المدارس العالية . وهذا القسم الثاني يتناول كل ابحاث الفلسفة في ما وراء الطبيعة وفي علم الاخلاق . فلم يجدْ عن طريقتهِ العلميَّة الجامعة بين المتانة في البراهين والوضوح في عرض القضايا استناداً الى ارسطو والقديس توما معاً . فنكرّر ثناءنا على صاحب الكتاب احد افاضل الرهبانيَّة البندكتيَّة

Bréhier (Emile): Histoire de la Philosophie. t.I, L'Antiquité et le Moyen-Age, 1er fasc., Introduction, période hellénique, *in*-8°, 262 *pp.*, 1926, *Paris, Felix Alcan, Prix* 18 *f*

تاريخ الفلسفة (الجزء الاول)

مؤلف هذا الكتاب احد اساتذة جامعة باريس وقد انتمى منذ عهد قريب الى جامعة مصر فيعلّم في قسمها الادبي . وها هوذا باشر بنشر تأليف واسع في تاريخ الفلسفة الذي بلغنا جزؤهُ الاوَّل وقد ضمَّنهُ مقدِّمةً طويلة ثمَّ بحث عن مبادئ الفلسفة منذ اوَّل عهد فلاسفة اليونان الى زمن سقراط وافلاطون وارسطوطاليس والمعهد الفلسفي اليوناني (le Lycée) فوصف كل اطوار الفلسفة في تلك الازمنة وسعى ببيان العلاقات التي بين فلسفة تلك الاعصار المتباينة . على انهُ لا يُهمل ان تلك الغاية يقتضيها معرفة اوسع وادقّ لاحوال تلك الازمنة القديمة وفلاسفتها ولذلك لا يقطع بحكمهِ فيهم وانما يحمل رأيهُ على ما لدينا من آثارهم ج . ل

Dr O. Bernhard: Griechische und römische Münzbilder in ihren Beziehungen zur Geschichte der Medizin. *Zurich, Orell Füssli*, 1926, 8°, 83 *pp.*, 13 *pl.*)

ما يستفاد من صور النقود اليونانية والرومانية لتاريخ الطبّ

قد وصفنا في المشرق (عدد ك ٢ ص ٧٠ ــ ٧١) تأليفاً سابقاً في هذا المعنى للدكتور برنهرد حيث بيَّن ما تفيدنا تصاوير نقود اليونان والرومان عن علم النبات . وها هوذا اليوم اهدانا مجلَّداً كبيراً ذا تصاوير بديعة قد خصَّهُ بتاريخ الفوائد الطبيَّة التي يمكن اجتنازها من درس النقود القديمة . ثم يتتبَّع بالترتيب آلهة الطبّ والصحة المكرَّمة عند اليونان والرومان كاسكلابيوس وزوجتهِ ابيونا وابنتهِ هيجيا وتلسفورس ابنهِ واسرة الاسكلابيين والاله اسكولاب وسالوس الخ . ويصف تباعاً صور هؤلاء

الالهة في النقود مع ما لكل واحد من الرموز كالسُرَّة البيضويَّة الشكل (omphalos) والحيَّة الملتفة حول صولجان والمرموز بها حتى في زماننا الى الصيدلة والطبّ وكالمجلة الكتابية والديك والكلب وبعض النباتات وكاس الحجامة الموصى بها في كتابات بقراط. وفي الفصول التالية يذكر المؤلف المدارس الطبيَّة في عهد اليونان مع تصاوير الاطباء وتاريخ كتابة امبيدوكليس عن معالجة الملاريا ثم ما يختصّ بتاريخ الصحة عموماً وخصوصاً عن الاستحمامات والاقنية والبواليع الخ. فترى ممَّا سبق انَّ المؤلف لم يفتهُ شيء من الفوائد التي يعرضها خصوصاً على زملائهِ الاطباء الذين لم يتخصصوا لدرس العاديَّات. فيا ليت اطباء هذه البلاد يوجهون اهتمامهم لدرس هذه المسائل التي لم يجهلها اطباء العرب الذين اخذوا كثيراً من علومهم عن الطب اليوناني الروماني. ولم ينسَ كاتبنا نقود بيروت التي وردت فيها صورة اشمون من العهد الروماني وهو يُرى بين حيتين واليونان كانوا يوحدون بينهُ وبين اسكولاب. وكان لهُ هيكل على ضفة نهر الاولي قريباً من صيداء حيث وُجدت آثار عديدة من جملتها كتابات فينيقية مقدَّمة من الملوك لاشمون منها كتابة يونانية وجدت حديثاً راقية الى القرن الثاني قبل المسيح فيها اسم الالهة باناكيَّة احدى بنات ايسكولاب (SYRIA, 1924, p. 320). والصور في هذا الكتاب غاية في الحسن س. د.

G. Migeon: LES ARTS MUSULMANS. (Biblioth. d'hist. de l'art). *G van Oest, Paris-Bruxelles*, 1925, *gr*, 8°, 48 *pp*. 64 *pl. phototyp.*

الفنون الاسلامية

هذا كتاب وُضع للعموم نوصي بهِ خصوصاً قرَّاءنا الشرقيين الذين يعرفون اللغة الفرنساويَّة وليس عددهم بيسير. ووصايتنا بهِ لثلثة اسباب: (الاوَّل) لانهُ يبحث من امور لا تختصّ فقط بالصناعة الاسلامية بل تتناول الصناعة الشرقية عموماً التي خلفت الصناعات القديمة الكلدانيَّة والاشوريَّة والفارسيَّة والساسانيَّة واليونانيَّة الرومانية حتى البيزنطيَّة. والسبب (الثاني) لان المؤلف يبحث عن ذلك بحثاً موجزاً في وجوههِ العموميَّة. والمنشاوذ واضح يقرب منالهُ على العموم حتى الشرقيين. والسبب (الثالث) لان مؤلفهُ احد كبار الاختصاصيين من هذا القبيل. وهو المدير الشرقي في متحف اللوفر على القسم المختصّ بالفنون الاسلامية ولعلَّ بعض قرَّائنا عرفوهُ شخصيًّا. وقد

حاول منذ زمن طويل درس المسائل المختصة بالصنائع القديمة والحديثة في الشرق ويعرف اتمّ المعرفة كلّ ما يتعلّق بمصر وسوريّة وآسية الصغرى . وقد قسم كتابهُ قسمين يبحث فيهما عن علم الآثار ثمّ الفنون الجميلة والصناعية . ففي الاوّل يبتدئ بنظر عام عن الصناعة في اوّل عهد الاسلام ثمّ ينتقل الى وصف ابنية القدس الشريف فيذكر الجامع الاقصى ومحاسنهُ الفريدة المشتقّة من فنّ البناء النصراني البوزنطي . ثم يتخطّى الى وصف ابنية دمشق وقيروان وقرطبة ثم ابنية العباسيين والطولونيين والفاطميين والايوبيين مع تأثير صناعة الصليبيين فيهم ثمّ ابنية مماليك مصر والسلجوقيين وبني عثمان مع الصناعة الاسلامية في الاندلس واسبانية والمغرب والهند حتى الصين . اما القسم الثاني فهو يستقري في فصوله تباعاً ما يختصّ بالتصوير وبصناعة الكتب وتجليدها في كل بلد ثمّ يصف النقوش المحفورة في الحجارة والخشب والعاج ثم صناعة المعادن والزجاج والخزفيات والطنافس والانسجة المزركشة . فكل هذه الفصول مع قصرها وانضمامها جوهريّةٌ واضحةُ المعنى مزدانة بالالواح الصوّرة البهية . لا ينقصها سوى بعض الصور الملوّنة لئلّا يغلو ثمن هذا الكتاب . فنتمنى انّ احد ابناء الوطن يتفرّغ لتعريبه فيزيد عليهِ ما يمكنهُ ان يستخرجهُ من الكتب المنصوص عليها والملحقة لاتحتها بالكتاب . فنهنئ مترلي طبع هذا الاثر المسيو ڤان اوست فانهُ اجاد كل الاجادة ونرجوهُ ان يرسل لنا بقيّة الكتب التي تظهر في مجموعهِ س . ر

Heilmann (Dr Alfons). HERRLICHKEITEN DER SEELE. Mystik des Auslandes, *pp. VIII-390, in-12, 1926, Freiburg i. Br., Herder, gebunden M.* 8

اشعّة النفس

هذه الاشعّة الروحيّة منتخباتٌ من افضل ما صنّفهُ ائمة الكتبة الروحيين الاسبانيين والايطاليين والفرنسويين والفلمنديين انتزعها مؤلفها لفائدة المسيحيين الالمانيين فراجع لذلك كتابات القدّيسات انجيلا دى فولينيو وكاترينا السيانيّة وكاترينا الجنويّة وترزيا ثمّ جان رويسبروك وبطرس القنطري ولويس الغرناطي ولويس دي باوا ويوحنا الصليبي ولويس الجسري . فجاء هذا التأليف شفعاً لتأليف سابق دعاهُ « كتاب نفوس اولياء الله » فجمع فيهِ دُرر اقاويل كبار علماء الروح الالمانيين فاستخرجها من زوايا

النسيان ليبعث في قلوب اهل عصرنا الجامدة والمتشبثة بامور الارض المادّية الفانيـة روحاً الهية فيضرمها بنار المحبة المتّقدة في نفوس اولئك اولياء الله . وهذا ما دفعهُ الى وضع هذا الكتاب الجديد المعتبر كاتون نار المحبة الالهية الذي سيثمر اثماراً صالحة لمن يقرأهُ بتأنٍ ويتأمل مضامينهُ . وهو مكتوب بانشاء بليغ . وهو الرابع من مجموع يعرف بكتُب جمع الحواس (Bücher der Einkehr) الاب يوسف ديلنسيغر

Gaspari (D. Wilhelm): DIE GOTTERGEMEINDE VON SINAJ UND DAS NACHMALIGE VOLK ISRAEL. Auseinandersetzungen mit Max Weber *pp.* 174, *in*-8°, 1922, *Gütersloh-C. Bertelsmann.*

الأسرة الالهيّة في جبل سينا وما تبعها من تنظيم شرائع بني اسرائيل

هذه كرّاسة في اربعة فصول وضعها الهر كسباري انتقاداً على ما كتبهُ ماكس ڤيبر (Max Weber : die Wirtschaftsethik des antiken Judentums) المطبوع ايضاً في السنة ١٩٢٢ ونكتفي هنا بذكر الكتاب دون انتقاده لاننا نخالف الكاتبين معاً في معظم آرائهما . وزد عليهِ انَّ هذا التأليف كُتب بلغة مقعّرة مستبهمة ليس بسهل الوقوف على معانيها الصحيحة فنخاف أن نشوّه مضامينها فننسب الى المؤلف ما لم يقل بهِ . على اننا نقرّ باننا وجدنا في ما راجعناهُ آراء جديدة يستطيع غيرنا ان يستخرج منها ما يفيد العلم الصحيح ي . د

G. Steindorff: DIE BLUTEZEIT DES PHARAONENREICHES. 193 photogr. et 8 planches hors texte en couleurs. 2e éd. 1926 — Monographien zur Weltgeschichte n° 10 — *Bielefeld Leipzig Verlag von Velhagen und Klasing*

عصر ذهبي لدولة الفراعنة

هو احد التآليف النفيسة التي تقوم بها جمعية من علماء المانية لوصف تاريخ العمور . وهي تبلغ اليوم ٣٢ تأليفاً تتوالى في اوقات معلومة . وقد مرَّ لنا حديثاً وصف كتابها المختص بنينوى وبابل . وهذا التأليف الذي نحن بصدده كان ظهر اوّلاً سنة ١٩٠٠ وهذه الطبعة الجديدة تزيد عن الاولى ٥٠ صفحة مع تحسينات عديدة ومعلومات عن الاكتشافات الحديثة حتى اكتشاف ناووس «توت انخ امون» وآثاره المصوّرة هنا بألوانها . فترى ما لهذا الكتاب من الفوائد الجمة ج . ل

Cte de Lapparent: STE BARBE. Collection «l'Art et les Saints», *in*-16, 65 *pp. Paris, H. Laurens*, 1926

القديسة بربارة

يأخذنا العجب من اقتدار بعض الكتبة الاوربيين في ابحاثهم . فهذا كتاب صغير نشرهُ احد اعيان فرنسة الكونت دي لاباران خصَّهُ بالبحث عن شهيدتنا الشرقية القديسة بربارا كتبهُ بعد ان جمع من كل جهات الشرق والغرب المعلومات عن تلك القديسة فنشرها بطريقة علميَّة رائقة نودّ لو رأيناها معرَّبة . ويزين الكتاب ٤٤ صورة من اجمل الصور لاكبر المصوّرين القدماء والمحدثين . فترى انَّ المثل القائل بانَّ «صاحب البيت ادرى بما فيه» كثيراً ما لا تصدق صحّتهُ ل . ش

Colonel Paul Azan. L'ÉMIR ABD EL KADER. in-8°, 311 pp., un portrait hors-texte et une carte, Paris, 1926, Hachette, Prix f° 20

سيرة الامير عبد القادر (١٨٠٨–١٨٨٣)

تعدَّدت التآليف سابقاً عن الامير عبد القادر الجزائري وهذا كتاب جديد طُبع في مطبعة هاشت الشهيرة في باريس يحتوي سيرتهُ بتفاصيلها الشائقة . فوُصفت فيها اخلاق الرجل الراقية وشهامتهُ في دفاعه عن وطنهِ ومروءتهُ في نجاة كثيرين من النصارى سنة ١٨١٠ في دمشق . وقد بيَّن المؤلف مع هذا مثل فرنسة في تقديرها مناقب عدوّها وفي حسن معاملتها لهُ بعد ان استأسر لجنرالها لاموريسيار البطل الكبير . ومما بيَّنهُ تقى عبد القادر واعتصامهُ بدينهِ دون تعصُّب ولهذا كنا وددنا لو لم ينشر تحت عنوان الكتاب هذه العبارة Du fanatisme musulman au patriotisme français ج . ل

LA POSSESSION EN DROIT OTTOMAN, son caractère, ses effets, et les actions possessoires, par Choucri Cardahi, *Paris, Pichon et Durand-Auzias*, 1926, *pp.* 30

الامتلاك او وضع اليد في الشرع العثماني

هذه مسئلة كثيراً ما وقعت فيها المشاكل في الشرع الاسلامي وكاد يضيع في تعريفها وتحقيقها فقهاء اوربة الاختصاصيُّون . وها قد صرف اليها نظرهُ استاذ مدرستنا الحقوق الفرنسوية جناب العلَّامة الفقيه شكري افندي قرداحي فعرف من اين تؤكل الكتف وبيَّن ما في القوانين العثمانيَّة في هذا الصدد من المحاسن ومن الخلل . ولذلك قد أجمع العلماء في الثناء عليهِ لاسيما انهُ عارض قوانين الشرع العثماني بقوانين

الشرع الدولي. فزادت المقابلة الامر ايضاحاً. فنضم صوتنا الى صوت المستحسنين لهذ الاثر الممتاز ونتمنى لصاحبه الفاضل مزيد اقبال وفلاح

امالي القالي: وذيل الامالي والنوادر وكتاب التنبيه لابي عبيد البكري

اربعة اقسام طبعت في مصر سنة ١٩٢٦

نهنئ مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة على اتقانها لطبع هذه الاسفار الجليلة فانَّ هذه الطبعة تفوق على الطبعة السابقة التي صدرت في بولاق قبل عشرين سنة. فجاءت من افضل المطبوعات الحديثة. اما مضامين أمالي القالي وذيل اماليه ونوادره فلا يجهلها احد من الادباء. وقد زادت اليوم قيمتها بما أُضيف اليها من كتاب نفيس حصل عليه جناب احمد باشا تيمور وهو كتاب التنبيه على اوهام ابي عليّ في اماليه لابي عبيد البكري وكان جنابهُ اعاره حضرة الاب انطون صالحاني آملاً نشره في مطبعتنا الكاثوليكية. فصرف حضرتهُ زمناً طويلاً في اعداده للطبع وذيّلهُ بالحواشي اللغوية والادبية بعد مراجعة معظم المعاجم وكتب الادب وانما حال دون نشره في مطبعتنا ما أُصيبت به في اثناء الحرب. فقامت بالعمل أحسن قيام مطبعة دار الكتب المصرية ونشرت شغل الاب صالحاني مضبوطاً مستوفى وختمتهُ بخمس فهارس واسعة. فاستحقَّت شكرهُ وشكر كافَّة محبي الاثار العربية. كما انهم يشكرون همة اسماعيل افندي يوسف دياب ملتزم طبعه على نفقته ل. ش.

زهيرة حبّ في بستان الرب: تاريخ حياة القديسة تريزية الطفل يسوع

تعريب الخوري يوسف عوّاد مدير المدرسة اللبنانية الاكليريكية

طُبع في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٦ (ص ٤١٣)

زكت هذه الزُهيرة في حديقة الكنيسة الكاثوليكية وتفتَّحت ونشرت أَرجها فتعطرَّت بها فرنسة بل العالم الكاثوليكي في عصرنا هذا الشرّير. ولعلَّ تاريخ القديسة تريزيا الطفل يسوع كان بقي مطوياً مكتوماً لولا اضطرارها لطاعة مرشدها الذي تقدَّم اليها بتدوين سيرتها ففعلت مرغومةً وذكرت كل شيء ببساطة عجيبة لا يستشفُّ منها شيء من العُجب او حبّ الذات. ولذلك نشكر كل الشكر حضرة الخوري عواد لتعريبه هذه السيرة التي من شأنها ان تبعث في القلوب الرغبة في التجرُّد عن

شهوات الدنيا وفي النزوع الى امور السماء وحبه تعالى. والكتاب حريٌّ بان تتخذهُ النفوس المتكرّسة لخدمة الله كدستور حياتها الرهبانية بل تتداولهُ كل النفوس التقيّة لما فيه من تعاليم الكمال المسيحي فضلًا عن صوره البديعة

كتاب خطط الشام (الجزء الرابع)

تأليف محمّد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربيّ

طُبع في دمشق سنة ١٩٢٦ (ص ٢٤٤)

يبتدئ جناب السيد كرد عليّ بهذا الجزء الرابع التاريخ المدني من خطط الشام ملحقاً بالتاريخ السياسي. وقد افتتحهُ بباب العلم والادب قال انهُ « يريد بالعلم علم الدين والدنيا» واذ طالبنا ما كتبهُ عن علم الدين في الشام وجدناه قد حصر ذلك في القرآن وضرب الصفح عن العلوم الدينية الاسلامية. فيهامع سكوته عن بقية الاديان. وكان جنايةُ اقترح علينا بالحاح ان نكتب لهُ فصلًا في الدين الكاثوليكي. فتعلنا فلم يذكرهُ ولعلّهُ اخّرهُ الى جزء آخر. اما بقيّة مضامين هذا الجزء فممتعة جليلة نقل قسماً منها عن تآليفنا السابقة. وقد اتسع خصوصاً في ذكر الآداب العصرية لما وجده من المساعدة في التآليف الحديثة. اما القرون القديمة ولاسيما القرون الوسطى فقد ... كثير من معلوماتها. كما ترى في كتاب المسيو ميجون الذي عرف آنفاً

على عهد الامير

سلسلة روايات تاريخية بقلم فؤاد افرام البستاني

طُبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٢٦ (ص ١٥٧)

نحيّي الشاب الذكي مؤلف هذا الكتاب اللطيف فانهُ غرسة ادبيّة جديدة نمت في روضة الاسرة البستانيّة بعد ازدهارها في مستنبت مدرستنا الكليّة وهذه باكورة ثمارها. والحقّ يُقال انّ هذه السلسلة من ارق واشهى ما سطّرهُ الى اليوم قلم كتبتنا العصريين اودع فيه الكاتب وهو احد اساتذة البيان فوائد جمة من التاريخ الوطني وضمّنهُ وصف الحياة اللبنانية القديمة بصورة محسوسة شائقة. فهناك ٢٥ رواية يحسن بطلبة المدارس ان يسرّحوا فيها ابصارهم فيتّخذوها كمثال الكتابة الساذجة والبليغة معاً وتلك سمة الكتبة النوابغ الذين يستغنون عن زخارف الكلام بحسن سياق المعاني وسلاسة الانشاء.

ل. ش

شذرات

﴿ تطويب الشهداء المابكنيين ﴾ ان اكرام شهداء الايمان في الكنيسة الكاثوليكية كان في كل آن احد الاسباب المنشطة لقلوب بنيها على احتمال الاوجاع والصبر على العذابات والموت. فلا عجب اذن أن فكرت في تبجيل هؤلاء الشهداء الشرقيين رفقاء الثانية الرهبان الفرنسيسيين الذين في حزيران سنة ١٨٦٠ اهرقوا دماءهم في سبيل الايمان الكاثوليكي. ومما يزيد فرحنا برفعهم على المذابح أنهم باكورة الذين نالوا نعمة التطويب في شرقنا الادنى لم يسبقهم في الكنائس الشرقية غير القديس يوشافاط رئيس اساقفة بولوتسك الذي سردنا اخباره في المشرق (٢٢[١٩٢٤]: ٦٨١ــ٦٩٥) فقتل شهيداً سنة ١٦٢٣ ثم ثبت قداسته الطيب الذكر البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٧

﴿ استشهاد احد اساقفة المكسيك ﴾ ان تعصب رئيس جمهورية المكسيك الذميم قد حمله على ما اتاه الفرمسون مراراً من المآثم المستقبحة كما بيناه في كتاباتنا السابقة فانه تستر من مقاومة الاكليروس الكاثوليكي شرائعه الكفرية الظالمة في حق الدين فزعم ان الاكليروس باحتجاجه قد تداخل في امور سياسية لا تعنيه. فاجابه احد اساقفة المكسيك الشهاء السيد موريك (Mgr Maurique) اسقف مدينة هواجوتلا في ١٠ آذار ١٩٢٦ ان حالة المكسيك الدينية الحاضرة برهان قاطع على ان لاساقفة سابقاً أهملوا التداخل في امور السياسة كما كان ذلك من حقوقهم ومن ثم يجب عليهم ان يوقفوا السلطة المدنية عند حدودها ويهتموا بسياسة بلادهم لئلا تتجاوز اطوارها. فكان هذا الكلام داعياً لايقاف السيد موريك والقائه في الحبس ثم قتل فذهب شهيد ايمانه ودفاعه عن حقوق الكنيسة. وجاء موته دليلاً جديداً على ان الماسونية الدعدوة للكنيسة الكاثوليكية

﴿ فقيدان جليلان ﴾ فجعت الطائفة الارمنية عموماً وابرشيتها الحلبية خصوصاً بوفاة احد احبارها الاجلاء السيد اوغسطينوس صائغ فكان لنعاه صدى اسفٍ في قلوب كل الذين عرفوا فضائله وقدروا اعماله في سبيل الدين وخدمة طائفته كنائب

بطريركي في الاستانة وكرنيس اساقفة في حلب . توفاه الله في غرّة شهر تشرين الاوّل وفي اليوم العاشر منهُ انتقل الى جوار ربّهِ احد اخوتنا الرهبان الاب لويس بولوموا استاذ الجراثيم الوبائيّة والعلوم النباتيّة في مكتب الطبّ الفرنسوي . كان من اركان هذا المكتب منذ نيّف واربعين سنة تخرّج عليهِ مئات من الطلبة واتّفقوا دون استثناء على سعة معارفهِ ورسوخ قدمهِ في العلوم الميكروبيّة مع سموّ فضلهِ وفضائلهِ . وهو منشئ الحديقة النباتيّة التي وصفها الدكتور اسعد افندي ملحمه في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٢٧٦ــ٢٨٩) ومؤلف كتاب نفيس في نبات سوريّة يُطبع اليوم في باريس وهو اوسع وادقّ ما كُتب في هذا الشأن مع تصاوير النباتات ووصفها

﴿رسالة امير مرّاكش الى البابا اينوشنسيوس الرابع﴾ كان المرحوم الاب انطون رباط نقل عن سجلّات المكتبة الواتيكانيّة رسالة عربيّة لامير مرّاكش ابي حفص عُمر المعروف بالمرتضى الذي جلس على عرش مرّاكش سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) وقُتل سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٦م) . ورسالتهُ هذه وجّهها الى الحبر الاعظم اينوشنسيوس الرابع جواباً على ما كتبهُ البابا الى اسقف مرّاكش الراهب الفرنسسكاني « لويس فرناندو دَيْن » ليوصي الامير بحسن معاملة نصارى دولتهِ . فهذه الرسالة نشرها الاب انطون رباط في المشرق (٦ [١٩٠٣] : ١١٠٦ــ١١١٤) وقدّم عليها بعض المقدّمات المفيدة . فعاد المنسيور تيسران (E. Tisserant) مع المسيو ڤيت (G. Wiet) فنشرا هذا الاثر مع صورتهِ الفوتغرافيّة وترجمتهِ الى الفرنسويّة وعدّة ملحوظات تاريخيّة واثريّة بينها بعض العبارات المهملة اختصاراً من الاب رباط وتصحيفات طفيفة اصلحاها (اطلب مجلّة هسبيريس HESPERIS : 1926, t. VI; p. 27-53)

﴿ارتداد اميرة اسوج الى الكثلكة﴾ هي الاميرة أُستريد التي خطبها ولي عهد ملك بلجكة البرنس دي برابان . فانّها بل جرّيتها طلبت الارتداد الى الكنيسة الكاثوليكية وبذلك تبعت كريستين ملكة اسوج في القرن السابع عشر التي ضحّت منصبها في مملكتها لتتبع الكنيسة الكاثوليكية على الرغم من كل ما لقيتهُ في سبيلها من العوائق . ولا بدّ ان يكون ارتداد الاميرة الجديدة باعثاً لنموّ الكثلكة في بلادها حيث سُدّ باب وطنها في وجهِ الكثلكة مدّة ٣٠٠ سنة بشرائع جائرة

﴿ اساقفة صينيون ﴾ في ٢٤ من تشرين الاوّل الماضي سقّف في روميــة

قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ستّة كهنة صينيين من جملتهم الاب اليسوعي الصيني سمعان تسار (Simon Tsu) جعلهُ الحبر الاعظم نائباً رسولياً على هيئتين احدى مقاطعات اقليم كيانسو . وهناك لليسوعيين الفرنسويين رسالة واسعة ولهم في حاضرتها شانغ هاي جامعة ومدارس عالية ومطبعة كبيرة ومرصدان فلكي ومغناطيسي . والاسقف الجديد احد الاثني عشر اسقفاً صينيًّا الذين وقع عليهم الاختيار حديثاً لرعاية كنائس الصين الكاثوليكيَّة . سبقوا ابناء جنسهم في هذه الرتبة السامية وفي انتخابهم للاسقفية احسن دليل على سعة نظر الكنيسة الكاثوليكية ونزاهتها وعدم محاباتها للاشخاص من ايّ عنصر واي دولةٍ كانوا

﴿فارس الماسونيَّة﴾ هو صاحب مجلّة المعارف وديع افندي نقولا حنا ارسل لنا عددًا من مجلّته فتحها بعنوان « اسرار ماسونيَّة لم تُعلن بعد » فما كدنا نلقي النظر الى هذه الاسرار غير المعلنة حتى وجدناها « خرطة » جديدة للفرمسون . فانَّ لدينا من هذه النشرة الخدَّاعة نسخاً قديمة طبعها ابناء الارملة ليغروا بها البسطاء وهي في اربعين بندًا . وفي كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون تفنيد واضح لكل هذه البنود . فردًا فردًا وبهذا يتبين قول الانبياء « اكذبوا اكسوا فلا بُد ان يعلق شيء من كذبكم في العقول » . وبهذه النسبة نشير الى كل قرّائنا ولاسيما الاورثذكس بان يطالعوا فصلًا بديعاً نشرتهُ مجلّة المسرَّة الغرّاء في عددها الاخير ت١ ١٩٢٦ عنوانهُ ارثوذكسيّ ام ماسونيّ فيروا انهماك الطائفة الاورثذكسية وروسائها في اضاليل الماسونيَّة مع ما برز في تقبيحها من بطاركتها وسينودات كنائسها التي نعتت الماسونيَّة « بعبادة الشيطان وبجمعيَّة الكفر والالحاد » . فلا بُدَّ اذن من القول انَّ فارسنا الجديد اما غارٌّ واما مغرور كجميع المنتمين الى هذه الشيعة . وقد بينّا ذلك في ما كتبهُ قبلهُ فارسٌ آخر للماسونيَّة يوسف افندي الحاج عن الوقائع الماسونيَّة (المشرق ١٩ [١٩٢١]: ٤٧٧ــ٤٨٦)

﴿سباق ارتفاع الطيَّارات﴾ في اواخر آب الماضي بلغ الطيَّار الفرنسوي كاليزو (Callizo) الى علو ١٢ كيلومترًا و٨٠٠ متر فنال جائزة السباق في الارتفاع

﴿المذنَّبة فينالي﴾ هذه المذنَّبة تظهر في السماء كل سبع سنوات فقد رآها الفلكيون في برج الثور في اوائل ايلول . وهي تضيء كالنجوم المعدودة في كبر ١٢

فأمكنهم رؤيتها بمجرَّد النظر

﴿تصحيح رواية﴾ لما ذكرنا (في عدد ايلول الصفحة ٧٠٢) شروط صحة الزواج في الكنيسة اللاتينيَّة بحضور كاهن الرعيَّة وشاهدين استثنينا من هذه القاعدة اللاتين المولودين في المانية وهونغارية اذا عقدوا الزواج مع غير الكاثوليك. وهذا الاستثنا. أُلغي اليوم بموجب قوانين جديدة فصارت الشريعة عامَّةً تشمل كل اللاتين في كلّ البلاد

﴿معرضان جديدان في باريس﴾ أُنشئا مؤخَّرًا في شهر تشرين الثاني الاوَّل معرض السيارات عُرضت فيهِ ضروب الاوتوموبيلات وبلغ عدد العارضين ١٤٠٠. وقد ثبت انَّ الولايات المتحدة في مقدَّمة الدول بعدد اوتوموبيلاتها ثمَّ انكلترة والثالثة فرنسة التي يبلغ فيها عدد الاوتوموبيلات ٩٠٠،٠٠٠ بنسبة سيَّارة لكل ٤٤ شخصاً. والمعرض الثاني معرض النقابة البحريَّة أُنشئ على ضفَّة نهر السين وعُرضت فيهِ كل صنوف السُّفن من القوارب والسفن الشراعيَّة والطيَّارات الجويَّة البحريَّة الى السفن الحربيَّة

﴿عتاب الاستاذ المغربي﴾ يبرئنا انتقادات الافاضل على كتاباتنا لنستفيد منها ونستدرك ما شرد فيه القلم. فمن ذلك ما كتبهُ اخيرًا زميلنا السيد المغربي في احدى جرائد الوطن وقد تعجبنا انهُ عاد الى مسئلة الحجاج وقد بيَّنا لجنابه ما حملنا على نظمه بين شعراء النصارى بأربعة ادلَّة فكان جوابه عليها مبهماً مختلًّا. واليوم اخذ علينا قولنا عن ابن زطينا الذي اسلم بعد نصرانيَّته فقلنا انَّ اسلامهُ كان اضطرارًا. ولا عجب فاننا حملنا فعله على ما عرفناهُ عن كثيرين واقرَّ بهِ الكتبة المسلمون كإسلام بني الموصلايا وبني الاصباغي وبني عماتي وسنأتي بذكر غيرهم ان شاء الله. أمَّا استغراب السيد المغربي لانتقادنا لتفسير سورة الفاتحة للشيخ طنطاوي جوهري وهو لم يطلع على الكتاب لمن الادلَّة الجديدة على غلوّ السيّد في انتقاده. ونحن ننشد الله كل مسلم نيّر عاقل ان يقرأ هذا التفسير ويعلن انهُ يرى رأي كاتبه الذي زعم انَّ في قول القرآن «الحمد لله ربّ العالمين» قد علَّم البشر سائر العلوم القديمة والحديثة وادَّعى انَّ مثل ذلك لا يوجد لا في كتب اليهود ولا في كتب النصارى مع انَّ اوَّل آية سفر التكوين اوضح منها «في البدء خلق الله السماء والارض» ومثلها اوَّل آية انجيل يوحنَّا «في البدء كان الكلمة.. وبه كُوِّن كل شيء» فانظر الى اين تقود المغالاة!

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الادباء في جونية من هو القديس مبارك الانياني (S. Benoit d'Aniane) وماذا يعرف عنهُ ؟

القديس مبارك الانياني

ج كان هذا القديس فرنسويَّ الجنس ولد في مقاطعة لنغيدوك نحو السنة ٧٥٠ وتوفي سنة ٨٢١. ازهر في ايام ملوك فرنسة الكرولنجيين الذين استعانوا بهِ في تدبير امورهم وإصلاح اخلاق رعاياهم. وبعد امتيازه في السياسة المدنيَّة عدل الى النسك وشيَّد ديرًا قريباً من وطنهِ على ضفَّة نهر يُدعى أنيان واليهِ نُسب فتقاطر الناس الى الاقتداء بسيرتهِ فاتخذ لتدبيرهم قانون القديس مبارك الكبير بزيادةٍ في صرامتهِ وتقشُّفاتهِ. ولما ضاق الدير على استيعاب عددهم شيَّد لهم اديرة أُخرى في فرنسة وفي المانية. وكان الملوك بيبان وشرلماني ولويس المعروف بالرحيم واساقفة زمانهِ يستشيرونهُ في مشاكلهم ويرتشدون بنصائحهِ. وقد ألَّف تفسيرًا مستجادًا لقانون القديس مبارك رعيَّة واقع في ١٢ شباط. وصورهُ تمثله بهيئة سائح يلاقي بهِ الاتيه حريقاً

س كتب احد المنتمين الى رهبانية القديس فرنسيس الثالثة : يقال في سيرة القديس فرنسيس الاسيزي انهُ دُعي فرنسيس لمعرفتهِ اللغة الفرنسوية فما كان اسمهُ قبل ذلك في العماد ؟

اسم القديس فرنسيس في العماد

ج لم يُذكر في سير القديس فرنسيس الاسيزي اسمهُ الاوَّل وقد وضع احد الفرنسويين جائزة عشرة الاف فرنك لمن يدلُّ عليهِ. وقد وجدنا مؤخرًا في بعض مخطوطات دير بزمار كتاباً مخطوطاً في سيرة القديس لاحد مرسلي رهبانيَّتهِ القدماء في الشرق يقول فيهِ انَّهُ دُعي في المعمودية باسم يوحنا والله اعلم ل.ش

س ارسل لنا حضرة المنسنيور بطرس حبيقة كتابة يونانية وُجدت في اسفل جبل صنين على وجه حجر مقلوب قال : انَّ الذي وجدها اخذ رسمها على هذه الصورة DESNLVH فسأل حضرته معناها

كتابة يونانية في سفح جبل صنين

هذه الكتابة قد تشوَّهت برسم ناقلها ومثلها غيرها في انحاء لبنان وهي مختصرة وهذا تمام كتابتها DEFINITIO SYLVARUM IMPERATORIS HADRIANI أي «تحديد الاحراج للامبراطور ادريان» ر.م

المشرق

الحفلات اليوبيليّة

بتثبيت القديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا

من الرهبانيّة اليسوعيّة

الاب لويس شيخو اليسوعي

مقدمة

زهرتان نبتتا في حديقة الكنيسة الكاثوليكيّة في القسم الثاني من القرن الـ ... عشر فعطّرتها اولاً تربتها ايطالية وبولونيـة ثمّ انتشر عرفهما بعد ان قطفهما الله وضمّهما من رومية الى جنانه حتى تنعّم عبيرهما كافّة العالم المسيحي لاسيما اذ اقامهما على يد كل الكنيسة البابا بندكتوس الثالث عشر في ٢٦ كانون الاول سنة ١٧٢٦ واعلن بقداستهما السامية فاتخذهما الشبان قدوةً فكانت سيرتهما دافعاً عظيماً جداً يأوف منهم الى ان ينهجوا نهجهما ويضحّوا النفس والنفيس في سبيل البرّ والعيشة الصالحة والكمال المسيحي على مثالهما

ولا عجب ان كرّر الاحبار الرومانيّون الثناء العاطر على هذين القديسين وجعلوهما

لاسيما القديس لويس غونزاغا من شفعاء الناشئة الدارسين ليتعبّروا آثارهما ويصونوا انفسهم من وباء هذا العالم الغرور

وقد احبّ قداسة امام الاحبار المالك سعيدًا البابا بيوس الحادي عشر ان ينتهز فرصة المئة الثانية لتثبيت قداستها كي يوجه الى العالم الكاثوليكي براءة اطرأ فيها فضائلها ثمّ تقدّم بان تقام مواسم بهجة لاكرامها واوصى كافّة الشبّان الكاثوليك بان يقتفوا آثارهما ويحيوا في نفوسهم فضائلها لينجوا من عثرات هذا الجيل الفاسد ويصونوا كنز البراءة التي اتّسموا بسماتها في معموديّتهم

وها نحن اجابةً لرغبة ابينا الاقدس نعرض على شبيبة هذه البلاد خلاصة اعمال ذينك القدّيسين ليستضيئوا بنور رشادهما مباشرةً بشفيع طلبة المدارس الخاصّ القديس لويس غونزاغا

خلاصة

سيرة القديس لويس غونزاغا

ان من يتفرّس في صورة القديس لويس دي غونزاغا يجدها مزدانةً بثلاثة رموز يُلمَح بها الى ما امتازت به حياة ذلك الشابّ السماوي. فتراهُ يمسك باحدى يديهِ زنبقةً بهيّة وعند قدميهِ تاج الامارة والشرف وعيناهُ شاخصتان الى صليب الربّ الذي بيمناهُ: تلك رموز طهارة لويس واحتقارهِ لشرف العالم واباطيلهِ ثمّ محبّتهِ لربّهِ ولصليب آلامهِ

١ً الزنبقة رمز طهارة لويس

قال الربّ في سفر الحكمة: ما ابهى الجيل الطاهر فان ذكره يبقى مخلّدًا عند الله والناس. على انّ الطهارة وان تكن جميلةً في كل حين فانها ابهى واجمل في سنّ الشباب حين تقوى على الانسان اهواء العالم وشهوات النفس ويسعى عدوّ جنسهِ بان يسلبهُ ذلك الكنز الملائكي. ولقد اقرّ احد زعماء الفتن والشرور جان جاك روسو بانهُ لا يعلم بوجود شيء اعظم جمالًا وابهى منظرًا من شاب بارّ طاهر الذيل نقيّ القلب

وقد اتّفق كتبة سيرة القديس لويس غونزاغا انهُ بلغ بطهارتهِ مبلغًا قلّ من بلغهُ مثلهُ في درجتهِ

﴿مولد لويس﴾ ولد لويس في ٩ آذار سنة ١٥٦٨ . وبعنايته تعالى تقدَّم ميلادُه الروحيُّ بالعماد في احشاء والدته على ميلاده الطبيعي فعُدَّ ذلك كفاتحة لحياته الطاهرة المقدَّسة . كان مولدهُ في قصر كاستيليونة التي كان والدهُ فرديناندو مركيزاً عليها وهو يُبتُّ بالقرابة الى معظم اشراف ايطالية واسبانية وفرنسة لانتشار اسرة غونزاغا في انحاء اوربة

ولم تكن امُّهُ مرتا دون زوجها شرفاً إلَّا ان تقاها كان يفوق على شرفها . فما كاد يولد بكرها لويس حتى رسمت عليه اشارة الصليب وباركتهُ وقدَّمتهُ لله ولوالدته الطاهرة وقد عمَّ الفرح سائر اهل المدينة فقُرعت الاجراس وأُطلقت المدافع وتزاحم الشعب في الكنائس ليشكروهُ تعالى على ولادة وريث لاميرهم كما تقاطر الاعيان الى قصر والده ليهنئوهُ بنجله

على انَّ حياة المولود كانت في اوَّل بروزه للوجود معرَّضة لخطر الموت وانَّما هذا الخوف زال تماماً مذ نذرت امُّهُ ان تحجَّ الى زيارة بيت العذراء وكنيستها الشهيرة في مدينة لوريت

﴿صبا لويس﴾ قضى لويس صباهُ في حجر والدته القديسة اذ كان والدهُ منهمكاً باشغال الامارة ثمَّ بخدمة الملك فيلبُّس الثاني ملك اسبانية الذي ارسلهُ مع جيشه لمحاربة الاتراك في تونس

فنشأ لويس مشمولاً بنظر والدته الصالحة التي اسرعت فطبعت في قلب بكرها حبَّ الله ووالدته البتول ولقَّنتهُ مذ تحرَّك لسانهُ اللهجة باسمَي يسوع ومريم والاتسام باشارة الصليب . وكأنَّ الطفل مذ ذاك الحين ادرك شيئاً من امور السماء فكان يُقبل على ارشادات امِّه بكل رضًى فتُعلن المركيزة انَّها ترى في ولدها صورة ملاكٍ لا بشر

ما كاد يبلغ لويس الخامسة من عمره حتى كان يعتزل عن اهل البيت وينفرد في زاوية امام صورة العذراء فيجثو على ركبتيه ويضمُّ يديه الصغيرتين فيصلِّي دون حراك كانهُ من عالم الارواح

﴿الجندي الصغير﴾ على انَّ والدهُ عاد في تلك الاثناء ولم يستصوب ما آتهُ من تُقى لويس وهو يريد أن يخلفهُ يوماً في مناصب الجنديَّة . ومن ثمَّ ابعدهُ من القصر والبسهُ بزَّةً عسكريَّة فاخرة وجعلهُ في حراسة احد ضباطه بين جنوده في بلدة كازال

من اعمال ميلانو فكان الولد يمشي مع الجند ويتقلد حركاتهم ويسير في مقدمتهم كالقائد امام فرقته . فسُرُّوا به اي سرور ثمَّ خالطوهُ واختلط بهم وسمع منهم ألفاظاً بذيَّة لم يدرك معناها فردَّدها بسذاجة الاطفال . ولما لامهُ الضابط وكيلهُ على التلفُّظ بها امتعض لذلك وبكى على فعلهِ بقيَّة عمرهِ كأنهُ أتى اثماً كبيراً

ثمَّ رأى الجند يطلقون البنادق فاراد ان يحذو حذوهم فاخذ بالسرّ قليلاً من البارود من جبخانة احد الجند وحشا بهِ بندقيَّةً فانفجرت بين يديهِ وكادت تذهب بحياتهِ لولا نعمةٌ من الله . فكان ذلك الاثمُ الثاني الكبير الذي اقترفهُ في حياتهِ وندم عليهِ ندامة كبار المذنبين على خطاياهم

﴿ربيب البتول﴾ عاد لويس الى قصر والدهِ فانتعشت نفسهُ بقرب والدتهِ وحوَّل قلبهُ ثانيةً الى امور الروح بينما كان اخوهُ رودلفوس يتلهَّى بملاهي الصبا . واذ سمع والدتهُ تقول يوماً : « ليتني لن ارى احد اولادي مكرَّساً لخدمة الله » التفت اليها لويس وهو في السابعة من عمرهِ فقال : « ثقي يا أماه فاني انا المختار لهذا الشرف »

أُرسل لويس الى مدرسة مع اخيهِ فتخرَّج هناك مع الشرف [illegible] بالآداب المدرسية [illegible] في [illegible] الدروس وتمكَّن بكل رغبة وما لبث ان احرز بذكائهِ كل تعاليم اساتذتهِ . فكان يأخذهم العجب من توقُّد ذهنهِ ونشاطهِ . ولا غرو فانَّ لويس صرف كل فكرهِ بدرس وحاد عن ملاهي البلاط والالعاب الخارجة فيهِ

ومع حرصهِ على الدرس كان يزداد تُقىً وعبادةً وقد وجد في مدينة فلورنسة ما يحدوهُ الى [illegible] من آثار دينية جليلة وكنائس فخمة البناء واديرة فاخرة وفنون جميلة [illegible] وقد احبَّ لويس التردُّد على كنيسة شهيرة هناك قديمة العهد على اسم العذراء تُكرم فيها صورة عجائبية شُغف لويس بنظرها وشعر في باطنهِ في احد الايام ما يدفعهُ الى ان يقدِّم لها اعزَّ تقدمة لديها فنذر امامها البتوليَّة الدائمة . فرضيت العذراء بتلك الهديَّة الثمينة وأثابتهُ عليها بان حبَّبت اليهِ الطهارة وصانت قلبهُ من كلّ الشهوات البدنيَّة حتى اخفَّها فقضى حياتهُ كملاك متقمص بجسم بشري

﴿سياج الزنبقة﴾ انَّ هذه النعمة الفريدة التي نالها لويس ولم يحظ بها الَّا قليل من اولياء الله اراد ان يصونها صيانتهُ لأعظم كنوز العالم فاحاط تلك الزنبقة البهيَّة

بسياج من اشواك الاماتة والتقشفات ردّ بها كلّ هجمات العدوّ الباطن والخارج. وكان اوّل ما توسّل اليهِ لحفظ طهارتهِ إماتة حواسّه فكان حيثما سار يُري محتشماً غاضّاً بصرهُ عن كل منظر مُريب. وبلغ في ذلك مبلغاً عجيباً حتى انهُ كان لم يشأ ان يُحدق بعينهِ الى وجه امرأة البتّة. ولمّا صار فيما بعد في خدمة ملكة اسبانية في مدريد بقي سنتين دون ان يعرف صورتها. بل كان يحوّل نظرهُ عن المركيزة امّهِ نفسها تصوُّناً وتعفُّفاً. كما انهُ كان لا يدع الخدم يدخلون اليهِ عند نهوضهِ من الفراش ولبسهِ ثيابهُ

وممّا ألفهُ لويس لحفظ طهارتهِ ضروب التقشفات فكان يحيد عن كلّ ما ينعم الجسد من أكل وشرب ولبس وراحة. فكان وهو في ربيع الحياة لا يكاد يغذي جسدهُ بغير القوت الطفيف حتى عُدَّت حياتهُ صوماً متواصلاً وربّما اكتفى طول يومهِ بالخبز والماء. وكان لا يرقد على فراش ناعم بل يدسّ في فراشهِ حصًى وقطع من الاخشاب ليقهر جسمهُ في نومهِ وكثيراً ما نام على وجه الحضيض

وكان في لبسهِ يتأفف من كل بهرجة وجاه باطل ويفضّل أبسط الملابس وأذلّها. وكان يتمنطق بزنّار حديدي ذي مهامز مشوكة ويلبس المسح ويجلد جسدهُ بقساوة شديدة حتى يسيل دمهُ على الارض

فذاك كان السياج الذي اتخذهُ ابن امراء غونزاغا فصان بهِ طهارتهُ العجيبة بين مفاسد العالم الشرّير حتى يجوز القول انهُ لم ينلهُ من وبائهِ نسمةٌ واحدة

ولمّا اراد في السنة التاسعة من عمرهِ ان يعترف اعترافاً عامّاً عن حياتهِ الى احد الآباء اليسوعيين كان لم يجد بعد الفحص الطويل إلّا بعض صغائر الأثم التي لا يكاد غيرهُ يعبأ بها فاعترف بها مذرفاً الدموع السخينة كأنهُ اكبر الخطأة

﴿نضارة الزنبقة وبهاؤها﴾ لم يكتفِ لويس غونزاغا بان يقتل في قلبهِ روح العالم ويتفي عن نفسهِ كلّ شعائرهِ بل عرف من اين يستمدّ لهُ القوّة ليزيد طهراً وبراءةً. وما ذلك إلّا بمثابرتهِ على الصلاة. فكان لا يقضي يوماً الّا ويستحرُّ بمناجاة ربّهِ إمّا منفرداً وامّا قانتاً في بعض الكنائس. وكثيراً ما كان ينهض ليلاً بأخفّ الملابس ويحيي الليل بالصلاة مع ما يشعر بهِ من برد الشتاء القارس

ولما قُضي عليهِ ان يتنقّل الى حواضر مدن ايطالية واسبانية فيختلط هناك بشبيبة الاشراف الذين كانوا يتهافتون الى النوادي الحافلة والمشاهد الفتّانة المطربة والمآدب

الفاخرة والمناورات العجيبة كان لويس يتوارى خفيةً ويتزوى في حجرته فيقضي الساعات الطويلة في مناجاة الله. وكان اذا شرد فكرهُ في صلاتهِ أطالها الى أن تمرَّ عليهِ ساعةٌ تامَّة دون شتات. فكان يخرج من صلاتهِ برغبةٍ اعظم في المعيشة الفضلى

أفمن العجب بعد ذلك ان نصعت تلك الزنبقة البهيَّة فاشبه لويس بطهارتهِ ملائكة الله

وقد زاد حبُّهُ لتلك الفضيلة السماويَّة لما دُعي الى التقرُّب من خبز الملائكة لاوَّل مرَّة وذلك في الثالثة عشرة من عمرهِ اذ لم تسنح لهُ الفرصة للحظوة بهذه النعمة قبل ذلك. وقد تمَّ الامر في بلاط والدهِ اذ مرَّ هناك القديس الكبير الكردينال كرلس بروماوس رئيس اساقفة ميلانو ومتَّعهُ بقبلة الهيَّة في سرّهِ العظيم. فحدِّث ولا حرج عما نالهُ من التعزية والسلوان فتحقَّق فيهِ قول الربّ: طوبى لطاهري القلوب فانهم يعاينون الله. فلم يبرح ذكر هذه النعمة من بالهِ وكان كلَّما يتقرَّب من المنّ السماوي يذوب قلبهُ حبًّا وتنمو طهارتهُ سطوعًا

ومن مفاعيل تلك الطهارة انَّها قشعت عن ذهنهِ ظلام الجهل فكان بصفاء عقلهِ [illegible] المسائل العويصة من الفلسفة والرياضيَّات التي كان يتلقَّنها من اساتذتهِ بكل سرعة حتى نال فيها في مدينة مدريد قصبة السباق على اقرانهِ

ولا يظنَّنَّ احد انَّ عيشة لويس القشفة وحياتهُ الشظفة كانت تؤثر في معاملاتهِ وتصرُّفهِ مع القريب فينسبونهُ الى شراسة الاخلاق والخشونة والجفاء بل كان على خلاف ذلك انيسًا لطيف المعاشرة دمث الاخلاق يحبُّ الجميعُ التقرُّب اليهِ لحسن طباعهِ وسموّ حكمتهِ. وكان الشبان الترابة خصوصًا اذا حادثوهُ شعروا بما يحملهم على مثالهِ الى الطهر والقداسة

٢ تاج الامارة رمز احتقار لويس لمجد العالم

سبق انَّ تاج الامارة مرسوم عند اقدام لويس في صورهِ وما ذاك إلَّا رمزٌ محسوس لازدرائهِ بشرف العالم ومجده الباطل

﴿مقام لويس في العالم﴾ كان لويس من حيث حقوق بكوريَّتهِ مرشَّحًا للامارة بعد والدهِ لا يمكنهُ ان يتخلَّى عن حقوقهِ دون مراجعة ملك اسبانية الذي كانت امارة كاستيليونة من اقطاعاتهِ. فكان اذن تاج الامارة معدًّا ليزين هامتهُ. وكانت تلك

الامارة غنيّةً بالاملاك واسعة الثروة. وكانت وراثة اعمامه هي ايضاً عائدة اليه. فما كان مع هذا ينقصهُ شيء من جاه العالم ومفاخره

لولا انَّ لويس نظر الى تلك العظمة والمقام الرفيع بعين العاقل الحكيم ووزنها بزنة الفهم البصير معارضاً لها بجزاء الآخرة ومجدها الابديّ فصرخ: «ما هذا بالنسبة الى الابديّة» وجعل هذه الكلمة شعارهُ ومن ثمَّ قصد ان يتخلّى عن حقوقه ويتفرَّغ لخدمة الله وحدهُ في الرهبانيَّة. واذ كشف عن غايته لأمّه الفاضلة شكرت الله على ما ألهم ابنها القديس وتمنَّت ان يتمَّ لهُ ذلك كما يشاء.

﴿دفاع لويس عن دعوته﴾ قال الربّ (متى ١١: ١٢): ان ملكوت الله يُغصب والغاصبون يختطفونهُ. فكان لويس احد اولئك الغاصبين. فانهُ لمَّا شعر بدعوة الله الى الترهُّب واعلن بنيَّته للسيِّد فرديناندو والده انتشبت بينهما حرب عوان دامت اربع سنوات. فانَّ والدهُ لمَّا سمع بما اخبرهُ ابنهُ عن دعوته طردهُ من امامه واكَّد لهُ انهُ لن ينال مطلقاً الرخصة بهجران امارته. كيف لا وهو قد عرف ما لابنه من الخصال الحميدة والسجايا الفريدة أفيرضى ان يتخلّى عنهُ؟ ومن ثمَّ صمَّم العزم على مقاومته بكل قواهُ

لكن لويس لم ييأس من الفوز برغوبه واخذ يلتجئ الى السماء. تُفكُّ اغلاله وضاعف صلواته وضروب تقشفاته وعاد غير مرَّة الى والده يثبت له انَّ الله داعيه الى الترهُّب ولا بُدَّ له ان يلبّي صوت ربّه. اما ابوهُ فلم يرعوِ فكان يستقبلهُ تارةً بالوعد وحيناً بالوعيد ثمَّ توسَّل بكل الوسائل ليصرف ابنهُ عن فكره. فكان يُرسلهُ في مهمَّات ولايته ويعهد اليه بالسكنى في قصور الملوك لعلَّهُ ينبهر بزخارفها الَّا انَّ لويس بعد قضاء [illegible] كان يعود اليه ويذكّرهُ بوعيده دون ان يحظى برضاهُ حتى انهُ في آخر [illegible] مرَّة بتاتاً فقال لهُ لويس قبل وداعه: اعلم سيّدي بأنك بنكرانك عليَّ [illegible] ارادة الله الذي يدعوني الى الرهبانيَّة فانت مسؤول امامه بعنادك

قال هذا وخرج لويس من وجه والده ودخل مخدعهُ وتجرَّد عن ثيابه الى وسطه واخذ سلسلة من حديد وصار يجلد نفسهُ طالباً من الله بذرف الدموع ان يُلين قلب والده. فوقف بعض الخدم على ما يفعلهُ لويس واخبر المركيزة امَّهُ فقامت ورأت من شقوق الباب ابنها مضرَّجاً بدمائه فاسرعت الى زوجها ودعتهُ الى نظر ابنه في تلك

الحالة قائلةً : ان لم تسمح لهُ بما يطلبهُ ستفقدهُ بذنبك . فتحنَّن قلب فرديناند وارسل فطلب ابنهُ . فلما رآهُ بلّلت الدموع وجهه ولم يتمالك عن ان يضمّهُ الى قلبهِ ويقول : «عليك يا ولدي كنتُ ابني آمال بيتي ولكن لا اريد ان اعارض مشيئتهُ تعالى فها انا ذا أُطلق سراحك وابارك فاذهب حيث يدعوك الله» فطار لويس فرحاً لهذا النبأ وقبَّل يد والده شاكراً واستعدَّ لمبارحة العالم باقرب وقت

وبعد ان بلغ الامر فيلبُّس الثاني سمح لهُ بالتنازل عن امرتهِ لاخيهِ رودلفوس . وتمَّ ذلك بحفلة شائقة حضرها الاعيان والاقارب ببزّهم الرسميّة . وبينما كانوا مجتمعين في ديوان القصر واذا بلويس ظهر لهم بغتةً وهو لابسٌ ثوب الرهبانيّة اليسوعيّة التي كانت العذراء اوحت اليهِ بالدخول في حجرها . فما وقع نظر الحضور عليهِ حتى هطلت الدموع لاسيما والديهِ واخاهُ اما هو فكان يتبسَّم فرحاً كانهُ نجا من خطر عظيم وتهافت الى صكّ تنازلهِ عن الامارة فامضاهُ باسمهِ وسجّلهُ . وبذلك انتصر على فخفخة العالم وشرفهِ الزائل وردَّد كلام المزمور (١٢٣ : ٧) : نجت نفوسنا مثل العصفور من فخّ الصيّادين الفخّ انكسر ونحنُ نجونا

٣ الصليب يمنح لويس لربهِ وتضحية نفسهِ لهُ

﴿لويس في الرهبانيّة اليسوعيّة﴾ اسرع لويس وطلب البركة الوالديّة واقرأ الوداع سائر اهلهِ ورحل الى رومية وذهب توًّا الى دير الآباء اليسوعيين حيث انطرح على قدمي رئيسهم العام الاب كلاوديوس اكوافيفا الذي كان سبقهُ في الجهاد عن دعوتهِ وهو مثلهُ من اسرة الامراء الرومانيين . فاوقفهُ وضمَّهُ الى صدره ثم قبلهُ في عداد رهبانهِ وكان ذلك في ٢٥ تشرين الثاني من السنة ١٥٨٥ وعمرُ لويس ١٧ سنة ونصف

﴿المبتدئ﴾ كان للمبتدئين اليسوعيين في رومية دير خاصّ يدعى دير القديس اندراس ليس بعيداً عن قصر الكويرينال . ففيه انتظم لويس في سلك المبتدئين مهملاً نفسهُ في يد روسائهِ ليخرّجوهُ على كل آداب الرهبانيّة . فوجد هناك ثمانين شاباً من بلاد مختلفة لكنهم كالمسيحيين الاوّلين قلبٌ واحد ونفسٌ واحدة من جملتهم وطنيّنا الماروني شهيد الحبشة الاخ ابراهيم جرجي وكلّهم يتبارون في حلبة الصلاح والقداسة . فرأى لويس نفسهُ بينهم كما في جنّة عدن وقصد ان يجاريهم طاقة جهده . وابتدأ بالتجرُّد من كل ما كان زوّدهُ بهِ اهلهُ من ثياب ناعمة وكتب صلاة مذهّبة وامتعة اخرى

جميلة. واختار اعتقَ ما وجدهُ في الدير من الثياب وادلَّ ما فيهِ على الفقر الرهباني. وما مرَّ عليهِ بضعة ايام حتى سبق الجميع بممارسة اعمال التقى والتواضع فكان ينصب المائدة ويجلي الصحون ويكنس البيت ويعاون الطبّاخ ويعتبر نفسهُ خادماً لكل اخوتهِ

فكان وجوده في ذاك الدير المقدَّس باعثاً جديداً لجميع اخوتهِ لينموا مثلهُ في الكمال الرهباني لكنَّهم اقرّوا بانهُ سبقهم شوطاً كبيراً. واذ رآهُ الرؤساء يفرط في التقشفات والاماتات وضعوا حدًّا لنشاطهِ وغيرتهِ ففضَّل الطاعة لاوامرهم على الذبيحة الاختياريَّة وعوَّض عن ذلك بقمع كل اهواء قلبهِ وكسر ارادتهِ بحفظ كل القوانين حتى ادناها وبمضاعفة حبهِ لربهِ فكان لا يحوّل نظره عن الصليب ليصلب نفسهُ مع ربهِ في كل ساعات حياتهِ فيموت للحواسّ ليحيا بالربّ. وكان في بعض الايام يخرج ساحات البلد متسوّلاً كاحد الفقراء فيفرح بما ينالهُ لذلك من الاحتقار والاهانة

وممَّا انعم الله بهِ على لويس في زمن ابتدائهِ ميتة ابيهِ الصالحة توفي بعد شهرين ونصف لدخول ابنهِ في الرهبانية. وقد منحهُ الله في مرضهِ الاخير تربة نصوحاً واستعداداً تامًّا للاقاة ربهِ ناسباً ذلك الى قداسة ابنهِ لويس فمات وهو يقبّل مراراً الصليب الذي كان في حجرة بكرهِ في القصر

﴿الدارس﴾ قضى لويس سنتين في مِحَن الابتداء لم يحد ذرَّةً عن جادَّة القداسة والكمال الرهباني فابرز نذورهُ الاولى برهبانيَّة يسوع التي كان يحبُّها محبَّة ابرّ الابناء لأحنّ الأمهات. فدُعي الى دير رومية الكبير المعروف بالمدرسة الرومانيَّة الشهيرة من اكبر مدارس رومية وارقاها علوماً واوفرها عدداً. فامتزج هناك بالدارسين وباشر بالدروس الفلسفية واللاهوتية على اعظم المعلمين شهرةً. وكان منذ دخوله قد صمَّم النيَّة على ألَّا يفوتهُ شيء من تلك العلوم ليخدم بها النفوس بعد كهنوته. فبلغ منها مبلغاً بعيداً حتى انتدبهُ الرؤساء الى ان يلقي فحصاً عموميًّا بازاء علماء رومية وارباب الكنيسة من كرادلة واساقفة وامام سائر الدارسين. ففكَّر القديس بان يتجاهل باجوبتهِ لينالهُ من ذلك احتقار وهوانٌ لولا مرشده الطوبوي بارمينوس الذي نهاهُ عن ذلك. فاطاعهُ وبهر الجميع بعلمهِ واحتشامهِ معاً. وانَّما ابدى في نظرهِ بعض النفور في وجه احد العلماء الفاحصين الذي قدَّم على اسئلتهِ مديحاً لاسرتهِ الشريفة ولشخصهِ

﴿القديس﴾ ولم تخمد الدروس شيئاً من نشاط لويس في الروحيَّات وممارسة

الفضائل . فكان اذا ختم دروسهُ يبادر الى الصلاة فيُرى امام القربان الاقدس جامداً متخشعاً كانهُ غائب عن حواسهِ كبعض الارواح العلويَّة . وكان استحراره بالصلاة يؤدي بهِ الى شبه الانجذاب والتوتُّر حتى خاف الرؤساء على صحتهِ وامروهُ بان يصرف فكرهُ عن الله الى امور اخرى فكان كل ما يحاول طاعتهم يزداد ألمهُ حتى اطلقوا لهُ الحرية في ذلك . وكان في اوقات الفراغ والراحة لا يبتهج إلَّا بالحديث التقوي والاخبار الروحية . وكان في كل حركاتهِ وسكناتهِ يلوح الجميع كمثال حيّ لسيرة المسيح . فشاع خبرهُ بين شبَّان رومية فكانوا يقبلون الى المدرسة الرومانية حيث يمرُّ لويس ليشاهدوهُ فيشيرون اليهِ بالبنان . وقد سمح الله ان يعود لويس الى وطنهِ بامر الرؤساء ليصلح خلافاً وقع بين اخيهِ رودلفوس ودوقة مدينة منتوا بسبب مقاطعةٍ اورثها عمُّهُ للدوقة وكان الحقّ من جانب اخيهِ فحصلت بذلك مخاصمات وخرجت جيوش الفريقين للحرب فأرسل لويس ليصلح ذات البين . فقامت البلاد وقعدت لاستقبال اميرهم القديس فخرجوا زرافات ووحداناً لملاقاتهِ واخذوا يطلبون بركتهُ ويتنافسون في اكرامهِ على الرغم من نفوره . ولما دخل قصر والدهِ استقبلتهُ امُّهُ جاثيةً وشاكرةً لله على نظر ابنها [illegible] اما المهمَّة التي [illegible] فان لويس بحكمتهِ وداعتهِ تمكَّن من اصلاحها وألَّف القلوب على احسن منوال ثم اسرع راجعاً الى رومية لينجو من ازدحام الشعوب حولهُ

﴿الشهيد﴾ كان لويس يوم انضوائهِ الى رهبانيَّة القديس اغناطيوس طلب الى الله ان يمنحهُ نعمة الاستشهاد وهو يفكر في طلب الارساليَّة الى بلاد الوثنيين . فنال هذه النعمة على منوال آخر . فانهُ في السنة ١٥٩١ فشا في رومية وباء عضال ذهب بحياة كثيرين من اهل تلك المدينة لاسيما الفقراء والمحتاجين فكان الآباء اليسوعيون في مقدمة الذين حاولوا خدمة اولئك البائسين وعلاجهم وتوزيع الحسنات عليهم . وكانت اخصّ الذين اهتمُّوا لذلك الرهبان الكهنة . ثمَّ زاد المرضى فشوًّا وانتشاراً فتوسَّل الشمامسة اليسوعيون ايضاً ان يساعدوا الكهنة في عملهم الخيري . وكان لويس اوَّل من تمنَّى ذلك والحَّ على الرؤساء بالطلب حتى نال مرغوبهُ . فكان كل صباح يطوف المدينة ويتردَّد على معارفهِ الامراء ليجمع منهم الحسنات فيحملها في كيس على كتفهِ ويوزّعها على المنكوبين . وكان يدخل اكواخهم ويرتّب فراشهم ويعزّيهم في بلاياهم ويُعنى بصغارهم فيلقّنهم الصلوات لا يبالي بما يصيبهُ في ذلك من العناء والمشقَّة بل

من الخطر المبين . فكان يرجع المساء الى المدرسة الرومانية منهوك القوى لايطلب راحة . على انّ رؤساءه وجدوا انّ تلك الخدمة اخذت تؤثر في صحته واذ لم يمكنهم ان يصرفوه تماماً عن عمله المجرور لئلّا يكدّروا خاطره خفّفوا عليه تلك المهنة وسمحوا له بخدمة المرضى في المستشفيات إلّا ان جرثومة المرض كانت نفذت في عروقه وتبيّنت بعد زمن قليل اعراضها . فامره رئيسه ان يلزم الفراش ثمّ اخذت نوبات الداء تتوالى عليه تتفاقم يوماً وتخفّ يوماً فطالت مدّته الى ان قطع الاطباء الرجاء عن حياته

فلمّا عرف لويس انّ اجله قريب لاحت على محيّاه امارات الفرح وكان يكرّر على الذين يعودونه كلمة الزبور (١٢١ : ١) : فرحتُ للقائلين لي الى بيت الربّ ننطلق . فيشكر الله على ما وهبه من نعمة الاستشهاد بخدمة القريب وبالموت في ربيع الشباب . وكتب الى والدته يخبرها بالامر ويعزّيها ويطلب اليها ان تفرح بسعادته القريبة

وكانت اواخر ايام حياته كلّها نوافذ الى الله يتشوّق الى رؤيته تعالى ولا يتحدث على غير الامور الالهية ويكرّر قول الرسول (فل ١ : ٢٣) : اني اريد ان انحلّ من هذا الجسم واكون مع المسيح . وطلب ان يتناول القربان واكماً على الحضيض واخبر انّ وفاته ستكون ثامن يوم عيد جسد الربّ وهكذا تمّ على خلاف ما كان الجميع يظنّون كأنّ الله اراد ان يجازيه عن عبادته الفريدة للقربان الاقدس منذ نعومة اظفاره . وكان آخر ما فاه به الى رئيسه حيث سأله : كيف انت ؟ فقال : انا ذاهب . فاردف الرئيس : والى اين ؟ . فاجاب لويس : الى السماء برحمته تعالى . قال هذا بكل طمأنينة كأنّه ذاهب الى وليمة . وبعد حين انطفأ سراج حياته وهو يتلفّظ باسم يسوع وعلى صدره الصليب كما يُرى في تماثيله بين يديه . وكان ذلك في ٢١ حزيران سنة ١٥٩١

فاجمع كل الحضور انّ تلك وفاة اعظم اولياء الله . وقد رأت القديسة مريم المجدليّة دي باتزي نفس لويس في مصافّ القديسين فصرخت : «لله ما اعظم مجد لويس ابن اغناطيوس اني اودّ لو اطوف العالم كلّه وأذيع في كل مكان انّ لويس ابن اغناطيوس قديس عظيم . ما كنتُ لاظنّ انّ في السماء مجداً كهذا» ودُفن جسده الطاهر في محلّ خاصّ ريثما تقتني الكنيسة بقداسته . اما غرفة موته فتحوّلت بعد قليل الى معبد اصبح مزاراً للجموع . وبقربها غرفتان اخريان مات في الواحدة القديس يوحنا بركمانس وسكن في الاخرى شهيدنا الوطني المكرّم ابراهيم برجي اليسوعي

القديس استانسلاوس كوستكا

هذه الزهرة الثانية التي قطفها الله ونقلها الى جنان الخلود وهي شبيهة باختها نضارةً وعبيرًا لا بل سبقت ففاح أرجها بضع سنين قبل زمن لويس غونزاغا

١ً مولد استانسلاوس

رأى استانسلاوس النور في بولونية في قصر اجداده روتسكوف وذلك في ٢٨ ت١ سنة ١٥٥٠ من اسرة بالغة في الشرف تعدّد فيها مشاهير الرجال وكان ابواهُ يوحنا ومرغريتا عريقين في الفضل والدين. وكانت امُّهُ تفتخر بكونها من عشيرة ظهر فيها القديس إيايشتوس من الرهبانيّة الدومنيكيّة. وقد انعم الله عليها اذ كانت حبلى باستانسلاوس ان ظهر على صدرها اسم يسوع باحرف ذهبيّة مشعّة اشار الله بذلك الى دعوة ابنها الى الرهبانيّة اليسوعية. يوم عماده وضعهُ كفيلهُ امام الذبح وقدّمهُ للمسيح [illegible] الاسرار الارثوذكسية. فأثر وملهُ في الحضور وتفاءلوا به خيرًا

وقد اجمع الشهود [illegible] اول ما [illegible] الولد سنّ الرشد مال قلبهُ الى التقى والعبادة وحاد عن فعل ادنى الهفوات حتى أطلق عليهِ اسم الملاك وكانت الطهارة كانها غريزة في قلبهِ جُبل عليها منذ المهد فرضعها مع الحليب. وكان وهو فتى صغير دون الخامسة من عمره اذا سمع احدًا يفوهُ امامهُ بكلمة [illegible] الآداب يتقع لونهُ ويُغمى عليهِ حتى حذّر ابوهُ القرباء ونهاهم عن كل كلمة [illegible] الآداب امامهُ

٢ً استانسلاوس في عاصمة النمسة

لما ترعرع استانسلاوس سلّمهُ ابوهُ مع اخيهِ كبير يولس الى عناية احد المعلمين المدعو بلنسكي ليخرّجهما في العلوم اللغويّة والادبيّة شأن اشراف البلاد. فتلقّناها مدّةً الى ان بلغ اباهما انّ اليسوعيين انشأوا حديثًا رهبانيّتهم فتحوا مدرسةً كبيرة في ڤيانة عاصمة النمسة تتاطر اليها الشبان من كل صوب فارسلهما اليها وباتا في معاهدها تحت رعاية بلنسكي وكيلهما

فكان استانسلاوس مثال الجدّ والتقى ناجحاً في دروسهِ ومواظباً على العبادة مبالغاً في اكرام البتول التي كان يدعوها امّهُ مثابراً على الصلاة وكل فرائض الدين. فيذيقهُ الله فيها سلوناً باطناً يزيد رغبتهُ فيها . على خلاف اخيهِ الذي كانت اشواقهُ الى العالم وميلهُ الى حطامه واباطيله

وظهرت فضيلة استانسلاوس في السنة الثانية لوجوده في ڤيانة اذ مات الملك فرديننذ وقام خلفهُ مكسيميليان سنة ١٥٦٤ فانتزع من اليسوعيين باغراء اعدائهم البروتستانت مساكن الطلبة التي كان ابوه اكرم بها عليهم فلم يبق لهم سوى معاهد التدريس يحضرها التلامذة الخارجيون في المدينة. واضطرَّ بولس واستانسلاوس ان يأجرا لهما محلًّا في احد البيوت فاختار بولس مع وكيلهِ حجرةً في بيت احد البروتستانت ليخلو لهما الجوّ في ملاهيها دون ان يرتيا خاطرًا لاستانسلاوس

لكنَّ الشابَّ القديس عاهدَ اساتذتهُ اليسوعيين على حفظ تقاهُ وسيرتهِ الصالحة مهما تكلّفهُ في ذلك من المشاقّ. فكان اذا فرغ من دروسهِ يبادر الى الكنائس فيقضي فيها الساعات وهو يصلي . وقد لحظهُ البعض في صلاتهِ مرتفعاً عن الارض فيأخذهم العجب من امرهِ. واما في ساعات الليل اذ كان اخوهُ ووصيّهُ يتلهّيان باللعب وشرب المسكرات كان هو يحيي ليلهُ بالصلاة. فرأى اخوهُ ووصيُّهُ في فعلهِ توبيخاً وتقبيحاً لسيرتهما فاخذا يقرّعانهِ ويشتمانهِ. واذ لم يتزحزح استانسلاوس عن خطتهِ تلظّى بولس عليهِ غضباً واساء معاملتهُ بالضرب واللكم حتى بلغت بهِ قحتهُ ان وطئهُ بارجلهِ ولعلّهُ كان قتلهُ لو لم يخبّ بلنسكي من المسؤولية امام والدهِ فخلّصه من يدي اخيهِ

٣ مرض استانسلاوس وشفاؤهُ العجيب

انَّ سوء معاملة بولس لاخيهِ مع ما كان يفرضهُ استانسلاوس على نفسهِ من اعمال الورع والتقشف قد أدّت بهِ الى مرضٍ عُضال اصابهُ فلزم الفراش وتحمّل بالصبر اوجاعهُ وهو لا ينيء عن صلاتهِ ومناجاة ربّهِ . وهذا ما دفع ابليس الى ان يخيفهُ ويلقي في قلبهِ الجزع والقنوط فظهر لهُ على صورة كلب اسود هم بافتراسهِ وعيناه كجمرتي نار. لكنَّ استانسلاوس عرف كيده وردّ عنهُ ثلاث هجماتهِ برسم اشارة الصليب ثلاثاً

على صدره فتوارى عنهُ ابليس بالخزي والفشل

ولما اشتدَّ الداء على الشابِ الصالح وخاف ان يفاجئهُ الموت دون ان يتسلَّح باسرار الكنيسة طلب الى وصيّهِ واخيه ان يأتيا لهُ بكاهن يزوّدهُ بقوت الملائكة . ولكنهما خافا ان يدري بذلك صاحب المنزل فيطردهما من بيتهِ فعلّلاهُ بالمواعيد الكاذبة . اما استانسلاوس فالتجأ الى السماء اذ خاب املهُ من الارض وكان متعبدًا للقديسة الشهيدة بربارة وهي شفيعة المنازعين فتضرّع اليها بكل حرارة ان تمدَّهُ بنعمة الاسرار . واذا بتلك البتول ظهرت لهُ مع ملاكين كان احدهما حاملًا القربان الاقدس فناولهُ اياهُ وتوارت الرؤيا عنهُ لكنَّ قلبهُ غاص في لجة الشكر واتقد بمحبة الله الذي لم يهمل عبدهُ في تلك الضيقة

وفي اثر هذه الرؤيا حظي بنعمة ثانية اعظم منها اذ تراءت لهُ العذراء مريم وعلى ذراعيها طفلها يسوع فجعلتهُ ساعة بين يدي استانسلاوس فذابت نفسهُ سرورًا وبهجة اذ رأى ما لا عين رأت ولا خطر على بال بشر . ولم تبارحهُ إلَّا بعد شفائهِ التامّ وايعازها لهُ بان يدخل في رهبانية ابنها يسوع . والغرفة الصغيرة التي وقعت فيها هذه العجائب لا تزال حتى اليوم موقَّرة يقصدها الوف من الزوَّار من النمسة وبولونية والمجر ليباركوا منها وقد اسعدنا الحظ ان نقيم فيها الذبيحة المقدَّسة سنة ١٨٩٣ . وكان يزورها كل سنة الامبراطور فرنسوا جوزف

٤ دعوة استانسلاوس الى الرهبانيَّة وفراره من فيانَّة

تحقَّق استانسلاوس مشيئة الله الذي دعاهُ الى هجران العالم ولكن كيف يستطيع ان يلبّي دعوتهُ تعالى ؟ عرض الامر الى رئيس الآباء اليسوعيين في فيانَّة . فاجابهُ انَّ الامر مستحيل دون اذن والده الذي ما عرف بفكر ولده حتى تهدَّد بنفي اليسوعيين ان اجابوا الى ملتمس ابنهِ

فلم يرَ استانسلاوس بعد الصلاة واستشارة مرشد ضميره الَّا ان يفرَّ هاربًا من فيانَّة ويذهب الى المانية فيلقي بنفسهِ بين يدي رسول المانية الكبير القديس بطرس كانيزيوس في جامعة ديلنجن . فقام باكرًا في صباح احد الايام من مسكن اخيهِ وأعطى الخادم إعلامًا بألَّا ينتظروهُ للغداء . وخرج من المدينة فدعا فقيرًا هناك واعطاهُ ثوبهُ الفاخر

وتنكر بثوب حقير وسار ماشياً طول نهاره ورقد ليلتهُ في كوخ على طريقهِ . فلم يرتب بولس ووصيّها بلفسكي بحيلة استانسلاوس حتى اذا كان الليل ولم يجداهُ راجعاً لمبيتهِ خامرهما الشك في نيّته . وفي صباح اليوم التالي ركبا عجلةً ليدركاهُ ويكرهاهُ على الرجوع الى المدينة . وما لبثا بعد ساعاتٍ ان رهقاهُ لكنّهما لم يعرفاهُ في كسوتهِ الفقريّة متنكرًا فسبقاهُ وتوغّلا في السير دون ان يجدا احدًا فعرفا انّ ذاك الصعلوك هو هو استانسلاوس فرجعا القهقرى اليهِ . امّا هذا فكان حاد عن الطريق لئلّا يدركاهُ . فلمّا عادا اليهِ وارادا توجيه العجلة الى منحاه انتصبت الخيل وجمحت فأبت السَّير مطلقاً واضطرّا الى الرجوع الى ثيانّة فارغين

فواصل استانسلاوس سيرهُ أيّاماً لا يكترث لتعب وعناء . وهو في طريقهِ لا يأخذهُ سأمٌ ولا ملل عن الصلاة . وكان اذا وجد في طريقهِ كنيسةً اسرع الى زيارتها وان امكنهُ بادر الى قبول الاسرار المقدّسة فيها . واذ رأى يوماً كنيسة للبروتستانت فخُدع بنظرها ولجها للصلاة . لكنهُ بعد ساعةٍ عرفها فخرج كئيباً اسيفاً وتمنى لو تحصل لهُ نعمة المناولة واذا بجوق من الملائكة تراءى لهُ وبينهم واحد في يده القربان فناولهُ وتواروا عنهُ جميعاً . فقام استانسلاوس كايئاً النبي بعد ان عدا الملاك بخبر عجيب وتابع طريقهُ بكل فرح ونشاط

دخل طالب الرهبانيّة الى كانيزيوس وتقابل القديس الشيخ والملاك وانطرح استانسلاوس على اقدامهِ طالباً منهُ بذرف الدموع ان لا يحرمهُ نعمة الترهب في جمعية يسوع فعانقهُ كانيزيوس معانقة الاب لولده ووعده ان يرسلهُ الى رومية حيث لا خطر على دعوتهِ من قبل ابيه . لكنهُ اراد بكل فطنة ان يمتحن دعوته وتقدم اليهِ بان يخدم طلبة تلك المدرسة على المائدة . ففرح بذاك الامر وقام بخدمة التلامذة شهرًا كاملاً وهم يقضون منهُ العجب لحشمتهِ ونشاطهِ وعدم المبالاة بنفسهِ في أكل وشرب وراحة

ولمّا كان منتصف شهر ايلول من السنة ١٥٦٧ أرسل استانسلاوس مع رفيقين آخرين الى رومية . واعطاهُ القديس كانيزيوس رسالةً الى رئيس الرهبانية العام في رومية يخبرهُ بأمرهِ وهو وقتئذٍ القديس فرنسيس بورجيا نائب ملك اسبانية سابقاً في كتالونية

٥ ترهب استانسلاوس في رومية

ترحب القديس بورجيا بذاك الطالب المرسل اليه من قبل الله وباركهُ ثمَّ ضمَّهُ الى امثاله من الطلبة في دير القديس اندراوس على جبل الكويرينال فكان ذلك في ٢٨ ت١ من السنة ١٥٦٧ وقد ادرك الثامنة عشرة من عمره. فلقي في دار المبتدئين عدَّة من الشبان الذين اشتهروا سابقاً في العالم بتناصبهم الجليلة وشرَّفوا بعد ذلك الرهبانية بفضائلهم وعلومهم وسفاراتهم واستشهادهم بين البرابرة. وكان من جملتهم سمي لاستانسلاوس شابٌ بولوني دخل الابتداء بعده بأيام اسمهُ استانسلاوس وَرْسوسكي كان تقلَّد السفارة لدى سلاطين آل عثمان وتعيَّن رئيساً لمجلس شورى وطنهِ

لم يجد استانسلاوس كوستكا في امتحانات الابتداء ما يشقُّ عليهِ فعلهُ من اوامر الطاعة والتذلل ونكران النفس بل كان يبادر اليها بكل شوق ورغبة ليعتق في قلبهِ اساس كل الفضائل الرهبانية

وانَّما شقَّ عليهِ ما علمهُ من غضب والده وعدم رضاهُ بدعوتهِ وكان وجَّه اليهِ رسالةً يزجرهُ بها وينسبهُ الى تذليل شرف اجداده ويهدِّدهُ بالقبض عليهِ واعادتهِ الى وطنهِ مكبَّلاً بالاغلال. فكتب استانسلاوس لوالده هذه الرسالة التي يلي تعريبها :

سيدي الوالد

لو كان ما صدر مني موجباً انيظ عزَّتكم وداعياً لتوبيخكم لاسفتُ على فعلي واستحققتُ منهُ للغاية. ولكني لم ارتكب في حقكم ذنباً ولا بخست من شرف بيتكم شيئاً. واما ما حسبتموهُ عليَّ جنايةً وذنباً فانَّهُ انيتهُ طبقاً لقول الانجيل الطاهر فلا اخجلُ منه ولا هو مما يسوءكم خصوصاً. وشهد الله يا سيدي اني منذ زمن مديد قد اخذت على نفسي الطاعة لهُ واعتناق صليب سيدنا يسوع المسيح. فوجدتُ نفسي عذوبة لا نظير لها على الارض ومن ثمَّ لا تأملوا سيدي قطعاً ان اعدل عن عزمي مهما كلفني ذلك من العذاب. فاسألكم ان تباركوا اماليَّ وتطلبوا لي نعمة الثبات في دعوتي فيكون لكم اجرٌ عظيم لدى الله واكون انا لعزَّتكم من اخلص الشاكرين »

قضى استانسلاوس في دار الابتداء عشرة اشهر لاحت في كل اعمالهِ لوائح القداسة والكمال الرهباني. فكان في كل سيرتهِ مع رؤسائهِ ورفقتهِ لا يحيد ذرَّةً عما

يوصي به آباء الميشة النسكيَّة الفضلى . ولم يكتفِ بهذا الكمال الخارجيّ بل كان ساعياً في تزيين نفسه بما يزيدها تقرُّباً الى الله فكان لشدَّة حرارته في الصلاة وعظم حبه لله يستنير وجهه ويتقد كأنهُ نارٌ مسعرة وكذلك صدرهُ يضطرم فلا يطيق حرارتهُ ويحتاج حتى في فصل الشتاء ان يبرّد لهيبهُ ويخمدهُ بالماء المثلوج . فيحيك نظرهُ في قلوب اخوته فيزدادون نشاطاً على مثاله

اما محبَّتهُ للبتول فلا حاجة الى وصفها وقد رأينا ما اظهرت لهُ من اللطف والحنان . فكان يُسَرّ بالنظر الى صورها ويقتدي بفضائلها ولا ينام مساء قبل ان يحيّي كنيستها الكبرى بالسلام ويحني رأسهُ امام صورتها العجائبية المكرَّمة هناك طالباً بركتها . وكان اذا سألهُ احد هل يحبّ مريم يهبّ قائلاً : كيف لا احبُّها وهي أُمي

٦ وفاة القديس استانسلاوس

فهذه المحبة التي كان استانسلاوس مكنها في قلبه هي التي دفعته عند اقتراب عيد انتقال العذراء ان يطلب منها ان تنقلهُ في ذلك النهار الى مقرّها في السماء ليحظى برؤيتها ويشارك القديسين في اكرامها . وكتب رسالةً صغيرة بهذا المعنى وجعلها على صدره يوم عيد القديس لورنسيوس شفيعهِ في شهر آب مستمدًّا تلك النعمة بواسطتهِ . فأجابت ام الله ان تنيلهُ ما طلب وشعر بقبول طلبتهِ

ومع انَّ استانسلاوس كان حاصلاً على عافية تامَّة اشار الى بعض رفقتهِ بقرب وفاتهِ واخذ يستعدُّ لهذا السفر الاخير بما امكنهُ من الحرارة واعمال التقى . ففي مساء عيد القديس لورنسيوس في ١٠ آب احسَّ بتوعّك في صحّتهِ فارسلهُ الرئيس الى بيت المرضى حيث صرَّح بقرب حلول اجلهِ في يوم عيد انتقال العذراء . فلزمتهُ حُمّى لم يرَ الاطباء منها بأساً إلَّا انها اشتدَّت عليهِ بغتةً حتى تحقَّق الجميع انَّ ما قالهُ عن وفاتهِ في يوم عيد البتول انَّما اوحتهُ اليهِ مريم نفسها . ففي بيرامون العيد لاحت عليهِ اعراض الموت فاقتبل كل اسرار الكنيسة بفرح لا يوصف . فكان يظهر جبينهُ ساطعاً بالنور كأنهُ احد ملائكة الفردوس وكان في كلّ كلامهِ وكل حركاتهِ يجد فيهِ الحضور مثالاً حيا لموت الابرار فتارةً يودّع رفقتهُ الرهبان ويعدهم بان سيذكرهم امام الله وتارةً

يستغفر عمّا فرط منهُ من الزلّات وكانت اعظم تعزيتهِ ان يقبّل جروحات صليب ابن الله وايقونة العذراء ويلثم سبحة وردّيتها بشوق يدعو الحضور الى البكاء لتأثيره بهم. وعند ساعة وفاتهِ استضاء وجههُ وشخص بعينيهِ الى رؤيا جليلة فهمس الى احد الاباء بان والدة الله ظهرت لهُ مع جوق من العذارى وبعد هنيهة أسلم روحهُ في ١٥ آب ١٥٦٨ بكل هدوء دون ان يلوح على وجههِ شيء من امارات الموت وكان رأي العموم انَّ سبب موتهِ كان فرط محبتهِ لله ليس عاملاً طبيعياً

***

هذه نبذة وجيزة اختصرنا فيها سيرة ذينك الشابّين الفاضلين بل البطلين الشهمين وفقاً لقول الشاعر :

ليس من يقطع طرقاً باطلاً انّما من يتّقي الله البطلْ

ولذلك قد شرّفهما الله حتى على الارض وخوّلهما مجداً ما كانا لينالاهُ لو عاشا في العالم بل بها تخلّد ذكر اسرتيهما ولولاهما لبقي اسم غونزاغا وكوستكا في زوايا النسيان

وكان بودّنا ان نذكر الكرامات العديدة التي جرت في كل البلاد بشفاعتهما فانَّ كثيراً منها تقرّر بشهادة اوثق الرجال واصدقهم قولاً وافضلهم سيرةً بازاء لجنة رسميّة استنطقتهم فأدوا شهادتهم بعد القسم على الانجيل

وانّنا نُعدّ من اعظم تلك الكرامات تأثير أعمال هذين القديسين وقداسة حياتهما في ألوف من الشبان الذين تعقّبوا آثارهما. فكم أنشئت جمعيات تقويّة على اسمهما. وكم جحد العالم من الشبان اقتداء بهما. وكم عاد الى طريق الفضيلة من الضالّين بعد الاطلاع على مآثرهما . وهذا ما دفع قداسة الحبر الاعظم الى نشر تلك الدراسة الجليلة التي أعلن فيها بيوبيل المئة الثانية لتثبيتهما قديسين ليستنهض همم الشبيبة فيسعوا الى التمثّل بهما وينمو عدد اولئك الذين قال عنهم النبي في سفر الحكمة: «ما أبهى الجيل الطاهر النقيّ فانَّ ذكرهُ مخلّد عند الله والناس»

مدينة كانوب القديمة

لمحة تاريخية لحضرة الخوري لويس ملحه

احد اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية

من أمهات المدن المصرية التي اشتهرت بتاريخها وفخامة مبانيها وعظمة معابدها في الاعصار الخوالي هي مدينة كانوب الكائنة في بقعة ابي قير احدى ضواحي الاسكندرية. واذ قد تسنّى لنا ان نزور منذ ايام خرائب هذه المدينة الواغلة في القدم برفقة اعضاء الجمعية الاثرية الملكية في ثغرنا الاسكندري لنتعهّد ما اكتُشف هناك من العاديات والآثار مما لا يزال حتى يومنا صابراً على غارات الزمان. رأينا ان نبسط في هذه العجالة لقرّاء المشرق الاغرّ ملخص تاريخ تلك المدينة مما طرأ عليها من التقلبات والادوار خلال عصرها الوثني اولاً ثم نتخطى الى الكلام عن عصرها المسيحي ثانياً. وبناء عليه نقول: (١

١ً كانوب في عصرها الوثني

اولاً — في عهد البوناه

لا نزاع بان شبه جزيرة ابي قير كان آهلاً بالسكان قبل انشاء مدينة كانوب فيه فان التقليد ينبئنا بكيان مدينة هناك تدعى «تونيس» (Thonis). على ان تاريخ تأسيس مدينة كانوب فلا يتعدى فيما يظهر عهد فراعنة السلالة الوسطى ولقد ثبت اليوم ان كانوب هذه قد لعبت دوراً خطيراً في عصر السلالتين التاسعة عشرة والعشرين

١) لقد كان جلّ اعتمادنا في وضع هذه النبذة على الكتيّب النفيس الذي ألّفه حضرة العلّامة المأسوف عليه الاب فيفر اليسوعي وعنوانه:

FAIVRE: Canope, Menouthis. Aboukir, *Alexandrie, 1917*

ثم على المجلد الاول من الكتاب الشائق الذي تُصدره تباعاً الجمعية الاثرية الملكية في الاسكندرية بقلم الاستاذ برتشيا مدير المتحف الاسكندري واسم الكتاب:

EV. BERCCIA: Monuments de l'Egypte Gréco-Romaine. *Bergamo, 1926*

واشتهرت يومئذٍ باسم كونوكولوت (Kunokulut) بدليل بروز هذا الاسم على وثائق ومستندات حجرية يتصل تاريخها بالقرن السادس قبل الميلاد

اما اخبارها فلم تنجلِ لنا تماماً الّا في زمن حكم البطالسة. وقد عزا فريق من كتبة اليونان انشاء مدينة كانوب الى رجال العصر الطروادي اذ جاء في اقوالهم ان بحّاراً يونانياً يدعى كانوبوس كان عائداً من حرب طروادة مع مينيلاس على سفينة . فاندفعت بها على احد الشواطئ المصرية حيث اضطرّا الى الاقامة هناك شطراً من الزمن. وفي اثناء ذلك أُصيب كانوبوس المذكور بلسعة صلٍّ اسقطته ميتاً في الحال فدُفن على عقبها دفنةً مكرمة وجُعل قبره كاوّل اثر لتلك المدينة التي انشئت في ذلك المكان وسُميت باسمه. وكيفما كان الامر فان في اصل منشأ كانوب هذه مزاعم كثيرة متضاربة متباينة لا نرى كبير فائدة من التبسُّط فيها

واوّل من اماط اللثام عن تاريخ كانوب هو هيكاته دي ميلات (Hécatée de Milet) الذي قد ذكر مكاناً يُدعى كانوب وتعقّبه اشيل فقال عن ذلك المكان انه مدينة مجاورة لمصبّ النيل الغربي وان هيرودوت الرحالة الشهير قد ابتدأ بجولته في الديار المصرية من كانوب . وقد كانت شعبة النيل المجاورة لتلك المدينة معروفة بالشعبة الهيراكليوتيكية (Héracléotique) لان مدينة هيراكليوم (Heracleum) كانت اقرب الى النيل من قرب كانوب اليه . ومما لا جدال فيه على ما قرره رجال البعثة الفرنساوية بان كانوب كانت ممتدة في القسم الغربي من شبه جزيرة ابي قير

ويروى ان الاسكندر الكبير بعد ان دوّخ سوريا واستحوذ على معاقل صور وغزة دخل مصر عن طريق بيلوزه (Péluse) فلم يلقَ فيها اقلَّ مقاومة. ثم سار قاطعاً الصحراء حتى بلغ هليوبوليس ثم ممفيس التي منها ركب الركائب النيلية في الترعة التي تؤدي الى كانوب فالبحر. وهناك القى ببصره على بلدة نوكراتيس وكانوب فلاح له عندئذٍ ان تجارة هاتين المدينتين سوف تصاب بضرر لبعد المسافة بينهما ولذلك ابتنى على الشاطئ مدينة سمّاها الاسكندرية على اسمه وقد اصبحت هذه المدينة فيما بعد كما قال كليستان اعظم مدينة تجارية في المعمورة باسرها. واذ رأى هذا الغازي ايضاً ان مدينة كانوب هي بمثابة جزء من المقاطعة اللاحقة باسكندرية فضلاً عن اهمية موقعها فلم يشأ والحالة هذه ان يغادر وادي النيل دون ان يترك في مصر

كليومان النوكراتيسي الذي قلده وظيفة جباية الاموال الاميرية فاخذ هذا الطاغية في ابهاظ كواهل سكان البلاد بالضرائب والمغارم

ولم يقف عند هذا الحدّ فقط بل قصد كانوب حيث اعلن بان لديه امراً بنقل متاجر المدينة الى قرب فاروس. فخاف التجار من هذا الامر وحسبوا له الف حساب ومحاذرة ان تصبح متاجرهم هدفاً للضياع جمعوا اذ ذاك مبلغاً من المال وقدموه لكليومان على سبيل اسكاته فاخذه ولم يلبث ان عاد اليهم وسألهم مبلغاً آخر كبيراً ووعدهم بانه يخيّرهم بنقل متاجرهم اما الى نوكراتيس او الى الاسكندرية. اما هم فاعلنوا بانهم لا يستطيعون دفع شيء. ولذلك امر بنقلهم جميعاً مع سلعهم الى الاسكندرية ومنذ ذاك الحين اخذت الحركة التجارية في كانوب بالانحطاط تدريجاً غير انها لم تتلاشَ تماماً لان تجارة نوكراتيس استمرت رائجة بعد ذلك مدةً طويلة

امّا في ايام البطالسة فقد بلغت كانوب شأواً كبيراً من العمران فان ما كان يقام في معابدها الشامخة من الاعياد والحفلات الباهرة لهو اكبر شاهد على عظمتها وسمو مكانتها في عيون الذين كانوا يؤمّونها ابّان تلك الازمنة. وكان اقدم هياكلها [illegible] هيراكلاس يرتقي عهده الى زمن حروب طروادة على قول هيرودوتس (ك ٢ ف ١ عدد ١١٣). ولقد انشئت بكرور الايام حول هذا المعبد بلدة سُميت هيراكليوم كما ذهب اسطرابون (ك ١٧ ف ١ ع ١٨). وكان موقع هذه البلدة قريباً من مصب النيل الكائن على الشاطئ الشمالي واطلق على هذا المصبّ اسم المصبّ الكانوبي او الهيراكلي

ولقد اقيم ايضاً مدة ازدهار كانوب معابد اخرى فيها غير المعبد الذي سبق ذكره. منها المعبد الفخم الذي شُيّد تكريماً لارسينوي الملكة زوجة بطلميوس الثاني الفيلادلفي. وكان على مسافة غير بعيدة من المدينة رأس داخل البحر يدعى زفيريوم (Zephyrium) لتعرضه لهبوب الرياح المدعوة زفير (Zéphyrs) والمعروفة عند العرب بريح الدبور وهي كثيرة الانتشار في كل تلك النواحي حتى انه خطر يوماً على بال الاميرال كليكرات (Callicrate) ان ينشئ في ذلك الرأس معبداً صغيراً لانقاذ الملاحين من مخاطر البحار

ولم يكد بطلميوس الثالث المكنى بالفرجات يتسنّم منصّة الملك حتى غادر الديار

المصرية على راس حملة ضد الاشوريين. فقلقت الملكة برنيقه زوجته عليه ونذرت بانه اذا عاد من زحفته ظافراً تنزع ضفيرة من شعر راسها وتقدمها لمعبد افروديت. ولم يمر على بطليموس هذا اكثر من سنة حتى عاد من زحفته سالماً غانماً وعليه قامت الملكة بايفاء نذرها. غير ان ضفيرة الشعر التي كانت قد اودعتها في المعبد توارت في اليوم التالي لايداعها عن الابصار. واذ ذاك اذاع كونون (Conon) الفلكي بانهُ رأى هذه الضفيرة قد تحولت الى مجموعة من الكواكب في القبة الزرقاء.

وكان في كانوب ايضاً معبد اخر اشتهر بالفخامة والعظمة ألا وهو معبد اوزيريس الذي عُرف من الكتابة التي وجدت محفورة في صحيفة من ذهب تصان اليوم في متحف لندرة. واليك منطوقها: «ان الملك بطليموس ابن الالاهين الاخوين والملكة برنيقة زوجته قد شادا هذا المعبد للاله اوزيريس». فيستدل اذاً من هذه الكتابة بان بطليموس الثالث وزوجته المذكورين هما اللذان بنيا هذا المعبد العظيم

وفي سنة ٢٣٨ قبل المسيح ماتت كريمة بطليموس الثالث وهي في ربيعة الشباب وكان اسمها برنيقة ايضاً. فعقد كهنة معبد كانوب على اثر وفاتها مجلس مشورة فيما بينهم واصدروا وثيقة لا تزال محفوظة الى اليوم وفيها اثبتوا الوهية هذه الاميرة الشابة. ومما جاء في تلك الوثيقة وصفُ طرق التكريم التي يجب ان تقدَّم للاميرة المؤلهة. منها مثلاً نقل الزورق المقدس سنوياً من معبد هيراكليوم الى معبد كانوب

وقد ظن بعضهم ان معبد اوزيريس هو نفس معبد سيرابيس الذي نال في كانوب من الشهرة ما نال بحيث كان الزوار يتقاطرون الى زيارته دفعات كثيرة خلال السنة. وكان المشهد الاكثر اعجاباً الذي يجري في تلك المدينة منظرَ الجماهير وهم آتون من الاسكندرية الى كانوب بطريق القناة النيلية لاقامة الحفلات للاله سيرابيس. فكنت ترى الرجال والنساء اثناء اجتياز هذه المسافة بين المدينتين عازفين بالشبابات مُشيدين بادوات الطرب المختلفة ومنهم من كان يعمد الى التفنن برقص الخلاعة والمجون. وكان في كانوب نفسها أنزال وفنادق معدة للملاهي على اختلاف انواعها

وقد اشتهرت تلك المدينة ايضاً بصنع الحلويات كالقطائف ونحوها وكذا قل عن سمكها وبحارها وسائر انواع طيورها وعطورها وخصوصاً عطر الناغية اي الحناء. ناهيك عن جودة مناخها وبهاء موقعها اللذين وصفهما اميان مرشلان المؤرخ اللاتيني

وصفاً رائعاً بقوله: «ان مدينة كانوب تكثر فيها الفنادق الجميلة وتهبُّ هناك خطرات من النسيم البليل تلطّف حرارتها. امّا جوُّها فصافٍ جميل ومن حطّ الرحال فيها يخال لهُ انه في عالم غير عالمنا اذ يسمع هزيز الرياح التي تعصف باستمرار في تلك البقعة» (١

اما المسافة بين كانوب والاسكندرية فمئة وعشرون غلوة بطريق البرّ تبعاً لما قاله اسطرابون. على ان قول اسطرابون هذا لا ينطبق على الحقيقة تماماً بحيث لو قسنا هذه المسافة التي ألمع اليها اسطرابون المذكور باعتبار مقياس الغلوة المصطلح عليها عند الاسكندريين في ذلك العصر السحيق وهو ان الغلوة تعادل مائة وخمسة وثمانين متراً من امتار اليوم لكانت المسافة اذاً بين المدينتين تنيف على ٢٢ كيلومتراً الامرُ الذي لا يسلّم به نفر من الكتبة. وحجّتهم في ذلك ان المسافة الكائنة بين المدينتين لا تزيد على اثني عشر ميلاً وهذا ما يوازي ستة عشر كيلومتراً اليوم. فكانت اذن الترعة التي تنساب بين فنادق كانوب ومنازلها تصبّ على الارجح بين راس الزفير السابق ذكره وهيراكليوم

امّا شعبة النيل المعروفة بالشعبة الكانوبية فكان مصبُّها في بعد نحو فرسخ جنوبيّ راس الزفير المشار اليه. وكان لهذا المصب اهمية كبرى في العالم القديم بحسب قول اسطرابون وهو: ان مصابَّ النيل برمّتها حفرتها ايدي البشر ما عدا المصب الكانوبي. على انهُ وان كان في قول اسطرابون هذا من المغالاة ما لا يتّفق مع الحقيقة الّا انه يبيّن لنا على كل حال ما كان لهذا المصب عند القدماء من الافضلية على سواه. دع عنك قول سينكا الفيلسوف الذي ذهب ايضاً الى ان هذا المصب الذي نحن بصدده كان اكبر المصاب النيلية كافة. وقد سماه بطليموس الجغرافي الذي عاش في البلاد المصرية بالنهر الكبير

ولما زار ديودور الصقلي البلاد المصرية في القرن الاول قبل الميلاد شاهد على كلٍّ من مصابّ النيل مدينة يشقّها النهر الى قسمين. وهذه الاقسام برمتها كانت منضمة الى بعضها بواسطة جسور محصّنة. وهكذا قل عن مصب كانوب الواقع على الضفة الشمالية. اما الضفة اليمنى من هذا المصب فكانت تحتوي على عدد عديد من الجواسق المحبوكة ببعضها. ومن هذه الضفة عينها تبتدئ زاوية الدلتا المكونة من طمي النيل

(١ اطلب تاريخه ك ٢٢ ف ١٦ (Ammien Marcellin, XXII, 16)

كما هو معلوم. اما كانوب عينها فكانت قائمة على الضفة اليسرى من المصب المذكور كما خطّطها الاسكندر ولقد اطلقوا على تلك البقعة مع الايام اسم « البقعة الاسكندرية » (١)

ثانياً — كانوب في عهد الرومان

لمّا اخذت مملكة البطالسة في السنة الثلاثين قبل الميلاد تنهار انهياراً لم تقم لها من بعده قائمة اغتنم ملوك الرومان هذه الفرصة فوضعوا يدهم على الاقطار المصرية. وكان لكانوب اذ ذاك سمعة غير حسنة من الوجهة الادبية فهذا بروبرسيوس (Pro-perce) يدعو بتهكم كليوباتره الشهيرة ملكة كانوب الرجسة . وفي خطاب القاه اوغسطس قيصر على جنوده قبل معركة اكسيوم الكبرى صرّح بان انطونيوس لم يخسر القابه الرومانية كلها الّا ليعكف على الضرب بصنوج كانوب. وكتب ايضاً سينكا الفيلسوف الى صديقه لوسيليوس رقيماً جاء فيه : ان الرجل الحكيم اذا رام ان يصطفي له مكاناً للعزلة والانفراد عن ضوضاء العالم عليه ألّا يقصد الى كانوب. وقد وصف سيليوس ايتاليكوس (Silius-Italicus) الحرية التي كانت تسود في ولائم الكمبانيين فعارضها بما كان في مدينة كانوب من بواعث الدعارة والفجور

ولم يكن يؤم كانوب من نبلاء الرومان واشرافهم الّا العدد القليل لان اوغسطس قيصر قد نهى هولاء عن الذهاب الى مصر بدون رخصة امبراطورية . ولمّا رغب جرمانيكوس في زيارة مصر لمشاهدة آثارها امكنهُ ان يتنصّل من هذه الرخصة الّا ان عمله هذا قد اغضب الامبراطور طيباريوس ولم يعلم جرمانيكوس بذلك الّا عند محاولته النزول في كانوب ليعبر النيل منها

وقد شاع اسم كانوب وذاع كثيراً عند كتبة اللاتين فكانوا يفهمون فيه احياناً البلاد المصرية باسرها. يدلّنا على ذلك ان في كلام ڤيرجيل الشاعر اللاتيني عن شعب كانوب ما ينمّ عن انه يقصد فيه هناك شعب القطر المصري برمته

(١) من شاء زيادة اطلاع على تاريخ شعب النيل ومضاجعها فليطالع المجلد الثالث من المؤلف النفيس لسمو الامير العلامة عمر باشا طوسون وعنوانه Mémoire sur l'histoirr du Nil وهناك ايضاً بحث دقيق في قياس المسافة بين الاسكندرية وكانوب خلال تلك الاحقاب البعيدة

ومما تحسن الاشارة اليه ان الامبراطور ادريانوس قد زار القطر المصري مرتين. وعليه فلا يبعد من ان يكون قد مرّ بكانوب بدليل انه لما اراد بعد رجوعه من مصر ان يحيي في قصره الفخم الذي بناه في تيبور (Tibur) ذكرًا للبلدان المختلفة التي طاف بها خلال اسفاره انشأ في حديقة القصر وادياً صغيرًا على الطراز المصري وحلّاه باسم كانوب (١

٢ً كانوب في عصرها المسيحي

ذهب فريق من العلماء الى ان بشارة الانجيل قد أذيعت في القرون الاولى بسرعة مدهشة في مدينة الاسكندرية. ويغلب على الظن ان اذاعتها قد امتدّت الى ضواحي تلك المدينة على جناح السرعة ايضاً وخصوصاً في مدينة كانوب. على ان من الكتبة من قال ان القديس مرقس بشّر بالانجيل في ضواحي الاسكندرية اولًا ثم في الاسكندرية ومنها توجه الى المدن الخمس حيث انشأ عدة اسقفيات وعاد الى الاسكندرية واستشهد فيها بين السنة ٦٢ و٦٨م (٢ . وليس بين يدينا حتى اليوم من البيانات [illegible] تفاصيل اذاعتها قبل اوائل القرن الرابع. ومما نعرفه عن تاريخ [illegible] في السنة التاسعة للاضطهاد الذي اثاره ديوكليانوس وهي الموافقة لسنة ٣١٢ مسيحية استشهد في مدينة كانوب القديسان كيريوس ويوحنا ورفقاؤهما وقد كان الاول اسكندري المولد درس الطب في مدرسة الاسكندرية الشهيرة وبرع في هذا الفن. فكان يعالج الفقراء مجاناً ويهتمّ بالانفس اكثر منه باهتمامه بالاجساد ويبشر بالديانة المسيحية بهمة لا تعرف الكلل . ولما اشتهر امره عند الحاكم سيريانوس (Syrianus) توعده بان يلقيهُ في غياهب السجون اذا لم يجحد ايمانه. اما هو ففرّ هارباً الى صحراء قريبة من البلاد العربية وتبعه اليها القديس يوحنا على اثر زيارته لاورشليم. وكان هذا الاخير جندياً من مدينة الرها فعاشا سوية في تلك الصحراء بالانكباب على ممارسة اشد الفضائل صرامةً. وعلى يوماً ان احدى السيدات المسيحيات تدعى اتنازيا (Athanasie) قد اوقفت في كانوب مع بناتها الثلاث وهنّ في ربيع العمر فخافا على هذه المرأة وكريماتها من الوقوع في شرك الوثنيين ومن ثم ترك الناسكان

١) طالع الكتاب الآتي G. Poissier: Promenades archéologiques: Rome et Pompéi, (p. 238)

٢) مجموعة الآباء الشرقية PATROLOGIA ORIENTALIS: T.IV, p.106

عزلتها في البرية وقصدا السجن حيث الامّ وبناتها المذكورات فاخذا ينشطانهنّ ويشجعانهنّ على الثبات في نعمة الايمان وما لبثا ان قُبض عليهما ايضاً فأُحضرا امام الوالي الآنف الذكر فلم يعبأ لا بوعيده ولا بتهديده وفي اخر الامر اوعز الى الجنود بان يعرّوا الشهيدين من ثيابهما ويعذبوهما بعذاب الدواليب القادح ثم مزقوا اجسادهما وخدشوهما بقامع ذات كلاليب واسنان حادّة وصبوا على جراحاتهما خلًّا ممزوجاً بالملح. وقد انزلوا بالعذارى الثلاث ووالدتهن من انواع التعذيب ما انزلوه بالشهيدين المذكورين فنلنَ مثلهما اكليل الاستشهاد. وعلى اثر ذلك جمع المسيحيون بقايا الشهداء الثمينة بين التراتيل الشجية والترانيم الرخيمة وحملوها الى كنيسة القديس مرقس في الاسكندرية وهناك اودعوا رفات القديسين كيريوس ويوحنا في قبر ورفات اتنازيا وبناتها في آخر (١

وقد جاء القديس يوحنا الدمشقي على ذكر هذين الشهيدين في خطبته الثالثة في صور القديسين والقديس صفرونيوس في العظة التي القاها على مسامع آباء مجمع نيقية الثاني (٢

(١ طالع PAUL CHENEAU O. F. M.: I. Les Saints d'Egypte, p. 257-258

(٢ لقد اقام الوثنيون خلال الازمنة الماضية معبدًا كبيرًا في بلدة مينوتيس لم يفوّ انتصار النصرانية على ملاشاته بسهولة. ولمّا وطّن القديس كيرلس الاسكندري العزم على ابدال العبادة الوثنية التي كانت ذائعة في ذلك المعبد بعبادة الاله الحق نقل رفات الشهيدين كيريوس ورفيقه يوحنا من كنيسة القديس مرقس في الاسكندرية الى كنيسة الانجليين الاربع في مينوتيس. ومنذ ذلك الحين اخذ الزوار يفدون زرافات ووحدانًا من الاسكندرية ومصر وليبية وسائر انحاء العالم الى زيارة هذه الكنيسة لكثرة ما كان يحدث فيها من المعجزات الخارقة. وممّن قدم الى زيارة كنيسة مينوتيس هذه صفرونيوس الدمشقي [illegible] ورشليم بين سنة ٦١٠ و٦٣٠ وايًّا من ومد كان قد اصاب عينيه. واقرارًا هذه المعجزة [illegible] بجموعة احصى فيها ستين معجزة حدثت في الكنيسة المذكورة في ايامه. اما موقع هذه الكنيسة فكان بين شاطئ البحر شرقًا وبين اكمة رملية هناك غربًا. وكان الملاحون يشاهدون من بعد هذه الكنيسة التي كانت مطوقة بنطاق له مدخل من جهة البحر وفي خارجه بركة كائنة عن يمين الباب عليها اسم شفيعي الكنيسة. وفي داخل النطاق الكنيسة مع رواقها يجاورها بيت الشماس الانجيلي وعائلته. اما الغرف الموجودة في العلية المعدة للمرضى المستشفين فكانت كل واحدة منها تسع شخصًا او اثنين. وكان يصان في الكنيسة رفات الشهيدين مع ميل جرعة تقديس كيريوس الطبيب. وكان زيت المصباح المنار امام القبر يوزّع على المؤمنين من الزوار اما التقادم والنذور تدل على حدوث الاشفية الاكثر

ولما كان القرن الرابع بعد المسيح كثر عدد الرهبان في الشرق وخصوصاً في مصر حيث ملأوا البراري والقفار. بيد ان كثيرين منهم انشأوا لهم ايضاً في المدن كالاسكندرية وكانوب اديرة ومعاهد. وممَّن اقام في كانوب مدة طويلة القديس امون (Ammon) الّا انه بارحها على اثر موت القديس اثناسيوس وولى وجهه شطر الاراضي المقدسة. ثم توجه الى ممفيس في مصر وتنسك فيها

والظاهر ان تاريخ الحياة النسكية لم يتلألأ سناؤهُ في كانوب الّا بعد دك اركان معبد سيرابيس في سنة ٣٨٩ لانه كان لا يزال للوثنيين في ذلك العهد نفوذ كبير فكانوا يحتشدون حول معبودهم سيرابيس لاقامة شعائرهم الدينية وحفلاتهم المخجلة. اما بغضهم للمسيحيين فحدث عنه ولا حرج فانهم لم يدعوا فرصة تمرُّ الّا ويعمدون الى قذفهم باللعنات ورشقهم بالشتائم. وكان لهم في كانوب ايضاً معهد لتعليم مبادئ السحر والطلسمات. وكانوا يكرمون هذه المدينة على ما قال روفينوس لانها والعياذ بالله مقر ابالستهم وشياطينهم. وظلَّ الامر كذلك الى ان اشتدت شوكة النصرانية فاجتمع المسيحيون وعقدوا الخناصر على تقويم دعائم الوثنية فوثبوا يوماً على هيكل سيرابيس وقوَّضوا اساساته وتركوه خراباً يباباً. وقيل ان البطريرك تاوفيلوس طفق على اثر تلك الحادثة يبني الكنائس والمعاهد المقدسة في كانوب ويزينها بالتقادم التقوية والصور النفيسة. وشاد هناك ايضاً على اسم الرسل كنيسة فخيمة وانشأ فوق ذلك ديراً كبيراً استقدم له في اول الامر طائفة من رهبان اورشليم لاسكانهم فيه. فلم يلبث هؤلاء ان اخلوا هذا الدير خوفهم من شر الاباسة الذين كان يتكرر ظهورهم فيه المرة بعد المرة. وعليه فاحلَّ محلهم رهباناً مصريين من المنضوين لقانون القديس باخوميوس فعملوا على طرد تلك الارواح الشريرة بصلواتهم الحارة واطلقوا على ذلك

خطوطة من غيرها. وقد صفح احد الولاة المدعو ميزيون (Memesion) الجدران القريبة من قبر الشهيدين بالرخام الثمين. ويرى هناك ايضاً رسم السيد المسيح والقديس يوحنا المعمدان والقديس كيريوس. وامام هذا الاخير يصرح الوالي تاذر بنعمة الشفاء التي نالها على يد القديس كيريوس وكان في كنيسة تيترابايلون (Tétrapylon) الكبرى في الاسكندرية رسمٌ تغلب عليه اسم الصورة (l'image) وهذه الصورة تمثل السيد لهُ السجود تحف به العذراء المجيدة والرسل والانبياء والشهداء وهم يتبتلون التضرعات من القديسين ويوحنا الجاثين امام السيد المسيح
Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne, *article* ALEXANDRIE

الدير اسم «دير التوبة» فشرع بعد ذلك يتوافد عليهم من كل الاقطار شرقيةً . كانت ام غربيةً رجالٌ تائقون الى اعتناق العيشة النسكية . وهذا ما حدا بالقديس ايرونيموس الى ترجمة قانون القديس باخوميوس الرهباني من اليونانية والقبطية الى اللاتينية للرهبان الذين اتوا هذا الدير من برية الاسقيط وخصوصاً ان كان منهم في كانوب لان اكثر هولاء كانوا يجهلون تماماً اللغتين القبطية واليونانية

وعند نهاية القرن الرابع أمّ دير كانوب القديس ارسانيوس . وكان هذا القديس العظيم يشغل منصباً كبيراً في القسطنطينية ايام كان تيودوسيوس الكبير امبراطوراً فيها غير انه لم يقم مدة طويلة في دير كانوب بل قصد خارة اخرى في جهات برية الصعيد ثم توجه الى ترويه (Troë) قرب منفيس وفي اواخر ايامه عاد مرة اخرى الى كانوب ثم قفل عائداً الى ترويه ايضاً وتوفي فيها برائحة القداسة

وما كادت تذاع بدعة الطبيعة الواحدة في الديار المصرية حتى اخذ اصحابها في اواسط القرن الخامس يبثون زوان بدعتهم بين مؤمني كانوب على انهم لم يستطيعوا ان يوقعوا رهبان دير هذه المدينة الافاضل في حبائل بدعتهم لانهم كانوا من اشد الناس تمسكاً بوديعة الايمان على الرغم مما ساءهم ديوسقوروس البطريرك الاسكندري بطل هذه البدعة من الاضطهاد . وروى فريق من المؤرخين ان القديس يوحنا السلمي زار دير كانوب في القرن السادس للميلاد ومدح كثيراً حياة رهبانه . وكان ايضاً على بعد ميل واحد من الدير المذكور دير آخر يدعى «دير السجن» اقام فيه ذاك القديس شهراً واحداً وقد أعجب مما رآه في رهبانه من سمو الفضائل الزهدية حتى انه قال فيه ان هذا الدير هو المكان الذي فيه تنتفي الملاذ البشرية باسرها . ومذ ذاك العهد اخذ سكوت المؤرخين يخيم على اخبار كانوب رويداً رويداً الى ان جاءت فتوحات العرب فطمست معالمها وادخلتها في خبر كان . وظلت هكذا حتى نشطت مصلحة الآثار المصرية بالاشتراك مع الجمعية الاثرية الملكية في الثغر الاسكندري من نحو سنتين وشرعت باجراء حفريات خطيرة في انقاض تلك المدينة تحت إشراف العلامة برتشيا الشهير . وممن ساعد في ذلك ايضاً صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر . ولعلنا نعود الى وصف ما كُشف هناك من العاديات التي لا بدّ من ان تميط القناع عما كان لا يزال مجهولاً من اخبار تلك المدينة الى يومنا افادة لقراء المشرق وبالله تعالى التوفيق

زاهية او ضحيّة الأزياء (المودا)

رواية تاريخيّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

قال الكاهن الراوي: قرُب في تلك الاثناء عيد الفصح المجيد ودخلنا جمعة الآلام. فلم اشأ ان يمرّ هذا العيد المبارك على زاهية دون ان تشترك مع المؤمنين بقبول الاسرار وهي لا تزال منهوكة بداءها العضال وفي خطر الموت. فعُدت اليها في بدء هذا الاسبوع واعلمتني رئيسة المستشفى انها ترغب في عيادتي وانها حدث لها بعض نوبات من مرضها لكنها لم تظهر شيئاً من التذمر كما في السابق وكانت ترضى بما تلهمها من النوافذ التقويّة وتردّدها كما تسمعها منّا.

فلمّا دخلتُ عليها صرخت: اوّاه يا ابتِ خفتُ ان افارق الحياة قبل ان اتمم لك حديثي فترثي لضلالي وترشدني الى خلاص نفسي

قلتُ: في هذه الايام القريبة من الاعياد الفصحيّة تزيد اشغالنا الراعوية ولا تُبقي لنا زمناً فارغاً على اني كنتُ لا اتزال اذكرك امامه في وقت الذبيحة الطاهرة واتقصّى اخبارك من راهبات المستشفى

وللحال استأنفت زاهية حديثها فقالت:

«ادركتُ الرابعة عشرة من عمري وكانت عادة امي ان يخطبني احد وجوه مدينة طرابلس. وهذا ما كانت تنويه حين تسمع بتحليتي بتلك الازياء التي سبق ذكرها. على انّ الامر حدث على خلاف ما هنا فانّ الشبان اذ كانوا يروني كاني براقش «في كل لون اكون» ساء ظنّهم في مكانتنا يتهامسون بينهم في شأني فيقولون: «لا خيرَ في فتاة كهذه مع ما يظهر عليها من خفّة الطباع والطياشة»

«وبعد ان خطبني واحد منهم وعلم ما تنفقه امي عليّ من المال في ملابسي وازيائي ارتدّ عن نيّته خائفاً على دراهمه ان اصرفها في تلك الملابس فلا يبقى له ما يتعيّش به وهو لا يربح من شغله إلّا كفاية معاشه

«ونحن لكذلك اذ انتشبت الحرب الكونيّة. واخذت الدولة تحشد الشبان للعسكرية فأمسكت احد اعمامي وهرب الآخر الى حوران فبقيتُ وحدي مع امي.

وما عتّم ارباب الحكومة ان ضبطوا اموالنا ولم يبقوا لنا الّا الزهيد القليل مما لا يكاد يكفي لمعاشنا

ففكرتْ امي ان تتخذني كوسيلة لسدّ عوزنا فسلّمتني الى رجل كان فاتحاً مقهى كبيراً يزدحم فيه الشبان من كل الطوائف فجهّزني بثياب تجلب ابصار الوافدين الى المكان بحيث يروق لهم نظري. فكانوا اذا رأوني يتبسّمون ويتغامزون وربّما اسمعوني من كلام الغرام ما كان يخدش مسامعي فكانت تغلب عليّ افكار العالم وشهواته. ولولا نعمةٌ خاصة من الله لكنتُ اصبحت من عدد المومسات وانما نجّاني الله من وقاحتهم بكثرة ما كان هناك من شغل الخدمة حتى منتصف الليل فاذا اويتُ الى فراشي سقطتُ لا أعي لنفسي لمزيد التعب

وكان في جوار المقهى رجلٌ تقي كان عرف والدي وادرك ما يتهدّد عفافي من الخطر فكان اذا رآني في الخلوة يحذّرني من مآثر اولئك الشبان وتزقهم. وكان بحضوره في [illegible] وزاته [illegible] من [illegible] فجازاه [illegible] خيراً عن فعله هذا فانهُ كان اشبه [illegible] من [illegible]

وبلغنا الى سنة الحرب الثالثة فساءت الاحوال وزادت الفجاعة وكان صاحب المقهى طمعاً بالدرهم يريد ان يقلل اجرتي. فما رضيتُ بذلك والدتي لاسيما اذ رأتني مشبوكة القوى. وكان بلغها انهُ أُنشئ في المدينة مرقص يحضره ضبّاط الاتراك وعجم الملاهي فعرضتني على صاحبه فلمّا رآني رشيقة القدّ رائعة المنظر رضي بي. وكانت امي لتحصل على مرغوبها البستني الملابس الخلاعيّة الجديدة التي اخذت تروج بين الفتيات القليلة الحياء. فقصّرتْ اكمامي الى منكبيّ وقوّرتْ فستاني الى منتصف صدري المكشوف وكان الفستان لا يبلغ الى ركبتي.

وفي هذا الزيّ المخجل دخلت ذلك المرقص وتعلّمت حركاته وطرائق غنجه ولقّنوني الاغاني الغرامية الشائنة. فكنتُ في اوّل امري أعاني شقّ النفس بمزاولة هذه المهنة الشائنة إلّا انّ تنشيط اصحاب المحلّ وتصفيق الحضور عند ظهوري على المرسح صلّبا جبيني حتى اعتدتُ العمل وذهب عني كل خجل فيطرب الناس لصوتي الشجي ويستحسنون حركاتي في الرقص حتى حصل ربحٌ كبير بواسطتي لصاحب المحلّ. ونالنا انا وامي قسمٌ منهُ

« على انَّ تلك الملابس الخلاعيَّة سبَّبت لي عللاً لم ازل متأثرة منها . وكان اوَّل ما اصابني زكامٌ شديد اذ كنتُ في هذه الحفلات اتصبَّب عرقاً فاذا مررتُ امام نافذة مفتوحة او مجرى هواء وصدري مكشوف اشعر بقشعريرة تؤدّي بي الى زكام قوي . بل تحوَّل مرَّة ذاك الزكام الى ذات الرئة واشتدَّت عليَّ العلَّة فبقيت نحو شهر طريحة الفراش بل خيف على حياتي منها

« وخرجنا مرَّة اخرى في السنة ١٩١٧ الى بساتين طرابلس عند نهرها لحفلة دُعي اليها مع ضبَّاط الاتراك رجالٌ من الالمان في خدمة الدولة من محالفيها في الحرب . فاراد اصحابنا ان يلهوهم على الرغم من ويلات الحرب فاعدُّوا لهم هناك مأدبةً فاخرة ختموها برقص كنت انا احدى الواقفات فيه . على انَّ أسرجة الحديقة في تلك الليلة جمعت علينا بعوض المستنقعات فلُسِعتْ انا بازنادي المكشوفة وما لبثت ان حسستُ بحمَّى الملاريا التي لزمتني تلك السنة وأنهكتْ قواي بنوباتها المتوالية فلم انجُ منها الَّا بعد اللتيا والتي وحتى اليوم اظنّ ان مرضي الحاضر هو من عواقبها

« ومررنا يوماً في حيّ المسلمين فرآني احدهم بهذه الثياب الخلاعيَّة وساقيَّ مكشوفتين فاشمأزّ لهذا النظر متمعضاً وحرَّش عليَّ كلبهُ فاقتحم عليَّ الكلب وعضَّني عضَّةً اليمة اثرُها ظاهر الى اليوم في ساقي اليمنى . ورمى عليَّ آخر مزيجاً كيمويّاً شوَّه به صدري وملابسي . وكانت النساء المسلمات اذا لقينني في طريقهنَّ وهنَّ متحجبات متستِّرات بالجبرات يشتُمنني ويلعنَّ تلك الازياء الخلاعيَّة ويقذفن مَن يلبسها بسهام السبّ والتقريع . فكانت كل هذه الاهانات تحيك في صدري فألوم امي التي عرَّضتني لها . إلا انَّ روح العالم كانت قد اسرَتني بحيث لم استطع ان اجرّد نفسي عن هذه الخزعبلات واقاوم امي التي ربَّتني على حبّها

« انتهت اخيراً بعد اربع سنوات الحرب المشئومة التي ذقنا فيها الامرَّين فاحببتُ ان افكَّ حالي من تلك الخدمة الشائنة واعود الى بيت امي فاعيش معها بالهدوء والسكينة وقد حصلتُ بتعبي على ربح كافٍ لمعيشتنا سنتين او ثلاث سنين . لكنَّ امي طمعت بالمزيد وارادت ان تقسرني على البقاء في المرقص المذكور

« فساءني الامر جدًّا وأردتُ ان اتحرَّر من سلطتها . وكانت قدمت في ذلك الوقت جوقة عربية للتمثيل من مصر وهي عائدة الى بلادها بعد ان تجوَّلت في مدن

الشام فانتظمتُ في سلكها بدون علم امي وركبت البحر معها الى الاسكندرية وغيّرت اسمي سلطانة باسم زاهية

«فكان اقبال الناس على تمثيلي في المراسح في الاسكندرية والقاهرة وعلى استماع غنائي ومعاينة رقصي اكثر من طرابلس. فعُرضتْ صورتي على الجدران وتراكض الجمهور لحضور فصولي. واذ كنتُ هناك غريبةً لا يعرفني احد من اهل مصر تعرّضتُ لاخطار اصاب نفسي منها عوارض سيئة اذكرها بكل أسف واطلب من الله ان يغفرها لي برحمته

«قضيت في مصر سنتين الى اواخر العام الماضي وكنت حصلت من شغلي على ٦٠٠ جنيه فرأيت ان في ذلك كفاية لمعيشي. فبلغ احد الشوام القاطنين مصر ما جمعتُ من المال فدعاني الى الزواج فأجبتُ الى دعوته مؤملة في الاقتران به خيراً فتزوّجنا زواجاً مدنيًّا وزوجي يتظاهر بسعة الحال والشغل الرابح فقضيتُ معهُ شهراً وهو يحسن اليَّ المعاملة. وكنا أجرنا لنا حجرةً في احد احياء القاهرة. فبينما انا في ذلك البيت وزوجي معي اذ قمتُ يوماً عند الصباح ولم اجد [illegible] ثوبًا فظننتُ انهُ خرج لشغل عام فانتظرتهُ الى المساء [illegible] فاذا [illegible] دراهمي التي كانت فيه [illegible] وزوجي اختلسها وتوارى ولم اعد اقف له على خبر مع إفراغي الوسع في طلبه

«فلما عرفتُ ذلك اصابني منهُ نوعٌ من السرسام ولم اعد أثق باحد. ثم صرت اشعر برغبة عظيمة في العود الى [illegible] مصر ضايقتني اي مضايقة فركبت القطار الى بور سعيد

«فنزلت هناك لأبيت [illegible] مركب يقلني الى بيروت فأعيش فيها معتزلةً بعيدة عن امي متهيئة بما بقي [illegible] من الثمن وهي ٣٠٠ جنيه. فنزلتُ في لوكندة وبتُّ فيها ليلتي. فلما قمتُ عند الصباح واذا بحفظة دراهمي قد توارت فدعوت صاحب المنزل وعرضتُ عليه الامر وصرختُ وتهدّدت فكان جوابهُ انهُ لا علم له بذلك واني عند دخولي نزلتُ لم أُطالبه على ما لديَّ من الدراهم فلعلي اختلقتُ هذا الخبر الكاذب لاطالبه بها. ثم اضاف الى ذلك قوله انَّ لوكندتهُ كبيرة يبيت فيها ناس كثيرون فلا طاقة له بالاستدلال على السارق وكان من الواجب عليَّ ان اقفل في الليل

باب غرفتي التي تركتها مفتوحة لسبب الحرّ

«فبقيتُ محتارةً لا ادري ما اعمل وضاقت الدنيا في عيني فاصبحت كالمجنونة. فاعلمتُ الشُرط بما اختلس لي من المال فما كان لتفتيشهم من فائدة وذهبت كل اتعابي ادراج الرياح. ولم اجد واسطة لمواصلة سفري الى بيروت الّا ان ابيع ساعتي الثمينة باثنتي عشرة جنيه فصرفت ربعها في السفر ووصلت الى بيروت لا اعلم ما سيصيبني فيها فأجرتُ الغرفة التي وجدتني حضرتك فيها مريضةً سقيمةً

«واخذتُ في اول حلولي في بيروت ادور في المدينة طالبةً شغلًا ارتزق به فما كان احد يقبلني وانا لا اعرف عملًا إلّا قليلًا من الخياطة. فأيست من امري ورأيتُ ان اعود الى حرفتي من الرقص والغناء في الملابس المتهتكة. فدخلت مقهى راجت فيه هذه الصناعة إلّا انّ ربحي منها كان زهيدًا مع هبوط اسعار الورق المالي فصرت اقتر على نفسي في اكلي فضعفت صحّتي. واذ حاولت في ليلة الرجوع الى تلك الغرفة اشتدّ البرد وعصفت الريح ونزل المطر كالسيل. فصرتُ متأذّية من هذا الزمهرير الشديد وانا في لبس الخلاعة لا يستر صدري وذراعيّ شيء من اللباس وشعر رأسي مقصوص على الزي الجديد المدعو بالشاليش. فبُحّ صوتي ولحقتني سعلةٌ شديدة ولم ابلغ الى غرفتي حتى لزمتُ الفراش وانتهكتني الحمّى. ولا شكّ اني كنتُ فارقتُ الحياة لولا بعض النساء من الجارات اللواتي تلطّفن وقدّمن لي شيئًا من المساعدة الى ان فكّرن فدعونَ حضرتك لعيادتي. فوجدتني قاطعة الرجاء من الحياة مفضّلة الموت على حالتي السقيمة. شفقةً على والدتي التي بسببها حصلت لي كل هذه المشقّات والنكبات

«فيا ليت لي صوتًا يسمعه كل البنات المغرورات بهذه الازياء الخلاعية فتقول كل واحدة منهنّ: اياكِ اياكِ وهذه الملابس فانها تعرّضك لفقد دينكِ وصحتك وشرفك معًا. كم كانت أليق واهنأ ملابسنا البسيطة المحتشمة. تلك الطرحة التي كانت تُبرز اطار لوجه الفتاة. تلك الفساطين الضافية الذيل الساترة العنق المنطقة بنطاق لطيف يُظهر رشاقة القامة دون ان يضغط الصدر ويشوّه الاعضاء الباطنة

«وانت يا ابتِ الذي وقفت على قصتي المخجلة ارجوك كل الرجاء ان تبلغ امنيّتي هذه الى كل من تصادفه في طريقك

قالت هذا وسكت لسانها ونطقت عيونها فسالت منها الدموع مدرارًا

قلتُ: لقد صدقتِ يا ابنتي بنسبة بلاياكِ لتلك الازياء المستقبحة كما اني اجد لك بعض العذر لسوء صنيع امك معكِ ولكن الربّ قد قادكِ الى هذا المستشفى لكي تسترحميه وتنالي السماح عن ما فرط منك جهلاً. وها قد دخلنا جمعة الآلام جمعة الرحمة والغفران فأعدّي نفسك لقبول الاسرار المقدّسة فانها وحدها تشفي آلام قلبك وتزيل عنكِ هواجس صدرك. ولي الامل انك اذا حصلتِ على هدوء نفسكِ تقرّبين ايضاً زمن شفائكِ

ولمّا كان صباح يوم خميس الاسرار جئتُ اليها باكرًا ومعي القربان الاقدس فنهضت على فراشها واعترفت بخطاياها بكل اهتمام وبندامة صادقة. ثمّ ناولتُها جسد الربّ فتلألأ وجهها الشاحب اللون فرحاً وظهرت كأنها غائصة في تأمل عميق لا تشعر بما يحيط بها. فاخذتُ اتلو صلوات الشكر وهي لا تبدي حراكاً. فلمّا انتهيتُ منها فتحت عينيها الزرقاوين وقالت: اني اشكرك كلّ الشكر يا ابتاهُ فانني في هذه الساعة قد ذقتُ تعزيةً لم اشعر بها في حياتي وقد طلبتُ الى ضيف نفسي ان ينقلني من هذا العالم [illegible] الى جواره. وكأنني قد سمعتُ صوتهُ يقول [illegible]

وحرضتُها على [illegible] وبصليب ابنهِ الفادي [illegible] شفاء [illegible] ام المراحم ثمّ ودّعتها راجياً ان اعودها في اليوم التالي

فلمّا كان منتصف الليل وانا جاثٍ في الكنيسة حيث كان القربان معروضاً كالعرف العادة واذا بشبحٍ غريب انتصب امامي فعرفت وجه زاهية فنظرتْ اليّ واسمعتني هذه الكلمات: «ابتِ قد دعاني الله قبل ساعةٍ الى جوارهِ وقد حكم عليّ بعذاب موقّت في المطهر فرحمني لاجل توبتي على يدك. فارجوك ان تذكرني في صلاتك. وقد اراني الديّان شخص والدتي في اتون من النار لاساءتها تربيتي ولتحليتي بثياب الخلاعة. فبلّغ كل من تجدهُ من الفتيات المقترنات بهذهِ اللابس انهُ ينتظرهنّ يوم الدين افعالهنّ عقاب أليم»

قالت هذا وتوارت عن نظري. وبقيتُ مرتاباً في صحّة الرؤيا حتى اذا كان الصباح ارسلت رئيسة المستشفى واعلمتني بموت زاهية وانها قضت ولسانها يلهج بشواعر التوبة مكرّرة اسمي يسوع ومريم. فتحققت صحة رؤياي واسرعت للصلاة عن نفسها ثمّ حضرت دفنها في عصر النهار في نحو الساعة التي تحتفل الكنائس بدفن المسيح فوجدت في هذه المناسبة علامة جديدة لخلاصها. رحمها الله رحمةً واسعة! (تمت)

نبذة مختصرة

في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠ــ١٨٦٢)

لشاهد عياني (تتمة)

(تنبيه) كنا ظننا في مقدمة هذه النبذة انَّ كاتبها المثلث الرحمات المطران يوسف فرحيان وقد افادنا حضرة الورتبيت باسيل قليوبجيان في رسالة من القاهرة تاريخها ١٦ نوفمبر انَّ كاتبها المرحوم انطون خانجيان خوري رعيَّة الارمن الكاثوليك في بيروت يومئذٍ . وان حضرة الكاتب كان انتسخ منها نسختين كانتا عند اخيه المرحوم دير مكردبج الذي استشهد بمذابح ماردين سنة ١٩١٥ . فنشكر لحضرته هذه الافادة التي تنفي رَيْبنا وتزيد ثقتنا بعلم كاتبها

الحادث السادس عشر

في اسباب فتنة دمشق واضطراب المسيحيين

قيل انَّ احمد باشا والي الشام عمل اتفاقاً مع خرشد باشا والي صيدا وبيروت في أن يقتل مسلمون بلاد سوريا النصارى فيقوم حينئذٍ مسلمون البلاد الأُخر ويقتلون نصارى بلادهم وتصير ديانة واحدة في كل المملكة العثمانيَّة المحروسة

وقيل ايضاً عن المذكور انهُ قبل حدوث الفتنة باربعين يوماً صار يمنع النصارى عن الخروج الى البساتين والقرى حسب عادة المدينة في زمن الصيف . وكان يُظهر دائماً باقواله انهُ يزمع ان تصير فتنة في المدينة واختباط كبير . ولهذا أصلح مدافع القلعة وكان يضرب احياناً المدافع لكي يرى الى اين تصل . وقصد ان يرفع عسكر النظام الى القلعة ليحفظهُ من الضرر . وقيل عنهُ انهُ مراراً كثيرة سأل خرشد باشا في انهُ اذا صار فتنة في المدينة هل يضرب عليها المدافع ام لا

فمن هذه الاخبار وقع الخوف والاضطراب في قلوب النصارى . وليس من هذا القبيل فقط بل ومن قبل خراب حاصبيا وراشيا والقرى القريبة من الشام . ثم ومن قبل جبل لبنان وحريق قرى المتن والمناصف والشحار وساحل بيروت (٣٥) واقليم جزّين والعرقوب وغيرها من قرى النصارى هناك . وكان يوماً بعد يوم يزداد الخوف والاضطراب في الشام ولاجله طلب باشا العسكريَّة من احمد باشا ان يأمر في ان يطوف العسكر بكثرة في المدينة ليلاً ونهاراً لمنع الفتنة . ولهذا صار ترتيب في ان

كل كبير محلّه يحفظ محلّته التي يكون ساكن فيها نصارى . وان لزم الامر يستخدم عنده ناساً من شبّان المسلمين لنجاح حفظ النصارى . ومن ثمّ صار يطوف العسكر في المدينة اجراقاً اجراقاً في الليل كله وكان مع كل جوقة اناس من اكابر المسلمين . فهذا الترتيب كان سبباً كافياً لجهّال المسلمين ليقتنوا الاسلحة ظاهراً مدّعين انهم خادمون لغارات محلّات النصارى

واما السبب الكبير الذي اصدر الخوف في قلوب المسيحيين هو هذا ان احمد شا والي الشام لم ينزل الى الجامع الكبير لاجل الصلاة في يوم عيد الضحيّة الواقع في ٢ حزيران نهار الجمعة . وليس فقط لم ينزل بل ارسل عساكر احاطت بالجامع الكبير المذكور وكانوا مستلين السيوف ومستعدين للضرب . ولمّا سُئل عن سبب هذا العمل قال انهُ علم انّ النصارى في ذلك اليوم كانوا مزمعين ان يهجموا على الجامع الكبير ويقتلوا المسلمين وبهذا الخبر صار قلق عظيم بين المسلمين وهمّوا لقتل النصارى . واما المسيحيّون فاصابهم الخوف الشديد وعسكر في قلوبهم ولاجله عدموا رقاد الليل ولذّة الاكل والشرب وكان عنهم كل ما لهم من [illegible] الحزن [illegible] . فصاروا لا يخرجون في النهار من بيوتهم وفي الليل [illegible] يجتمعون عند بعضهم يتحادثون بهذا (٣٦) الامر وينتظرون متى تكون نهايتهُ وكيف سيتمّ . الاضطراب الاكبر الذي ادرك المسيحيين هو حين وصل خبر زحلة ودير القمر وان يوم الاحد انتصروا على النصارى بالنوع المسار ذكرهُ . ومن ثمّ سقطت قلوبهم في جبّ الحزن ووافاهم الكدر العديم التعزية وصاروا في حال اليأس العظيم . وان المسلمين رحوا كثيراً من قبل هذا الخبر . واشتدّ عزمهم للفتك بالنصارى وصاروا يترقبون الفرصة

ولهذا اخذوا يعملون صلباناً من ورق ويرمونها في الطرقات ويصوّرون ايضاً من الخشب صلباناً يلقونها على الارض وعند اجتياز النصارى كانوا يلزمونهم بالدوس عليها . الذي ما كان يدوس على تلك الصلبان كانوا يهينونهُ ويضربونهُ كثيراً . ولمّا كثر هذا الخبر وشاع في المدينة كلها أخبر احد النصارى الوالي بذلك وهو ارسل وقبض على خمسة عشر شاباً من المسلمين الذين نظروهم يعملون صلباناً ويلزمون النصارى بالدوس عليها . وبعده في ٦ تموز اخرج منادياً ينادي في المدينة قائلاً : من قبل افندينا

احمد باشا والي النعم الخ أمنٌ وامان لا احد يخاف من شيء. كلّ انسان يذهب الى عمله والحوانيت تُفتح ويصير البيع والشراء. ولا احد عاد يحمل سلاحاً الخ. فمن هذا القبيل امنت النصارى وصاروا يخرجون الى الطرقات. وفي اليوم الاثنين الواقع في ٩ تموز مضوا جميعاً الى الاسواق والحوانيت. ففي اليوم المذكور امر احمد باشا ان الشبان المسوكين لاجل عمل الصلبان يوضع في ارجلهم قيد الحديد ويمضوا بهم ليكنسوا الارض في محلات النصارى. واذ اكملوا امرهُ وبلغوا بهم الى المكان المدعو طالع القبة حينئذٍ هجمت عليهم (٣٧) المسلمون وقصدوا أخذهم. واما العسكر المحافظون فقاوموهم وما ارادوا تسليم المقيَّدين. ولكن لمَّا سمعوا صوت المدفع المقرَّص من القلعة حينئذ تركوا المقيَّدين ومضوا. فالمسلمون اخذوهم واطلقوهم. ومن تلك الساعة صاروا يضربون النصارى بالعصي والسيوف وبدأوا بالقتل والنهب والحريق وبقوا مثابرين على ذلك الى اليوم السادس عشر من الشهر المذكور

الحادث السابع عشر

في كيفية ذبح الرجال

تبًّا لها من ضيقة ومصيبة التمّت برجال دمشق المسيحيين من ذا الذي يقدر ان يصوّر حال اولئك المرثي لها. لعمري لا قلم ولا لسان يقدر ان يصف ذلك بكفاية حتى ولا احد يقدر ان يتصوّرها بدون النظر عياناً. فكنا نرى الرجال يركضون وهم حفايا متعرّون طالبين الهرب وما كانوا يجدون لهم باباً ولا سبيلاً وكانوا يبكون كالاطفال بدموع وعويل كثير. وكنت تراهم كالسكارى والتائهين لا يعقلون شيئاً من الصواب لتدبير حالهم وكأنهم عميان لا علم لهم اين يذهبون من جهة اعدائهم. والبعض منهم كانوا مختبئين واعصابهم ترجف على الدوام وقلوبهم تخبط في وسط احشائهم الليل والنهار. والسنتهم كانت ناشفة يابسة عديمة الحركة في افواههم. واعينهم شاخصة واوجههم مكسودة كالاموات. وكانت على مرور الاوقات تأتيهم غمرات المنون صادرة من قبل اصوات اعدائهم وهجماتهم المترادفة. وكانوا يرهبون صفير الارياح (٣٨) ونبيح الكلاب. وكانوا عديمين الحركة والتنفس لا يأكلون ولا يشربون حتى ولا يسملون ولا يعطسون. والمكان الذي كان يقدر ان يحتوي على عشر

نفوس كان يختفي فيه مائة نفس وهم قيام على ارجلهم بازدحام شديد في زمن حرّ شهر تموز

فيا لها من ايام مكدرة وليالي محزنة! ويحاً لمن ابتهج بها ونوحاً على من وُجد فيها! ترى كم من الصراخ! ترى كم من النحيب! كم من الندب والبكاء الاليم! لان المسلمين كانوا يمسكون رجال النصارى وبنيهم معاً ويذبحونهم بعضهم فوق بعض جاعليهم كراديس كراديس كأنهم تلال من الحجارة. وكانوا يقطعون البعض منهم بسواطير القصّابين كما يُقطع لحم الغنم. والبعض كانوا يقطعونهم بالبلطات التي يُقطع بها الحطب. والذين كانوا يهربون من ايديهم الى السطوح العالية والبعيدة منهم كانوا يصطادونهم برمي الرصاص. والذين كانوا يختفون في البيارة العميقة من المياه كانوا امّا يموتون من شدّة الخوف والجوع ورطوبة المكان ام كانوا يخرجونهم خارجاً بحبل الامان ويقتلونهم او كانوا يميتونهم بانواع شتى من الاحتيال وهم في مكانهم. والذين كانوا يهربون خارج المدينة كانوا يجدون الدروز والعرب الداخلين اليها فيقتلونهم وكثيرون الذين ماتوا من شدّة الخوف ومن ضيقة فيب ثار الخوف

خبرونا عن الشيخ عبد الله الحلبي انه لما [illegible] يوم الاول [illegible] ذبح النصارى قليل اشاع خبراً في انّ النصارى قتلوا اثنين من المسلمين وان ذراري القدس مزمعون ان يهجموا على المدينة لذبح (٣٩) المسلمين. ولهذا ارسل ابنهُ واستدعى مسلمين الصالحية لاعانة مسلمين الشام. ومن هذا القبيل كثر ذبح النصارى في اليوم الثالث والرابع حتى يبقى الى اليوم ١٥ تموز. فصار عدد الذكور المقتولين من مسيحيين دمشق اكثر من ثلثة آلاف نفس عدا الغرباء والناس الغير المعروفين. ولكثرة ازدحام اجساد المقتولين فسد الهواء من رائحتهم وانتن التراب من دمائهم. ولذلك صار المسلمون يحرقون تلك الاجسام ويرمون منها في الانهر والبيارة. فكنت ترى اجساد الناس على وجه المياه كأنها الواح من الاخشاب تأخذها المياه حيث تشاء وتريد

الحادث الثامن عشر

فيما ادرك النساء بتلك الايام

انّ حال مسيحيين دمشق الجزيلي الاحتشام والادب حقاً لا يوصف بلسان ولا

يحرّر بقلم لانك كنت ترى الستّات مع الجواري البتولات يبكين مع العجوزات نادبات على اولادهنّ ورجالهنّ واخوتهنّ المذبوحين امام اعينهنّ والمانتين تجاههنّ . وكنت تراهنّ حفايا ومكشوفات الرؤوس وليس عليهنّ ما يسترهنّ عدا القليلات منهنّ لانّ اعداءهنّ كانوا يمسكونهنّ ويأخذون ملابسهنّ والذي كانوا يتركونهُ لهنّ كانوا يخرّقونهُ عاراً لاحتشامهنّ وكانوا يفتّشونهنّ على المال بفحص مدقّق ليس في الجيوب والزنانير فقط بل في اجسادهن دون حياء (٤٠) وكانوا يضربونهنّ قائلين : ارينا رجالكنّ وما لكنّ وإلّا سنذبحكنّ كالرجال . ويا ليت هذا فقط كان مصاب الناس بل قد زادوا شرّاً بافتعالهم القبايح مع البتولات والنساء الاديبات . الامر الذي لم نسمعهُ عن الدروز والمتاولة

خبّرونا عن احدى ستّات النصارى الدمشقيين الجزيلة الاحتشام انها كانت هي ورجلها مختبئين عند رجل شريكهما الذي كان يعيش من فضل مالهما . فهذا الرجل المحافظ تقدّم الى الامرأة وقال لها : يا ست ارغب منك اليوم ان تعملي لنا طعاماً لآكل من طبخ يدك . اجابتهُ الامرأة بقولها : يا سيدي وان يكن لم اطبخ قط ولكن اكراماً لجنابك اطبخ الطعام الذي تأتوني به . فلمّا كانت الامرأة تهيّئ الطعام طلع الرجل الى العليّة حيث كان زوج الامرأة مختبئاً فذبحهُ وقطعهُ اربابً اربابً وغطّاه بلحاف واستدعى الامرأة ولمّا جاء بالطعام واكل وشبع قال لها : ها هوذا زوجك تحت اللحاف انظريه . فعند مشاهدتها لزوجها على الحالة المذكورة اخذت تبكي وترتجف . حينئذٍ قال لها الرجل المحافظ : ما لكِ تبكين وهجم عليها وعزّاها . ولكن لمّا رأى موتها اسهل لديهِ من سلب احتشامها يئس وقتئذٍ من الحصول على غرضهِ وجسدها من الجروحات والقاها هكذا عريانة الى خارج دارهِ من نافذة تلك العليّة (٤١)

ثمّ قد فُقد نساء وبنات كثيرات ولم يُعرف اين اثرهنّ . فقط حُكي عن ست بنات انهن قُدمن من المسلمين هديّةً لاحمد باشا والي الشام وان المذكور اخذهنّ مع نسائه لما خرج من الشام يوم عزلهِ . ثم ايضاً قُتل من النساء مقدار عشرين او ثلثين واحدة حين كنّ يحامين عن موت اولادهن او رجالهن . وايضاً بعض النساء متنّ من مجرّد الخوف وكثرة الضيقات وماتت غير نساء من قبل السمّ الموضوع في الطعام

المقدَّم لهنَّ احساناً وكثيرات اللواتي اسقطن اولادهنَّ قبل الاتلاد

الحادث التاسع عشر

في اخذ مال النصارى

ان كنا نضع هنا كمّيّة مال المسيحيين المأخوذ من كل واحد بمفرده حقاً لا يسعنا هذا المختصر. وان وضعنا الجملة بكميّة واحدة ربّما يبين ذلك ضرباً من المبالغة. فاذاً نقول انّ المسلمين في دمشق خطفوا كل مال النصارى واخذوا كل اقتنائهم وتركوهم جميعاً يحتاجون للقوت اليومي والكسوة الضرورية. ليت شعري هل احد يشك في كثرة غنى مسيحيين دمشق؟ لا لعمري لانهم قديمون في مدينتهم من زمن السيّد المسيح ومهذَّبون بالصنائع والآداب الحميدة ولطف الاخلاق وحسن العشرة وكثرة العلوم الامر الذي لا يمكن نجاحه بدون غنى وافر وعقار ثابت. ثمَّ متاجرهم واضحة في العالم ومتصلة ليس في بلاد سورية وافريقية والاناضول فقط بل ممتدَّة حتى الاستانة وبلاد [illegible] ٤٢٠ [illegible] خيرة [illegible] ورهم العامرة [illegible] الوفرة [illegible] في بيوتهم [illegible] من [illegible] ناهم. فهؤلاء الاغنياء المترفو العيش قد افتقروا وصاروا يتوسلون القوت الضروري والكسوة ويرقدون على التراب. وليس هم فقط بل وكهنتهم ورؤساؤهم وكنائسهم قد افتقروا ايضاً لان الكهنة والرؤساء لم يأخذوا في هربهم شيئاً من مال الكنائس ومن ثمَّ المسلمون افرغوا الكنائس كلها من مالها ومن الزينة التي تجملها قبل ان يحرقوها

خبرونا عن كنيسة الروم الرومية انها كانت غنيَّة جداً لكونها قديمة اكثر من جميع الكنائس وقيل انها معمورة في زمن الايام عمر وباذنه. ولذلك كان فيها اواني ثمينة وقديمة الايام مقدَّمة لها من الملوك المسيحيين وغيرهم. وكذلك المسلمون اخذوا مال كنيسة الروم الثانية ومال كنيسة الروم الكاثوليك ومال دار بطريركيَّتهم ومال كنيسة السريان ومال كنيسة الموارنة وايضاً اخذوا مال الدير الكبير وكنيسة اللاتينيين التي هي قبل كل كنائس الكاثوليكيين في الشام. ومثلهُ نهبوا دير الآباء المازاريين المشتهر بالغنى ومال كنيسته ايضاً. ثمَّ اخذوا مال دير الآباء الكبوجيين

خبرونا عن احد الكبنة انهُ لشدة خوفهِ من الموت التجأ الى دار البيك الموصلي وقدَّم لهُ هدية دراهم نقدية قدرها عشرة آلاف قرش وتضرع اليه ان يحفظ نفسهُ من الموت. (٤٣) والبيك المذكور حفظ القس داخل دارهِ ولمَّا علم انهُ يعد معهُ عشرة آلاف اخرى اخذها منهُ وقتلهُ

واخيراً نقول ان مسلمين الشام لم يتركوا شيئاً من مال النصارى لم يأخذوه لانهم لم يكتفوا بأخذ المال والامتعة بل قد اخذوا حتى حديد شبابيك البيوت وأقفال ابواب الدور والمسامير الواقعة من الاخشاب بعد الحريق . وليس هذا فقط بل وبعد مرور تلك الستة لايام التي كانوا مثابرين فيها على قتل المسيحيين واهراق دمائهم بقوا الى اليوم الحادي عشر من الفتنة الذي هو في عشرين تموز يفتشون باحثين في بيارة دور النصارى ويحفرون الاراضي في بيوتهم ليجدوا ما كان تحت الردم او مخبئاً . فتباً لهذا البخل ولا نبالغ ان قلنا انَّ كمّية مال نصارى دمشق المأخوذ ثلاثمائة الف كيس ويزيد

الحادث المشروح

في حريق كنائس الشام ودور المسيحيين

ان بغضة اعداء النصارى في الشام قد اماتت كثيرين منهم . وعدم عفافهم قد اشتهر في زمن تسلطهم . ومن طمعهم لم يكفهم مال مسيحيين دمشق بل دفعهم بغضهم الى ان احرقوا بيوتهم ودوراً وكنائس وحوانيت كثيرة . فنارُ الحريق ابتدأت من قرب دير الآباء المازاريين ومنهُ امتدَّت الى كل محلات النصارى فاحترق قسم من الدير المذكور والذي يليهِ من مدارس البنين والبنات وبيمارستانات المرضى . وكان هذا الدير فريد البناء والاركان ومتَّسع جدًّا وليس لهُ شبهة في مدينة الشام (٤٤) كلها

واحترق ايضاً بعض دير الآباء الفرنسيسكانيين الملقب بالكبير فقتلوا كهنتهُ فيهِ وكان عددهم ثمانية وهم من رهبان مار فرنسيس وقيل ان احدهم ذبحوهُ في الكنيسة فوق المذبح الكبير . وذبحوا ايضاً المرحوم فرنسيس مسابكي الذي كان

مختبئاً عند الرهبان المذكورين. وقيل عنهُ انهُ قبل ان يقتلوهُ كأمروه ليُسلم فما قبل وقال لهم: انني انا رجل مسيحي لا اترك ديانتي بل اريد اموت لاجل المسيح بسم الآب والابن الخ. وبعد ذلك ذبحوهُ(١ ومعهُ غير اناس ايضاً. ثم حرقوا دير الآباء الكبوجيين وبعض الكنائس وقتلوا من قسوس السريان كاهناً كان خادم احدى القرى. وحرقوا ايضاً كنيستي الروم وكنيسة الروم الكاثوليك ودار البطريركية وقتلوا من كهنة هذه الكنائس ستة عشر او سبعة عشر كاهناً. فيكون عدد الكهنة المقتولين ستة وعشرين كاهناً او خمسة وعشرين. وامتدَّ الحريق الى كل دور النصارى ومحلاتهم فلم يسلم الّا القليل منها بل انَّ الدور التي هي بين مساكن الاسلام كانوا يهدمونها بالمواعيل لكي لا يمتدَّ الحريق الى بيوت المسلمين. ونار الحريق بقيت مشتعلة تحرق مساكن النصارى احد عشر يوماً والمسلمون كانوا يوقدونها على الدوام. ومن ثمَّ ما بقي للنصارى مأوى يلتجئون اليه. وقيل انَّ بعد ثلثين يوماً من ذلك حرقوا بيوتاً كانوا تغاضوا عن حريقها. فكنت ترى تلك المحلات كأنها أتون متقد يرتفع لهيبهُ فوق اعلى المدينة ويحجب بدخانه شعاع الشمس(٢ في وسط النهار. فيا لطف من ذا الذي يطلع على هذه الحال ولا يرق [illegible]!

الحادث الخامس والعشرون

في اهانة ديانة النصارى

انهُ لعمري ما كان صدر من مسيحيين دمشق افتراء ما نحو المسلمين ولا جملة استحقوا هذه المقاصة الشديدة. ثم لم يكن حدث فيما بينهم قبلاً وقائع واهراق دم... فلماذا اذاً هذا العمل؟ قيل انهُ كان صادراً عن اختلاف الديانة فقط لكون المسلمين في زمان الفتنة كانوا بوجه العموم يغصبون المسيحيين رجالاً ونساء ليُسلموا لكي يبقوهم في قيد الحياة. والذين اسلموا وتتنزع على هذا النسق سواء كانوا رجالاً ام نساء قد بقوا احياء بين المسلمين. ومنهم من اكملوا فيهم سنن المذهب الاسلامي وعملوا لهم فرحاً كبيراً وداروا بهم شوارع المدينة مركبينهم على الخيل وكانوا

١) هو الشهيد الذي أعلن بتطويبهِ حديثاً مع اخويهِ عبد المعطي ورفائيل والرهبان الفرنسيسيين الثلاثة

يضربون قدّامهم بالدفوف

ثمّ ان المسلمين ليُعطوا برهاناً ان الذي فعلوهُ بالنصارى كان بغضاً واحتقاراً لديانة المسيحيين لم يضرُّوا باليهود ولم يوصلوا لهم اذيةَ البتّة مع انهم جسورون وذات لسان طويل خلافاً ليهود غير مدن. وليس لم يضرُّوا بهم فقط بل وقد اعطوهم اتّساعاً ليضرُّوا هم ايضاً بالنصارى بما يستطيعون. فكان اليهود يتبعون المسلمين في كل مكان يذهبون اليه لضرر النصارى وكانوا يقدّمون لهم الماء بكثرة على مرور الاوقات ممزوجاً بالسكّر وماء الليمون وماء الورد الخ (٤٦)

ثم ان المسلمين كانوا يأخذون الصور والصلبان والقربان ويلاشونهم باهانات لا توصف. وقد اخذوا جرس احدى الكنائس واجتمعوا في شارع في المدينة وملأوا الجرس من زبل البشر وجاءوا بالصليب وصاروا يغمسونهُ فيه ويلفظون بما لا يليق وبعد ان كسروا الصليب والجرس جعلوهما في مكان الفروغ اي الكنيف

في تلك الايام المذكورة جاء تحرير من حمص وحماة ان المسلمين تحرّكوا ليفتكوا بالنصارى ولكن الوالي قد منع ذلك اذ استدعى الفريقين وسأل عن سبب التفور وعلامات حركة الفتن. حينئذٍ اجاب المسلمون انّ النصارى فاتوا الحدود وصاروا يضربون الجرس فوق رؤوسنا. فالوالي امر وقتئذٍ النصارى ان يأتوا بالاجراس ويكسروهم امامهُ اختيارياً بايديهم. ولمّا اكملوا امرهُ بسرعة وسرور اصطلح الفريقان ومضوا فرحين ومُنعت الفتنة. وقيل انّ حركة حمص وحماة كان سببها تحرير وارد لهم من مسلمين الشام وهنا نضع صورتهُ كما وردنا :

صورة كتاب وارد من المسلمين حمص وحماة

انّ النصارى من بداية حكم السلطان عبد المجيد يفكّون رباط الشريعة المحمّديّة ويتخطّون الحدود ويتجاوزون الشريعة والرسومات المرسومة عليهم من اقدم الزمان من حضرة الامام عمر بن الخطّاب. وبدأوا في هذا الوقت يغيرون الاسلام ويضرّونهم في دياناتهم وما شابه ذلك. والحكم صار يصدر في الرفيع والوضيع على الاسلام وجلّ مرامهم ان يحلّوا (٤٧) محل الاسلام وهم لا يعلمون بان الاسلام عمّال يدبر على استئصالهم وقلع جرثومتهم (كذا) وذلك بوجوه شرعية : (الوجه الاول) قد حلّ دم النصارى وعرضهم ومالهم وحرق كنائسهم وخراب بيوتهم بسبب دفع الجزية. (الوجه الثاني) جملة من الفتوات (الفتاوي) المندية وغيرها أتت بالامر القاطع بانه لا

يجب على الاسلام تقوية النصارى ولا القيام لهم ولا الهدية ولا عزّ للنصارى اتباعاً لما قالهُ سيد الاوّلين والآخرين في النصارى واليهود. فامن الله من لبسهم ثوب عزّ. (الوجه الثالث) لا يجوز شهادة النصارى بل تجوز شهادة النصيريّة على النصارى تطبيقاً لقول الشرع. ونذكركم بقوله تعالى «لا تجبوا ملّة الكفر والتينا بينهم البغضة والعداوة الى يوم القيامة». فيا معشر الاسلام فيقوا من نومكم وهلمّوا الآن لنبيد جنس عبّاد الصليب من هذه البلاد المقدّسة التي تحبوها ولا يعود يذكر اسم النصارى في هذه البلاد. وعلى ما تحققنا من المأمورين العظام بان الدول لا يمكنها الآن فتح الحروب لكونها عُدمت في حروب القرم هذا وقت اغتنام الفرصة ووقت غلبة الروم. الآن يوم خراجهم قد دنا لان اعمالهم كل ما لها تتزايد بالمظاهرة وان تركناهم سنتين يقووا علينا ويأخذوا اماكننا ويعدموا جنسنا. فمن جرى ذلك ابتدينا الآن بالمظاهرة والتداخل مع المأمورين. واطّلعنا على الحركات الواقعة بالاستانة (٤٨) في العام الاوّل وهي هذه: (اوّلاً) اغلب رجال الدولة عقدوا رأي سرّي بان يبيدوا النصارى مع السلطان وكل من يلوذ به على وجه الارض لسبب ان السلطان زائغ عن الشريعة الاسلامية يضع الصور في محلّه وصورته كذلك مأنفة فرق رأسه. (ثانياً) يضع هدية الاوروباويين في عنقه المرسوم بها علامة النصارى واشياء مثل هذه تعكّر مذهب الاسلام. وان تركناه لرأيه نظراً الى الملحوظات الظاهرة منهُ بيد مذهب الاسلام فعندها حصلت مذاكرة سرّية من مدّة سنتين بين وزراء وعلماء ووجوه الرعايا فتوا رأيهم على ما تقدّم اتفاق القصد بإعدام السلطان ومن يلوذ به ووضع ابنه في محله كون رأيهُ مثل رأينا ويريد [illegible] الافرنج وهم [illegible] الاوروباويين ويعملوا مساعد وحركات ضد الاسلام [illegible] يوجد فيه مائتين الف متجردين من قدم الزمان ومشهورين في كل حركة ولا يقدر احد [illegible] الى سوريا الّا بمساعدتهم. والآن صايرة رابطة كلية بينهم وبين الاوروباويين بادخالهم الى هذه البلاد. ونحن لمّا تحققنا ذلك من كل الجهات تحابرنا مع الوزراء والعلماء فاذاً . . . (١)

حُكي عن ولد نصراني يافع السنّ ابن ثلث عشرة سنة انهُ حين مسكوهُ ليذبحوهُ بدأ يبكي ويصيح بصوت حزين (٤٩) ومن ثمّ تمهّلوا لقتلهِ وقالوا لهُ «أسلم لتخلص» فالولد غيّر كلامهُ وقتئذٍ وبدأ يصيح بصوتٍ عالٍ: «انا مسيحي كاثوليكي انا مسيحي كاثوليكي». وفي وقتهِ رجل مسلم كامل السنّ مدّ يدهُ واخذهُ ورماهُ خارج ذلك الجمهور. وفي الحال طفق ذلك الولد يركض كانهُ طائر فرموا بهِ الرصاص بكثرة ولم يصبهُ شيء البتّة ولم يقدروا يجدوا لهُ اثرًا كلّيًا (٢)

١) تركنا هذه الرسالة بتصاريفها مع ما فيها من العسف بحق النصارى وبحق السلطان عبد المجيد

٢) هذا الولد كان نعمة بن عبد المعطي اخي فرنسيس معابكي الشهيد .

الحادث الثاني والعشرون

في نجاة بقية مسيحيين دمشق

انَّ اخبار المسيحيين الذين نجوا من فتكات مسلمين دمشق لا يمكن ان توصف بكفاية لكونها متنوعة وعديدة لكثرتها فاكتفينا بما سبق. ولكن لكي لا نطيل الشرح في هذا المختصر نقول عن كيفيَّة نجاتهم بوجه العموم

انَّ الله الرحمان الرحيم لم يسمح بالقضاء الا لتأديب الخطأة ولردع العصاة. فبلطفهِ تعالى وجد وقتئذٍ في مدينة الشام رجل شريف النفس عبد القادر بيك المغربي الذي جاء لهذه المدينة بعد ان اخذت دولة فرنسة بلاد جزائر الغرب بحرب يناف عن خمس عشرة سنة. وله في هذه المدينة معاش يُعطى له كل سنة من خزانة الدولة المذكورة. فهذا حين فهم غرض المسلمين وانحراف الوالي اخذ يستعدّ لمحافظة المسيحيين وكان مترقباً لذلك لا ينام الليل خوفاً جاءته على المحافظة. ولمَّا حدثت الفتنة بدأ يطـ[illegible] المدينة في [illegible] النصارى و[illegible] (٥٠٠) كبير من عسكر الغاربة متدربين بالاسلحة

فاولاً اخذ لبيتهِ قنصل فرنسا والقناصل الآخرين. عدا قنصل دولة الانكليز لكون المذكور لم يحتج لمحافظة احد لان الشركان غير متجه نحوه. ثمَّ خلَّص البيك كل الذين وصلوا لبيتهِ من تبعة الافرنج رجال ونساء واولاد. وكذلك اخذ رهبان العازاريين واولاد مدرستهم. ولكن يا حيف بعد نجاتهم من الشام ووصولهم لبيروت قد توفي منهم الرئيس العام البادري فونسيس دالبادري بطرس. واما الرهبان الفرنسيسكانيون فلم يقبلوا المجيء الى دار البيك المذكور لانهم خافوا محافظته. وهكذا خلَّص كل من وجدهُ من المسيحيين

ولمَّا رأى ان بيتهُ غير كافٍ لاتساع النصارى وانَّ عسكرهُ قليل لمحافظتهم لذلك طلب من والي الشام ان يأمر بمكان لمحافظة المسيحيين فامر بان تعطى لهم قشلة العسكر. ولكن عبد القادر بيك لم يقبل بها واعتذر انها غير حصينة وتكون سبباً كافياً لقتل المسيحيين كلهم. ولهذا اخذ منهُ امراً لان تعطى له قلعة المدينة.

وبعدهُ بدأ كل مدَّة كان يتلي بيتهُ من النصارى يرسلهم الى القلعة مخفورين من جماعته المغاربة الذين كانوا يرافقونهم الى هناك جاعليتهم في الوسط وهم حولهم مجرّدون الاسلحة . ثم كان يطلب من والي المدينة حمايتهم وكان يحرض العسكر المحافظين القلعة على محافظة النصارى . وهذا العمل صنعه في مدَّة الاحد عشر يوماً المار ذكرها . وبذلك خلّص جزءاً كبيراً من المسيحيين (١ ٥)

ثم اناس كثيرون من النصارى الذين هربوا الى الميدان نجوا من الموت لان سليم آغا كبير الميدان لم يأذن بضرر النصارى الساكنين هناك . وفي ذلك الوقت تهدَّد جماعة المسلمين اهل الميدان في انهُ اذا احد منهم ابتدأ بالشرّ نحو النصارى حينئذ يحرق الميدان كلهُ حتى الى باب توما . وقد طلب سلاحاً من احمد باشا لاجل محافظة النصارى معتذراً بقدوم العرب الى الميدان . وان يكن لم يدفع لهُ ما كان طلبهُ فمع ذلك قد حفظ مسيحيين الميدان وكل الذين هربوا اليه (١

ثمَّ غير اناس من النصارى خلّصوا بواسطة تخلّات بعض المسلمين المعتدلين الذين اما كانوا يحفظونهم عندهم ضمن بيوتهم واما كانوا يرافقونهم في جماهير النساء ولبس ثيابهن . ومنهم من تخلص ايضاً بلبس زي الاسلام وبلبس ثياب العسكر والعرب . والجميع التجأوا الى القلعة وصار عددهم اثني عشر الف نفس وبقوا هناك نحو ثلاثين يوماً وكانوا في ضيق شديد لان في الابتداء ما كان لهم مأكل ولا مشرب . وكانوا في النهار يحترقون من [illegible] الشمس وكان غبار الارض يملي افواههم وعيونهم . وفي الليل كانوا يرقدون على [illegible] فوق التراب وبدون اغطية . وفي تلك الايام ما كان يعرف الاخ ابن اخوهُ [illegible] ابن بنهُ . والجميع كانوا في خوف عظيم لئلا يأتي المسلمون ويذبحوهم كلهم [illegible] شاع خبر كما ذبحوا النصارى الملتجيين لسرايات الحكومة في (حاصبيا وراشيا ودير القمر هكذا يذبحون هنا في القلعة كل النصارى لانهم لهذا السبب اعطوا رخصة لاجتماعهم هناك

١) حاشية المؤلف : اعلم انَّ الميدان هو جزء كبير من مدينة الشام وموقعهُ خارج ابوابها وفيها كان للنصارى اكثر من الف بيت وعندهم كنيستان

(٥٢) الحادث الثالث والعشرون

في مجيء العساكر السلطانية

حقًّا ان مصيبة مسيحيين دمشق كانت كبيرة ولكن ملافاتها صارت سريعة لانهُ لمَّا وصلت الى الاستانة اخبار جبل لبنان وعلم السلطان عبد المجيد بما انزلوه الدروز بالنصارى من الشقاء والظلم حينئذٍ امر ان العساكر الشاهانية تتوجه الى سوريا ثمَّ فوض امرًا فوق العادة وهو تدبير هذه البلاد لمحمَّد فؤاد باشا وارسلهُ ليهدّي العداة ويغيث المظلومين(١ فقبل ان يصل الباشا المذكور وصل لبيروت اربعة الاف عسكري نظامي مع خالد باشا وكان مجيئهم من كريد بعد ان هذَّبوا اهلها (٢ . ولما وصل العسكر المذكور وكان قصدهُ ان يتوجه على الدروز غيَّر قصده وتوجَّه الى الشام لانهُ وقتئذٍ كان وصل خبر الفتنة لبيروت . ثمَّ بعد ثلثة أيام جاء ايضاً اربعة آلاف اخرون من العسكر النظامي مع حليم باشا وكذلك توجَّهوا الى الشام

ثمَّ بعد كم يوم انعزل احمد باشا والي الشام وجاء عوضه احمد معمر باشا ثم محمَّد فؤاد باشا ناظر الخارجيَّة في ١٧ تموز . وفي ٢٢ الشهر المذكور وصل لبيروت احمد باشا المعزول من الشام وعند مواجهته (٥٣) محمَّد فؤاد باشا وبخهُ المذكور توبيخاً شديدًا لعدم امنيتهِ في حقّ وظيفتهِ ثمَّ اخذ منهُ السيف ونيشان الشرف وارسلهُ مهاناً الى الاستانة . وكذلك صنع مع خرشد باشا والي صيداء وبيروت بعد ان اخذ سيفهُ ونيشانهُ امرهُ ان في ساعة واحدة يخرج من بيروت وهو ونساؤه وكل ما لهُ وهذا الامر سبَّب لهُ اهانة كليَّة وكان سفرهُ من بيروت الى الاستانة في ٢٤ الجاري . وبعد ذلك ترك فؤاد باشا تدبير الجبل وتوجَّه الى الشام وكان وصوله لهناك في ٢٩ تموز

---

١) خُدع المؤلف بهذه الظواهر ولا يشك اليوم احد في انَّ مذابح الشام كانت بتصديق السلطان ذاتهِ . امَّا فؤاد باشا فانهُ بسياستهِ وحيلهِ ردَّ عن الدولة ما استحقتهُ من التأديبات

٢) حاشية للمؤلف خبرونا انَّ في كريد صارت فتنة بين النصارى والمسلمين وقُتل بها اناس كثيرون ولمَّا جاءت العساكر السلطانية لتهذيبهم ضرب المسلمون العسكر وما ارادوا دخولهم للمدينة ولكن كانت عصاوتهم مدى اذ انَّ العسكر غلبهم ودخل المدينة وقبض على اصحاب الفتنة واخذ سلاحهم ثم اخذ منهم رجال النظام

الحادث الرابع والعشرون

في رحيل المسيحيين من الشام

انهُ لمَّا وصل فؤاد باشا الى الشام ودخل القلعة ونظر حال المسيحيين المرثي لها بدأ يبكي بدموع امام الجميع واخذ يعزّيهم بكلام عذب لطيف ويعدهم برد المال كلهِ والابنية الكاملة وحسن الحال. وامر ان يعطى معاش من خزانة الميري لكل واحد عشرون غرش في كل اثني عشر يوم من ابن يوم الى ما فوق انثى وذكر. ولما نظر ان حالة النصارى شقيَّة جدًّا وان بقوا في القلعة يُخشى عليهم من الموت جميعاً من قبل كثرة الازدحام والاوخام وشدَّة الحرّ وان اخرجهم الى المدينة فليس لهم امنيَّة من قبل المسلمين وليس لهم اماكن المسكنى ولذلك اعطاهم اذناً ليسافروا الى بيروت وقدَّم لهم دوابّ مأجورة من خزانة الميري وارسل معهم محافظين في الطريق. وهكذا رحلوا في قافلتين كبيرتين ولم يبقَ منهم سوى (٥٤) القليلين جدًّا قيل نحو ثمانين بيت فقط

فايّ عين لا تسكب الدموع واي قلب لا يصدر حسرات الاسف عند مشاهدة هذا الرحيل المملو من الاكدار ترى كم احتملوا من الاتعاب في تلك الطريق اولئك الشيوخ العاجزين عن الركب والمشي واولئك النساء والبنات اللواتي لم يكنَّ ركبن على دابَّة واولئك المرضى المضنوكين بالاوجاع. ترى كم هو شديد ذلك الجوع والعطش والحرّ الذي احتملوهُ في مسافة تلك الطريق التي قطعوها في خمسة ايام مع انها على الغالب ثلثة ايام

حكي عن امرأة كانت متأخرة عن القافلة وكان معها ثلثة اولاد انها نظرت امرأة ملقاة على الارض بقربها ولدان الواحد كان يرضع ثداها والثاني كان يبكي ويقول: يا أماهُ قومي لنروح فالامرأة المجتازة دنت من الملقاة فرأتها ماتت حينئذٍ بكيت كثيرًا واخذت ذينك الولدين وتبعت القافلة

واذ وصلوا الدمشقيون الى بيروت خرج المسيحيون من كل الطوائف لملاقاتهم واخذوا منهم كثيرين الى بيوتهم والبقيَّة تفرَّقوا الى الكنائس والخانات وكان يعطى

لهم من خزانة الميري دراهم المعاش المذكور وايضاً كان يعطي لهم احسانات كثيرة من اهل البلدة. وقد وصل ايضاً لبيروت احسانات وافرة من دولة فرنسا الفخيمة ومن غير دول. فكانوا يوزعون على اولئك الفقرا. بايدي الآبا اليسوعيين والبتولات المازاريين. وقد احتملوا في بيروت عذابات كثيرة من قبل الحرّ لانهُ في بيروت يصل الحرّ الى ثلثين درجة ومن العطش لقلة الماء (٥٥) هناك. وقد مات هناك كثيرون منهم اطفال وكاملو السنّ وقيل انهُ بلغ عدد المقتولين والمائتين خمسة الاف مع الغرباء. ولكثرة الازدحام في بيروت ذهب منهم عدد وافر الى الجبل اي الى كسروان وصار لهم قبول من اهالي تلك البلاد ومن رؤساء الاديرة

اخبرونا عن بطريرك الارمن الكاثوليكيين انهُ ارسل احسانات لجماعته من ديره وجلب لهم من الغير ايضاً وكان يقبل في ديره كل من جاء اليه. والآباء اليسوعيون جمعوا الاولاد الايتام واقاموا لهم مكاناً في جانب مدرسة غزير وكانوا يقبلونهم ويعلمونهم العلوم كبقيّة الاولاد. ومثل ذلك صنع الآباء المازاريون

الحادث الخامس والعشرون

في اعمال محمّد فؤاد باشا

انهُ بعد رحيل النصارى من الشام اخذ فؤاد باشا يفحص عن اصل الوقيعة واصحاب الفتنة ومن ثمّ قبض على مصطفى بيك حواصلي وعلى ستين واحداً من المسلمين الاشقياء والجميع شنقهم في ليلة واحدة وبقوا معلّقين في شوارع المدينة مدّة يومين. ومسك عشرة رجال من اكابر اعيان بلدة الشام وارسلهم مقيّدين الى بيروت ومن هناك نُفوا الى قبرس

وهذه اسماؤهم: ١ً الشيخ عبدالله الحلبي إمام مشايخ دمشق. هذا نُفي مؤبداً هو وكامل عياله واقربائهِ المخصوصين. ولم يبقَ احد من بيتهِ كلّياً. ٢ً عبدالله بيك ابن نصيف باشا. ٣ً احمد بيك ابن الحسيني. ٤ً محمد بيك ابن العظم. هؤلاء الثلثة نُفوا خمس عشر سنة. ٥ً طاهر افندي (٥٦) المفتي (المفتي؟). ٦ً عمر افندي القاضي. هاذان نُفيا لعشر سنوات. ٧ــ٨ً عبدالله بيك ابن العظم وابنهُ علي بيك. ٩ً احمد افندي النقيب. ١٠ً عبدالحق افندي ابن الفريق. هؤلاء الاربعة نُفوا ثلث سنين. واموال الجميع صارت تحت الترسيم

ثم مسك مقدار الف رجل من المسلمين وارسلهم مقيّدين الى الاستانة منهم

لاجل النظام ومنهم للرومان. ومسك كثيرين غير هؤلاء والقاهم في السجن لتحصيل مال النصارى. وبدأ يجمع مسلوبات المسيحيين. وقيل انهُ امر بأن كل رجل مسلم يدفع عشرين الف غرش لخزانة الميري. واخذ ايضاً من اليهود مبلغاً كبيراً من الدراهم ليصرفه على النصارى عوض الضرر الذي سبّبوهُ لهم. ثمَّ اخذ بيوتاً من المسلمين كثيرة العدد لسكنى النصارى وامرهم بعمار بيوت كل المسيحيين المحروقة وكنائسهم. ووجّه كل اهتمامهِ في تحصيل المسلوبات والنساء والبتولات المخطوفات. وفي هذا الامر بذلوا مثله الاعتناء معمر باشا والي الشام وخالد باشا وحليم باشا. ومن ثمَّ كانت العساكر تطوف المدينة والقرى مفتشين عن مال النصارى وبناتهم ونسائهم المخطوفين. وكانت تُقبل في الديوان شهادة النصارى على المسلمين لاسيما شهادة الاكليروس. وقد جعل محافظين على محلّات النصارى المحروقة لئلّا يؤخذ شيء بعد من المطمورات تحت الردم. وكذلك امر كل النصارى رجالًا ونساء الذين اسلموا خوفاً من الموت ان يرجعوا الى ديانتهم المسيحيَّة ولهذا رجعوا جميعاً ولم يبقَ سوى اثنين اوثلاثة (٥٧)

حكي عن رجل نصراني من الذين اسلموا في ذلك الوقت انهُ ما قبل الرجوع الى ديانة المسيحيين. هذا استدعاهُ فؤاد باشا وسألهُ عن سبب عدم رجوعهِ الى ديانته المسيحية. اجابهُ الرجل المذكور انهُ حبًّا بالديانة المحمَّديَّة لا يريد الرجوع. حينئذٍ امرهُ فؤاد باشا ان يكتب صكًّا بيدهِ انهُ اختياريًّا وبمطلق ارادتهِ صار مسلماً. ولما اكمل المذكور امر المشير قال لهُ: لكونك مسلماً حقيقيًّا فيجب عليك اذًا ان تساوي اخوتك المسلمين وتدفع الى خزانة الميري عشرين الف غرش. ولمَّا اعتذر عن الدفع القاهُ في السجن ليدفع ما فُرض عليهِ. وغير هذه الاعمال صنع فؤاد باشا عدلنا عن ذكرها لاجل الاختصار

الحادث السادس والعشرون

في قتل احمد باشا والي الشام وقوّاد العساكر الخائنين

انهُ بعد وصول احمد باشا والي الشام وخرشد باشا والي بيروت الى الاستانة خرج امر في ان يرجعا الى بيروت والشام ليصير عليهما التحقيق. ولهذا بعد ان وصل احمد باشا الى الشام تحقق عليهِ الخيانة والقصور في منع الفتنة ومن ثمَّ جاء امر من الباب

العالي بقتله وكل من كان لهُ شريكاً . وفي ذلك الوقت تقدَّم شكاوات على عسكر النظام في انهُ قتلوا من النصارى ونهبوا مع المسلمين ولذلك عاد عليهم تحقيق فوجدوهم كثيرين ولكنَّ أمرَ القتل خرج على مائة وخمسين واحداً من الضابطة ولهذا اخذوهم الى الميدان وقتلوهم برمي الرصاص

وفي اليوم الثاني من ايلول (٥٨) قتلوا احمد باشا والي الشام ومعهُ قتلوا ايضاً علي بيك وعثمان بيك وعبد السلم بيك . وفي اليوم التالي رجع فؤاد باشا الى بيروت

وهنا شاع خبر في ان احمد باشا المذكور لم يُقتل بل لم يزل حيًا مختفياً . لكنَّ اناساً من المسيحيين شهدوا انهُ قُتل حقًّا وقالوا انهُ لمَّا دخل للقشلة ورأى العسكر باستعداد فسأل عن سبب ذلك قالوا لهُ : امر السلطان ضدَّك . حينئذٍ فهم مقصودهم وطلب ماء وبعد ان اغتسل وصلى وقف في وسط العسكر وطلب السماح وقال : الله يجازي الذي كان السبب في هذا . ثمَّ ضربوهُ بالرصاص فوقع مائتاً وشالوهُ حالاً ودفنوهُ

ولمَّا وصل الى بيروت الخبر عن قتل احمد باشا حينئذٍ سفير دولة فرنسا عاتب فؤاد باشا في انهُ لماذا لم يبقِ زمناً ما لنرى منهُ غير تحقيقات

الحادث السابع والعشرون

في مجيء العساكر الفرنساوية لبيروت

انهُ من قبل اضطراب جبل لبنان وعلامات الفتن صارت فابورات الافرنج تتكاثر بالمجيء لبيروت . ولمَّا خربت حاصبيا وراشيا والقرى التي حول دير القمر ووصلت اخبارهم الى بلاد اوربا اخذت ملوك تلك البلاد تفتكر فيما يصلح لتدبير بلاد سوريًا وصيانة المسيحيين هناك . واذ كانوا على هذه الحال وصلت حينئذٍ اخبار خراب دير القمر وزحلة والشام وما صدر من المسلمين والدروز نحو النصارى وانهم قاصدون (٥٩) على ملاشاة المسيحيين من بلاد سوريًا . فمن هذا القبيل صار هيجان عظيم في اوربا وبالاكثر في بلاد فرنسا . وتحرَّك الجميع لمساعدة وخلاص مسيحيين سوريا . ولهذا صارت تجيء فابورات من قبل كل الدول وتربط في مينا قبرس وبيروت . ولقد اجتمع في مينا بيروت مقدار عشرين فابور وكان محمولهم مدافع وعساكر كثيرة وكانوا يتهدَّدون اهالي بيروت بالضرب وخراب المدينة ان كانوا يقومون

ضد النصارى. ولكن لما صار الاتفاق بين الدول المتحاربة والدولة العثمانيــة في انهُ دولة فرنسا فقط تُخرج عساكرها الى برّ سوريا وتكون مساعدة لنجاة مسيحيين تلك البلاد وتناظر كيفيَّة العمل المأمول لراحة وامنيَّة البلاد المذكورة. لذلك تعيَّن عسكر خصوصي وجاء من فرنسا الى سوريًا. وقد كان وصولــه لبيروت في ١١ آب. وفي ٢٥ منهُ وصل جنرال بوفور دي قوبوسنام (كذا) (١ مفوَّض من قبل الدولة المذكورة في كلّ ما يلائم لاصلاح سوريا. وبهذا الشهر الذي هو غاية السنة الستين وصل مقدار خمسة عشر الف. وقد جعلوا معهم ذخائر الاكل والشرب بكثرة وافرة. ولمّا لم يقبلوا القشلة المقدَّمة لسكناهم اخذوا غير اماكن واستأجروا بيوتاً من النصارى والمسلمين باجرة معلومة وفتحوا بيارة (آبارًا) جديدة وعمروا افرانًا خصوصيَّة لهم وشبروا (؟) احد ابواب المدينة وفتحوا طريقاً للعرابانات (٦٠) من البحر الى الخارج والآن هم مجدون ليوصلوهُ حتى مدينة الشام وقد دخلوا فيهِ مسافة كبيرة (٢

ثمَّ فحصوا اساكل البحر في سلسلة جبل لبنان وعرفوها اكثر من اهلها. وطلع منهم اناس معتبرون الى الجبل وفحصوا اماكن الفتن وكتبوا القرى المحروقة وتداخلوا في امور الاحكام لاصلاح وتدبير البلاد المذكورة. ولهذا حين جاء امر من السلطان عبد المجيد في عمار كل القرى المحروقــة وان يعطى الآن لاهــل الجبل من جانب مساوباتهم ثلث المــال. اخذوا هم يعتنون بعمار هــذه الاماكن وعيَّنوا منهم اناساً كثيرين من رؤساء وعساكر لمناظرة ونجاح هذا العمار وبالاخصّ دير القمر وزحــلة. وبدأوا يعمرون ليس فقط القرى المحروقة بل غير اماكنَ قديمة موشكة على الخراب كقب الياس وغيرها. واخذوا سراية الامير بشير الشهــابي وقد قدمتها لهم هــديَّة امرأتهُ. وهم الآن مجدُّون في كمال هذا العمار ولذلك يسعون في نقل الاخشاب وغيره مما يلزم ويمسكون من الدروز ليعملوا مع الفعلة. والعسكر قد توزَّع في بيروت والجبل وكثيرون شتَّوا هذه السنة في قبرس

انَّ فضل دولة فرنسة المفخمة ومعروفها مع المسيحيين في بــلاد سوريا لكبير

١) اسمهُ Beaufort d'Hautpoul

٢) يظهر من هــذه التفاصيل وما بعدها ان الكاتب يصف ما يعاينهُ في يومهِ وهو يتابع اخبارهُ الى السنة ١٨٦٢

جداً لكونها هي التي الزمت الغير لقبول خروج عساكرها لبر سوريا وقدمت هيئتها مجاناً لهذا العمل. ونقدر ان نقول ان فضلها هذا ومعروفها لأعظم من شر الدروز ومبلين الشام (٦١) لانهُ لاجل وجودها في هذه البلاد ومساعدتها لعساكر الدولة العثمانية قد حجبت اهراق دم بقية المسيحيين لان خوفها قد دخل في قلوب الجميع. ثمَّ منها وبسببها قد تقدَّم مصروف لاولئك المسيحيين اصحاب المصيبة ينيف عن ثلثين مليون غرش لغاية هذه السنة ونرجو بالله انهُ بواسطة سعيها سيكون نجاح لاهالي هذه البلاد

الحادث الثامن والعشرون

في الاعلانات التي اشتهرت في مدينة بيروت وخروج العساكر الفرنساوية من سوريا

اشتهر اعلان في بيروت بعد مجيء محمد فؤاد باشا الى سوريا وأعلن فيه عن مجيء المذكور واتساع الامر المفوَّض اليه من الدولة العثمانية العلية وانهُ يقدر يحكم فوق العادة نظراً الى ترتيبات نظام الخيرية. وقد اشتهر ايضاً اعلان من الباشا المذكور فيه كان يعلن انَّ الدروز مغضوبون من الدولة العثمانية واموالهم وكل اوزاقهم صارت للميري وارتفع منهم الشرف والولاية وكل سلطة

وايضاً اشتهر اعلان آخر من الباشا المذكور فيه كان يحرض الشوام المسيحيين ليرجعوا الى مدينتهم مظهراً لهم علامات الامنية وارتفاع الخوف. واذ لم يقبل المذكورون بالرجوع الى وطنهم ظهر اعلان من فؤاد باشا فيه كان يعلن انهُ قبل اعتذار الدمشقيين في عدم رجوعهم الى مدينتهم

ثمَّ صدرت اعلانات أخر من محمد فؤاد باشا تعلن عن راحة بلاد سوريا وامنيتها الكائنة والمزمعة ان تكون. ثمَّ ايضاً طُبعت نشرات واشتهرت في مدينة بيروت من واحد محب الوطن (٦٢) فيها كان يقدم نصايح كثيرة لاهل سوريا في ان كلًّا يرجع الى مكانهِ ويعتقد الامنية وينسى الاسيَّة (الاذيَّة). ثمَّ صدرت اعلانات اخرى في صالح احوال دمشق الشام اوَّلاً اشتهر اعلان في كيفيَّة ردّ مساوبات المسيحيين وتوزيع العوض بدل اموالهم. ولمَّا لم يقبلوا هذا الاعلان وكيفيَّة التوزيعات صدر اعلان ثاني

فيه يعلن فؤاد باشا ان الذي لم يقبل ما تخصص له من الدولة العلية على سبيل العطية السنية فليكتب في ورقة بامضائه عدم القبول ويردها الى باب الحكومة. وانتشر اعلان آخر لدن المأمورية المخصوصة فيه يعلن لاصحاب المساوبات الفقراء الذين يبلغ مالهم الى خمسة الاف غرش في انهُ تُعطى لهم دفعة واحدة

واشتهر ايضاً غير اعلان في كيفية نظام مجلس تحقيق المساوبات. وهذا المجلس صار في الشام مؤلفاً من اثنين وعشرين عضواً من اهالي الشام ذوي الفطنة. احد عشر منهم من قبل الحكومة اسلام ونصارى واحد عشر من قبل المسيحيين من كل الطوائف. وقد أقاموا لهم رئيساً خصوصياً مفوضاً من الحكومة التفويض التام. وهؤلاء اجتمعوا فصاروا يفحصون ويحققون على مساوبات ومحروقات كل واحد من المسيحيين بمفرده

وصدرت اعلانات في اسعار الاخشاب التي تباع الى المسيحيين في دمشق لاجل عمار اماكنهم المهدومة بالحريق. وصدر معاً اعلان في تعريف محلات الشام وكيفية بيع الاخشاب (٦٣). وصدرت اعلانات أخر كثيرة في ترتيب وصالح احوال سوريا. واخيراً انتشر اعلان من لدن مأمورية المخصوصة بقطع الاعانة التي كانوا المسيحيون يأخذونها من الحكومة لاجل معاشهم. وهذا الاعلان كان يستثني ارامل الرجال المقتولين في حارات الشام وايتامهم

واما العساكر الفرنساوية فحين صدرت الراحة في بلاد سوريا خرجوا منها بكل سلام وهدوء واكرام وتوديعات احتفالية حيث انَّ مجيئهم الى البلاد المذكورة كان محدوداً الى زمن ما. ولكن قبل ان تخرج العساكر الفرنساوية من بلاد سوريا قد وصل الى مينا بيروت مراكب كبار حربية من فرنسا كان محمولها مدافع وعساكر كثيرة. وقد عسكروا حول بيروت للمحافظة زماناً طويلاً. وكذلك وصل الى المينا المذكورة مراكب حربية من الدول الاخرى الانكليز والمسكوب والعثلي وبقوا رابطين الى ان صار الهدوء التام

الحادث التاسع والعشرون

في تأديب الدروز واعتناء الدولة العثمانية في الاهالي المتصابين المسيحيين

انَّ الدروز بعد مجيء فؤاد باشا من الشام الى بيروت فرُّوا هاربين من جبل لبنان

الى حوران وكان عدد الهاربين مقدار خمسة آلاف. فالباشا المذكور وجّه باثرهم عساكر جهادية فصادفوا البعض منهم عند قرية عيناب فضربوهم. ثم مضوا وحاصروا حوران مدة طويلة واخذوا البعض منهم بسلك اليد وارسلوهم لبيروت. ثم الباشا المذكور بفطنة مسك امراء ومشايخ من الدروز وحبسهم في بيروت في قشلة العساكر. وحُبس فيها بين هؤلاء الامير ارسلان (٦٤) فهذا من شدة غمه وحزنه مات وهو في السجن

ثم بعد هؤلاء مسك فؤاد باشا خرشد باشا والي بيروت في زمن الفتن والقاه في السجن مع البعض من البيكاوات. وبعد ذلك بزمن طويل صدر الحكم على هؤلاء اعني على امراء الدروز وخرشد باشا ان يُنفوا من سوريا منهم نفياً مؤبداً ومنهم موقتاً. وهذا الحكم صدر بموجب تحقيق مجلس كوميسيون اصلاح سوريا المؤلف من اعضاء مختلفة اعني بهم سفراء الدول كلها لان رأي هذا المجلس لم يحكم بالقتل على هؤلاء.

واما الاعتناء والاهتمام الذي بذلته الدولة العثمانية في خير ونجاح رعاياها المتصابين في حادثة دمشق وفي الشام. حلبيا وراشيا وغيرهم من المسيحيين الذين سُلبت اموالهم وقُتلت رجالهم وخربت اماكنهم اعظم جداً. لانه قبل ان تردّ الدولة عوض المسلوبات للمسيحيين المذكورين قد عيّنت مصروفاً يومياً يؤخذ من صندوق الخزينة لكل واحد بمفرده رجالاً ونساء من ابن يوم الى اخره. وهذا الصرف بقي يُعطى لهم الى غاية شهر كانون الثاني شرقي سنة ١٨٦٢ عدا الارامل والايتام لان هؤلاء خصصتهم بصرف خصوصي لاجل احتياجهم. وقد عيّنت ايضاً الدولة بيوتاً لاجل سكنى اولئك المسيحيين المتصابين باجرة معلومة تُدفع من جانب الميري. وكذلك عيّنت اطباء خصوصيين لاجل المرضى من المذكورين بأجرة تؤخذ من الخزينة. وايضاً كُلف الاجزخانات والدقاتير حُسبت على الميري

وحيث في بيروت (٦٥) الماء قليل لذلك عيّنت الدولة العلية العثمانية اناساً ينقلون الماء لاولئك المتصابين المحتاجين الى الماء بدون ان يدفعوا ادنى اجرة بل كان السقاؤون يأخذون ثمن اتعابهم من الميري. وعدا هذا جميعهُ قد وزّعت الدولة فرشاً ولُحفاً وحُصراً وغير اشياء كثيرة لسدّ احتياج المسيحيين المتصابين. وليس هذا فقط بل والذين كانوا يريدون الرجوع الى الشام كانت الحكومة تدفع عنهم اجرة الدواب

في الطريق. وبعد هذا كله قد اعطت الدولة العثمانيّة عوض مسلوبات المسيحيين المنصابين لكل واحد غروشاً بمقدار ما ثبت لهُ من المال في مجلس التحقيق في مدينة الشام كما مرَّ ذكرهُ في الحادث السابق . وقد توالى ما صُرف لاولئك المسيحيين من جانب خزينة الدولة المذكورة فوق المائتين مليون غروشاً نظراً لبدل المسلوبات والمحروقات واعانات المعاش واجور البيوت وغير كلّف . ويؤمل بحسن عنايتها ان تحصل سوريا باحسن حال عن ما قبل

الحادث الثاني

في اختتام هذا المختصر وجلوس يوسف بك كرم حاكماً عوض القائمقام الامير بشير احمد ومجي داود باشا متصرف جبل لبنان

قد ذكرنا في الحادث الثاني عن الامير بشير احمد انهُ كان غير مقبول من اهالي جبل لبنان ومن ثمَّ التزم بالنزول الى بيروت وبقي جبل لبنان بدون حاكم خصوصي. (٦٦) ولكن لاجل تقدُّم يوسف بيك كرم في كسروان قبلت الدولة العثمانيّة ان يكون المذكور حاكماً لان سفير دولة فرنسا الجنرال بوفور كان هذا قصدهُ ورأيهُ . ومن ثمَّ شاع خبر تولّي يوسف كرم ولاجل ذلك اهل كسروان عملوا جمعية في احدى القرى في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٨٦٠ واتّفقوا على هذا ان المشايخ اذا رجعوا الى بيوتهم هم لا يعارضونهم ثمَّ لا يقبلون ابداً الامير بشير احمد عليهم حاكماً . واتفقوا ايضاً اذا يوسف بيك كرم طلب الميري يجاوبوهُ انهم بعد خمسة وثلثين يوم يعطونهُ جواب ذلك . وفي تلك المدّة يدبّرون لهم ما يوافق صالحهم . ثمَّ بعد خمسة ايام من هذه الجمعيّة تسمّى يوسف كرم حاكماً على النصارى فقط عوض القائمقام وأُعطي لهُ نيشان الشرف من الدولة العثمانيّة ودُعي بيكاً . وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني من السنة المذكورة جاء الى كسروان وجعل جلوسه في قرية جونية على شاطئ البحر

فهذا الرجل هو من بلاد جبّة بشرّي من قرية اهدن من والدين مسيحيّين من الطائفة المارونيّة ذو علم وتقي السيرة غير متزوّج ولكن صار قليل السعي في الوظيفة التي أُعطيت لهُ لانهُ لم يقدر ان يعمل ترتيباً عمومياً وراحة سياسيّة لادارة حكومته .

لانهُ ذلّل الامراء والمشايخ بتحاريز(٦٧) مهينة وطلب من الاهالي مال الميري بسرعة وطلع على انطانيوس شاهين بعسكر وضرب بيته ورجاله ضد خاطر الدولة الفرنساوية. لانهُ حين علم الجنرال بوفور هذا العمل حالاً خرج من بيروت واسرع بالطلوع الى قرية رينون وارجع انطانيوس شاهين الى بيتهِ والزم يوسف بيك كرم المصالحة مع المذكور. فمن هذا القبيل وغيره صار نفور القلوب بين يوسف بيك كرم وبين جنرال دولة فرنسا. وقد تعاظم ما بينهم النفور حتى انَّ يوسف بيك المذكور نزع عنهُ حماية فرنسا التي كان قبلاً اخذها كانهُ رعيَّة خصوصيَّة للدولة المذكورة

فلمَّا نظرت الدول المتحابَّة انَّ حال جبل لبنان اذا بقي على هذه الصورة سيخرب بالكلية لذلك رأوا المناسب ان تصير جمعية عمومية ملوكية في القسطنطينيَّة لاصلاح وتدبير سوريَّا. ومن ثمَّ سافر الى المدينة المذكورة من كل دولة سفيرٌ خصوصي لاجل عمل الجمعيَّة المقصودة. وقد تمت نهايتها في هذا ان يكون حاكم خصوصي ومتصرف عامّ على جبل لبنان كلّهِ يحكم على النصارى والدروز بالسويَّة. وان يرتب تدبير حكومته تدبيراً عمومياً كما تمّ برأي وترتيب هذه الجمعية. وان حاكم جبل لبنان واجب ان يكون رجلاً مسيحياً كاثوليكياً ليس لهُ حزب في الجبل المذكور ومن هذه الغاية اختار اعضاء الجمعية (٦٨) المذكورة غرابيد افندي داوديان رجلاً ذا فطنة وحسن التدبير من طائفة الارمن الكاثوليك قسطنطيني الاصل كان سفير الدولة العثمانيَّة في بلاد الانكليز.

فبعد نهاية هذه الجمعية وانتخاب الرجل المذكور قبلت الدولة العثمانيَّة مع بقية الدول رأي ومشورة الجمعيَّة القسطنطينيَّة ودعت كرابيد افندي داود باشا متصرف جبل لبنان وسلَّمتهُ علامتها الشريفة. وفي اثني (اثناء) هذا مات السلطان عبد المجيد وجلس عرضه اخوهُ السلطان عبد العزيز فهذا السلطان العظيم قبل وثبَّت رأي الجمعية القسطنطينيَّة وداود باشا معاً وارسلهُ الى سوريا

فبعد ان وصل الباشا المذكور الى بيروت وارتاح من تعب الطريق قرأ فرمان ولايتهِ في بقعة خارج المدينة تدعى الحرش في ١٨ تموز سنة ١٨٦١ وهناك صار احتفال عظيم وقد حضر هذا الاحتفال صاحب الدولة فؤاد باشا واحمد باشا والي ايالة صيداء وكل اصحاب الرتب في باب الحكومة وجميع اكابر بيروت وبلاد جبل لبنان. وقد وجد

في هذا الاجتماع ثلثة بطاركة اعني الروم والارمن والروم الكاثوليك ومطارين وقسوس كثيرون . ومن بعد قراءة الفرمان وترتيبات اصلاح الجبل غيّر داود باشا حالًا ثيابهُ اعني شلح ثياب الافتخار ورفع عن رأسهِ نيشان الشرف المعطى لهُ (٦٩) من الدولة العثمانيَّة الذي هو نيشان من ذهب كصورة الشمس وفي وسطهِ قطعة من الالماس . وتوجَّه وتنزَّه الى الجبل الى دير القمر مركز ولايته وصار يحكم على الدروز والمسيحيين بوجه العموم ورتَّب الجبل في ستَّة قضاءات تحت كل قضاء مديرون حسب احتياج ذلك القضاء

وفي تلك الايام ظهرت حركات القلق في بلاد جبيل والبترون لانهم كانوا يقولون انهم لا يريدون ان يقبلوا الامير مجيد عليهم حاكمًا بل كانوا يطلبون ان يكون حاكمهم يوسف بيك كرم . ولهذا اقتضى ان يتوجَّه اليهم داود باشا بشخصهِ وبفطنة سامية هدَّى تلك البلاد وقبض على يوسف بيك كرم وارسلهُ الى الاستانة العلية منفيًا الى زمن غير محدود

وفي تلك الايام ايضاً صدر شرف الصدارة الى صاحب الدولة فؤاد باشا ودُعي الصدر الاعظم . ولذلك توجَّه من بيروت الى الاستانة العليَّة الى كرسي الصدارة في اليوم السابع عشر من شهر كانون الاوَّل غربي سنة ١٨٦١ بعد ان صار الهدوّ والسلام في سوريَّا . ونؤمّل ان يكون دائمًا بعناية السلطنة السنيَّة وبمراحم الله الملك الابدي الذي لهُ الحمد والملك الى الابد امين (تمت)

قاسيون والخرافات

كلمة وجيزة لحضرة الاب منري لامنس اليسوعي

ظهر تحت هذا العنوان انتقاد حديث لكاتب نضرب الصفح عن اسمهِ لئلَّا نجد لهُ الطريق لشهرة يطلبها . ودونك تعريف سبب الجدال :

أُنشئت منذ ربع قرن في هولندة مَعلَمة تُدعى دائرة الاسلام (l'Encyclopédie

de l'Islam) وهي تنشر في ثلث لغات الافرنسيَّة والالمانيَّة والانكليزيَّة يحرّر موادّها أعلام المستشرقين في انحاء المعمور. وليس لاحد ان يؤاخذني ان كان مجهولاً فيها اسم المنتقد عليّ فلم يُرَ هناك فصلٌ موقعٌ بامضائه

ولهذه اللجنة الاداريَّة طريقة خاصَّة في تحرير فصولها. فانها تبتدئ بتدوين المظانّ التي ترغب في نشرها ثمَّ تُرسل نسخاً من تلك اللائحة الى العلماء الذين يشاركونها في العمل فتطلب منهم اسماء الموادّ التي يحبُّون الكتابة عنها ثمَّ تتوسَّل اليهم بان يفيدوها عمَّا يكون فاتها من الموادّ الواجب ذكرها. وقد بلغني من اربابها قبل خمس عشرة سنة لائحة مظانّ حرف القاف فألفتُ نظرهم الى ذكر قاسيون الجبل المشرف على دمشق واعلنتُ لهم باني مستعدّ لاستدراك الخلل. فرضوا بكلامي وانما اشترطوا عليّ بان اختصر المادَّة ببعض السطور فخصصت لتعريف هذا الجبل ٢٣ سطراً فذكرتُ اخص مميّزاته الجغرافيَّة من موقع وعلوّ الخ. ثم ذكرتُ ما ورد عنهُ في الحديث وما قالهُ عنهُ اخصّ الكتبة المسلمين محيلاً للقرّاء الراغبين في زيادة معلومات الى تآليف هؤلاء الكتبة

فمن ثمَّ ترى انَّ «قاسيون» لولا «دني عنها لما ورد لها ذكر في تلك الملة. أفما كان يجب على المنتقد الفضولي ان يشكر لي عملي بدلاً من ان ينتصب نفسهُ للملامة والتطفُّل مفيو يدَّعي انهُ كان من الواجب علي ان اصف جيولوجيَّة ذلك الجبل وتاريخهُ القديم والحديث ومعلومات أخرى لا يبحث عنها احد في هذه العالم العموميَّة. ولو عدل المنتقد لراجع مجموع جغرافيي العرب في ثماني مجلَّدات فلا يجد البتَّة ذكرًا لقاسيون. وهذا «الشاميّ» المقدسيّ «الجغرافيّ» الكبير مع كونهِ ابن الوطن ترفَّع عن ذكر قاسيون في كتابهِ معرفة الاقاليم. ومثلهُ البكري في معجم ما استعجم. امَّا ياقوت الذي ذكر هذا الجبل في معجم البلدان (٤: ١٣ــ١٤) فقد خصَّهُ بصفحة وربع لا يستفاد منها إلَّا ما ذكرناهُ لهُ عن آثار الصالحين وذلك ما ينظمهُ منتقدُنا في عداد الخرافات ولا نظنهُ يلومنا لسكوتنا عن القصيدة التي دوَّنها ياقوت ليستر عن فقر مادَّته. ومن ثمَّ ترى انَّ كل كتبة العرب مجمعون على انَّ قاسيون لم تلعب قديماً ايَّ دور كان في مسرح التواريخ كما انَّ فائدتها الجغرافيَّة فارغة باطلة. ومهما طبَّل منتقدنا وزمَّر فليس لهُ ان يقنع احداً بان قاسيون يجاري احد الجبال الشامخة كلبنان والجودي والالب

الخ . ولا بأس لو جهل احد الادباء اسم هذا الجبل الاجرد الذي لم يأوِ اليهِ غير المعزى وكواسر الطير فليس من يستطيع ان يلومهُ عن جهلهِ

فلماذا اذن قام منتقدنا معتزًا ؟ ايهمُّهُ كثيرًا شرف قاسيون لوجودهِ أنّا يسنّاه خسفاً مع كوننا اخرجناه من زاوية النسيان التي كان كبار الجغرافيين تركوهُ فيها ؟ لا لعمري وانما تستّر بحماية هذا الجبل ليرشقنا بسهمِ الطائش فيردّ هكذا على انتقادنا لما ألفهُ عن الشام فيتّا لهُ بكل لطف انَّ تأليفاً كهذا يحتاج الى استعداد طويل وشاقّ والى معلومات متعدّدة لغويّة وأثريّة وغيرها ممّا لم يسبق الى جمعها واحرازها . وقد اقرَّ ولو مرغوماً انّنا « صرفنا حياتنا في درس تاريخ هذه الديار » . ونحن ننتهز هذه الفرصة لنذكّر منتقدنا وكل طالبي العلوم التاريخيّة بما نشرناهُ في السنة الاولى من المشرق تحت عنوان « هيّا على درس تاريخنا » حيث بيّنّا شروط الاستعداد لهذا العلم الخطير . فعلى صاحبنا اذن بالدرس والاجتهاد فهذا افضل من توغّلهِ جبل قاسيون ليتخذهُ كرطيّ قدمٍ لشرفهِ وشهرتهِ .

كتاب تقسيم المواريث

حسب المذهب الحنفي والقانون الفرنساوي بقلم الاستاذ امين بك السعد

تعريبه بقلم ابرهيم بك ابي سمرا خانم حاكم صلح جبيل

ذكرت جرائد الوطن في حينهِ خبر عود حضرة العالم القانوني الاستاذ امين بك السعد من عاصمة الفرنسيس مكللاً بالنجاح وفائزاً من كليتها بلقب دكتور في الحقوق . انَّ العادة المتبعة في كليّات العالم ان من شاء الحصول على هذا اللقب يختار موضوعاً ذات تعلق بعلم الحقوق فيصنّف فيهِ أطروحةً (thése) يبحث فيها بحثاً علميًّا وانتقاديًّا فيزيد القضيّة جلاء ووضوحاً ويعرضها على العلماء فيجتمعون حيث يصارعونه صراعاً علميًّا ويغالبونه تمحيصاً وتدقيقاً واعتراضاً وجدالاً حتى يخرج من هذا العراك

ظافرًا بامنيته ومعصوب الجبين باكليل الفوز والغلبة ويُنادى به دكتورًا . وقد اتخذ حضرة امين بك موضوعاً لدرسه «علم المواريث حسب المذهب الحنفي والقانون الفرنساوي وسمّى كتابه «الارث بدون وصية» (la Dévolution ab intestat) فجاء في مائة وست وعشرين صفحة

قرأتُ هذا التأليف النفيس بلذّة وفائدة فوجدته يحتوي على مقدمة وقسمين فبيّن في المقدمة خطورة الموضوع . لان هذا العلم يُعد كانه منزل من السماء ويُسنَد معظمه الى القرآن والحديث والصحابة والأئمة وغيرهم من العلماء الاعلام المعروفين بالمجتهدين الذي اشتغلوا نحو ثلثمائة سنة في وضعه وان لم يكن الاتفاق بينهم تاماً . ولا يغرب عن فطرة احدٍ ان تقسيم المواريث لا يخلو من معايب ربما كانت غير ظاهرة في زمن نبي الاسلام ومَن جاء بعده من الايمة لكنَّ المسلمين قضوا زمناً طويلًا وهم لا يقدمون على مسّه لئلّا يقوّضوا اركان الشريعة والشريعة مقدسة عندهم . غير ان فريقاً منهم يجتهد في هذه الايام في ان يرى في القرآن قسمين يفترق احدهما عن الاخر : فالقسم الاول له مزية دينية محض وهذا لا يمكن مسّهُ . والقسم الثاني له مزية مدنية وهذا قابل للتبدُّل والتحوير ككل الشرائع البشرية . والمسألة في غاية الدقة تكتنفها صعوبات شتى الّا انه لا يصعب حلُّ عقدها . وها ان حكومة انقرة قد اخذت على عاتقها تحت اشراف النازي مصطفى كمال في تمهيد العقبات سالكاً في جادّة الاصلاح . ويقول امين بك ان هذا التطور قد بدأ منذ سنة ١٨٤٠ وهو الزمن الذي نُشر فيه قانون الجزاء وقد أُلغيت منه عقوبة المجرم بنفس الجُرم اي السنّ بالسنّ والعين بالعين . وقد ابان المؤلف في المقدمة على انه اقتصر فقط على الكلام في علم المواريث حسب المذهب الحنفي وهو المتبع رسمياً في لبنان وسورية وعلى المقابلة بين طريقة هذا المذهب والطريقة المتّبعة في فرنسا

﴿ الشرع والفقه ﴾ ثم اخذ حضرته يتكلم في القسم الاوّل من الكتاب عن تاريخ الشرع الاسلامي وتحديده فافاض في بيان المراسيم التي وضعها محمد او التي وضعها من بعده الايمة الذين اجمع المسلمون على الاعتراف لهم بقوّة التشريع . فقال ما ملخصه : ان الشرع اذًا هو من صنع محمد والايمة وامّا القوانين فهي من وضع السلطان والسلطان لا يُقدم على نشرها للعمل بموجبها الّا بعد اخذ رأي شيخ الاسلام وهو

رئيس علماء الشرع للتحقيق كونها لا تنافي الشريعة. وقد عرّف ابن خلدون الشرع بانه جميع القضايا التشريعية التي وردت في القرآن والسُّنَّة . ان القرآن هو الكتاب الذي يعتبره المسلمون وحياً من الله الى رسولهم. واما السنَّة فهي مجموع التقاليد التي تتعلق ببعض اقوال واعمال محمد. فالشرع اذاً هو الدستور الموحى به من الله. والفقه هو مجموع تفاسير الفقهاء للشريعة. والقانون هو المراسيم التي يضعها السلطان ليتمم ما لم يردْ له ذكر في الشريعة

﴿ينابيع الشريعة الاسلاميَّة﴾ ثم اتى على تعريف الينابيع التي يستقي منها القانون الاسلامي موادَّهُ فاذا هي ثلاثة: القرآن والسنَّة واجماع الايمَّة. وهناك ايضاً ينبوعان لم تجتمع كلمة الايمَّة عليهما وهما القياس والعُرف. ثم توسع في بيان محتويات القرآن المشتملة على ١١٤ سورة واوضح ان قوانين كثيرة لم تحتوها آياتُه فعمد العلماء بعد وفاة نبي الاسلام الى سد الفراغ فلجأوا الى الحديث الذي هو الينبوع الثاني للشريعة الاسلامية

فالسنَّة او التقليد تحتوي على افعال واقوال وجوازات صريحة او مستترة للنبي أصبحت كتتمة للوحي. فالقرآن هو الشريعة الالهية الموحى بها والمكتوبة. واما السنة فهي ايضاً الشريعة الالهية المأخوذة من افعال واقوال محمد في حديثه. ولولا الحديث والتقليد لتعذَّر ايجاد شريعة تامة

﴿الاجماع والاجتهاد﴾ واما اجماع الأمة فهو مبني على الحديث النبوي القائل: «وجماعتي لا تتفق على الضلال». والاجماع لا يعني اتفاق عموم المسلمين على وضع الشرائع وهذا غير ميسور لتفاوُت درجاتهم في العلم بل اتفاق رفقاء النبي وهم الصحابة ثم خلفائهم وخلفاء خلفائهم الذي يُعبَّر عنهم بالفقهاء. والذي يجعل للشرع الاسلامي ميزة على سواه ان حق الاجتهاد لم يكن متساوياً في جميع الفقهاء والمجتهدين. فهؤلاء يقسمون اجمالياً الى ثلاث طبقات: (الاولى) تشمل المجتهدين المعروفين بهذه الصفة وهم اصحاب الرسوم ومؤسسو المذاهب. فهم وحدهم قد خُوِّلوا الاجتهاد المطلق او الاجتهاد في القرآن او السنَّة . وقد انقضى زمن هذا الاجتهاد في اواخر الجيل الثالث للهجرة. وبحسب قول ابن خلدون قد صار مسلَّماً بانه منذ الجيل الرابع قد سُدَّ باب الاجتهاد. لكنْ هذا الرأي لم يسلّم به غير اهل السنن واما اهل الشيعة فانَّ باب

الاجتهاد عندهم لم يزل مفتوحاً على مصراعيه

اما (الطبقة الثانية) فهي تتألف من تلامذة المجتهدين السابقين ألا ان اجتهادهم لا يتناول غير المسائل الثانوية التي تتعلق باحترام المبادي الاساسية للمذهب الذي ينتمون اليه فهم اذاً مجتهدون في المذهب . (والطبقة الثالثة) هي التي تشمل كل المجتهدين الاخرين الموكول اليهم البتّ في المسائل التفصيلية التي لم تُحلّ بعد والتي يجب فصلها حسب الطريقة المتبعة من رئيس مذهبهم وهذا ما يسمونه الاجتهاد في المسائل . وهكذا فانّ الاجتهاد اخذ يتناقص تدريجاً الى انهُ لم يبقَ في اواخر الجيل السادس للهجرة مجتهدون بحصر المعنى . وقد بقي المتقلدون الذين ينحصر علمهم في تفسير القضايا التي اتفق عليها المجتهدون بدون ان يكون لهم فيها رأي خاص بهم

ثم تساءل المؤلف رعاه الله قائلاً : تُرى هل يوجد اجماع حقيقةً اقلّه بين هؤلاء العلماء ؟ فيجيب : كلّا ! لانه ثبت ثبوتاً لا جدال فيه ان المشترعين لم يعقدوا قطّ اجتماعاً للمباحثة في قضيّة ما من القضايا التي وقع خلاف بشأنها لا بل ان اعظمهم شأناً واعلاهم كعباً كالايمّة ابي حنيفة والشافعي ومالك وحنبل كانوا يقطنون بلاداً او انحاء مختلفة بينها أبعادٌ شاسعة . فكل واحد منهم اذاً عمل منفرداً . وكانت لهُ نظريتهُ الخاصة وطريقته المستقلة وأتباع مشايعون له . وقد وقعت مجادلات عنيفة بينهم ولم يتم الاتفاق مرة بينهم على قضيّة الّا بعد مقارعات حامية الوطيس . ولم يكن وجود اربعة مذاهب عدا ما تلاشى منها الّا دليلاً على عدم الاجماع وسيظهر هذا الانقسام في الرأي عند الكلام عن قضية المواريث . وان قيل ان الاجماع قد وقع على المبادئ فان المؤلف يرى الخلاف قد تحكم في قضايا كثيرة فرعية . ومن يطالع كتاب امين بك يجد حين الكلام عن علم المواريث مثلين مدهشين من امثلة هذا الخلاف بين الايمة فالاول يتعلق بذوي الارحام الذين يعدُّهم ابو حنيفة وحنبل بين الورثة بينما ان مالكاً والشافعي ينكران عليهما هذا الحق . والثاني يتعلق باختلاف الداريّين او التابعين فان ابا حنيفة يحرم الارث بني غير المؤمن الذمي والحربي خلافاً للشافعي . اذاً في القضية رأيان متخالفان وقد أتبع كل منهما في الديار الاسلامية واثبتتهُ الاحكام الشرعية . وقصارى القول ان الشريعة لم تتحذر من الاجماع وانما هي على الغالب عنوان رأي واحد او اكثر من المشترعين

﴿القياس﴾ ثم تكلم علّامتنا عن القياس فاجاد في تعريفه فقال: «ان القياس من فعل قاسَ ومعناه قدَّر وقابَلَ. فهو بمعناهُ العام الاستنتاج العقلي وبالحصر هو طريقة تُستخرج بها من القرآن والسنّة والاجماع استنتاجات من شأنها ان تطبَّق عليها حالات جديدة». ثم تساءل عمّا اذا كان القياس مصدرًا من مصادر الشريعة فاجاب: ان بعض المؤلفين قد اثبتوهُ وفي بيروت هم من هذا الرأي سواء كان في مدرسة الحقوق او في المحكمة الشرعية. وقد صرّح به ايضاً سواس باشا في كتابه المعنون: «بحث في نظرية الشرع الاسلامي» واما العالم غولدزيهر فانه ينكره في انتقاده هذا الكتاب. ويجاريه في ذلك المتشرع موران اذ يقول في مقدمة كتابه «في الشرع الاسلامي الجزائري»: ليس القياس في الواقع ينبوع اساس للشرع فما هو الّا طريقة تفسير واستعمال الينابيع واداة لتهيئة موادّ الشريعة بين الفقهاء المجتهدين ويدخل هكذا ايضاً في الاجماع.» ويميل امين بك شخصيًّا الى اتباع هذا الرأي بقوله ان القياس يمكنه ان يستخدم في موادّ عديدة فليس هو خاصًّا بالشرع الاسلامي فضلًا عن ان قوّة الاستنباط لم تكن من مميّزات اي شخص كان ولا اي عصر من العصور. ومن ثم يجب ان يكون امراء عصرنا الحق بان تكون لهم القدرة بطريق القياس ليوجدوا قواعد جديدة للشرع مطابقة لحاجيات التمدن الحاضر

وربما يعترض بعضهم على ان باب الاجتهاد قد سُدَّ منذ زمن بعيد وان المجتهدين وحدهم كان بوسعهم ان يستخدموا القياس. ولكن ألا يعني ذلك بانّ القياس لم يكن سوى طريقة من طرق الاجتهاد وانه لا يمكن ان يؤلف ينبوعاً مستقلًّا من ينابيع الشرع؟ ثم زاد القضية بياناً فقال: ان لابي حنيفة الفضل في استعمال القياس وفي ادخاله هذه الطريقة العلمية في صوغ الشرع الاسلامي وتوسيع نطاقه وقد تبعهُ تلاميذه في هذه الطريق. ولكن القياس لم يكن بوسعه وحده ان يسدّ نواقص هذا الشرع وانه كان يعوزه غالباً اساس يُبنى عليه. فلجأ هذا الامام وتلاميذه الى الرأي يعني الرأي الاصيل الذي يصون عن الخلل كما يفعل القضاة في ايامنا حيث لا يجدون في الشريعة نصًّا يمكن تطبيق القضايا المعروفة لديهم عليه. والرأي قد لعب دورًا كبيرًا حتى انهُ رغماً عن كون كلمة قياس لا ترادف كلمة رأي فانّ ابن خلدون يقول ان علماء العراق كانوا يوصفون باهل الرأي. وما يقال عن القياس يقال ايضاً عن العُرف او العادة

فقد استعين بها كثيراً في بناء الشريعة. وقد لبّى الامام مالك الى عُرف المدينة واستقى ابو حنيفة من مناهل العرف عند السوريين والرومانيين والفرس

ومن حين أقفل زمن الاجتهاد تحكّمت العادة في قضايا كثيرة حسب ظروف الزمان والمكان كما ورد في المادة ٣٦ والمادة ٣٧ من المجلة

﴿المذاهب الاسلاميّة الاربعة﴾ ثم اخذ المؤلف يتكلم عن المذاهب الاربعة التي اجمع المسلمون بعد مناقشات طويلة على اعتمادها والاعتراف بصحتها وهي:

(اولاً) المذهب الحنفي الذي أسّسه ابو حنيفة النعمان بن ثابت من الكوفة الذي ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٣٠ للهجرة وقد لُقّب بالإمام الاعظم لانه فاق من تقدّمهُ. وكان يجلس في احد الجوامع ويلقي تعاليمه شفاهاً فيلتقطها تلاميذه الذين اشتهر بينهم اثنان وكان لهما الفضل الاكبر في نشر المذهب الحنفي وهما الامامان ابو يوسف ومحمّد

(ثانياً) المذهب المالكي وقد اسسهُ ابو عبدالله مالك (٩٧ــ١٧٩م) واجلهُ من المدينة وقد تغلّبت عادة اهل المدينة على مذهبهِ الذي اتبعه اهالي الحجاز وساحل افريقية الشمالية

(ثالثاً) المذهب الشافعي وقد أسّسه ابو عبدالله ادريس الشافعي (١٣٠ــ٢٠٤هـ) وقد عُني كثيراً في درس الحديث وصنّف فيه كتاباً دعاه المسند توخّى فيه مناهضة ما رآه من تعاليم المذاهب الاخرى من التوسّع في الحرية لاسيما في التعاليم الحنفية فقاوم القياس والرأي وجميع ما رأى فيه خارجاً عن النصوص القرآنية

﴿المذهب الشيعي﴾ وقبل ان ينهي حضرة المؤلف بحثه هذا في المذاهب الاربعة اتى على تعريف المذهب الشيعي والمذهب الوهّابي فقال: ان الشيعة اوجدتها السياسة ومنشأها التزاحم الذي قام على الخلافة بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية التي ملكت دمشق من السنة ٦١ الى ١٣٢ فكان لكل منهما اعوان فدعي مناصرو علي شيعيين. وبموجب تعليمهم لا يمكن الخلافة ان تكون الّا لعلي واسلاله لان محمّداً لم يُرزق اولاداً ذكوراً فحقّ اصهره علي زوج وحيدته فاطمة ومن بعده لاولادهما تولّي الخلافة. ولهذا فانهم لا يعترفون بخلافة ابي بكر وعمر وعثمان. ولا يختلف الشيعيون عن السنّيين الّا بهذه المسألة ولا يعترفون بان الاجماع هو اساس الشريعة ويعتبرون ان باب الاجتهاد لم يزل مفتوحاً على مصراعيه. وللشيعيين

مذهب خاص بهم وهو المذهب الجعفري. وقد سألوا فنالوا مؤخراً من دار الانتداب ان يكون لهم قاض يرجعون اليه في قضاياهم المذهبية

﴿ الوهابيون ﴾ أما الوهابيون فانهم يرقون الى النصف الثاني من الجيل الثامن عشر ومؤسس مذهبهم يُدعى عبد الوهاب المولود في بلاد نجد سنة ١٧٢٠. فعلى اثر سياحة قام بها في اهم مدن الشرق عاد يقول بان الاسلام قد تفشت فيه مغايرات ومعايب فجدَّ في محاربتها وازالتها رجوعاً الى نقاوة الدين الاصلية. ويقوم المذهب الوهابي بجهة الاصلاح الديني بإعادة تقاليده القديمة اليه وتنقيته من التقاليد الفاسدة فليس هو سوى فرع من المذهب الحنبلي. وهو يقاوم التكريم الذي يؤدى للنبي وللاولياء. ويحسب ذلك فرعاً من الوثنية لان الناس هم متساوون امام الله فلا يمكن الواحد ان يكون شفيعاً لديه عن الآخرين. وقصارى القول ان الوهابية في الاسلام كالبروتستانية في المسيحية. وقد استولى الوهابيون على الاراضي الاسلامية المقدسة سنة ١٩٢٤ــ١٩٢٥ وكانوا قد فتحوها قبلاً سنة ١٨٠٣ تحت قيادة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود معاصر ومحامي عبد الوهاب. الا ان محمد علي باشا عزيز مصر استعاد منهم المدينة سنة ١٨١٢ واتم والده ابراهيم باشا قائد الجيش سنة ١٨١٨ باستيلائه على عاصمتهم داريا ومنحت الدولة العثمانية هذا الفاتح لقب امير مكة مكافأة له على المساعدة العظيمة التي اداها لها. ان المذهب الوهابي حديث العهد كما تبيَّن مما تقدَّم. فهل يؤثر قيام دولة ابن سعود على انقاض الدولة الحسينية الحجازية في نشره وتعليمه في سائر البلاد الاسلامية حتى يتغلب على المذاهب الاخرى؟ اقول: بلا. والناس كما ورد في الحديث على دين ملوكهم. ومَن يعش يرَ

ثم تطرَّق حضرة الاستاذ الفاضل الى التعديلات والتبديلات التي أدخلت مع تمادي الايام على الشريعة والانظمة الاسلامية لاسيما في عهد الدولة العثمانية والتي منحت جميع رعاياها حقوقاً متساوية وخوَّلت بفرمان سنة ١٢٨٥ المسيحيين الحقوق التي كانت للمسلمين واخصتهم في ٢٠ رجب سنة ١٣٢٧ لقانون الخدمة العسكرية

﴿القسم الثاني﴾ بعد ان فرغ المؤلف من الكلام في هذا الموضوع واجاد اخذ في قسمه الثاني يتكلَّم عن الفرائض بحسب المذهب الحنفي والقانون الافرنسي فوفاهما حقهما بياناً وتعريفاً وتمحيصاً وانتقاداً. وتمنَّينا لو ان هذا الكتاب يترجم الى اللغة العربية

ليستفيد منهُ ابناء هذه اللغة الذين يجهلون الافرنسية . وقد اعتبرتُ الجرأة التي رأيتها في كلام امين بك في انتقاد طريقة تقسيم المواريث المتبع في بلادنا بدون ان يخلّ بالاحترام الواجب للاساس المبني عليه . وهو يشعر بصعوبة موقف الذين يحاولون ان يحوّروهُ ليكون اكثر انطباقاً على مصلحة الناس في عصرنا الحاضر . فالمؤلف يتمنى ان يخرج لبنان من قيود الشريعة كما خرجت انقرة فيضع لنفسه شريعة خاصة لتقسيم المواريث يكون اساسها الارادة الوطنية . وهو يستحسن ان تُلغى المحاكم المذهبية وتوحّد القوانين والنظامات فيكون ذلك اكبر مساعد على امتزاج العناصر وتآخيها . انما هذه الامنية لا اخال تحقيقها سهلاً وليس ما يكفل لنا حسن نتائجها ونحن مع اعترافنا بفضل الشرائع المدنيّة التي تسنّها اوربّة الآونة بعد الاخرى والتي شاءت انقرة الدولة اللادينيّة الحديثة في تركيا الجري في مضمارها نجد كثيرًا من هذه الشرائع تعمل على تفريق كلمة ابناء الوطن الواحد وتخريق وحدتهم بدلاً من تآليفهم . اذًا ان الشريعة الفضلى التي ترضى بها جميع العناصر في هذه البلاد هي التي لا تنافي جوهر ايّ دين من الاديان المعروفة وهي التي نرجو اتباعها . ولنا بحكمة وتروي وحسن بصيرة النجباء من ابناء الوطن اللبناني امثال حضرة امين بك السعد ان تكون هذه الخطة راشدهم فلا يسلكون طريقاً وعر المسالك . وليعلموا دائمًا ان عقلية لبنان وسوريّة هي غير عقليّة اوربّة . واني اختم مقالي بالثناء على علامتنا الجديد لوضعه هذا الدرس النفيس المفيد الذي نعده باكورة اعماله العلمية ومقدمة ان شاء الله لمؤلفات اخرى يتحف بها البلاد . وفقه الله الى ذلك

مطبوعات قديمة جديدة

Bibliothek arab. Historiker u. Geographen herausg. von Hans v. Mzik. 1° Das Kitāb al-Wuzarā wa-l-Kuttāb d. Abū 'Abdallāh. M. al-Ǧahšiārī = 2° Das Kitāb Ṣūrat al-Arḍ d. Abū Ǧa'far M. al-Huwārizmī. *Leipzig, Otto Harrassowitz, Leipzig*, 1926, *in-4. pp. XVII-408 et XXXI-162,5 Planches*

تاريخ الوزراء والكتّاب للجهشياري وكتاب صورة الارض للخوارزمي

باشر متولي نظارة مكتبة فينّا العلامة هانس فون مزيك نشر مجموعة فريدة من

تآليف قديمة من انفس تآليف العرب يطبعها في مدينة فينّا بمطبعة ادولف هولزهوزن. وها هوذا قد انجز منها كتابين جليلين: (الاول) كتاب الوزراء والكتّاب لابي عبدالله محمّد بن عبدوس الجهشياري عن نسخة وحيدة لا يُعرف غيرها محفوظة في دار الكتب الوطنية في عاصمة النمسة. تاريخها سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) وهي من اقدم الآثار التاريخية تتناول اخبار الوزراء والكتّاب مباشرةً بملوك فارس بفصل وجيز ثمّ باخبارهم من اول عهد الاسلام الى زمن خلافة المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م). امّا الجهشياري فلا نعرف الّا القليل من اخباره وكتابهُ هذا يدلُّ على علم واسع وادب وافٍ ضمّنهُ كثيراً من مآثر الوزراء والكتّاب التي تُرى متفرّقة في غيره. ولهُ تأليف آخر في سيرة الخليفة المقتدر. وكانت وفاتهُ سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) ونسخة كتابهِ مخطوطة بالخطّ النسخي الجليّ. فنشرها الاستاذ مزيك مصوَّرةً طبقاً للاصل على ورق صفيق وسلحتها قريباً بفهرس اعلامها ويضيف اليها معلومات أخر. امّا (الكتاب الثاني) فهو سفرٌ بديع من تآليف ابي جعفر محمّد الخوارزمي الشهير دعاهُ كتاب صورة الارض من المدن والجبال والبحار والجزائر والانهار استخرجهُ من كتاب الجغرافية الذي ألّفهُ بطلميوس القلوذي. نشرهُ بالحرف اللاتيني الاستاذ المذكور عن النسخة الفريدة منهُ المصونة في مكتبة ستراسبورغ والمستشرقون يوصفونها غير مرّةٍ في منشوراتهم ويبيّنوا ما لها من عظم الشأن. وكفى باسم الخوارزمي ويذكر بطلميوس بياناً لمقامها لاسيما انّ البلدان والامكنة معرّفة باطوالها واعراضها المقيسة في ذلك العهد. وفي آخر الكتاب ستّ صور شمسيّة منقولة عن النسخة الاصليّة. فلا غرو ان سيستقبلهُ العلماء بمزيد الشكر لناشره الفاضل ل. ش

Cte M. Larcher: La guerre turque dans la guerre mondiale. 1 *vol.* 8°, 681 *pp.*, 65 *croquis*, 40 *tableaux*, *Paris*, *Et. Chiron*, 1926, *Prix* 48 *f*

الحرب التركية في الحرب الكونية

انّ الدول الاتحاديّة عموماً والفرنساويين خصوصاً لانشغال افكارهم في امور بلادهم في زمن الحرب الكونية كانوا ساهين نوعاً عمّا يجري في تركية من الادوار السياسية الهائلة. فخصّ الكومندان آرشه دروسهُ بتفاصيل تلك الاحوال وتتبّعها في فصولها المختلفة منذ الزمن السابق للحرب الى اواخرها وبيّن ما كانت تنويه المانية من

بسط سلطتها على الشرق الادنى وانشاء النفوذ الفرنسوي هناك . فجاء بتفاصيل مدهشة تكشف القناع عن مطامع الالمان في تلك الآونة . ثمَّ الحق دروسة بذكر الحوادث التي جرت بعد الحرب في الاستانة واثبت تنافُل فرنسة عن مراقبتها وتنفيذ مصالحها فيها بازاء خصومها . والكتاب يروي كل ذلك بعبارة سهلة وادأة قاطعة ونظر صائب من شأنهِ ان يزيل كل شبهة عمَّا اراد بيانهُ ل . ش .

Campagne des Dardanelles: État-Major général turc, service historique, traduit du turc par le Cte M. Larcher. 8°, 94 pp., 9 croquis, Paris, 1924. Et. Chiron, Prix 5 f.

حرب الدردنيل

هذا كتاب ثانٍ للكومندان لرشه نقلهُ عن التركية سنة ١٩٢٤ . اما الاصل التركي فنشرتهُ عمدة الحرب في تركية سنة ١٩٢٢ فاجتهدت ان تروي وقائع الدردنيل التي جرت في ايام الحرب بكل ضبط وتدقيق بياناً للحقيقة . وزينت نشرتها بخرائط وتصاوير شتى . فرأى الكومندان لرشه ما في نقل هذا الكتاب من الفوائد ليقف اهل وطنهِ على مضامينها ولم يتصرَّف بشيء منها وانما اضاف الى تواريخها ما يوافقها من التاريخ الغربي وكذلك ساعاتها النهارية والليلية وقد صوَّر أعلامها على لفظها الاصلي الشائع ج . ل

Klinghardt (Karl): Türkeu Jorde, Der Türken Heimatland. 8°, 177 pp., 1 carte, 1925, Hambourg, Friederichsen et Cie, Prix M.6, 50

الوطن التركي

كان مؤلف هذا الكتاب مهندساً في تركية قبل الحرب العالميَّة وفي مدَّتها عرف تلك الدولة معرفةً تامَّة ولذلك كان افرد لها اولاً كتاباً واسعاً وصف فيهِ سياستها ومرافقها وامورها الاقتصادية فاجاد . وها هوذا يشفعهُ بكتاب ثانٍ مداره على جغرافية تركية فيستقري ما لها من الايالات والمدن وعدد السكان ويصف هيئة بلادها ومحاصيلها من ثمار واسماك ثمَّ انحاء «كزل ارماك» وما يحدق بها من كثبان الرمل ومناجم الملح ثم يصف آطنة ومزارعها القطنية ويتتبع شواطئ البحر المتوسط والاناضول ثم بحر مرمرا وجزائر سفيد وما يُستخرَج منها من الاخشاب والفحم ثم ينتهي الى ادرنه والبوسفور والدردنيل وهو في كل اوصافهِ كثير التدقيق واسع

المعلومات بكلام وجيز . وفي ذلك دليل باهر على انهُ يصف عن علم ومعرفة عيانيَّة ج . ل

AUTOUR DE LA MÉDITERRANÉE, par le Chanoine P. Halflants, 1 *vol.*, 224 *pp.*, 88 *gravures*, *Bruxelles*, *Desclée*, *Prix* 27f

سياحة حول البحر المتوسط

الكاهن الفانوني هفلنتس احد كتبة بلجكا الممتازين بوفرة تآليفه وجودة انشائه . فنشر مؤخرًا سياحتهُ الى بلادنا الشرقية فزار اوَّلًا الاراضي المقدسة وجهات فلسطين ثمَّ تابع سيره الى بلاد الشام وتركية ومصر واليونان فنشر اخبار رحلتهِ في كتاب جميل أتقن طبعهُ في مطبعة دسكلاي الشهيرة في بروكسل وزينهُ بابدع التصاوير في عدد ١٨٨ صورة . فجاء من افضل ما كُتب عن هذه البلاد بقلم السيَّاح الذين يقدمون كل سنة الى الشرق ليروا امتهُ غاياتهم ل ش

I Rudolphi (Hans): DIE POLARWELT. avec 14 Cartes dans le texte et 35 photogr. = II Graim (Georg): ITALIEN. 28 Cartes dans le texte et 32 photogr. 2 *vols.* [illegible] *Bucherei*. *Verlag F. Hirt*, *Breslau*, 12 [illegible]

عالم القطب — ايطاليه

هذان جزءان جديدان من المجموعة التي باشر بنشرها محل ايدرمان وهو يطبعها في برسلاو . وقد نوى ان يختمها الى وصف كافة انحاء المعمور . وقد خصَّ احد هذين الجزئين بوصف جهات القطب بقلم هَنْس رودلف مع ١٧ خارطة و٣٣ صورة فوتغرافية لتلك الجهات المكتشفة حديثًا . والكتاب الاخر خصهُ بوصف ايطالية لمؤلفهِ جورج غرَيم في مجلدين وعدد عديد من الخرائط والصور . فاذا بلغت هذه المجموعة نهايتها كانت افضل جغرافية حديثة لسائر المعمور ج . ل

G. R. Driver: A Grammar of the Colloquial arabic of Syria and Palestine, 8°, 1924, *Prix S.* 12, 6, *London*, *Probsthain and C°*

اصول اللغة العامية في سورية وفلسطين

ليس بالامر السهل وضعُ كتابٍ اصول في اللغة العاميَّة . الدارجة . فهذا ما حاولهُ الاستاذ دريفر وهو قد خصَّ نظارهُ بموجب عنوان كتابهِ باللغة الدارجة في سورية وفلسطين . وقد اعتبر انهما كلغة واحدة والله اعلم بما بينهما من اختلاف اللهجات .

لا بل لا تكاد تجد فصلاً منهُ خالياً من اللهجة المصرية وغيرها فأصبح كتابهُ خاطاً لا يُمكن الاستناد اليه لتعليم اللغة الاميّة . ومن نقائصهِ انهُ بالغ في وصف دقائق اللغة الاميّة . بحيث يضيع فيها طالبها لاسيما انهُ لم يُلحق كلَّ باب بتمرينات كان من شأنها ان تسهّل إدراك قواعده . وخلاصة القول لا نظنّ ان هذا الكتاب يصيبُ حظوة كبيرة عند العموم كالتآليف التي سبق اليها غيرهُ من جنسه الاب ر . شخله

Catalogue raisonné des Mss de la Bibl. Or. de l'Université St Joseph, par le P. Louis Cheikho, 5e fasc., Patristique, Conciles, Ecrivains Ecclésiastiques anciens, Hagiologie, *Beyrouth* 1926, pp. 191-304

وصف مخطوطات المكتبة الشرقية (الجزء الخامس)

سبق لنا في اربعة اقسام نُشرت قبلاً وصفُ عدّة مئات من مخطوطات مكتبتنا الشرقية في التاريخ والجغرافية والرياضيّات والطبيعيات والفلسفة والطبّ والاسفار المقدّسة . وهذا القسم الخامس يحتوي وصفاً واسعاً على الطريقة الشائعة في المكاتب الدولية لنحو مئتي مخطوط جديد . ومما يتناول خصوصاً العلوم النصرانية واوّلها اعمال قدماء الآباء الشرقيين والغربيين . ثم المجامع القديمة العمومية والخصوصيّة . ثم أعمال قدماء الكتبة الكنسيين من سريان وكلدان وروم واقباط ممن ازهروا قبل القرن الخامس عشر . ثمّ تراجم الشهداء والقديسين الشرقيين والغربيين ل . ش

QUELLENSAMMLUNG ZUR RELIGIONSGESCHICHTE, 2 Helft. DIE RELIGIONEN DES OSTENS. *Breslau, C. Duelfer*, 1926, 31, *pp.*, *in*-12

المجموعة الاصولية لتاريخ الاديان — الاديان الشرقية

هي كرّاسة وُضعت للمدارس البروتستانيّة تحتوي على بعض النصوص المنقولة من اسفار الديانات الشرقيّة الآتية اعني الهنديّة والفارسيّة والبوذيّة والبابليّة والاسلاميّة س . ر

Pierre de Clorivière, Contemporain et juge de la Révolution. Introduction de RENÉ BAZIN de l'Académie Française. 1 *vol.*, *in*-12. *Paris*, 1926, *de Gigord*

بطرس دي كلوريفيار معاصر الثورة الفرنساوية ومنتقدها

بطرس دي كلوريفيار احد مشاهير الرهبانيّة اليسوعيّة في فرنسة كان ترهّب

قبل الناء الرعبة وحضر كلّ ادوار الثورة الفرنساويّة ثمّ عاد الى رهبانيّته لمّا احياها البابا بيوس السابع فكان احد اركان نهضتها . وقد عاش هذا الاب في ايّام الثورة الفرنسويّة ملازماً العزلة يخدم القريب بما امكنهُ من الغيرة والنشاط . وقد كتب في تلك الثورة فصولاً شائقة بيّن فيها منشأها وخفاياها وغايتها ان تُبيد كلّ سلطة دينيّة ومدنيّة . وهذه الكتابات من افضل ما كُتب في هذا الشأن . على انّها كانت لم تزل مخطوطةً فتولّى نشرها الطبّاع دي جيغور وقدّم عليها الكاتب النابغة رينه بازن مقدّمةً طويلة في ٧٢ صفحة وصف فيها ترجمة محرّرها وصحّة نظره في كلّ ما يختص بالثورة الفرنسويّة التي لا تزال مساوئها بادية الى يومنا في عواقبها ج . ل

E. Sainte-Marie Perrin : PAULINE JARICOT, fondatrice de la Société pour la Propagation de la Foi (1799-1862). 1 *vol. in*-12, *Paris* 1920, *de Gigord*

بولين جاريكو منشئة شركة انتشار الايمان

انّ الله كثيراً ما يختار لاعماله الخطيرة اشخاصاً ضعفاء لتظهر بهم قوّتهُ الالهيّة . وهذا ما يلوح جليًّا في ترجمة تلك الفتاة الفرنساويّة العجيبة المكرّمة بولين جاريكو التي انشأت مع قلّة ذات يدها شركةً هي اليوم اعظم سند للمرسلين الكاثوليكيين في كلّ جهات المعمور . وقد مرّت ترجمة هذه الآنسة الشهيرة في بعض مجلات الشرق (١٥[١٩١٢] : ٦٧٣ــ٦٨٨) . فمن راجعها لا يتمالك عن الاندهاش ممّا مارستهُ تلك الفتاة من سمو الفضائل وما أضرم به قلبها من الغيرة لخلاص النفوس حتى انها تفانت في مساعدة غير المؤمنين وكابدت لذلك آلاماً مبرّحة فلم تخمد همّتها الى ان فازت بمرغوبها . والامل في اعلان قداستها قريباً . والكتاب الحاضر لكاتبة فاضلة احبّت ان تخلّد ذكرهُ احدى بنات جنسها ووطنها بتأليف ترجمتها المطوّلة

Antony Babel: LA BESSARABIE, étude historique, ethnographique et économique, 1 *vol. in*-8°, 6 *Cartes hors texte, librairie F. Alcan, Prix* 30 *f*

مقاطعة بسّارابية

بسّارابية بلاد منسوبة الى رجل يعرف باسم بسّارابْ (Bessarab) اشتقّت منهُ سلالةٌ كان ظهورها في اواخر القرن الثالث عشر وأطلق اسمها على بلاد كان موقعها اوّلاً جنوبي مولداڤيا لمّا استولى عليها الامير السلطان الكبير في القرن الخامس عشر . وقد صارت في السنة ١٨١٢ احدى مقاطعات روسيّة اذ بسطت عليها سلطتها

وخصّتها بهذا الاسم . وكانت تطلقهُ على كلّ البلاد الواقعة بين نهري دنيستار (Dniester) وبروث (Prouth) . فهذه الاختلافات تجعل شيئاً من التشويش في تعريف تلك القاطعة وحدودها . فمؤلف هذا الكتاب سعى بازالة كلّ التباس بما نشر في الكتاب من الخوارط . ثمّ سعى بوصف تاريخ بسارابية راقياً الى العهد الروماني . فوجدنا كتابهُ دالّاً على علم واسع عميق يشهد لكاتبه بكل صفات المؤرخين ج . ل

E. Schneider: Promenades d'Italie. 1 *vol. in*-16, *Paris, B. Grasset, Prix* 12 *fr*

سياحة في انحاء ايطالية

قد تحاشى مؤلف هذا الكتاب كل غاية سياسيّة واجتماعيّة . وانّما خصّ نظرهُ بما تحتويه ايطالية من المشاهد الفتّانة ووصف مشاهير البلاد وآثارها الجليلة . فهو يحيي بقلمه السيّال كلّ ما يمسّهُ من المواضيع فكأنهُ باوصافهِ مصوّر فنّي اكثر منهُ كاتب بليغ

Asad J Rustum: The Struggle Mohomed Ali Pasha with Sultan Mahmud II, *Beyrouth, American University*, 1926, *pp.* 32

النزاع بين محمد علي باشا عزيز مصر والسلطان محمود الثاني

هي نبذة مستحسنة لصديقنا الاستاذ اسد رستم بحث فيها عن اسباب الخلاف الواقع بين مصر والاستانة في أيام العزيز محمّد علي فكان سبباً لحملة المصريين على برّ الشام وحكم ابراهيم باشا على سوريّة . فهناك بعض امور غامضة سعى جناب الكاتب بكشف معمّاها استناداً الى ما لقيهُ من الآثار الجديدة التي نشر بعضها في نبذة سبق لنا وصفها (ص ١٣١) عن تحصينات عكّا . وقد قدّمها معاً للمؤتمر الاثري في بيروت وفلسطين ل . ش

مَسيحُنا مَلِكُنا — المسيح الملك — Le Christ Roi

في طقوس الكنيسة السريانيّة المارونيّة

تأليف الخوري بطرس غالب (المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٦)

نعمَ الاسم «المسيح الملك» فانّهُ بكل معناه يصدق على ذاك الذي دعاهُ القديس بولس (١ تيم ٦ : ١٥) : «وحدهُ ملك الملوك ورب الارباب الذي لهُ وحدهُ الخلود» وسبقهُ الانبياء الى ذلك فكانهم ينعتون المسيح بالملك . ولا عجب ان تردّد صداهُ طقوسنا الشرقيّة فتعظّم ابن الله بصفتهِ ملكاً . وكتاب حضرة الخوري بطرس غالب شاهد صريح على ما تتضمّنهُ من ذلك طقوس الكنيسة السريانيّة المارونيّة فافاد بجمع نصوصها وأجاد . ومن هذا يلوح كم اصاب الحبر الاعظم بانشاء عيد خصوصيّ

للمسيح الملك فلبّى دعوتهُ العالم الكاثوليكي شرقاً وغرباً . فعسى هـذا الملك ينشر سلطانهُ على كل قلوب البشر فيبسط عليها نيرهُ اللين وحملهُ الخفيف

كتاب سبيل السعادة

اقتطفهُ عن الافرنسية من تأليف الاب برتيه

للقس الياس البكيناوي رئيس دير الناعمة اللبناني (مطبعة الاجتهاد ١٩٢٦ ص ٣٨٣)

انَّ تآليف الاب برتيه الدينية كلها موسومة بسمتَيْ التقى والعلم . وقد سبق لنا في المشرق (عدد آب ص ٣٢٩) ذكر كتاب آخر لهذا الكاتب البارع دعاهُ كتاب الجميع . وسبيل السعادة مثلهُ فائدةً جعلهُ مؤلفهُ على قسمين كبيرين مضمون الاوَّل البواعث على محبة الله والثاني الوسائط التي تؤدي بنا الى الحصول على محبتهِ تعالى وممارستها . وينقسم القسمان الى ابواب وفصول ومسائل متعدّدة ترشد النفوس الصالحة الى اعلى درجات القداسة باتحادها مع الله ينبوع كل قداسة وكمال . فنشكر حضرة الاب المعرّب لهذا الكتاب النفيس ونتمنى لهُ اعظم رواج . وياليتهُ كان قدّم عليهِ ترجمة المؤلف الذي يُعدُّ بين مشاهير الكتبة ل . ش

ترجمان الافكار او رسائل الاشواق

تأليف يوسف عنيز صاحب مكتبة المدارس في بيروت

طُبع في مطابع قوزما بيروت ودمشق سنة ١٩٢٦ ص ١٤٤

لم يُكتب هذا الترجمان لاحداث المدارس وانَّما وُضع للشبيبة الذين تاهزوا عيد الزواج فيرغبون في الحرص على آدابهِ وفي الحياد عن كلّ معايبهِ فيلزمون الطريقة المثلى . فجمع المؤلف عدداً عديداً من هذه المكاتبات التي تدور بين الشبان والاوانس تنطق بالوداد وتتحاشى كلّ بذاءة . ومع هذا نرى في هذه الكتابات الغراميَّة خطراً على بعض الشبان اذ تشغل فكرهم وتهيج قلبهم بالحب الباطل . ويا حبذا لو تجري هذه المراسلات علانيةً ليس خفيةً يطلع عليها الوالدون فتبقى في حدود اللياقة والحشمة

المنتخبات : ١ المنتخبات الطقسية

للقس يوسف گوگي الكلداني

طُبع في البصرة في مطبعة المعمل الكاثوليكي سنة ١٩٢٦

لاتزال طقوسنا الشرقية محتاجة الى دروس عميقة لتعريف اصلها ومؤلفيها ومعانيها

ثم معارضة بعضها على بعض بياناً لوحدة تعاليم الكنيسة في اجيالها الاولى ولما دسّته البدع فيها اثباتاً لضلالها. وهذه المنتخبات التي يردّ فيها المؤلف على بعض مزاعم المنتقدين على الطقس الكلداني من شأنها ان تساعد الباحثين على تلك الطقوس فنوصي كهنتنا بمطالعتها

ل. ش

جمعية الامم والانتدابات

لرأفت افندي شفيق شنبور

طُبع في طرابلس الشام سنة ١٩٢٦ (ص ١٧٦)

سبق لنا وصف عدّة كتب فرنسويّة كُتبت في جمعية الامم والانتدابات. ولم ينشر في ذلك بلغتنا العربية إلّا فصول مفردة منها للاديب المحامي اميل تيّان (في المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٧٥٤ــ٧٦٨) وللشيخ سليم افندي الدحداح (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٤٥٤ــ٤٦٢). وها هوذا كتاب واسع في هذا الشأن فصّل فيه مؤلفهُ كل ما يختصّ بهذا الامر استناداً الى المنشورات الرسميّة او الخاصة التي وقف عليها مع تطبيق اصولها على الانتداب الفرنساوي في سوريّا ولبنان. وكان زاد فضل كاتبه لو ختمهُ بفهرس الوقوف على ابوابه وفوائده

ل. ش

تاريخ الجمعيّات السرّيّة والحركات الهدّامة

ألّفهُ محمد عبدالله عنان المحامي

عُنيت بنشره ادارة الهلال بمصر

هذا موضوع متّسع الارجاء عميق الغور كتب فيه الاوربيون مئات من التآليف. وقد اختارهُ محمّد افندي عبدالله عنان ليوقف على حقيقة الامر اهل اوطاننا وقد اهدتهُ مجلّة الهلال مشتركيها. فراجعنا هذا الكتاب ورأينا صاحبهُ مطّلعاً على كثير ممّا نشر الاختصاصيّون منصفاً في الغالب باحكامه عن الجمعيّات السرّيّة لا يخاف من ان يعزو اليها ما لم تكن نظيمة كانت تآمرت على اجتراحها في محافلها السرّيّة. ويقرّ بانها هي العاملة الكبرى في محاربة الاديان وقلب عروش الملوك ومعارضة السلطة الشرعيّة. ولم ينفِ جنايةَ الشيعة الماسونيّة وعلاقتها مع الثورة الفرنسويّة والفتن التي حدثت في انحاء اوربّة. فكم يفوق كتابهُ من هذا القبيل على ما نشرهُ النرمسون لتبرير شيعتهم وهو اشبه بروايات الف ليلة وليلة منهُ بالحقّ كتاريخ الماسونيّة لجرجي زيدان

ومنشورات شاهين ابكاريوس وصاحب مجلة المعارف الخ. على أننا مع اقرارنا باعتدال الكاتب لا نسلّم له بكل ما نقله عن بعض المصادر غير الوثيقة كقوله مثلاً (ص ١٥٩) «انّ البابا لاون الثاني عشر انشأ لمحاربة الماسونيّة جمعيّة سرّية كاثوليكية تؤلف من ابناء البلاد وكبار القسس ... واعظم دعاتها اليسوعيون» فان هذا الخبر لا صحّة له. وغير ذلك مما لا يسعنا ذكره لضيق المجال. وهذا الكتاب لا يستغني عن فهرس واسع غفل عنه المؤلف ل. ش

الوضيعة في الحكمة الخلقية: الكتاب السابع: الهوى. الكتاب الثامن في الحبّ البشري تأليف الدكتور سليمان غزاله نائب البصرة

طبع في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٦ (ص٨٦و١٢٦)

يتابع جناب الدكتور غزاله ابحاثه الفلسفيّة الاجتماعيّة تحت هذا العنوان العام «الوضيعة في الحكمة الخلقيّة». فبعد كلامه عن تاريخ الحرّية في الكتاب السابع. ها هو يخصّ بدرسه ميلين من اميال القلب البشري الواحد اعم وهو الهوى والثاني اخص وهو الحبّ البشري. ولكلٍّ منهما مبادئ ووجوه وفروع تستدعي احكاماً مختلفة على حسب ما يقيدها [illegible] وصواب الرأي واعتدال الارادة. [illegible] احسن المؤلف في انتقاده هذه الاميال واستنتاجه لما يخرج عن تلك الخطة حكمية. ومما تفرّد به جنابه تطبيقه بين معلوماته الطبيّة وأحكامه الفلسفيّة الرشيدة ل. ش

نور واغاثة

كتاب ادبي صحّي جمع جرجي نقولا باز

طبع بمطبعة السلام في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٨٦)

بين المشروعات التي تزين بيروت وتكسبها نعمة عند الله وفخراً عند الناس اعمالها الخيريّة العديدة كالمستشفيات واليتام والملاجئ. ومنها الملجأ الصحّي التدرّني الذي انشأته جماعة من اهل البرّ وجعلت شعاره «نور واغاثة». فسمّى اولئك المحسنون بعلاج او مساعدة المصابين بهذا الداء العضال طاقة جهدهم جازاهم الله كل خير. وقد عُقدت مؤخراً حفلة حضرها كثيرون فوقفوا على اعمال اولئك المحسنين وميزانيتهم وآزروهم بمالهم. وقد تُليت في تلك الحفلات خطب وقصائد ومقالات طبيّة حسنة في

داء السلّ جمعها صديقنا الاديب جرجي افندي نقولا باز في هذه الكرّاسة اللطيفة التي نتمنى ان تتداولها الايدي فتجود نحو اولئك البائسين بحسنات وافرة

الشيخ الهائل او انقاذ الامير

رواية تمثيلية ذات ثلثة فصول تعريب الخوري مارون غصن

طُبع في مطبعة جدعون في بيروت (ص ٦٨)

كان حضرة المؤلف اتحف قرّاء المشرق بتعريبهِ « رواية الكاهن او انتقام شريف» وها هوذا اليوم يهدي المدارس والمسارح الادبية رواية أخرى عرّبها بقلمهِ . وهي كالرواية السابقة حسناً وتأثيراً في القلوب فدبّجها بنثرهِ البليغ وبنظمهِ الرائع . ومع شكرنا لحضرتهِ نقترح عليهِ وضع روايات وطنية تُستخرج من تواريخ شرقنا المدنية والدينية فيكون لها موقع اعظم في النفوس وتتم بها فائدة الاقتداء على وجه وفي لتشابه الجنس وقد قيل كلّ طير يأوي الى جنسهِ ل . ش

بيروت تاريخها وآثارها

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت (ص ٤٣)

هو الكتاب الذي حبرت فصولهُ متفرقة في اعداد المشرق في السنتين ١٩٢٥ — ١٩٢٦ ضمّنّاهُ كل ما وقفنا عليهِ من اخبار خاصة لبنان منذ اوّل ورود ذكرها في التاريخ الى زماننا مع ما يرتبط بها من آثار ومشروعات جليلة ومفاخر شتى . وقد زدنا على هذه الطبعة المتفردة اربعة فهارس للوقوف بسرعة على ما يطلبهُ الباحثون من المعلومات . والكتاب مزدان بسبع صور ل . ش

شذرات

﴿القديس يوحنا الصليبي ملفان الكنيسة﴾ تهنئ الرهبانية الكرملية بما نالتهُ من الشرف باقامة القديس يوحنا الصليبي مصلح رهبانيتهم كملفان للكنيسة . وهو امتياز كانت جماعتهم لم تنلهُ كالرهبانيات الكبرى . وقد سبق لنا ذكر القديس كانيزيوس اليسوعي الذي عيّنهُ حديثاً الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر كملفان للكنيسة

جماء . وكان مولده في اسبانية سنة ١٥٤٢ ووفاته فيها سنة ١٥٩١ . وقد اشتهر يوحنا الصليبي في زمانه بقداسته السامية وباصلاحه للرهبانية الكرملية مع القديسة تريزيا . وكان هذا القديس فيلسوفاً ولاهوتياً وشاعراً وفنياً ألّف كتباً عديدة في الحياة الروحية واسرارها الراقية المبلغة للنفس الى اعلى ذروة القداسة ومحبة الله . فتُعدّ تآليفهُ من اجمل وادقّ واوفى ما كُتب في ذلك ومجموعها يبلغ مجلدات ضخمة فاستحقّ ان ينظم في عداد ملافنة الكنيسة ومعلّميها

﴿ مقالة الرئيس الدكتور ضودج في القديس فرنسيس الاسيزي ﴾ قرأنا بارتياح المقالة التي خصصها رئيس الجامعة الاميركية الدكتور ضودج بالقديس فرنسيس الاسيزي في مجلة «الكلية» ولعلها اوّل مقالة كتبها احد اعضاء البعثة الاميركية في سورية ذكراً لاحد قديسي الكنيسة الكاثوليكية فنشكر حضرتهُ على انصافه كما فعل تشسترتن وبعض الكتبة البروتستانت في انكلترة واميركة الذين اطرأوا اعمال ذلك الرجل الكبير . على اننا وجدنا المقابلة بينهُ وبين حامد الغزالي بعيدة . وكذلك لا نسلّم لجنابهِ بما قالهُ (ص ٩) عن «ملل سكان ايطالية من ممارسة الطقوس الدينية» . والدليل عليهِ ان القديس فرنسيس عزز تلك الطقوس وزادها رونقاً . وكذلك (ص ١١) لم يكن «فردريوس الثالث «ملكاً» لكن حبراً اعظم وليس هو جامع الصليبيين في مصر . وهناك غلوّ ظاهر في نسبتهِ للحروب الصليبية للبغضة نعم ان الصليبيين لم يُدفعوا اليها بعامل المحبة لاعدائهم وانما دُفعوا بعامل المحبة لاخوتهم ولانقاذ الاراضي المقدسة وهذا من باب العدل لا من باب البغضة . ومثلهُ غلواً (ص ١٤) قولهُ «وربّما لم يقم واحد اوربي عاش العيشة المسيحية الحقة . مثل فرنسيس» . فانّ في الكنيسة الكاثوليكية «الوفاً عاشوا العيشة المسيحية الحقة» وان لم تكن طريقتهم كطريقة القديس فرنسيس فانّ القداسة السامية ليست على طريقة واحدة بل تلوح على صور شتى . ثم في اقوال جنابهِ (ص ١٥) «على الطقوس الدينية ورسومها وعن كون الديانة تتعلق بالقلب لا بالعقل» ما يشعر بالمزاعم البروتستانية التي تنقض المعتقدات والآداب الكنسية وتحصر الديانة بمشاعر القلب والاعمال التقوية خلافاً لتعاليم المسيح ورسلهِ

﴿ تطرُّف بعض المجلات ﴾ يسوءنا ما نراهُ في بعض المجلات من المزاعم الباطلة التي يعرضها الكتبة لقرّائهم فتضلّهم عن الحق . فهذه ﴿ مجلة الحارس ﴾ قد كتب

صاحبها في اول سنتها الرابعة فصلاً عن الحكم الجمهوري مثّل فيه ملوك القرون الوسطى وما بعدها كأكبر ظالمي البشريّة ونسب اليهم من الاعمال الهمجيّة ما لا نكاد نجدهُ في اشرس الظلمة واستند في ذلك الى اسانيد تبيّن اليوم زورها وفسادها كالذي قالهُ عن حقوق السيد وغيره فاستقاه من موارد عكرة كاذبة . وكذلك لم نستحسن ما كتبهُ صديقنا فيليب افندي حتي ﴿ في مجلة العالم الجديد ﴾ (حزيران ص ٨) حيث كتب عن الانسان الفطري الاول انهُ «قضى مئات آلاف من السنين (كذا) وهو لا يتكلّم» فجعل الانسان في طبقة البهائم العجماء في كل تلك المدّة وهو رأي غريب لم يقل بهِ احد من كبار العلماء حتى الدروينيين وقد اكتفت (مجلة العرفان ت ١ ص ١٢٦) باحصاء ثلثين الف سنة لوجود آثار النسل الاول وتقول هناك ص ١٤٠) انّ الانسان في ذلك العهد كان اذكى من اليوم — ومن مزاعم ﴿ مجلة الهلال ﴾ الفاسدة ما كتبهُ مديرها (ص ١٢٤) عن النبيّ ايليا والمعجزة الباهرة التي ورد ذكرها في سفر الملوك الثالث (١٨ : ٢٢ — ٣٩) اذ انزل ناراً من السماء فالتهمت المحرقة التي قدّمها على مذبح اقامهُ امام الشعب . فزعم صاحب الهلال ان الماء الذي صبّهُ ايليا على الحطب كان بترولاً فوّر ايقاده على الحاضرين . فانظر رعاك الله الى اي حد من الترهات يبلغ بعض كتبتنا فيتقدمون اوثان الدين وهم يتظاهرون بالعلم . وكل يعرف ان اكتشاف البترول ومعرفة خواصهِ حديث العهد !!

﴿ غيظة بطريرك الروم والماسونيّة ﴾ ارقفتنا مجلة المرّة في عدد نوفمبر الاخير (ص ٥٦٢) على رسالة وجّهها غيظة البطريرك غريغوريوس الى اهل حمص ينفي عنهُ ما نسبوهُ اليهِ زوراً من انتمائهِ الى الماسونية بعد اقامتهِ عليهم اسقفاً الشمّاس ابيفانيوس زائد مختار الحزب الماسوني فما قال في رسالتهِ :

« قد قلنا بصراحة اننا لسنا من ابناء الظلمة ونجهل ابناءها . وكل من يدخل هذه المداخيل الموبّخة فانهُ يحمل اثمهُ على عاتقهِ لدى الربّ الديّان العادل . وان كنتُ انا من ابناء هذه النسبة التي نسبتموني اليها فليحلّ بي غضب الربّ وتظهر فيّ قدرتهُ لاكون عبرة لبني الايمان . . . »

فما قول الروم الاورثذكس الداخلين في الماسونية !

﴿ فقيدٌ عزيز ﴾ هو الاب اليسوعي بولس عطا الله المرسل النشيط والفاعل الغيور في حراثة كرم الربّ . تغمّدهُ الله برحمتهِ في ٣١ تشرين الاوّل وعمرهُ ٧٢ سنة قضى منها ٤٨ سنة في خدمة الله وتقديس النفوس

س سأل الاديب شكري الغلاييني من هو مؤلف الصلاة الى الروح القدس التي تُتلى في كتب الصلوات الصلاة الى الروح القدس

ج الروح القدس صلاتان معرَّبتان عن اللاتينيَّة تُقالان يوم عيد العنصرة: الاولى ادوار شعريَّة تبتدئ بهذه الالفاظ Veni Creator Spiritus اي هلم ايها الروح الخالق تُنسب للامبراطور كارلومانى (Charlemagne) في القرن التاسع للميلاد. والثانية بالنثر اوَّلها Veni Sancte Spiritus et emitte cœlitus lucis tuæ radium اي هلمَّ ايها الروح القدس وارسل من السماء شعاع نورك. أأنها في القرن الثالث عشر البابا اينوشنسيوس الثالث

س وسأل جناب الحكيم امين افندي الجميّل أصحيح ما يقولهُ البعض عن الذُّرَة ان اصلها في بلادنا من اميركة الذُّرَة واصلها

ج الذُّرة اسم كان يطلق قديمًا على نباتات مختلفة توافق ما يدعوهُ الفرنج بهذه الاسماء (Sorgho, Epeautre, Millet). وفي كتب العرب كابن بيطار وغيره الذين يذكرون الذُّرَة قبل فتح اميركة ما ينطبق على هذه الانواع المذكورة. اما النوع المعروف عند الفرنج باسم Maïs ويدعوهُ البعض في بلادنا بالذرة البيضاء او بالذُّرة الصفراء بالفرنسوية (blé d'Espagne, blé de Turquie) فالاصحّ انَّ اصلهُ من اميركة دخل اوَّلًا في بلاد اسبانية ثمَّ انتشر منها الى كل البلاد

س وسأل احد كهنة السريان: هل للقديس ماروتا صلوات وتسابيح طقسية وشروح على الاناجيل القديس ماروتا وتآليفهُ

ج قد التبس على كثيرين (منهم السمعاني في المكتبة الشرقية ١ : ١٧٤) اسم رجلين اشتهرا باسم ماروتا عاشا في ازمنة مختلفة احدهما القديس ماروتا اسقف مدينة ميافارقين المعروفة بمدينة الشهداء في جهات ديار بكر لان القديس ماروتا جمع فيها ذخائر الشهداء الذين استشهدوا في بلاد فارس على عهد سابور. وقد عاش هذا القديس في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس للمسيح ولهُ ميمران بليغان في ذكر شهداء فارس نشرهما المرحوم الاب بولس بدجان اللمازريّ في كتابهِ اعمال الشهداء (ج٢ ص٥٧). اما ماروتا الثاني اسقف تكريت فعاش في القرن السابع وكان يعقوبيًا لهُ عدَّة تآليف منها شروحهُ على الاناجيل ومنها تآليف طقسية دخلت في فروض السريان والموارنة. كانت وفاة ماروتا هذا سنة ٦٤٩م ل.ش

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الرابعة والعشرين من مجلّة المشرق ١٩٢٦

(العدد الاسود يدلّ على اعداد المجلّة والرقيع على الصفحات)

العدد ١ (كانون الثاني) ذكرى وعبرة للانام في رأس العام. للاب لويس شيخو اليسوعي (١-٥) = قصر اسعد باشا العظم في دمشق لبني اسكندر الملوف (٥-٢٦) = شراء النصرانية بعد الاسلام: في عهد الدولة البأسيّة (تابع): ابن بساي. ابن ابي سالم. ابن صاعد ٢٧-٣٤ - ابن ابي الخير سلامة الدمشقي ٣: ٩١-٩٨ - جرجس الانطاكي. ابو الفرج ابن التلميذ ٣: ١٨٦-١٩٣ - هبة الله بن التلميذ ٤: ٢٥١-٢٥٨; ٢٢٩-٢٥٠ - محفوظ النيلي. سعيد النيلي. ابن اصطفانس ٦: ٤١٧-٤٢٤ - يعقوب الماردانى. يحيى بن ماري ٧: ٤٥٨-٤٦٦ - بنو عمّاني ٨: ٥٢٠-٥٢٨ - ابن عسّال. ابن ابي الشاء واخوه علم الدين. ابو الربيع سليمان الماردينى ٩: ٦٦٠-٦٦٨ - رشيد الدين ابو حُلَيقة. ابن مرتين. ابن زطينا. نصرالله النفاري ١٠: ٧٢١-٧٢٩) = الشاعرة صافو وفقدان دواوينها للاب بطرس بوسار اليسوعي (٢٥-٤١) = بيروت: اخبارها وآثارها للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع): الامراء غير العرب في بيروت (٤٢-٥٠; بيروت في عهد الدولة الطيبية الى واقعة عين دارة ٢: ١١٤-١٢١ - النصرانية في بيروت بعد الفتح العثماني ٣: ٢١١-٢٢١ - بيروت في عهد التنظيمات [illegible] - بيروت في القسم الاوّل من القرن التاسع عشر ٥: ٢٦١-٢٧٢ - بيروت في عهدها الاخير: بيروت السياسية ٦: ٤٦٢-٤٦٥ بيروت الدينيّة ٧: ٤٨٩-٤٩٣ بيروت الادبية ٤١٢-٤٦٨; ٨: ٥٦٠-٥٦١ بيروت الاقتصادية ٥٦١-٥٦٦ = الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين للاب لويس شيخو اليسوعي (٥٨-٦٤; ٢: ١٢٩-١٤٣) = الاداب العربية في الربع الاوّل من القرن العشرين للاب لويس شيخو اليسوعي: الاداب العربية في الحقبة الثانية (١٩٠٨ الى ١٩١٨) نظر عمومي في هذه الحقبة ٦٥-٦٧; ٢: ١٤٤-١٤٧ ادباء مصر المسلمون ٣: ٢٢٢-٢٢٨ ادباء الشام المسلمون ٤: ٢٩١-٢٩٦ ادباء النصارى ٥: ٢٧٠-٢٨١; ٦: ٤٢٩-٤٤٦; ٧: ٤٩٨-٥٠٤ - الادباء المستشرقون ٨: ٥٨٢-٦٢٩; ٩: ٦٧٦-٦٨٢ الحقبة الثالثة (١٩١٨ الى ١٩٢٦): نظر عام في الآداب العربية بعد الحرب الكونية; ١٠: ٧٧٩-٧٨٤ الادباء المسلمون المتوفّون في هذه الحقبة; ١١: ٨٥٩-٨٦٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٨-٧٨) = شذرات: غبطة السيد كيرلس التاسع منيب. مأثرة جديدة للحبر الاعظم بيوس الحادي عشر. الرياضة السنوية في الفاتيكان. الفونغرافات المجسّمة الصوت. اكبر نيزك وقع على الارض. البعثة الاميركية في السارة (٧٨-٧٩) = اسئلة واجوبة: عيد عمر والهدية. لفظة الشبّر في شعر العجّاج. عيد الحبل بلا دنس في ٩ ك ١ عند الروم الكاثوليك (٨٠)

العدد ٢ (شباط) من لبنان الى رومية رحلة الرئيس العام للاب بطرس ساره (٨١-٩٠) = الطائفة السريانيّة والقنصلية الفرنساوية في بغداد للقس اسحق ارمله (٩٩-١١٤) =

تاريخ مدفن عبراني في بيروت في القرن الحادي عشر للاب رينه موترد اليسوعي (١٢٠-١٢٢) = حمورابي ملك بابل للاب لويس شيخو اليسوعي (١٢٢-١٢٨) = مطبوعات شرقية جديدة (ص ١٤٨) = شذرات: الحفريات الفرنسوية في مصر. طبعة المزامير في قزحياً سنة ١٦١٠. احصاء جديد للعالم. شيوع مذهب النشو. المسيو كازانوفا في الجامعة المصرية. وزعان أليان (ص١٥٨): اسئلة واجوبة: ديوان ابن الساعاتي. التآليف في تاريخ الدروز ودينهم (١٦٠)

العدد ٣ (اذار) القديس بطرس كانيزيوس ملفان الكنيسة للاب ل. شيخو (١٦١-١٧٦) = تطويب شهداء كندا للاب عمانوئيل رولان (١٧٧-١٨٦) = العملية القيصرية ورأي المجلة الطبية العلمية فيها للدكتور امين الجميل (١٩٤-١٩٧) = الاله العربي مناف: نظر اثري للاب ل. شيخو (١٩٧-٢٠٠) = الكاهن او انتقام شريف رواية معربة للخوري مارون غصن (٢٠١-٢١٤؛ ٢٧٩-٢٩٠؛ ٥: ٢٥١-٢٦٠؛ ٦: ٤٤٧-٤٦٠) = مقابلة بين المعمودية المسيحية والعماد الماسوني للقس مبارك صقر (٢٢٠-٢٢٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٢٨-٢٣٦) = شذرات: المؤتمر الاثري في سورية وفلسطين. وفاة كاهن نباتي. آخر احصاء لسويسرة. السنون والشهور في اعمار الآباء الاولين. مقالة الشرق والغرب في دياميس رومية. المئة الثالثة لرسالتي المرسلين الكبوشيين واليسوعيين في سورية. منشور نيافة القاصد الرسولي. جرس موتى الحرب. المعمرون (٢٢٧-٢٢٩) = اسئلة واجوبة: الشهور العربية ومعناها. انقلاب لبيب افندي الرياشي على الماسونية. شرح آية من المزامير (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) المسيح الملك للاب عمانويل رولان اليسوعي (٢٤١-٢٥٠) = على طريق الجلجلة: رواية معربة بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي (٢٥٩-٢٦٧) = قصة صالح بن عبد القدوس مع راهب الصين نشرها الفس اسحق ازملة السرياني الكاثوليكي (٢٧٤-٢٧٨؛ ٥: ٢٢٥-٢٢٨) = نظر عام في الاكتشافات العلمية الحديثة للاب لويس شيخو اليسوعي (٢٩٧-٣٠٥) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٦-٣١٦) = شذرات: الاثر المدفني العبراني في بيروت. رأي المكتب الطبي الفرنساوي في العملية القيصرية. رواج التليفون في تركية. سيدة فاطمة. الصحافة الكاثوليكية في المانية. الزواج في تركيا. جزيرة الاتلنتيد. إلهة سورية في آثار رومية. تمثال توما اديسون. فقيدان عزيزان (٣١٦-٣١٩) = اسئلة واجوبة: مراسلات تل العمارنة. الجوغي وعجائب العالم. صحة الاناجيل المقدسة (٣٢٠)

العدد ٥ (ايار) المقتطف ومذهب النشو والعلماء اليسوعيون: للاب ل. شيخو (٣٢١-٣٢٣) = مدرسة القديس يوسف المارونية في القاهرة للاديب يوسف المدوّر (٣٢٤-٣٣٣) = مؤتمر بيروت الاثري: لأحد شهود حفلاته (٣٨١-٣٨٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٨٩-٣٩٧) = شذرات: أثر منيّ من ديوان المطران جرمانوس فرحات. معرض القرون الوسطى في مكتبة باريس الوطنية. انجيل شرلمانيّ. المراقات المشاعة. اللغة التركية بالحروف اللاتينية. فصح الروم ومذهب نيقية (٣٩٧-٣٩٩) = اسئلة واجوبة: سيراميس. المتكلمون بالالمانية.

اوّل كتاب طبع على الحروف (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) يوبيل مدرسة الحكمة الذهبي للاب لويس شيخو (٤٠١-٤٠٧) = نظر اجمالي في متحف بيروت اللبناني الاثري بقلم ابراهيم مؤنّس (٤٠٨-٤١٦) = مذهب التقمّص للاب فردينان توتل اليسوعي (٤٢٤-٤٣٤) = كرسيّ انطاكية والقديس بطرس الرسول للخورفيقفوس يوسف ربّاني (٤٣٤) جواب المشرق للاب ل. شيخو (٤٣٥-٤٣٦) = مطبوعات شرقية جديدة (٤٦٥-٤٧٨) = شذرات : الجمهورية اللبنانيّة. جائزة الالعاب الرياضية. متحف جيولوجي وطبيعي في تيان سين. حرير العنكبوت. اصل التمدّن الاميركي من الهند. تذكار المئة السابعة عشرة لاكتشاف عود الصليب (٤٧٨-٤٧٩) = اسئلة واجوبة: نصارى مار توما في الهند. الرضى المتبادل في الزواج. عدم سماح الكاثوليك بقراءة التوراة البروتستانية (٤٨٠)

العدد ٧ (تموز) جُبيل وبلاد جبيل لابراهيم بك ابي سمرا غانم (٤٤١-٤٥٧) - رحلة الى شمالي لبنان للقس انطونيوس شبلي اللبناني (٤٦٦-٤٧٥ ; ٥٦٧:٨-٥٧٤ ; ٦٤٩:٩-٦٦٠ ; ٧٢٩:١٠-٧٥٦) = الدين قوّة والوطن للجميع: بقلم الاب ل. شيخو اليسوعي (٤٧٥-٤٨٠) = محرّكات الطيارات الحديثة للاب فردينان توتل اليسوعي (٤٨١-٤٨٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٥٠٥-٥١٥) = شذرات: وفاة رئيس جابل. [illegible] الكلداني. [illegible] جديدة [illegible] من المخطوطات. [illegible] الكاثوليكي في نروج [illegible] الى [illegible] الى القطب [illegible] في [illegible] جديدة في [illegible] بالقدس [illegible] تصويب شهيدين يسوعيين. انيس الصولي ومكتبتنا الشرقية. [illegible] في بيروت (٥١٥-٥١٩) = اسئلة واجوبة: الرتبة القنصلية للدول الاوربية في الشرق. ارض الكلاب. الترجمة السبعينية السريانية (٥٢٠)

العدد ٨ (آب) الشواهد الصادقة في افواه الملحدين والزنادقة. للمرحوم الاب لويس روترفال اليسوعي (٥٢١-٥٢١ ; ٦٦٨:٩-٦٧٦) = تاريخ الشيخ ناصر الدين الزيداني: نشرة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (٥٢٦-٥٦٠) = تحت المياه: الغوّاص. دفائن البحر. طرائق انشائها للاب فردينان توتل اليسوعي (٥٧٠-٥٨٠) = مطبوعات شرقية جديدة (٦٢٩-٦٣٥) = شذرات: مرثاة دينية للمحامي نجيب خلف. المؤتمر الرباني في شيكاغو. تحفة كتابية. سنة لورد الدينية. يوبيل الحادي عشر والبعثات العلمية. اوّل اسقف صيني كاثوليكي. بين باريس والبصرة. احتفال تذكاري (٦٣٦-٦٣٩) = اسئلة واجوبة: اللغة الآرامية واقدم آثارها. الزمن المعروف بصدر الاسلام (٦٤٠)

العدد ٩ (ايلول) رحلة السائح الروسي دانيال الى الاراضي المقدّسة في اول عهد الصليبيين محاضرة للوجيه الروسي الكسيس بوغوليوبسكي (٦٤١-٦٤٨) = مولد مريم العذراء في تقاليد الاسلام للاب لويس شيخو (٦٨٢-٦٨٧) = حاضرة سان باولو في البرازيل للقس جرجس

اليان السرياني الكاثوليكي (٦٨٧-٦٩٧) = نابغة في التاريخ عمر ابو نصر: نظر انتقادي للاب لويس شيخو (٦٩٨-٧٠٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٠٥-٧١٦) = شذرات: التلغرافون. مؤتمر اللغة التركية في باكو. افريقية الغربية الفرنساوية. قطع افريقية على الاوتوموبيل. اضطهاد الرئيس كالس للكاثوليك في المكسيك. ملكة العراق. آثار صليبية في انحاء طرابلس. ملك بلجيكة وخبز المشكار. في مجلس نيويرك البلدي. مؤتمر الملاحة في القاهرة. بين فرنسة وانكلترة (٧١٧-٧١٩) = اسئلة واجوبة: انتقال العذراء الى السماء. وادي النيم ووادي العجم. قيرينية وقيروان (٧٢٠)

العدد ١٠ (تشرين الاول) المئة السابعة لوفاة القديس فرنسيس الاسيزي للاب عمانويل رولان اليسوعي (٧٢١-٧٣١) = ملحق بكتاب بيروت اخبارها وآثارها للاب ل. شيخو (٧٥٧-٧٦٢) = الاميران الاسيران مأساة تمثيلية عربها الخوري يوسف العشيق (٧٦٣-٧٧٧ ; ١١ : ٨٣٠-٨٤٧) = زاهية او ضحية الازياء الخلاعية (المودا) رواية تاريخية بقلم الاب ل. شيخو اليسوعي (٧٨٥-٧٨٧ ; ١١ : ٨٤٨-٨٥٢ ; ١٢ : ٩٠٩-٩١٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٧٨٨-٧٩٧) = شذرات: عجائب الصناعة. الصلص وتركيبه. ميلاد المسيح وعجلة الشرق والغرب. اقدم المطبوعات العربية (٧٩٧-٧٩٩) = اسئلة واجوبة: وداعة الحمام. الشيحة والشحيم. الطريقة الشاذلية (٨٠٠)

العدد ١١ (تشرين الثاني) نبذة مختصرة في حوادث الشام (١٨٤٠-١٨٦٣) لشاهد عياني نشرها الاب ل. شيخو (٨٠١-٨٢٤ ; ١٢ : ٩١٥-٩٢٨) = مقياس مائي لتدوين ثقل الهواء للاب جوزف فرنه اليسوعي (٨٢٥-٨٣٠) = حياة الرسالات الكاثوليكية للاب فرديناند توتل اليسوعي (٨٥٣-٨٥٨) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٦٨-٨٧٥) = شذرات: تطويب الشهداء المسابكيين. استشهاد احد اساقفة المكسيك. نقيدان جليلان. رسالة امير مراكش الى البابا ابوشنيوس الرابع. ارتداد اميرة اسوج الى الكاثلكة. اساقفة صينيون. فارس الماسونية. سباق ارتفاع الطيارات. مذنبة فينالي. تصحيح رواية. معرضان جديدان في باريس. عتاب الاستاذ المغربي (٨٧٦-٨٧٩) = اسئلة واجوبة: القديس مبارك الانياني. اسم القديس فرنسيس في العماد. كتابة يونانية في لحف جبل صنين (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاول) الحفلات اليوبيلية بتثبيت القديس لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا من الرهبانية اليسوعية للاب ل. شيخو (٨٨١-٨٩٨) = مدينة كانوب القديمة لمحة تاريخية للخوري لويس ملحه (٨٩٩-٩٠٨) = قاموس والخرافات للاب هنري لامنس اليسوعي (٩٢٨-٩٤٠) = كتاب تقسيم المواريث حسب المذهب الحنفي. تعريبه بقلم ابراهيم بك ابي سمرا غانم (٩٤١-٩٤٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٤٨) = شذرات: القديس يوحنا الصليبي ملفان الكنيسة. مقالة الرئيس الدكتور ضودج في القديس فرنسيس الاسيزي تطرف بعض المجلات. نبذة بطريرك الروم والماسونية. نقيد عزيز (٩٥٧) = اسئلة واجوبة: منشئ الصلاة الى الروح القدس. الذرة واصلها. القديس ماروتا وتآليفه (٩٦٠)

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

رحلة (القس اسحق) الطائفة السريانية والقنصلية الفرنساوية في بغداد ٩٤—١١٢ نشرهُ لقصّة صالح ابن عبد القدوس مع راهب الصين ٢٧٤؛٢٢٤

اليان (القس جرجس السرياني) حاضرة سان بارلو في البرازيل ٦٨٧—٦٩٧

يومأر (الاب بطرس اليسوعي) صافو وفقدان دواوينها ٣٥—٤١

يوفوليوبسكي (السيد الكبير) رحلة السائح الروسي دانيال الى الاراضي المقدّسة في اوّل عهد الصليبيين ٦٤١—٦٤٨

تونل (الاب فردينان اليسوعي) [illegible] ٤٢٤ [illegible] ٤٨١ [illegible] ٥٧٥ [illegible] ارسالات الكاثوليكية ٨٥٣ لهُ وصف كتاب ٦٢٢

تورنيز (الاب فرنسوا اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ١٤٨

جميّل (الدكتور ابن) العملية القيصريّة في رأي المجلة الطبيّة العلميّة «لا تقتل» ١٩٥—١٩٧

خلف (المحامي نجيب) مرثاة دينية ٦٢٦

ديلفينو (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف لبعض المطبوعات ١٤٩،٢٢٠،٢٢٢،٢٩١، ٨٧٢

ربّاني (الخورفسقوس يوسف) كرسي انطاكية والقديس بطرس الرسول ٤٢٤

رولان (الاب عمانويل اليسوعي) نظر عام في احوال الكنيسة القبطية المنفصلة ٥٠ تقاريب

شهداء كندة اليسوعيين ١٧٧ المسيح الملك ٢٤١ المئة السابعة لوفاة القديس فرنسيس الاسيزي ٧٢١

روتزفال (الاب سبستيان اليسوعي) لهُ وصف لبعض المطبوعات ٢٢١،٢٢٢،٢٠٧،٣٩٢، ٥٠٧،٧١٠،٨٧٠،٨٧١

روتزفال (المرحوم الاب لويس اليسوعي) الشواهد الصادقة في اقواء الملحدين والزنادقة ٢١؛٦٦٨

سارد (القس بطرس) من لبنان الى رومية: رحلة الرئيس العام الاب انطانيوس الشوري [illegible]

شاهد عيان [illegible] موفر بيروت الاثري ٢٨١—٢٨٨ شاهد عيان في حوادث لبنان والشام سنة ١٨٦٠ ٨٠١؛٩١٥

شبلي (القس انطونيوس) نشرهُ لاثر مذبح من ديوان المطران جرمانوس فرحات ٢٩٧ رحلتهُ الى شمالي لبنان ٤٦٧؛٥٢٧؛٦٤٩؛ ٧٢٩

شيخو (الاب لويس اليسوعي) ذكرى وعبرة للانام في رأس العام ١—٥ شعراء النصرانية بعد الاسلام: شعراء الدولة العباسية ٣٧؛ ٩١،١٨٦؛٢٥١؛٢٢٩؛٤١١؛٤٥٨؛٥٢٠؛٦٥٨؛ ٧٢١ بيروت تاريخها وآثارها: الامراء بنو الغرب في بيروت ٤٢ بيروت في عهد الدولة العثمانية ١١٤ النصرانية في بيروت بعد الفتح العثماني ٢١٤ بيروت في عهد الشهابيين الى موت الجزار ٢٦٧ بيروت

في القسم الاول من القرن التاسع عشر ٢٦١ بيروت في عهدها الاخير: بيروت السياسية ٤٦١ بيروت الدينية ٤٨٩ بيروت الادبية ٤٩٢؛٥٦٠ بيروت الاقتصادية ٥٦١ ملحق بتاريخ بيروت ٧٥٧ الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين ٥٨؛١٢٩ الآداب العربية في القرن العشرين: الحقبة الثانية من ١٩٠٨ الى ١٩١٨ ٦٥؛١٤٤؛٢٢٢؛٢٩١؛٣٧٠؛٤٣٩؛٤٩٨؛٥٨٣؛٦٧٦؛ الحقبة الثالثة من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٦ ٧٧٧؛٨٥٩ حمورابي ملك بابل ١٢٢ القديس بطرس كانيزيوس ،افان الكنيسة ١٦١ الاله العربي مناف ١٩٧ المقتطف ومذهب النشوء والملاء اليسوعيون ٢٢١ يوبيل مدرسة الحكمة الذهبي ٤٠١ كرسي انطاكية والقديس بطرس الرسول ٤٣٦ الدين لله والوطن للجميع (انتقاد) ٤٧٥ مولد مريم العذراء في تقليد الاسلام ٦٨٢ زاعية او ضحية الازياء الخلاعية (الموضا) ٧٨٥؛٤٤٨؛٩٠٩ نشرة لنبذة مختصرة في حوادث لبنان والشام ٩٠١؛٩١٥ الحفلات اليوبيلية بتثبيت القديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا ٨٨١ لهُ في كل اعداد المشرق تعريبات وشذرات واجوبة على الاسئلة

صقر (القس مبارك): مقابلة بين معبودَيْن متناقضين المسيحية والماسونية ٢٢٠

الصفيق (الخوري يوسف) الاميران الاسيران مأساة تمثيلية ٧٦٢؛٨٢٠

غانم (ابراهيم بك ابو سمرا): جبيل وبلاد جبيل ٤٤١ كتاب تقسيم المواريث حسب المذهب الحنفي ٩٤٠

غصن (الخوري هارون): الكاهن او انتقام شريف ورواية مهرّبة ٢٠١؛٢٧٩؛٣٥١؛٤٧

فرنه (الاب يوسف اليسوعي): مقياس مائي لتدوين ثقل الهواء ٨٢٥

لامنس (الاب هنري اليسوعي): قاسيون والحرانات ١٣٨ لهُ وصف مطبوعات ٧٠، ٧١، ١٥٠، ٢٤، ٢٢٤، ٢٤٢، ٢٩١، ٢٩٥، ٤٩٧، ٦٢٩، ٧١٢، ٧٨٩

لاي (الاب ادمون اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ١٥٠، ٥٠٧، ٥١١، ٧١٢

لرنك (الاب جبرائيل اليسوعي) لهُ في كل اعداد السنة وصف عدة مطبوعات

المدوّر (الاديب يوسف) مدرسة القديس يوسف الرهبانية المارونية في القاهرة ٢٢٤–٢٢١

الملوف (عيسى اسكندر): قصر اسعد باشا تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني ٩٢٥–٥٦٠ معوض (الاديب ابرهيم) نظر اجمالي في متحف بيروت اللبناني الاثري ٤٠٨–٤١٦

ملحه (الخوري لويس): مدينة كانوب القديمة ٨٠٧–٩٠٨

مونرد (الاب رينه اليسوعي): تاريخ مدفن عبراني في بيروت من القرن الحادي عشر ١٢٠؛٢١٦ مؤتمر بيروت الاثري ٢٨١ لهُ وصف بعض المطبوعات ٧١، ٥١١

مونجان (الاب يوسف اليسوعي) لهُ وصف بعض المطبوعات ٢٤٢

نخله الاب (رفائيل اليسوعي): على طريق الجلجلة (رواية) ٢٥٩ لهُ وصف بعض المطبوعات ٩٥١

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الرابعة والعشرين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

الكتب العربيّة والسريانيّة الخ

ابو شادي (الدكتور احمد زكي) : مفخرة رشيد (١٥٦) — انقاض تربة النخل في مصر (٥١٥) — عبده بك قصّة مصرية اجتماعية (٦٣٤) — وطن الفراعنة : مثل من الشعر القومي — (١١٤)

ابو شبكه (الياس) تعريب رواية عنتر لشكري غانم (٧٩٥)

الاسود (ابرهيم بك) : تنوير الاذهان في تاريخ لبنان (١٥٤) — صدى تنوير الاذهان (٢١٦)

[illegible] (٢١٦)

باز (جرجي بولا) : سليم سركيس (٢١٧) — ماري عجمي تذكارا ليوبيلها (٤٧٧) — حسن التذكار (٥١٤) — نور وانانة (٩٥٥)

الباشا (الخوري قسطنطين) : مذكرات تاريخية (٣١٥)

البحري (جميل) : كيرلس التاسع (٢١٦)

« في سبيل الشرف (مأساة) (٧١٤)

البستاني (فؤاد افرام) : على عهد الامير (٧٥)

بشير (الارشمندريت انطونيوس) : تعريب كتاب الدكتور فرنك : لماذا انا مسيحي (٧١٥)

البكيفاوي (القس الياس) : كتاب سبيل السعادة (٩٥٤)

ثابت (لويس) : تعريب رواية بولبوس قيصر لشكسبير (٧٦٦)

ثابت (القس مبارك) : اقطع البراهين في صحة حقائق الدين (٧٥)

ثابت (كريم خليل) : عبد الكريم والحرب الريفيّة (٤٧٤)

جبران خليل جبران : النبيّ (٦٣٣)

الجذّاري (حسن صالح) : نظرات نقديّة في شعر ابي شادي (٤٧٤) — الادب الجديد وكتابات في الشعر والشاعر (٧١٧)

جوهري (الشيخ طنطاوي) : تعريب رواية الفاتحة (٧٩٦)

حبيقة (الجديوط بطرس) : ترجمة البطريرك الحويك (١٥٤)

« (بطرس ويوسف) : ماري افرام السرياني والافخارستيا (٤٧٧)

الحويك (البطريرك الياس) : منشور في السنة اليوبيليّة ١٩٢٦ (٢١٦)

خدمة القدّاس السرياني (٦٣٥)

الخوري (سليم) : مختصر تاريخ فرنسة (١٥٥)

الخوري (عوض) : تاريخ القوّة الخفية (٥١٣)

خيّاط (بتراكي) : تأبين البطريرك ديمتريوس القاضي (١٥٧)

دموس (حليم) : تعريب رواية كوبه « في سبيل التاج » (٢٩٦) — الثالث والثاني (٧٩٤)

دليل شركة مصايف لبنان للسنة ١٩٢٦ (٥١٣)
الديراني (الاباتي افرام) : تعريب بورسو : كيف تصير رجلاً (٦٣٣)
ذيل تاريخ الآداب العربية للمدارس الثانوية (٥١٣)
ربّاني (المطرانفوس يوسف) : رواية الكونت والمركيز والدوك المحتالين (٧٩٥)
الرحماني (البطريرك اغناطيوس افرام) : مقالة في سورية (٣١٣) — في مملكة آشور (٦٣٤)
زغيب (الخوري جرجس) : تاريخ عود النصاري الى جرد كسروان (٥١٤)
زوين (جرجي) : دروس مدنيّة (١٥٦)
الزيناتي (الخوري الياس) : قوانين المجمع اللبناني (٣١٣)
شبلي (ميشال) : اليوبيل الذهبي لمدرسة الحكمة (٤٧٧)
شحاده وخوري : خلاصة تاريخ الكنيسة اورشليم الارثوذكسية (٧٥)
الشمالي (السيد بشارة) : رسالتان رعائيتان (٧١٦)
شنبور (رأفت شفيق) : جمعية الامم والانتدابات ٩٥٥
الشوقيات : ديوان احمد شوقي (الجزء الاوّل) (٤٧٣)
شيخو (الاب لويس) : الاحكام الطقسية في المدارس الطائفيّة (١٥٧) — بيروت تاريخها وآثارها (٩٥٧)
صالحاني (الاب انطون) : الشذر الذهبي في شعر الاخطل التغلبي (١٥٦) — الحقائق اللامعة في عقائد الكنيسة الجامعة (٤٧٦) — ملحوظاتهُ على كتاب التنبيه لابي عبيد البكري (٨٧٩)
صفير (يوسف) : نفثات الكتّاب في عهد النهضة الادبيّة الاخيرة (٤٧٥) — ترجمان الافكار او رسائل الاشواق (١٥٤)
طه حسين : في الشعر الجاهلي (٤٧٣)
عبد القادر المغربي : البيّنات والاجتماع والادب والتاريخ (٣٣٩)
عمر ابو نصر : تاريخ سورية ولبنان (٦٩٨—٧٠٤)
عنان (محمّد عبدالله) : تاريخ الجمعيّات السرية (٩٥٥)
العنيسي (الاب انطونيوس) : نبذة في حياة الاب يواصاف العنيسي الحاجي (٤٧٧)
عوّاد (الخوري منصور) : الزوجة الامينة امام القضاء (٧٦)
عوّاد (الخوري يوسف) : زهيرة حبّ في بستان الرب (٨٧٤)
غالب (الخوري بطرس) : المسيح الملك (٩٥٣)
الغريب (امين) : الخليقة ونظامها (٧٣٣)
غزّاله (الدكتور سليمان) : الوضيعة في الحكمة الخلقيّة : العشق الطاهر (١٥٥) — منهاج العائلة (٤٧٤) — تاريخ الحرّيّة البشريّة (٧٩٦) — الهوى والحبّ البشري (٩٥٦)
غصن (الخوري مارون) : رواية الشيخ العاقل (٩٥٧)
الفلابيني (مصطفى) : ديوانهُ (٣٦٦)
فياض (نقولا) : حول سرير الامبراطور للدكتور كابانيس (٧١٥)
قديد (الاب ميخائيل) : حياة القديس غريغوريوس المنوّر (٤٧٦)
كرد عليّ (محمّد) : الجزء الرابع من خطط الشام (٨٧٥)
كركي (القس يوسف الكادافي) : المنتخبات الطقسية ٩٥٤
ليان (القس عبد المسيح) : فرض عيد مار ايليا (٣١٤)

خلص (عبد الله) : الفرجس وما قيل فيه (٢٩٦)
مرّة (جورج) تعريب تاريخ الجزّار لادوار لوكروى (٥١٣)
المقدسي (انيس الخوري) : الذكرى (٧٧)
موسى (سلامه) : احلام الفلاسفة (٥١٤)
النشاشيبي (اسعاف) : كلمة من اللغة العربية (٧٧)
النصولي (انيس زكريا) : الدولة الاموية في قرطبة (٢٩٥) — اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر (٧٩٤)
هبرا (السيد غريغوريوس) : تعريب تأملات الخوري هامون (٢٩٥)
يزبك (المحامي جورج) : بيروت في التاريخ (١٠٠)
يمين (الخوري انطون) : المؤامرة اليهودية على الشعوب (٧٦)

٢ مطبوعات اوربيّة

Abdou (Cheikh Mohammed) : Risalat-al-Tawhid (467)
Almanach Catholique Français pour 1926 (153)
Alouan (J. c. m.) : Cours gradué de Traduction (7[illegible]8)
Ar[illegible] Coomaraswamy : Pour [illegible] l'Art Hindou (630)
A[illegible] : La Dévolution [illegible] (236)
Arc[illegible] (R.) : En avion vers le Nord (80)
Ancel (M. L.) : Peuples et Nations des Balkans (630)
Apostolat missionnaire de la France (309)
Arens (B. s. j.) : Handbuch d. kath. Missionen (2[illegible]8)
Atyich (P. A.) : La divine Liturgie de St J. Chrysostôme (472)
Azan (Col P.) : L'Emir Abdel Kader (873)

Babel (Antony) : La Bessarabie (953)
Bapst (Ed.) : La vie historique de N-S. J-C. (389)—Le Siège de Metz en 1870 (393)
Bassot (R.) : Mille et un Contes (632)
Bassol d'Auriac: Anne Berthier (394)
Bauer (Th.): Die Ostkanaanaer (391)
Bauso (Ew.) : Abendland u. Morgenland. Landschaft-Rasse-Kultur (792)
Baumann (E.) : Trois villes saintes (628)
Bell (R.) : The origin of Islam in its christian environment (312)
Beruhardt (O.) : Pflanzenbilder auf griech. u. roem. Münzen. —Griech. u. roem. Münzbilder in ihren Beziehungen z. Gesch. d. Medizin (869)
Bertier (P. m. s.) : Le Livre de Tous (629)
Berthelot (A.) : Die gegenwartige G[illegible] (712)
Bi[illegible] (P.) : J'aul Lorelle, con[illegible] (2[illegible]4)
[illegible] : Lolo[illegible] (151)
Br[illegible] (E.) : Histoire de la Philosophie (860)
Bros[illegible] (Ch. L.) : Les Peintures de la Grotte de Marina (635)
Brou (A.) : Le dix-huitième siècle littéraire (68, 507)
Budge (E. A. Vallis) : The Mummy (306)
Bulletin annuel de la Chambre de Commerce d'Alep (471)
Bulletin annuel de la Fac. Franç. de Médecine (236)
Bureau (P.) : Le bon citoyen de la cité moderne (792)
Burnet (E) : La Fièvre méditérranéenne (793)
Burton (E.) : Meine Wahlfahrt nach Medina u. Mekka (234)
Bustros (Eveline) : La Main d'Allah (711)

Cardaliaguet (R.) : Mon Curé chez lui (468)
Cernonsky et Bienstock : Le Musée des erreurs (235)

Campbell (D.) : Arabian Medicine (509)
Carame (Mgr Nemetallah) : Avicennæ Metaphysicæ Compendium (470)
Caskel (W.) : Das Schicksal in d. altarab. Poesie (629)
Caspari (Dr W.) : Die Gottesgemeinde von Sinaï u. d. nachmaliger Volk Israël (872)
Cavigliono (C.) : Bibliografia delle opere A. Rosmini (310)
Celarié (H.) : Nos sœurs des Harems (711)
Cercetti Battistelli (C.) : Guida pratica pour l'enseignement du point d'Assise (469)
Chapman (C.) : Michel Paléologue (790)
Chaumont, Pangaud, et Marullaz : Ce que c'est que la Société des Prêtres de St Fr. de Sales (768)
Cheikho (P. L. s. j.) : Catalogue raisonné des Mss de la Bibl. Or. de l'Université St Joseph, 5e fasc. (951)
Chereim (P. D.) : Le Calendrier séculaire (472)
Cherel (Al.) : La Famille française (151)
Chevrillon (A.) : Torres Mortes (713) — Un crepuscule d'Islam (712)
Choay (André et Lucie) : Un voyage médical en Palestine (793)
Choucri Cardahi : Le droit des Pays sous mandat français en Orient (72) — La Possession en droit ottoman (873)
Clément (Dr G.) : Pour les mieux connaître (707)
Clément-Grandcourt (Ch.) : La tactique au Levant (791)
Clerivière (P. de) : Contemporain et juge de la grande Révolution (952)
Cochin (H.) : Auguste Cochin (709)
Collet (L. W.) : Les Lacs (152)
Collomp (P.) : Recherches sur la Chancellerie et la Diplomatique des Lagides (467)
Contenau (Dr G.) : Civilisation Phénicienne (505)

Dieux (Marie-André) : Croisade pour l'unité du Monde chrétien (796)
Dölger (Dr Fr.) : O Sol salutis : Gebet u. Gesang (229)
Driver (G. R.) : A Grammar of the Colloquial arabic of Syria and Palestine (951)
Ducati (P.) : Etruria antica (468)
Duplessy (E.) : Retraite de 1re Communion solennelle (788)

Ebert (Max.) : Vorgeschichtliches Jahrbuch (512)
Ehrenberg (V.) : Neugründer d. Staates (628)
Encyclopaedie des Judentums (540)
Engerand (F.) : Lantrezac (393)
Engermann (W.) : Das erwachende Asien (508)
Entraîneurs : aux Lycéens Catholiques (394)

Féghali (Mgr M.) : La Famille Catholique au Liban (471)
Fête et Messe de J.-C. Roi (788)
Fillon (Abbé Cl.) : Leçons d'Histoire Sainte à l'usage des enfants (149)
Franck (Dr. C.) : Ninive u. Babylon von C. Bezold (630)
François-Poncet (A.) : Réflexions d'un républicain moderne (236)
Frick (E.) : Die Christologie d. Islâms (150)

Gabrieli (G.) : Lettere inedite di Ippolito Rosellini (635)
Garriguet (Abbé L.) : L'Eucharistie et le Sacré-Cœur (788)
Gaster (M.) : The Samaritans (506)
Gay (J.) : Les Papes au XIe siècle (465)
Gaiterer (M. s. j.) : Annus Liturgicus (290)
Gairdner (W. H. T.) : The Phonetics of Arabic (541)
Gautherot (G.) : Le monde communiste (310)
Général Winogradsky : La campagne de Prusse Orientale en 1914 (508)
Geyer (R.) : Zwei Gedichte aus d. Diwân al-Ahtal (716)
Gignoux et Legueu : Le bureau des rêveries (235)
Greit (Jos. O. S. B.) : Elementa Philosophiæ Aristotelicæ-Thomisticæ (505 et 868)
Graf (G.) : Eine theolog. Propädeutik von Jahiâ ibn Garîr (716)
Greim (G.) : Italien (950)
Guibert (G. s. j.) : Les Petits Chinois (788)

Heilmann (Dr A.) : Horrbjehkeiten der Seele (871)
Hallants (Chanoine P.) : Autour de la Méditerranée (950)
Hell (J.) : Der Diwân d. Abu Du'aib (790)

Henri-Robert : Les grands procès de l'Histoire (632)
Hesseling (D. C.) : Histoire de la Littérature grecque moderne (73)
Hugon (Ed. o. p.) : La Fête de J.-C. Roi (309)
Hugon (P. J. s. j.) : Une carrière de Missionnaire (308)

Islamica : Asia Major (789)

Jardé (A.) : Les Céréales dans l'antiquité grecque (710)
Jouon (P. s. j.) : Etudes de sémantique arabe (707)

Kempf (C. s. j.) : Die Heiligkeit d. Gesell. Jesu in d. Missionen (149)
Kendrick (A.) : Catalogue of mohammadan Textiles (233)
Kfoury (L'archimandrite Denis) : L'exemption des Congrégations Basilionnes Melchites (311)
Khouri (P. C. c. m.) : Cours de Religion (705)
Klein (Abbé F.) : La vie de Mgr Dupont des Loges (72)
Klinghardt (Karl) : Turkun Jordu. Der Turken Heimatland (950)
Koenig (abbé G.) : Nouveau [illegible] du Sacré-Cœ[illegible] (788)
Kossar (A.) : [illegible] (307)
Kratchkowsky (Ign.) : Zur [illegible] bung u. Komposition d. [illegible] al-Gufrān (153)
Kyriakos (P. M.) : Appel au peuple chaldéen (713)

Lajoie : Transfigurée (309)
Lammens (P. H. s. j.) : Le caractère religieux du Ṭāif (74)
— Les Sanctuaires préislamites dans l'Arabie Occidentale (708)
— L'Islām : Croyances et Institutions (791)
Lapparent (Cte de) : Ste Barbe (873)
Larcher (Cne M.) : La guerre turque mondiale (949) — Campagne des Dardanelles (949)
La Rochefoucauldt : Mémoires : (631)
Lehmann (P. W. P.) : Japan (508)
Lepidi (Rme P. Al.) : Le culte du Cœur eucharistique de Jésus (788)
Lehner (H.) : Oriental. Mysterienkulte in roem. Rheinland (231)
Lercher (L. s. j.) : Institutiones Theologicæ dogmaticæ (148)
Levonq (G. s. j.) : Le Français par l'image 2e édit.. (540)
Louismet (Dom) : Initiation mystique (309)

Malnago (Th. o. p.) : Immortalité etc (309)
Mallon (A. s. j.) : Quelques Stations préhistoriques de Palestine (153)
— Grammaire Copte avec Bibl... Chrestom. et Vocabulaire (3e éd.) (630)
Marchand (A.) : Les Faits de Lourdes (788)
Mardruz (Dr J. C.) : Le Koran (69)
Menzerath (Dr. P.) : Beihoft zur franz. Lautlafel (541)
Mérejkowsky (D.) : Le roman de Leonard de Vinci (629)
Métais (R.) : L'envers de la bête (394)
Meyer (Ed.) : Die ältere Chronologie Babyloniens, Assyriens u. Aegypten (230)
Michel et Cavallera : Lettres spirituelles du P. J. J. Surin (707)
Migeon (G.) : Les Arts Musulmans (870)
Mittelholzer (W.) : Persienflug (790)
Museum Lessianum : Section missiologique (469)
Mu'ayyad (Hac[illegible]) : Das Kitāb al-Wuzarā' [illegible] al-Ṣābī (948) — [illegible] al-Arḍ (9[illegible])

Olichon ([illegible]) : Le Cardinal Amette ([illegible])
Ostrorg (Cte Leon) : El Māwardi, le droit du Califat (71)

Palestine Museum of Antiquities (232)
Perrin (E. Sainte Marie) Paulino Jaricot (952)
Philippe (P. A.) : Le Catéchisme des Droits divins (515)
Pichenot (Mgr) : Les Paraboles Evangéliques (68)
— L'Evangile de l'Eucharistie (788)
Popenoe (P.) : The distribution of the Date palm (540)
Preiss u. Rohrbach : Palästina u. Ostjordanland (233)
Psellos (M.) : Chronographie et Histoire d'un siècle de Byzance (780)

Quentin (Dom H.) : Essais de critique textuelle (505)

Rombert (L.) : L'empire ottoman sous Abdul Hamid (630)
Ramsay (A. M.) : Un Aventurier religieux (151)
Revue Economique internationale (234)
Rozanov (Col A.) : Le travail secret des agents bolchevistes (394)
Rieks (V.) : Les Savants sont-ils des croyants (309)
Richter (P. A.) : Exhortén für Ordensjungfrauen (390)
Lipper (P. s. j.) : Von Seele zu Seele (390)
Riess (L.) : Engl. Verfassungsurkunden (507)
Robert de Dreux (R. P.) : Voyage en Turquie et en Grèce (70)
Robert de Traz : Le dépaysement oriental (713)
Romano (P.) : Storia dell'educazione fisica (308)
Rossi (E.) : Una Scrittice araba Cattolica Mary (157)
Roussel (P.) : Délos (151)
Roulle (Abbé) : Les Saints Ordres (309)
Rudolphi (Hans) : Die Polarwelt (950)
Rustum (M. A.) : Notes on Akka (631)

Sabatté (G.) : La représentation commerciale (393)
Shath (P. P.) : 1500 Manuscrits arabes (471)
Schacht (J.) : Buch d. Rechtskunde d. Abu Hätim al-Qazwini (71)
The struggle Mehemed 'Ali Pacha with Sultan Mahmoud II (953)
Schneider (E.) : Promenades d'Italie (953)
Schumacher (Dr J.) : Der 'Adschlun (152, 711)
Simon (Dr Th G.) : Die Welt d. Islams u. d. neue Zeit (74)
Slawski (St.) : L'accès de la Pologne à la mer (73)
Spano (G.) : Bronzi di Siria in Pompei (709)
Spielmann (P. Ed.) : La Genèse du Pétrole (311)
Steindorff (G.) : Die Blutezeit d. Pharaonenreiches (872)

Telch (C.) : Epitome Theologiae Moralis (868)
Thirriet (Ch.) : Almanach de la Bonne Nouvelle (68)
Tissler (R. P. M.) : Le cinquantenaire de l'Institut Catholique de Paris (309)
Tourville (H. de) : Ordre et Liberté (712)
Tritton (A. S.) : The Rise of the Imams of Sanaa (391)
Tritoni (R.) : La questione dei Luoghi Santi (233)
Trogan (Ed.) : Regards sur la Vie (792)

Vaccari (P. A.) : I Libri Poetici della Bibbia tradotti (705)
Verplus (Abbé J.) : Amour et souffrance (309)

Wass (V. o. m. c.) : Institutiones Theologiae fundamentalis (868)
Whitney Warren : Monténegro (73)
Willy Theiler : Zur Gesch. d. teolog. Naturbetrachtung bis auf Aristoteles (232)
Würtzbourger u. Gravell : Huebners Geographisch-Statistische Tabellen (307)

Zielinski (T.) : La Religion de la Grèce antique (468)
Zumoffen (G. s. j.) : Géologie du Liban avec Carte (512)
Zwemer (S. M.) : A Call to Prayer (150)

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الرابعة والعشرين للمشرق

على طريقة حروف المعجم

* الآباء الاوّلون واحصاء اعمارهم بالسنين ٢٢٧
الآثار المكتشفة حديثاً ٢٩٧-٢٩٩ آثار صليبية في انحاء طرابلس ٧٤٩
الآداب العربية في الربع الاوّل من القرن العشرين الحقبة الثانية من السنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ نظر عمومي ١٤٤;٦٥ أدباء المسلمين ٢٩١ ادباء النصارى ٢٧٠;٤٢٩;٤٩٨ المستشرقون ٥٨٢;٦٧٦ الحقبة الثالثة ١٩١٨-١٩٢٦ نظر عام ٧٧٩ الادباء المسلمون ٨٥٩
الآرامية واقدم آثارها اللغوية ٦٤٠
آسية واحوالها في العام ١٩٢٥ ١٣٨-١٤٠
ابن ابي الشاء ابن كاتب قيصر ٦٦٢-٦٦٥
* علم الدين اخوهُ ٦٦٥
ابن ابي الخير سلامة الدمشقي الشاعر النصراني ٩١-٩٨
ابن ابي سالم الشاعر النصراني ٣٠
ابن ابي الشاعر النصراني ٢٧
ابن اناسيذ (ابو الفرج وشعرهُ) ١٨٩-١٩٣
* هبة الله الشاعر النصراني ٢٥١;٢٢٩
ابن زطينا الشاعر النصراني ٧٣٦-٧٣٧
ابن الساعاتي وديوانهُ ١٦٠
ابن اصطفانوس الرومي الشاعر النصراني ٤٢٤
ابن عسّال (الاسعد النصراني ٦٦٠-٦٦٢
ابن مرتين الشاعر النصراني ٧٢٥-٧٢٦
ابو حليقة (رشيد الدين الشاعر النصراني) ٨٢١-٧٢٥ تركيبهُ للصلص ٧٩٨
ابو حنيفة ومذهبهُ في تقسيم المواريث ٩٤٥-٩٤٧
ابو الربيع سليمان المارديني الشاعر النصراني ٦٦٥-٦٦٨
ابو الفتح بن صاعد الشاعر النصراني ٢٢
الاتلنيد وجزيرتها ٢١٨
احتفال تذكاري للمحسن ك. ضودج ٦٢٩
احتفالات يوبيلية للقديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا ٨٨١-٨٩٨
احصاء جديد للعالم ١٥٨
احمد باشا والي دمشق سنة ١٨٦٠ ٩١٥-٩١٧; ٩٢١
اديسون وعقالهُ ٣١٩
ارض الكلاب ٥٢٠
الازياء الخلاعيّة وضحيّتها ٧٨٥;٨٤٩;٩٠٩
اسبانية في العام ١٩٢٥ ٦٣-٦٢
استانسلاوس كوستكا القديس ويوبيل تثبيته ٨٨١;٨٩٢-٨٩٨
الاسلام وتقاليدهُ في مولد العذراء مريم ٦٨٢-٦٨٧
افريقية واحوالها في العام ١٩٢٥ ١٢٦-١٢٨
افريقية الفرنساوية ٧٤٨ قطع افريقية بالاوتوميل ٧٤١
اقدم المطبوعات العربية ٧٩٩
الاكتشافات العلمية الحديثة ٢٩٧-٣٠٥
الالعاب الرياضية وجائزتها ٤٧٨

المانية واحوالها في العام ١٩٢٥ ١٣١ الصحافة الكاثوليكية فيها ٢١٨ المتكلمون بالالمانية في العالم ٤٠٠
الاله العربي مناف ١٩٧—٢٠٠
الاميران الاسيران : مأساة تمثيلية ٢٦٢؛٨٣٠
اميركة الشمالية والجنوبية في العام المنصرم ١٣٤—١٣٦ اصل تمدن اميركة ٤٧٨
الاناجيل المقدسة وصحتها ٢٣٠ — انجيل شرالماني ٢٩٨
انام : وفاة ملكها والكثلكة فيها ١٣٩
انطاكية كرسي القديس بطرس الرسول فيها ٤٣٤—٤٣٩
ايطالية واموروها في العام ١٩٢٥ ٦٢—٦٣
* ب * البارومتر المائي ٨٢٥—٨٣٠
بافارية والكرسي الرسولي ١٣٠
البرتغال في العام ١٩٢٥ ١٣١
برغوث من بها الفراعنة ٢٢٩
بريطانية العظمى في العام ١٩٢٥ ٦٣—٦٤
بطرس الرسول وكرسيه في انطاكية ٤٣٤—٤٣٩
بطي (الاديب رفائيل) تصحيح بعض مزاعمه ٧٩٩
بغداد وقنصليتها الفرنساوية والسريان الكاثوليك ٩٩—١١٣
بقاع كفره . الارز . بشرّاي ٧٤٩—٧٥١
بلجكة واحوالها في العام ١٩٢٥ ١٣٠ ملكها وخبز المشكار ٧١٩ افتران ولي عهدها بالاميرة استريد الاسوجية ٨٧٧
بنو عساف وحكمهم في بيروت ١١٦
بنو الغرب وامرهم في بيروت ٤٢—٥٠
بنو عمّاي الاقباط النصارى ٥٢٠—٥٢٨
بولوموا (الاب لويس اليسوعي) وفاتهُ ٨٧٧
برلونية والكرسي الرسولي ١٣٣
بيروت : اخبارها وآثارها : اسرة بني الغرب البحتريين فيها ٤٢ بيروت في عهد الدولة العثمانية ١١٤ بنو عساف والمنيّون وحكمهم في بيروت ١١٦—١١٩ النصرانية في بيروت بعد الفتح العثماني ٢١٤ بيروت في عهد الشهابيين ٢٦٧ بيروت في القسم الاول من القرن التاسع عشر ٣٦١—٣٧٠ بيروت في القسم الاخير من القرن التاسع عشر ٤٦١ بيروت السياسية ٤٦١ بيروت الدينية ٤٩١ بيروت الادبية ٤٩٥؛٥٦٠ بيروت الاقتصادية ٥٦١ ملحق بتاريخ بيروت ٧٥٧ : عقد المؤتمر الاثري فيها ٢٢٧ وصف حفلاتهِ لشاهد عياني ٢٨١—٢٨٨ متحف بيروت اللبناني الاثري ٤٠٨—٤١٦ زلزلة بيروت ٥١٩ مدفن عبراني فيها من القرن الحادي عشر ١٣٠
بين فرنسة وانكلترة سياحة ٧١٩
بيوس الحادي عشر : امره بنقش اكبر خارطة لصورة الارض على جدران الفتيكان ٧٨ اهتمامهُ بالبعثات العلمية ٦٢٩
* ت * تاريخ ظاهر العمر الزيداني ٥٢٩—٥٦٠
تحت المياه : طرائق لانتشال دفائن البحر بالغوّاصات ٥٧٥—٥٨٣
تحفة كتابية على حبة أرز ٦٣٨
الترجمة السبعينية السريانية ٥٢٠
تركية الجديدة وتقليدها لاوربا ١٤٢ الزواج الحديث في تركية ٢١٨ وسم لغتها بالحروف اللاتينية ٢٩٩ مؤتمر اللغة التركية في باكو ٧١٧
تطرّف بعض المجلات ٩٥٩
التقمص ومذهبهُ ٤٣٤—٤٣٤
تلّ العارنة ومراسلاتها ٢٢٠
التنوري (حضرة الاب الرئيس اغناطيوس) رحلتهُ الى رومية ٨١—٩٠

التلغرافون ٧١٧
التليفون ورواجهُ في اميركة ٢١٧
التوراة البروتستانية وعدم السماح للكاثوليك بقراءتها ٤٨٠
تورنيز (الاب فرنسوا اليسوعي) وفاتهُ ٢١٩
تيان يين ومتحفها الجيولوجي الطبيعي ٤٧٨–٤٧٩
ج جبيل وبلاد جبيل ٤٤١–٤٥٧ الحفريات الجديدة فيها ٥١٧–٥١٨
جرجس الانطاكي الشاعر النصراني ١٨٦
جرس موتى الحرب ٢٢٩
جروة (السيد اغناطيوس) والتنصل الفرنساوي في بغداد ١٠٤–١١١
الجزّار واليورلدي الموجّه الى الدروز ٢٢١–٢٢٢ جزيرة الاتلنتيد ٢١٩
جزيرة العرب وتملك الرهابين عليها ١٤١
الجغرافية والجيولوجية في العام ١٩٢٥ ٣٠١–٣٠٣
الجمهورية اللبنانية ٤٧٨
الجوغي وعجائب اعالمهم ٢٢٠
ح حاضرة سان باولو في البرازيل ٦٨٧–٦٩٧
حرير العنكبوت ٤٧٩
الحمام ووداعتها ٨٠٠
حمورابي ملك بابل: تاريخهُ واعمالهُ ١٢٢–١٢٨
حوادث لبنان والشام (١٨٤٠–١٨٦٢): ٨٠١؛٩١٥
حياة الرسالات الكاثوليكية ٨٥١–٨٥٩
خ اكبر خارطة لصورة العالم في الفاتيكان ٧٨
الخرافات الشائعة ٢٩٩ الخرافات وقانون ٩٣٨–٩٤٠
خرشد باشا والي صيداء وبيروت سنة ١٨٦٠ ٨١٥–٨٢٤
* د * دانيال الرومي ورحلتهُ الى الاراضي المقدسة ٦٤١–٦٤٨
الدروز وما نُشر عن تاريخهم ومذهبهم ١٦٠ توجيه يورلدي الجزّار اليهم ٢٢١–٢٢٢ اعالمهم الاثيمة سنة ١٨٦٠ ٨٠٨–٨١٩ دمشق الشام وحوادثها المفجعة سنة ١٨٦٠ ٩١٥–٩٢٠
الدول البلقانية في العام ١٩٢٥ ١٢٢
الدولة العثمانية ودخول بيروت في حكمها ١١٤
الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين ٥٨؛١٢٩
دياميس رومية ومقالة الشرق والغرب فيها ٢٢٨
دير سيدة ايليج (ميفوق) ٥٦٧؛٦٤٥
دير سيدة بصرما ٧٥٥–٧٥٦
دير الضهر ٤٦٦–٤٧١
دير قزحيا ٧٥١–٧٥٥
دير القمر وحوادثها سنة ١٨٦٠ ٨٠٨–٨١٠؛ ٨١٧–٨٢٢
دير كفيفان ٤٧١–٤٧٥
دير مار اليشاع بشرّاي ٧٤٤–٧٤٩
دير مار سركيس وباخس قرطبا ٧٤١
دير مار مارون الكبير في القرن الثامن ٢٢٩
دير مار مارون عنّايا ٧٣٩–٧٤١
الدين والوطن للجميع: انتقاد هذه الكلمة ٤٧٥–٤٨١
* ذ * الذرة واصلها ٩٦٠
ذكرى وعبرة للانام في رأس العام ١–٥
* ر * رأس العام: ذكرى وعبرة ١–٥
راهب الصين وصالح ابن عبد القدّوس ٢٧٤؛ ٢٢٤
الرتبة القنصلية واصل انشائها في الشرق ٥٢٠
رحلة السائح الرومي دانيال الى الاراضي المقدسة ٦٤٠–٦٤٨

رحلة الى شمالي لبنان ٤٦٦؛٥٦٧؛٦٤٩؛٧٣٩
الرد على مجلة الشرق والغرب في بعض مزاعمها ٢٢٨؛٧٩٨
ردّ على المجلة الطبية العلميّة في امر قتل الجنين ١٩٤–١٩٧
رزمان ألبان ١٥٤
الرسالات الكاثوليكية وحياتها ٨٥٢–٨٥٩
الروح القدس ومؤلف صلاته ٩٦٠
روشو القنصل الفرنساوي في بغداد ١٠٣
روسية واحوالها الشيوعية ١٢١–١٢٤
الروم وتصحيحهم على خلاف قوانين المجمع النيقوي ٣٩٩
رومية واحوالها سنة ١٩٢٥ ٥٨
الرياشي (لبيب افندي) واطلاعه على الماسونية ٢٤٠
الرياضة السنوية في الفاتيكان ٧١
* ز * الزهرة او ضحية الازياء الخلاعية [illegible]
رحلة [illegible]
الزواج [illegible] ٤١٠
* س * السامرة والعادات الاثرية فيها ٥٩
سان باولو حاضرة البرازيل ٦٧١–٦٩٧
السريان الكاثوليك والقنصلية الفرنسوية في بغداد ٩٩–١١٣
سعيد النيلي الشاعر النصراني ٤٢١–٤٢٣
سيراميس وتاريخها ٤٠٠
السنون في اعمار الاباء الاولين ٢٢٧
سورية ولبنان في العام ١٩٢٥ ١٤٢–١٤٣ لمحة
سورية في آثار رومية ٢١٩
سويسرة في العام ١٩٢٥ ١٢٠ آخر احصاء لسكانها ٢٢٧
سيدة فاطمة في البرتغال ٢١٨
* ش * الشاذلية وتعريف طريقتها ٨٠٠
الشاعرة صافو وفقدان دواوينها ٣٥–٤١
الشعر ومنافعه في شعر الحجاج ٨٠
الشيّة والشحيم تعريف اصلهما ٨٠٠
شرلاني ونسخة انجيله ٣٩٨ تأليفه لصلاة الروح القدس الشرقيّة ٩٦٠
شعراء النصرانية بعد الاسلام : تابع لشعراء الدولة العباسيّة : ابن بسام ٣٧ ابن ابي سالم ٣٠ ابو الفتح بن صاعد ٣٣ ابن ابي الخير سلامة الدمشقي ٩١ جرجس الانطاكي ١٩٦ ابو الفرج ابن التلميذ ١٩٤ هبة الله ابن التلميذ ٢٥١؛٢٢٩ محفوظ النيلي ٤١٧ سعيد النيلي ٤٢١ ابن اصطفانوس الرومي ٤٣٤ القس يعقوب الارداني ٤٥٨ يحيى بن ماري ٤٦٢ نو [illegible] ٥٢٠ الاسعد بن عسال ٦٦٠ ابن ابي اصيبعة ابن كاتب قيصر ٦٦٢ اخوه علم الدين ٦٦٥ ابو ربيع سليمان الارداني ٦٦٥ رشيد الدين ابو حليقة ٧٢١ ابن [illegible] ١٢٥ ابن زطيا ٧٣٦ صاعد بن عيسى ٧٣٦ عمرة اليماني ٧١٨
[illegible] ١٧٧–١٨٣
الشهور العربية ومعنى اسمائها ٢٤٠
الشهايلون وحكمهم على بيروت ١١٨؛٢٦٧
الشواهد [illegible] في الهواء المعدنين والزنادقة [illegible]
شيكاغو والمؤتمر [illegible] فيه ٦٢٧–٦٣٨
* ص * صاعد بن عيسى من شعراء النصراني [illegible] ٢٨–٣٧
صافو الشاعرة وفقدان دواوينها ٣٥–٤١
صالح بن عبد القدوس وقصته مع راهب الصين ٢٢٤؛٢٧٤
صدر الاسلام وتحديده ٦٤٠
الصلاة وترتيبها لنجيب النصراني ورشيد الدين ابو حليقة ٧٩٨
الصلاح والفنون في العام الماضي ٣٠٢–٣٠٤
صيداء وبعلها سنة ١٨٦٠ ٨٢٢–٨٢٤

الصين وجمهوريتها ١٣٨ بعثة جديدة علميـة اليها ٥١٧ اساقفة صينيّون ٦٣٩، ٨٧٧
* ض * ضودج (الدكتور) مقالتهُ في القديس فرنسيس الاسيزي ٩٥٨
* ط * الطباعة : اول كتاب طُبع على الحروف ٤٠٠
الطب في السنة ١٩٢٥ ٣٠٥
طريقة جديدة لقراءة المخطوطات المطموسة ٥١٦
الطيّارات ومحركاتها الحديثة ٤٨١–٤٨٩ قطع الطيّارات المسافات البعيدة بشوط واحد ٦٣٩ سباقها في الارتفاع ٨٧٨
* ظ * ظاهر العمر الزيداني وتاريخهُ ٥٣٩–٥٦٠
* ع * عبد القادر الامير الجزائري ٩٣٥
عجائب الصناعة ٧٩٧
العجم والشاه الجديد رضا خان ١٤٠
العراق والانتداب الانكليزي ١٤٠–١٤١
العربية : آدابها في الربع الاول من القرن العشرين (اطلب آداب)
عطاء الله (الاب بولس اليسوعي) وفاتهُ ٩٥٩
العظم (اسعد باشا) قصرهُ آلهُ وترجمتهُ ٥–٧ قصرهُ في دمشق ٨–٢٦
على طريق الجلجلة (رواية) ٣٥٩–٣٦٦
عمر ابو نصر وتاريخهُ سورية ولبنان ٦٩٨–٧٠٤
عمشيت : وصفها واهلها ٤٥٠–٤٥٣
العملية القيصرية ورأي المجلة الطبية الطبيـة فيها ١٩٤–١٩٧ رأي المكتب الطبي الفرنساوي فيها ٣١٧
عهد عمر للنصارى وتزويرهُ ٨٠
عود الصليب وبوبيل اكتشافه ٤٧٩
عيد الحبل بلا دنس في الطقس اليوناني ٨٠
* غ * غريغوريوس الباج ردواوين صافو ٣٥، ٣٩–٤١
الغرامات القديمة والحديثة لانتشال دفائن البحر ٥٧٥–٥٨٢
* ف * فارس الملسونية ٨٧٨
فخر الدين وحكمهُ على بيروت ١١٧–١١٩
فرحات (السيد جرمانوس) : اثر منسي من ديوانهِ ٢٩٧
فرنسة واحوالها في العام ١٩٢٥ ٥٩–٦١ قنصليّتها في بغداد وطائفة السريان ٦١٣ حملتها العسكرية سنة ١٨٦٠ ٩٣٣–٩٣٨
فرنسيس الاسيزي القديس وتذكار المئة السابعة لوفاتهِ ٧٢١–٧٣١ اسمهُ في العماد ٨٨٠ مقالة الدكتور ضودج في القديس فرنسيس ٩٥٨
فقيدان عزيزان ٣١٩ فقيدان جليلان ٨٧٦ فقيد عزيز ٩٥٩
فلسطين واحوالها في العام ١٩٢٥ ١٤١–١٤٣ الفلك وعلمهُ في العام السابق ٣٠٢–٣٠٣
فؤاد باشا في الشام ٩٣٨–٩٣٨
الفونوغرافات المجسّمة للصوت ٧٩
* ق * قاسيون والخرافات ٩٣٨–٩٤١
القبط غير الكاثوليك : نظر عام في احوال كنيستهم ٥٠–٥٧
قصر اسعد باشا العظم في دمشق ٥–٢٦
القطب الشمالي والبلوغ اليهِ بالطيران ٥١٧
قيروان وذكرها في الانجيل ٧٣٠
* ك * كازانوفا الاستاذ في جامع مصر ١٥٩
كامبوا (الاب اليسوعي) واكتشافهُ لحرير العنكبوت ٤٧٩
كانوب : تاريخها وآثارها ٨٩٩–٩٠٨
كانيزيوس (القديس بطرس مافسان الكتيبة) ١٦١–١٧٦
كاهن نباتي ٣٣٧
الكاهن او انتقام شريف (رواية مترجمة) ٣٠١؛ ٣٧٩؛ ٣٥١؛ ٤٤٧
الكبوشيون المئة الثالثة لرسالتهم في

سورية ٣٢٨
كتاب تقسيم المواريث ٩٤١-٩٤٧
كتابة يونانية في لحف لبنان ٨٨٠
كسروان سنة ١٨٦٢ ٨٠٢-٨٠٧
كندا في العام ١٩٢٥ ١٣٥ تطويب شهدائها اليسوعيين ١٧٧-١٨٦
كورية: شهداؤها والكثلكة فيها ١٣٩-١٤٠
الكيميا والطبيعيات وعلم الحياة في العام ١٩٢٥ ٢٩٩
* ل * لبنان وسورية في العام ١٩٢٥ ١٤٢-١٤٣ رحلة الى شمالي لبنان ٤٦٦;٥٦٧;٦٤٩;٧٣٩ جمهورية لبنان ٤٧٨ اقسامهُ ومقاطعاتهُ واحوالهُ السياسية ٨٠١-٨٠٧
لورد وسنتها الدينية ٦٢٨
لويس غوتراغا القديس ويوبيل تثبيته ٨٨١-٨٩١
* م * المؤتمر الاثري في بيروت وفلسطين ٢٣٧ رصفهُ لشاهد عباني ٢٨١-٢٨٨
مؤتمر اللغة التركية في باكو ٧١٧
المئة السابعة لوفاة القديس فرنسيس الاسيزي ٧٢١-٧٢٦
المارداني: انس يعقوب الشاعر ٤٥٨-٤٦٢
ماروثا صاحب التآليف الطقسية ٩٦٠
الماسونية: عادها السخيف ٢٢٠-٢٢٢ انقلاب لبيب افندي على الماسونية ٢٤٠ الماسونية وغيبة بطريرك الروم ٩٥٩
مبارك الانياني القديس ٨٨٠
متحف جيولوجي طبيعي في تيان سين ٤٧٨-٨٧٩
المجلّات: تطرّف بعضها ٩٥٨
محركات الطيّارات الحديثة ٤٨١-٤٨٩
محفوظ النبي الشاعر النصراني ٤١٧-٤٢١
المخطوطات المطموسة وطريقة جديدة لقراءتها ٥١٦
مدرسة الحكمة ويوبيلها الذهبي ٤٠١-٤٠٧
مدرسة القديس يوسف المارونية في القاهرة ٢٢١-٢٢٠
مدفن عبراني في بيروت من القرن الحادي عشر ١٢٠-١٢٤
مدينة كانوب القديمة ٨٩٩-٩٠٨
المذنّبة فيتالي ٨٧٠
مذهب النشوء ورأي اليسوعيين فيه ٢٢١ مذهب التقمّص ٤٢٤-٤٢٤
مراكش: رسالة اميرها الى البابا اينوشنسيوس الرابع ٨٧٧
مرثاة دينية في المرحوم صرّانيان ٦٢٦
مريم العذراء وتقليد الاسلام في مولدها ٦٨٢-٦٨٧ انتقالها الى السماء واصل عيده ٧٢٠
مزامير داود وطبعها في قزحيا ١٥٨ شرح آية من المزامير ٢٤٠
المسابكيون الشهداء وتطويبهم ٨٧٦
المستشرقون المتوفون من السنة ١٩٠٨ الى ١٩١٨ ٥٨٢;٦٧٦
المسلمون وادباؤهم في مصر ٢٢٢;٨٥٩ في شام ٢٦١ في العراق والهند ٢٩٥ تورطهم على النصارى في بيروت وصيداء ٨٢٢-٨٢٤ في دمشق ٩١٥-٩٢٤ بعض عقلائهم كمفتي بيروت الشيخ محمد الحوت ٨٢٢ والامير عبد القادر الجزائري ٩٢٥-٩٢٧
المسيح الملك: نظر لاهوتي تاريخي اجتماعي ٢٤١-٢٥٠
المشايخ في كسروان وثورة الاهلين عليهم ٨٠٦-٨٠٧
مصر وامورها السياسية والدينية ١٢٦-١٢٧ المغتربات الفرنساوية فيها ١٥٨ أدباؤها في القرن العشرين ٢٢٢;٨٥٩
معرض القرون الوسطى في مكتبة باريس الوطنية ٢٩٨

AL-MACHRIQ

Revue Catholique Orientale Mensuelle

SCIENCES—LETTRES—ARTS

Sous la direction des Pères de la Cie de Jésus
UNIVERSITÉ St JOSEPH

Vingt quatrième Année

1926

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1926

TABLES DES SOMMAIRES

XXIVe ANNÉE 1925

JANVIER

Souvenir du passé, vue sur l'avenir au 1er de l'an (page 1) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Palais 'Azm à Damas (p. 5) : *Mr 'Issa Al. Malouf*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite) (p. 27) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les œuvres de Sanin ont-elles été détruites par S. Grégoire VII ? (Réponse) (p. 35) : *P. Pierre Poussard S. J.*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : Les Émirs du Garb à Beyrouth (p. 42) : *P. L. Cheikho S. J.*

L'Église Copte non-unie (p. 50) : *P. Emmanuel Rolland S. J.*

Revue des événements de l'année 1925 (p. 58) : *P. L. Cheikho S. J.*

La littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 65) : *idem.*

Bibliographie (68) = Varia (77) Questions et Réponses (p. 80)

FÉVRIER

Le voyage du Général des moines libanais à Rome (p. 81) : *P. Pierre Sarah O. S. A.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, 91) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Syriens Catholiques et les Consuls de France à Baghdad (p. 99) : *L'abbé Isaac Armalé*

Beyrouth : Histoire et Monuments (suite) : Beyrouth sous les Ottomans (1516 — 1711) (p. 114) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une inscription hébraïque du XIe siècle à Beyrouth (p. 120) : *P. René Mouterde S. J.*

Hammourabi roi de Babylone (p. 122) : *P. L. Cheikho S. J.*

Revue des événements de l'année 1925 (fin p. 129) : *id.*

La littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 144) : *id.*

Bibliographie (148) = Varia (158) Questions et Réponses (p. 160) :

MARS

St Pierre Canisius Docteur de l'Eglise (p. 161) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les Bienheureux Jésuites Martyrs du Canada (p. 177) : *P. Emmanuel Rolland S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, p. 186) : *P. L. Cheikho S. J.*

L'opération césarienne et la craniotomie (p. 194) : *Dr Amin Gemmayel*

La divinité arabe : Manâf (p. 197) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Prêtre ! (d'après Ch. Bûet) (p. 201) : *L'abbé Maroun Ghosn*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : le christianisme à Beyrouth après la conquête ottomane (p. 214) : *P. L. Cheikho*

Deux baptêmes opposés p. (220) : *P. Mubarak Saqr O. S. A.*

La littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 223) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 228) = Varia (237) = Questions et Réponses (p. 240) :

AVRIL

Jésus-Christ Roi (p. 241) : *P. Emmanuel Rolland S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, p. 251) : *P. L. Cheikho S. J.*

Sur le chemin du Calvaire (nouvelle, p. 259) : *P. Raphaël Nakhla S. J.*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : Beyrouth sous les Emirs Chéhabs (p. 267) : *P. L. Cheikho S. J.*

Salih ibn 'Abdul Qoddoûs et le religieux de Chine (p. 274) : *L'abbé Isaac Armalé*

Le Prêtre ! (d'après Ch. Buet) (suite, p. 279) : *L'abbé Maroun Ghosn*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 291 : *P. L. Cheikho S. J.*

Bulletin scientifique (p. 298) : *id.*

Bibliographie (p. 306) = Varia (316) = Questions et Réponses (p. 320) :

MAI

L'attitude des Savants Catholiques en face du Transformisme (p. 321) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Collège Maronite St Joseph du Caire (p. 324) : *Mr Joseph Médawar*

Un document de Djazzâr aux Cheikhs Druses en 1792 (p. 331) : *P. L. Cheikho S. J.*

Salih ibn 'Abdul Qoddoûs et le religieux de Chine (fin) (p. 334) : *L'abbé Isaac Armalé*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, p. 339) : *P. L. Cheikho S. J.*

Le Prêtre ! (d'après Ch. Buet) (suite, p. 351) : *L'abbé Maroun Ghosn.*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : Beyrouth de 1804 à 1860 (p. 361) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 370) : *id.*

Le Congrès d'Archéologie à Beyrouth (p. 381) : *Un témoin*

Bibliographie (p. 389) = Varia (397) = Questions et Réponses (p. 400)

JUIN

Le Noces d'or du Collège de la Sagesse (p. 401). *P. L. Cheikho S. J.*

Vue générale sur le Musée des Antiquités de Beyrouth (p. 408): *Mr Ibrahim Mou'awwadh*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, p. 417) : *P. L. Cheikho* S. *J.*

La Métempsycose druse (p. 424) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

St Pierre et sa Chaire à Antioche (p. 434) : *Mgr Joseph Rabbani*

— Réponse de la Revue (p. 436) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 439) : *idem.*

Le Prêtre ! (d'après Ch. Buet) (fin, p. 447) : *L'abbé Maroun Ghosn*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite) : Beyrouth de 1860 jusqu'à nos jours (p. 461) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 465) = Varia (478) = Questions et Réponses (p. 480) :

JUILLET

Gébeil et la contrée de Gébeil (p. 414) : *Ibrahim Bey A. Ghanem*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, p. 458) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion au Nord du Liban (p. 467) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

Religion et Patrie ne s'opposent pas (réponse, p. 475) : *P. L. Cheikho S. J.*

Nouveaux moteurs d'Aviation (p. 481) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

Beyrouth ; Histoire et Monuments (suite). La Renaissance religieuse depuis 1860 (p. 489) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 498) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 505) = Varia (515) = Questions et Réponses (p. 520) :

AOUT

Apologistes malgré eux (p. 521) : *P. Louis Ronzevalle S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, p. 530) : *P. L. Cheikho S. J.*

Deux documents sur Dahir al 'Omar (p. 539) : *Mr 'Issa Al. Ma'louf*

Beyrouth ; Histoire et Monuments : Beyrouth actuel (fin) (p. 560) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion au Nord du Liban (suite, p. 567) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

Sous les eaux (p. 575) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 583) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 627) = Varia (636) = Questions et Réponses (p. 640) :

SEPTEMBRE

Le Pèlerin russe Daniel en Terre Sainte sous Baudouin 1er (p. 641) : *Mr Alexis Bogolioubsky*

Une excursion au Nord du Liban (suite, p. 649 : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (suite, p. 658) : *P. L. Cheikho S. J.*

Apologistes malgré eux (fin, p. 668) : *P. Louis Ronzevalle S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 676) : *P. L. Cheikho S. J.*

La Nativité de Marie dans les traditions de l'Islâm (p. 682) : *idem.*

Voyage à San Paolo (Brésil, p. 687) : *L'abbé Georges Élian.*

Un nouvel historien de Syrie : Mr Omar Abou Nasr (critique) (p. 698) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 705) = Varia (717) = Questions et Réponses (p. 720) :

OCTOBRE

Le VII° Centenaire de S^t Fr. d'Assise (p. 721) : *P. Emmanue. Rolland S. J.*

Les Poètes arabes chrétiens après l'Islâm : Période abbasside (fin, p. 731) : *P. L. Cheikho S. J.*

Une excursion au Nord du Liban (fin, p. 739) : *P. Antoine Chebli O. S. A.*

Appendice à l'Histoire de Beyrouth (p. 757) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les deux Princes captifs (tragédie, p. 762) : *Abbé Joseph 'Amchiti*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 777): *P. L. Cheikho S. J.*

Une victime des modes indécentes (nouvelle, p. 785) : *id.*

Bibliographie (p. 788) = Varia (797) = Questions et Réponses (p. 800) :

NOVEMBRE

Les événements du Liban et de Damas (1840-1862, p. 801) : *Un témoin oculaire*

Baromètre enregistreur à eau (p. 825) : *P. Joseph Vernet S. J.*

Les deux Princes captifs (tragédie : suite, p. 830) : *Abbé Joseph 'Amchiti*

Une victime des modes indécentes (suite, p. 848) *P. L. Cheikho S. J.*

La vie des Missions Catholiques (p. 852) : *P. Ferdinand Tawtel S. J.*

La Littérature arabe au 1er quart du XXe siècle (suite, p. 859) : *P. L. Cheikho S. J.*

Bibliographie (p. 868) = Varia (876) = Questions et Réponses (p. 880) :

DÉCEMBRE

Le 2me Centenaire de la Canonisation des SS. L. de Gonzague et St. Kostka (p. 881) : *P. L. Cheikho S. J.*

L'ancienne ville de Canope (p. 899) : *Abbé Louis Malha*

Une victime des modes indécentes (fin, p. 909) : *P. L. Cheikho S. J.*

Les événements du Liban et de Damas (1840-1862) (fin, p. 915): *Un témoin oculaire*

Qasiyûn et ses légendes (p. 938) : *P. Henri Lammens S. J.*

Analyse de l'ouvrage « la Dévolution ab intestat (p. 940) : *Mr Ibrahim bey Ghanem*

Bibliographie (p. 947) = Varia (957) = Questions et Réponses = Tables (961-979)

مرضان جديدان في باريس ٨٧٤
المسرّرون ٢٢٩
معل التطريز الكلداني ٥١٦
المعمودية المسيحية والعماد المايوني ٢٢٠-٢٢٢
منبنب (غبطة السيد كيرلس) انتخابهُ بطريركاً سفره الى رومية
المغربي (السيد): عنايةُ بلا سند ٨٧٩
المقتطف ومذهب النشوء والماء اليسوعيون ٢٣١-٢٣٢
مقياس مائي لتدوين ثقل الهواء ٨٢٥-٨٣٠
المكسيك ورئيسها كالس الملحد ٧٤٨ نعضتهُ على الدين ٨٧٦
الملحدون والزنادقة وشواهدهم للحقيقة ٥٢١؛ ٦٦٨
ملحق بتاريخ بيروت ٧٥٧-٧٦٢
المسالك السكندينافية في العام ١٩٢٥ ١٢١
من لبنان الى رومية ٨١-٩٠
المنيون وحكمهم على بيروت ١١٧
ملكة العراق: سرّ بل ٧٤٨
مناف الاله العربي واكتشاف بعض آثاره ١٩٧-٢٠٠
المواونة ومدرستهم في القاهرة ٢٣٤-٢٣٠ بريل
مدرستهم الحكمة في بيروت ٤٠١-٤١٧
المواريث وكتاب تقسيمها ٩٤١-٩٤٧
مولد العذراء في تقليد الاسلام ٦٨٢-٦٨٧
* ن * نابغة في التاريخ عمر ابو نصر ٦٩٨-٧٠٤
نانكين ومدرسة جديدة فيها لليسوعيين ٥١٨
نجم المجوس ومذنّب هالي ٧٦٨
النشوء وشيوع مذهبهِ المزعوم ١٥٩-٢٢٨
نروج وترقي الدين الكاثوليكي فيها ٥١٦
النصارى: شعائرهم بعد الاسلام ٢٧:١١:١٨٦؛ ٣٥١؛٢٢٩؛٤١٧؛٤٥٨؛٥٢٠؛٦٥٨؛٧٣١
ادباؤهم في الحقبة الثانية من القرن العشرين ٢٧٠؛٤٢٩؛٧٧٨ نصارى مار توما في الهند ٤٨٠
نصرالله النفّاري الشاعر النصراني ٧٢٨-٧٣٩
النصولي (انيس) وانتقادهُ الباطل ٥١٩
نيزك: أكبر نيزك وقع على الارض ٧٩
نيويرك ومجلسها البلدي ٧١٩
* ه * الهند وفتنها ١٤٠ نصارى مار توما في الهند ٤٨٠
هولندة في العام ١٩٢٥ ١٢٠-١٢١
* و * وادي التيم ووادي العجم ٧٢٠
وفاة رئيس جليل: الارشمندريت يوحنا عكه ٥١٥
* ي * اليابان وبعض احوالها ١٣٩
يحيى بن ماري الشاعر النصراني ٤٦٣-٤٦٦
اليسوعيّون: المئة الثالثة لرسالتهم في سورية ٢٢٨ رأي علمائهم في مذهب النشوء ٢٣١
مدرستهم الجديدة في نانكين ٥١٨ تطويب شهيدين يسوعيين ٥١٩ اليسوعيون ومآثرهم في البرازيل ٦٨٨-٦٩٠ يوسفاً الصليبي القديس ملفان الكنيسة ٩٢٨
يوبيل تثبيت القديسين لويس غونزاغا واستانسلاوس كوستكا ٨٨١-٨٩٨
اليونان وسياستها ١٢٢